نظم الدرر

في تناسب الآيات والسور

للإمام المفسر
برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي
المتوفى سنة ٨٨٥ هـ - ١٤٨٠ م

دار الكتاب الإسلامي
بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

صفحة الأصل /٢

[1] و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم [1]

[2] قال الشيخ الإمام العالم العلامة ذو الفنون العديدة ، و التصانيف المفيدة ، و الأقاويل السديدة ، أبو الحسن [2] إبراهيم بن عمر بن حسن الرُباط [3] بن على بن أبى بكر البِقَاعى [4] الشافعى [5] رحمه الله تعالى آمين [5] : ٥

(١ - ١) هكذا ثبتت العبارة فى النسخة المخزونة بالرباط - المراقش التى جعلناها أصلا وأساسا للمتن ، وكذا فى نسخة مكتبة المدينة و رمزها « مد » ، و موضعها فى نسخة دار الكتب المصرية و رمزها « م » : رب زدنى علما يا فتاح .

(٢ - ٢) فى م و مد : قال أفقر الخلائق إلى عفو الخالق ؛ وفى الأصل : أبو اسحاق - مكان : أبو الحسن ، والتصحيح من الأعلام للزركلى ج ١ ص ٥٠ و عكس المخطوطة أمام ص ٥٦ و هامش الأنساب للسمعانى ج ٢ ص ٢٨٠ .

(٣) ضبطه فى الأعلام بضم الراء وتخفيف الباء .

(٤) ضبطه الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمى اليمانى رحمه الله فى تعليقه على الأنساب ج ٢ ص ٢٨٠ و قال : البقاعى بكسر الموحدة و فتح القاف مخففة و بعد الألف عين مهملة بلد معروف بالشام ينسب إليه جماعة أشهرهم الإمام المفسر إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعى أبو الحسن برهان الدين من أجلة أهل القرن التاسع له عدة مؤلفات ولد سنة ٨٠٩ و توفى سنة ٨٨٥ - اهـ .

(٥ - ٥) فى م و مد : لطف الله بهم أجمعين ، إلا أن لفظ « اجمعين » ليس فى مد . =

الحمد لله الذى أنزل الكتاب متناسبا سوره و آياته ، متشابها فواصله و غاياته ؛ و أشهد أن لا إله إلا الله الذى تمت كلماته ، و عمت مكرماته ، و أشهد أن سيدنا محمدا عبده الذى ختمت به نبواته ، و كملت برسالاته[1] رسالاته ؛ توالت عليه و على آله و أصحابه و أزواجه و ذريته و أحبابه صلواته ، و تواتر تسليمه و بركاته ما دامت حياته و بقيت ذاته و صفاته .

و بعد فهذا كتاب عجاب ، رفيع الجناب ، فى فنٍ ما رأيت من سبقنى إليه ، و لا عول ثاقب فكره عليه ؛ أذكر فيه إن شاء الله مناسبات ترتيب السور و الآيات ، أطلت فيه التدبر و أنعمت فيه[2] التفكر لآيات الكتاب ، امتثالا لقوله تعالى "ليدبروا آيته و ليتذكر أولوا الألباب[3]" ، و استنانا بما أشار إليه أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه و رضى عنه فيما خرجه[4] البخارى [5]فى الجهاد[5] و غيره عن أبى جُحَيفة قال : قلت لعلى رضى الله عنه : هل عندكم شىء من الوحى إلا ما فى كتاب الله ؟ قال : لا و الذى فلق الحبة و برأ النسمة ! ما[6] أعلمه إلا فهم[7]

= و العبارة من «و آله» إلى هنا ليست فى نسخة المكتبة الظاهرية و رمزها «ظ» .

(١) فى م و مد و ظ : برسالته . (٢) ليس فى م و مد و ظ .

(٣) سورة (ص) ٣٨ آية ٢٩ .

(٤) فى م و ظ : اخرجه .

(٥ - ٥) ليس فى م .

(٦) فى النسخ كلها : لا ، و فى البخارى : ما ، و قول على رضى الله عنه نقل من البخارى فأثبتناها .

(٧) فى ظ : فهما ، و فى متن البخارى كذلك ، و على حاشيته : فهم .

يعطيه الله رجلا فى القرآن و ما فى هذه الصحيفة - الحديث ؛ و تعرضا لنفحات ما أشار إليه ما أخرجه البخارى و غيره عن عبد الله بن عمر[١] رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: بلغوا[٢] عنى و لو آية ، و البخارى و غيره أيضا عن أبى بكرة[٣] و غيره رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه و سلم قال: ليبلغ[٤] الشاهد الغائب ، فرب مبلغ أوعى من سامع ؛ و وقوفا على الباب الذى اطلع عليه حبر الأمة و بحر علومها الجهة عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فيما رواه الشيخان و الطبرانى [٥]و هذا[٥] لفظه: إنه رضى الله عنه كان فى بيت خالته ميمونة رضى الله عنها[٦] فوضع للنبى صلى الله عليه و سلم طهورا فقال النبى صلى الله عليه و سلم: من وضعه؟ قيل: ابن عباس - رضى الله عنهما! قال: فضرب على منكبى و قال: اللهم! فقهه[٧] فى الدين و علّمه التأويل . و روى عنه الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى مقدمة تفسيره و الإمام أبو بكر بن الأنبارى فى مقدمة كتاب الوقف

(١) فى ظ و مد: عمرو .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: فابلغوا .

(٣) من م و مد و ظ ، و هو الصحيح لما فى البخارى: عن عبد الرحمن بن أبى بكرة ، و فى الأصل: بكر .

(٤) زيد فى م: عنى .

(٥ - ٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: هذا و - كذا .

(٦) و فى مد: عنهما .

(٧) فى م: فقه .

و الابتداء أنه قال رضى الله عنه: تفسير القرآن على أربعة وجوه[1]: تفسير يعلمه العلماء، و تفسير يعرفه[2] العرب، و تفسير لا يُعذر أحد بجهالته، و تفسير لا يعلمه إلا الله عز وجل، فمن ادّعى علما[3] به فهو كاذب؛ [4]و قال شيخ الإسلام ولى الله محيي الدين النواوى فى آخر كتاب الغسل من شرح المهذب: و يحرم تفسيره بغير علم و الكلام فى معانيه لمن ليس من أهله، و هذا مجمع عليه، و أما تفسير العلماء فحسن بالإجماع[4]؛ فأمدنى[5] فيه و الحمد لله تأييد سماوى فجعلته كالرديف لتفسير القاضى ناصر الدين البيضاوى، و لعل تسهيله كان ببركة مبشرة[6] من آثار النبوة رأيتها فى صباى و أنا فى حدود العاشرة من سنى فى قريتنا من بلاد البقاع،

(١) قال الشيخ العارف بالله أبو محمد روزبهان ابن أبى النصر البقلى الشيرازى فى تفسيره المسمى بعرائس البيان فى حقائق القرآن ما نصه: قال جعفر بن محمد: كتاب الله على أربعة أشياء: العبارة و الإشارة و اللطائف و الحقائق، فالعبارة للعوام و الإشارة للخواص و اللطائف للأولياء و الحقائق للأنبياء. وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه: ما من آية إلا و لها أربعة معان: ظاهر و باطن و حد و مطلع، فالظاهر التلاوة و الباطن الفهم و الحد هو احكام الحلال و الحرام و المطلع هو مراد الله من العبد به، قيل: القرآن عبارة - الخ؛ لمزيد التفصيل فليراجع ج ١ ص ٤.

(٢) فى م و مد: تعرفه.

(٣) زيد فى م و ظ: يعنى علما.

(٤ - ٤) ليست هذه العبارة فى ظ و لفظ «الدين» فقط ليس فى م.

(٥) من م و مد و ظ؛ و فى الأصل: فامدى.

(٦) و فى م و مد: مبشر.

رأيت روح القدس جبريل المنزل لهذا الروح و المؤيد بروح القدس محمدا[1] النبي[2] المنزل عليه هذا الروح صلى الله عليهما [3]و سلم[3] فى صورتى شابين أمردين فى أحسن صورة راكبين فرسين أخضرين فى غاية الحسن متوجهين نحو المشرق؛/ فأيدنى الله[4] ببركتها، [5]فى تفسيره و تصنيفه[5] بروح منه، كما /٣ يشهده من طالعه[6] و تدبره - و الله ولى التوفيق! و سميته «نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور» و يناسب أن يسمى «فتح الرحمٰن فى تناسب أجزاء القرآن» و أنسب الأسماء له «ترجمان القرآن و مبدى مناسبات الفرقان». و علم المناسبات الأهم[7] من مناسبات القرآن و غيره [علم -[8]] تعرف منه علل الترتيب. و موضوعه أجزاء الشيء المطلوب علمُ مناسبته من حيث الترتيب، و ثمرته الاطلاع على الرتبة التى يستحقها الجزء[9] بسبب ما له بما وراءه و ما أمامه من الارتباط و التعلق الذى هو كلحمة[10] النسب؛

(١) من ظ، و فى الأصل و م و مد: محمد.

(٢) زيد فى م و ظ و مد: الأمى.

(٣ - ٣) ليس فى ظ.

(٤) زيد فى مد: تعالى.

(٥ - ٥) ليست فى مد؛ و فى م و ظ: فى تصنيفه.

(٦) فى م: يطالعه.

(٧) فى م و ظ: الاعم.

(٨) زيد من م و ظ.

(٩) من م و ظ، و فى الأصل و مد: الجزا.

(١٠) من م و ظ، و وقع فى الأصل و مد: كلمة - كذا مصحفا.

فعلم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، و هو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعانى[1] لما اقتضاه[2] من الحال، و تتوقف الإجادة[3] فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها. و يفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها؛ فلذلك كان هذا العلم فى غاية النفاسة و كانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو. و طالعت على ذلك كتاب العلامة أبى جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفى العاصمى الأندلسى «المعلم بالبرهان فى ترتيب سور القرآن» و هو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط، لا يتعرض فيه للآيات، و سأذكر فى أول كل سورة ما قاله فيها بلفظه. كما ستراه إن شاء الله تعالى، ثم ظفرت بكتاب الإمام بدر الدين [محمد -[4]] بن عبد الله الزركشى المصرى الشافعى سماه «البرهان فى علوم القرآن» فرأيته ذكر فيه ما يعرف بمقدار كتابى هذا فقال فى النوع[5] الثانى منه: و هو فى المناسبة قد قل اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته، و ممن أكثر منه الإمام فخر الدين و قال فى تفسيره: أكثر لطائف[6] القرآن مودعة فى الترتيبات و الروابط، و قال القاضى أبو بكر بن العربى

(١) فى م و ظ: المقال.

(٢) كرر فى الأصل «لما اقتضاه» ثانيا.

(٣) من م و مد، و فى الأصل: الاجازة، و فى ظ: الاجارة.

(٤) زيد من ظ و مد.

(٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الفرع.

(٦) و فى ظ: اسرار.

فى "سراج المريدين": ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى يُكوّن[1] كالكلمة الواحدة مُتسعة[2] المعانى منتظمة المبانى علم عظيم لم يتعرض له[3] إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عز و جل لنا فيه، فلمّا لم نجد له حَمَلة[4] و رأينا الخلق[5] بأوصاف البطلة ختمنا[6] عليه و جعلناه بيننا و بين الله و رددناه إليه . و نقل الزركشى عن سلطان العلماء الشيخ عز الدين ٥ ابن عبد السلام أنه قال ما حاصله: المناسبة علم حسن لكن يشترط فى حسن[7] ارتباط الكلام أن يقع فى أمر متحد[8] مرتبط أوله بآخره، فان وقع على أسباب مختلفة لم يقع فيه ارتباط، و من ربط ذلك فهو متكلف بما لايقدر عليه إلا بربط ركيك يصان عن مثله حسن الحديث فضلا عن أحسنه، فان القرآن نزل فى نيف و عشرين سنة فى أحكام مختلفة ١٠ شرعت لأسباب مختلفة، و ما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، قال الزركشى: و قال بعض مشايخنا المحققين: قد وهم[9] من قال: لايطلب

(١) من ظ، و فى الأصل و م و مد: تكون .

(٢) كذا فى الأصل، و فى م و مد و ظ: متسقة .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جملة .

(٥) فى م: الخلائق .

(٦) فى م: حتمنا ـ بالحاء المهملة .

(٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: احسن .

(٨) من م و ظ، و فى الأصل و مد: متجه .

(٩) زيد فى م: على .

للآى الكريمة مناسبة ، لأنها على حسب الوقائع المتفرقة ، و فصل[1] الخطاب أنها على حسب الوقائع تنزيلا ، و على حسب الحكمة ترتيبا و تأصيلا ، مرتبة سوره[2] كلها و آياته بالتوقيف كما أنزل جملة إلى بيت العزة ، و من المعجز البين أسلوبه و نظمه الباهر ؛ و الذى ينبغى فى كل آية[3] أن يبحث أول[4] كل شيء عن كونها تكملة[5] لما قبلها أو مستقلة ، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ، ففى ذلك علم جم - انتهى . قلت : و الشيخ المشار إليه هو العارف و لى الله[6] محمد بن أحمد الملوى المنفلوطى الشافعى

(١) فى تفسير القرآن المسمى بتبصير الرحمٰن للامام الشيخ العلامة على المهائمى : فأمكننى أن أبرزهن من خدورهن ليرى البرايا جمالهن صور الإعجاز من بديع ربط كلماته و ترتيب آياته من بعد ما كان يعد من قبيل الإلغاز فيظهر به انها جوامع الكلمات و لوامع الآيات لا مبدل لكلماته ولا معدل عن تحقيقاته فكل كلمة سلطان دارها و كل آية برهان جارها ، و إن ما توهم فيها من التكرار فمن قصور الأنظار الحاجزة عن الاستكبار ، و لا بد منه لتوليد الفوائد الجمة من العلوم المهمة و تقرير الأدلة القويمة و كشف الشبه المدلهمة مأخوذة من تلك العبارات من غير تأويل لها و لا تطويل فى إضمار المقدمات و لا إبعاد فى اعتبار المناسبات - الخ .

(٢) فى الأصل و النسخ كلها : سورة - كذا .

(٣) زيد فى ظ : فى .

(٤) ليس فى م .

(٥) و فى ظ : مكملة .

(٦) و فى م و ظ : الدين .

[١]ذكر ذلك[١] فى كلام مفرد على قوله تعالى "و هو الذى جعلكم خلائف[٢] الارض" "و نريد ان نمنّ على الذين استضعفوا فى الارض[٣]".
و نقل الإمام شمس الدين محمود الأصفهانى فى تفسير قوله تعالى "[١]امن الرسول[٤]" عن الإمام الرازى أنه قال: و من تأمل فى لطائف نظم هذه السورة و فى بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه[٥] و شرف معانيه فهو أيضا بسبب ترتيبه و نظم آياته، و لعل الذين[٦] قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه، أرادوا ذلك؛ إلا أنى رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير متنبهين[٧] لهذه الأسرار. و ليس الأمر فى هذا الباب إلا كما قيل[٨]:

و النجم تستصغر الأبصار صورته
فالذنب[٩] للطرف لا للنجم فى الصغر - انتهى.

(١-١) فى مد: ذكرته.

(٢) زيد فى م: فى - راجع سورة ٦ آية ١٦٦ . ١٦٥

(٣) سورة ٢٨ آية ٥.

(٤) سورة ٢ آية ٢٨٥.

(٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الطافه.

(٦) فى الأصل فقط: الذى.

(٧) فى م: منتهبين.

(٨) فى ظ: قال.

(٩) فى الأصل فقط: و الذنب.

و انتفعت فى هذا الكتاب كثيرا بتفسير على وجه كلى للامام الربانى أبى الحسن على بن أحمد بن الحسن التجيبى الحَرَالّى - بمهملتين مفتوحتين و مد و تشديد اللام - المغربى نزيل حماة من بلاد الشام سماه مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل وكتاب لعروة لهذا المفتاح يذكر فيه ٥ وجه إنزال الأحرف السبعة و ما تحصل به قراءتها وكتاب التوشية و التوفية فى فصول تتعلق بذلك ، و قد ذكرت أكثر هذا الكتاب فى تضاعيف كتابى [هذا - ١] معزوا إليه فى مواضع تليق [به - ٢] ثم بعد وصولى إلى سورة الأنفال ملكت جزءا من تفسيره فيه من أوله إلى " ان الله اصطفى " فى آل عمران فرأيته عديم النظير و قد ذكرت٣ فيه ١٠ المناسبات و قد ذكرت ما أعجبنى منها و عزوته إليه ، يسّر الله الاطلاع على بقيته بحوله و قوته ؛ و بعد أن وصلت إلى سورة الكهف ذكر لى أن تفسير ابن النقيب الحنفى و هو فى نحو ستين مجلدا يذكر فيه المناسبات و فى خزانة جامع الحاكم كثير منه ، فطلبت منه جزءا فرأيت الأمر كذلك بالنسبة إلى الآيات لا جملها و إلى القصص لا جميع آياتها ؛ و من ١٥ نظر كتابى هذا مع غيره علم النسبة بينهما ، و الله الموفق . و بهذا العلم

(١) زيد من م .

(٢) زيد من م و ظ .

(٣) من م ، و فى الأصل و مد و ظ : ذكر .

يرسخ الإيمان فى القلب و يتمكن من اللب [و ذلك -[1]] أنه[2] يكشف أن للاعجاز طريقين: أحدهما نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، و الثانى نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب، و الأول أقرب تناولا و أسهل ذوقا، فان كل من سمع القرآن من ذكى و غبى يهتزّ لمعانيه و تحصل له عند سماعه روعة[3] بنشاط و رهبة مع انبساط لا تحصل[4] عند سماع غيره، و كلما دقق النظر فى المعنى عظم عنده موقع[5] الإعجاز، ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل ربط كل جملة بما تَلَتْهُ[6] و ما تلاها خفى عليه وجه ذلك و رأى أن الجمل متباعدة[7] الأغراض متنائية[8] المقاصد فظن أنها متنافرة، فحصل له من القبض و الكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهز و البسط[9] ربما[10] شككه ذلك [بكثير-[1]] و زلزل إيمانه و زحزح إيقانه، و ربما وقف مكيس من أذكياء المخالفين عن الدخول

(١) زيد من م و ظ.
(٢) ليس فى م.
(٣) من م و ظ، و فى الأصل و مد: روحة.
(٤) من م، و فى الأصل ومد و ظ: لا يحصل.
(٥) فى م: معظم، و فوقه: موقع.
(٦) وقع فى الأصل فقط: تلقه - محرفا.
(٧) زيد فى م: و.
(٨) فى م: متنائبة.
(٩) فى مد: النشاط.
(١٠) من ظ، و فى م ومد: فربما، و فى الأصل: بما.

فى هذا الدين بعد ما وضحت لديه دلائله و برزت له من حجالها دقائقه و جلائله لحكمة أرادها منزله و أحكمها مجمله و مفصله؛ فاذا استعان بالله[١] و أدام الطرق لباب الفرج بانعام / التأمل و إظهار العجز و الوثوق بأنه فى الذروة من أحكام الربط كما كان فى الأوج من حسن المعى و اللفظ لكونه كلام من جل عن شوائب النقص و حاز صفات الكمال إيمانا بالغيب و تصديقا للرب قائلا [ما -[٢]] قال الراسخون فى العلم "ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا و هب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب[٣]" فانفتح له ذلك الباب و لاحت له[٤] من ورائه بوارق أنوار[٥] تلك الأسرار رقص الفكر منه طربا و شكروا لله استغرابا و عجبا و شاط[٦] لعظمة ذلك جنانه فرسخ من غير مرية[٧] [إيمانه -[٨]] و رأى أن المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف بديعة الرصف[٩] عالية[١٠] الأمر عظيمة

(١) من م، و فى الأصل و مد، ظ : الله - بدون حرف الجر.
(٢) زيد من م و ظ .
(٣) سورة ٣ آية ٨ .
(٤) ليس فى م و مد و ظ .
(٥) ليس فى م .
(٦) اى احترق، وفى م وظ و مد: طاش، أى ذهب .
(٧) من م و ظ و مد: و فى الأصل: مريبة .
(٨) زيد من م و مد و ظ .
(٩) فى النسخ كلها : الوصف، و الصحيح : الرصف، أى ضم البعض إلى البعض .
(١٠) فى م و مد: عاليته .

القدر مباعدة لمعانى الكلام على أنها منها أخذت، فسبحان[1] من أنزله و أحكمه و فصله و غطاه و جلاه، و بينه غاية البيان و أخفاه؛ و بذلك أيضا يوقف على الحق من معانى آيات حار فيها المفسرون لتضييع[2] هذا الباب من غير ارتياب، منها[3] قوله تعالى فى سورة البقرة «ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت[4]» - الآيتين، و منها قوله تعالى فى سورة النساء ٥ «فضل الله المجهدين باموالهم و انفسهم على القعدين درجة[5]» مع قوله عقيبه «و فضل الله المجهدين على القعدين اجرا عظيما * درجت[6]»، و قوله تعالى فى آخر هود «فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء[7]» الآية[8] - إلى غير ذلك، و قوله تعالى فى سبحان «و يسئلونك عن الروح[9]» الآية، و قوله تعالى فى السجدة «قل يتوفكم ملك الموت[10]» و قوله تعالى فى يس ١٠

(١) فى مد: سبحان.

(٢) من مد و ظ، و فى الأصل و م: لتصييع - كذا.

(٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: منه.

(٤) سورة ٢ آية ١٣٣.

(٥) سورة ٤ آية ٩٥.

(٦) سورة ٤ آية ٩٥ و ٩٦.

(٧) سورة ١١ آية ١٠٩.

(٨) ليست فى م من هنا إلى «الموت».

(٩) سورة ١٧ آية ٨٥.

(١٠) سورة ٣٢ آية ١١.

«انهم اليهم لا يرجعون[١]» [٢]مما تراه و ينكشف لك غامض معناه، و به يتبين[٣] لك أسرار[٤] القصص المكررات، و أن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادعى فى تلك السورة استدل عليه بتلك القصة غير المعنى الذى سيقت[٥] له فى السورة السابقة؛ و من هنا اختلفت الألفاظ
٥ بحسب تلك الأغراض و تغيرت[٦] النظوم بالتأخير و التقديم و الإيجاز و التطويل مع أنها[٧] لا يخالف[٨] شيء من ذلك أصل المعنى الذى تكونت بـــه القصة، و على قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها. و لقد شفانى بعض فضلاء العجم و قد سألته عن شيء من ذلك فرآه مشكلا، ثم قررت[٩] إليه[١٠] وجه مناسبته و سألته هل وضح
١٠ له؟ فقال: يا سيدى! كلامك هذا يتسابق إلى الذهن. فلا تظنن أيها الناظر لكتابى هذا أن المناسبات كانت كذلك قبل الكشف لقناعها

(١) سورة ٣٦ آية ٣١.
(٢) زيد فى م و مد: الى غير ذلك.
(٣) فى م: تتبين.
(٤) فى م: احرار.
(٥) من مد وظ، و فى الأصل و م: سبقت - بالباء الموحدة.
(٦) من م ومد وظ، و فى الأصل: تغير.
(٧) فى ظ و مد: انه.
(٨) فى الأصل و النسخ كلها: تخالف.
(٩) كذا، و الظاهر: قربت.
(١٠) و فى م وظ ومد: له.

و الرفع

و الرفع لسورها[1]، فرب آية أقمت[2] فى تأملها شهورا، منها «و اذ غدوت من اهلك[3]» فى آل عمران، و منها «و يستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن[4]» «يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة[5]» و من أراد تصديق ذلك فليتأمل شيئا من[6] الآيات قبل أن ينظر ما قلته ثم لينظره يظهر له مقدار ما تعبت و ما حصل [لى-[7]] من قبل الله و من العون سواء كان ظهر له وجه لذلك عند تأمله أو لا، وكذا إذا رأى ما ذكر غيرى من مناسبات بعض الآيات. و به أيضا يتضح أنه لا وقف تام فى كتاب الله و لا على آخر سورة «قل اعوذ برب الناس» بل[8] هى متصلة مع كونها آخر القرآن بالفاتحة التى هى[9] أوله كاتصالها بما قبلها بل أشد، إلا أن يحمل/ نفيهم لتعلقه على اللفظ مطلقا و لو خفيا[10]، و[11] فى الكافى[11] على ٦/

(١) فى م: لسررها - كذا.

(٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اتت.

(٣) سورة ٣ آية ١٢١. و زيد فى م: تبوئ المؤمنين.

(٤) سورة ٤ آية ١٢٧.

(٥) سورة ٤ آية ١٧٦.

(٦) زيد فى م: ذلك - كذا.

(٧) زيد من م و ظ و مد.

(٨) فى م: هل - كذا.

(٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: من.

(١٠) من م و مد و ظ، و وقع فى الأصل: جفنا - كذا محرفا.

(١١-١١) من م و مد و ظ، فى الأصل: للكافى.

اللفظ بقيد الجلاء، و لا تنكشف هذه[1] الأغراض أتم انكشاف إلا لمن خاض غمرة هذا الكتاب و صار من أوله و آخره و أثنائه على ثقة و صواب، و ما يذّكر إلا اولوا الالباب .

و قد ذكر الزركشى نحو أربع ورقات من مناسبات بعض الآيات، و إذا تأملتها عظم عندك ما فى هذا البحر الزاخر من نفائس الجواهر و بدائع السرائر، و قد أدرجت فيه مما ليس من بابه اليسير من غرائب التفسير مما لم أظفر به فى كتاب مع أنه كالمثل يسير، و الله أسأل أن يجعله موجبا لرضوانه و الفوز الدائم فى أعلى[2] جنانه .

* * * * *

(١) من ظ، و فى الأصل و م و مد: هذا .

(٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: املا .

سورة الفاتحة[1]

بسم الله القيوم الشهيد الذى لايعزب شيء عن علمه، و لا يكون شيء إلا باذنه؛ الرحمن الذى عمّت رحمته الموجودات، و طبع فى مرائى القلوب عظمته فتعالت تلك السبحات، و أجرى على الألسنة ذكره فى العبادات و العادات؛ الرحيم الذى تمّت نعمته بتخصيص أهل ولايته ٥ بأرضى العبادات.

قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبى عبد الله محمد ابن العلامة القدوة أبى القاسم محمد المشـــدالى[2] المغربى[3]

---

(١) فى م و مد و ظ: فاتحة الكتاب.

(٢) من م و ظ، و فى الأصل: المسدالى،، و فى مد: المبشرالى، ترجم له فى معجم المؤلفين ١١/٢٥٩ و قال: محمد بن محمد بن أبى القاسم بن محمد بن عبد الصمد ابن حسن بن عبد المحسن المشدالى، البجائى، المغربى، المالكى، فاضل؛ ولد بعد سنة ٨٢٠ هـ، و توفى بعينتاب (سنة ٨٦٥ هـ). من آثاره شرح جمل الخونجى فى المنطق - انتهى.

(٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: العربى؛ قال أبو سعد فى الأنساب (البجاوى) ٢/٨٨: و هذه النسبة إلى بجاية و هى من بلاد المغرب، و علق عليه شيخنا عبد الرحمن المعلمى اليمانى رحمه الله و قال: وقع لأبى سعد رحمه الله فى فصل (البجاوى) أوهام الأول قوله انه نسبة إلى بجاية، و هذا و إن جاز عربية فلم نعلمه استعمل و (بجاية) الموجودة بلدة بساحل المغرب بنيت فى حدود سنة ٤٥٧ و نسب إليها من نسب بعد ذلك «البجائى» الخ.

البجائى[١] المالكى علامة الزمان سقى[٢] الله عهده سحائب الرضوان، و أسكنه أعلى[٣] الجنان: الأمر الكلى المفيد لعرفان مناسبات الآيات فى جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذى سيقت له السورة، و تنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات [و تنظر إلى مراتب تلك المقدمات -[٤]] فى القرب و البعد من المطلوب، و تنظر عند انجرار الكلام فى المقدمات إلى ما يستتبعه[٥] من استشراف نفس السامع إلى الأحكام و اللوازم التابعة له التى تقتضى البلاغة شفاء العليل[٦] يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها؛ فهذا هو الأمر الكلى المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، [٧] و إذا[٧] فعلته تبين لك إن شاء الله[٨] وجه النظم مفصلا بين كل آية و آية فى كل سورة سورة و الله الهادى - انتهى. و قد ظهر لى باستعمالى لهذه القاعدة بعد وصولى إلى سورة سبأ فى السنة العاشرة من ابتدائى فى عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها

(١) فى م و مد: البجاى، و فى ظ: البحاى، و فى الأصل: البخارى.

(٢) فى الأصل و النسخ الأخرى: يبقى - كذا.

(٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: عالى.

(٤) زيد من م و مد و ظ.

(٥) من م و ظ، و فى الأصل: يستبقه، و فى مد: يستقبه.

(٦) فى م و ظ و مد: الغليل - كذا بالغين المعجمة.

(٧-٧) فى م و مد: فاذا.

(٨) زيد فى م: تعالى.

لأن

لأن اسم كل شيء تظهر[1] المناسبة بينه و بين مسماه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه، و ذلك هو الذى أنبأ به آدم عليه الصلاة و السلام [2]عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة و السلام[2]، و مقصود كل سورة هاد إلى تناسبها[3]؛ [4]فأذكر المقصود من كل سورة، و أطبق بينه و بين اسمها، و أفسر كل بسملة بما يوافق مقصود السورة، و لا أخرج عن معانى كلماتها[4]؛ فالفاتحة[5] اسمها «ام الكتاب» و «الأساس» و «المثانى[6]» و «الكنز» [و «الشافية»[7]] و «الكافية» و «الوافية» [و «الواقية»[8]] و «الرقية» و «الحمد» و «الشكر» و «الدعاء» و «الصلاة»؛ فمدار هذه الأسماء[9] كما ترى[9] على[10] أمر خفى كاف لكل مراد و هو المراقبة التى

(١) فى م و ظ و مد: تلحظ.

(٢-٢) ليست فى م و مد و ظ.

(٣) فى م: متناسبها.

(٤-٤) ليست فى ظ، و لفظ «لا» فى «لا اخرج» ليس فى م.

(٥) فى تفسير عرائس البيان: سمى الفاتحة لأنها مفتاح أبواب خزائن أسرار الكتاب، و لأنها مفتاح كنوز لطائف الخطاب، بانجلائها ينكشف جميع القرآن لأهل البيان، لأن من عرف معانيها يفتح بها أقفال المتشابهات، و يقتبس بسنائها انوار الآيات - انتهى.

(٦) فى مد: المبانى - كذا.

(٧) زيد من م و مد و ظ، لأن المصنف فسرها بعد اسطر بقوله: شافية.

(٨) سقط من الأصل والنسخ الأخرى و قد فسرها المصنف بعد بقوله: واقية من كل سوء، فزدناه.

(٩-٩) ليست فى مد. (١٠) فى م: عن.

سأقول إنها[١] مقصودها فكل شيء لايفتتح بها لا اعتداد به، وهى أم كل خير، وأساس كل معروف، ولايعتد بها إلا إذا ثنيت[٢] فكانت دائمة التكرار، وهى كنز لكل شيء[٣]، شافية لكل داء، كافية لكل هم[٤]، وافية[٥] بكل مرام، واقية من كل سوء، رقية لكل ملم، وهى إثبات

٥ للحمد الذى / هو الإحاطة بصفات الكمال، وللشكر[٦] الذى هو تعظيم المنعم، وهى عين[٧] الدعاء فانه التوجه إلى المدعو، وأعظم مجامعها الصلاة[٨].

إذا تقرر[٩] ذلك فالغرض[١٠] الذى سيقت له الفاتحة و[١١]هو إثبات

(١) ليس فى م.

(٢) من م ومد وظ، وفى الأصل: ثبتت، خطأ عن قلم الناسخ وهو تفسير «المثانى».

(٣) من مد، وفى الأصل وم وظ: منى - كذا.

(٤) فى مد وظ: مهم.

(٥) من م ومد وظ، وفى الأصل: كافية - كرره الكاتب.

(٦) فى م وظ: الشكر.

(٧) فى مد: غير.

(٨) زيد فى الأصل: الذى - كذا، وليس فى م ومد وظ فحذفناه.

(٩) فى ظ: تقررت.

(١٠) وفى تفسير المهائمى ما نصه: ومعرفة اسمائه بأنها الوسائط القريبة له بينه وبين خلقه بها يربى ويرحم ويفضل، ومعرفة توحيده بأنه رب كل شيء ما عداه، ومعرفة استحقاقه للعبادة بأنه المنعم المتفضل المرجوع اليه، ومعرفة =

استحقاق الله تعالى لجميع المحامد و صفات الكمال، و اختصاصه بملك الدنيا و الآخرة، و باستحقاق العبادة و الاستعانة، بالسؤال فى المنّ بالزام صراط الفائزين و الإنقاذ[1] من طريق الهالكين مختصا بذلك كله، و مدار ذلك كله مراقبة العباد لربهم[2]، [3]لإفراده بالعبادة[3]، فهو مقصود الفاتحة بالذات و غيره وسائل إليه، فانه لا بد فى ذلك من إثبات إحاطته تعالى بكل شىء و لن يثبت حتى يعلم أنه المختص بأنه الخالق الملِك المالك؛ لأن المقصود من إرسال الرسل و إنزال الكتب نصب الشرائع، و المقصود[4] من نصب الشرائع جمع الخلق على الحق، و المقصود من جمعهم تعريفهم الملك[5] و بما يرضيه[6]، و هو مقصود القرآن الذى انتظمته

= افتقار العبد إليه ابتداء بأنه الرب و وسطا بأنه الرحمن الرحيم و انتهاء بأنه ملك يوم الدين، و معرفة النبوة و الولاية و الإيمان بالإنعام، و معرفة الكفر و البدعة و الفسق بالغضب و الضلالة، و معرفة السعادة و الشقاوة بذلك أيضا - الخ.

(١) فى الأصل بالفاء الموحدة، و الصواب بالقاف المثناة.

(٢) زيد فى م: و المقصود من جمعهم تعريفهم بالملك و بما يرضيه و هو إفراده بالعبادة و هو مقصود القرآن الذى انتظمته الفاتحة (و لاحاجة إلى هذه الزيادة لأن المصنف قد حررها بعد أسطر، و هى على محلها).

(٣-٣) ليست فى ظ.

(٤) ليس فى م و ظ.

(٥) فى م و مد و ظ: بالملك.

(٦) زيد فى م و مد: و هو افراده بالعبادة.

الفاتحة بالقصد الأول، و لن يكون ذلك إلا بما ذكر علما و عملا؛ و لما كان المقصود من جمعهم على الله تعالى معرفته لأجل عباداته[١] و كان التزام اسمه تعالى فى كل حركة و سكون قائـــدا إلى مراقبته و داعيا إلى مخافته و اعتقاد أن مصادر الأمور و مواردها منه[٢] و إليه شرعت التسمية أول كل شيء فصدّرت بها الفاتحة . و قدّم[٣] التعوذ الذى هو من [درء -[٤]] المفاسد تعظيما للقرآن بالإشارة إلى أن[٥] يتعين لتاليه[٦] أن يجتهد فى تصفية سره و جمع متفرق أمره، لينال سُؤله[٧] و مراده مما[٨] أودعه من خزائن السعادة باعراضه عن العدو الحسود و إقباله على الولى الودود؛ و من هنا[٩] تعرف مناسبة المعوذتين بالفاتحة[١٠] . و لما افتتح التعوذ

(١) فى م و مد و ظ : عبادته .

(٢) زيد فى م و مد: به .

(٣) أطنب فى تبصير الرحمن تحت عنوان « الكلام فى الاستعاذة » فالتحقيق أنيق، إن شئت الاطلاع عليه فراجع ج ١ ص ٦ .

(٤) زيد من مد، و فى م: درم - كذا، و فى ظ : دراء .

(٥) فى م و ظ و مد: انه .

(٦) فى م: لهاليه - كذا .

(٧) فى م: سواله .

(٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: بما .

(٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: هذا .

(١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: من الفاتحة .

بالهمزة

بالهمزة إشارة[1] إلى ابتداء الخلق و ختم بالميم إيماء إلى المعاد جُعلت البسملة كلها للمعاد لابتدائها بحرف شفوى[2] ، و ختام أول كلماتها و آخرها بآخر إشارة إلى أن الرجوع إليه فى الدنيا معنى بتدبير الأمور و إن كان أكثر الخلق غافلا عنه ، و فى البرزخ حسا[3] بالموت ، و فى الآخرة كذلك بالبعث ؛ كما أشار إلى ذلك تكرير الميم[4] المختتم [بها -[5]] فى اسمها ٥ بذكرها فيه مرتين إشارة إلى المعادين الحسّيين[6] و الله أعلم ؛ و المراد بالاسم[7] الصفات العليا[8]. و قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى[9] فى تفسيره فى

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : أشار .

(٢) فى م : معنوى .

(٣) فى ظ : حسبا - كذا .

(٤) ليس فى مد .

(٥) زيد من م و مد .

(٦) و فى الأصل : الحسين - كذا .

(٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : باسم .

(٨) فى م فقط : العلى .

(٩) قال الشيخ عبد الرحمن المعلمى اليمانى رحمه الله فى تعليقه على الإكمال ٣/٥٨ : والمشهور بهذه النسبة و اللام مشددة ابو الحسن على بن احمد بن الحسن بن احمد بن ابراهيم التجيبى الحرالى - و حرالة من اعمال مرسية بالأندلس - رحل إلى المشرق ثم قفل ثم رجع الى المشرق و كان مفننا ، ألف فى التفسير و غيره و عنده تفلسف وتصوف و نجوم و تخليط ... و ذكره صاحب القاموس (ح ر ل) و أخطأ فى اسمه فبينه شارحه - اه .

غريب ألفاظ البسملة: الباء معناها[1] أظهره الله سبحانه من حكمة التسبيب[2]؛ «الاسم» ظهور ما غاب أو غمض للقلوب بواسطة الآذان على صورة الأفراد[3]؛ «الله»[4] اسم ما تعنو إليه القلوب عند موقف العقول فتأله[5] فيه أى تتحير فتتالّهه[6] و تلهو به أى تغنى به عن كل شىء[7]؛ «الرحمٰن» شامل الرحمة لكافة ما تناولته الربوبية؛ «الرحيم» خاص الرحمة[8] بما ترضاه الإلهية. و قال فى غريب معناها: لما أظهر[9] الله سبحانه حكمة التسبيب و أرى[10] الخلق استفادة[11] بعض الأشياء من أشياء أخر متقدمة عليها كأنها

(١) فى م و مد و ظ: معناه اسم ما.

(٢) من ظ، و فى الأصل و م و مد: التسبب.

(٣) فى عرائس البيان: «بسم» الباء كشف البقاء لأهل الفناء، والسين كشف سناء القدس لأهل الأنس، و الميم كشف الملكوت لأهل النعوت والباء بره للعموم - و ما بقى من الحقائق فليراجع ثمه.

(٤) زيد فى ظ: ظهور ما معما - كذا.

(٥) فى الأصل: فقال.

(٦) فى ظ و مد: فتتاله، و زيد بعده فى م و مد و ظ: أى تتعبد له.

(٧) و فى عرائس البيان: و أما «الله» فانه اسم الجمع لا ينكشف إلا لأهل الجمع - ثم كشف المصنف ما أراد الله به فليراجع ثمه.

(٨) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الربوبية.

(٩) فى الأصل و النسخ الأخرى: اظهره - كذا.

(١٠) فى م: اولى.

(١١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: استناده.

أسبابها، وقف بعض الناس عند أول سبب فلم ير ما قبله، و منهم من وقف عند سبب السبب إلى ما عساه ينتهى إليه عقله[1]؛ فطوى[2] الحق تعالى تلك الأسباب و أظهر بالبسملة أى بتقديم الجار أن كل شىء باسمه لا بسبب[3] سواه. و قال: [4] أستفتح أم القرآن بالبسملة لما كانت نسبتها من متلو الصحف و الكتب الماضية نسبة[5] أم القرآن من القرآن ٥ الكتاب الجامع للصحف و الكتب لموضع طيها الأسباب، كما تضمنت أم القرآن سر ظهور / الأفعال بالعناية[6] من الحميد المجيد فى آية «اياك ٨/ نعبد و اياك نستعين» هذا فى ظاهر الخطاب إلى ما وراء ذلك من باطنه فان لكل آية ظهرا و بطنا و ليلتزمها الخلق فى ابتداء أقوالهم و أفعالهم، هكذا قال. و أشد منه أنه لما كانت نسبة البسملة من الفاتحة نسبة الفاتحة ١٠ من القرآن صُدّرت[7] بها الفاتحة كما صدّر القرآن بالفاتحة، لأنها لما أفادت نسبة الأمور كلها إليه سبحانه وحده أفادت أنه الإله وحده و ذلك

(١) فى م: غفلة ـ كذا.

(٢) فى ظ: و طوى.

(٣) فى ظ: سبب.

(٤) زيد فى م و ظ: و.

(٥) من م و مد و ظ، وفى الأصل: نسبته.

(٦) و فى م و ظ و مد: بالاعانة، و هو الأظهر، كما يدل عليه «و اياك نستعين».

(٧) و فى تفسير المهائمى: و تقديم الاستعاذة على التسمية مع أنها لاشتمالها على المبدئية بالبداية أولى للاشعار بأنه لا بد من رفع الحجب التى أعظمها الشيطان أولا .... و أما ترتيب الحمد على التسمية مع أنه أيضا ثناء فلأنه لما ذكر =

هو [إجمال تفصيل الفاتحة كما أن الفاتحة - [١]] إجمال تفصيل القرآن من الأصول و الفروع و المعارف و اللطائف . و لما كان اسم الجلالة علما و كان جامعا لجميع معانى الأسماء الحسنى أولية «الرحمن» من حيث أنه كالعلم فى أنه لا يوصف به غيره ، و من حيث أنه أبلغ من «الرحيم» ٥ فأولى الأبلغ [الأبلغ - [٢]] ، و ذلك موافق لترتيب الوجود ، الإيجاد ثم النعم العامة ثم الخاصة بالعبادة ، و ذكر الوصفان ترغيبا ، و طويت النقمة فى إفهام اختصاص الثانى[٣] لتمام الترغيب بالإشارة[٤] إلى الترهيب . و المراد بهما هنا أنه سبحانه يستحق الاتصاف بهما لذاته ، و كررهما بعد تنبيها[٥] على وجوب ذلك للربوبية و الملك ، و للدلالة[٦] على أن الرحمة ١٠ غلبت[٧] الغضب ، و فيهما[٨] إلى ما ذكر من الترغيب الدلالة على سائر

= الكامل بذاته و صفاته و أفعاله عقبها بالحمد ليكون على الجميع بعد معرفة المحمود و جهات حمده ، و تخصيص التسمية بهذه الأسماء ليعلم أن الأولى التعلق بجامع الكمالات ليفيض ما يستحق من عامها أو خاصها بحسب الاستعداد الحاصل بالتعلق - انتهى .

(١) زيد من م و ظ و مد .

(٢) زيد من م و مد .

(٣) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : الثانى .

(٤) هكذا فى الأصل و مد و ظ ، و فى م : بلا اشارة .

(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تبينها .

(٦) فى م : الدلالة .

(٧) فى ظ : سبقت .

(٨) فى م : فيها .

الصفات الحسنى، لأن من[1] عمت رحمته امتنع أن يكون فيه شوب نقص، و فى آخر سبحان لهذا المكان مزيد بيان؛ [2]وكونها تسعة عشر حرفا خطّية و ثمانية عشر لفظية إشارة إلى أنها دوافع النقمة من النار التى أصحابها تسعة عشر[2]، [3]وجوالب للرحمة بركعات الصلوات الخمس و ركعة الوتر اللاتى من أعظم العبادات الكبرى[3]. و لما كانت البسملة نوعا[4] من الحمد ناسب كل المناسبة تعقيبها باسم الحمد الكلى الجامع لجميع أفراده، فكأنه قيل: احمدوه لأنه المستحق[5] لجميع المحامد، و خصوا هذا النوع من الحمد فى افتتاح أموركم لما ذكر من استشعار الرغبة إليه و الرهبة منه المؤدى إلى لزوم طريق الهدى، و الله الموفق.

و لما أثبت بقوله «الحمد لله» أنه المستحق لجميع المحامد لا لشىء غير ذاته الحائز لجميع الكمالات أشار إلى أنه يستحقه أيضا من حيث كونه ربا مالكا منعما فقال «رب»، و أشار بقوله «العلمين» إلى ابتداء الخلق تنبيها على الاستدلالات[6] بالمصنوع على الصانع و بالبداءة على الإعادة

(١) فى م: ضمن - كذا.

(٢ - ٢) ليست فى ظ، و وقع فى الأصل: خطيئة - مكان: خطية، خطأ، و التصحيح من م و مد.

(٣ - ٣) ليست فى ظ، و فى م و مد: الكبر - مكان: الكبرى.

(٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نوع - كذا.

(٥) فى م: مستحق.

(٦) فى م و ظ و مد: الاستدلال.

كما ابتدأ التوراة بذلك [لذلك -[1]] قال الحرالى : [2]و « الحمد »[2] المدح الكامل الذى يحيط بجميع الأفعال و الأوصاف ، على أن جميعها إنما هو من الله سبحانه [3]و تعالى[3] و أنه كله مدح لايتطرق إليه ذم ، فاذا اضمحل ازدواج المـــدح بالذم و علم سريان المدح فى الكل استحق عند ذلك ظهور اسم الحمد مكملا معرفا بكلمة « ال »[4] و هى[5] كلمة دالة فيما اتصلت به على انتهائه و كماله - انتهى .

و لما كانت مرتبة الربوبية لا تستجمع الصلاح [إلا بالرحمة -[1]] اتبع ذلك بصفتى « الرحمن الرحيم » ترغيبا فى لزوم حمده ، و هى تتضمن تثنية[6] تفصيل ما شمله الحمد أصلا ؛ و سيأتى سر لتكرير[7] هاتين الصفتين[8]

(١) زيد من م و ظ و مد .

(٢-٢) ليس فى مد .

(٣-٣) ليس فى م و مد .

(٤) وقع فى م : الى - كذا مصحفا .

(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : متى - كذا .

(٦) فى ظ : تنبيه .

(٧) و فى م : تكرير .

(٨) فى عرائس البيان مثل ما فى هذا الكتاب و زاد « قال الأستاذ : الرحمن خـاص الاسم عام المعنى ، و الرحيم عـام الاسم خاص المعنى ، فالرحمن بما روّح و الرحيم بما لوّح ، فالترويح للعاد و التلويح بالأنوار ، و الرحمن بكشف تجليه و الرحيم بلطف توليه » ثم قال « أما من اختراعى أن اسم الرحمن محل طلوع أنوار العناية ، و الرحيم محل إشراق شمس الكفـاية ، فبالعناية » - راجع ج ١ ص ٨ إن شئت الإيضاح .

فى الأنعام عند «فكلوا مما ذكر اسم الله عليه»[1]، عن الإمام حجة الإسلام الغزالى رحمه الله تعالى[2] أنه لا مكرر فى القرآن .

و لما كان الرب المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكا و كانت الربوبية لا تتم إلا بالمِلك المفيد لتمام التصرف ، و كان المالك قد لا يكون مَلِكا[3] و لا يتم مِلكه إلا بالمُلك المفيد للعزة المقرون بالهيبة[4] المثمرة[5] للبطش و القهر المنتج / لنفوذ[6] الأمر اتبع ذلك بقوله «مَلِك يوم الدين» ترهيبا من سطوات مجده[7] . قال الحرالّى : و اليوم مقدار ما يتم فيه أمر ظاهر[8]، ٩/

(١) سورة ٦ آية ١١٨ .

(٢) فى النسخ كلها بزيادة الواو .

(٣) فى م فقط : مالكا .

(٤) فى م و مد : للهيبة .

(٥) فى النسخ كلها : المثمر - كذا .

(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لتعود ، و هو محرف .

(٧) قال المهائمى فى تفسيره : و المادة للربط و الشدة ، فمالك الشىء من اشتد ارتباطه به فاستقل بالتصرفات فيه لو كمل رأيه ولم يتعلق به حق الغير بعينه ..... و المَلِك من اشتد ارتباط الخلق به لقدرته على حفظ مصالحهم و دفع مفاسدهم و نفوذ أمره و نهيه فيهم - الخ .

(٨) قال المهائمى : و اليوم ما بين طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس و قد يراد به مجرد الوقت و « يوم الدين » يوم القيامة ما بين النفخة الثانية إلى استقرار أهل الجنة و النار فيها و « الدين » الملة أى يوم ظهور نفع ملة الإسلام أو حقيتها للكل - و أطال البحث فليراجع .

ثم قال: و «يوم الدين» فى الظاهر هو يوم ظهور انفراد الحق بامضاء المجازاة حيث تسقط دعوى المدعين، و هو من أول يوم الحشر إلى الخلود فالأبد، و هو فى الحقيقة من أول يوم نفوذ الجزاء عند مفارقة[1] الذنب فى باطن العامل أثر العمل إلى أشد[2] انتهائه فى ظاهره، لأن الجزاء لا يتأخر عن الذنب و إنما يخفى لوقوعه فى الباطن و تأخره[3] عن معرفة ظهوره فى الظاهر، و لذلك يؤثر عنه عليه الصلاة و السلام: إن العبد إذا أذنب نكت [4]فى قلبه[4] نكتة سوداء. و أيضا فكل عقاب يقع فى الدنيا على أيدى الخلق فانما هو جزاء من الله و إن كان أصحاب الغفلة ينسبونه[5] للعوائد، كما قالوا: «مس اٰباءنا الضراء و السراء[6]» و يضيفونه للمعتدين عليهم بزعمهم، و إنما هو كما قال[7] تعالى «و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم[8]» و كما[9] ورد عنه عليه الصلاة و السلام: الحمى من فيح جهنم، و إن شدة[10] الحر والقر من نفَسها. و هى سوط الجزاء الذى أهل الدنيا بأجمعهم مضروبون

(١) من م و ظ. و وقع فى الأصل و مد: مفارقة - خطأ.
(٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: اسد - كذا.
(٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تأخر، بدون الإضافة الى الضمير.
(٤ - ٤) ليست فى م.
(٥) زيد فى م: معا.
(٦) سورة ٧ آية ٩٥.
(٧) زيد فى م: الله.
(٨) سورة ٤٢ آية ٣٠.
(٩) ليس فى مد.
(١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اشد.

به، و منهل التجهّم[1] الذى أجمعهم[2] واردوه[3] من حيث لا يشعر به أكثرهم، قال عليه الصلاة و السلام: المرض سوط الله فى الأرض يؤدب الله به عباده. و كذلك ما يصيبهم من عذاب النفس بنوع الغم و الهم و القلق و الحرص و غير ذلك، و هو تعالى مَلِك ذلك كله و مالكه، سواء ادعى فيه مدع أو لم يدع، فهو تعالى بمقتضى ذلك [كله مَلِك-[4]] يوم الدين و مالكه مطلقا فى الدنيا و الآخرة و إلى الملك أنهى[5] الحق تعالى تنزل أمره العلى لأن به رجع الأمر عودا على بدء[6] بالجزاء العائد على آثار ما جبلوا[7] عليه من الأوصاف تظهر[8] عليهم من الأفعال[9] كما قال تعالى «سيجزيهم وصفهم[10]» و «جزاء بما كانوا يعملون[11]» و به تم انتهاء[12]

(١) و فى م: التجهنم - كذا.
(٢) و فى مد و متن م: اكثرهم، و بهامش م: اجمعهم.
(٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: و اراده - كذا.
(٤) زيد من مد، و فى م و ظ زيادة «ملك» فقط.
(٥) من م و ظ، و فى الأصل و مد: انتهى.
(٦) زيد فى ظ: ملك.
(٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: حياوا - كذا.
(٨) فى م و مد: و ظهر.
(٩) فى تفسير المهائمى: و حكمته بالتفرقة بين المحسن و المسىء بالإنعام الصرف و الانتقام الصرف و الجزاء مصلح للظاهر و الباطن رافع للحجب الظلمانية من متابعة الهوى و الغضب و به يتم التمدن.
(١٠) سورة ٦ آية ١٣٩.
(١١) سورة ٣٢ آية ١٧ و سورة ٤٦ آية ١٤ و سورة ٥٦ آية ٢٤.
(١٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل فقط: انتهى - كذا.

الشرف العلى[1] و هو المجد الذى عبر عنه قوله تعالى: مجدنى عبدى - انتهى، و لما لم يكن فرق هنا فى الدلالة على الملك بين قراءة «مَلِك» و قراءة «مُلك» جاءت الرواية بها، و ذلك لأن المالك إذا أضيف إلى اليوم أفاد اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر و عرض، فلا يكون لأحد معه أمر و لا معنى للمَلِك سوى هذا، و لما لم تُفد[2] إضافته إلى الناس هذا المعنى لم يكن خلاف فى «مَلِك الناس». فلما استجمع الأمر استحقاقا[3] و تحببا[4] و ترغيبا[5] و ترهيبا[6] كان من شأن كل ذى لب الإقبال إليه وقصر الهمم عليه فقال[7] عادلا عن أسلوب الغيبة إلى الخطاب لهذا[7] مقدما[8]

(١) زيد فى م العبارة السابقة من «لان به رجع» إلى «من الأفعال» مكررة.

(٢) فى م و ظ: لم يفد.

(٣) زيد فى م: أى بتعليق الأمر بالذات فى الحمد لله.

(٤) زيد فى م: أى بالربوبية.

(٥) زيد فى م: بالرحمة.

(٦) زيد فى م: أى بالملك.

(٧) ليس فى مد.

(٨) فى تفسير المهائمى: و تقديم «اياك» للتنبيه على عظمة الله ليعبد على الخشية فلا يلتفت يمينا و شمالا، و لأن الابتداء بذكر المعبود أولى من الابتداء بصفة العبد.... و إنما خاطبه بعد الغيبة لأنه قبل ذكر الصفات لم ينكشف انكشافه بعد ذكرها فكان فى حكم الغائب قبل ذكرها و المشاهدة بعدها - و إن أردت الاطلاع على ما فيه من وجوه سواها فراجع ج ١ ص ١١. و فى انوار التنزيل للبيضاوى: وكرر الضمير للتنصيص على انه المستعان به لا غير، و قدمت العبادة على الاستعانة ليتوافق رؤس الآى، و يعلم منه ان تقديم الوسيلة على طلب الحاجة = للوسيلة

للوسيلة على طلب الحاجة لأنه أجدر بالإجابة[١] : «اياك» أى يا من هذه الصفات صفاته ! «نعبد» إرشادا[٢] لهم إلى ذلك ؛ و معنى «نعبد» كما قال الحرالى: تبلغ الغاية فى أنحاء التذلل ، و أعقبه بقوله مكررا للضمير حثا[٣] على المبالغة[٤] فى طلب العون «و اياك نستعين» إشارة إلى أن عبادته لا تتهيأ إلا بمعونته و إلى أن ملاك[٥] الهداية بيده : فانظر كيف ابتدأ سبحانه[٦] بالذات ، ثم دل عليه بالأفعال ، ثم رقى إلى الصفات ، ثم رجع إلى الذات إيماء إلى[٧] أنه الأول [و -[٨]] الآخر المحيط، فلما حصل[٩] الوصول إلى شعبة[١٠] من علم الأفعال و الصفات علم الاستحقاق للأفراد بالعبادة

= ادعى إلى الحاجة ، واقول : لما نسب المتكلم العبادة إلى نفسه او هم ذلك تبجحا و اعتدادا منه بما يصدر عنه فعقبه بقوله «اياك نستعين» ليدل على ان العبادة ايضا مما لا يتم و لا يستتب إلا بمعونة منه و توفيق - انتهى .

(١) وقع فى ظ : بلاجابة - كذا مصحفا ، و زيد بعدها فى مد : فقال .

(٢) فى م : ارشا - كذا .

(٣) من م و مد ، و وقع فى الأصل و ظ : حقا - خطأ .

(٤) زيد فى ظ : فى الاخلاص .

(٥) فى مد : ملك - كذا .

(٦) زيد فى م : و تعالى .

(٧) ليس فى ظ .

(٨) زيد من ظ .

(٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : جعل .

(١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : سعيه .

فعلم العجز عن الوفاء بالحق[1] فطلبت الإعانة، فهو كقوله صلى الله عليه و سلم فيما رواه مسلم و أبو داود فى الصلاة و الترمذى و ابن ماجه فى الدعاء و النسائى و هذا لفظه فى التعوذ عن عائشة رضى الله عنها: أعوذ بعفوك[2] من عقوبتك /، و برضاك[3] من سخطك، و بك[4] منك؛ ثم أتبعه /١٠ فيما زاد[5] عن النسائى الاعتراف بالعجز فى قوله: لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك. [6] و فى آخر سورة اقرأ شرح بديع لهذا الحديث[6].

قال الحرالى: و هذه الآيات أى هذه و ما بعدها مما جاء كلام الله فيه جاريا على لسان خلقه فان القرآن كله كلام الله لكن منه ما هو كلام الله عن نفسه و منه ما هو كلام الله عما كان يجب أن ينطق به الخلق على اختلاف

(١) و فى تفسير الهائمى ما نصه: «و ترتب الاستعانة عليه لأنها إما لخوف الثواب او انقلاب سببه سببا للعقاب او لخوف الحجاب و لو بالعبادة عن المعبود و إنما يتم رفعه يومئذ . . . . . الى ان قال المصنف: و نون نعبد للجمع إن قرأ فى الصلاة جماعة و إن صلى فيها منفردا فمعه الملائكة ثم انه يذكر مع عبادته عبادة غيره سعيا فى حقه أو دلالة انه واحد من العبادة نفيا لتوهم ادعاء التفرد بها و استقصار الذكر عبادته وحده من غير أن يضمها إلى عبادة أخيه» إن شئت الاطلاع على ما بعده فراجع - ج ١ ص ٢٦ .

(٢) زيد فى م: هذا فعل.

(٣) زيد فى م: صفة الوهية.

(٤) زيد فى م: ذات.

(٥) فى ظ: زاده.

(٦ - ٦) ليست فى ظ.

ألسنتهم و أحوالهم و ترقى درجاتهم و رتب تفاضلهم مما لا يمكنهم البلوغ إلى كنهه[1] لقصورهم و عجزهم، فتولى الله الوكيل على كل شيء الإنباء[2] عنهم بما كان يجب عليهم مما لا يبلغ إليه وُسع خلقه و جعل تلاوتهم[3] لما أنبأ به على ألسنتهم نازلا لهم منزلة أن لو كان ذلك النطق ظاهرا منهم لطفا بهم و إتماما للنعمة عليهم[4]، لأنه تعالى لو وكلهم فى ذلك إلى أنفسهم لم يأتوا بشيء تصلح[5] به[6] أحوالهم فى دينهم و دنياهم، و لذلك لا يستطيعون شكر هذه النعمة إلا أن يتولى هو تعالى بما يلقنهم[7] من كلامه مما[8] يكون[9] أداء لحق[9] فضله عليهم بذلك، و إذا كانوا لا يستطيعون الإنباء عن أنفسهم بما يجب عليهم من حق ربهم فكيف بما يكون نبأ عن تحميد الله و تمجيده، فإذًا[10] ليس لهم

(١) فى الأصل: كنه - بدون الإضافة إلى الضمير.

(٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الاينبا.

(٣) قال عبد الله بن عمر الشافعى فى تفسيره المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل: هذا و ما بعده منقول على ألسنة العباد ليعلموا كيف يتبرك باسمه و يحمد على نعمه و يسأل عن فضله.

(٤) زيد فى ظ: و.

(٥) فى مد: يصلح.

(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: له.

(٧) و فى م: يلقيهم.

(٨) فى م و مد: ما.

(٩-٩) من م، وكذا هو فى الأصل و ظ بزيادة الألف بعد الهمزة، و فى مد: ادِّ الحق.

(١٠) فى مد: فاذن.

وصلة إلا تلاوة كلامه العلى بفهم كان ذلك أو [١]بغير فهم[١] ؛ و تلك هى صلاتهم المقسمة التى [عبر-[٢]] عنها فيما صح عنه عليه[٣] الصلاة و[٣] السلام من قوله تعالى : قسمت الصلاة بينى و بين عبدى نصفين - ثم تلا هذه السورة ؛ فجاءت الآيات الثلاث الأول بحمد[٤] الله تعالى نفسه، فاذا تلاها العبد قبل الله منه تلاوة عبده كلامه و جعلها منه حمدا و ثناء و تمجيدا ، و جاءت هذه الآيات على لسان خلقه فكان ظاهرها التزام عُهَد العبادة و هو ما[٥] يرجع إلى العبد[٦] و عمادها طلب المعونة من الله سبحانه و هو

(١-١) فى م: يعرفهم .

(٢) زيد من م و مد و ظ .

(٣-٣) ليست فى م و مد .

(٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : لحمد .

(٥) فى م و مد : مما .

(٦) و فى أنوار التنزيل : قال ابن عباس رضى الله عنهما معناه نعبدك و لا نعبد غيرك ، و تقديم ما هو مقدم فى الوجود و التنبيه على أن العابد ينبغى أن يكون نظره إلى المعبود أولا و بالذات و منه إلى العبادة لا من حيث أنها عبادة صدرت عنه بل من حيث أنها نسبة شريفة إليه و وصلة بينه و بين الحق فان العارف إنما يحق وصوله اذا استغرق فيه فى ملاحظة جناب القدس و غاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه و لا حالا من احوالها إلا من حيث انها ملاحظة له و منتسبة إليه .

ما[1] يرجع إلى الحق، فكانت بينه و بين عبده و تقدمت بينيّته[2] تعالى، لأن المعونة متقدمة على العبادة و واقعة بها و هو مجاب فيما طلب من المعونة، فمن كانت عليه مؤنة شيء فاستعان الله فيها على مقتضى هذه الآية جاءته المعونة على قدر مؤنته، فلا يقع لمن اعتمد مقتضى هذه الآية عجز عن مرام أبدا و إنما يقع العجز ببخس[3] الحظ من الله تعالى و الجهل[4] بمقتضى ما أحكمته هذه الآية و الغفلة عن النعمة بها، و فى قوله «نعبد» بنون الاستتباع إشعار بأن الصلاة بنيت على الاجتماع - انتهى. و فى الآية ندب إلى اعتقاد العجز و استشعار الافتقار و الاعتصام بحوله و قوته، فاقتضى ذلك توجيه الرغبات إليه بالسؤال فقال «اهدنا الصراط المستقيم» تلقينا لأهل لطفه و تنبيها على محل السلوك الذى لا وصول بدونه، و الهدى قال الحرالى: مرجع الضال إلى ما ضل عنه، و الصراط الطريق الخطر[5] السلوك[6] و الآية من كلام الله تعالى على لسان العُلّية[7] من خلقه، و جاء

(١) و فى م و مد: مما.
(٢) و فى و مدوظ، و فى الأصل: بنيته - كذا.
(٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لبخس - كذا.
(٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الجميل - و هو محرف.
(٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الخطو - كذا.
(٦) قال المهائمى فى تفسيره: و الصراط الطريق الواضح و اصله السين، سمى به لأنه يسرط السابلة اى يبتلعهم، و كأنه يشير إلى ان من عظمته انه بحيث لا يظهر سالكوه و إن بلغوا ما بلغوا من بذل و سعهم فيه.
(٧) العُلّية و العِلّية، و هو من علّية قومه أى من أهل الشرف و العلاء و الرفعة فيهم (قطر المحيط) و فى ظ: العيلة.

مكملا بكلمة "ال"[1] لأنه الصراط الذى لا يضل بمهتديه[2] لإحاطته ولشمول سريانه[3] وفقا لشمول معنى الحمد فى الوجود كله وهو الذى تشتت الآراء وتفرقت الفرق بالميل إلى واحد من جانبيه وهو الذى ينصب مثاله - وعلى حذو[4] معناه بين ظهرانى[5] جهنم يوم الجزاء للعيان وتحفه[6] مثل تلك الآراء خطاطيف وكلاليب، تجرى أحوال الناس معها[7] فى المعاد على حسب مجراهم مع حقائقها التى[8] ابتداء[9] فى يوم العمل، وهذا الصراط الأكمل و[8] هو المحيط المترتب على الضلال الذى يعبر به عن/ حال من لا وجهة له، وهو ضلال ممدوح لأنه يكون عن سلامة الفطرة لأن من لا علم له بوجهة فحقه[10] الوقوف عن كل وجهة وهو ضلال يستلزم هدى محيطا[11] منه «ووجدك ضالا فهدى»، وأما من هدى وجهة مّا

/ ١١

(١) فى م: الى - كذا.

(٢) كذا، والظاهر: مهتديه - بدون الباء.

(٣) من ظ، وفى الأصل وم ومد: سريايه.

(٤) من م ومد وظ، وفى الأصل: حذر.

(٥) من م ومد وظ، وفى الأصل: طراى.

(٦) وفى م: تحضه، وفى ظ: تخفه.

(٧) فى م: معها - كذا.

(٨) ليس فى م ومد وظ.

(٩) كذا، والظاهر: ابتداؤها.

(١٠) من م ومد وظ، وفى الأصل: فمنعه.

(١١) زيد فى م ومد «و».

فضل

فضلّ عن[1] مرجعها فهو ضلال مذموم لأنه ضلال بعد هدى و هو يكون عن اعوجاج فى الجبلة - انتهى . ثم اكد سبحانه و تعالى الإخبار بأن ذلك لن يكون إلا بانعامه منبها بهذا التأكيد الذى أفاده الإبدال على عظمة هذا الطريق فقال «صراط الذين انعمت عليهم» فأشار إلى [أن -[2]] الاعتصام به فى اتباع رسله، و لما كان سبحانه عام[3] النعمة لكل موجود ٥ عدوا كان أو وليا و كان حذف المنعم به لإرادة التعميم[4] من باب تقليل اللفظ لتكثير المعنى فكان من المعلوم أن محط السؤال بعض أهل النعمة و هم أهل الخصوصية - يعنى[5] لو قيل: اتبع طريق أهل مصر مثلا لا أهل دمشق، علم أن المنفى غير داخل فى الأول لأن شرطه أن يتبعاه[6] متعاطفاه كما صرحوا به، بخلاف ما لو قيل: اتبع طريق أهل مصر غير الظلمة، فانه ١٠ يعلم أن الظلمة منهم، فأريد هنا التعريف بأن النعمة عامة ولو لم تكن إلا بالإيجاد، و من المعلوم أن السلوك لا بد و أن يصادف طريق بعضهم و هم منعم عليهم فلا يفيد السؤال حينئذ، فعرف أن المسؤل إنما

(١) فى م و ظ و مد: فى .

(٢) زيد من م و ظ و مد .

(٣) كذا، و الظاهر: عمّ .

(٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: المنعم .

(٥) ليس فى م و مد، و العبارة الآتية إلى «هو طريق اهل النعمة» ليست فى م و مد و ظ .

(٦) فى الأصل: ان يتبعانه - كذا .

هو طريق أهل النعمة بصفة[1] الرحيمية تشوقت النفوس إلى معرفتهم فميزهم[2] بيان أضدادهم[3] تحذيرا منهم[3]، فعرف أنهم قسمان: قسم أريد للشقاوة فعاند فى إخلاله[4] بالعمل فاستوجب الغضب، و قسم لم[5] يرد للسعادة فضل من جهة إخلاله بالعلم فصار إلى العطب فقال مخوفا بعد الترجية[6] ليكمل الإيمان بالرجاء و الخوف معرفا[7] بأن النعمة عامة و المراد منها ما يخص أهل الكرامة: «غير المغضوب عليهم» أى الذين تعاملهم معاملة الغضبان لمن وقع عليه غضبه، و تعرفت «غير» لتكون صفة للذين باضافتها إلى الضد فكان مثل: الحركة غير السكون، و لما كان المقصود من «غير» النفى[8] لأن السياق له و إنما عبر بها دون أداة استثناء دلالة

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خاصة.

(٢) زيد فى ظ «ببيان انهم قسمان».

(٣-٣) فى ظ: تحذرا.

(٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ: خلاله.

(٥) ليس فى مد.

(٦) من مد و ظ، و وقع فى الأصل و م: التوجيه.

(٧) من م و ظ و مد، و فى الأصل: معرفان.

(٨) من م و مد، وفى الأصل وظ: المنفى، وفى تفسير المهائمى: وهذا أقرب حذر عن متابعتهم لأنها كمتابعة أعداء الملوك بجعل التابع فى حكم المتبوع، و ابتدأ باسم الله وحمده و انتهى بذم الغضب و الضلال لأن مطلع الخيرات الإقبال على الله وتمامها بالسلامة عن الغضب و الضلال، و فيه إشارة إلى سبق الرحمة، ثم إن جعل «غير» بدلا فكأن الداعى رأى قصور نفسه عن سلوك صراط المنعم =

على بناء الكلام بادئ[1] بدء على إخراج المتلبس بالصفة[2] و صونا للكلام[3] عن إفهام أن ما بعد[4] أقل و دون لا [5]« ولا الضالين» فعلم مقدار النعمة على القسم الأول و أنه لا نجاة إلا باتباعهم و أن من حاد عن سبيلهم عامدا أو مخطئا شق ليشمّر[6] أولو الجد عن[7] ساق العزم و ساعد الجهد فى اقتفاء[8] آثارهم[9] للفوز بحسن جوارهم فى سيرهم و قرارهم . ٥

قال الحرالى: « المغضوب عليهم » الذين ظهر[10] منهم المراغمة و تعمد

= عليهم فأعرض عن طلبه وأخذ يطلب السلامة..... و لفظة «غير» تشعر بالمغايرة الكلية و زيادة « لا » مشعرة بأن المطلوب الإخلاء عنه سواء قارنه الغضب أم لا .

(١) فى م : بادنى ـ كذا .

(٢) من هنا إلى « اقل » ليست فى ظ .

(٣) فى مد : للفظ .

(٤) من مد ، و فى الأصل و م : بعد .

(٥) زيد فى م وظ ومد : للتنبية على أن الصنفين من أهل النعمة وكانت «لا» مع كونها أخصر و أرشق و أدل (فى مد : اولى) بالنفى و أحق و أوفق تفيد مع التأكيد أن المراد مجانبة كل واحد من الصنفين على حياله قال .

(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ليستمر .

(٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على ، وهو الأوفق بيستمر .

(٨) فى م : الاقتفاء .

(٩) زيد فى م و مد و ظ : و الاهتداء بمنارهم .

(١٠) فى م ومد و ظ : ظهرت .

المخالفة فيوجب[1] ذلك الغضب من الأعلى والبغض من الأدنى . و «الضالين» الذين[2] وجهوا وجهة هدى فزاغوا عنها من غير تعمد لذلك . «امين» كلمة عزم[3] من الأمن ، مدلولها أن المدعو مأمون منه أن يرد من دعاه لأنه [4]لا يعجزه شيء و لا يمنعه و هي[4] لا تصلح إلا لله لأن ما دونه لا ينفك عن عجز أو منع [انتهى -[5]] . و هو صوت سمي به الفعل الذى هو استجب[6] و قد انعطف المنتهى[7] على المبتدإ بمراقبة القسم الأول اسم الله فحازوا[8] ثمرة الرحمة و خالف هذان[9] القسمان فكانوا من حزب الشيطان فأخذتهم النقمة ، و علم أن نظم القرآن على / ما هو عليه معجز ، و من ثم اشترط ١٢ /

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فوجب .

(٢) فى مد : الذى .

(٣) من م ، و فى الأصل و مد و ظ : عزمة .

(٤ - ٤) ليست فى م .

(٥) زيد من م و مد و ظ .

(٦) و فى تفسير الهائمى : آمين بمعنى استجب أو كذلك افعل أو قاصدين نحوك أو عاجزين عن بلوغ الثناء عليك أو راجين إجابة الدعوة أو مشتغلين بها عن سائر الأشياء أو راضين بما قضيت لنا أو علينا ، و بالجملة ففيه رجوع إلى الله و إدامة الانتقار إليه و هو أصل كل خير و به يتم سلوك طريق الحق و يسلم من الآفات - انتهى .

(٧) ليس فى م .

(٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فجازوا .

(٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذا .

فى

فى الفاتحة فى الصلاة لكونها واجبة فيها الترتيب ، فلو قدم فيها أو[1] أخر لم تصح الصلاة [وكذا لوأدرج فيها ما ليس منها للاخلال بالنظم -[2]] .

قال الأصبهانى : فان القرآن معجز و الركن الأبين[4] الإعجاز يتعلق بالنظم و الترتيب - انتهى . و الحاصل أنه لما رفعت[5] تلك الصفات العلية لمخاطبها الحجب وكشفت[6] له بسمو مجدها و علو جدها [و شرف حمدها -[7]] جلائل الستر[8] و أشرقت[9] به[10] رياض الكرم و نشرت له لطائف[11] عواطفها بسط البر و النعم[12] ثم اخترقت به مهامه العظمة و الكبرياء و طوت فى تيسيرها له مفاوز الجبروت و العز[13] و أومضت له بوارق

(١) زيد فى ظ : و .
(٢) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : و .
(٣) زيد من م مد .
(٤) زيد فى م و مد : فى .
(٥) من م و مد ، وفى الأصل وظ : وقعت ، و زيدت بعده فى الأصل وظ : و لذا لوادرج فيها ما ليس منها للاخلال بالنظم (و زيد بعد « بالنظم » فى الأصل فقط « لا » .
(٦) من م ومد وظ ، وفى الأصل : كشف .
(٧) زيد من م ومد وظ .
(٨) فى مد : السير .
(٩) فى مد وظ : اشرقت .
(١٠) زيد فى م ومد وظ : على .
(١١) فى م و مد وظ : بلطائف .
(١٢-١٢) ليست فى مد .

النقم من ذلك الجناب الأشم[1] وصل إلى مقام الفناء عن[2] الفانى و تمكن فى[3] رتبة شهود البقاء للباقى فبادر الخضوع له معرضا عن السوى حاكما على الأغيار بما لها من ذواتها [من - [4]] العدم و التوى[5] فقال « اياك نعبد » و فى تلك الحال تحقق العجز عن توفية[6] ذلك المقام ما له من الحق فقال : « و اياك نستعين » .

فكشف له الشهود فى حضرات المعبود عن طرق عديدة و منازل ساميه بعيدة و رأى أحوالا جمة و أودية مدلهمة و بحارا مغرقة[7] و أنوارا[8] هادية و أخرى محرقة ، و رأى لكلٍ أهلا [9]قد أسلكوا[9] فجاء تارة حزنا و أخرى[10] سهلا ، و علم أن لا نجاة إلا بهدايته و لا عصمة بغير عنايته و لا سعادة إلا برحمته و لا سلامة لغير أهل نعمته[11]؛ فلما أشرق و استنار

(١) فى مد نقط : الاسم .
(٢) فى م : من .
(٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : من .
(٤) زيد من م و مد و ظ .
(٥) فى م : الثوى .
(٦) فى م : توقية .
(٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : معرفة .
(٨) فى م : انوارها .
(٩-٩) ليست فى م .
(١٠) فى م : تارة .
(١١) فى تفسير المهائمى «فمن الأصول معرفة الله تعالى بأنه الذى قامت به الموجودات قيام الأجساد بالأرواح و معرفة وجوده بأنه الذى رجح من رحمته احد طرفى الممكنات و معرفة صفاته بأنها الكمالات الموجبة للحمد و التربية تقتضى الحياة =

و عرف مواقع الأسرار [بالأقدار - ١] كأنه قيل له : ما ذا تطلب [و فى - ١] أى مذهب تذهب؟ فقال : « اهدنا الصراط المستقيم » .

و لما طلب أشرف طريق سأل أحسن رفيق فقال : « صراط الذين انعمت عليهم » ، و لما كانت النعمة قد تخص الدنيوية عينها و استعاذ ٢ من أولئك الذين شاهدهم فى التيه سائرين و عن القصد عائرين حائرين ٥ أو جائرين فقال : « غير المغضوب عليهم و لا الضآلين » .

و قد أشير فى أم الكتاب - كما قال العلامة سعد الدين مسعود ابن عمر التفتازانى الشافعى - إلى جميع النعم فانها ترجع إلى إيجاد و إبقاء أولا و ٣ [إلى - ٤] إيجاد و إبقاء ثانيا فى دار الفناء و البقاء ، أما الإيجاد الأول فبقوله « الحمد لله رب العٰلمين » فان الإخراج من العدم إلى الوجود ١٠ أعظم تربية ، و أما الإبقاء الأول فبقوله « الرحمٰن الرحيم » أى المنعم بجلائل النعم و دقائقها التى بها البقاء ، و أما الإيجاد الثانى فبقوله « مٰلك

= و العلم ... و معرفة أسمائه بأنها الوسائط القريبة له بينه و بين خلقه بها يربى و يرحم و يفضل و معرفة توحيده بأنه رب كل شىء ما عداه و معرفة استحقاقه للعبادة بأنه المنعم المتفضل المرجوع إليه و معرفة افتقار العبد إليه ابتداء بأنه الرب و وسطا بأنه الرحمٰن الرحيم و انتهاء بأنه مالك يوم الدين » أطال المصنف و أجاد من شاء الاطلاع عليه فليراجع .

(١) زيد من م و ظ و مد .

(٢) فى م و مد : فاستعاذ ، و فى ظ : و استعاد .

(٣) ليس فى م .

(٤) زيد من ظ .

يوم الدين» و هو ظاهر، و أما الإبقاء الثانى فبقوله «اياك نعبد» - إلى آخرها، فان منافع ذلك تعود إلى الآخرة.

ثم جاء التصدير بالحمد بعد الفاتحة فى أربع سور أشير فى [كل-[1]] سورة منها إلى نعمة من هذه النعم على ترتيبها - انتهى، و سيأتى فى أول [كل-[1]] سورة من الأربع ما يتعلق بها من بقية كلامه إن شاء الله تعالى، و هذا يرجع إلى أصل مدلول الحمد فان مادته بكل ترتيب تدور على بلوغ الغاية و يلزم منه الاتساع و الإحاطة و الاستدارة فيلزمها مطأطأة الرأس و قد يلزم الغاية الرضا فيلزمه الشكر و سيبين و ينزل على الجزئيات فى سورة النحل إن شاء الله تعالى، ثم فى أول سبأ تحقيق ما قاله [الناس-[1]] فيه و فى النسبة بينه و بين الشكر فقد بان سر الافتتاح بها من حيث تصديرها بالحمد[2] جزئيا فكليا الذى / كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه[3] فهو أجذم[4]؛ و تعقبه[5] بمدح المحمود بما ذكر من

١٣ /

(١) زيد من ظ و م و مد.

(٢) قال على المهائمى فى تفسيره: "ثم أشار إلى سر حمده بأنه ربى الكل تربية رحمة بأن خلقه كما ينبغى ثم أفاض ما يحتاج إليه فى بقائه و ما يفيد سائر الكمالات التى لا تتناهى" و قال "(فمنها) فاتحة الكتاب لافتتاح قراءته و كتابته بها لأن تسميتها وحمدها مبدأ كل أمر ذى بال تحاميا عن البتر لأن وجود كل شىء بظهور اسم الله تعالى فيه و تقرره بشكره بل هو مستزيد" انتهى.

(٣) و فى م و مد: به.

(٤) فى م: جذم.

(٥) و فى م و مد و ظ: تعقيبه.

أسمائه الحسنى مع اشتمالها على جملة[1] معانى القرآن من الحكم النظرية و الأحكام العملية فهى أم القرآن لأنها [له -[2]] عنوان و هو كله لما تضمنته على قصرها بسط و تبيان .

قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل فى آخر الباب التاسع منه : و لننه هذه الأبواب بذكر ٥ القرآن و محتواه على الكتب و جمعه و قراءته و بيانه و تنزيله و إنزاله و حكيمه[3] و مبينه و مجيده و كريمه و عظيمه و مرجعه إلى السبع المثانى و القرآن العظيم أم القرآن و محتواها عليه[4] ، فنذكر جميع ذلك فى الباب العاشر ، الباب العاشر فى محل أم القرآن من القرآن و وجه محتوى القرآن على جميع الكتب و الصحف المتضمنة لجميع الأديان . ١٠

اعلم أن الله سبحانه جمع نبأه العظيم كله عن شأنه العظيم جمعا فى السبع المثانى أم القرآن و أم الكتاب و كنزها تحت عرشه ليظهرها[5] فى الختم عند تمام أمر الخلق و ظهور بادئ الحمد بمحمد صلى الله عليه و سلم ، لأنه تعالى يختم بما به بدأ و لم يظهرها قبل ذلك ، لأن ظهورها

(١) فى م : حمله .

(٢) زيد من م و مد و ظ .

(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حكيه ، و هو محرف .

(٤) و فى تفسير المهائمى : و (منها) سورة الكنز لقول على رضى الله عنه : نزلت سورة الفاتحة من كنز تحت العرش ، أى من أسرار المعارف المحيطة معرفة الذات و الأسماء و الأفعال و المعاد و الصراط المستقيم و الجزاء و المحاجة و الأحكام .

(٥) فى ظ : لتظهرها .

يذهب وهل الخلق و يمحو كفرهم و لا [يتم -[1]] بناء القرآن إلا مع قائم بمشهود بيان الفعل ليتم الأمر مسمعا و مرأى[2] و ذلك لمن[3] يكون من خلقه كل خلق ليبين به ما من أمره كل أمر، ثم فيما بين بدء الأمر المكنون و خاتم الخلق الكامل تدرج تنشؤ[4] الخلق و بدو الأمر على حسب ذلك الأمر صحفا فصحفا و كتابا فكتابا، فالصحف لما يتبدل سريعا، و الكتاب لما يثبت و يدوم أمدا، و الألواح لما يقيم وقتا.

فى التوراة أحكام الله على عباده فى الدنيا بالحدود و المصائب و الضراء و البأساء، و فى القرآن منها ما شاء الله و ما يظهره الفقه من الحدود، و معارف[5] الصوفية من مؤاخذة المصائب؛ و فى الإنجيل أصول تلك الأحكام و الإعلام بأن المقصود بها ليست هى بل ما وراءها من أمر الملكوت، و فى القرآن منها ما شاء الله مما يظهره[6] العلم و الحكمة الملكوتية، و فى الزبور تطريب الخلق وجدًا و هم عن أنفسهم إلى ربهم، و فى القرآن منه ما شاء الله مما تظهره الموعظة الحسنة، ثم أنهى

(١) من م و مد.

(٢) فى م و مد: مرأى - كذا، و وقع فى الأصل و ظ: امرا - مصحفا.

(٣) من مد، و فى الأصل و م و ظ: بمن.

(٤) من م و ظ، و فى الأصل و مد: تنشر.

(٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: مقارف - كذا.

(٦) زيد فى م: الله.

الأمر و الخلق من جميع وجوهه، فصار قرآنا جامعا للكل[1] متمما للنعمة مكملا للدين «اليوم اكملت لكم دينكم» - الآية، بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - و إن إلى ربك المنتهى.

و وجه فوت[3] أم القرآن [للقرآن -[4]] أن القرآن مقصود تنزيله التفصيل و الجوامع، فيه نجوم مبثوثة غير منتظمة، واحدة إثر واحدة، ٥ و الجوامع فى أم القرآن منتظمة واحدة بعد واحدة إلى تمام السبع على وفاء لا مزيد فيه و لا نقص عنه؛ أظهر تعالى [5] بما له [5] سورة صورة تجليه[6] من بدء الملك إلى ختم الحمد، و بما لعبده [7] سور مصورة [7] تأديه من براءته من الضلال إلى هدى الصراط المستقيم، «و وجدك ضالا فهدى» و بما بينه و بينه قيام ذات الأمر و الخلق فكان ذلك هو القرآن ١٠

(١) زيد بعده فى الأصل: و الخلق - كذا.

(٢) و فى تفسير المهائمى: و اكل معنى جمع من علوم جمة ما لا يتناهى من فوائد مهمة فى ألفاظ قليلة قريبة الفهم بعيدة الغور يشهد له العلوم و يشهد بها و يشتمل على أصول مسائلها مع دلائلها و رفع الشبه عنها لاتجاهه بوجوه كثيرة باعتبار ربط كلماته و ترتيب آياته للذى يفتقر فيه إلى تأمل كامل و تدبر تام من ذى علوم كثيرة و باعتبار استقلالها بالنزول - الخ.

(٣) من م و مد وظ، و فى الأصل: يَوت - كذا؛ و فى تاج العروس: (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) ... اختلافا و لا اضطرابا و عن الليث فات يفوت فوتا فهو فائت كما يقولون بون ما بينى و بينكم - الخ.

(٤) زيد من م و مد و ظ.

(٥-٥) ليس فى مد.

(٦) فى ظ: تحيله، و فى مد: تجيلته - كذا.

(٧-٧) فى مد و ظ: سورة صورة.

العظيم الجامع لما حواه القرآن المطلق الذكر بما فيه من ذلك تفصيلا من مبينه[1] و هو ما عوينت آية مسموعة ، و من مجيده و هو ما جربت أحكامه من بين عاجل[2] ما شهد / و آجل ما علم ، يعلم ما شهد فكان معلوما بالتجربة المتيقنة[3] بما تواتر من القصص الماضى[4] و ما شهد له من الأثر الحاضر و ما يتجدد مع الأوقات من أمثاله و أشباهه ، و من كريمه و هو ما ظهرت فيه أفانين إنعامه فيما دق و جل و خفى و بدا ، و من حكيمه[5] و هو ما ظهر فى الحكمة المشهورة[6] تقاضيه و انتظام مكتوب خلقه على حسب تنزيل أمره ؛ و ما كان منه بتدريج و تقريب للأفهام ففاءت[7] من حال إلى حال و حكم إلى حكم كان تنزيلا ، و ما أهوى به[8] من علو إلى سفل[9] كان إنزالا ، و هو إنزال حيث لا وسائط و تنزيل حيث الوسائط ؛ و بيانه حيث الإمام العامل به مظهره فى أفعاله و أخلاقه كان خلقه القرآن ، و قرآنه تلفيق تلاوته على حسب ما تتقاضاه النوازل .

١٤ /

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بينه .
(٢) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : جاعل ، و هو محرف العاجل المقابل بآجل .
(٣) فى ظ : المتقنة .
(٤) كذا ، و لعله : الماضية .
(٥) فى مد : حكيه ـ كذا .
(٦) و فى م : المشهودة .
(٧) فى م و مد و ظ : تأت .
(٨) زيد فى م و ظ : اهواء ، و فى مد : اهوى .
(٩) من م ، مد و ظ ، و فى الأصل : اسفل .

آخر

آخر آية أنزلت «و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله[1]» قال صلى الله عليه و سلم فى مضمون قوله تعالى «ان علينا جمعه [2]و قرآنه[2]»: اجعلوها بين آية الدين و الآية التى قبلها، [لأنه-[3]] ربما تقدم[4] كيان الآية و تأخر فى النظم قرآنها[5] على ما تقدم عليها، آية «يا ايها النبى انا احللنا لك ازواجك[6]» الآية متأخرة الكيان متقدمة[6] القرآن على آية «لا يحل لك النساء من بعد[7]» فقد يتطابق[8] قرآن الأمر و تطوير الخلق و قد لا يتطابق و الله يتولى إقامتهما؛ و أما الجمع فنى قلبه نسبة جوامعه السبع فى أم[9] القرآن إلى القرآن بمنزلة نسبة[10] جمعه فى قلبه لمحا واحدا إلى أم القرآن «و ما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر[11]» فهو جمع فى قلبه، و قرآن على لسانه،

(١) سورة ٢ آية ٢٨١.

(٢-٢) ليست فى م. سورة ٧٥ آية ١٧.

(٣) زيد من م و ظ و مد.

(٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يقدم.

(٥) فى ظ: قرأتها.

(٦) سورة ٣٣ آية ٥٠.

(٧) فى م: بتقدمة.

(٨) سورة ٣٣ آية ٥٢.

(٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تطابق.

(١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: امر.

(١١) زيد فى ظ فقط: امر القرآن إلى، و بهامشه: نسبة القرآن فى.

(١٢) سورة ٥٤ آية ٥٠.

و بيان فى أخلاقه و أفعاله ، و جملة فى صدره ، و تنزيل فى تلاوته ، « و قال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة[1] » قال الله تعالى : كذلك - أى كذلك أنزلناه[2] ، إلا[3] ما هو منك بمنزلة سماء[4] الدنيا من الكون « انا انزلنه فى ليلة مبركة[5] » أى إلى سماء الدنيا « و[6] نزلته تنزيلا[6] » على لسانه فى أمد أيام النبوة ، و قال فى تفسيره : القرآن باطن[7] و ظاهره محمد صلى الله عليه و سلم ، قالت عائشة رضى الله عنها : كان خلقه القرآن ، فمحمد صلى الله عليه و سلم صورة باطن سورة القرآن ، فالقرآن باطنه و هو ظاهره[8] « نزل به الروح الأمين ه على قلبك[9] » .

و قال فى تفسير الفاتحة : و كانت سورة الفاتحة أمّا للقرآن ، لأن القرآن جميعه مفصل من مجملها ، فالآيات الثلاث الأول شاملة لكل معنى تضمنته الأسماء الحسنى و الصفات العلى ، فكل ما فى القرآن من ذلك فهو مفصل من جوامعها ، و الآيات الثلاث الأخر من قوله

(١) سورة ٢٥ آية ٣٢ .
(٢) فى م و مد : نزلناه .
(٣) فى م و مد : الى .
(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اسماء .
(٥) سورة ٤٤ آية ٣ .
(٦-٦) سورة ١٧ ، آية ١٠٦ ، و فى م و مد و ظ : رتلناه ترتيلا ، و زيد بعده فى ظ : اى .
(٧) فى م : باطنه .
(٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ظاهر .
(٩) سورة ٢٦ آية ١٩٤ .

« اهدنا » شاملة لكل ما يحيط بأمر الخلق فى الأصول إلى الله و التحيز إلى رحمة الله و الانقطاع دون ذلك ، فكل ما فى القرآن منه فمن تفصيل جوامع هذه ، و كل ما يكون وصلة بين ذلك مما ظاهرهن[1] هذه[2] من الخلق و مبدؤه و قيامه من الحق ففصل ٣ من آية٣ « اياك نعبد و اياك نستعين » انتهى . ٥

و من أنفع الأمور فى ذوق هذا المشرب استجلاء الحديث القدسى الذى رواه مسلم فى صحيحه و أصحاب السنن الأربعة عن أبى هريرة[4]

---

(١) فى م و مد: ظاهره .

(٢) ليس فى م و مد .

(٣-٣) ليس فى م و مد و ظ .

(٤) نقل العلامة الهائمى فى تفسيره هذا الحديث بزيادة و شرح شرحا انيقا ما نصه: روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم عن الله تعالى قال: قسمت الصلاة - اى السورة التى هى اعظم اركان الصلاة - بينى و بين عبدى نصفين - اى قسمين - فاذا قال العبد: بسم الله الرحمن الرحيم ، قال الله تعالى ذكرنى عبدى - اى الذكر الجامع لذاتى و أسمائى و صفاتى و أفعالى ، و إذا قال: الحمد لله رب العلمين ، يقول الله : حمدنى عبدى - اى بالحمد الجامع المحامد للكل ، و إذا قال : الرحمن الرحيم ، يقول الله : عظمنى عبدى - اى بنسبة إيجاد الكل إلىّ على ما ينبغى ، و إذا قال: ملك يوم الدين ، يقول الله : مجدنى عبدى - اى أفردنى عبدى بالعظمة إذ لاملك يومئذ لغيره اصلا ، و إذا قال: اياك نعبد ، يقول الله : عبدنى عبدى - اى بعبادة الكل على أتم وجوه الإخلاص ، و إذا قال: و اياك نستعين ، قال: هذا بينى و بين عبدى - اى جامع لحق العبودية من الاستعانة و حق الربوبية من الاعانة ، و اذا قال: اهدنا الصراط المستقيم - الآية ، قال الله : هذا لعبدى و لعبدى ما سأل - ما بقى من الشرح فليطلب من ج ١ ص ١٣ .

رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: قال الله عز و جل: قسمت الصلاة بيني و بين عبدى نصفين و لعبدى ما سأل. فاذا قال العبد « الحمد لله رب العلمين » قال الله تعالى: حمدنى[1] عبدى، و إذا قال « الرحمن / الرحيم » قال الله: أثنى علىّ عبدى، و إذا قال « ملك يوم الدين » قال الله: مجدنى عبدى - و قال مرة: فوض إلىّ عبدى، و إذا قال: « اياك نعبد و اياك نستعين » قال: هذا بينى و بين عبدى و لعبدى ما سأل، و إذا قال « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » قال: هذا لعبدى و لعبدى ما سأل - [2]و الله أعلم[2].

١٥ /

٥

(١) فى م: حمد.

(٢-٢) ليس فى م و مد و ظ.

سورة البقرة[1]

مقصودها إقامة الدليل على [أن - [2]] الكتاب [هدى - [2]] ليتبع[3] فى كل [ما -[4]] قال، وأعظم ما يهدى إليه الإيمان بالغيب، وبجمعه الإيمان بالآخرة، فمداره[5] الإيمان بالبعث[6] الذى أعربت[7] عنه قصة البقرة [التى مدارها الإيمان بالغيب - [8]] فلذلك سميت بها السورة ٥

(١) سميت بها لدلالة قصتها على وجود الصانع إذ حياة القتيل ليست من ذاته وإلا لحيى كل قتيل ولا يضرب بعض البقرة عليه وإلا لحصلت متى ضرب، وعلى قدرته لأنه أحيى بمحض قدرته لا بهذا السبب بل عنده، وعلى حكمته لأنه أشار بذلك إلى إحياء القلب بذبح النفس الأمارة المظلمة له، وعلى النبوة لكونها معجزة، وفيها إشارة إلى وجوب طاعة الأنبياء من غير تفتيش لتقل المؤنة ولا تقع الفضيحة التى وقعت للقائلين «اتتخذنا هزوا»، وعلى الاستقامة لأن طلب الدنيا ذلة وطلب ما سوى الله شية - من تفسير المهائمى، وليطلب ما فيه من التحقيق.

(٢) زيد من م ومد وظ.

(٣) فى مد: فيتبع.

(٤) زيد من م.

(٥) من مد، وفى الأصل: مداره، وفى م وظ: ومداره.

(٦) من م وظ ومد، وفى الأصل فقط: بالغيب.

(٧) فى م: اعرب.

(٨) زيد من ظ ومد.

وكانت بذلك أحق من قصة إبراهيم عليه [١] الصلاة و[١] السلام لأنها فى نوع البشر ومما تقدمها فى قصة بنى إسرائيل من الإحياء بعد الإماتة بالصعق [٢]وكذلك ما شاكلها[٢]، لأن الإحياء فى قصة البقرة عن سبب ضعيف فى الظاهر بمباشرة من كان من آحاد الناس فهى أدل على القدرة ولا سيما

٥ وقد اتبعت بوصف القلوب [٣]والحجارة[٣] [بما عم-[٤]] المهتدين بالكتاب والضالين فوصفها[٥] بالقسوة الموجبة للشقوة [٦]ووصفت[٦] الحجارة[٧] بالخشية الناشئة فى الجملة عن التقوى[٨] المانحة للمدد[٩] المتعدى نفعه إلى عباد الله، وفيها[١٠] إشارة[١١] إلى أن هذا الكتاب فينا كما لو كان فينا[١٢] خليفة من أولى العزم من الرسل يرشدنا فى كل أمر إلى صواب

(١-١) ليس فى م ومد.

(٢-٢) فى ظ: كذا ما ساكلها، وفى م ومد: كذا ما شاكلها.

(٣-٣) من م ومد وظ، وفى الأصل: بالحجارة.

(٤) زيد من م ومد وظ، غير ان فى مد «مما» مكان «بما».

(٥) من م ومد وظ، وفى الأصل: بوصفها.

(٦-٦) فى ظ: من وصف، وفى م: وضعف.

(٧) زيد فى م «و».

(٨) فى ظ: القوى - كذا.

(٩) من م ومد وظ، وفى الأصل: المداد - كذا.

(١٠) ليس فى م، وفى مد: فيها.

(١١) من ظ ومد، وفى الأصل وم: الاشارة.

(١٢) من م ومد وظ، وفى الأصل: فيمن.

المخرج منه[1] فمن أعرض خاب، ومن تردد كاد، ومن أجاب اتقى وأجاد.

وسميت بالزهراء[2] لإنارتها[3] طريق الهداية والكفاية فى الدنيا والآخرة[4]، و[5] لإيجابها إسفار الوجوه فى يوم الجزاء لمن آمن بالغيب ولم يكن فى شك مريب فيحال[6] بينه وبين ما يشتهى، وبالسنام لأنه[7] ليس فى الإيمان بالغيب بعد التوحيد الذى هو الأساس الذى ينبنى[8] عليه كل خير والمنتهى[9] الذى هو غاية[10] السير والعالى[11] على كل غير بأعلى[12]

(١) ليس فى مد.

(٢) من م ومد وظ، وفى الأصل: الزهراء. والعبارة الآتية إلى «والآخرة» ليست فى م وظ.

(٣) من مد، وفى الأصل وم وظ: لاثارتها - بالثاء المثلثة.

(٤) فى مد: الأخرى.

(٥) ليس فى ظ.

(٦) من ظ ولكنه بلا نقط فيه، وليس فى م، وفى مد: فاحيل، وفى الأصل: فيما.

(٧) من م ومد وظ، وفى الأصل: لأن.

(٨) من م ومد وظ، وفى الأصل: ينبينى.

(٩) وفى ظ ومد: التاج.

(١٠) فى م ومد وظ: نهاية.

(١١) من م ومد وظ، وفى الأصل: المعالى.

(١٢) من ظ، وفى الأصل وم ومد: اعلى.

و لا أجمع من الإيمان بالآخرة ، و[1] لأن السنام أعلى ما فى بطن[2] المطية الحاملة و الكتاب الذى هى سورته[3] هو أعلى ما فى الحامل للأمر[4] و هو الشرع الذى أتاهم به رسولهم صلى الله عليه و سلم[5] .

« بسم الله » الذى نصب مع كونه باطنا دلائل الهدى حتى كان ظاهرا ، « الرحمن » الذى أفاض رحمته على سائر خلقه بعد الإيجاد ببيان الطريق ، « الرحيم » الذى خص أهل وده بالتوفيق[6] .[7] قال العلامة أبو الحسن الحرالى فى كتاب العروة لمفتاح الباب [المقفل -[8]] فى معنى ما رواه عن ابن وهب من حديث ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال : كان الكتاب الأول ينزل من باب

(١) ليس فى مد و ظ .

(٢) ليس فى م و مد و ظ .

(٣) زيد فى الأصل « او » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها .

(٤) فى م و ظ : للامة ، و فى مد : للامر ، و فى الأصل : للامرة .

(٥) زيد بعده فى الأصل « عن حياة عن عقيل بن خالد عن سلمة بن ابى سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن ابن مسعود رضى الله عنه فذكر من غير ذكر النبى صلى الله عليه وسلم » ولم تكن الزيادة فى م ومد و ظ فحذفناها وستجىء .

(٦) و فى تفسير المهائمى ، ما نصه : بسم الله الرحمن الرحيم أى باسم الله الذى تجلى بذاته و صفاته فى كتابه الشامل على بيان كمالاته . الرحمن بنفى الريب عنه بجعله معجزا للكل ، الرحيم بجعله هدى للمتقين - اه .

(٧) زيد هنا فى الأصل فقط « و » .

(٨) زيد من م و مد و ظ .

واحد على حرف واحد و نزل[1] القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف: زاجر و آمر و حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال[2] فأحلوا حلاله و حرموا حرامه و افعلوا/ ما أمرتم به و انتهوا عما نهيتم عنه / ١٦
و اعتبروا بأمثاله و اعملوا بمحكمه و آمنوا بمتشابهه و قولوا: آمنا به، كل من عند ربنا - وهذا الحديث رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده ٥
و أبو يعلى الموصلي و من طريقة ابن حبان في صحيحه، كلهم من طريق ابن وهب[3] عن حَيْوَة[4] عن عقيل بن خالد عن سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن ابن مسعود رضي الله عنه - فذكره من غير ذكر النبي صلى الله عليه و سلم؛ و قال العلامة الحافظ أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل الدمشقي [الشافعي[5] -] في كتابه «المرشد الوجيز[6] ١٠
إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز» بعد أن ساق هذا الحديث من رواية سلمة بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن ابن مسعود[7] رضي الله عنه:

(١) في ظ: فنزل.
(٢) في م: امثاله.
(٣) من هنا إلى «و سلم» الآتي ليست في مد.
(٤) من م و ظ، و في الأصل و مد: حياة - كذا؛ و هو حَيْوَة بن شُرَيح، روى عن ابي هانئ و شرحبيل بن شريك المعافري و جماعة، و عنه الليث و ابن لهيعة و نافع بن يزيد و ابن وهب و غيرهم - راجع تهذيب التهذيب ٣/٦٩.
(٥) زيد من م و مد و ظ.
(٦) من م و مد و ظ، و في الأصل: الرجيز - كذا.
(٧) من هنا إلى «ابن مسعود» الآتي ليست في م.

قال أبو عمر بن عبد البر: هذا حديث عند أهل الحديث لم يثبت، و أبو سلمة لم يلق ابن مسعود، و ابنه سلمة ليس بمن يحتج به، و هذا الحديث مجمع على ضعفه من جهة إسناده و قد رده قوم من أهل النظر منهم أحمد بن أبي عمران فيما سمعه الطحاوى منه، و يرويه الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن أم سلمة [عن أبي سلمة -[1]] عن النبي صلى الله عليه و سلم مرسلا[2]، قال أبو شامة: و هكذا رواه البيهقى فى كتاب المدخل و قال: هذا مرسل جيد، أبو سلمة لم يدرك ابن مسعود، ثم رواه موصولا و قال: فان صح فمعنى قوله: سبعة أحرف، أى سبعة أوجه، و ليس المراد به[3] اللغات التى أبيحت القراءة عليها و هذا المراد به الأنواع التي[4] نزل القرآن عليها و الله أعلم[5].

قلت[6]: عزاه شيخنا العلامة مقرئ زمانه شمس الدين محمد بن محمد بن [7]محمد بن[7] الجزرى[8] الدمشقى الشافعى فى أوائل كتابه[9] «النشر فى

(١) زيد من م و مد و ظ.
(٢) ليس فى م.
(٣) زيد فى م و مد و ظ: ماورد فى الحديث الآخر من نزول القرآن على سبعة احرف ذلك المراد به.
(٤) فى ط: الذى.
(٥) زيد فى م و مد: انتهى.
(٦) فى مد: و ـ مكان: قلت، و زيد بعده فى م و ظ: و.
(٧-٧) ليس فى م.
(٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: جزرى ـ كذا.
(٩) فى م فقط: كتاب.

القراءات العشر» إلى الطبرانى من حـديث عمر بن أبى سلمة المخزومى رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال لابن مسعود رضى الله عنه: إن الكتب كانت تنزل من السماء من باب واحد و إن القرآن أنزل من[1] سبعة أبواب على سبعة أحرف: حلال و حرام و محكم و متشابه و ضرب أمثال و [اُمر و-[2]] زاجر[3]، فأحل حلاله و حرم حرامه و اعمل بمحكمه و قف عند متشابهه و اعتبر أمثاله، فان كلا من عند الله و ما يذكر إلا أولوا الالباب . و رواه الحافظ أبو بكر بن أبى داود فى «كتاب[4] المصاحف» من وجه آخر عن عبد الله قال: إن القرآن أنزل على نبيكم صلى الله عليه و سلم من سبعة أبواب على سبعة أحرف - أو: حروف - و إن الكتاب قبلكم كان ينزل - أو: نزل - من باب واحد على حرف واحد . و رواه البيهقى فى فضل القرآن من الشعب عن أبى هريرة رضى الله عنـه بلفظ: نزل القرآن على خمسة أوجه: حلال و حرام و محكم و متشابه و أمثال .

قال الحرالى: و فى حديث آخر من طريق ابن عمر رضى الله عنهما: إن الكتب كانت تنزل من باب واحد و إن هذا القرآن أنزل من

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : على .

(٢) زيد من م و ظ و مد ، غير ان فى مد : و اوامر .

(٣) فى مد: زواجر .

(٤) فى م فقط : كتابه .

سبعة أبواب على سبعة أحرف ، و قال فى معنى ذلك[١] : اعلم أن القرآن منزل[٢] عند انتهاء الخلق و كمال كل الأمر بدءا فكان[٣] المتخلق به جامعا لانتهاء كل خلق و كمال كل أمر ، فلذلك هو صلى الله عليه و سلم قُثَم[٤] الكون - و هو الجامع الكامل - [و -[٥]] لذلك كان خاتما ، و كان كتابه[٦] ختما ، و بدأ المعاد من حد ظهوره ، إنه هو يبدئ و يعيد ، فاستوفى[٧]

/١٧

(١) قال فى حاشية الإتقان: قوله: انزل القرآن على سبعة احرف ، قال فى القاموس : اى سبع لغات من لغات العرب ، و ليس معناه ان يكون فى الحرف الواحد سبعة اوجه و ان جاء على سبعة و عشر او اكثر و لكن المعنى هذه اللغات السبعة مفرقة فى القرآن - انتهى. و فى التوشيح : اختلف فى المراد بها على نحو اربعين قولا و بسطتها فى الإتقان و أقربها قولان : أحدهما أن المراد سبع لغات . و تعقب بأن لغات العرب أكثر من سبعة ، و أجيب أن المراد بها أفصحها ، و عليه أبو عبيدة و ثعلب و الأزهرى وآخرون و صححه ابن عطية و البيهقى ؛ و الثانى أن المراد سبعة اوجه من المعانى المتفقة بألفاظ مختلفة - ان شئت مزيد تحقيق فراجع الى حاشية الصحيح للبخارى ج ٢ ص ٧٤٦ .

(٢) و فى مد: ينزل .

(٣) من م و مد ، و فى الأصل : و كان .

(٤) من مد و ظ ، و فى م : قشم ، و فى الأصل : فثم - بالفاء الموحدة ، و الصواب بالقاف - راجع قطر المحيط ص ١٦٦ .

(٥) زيد من م و ظ و مد .

(٦) فى متن م و مد: كختامه ، و فى هامشها: كتابه .

(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فاستوى .

صلاح

صلاح هذه[١] الجوامع الثلاث التى قد خلت فى الأولين بداياتها و تمت عنده نهاياتها[٢]؛ بعثت لأتمم مكارم الأخلاق - رواه أحمد عن معاذ رضى الله عنه رفعه ، و هى صلاح الدنيا و الدين و المعاد التى جمعها فى قوله صلى الله عليه و سلم فيما رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه: اللهم! أصلح لى دينى الذى[٣] هو عصمة أمرى ، و أصلح لى دنياى التى فيها ٥ معاشى ، و أصلح لى آخرتى التى إليها[٤] معادى . و فى كل صلاح إقدام و إحجام فتصير الثلاثة الجوامع ستة مفصلات هى حروف القرآن الستة التى لم يبرح يستزيدها[٥] من ربه حرفا[٦] حرفا ، فلما استوفى الستة وهبه[٧] ربه حرفا جامعا سابعا فردا لا زوج له ، فتم إنزاله على سبعة أحرف.

فأدنى[٨] تلك الحروف هو [٩]حرف إصلاح[٩] الدنيا ، فلها حرفان: ١٠

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : هداه - كذا .

(٢) فى م : غاياتها .

(٣) ليس فى م .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فيها .

(٥) فى الصحيح للامام البخارى فضائل القرآن باب ٥ : ان ابن عباس رضى الله عنهما حدثه ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: أقرأنى جبرئيل على حرف فراجعته فلم ازل أستزيده و يزيدنى حتى انتهى الى سبعة احرف .

(٦) زيد فى ظ : واحد .

(٧) زيد فى م : من .

(٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فاوتى .

(٩-٩) فى م و مد: حرفا صلاح .

أحدهما حرف الحرام الذى لا تصلح[١] النفس و البدن إلا بالتطهير[٢] منه لبعده عن تقويمها[٣]؛ و الثانى حرف الحلال الذى تصلح النفس و البدن عليه لموافقته لتقويمها؛ و أصل هذين الحرفين فى التوراة، و تمامها فى القرآن.

٥ ثم يلى[٤] هذين حرفا صلاح المعاد: أحدهما حرف الزجر و النهى التى لا تصلح الآخرة إلا بالتطهير[٢] منه لبعده عن حسناها، و الثانى حرف الأمر الذى تصلح الآخرة عليه لتقاضيه بحسناها[٥]، و قد يتضرر على ذلك حال الدنيا، لأنه يأتى على كثير من حلالها لوجوب إيثار[٦] الآخرة لبقائها و كليتها على الدنيا لفنائها و جزئيتها، لكون خير الدنيا

١٠ جزءا من مائة[٧] و شر الدنيا جزءا من سبعين [جزءا - [٨]] و لا يؤثر[٩]

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا تصح، و هو كما ترى.

(٢) من مد، و فى الأصل و م و ظ: بالتطهر.

(٣) فى الأصول: تقويها.

(٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تلى.

(٥) من ظ، و فى الأصل و م و مد: لحسناها.

(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: آثار.

(٧) فى م: امامه - كذا.

(٨) زيد من ظ.

(٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يومر - كذا.

هذا الجزء الأدنى لحضوره على ذلك الكل الأنهى لغيابه إلا من سفه نفسه و ضعف إيمانه ، فتخلص المرء[1] من حرف الحرام طهره و تخلصه من النهى طيبه ؛ و أصل هذين الحرفين فى الإنجيل و تمامهما فى القرآن .

ثم يلى[2] هذين حرفا صلاح الدين : أحدهما حرف المحكم الذى بان للعبد فيه خطاب ربه من جهة أحوال قلبه و أخلاق نفسه و أعمال بدنه فيما بينه و بين ربه من غير التفات لغرض النفس فى عاجل الدنيا و لا آجلها ، و الثانى حرف المتشابه الذى لا يتبين للعبد فيه خطاب ربه من جهة قصور عقله عن إدراكه و وجوب تسبيح ربه عن تمثل[3] عبده إلى أن يؤيده الله بتأييده . و الحروف الخمسة للاستعمال و هذا الحرف السادس للوقوف ليكون العبد قد وقف لله بقلبه عن حرف كما قد كان أقدم لله على تلك الحروف ، و لينسخ بعجزه[4] و إيمانه عند هذا الحرف السادس انتهاء ما تقدم من طوقه[5] /[6] و علمه[6] فى تلك الحروف ابتداء ؛ و أصل هذين الحرفين فى الكتب المتقدمة كلها و تمامها[7] /١٨

(١) فى ظ : المراء - كذا .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تلى .

(٣) و فى مد : تمثيل .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بمعجزه .

(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : طرقه .

(٦ - ٦) كرره فى الأصل ثانيا .

(٧) فى مد : تمامها .

فى القرآن .

فهذه الحروف الستة يشترك فيها القرآن مع سائر الكتب و يزيد عليها تمامها و بركة جمعها ، و يختص القرآن بالحرف السابع الجامع مبين المثل الأعلى و مظهر الممثول الأعظم حرف الحمد الخاص بمحمد صلى الله
٥ عليه و سلم و هو حرف المثل ، و عن جمعه و كمال جمعه لمحمد[١] صلى الله عليه و سلم فى قلبه و قراءته على لسانه و بيانه فى ذاته ظهرت عليه خواص خَلْقه الكريم و خُلُقه العظيم ، و لا ينال إلا موهبة من الله تعالى لعبده بلا واسطة ، و الستة[٢] تنزل بتوسطات من استواء الطبع و صفاء العقل بمثابة وحى النبى و إلهام الولى .

١٠ و لما كان حرف الحمد هو سابعها الجامع افتتح الله به[٣] سبحانه و تعالى الفاتحة أم القران و أم الكتاب و جمع فيها جوامع الحروف السبعة التى بثها فى القرآن كما جمع فى القرآن ما بث فى جميع الكتب المتقدمة ، كفضة[٤] ثقلت على مريد[٥] السفر [فابتاع بها ذهبا فذلك مثل القرآن ثم ثقل عليه الذهب -[٦]] فابتاع به جوهرا ، فذلك مثل أم القرآن
١٥ فاذن كمال الحروف [التى أنزل عليها القرآن -[٦]] موجودة فى جوامع

(١) فى ظ : بمحمد .

(٢) فى م و مد : ستة .

(٣) ليس فى م و مد .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كقعبة - كذا .

(٥) فى مد : ثريد .

(٦) زيد من م و ظ و مد .

أم القرآن ، فالآية الأولى تشتمل على حرف الحمد السابع ، و الثانية تشتمل على حرفى الحلال و الحرام اللذين أقامت الرحمانية بهما[1] الدنيا ، يريد - [2] و الله سبحانه و تعالى أعلم[2] - أن الرحمانية وسعت على العباد الاستمتاع بالمخلوق من النعم و الخيرات الموافقة لطباعهم و أمزجتهم و قبول نفوسهم فى جميع جهات الاستمتاع ، فكان فى ذلك رحمتان: رحمة ٥ بالإباحة و هى إزالة حرج الحظر ، و رحمة يمنع لحاق حرج الإثم أو يجعل المباح شهيا للطبع ، و أما الرحيمية فطهرتهم من مضار أبدانهم و رجاسة نفوسهم و مجهلة قلوبهم ، ففى ذلك رحمة واحدة و هى حمية المحبوب عن المضار[3] من المحبوب . أو يريد - و هو و الله تعالى[4] أعلم أقرب[5] - أن الرحمانية أقامت بعمومها [6]كل ما[6] شملته الربوبية من إفاضة النعم ١٠ و إزاحة النقم على وجه مسعد أو مشقٍ ، و الرحيمية أقامت بخصوصها كما تقدم بما ترضاه الإلهية إدرار النعم و دفع النقم على الوجه المسعد خاصة - انتهى .

و الآية الثالثة تشتمل على أمر الملك القيم على حرفى الأمر و النهى

(١) من م وظ و مد ، و فى الأصل : بهم .

(٢ - ٢) فى م و مد و ظ : الله اعلم .

(٣) من مد ، و فى الأصل و م وظ : الضار .

(٤) ليس فى م و مد .

(٥) قدمه فى ظ على « و الله » .

(٦-٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كلما - كذا .

اللذين يبدو أمرهما فى الدين ، و الرابعة تشتمل على حرفى المحكم فى قوله « اياك نعبد » و المتشابه فى قوله « و اياك نستعين » ، و لما كانت بناء[1] خطاب محاضرة لم تردد[2] مسألتها فى السورة فانفرد هذان[3] الحرفان عن الدعاء فيهما ، و عادت مسألة الآية الخامسة على حرف الحمد و مسألة الآية السادسة على آية النعمة من حرفى الحلال و الحرام و مسألة الآية السابعة على آية[4] الملك من حرفى الأمر والنهى ؛ فجمعت الفاتحة جوامع/الحروف السبعة . ١٩/

و لما ابتدئت[5] الفاتحة[6] أم القرآن بالسابع[7] الجامع الموهوب[8] ابتدئ[9] القرآن بالحرف السادس[10] المعجوز عنه و هو حرف المتشابه ، لأنه[11] عن

(١) فى م و مد : نبأ ـ كذا .

(٢) فى ظ فقط : لم تردد .

(٣) فى م : هذا .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : انه ـ و هو محرف .

(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ابتدينا .

(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لفاتحة .

(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : السامع ـ كذا .

(٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المرهوب ـ كذا .

(٩) زيد فى الأصل فقط « من » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها.

(١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل فقط : السابع .

(١١) فى الأصول كلها : لأن .

إظهار العجز و محض الإيمان كانت الهبة[1] و التأييد[2]، و ليكون العبد يفتتح القرآن بالإيمان بغيب[3] متشابه فى قوله «الم» فيكون أتم انقيادا لما دونه و بريئا من الدعوى فى مستطاعه فى سائر الحروف؛ ثم ولى السادس المفتتح به القرآن الخامس المحكم من وجه فى قوله [4]سبحانه و[4] تعالى «و يقيمون الصلوة[5] و مما رزقنهم ينفقون»، لأن من عمل بها من قلبه شعبة إيمان و علم كانت له من المحكم، و من عمل بها ائتمارا و إلجاء و لم يدخل الإيمان فى قلبه كانت له حرف أمر «وان تطيعوا الله و رسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا[6]».

و هذا إنما وقع ترتيبه هكذا فى القرآن المتلو[7]، و أما تنزيله فى ترتيب البيان فان أول ما نزل على النبى صلى الله عليه و سلم هو حرف المحكم و هو قوله [4]سبحانه و[4] تعالى «اقرا باسم ربك الذى خلق»

(١) فى م: الهية.

(٢) ليس فى م و مد.

(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالغيب.

(٤-٤) ليس فى م و مد.

(٥) زيد بعده فى الأصل «ويوتون الزكوة» و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ و لا فى القرآن فحذفناها.

(٦) سورة ٤٩ آية ١٤.

(٧) فى الأصل فقط: المتلوا - كذا.

[1]خلق الانسان من علق ۞ اقرا و ربك الاكرم ۞[1]، الآيات الخمس[2]، و أول ما أنزل إلى الأمة فى ترتيب البيان هو من حرف الزجر و النهى و هو قوله [1]سبحانه و [1]تعالى «يا ايها المدثر ۞ قم فانذر ۞ ۳»[4] [أى -[5]] «نذير لكم بين يدى عذاب شديد[6]»، أعلمهم بما[7] تخاف[8] عاقبته[9] فى الآخرة و إن كانوا قد اتخذوا فى الدنيا مودة بأوثانهم و قال تعالى[10] «انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض[11]»، الآية، فابتدأ [12]سبحانه و[12] تعالى ترتيل الأمة باصلاح المعاد الأهم لأن عليه يصلح[13] أمر الدنيا، من استقل بآخرته كفاه الله أمر دنياه؛

(١-١) ليس فى م و مد .

(٢) سورة ٩٦ آية ١ - ٥ .

(٣) سورة ٧٤ آية ١ و ٢ .

(٤) زيد فى الأصل فقط : و ربك فكبر الى قوله تعالى .

(٥) زيد من م و مد و ظ .

(٦) سورة ٣٤ آية ٤٦ .

(٧) فى م و ظ : ما .

(٨) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : يخاف .

(٩) فى ظ فقط : عاقبة .

(١٠) ليس فى م و مد و ظ .

(١١) سورة ٢٩ آية ٢٥ .

(١٢-١٢) ليس فى م و ظ ، و فى مد : الله .

(١٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تصلح - كذا .

و بدأ

و بدأ منها بحرف الزجر و النهى و هو المبدوء به فى الحديث و ردد النبى صلى الله عليه و سلم لفظ الزجر بلفظ النهى لأن المقصود بهما واحد و هو الردع عما يضر فى المعاد ، إلا أن الردع على وجهين: خطاب لمعرض و يسمى زجرا كما يسمى فى حق البهائم ، و خطاب لمقبل على التفهم و يسمى نهيا ؛ فكأن الزجر يزيغ[1] الطبع والنهى يزيغ[1] العقل - ٥ انتهى . و قد بان[2] من هذا سر افتتاح البقرة بالحروف المقطعة .

و لما كان الذى ابتدئت به السور[3] من ذلك شطر حروف المعجم كان كأنه قيل من زعم أن القرآن ليس كلام الله فليأخذ الشطر الآخر و يركب عليه كلاما يعارضه به ، نقل ذلك الزركشى فى البرهان عن القاضى أبى بكر قال: و قد علم ذلك بعض أرباب الحقائق ، و جمعها ١٠

(١) من مد ، و فى م : يزيع ، و فى الأصل و ظ : يريع - بالمهملتين .

(٢) و فى أنوار التنزيل و أسرار التأويل ما نصه: ثم ان مسمياتها لما كانت عنصر الكلام و بسائطه التى تركب منها افتتحت السور بطائفة منها إيقاظا لمن تحدّى بالقرآن و تنبيها على ان المتلو عليهم كلام منظوم مما ينظمون منه كلامهم فلو كان من عند غير الله لما عجزوا عن آخرهم مع تظاهرهم و قوة فصاحتهم عن الإتيان بما يدانيهم و ليكون اول ما يقرع الأسماع مستقلا بنوع من الإعجاز فان النطق بأسماء الحروف مختص بمن خط و درس فأما من الأمى الذى لم يخالط الكتاب فمستغرب مستبعد خارق للعادة كالكتابة و التلاوة سيما و قد راعى فى ذلك ما يعجز عنه الأديب الأريب الفائق فى فنه .

(٣) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : السورة .

الزركشى فى قوله: نص حكيم قاطع له سر. وعن أبى بكر رضى الله عنه[١]: فى كل كتاب [سر-[٢]] و سر الله فى القرآن أوائل السور. وعن على[٣] رضى الله تعالى عنه [٤]وكرم وجهه[٤]: ان[٥] لكل كتاب صفوة، و صفوة هذا الكتاب حروف التهجى.

٥ و لما كانت حروف المعجم تسعة[٦] و عشرين حرفا بالهمزة [و-[٧]] كان أحد[٨] شطرها على التحرير متعذرا فقسمت خمسة عشر و أربعة عشر، و أخذ[٩] الأقل من باب الأنصاف و فرق فى[١٠] / تسع[٦] و عشرين سورة /٢٠

(١) زيد فى م و مد: لله تعالى.

(٢) زيد من م و مد و ظ. و فى أنوار التنزيل للبيضاوى: و قيل إنه سر استأثره الله بعلمه، و قد روى عن الخلفاء الأربعة و غيرهم من الصحابة ما يقرب منه - انتهى. و فى الحاشية: روى عن أبى بكر أنه قال: فى كل كتاب سر و سر الله فى القرآن أوائل السور، و عن عمر و عثمان و ابن مسعود أنهم قالوا: الحروف المقطعة من المكتوم الذى لا يفسر، و عن على: فى كل كتاب صفوة و صفوة هذا الكتاب حروف الهجاء.

(٣) زيد فى م و مد و ظ: ابن ابى طالب.

(٤-٤) ليست فى م و مد.

(٥) من م، و ليس فى مد، و فى الأصل و ظ: عينان - و هو خطأ.

(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تسعا.

(٧) لا بد من الواو فزيدت.

(٨) فى مد فقط: احر - كذا.

(٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: احد.

(١٠) زيد فى الأصل: وفرق بين فى، ولم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها.

على عدد الحروف[١] ، وتحدّى به على هـذا الوجه . و أبدى الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية الدمشقى[٢] الحنبلى فى كتاب له كالتذكرة سماه « بدائع الفرائد[٣] » سرا غريبا فى ابتداء القرآن بقوله « الٓمٓ » حاصله أن حروفه الثلاثة جمعت[٤] المخارج الثلاثة: الحلق و اللسان و الشفتان[٥] - على ترتيبها ، و ذلك[٦] إشارة إلى البداية التى هى بدء الخلق و النهاية التى[٧] هى المعاد و الوسط الذى هو المعاش من التشريع بالأوامر و النواهى؛ و فى ذلك تنبيه على أن هذا الكتاب الذى ركب من هذه الحروف التى لا تعدو المخارج الثلاثة التى بها يخاطب جميع الأمم جامع لما

(١) قال البيضاوى فى تفسيره : وهو أنه أورد فى هذه الفواتح أربعة عشر اسما - هى نصف أسامى حروف المعجم إن لم تعدّ فيها الألف حرفا برأسها - فى تسع وعشرين سورة بعددها إذا عُدّ فيها الألف مشتملة على انصاف انواعها - إلى ان قال: و لو استقريت الكلم وتراكيبها وجدت الحروف المتروكة من كل جنس مكثورة بالمذكور .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) فى م و مد : الفوايد .

(٤) فى ظ : جمع .

(٥) كذا ، و الظاهر : الشفتين .

(٦) قال البيضاوى فى تفسيره : و قيل الألف من أقصى الحلق و هو مبدأ المخارج ، و اللام من طرف اللسان و هو وسطها ، و الميم من الشفة و هى آخرها ؛ جمع بينها إيماء إلى أن العبد ينبغى أن يكون أول كلامه و أوسطه و آخره ذكر الله تعالى .

(٧) ليس فى م و مد .

يصلحكم من أحوال بدء الخلق و إعادته و ما بين ذلك، و كل سورة افتتحت بهذه الحروف ذكرت فيها الأحوال الثلاثة .

و قال الحرالى فى تفسيره : « الف » اسم للقائم الأعلى المحيط ثم لكل مستخلف فى القيام كآدم و الكعبة ، « ميم » اسم للظاهر الأعلى الذى من أظهره ملك يوم الدين ، و اسم للظاهر الكامل المؤتى جوامع الكلم[1] محمد صلى الله عليه و سلم ، ثم لكل ظاهر دون ذلك كالسماء و الفلك و الأرض ، « لام » اسم لما بين باطن الإلهية التى هى محار العقول[2] و ظاهر الملك الذى هو متجلى يوم الجزاء من مقتضى الأسماء الحسنى و الصفات العلى التى هى وُصُلٌ تنزل ما بينهما كاللطيف و نحوه ، ثم للوصل الذى[3] كالملائكة و ما تتولّاه[4] من أمر الملكوت . و هذه الألفاظ عند انعجام[5] معناها تسمى حروفا ، و الحرف طرف الشىء الذى لا يؤخذ منفردا و طرف القول الذى لا يفهم وحده ، و أحق ما تسمى[6] حروفا إذا نظر إلى صورها و[7] وقوعها أجزاء من الكلم

(١) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : العلم ـ كذا ؛ و لظاهر : الكلم ، كما قال النبى صلى الله عليه و سلم : اوتيت جوامع الكلم .

(٢) فى م : العقل .

(٣) فى م : الدّنى ـ كذا .

(٤) من م ، و فى الأصل : ما تنزلاه ـ و هو محرف تتولاه .

(٥) فى م : العجام .

(٦) فى ظ : يسمى .

(٧) ليس فى م .

و لم تفهم لها دلالة فتضاف إلى مثلها جزء من كلمة مفهومة تسمى[١] عند ذلك حروفا و عند النطق بها هكذا ألف لام ميم [فينبغى أن يقال فيها أسماء و إن كانت غير معلومة الدلالة كحروف ألف باء تاء -[٢]] فانها كلها أسماء على ما فهمه الخليل و إنها إنما تسمى حروفا عند ما تكون أجزاء كلمة محركة للابتداء أو مسكنة للوقف و الانتهاء[٣] . ٥

و أما حقيقتها فهى جوامع[٤] أصلها فى ذكر أول من كلام الله تعالى فنزلت إلى الكلم العربية و ترجمت بها و نظم منها هذا القرآن العربى المبين ، فهى فى الكتب العلوية الملكوتية المترتبة فى الجمع و التفصيل آية و كلم[٥] و ذات كتاب ، فلما نزلت إلى غاية مفصل القرآن أبقيت[٦]

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فيسمى .

(٢) زيدت من م و مد و ظ .

(٣) و فى أنوار التنزيل : "الـم" و سائر الألفاظ التى يتهجأ بها أسماء مسمياتها الحروف التى ركبت منها الكلم لدخولها فى حد الاسم و اعتوار ما يختص به من التعريف و التنكير و الجمع و التصغير و نحو ذلك عليها و به صرح الخليل و أبو على ، و ما روى ابن مسعود أنه قال : من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة و الحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول : "الـم" حرف ، بل ألف حرف و لام حرف و ميم حرف ، فالمراد به المعنى الذى اصطلح عليه فان تخصيصه به عرف مجدد بل المراد المعنى اللغوى و لعله سماه باسم مدلوله - انتهى .

(٤) فى م : جامع .

(٥) فى مد : كلمة .

(٦) من م و ظ ، و فى مد : ما بقيت ، و فى الأصل : القت .

فى افتتاحه لتكون علما على نقله للتفصيل من ذلك الكتاب ، و لأنها أتم و أوجز فى الدلالة على الجمع من المفصل منها و دلالتها جامعة للوجود كله من أبطن قيمه إلى أظهره و أظهر مقامه و ما بينهما من الوصلة [و - [1]] الواصلة و هى جامعة الدلالة على الكون المرئى للعين[1] بالعين و الوحى المسموع ؛ و لأجل ما اقتضته من الجمع لم تنزل فى كتاب متقدم لأن كتاب كل وقت مطابق بحال الكون فيه و الكون كان بعد لم يكمل فكانت كتبه و صحفه بحسبه ، و لما كمل الكون فى وقت سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم كان كتابه كاملا[2] جامعا فوجب ظهور هذه الجوامع فيه[4] ليطابق الختم البدء ، لأنها طرفا كمال و ما بينهما تدرج[5] إليه ، و قد كان وعد بانزالها فى بعض تلك الكتب فكان نزولها نجازا[6] لذلك - انتهى[7] .

(١) زيد من ظ .

(٢) ليس فى م و مد .

(٣) فى ظ : كملاً ، و فى مد : كله ما - كذا .

(٤) فى م : فيها .

(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يدرج .

(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : نجارا .

(٧) فى السراج المنير للعلامة محمد الشربينى الخطيب : وقيل معناه ذلك الكتاب الموعود إنزاله بقوله تعالى « انا سنلقى اليك قولا ثقيلا » أو فى الكتب المتقدمة لأن سورة البقرة مدنية كما مر و أكثرها احتجاج على اليهود و على بنى إسرائيل =

و أما مناسبة ما بعد ذلك[١] للفاتحة[٢] فهو أنه لما أخبر سبحانه [٣]و تعالى[٣] أن عباده المخلصين سألوا فى الفاتحة هداية الصراط المستقيم الذى هو [غير -[٤]] طريق الهالكين أرشدهم فى أول التى تليها[٥] إلى أن الهدى المسؤل إنما هو فى [هذا -[٦]] الكتاب ، و بين لهم صفات الفريقين الممنوحين بالهداية حثا على التخلق بها و الممنوعين منها زجرا عن قربها. فكان / ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة، لأنها سيقت لنفى الريب عن هذا الكتاب و لأنه هدى للمتقين، و لوصف المتقين و ما يجازون به بما[٧] فى الآيات الثلاث و لوصف الكافرين الذين لا يؤمنون لما وقع من الختم على حواسهم و الختم[٨] لعقابهم ليعلم أن ما اتصف به المتقون هو الصراط المستقيم فيلزم و ما اتصف به من

/ ٢١

= و قد كانت بنو إسرائيل أخبرهم موسى و عيسى عليهما السلام أن الله يرسل محمدا وينزل عليه كتابا فقال تعالى «ذلك الكتب» أى الذى أخبر الأنبياء المتقدمون بأن الله سينزل على النبى المبعوث من ولد إسماعيل .

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى ظ : الفاتحة .

(٣-٣) ليس فى م ومد وظ .

(٤) زيد من م و مد وظ .

(٥) من م و مد وظ ، و فى الأصل : يليها .

(٦) زيد من م و ظ .

(٧) ليس فى مد .

(٨) و فى م ومد و ظ : الختم - كذا .

عداهم[١] هو طريق الهالكين فيترك ؛ و فى الوصف بالتقوى بعد ذكر المغضوب عليهم و[٢] الضالين إشارة إلى أن المقام مقام الخوف .

و إن شئت قلت : مقصود[٣] هذه السورة وصف الكتاب فقط[٤] و ما عدا ذلك فتوابع و لوازم و لن يثبت أنه هدى إلا باثبات أنه حق[٥] معنى و نظما ، و لما كان المعنى أهم قدم الاستدلال عليه فأخبر من تماديهم على الكفر بما يكون تكذيبهم به تصديقا له ، و اتبع ذلك بذكر المنافقين إعلاما بأن المنفى الإيمان[٦] بالقلب و أنه لا عبرة باللسان إذا تجرد عنه ،

(١) فى م : عذابهم .

(٢) زيد فى م « لا » .

(٣) ليس فى م .

(٤) فى تفسير المهائمى : الأصل اللازم للمستدل ذلك الكتاب البعيد درجة كماله لجمعه ما فى الكتب الإلهية قبله مع رفعه كل ريب باقامة الحجج ورفع الشبه مؤيدا بالإعجاز و تصديق الكتب الإلهية له قبله و كشوف الأولياء بعده بل إنما يعرف صدق الجميع به ، و الأدلة العقلية المحضة قلما تخلو عن معارضة او مناقضة اونقض و النقلية المحضة من سائر الكتب تحتمل التحريف و قد ارتفع من هذا الكتاب ما ذكر مع كمال هدايته لما لايتناهى من المطالب العلمية و العملية او اعلى لامع ماح للظلمات ذلك الكتاب .

(٥) و فى م : احق .

(٦) و فى م : للايمان .

و ساق ذلك على وجه يعلمون به أنه الحق بما هتك من سرائرهم و كشف من ضمائرهم ، فلما تم ذلك و كان المقصود منه الدعاء إلى الله انتهزت تلك الفرصة بقوله تعالى « يايها الناس اعبدوا ربكم » لما أسس لها من الترغيب بالترهيب ، ثم أقيم الدليل على حقية نظمه بتقصيرهم عن مدى سهمه ، فرجع حاصل ذلك إلى إثباته بعجزهم عن معارضته فى معناه بإيجاد ٥ ما أخبر بنفيه و فى نظمه بالإتيان بمثله ، فلما ثبت ذلك ثبت أنه من عند الله فثبت تأهله لتعليم الشرائع فجعلها ضمن مجادلة أهل الكتاب بما يعلمون حقيته[١] بلا ارتياب من الدعاء إلى ما أخفوه من الدعائم الخمس التى بنى عليها الإسلام .

و لما كان معنى « الٓمٓ » هذا كتاب[٢] من جنس حروفكم التى قد فُقتم ١٠ [٣]فى التكلم[٣] بها سائر الخلق فما عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله إلا لأنه كلام الله أنتج ذلك كماله ، فأشير إليه بأداة البعد و لام الكمال [٤]فى قوله[٤] « ذلك الكتب » لعلو مقداره بجلالة آثاره و بعد رتبته عن نيل المطرودين . و لما علم كماله أشار إلى تعظيمه بالتصريح بما ينتجه و يستلزمه ذلك التعظيم فقال « لا ريب فيه » أى فى شىء من[٥] معناه و لا نظمه فى ١٥

(١) فى مد : حقيقته .

(٢) فى ظ : الكتاب .

(٣-٣) ليس فى مد .

(٤-٤) فى مد : فقال .

(٥) فى ظ : فهى - كذا .

نفس الأمر عند من تحقق بالنظر[1] فالمنفى[2] كونه متعلقا للريب و مظنة له، ولم يقدم الظرف لأنه كان يفيد الاختصاص فيفهم أن غيره [3]من الكتب[3] محل الريب.

قال الحرالى: «ذا» اسم مدلوله المشار إليه، و اللام مدلوله معها بُعد مّا «الكتب» من الكتب و هو وصل الشيء المنفصل بوصلة خفية من أصله كالخرز[4] فى الجلد بقد منه و الخياطة فى الثوب بشيء من جنسه ليكون أقرب لصورة اتصاله الأول، فسمى به ما ألزمه الناس من الأحكام و ما أثبت بالرقوم من الكلام، «لا» لنفى ما هو ممتنع مطلقا أو فى وقت، «الريب» التردد بين موقعى تهمة بحيث يمتنع من الطمأنينة على كل واحد منهما - انتهى. و أصله قلق النفس و اضطرابها[5]، و منه

(١) من ظ، و فى الأصل و مدوّم: النظر.

(٢) فى تفسير النسفى: و إنما نفى الريب على سبيل الاستغراق و قد ارتاب فيه كثير لأن المنفى كونه متعلقا للريب و مظنة له لأنه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لاينبغى لمرتاب ان يقع فيه لا ان احدا لا يرتاب، وإنما لم يقل: لا فيه ريب، كما قال «لا فيها غول» لأن المراد فى إيلاء الريب حرف النفى نفى الريب عنه و إثبات أنه حق لا باطل كما يزعم الكفار، و لو اولى الظرف لبعد عن المراد و هو ان كتابا آخر فيه ريب لا فيه.

(٣-٣) ليس فى ظ.

(٤) فى م: كالخرز.

(٥) و فى تفسير النسفى، «لا ريب» لاشك، و هو مصدر رابنى إذا حصل فيك =

ريب[1] الزمان لنوائبه المقلقة ، و لما كان ذلك يستلزم الهدى قال : « هدى » ، و خص المنتفعين[2] لأن الألد[3] لا دواء له و المتعنت[4] لا يرده شيء فقال: « للمتقين » ، أى الذين جبلوا فى أصل الخلقة على التقوى ؛ فافهم ذلك أن غيرهم لا يهتدى به بل يرتاب و إن كان ليس موضعا للريب أصلا[5] .

قال الحرالى : جمع المتقى و هو المتوقف عن الإقدام على كل أمر لشعوره بتقصيره عن الاستبداد و علمه[6] بأنه غير مستغن بنفسه فهو متق لوصفه و حسن فطرته و المتقى[7] كذا متوقف لأجل ذلك ، و التقوى[8]

= الريبة ، وحقيقة الريبة قلق النفس و اضطرابها، ومنه قوله عليه السلام : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فان الشك ريبة و إن الصدق طمأنينة ، أى فان كون الأمر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس و لا تستقر ، وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له و تسكن ، و منه ريب الزمان و هو ما يقلق النفوس و يشخص بالقلوب من نوائبه - انتهى .

(١) فى م : مريب .

(٢) بهامش م : لعله المتقين .

(٣) فى م : الدأ - كذا .

(٤) فى م : المنعت - كذا .

(٥) ليس فى مد .

(٦) فى ظ : علم .

(٧) و فى الأصول كلها : متقى - كذا .

(٨) فى أنوار التنزيل : فى الأصل مصدر كالسرى و التقى و معناه الدلالة - إلى =

أصل يتقدم[1] الهدى و كل عبادة ، لأنها فطرة توقف تستحق الهدى و كل خير و هى وصية الله [لأهل الكتاب - [2]] - انتهى .

ثم وصفهم بمجامع الأعمال تعريفا لهم فقال : « الذين يؤمنون بالغيب » ، أى الأمر الغائب الذى[3] لا نافع فى الإيمان غيره ، و عبر بالمصدر[4] للمبالغة . « و يقيمون الصلوة » أى / التى هى حضرة المراقبة و أفضل ٢٢/ ٥
أعمال البدن بالمحافظة عليها و بحفظها فى ذاتها و جميع أحوالها[5] . و لما ذكر[6] وصلة الخلق بالخالق و كانت النفقة مع أنها من أعظم دعائم الدين صلة بين الخلائق اتبعها بها فقال مقدما للجار ناهيا عن الإسراف و منبها

= ان قال : و اختصاصه بالمتقين لأنهم المهتدون به والمنتفعون بنصبه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر ، و بهذا الاعتبار قال : « هدى للناس » .

(١) فى ظ : تقدم .

(٢) زيد من ظ ، و فى م و مد : لأهل الكتب ، و قد سقط من الأصل و لكن علامة الزيادة ثابتة فيه ايضا .

(٣) ليس فى مد .

(٤) و فى انوار التنزيل : و الغيب مصدر وصف به للمبالغة كالشهادة فى قوله تعالى « عالم الغيب و الشهادة » و المراد به الخفى الذى لا يدركه الحس و لا يقتضيه بداهة العقل .

(٥) ليس فى م .

(٦) زيد بعده فى مد و م و ظ : و قد ضمن (فى م : و قد فسر) بمض (فى م : يومئذ ، و فى مد : يومن) يقرأ (فى ظ : نص ا) و يعترف كما يأتى بيانه عند « و منهم من (ليس فى ظ) يستمعون اليك » فى يونس .

بالتبعيض على طيب النفقة لأن الله[١] طيب لا يقبل إلا طيبا و آمرا بالورع و زاجرا عما فيه شبهة [لأن الرزق يشمل الحلال و الحرام و المشتبه -[٢]] «و مما رزقنهم» أى مكناهم من الانتفاع به على عظمة خزائننا و هو لنا دونهم. «ينفقون» أى فى مرضاتنا مما يلزمهم من الزكاة و الحج و الغزو و غيرها و مما يتطوعون به من الصدقات و غيرها، والمراد بهذه الأفعال هنا إيجاد حقائقها على الدوام[٣].

قال أبو حيان و غيره فى قوله تعالى فى سورة الحج «ان الذين كفروا و يصدون[٤]» المضارع قد لا يلحظ فيه زمان معين من حال أو استقبال فيدل إذ ذاك على الاستمرار - انتهى. و هذا مما لا محيد عنه و إلا لم يشمل[٥] هذا فى هذه السورة المدنية من تخلق به قبل الهجرة [٦]و قوله[٦] تعالى «فلم تقتلون انبياء الله من قبل[٧]» قاطع فى ذلك.

(١) ليس فى مد.

(٢) زيد من م و مد و ظ غير ان فى م و مد «يشتمل» مكان «يشمل».

(٣) و فى أنوار التنزيل: و الظاهر من إنفاق ما رزقهم الله صرف المال فى سبل الخير من الفرض او النفل. و يحتمل ان يراد به الإنفاق من جميع المعادن التى آتاهم الله من النعم الظاهرة و الباطنة، و يؤيده قوله عليه السلام: إن علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه؛ و إليه ذهب من قال: و مما خصصناهم به من أنوار المعرفة يفيضون - انتهى.

(٤) سورة ٢٢ آية ٢٥.

(٥) و فى مد: لم يشتمل.

(٦-٦) ليس فى ظ.

(٧) سورة ٢ آية ٩١.

و قال الحرالى : « يؤمنون » ، من الإيمان و هو مصدر آمنه يؤمنه إيمانا إذا آمن من ينبهه على أمر ليس عنده أن يكذبه أو يرتاب فيه ، و « الغيب » ما غاب عن الحس و لم يكن عليه علم يهتدى [1]به العقل[1] فيحصل به العلم [2] ؛ و صيغة « يؤمنون » و « يقيمون » تقتضى الدوام إلى الختم ، و إدامة العمل إلى الختم تقتضى ظهوره عن فطرة أو جبلة و أنه ليس عن تعمل و مُراءاة ، و عند ذلك يكون علما على الجزاء ؛ و « الصلوٰة » الإقبال بالكلية على أمر ، فتكون من الأعلى عطفا شاملا ، و من الأدنى وفاء بأنحاء التذلل [3] و الإقبال بالكلية على التلقى ، و إيمانهم بالغيب قبولهم من النبى صلى الله عليه و سلم ما تلقاه بالوحى من أمر غائب الدنيا الذى هو الآخرة و ما فيها و أمر غائب الملكوت و ما فيه إلى غيب الجبروت و ما به بحيث يكون عملهم على الغائب الذى تلقته قلوبهم على سبيل آذانهم كعملهم على ما تلقته أنفسهم على سبيل

(١-١) فى م و مد : العقل ، و فى ظ : بالعقل .

(٢) قال البيضاوى فى تفسيره : و إن جعلته حالا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة و الخفاء ، و المعنى انهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين « اذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا و اذا خلوا الى شيٰطينهم قالوا انا معكم » ، و قيل المراد بالغيب القلب ، و المعنى يؤمنون بقلوبهم لا كن يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم .

(٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : التدلل - بالدال المهملة .

أعينهم و سائر حواسهم و داموا على عملهم ذلك على حكم إيمانهم إلى الخاتمة .

و لما كانت الصلاة التزام عهد العبادة مبنيا على تقدم الشهادة متممة بجماع[١] الذكر و أنواع التحيات لله من القيام له تعالى و الركوع له[٢] و السجود الذى هو أعلاها و السلام بالقول الذى هو أدنى التحيات ٥ كانت لذلك تعهدا للإيمان و تكرارا ، و لذلك[٣] من لم يدم الصلاة ضعف إيمانه و ران عليه كفر فلا إيمان لمن لا صلاة له ، و التقوى وحده[٤] أصل [٥]و الإيمان[٥] فالصلاة ثمرته ، و الإنفاق خلافة و لذلك البخل عزل عن خلافة الله « و انفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه[٦] » و هذا الأمر بتمامه هو الذى جعلت الخلافة لآدم به إلى ما وراء ذلك من كمال أمر الله ١٠ الذى أكمله بمحمد صلى الله عليه و سلم ، فالتقوى قلب باطن ، و الإنفاق وجه ظاهر ، و الإيمان فالصلاة وصلة بينهما . و وجه ترتب الإيمان بالغيب على التقوى أن المتقى[٧] لما كان متوقفا غير متمسك بأمر كان إذا أرشد

(١) فى م فقط : بالجماع - كذا .

(٢) ليس فى مد و ظ .

(٣) فى ظ : كذلك .

(٤) ليس فى ظ .

(٥ - ٥) فى م فقط : فالايمان .

(٦) سورة ٥٧ آية ٧ .

(٧) قال المهائمى فى تفسيره : المتقى من وقى نفسه عما يضرها فى الآخرة من =

إلى غيب لا يعلمه لم يدفعه بمقتضى ما تقدم له علمه؛ و وجه ترتب الإنفاق على الإيمان بالغيب أن المدد غيب، لأن الإنسان لما كان لا يطلع على جميع رزقه كان رزقه غيبا، فاذا أيقن بالخلف جاد بالعطية، فمتى أمد بالأرزاق تمت خلافته و عظم فيها سلطانه و انفتح له باب إمداد برزق أعلى و أكمل من الأول. فاذا أحسن الخلافة فيه بالإنفاق منه أيضا انفتح له باب إلى أعلى إلى أن ينتهى إلى حيث ليس[1] وراءه مرأى[2] و ذلك هو الكمال المحمدى، و إن بخل فلم ينفق و استغنى بما عنده فلم يتق فكذب تضاءل أمر خلافته وانقطع عنه المدد من الأعلى؛ فبحق سمى الإنفاق زكاة[3]؛ و فى أول الشورى كلام فى الإيمان عن على رضى الله عنه نفيس - انتهى[4].

و لما وصفهم بالإيمان جملة أشار[1] إلى بعض تفصيله على وجه يدخل

= اعتقاد و خلق وعمل كلت هدايتهم لأنهم لما اتقوا لم يعطلوا النظر ولم يقصروا فيه ولا الجوارح و لم يتركوا الأخلاق الرديئة فيها وغيرهم يتمسكون بالشبهات الداعية إلى التعطيل والتقصير والترك، اما الاعتقادات فلأنهم الذين «يؤمنون بالغيب» وأما الأعمال فلأنهم الذين «يقيمون الصلوٰة» و أما الأخلاق فلأنهم الذين «مما رزقنٰهم ينفقون».

(١) ليس فى م.

(٢) و فى م: مرمى.

(٣) زيد فى م و مد: انتهى.

(٤) ليس فى م و مد.

(٥) و فى تبصير الرحمن للهائمى: و كيف لا يكون هذا الكتاب هدى إلى =

فيه[1] أهل الكتاب دخولا أوليا فقال: « و الذين يؤمنون »، أى يوجدون هذا الوصف بعد سماعهم للدعوة إيجادا مستمرا « بما انزل اليك » أى من القرآن و السنة سواء كان قد وجد أو سيوجد ؛ « و ما انزل / من قبلك » أى على الأنبياء الماضين ، و لما كان الإيمان بالبعث[2] من الدين بمكان عظيم جدا[3] بينه بالتقديم إظهارا لمزيد الاهتمام فقال : « و بالآخرة » ، أى التى هى دار الجزاء و محل التجلى و كشف الغطاء و نتيجة الأمر . قال الحرالى: الآخرة معاد الأمر بعد تمامه على أوليته - انتهى . و لما تقدم من الاهتمام عبر بالإيقان و أتى بضمير الفصل فقال[4] : « هم يوقنون » ،

/ ٢٣

٥

= ما لا يتناهى وهو يوجب الإيمان بكل ما انزل إليك منه ومن السنة و بما انزل على الأنبياء من كتبهم و سننهم من قبلك ؟ فلا شك ان الذين يؤمنون بما انزل إليك و ما انزل من قبلك احاطوا بالهدايات كلها ، كيف [و] قد زاد اهل هذا الكتاب بمزيد تفصيل و تحقيق للأمور الأخروية ، فلا شك أنهم بالآخرة هم يوقنون فان لم يطلعوا على تفاصيل هدايات سائر الكتب فلا شك ان اولئك مستولون على هدى عظيم من ربهم الذى ربى الأمم كلها بتلك الهدايات بالإيمان بها إجمالا بل بما كان هذا الكتاب شاملا على ما فيها و ليست شاملة على ما فيه ، فلا شك ان اولئك هم المفلحون بالهدايات كلها .

(١) زيد فى ظ : دخول .

(٢) فى مد : بالغيب .

(٣) ليس فى م .

(٤) ليس فى ظ .

لأن ذلك قائد إلى كل خير و ذائد عن كل ضير، و الإيقان كما قال الحرالى صفاء العلم و سلامته من شوائب الريب و نحوه، من يقن الماء و هو ما نزل من السماء فانحدر إلى كهف جبل فلم يتغير من قرار و لا وارد - انتهى . فهو[1] يكون بعد شك و لذا[2] لا يوصف[3] به الله[3] .

٥ و الوصف[4] بهذه الأوصاف كما ترى إشارة إلى أمهات الأعمال البدنية

(١) و فى السراج المنير ج ١ ص ١٧ ما نصه : هم يوقنون أى يعلمون أنها كائنة ، لأن اليقين و العلم بالشيء بعد ان كان صاحبه شاكا فيه - قاله الإمام الرازى ، و لذلك لا يوصف بـه العلم القديم و لا العلم الضرورى فلا يقـال تيقن الله كذا و لا تيقنت ان الكل اكبر من الجزء . و فى تفسير المظهرى : الإيقان إتقان العلم بنفى الشك عنه نظرا و استدلالا فلا يسمى الله موقنا - انتهى .

(٢) فى م : لهذا .

(٣-٣) فى ظ : الله به .

(٤) و فى أنوار التنزيل و أسرار التأويل : الذين يؤمنون بالغيب ، إما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة مقيدة إن فسر التقوى بترك ما لا ينبغى مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية و التصوير على التصقيل او موضحة إن فسر بما يعم فعل الحسنات و ترك السيئات لاشتماله على ما هو أصل الأعمال و أساس الحسنات من الإيمان و الصلاة و الصدقة فانها أمهات الأعمال النفسانية و العبادات البدنية و المالية المستتبعة لسائر الطاعات و التجنب من المعاصى غالبا ، ألا ترى إلى قوله تعالى « ان الصلوٰة تنهى عن الفحشاء و المنكر » و قولـه عليه الصلاة و السلام : الصلاة عماد الدين و الزكاة قنطرة الإسلام .

و المالية من الأفعال[١] و التروك ، فالإيمان أساس الأمر و الصلاة مشار بها إلى التحلي[٢] بكل خير و التخلي[٣] عن كل شر « ان الصلوة تنهى عن الفحشاء و المنكر[٤] » و كلاهما من أعمال البدن ، و النفقة عمل مالى ، فحصل بذلك[٥] حصر الفعل و الترك الضابطين لجميع الأعمال كيف ما تشعبت ، و صرح بالفعل و أومى إلى الترك إيماء لا يفهمه[٦] إلا البصراء تسهيلا على السالكين ، لأن الفعل من حيث هو و لو[٧] كان صعبا أيسر على النفس من الكف عما تشتهى . و فى وصفهم أيضا بالإيمان بما أنزل إليه و إلى من قبله من التقريع و التبكيت لمن سواهم ما ستراه فى الآيات الآتية .

و لما أخبر عن أفعالهم الظاهرة و الباطنة أخبر بثمرتها[٨] فقال : « اولئك » أى الموصوفون بتلك الصفات الظاهرات ، و لما تضمن ما مضى أن إيمانهم كان عن أعظم استدلال فأثمر لهم التمسك بأوثق العرى من الأعمال استحقوا[٩] الوصف بالاستعلاء الذى معناه التمكن فقال : « على

(١) و فى م : الاعمال .
(٢) فى م : التخلى .
(٣) فى ظ : التحلى ـ كذا .
(٤) سورة ٢٩ آية ٤٥ .
(٥) فى مد : بذكر .
(٦) فى مد : لايشهده .
(٧) فى مد : ان .
(٨) فى مد : عن ثمرتها .
(٩) و فى تفسير المظهرى : ففيه ايدان بأن تلك الصفات موجبة لهذا الحكم و فى =

هدى » أى عظيم ، و زاد فى تعظيمه بقوله : « من ربهم » أى المحسن إليهم بتمكينهم منه و لزومهم له تمكين من علا[1] على الشىء ، و لما لم يلازم الهدى الفلاح عطف عليه[2] قوله مشيرا بالعاطف إلى مزيد تمكنهم فى كل من الوصفين « و اولئك » [3]أى العالو الرتبة[3] « هم » [4]أى خاصة[4] « المفلحون » أى الكاملون فى هذا الوصف الذين انفتحت لهم وجوه الظفر ، و التركيب دال على معنى الشق و الفتح و كذا أخواته من الفاء و العين نحو فلج بالجيم و فلق و فلذ و فلى .

= كلمة « على » إيذان على تمكنهم واستقرارهم على الهداية ونكر « هدى » للتعظيم و أكد التعظيم بأن الله معطيه و موفقه ، و « اولئك هم المفلحون » اى الفائزون بالمطلوب . هذا اللفظ و ما يشاركه فى الفاء و العين من فلق وفلذ و فلى يدل على الشق والقطع كأن المفلح انشق من غيره وصار بينهما بون بعيد او صاروا مقطوعا لهم بالخير فى الدنيا و الآخرة . و فى أنوار التنزيل : و معنى الاستعلاء فى « على هدى » تمثيل تمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه بحال من اعتلى الشىء و ركبه . . . وذلك انما يحصل باستفراغ الفكر وإدامة النظر فيما نصب من الحجج والمواظبة على محاسبة النفس فى العمل .

(١) فى الأصل : على ، و لعله : اعتلى .

(٢) فى مد على .

(٣-٣) ليس فى مد .

(٤-٤) ليس فى م .

قال الحرالي: و خرج الخطاب فى هذه الآية مخرج المخاطبة للنبي صلى الله عليه و سلم و مخرج إحضار المؤمنين بموضع الإشارة و هى مكانة حضرة دون مكانة حضرة المخاطب - انتهى . وكونها للبعد إعلام بعلو مقامهم . و الفلاح[1] الفوز و الظفر بكل مراد و نوال البقاء الدائم فى الخير . ٥

و لما أردف البيان لأوصاف المؤمنين التعريف بأحوال الكافرين و كانوا قد انقسموا على[2] مصارحين و منافقين[3] وكان المنافقون قسمين جهالا من مشركى العرب و علماء من كفار بنى إسرائيل كان الأنسب ليفرغ من قسم برأسه على عجل البداءة أولا بالمصارحين فذكر ما أراد من أمرهم فى آيتين، لأن أمرهم أهون و شأنهم أيسر لقصدهم بما يوهنهم ١٠ بالكلام أو بالسيف على أن ذكرهم على وجه يعم جميع الأقسام[4] فقال

(١) زيد فى الأصل و مد «و» و لم تكن الزيادة فى م و ظ فحذفناها .

(٢) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : الى .

(٣) قال البيضاوى : لما ذكر خاصة عباده و خالصة اوليائه بصفاتهم التى أهلتهم الهدى و الفلاح عقبهم اضدادهم العتاة المردة الذين لا ينفع فيهم الهدى و لا يغنى عنهم الآيات و النذر .

(٤) و فى السراج المنير : ينقسم إلى اربعة اقسام : كفر إنكار و كفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق ، فكفر الإنكار هو ان لا يعرف الله اصلا ولا يعترف به ، وكفر الجحود هو ان يعرف الله بقلبه و لا يقر بلسانه ككفر ابليس و اليهود ، قال =

مخاطبا [١] لأعظم المنعم [٢] عليهم على وجه التسلية و الإعجاز فى معرض الجواب لسؤال من كأنه قال [٣]: هذا حال الكتاب للمؤمنين فما حاله للكافرين؟ «ان الذين كفروا» أى حكم، بكفرهم دائما [٤] حكما نفذ و مضى فستروا [٥] ما أقيم من الأدلة على الوحدانية عن العقول التى هيئت لإدراكه و الفطر الأولى التى خلصت عن مانع يعوقها عن الانقياد له و داموا على ذلك بما دل عليه السياق بالتعبير عن أضدادهم بما يدل على تجديد الإيمان

= الله تعالى «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به» وكفر العناد هو ان يعرف الله بقلبه و يعترف بلسانه و لا يدين به ككفر ابى طالب حيث يقول:

و لقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

و أما كفر النفاق فهو أن يقر باللسان و لا يعتقد بالقلب؛ و جميع هذه الأقسام من لقى الله بواحد منها لا يغفر له.

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: مخاطباه - كذا.

(٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: المنقم - و هو محرف.

(٣) و فى تفسير البيضاوى: و لم يعطف قصتهم على قصة المؤمنين كما عطف فى قوله تعالى «ان الابرار لفى نعيم و ان الفجار لفى جحيم» لتباينهما فى الغرض فان الأولى سيقت لذكر الكتاب و بيان شأنه والأخرى مسوقة لشرح تمردهم و انهماكهم فى الضلال.

(٤) ليس فى ظ.

(٥) من م و ظ، و فى الأصل و مد: فيستروا.

على الدوام و اللحاق بالختم[1] و العذاب، و لعله عبر بالماضى و الموضع للوصف تنفيرا من مجرد إيقاع الكفر و لو للنعمة و ليشمل[2] المنافقين و غيرهم .

و لما دل هذا الحال على أنهم عملوا ضد ما عمله المؤمنون من الانقياد كان المعنى[3] «سواء عليهم ا انذرتهم» أى إنذارك[4] فى هذا الوقت بهذا الكتاب[5] «ام لم تنذرهم» أى و عدم إنذارك[6] فيه و[7] بعده و قد انسلخ عن أم و الهمزة معنى الاستفهام، قال سيبويه: جرى / هذا على ٢٤/

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: بالختم - كذا .

(٢) فى مد: يشمل .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) فى م و مد: انذارا .

(٥) وفى السراج المنير: «ا انذرتهم ام لم تنذرهم» أى خوفتهم و حذرتهم ام لا، و الإنذار إعلام مع تخويف و تحذير، فكل منذر معلم و ليس كل معلم منذرا، و إنما اقتصر عليه دون البشارة لأنه أوقع فى القلب و أشد تأثيرا فى النفس من حيث إن دفع الضرر أهم من جلب النفع، فاذا لم ينفع فيهم الإنذار كانت البشارة بعدم النفع أولى لا يؤمنون بما جئت به، و هذه الآية فى أقوام حقت عليهم كلمة الشقاوة فى سابق علم الله تعالى كأبى جهل و أبى لهب و غيرهما فلا تطمع فى إيمانهم - انتهى .

(٦) فى م: انذارهم .

(٧) ليس فى مد .

حرف [1]الاستفهام كما جرى على حرف[1] النداء فى[2] قولك : اللهم اغفر لنا أيتها العصابة - انتهى . و لعله عبر بصورة الاستفهام و قد سلخت عن معناه إفهاما لأنهم توغلوا فى الكفر توغل من وصل فى الحمق إلى أنه لو شاهد[3] الملك يستفهمك عنه ما آمن .

٥ و لما كان كأنه قيل فى أى شىء استوت حالتاهم[4] قيل فى أنهم « لا يؤمنون » و هى دليل على خصوص كونه هدى للمتقين[5] و على وقوع التكليف بالممتنع لغيره فانه سبحانه كلفهم الإيمان و أراد منهم الكفران ، فصار ممتنعا لإرادته عدم وقوعه ، و التكليف به جار على سنن الحكمة فان إرادة عدم إيمانهم لم تخرج إيمانهم عن حيز الممكن فيما ١٠ يظهر ، لعدم العلم بما أراد الله من كل شخص بعينه ، فهو على سنن الابتلاء ليظهر فى عالم الشهادة المطيع من غيره لإقامة الحجة ؛ و يأتى فى الصّفّت عند « افعل ما تؤمر[6] » تتمة لهذا[7] .

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) فى م : و .

(٣) فى مد : شا هذا - كذا .

(٤) فى م : حللناهم - كذا .

(٥) من مد ، و فى الأصل و م و ظ : بالمتقين .

(٦) سورة ٣٧ آية ١٠٢ .

(٧) و فى أنوار التنزيل و أسرار التأويل : و إنما عدل ههنا عن المصدر إلى الفعل لما فيه من إيهام التجدد ، و حسن دخول الهمزة و أم عليه لتقرير معنى الاستواء و تأكيده ، فانهما جردتا عن معنى الاستفهام لمجرد الاستواء كما جرد حرف =

قال الحرالى: فحصل بمجموع قوله «سواء عليهم» إلى آخره و بقوله «لا يؤمنون» خبر تام عن سابقة أمرهم و لاحقة كونهم، فتم بالكلامين الخبر عنهم خبرا واحدا ملتئما كتبا سابقا و كونا لاحقا - انتهى. و كل موضع ذكر فيه الكفر فانما عبر به إشارة إلى أن الأدلة الأصلية فى الوضوح بحيث لا تخفى[1] على أحد و لا يخالفها إلا من ستر مرآة عقله ٥ إما عنادا و إما باهمال النظر السديد و الركون إلى نوع تقليد.

و لما كان من أعجب العجب كون شىء واحد يكون هدى لناس دون ناس علل ذلك بقوله «ختم الله» أى بجلاله «على قلوبهم» أى ختما مستعليا عليها فهى لاتعى حق الوعى[2]، لأن الختم على الشىء يمنع

=النداء عن الطلب لمجرد التخصيص فى قولهم: اللهم اغفر لنا أيتها العصابة، و الآية مما احتج به من جوز التكليف ما لا يطاق، فانه سبحانه أخبر عنهم بأنهم لا يؤمنون و أمرهم بالإيمان فلو آمنوا انقلب خبره كذبا و شمل إيمانهم الإيمان بأنهم لا يؤمنون فيجتمع الضدان، و الحق أن التكليف بالممتنع لذاته و إن جاز عقلا من حيث أن الأحكام لا تستدعى غرضا سيما الامتثال لكنه واقع للاستقراء و الإخبار بوقوع الشىء أو عدمه لا ينفى القدرة عليه كاخباره تعالى عما يفعله هو أو العبد باختياره - انتهى.

(١) فى ظ: لا يخفى.

(٢) و فى تفسير البيضاوى: فى الآية إخبار بالغيب على ما هو به إن اريد بالموصول أشخاص بأعيانهم فهى من المعجزات، و تعليل للحكم السابق و بيان ما يقتضيه. وفى تفسير المهائمى: والكفر إنكار شىء مما علم بالضرورة كونه من دين محمد صلى الله=

الدخول إليه و الخروج منه[1] ، و أكد المعنى باعادة الجار فقال « و على سمعهم » [2]فهم لا[2] يسمعون حق السمع ، و أفرده لأن التفاوت فيه نادر . قال الحرالى : و شرّكه فى الختم مع القلب لأن أحدا لا يسمع إلا ما عقل - انتهى . « و على ابصارهم غشاوة » فهم لا ينظرون بالتأمل .

٥ و لما سوى هنا بين الإنذار و عدمه كانت البداءة بالقلوب أنسب تسوية لهم بالبهائم ، و لما كان الغبى قد يسمع أو يبصر فيهتدى و كان إلى السمع أضر[3] لعمومه و خصوص البصر بأحوال الضياء نفى السمع ثم البصر تسفيلا لهم عن حال البهائم ، بخلاف ما فى الجاثية فانه لما أخبر فيها بالإضلال و كان الضال أحوج شىء إلى سماع الهادى نفاه ، و لما

عليه و سلم بأن لا ينقاد له عرف حقيته او اعترف بها ام لا ، ثم أشار إلى أن الدلائل و إن كانت قطعية فانما تفيد من فتح الله عليه باب النظر و هؤلاء « ختم الله » - الآية .

(١) و فى تفسير البيضاوى : الختم الكتم سمى به الاستيثاق من الشىء بضرب الخاتم عليه لأنه كتم له و البلوغ آخره نظرا إلى أنه آخر فعل يفعل فى إحرازه .... و لا ختم و لا تغشية على الحقيقة و إنما المراد بهما أن يحدث فى نفوسهم هيئة تمرنهم على استحباب الكفر و المعاصى و استقباح الإيمان و الطاعات بسبب غيهم و انهماكهم فى التقليد و إعراضهم عن النظر الصحيح .... و الباقى يطلب من أنوار التنزيل ج ١ ص ١٨ .

(٢-٢) فى ظ : فلا .

(٣) فى م : اخر - كذا .

كان الأصم إذا كان ذا فهم أو بصر أمكنت هدايته وكان الفهم أشرف نفاهما على ذلك الترتيب .

ولما وصفهم بذلك أخبر بمآلهم[1] فقال : « ولهم عذاب عظيم » ، قال الحرالى : وفى قوله « ولهم » إعلام[2] بقوة تداعى[3] حالهم لذلك العذاب واستحقاقهم له وتنشؤ ذواتهم إليه حتى يشهد[4] عيان المعرفة به - *أى العذاب* - وبهم أنه لهم وكان عذابهم عظيما آخذا فى عموم ذواتهم لكونهم لم تلتبس[6] أبدانهم ولا نفوسهم ولا أرواحهم بما يصد عنهم شيئا من عذابها كما يكون للعاقبين من مذنبى مؤمنى[7] الأمم حيث يتنكب العذاب عن وجوههم ومواضع وضوئهم ونحو ذلك - انتهى .

(١) فى مد : بما لهم .

(٢) وفى تفسير النسفى المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل : وقال ابن عباس طبع الله على قلوبهم فلا يعقلون الخير يعنى ان الله طبع عليها بجعلها بحيث لا يخرج منها ما فيها من الكفر ولا يدخلها ما ليس فيه من الإيمان ، وحاصل الختم والطبع خلق الظلمة والضيق فى صدر العبد عندنا فلا يؤمن ما دامت تلك الظلمة فى قلبه ، وعند المعتزلة إعلام محض على القلوب بما يظهر للملائكة أنهم كفار فيلعنونهم ولا يدعون لهم بخير .

(٣) من م ومد وظ ، وفى الأصل : تراعى .

(٤) فى م : تشهد .

(٥-٥) كذا فى الأصل ، وليس فى م ومد وظ .

(٦) زيد بعده فى الأصل : إيمانهم ، وضرب عليه .

(٧) ليس فى مد .

و سيأتى عند قوله تعالى « و من الناس من يتخذ من دون الله اندادا[١] » ما يلتفت إلى هنا[٢] .

قال الحرالى : « الكفر » تغطية ما حقه الإظهار ، و « الإنذار[٣] » الإعلام بما يحذر ، و « الختم » إخفاء خبر الشىء بجمع أطرافه عليه على وجه يتحفظ به ، و « القلب » مبدأ[٤] كيان الشىء من غيب قوامه، فيكون تغير كونه بحسب تقلب قلبه فى الانتهاء و يكون تطوره و تكامله بحسب مدده فى الابتداء و النماء ، و القلب من الإنسان بمنزلة السكان من السفينة بحسب تقلبه يتصرف سائره ، و بوضعه للتقلب و التقليب سمى قلبا ، و للطيف معناه فى ذلك كان أكثر[٥] قسمه صلى الله عليه و سلم بمقلب القلوب ، و « الغشاوة » غطاء مجلل لا يبدو[٦] معه من المغطى شىء ، و « العذاب[٧] » إيلام لا إجهاز فيه ، و « العظيم » الآخذ فى الجهات كلها -

(١) سورة ٢ آية ١٦٥ .

(٢) فى م : هذا .

(٣) فى ظ : الانداد .

(٤) و فى أنوار التنزيل : وبالقلب ما هو محل العلم و قد يطلق و يراد به العقل و المعرفة كما قال تعالى « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب » .

(٥) و فى الصحيح للبخارى ج ٢ ص ٩٧٩ : عن سالم عن عبد الله قال : كثيرا مما كان النبى صلى الله عليه وسلم يحلف : لا و مقلب القلوب . و راجع قول ابن بطال على حاشيته .

(٦) فى ظ : لا يبدوا .

(٧) و فى السراج المنير : و العذاب كل ما يعى الإنسان و يشق عليه ، و قال الخليل : العذب ما يمنع الإنسان عن مراده ، و منه الماء العذب لأنه يمنع العطش ؛ =

انتهى

انتهى . و فى تعقيب ذكر المؤمنين بذكر المختوم على مداركهم المختوم بمهالكهم تعظيم للنعمة على من استجاب له . إذ قال «اهدنا» فهداه ، و إعلام بأن الهدى ليس إلا بيده ليلحّوا فى الطلب و يبرؤا من ادعاء حول أو قوة .

و لما افتتح سبحانه بالذين واطأت قلوبهم ألسنتهم فى الإيمان و ثنى بالمجاهرين من الكافرين[1] الذين / طابق إعلانهم إسرارهم فى الكفران ٥ / ٢٥ اتبعه ذكر المساترين الذين خالفت ألسنتهم قلوبهم فى الإذعان و هم المنافقون ، و أمرهم أشد لإشكال أحوالهم و التباس أقوالهم و أفعالهم ، فأضر الأعداء من يريك الصداقة فيأخذك من المأمن : و ما أحسن ما ينسب إلى الإمام أبى سليمان الخطابى فى المعنى :

تحرّز من الجهال جهدك أنهم ... و إن أظهروا فيك المودة أعداء[2] ١٠
و إن كان فيهم من يسرك فعله ... فكل لذيذ الطعم أوجله داء

لا جرم ثنى سبحانه باظهار أسرارهم و هتك أستارهم فى سياق شامل لقسميهم ،

= و إنما وصف العذاب بالعظيم دون الكبير لأن العظيم فوقه لأن العظيم نقيض الحقير و الكبير نقيض الصغير و إذا كان الحقير مقابلا للعظيم و الصغير للكبير كان العظيم فوق الكبير لأن العظيم لا يكون حقيرا و الكبير قد يكون حقيرا كما أن الصغير قد يكون عظيما . و فى تفسير النسفى : العذاب كالنكال بناء و معنى ، لذلك تقول: أعذب عن الشىء - إذا أمسك عنه ، كما تقول : نكل عنه.

(١) زيد فى ظ : اى .

(٢) من ظ و مد ، و فى م : اعداءه ، و فى الأصل : اعدائه .

فقبح أمورهم و وهّى مقاصدهم و ضرب لهم الأمثال و بسط لهم بعض البسط فى المقال فقال تعالى «و من الناس»[1] أى لما أرسلنا رسولنا انقسم الناس قسمين : مؤمن و كافر ، و انقسم الكافر قسمين : فمنهم من جاهر و قال : لانؤمن أبدا ، و منهم من يقول ، و لعله أظهر و لم يضمر لانفرادهم عن المجاهرين ببعض الأحكام ، أو لأنه سبحانه لما ذكر طرفى الإيمان و الكفر و أحوال المؤمنين و أحوال الذين كفروا ذكر المنافقين المترددين بين الاتصاف بالطرفين بلفظ الناس لظهور معنى النوس فيهم لاضطرابهم بين الحالين ، لأن النوس هو حركة الشىء اللطيف المعلق فى الهواء كالخيط المعلق الذى ليس فى طرفه الأسفل ما يثقله[2] فلا يزال

(١) و فى السراج المنير : نزل فى المنافقين حكاية لحالهم قوله تعالى « ومن الناس » أجمع المفسرون على أن ذلك وصف المنافقين ، قالوا : صنف الله الأصناف الثلاثة من المؤمنين والكافرين و المنافقين فبدأ بذكر المؤمنين الذين أخلصوا دينهم لله و واطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ، و ثنى بأضدادهم الذين محضوا الكفر ظاهرا و باطنا ، وثلث بالصنف الثالث المذبذب بين القسمين وهم الذين آمنوا بأفواههم و لم تؤمن قلوبهم تكميلا للتقسيم ، و هذا الصنف أخبث الكفرة و أبغضهم إلى الله تعالى لأنهم مع مشاركتهم للكفار الأصليين فى أنهم جاهلون بالقلب كاذبون باللسان من حيث أنهم ينسبون إلى الله ما هو برىء منه كالولد و الزوجة و الشريك زادوا عليهم بأمور منكرة منها أنهم قصدوا التلبيس و رضوا لأنفسهم بسمة الكذب و لبسوا الكفر على المسلمين فخلطوا به خداعا و استهزاء و لذلك طول الله فى بيان خبثهم و جهلهم و استهزائهم - و ما بقى يطلب من ج ١ ص ٢٠ .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ما ينقله .

مضطربا[1] بين جهتين ، و لم يظهر هذا المعنى فى الفريقين لتحيزهم إلى جهة واحدة - قاله الحرالى ، و عرف للجنس[2] أو للعهد فى الذين كفروا لأنهم نوع منهم ، و سر الإظهار موضع الإضمار على هذا ما تقدم ، «آمنا بالله» أى وحده بما[3] له من الجلال و الجمال مستحضرين لذلك ، و لما كانوا متهمين أكدوا باعادة الجار فقالوا «و باليوم الآخر» الذى جحده المجاهرون ، و ما هم «بمؤمنين» أى بعريقين فى الإيمان كما ادعوه بذكر الاسم الأعظم و إعادة الجار ، و لعله نفى العراقة فقط لأن منهم من كان مُزَلْزَلا حين هذا القول غير جازم بالكفر و آمن بعد ذلك ، و حذف متعلق الإيمان تعميما فى السلب عنهم لما ذكروا و غيره ، وجمع هنا و أفرد فى «يقول» تنبيها على عموم الكفر لهم كالأولين و قلة

(١) فى ظ : مطربا - كذا .

(٢) قال البيضاوى : و اللام فيه للجنس و من موصولة إذ لا عهد فكأنه قال : و من الناس ناس يقولون ، أو للعهد و المعهود هم الذين كفروا و من موصولة مراد بها أبى بن كعب و أصحابه ونظراؤه . . . . فعلى هذا يكون الآية تقسيما للقسم الثانى ، واختصاص الآية بالله و اليوم الآخر بالذكر تخصيص لما هو المقصود الأعظم من الإيمان وادعاء بأنهم احتازوا الإيمان من جانبيه ، «و ما هم بمؤمنين» انكار ما ادعوه ونفى ما انتحلوا إثباته وكان أصله و ما آمنوا ليطابق قولهم فى التصريح بشأن الفعل دون الفاعل لكنه عكس تأكيدا و مبالغة فى التكذيب لأن إخراج ذواتهم من عداد المؤمنين أبلغ من نفى الإيمان عنهم فى ماضى الزمان ، و لذلك أكد النفى بالباء و أطلق الإيمان على معنى أنهم ليسوا من الإيمان فى شىء .

(٣) فى م : مما .

من يسمح[1] منهم بهذا القول إشارة إلى غلظتهم و شدة عثاوتهم[2] فى الكفر و قوتهم .

و فى ذكر قصتهم و تقبيح أحوالهم تنبيه على وجوب الإخلاص وحث على الاجتهاد فى الطهارة من الأدناس فى سؤال الهداية إلى الصراط المستقيم .

و تصنيف الناس آخر الفاتحة ثلاثة أصناف : مهتدين و معاندين و ضالين ، مثل تصنيفهم أول البقرة ثلاثة : متقين وكافرين مصارحين و هم المعاندون و ضالين و هم المنافقون ، و إجمالهم فى الفاتحة و تفصيلهم هنا من بديع الأساليب و هو دأب القرآن العظيم الإجمال ثم التفصيل .

و قد سمى ابن إسحاق كثيرا من المنافقين[3] فى السيرة الشريفة فى أوائل أخبار ما بعد الهجرة[4] ، قال ابن هشام فى تلخيص ذلك : وكان ممن انضاف إلى يهود ممن سمى لنا من المنافقين من الأوس و الخزرج ، من الأوس زوى بن الحارث و بجاد بن عثمان بن عامر و نبتل بن الحارث و هو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : من أحب أن ينظر إلى الشيطان فلينظر إلى نبتل ! وكان يأتى رسول الله صلى الله

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يسنمح - كذا .

(٢) من ظ لكن الثاء غير منقوطة فيه ، و فى الأصل : عماوتهم - كذا ، و فى م : غشاوتهم ، و فى مد : خسارتهم .

(٣) ليست العبارة من هنا إلى « من المنافقين » فى م .

(٤) و فى تفسير النسفى : الرجال المنافقون كانوا ثلاثمائة و النساء المنافقات مائة و سبعين .

عليه و سلم يتحدث إليه ثم ينقل حديثه إلى المنافقين، و هو الذى قال: إنما محمد أذن، و عباد بن حنيف أخو سهل و عمرو بن خذام[1] و عبد الله ابن نبتل و بَحْزَج و هو ممن كان بنى مسجد الضرار و كذا جارية[2] بن عامر ابن العطاف و ابنه زيد و خذام[1] بن خالد و هو الذى أخرج مسجد الضرار من داره و مِرْبع بن قيظى و هو الذى قال لرسول الله صلى الله ٥ عليه و سلم و هو عامد إلى أحد: لا أحل لك يا محمد إن كنت نبيا أن تمر فى حائطى[3]! فابتدره المسلمون ليقتلوه فنهاهم النبى صلى الله عليه و سلم و قال: هذا الأعمى أعمى القلب أعمى البصر، و أخوه أوس بن قيظى و هو الذى قال يوم الخندق: "ان بيوتنا عورة[4]" و حاطب بن أمية بن رافع و كان شيخا جسيما قد عسى فى الجاهلية و كان ابنه يزيد[5] ١٠ من خيار المسلمين، قتل رضى الله عنه يوم أحد فقال أبوه لمن بشره بالجنة: غررتم و الله هذا المسكين من نفسه! / و بشير بن أبيرق[6] أبو طعيمة - / ٢٦ و فى نسخة: طعمة[7]، و هو سارق الدرعين الذى أنزل الله فيه " و لا

(١) هكذا فى الأصل و ظ، و فى م: حذام، و لا يتضح فى مد.

(٢) فى الأصول: حارثة، و التصحيح من سيرة ابن هشام ١ / ١٨٦.

(٣) زيد فى السيرة و اخذ فى يده حفنة من تراب ثم قال: و الله لو أعلم أنى لا أصيب بهذا التراب غيرك لرميتك به.

(٤) سورة ٣٣ آية ١٣.

(٥) فى الأصول: زيد، و التصحيح من سيرة ابن هشام.

(٦) فى ظ: ابريق.

(٧) و هو الثابت فى سيرة ابن هشام.

تجادل عن الذين يختانون انفسهم[١] " و قزمان[٢] حليف لهم أجاد يوم أحد القتال و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول[٣]: إنه من أهل النار، فجرح فبشر بالجنة فقال: و الله ما قاتلت إلا حمية لقومى[٤]! فلما اشتدت به الجراحة قطع رواهش[٥] يده فمات.

٥ و من الخزرج رافع بن وديعة و زيد بن عمرو و عمرو بن قيس و قيس ابن عمرو بن سهل [٦]و الجد بن قيس[٦] - و هو الذى قال " ائذن لى و لا تفتنى[٧] "[٨] و عبد الله بن أبىّ رأس المنافقين و إليه كانوا يجتمعون

(١) سورة ٤ آية ١٠٧.

(٢) و فى حاشية الصحيح للبخارى ج ١ ص ٤٠٦: و فى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل اسمه قزمان هذا فى عداد المنافقين و كان قد غاب يوم احد فعيره النساء فخرج و قاتل و بالغ، و فى الصحيح بعد سرد القصة: ثم جرح جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض و ذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه - الحديث.

(٣) ليس فى م.

(٤) فى سيرة ابن هشام: عن قومى.

(٥) الرواهش عروق ظاهر الكف - قطر المحيط ص ٨٠٧ - قطع اولا ثم إذا اشتد الوجع قتل نفسه بما ذكر.

(٦-٦) ليست فى م.

(٧) سورة ٩ آية ٤٩.

(٨) فى تفسير النسفى: قال الجد بن قيس المنافق: قد علمت الأنصار انى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الأصفر - يعنى نساء الروم.

و هو القائل: "ليخرجن الاعز منها الاذل[1]"، و فيه و فى وديعة العوفى[2] و مالك بن أبى قوقل و سويد و داعس و هم من رهطه نزل "الم ترالى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتب"[3] - الآية، حكاية لما كانوا يدسونه إلى بنى النضير إذ حاصرهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فصدق الله و كذبوا. ٥

و كان ممن تعوذ بالإسلام و أظهره و هو منافق من أحبار يهود من بنى قينقاع سعد بن حنيف و زيد بن اللُّصَيت و هو الذى قال فى غزوة تبوك: يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء و هو لا يدرى أين ناقته! فأعلمه الله بقوله و بمكان الناقة، و نعيمان بن أوفى بن عمرو و عثمان ابن أوفى و رافع بن حُريملة و هو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه ١٠ و سلم حين مات: قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين، و رفاعة بن زيد بن التابوت و هو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ هبت تلك الريح و هو قافل من غزوة بنى المصطلق: لا تخافوا، إنما هبت لموت عظيم من عظماء المنافقين، و سلسلة بن برهام و كنانة بن صوريا - فكان هؤلاء من المنافقين و من نحا نحوهم يحضرون المسجد فيسمعون أحاديث ١٥ المسلمين و يسخرون منهم و يستهزؤن بدينهم - انتهى. و فيه اختصار فأنزل الله تعالى فيهم[4] هذه الآيات.

---

(١) سورة ٦٣ آية ٨.

(٢) فى مد: العوفى - كذا.

(٣) سورة ٥٩ آية ١١.

(٤) ليس فى ظ.

و ابتدئت قصتهم بالتنبيه على قلة عقولهم و خفة حلومهم من حيث أن محط حالهم أنهم يخادعون من لا يجوز عليه الخداع و أن الذى حملهم على ذلك أنهم ليس لهم نوع شعور و لا شيء من إدراك بقوله تعالى - جوابا لسؤال من كأنه قال: فما قصدهم باظهار[1] الإيمان و[2] الإخبار عن أنفسهم بغير ما هى متصفة به مع معرفتهم بقبح الكذب و شناعته و فظاعته و بشاعته ؟ "يخدعون الله" أى يبالغون فى معاملته هذه المعاملة بابطان غير ما يظهرون مع ما له من الإحاطة بكل شيء ، و الخداع[3] أصله الإخفاء[4] و المفاعلة فى أصلها للمبالغة لأن الفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ و أحكم منه إذا زاوله وحده "و الذين آمنوا" أى يعاملونهم تلك المعاملة ، و أمره[5] تعالى باجراء أحكام الإسلام عليهم فى الدنيا صورته صورة الخدع[6] و كذا امتثال المؤمنين أمره تعالى فيهم . قال

(١) فى ظ : بالاظهار .

(٢) فى م : فى .

(٣) قال البيضاوى فى تفسيره : الخدع أن توهم غيرك خلاف ما تخفيه من المكروه لتزله عما هو بصدده ، من قولهم : خدع الضب - إذا توارى فى جحره ، و ضب خادع و خدع إذا أوهم الحارش إقباله عليه ثم خرج من باب آخر ، و اصله الإخفاء . . . و المخادعة تكون بين اثنين ، و خداعهم مع الله ليس على ظاهره لأنه تعالى لايخفى عليه خافية .

(٤) فى ظ فقط : الاختفاء .

(٥) زيد فى ظ : سبحانه .

(٦) فى ظ : الخداع .

الحرالى : و جاء بصيغة المفاعلة لمكان إحاطة علم الله بخداعهم و لم يقرأ غيره و لا ينبغى ، و الخداع إظهار خير يتوسل به إلى إبطان شر يؤول إليه أمر ذلك الخير المظهر[1] - انتهى .

" و ما يخدعون[2] " أى بما يغرون به المؤمنين " الا انفسهم " يعنى أن عقولهم لخباثتها[3] إنما[4] تسمى نفوسا ، و النفس[5] قال الحرالى ما به ينفس المرء[6] على غيره[7] استبدادا منه و اكتفاء بموجود نفاسته على من سواه - انتهى . و قراءة الحذف هذه لا تنافى قراءة يخدعون لأن المطلق لا يخالف المقيد بالمبالغة ، و عبر هنا[8] بصيغة المفاعلة لشعورهم كما قال الحرالى بفساد

(١) فى أنوار التنزيل : و يحتمل ان يراد بيخدعون يخدعون لأنه بيان ليقول أو استيناف بذكر ما هو الغرض منه الا انه اخرج فى زنة فاعلت للمبالغة فان الزنة لما كانت للغالبة و الفعل متى غولب فيه كان أبلغ منه إذا جاء بلا مقابلة معارض و مبار استصحبت ذلك و يعضده قراءة من قرأ يخدعون - الخ .

(٢) فى م و مد و ظ : ما يخادعون .

(٣) فى م و مد : بجنايتها .

(٤) ليس فى مد .

(٥) فى أنوار التنزيل : و النفس ذات الشىء وحقيقته ، ثم قيل للروح لأن نفس الحى به ، و للقلب لأنه محل الروح او متعلقه ، و للدم لأن قوامها به ، و للماء لفرط حاجتها إليه ، و للرأى فى قولهم فلان يؤامر نفسه لأنه ينبعث عنها ؛ و المراد بالأنفس ههنا ذواتهم ، و يحتمل حملها على أرواحهم و آرائهم - انتهى .

(٦) فى ظ : المراء - كذا .

(٧) من م و مد و ظ . و فى الأصل : غره - كذا .

(٨) فى ظ : هاهنا .

[١] أحوالهم فى بعض الأوقات و من بعض الأشخاص ، بصيغة المجرد لعمههم عن فساد[١] أحوالهم فى أكثر أوقاتهم وعمه عامتهم و لا يكون من الله سبحانه إلا بلفظ الخدع لأنهم لا يعلمون ما يخفى[٢] عنهم من أمره و لذلك جاء فى آية النساء "يخدعون الله و هو خادعهم[٣]" - انتهى .

٥ "و ما يشعرون" أى نوع شعور لإفراط جهلهم بأنهم لا يضرون غير أنفسهم لأن الله يعلم سرهم كما يعلم جهرهم[٤] ، و حذف[٥] متعلق الشعور للتعميم[٦] و الشعور كما قال الحرالى أول الإحساس بالعلم كأنه مبدأ إنباته قبل / أن تكمل صورته تتميز - و انتهى . ٢٧ /

ثم بين سبحانه أن سبب الغفلة عن هذا الظاهر كون آلة إدراكهم ١٠ مريضة ، شغلها المرض عن إدراك ما ينفعها فهى لا تجنح إلا إلى ما يؤذيها ، كالمريض لا تميل نفسه إلى غير مضارها فقال جوابا لمن كأنه قال: ما سبب فعلهم هذا من الخداع[٧] و عدم الشعور[٧] ؟ « فى قلوبهم مرض »[٨] أى من

(١-١) ليست فى م .

(٢) زيد فى م و مد و ظ : الله .

(٣) سورة ٤ آية ١٤٢ .

(٤) قال البيضاوى : « ما يشعرون » لا يحسون بذلك لتمادى غفلتهم جعل لحوق وبال الخداع و رجوع ضرره إليهم فى الظهور كالمحسوس الذى لا يخفى الا على ماؤف الحواس و الشعور الإحساس ، و مشاعر الإنسان حواسه .

(٥) فى مد : حذفه .

(٦) و فى ظ : التعيم - كذا .

(٧-٧) ليست فى مد .

(٨) المرض حقيقة فيما يعرض البدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص به و يوجب =

أصل الخلقة يوهن قوى الإيمان فيها و يوجب ضعف أفعالهم الإسلامية و خللها ، لأن المرض كما قال الحرالى ضعف فى القوى يترتب عليه خلل فى الأفعال « فزادهم الله » أى[1] بما له من صفات الجلال و الإكرام لخادعتهم [2]بما يرون من عدم تأثيرها[2] « مرضا » أى سوء اعتقاد بما يزيد من خداعهم و ألما فى قلوبهم بما يرون من خيبة مطلوبهم ، فانسد عليهم باب الفهم و السداد جملة ، و الزيادة قال الحرالى استحداث أمر لم يكن فى موجود الشىء - انتهى . « و لهم » أى مع ضرر الغباوة فى الدنيا الملحقة بالبهائم « عذاب اليم » فى الآخرة أى شديد الألم و هو الوجع اللازم - قاله الحرالى . « بما كانوا » قال الحرالى : من كان الشىء و كان الشىء كذا إذا ظهر وجوده و تمت صورته أو ظهر ذلك الكذا من ذات نفسه - انتهى . « يكذبون » أى يوقعون[3] الكذب و هو الإخبار عن أنفسهم بالايمان مع تلبّسهم بالكفران ، و المعنى[4] على قراءة التشديد يبالغون

= الخلل فى أفعاله . و مجاز فى الأعراض النفسانية التى تخل بكمالها كالجهل و سوء العقيدة والحسد والضغينة وحب المعاصى لأنها مانعة عن نيل الفضائل ، أومؤدية إلى زوال الحياة الحقيقية الأبدية ؛ و الآية تحتملهما .

(١) ليس فى مد .

(٢-٢) ليست فى م .

(٣) و فى أنوار التنزيل : و المعنى بسبب كذبهم أو ببدله جزاء له و هو قولهم « امنا » .

(٤) و فى أنوار التنزيل : « يكذّبون » من كذبه لأنهم كانوا يكذّبون الرسول بقلوبهم ، أومن كذب الوحشى إذا جرى شوطا و وقف لينظر ما وراءه فان =

فى الكذب، أو ينسبون الصادق إلى الكذب، و ذلك أشنع الكذب.

و لما أخبر تعالى عن بواطنهم اتبعه من الظاهر ما يدل عليه فبين أنهم إذا نهوا عن الفساد العام ادّعوا الصلاح العام بقوله «و اذا قيل لهم» و بناؤه للمجهول إشارة إلى عصيانهم لكل قائل كائنا من كان «لا تفسدوا ٥ فى الارض» أى بما نرى[1] لكم من الأعمال الخبيثة. و الفساد[2] انتقاض صورة الشيء - قاله الحرالى، «قالوا» قاصرين فعلهم على الصلاح نافين عنه كل فساد مباهتين غير مكترثين «انما نحن مصلحون»[3] و الإصلاح تلافى خلل الشيء - قاله الحرالى[4].

و لما كان حالهم مبنيا على الخداع باظهار الخير و إبطان الشر وكانوا ١٠ يرون إفسادهم لما لهم من عكس الإدراك إصلاحا فكانوا يناظرون عليه

= المنافق متحير متردد.

(١) و فى م و ظ: يرى.

(٢) قال البيضاوى: و الفساد خروج الشيء عن الاعتدال، و الصلاح ضده.

(٣) قال البيضاوى: جواب لإذا و رد للناصح على سبيل المبالغة، و المعنى انه لا يصح مخاطبتنا بذلك فان شأننا ليس إلا الإصلاح و إن حالنا متمحضة من شوائب الفساد. و فى تفسير النسفى: نحن مصلحون بين المؤمنين و الكافرين بالمداراة، يعنى أن صفة المصلحين خلصت لنا و تمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد.

(٤) قال البيضاوى: و إنما قالوا ذلك لأنهم تصوروا الفساد بصورة الصلاح لما فى قلوبهم من المرض كما قال تعالى «افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا» - انتهى.

بأنواع

بأنواع الشبه كان قولهم ربما غرّ من سمعه من المؤمنين لأن المؤمن غرّ كريم و الكافر خِبّ لئيم فقال تعالى محذرا من حالهم مثبتا لهم ما نفوه عن أنفسهم من الفساد و قاصرا له عليهم « الا انهم هم » أى خاصة « المفسدون » أى الكاملو[1] الإفساد البالغون من العراقة فيه ما يجعل إفساد غيرهم بالنسبة إلى إفسادهم عدما لما فى ذلك من خراب ذات البين ٥ و أخذ المؤمن من المأمن . و قال الحرالى : و لما كان حال الطمأنينة بالإيمان إصلاحا وجب أن يكون اضطرابهم فيه إفسادا لا سيما مع ظنهم أن كونهم مع هؤلاء تارة و مع هؤلاء تارة من الحكمة و الإصلاح و هو عين الإفساد لأنه بالحقيقة مخالفة هؤلاء و هؤلاء فقد أفسدوا طرفى الإيمان و الكفر ، و لذلك قيل : ما يصلح المنافق ، لأنه لا حبيب مصاف ١٠ و لا عدو[2] مباين ، فلا يعتقد منه على شىء - انتهى .

و لما كان هذا الوصف موجبا لعظيم الرهبة اتبعه ما يخففه[3] بقوله « و لكن لا يشعرون » أى هم[4] فى غاية الجلافة حتى لا شعور لهم

(١) فى مد : الكاملون .

(٢) زيد فى ظ : مبين .

(٣) و فى ظ : يحققه .

(٤) و فى تفسير النسفى : لا يشعرون أنهم مفسدون فحذف المفعول للعلم به ، « الا » مركبة من همزة الاستفهام و حرف النفى لإعطاء معنى التنبية على تحقق ما بعدها ، والاستفهام إذا دخل على النفى أفاد تحققا كقوله تعالى « اليس ذلك بقادر » و لكونها فى هذا المنصب من التحقيق لا تقع الجملة بعدها إلا مصدرة بنحو ما يتلقى به القسم و قد رد الله ما ادعوه من الانتظام فى جملة المصلحين أبلغ رد و أدله على سخط =

يحسنون به التصرف فيما يحاولونه من الفساد الآن بما دلت عليه ما فى الآية السابقة الدالة على أن المضارع للحال و لا فيما يستقبل من الزمان لأن لا لا تقارنه إلا و هو بمعنى الاستقبال ، فلأجل ذلك لا يؤثر إفسادهم إلا فى أذى أنفسهم ، فلا تخافوهم فانى كافيكموهم .

٥ و لما بين حالهم إذا أمروا بالصلاح العام بين أنهم إذا دعوا إلى الصلاح الخاص الذى هو أس كل صلاح سموه سفها فقال « و اذا قيل » أى من أى قائل كان « لهم آمنوا » أى ظاهرا و باطنا « كما آمن الناس[1] » أى الذين هم الناس ليظهر عليكم ثمرة ذلك من لزوم الصلاح و اجتناب الفساد و الإيمان المضاف إلى الناس أدنى مراتب الإيمان[2] - قاله الحرالى ،

= عظيم ، و المبالغة فيه من جهة الاستئناف و ما فى « الا » و « ان » من التأكيد و تعريف الخبر و توسيط الفصل و قوله « لا يشعرون » - انتهى .

(١) قال ابو حيان الأندلسى فى تفسيره الكبير المسمى بالبحر المحيط : الناس اسم جمع لا واحد له من لفظه و مرادفه اناسى جمع انسان او إنسى ، قد قالت العرب : ناس من الجن ، حكاه ابن خالويه و هو مجاز إذ اصله فى بنى آدم ، و مادته عند سيبويه و الفراء همزة و نون و سين وحذفت همزته شذوذا و أصله أناس و نطق بهذا الأصل قال تعالى « يوم ندعو كل اناس بامامهم » فمادته و مادة الإنس واحدة ، وذهب الكسائى إلى أن مادته نون و واو و سين و وزنه فعل مشتق من النوس و هو الحركة .

(٢) و فى تفسير النسفى : نصحوهم من وجهين : احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده عن الصواب و جره إلى الفساد ، و ثانيهما تبصيرهم الطريق الأسد من اتباع ذوى الأحلام ، فكان من جوابهم أن سفهوهم لتمادى جهلهم ، و فيه =

و هو[1] مفهم لما صرح به[2] قوله: و ما هم بمؤمنين «قالوا انؤمن» أى ذلك الإيمان «كما امن السفهاء» أى الذين[3] استدرجهم إلى ما دخلوا فيه بعد ترك ما كان عليه آباؤهم خفة نشأت عن ضعف العقل، ثم رد سبحانه قولهم بحصر السفه فيهم فقال «الا انهم هم السفهاء» لا غيرهم[4] لجمودهم / على رأيهم مع أن بطلانه أظهر من الشمس ليس فيه لبس ٥ /٢٨ «و لكن لا يعلمون» أى ليس لهم علم أصلا لا بذلك و لا بغيره، و لايتصور لهم علم لأن جهلهم مركب و هو أسوأ الجهل و العلم، قال الحرالى: ما أخذ بعلامة و أمارة نصبت آية عليه - انتهى. و لما كان الفساد يكفى فى معرفته و السد عنه أدنى تأمل و السفه لا يكفى فى إدراكه و النهى عنه إلا رزانة[5] العلم ختمت كل آية بما يناسب ذلك ١٠ من الشعور و العلم[6] و لما كان العام جزء الخاص قدم عليه.

= تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة - انتهى.

(١) فى ظ: هم.

(٢) زيد فى مد: فى.

(٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الذى - كذا.

(٤) قال النسفى: و انما سفهوهم و هم العقلاء المراجيح لأنهم لجهلهم اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق و أن ما عداه باطل، و من ركب متن الباطل كان سفيها و السفه سخافة العقل و خفة الحلم - اه.

(٥) فى م: رزاية - كذا.

(٦) و فى تفسير النسفى: لا يعلمون أنهم هم السفهاء و إنما ذكر هنا «لا يعلمون» =

و لما بيّن نفاقهم و علته و سيرتهم عند دعاء الداعى إلى الحق بهذه الآيات بين سيرتهم فى أقوالهم فى خداعهم دليلا على إفسادهم بقوله « و اذا لقوا » و اللقاء[1] اجتماع باقبال « الذين آمنوا » أى حقا ظاهرا و باطنا ، و لكن إيمانهم كما قال الحرالى[2] فعل من أفعالهم لم ينته إلى أن يصير صفة لهم ، و أما المؤمنون الذين صار إيمانهم صفة لهم فلا يكادون[3] يلقونهم بمقتضاه ، لأنهم لا يجدون معهم مدخلا فى قول و لا مؤانسة ، لأن اللقاء لا بد فيه من إقبال ما من[4] الملتقيين[5] - انتهى . « قالوا » خداعا « آمنا » معبرين بالجملة الفعلية الماضية التى يكفى[6] فى إفادتها[7] لما سيقت له ادنى الحدوث[8] .

= و فيما تقدم « لا يشعرون » لأنه قد ذكر السفه و هو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له ، ولأن الإيمان يحتاج فيه إلى نظر و استدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة ، أما الفساد فى الأرض فأمر مبنى على العادات فهو كالمحسوس - انتهى .

(١) و فى السراج المنير لمحمد الشربينى الخطيب : اللقاء المصادفة و هى الاجتماع من غير مواعدة ، يقال لقيته ولاقيته إذا صادفته و استقبلته - الخ .

(٢) زيد فى ظ : الى .

(٣) فى ظ : فلا يكادوا .

(٤) كذا ، والظاهر : بين .

(٥) فى الأصل : الملتقين - كذا .

(٦) من مد ، و فى ظ : يلفى - كذا ، و فى م : تكفى ، و فى الأصل : تكفى .

(٧) فى ظ : افادتهم .

(٨) قال البيضاوى : خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية و الشياطين بالجملة الاسمية =

« و اذا خلوا » منتهين « إلى شيطينهم » أى الذين هم رؤوسهم من غير أن يكون معهم مؤمن ، و الشيطان هو الشديد البعد عن محل الخير - قاله الحرالى ، « قالوا انا معكم » [1] معبرين بالاسمية الدالة على الثبات مؤكدين لها دلالة على نشاطهم لهذا الإخبار لمزيد حبهم لما أفاده و دفعا لما قد يتوهم من تبدلهم من رأى نفاقهم للمؤمنين [1] ، ثم استأنفوا فى موضع الجواب ٥ لمن قال : ما بالكم تلينون للمؤمنين قولهم [2] ؟ « انما نحن مستهزؤن » أى طالبون للهُزء [3] ثابتون عليه فيما نظهر من الإيمان و الهزء إظهار الجد و إخفاء الهزل فيه - قاله الحرالى .

فأجيب من كأنه قال : بما ذا جوزوا ؟ بقوله « الله [4] يستهزئ بهم » أى يجازيهم على فعلهم بالاستدراج بأن يظهر لهم من أمره [5] ١٠

= المؤكدة بأن لأنهم قصدوا دعوى إحداث الإيمان و بالثانية تحقيق ثباتهم على ما كانوا عليه ، ولأنه لم يكن لهم باعث من عقيدة و صدق رغبة فيما خاطبوا به المؤمنين ولا توقع رواج ادعاء الكمال فى الإيمان على المؤمنين من المهاجرين و الأنصار بخلاف ما قالوه مع الكفار - انتهى .

(١-١) ليست العبارة فى ظ .

(٢) ليس فى مد .

(٣) فى مد : للهزو ، و فى ظ : للهزاء .

(٤) زيد فى م و مد : أى الملك الاعلى . والعبارة الآتية من هنا إلى « وجهه » ساقطة من م .

(٥) قال أبو البركات محمود النسفى فى تفسيره المسمى بمدارك التنزيل : واستئناف قوله « الله يستهزئ بهم » من غير عطف فى غاية الجزالة و الفخامة ، و فيه ان =

المرذى[1] لهم ما لا يدركون وجهه فهو يجرى عليهم فى الدنيا أحكام أهل الإيمان و يذيقهم فى الدارين أعلى هوان مجددا لهم ذلك بحسب استهزائهم ، و ذلك أنكأ من شىء دائم توطّن النفس عليه ، فلذلك عبر بالفعلية دون الاسمية ، مع أنها تفيد صحة التوبة لمن تاب دون الاسمية .

٥ « و يمدهم » من المد[2] بما يلبس عليهم . و قال الحرالى : من المدد و هو مزيد متصل فى الشىء من جنسه ، « فى طغيانهم »[3] أى تجاوزهم الحد فى الفساد . و قال الحرالى : إفراط اعتدائهم حدود الأشياء و مقاديرها - انتهى . و هذا المد بالإملاء لهم حال كونهم « يعمهون » أى يخبطون خبط الذى لا بصيرة له أصلا . قال الحرالى : من العمه و هو انبهام الأمور

= الله تعالى هو الذى يستهزئ بهم الاستهزاء الأبلغ الذى ليس استهزاؤهم إليه باستهزاء لما ينزل بهم من النكال و الذل و الهوان ، و لما كانت نكايات الله و بلاياه تنزل عليهم ساعة فساعة قيل « الله يستهزئ بهم » و لم يقل : الله مستهزئ بهم .

(١) هكذا فى الأصل و مد ، و فى م و ظ : المردى .

(٢) قال البيضاوى : من مد الجيش و أمده إذا زاده و قواه ، و منه مددت السراج و الأرض اذا استصلحتها بالزيت و الماء ، لا من المد فى العمر فانه يعدى باللام .

(٣) و الطغيان بالضم و الكسر كالقيان و لقيان تجاوز الحد فى العتو و الغلو فى الكفر ، و أصله تجاوز الشىء عن مكانه . . . و العمه فى البصيرة كالعمى فى البصر و هو التحير فى الأمر ، يقال رجل عامه و عمه و ارض عمهاء لا منار بها ، قال : أعمى الهدى بالجاهلين العمه - انتهى .

التى فيها دلالات ينتفع بها عند فقد الحس فلا يبقى له سبب يرجعه عن طغيانه ، فلا يتعدون حدا إلا عمهوا فلم يرجعوا عنه فهم أبدا متزايدو الطغيان - انتهى .

فلما تقرر ذلك كله كانت فذلكته من غير توقف « اولئك » أى الشديدو[1] البعد من الصواب « الذين اشتروا » أى لجوا فى هواهم ٥ فكلفوا أنفسهم ضد[2] ما فطرها الله عليه مع ما نصب من الأدلة حتى أخذوا « الضلالة » أى التى هى أقبح الأشياء « بالهدى »[3] الذى هو خير الأشياء و مدار كل ذى شعور عليه ، فكأنه لوضوح ما قام عليه من الأدلة مع ما ركز منه[4] فى الفطر كان فى أيديهم فباعوه بها ، و سيأتى فى سورة يوسف عليه السلام بيان[4] أن مادة شرى بتراكيبها الاثنى عشر تدور ١٠ على اللجاجة « فما » أى فتسبب عن فعلهم هذا أنه ما « ربحت تجارتهم »[5] مع ادعائهم أنهم[6] أبصر الناس بها « و ما كانوا » فى نفس جبلاتهم « مهتدين »[7] لأنهم مع أنهم لم يربحوا أضاعوا رأس المال ، لأنه لم يبق

(١) فى م : الشديد .

(٢) فى م : عند .

(٣) وفى أنوار التنزيل : المعنى أنهم أخلوا بالهدى الذى جعل الله لهم بالفطرة التى فطر الناس عليها محصلين الضلالة التى ذهبوا إليها ، أو اختاروا الضلالة واستحبوها على الهدى - انتهى .

(٤) ليس فى م .

(٥) قال النسفى : معناه فما ربحوا فى تجارتهم إذا التجارة لا تربح .

(٦) فى ظ : انه .

(٧) « و ما كانوا مهتدين » لطرق التجارة ، والمعنى أن مطلوب التجار سلامة =

فى أيديهم غير الضلال الذى صاحبه فى[1] دون رتبة البهائم مع زعمهم أنه لا مثل لهم فى الهداية .

فلما علم ذلك كله و كانت الأمثال ألصق بالبال و أكشف للأحوال مثل حالهم فى هداهم الذى باعوه بالضلالة بالأمور المحسوسة ، لأن ٥ / للتمثيل بها شأنا عظيما فى إيصال المعانى حتى إلى الأذهان الجامدة و تقريرها فيها بقوله تعالى « مثلهم »[2] أى فى حالهم هذه التى طلبوا أن يعيشوا بها « كمثل الذى استوقد نارا »[3] أى طلب أن توقد له و هى هداه ليسير فى نورها ، و أصلها من نار إذا نفر لتحركها و اضطرابها ، فوقدت و أنارت . ٢٩ /

١٠ « فلما اضاءت » أى[4] النار ، و أفرد الضمير باعتبار لفظ « الذى » فقال

= رأس المال و الربح وهؤلاء قد اضاعوهما فرأس مالهما الهدى و لم يبق لهم إلا الضلالة ، و إذا لم يبق لهم إلا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح و إن ظفروا بالأغراض الدنيوية ، لأن الضال خاسر .

(١) فى ظ : من .

(٢) لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة فى الكشف و تتميما للبيان ، و لضرب الأمثال فى إبراز خفيات المعانى و رفع الأستار عن الحقائق تأثير ظاهر .

(٣) و النار جوهر لطيف مضىء حار محرق ، و اشتقاقها من نار ينور إذا نفر ، لأن فيها حركة و اضطرابا ، و وقود النار سطوعها .

(٤) قال النسفى : الإضاءة فرط الإنارة و مصداقه قوله تعالى « هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نورا » وهى فى الآية متعدية ، و يحتمل أن تكون غير =

« ما حوله » و أراد أن ينتفع بها فى إبصار ما يريد ، و هو كناية عما حصل لهم من الأمنة بما قالوه من كلمة الإسلام من غير اعتقاد « ذهب الله » الذى له كمال العلم و القدرة ، و جمع الضمير نظرا إلى المعنى لئلا يتوهم أن بعضهم انتفع دون بعض بعد أن أفرده تقليلا للنور و إن كان قويا فى أوله لانطفائه فى آخره فقال « بنورهم »[1] أى الذى نشأ من تلك النار باطفائه لها و لا نور لهم سواه؛ و لم يقل : بضوئهم ، لئلا يتوهم أن المذهوب به الزيادة فقط ، لأن الضوء أعظم من مطلق النور « هو الذى جعل الشمس ضياء و القمر نورا[2] » فذهب نورهم و بقيت نارهم ليجتمع عليهم حرّها مع حر الفقد لما ينفعهم من النور ، و عبر[3] بالإضاءة أولا إشارة إلى قوة أولهم و انمحاق آخرهم ، لأن محط حالهم الباطل و الباطل له صولة ثم تضمحل عند من ثبت لها ليتبين[4] الصادق من الكاذب ، و عبر بالذهاب به[5] دون إذهابه ليدل نصا على أنه سبحانه ليس معهم و حقق ذلك[5] بالتعبير عن صيّر بترك[5] فقال « و تركهم فى ظلمت »

= متعدية مسندة إلى ما حوله ، و التأنيث للحمل على المعنى .

(١) و معنى ذهب به استصحبه و مضى به ، و المعنى أخذ الله بنورهم و أمسكه « و ما يمسك فلا مرسل له » فكان أبلغ من الإذهاب ، و النور ضوء النار و ضوء كل منير ، و المراد إزالة النور عنهم رأسا ، ألا ترى كيف ذكر عقيبه « و تركهم فى ظلمت لا يبصرون » .

(٢) سورة ١٠ آية ٥ .

(٣) فى مد : غبر - كذا .

(٤) فى ظ : ليتميز .

(٥) ليس فى م .

أى بالضلالة [١] من قلوبهم و أبصارهم و ليلهم أى ظلمات لا ينفذ [٢] فيها بصر ، فلذا كانت نتيجته «لا يبصرون» [٣] أى لا إبصار لهم أصلا [٤] يبصر و لا بصيرة [٤].

و لما فرغ من المثل كشف المراد بظلماتهم بأنها ما فى آذانهم من الثقل المانع من الانتفاع بالسماع ، و ما فى ألسنتهم من الخرس عن كلام الخير الناشىء عن عدم الإدراك الناشىء عن عمى [٥] البصائر و فساد الضمائر و السرائر ، و ما على أبصارهم من الغشاوة المانعة من الاعتبار و على بصائرهم من الأغطية المنافية للادّكار [٦] فقال [٧] «صم» أى عن السماع النافع «بكم» عن النطق المفيد لأن قلوبهم مختوم عليها فلا ينبعث منها

(١) زيد فى ظ : اى .

(٢) فى الأصل : لا ينفد - كذا بالدال المهملة .

(٣) قال الشربينى الخطيب : لا يبصرون ما حولهم متحيرين عن الطريق خائفين ، فذكر الظلمة التى هى عدم النور و انطماسه بالكلية ، كيف جمع الظلمة وكيف نكرها و كيف اتبعها بما يدل على أنها ظلمة خالصة و هو قوله «لا يبصرون» و ظلماتهم ظلمة الكفر و ظلمة النفاق و ظلمة يوم القيامة «يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم و بايمانهم» .

(٤ - ٤) فى م : و لا بصيرة لهم اصلا و لا بصيرة .

(٥) فى م : علم - كذا .

(٦) فى م : للاذكار ، و الادكار و الاذكار كلاهما بمعنى .

(٧) قال البيضاوى : لما سدوا مسامعهم عن الإصاخة إلى الحق وأبوا أن ينطقوا به ألسنتهم و يتبصروا الآيات بأبصارهم جعلوا كأنما إيفت مشاعرهم و انتفت =

خير تقذفه[1] إلى الألسنة «عمى» فى البصر و البصيرة عن الإبصار المرشد لما تقدم من الختم على مشاعرهم، و لما كان فى مقام إجابة الداعى إلى الإيمان قدم السمع لأنه العمدة فى ذلك، و ثنى بالقول لأنه يمكن الأصم الإفصاح عن المراد، و ختم بالبصر لإمكان الاهتداء به بالإشارة؛ و كذا ما يأتى فى هذه السورة سواء بخلاف ما فى الإسراء، «فهم» أى فتسبب عن ذلك أنهم «لا» و لما كان المراد التعميم فى كل رجوع لم يذكر المرجوع عنه فقال «يرجعون»[2] أى عن طغيانهم و ضلالهم إلى الهدى الذى باعوه و لا إلى حالهم الذى كانوا عليه و لا ينتقلون[3] عن حالهم هذا[4] أصلا، لأنهم كمن هذا حاله، و من هذا حاله لا يقدر على مفارقة موضعه بتقدم و لا تأخر.

= قواهم كقوله:

صم إذا سمعوا خيرا ذكرت به و إن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

و قوله:

أصم عن الشىء الذى لا أريده و أسمع خلق الله حين أريد

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تقدفه - كذا بالدال المهملة.

(٢) لا يعودون إلى الهدى الذى باعوه و ضيّعوه أو عن الضلالة التى اشتروها، أو فهم يتحيرون لا يدرون أ يتقدمون أو يتأخرون و إلى حيث ابتدأوا منه كيف يرجعون و الفاء للدلالة على أن اتصافهم بالأحكام السابقة سبب لتحيرهم و احتباسهم - انتهى.

(٣) من م و مد و ظ، و وقع فى الأصل: ينتقون - كذا.

(٤) ليس فى ظ.

« او » مثلهم فى سماع القرآن الذى فيه المتشابه و الوعيد و الوعد « كصيب » أى أصحاب صيب أى مطر عظيم ، و قال الحرالى: سحاب مطر دارٍّ ثم اتبعه تحقيقا لأن المراد الحقيقة قوله « من السماء » و هو كما قال الحرالى ما علا فوق الرأس ، يعنى هذا أصله[1] و المراد هنا معروف ، و مثل القرآن [2]بهذا لمواترة[2] نزوله و علوه و إحيائه القلوب كما أن الصيب يحيي الأرض، ثم أخبر عن حاله بقوله « فيه ظلمت » أى لكثافة السحاب و اسوداده « و رعد » أى صوت مرعب يرعد عند سماعه[3] « و برق » أى نور مبهت للمعانه و سرعته - قاله الحرالى ، و الظلمت مثل ما لم يفهموه ، و الرعد ما ينادى عليهم بالفضيحة و التهديد و البرق ما يلوح لهم معناه و يداخلهم رأى فى استحسانه .

(١) قال الشربينى الخطيب : و السماء كل ما علاك و أظلك ، و هى من أسماء الأجناس فيكون واحدا و جمعا . و قال البيضاوى : و الصيب فيعل من الصوب وهو النزول و يقال للمطر و السحاب ، قال الشماخ : و اسحم وان صادق الوعد صيب، و فى الآية يحتملهما . و تنكيره لأنه أريد به نوع من المطر الشديد ، و تعريف السماء للدلالة على أن الغمام مطبق آخذ بآفاق السماء كلها فان كل أفق منها سماء كما أن كل طبقة منها سماء ، قال : و من بعد أرض بيننا و سماء .

(٢-٢) فى ظ : بهذه المُواتره - كذا .

(٣) و الرعد صوت يسمع من السحاب ، و المشهور أن سببه اضطراب أجرام السحاب واصطكاكها إذا حدتها الريح من الارتعاد ، و البرق ما يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا و كلاهما مصدر فى الأصل و لذلك لم يجمعا - انتهى .

و لما تم مثل القرآن استأنف[1] الخبر عن حال الممثل لهم [2]و الممثل بهم[2] حقيقة [2]و مجازا[2] فقال « يجعلون اصابعهم » [3]أى بعضها و لو قدروا لحشوا الكل لشدة خوفهم[3] « فى [3]اذانهم من الصواعق » أى من أجل قوتها . لأن هولها يكاد / أن يصم ، و قال الحرالى : جمع[4] صاعقة[5] و هو الصوت الذى يميت[6] سامعه أو يكاد ، ثم علل هذا بقوله « حذر الموت و الله » أى و الحال أن المحيط بكل شىء قدرة و علما « محيط بالكفرين »[7] فلا يغنيهم من قدره حذر[8] ، و أظهر موضع الإضمار لإعراضهم عن القرآن و سترهم لأنواره . / ٣٠

ثم استأنف[9] الحديث عن بقية حالهم فقال « يكاد البرق » أى من

(١) قال البيضاوى : و الجملة استيناف فكأنه لما ذكر ما يؤذن بالشدة و الهول قيل : فكيف حالهم مع مثل ذلك ؟ فأجيب بها ، و إنما أطلق الأصابع دون الأنامل للمبالغة .

(٢-٢) ليس فى مد .

(٣-٣) ليست العبارة فى ظ ، و لفظ « لحشوا » ليس فى مد أيضا .

(٤) فى ظ : لجمع .

(٥) و الصاعقة قصفة رعد هائل معها نار لا تمر على شىء إلا أتت عليه الصعق و هو شدة الصوت ، و قد يطلق على كل هائل مسموع أو مشاهد ، و يقال صعقته الصاعقة إذا أهلكته بالإحراق أو شدة الصوت - انتهى .

(٦) فى مد : تميت ، و فى م : يبهت .

(٧) زيد فى م : اى .

(٨) « و الله محيط بالكفرين » لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع و الحيل .

(٩) استئناف ثان كأنه جواب لمن يقول : ما حالهم مع تلك الصواعق ؟ و الخطف =

قوة لمعه و شعاعه و شدة حركته و إسراعه « يخطف ابصارهم » فهم يغضونها عند لمعه و خفضه فى ترائبه و رفعه ، و لما كان من المعلوم أن البرق ينقضى لمعانه بسرعة كان كأنه قيل : ما[1] ذا يصنعون عند ذلك ؟ فقال[2] « كلما »[3] و عبر بها دون إذا[4] دلالة على شدة حرصهم على إيجاد المشى[5] عند الإضاءة « اضاء لهم مشوا فيه » مبادرين إلى ذلك حراصا عليه لا يفترون عنه فى وقت من أوقات[6] الإضاءة مع أنهم يغضون أبصارهم و لا يمدونها غاية المد خوفا عليهم و وقوفا مع الأسباب و وثوقا بها و اعتمادا عليها و غفلة عن رب الأرباب ، و هو مثل لما وجدوا من القرآن موافقا لآرائهم ، و عطف باذا لتحقق خفوته بعد خفوقه قوله « و اذا اظلم عليهم قاموا » أى أول حين الإظلام لا يقدرون على التقدم خطوة واحدة إشارة إلى أنه ليست لهم[7] بصائر يسيرون بها فيما كشف البرق لأبصارهم من الأرض قبل الإظلام

= الأخذ بسرعة و قرئ يخطف بكسر الطاء و يخطف على انه يختطف و يخّطف بكسر الخاء .

(١) فى م : فما .

(٢) قال البيضاوى : استيناف ثالث ، كأنه قيل : ما يفعلون فى تارتى خفوق البرق و خفيته ؟ فأجيب بذلك . و أضاء إما متعد و المفعول محذوف بمعنى كلما نوّر لهم ممشى أخذوه ، أو لازم بمعنى كلما لمع لهم مشوا فى مطرح نوره .

(٣) العبارة من هنا إلى « الإضاءة » ليست فى ظ .

(٤) و إنما قال مع الإضاءة « كلما » ومع الإظلام « اذا » لأنهم حراص على المشى و كلما صادفوا منه فرصة انتهزوها و لا كذلك التوقف .

(٥) فى م : الشى .

(٦) من مد و م و ظ ، و فى الأصل : الاوقات .

(٧) زيد فى ظ : فيها .

بل[1] حال انقطاع اللعان يقفون لعمى بصائرهم و وحشتهم و جبنهم و غربتهم و شدة جزعهم و حيرتهم ، و هكذا حال هؤلاء لا يقيسون ما أشكل عليهم من القرآن على ما فهموه .

« و لو شاء الله » الذى له العظمة الباهرة مع شدة حرصهم و تناهى جزعهم ، و دل على مفعول شاء بقوله « لذهب بسمعهم » أى بقاصف الرعد ٥ و لم يغنهم سدّ آذانهم « و ابصارهم » بخاطف البرق و لم يمنعه غضهم لها ، ثم علل ذلك بقوله « ان الله » أى الذى له جميع صفات الكمال « على كل شىء » أى مشىء أى يصح أن تقع عليه المشيئة هذا المراد و إن كان الشىء كما قال سيبويه يقع على كل ما أخبر عنه ، و هو أعم العام كما أن الله أخص الخاص ، يجرى على الجسم و العرض و القديم و المعدوم و المحال ، ١٠

(١) قال البيضاوى بعد بيان التمثيل مع قسميه المفرد و المؤلف : قيل شبه الإيمان و القرآن وما أوتى الإنسان من المعادن التى هى سبب الحياة الأبدية بالصيب الذى به حياة الأرض ، و ما ارتبكت بها من الشبه المبطلة واعترضت دونها من الاعتراضات المشكلة بالظلمات ، و ما فيها من الوعد و الوعيد بالرعد ، و ما فيها من الآيات الباهرة بالبرق ، و تصامهم عما يسمعون من الوعيد بحال من يهوله الرعد فيخاف صواعقه فيسد أذنه عنها مع أنه لا خلاص لهم منها ، وهو معنى قوله تعالى « و الله محيط » و اهتزازهم لما يلمع لهم من رشد يدركونه أو رفد يطمح إليه أبصارهم بمشيهم فى مطرح ضوء البرق كلما أضاء لهم و تحيرهم و توقفهم فى الأمر حين تعرض لهم شبهة أو تعنّ لهم مصيبة بتوقفهم إذا أظلم عليهم ، ونبه بقوله تعالى « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم » على أنه تعالى جعل لهم السمع والأبصار ليتوسلوا بها على الهدى والفلاح ثم إنهم إلى الحظوظ العاجلة وسدوها عن الفوائد الآجلة و لو شاء الله لجعلهم بالحالة التى يجعلونها فانه على ما يشاء قدير ـ انتهى .

و قول الأشاعرة: إن المعدوم ليس بشيء[1]، بمعنى أنه ليس بثابت فى الأعيان [2]متميز فيها[2] «قدير» إعلاما بأن قدرته لا تتقيد بالأسباب، [2]قال الحرالى: القدرة إظهار الشيء من غير سبب ظاهر - انتهى[2].

و لعله سبحانه قدم المثل الأول لأنه كالجزء من الثانى، أو لأنه مثل المنافقين، جعلت مدة[3] صباهم بنموهم و ازدياد عقولهم استيقادا[4] مع جعل الله إياهم على الفطرة القويمة و زمان بلوغهم بتمام العقل الغريزى إضاءة؛ و الثانى مثل المنافقين و هو أبلغ. لأن الضلال فيه أشنع و أفظع. فالصيب القرآن الذى انقادوا له ظاهرا، و الظلمات متشابهه[5]، و الصواعق

(١) و فى تفسير المظهرى: و الشيء مصدر شاء يطلق بمعنى الفاعل أى الشائى فيتناول البارى تعالى، قال الله تعالى «قل اى شيء اكبر شهادة قل الله»، وبمعنى المفعول أى المشيء وجوده وهو الممكن، و منه قوله تعالى «خالق كل شيء» فهو على عمومه .... وقال الشربينى الخطيب: والشيء يختص بالموجود فلا يطلق على المعدوم؛ و القدرة هو التمكن من إيجاد الشيء، و القادر هو الذى إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل، و القدير الفعال لما يشاء، و لذلك قلما يوصف به غير البارى تعالى: و اشتقاق القدير من القدرة، لأن القادر يوقع الفعل على مقدار قوته أو على مقدار ما تقتضيه مشيئته، و فى ذلك دليل على أن الحادث حال حدوثه والممكن حال بقائه مقدوران، وأن مقدور العبد مقدور الله تعالى - انتهى.

(٢ - ٢) ليس فى مد.

(٣) زيد فى م: اصابتهم.

(٤) من ظ، وفى الأصل: استيقاذا - كذا بالذال المعجمة، و فى م ومد: استقادا.

(٥) من م ومد و ظ. و فى الأصل: متشابهة - كذا.

وعيده

وعيده، و البرق وعده، كلما أنذروا بوعيد انقطعت قلوبهم خوفا «يحسبون كل صيحة عليهم[١]» و كلما بشروا انقادوا رجاء، و إذا عرض المتشابه وقفوا تحيرا و جفاء و كل ذلك وقوفا مع الدنيا و انقطاعا إليها، لا نفوذ[٢] لهم إلى ما وراءها أصلا، بل هم كالأنعام، لا نظر لهم إلى ما[٣] سوى الجزئيات و الأمور المشاهدات، «فان كان[٤] لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم[٥]» «يٰليتنى كنت معهم فافوز فوزا عظيما[٦]» و الكلام[٧] الجامع النافع فى ذلك أن يقال إنه سبحانه شبّه فى الأول مثلهم بمثل المستوقَد لا بالمستوقِد، و[٣] فى الثانى شبه مثلهم فى خوفهم اللازم و رجائهم المنقطع[٨] بأصحاب

(١) سورة ٦٣ آية ٤ .

(٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا نفود ـ كذا بالدال المهملة .

(٣) ليس فى م و مد .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) سورة ٤ آية ١٤١ .

(٦) سورة ٤ آية ٧٣ .

(٧) قال أبو حيان فى التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط ج ١ ص ٧٦ ما نصه: المعنى تشبيه المثل بالمثل لا بمثل المثل، و المثل هنا بمعنى القصة و الشأن، فشبه شأنهم و وصفهم بوصف المستوقد نارا، فعلى هذا لا تكون الكاف زائدة؛ و فى جهة المماثلة بينهم و بين الذى استوقد نارا وجوه ذكروها ـ و ليطلب ما ذكر من التفصيل فيه .

(٨) من مد، و فى الأصل و م: المتقطع، و فى ظ: المقطع ـ كذا .

الصيب لا بمثلهم[1] ؛ فتقدير الأول مثلهم فى أنهم سمعوا أولا الدعاء و رأوا الآيات فأجابوا الداعى إما بالفعل كالمنافقين و إما بالقوة فى أيام الصبا[2] لما عندهم من سلامة الفطر و صحة النظر ، ثم تلذذوا فرجعوا بقلوبهم من نور ما قالوه بألسنتهم من كلمة التقوى نطقا أو تقديرا إلى ظلمات الكفر ،

٥ فلم ينفعهم سمع و لا بصر و لا عقل[3] ، فصاروا مثل البهائم التى لا تطيع الراعى إلا بالزجر البليغ ، مثلهم فى هذا يشبه مثل المستوقد فى أنه لما أضاءت ناره رأى ما حوله ، فلما ذهبت لم يقدر على تقدم و لا تأخر ، لأنه لا ينفع فى ذلك سمع و لا كلام فاذن[4] استوى وجودهما و عدمها ،

(١) فى م : مثلهم .

(٢) من م ، و فى الأصل و مد و ظ : الصبى .

(٣) قال أبو حيان فى البحر المحيط : و قيل وصفهم الله بذلك لأنهم كانوا يتعاطون التصامم و التباكم و التعامى من غير أن يكونوا متصفين بشىء من ذلك فنبه على سوء اعتمادهم و فساد اعتقادهم ، و العرب إذا سمعت ما لا تحب أو رأت ما لا يعجب طرحوا ذلك كأنهم ما سمعوه و لا رأوه ، قال تعالى « كان لم يسمعها كان فى اذنيه وقرا و قالوا قلوبنا فى اكنة » الآية ، قيل و يجوز أن يكون أريد بذلك المبالغة فى ذمهم و أنهم من الجهل و البلادة أسوأ حالا من البهائم و أشبه حالا من الجمادات التى لا تسمع و لا تتكلم و لا تبصر ، فمن عدم هذه المدارك الثلاثة كان من الذم فى الرتبة القصوى ، و لذلك لما أراد إبراهيم على نبينا و عليه السلام المبالغة فى ذم آلهة أبيه قال « يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا » ـ انتهى .

(٤) فى م : فاذا .

فصار عادما للثلاثة ، فكان من هذه الجهة[1] مساويا / للأصم الأبكم الأعمى ، ٣١/
فهو مثله لكونه لا يقدر على مراده إلا أن قاده قائد حسى ، فهو حينئذ[2]
مثل البهائم التى لا تقاد[3] للمراد إلا بقائد ، فاستوى المثلان و سيتضح
ذلك عند قوله تعالى « كمثل الذى ينعق[4] » و لذلك كانت النتيجة فى كل
منهما صم[5] - إلى آخره و « او » بمعنى الواو ، و لعله عبر بها دونها لأنه[6] وإن ٥
كان كل من[7] المثلين صالحا لكل من القسمين فان احتمال التفصيل غير
بعيد ، لأن[8] الأول أظهر فى الأول[9] و الثانى فى الثانى[10] .

---

(١) فى ظ : الحيثية .
(٢) فى ظ : ح .
(٣) فى ظ : لا يقاد .
(٤) فى م : ينفق - كذا . سورة ٢ آية ١٧١ .
(٥) فى ظ : ضم - كذا .
(٦) فى مد : لانها .
(٧) زيد فى م : فى .
(٨) فى ظ : فان .
(٩) فى م : الثانى - كذا .
(١٠) قال أبو حيان فى البحر المحيط : و إنما المعنى الظاهر فيها كونها للتفصيل ، و هذا التمثيل الثانى أتى كاشفا لحالهم بعد كشف الأول ، و إنما قصد بذلك التفصيل والإسهاب بحال المنافق ، و شبهه فى التمثيل الأول بمستوقد النار و إظهار الإيمان بالإضاءة و انقطاع جدواه بذهاب النور ؛ و شبه فى الثانى دين الإسلام بالصيب ، و ما فيه من الوعد و الوعيد بالرعد و البرق ، و ما يصيبهم من الأفزاع و الفتن من جهة المسلمين بالصواعق ؛ و كلا التمثيلين من التمثيلات المتفرقة كما =

و جعل الحر الى المثلين للمنافقين فقال : ضرب لهم مثلين لما كان لهم حالان و للقرآن عليهم تنزلان ، منه ما يرغبون فيه لما فيه من مصلحة دنياهم ، فضرب لهم المثل الأول ، و قدمه لأنه سبب دخولهم مع الذين آمنوا [1]لما رأوا من[1] معاجلة عقاب الذين كفروا فى الدنيا ؛ و منه ما يرهبونه و لا يستطيعون سماعه لما يتضمنه من أمور شاقة عليهم لا يحملها إلا مؤمن حقا و لا يتحملها إلا من أمن ، و لما يلزم منه من[2] فضيحة خداعهم فضرب له المثل الثانى ؛ فلن يخرج حالهم عند نزول نجوم القرآن عن مقتضى هذين المثلين - انتهى . و ضرب الأمثال المنهى إلى الحمد[3] المنتهى إلى الإحاطة بكل حد لا سيما فى أصول الدين الكاشف لحقيقة التوحيد الموصل إلى اليقين فى الإيمان بالغيب المحقق لما لله تعالى[4] من صفات الكمال الدافع للشكوك الحافظ فى طريق السلوك مما[5] اختص به القرآن من حيث كان منهيا إلى الحمد و مفصحا به[6] فكان حرف[7] الحمد ، و ذلك أنه حرف عام[8] محيط شامل

= شرحناه . و الأحسن أن يكون من التمثيلات المركبة دون المفردة فلا تتكلف مقابلة شىء بشىء .

(١-١) فى م : لمال اورا من - كذا .

(٢) ليس فى م .

(٣) فى م فقط : الحد - كذا .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) فى م : بما .

(٦) فى ظ : مفضحا .

(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حروف - كذا .

(٨) فى ظ : تمام تمام .

لجميع

لجميع الأمور كافل بكل الشرائع فى سائر الأزمان ؛ فكان أحق الرسل به من كانت رسالته عامة لجميع الخلق و كتابه شاملا لجميع الأمر و هو أحمد و محمد صلى الله عليه و سلم .

قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتابه « عروة المفتاح »: هذا الحرف لإحاطته أنزل وترا و سائر الحروف أشفاع لاختصاصها ، و وجه ٥ انزاله تفهيم ما غمض[1] من المغيبات بضرب مثل من المشهودات ، و لما كان للأمر تنزلات و للخلق تطورات كان الأظهر منها مثلا لما هو دونه فى الظهور ، و كلما ظهر ممثول صار مثلا[2] لما هو أخفى منه ، فكان لذلك أمثالا عددا منها مثل ليس بممثول لظهوره و ممثولات تصير أمثالا لما هو أخفى منها إلى أن تنتهى الأمثال إلى غاية محسوس أو معلوم ، فتكون ١٠ تلك الغاية مثلا أعلى كالسماوات و الأرض فيما يحس و العرش و الكرسى[3] فيما يعلم « و له المثل الأعلى فى السمٰوٰت و الارض[4] » « الذين يحملون

(١) بهامش ظ : بفتح الميم وضمها . و بهامش الأصل : و فى القاموس : الغامض المطمئن من الأرض ، جمع غوامض ، كالغمض جمع غموض وأغماض ، و قد غمض المكان غموضا ككرم غموضة ؛ والخامل الذليل و الحسب الغير المعروف والغاص من الخلاخل فى الساق و غمض عنه يغمض تساهل كأغمض و دار غامضة غير شارعة و ما اكتحلت غماضا و يكسر و غمضا بالضم و تغماضا بالفتح ما نمت ـ إلى أن قال : و غمض على هذا الأمر مضى و هو يعلم ما فيه ، والكلام أبهمه ـ اه .

(٢) فى م : ممثلا .

(٣) ليس فى م .

(٤) سورة ٣٠ آية ٢٧ .

العرش و من حوله يسبحون بحمد ربهم[1] ، وذلك المثل الأعلى لإحاطته اسمه الحمد « و له الحمد فى السمٰوٰت و الارض[2] » و أحمده أنهاه و أدناه إلى الله تعالى بحيث لا يكون بينه و بين الله تعالى واسطة ، فلذلك ما استحق أكمل الخلق و أجمعه و أكمل الأمر و أجمعه الاختصاص بالحمد ، فكان ٥ أكمل الأمور سورة الحمد و كان اكمل الخلق صورة محمد صلى الله عليه و سلم ، كان خُلقه القرآن « و لقد اٰتينٰك سبعا من المثانى و القرٰان العظيم[3] » و دون المثل الأعلى الجامع الأمثال العلية المفصلة منه « ضرب لكم مثلا من انفسكم[4] » و لإحاطة أمر الله و كماله فى كل شىء يصح أن يضربه مثلا « ان الله لا يستحى ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها[5] » ١٠ « مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا[6] » و للمثل حكم من ممثوله ، إن كان حسنا حُسِنَ مثله ، وإن كان سيئا ساء مثله ؛ و لما كان أعلى الأمثال الحمد كان أول الفاتحة الحمد ، و لما كان أخفى أمر الخلق النفاق كان أول مثل فى الترتيب مثل النفاق ، و هو أدنى مثل لما خفى من أمر الخلق ، كما أن الحمد أعلى مثل لما غاب من أمر الحق ؛

(١) سورة ٤٠ آية ٧ .

(٢) سورة ٣٠ آية ١٨ .

(٣) سورة ١٥ آية ٨٧ .

(٤) سورة ٣٠ آية ٢٨ .

(٥) سورة ٢ آية ٢٦ .

(٦) سورة ٢٩ آية ٤١ .

و بين الحدين أمثال حسنة و سيئة « مثل الجنة التى وعد المتقون [١] » الآيتين ، « مثل الذين حملوا التورىٰة ثم لم يحملوها [٢] » « فمثله كمثل الكلب [٣] » الآيتين ، و بقدر علو المثل أو دنوه أو توسطه يتزايد للمؤمن الإيمان و للعالم العلم و للفاهم الفهم ، و بضد ذلك لمن اتصف بأضداد تلك الأوصاف ، « فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم و اما الذين كفروا فيقولون ما ذا اراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا » و معرفة أمثال القرآن المعرفة إحاطة بمثولاتها و علم آياته / المعلمة اختصاص معلوماتها هو حظ العقل و اللب و حرفه من القرآن ، و لكل حرف اختصاص بحظ من تدرّك [٤] الإنسان و أعمال القلوب و الأنفس و الأبدان ، فمن يسر [٥] له القراءة و العمل بحرف منه اكتفى ، و من جمع له قراءة جميع أحرفه علما و عملا فقد أتم و وفّى ، و بذلك يكون القارئ من القراء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه و سلم : إنهم أعز من الكبريت الأحمر ، « يختص برحمته من يشاء و الله ذو الفضل العظيم [٦] » .

/٣٢

ثم قال فيما به يحصل [٧] قراءة هذا الحرف : اعلم أن قراءة الأحرف

(١) سورة ١٣ آية ٣٥ .

(٢) سورة ٦٢ آية ٥ .

(٣) سورة ٧ آية ١٧٦ .

(٤) بهامش ظ : اى ادرك .

(٥) زيد فى م : الله .

(٦) سورة ٣ آية ٧٤ .

(٧) فى م و مد : تحصل .

الستة تماما وفاء بتفصيل العبادة، لأنها أشفاع ثلاثة للتخلص و التخلى و ثلاثة للعمل و التحلى، لأن ترك الحرام طهرة البدن و ترك النهى طهرة النفس و ترك التعرض للتشابه طهرة القلب، و لأن تناول الحلال زكاء البدن و طاعة الأمر زكاء النفس و تحقق العبودية بمقتضى حرف المحكم نور القلب؛ و أما قراءة حرف الأمثال فهو وفاء العبادة بالقلب جمعا و دواما « و له الدين واصبا[1] » و « الذين هم على صلاتهم دائمون[2] » فالذى يحصل قراءة هذا الحرف إنما هو خاص بالقلب، لأن أعمال الجوارح و أحوال النفس قد استوفتها الأحرف الستة التفصيلية، و الذى يخص القلب بقراءة هذا الحرف هو المعرفة التامة المحيطة بأن كل الخلق دقيقة و جليلة خلق الله وحده لا شريك له فى شىء منه، و أنه جميعه مثل لكلية أمر الله القائم بكلية ذلك الخلق، و ان كلية ذلك الأمر الذى هو ممثول لمثل الخلق هو مثل لله تعالى « و له المثل الاعلى » وأن تفاصيل[3] ذلك الخلق المحيطات أمثل لقيامها من تفاصيل ذلك الأمر المحيطات بها، وأن تفاصيل الأمر المحيطات أمثال لأسماء الله تعالى الحسنى بما هى محيطة؛ و[4] لجمع هذا الحرف لم يصح إنزاله إلا على الخلق الجامع الآدمى الذى هو صفوة الله و فطرته، و على سيد الآدميين محمد خاتم النبيين و هو خاصته و خاصة آله، و عنه

(١) سورة ١٦ آية ٥٢ .

(٢) سورة ٧٠ آية ٢٣ .

(٣) فى ظ : تفصيل .

(٤) ليس فى ظ .

كمل الدين بالإحسان ، و صفا العلم بالإيقان ، و شوهد فى الوقت الحاضر ، ما بين حدى الأزل الماضى و الأبد الغابر ، و عن تمام اليقين و الإحسان ٥ تحقق الفناء لكل فان ، و بقى وجه رب محمد ذى الجلال و الإكرام ، وكان هذا الحرف بما اسمه الحمد هو[1] لكل شى بداء[2] و ختام - انتهى[3] .

و لما ثبت بهذا البيان عما للكافرين بقسميهم من الشقاوة مع تمام القدرة شمول[4] العلم المستلزمان للوحدانية أنتج قطعا إفراده بالعبادة الموجبة

(١) ليس فى ظ .

(٢) من ظ ، و فى الأصل و مد : بدء ، و فى م : بدؤ .

(٣) و فى البحر المحيط لأبى حيان : و قد تقدم لنا بعض كلام على تناسق الآى التى تقدم الكلام عليها و نحن نلخص ذلك هنا فنقول : افتتح تعالى هذه السورة بوصف كلامه المبين ، ثم بين أنه هدى لمؤمنى هذه الأمة و مدحهم ، ثم مدح من ساجلهم فى الإيمان تلاهم من مؤمنى أهل الكتاب و ذكر ما هم عليه من الهدى فى الحال و من الظفر فى المآل ثم تلاهم بذكر أضدادهم المختوم على قلوبهم و أسماعهم المغطى أبصارهم اليؤس من إيمانهم و ذكر ما أعد لهم من العذاب العظيم ثم اتسع هؤلاء بأحوال المنافقين المخادعين المستهزئين و أخر ذكرهم و إن كانوا أسوأ أحوالا من المشركين لأنهم اتصفوا فى الظاهر بصفات المؤمنين و فى الباطن بصفات الكافرين ؛ فقدم الله ذكر المؤمنين ، و ثنى بذكر أهل الشقاء الكافرين ، و ثلث بذكر المنافقين الملحدين ، و أمعن فى ذكر مخازيهم فأنزل فيهم ثلاث عشرة آية ، كل ذلك تقبيح لأحوالهم و تنبيه على مخازى أعمالهم ، ثم لم يكتف بذكر ذلك حتى أبرز أحوالهم فى صورة الأمثال ، فكان ذلك أدعى للتنفير عما اجترحوه من قبيح الأفعال ؛ فانظر إلى حسن هذا السياق الذى توقل فى ذروة الإحسان وتمكن فى براعة أقسام البديع وبلاغة معانى البيان - انتهى . (٤) فى ظ : لشمول .

للسعادة المضمنة لإياك نعبد ، فوصل بذلك قوله مقبلا عليهم بعد الإعراض عنهم عند التقسيم إيذانا بأنهم صاروا بما تقدم من ضرب الأمثال وغيرها من[٢] حيز المتأهل للخطاب من غير واسطة تنشيطا لهم في عبادته وترغيبا وتحريكا إلى رفع أنفسهم باقبال الملك الأعظم عن الخضوع لمن هو[٣] دونه بل دونهم وبشارة لمن أقبل عليه بعد أن كان معرضا عنه بدوام الترقية ، فيزال ما أشار إليه حرف النداء[٤] والتعبير عن المنادى[٤] من بقية البعد بالسهو والغفلة والإعراض بالتقصير في العبادة والاضطراب والذبذبة « يا أيها الناس » .

قال الحرالي في تفسيره : « يا » تنبيه من يكون بمسمع[٥] من المنبه ليقبل على الخطاب ، وهو تنبيه في ذات نفس المخاطب ويفهم توسط البعد بين أيَا الممدودة وأي[٦] المقصورة ، « أيّ »[٧] اسم مبهم ، مدلوله

(١) ليس في ظ .

(٢) كذا ، والظاهر : في .

(٣) ليس في مد .

(٤ - ٤) ليست في م .

(٥) وفي م : يسمع .

(٦) قال أبو حيان : « يا » حرف نداء ، وزعم بعضهم أنها اسم فعل معناه أنادي ، وعلى كثرة وقوع النداء في القرآن لم يقع نداء إلا بها ، وهي أعم حروف النداء إذ ينادى بها القريب والبعيد والمستغاث والمندوب ، وأمالها بعضهم ، وقد تنجرد للتنبيه قبلها المبتدأ والأمر والتمني والتعليل ، والأصح أن لا ينوى بعدها منادى ، أي استفهام وشرط وصفة وصلة لنداء ما فيه الألف واللام . . . . =

اختصاص ما وقع عليه من مقتضى اسم شامل ، « ها » كلمة مدلولها تنبيه على أمر يستفيده المنبه - انتهى . [1] وأكد سبحانه الكلام بالإبهام والتنبيه والتوضيح بتعيين[2] المقصود بالنداء تنبيها على أن ما يأتى بعده أمور مهمة يحق لها تشمير الذيول والقيام على ساق الجد .

وقال الحرالى : اعلم أنه كما اشتمل على القرآن كله فاتحة الكتاب ٥ فكذلك أيضا جعل لكل سورة ترجمة جامعة تحتوى على جميع مثانى آيها ، وخاتمة تلتئم وتنتظم بترجمتها ، ولذلك تترجم السورة عدة سور ، وسيقع التنبيه على ذلك فى موضعه إن شاء الله تعالى . واعلم مع ذلك أن كل[3] نبى[4] منبأ[5] - يقرأ بالهمز - من النبأ وهو الخبر ، فانه شرع فى دعوته وهو غير عالم بطية أمره وخبر / قومه ، وأن الله عز وجل جعل نبيه محمدا ١٠ /٣٣

= « ها » حرف تنبيه ، أكثر استعمالها مع ضمير رفع منفصل ..... ووجه مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذكر المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وصفاتهم وأحوالهم ومايؤل إليه حال كل منهم انتقل من الإخبار عنهم إلى خطاب النداء ، وهو التفات تنبيه بقوله « اياك نعبد » بعد قوله « الحمد لله » وهذا من أساليب الفصاحة فانهم يخصون ثم يعمون . (٦) زيد فى م : المقصورة .

(١) ليست العبارة من هنا إلى « الجد » فى ظ .

(٢) فى مد : بتعبير ، وفى م : التعبير .

(٣) وفى ظ : لكل .

(٤) زيد فى مد : و .

(٥) من م ومد ، وفى الأصل وظ : منباء .

صلى الله عليه و سلم نبيا منبَيًا[1] من النبوة - يقرأ بغير همز . و معناه رفعة القدر و العلو ، فما أعلاه الله به أن قدم له بين يدى دعوته علم طيّة[2] أمره و مكنون علمه تعالى فى سر التقدير الذى لم يزل خبأ فى كل كتاب ، فأعلمه بأنه[3] تعالى جبل[4] المدعوين الذين هم بصفة النوس مترددين بين الاستغراق فى أحوال أنفسهم و بين مرجع إلى ذكر ربهم على ثلاثة أضرب : منهم من فُطِر على الإيمان و لم يطبع عليه أى على قلبه فهو مجيب و لا بد ، و منهم من طبع على الكفر فهو آب و لا بد ، و منهم من ردد بين طرفى الإيمان ظاهرا و الكفر باطنا ، و إن كلا ميسر لما خلق له ؛ فكان بذلك انشراح صدره فى حال دعوته و زال به ضيق صدره الذى شارك به[5] الأنبياء - بالهمز ، ثم علا بعد ذلك إلى مستحق رتبته العلية ، فكان أول ما افتتح له كتابه أن عرفه معنى ما تضمنته « الٓمٓ » ثم فصل من ذلك ثلاثة أحوال المدعوين بهذا الكتاب ، و حينئذ[6] شرع فى تلقينه الدعوة العامة[7] للناس ، فافتتح بعد ذلك[8] الدعوة و النداء و الدعوة[8]

(١) فى الأصول : منبى - كذا .

(٢) فى ظ : بطيه .

(٣) ليس فى مد .

(٤) فى ظ : جيل - كذا .

(٥) فى م : فيه .

(٦) فى ظ : ح .

(٧) قال المهائمى : ثم اشار بأن هذا التمثيل لا يفيد علما فلا يعارض الدليل القاطع على وجوب عبادة الله بالإسلام له و الانقياد لأحكامه فقال « يايها الناس » =

إلى

[1]إلى العبادة يعنى بهذه الآية، و تولى الله سبحانه دعوة الخلق فى هذه[1] الدعوة العامة التى هى جامعة لكل دعوة فى القرآن.

و لما ضمن صدرها من الوعيد[2] فى حق رسوله[3] فلم يجر خطاب ذلك على لسانه، و لما فيها من السطوة و خطاب الملك و الجزاء و محمد صلى الله عليه و سلم رسول رحمة للعالمين فلم ينبغ[4] إجراؤها على لسانه لذلك، ٥ و غيره من الرسل فعامة دعوة من خص الله سبحانه خبر دعوته فهى مجراة على ألسنتهم و لذلك كثرت مقاواة قومهم و مدعويهم[5] لهم، و لما أجرى الحق تعالى هذه الدعوة من قبله كان فيها بشرى بالغلبة و إظهار

= أى يامن نسى الأصل الذى يتمسك به فى مثل هذه المواضع فتمسك بهذا التمثيل الضعيف «اعبدوا ربكم» فان مقتضى حقيقة الرب أن يكون معبودا و حقيقة العبد أن يكون عابدا سيما إذا أنعم عليه بأجل النعم و هو الإيجاد و ما يتوقف عليه إذ هو «الذى خلقكم و الذين من قبلكم» من مقدمات وجودكم، فهذا الخلق يقتضى اجل وجوه الشكر و هو العبادة «لعلكم تتقون» سخطه بتركم مقتضى ربوبيته وعبوديتكم و إهمالكم شكر أجل نعمه، ثم التمثيل مقلوب عليكم على أبلغ الوجوه و هو أن ما جعلتموه مشبها به للهرب عن الإسلام أولى بأن يكون من أسبابه باعتبار ذاته و مبدإه و منتهاه و ما يحصل منه إذ هو «الذى جعل لكم الارض فراشا». (٨ - ٨) ليس فى مد.

(١ - ١) ليست فى مد.

(٢) زيد بعده فى هامش الأصل: أى بسبب حق رسوله.

(٣) زيد فى مد: صلى الله عليه و سلم.

(٤) فى م: فلم يتبع.

(٥) فى م: مدعوهم.

دينه ، لأن الله سبحانه [١]و تعالى[١] لا يقاويه خلقه[٢] ، و لما انتهى إلى البشرى التى هى رحمة أجرى الكلام على مخاطبته عليه السلام بقوله : « و بشر » ، و مع إجراء دعوة المرسلين على ألسنتهم علقت باسم الله بلفظ « ان اعبدوا الله[٣] » و نحوه فعزّ على أكثر النفوس الإجابة لفوات[٤] اسم الله عن إدراك العقول ، و مع تولى الله سبحانه لهذه الدعوة بسلطانه العلى أجراها باسم الربوبية[٥] و هو اسم أقرب مثالا[٦] على النفوس ، [٧]لأنها تشاهد[٧] آياته بمعنى التربية و الربابة[٨] ، و مع ذلك أيضا فذكر اسم الله فى دعوة المرسلين غير متبع و لا موصوف بآيات الإلهية ، و لو ذكر لما قرب مثال علمها فهى[٩]

(١ - ١) ليس فى م و ظ .

(٢) فى ظ : الخلق .

(٣) زيد فى م : ربى و ربكم - سورة ٥ آية ١١٧ .

(٤) من م ، و فى الأصل و مد : لفوت ، و فى ظ : لقوة .

(٥) قال أبو حيان فى البحر المحيط : و لما واجه تعالى الناس بالنداء أمرهم بالعبادة و الأمر بالعبادة شمل المؤمنين و الكافرين ، لا يقال المؤمنون العابدون فكيف يصح الأمر بما هم ملتبسون به لأنه فى حقهم أمر بالازدياد من العبادة فصح مواجهة الكل بالعبادة و انظر لحسن مجىء الرب هنا فانه السيد و المصلح و جدير بمن كان مالكا أو مصلحا أحوال العبد أن يخص بالعبادة و لا يشرك مع غيره فيها - انتهى .

(٦) من م و مد ، و فى الأصل : منالا .

(٧ - ٧) فى ظ : لانا نشاهد .

(٨) بهامش الأصل و ظ : اى كونه ربا .

(٩) ليس فى مد .

كالشمس و القمر و نحو ذلك، و ذكر تعالى الربوبية[1] فى هذه الدعوة متبعة بآياتها الظاهرة التى لا تفوت العقل و الحس و لا يمكن إنكارها، و وجه بعد النفوس عن الانقياد عند الدعوة باسم الله أن آيات الربوبية التى يسهل عليها[2] الانقياد من جهتها التى بيسير منها تنقاد للملوك و[3] أولى الإحسان، لأنها جبلت على حب من أحسن إليها تبقى عند الدعوة باسم الله بمعزل ٥ عن الشعور باضافتها لاسم الله و يحار العقل فى المتوجه له بالعبادة، و تضيف النفوس الغافلة آيات الربوبية إلى ما تشاهده من أقرب الأسباب فى العوائد، كالفصول التى نيطت الموالد[4] و الأقوات بها فى مقتضى حكمة الله سبحانه أو[5] إلى أسباب هذه الأسباب كالنجوم و نحو ذلك، فلا يلتئم للدعو حال قوامه بعبادته فيكثر التوقف و الإباء، و اقتضى اليسر الذى ١٠

(١) قال المهائمى: الرب المالك فلا يتعين عليه تصرف دون ضده فهو متفضل بالإنعام فله الحمد من جهة استيلائه و تفضله. أو السيد الذى علت رتبته فله أعلى المحامد لعلوه وباعلائه للعبيد بانعامه عليهم، أو الخالق فله أتم المحامد على كمال أفعاله و صفاته التى تتوقف عليها و إنعامه قبل الاستحقاق، أو المربى و هو المصلح أو المدبر بتبليغ الشىء أعلى مراتبه كجعل النطفة علقة ثم مضغة ثم أعضاء مختلفة ثم إفاضة الروح عليها و إعطاء كل عضو قوة تليق به ثم تكميله بالشريعة و الطريقة و الحقيقة؛ فله أجمع المحامد ـ انتهى.

(٢) زيد فى ظ: من.

(٣) ليس فى م.

(٤) بهامش الأصل: اى النبات و المعادن.

(٥) فى م: و.

أراد الله بهذه الأمة ذكر الربوبية منوطا بآياتها - انتهى .

و لما كانت العبادة المختلّة بشرك أو غيره ساقطة و الازدياد من الصحيحة و الاستمرار عليها عبادة [1]جديدة يحسن الأمر بها خاطب الفريقين فقال « اعبدوا ربكم » أى الذى لا رب لكم غيره عبادة[2] هى[3] بحيث يقبلها الغنى . ثم وصفه بما أشارت إليه صفة الرب من الإحسان تنبيها على وجوده و وجوب العبادة له[4] بوجوب شكر المنعم فقال « الذى خلقكم »[5]، قال الحرالى : « الذى »[6] اسم مبهم مدلوله ذات موصوف بوصف

(١) سقطت العبارة من ظ من هنا إلى « العبادة له » .

(٢) فى تفسير النسفى : « اعبدوا ربكم » وحدوه ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : كل عبادة فى القرآن فهى توحيد . وفى البحر المحيط لأبى حيان : الرب السيد و المالك و الثابت و المعبود و المصلح ، و زاد بعضهم بمعنى الصاحب و بعضهم بمعنى الخالق - انتهى .

(٣) زيدت قبله فى م : جديدة يحسن الأمر بها .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) قال أبوحيان : و الخطاب إن كان عاما كان قوله « الذى خلقكم » صفة مدح ، و إن كان لمشركى العرب كانت للتوضيح ، إذ لفظ الرب بالنسبة إليهم مشترك بين الله و بين آلهتهم ؛ و نبه بوصف الخلق على استحقاقه العبادة دون غيره « أفمن يخلق كمن لا يخلق » أو على امتنانه عليهم بالخلق على الصورة الكاملة و التميز عن غيرهم بالعقل و الإحسان إليهم بالنعم الظاهرة و الباطنة - و من أراد الاطلاع على ما حرر بعده فلينظر ما فيه .

(٦) ليس فى م .

يعقب به و هى الصلة[1] اللازمة له ، و الخلق[2] تقدير أمشاج[3] ما يراد إظهاره بعد الامتزاج و التركيب صورة « و الذين من قبلكم » القبل ما إذا عاد المتوجه إلى مبدإ وجهته أقبل عليه - انتهى .

ثم بين نتيجتها بقوله « لعلكم تتقون » أى لتكون حالكم بعبادته لأنها كلها محاسن و لا حسن فى غيرها حال من ترجى له / التقوى ، ٥ /٣٤ و هى اجتناب القبيح من خوف الله ، و سيأتى فى قوله « لعلكم تشكرون » ما ينفع هنا . و قال الحرالى : لعل كلمة ترج لما تقدم سببه ، و بدأ من آيات الربوبية بذكر الخلق لأنه فى ذواتهم ، و وصل ذلك بخلق[4] من قبلهم حتى لا يستندوا بخلقهم إلى من قبلهم و ترجى لهم التقوى لعبادتهم[5] ربهم من حيث نظرهم إلى خلقهم و تقدير أمشاجهم ، لأنهم إذا أسندوا ١٠ خلقهم لربهم كان أحق أن يسندوا إليه ثمرة ذلك من صفاتهم

(١) فى م : صفة .

(٢) الخلق هو الإيجاد على تقدير و ترتيب ، والخلق والخليقة تنطلق على المخلوق ، و معنى الخلق الإيجاد و الإحداث و الإبداع و الاختراع و الإنشاء متقارب ، و إذا كان بمعنى الاختراع و للإنشاء فلا يتصف به إلا الله تعالى ؛ و قد أجمع المسلمون على أن لا خالق إلا الله ، و إذا كان بمعنى التقدير فمقتضى اللغة أنه قد يوصف به غير الله تعالى و قال تعالى « فتبارك الله احسن الخالقين » و « اذ تخلق من الطين » - انتهى .

(٣) بهامش الأصل : اى اخلاط .

(٤) فى م : بخلق الله .

(٥) فى م : لعبادة .

و أفعالهم فيتوقفون عن[1] الاستغناء بأنفسهم فينشأ لهم بذلك تقوى - انتهى .

و ما أحسن الأمر بالعبادة حال الاستدلال على استحقاقها بخلق الأولين و الآخرين[2] و ما بعده عقب إثبات قدرة الداعى المشيرة[3] إلى الترهيب من سطواته ! و لقد بدع هذا الاستدلال على التفرد بالاستحقاق عقب أحوال من قرر أنهم فى غاية الجود بأمور مشاهدة يصل إليها كل عاقل بأول وهلة من دحو الأرض و ما بعده مما به قوام بقائهم من السكن و الرزق فى سياق منبّه على النعمة[4] محذر من سلبها[5] دال على الإلـه[6] بعد

(١) و فى م : على - كذا .

(٢) قال أبو حيان الأندلسى : وعطف قوله « والذين من قبلكم » على الضمير المنصوب فى خلقكم و المعطوف متقدم فى الزمان على المعطوف عليه و بدأ به وإن كان متأخرا فى الزمان ، لأن علم الإنسان بأحوال نفسه أظهر من علمه بأحوال غيره ، اذ أقرب الأشياء إليه نفسه ، ولأنهم المواجهون بالأمر بالعبادة فتنبيههم أولا على أحوال أنفسهم آكد وأهم ، وبدأ أولا بصفة الخلق إذ كانت العرب مقرة بأن الله خالقها وهم المخاطبون و الناس تبع لهم إذ نزل القرآن بلسانهم - انتهى كلامه ثم قال : و إنما ذكر « و الذين من قبلكم » وإن كان خلقهم لا يقتضى العبادة علينا لأنهم كالأصول لهم فخلق أصولهم يجرى مجرى إنعام على فروعهم فذكرهم عظيم إنعامه تعالى عليهم وعلى أصولهم بالإيجاد .

(٣) من م ومدا ، و وقع فى الأصل : المنيرة ، و فى ظ : المبشرة - كذا .

(٤) سقطت العبارة من هنا إلى « الانقياد » من ظ .

(٥) وقع فى م : النقمة - مصحفا .

(٦) فى ظ : الالة - كذا .

الدلالة بالأنفس من حيث أن كل أحد يعرف[1] ضرورة[2] أنه وُجد بعد أن لم يكن، فلا بد له من موجد غير الناس، لما يشاهد من أن حال الكل كحاله بالدلالة بالآفاق من حيث أنها متغيرة، فهى مفتقرة إلى مغير هو الذى أحدثها ليس بمتغير، لأنه ليس بجسم و لا جسمانى فى سياق مذكر بالنعم الجسام الموجبة لمحبة المنعم و ترك المنازعة و حصول الانقياد ٥ فقال «الذى جعل»، قال الحرالى: من الجعل و هو إظهار أمر عن سبب و تصيير «لكم الارض» أى المحل الجامع لنبات كل نابت ظاهر أو باطن، فالظاهر كالموالد و كل[3] ما الماء أصله، و الباطن كالأعمال و الأخلاق و كل ما أصله ما الماء آيته كالهدى و العلم و نحو ذلك؛ و لتحقق دلالة اسمها على هذا المعنى جاء وصفها بذلك من لفظ اسمها فقيل: أرض ١٠ أريضة، للكريمة المنبتة، و أصل معناها ما سفل فى مقابلة معنى السماء الذى

(١) من م وظ، ولا يتضح فى مد، وفى الأصل: يصرف، و هو كما ترى.

(٢) قال الشربينى الخطيب: و الآية تدل على أن الطريق إلى معرفة الله تعالى و العلم بوحدانيته و العلم باستحقاقه للعبادة و النظر فى صنعه و الاستدلال بأفعاله وأن العبد لا يستحق بعبادته عليه تعالى ثوابا فانها لما وجبت عليه شكرا لما عدده عليه من النعم السابقة فهو كأجير أخذ الأجر قبل العمل - انتهى.

(٣) و فى تفسير النسفى: نعم خروج الثمرات بقدرته ومشيته و إيجاده ولكن جعل الماء سببا فى خروجها كماء الفحل فى خلق الولد و هو قادر على إنشاء الكل بلا سبب كما أنشأ نفوس الأسباب و المواد ولكن له فى إنشاء الأشياء مدرجا لها من حال إلى حال وناقلا من مرتبة إلى مرتبة حكما وعبرا للنظار بعيون الاستبصار - انتهى.

هو ما علا على سفل الأرض كأنها[1] لوح قلمه الذى يظهر فيها كتابه - انتهى[2] .

« فراشا » و هى بساط سقفه السماء و هى مستقر الحيوان من الأحياء و الأموات ، و أصله كما قال الحرالى بساط يضطجع عليه للراحة و نحو ذلك[3] ، « و السماء بناء » أى خيمة تحيط بصلاح موضع السكن و هو لعمرى بناء جليل القدر ، محكم الأمر ، بهى المنظر ، عظيم المَخْبَر .

[4]و رتبت هذه النعم الدالة على الخالق الداعية إلى شكره أحكم ترتيب ، قدم[5] الإنسان لأنه أعرف بنفسه و النعمة عليه أدعى إلى الشكر ، و ثنى[6]

(١) فى ظ : كانه .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) قال المهائمى : أى وطأ قرركم عليها بأن جعل بعض أجزائها بارزة عن الماء مع اقتضاء طبعه الإطاحة بها و جعلها بين الصلابة و اللطافة لتقعدوا و تناموا عليها كالفراش ، « و السماء بناء » أى سقفا مرفوعا تستظلون به عن أشعة أنوار الملائكة العلوية .

(٤) سقطت العبارة من هنا إلى « فقال » من ظ .

(٥) قال أبوحيان الأندلسى : ذكر خمسة أنواع من الدلائل : اثنين من الأنفس خلقهم وخلق من قبلهم ، و ثلاثة من غير الأنفس كون الأرض فراشا وكون السماء بناء و الحاصل من مجموعهما ، تقدم خلق الإنسان لأنه أقرب إلى معرفته و ثنى بخلق الآباء و ثلث بالأرض لأنها أقرب إليه من السماء ، و قدم السماء على نزول المطر و إخراج الثمرات لأن هذا كالأمر المتولد بين السماء و الأرض و الأثر متأخر عن المؤثر .

(٦) فى م : تلى .

بمن قبله لأنه أعرف بنوعه، و ثلث بالأرض لأنها مسكنه الذى لا بد له منه، و ربع بالسماء لأنها سقفه، و خمس بالماء لأنه كالأثر و المنفعة الخارجة منها و ما يخرج بسببه من الرزق كالنسل المتولد بينهما فقال « و انزل » قال الحرالى: من الإنزال و هو الإهواء بالأمر من علو إلى سفل - انتهى. « من السماء » أى بآثارها[1] الرياح المثيرة للسحاب الحامل للماء « ماء » أى جسما لطيفا يبرد غلة[2] العطش، به حياة كل نام. قال الحرالى: و هو أول ظاهر للعين من أشباح الخلق[3] « فاخرج » من الإخراج[4] و هو إظهار من حجاب، و فى سوقه بالفاء تحقيق للتسبيب فى الماء - انتهى[5].

و أتى بجمع القلة فى الثمر و نكر الرزق مع المشاهدة لأنها بالغان فى الكثرة إلى حد لا يحصى تحقيرا لها فى جنب قدرته إجلالا له فقال

(١) قال البيضاوى: من أسباب سماوية تثير الأجزاء الرطبة من أعماق الأرض إلى جو الهواء فيعنقد سحابا ماطرا، و من الثانية للتبعيض بدليل قوله تعالى « فاخرجنا به ثمرات » و اكتناف المنكرين له أعنى ماء و رزقا كأنه قال و أنزلنا من السماء بعض الماء فأخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم، و هكذا الواقع لم ينزل من السماء الماء كله و لا أخرج بالمطر كل الثمار و لا جعل كل المرزوق ثمارا - انتهى.

(٢) فى م: دغلة - كذا.

(٣) ليس فى م.

(٤) فى مد: الاظهار.

(٥) ليس فى ظ.

« به من الثمرٰت رزقا » و إخراج الأشياء فى حجاب الأسباب أوفق بالتكليف بالإيمان بالغيب ، لأنه كما قيل : لو لا الأسباب لما ارتاب المرتاب ، و الثمر كما قال الحرالى مطعومات النجم و الشجر و هى عليها ، و عُبر بمِن لأن ليس كل الثمرات رزقا لما يكون عليه و فيه من العصف و القشر و النوى ، و ليس أيضا من كل الثمرات[1] رزق فمنه ما هو للداواة[2] و منه سموم و غير ذلك . و فى قوله « لكم » إشعار بأن فى الرزق تكملة لذواتهم و مصيرا إلى أن يعود بالجزاء[3] منهم .

و قد[4] وصف الرب فى هذه الآية بموصولين ذكر صلة[5] الثانى بلفظ

(١) فى م و مد و ظ : الثمر .

(٢) وقع فى ظ : للداراة ـ كذا .

(٣) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : الجزء .

(٤) قال : أبو حيان الأندلسى : ثم إنه تعالى لما عرفهم أنه خالقهم أخبرهم أنه جعل لهم مكانا يستقرون عليه إذ كانت حكمته اقتضت ذلك فيستقرون فيه جلوسا و نوما و تصرفا فى معائشهم و جعل منه سهلا للقرار و الزرع و وعرا للاعتصام و جبالا لسكون الأرض عن الاضطراب ، ثم لما من عليهم بالمستقر أخبرهم بجعل ما يقيهم و يظلهم و جعله كالخيمة المضروبة عليهم و أشهدهم فيها من غرائب الحكمة بأن أمسكها فوقهم بلا عمد و لا طنب لتهتدى عقولهم أنها ليست مما يدخل تحت مقدور البشر ، ثم نبههم على النعمة العظمى وهى إنزال المطر الذى هو مادة الحياة و سبب اهتزاز الأرض بالنبات و أجناس الثمرات .

(٥) فى ظ : صفة .

الجعل ، لأن حال القوام مرتب على حال الخلق و مصيّر منه ، فلا يشك ذو عقل فى استحقاق الانقياد لمن تولى خلقه و أقام تركيبه ؛ و لا يشك ذو حس / إذا تيقظ من نوم أو غفلة فوجد بساطا قد فرش له و خيمة / ٣٥ قد ضربت عليه و عولج له طعام و شراب قدم له أن نفسه تنبعث بذاتها لتعظيم من فعل ذلك بها و لتقلد نعمته و إكباره ؛ فلتنزيل هذه الدعوة ٥ إلى هذا البيان الذى يضطر النفس إلى الإذعان و يدخل العلم بمقتضاها فى رتبة الضرورة و الوجدان كانت هذه الدعوة دعوة عربية[1] جارية على مقتضى أحوال العرب ، لأن العرب لا تعدو بأنفسها العلم الضرورى و ليس من شأنها تكلف الأفكار و التسبب إلى توانى[2] العلوم النظرية المأخوذة من مقتضى الأمارات و الأدلة[3] ، فعوملت بما جبلت عليه فتنزل لها لتكون ١٠

(١) فى ظ : غريبة .

(٢) و فى ظ : تولد ، و بهامشه : توانى ، و فى م و مد : ثوانى ـ كذا .

(٣) قال أبو حيان الأندلسى : و قد تضمنت هاتان الآيتان من بدائع الصنعة و دقائق الحكمة و ظهور البراهين ما اقتضى تعالى انه المنفرد بالإيجاد المتكفل للعباد دون غيره من الأنداد التى لا تخلق و لا ترزق و لا لها نفع و لا ضر الا لله الخلق و الأمر . قال البيضاوى : و اعلم أن مضمون الآيتين هو الأمر بعبادة الله تعالى ، و النهى عن الإشراك به ، و الإشارة إلى ما هو العلة و المقتضى ؛ و بيانه أنه رتب الأمر بالعبادة على صفة الربوبية إشعارا بأنها العلة لوجوبها ، ثم بين ربوبيته بأنه خالقهم و خالق أصولهم و ما يحتاجون إليه فى معاشهم من المقلّة و المظلة و المطاعم و الملابس ، فان الثمرة أعم من المطعوم و الملبوس ، و الرزق أعم من المأكول و المشروب .

نقلتها من فطرة إلى فطرة و من علم وجدانى إلى علم وجدانى عَلىّ لتحفظ عليها رتبة الإعراب و البيان بأن لا يتسبب لها إلى دخول ريب فى علومها، لأن كل علم مكتسب يتكلف التسبب له بآيات و علامات و دلائل تبعد من الحس و أوائل هجوم[1] العقل تتعارض عليه الأدلة و يعتاده الريب، فحفظت هذه الدعوة العربية عن التكلف و أجريت على ما أحكمه صدر السورة فى قوله تعالى «لا ريب فيه».

و اعلم أن حال المخلوق فى رزقه محاذى[2] به حاله فى كونه، فيعلم بالاعتبار و التناسب الذى شأنه أن تتعلم من جهته المجهولات أن الماء بزر[3] كون[4] الإنسان كما أن الماء أصل رزقه، و لذلك قال عليه السلام لمن سأله ممن هو فلم يرد أن يعين له نفسه: نحن من ماء. و يعلم كذلك

(١) فى م: هجرهم.

(٢) فى م: مجازى.

(٣) فى ظ: بَزْرُ ـ كذا.

(٤) قال البيضاوى: ثم لما كانت هذه أمور لا يقدر عليها أحد غيره شاهدة على وحدانيته رتب عليها النهى عن الإشراك به و لعله سبحانه و تعالى أراد من الآية الأخيرة مع ما دل عليه الظاهر و سيق فيه الكلام الإشارة إلى تفصيل خلق الإنسان و ما أفاض عليه من المعانى و الصفات على طريقة التمثيل، فمثّل البدن بالأرض و النفس بالسماء و العقل بالماء و ما أفاض عليه من الفضائل العملية و النظرية المحصلة بوساطة استعمال العقل و للحواس و ازدواج القوى النفسانية و البدنية بالثمرات المتولدة من ازدواج القوى السماوية الفاعلية و الأرضية المنفعلة بقدرة الفاعل المختار، فان لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حد مطلعا ـ انتهى الكلام.

أيضا

أيضا أن للأرض و السماء مدخلا فى أمشاج الإنسان رتب عليه مدخلها فى كون رزقه ، و فى ذكر الأرض معرفة أخذ للأرض إلى نهايتها وكمالها ، و لذلك قال عليه السلام : من اغتصب شبرا من أرض طوقه من سبع أرضين ، وكذلك ذكر السماء أخذ لها إلى نهايتها وكمالها ؛ و قدم الأرض لأن نظر النفوس إلى ما تحتها أسبق لها من نظرها إلى ما علا ٥ عليها . ثم قال : و لوضوح آية الربوبية تقلدها الأكثر و إنما توقفوا فى الرسالة و لذلك وصل ذكر الرسالة بالتهديد - انتهى .

و لما [١]أمر بعبادته و[١] ذكرهم سبحانه بما يعلمون[٢] أنه فاعله وحده حسن النهي عن أن يشرك به ما لا أثر له فى شيء من[٣] ذلك بفاء التسبب[٤] [٥]عن الأمرين كليهما فقال معبرا بالجلالة على ما هو الأليق بالتوبيخ على ١٠ تألّه الغير[٥] « فلا تجعلوا لله »[٦] أى مع إحاطته بصفات[٧] الكمال .[٨] يجوز أن[٨]

(١ - ١) ليس فى ظ . (٢) فى ظ : تعلمون .

(٣) ليس فى ظ . (٤) فى مد و ظ : السبب .

(٥ - ٥) فى ظ : فقال .

(٦) قال على المهائمى : « فلا تجعلوا لله اندادا » أى أمثالا فى استحقاق العبادة فضلا عن الاشتراك فى الإلهية أو الصفات الكمالية . و قال عبد الله البيضاوى : و الفاء للسببية أدخلت عليه لتضمن المبتداء معنى الشرط ، و المعنى من حفكم بهذه النعم الجسام و الآيات العظام ينبغى ان لا يشرك به - و قال : « فلا تجعلوا » متعلق باعبدوا على أنه نهى معطوف عليه أو نفى منصوب باضمار ان جواب له .

(٧) فى مد : بجميع صفات .

(٨ - ٨) ليست فى م و ظ .

[1] يكون مسببا عن التقوى المترجاة فتكون لا نافية و الفعل منصوب[1] «اندادا»[2] أى على حسب زعمكم أنها تفعل ما تريدون[2]. قال الحرالى: جمع ند[3] و هو المقاوم فى صفة القيام و الدوام، و عبر بالجعل لأن بالجعل و المصير من حال إلى حال أدنى منها ترين الغفلة على القلوب، حتى ٥ لا تشهد فى النعم و النقم إلا الخلق من ملك أو ذى إمرة أو من أى ذى يد عليا كان، و لما شهدوا ذلك منهم تعلق بهم رجاؤهم و خوفهم و عاقبهم ربهم على ذلك بأيديهم فاشتد داعى رجائهم لهم و سائق خوفهم منهم فتذللوا لهم و خضعوا، فصاروا بذلك عبدة[4] الطاغوت و جعلوهم لله أندادا - انتهى. و ما أحسن قوله فى تأنيبهم و تنبيههم على ما أزروا ١٠ بأنفسهم «و انتم تعلمون» أى [2] و الحال[2] أنكم[5] ذوو[6] علم[2] على ما تزعمون[2]

(١-١) ليست فى م و ظ.

(٢ - ٢) ليس فى ظ.

(٣) و الند المثل المنادى قال جرير شعرا:

أتيما تجعلون إلىّ ندا وما تيم لذى حسب نديد

من ندندودا إذا نفر و ناددت الرجل خالفته، خص بالمخالف المماثل فى الذات كما خص المساوى للمماثل فى القدر و تسمية ما يعبده المشركون من دون الله أندادا و ما زعموا أنها تساويه فى ذاته و صفاته إلا أنها تخالفه فى أفعاله لأنهم لما تركوا عبادته إلى عبادتها و سموها آلهة شابهت حالهم حال من يعتقد أنها ذوات واجبة بالذات قادرة على أن تدفع عنهم بأس الله و تمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير فتهكم بهم و شنع عليهم بأن جعلوا لله أندادا لمن يمتنع أن يكون له ند.

(٤) فى الأصل: عبد - كذا.

(٥) و فى تفسير البيضاوى: أى و حالكم أنكم من أهل العلم و النظر و إصابة الرأى، =

فانه يلوّح إلى أن من أشرك به مع قيام هذه الأدلة لم يكن ممن يصح منه العلم فكان فى عداد البهائم . [1]و فيه كما[1] قال الحرالى إعلام بظهور آيات ما يمنع جعل الند لما يشاهد أن جميع الخلق أدناهم و أعلاهم مقامون من السماء [1]و فى الأرض و من الماء، فمن جعل لله ندا مما حوته السماء[1] و الأرض و استمد من الماء فقد خالف العلم الضرورى الذى ٥ به[2] تقلد التذلل للربوبية فى نفسه فان يحكم بذلك على غيره مما حاله كحاله أحق فى العلم - انتهى . و فى تعقيبها لما قبلها غاية التبكيت[3] على

= فلو تأملتم أدنى تأمل اضطر عقلكم إلى إثبات موجد الممكنات ، متفرد بوجوب الذات ، متعال عن مشابهة المخلوقات .

و قال على المهائمى ، « و انتم تعلمون » أنه لم يخلقكم ولا من قبلكم ولا السماء و لا الأرض و لا أنزل الماء ولا أخرج الثمرات ، و هذا هو الإسلام الذى يقتضيه المطر مع لواحقه و لم يمنع طاعة الغير إذ هى امتثال أمر من له الأمر كالرسول والحاكم ، بخلاف العبادة فانها غاية التذلل فلا يستحقها إلا من له غاية العظمة .

و فى البحر المحيط لأبى حيان : « فلا تجعلوا لله اندادا » ظاهره أنه نهى عن اتخاذ الأنداد ، وسموا أندادا على جهة المجاز من حيث أشركوهم معه تعالى التسمية بالإلهية والعبادة صورة لا حقيقة لأنهم لم يكونوا يعبدونهم لذواتهم بل للتقرب إلى الله . « و انتم تعلمون » جملة حالية و فيها من التحريك إلى ترك الأنداد و إفراد الله بالوحدانية ما لا يخفى .

(٦) فى مد : ذو ، و فى م : ذوا .

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) ليس فى م .

(٣) من ظ ، و فى الأصل و مد : التنكيت ، و فى م : التنكيب .

من ترك هذا[1] القادر على كل شيء و عبد ما لا يقدر على شيء .

و هذه الآية من المحكم الذى اتفقت عليه الشرائع و اجتمعت عليه الكتب ، و هو عمود الخشوع ،/ و عليه مدار الذل و الخضوع . قال /٣٦
الإمام أبو الحسن الحرالى فى العروة : وجه إنزال هذا الحرف تحقيق
٥ اتصاف العبد بما هو اللائق به فى صدق وجهته إلى الحق بانقطاعه عن نفسه و براءته منها و التجائه إلى ربه استسلاما ، و جهده فى خدمته إكبارا و استناده[2] إليه اتكالا ، و سكونه له طمأنينة « يايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية[3] » ، و يتأكد تحلى العبد بمستحق أوصافه لقراءة[4] هذا الحرف و العمل به بحسب براءته من التعرض لنظيره المتشابه ،
١٠ لأن اتباع المتشابه زيغ لقصور العقل و الفهم عن نيله ، و وجوب الاقتصار على الإيمان به من غير موازنة بين ما خاطب الله به عباده للتعرف و بين ما جعله للعبد للاعتبار ، سبحان من لم يجعل سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته .

و جامع منزل المحكم ما افتتح به التنزيل فى قوله تعالى « اقرا باسم
١٥ ربك[5] » الآيات ، و ما قدم فى الترتيب فى قوله تعالى « يايها الناس

(١) فى ظ ، لهذا .

(٢) و فى م : اسناده .

(٣) سورة ٨٩ آية ٢٧ و ٢٨ .

(٤) فى مد و ظ : بقرأة .

(٥) سورة ٩٦ آية ١ .

اعبدوا ربكم» - إلى ما ينتظم بذلك من ذكر عبادة القلب التى هى المعرفة «وما خلقت الجن و الانس الا ليعبدون»[١]، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله فاذا عرفوا الله، و من[٢] ذكر عبادة النفس التى هى الإجمال فى الصبر وحسن الجزاء «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم»[٣]، «و يدرؤن[٤] بالحسنة السيئة»[٥]، الذين هم فى صلاتهم خاشعون»[٦]، لو خشع قلب هذا ٥ لخشعت جوارحه إلى سائر أحوال العبد التى يتحقق بها فى حال الوجهة إلى الرب، و ما تقدم من حرفى الحلال والحرام لإصلاح الدنيا، وحرفى الأمر و النهى لإصلاح العقبى معاملة كتابه، و العمل بهذا الحرف اغتباط بالرق و عياذ[٧] من العتق[٨]، فلذلك هو أول الاختصاص و مبدأ الاصطفاء و إفراد موالاة الله وحده من غير شرك[٩] فى نفس ولا غير، و لذلك ١٠ بدئ بتنزيله النبى العبد صلى الله عليه و سلم، و هو ثمرة ما قبله و أساس

(١) سورة ٥١ آية ٥٦ .

(٢) زيد فى م: هو.

(٣) سورة ١٨ آية ٢٨ .

(٤) وقع فى م: يذرون - كذا مصحفا .

(٥) سورة ١٣ آية ٢٢ .

(٦) سورة ٢٣ آية ٢ .

(٧) من م و مد، و فى الأصل: عياد - كذا بالدال المهملة، و فى ظ: عباده .

(٨) فى ظ: للعتق - مكان: من العتق .

(٩) ليس فى م .

ما بعده، و هو للعبد أحوال محققة لا يشركه فيها ذو رئاء و لا نفاق، و يشركه فى الأربعة المتقدمة - يعنى النهى و الأمر و الحلال و الحرام، لأنها أعمال ظاهرة فيتحلى بها المنافق، و ليس يمكنه مع نفاقه التحلى بالمعرفة، و لا بالخشوع و لا بالخضوع، و لا بالشوق للقاء و لا بالحزن فى الإبطاء، ٥ و لا بالرضا بالقضا، و لا بالحب الجاذب[1] للبقاء فى طريق الفناء، و لا بشىء مما شمله آيات المحكم المنزلة فى القرآن و أحاديثه الواردة للبيان، و إنما يتصف بهذا الحرف عباد الرحمن «و عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا و اذا خاطبهم الجٰهلون قالوا سلٰما[2]» الذين ليس للشيطان عليهم سلطان «ان عبادى ليس لك عليهم سلٰطن[3]».

١٠ و لما كان حرف المحكم مستحق العبد فى حق الرب فى فطرته التى فطر عليها كان ثابتا فى كل ملة و فى كل شرعة فكانت آياته لذلك هن أم الكتاب المشتمل على الأحرف الأربعة، لتبدلها و تناسخها و تناسبها فى الشرع و الملل و اختلافها على مذاهب الأئمة فى الملة الجامعة، مع اتفاق الملل فى الحرف المحكم فهو أمها و قيامها الثابت حال ١٥ تبدلها و هو حرف الهدى الذى يهدى به الله من يشاء، و قرأته العملة به هم المهتدون أهل السنة و الجماعة، كما أن المتبعين لحرف المتشابه هم المتفرقون فى الملل و هم أهل البدع و الأهواء المشتغلون بما لا يعنيهم،

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الجادب - بالدال المهملة كذا.

(٢) سورة ٢٥ آية ٦٣.

(٣) سورة ١٥ آية ٤٢ و سورة ١٧ آية ٦٥.

و بهذا الحرف المتشابه يضل الله من يشاء ؛ فحرف المحكم للاجتماع و الهدى ، و حرف المتشابه للافتراق و الضلال - و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل .

ثم قال : اعلم أن قراءة الأحرف الماضية الأربعة هو حظ العامة من الأمة العاملين لربهم على الجزاء المقارضين له على المضاعفة ، و قراءة هذا الحرف[1] تماما هو حظ[2] المتحققين بالعبودية المتعبدين بالأحوال الصادقة المشفقين من وهم المعاملة ، لشعورهم أن العبد لسيده مصرّف فيما شاء و كيف شاء ، ليس له فى نفسه حق و لا حكم ، و لا حجة له على سيده فيما أقامه فيه[3] من صورة سعادة أو شقاوة « فى اىّ صورة ما شاء ركبك »[4] ، « على ان نبدل امثالكم / و ننشئكم فى ما لا تعلمون »[5] . ٣٧/

و الذى تحصل[6] به قراءة هذا الحرف إما من جهة القلب فالمعرفة بعبودية الخلق للحق رقّ خلق و رزق و تصريف فيما شاء مما بينه و بين ربه و مما بينه و بين نفسه و مما بينه و بين أمثاله من سائر العباد ، لا يملك لنفسه ضرا و لا نفعا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا ، و لا يأخذ إلا ما أعطاه سيده ، و لا يتق

(١) زيد فى الأصل فوقه بين السطرين : اى المحكم .

(٢) فى ظ : حرف .

(٣) ليس فى م .

(٤) سورة ٨٢ آية ٨ .

(٥) سورة ٥٦ آية ٦٣ .

(٦) فى م : يحصل .

إلاما وقاه سيده، و لا يكشف [١]السوء عنه[١] الاهو، فيسلم له مقاليد أمره في ظاهره و باطنه، و ذلك هو الدين عند الله الذى لا يقبل سواه « ان الدين عند الله الاسلام[٢] » و « من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه[٣] » و هو دين النبي العبد، و ما يتحقق للعبد من ذلك عن اعتبار العقل و خلوص ٥ اللب هى الملة الحنيفية ملة النبي الخليل - هذا من جهة القلب؛ و إما من جهة حال النفس فجميع أحوال العبد القن المعرق فى الملك: إنما أنا عبد آكل مثل ما يأكل العبد؛ و جماع ذلك و أصله الذل انكسارا و[٤] الذل عطفا و البراءة من الترفع و الفخر على سائر الخلق و التحقق بالضعة دونهم على وصف النفس، بذلك ينتهى حسن التخلق[٥] مع الخلق و صدق ١٠ التعبد للحق؛ و إما من جهة العمل فتصرف الجوارح و إسلامها[٦] لله قولا و فعلا و بذلا، و مسالمة[٧] الخلق لسانا و يدا، و هو تمام الإسلام[٨] و ثبته، لا يكتب[٩] أحدكم فى المسلمين حتى سلم[١٠] الناس من لسانه و يده، و يخص

(١-١) و فى ظ: عنه السوء.

(٢) سورة ٣ آية ١٩.

(٣) سورة ٣ آية ٨٥.

(٤) من مد و ظ، و فى الأصل و م: او.

(٥) فى ظ: الخلق.

(٦) فى م: استلامها.

(٧) فى ظ: مسامله.

(٨) زيد فى ظ: لا.

(٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لاتكتب.

(١٠) فى م: يسلم.

الهيئة من ذلك ما هو أولى بهيئات العبيد كالذى بنيت عليه هيئة الصلاة من الإطراق فى القيام و وضع اليمنى على اليسرى بحذاء الصدر هيئة العبد المتأدب المنتظر لما لا يدرى خبره من أمر سيده و كهيئة الجلوس فيها الذى هو جلوس العبيد، كذلك كان صلى الله عليه و سلم يجلس لطعامه ليستوى حال تعبده فى أمر دنياه و أخراه و يقول: إنما أنا عبد آكل كما ٥ يأكل العبد، و يؤثر جميع ما هو هيئة العبيد فى تعبده و مطعمه و مشربه و ملبسه و مركبه و ظعنه و إقامته «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله[1]» فبهذه الأمور من تحقق العبودية للقلب و ذل النفس و انكسار الجوارح تحصل قراءة حرف المحكم و الله الولى الحميد - انتهى.

و لما ثبتت هذه الأدلة فوجب امتثال ما دعت إليه و لم يبق لمتعنت ١٠ شبهة إلا أن يقول: لا أفعل حتى أعلم أن هذا الكتاب الذى تقدم أنه الهدى كلام الله، قال مبينا إنه[2] من عنده نظما كما كان من عنده معنى محققا ما ختم به التى قبلها من أن من توقف عما دعا إليه من التوحيد و غيره لا علم له بوجه، و أتى بأداة الشك سبحانه مع علمه بحالهم تنبيها على أنه من البعيد جدا أن يجزم بشكهم بعد هذا البيان «و ان» أى ١٥ فان كنتم من ذوى البصائر الصافية و الضمائر النيرة علمتم بحقية هذه المعانى و جلالة هذه الأساليب و جزالة تلك التراكيب أن هذا

---

(١) سورة ٣ آية ٣١.

(٢) من مد، و فى الأصل و م و ظ: لانه.

كلامى[١] ، فبادرتم إلى امتثال ما أمر و الانتهاء عما عنه زجر . « و ان كنتم فى ريب » أى [٢]شك محيط بكم[٢] من الكتاب[٣] الذى قلت - و من أصدق منى قيلا - إنه « لا ريب فيه » .

---

(١) قال البيضاوى فى تفسيره : لما قرر وحدانيته و بين الطريق الموصل إلى العلم بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و هو القرآن المعجز بفصاحته التى بذت فصاحة كل منطيق و إفحامه من طولب بمعارضته من مصاقع الخطباء من العرب العرباء مع كثرتهم و إفراطهم فى المضادة و المضارة و تهالكهم على المعازة و المعارة ، و عرف ما يتعارف به إعجازه و يتيقن أنه من عند الله كما يدعيه . و قال أبو حيان فى تفسيره المسمى بالبحر المحيط : و مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما احتج تعالى عليهم بما يثبت الوحدانية و يبطل الإشراك و عرفهم أن من جعل لله شريكا فهو بمعزل من العلم و التمييز أخذ يحتج على من شك فى النبوة بما يزيل شبهته و هو كون القرآن معجزة و بين لهم كيف يعلمون أنه من عند الله أم من عنده بأن يأتوهم و من يستعينون به لسورة هذا و هم الفصحاء البلغاء المجيدون حوك الكلام من النثار و النظام و المتقلبون فى أفانين البيان و المشهود لهم فى ذلك بالإحسان - انتهى كلامه .

(٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣) قال المهائمى : يشير إلى أنه لا ينبغى أن يرتاب فيه لكونه محض الحكمة البالغة ، فان فرض فلا ينبغى أن يدوم لوجود ما يزيله فحقه المضى ، فان دام فلا ينبغى أن يحيط بالجوانب إحاطة الظرف بالمظروف لظهور محاسنه ، فان كان فغايته أن يكون نوعا أو فردا منه ، فان كنتم فيه مع أنا جعلناه معجزا حال تفرقته فى الإنزال فحال الاجتماع أشد إعجازا ودل إعجازه على أنه مقام عظمتنا و لا يبعد لكون المنزل عليه عبدا منزلا إليه لغاية كماله «وان كنتم فى ريب منه فاتوا بسورة » .

و أشار هنا أيضا إلى عظمته و عظمة المنزل عليه بالنون [١]التفاتا من الغيبة إلى التكلم[١] فقال « مما نزلنا »[٢] قال الحرالى : من التنزيل و هو التقريب للفهم بتفصيل و ترجمة و نحو ذلك - انتهى . « على عبدنا »[٣] أى الخالص[٤] لنا الذى لم يتعبد لغيرنا قط[٥] ، فلذلك استحق الاختصاص دون عظماء القريتين و غيرهم ، فارتبتم فى أنه كلامنا نزل بأمرنا و زعمتم أن عبدنا ٥ محمدا أتى به من عنده لتوهمكم أن[٦] فيما سمعتم [٧]من الكلام شيئا[٧] مثله

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) قال أبو البركات النسفى : وقيل « نزلنا » دون أنزلنا لأن المراد به النزول على سبيل التدريج و التنجيم وهو من مجازه لمكان التحدى ، وذلك أنهم كانوا يقولون : لوكان هذا من عند الله لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة و آيات غب آيات على حسب النوازل و على سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا شيئا فشيئا ، لا يلقى الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى الناثر بخطبته ضربة ، فلو أنزله الله لأنزله جملة ؛ قال الله تعالى « وقال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة » فقيل إن ارتبتم فى هذا الذى هكذا على تدريج « فاتوا بسورة » .

(٣) و العبد اسم لمملوك من جنس العقلاء ، والمملوك موجود قهر بالاستيلاء .

(٤) و فى البيضاوى : و أضاف العبد إلى نفسه تنويها بذكره و تنبيها على أنه مختص به منقاد لحكمه ، وقرئ « عبادنا » يريد محمدا صلى الله عليه و سلم و أمته - انتهى كلامه .

(٥) ليس فى مد .

(٦) فى م : اى .

(٧-٧) فى ظ : شيئا من الكلام .

[1]لأجل الإتيان به منجما أو غير ذلك من أحواله[1] .

« فاتوا » أى على سبيل التنجيم[2] أو غيره[3] ، قال الحرالى : الآتى بالأمر[4] يكون عن[5] مكنة و قوة « بسورة » [1]أى نجم واحد . قال الحرالى[1] : السورة[6] تمام جملة من المسموع يحيط بمعنى تام بمنزلة إحاطة السور بالمدينة - انتهى . [1]و تفصيل القرآن إلى سور و آيات ، لأن الشىء إذا كان جنسا[1] / [2]و جعلت له أنواع[8] و اشتملت أنواعه على أصناف كان أحسن و أفخم لشانه و أنبل[9] و لا سيما إذا [10]تلاحقت الأشكال[10] بغرابة

/٣٨

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) فى م : التنجز .

(٣) من « اى على » إلى هنا سقط من ظ .

(٤) فى ظ : بالامور .

(٥) فى م : على .

(٦) قال البيضاوى : السورة الطائفة من القرآن المترجمة التى أقلها ثلاث آيات ، من سور المدينة لأنها محيطة بطائفة من القرآن أو محتوية على أنواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها .

(٧) سقطت العبارة من هنا إلى « و غير ذلك » من ظ .

(٨) قال البيضاوى : و الحكمة فى تقطيع القرآن سورا و افرادا لأنواع و تلاحق الأشكال و تجارب النظم و تنشيط القارئ و تسهيل الحفظ و الترغيب فيه ، فانه إذا ختم سورة نفّس ذلك منه . . . . فعظم ذلك عنده و ابتهج به ؛ إلى غيرها من الفوائد - انتهى .

(٩) فى م : انيل .

(١٠-١٠) فى م : تلاحقيقة الاشكال .

الانتظام ، و تجاوبت النظائر بحسن الالتيام ، و تعانقت الأمثال بالتشابه في تمام الأحكام و جمال الأحكام ، و ذلك أيضا أنشط للقارئ و أعظم عنده لما يأخذه منه مسمى بآيات معدودة أو سورة معلومة و غير ذلك « من مثله » أي من الكلام الذي يمكنكم أن تدعوا أنه مثل ما نزلنا[1] كما قال « قل لئن اجتمعت الانس و الجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله[2] » فان عبدنا منكم[3] و نشأبين[3] أظهركم ، فهو لا يقدر على أن يأتي بما لا تقدرون على مثله إلا بتأييد منا .

و لما كانوا يستقبحون الكذب قال « و ادعوا شهداءكم »[4] أي من تقدرون[5] على دعائه من الموجودين بحضرتكم في بلدتكم أو ما قاربها ،

(١) قال أبو حيان : و في المثلية على كون الضمير على المنزل أقوال : الأول من مثله في حسن النظم و بديع الرصف و عجيب السر و غرابة الأسلوب و إيجازه و إتقان معانيه ، الثاني من مثله في غيوبه من إخباره بما كان و بما يكون - و من أراد الاطلاع على جميع الأقوال فليطلب من البحر المحيط ج ١ ص ١٠٥ .

(٢) سورة ١٧ آية ٨٨ .

(٣ - ٣) في م : لشابين - كذا .

(٤) قال المهائمي : أي من يشهد لكم ، فالعاقل لا يرضى لنفسه أن يشهد بما يظهر اختلاله . و قال النسفي : جمع شهيد بمعنى الحاضر و القائم بالشهادة . و قال البيضاوي : و الرد إلى المنزل أوجه لأنه المطابق لقوله « فاتوا بسورة من مثله » و لسائر آيات التحدي ، و لأن الكلام فيه لا في المنزل عليه ، فحقه أن لا ينفك عنه ليتسق الترتيب و النظم ، و لأن رده إلى عبدنا يوهم إمكان صدوره ممن لم يكن على صفته و لا يلائمه قوله تعالى « و ادعوا شهداءكم » فانه أمر بان يستعينوا بكل من ينصرهم و يعينهم - انتهى .

(٥) في ظ : يقدرون .

و الشهيد كما قال الحرالى من يكثر الحضور لديه و استبصاره فيما حضره - انتهى .

« من دون الله » أى لينظروا [١] بين الكلامين فيشهدوا [٢] بما تؤديهم [٣] إليه معرفتهم من [٤] المماثلة أو المباينة فيزول الريب و يظهر إلى الشهادة الغيب أو ليعينوكم على الإتيان بمثل القطعة المحيطة التى تريدون معارضتها . ٥

قال الحرالى: و الدون [٥] منزلة القريب فالقريب من جهة سفل ، و قد عقلت العرب أن اسم الله لا يطلق على ما ناله إدراك العقل فكيف بالحس ! فقد تحققوا أن كل ما أدركته حواسهم و نالته عقولهم فانه من دون الله - انتهى .

---

(١) فى ظ : فينظروا .

(٢) فى م : فشهدوا .

(٣) فى م : يوديه .

(٤) ليس فى م .

(٥) قال البيضاوى ، و معنى دون أدنى مكان من الشىء ، و منه تدوين الكتب لأنه إدناء البعض من البعض ، و دونك هذا أى خذ من أدنى مكان منك ، ثم استعير للرتب فقيل ، زيد دون عمرو ، أى فى الشرف ، و منه الشىء الدون ثم اتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد إلى حد و تخطى أمر إلى آخر ، قال الله تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكفرين اولياء من دون المؤمنين » أى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين ، و من متعلقه بادعوا و المعنى ادعوا لمعارضته من حضركم أو رجوتم معونته من إنسكم وجنكم و آلهتكم غير الله فانه لا يقدر على أن يأتى بمثله إلا الله ، أو ادعوا من دون الله شهداء يشهدون لكم بأن ما أتيتم به مثله و لا تستشهدوا بالله فانه من ديدن المبهوت العاجز عن إقامة الحجة .

فى التعبير به[1] توبيخ لهم بأنهم لم يرضوا بشهادته سبحانه .

و حكمة الإتيان بمن التبعيضية فى هذه السورة دون بقية القرآن أنه سبحانه لما فرض لهم فيها الريب الذى يلزم منه زعمهم أن يكونوا اطلعوا له على مثيل أو سمعوا أن أحدا عثر له على شبيه اقتضى الحال الإتيان بها ليفيد أن المطلوب منهم فى التحدى قطعة من ذلك المثل الذى ادعوه ٥ حكيمة[2] المعانى متلائمة المبانى منتظم أولها بآخرها كسور[3] المدينة فى صحة الانتظام و حسن الالتيام و الإحاطة بالمبانى[4] التى هى كالمعانى و التقاء[5] الطرفين حتى صار بحيث لا يدرى أوله من آخره سواء كانت القطعة المأتى بها تبارى آية أو ما فوقها لأن آيات القرآن كسورة[6] يعرف من ابتدائها ختامها و يهدى إلى افتتاحها تمامها ، فالتحدى ١٠ هنا منصرف[7] إلى الآية بالنظر الأول و إلى ما فوقها بالنظر الثانى .

و المراد بالسورة هنا مفهومها[8] اللغوى ، لأنها من المثل[9] المفروض

---

(١) فى ظ : بها .

(٢) و فى ظ : حكية .

(٣) فى ظ : كسورة .

(٤) فى ظ : المبادى .

(٥) زيد فى ظ : من .

(٦) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : كسوره .

(٧) فى ظ : صرف .

(٨) فى ظ : مفهومها ـ كذا .

(٩) قال المهائمى : « من مثله » أى مما يماثله بعض المماثلة .

و هو لا وجود له فى الخارج حتى يكون لقطعه اصطلاح فى الأسماء معروف ، و لأن معرفة المعنى الاصطلاحى كانت[1] مخصوصا بالمصدقين و لو أريد التحدى بسورة من القرآن لقيل: فائتوا بمثل سورة منه ، و لما كان هذا هو المراد قصرهم فى الدعاء على من بحضرتهم[2] من الشهداء و سيأتى إن شاء الله تعالى فى سورة يونس عليه السلام و بقية السور المذكورة[3] فيها هذا المعنى ما يتم به هذا الكلام . و فى قوله « ان كنتم صدقين » إيماء[4] إلى كذبهم فى دعوى الشك فيه ، قال الحرالى : و الصادق الذى يكون قول لسانه و عمل[5] جوارحه مطابقا لما احتوى عليه قلبه مما له حقيقة ثابتة بحسبه ، و قال: اتسقت آية تنزيل الوحى بآية إنزال الرزق لما[6] كان نزول ما نزل على الرسول[7] المخصص بذلك ينبغى اعتباره بمقابلة نزول الرزق ، لأنهما رزقان: أحدهما ظاهر يعم الكافر فى نزوله ، و الآخر و هو الوحى رزق

(١) فى النسخ كلها : كان - كذا .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بحصرتهم .

(٣) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : المذكور .

(٤) قال النهائمى : « ان كنتم صدقين » فى أن للريب دخلا فيه . و قال البيضاوى : انه من كلام البشر ، و الصدق الإخبار المطابق ، و قيل مع اعتقاد المخبر أنه كذلك عن دلالة أو أمارة ، لأنه تعالى كذب المنافقين فى قولهم « انك لرسول الله » لما لم يعتقدوا مطابقته . و فى السراج المنير للشربينى الخطيب : « ان كنتم صدقين » فى أن محمدا صلى الله عليه و سلم يقول من تلقاء نفسه و أن آلهتكم تشهد لكم بذلك .

(٥) فى ظ : على .

(٦) فى مد : كما .

(٧) زيد فى مد : صلى الله عليه و سلم .

ناص

باطن يخص الخاصة بنزوله و يتعين له[1] أيهم أتمهم فطرة و أكملهم ذاتا؛ و لم يصلح أن يعم بنزول هذا الرزق الباطن كعموم الظاهر، فتبطل حكمة الاختصاص فى الرزقين، فان نازعهم ريب فى الاختصاص فيفرضون أنه عام فيحاولون معارضته، و كما أنهم يشهدون بتمكنهم من الحس[2] عند محاولته عمومه فكذلك يجب أن يشهدوا بعجزهم عن سورة ٥ من مثله تحقق اختصاص من نزل عليه به و أجرى ذكره باسم العبودية إعلاما بوفائه بأنحاء التذلل[3] و إظهارا لمزية انفراده بذلك دونهم ليظهر به سبب الاختصاص.

و انتظم النون فى «نزلنا» من يتنزل بالوحى من روح القدس و الروح الأمين و نحو ذلك، لأنها تقتضى الاستتباع، و اقتضت النون ١٠ فى لفظ «عبدنا» ما[4] يظهره النبى صلى الله عليه و سلم لهم من/ الانقياد ٣٩/ و الاتباع و ما اقتضاه خلقه العظيم من خفض الجناح، حتى أنه يوافق من وقع على وجه من الصواب من أمته صلى الله عليه و سلم، و حتى أنه يتصف بأوصاف العبد فى أكله كما قال: آكل كما يأكل العبد انتهى.

و التحدى بسورة يشمل[5] أقصر سورة كالكوثر و مثلها فى التحدى ١٥

---

(١) فى مد: لهم.

(٢) هكذا فى الأصل و مد، و فى م و ظ: الحسن.

(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التدلل.

(٤) كرره فى ظ.

(٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تشمل.

آية مستقلة توازيها و آيات، كما قاله[1] الإمام جلال الدين[2] محمد بن أحمد المحلى فى شرح جمع الجوامع، و سبقه الإمام[3] شمس الدين محمد بن عبد الدائم البرماوى فنظمه فى القنية[4] فى الأصول و نقله فى شرحها عن ظاهر كلام إمام الحرمين فى الشامل و عن كلام الفقهاء فى الصداق فيما لو أصدقها تعليم سورة فلقنها بعض آية، و سبقهما العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى فقال فى تلويحه على توضيح صدر الشريعة: المعجز هو السورة أو مقدارها[5]، هكذا ذكر الذين تكلموا فى الإعجاز من الأصوليين و غيرهم أن التحدى وقع بسورة من القرآن، و الصواب أنه إنما وقع بقطعة آية فما فوقها، لأن المراد بالسورة مفهومها اللغوى لا الاصطلاحى[6] كما تقدم بيانه.

و الحاصل أنه لما كان فى آيات المنافقين ذكر الأمثال و كانوا قد استغربوا بعض أمثال القرآن و جعلوها موضعا للشك من حيث كانت موضعا لليقين فقالوا: لو كان هذا من عند الله لما ذكر فيه أمثال هذه الأمثال، لأنه أعظم من أن يذكر ما[7] دعاهم إلى المعارضة فى[8] هذه السورة

(١) فى مد: قال.
(٢) زيد فى م: بن.
(٣) ليس فى ظ.
(٤) فى ظ و مد: الفتية، و فى م: الغيبة.
(٥) فى م: مقدارا.
(٦) فى م: الاسطلاحى - كذا.
(٧) من م، و فى الأصل و مد وظ: يذكرها.
(٨) فى ظ: من.

المدنية بكل طريق[1] يمكنهم ، و أخبرهم بأنهم عاجزون عنها وأن عجزهم دائم[2] تحقيقا لأنهم فى ذلك الحال معاندون لا شاكون .

و لما[3] كان سبحانه عالما بأن الأنفس الآبية و الأنوف الشامخة الحمية التى[4] قد لزمت شيئا فمرنت[5] عليه حتى صار لها خلقا يصعب عليها انفكاكها عنه و يعسر خلاصها منه عبر عن هذا [6]الإخبار بالعجز[6] مهددا فى سياق ملجئ إلى الإنصاف[7] بالاعتراف أو تفطر القلوب بالعجز عن المطلوب بقوله تعالى « فان لم تفعلوا » فأتى بأداة الشك تنفيسا لهم و تهكما فى نفس الأمر بهم و استجهالا لهم ، ثم لم يتمم[8] ذلك التنفيس حتى ضربهم ضربة

(١) فى ظ : طرف .

(٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دائما .

(٣) قال أبو البركات النسفى فى تفسيره ما نصه : لما أرشدهم إلى الجهة التى منها يتعرفون صدق النبى عليه السلام قال لهم : فاذا لم تعارضوه و بان عجزكم و وجب تصديقه فآمنوا و خافوا العذاب المعد لمن كذب و عاند ، و فيه دليلان على إثبات النبوة : صحة كون المتحدى به معجزا ، و الإخبار بأنهم لن يفعلوا ، وهو غيب لا يعلمه إلا الله ، و لما كان العجز عن المعارضة قبل التأمل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم و اعتمادهم على بلاغتهم سيق الكلام معهم على حسب حسبانهم فجىء بان الذى للشك دون إذا الذى للوجوب .

(٤) من م و مد و ظ ، فى الأصل : الذى .

(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فمريت .

(٦ - ٦) و فى م : العجز بالاخبار - بالتقديم و التأخير .

(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الاتصاف .

(٨) كذا بفك الادغام ، و فى ظ : لم يتم .

فضمت ظهورهم و قطعت قلوبهم فقال لتكون الآية كافلة لصحة[1] نسبة النظم[2] و المعنى آيد[3] [4]و آكد لادعائهم المقدرة[5] [6]بقوله تعالى[6] « و لن تفعلوا » [7]فألزمهم الخزى بما حكم عليهم به من العجز ، فلم يكن لهم فعل إلا المبادرة إلى تصديقه بالكف ، فكانوا كمن ألقم الحجر فلم يسعه إلا السكوت ، و استمر ذلك التصديق لهم و لأمثالهم على وجه الدهر فى كل[8] عصر ينادى مناديه[9] فتخضع له الرقاب و يصدّح مؤذنه فتنكسر

(١) فى مد : بصحة .

(٢) فى الأصل : العظم .

(٣) فى الأصل و مد : اليه ، و فى م : اليد - كذا .

(٤) من هنا إلى « تعالى » ليست فى ظ .

(٥) و فى م و مد : القدرة .

(٦ - ٦) ليس فى م .

(٧) قال أبو حيان : و هذه الأقوال أعنى التوكيد و التأييد و نفى ما قرب أقاويل المتأخرين و إنما المرجوع فى معانى هذه الحروف و تصرفاتها لأئمة العرب المقانع الذين يرجع إلى أقاويلهم ، قال سيبويه و لن نفى لقوله سيفعل ، و قال : و تكون لا نفيا لقوله تفعل و لم تفعل - انتهى كلامه ، و قال البيضاوى : لما بين لهم ما يتعرفون به أمر الرسول عليه الصلاة و السلام و ما جاء به و ميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له : و هو انكم إذا اجتهدتم فى معارضته و عجزتم جميعا عن الإتيان بما يساويه أو يدانيه ظهر أنه معجز و التصديق به واجب فآمنوا به و اتقوا العذاب المعد لمن كذب - الخ .

(٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : سل .

(٩) فى ظ : مناديه .

الرؤس، [١]و التعبير[٢] بالفعل الأعم من الإتيان أبلغ لأن نفيه[٣] نفى الأخص و زيادة . و الفعل قال الحرالى ما ظهر عن داعية من الموقع كان عن علم أو غير علم لتدين كان أو لغيره[٤] كما تقدم مرارا[٥] - انتهى .

/ فقد ثبت أن هذا الكتاب الذى بين أنه الهادى إلى الصراط المستقيم /٤٠ أعظم دليل على إفراده بالعبادة و اختصاصه بالمراقبة التى أرشدنا إليها ٥ بقوله « إياك نعبد[٦] و إياك نستعين[٦] » الآية بما ثبت فيه من أدلة التفرد بالإلهية بما ثبت من عجزهم عن معارضته[٧] و عجز جميع العرب الذين كانوا أفصح الخلق و كذا جميع من ولد فى بلادهم و انطبع بلسانهم من اليهود و النصارى الذين لهم من الفصاحة[٨] و العلم ما هو مشهور فقد كان لليهود من بنى إسرائيل الذين كانوا فى المدينة الشريفة و خيبر و اليمن و غيرها، ١٠

---

(١) ليست العبارة من هنا الى « و زيادة » فى ظ .

(٢) قال البيضاوى : فعبر من الإتيان المكيف بالفعل الذى يعم الإتيان به وغيره إيجاز أو نزل لازم الجزاء منزلته على سبيل الكناية تقريرا للمكنى عنه و تهويلا لشأن العناد و تصريحا بالوعيد مع الإيجاز .

(٣) من م و مد، و فى الأصل : نفسه .

(٤) فى ظ : غيره .

(٥) سقطت العبارة من « كما » إلى هنا من م و مد ، و لفظ «مرارا» فقط ليس فى ظ .

(٦ - ٦) ليست فى م و مد .

(٧) ليست العبارة من هنا إلى « سائر البلدان » فى م و ظ .

(٨) من مد، و فى الأصل : النتاجة - كذا .

و من دخل فى دينهم من العرب من الفصاحة و البلاغة و العلم ما لا يحتاج من طالع السيرة فيه إلى توقف[١] ، و كان[٢] النصارى من بنى إسرائيل و من دان دينهم من العرب و هم [٣]كثير كثرة قوم[٣] المنذر بن ماء السماء، و ما قارب الشىء من عبد القيس و تنوخ و عامله و غسان كلهم فصحاء بلغاء، و زاد كثير منهم على ذلك العلم و كان منهم الشعراء المبرزون؛ و مع ذلك فلم يقدر أحد منهم على طعن فى هذا القرآن و لا عارضه منهم إنسان إلا ما قاله مسيلمة و الأسود العنسى[٤] فيما[٥] افتضحوا به و أكذبهم الله تعالى[٦] فيه[٧] و سارت بفضائحهم الركبان فكانوا بها مثلا فى سائر البلدان .

(١) فى مد: موقف .

(٢) فى مد: كذا .

(٣ - ٣) فى الأصل: كسير كسر قوم ، و فى مد: كثير كقوم .

(٤) من مد ، و فى الأصل: العبسى .

(٥) فى مد: مما .

(٦) ليس فى مد .

(٧) قال أبو حيان الأندلسى: و فى قوله « ولن تفعلوا » إثارة لهممهم ليكون عجزهم بعد ذلك أبلغ و أبدع ، و فى ذلك دليلان على إثبات النبوة: أحدهما صحة كون المتحدى به معجزا ، الثانى الإخبار بالغيب من أنهم لن يفعلوا ، و هذا لا يعلمه إلا الله و يدل على ذلك أنهم لو عارضوه لتوفرت الدواعى على نقله خصوصا من الطاعنين عليه ، فاذا لم ينقل دل على أنه إخبار بالغيب و كان ذلك معجزة؛ و أما ما أتى به مسيلمة الكذاب فى هذره و أبو الطيب المتنبى فى عبره و نحوهما فلم يقصدوا به المعارضة و إنما ادعوا أنه نزل عليهم وحى بذلك فأتوا من ذلك =

قال عمرو بن بحر الجاحظ « فى كتاب الحجة فى تثبيت خبر الواحد »
إن الله [١]تبارك و[١]تعالى بعث محمدا صلى الله عليه و سلم أكثر ما كانت
العرب شاعرا و خطيبا و أحكم ما كانت لغة و أشد ما كانت عدة فدعا[٢]
أقصاها و أدناها إلى توحيد الله و تصديق رسالته فدعاهم إلى حظهم[٣] بالحجة ،
فلما قطع العذر و أزال الشبهة و صار الذى يمنعهم من الإقرار الهوى ٥
و الحمية دون الجهل و الحيرة حملهم على حظهم[٣] بالسيف ، فنصب لهم
الحرب و نصبوا له[٤] و قتل[٥] من عليتهم و أعلامهم و أعمامهم و بنى
أعمامهم و قتلوا أعمامه و بنى أعمامه و علية[٦] أصحابه و أعلام أهله ،
و هو فى ذلك يحتج عليهم بالقرآن و غيره[٧] و يدعوهم صباحا[٨] و مساء

= باللفظ الغث و المعنى السخيف و اللغة المهجنة و الأسلوب الرذل و الفقرة غير المتمكنة و المطلع المستقبح و المقطع المستوهن بحيث لو قرن ذلك بكلامهم فى غير ما ادعوا أنه وحى كان بينهما من التفاوت فى الفصاحة و التباين فى البلاغة ما لا يخفى عمن له يسير تميز فى ذلك فكيف الجهابذة النقاد و البلغاء الفصحاء فسلبهم الله فصاحتهم بادعائهم و افترائهم على الله الكذب - انتهى كلامه .

(١ - ١) ليس فى ظ .

(٢) فى ظ : و ربما .

(٣) فى الأصل : خطهم .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) فى م و ظ : قيل - كذا ، و لا يتضح فى مد .

(٦) فى الأصل : عليه .

(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : غيرهم - كذا .

(٨) فى م و مد و ظ : صباح .

إلى أن يعارضوه إن كان كاذبا بسورة[١] واحدة أو بآيات يسيرة ، فكلما ازداد تحديا[٢] لهم بها و تقريعا بعجزهم عنها تكشف من نقصهم ما كان مستورا و ظهر منه ما كان خفيا[٣] ، [٤]فحين لم يجدوا حيلة و لا حجة قالوا له : أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف[٥] فلذلك يمكنك ما لا يمكننا ؛ قال: فهاتوها مفتريات[٦] ، فلم يرم[٧] ذلك خطيب و لا طمع فيه شاعر و لا طبع فيه لتكلفه ، و لو تكلفه / لظهر ذلك ، و لو ظهر لوجد من يستجيده[٨] و يحامى عليه[٩] و يكابر فيه و يزعم أنه قد عارض و قابل و ناقض ، فدل ذلك العاقل[١٠] على عجز القوم مع كثرة كلامهم و اتساع لغتهم و سهولة ذلك عليهم و كثرة شعرائهم و كثرة من[١١] هجاه منهم

/٤١

(١) العبارة من هنا إلى « بعزهم » ليست فى ظ .

(٢) من م و مد ، و فى الأصل : تحدثا .

(٣) من م و ظ ، و لا يتضح فى مد ، و فى الأصل : خطيا .

(٤) العبارة من هنا إلى « ما » ليست فى ظ .

(٥) فى الأصل و م : لا تعرف ، ولا يتضح فى مد ، و فى ظ : لا يعرف ، والظاهر لا نعرف ـ بنون الجمع .

(٦) فى م : مقترنات ـ كذا .

(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فلم يدم .

(٨) فى ظ : تستجيده .

(٩) ليس فى مد .

(١٠) كذا ، و الظاهر : للعاقل .

(١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ما .

و عارض

و عارض[1] شعراء أصحابه و خطباء أمته ، لأن سورة واحـدة و آيات يسيرة كانت أنقض[2] لقوله[3] و أفسد لأمره و أبلغ فى تكذيبه و أسرع فى تفريق أتباعه من بذل النفوس و الخروج من الأوطان و إنفاق الحرائب ؛ و هذا من جليل التدبير الذى لا يخفى على من هو دون قريش و العرب فى العقل و الرأى بطبقات ، و لهم القصيـد[4] العجيب و الرجز الفاخر[5] و الخطب الطوال البليغة و القصار الموجزة ، و لهم الأسجاع[6] و المزدوج و اللفظ المنثور ، ثم يتحدى به أقصاهم[7] بعد أن ظهر[8] عجز أدناهم ؛ فمحال أكرمك[9] الله أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط فى الأمر الظاهر

(١) قال أبو حيان: « فاتوا بسورة » طلب منهم الإتيان بمطلق سورة و هى القطعة من القرآن التى أقلها ثلاث آيات فلم يقترح عليهم الإتيان بسورة طويلة فيتعنتوا فى ذلك بل سهل عليهم و أراح عليهم بطلب الإتيان بسورة ، وهـذا هو غاية التبكيت و التخجيل لهم ، فاذا كنتم لا تقدرون أنتم ولا معاضدوكم بالإتيـان بسورة من مثله فكيف تزعمون أنه من جنس كلامكم وكيف يلحقكم فى ذلك ارتياب أنه من عند الله - انتهى كلامه .

(٢) فى م : انقص - بالصاد المهملة .

(٣) فى م : لقومه .

(٤) فى م : القصيدة .

(٥) ليس فى ظ .

(٦) من م ، و لا يتضح فى مد ، و فى الأصل و ظ : الاشجاع .

(٧) العبارة من هنا إلى « المكشوف » كررها ثانيا فى الأصل .

(٨) من ظ ، و فى الأصل وم : اظهر ، و لا يتضح فى مد .

(٩) جملة دعائية .

و الخطاء المكشوف البين مع التقريع بالنقص و التوقيف على العجز و هم[1] أشد الخلق أنفة و أكثرهم مفاخرة و الكلام سيد[2] علمهم[3] و قد احتاجوا إليه و الحاجة تبعث على الحيلة فى الأمر الغامض فكيف بالظاهر ! و كما أنه محال أن يطبقوا ثلاثا و عشرين سنة على الغلط فى الأمر الجليل[4] المنفعة فكذلك أيضا محال أن يتركوه و هم يعرفونه و يجدون السبيل إليه و هم يبذلون[5] أكثر منه - انتهى . فثبت بهذا عجزهم و خرس قطعا إفصاحهم و رمزهم و طأطأ ذلا[6] كبرهم و عزهم ، وكيف يمكن المخلوق مع تمكنه فى سمات النقص و دركات الافتقار و الضعف معارضة من اختص بصفات

(١) قال البيضاوى : و فى الآيتين ما يدل على النبوة من وجوه : الأول ما فيهما من التحدى و التحريض على الجد و بذل الوسع فى المعارضة بالتقريع و التهديد و تعليق الوعيد على عدم الإتيان بما يعارض أقصر سورة من سور القرآن ثم انهم مع كثرتهم و اشتهارهم بالفصاحة و تهالكهم على المضادة لم يتصدوا للمعارضة و التجؤا إلى جلاء الوطن و بذل المهج ، و الثانى أنها تتضمن الإخبار عن الغيب على ما هو به فانهم لو عارضوه بشىء لامتنع خفاؤه عادة سيما و الطاعنون فيه أكثف من الذابين عنه فى كل عصر ، والثالث أنه عليه الصلاة والسلام لو شك فى أمره لما دعاهم إلى المعارضة بهذه المبالغة مخافة أن يعارض فتدحض حجته - انتهى كلامه .

(٢) كذا فى النسخ كلها ، و لكن الملائم هنا : سند .

(٣) فى ظ و م و مد : عملهم .

(٤) كرره فى الأصل ثانيا .

(٥) فى ظ : يبدلون - كذا بالدال المهملة .

(٦) فى م : دلا .

الكمال و تعالى عن الأنداد[1] و الأشباه[2] و الأشكال .

و قد اختلف الناس فى سبب الإعجاز و أحسن ما وقفت عليه من ذلك ما نقله الإمام بدر الدين الزركشى الشافعى فى كتابه البرهان عن الإمام أبى سليمان الخطابى - و قال : و إليه ذهب الأكثرون من علماء النظر - أن وجه الإعجاز فيه [3]من جهة[3] البلاغة لكن صعب عليهم تفصيلها[4] و وضعوا فيه إلى حكم الذوق[5] ، قال[6] : و التحقيق[7] أن أجناس الكلام /مختلفة و مراتبها فى درجات البيان متفاوتة ، فمنها البليغ الرصين الجزل ، و منها الفصيح القريب السهل ، و منها الجائز الطلق الرسل ؛ /٤٢

(١) فى الأصل : الاندل - كذا .

(٢) ليس فى م ومد و ظ .

(٣-٣) فى الأصل مكرر .

(٤) ليس فى م .

(٥) فى م : الزوق - كذا بالزاى .

(٦) فوقه فى ظ : اى الخطابى .

(٧) و فى مقدمة البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى : اختلفوا فيما به إعجاز القرآن ، فمن توغل فى أساليب الفصاحة و أفانينها و توقل فى معارف الآداب و قوانينها أدرك بالوجدان أن القرآن أتى فى غاية من الفصاحة لا يوصل إليها و نهاية من البلاغة لا يمكن أن يحام عليها . فمعارضته عنده غير ممكن للبشر ، و لا داخلة تحت القدر ؛ و من لم يدرك هذا المدرك ولا سلك هذا المسلك رأى أنه من نمط كلام العرب و أن مثله مقدور لمنشئ الخطب ، فاعجازه عنده إنما هو بصرف الله تعالى إياهم عن معارضته و مناضلته و إن كانوا قادرين على مماثلته .

و هذه [١]الأقسام هى الكلام[١] الفاضل المحمود، فالقسم الأول أعلاه[٢] و القسم[٣] الثانى أوسطه و القسم[٣] الثالث أدناه و أقربه؛ فحازت بلاغات القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصة و أخذت من كل نوع شعبة، فانتظم لها بانتظام هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتى الفخامة و العذوبة، و هما على الانفراد فى نعوتهما كالمتضادين لأن[٤] العذوبة تاج السهولة و الجزالة و المتانة[٥] يعالجان نوعا من الزعورة، فكان اجتماع الأمرين فى نظمه مع نبو كل واحد منهما عن[٦] الآخر فضيلة خص بها القرآن لتكون[٧] آية بينة لنبيه صلى الله عليه و سلم، و إنما تعذر على البشر جميعا[٣] الإتيان بمثله لأمور، منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية و أوضاعها التى هى ظروف المعانى، و لا تدرك أفهامهم جميع معانى الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ، و لا تكمل معرفتهم باستيفاء جميع وجوه النظوم التى[٨] بها يكون ائتلافها و ارتباط بعضها ببعض، فيتوصلوا

(١ - ١) فى م و مد و ظ: اقسام الكلام.

(٢) فى الأصل، و م و ظ: اعلاها، و لا يتضح فى مد.

(٣) ليس فى م و مد و ظ.

(٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: من.

(٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: المتانة - كذا.

(٦) فى م: على.

(٧) فى ظ و مد: ليكون.

(٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الذى.

باختيار الأفضل من الأحسن من وجوهها[1] إلى أن يأتوا بكلام مثله، و إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة لفظ حامل و معنى به قائم و رباط[2] لهما ناظم؛ و إذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه فى غاية الشرف و الفضيلة حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح و لا أجزل و لا أعذب من ألفاظه، و لا ترى نظما أحسن تأليفا و[3] أشد تلاؤما و تشاكلا[4] من نظمه؛ و أما معانيه فكل ذى لب يشهد له بالتقدم فى أبوابه و الترقى إلى أعلى درجاته، و قد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق فى أنواع الكلام، فاما أن يوجد مجموعه فى نوع واحد منه فلم توجد إلا فى كلام العليم القدير، فخرج من هذا أن[5] القرآن إنما[6] صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ فى أحسن نظوم التأليف، مضمنا/ أصح المعانى من توحيد الله ٤٣/ تعالى و تنزيه له فى صفاته، و دعاء إلى طاعته و بيان لطريق عبادته، فى تحليل و تحريم و حظر و إباحة، و من وعظ و تقويم و أمر بمعروف و نهى عن منكر، و إرشاد إلى محاسن الأخلاق و زجر عن مساويها، واضعا كل شىء منها موضعه الذى لا يرى شىء[7] أولى منه و لا يتوهم

(١) فى م: وجوهما - كذا.
(٢) فى ظ: ارباط.
(٣) زيد فى م: لا.
(٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يشكلا - كذا.
(٥) ليس فى ظ.
(٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الا، و هو محرف «انما» فصحح.
(٧) فى ظ و م: شيئا.

فى صورة العقل أمر أليق به منه، مودعا أخبار القرون الماضية و ما نزل من مثلات الله بمن مضى و عاند منهم، منبئا عن الكوائن المستقبلة فى الأعصار الآتيـة من الزمان، جامعا فى ذلك بين الحجة و المحتج له و الدليل و المدلول عليه، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه، و أنبأ عن وجوب ما أمر به و نهى عنه، و معلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور و الجمع بين أشتاتها حتى تنتظم و تتسق أمر تعجز عنه قوى البشر و لا تبلغه قدرتهم؛ فانقطع الخلق دونه و عجزوا عن معارضته بمثله أو مناقضته فى شكله، ثم صار المعاندون له يقولون مرة: إنه شعر - لما رأوه منظوما - و مرة: إنه سحر - لما رأوه[1] معجوزا عنه غير مقدور عليه، و قد كانوا يجدون له وقعا[2] فى القلوب و فزعا فى النفوس يريبهم[3] و يحيرهم، فلم يتمالكوا أن يعترفوا به نوعا من الاعتراف[4]، و لذلك قالوا: إن له لحلاوة و إن عليه

(١) فى ظ: رواه.

(٢) فى ظ: موقعا.

(٣) فى ظ: يربيهم.

(٤) و فى البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى: فمن أدرك إعجازه فوفق أسلم بأول سماع سمعه أبو ذر رضى الله عنه، قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم من أوائل فصلت آيات فأسلم للوقت، و خبره فى إسلامه مشهور، و ممن أدرك إعجازه و كفر عنادا عتبة بن ربيعة و كان من عقلاء الكفار حتى كان يتوهم أمية بن الصلت أنه هو يعنى عتبة يكون النبى المنبعث فى قريش، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه و سلم حسده عتبة و أضرا به مع علمهم بصدقه و أن ما جاء به معجز، و كذلك الوليد بن المغيرة، روى عنه أنه قال لبنى مخزوم: و الله لقد =

لطلاوة، و كانوا مرة بجهلهم يقولون: إنه[1] «اساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة و اصيلا»[2]، مع علمهم أن صاحبه أمى و ليس بحضرته من يملى أو يكتب فى نحو ذلك من الأمور التى أوجبها العناد و الجهل و العجز - انتهى.

و أول كلامه يميل إلى أن الإعجاز بمجرد النظم من غير نظر إلى المعنى، و آخره يميل إلى أنه بالنظر إلى النظم و المعنى معا من الحيثية التى ذكرها، و هو الذى ينبغى أن يعتقد لكن فى التحدى بسورة واحدة و أما بالعشر[3] فبالنظر إلى البلاغة فى النظم فقط - نقله البغوى فى تفسير سورة هود عن المبرد و قد مر آنفا مثله فى كلام الجاحظ.

و قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى مفتاح الباب المقفل الباب الأول فى علو بيان القرآن على بيان الإنسان: اعلم أن بلاغة البيان تعلو على قدر علو المبين، فعلو بيان الله على بيان خلقه بقدر علو الله على خلقه، فبيان كل مبين على قدر إحاطة علمه، فاذا أبان الإنسان عن[4] الكائن أبان بقدر ما يدرك منه و هو لا يحيط به علمه فلا يصل إلى غاية البلاغة

= سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الإنس و لا من كلام الجن! إن له لحلاوة، و إن عليه لطلاوة، و إن أعلاه لمثمر، و إن أسفله لمغدق، و إنه يعلو و لا يعلى، و مع هذا الاعتراف غلب عليه الحسد و الأشر حتى قال ما حكى الله عنه «ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر».

(١) ليس فى ظ.

(٢) سورة ٢٥ آية ٥.

(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العثر.

(٣) فى م: على، و هو كما ترى.

فيه بيانه ، و إذا أنبأ عن الماضى فبقدر ما بقى من ناقص علمه به كائنا فى ذكره لما لزم الإنسان من نسيانه ، و إذا أراد أن ينبئ[1] عن الآتى أعوزه البيان كله إلا ما يقدّره أو يزوّره ؛ فبيانه فى الكائن ناقص و بيانه فى الماضى أنقص و بيانه فى الآتى ساقط « بل يريد الانسان ليفجر امامه »[3] و بيان الله سبحانه عن الكائن بالـغ إلى غاية ما أحاط به علمه « قل انما العلم عند الله[4] » و عن المنقطع كونه بحسب إحاطته بالكائن و سبحانه من النسيان « لا يضل ربى و لا ينسى »[5] و عن الآتى بما هو الحق الواقع « فلنقصن عليهم بعلم و ما كنا غائبين » و الوزن يومئذ الحق[6] » و المبـين الحق الذى لا يوهن بيانه إيهام نسبة النقص إلى بيانه[7] ، و الإنسان يتهم نفسه فى البيان و يخاف أن ينسب إلى العى فيقصد استقراء البيان و يضعف مفهوم بيانه ضعفا من منته و مفهوم بيان القرآن أضعاف أضعاف أنبائه و قل ما ينقص عن نظيره - انتهى .

و قال الإمام محمد بن عبد الرحمن المراكشى[8] الأكمه فى شرح نظمه

(١) فى ظ : ينباء - كذا .
(٢) فى ظ : الآتى .
(٣) ٧٥ آية ٥ .
(٤) سورة ٦٧ آية ٢٦ .
(٥) سورة ٢٠ آية ٥٢ .
(٦) سورة ٧ آية ٧ و ٨ .
(٧) فى مد : بيان .
(٨) فى ظ : المزاركشى ، و زاد بعده « فى » .

لمصباح ابن مالك فى المعانى و البيان ما يصلح أن يكون متنا [١]و جملة[١] و ما تقدم شرحا له و تفصيلا قال : الجهة المعجزة فى القرآن تعرف بالتفكر فى علم البيان و هو كما اختاره جماعة فى تعريفه ما يحترز به[٢] عن الخطأ فى تأدية المعنى و عن تعقيده ، و تعرف به وجوه تحسين الكلام[٣] بعد رعاية[٣] تطبيقه[٤] لمقتضى الحال ، لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه و إلا لكانت قبل نزوله معجزة ، ٥ و لا مجرد تأليفها و إلا لكان كل تأليف معجزا ، و لا إعرابها و إلا لكان كل كلام معرب معجزا ، و لا مجرد أسلوبه و إلا لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزا - و الأسلوب الطريق - و لكان هذيان[٥] مسيلمة معجزا ، و لأن الإعجاز يوجد دونه أى الأسلوب فى نحو « فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا[٦] » « فاصدع بما تؤمر[٧] » و لا بالصرف عن معارضته ، لأن تعجبهم كان[٨] من فصاحته ، و لأن ١٠ مسيلمة و ابن المقفّع و المعرى و غيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا إلا بما تمجه[٩] الأسماع

(١-١) ليس فى ظ .

(٢) ليس فى ظ .

(٣-٣) فى مد : بقدر غاية .

(٤) فى م : تطيقه .

(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هديان - كذا .

(٦) سورة ١٢ آية ٨٠ .

(٧) سورة ١٥ آية ٩٤ .

(٨) من م و مد ، و لا يتضح فى الأصل ، و فى ظ : كانت - كذا .

(٩) فى ظ : يمجه .

، تنفر[1] منه الطباع ، ويضحك منه فى أحوال[2] تركيبه و[3]يهان بتلك[3] الأحوال ، أعجز البلغاء و أخرس الفصحاء ؛ فعلى إعجازه دليل إجمالى و هو أن العرب عجزت عنه و هو بلسانها فغيرها أحرى ، و دليل تفصيلى[4] مقدمته[5] التفكر فى خواص تركيبه ، و نتيجته العلم[6] بأنه تنزيل من المحيط بكل[7] شىء علما[8] - انتهى . و سيأتى إن شاء الله تعالى فى أواخر العنكبوت[9] ما ينفع ههنا و أشار سبحانه فى تهديدهم[10] بقوله « فاتقوا النار »[11] [12]كذا قال الحرالى ، و هى[12] جوهر لطيف يفرط لشدة لطافته فى تفريط

(١) فى ظ : ينفر .

(٢) فى م : احول - كذا .

(٣-٣) كذا فى ظ ، و فى الأصل و م : بها اى ، و زيد بعده فى م : بذلك .

(٤) فى ظ : تفصيله .

(٥) فى ظ : قدمنه - كذا .

(٦) بهامش ظ : علما - و كتب عليه « صح » .

(٧) فى ظ : لكل ، و لا يتضح فى الأصل .

(٨) ليس فى ظ .

(٩) زيد فى ظ : و .

(١٠) فى ظ : تصديهم .

(١١) زيد فى م و مد « ايجازا و تهويلا كما مر العناد لاغنائه به (ليس فى مد) عن أن يقال فاتركوا عنادكم لئلا تعذبوا بالنار التى صفتها .

(١٢-١٢) فى ظ : و هى كما قال الحرالى . و قال أبو حيان : « فاتقوا النار » جواب للشرط و كنى به عن ترك العناد لأن من عاند بعد وضوح الحق له لاستوجب العقاب بالنار ، و اتقاء النار من نتائج ترك العناد و من لوازمه - انتهى

المتجمد بالحر المفرط و فى تجميد[1] المتمتع بالبرد المفرط . و قال غيره: جسم لطيف مضىء حار من شأنه الإحراق « التى وقودها » أى الشىء الذى[2] يتوقد[3] و يتأجج[4] به « الناس و الحجارة » التى هى أعم من أصنامهم [5]التى قرنوا بها أنفسهم فى الدنيا إلى أنهم لم يقدروا على المعارضة و استمروا على التكذيب، كانوا معاندين و من عاند استحق النار، و[5] إلى أنهم إذا أحرقوا فيها أوقد عليهم بأصنامهم تعريضا[6] بأنها و إن كانت فى الدنيا لاضرر فيها و لانفع باعتبار ذواتها فهى فى الآخرة ضرر لهم بلا نفع بشفاعة و لا غيرها؛ [7]و تعريف النار و صلة الموصول لأن أخبار القرآن بعد[8] ثبوت أنه من عند الله معلومة مقطوع بها فهو من باب تنزيل الجاهل منزلة العالم تنبيها على أن ما جهله لم يجهله أحد .

(١) فى مد: تفريط .

(٢) فى ظ: التى .

(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: توقد .

(٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تتاجج .

(٥-٥) ليست فى مد و ظ، و فى تفسير البيضاوى: و الوقود بالفتح ما توقد به النار وبالضم المصدر، « و الحجارة » وهى جمع حجر و المراد بها الأصنام التى نحتوها و قرنوا بها أنفسهم و عبدوها طمعا فى شفاعتهم و الانتفاع بها و استدفاع المضار بمكانتهم، و يدل عليه قوله تعالى «و ماتعبدون من دون الله حصب جهنم» و عذبوا بما هو منشأ جرمهم كما عذب الكانزون بما كنزوه .

(٦) من ظ، و فى الأصل و م و مد: تعريفا .

(٧) العبارة من هنا إلى «احدا» ليست فى ظ . و فى مد: لايجهله ـ مكان: لم يجهله .

(٨) فى م: تعد ـ كذا .

و قال الحرالى : الحجارة ما تحجّر أى اشتد تصامّ[1] أجزائه من الماء و التراب ، «و اتقوا» أى توقفوا عن هذه التفرقة بين الله و رسوله حيث تذعنون لربوبيته و ترتابون فى رسوله ، فالنار معدة للعذاب بأشد التفريق لألطف الأجزاء الذى هو معنى الحرق لمن فرق و قطع ما يجب وصله ، أى لما فاتتكم التقوى بداعى العلم فلا تفتكم التقوى[2] بسائق[3] الموجع[4] المخصوص المناسب عذابه لفعلكم ، فانها نار غذاؤها و اشتعالها بالكون *كله أنهاه[5] تركيبا و هم الناس الملائمون لمارجها[6] بالنوس و أطرفه[7] و أجمده و هى[8] الحجارة فهى تسع ما بين ذلك من باب الأولى ، و فيه[9]

(١) من م ، و فى الأصل و مد : تضام - بالضاد المعجمة .

(٢) ليس فى ظ فقط .

(٣) فى م : لسائق .

(٤) بهامش ظ : أى الوجع السابق و هو النار .

(٥ - ٥) فى ظ : كلما نهاه .

(٦) فى ظ : لما رجح .

(٧) فى ظ : ادفى انكون كما .

(٨) كذا فى الأصل ، و فى م و مد و ظ : هو .

(٩) قال المهائمى فى تفسيره « فاتقوا النار التى » هى أثر غضب الله ، « وقودها » أى ما تتقد بها ابتداء « الناس و الحجارة » مع أنهما سببا انطفاء نيران الدنيا ، فذلك من غاية شدة حرارتها ، و لا يترائى التعذيب بها عن موتكم لأنها « أعدت » أى هيئت « للكفرين » أى لتعذيبهم قبل خلقهم فضلا عن كفرهم و معاصيهم ، لأنه غضب عليهم فى الأزل لخوفهم به - انتهى . وقال الشربينى الخطيب : و أيضا حجارة الكبريت أشد حرا وأكثر التهابا و تزيد على غيرها من الأحجار سرعة الإيقاد ونتن الريح وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأبدان - انتهى . =

إشعار بمُنتها و قوتها و أنها بحكم هذا الوسع للالتصاق[1] بخلق[2] يعنى و ليست كنار الدنيا التى غذاؤها من ضعيف الموالد و هو النبات و لا تفعل[3] فى الطرفين إلا بواسطة و كان غذاؤها و وقودها النبات إذ كانت متقدحة[4] منه كما قال « الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا[5] » و تقول[6] العرب : فى كل شجر نار و استمجد المرخ[7] و العفار[8] ، و ذلك على حكم ما تحقق أن الغذاء للشىء مما منه أصل كونه و قال « وقودها » لأن النار أشد فعلها فى وقودها لأن[9] بتوسطه تفعل فيما سواه ، فاذا كان وقودها محرقها كانت فيه أشد [10]عملا لتقويها[10] به عليه ، و يفهم اعتبارها بنار الدنيا

= و قال أبو البركات عبد الله النسفى : و معنى قوله تعالى « وقودها الناس و الحجارة » أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران بأنها تتقد بالناس و الحجارة و هى حجارة الكبريت فهى أشد توقدا و أبطأ خمودا و أنتن رائحة و ألصق بالبدن ، أو الأصنام المعبودة فهى أشد تحسرا .

(١) فى م : لاتصاق .

(٢) فى ظ : لخلق .

(٣) فى م : لا يفعل .

(٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : منقدحة ـ كذا .

(٥) سورة ٣٦ آية ٨٠ .

(٦) فى م : يقول .

(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المرح .

(٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العقار ـ بالقاف .

(٩) كذا فى النسخ كلها ، و الظاهر : لأنها .

(١٠ - ١٠) فى ظ فقط : تقومها .

انقداحها[1] من أعمال المجزيين بها و من كونهم، فهم منها مخلوقون و بها مغتذون إلا أنها منطفية الظاهر فى الدنيا متأججة فى يوم الجزاء و مثال كل مجزى منها بمقدار ما فى كونه من جوهرها .

قلت : و يؤيده « ان المبذرين كانوا اخوان الشيٰطين[2] » أى فى أن الغالب عليهم العنصر النارى المفسد لما قاله[3] « الم تر انا ارسلنا الشيٰطين على الكٰفرين تؤزهم ازا[4] » قال: و فى ذكر الحجارة إفهام عموم البعث و الجزاء لما حوته السماء و الأرض و أن كل شىء ليس الثقلين فقط يعمه القسم بين الجنة و النار كما عمه القسم بين الخبيث و الطيب؛ و إنما اقتصر فى مبدإ عقيدة الإيمان على الإيمان ببعث الثقلين و جزائهم تيسيرا[5] و استفتاحا ، و ما سوى ذلك فمن زيادة الإيمان و تكامله كما قال « ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم[6] » و من العلماء من وقف بايمانه على بعث الثقلين و جزائهما ، حتى أن منهم من ينكر جزاء ما سواهما و يتكلف تأويل مثل قوله عليه السلام: يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء - انتهى .

و لما تم ذلك وكان « الناس » عاما للكافر و غيره كان كأنه قيل: هذه النار لمن؟ فقيل[7] « اعدت » أى هيئت و أكملت قبل زمن استعمالها

(١) كذا فى الأصل و م و مد، و فى ظ : ان قداحها - كذا .
(٢) سورة ١٧ آية ٢٧ .
(٣) فى م : ناله .
(٤) سورة ١٩ آية ٨٣ .
(٥) فى م و ظ : تيسرا .
(٦) سورة ٤٨ آية ٤ .
(٧) من م ، و فى الأصل و مد و ظ : لقيل .

[1]و تقاد[2] للمجهول لأن المشتكى[3] إذا جهل فاعله كان أنكأ[4] « للكٰفرين » فبين أنها موجودة مهيأة لهم[5] ولكل من اتصف بوصفهم و هو ستر ما ظهر من آيات الله . قال الحرالى : وهى عدة الملك الديان لهم بمنزلة سيف الملك من ملوك الدنيا - انتهى . و لما ذكر ما[6] لهم ترهيبا اتبعه ما للمؤمنين ترغيبا فقال صارفا وجه الخطاب بالرحمة إلى نبى الرحمة صلى الله عليه و سلم عاطفا على ما تقديره : فأنذرهم بذلك ، و لكنه طواه لأن السياق للاستعطاف[7] « و بشر » و البشرى قال الحرالى إظهار غيب[8] المسرة بالقول « الذين ءامنوا » أى صدقوا الرسل « وعملوا » قال الحرالى : من العمل و هو فعل بُنى على علم[9] أو زعمه « الصٰلحٰت » من الأقوال و الأفعال ، قال الحرالى : جمع صالحة ،

(١) العبارة من هنا إلى « انكأ » ليست فى ظ .

(٢) فى م و مد : بيان .

(٣) فى م و مد : المنكر .

(٤) من م و مد ، و فى الأصل : اتكا .

(٥) و فى البيضاوى : هيأت لهم و جعلت عدة (و العدة ما أعددت لحوادث الدهر من المال و السلاح) و قوله « اعدت للكٰفرين » دل على أن النار مخلوقة معدة لهم الآن - انتهى .

(٦) لفظة « ما » زيدت من م و مد .

(٧) زيد فى م و مد : على لسان نبى الرحمة .

(٨) فى م : عيب - كذا بالعين المهملة .

(٩) فى م : عمل .

و هو العمل المتحفظ به من مداخل الخلل فيه ، و إذا كانت البشرى لهؤلاء فالمؤمنون أحق بما فوق البشرى ، و إنما يبشر من يكون على خطر ، و المؤمن مطمئن فكيف بما فوق ذلك من رتبة الإحسان إلى ما لا عين رأت و لا أذن سمعت ، و ما لا يناله[٢] علم نفس و لا خطر على قلب بشر .

٥ و لما ذكر المبشر اتبعه المبشر[٣] به فقال[٤] : « ان لهم جنّت » أى متعددة ، قال الحرالى : لتعدد رتب أفعالهم التى يطابق الجزاء ترتبها و تعددها [كما -[٥]] قال عليه الصلاة و السلام للتى[٦] سألت عن ابنها : إنها جنان و إن

(١) من م و مد ، و فى ظ : لهم ، و الأصل مطموس .

(٢) فى م : يباله - كذا .

(٣) ليس فى ظ فقط .

(٤) قال النسفى : سنة الله فى كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب تنشيطا لاكتساب ما يزلف و تثبيطا عن اقتراف ما يتلف ، فلما ذكر الكفار و أعمالهم و أوعدهم بالعقاب قفاه بذكر المؤمنين و أعمالهم و تبشيرهم بقوله : و بشر » الآية ، و البشارة الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ، و المأمور بقوله « و بشر » الرسول عليه السلام أو كل أحد ، و هذا أحسن لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه و فخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة - انتهى . و الصالحة نحو الحسنة فى جريها مجرى الاسم ، و الصالحات كل ما استقام من الأعمال بدليل العقل و الكتاب و السنة - تفسير النسفى ج ١ ص ٢٧ .

(٥) زيد من م و مد ، و ليس فى ظ ، و لا يتضح فى الأصل .

(٦) و هى أم حارثة ، بن سراقة اتت النبى صلى الله عليه و سلم فقالت : يا نبى الله ! ألا تحدثنى عن حارثة ؟ و كان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب - فان كان =

ابنك أصاب الفردوس الأعلى . و فى التعبير بلهم إشعار بأن[1] ذلك الذى لهم ينبغى لحاقه[2] بذواتهم ليحصل به من كمال أمرهم و صلاح حالهم نحو مما يحصل بكمال خلقهم و تسويتهم . و الجنات[3] مبتهجات للنفوس تجمع ملاذ جميع حواسها، تُجن المتصرف فيها أى تخفيه[4] و تجن وراء نعيمها مزيدا دائما - انتهى . ٥

ثم وصفها بأنها « تجرى » [5]قال الحرالى: من الجرى و هو إسراع

= فى الجنة صبرت و إن كان غير ذلك اجتهدت عليه فى البكاء؛ قال : يا أم حارثة ! إنها جنان فى الجنة ، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى - أخرجه البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه ج ١ ص ٣٩٤ .

(١) فى ظ : بانه .

(٢) و فى م : لحاقهم ، و فى ظ : لحاق .

(٣) فى تفسير النسفى: الجنة البستان من النخل و الشجر المتكاثف ، والتركيب دائر على معنى الستر ، و سميت دار الثواب « جنة » لما فيها من الجنان ؛ و معنى جمع الجنة و تنكيرها أن الجنة اسم لدار الثواب كلها و هى مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب بحسب أعمال العاملين ، لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان .

(٤) فى م : تحفيه - كذا .

(٥) « تجرى من تحتها الانهر » المراد من تحت أشجارها كما ترى الأشجار النابتة على شواطىء الأنهار الجارية ؛ و أنهار الجنة تجرى فى غير أخدود ، و أنزه البساتين ما كانت أشجارها مظلة و الأنهار فى خلالها مطردة ، و الجرى الاطراد ؛ و الماء الجارى من النعمة العظمى و اللذة الكبرى ، و لذا قرن الله تعالى الجنات بذكر الأنهار الجارية وقدمه على سائر نعوتها - انتهى .

حركة الشيء و دوامها ، « من تحتها » أى من تحت غرفها ، و التحت ما دون المستوى ، « الانهر » جمع نهر ، و هو المجرى الواسع للماء - انتهى . [1]فاسناد الجرى إليها مجاز ، و التعريف لما عهده السامع من الجنس[1] و يحتمل أن يكون المعنى أن أرضها منبع الأنهار ، فَتَحْتَ كل شجرة و غرفة منبع نهر ، فهى لا تزال غضّة يانعة متصلة الزهر و الثمر لا كما يجلب إليه الماء و ربما انقطع فى وقت فاختلّ بعض أمره . قال الحرالى: و إذا تعرف حال العامل من وصف جزائه علم أن أعمالهم كانت مبنية على الإخلاص الذى هو حظ العاملين من التوليد الذى الماء آيته - انتهى .

فلما كانت الجنان معروفة بالثمار ساق وصفها بذلك مساق ما لا شك[2] فيه بخلاف جرى الأنهار فقال: « كلما » و هى كلمة تفهم تكرر الأمر فى عموم الأوقات « رزقوا منها من ثمرة » أىّ ثمرة كانت رزقا « قالوا » لكونه على صورة ما فى الدنيا « هذا » [1]أى الجنس لاستحكام الشبه[1] « الذى رزقنا من قبل » أى فى الدنيا ،[3] و لما كان الرزق[4] معلوما و لم يتعلق غرض[5] بمعرفة[6] الآتى بالرزق بُنيا للمجهول فقال تعالى عاطفا

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) فى م : وصف .

(٣) ليست العبارة من هنا إلى « كأنه واحد » فى ظ .

(٤) من م ، و فى الأصل و مد : الرازق - كذا .

(٥) ليس فى مد .

(٦) فى مد: لعرفه .

على ما تقديره لأنا خلقناه على شكل ما كان ليكونوا به أغبط و لمزيته أعرف و له أقبل و إليه أميل موحدا للضمير إشارة إلى أنه لاستحكام الشبه كأنه واحد « و اتوا به » أى[1] جىء لهم [2]بهذا الجنس المرزوق لهم فى الدارين فى الجنة[2] من غير تطلب و تشوق « متشابها » فى مطلق اللون و الجنس ليظن أنه متشابه فى الطعم ، فيصير فضله فى ذلك بالذوق نعمة أخرى[3] و التشابه المراد هنا اشتراك فى ظاهر الصورة ،[4] و الإتيان بأداة التكرار يدل على أن الشبه يزداد عظمة[5] فى كل مرة فيزداد العجب و جعل الحرالى[6]

(١) زيد فى م و مد : و .

(٢ - ٢) كذا فى الأصل و م و مد ، ولكن ضرب عليه فى م ، و فى ظ : به ، و زيد بعدها فى م و مد : وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما و غيره ، و زيد بعدها فى مد : الجنس المرزوق لهم فى الدارين فى الجنة .

(٣) وفى تفسير النسفى : كلما رزقوا من الجنات أىّ من أى ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك . و المعنى هذا مثل الذى رزقنا من قبل و شبهه بدليل قوله « واتوا به متشابها » كقولك : أبو يوسف أبو حنيفة - تريد أنه لاستحكام الشبه كأن ذاته ذاته ؛ و إنما كان ثمار الجنة مثل ثمار الدنيا ولم تكن أجناسا أخر لأن الإنسان بالمألوف آنس و إلى المعهود أميل ، و لأنه إذا شاهد ما سلف له به عهد و رأى فيه مزية ظاهرة و تفاوتا بينا كان استعجابه أكثر و استغرابه أوفر ، و المعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا فى نفسه .

(٤) ليست العبارة من هنا إلى « العجب » فى ظ .

(٥) زيد بعده فى مد : مرة .

(٦) زيدت فى م : الجنس المرزوق لهم فى الدارين فى الجنة ، و ليس هذا موضعها .

هذا خاصا بثمار الجنة فقال: من قبل إعلام بأن أشخاص ثمر الجنة وآحادها لا تتمايز[1] لأنها على أعلى صورتها لا تتفاوت بأعلى وأدنى ولا يتراخى زمان عودها، فهى تتخلف لآنِ قطفها ولا تتمايز[1] صور المقطوف من الخالف حتى يظن القاطف أن المتخلف عين الأول؛ فحال ٥ ثمر الجنة كحال الماء الذى هو أصله، وبسرعة الخلف من ثمر الجنة وأنه متصل جرية[2] الوجود قال عليه السلام فى عنقود من ثمرها: لو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا. ويشعر ذلك عند اعتبار العمل به بأن نياتهم فى الأعمال صالحة ثابتة مرابطة حتى جزُوا[3] بها هذا الاتصال وكمال الصورة فى الرزق[4] ومنه [5]حديث مرفوع أخرجه الطبرانى عن سهل بن ١٠ سعد[5]: نية المؤمن خير من عمله. «واتوا به متشابها[6]» أظهر عذرهم فى توهم

(١) من مد، وفى الأصل وم وظ: يتمايز.

(٢) من م ومد وظ، وفى الأصل: جزية.

(٣) هكذا فى الأصل، وفى م ومد: جزوا، وفى ظ: خيروا.

(٤) فى مد: الذوق.

(٥ - ٥) من هامش ظ، وليست فى م ومد، وثبتت فى الأصل بين السطرين بعد «عمله».

(٦) وقال المهائمى فى تفسيره المسمى تبصير الرحمن وتيسير المنان: «الانهر» جمع نهر، وهو المجرى الواسع مما أجروا من أنهار الحكمة إلى ألسنتهم ثم إلى العالم و«كلما رزقوا منها» من تلك الجنات «من ثمرة رزقا» حقيقيا حسا أو عقليا أو خياليا «قالوا هذا» جزاء «الذى رزقنا من قبل» من المقامات والأحوال التى هى ثمرات الإيمان والأعمال «و» لما كانت لكل عمل ثمرات =

اتحاد الثمر و عرف بأمنتهم من العنا ، لأنه لو تفاوت تبعه الكراهة للأدنى و تكلف [1]للانتقاء للأعلى[1] و ذلك إنما هو لائق بكيد الدنيا لا بنعيم الجنة ، و قد ذكر بعض العلماء[2] اطراد هذا التشابه فى ثمر الجنة و إن اختلفت أصنافه[3] ، و يضعفه ما يلزم منه كمال الدلالة فى المعنى و الصورة فى نحو

= متشابهة يفضل بعضها بعضا « اتوا به متشابها » يشبه بعضه بعضا فى الصورة مع التفاوت فى اللذات ـ انتهى كلامه . و فى التفسير المظهرى : « هذا » إشارة إلى نوع ما رزقوا المستمر بتعاقب أفراده « من قبل » أى من قبل هذا يعنى فى الدنيا جعلت متشابهة بثمار الدنيا كيلا يتنفر الطبع عن غير المألوف و يظهر المزية ، وقيل الثمار فى الجنة متشابهة فى اللون مختلفة فى الطعم والداعى لهم على تكرار هذا القول كلما رزقوا تبجحهم بما وجدوا من التفاوت العظيم فى اللذة والتشابه العظيم فى الصورة . « واتوا به » بالرزق « متشابها» يعنى ثمار الجنة كلها خيار لا رذالة فيها .

(١ - ١) فى م : الانتقا لاعلى ، وفى مد : الانتقاء للاعلى ـ كذا .

(٢) و فى التفسير المظهرى للقاضى محمد ثناء الله العثمانى المظهرى : روى البغوى بسنده عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يبزقون يلهمون الحمد و التسبيح كما يلهمون النفس ، طعامهم جشاء و رشحهم المسك ـ رواه مسلم؛ والآية محمل آخر أن يكون المعنى هذا ثواب الذى رزقنا من قبل فى الدنيا من المعارف و الأعمال ، نظيره فى الوعيد « ذوقوا ما كنتم تعملون » روى الترمذى عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، و إنها قيعان ، و إن غراسها هذه ـ يعنى التسبيح و التحميد والتكبير . قوله تعالى « و اتوا بـه متشابها » أى مماثلا لمعارفهم و طـاعاتهم فى الشرف =

قوله تعالى « فيهما فاكهة و نخل و رمان[1] » و ما يجرى مجراه - انتهى .

و لما [2]ذكر المسكن الذى هو محل اللذة و اتبعه المطعم المقصود بالذات و[2] كانت لذة الدار لا تكمل إلا بأنس الجار [2]لا سيما المستمتع به[2] قال « و لهم فيها » أى مع ذلك « ازواج »[3] و لما كن على خلق واحد لا نقص فيه أشار إليه بتوحيد الصفة ، و أكد ذلك بالتعبير بالتفعيل إلماما بأنه عمل فيه عمل ما يبالغ فيه بحيث لا مطمع فى الزيادة فقال « مطهرة » . قال الحرالى : و الزوج ما لا يكمل المقصود من الشىء إلا معه على نحو من الاشتراك و التعاون[4] ، و التطهير[5] / تكرار إذهاب مجتنب بعد مجتنب عن الشىء ؛ و لما ذكر تعالى الرزق المستثمر من أعمال الذين آمنوا وصل به ذكر الأزواج المستثمرة[6] من حال نفوسهم من

/٤٦

= و المزية متفاوتا على حسب تفاوت أعمالهم . (٣) فى ظ فقط : اضافه - كذا .

(١) سورة ٥٥ آية ٦٨ .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٤) و فى التفسير المظهرى : الزوج يقال للذكر والأنثى ، و فى الأصل يقال لما له قرين من جنسه كزوج الخف .

(٥) و فى تفسير النسفى : « مطهرة » من مساوى الأخلاق ، لا طمحات و لا مرحات ، أو مما يختص بالنساء من الحيض و الاستحاضة ، و ما لا يختص بهن من البول و الغائط و سائر الأقذار و الأدناس . و لم تجمع الصفة كالموصوف لأنهما لغتان فصيحتان ، و لم يقل : طاهرة ، لأن مطهرة أبلغ ، لأنها تكون للتكثير ؛ و فيها إشعار بأن مطهرا طهرهن ، و ما ذلك إلا الله عز و جل .

(٦) فى م : المستمرة - كذا .

حسن أخلاقها و جمال صورتها الباطنة فى الدنيا ، وكانت المرأة زوج الرجل لما كان لايستقل أمره فى النسل و السكن إلا بها - انتهى .

و لما كان [1]خوف الزوال أو الانتقال إلى أدنى منغصًا فلا[1] تروق[2] اللذة[3] إلا مع الاستقرار [4]و كان هذا الوصف عاما فى جميع الجنان العلى و غيرها قال مقدما للجار إشارة إلى أنهم لا يكونون فى جنة إلا و هذه صفتها و أن نعيمهم لا آخر له[4] « و هم فيها »[5] و لما أفاد تقديم الظرف تخصيص الكون بها و عدم الكون فى غيرها و كان ذلك معنى الخلود و كان قد يطلق على الإقامة بلا نهاية و على طول الإقامة و إن كان له آخر صرح به بيانا بأن المراد ما لا آخر له و إلا لم يفد شيئا جديدا فقال « خلدون »[6]

(١-١) فى ظ : ذلك الأمر لا . و فى م « جوف » مكان « خوف » و « و » مكان « او » و « ولا » مكان « فلا » .

(٢) فى م : تذوق .

(٣) ليس فى ظ .

(٤-٤) ليست فى ظ .

(٥) العبارة من هنا إلى « جديدا فقال » ليست فى ظ و م ، و قد ضرب عليها فى الأصل ولكن السياق يقتضيها فأثبتناها .

(٦) قال البيضاوى : واعلم أنه لما كان معظم اللذات الحسية مقصورا على المساكن و المطاعم و المناكح على ما دل عليه الاستقراء و كان ملاك ذلك كله الثبات و الدوام فان كل نعم جليلة إذا قارنها خوف الزوال كانت منغصة غير صافية من شوائب الألم بشر المؤمنين بها و مثّل ما أعد لهم فى الآخرة بأبهى ما يستلذ به منها و أزال عنهم خوف الفوات بوعد الخلود ليدل على كمالهم فى التنعم و السرور .

و الخلود[1] طول الإقامة بالقرار ، و سياق الامتنان أغنى[2] عن تقييده بالتأبيد و الدوام .

و لما ثبت بعجزهم عن المعارضة أن هذا الكلام كلامه سبحانه ثبت أن ما فيه من الأمثال أقواله فهددهم فى هذه السورة المدنية على العناد و تلاه بالآية التى أخبر فيها بأن ثمار الدنيا و أزواجها و إن شابهت ما فى الجنة بالاسم و بعض الشكل فقد باينته بالطعوم و الطهارة و ما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى فاضمحلت نسبتها إليها ، و كان فى ختم الآية بخلدون إشارة إلى أن الأمثال التى هى أحسن كلام الناس و إن شابهت أمثاله سبحانه فى الاسم و دوام الذكر فلا نسبة لها إليها لجهات لا تخفى[3] على المنصف فلم يبق إلا طعنهم بأنها لكونها بالأشياء الحقيرة لا تليق بكبريائه فبين حسنها و وجوب الاعتداد بها و إنعام النظر فيها بالإشارة بعدم الاستحياء من ضربها لكونها حقا إلى أن الأشياء كلها و إن عظمت حقيرة بالنسبة إلى جلاله و عظمته و كماله ، فلو ترك التمثيل بها لذلك

(١) و الخلد و الخلود فى الأصل الثبات المديد دام أو لم يدم ، و لذلك قيل للأثافى و الأحجار : خوالد ، لكن المراد به الدوام ههنا عند الجمهور لما يشهد له من الآيات و السنن - انتهى . و قال على المهائمى فى تفسيره : « و هم فيها خلدون » لغلبة الروحانية على أجسامهم و بقاء هيئات الإيمان و الأعمال على أرواحهم و قلوبهم - انتهى كلامه .

(٢) فى م : اغنى - كذا .

(٣) فى ظ : لا يخفى .

لانسد ذلك الباب الذى هو من أعجب العجاب[1] فقال تعالى على طريق ٥ الاستنتاج[2] من المقدمات المسلمات[3] و أكد سبحانه دفعا لظن أنه يترك لما لبّسوا[4] به الأمثال التى هى أكشف شيء للأشكال و أجلى فى[5] جميع الأحوال[6] . و قال الحرالى: لما كانت الدعوة تحوج مع المتوقف[7] فيها

(١) و فى م: العجايب .

(٢) و فى م: الاستفتاح ، و ما فى الأصل هو الظاهر .

(٣) العبارة من هنا إلى « الاحوال » ليست فى ظ .

(٤) فى م و مد: لسوا ـ كذا . (٥) فى م: من .

(٦) قال البيضاوى و اجاد فى قوله: لما كانت الآيات السابقة متضمنة لأنواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه و ما هو الحق له و الشرط فيه وهو أن يكون على وفق الممثل له من الجهة التى تعلق به التمثيل فى العظم و الصغر والخسة و الشرف دون الممثل فان التمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له و رفع الحجاب عنه و إبرازه فى صورة المشاهد المحسوس ليساعد فيه الوهم العقل و يصالحه عليه ، فان المعنى الصرف إنما يدركه العقل مع منازعة من الوهم ، لأن من طبعه ميل الحس و حب المحاكاة ، و لذلك شاعت الأمثال فى الكتب الإلهية و فشت فى عبارات البلغاء وإشارات الحكماء ، فيمثل الحقير بالحقير كما يمثل العظيم بالعظيم وإن كان الممثل أعظم من كل عظيم لاما قالت الجهلة من الكفار لمّا مثل الله تعالى حال المنافقين بحال المستوقدين و أصحاب الصيب و عبادة الأصنام فى الوهن و الضعف ببيت العنكبوت ، و أيضا لما أرشدهم إلى ما يدل على أن المتحدى به وحى منزل و رتب عليه وعيد ممن كفر به و وعد من آمن به بعد ظهور أمره شرع فى جواب ما طعنوا به فيه فقال « ان الله لا يستحى » أى لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيى أن يمثل بها لحقارتها ـ انتهى كلامه .

(٧) فى ظ: التوقف .

و الآبى لها إلى تقريب للفهم بضرب الأمثال وكانت هذه الدعوة جامعة الدعوات وصل بها هذه الآية الجامعة لإقامة الحجة فى ضرب الأمثال و أن ذلك من الحق سبحانه « و الله لايستحيى من الحق[1] » [2]و ليختم[3] ذكر ما تضمنه صدر السورة من الحروف[4] التى أنزل عليها القرآن بسابعها الذى هو حرف المثل ، و بين تعالى أن مقدار الحكمة الشاهد للمثل[5] فى البعوضة و فيما هو أظهر للحس و آخذ[6] فى العلم . و إنما يجب الالتفات للقدر لا للمقدار و لوقع[7] المثل[8] على ممثله قل أو جل دنا أو علا فتنزه تعالى[9] عما يجده الخلق عندما ينشأ من بواطنهم و همهم أن يظهروا أمرا[10] فيتوهمون فيه نقصا فيرجعهم ذلك عن إظهاره قولا أو فعلا - انتهى . فقال[11] تعالى « إن الله » أى المحيط بكل شىء جلالا و عظمة

(١) سورة ٣٣ آية ٥٣ .

(٢) زيد فى الأصل : «وليتضمن» ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها .

(٣) من ظ ، و فى الأصل : لينختم ، و فى م و مد : لينختم .

(٤) زيد فى م : الذى .

(٥) فى ظ : للمثل .

(٦) فى م و مد و ظ : احد ، و زيد فى مد : بما - كذا .

(٧) فى م : لواقع .

(٨) و فى ظ : للمثل .

(٩) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست فى ظ .

(١٠) فى م : امر .

(١١) قال على المهائمى فى تفسيره : ولما كان ذكر الدال على مزيد عنايته بنوع =

و كالا « لا يستحيي » أى لا يفعل ما يفعله المستحيي من ترك ما يستحيي منه .

و الحياء[1] قال الحرالى انقباض النفس عن عادة انبساطها فى ظاهر البدن لمواجهة ما تراه نقصا حيث يتعذر عليها الفرار بالبدن « ان »[2] كلمة مدلولها ممن أجريت عليه حقيقة باطن من ذاته و علمه يتصل بها ما يظهرها ، و سيبويه رحمه الله يراها اسما ، و عامة النحاة لانعجام معناها عليهم ٥ يرونها حرفا « يضرب » من ضرب المثل و هو[3] وقع المثل على الممثل ،

= الإنسان باصلاح معاشه ومعاده بارسال الرسل ، و ذكر النحل و النمل لبيان عظيم عنايته بأحقر الأشياء حتى ألهم الأول طريق تحصيل العسل و الثانى شأن سليمان عليه السلام ، و ذكر الذباب و العنكبوت لتحقير الأصنام مريبا لهم حتى كأنهم قالوا لو دل إعجازه على أنه كلام الله دل ذكرها على أنه ليس بكلامه ، إذ لا يليق لعظمته رد الله عليهم بقوله « ان الله لا يستحى » - انتهى كلامه .

(١) قال أبو حيان الأندلسى : الحياء تغير و انكسار يعترى الإنسان من خوف ما يعاب به و يذم ، و محله الوجه ، و منبعه من القلب ، و اشتقاقه من الحياة و ضده القحة ، و الحياء و الاستحياء و الانخزال و الانقماع و الانقلاع متقاربة المعنى فتنوب كل واحدة منها مناب الأخرى . و قال النسفى : و لا يجوز على القديم التغير و خوف الذم و لكن الترك لما كان من لوازمه عبر عنه ، و يجوز أن تقع هذه العبارة فى كلام الكفرة فقالوا : أما يستحيى رب محمد أن يضرب مثلا بالذباب و العنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة و إطباق الجواب على السؤال ؛ و هو فن من كلامهم بديع - انتهى .

(٢) قال البيضاوى : و « ان » بصلتها مخفوض المحل عند الخليل باضمار من منصوب بافضاء الفعل إليه بعد حذفها عند سيبويه .

(٣) و ضرب المثل اعتماله من ضرب الخاتم ، و أصله وقع شىء على آخر .

لأن أصل[1] الضرب وقع شيء على شيء، و المعنى أن يوجد الضرب متجددا[2] مستمرا و هذا لا يساويه أن يقال من ضربه[3] مثلا، فانه يصدق لمثل واحد سابق أو لاحق، و تحقيقه أن المصدر لا يقع[4] إلا على كمال الحقيقة من غير نظر إلى زمان[5] و لا غيره و أما بفعل[6] فانه يفهم إيقاع الحقيقة من غير نظر أيضا إلى زمان، و بفهمها مع[7] النظر إلى الزمان مع التجدد[8] و الاستمرار و مع كمال الحقيقة و قبل كمالها عند الشروع فيها و إلى هذا القيد الأخير ينظر قول الحرالى: إن الحياء من أن يضرب المثل استحياء من وقعة فى الباطن، و الحياء من ضربه المثل استحياء من إظهاره بالقول، فنفى الأصل الأبلغ[9] الذى بنفيه[10] يكون نفى الضرب أحق، فليراجع هذا المعنى مع تكرار كلمة «ان» فانها كثيرة الدور[11] /فى القرآن جليلة قدر المعنى فى مواقعها، و إنما يجرى /٤٧

(١) فى مد: امثل.

(٢) و فى م: متجرد.

(٣) فى م: ضرب.

(٤) و فى م: لا يوثر.

(٥) و فى م: الى برهان إلى برهان - كذا.

(٦) فى ظ: يفعل.

(٧) و فى م: منه.

(٨) فى م: التجدر.

(٩) فى م: كلا بلغ - كذا.

(١٠) فى م: ينفيه.

(١١) و فى م: القدر.

على ترك الالتفات إلى موقع معناها ما يقوله النحاة فى معنى التقريب إنّ أنّ و الفعل فى[1] معنى المصدر، و الواجب فى الإعراب و البيان الإفصاح عن ترتب معانيهما، و عند هذا يجب أن تكون[2] ان اسما و الفعل صلتها نحو[3] من و ما «مثلا ما» مثل أمر ظاهر للحس و نحوه، يعتبر به أمر خفى يطابقه فينفهم معناه باعتباره و «ما»[4] فى نحو هذا الموقع لمعنى الاستغراق، ٥ فهى هنا لشمول الأدنى و الأعلى من الأمثال - انتهى. ثم بين ذلك بقوله «بعوضة».

و قال الحرالى: و لما كان ضرب المثل متعلقا بمثل و بمثل كان الضرب واقعا عليهما، فكان لذلك متعديا إلى مفعولين: مثلا ما و بعوضة، و البعوض[5] جنس معروف من أدنى الحيوان الطائر مقدارا و فيه استقلال و تمام خلقة[6]، يشعر به معنى البعض الذى منه لفظه، لأن البعض يوجد[7] فيه

(١) فى م: هى.

(٢) فى مد: يكون.

(٣) فى مد: مثل.

(٤) قال البيضاوى: «ما» إبهامية تزيد للنكرة إبهاما و شياعا و تسد عنها طرق التقييد، و استفهامية هى المبتدأ، كأنه لما رد استبعادهم ضرب الله الأمثال قال بعده: ما البعوضة فما فوقها حتى لا يضرب به المثل؟

(٥) و فى م: البعوضة.

(٦) و فى ظ: خلقته.

(٧) فى مد و ظ: توجد.

جميع أجزاء الكل فهو بذلك كل ، «فما فوقها» أى من[1] معنى يكون أظهر منها ، و الفاء تدل على ارتباط مّا إما تعقيب و اتصال أو تسبيب ، ففيه هنا إعلام بأقرب ما يليه على الاتصال و التدريج إلى أنهى ما يكون - انتهى . و المعنى أن ذلك إن اعتبر بالنسبة إليه سبحانه كان هو و أنتم و غيركم بمنزلة واحدة فى الحقارة ، و إن اعتبر بالنسبة إليكم كان الفريقان بمنزلة واحدة فى أنه خلق حقير ضعيف صغير من تراب ، و أما شرف بعضه على بعض فانما كان بتشريف الله له و لو شاء لعكس الحال .

ثم ذكر شأن[2] قسمى المؤمنين و الكافرين بقسمى كل منهم فى قبول أمثاله فقال[3] مؤكدا بالتقسيم لأن حال كل من القسمين حال المنكر لما وقع للآخر[4] : «فاما»[5] ، قال الحرالى : كأنها مركبة من «ان»

(١) فى البيضاوى : و معناه ما زاد عليها فى الجثة كالذباب و العنكبوت ، كأنه قصد به رد ما استنكروه ، و المعنى أنه لا يستحيى ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو أكبر منه أو فى المعنى الذى جعلت فيه مثلا و هو الصغر و الحقارة لجناحها فانه عليه السلام ضربه مثلا للدنيا ؛ أو ما زاد عليها فى القلة كنخبة النمل لقوله عليه السلام : ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة - انتهى .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى « للآخر » ليست فى ظ و مد .

(٤) فى مد : الاخر - كذا .

(٥) فى تفسير النسفى : و« اما » حرف فيه معنى الشرط و لذا يجاب بالفاء ، =

دالة على باطن ذات و « ما » دالة على ظاهر مبهم، يؤتى به للتقسيم - انتهى . « الذين آمنوا » أى بما ذكرنا أول السورة ،[١] و لما تضمن أما معنى الشرط كما فسره سيبويه بمهما يكن من شىء أجيب بالفاء فى قوله « فيعلمون[٢] انه » أى ضرب المثل « الحق » كائنا[٣] « من ربهم » أى المحسن إليهم بجميع أنواع الإحسان ، و أنه ما أراد بهم إلا تربيتهم بالإحسان ٥ بضربه على عوائد فضله[٤] ، و أما أمثال غيره فان لم يكن فيها نوع من الباطل فلا بد فيها من ضرب من التسمح تكون به غير جديرة باسم الحق و لا عريقة فيه .

قال الحرالى : لما كان الذين آمنوا ممن بادر فأجاب و كان ضرب المثل تأكيد دعوة و موعظة لمن حصل منه توقف حصل للذين آمنوا ١٠ استبصار بنور الإيمان فى ضرب المثل ، فصاروا عالمين بموقع الحق فيه ، و كما استبصر فيه الذين آمنوا استغلق معناه على الذين كفروا و جهلوه[٥]

= و فائدته فى الكلام أن يعطيه فضل توكيد ، و لذا قال سيبويه فى تفسيره : مهما يكن من شىء فزيد ذاهب ، و هذا التفسير يفيد كونه تأكيدا و أنه فى معنى الشرط ؛ و فى إيراد الجملتين مصدرتين به إحماد عظيم لأمر المؤمنين و اعتداد بليغ بعلمهم أنه الحق و نعى على الكافرين إغفالهم حظهم و رميهم بالكلمة الحمقاء .

(١) العبارة من هنا إلى « قوله » ليست فى ظ و مد .

(٢) زيد فى م و مد : علما نافعا .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) زيد فى م و مد : فيقولون إذعانا و تسليما « آمنا به كل من عند ربنا » .

(٥) فى م : جهلوا ، و فى مد : جهلوا عنه .

فاستفهموا عنه استفهام إنكار لموقعه - انتهى . فلذا[1] قال « و اما الذين كفروا » أى المجاهرون منهم و المساترون[2] « فيقولون » [3]أى قولا مستمرا[3] « ما ذا[4] » [5]أى الذى[5] « اراد الله » الذى هو أجل جليل « بهذا » الحقير [6]أى بضربه له[6] « مثلا »[6] أى على جهة المثلية[6] استهزاء و جهلا[7] و عنادا و جفاء[8]؛ ثم وصل بذلك ذكر ثمرته عند الفريقين جوابا لسؤال من سأل

(١) فى م: فكذا . (٢) زيد فى م و مد: فيجهلون ذلك .

(٣ - ٣) ليست فى ظ ، و زيد بعدها فى مد: اعتراضا و استهزاء .

(٤) قال على المهائمى « فاما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق » أى الثابت الذى لا يمكن تبديله ، إذ لا يمكن بيان خسة الشىء بتمثيله بأعظم الأشياء « من ربهم » أى الذى رباهم بما بين لهم من مراتب الأشياء ليضعوا كل شىء موضعه ، « و اما الذين كفروا فيقولون » مع علمهم بحقيته « ما ذا اراد الله » مع غاية عظمته « بهذا » أى بجعل هذا الحقير مثلا مع أنه لا يناسب عظمته - انتهى كلامه .

(٥ - ٥) ليس فى ظ .

(٦-٦) ليست فى ظ .

(٧) قال أبو البركات النسفى: و سياق الآية لبيان أن ما استنكره الجهلة من الكفار و استغربوه من أن تكون المحقرات من الأشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع الاستنكار و الاستغراب ، لأن التمثيل إنما يصار إليه لما فيه من كشف المعنى و إدناء المتوهم من المشاهد ، و لبيان أن المؤمنين الذين عادتهم الإنصاف و النظر فى الأمور بناظر العقل إذا سمعوا بهذا التمثيل علموا أنه لحق وأن الكفار الذين غلب الجهل على عقولهم كابروا و عاندوا و قضوا عليه بالبطلان و قابلوه بالإنكار ، وأن ذلك سبب هدى للمؤمنين و ضلال الفاسقين .

(٨) زيد فى مد: فالآية من الاحتباك . ذكر أولا العلم دليلا على حذف ضده ثانيا ، و ثانيا الاعتراض دليلا على حذف ضده أولا .

منهم

منهم فقال « يضل به كثيرا » أى منهم بأن لا يفهمهم المراد منه فيظنون بذلك الظنون . و قال الحرالى: و كان إضلالا لهم، لأن فى ضرب المثل بما يسبق لهم استزراؤه بنحو الذباب و العنكبوت الذى استزروا ضرب المثل به تطريق لهم إلى الجهالة فكان[1] ذلك إضلالا، و قدم الجواب بالإضلال لأنه مستحق المستفهم، و الإضلال التطريق للخروج عن الطريق الجادة[2] المنجية[3] - انتهى .

« و يهدى به كثيرا » أى ببركة اعتقادهم الخير و تسليمهم له الأمر يهديهم ربهم بإيمانهم فيفهمهم المراد منه و يشرح صدورهم لما فيه من المعارف فيزيدهم به إيمانا و طمأنينة و إيقانا[4]، و المهديون[5] كثير فى الواقع قليل بالنسبة إلى الضالين . و لما كان المقام للترهيب كما مضى فى قوله « فاتقوا النار » اكتفى فى المهتدين بما سبق[6] من بشارتهم و قال فى ذم القسم الآخر و تحذيره: « و ما يضل به الا »، قال الحرالى : كأنها مركبة

(١) فى ظ : و كان .

(٢) فى ظ : الجارة - كذا .

(٣) فى م: المنحية .

(٤) العبارة من هنا إلى « الضالين » ليست فى ظ .

(٥) و فى تفسير النسفى: و أهل الهدى كثير فى أنفسهم و إنما يوصفون بالقلة بالقياس إلى أهل الضلال، و لأن القليل من المهتدين كثير فى الحقيقة و إن قلوا فى الصورة :

إن الكرام كثير فى البلاد و إن قلوا كما غيرهم قل و إن كثروا

(٦) و فى م: سبق .

من « إن » و « لا » مدلولها نفى حقيقة ذات عن حكم ما قبلها - انتهى .

« الفسقين » أى الخارجين[1] عن العدل و الخير . و قال الحرالى : الذين خرجوا عن إحاطة الاستبصار و جهات تلقى الفطرة و العهد الموثق و حسن الرعاية ، لأن الفسق خروج عن محيط كالكمام للثمرة و الجحر[2] للفأرة - انتهى .

ثم بينهم بقوله « الذين ينقضون » من النقض[3] و هو حل أجزاء الشىء بعضها عن بعض « عهد الله » أى الذى[4] أخذه عليهم على ماله من العظمة بما ركز فيهم من العقول و نصب لهم من الدلائل و العهد التقدم فى الأمر - قاله الحرالى .

---

(١) وقال البيضاوى : أى خارجين عن حد الإيمان كقوله تعالى « ان المنافقين هم الفاسقون » من قولهم : فسقت الرطبة عن قشرها - إذا خرجت ، وأصل الفسق الخروج عن القصد .

(٢) فى ظ : الجحرة .

(٣) النقض فسخ التركيب ، و أصله فى طاقات الحبل ، و استعماله فى إبطال العهد من حيث أن العهد يستعار له الحبل ، لما فيه من ربط أحد المتعاهدين بالآخر و العهد الموثق و وضعه لما من شأنه أن يراعى ويتعهد كالوصية و اليمين ؛ وهذا العهد إما العهد المأخوذ بالعقل و هو الحجة القائمة على عباده الدالة على توحيده وجوب وجوده و صدق رسوله و عليه نزل قوله تعالى « و اشهدهم على انفسهم » أو المأخوذ بالرسل على الأمم بأنهم إذا بعث إليهم رسول مصدق بالمعجزات صدقوه و اتبعوه ولم يكتموا أمره و لم يخالفوا حكمه .

(٤) ليس فى ظ .

[1]و لما كان المراد عهدا خاصا و هو إرسال الرسل عليهم السلام أثبت الخبر[2] فقال « من بعد ميثاقه »[3] أى بدلالة الكتب على ألسنة الرسل مع تقريبه من الفطر و تسهيله / للنظر، و الوثاق شدة الربط ٤٨/
و قوة ما به يربط - قاله الحرالى . « و يقطعون ما امر الله » أى الملك الأعظم، و لما كان البيان بعد الإجمال أروع للنفس قال « به » ثم فسره[4] بقوله ٥
« ان يوصل »[5] أى من الخيرات، قال الحرالى: و القطع الإبانة فى الشىء[6] الواحد و الوصل مصيرا لتكملة مع المكمل شيئا واحدا كالذى يشاهد فى إيصال الماء و نحوه و هو إعلام بأنهم يقطعون متصل الفطرة و نحوها فيسقطون عن مستواها و قد أمر الله أن يوصل[7] بمزيد علم يتصل بها حتى يصل نشؤها إلى أتم ما تنتهى إليه، و كذلك حالهم فى كل أمر ١٠

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٢) فى م و مد : الجار .

(٣) قال البيضاوى : الميثاق اسم لما يقع به الوثاقة وهى الاستحكام، و المراد به ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب و ما وثقوه به من الالتزام و القبول.

(٤) فى م : فسر .

(٥) يحتمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى كقطع الرحم و الإعراض عن موالاة المؤمنين و التفرقة بين الأنبياء عليهم السلام و الكتب فى التصديق و ترك الجماعات المفروضة و سائر ما فيه رفض خير و تعاطى شر فانه يقطع الوصلة بين الله و بين العبد المقصود بالذات من كل وصل و فصل - انتهى .

(٦) فى ظ : النفى - كذا .

(٧) من ظ، و فى الأصل و م و مد : توصل .

يجب أن يوصل فيأتون فيما يطلب[1] فيه الأمر الأكمل بضده الأنقص - انتهى . « و يفسدون » ؛[2] و لما قصر الفعل ليكون أعم قال « فى الارض » أى بالنكوب[3] عن طريق الحق . قال الحرالى[4] : و لما كانت الأرض موضوعة للنشئ منها و فيها و موضع ظهور عامة الصور الرابية[5] اللازمة الجسمية و محل تنشؤ صورة النفس بالأعمال[6] و الأخلاق وكان الإفساد نقض الصور كما قال تعالى « و اذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها و يهلك الحرث و النسل و الله لا يحب الفساد »[7] كان[8] فعلهم فيها من نحو

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تطلب .

(٢) العبارة من هنا إلى « قال » ليست فى ظ .

(٣) بهامش الأصل : اى الاعراض .

(٤) قال على المهائمى فى البحر المحيط « و قال الزمخشرى : الإفساد فى الأرض تهييج الحروب و الفتن ، قال : لأن فى ذلك فسادا فى الأرض و انتفاء الاستقامة عن أحوال الناس و الزروع و المنافع الدينية و الدنيوية ، قال تعالى « ليفسد فيها و يهلك الحرث و النسل » « اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء » و الأرض متى كثرت معاصى أهلها و تواترت قلت خيراتها و نزعت بركاتها ومنع عنها الغيث الذى هو سبب الحياة ، فكان فعلهم الموصوف أقوى الأسباب لفساد الأرض وخرابها . و قال : وليس ذكر الأرض لمجرد التوكيد بل فى ذلك تنبيه على أن هذا المحل الذى فيه نشأتكم و تصرفكم ومنه مادة حياتكم و هو سترة أمواتكم .

(٥) فوقه فى ظ : اى النامية . (٦) فى ظ : باعمال .

(٧) سورة ٢ آية ٢٠٥ .

(٨) بهامش ظ : جواب لما كانه و لما عطف عليها امر لا بدونه - كذا .

فعلهم فى وضع الضد السيئ موضع ضده الأكمل و التقصير بما شأنه التكملة فكان إفسادا لذلك - انتهى .

و لما كان كأنه قيل: إن فعل هؤلاء لقبيح جدا فما حالهم؟ قال « اولئك » أى الأباعد من الصواب « هم الخسرون ه »[1] أى الذين قصروا[2] الخسران عليهم، و الخسارة النقص فيما شأنه النماء - قاله الحرالى، و من المعلوم أن هذا نتيجة ما مضى من أوصافهم . قال الحرالى : و لما كان الخاسر من كان عنده رأس مال مهيأ للنماء و الزيادة فنقصه عن سوء تدبير، و كان أمرهم فى الأحوال الثلاث المنسوقة[3] حال من نقص ما شأنه

(١) قال النسفى : « الخسرون » أى المغبونون حيث استبدلوا النقض بالوفاء و القطع بالوصل و الفساد بالصلاح و العقاب بالثواب . و قال البيضاوى : الذين خسروا باهمال العقل عن النظر و اقتناص ما يفيدهم الحياة الأبدية و استبدال الإنكار و الطعن فى الآيات بالإيمان بها و النظر فى حقائقها و الاقتباس من أنوارها و اشتراء النقض بالوفاء و الفساد بالصلاح و العقاب بالثواب . قال أبوحيان : « اولئك » أى أولئك الجامعون لتلك الأوصاف الذميمة من النقض و القطع و الإفساد « هم الخسرون » و فسر « الخسرون » بالناقصين حظوظهم و شرفهم و بالهالكين . قال القفال : الخاسر اسم عام يقع على كل من عمل عملا يجزى عليه .

(٢) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : قصر .

(٣) فى الأصل : المنشوقة - بالشين المعجمة ، و فى م : منسوقة ، و فى مد : المتسوقة ؛ و لا يتضح فى ظ .

النماء كانوا بذلك خاسرين فلذلك اختتمت الآية بهذا؛ و أشير إليهم بأداة البعد لوضعهم فى أبعد المواضع عن محل الخير - انتهى .

و لما دعا سبحانه إلى التوحيد و دل عليه و أنذر من أعرض و بشر من أقبل و ذكر حال الفريقين فى قبول الأدلة التى زبدتها[1] الأمثال و إبائها التفت إلى تبكيت المدبر لعله يستبصر ، و استمر سبحانه فى دلائل التوحيد حتى قامت قيام الأعلام و نفذت نفوذ السهام حتى تخللت صميم العظام لقد ظهرت فلا تخفى على أحد إلا على أكمه لا يبصر[2] القمر فى أسلوب مشيرا إلى البعث منبه على التخلص من الخسارة ، و ما أبدع افتتاح ذلك عقب « الخسرين » بقوله على طريق التفات المغضب المستعطف المعجب ا « كيف »[3]

(١) فى ظ : تربيتها .

(٢) فى م : لاتبصر، و فى ظ : لايعرف ؛ و بهامش الأصل : معرّف - كذا .

(٣) قال المهائمى : ثم أشار إلى أن الكفر بكتاب الله لبيانه حقارة ما دونه بطريق التمثيل بأحقر الأشياء لئلا يعبدوا عظمة عنايته بأحقر ما للحث على عبادته كفر بالله لاستدعائه عبادة الغير دون عبادته على أن فيه تكذيب الله و تكذيب ما بين من كمال معرفته فأنكر الحالة التى يكون عليها الكفر ليكون إنكارا له بطريق برهانى. و فى البحر المحيط : قال الزمخشرى و تحريره أنه إذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها و قد علم أن كل موجود لاينفك من حال وصفة عند وجوده و محال أن يوجد تغير صفة من الصفات كان إنكارا لوجوده على الطريق البرهانى انتهى كلامه . قال البيضاوى : استخبار فيه إنكار و تعجيب لكفرهم بانكار حال التى يقع الكفر عليها على الطريق البرهانى لأن صدوره لاينفك عن حال وصفة فاذا أنكر أن يكون لكفرهم حال يوجد عليها استلزم ذلك إنكار وجوده فهو أبلغ و أقوى فى إنكار الكفر من ا تكفرون و أوثق لما بعده.... و المعنى أخبرونى على أى حال تكفرون - انتهى .

و قال الحرالى : لما تقدمت الدعوة للناس فأجاب مبادر و توقف متوقف فضربت الأمثال فاستدرك و آمن[1] و تمادى متماد على كفره صرف وجه الخطاب عن المواجهة من الحق تعالى و أجرى على لسان لؤم و إنكار، فجاء هذا الاستفهام لإيضاح انقطاع العذر فى التمادى على الكفر، و جاء بلفظ كيف لقصور نظرهم على الكيفيات المحسوسة[2] فان كيف كلمة ٥ مدلولها استفهام عن عموم الأحوال التى شأنها أن تدرك بالحواس، فكأنه يقال لهم بمدرك[3] : أى حاسة تماديتم على الكفر بالله ؟ على ما تقتضيه صيغة الفعل الدائم فى « تكفرون » انتهى . و قال « بالله » أى مع ظهور عظمته و علوه[4]، و الإنكار الموجب لنفى المنكر[5]، كما فى قولك : أتطير بغير جناح ، يفيد أنه كان ينبغى أن يكون الكفر فى حيز الممتنع لما ١٠ على بطلانه و صحة التوحيد من الأدلة التى تفوت الحصر، و إنكار حاله إنكار لوجوده على طريق البرهان ، لأنه إذا امتنع أن يوجد فى حال

(١) من مد، و فى الأصل : إمن ـ كذا ، و فى م و ظ : امن .
(٢) فى م : المحسوسات .
(٣) كتب فوقه فى الأصل : اى ادراك .
(٤) العبارة من هنا إلى « مطلقا » ليست فى ظ .
(٥) و فى تفسير النسفى : كيف « تكفرون » معنى الهمزة التى فى كيف مثله فى قولك : اتكفرون بالله ، و معكم ما يصرف عن الكفر و يدعو إلى الإيمان و هو الإنكار و التعجب ، و نظيره قولك : أتطير بغير جناح ؟ و كيف تطير بغير جناح ؟ و الواو فى « و كنتم امواتا » نطفا فى أصلاب آبائكم للحال و « قد » مضمرة . و قال البيضاوى : «كنتم امواتا» أى أجساما لا حياة لها عناصر و أغذية و أخلاطا و نطفا و مضغا مخلقة و غير مخلقة ـ انتهى .

من الأحوال امتنع وجوده مطلقا .

قال الحرالى : و اعلى هذا الخطاب فأبعدوا عن تيسيره بذكر اسم « الله » لما لم يكونوا من أهل قبول التنزل بدعوى اسم الربوبية حيث لم يكونوا ممن أجاب مبادرا و لا تاليا حسبما تشعر به آية تحقيق ضرب الأمثال . و لما جرى هذا الخطاب بذكر اسم الله أعقب بذكر الأفعال الإلهية التى هى غايات من الموت و الإحياء المعروف اللذين لاينكر الكفار أمرهما - انتهى[1] . « و كنتم » أى و الحال [2]أنكم تعلمون[2] أنكم كنتم « امواتا » بل مواتا ترابا[3] ثم نطفا . قال الحرالى : من الموت و هو حال خفاء و غيب يضاف إلى ظاهر عالم يتأخر عنه أو يتقدمه تفقد فيه خواص ذلك الظهور الظاهرة - انتهى . و إطلاق الموت على ما لم تحله حياة مجاز ، و سرّ التعبير به التنبيه على أنه أكثر ما تكون[4] الإعادة[3] التى ينكرونها[5] مثل الابتداء ، فلا وجه أصلا لإنكارها مع الاعتراف بالابتداء . فكيف[6] و الإعادة دونه « فاحياكم » فصرتم ذوى حس و بطش و عقل[7] . قال

(١) ليس فى م و ظ .

(٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) فى م و ظ : يكون .

(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ينكروها .

(٦) ليس فى م .

(٧) قال البيضاوى : بخلق الأرواح و نفخها فيكم ، و إنما عطف بالفاء لأنه متصل بما عطف عليه غير متراخ عنه بخلاف البواقى . و قال المهائمى : « و » قد عظمت عنايته بكم إذ « كنتم امواتا » أى أجساما لا حياة فيها عناصر أو أغذية أو نطفا أو مضغا =

الحرالى : و جاء بالفاء المشعرة / بالتعقيب لما لم يكن لهم معرفة بمهل الموت[1] الذى قبل حياة الولادة ، و الحياء تكامل فى ذات ما أدناه حياة النبات بالنمو و الاهتزاز مع انغراسه إلى حياة ما يدب بحركته و حسه إلى غاية حياة الإنسان فى تصرفه و تصريفه إلى ما وراء ذلك من التكامل - انتهى[2] .

« ثم يميتكم » بعد مد الأعمار و التقليب فى الأطوار فاذا أنتم أجساد كالفخار كأنه لم تحل بها حياة ساعة قط ، و بدلتم بعد الأنس بكم الوحشة ، و إثر محبة القرب منكم النفرة ؛ و تمثيل الموت بما نعهده أن طلب الملك كما أنه يحصل به من الروع ما يكاد يتلف و ربما أتلف كان طلب ملك الملوك موجبا للموت . قال الحرالى[3] : و هذه الأحوال الثلاثة أى الموت المعبر به عن العدم ثم الحياة ثم الموت معروفة لهم لا يمكنهم إنكارها ، و إذا صح منهم الإقرار بحياة موت لزمهم الإقرار بحياة موت آخر لوجوب الحكم بصحة وجود ما قد سبق مثله ، كما قال تعالى « او ليس الذى خلق السمٰوٰت و الارض

= ثم أمواتا بالجهل « فاحياكم » بنفخ الأرواح فيكم و إنزال الكتب عليكم « ثم يميتكم » باذهاب صفات نفوسكم بمقتضى الكتاب و بالموت الطبيعى لا لإعدامكم بل لينقلكم إلى دار أكمل من داركم - انتهى .

(١) ليس فى ظ .

(٢) ليس فى م .

(٣) قال البيضاوى : فان قيل إن علموا أنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم لم يعلموا أنهم يحييهم ثم إليه يرجعون ، قلت : تمكنهم من العلم بهما لما نصب لهم من الدلائل منزل منزلة علمهم فى إزاحة العذر سيما و فى الآية تنبيه على ما يدل على صحتهما و هو أنه تعالى لما قدر أن أحياهم أولا قدر أن يحييهم ثانيا ، فان بدء الخلق ليس بأهون عليه من إعادته - انتهى .

بقدر على ان يخلق مثلهم[1] ، ولَدُن ذلك من العلم أن[2] الموت و الحياة مزدوجان متضايفان ، و إذا استوفى الموت الأول إحياءه فلا بد من استيفاء الموت الثانى إحياءه أيضا ، لأنه لو لا استقبال الحياة لما كان موتا بل بُطلا و فقدا و اضمحلالا[3] ، لأن حقيقة الموت حال غيب بين يديه ظهور ، و الحياة نهاية ثابتة ، و الموت مبدأ غيب زائل ، فجنس الموت كله متقض و نهاية ، و الحياة ثابتة دائمة ؛ و لذلك ورد ما صح عنه عليه الصلاة و السلام فى أن الموت يُذبح ، إعلام بانقضاء جنسه و ثبات الحياة ، و لذلك قدم فى الذكر و أعقب بالحياة حيث استغرقتها[4] كلمة «ال» فى

(١) سورة ٣٦ آية ٨١ .

(٢) و قال الشربينى الخطيب فى السراج المنير : و الحياة حقيقة فى القوة الحاسة وما يقتضيها و بها سمى الحيوان حيوانا ، مجاز فى القوة النامية لأنها من طلائعها و مقدماتها ، و فيما يخص الإنسان من الفضائل كالعلم و العقل و الإيمان من حيث أنها كمالها و غايتها ، و الموت بازائها يقال على ما يقابلها فى كل مرتبة ؛ مثال ما يقابل الحقيقة قوله تعالى « قل الله يحييكم ثم يميتكم » و مثال ما يقابل المجاز قوله تعالى « اعلموا ان الله يحى الأرض بعد موتها » و قوله تعالى « او من كان ميتا فاحييناه و جعلنا له نورا يمشى به فى الناس » .

(٣) قال البيضاوى : فان قيل : كيف يعد الإماتة من النعم المقتضية للشكر ؟ قلت : لما كانت وصلة إلى الحياة الثانية التى هى الحياة الحقيقية كما قال تعالى « و ان الدار الاخرة لهى الحيوان » كانت من النعم العظيمة مع أن المعدود عليهم نعمة هو المعنى المنتزع من القصة بأسرها كما أن الواقع حالا هو العلم بها لا كل واحدة من الجمل ، فان بعضها ماض و بعضها مستقبل وكلاهما لايصح أن يقع حالا - انتهى .

(٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : استغرقتها - بالضمير المفرد المؤنث .

قوله « خلق الموت و الحيوة[1] » و ثبت[2] الخطاب على إقرار الحياة و الكمال، كما ورد عنه صلى الله عليه و سلم فى قوله: نعيم الجنة لا آخر له، فوجب بظاهر ما أحسه الكفار و باطن ما اقتضاه هذا النحو من العلم دونه انتشار حياة ثانية[3] بعد ميتة الدنيا - انتهى.

و لما كان على البعث و الحشر من الأدلة ما جعلهما كالمحسوسين ٥ عدهما فى حيز المعلوم لهم كالإحياء الأول و الموت فقال: « ثم يحييكم »، فينشركم بعد طيكم و يبعثكم بعد [4]حبسكم فى البرزخ، فتكونون كما كنتم أول مرة ذوى قدرة على الانتشار[4] بتلك القدرة التى ابتدأكم بها و أماتكم[5]،

---

(١) سورة ٦٧ آية ٢.

(٢) و فى م: اثبت.

(٣) فى مد و ظ: ثابتة.

(٤ - ٤) ليست فى ظ.

(٥) قال على المهائمى: « ثم يحييكم » بصفاته بمقتضى الكتاب و بالنشر ولا يكون كالإحياء الأول بالحجاب « ثم إليه ترجعون » بالبقاء به بعد الفناء بمقتضى الكتاب و فى الموت الطبيعى للجزاء الفارق بين الولى و العدو، و لا يترك ذلك لأنه قد خلق لكم جميع النعم فلا بد أن يسألكم عنها هل صرفتموها فيما خلقها من أجله أم لا - انتهى. و قال البيضاوى: « ثم يحييكم » بالنشور يوم نفخ الصور أو للسؤال فى القبور « ثم اليه ترجعون » بعد الحشر فيجازيكم بأعمالكم، أو تنشرون إليه من قبوركم للحساب، فما أعجب كفركم بعد علمكم بحالكم هذه - انتهى. قال التفتازانى: ولم لا يجوز أن يراد مطلق الإحياء بعد الإماتة على ما يعم الإحياء فى القبور و النشور، ولا بعد فيه لشدة ارتباط الإحياءين و اتصالهما فى الانقطاع عن أمر الدنيا - السراج المنير ص ٣٩.

[1]و هذا لا ينفى أن يكون لهم فى البرزخ إحساس بدون هذه الهيئة الكاملة[1]، «ثم اليه ترجعون» فيحشركم بعد طول الوقوف[1] للجزاء من الثواب و العقاب؛ و فى هذا كما قال الحرالى إعلام بأنهم إن لم يرجعوا إلى الله سبحانه بداعى العلم فى الدنيا فبعد مهل من الإحياء الثانى يرجعون إليه قهرا حيث يشاهدون انقطاع أسبابهم ممن تعلقوا به و يتبرأ منهم ما عبدوه من دون الله، و إنما جاء هذا المهل بعد البعث لما يبقى لهم من الطمع فى شركائهم حيث يدعونهم فلم يستجيبوا لهم، فحينئذ يضطرهم انقطاع أسبابهم إلى الرجوع إلى الله فيرجعون قسرا و سوقا فحينئذ يجزيهم بما كسبوا فى دنياهم، كما قال تعالى فى خطاب يعم كافة أهل الجزاء[2] «و اتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت و هم لا يظلمون»[3] و هذا آخر خطاب الإقبال عليهم من دعوة الله لهم و لسان النكير عليهم، و لذلك كانت آية «و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله» آخر آية أنزلت فى القرآن، لأنها نهاية ليس وراءه قول يعم أهل الجزاء؛ و الرجع[4] عود

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) العبارة من هنا إلى «كانت آية» ليست فى ظ .

(٣) سورة ٢ آية ٢٨١ .

(٤) و فى البحر المحيط : و الرجوع إلى الله تعالى حاصل عقب الحياة التى للبعث، فدل ذلك على أن تلك الحياة المذكورة هى للمسألة، و قيل إن الهاء فى قوله «اليه» عائدة على الإحياء المدلول بقوله «فاحياكم» (و شرح) هذا أنكم ترجعون بعد الحياة الثانية إلى الحال التى كنتم عليها فى ابتداء الحياة الأولى من كونكم لا تملكون أنفسكم شيئا .

الشىء

الشيء عند انتهاء غايته إلى مبدئها - انتهى .

و لما أجمل سبحانه فى أول[1] هذه الآية أول أمرهم و أوسطه و آخره[2] على الوجه الذى تقدم أنه منبه على أن الكفر ينبغى أن يكون من قبيل الممتنع[3] لما عليه من باهر[4] الأدلة شرع[5] يفصله على وجه داع لهم إلى جنابه[6] بالامتنان بأنواع الإحسان [7]بأمر أعلى فى إفادة المقصود مما قبله على عادة القرآن فى الترقى من العالى إلى الأعلى فساق[8] سبحانه ابتداء الخلق الذى هو من أعظم الأدلة على وحدانيته مساق الإنعام على عباده بما فيه من منافعهم ليكون داعيا إلى توحيده من وجهين : كونه دالا

(١) ليس فى م و ظ ، و كتب فى الأصل فوق « فى » ، و زيد بعد « فى » فى متن مد .

(٢) العبارة من هنا إلى « الادلة » ليست فى ظ .

(٣) فى م : المتمتع .

(٤) و فى م : تاثير .

(٥) فى ظ : بشرع .

(٦) فى ظ : جنانه .

(٧) العبارة من هنا إلى « الاعلى » ليست فى ظ .

(٨) قال أبو حيان فى البحر المحيط : مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة و هو أنه لما ذكر أن من كان منشئا لكم بعد العدم و مفنيا لكم بعد الوجود و موجدا لكم ثانية إما فى الجنة و إما إلى نار كان جديرا أن يعبد و لا يجحد و يشكر و لا يكفر ، ثم أخذ يذكرهم عظيم إحسانه و جزيل امتنانه من خلق جميع ما فى الأرض لهم و عظيم قدرته و تصرفه فى العالم العلوى و أن العالم العلوى و العالم السفلى بالنسبة إلى قدرته على السواء و أنه عظيم بكل شيء .

على عظمة مؤثرة وكمال قدرته، وكونه إحسانا إلى عباده ولطفا بهم، وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها فقال[1] «هو»[2]، قال الحرالى: وهى كلمة مدلولها العلى[3] غيب الإلهيـــة القائم بكل شىء الذى لا يظهر لشىء، فذاته أبدا غيب، وظاهره الأسماء المظهرة من علو إحاطة اسم الله إلى تنزل اسم الملك، فما بينهما من الأسماء المظهرة، ثم قال: لما انتهى الخطاب بذكر إرجاعهم إلى الله وكان هذا خطابا خاصا مع المتمادى على كفره اتبع عند إعراضه وإدباره بهذا الحتم[4] تهديدا رمى به بين أكتافهم[5] وتسبيبا نيط بهم ومُدّ لهم كالمرخى له فى السبب[6] الذى يراد

(١) ليس فى ظ.

(٢) أسماء الله تعالى على ثلاثة أقسام: مظهرات ومضمرات ومستترات، فالمظهرات أسماء ذات وأسماء صفات وهذه كلها مشتقات وأسماء الذات مشتقات هى كثيرة وغير مشتق واحد وهو الله، فالله أعظم أسمائه المظهرات الدالة على الذات، ولفظة هو من أعظم أسمائه المظهرات والمضمرات للدلالة على ذاته، وينبئ عن كنه حقيقته المخصوصة المبرأة عن جميع جهات الكثرة من حيث هو هو، فلفظة هو توصلك إلى الحق وتقطعك عما سواه - من يريد زيادة التحقيق فليطلب فيه ج ١ ص ١٣٣.

(٣) من ظ ومد، وفى الأصل وم: للعلى.

(٤) هكذا فى الأصل وظ بالحاء المهملة، وفى م: الختم - كذا بالخاء المعجمة؛ ولا يتضح فى مد.

(٥) فى م: اكنافهم.

(٦) زيد فى م: الحبل.

أن يجذب / به، إما بأن يتداركه لطف فيرجع عليه طوعا، أو يراد به /٥٠
قسرا عند انتهاء مدى إدباره، و انتظم به ختم آية الدعوة بنحو من
ابتدائها، إلا أن هذه على نهاية الاقتطاع بين طرفيها و تلك على أظهر
الاتساق؛ فأبعدوا فى هذه كل البعد باسناد الأمر إلى اسم هو الذى
هو غيب اسم الله و أسند إليه خلق ما خلق لهم فى الأرض الذى هو ٥
أظهر شيء للحس - انتهى.

«الذى خلق لكم»[١] [٢]دينا و دنيا[٢] لطفا بكم «ما فى الارض» أى[٣] بعد
أن سواهن سبعا، قال الحرالى: و قوله «جميعا» إعلام بأن حاجة
الإنسان لاتقوم بشيء دون شيء و إنما تقوم بكلية ما فى الأرض حتى
لو بطل منها شيء تداعى سائرها - انتهى. [٤]و الآية دليل على أن الأصل ١٠
فى الأشياء الإباحة، فلايمنع شيء إلا بدليل[٤].

(١) و فى البحر المحيط: و «لكم» متعلق بخلق، و اللام فيه قيل للسبب أى لأجلكم و لانتفاعكم و قدر بعضهم: لاعتباركم، و قيل للتمليك و الإباحة، فيكون التمليك خاصا و هو تمليك ما ينتفع الخلق به و تدعو الضرورة إليه، و قيل للاختصاص وهو أعم من التمليك؛ والأحسن حملها على السبب فيكون مفعولا من أجله، لأنه بما فى الأرض يحصل الانتفاع الدينى والدنيوى، فالدينى النظر فيه و فيما فيه من عجائب الصنع ولطائف الخلق الدالة على قدرة الصانع وحكمته و من التذكير بالآخرة و الجزاء، و أما الدنيوى فظاهر، و هو ما فيه من المآكل و المشرب و الملبس و المنكح و المركب و المناظر البهية و غير ذلك.

(٢-٢) ليس فى ظ.

(٣) ليس فى ظ.

(٤-٤) ليست فى م و ظ.

و لما كانت السماء[1] أشرف من جهة العلو الذى لا يرام ، و الجوهر البالغ فى[2] الأحكام ، و الزينة[3] البديعة النظام ، المبنية على المصالح الجسام ، و كثرة المنافع و الأعلام ، عبر فى أمرها بثم فقال[4] : « ثم استوى إلى السماء » ، أى [5]و شرف على ذلك جهة العلو بنفس الجهة و الحسن و الطهارة و كثرة المنافع ، ثم علق إرادته و مشيته بتسويتها من غير أدنى عدول و نظر إلى غيرها ، و فخم أمرها بالإبهام ثم التفسير ، و الإفراد[6] الصالح لجهة العلو

(١) ليس فى م .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) و فى ظ : الرتبة .

(٤) قال أبو حيان فى النهر من البحر : ثم ذكر تعالى عظيم قدرته فى العالم العلوى أنه و العالم السفلى بالنسبة إلى قدرته على السواء و أن علمه محيط بكل شىء و « ثم » تقتضى التراخى فى الزمان و لا زمان و لما كان بين خلق الأرض و السماء أعمال من جعل الرواسى و السمك و تقدير الأقوات عطف بثم ، إذ بين خلق الأرض و ما فيها و بين الاستواء تراخ و إن لم يقع ذلك فى زمان . و قال فى البحر المحيط : و معنى التسوية تعديل خلقهن و تقويمه و إخلاؤه من العوج و الفطور ، أو إتمام خلقهن و تكميله من قولهم : درهم سواء ، أى وزن كامل تام ، أو جعلهن سواء من قوله « اذ نسويكم برب العلمين » أو تسوية سطوحها لا ملاس . قال الزمخشرى : والضمير فى « فسوٰهن » ضمير مبهم و « سبع سمٰوٰت » تفسيره كقوله : ربه رجلا - انتهى كلامه .

(٥) العبارة من هنا إلى « ثم » ليست فى ظ و مد ، و لفظ « ثم » فقط ليس فى م .

(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لافراد .

تنبيها على الشرف ، و للجنس الصالح للكثرة ، و لذلك أعاد الضمير جمعا ، فكان خلق الأرض و تهيئتها لما يراد منها قبل خلق السماء ، و دحوها[١] بعد خلق السماء ؛ على أن ثم[٢] للتعظيم لا للترتيب فلا إشكال ، و تقديم الأرض هنا لأنها أدل لشدة الملابسة و المباشرة . و[٣] قال الحرالى : أعلى الخطاب بذكر الاستواء إلى السماء الذى هو موضع التخوف لهم لنزول[٤] المخوفات منه عليهم فقيل لهم : هذا المحل الذى تخافون[٥] منه هو استوى إليه ، و مجرى لفظ الاستواء فى الرتبة و المكانة أحق بمعناه من موقعه فى المكان و الشهادة ؛ و بالجملة فالأحق بمجرى الكلم وقوعها [٦]نبأ عن[٦] الأول الحق ، ثم وقوعها نبأ[٧] عما فى أمره و ملكوته ، ثم وقوعها نبأ[٧] عما فى ملكه و اشهاده ؛ فلذلك حقيقة اللفظ لا تصلح[٨] أن تختص بالمحسوسات البادية فى الملك دون الحقائق التى من ورائها من عالم الملكوت ، و ما به ظهر الملك و الملكوت من نبأ[٧] الله عن نفسه [٩]من الاستواء[٩] و نحوه[١٠] فى نبأ الله عن نفسه أحق

(١) وقع فى م : دخومها - كذا مصحفا .

(٢) قال النسفى : و « ثم » هنا لبيان فضل خلق السماوات على خلق الأرض ، و لا يناقض هذا قوله « و الارض بعد ذلك دحنها » لأن جرم الأرض تقدم خلقه خلق السماء ، و أما دحوها فمتأخر .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) فى ظ : تزول .

(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يخافون .

(٦-٦) و فى م : بناً على .

(٧) فى م : بنا .

(٨) فى مد : يصلح .

حقيقة ، ثم النبأ به عن الروح مثلا و استوائها على الجسم ثم على الرأس مثلا و استوائه على الجثة فليس تستحق الظواهر حقائق الألفاظ على بواطنها بل كانت البواطن أحق باستحقاق الألفاظ ؛ و بذلك يندفع كثير من لبس الخطاب على المقتصرين بحقائق الألفاظ على محسوساتهم

٥ « فسوّٰهن »[١] التسوية إعطاء أجزاء الشيء حظه لكمال صورة ذلك الشيء « سبع سمٰوٰت » أعطى لكل واحدة منهن حظها « و اوحى فى كل سماء امرها »[٢] - انتهى . و خلق جميع ما فيها لكم ، فالآية من الاحتباك ؛

= (٩ - ٩) ليست فى ظ .

(١٠) قال البيضاوى : قصد إليها بارادته من قولهم : استوى إليهم كالسهم المرسل - إذا قصده قصدا مستويا من غير أن يلوى على شيء ، و أصل الاستواء طلب السواء ، و إطلاقه على الاعتدال لما فيه من تسوية وضع الأجزاء ، و لا يمكن حمله عليه تعالى لأنه من خواص الأجسام ، و قيل : استوى استولى و ملك ، قال شعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف و دم مهراق

و الأول أوفق للأصل و الصلة المعدى بها و التسوية المترتبة عليها بالفاء . و قال ثناء الله العثمانى : قال ابن عباس و أكثر المفسرين من السلف : أى ارتفع إلى السماء ، فهو من المتشابهات نحو « الرحمن على العرش استوى » . و ذكر أبو حيان فى البحر المحيط فى الاستواء سبعة أقوال - و قال : و هذه التأويلات كلها فرار عما تقرر فى العقول من الله تعالى يستحيل أن يتصف بالانتقال المعهود فى غيره تعالى و أن يحل فيه حادث أو يحل هو فى حادث ؛ وسيأتى الكلام على الاستواء بالنسبة إلى العرش إن شاء الله تعالى - انتهى كلامه .

(١) قال على المهائمى : « فسوّٰهن سبع سمٰوٰت » أى جعلهن سبع سماوات معتدلة =

حذف[1] أولا كون الأراضى سبعا لدلالة الثانى عليه ، و ثانيا كون ما فى السماء لنا لدلالة الأول عليه ؛ و هو فن عزيز نفيس و قد جمعت فيه كتابا حسنا ذكرت فيه تعريفه و مأخذه من اللغة و ما حضرنى[2] من أمثلته من الكتاب العزيز و كلام الفقهاء و سميته « الإدراك لفن الاحتباك » .

و لما كان الخلق على هذه الكيفية دالا بالبديهة على أتم قدرة لصانعه ٥ وكان العلم بأن مبنى ذلك على العلم محتاجا إلى تأمل اغتنى فى مقطع الآية بقوله « و هو بكل شىء عليم » أى فهو على كل شىء قدير . و لما ذكر

= لاعوج فيها ولا فطور ليحصل من أوضاع كواكبها السيارة الأشياء المكنونة فى الأرض و خلق فيكم أسرارها أيضا ، و إنما خص السبع لغلبة تعلق الآثار السفلية بكواكبها ، و ليس فى الآية نفى الزائد « و » ذلك لعلمه بربط كل شىء بسببه إذ « هو بكل شىء عليم » فيعلم ما فيها فيسهل عليه جميع أسرارها فى الإنسان و يعلم أجزاء الميت فيسهل عليه جمعها لإعادته و يعلم مقدار ما يقتضى كل عمل من الجزاء و ما يقتضيه شاكر هذه النعم و كافرها فلا يعمل الحكمة من راعاها فى هذه الأشياء بترك الجزاء فهذا كالملجىء إلى ترك الكفر به و لو فى ضمن الكفر ؛ ثم أشار إلى أنه إنما خلق له ما فى الأرض جميعا و سوى له السماوات السبع لأنه جامع لأسرار الله و أسرار العالم صالح لخلافته عليهم - انتهى كلامه .

(٢) سورة ٤١ آية ١٢ .

(١) من حذف الشىء هيأه و صنعه ، و حذف شعره طرره و سواه ، و هو أن يأخذ من نواحيه حتى يستوى - قطر المحيط ص ٣٧٢ و فى ظ : حدف - كذا بالدال المهملة .

(٢) فى م : حضرى - كذا .

الحياة و الموت المشاهدين تنبيها على القدرة على ما اتبعها[1] به من البعث ثم دل على ذلك أيضا بخلق هذا الكون كله على هذا النظام البديع و ختم ذلك بصفة العلم ذكر ابتداء خلق هذا النوع البشرى المودع من صفة العلم ما ظهر به فضله بقوله تعالى عطفا على قوله « اعبدوا ربكم » و بيانا لقوله « رب العلمين » إذ من البدءة تعلم[2] العودة لمن تدبر ، أو يكن عطفا على ما تقديره : اذكر هذا لهم ، و ذلك أنه سبحانه لما خاطبهم بهذا الاستفهام الذى من معانيه الإنكار ذاكرا الاسم الأعظم الذى هو أعلى الأسماء و أبطنها غيبا و الضمير الذى « هو » أبطن منه ، و اتبعه بعض ما هم له منكرون أو به جاهلون ، و أشار بقوله « لكم » مثبتة فيما هو ظاهر عندهم و محذوفة مما[3] هو خفى عنهم ، كما نبه عليه فى الاحتباك إلى أنه لم يخلق[4] هذا النوع البشرى للفناء بل للبقاء بما أبان عن أنه إنما خلق جميع

(١) و فى م : اتبعها .

(٢) فى ظ : يُعلم .

(٣) فى ظ : فيما .

(٤) قال البيضاوى : و اعلم أن صحة الحشر مبنية على ثلاث مقدمات و قد برهن عليها فى هاتين الآيتين : أما الأولى فهى أن مواد الأبدان قابلة للجمع و الحياة ، و أشار إلى البرهان عليها بقوله « و كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم » فان تعاقب الافتراق و الاجتماع و الموت و الحياة عليها يدل على أنها قابلة لها بذاتها ، و ما بالذات يأبى أن يزول و يتغير ؛ و أما الثانية و الثالثة فانه عالم بها وبمواقعها قادر على جمعها وإحيائها ، وأشار إلى وجه إثباتهما بأنه تعالى قادر على إبدائهم وإبداء =

ما فى هذه الأكوان لأجلهم ، فالبعض رزق لهم و البعض أسباب له ، و البعض أسجدهم لأبيهم و هم فى صلبه و وكلهم[1] بهم فى حفظ أعمالهم و قسم أرزاقهم و نفخ أرواحهم و غير ذلك من تربيتهم و إصلاحهم ؛ لم يكونوا أهلا لفهم هذا الخطاب حق فهمه تلقيا[2] عن الله لعلوه سبحانه و علو هذا الخطاب بالأسماء الباطنه[3] و ما نظم بها من المعانى اللائقة بها ٥ علوا و غيبا فأعلم سبحانه[4] بعطف « اذ » على غير ظاهر أنه معطوف على

= ما هو أعظم خلقا و أعجب صنعا فكان أقدر على إعادتهم و إحيائهم ، و أنه خلق خلقا مستويا محكما من غير تفاوت و اختلال مراعى فيه مصالحهم و سد حاجاتهم ، و ذلك دليل على تناهى علمه و كمال حكمته جلت قدرته و دقت حكمته - انتهى كلامه .

(١) و فى م : وكله .

(٢) فى م : تلقا .

(٣) فى م : الباقية .

(٤) قال البيضاوى : تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم ، فان خلق آدم و إكرامه و تفضيله على سكان ملكوته بأن أمرهم بالسجود له إنعام يعم ذريته . و قال أبو حيان : و إضافته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيه على شرفه و اختصاصه بخطابه و عز لاستماع ما يذكر بعد ذلك من غريب افتتاح هذا الجنس الإنسانى و ابتداء أمره و مآله ، و هذا تنويع فى الخطاب و خروج من الخطاب العام إلى الخاص ، و فى ذلك أيضا إشارة لطيفة إلى أن المقبل عليه بالخطاب له الحظ الأعظم و القسم الأوفر من الجملة المخبر بها ، إذ هو فى الحقيقة أعظم خلقائه ؛ ألا ترى إلى عموم رسالته و دعائه و جعل أفضل أنبيائه ، أم بهم ليلة إسرائه ، و جعل آدم =

نحو: اذكر لهم[1] أيها الرسول هذا، لأنه لا يفهمه حق فهمه عنا سواك،
/٥١ وهم إلى الفهم عنك أقرب / «و اذ» أى و اذكر ما اتفق اذ[2]، و حذف
هذا المعطوف عليه لاحتمال المأمور بذكره الإنكار[3] و السياق لإيراد
الرفق و البشارة على لسانه صلى الله عليه و سلم استعطافا لهم إليه و تحبيبا
٥ فيه و فى حذفه أيضا و الدلالة عليها بالعاطف حث على تدبر ما قبله
تنبيها على جلالة مقداره و دقة أسراره، و لما علمت الإشارة لكن لأهل
البصارة اتبعها قصة آدم عليه السلام دليلا ظاهرا و مثالا بينا لخلاصة
ما أريد بهذه الجمل[4] مما[5] نبه عليه بالعاطف من أن النوع الآدمى هو
المقصود بالذات من هذا الوجود، و أنه لا يجوز فى الحكمة أن يترك بعد
١٠ موته من غير إحياء يرد به إلى دار لا يكون فى شىء من أمورها من
أحد نوع من الخلل و تكون الحكمة فيها ظاهرة جدا [6]لا خفاء بها[6]
أصلا، فيظهر الحمد أتم ظهور؛ و لذلك ذكر تفضيل[7] آدم عليه السلام[2]

= فمن دونه يوم القيامة تحت لوائه، فهو المقدم فى أرضه و سمائه و فى دارى تكليفه و جزائه - انتهى. (٥) فى م: او.

(١) ليس فى ظ.

(٢) ليس فى م.

(٣) بهامش الأصل: معمول الاحتمال.

(٤) و فى ظ: الجملة.

(٥) فى ظ: ما.

(٦-٦) فى م و ظ: لاخفايها - كذا.

(٧) فى م: تفصيل.

بالعلم ، ثم باسجاد الملائكة له ، ثم باسكانه الجنة ، ثم بتلقى أسباب التوبة عند صدور الهفوة ؛ و قد روى البيهقى فى أواخر الدلائل[1] و الحارث ابن أبى أسامة و الحاكم فى المستدرك عن بشر بن شغاف عن عبد الله ابن سلام رضى الله عنه قال : إن أكرم خليقة[2] الله[3] على الله أبو القاسم صلى الله عليه و سلم ، قلت : رحمك الله ! فأين الملائكة ؟ فنظر إلىّ و ضحك ٥ فقال : يا ابن أخى ! و هل تدرى ما الملائكة ؟ إنما الملائكة خلق كخلق الأرض و خلق السماء و خلق السحاب و خلق الجبال و خلق الرياح و سائر الخلائق التى لا تعصى الله[4] شيئا ، و إن أكرم الخلائق على الله أبو القاسم صلى الله عليه و سلم . و قال البيهقى : إنه ليس بموقوف[5] بل حكمه[6] الرفع . و قال الحرالى : لما جعل الله تعالى نور العقل هاديا لآيات ما ظهر ١٠ فى الكون و كان من[7] الخلق مهتد به و معرض عنه بعث الله النبيين مبشرين لمن اهتدى بنور العقل بمقتضى الآيات المحسوسة و تلك هى الحنيفية و الملة الإبراهيمية ، و منذرين لمن أعرض عن ذلك و شغلته شهوات دنياه ،

(١) العبارة من هنا إلى « المستدرك » ليست فى ظ .

(٢) فى الأصل : خليفة .

(٣) ليس فى م .

(٤) و فى م : لربه ، و الصواب : لربها .

(٥) فى م : لموقوف .

(٦) فى م و مد : الحكمة ـ كذا .

(٧) فى مد : فى .

فترتب لذلك خطاب الكتاب بين ما يخاطب به الأعلين المهتدين و بين ما يخاطب به الأدنين المعرضين ، و كذلك[1] تفاوت الخطاب بين ما يخاطب به الأئمة[2] المهتدين و المؤتمون بهم ، فكان أعلى الخطاب ما يقبل على إمام الأئمة و سيد السادات و أحظى خلق الله عند الله محمد صلى الله عليه و سلم .

٥ فكان أول الخطاب بالم ذلك الكتب إقبالا عليه و ايتاء له من الذكر الأول كما قال عليه السلام : أوتيت البقرة و آل عمران من الذكر الأول ، و هو أول مكتوب حين كان الله و لا شيء معه ، و كتب فى الذكر الأول[3] كل شيء ، فخاطبه الله عز و جل بما فى الذكر الأول و أنزله قرآنا ليكون آخر[4] المنزل الخاتم[5] هو أول[6] الذكر السابق ليكون[7] الآخر الأول

١٠ فى كتابه كما هو فى ذاته ، فمن حيث كان الخطاب الأول من أعلى خطاب الله لمحمد صلى الله عليه و سلم انتظم به ما هو أدنى خطاب من آيات الدعوة تنبيها لمن أعرض عن الاستضاءة بنور العقل لما بين الطرفين من

---

(١) فى م : لذلك ، و لا يتضح فى مد .

(٢) فى الأصول : ائمة - كذا .

(٣) هكذا ثبت فى الأصل و ظ و لكن ضرب عليه فى الأصل ، و ليس فى م و مد .

(٤) فى م : اول .

(٥) زيد فى م : و .

(٦) فى م : آخر .

(٧) زيد فى م : فى .

تناسب التقابل؛ ثم عاد وجه الخطاب إليه صلى الله عليه و سلم بما هو إعلام بغائب الماضى عن كائن الوقت من أمر ابتداء مفاوضة الحق ملائكته فى خلق آدم ليكون ذلك ترغيبا للبشرين فى علو الرتب إلى التكامل كما كانت آية[1] الدعوة تنبيها للمعرضين ليعودوا إلى الإقبال ، و خصوص الإنزال إنما هو فى الإنباء بغيب الكون من ملكوته و غائب أيام الله الماضية ٥ و منتظر أيام الله الآتية ، فذلك الذى يخص المهتدين بنور العقل ليترقوا[2] من حد الإيمان إلى رتبة اليقين ، و إنما يرد التنبيه و التنزيل بما فى نور العقل هدايته من أجل المعرضين؛ فكان ما شمله التنزيل بذلك أربعة أمور: أحدها التنبيه على الآيات بمقتضى أسماء الله من اسمه الملك إلى اسمه الرحمن الرحيم إلى اسمه رب العلمين إلى اسمه العظيم الذى هو الله ، و الثانى التنبيه ١٠ على غائب المنتظر الذى الخلق صائرون إليه ترغيبا و ترهيبا ، و الثالث الإعلام بماضى[3] أمر الله جمعا[4] للهمم[5] للجد و الانكماش فى عبادة الله ، و الرابع التبصير ببواطن كائن الوقت الذى فى ظاهره إعلامه؛ فكان أول التنزيل فى هذه السورة أمر أول يوم من ذكر الله و هو كتب مقتضى العلم و القدر فى قسمه تعالى عباده بين مؤمن و كافر و منافق ، ثم أنزل الخطاب ١٥ إلى آية الدعوة من وراء حجاب الستر بسابق التقدير فعم به الناس و نبههم

(١) ليس فى ظ .
(٢) زيد فى مد : الى .
(٣) فى ظ : بما مضى .
(٤) فى م : جميعا .
(٥) فى م : اللهم - و هو كما ترى .

على آيات ربوبيته وحيا أوحاه الله منه إليه، ثم عطف على ذلك إعلاما لابتداء المفاوضة فى خلق آدم عطفا على ذلك الذى يعطيه إفهام هذا الإفصاح، فلذلك قال تعالى « و اذ » فان الواو حرف يجمع[1] ما بعده مع شىء قبله إفصاحا فى اللفظ أو إفهاما فى المعنى، و إنما يقع ذلك لمن ٥ يعلو خطابه و لا يرتاب فى إبلاغه . و إذ اسم[2] مبهم لما مضى من الأمر و الوقت، « قال »[3] من القول و هو إبداء صور الكلم نظما بمنزلة ائتلاف الصور المحسوسة جمعا،/ فالقول مشهود القلب [4]بواسطة الأذن، كما أن المحسوس مشهود القلب[4] بواسطة العين و غيره . /٥٢

ثم قال : لما أنبأ الله عز و جل نبيه صلى الله عليه و سلم بما فى الذكر ١٠ من التقدير الذى هو خبء الشرعة و نظم به ما أنزل من دعوة الخلق إلى حكمه فانتظم ذلك رتبتى أمر نظم تعالى بذلك إنزال ذكر خلق معطوفا على ذكر خلق أعلى رتبة منه، نسبته منه كنسبة الدعوة من خبئها، فذكر خلق آدم ظاهر خبء ما عطف عليه و هو و الله أعلم ذكر خلق محمد صلى الله عليه و سلم الذى هو خبء خلق آدم، فكأنه تعالى أعلم نبيه ١٥ صلى الله عليه و سلم بأمر خلقه له بدء وحى سر ثم أعلن بما عطف عليه

(١) فى م : بجميع .
(٢) فى ظ : انتم - كذا .
(٣) قال البيضاوى : و إذ ظرف وضع لزمان نسبة ماضية و قع فيه أخرى، و القول هو التلفظ بما يفيد و يقال بمعنى المقول و للمعنى المتصور فى النفس المعبر عنه باللفظ، و للرأى و المذهب مجاز - انتهى .
(٤ - ٤) ليست العبارة فى ظ .

من ذكر خلق آدم و حى علن ليكون أمر خلق محمد [١]صلى الله عليه وسلم[١] عند الخاصة فهما كما كان أمر خلق آدم عند العامة إفصاحا ؛ وكان المفهوم: اذكر يا محمد إذ كان فى خلقك كذا و إذ قال « ربك » أى المحسن إليك برحمة العباد بك الذى خبأك[٢] فى إظهار خلق آدم « للملئكة » ما أنزل ، و تأويل الملائكة[٣] عند أهل العربية أنه جمع ملأك مقلوب من مألك من الألك و هى الرسالة ، فتكون الميم زائدة و يكون وزنه معافلة ، و يكون الملك من الملك و هو إحكام ما منه التصوير ، من ملكت

(١-١) فى م : عليه السلام .

(٢) فى م : حباك - كذا بالحاء المهملة .

(٣) و فى البحر المحيط : الملك ميمه أصلية و هو فعل من الملك و هو القوة و لاحذف فيه وجمع على فعائلة شذوذا - قاله أبو عبيدة ، وكأنهم توهموا أنه ملاك على وزن فعال و قد جمعوا فعالا للذكر و المؤنث على فعائل قليلا ، و قيل وزنه فى الأصل فعال نحو شمال ثم نقلوا الحركة وحذفوا و قد جاء فيه ملأك فيحتمل أن يكون فعالا ، وعلى هذا تكون الهمزة زائدة فى الكلمة و عينها ، فمنهم من قال : الفاء لام و العين همزة من لاك إذا أرسل و هى لغة محكية ، فملك اصله ملأك فخفف بنقل الحركة و الحذف إلى فعل ، قال الشاعر :

فلست لإنسى و لكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب

فجاء به على الأصل ، و هذا قول أبى عبيد و اختاره أبو الفتح ، و ملائكة على هذا القول مفاعلة ، و منهم من قال : الفاء همزة و العين لام من الألوكة و هى الرسالة ، فيكون على هذا أصله مألكا و يكون ملأك مقلوبا جعلت فاؤه مكان عينه و عينه مكان فائه ، فعلى هذا القول يكون فى وزنه معفلا .

العجين، و جمعه أملاك، تكون [فيه الميم[1] أصلية، فليكن اسم ملائكة جامعا للمعنيين منحوتا من الأصلين، فكثيرا ما يوجد ذلك فى أسماء الذوات الجامعة كلفظ إنسان بما ظهر فيه من أنه من الأنس و النسيان معا، و هو وضع للكلم على مقصد أفصح و أعلى مما يخص به اللفظ معنى واحدا، فللكلام رتبتان: رتبة عامة و رتبة خاصة أفصح وأعلى كَلِما و كلاما[2].

قال[3]: و فيه أى هذا الخطاب مع ذلك استخلاص لبواطن أهل الفطانة من أن تعلق بواطنهم بأحد من دونه حين أبدى لهم انفراده باظهارهم خلقا دون ملائكته الأكرمين، حتى لا تعلق قلوبهم بغيره من أهل[4] الاصطفاء فكيف بمن يكون فى محل البعد و الإقصاء! توطئة[5] لقبيح[6] ما يقع من بعضهم من اتباع خطوات الشيطان؛ و ذلك لأن فى كل آية معنى تنتظم[7] به بما قبلها و معنى تتهيأ[8] به للانتظام[9] بما بعدها؛ و بذلك

(١-١) فى ظ: الميم فيه.

(٢) زيد فى مد: و له جمع آخر بحذف الهاء، هذا أخف منه على اللسان أشهر به فكذلك عبر به فى جميع القرآن و لاحتمال هائه المبالغة.

(٣) زيد فى مد: الحرالى.

(٤) ليس فى م.

(٥) فى ظ: لتوطئه، و فى م: طوطية - كذا.

(٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لقبح.

(٧) فى م: ينتظم.

(٨) فى ظ: يتهياء - كذا.

(٩) فى ظ: الانتظام.

كان[1] انتظام الآى داخلا فى معنى الإعجاز الذى لا يأتى الخلق بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

« انى » ان حرف يفهم توكيدا من ذات نفس المؤكد و علمه ، و الياء اسم عَلِىٌّ يخص المضيف إلى نفسه الذى يضيف الأشياء إليه ، « جاعل فى الأرض »[2] و لما كانت خلافة آدم عليه السلام كاملة فى جميع الأرض ٥ بنفسه و بذريته وحّد لذلك مع أنه يصح أن يراد به الجنس فقال : « خليفة » ، الخليفة[3] ذات قائم بما يقوم به المستخلف على حسب رتبة ذلك[4] الخليفة منه ، فهو خليفة الله فى كونه مُلكه و ملكوته ، و هم أيضا بعضهم خلفاء بعض ؛ فهو خليفة بالمعنيين - انتهى .

و جعل سبحانه هذا التذكير فى سياق داع إلى عبادته و قائد إلى ١٠ محبته حيث متّ إلى هذا النوع الآدمى بنعمه عليهم و إحسانه إليهم قبل

---

(١) فى م : لان .

(٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٣) قال البيضاوى : و الخليفة من يخلف غيره و يناب منابه ، و الهاء فيه للمبالغة ، و المراد به آدم عليه السلام ، لأنه كان خليفة الله فى أرضه ، و كذلك كل نبى استخلفه فى عمارة الأرض وسياسة الناس و تكميل نفوسهم و تنفيذ أمره فيهم ، لا لحاجة به إلى من ينوبه بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه و تلقى أمره بغير وسط ، و لذلك لم يستثنِ ملكا ، كما قال تعالى « و لو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا » .

(٤) ليس فى م .

إيجادهم[1] ، فذكر لهم ما حاجّ به ملائكته عنهم ، و ما شرف به أباهم آدم من العلم و أمر الملائكة المقربين بالسجود له ، ثم ما وقع لإبليس معه و هما عبدان من عبيده فتاب عليه و لم يتب على إبليس مع سبقه له بالعبادة بل أوجب طرده و أبّد بعده فقال تعالى حكاية عن الملائكة جوابا لسؤال من كأنه قال ما قالوا حين أخبرهم سبحانه بذلك : « قالوا »[2] طالبين الإيقان على الحكمة فى إيجاد من يقع منه شر[3] « اتجعل فيها » أى فى[4] الأرض « من يفسد فيها » أى[5] بأنواع المعاصى [6] بالقوة الشهوانية[6] ، « و يسفك »

(١) قال البيضاوى: و فائدة قوله هذا للملائكة تعليم المشاورة ، و تعظيم شأن المجعول بأن بشر بوجوده سكان ملكوته و لقبه بالخليفة قبل خلقه ، و إظهار فضله الراجح على ما فيه من المفاسد بسؤالهم و جوابه ، و بيان أن الحكمة تقتضى إيجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل شر كثير - و غير ذلك . و قال المهائمى : « اذ قال ربك » أى وقت قول ربك إظهارا لفضل آدم قبل خلقه لئلا يرى بعين الحقارة أصلا « انى جاعل فى الارض » أى التى هى محل الكون و الفساد فهو محل التصرف من عناصرها و من الروح السماوى « من يفسد فيها » لكونه من العناصر المختلفة الداعية إلى اللذات السفلية « و يسفك الدماء » إذ فيه قوة غضبية من النار .

(٢) العبارة من هنا إلى « شر » ليست فى ظ .

(٣) فى مد : شرا .

(٤) ليس فى م .

(٥) ليس فى مد .

(٦-٦) ليست فى ظ .

من السفك ، [1] قال الحرالى : و هو [1] سكب بسطوة « الدماء » أى بغير حقها [1] بالقوة الغضبية [1] ، لعدم عصمتهم ، و خلقهم جوفا لا يتمالكون ، و أصحاب شهوات عليها يتهالكون ؛ و كأنهم لما رأوا صورة آدم تفرسوا فيها ذلك لو سألوا عن منافع أعضائه [2] و ما أودع فيها من القوى و المعانى [2] أخبرهم تعالى بما تفرسوا منه ذلك و الدم . قال الحرالى : رزق البدن ٥ الأقرب إليه المحوط [3] فيه « و نحن » أى و الحال إنا نحن [4] ، و هذا الضمير

(١-١) ليست فى ظ .

(٢-٢) العبارة ليست فى ظ .

(٣) فى ظ : المحطوط .

(٤) قال البيضاوى : و المعنى أ تستخلف عصاة و نحن معصومون أحقاء بذلك ، و المقصود منه الاستفسار عما رجحهم مع ما هو متوقع منهم على الملائكة المعصومين فى الاستخلاف لا العجب و التفاخر ، و كأنهم علموا أن المجعول خليفة ذو ثلاث قوى عليها مدار أمره : شهوية و غضبية تؤديان به إلى الفساد و سفك الدماء و عقلية تدعوه إلى المعرفة و الطاعة ، و نظروا إليها مفردة و قالوا : ما الحكمة فى استخلافه و هو باعتبار تينك القوتين لا يقتضى الحكمة إيجاده فضلا عن استخلافه ؟ و أما باعتبار القوة العقلية فنحن نقيم ما يتوقع منها سليما عن معارضة تلك المفاسد ؛ و غفلوا عن فضيلة كل واحدة من القوتين إذا صارت مهذبة مطواعة للعقل متمرنة على الخير كالعفة و الشجاعة و مجاهدة الهوى و الإنصاف ، و لم يعلموا أن التركيب يفيد ما يقصر عنه الآحاد كالإحاطة بالجزئيات و استنباط الصناعات و استخراج المنافع الكائنات من القوة إلى الفعل الذى هو المقصود من الاستخلاف .

كما قال الحرالى اسم القائل[1] المستتبع لمن هو فى طوع أمره لا يخالفه « نسبح » أى نوقع التسبيح أى التنزيه[2] لك و الإبعاد عما لا يليق بك ملتبسين فى التسبيح « بحمدك »، و الحاصل إنا نبرئك عن صفات النقص حال إثباتنا لك صفات الكمال، [3]و حذف المفعول للتعميم[3]؛ و قال الحرالى: التسبيح تنزيه الحق تعالى عن[4] بادية نقص فى خلق أو رتبة، و حمد الله استواء أمره علوا و سفلا و محو الذم عنه و النقص منه، و ذلك تسبيح أيضا فى علو أمر الله، فما سبح بالحمد إلا أهل الحمد من آدم و محمد صلى الله عليهما و سلم، فغاية المسبح الحمد، و الحمد تسبيح لمن غايته وراء ذلك الاستوا - انتهى .

« و نقدس » أى نطهر[5] كل شىء نقدر عليه من نفوسنا و غيرها »

(١) فى ظ : القابل - كذا .

(٢) فى م : التبريه .

(٣-٣) العبارة ليست فى ظ .

(٤) فى ظ : عند .

(٥) قال المهائمى : « و نحن » و إن لم يكن لنا جمعية « نسبح » ذاتك ملتبسا « بحمدك » على كمالاتها « و نقدس » أى ننزه صفاتك فنقول : إنها مستحقة « لك » دون غيرك ، « قال انى اعلم » من قصور تسبيحكم و تقديسكم و عدم صلاحيتكم لخلافتى على الكل و اقتضاء ظهور أسمائى اللطفية و القهرية . و قال النسفى : « و نقدس لك » و نطهر أنفسنا لك ، و قيل : التسبيح و التقديس تبعيد الله من السوء ، من سبح فى الأرض و قدس فيها إذا ذهب فيها و أبعد ، « قال انى اعلم ما لا تعلمون » أى اعلم من الحكم فى ذلك ما هو خفى عليكم .

« لك » أى لا لغيرك[1] لعصمتنا بك ، أو المعنى نوقع التقديس / أى التطهير ٥٣/
الك بمعنى أنك فى الغاية من الطهارة و العلو فى[2] كل صفة . قال الحرالى:
القدس طهارة دائمة لا يلحقها نجس ظاهر و لا رجس باطن ، و اللام
تعلة للشىء لأجله كان ما أضيف به - انتهى .

و لما تضمن تفرسهم هذا نسبتهم أنفسهم إلى العلم المثمر للاحسان ، ٥
و نسبة[3] الخليفة إلى الجهل المنتج للاساءة أعلمنا سبحانه لنشكره أنه حاج
ملائكته عنا ، فبين لهم أن الأمر على خلاف ما ظنوا بقوله استئنافا :
« قال انى اعلم » أى من ذلك و غيره « ما لا تعلمون » . و قال الحرالى:
و أعلم تعالى بما أجرى عليه خلقه من القضاء بما ظهر و الحكم على الآتى
بما مضى حيث أنبأ عن ملائكته بأنهم قضوا على الخليفة فى الأرض ١٠
بحال من تقدمهم فى الأرض من الجبلة الأولين من الجن الذين أبقى منهم
عزازيل و غيرهم ليتحقق أن أمر الله جديد و أنه[4] كل يوم هو فى شأن
لا يقضى على آتى وقت بحكم ما فيه و لا بما مضى قبله - انتهى . و الأظهر[5]

(١) فى م : غيرك .
(٢) فى ظ : من .
(٣) كذا ، و الظاهر : نسبت ، معطوفة على « نسبتهم أنفسهم » .
(٤) فى ظ : ان .
(٥) فى التفسير المظهرى : إن الملائكة كانوا يعلمون باخبار من الله تعالى أن من البشر صالحين و عصاة و كفارا فلا جرم زعموا أن الملائكة أفضل منهم لكونهم كلهم معصومين « لا يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون » فاستخلافهم أولى و استخلاف البشر موجب للفساد كما وقع من شرارهم ، =

ما ذكرته أنهم إنما قالوا ذلك تفرسا بحكم ما ظهر لهم من صورته و نحو ذلك من أعلامهم بأنه يجمع فيه بين الشهوة و العقل، و من المعلوم أن الشهوة حاملة على الفساد؛ و علم سبحانه ما خفى عنه من أنه يوفق من أراد منهم للعمل بمقتضى العقل مع قيام منازع الشهوة و الهوى، فيأتى غاية الكمال التى هى[1] فوق درجة العامل[2] بمقتضى العقل من غير منازع له فيظهر تمام القدرة و الله أعلم.

و لما أعلم سبحانه الملائكة أن الأمر على خلاف ما ظنوا شرع

= و لم يعلموا أن الله تعالى يستودع فى قلوب بعضهم محبة ذاتية منه تعالى موجبة للمعية الذاتية و المحبوبية الصرفة كما نطق به رأس المحبوبين: المرء مع من أحب - رواه الشيخان، و يكون لهم قرب و منزلة من الله لا يتصور لغيرهم بحيث يكون التقرب إلى عباد الله الصالحين موجبا للتقرب إليه تعالى. اعلم أنه قد تقرر عند الأكابر من الصوفية أن ضوء الشمس كما يتحملها الأرض لكثافتها دون غيرها من عناصر الخلق كذلك التجلى الذاتى لا يتحملها إلا عنصر التراب و أما غيرها من العناصر فلنوع من الكثافة التى فيها يتحمل التجليات الصفاتية دون الذاتية، و أما لطائف عالم الأمر فلا نصيب لها إلا من التجليات الظلية، و الإنسان لما كان مركبا من اللطائف العشرة التى هى أجزاء العالم الكبير و لم يجتمع فى شىء من أفرادها إلا بعضها كان هو أهلا للخلافة و حاملا للأمانة التى عرضها الله تعالى على السماوات و الأرض و الجبال « فأبين ان يحملنها و اشفقن منها و حملها الانسان انه كان ظلوما جهولا » لعظم المحمول.

(١) و فى م: هو.

(٢) فى م: العاقل.

فى إقامة الدليل عليه فقال عاطفا على قوله « قال »: « و علم »[1] أى لإقامة الدليل على ذلك ، و التعليم تكرار العلم ليثبت لما فى جبلة المعلَّم من النسيان ، « آدم » من الأدم من الأديم و هو جلدة الأرض التى منها جسمه ، و حظ ما فيه من أديم الأرض هو اسمه الذى أنبأ عنه لفظ آدم ، « الاسماء »

(١) قال على المهائمى : « علم آدم » بخلق علم ضرورى فيه « الاسماء كلها » أى الألفاظ الدالة على الحقائق إذ هى أقل ما يفيد التمييز بينها « ثم عرضهم » أى المسميات « على الملئكة فقال انبئونى باسماء هؤلاء » أى بأقل مميز لها حتى يصح دعواكم استحقاقكم الخلافة عليها اللازمة لكلامكم و دعواكم « ان كنتم صٰدقين » فى دعواكم أنكم تسبحون الله على الإطلاق أى بجميع أسمائه و تقدسونه بها - انتهى كلامه . قال أبو البركات النسفى « و علم آدم » هو اسم أعجمى و اشتقاقهم آدم من أديم الأرض أو من الأدمة كاشتقاقهم يعقوب من العقب و إدريس من الدرس و إبليس من الإبلاس ، « الاسماء كلها » أى أسماء المسميات ، فحذف المضاف إليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الأسماء ، إذ الاسم يدل على المسمى و عوض منه اللام ، و معنى تعليمه أسماء المسميات أنه تعالى أراه الأجناس التى خلقها و علمه أن اسمه هذا فرس و هذا بعير و هذا اسمه كذا و هذا اسمه كذا ؛ و عن ابن عباس رضى الله عنهما : علمه اسم كل شىء حتى القصعة و المغرفة ، « ثم عرضهم على الملئكة » أى عرض المسميات لأن فى المسميات العقلاء فغلبهم ، و إنما استنبأهم و قد علم عجزهم عن الإنباء على سبيل التبكيت « فقال انبئونى باسماء هؤلاء ان كنتم صٰدقين » فى زعمكم أنى استخلف فى الأرض مفسدين سفاكين للدماء ؛ و فيه رد عليهم و بيان أن فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التى هى أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لأجله أن يستخلفوا - انتهى كلامه .

أى التى للأشياء «كلها» ، هو جمع اسم و هو ما يجمع اشتقاقين من السمة و السمو ؛ فهو بالنظر إلى اللفظ وسم و بالنظر إلى الحظ من ذات الشيء سمو ، و ذلك السمو هو مدلول الاسم الذى هو الوسم الذى ترادفه التسمية - قاله الحرالى ، و قال فى كتاب له فى أصول الفقه : الاسم يقال على لفظ التسمية و يقال على حظ و نصيب من ذوات الأشياء ، و تلك هى المعروضة على الملائكة ، و اسم التسمية يحاذى به المسمى معلومه من الشيء المسمى الذى هو الاسم المعروض ، و هو عند آدم علم و عند الملائكة و من لا يعلم حقيقة الاسم المعروض توقيف و نبأ[1] - انتهى .

(١) فى م : بنا - كذا . قال البيضاوى : معنى تعليمه تعالى آدم الأسماء أنه تعالى خلقه من أجزاء مختلفة (كالقلب والكبد و الدماغ) و قوى متبائنة مستعدة لإدراك أنواع المدركات من المعقولات و المحسوسات و المتخيلات و الموهومات و ألهمه معرفة ذوات الأشياء و خواصها و أسمائها و أصول العلم و قوانين الصناعات و كيفية آلاتها - انتهى كلامه . و فى الحاشية « و المعنى أنه تعالى اندفع بذلك ما يتوهم أنه لا يظهر فضيلة آدم بذلك لأنه علم بالتعليم و لو علم الملائكة لعلموا ذلك - الخ . و قال القاضى ثناء الله العثمانى : قال أهل التفسير : المراد أسماء الخلائق ، قال البغوى قال ابن عباس و مجاهد و قتادة : علمه اسم كل شيء ، و قيل : اسم ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة ... قال أهل التأويل : علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من أولاده بلغة . قلت : هذه الأقوال ليست بمرضية عندى ، فان مدار الفضل على كثرة الثواب و مراتب القرب من الله تعالى دون هذه الأمور ، و لو كان هذه الأمور مدارا لفضله لزم فضله على خاتم النبيين صلى الله عليه و سلم ، فانه قال : أنتم أعلم بأمور دنياكم ، و لم يكن عليه السلام عالما بجميع اللغات ، و عندى أن الله تعالى علم آدم الأسماء الإلهية كلها علما إجماليا ، فانه =

و لما

[١]و لما كان العرض على الملائكة بالغا فى المراد أشار إلى تعظيمه بحرف التراخى فقال[١] : ثم « عرضهم » أى الأشياء . قال الحرالى : أظهرهم عن جانب و هو العرض و الناحية « على الملئكة » القائلين لذلك . و قال الحرالى : لما ذكر تعالى مراجعة الملائكة فى خلق هذا الخليفة ذكر إبداءه[٢] لهم وجه حكمة علية بما أعلى هذا الخليفة من تعليمه إياه حقائق جميع ٥ الذوات المشهودة لهم على إحاطتهم بملكوت الله و ملكه شهودا فأراهم إحاطة علم آدم بما شهدوا صُوَره[٣] و لم يشهدوا حقيقة مدلول [١]تسميتها ، و علمه حكمة ما بين تلك الأسماء التى هى حظ من الذوات و بين[١] تسمياتها من النطق ليجتمع فى علمه خلق كل شىء صورة و أمره كلمة فيكمل علمه فى قبله على سبيل سمعه و بصره ، و استخلفه فى علم ما[٤] له من الخلق ١٠ و الأمر ، و ذلك فى بدء كونه فكيف يحكم حكمة الله فيما يتناهى إليه كمال خلقه إلى خاتمة أمره فيما انتهى إليه أمر محمد صلى الله عليه و سلم مما هو مبهم فى قوله تعالى : « و علمك ما لم تكن تعلم و كان فضل الله عليك عظيما[٥] » ! فأبدى الله عز و جل لهم بذلك وجه خلافة علمية و عملية فى

= لما حصل له معية بالذات تعالت و تقدست حصل له بكل اسم من أسمائه و صفة من صفاته مناسبة تامة و معية بحيث أنه كلما توجه إلى اسم من أسمائه و صفة من صفاته يتجلى له ذلك الاسم و الصفة - و الباقى يطلب من تفسيره ج ١ ص٥١ .

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) فى الأصل : ابدائه ، و فى م ومد و ظ : ابداه - كذا .

(٣) فى ظ : صورة . (٤) ليس فى ظ .

(٥) سورة ٤ آية ١١٣ .

التسمية إعلاء له عندهم ، و قد جعلهم الله عز و جل مذعنين مطيعين فانقادوا للوقت بفضل آدم على جميع الخلق و بدا[1] لهم علم أن الله[2] يعلى من يشاء بما يشاء من خلافة أمره و خلقه ، و تلك الأسماء التى هى حظوظ من صور الموجودات هى المعروضة التى شملها اسم الضمير فى قوله تعالى

٥ « ثم عرضهم » و أشار إليه « هؤلاء » عند كمال عرضهم ، و أجرى على الجميع ضمير « هم » لاشتمال تلك الكائنات على العاقلين و غيرهم ؛ و بالتحقيق فكل خلق ناطق حين يستنطقه الحق ، كما قال تعالى[3] « اليوم نختم على افواههم و تكلمنا ايديهم و تشهد ارجلهم[4] » و إنما العجمة[5] و الجمادية بالإضافة إلى ما بين بعض الخلق و بعضهم - انتهى .

[6]و قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازى فى كتاب الزينة : و يقال إن الاسم[7] مأخوذ من السمو و هو العلو و الرفعة ، و إنما جعل الاسم

(١) هكذا فى م و ظ ، و فى الأصل : بد ، و لا يتضح فى مد .
(٢) زيد فى ظ : تعالى .
(٣) ليس فى م و ظ .
(٤) سورة ٣٦ آية ٦٥ .
(٥) فى م و مد : العجمية .
(٦) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست فى ظ .
(٧) قال البيضاوى : و الاسم باعتبار الاشتقاق ما يكون علامة للشىء أو دليلا يرفعه إلى الذهن من الألفاظ و الصفات و الأفعال . و استعماله عرفا فى اللفظ الموضوع لمعنى سواء كان مركبا أو مفردا أو خبرا أو رابطا بينهما ؛ و المراد فى الآية هو الأول أو الثانى و هو يستلزم الأول . لأن العلم بالألفاظ من حيث الدلالة متوقف على العلم بالمعانى .

تنويها بالدلالة على معنى الاسم لأن المعنى تحت الاسم - هذا قول النحويين ؛ و السمة تدل على صاحبها، لأنهما حرفان سين و ميم، فالسين من السناء و الميم من المجد و هو لب الشيء، فكأنه سمى اسما لأنه يضيء لك عن لب الشيء و يترجم عن مكنونه، و ليس شيء إلا و قد وسمه الله بسمة تدل على ما فيه من الجوهر ؛ فاحتوت الأسماء على جميع العلم بالأشياء، ٥ فعلمها الله آدم و أبرز فضيلته على الملائكة عليهم السلام - انتهى .

« فقال » (١معجزا لهم١) « انبئوني » (١أي أخبروني إخبارا عظيما قاطعا١) «بأسماء هؤلاء »(٢ أي الموجودات بتفرسكم فيها « ان كنتم (١صدقين ٥،٣ أي فيما تفرستموه / في الخليفة و في أنساله . قال الحرالي: هذه الأسماء المواطئة ٥٤/ للتسمية من السمة و الأسماء الأول هي الحظوظ من الذوات التي المتسم ١٠ بها هو المسمى، و مع ذلك فبين التسمية و الاسم مناسبة مجعول الحكمة بينهما بمقتضى أمر العليم الحكيم - انتهى . « قالوا » متبرئين من العلم

(١ - ١) ليست في ظ .

(٢) قال البيضاوي: « انبئوني » تبكيت لهم و تنبيه على عجزهم عن أمر الخلافة فان التصرف و التدبير و إقامة المعدلة قبل تحقق المعرفة و الوقوف على مراتب الاستعدادات و قدر الحقوق محال ، و ليس بتكليف ليكون من باب التكليف بالمحال ؛ و الإنباء إخبار فيه إعلام . و لذلك يجرى مجرى كل واحد منهما .

(٣) في زعمكم أنكم أحقاء بالخلافة لعصمتكم وأن خلقهم و استخلافهم و هذه صفتهم لا يليق بالحكيم ، و هو و إن لم يصرحوا به لكنه لازم مقالتهم .

« سبحنك »[١] أى ننزهك تنزيها [٢]يجل عن الوصف[٢] عن أن ننسب[٣] إليك نقصا فى علم أو صنع ، و نتبرأ إليك مما يلزم قولنا من ادعاء العلم لسواك[٤] .

قال الحرالى: و فى هذا المعنى إظهار لفضلهم و انقيادهم و إذعانهم توطئة لما يتصل به من إباء إبليس - انتهى . و الحاصل أنه تصريح بتنزيه الله تعالى عن النقص و تلويح بنسبته إليهم اعتذارا منهم عما وقعوا فيه ، و لذا قالوا : « لا علم لنا » أى أصلا[٥] « الا ما علمتنا »[٦] فهو دليل على أنه لا سبيل

(١) اعتراف بالعجز و القصور و إشعار بأن سؤالهم كان استفسارا و لم يكن اعتراضا و أنه قد بان لهم ما خفى عليهم من فضل الإنسان و الحكمة فى خلقه ، و إظهار لشكر نعمته بما عرّفهم و كشف لهم ما اعتقل عليهم ، و مراعاة للأدب بتفويض العلم كله إليه . و قال على المهائمى : « سبحنك » أى ننزهك تنزيها عن أن يقصر علمك أو تشارك فيه أو تعبث فى فعلك ، و إنما سألناك استفسارا و استرشادا ، لأنه « لا علم لنا الا ما علمتنا » و إنما لم تعلمناها ابتداء اذ « انك انت العليم » بأن حقائقنا لا تقتضى العلم بها بلا واسطة ، وقد جعلت الوسائط مع قدرتك على الأفعال ابتداء لأنك أنت « الحكيم » - انتهى كلامه .

(٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣) فى ظ : ينسب .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) فى البحر المحيط : و لما سأل تعالى الملائكة و لم يكن عندهم علم بالجواب و كانوا قد سبق منهم قولهم « اتجعل فيها من يفسد فيها » الآية ، أرادوا أن =

إلى

إلى علم شيء من الأشياء إلا بتعليم الله . قال الحرالى[1] : ردا لبدء الآمر لمن له البدء[2] ، و لذلك ورد فى أثارة[3] من علم : من لم يختم[4] عليه بالجهل لم يعلم ، و ذلك الجهل هو البراءة من العلم إلا ما علم الله - انتهى .

ثم خصوه بما نفوه عن أنفسهم فقالوا : « انك انت » ، أى وحدك « العليم » [5]أى العالم بكل المعلومات[5] « الحكيم » ، أى فلا يتطرق[6] إلى صنعك

= يجيبوا بعدم العلم إلا ما علمهم ، فقدموا بين يدى الجواب تنزيه الله اعتذارا وأدبا منهم فى الجواب و إشعارا بأن ما صدر منهم قبل يمحوه هذا التنزيه لله تعالى فقالوا « سبحنك » ثم أجابوا بنفى العلم بلفظ لا التى بنيت معها النكرة فاستغرق كل فرد من أنواع العلوم ، ثم استثنوا من ذلك ما علمهم هو تعالى فقالوا « الا ما علمتنا » و هذا غاية فى ترك الدعوى والاستلام التام للعلم الأول الله تعالى ؛ قال أبو عثمان المغربى: ما جلاء الخلق إلا لدعاوى، ألا ترى أن الملائكة قالوا: « ونحن نسبح بحمدك » ، كيف ردوا إلى الجهل حتى قالوا : « لا علم لنا » ، و روى معنى هذا الكلام عن جعفر الصادق ـ انتهى كلامه.

(٦) العبارة من هنا إلى « بتعليم الله » ليست فى ظ .

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى ظ : البداء ـ كذا .

(٣) فى م و ظ : اثاره .

(٤) فى مد : لم تختم ، و فى ظ : لم محتم ـ كذا .

(٥ ـ ٥) ليست فى ظ .

(٦) فى م : فلا نتطرق .

فساد بوجه [١]فلا اعتراض أصلا[١] . قال الحرالى : توكيد و تخليص و إخلاص للعلم و الحكمة لله وحده ، و ذلك من أرفع الإسلام ، لأنه إسلام القلوب ما حلاها الحق سبحانه[٢] به ! فان العلم و الحكمة نور القلوب الذى تحيي به كما أن الماء رزق الأبدان الذى تحيي به ؛ والحكمة جعل تسبيب بين أمرين يبدو بينهما تقاض من السابق و استناد من اللاحق - انتهى . [٣]و أصلها فى اللغة المنع من الفساد و لا يكون ذلك إلا عن تمام العلم[٤] .

فلما قالوا ذلك و أراد إشهادهم فضل آدم عليه السلام استأنف فى جواب

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) ليس فى م و مد .

(٣) العبارة من هنا إلى « تمام العلم » ليست فى ظ .

(٤) قال أبوحيان الأندلسى: فانظر إلى حسن هذا الجواب كيف قدموا بين يديه تنزيها لله ، ثم اعترفوا بالجهل ، ثم نسبوا إلى الله العلم و الحكمة ؛ و ناسب تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة لأنه المتصل به فى قوله « و علم » « انبئونى » « لا علم لنا » فالذى ظهرت به المزية لآدم و الفضيلة هو العلم ، فناسب ذكره متصلا به ، لأن الحكمة إنما هى آثار العلم و ناشئة عنه ، ولذلك أكثر ما جاء فى القرآن تقديم الوصف بالعلم على الوصف بالحكمة ، ولأن يكون آخر مقالهم مخالفا لأوله حتى يبين رجوعهم عن قولهم « اتجعل فيها» و على القول بأن الحكيم هو ذو الحكمة يكون الحكيم صفة ذات ، و على القول بأنه المحكم لصنعته يكون صفة فعل - انتهى .

من كأنه قال : ما قال لهم عند ذلك ؟ قوله : « قال » . [١] مظهرا [٢] لفضيلة العلم الموجبة لشرف العالم « يٰآدم [٣] انبئهم » أى ليزدادوا بصيرة فى أن العالم من علّمته و السعيد من أسعدته فى أى صورة ركبته « باسمائهم » فأنبأهم بها . قال الحرالى : و لم يقل : علمهم ، فكان آدم عليما بالأسماء وكانوا هم مخبرين بها لا معلميها ، لأنه لا يتعلمها من آدم إلا من خلقه محيط كخلق آدم ، ليكون من كل شىء [٤] و منه كل شىء [٤] ، فاذا عرض عليه شىء مما منه آنس [٥] علمه عنده ؛ فلذلك اختصوا بالإنباء دون التعليم ، فلكل شىء عند آدم عليه السلام بما [٦] علمه الله و أظهر له علاماته [٧] فى استبصاره

(١) العبارة من هنا إلى « العالم » ليست فى ظ .

(٢) فى مد : نظير .

(٣) نادى آدم باسمه العلم و هى عادة الله مع أنبيائه ، قال تعالى « يٰنوح اهبط بسلٰم منا » « يٰنوح انه ليس من اهلك » ، « يٰابرٰهيم قد صدقت الرؤيا » ، « يٰموسى انى انا الله » ، « يٰعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك » ؛ و نادى محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم و على سائر الأنبياء بالوصف الشريف من الإرسال و الإنباء فقال « يٰايها الرسول » ، « يٰايها النبى » ؛ فانظر تفاوت ما بين هذا النداء و ذاك النداء .

(٤ - ٤) ليست فى مد .

(٥) فى ظ : أحس .

(٦) فى م : مما .

(٧) فى البحر المحيط « قال القشيرى : من آثار العناية بآدم عليه السلام لما قال =

الشيء اسمان جامعان : اسم يبصّره من موجود الشيء و اسم يذكره لإبداء معنى ذلك الشيء إلى غاية حقيقته ، و لكل اسم جامع عنده وجوه متعددة يحاذى كلّ وجه منها بتسمية تخصه ، و بحسب تلك الوجوه تكثرت عنده الألسنة و تكثرت الألسن الأعجمية ، فأفصحها و أعربها الاسم الجامع و ذلك الاسم هو العربى الذى به أنزل خاتم الكتب على خاتم المرسلين و أبقى دائما فى مخاطبة أهل الجنة لمطابقة الخاتمة إحاطة البادئة « حم ، و الكتب المبين ، انا جعلنه قرانا عربيا لعلكم تعقلون ، و انه فى ام الكتب لدينا لعلى حكيم ، » و طابق الختم البدء[2] إحاطة لإحاطة - انتهى . و هذا كما كان ولده محمد خاتم النبيين صلى الله عليه و سلم يكلم كل إنسان بلغته من قبائل العرب و من العجم بل [3]و من البهائم العجم[3] فكان علمه لبعض اللغات من غير مخالطة لأهلها و لا إلمام بلسانهم

= للملائكة «انبئونى» داخلهم من هيبة الخطاب ما أخذهم عنهم لاسيما حين طالبهم بانبائهم إياه ما لم تحط بهم علومهم ، و لما كان حديث آدم رده فى الإنباء عليهم فقال « انبئهم باسمائهم » و مخاطبة آدم للملائكة لم توجب الاستغراق فى الهيبة فلما أخبرهم آدم عليه السلام بأسماء ما تقاصرت عنه علومهم ظهرت فضيلته عليهم ، فقال : « الم اقل لكم انى اعلم غيب السموت » يعنى ما تقاصرت عنه علوم الخلق « و اعلم ما تبدون » من الطاعات « و ما كنتم تكتمون » من اعتقاد الخيرية على آدم - انتهى كلام القشيرى .

(١) سورة ٤٣ آية ١ - ٤ .

(٢) فى ظ : البدل .

(٣ - ٣) ليست فى ظ .

دليلا على علم سائر اللغات، لأنه لا معلم له إلا العالم بكل شيء . « فلما انباهم » أى أخبرهم إخبارا عظيما يأخذ بالألباب ، و « لما » كلمة تفهم وجوب أمر لأمر فى حين فتجمع[2] معنى الشرط و الظرف - قاله الحرالى . « باسمائهم » على ما هى عليه .

قال الحرالى فى التفسير و كتاب له فى أصول الفقه : هذه التسميات ليس الأسماء التى هى موجودة من الذوات، لأن تلك لا ينالها إلا العلم

(١) قال على المهائمى : « يٰادم انبئهم » وان كنت دونهم فى التجرد الذى به الاطلاع « باسمائهم » مع فواتها للحصر من غير غلط فيها « قال الم اقل لكم انى اعلم ما لاتعلمون » قاصدا به « انى اعلم غيب السمٰوٰت » أى العالم العلوى مع كونكم منه « و » غيب « الأرض » أى العالم السفلى مع ظهوره للحس ، ففى كل منهما من الخفايا ما لايبلغه علمكم بأدنى وجوه التمييز مع كمال تجردكم - انتهى . وقال أبو حيان الأندلسى : و فى قوله « انبئونى » « فلما انباهم » تنبيه على إعلام الله أنه قد أعلم الله أنه قد أعلم آدم من أحوالهم ما لم يعلمهم من حاله ، لأنهم رأوه قبل النفخ مصورا فلم يعلموا ما هو ؛ و على أنه رفع درجة آدم عندهم لكونه قد علم لآدم ما لم يعلمهم ؛ و على إقامته مقام المفيد المعلم و إقامتهم مقام المستفيدين منه ، لأنه أمره أن يعلمهم أسماء الذين عرضهم عليهم ؛ و على أدبهم على ترك الأدب من حيث قالوا « اتجعل فيها » فان الطواعية المحضة أن يكونوا مع عدم العلم بالحكمة فيما أمروا به و عدم الاطلاع على ذلك الأمر ومصلحته و مفسدته كهم مع العلم و الاطلاع ، وكان الامتثال والتسليم بغير تعجب و لااستفهام أليق بمقامهم لطهارة ذواتهم و كمال صفاتهم - انتهى .

(٢) فى م : فتجم .

و شهود البصيرة و قد جرى ذلك فى وراثة فى ولد آدم حتى كان رؤبة و أبوه العجاج يرتجلان اللغة ارتجالا و يتعلمها منهم من سواهم من العرب ، لأن التسمية التى ينالها الإنباء للاسم الذى يناله[1] العلم كالمثل له المبدى لصورة[2] معناه للأذن لمناسبة و مواصلة[3] بين خصوص التسمية و اسمها من الذات[4] ، فيعلم ما يحاذى[5] الشيء المفرد من منتظم الحروف كما يعلم الواصف ما يحاذى الشيء و يحاكيه من منتظم الكلم ، فيحاذيه و يحاكيه الواصف بكلام ، و يحاذيه و يسميه المسمى له بكلمة واحدة ، و كما أنه ليس[6] لكل أحد مُنّة أن يصف فكذلك ليس [7]لكل أحد[7] منة أن يسمى ، و منه ما يجرى من ألسنة العامة من النبز و الألقاب و قد كان يجب الاكتفاء بما فى هذه الآية من العلم ببدء أمر المسميات عما وقع فيها من الاختلاف بين التوقيف و الاصطلاح ، فقد تبين أنها عن علم علمه الله آدم لا عن توقيف كما هو عند الملائكة من آدم و لا عن اصطلاح كما قيل - انتهى .

(١) فى ظ : نباله له ـ كذا .

(٢) فى م : لصوره .

(٣) فى م : مواصلته .

(٤) فى م : الذوات .

(٥) فى م : فيحاذى .

(٦) ليس فى ظ .

(٧ - ٧) فى م : لاحد .

« قال » أى الله تعالى مثبتا[1] مدخول النفى كما هو شأن همزة التقرير[2] « ا لم اقل لكم » يا ملائكتى! [3]و لما كان هذا خبرا جسيما نبه على بلوغه النهاية فى العظمة و أنه مما يستغربه[4]/ بعض[5] الخلق بالتأكيد فقال: « انى اعلم »، ٥٥/ [6]علما مستمرا لا انقضاء له[6] « غيب السمٰوٰت و الارض » فمن أردت تعليمه شيئا من ذلك كان عالما به، و أما غيرى فلا طريق له إلى معرفة المستقبل ٥ إلا الفراسة و قد تخطى[7]. قال الحرالى: قررهم حتى [8]لا يكون لهم[8] ثانية و أعلم بذلك عباده من ولد آدم حتى يستنوا بحكم التسليم لله فى ما يبديه من غير تعرض و لا اعتراض، فمنهم من آمن و منهم من كفر - انتهى.

---

(١) قال البيضاوى: استحضار لقوله « انى اعلم ما لا تعلمون » لكنه جاء به على وجه أبسط ليكون كالحجة عليه، فانه تعالى لما علم ما خفى عليهم من أمور السماوات و الأرض و ما ظهر لهم من أحوالهم الظاهرة و الباطنة علم ما لا يعلمون؛ و فيه تعريض بمعاتبتهم على ترك الأولى وهو أن يتوقفوا مترصدين لأن يبين لهم. و الهمزة للانكار دخلت حرف الجحد فأفادت الإثبات و التقرير - انتهى.

(٢) العبارة من « مثبتا » إلى هنا ليست فى ظ.

(٣) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ.

(٤) و فى م: يستقر به.

(٥) فى م: عين.

(٦ - ٦) ليست فى ظ.

(٧) و فى م و ظ: يخطى.

(٨ - ٨) و فى م و مد: لا تكون لها.

« و اعلم ما تبدون » فى كل حين « و ما كنتم تكتمون »[1] فيما مضى و فيما يأتى . قال الحرالى: و فى صيغة تكتمون [2]من الدلالة[2] على تمادى ذلك فى كيانهم ما فى صيغة تبدون من تمادى بادى ذلك منهم - انتهى .

و لما أخبرنا سبحانه بهذه النعمة على أبينا[3] ضم إليها الإنعام باسجاد الملائكة له و نحن فى ظهره فقال عاطفا على « اذ » الأولى [4]و عدل[5] عن الغيبة إلى التكلم ثم إلى كونه فى مظهر العظمة إعلاما بأنه أمر فصل لا فسحة فى المراجعة فيه . و قال الحرالى : لما أنبأ تعالى بأمر مفاوضة الملائكة و ما[6] كان من ادعائهم و تسليمهم الأمر لله و لمن علمه الله و هو

(١) قال أبو حيان : هو عام فيما أبدوه و ما كتموه من كل أمورهم ، و هذا هو الظاهر ، و عطف قوله « و ما كنتم تكتمون » هو من باب الترقى فى الإخبار لأن علم الله تعالى واحد لا تفاوت فيه بالنسبة إلى شىء من معلوماته جهرا كان أو سرا ، و وصل « ما » بكنتم يدل على أن الكتم وقع فيما مضى ؛ و ليس المعنى أنهم كتموا عن الله لأن الملائكة أعرف بالله و أعلم فلا يكتمون الله شيئا ، و إنما المعنى أنه همس فى أنفسهم شىء لم يظهره بعضهم لبعض ولا اطلعه عليه .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) وقع فى م : اتينا ـ كذا خطأ .

(٤) العبارة من هنا إلى « المراجعة فيه » ليست فى ظ .

(٥) قال أبو حيان الأندلسى : و فى قوله « قلنا » التفات وهو من أنواع البديع ، إذ كان ما قبل هذه الآية قد أخبر عن الله بصورة الغائب ثم انتقل إلى ضمير المتكلم ، و أتى بنا التى تدل على التعظيم وعلو القدر و تنزيله منزلة الجمع لتعدد صفاته الحميدة و مواهبه الجزيلة ، و حكمة هذا الالتفات و كونه بنون المعظم نفسه أنه صدر منه الأمر للملائكة بالسجود و وجب عليهم الامتثال فناسب =

آدم عليه السلام نظم بذلك نبأ انقيادهم لآدم فعلا كما انقادوا له علما تماما لكمال حالهم فى التسليم علما و عملا فقال تعالى - انتهى . . و اذ قلنا ، أى على عظمتنا « للملئكة » أى الذين أكرمناهم بقربنا « اسجدوا لأدم » عبدنا اعترافا بفضله لتفضيلنا له .

قال الحرالى : فجعله بابا إليه و كعبة يحلّونه بجلاله تعالى و محرابا و قبلة ، يكون سجودهم له سجودا لله تجاه آدم كسجود آدم[1] تجاه الكعبة[2]، و ظهر بذلك سوء إباء إبليس عن السجود حين خالفهم فى طينة الكيان ، لأن الملائكة خلقت من نور و النور طوع لا يحوزه أين و لا يختصه[3] جهة ، و لأن الجان خلقت من نار و هى مما يحوزه أين و تختصه[4] جهة

= أن يكون الأمر فى غاية من التعظيم ، لأنه متى كان كذلك كان أدعى لامتثال المأمور فعل ما أمر به من غير بطء و لا تأول اشغل خاطره لورود ما صدر من المعظم . (٦) فى ظ : من .

(١) زيد فى م و ظ : لله ، و فى ظ زيادة « تعالى » أيضا .

(٢) قال أبو حيان : من قال بالسجود الشرعى قال : كان السجود تكرمة و تحية له - و هو قول الجمهور على و ابن مسعود و ابن عباس - كسجود أبوى يوسف ، لا سجود عبادة ؛ أو لله تعالى و نصبه الله قبلة : لسجودهم كالكعبة فيكون المعنى إلى آدم - قاله الشعبى ؛ أو لله تعالى فسجد و سجدوا مؤتمين به ، وشرفه بأن جعله إماما يقتدون به . و المعنى فى لأدم أى مع آدم - انتهى . ثم ذكر : قال ابن عطاء : لما استعظموا تسبيحهم و تقديسهم أمرهم بالسجود لغيره ، ليريهم بذلك استغناءه عنهم و عن عبادتهم .

(٣) فى م : تختصه ، و لا يتضح فى مد .

(٤) فى م و ظ : يختصه .

لا يرجع عنها إلا بقهر و قسر، فلم ينزل عن[1] رتبة قيامه فى جبلته لمخلوق الطين حيث لم يشعر باحاطة خلق آدم كما تلقته الملائكة - انتهى. فبادروا الامتثال «فسجدوا» أى كلهم[2] له كما امرهم الله تعالى[2] «الا ابليس»[3]. قال الحرالى: من الإبلاس و هو انقطاع سبب الرجاء الذى يكون عنه ٥ اليأس من حيث قطع ذلك السبب - انتهى. فكأنه قيل: ما فعل؟ فقيل[4]: «ابى»، من الإباء و هو امتناع عما[5] حقه الإجابة فيه - قاله الحرالى. «واستكبر» عن السجود له[6]، من الاستكبار و هو استجلاب

(١) ليس فى ظ، و فى م: على.

(٢-٢) ليست فى ظ.

(٣) قال أبوحيان: استثناء متصل عند الجمهور، فعلى هذا يكون ملكا ثم أبلس و غضب عليه و لعن فصار شيطانا؛ و قيل: هو استثناء منقطع، و إنه أبو الجن كما أن آدم أبو البشر، و لم يكن قط ملكا - قاله ابن زيد و الحسن.

(٤) و فى ظ: فقال.

(٥) فى ظ: ما.

(٦) قال البيضاوى: و السجود فى الأصل تذلل مع تطأمن، و فى الشرع وضع الجبهة على قصد العبادة، و المأمور به إما المعنى الشرعى فالمسجود له فى الحقيقة هو الله تعالى وجعل آدم قبلة سجودهم تفخيما لشأنه أو سببا لوجوبه، و كأنه تعالى لما خلقه بحيث يكون أنموذجا للبدعات كلها بل الموجودات بأسرها و نسخة لما فى العالم الروحانى و الجسمانى و ذريعة للملائكة إلى استيفاء ما قدر لهم من الكمالات و وصلة إلى ظهور ما تباينوا فيه من المراتب و الدرجات أمرهم بالسجود تذللا لما رأوا فيه من عظيم قدرته و باهر آياته و شكرا لما أنعم عليهم =

الكبر، و الكبر بطر الحق و غمض الناس و غمطهم[1]، و موجب ذلك استحقار الغير من وجه و استكمال النفس من ذلك الوجه - قاله الحرالى.

«وكان» [2]أى فى أصل جبلته[2] بما أفهمه[2] الاستكبار من نسبتنا إلى ترك الحكمة إما جهلا أو جورا فى أمرنا بسجوده لآدم و هو على زعمه خير منه، «من» و هى كلمة تفهم اقتباس الشىء مما جعل منه - قاله الحرالى. «الكٰفرين»[4] أى الذين سبق علمنا بشقاوتهم لم يتجدد لنا بذلك علم ما لم نكن نعلمه[3].

= بواسطته؛ و إما المعنى اللغوى وهو التواضع لآدم تحية و تعظيما له كسجود إخوة يوسف له، أو التذلل و الانقياد بالسعى فى تحصيل ما ينوط به معاشهم و يتم به كمالهم «فسجدوا الا ابليس ابى و استكبر» امتنع عما أمر به استكبارا من أن يتخذه وصلة فى عبادة ربه أو يعظمه و يتلقاه بالتحية أو يخدمه و يسعى فيما فيه خير و صلاحه. الإباء امتناع باختيار و التكبر أن يرى الرجل نفسه أكبر من غيره، و الاستكبار طلب ذلك بالتشبع.

(١) فى م و ظ: عمظهم - كذا.

(٢-٢) ليست فى ظ.

(٣) زيد فى ظ: من.

(٤) قال على المهائمى: «كان من الكٰفرين» بالله، لإنكار وجوب امتثال أمر قطعى من أوامره، و فيه إشارة إلى أنه إذا كان إنكار واجب كفرا بالله فكيف لايكون إنكار واجبات القرآن كلها كفرا به! ثم أشار إلى أن ترك امتثال الأمر من غير إنكار الوجوب كان سبب هبوط آدم إلى متاعب الدنيا الباقية فى نسله إلى يوم القيامة - انتهى. و قال البيضاوى: أى فى علم الله أو صار منهم باستقباحه أمر الله إياه بالسجود لآدم عليه السلام اعتقادا بأنه أفضل منه و الأفضل=

و فى الآيات الثلاث «يا أيها الناس اعبدوا ربكم» و «كيف تكفرون بالله» و «اذ قال ربك للملئكة» أيضا إشارة إلى اختلاف الحال فى الخطاب بوصف الربوبية مع الخُلَّص و مع من دونهم و فى الخطاب بأوصاف الذات، و ذلك أنه تعالى لما بين أن الضالين فى حسن أمثاله هم الخاسرون عجب ممن يكفر به إشارة إلى شدة ظهوره و انتشار نوره فى أمثاله و جميع أقواله و أفعاله و أن شهوده فى كل اعتبار أوضح من ضياء النهار، لأنه ما ثَمَّ إلا ذاته و أفعاله و صفاته:

و فى كل شىء له آيـــة تدل على أنـــه واحد

متجليا عليهم باسم الإلٰهية فى أفعاله التى هم لها ناظرون و بها عارفون، فقال: «كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم» إلى أن قال: «هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا» الآية، و أدرج فى ذلك أمر البعث بقوله «ثم إليه ترجعون» تنبيها على مشاركته لبقية ما فى الآية من الظهور، لما قدم من الاستدلال عليه باخراج الثمرات حين تعرف إليهم بوصف الربوبية

= لا يحسن أن يؤمر بالتخضع للفضول والتوسل به كما أشعر به قوله «انا خير منه» جوابا لقوله «ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى استكبرت ام كنت من العالين» لا بترك الواجب وحده ـ انتهى.

(١) فى ظ: ثم.

(٢) فى ظ: الينا.

(٣) فى م: لنفيه ـ كذا.

(٤) قال أبو حيان الأندلسى: إنه لما امتن عليهم بخلق ما فى الأرض لهم كان = الناظر

الناظر إلى العطف و الامتنان و التربية و الإحسان فى مثل ما هنا من أفعاله الظاهرة و آثاره الباهرة فقال : « يايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم » إلى آخرها ؛ و ختم هذه الآية بوصف العلم الشامل لما قام عليه من الدليل ضمن هذا التعجيب[1] إشارة إلى الاستدلال على كمال الأمثال وتحديدا لمن يستمر على الكفران بعد هذا البيان بأنه بمرأى[2] منه و مسمع[3] فى كل حال ، فلما فرغ من خطابهم بالأمور الظاهرة على قدر فهومهم و مبلغ علومهم رقى الخطاب إلى رتبة نبيه عليه الصلاة و السلام لترقية البيان إلى غيب مقاولته لملائكته فقال : « و اذ قال ربك للملئكة انى جاعل » الآية ؛ فلكل مقام مقال[4] ، و لكل مخاطب[5] حد فى الفهم و حال .

= قبله إخراجهم من العدم إلى الوجود اتبع ذلك بعده خلقهم و امتن عليهم بتشريف أبيهم و تكريمه و جعله خليفة و إسكانه دار كرامته و إسجاد الملائكة تعظيما لشأنه و تنبيها على مكانه و اختصاصه بالعلم الذى به كمال الذات و تمام الصفات ، ولا شك أن الإحسان إلى الأصل إحسان إلى الفرع و شرف الفرع بشرف الأصل ؛ و إسناد القول إلى الرب فى غاية من المناسبة و البيان ، لأنه لما ذكر أنه خلق لهم ما فى الأرض كان فى ذلك صلاح لهم لأحوالهم و معايشهم فناسب ذكر الرب ، و إضافته إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم تنبيه على شرفه و اختصاصه بخطابه و هز لاستماع ما يذكر بعد ذلك من غريب افتتاح هذا الجنس الإنسانى و ابتداء أمره و مآله ؛ و هذا تنويع فى الخطاب .

(١) فى ظ : التعجب .
(٢) فى ظ : بمرأ ـ كذا .
(٣) فى م : مستمع .
(٤) ليس فى م .
(٥) فى مد : قدم .

قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى المفتاح الباب السابع فى إضافة الربوبية و نعت الإلٰهية فى القرآن : اعلم أن الربوبية إقامة المربوب بما خلق له و أريد له ، فرب كل شىء مقيمه[1] بحسب[2] ما أبداه وجوده ، فرب المؤمن ربه و رباه للايمان ، / و رب الكافر ربه و رباه للكفران ، /٥٦
٥ و رب محمد ربه و رباه للحمد - أدبنى ربى فأحسن تأديبى ، و رب العالمين ربى[3] كل عالم لما خلق له « اعطى كل شىء خلقه ثم هدى »[4] ؛ فللربوبية بيان فى كل رتبة بحسب ما أظهرته آية مربوبه - من عرف نفسه عرف ربه « سبح اسم ربك الاعلى »[5] « فاراد ربك ان يبلغا اشدهما و يستخرجا كنزهما رحمة من ربك[6] » « اعبدوا ربكم الذى خلقكم » « لهم اجرهم
١٠ عند ربهم[7] » .

و قال فى الباب الذى بعده : فخطاب الإقبال على النبى صلى الله عليه و سلم أعظم إفهام فى القرآن « الم تر الى ربك كيف مد الظل[8] »

(١) فى م : يقيمه .

(٢) فى ظ : حسب .

(٣) فى ظ : رب .

(٤) سورة ٢٠ آية ٥٠ .

(٥) سورة ٨٧ آية ١ .

(٦) سورة ٨٢ آية ١٨ .

(٧) سورة ٢ آية ٢٦٢ .

(٨) و فى ظ زيادة « و لو شاء لجعله ساكنا » .

الآية[1] « و هو الذى جعل لكم الليل لباسا »[2] ، الآية ، تفاوت الخطابين بحسب تفاوت المخاطبين و كما يتضح لأهل التعرف رتب البيان بحسب إضافة اسم الرب فكذلك يتحقق لأهل الفهم وجوه إحاطات البيان بحسب النعوت و التبيان فى اسم[3] الله غيبا فى متجلى[4] الآيات للمؤمن ، و عينا للكامل الموقن ، و جمعا و إحاطة عن[5] بادئ الدوام للمحقق الواحد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا احد » و كيف تكفرون و انتم تتلى عليكم آيات الله و فيكم رسوله و من يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم »[6] ، « قل هو الله احد »[7] ؛ و التفطن فى رتب البيان فى موارد هذا النحو من الخطاب فى القرآن من مفاتيح الفهم و بوادئ مزيد العلم - انتهى .

و قد أوقع سبحانه ذكر ابتداء الخلق على ترتيب إيجاده له فقد روى مسلم فى صحيحه[8] و النسائى فى التفسير من سننه عن أبى هريرة رضى الله عنه

(١) ليس فى م و ظ .

(٢) سورة ٢٥ آية ٤٧ .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : مستجلى .

(٥) فى م : على .

(٦) سورة ٣ آية ١٠١ .

(٧) سورة ١١٢ آية ١ .

(٨) زيد فى مد : فى صفة الجنة و النار و القيامة .

قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بيدى[1] فقال : خلق الله التربة[2] يوم السبت ، و خلق فيها الجبال يوم الأحد ، و خلق الشجر يوم الاثنين ، و خلق المكروه يوم الثلاثاء ، و خلق النور يوم الأربعاء ، و بث فيها الدواب يوم الخميس ، و خلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة

٥ فى آخر الخلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل[3] .

و قال المزى[4] فى الأطراف قال البخارى فى التاريخ : و قال بعضهم : أبوهريرة عن كعب و هو أصح - انتهى .

و ما يقال من أنه كان قبل آدم عليه السلام فى الأرض خلق

---

(١) سقط من مد ، و قد ثبت فى بقية الأصول و الصحيح لمسلم ٢/٣٧١ .

(٢) زيد فى م : فى ، و لم تكن الزيادة فى بقية الأصول و لا فى الصحيح لمسلم فحذفناها .

(٣) قال القاضى ثناء الله العثمانى بعد نقل هذا الحديث : فان قيل : هذا الحديث يدل على أن خلق آدم بعد خلق الأرض يوم سابعة فكيف يتصور مكث الجن زمانا طويلا فى الأرض ثم طردهم إلى شعوب الجبال و سكونة إبليس وجنوده من الملائكة زمانا طويلا ثم قوله تعالى لهم « انى جاعل فى الارض خليفة » ؟ قلت : لا دليل فى الحديث على أن المراد بالجمعة التى خلق فيها آدم أول جمعة بعد خلق الأرض ، لعل ذلك الجمعة بعد مضى الدهور ، و لو لا هذا التأويل لزم خلق السماوات و الأرض فى سبعة أيام ، و الثابت بالقرآن خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام - و الله أعلم .

(٤) هكذا ثبت فى الأصل و ظ ، و وقع فى م و مد : المزنى - كذا مصحفا .

يعصون قاس عليهم الملائكة [١]عليهم السلام[١] حال آدم عليه السلام[٢]، كلام لا أصل له، و الذى يدل عليه حديث مسلم هذا كما ترى أنه[٣] أول ساكنى الأرض؛ و الذى يلوح من اسمه فى بدئه[٤] بالهمزة التى هى أول الحروف و ختمه بالميم التى هى آخرها و ختامها أنه أول ساكنيها بنفسه، كما أنه خاتمهم بأولاده، عليهم تقوم الساعة. و رأيت فى ترجمة للتوراة[٥] و هو أولها: خلق الله ذات السماء و ذات الأرض و كانت الظلمة فقال الله:

(١ - ١) ليست فى ظ.

(٢) قال البيضاوى: و إنما عرفوا ذلك باخبار من الله، أو تلق من اللوح، أو استنباط عما ركز فى عقولهم أن العصمة من خواصهم، أو قياس لأحد الثقلين على الآخر - انتهى. قال أبو حيان الأندلسى: يكون علمهم بذلك قد سبق إما باخبار من الله، أو بمشاهدة فى اللوح، أو يكون مخلوق غيرهم و هم معصومون، أو قالوا ذلك بطريق القياس على من سكن الأرض فأفسد قبل سكنى الملائكة؛ و روى ما يدل على ذلك عن ابن عباس و هو ما ملخصه أن الله أسكن الملائكة السماء و الجن الأرض فعبدوا دهرا طويلا ثم أفسدوا و حسدوا فاقتتلوا - الخ. و فى التفسير المظهرى: قال البغوى: خلق الله السماء و الأرض و الملائكة و الجن، و أسكن الملائكة السماء و الجن الأرض، فمكثوا زمانا طويلا فى الأرض، ثم ظهر فيهم الحسد و البغى فأفسدوا و اقتتلوا - الخ. و قال أبو البركات النسفى فى تفسيره: و إنما عرفوا ذلك باخبار من الله، أو من جهة اللوح، أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر - انتهى.

(٣) ليس فى م.

(٤) فى ظ: بدايه، و فى م: يديه - كذا.

(٥) و قال ابن قتيبة فى المعارف ص ٤: قرأت فى أول سفر من أسفار التوراة أن أول ما خلق الله من خليقته السماء و الأرض و كانت الأرض خربة خاوية =

ليكن النور ، فكان النور ، فأراد[1] أن يفرق بين النور و الحِنْدِس فسمى النور نهارا و الحندس مساء؛ ثم قال: ليكن جَلَد وسط الماء و يميز بين الماء الأعلى[2] و الماء الأسفل .

و فى نسخة ٣: ليكن سقف بين المياه ليفصل بين الماء و الماء ، فكان كذلك فخلق الله سقفا و فصل به بين الماء الذى[4] تحت الجلد[5] و الماء الذى فوق الجلد وسمى الله الجلد سماء[6]؛ و قال الله: لتجتمع[7] المياه التى تحت

= و كانت الظلمة على الغمرة وكانت ريح الله تعالى ترف على وجه الماء فقال الله عز وجل : ليكن النور ، فكان نورا فرآه الله حسنا فميزه الله من الظلمة و سماه نهارا و سمى الظلمة ليلا فكان مساء .

(١) كرره فى ظ .

(٢) وقع فى ظ : الاصلى - كذا مصحفا .

(٣) وقع فى م : نسفحة - كذا مصحفا .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : التى - كذا .

(٥) و الجَلَد الجِلْد و الأرض الصلبة المستوية المتن ، و الشدة و القوة ، و الجلد أيضا السماء أو الرقيع أو كرة الهواء أو الماء المتجمد فوق السماوات - تطر المحيط ج ١ ص ٢٩٣ .

(٦) قال ملا معين الهروى فى تفسير أسرار الفاتحة تحت بيان « رب العٰلمين » ص ٢٢٤: « و ذكر الإمام النسفى رحمه الله فى تفسيره المسمى ببحر العلوم فى بيان أن العالم عبارة عن السماوات و الأرضين و ما بينهما : و قال ابن عباس رضى الله عنهما: أول ما خلق الله تعالى هو جوهر طوله مسيرة عشرة آلاف سنة و عرضه مسيرة عشرة آلاف سنة ، نظر إليه بالهيبة فذاب - وجعل يقول : الأمان ! و جعل يرتعد - منه بخار و زبد فصار أثلاثا : ثلث ماء و ثلث زبد و ثلث بخار ، فنودى: يا بخار! كن سماء ، و يا زبد ! كن أرضا ! «ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين» =

السماء إلى مكان واحد و لتظهر اليابسة[١]، فكان كذلك فسمى الله اليابسة أرضا و سمى مجامع المياه بحورا ؛ و قال: لتخرج[٢] الأرض نبت عشب يزرع منه[٣] زرع لجنسه و شجر[٤] ذات ثمار تثمر لجنسها يغرس منه غرس على الأرض، فأينعت الأرض نبتا عشبا يزرع منه زرع لجوهره و شجر ذات ثمار[٥] لجوهرها ؛ فقال الله: ليكن نجمان فى جلد السماء ليضيئا على الأرض ٥ و ليميزا بين النهار و الليل و ليكونا للآيات و الأزمان و العدد و الأيام و السنين، فخلق الله نورين عظيمين: المصباح الأكبر لسلطان النهار و المصباح الأصغر لسلطان الليل[٦] و خلق النجوم، و كان المساء و الصباح من اليوم الرابع ؛ فقال الله: ليحت[٧] الماء حيتانا ذات أنفس[٨] حية، و ليطر الطير فوق الأرض فى جو السماء، فكان كذلك ؛ و خلق تنانين[٩] عظيمة ١٠ و كل نفس حية[١٠] تدب فى الماء لأجناسها و كل طيور ذات أجنحة

= فالأرضون سبع: الأولى التى نحن عليها اسمها رمكاء ـ من شاء الاطلاع على ما بقى فلينظر فيه. (٧) فى م: ليجتمع.

(١) فى ظ: المناسبة.

(٢) فى م: ليخرج، و فى ظ: تخرج.

(٣) فى ظ: منها.

(٤) من ظ، و فى الأصل و م و مد: شجرا.

(٥) فى م: ثماره.

(٦) فى ظ: اليل ـ كذا.

(٧) فى ظ: سحت ـ كذا

(٨) فى ظ: نفس.

(٩) التنين الحوت و الحية العظمية.

(١٠) ليس فى م.

لأصنافها و باركها و قال : انموا و اكثروا و امـلأوا ميـاه البحور و ليكثر الطير على وجه الأرض ؛ و قال الله : لتخرج[1] الأرض أنفسا حية لجنسها دواب و سباع الأرض لأجناسها ، فكان كذلك ؛ و خلق الله سباع الأرض لأجناسها[2] و الدواب لأصنـافها و جميع هوام الأرض لجواهرها .

فأراد الله أن يخلق خلقا يتسلط على حيتان البحر و طير السماء و على الدواب و جميع السباع و على الحشرة التى تدب على الأرض فخلق آدم[3] بصورته ذكرا و أنثى و بارك عليهما و قال لهما : انميا و اكثرا و تسلطا على حيتان البحر و طير السماء و الدواب و جميع السباع ؛ و قال : ها أنا ذا[4]

(١) فى م : ليخرج .

(٢) فى ظ : حاط مها ـ كذا .

(٣) فى تفسير أسرار الفاتحة للامعين الهروى : فى تفسير بحر العلوم أيضا عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى قال : أخبرنى أبو عثمان قال : قلنا لسلمان الفارسى رضى الله عنه : يا با عبد الله حدثنا رحمك الله ! من خلق السماوات و ما فيهن من العجائب ؟ فانك إن فارقتنا لم نجد من يحدثنا ؛ فقال سلمان : نعم ، خلق الله السماوات السبع و سماهن بأسمائهن و أسكن كل سماء صفا من الملائكة تعبدونه و أوحى فى كل سماء أمرها فسمى السماء الدنيا رقيعا ـ إلى أن قال : ثم خلقت آدم قبل أبيك آدم ، عمرته عشرة ألف سنة ، ثم مات فجعلت عشرة آلاف آدم قبل أبيك آدم ، و عاش كل آدم عشرة آلاف سنة ، ثم خلقت أباك آدم بعده بعشرة آلاف سنة ـ و سوى ذلك من العجائب .

(٤) فى الأصل : هاندا ، و فى م : هانذا ، و فى ظ : هأنذا ـ كذا .

قد أعطيتكما جميع العشب[1] الذى يزرع على وجه الأرض كلها وكل شجر ذات ثمار تغرس فيها ليكون لكما[2] مأكلا ولجميع سباع البر وطيور السماء ولكل[3] ما يدب على الأرض فيه نفس حية، فكان كذلك؛ وكملت السماء والأرض وجميع ما فيهما فى اليوم السادس، ولم يكن ظهر على الأرض شىء من عشب الأرض، لأن الله لم يكن أهبط المطر على وجه الأرض ٥ بعد، وذلك لأن آدم لم يكن خلق بعد ليعمل فى الأرض، وكان ينبوع يظهر فى قعرعدن فيسقى جميع وجه الأرض.

فجبل الله الرب آدم / من تربة الأرض ونفخ فى وجهه نسمة الحياة ٥٧/ فصار آدم ذا نفس حية[4] وغرس الله الرب فردوسا بعدن من قبل وأسكنه آدم، وأنبت الله كل شجرة حسنة المنظر شهية المأكل وشجرة الحياة ١٠ وسط الفردوس وشجرة علم الخير والشر، وكان نهر يخرج من عدن فيسقى الفردوس وكان ينفصل من هناك وينفرق على أربعة أطراف: اسم أحدها[5] سيحون الذى يحيط بجميع أرض الهند وتلك البلاد الكثيرة، وذَهَبُ تلك الأرض جيد جدا، هنالك المها وحجر البلور، واسم النهر الثانى جيحون الذى يحيط [6]بجميع أرض[6] الحبشة، ١٥

(١) وقع فى م: الشعب ـ كذا مصحفا.
(٢) فى الأصول كلها: لكم.
(٣) فى ظ: كل.
(٤) ليس فى ظ.
(٥) فى م: احدهما ـ كذا.
(٦-٦) فى ظ: بارض.

و اسم النهر الثالث دجلة [١] الذى يخرج [١] قبالة الموصل ، و النهر الرابع الفرات ؛ فتقدم الرب إلى آدم و قال له : كل من جميع أشجار الفردوس ، فأما شجرة علم الخير و الشر فلا تأكل منها ، لأنك فى اليوم الذى تأكل [٢] منها تموت [٣] موتا .

٥ و قال الله : لا يحسن أن يكون آدم وحده فلنخلق له عونا مثله [٤] ، فجمع الرب من الأرض جميع سباع البر و طير السماء و أقبل بها إلى آدم ليرى ما يسميها وكل نفس حية سماها آدم فذلك اسمها فسمى الجميع ، فألقى الله على آدم سباتا [٥] فرقد ، فنزع ضلعا من أضلاعه وأخلف له بدله لحما ، فخلق الله من الضلع الذى أخذ من آدم امرأة ، فأقبل بها إلى

١٠ آدم فقال: هذه الآن التى قرنت [٦] إلىّ ! و فى هذه عظم من عظامى و لحم

(١-١) فى م : التى تخرج .

(٢) فى م : ياكل .

(٣) فى م : يموت .

(٤) قال أبو حيان : و توجه الأمر بالسكنى على زوج آدم دليل على أنها كانت موجودة قبله ، و هو قول بعض المفسرين إنها خلقت من وقت علمه الله الأسماء و انبأهم هو إياها ، نام نومة فخلقت من ضلعه الأقصر قبل دخول الجنة ، و أكثر أئمة التفسير انها خلقت بعد دخول آدم الجنة ، استوحش بعد لعن إبليس و إخراجه من الجنة فنام فاستيقظ فوجدها عند رأسه قد خلقها الله من ضلعه الأيسر ، فسألها من انت ؟ قالت : امرأة ، قال : و لم خلقت ؟ قالت : تسكن إلىّ .

(٥) قال الله تعالى : وجعلنا نومكم سباتا .

(٦) و فى ظ : قربت .

من لحمى! فلتدع[1] امرأة لأنها أخذت من الرجل، و لذلك يدع الرجل أباه و أمه و يلحق بامرأته و يكونان[2] كلاهما جسدا واحدا؛ وكانا كلاهما عريانين آدم و امرأته و لا يستحييان .

وكانت الحية أعز دواب البر كلها فقالت الحية للمرأة : أحق أن الله قال لكما : لا تأكلا من جميع شجر الجنة ؟ فقالت المرأة : إنا لنأكل من كل ثمر الجنة[3]، فأما من ثمرة الشجرة التى فى وسط الجنة فان الله قال لنا : لا تأكلا منها و لا تقرباها[4] لكيلا تموتا؛ قالت الحية : لستما[5] تموتان، و لكن الله علم أنكما إن[6] تأكلا منها تنفتح أعينكما و تكونا كالإله[7] تعلمان الخير و الشر[8]، فرأت المرأة الشجرة طيبة المأكل شهية[9] فى العين

(١) فى ظ : فلمدع - كذا .

(٢) فى ظ : يكون .

(٣) قال أبو حيان : أباح لهما الأكل حيث شاءا، فلم يحظر عليهما مكانا من أماكن الجنة كما لم يحظر عليهما مأكولا إلا ما وقع النهى عنه .

(٤) فى ظ : لا تقربانها - كذا . قال أبو حيان : نهاهما عن القربان وهو أبلغ أن يقع النهى عن الأكل، لأنه إذا نهى عن القربان فكيف يكون الأكل منها ! والمعنى و لا تقرباها بالأكل .

(٥) فى الأصل وم : ليس، و فى ظ : ليست، و لا يتضح فى مد .

(٦) ليس فى ظ .

(٧) زيد فى ظ : له .

(٨) قال أبو حيان : وقال الكلبى : شجرة العلم عليها من كل لون، ومن أكل منها علم الخير و الشر .

(٩) فى ظ : شبهة - كذا .

فأخذت من ثمرتها فأكلت و أعطت بعلها فأكل ، فانفتحت أبصارهما و علما أنهما عريانان ، فوصلا من ورق التين و صنعا مآزر .

ثم ذكر أن الله تعالى سأله عن ذلك فقال آدم : المرأة التى[1] قرنتها معى هى[2] أطعمتنى[3] من الشجرة فأكلت[4] ، فقال الله الرب للمرأة : ما[5] هذا الذى فعلت ؟ فقالت المرأة : إن الحية أعطتنى فأكلت[6] ، فقال للحية : ملعونة تكونين من جميع الدواب و من كل ماشية البر ، و على بطنك تمشين ، و التراب تأكلين كل أيام حياتك ، و أغرى العداوة بينك و بين المرأة و بين ولدها ، و ولدها يطأ رأسك و أنت تلدغينهم[7] بأعقابهم ! و قال للمرأة : أكثر[8] أوجاعك و احبالك و بالوجع تلدين البنين ، و إلى

(١) ليس فى ظ .

(٢) زيد فى مد : التى .

(٣) فى مد : طعمتنى ـ كذا .

(٤) روى الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه و سلم قال : لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم ، و لولا حواء لم تخن أنثى زوجها . و فى فتح البارى قوله : لم تخن أنثى زوجها ، فيه إشارة إلى ما وقع من حواء فى تزيينها لآدم الأكل من الشجرة حتى وقع فى ذلك .

(٥) فى ظ : يا ـ كذا .

(٦) فى مد : فاعطتنى ـ كذا .

(٧) فى م : تلذغينهم .

(٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل فقط : اكثرى ـ كذا .

بعلك تردين و هو مسلط عليك! و قال لآدم : من أجل طاعتك امرأتك و أكلك الشجرة التى نهيتك عنها ملعونة الأرض من أجلك بالشقاء تأكل منها كل أيام حياتك أجاجا و شوكا تنبت[1] لك ، و تأكل عشب الأرض ، و برشح[2] جبينك تأكل طعامك حتى تعود فى الأرض التى منها أخذت من أجل أنك تراب و إلى التراب تعود . ٥

فدعا آدم اسم امرأته حواء[3] من أجل أنها كانت أم كل حى ، و صنع الله الرب لآدم و امرأته سرابيل من الجلود و ألبسها[4] ، فأرسله من جنة عدن ليحرث الأرض التى منها أخذ ، فأخرجه الله ربنا و أحاط من مشرق عدن ملكا من الكروبيين بيده حربة يطوف بها ليحرس طريق شجرة الحياة . ثم قال بعد ذلك : فكان جميع حياة آدم تسعمائة و ثلاثين ١٠ سنة ثم توفى[5] عليه السلام - هذا نص التوراة . و الكروب بوزن زبور

(١) فى م : تبيت .

(٢) فى م فقط : يرشح .

(٣) فى البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى : فقالت له الملائكة ينظرون مبلغ علمه : ما اسمها ؟ قال : حواء ، قالوا : لم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شىء حى . و فى هذه القصة زيادات ذكرها المفسرون لانطول بذكرها لأنها ليست مما يتوقف عليها مدلول الآية و لا تفسيرها .

(٤) وفى م و مد وظ : البسها .

(٥) زيد فى ظ : آدم .

بلغة العبرانيين [١]الشخص الصغير[١] ، فكان الكروبيون[٢] الملائكة[٣] المنسوبين[٤] إلى مخالطة الناس بالوحى أخذا من الكروبَين[٥] تثنية كروب و هما شخصان فى قبة الزمان كان [٦]يسمع كلام الله من بينهما ، كما يأتى قريبا .

فان أنكر منكر الاستشهاد بالتوراة أو[٣] بالإنجيل و عمى عن أن الأحسن فى باب النظر أن يرد على الإنسان بما يعتقد تلوت عليه قول الله تعالىٰ استشهادا على كذب اليهود : « قل فاتوا بالتورىٰة فاتلوها ان كنتم صٰدقين[٧] » و قوله تعالى : « و انزلنا اليك الكتٰب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتٰب و مهيمنا عليه[٨] » - فى آيات من[٩] أمثال ذلك كثيرة ؛ و ذكرته باستشهاد النبي صلى الله عليه و سلم بالتوراة فى قصة الزانى كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى سورة المائدة مستوفى . و روى الشيخان عن أبى سعيد رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال[١٠] : تكون الأرض

(١-١) فى ظ : الصغر .

(٢) و فى الأصول : الكروبيين - كذا .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) من م ، و فى الأصل و مد و ظ : المنسوبون .

(٥) فى م : الكروبيين .

(٦) ليس فى م و ظ .

(٧) سورة ٣ آية ٩٣ .

(٨) سورة ٥ آية ٤٨ .

(٩) الظاهر ان « من » زائدة و تكون بدلا واو العطف .

(١٠) فى الصحيح للامام البخارى ٢/٩٦٥ : عن أبى سعيد الخدرى قال النبى =

يوم القيامة خبزة نزلا لأهل الجنة ، فأتى رجل من اليهود فقال : بارك[1] الرحمن[2] عليك يا أبا القاسم ! ألا أخبرك بنُزُل[3] أهل الجنة يوم القيامة ؟ قال : بلى[4] ، قال : تكون الأرض خبزة [واحدة] كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر النبي [5]صلى الله عليه و سلم[5] إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه . وقريب[6] من ذلك حديث الجساسة فى أشباهه . هذا فيما يصدقه كتابنا . ٥

و أما ما لا يصدقه و لا يكذبه فقد روى البخارى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : حدثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج . و رواه مسلم و الترمذى و النسائى عن أبى سعيد رضى الله عنه ، /[7]و هو[8] معنى ما فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ٥٨ /

= صلى الله عليه وسلم : تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته فى السفر نزلا لأهل الجنة ، فأتى رجل من اليهود فقال : بارك الرحمن ـ الحديث ، وفيه : ثم قال : ألا أخبرك بادامهم ؟ قال : ادامهم بالام ونون ، قالوا : وما هذا ؟ قال : ثور ونون يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفا.

(١) من م و مد و ظ و رواية البخارى ، و فى الأصل : برك ـ كذا .

(٢) فى مد : الله .

(٣) فى ظ : بنز ـ كذا .

(٤) فى ظ : بل .

(٥-٥) ليست فى م .

(٦) فى م : قريب .

(٧) العبارة من هنا إلى « قال كان » ليست فى مد .

(٨) فى ظ : هم .

كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية و يفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم و قولوا: «آمنا بالذى انزل الينا و انزل اليكم[1]» الآية، فان دلالة هذا على سنية ذكر[2] مثل ذلك أقرب من الدلالة على غيرها،

٥ و [3]لذا أخذ[3] كثير من الصحابة رضى الله عنهم عن أهل الكتاب.

فان فهم أحد من الشافعية منع أئمتهم من قراءة شيء من الكتب القديمة مستندا إلى قول الإمام أبى القاسم الرافعى فى شرحه: و كتب التوراة و الإنجيل مما لا يحل الانتفاع به، لأنهم بدلوا و غيروا، و كذا قال[4] غيره من الأصحاب؛ قيل له: هذا مخصوص بما علم تبديله[5]، بدليل أن كل من قال ذلك علل [بالتبديل -[6]] فدار الحكم معه، و نص الشافعى ظاهر فى ذلك، قال المزنى[7] فى مختصره فى باب جامع السير: [8]و ما كان من كتبهم أى الكفار[8] فيه طب و ما لا مكروه فيه يُبَاعُ و[9] ما

(١) سورة ٢٩ آية ٤٦ .
(٢) ليس فى مد .
(٣ - ٣) فى ظ: كذا اخبر .
(٤) ليس فى ظ .
(٥) فى م: بيديله - كذا .
(٦) زيد من م و مد و ظ، و قد سقط من الأصل .
(٧) زيد فى م و ظ: عنه .
(٨ - ٨) ليست فى ظ .
(٩) زيد فى مد: لا .

كان فيه شرك أبطل و انتفع بأوعيته . و قال فى الأم فى سير الواقدى فى باب ترجمته كتب الأعاجم قال [1]الشافعى: و[1] ما وجد من كتبهم فهو مغنم كله، و ينبغى للامام أن يدعو من يترجمه، فان كان علما من طب أو غيره لا[2] مكروه فيه باعه كما يبيع ما سواه من المغانم، و إن كان كتاب شرك شقوا الكتاب فانتفعوا بأوعيته و أداته فباعها، و لا وجه لتحريقه[3] و لا دفنه قبل أن يعلم ما هو - انتهى . فقوله فى الأم: كتاب شرك، مفهم لأنه كله شرك، و لهذا عبر المزنى عن ذلك بقوله: و ما كان فيه شرك، أى من أبواب الكتاب و فصوله، و أدل من ذلك قولهم فى باب الأحداث: إن حكمها فى مس المحدث حكم ما نُسِخَتْ تلاوته من القرآن فى أصح الوجهين، و التعبير بالأصح على ما اصطلحوا عليه يدل على أن الوجه القائل بحرمة مس المحدث و حمله لها قوى، و أدل من ذلك ما ذكره محرر[4] المذهب الشيخ محيي الدين النواوى رحمه الله فى مسائل ألحقها فى آخر[5] باب الأحداث من شرح المهذب و أقرّه أن المتولى قال: فان ظن أن فيها شيئا غير مبدل كُرِه مسه - انتهى . فكراهة المس للاحترام، و الاحترام فرع جواز الإبقاء و الانتفاع بالقراءة، و أصرح من ذلك

(١ - ١) ليس فى م .

(٢) فى ظ : فلا .

(٣) من م و ظ ، و فى الأصل : للحريقه - كذا .

(٤) فى ظ : محرز .

(٥) ليس فى م و مد .

كله قول الشافعى رحمه الله : إن ما لا مكروه[1] فيه يباع ، و كذا قول البغوى فى تهذيبه فى آخر باب الوضوء : و كذلك لو تكلم ـ أى الجنب ـ بكلمة توافق نظم القرآن أو قرأ آية نسخت قراءتها أو قرأ التوراة و الإنجيل أو ذكر الله سبحانه أو صلى على النبى صلى الله عليه و سلم فجائز ، قالت عائشة رضى الله عنها : كان النبى صلى الله عليه و سلم يذكر الله على كل أحيانه . فانه لا يتخيل أنه يجوز للجنب ما لا يجوز للمحدث ، بل كل ما جاز للجنب قراءته من غير أمر ملجئ جاز للمحدث و لا عكس ، و تعليله لذلك بحديث عائشة رضى الله عنها دال على أن ذلك ذكر لله[2] تعالى ، و لا يجوز الحمل على العموم لا سيما إذا لوحظ قول القاضى الحسين : إنه يجوز الاستنجاء بها ، لأنه مبنى على الوجه القائل بأن الكل مبدل ؛ و هو ضعيف أو محمول على المبدل منها ، لأنه لا يخفى على أحد أن مسلما فضلا عن عالم لا يقول : إنه يستنجى بنحو قوله فى العشر الكلمات التى صدرت بها الألواح قال الله جميع هذه الآيات كلها : أنا[3] الرب إلهك الذى أصعدتك من أرض مصر من العبودية و الرق ، لا تكونن[4] لك آلهة غيرى ، لا تعملن شيئا من الأصنام و التماثيل التى مما[5] فى السماء فوق و فى

(١) فى م : مكره .
(٢) فى ظ : الله .
(٣) فى م : ان .
(٤) فى م : يكونن .
(٥) فى م : هما ـ كذا .

الأرض من تحت و مما فى الماء أسفل الأرض ، [1]لا تسجدن لها و لا تعبدنها ، لأنى أنا الرب إلهك إله غيور ، لا تقسم[2] بالرب إلهك كذبا ، لأن الرب لا يزكى من حلف باسمه كذبا ، أكرم أباك و أمك ليطول عمرك فى الأرض التى يعطيكها[3] الرب إلهك ، لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد على صاحبك شهادة زور . و قد أشبع الكلام فى المسألة شيخنا حافظ عصره أبو الفضل ابن حجر فى آخر شرحه للبخارى ، و آخر ما حط عليه التفرقة بين من رسخ قدمه فى العلوم الشرعية - فيجوز له النظر فى ذلك فانه يستخرج منه ما ينتفع به المهتدون - و بين غيره فلا يجوز له ذلك[4] ، و أيده بنظر الأئمة فيهما قديما و حديثا و الرد على أهل الكتابين بما يستخرجونه منهما ؛ فلو لا جواز ذلك ما أقدموا عليه - و الله الموفق . و قد حررت المسألة فى فن المرفوع من حاشيتى على شرح ألفية الشيخ زين الدين العراقى فراجعه إن شئت - و الله الهادى ؛[5] ثم صنفت فى ذلك تصنيفا حسنا سميته « الأقوال القويمة فى حكم النقل من الكتب القديمة » .

تنبيه : اعلم أن التوراة ثلاث نسخ مختلفة اللفظ متقاربة المعنى إلا يسيرا : إحداها تسمى توراة السبعين ، و هى التى اتفق عليها اثنان

(١) زيد فى ظ : و .

(٢) فى م : لا يقسم .

(٣) من ظ ، و فى الأصل : تعطيكها .

(٤) ليس فى م .

(٥) العبارة من هنا إلى « القديمة » ليست فى ظ .

و سبعون حبرا[1] من أحبارهم[2]؛ و ذلك أن بعض اليونان من ملوك مصر سأل بعض ملوك اليهود ببيت المقدس أن يرسل إليه عددا من حفاظ التوراة، فأرسل إليه اثنين[3] و سبعين حبرا، فأخلى كل اثنين منهم فى بيت و وكل بهم كتّابا و تراجمة، فكتبوا التوراة بلسان اليونان، ثم قابل بين نسخهم الستة و الثلاثين فكانت مختلفة اللفظ متحدة المعنى، فعلم أنهم صدقوا و نصحوا، و هذه النسخة ترجمت بعد بالسريانى / ثم بالعربى و هى /٥٩ فى أيدى النصارى؛ و النسخة الثانية نسخة اليهود من الربانيين و القرائين، و النسخة الثالثة نسخة السامرة؛ و قد نبه على مثل ذلك الإمام السمرقندى فى[4] الصحائف و استشهد بكثير من نصوص التوراة على كثير من مسائل أصول الدين، و كذا الشيخ سعد الدين التفتازانى فى شرح المقاصد و القاضى عياض فى كتاب الشفاء و غيرهم.

ثم اعلم أن أكثر ما[5] ذكرته فى كتابى هذا من نسخة وقعت لى لم أدر اسم مترجمها و على حواشى فصولها الأوقات التى تقرأ[6] فيها، فالظاهر أنها نسخة اليهود و هى قديمة جدا، فكان فى الورقة الأولى منها محو فى أطراف الأسطر فكملته من نسخة[7] السبعين، ثم قابلت نسختى كلها مع

(١) فى م: خبرا - كذا. (٢) فى م: اخبارهم - كذا.
(٣) فى ظ: اثنان.
(٤) زيد فى ظ: شرح، و الزيادة كانت فى الأصل أيضا و لكن ضرب عليها.
(٥) فى ظ من.
(٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يقرأ.
(٧) فى ظ: نسخت - كذا.

بعض

بعض اليهود الربانيين على ترجمة سعيد الفيومى و هى عندهم أحسن التراجم [١]و كان هو القارئ[١]، فوجدت نسختى أقرب إلى حقائق لفظ العبرانى و مترجمها أقعد من سعيد فى لغة العرب، هذا و ظاهر القرآن فى قوله تعالى «فاذا سويته و نفخت فيه من روحى فقعوا له سجدين»[٢] أن الأمر بالسجود له كان قبل إتمام خلقه و أن السجود كان عقب النفخ، و به صرح البغوى فى تفسيره، و أجاب عن قوله تعالى فى سورة الأعراف «و لقد خلقنكم ثم صورنكم ثم قلنا للملئكة اسجدوا لادم»[٣] بأجوبة، منها أن الخلق و التصوير لآدم وحده، و ذكره بضمير الجمع لأنه أبو البشر فخلقه خلقهم و تصويره[٤] تصويرهم؛ و منها أن «ثم» بمعنى الواو[٥] ليست للترتيب - انتهى. و التصوير شق[٦] السمع و البصر و الأصابع - قاله يمان، و التسوية تعديل[٧] الخلق و إتمامه و تهيئته لنفخ الروح، و يمكن أن يكون «خلقنكم» و ما بعده بمعنى قدرنا ذلك تقديرا قريبا من الإخراج من

(١ - ١) ليست فى ظ.

(٢) سورة ١٥ آية ٢٩.

(٣) سورة ٧ آية ١١.

(٤) فى ظ: تصوره.

(٥) زيد فى ظ: و.

(٦) فى م: سبق - خطأ.

(٧) وقع فى ظ: بعدبان - كذا مصحفا.

العدم ؛ و بذلك يتضح قوله فى التوراة : فخلق آدم بصورته ذكرا و أنثى ، ثم قال بعد ذلك : لأن آدم لم يكن خلق بعد ، ثم حكى خلقه و خلق زوجه منه ؛ فهذا خلق بمعنى الإيجاد ، و ذلك بمعنى التقدير القريب منه - و التهيئة لقبول الغايات - والله اعلم . و مشى البيضاوى على أن الأمر بالسجود كان بعد الإنباء بالأسماء و لم يذكر دليلا يصرف عن هذا الظاهر على أن المشى عليه أولى[1] من جهة المعنى ، لأن سجود الملائكة عليهم السلام قبل[2] يكون إيمانا بالغيب على قاعدة التكاليف ، و أما بعد إظهار فضيلة العلم فقد كُشِف الغطاء و صار وجه الفضل من باب عين اليقين[3] ؛ و أما الترتيب فى الذكر هنا على هذا الوجه و هو جعل السجود بعد الإنباء فهو لنكتة بديعة و هى أنه تعالى لما كان فى بيان النعم التى أوجبت شكره باختصاصه بالعبادة لكونه منعما فبين أولا نعمته على كل نفس فى خاصتها بخلقها و إفاضة الرزق عليها ، ثم ذكر الكل بنعمة تشملهم و هى محاجّته[4] لأقرب خلقه إذ ذاك إليه عن أبينا آدم قبل إيجاده اقتضى الأسلوب الحكيم أن يوضح لهم الحجة فى فضيلة هذا الخليفة فذكر ما آتاه من العلم ، فلما فرغ من محاجتهم بما أوجب إذعانهم ذكر بنيه[5] بنعمة السجود

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى مد : قيل .

(٣) فى ظ : الفعل .

(٤) من م و مد ، و وقع فى الأصل و ظ : محتاجة - كذا مصحفا .

(٥) هكذا فى الأصل و م ، و فى مد و ظ : تنبيه .

له ، فما كان تقديم إظهار فضيلة العلم إلا محافظة على حسن السياق فى ترتيب الدليل على أقوم منهاج و أوضح[1] سبيل . و لما فرغ من نعمة التفضيل فى الصفات الذاتية بين النعمة بشرف المسكن مع تسخير زوج من الجنس لكمال الأنس و ما يتبع ذلك فقال تعالى . و قال الحرالى: لما أظهر الله سبحانه فضيلة آدم فيما أشاد[2] به عند الملائكة من علمه و خلافته و الإسجاد له و إباء إبليس عنه أظهر تعالى أثر ذلك ما يقابل من أحوال آدم حال ما ظهر للملائكة بما فيه من حظ مخالفة يشارك بها إفراط ما فى الشيطان من الإباء لإحاطة[3] خلق آدم بالكون كله علوا و سفلا ، و ليظهر فضل آدم فى حال مخالفته على إبليس فى حال إبائه بما يبدو على آدم من الرجوع بالتوبة كحال رجوع الملائكة بالتسليم ، فيظهر فيه الجمع بين الطرفين و الفضل فى الحالين : حال علمه و حال توبته فى مخالفته ، فجعل تعالى إسكان الجنة توطئة لإظهار ذلك من أمره فقال تعالى : « و قلنا يا آدم اسكن »[4] ، من السكن و هو الهدوء فى الشيء الذى فى طيه

(١) ليس فى م و مد .

(٢) هكذا فى الأصل وكتب فيه تحته : الاشادة رفع الصوت ؛ و فى م : اشار . و فى مد : امتاز .

(٣) فى ظ : بالاحاطة .

(٤) قال على المهائمى : « و » ذلك أنا زدناه إكراما إذ « قلنا يا آدم اسكن انت و زوجك » تكميلا لإكرامك باكرام محبوبتك دار كرامتنا « الجنة و » أكملنا استيلاءهما عليها إذ قلنا « كلا منها » أى من نعيمها . قال أبو حيان الأندلسى : =

إقلاق ، أن فى قوله : « انت » اسم باطن الذات علما هى المشتركة[1] فى أنا و أنتَ و أنتِ و أن تفعل كذا ، و الألف فى أنا إشارة ذات المتكلم ، و فى مقابلتها التاء إشارة لذات المخاطب ذكرا أو أنثى ، « و زوجك الجنة » فأجنت لآدم ما فيها من خبء استخراج أمر معصيته ليكون ذلك توطئة لكمال باطنه باطلاعه على سر من أسرار ربه فى علم التقدير إيمانا و[2]لكمال ظاهره يكون ذلك توطئة لفضيلة توبته إسلاما ليس لبنيه التوبة

= و مناسبتها لما قبلها أن الله لما شرف آدم برتبة العلم و باسجاد الملائكة له امتن عليه بأن أسكنه الجنة التى هى دار النعيم أباح له جميع ما فيه إلا الشجرة على ما سيأتى فيها إن شاء الله . و قال الشربينى الخطيب : أى اتخذ الجنة مسكنا لتستقر فيها ، و لفظ أنت تأكيد أكد به المستكن ليصح العطف عليه ، و إنما لم يخاطبهما أولا بأن يقول : اسكنا ، تنبيها على أنه المقصود بالحكم و هو الأمر بالسكنى التى هى الأصل بالنسبة إلى ما عطف عليها من الأكل وغيره و المعطوف عليه تبع له حتى فى الوجود إذ لم يكن له من يؤنسه فى الجنة فخلقت حواء - بالمد - من ضلعه الأقصر من جانبه الأيسر و هو نائم ، فلما استيقظ من نومه رآها جالسة عند رأسه كأحسن ما خلق الله فقال : من أنت ؟ قالت : زوجتك ، خلقنى الله لك ، أسكن إليك وتسكن إلىّ ، وسميت حواء لأنها خلقت من حى ، خلقها الله من غير أن يحس آدم و لا وجد بخلقها ألما . قال أبو البركات النسفى : الجنة هى جنة الخلد التى وعدت للمتقين للنقل المشهور ، واللام للتعريف .

(١) فى ظ : المشركة .

(٢) ليس فى م .

أثر

أثر المعصية مخالفة لإصرار إبليس بعد إبائه و شهادة عليه بجهله فى ادعائه ، و جعل له ذلك فيما هو متنزل عن رتبة علمه فلم تلحقه فيه فتنة حفيظة على خلافته و أنزلت معصيته إلى محل مطعمه الذى هو خصوص حال المرء من جهة أجوفية خلقه ليبدو نقص الأجوف و يبدى ذلك إكبار الصمد الذى[1] يُطْعِم ولا يُطْعَم ، فكان ذلك من فعله تسبيحا بحمد ربه؛ ٥ لايقضى الله لمؤمن[2] قضاء إلا كان خيرا له انتهى .

و لما كان السياق/ هنا[3] لمجرد بيان النعم استعطافا إلى المؤالفة كان ٦٠/ عطف الأكل بالواو فى قوله « و كلا منها » كافيا فى ذلك ، و كان التصريح بالرغد الذى هو من أجل النعم عظيم الموقع فقال تعالى : « رغدا »،[4] أى

---

(١) زيد فى م : و .

(٢) زيد فى م : من .

(٣) فى ظ : لهنا .

(٤) قال البيضاوى : « رغدا » أى واسعا رافها ، صفة مصدر محذوف « حيث شئتما » أى مكان من الجنة شئتما ، وسع الأمر عليهما إزاحة للعلة و العذر للتناول من الشجرة المنهى عنها من بين أشجارها الفائتة للحصر . و قال أبو حيان الأندلسى : قال الزجاج : الرغد الكثير الذى لا يعنيك ، و قال مقاتل : الواسع ، وقال مجاهد : الذى لا يحاسب عليه ، وقيل : السالم من الإنكار الهنىء « حيث شئتما » أباح لهما الأكل حيث شاءا فلم يحظر عليهما مكانا من أماكن الجنة كما لم يحظر عليهما ماكولا إلا ما وقع النهى عنه ـ انتهى .

واسعا رافها[1] طيبا هنيئا[2] «حيث» [3]أى أىّ مكان[3] «شئتما» بخلاف سياق الأعراف فانه أريد منه مع التذكير بالنعم التعريف بزيادة التمكين و أنها لم تمنع من الإخراج تحذيرا للمتمكنين[4] فى الأرض المتوسعين فى المعايش من إجلال السطوات و إنزال المثلات[5]، كما سيأتى إن شاء الله تعالى. ثم المقصود من حكاية القصص فى القرآن إنما هو المعانى فلا يضر اختلاف اللفظ إذا أدى جميع المعنى أو بعضه و لم يكن هناك مناقضة فان القصة كانت حين وقوعها بأ فى المعانى الواردة ثم إن الله تعالى يعبر لنا فى كل سورة تذكر[6] القصة فيها بما يناسب ذلك المقام من الألفاظ عما يليق من المعانى و يترك ما لا يقتضيه ذلك المقام، و سأبين ما يطلعنى الله عليه من ذلك فى مواضعه ان شاء الله تعالى.

و لما أباح لهما سبحانه ذلك كله اتبعه بالنهى عن شجرة واحدة. قال الحرالى: و أطلق له الرغد إطلاقا و جعل النهى عطفا و لم يجعله استثناء ليكون آدم أعذر فى النسيان لأن الاستثناء أهم فى الخطاب من التخصيص و قال: «و لا تقربا»[7] و لم يقل: و لا تأكلا، نهيا عن حماها

(١) فى م: رافيها - كذا.

(٢) العبارة من «اى» إلى هنا ليست فى ظ.

(٣-٣) ليست فى ظ.

(٤) فى م: للتمكينين.

(٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: المثلاث - كذا بالثاء المثلثة.

(٦) فى ظ: بذكر.

(٧) قال البيضاوى: فيه مبالغات تعليق النهى بالقرب الذى هو من مقدمات =

ليكون ذلك[1] أشد فى النهى - انتهى . « هذه »[2] و لما كان اسم الإشارة لا دلالة له على حقيقة الذات افتقر إلى بيان ذات المشار إليه فقال : « الشجرة » أى فانكما إن قربتماها[3] تأكلا منها « فتكونا » أى بذلك « من الظلمين »[4] أى الواضعين الشىء فى غير موضعه كمن يمشى فى

= التناول مبالغة فى تحريمه و وجوب الاجتناب عنه ، و تنبيها على أن القرب من الشىء يورث داعية و ميلا يأخذ بمجامع القلوب و يلهيه عما هو مقتضى العقل و الشرع كما روى : حبك الشىء يعمى و يصم . فينبغى أن لا يحوما حول ما حرم الله عليهما مخافة أن يقعا فيه ، و جعله سببا لأن يكونا من الظالمين الذين ظلموا أنفسهم بارتكاب المعاصى أو بنقص حظهما بالإتيان بما يخل بالكرامة و النعيم . قال على المهائمى : « و » من إكرامنا أباهما أنا لم نكلفهما بشىء سوى أن قلنا « لا تقربا » فضلا عن تناول شىء منها فضلا عن الأكل إذ القرب من الشىء يأخذ بمجامع القلب و يلهيه عما هو مقتضى الشرع و العقل « هذه الشجرة » من بين الأشجار الفائتة للحصر وكانت شجرة الحنطة أو الكرمة أو التينة « فتكونا من الظلمين » أنفسهم بتفويت الكرامات و التعرض للعقاب و العتاب ، فكانت هذه مدخلا للشيطان . قال النسفى : « الشجرة » أى الحنطة ، و لذا قيل : كيف لا يعصى الإنسان و قوته من شجرة العصيان ، أو الكرمة لأنها أصل كل فتنة ، أو التينة - انتهى .

(١) ليس فى م .

(٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٣) فى ظ : قربتماهما - كذا .

(٤) العبارة من هنا إلى « من الحكمة » ليست فى ظ .

الظلام ؛ و فى هذا النهى دليل على أن هذه[1] السكنى لا تدوم ، لأن الخلد لا يناسب أن يعرض للحظر بأن يحظر عليه شيء و لا أن يؤمر و لا ينهى ، و لذلك دخل عليه الشيطان من جهة الخلد ، و لا داعى لبيان نوع الشجرة[2] لأن السياق لبيان شؤم المخالفة و بركة التوبة لا لتعيين المنهى عنه فليس بيانه حينئذ من الحكمة .

ثم بين أنهما أسرعا المواقعة بقضية[3] خلقهما على طبائع الشهوة لما نهيا عنه فقال: « فأزلهما » ، قال الحرالى : من الزلل و هو تزلق الشيء الذى لا يستمسك على الشيء الذى لا مستمسك فيه كتزلل الزلال عن[4] الورق

(١) فى م : هذا .

(٢) نقل أبو حيان فى الشجرة أقوالا متعددة و فيها قيل : شجرة لم يعلمنا الله ما هى و هذا هو الأظهر ، إذ لا يتعلق بعرفانها كبير أمر ، و إنما المقصود إعلامنا أن فعل ما نهينا عنه سبب للعقوبة .... قال القشيرى : كل ما منع منه توفرت دواعى ابن آدم للاقتراب منه ، هذا آدم عليه السلام أبيح له الجنة بجملها و نهى عن شجرة واحدة فليس فى المعقول أنه مد يده إلى شيء من جملة ما أبيح له ، و كأنه عيل صبره حتى ذاق ما نهى عنه ، هكذا صفة الخلق ، فقال : نبه على عاقبة دخول آدم الجنة من ارتكابه ما يوجب خروجه منها قوله تعالى « انى جاعل فى الارض خليفة » فاذا أخبر تعالى بجعله خليفة فى الأرض فكيف يمكن بقاؤه فى الجنة ، كان آدم لا أحد يوفيه فى الرتبة يتوالى عليه النداء : يا آدم ! يا آدم ! فأمسى و قد نزع لباسه و سلب استئناسه و القدرة ، لا تكابر و حكم الله لا يعارض . و قال الشاعر:

لله درهم من فتية بكروا مثل الملوك و راحوا كالمساكين

(٣) فى ظ : يقتضيه .

(٤) فى م : على .

و هو ما يجتمع من الطل فيصير ما على الأوراق و الأزهار ، و أزالهما من الزوال و هو التنحية عن المكان أو المكانة و هو المصير بناحية منه ؛ « الشيطن » هو مما أخذ من أصلين : من الشطن و هو البعد الذى منه سمى الحبل الطويل ، و من الشيط الذى هو الإسراع فى الاحتراق و السمن ، فهو من المعنيين مشتق كلفظ إنسان و ملائكة « عنها » أى عن مواقعة الشجرة و عن ٥ كلمة تقتضى المجاوزة عن سبب ثابت كقولهم : رميت عن القوس - انتهى .

[1]و تحقيقه[2] فأصدر الشيطان زلتهما أو زوالهما[3] عنها « فاخرجهما »[4] أى فتسبب عن إيقاعهما فى الزلل الناشئ عن تلك المواقعة أنه أخرجهما « مما كانا فيه » من النعمة العظيمة التى تجل عن الوصف . قال الحرالى : « فى » كلمة تقتضى وعاء مكان أو مكانة ، ثم قال : أنبأ الله عز وجل بما ١٠

---

(١) العبارة من هنا إلى « عنها » ليست فى ظ .

(٢) قال البيضاوى : أصدر زلتهما عن الشجرة وحملهما على الزلة بسببها أو أزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما ، و يعضده قراءة حمزة « فازالهما وهما يتقاربان فى المعنى غير أن أزل يقتضى عثرة مع الزوال . و جعل سيبويه نونه تارة أصلية على أنه من شطن إذا بعد فانه بعيد عن الصلاح ، و يشهد له قولهم : تشيطن ، و أخرى زائدة من شاط إذا بطل ، و من أسمائه الباطل .

(٣) فى م : زورا لهما .

(٤) قال على المهائمى « فاخرجهما مما كانا فيه » من الكرامات ، قيل أتى باب الجنة فمنعته الخزنة ، فجاءته الحية فسألها الدخول بفيها ، فأدخلته فوقف بين يدى آدم فقال : هل أدلك على شجرة الخلد ؟ فلم يقبل ، « فقاسمهما انى لكما لمن الناصحين » فاغترا فبادرت حواء ثم ناولت آدم فصدرت هذه المعصية من آدم قبل النبوة بنسيان جرم النهى بتغرير إبليس و إنسائه قوله « فتكونا من الظلمين » - انتهى .

فى خبء أمره مما هو من وراء علم الملائكة بما أظهر من أمر[1] آدم عليه السلام و بما وراء علم آدم بما أبدى من حال الشيطان باستزلاله لآدم حسن ظن من آدم بعباد الله مطلقا حين قاسمهما على النصيحة، و فيه انتظام بوجه مّا بتوقف الملائكة فى أمر خلق آدم لحذرت الملائكة إلى الغاية،
٥ فجاء من وراء حذرها حمد أظهره الله من آدم، و جاء من وراء حسن ظن آدم ذنب أظهره الله من الشيطان على سبيل سكن الجنة فرمى[2] بهما عن سكنها بما أظهر له بما فيها من حب الشجرة التى اطلع عليها. ثم قال: و حكمة ذلك أى[3] نسبة هذا الذنب إلى الشيطان بتسبيه[4]، إن الله [5]عز وجل[5] يعطى عباده الخير بواسطة و بلا واسطة و لا ينالهم شر إلا[6]
١٠ بواسطة نفس، كما وقع من الإباء للشيطان، فكانت خطيئته فى ذات نفسه أو بواسطة شيطان كما كانت مخالفة آدم، فكانت خطيئته ليست[7] من ذات نفسه و عارضةً عليه من قبل عدو تسبب له بأدنى ما منه من زوجه[8] التى هى من أدنى خلقه فمحت التوبة الذنب العارض لآدم و أثبت الإصرار الإباء النفسانى للشيطان؛ و ذكر الحق تعالى الإزلال

(١) فى م: علم.
(٢) فى مد: مى من - كذا.
(٣) زيد فى ظ: و.
(٤) فى ظ: بتشبيه.
(٥ - ٥) ليس فى ظ.
(٦) فى م: الى.
(٧) ليس فى م.
(٨) فى م: روحة - كذا.

منه باسمه الشيطان لا باسمه إبليس لما فى معنى الشيطنة من البعد و السرعة التى تقبل التلافى و لما فى معنى الإبلاس من قطع الرجاء، فكان فى ذلك بشرى استدراك آدم بالتوبة - انتهى .

و لما بين أنه غرهما فضرهما بين إهباط الغارّ و المغرور و بين أنه أنعم[1] على المغرور دون الغار مع ما سبق له من لزوم العبادة و طول التردد فى الخدمة، و فى ذلك تفخيم للنعمة استعطافا إلى الإخلاص فى العبادة فقال عاطفا على ما يرشد إليه السياق من نحو أن يقال فتداركناهما بالرحمة و تلافينا[2] خطأهما بالعفو لكونه عارضا منهما بسبب خارج؛ و أبّدنا تلافى[3] الغار بشقائه لعصيانه بالضلال و الإضلال عن عمد فكان مغضوبا

(١) قال الخطيب الشربينى : قال ابن عباس رضى الله عنهما قال الله تعالى لآدم : أليس فيما أبحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة؟ قال : بلى يا رب و عزتك ولكن ماظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا، قال : فبعزتى لأهبطنك فى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدا؛ فأهبطا من الجنة و كانا يأكلان فيها رغدا، فعلّم صنعة الحديد و أمر بالحرث فحرث و زرع ثم سقى حتى إذا بلغ حصد ثم درسه ثم ذرأه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم أكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله . قال إبراهيم ابن ادهم : أورثتنا تلك الأكلة حزنا طويلا .

(٢) و فى التفسير المظهرى : قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الله تعالى : يا آدم! ما حملك على ما صنعت؟ قال : يا رب زينته لى حواء، قال : فانى أعقبتها أن لا تحمل إلا كرها ولا تضع إلا كرها و دميتها فى الشهر مرتين، فرنّت حواء عند ذلك، فقيل : عليك الرنة و على بناتك .

(٣) فى الأصل : تلاف .

عليه «و قلنا» أى له و للمغرور: «اهبطوا[1]»،[2] و فى ذلك لطف لذريته بالتنفير من الخطاء و الترهيب الشديد من جريرته و الترغيب العظيم على تقدير الوقوع فيه فى التوبة و الهبوط .

/٦١ قال الحرالى: سعى فى درك و الدرك ما / يكون نازلا عن مستوى ، ٥ فكأنه أمسك حقيقته - أى آدم - فى حياطته تعالى و حفظه و توفيقه لضراعته و بكائه و سر ما أودعه من أمر توبته ؛ و أهبط صورته ليظهر [3]فى ذلك[3] فرق ما بين هبوط آدم و هبوط إبليس على ما أظهر من ذلك سرعة عود آدم توبة و موتا إلى محله من أنسه المعهود و قربه المألوف له[4] - من ربه ، و إنظار إبليس فى الأرض مصرا منقطعا عن[5] ١٠ مثل معاد آدم لما[6] نال إبليس من اللعنة التى هى مقابل التوبة . «بعضكم

(١) قال على المهائمى : «اهبطوا» من دار كرامتنا إلى دار الابتلاء و أقله العداوة و المضرة فى الدنيا و الدين إذ «بعضكم لبعض عدو» يعاديكم إبليس بالإضلال و الحية باللدغ «و» لا رجوع لكم إلى الجنة عن قريب إذ «لكم فى الارض مستقر» أى مدة استقرار يوقع فى الأمل «و متاع» يوقع فى الشهوات و ينسى نعيم الجنة «الى حين» أى القيامة على ظهرها أو فى بطنها .

(٢) العبارة من هنا إلى «فى التوبة» ليست فى ظ .

(٣-٣) فى ظ : بذلك .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) فى م : على .

(٦) فى مد : بما .

لبعض

لبعض » البعض[1] ما اقتطع من جملة و فيه ما فى تلك الجملة ؛ « عدو » من العداء[2] أى المجاوزة عن حكم المسالمة التى هى أدنى ما بين المستقلين[3] من حق المعاونة - انتهى . فالمعنى فليحذر كل واحد منكم عدوه[4] باتباع الأوامر الأوامر و اجتناب النواهى .

قال الحرالى : و فيه إشعار بما تمادى من عدواء الشيطان على ذرء[5] من ٥ ولد آدم حتى صاروا من حزبه ، و فيه أيضا بشرى لصالحى ولد آدم بما يسبونه من ذرء إبليس فيلحقون بهم بالإيمان و الإسلام و التوبة فيهتدون بهداه من حيث عمّ بالعداوة ، فاعتدى ذو الخير فصارت عدواه[6] على أهل الشر خيرا ، و اعتدى ذو الشيطنة فصارت عدواه على أهل الخير شرا . « و لكم فى الارض مستقر » تكونون فيه ، و هو من القرار[7] و هو كون ١٠

(١) و فى البحر المحيط : بعض اصله مصدر بعض يبعض بعضا أى قطع ، و يطلق على الجزء ، و يقابله كل ، و هما معرفتان لصدور الحال منهما فى فصيح الكلام .

(٢) فى البحر المحيط : العدو من العداوة و هى مجاوزة الحد ، يقال : عدا فلان طوره ، إذا جاوزه ، و قيل : العداوة التباعد بالقلوب ، من عدوى الجبل و هما طرفاه ، سميا بذلك لبعد ما بينهما ، و قيل : من عدا أى ظلم ، و كلها متقاربة فى المعنى ، و العدو يكون للواحد و الاثنين و الجمع و المذكر و المؤنث .

(٣) فى ظ : المستلفين .

(٤) فى ظ : صاحبه .

(٥) فى ظ : ذراء .

(٦) فى م : عداوه .

(٧) قال أبوحيان الأندلسى : المستقر مستفعل من القرار و هو اللبث و الإقامة ، =

الشيء فيما له فيه[1] تنام و ظهور و عيش موافق؛ « و متاع » تتمتعون[2] به ، و المتاع[3] هو الانتفاع بالمنتفع به وقتا منقطعا يعرف نقصه بما هو أفضل منه ، يعنى ففيه إشعار بانقطاع الإمتاع بما فى هذه الدنيا و نقص ما به الانتفاع عن محل ما كانا فيه ، من حيث أن لفظ المتاع أطلق فى لسان العرب على الجيفة التى هى متاع المضطر و أرزاق سباع الحيوان و كلابها[4] ، فكذلك الدنيا هى جيفة متع بها أهل الاضطرار بالهبوط من الجنة و جعلها حظا من لا خلاق له فى الآخرة؛ « الى حين » ، أى لا يتقدم و لا يتأخر ، و فى إبهام الحين إشعار باختلاف الآجال فى ذره الفريقين ، فمنهم الذى يناله الأجل صغيرا ، و منهم الذى يناله كبيرا - انتهى[1] .

= و يكون مصدرا و زمانا و مكانا .

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى م : يتمتعون .

(٣) فى البحر المحيط : المتاع ما استمتع به من المنافع أو الزاد أو الزمان الطويل أو التعمير « إلى حين » إلى الموت أو إلى قيام الساعة أو إلى أجل قد علمه الله - قاله ابن عباس . و يمكن أن يفسر قوله « مستقر و متاع الى حين » بقوله « قال فيها تحيون و فيها تموتون و منها تخرجون » ، و فى قوله « الى حين » دليل على عدم البقاء فى الأرض ودليل على المعاد ، وفى هذه الآية التحذير عن مخالفة أمر الله بقصد أو تأويل و أن المخالفة تزيل عن مقام الولاية .

(٤) فى ظ : كلابهما - كذا .

و لما تسبب عن جزاء آدم عليه السلام بالإهباط الذى هو كفارة له أنه ألهم الدعاء بما رحم به عبر عن ذلك بقوله[1] : « فتلقى » أى فهبطوا فتلقى « آدم » بعد الهبوط ، و التلقى ما يتقبله القلب باطنا وحيا ، أو كالوحى أبطن من التلقن[2] الذى يتلقنه لفظا و علما ظاهرا أو[3] كالظاهر - قاله الحرالى : « من ربه » [4]أى المحسن إليه فى كل حال[4] « كلمٰت » أى ترضيه ٥ سبحانه بما أفهمه التعبير بالتلقى ، و هى جمع كلمة ؛ و هى دعاء دعا به ربه[5] أو ثناء أثنى به[6] عليه ؛ و تطلق الكلمة أيضا على إمضاء أمر الله من غير

(١) قال على المهائمى : و لما لم يكن معصية آدم كفرا و كان معتنى به ألهمه الله كلمات « فتلقى » أى تقبل « آدم من ربه كلمٰت » هى « ربنا ظلمنا انفسنا و ان لم تغفر لنا و ترحمنا لنكونن من الخٰسرين » فاستغفر عنها و تاب عن أمثالها - انتهى . قال البيضاوى : استقبلها بالأخذ و القبول و العمل بها حين علمها . و عن ابن عباس قال : يا رب ! ألم تخلقنى بيدك ؟ قال : بلى ، قال : يا رب ! ألم تنفخ فى الروح من روحك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تسبق رحمتك على غضبك ؟ قال : بلى ، قال : ألم تسكنى جنتك ؟ قال : بلى ، قال : رب ! إن تبت و أصلحت أراجعى أنت إلى الجنة ؟ قال : نعم . و أصل الكلمة الكلم و هو التأثير المدرك باحدى الحاستين السمع و البصر كالكلام و الجراحة - انتهى .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل فقط : التلقين .

(٣) فى ظ : و .

(٤-٤) ليست فى ظ .

(٥) ليس فى مد .

(٦) ليس فى ظ .

تسبيب حكمة و لا ترتيب حكم - قاله الحرالى ثم قال : فى عطف الفاء فى هذه الآية إشعار بما استند إليه التلقى من تنبيه[1] قلب آدم و توفيقه بما أثبته له إمساك حقيقته عند ربه ، و يعاضد معناه رفع الكلمات وتلقيها آدم[2] فى إحدى القراءتين ، فكأنه تلقى الكلمات بما فى باطنه فتلقته الكلمات[3] بما أقبل بها عليه فكان مستحقا لها ، فكانت متلقية له بما جمعت القراءتان من المعنى « فتاب »[4] من التوب و هو رجوع بظاهر باطنه الإنابة و هو رجوع بعلم باطنه الأوبة و هو رجوع بتقوى قلب - انتهى . « عليه » لذكره إياه بالكلمات مخلصا فى نيته ، ثم علل بقوله « انه هو »[5] أى خاصة[5]

(١) فى ظ : تبيينه .

(٢) فى التفسير المظهرى : قرأ ابن كثير « آدم » بالنصب و « كلمت » بالرفع ، يعنى جاءت الكلمات آدم من ربه وكانت سبب توبته .

(٣) فى ظ : الملائكة .

(٤) قال البيضاوى : فتاب عليه رجع إليه بالرحمة و قبول التوبة ، و إنما رتبه بالفاء على تلقى الكلمات لتضمنه معنى التوبة و هو الاعتراف بالذنب و الندم عليه و العزم على أن لا يعود إليه ، و اكتفى بذكر آدم لأن حواء كانت تبعا له فى الحكم و لذا طوى ذكر النساء فى أكثر القرآن و السنن ؛ « انه هو التواب الرحيم » الرجاع على عباده بالمغفرة أو الذى يكثر اعانتهم على التوبة ، و أصل التوبة الرجوع ، فاذا وصف بها العبد كان رجوعا عن المعصية ، و إذا وصف به البارى تعالى أريد به الرجوع عن العقوبة إلى المغفرة ؛ الرحيم المبالغ فى الرحمة ، و فى الجمع بين الوصفين وعد للتائب بالإحسان مع العفو - انتهى .

(٥-٥) ليست فى ظ .

« التواب » [1] أى البليغ التوبة المكرر لها ، و لما كان قد جعل على نفسه المقدس أن يتفضل على المحسن قال : « الرحيم » ، أى لمن أحسن [2] الرجوع إليه و أهله لقربه .

قال الحرالى : وكان إقراره بلفظه أدبا و إذعانا لقيام حجة الله على عباده بما أنبأ عنه من قوله « ربنا ظلمنا انفسنا [3] » الآية ، و هذه توبة قلب ٥ و عمل لاينقض مخصوص حال القلب منها ناقض و هى التوبة النصوح التى تبرئ من الذنب بتحقيق توحيد القلب و توجب تكفير الخطايا الظاهرة التى لا أصل لها فى القلب من حجاب دعوى فى الأفعال و شرك فى أمر الله ، فبمقتضى ما فى باطنه ظهر فيه اسمه الرحيم الذى هو من الرحمة و هو اختصاص فضله بالمؤمن ، و بمقتضى ما ظهر عليه من ١٠ الضراعة و الإقرار [4] ظهر فيه [5] مقتضى اسمه التواب ؛ فجمعت توبته الأمرين - انتهى .

و لما أعلموا بالعداوة اللازمة كان كأنه قيل : فما وجه الخلاص منها ؟ فقيل : اتباع شرعنا المشروع للتوبة و الرحمة فانا « قلنا » [6] كما تقدم [6] « اهبطوا » [7] و لما كان الهبوط الماضى يحتمل أن يكون من مكان من ١٥

(١) العبارة من هنا إلى « قال » ليست فى ظ .

(٢) فى ظ : يحسن .

(٣) سورة ٧ آية ٢٣ .

(٤) فى ظ : فالاقرار .

(٥) العبارة من هنا إلى « نحو قوله » فى الصفحة الآتية رقم ٣٢٤ ساقطة من م .

(٦-٦) ليست فى ظ .

(٧) العبارة من هنا إلى « قال » ليست فى ظ .

الجنة إلى أدنى منه و لم يخرجوا منها فكرره هنا للتأكيد[1] تصويرا لشؤم المعصية و تبشيعا لها قال: « منها »[2] أى الجنة[2] « جميعا »[3] أى لا يتخلف منكم أحد سواء كان ذلك قِران[4] واحد أو على التعاقب ، و عهدنا إليهم عند الهبوط إلى دار التكليف أنا نأتيهم بالهدى ليؤديهم[5] [2]إلى الجنة مرة أخرى[2] واعدين من اتبع متوعدين من امتنع فقلنا : « فاما يأتينكم » ،

(١) قال البيضاوى : كرر للتأكيد أو لاختلاف المقصود ، فان الأول دل على أن هبوطهم إلى دار بلية يتعادون فيها و لا يخلدون ، و الثانى أشعر بأنهم أهبطوا للتكليف ، فمن اهتدى الهدى نجا و من ضله هلك ، و التنبيه على أن مخافة الإهباط المقرن بأحد هذين الأمرين وحدها كافية للحازم أن تعوقه عن مخالفة حكم الله تعالى فكيف بالمقرن بهما! ولكنه نسى و لم نجد له عزما و أن كل واحد منهما كفى به نكالا لمن أراد أن يذكر ، و قيل الأول من الجنة إلى سماء الدنيا و الثانى منها إلى الأرض و هو كما ترى ؛ و « جميعا » حال فى اللفظ تأكيد فى المعنى كأنه قيل : اهبطوا منهم أجمعون ، ولذلك تستدعى اجتماعهم إلى الهبوط فى زمان واحد كقولك: جاؤا جميعا ـ انتهى كلامه . قال المهائمى : « قلنا اهبطوا » أى استقروا بمكان الهبوط « منها » أى من أثر تلك المعصية « جميعا » أى مجتمعين مع ما بينكم من العداوة لأن المقصود بالذات من الإهباط إلى دار الابتلاء هو الابتلاء بالتكليف .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى « التعاقب » ليست فى ظ .

(٤) فى مد : فى انّ .

(٥) ليس فى ظ .

و قال الحرالى : [1]مورد هذه الآية[2] بغير عطف إشعار بأن ظاهرها افتتاح لم[3] يتقدمه إيحاء بباطن كما تقدم فى السابقة ، و تكرر الإهباطان من حيث أن الأول / إهباط لمعنى القرار[4] فى الدنيا و الاغتذاء[5] فيها و ذرء[6] الذرية و أعمال أمر العداوة التى استحكمت بين الخلقين من آدم و إبليس ، و هذا الإهباط الثانى إهباط عن مكانة الرتبة الآمرية الدينية التى كانت خفية فى أمر آدم ظاهرة فى أمر إبليس ، و فى قوله : « جميعا » إشعار بكثرة ذرء[6] الخلقين و كثرة الاحداث فى أمر الديانة من النقلين - انتهى .

/٦٢

---

(١) زيد فى مد : فى .

(٢) قال القاضى ثناء الله العثمانى : الفاء للعطف ، و إن حرف شرط ، و ما زائدة أكدت به إن ، و لذا حسن تأكيد الفعل بالنون وان لم يكن فيه معنى الطلب ، يعنى إن يأتى لكم منى هدى يعنى رسولا و كتابا ، الخطاب به إلى ذرية آدم . و قال البيضاوى : والمعنى إن يأتينكم منى هدى بانزال أو إرسال فمن تبعه منكم نجا و فاز ، و إنما جىء بحرف الشك لأنه محتمل فى نفسه غير واجب عقلا ، وكرر لفظ الهدى و لم يضمره لأنه أراد بالثانى أعم من الأول و هو ما أتى به الرسل و اقتضاه العقل ، أى فمن تبع ما أتاه مراعيا فيه ما يشهد به العقل فلا خوف عليهم فضلا من أن يحل بهم مكروه و لا هم يفوت عنهم محبوب فيحزنوا عليه ، والخوف على المتوقع ، و الحزن على الواقع ، نفى عنهم العقاب و أثبت لهم الثواب على آكد وجه و أبلغه ـ انتهى كلامه .

(٣) فى ظ : لما .

(٤) فى ظ : القران ـ كذا .

(٥) فى ظ : الاغتدأ ـ كذا ، و لا يتضح فى مد .

(٦) فى ظ : ذراء .

وخص فى إبراز الضمير بمحض الإفراد من غير إيراد بمظهر العظمة إبعادا عن الوهم فقال: « منى هدى »[1] أى بالكتب و الرسل ، [2]و لما كان الهدى الذى هو البيان لا يستلزم الاهتداء قال[2]: « فمن تبع » أى أدنى اتباع يعتد به ، و لذلك اكتفى فى جزائه بنفى الخوف الذى قد يكون عن توبة من ضلال بخلاف ما فى طه[3] كما يأتى إن شاء الله تعالى . و التبع السعى أثر عَلَم الهدىَ - قاله الحرالى . « هداى » أى المنقول

(١) قال أبو حيان : « منى » متعلق بيأتينكم ، و هذا شبيه بالالتفات لأنه انتقل من الضمير الموضوع للجمع ، أو المعظم نفسه إلى الضمير الخاص بالمتكلم المفرد ، و حكمة هذا الانتقال هنا أن الهدى لا يكون إلا منه وحده تعالى ، فناسب الضمير الخاص كونه لا هادى الا هو تعالى ، فأعطى الخاص الذى لا يشاركه فيه غيره الضمير الخاص الذى لا يحتمل غيره تعالى ، و فى قوله « منى » إشارة إلى أن الخير كله منه ، و لذلك جاء « قد جاءكم برهان من ربكم » و « قد جاءتكم موعظة من ربكم و شفاء » فأتى بكلمة من الدالة على الابتداء فى الأشياء لينبه على أن ذلك صادر منه و مبتدأ من جهته تعالى ، و أتى بأداة الشرط فى قوله « فاما يأتينكم منى هدى » وهى تدخل على ما يتردد فى وقوعه و الذى انبهم زمان وقوعه ، و إتيان الهدى واقع لا محالة لأنه انبهم وقت الإتيان ، أو لأنه آذن لك بأن توحيد الله تعالى ليس شرطا فيه إتيان رسل منه و لا إنزال كتب بذلك بل لو لم يبعث رسلا و لا أنزل كتبا لكان الإيمان به واجبا و ذلك لما ركبت فيهم من العقل و نصب لهم من الأدلة و مكن لهم من الاستدلال كما قال :

و فى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

قال معناه الزمخشرى غير إنشاد الشعر - انتهى كلامه.

(٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣) كتب فوقه فى الأصل : من قوله « اتبع هداى » .

أو

أو المعقول، فالثانى أعم من الأول. لأنه أعم من أن يكون منقولا عن الرسل أو معقولا بالقياس على المنقول عنهم، أو بمحض العقل كما وقع لورقة بن نوفل و زيد بن عمرو بن نفيل و أضرابهما المشار إليهم بالقليل فى قوله تعالى «و لولا فضل الله عليكم و رحمته لاتبعتم الشيطن الا قليلا»[1]، قال العارف شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى فى كتابه رشف النصائح الإيمانية: فالعقل حجة الله الباطنة[2] و القرآن [3]حجة الله[3] الظاهرة. قال الحرالى: و جاء «هداى» شائعا ليعم رفع الخوف و الحزن من تمسك بحق ما من الحق الجامع، و أدناه من آمن بالله و اليوم الآخر وعمل صالحا فيما بينه و بين الحق و فيما بينه و بين الخلق - انتهى.

[4]و لما كان الخوف أشد لأنه يزداد بمر الزمان، و الحزن يخفّ، قدّمه فقال[4]: «فلا خوف عليهم» أى من[5] شىء آت، فان الخوف اضطراب النفس من توقع فعل ضارّ - قاله الحرالى. «و لا هم يحزنون» أى على شىء فات، [4]لأنهم ينجون من النار و يدخلون الجنة[4] و[6] الحزن كما قال الحرالى: توجع القلب لأجل نازح قد كان فى الوصلة به[7] رَوح، و القرب

(١) سورة ٤ آية ٨٣.

(٢) فى ظ: الباطن.

(٣-٣) فى مد و ظ: حجته.

(٤-٤) ليست فى ظ.

(٥) ليس فى مد.

(٦) فى ظ: فان. (٧) ليس فى ظ.

منه راحة، و جاء فى الحزن بلفظ «هم» لاستبطانه، و بالفعل لأنه باد من باطن تفكرهم فى فائتهم، و جاء نفى الخوف منعزلا عن فعلهم لأنه من خوف[1] باد عليهم من غيرهم[2] - انتهى[3].

و لما بشر المؤمنين الذين [4]اتبعوا الهدى[4] اتبعه إنذار الكافرين[4] الذين نابذوه[4] بقوله: «و الذين كفروا»[5]، قال الحرالى[6]: هذا من أسوإ[7] الكفر،

(١) فى مد: مخوف.

(٢) قال المهائمى: و «فاما ياتينكم منى هدى» أى فان تحقق لكم إتيان هدى علمتم بالدلائل العقلية و المعجزات القولية و الفعلية أنه منى «فمن تبع هداى» أى ذلك الهدى بعد ما علم كونه هدى فى نفسه لا يصح نسبته إلى مضل «فلا خوف عليهم» بكونه تلبيسا منى أو من فعل الشيطان أو من الاطلاع على بعض الأمور السماوية أو الأرضية إذ علم انتفاء جميع ذلك بالعادة «و لاهم يحزنون» لما يفوتهم من الدنيا بعده - انتهى كلامه. وقال أبو حيان: و فى قوله «فمن تبع هداى» تنزيل الهدى منزلة الإمام المتبع المقتدى به فتكون حركات التابع و سكناته موافقة لمتبوعه و هو الهدى فحينئذ يذهب عنه الخوف و الحزن، و فى إضافة الهدى إليه من تعظيم الهدى ما لا يكون فيه لو كان معرفا بالألف و اللام، و الإضافة تؤدى معنى الألف و اللام من التعريف و يزيد على ذلك بمزية التعظيم و التشريف.

(٣) ليس فى ظ.

(٤-٤) ليست فى ظ.

(٥) زيد فى مد، فلم يتبعوا الهدى.

(٦) قال المهائمى: «و الذين كفروا» أى أنكروا ذلك الهدى بتلك الاحتمالات البعيدة بل الباطلة بكونه هدى فى نفسه «و كذبوا بآيتنا» الواقع صدقها فى القلوب بالضرورة فلا يرفعون إلى الجنة ولا يتركون فى محل الهبوط المذكور بل =

لأنه كفر بالآيات التى جعلها الله عز و جل علما[1] على غيب عهده و هى[2] ما تدركه جميع[3] الحواس من السماء و الارض و ما بينهما ، كما[3] قال تعالى: «و من آيته خلق السمٰوٰت و الارض و ما بث فيهما من دابة[4] » لأن الحق تعالى أظهر الكون كتابة[5] دالة على أمره و جعل فى العقل نورا يقرأ به كتابه[6] ، فمن لا نور له فهو من أصحاب النار ، فهو إما تابع هدى بنور العقل و تنبيه الإيمان ، و إما صاحب نار ، فقال : « و كذبوا بآيٰتنا » ، لأنه لما كان من الذين كفروا بكتاب الخلق من تقبّل الإيمان بتنزيل الأمر اختصت كلمة العذاب بالذين تأكد كفرهم بالآيات المرئية[7] بتكذيبهم بالآيات المنزلة ، فكفروا بما رأوا فكانوا عميا ، و كذبوا بما سمعوا فكانوا صُما - انتهى . و المعنى أنهم جمعوا بالكفر و التكذيب بين إنكار القلوب[8]

= يهبطون عنها إلى أسفل السافلين إذ « اولئك اصحٰب النار » أى لا انتقال لهم عنها كأهل الإهباط الأول بل « هم فيها خٰلدون » إذ لا يتم الابتلاء إلا بابعاد العذاب الخالد و لا يتم إلا بالإيفاء به . (٧) و هو الظاهر ، و فى ظ : سوء .

(١) فى ظ : علم .

(٢) زيد فى ظ : جميع .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) سورة ٤٢ آية ٢٩ .

(٥) من مد و ظ ، و فى الأصل : كناية .

(٦) فى ظ : كتابته .

(٧) فى ظ : المراة ـ كذا .

(٨) فى ظ : القلب .

و الألسنة « اولئك » أى البُعَداء البغضاء « اصحٰب النار » و بين اختصاصهم بالخلود بقوله : « هم فيها خٰلدون » ، فعليهم الخوف الدائم لما يأتى من أنكالها و الحزن الدائم على فوات الجنة ، فالآية من الاحتباك[٢] ، انتفاء الخوف و الحزن من الأول دال على وجودهما فى الثانى ، و وجود النار فى الثانى دال على انتفائها و وجود الجنة فى الأول[٣] ، [٤]و قد علم[٤] من ذلك مع قوله « مستقر و متاع الى حين » ، أنه لا بد من رجوعهم إلى تلك الدار و كيف تكون منازلهم فيها ! فكأنه جواب سائل قال : هل بعد هذا الهبوط من صعود ؟ قال الحرالى : و قوله : « هم » ، فيه إشعار باشراب العذاب بواطنهم و بلاغه إلى أنفسهم بعذاب الغم و الحزن و اليأس و غير

(١) العبارة من هنا إلى « فى الأول » ليست فى ظ .

(٢) قال أبو حيان : فى قوله « اولئك اصحٰب النار » دلالة على اختصاص من كفر وكذب بالنار ، فيفهم أن من اتبع الهدى هم أصحاب الجنة ، و كان التقسيم يقتضى أن من اتبع الهدى لا خوف و لا حزن يلحقه وهو صاحب الجنة ، و من كذب يلحقه الخوف والحزن وهو صاحب النار ، فكأنه حذف من الجملة الأولى شىء أثبت نظيره فى الجملة الثانية ومن الثانية شىء أثبت نظيره فى الجملة الأولى فصار نظير قول الشاعر :

و انى لتعرونى لذاكر فترة كما انتفض العصفور بلله القطر

أقول هذا هو الاحتباك الذى قاله الحرالى ، فالآية من الاحتباك .

(٣) زيد فى مد : و فيها احتباك آخر ، لأن إثبات اتباع الهدى فى الأول دال على انتفائه فى الثانى ، وإثبات الكفر فى الثانى دال على حذف الإيمان من الأول .

(٤-٤) و فى ظ : فعلم .

ذلك

ذلك من إحراق النار بواطنهم ، و فيه[1] إشعار بكونهم فيها فى الوقت الحاضر من حيث لايشعرون[2] - الذى يشرب فى آنية الذهب إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم ، و النار أقرب إلى أحدهم من شراك نعله . فهم فيها خالدون و إن لم يحسوا فى الدنيا بحقيقتها ، كما أن المهتدين فى جنة فى الدنيا ٣و إن لم يشهدوا عيانها ، فكل خالد فيما هو فيه فى الدنيا٣ غيبا و فى الآخرة عيانا و فى القبر عرضا « لترون الجحيم ، ثم لترونها عين اليقين[4] »، « النار يعرضون عليها غدوا و عشيا[5] » . و هنا انتهى خطاب الفرقان المخصوص بدعوة العرب الذين هم رأس[6] أهل الدعوة المحمدية ، قال عليه الصلاة و السلام : الناس كلهم تبع لقريش ، مؤمنهم لمؤمنهم ، و كافرهم

(١) فى ظ : فيها .

(٢) قال البيضاوى : و فيها دلالة على أن الجنة مخلوقة ، و أنها فى جهة عالية ، و أن التوبة مقبولة ، وأن متبع الهدى مأمون العاقبة ، و أن عذاب النار دائم والكافر فيه مخلد ، و أن غيره لا يخلد فيه لمفهوم قوله تعالى « هم فيها خالدون » . قال أبوحيان : فى قوله « اولئك » إشارة إلى الذوات المتصفة بالكفر والتكذيب ، و كأن فيها تكريرا و توكيدا لذكر المبتدأ السابق ؛ و الصحبة معناها الاقتران بالشىء ، والغالب فى العرف أن ينطلق على الملازمة وإن كان أصلها فى اللغة أن تنطلق على مطلق الاقتران ، و المراد بها هنا الملازمة الدائمة ، ولذلك أكده بقوله « هم فيها خالدون » .

(٣-٣) ليست فى ظ .

(٤) سورة ١٠٢ آية ٦ ، ٧ .

(٥) سورة ٤٠ آية ٤٦ .

(٦) فى ظ : رسل .

لكافرهم - انتهى . يعنى فهم المرادون بهذا بالقصد الأول ، و هو شامل لغيرهم ، و مراد به ذلك الغير بالقصد الثانى ، [1] و هنا آخر الآيات الخاصة بالنعم العامة لجميع بنى آدم دالة على التوحيد من حيث أنها حادثة فلها محدث ، و على النبوة من حيث أنه صلى الله عليه و سلم أخبر عنها موافقا ٥ لما فى التورة و الإنجيل من غير تعلم ، و على المعاد من حيث أن من قدر على خلقها ابتداء قدر على إعادتها - ذكره الأصفهانى عن الإمام .

/ و فى الآية إشارة إلى الكتاب الذى هو هدى للمتقين المشتمل على الأحرف السبعة التى [2] من أقبل على حرف منها حق الإقبال كفاه ، و من اشتغل عنها بالمتاع الأدنى خسر دنياه و أخراه . ٦٣ /

١٠ قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى التمهيد لشرط [3] مثال القراءة لحروفه السبعة و علمها و العمل بها : اعلم أن الله سبحانه خلق آدم بيده و نفخ فيه من روحه و رزقه نورا من نوره ، فلأنه خلقه بيده كان فى أحسن تقويم خلقا ، و لأنه نفخ فيه من روحه كان أكمل حياة قبضا و بسطا ، و لأنه رزقه نورا من نوره كان أصفى عقلا و أخلص لبا ١٥ و أفصح نطقا و أعرب بيانا جمعا و فصلا ، و [4] اطلعه على ما كتب من حروف مخلوقاته إدراكا و حسا ، و عقله [5] ما أقام من أمره فهما و علما ،

(١) العبارة من هنا إلى « عن الإمام » ليست فى ظ .

(٢) زيد فى ظ : هى .

(٣) فى ظ : شرط .

(٤) ليس فى ظ . (٥) فى ظ : علله .

و نبهه على ما أودعه فى ذاته عرفانا و وجدا ؛ ثم جعل له فيما سخر له من خلقه متاعا و أنسا فأناسه[1] و ردده من[2] بين إقبال و إدبار و قبول و إعراض ، فمن شغل بالاستمتاع الأدنى عن الاطلاع الأعلى كان سفيها ، و من شغله الاطلاع الأعلى عن الاستمتاع الأدنى كان حنيفا « الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى[3] » « و من يرغب عن ملة ابرٰهم الا من سفه نفسه[4] » « ان ابرٰهم كان[5] امة قانتا لله حنيفا[6] » . و لما كان متاع الخلق فى الأرض إلى حين و شغل أكثرهم أكلهم و تمتعهم و ألهاهم أملهم عن حظهم من الحنيفية بما أوتى العقل من التبليغ عن الله نظرا و اعتبارا اصطفى الله سبحانه من الحنفاء منبهين على النظر الذى اشتغل عنه المعرضون و أنف منه و استكبر عنه المدبرون ، و أكدوا تنبيههم بما أسمعوهم من نبأ ما وراء يوم الدنيا من أمر الله فى اليوم الآخر و ما تمادى[7] إليه أيام الله ، و ذكروهم بما مضى من أيام الله ، و أنزل الله سبحانه معهم كتبا يتلونها عليهم و يبينونها لهم علما و عملا و حالا ، فقبل ما جاؤا به و صدقه و استبشر به الحنيفيون و أنذر بـه المدبرون و المعرضون ، فمنهم من آمن و منهم من كفر ، آمن من تنبه للنظر و الاعتبار و ألقى السمع و هو شهيد ،

(١) فى ظ : ناسه .
(٢) ليس فى ظ .
(٣) سورة ١٨ آية ١٠١ .
(٤) سورة ٢ آية ١٣٠ .
(٥) من ظ و مد و القرآن الكريم ، ووقع فى الأصل : كانت ـ خطأ .
(٦) سورة ١٦ آية ١٢٠ .
(٧) فى ظ : يتمادى .

وكفر من آثر متاعه بالعاجلة التى تراها الأعين على وعد الله و وعيده فى الآجلة التى إنما يعيها القلب و تسمعها الأذن ، وكما شغل المدعوين إلى الإسلام كفرهم و دنياهم كذلك شغل المولّدين[1] فى الإسلام غفلتهم و دنياهم و لعبهم فى صباهم و لهوهم فى شبابهم و تكاثرهم فى الأموال فى اكتهالهم[2] و تكاثرهم فى الأولاد فى شَيَخهم ، فاشترك المدعو إلى الإسلام و المولد فيه الغافل فى عدم الإقبال و القبول فى ترك الاهتمام فى الآجلة و اختصارهما على الاهتمام بالعاجلة ، وكلاهما جعل القرآن وراء ظهره المدعو لفظا و علما و المولد الغافل علما[3] و عملا ، فلم يسمعه المدعو و لم يفهمه الغافل فجعله بالحقيقة وراء ظهره ، و من جعل القرآن خلفه ساقه إلى النار ، و إنما جعله أمامه من قرأه[4] علما و حالا و عملا ، و من جعل القرآن أمامه قاده إلى الجنة ؛ و لما قامت الحجة عليهم بقراءته إذا لم يجاوز حناجرهم كانوا أشد من الكفار عذابا فى النار - أكثر منافق[5] أمتى قراؤها ، « ان المنفقين فى الدرك الاسفل من النار[6] » فاذًا لا بد فى قراءة القرآن من تجديد إقبال و تهيُّؤ لقبول و تحقيق تقوى لأنه إنما هو هدى للتقين ، و إجماع على الاهتمام ، وكما أن أمور الدنيا لا تحصل لأهلها

(١) فى ظ : الموكدين .
(٢) فى ظ : اكتالهم - كذا .
(٣) فى ظ : عملا - كذا .
(٤) فى ظ : قرا .
(٥) فى ظ : منافقوا .
(٦) سورة ٤ آية ١٤٥ .

إلا

إلا على قدر عزائمهم و اهتمامهم فأجرى أن لا يحصل أمر الأخرى إلا بأشد عزيمة و أجمع اهتمام ، فلا يقرأ القرآن من لم يقبل عليه بكلية ظاهره و يجمع اهتمامه له بكلية باطنه « و كتبنا له فى الالواح من كل شىء موعظة و تفصيلا لكل شىء[1] » فخذها بقوة « يٰيحيٰى خذ الكتٰب بقوة[2] » « فاستقم كما امرت و من تاب معك[3] » فشرط منال[4] قراءته اهتمام القلب بتفهمه و إقبال الحس على استماعه و تدبره ؛ و لكل حرف شرط يخصه - انتهى .

و لما[5] أقام سبحانه دلائل التوحيد و النبوة و المعاد أولا و عقبها بذكر الإنعامات العامة داعيا للناس عامة لاسيما بنى إسماعيل العرب الذين هم قوم الداعى صلى الله عليه و سلم و كان أحق من دُعِى بعد الأقارب و أولاه بالتقدم أهل العلم الذين كانوا على حق فراغوا عنه و لا سيما إن كانت لهم قرابة لأنهم جديرون بالمبادرة إلى الإجابة بأدنى بيان و أيسر تذكير ، فان رجعوا اقتدى بهم الجاهل فسهل أمره و انحسم شره ، و إن لم يرجعوا طال جدالهم فبان للجاهل ضلالهم فكان جديرا بالرجوع و الكف عن غيه و النزوع ، و عرفت من تمادى الكلام معهم الأحكام و بان الحلال و الحرام ؛ فلذلك[6] لما فرغ من دعوة العرب الجامعة لغيرهم باختصار و ختم بأن وعد فى

(١) سورة ٧ آية ١٤٥ .

(٢) سورة ١٩ آية ١٣ ، و هذه الآية ليست فى ظ .

(٣) سورة ١١ آية ١١٢ .

(٤) فى مد : مثال .

(٥) العبارة من هنا إلى « و سلم و » ليست فى ظ .

(٦) فى ظ : و لذلك .

اتباع الهدى و توعد شرع سبحانه يخص العلماء من المنافقين بالذكر و هم من كان أظهر الإسلام من أهل الكتاب على وجه استلزم عموم المصارحين منهم بالكفر، إذ كانوا من أعظم من خُص باتيان ما أشار إليه من الهدى و البيان بما فيه الشفاء، و كان كتابهم المشتمل على الهدى من أعظم ٥ الكتب و أشهرها و أجمعها فقصّ عليهم ما مثله يلسّين الحديد و يخشع الجلاميد فقال تعالى (١مذكرا لهم بنعمه الخاصة بهم١) : « يٰبنى إسرائيل » و يجوز أن تقرر(٢) المناسبات(٣) من أول السورة على وجه آخر فيقال: لما ٦٤ /

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تقرر - كذا .

(٣) قال أبو حيان فى البحر المحيط : هذا افتتاح الكلام مع اليهود و النصارى ، و مناسبة الكلام هنا ظاهرة ، و ذلك أن هذه السورة افتتحت بذكر الكتاب و أن فيه هدى للمؤمنين ، ثم أعقب ذلك بذكر الكفار المختوم عليهم بالشقاوة ، ثم بذكر المنافقين و ذكر جمل من أحوالهم ، ثم أمر الناس قاطبة بعبادة الله ، ثم ذكر إعجاز القرآن - إلى غير ذلك مما ذكره ، ثم نبههم بذكر أصلهم آدم و ما جرى له من أكله من الشجرة بعد النهى عنه وأن الحامل له على ذلك إبليس ، وكانت هاتان الطائفتان أعنى اليهود و النصارى أهل كتاب مظهرين اتباع الرسل و الاقتداء بما جاء من الله تعالى وقد اندرج ذكرهم عموما فى قوله «يٰأيها الناس اعبدوا » فجرد ذكرهم هنا خصوصا ، إذ قد سبق الكلام مع المشركين و المنافقين و بقى الكلام مع اليهود و النصارى فتكلم معهم هنا ، و ذكروا ما يقتضى لهم الإيمان بهذا الكتاب كما آمنوا بكتبهم السابقة - إلى آخر الكلام معهم على ما سيأتى جملة مفصلة ؛ و ناسب الكلام معهم قصة آدم عليه السلام لأنهم بعد =

كان الكفار قسمين: قسم محض كفره، و قسم شابه بنفاق و خداع، و كان الماحض قسمين: قسم لا علم له من جهة كتاب سبق و هم مشركو العرب، و قسم له [1] كتاب يعلم الحق منه، ذكر تعالى قسم الماحض بما يعم قسميه العالم و الجاهل فقال: «ان الذين كفروا سواء عليهم» إلى آخره، ثم اتبعه قسم المنافق، لأنه أهم بسبب شدة الاختلاط بالمؤمنين و إظهارهم أنهم منهم ليكونوا من خداعهم على حذر، فقال: «و من الناس من يقول آمنا» إلى آخره؛ و لما فرغ من ذلك و مما[3] استتبعه من الأمر بالوحدانية و إقامة دلائلها و إفاضة فضائلها، و من التعجيب ممن كفر مع قيام الدلائل، و التخويف من تلك الغوائل، و الاستعطاف بذكر النعم، شرع[4] فى ذكر قسم من الماحض هو كالمنافق فى أنه يعرف الحق و يخفيه

= ما أوتوا من البيان الواضح و الدليل اللائح المذكور ذلك فى التوراة و الإنجيل من الإيفاء بالعهد و الإيمان بالقرآن ظهر منهم ضد ذلك بكفرهم بالقرآن ومن جاء به، وأقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسماع ما يرد عليهم من الأوامر و النواهي وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك ـ انتهى كلامه.

(١) من مد و ظ، و فى الأصل: لهم.

(٢) وقع فى ظ: 'امن ـ خطأ. (٣) و فى ظ: ما.

(٤) قال البيضاوى: و اعلم أنه سبحانه لما ذكر دلائل التوحيد و النبوة و المعاد و عقبها تعداد النعم العامة تقريرا لها و تأكيدا فانها من حيث أنها حوادث محكمة تدل على محدث حكيم له الخلق و الأمر وحده لا شريك له من حيث ان... هو مثبت فى الكتب السابقة ممن لم يتعلمها و لم يمارس شيئا منها إخبار بالغيب معجز تدل على نبوة المخبر عنها، و من حيث اشتمالها على خلق الإنسان و أصوله و ما هو أعظم من ذلك تدل على أنه قادر على الإعادة كما كان قادرا على =

فالمنافق الف الكفر ثم أقلع عنه و أظهر التلبس بالإسلام و استمر على الكفر باطنا ، و هذا القسم كان على الإيمان بهذا النبي قبل دعوته ، فلما دعاهم محوا الإيمان الذى كانوا متلبسين به و أظهروا الكفر و استمرت حالتهم على إظهار الكفر و إخفاء المعرفة التى هى مبدأ الإيمان ، فحالهم كما ترى أشبه شيء بحال المنافقين ، و لهذا تراهم مقرونين بهم فى كثير من القرآن ، و أخرهم لطول قصتهم و ما فيها من دلائل النبوة و أعلام الرسالة بما أبدى مما أخفوه من دقائق علومهم ، فان مجادلة العالم ترسل فى ميادين العلم أفراس الأفكار فتُسرع فى أقطار الأوطار حتى تصير كالأطيار و تأتى ببدائع الأسرار ، و لقد نشر سبحانه فى غضون[1] مجادلتهم و غضون[2] محاورتهم و مقاولتهم من الجمل الجامعة فى شرائع الدين التى فيها بغية المهتدين ما أقام البرهان على أنه هدى للعالمين؛ هذا إجمال الأمر ، و فى تفاصيله كما سترى[3] من بدائع الوصف أمور تجل عن الوصف ، تذاق بحسن[4] التعليم و يشفى[5] عىّ جاهلها بلطيف التكليم - و الله ولى التوفيق و الهادى إلى أقوم طريق .

= الإبداء ، خاطب أهل العلم و الكتاب منهم و أمرهم أن يذكروا نعم الله عليهم و يوفوا بعهوده فى اتباع الحق و اقتفاء الحجج ليكونوا أول من آمن بمحمد و ما أنزل عليه فقال : « يٰبنى اسراءيل »

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : غصون .

(٢) فى ظ : عصون . (٣) فى ظ : ترى .

(٤) فى مد : يحسن ، و فى ظ : بحنس - كذا .

(٥) من مد و ظ ، و فى الأصل : تشفى .

و قال

و قال الحرالى : ثم أقبل الخطاب على بنى إسرائيل[1] منتظما بابتداء خطاب العرب من قوله : « يا أيها الناس » و كذلك انتظام القرآن إنما [2]ينتظم رأس الخطاب فيه برأس خطاب آخر يناسبه فى جملة معناه و [2]ينتظم تفصيله بتفصيله ، فكان أول و أولى من خوطب بعد العرب الذين هم ختام بنو إسرائيل الذين هم ابتداء بما هم أول من أنزل عليهم الكتاب ٥ الأول من التوراة التى افتتح الله بها كتبه تلو صحفه و ألواحه . ثم قال : لما انتظم[3] إقبال الخطاب على العرب التى لم يتقدم لها هدى بما تقدمه من الخطاب للنبى صلى الله عليه و سلم انتظم بخطاب العرب خطاب بنى إسرائيل بما تقدم لها من هدى فى وقتها « انا انزلنا التورٰة فيها[4] هدى و نور[5] »

(١) قال أبو حيان : و مناسبة الكلام مع بنى إسرائيل هنا ظاهرة ، و ذلك أن هذه السورة افتتحت بذكر الكتاب و أن فيه هدى للمؤمنين ، ثم أعقب ذلك بذكر الكفار المختوم عليهم بالشقاوة ، ثم بذكر المنافقين و ذكر جمل من أحوالهم ، ثم أمر الناس قاطبة بعبادة الله تعالى ، ثم ذكر إعجاز القرآن إلى غير ذلك مما ذكر ، ثم نبههم بذكر أصلهم آدم و ما جرى له من أكله من الشجرة بعد النهى عنه وأن الحامل له على ذلك إبليس ، و كانت هاتان الطائفتان أعنى اليهود و النصارى أهل الكتاب مظهرين اتباع الرسل و الاقتداء بما جاء عن الله تعالى و قد اندرج ذكرهم عمو ما فى قوله « يا أيها الناس اعبدوا » فخرد ذكرهم هنا خصوصا ، إذ قد سبق الكلام مع المشركين و المنافقين و بقى الكلام مع اليهود و النصارى فتكلم معهم هنا و ذكر ما يقتضى لهم الإيمان بهذا الكتاب كما آمنوا بكتبهم السابقة . (٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : له تنظم .

(٤) فى ظ : فيه - خطأ . (٥) سورة ٥ آية ٤٤ .

و بما عهد إليها من تضاعف الهدى بما تقدم لها فى ارتقائه من كمال الهدى بمحمد صلى الله عليه و سلم و بهذا القرآن ، فكان لذلك[1] الأولى[2] مبادرتهم إليه حتى يهتدى[3] بهم العرب ليكونوا أول مؤمن بما عندهم من علمه السابق - انتهى .

٥ و ابتدأ[4] سبحانه بتذكيرهم بما خصهم به عن النوع الآدمى من النعم التى كانوا يقابلونها بالكفران و ما عاملهم به من إمهالهم على مرتكباتهم و معاملتهم بالعفو و الإقالة مما يبين سعة رحمته و عظيم حلمه ، و ابتدأ من أوامرهم بالإيفاء بالعهود التى من أعظمها متابعة هذا النبى الكريم و الإيمان بكتابه الذى نفى عنه الريب فقال[5] : « يٰبنى اسرائيل »[6] أى الذى شرفته

---

(١) فى ظ : كذلك .

(٢) فى مد : اوفى .

(٣) فى مد و ظ : يقتدى .

(٤) قال أبو حيان الأندلسى : و ناسب الكلام معهم قصة آدم على نبينا و عليه السلام لأنهم بعد ما أوتوا من البيان الواضح و الدليل اللائح المذكور ذلك فى التوراة و الإنجيل من الإيفاء بالعهد و الإيمان بالقرآن ظهر منهم ضد ذلك بكفرهم بالقرآن و من جاء به ، و أقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسماع ما يرد عليهم من الأوامر و النواهى نحو قوله « يٰأيها الناس اعبدوا » « و يٰآدم اسكن » .

(٥) و لما ذكر الله تعالى دلائل التوحيد و النبوة و خاطب الناس عامة و عدّ إنعاماته العامة خاطب بنى إسرائيل خاصة و ذكرهم النعماء التى اختصت بهم ، لأن السورة مدنية و كان غالب الخطاب فى المدينة مع اليهود ، لأنهم كانوا أهل علم و الناس تبع لهم فلو اعترفوا بالنبوة اعترف غيرهم بتقليدهم و كان حجة =

و شرفت بنيه من أجله « اذكروا » [1] من الذكر بالكسر و الضم بمعنى واحد يكونان باللسان و بالجنان ، و قال الكسائى : هو بالكسر باللسان و بالضم بالقلب ، و الذى بالقلب ضده النسيان ، و الذى باللسان ضده الصمت - نقله الأصفهانى . و قال الحرالى : من الذكر و هو استحضار ما سبقه النسيان . « نعمتى » و [2] هى إنالة الشخص ما يوافق نفسه و بدنه و عند المتفطن ما يوافق باطنه و ظاهره مما بين قلبه و شعوبه [3] من أهله و حشمه « التى » تى منها إشارة لباطن نازل متخيل مبهم تفسره صلته بمنزلة [ذى - [4]] و ال منها إشارة لذلك المعنى بالإشارة المتخيلة - انتهى . « انعمت » أى بها و دللت [5] على شرفها باضافتها إلى « عليكم » [6] و تلك النعمة الشريفة هى

= على غيرهم فقال « يبنى اسراءيل » - التفسير المظهرى ج ١ ص ٦٠ .

(٦) قال على المهائمى : أى يا أولاد صفوة الله أو عبد الله يعقوب المطلعين على قصة آدم و عهده - « اذكروا نعمتى التى انعمت » على أسلافكم فكان فى معنى الإنعام « عليكم » من لدن آدم بقبول توبته إلى زمن موسى بفلق البحر لكم و إغراق أعدائكم و تظليل الغمام و إنزال المن و السلوى عليكم و إنزال التوراة فانها كرامات مثل كرامة آدم باسجاد الملائكة له و إدخاله الجنة - انتهى .

(١) العبارة من هنا إلى « الاصفهانى و » ليست فى ظ .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) فى مد : سو به ، و فى ظ : - به .

(٤) زيد من مد و ظ .

(٥) فى ظ : ذللت - كذا .

(٦) قال أبوحيان : قال بعض العارفين : عبيد النعم كثيرون و عبيد المنعم قليلون ،=

الإتيان بالهدى من الكتب و الرسل الذى استنقذتكم به من هوان الدنيا و الآخرة « و اوفوا » من الوفاء و هو عمل لاحق بمقتضى تقدم علم سابق - قاله الحرالى . « بعهدى »[1] أى الذى أخذته عليكم فى لزوم ما أنزل إليكم من متابعة نبيكم و من أمركم باتباعه من بعده ، و العهد التقدم فى الشىء خفية اختصاصا لمن يتقدم له فيه - قاله الحرالى ،[2] و قال الأصفهانى : حفظ الشىء

= فالله تعالى ذكر بنى اسرائيل نعمه عليهم ، ولما آل الأمر إلى أمة محمد صلى الله عليه و سلم ذكر المنعم فقال « اذكرونى اذكركم » فدل ذلك على فضل أمة محمد صلى الله عليه و سلم على سائر الأمم . قال البيضاوى : تقييد النعمة بهم لأن الإنسان غيور و حسود بالطبع فاذا نظر إلى ما أنعم الله على غيره حمله الغيرة و الحسد على الكفران و السخط ، و إن نظر إلى ما أنعم به عليه حمله حب النعمة على الرضاء و الشكر .

(١) « اوفوا بعهدى » بالإيمان و الطاعة « اوف بعهدكم » بحسن الإثابة و العهد يضاف إلى المعاهِد و المعاهَد و لعل الأول مضاف إلى الفاعل والثانى إلى المفعول فانه تعالى عهد إليهم بالإيمان و العمل الصالح بنصب الدلائل و إنزال الكتب و وعدهم بالثواب على حسناتهم . و قال المهائمى : « و اوفوا بعهدى » بالإيمان بكل هدى تحقق مجيئه منى سيما هدى محمد صلى الله عليه و سلم المأخوذ فيه ميثاق الأنبياء عليهم السلام فانه ليس بأقل من عهد آدم فى الشجرة و ما أخذ عليه فى ذريته بعد الهبوط « اوف بعهدكم » بازالة الخوف و الحزن و تكفير السيئات و تضعيف الحسنات و رفع الآصار و الأغلال - انتهى كلامه . و قال النسفى : و قال أهل الإشارة : « اوفوا » فى دار محنتى على بساط خدمتى بحفظ حرمتى « اوف » فى دار نعمتى على بساط كرامتى بسرور رؤيتى - انتهى .

(٢) العبارة من هنا إلى « و العهد به » ليست فى ظ .

ومراعاته حالا فحالا ، قال الخليل : أصله الاحتفاظ بالشيء و إجداد العهد به ، « اوف بعهدكم » أى فى جعلكم ممن لا خوف عليهم و لا حزن بسعة العيش و النصر على الأعداء كما يأتى عن نص التوراة فى مظانه من هذا الكتاب « و اياى » أى خاصة « فارهبون » أى و لا تزلوا أجعلكم فى مصير الكافرين بعد الضرب بأنواع الهوان فى الدنيا ، و الرهب[1] حذر النفس مما شأنها منه ٥ الهرب لأذى تتوقعه ، و خوطبوا بالرهبة لاستبطانها فيما يختص لمخالفة[2] العلم ، قال الحرالى : و أطال سبحانه فى حجاجهم جريا على قانون النظر فى جدال العالم الجاحد و خطاب المنكر المعاند ، و فى قوله تعالى « و آمنوا بما انزلت »[3]

---

(١) قال المهائمى : « و » لا تخافوا فوات جاهكم و رشاكم بل « اياى فارهبون » فى كل ما تأتون و تذرون ، و الرهبة خوف مع تحرز . وقال البيضاوى : و خصوصا فى نقض العهد ، و هو آكد فى إفادة التخصيص من « اياك نعبد » لما فيه مع التقديم من تكرير المفعول ، و الفاء الجزائية الدالة على تضمن الكلام معنى الشرط كأنه قيل : ان كنتم راهبين شيئا فارهبون . والآية متضمنة للوعد و الوعيد دالة على وجوب الشكر و الوفاء بالعهد و أن المؤمن ينبغى أن لا يخاف أحدا إلا الله .

(٢) فى ظ : لمخاطبة .

(٣) افراد للايمان بالأمر به و الحث عليه لأنه المقصود و العمدة للوفاء بالعهود و تقييد المنزل بأنه مصدق لما معهم من الكتب الإلهية من حيث أنه نازل حسب ما نعت فيها أو مطابق لها فى القصص و المواعيد و الدعاء إلى التوحيد و الأمر بالعبادة و العدل بين الناس و النهى عن المعاصى و الفواحش و فيما يخالفها من جزئيات الأحكام بسبب تفاوت الأعصار فى المصالح من حيث أن كل واحدة منها حق بالإضافة إلى زمانها مراعى فيها صلاح من خوطب بها حتى لو نزل المتقدم =

أى أوجدت إنزاله « مصدقا لما معكم » تقرير لذلك الكتاب لا ريب فيه، و أمروا كما قال الحرالى تجديد الإيمان بالقرآن لما فيه من إنباء بأمور من المغيبات التى لم تكن فى كتابهم كتفاصيل أمور الآخرة التى استوفاها القرآن، لأنه خاتم ليس وراءه كتاب ينتظر فيه بيان، و قد أبقى لكل كتاب قبله بقية أحيل فيها على ما بعده - ليتناءى البيان إلى غاية ما أنزل به القرآن حين لم يعهد إليهم إلا فى أصله على الجملة - انتهى . و فى قوله: « و لا تكونوا أول كافر به » معنى دقيق فى تبكيتهم و أمر جليل من تعنيفهم[1] و ذلك أنه ليس المراد من « أول »[2] ظاهر معناه المتبادر [3]إلى الذهن[3] فان العرب

= فى ايام المتأخر لنزل على وفقه ، و لذلك قال عليه السلام : لو كان موسى حيا لما وسعه الا اتباعى ، تنبيه على أن اتباعها لا ينافى الإيمان به بل يوجبه و لذلك عرض بقوله « و لا تكونوا اول كافربه » انتهى ما فى البيضاوى .

(١) من مد و ظ ، و فى الأصل : بغيتهم .

(٢) انظر تأويل معنى اول فى البحر المحيط لأبى حيان قد استوفى ما ذكر فيه إلى أن قال: و قيل ذكر الأولية تعريض بأنه كان يجب أن يكونوا أول مؤمن به لمعرفتهم به وبصفته و لأنهم كانوا هم المبشرين بزمانه والمستفتحين على الذين كفروا به ، فلما بعث كان أمرهم على العكس ، قال تعالى « فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به » ، و قال القشيرى : لا تسنوا الكفر سنة فان وزر المبتدئين فيما يسنون أعظم من وزر المقتدين فيما يتبعون . قال البيضاوى : فان قيل : كيف نهوا عن التقدم فى الكفر و قد سبقهم مشركو العرب ؟ قلت : المراد به التعريض لا الدلالة على ما نطق به الظاهر كقولك : أما انا فلست بجاهل ؛ أو لا تكونوا= كثيرا

كثيرا ما تطلق الأول و لا تريد حقيقته بل المبالغة فى السبق ، كما قال مقيس بن صبابة (١) و قد قتل شخصا من الصحابة رضوان الله عليهم كان قتل أخاه خطأ و رجع إلى مكة مرتدا :

حللت به وترى و أدركت ثورتى
وكنت إلى الأوثان أول راجع ٥

هذا فى جانب الإثبات ، فاذا نفيت ناهيا فقلت : لا تكن أول فاعل لكذا ، فمعناه انك إن (٢) فعلت ذلك لم تكن صفتك إلا كذلك ، فهو خارج مخرج المبالغة فى الذم بما هو صفة المنهى فلا مفهوم له ، و عبر به تنبيها على أنهم لما تركوا اتباع هذا الكتاب [كانوا - (٣)] لما عندهم من العلم بصحته فى غاية اللجاجة فكان عملهم فى كفرهم و إن تأخر ١٠

= أول كافر من أهل الكتاب أو ممن كفر بما معه ، فان من كفر بالقرآن فقد كفر بما يصدقه ، وأول أفعل لا فعل له ، و قيل : أصله اوال من وال فأبدلت همزته واوا تحقيقا غير قياسى ، أو اءول من آل فقلبت همزته و أدغمت - انتهى . و قال القاضى ثناء الله قلت : أو المراد بالأولية الأولية بالذات يعنى كونهم سببا لكفر غيرهم ، فان إيمان العلماء و الأحبار و الرؤساء سبب لإيمان غيرهم وكفرهم سبب لكفر غيرهم ، فلذا قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ألا ! إن شر الشرار شرار العلماء و ان خير الخيار خيار العلماء - رواه الدارمى من حديث الأحوص ابن حكيم عن أبيه ؛ و المعنى لا تكونوا سببا لكفر أتباعكم فيكون عليكم إثم الأريسين ، و أول كافر خبر من ضمير الجمع بتأويل أول فريق . (٥-٥) ليس فى مد .

(١) العبارة من هنا إلى « وترى » ليست فى ظ .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) زيد من مد و ظ .

عمل من يسابق شخصا إلى شيء ، أو يكون المعنى أنهم لم يمنعهم من الإيمان به جهل بالنظر و لا عدم اطلاع على ما أتى به أنبياؤهم من البشر بل مجرد الحسد للعرب أن يكون منهم نبي المستلزم لحسد هذا النبي بعينه ، لأن الحكم على الأعم يستلزم الحكم على الأخص بما هو من أفراد الأعم ، فصارت رتبة كفرهم قبل رتبة كفر العرب الجاهلين به أو[1] الحاسدين له صلى الله عليه و سلم بخصوصه لا لعموم العرب ، فكان أهل الكتاب أول كافر به لا يمكن أن يقع كفرهم إلا على هذا الوجه الذى هو أقبح الوجوه ، فالمعنى لا تكفروا به ، فانه إن وقع منكم كفر به كان أول كفر ، لأن رتبته أول رتب الكفر الواقع ممن سواكم فكنتم أول كافر فوقعتم فى أقبح وجوه الكفر ، [2]و لذا أفرد و لم يقل : كافرين[2] - و الله أعلم[3] .

و لما نهاهم عن الكفر بالآيات نهاهم عن الحامل عليه لقوله : « و لا تشتروا »

---

(١) فى ظ : و .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) قال أبو حيان الأندلسى فى النهر الماد من البحر : « ولا تكونوا اول كافر به » لا مفهوم لقوله : اول ، فيكون قد أبيح لهم ثانيا أو آخرا ، فمفهوم الصفة غير مراد ، و إنما ذكرت الأولية لأنها أفحش لما فيها من الابتداء بالكفر ، و نظيره قول الشاعر :

من أناس ليس فى أخلاقهم عاجل الفحش و لا سوء جزع

فعاجل لا مفهوم له ، و أضيف إلى مفرد و إن كان قبله جمع لأن المفرد إذا كان صفة جاز أن يطابق و ان يفرد و قد جاء ذلك فى قوله :

وإذا هم طعموا فألأم طاعم وإذا هم جاعوا فشر جياع

أفرد فى طاعم و طابق فى جياع ، فقدره الفراء ألأم من طعم ، و قدره =

أى

أى تكلفوا و[١] تلحوا فى أن تستبدلوا[١] « بآيتى » أى التى تعلمونها فى الأمر باتباع هذا النبى الكريم « ثمنا قليلا »[٢] و هو رياسة قومكم و ما تأخذونه من الملوك و غيرهم على حمل الشريعة ، و القلة ما قصر عن الكفاية - قاله الحرالى . « و اياى » أى خاصة « فاتقون » أى اجعلوا لكم وقاية من إنزال غضبى ، فالتقوى نتيجة الرهبة كما أن هذه الأفعال نتيجة ما فى آية الرهبة ، « و لا تلبسوا »[٣] و اللبس[٣] إبداء الشىء فى غير صورته ، و منه اللباس

= غيره ألأم فريق طاعم ، و هنا يتقدر على قول الفراء : أول من كفر ، وعلى غيره أول حزب كافر ، و به عائد على المنزل - انتهى كلامه .

(١ - ١) هكذا فى الأصل ومد غير أن فى مد « او » مكان « و » ، و فى ظ : الشراء قاله الحرالى .

(٢) و لا تستبدلوا بالإيمان بها و الاتباع لها حظوظ الدنيا فانها و إن جلّت قليلة مسترذلة بالإضافة إلى ما يفوت عنكم من حظوظ الآخرة بترك الإيمان ، قيل : كان لهم رياسة فى قومهم و رسوم و هدايا منهم ، فخافوا عليها لو اتبعوا رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فاختاروها عليه ، و قيل : كانوا يأخذون الرشى فيحرفون الحق و يكتمونه ؛ « و اياى فاتقون » بالإيمان و اتباع الحق و الإعراض عن الدنيا . و لما كانت الآية السابقة مشتملة على ما هو كالمبادى لما فى الآية الثانية فصلت الرهبة التى هى مقدمة التقوى و لأن الخطاب بها لما عم العالم و المقلد أمرهم بالرهبة التى هى مبدأ السلوك و الخطاب بالثانية لما خص أهل العلم أمرهم بالتقوى الذى هو منتهاه . و اللبس الخلط و قد يلزمه جعل الشىء مشتبها بغيره ، و المعنى لا تخلطوا الحق المنزل بالباطل الذى تخترعونه و تكتبونه حتى لا يميز بينهما ، و فيه إشعار بأن استقباح اللبس لما يصحبه من كتمان الحق - أنوار التنزيل للبيضاوى ١ / ٥٢ .

(٣-٣) ليس فى ظ .

لإخفائه الأعضاء حتى لا تبين[1] هيئتها - قاله الحرالى : « الحق » أى مما تقرون به على ما هو عليه من التوراة و الإنجيل مما لا غرض لكم فى تبديله « بالباطل » مما تحرفونه منهما ، و الحق قال الحرالى ما يقر و يثبت حتى[2] يضمحل مقابله ، فكل زوجين فأثبتهما حق و أذهبهما باطل ، و ذلك الحق فالباطل هو ما أمد إدالته قصير بالإضافة إلى طول أمد زوجه القار - انتهى . [3]و لما كان اللبس قد يفارق الكتمان بأن يسأل شخص عن شىء فيبديه ملتبسا بغيره أو يكتمه و هو عالم به قال : « و تكتموا[4] الحق » أى[5] عمن لا يعلمه « و انتم تعلمون » أى مكلفون ، و جعله الحرالى على ظاهره فقال : لما طلبهم تعالى بالوفاء بالعهد نهاهم عن سوء العمل و ما لبسوا به الأمر عند اتباعهم من ملتهم و عند من استرشدهم من العرب ، فلبسوا باتباعهم حق الإيمان بموسى عليه الصلاة و السلام و التوراة بباطل ما اختذلوه من كتابهم من إثبات الإيمان لمحمد صلى الله عليه و سلم و بالقرآن ، فكتموا الحق

(١) فى مد و ظ : لايتبين .

(٢) فى مد : حين .

(٣) العبارة من هنا إلى « قال » ليست فى ظ .

(٤) قال البيضاوى : جزم داخل تحت حكم النهى كأنهم أمروا بالإيمان و ترك الضلال و نهوا عن الإضلال بالتلبيس على من سمع الحق و الإخفاء على من لم يسمعه ، أو نصب باضمار أن على أن الواو للجمع أى لا تجمعوا لبس الحق بالباطل و كتمانه ، « و انتم تعلمون » عالمين بأنكم لابسون كاتمون ، فانه أقبح إذ الجاهل قد يعذر ، و لذا قال عليه السلام : للجاهل ويل ، و للعالم سبعون ويلا .

(٥) زيد فى مد : الذى لا لبس فيه .

التام الجامع و لبسوا الحق الماضى المعهود بالباطل الأعرق الأفرط ، لأن باطل الحق الكامل باطل مفرط معرق بحسب مقابله ، و عرفهم بأن ذلك منهم كتمان[1] شهادة عليهم بعلمهم بذلك إفهاما ، ثم أعقبه بالشهادة عليهم بالعلم تصريحا - انتهى .

و فى هذه الآية أعظم زاجر لأهل الكتاب عما أظهروا فيه من العناد ، و من لطف الله تعالى زجر القاسى البعيد و نهى العاصى القلق إلى ما دون ذلك من تنبيه الغافل و زيادة الكامل . قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتاب العروة: وجه إنزال هذا الحرف - يعنى حرف النهى - كف الخلق عما يهلكهم فى أخراهم و عما يخرجهم عن السلامة فى موتهم و بعثهم مما رضوا به و اطمأنوا إليه و آثروه من دنياهم ، فتوجهه للطئن بدنياه المعرض عن داعيه إلى اجتناب ما هو عليه يسمى زجرا ، و متوجهه للتلفت[2] المستشعر ببعض الخلل فيما هو عليه يسمى نهيا ، و هما يجتمعان فى معنى واحد و مقصود واحد إلا أنه متفاوت ، و لذلك[3] رددهما النبى صلى الله عليه و سلم على المعنى الجامع فى هذا الحديث يعنى المذكور[4] أول البقرة ، و أولاهما[5] بالبدئية فى الإنزال الزجر / لأن النبى [6]صلى الله عليه و سلم[6] إنما ٦٦/

(١) فى الأصل و مد و ظ : كتما ، وليس فى م .

(٢) فى ظ و مد: للتفت .

(٣) فى ظ : كذلك

(٤) فى ظ : المذكورة .

(٥) فى ظ : و اولى .

(٦ - ٦) ليست فى ظ .

بعثه الله[1] حين انتهى الضلال المبين فى الخلق و نظر الله سبحانه إلى جميع أهل الأرض فمقتهم عربهم و عجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب ، كما ورد فى الحديث الصحيح إسنادا و متنا ، و لذلك كان أول منزل الرسالة سورة[2] « يا أيها المدثر * قم فانذر * و ربك فكبر * و ثيابك فطهر * و الرجز فاهجر *[3] » و هى أول قوارع الأمر كما أن لمجاءة الساعة أول قوارع الخلق ، و لذلك انتظم ذكرهما فى قوله تعالى « فاذا نقر فى الناقور * فذلك يومئذ يوم عسير * على الكفرين غير يسير *[4] » و للمزجور حالان إما أن ينفر عند الزجرة توحشا كما قال تعالى « كانهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة *[5] » و إما أن يدبر بعد فكره تكبرا كما قال تعالى « ثم نظر * ثم عبس و بسر * ثم ادبر و استكبر[6] » و ربما شارف أن يبصر فصرف ، قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لكنها[7] عقول كادها باريها « ساصرف عن اٰيتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق و ان يروا كل اٰية

(١) زيد فى ظ : تعالى .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) سورة ٧٤ آية ١ - ٥ .

(٤) سورة ٧٤ آية ٨ - ١٠ .

(٥) سورة ٧٤ آية ٥٠ و ٥١ .

(٦) سورة ٧٤ آية ٢١ - ٢٣ .

(٧) فى ظ : لكنه .

لا يؤمنوا بها[١] » صرفوا عن آيات الحق السماوية على ظهورها عقوبة على ذنب تكبرهم على الخلق مع الإحساس بظهور آية انضمام الأرحام فى وضوحها وكل قارعة لنوعى الكافرين النافرين و المدبرين من هذا الحرف و تمام هذا المعنى ينهى[٢] المتأنس المحاصر عن الفواحش الظاهرة و الباطنة الضارة فى العقبى و إن تضرروا بتركها فى الدنيا نحو قوله تعالى « و لا تقربوا » فى[٣] أكل مال اليتيم[٤] و الزنا[٥] و إتيان الحائض[٦] - إلى ما دون ذلك من النهى عما يعدونه فى دنياهم كيسا ، نحو قوله[٧] و لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل[٨] » « و لا تأكلوا الربٰوا اضعافا مضاعفة[٩] » و لاتجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا[١٠] » و « لايسخر قوم من قوم[١١] » و ما لحق بهذا النمط - إلى ما دون ذلك على اتصال التفاوت [١٢]من النهى[١٢] عن سوء التأويل لطية غرض النفس

(١) سورة ٧٤ آية ١٤٦ .

(٢) فى مد : بنهى ، و فى ظ : يُلْهى .

(٣) زيد فى ظ : آية .

(٤) سورة ٦ آية ١٥٢ و سورة ١٧ آية ٣٤ .

(٥) سورة ١٧ آية ٣٢ .

(٦) سورة ٢ آية ٢٢٢ .

(٧) انتهت سقطة م إلى هنا كما نبهنا عليها فى صفحة ٢٩٥ .

(٨) سورة ٢ آية ١٨٨ .

(٩) سورة ٣ آية ١٣٠ .

(١٠) سورة ٤٩ آية ١٢ .

(١١) سورة ٤٩ آية ١١ .

(١٢ - ١٢) ليس فى مد .

نحو قوله تعالى : « و لا تقولوا لمن القى اليكم السلم لست مؤمنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا[1] » - إلى ما دون ذلك من النهى عما يقدح فى الفضل و إن كان من حكم العدل نحو قوله تعالى : و لا ياتل اولو الفضل منكم و السعة ان يؤتوا[2] اولى القربى و المسكين و المهجرين فى سبيل الله[3] » [4]إلى تمام[4] ما لا تحصل السلامة إلا به من النهى عما زاد على الكفاف و البلغة فى الدنيا الذى به يصح[5] العمل بالحكمة نحو قوله تعالى : « و لا تمش فى الارض مرحا - إلى قوله : ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة[6] » ، و نحو قوله تعالى : « و لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه[7] » ، لأن كل زائد على الكفاف فتنة ، و هذا هو أساس ما به تتفاوت درجات العلم فى الدنيا و درجات الجنة فى الآخرة ، و لا تصح الوجوه و الحروف التى بعده أى و هى سائر الحروف علما و عملا و ثباتا و قبولا عند التمحيص إلا بحسب[8] الإحكام فى قراءة هذا الحرف و جمعه و بيانه

(١) سورة ٤ آية ٩٤ .

(٢) من م و مد و ظ و القرآن الكريم ، و وقع فى الأصل : ياتوا - خطأ .

(٣) سورة ٢٤ آية ٢٢ .

(٤-٤) فى ظ : اتمام .

(٥) فى م فقط : يصلح .

(٦) سورة ١٧ آية ٣٧ - ٣٩ .

(٧) سورة ٢٠ آية ١٣١ .

(٨) فى ظ : بسبب .

لأنه ظهور[1] لما بعده من صلات حرف الأمر و ما قصّر بعشرات فرق الأمة إلا التقصير فى حرف النهى ، لأن الملة الحنيفية مبنية على الاكتفاء باليسير من المأمورات و المبالغة فى الحمية من عموم ما لا يتناهى[2] من المنهيات لكثرة مداخل الآفات منها على الخلق فيما بعد الموت و يصعب هذا الحرف على الخلق بما[3] استقر فى أوهامهم أن دنياهم لاتصلح إلا بالمثابرة على ٥ صنوف المنهيات لنظرهم لجدواها فى الدنيا و عماهم عن وبالها فى الأخرى[4] و ما حوفظ على الرياضات و التأديبات و التهذيبات إلا بوفاء الحمية منها ، و الحمية أصل الدواء ، فمن لم يحتم[5] عن المنهيات لم ينفعه تداويه بالمأمورات ، كالذى يتداوى و لا يحتمى يخسر الدواء و يتضاعف الداء[6] « هل انبئكم بالاخسرين اعمالا ۝ الذين ضل سعيهم فى الحيٰوة الدنيا و هم يحسبون انهم ١٠ يحسنون صنعا ۝[7] » و[8]جاؤا بحسنات كالجبال و كانوا يصومون و يصلون و يأخذون وَهنا من الليل لكن ذلك تداو بغير حمية لما لم يحتموا من الدنيا

(١) من ظ ، و فى الأصل : طهور - بالطاء المهملة .

(٢) فى ظ : لايتناى .

(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما .

(٤) فى م : الاخرة .

(٥) فى م : يختم .

(٦) زيد فى م : قل .

(٧) سورة ١٨ آية ١٠٣ و ١٠٤ .

(٨) زيد حرف العطف من ظ .

التى نهوا عن زهرتها ، فكانوا إذا لاحت لهم وثبوا عليها فيصيبون منها الشهوات و يعملون المعصيات فلم ينفعهم[١] المداواة ، فمن احتمى فقد قرأ هذا الحرف و هو حسبه فاقرؤا ما تيسر منه ، أحب العبادات إلى الله ترك الدنيا و حمية النفس من هوى[٢] جاهها و مالها - بل نبيا عبدا أجوع يوما و أشبع يوما ، و من رغب عن سنتى فليس منى[٣] ، و القرآن حجة لمن عمل به فصار إمامه يقوده إلى الجنة . و حجة على من لم يعمل به يصير خلفه[٤] فيسوقه إلى نار الجبة[٥] التى فى جب[٦] وادى جهنم التى تستعيذ جهنم منها [٧]و الوادى و الجب[٧] فى كل يوم سبع مرات « و لكن جعلنه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا[٨] » « يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا[٩] » « و لا يزيد الظلمين الا خسارا[١٠] » أعوذ بعفوك من عقوبتك ، و برضاك

(١) فى ظ : فلم ننفعهم كذا .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) هذا من قول النبى صلى الله عليه و سلم .

(٤) فى ظ : خلقه .

(٥) فى مد : الحية .

(٦) فى ظ : خبء .

(٧-٧) كذا فى الأصل و مد ، و فى م : و الجب و الوادى ، و فى ظ : و الوادى و الخبء ، و الظاهر : و وادى الجب .

(٨) سورة ٤٢ آية ٥٢ .

(٩) سورة ٢ آية ٢٦ .

(١٠) سورة ١٧ آية ٨٢ .

من

من سخطك ، و بك منك ، لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .

ثم قال فيما [1]تحصل به[1] قراءة حرف النهى : اعلم أن الموفى بقراءة حرفى الحلال و الحرام المنزلين لإصلاح أمر الدنيا و تحسين حال الجسم و النفس تحصل له عادة بالخير تيسر عليه قراءة حرفى صلاح الآخرة من الأمر و النهى ، و لما اقتضت الحكمة و العلم إقامة / أمر الدنيا بقراءة حرفى صلاحها تماما اقتضى الإيمان بالغيب و تصديق الوعد و الوعيد تجارة اشتراء الغيب الموعود من عظيم خلاق الأخرى بما ملك العبد من منقود متاع الدنيا ، فكل الحلال ما عدا الكفاف بالسنة[2] متجر[3] للعبد ، إن أنفقه ربحه وأبقاه فقدم عليه ، و إن استمتع به أفناه فندم عليه « فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم[4] » « لو لا أخرتنى إلى اجل قريب فاصدق و اكن من الصلحين[5] » « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون[6] » ذلك مال رابح ذلك مال رابح ، و كما أن حرف الحلال موسع ليحصل به الشكر فحرف النهى مضيق لمتسع حرف الحلال ليحصل به الصبر ليكون به العبد شاكرا صابرا ، فالذى يحصل به قراءة حرفى النهى

٦٧/

(١-١) فى م و مد : به تحصل .
(٢) ليس فى ظ .
(٣) فى م : متجرد .
(٤) سورة ٩ آية ٦٩ .
(٥) سورة ٦٣ آية ١٠ .
(٦) سورة ٣ آية ٩٢ .

أما من جهة القلب و رؤيا الفؤاد فمشاهدة[1] البصيرة لموعود الجزاء حتى كأنه ينظر إليه لترتاح[2] النفس بخيره و ترتاع من شره، كما قال حارثة: كأني أنظر إلى أهل الجنة فى الجنة ينعمون و إلى أهل النار فى النار يعذبون، فأثمر له ذلك ما أخبر به عن نفسه [3]فى قوله[3]: و عَزَفَت[4] نفسى[5] عن الدنيا فاستوى عندى[6] ذهبها و خزفها، و خصوصا من أيد بالمبشرات من الرؤيا الصالحة و الكشف الصادق ليدع الفانى للباقى على يقين و مشاهدة؛ و أما[7] من جهة حال النفس فالصبر بحبسها عما تشتهيه طبعا مما هو محلل لها شرعا، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعمر رضى الله عنه لما رئى لحاله: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا و لنا الآخرة؟ «و استعينوا بالصبر[8]»، و صبر النفس عن شهواتها و إن كانت حلالا هو حقيقة تزكيتها، و قتلها باضنائها منها هو حياتها،

(١) فى م: غشأ هذه.

(٢) فى م: لترجاج - كذا.

(٣-٣) ليس فى ظ.

(٤) عزفت نفس فلان عن الشيء تعزف و تعزف عزفا و عزوفا زهدت فيه و انصرفت عنه أو ملته فهى عزوف عنه - قطر المحيط ١٣٥٤/٣، و فى م: غرقت، و هى محرفة.

(٥) زيد فى الأصل فقط: خصوصا، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها.

(٦) ليس فى ظ.

(٧) فى م: اصله.

(٨) سورة ٢ آية ٤٥.

و إطلاقها ترتع فى شهواتها هو تدسيتها، « قد افلح من زكّٰها ۞ و قد خاب من دسّٰها ۞[1] » و النفس مطية يقويها انضاؤها، و يضعفها استمتاعها، و حبسها عن ذلك شائع فى جهات وجوه الحلال كلها إلا فى شيئين: فى النساء بكلمة الله، لأنهن من ذات[2] نفس الرجال و لسن غيرا لهم « هو الذى خلقكم من نفس واحدة و جعل[3] منها زوجها ليسكن اليها » ٥ و « اٰتيتم احدٰهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا[4] »، و الثانى فى الطيب، لأنه غذاء للروح[5] و تقوية للحواس و نسمة من باطن الملكوت إلى ظاهر الملك؛ و ما عداهما فالاستمتاع به و اتباع النفس هواها فيه علامة[6] تكذيب[7] وعد الرحمن و تصديق وعد الشيطان « و زين لهم الشيطٰن اعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون[8] ۞ » « يعدهم و يمنّيهم و ما يعدهم الشيطٰن الا غرورا ۞[9] »؛ ١٠ هذا من جهة النفس؛ و أما من جهة العمل و تناول اليد فرفعها عما زاد

(١) سورة ٩١ آية ٩ و ١٠ .

(٢) فى ظ : ذوات .

(٣) وقع فى م فقط : خلق - كذا خطأ؛ راجع القرآن الكريم سورة ٧ آية ١٨٩ .

(٤) سورة ٤ آية ٢٠ .

(٥) وقع فى مد : للزواج - كذا مصحفا .

(٦) ليس فى ظ .

(٧) فى م : التكذيب .

(٨) سورة ٢٧ آية ٢٦ .

(٩) سورة ٤ آية ١٢٠ .

على الكفاف و تخليته لذوى الحاجة ليتخذوه معاشا ، و أن يكون التمول من غير القوام تجارة نقل و ضرب فى الأرض و إرصاد لوقت حاجة لا حكرة و تضييقا ، اتخاذ أكثر من لبستين[1] للمهنة و الجمعة علامة لضعف الإيمان و خلاف السنة ، انقطاع عن آثار النبوة و عدول عن سنة الخلفاء و ترك لشعار[2] الصالحين ، و كذلك تصفية لباب الطعام و قصد المستحسن فى الصورة دون المستحسن فى العلم و إيثار الطيب فى المطعم على الطيّب فى الورع و تكثير الأدم و تلوين الأطعمة ، و كذلك اتخاذ أكثر من مسكن واحد و أكثر من مزدرع[3] كاف و رفع البناء و الاستشراف بالمبانى ، امتنع النبى صلى الله عليه و سلم من رد السلام على رجل اتخذ قبة فى المدينة حتى هدمها و سوّاها مع بيوت أهل المدينة ، و إنما الدنيا للمؤمن سجن إن شعر به و ضيق فيه على نفسه[4] طلبت السراح[5] منه إلى الآخرة فسعد ، و إن لم يشعر بأنها سجن فوسع فيها على نفسه [6]طلب البقاء[6] فيها و ليست بباقية[7] ، و الخيل ثلاثة[8]: أجر للمجاهد ، و وزر على المباهى ،

(١) فى مد : نسبتين - كذا .

(٢) فى م : لشعائر .

(٣) فى ظ : مزرع .

(٤) العبارة من هنا إلى " فيسعد " ليست فى م و مد .

(٥) فى ظ : الراح .

(٦ - ٦) فى م : طلبا للبقاء .

(٧) فى م : باقية .

(٨) هذا مأخوذ مما رواه الإمام البخارى فى صحيحه ١ / ٤٠٠ عن أبى هريرة =

و عفو للمستكفى بها فيما يعنيه[1] من شأنه، و الزيادة على الكفاف من النعم السائمة انقطاع عن آثار النبوة و تضييق على ذوى الحاجة و تمول لما وضع لإقامة المعاش و أن يتخذ منه الكفاف، قال صلى الله عليه و سلم: لنا غنم مائة [2]لا نريد أن تزيد[2]، فاذا ولّد الراعى بهمة[3] ذبحنا مكانها شاة. و الطعام لا يتمول و كذلك ما اتخذ للقوام لا يحتكره[4] إلا خاطئ - من احتكر طعاما أربعين يوما فقد برئ من الله و برئ الله منه. فالأمتعة تجلب و تختزن[5] و يستنمى فيها[6] الدينار و الدرهم، و الطعام و القوام يجلب و لا يختزن[7] فيستنمى فيه[8] الدينار و الدرهم، و من اختزنه يستنمى فيه الدينار و الدرهم فقد احتكره؛ و ما منع فيه من مدّ العين فأحرى أن يمنع فيه مد اليد «لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به ازواجا[9] » الآيتين[10]؛ فبهذه

= أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: الخيل لثلاثة (و فى رواية: ثلاثة، كما هنا) لرجل أجر، و لرجل ستر، وعلى رجل وزر - الحديث.

(١) فى م وظ: يعينه.

(٢ - ٢) فى مد: لا نُريد ان تزيدوا.

(٣) فى م: بهيمة.

(٤) فى ظ: لتحكيره.

(٥) فى مد: تحترن - كذا.

(٦) زيد فى م: فى.

(٧) فى ظ: لا تخزن.

(٨) فى ظ: فيها.

(٩) زيد فى م وظ: منهم. سورة ١٥ آية ٨٨.

(١٠) ليس فى ظ.

الأمور من إيمان القلب و رؤية الفؤاد و صبر النفس و كف اليد عن الانبساط فى التمول فيما به القوام تحصل قراءة حرف النهى ، و الله ولى التأييد - انتهى .

و لما فرغ سبحانه من أمر أهل الكتاب بالإيمان بالله و النبي و الكتاب الذى هو من الهدى الآتى إليهم المشار إلى ذلك كله بالإيفاء بالعهد عطف بقوله[1] : « و اقيموا الصلوٰة » أى [2]حافظوا على العبادة[2] المعهود بها فى كل يوم [2]بجميع شرائطها و أركانها[2] « و اٰتوا الزكوٰة » أى[3] المفروضة فى كل حول لتجمعوا أوصاف المتقين المهديين[4] بهذا / الكتاب « الذين /٦٨

(١) قال على المهائمى : « و » لا يكفيكم العمل بالمنسوخ من التوراة و إن لم تغيروه ولم تلبسوا فيه و لم تكتموه بل « اقيموا الصلوٰة و اٰتوا الزكوٰة » بمقتضى هذا الكتاب « و » اعملوا بفضائله و إن لم تكن ناسخة لما فى كتابكم لذلك « اركعوا مع الرٰكعين » أى صلوا بالجماعة إذ فضلت على صلاة الفذ فى هذه الملة بسبع و عشرين درجة فأتوا بفضائل هذا الكتاب سيما التى بها تظاهر النفوس على الخيرات . وقال البيضاوى : يعنى صلاة المسلمين و زكاتهم ، فان غيرهما كلا صلاة و لا زكاة ، أمرهم بفروع الإسلام بعد ما أمرهم بأصوله ؛ و الزكاة من زكا الزرع إذا نما ، فان إخراجها يستجلب بركة من المال و يثمر للنفس فضيلة الكرم ، أو من الزكاء بمعنى الطهارة ، فانها تطهر المال من الخبث و النفس من البخل .

(٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣) ليس فى م .

(٤) فى م : المهذبين .

يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلٰوة و مما رزقنٰهم[1] ينفقون ه » المحسنين بذلك فيما بينهم و بين الحق و فيما بينهم و بين الخلق ، [2]و هاتان العبادتان إما العبادات البدنية و المالية فخصا بالذكر ، لأن من شأنهما استجرار سائر العبادات و استتباعها ، و الزكاة قال الحرالى[3] نماء فى ظاهر حس و فى باطن ذات نفس ، « و اركعوا » من الركوع و هو توسط بين قيام و سجود ٥ يقع فى ظاهر من القامة و فى حال من القلب ، تخص به الأمة المتوسطة الجامعة للطرفين ، « مع » معناه الصحبة من الأعلى بالحياطه[4] ، و من الأدنى[5] بحسن التبع ، و من المماثل بحسن النصفة - انتهى . و قوله : « الرٰكعين ه » [6]مع مصحوبه[6] تأكيد لأمر الصلاة و أمر بالكون فى هذا الدين مع الذين اتبعوا محمدا صلى الله عليه و سلم ، فان صلاة اليهود لا ركوع فيها ، ١٠ كما سيأتى بيانه فى سورة آل عمران إن شاء الله تعالى .

و قال الحرالى : و المتسق بذلك أى بما مضى خطاب إفهام يفهمه[7] عطف[8] إقامة الصلاة التى هى تلو الإيمان ، فكأن خطاب الإفهام :

---

(١) فى ظ و م و مد : رزقوا .

(٢) العبارة من هنا إلى « استتباعها » ليست فى ظ .

(٣) ليس فى ظ .

(٤) فى م : للحياطة .

(٥) من م و ظ ، و لا يتضح فى مد ، و فى الأصل : الاعلى - كذا .

(٦-٦) فى م : مع مصحوبة ، و فى ظ : بجملته - كذا .

(٧) فى م و مد : تفهمه .

(٨) و قال أبو حيان الأندلسى : و فى هذه الجمل و إن كانت معطوفات بالواو=

فارجعوا و استدركوا و أعلنوا بما كتمتم و بينوا ما لبستم و انصحوا من استنصحكم و أقيموا وجهتكم لله [1] بالصلاة وتعطفوا على الاتباع بعد تعليمهم بالزكاة و كملوا صلاتكم بما به كمال الصلاة من الركوع العدل فى الفعل بين حال قيام الصلاة و[2] سجودها المظهر آية عظمة الله مع الراكعين الذين هم العرب الذين وضعت أول صلاتهم على كمال - انتهى . [3]و يجوز

= التى لا تقتضى فى الوضع ترتيبا ترتيب عجيب من حيث الفصاحة و بناء الكلام بعضه على بعض ، و ذلك أنه تعالى أمرهم أولا بذكر النعمة التى أنعمها عليهم إذ ما فى ذلك يدعو إلى محبة المنعم و وجوب إطاعته ، ثم أمرهم بايفاء العهد الذى التزموه للمنعم ، ثم رغبهم بترتيب إيفائه هو تعالى بعهدهم فى الإيفاء بالعهد ، ثم أمرهم بالخوف من نقماته إن لم يوفوا ، فاكتنف الأمر بالإيفاء أمر بذكر النعمة و الإحسان و أمر بالخوف من العصيان ، ثم أعقب ذلك بالأمر بايمان خاص و هو ما أنزل من القرآن و رغب فى ذلك بأنه مصدق لما معهم فليس أمرا مخالفا لما فى أيديهم لأن الانتقال إلى الموافق أقرب من الانتقال إلى المخالف ، ثم نهاهم عن استبدال الخسيس بالنفيس ، ثم أمرهم تعالى باتقائه ، ثم أعقب ذلك بالنهى عن لبس الحق بالباطل و كتمان الحق تركا للاضلال ، و لما كان الضلال ناشئا عن أمرين : إما تمويه الباطل حقا إن كانت الدلائل قد بلغت المستتبع ، و إما عن كتمان الدلائل إن كانت لم تبلغه ، اشار إلى الأمرين بلا تلبسوا و تكتموا ، ثم قبح عليهم هذين الوصفين مع وجود العلم ، ثم أمرهم بعد تحصيل الإيمان و إظهار الحق باقامة الصلاة و إيتاء الزكاة - من شاء الاطلاع على ما بعدها فلينظر فى البحر المحيط ١/١٨٠ .

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى م : او .

(٣) العبارة من هنا إلى « بالجماعة » ليست فى ظ .

أن يكون المراد بالركوع الصلاة ، عبر عنها به لما ذكر من خصوص هذه الأمة[1] به ، فكأنه قيل : و صلوا مع المصلين جماعة ، لمزيد التوصية بالجماعة .

و لما أمر علماءهم بما تركوا من معالى الأخلاق[2] من الإيمان و الشرائع بعد أمرهم بذكر ما خصهم به من النعم ، و نهاهم عما ارتكبوا من سفسافها[3] من كفر النعم[4] و نقض العهود و ما تبع ذلك[5] وكانوا يأمرون

(١) من م و مد ، و فى الأصل : الاية .

(٢) العبارة من هنا إلى « النعم » ليست فى ظ .

(٣) العبارة من هنا إلى « ذلك » ليست فى ظ .

(٤) زيدت فى م : و نهاهم عما ارتكبوا من - مكررة .

(٥) قال المهائمى : ثم أشار إلى أنهم لا يأتون بأصل أعمال البر من كتابهم فضلا عن فضائل كتابكم فقال « اتامرون الناس بالبر » و هو التوسع فى الخيرات أو مراعاة الأقارب أو حسن معاملة الناس « و تنسون انفسكم » أى تتركونها ترك المنسى فلا تأتون بشىء من الخيرات فضلا عن الفضائل . و فى التفسير المظهرى: قال البغوى : نزلت فى علماء اليهود و ذلك أن الرجل منهم كان يقول لقريبه و حليفه من المسلمين أذا سأله عن أمر محمد صلى الله عليه وسلم : اثبت على دينه فان أمره حق و قوله صدق . و كذا أخرج الواحدى عن ابن عباس ، و قيل : هو خطاب لأحبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة و هم خالفوا التوراة و غيروا نعت محمد صلى الله عليه وسلم فيه . و قال البيضاوى : « اتامرون» تقرير مع توبيخ و تعجيب ، و البر التوسع فى الخير من البر و هو الفضاء يتناول كل خير ، لذلك قيل : البر ثلاثة : بر فى عبادة الله ، و بر فى مراعاة الأقارب ، و بر فى معاملات الأجانب .

غيرهم بما يزعمون أنه تزكية و ينهونه[1] عما يدعون[2] أنه تردية ، أنكر عليهم[3] ترغيبا فيما ندبهم إليه و حثهم عليه و توبيخا على تركه بقوله : « اتامرون » ، من الأمر و هو الإلزام بالحكم[4] - قاله الحرالى . « الناس بالبر » و هو التوسع فى أفعال الخير « و تنسون » [5]والنسيان السهو الحادث بعد حصول العلم ، « انفسكم » أى تتركون حملها على ذلك [6]ترك الناسى ، و لعله عبر به زيادة فى التنفير عن هذا الأمر الفظيع الذى دل العقل دلالة بينة على فحشه ، لأن المقصود من أمر الغير بالبر النصيحة أو الشفقة ، و ليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره أو ينصح غيره و ينسى نفسه ، و الظاهر أن المراد[7] به حكم التوراة ، كانوا يحملون عوامهم عليه و هم يعلمون دون العوام أن من حكم التوراة[8] اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، فقد نسوا أنفسهم من الأمر بأساس البر الذى لايصح[9] منه شىء إلا به .

و قال الحرالى : و لما كان فيهم من أشار على من استهداه بالهداية

(١) فى م : تنهونه .

(٢) « عما يدعون » ليس فى م .

(٣) العبارة من هنا إلى « تركه » ليست فى ظ .

(٤) فى م : بالمحكم .

(٥) العبارة من هنا إلى « العلم » ليست فى ظ .

(٦) العبارة من هنا إلى « و ينسى نفسه » ليست فى ظ .

(٧) من م و ظ ، و فى الأصل : للراد .

(٨) ليس فى ظ .

(٩) فى م : لايصلح .

لاتباع محمد صلى الله عليه و سلم و لم يهدوا أنفسهم لما أرشدوا إليه غيرهم أعلن تعالى عليهم بذلك نظما لما [٢]تقدم من[٢] نقض عهدهم و لبسهم وكتمهم بما [٢]ظهر من[٢] نقص عقولهم فى أن يظهر طريق الهدى لغيره و لايتبعه فأخرجهم بذلك عن حد العقل الذى هو أدنى أحوال المخاطبين، و[٣]زاد فى تبكيتهم بجملة حالية حاكية[٤] تلبسهم بالعلم و الحكمة الناهية عما هم عليه فقال: «و انتم تتلون الكتب»[٥]، من التلاوة، و هو تتبع قول قائل

(١) و قال أبو حيان: و قال السلمى: أ تطالبون الناس بحقائق المعانى و أنتم قلوبكم خالية عن ظواهر رسومها. و قال القشيرى: أ تحرضون الناس على البدار و ترضون بالتخلف، و قال: أ تدعون الخلق إلينا و تقعدون عنا و ألفاظا من هذا المعنى. والأنفس هنا ذواتهم، و قيل: جماعتهم و أهل ملتهم - انتهى.

(٢ - ٢) ليس فى ظ.

(٣) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ.

(٤) ليس فى م.

(٥) قال المهائمى: «و انتم تتلون الكتب» أى التوراة فحقكم أن تسبقو الناس بالعمل بما فيه ليقتدى الناس بكم و يعتمدوا على أقوالكم «ا» رضيتم بهلاك أنفسكم مع صلاح غيركم. و قال البيضاوى: تبكيت كقوله تعالى «و انتم تعلمون» أى تتلون التوراة و فيها الوعيد على العناد و ترك البر و مخالفة القول العمل «ا فلا تعقلون» قبح صنيعكم فيصدكم عنه، أو أ فلا عقل لكم يمنعكم عما تعلمون و خامة عاقبته؛ و الآية ناعية على من يعظ غيره و لا يتعظ نفسه سوء صنيعه و خبث نفسه و أن فعله فعل الجاهل بالشرع أو الأحمق الخالى عن العقل، فان الجامع بينهما يأبى عنه شكيمته، و المراد بها حث الواعظ على تزكية النفس و الإقبال عليها بالتكميل ليقوم فيقيم، لامنع الفاسق عن الوعظ فان الإخلال بأحد الأمرين المأمور بهما لا يوجب الإخلال بالآخر - انتهى.

أول من جهة أوليته - قاله الحرالى . و هذه الجملة الحالية أعظم منبّه على أن من حكم التوراة اتباعه صلى الله عليه و سلم ، و مشير إلى أن المعصية من العالم أقبح . قال[1] الحرالى : فيه إشعار بأن أمر النبى صلى الله عليه و سلم فى منطوق تلاوته ليس فى خفى إفهامه ، فكان فى ذلك خروج عن حكم نور العقل - انتهى .

و لما كان هذا[2] فى كتابهم و هم به يأمرون و عنه معرضون سبب سبحانه عنه الإنكار فى قوله : « افلا » [3]أى أتتلونه فلا[3] « تعقلون » إشارة إلى أن ما هم عليه من هذا لايفعله ذو[4] مسكة ، و العقل إدراك حقائق ما نال الحس ظاهره - قاله الحرالى . [5]سمى عقلا لأنه يعقل عن التورّط فى الهلكة .

و لما أنكر عليهم[6] اتباع الهوى أرشدهم إلى دوائه بأعظم أخلاق النفس و أجل أعمال البدن فقال عاطفا على ما مضى من الأوامر . و قال الحرالى: فكأنهم إنما حملهم على مخالفة حكم العقل ما تعودت به أنفسهم من الرياسة و التقدم فلما[7] فى ذلك عليهم من المشقة أن يصيروا أتباعا

(١) فى م : قاله .

(٢) ليس فى ظ .

(٣-٣) ليست فى ظ . و فى م : تتلون ـ مكان : تتلونه .

(٤) فى ظ : ذوا .

(٥) العبارة من هنا إلى « الهلكة » ليست فى ظ .

(٦) زيد فى م : سبحانه .

(٧) كذا ، و الظاهر : لما .

للعرب بعد ما كانوا يرون أن جميع الأرض تبع لهم نسق[1] بخطابهم فى ذلك الأمر بالاستعانة بالصبر الذى يُكره أنفسهم على أن تصير تابعة بعد أن كانت متبوعة فقال تعالى - انتهى . «واستعينوا»[2] أى على إظهار الحق و الانقياد له و هو معنى ما مضى من الأوامر و النواهى «بالصبر» أى على مخالفة الهوى، و الصبر حبس النفس عن حاجتها و عادتها و على إصلاحها و تزكيتها، و هو ضياء للقلوب تبصر به ما يخفيه عنها الجزع من الخروج عن العادة فيما تنزع إليه الأنفس - قاله الحرالى . و هو عام[3] فى كل صبر الصوم و غيره[3]، [4]«و الصلوٰة» أى الموصلة إلى المقام الأعلى،

(١) نسق الدر ينسقه نسقا : نظمه على السواء، و الكلام : رتبه و عطف بعضه على بعض على نظم واحد - قطر المحيط ٤/٢١٦٥ .

(٢) قال البيضاوى : متصل بما قبله كأنهم لما أمروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة و ترك الرياسة و الإعراض عن المال عولجوا بذلك ، و المعنى استعينوا على حوائجكم بانتظار النجح و الفرج توكلا على الله ، أو با لصوم الذى هو صبر عن المفطرات لما فيه من كسر الشهوة و تصفية النفس ، و التوسل بالصلاة و الالتجاء إليها ، فانها جامعة لأنواع العبادات النفسانية و البدنية من الطهارة و ستر العورة و صرف المال فيها و التوجه إلى الكعبة و العكوف للعبادة و إظهار الخشوع بالجوارح و إخلاص النية بالقلب و مجاهدة الشيطان و مناجاة الحق و قراءة القرآن و التكلم بالشهادتين و كف النفس من الأطيبين حتى تجابوا إلى تحصيل المآرب و جبر المصائب ؛ روى أنه عليه الصلاة و السلام إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ، و يجوز أن يراد بها الدعاء - انتهى .

(٣ - ٣) ليست فى ظ .

(٤) قال أبو حيان : و قدم الصبر على الصلاة قيل لأن تأثير الصبر فى إزالة =

و فيه التفات إلى « و اياك[1] نستعين » و إشارة إلى أن من لم تنهه صلاته عن ركوب الباطل و التمادى فيه و تأمره بلزوم الحق و الرجوع إليه فليس بمصل،/ فكأن المراد بالصبر تخليص النفس من أشراك الهوى و قسرها /٦٩
على الإخلاص، فمن صلى على هذه الصفة كان لا محالة من الناجين؛
٥ و ثنى بالصلاة لأنها استرزاق يغنيهم[2] عن اشتراء ثمن كانوا يأخذونه من أتباعهم فى اللبس و الكتمان « و امر اهلك بالصلوة و اصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك[3] » قاله الحرالى . [4] و يصح أن يراد بها الدعاء، فمن صبر عن الدنايا و على المكاره[5] و أنهى صبره إلى الصوم فأزال عنه كدورات

= ما لا ينبغى و تأثير الصلاة فى حصول ما ينبغى، و النفى مقدم على الإثبات، و يظهر أنه قدم الاستعانة به على الاستعانة بالصلاة لأنه سبق ذكر تكاليف عظيمة شاق فرانها على من ألفها و اعتادها من ذكر ما نسوه و الإيقاء بما أخلفوه و الإيمان بكتاب متجدد و ترك أخذهم الرشا على آيات الله و تركهم إلباس الحق بالباطل وكتم الحق الذى لهم بذلك الرياسة فى الدنيا والاستتباع لعوامهم و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة، و هذه أمور عظيمة؛ فكانت البداءة بالصبر لذلك . و لما كان عمود الإسلام هو الصلاة و بها يتميز المسلم من المشرك اتبع الصبر بها اذ يحصل بها الاشتغال عن الدنيا .

(١) زيد فى ظ « و » كذا خطأ .

(٢) فى م : يعينهم . (٣) سورة ٢٠ آية ١٣٢ .

(٤) العبارة من هنا إلى « نهاية البر » ليست فى ظ . و فى م مكررة فانها قدمت فيه (مع ما بعدها إلى « فقال ») على العبارة السابقة التى أولها « و هو عام فى كل صبر - الخ » .

(٥) هكذا فى الأصل و مد، و فى م : المكارم .

حب الدنيا و أضاف إلى ذلك الصلاة استنار قلبه بأنواع المعارف، فاذا ضم إلى ذلك الدعاء و الالتجاء الى الله تعالى بلغ نهاية البر .

و لما أمر و نهى بما ختمه بالصلاة حث على التفاؤل لعظمته [سبحانه[1]] [بتخصيصها بالضمير-[2]] فقال : « و انها لكبيرة » أى ثقيلة جدا[3]، و الكبير[4] ما جل قدره أو مقداره فى حس[5] ظاهر أو فى معنى باطن - قاله الحرالى . ٥

« الا على الخشعين » أى المخبتين الذين هم فى غاية السهولة و اللين و التواضع لربهم بحيث لا يكون عندهم شيء من كبر[6] و ينظرون عواقب الأمر و ما

(١) زيد من م و مد .

(٢) العبارة زيدت من م و مد ولكن قدمت فى م على « حث » ؛ و زيدت فى مد بعد « الصلاة » العبارة التالية « و كانت الصلاة صبرا لا حظ للنفس فيه لأنها عبادة محضة » .

(٣) قال المهائمى « و » لكن الاستعانة بها شاقة « انها لكبيرة » أى شاقة فى نفسها تقتضى الصبر على الطاعات « الا على الخشعين » الخائفين السالكين إلى الله فانها لا تشق عليهم ، فلا تشق الاستعانة بها فى حقهم على الصبر عن الشهوات ، لذلك كانت فى حقهم « تنهى عن الفحشاء و المنكر » كيف و هى فى حقهم قرة أعينهم لمشاهدتهم الحق ! فان لم يشاهدوه فلا أقل من أن يكونوا هم « الذين يظنون » أى يعتقدون اعتقادا راجحا « انهم ملاقوا ربهم » فيشاهدهم . و قال البيضاوى : و تخصيصها برد الضمير إليها لعظم شأنها و استجماعها ضروبا من الصبر أو جملة ما أمروا بها و نهوا عنها . و ذكر أبو حيان سبعة أقوال فى الضمير العائد فى « و انها » مع الاستشهاد و أطال البحث فليراجع إليه ١/١٨٥ .

(٤) فى م : الكثير .

(٥) فى م : حسن - كذا .

(٦) العبارة من هنا إلى « غير رغبة » ليست فى ظ .

أعد عليها من الأجر، و لذا قال صلى الله عليه و سلم: و جعلت قرة عينى فى الصلاة. و غيرهم يمنعهم[1] ثقلها من فعلها، و إن فعلها فعلى غير رغبة. قال الحرالى: و هو أى الخشوع هدوّ الجوارح و الخواطر فيما هو الأهم فى الوقت، و أنبأ تعالى بكبر قدر الصلاة عن أن يتناول عملها إلا خاشع خرج عن حظ نفسه و ألزم[2] نفسه ذل العبودية التى ختمت بها النبوة، و فى إشارة كمال الصلاة إشعار بصلاة العصر [3] التى هى صلاة النبى الخاتم الذى[3] زمنه وقت العصر و حالة العبودية، و ذلك مما يكبر على من قرن بنبوته و بملته[4] الملك إلا أن يخشع لما يكبر على النفس، و خصت الصلاة بالكبر[5] دون الصبر لأن الصبر صغار للنفس و الصلاة وجهة[6] للحق و الله هو العلى الكبير - انتهى. «الذين يظنون» من الظن و هو رجحان فى اعتقاد مع بقاء منازع من[7] مقابله - قاله الحرالى.[8] «انهم ملاقوا ربهم»[9]

(١) فى م و مد: يمنعه.
(٢) فى مد: الزل.
(٣-٣) فى ظ: النبى الخاتم التى.
(٤) فى ظ: بمثله.
(٥) ليس فى م.
(٦) زيد فى ظ: الحق.
(٧) فى مد: فى.
(٨) قال أبوحيان: و إنما لم تشق على الخاشعين لأنها منطوية على أوصاف هم متحلون بها لخشوعهم من القيام لله و الركوع له و السجود له و الرجاء لما عنده من الثواب، فلما كان مآل أعمالهم إلى السعادة الابدية سهل عليهم ما صعب على غيرهم من المنافقين و المرائين بأعمالهم الذين لا يرجون لها نفعا. و معنى «يظنون» =

أى المحسن إليهم ، و عبر بالظن [1]عن العلم[1] تهويلا للأمر و تنبيها على أنه يكفى العاقل فى الحث على ملازمة الطاعة ظن لقاء الملك المطاع المرجو المخوف فكيف و الأمر متيقن لا مراء فيه و لا تطرّق للريب إليه![1] و يجوز أن يراد ظن الموت فى كل لحظة ، فانه إذا كان على ذكر من الإنسان أوجب له السعادة . ٥

و لما كانت هذه الجملة مشيرة مع الترهيب لذوى الهمم العلية و الأنفة و الحمية من الوقوع فيما يلم بعيب أو يوقع فى عتب[٣] إلى الاستحياء من المحسن الذى ما قطع إحسانه ساعة من الدهر زاد فى الترهيب بقوله: « و انهم اليه » أى و حده[٤] « رٰجعون » ، و الرجوع معاد الذاهب على

= يوقنون - قاله الجمهور ، لأن من وصف بالخشوع لا يشك أنه ملاق ربه ، و يؤيده ما فى مصحف عبد الله « يعلمون » . قال ابن عطية : قد يوقع الظن موقع اليقين فى الأمور المتحققة . لكنه لا يوقع فيما قد خرج إلى الحس .

(٩) إضافته إليه و إضافته إلى الرب و إضافة الرب إليهم فى غاية من الفصاحة ، و ذلك أن الرب على أى محامله حملته فيه دلالة على الإحسان لمن يربه و تعطف بين لا يدل عليه غير لفظ الرب .

(١-١) ليس فى ظ .

(٢) العبارة من هنا إلى « السعادة » ليست فى ظ .

(٣) فى ظ : عبث .

(٤) قال أبو حيان : اختلف فى الضمير فى « إليه » على من يعود ، فظاهر الكلام و التركيب الفصيح أنه يعود إلى الرب و أن المعنى و أنهم الى ربهم راجعون ، =

مدارج مذهبه و ترقيه على معارج مهبطه - قاله الحرالى . و عبر بذلك و إن كانوا لم يزالوا فى قبضته ، لأن اسمه الظاهر سبحانه يكون فى تلك الدار (١لانقطاع الأسباب١) فى غاية الظهور لا يكون لأحد معه نوع ظهور أصلا ، لا(١) كهذه(٣) الدار التى الغالب فيها معنى اسمه الباطن إلا عند أولى البصائر ؛ و فى الآية تبكيت لأهل الكتاب بأنهم مع تحققهم للبعث يعملون عمل من لا يظنه فضلا عن أنه يعلمه . و قال الحرالى : و لما كان فى الصلاة مناجاة لله(٤) على الغيب كانت إنما تتيسر على من يظن القبول الذى يشعر به اللقاء لربه بعد موته و ذلك حال من رجحت الآخرة

= وهو أقرب ملفوظ به ، و قيل: يعود على اللقاء الذى يتضمنه ملاقوا ربهم، و قيل: يعود على الموت ، و قيل : على الإعادة و كلاهما يدل عليه « ملاقوا » و قيل بالقول الأول و هو أن الضمير يعود على الرب فلا يتحقق الرجوع فيحتاج فى تحققه إلى حذف مضاف التقدير إلى أمر ربهم راجعون ، و قيل : المعنى بالرجوع الموت ، و قيل : راجعون بالإعادة فى الآخرة ، و هو قول أبى العالية ، و قيل : راجعون فيجزيهم بأعمالهم ، و قيل : راجعون إلى أن لا يملك أحدهم ضرا و لا نفعا لغيره كما كانوا فى بدء الخلق . و قال على المهائمى : « و أنهم اليه راجعون » فيتوقعون فى مقابلتها ما يستحقر لأجله مشاقها و يستلذ حتى تنغص الشهوات عندهم ، فأى استعانة للصبر عنها أعظم منها فى حقهم - انتهى .

(١ - ١) فى م : لا .

(٢) فى م : لانقطاع الاسباب .

(٣) فى مد : لهذه .

(٤) زيد فى م و مد : تعالى .

على الدنيا فى عمله [1] و حاله ، فكان حاله و عمله حال الظانّ إبقاء على أحوال من دون رتبة اليقين ، و مقصود اللقاء ليس البعث لأنهم هم [2] من المؤمنين بالبعث و لكنه من معنى القبول بعد البعث ، [3] و فيه إشارة إلى حال الموت و يوم البرزخ و هو الجزاء الأول فعطف على المرجع الآخر بعد البعث [3] - انتهى . ٥

و لما كان الغالب على أكثر الناس الجمود كرر [4] النداء لهم مبالغة فى اللطف بهم إثر الترجية و التخويف فقال [1] « يٰبنى اسراءيل » أى الذى أكرمته و أكرمت ذريته من بعده بأنواع الكرامة « اذكروا نعمتى » و فخم أمرها بقوله : « التى انعمت عليكم » أى بانزال الكتب و إرسال الرسل و غير ذلك « و انى فضلتكم » و التفضيل [5] الزيادة من خطوة [6] ١٠ جانب القرب و الرفعة فيما يقبل الزيادة و النقصان منه - قاله الحرالى . « على العٰلمين » و هم من كان قد برز إلى الوجود فى ذلك الزمان بالتخصيص

---

(١) فى م و ظ : علمه .

(٢) ليس فى ظ .

(٣-٣) ليست فى م .

(٤) قال أبو حيان : و أعيد نداؤهم ثانيا على طريق التوكيد و لينبهوا لسماع ما يرد عليهم من تعداد النعم التى أنعم الله بها عليهم و تفصيلها نعمة نعمة ، فالنداء الأول للتنبيه على طاعة المنعم ، و النداء الثانى للتنبيه على شكر المنعم .

(٥) فى م : التفضل .

(٦) كتب فوقه فى الأصل : أى مكانه .

بذلك دونهم ، و لا يدخل فى هذا من لم يكن برز إلى الوجود فى ذلك الزمان كما يأتى تحقيقه عن الحرالى قريبا[1] و مما يوجب القطع به قوله تعالى لنا : «كنتم خير امة اخرجت للناس[2]» .

و لما ذكرهم بتخصيصهم بالكرامة [3]و نهاهم عن المخالفة و كانت المخالفة مع عظيم النعمة أقبح و أشد و أفحش[3] حذّرهم يوما لا ينجى أحدا فيه إلا تقواه فقال . و قال الحرالى : لما دعاهم إلى الوفاء بالعهد تنبيها لهمة من له فضل باطن يرجع إلى فضائل النفس فأجاب من وفق و تمادى على حاله من [4]خذل ثنى الخطاب لهم بالتنبيه على النعمة الظاهرة [3]ليتنبه لذلك من يخاف تغيير النعمة الظاهرة[3] حين لم يخف السقوط عن رتبة / الفضيلة فى الخطاب فذكرهم بالنعمة و التفضيل الذى فضلهم به على العالمين[5] و هم /٧٠

(١) قال القشيرى : أشهد بنى إسرائيل فضل أنفسهم فقال : « و انى فضلتكم على العالمين » و أشهد المسلمين فضل نفسه فقال « قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا » فشتان بين من مشهوده فضل ربه ومن مشهوده فضل نفسه ، فالأول يقتضى الثناء و الثانى يقتضى الإعجاب ـ انتهى . و قال البيضاوى : كرره للتوكيد و تذكير التفضيل الذى هو من أجلّ النعم خصوصا و ربطه بالوعيد الشديد تخويفا لمن غفل عنها و أخل بحقوقها .

(٢) سورة ٣ آية ١١٠ .

(٣-٣) ليست فى ظ .

(٤) زيد فى الأصل : وقف ، و قد ضرب عليه .

(٥) قال أبو حيان الأندلسى : قال الحسن و مجاهد و قتادة و ابن جريج و ابن زيد و غيرهم: عالمى زمانهم. أو على كل العالمين بما جعل فيهم من الأنبياء و جعلهم =

من

من ظهرت أعلام وجودهم فى زمانهم ، وكذلك كل تفضيل يقع فى القرآن والسنة ، إنما العالم من شمله الوجود لا ما أحاط به العلم بعد ، لأن ذلك لم يرفع فى الشهود علم وجوده ؛ وفيه إشعار بأنهم كما فضلوهم على عالمى زمانهم فليس ذلك بمقصور عليهم بل كذلك يفضل الله العرب فى زمان نبوتها على بنى إسرائيل وعلى جميع الموجودين فى ٥ زمانهم ، وحيث انتهى الخطاب إلى تذكر ظاهر النعمة بعد التذكير[1] بباطن الفضيلة لم يبق وراء ذلك[2] إلا التهديد بوعيد الآخرة عطفا على تهديد تقتضيه[3] الافهام بتغيير[4] ما بقى عليهم من النعمة فى الدنيا ؛ فكان

= ملوكا وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين ، وذلك خاصة لهم دون غيرهم ، فيكون عاما والنعمة مخصوصة ، قالوا : ويدفع هذا القول « كنتم خير امة » أو على الجم الغفير من الناس ، يقال : رأيت عالما من الناس ، يراد به الكثرة ؛ وعلى كل قول من هذه الأقوال الثلاثة لا يلزم منه التفضيل على هذه الأمة ، لأن من قال بالعموم خص النعمة ، فوجه عدم التفضيل مطلقا ظاهر - انتهى . وقال الشربينى الخطيب : أى عالمى زمانهم بما منحهم الله من العلم والإيمان والعمل وجعلهم أنبياء وملوكا مقسطين ، وذلك التفضيل وإن كان فى حق الآباء ولكن يحصل به الشرف فى الأبناء ، واستدل بذلك على أن الأصلح لا يجب على الله ، لأن تفضيلهم لو وجب عليه لم يجز جعله منة عليهم ، لأن من أتى بما وجب عليه لا منة له به على أحد - انتهى . وفيه رد على المعتزلة فيما يزعمون أن الأصلح واجب على الله تعالى شأنه .

(١) فى م : التذكر .

(٢) العبارة من هنا إلى « من النعمة » ليست فى م .

(٣) من ظ ، وفى مد : يقتضيه ، وفى الأصل : تقتضيه - كذا .

(٤) فى ظ : بتعبير - بالعين المهملة .

مفهوم الخطاب : فاحذروا أن يصيبكم مثل ما أصاب المؤاخذين فى الدنيا - انتهى . « و اتقوا »[١] . [٢] و لما كان المتقى إنما هو الجزاء الواقع فى يوم القيامة حذفه و أقام اليوم مقامه تفخيما له و تنبيها على أن عقابه لا يدفع كما يدفع ما فى غيره بأنواع الحيل فقال : « يوما » ، هو من العظمة بحيث

٥ « لا تجزى »[٣] أى [٤]تقضى و تغنى[٤] فيه « نفس »[٤] أى نفس كانت[٤] « عن نفس »

(١) قال الهائمى : « و اتقوا » إذا تركتم البر بأنفسكم اكتفاء بأمره غيركم « يوما لا تجزى نفس » أتت بالبر المأمور فى حق الآمرة به « عن نفس » أى أمرتها بالبر إذا تركته . و قال أبو حيان : « و اتقوا يوما » أمر بالاتقاء وكأنهم لما أمروا بذكر النعم و تفضيلهم ناسب أن من أنعم عليه و فضل يكون محصلا للتقوى فأمروا بالإدامة على التقوى ، أو بتحصيل التقوى إن عرض لهم خلل ؛ وانتصاب يوما إما على الظرف ، و المتقى محذوف تقديره : اتقوا العذاب يوما ، و إما على المفعول به اتساعا ، أو على حذف مضاف أى عذاب يوم أو هول يوم . قال القشيرى : العوام خوفهم بعذابه فقال « و اتقوا يوما » « و اتقوا النار » والخواص خوفهم بصفاته فقال « و قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله » « و ما تكون فى شان » الآية ، و خواص الخواص خوفهم بنفسه فقال « و يحذركم الله نفسه » .

(٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٣) قال البيضاوى : لا تقضى عنها شيئا من الحقوق أو شيئا من الجزاء فيكون نصبه على المصدر ، و قرئ « لا تجزئ » من اجزأ عنه إذا أغنى عنه ، و على هذا تعين أن يكون مصدرا . و إيراده منكرا مع تنكير النفسين للتعميم و الإقناط الكلى ، و الجملة صفة ليوم ، و العائد منها محذوف تقديره : لا تجزى فيه .

(٤ - ٤) ليست فى ظ .

كذلك[1] « شيئا » من الجزاء .

قال الحرالى: و النفس لكل امرئ لزمته نفاسة على غيره، فهؤلاء الذين لا يغنى بعضهم عن بعض بخلاف[2] من آثر غيره و ذهبت نفاسة نفسه، فانه يغنى عمن دونه بالشفاعة و الإحسان فى الدنيا و الآخرة؛ و فيه إعلام بأن ضعة النفس مبدأ التوفيق و نفاستها مبدأ الخذلان ٥ « اذلة على المؤمنين[3] » فذل العبد - بالضم - لله، و ذِله - بالكسر - لعباد الله بشرى فوزه، و اعراضه عن ذكر الله و صعر خده للناس[4] نِذارة[5] هلاكه - انتهى .

[6] و لما كان الإجزاء قد يكون بنفس كون المجزئ موجودا و هو بحيث يخشى أن يسعى فى الفكاك بنوع حيلة فتحرك القلوب لإجابته ١٠ و فك أسيره فيحمل ذلك من أسره على إطلاقه، و قد يحتال بالفعل فى التوصل إلى فكه فى خفية بسرقته أو فتح سجنه أو نحو ذلك، و كانت وجوه الإجزاء المشهورة ثلاثة[7] عطفها على الإجزاء الأعم منها فقال:

---

(١) ليس فى م و ظ .

(٢) فى ظ: و .

(٣) سورة ٥ آية ٥٤ .

(٤) بهامش ظ: ومنه «ولا تصعر خدك للناس» ولكن وقع فيه: ولا تصاعر - كذا.

(٥) من م و مد، و فى الأصل: ندارة، و فى ظ: نذار .

(٦) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٧) قال البيضاوى: و كأنه أريد بالآية نفى أن يدفع العذاب أحد عن أحد من كل وجه محتمل، فانه إما أن يكون قهرا أو غيره فالأول النصرة و الثانى إما =

« ولا يقبل منها »[١] أى النفس الأولى أو[١] الثانيه[٢] « شفاعة » أى لم يؤذن فيها وهى من الشفع وهو إرفاد الطالب بتثنية الرغبة له فيما رغب فيه ليصير كالإمام له فى ٣وجهة حاجته٣ - قاله الحرالى . « ولا يؤخذ منها عدل » تبذله غير الأعمال الصالحة ، وهو ما يعدل الشىء ويكون معه كالعدلين المتكافئ القدر على الحمولة ، فكأن العدل - بالكسر - فى الشىء المحسوس ، والعدل - بالفتح - فى الشىء المعقول ، وكذلك عادة العرب تفرق بين ما فى الحس وما فى المعنى بعلامة إعراب فى ذات نفس الكلمة لا فى آخرها - قاله الحرالى .

[٤]ولما كان عدم النصرة للجمع يستلزم عدمها للفرد بطريق الأولى

= أن يكون مجانا أوغيره والأول أن يشفع له والثانى إما بأداء ما كان عليه وهو أن يجزى عنه أو بغيره وهو أن يعطى عنه عدلا ، والشفاعة من الشفع كان المشفوع له فردا فجعله الشفيع شفعا بضم نفسه إليه ، والعدل الفدية ، وقيل : البدل وأصله التسوية سمى به الفدية لأنها سويت بالمفدى - انتهى . قال أبو حيان : وقد اختلف المفسرون فى فهم هذا على ستة أقوال : الأول أنه لفظ عام لمعنى خاص والمراد الذين قالوا من بنى إسرائيل : نحن أبناء الله وأبناء أنبيائه وأنهم يشفعون لنا عند الله ، فرد عليهم ذلك وأويسوا منه لكفرهم ، وعلى هذا تكون النفس الأولى مؤمنة والثانية كافرة والكافر لا تنفعه شفاعة لقوله تعالى « ما تنفعهم شفاعة الشفعين » والأقوال الخمسة تنظر فى البحر المحيط ١/١٩١ .

(١ - ١) ليست فى ظ ، وفى مد « و » مكان « او » .

(٢) ليس فى ظ .

(٣ - ٣) فى مد : جهة حالته .

(٤) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ .

جمع فقال: «ولا هم ينصرون»[1] أى يتجدد لهم نصر يوما ما بمن ينقذهم قهرا [2] كائنا من كان[2]، والنصر تأييد المقاوم فى الأمر بما هو أقوى من مقاومه وهما طرفان[3] ليصير كالمتقدم له بحكم استقلاله فيما يتوقع عجز المنصور[4] فيه - قاله الحرالى. فانتفى[5] بذلك جميع وجوه الخلاص التى يطمع فيها الظالم فى الدنيا. ٥

(١) قال الخطيب الشربينى: و تذكير الضمير فى «ولاهم ينصرون» مع أن الضمير راجع للنفوس وكان المناسب هن لتأويل النفوس بالأشخاص أو الرجال. وقال القاضى ثناء الله: و الضمير لما دلت عليه النفس الثانية المنكرة الواقعة فى سياق النفى الدالة على العموم والكثرة. أريد بالآية نفى أن يدفع العذاب عن أحد من الكفار أحد بوجه من الوجوه. قال أبو حيان: أتى بالضمير مجموعا على معنى نفس لأنها نكرة فى سياق النفى فتعم كقوله تعالى «فما منكم من احد عنه حجزين» و أتى به مذكرا لأنه أريد بالنفوس الأشخاص كقولهم: ثلاثة أنفس، و جعل حرف النفى منسحبا على جملة اسمية ليكون الضمير مذكورا مرتين فيتأكد ذكر المنفى عنه النصر بذكره مرتين. و فى معنى النصر للمفسرين هنا ثلاثة أقوال: أحدها أن معناها لا يمنعون من عذاب الله، الثانى لا يجدون ناصرا ينصرهم و لا شافعا يشفع لهم، الثالث لا يعاونون على خلاصهم و فكاكهم من موبقات أعمالهم؛ و ثلاثة الأقوال هذه متقاربة المعنى.

(٢ - ٢) ليست فى ظ.

(٣) فى ظ: ظرفان.

(٤) فى م: المقصور.

(٥) فى ظ: الى ما يتقى.

قال الحرالى : و لما كانت أسباب النجاة للمرء بأحد ثلاث[١]: إما شفاعة من فوقه [٢]فى العلم[٢] و[٣] الفضل ، و إما نصرة من فوقه فى الأيد و القوة ، و إما فكاك من يده لنفسه إذ مَنْ هو مثله لايغنى و أحرى من هو دونه ؛ استوفى الخطاب جميع الوجوه الثلاثة ليسد على ذى النفس المستمسك بنفاسته جميع الوجوه الثلاثة من الشفاعة و الفدية و النصرة - انتهى .

و لما تقدم أنه فضلهم و عاهدهم و[٤] أن وفاءه [٥]بعهدهم مشروط بوفائهم بعهده ناسب تقديم الشفاعة[٦] و يأتى إن شاء الله تعالى فى الآية

(١) زيد فى م : ثلاث - مكررا .

(٢-٢) فى ظ : بالعلم .

(٣) فى ظ : او .

(٤) ليس فى م .

(٥) فى م : وفا .

(٦) قال أبو حيان : و ترتيب هذه الجمل فى غاية الفصاحة و هى على حسب الواقع فى الدنيا ، لأن المأخوذ بحق إما أن يؤدى عنه الحق فيخلص أو لا يقضى عنه فيشفع فيه أو لا يشفع فيه فيفدى أو لا يفدى فيتعاون بالإخوان على تخليصه ، فهذه مراتب يتلو بعضها بعضا ؛ فلهذا والله أعلم جاءت مترتبة فى الذكر هكذا ، و لما كان الأمر مختلفا عند الناس فى الشفاعة و الفدية فمن يغلب عليه حب الرئاسة قدم الشفاعة على الفدية ، و من يغلب عليه حب المال قدم الفدية على الشفاعة جاءت هذه الجمل هنا مقدما فيها الشفاعة ، و جاءت الفدية مقدمة على الشفاعة فى جملة أخرى ليدل ذلك على اختلاف الأمرين ، و بدئ هنا بالشفاعة : لأن ذلك أليق بعلو النفس ، و جاء هنا بلفظ القبول وهناك بلفظ النفع إشارة إلى انتفاء أصل الشيء و انتفاء ما يترتب عليه . و بدئ هنا بالقبول لأنه أصل الشيء المترتب =

الثانية مايتم به البيان ، و لما وصف ذلك اليوم بأنه لا ينفع[1] فيه حيلة لذى مَلَكة المتردى[2] بالكبرياء المتجلل بالعظمة ذكرهم بما أنعم عليهم من إنجائه لهم بموسى و هارون عليهما السلام حيث شفعا عند الملك الذى كان استعبدهم و سامهم سوء العذاب ، فلما لم يشفّعهما فيهم قاهراه فانتصرا عليه بأيد مليكهم و استنقذاهم[3] منه بسطوة معبودهم . و قال ٥ الحرالى : و لما استوفى خطاب النداء لهم وجهى التذكير بأصل فضيلة النفس الباطنة بالوفاء و غرض النفس الظاهر فى النعمة و الرئاسة جاء ما بعد ذلك من تفاصيل النعم عطفا من غير تجديد نداء إلى منتهى خاتمة الخطاب معهم حيث ثنى لهم[4] الخطاب الأدنى بالتذكير بالنعمة ختما لمتسق خطابه بما تضمنه تذكيرهم بتكرار قوله : و إذ و إذ ، واحدة بعد أخرى ١٠ إلى جملة منها ، و لما ذكرهم بالنعمة الظاهرة فانتبه من تداركته الهداية[5] و تمادى من استحق العقوبة ذكر[6] أهل الاستحقاق بما عوقبوا به بما يستلزمه

= عليه فأعطى المتقدم ذكر المتقدم وجودا ، و أخر هناك النفع إعطاء للتأخر ذكر المتأخر وجودا ـ انتهى كلامة .

(١) فى مد : تنفع .

(٢) و فى م : المرتدى .

(٣) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : فاستنقداهم ـ كذا بالدال المهملة .

(٤) زيد فى م و مد و ظ : هذا .

(٥) و فى ظ : العناية .

(٦) فى م : ذكره .

معنى النجاة و بما فسره مما أخذوا به على ذنوب تشاكل ما هم عليه فى معاندتهم القرآن ، فحين لم ينفع فيهم التذكيران بالعهد والنعمة هددوا بتقريرهم على مواقع ما أصيبوا به[1] من البلاء من عدوهم لما اقترفوه /٧١/ من ذنوبهم « و لقد جاءكم يوسف من قبل بالبينٰت فما زلتم فى شك ٥ مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا[2] » فكان فى تكذيبهم بالرسالة الأولى و شكهم ما أصابهم من العقوبة من آل فرعون حتى أنقذهم الله بموسى عليه السلام فقال تعالى : « و اذ » أى و اذكروا[3] إذ « نجينٰكم » و هو من التنجية و هى تكرار النجاة ، و النجاة معناه رفع على النجوة و هو المرتفع من الأرض الذى هو مخلص مما ١٠ ينال من فى الوهاد و خبت[4] الأرض من هلاك بسيل ماء و نحوه « من

(١) ليس فى ظ .

(٢) سورة ٤٠ آية ٣٤ .

(٣) قال المهائمى : « و » اذكروا من جملة تلك النعم « اذ نجينٰكم » أى وقت إنجائنا إياكم « من » أشد عذاب و « آل » أى أهل « فرعون » هو لقب من ملك العمالقة ككسرى و قيصر و النجاشى لمن ملك الفرس . و قال البيضاوى : تفصيل لما أجمله فى قوله « اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم » و عطف على « نعمتى » عطف جبرئيل و ميكائيل على الملائكة ؛ و أصل آل أهل لأن تصغيره أهيل ، و خص بالإضافة إلى أولى الخطر كالأنبياء والملوك ؛ و لعتوهم اشتق منه : تفرعن الرجل ، إذا عتا .

(٤) فى م : خبث .

"ال» آل[1] الرجل من [2]تبدو فيهم[2] أحواله و أعماله و أفعاله حتى كأنهم هو فى غيبه[3] من معنى الآل الذى هو السراب الذى يظهر فيه ما بعد و يتراءى ما لم يكن يرى لو لاه ، «فرعون» اسم ملك مصر فى الجاهلية ، علم جنس لملوكها بمنزلة أسماء الأجناس فى[3] الحيوان و غيره - انتهى .

[و المراد بالآل فرعون و أتباعه[4] فان الآل[5] يطلق على الشخص نفسه و على أهله و أتباعه و أوليائه - قاله فى القاموس ؛ قال : و لا يستعمل إلا فيما فيه شرف غالبا -[6]] ثم بين ما أنجاهم منه بقوله «يسومونكم سوء

(١) فى مد : اى .

(٢-٢) من مد و ظ و م ، غير أن فيها : تبدوا - كذا ؛ و فى الأصل : تبدونهم .

(٣) فى مد : من .

(٤) قال أبو حيان : و آل فرعون هنا أهل مصر - قاله مقاتل ، أو أهل بيته خاصة - قاله أبو عبيد ، أو أتباعه على ذنبه - قاله الزجاج ، ومنه «و اغرقنا ال فرعون» و هم أتباعه على ذنبه . قال السهيلى : فرعون اسم لكل من ملك القبط و مصر و اسمه الوليد بن مصعب ، السوم بمعنى التكليف او الإبلاء - و ذكر فيه أقوال المفسرين ؛ و سوء العذاب الأعمال القذرة - قاله السدى ، أو الحرث و الزراعة و البناء و غير ذلك - قاله بعضهم . «يذبحون» قراءة الجمهور بالتشديد و هو أولى لظهور تكرار الفعل باعتبار متعلقاته ، و فى سبب الذبح و الاستحياء أقوال و حكايات مختلفة الله أعلم بصحتها و معظمها يدل على خوف فرعون من ذهاب ملكه على يد مولود من بنى إسرائيل .

(٥) فى م : الأول - كذا .

(٦) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد ، و ليست فى ظ ، و فى الأصل بالهامش و لا تتضح .

العذاب » سماه بذلك لأنه أشد البلاء على النفس لما فيه من استحقارها ، من السوم و هو تعذيب بتهاون بالمعذب ، و السوم ما يشتد ، تنكر النفس له و تكرهها ؛ ثم فسر هذا بقوله « يذبحون » من التذبيح و هو تكرار الذبح ، و الذبح قطع بالغ فى العنق ـ قاله الحرالى .

٥ [١] و لما كان كل من ذبح الابن و حياة المرأة بغير رجل أفحش و كانت البنت اذا بقيت صارت امرأة عبر بالأبناء و النساء فقال « ابناءكم » أى سوقا لكم مساق البهائم « و يستحيون »[٢] قال الحرالى : من الاستحياء و هو استبقاء الحياة « نساءكم » من معنى الاتخاذ للتأهل الملابس فى معنى ما جرى منه اشتقاق الإنس و الإنسان و النسوة باشتراكها[٣] فى أحد ١٠ الحروف الثلاثة من الهمزة أو الواو أو الياء مع اجتماعها[٤] فى النون و السين ـ انتهى . ثم نبههم على ما فيه من العظم بقوله و « فى ذلكم »[٥] فأشار

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

(٢) معنى « يستحيون » يتركون بناتكم أحياء للخدمة أو يفتشون أرحام نسائكم ، و قد قيل إن الاستحياء هنا من الحياء الذى هو ضد القحة و معناه أنهم يأتون النساء من الأعمال بما يلحقهم منه الحياء ـ البحر المحيط ١ / ١٩٤ .

(٣) فى ظ : باشتراكهما .

(٤) فى ظ : اجتماعهما .

(٥) هو إشارة إلى ذبح الأبناء واستحياء النساء ، والمراد بالبلاء الشدة و المكروه ، و قيل يعود إلى معنى الجملة من قوله « يسومونكم » مع ما بعده فيكون معنى البلاء ما تقدم ، و قيل يعود على التنجية و هو المصدر المفهوم من قوله « نجيناكم » فيكون البلاء هنا النعمة و يكون « ذلكم » قد أشير به إلى أبعد مذكور ، =

بأداة البعد مقرونة بالميم «بلاء» أى اختبار «من ربكم» أى المحسن إليكم فى حالى الشدة و الرخاء «عظيم» قال الحرالى : البلاء الاختبار و هو إبداء خبرة الشىء بشدة و محنة ، و فيه إشعار باستحقاقهم ذلك و استصلاحهم بشدته دون ما هو أيسر منه ، و ذكره بالعظم لشياعه فى الأجسام و الأنفس و الأرواح ، و ذكر معنى النجاة ثم فصله تفصيلا ٥ لكيفيته بعد ذلك تعدادا لنعمة النجاة التى هى تلو رحمة الإنعام التى هى تلو رفعة التقدم بالعهد ؛ فانتهى الخطاب نهايته فى المعنى يعنى فلما قررهم تعالى على ما اقترفوه قبل موسى عليه السلام حين أصابهم من آل فرعون ما أصابهم استجدّ لهم تذكيرا بنعمة نجاة من عقوبة متقدم أعمالهم - انتهى . ١٠

٣ و لما كان ما فعل بهم فى البحر إهلاكا للرجال و إبقاء للنساء

= «من ربكم عظيم» دليل على أن الخير و الشر من الله تعالى بمعنى أنه خالقهما، و وصفه بعظيم ظاهر، و كونه عظيما هو بالنسبة للخاطب و السامع لا بالنسبة إلى الله لأنه يستحيل عليه اتصافه بالاستعظام .

(١) فى ظ : هو .

(٢) قال القشيرى من صبر فى الله على بلاء الله عوضه الله صحبة أوليائه . هؤلاء بنو إسرائيل صبروا على مقاساة الضر من فرعون و قومه فجعل منهم أنبياء و جعل منهم ملوكا و آتاهم ما لم يؤت احدا من العالمين - انتهى . و لم تزل النعم تمحو آثار النقم - من البحر المحيط ١/١٩٤ .

(٣) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ .

طبق ما فعلوا ببنى إسرائيل عقبه به فقال «و اذ» أى و اذكروا إذ «فرقنا»[1] من الفرق و هو إفراج الواحد لحكمة إظهار التقابل - قاله الحرالى . [2]فصارت لكم مسالك على عدد أسباطكم[2] «بكم» أى بسببكم عقب إخراجنا لكم من أسر القبط «البحر» . قال الحرالى : هو المتسع الرحب البراح[3] مما هو ظاهر كالماء ، و مما هو باطن كالعلم الذى منه الحبر ، تشاركا بحروف الاشتقاق فى المعنى . «فانجيناكم» من الإنجاء و هو الإسراع فى الرفعة عن الهلاك إلى نجوة الفوز - انتهى . و من عجائب ذلك أنه كما كان الإنجاء منه كان به . قال الحرالى : و جعل البحر مفروقا بهم كأنهم

(١) فلقناه و فصلنا بين بعضه و بعض حتى حصلت فيه مسالك لسلوككم فيه أو بسبب إنجائكم أو ملتبسا بكم كقوله شعر :

تدوس بنا الجماجم و التريبا

و قرئ فرّقنا على بناء التكثير لأن المسالك كانت اثنى عشر بعدد الأسباط - تفسير البيضاوى ص ٥٤ . و قال المهائمى «و» اذكروا المعرفة عظم نعمة التنجية حتى أفردت بالذكر بعد التعميم «و اذ فرقنا» أى فصلنا «بكم» أى بسبب وصولكم .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) البراح المتسع من الأرض لا زرع بها و لاشجر ، أو الأرض التى لا بناء فيها و لا عمران - قطر المحيط ١/٨٨ . و قال أبو حيان : البحر مكان مطمئن من الأرض يجمع المياه ، و أصله قيل الشق ، و قيل السعة ، فمن الأول البحيرة و هى التى شقت أذنها ، ومن الثانى البحيرة المدينة المتسعة ؛ البحر قيل بحر القلزم من بحار فارس و كان بين طرفيه أربعة فراسخ ، و قيل بحر من بحار مصر يقال له اساف و يعرف الآن ببحر القلزم ، قيل و هو الصحيح .

سبب فرقة ، فكأن نجاتهم هى السبب و ضرب موسى [١] عليه السلام [١] بالعصاة [٢] هى الأمارة و العلامة التى انفلق البحر عندها بسببهم ، و جعل النجاة من بلاء فرعون تنجية لما كان على تدريج ، و جعل النجاة من البحر إنجاء لما كان وحيا فى سرعة وقت - انتهى . « و اغرقنا آل فرعون » فيه و به « و انتم تنظرون » إسراعه إليهم فى انطباقه عليهم ، و هذا مثل ٥ ما خاض العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه البحر الملح فى ناحية البحرين أو انحسر له على اختلاف الروايتين ، و مثل ما قطع سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الدجلة فى و قائع الفُرس عوما [٣] بالخيول بجميع عساكره وكانوا زيادة على ثلاثين ألفا لم يُفقد منهم أحد ، وكان الفرس [٤] إذا تعب و ثب [٥] فصار واقفا على ظهر الماء كأنه على صخر ، فاذا استراح عام . ١٠ قال الحرالى : « و اغرقنا » من الغرق و هو البلاغ فى الشىء إلى غايته بحسبه ، فان كان فى الهلاك فهو غاية و ظهر معناه فى الماء و البحر ليُعد قعره ، و هو فى الماء بمنزلة الخسف فى الأرض ؛ و النظر التحديق للصورة من غير تحقق و لا بصر - انتهى . فذكرهم [٦] سبحانه بنعمة الإنجاء منه

(١-١) زيد من م .

(٢) العصاة : العصا ، عراقية - تطر المحيط ١٣٧٨ ؛ و فى ظ : العصا ، و فى م : العصى .

(٣) فى م : غوصا .

(٤) فى م : الفارس .

(٥) فى ظ : و تب - كذا .

(٦) قال أبو حيان : و ناسب نجاتهم من فرعون بالقائهم فى البحر و خروجهم =

بالرحيل عنه أولا ، ثم باغراقه الذى هو أكبر من ذلك ثانيا بما كان بعينه سبب سلامتهم و استمر يذكرهم بما تابع لهم من النعم حيث كانوا يستحقون النقم . قال الحرالى : و قررهم على نظرهم إليهم ، و فيه إشعار بفقد بصرهم لضعف بصائرهم من حيث لم يقل : و أنتم تبصرون ، و لذلك عادوا بعدها إلى أمثال ما كانوا فيه من الشك و الإباء على أنبيائهم بعد ذلك - انتهى .

و لما كان[1] فرق البحر للابقاء البدنى و كان إنزال الكتاب للابقاء الدينى عقبه به و كان الطبع السليم و المزاج المستقيم يقتضى إحسان العمل

= منه سالمين نجاة نبيهم موسى على نبينا وعليه السلام من الذبح بالقائه وهو طفل فى البحر و خروجه منه سالما ، و لكل أمة نصيب من نبيها ، و ناسب هلاك فرعون و قومه بالغرق هلاك بنى إسرائيل على أيديهم بالذبح ، لأن الذبح فيه تعجيل الموت بانهار الدم ، والغرق فيه إبطاء الموت و لا دم خارج ، وكان ما به الحياة « وجعلنا من الماء كل شىء حى » سببا لإعدامهم من الوجود ، و لما كان الغرق من أعسر الموتات و أعظمها شدة جعله الله تعالى نكالا لمن ادعى الربوبية فقال « انا ربكم الاعلى » اذ على قدر الذنب يكون العقاب ، و يناسب دعوى الربوبية و الاعتلاء انحطاط المدعى و تغييبه فى قعر الماء ؛ « و انتم تنظرون » جملة حالية ، و هو من النظر بمعنى الإبصار ، و المعنى و الله أعلم أن هذه الخوارق العظيمة من فرق البحر بكم و إنجائكم من الغرق و من أعدائكم و إهلاك أعدائكم بالغرق وقع و أنتم تعاينون ذلك و تشاهدونه و لم يصل ذلك إليكم بنقل بل بالمشاهدة التى توجب العلم الضرورى بأن ذلك خارق من عند الله تعالى على يد النبى الذى جاءكم - و التفصيل فى البحر المحيط ١٩٨/١ .

(١) العبارة من هنا إلى « عقبه به » ليست فى ظ

زمن[1] المواعدة و استعطاف المواعد و الترفق له و التملق[2] بما تحقق الرجاء
في إنجاز/ وعده لا سيما بعد بليغ إحسانه بالإنجاء من العدو و إهلاكه نعى /٧٢
عليهم عملهم بخلاف ذلك بقوله[3] «و اذ». و[4] قال الحرالى: لما ذكرهم
تعالى بأمر الوفاء بالعهد الذى هو خاتمة أمرهم و بالتفضيل الذى كان بادية
أمرهم نظم ذلك بالأمر المتوسط بين الطرفين الذى أعلاه مواعدة موسى ٥
[5]عليه السلام[5] ربه الذى النعمة عليه نعمة عليهم فقال: و إذ «وعدنا»[6] من

(١) في م: من.

(٢) في ظ: القلق.

(٣) قال البيضاوى: و اعلم أن هذه الواقعة من أعظم ما أنعم الله به على بنى إسرائيل و من الآيات الملجئة إلى العلم بوجود الصانع الحكيم و تصديق موسى عليه السلام، ثم إنهم اتخذوا العجل و قالوا «لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة» و نحو ذلك، فهم بمعزل في الفطنة و الذكاء و سلامة النفس و حسن الاتباع عن أمة محمد صلى الله عليه و سلم فانهم اتبعوا مع أن ما تواتر من معجزاته أمور نظرية دقيقة يدركها الأذكياء و إخباره عليه السلام عنها من جملة معجزاته على ما مر تقريره.

(٤) ليس في م.

(٥ - ٥) زيد من م.

(٦) لما عادوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله تعالى موسى أن يعطيه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة و عبر عنها بالليالى لأنها غرر الشهور - انتهى. وقال أبو حيان: قرأ الجمهور «وعدنا» و قرأ أبو عمر «وعدنا» بغير ألف هنا و في الأعراف و طه، و يحتمل وعدنا أن يكون بمعنى وعدنا و يكون صدر من واحد، و يحتمل أن يكون من اثنين على أصل المفاعلة، فيكون الله قد وعد موسى الوحى و يكون موسى وعد الله المجيء للميقات، أو يكون الوعد =

الوعد و هو النرجية بالخير ، و وعدنا من المواعدة و هى التقدم فى اللقاء و الاجتماع و المفاوضة و نحوه « موسى » كلمة معربة من لفظ العبرانى بما تفسيره فيما يقال ماء و شجر ، سمى[1] به لما أودع فيه من التابوت المقذوف فى اليم « اربعين ليلة » هى كمال وقت الليل و الليل وقت انطماس المدركات الظاهرة ـ انتهى . [2]و خص الليل[3] بالذكر إشارة إلى أن ألذ المناجاة فيه و إلى أنه لا نوم فى تلك المدة بل المناجاة عامة لليلها و نهارها ، و انتصب أربعين بوقوعه موقع المفعول الثانى لوعدنا أى انقضاء أربعين أى الكلام أو إنزال التوراة عند انقضاء الأربعين[4] و هى ذو القعدة و عشر من ذى الحجة و قيل ذو الحجة و عشر من المحرم . قال الحرالى : و فيه إشعار بأن المناجاة إنما يتهيأ لها لميقات حبس النفس عما به قوامها و كمال ذلك إنما

= من الله و قبوله كان من موسى و قبول الوعد يشبه الوعد .

(١) اسم أعجمى لا ينصرف للعجمة و العلمية ، يقال هو مركب من مو و هو الماء وشا و هو الشجر ، فلما عرب أبدلوا شينه سينا ، و إذا كان أعجميا فلا يدخله اشتقاق عربى ؛ هو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن ـ البحر المحيط .

(٢) العبارة من هنا إلى « و نهارها » ليست فى ظ .

(٣) و كان تفسير الأربعين بليلة دون يوم لأن أول الشهر ليلة الهلال و لهذا أرخ بالليالى ، و اعتماد العرب على الأهلة فصارت الأيام تبعا لليالى ، أو لأن الظلمة أقدم من الضوء بدليل « و آية لهم الليل نسلخ منه النهار » البحر المحيط ١/٢٠٠ .

(٤) العبارة من هنا إلى « المحرم » ليست فى ظ .

هو الصوم و كمال العدد الذى هو طور[1] مصير من حال إلى حال هو الأربعون ، و ذكر الميقات بالليالى يشعر أن مناجاته صباح من[2] ظلمة الكون فى حال خصوص الخلقة من حيث أن الظلمة آية على فوت مرام نور الحق و النهار آية على ظهور نور الحق و أول بادٍ بدأ من الحق للخلق كلامه لمصطفى من خلقه بغير واسطة و هو بعد فى دنياه و فى أرضه التى كانت ٥ سجنا ، فلما جاءها الحق لعبد من عبيده[3] مناجيا له كما يأتيها يوم الجزاء بعد البعث صارت موطن رحمة و هدى و نور و هو مجىء الله سبحانه من سيناء المذكور فى الكتاب الأول ـ انتهى . و هذا دون قصة المعراج التى كانت لنبينا صلى الله عليه و سلم فى اختراق السماوات العلى إلى سدرة المنتهى إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى و سمع الكلام من غير واسطة و رجع ١٠ إلى بيته فى ليلته و قد قطع من المسافات ما مسيرته خمسون ألف سنة كما سأبينه إن شاء الله تعالى فى سورة السجدة .

و لما كانت الأنفس الأبيّة و الهمم العلية تقتضى النفرة من الظالم[4] و الأنفة من كل ما ينسب إليه و يذكّر به و كانوا قد اتخذوا من آثار آل فرعون من حليهم ما دخلوا فى رقه و عبوديته و كانت مشاهدتهم ١٥ لما رأوا من الآيات مقتضية لغاية البعد من الكفر عبر عن مواقعتهم له

(١) فى ظ : ظهور .

(٢) فى ظ : به .

(٣) فى ظ : عباده .

(٤) فى ظ : المظالم .

بثم فقال « ثم اتخذتم » قال الحرالى: من الاتخاذ و هو افتعال مما منه المواخذة كأنه الوخذ ، و هو تصيير فى المعنى نحو الأخذ فى الحس ، و فيه تكلف؛ « العجل » و ذكر فى هذا التقرير أصل المواعدة و ذكر الميقات و تجاوز الخطاب ما بعد ذلك (من مهل) حسب ما تفهمه كلمة ثم ، فاقتضى إفهام ذلك ما نالوه من الخير ثم تعقبوا ذلك بالتزام عادتهم فى معاودة ما اعتادوه من أعمالهم إلى أدنى عمل من لا عقل له (٢) و لا بقية نظر له من اتخاذ جسد عجل الها بعد معرفة آثار الإلهية على الغيب ، ففيه تعجيب من أن موسى (٣عليه السلام٣) إنما واعده الله بالمناجاة بعد ميقات أربعين صوما و نسكا و تحنثا (٤) و انقطاعا إلى ربه ثم يرونهم أنهم شهدوا الإله (٥) مصورا محسوسا على أن موسى الذى ناجاه ربه منع الرؤية فكيف

(١ - ١) ليس فى ظ .

(٢) ليس فى م و مد و ظ .

(٣ - ٣) زيد من م و مد .

(٤) فى م : تحننا .

(٥) فى التفسير المظهرى : لما عادوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وعد الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى : إنى ذاهب إلى ربى ، و واعدهم أربعين ليلة و استخلف هارون و جاء جبرئيل على فرس الحياة لا يصيب شيئا إلا أحياه ليذهب بموسى إلى ربه ، فلما رأى السامرى موضع الفرس يخضر و كان رجلا صائغا من أهل باجرمى و قيل من أهل كرمان و كان منافقا أظهر الإسلام و كان من قوم يعبدون البقر أخذ من تربة حافر فرس جبرئيل و كان بنو إسرائيل استعاروا حليا كثيرة من قوم فرعون حين أرادوا الخروج من مصر لعلة =

بهم[١] ! و ذلك هو ظلمهم ، فوضعوا الإله محل الشيء المحسوس و هو تعالى قد تعالى عن أن يراه صفيه الذى ناجاه فى دنياه و إنما ناجاه بعد ميقاته ، و هم يهمون فى تألّه مرئىّ من غير مواعدة و لا اختصاص ! و فى قوله تعالى «من بعده» أى من بعد إتيانه لميعادنا[٢] إضمار لذكر[٣] موسى عليه السلام تقريرا لما كان ينبغى أن يكونوا عليه من الارتقاب لما يأتيهم به موسى[٤] ٥

= عرس لهم فأهلك الله فرعون و بقيت الحلى عندهم ، فلما فصل موسى قال السامرى : إن الحلى التى استعرتم من قوم فرعون غنيمة لا تحل لكم فاحفروا حفرة و ادفنوا فيها حتى يرجع موسى فيرى فيها رأيه ، فأخذ السامرى و صاغها عجلا فى ثلاثة أيام وألقى فيها القبضة التى أخذها من تراب حافر فرس جبرئيل ، فخرجت عجلا مرصعا بالجواهر يخور خورة و يمشى ، فقال السامرى : هذا إلهكم و إله موسى فنسى ، وكان موسى وعد لهم ثلاثين ليلة ، ثم زيدت العشرة ، و فيها فتنهم و أضلهم السامرى فعبدوا العجل - كذا روى الخطيب الشربينى و أشار أبو حيان إلى هذه القصة .

(١) ليس فى م .

(٢) قال الهائمى : أى من بعد خروج موسى الزاجر عن عبادة فرعون والأوثان « وانتم ظلمون » مثل ظلم آل فرعون بل أشد ، لأنه بعد الإيمان . وقال أبو حيان : قيل بوضع العبادة فى غير موضعها ، وقيل بتعاطى أسباب هلاكها ، و قيل برضاكم فعل السامرى فى اتخاذه العجل و لم تنكروا عليه . و قال : و من أغرب ما ذهب إليه فى هذا العجل أنه سمى عجلا لأنهم عجلوا به قبل قدوم موسى فاتخذوه إلها - قاله أبو العالية ، أو سمى هذا عجلا لقصر مدته - انتهى .

(٣) فى م : لذكرى .

(٤) زيد فى م : عليه السلام .

من فوائد المناجاة ، كما يكون من تعلق قلبه بمن هو قدوته[1] ؛ و البعد بعد عن حد يتخذ[2] مبدأ ليكون سابقه قبل و لاحقه بعد[3] - انتهى .

[4]و إثبات الجار لأن اتخاذهم ذلك لم يستغرق زمان البعد[4] «و انتم ظلمون[5]» فاعلون فعل من هو فى أظلم الظلام بعد أن جاءكم موسى[5] بالنور المبين .

٥ و لما كان ذلك مقتضيا لأعظم السخط المقتضى من القادر للعاجلة بالأخذ ذكرهم نعمة الإمهال بعده فقال مشيرا إلى عظم الذنب و النعمة بأداة التراخى : «ثم عفونا» . و قال[6] الحرالى : ثم تجاوز الخطاب ما أصابهم من العقوبة على اتخاذهم إلى ذكر العفو[7] تقريرا[8] على تكرر

(١) فى م : قدرته .

(٢) فى ظ : تتخذ .

(٣) فى م : بعده .

(٤-٤) ليست فى ظ .

(٥) زيد فى م : عليه السلام .

(٦) و قال أبو حيان : و قال قوم : لا يستعمل العفو بمعنى الصفح إلا فى الذنب ، فان كان العفو هنا بمعنى الترك و التسهيل فيكون «عنكم» عام اللفظ خاص المعنى ، لأن العفو إنما كان عمن بقى منهم ، و إن كان بمعنى المحو كان عاما لفظا و معنى ، فانه تعالى تاب على من قتل و على من بقى ، قال تعالى : «فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم» و روى أن الله أوحى إلى موسى بعد قتلهم أنفسهم أنى قبلت توبتهم ، فمن قتل فهو شهيد ، و من لم يقتل فقد تبت عليه و غفرت له .

(٧) العبارة من هنا إلى «باسم العفو» ليست فى ظ .

(٨) فى مد : تقريرا .

تلافيهم

تلافيهم[1] حالا بعد حال وقتا بعد وقت ، كلما أحدثوا خطيئة تداركهم منه عفو ، و خصه باسم العفو لما ذكر ذنوبهم ، لأن المغفور له لا يذكر ذنبه ، فان العفو رفع العقوبة دون رفع ذكرها ، و الغفر إماتة ذكر الذنب مع رفع العقوبة - انتهى . « عنكم »[2] و لم نعاجلكم بالأخذ ، و فى قوله تعالى « من بعد ذلك » أى الذنب العظيم إشعار بما أصابهم من العقوبة و خطاب لبقية المعفو عنهم ، لينتهى الأمر فيهم إلى غاية يترجى معها لبقيتهم الشكر - قاله الحرالى .[3] و كان الإشعار من جهة إدخال ٧٣/ 'من' على الظرفية[4] ، فاقتضى مهلة بين العفو و الذنب لم يشملها العفو بل كان فيها عقوبة ، كما اقتضى قوله : من بعده ، مهلة بين اتخاذهم العجل و أول ذهاب موسى عليه السلام للمناجاة ؛ و يجوز أن يكون أفرد حرف الخطاب إشارة إلى أنه لا يعلم جميع ما فى دينهم من الشناعة إلا إمام أهل التوحيد النبى صلى الله عليه و سلم « لعلكم تشكرون »[5] أى

(١) فى م و مد : تلاقيهم .

(٢) زيد فى مد : أى .

(٣) العبارة من هنا إلى « النبى صلى الله عليه و سلم » ليست فى ظ .

(٤) فى م و مد : الظرف .

(٥) تثنون عليه تعالى باسدائه نعمه إليكم و تظهرون النعمة بالثناء ، و قالوا : الشكر باللسان و هو الحديث بنعمة المنعم و الثناء عليه بذلك ، و بالقلب و هو اعتقاد حق المنعم على المنعم عليه ، و بالعمل « اعملوا آل داود شكرا » ؛ و معنى « لعلكم تشكرون » أى عفو الله عنكم ، لأن العفو يقتضى الشكر - قاله الجمهور . و ذكر أبو حيان أقوالا - إلى أن قال : قال القشيرى : سرعة العفو عن عظيم =

ليكون[1] حالكم حال من يتوقع منه الشكر .

قال الحرالى : و هو ظهور بركة الباطن على الظاهر ، يقال : دابة شكور ، إذا أنجح مأكلها بظهور سمنها ؛ و فيه إشعار بأن منهم من يشكر و فيهم[2] من يتمادى بما فى ترجى كلمة [3]لعل[3] من الإبهام المشعر بالقسمين و المهيئ لإمكان ظهور الفريقين حتى يظهر ذلك لميقاته ، لأن كل ما كان فى حق الخلق ترددا فهو من الله سبحانه إبهام لمعلومه فيهم ؛ على ذلك تجرى كلمة لعل [4]و عسى[4] و نحوها ـ انتهى .

= الجرم دالة على حقارة المعفو عنه ، يشهد لذلك « من يات منكن بفاحشة مبينة يضعف لها العذاب ضعفين » و هؤلاء بنو إسرائيل عبدوا العجل فقال تعالى « ثم عفونا عنكم من بعد ذلك » ، و قال لهذه الأمة : « و من يعمل مثقال ذرة شرا يره » انتهى كلامه . و ناسب ترجى الشكر إثر ذلك العفو لأن العفو عن مثل هذه الزلة العظيمة التى هى اتخاذ العجل إلها هو من أعظم إسداء النعم ، فلذلك قال « لعلكم تشكرون » البحر المحيط ١ /٢٠٢ . و فى التفسير المظهرى : قال البغوى : حكى عن موسى قال : إلهى ! أنعمت علىّ النعم السوابغ و أمرتنى بالشكر و إنما شكرى إياك نعمة منك ، قال الله تعالى : يا موسى ! تعلمت العلم الذى لا يفوته علم ، حسبى من عبدى أن يعلم أن ما به من نعمة فهو منى . و قال داود : سبحان من جعل اعتراف العبد بالعجز عن شكره شكرا كما جعل اعترافه بالعجز عن معرفته معرفة ـ انتهى كلامه .

(١) فى م : لتكون .

(٢) فى م : منهم .

(٣ـ٣) ليس فى ظ .

و لما كان فى ذلك دليل على سوء طباعهم و عكس مزاجهم و أنهم لا يحفظون عهدا و لا يستقيمون على نهج ذكرهم بنعمة الكتاب الذى[1] من شأنه الضبط فى جميع الأحوال بالرجوع إليه عند الضلال فقال . و قال الحرالى : لما ذكر تعالى أمر موسى عليه السلام و هو خاص أمرهم فصل لهم أمر ما جاء به موسى[2] و ما كان منهم فيما جاء به - انتهى. فقال « و اذ ٥ آتينا » أى بما لنا من العظمة « موسى الكتب » أى الكامل فى نفسه الجامع لكم على طريق الحق . ٣و لما كان الكتاب مع كونه جامعا لما أريد منه فارقا بين الملبسات وصفه بقوله٣ « و الفرقان » أى[4] المبين للأشياء على ما هى عليه من غير أن يدع فى شىء لبسا[5] . قال الحرالى : فقررهم على أمرين من الكتاب الذى فيه أحكام الأعمال و الفرقان الذى فيه أمر ١٠ العلم و هما مِلاك حال[6] إقامة الدين بالعلم و العمل ؛ و 'الفرقان' فُعلان

(١) فى ظ : التى .

(٢) زيد فى م و مد : عليه السلام .

(٣-٣) ليست فى ظ .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) قال أبو حيان : 'الكتب' هو التوراة باجماع المفسرين ، و 'الفرقان' هو التوراة ، و معناه أنه آتاه جامعا بين كونه كتابا و فرقانا بين الحق و الباطل . و ذكر فى تفسير الفرقان اثنتى عشرة مقالة للمفسرين . و قال المهائمى : « و » اذكروا « اذ آتينا الكتب » الجامع لقواعد الشرع ليقوم به الشاكرون « و الفرقان » أى الفرق بين الحق و المبطل « لعلكم تهتدون » لما هو شكر الحق و المبطل - انتهى .

(٦) فى ظ : حاله .

لفظ مبالغة يفهم استغراقا و امتلاء و عظما فيما استعمل فيه و [1]هو فى هذا اللفظ[1] من الفرق و هو إظهار ما ألبسته الحكمة الظاهرة [2]للأعين بالتبيان[2] لفرقان لبسه بما[3] تسمعه الأذن ، و جاء فيه بكلمة [4]لعل[4] إشعارا[4] بالإبهام فى أمرهم و تفرقتهم بين مثبت لحكم الكتاب عامل به عالم بطية الفرقان خبير به و بين تارك لحكم الكتاب غافل عن علم الفرقان - انتهى . فقال تعالى «لعلكم تهتدون» أى ليكون[5] حالكم حال من ترجى[6] هدايته فيغلب حلمه جهله و عقله شهوته ، و لهذا الختم تلاه بما هداهم به بما ألزمهم من

(١-١) فى ظ : هو .

(٢-٢) فى ظ : بالاعين للتبيان .

(٣) فى ظ : ما .

(٤) من م ومد ، و فى الأصل وظ : اشعار .

(٥) فى مد : لتكون .

(٦) ترجية لهدايتهم ، تقرر فى النحو أنه إن كان متعلق لعل محبوبا كانت للترجى ، فان كان محذورا كانت للتوقع كقولك : لعل العدو يقدم ، و الشكر و الهداية من المحبوبات ، فينبغى أن لا يعبر عن معنى لعل إلا بالترجى . قال القشيرى : فرقان هذه الأمة الذى اختصوا به نور فى قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل- استفت قلبك ، اتقوا فراسة المؤمن ، المؤمن ينظر بنور الله « ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » و ذلك الفرقان ما قدموه من الإحسان - انتهى كلامه . و ناسب ترجى الهداية إثر ذكر إتيان موسى الكتاب والفرقان ، لأن الكتاب به تحصل الهداية « انا انزلنا التوراة فيها هدى و نور » « ذلك الكتب لاريب فيه هدى » « و اتينه الانجيل فيه هدى و نور » من البحر المحيط لأبى حيان ١/٢٠٣ .

النقمة الزاجرة عن مثل ذلك من قتل الأنفس فقال[1] : « و اذ » .

قال الحرالى : لما تكمل إقبال الخطاب عليهم مرات بما تقدم من ندائهم و العطف على ما فى صلته صرف الحق وجه الخطاب عنهم إلى ذكر خطاب نبيه صلى الله عليه و سلم لهم ، فان الله يخاطب العباد باسقاط الواسطة بينه و بينهم ترفيعا لأقدارهم لديه ، فيرفع من شاء فيجيبه بما شاء ، ٥ و يوقف من شاء فيجعل بينه و بينه[2] فى الخطاب واسطة من نبيه ، فلما قررهم بما مضى من التذكير[3] على ما واجههم به الحق تعالى ذكر فى هذه الآية تقريرهم على ما خاطبهم به نبيهم[4] حين أعرض الحق عن خطابهم

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى م : بينهم .

(٣) قال أبو حيان الأندلسى : و جاء ترتيب هذه النعم متناسقا يأخذ بعضه بعنق بعض ، وهو ترتيب زمانى و هو أحد الترتيبات الخمس التى مر ذكرها فى هذا الكتاب (البحر المحيط) ، لأن التفضيل أمر حكمى فهو أول ، ثم وقعت النعم بعده و هى أفعال يتلو بعضها بعضا ، فأولها الإنجاء من سوء العذاب ذبح الأبناء و استحياء النساء باخراج موسى إياهم من مصر بحيث لم يكن لفرعون و لا لقومه عليهم تسليط بعد هذا الخروج و الإنجاء ، ثم فرق البحر بهم و إرائهم عيانا هذا الخارق العظيم ، ثم وعد الله لموسى بمناجاته وذهابه إلى ذلك ، ثم اتخاذهم العجل ثم العفو عنهم ، ثم إيتاء موسى التوراة ؛ فانظر إلى حسن هذه الفصول التى انتظمت انتظام الدر فى أسلاكها و الزهر فى أفلاكها ، كل فصل منها قد ختم بمناسبة و ارتقى فى ذروة الفصاحة إلى أعلى مناصبه وارد ا من الله على لسان محمد أمينه لسان من لم يتل قبل كتابا و لا خطه بيمينه ـ انتهى .

(٤) زيد فى م : صلى الله عليه و سلم .

بما أصابوه من قبيح خطيئتهم - انتهى . فقال « و اذ قال موسى لقومه »[1] العابد للعجل و الساكت عنه ، و القوم قال الحرالى اسم من لهم منة فى القيام بما هم مذكورون به ، و لذلك يقابل بلفظ النساء[2] لضعفهن فيما يحاولنه ؛ و فيه تخويف لهذه الأمة أن يصيبهم مثل ما أصابهم فى خطاب ٥ ربهم فيعرض عنهم - انتهى . « يقوم » و أكد لعراقتهم فى الجهل بعظيم ما ارتكبوه و تهاونهم به لما أشربوا فى قلوبهم من الهوى فقال[3] « انكم ظلمتم انفسكم » ظلما يستحقون به العقوبة « باتخاذكم العجل » أى الها من دون الله ، فجعلتم أنفسكم متذللة لمن لا يملك لها شيئا و لمن هى أشرف منه ، فأنزلتموها من رتبة عزها[4] بخضوعها لمولاها الذى لا يذل من ١٠ والاه و لا يعز من عاداه إلى ذلها بخضوعها لمن هو دونكم أنتم ، هذا هو أسوأ الظلم ، فان المرء لا يصلح أن يتذلل و يتعبد لمثله فكيف

(١) قال المهائمى : « و » من تلك الهداية التوبة ، فهذه التوبة من شكر المحق ، لأنه عرف قدر نعمتها حتى آثرها على الحياة الدنيا بقتل الأنفس حدا على اتخاذ العجل ، فاذكروا « اذ قال موسى لقومه » من إفراط شفقته عليهم : « يقوم » إن من شفقتى عليكم أن أخلصكم من عقوبة ظلمكم « انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل » الذى هو أبعد من فرعون عن الإلهية .

(٢) بهامش الأصل : قوله و لذلك تقابل بلفظ النساء إشارة إلى قوله أن عرا قوم الحصن أمر نساء .

(٣) ليس فى م و ظ .

(٤) زيد فى م : اليه .

لمن[1] دونه من حيوان! فكيف بما يشبه بالحيوان من جماد الذهب الذى هو من المعادن و هو أخفض المواليد رتبة حين لم تبلغها حياتها أن تبدو فوق الأرض كالنبات من النجم و الشجر و[2] لما فيه من الانتفاع بما يكون[3] من الحب و الثمر الذى يُنتفع به غذاء و دواء و المعادن لا ينتفع بها إلا آلات و نقودا[4] منفعتها إخراجها لا إثباتها - [5]قاله الحرالى[5] . « فتوبوا إلى بارئكم »[6] الذى فطركم من قبل أن تتخذوا العجل [7]بريئين من العيب

(١) فى م : بمن - كذا .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) زيد فى ظ : فيه ، و فى م : منه .

(٤) فى م : نقود .

(٥ - ٥) ليست فى ظ .

(٦) قال أبو حيان : ولما لم يكمل وصف هذه النعمة إلا بمقدمة ما تسببت عنه قدم ذكر ذلك ، وهذا الخطاب هو محاورة موسى لقومه حين رجع من الميقات و وجدهم قد عبدوا العجل ، و اللام فى قوله « لقومه » للتبليغ و إقبال موسى عليهم بالنداء ، و نداؤه بلفظ « يقوم » مشعر بالتحنن عليهم و أنه منهم و هم منه ، و لذلك أضافهم إلى نفسه ، فيكون ذلك سببا لقبول ما يلقى إليهم ، بخلاف أن لو ناداه بالاسم أو بالوصف القبيح الصادر منهم ، و فى ذلك أيضا هزلهم لقبولهم الأمر بالتوبة بعد تقريعهم بأنهم ظلموا أنفسهم و أى ظلم أعظم من اتخاذ إله غيره « ان الشرك لظلم عظيم » و نص على أنهم ظلموا أنفسهم بذلك لأنه أفحش الظلم ، لأن نفس الإنسان أحب شيء إليه فاذا ظلمها كان أفحش من أن يظلم غيره .

و لما كان السامرى قد عمل لهم من حليهم عجلا قيل لهم : توبوا إلى بارئكم أى منشئكم و موجدكم من العدم إذ موجد الأعيان هو الموجد حقيقة ، وأما عمل =

مع إحكام الخلق[1] على الأشكال المختلفة . و قال الحرالى : البارئ اسم قائم بمعنى البرء و هو إصلاح[2] المواد للتصوير ، كالذى يقطع الجلد و الثوب ليجعله خفا و قميصا ، و كالذى يطحن القمح و يعجن الطين ليجعله[3] خبزا و فخارا[4] و - نحو ذلك، و معناه التدقيق للشيء بحسب التهيؤ لصورته-انتهى .

٧٤/ ٥ و لما كانت توبتهم بقتل أقاربهم و إن / كانوا آباء أو أبناء عبر عنهم بالنفس لذلك و إشارة إلى خبث ما ارتكبوا[5] فقال « فاقتلوا انفسكم » أى التى أوجدها فقادتكم إلى غيره . قال الحرالى : و القتل[6] فصل الحيوان قبل انتهاء قوته بمنزلة فصل الزرع قبل استحصاده - انتهى . و لما كان

= العجل و اتخاذه فليس فيه إبراز الذوات من العدم ، إنما ذلك تأليف تركيبى لا خلق أعيان ، فنبهوا بلفظ البارئ على الصانع أى الذى أوجدكم هو المستحق للعبادة لا الذى صنعه مصنوع مثله فلذلك والله أعلم كان ذكر البارئ هنا (٧) العبارة من هنا إلى « المختلفة و » ليست فى ظ .

(١) ليس فى م .

(٢) فى م : اصطلاح .

(٣) فى م : لجعله ، و بهامشه بعلامة النسخة : ليجعله .

(٤) فى ظ : فخارة ، و فى م : فخا - كذا .

(٥) فى م : ارتكبوه .

(٦) قال أبو حيان الأندلسى : القتل إزهاق الروح بفعل أحد من طعن أو ضرب أو ذبح أو خنق أو ما شابه ذلك ، و أما إذا كان من غير فعل فهو موت و هلاك . « خير » هى أفعل التفضيل حذفت همزتها شذوذا فى الكلام فنقص بناؤها فانصرفت . قال المهائمى : « فتوبوا الى بارئكم » الذى خلقكم برآء من الشرك والمعاصى و يرجى تبرئتكم عن هذا الظلم الذى لا ينمحى هيئته عن قلوبكم لإفراط=

ما

ما أمرهم به أمرا لا يكاد يسمح به عظم الرغبة فيه بقوله « ذلكم » أى الأمر العظيم (١و هو القتل١) « خير لكم » و الخير قال الحرالى ما يصلح فى الاختيار من محسوس الأشياء و ما هو الأصلح و ما هو الأخير، و ربما استعملت منه خيرٌ محذوفة فيقال : هو خير فى نفسه ، أى مما يختار، و يقال : هذا(١ خير من هذا ، أى أخير منه أى أصلح فى الاختيار ، و كذلك لفظ ٥ شر فى مقابله و هما مشعران بمتوسط من الأشياء لا يختار لأجل زيادة صلاح و لا يطرح لأجل أذى و لا مضرة . « عند » كلمة تفهم اختصاص ما أضيفت إليه بوجه مّا عام٣ و أخص منه لدن ، فلدن خاصتها و عند عامتها ، كالذى يملك الشيء فهو عنده و إن لم يكن فى حضرته - انتهى .

= حبكم إياه «فاقتلوا انفسكم » لأنه و إن كان شرا عند أنفسكم لكن «ذلكم خير لكم» إذ يبرئكم عن جريمته التى تخلدكم فى النار ففعلتم « فتاب عليكم » أى قبل توبتكم و إن كانت جريمتكم أعظم لكفركم بعد الإيمان . قال البيضاوى : « فاقتلوا انفسكم» تماما لتوبتكم بالبخع أو قطع الشهوات كما قيل : من لم يعذب نفسه لم ينعمها و من لم يقتلها لم يحيها ، « ذلكم خير لكم » من حيث أنه طهرة من الشرك و وصلة إلى الحياة الأبدية و البهجة السرمدية « عند بارئكم » ذكر البارئ و ترتيب الأمر عليه إشعار بأنهم بلغوا غاية الجهالة و الغباوة حتى تركوا عبادة خالقهم الحكيم إلى عبادة البقرة التى هى مثل فى الغباوة و أن من لم يعرف حق منعمه حقيق بأن يسترد منه، و لذلك أمروا بالقتل و فك التركيب - انتهى .

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) زيد فى م : امر .

(٣) زيد فى م : او خاص .

« بارئكم » أى القادر على إعدامكم كما قدر على إيجادكم ، و فى التعبير بالبارئ ترغيب لهم فى طاعته بالتذكير بالإحسان و ترهيب بإيقاع الهوان .

و لما كان التقدير ففعلتم التوبة المأمور بها بأن قتل بعضكم بعضا[1] بتوفيقه لكم سبحانه مع ما فيه من عظم[2] المشقة عطف عليه قوله « فتاب عليكم » أى مع عظم جرمكم ، و لو لا توبته عليكم ما تبتم ؛ ثم علل ذلك بقوله « انه » أى لأنه « هو التواب الرحيم » أى ما زال هذا صفة له لا لاستحقاق منكم عليه[3] قال الحرالى : و فى إظهار هو مفصولة من ضمير

(١) فتلخص فى قوله « فاقتلوا » ثلاثة أقوال : الأول الأمر بقتل أنفسهم ، الثانى الاستسلام للقتل ، و الثالث التذليل للأهواء ؛ و الأول هو الظاهر ، و هو الذى نقله أكثر الناس ، وظاهر الكلام أنهم هم المأمورون بقتل أنفسهم فقيل وقع القتل هكذا قتلوا أنفسهم بأيديهم ، و قيل قتل بعضهم بعضا من غير تعيين قاتل ولا مقتول ، وقيل القاتلون هم الذين اعتزلوا مع هارون والمقتولون عباد العجل . و فى ذلك من الاتعاظ و الاعتبار ما يوجب مبادرة الازدجار عن مخالفة الملك القهار ؛ و انظر إلى لطف الله بهذه الملة المحمدية إذ جعل توبتها فى الإقلاع عن الذنب و الندم عليه و العزم على عدم المعاودة إليه . «عند بارئكم » و العندية هنا مجاز إذ هى ظرف مكان ، وكرر البارئ باللفظ الظاهر توكيدا و تنبيها على أن هذا الفعل هو راجح عند الذى أنشأكم فكما رأى أن إنشاءكم راجح رأى أن إعدامكم بهذا الطريق من القتل راجح فينبغى التسليم له فى كل حال و تلقى ما يرد من قبله بالقبول و الامتثال ـ البحر المحيط ١/ ٢٠٩ .

(٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عظيم .

(٣) قال الهائمى : « انه هو التواب » أى البالغ فى قبول التوبة حتى أنه قبلها على عمل أهلك بما دونه آل فرعون ، و إنما تاب عليكم لأنه « الرحيم » إذ رحم =

وصلها إثبات معنى الرحمة لله ثبتا لا يتبدل و لا يتغير إلا أنه من وراء غيب ما شاء الله من أدب و امتحان و عقاب ، فلذلك ختمه باسمه الرحيم ، لأن الختم أبدى إظهار للمعنى الأخفى من مضمون ما فيه الختم - انتهى .

و لما استتيبوا عن عبادة العجل[1] التى تقيدوا فيها بالمحسوس الذى هو مثل فى الغباوة طلبوا رؤية بارئهم[2] بالحس على ما له من صفات الكمال التى تأبى الابتذال[3] ناسين[4] لجميع[5] النعم و النقم مسرعين فى الكفر الذى هو من شأن الحائر و الحال أن الفرقان الذى لا يدع شبهة و لا يبقى حيرة قائم بين أيديهم ، لأنهم من الجمود و الوقوف مع الوهم و الحس بمكان عظيم ، فذكرهم سبحانه ذلك[6] مسليا للنبى صلى الله عليه و سلم فى إبائهم للايمان به بما فعلوا مع موسى عليه السلام و هو أحدهم

= على تعذيب ساعة بكرامة الأبد ، وهذه من الهداية الفارقة بين المحق و المبطل قد أخذ بها قدماؤكم و أنتم لا تسمحون بمجرد القول و لا بالأعمال السمحة من هذه الشريعة مع وفور فضائلها .

(١) العبارة من هنا إلى « فى الغباوة » ليست فى ظ .

(٢) العبارة من هنا إلى « الابتذال » ليست فى ظ .

(٣) فى م : الاستبدال .

(٤) فى م : ناشئين .

(٥) فى م و مد و ظ : جميع .

(٦) العبارة من هنا إلى « احدهم » ليست فى ظ .

فقال « و اذ قلتم » أى[١] بعد ما رأيتم من الآيات و شاهدتم من الأمور البينات « يٰموسى » فدعوتموه باسمه جفاء و غلظة كما يدعو بعضكم بعضا و لم تخصوه بما يدل على تعظيمه لما رأيتم من إكرام الله له[٢] و إكرامكم على يده « لن » و هى كلمة تفهم نفى معنى باطن كأنها "لا أن[٣]" يُسَّر بالتخفيف لفظها - قاله الحرالى . « نؤمن لك » أى لأجل قولك[٤] . قال

(١) هذه محاورة بنى إسرائيل لموسى و ذلك بعد محاورته لهم فى الآية قبل هذا ، و الضمير فى « قلتم » قيل للسبعين المختارين - قاله ابن مسعود و قتادة ، و قيل الضمير لسائر بنى إسرائيل إلا من عصمه الله - قاله ابن دريد ، و قيل الذين انفردوا مع هارون و لم يعبدوا العجل ؛ و فى نداء بنى إسرائيل لنبيهم باسمه سوء أدب منهم معه ، إذ لم يقولوا : يا نبى الله ! أو يا رسول الله ! أو يا كليم الله ! أو غير ذلك من الألفاظ التى تشعر بصفات التعظيم ، وهى كانت عادتهم معه « يٰموسى لن نصبر على طعام واحد » « يٰموسى اجعل لنا الٰها » « يٰموسى ادع لنا ربك » و قد قال الله تعالى لهذه الأمة : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » من البحر المحيط ١/٢١٠ .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) فى ظ : الا انه ، وفى م : الا ان .

(٤) قال أبو حيان : « لن نؤمن لك » قيل معناه لن نصدقك فيما جئت به من التوراة ، و لم يريدوا نفى الإيمان به بدليل قولهم « لك » و لم يقولوا : بك ، نحو « وما انت بمؤمن لنا » أى بمصدق ؛ و قيل معناه لن نقر لك فعبر عن الإقرار بالإيمان و عدّاه باللام و قد جاء « لتؤمنن به و لتنصرنه قال اقررتم واخذتم على ذلك اصرى قالوا اقررنا » فيكون المعنى لن نقر لك بأن التوراة من =

الحرالى: و جاء باللام لأنهم قد كانوا آمنوا به فتوقفوا عن الإيمان له الذى يتعلق بأمور من تفاصيل ما يأتيهم به ، فمن آمن لأحد فقد آمن بأمور لأجله ، و من آمن به فقد قَبِل أصل[1] رسالته « يؤمن بالله و يؤمن للمؤمنين[2] » ؛ « حتى » كلمة تفهم غاية محوطة يدخل ما بعدها فى حكم ما قبلها مقابل معنى لكى[3] « نرى » من الرؤية و هى اطلاع على باطن الشىء الذى أظهر منه مبصره ٥ [4]الذى أظهره منه منظره[4] ، و منه يقال فى مطلع المنام: رؤيا ، لأن ذوات المرئى فى المنام هى أمثال باطنه فى صورة المنظور إليه فى اليقظة ـ انتهى . « الله » أى مع ما له من العظمة « جهرة » أى عيانا[5] من غير خفاء و لا نوع لبس . قال الحرالى: من الجهر و هو الإعلان بالشىء إلى حد الشهرة

= عندالله ، وقيل يجوز أن تكون اللام للعلة أى لن نؤمن لأجل قولك بالتوراة ، وقيل يجوز أن يراد نفى الكمال أى لا يكمل إيماننا لك كما قيل فى قوله صلى الله عليه وسلم: لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله والناس أجمعين ـ انتهى .

(١) ليس فى م .

(٢) سورة ٩ آية ٦١ .

(٣) فى م و مد و ظ : الى .

(٤ - ٤) ليست فى م .

(٥) « حتى » هنا حرف غاية أخبروا بنفى إيمانهم مستصحبا إلى هذه الغاية ، ومفهومها أنهم إذا رأوا الله جهرة آمنوا ، والرؤية هنا هى البصرية وهى التى لا حجاب دونها و لا ساتر ، و انتصاب جهرة على أنه مصدر مؤكد مزيل لاحتمال الرؤية أن تكون مناما أو علما بالقلب ، والمعنى حتى نرى الله عيانا ـ البحر المحيط ١/ ٢١٠ و فيه تفصيل . قال المهائمى: « و اذ قلتم يـموسى » حين اختار سبعين من خياركم =

و بلاغه لمن لا يقصده فى مقابلة السر المختص بمن يقصد به ، و هذا المطلوب مما لا يليق بالجهر لتحقق اختصاصه بمن يكشف له الحجاب من خاصة من يجوّزه[1] القرب من خاصة من يقبل عليه النداء من خاصة من يقع عنه الإعراض ، فكيف أن يطلب ذلك جهرا[2] حتى يناله من هو فى محل البعد و الطرد ! و فيه شهادة بتبلدهم عن موقع الرؤية ، فان موسى عليه السلام قال « رب ارنى[3] » و قال تعالى « وجوه يومئذ ناضرة ۝ إلى ربها[4] ناظرة ۝[5] » و قال عليه الصلاة و السلام : إنكم ترون ربكم . فالاسم المذكور لمعنى الرؤية إنما هو الرب لما فى اسم الله تعالى من الغيب الذى لا يذكر لأجله إلا[6] مع ما هو فوت لا مع ما هو فى المعنى نيل ، و ذلك لسر[7] من أسرار

= بأمر الله لتعتذروا إليه من عبادة العجل فأمرهم بالصوم و التطهر ، فلما دنا من طور سيناء وقع عمود الغمام فدخله و أدخلهم خروا له سجدا فسمعوه يكلم موسى ، فلما فرغ و انكشف الغمام قالوا « لن نؤمن لك » أى لقولك إنه مسموع من الله « حتى نرى الله جهرة » أى رؤية ظاهرة ظهور صوت الجهر ، فغضب الله عليكم عن قولكم « لن نؤمن لك » لا عن طلب رؤيتكم إياه إذ لا يستحيل كرؤيته إيانا - انتهى .

(١) فى م : يجوزه .

(٢) فى م : جبرا - كذا .

(٣) زيد فى م : انظر اليك . سورة ٧ آية ١٤٣ .

(٤) سقط من م .

(٥) سورة ٧٥ آية ٢٢ و ٢٣ .

(٦) ليس فى م .

(٧) فى م : السر .

العلم بمواقع معانى الأسماء الحسنى فيما يناسبها من ضروب الخطاب والأحوال والأعمال ، وهو من أشرف العلم الذى يفهم به خطاب القرآن حتى يضاف لكل اسم ما هو أعلق فى معناه وأولى به وإن كانت الأسماء كلها ترجع[1] معانى بعضها لبعض ؛ « فاخذتكم »[2] من الأخذ وهو تناول الشيء بجملته بنوع بطش وقوة - انتهى . أى لقولكم / هذا لما فيه من ٧٥/ الفظاعة وانتهاك الحرمة ، « الصعقه »[3] قيل : هى صيحة ، وقيل[4] : نار نزلت من السماء فأحرقتهم ، ويؤيده قوله « وانتم تنظرون » أى تلك

(١) فى ظ : يرجع .

(٢) استولت عليكم وأحاطت بكم ، وأصل الأخذ القبض باليد ، والصاعقة هنا هل فى نار من السماء أحرقتهم ، أو الموت ، أو جند سماوى سمعوا حسهم فماتوا ، أو الفزع فدام حتى ماتوا أو غشى عليهم ، أو العذاب الذى يموتون منه ، أو صيحة سماوية - أقوال أصحها أنها سبب الموت وإن كانوا قد اختلفوا فى السبب - قاله المحققون لقوله تعالى « فلما اخذتهم الرجفة »؛ وأجمع المفسرون أن المدة من الموت أو الصعق كانت يوما وليلة ، وقيل أصاب موسى ما أصابهم ، وقيل صعق ولم يمت ، قالوا : وهو الصحيح ، لأنه جاء « فلما افاق » فى حق موسى ، وجاء « ثم بعثناكم » فى حقهم ؛ وأكثر استعمال البعث فى القرآن بعث الأموات. «وانتم تنظرون» جملة حالية ، ومتعلق النظر أخذ الصاعقة إياكم ، أى وأنتم تنظرون إلى ما حل بكم منها ، أو بعضكم إلى بعض كيف يخر ميتا ، أو إلى الإحياء ، أو تعلمون أنها تأخذكم فعبر بالنظر من العلم وفيه أقوال أخر - من البحر المحيط ٢١٢/١ .

(٣) العبارة من هنا إلى « قوله » ليست فى ظ .

(٤) زيد فى م : هى .

الصاعقه فأماتتكم[1]، لأنكم كنتم فى طلبكم رؤيته على ضرب من حال عبدة العجل، فاماتكم كما أماتهم بالقتل.

و لما كان إحياؤهم من ذلك فى هذه الدار فى غاية البعد و خرق العادة عبر عنه بأداة التراخى و مظهر العظمة فقال «ثم بعثناكم» أى[2] بما لنا من العظمة[2] بالإحياء[3]. قال الحرالى: من البعث و هو الاستثارة[4] من

(١) العبارة من هنا إلى «بالقتل» ليست فى ظ.

(٢ - ٢) ليست فى ظ.

(٣) قال المهائمى: «و انتم تنظرون» إليها ولم يمكنكم الفرار عنها فأحرقتكم فدعا موسى و بكى و تضرع وقال: يا رب! ما ذا أقول لبنى إسرائيل و قد أهلكت خيارهم. قال أبو حيان: و قد عدّ صاحب المنتخب هذا إنعاما سادسا وذكر فى كونه إنعاما وجوها (فليطلب من يريد الاطلاع عليها فى البحر المحيط ١/١١٢) و قال قال بعضهم: لما أحلهم الله محل مناجاته وأسمعهم لذيذ خطابه اشرأبت نفوسهم للفخر و علو المنزله فعاملهم الله بنقيض ما حصل فى أنفسهم بالصعقة التى هى خضوع و تذلل تأديبا لهم و عبرة لغيرهم «ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار» «ثم بعثناكم» دل العطف بثم على أن بين أخذ الصاعقه و البعث زمانا تتصور فيه المهلة و التأخير هو زمان ما نشأ عن الصاعقة من الموت أو الغشى، و البعث هنا الإحياء، ذكر أنهم لما ماتوا لم يزل موسى يناشد ربه فى إحيائهم و يقول: يا رب! إن بنى إسرائيل يقولون: قتلت خيارنا! حتى أحياهم الله جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم إلى بعض كيف يحيون. وكان إحياؤهم لأجل استيفاء أعمارهم، و من قال: كان ذلك غشيا و همودا كان الموت مجازا، قال تعالى «و ياتيه الموت من كل مكان و ما هو بميت - و الذى أتاه مقدمات الموت سميت موتا على سبيل المجاز، قال الشاعر:

وقل لهم بادروا بالعذر و التمسوا قولا يبرئكم إنى أنا الموت

جعل نفسه الموت لما كان سببا للموت.

(٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الاستنارة - كذا.

غيب

غيب و خفاء، أشده البعث من القبور، و دونه البعث من النوم؛ قال: و تجاوز الخطاب ما كان من سبب بعثهم، و كذلك كل موضع يقع فيه 'ثم' ففيه خطاب متجاوز مديد[1] الأمد كثير رتب العدد مفهوم لمن استوفى مقاصد ما وقعت كلمة 'ثم' بينه من الكلامين المتعاطفين؛ ففى[2] معنى التجاوز من الخطاب سؤال موسى عليه السلام ربه فى بعثهم حتى لا يكون ٥ ذلك فتنة على سائرهم - انتهى.

و لما كان ربما ظن أن البعث من غشى و نحوه حقق[3] معناه [4]مبينا أنه لم يستغرق زمن البعد[4] بقوله «من بعد موتكم» أى هذا بتلك الصاعقه، و قال دالا على أن البعث إلى هذه الدار لا يقطع ما بنيت عليه من التكليف[5] لأنها دار الأكدار فلا بد من تصفيه الأسرار فيها بالأعمال ١٠

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: مديدا.

(٢) فى م: نفى.

(٣) فى ظ: محقق - كذا.

(٤ - ٤) سقطت من ظ.

(٥) وقال فى المنتخب: إنما بعثهم بعد الموت فى دار الدنيا ليكلفهم و ليتمكنوا من الإيمان و من تلافى ما صدر عنهم من الجرائم، أما إنه كلفهم فلقوله «لعلكم تشكرون»، و لفظ الشكر يتناول جميع الطاعات لقوله «اعملوا آل داود شكرا» انتهى كلامه. وقال الماوردى: اختلف فى بقاء تكليف من أعيد بعد موته و معاينة الأهوال التى تضطره و تلجئه إلى الاعتراف بعد الاقتراف فقال قوم: سقط عنهم التكليف ليكون تكليفهم معتبرا بالاستدلال دون الاضطرار، وقال قوم: يبقى تكليفهم لئلا يخلو بالغ عاقل من تعبد و لا يمنع حكم التكليف بدليل قوله تعالى «و اذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة» و ذلك حين أبوا أن يقبلوا التوراة =

و الأذكار: «لعلكم تشكرون»، أى لتصير[1] حالكم حال من يصح ترجى شكره لهذه النعمة العظيمة؛ و كل ما جاء من 'لعل' المعلل بها أفعال الرب تبارك و تعالى ينبغى أن تؤول بنحو هذا، فان 'لعل' تقتضى الشك لأنها للطمع و الإشفاق فيطمع فى كون مدخولها و يشفق من أن لا يكون، و[2] تارة [3]يكون الشك للخاطب و تارة[3] يكون للمتكلم، و لو قيل[4]: لتشكروا، لم يكن هناك شك - قاله الرمانى فى سورة يوسف عليه السلام. و قال الحرالى: و فى 'لعل' إبهام معلومه فيهم بأن منهم من يشكر و منهم من لا يشكر - انتهى. و سيأتى فى سورة طه إن شاء الله تعالى عن نص سيبويه فى كتابه ما يؤيد[5] ما ذكرته.

و فى هذه الآية و ما تقدمها من آية «و اتقوا يوما لا تجزى نفس» تنبيه للعرب من غفلتهم فى إنكار البعث و إرشاد إلى سؤال ممن[6] يغرّهم من أهل الكتاب بأنهم أولى بالحق من المسلمين عن هذه القصة التى وقعت لأسلافهم من إحيائهم بعد موتهم، و كذا ما أتى فى محاوراتهم من قصة

= فلما نتق الجبل فوقهم آمنوا و قبلوها، فكان إيمانهم بها إيمان اضطرار و لم يسقط عنهم التكليف. و مثلهم قوم يونس فى إيمانهم - انتهى كلامه.

(١) فى م: ليكون.

(٢) ليس فى م.

(٣ - ٣) ليست فى م.

(٤) فى م: قال.

(٥) فى ظ: يولد - كذا.

(٦) فى م و مد: من.

البقرة و نحوها مما فيه ذكر الإحياء فى هذه الدار أو فى القيامة . قال الحرالى : و فيه أى هذا الخطاب آية على البعث الآخر الذى وعد به جنس بنى آدم كلهم فجأة صعق و سرعة بعث ، فان ما صح لأحدهم [1]و لطائفة[1] منهم أمكن عمومه فى كافتهم - انتهى .

و لما ذكرت الصاعقة الناشئه غالبا من الغمام كان أنسب الأشياء ٥ إيلاؤها ذكر تظليل الغمام و ناسب التحذير من نقمة الإحراق بالصاعقة و التذكير بنعمة الإيجاد من الموت الاتباع بذكر التنعيم فى الإبقاء بالصيانة عن حر الظاهر بالشمس و الباطن بالجوع .

و قال الحرالى : و عطف تعالى على ذكر البعث ذكر حال من مثل أحوال أهل الجنة الذى ينالونه[2] بعد البعث ، فكأن[3] عامتهم الذين ١٠ لم يموتوا إنما شركوا هؤلاء المبعوثين لكونهم كأنهم ماتوا بموتهم و بعثوا ببعثهم ، فذكر ظل الغمام و هو من أمر ما بعد البعث و الأرزاق بغير كلفة و هو من حال ما بعد البعث و أفهم ذلك أمورا أخر فى أحوالهم كما يقال إن ملابسهم كانت تطول معهم كلما طالوا فكأنهم أخرجوا من أحوال أهل الدنيا بالجملة إلى شبه[4] أحوال أهل الجنة فى محل تيههم ١٥ و مستحق منال العقوبة لهم كل ذلك إنعاما عليهم ، ثم لم يزيدوا مع

(١-١) فى م : او طايفة .

(٢) فى ظ : تناولوه .

(٣) فى ظ : كأنهم .

(٤) فى م : شبهة .

ذلك إلا بعدا عن التبصرة فى كل ما أبدى لهم من العجائب - حدث[1] عن بنى إسرائيل و لا حرج فقال : « و ظللنا » [2]من الظلة[2] و هى وقاية[3] مما ينزل من سماء الموقى « عليكم الغمام »[4] من الغم و هو ما يغم النور أى يغطيه -

(١) و فى الصحيح للبخارى انبياء . ه : و حدثوا .

(٢-٢) ليست فى م .

(٣) قال أبو حيان : و قيل إنه الغمام الذى أتت فيه الملائكة يوم بدر ، و هو الذى تأتى فيه ملائكة الرحمن و هو المشار إليه بقوله « فى ظلل من الغمام و الملئكة » و ليس بغمام حقيقة و إنما سمى غماما لكونه يشبه الغمام . و قيل الذين ظلل عليهم الغمام بعض بنى إسرائيل و كان الله قد أجرى العادة فى بنى إسرائيل أن من عبد الله ثلاثين سنة لا يحدث فيها ذنبا أظلته غمامة ، و حكى أن شخصا عبد ثلاثين سنة فلم تظله غمامة فجاء إلى أصحاب الغمائم فذكر لهم ذلك فقالوا : لعلك أحدثت ذنبا ! فقال : لا أعلم شيئا إلا أنى رفعت طرفى إلى السماء و أعدته بغير فكر ، قالوا له : ذلك ذنبك ، و كانت فيهم جماعة يسمون أصحاب الغمائم ، فامتن الله عليهم بكونهم فيهم من له هذه الكرامة الظاهرة الباهرة - انتهى .

(٤) فى التفسير المظهرى : الغمام من الغم ، أصله التغطية و هو يغطى وجه الشمس ، لما لم يكن لهم فى التيه كنّ يسترهم فشكوا إلى موسى عليه السلام ، فأرسل الله غماما أبيض رقيقا أطيب من غمام المطر فظللهم من الشمس ، و جعل لهم عمدا من نور تضىء لهم بالليل إذا لم يكن قمر . « و انزلنا عليكم المن » فى التيه ، قيل هو الخبز الرقاق ، و الأكثر على أنه الترنجبين ، و قال مجاهد : هو شىء كالصمغ كان يقع على الأشجار ، طعمه كالشهد ؛ فقالوا : يا موسى ! قتلنا هذا المن بحلاوته فادع لنا ربك يطعمنا اللحم ، فأنزل الله السلوى ، وهو طائر يشبه السانى . و قال البيضاوى : و ينزل بالليل عمود نار يسيرون فى ضوئه ، وكانت ثيابهم لا تتسخ و لا تبلى - انتهى .

انتهى

انتهى . أى فعلنا ذلك لترفية[1] أجسامكم و ترويح أرواحكم ؛ [2]و عن مجاهد أن الغمام أبرد من السحاب و أرق و أصفى « و انزلنا عليكم المن » قال الحرالى : هو ما جاء بغير كلفة ؛ الكمأة من المن[3] - انتهى . « و السلوى » أى لطعامكم على أن المن من الغمام ، و حشر السلوى إليهم بالريح المثيرة له[4] فنظمها به على غاية التناسب . قال الحرالى : و السلوى اسم صنف من الطير يقال هو السمانى[5] أو غيره - انتهى . [6]و سيأتى إن شاء الله تعالى فى الأعراف أنه غير السمانى و أنهم خصوا به إيذانا بقساوة قلوبهم .

و هذه الخارقة قد كان صحابة نبينا صلى الله عليه و سلم غنيين عنها بما كان النبى صلى الله عليه و سلم كلما احتاجوا دعا بما عندهم من فضلات الزاد فيدعو ، فيكثره الله حتى يكتفوا من عند آخرهم ، و أعطى أبا هريرة رضى الله عنه تمرات[7] و أمره أن يجعلها فى مزود و قال له : أنفق و لا تنثرها ، فأكل منه سنين و أنفق منه أكثر من خمسين وسقا . و بارك لآخر فى قليل شعير و أمره أن لا يكيله ، فلم يزل ينفق منه على نفسه /٧٦

(١) فى ظ : لترقية .

(٢) العبارة من هنا إلى « و اصفى » ليست فى م و ظ .

(٣) راجع سنن ابن ماجه طب : ٨ .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) فى م : السماوى - كذا .

(٦) العبارة من هنا إلى « للبيهقى و غيره » ليست فى م .

(٧) فى ظ : ثمرات ، و الصحيح المروى ما فى الأصل و مد .

و امرأته و ضيفه حتى كاله ففنى ، فقال النبي صلى الله عليه و سلم : لو لم تكله لأكلتم منه و لقام لكم . وكان نحو ذلك لعائشة رضى الله عنها بعد موت النبي صلى الله عليه و سلم . [1]وكذا[1] لأم مالك رضى الله عنها فى عكة سمن لم تزل تقيم لها أدمها حتى عصرتها . و مثل ذلك كثير فى دلائل النبوة للبيهقى و غيره . و قيل لكم «كلوا»[2] و دل على أنه أكثر من كفايتهم بقوله[3] «من طيبت»[4] جمع طيبة . قال الحرالى : و الطيب ما خلص من منازع يشارك فيه و طيّبه[5] مَنْ سَوِى الأكل له أى لم ينازعه و ليس فيه حق لغيره ، و منه الطيب فى المذاق و هو الذى لا ينازعه تكره[6] فى طعمه ؛ و هذا زاد على ذلك بكونه لم يكن عن عمل حرث

(١-١) ليس فى ظ .

(٢) و قال أبو حيان : المن اسم جنس لا واحد له من لفظه ، و فى المن الذى أنزله الله على بنى إسرائيل أقوال : ما يسقط على الشجر أحلى من الشهد و أبيض من الثلج و هو قول ابن عباس و الشعبي ، أوصمغة طيبة حلوة و هو قول مجاهد ، أو شراب كان ينزل عليهم يشربونه بعد مزجه بالماء و هو قول الربيع بن أنس و أبي العالية - إلى أن قال : أو جميع ما من الله به عليهم فى التيه و جاءهم عفوا من غير تعب - قاله الزجاج و دليله قوله صلى الله عليه و سلم : الكمأة من المن الذى من الله على بنى إسرائيل - و فى رواية : على موسى . و فى السلوى الذى أنزله الله على بنى إسرائيل أقوال - انظر ما فى البحر المحيط ٢١٤/١

(٣) العبارة من « و دل » إلى هنا ليست فى ظ .

(٤) و الطيبات هنا قيل الحلال ، و قيل اللذيذ المشتهى ، و من للتبعيض لأن المن و السلوى بعض الطيبات - البحر المحيط .

(٥) فى م نقط : طيبة .

(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : نكره - كذا .

و لا معاملة مع خلق - انتهى . « ما رزقناكم » أى على عظمتنا التى لا تضاهى .

و لما لم يرعوا هذه النعم أعرض عنهم للايذان باستحقاق الغضب . و قال الحرالى : ثم أعرض بالخطاب عنهم و أقبل به على محمد صلى الله عليه و سلم و من معه - انتهى . فقال « و ما » أى فظلموا بأن كفروا [1] هذه النعم كلها و ما « ظلمونا » بشىء من ذلك [2] « و لكن كانوا » [3] أى جبلة و طبعا [3] « انفسهم » أى خاصة « يظلمون » لأن ضرر ذلك مقصور عليهم . قال الحرالى : و فيه إشعار بتحذير هؤلاء أن يروا نحوا مما

(١) فى ظ : فكفروا .

(٢) نفى أنهم لم يقع منهم ظلم لله تعالى ، و فى هذا دليل على أنه ليس من شرط نفى الشىء عن الشىء إمكان وقوعه ، لأن ظلم الإنسان لله تعالى لا يمكن وقوعه البتة ، قيل المعنى وما ظلمونا بقولهم « ارنا الله جهرة » بل ظلموا أنفسهم بما قابلناهم من الصاعقة ، و قيل و ما ظلمونا بادخارهم المن و السلوى بل ظلموا أنفسهم بفساد طعامهم و تقليص أرزاقهم ، و قيل و ما ظلمونا بابائهم على موسى أن يدخلوا قرية الجبارين ، و قيل و ما ظلمونا باستحبابهم العذاب و قطعهم مادة الرزق عنهم بل ظلموا انفسهم بذلك ، و قيل و ما ظلمونا بكفر النعم بل ظلموا أنفسهم بحلول النقم ، و قيل و ما ظلموا بعبادة العجل بل ظلموا أنفسهم بقتل بعضهم بعضا ؛ و اتفق ابن عطية و الزمخشرى على أنه يقدر محذوف قبل هذه الجملة فقدره ابن عطية : فعصوا و لم يقابلوا النعم بالشكر ، و قدره الزمخشرى : فظلموا بأن كفروا هذه النعم وما ظلمونا ، قال : فاختصر الكلام بحذفه لدلالة « وما ظلمونا » عليه - انتهى من البحر المحيط ١ / ٢١٥ .

(٣-٣) ليست فى ظ .

رأوا فينالهم نحو مما نالوه ، لأن قصص القرآن ليس مقصوده مقصورا على ذكر الأولين فقط بل كل قصة منه إنما ذكرت لما يلحق هذه الأمة فى أمد يومها من شبه أحوال من[1] قص عليهم قصصه ـ انتهى .

و لما كان كل من ظل[2] الغمام[3] و لزوم طعام واحد غير مألوف

(١) فى م : ما .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) قال أبوحيان الأندلسى : و قد تضمنت هذه الآيات الكريمة من ذكر بنى إسرائيل فصولا : منها أمر موسى على نبينا و عليه السلام إياهم بالتوبة إلى الله من مقارفة هذا الذنب العظيم الذى هو عبادة العجل من دون الله و أن مثل هذا الذنب العظيم تقبل التوبة منه ، و التلطف بهم فى ندائهم بيا قوم ، و تنبيههم على علة الظلم الذى كان وباله راجعا عليهم ، و الإعلام بأن توبتهم بقتل أنفسهم ، ثم الإخبار بحصول توبة الله عليهم وأن ذلك كان بسابق رحمته ، ثم التوبيخ لهم بسؤالهم ما كان لا ينبغى لهم أن يسألوه وهو رؤية الله عيانا لأنه كان سؤال تعنت ؛ ثم ذكر ما ترتب على هذا السؤال من أخذ الصاعقة إياهم ، ثم الإنعام عليهم بالبعث و هو من الخوارق العظيمة أن يحيى الإنسان فى الدنيا بعد أن مات ، ثم إسعافهم بما سألوه إذ وقعوا فى التيه و احتاجوا إلى ما يزيل ضررهم و حاجتهم من لفح الشمس و تغذية أجسادهم بما يصلح لها فظلل عليهم الغمام و هذا من أعظم الأشياء و أكبر المعجزات حيث يسخر العالم العلوى للعالم السفلى على حسب اقتراحه فكان على ما قيل تظلهم بالنهار و تذهب بالليل حتى ينور عليهم القمر ، و أنزل عليهم المن و السلوى وهذا من أشرف المأكول إذ جمع بين الغذاء و الدواء بما فى ذلك من الحلاوة التى فى المن و الدسم الذى فى السلوى وهما مقمعا الحرارة و مثيرا القوة للبدن ـ و ما بقى من الفصول لهذه الآية الكريمة ففى البحر المحيط ١ / ٢١٦ راجع إليه .

لهم

لهم [1]مع كونه نعمة دنيوية[1] وكان المألوف أحب إلى النفوس تلاه بالتذكير بنعمة مألوفة من الاستظلال بالأبنية و الأكل مما يشتهى [1]مقرونة بنعمة دينية[1]. و قال الحرالى : لما ذكر تعالى عظيم فضله عليهم فى حال استحقاق عقوبتهم فى تظليل الغمام و إنزال المن و السلوى و هو مبتدأ[2] أمر تيههم حين أبوا أن يقاتلوا الجبارين نظم به آخر أمر تيههم بعد وفاة موسى ٥ و هارون عليهما السلام حين دخولهم مع يوشع عليه السلام و ما أمروا به من دخول البلد المقدس متذللين بالسجود الذى هو أخص رتب العبادة و كمال عمل العامل و دنو من الحق - انتهى . فقال تعالى « و اذ قلنا » أى لكم « ادخلوا هذه القرية » إشارة إلى نعمة النصر . قال الحرالى : الدخول الولوج فى الشىء بالكلية حسا بالجسم و معنى بالنظر و الرأى ، و القرية[3] ١٠ من القرى و هو الجمع للصالح التى بها[4] يحصل قوام الدنيا لقرى أهل الدنيا و التى تجمع مصالح أهل الآخرة ، لقرى أهل الآخرة ، قال عليه السلام : أمرتُ بقرية تأكل القرى[5] - باستيطانها كأنها تستقرى القرى تجمعها

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) فى ظ : مبدا - كذا .

(٣) الألف واللام فى القرية للحضور ، وانتصاب القرية على النعت أو على عطف البيان ، والقرية هنا بيت المقدس فى قول الجمهور - قاله ابن مسعود و ابن عباس و قتادة و غيرهم ، و قيل أريحا وهو قول ابن عباس أيضا وهى بأرض المقدس ، و قيل الأردن و قيل فلسطين ؛ و قد رجح القول الأول لقوله فى المائدة : « ادخلوا الارض المقدسة » .

(٤) فى م : بها .

(٥) راجع الصحيح للبخارى ١ / ٢٥٢ .

إليها ، و قد تناوبت الياء و الهمزة و الواو مع القاف و الراء على عام هذا المعنى - انتهى . و ناسب سياق النعم الدلالة على تعقيب نعمة الدخول بالفاء فى قوله « فكلوا منها حيث شئتم » و أتم النعمة بقوله « رغدا » (١موسعا عليكم طيبا١) . قال الحرالى[٢] : و فيه أى هذا الخطاب تثنية ٣ فى ٥ ذكر الأرض لما تقدم من نحوه لآدم فى السماء ، فكان تبديلهم لذلك عن فسق لا عن نسيان كما كان أمر آدم عليه السلام ، فكأنهم اقتطعوا عن سنته إلى حال الشيطان الذى كان من الجن ففسق عن أمر ربه ، فتحقق ظلمهم حين لم يشبهوا آباءهم و أشبهوا عدو أبيهم و عدوهم - انتهى . و أمرهم[٤] بالشكر على نعم النصر و الإيواء و إدرار الرزق[٥] بأمر يسير

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) قال أبو حيان : تقدم الكلام على نظير هذه الجملة فى قصة آدم فى قوله « وكلا منها رغدا حيث شئتما » إلا أن هناك العطف بالواو و هنا بالفاء ، وهناك تقديم الرغد على الظرف و هنا تقديم الظرف على الرغد ، و المعنى فيهما واحد إلا أن الواو هناك جاءت بمعنى الفاء و يدل عليه ما جاء فى الأعراف من قوله « فكلا » بالفاء و القضية واحدة ، و أما تقديم الرغد هناك فظاهر فانه من صفات الأكل أو الآكل فناسب أن يكون قريبا من العامل فيه و لا يؤخر عنه و يفصل بينهما بظرف و إن لم يكن فاصلا مؤثرا المنع لاجتماعهما فى المعمولية لعامل واحد ، و أما هنا فانه أخر لمناسبة الفاصلة بعده ، ألا ترى أن قوله « فكلوا منها حيث شئتم رغدا » و قوله « وادخلوا الباب سجدا » فهما سجعتان متناسبتان فلهذا والله أعلم كان هذان التركيبان على هذين الوصفين - انتهى كلامه .

(٣) فى مد : تنبيه .

(٤) فجاءت هذه الجمل فى غاية الفصاحة لفظا و البلاغة معنى إذ جمعت الألفاظ =

من القول و الفعل ، و قدم الدخول السار للنفوس و السجود الذى هو أقرب مقرب للحضرة الشريفة لأنه فى سياق عد النعم[1] على القول المشعر بالذنب فقال « و ادخلوا الباب »[2] و هو كما قال الحرالى أول مستفتح الأشياء

= المختارة و المعانى الكثيرة متعلقا أوائل أواخرها بأواخر أوائلها مع لطف الإخبار عن نفسه ، لحيث ذكر النعم صرح بأن ذلك من عنده فقال ثم « بعثناكم » وقال و « و ظللنا » « و انزلنا » و حيث ذكر النقم لم ينسبها إليه تعالى فقال « فاخذتكم الصعقة » و سر ذلك أنه موضع تعداد النعم فناسب نسبة ذلك إليه بذكرهم آلاءه و لم ينسب النقم إليه و إن كانت منه حقيقة ، لأن فى نسبتها إليه تخويفا عظيما ربما عادل ذلك الفرح بالنعم ، و المقصود انبساط نفوسهم بذكر ما أنعم الله به عليهم و إن كان الكلام قد انطوى على ترغيب و ترهيب فالترغيب أغلب عليه .

(٥) زيد فى ظ : و .

(١) ليس فى م .

(٢) والباب أحد أبواب بيت المقدس و يدعى الآن باب حطة ـ قاله ابن عباس ، أو الثامن من أبواب بيت المقدس و يدعى باب التوبة ـ قاله مجاهد و السدى ، سجدا نصب على الحال من الضمير فى ادخلوا ، قال ابن عباس : معناه ركعا ، و عبر عن الركوع بالسجود كما يعبر عن السجود بالركوع ، و قيل معناه خضعا متواضعين ، و قيل معناه السجود المعروف من وضع الجبهة على الأرض و المعنى ادخلوا ساجدين شكرا لله تعالى إذ ردهم إليها ، و هذا هو ظاهر اللفظ ، و ليس بمتعذر ، لأنه لا يبعد أن أمروا بالدخول وهم ساجدون فيضعون جباههم على الأرض و هم داخلون و تصدق الحال المقارنة بوضع الجبهة على الأرض إذا دخلوا. وقال الزمخشرى : أمروا بالسجود عند الانتهاء إلى الباب شكرا لله و تواضعا . و فى كيفية دخولهم الباب أقوال ، قال ابن عباس و عكرمة : دخلوا من قبل أستاههم ـ من البحر المحيط . و الذى ثبت فى البخارى و مسلم أنهم دخلوا الباب يزحفون على أستاههم ، و هذا يؤيد تفسير السجود بالمعروف من وضع =

و الأمور المستغلقة حسا أو معنى حال كونكم « سجدا و قولوا » [1] جامعين إلى ندم القلب و خضوع الجوارح الاستغفار باللسان ، و لما كان القول تحكى به الجمل فتكون مفعولا بها و يعمل فى المفرد إذا كان مصدرا أو صفة لمصدر كقلت حقا أو معبرا به عن جملة كقلت شعرا و ما كان على غير هذا كان إسنادا لفظيا لا فائدة [فيه - [2]] غير مجرد الامتثال رفع قوله « حطة[3] » أى عظيمة لذنوبنا . قال الكشاف : و الأصل النصب أى حط عنا ذنوبنا إلا أنه رفع ليعطى معنى الثبات[4] . قال الحرالى : من الحط[5] و هو

= الجبهة على الأرض فخالفوا عنادا و استكبارا مثل ما كان دأبهم والله اعلم .

(١) العبارة من هنا إلى « رفع قوله » ليست فى ظ .

(٢) زيد من م و مد .

(٣) العبارة من هنا إلى « معنى الثبات » ليست فى ظ .

(٤) فى الكشاف : و إنما رفعت لتعطى معنى الثبات كقوله : صبر جميل فكلانا مبتلى ، و الأصل : صبرا - انتهى كلامه .

(٥) قال أبو حيان : و اختلفت أقوال المفسرين فى حطة ، فقال الحسن : معناها حط عنا ذنوبنا ، و قال ابن عباس وابن جبير و وهب : أمروا أن يستغفروا ، و قال عكرمة : معناها لا إله إلا الله ، و قال الضحاك : معناها و قولوا هذا الأمر الحق ، و قيل معناه نحن لا نزال تحت حكمك ممتثلون لأمرك ، كما يقال : قد حططت فى فنائك رحلى ، والأقرب أنهم أمروا بأن يقولوا قولا دالا على التوبة و الندم والخضوع حتى لو قالوا : اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك لكان الخضوع حاصلا ، لأن المقصود من التوبة إما بالقلب فبالندم و إما باللسان فبذكر لفظ يدل على حصول الندم فى القلب و ذلك لا يتوقف على ذكر لفظة بعينها ؛ هذا موافق لما قال المصنف . قال أبو حيان : و الحط الإزالة ، حططت عنه الخراج أزلته عنه ، و النزول حططت - و حكى - بفناء زيد : نزلت به ، و النقل من علو إلى سفل و منه انحطاط القدر - انتهى .

وضع

وضع الحمل الثقيل بمُنّة و جمام قوة يكون[1] فى الجسم، و المعنى أمروا بقول ما يحط عنهم ذنوبهم التى عوّقتهم من رسول الله صلى الله عليه و سلم مع من معه من المهاجرين و الأنصار بشعب من الشعاب مترددا بين الحرمين الشريفين - يعنى فى عمرة الحديبية - فقال قولوا: لا إلـه إلا الله - و عند ذلك دخول الشعب الذى هو باب المدخل من نجد الأرض إلى سهلها - فقالوها[2]، ٥ فقال: و الذى نفسى بيده! إنها للحطة التى عرضت على بنى إسرايل أن يقولوها فبدلوها - انتهى. و عبر بنون العظمة فى قوله «نغفر لكم» إشارة إلى أنه لا يتعاظمه ذنب و إن عظم كاتخاذ العجل إذا جُبّ بالتوبة؛ و فى قراءة من قرأ بالتحتانية و الفوقانية مبنيا للمجهول[4] إشارة إلى تحقير الذنوب إذا أراد غفرانها بحيث أنه[3] بأدنى أمر و أدق إشارة بمحوها و هى أقل ١٠ من أن يباشرها بنفسه المقدسة؛ كل ذلك استعطاف / إلى التوبة. و الغفر /٧٧

(١) فى م و مد: تكون.

(٢) ليس فى م.

(٣) نافع بالياء مضمومة، ابن عامر بالتاء، أبو بكر من طريق الجعفى: يغفر، الباقون: نغفر؛ فمن قرأ بالياء مضمومة فلأن الخطايا مؤنث، و من قرأ بالياء مفتوحة فالضمير عائد على الله تعالى و يكون من باب الالتفات لأن صدر الآية «و اذ قلنا» ثم قال: يغفر، فانتقل من ضمير متكلم معظم نفسه إلى ضمير الغائب المفرد. فالغفر و الغفران الستر، و الغفيرة المغفرة و الغفارة السحاب و ما يلبس به سية القوس و خرقة تلبس تحت الخمار و مثله المغفر، و الجماء الغفير أى جماعة يستر بعضها بعضا من الكثرة و قول عمر لمن قال له: لم حصبت المسجد؟ هو أغفر للنخامة؛ كل هذا راجع لمعنى الستر و التغطية - البحر المحيط.

(٤) فى م: انها.

قال الحرالى: ستر الذنب أن يظهر منه[1] أثر[2] على المذنب لا عقوبة و لا ذكر - ثم قال: فى قراءة: نغفر[3]، تول من الحق و من هو من حزبه من الملائكة و الرسل، و فى قراءة: تغفر، إبلاغ أمر خطابهم[4] بما يفهمه التأنيث من نزول القدر، و فى قراءة الياء توسط بين طرفى ما يفهمه علو قراءة النون و نزول قراءة التاء، فى ذلك بجملته إشعار بأن خطاياهم كانت فى كل رتبة مما يرجع إلى عبادة ربهم و أحوال أنفسهم و معاملتهم مع غيرهم من أنبيائهم و أمثالهم حتى جمعت خطاياهم جميع جهات الخطايا الثلاث، فكأنهم ثلاثة أصناف: صنف بدلوا، و صنف اقتصدوا[5]، و صنف أحسنوا فيزيدهم الله ما لا يسعه القول و «هل جزاء الاحسان الا الإحسان» انتهى. و لما كان السياق هنا لتعداد النعم حسن أن يعبر عن ذنوبهم بجمع الكثرة فقال «خطيئكم»[6] إشارة إلى أنهم أصروا عليها

(١) ليس فى ظ.

(٢) فى م: امر.

(٣) فى م: تغفر - كذا.

(٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: خطاءهم - خطأ.

(٥) و فى ظ اقتصروا.

(٦) قال أبو حيان: تقدمت أوامر أربعة: ادخلوا، فكلوا، و ادخلوا الباب، و قولوا حطة؛ و الظاهر أنه لا يكون جوابا إلا للأخرين و عليه المعنى لأن ترتب الغفران لا يكون على دخول القرية ولا على الأكل منها و إنما يترتب على دخول الباب لتقييده بالحال التى هى عبادة وهى السجود و بقوله: و قولوا حطة، لأن فيه السؤال بحط الذنوب و ذلك لقوة المناسبة و للمجاورة، و يدل على ترتب ذلك =

بحيث كادوا[1] أن يجعلوا بازاء كل نعمة ذنبا، و الخطايا جمع خطيئة من الخطأ و هو الزلل عن الحد عن غير تعمد بل مع عزم[2] الإصابة أو وَدَّ أن لا يخطئ ـ هكذا قال الحرالى ، و الظاهر أن المراد هنا ما كان عن عمد[3] كائنا ما كان، لأن ذلك أولى بسياق الامتنان و العقوبة بالعصيان . قال فى القاموس: و الخطيئة الذنب أو ما[4] تعمد منه و الخطأ ما لم يتعمد، ٥ جمعه خطايا، و قرئ شاذا : خطيآتكم، بالجمع السالم الدال على القلة إشارة إلى أنها وإن تكاثرت فهى فى جنب عفوه قليل ؛ و هذا بخلاف الأعراف فان السياق هناك[5] لبيان إسراعهم فى الكفر كما سيأتى إن شاء الله تعالى، و ناسب عدّ النعم العطف على ما تقدم منها بقوله « و سنزيد المحسنين » أى بعد غفران ذنوبهم[6] . قال الحرالى: جمع محسن من الإحسان ١٠

= عليها ما فى الأعراف من قوله تعالى « و قولوا حطة و ادخلوا الباب سجدا نغفر » و القصة واحدة . الخطية فعيلة من الخطأ و الخطأ العدول عن القصد ، يقال خطىء الشىء أصابه بغير قصد ، وأخطأ إذا تعمد ؛ وأما خطايا جمع خطية مشددة عند الفراء كهدية و هدايا و جمع خطيئة المهموز عند سيبويه و الخليل .

(١) فى م : نادوا .

(٢) فى ظ : عدم .

(٣) فى م : تعمد .

(٤) ليس فى ظ .

(٥) فى م : هنا .

(٦) قال أبو حيان : الإحسان و الإنعام و الإفضال نظائر، أحسن الرجل أتى بالحسن ، و أحسن الشىء أتى به حسنا ، و أحسن إلى عمرو أسدى إليه خيرا . و الزيادة ارتفاع عن القدر المعلوم وضده النقص « المحسنين » قيل : الذين لم يكونوا من =

وهو البلوغ إلى الغاية فى حسن العمل، فيكون مع الخلق رؤية المرء نفسه فى غيره فيوصل له من البر ما يجب أن يفعل معه، ورؤية العبد ربه فى عبادته، فالإحسان فيما بين العبد وربه أن يغيب عن نفسه [1] ويرى ربه، والإحسان فيما بين العبد وغيره أن يغيب عن غيره [1] ويرى نفسه، فمن رأى نفسه فى حاجة الغير ولم ير نفسه فى عبادة الرب فهو محسن، وذلك بلوغ فى الطرفين إلى غاية الحسن فى العمل بمنزلة الحسن فى الصورة - انتهى .

ولما كان هذا التصريح بالترغيب المتضمن للتلويح بالترهيب مقتضيا للعاقل المبادرة إلى الطاعة بين أنه تسبب عنه أن بعضهم عصوا وكفروا هذه النعمة العظيمة ولم يقتصروا على ترك هذا الأمر بل بدلوه بدخولهم كما فى الحديث يزحفون [2] على أستاههم [3] قائلين: حبة فى شعرة، أى جنس الحب فى جنس الشعرة أى فى الغرائر مطلوبنا لا الحطة [4] وهى غفران

= اهل تلك الخطيئة، وقيل: المحسنين منهم، فقيل: معناه من أحسن منهم بعد ذلك زدناه ثوابا ودرجات، وقيل: من كان محسنا منهم زدنا فى إحسانه ومن كان مسيئا مخطئا نغفر له خطيئة، وقيل: المحسنون من دخل كما أمر وقال: لا إله إلا الله. وقال أبو البركات النسفى: إن من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا فى زيادة ثوابه، ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة .

(١-١) ليست فى م .

(٢) فى م: يرجفون .

(٣) فى م: اشباههم .

(٤) زيد فى ظ: فان غيرا كما - كذا .

الذنوب . قال الحرالى : أمروا بالإخلاص لله نظرا إلى حياة قلوبهم فطلبوا الحنطة نظرا إلى حياة جسومهم فقال تعالى « فبدل » من التبديل[١] و هو تعويض[٢] شيء مكان شيء - انتهى . « الذين ظلموا » و أسقط : منهم ، لما يأتى فى الأعراف[٣] « قولا » أى مكان القول الذى أمروا به .

و لما كان التبديل و إن كان يفهم التغيير[٤] لكنه يصدق بأدنى تغيير[٥] و لو أنه فى اللفظ و إن اتحد المعنى بيّن أنه مضاد له بحيث لا يمكن اجتماعهما بقوله[٦] « غير الذى قيل لهم » [٧]فان غيرا كما[٧] قال الحرالى

(١) التبديل تغيير الشيء بآخر ، تقول : هذا بدل هذا ، أى عوضه ، و يتعدى لاثنين الثانى أصله حرف جر ، بدلت دينارا بدرهم أى حصلت له دينارا عوضا من درهم « الذين ظلموا » ظاهره انقسامهم إلى ظالمين و غير ظالمين و أن الظالمين هم الذين بدلوا ، فان كان كلهم بدلوا كان ذلك من وضع الظاهر موضع المضمر إشعارا بالعلة وكأنه قيل : فبدلوا ، لكنه أظهره تنبيها على علة التبديل وهو الظلم أى لولا ظلمهم ما بدلوا ، و المبدل به محذوف ، تقديره : فبدل الذين ظلموا بقولهم حطة - البحر المحيط ١/ ٢٢٤ .

(٢) فى م : تعريض .

(٣) زيد فى م و مد : ان شاء الله تعالى .

(٤) فى م : التعبير .

(٥) فى م : تعبير .

(٦) قال أبو البركات النسفى : فيه حذف و تقدير : فبدل الذين ظلموا بالذى قيل لهم قولا غير الذى قيل لهم ، فبدل إلى مفعول واحد بنفسه و إلى آخر بالباء ، فالذى مع الباء متروك و الذى بغيرها موجود ، يعنى وضعوا مكان حطة قولا غيرها أى أمروا بقول معناه التوبة و الاستغفار فخالفوه إلى قول ليس معناه معنى ما =

كلمة تفهم انتفاء و إثبات ضد ما انتفى ، و قال : ذكر [١] تعالى عدولهم عن كل ذلك [٢] و اشتغالهم ببطونهم و عاجل دنياهم فطلبوا طعام بطونهم التى قد [٣] فرغ منها التقدير و أظهر لهم الغناء عنها فى حال التيه بانزال المن و السلوى إظهارا لبلادة طباعهم و غلبة حب العاجلة عليهم فبدلوا كلمة التوحيد و هى لا إله إلا الله و هى الحطة بطلب الحنطة « و لو أنهم [٤] اقاموا التورٰة و الانجيل و ما انزل اليهم من ربهم [٤] لاكلوا من فوقهم و من تحت ارجلهم »

= أمروا به و لم يمتثلوا أمر الله ، و قيل : قالوا مكان حطة : حنطة ، و قيل : قالوا بالنبطية : حطا سمقاثا ، أى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم و عدولا عن طلب ما عند الله إلى طلب ما يشتهون من أعراض الدنيا - انتهى . و ذكر أبو حيان الأندلسى أقوال المفسرين فى القول الذى قالوه بدل أن يقولوا : حطة ، ثم قال : و الذى ثبت فى صحيح البخارى و مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر ذلك بأنهم قالوا : حبة فى شعرة ، فوجب المصير إلى هذا القول و اطراح تلك الأقوال ، و لو صح شىء من الأقوال السابقة لحمل اختلاف الألفاظ على اختلاف القائلين فيكون بعضهم قال كذا وبعضهم قال كذا فلا يكون فيها تضاد ؛ و كل ذلك عدم مبالاة بأوامر الله فاستحقوا بذلك النكال - انتهى كلامه .

(٧-٧) ليس فى ظ ، و وقع فى م : لكيا - مصحفا .

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى م : ذنب .

(٣) ليس فى م .

(٤-٤) فى الأصول : امنوا واتقوا - كذا ، راجع القرآن الكريم سورة ٥ آية ٦٦ .

« و لو ان اهل القرى[1] آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض »
من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل [2]ما أعطى السائلين - انتهى .
و بين[3] أنه خص المبدلين بالعتاب[4] نعمة منه مع أن له أن يعم فقال[5]
« فانزلنا » أى بعظمتنا بسبب ذلك « على الذين ظلموا » أى خاصة « رجزا »
قال الحرالى : هو أشد العذاب ، و ما جره[6] أيضا يسمى[7] رجزا مما يجب ٥

---

(١) فى الأصول : الكتاب راجع القرآن الكريم سورة ٧ آية ٩٦ .
(٢) ليس فى م .
(٣) كتب فى الأصل فوقه : سبحانه .
(٤) فى ظ و م و مد : بالعقاب .
(٥) قال أبو حيان : كرر الظاهر السابق زيادة فى تقبيح حالهم و إشعارا بعلية نزول الرجز - و بعد ذكر ما قيل فى الرجز من الأقوال قال : و الذى يدل عليه القرآن أنه أنزل عليهم عذاب و لم يبين نوعه إذ لا كبير فائدة فى تعليق النوع . أما الرجز لغة العذاب و تكسر راؤه و تضم ، قيل الرجز مشتق من الرجازة و هى صوف تزين به الهوادج كأنه وسمهم ، قال الشاعر :

و لو تقفاها ضرجت بدمائها كما ضرجت نضو القرام الرجائز

« من السماء » إن فسر الرجز بالثلج كان كونه من السماء ظاهرا ، و إن فسر بغيره فهو إشارة إلى الجهة التى يكون منها القضاء عليهم أو مبالغة فى علوه بالقهر والاستيلاء - اهـ . و قال البيضاوى : عذابا مقدرا من السماء بسبب فسقهم ، و الرجز فى الأصل ما يعاف عنه ، و كذلك الرجس ، و المراد به الطاعون ، روى أنه مات فى ساعة أربعة و عشرون ألفا .
(٦) فى م : جزه .
(٧) فى م : نسمى .

أن يزجر عنه ، و الزجر كف البهائم عن عدواها - انتهى . و لما كان الإنزال مفهما للسماء حققه تعظيما له بقوله « من السماء بما » أى بسبب ما « كانوا يفسقون » أى يجددون الخروج من الطاعة إلى المعصية فى كل وقت ، ففى إفهامه أنهم يعودون إلى الطاعة بعد الخروج منها و ذلك ٥ مقتض لأن يكون يظلمون أشد منه كما يأتى . قال الحرالى : فبحق يجب على من دخل من باب جبل أو قرية أن يقول فى وصيدها[1] : لا إله إلا الله ، ليحط عنه ماضى ذنوبه ، فكأن ذكر الله فى باب المدينة و الشعب ذكاة لذلك المدخل ، فمن لم يدخله مذكيا دخله فاسقا « و لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه و انه لفسق[3] » فلذلك ما[4] انختم / ذكرهم فى[5] الآية بالفسق[6] - ١٠ انتهى . /٧٨

(١) فى م : وعيدها ، و هو خطأ .

(٢) سورة ٦ آية ١٢١ .

(٣) كذا فى الأصول ، و الظاهر أن كلمة « ما » زائدة .

(٤) زيد فى ظ : هذه .

(٥) قال أبو مسلم : هذا الفسق هو الظلم المذكور فى قوله « على الذين ظلموا » و فائدة التكرار التأكيد لأن الوصف دال على العلية ، فالظاهر أن التبديل سببه الظلم أن إنزال الرجز سببه الظلم أيضا . و قال غير أبى مسلم : ليس مكررا لوجهين : أحدهما أن الظلم قد يكون من الصغائر « ربنا ظلمنا » و من الكبائر « ان الشرك لظلم عظيم » و الفسق لا يكون إلا من الكبائر ، فلما وصفهم بالظلم أولا وصفهم بالفسق الذى هو لابد أن يكون من الكبائر ، و الثانى أنه يحتمل أنهم استحقوا اسم الظلم بسبب ذلك التبديل و نزول الرجز عليهم من السماء لا بسبب ذلك التبديل بل =

و لما بين سبحانه[1] نعمته عليهم بالإمكان من القرية بالنصر على أهلها و التمتع[2] بمنافعها و ختمه بتعذيبهم[3] بما يميت أو يحرق و تبين من ذلك كله أن قلوبهم أشد قسوة من الحجارة كما سيأتى التصريح به من قول الله تعالى فى قصة البقرة و أنها لا منفعة فيها اتبعه التذكير[4] بنعمته عليهم فى البرية بما يبرد الأكباد و يحيي الأجساد فذكر انفجار الماء من الحجر ٥ الذى عمهم نفعه و أنقذهم من الموت تبعة[5] و دلهم على التوحيد و الرسالة أصله و فرعه بقدرة الصانع و علمه جمعا لهم بذلك بين نعمتى الدين و الدنيا[6] فقال تعالى « و اذ استسقى » أى طلب السقيا . قال الحرالى : و السقيا فعلى صيغة مبالغة فيما يحصل بـه الرى من السقى و السقى[7] إحياء موات

= بالفسق الذى فعلوه قبل ذلك التبديل ؛ على هذا يزول التكرار - انتهى ما قاله أبو حيان فى البحر المحيط ١ / ٢٢٤ . ثم ذكر احتجاج بعض الناس أن ما ورد به التوقيف من الأقوال لا يجوز تغيره ولا تبديله بلفظ آخر وقال قوم : يجوز ذلك ، فالتفصيل يطلب فيه .

(١) ليس فى ظ .

(٢) فى م : التمتيع .

(٣) زيد فى ظ : بها .

(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التذكر .

(٥-٥) ليست فى ظ .

(٦) قال أبو حيان الأندلسى : هذا هو الإنعام التاسع و هو جامع لنعم الدنيا والدين ، أما فى الدنيا فلأنه أزال عنهم الحاجة الشديدة إلى الماء و لولا هو لهلكوا فى التيه و هذا أبلغ من الماء المعتاد فى الإنعام لأنهم فى مفازة منقطعة ، و أما فى الدين فلأنه من أظهر الدلائل على وجود الصانع و قدرته و علمه وعلى صدق موسى =

شأنه أن يطلب الإحياء حالا أو مقالا ؛ قال صلى الله عليه وسلم : اللهم اسق عبادك ! ثم قال : وأحى بلدك[1] الميت - انتهى . « موسى لقومه » أى لما خافوا الموت من العطش « فقلنا » أى بما لنا من العظمة حين خفيت عنهم « اضرب » قال الحرالى : من الضرب وهو وقع الشىء على الشىء بقوة « بعصاك » والعصا[2] كأنها ما يكف به العاصى ، وهو من ذوات الواو ، والواو فيه إشعار بعلو كأنها آلة تعلو من قارف[3] ما تشعر فيه الياء بنزول عمله بالمعصية ، كأن العصو أدب العصى ، يقال عصا يعصو أى ضرب بالعصا اشتقاق ثان ، وعصى يعصى إذا خالف الأمر - انتهى . « الحجر » أى جنسه فضرب حجرا[4] « فانفجرت » *وما أنسب ذكر الانفجار هنا بعد ختم ما قبل بالفسق[6] لاجتماعهما فى الخروج عن محيط ،

= عليه السلام ، والاستسقاء طلب الماء عدمه وقلته . وذكر الله هذه النعمة من الاستسقاء غير مقيدة بمكان وقد اختلف فى ذلك - ثم ذكر الاختلاف من أراد الاطلاع فليراجع إلى البحر المحيط ١ / ٢٢٦ .

(١) فى م : بذلك .

(٢) العصا مؤنث والألف منقلبة عن واو ، قالوا : عصوان ، وعصوته أى ضربته بالعصا ويجمع على أفعل شذوذا قالوا : أعص ، أصله أعصو ، وعلى فعول قياسا قالوا : عصى ، أصله عصو ويتبع حركة العين حركة الصاد .

(٤) فى م : قارن .

(٥) زيد فى م ومد : وطوى هذا القدر من الضرب لا بناء .

(٦) زيد فى م ومد : عليه مع البلاغة وبراعة الحسن ولطافة الرونق بحذفه والدلالة على سرعة الامتثال وعلى أن المؤثر فى الحقيقة إنما هو الأمر بالضرب لأن الضرب نفسه .

(٧) فى ظ : الفسق .

هذا خروج يحيي و ذاك خروج يميت . قال الحرالى : الانفجار[1] انبعاث وحى من شيء موعى أو كأنه موعى انشق و انفلق عنه وعاؤه و منه الفجر و انشقاق الليل عنه ـ انتهى . و لأن هذا سياق الامتنان عبر بالانفجار الذى يدور معناه على انشقاق فيه سيلان و انبعاث مع انتشار و اتساع و كثرة ، و لما لم يكن سياق الأعراف للامتنان عبر بالانبجاس الذى يدور معناه على ٥ مجرد الظهور و النبوع[2] « منه » أى الحجر الذى ضربه « اثنتا عشرة عينا » لكل سبط عين ، و العين قال الحرالى هو باد نام[3] قيم يبدو به غيره ،

(١) قال أبو حيان الأندلسى : الانفجار انصداع شيء من شيء و منه انفجر و الفجور و هو الانبعاث فى المعصية كالماء و هو مطاوع فعل بفجره فانفجر . « فانفجرت » الفاء للعطف على جملة محذوفة التقدير : فضرب فانفجرت ، كقوله تعالى « ان اضرب بعصاك الحجر فانفلق » أى فضرب فانفلق و يدل على هذا المحذوف وجود الانفجار مرتبا على ضربه ، إذ لو كان ينفجر دون الضرب لما كان للأمر فائدة ولكان تركه عصيانا و هو لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام . « منه » متعلق بقوله « فانفجرت » و « من » هنا لابتداء الغاية ، و الضمير عائد على الحجر المضروب ، فانفجار الماء كان من الحجر لا من المكان كما قال تعالى « و ان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار » و جاء هنا « انفجرت » و فى الأعراف « انبجست » فقيل هما سواء ، انفجر و انبجس و انشق مترادفات ، و قيل بينهما فرق و هو أن الانبجاس هو أول خروج الماء و الانفجار اتساعه و كثرته ، و قيل الانبجاس خروجه من الصلب و الانفجار خروجه من اللين ، و قيل الانبجاس هو الرشح و الانفجار هو السيلان ، و ظاهر القرآن استعمالها بمعنى واحد لأن الآيتين قصة واحدة ـ انتهى كلامه ، أما ما ذكره المصنف له معنى باعتبار المحل و السياق فتدبر .

(٢) فى ظ : النوع ـ انتهى .

(٣) فى م : تام ، و فى مد : نام ـ كذا .

فما أجزأ من الماء فى رى أو زرع فهو عين، و ما مطر من السماء فأغنى فهو عين، يقال إن العين مطر أيام لا يقلع و إنما هو مطر يغنى و ينجع، و ما تبدو به الموزونات عين، و ما تبدو به المرئيات من الشمس عين، و ما تنال به الأعيان من الحواس عين، و الركية و هى بئر السقيا عين، و هى التى يصحفها بعضهم فيقول[1]: الركبة - بالباء يعنى الموحدة - و إنما هى الركيّة - بالياء المشددة - كذا[2] قال، و قد ذكر أهل اللغة عين الرُكبة؛ و عدّ فى[2] القاموس المعانى التى لهذا اللفظ نحو أربعين[3]، منها نقرة[4] الركبة

(١) فى م: فقال.

(٢) ليس فى م و مد.

(٣) قال أبو حيان: العين لفظ مشترك بين منبع الماء و العضو الباصر و السحابة تقبل من ناحية القبلة و المطر يمطر خمسا أو ستا لا يقلع و من له شرف فى الناس و الثقب فى المزادة و الذهب و غير ذلك، و جمع على أعين شاذا و عيون قياسا، و قالوا فى الأشراف: أعيان، و جاء ذلك قليلا فى العضو الباصر قال الشاعر:

أسمل أعيانا لها و مآقيا

« عينا » منصوب على التمييز و كان هذا العدد دون غيره لكونهم كانوا اثنى عشر سبطا و كان بينهم تضاغن و تنافس فاجرى الله لكل سبط منهم عينا يرده لا يشركه فيه أحد من السبط الآخر، و ذكر هذا العدد دون غيره يسمى التخصيص عند أهل علم البيان و هو أن يذكر نوع من أنواع كثيرة لمعنى فيه لم يشركه فيه غيره و منه قوله تعالى « و انه هو رب الشعرى » قال بعض أهل اللطائف: خلق الله الحجارة و أودعها صلابة يفرق بها أجزاء كثيرة مما صلب من الجوامد و خلق الأشجار رطبة الغصون ليست لها قوة الأحجار فتؤثر فيها تفريقا بأجزائها ولا تفجير العيون ماءها بل الأحجار تؤثر فيها، فلما أيدت بقوة النبوة انفلقت =

أى بالموحدة ، و منها مفجر ماء الزكية بالتحتانية مشددة .

و لما توقع السامع إخبار المتكلم هل كانت الأعين موزعة بينهم[١] معروفة أو ملبسة قال « قد علم كل اناس » أى منهم . قال الحرالى : و هو اسم جمع من الأنس - بالضم ، كالناس اسم جمع من النوس ، قال : فلم يسمهم باسم من أسماء الدين لأن الاسماء تجرى على حسب الغالب على المسمّين بها من أحوال تدين أو حال طبع أو تطبع « مشربهم » مكتفاهم من الشرب المردد مع الأيام و مع الحاجات فى كل وقت بما يفهمه المفعل اسم مصدر ثان مشتق من مطلق الشرب أو[٢] اسم محل يلزمه

= بها البحار و تفرقت بها أجزاء الأحجار و سالت بها الأنهار إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار - انتهى كلامه . قال على الهائمى : ثم أشار إلى أن النعم الإلـهية لو لم تكن فى حقهم سبب الكفر فلا أقل من أن تكون سبب التفرقة فقال « و اذ استسقى موسى لقومه فقلنـا اضرب بعصاك الحجر » وكانا من الجنة حملها آدم فتوارثها الأنبياء عليهم السلام حتى وصلا إلى شعيب فأعطاهما موسى عليه السلام ، و كان مكعبا ينبع من كل وجه ثلاث أعين يسيل كل عين فى جدول ، و لا يبعد من قدرة الله أن يجعل الحجر جاذبا للهواء مقلبا لها بقوة تبريده بالماء « فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا » عدد قبائلهم « قد علم كل » قبيلة « اناس مشربهم » المعين إذ لا يجتمعوا على مشرب واحد فلم يجتمعوا فى حياة موسى الجامع لهم على مشرب واحد فكيف يجتمعون بعده على شريعة واحدة - انتهى كلامه .

(٤) فى م : بعدد .

(١) زيد فى م : او .

(٢) فى ظ : و .

التكرار عليه و التردد ، فجعل سبحانه سقياهم آية من آياته فى عصاه ، كما كانت آيته فى عصاه على عدوه الكافر ، فكان فيها نقمة و رحمة ؛ و ظهر بذلك كمال تمليكه تعالى لمحمد صلى الله عليه و سلم حين كان ينبع من بين أصابعه الماء غنيا فى نبوعه عن آلة ضرب أو حجر ، و تمليك الماء من أعظم التمكين ، لأنه تمكين فيما هو بزر[1] كل شىء و منه كل حى و فيه كل مجعول و مصور - انتهى . يعنى أن هذه الخارقة دون ما نبع للنبى صلى الله عليه و سلم من الماء من بين أصابعه ، و دون ما نبع بوضع أصحابه سهما من سهامه فى بئر الحديبية و قد كانت لا ماء فيها ، و نحو ذلك كثير .

و لما [2]كان السياق للامتنان[2] [3]و كان[3] الإيجاد لا تستلزم التحليل للتناول قال زيادة على ما فى الأعراف ممتنا[4] عليهم بنعمة الإحلال بعد الإيجاد على تقدير القول لأنه معلوم تقديره[5] « كلوا و اشربوا من رزق الله »

(١) فى م : برز .

(٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣ - ٣) ليس فى م .

(٤) فى م : تمننا .

(٥) قال أبو حيان : هو على إضمار قول أى و قلنا لهم ، و هذا الأمر أمر إباحة . قال السلمى : مشرب كل أحد حيث أنزله رائده ، فمن رائده نفسه مشربه الدنيا ، أو قلبه فمشربه الآخرة ، أو سرّه فمشربه الجنة ، أو روحه فمشربه السلسبيل ، أو ربه فمشربه الحضرة على المشاهدة حيث يقول : « وسقاهم ربهم شرابا طهورا » طهرهم به عن كل ما سواه ؛ و بدئ بالأكل لأنه المقصود أولا ، =

أى الذى رزقكموه [١] من له الكمال كله [١] من غير كد و لا نصب [٢] .
قال الحرالى : لما لم يكن فى مأكلهم و مشربهم جرى العادة حكمته فى الأرض فكان من غيب فأضيف ذكره لاسم الله الذى هو غيب « و لا

= و ثنى بالشرب لأن الاحتياج إليه حاصل عن الأكل ولأن ذكر المن و السلوى متقدم على انفجار الماء ، « من رزق الله » ولما كان مأكولهم و مشروبهم حاصلين لهم من غير تعب منهم و لا تكلف أضيفا إلى الله تعالى و هذا التفات إذ تقدم « فقلنا اضرب » و الرزق هنا هو المرزوق و هو الطعام من المن و السلوى و المشروب من ماء العيون .

(١ - ١) ليست فى ظ .

(٢) قال أبو حيان الأندلسى : ولما كان مطعومهم و مشروبهم بلا كلفة عليهم ولا تعب فى تحصيله حسنت إضافته إلى الله و إن كانت جميع الأرزاق منسوبة إلى الله تعالى سواء كانت مما تسبب العبد فى كسبها أم لا ، و اختص بالإضافة للفظ الله إذ هو العلم الذى لا يشركه فيه أحد الجامع لسائر الأسماء « الله الذى خلقكم ثم رزقكم » « قل من يرزقكم من السمٰوٰت والارض قل الله » « امن يبدؤا الخلق ثم يعيده و من يرزقكم من السماء و الارض . الله مع الله » و فى هذه الآية دليل على جواز أكل الطيبات من الطعام و شرب المستلذ من الشراب و الجمع بين اللونين و المطعومين وكل ذلك بشرط الحل . و قال المهائمى : « و اشربوا » من المشارب حال كونها « من رزق الله » فلا تستعينوا به على معصية الله بل اجعلوه عونا على طاعته و استدلوا به على عنايته بكم « ولا تعثوا » أى لا تفسدوا فسادا ساريا « فى الارض » حال كونكم « مفسدين » بالتفرقة فلا تزيدوا عليها ، فعلم أن نعم الله لم تزل فى حقهم سببا لمزيد فسادهم ، لذلك زادوا فسادا ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم - انتهى .

تعثوا » من العثو و هو أشد الفساد و كذلك العثى إلا أنه يشعر هذا التقابل بين الواو و الياء، إن العثو إفساد أهل القوة بالسطوة و العثى إفساد أهل المكر بالحيلة ـ انتهى . « فى الارض » أى عامة ، لأن من أفسد فى شىء منها بالفعل فقد أفسد فيها كلها بالقوة ، و اتباع ما معناه الفساد

٥ قوله « مفسدين » دليل على أن المعنى و لا تسرعوا إلى فعل ما يكون فسادا قاصدين به الفساد ، فان العثى و العيث الإسراع فى الفساد ، لكن قد يقصد بصورة الفساد الخير فيكون / صلاحا فى المعنى ، كما فعل الخضر /٧٩ عليه السلام فى السفينة و الغلام ، و ليس المراد بالإسراع التقييد بل الإشارة إلى أنه لملائمته للهوى لا يكون إلا كذلك ؛ و سيأتى له فى سورة هود

١٠ عليه السلام إن شاء الله تعالى مزيد بيان[١] . قال الحرالى: و فيه إشعار

(١) قد فسر أبو حيان العثو والعثى مثل ما فى هذا الكتاب مع مزيد بيان ـ إلى أن قال : لما أمروا بالأكل و الشرب من رزق الله و لم يقيد ذلك عليهم بزمان و لا مكان و لا مقدار من مأكول أو مشروب كان ذلك إنعاما و إحسانا جزيلا واستدعى ذلك التبسط فى المآكل والمشارب وأنه ينشأ عن ذلك القوة الغضبية و القوة الاستعلائية نهاهم عما يمكن أن ينشأ عن ذلك وهو الفساد حتى لا يقابلوا تلك النعم بما يكفرها وهو الفساد فى الأرض . و يكون فسادهم فيها من جهة أن كثرة العصيان والإصرار على المخالفات و البطر يؤذن بانقطاع الغيث و قحط البلاد و نزع البركات و ذلك انتقام يعم الأرض بالفساد . قال القشيرى فى قوله تعالى « واذ استسقى » الآية : إن الذى قدر على إخراج الماء من الصخرة الصماء كان قادرا على إروائهم بغير ماء و لكن لإظهار أثر المعجزة فيه و اتصال محل الاستعانة إليه و ليكون لموسى عليه السلام فى فضل الحجر مع نفسه شغل و لتكليفه أن يضرب بالعصا نوع من المعالجة ثم أراد أن يكون كل سبط =

بوقوع

بوقوع ذلك منهم، لأن فى كل نهى إشعارا بمخالفته، إلا ما شاء الله، و فى كل أمر إشعارا بموافقته إلا ما شاء الله، لأن ما جبل عليه المرء لا يؤمر به لاكتفاء إجباره فيه طبعا عن أمره، و ما منع منه لا ينهى عنه لاكتفاء إجباره عن أمره، و إنما مجرى الأمر و النهى توطئة لإظهار الكيان فى التفرقة بين مطيع و عاص، فكان منهم لذلك من العتى(١) ما أوجب ما أخبر به الحق عنهم من الهوان، و أشد الإفساد إفساد بنيان الحق الذى خلقه بيده و هى مبانى أجساد بنى آدم فكيف بالمؤمنين منهم

= جاريا على سننه غير مزاحم لصاحبه و حين كفاهم ما طلبوه أمرهم بالشكر و حفظ الأمر و ترك احتقاب الوزر فقال «ولا تعثوا» و المناهل مختلفة و كل يرد مشربه، فمشرب فرات و مشرب أجاج و مشرب صاف و مشرب رنق، و سياق كل قوم يقودهم فالنفوس ترد مناهل المنى، و القلوب ترد مشارب التقى، و الأرواح ترد مناهل الكشف، و المشاهدات و الأسرار ترد مناهل الحقائق بالاختطاف من حقيقة الوحدة و الذات ـ انتهى كلامه ملخصا. قال البيضاوى: «ولا تعثوا فى الارض مفسدين» لا تعتدوا حال إفسادكم، و إنما قيده لأنه وإن غلب فى الفساد فقد يكون منه ما ليس بفساد، كمقابلة الظالم المعتدى بفعله، و منه ما يتضمن صلاحا راجحا كقتل الخضر الغلام و خرقه السفينة؛ و يقرب منه العبث غير أنه يغلب فيما يدرك حسا. و من أنكر أمثال هذه المعجزات فلغاية جهله بالله و قلة تدبره فى عجائب صنعه، فانه لما أمكن أن يكون من الأحجار ما يحلق الشعر و ينفر الخل و يجذب الحديد لم يمتنع أن يخلق الله حجرا يسخره لجذب الماء من تحت الأرض أو لجذب الهواء من الجوانب و تصييره ماء بقوة التبريد و نحو ذلك ـ انتهى.

(١) زيد فى م: و.

فكيف بالأنبياء منهم - انتهى .

و لما امتنّ عليهم[1] بهذه النعمة العظمى من أكل المن و السلوى و شرب هذا الماء الربانى بين أنهم كفروها بالتضجر منها و طلب غيرها و بالتيه كان قريبا منها بل كما أن هذه فى غاية العلو كان مطلوبهم فى غاية الدناءة[2] و السفول فقال تعالى « و اذ قلتم » أى بعد هذه النعم كلها « يٰموسى » منادين له باسمه من غير تعظيم « لن نصبر » أى طويلا « على طعام » قال الحرالى : الطعام[3] ما يقوت المتطعم و يصير جزاء منه « فلينظر الانسان إلى طعامه[4] » الآية - انتهى . « واحد » أى [5]لا يتبدل و إن كان متعددا[5]

(١) زيد فى م : سبحانه .

(٢) فى م : النداة - كذا .

(٣) قال أبو حيان : الطعام اسم لما يطعم كالعطاء اسم لما يعطى و هو جنس، الواحد الذى لا يتبعض و الذى لا يضم إليه ثان ، يقال وحد يحد وحدا و حدة إذا انفرد ، الدعاء التصويت باسم المدعو على سبيل النداء، الإنبات الهمزة فيه للنقل و هو الإخراج لما شأنه النمو ؛ لما سئموا من الإقامة فى التيه و المواظبة على مأكول واحد لبعدهم عن الأرض التى ألفوها و عن العوائد التى عهدوها أخبروا عما وجدوه من عدم الصبر على ذلك و تشوقهم إلى ما كانوا يألفون و سألوا موسى ان يسأل الله لهم لما كان سؤال النبى أقرب للاجابة سألوه عن ذلك ، و لأن النوع الواحد أربعين سنة يمل و يشتهى إذ ذاك غيره ، و ذكر تسعة أقوال فى معنى قوله « على طعام واحد » راجع إلى البحر المحيط ١ / ٢٣٢ .

(٤) سورة ٨٠ آية ٢٤ .

(٥-٥) ليست فى ظ .

و إن كان شريفا لاتعب فيه « فادع لنا » قال الحرالى : من الدعاء و هو نداء لاقتضاء غلبة لما تدعو الحاجة إليه[1] من القائم على الداعى بتذلل و افتقار و هو فى مقابلة الأمر من الأعلى ، لأنه اقتضاء لما لا[2] تدعو إليه حاجة من الآمر لأن الآمر بالحقيقة إنما هو الغنى لا المفتقر لما يقتضيه - انتهى . « ربك » مضيفين لهذا الاسم إليه دون أنفسكم مع كثرة تجليه لكم بهذا الوصف الناظر إلى الإحسان « يخرج لنا » أى و إن كنت أنت غير ملتفت إلى ذلك « مما تنبت » من الإنبات و هو التغذية و التنمية - قاله الحرالى . « الارض » ثم بينوا[3] ما أرادوا بقولهم « من بقلها[4] » أى

(١) قدمه فى م على « الحاجة » .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) فى ظ : يلبوا - كذا .

(٤) البقل جنس يندرج فيه النبات الرطب مما يأكله الناس و البهائم ، يقال منه بقلت الأرض و أبقلت أى صارت ذات بقل و منه الباقلاء - قاله ابن دريد ، و المراد بالبقل هنا أطايب البقول التى يأكلها الناس كالنعناع و الكرفس و الكراث و أشباهها - قاله الزمخشرى . القثاء اسم جنس واحده قثاءة بضم القاف وكسرها و هو هذا المعروف ، و قال الخليل : هو الخيار ، الفوم قال الكسائى و الفراء و النضر بن شميل و غيرهم هو الثوم ، أبدلت الثاء فاء كما قالوا فى مغفور : مغثور ، و فى جدف : جدث . و قال أبومالك وجماعة : الفوم الحنطة ، و قال ابن قتيبة والزجاج : هى الحبوب التى تؤكل و قيل الحبوب التى تخبز . و قال قطرب : الفوم كل عقدة فى البصل وكل قطعة عظيمة فى اللحم وكل لقمة كبيرة ؛ وأحوال =

خضرها . قال الحرالى : البقل ما يكثر به الأُدم ، و الأُدم الأشياء الدسمة فما يصلح معها من نجم الأرض فهو بقل - انتهى . « و قثائها و فومها » أى الحنطة . و قال الحرالى : يقال هو الحب الذى يخبز - انتهى . « و عدسها و بصلها » فكأنه قيل إن هذا العجب منهم فما[1] قال[2] ؟ فقيل قال « قال »[3] منكرا عليهم « اتستبدلون » أى أتأخذون « الذى هو ادنى »[4] أى منزلة[4] « بالذى هو خير » أى بدله . فالباء داخلة هنا على المتروك و هذه المادة أعنى الباء و الدال المهملة و اللام بهذا الترتيب لها استعمالات كثيرة يختلف معناها معها فيشكل فهمها بسبب ذلك ، فانه قد يذكر معها المتقابلان فقط ، و قد يذكر معها غيرها ، و قد لا يكون كذلك ، و قد يكون ذلك مع التبدل و الاستبدال مصحوبا أحدهما بالباء ، و قد لا يكون كذلك ، و قد يذكران مع التبديل و الإبدال ، و تارة تكون الباء داخلة على المتروك ، و تارة على المأخوذ ، و قد يعدى الفعل بنفسه إلى المفعولين ، و تارة يقتصر به على مفعول واحد ؛ و لبعض الإستعمالات

= هذه الخمسة التى ذكروها مختلفة ، فذكروا أولا ما هو جامع للحرارة و البرودة و الرطوبة و اليبوسة - من البحر المحيط ملخصا ١ / ٢٣٣ .

(١) فى م : فيما .

(٢) فى ظ : قاله .

(٣) قال الهائمى : أى أتطلبون أدنى الأشياء قدرا و نفعا و لذة بدل أعلاها و لذلك استبدلوا الدنيا بالآخرة و شريعتهم بهذه الشريعة - انتهى .

(٤-٤) ليس فى ظ .

معنى غير معنى الآخر و سيأتى تحريره إن شاء الله تعالى فى سورة سبأ فكأنه قيل : فهل أجابهم إلى سؤالهم ؟ فقيل : نعم ، قال « اهبطوا مصرا »[١] أى من الأمصار ، قال الحرالى : المصر هو البلد الجامع لما يتعاون عليه من أمور الدنيا الذى يجمع هذه المطالب التى[٢] طلبوها لأن ما دون الأمصار لا يكون فيها إلا بعضها[٣] ، و منه سميت مصر لجماع أمر ما فى الدنيا فيها ٥

(١) قال أبو حيان الأندلسى : المصر البلد مشتق من مصرت الشاة أمصرها مصرا حلبت كل شىء فى ضرعها ، و قيل : المصر الحد بين الأرضين و هجر ، يكتبون : اشترى الدار بمصورها ، أى بحدودها ، و قال عدى بن زياد :

و جاعل الشمس مصرا لا خفاء به بين النهار و بين الليل قد فصلا

و الجمهور على صرف مصرا هنا ، و قرأ الحسن و طلحة و الأعمش و أبان بن ثعلب بغير تنوين ، فأما من صرف فانه يعنى مصرا من الأمصار غير معين ، و أما من قرأ مصر بغير تنوين فالمراد مصر العلم و هى دار فرعون - انتهى ملخصا . و قال البيضاوى : انحدروا إليه من التيه ، يقال هبط الوادى إذا نزل به ، و هبط منه إذا خرج منه ، و قرئ بالضم ، و المصر البلد العظيم و أصله الحد بين الشيئين ، و قيل أراد به العلم و إنما صرفه لسكون وسطه أو على تأويل البلد و يؤيده أنه غير منون فى مصحف ابن مسعود و قيل أصله مصرايم فعرب - انتهى . و قال أبو البركات النسفى : مصرا من الأمصار أى انحدروا إليه من التيه و بلاد ما بين المقدس إلى قنسرين و هى اثنا عشر فرسخا فى ثمانية فراسخ ؛ أو مصر فرعون - انتهى .

(٢) فى ظ : الذى .

(٣) فى ظ : بعضا .

و غرابة سقياها ، و إن وافق ذلك ما يقال إنها سميت مصر باسم رجل فالوفاق فى حكمة الله، لأن كل دقيق و جليل فيها جارٍ بعلم الله و حكمته حيث كانت من وراء حجاب يخفيها أو ظاهرة بادية لأهل النظر و الاستبصار - انتهى . « فان لكم » أى فيه « ما سالتم »[1] و ينقطع عنكم المن و السلوى ، و السؤال قال الحرالى طلب ما تدعو إليه الحاجة و تقع به الكفاية ، قال : و ذكر تعالى أن مطلبهم إنما يجدونه فى الأمصار التى أقر فيها حكمته لا فى المفاوز التى تظهر فيها كلمته ، و لذلك كثيرا ما تنخرق العادة لأولياء هذه الأمة فى المفاوز و قل[2] ما تنخرق فى الأمصار و القرى ، لما فى هذه الآية مضمونه[3]، و لذلك حرص السالكون على السياحة و الانقطاع عن العمائر ، لما يجدون فى ذلك من رَوح رزق الله عن كلمته دون كلفة حكمته .

و لما نظم سبحانه بنبأ موسى عليه السلام ما كان من نبأهم مع يوشع

(١) قال المهائمى : « فان لكم » فيه « ما سالتم » من غير دعاء أحد و لا يليق بى أن أدعو لتنزيلكم . و قال النسفى : « فان لكم » فيها « ما سالتم » أى فان الذى سالتم يكون فى الأمصار لا فى التيه . قال أبو حيان : السؤال الطلبَ و المطلوب ، هذه الجملة جواب للأمر كما يجاب بالفعل المجزوم ، والمعنى ما سالتم من البقول و الحبوب التى اخترتموها على المن و السلوى ، و قيل ما سالتم من اتكالكم على تدبير أنفسكم فى مصالح معاشكم و أحوال أقواتكم - انتهى .

(٢) فى م : قيل ، و هو كما ترى .

(٣) فى م : مضمونة - كذا .

عليه السلام [1]بعده نظم فى هذه الآية بخطاب موسى عليه السلام ما كان منهم بعد يوشع عليه السلام[1] إلى آخر اختلال أمرهم و انقلاب أحوالهم من حسن المظاهرة لنبيهم إلى حال الاعتداء و القتل لأنبيائهم عليهم السلام، و فى جملته[2] إشعار بأن ذلك لم يكن منهم إلا لأجل إيثار الدنيا [و-٣] رئاستها و مالها على الآخرة إيثارا للعاجلة على الآجلة، و فى طيه أشد ٥ التحذير لهذه الأمة فى اتباعهم لسنن أهل الكتاب فى مثل أحوالهم؛ و لذلك انتظم بها الآية الجامعة و ابتدأ بذكر الذين آمنوا من هـذه / الأمة ثم استوفى الملل التى لها صحة على ما يذكر آنفا إن شاء الله تعالى ٨٠ / - انتهى . و لما كان التقدير ففعلوا ما أمروا به من هبوط المصر فكان ما وعدوا به عطف عليه قوله « و ضربت عليهم الذلة » ملازمة لهم محيطة ١٠ بهم من جميع الجوانب كما يحيط البيت المضروب على الإنسان به، و هى اسم من الذل[4] و هو صغار فى النفس عن قهر و غلبة . قال الحرالى : و فى

(١-١) ليست فى ظ .

(٢) فى ظ : جملة ذلك ، و فى م : حمته - كذا .

(٣) زيدت الواو من م .

(٤) الذل الخضوع و ذهاب الصعوبة و الذلة كأنها هيئة من الذل كالجلسة ، معنى الضرب هنا الإلزام و القضاء عليهم ، من ضرب الأمير البعث على الجيش وضرب الدهر ضرباته أى ألزم إلزاماته ، و قيل معناه الإحاطة بهم والاشتمال عليهم ، مأخوذ من ضرب القباب ؛ و قيل معناه التصقت بهم ، من ضربت الحائط بالطين ألصقته به ، أما الذلة فقيل هى هوانهم بما ضرب عليهم من الجزية التى يؤدونها عن يد وهم صاغرون ، و قيل : فقر النفس و شحها فلا ترى ملة من=

عطفه إفهام لمجاوزة أنباء عديدة غايتها فى الظهور ما عطف عليها كأن الخطاب يفهم فأنزلناهم[1] حيث أنزلوا أنفسهم و منعناهم ما لا يليق عن حاله مثل حالهم فظهر منهم وجوه من الفساد ، فسلط عليهم العدو فاستأصل منهم من شاء الله و من بقى منهم أخذوا بأنواع من الهوان - انتهى .

٥ « و المسكنة » أى كذلك مناسبة لخساسة ما سألوه[2] . قال الحرالى : و هى ظهور معنى الذل أو التذلل على ظاهر الهيئة و الصورة سكونا و انكفاف حراك - انتهى . « و باءوا » أى رجعوا [3] وكانوا أحقاء[3] « بغضب »

= الملل أذل و أحرص من اليهود . و المضروب عليهم الذلة و المسكنة اليهود المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم - قاله الجمهور ، أو الذين كفروا بآيات الله و قتلوا الأنبياء بغير حق و القائلون : ادع لنا ربك ، و من تابعهم من أبنائهم أقوال ثلاثة - فلخص من البحر المحيط ١ / ٢٣٦ .

(١) فى مد : فانزلنا .

(٢) قال المهائمى : « و » لما مالوا إلى الأدنى « ضربت عليهم الذلة و المسكنة » أى جعلت كالقبة المضروبة عليهم فى الإحاطة بهم فلا يكاد ترى يهوديا إلا ذليلا و مسكينا فى نفسه أو فيما يظهر من حاله مخافة أن يستزاد فى الجزية ، و فيه إشارة إلى أنهم ليس لهم إذلال هذا الدين أصلا « و » ليس تذللهم و مسكنتهم محمودا يفيد رضا الله بل لذلك « باءوا » أى رجعوا إلى ذلة أنفسهم ملتبسين « بغضب » عظيم « من الله » بتسليط قهره موضع لطفه ، و لذلك سلط عليهم الكفر و منعهم الإيمان و ليس بمجرد استبدالهم الطعام المحل لهم . قال أبو حيان : باء بكذا أى رجع - قاله الكسائى ، أو اعترف - قاله أبو عبيدة ، واستحق - قاله أبو روق ، أو نزل و تمكن - قاله المبرد ، أو تساوى - قاله الزجاج ، و أنشدوا لكل قول =

[1]من باء فلان بفلان إذا كان حقيقا بأن يقتل به لمساواته له[1] . قال الحرالى : معناه اجماع القاهر على الانتقام فى حق مراغمة - انتهى .

« من الله »[2] [1]الملك الأعظم[1] لجرأتهم على هذا المقام الأعظم مرة بعد مرة وكرة إثر كرة . قال الحرالى : وفيه تهديد لهذه الأمة بما غلب على أهل الدنيا منهم من مثل أحوالهم باستبدال الأدنى فى المعنى من الحرام والمتشابه بالأعلى من الطيب والأطيب المأخوذ عفوا واقتناعا - انتهى .

ثم ذكر سبب هذا وقال الحرالى : ولما كان الغضب إنما يكون على من راغم الجليل فى معصيته[3] ووقعت منهم المراغمة فى معصيتهم واعتدائهم ذكر فعلهم - انتهى . فقال « ذلك »[4] أى الأمر العظيم الذى حل بهم من الغضب وما معه ، ويجوز أن يرجع إلى اهتمامهم بأمر معاشهم وعنايتهم بأحوال شهواتهم على هذا النحو الأخس الأدنى « بانهم » أى بسبب أنهم

= مايستدل به من كلام العرب. وباء يستعمل فى الخير وفى الشر، فى الحديث: أبوء بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى . (٣-٣) ليست فى ظ .

(١-١) ليست فى ط .

(٢) زيد : فى مد : اى .

(٣) فى م : معصية .

(٤) الإشارة إلى المباءة بالغضب أو المباءة والضرب ، والباء للسبب ، أى ذلك كائن بكفرهم وقتلهم ، الآيات : المعجزات التسع وغيرها التى أتى بها موسى أو التوراة - من البحر المحيط ١ / ٢٣٦ .

« كانوا » [١]أى جبلة و طبعا[١] « يكفرون » [١]أى مجددين مستمرين[١] « بآيٰت الله » أى يسترون إذعانهم و تصديقهم بسبب آيات الله الذى له جميع العظمة كتمانا عمن لا يعلم الآيات و تلبيسا[٢] ، و كان تجديد ذلك و الإصرار عليه ديدنا[٣] لهم و خلقا قائما بهم . قال الحرالى : و الكفر بالآيات أبعد الرتب من الإيمان ، لأنه أدنى من الكفر بالله ، لأن الكفر بالله كفر بغيب و الكفر بآيات الله كفر بشهادة « و الذين كفروا بآيٰتنا[٤] هم اصحٰب المشئمة » انتهى . « و يقتلون النبيين » أى كان ذلك جبلة لهم[٥] و طبعا . قال الحرالى : و هذا جمع نبىء و هو من النبأ و هو الإخبار عن غيب عجز عنه المخبر به من حيث أخبر - انتهى[٦] .

(١ - ١) ليس فى ظ ، و فى م و مد : مستهزئين ـ مكان : مستمرين .

(٢) فى ظ : تلبيا .

(٣) فى الأصل : ديدينا ـ و هو محرف .

(٤) وقع فى ظ : بـآيات الله ـ خطأ ؛ راجع القرآن الكريم سورة ٩٠ آية ١٩ .

(٥) ليس فى ظ .

(٦) قال أبو حيان : النبى مهموز من أنبأ فعيل بمعنى مفعل كسميع من أسمع ، و جمع على النباء و مصدره النبوءة و تنبأ مسيلمة ، كل ذلك دليل على أن اللام همزة . و حكى الزهراوى أنه يقال نبؤ إذا ظهر ، و بذلك سمى الطريق الظاهر نبيئا ؛ و من لم يهمز فقيل أصله الهمز ثم سهل و قيل مشتق من نبا ينبو إذا ظهر و ارتفع . قال الكسائى : النبى الطريق سمى به لأنه يهتدى به ، و سمى الرسول لأنه طريق إلى الله . قتلوا يحيى و شعيا و زكريا ، و روى عن ابن مسعود قتل بنو إسرائيل =

و لما كان النبي معصوما دينا و دنيا قال « بغير الحق »[١] أى الكامل تنبيها على أن قتله[٢] لا يقع إلا كذلك[٣]، لكن هذا لا ينفى أن يكون ثم شبهة كظن التنبؤ فالذم على الإقدام على إراقة الدم بدون الوضوح التام وفاقا لنهى « و لا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق[٤] » فهو أخف مما فى آل عمران[٥] . ثم علل هذه الجرأة فقال « ذلك » أى الأمر الكبير من الكفر و القتل الذى هو من أعظم الكفر « بما عصوا » و هو من العصيان . قال الحرالى : و هو مخالفة الأمر - انتهى . « و كانوا[٦] أى جبلة و غريزة[٦] « يعتدون » أى يتجاوزون الحدود[٦] على سبيل التجدد و الاستمرار، فان[٦] من فعل ذلك مرد عليه و مرن فاجترأ على العظائم[٧] . قال الحرالى :

= سبعين نبيا، و فى رواية : ثلاثمائة نبى . وعلى هذا يتوجه قراءة من قرأ يقتّلون بالتشديد .

(١) تقتلونهم مبطلين أو قتلا بغير حق، لأن النبي معصوم من أن يأتى أمرا يستحق عليه فيه القتل، و إنما جاء هذا القيد على سبيل التشنيع لقتلهم و التقبيح لفعلهم مع أنبيائهم أى بغير الحق عندهم. قال ابن عباس وغيره : لم يقتل نبى قط من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال، وكل من أمر بقتال نصر- تلخص من البحر المحيط ١/١٣٧ .

(٢) فى ظ : قتلهم .

(٣) و فى ظ : لذلك .

(٤) سورة ١٧ آية ٣٣ .

(٥) قال المهائمى « و » لكفرهم كانوا « يقتلون النبيين » شعيا و زكريا و يحيى و غيرهم عليهم السلام مع علمهم أنه « بغير حق » أى الموجب له ثابت شرعا و كذلك بالآيات الظاهرة على يدى محمد صلى الله عليه و سلم و يريدون قتله « ذلك » الكفر و الاجتراء على قتل الأنبياء « بما عصوا » فان المعاصى تجر إلى الكفر لا لأنهم أصروا على الصغائر أو اكتسبوا الكبائر على الندور - انتهى كلامه .

(٦ - ٦) ليست فى ظ .

وهو أى الاعتداء تكلف العداء، و العداء مجاوزة الحد، فيما يفسح فيه إلى حد لا عذر لمجاوزه من حيث فسح له سعة ما فسح وحُدّ له ما حُدّ - انتهى . و قد جاء نظم هذه الآيات من قصصهم على غير ترتيبها فى الوجود، و فى التوراة لما ذكرت من هذه المناسبات العظيمة والله أعلم شرح أمرها من التوراة قال فى آخر السفر الرابع منها فى [1] النسخ الموجودة [1] بين أظهر اليهود الآن فى هذا القرن التاسع فيما قرأته فى نسخة مترجمة بالعربية و خطها كذلك و عليها آثار قراءتهم لها و بيان الأوقات التى يقرأ فيها كل فصل منها ثم قابلتها بالمعنى كما مضى مع شخص منهم و كان هو القارئ ما نصه: و هذه مظاعن بنى إسرائيل حيث خرجوا من أرض مصر بأجنادهم [2] على يدى موسى و هارون عليهما السلام و كتب موسى مخارجهم و مراحلهم عن قول الرب ظعنوا من رَعَمْسِيس - و فى نسخة: من عين شمس - فى خمسة عشر يوما من الشهر الأول من غد الفِصح -٣ و فى نسخة:

(٧) قال أبو حيان الأندلسى: ولما ذكر تعالى حلول العقوبة بهم ضرب الذلة و المسكنة و المباءة بالغضب بين علة ذلك فبدأ بأعظم الأسباب فى ذلك و هو كفرهم بآيات الله، ثم ثنى بما يتلو ذلك فى العظم و هو قتل الأنبياء، ثم أعقب ذلك بما يكون من المعاصى و ما يتعدى من الظلم - قال معنى هذا صاحب المنتخب.

(١ - ١) فى م: الفسح الموجود - كذا.

(٢) فى ظ: باخبارهم.

(٣) و الفِصْح عند اليهود عيد تذكار خروجهم من مصر عند أكلهم الخروف و المرائر وهم مستعدون للسفر. وعند النصارى عيد تذكار قيامة المسيح من الموت، و يعرف بالعيد الكبير، و هو تعريب فِسح بالعبرانية ومعناه اجتياز و عبور أو نجاة، ويوم فِصح أى بلاغيم ولا برد - تطر المحيط ١٥٩٩/٢.

بعد الفصح بيوم ـ و المراد بالشهر الأول عندهم نيسان[١] و هو شهر الفريك، و خرج بنو إسرائيل بقوة عظيمة تجاه جميع[٢] أهل مصر كانوا[٣] مشاغيل بدفن الأبكار الذين قتلهم الرب، [٤]و بما انتقم الرب[٤] من آلهتهم، فظعن بنو إسرائيل من رعمسيس - و فى نسخة: عين شمس ـ و نزلوا ساحوت و ارتحلوا من ساحوت و نزلوا آثم[٥]ـ[٦]و فى نسخة: اثام[٦] ـ التى فى أقاصى المفازة و ظعنوا من اثام[٧] و نزلوا فى فوهة الخندق الذى فى جبال بَعَلصَفُون و نزلوا بازاء مغدول ـ و فى نسخة: مجدول ـ و ارتحلوا من فوهة الخندق و جازوا [٦]فى وسط[٦] البحر إلى القفر ـ و فى نسخة: بين[٨] البحر و القفر ـ و ساروا مسيرة ثلاثة أيام فى برية/ اثام[٧] و نزلوا مررا[٩] ـ[٦]و فى نسخة: المُرَيرة ـ[٦] و أتوا آليم [١٠]و فى نسخة: و نزلوا فى المراير[١١] و ارتحلوا من /٨١

(١) نَيسان و نِيسان اسم شهر بين آذار و أيار ايامه ٣٠ يوما سريانية ـ تطر المحيط ٢/٢٢٦٣ .

(٢) ليس فى ظ .

(٣) فى ظ : كان .

(٤ - ٤) ليست فى م .

(٥) فى م : آيم .

(٦ - ٦) ليست فى ظ .

(٧) فى م و مد : ايام .

(٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الى .

(٩) فى مد : مرر ، و فى ظ : مرت .

(١٠) العبارة من هنا إلى « آليم » ليست فى م .

(١١) فى ظ : المرا .

المرايز و صاروا إلى آليم - و كان[1] في آليم اثنتا عشرة عينا[2] من ماء و سبعون نخلة و نزلوا هناك على الماء، و ارتحلوا من[3] آليم [4]و نزلوا[4] ساحل بحر سوف- و في نسخة[5]: على البحر الأحمر - و ظعنوا من شاطئ بحر سوف - و في نسخة: من البحر الأحمر - و في أخرى: بحر القلزم - و نزلوا برية سينين[6]

٥ و ارتحلوا من قفر سينين[6] و نزلوا دِفقا[7] و ظعنوا من دِفقا[7] و نزلوا آلوش[8] و ارتحلوا من آلوش[8] و نزلوا رفيدين - و في نسخة: [9]رفيديم - ولم يكن هناك ماء يشرب الشعب و ظعنوا من رفيدين - و في نسخة: رفيديم - فنزلوا برية - و في نسخة: قفر سيناء -[10] وظعنوا من قفر سيناء[10] و نزلوا الموضع المعروف بقبور الشهوة و ارتحلوا من مقبرة الشهوة - و في نسخة: قفر

١٠ قبور الشهوة - فنزلوا حصروث[11] و ظعنوا من حصروث[11] فنزلوا رثما -

---

(١) في م: كانوا .

(٢) ليس في م .

(٣) ليس في ظ .

(٤ - ٤) في ظ: فنزلوا .

(٥) زيد في ظ: فارتحلوا من مقبرة الشهوة و في نسخة قفر قبور الشهوة .

(٦) من ظ ، و في الأصل: سيشين ، و في م و مد: سين .

(٧) في ظ: دُقفا ، و في م ومد: دفقا .

(٨) في م و مد: آلوس .

(٩) زيد في م: و نزلوا .

(١٠ - ١٠) ليست في ظ .

(١١) في ظ: حضر موت .

و فى نسخة: الرامة[1] ـ و ارتحلوا من رثما ـ و فى نسخة: الرامة[1] ـ فنزلوا رِمُون[2] فيرص[3] .

و قال فى السفر الثانى عند ذكر الإنعام عليهم باستنقاذهم من أيدى القبط بتلك الآيات العظيمة التى ستشرح إن شاء الله تعالى فى سورة الأعراف فقال موسى للشعب: اذكروا هذا اليوم الذى خرجتم فيه من مصر من العبودية و الرق، لأن الرب أخرجكم من ههنا بيد منيعة فلا يؤكل الخمير فى هذا اليوم و هو ذا أنتم خارجون فى شهر الفقاخ[4] ـ و فى نسخة: الفريك ـ فاذا أدخلكم الرب إلى أرض الكنعانيين و الحيثانيين و الامورانيين و الجاءانيين و اليابسانيين و الفرزانيين[5] كالذى أقسم لآبائكم أن يعطيكم الأرض التى تغل السمن و العسل، تعملون هذا العمل فى هذا الشهر، كلوا الفطير سبعة أيام و لا يوجدن[6] الخمير عندكم؛ و تعلمون أبناءكم فى ذلك اليوم و تقولون لهم إن الله فعل بنا هذا الفعل إذ أخرجنا من أرض مصر، و ليكن ذلك آية على يدك و علامة بين عينيك لتكون سنة الرب و شريعته على لسانك لأن الرب أخرجك من مصر بيد عزيزة منيعة و احتفظ بهذا و هذه الوصية من

(١) فى م: ريما .

(٢) فى م: رِموت .

(٣) فى م: بفرص، و فى مد: قرص .

(٤) فى ظ و م و مد: الفقاح ـ بالحاء المهملة .

(٥) فى م: القزرانيين .

(٦) فى م: لا يوجدون ـ كذا .

سنة إلى سنة فى وقته ، و إذا أدخلك الرب إلى[1] أرض الكنعانيين التى أقسم لك و لآبائك أن يعطيكها فيزكل ذكر بفتح[2] الرحم للرب و كل ذكر من البهائم التى تكون لك يفتح الرحم يكون خاصة للرب تفتديه بحمل[3] ، فان لم تفتده[4] فاذبحه ، و تفتدى كل بكر ذكر من أولادك ، فاذا سألك ابنك غدا و قال لك : ما هذا العمل ؟ فقل : إن الرب أخرجنا من أرض مصر من العبودية و الرق بيد منيعة عزيزة ، لأن فرعون قسا و فظّ و أبى أن يرسلنا ، فقتل الرب جميع أبكار أرض مصر من بكر البشر إلى بكر البهائم ، فمن أجل ذلك أذبح للرب كل ذكر بفتح الرحم و أفتدى[5] جميع[6] أبكار ولدى[6] ، فيكون ذلك علامة على يدك و ذكرا بين عينيك ، لأن الرب أخرجك من مصر بيد منيعة عزيزة . فلما أرسل فرعون الشعب و انطلقوا لم يرسلهم الله تعالى فى طريق أرض فلسطين ، لأنه كان قريبا و لأن الله قال : لعل الشعب إذا ما عاينوا القتال أن يخافوا و يرهبوا فيرجعوا إلى مصر ، فساس الله الشعب فى طريق برية بحر سوف ، و خرج بنو إسرائيل من أرض مصر و هم متسلحون ، و حمل موسى عليه السلام عظام يوسف عليه السلام معه ، لأنه أقسم على

(١) فى ظ : فى ، و ليس فى م و مد .

(٢) فى م : يفتح .

(٣) فى م : بحمل .

(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لم تفتديه ـ كذا .

(٥) فى م : افدى .

(٦-٦) فى م : ابكارى لدىّ .

بنى إسرائيل بأيمان و قال : إن الله سيذكركم فأصعدوا عظامى معكم من ههنا ، فظعنوا من ساحوت و نزلوا اثام[1] التى فى أقطار البرية ، وكان الرب يسير أمامهم [2]بالنهار فى عمود السحاب ليسكنهم فى الطريق و بالليل فى عمود نار ليضىء لهم و كان يسير أمامهم[2] بالليل و النهار ، و لم يكن عمود الغمام يزول بالنهار و عمود النار بالليل من بين يدى الشعب ، وكلم ٥ الرب موسى و قال له : قل لآل إسرائيل أن يرجعوا فينزلوا على شاطئ الخندق و ما بين مغرول[3] و البحر أمام بعلصفون ، انزلوا هناك إزاء البحر حتى يقول فرعون إن بنى إسرائيل غرباء فى الأرض ، فيظن أنهم قد تاهوا فى القفر و أن البر قد انغلق[4] عليهم ؛ و قال الرب لموسى : أنا أقسى قلب فرعون فيسير فى طلبكم فأمجد بفرعون و جميع جنوده ، فيعلم أهل مصر ١٠ أنى أنا الرب ، ففعلوا كذلك ؛ فأسف فرعون و عبيده لإرسال الشعب و ندموا ، فألجم خيله و سار فى جميع شعبه و ظعن فى ستمائة ألف راكب مختارة و جميع مواكب المصريين أيضا و الرجال - و فى نسخة : و القواد - على جميعها ، فسار المصريون فى طلبهم فرهقوهم[5] و هم حلول على المهرقان ، فقرب[6] فرعون و رفع بنو إسرائيل أبصارهم فرأوا المصريين و هم فى ١٥

(١) فى م : ايام .

(٢-٢) ليست فى ظ .

(٣) فى م : مغدول ، و فى مد و ظ : معدول .

(٤) فى مد : انفلق .

(٥) فى مد : فرهقوا .

(٦) فى م : بقرب .

طلبهم فخافوا خوفا شديدا ، فصلى بنو إسرائيل بين يدى الرب و قالوا لموسى : ألقلة القبور بمصر أخرجتنا لنموت[1] فى البرية ؟ لم فعلت بنا هذا الفعل و أخرجتنا من مصر؟ أليس هكذا كنا نقول لك و نحن بمصر : دعنا نتعبد للمصريين كان خيرا لنا أن نتعبد للمصريين من الموت فى هذا القفر ؟ فقال موسى للشعب : لاخوف عليكم ! انتظروا فأبصروا خلاص الرب إياكم فى هذا اليوم ، لأنكم عاينتم المصريين يومنا هذا ، لا تعودون أن تعاينوهم أيضا إلى الأبد ، و الرب يجاهد عنكم إذ أنتم فى هدوء و طمانينة ؛ فصلى موسى بين يدى الرب فقال : مُر بنى إسرائيل أن يظعنوا و أنت فارفع عصاك و اضرب ماء البحر ، فيسير آل إسرائيل فى البحر فى اليبس ، و ها أنا ذا أقسى قلوب المصريين و أغلظها ليتبعوهم[2] ، فأمجد بفرعون و بجميع جنوده و بمواكبه[3] و فرسانه / ، فيعلم أهل مصر أنى أنا الرب إذا مجدت بفرعون و بجميع جنوده ، فظعن ملك الله الذى كان يسير أمام عسكر بنى إسرائيل فصار على ساقتهم ، فاحتمل السحاب الذى كان أمامهم فوقف خلفهم و دخل بين عسكر المصريين و محلة بنى إسرائيل ، و كان السحاب و الحِنْدِس تلك الليلة بأسرها و كان[4] الضياء و النور لبنى إسرائيل تلك الليلة كلها ، فلم يقدروا على الدنو إليهم تلك الليلة . فرفع

/٨٢

(١) ف م : للموت .
(٢) ف م : ليتبعوكم .
(٣) ف ظ : مواكبه .
(٤) ف ظ : فان .

موسى يده على البحر فزجر الرب البحر بريح سموم - و فى نسخة : قبول عاصف - أليل[1] أجمع ، فصير ماء البحر فى اليبس [2]و انقسم الماء ، فدخل بنو إسرائيل فى وسط البحر فى اليبس[2] ، فصارت المياه كالسور بين ميامنهم و مياسرهم ، فسار المصريون فدخلوا فى طلبهم فصار خيل فرعون و جميع مواكبه فى البحر ، فلما كان عند حريم الغداة تراءى ٥ الرب[3] لعسكر المصريين فى عمود نار و مزنة غمامة ، فأرجف[4] عسكر المصريين و أفتنه و ربط مواكبهم و حبسها و جعلوا هم يُعنقون بالسير عليها ، فقال المصريون : سيروا بنا لنهرب[5] بين يدى آل إسرائيل، لأن الرب حارب عنهم بمصر ، فقال الرب لموسى : ابسط يدك على المهرقان فتؤول المياه على المصريين فتطفح على مواكبهم و فرسانهم ، فرفع يده على البحر ، ١٠ فرجع البحر عند وقت الغداة إلى موضعه و المصريون جعلوا يهربون إزاءه ، فعذب الرب المصريين فى البحر و أكذبهم ، فجرت المياه و طفت على المواكب و الفرسان و على جميع جنود فرعون الذين دخلوا فى البحر فى طلبهم ، ولم ينج منهم[6] واحد[7] ، فخلص[8] آل إسرائيل فى ذلك اليوم من أيدى المصريين ، فنظر بنو إسرائيل إلى المصريين موتى على شاطئ ١٥ المهرقان ، و عاين آل إسرائيل النقمة العظيمة التى أنزلها الله بالمصريين ،

(١) من ظ، وفى بقية الأصول: الليل (٢-٢) ليست فى ظ (٣) زيد فى م : اى .
(٤) أرجفت القوم : خاضوا فى أخبار الفتن ونحوها على أن يوقعوا فى الناس الاضطراب من غير أن يصح عندهم شىء (٥) زيد فى م : من (٦) زيد فى الأصول كلها : و لا - كذا (٧) فى ظ : واحدا (٨) زيد فى ظ : الرب .

و خاف الشعب الرب و آمنوا به و صدقوا[١] قول موسى عبده ، حينئذ[٢] سبح موسى و بنو إسرائيل بهذا التسبيح و قالوا : نسبح الرب ذا الجلال الذى تعالى على المواكب و غرق فرسانها فى البحر المنيع ، و المحمود الرب الأزلى ، فكان[٣] لى[٤] منجيا[٥]، هذا إلهنا فلنحمده و لنمجده ، إله آبائنا فلنعظمه و لنجله ، الرب ذو الملاحم ، جبار اسمه ، لأنه قذف بمواكب[٦] فرعون و جنوده فى البحر و غرق جبابرة فى بحر سوف و غطتهم الأمواج و هبطوا فى القعر فرسبوا مثل الجنادل ، يمينك يا رب بهية بالقوة ، يمينك يا رب أهلكت أعداءك بعظم عزك ، كبت شانئك[٧] أرسلت غضبك فأحرقهم[٨] كالسهم بريح وجهك ، و أمرك جمدت المياه و وقف جريها كأنه الأطواد ، و رسب الأغمار فى قعر البحر كالرصاص فى الماء المنبع ؛ فمن مثلك و من يفعل كافعالك أيها البهى فى قدسه المرهوب[٩] المحمود مظهر العجائب ، سُسْتَ[١٠] بنعمتك هذا الشعب الذى خلّصت ، فبلغ ذلك الشعوب فارتجفوا[١١] و قلقوا و غشى الخوف و الرعب سكان فلسطين ، عند ذلك ذعر أشراف ادوم[١٢] و غشى الرعدة و الارتعاش رجال[١٣] مؤاب و انكسر جميع سكان كنعان[١٤] فانهزموا فلينزل بهم الخوف و القلق و الرجفة بعظمة ذراعك ، يغرقون كالجنادل حتى يجوز شعبك الذى خلّصت ،

(١) فى م: صدق (٢) فى م : حين ـ كذا (٣) فى م وظ : كان (٤) ليس فى م.
(٥) زيد فى م : و (٦) زيد فى مد : آل (٧) فى م : شانك (٨) فى م : فاغرقهم .
(٩) فى م : الموهوب (١٠) فى م: شتت (١١) فى ظ : فارتجعوا (١٢) فى م : اذوم (١٣) ليس فى ظ (١٤) فى ظ : عنكان ـ كذا .

تقبل

تقبل بهم فتقدسهم فى جبل ميرانك[١] ، الرب يملك[٢] إلى أبد الآبدين ؛
و ظعن موسى ببنى إسرائيل من بحر سوف ، فخرجوا حتى انتهوا إلى برية
أسود ، ثم ساروا فى البرية مسيرة ثلاثة أيام فلم يجدوا هناك ماء ، ثم
انتهوا إلى مورّث فلم يقدروا على أن يشربوا ماء مورث ، لأنه كان
مُرّا فتذمر[٣] الشعب على موسى و قالوا له : ما الذى نشرب الآن ؟ فصلى ٥
موسى بين يدى الرب ، فأظهر الرب له[٤] عودا فألقاه فى الماء ، فعذب الماء
هناك ، علمه السنن و الأحكام ، فأتوا حتى انتهوا إلى آليم [٥] وكان هناك
اثنتا عشرة عينا من ماء و سبعون نخلة فنزلوا هناك على الماء ، ثم ظعنوا
من آليم فأتوا برية سينين التى بين آليم[٥] و سينين فى خمسة عشر من
الشهر الثانى من الزمان الذى خرجوا من مصر ، فتذمر[٣] جميع جماعة ١٠
بنى إسرائيل على موسى و هارون و قالوا لهما : قد كنا نحب أن نتوفى[٦]
فى أرض مصر إذ كنا جلوسا بين أيدينا مراجل اللحم وكبار الخبز
[٥]و نفضل[٥] فأخرجتمانا إلى هذه البرية[٧] لتقتلا جماعة بنى إسرائيل بالجوع !
فقال الرب لموسى : ها أنا ذا مهبط[٨] لكم الخبز من السماء فليخرج الشعب

(١) فى م : ميرائك (٢) من م ومد وظ ، و فى الأصل: ملك ـ كذا (٣) فى م : فتدمر ـ بالدال المهملة ، و الصواب بالذال المعجمة من ذمره يذمره ذمرا لامه وحضه و تهدده ، و تذمر الرجل لام نفسه على فائت ، و فلان تغضّب ، و على فلان تنكّر له و أوعده ـ قطر المحيط ١/٦٩٩ (٤) ليس فى مد (٥ـ٥) ليست فى ظ.
(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تتوفى (٧) فى م : القرية (٨) فى الأصول : مهبطا ـ كذا .

فليلتقطوا[١] طعام يوم بيوم لكى أمتحنهم هل[٢] يسيرون بوصاياى و سننى و يحفظونها أم لا ، فاذا كان اليوم السادس فليعدوا فضلا على ما يأتون به و ليكن ذلك ضعف ما يلتقطون فى كل يوم ، فقال موسى و هارون لجميع بنى إسرائيل عند الأصيل : تعلمون أن الرب أخرجكم من أرض مصر و بالغداة تعاينون مجد الرب ، لأن تذمركم[٣] بلغ[٤] الرب ، و نحن فمن نحن إذ تتذمرون علينا ، و قال لهم موسى : إن الرب قد أعطاكم لحما عند الأصيل لتأكلوا و رزقكم خبزا بالغداة لتشبعوا ، لأنه قد بلغ الرب تذمركم الذى تراطنون[٥] عليه ، و نحن فمن نحن و ليس إنما تتذمرون علينا بل على الرب ، و قال لهارون : مر جميع جماعة بنى إسرائيل أن يدنوا فيقفوا بين يدى الرب ، فلما قال هارون ذلك لجميع جماعة بنى إسرائيل التفتوا فاذا مجد الرب قد اعتلن فى السحاب و قال الرب لموسى : قد بلغنى تذمر بنى إسرائيل فقل : عند مغارب[٦] الشمس تأكلون اللحم و بالغداة شرقا[٧] تشبعون من الخبز فتعلمون[٨] أنى أنا الرب إلهكم ، فلما كان عند الأصيل صعدت السُمانى[٩] فتغشت[١٠] العسكر ، و كان بالغداة ضبابة تقطر المن فأحاطت بالعسكر ،

(١) من مد ، و فى الأصل : فليلتطفوا (٢) فى مد : حتى (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تدمركم ـ بالدال المهملة (٤) فى م : قد بلغ (٥) فى ظ : تواطنون . (٦) فى متن م : غروب ، و بهامشه بعلامة النسخة : مغارب (٧) فى ظ : سدقا. (٨) ليس فى ظ (٩) من ظ غير أن فيه : السمان ، وكتب فيه فوقه : يعنى السلوى؛ و فى الأصل : السُّمار ، و فى م : السمات ، و فى مد : السما (١٠) فى مد و ظ : فتعشت ـ كذا .

فارتفعت الضبابة فاذا على وجه الأرض دقيق يتقشر[1] و كان شبه[2] صفائح الجليد[3] على الأرض، فقال موسى: هذا الخبز الذى أعطاكم الرب لتأكلوا، و هذا قول الرب الذى أمر به/ ليلتقط المرء منه[4] على قدر قوته مكيالا لكل نفس على عدد رؤوسكم ليأخذ المرء لكل من كان فى خيمته، فصنع بنو إسرائيل كما أمرهم موسى و التقطوا، فمنهم من أخذ كثيرا و منهم من تناول قليلا و كالوا ذلك، فلم يفضل الذى أخذ الكثير و الذى أخذ القليل لم يعدمه. فقال لهم موسى: لا تبقين منه للغد شيئا، فلم يطيعوا موسى فأفضل[5] رهط منهم للغد، فدب فيه الدود و أنتن، فغضب موسى، فجعلوا يلتقطونه فى كل غداة كل امرئ على قدر قوته، و كان إذا حميت[6] عليه الشمس يميع، فلما كان اليوم السادس التقطوا من الخبز ضعفى ما كانوا يتناولون كل رجل مكيالين، فأتى جميع أشياخ الجماعة فأخبروا موسى، فقال لهم: هكذا قال الرب، إن السبت راحة و دعة و غدا[7] يوم قدس الرب؛ و قال فى موضع آخر: لا تعملوا فيه عملا بل يكون سبتا للرب فى جميع مساكنكم، و كل ما أردتم أن تختبزوه فاخبزوه[8] و اطبخوا ما أردتم طبخه و احتفظوا بما تفضلون باردا للغد، فأبقوا منه للغد كما أمر موسى، فلم ينتن و لم يدب فيه الدود فقال لهم موسى:

/ ٨٣

(١) فى م: متقشر (٢) فى م: مثل (٣) الجليد: الضريب و السقيط و هو ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد ج جلد و جلاد و جلداء - تطر المحيط ١ /٣٩٤.
(٤) ليس فى ظ (٥) فى ظ: فافضله (٦) فى م: جيئت (٧) فى م: غدا (٨) فى م: فاخبزوا - بدون الضمير.

كلوه يومكم هذا، لأن اليوم يوم سبت للرب و لستم تقدرون عليه اليوم فى الحقل، كونوا تلتقطونه ستة أيام و اليوم السابع هو سبت لا يؤخذ فيه، فلما كان اليوم السابع خرج رهط من الشعب ليلتقطوا فلم يجدوا فقال الرب لموسى: حتى متى يأبوا[1] أن يقبلوا وصاياى و سنتى، فاستراح الشعب فى اليوم السابع. فسماه بنو إسرائيل المن و هو كحبة[2] الكزبرة و طعمه كشهد العسل. و قال فى السفر الرابع: و المن كان يشبه حبة الكزبرة و كان منظره أبيض كالمها، و كان الشعب يترددون و يلتقطونه و يطحنونه فى الرحى و يهرسونه فى المهراس و يطبخونه فى القدور و يصيرون منه مليلا[3] و يصير طعمه مثل طعم الخبز الذى يعجن دقيقه بالزيت.

رجع إلى الثانى قال: فأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة و لم يزالوا يأكلون المن حتى انتهوا[4] إلى أقطار الأرض ذات السكنى و حتى انتهوا إلى أقطار أرض كنعان، و كان ذلك المكيال عشر جريب[5] أى عشر ويبة[6]، و إن جماعة بنى إسرائيل ظعنوا من برية سينين فى مظاعنهم كما أمر الرب فوردوا رفيدين و لم يكن للشعب ماء يشربون، فضج الشعب على موسى

(١) فى ظ: ياتوا (٢) فى م: كحية - كذا (٣) المليل الخبز و اللحم المدخل فى الملة.. وهى الرماد الحار و الجمر. يقال أطعمنا خبزا مليلا و خبزة مليلا، من من الشىء فى الجمر أدخله فيه - قطر المحيط ٢/٨٩٠ (٤) فى ظ: انتهى (٥) الجريب المزرعة و الوادى و مكيال قدر أربعة أقفزة و هو المراد هنا، ج أجربة و جربان، و مقدار معلوم من الأرض و هو ما يحصل من ضرب ستين فى نفسها (٦) الويبة اثنان أو أربعة و عشرون مدا، ج ويبات.

و قالوا

و قالوا له: اعطنا ماء لنشرب، فقال: ما بالكم تضجون و كم تجربون الرب؟ [1]و اشتد[1] عطش الشعب هناك فتذمّروا على موسى و قالوا له: لم أصعدتنا من أرض مصر لتقتلنا و أبناءنا و مواشينا بالعطش؟ فصلى موسى أمام الرب و قال: ما أصنع بهذا الشعب؟ إنهم كادوا أن يرجمونى، فقال الرب لموسى: جُز قدام الشعب و انطلق ببعض أشياخ بنى إسرائيل و العصا التى ضربت بها البحر فلقته، خذها بيدك و انطلق و ها أنا ذا واقفا[2] بين يديك على حجر الظِرّان[3] بحوريب[4] فاضرب عند ذلك الظران فيخرج الماء و يشرب الشعب، فصنع موسى هذا الصنيع بين أشياخ بنى إسرائيل، فسمى ذلك الموضع التجريب و التذمر[5]، لأن بنى إسرائيل تنازعوا و اصطخبوا[6] و لأنهم جربوا الله و قالوا: هل الله بيننا أم لا؟ و لما كان فى الشهر الثالث بعد خروج بنى إسرائيل من مصر انتهوا إلى برية سيناء إذ ظعنوا من رفيدين فأتوا برية سيناء و حل هناك إسرائيل قبالة[7] الجبل، فصعد موسى إلى الجبل[8] فدعاه الله[8] من الجبل و قال: هكذا قل[9] لآل يعقوب: قد رأيتم ما صنعت بالمصريين و حملتكم كأنكم على أجنحة النسور و أقبلت بكم إلىّ، فان أنتم الآن أطعتم قولى و حفظتم عهدى فأنتم أحبّ إلىّ من

(١-١) فى ظ: فاشتد (٢) فى ظ: وقفا (٣) الظِرّ و الظرر و الظرة الحجر أو المدوّر المحدّد منه أو هو حجر له حد كحد السكين ج ظُران و ظِرّان (٤) فى م: بحويريب.
(٥) فى م: الذمر (٦) صخب الرجل يصخب صخبا صات شديدا، تصاخب القوم تصايحوا و تضاربوا و اصطبخت الطير و غيرها اختلطت أصواتها. و فى ظ: اصطبخوا - كذا مصحفا (٧) فى ظ: قبالتى (٨ - ٨) فى م: فناداه (٩) فى م: قال.

جميع شعوب الأرض ، فأتى موسى فدعا بأشياخ الشعب فقص عليهم جميع هذه الآيات التى أمره بها الرب ، فأجاب الشعب كلهم جميعا و قالوا: نحن فاعلون جميع ما أمرنا به الرب ، فرد موسى جواب الشعب على الرب فقال الرب لموسى: ها أنا ذا مناجيك فى سحابة مظلمة لكى يسمع الشعب كلامى ٥ إذا كلمتك فيقبلوا كلامك و يصدقوك إلى الأبد، فقال الرب لموسى: انطلق إلى الشعب و طهرهم اليوم و غدا و ليبيضوا ثيابهم و يرحضوها[1] و ليستعدوا فى اليوم الثالث فناشد الشعب و تقدم إليهم و قل لهم : احذروا أن تصعدوا إلى الجبل و لا تقربوا إلى حافاته ، و من دنا من الجبل فليقتل و لا تصيبه أيدى الناس بل يرجم رجما و يقذف به إلى أسفل به[2] بهيمة ١٠ كان أو إنسانا ، فاذا صمتت أصوات القرون فأنتم فى حل من الصعود إلى الجبل ؛ فهبط[3] موسى من الجبل إلى الشعب فطهر الشعب و بيضوا ثيابهم، و قال موسى للشعب: كونوا مستعدين فى اليوم الثالث، لا تقتربن إلى امرأة ، فلما كان فى اليوم الثالث باكروا غلسا ، فاذا هم بأصوات قرون و بروق و إذا هم أيضا بسحابة عظيمة قد حلت على الجبل ، فاشتد صوت القرن ١٥ جدا و اشتد فزع من كان فى العسكر ، و أخرج موسى الشعب إلى لقاء الرب من العسكر فقاموا فى حافات الجبل و كان جبل سيناء يخرج منه القُتار و الدخان ، لأن الرب هبط عليه بالنار و ارتفع غباره كغبار الأتون و تزلزل الجبل زلزلة شديدة و اشتد صوت القرن ، و دعا الرب

(١) رحض الثوب يرحضه رحضا غسّله ، ارحض الثوب غسله . و فى م : يرخصوها (٢) ليس فى ظ و م (٣) بهامش الأصل و ظ «و اذ أتينا موسى الكتب» .

موسى إلى رأس الجبل ، فصعد موسى و قال له[1] الرب : انزل فأنشد
بنى إسرائيل و أنذرهم أن لا يتزحزحوا[2] عند النظر بين يدى الرب فيهلك
منهم كثير ، وكان جميع الشعب يسمعون الأصوات و يرون المصابيح
و يسمعون أصوات القرون و يرون الدخان يخرج من الجبل . فرأى ذلك
الشعب ففزعوا و وقفوا من بعيد و قالوا لموسى : كلمنا أنت حتى نسمع ٥
و لا يكلمنا الله لكيلا نموت ، فقال موسى : لاخوف عليكم ، لأن الله إنما
كلمكم ليمتحنكم و يجربكم لكى تخافوه و ترهبوه و لاتخطئوا و لا تأثموا ، فوقف
الشعب من بعيد و دنا موسى من الضباب التى اعتلن الله فيها ، و قال الرب
لموسى : هكذا قل لآل إسرائيل : قد رأيتم و علمتم أنى[3] كلمتكم من
السماء ، لا تتخذوا معى آلهة من ذهب و لا / تعملوا لكم آلهة من فضة ، ١٠ / ٨٤
ثم قال : ها أنا ذا مرسل إليك الملك بين يديك ليحفظك فى سفرك
و يوردك البلد الذى[4] أتقنت - و فى نسخة : الذى[5] هيأته - فاحذره و اسمع
منه ، لأن اسمى حالٌ عليه ، فان[6] أنت قبلت قوله و أطعت أمره و عملت
بكل ما يأمرك به أبغض مبغضيك و يسير ملكى أمامك فيدخلك على
الأمورانيين - و ذكر بعدهم خمس فرق - فأقتلهم و أبيدهم و أرسل الرعب ١٥
و الخوف و الجزع بين يديك و أبيد جميع الشعوب الذين تسير إليهم
و لا أبيدهم فى سنة واحدة لكى لا تخرب الأرض بل رويدا رويدا حتى
تعتز[7] - و فى نسخة : تكثر - فتصير ذا بطش فترث الأرض و اجعل

(١) ليس فى م (٢) فى ظ : لا يتزحزوا - كذا (٣) فى م : اى (٤) من ظ ، وفى بقية الأصول : التى - كذا (٥) و فى م : التى (٦) فى م : فاذ (٧) فى ظ : تغتر .

تخومك من بحر سوف[١] إلى فلسطين و[٢] من البرية[٣] حتى النهر - و فسره في موضع آخر بالفرات - و قال الرب لموسى : اصعد إلى الجبل أنت و هارون و ناذاب و آبِيهُوا[٤] و سبعون[٥] رجلا من أشياخ بني إسرائيل و يسجدون من بعيد ، و يقترب[٦] موسى وحده إلى الرب و هم لا يقتربون و لا يصعد الشعب معه[٧]. فجاء موسى و قص على الشعب جميع عهود الرب و جميع أحكامه ، فنادى الشعب كلهم بصوت عال و قالوا : نحن نفعل ما أمرنا الرب ، و كتب موسى جميع كلام الرب ، و غدا باكرا فبنى مذبحا في حافة الجبل و نصب اثنتي عشرة نصبة لأسباط بني إسرائيل- ثم ذكر ذبائح و قرابين و غير ذلك ثم قال : ثم أخذ سفر العهد فتلاه[٨] على الشعب ، [٩]فقالوا : نحن سامعون فاعلون ما أمرنا به الرب ، فتناول موسى ذلك الدم - يعني دم القربان - فرشه على الشعب[٩] و قال : هذا دم العهد الذي عاهدكم في جميع هذه الأقاويل ، و صعد موسى و من ذكر معه ثم تركهم في مكان من الجبل ثم قال لهم : امكثوا ههنا ، فصعد موسى إلى الجبل و تغشاه[١٠] السحاب و حل مجد الله على جبل سيناء و ستره[١١] السحاب ستة أيام ، و دعا الرب موسى في اليوم السابع من[١٢] جوف السحاب و نظر إلى مجد الرب مثل نار تتوقد[١٣] في رأس الجبل أمام جميع

(١) في ظ : سوفك . وزيد بعده في الأصول : و (٢) ليس في م و مد (٣) زيد بعده في الأصول : و (٤) في مد : ابيهو (٥) في م : سبعين (٦) من م و مد و ظ ، و في الأصل : وتقرب (٧) زيد بعده في م : احد (٨) في ظ : ثم ثلاه . (٩-٩) ليست هذه العبارة في ظ (١٠) في ظ : يغشاه (١١) في ظ : سترة (١٢) في ظ : في (١٣) في ظ : يتوقد .

بنى إسرائيل، فدخل موسى فى جوف السحاب و صعد إلى الجبل فمكث موسى فى الجبل [١] أربعين يوما نهارا و [١] أربعين ليلة [١]، وكلم الرب موسى و قال له: قل لبنى إسرائيل: فليخصوا لى تزكية أموالهم، و خذ ذلك من كل رجل بلغ أشده - ثم ذكر الأموال التى تزكى إلى أن قال: و يتخذون لى مظهرا حتى أحل [٣] بينهم كل شىء أريك شبه القبة و جميع متاعها كذلك فليصنعوه [٤] - ثم قال: و اعمل على المثال الذى أريك فى الجبل و ليتخذوا [٥] تابوتا من خشب الشمشاد [٦] طوله ذراعان و نصف و سمكه ذراع و نصف، و صفّحه بصفائح الذهب الإبريز من داخله و من خارجه، و اتخذ له طوقا من ذهب يحيط به، و ضع له أربع حلقات من ذهب و سمرها فى أربع زوايا التابوت حلقتين فى شق واحد و حلقتين فى الجانب الآخر، و اتخذ أصطارا [٧] من خشب الشمشاد [٦] و صفحها بالذهب، و صير الأصطار [٧] فى الحلق فى جانبى التابوت ليحل بها، و ليكن الأصطار [٧] فى حلق التابوت و لا ينزع منها، و تضع الشهادة التى أعطيك فى التابوت، و سمى هذا تابوت الشهادة [٨]، و اتخذ كروبين أى شخصين من ذهب اتخذهما مفرعين [٩] مصبوبين فيكونا على جانبى التطهير

(١-١) ليست فى م (٢) بهامش الأصل وظ « اربعين ليلة » (٣) فى الأصل: احلى (٤) فى م: فليضعوه، و فى مد: فليصفوه (٥) فى الأصول كلها: يتخذوا. (٦) فى النسخ كلها: الشمسار كذا (٧) صطره صطرا و صطرا بمعنى سطره بالسين (٨) فى م: السماذة (٩) فى و م فقط: مفرعين.

و تكون أجنحة الكروبين مبسوطة[1] تظل من فوق فتظل بأكنافها[2] على التطهير ، و ليكن وجه كل واحد منهما إزاء صاحبه و ليكن وجها الكروبين من فوق التطهير ؛ و قال : و اتخذ[3] دارا للقبة من مهب الجنوب و استمر يصف له عمل هذه القبة و أعمدتها و ستورها و آلاتها و خدمها و ما يقرّب فيها و محل ضربها من العسكر و على أيّ كيفية فى نحو خمس عشرة ورقة و سماها قبة الزمان ، ثم أمره تعالى فى آخر هذا السفر الثانى بأشياء مما يتصل بأمتعتها و سرادقاتها و غير ذلك فى أزيد من عشر ورقات كما سيأتى ؛ و قال فى تضاعيف ذلك : و تصير الشهادة التى أعطيك فى التابوت و أواعدك إلى هنالك و أكلمك فوق التطهير من بين الكروبين الذين فوق تابوت الشهادة بجميع ما آمرك فى بنى إسرائيل و قال : و يتخذوا هذا القربان دائما فى كل حين فى أحقابكم على باب قبة الزمان قدام الرب . و أواعدكم إلى هناك لأكلمكم و أواعد بنى إسرائيل إلى هناك فأتقدس بكرامتى و أحل بين بنى إسرائيل فيعلمون أنى أنا الرب إلههم الذى أخرجهم من أرض مصر ، ثم قال[4] : فليؤد المرء منهم الزكاة عن[5] نفسه إذا عددتهم لكيلا ينزل بهم الوباء ، ثم ذكر له تفاصيل ما يؤدى و أن الزكاة على الغنى و المسكين ، و كلم الرب موسى و قال له : اعلم أنى قد انتخبت بَصَلْئيال بن أُورِى بن حُور من سبط يهودا و أسبغت عليه روح الله و ملأته من الحكمة و العلم فى كل علم ليعلم الصناعات فى

(١) فى م : مبسوطين (٢) فى م : باكتافها (٣) فى م : اتخذوا (٤) ليس فى ظ .
(٥) فى م : على .

عمل[1] آنية الذهب و الفضة و النحاس و فى رندجة[2] الحجارة و نظمها
و كمالها و فى تجارة الخشب ليعمل كل عمل و قد ضممت إليه أَلِيُهَبَ
ابن اخسَمَخ[3] من سبط دان[4] و أحللت الحكمة و الفهم فى قلوب ذوى
الحكمة و العقل ليعملوا جميع ما أمرتك به من عمل قبة[5] الأمد و تابوت
الشهادة و التطهير الذى فوقها و جميع متاع قبة المائدة و جميع متاعها ٥
و المنارة و جميع آنيتها و مذبح البخور[6] و مذبح القرابين و جميع آنيتها[7]
و السطل و أسفله و لباس النضائد و لباس القدس لهارون الكاهن
يعنى الإمام و كسوة بنيه ليكهنوا و دهن المسح / و بخور الطيب /٨٥
للقدس فليعملوا جميع ما أمرتك به - إلى أن قال: و دفع إلى موسى:
لما[8] فرغ من كلامه له فى طور سيناء لَوحيِ الشهادة لوحى حجارة مكتوب ١٠
عليهما بيد الله، فرأى الشعب أن موسى قد أبطأ عن النزول من الجبل
فاجتمع الشعب يعنى و قالوا: نتخذ لنا آلهة تسير أمامنا، لأن الرجل موسى
الذى أخرجنا من أرض مصر لا علم لنا ما صار من أمره - فذكر اتخاذهم
العجل[9] و أنهم ذبحوا له الذبائح وجلسوا[10] يأكلون و يشربون و قاموا
يلعبون و يتسافهون و أن هارون عليه السلام ذُعر من ذلك و فزع. ٥١

(١) فى م: علم (٢) ردج يردج ردجانا بمعنى درج درجانا - تطر المحيط. و معنى رندجة الطى و الداخل (٣) فى ظ: احسمخ (٤) فى مد: دانى (٥) فى م: فيه (٦) كتب فوقها فى الأصل و بهامش ظ: أى البكور (٧) فى مد: آنيتها (٨) زيد فى م: أن (٩) بهامش الأصل «اتخذتم العجل» (١٠) زيد فى ظ: له.

و إنما لم أُسق نص التوراة عن هذا بلفظه لأن فى أول عبارته ما رأيته غضا بالنسبة إلى مقام هارون عليه السلام و حاشاه مما يوهم نقصا فجوزت أن يكون مما بدلوه ثم تأملت ما رواه النسائى و أبو يعلى و ابن أبى حاتم و ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى[1] حديث الفتون[2] فوجدته ليس بعيدا من تأويله و قد ذكرت محل الحاجة منه فى سورة طٰهٰ و الله الموفق؛ ثم قال فقال الرب لموسى: اهبط من ههنا لأن شعبك[3] الذين أخرجتهم من أرض مصر أفسدوا سيرتهم و صدوا وشيكا عن الطريق الذى أمرتهم أن يسلكوه فاتخذوا لهم عجلا مفترغا[4] و سجدوا له بين يديه و ذبحوا له الذبائح و قالوا: هذا الٰهك يا إسرائيل الذى أخرجك من أرض مصر، و قال الرب لموسى: إنى قد رأيت هذا الشعب قاسية قلوبهم فدعنى الآن فيشتد غضبى عليهم فأقتلهم و أبيدهم و أصيرك إلى شعب عظيم، فصلى موسى بين يدى الإلٰه[5] و قال: كلا يا رب! لا يشتد غضبك على شعبك الذين[6] أخرجتهم من مصر بقوتك المنيعة و بذراعك العلية الرفيعة و لا يقول أهل مصر: إنك إنما أخرجتهم لهلاكهم لتقتلهم بين الجبال و تستأصل شأفتهم[7] و تبيد خضراءهم عن جديد الأرض يا رب ليسكن غضبك و رجزك و اغفر ذنب شعبك اذكر إبراهيم و إسحاق و يعقوب عبيدك و الأيمان التى أقسمت بها لهم و قلت: إنى مكثر نسلكم

(١) فى م: من (٢) كذا، و الظاهر: الفتن (٣) فى م: قومك (٤) فى ظ و م: مفرعا، و فى مد: مفرغا (٥) فى م: الهه (٦) فى م: الذى (٧) فى ظ و م: شاءفهم.

مثل نجوم السماء و جميع الأرض التى وعدت بها نسلهم أن تعطيهموها فيرثوها إلى الأبد ؛ فعفا[1] الرب عن شعبه و لم ينزل بهم الشر ، فنزل موسى و هبط من الجبل و لوحا الشهادة فى يده لوحان كتب عليهما فى الوجهين[2] جميعا و اللوحان[3] من عمل الله جل ثناؤه و[4]خط الله مكتوب عليهما ، فلما دنا[5] من العسكر نظر العجل و الصنوج فاشتد غضب موسى ٥ فرمى باللوحين [6]من يده[6] فكسرهما فى سفح الجبل ، ثم أخذ العجل الذى اتخذوه فأحرقه بالنار و سحله بالمبرد حتى صيره مثل التراب و نثر سحالته على وجه الماء ، فوقف موسى على باب قبة الزمان و قال : من كان من حزب الله فليقبل إلىّ ، فانحاز إليه بنو لاوى[7] بأجمعهم فقال لهم موسى : هكذا يقول الرب إله إسرائيل ليتقلد المرء منكم سيفه و جوزوا[8] ١٠ من باب إلى باب و جولوا العسكر و ليقتل المرء منكم أخاه و صاحبه و قرابته ، فصنع بنو لاوى[7] كما أمرهم موسى ، فقتل[9] من الشعب فى ذلك اليوم نحو من ثلاثة آلاف رجل فقال لهم موسى : كفوا أيديكم يومكم هذا من الحمية للرب لتحل عليكم البركة يومنا هذا ، فلما كان الغد من ذلك اليوم قال موسى للشعب : أنتم خطئتم و ارتكبتم هذه الخطيئة العظيمة ! ١٥ فأما الآن فانى أصعد إلى الرب لعله أن يغفر لكم ذنوبكم و إثمكم ، فرجع

(١) بهامش الأصل و ظ : « ثم عفونا عنكم » (٢) فى مد : وجهان (٣) فى ظ : اللون (٤) زيد فى ظ : هو (٥) زيد فى م و مد : موسى (٦-٦) ليست فى م (٧) العبارة ساقطة من هنا إلى « بنو لاوى » الآتى من ظ (٨) فى الأصل : جوزا (٩) بهامش الأصل : « فاقتلوا انفسكم » .

موسى إلى الرب و قال: أطلب إليك بالتضرع[1] اللهم ربى حقا لقد أخطأ هذا الشعب و ارتكب إثما عظيما و اتخذوا آلهة من ذهب، فالآن إن أنت غفرت خطاياهم و إلا فامحنى من سفرك الذى كتبت، فقال الرب: أنا[2] أمحو من سفرى من أخطأ و أذنب، فأما الآن فانطلق بهذا الشعب إلى الموضع الذى أقول لك و هذا ملاٌ كى ينطلق أمامك إلى الأرض التى تغل السمن و العسل، لأنى لا[3] أصعد معكم، لأنهم شعب قاسية رقابهم[4] و لعل غضبى أن يشتد عليهم فأقتلهم فى الطريق، فسمع الشعب هذا القول الفظيع فحزنوا، فلم يتسلح المرء منهم بسلاحه، فأخذ موسى خيمته فنصبها خارجا من العسكر و أبعدها من المحلة و سماها قبة الزمان، وكان من سأل الرب أمرا يخرج إلى قبة الزمان، و كان إذا خرج موسى إلى قبة الزمان كان جميع الشعب يقفون و يستعد كل امرئ منهم على باب خيمته ينظرون إلى موسى من خلفه حتى يدخل إلى القبة، و إذا دخل موسى إلى القبة كان ينزل عمود السحاب فيقف على باب القبة [5]و يكلم موسى، و كان جميع الشعب ينظرون إلى عمود السحاب واقفا على باب القبة[5] وكان يقف جميع الشعب و يصلى كل امرئ منهم على باب خيمته، وكلم الرب موسى مواجهة كما يكلم المرء أخاه و صاحبه، وكان يرجع إلى العسكر وكان خادمه يشوع بن نون الغلام لم يكن

(١) فى ظ و م: التضرع (٢) فى م: انما، وهو المناسب هنا (٣) ليس فى م و ظ.
(٤) كذا و لعله: قلوبهم، و قد مر قبل، و زيد بعده فى م: قلوبهم، و لكن ضرب عليه (٥ - ٥) ليست فى م.

يفارق القبة ، و قال موسى للرب : أنت يارب أمرتنى أن أصعد بهذا الشعب و لم تطلعنى على من ترسل معى و قلت : إنى قد اطلعتك على جميع خلائقى و مجدى و ظفرت أيضا منى برحمة و رأفة ، فالآن إن كنت قد ظفرت منك برحمة و رأفة فأرنى طريقك حتى أعرفك ، فقال الرب لموسى : سر أمامى فأواعدك و أريحك ، فقال له : إن أنت لم تصعد ٥ بيننا فلا تصعدنا من ههنا ، فبما ذا يعرف أنى قد ظفرت منك برحمة و رأفة أنا و شعبك إلا إذا سرت بيننا فنكون أنا و شعبك منفصلين معروفين من جميع الشعوب الذين على / وجه الأرض ، فقال الرب لموسى : إنى فاعل ٨٦ / ما سألت ، لأنك ظفرت منى برحمة و رأفة ، و أصير اسمك معروفا شهيرا إلى الأبد ، فقال له : أرنى مجدك ، فقال[1] : أنا أجيز جميع مجدى و كرامتى ١٠ بين يديك و يذكر اسم الرب أمامك و أتحنن على من أردت التحنن عليه و أرحم من أردت أرحم ، و قال : إنك لا تقدر على النظر إلى وجهى ، لأنه لا يرانى بشرٌ فيحيي ، و قال الرب لموسى : انقر لوحى حجارة مثل اللوحين الأولين اللذين[2] كسرتهما و كن مستعدا بالغداة و اصعد باكرا إلى الجبل جبل سيناء وقف هنالك على رأس الجبل ، ٣و لا يصعدن ١٥ أحد معك ، و لا يرى أحد فى جميع الجبل ٣ ، و لا ترتعى الغنم و البقر قبالة ذلك الجبل ، فنقر موسى لوحين آخرين من حجارة مثل الأولين و غدا باكرا فصعد إلى طور سيناء كما أمره الرب و أخذ اللوحين فى يده فنزل

(١) زيد فى مد : له (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الذين (٣-٣) ليست فى م .

استعلان الرب أمامه ، فقال موسى : يا رب ! اللهم ربى الرؤف الرحيم الطويل الأناة[1] و المهل الكبير[2] نعمته و قسطه حافظ النعمة و العدل إلى ألف حقب و تغفر الذنوب و الإثم و الخطايا ، فاستعجل موسى فخر على وجهه على الأرض ساجدا و قال : إن ظفرت يا رب منك برحمة ٥ و رأفة فليسلك الرب الآن بيننا . لأن هذا الشعب هو شعب قاسية رقابهم ، و اغفر ذنوبنا و خطايانا و خبث نياتنا ؛ فقال له : ها أنا ذا أعهد عهدا أمام جميع الشعب و أظهر عجائب لم أظهر مثلها فى الأرض كلها و فى جميع الشعوب فيرى ذلك جميع هذا الشعب الذى أنت فيه فعل الرب الذى أمرك به أنه مخوف مرهوب ، احتفظ بما آمرك به فى ١٠ هذا اليوم ، ها أناذا أقبل و أبيد من بين يديك من الكنعانيين - و سمى من تقدم ، و كرر النهى عن السجود لغيره سبحانه ، و أوصى بأشياء منها الفطير فقال : و احتفظ بعيد الفطير سبعة أيام كما أمرتك فى أوان شهر الفقاج[3] - و فى نسخة : الفريك - لأنك إنما خرجت من مصر فى شهر الفقاج[3] ، ثم قال : فمكث هناك عند الرب أربعين[4] يوما و لياليها ١٥ لم يأكل طعاما و لم يشرب شرابا ، و كتب الله على لوحى الحجارة كلام العهد[5] و هو العشر الآيات ، فلما هبط موسى من جبل سيناء كان لوحا الشهادة فى يده و لم يعلم موسى أن بشرة وجهه قد جللت بالبهاء إذ كلمه الله فنظر هارون و جميع بنى إسرائيل إلى وجه موسى ففزعوا أن يقتربوا

(١) ليس فى مد (٢) فى ظ وم و مد : الكثير (٣) فى ظ : الققاح (٤) فى هامش الأصل و ظ : « اربعين ليلة » (٥) فى م : كلام العبد .

إليه

إليه، فدعاهم فأتاه هارون و جميع عظماء الجماعة و كلمهم موسى، فلما فرغ من كلامه لهم[1] بسط على وجهه جلبابا و كان إذا دخل إلى الرب ليكلمه يسفر عن وجهه حتى يخرج، و كان يخرج فيأمر بنى إسرائيل بما يؤمر بـه، و قال لهم: إن الرب أمر أن تعمل عملك ستة أيام و اليوم السابع يكون مخصوصا مقدسا، السبت يوم راحة قدس ٥ الرب، و من عمل فيه عملا فليقتل، و لا تشعلوا[2] النار فى جميع مساكنكم يوم السبت، ثم أمرهم تعالى بالزكاة من الذهب و الفضة و النحاس و القز و الجلود و غير ذلك و بأشياء يزيدونها فى قبة الزمان فى[3] أكثر من عشر ورقات، و قال فى آخر ذلك[3]: و قال الرب لموسى: انصب قبة الزمان فى أول يوم من الشهر الأول؛ و صير تابوت الشهادة هنالك، و أسبل ١٠ الجلال على التابوت - إلى أن قال: و ادن بهارون و بنيه إلى باب قبة الأمد و اغسلهم[4] بالماء، و ألبس هارون لباس القدس و امسحه فليكهن لى، و ادن بنيه و ألبسهم السراويل و امسحهم كما مسحت هارون أخاك فليكهنوا لى، و ليكن لهم مسحهم للكهنوت إلى الأبد لأحقابهم، فصنع موسى كما أمره الله، فلما كان أول يوم من الشهر الأول من ١٥ السنة الثانية نصب القبة يوم الأحد و ضرب أوتادها و ركب ألواحها

(١) ليس فى ظ (٢) فى ظ: و لا تشغلوا (٣) ليس فى م (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اغاسهم.

و زرفن[1] عوابرها و ركز أعمدتها و ستر الستر[2] على القبة و جللها من فوقها كما أمر[3] الرب ، و تناول الشهادة فوضعها فى التابوت ، و صير الدهوق[4] فى التابوت ، و وضع التطهير على التابوت من فوق ، و أدخل التابوت إلى[5] القبة ، و أخذ حجاب وجه الباب فجلل تابوت الشهادة كما أمر الرب ، و نصب المنارة عند حافات القبة مما يلى مهب الشمال خارجا من الحجاب ، و نضّد عليها صفوف الخبز بين يدى الرب كما أمر الرب موسى ، و نصب المنارة إزاء المائدة فى حافات القبة مما يلى مهب الجنوب ، و دلوا مصابيحها قدام الرب كما أمر الرب موسى ، و نصب مذبح الذهب فى قبة الزمان خارجا من الحجاب ، و بخر عليه بخور الطيب كما أمر الرب ، و أسبل الستر على باب القبة ، و نصب مذبح القرابين على الباب ، و قرب عليه القرابين[6] كما أمر الرب ، و وضع السطل بين قبة الزمان و المذبح و سكب عليه ماء الغسل ، و كان هارون و بنوه[7] يغسلون أيديهم و أقدامهم إذا أرادوا الدخول إلى قبة الزمان ، و كانوا إذا دنوا من المذبح يغسلون أيضا كما أمر الرب موسى ، و نصب دارا تحيط بالقبة و المذبح ، و أسبل الستر على باب الدار ، و كمل موسى عملها ؛ و تغشت السحابة قبة الزمان و امتلأت القبة مجد الرب و كرامته ، و لم يقدر موسى على الدخول إلى قبة الزمان ، لأن السحاب حلت عليها ،

(١) فى ظ : زرقن - بالقاف ، وهو خطأ (٢) فى ظ : الستور (٣) فى م : امره.
(٤) فى مد : الدهون (٥) فى ظ : على (٦) زيد فى ظ : على الباب (٧) فى مد : بنيه.

[1]و امتلأت القبة مجد الرب و كرامته[1] . فكان إذا ارتفع السحاب عن القبة كان بنو إسرائيل يظعنون فى جميع مظاعنهم ، و إن لم ترتفع الغمامة لم يظعنوا إلى اليوم الذى ترتفع[2] فيه ، لأن سحاب الرب كان يغشى القبة بالنهار و كانت النار تضىء عليها بالليل و تزهر و تنير / أمام جميع بنى إسرائيل فى جميع مظاعنهم[3] . و قال فى أول السفر الرابع : أمر الله باحصاء بنى إسرائيل ٥ فكانوا من أبناء عشرين سنة إلى ما فوقها ، من خرج منهم للحرب فى الأجناد ستمائة ألف و ثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين دون سبط لاوِى ، فانهم لحفظ قبة الزمان و خدمتها ، و تكون منازلهم حولها محدقة بها ، و هم من ابن شهر إلى ما فوقه اثنان و عشرون ألفا ؛ ثم قال : و كلم الرب موسى و قال له : إذا أتى على الرجل من اللاويين خمسة و عشرون[4] سنة يتقوى على أن يعمل ١٠ العمل فى قبة الزمان ، فاذا أتت عليه خمسون سنة يخرج من العمل و لا يعمل عملا فى قبة الآمد ، وكان ينزل بنو إسرائيل حول بنى لاوِى بانزال الله تعالى لهم ، كلّ له محل من القبة على الاستدارة ، و كان ينزل من مشارقها موسى و هارون و بنوه ليحفظوا حفاظ القدس و القرابين على بنى إسرائيل و من دنا من قبة الزمان و أعمالها من الغرباء يؤمر بقتله ، فقد علم من ١٥ هذا و مما قبله من أن كلا يصلى على باب خيمته أن قبلتهم[5] و هم فى التيه قبة الزمان ، و فى اليوم الذى نصب فيه الخباء أى فى قبة الزمان تغشت سحابة من عند الرب قبة الزمان و حجاب باب الشهادة و كانوا يرون

(١-١) كذا فى الأصول كلها ، و لعلها مكررة و زيد بعدها فى ظ : و لم يقدر موسى (٢) فى ظ : يرتفع (٣) فى م : مظاهم ـ كذا (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عشرين (٥) فى م : قبلهم .

[1]فى الخباء عند المساء نارا تتوقد إلى الصباح ، كذلك كان يكون[1] فى الخباء[2] دائما و كانت تغشاه سحابة بالنهار و تُرى فيه نار بالليل ، فاذا ارتفعت السحابة [3]عن القبة ارتحل بنو إسرائيل من مواضعهم و حيث ما نزلت السحابة[3] هناك كان ينزل بنو إسرائيل ، و إنما كان ارتحال بنى إسرائيل
٥ عن قول الرب و بأمره ، فربما مكثت السحابة على القبة من المساء[4] حتى الصباح و ترتفع[5] بعد الصبح فيرتحلون ، [6]و ربما مكثت الليل و النهار و ربما مكثت أياما و أشهرا و ربما مكثت سنة[6] ، و كلم الرب موسى و قال له : اتخذ قرنين من فضة يكونان عند حضور الجماعة و ارتحال العسكر يهتف بهما الكهنة ، فتحشد إليك جماعة بنى إسرائيل أجمعون إلى باب قبة الزمان ،
١٠ و إن نفخ فى واحد اجتمع إليك القواد و[7] رؤساء الألوف ؛ و لما كان فى السنة الثانية فى عشر خلون من الشهر الثانى ارتفعت السحابة عن قبة الشهادة ، و ارتحل بنو إسرائيل من برية سيناء . و نزلت السحابة فى قفر فاران ؛ ثم قال : و ارتحلوا من عند جبل الرب مسيرة ثلاثة أيام ، فأما تابوت عهد الرب فظعن قبلهم مسيرة يوم ليهيء[8] منزلا ، و كانت تظلهم
١٥ سحابة من قبل الرب إذا ارتحلوا لئلا تؤذيهم حرارة الشمس[8] ، فلما ارتحل

(١ ـ ١) ليست فى ظ ، و فى م : المساء ـ مكان : المساء (٢) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : الجباء ـ كذا (٣ـ٣) ليست فى ظ (٤) فى م : المساء (٥) فى ظ : يرتفع . (٦ـ٦) موضعها فى ظ : و ربما مكثت السحابة على القبة من المساء حتى الصباح وترتفع بعد الصبح فيرتحلون ـ مكررة (٧) ليس فى م (٨) بهامش الأصل و ظ : « وظللنا عليهم الغمام » .

حاملو التابوت قال موسى: انهض إلينا يا رب لينكسر شانئك[١] و يبيد أعداؤك من بين يديك، و إذا نزل حملة التابوت قال: أقبل يا رب إلى ألوف بنى إسرائيل، فتذمر[٢] الشعب و ساء الرب ذلك و غضب و سمع توشوشهم[٣] فاشتد غضبه عليهم و اشتعلت[٤] فيهم نار من قبل الرب، فأحرقت الذى فى أطراف العسكر و حوله، و ضج الشعب على موسى ٥ [٥]فصلى موسى[٥] أمام الرب و خمدت النار، و دعا اسم ذلك الموضع الاحتراق، لأن نار الرب اشتعلت فيهم و أحرقتهم هناك، و اشتهى الخلط الذين كانوا فيهم من الشعوب شهوة و أقبلوا على بنى إسرائيل و قالوا: ليت انا وجدنا من يطعمنا لحما! ذكرنا السمك الذى كنا نأكله بمصر و أكلنا القثاء و البطيخ و الكراث و البصل و الثوم و الآن أنفسنا قرمة[٦] - أى ١٠ يابسة - لا تقدر على شىء نأكله[٧] ما[٨] خلا هذا المن الذى قدام أعيننا، و سمع موسى الشعب يبكون فى قبائلهم، كل إنسان على باب خيمته، و اشتد غضب الرب، و شق ذلك على موسى أيضا؛ ثم قال من أين أقدر أعطى هـذه الأمة كلها لحما؟ إنها تبكى علىّ و تقول: أعطنا

---

(١) فى ظ: شانئيك (٢) من م ومد وظ، وفى الأصل: فتدمر - بالدال المهملة.
(٣) فى ظ: توشوسهم (٤) فى ظ: اشتعل (٥ - ٥) ليست فى م (٦) كذا فى الأصول كلها، وفى قطر المحيط ٢/١٦٩٩: قرم الرجل الى اللحم يقرم قرما اشتدت شهوته له، وكثر حتى قيل قرمت إلى لقائك إذا اشتقت إليه، فتفسير المصنف: يابسة، محل تأمل، لعلها: شائقة، أو: يائسة، كما تدل عليه العبارة التالية.
(٧) فى م و ظ: تأكله (٨) ليست فى ظ.

لحما[١]، لست أقدر أحتمل[٢] هذه الأمة كلها وحدى، لأنها أقوى منى، إن كان فعلك هذا بى فاقتلنى قتلا إن[٣] وافيت منك رحمة ولا أعاين شرا ولا أرى سوء، فقال الرب لموسى: اجمع سبعين شيخا من أشياخ بنى إسرائيل الذين[٤] تعلم أنهم رؤساء الشعب وكتّابه وانطلق بهم إلى قبة الزمان فانى أنزل إليك وأكلمك هناك وأنقص من عطية الروح التى عليك وأصيره عليهم ليحملوا أثقل هذا الشعب ولا يتركوك وحدك، ثم قال موسى[٥] للشعب: تهيئوا غدا لتأكلوا لحما، لأنكم بكيتم أمام[٦] الرب [٧]وقلتم[٧]: ليت من يطعمنا لحما! وإن الموت بأرض مصر خير لنا، فسيعطيكم الرب لحما وليس إنما تأكلون منه يوما أو يومين بل تأكلون منه شهرا حتى يخرج من أنوفكم وتصيبكم منه تخمة، وجمع سبعين شيخا[٨] من مشايخ الشعب وأقامهم حول الخباء، ونزل الرب سبحانه وكلمه وأخذ من الروح الذى عليه وصيره على السبعين، ودخل موسى العسكر هو وأشياخ بنى إسرائيل، وهبت ريح من قبل الرب وأصعدت السلوى من البحور وألقته على العسكر و[٩]مسيرة يوم يمنة ويسرة حول

(١) بهامش الأصل وظ: «لن نصبر على طعام واحد» (٢) فى م: احمل.
(٣) ليس فى ظ (٤) فى ظ: الذى (٥) من م ومد وظ، وفى الأصل: لموسى.
(٦) فى ظ: اماف - كذا (٧ - ٧) ليست فى ظ (٨) بهامش الأصل وظ «سبعين رجلا» وزيد بعده فى ظ «لميقاتنا» (٩) كذا فى الأصول كلها، ولعلها مقحمة.

العسكر و كان مرتفعا من الأرض نحو ذراعين، و جمعوا و نشروا حول العسكر ليكون لهم قديدا ، فبينا اللحم بين أسنانهم قبل أن ينقلع اشتد غضب الرب عليهم و ضرب الشعب ضربة عظيمة جدا و دعا اسم ذلك الموضع قبور الشهوة ، و ارتحل الشعب من قبور الشهوة فأتوا حصروث[1] و نزلوها ؛ و ذكر أنهم مكثوا هنالك سبعة أيام ثم قال: ثم ارتحل الشعب ٥ من حصروث[1] و نزلوا مفازة فاران وكلم الرب موسى و قال له : أرسل قوما يُحسبون[2] الأرض التى أعطى بنى إسرائيل - فذكر إرسال النقباء الاثنى[3] عشر كما سيأتى / إن شاء الله تعالى فى سورة المائدة ثم قال : / ٨٨ و رجعوا إلى موسى بعد أربعين يوما ، فأتوا موسى و هارون و جماعة بنى إسرائيل إلى برية فاران إلى رقيم - انتهى شرح ما أشير إليه فى هذه ١٠ السورة من قصص بنى إسرائيل من التوراة .

و لما بين سبحانه أنهم لما تعنتوا على موسى عليه السلام كما مر و يأتى عن نصوص التوراة مرة بعد مرة أورثهم كفرا فى قلوبهم فمردوا على العصيان و التجرؤ[4] على مجاوزة الحدود فضرب عليهم الذلة و المسكنة

(١) فى ظ فقط حصروت - كذا بالتاء المثناة (٢) و فى م : مُحسبون، وأحسبه أرضاه أو أعطاه ما يرضيه و كفاه حتى قال حسبى و تقول أعطى فأحسب أى أكثر - حَسَبه يحسُبه حسْبًا و حُسبانًا و حِسبانا و حِسبة و حِسابة عدّه - قطر المحيط . (٣) من م و مد ، و فى الأصل: لاثنى ، و فى ظ : الاثنا (٤) كذا فى الأصول كلها، و الظاهر: الاجتراء ، أى التشجع ، و فى قطر المحيط : جرؤ الرجل يجرء جرأة و جُرة بحذف الهمزة و جَراءة شجع جرّأه تجريئا شجّعه ، و اجترأ اجتراء تشجع ، و استجرأ تكلّف الشجاعة و الإقدام ؛ و لم يذكر من باب التفعل .

و أحلهم الغضب ، و كان فى ذلك تحذير لمن طلب سلوك ذلك الصراط المستقيم من حالهم ، و إعلام بأن المتقين المستجاب لهم فى الدعاء بالهداية ليسوا فى شىء من ذلك بل قالوا : اهدنا ، عن يقين و إخلاص متبرئين من الدعاوى و الاعتراض على الرسل نبه على أن من عمل ضد عملهم فآمن منهم أو من غيرهم من جميع الملل كان على ضد حالهم عند ربهم فلا يغضب عليهم بل يوفيهم أجورهم و يورثهم الأمن و السرور المتضمنين لضد الذلة و المسكنة فقال تعالى « ان الذين آمنوا » أو يقال إنه سبحانه لما علل إهانة بنى إسرائيل بعصيانهم و اعتدائهم كان كأنه قيل : فما لمن أطاع ؟ فأجيب بجواب عام لهم و لغيرهم ، أو يقال إنه لما أخبر تعالى بأنهم ألزموا الخزى طوق[2] الحمامة و كان ذلك[3] ربما أوهم أنه لا خلاص لهم منه و إن تابوا[4] و كانت عادته سبحانه جارية بأنه إذا ذكر وعدا أو وعيدا عقبه حكم ضده ليكون الكلام تاما ، اعلموا أن باب التوبة مفتوح و الرب كريم على وجه عام . و قال[5] الحرالى : لما أنهى الحق

(١) ف م و مد : و (٢) ف م : طرق (٣) ليس ف م (٤) العبارة من هنا إلى « تاما » ليست ف م و ظ (٥) قال الهائمى : ثم أشار إلى أن الإصرار على الكبائر و إن كان يجر إلى الكفر فالإيمان بالله و اليوم الآخر يمحو كل ما مضى من ذلك و العمل الصالح يزيل الخوف و الحزن فقال « ان الذين آمنوا » باللسان دون القلب و إن خادعوا الله و المؤمنين « و الذين هادوا » و إن كثرت قبائحهم « و النصارى » و إن قالوا بالهية المسيح « و الصابئين » و إن عبدوا الكواكب و « من آمن » منهم مخلصا ١/٤٧ . وذكر أبو حيان : و مناسبة هذه الآية لما قبلها = تعالى

تعالى نبأ أحوال بنى إسرائيل نهايته مما بين أعلى تكرمتهم بالخطاب الأول إلى أدنى الغضب عليهم بهذا النبأ الآخر عنهم إعراضا فى مقابلة ذلك الإقبال الأول و كانوا هم أول أهل[1] كتاب أشعر تعالى بهذا الختم أن جميع من بعدهم يكون لهم تبعا لنحو مما[2] أصابهم من جميع أهل الملل الأربعة - انتهى . فقيل « ان الذين آمنوا » أى[3] ادعوا[4] الإيمان[1] بما دعا ٥ إليه محمد صلى الله عليه و سلم « و الذين هادوا » أى ادعوا أنهم على دين موسى عليه السلام[5]. قال الحرالى: و هو من الهود و هو رجوع بالباطن[6]

= أنه لما ذكر الكفرة من أهل الكتاب و ما حل بهم من العقوبة أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم دالا على أنه يجزى كلا بفعله.

(١) ليس فى ظ (٢) فى ظ: ما (٣) و الذين آمنوا منافقو هذه الأمة أى آمنوا ظاهرا ولهذا قرنهم بمن ذكر بعدهم ثم بين حكم من آمن ظاهرا و باطنا - قاله سفيان الثورى . ثم ذكر أبو حيان الأندلسى فى تفسيره المسمى بالبحر المحيط ١/ ٢٤١ سبعة أقوال فى المعنى بالذين آمنوا (٤) زيد فى م: الى (٥) قال أبو حيان ١/ ٢٤١: هاد ألفه منقلبة عن واو و المضارع يهود و معناه تاب ، أو عن ياء و المضارع يهيد إذا تحرك ، و الأولى الأول لقوله تعالى « انا هدنا اليك » ؛ و قرأ الجمهور هادوا بضم الدال ، و قرأ أبو السماك العدوى بفتحها من المهاداة ، قيل أى مال بعضهم إلى بعض . و قال القاضى ثناء الله فى التفسير المظهرى ١ / ٧٧: هادوا أى تهوّدوا ، يقال هاد إذا دخل فى اليهودية ، ويهود إما عربى من هاد بمعنى تاب ، سموا بذلك لما تابوا من عبادة العجل ، أو لقولهم « انا هدنا اليك » و إما معرّب يهوذا ، سموا بذلك اسم أكبر أولاد يعقوب عليه السلام (٦) فى ظ : الباطن .

و ثبات فيه - انتهى . و قال أبو عمرو ابن العلاء لأنهم يتهودون أى يتحركون عند [١] قراءة التوراة و يقولون : إن السماوات و الأرض تحركتا حين آتى الله عزوجل التوراة لموسى عليه السلام [١] « و النصٰرٰى » المدعين أنهم تبعوا [٢] المسيح عليه السلام [٣] . قال الحرالى : جمع نصران فان كان من النصرة [٤] فهو فعلان .

و لما كانت هذه السورة فى استعطاف بنى إسرائيل ترغيبا و ترهيبا قرن هنا بين فريقيهم ، و لما كانت ملة الصابئة [٥] جامعة لما تفرق من أصول أديان أهل الشرك تلاهم بهم [٦] مريدا كل مشرك فقال « و الصٰبئين » [٧] المنكرين للرسالة فى الصورة البشرية القائلين بالأوثان السماوية و الأصنام

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى ظ: يتبعوا (٣) قال أبو حيان (١/٢٣٩): والنصارى جمع نصران و نصرانة مثل ندمان وندمانة . قال سيبويه وأنشد :

وكلتاهما خرت و اسجد رأسها كما سجدت نصرانة لم تحنف

و قال الخليل : واحد النصارى نصرى كهرى ومهارى ، قيل وهو منسوب إلى نصرة قرية نزل بها عيسى ، و قال قتادة : نسبوا إلى ناصرة وهى قرية نزلوها ، فعلى هذا يكون من تغيرات النسب (٤) فى ظ : النصر (٥) فى م : الصابئين (٦) فى م : به (٧) الصابئون قيل الخارجون من دين مشهور إلى غيره من صبوء السن و النجم، يقال صبأت النجم طلعت وصبأ ثنية الغلام خرجت وصبأت على القوم بمعنى طرأت . قال الحسن و السدى : هم بين اليهود و المجوس ، و قال قتادة و الكلبى : هم بين اليهود و النصارى يحلقون أوساط رؤسهم و يجبون مذاكيرهم - البحر المحيط ١ / ٢٣٩ ، و فيه أقوال العلماء، من أراد الاطلاع عليها فليراجع إليه .

الأرضية متوسطين إلى رب الأرباب ، قال الحرالى : بالهمز من صبأ يصبأ صبأ و بغير همز من صبا يصبو صبوا ، تعاقبت الهمزة و الياء[1] مع الصاد و الباء لعام معنى هو عود إلى حال صغر بعد كبر - انتهى . « من آمن » أى منهم [2]بدوامه على الإيمان[3] إن كان آمن قبل ذلك ، و دخوله فى الإيمان إن كان كافرا فيكون من الاستعمال فى الحقيقة و المجاز[4] « بالله » ٥ أى لذاته « و اليوم الآخر »[5] الذى الإيمان[6] به متضمن للايمان بجميع الصفات من العلم و القدرة و غيرهما و حاثّ على كل خير و صادّ عن كل ضير « و عمل صالحا » أى[7] و صدق ما ادعاه من الإيمان باتباع شرع الرسول الذى فى زمانه فى الأعمال الظاهرة و لم يفرق بين أحد من الرسل و لا أخل بشىء من اعتقاد ما جاءت به الكتب من الصلاح . ١٠ قال الحرالى : و هو العمل المراعى من الخلل ، و أصله الإخلاص فى النية و بلوغ الوسع فى المحاولة بحسب علم العامل و إحكامه ، و قال : و العمل ما دبر بالعلم - انتهى .

---

(١) فى م و مد: الواو (٢) العبارة من هنا إلى «و المجاز» ليست فى م و ظ (٣) زيد فى مد: و (٤) قال البيضاوى (١/٥٨) : من كان منهم فى دينه قبل أن ينسخ مصدقا بقلبه بالمبدإ و المعاد عاملا بمقتضى شرعه ، و قيل من آمن من هؤلاء الكفرة إيمانا خالصا و دخل الإسلام دخولا صادقا (٥) زيد فى م: اى (٦) زيد فى ظ : منه. (٧) هو عام فى جميع أفعال الصلاح و أقوالها و أداء الفرائض أو التصديق بمحمد صلى الله عليه و سلم - أقوال ، الثانى يروى عن ابن عباس - البحر المحيط ١/٢٤٢ .

[1] و لما كان الإفراد أدل على تخصيص كل واحد بما له و الجمع أدل على إرادة العموم و أقطع للتعنت أفرد[2] أولا و جمع هنا فقال « فلهم اجرهم » الذى وعدوه على تلك الأعمال المشروطة بالإيمان، و هو فى الأصل جعل العامل على عمله، كائنا « عند ربهم » فهو محفوظ لا يخشى عليه نسيان و لا يتوجه إليه تلف « و لا خوف عليهم » من آت يستعلى عليهم من جميع الجهات « و لا هم يحزنون » على شىء فات بل هم فى أعظم السرور بما[3] لهم من العز و الجدة[4] ضد ما للمعتدين من الذل و المسكنة، و حسن وضع هذه الآية فى أثناء قصصهم[5] أنهم كانوا مأمورين بقتل كل ذكر ممن[6] عداهم، و ربما أمروا بقتل النساء أيضا، فربما ظن من ذلك أن من آمن من غيرهم لا يقبل[7] . قال فى التوراة فى قصة

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى م و ظ (٢) فأفرد الضمير فى « آمن » و « عمل » ثم قال « فلهم اجرهم » فجمع حملا على المعنى، وهذان الحملان لا يتمان إلا باعراب من مبتدإ و أما على إعراب من بدلا فليس فيه إلا حمل على اللفظ فقط ـ البحر المحيط ١ / ٢٤٢ (٣) فى م : و ربما (٤) فى م : المجد . (٥) قال أبو حيان : (و مناسبة ختم هذه الآية بها ظاهرة) لأن من استقر أجره عند ربه لا يلحقه حزن على ما مضى ولا خوف على ما يستقبل . قال القشيرى : اختلاف الطرق مع اتحاد الأصل لا يمنع من حسن القبول ، فمن صدق الله فى إيمانه وآمن بما أخبر به من حقه و صفاته فاختلاف وقوع الاسم غير قادح فى استحقاق الرضوان (٦) فى ظ : مما (٧) فى مد : لا يقتل .

مدين

مدين: و قتلوا كل ذكر فيها، ثم قال: و غضب موسى فقال لهم: لما ذا أبقيتم على الإناث؟ و هن كن عشرة لبنى إسرائيل عن قول بلعام و مشورته - يعنى بما أفضى إلى الزنا، ثم قال: و قال الرب لموسى: كلم بنى إسرائيل و قل لهم: أنتم جائزون الأردن لتهلكوا جميع سكان الأرض و نحو هذا مما[1] لعل بعضه أصرح منه و قد ذكر منه فى سورة المائدة، و فى ٥ وضعها أيضا فى أثناء قصصهم إشارة إلى/ تكذيبهم فى قولهم: «ليس ٨٩/ علينا فى الامين سبيل[2]»، و ان المدار فى عصمة الدم و المال إنما هو الإيمان و الاستقامة و ذلك موجود فى نص[3] التوراة فى غير موضع، و فيها تهديدهم على المخالفة فى ذلك بالذلة و المسكنة، و سيأتى بعض ذلك عند قوله «لا تعبدون الا الله» الآية[4]، بل و فيها ما يقتضى المنع[5] من مال المخالف ١٠ فى الدين فانه قال فى وسط السفر الثانى: و إذا لقيت ثور عدوك[6] أو حماره و عليه حمولة فاردده إليه، و إذا رأيت حمار عدوك جاثما تحت حمله فهممت أن لا توازره فوازره و ساعده، ثم رجع إلى قصصهم على أحسن وجه فانه لما ذكر تعالى للمؤمنين هذا الجزاء الذى فخم[7] أمره ترغيبا بابهامه و نسبته إلى حضرة الرب المحسن بأنواع التربية و أنه لا خوف معه و لا حزن ١٥ تلاه بأنهم لم يؤمنوا بعد رؤية ما رأوا من باهر الآيات حتى رفع فوقهم الطور و علموا[8] أنه دافنهم إن عصوا، فكان قبوله من أعظم النعم عليهم، لأن حقه الرد، لأنه كالإيمان عند رؤية البأس لا إيمان بالغيب،

(١) فى ظ: ما (٢) سورة ٣ آية ٧٥ (٣) ليس فى م (٤) سورة ٢ آية ٨٣.
(٥) فى ظ: التمنع (٦) فى ظ: ابيك (٧) فى ظ: فخم (٨) فى م: عملوا.

ثم ذكر أنه لما أقلع عنهم تولوا عن الحضرة الشريفة إلى حضرات الشيطان فأكرموا[1] المعاصى إشارة إلى أنهم أغلظ الناس أكبادا و أكثرهم جرأة و عنادا لا يرعوون[2] لرهبة و لا يثبتون لرغبة فقال تعالى « و اذ » و أخصر[3] من هذا أن يقال إنه لما قرر سبحانه قوله[4] للعالم العامل المذعن كائنا من كان تلاه بما لليهود من الجلافة الداعية إلى النفور عن خلال السعادة التى هى ثمرة[5] للعلم و ما[6] له سبحانه من التطول عليهم باكراههم على ردهم إليه فقال و اذ أى اذكروا يا بنى إسرائيل اذ « اخذنا » بما لنا من العظمة « ميثاقكم » بالسمع و الطاعة من الوثيقة وهى تثنية العهد تأكيدا كاثباته بالكتاب - قاله الحرالى .

« و رفعنا » و[7] لما كان الجبل قد صار فوقهم كالظلة عاما لهم بحيث أنه إذا وقع عليهم لم يفلت منهم إنسان[8] نزع الجار فقال[9] « فوقكم الطور »

(١) فى ظ و م ومد: فاكثروا (٢) فى م: لا يرعون (٣) العبارة من هنا إلى «فقال واذ» ليست فى ظ (٤) فى م و مد: قبوله (٥) ليس فى م (٦) فى م : مما. وقال المهائمى : ثم أشار إلى أنهم لا يعملون ذلك العمل ما لم يشدد عليهم هذا الميثاق فقال « و اذ اخذنا ميثاقكم» أى عهدكم الوثيق بتحمل الأحكام الشاقة من التوراة فأبيتم فشددنا عليكم ١ / ٤٧ . و قال أبوحيان : هذا هو الإنعام العاشر لأنه إنما أخذ ميثاقهم لمصلحتهم ، و الميثاق ما أودعه الله تعالى العقول من الدلائل على وجوده و قدرته و حكمته و صدق أنبيائه و رسله ، أو قوله « لا تعبدون الا الله » ذكر ما بينهما أقوالا أربعة أخر ١/٢٤٣ (٧) العبارة من هنا إلى «نزع الجار فقال» ليست فى ظ (٨) من م ومد ، وفى الأصل: انسانا (٩) سبب رفعه امتناعهم من دخول=

ترهيبا لكم لتقبلوا الميثاق الذى هو سبب سعادتكم، و[1]عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كل جبل ينبت، وكل جبل لا ينبت فليس بطور[1]، [2]و قلنا[3] لكم و هو مظل فوقكم « خذوا ما آتيناكم » من الكتاب للسعادة بطاعتى والتزام أحكامى الموجبة للكون فى حضرتى «بقوة» [1]أى بجد و اجتهاد[1]، و القوة[4] باطن القدرة، من القوى و هى طاقات الحبل التى يمتن بها و يؤمن انقطاعه - ٥ قاله الحرالى . « و اذكروا ما فيه » [1]من التمسك به و للانتقال عنه عند مجىء[1] [1]الناسخ المنعوت فيه ذكرا يكون[1] بالقلب فكرا و باللسان ذكرا « لعلكم

= الأرض المقدسة أو من السجود أو من أخذ التوراة و التزامها - أقوال ثلاثة، روى أن موسى لما جاء إلى بنى إسرائيل من عند الله بالألواح فيها التوراة قال لهم: خذوا و التزموها، فقالوا: لا، إلا أن يكلمنا الله بها كما كلمك، فصعقوا ثم أحيوا فقال لهم: خذوها، فقالوا: لا، فأمر الله تعالى الملائكة فاقتلعت جبلا من جبال فلسطين طوله فرسخ فى مثله وكذلك كان عسكرهم فجعل عليهم مثل الظلة، وأخرج الله تعالى البحر من ورائهم، و أضرم نارا بين أيديهم فاحتاط بهم غضبه فقيل لهم: خذوها وعليكم الميثاق أن لا تضيعوها وإلا سقط عليكم الجبل وغرقكم البحر وأحرقتكم النار، فسجدوا توبة لله وأخذوا التوراة بالميثاق وسجدوا على شق، لأنهم كانوا يرقبون الجبل خوفا، فلما رحمهم الله قالوا: لا سجدة أفضل من سجدة تقبلها الله و رحم بها، فأمروا سجودهم على شق واحد - البحر المحيط ١/٢٤٣ (١ - ١) ليست فى ظ (٢) الطور أصله الناحية و منه طوار الدار، وقال مجاهد: هو جنس الجبل بالسريانية (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: قلت (٤) فى ظ: فالقوة، و القوة الشدة، و هذه المادة قليلة وهى أن تكون العين واللام واوين - قاله أبوحيان .

تتقون » [١] أى لتكونوا على رجاء من أن تتقوا موجبات السخط .
[٢] و لما كان التقدير [٢] : فأخذتم ذلك و أوثقتم العهد به [٣] خوفا من أن يدفنكم [٤]
بالجبل عطف عليه و أشار إلى أنه كان من حقه البعد عن تركه بأداة
البعد [٥] قوله « ثم توليتم » [٦] و التولى [٦] قال الأصفهانى : أصله الإعراض عن
٥ الشىء بالجسم ، ثم استعمل فى الإعراض عن الأمر و الدين - انتهى .
و هو هنا الإعراض المتكلف بما يفهمه التفعل - قاله الحرالى . [٢] و ذلك
لأن النفوس إذا توطنت على أمر الله فرأت محاسنه فرجعت بذلك إلى
نحو من الفطر الأولى لم ترجع عنه إلا بمنازعة من الهوى شديدة [٢] .

(١) أى رجاء أن يحصل لكم التقوى بذكر ما فيه ، و قيل معناه لعلكم تنزعون عما أنتم فيه ، و الذى يفهم من سياق الكلام أنهم امتثلوا الأمر و فعلوا مقتضاه ، يدل على ذلك « ثم توليتم من بعد ذلك » فهذا يدل على القبول و الالتزام لما أمروا به ، و ظاهر هذا الإلجاء ، و المختار عند أهل العلم أن الله تعالى خلق لهم الإيمان و الطاعة فى قلوبهم وقت السجود حتى كان إيمانهم طوعا لا كرها - البحر المحيط ١/٣٤٤ .
(٢ - ٢) ليست فى ظ (٣) العبارة من هنا إلى « عطف عليه » ليست فى ظ .
(٤) فى م : ندفنكم (٥) زيد فى ظ : فى (٦-٦) ليس فى ظ ، و فى م : اى التوق . قال أبو حيان : التولى الإعراض بعد الإقبال ، و هذا أوضح و يدل عليه « ثم » و الذى يفهم من السياق أنهم امتثلوا الأمر و فعلوا مقتضاه ، يدل على ذلك « ثم توليتم من بعد ذلك » فهذا يدل على القبول و الالتزام لما أمروا به ، و فى بعض القصص أنهم قالوا لما زال الجبل : يا موسى ! سمعنا و أطعنا ، و لولا الجبل ما أطعناك ، و قد علم أنهم بعد ما قبلوا التوراة تولوا عنها بأمور لحرفوها و تركوا العمل بها و قتلوا الأنبياء و كفروا بالله و عصوا أمره .

[١]و لما كان توليهم لم يستغرق زمن البعد أدخل الجار فقال[١] « من بعد ذلك » [١]أى التأكيد العظيم[١] عن [٢]الوفاء به[٢] « فلو لا » أى فتسبب عن[٣] توليكم أنه لو لا « فضل الله » [١]أى الذى له الجلال و الإكرام مستعل[١] « عليكم و رحمتـــه »[٤] بالعفو و التوبة [١]و الإكرام بالهداية و النصر على الأعداء[١] « لكنتم من الخسرين »[٥] بالعقوبة و تأبد الغضب ، و أيضا فلما ٥

(١ - ١) ليست فى ظ (٢ - ٢) فى مـد : الوقـايـة (٣) زيد فى ظ : ذلك .
(٤) الفضل الإسلام ، و الرحمة القرآن ـ قاله أبو العالية ، أو الفضل قبول التوبة و الرحمـة العفو عن الزلة ـ من البحر المحيط ١ / ٢٤٤ (٥) الخسران هو النقصان ، و معناه من الهالكين فى الدنيا و الآخرة ، و يحتمل أن يكون كان هنا بمعنى صـار . قال القشيرى : أخـذ سبحانه ميثاق المكلفين و لكن قوما أجابوه طوعا لأنه تعرف إليهم فوحدوه ، و قوما أجـابوه كرها لأنـه ستر عليهم فجحدوه ، و لا حجة أقوى من عيـان ما رفع فوقهم من الطور و لكن عدموا نور البصيرة فلم ينفعهم عيـان البصر ، قال تعالى « ثم توليتم » أى رجعتم إلى العصيان بعد مشاهـدتكم الإيمان بالعيان ، ولو لا حكمه بامهاله و حكمـه بافضاله لعاجلكم بالعقوبة ولحل بكم عظيم المصيبة . و قال بعض أهل اللطائف : كانت نفوس بنى إسرائيل من ظلمات عصيانهم تخبط فى عشواء حالكة الجلباب و تخطر من غلوائها و علوها فى حاتى كبر و إعجاب ، فلما أمروا بأخذ التوراة و رأوا ما فيها من أثقال التكاليف ثارت نفوسهم الآبية ، فرفع الله عليهم الجبل فوجدوه أثقل مما كلفوه ، فهان عليهم حمل التوراة مع ما فيها من التكاليف و النصب إذ ذاك أهون من الهلاك قال الشاعر :

إلى الله يدعى بـالبراهين من أبى فان لم يجب نادته بيض الصوارم

من بحر المحيط ١/ ٢٤٠ .

كان يمكنهم أن يدعوا الإيمان و العمل الصالح عقبت[1] تلك بآية الميثاق إشارة إلى أنه ليس المنجى الإيمان فى الجملة بل الإيمان بجميع ما أخذ عليهم به الميثاق ، و هو جميع ما آتاهم فى التوراة إيمانا مصحوبا بالقوة ، و مما آتاهم صفة عيسى و محمد عليهما السلام و الأمر باتباعهما ، فهو مما أخذ عليهم به العهد و قد كفروا به فلم يصح[2] لهم إيمان و لا عمل ، لأن التفرقة بين ما أتى منه سبحانه زندقة .

ثم جاءت قصة المعتدين فى السبت مؤكدة لذلك ، إذ كان حاصلها أنهم لما ضيعوا أمرا واحدا من أوامره و استخفوا به و هو تحريم السبت عذبهم بعذاب لم يعذب به أحدا من العالمين فقال : و لقد ، و أقرب من ذلك أن يقال إنه سبحانه لما ذكرهم بنعمة العفو الحافظ لهم من الخسران قرعهم بجلافة أخرى لهم خذل بها فريقا منهم حتى غلبهم الخسران [3]فما ضروا[3] إلا أنفسهم مقسما على أنهم بها عالمون و لها مستحضرون فقال تعالى[4] عاطفا على ما تقديره : لقد علمتم جميع ذلك من عهودنا و ما ذكرنا من الإيقاع بمن نقض[5] من شديد وعيدنا و من التهديد على ذلك بضرب الذلة و ما تبعها من أنواع النكال و « لقد » أى و عزتى لقد « علمتم الذين اعتدوا » أى تعمدوا العدوان « منكم فى السبت » بأن[6] استحلوه ، و أصل السبت القطع للعمل و نحوه « فقلنا »[7] أى فتسبب عن اعتدائهم أن قلنا [8] بما لنا من العظمة[8]

(١) فى ظ : عقيب (٢) فى م : لم يصلح (٣ - ٣) فى م : فاضروا ، و فى مد : فما ضرا - كذا (٤) العبارة من هنا إلى «النكال» ليست فى ظ (٥) فى م : نقص . (٦) فى م : اى (٧) زيد فى م : لهم (٨ - ٨) ليست فى ظ .

«لهم[١] كونوا» بارادتنا[٢] «قردة خٰسئين» أى صاغرين مطرودين جمع خاسئ من الخسئ و هو طرد بكره و استخباث، [٣]و سبب ذلك[٤] أن الله تعالى أمرهم بيوم الجمعة فأبوا[١] إلا السبت، فألزمهم الله إياه و جعله لهم محنة و حرم عليهم فيه العمل، فاصطادوا على تهيب و خوف من العقوبة، فلما طال زمن[١] عفوه عنهم و حلمه سبحانه فتجاهروا بالمعصية مسخ منهم من عصى بالمباشرة و من سكت عن النهى عن المنكر «فجعلنٰها» أى فتسبب عن قولنا[٥] أنهم كانوا قردة كما قلنا، فجعلنا[٦] هذه العقوبة «نكالا»[٧] أى قيدا مانعا «لما بين يديها» [٨]من المعاصى[٨] من أهل عالمها / الشاهدين لها «و ما خلفها» ممن جاء بعدهم، [٨]روى معناه عن ابن عباس رضى الله عنهما[٨]، ٩٠ /

(١) ليس فى م (٢) ليس فى ظ (٣) العبارة من هنا إلى «عن المنكر» ليست فى ظ (٤) قال أبو حيان: و الاعتداء كان على ما نقل من أن موسى أمره الله بصوم يوم الجمعة و عرّفه فضله كما أمر به سائر الأنبياء فذكر ذلك لبنى إسرائيل و أمرهم بالتشرع فيه فأبوه و تعدوه إلى يوم السبت فأوحى الله إلى موسى أن دعهم وما اختاروه و امتحنهم فيه بأن أمرهم بترك العمل و حرم عليهم فيه صيد الحيتان فكانت تأتى يوم السبت حتى تخرج إلى الأفنية فاذا ذهب السبت ذهبت الحيتان، فلم يظهروا للسبت الآخر فبقوا على ذلك زمانا حتى اشتهوا الحوت، فعمد رجل يوم السبت فربط حوتا بخزمة و ضرب له وتدا بالساحل فلما ذهب السبت جاء فأخذه؛ فكان هذا من أعظم الاعتداء (٥) فى ظ: قولهم لنا. (٦) فى ظ: فجعلناها اى (٧) قال البيضاوى: عبرة تنكل المعتبر بها أى تمنعه، ومنه النكل للقيد (٨-٨) ليست فى ظ.

و النكال إبداء[1] العقوبة لمن يتّعظ بها ، و اليد[2] ما به تظهر أعيان الأشياء و صورها أعلاها و أدناها ، فلذلك ثنيت لأنها يد عليا هى اليمنى[3] و يد دنيا هى اليسرى ، و الخلف ما يخلفه المتوجه فى توجهه[4] فينطمس عن حواس إقباله شهوده - قاله الحرالى . و قال[5] « و موعظة » من الوعظ و هو دعوة الأشياء بما فيها من العبرة للانقياد للاله الحق بما يخوفها فى مقابلة التذكير[6] بما يرجيها[7] [8] و يبسطها[8] « للمتقين » و قد أشعر هذا أن التقوى عصمة من كل محذور و أن النقم تقع فى غيرهم وعظا لهم .

و لما بين تعالى قساوتهم فى حقوقه عامة ثم خاصة اتبعه[9] بيان جساوتهم[10] فى مصالح أنفسهم لينتج أنهم أسفه الناس فقال « و اذ قال موسى لقومه » بنى إسرائيل « إن الله »[11] أى الذى له الأمر كله[11] « يامركم

(١) فى م : انداء - كذا (٢) قال أبو حيان : قد استعملت للنعمة والإحسان ، و أما الأيادى فهو فى الحقيقة جمع جمع و استعماله فى النعمة أكثر من استعماله للجارحة كما أن استعمال الأيدى فى الجارحة أكثر منه فى النعمة ؛ خلف ظرف مكان مبهم و هو متوسط التصرف و يكون أيضا وصفا ، يقال رجل خلف بمعنى ردىء ؛ موعظة مفعلة من الوعظ والوعظ الإذكار بالخير بما يرق له القلب (٣) فى م : العليا . (٤) فى م : توجيهه (٥) ليس فى ظ (٦) من م و مد وظ ، وفى الأصل : التذكر . (٧) فى م : يرهبها (٨-٨) ليس فى م (٩) قال المهائمى : ثم أشار إلى أن إعراضهم عن أمر الله لم يتأخر إلى عصر المعتدين فى السبت بل كان فى عصر موسى مرارا فى أمر واحد قصدوا ذلك وإن فعلوه آخر - ١/٤٨ (١٠) كذا فى الأصول كلها ، و بهامش ظ : اى غلظتهم و جفاءهم (١١-١١) ليست فى ظ .

ان

ان تذبحوا بقرة »[١] لتعرفوا بها أمر القتيل الذى أعياكم أمره ،[٢] و تاؤها ليست للتأنيث الحقيقى بل لأنها واحدة[٣] من الجنس فتقع على الذكر و الأنثى[٢]. و لما كان من حقهم[٤] المبادرة إلى الامتثال والشكر فلم يفعلوا بيّن فظاظتهم على طريق الاستئناف معظما لها بقوله حكاية عنهم « قالوا أ تتخذنا هزوا » [٢]أى مكان هزء و مهزوءا بنا حين نسألك عن قتيل فتأمرنا بذبح بقرة[٢] ، فجمعوا إلى ما أشير إليه[٥] من اساءتهم سوء الأدب [٢]على من ثبتت[٢] [٢]رسالته بالمعجزة فرد كلامه كفر[٢]، فذكرهم بما رأوا منه من العلم بالله المنافى للهزء بأن قال[٦] « اعوذ بالله » أى أعتصم بمن[٧] [٢]لا كفوء له من[٢] « ان اكون من الجٰهلين » فانه لا يستهزئ إلا جاهل ، و العوذ اللجاء من

(١) قال البيضاوى : أول هذه القصة قوله تعالى « و اذ قتلتم نفسا فادرأتم فيها » وإنما فكت عنه و قدمت عليه لاستقلاله بنوع آخر من مساويهم و هو الاستهزاء بالأمر و الاستقصاء فى السؤال و ترك المسارعة إلى الامتثال ، وقصة أنه كان فيهم شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه طمعا فى ميراثه و طرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه ، فأمرهم أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبر بقاتله . وقال أبو حيان : و وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تقدم ذكر مخالفتهم لأنبيائهم و تكذيبهم لهم فى أكثر أنبائهم فناسب ذلك ذكر هذه الآية لما تضمنت من المراجعة و التعنت والعناد مرة بعد مرة (٢-٢) ليست فى ظ (٣) فى الأصول واحد . (٤) فى م : حقه (٥) فى ظ : اليهم (٦) قال البيضاوى : لأن الهزء فى مثل ذلك (أى مقام الإرشاد و بيان الأحكام) جهل وسفه ، نفى عن نفسه ما رمى به على طريقة البرهان و أخرج ذلك فى صورة الاستعاذة استفظاعا له . (٧) فى ظ : به .

متخوّف لكاف يكفيه، و الجهل التقدم فى الأمور المنبهمة بغير علم ـ قاله الحرالى . « قالوا » تماديا فى الغلظة[١] « ادع لنا ربك » [٢]أى المحسن إليك[٢] فكان تخصيصهم له بالإضافة غاية فى الجفاء « يبين » من التبيين و هو اقتطاع الشىء، و المعنى مما[٣] يلابسه و يداخله ـ قاله[٤] الحرالى . و المراد المبالغة

٥ فى البيان بما يفهمه[٥] صيغة التفعيل « لنا ما هى » تلك البقرة « قال انه يقول[٦] » . و لما كانوا يتعنتون[٧] أكد فقال « انها بقرة لا فارض » أى مسنة[٨] فرضت سنها[٩] أى قطعتها « و لا بكر » أى فتية صغيرة « عوان » أى نصف[١٠] و هو خبر مبتدإ محذوف، و بين هذا الخبر بقوله « بين ذلك »[١١] أى سنى[١٢] الفارض و البكر « فافعلوا ما تؤمرون » [٢]فان الاعتراض

١٠ على من يجب التسليم له كفر[٢] فلم يفعلوا بل [٢]سألوا بيان اللون بعد بيان السن بأن[٢] « قالوا ادع لنا ربك » تماديا فى الجفاء بعدم الاعتراف

---

(١) قال المهائمى : فلما علموا أنه عزم من الله وأرادوا التخلص باستيصافها بأوصاف لاتوجد بقرة تتصف بها أصلا « قالوا » الآية (٢-٢) ليست فى ظ (٣) زيد فى م : لا (٤) فى ظ : قال (٥) فى ظ ومد : تفهمه ، و فى م : نفهمه (٦) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٧) فى م و مد : يعنتون (٨) العبارة من هنا إلى « قطعتها » ليست فى ظ (٩) فى الأصل و م : سنيتها ، وفى مد : سنيها (١٠) العبارة من هنا إلى « بقوله » ليست فى ظ (١١) قال البيضاوى : أى ما ذكر من الفارض و البكر ، و لذلك أضيف إليه بين فانه لايضاف إلا إلى متعدد ، وعود هذه الكنايات و إجراء تلك الصفات على بقرة يدل على أن المراد بها معينة ويلزمه تأخير البيان عن وقت الخطاب (١٢) ليس فى ظ .

بالإحسان « يبين لنا ما لونها » بعد بيان سنها[١] ، و اللون تكيف ظاهر الأشياء فى العين ـ قاله الحرالى . « قال[٢] » [٣]و أكد لما مضى من تلددهم فقال[٣] « انه يقول » [٤]و أكد إشارة إلى مزيد تعنتهم فقال[٤] « انها بقرة صفراء » [٤]و أكد شدة صفرتها بالعدول عن فاقعة إلى قوله معبرا باللون[٤] « فاقع لونها » أى خالص فى صفرته . قال الحرالى : نعت[٥] تخليص للون الأصفر بمنزلة قانئ فى الأحمر فهى إذن متوسطة اللون بين الأسود و الأبيض كما كانت متوسطة السن ، « تسر الناظرين » أى تبهج[٦] نفوسهم[٧] [٧]بأنك إذا نظرت إليها خيل إليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها ـ قاله وهب « قالوا ادع لنا ربك »[٨] المحسن إليك بالإجابة فى كل ما سألته « يبين لنا ما هى » ثم عللوا تكريرهم لذلك بقولهم « ان البقر » أى الموصوف بما قدمته « تشابه »[٩] ، [١٠]أى وقع تشابهه[١٠] « علينا » [١١]و ذكر الفعل لأن كل جمع حروفه أقل من حروف واحده فان العرب تذكره

(١) قال أبو حيان : لما تعرفوا سن هذه شرعوا فى تعرف لونها ، و ذلك كله يدل على نقص فطرهم و عقولهم ، إذ قد تقدم أمر ان : أمر الله لهم بذبح بقرة و أمر المبلغ عن الله الناصح لهم المشفق عليهم بقوله « فافعلوا ما تؤمرون » و مع ذلك لم يرتدعوا عن السؤال عن لونها (٢) ليس فى (٢-٣) ليست فى م و ظ . (٤-٤) ليست فى ظ (٥) فى م : انه تعنت ، و فى مد : انه نعت (٦) قال البيضاوى : والسرور أصله لذة فى قلب عند حصول نفع أو توقعه من السر (٧) العبارة من هنا إلى « وهب » ليست فى ظ (٨) زيد فى م : اى (٩) اعتذار عنه أى إن البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ـ قاله البيضاوى (١٠-١٠) ليست فى م (١١) العبارة من هنا إلى « سيبويه » ليست فى ظ .

نقل عن سيبويه ؛ ثم أدركتهم العناية فقالوا « و انا ان شاء الله » ١ أى الذى له صفات الكمال و أكدوا لما أوجب توقفهم من ظن عنادهم و قدموا التبرك بالمشية لذلك على خبر إن ١ « لمهتدون » أى إلى المراد ٢ فتبركوا بما لا تكون بركة إلا به « قال انه يقول انها » أى هذه البقرة التى أطلتم التعنت فى أمرها « بقرة لا ذلول » ٣من الذل و هو حسن الانقياد ـ قاله الحرالى ٤ ثم وصف الذلول بقوله ٤ « تثير الارض » أى ١يتجدد منها إثارتها ١ بالحرث ١كل وقت ١ من الإثارة ١قال الحرالى ١ : و هى إظهار الشىء من الثرى ، كأنها تخرج الثرى من محتوى ٥ اليبس ؛ و لما كان الذل وصفا لازما عبر فى وصفها بانتفائه ٦ بالاسم المبالغ فيه ، أى ليس الذل وصفا لازما لها لا أنها بحيث لا يوجد منها ذل أصلا ، فانها لو كانت كذلك كانت ٧ وحشية لا يقدر عليها أصلا ٨ .

(١-١) ليست فى ظ (٢) إلى المراد ذبحها أو إلى القاتل ، فى الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الأبد (٣) و قال صاحب المدارك : « لا ذلول » صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعنى لم تذلل للكراب و إثارة الأرض « و لا تسقى الحرث » و لاهى من النواضح التى يسنى عليها لسقى الحروث ، و لا الأولى نافية و الثانية مزيدة لتوكيد الأولى ، لأن المعنى لاذلول تثير الأرض أى تقلبها للزراعة و تسقى الحرث على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل لاذلول مثيرة وساقية ـ انتهى (٤ ـ ٤) ليست فى ظ . و فى م : الذل ـ مكان : الذلول (٥) فى م : موضع (٦) فى م : بالانتقامة (٧) ليس فى م (٨) قال أبوحيان : « لاذلول » صفة للبقرة على أنه من الوصف بالمفرد و « تثير الارض » صفة لذلول و هى صفة =

و لما كان لا يتم وصفها بانتفاء الذل إلا بنفى السقى عنها و كان أمرا يتجدد ليس هو صفة لازمة كالذل عبر فيه بالفعل و أصحبه لا عطفا على الوصف لا على تثير لئلا يفسد المعنى فقال واصفا للبقرة « ولا تسقى الحرث » أى لا يتجدد منها سقيه بالسانية كل وقت ، و يجوز أن يكون إثبات لا فيه تنبيها على حذفها قبل تثير ، فيكون الفعلان المنفيان ٥ تفسيرا على سبيل الاستئناف للا ذلول ، و حذف لا قبل تثير لئلا يظن أنه معها وصف لذلول فيفسد المعنى ، و المراد أنها لم[1] تذلل بحرث و لا سقى و معلوم من القدرة على ابتياعها و تسلمها للذبح أنها ليست فى غاية الإباء[2] كما آذن به الوصف بذلول[2] ، كل ذلك لما فى التوسط من الجمع / لأشتات الخير « مسلمة » أى من العيوب « لا شية[3] » أى علامة ١٠ / ٩١

= داخلة فى حيز النفى، والمقصود نفى إثارتها الأرض أى لا تثير فتذل فهو من باب :

على لاحب لا يهتدى بمناره

اللفظ نفى الذل و المقصود نفى الإثارة فينتفى كونها ذلولا ، و لا تسقى الحرث نفى معادل لقوله : لا ذلول و الجملة صفة ، و الصفتان منفيتان من حيث المعنى كما أن لا تسقى منفى من حيث المعنى أيضا . و قال الحسن : كانت تلك البقرة وحشية و لهذا وصفت بأنها لا تثير الأرض بالحرث ولا يسنى عليها فتسقى . قال الزمخشرى : لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعنى لم تذلل للحرث و إثارة الأرض ولاهى من النواضح التى يسنى عليها بسقى الحروث، و لا الأولى للنفى و الثانية مزيدة لتوكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير و تسقى على أن الفعلين صفتان لذلول كأنه قيل : لا ذلول مثيرة و ساقية ـ انتهى كلامه.

(١) فى مد : لا (٢-٢) ليست فى ظ (٣) و فى البحر المحيط : أى لا بياض ـ قاله السدى ، أولا وضح وهو الجمع بين لونين من سواد وبياض ، أولا عيب فيها، =

« فيها » تخالف لونها [١]بل هي صفراء كلها حتى قرنها و ظلفها[١] « قالوا الئن » أي في هذا الحد من الزمان الكائن الفاصل بين الماضي و الآتي « جئت بالحق »[٢] أي الأمر الثابت المستقر[٣] البين من بيان وصف البقرة فحصلوها[٣] « فذبحوها » اي فتسبب عما تقدم كله انهم ذبحوها « و ما كادوا » أي قاربوا قبل هذه المراجعة الأخيرة[٤] « يفعلون »[٥] قال ابن عباس رضي الله عنهما : لو ذبحوا بقرة ما لأجزأتهم لكنهم شددوا في السؤال فشدد الله عليهم - يعني أنهم كلفوا بالأسهل فشددوا فنسخ بالأشق ، و هو دليل جواز النسخ قبل الفعل[٥] ، أو يقال إنه لما كان السبب إنما وجب عليهم

= أولا لون يخالف لونها من سواد أو بياض ، أو لا سواد في الوجه و القوائم و هو الشية في البقر ، يقال ثور موشى إذا كان في وجهه و قوائمه سواد . قال ابن عطية : و الثور الأشيه الذي ظهر بلقه ، يقال فرس أبلق و كبش أخرج و تيس أبرق و كلب أبقع و ثور أشيه ، كل ذلك بمعنى البلقة - انتهى . و ليس الأشيه مأخوذا من الشية لاختلاف المادتين .

(١-١) ليست في ظ ، و في م : صفا - مكان : صفراء (٢) قال أبو حيان : و معنى « بالحق » بحقيقة نعت البقرة و ما بقي فيها اشكال (٣-٣) ليست في ظ (٤) في البيضاوي : لتطويلهم و كثرة مراجعاتهم أو لخوف الفضيحة في ظهور القاتل أو لغلاء ثمنها إذ روي أن شيخا صالحا منهم كان له عجلة فأتى بها الغيضة و قال : اللهم ! إني أستودعكها لابني حتى يكبر ، فشبت و كانت وحيدة بتلك الصفات فساوموها اليتيم و أمه حتى اشتروها بملاء مسكها ذهبا وكانت البقرة إذ ذاك بثلاثة دنانير ، و المعنى أنهم ما قاربوا أن يفعلوا حتى انتهت سؤالاتهم و انقطعت تعللاتهم ففعلوا كالمضطر الملتجيء إلى الفعل - انتهى كلامه (٥-٥) ليست في ظ ، و في م : العقد - مكان : الفعل .

و ابتلوا بالتشديد فيه باقتراحهم له و سؤالهم إياه بعد إبائهم للجمعة كما يأتى إن شاء الله تعالى بيانه عند قوله تعالى « انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه[1] » كان أنسب الأشياء تعقيبه بقصة البقرة التى ما شدد عليهم فى أمرها إلا لتعنتهم فيه و إبائهم لذبح أىّ بقرة تيسرت ، و يجوز أن يقال إنه لما كان من جملة ما استخفوا به السبت المسارعة إلى إزهاق ما لا يحصى من ٥ الأرواح الممنوعين منها من الحيتان و كان فى قصة البقرة التعنت و التباطؤ عن إزهاق نفس واحدة[2] أمروا بها تلاه بها ، و من أحاسن المناسبات أن فى كل من آيتى القردة و البقرة تبديل حال الإنسان بمخالطة لحم بعض الحيوانات[3] العجم ، ففى الأولى إخراسه بعد نطقه بلحم السمك ، و فى الثانية إنطاقه بعد خرسه بالموت بلحم البقر ، و لعل تخصيص لحم البقر[4] بهذا ١٠ الأمر لإيقاظهم من رقدتهم و تنبيههم من غفلتهم عن عظيم قدرة الله تعالى لينزع من قلوبهم التعجب من خوار العجل الذى عبدوه . و قال الإمام أبو الحسن الحرالى : و فى ذلك تشامّ[5] بين أحوالهم فى اتخاذهم العجل و فى طلبهم ذلك ، و فى كل ذلك مناسبة بين طباعهم و طباع البقرة المخلوقة للكدّ و عمل الأرض التى معها التعب و الذل و التصرف فيما ١٥ هو من الدنيا توغلا فيها و فيه نسمة[6] مطلبهم ما تنبت الأرض الذى هو

(١) سورة ١٦ آية ١٢٤ (٢) زيد فى مد : و (٣) فى م : الحيوان (٤) ليس فى م .
(٥) فى ظ : تشاوم (٦) كذا ، و بهامش م : لعله نسبية .

أثر الحرث - يعنى الذى أبدلوا الحطة به و هو حبة[1] فى شعرة ، فكأنهم بذلك أرضيون ترابيون لا تسمو طباع أكثرهم إلى الأمور الروحانية العلوية ، فان جبلة كل نفس تناسب ما تنزع إليه و تلهج به من أنواع الحيوان « جعل[2] لكم من انفسكم ازواجا و من الانعام ازواجا » - انتهى .

٥ و لما قسمت القصة شطرين تنبيها على النعمتين : نعمة العفو عن التوقف عن الأمر و نعمة البيان للقاتل بالأمر الخارق ،[3] و تنبيها على أن لهم بذلك تقريعين : أحدهما باساءة الأدب فى الرمى بالاستهزاء و التوقف عن الامتثال و الثانى على قتل النفس و ما تبعه، و لو رتبت ترتيبها فى الوجود لم يحصل ذلك[3] ، و قدم الشطر الأنسب لقصة السبت اتبعه الآخر[4] .

---

(١) فى ظ : حيه - كذا (٢) فى الاصول : خلق راجع سورة ٤٢ آية ١١ (٣-٣) ليست فى ظ ، فى مد : رتبن - مكان : رتبت (٤) قال أبو حيان : و يجوز أن يكون ترتيب وجودهما و نزولها على حسب تلاوتهما ، فيكون الله تعالى قد أمرهم بذبح البقرة فذبحوها و هم لا يعلمون بما له تعالى فيها من السر ثم وقع بعد ذلك أمر القتيل فأظهر لهم ما كان أخفاه عنهم من الحكمة بقوله « اضربوه ببعضها » و لاشىء يضطرنا إلى اعتقاد تقدم قتل القتيل ، ثم سألوا عن تعيين قاتله إذ كانوا قد اختلفوا فى ذلك فأمرهم الله بذبح بقرة ، فيكون الأمر بالذبح متقدما فى النزول ، و التلاوة متأخرا فى الوجود و يكون قتل القتيل متأخرا فى النزول، و التلاوة متقدما فى الوجود ، ولا إلى اعتقاد كون الأمر بالذبح و ما بعده مؤخرا فى النزول ، متقدما فى التلاوة و الإخبار عن قتلهم مقدما فى النزول ، متأخرا فى التلاوة دون تعرض لزمان وجود القصتين .

و قال

و قال الحرالى : قدم نبأ قول موسى عليه السلام على ذكر تداروهم فى القتيل ابتداء بأشرف القصدين من معنى التشريع الذى هو القائم على أفعال الاعتداء و أقوال الخصومة ـ انتهى . فقال تعالى « و اذ » أى و اذكروا إذ ،[1] و أسند القتل إلى الكل و القاتل واحد لأن ذلك عادة العرب ، لأن عادة القبيلة المدافعة عن أحدهم[2] فقال « قتلتم نفسا » فأقبل ٥ عليهم بالخطاب توبيخا لهم و إشارة إلى أن الموجودين[3] منهم راضون بما مضى من أسلافهم و أن من ودّ شيئا كان من عمله .

[4]و لما كانوا قد أنكروا القتل سبب عنه قوله مشيرا إلى إخفائه بالادغام[4] « فادارأتم فيها »[5] أى تدافعتم فكان كل فريق منكم يردّ القتل إلى الآخر فكان لكم بذلك ثلاثة آثام : إثم الكبيرة و إثم الإصرار ١٠

---

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٢) و فى البحر المحيط : و نسبة القتيل إلى جمع إما لأن القاتلين جمع و هم ورثة المقتول و قد نقل أنهم اجتمعوا على قتله ، أو لأن القاتل واحد و نسب ذلك إليهم لوجود ذلك فيهم على طريقة العرب فى نسبة الأشياء إلى القبيلة إذا وجد من بعضها ما يذم به أو يمدح ١/٢٥٩.
(٣) فى مد: المودين (٤ـ٤)ليست فى ظ، و فى مد: خفايه ـ مكان : اخفائه (٥) قرأ الجمهور بالادغام ، و قرأ أبو حيوة : فتدارأتم ، على وزن تفاعلتم و هو الأصل ، و نقل من جمع فى التفسير أن أباالسوار قرأ : فدرأتم ـ بغير ألف قبل الراء ؛ و يحتمل هذا التدارؤ و هو التدافع أن يكون حقيقة و هو أن يدفع بعضهم بعضا بالأيدى لشدة الاختصام ، ويحتمل المجاز بأن يكون بعضهم طرح قتله على بعض فدفع المطروح عليه ذلك إلى الطارح ، أو بأن دفع بعضهم بعضا بالتهمة و البراءة ـ البحر المحيط .

و إثم الافتراء بالدفع؛ [1]قال الكلبي: و ذلك قبل نزول القسامة فى التوراة، كأنه يشير إلى ما اذكره عنها قريبا.

و لما كان فعلهم فى المداراة فعل غافل عن إحاطة علم الخالق سبحانه قال يحكى حالهم إذ ذاك[1] «و الله» [2]أى و الحال أن الذى له الأمر كله[2] «مخرج» بلطيف صنعه و عظيم شأنه «ما كنتم تكتمون»[3] و فى تقديمه أيضا زيادة تبكيت لهم بتوقفهم[4] فى ذبح بقرة أمروا بذبحها لمصلحة لهم عظيمة بعد مبادرة بعضهم إلى قتل إنسان مثله بعد النهى الشديد عنه و قال[5] [6]منبها بالالتفات إلى أسلوب العظمة على ما فى الفعل المأمور به منها[6] «فقلنا» أى[4] بما لنا من العظمة «اضربوه[7]»

(١-١) ليست فى ظ، و فى م: غامض - مكان: غافل (٢-٢) ليست فى ظ (٣) و قال المهائمى: «و الله مخرج» من قلوبكم «ما كنتم تكتمون» من أمر القاتل و أنه لو سماه موسى لكذبوه (٤) ليس فى ظ (٥) فى ظ: قوله (٦-٦) ليست فى ظ، و فى م: منها مكان: منبها (٧) معطوفة على قوله «فتلتم نفسا فادراتم فيها» و الجملة من قوله تعالى «و الله مخرج ما كنتم تكتمون» اعتراضية بين المعطوف و المعطوف عليه مشعرة بأن التدارؤ لا يجدى شيئا إذ الله تعالى مظهر ما كتم من أمر القتيل، و الهاء فى اضربوه عائد على النفس على تذكير النفس، إذ فيها التأنيث و هو الأشهر و التذكير أو على أن الأول هو على حذف مضاف أى و إذ قتلتم ذا نفس فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، فروعى بعود الضمير مؤنثا فى قوله «فادارأتم فيها» و الظاهر أنهم أمروا أن يضربوه بأى بعض كان - قاله أبوحيان و ذكر أقوالا فيه، فليراجع ثمه ١/ ٢٦٠.

[١] و أضمر ذكر البقرة و لم يظهر دلالة على اتحاد هذا الشق الأول من القصة الذى جعل ثانيا بالشق الذى قبله فى أنهما قصة واحدة فقال[١] « ببعضها » قال الإمام أبو على الفارسى فى كتاب الحجة : قلنا اضربوا المقتول ببعض البقرة فضربوه به فحيي ، [٢]يعنى و الدليل على هذا المحذوف قوله[٢] «كذلك» [٣]أى مثل هذا الإحياء العظيم على هذه الهيئة الغريبة[٣] « يحى الله » [٣]أى الذى ٥ له صفات الكمال[٣] « الموتى » مثل هذا الإحياء الذى[٤] عوين و شوهد - انتهى . [٥]روى أنهم لما ضربوه قام و قال : قتلنى فلان و فلان لابنى عمه ثم سقط ميتا فأخذا و قتلا و لم يورّث قاتل بعد ذلك[٥] ؛ و هذه الخارقة كما أخبر نبينا صلى الله عليه و سلم ذراع الشاة المسمومة بأنه مسموم لما سمته اليهودية التى كانت فى قومها هذه الآية ، و جعل هذا ١٠ التنبيه على البعث فى قصصهم ، لأنه من أعظم الأدلة عليه ، و قد وقع منهم ما ساغ معه عدهم منكرين و هو قولهم للمشركين : دينكم خير من دين محمد ، أو[٦] أن هذا[٧] تنبيه مقصود به حث العرب على سؤال من

(١-١) ليست فى ظ . وأخرت فى م عن « فضربوه به فحيي » (٢-٢) ليست فى ظ . و قدمت فى م على «واضمر ذكر البقرة» (٣-٣) ليست فى ظ (٤) زيد فى ظ : هو . (٥-٥) ليست فى ظ، و فى م : اخذوا - مكان : فاخذا. قال الماوردى : كان الضرب بميت لا حياة فيه لئلا يلتبس على ذى شبهة أن الحياة إنما انقلبت إليه مما ضرب به لتزول الشبهة و تتأكد الحجة - البحر المحيط ١ / ٢٦٠ (٦) فى ظ : و . (٧) كذلك إن كان هذا خطابا للذين حضروا إحياء القتيل كان ثم إضمار قول أى و قلنا لهم كذلك يحى الله الموتى يوم القيامة ، وقدره الماوردى خطابا من موسى على نبينا و عليه الصلاة و السلام و إن كان لمنكرى البعث فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون من تلوين الخطاب والمعنى كما أحيي قتيل بنى إسرائيل =

استنصحوهم فى السؤال عن النبى صلى الله عليه وسلم لكونهم أهل العلم الأول ، فهو ملزِم لهم باعتقاد البعث أو اعتقاد / كذب اليهود ، و عبر بالاسم العلم لأن الإحياء من أخص الآيات بصفة الإلهية كما أن الإرزاق أخص الآيات بالربوبية ١ « و يريكم آيته » فيما يشهد بصحته « لعلكم تعقلون » ٢ أى لتكونوا برؤية تلك الآيات الشاهدة له على رجاء من أن يحصل لكم عقل فيرشدكم إلى اعتقاد البعث و غيره مما تخبر به الرسل عن الله تعالى .

/٩٢

٥

و لما كان حصول المعصية منهم بعد رؤية هذه الخارقة مستبعد

= فى الدنيا كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة، و إلى هذا ذهب الطبرى؛ والظاهر هو الأول لانتظام الآى فى نسق واحد و لئلا يختلف خطاب « لعلكم تعقلون » وخطاب « ثم قست قلوبكم » قاله أبو حيان .

(١) ظاهر هذا الكلام الاستئناف ، و يجوز أن يكون معطوفا على « يحى » والظاهر أن الآيات جمع فى اللفظ والمعنى وهى ما أراهم من إحياء الميت و العصا و الحجر و الغمام و المن و السلوى و السحر و البحر و الطور و غير ذلك ، و كانوا مع ذلك أعمى الناس قلوبا و أشد قسوة و تكذيبا لنبيهم فى تلك الأوقات التى شاهدوا فيها تلك العجائب و المعجزات ـ البحر المحيط .

(٢) و قال أبو حيان الأندلسى : أى لعلكم تمتنعون من عصيانه و تعملون على تضية عقولكم من أن من قدر على إحياء نفس واحدة قدر على إحياء الأنفس كلها لعدم الاختصاص « ما خلقكم و لا بعثكم الا كنفس واحدة » أى كخلق نفس واحدة و بعثها . و قال الزمخشرى : فى الأسباب والشروط حكم و فوائد و إنما شرط فى ذلك لما فى ذبح البقرة من التقرب و أداء التكليف و اكتساب الثواب والإشعار بحسن تقديم القربة على الطلب و ما فى التشديد =

[1]التصور فضلا عن الوقوع[1] أشار إليه بقوله « ثم قست » [2]من القسوة[2] و هى اشتداد التصلب و التحجر[3] « قلوبكم » . و لما كانت لهم حالات يطيعون فيها أتى بالجار فقال « من بعد ذلك » أى من بعد ما تقدم وصفه من الخوارق فى المراجعات و غيرها تذكيرا لهم بطول إمهاله لهم سبحانه

= عليهم لتشديدهم من اللطف لهم ولآخرين فى ترك التشديد و المسارعة إلى امتثال أوامر الله تعالى و ارتسامها على الفور من غير تفتيش و تكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة و الدلالة على بركة البر بالأبوين و الشفقة على الأولاد و تجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه و لا يطلع على حقيقته من كلام الحكماء - قاله أبو حيان الأندلسى . و قال البيضاوى : « لعلكم تعقلون » لكى يكمل عقلكم و تعلموا أن من قدر على إحياء نفس قدر على الأنفس كلها أو تعملوا على قضيته ولعله تعالى إنما لم يحيه ابتداء و شرط فيه بأشرط لما فيه من التقرب و أداء الواجب و نفع اليتيم و التنبيه على بركة التوكل و الشفقة على الأولاد و أن من حق الطالب أن يقدم قربة و المتقرب أن يتحرى الأحسن كما روى عن عمر رضى الله عنه أنه ضحى بنجيبة بثلاث مائة دينار وأن المؤثر فى الحقيقة هو الله تعالى و الأسباب أمارات لا أثر لها وأن من أراد أن يعرف أعدى عدوه الساعى فى إماتة الموت الحقيقى فطريقه أن يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شرة الصبى ولم يلحقها ضعف الكبر و كانت معجبة رائقة المنظر غير مذللة فى طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا شية بها من مقابحها بحيث يصل أثره إلى نفسه فيحيى حياة طيبة و تعرب عما به ينكشف الحال و يرتفع ما بين العقل و الوهم من التدارء و النزاع - انتهى كلامه ١/٦١ .

(١-١) ليست فى ظ (٢-٢) ليست فى م (٣) القساوة عبارة عن الغلظ مع الصلابة كما فى الحجر و قساوة القلب مثل فى نبوه عن الاعتبار، ثم لاستبعاد القسوة .

مع توالى كفرهم و عنادهم، و تحذيرا من مثل ما أحل بأهل السبت «فهى» أى فتسبب عن قسوتها أن كانت «كالحجارة» التى هى أبعد الأشياء عن حالها، فان القلب أحيى حىّ و الحجر أجمد جامد[1]، [2] و لم يشبهها بالحديد لما فيه من المنافع، و[3] لأنه قد يلين .

٥ و لما كانت القلوب بالنظر إلى حياتها ألين لين و بالنظر إلى ثباتها على حالة أصلب شىء كانت بحيث تحير الناظر فى أمرها فقال «او» . قال الحرالى: هى كلمة تدل على بَهم الأمر و خفيته فيقع الإبهام و الإيهام - انتهى .

(١) قال أبو حيان الأندلسى : «فهى كالحجارة» يريد فى القسوة ، و هذه جملة ابتدائية حكم فيها بتشبيه قلوبهم بالحجارة إذ الحجر لا يتأثر بموعظة و يعنى أن قلوبهم صلبة لا يتخلخلها الخوارق كما أن الحجر خلق صلبا ، و فى ذلك إشارة إلى أن اعتياص قلوبهم ليس لعارض بل خلق ذلك فيها خلقا أوليا كما أن صلابة الحجر كذلك ؛ و جمعت الحجارة و لم تفرد فيقال كالحجر فيكون أخصر إذ دلالة المفرد على الجنس كدلالة الجمع لأنه قوبل الجمع بالجمع لأن قلوبهم جمع فناسب مقابلته بالجمع ، و لأن قلوبهم متفاوتة فى القسوة ، كما أن الحجارة متفاوتة فى الصلابة ، فلو قيل كالحجر لأفهم ذلك عدم التفاوت إذ يتوهم فيه من حيث الافراد ذلك - انتهى كلامه . و قال المهائمى : «كالحجارة» لا كالحديد الذى يلين بالنار إذ لا تلين بنار التخويف «او هى اشد قسوة» من الحجارة فلا تصلح لأن يكون مشبها بها كيف «و ان من الحجارة» كالجبال «لما يتفجر منه الانهر» بأن ينقلب بعض أجزائها هواء ثم يجذب الهواء من الجوانب و يقلبها بقوة تبريدها ماء «و ان منها لما يشقق» بمدافعة الماء من خلفه (٢) العبارة من هنا إلى «قد يلين» ليست فى ظ (٣) ليس فى م .

و هذا الإبهام بالنسبة إلى الرائين لهم من الآدميين ، و أما الله تعالى فهو العالم بكل شيء قبل خلقه كعلمه به بعد خلقه [١] و زاد أشد مع صحة بناء أفعل من قسى للدلالة على فرط القسوة فقال [١] «اشد قسوة» لأنها لا تلين لما حقه أن يلينها و الحجر يلين لما حقه أن يلينه و كل وصف للحى يشابه به [٢] ما دونه أقبح فيه مما دونه من حيث أن الحى مهيأ لضد تلك المشابهة بالإدراك .

و لما كان التقدير فان الحجارة تنفعل بالمزاولة عطف عليه [١] مشيرا إلى مزيد قسوتهم و جلافتهم بالتأكيد قوله [١] «و ان من الحجارة» [٣] و زاد فى التأكيد تأكيدا لذلك قوله [٤] «لما يتفجر» أى يتفتح [٥] بالسعة

(١-١) ليست فى ظ (٢) ليس فى م (٣) تبيين أن قلوبهم لاتتأثر و أن الحجارة قد يوجد فيها ما يتأثر و أنها متفاوتة فى التأثر ، و قرئ «و ان» مشددة فى ثلاثتها فما اسم انّ دخلت اللام عليه ، و قرئ مخففة فى ثلاثتها فاحتمل أن تكون معملة و ما اسمها ، و احتمل أن تكون ملغاة نحو ان فى الدار لزيد فما مبتدأ خبره المجرور قبله واللام هى لام الابتداء لزمت للفرق أو لام غيرها اجتلبت للفرق ؛ قولان للنحاة ـ من النهر من البحر لأبى حيان ١/٢٦٣ (٤) العبارة من «و زاد» إلى هنا ليست فى ظ (٥) فى الأصل ينفتح من الانفعال ، و فى م ومد: يتفتح ، من باب التفعل، وهو المناسب للمفسّر ، قال فى النهر من البحر : يتفجر مضارع تفجر و ينفجر مضارع انفجر مطاوع فجر بتخفيف الجيم والتفجر التفتح بالسعة و الكثرة . وقال أبوحيان فى البحر : لما شبه تعالى قلوبهم بالحجارة فى القسوة ثم ذكر أنها أشد قسوة على اختلاف الناس فى مفهوم أو بين أن هذا التشبيه إنما هو بالنسبة لما علمه المخاطب من صلابة الأحجار وأخذ يذكر جهة كون قلوبهم =

و الكثرة « منه[1] الانهر »[2] [3]ذكر الكثير[3] مما يشاهد من ذلك و تذكيرا بالحجر المتفجر لهم منه الأنهار بضرب العصا ثم عطف على ذلك ما هو دونه فقال « و ان منها لما يشقق »[4] أى يسيرا بتكلف بما يشير إليه الادغام و التفعل من التشقق و هو تفعل صيغة التكلف من الشق و هو مصير الشيء في الشقين أى ناحيتين متقابلتين - قاله الحرالى . « فيخرج منه الماء » الذى هو دون النهر ، ثم عطف على هذا ما هو أنزل من ذلك فقال « و ان منها[5] لما يهبط من خشية الله » أى ينتقل من مكانه من أعلى الجبل إلى أسفله لأمر الملك الأعلى له بذلك و قلوبكم لانقياد لشيء من الأوامر فجعل الأمر فى حق القلوب لما فيها من العقل كالإرادة فى حق الحجارة لما لها من الجمادية[5] ، و فى ذلك تذكير[6] لهم بالحجارة المتهافتة من الطور

= أشد قسوة و المعنى أن قلوب هؤلاء جاسية صلبة لا تلينها المواعظ و لا تتأثر للزواجر و ان من الحجارة ما يقبل التخلخل و أنها متفاوتة فى قبول ذلك على حسب التقسيم الذى أشار إليه تعالى - ثم ذكر اختلاف المفسرين فى هذه الآية أهى على سبيل التمثيل أم على غيره فليراجع ثمه .

(١) زيد فى م : و (٢) و قرئ « منه الانهر » و منها الأنهر حملا على المعنى - النهر من البحر (٣ - ٣) فى ظ : ذكرا للكثير (٤) التشقق : التصدع بطول أو عرض فينبع منه الماء بقلة و قرئ يشقق بتشديد الشين و يتشقق و ينشقق بنون و قافين و الفك شاذ (٥) زيد فى م و مد : أى الحجارة (٦) قال أبو حيان الأندلسى : و اختلف المفسرون فى تفسير هذا فذهب قوم إلى أن الخشية هنا حقيقة ، و اختلف هؤلاء فقال قوم : معناه من خشية الحجارة لله تعالى فهى مصدر مضاف للمفعول ، وأن الله تعالى جعل لهذه الأحجار التى تهبط من خشية الله تعالى تمييزا قام لها =

عند تجلى الرب . قال الحرالى : و الخشية وجل نفس العالم مما[١] يستعظمه .

و لما كان التقدير : فما أعمالكم - أو : فما أعمالهم ، على قراءة الغيب - مما[٢] يرضى الله؟ عطف عليه « و ما »[٣] و يجوز أن يكون حالا من قلوبكم أى[٤] قست و الحال أنه ما « الله » [٥]أى الذى له الكمال كله[٥] « بغافل » و الغفلة فقد الشعور بما حقه أن يشعر به « عما تعملون ».[٦] فانتظروا عذابا مثل عذاب أصحاب السبت إما فى الدنيا و إما فى الآخرة ، و لم أر ذكر قصة البقرة فى التوراة فلعله مما أخفوه لبعض نجاساتهم كما أشير إليه

= مقام الفعل المودع فيمن يعقل ، واستدل على ذلك بأن الله تعالى وصف بعض الحجارة بالخشية و بعضها بالإرادة و وصف جميعها بالنطق و التحميد و التقديس و التأويب و التصدع ، و كل هذه صفات لا تصدر إلا عن أهل التمييز و المعرفة ، قال تعالى « لو انزلنا هذا القرآن على جبل » الآية « و ان من شىء الا يسبح بحمده » « يجبال اوبى معه و الطير » و فى الحديث الصحيح : إنى لأعرف حجرا كان يسلم علىّ قبل أن أبعث ، و إنه بعد مبعثه ما مر بحجر و لا مدر إلا سلم عليه ، و فى الحجر الأسود أنه يشهد لمن يستلمه - و أطال البحث و أجاد فليراجع (٦) فى م : تذكيرا.

( ) و فى ظ : بما (٢) و فى ظ : فما (٣) العبارة من هنا إلى «انه ما» ليست فى ظ.

(٤) فى م : ان (٥ - ٥) ليست فى ظ (٦) و قد تضمنت هذه الآيات الكريمة فصولا عظيمة و محاورات كثيرة ، و ذلك أن موسى على نبينا و عليه الصلاة والسلام شافههم بأن الله تعالى يأمرهم بذبح البقرة ، وذلك امتحان من الله تعالى لهم . فلم يبادروا لامتثال أمر الله تعالى وأخرجوا ذلك مخرج الهزء إذ لم يفهموا سرّ الأمر ، وكان ينبغى أن يبادروا بالامتثال ؛ فأجابهم موسى باستعاذة بالله الذى أمره أن يكون ممن جهل فيخبر عن الله بما لم يأمره به فرد عليهم - من البحر المحيط ، و لمزيد التفصيل فليراجع إليه .

بقوله تعالى «تجعلونه قراطيس تبدونها و تخفون كثيرا[1]» و الذى رأيت فيها مما يشبه ذلك و يمكن أن يكون مسببا عنه أنه قال فى السفر الخامس منها ما نصه: فاذا وجدتم قتيلا فى الأرض التى[2] يعطيكم الله ربكم مطروحا لا يعرف قاتله يخرج أشياخكم و قضاتكم و يذرعون ما بين القتيل و القرية، فأية قرية كانت قريبة من القتيل يأخذ أشياخ تلك القرية عجلا لم يعمل به عمل و لم يحرث به حرث، فينزل أشياخ القرية العجل إلى الوادى الذى لم يزرع و لم يحرث فيه حرث يذبحون العجل فى ذلك الوادى و يتقدم الأحبار بنو[3] لاوى الذين اختارهم الله ربكم أن يخدموا و يباركوا اسم الرب و عن قولهم يقضى كل قضاء و يضرب كل مضروب، و جميع أشياخ تلك القرية القريبة من القتيل يغسلون أيديهم فوق العجل المذبوح فى الوادى و يحلفون و يقولون: ما سفكت أيدينا هذا الدم و ما رأينا من قتله فاغفر يا رب لآل إسرائيل شعبك الذين[4] خلصت، و لا تؤاخذ شعبك بالدم الزكى، و يغفر لهم على الدم و أنتم فافحصوا عن الدم و اقضوا بالحق و أبعدوا عنكم الإثم و اعملوا الحسنات بين يدى الله ربكم - انتهى - و هو كما ترى يشبه أن يكون فرع هذا الأصل المذكور فى القرآن العظيم و الله أعلم.

و لما بين سبحانه أن قلوبهم صارت من كثرة المعاصى و توالى التجرّؤ على بارئها محجوبة بالرين كثيفة الطبع بحيث أنها أشد قسوة من

(١) سورة ٦ آية ٩١ (٢) ف ظ: الدى (٣) ف ظ: بنى (٤) ف م: الدى.

الحجارة تسبب عن ذلك بعدهم عن الإيمان فالتفت إلى المؤمنين يؤيسهم[١] من فلاحهم[٢] تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم عما كان يشتد حرصه عليه من طلب إيمانهم[٢] فى معرض التنكيت عليهم و التبكيت لهم منكرا للطمع فى إيمانهم بعد ما قرر أنه تكرر[٣] من كفرانهم[٤] فقال « افتطمعون » و الطمع[٥] تعلق البال بالشيء من غير تقدم سبب له « ان يؤمنوا »[٦] أى هؤلاء ٥ الذين بين أظهركم[٧] / و قد سمعتم ما اتفق لأسلافهم من الكثافة و هم / ٩٣

(١) فى م : يؤنبهم (٢-٢) ليست فى ظ (٣) فى م : تقرر (٤) قال أبو حيان : ثم ختم ذلك بأنه تعالى لا يغفل عما اجترحوه فى دار الدنيا بل يجازيهم بذلك فى الدار الأخرى ، و كان افتتاح هذه الآيات بأن الله تعالى يأمر و اختتامها بأن الله لا يغفل ، فهو العالم بمن امتثل و بمن أهمل ، فيجازى ممتثل أمره بجزيل ثوابه و مهمل أمره بشديد عقابه - انتهى كلامه (٥) الطمع تعلق النفس بادراك مطلوب تعلقا قويا ، و هو أشد من الرجاء لأنه لا يحدث إلا عن قوة رغبة و شدة إرادة ، و إذا اشتد صار طمعا ، و اذا ضعف كان رغبة و رجاء - البحر المحيط ١/٢٦٩ . قال على المهائمى : « ا » تعلمون هذه القساوة منهم و ازدياد التعدى و التكبر و مع ذلك ترونهم الدلائل و تزجرونهم بالمواعظ (٦) العبارة من هنا إلى «الا الله» ليست فى ظ . (٧) و ذكر أبو حيان الأندلسى فى سبب نزول هذه الآية أقاويل و ذكر فى آخرها ما نصه : و هذه الأقاويل كلها لا تخرج عن ان الحديث فى اليهود الذين كانوا فى زمان رسول الله صلى الله عليه و سلم ، لأنهم الذين يصح فيهم الطمع أن يؤمنوا ، لأن الطمع إنما يصح فى المستقبل ، و الضمير فى « ان يؤمنوا لكم » لليهود ، و المعنى استبعاد إيمان اليهود ، إذ قد تقدم لأسلافهم أفاعيل و جرى أبناؤهم عليها فبعيد =

راضون بذلك و إلا لآمنوا بمجرد هذا الإخبار عن هذه القصص من هذا النبي الأمي الذى يحصل التحقيق[1] بأنه لا معلم له بها إلا الله معترفين « لكم و قد » أى و الحال أنه قد « كان فريق »[2] أى ناس يقصدون الفرقة و الشتات[2] « منهم » . قال الحرالى : من الفرق و هو اختصاص برأى وجهة عمن حقه أن يتصل به و يكون معه ـ انتهى . « يسمعون كلام الله » المستحق لجميع صفات الكمال و الكلام[3] . قال الحرالى : هو إظهار ما فى الباطن على الظاهر لمن يشهد ذلك الظاهر بكل نحو من أنحاء الإظهار ـ انتهى . « ثم يحرفونه »[4] أى يزيلونه عن وجهه برده على حرفه ، و فى ذكر الفريق مع المعطوفات عليه تأكيد[5] لعظيم تهمّكهم[6] فى العصيان

= صدور الإيمان من هؤلاء (١) فى مد : التحقق (٢ـ٢) ليست فى ظ . و الفريق قيل هم الأحبار الذين حرفوا التوراة فى صفة محمد صلى الله عليه وسلم ـ قاله مجاهد والسدى ، و قيل جماعة من اليهود كانوا يسمعون الوحى إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم فيحرفونه قصدا أن يدخلوا فى الدين ما ليس فيه و يحصل التضاد فى أحكامه ـ البحر المحيط ١/٢٧٢ (٣) قال أبوحيان الأندلسى : الكلام هو القول الدال على نسبة إسنادية مقصودة لذاتها ، و يطلق أيضا على الكلمة ، و يعبر أيضا عن الخط و الإشارة و ما يفهم من حال الشىء و تقاليبه الست موضوعة و ترجع إلى معنى القوة و الشدة و هى كلم ، كل ، لكم ، ملك ، مكل ـ انتهى كلامه . (٤) التحريف إمالة الشىء من حال إلى حال ، والحرف الحد المائل ـ قاله أبو حيان . (٥) فى م : تاكيدا (٦) من همكه فى الأمر يهمكه همكا لجّجه ، تهمّك فى الأمر و انهمك حدّ فيه و لج (قطر المحيط) و صلته هنا بفى شاهدة على كونه « تهمكهم » =

بأنهم كانوا بعد ما وصف من أحوالهم[1] الخبيثة[2] فرقا[3] فى الكفر و العدوان و التبرء من جلباب الحياء، و قوله « من بعد ما عقلوه »[4] مع كونه توطية لما[5] يأتى من أمر الفسخ مشيرا إلى أن تحريفهم لم يكن فى محل إشكال لكونه مدركا بالبديهة، [6]و أثبت الجار لاختلاف أحوالهم[6].

و لما كان هذا مع أنه إشارة إلى أنهم على جبلات إبائهم و إلى أن من اجترأ على الله لم ينبغ لعباد الله أن يطمعوا فى صلاحه لهم، لأنه إذا اجترأ على العالم بالخفيات كان على غيره أجرأ مشيرا إلى أنه لا يفعله عاقل ختمه بقوله « و هم يعلمون »[7] أى و الحال أنهم مع العقل حاملون للعلم فاهمون له غير غافلين بل متعمدون.

[8]و لما كان الكلام مرشدا إلى أن التقدير فهم لجرأتهم على الله

= و وقع فى ظ و مد: تهتكهم، و فى م: تهكمهم - كذا (١) فى ظ و مد: اعمالهم (٢) ليس فى م (٣) فى ظ: فرقا - كذا (٤) أى من بعد ما ضبطوه و فهموه ولم تشتبه عليهم صحته (٥) فى مد: كما (٦ - ٦) ليست فى ظ، و فى م: اثبات (٧) و متعلق العلم محذوف أى أنهم قدحرفوه أو ما فى تحريفه من العقاب أو أنه الحق أو أنهم مبطلون كاذبون، و الواو فى قوله « و قد كان فريق » و فى قوله « وهم يعلمون » واو الحال و العامل فى قوله وهم يعلمون، فقوله ثم يحرفونه أى يقع التحريف منهم بعد تعقله و تفهمه عالمين بما فى تحريفه من شديد العتاب، و مع ذلك فهم يقدمون على ذلك يجترؤن عليه، و الإنكار على العالم أشد من الإنكار على الجاهل - البحر المحيط ١ / ٢٧٢ (٨) قال على المهائمى: ثم أشار إلى أن هذا التحريف حيث ظهر لنا على لسان بعضهم و إلا فهم =

إذا سمعوا كتابكم حرفوه و إذا حدثوا عباد الله لا يكادون يصدقون عطف عليه قوله « و اذا لقوا الذين آمنوا » بنبينا محمد صلى الله عليه و سلم « قالوا » نفاقا منهم « آمنا و إذا خلا بعضهم »١ أى المنافقين١ « الى بعض قالوا » ' لائمين لهم' ظنا منهم' جهلا بالله لما وجدوا كثيرا من أسرارهم

٥ و خفى أخبارهم مما هو فى كتابهم من الدقائق و غير ذلك عند المؤمنين مع اجتهادهم فى إخفائها أن بعضهم أفشاها فعلمت من قبله « اتحدثونهم » من التحديث٣ و هو تكرار حدث القول أى واقعه « بما فتح الله »٤ ' ذو الجلال و الجمال١ « عليكم » من العلم القديم الذى أتاكم على ألسنة رسلكم أو بما عذب به بعضكم . و الفتح قال الحرالى توسعة الضيق حسا و معنى

= مبالغون فى الكتمان و يشددون على من أظهر « و » ذلك أن فريقا منهم « اذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا » أى صدقنا نبيكم فى الباطن لأنه مذكور فى كتابنا لكن لا نترك فى الظاهر دين آبائنا خوفا من أقاربنا أو أكابرنا ولا نترك التمسك بالتوراة « و اذا خلا بعضهم الى بعض » فاجتمع الكاتمون مع المظهرين مع خلو المجلس عن المؤمنين « قالوا » اى الكاتمون للمظهرين (١-١) ليست فى ظ (٢) زيد فى ظ : و (٣) التحديث الإخبار عن حادث و يقال منه يحدث ، و أصله من الحدوث و أصل فعله أن يتعدى إلى واحد بنفسه و إلى آخر بعن و إلى ثالث بالباء فيقال حدثت زيدا عن بكر بكذا ـ قاله أبو حيان (٤) الفتح القضاء بلغة اليمن « و هو الفتاح العليم » وأصل الفتح خرق الشىء و السد ضده و الذى حدثوا به هو ما تكلم به جماعة من اليهود من صفة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و لمزيد تفصيل فيه فليراجع إلى البحر المحيط .

« ليحاجوكم » أى المؤمنون « به عند ربكم » و المحاجة تثبيت[1] القصد و الرأى بما يصححه . و لما كان عندهم أن إفشاءهم لمثل هذا من فعل من لا يفعل قالوا إنكارا من بعضهم على بعض « افلا تعقلون » [2] و يمكن أن يكون خطابا للمؤمنين المخاطبين[3] يتطمعون ، أى أفلا يكون[4] لكم عقل ليردكم ذلك عن تعليق الأمل بإيمانهم[5] . و لما كان ظنهم هذا[6] أقبح الفساد لأنه ٥ لو لم يكن علمه من قبل الله لم يقدر غيره أن يعبر عنه بعبارة تعجز الخلائق عن مماثلتها وصل به قوله موبخا لهم « او لا » أى ألا يعلمون أن علم المؤمنين لذلك لم يكن إلا عن الله لما قام عليه من دليل الإعجاز أو لا « يعلمون ان الله » الذى له الإحاطة بكل شىء « يعلم ما يسرون » أى يخفون من قولهم لأصحابهم و من غيره[7] « و ما يعلنون » [8] أى يظهرون ١٠

(١) فى ظ : تثبيت ـ كذا . و فى البحر المحيط : المحاجة من الاحتجاج و هو القصد للغلبة ، حاجه قصده أن يغلب ، و الحجة الكلام المستقيم ، مأخوذ من محجة الطريق . و قال على المهائمى : « ليحاجوكم به عند ربكم » أى ليغلبوكم بالحجة و يشهدوا عليكم عند ربكم تلقنونهم الحجة عليكم . و قال البيضاوى : « ليحاجوكم عند ربكم » يحتجوا عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه ، جعلوا محاجتهم بكتاب الله و حكمه محاجة عنده كما يقال عند الله كذا و يراد به أنه فى كتابه و حكمه ، و قيل عند ذكر ربكم أو بما عند ربكم أو بين يدى رسول ربكم (٢) العبارة من هنا إلى « بإيمانهم » ليست فى ظ (٣) ليس فى م (٤) من م و مد ، و فى الأصل : تكون (٥) العبارة من هنا إلى « الخلائق عن » ليست فى م (٦) كانت الواو زائدة هنا فى الأصول فحذفت (٧) فى م فقط : غيرهم (٨) و الأولى حمل ما يسرون و ما يعلنون على العموم إذ هو ظاهر اللفظ ، و قيل الذى أسروه الكفر ، و الذى أعلنوه الإيمان ، و قيل العداوة و الصداقة ؛ قرأ ابن محيص =

من ذلك فيخبر به أولياءه .

و لما ذكر سبحانه هذا الفريق الذى هو من أعلاهم كفرا و أعتاهم أمرا عطف عليه قسما أعتى[1] منه و أفظ لأن العالم يرجى لفته[2] عن رأيه أو تخجيله بالحجاج بخلاف المقلد العاتى الكثيف[3] الجافى فقال « و منهم

٥ اميون »[4] و يجوز أن يراد بهم من لا يحسن الكتابة و من يحسنها و هو غليظ الطبع بعيد عن الفهم ، لأن الأمى فى اللغة من لا يكتب أو من على خلقة الأمة لم يتعلم الكتابة و هو باق[5] على جبلته و حال ولادته و الغبى[6] الجلف[7] الجافى القليل الكلام ، فالمعنى أنهم قسمان : كتبة و غير كتبة ،

= « او لا تعلمون » بالتاء ، قالوا فيكون ذلك خطابا للمؤمنين و فيه تنبيه لهم على جهلهم بعالم السر و العلانية .

(١) فى ظ : اغبى (٢) لفته : صرفه ، من لفت فلانا عن رأيه صرفه (٣) فى ظ : الكتيف ـ بالتاء المثناة (٤) الأمى الذى لا يقرأ فى كتاب ولا يكتب ، نسب إلى الأم لأنه ليس من شغل النساء أن يكتبن أو يقرأن فى كتاب ، أو لأنه بحال ولدته أمه لم ينتقل عنها ، أو نسب إلى الأمة وهى القامة و الخلقة ، أو إلى الأمة إذ هى ساذجة قبل أن تعرف المعارف ، ظاهر الكلام أنها أنزلت فى اليهود المذكورين فى الكتاب فى الآية التى قبل هذه ـ قاله ابن عباس (من البحر المحيط) و ذكرت فيه أقوال . و قال أبو حيان بعد ذكر أقوال : و القول الأول هو الأظهر لأن سياق الكلام إنما هو مع اليهود فالضمير لهم . و قال على المهائمى : « و منهم اميون » أى باقون على ما ولدتهم أمهاتهم « لا يعلمون الكتاب الاامانى » أى أحاديث قدرها المحرفون فى أنفسهم تقدير الأمانى الكاذبة و لا يتخلصون بذلك عن الكفر ؛ لأنهم يعلمون أنهم كذابون فلا يحصل لهم الجزم بقولهم ـ انتهى كلامه (٥) ليس فى ظ (٦) فى م ومد : العى (٧) من م و ظ ، و فى الأصل : الخلف ـ بالخاء المعجمة ـ كذا .

و هم

وهم المراد بالأميين، وهؤلاء مع كونهم لا يحسنون الكتاب يجوز أن يتعلموا القراءة تلقينا[1] ولا يفهمون المعانى، ويجوز أن يكون المعنى أنهم قسمان: علماء نحارير عارفون بالمعانى وجهلة غبيون لا حظ لهم من التوراة إلا القراءة الخالية عن التدبر المقرونة بالتمنى[2] ولذلك قال «لا يعلمون الكتب» أى بخلاف القسم الذى أكد فيه كونهم من أهل العلم. ٥

ولما كان المراد سلب العلم عنهم رأسا أبرز[3] الاستثناء مع كونه منقطعا فى صورة المتصل فقال «الا امانى» جمع أمنية[4]، وهى تقدير الوقوع فيما يترامى إليه الأمل، ويقال إن[5] معناه يجرى فى التلاوة للفظ كأنها تقدير بالإضافة لمن يتحقق له المعنى - قاله الحرالى. أى إن كانت

(١) فى ظ: تلقيط (٢) قال أبو حيان الأندلسى فى مناسبة ارتباط هذه الآية ما نصه: انه لما بين أمر الفرقة الضالة التى حرفت كتاب الله وهم قد عقلوه وعلموا بسوء مرتكبهم ثم بين أمر الفرقة الثانية المنافقين وأمر الثالثة المجادلة أخذ يبين أمر الفرقة الرابعة وهى العامة التى طريقها التقليد وقبول ما يقال لهم. قال أبو العالية ومجاهد وغيرهما: ومن هؤلاء اليهود المذكورون فالآية منبهة على عامتهم وأتباعهم أى أنهم لا يطمع فى إيمانهم، وقرأ أبو حيوة وابن أبى عبلة «اميون» بتخفيف الميم - انتهى (٣) فى ظ: برز، وفى م: ابرق - كذا (٤) وهى أفعولة: أصله أمنوية، وهى من منى إذا قدر، لأن المتمنى يقدر فى نفسه ويحرز ما يتمناه، أو من تمنى أى كذب قال أعرابى لابن دأب فى شىء حدث به: أهذا شىء رويته أم تمنيته؟ أى اختلقته. وقال عثمان: ما تمنيت ولا تغنيت منذ أسلمت، أو من تمنى إذا تلا قال تعالى «اذا تمنى القى الشيطن فى امنيته» أى إذا تلا وقرأ - البحر المحيط ١/ ٢٧٠ (٥) وفى ظ: بان.

الأمانى مما يصح وصفه بالعلم فهى لهم لا غيرها من جميع أنواعه . و لما أفهم ذلك أن التقدير ما هم[1] الا يقدرون تقديرات[2] لا علم لهم بها عطف عليه قوله « و ان هم الا يظنون » تأكيدا لنفى العلم عنهم . و لما أثبت لهذا الفريق القطع على الله بما لا علم لهم به و كان هذا معلوم الذم محتوم الإثم سبب عنه الذم[3] و الإثم بطريق الأولى لفريق[4] هو أردؤهم[5] و أضرهم لعباد الله و أعداهم فقال « فويل » و الويل[6] جماع الشر كله - قاله الحرالى . « للذين يكتبون » أى منهم و من غيرهم « الكتب » أى الذى[7] يعلمون أنه من عندهم لا من عند الله « بايديهم » [8]و أشار إلى قبح هذا الكذب و بعّد رتبته فى الخبث بأداة التراخى فقال[8] « ثم يقولون » لما كتبوه كذبا و بهتانا « هذا من عند الله » [8]الملك الأعظم[8] ثم بين بالعلة[9] الحاملة لهم على ذلك خساستهم و ترامیهم إلى النجاسة و دناءتهم فقال « ليشتروا به » أى بهذا الكذب الذى صنعوه « ثمنا قليلا » ثم سبب عنه قوله « فويل

/ ٩٤ /

(١) فى م : لهم . وقال البيضاوى : ما هم إلا قوم يظنون لا علم لهم ؛ وهذا أوضح (٢) فى م : تقديرا (٣) فى ظ : الدم - بالدال المهملة (٤) فى م : الفريق . (٥) فى م : اردآؤهم (٦) الويل مصدر لا فعل له من لفظه و ما ذكر من قولهم وأل مصنوع ، و لم يجئ من هذه المادة التى فاؤها واو وعينها ياء إلا ويل و ويح وويس و ويب ، ولا يثنى ولا يجمع ، و يقال ويله و يجمع على ويلات ، قال :

فقالت لك الويلات انك مرجلى

و الويل معناه الفضيحة و الحسرة ، وقال الخليل : الويل شدة الشر ، و قال الأصمعى : هى كلمة تفجع وقد يكون ترحما ومنه : ويل امه مسعر حرب - البحر المحيط ١ / ٢٧٠ (٧) فى م و ظ : الذين ، و الظاهر أنه تفسير الكتب . (٨-٨) ليست فى ظ (٩) فى ظ : بالغلة - بالغين المعجمة .

لهم مما كتبت ايديهم » من ذلك الكذب على الله « و ويل لهم مما يكسبون » ١أى يجدون كسبه١ مما اشتروه به٢، ١ و جرد الفعل لوضوح دلالته على الخبث بقرينة ما تقدم و إذا كان المجرد كذلك كان غيره أولى١ . قال الحرالى : و الكسب ما يجرى من الفعل و القول و العمل و الآثار على إحساس بمنة فيه و قوة عليه - انتهى . و فى هذه الآية بيان لما شرف به كتابنا من أنه لإعجازه لا يقدر أحد أن يأتى من عنده بما يدسه فيه فيلبس به - فلله المنة علينا و الفضل . و لما أرشد الكلام إلى أن التقدير : فحرفوا كثيرا فى كتاب الله و زادوا و نقصوا ، عطف عليه ما بين به جرأتهم و جفاهم و عدم اكتراثهم بما يرتكبونه من الجرائم التى هم أعلم الناس بأن بعضها موجب للخلود فى النار فقال تعالى « و قالوا

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) الكسب أصله اجتلاب النفع و قد جاء فى اجتلاب الضر و منه « بلى من كسب سيئة » و الفعل منه يجىء متعديا إلى واحد تقول : كسبت مالا و إلى اثنين تقول : كسبت زيدا مالا ، و قال ابن الأعرابى : كسب هو نفسه و أكسب غيره و أنشد :

فأكسبنى مالا وأكسبته حمدا

- قاله أبو حيان . و قال على المهائمى : « و ان هم الا يظنون » أى ما يبلغ اعتقادهم إلا هذا الظن الراجح إذ يظنون أنهم لا يجترؤن على تحريف كتاب الله فيقلدونهم و يتركون الأدلة القاطعة للمؤمنين لكنهم لا يبلغون مبلغ عذاب المحرفين ، « فويل للذين » الآية المحرفة « ثم يقولون هذا » هو النازل « من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا » أى ليأخذوا من الأميين باعطاء المحرف لهم قليلا من الرشا « فويل لهم » الآية ، أى فلهم الويل الزائد على عذاب الأميين من جهتين ليستا فيهم : من جهة كتابتهم للحرف و من جهة اكتساب الرشا عليه - انتهى كلامه .

لن تمسنا » من المس[1] وهو ملاقاة ظاهر الشيء ظاهر غيره « النار » أى المعدة فى الآخرة « الا اياما » ولما كان مرادهم بذلك أنهم لا يخلدون فيها وكان جمع القلة وإن كان يدل على ذلك لكنه ربما استعير للكثرة فدل على ما لا آخر له أو ما يعسر عده زادوا المعنى تأكيدا وتصريحا بقولهم « معدودة »[2] أى منقضية ، لأن كل معدود منقض . قال الحرالى : والعد اعتبار الكثرة بعضها ببعض ، واقتصر على الوصف بالمفرد لكفايته

(١) المس الإصابة والمس الجمع بين الشيئين على نهاية القرب ، واللمس مثله لكن مع الإحساس ، وقد يجيء المس مع الإحساس ؛ وحقيقة المس واللمس باليد ، ونقل من الإحساس إلى المعانى مثل « انى مسنى الشيطٰن » « كالذى يتخبطه الشيطٰن من المس » ومنه سمى الجنون مسا ، وقيل المس واللمس والجس متقارب إلا أن الجس عام فى المحسوسات ، والمس فيما يخفى ويدق كنبض العروق ، والمس واللمس بظاهر البشرة ، والمس كناية عن النكاح وعن الجنون - قاله أبوحيان . وذكر فى نزول الآية أن سبب نزول هذه الآية أنهم زعموا أنهم وجدوا فى التوراة مكتوبا أن ما بين طرف جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهوا إلى شجرة الزقوم ، قالوا : إنما نعذب حتى ننتهى إلى شجرة الزقوم فتذهب جهنم وتهلك - روى ذلك عن ابن عباس ، وقيل إن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اليهود من أهل النار ، قالوا : نحن ثم تخلفوننا أنتم ، فقال : كذبتم ، لقد علمتم أنا لا نخلفكم ، فنزلت هذه الآية - ولمزيد التفصيل فليراجع إلى البحر المحيط ١/٢٧٨ (٢) قال البيضاوى : محصورة قليلة ، روى أن بعضهم قالوا : نعذب بعدد أيام عبادة العجل أربعين يوما ، وبعضهم قالوا : مدة الدنيا سبعة آلاف وإنما نعذب مكان كل ألف سنة يوما .

فى

فى هذا المعنى بخلاف ما فى آل عمران[١] .

و لما ادعوا ذلك ادعوا أن المسلمين يخلفونهم بعد ذلك فيها ، روى البخارى فى الجزية[٢] و المغازى و الطب و الدارمى فى أول المسند عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما فتحت خيبر أهديت للنبى صلى الله عليه و سلم شاة فيها سم ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم : اجمعوا لى من كان ههنا ٥ من يهود ، فجمعوا له فقال : إنى سائلكم عن شىء فهل أنتم صادقى عنه ؟ فقالوا : نعم ، فقال لهم النبى صلى الله عليه و سلم : من أبوكم ؟ قالوا : فلان ، فقال : كذبتم ، بل أبوكم فلان ، قالوا : صدقت و بررت ؛ قال : فهل أنتم صادقى عن شىء إن سألتكم عنه ؟ قالوا[٣] : نعم يا أبا القاسم ، و إن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته فى أبينا ؛ فقال لهم : من أهل النار؟ ١٠ قالوا[٤] : نكون فيها يسيرا ثم تخلفونا فيها ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم : اخسأوا فيها ! و الله لا نخلفكم فيها أبدا ؛ ثم قال : هل أنتم صادقى عن شىء إن سألتكم عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، قال : هل جعلتم فى هذه الشاة سما ؟ قالوا[٤] : نعم ، قال : ما حملكم على ذلك ؟ قالوا : أردنا إن كنت كاذبا أن نستريح منك ، و إن كنت نبيا لم يضرك . و لما ادعوا ١٥ ذلك[٥] كان كأنه قيل : فيما ذا نرد عليهم ؟ فقال « قل » منكرا لقولهم[٦] « اتخذتم » فى ذلك « عند الله »[٧] أى الذى له الأمر كله[٧] « عهدا فلن »

(١) زاد فى م ومد : فانه لبيان اجترائهم على العظائم (٢) فى م : الجبرية ، و هى محرفة (٣) فى ظ : فقالوا (٤) فى م ومد : فقالوا (٥) ليس فى م (٦) زيد فى م ومد : ذلك (٧-٧) ليست فى ظ .

أى فيتسبب عن ذلك أنه يوفى بعهده ، لأنه « لن يخلف الله »[١] [٢] الذى له صفات الكمال[٢] « عهده ام »[٣] لم يكن ذلك فأنتم « تقولون على الله » [٢]المحيط بكل شىء قدرة و علما[٢] « ما لا تعلمون »[٤] و معنى الإنكار فى الاستفهام أنه ليس واحد من الأمرين واقعا[٤] ، لا اتخذتم عهدا و لا قلتم ٥ ذلك جهلا ، بل قلتموه و أنتم تعلمون خلافه[٥] ، و لما انتفى الأمران علم أن الكائن غير ما ادعوه فصرح به فى قوله « بلى » أى لتمسنكم على خلاف ما زعمتموه ، فان بلى كلمة تدل على تقرير[٦] يفهم من إضراب عن نفى كأنها بل وصلت بها الألف إثباتا لما أضرب

(١) زيد فى م : اى (٢-٢) ليست فى ظ (٣) قال على المهائمى: «ام» لم تتخذوه ولكن «تقولون ما لا تعلمون» صدقه من الخبر المروى عن يعقوب عليه السلام أن الله تعالى عهد إليه أن لا يعذب بنيه إلا تحلة القسم ، فان صح عنه فالمراد أولاد صلبه لا ذريته النازلة المشتملة على مؤمن و كافر، قال عز وجل ليس كما يقولون.
(٤) زيد فى م ، مد : كما فى قوله تعالى « افترى على الله كذبا ام به جنة » وأم معادلة هنا للهمزة و إن اختلف الفعلان ، كما ذكر دليله فى آخر سورة ص (٥) زيد فى م و مد: ولذلك ذكرهم بتكرير الاسم الأعظم مظهرا غير مضمر ما له من الجلال و الجمال الذى عاينوا كثيرا منه استعطافا لهم إلى الخير و تخويفا (٦) من ظ ، وفى الأصل : تقدير؛ و فى البحر المحيط : بلى حرف جواب يثبت به ما بعد النفى فلما قالوا «لن تمسنا النار» أجيبوا بقوله «بلى» ومعناه تمسكم النار و المعنى على التأبيد و بين ذلك بالخلود. و فى البيضاوى: «بلى» إثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا ودهرا طويلا على وجه أعم ليكون كالبرهان على بطلان قولهم ، و يختص بجواب النفى .

عن نفيه - قاله الحرالى . [١]و نعم جواب لكلام لا جحد فيه[١] . و لما أضرب سبحانه عما قالوه من القضاء فى الأعيان قاضيا عليهم بالخسران علل ذلك [٢]بوصف هم[٢] به متلبسون[٣] معلما بأن من حق الجاهل بالغيب الحكم على الأوصاف التى ناط علام الغيوب بها الأحكام فقال « من كسب سيئة » أى[٤] عملا من حقه أن يسوء « و احاطت به خطيئته » بحيث لم يكن شىء من أحواله خارجا عن الخطيئة بل كانت غامرة[٥] لكل ما سواها من أعماله ، و لا يكون ذلك إلا للكفر الهادم لأساس الأعمال الذى لا يتأتى بقاء الأعمال بدونه . [٦]و لما كان إفراد الضمير أنص على جزاء كل فرد و الحكم بالنكال على الكل أنكأ و أروع[٧] و أقبح و أفظع و أدل على القدرة أفرد[٨] ثم جمع فقال آتيا بالفاء دليلا أن أعمالهم سبب دخولهم النار : « فاولئك » [٩]أى البعداء البغضاء[١] « اصحب النار هم »[٩] خاصة « فيها[١٠] خلدون ۝ »[١١] .

(١-١) ليست فى ظ (٢-٢) فى ظ : بوصفهم (٣) فى م : ملتبسون (٤) زيد فى ظ : عمل (٥) فى ظ : عامرة - بالعين المهملة (٦) العبارة من هنا إلى « دخولهم النار » ليست فى ظ (٧) فى م فقط : اردع (٨) فى م : فرد (٩) زيد فى م : اى . (١٠) زيد فى مد : لا فى غيرها لأنهم لا يخرجون منها (١١) قال البيضاوى فيمن تحيط به خطيئته ما نصه : و تحقيق ذلك أن من أذنب ذنبا و لم يقلع عنه يجره إلى معاودة مثله و الانهماك فيه و ارتكاب بما هو أكبر منه حتى يستولى عليه الذنوب و يأخذ بمجامع قلبه ، فيصير بطبعه مائلا إلى المعاصى مستحسنا إياها معتقدا أن لا لذة سواها مبغضا لمن يمنعه منها مكذبا لمن ينصحه فيها كما قال تعالى « ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى ان كذبوا بآيات الله » .

ولما بان بهذا ما لهم ولكل من شاركهم فى هذا الوصف [١]عطف عليه ما لمن ادعوا أنهم يخلفونهم فى النار ولكل من شاركهم فى وصفهم[١] الذى استحقوا به ذلك فقال[٢] «والذين [١]امنوا» أى أقروا بالوحدانية بألسنتهم «وعملوا الصلحت» بيانا لأن قلوبهم مطمئنة بذلك «اولئك» العالو المراتب الشريفو المناقب، ولم يأت بالفاء دلالة على أن سبب سعادتهم إنما هو الرحمة «اصحب الجنة» [٣]لا غيرهم[٣] «هم» أى خاصة «فيها[٤] خلدون ۞».

(١-١) ليست فى ظ (٢) قال أبو حيان الأندلسى: المراد بالذين [١]امنوا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومؤمنو الأمم قبله - قاله ابن عباس وغيره، وهو ظاهر اللفظ.
(٣-٣) ليست فى ظ وم (٤) زيد فى م ومد: اى لا فى سواها لانهم لا يبغون عنها حولا.

۞ ۞ ۞ ۞

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الأول من تفسير « نظم الدرر في مناسبات الآيات و السور » للشيخ العلامة أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله يوم الجمعة الحادي و العشرين من شهر صفر المظفر سنة ١٣٨٩ هـ = ٩ / مايو سنة ١٩٦٩ م . اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه الأستاذ الأديب فضيلة الشيخ محمد عبد الحميد شيخ الجامعة النظامية بحيدر آباد عم فيضه ، و عنى بتنقيحه راقم هذه الخاتمة ، تحت إشراف الأديب الفاضل صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير الدائرة و عميدها و رئيس قسم آداب اللغة العربية بالجامعة العثمانية أبقاه الله لخدمة العلم و الدين .

و يليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى أوله « ثم شرع سبحانه يقيم الدليل على أنهم ممن أحاطت به خطيئته فقال "و اذ" - الخ » .

و في الختام ندعو الله سبحانه و تعالى أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغني الحميد

السيد محمد حبيب الله الرشيد القادري

(كامل الجامعة النظامية)

صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم شرع سبحانه يقيم الدليل على أنهم ممن أحاطت به خطيئته فقال: «و اذ» أى[1] اذكروا ما تعلمون فى كتابكم من حال من كسب سيئة محيطة و اذكروا اذ «اخذنا» بما لنا من تلك العظمة التى أشهدناكم كثيرا منها ميثاقكم و لكنه أظهر لطول الفصل بذكر وصف يعمهم و غيرهم[2] فقال «ميثاق بنى اسراءيل»[3] و يجوز أن يكون معطوفا على «نعمتى» فى قوله تعالى/: «يٰبنى اسراءيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم»، لأن الكل فى مخاطبتهم و بيان أمورهم[4]. /٩٥

(١) زيد فى م: و (٢) زيد فى ظ: من اليهود. و قد ضرب عليه فى الأصل.
(٣) و الميثاق هو الذى أخذه تعالى عليهم و هم فى صلب آبائهم كالذر ـ قاله مكى. أو ميثاق أخذ عليهم و هم عقلاء فى حياتهم على لسان موسى عليه السلام و غيره من أنبيائهم ـ قاله ابن عطية؛ من البحر المحيط ١ / ٢٨٢ (٤) قال أبو حيان الأندلسى: هذه الآية مناسبة للآيات الواردة قبلها فى ذكر توبيخ بنى إسرائيل و تقريعهم و تبيين ما أخذ عليهم من ميثاق العبادة لله و إفراده تعالى بالعبادة و ما أمرهم به من مكارم الأخلاق من صلة الأرحام والإحسان إلى المساكين و المواظبة على ركنى الإسلام: البدنى و المالى، ثم ذكر توليهم عن ذلك و نقضهم لذلك الميثاق على عادتهم السابقة و طريقتهم المألوفة لهم ـ انتهى كلامه.

و لما كان الدين إنما هو الأدب مع الخالق و الخلق ذكر المعاهد عليه من ذلك مرتبا له على الأحق فالأحق فقال ١ذاكرا له فى صيغة الخبر مريدا به النهى و الأمر و هو أبلغ من حيث أنه كأنه وقع امتثاله و مضى و دل على إرادة ذلك بعطف «و قولوا» عليه ١: «لا تعبدون الا الله» المنعم الأول ١الذى له الأمر كله ١ لتكونوا٢ محسنين بذلك إحسانا هو الإحسان كله «و» أحسنوا ١أو تحسنون ١ «بالوالدين٣» ١و لو كانا كافرين ١. قال الحرالى: تثنيـة والد من الولادة لاستبقاء٤ ما يتوقع ذهابه بظهور صورة منه تخلف صورة نوعه ـ انتهى. «احسانا» عظيما ١لا يبلغ كنهه١، لكونهما فى الرتبة الثانية لجعلهما سبحانه السبب فى نعمة الإيجاد الأول و المباشرين للتربيـة، و غيّر السياق فلم يقل: ولا تحسنون٥ إلا إلى الوالدين، إفهاما لأن الإحسان إليهما يشركهما فيه من بعدهما، و جبر فوات هذا الحصر بتقـديمهما إيذانا بالاهتمام١ «و ذى القربى»٦ و هم المتوسلون بالوالدين لما لهم من أكيد الوصـلة

(١-١) ليست فى ظ (٢) زيد فى م: بذلك (٣) الوالدان: الأب و الأم، و كل منهما يطلق عليه والد، و ظهر الإطلاق الحقيقة، قال:

و ذى والد لم يلده أبوان

ويقال للأم والد و والدة، و قيل: الوالد للأب وحده، و ثنيا تغليبا للذكر... وقد تضمنت آى من القرآن و أحاديث كثيرة ذلك حتى عد العقوق من الكبائر. وناهيك احتفالا بها كون الله قرن ذلك بعبادته تعالى ـ البحر المحيط ١/٢٨٣.

(٤) فى ظ: لاستيفاء (٥) فى ظ و م: لا تحسنوا، و ما بعده «إلا إلى الوالدين» ليس فى م فقط (٦) «و ذى» و أصلها عند سيبويه ذوى و وزنها عنده فعل =

« و اليتمى » لضعفهم ، و اليُتم[1] قال الحرالى فقد الأب حين[2] الحاجة ، و لذلك أثبته[3] مثبت فى الذكر إلى البلوغ ، و فى البنت إلى الثيوبة لبقاء حاجتها بعد البلوغ ؛ و القربى فعلى من القرابة و هو قرب فى النسب الظاهر أو الباطن - انتهى . « و المسكين[4] » لكسرهم .

و لما[5] لم يكن وسع الناس عامة بالإحسان بالفعل ممكنا أمر بجعل ٥

= و عند الخليل زوة من باب خوة و قوة و وزنها عنده فعل و هو لازم الإضافة « القربى » مصدر كالرجعى ، و الألف فيه للتأنيث و هى قرابة الرحم و الصلب - البحر المحيط ١ / ٢٨٠ .

(١) و قال الأصمعى : اليتيم فى بنى آدم من قبل الأب ، و فى غيرهم من قبل الأم ، . . . و أصله الانفراد . فمعنى صبى يتيم أى منفرد عن أبيه ، و سميت الدرة التى لا مثيل لها « يتيمة » لإنفرادها - قاله ثعلب . و قيل أصل اليتم الغفلة ، و سمى الصبى يتيما لأنه يتغافل عن بره ، و قيل أصل اليتم الإبطاء و منه أخذ اليتيم لأن البر يبطئ عنه - قاله أبو عمرو . قال أبو حيان الأندلسى فى تفسير الآية « و ذى القربى » معطوف على قوله « و بالوالدين » و كان تقديم الوالدين لأنهما آكد فى البر و الإحسان ، و تقديم المجرور على العامل اعتناء بمتعلق الحرف و هما الوالدان و اهتماما بأمرهما (٢) فى م : عند (٣) فى م : اثبت (٤) جمع مسكين و هو مشتق من السكون فالميم زائدة كحضرمن الحضر ، و قد روى تمسكن فلان و الأصح فى اللغة تسكن أى صار مسكينا ، و هو مرادف الفقير و هو الذى لا شىء له ، و قيل هو الذى له أدنى شىء ، و تأخرت درجة المساكين لأنه يمكنه أن يتعهد نفسه بالاستخدام و يصلح معيشته بخلاف اليتامى فانهم لصغرهم لا ينتفع بهم و هم محتاجون إلى من ينفعهم - البحر المحيط (٥) قال أبو حيان الأندلسى : لما ذكر بعد عبادة الله الإحسان لمن ذكر و كان أكثر المطلوب فيه الفعل من الصلة و الإطعام و الافتقاد أعقب بالقول الحسن ليجمع المأخوذ عليه الميثاق امتثال أمر الله تعالى =

ذلك بالقول فقال ١ عطفا على الخبر الذى معناه الإنشاء ١ : « و قولوا للناس » عامة « حسنا » ٢ أى حَسَنا بالتحريك و هو لغة فيه ٣ كالبُخْل و البَخَل ٣ ، و ذلك بأن يأمروهم بما أمر الله به ٤ و ينهوهم عما نهى عنه . و لما أمرهم بما إن امتثلوه اجتمعت كلمتهم ذكر أعظم جامع على الله من الأعمال فقال : « و اقيموا الصلوٰة » ٥ ثم ذكر ما به تمام الجمع و دوامه فقال : « و اٰتوا الزكوٰة » ، و لما كان الإعراض عن هذه المحاسن فى غاية البعد فكيف إذا كانت بعهد فكيف إذا كان من الله أشار إلى ذلك بأداة التراخى فقال : « ثم توليتم » أى عن ذلك أو عن كثير منه ، ٦ و أشار بصيغة التفعل إلى أن الأمور الدينية لحسنها لا يعرض عنها إلا بعلاج بين ٧ الفطرة الأولى و الأمارة « الا قليلا منكم و انتم » أى و الحال أنكم

= فى الأفعال و الأقوال فقال تعالى « و قولوا للناس حسنا » ، و لما كان القول سهل المرام إذ هو بذل لفظ لا مال كان متعلقه بالناس عموما إذ لا ضرر على الإنسان فى الإحسان إلى الناس بالقول الطيب ـ انتهى كلامه .

(١-١) ليست فى ظ (٢) العبارة من هنا إلى « نهى عنه » ليست فى ظ (٣-٣) فى م : كالنَّجْل والنَّجَل (٤) ليس فى م (٥) و قال المخدوم على المهائمى : أكتفى فى الأجانب بالإحسان القولى لأنه لا يتيسر الفعلى فى حق العامة ، قدم حق الآدمى على حقه سوى التوحيد لأنه أشد فالنقض فيه أصعب ، ثم قال : « و اقيموا الصلوٰة » ، العبادة الشاملة للقلب واللسان و الجوارح « و اٰتوا الزكوٰة » المحسنة للأخلاق « ثم توليتم » عن هذه المواثيق كلها « الا قليلا منكم » فكيف يكون العذاب على نقض جميعها أياما معدودة (٦) العبارة من هنا إلى « و الأمارة » ليست فى ظ (٧) و فى م : من .

« معرضون » ١عادتكم ذلك١ ، ٢لم يكن ذلك٢ منكم عن٣ غير علم ، و الإعراض٤ صرف الشيء إلى العُرض التي هي الناحية٥ . قال السمين : و روى عن أبي عمرو و غيره : إلا قليل - بالرفع٦ ، و فيه٧ أقوال ، أصحها رفعه على الصفة بتأويل إلا و ما بعدها بمعنى غير - انتهى . و يأتي إن شاء الله تعالى بسط هذا الإعراب عند قوله : « فشربوا منه الا قليلا منهم » ٥ ذكر ما يشهد لذلك من التوراة ، قال في السفر الثاني منها لما ذكر أمر المناجاة و حضورهم عند الجبل و قال الله جميع هذه الآيات كلها : أنا الرب إلهك الذي٨ أصعدتك من أرض مصر من العبودية و الرق ، لا تكون لك آلهة غيري ، لا تعملن شيئا من الأصنام و التماثيل التي مما في السماء فوق و في الأرض من تحت و مما في ٩ الماء أسفل الأرض ، لا تسجدن ١٠ لها و لا تعبدنها ، لأني أنا الرب . الهك إله غيور ، أجازي الأبناء بذنوب

(١ - ١) ليس في ظ (٢ - ٢) ليس في م (٣) في ظ : من (٤) قال البيضاوي : قوم عادتكم الإعراض عن الوفاء و الطاعة ، و أصل الإعراض الذهاب عن المواجهة إلى جهة العرض (٥) العبارة من هنا إلى « الا قليلا منهم » ليست في ظ .
(٦) و في البحر المحيط : و نصب قليلا على الاستثناء و هو الأفصح ، لأن قبله موجب ، .... ثم بعد البحث ذكر (و قال بعض أهل الإشارات) الأسباب المتقرب بها إلى الله تعالى اعتقاد و قول و عمل و نية ، فنبه بقوله « لا تعبدون الا الله » على مقام التوحيد و اعتقاد ما يجب له على عباده من الطاعات و الخضوع منفردا بذلك و مالية محضة و هي الزكاة ، و بدنية محضة و هي الصلاة ، و بدنية و مالية و هو بر الوالدين و الإحسان إلى اليتيم و المسكين - انتهى (٧) زيد في م : ستة .
(٨) في ظ « التي » خطأ (٩) زيد في م : الأرض .

الآباء إلى ثلاثة[1] أحقاب[2] و أربعة من[3] أعدائى ، و أثبت النعمة إلى ألف حقب لأحبائى[4] و حافظى وصاياى ، لا تقسم بالرب إلهك كذبا ، لأن الرب لا يزكى من حلف باسمه كذبا . أكرم أباك و أمك ليطول عمرك فى الأرض التى يعطيكها الرب إلهك ، لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد على صاحبك شهادة زور ، لا تتمن[5] بنت صاحبك ، و لا تشتهين[6] امرأة صاحبك و لا كل شىء لصاحبك - وكان جميع الشعب يسمعون الأصوات و يرون المصابيح . و قال فى موضع آخر من السفر الثالث : لا تسرقوا ، و لا تغدروا . و لا تحلفوا باسمى كذبا ، و لا تنجسوا اسم الرب إلهكم ، أنا الرب و ليس غيرى ، لا تظلمن[7] صاحبك ، و لا تشتمن الأخرس ، و لا تضع عثرة[8] بين يدى الضرير ، اتق الله ربك ، لا تحيفوا[9] فى القضاء . و لا تأثموا ، و لا تحابين[10] المسكين و لا تحاب[11] الكبير أيضا بل اقض بالبر و العدل ، لا تبغض[12] أخاك فى قلبك بل بكّت صاحبك

(١) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : ثلاث (٢) الحقب ثمانون أو أكثر و الدهر و السنة أو السنون ج أحقاب و أحقب و حقاب - قطر المحيط ١/٤٢٩ (٣) زيد فى ظ : غير (٤) فى م : لأحبابى (٥) و فى ظ : لا تمنن - كذا (٦) و فى ظ : لا تشتان (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا يظلمن - بصيغة الغائب . (٨) و فى م و مد : عشرة - كذا ، و الظاهر : عاتورا ، و العاتور المهلكة من الأرضين و للشر و البئر و ما أعد من حفرة و نحوها ليقع فيه أحد - قطر المحيط ؛ و لعل المراد من العثرة شىء يزل به و يكبو من الحجر وغيره (٩) حاف عليه يحيف حيفا جار و ظلم (١٠) حابى القاضى فلانا فى الحكم : مال إليه منحرفا عن الحق - قطر المحيط (١١) فى النسخ كلها : لا تحابى - كذا (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تبغض - كذا .

و بخه بالحق لكيلا يلزمك خطيئة فى سببه، و لا تحقدن على أحد بل أحبب صاحبك كما تحب نفسك، و لا تتطيروا بسنح[1] الطير، و لا يكونن فيكم عراف، و لا تُطوّلن[2] شعر رؤسكم، و لا تحلقوا عنافق[3] لحاكم، و لا تخدشوا وجوهكم على الميت، و لا تكتبوا على لحومكم بالإبر، أنا الله ربكم، لا تتبعوا العرّافين[4] و القافة[5] و لا تنطلقوا إليهم و لا تسألوهم عن شيء ٥ لئلا تتنجسوا بهم، أكرم الشيخ و قم إليه إذا رأيته، و أكرم[6] من هو أكبر منك، و اتق الله ربك، أنا الله ربكم، و إذا سكن بينكم الذى يقبل إلىّ فلا تظلموه بل أنزلوه منزلة أحدكم و صيروه منكم، الذين يقبلون إلى و يسكنون معكم أحبوهم كما تحبون أنفسكم لأنكم كنتم سكانا بأرض مصر، أنا الله ربكم، لا تأثموا فى القضاء و لا تأثموا فى الأوزان و المكاييل ١٠ بل اتخذوا ميزان الحق و اتخذوا مكاييل الحق. أنا الله ربكم الذى أخرجكم من أرض مصر، احفظوا جميع[7] وصاياى و أحكامى بها، أنا الرب و ليس غيرى. و قال فى الثانى: و من تبع العرافين و القافة و ضل[8] بهم أنزل /٩٦

(١) من سنح الظبى و الطير و غيرهما سنوحا ضد برح أى مر من الميامن إلى الميامن، و فى النسخ كلها: بسبع - كذا (٢) فى م و مد: لا يطولن (٣) العنفقة شعيرات بين الشفة السفلى و الذقن، و ربما أطلقت على موضع تلك الشعيرات ج: عنافق - قطر المحيط (٤) العراف المنجم و الكاهن، و قيل العراف يخبر عن الماضى و الكاهن يخبر عن الماضى و المستقبل، و قال الجاحظ: العراف دون الكاهن (٥) القافة جمع قائف و هو من يعرف الآثار، و فى التعريفات: القائف هو الذى يعرف النسب بفراسته و نظره إلى أعضاء المولود - قطر المحيط (٦) فى ظ: أكبر (٧) ليس فى م (٨) فى م: و صلى - كذا بالصاد المهملة.

به غضى الشديد و أهلكه من شعبى[1] ، و أى رجل شتم والديه[2] يقتل قتلا و دمه فى عنقه ؛ ثم قال بعده : و أى رجل أو امرأة صار عرافا أو منجما يقتلان قتلا ، و يكون قتلهما بالرجم بالحجارة ، و دمهما فى أعناقهما ؛ و قال قبل ذلك : و كل من ضرب رجلا فمات فليقتل قتلا ، و من ضرب أباه و أمه فليقتل قتلا ، [4]و من سرق إنسانا فوجد معه يريد بيعه فليقتل قتلا ، و من شتم أباه و أمه فليقتل قتلا[4] ، ثم قال : و لا يؤذن[5] الساكن بينكم و لا تعقوهم[6] تحوّجوهم[7] ، لأنكم كنتم سكانا بأرض مصر ، و لا تؤذوا[8] الأرامل و الأيتام ، فان آذيتموهم فصلوا بين يدى أسمع صلاتهم و أستجيب لهم فيشتد غضبى و أقتلكم فى الحرب و تكون نساؤكم[9] أرامل و بنوكم يصيرون يتامى ، و إن أسلفت رزقك للمسكين الذى معك من شعبى فلا تكونن له كالغريم ، و لا تأخذن منه ربا[10] ؛ ثم قال : و لا تقبلن الرشوة ، فان الرشوة تعمى أبصار الحكماء فى القضاء و ترد فلج الصالحين .

و لما كان أكبر الكبائر بعد الشرك القتل تلاه بالتذكير بما أخذ عليهم فيه من العهد ، و قرن به الإخراج من الديار لأن المال عديل الروح و المنزل أعظم المال و هو للجسد كالجسد للروح فقال : « و إذ أخذنا ميثاقكم »

(١) فى م و مد : شعبه (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : والدته (٣) من م ، و فى الأصل : قبلهما (٤-٤) ليست فى م (٥) فى م و مد : لا تؤذن (٦) كذا ، و لعله : لا تعوقوهم (٧) فى مد و ظ م : تخرجوهم (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا تؤذون (٩) سقط من ظ (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ربى .

يا بنى إسرائيل «لا تسفكون دماءكم» [١] أى لا يسفك بعضكم [٢] دماء بعض «ولا تخرجون انفسكم» باخراج بعضكم لبعض [٣] لأن المتواصلين بنسب أو دين كالنفس الواحدة [٣] «من دياركم»، قال الحرالى: وأصلها ما أدارته العرب من البيوت كالحلقة استحفاظا لما تحويه من أموالها - انتهى.

ولما كانوا قد نكصوا عند حقوق الأمر فلم يقبلوا ما أتاهم من الخير [٤] حتى خافوا الدمار بسقوط الطور عليهم أشار إلى ذلك بقوله «ثم اقررتم» أى بذلك كله [٥] بعد لىّ [٥] وتوقف، والإقرار إظهار الالتزام بما خفى أمره - قاله الحرالى. «وأنتم تشهدون» [٦] بلزومه وتعاينون تلك الآيات الكبار الملجئة لكم إلى ذلك، وقد مضى مما يصدق هذا

---

(١) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/٢٨٨: ظاهر قوله «لا تسفكون دماءكم» أى لا تفعلون ذلك بأنفسكم لشدة تصيبكم وحنق يلحقكم، وقيل معناه لا تسفكوا دماء الناس، فان من سفك دماءهم سفكوا دمه، وقال:

سقيناهم كأسا سقونا بمثله ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

وقيل معناه لا تقتلوا أنفسكم بارتكابكم ما يوجب ذلك كارتداد والزنا بعد الإحصان والمحاربة وقتل النفس بغير حق ونحو ذلك مما يزيل عصمة الدماء.

(٢) وفى ظ: دماءكم (٣-٣) ليست فى ظ (٤) فى م: الخبر (٥-٥) فى ظ: بعدلى - كذا (٦) وفى البحر المحيط: أى تعلمون أن الله أخذ عليكم وأراد على قدماء بنى إسرائيل إن كان الخطاب واردا عليهم، وإن كان على معاصريه صلى الله عليه وسلم من أبنائهم فمعناه وأنتم تشهدون على أسلافكم بما أخذه الله عليهم من عهده إما بالنقل المتواتر وإما بما تتلونه من التوراة، وإن كان معنى الشهادة الحضور فيتعين أن يكون الخطاب لأسلافهم. وقال بعض المفسرين: «ثم =

عن التوراة آنفا ما فيه كفاية[1] للوفق، و سيأتى فى المائدة بقيته[2]، إن شاء الله تعالى. و لما كان هذا بما[3] أكد[4] به من[4] ذكر الميثاق فى مظهر العظمة و إضافة الجناية إلى نفس الجانى جديرا بالبعد منه أشار إلى ذلك بقوله «ثم انتم هؤلاء» الحقيرون المقدور عليهم[5] المجهولون الذين لا يعرف لهم اسم ينادون به، أو الموجودون الآن؛ ثم استأنف البيان عن هذه الجملة فقال[5] «تقتلون انفسكم» من غير التفات إلى هذا العهد الوثيق «و تخرجون فريقا منكم»[6] أى ناسا هم أشقاء[7] لكم فهم جديرون منكم بالإحسان لا بالإخراج «من ديارهم».

و لما كان من المستبعد[8] جدا بعد الاستبعاد الأول أن يقعوا فى

= اقررتم» عائد إلى الخلف، «و انتم تشهدون» عائد إلى السلف، لأنهم عاينوا سفك دماء بعضهم بعضا، و قال «انتم تشهدون» لأن الأوائل و الأصاغر صاروا كالشىء الواحد، فلذلك أطلق عليهم خطاب الحضرة.

(١) فى ظ: كناية (٢) ليس فى م (٣) فى م: مما (٤-٤) ليس فى م (٥-٥) ليست فى ظ (٦) العبارة من هنا إلى «لا بالإخراج» ليست فى ظ (٧) و الأشقاء واحد الشقيق. و الشقيق العجل إذا استحكم و كل ما انشق نصفين فكل منهما شقيق الآخر، والأخ من الأب و الأم - قطر المحيط، و المراد هنا معناه الثانى و يدل عليه ما ذكره أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط بما نصه: هذا نزل فى بنى قينقاع و بنى قريظة و النضير من اليهود، كان بنو قينقاع أعداء قريظة و النضير، و الأوس و الخزرج أخوان، و النضير و قريظة أيضا أخوان، ثم افترقوا فصارت النضير حلفاء الخزرج و قريظة حلفاء الأوس، فكانوا يقتتلون ثم يرتفع الحرب فيفدون أسراهم فعيرهم الله بذلك - قاله المهدى (٨) وقع فى ظ: المستعبد - كذا مصحفا.

ذلك

ذلك على طريق العدوان استأنف البيان لذلك[1] بقوله « تظهرون » أى تتعاونون، من التظاهر[2] و هو تكلف المظاهرة و هى تساند القوة كأنه استناد ظهر إلى ظهر - قاله الحرالى . « عليهم بالاثم[3] » أى مصاحبين الاثم و هو أسوأ الاعتداء فى قول أو فعل أو حال، و يقال لكذوب: أثوم، لاعتدائه بالقول على غيره، و الإثم الخمر لما يقع بها من العداوة ٥ و العدوى - قاله الحرالى . « و العدوان[4] » أى و الامتلاء فى مجاوزة الحدود[5] « و ان ياتوكم » أى هؤلاء الذين تعاونتم أو عاونتم عليهم « اسرى » جمع أسرى جمع أسير، و أصله المشدود بالأسر، و هو القد و هو ما يقد أى يقطع من السير « تفدوهم[6] » أى تخلصوهم بالمال، من الفداء و هو الفكاك بعوض، و « تفدوهم » من المفاداة وهى الاستواء فى العوضين - قاله الحرالى. ١٠

ثم أكد تحريم الإخراج بزيادة الضمير و الجملة الاسمية فى قوله[7]:

---

(١) ليس فى م (٢) ذكر أبو حيان خمس قراآت و معناها كلها التعاون و التناصر، و روى أبو العالية قال: كان بنو إسرائيل إذا استضعفوا قوما أخرجوهم من ديارهم (٣) « عليهم بالاثم » فيه قولان: أحدهما أنه الفعل الذى يستحق عليه صاحبه الذم واللوم، و الثانى أنه الذى تنفر منه النفس ولا يطمئن إليه القلب، وفى حديث النواس: الإثم ما حاك فى صدرك، و قيل المعنى تظاهرون عليهم بما يوجب الإثم، و هذا من إطلاق السبب على مسببه، ولذلك سميت الخمر إثما كما قال: شربت الخمر حتى ضل عقلى - البحر المحيط. (٤) قال المخدوم على المهائمى: أى بما هو معصية فى نفسه و تعد على أخيه، وقال أبو حيان: العدوان هو تجاوز الحد فى الظلم (٥ - ٥) ليست فى ظ (٦) وقال أبو على: معنى « تفدوهم » فى اللغة تطلقونهم بعد أن تأخذوا عنه شيئا، وفاديت نفسى أى أطلقتها بعد أن دفعت شيئا (٧) فى م: فقال.

« وهو محرم » من التحريم وهو[1] تكرار الحرمة بالكسر وهى المنع من الشيء لدنايته ، والحرمة بالضم المنع من الشيء لعلوه - قاله الحرالى[2] : « عليكم » [3]ولما كان يُظن أن الضمير للفداء عينه فقال[3] « اخراجهم » . ثم أنكر عليهم التفرقة بين الأحكام فقال: « افتؤمنون ببعض الكتب » أى التوراة وهو الموجب للفاداة « وتكفرون ببعض » وهو المحرم للقتل والإخراج ، ثم سبب عن ذلك قوله « فما جزاء من يفعل ذلك »[4] [3]الأمر العظيم الشناعة[3] « منكم الا خزى » ضد ما قصدتم بفعلكم من العز ، والخزى إظهار القبائح التى يستحيي من إظهارها عقوبة - قاله الحرالى[5] . « فى الحيوة الدنيا » تعجيلا للعقوبة [6]له فى الدار التى جعلها محط[7] قصده .

(١) فى ظ : هى (٢) قال أبو حيان الأندلسى : تقدمت أربعة أشياء : قتل النفس والإخراج من الديار والتظاهر والمفاداة ، وهى محرمة واختص هذا القسم بتأكيد التحريم وإن كانت كلها محرمة لما فى الإخراج من الديار من معرة الجلاء والنفى الذى لا ينقطع شره إلا بالموت وذلك بخلاف القتل لأن القتل وإن كان من حيث هو هدم البنية أعظم لكن فيه انقطاع الشر ، وبخلاف المفاداة بها فانها من جريرة الإخراج من الديار ، والتظاهر لأنه لولا الإخراج من الديار والتظاهر عليهم ما وقعوا فى قيد الأسر (٣ - ٣) ليست فى ظ (٤) زيد فى م ومد : اى (٥) وفى البحر المحيط ١ / ٢٩٣ : الجزاء يطلق فى الخير والشر ، قال « وجزئهم بما صبروا » وقال « فجزاؤه جهنم » والخزى هنا الفضيحة والعقوبة والقصاص فيمن قتل ، أو ضرب الجزية غابر الدهر ، أو قتل قريظة وإجلاء النضير من منازلهم إلى اريحا وأذرعات ، أوغلبة العدو - أقوال خمسة (٦) العبارة من هنا إلى « قصده » ليست فى ظ (٧) فى م : محل .

و قد فعل سبحانه ذلك بأنواع الذل القتل فما دونه . ﴿و يوم القيمة﴾ هي فِعالة تفهم فيها التاءُ المبالغةَ و الغلبة ، و هو[1] قيام أمر مستعظم ، و القيام هو الاستقلال بأعباء ثقيلة ﴿يردون[2]﴾ [3] أي بالبعث ، و الرد[4] هو الرجوع إلى ما كان منه بدء المذهب - قاله الحرالي . ﴿الى اشد العذاب[5]﴾ لأنه الخزي الأعظم . ٥

[6] و لما كانت المواجهة بالتهديد أدل على الغضب التفت إليهم في قراءة الجماعة فعطف على ما تقديره[6] ذلك بأن الله عالم بما قصدتموه في ذلك فهو يجازيكم بما تستحقون قوله ﴿و ما الله﴾ [1] أي المحيط علما و قدرة[6] ﴿بغافل عما﴾ أي عن شيء بما[7] ﴿تعملون[8]﴾ من ذلك و من غيره ، [6] و قراءة نافع و ابن كثير بالغيب على الأسلوب الماضي[6] . ١٠

(١) في ظ : هي (٢) ومعنى « يردون » يصيرون فلا يلزم كينونتهم قبل ذلك في أشد العذاب ، أو يراد بالرد الرجوع إلى شيء كانوا فيه كما قال تعالى « فرددناه الى امه » و كأنهم كانوا في الدنيا في أشد العذاب أيضا لأنهم عذبوا في الدنيا بالقتل و السبي و الجلاء و أنواع من العذاب - قاله أبو حيان الأندلسي (٣) العبارة من هنا إلى « الحرالي » ليست في م (٤) زيد هنا « و » في الأصل فقط (٥) و « أشد العذاب » الخلود في النار ، و أشديته من حيث أنه لا انقضاء له ، أو أنواع عذاب جهنم لأنها دركات مختلفة و فيها أودية و حيات ، أو العذاب لا فرح فيه ولا روح مع اليأس من التخلص - البحر المحيط (٦ - ٦) ليست في ظ (٧) في م و مد : مما (٨) قال أبو حيان : و هذه الآية من أوعظ الآيات إذ المعنى أن الله بالمرصاد لكل كافر و عاص .

و لما كانت هذه الآيات كلها كالدليل على قوله تعالى "وضربت عليهم الذلة و المسكنة - ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله" كانت فذلكة ذلك / قوله تعالى ﴿اولئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿الذين اشتروا﴾ أى لجوا فأخذوا[1] ﴿الحيوة الدنيا﴾[2] على خساستها ﴿بالآخرة﴾[3] مع نفاستها، /٩٧

٥ و الدنيا فُعلى من الدنو و هو الأنزل رتبة، فى مقابلة عليا، ولأنه لزمتها العاجلة صارت فى مقابلة الأخرى اللازمة للعلو، ففى الدنيا نزول قدر و تعجل و فى الأخرى علو قدر و تأخر، فتقابلتا على ما يفهم تقابلين من معنى كلٍّ واحدة منهما - قاله الحرالى[4]. [[5]فالآية من الاحتباك، ذكر الدنيا أولا يدل على حذف[6] العليا ثانيا، و ذكر الآخرة ثانيا يدل على

١٠ حذف العاجلة أولا].

﴿فلا﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه لا ﴿يخفف﴾ من التخفيف[7] و هو

(١-١) ليست فى ظ (٢) زيد فى مد: العاجلة (٣) زيد فى مد: العالية (٤) ليس فى م.
(٥) و قال أبو حيان الأندلسى: و فى اسم الإشارة دليل على أنه أشير به إلى الذين جمعوا الأوصاف السابقة الذميمة ... و تقدم أن الشراء أو البيع يقتضيان عوضا و معوضا أعيانا، فتوسعت العرب فى ذلك إلى المعانى و جعل إيثارهم بهجة الدنيا و زينتها على النعيم السرمدى اشتراء إيثارا للعاجل الفانى على الآجل الباقى، إذ المشترى ليس هو المؤثر فى تحصيله و الثمن المبذول فيه مرغوب عنه عنده و لا يفعل ذلك إلا مغبون الرأى فاسد العقل. قال بعض أرباب المعانى: إن الدنيا ما دنا من شهوات القلب، و الآخرة ما اتصلت برضا الرب - انتهى كلامه.
(٦) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد (٧) فى م: عطف (٨) قال أبو حيان الأندلسى: و التخفيف هو التسهيل، و قد حمل نفى التخفيف على الانقطاع، =

مصير الثقيل و المستفل إلى حال الطافى[1] المستعلى كحال ما بين الحجر و الهواء[2] - قاله الحرالى . ﴿عنهم العذاب﴾ فى واحدة من الدارين ﴿ولا هم ينصرون﴾ و هو أيضا من أعظم الأدلة على خذلان من غزا لأجل المغنم[3] أو غل[4] ، وقد ورد فى كثير من الأحاديث و الآثار التصريح بذلك ، منها ما رواه مالك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: ما ظهر الغلول فى قوم إلا ألقى الله فى قلوبهم الرعب؛ و هو أيضا شرع قديم ففى سفر يوشع بن نون عليه الصلاة و السلام أنه لما فتح مدينة [5]اريحا[6] بعد موت موسى عليه السلام بعث إلى مدينة[5] عاى ثلاثة آلاف مقاتل ليفتحوها ، فقتل منهم أهل عاى جماعة و هزموهم ، فاضطربت قلوبهم و صارت كالماء ، فسجد يشوع[7] على الأرض أمام تابوت الرب هو و مشيخة بنى[8] إسرائيل ، فقال له الرب : انهض قائما ، و أخبره أن قومه قد غلوا فلا يقدرون الآن أن يثبتوا لأعدائهم حتى ينحوا الحرام عنهم ، و قال الله له : و إذا كان غد فقدموا أسباطكم ليقترعوا ، و السبط الذى تصيبه قرعة الرب تتقدم عشائره ، و العشيرة التى تصيبها القرعة تتقدم بيوتاتها ، و البيت الذى يصيبه[9] قرعة الرب

= وحمل أيضا على التشديد ، و الأولى حمله نفى التخفيف بالانقطاع أو بالتقليل منه ، أو فى وقت ، أو فى كل الأوقات ؛ لأنه نفى للماهية فيستلزم نفى أشخاصها وصورها ، و الظاهر من النفى بلا و الكثير فيها أنه نفى المستقبل - انتهى كلامه.

(١) ليس فى ظ (٢) فى م : الهوى (٣) وقع فى ظ :المقيم - مصحفا (٤) فى مد:غلى - كذا (٥-٥) ليست فى ظ (٦) فى الأصل : اريحاء. كذا ، وضبطه فى معجم البلدان و قال : بالفتح ثم الكسر و ياء ساكنة و الحاء مهملة و القصر و قد رواه بعضهم بالخاء المعجمة لغة عبرانية - الخ (٧) فى م : يوشع (٨) فى م : بنوا - كذا . (٩) فى ظ و م : تصيبه .

و يصاب الحرام عنده يحرق بالنار هو و كل شيء له ، لأنه تعدى على أمر الرب و لأنه أثم باسرائيل ؛ ففعل ما أمره الرب ، فأصابت القرعة عاجار بن كرمى من سبط يهودا[١] ، فأحضره و بنيه و بناته و مواشيه و خيمته و كل من كان له[٢] ، فأصعدهم إلى غور عاجار ، و رجمهم جميع بنى إسرائيل بالحجارة ، و أحرقوهم بالنار ، و جعلوا فوقه تلا من الحجارة الكبار إلى اليوم ، و لذلك دعى[٣] اسم ذلك الموضع غور عاجار إلى اليوم ، ثم أتوا من الغد إلى عاى[٤] فقتلوا جميع من فيها من بنى آدم الذكور و الإناث و أحرقوها .

و لما بين لهم أنهم نقضوا العهود فأحاطت بهم الخطايا فاستحقوا الخلود فى النار توقع السائل الإخبار عن سبب وقوعهم فى ذلك هل هو جهل أو عناد فبشع سبحانه ذلك عليهم بما افتتحه بحرف التوقع فقال : ﴿ و لقد[٥] ﴾

(١) فى م : يهوذا ـ بالذال المعجمة (٢) فى ظ : لهم (٣) فى م : دعا (٤) فى ظ : عادى (٥) و فى البحر المحيط : و مناسبة هذا لما قبله أن إتياء موسى الكتاب هو نعمة لهم إذ فيه أحكامهم و شرائعهم ثم قابلوا تلك النعمة بالكفران ، و ذلك جرى على ما سبق من عادتهم إذ قد أمروا بأشياء و نهوا عن أشياء فخالفوا أمر الله و نهيه ، فناسب ذكر هذه الآية قبلها . و الإيتاء الإعطاء . فيحتمل أن يراد به الإنزال لأنه أنزله عليه جملة واحدة . و يحتمل أن يراد آتيناه ، أفهمناه ما انطوى عليه من الحدود و الأحكام و الأنباء و القصص و غير ذلك مما فيه ، فيكون على حذف مضاف آتينا موسى علم الكتاب أو فهم الكتاب ـ انتهى كلامه .

باللام التى هى توكيد لمضمون الكلام، و "قد" [1] هى لوقوع مرتقب مما كان خبرا أو مما سيكون علما - قاله الحرالى. ﴿ اتينا ﴾ [أى - ٢] بعظمتنا [3] ﴿موسى الكتب﴾ أى نقضتم تلك العهود مع أن عندكم فيها كتاب الله التوراة تدرسونه كل حين، فلم ندعكم هملا بعد موسى عليه السلام بل ضبطنا أمركم بالكتاب [4] ﴿ و قفينا ﴾ [5] من التقفية [6] و هى متابعة شىء شيئا كأنه يتلو قفاه، و قفاء الصورة منها خلفها المقابل الوجه - قاله الحرالى. ﴿من بعده﴾ أى بعد موسى [7] ﴿ بالرسل ﴾ أى ثم لم نقتصر على الضبط بالكتاب الذى تركه فيكم موسى بل واترنا [8] من بعده إرسال الرسل

(١) زيد فى الأصل و م و مد « و » و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من م و مد (٣) سقط من ظ (٤) قال على المهائمى: ثم أشار إلى أنه لو هان عليهم العذاب بالقتل و الإخراج و المعاونة فكيف يهون على نقض ميثاق الإيمان بالرسل الذى هو بمنزلة التوحيد و على قتلهم فقال ﴿ ولقد اتينا موسى الكتب ﴾ المشتمل على المواثيق كلها و آكدها الإيمان بالرسل الذين يأتون بعده - انتهى كلامه (٥) العبارة من هنا إلى « الحرالى » ليست فى م (٦) و فى البحر المحيط ١/٢٩٦: قفوت الأثر اتبعته؛ و الأصل أن يجىء الإنسان تابعا لقفا الذى اتبعه؛ ثم توسع فيه حتى صار لمطلق الاتباع و إن بعد زمان المتبوع من زمان التابع، وقال أمية:

قالت لأخت له قصيه عن جنب و كيف تقفو و لا سهل و لا جدد

(٧) قال أبو حيان ﴿ من بعده ﴾ لابتداء الغاية و هو ظاهر لأنه يحكى أن موسى لم يمت حتى نبئ يوشع (٨) من م و مد، و فى الأصل: واترناه، و فى ظ: واترمنا.

مواترة ، و جعلنا بعضهم فى قفاء بعض ليجددوا لكم أمر[١] الدين و يؤكدوا عليكم العهود و الرسالة انبعاث أمر من المرسل إلى المرسل إليه ﴿و اتينا﴾ بما [٢]لنا من العظمة[٢] ﴿عيسى﴾[٣] اسم معرب . أصله يسوع[٣] ﴿ابن مريم﴾[٤] الذى أرسلناه[٥] لنسخ بعض التوراة و تجديد ما درس من بقيتها ﴿البينٰت﴾ من الآيات العظيمة التى[٦] لا مرية فيها[٦] لذى عقل[٧]، و البينة من القول و الكون ما لا ينازعه منازع لوضوحه - قاله الحرالى . ﴿و ايدنٰه﴾ أى

(١) فى مد: من (٢ - ٢) ليست فى ظ (٣ - ٣) ليست فى مد . قال أبو حيان: عيسى اسم أعجمى ، علم لا يصرف للعجمة و العلمية ، و وزنه عند سيبويه فعلى و الياء فيه ملحقة ببنات الأربع بمنزلة ياء معزى - يعنى بالياء الألف سماها ياء لكتابتهم إياها ياء ؛ و قال أبو على : و ليست للتأنيث كالتى فى ذكرى بدلالة صرفهم له فى النكرة (٤) مريم باللسان السريانى معناه الخادم ، وسميت به أم عيسى فصار علما فامتنع الصرف للتأنيث و العلمية ، و مريم باللسان العربى من النساء كالزيد فى الرجال و به فسر قول رؤبة :

قلت لزير لم تصله مريمه

و الزير الذى يكثر خلطة النساء و زيارتهن .

(٥) فى م : ارسلنا (٦ - ٦) فى ظ : لا مزية فيها ، و فى م : لا مزية فيها (٧) و هى الحجج الواضحة الدالة على نبوته ، فيشمل كل معجزة أوتيها عيسى عليه السلام . و هذا هو الظاهر ، و قيل : الإنجيل ، و قيل : الحجج التى أقامها الله على اليهود .... و أجمل الله ذكر الرسل و فصل ذكر عيسى لأن من قبله كانوا متبعين شريعة موسى ، و أما عيسى فنسخ شرعه كثيرا من شرع موسى - قاله أبو حيان الأندلسى (١ / ٢٩٩) .

قويناه ١ على ذلك كله ، من التأييد وهو من الأيد و هو القوة ، كأنه يأخذ معه يده فى الشيء الذى يقويه فيه ، كأخذ قوة المظاهرة من الظهر ، لأن الظهر موضع قوة الشيء فى ذاته ، و اليد موضع قوة تناوله لغيره - قاله الحرالى . ﴿بروح القدس﴾ أى الروح الطاهر و هو جبريل عليه السلام كما أيدنا به غيره ٢ من أولى العزم . قال الحرالى : و الروح لمحة من لمحات ٥ أمر الله ، و أمر الله قيوميته فى كلية خلقه ملكا و ملكوتا ، فما هو قوام الخلق كله ملكا و ملكوتا هو الأمر "الا له الخلق و الامر" ، و ما هو قوام صورة من جملة الخلق هو الروح الذى هو لمحة من ذلك الأمر ؛ و لقيام عالم الملكوت و خصوصا جملة العرش بعالم الملك و خصوصا أمر الدين الباقى سماهم الله روحا ٣ ، و من أخصهم روح القدس ، و القدس ١٠

(١) ﴿و ايدنه﴾ قرأه الجمهور على وزن فعلناه ، و قرأ مجاهد و الأعرج و حميد و ابن محيصن و حسين عن أبى عمرو « أيدناه » على وزن أفعلناه . . . . و فرق بعضهم بينهما فقال : أما المد فمعناه القوة ، و أما القصر فالتأييد و النصر ، و الأصح أنهما بمعنى قويناه و كلاهما من الأيد و هو القوة - قاله أبو حيان الأندلسى .

(٢) العبارة من هنا إلى « فلما سمع يسوع » ليست فى م (٣) و فى البحر المحيط : و الروح هنا اسم الله الأعظم الذى كان به عيسى عليه السلام يحيي الموتى - قاله ابن عباس ، أو الإنجيل كما سمى الله القرآن روحا ، قال تعالى « و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا » قاله ابن زيد ، أو الروح التى نفخها تعالى فى عيسى عليه السلام ؛ أو جبريل عليه السلام - قاله قتادة و السدى و الضحاك و الربيع و نسب هذا القول لابن عباس - قاله ابن عطية ، و هذا أصح الأقوال ، و قد =

= قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : اهج قريشا و روح القدس معك ، و مرة قال له : و جبريل معك - انتهى كلامه ؛ قالوا : و يقوى ذلك قوله تعالى " اذ ايدتك بروح القدس " وقال حسان :

و جبريل رسول الله فينا وروح القدس ليس له كفاء

و تسمية جبريل بذلك لأن الغالب على جسمه الروحانية و كذلك سائر الملائكة ، أو لأنه يحيا به الدين كما يحيا البدن بالروح ، فانه هو المتولى لإنزال الوحى ؛ أو لتكوينه روحا من غير ولادة و تأييد الله عيسى بجبريل عليهما السلام لإظهار حجته و أمر دينه ، أو لدفع اليهود عنه إذ أرادوا قتله ، أو فى جميع أحواله ؛ و اختار الزمخشرى أن معناه بالروح المقدسة ، كما يقال حاتم الجود و رجل صدق ، ووصفها بالقدس كما قال " و روح منه " فوصفه بالاختصاص و التقريب للكرامة - انتهى . و قد تقدم معنى القدس أنه الطهارة و البركة ؛ وقال مجاهد و الربيع : القدس من أسماء الله تعالى كالقدوس ، قالوا : و إطلاق الروح على جبريل و على الإنجيل و على اسم الله الأعظم مجاز ، لأن الروح هو الريح المتردد فى مخارق الإنسان فى منافذه ، و معلوم أن هذه الثلاثة ما كانت كذلك ، إلا أن كلا منها أطلق الروح عليه على سبيل التشبيه ، من حيث أن الروح سبب للحياة ، فجبريل هو سبب لحياة القلوب بالعلوم ، والإنجيل سبب لظهور الشرائع و حياتها ، و الاسم الأعظم سبب لأن يتوصل به إلى تحصيل الأغراض ؛ و المشابهة بين جبريل و الروح أتم و لأن هذه التسمية فيه أظهر ، و لأن المراد من " ايدناه " قويناه و أعناه و إسنادها إلى جبريل حقيقة و إلى الإنجيل و الاسم الأعظم مجاز ، و لأن اختصاص عيسى بجبريل من آكد وجوه الاختصاص ، إذ لم يكن لأحد من الأنبياء مثل ذلك ، لأنه هو الذى بشر مريم بولادته ، و تولد عيسى بنفخه ، و رباه فى جميع الأحوال ، وكان يسير معه حيث سار ، و كان معه حيث صعد إلى السماء .

الطهارة العلية التى لا يلحقها تنجس على ما تقدم، و من أخص الروح به جبريل عليه السلام بما له من روح الأمر الدينى، و إسرافيل عليه السلام بما له من روح النفخ الصورى - انتهى. و قد كان لعيسى عليه السلام[1] بالروح مزيد اختصاص لكثرة ما أحيي من الموتى؛ و المعنى فعلنا بكم يا بنى إسرائيل ذلك و لم تزالوا فى عهد جميع من ذكر ناقضين للعهود، ٥ فلا أحد أحق منكم بالخلود فى النار، ثم جاء محمد صلى الله عليه وسلم فلم تصدقوه.

ذكر شيء من الإنجيل يدل على أنه عليه السلام أتى بالبينات مع تأييده بروح القدس مستخلصا من الأناجيل الأربعة و قد جمعت بين ألفاظها، قال متى - و معظم السياق له: فلما/ سمع يسوع[2] أن يوحنا - /٩٨ يعنى يحيي ابن زكريا عليهما السلام - قد اسلم - يعنى خذله أصحابه - ١٠ مضى[3] إلى الجليل[4] و ترك الناصرة و جاء و سكن كَفَرناحوم[5] التى على ساحل البحر فى تخوم[6] زابلون[7] و بغتاليم[8] ليكمل ما قيل فى أشعيا النبي إذ يقول: أرض زابلون[7] أرض بغتاليم[8] طريق البحر عبر[9] الأردن جليل الأمم الشعب الجالس فى الظلمة أبصر نورا عظيما الجلوس فى الكورة و ظلال الموت نورا أشرق عليهم، و من ذلك الزمان بدأ يسوع[2] ١٥ يكرز[10] و يقول: توبوا فقد اقتربت ملكوت السماوات. و قال مرقس: و من بعد حبس[11] يوحنا وافى يسوع[2] إلى الجليل[4] يكرز[12] بانجيل

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى ظ: يشوع (٣) فى ظ: مطى (٤) فى م: الجبل، و جبل الجليل بالقرب من دشق - راجع معجم البلدان (٥) مدينة فى فلسطين (٦) من ظ و م و مد بمعنى الحدود، و فى الأصل: تحوم (٧) كذا، و زبولون منطقة فى شمالى فلسطاين (٨) كذا فى الأصل، و فى ظ: يفتاليم، فى م و مد: يفتالهم (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غبر (١٠) من ظ و مد: أى يعظ و ينادى، و فى الأصل و م: يكرر - كذا (١١) فى م: جلس (١٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يكرر.

ملكوت الله قائلا: قد كمل الزمان و قربت[1] ملكوت الله! فتوبوا و آمنوا بالإنجيل. قال متى: وكان يمشى على بحر الجليل فأبصر أخوين سمعان الذى يدعى بطرس و اندراوس أخاه يلقيان شباكهما[2] فى البحر لأنهما كانا صيادين، فقال لهما: اتبعانى أجعلكما تكونان صيادى الناس، و للوقت تركا شباكهما و تبعاه؛ و جاز من هناك فرأى أخوين آخرين[3] يعقوب بن زبدى و يوحنا أخاه فى سفينة مع أبيهما زبدى يصلحون شباكهم فدعاهما، فللوقت تركا السفينة وأبا هما زبدي و تبعاه. و فى إنجيل يوحنا بعد قصة يحي بن زكريا الآتية[4] فى آل عمران: هذا كان فى بيت عينا فى عبر[5] الأردن حيث كان يوحنا يعمد، و من الغد نظر يسوع[6] مقبلا إليه فقال: هذا حمل الله الذى يرفع خطيئة العالم! هذا ذلك الذى قلت من أجله: إنه يأتى و هو كان قبلى لأنه أقدم منى و أنا لم أكن[7] أعرفه لكن ليظهر لإسرائيل، من أجل هذا جئت أنا[8] لأعمد بالما[9]؛ و شهد يوحنا و قال: إنى رأيت الروح نزل من السماء مثل حمامة و حل عليه و لم أعرفه، لكن من أرسلنى لأعمد بالما هو الذى قال: الذى ترى الروح ينزل و يثبت عليه هو يعمد بروح القدس، و أنا عاينت

(١) التصحيح من ظ و م و مد، و فى الأصل: قرت - كذا (٢) العبارة من هنا إلى «تركا شباكهما» ليست فى م (٣) ليس فى مد (٤) فى م فقط: الآيه - كذا مصحفا (٥) فى م: عين (٦) فى ظ: يشوع (٧) ليس فى م (٨) فى ظ: انى. (٩) كذا فى الأصول كلها، و لعله: بلما؛ و البلم محركة صغار السمك، و فى الحديث: طعام أهل الجنة بالام و نون و فسره عياض و الخطابى بالثور، والنون الحوت، قالوا وهى لفظة عبرانية - تاج العروس (بلم).

و شهدت

و شهدت : و فى الغد كان يوحنا واقفا و اثنان من تلاميذه فنظر يسوع[1]
فقال : هذا حمل الله ! فسمع تلميذاه كلامه فتبعا يسوع[1] ، فالتفت يسوع[1]
فرآهما يتبعانه فقال لهما : ما ذا تريدان ؟ قالا[2] له : ربى - الذى تأويله
يا معلم - أين تكون ؟ فقال لهما : تعاليا لتنظرا ، فأتيا و أبصرا موضعه أين
يكون ، و أقاما عنده يومهما ذلك و كان نحو عشر ساعات ، و إن واحدا من ٥
اللذين سمعا من يوحنا و تبعا يسوع[1] كان اندراوس أخا سمعان و إنه
أبصرا و لا سمعان أخاه و قال له : قد وجدنا مسيا - الذى تأويله المسيح -
فجاء به إلى يسوع[1] ؛ فلما نظر إليه يسوع[1] قال له : أنت سمعان بن يونا [ن]
الذى يدعى الصفا - الذى تأويله بطرس . و من الغد أراد الخروج إلى الجليل
فلقى فيليس ناتانايل[3] و قال له : الذى كتب موسى من أجله فى الناموس ١٠
و الأنبياء[4] وجدناه و هو يسوع[1] الذى من الناصرة ، فقال له ناتانايل[5] :
هل يمكن أن يخرج من الناصرة شىء فيه صلاح ؟ فقال له فيليس : تعال
و انظر ، فلما رأى يسوع ناتانايل[6] مقبلا إليه قال : من أجله هذا حقا
إسرائيلى[7] لا غش فيه ، فقال له[1] ناتانايل[8] : من أين تعرفنى ؟ فقال له[9]
يسوع : قبل أن يدعوك فيليس و أنت تحت التينة[10] رأيتك ، ١٥
فقال له : يا معلم ! أنت هو ملك إسرائيل ، قال له يسوع : لأنى قلت لك

---

(١) فى ظ و مد : يشوع (٢) فى م : فقالا (٣) هكذا فى الأصل و ظ ، و فى م : باباناييل ، و فى مد : ناتاييل (٤) ليس فى م (٥) فى م : باماتيل ، و فى مد : ناتاييل . (٦) فى م و مد : ناتا ييل (٧) فى م فقط : اسرائيل (٨) فى مد : ناتاييل (٩) ليس فى م و مد (١٠) العبارة من هنا إلى كلمة « التينة » الآتية ليست فى م .

إنى رأيتك تحت التينة آمنت سوف تعاين ما هو أعظم من هذا ، و قال له : الحق الحق أقول لكم ، إنكم من الآن ترون السماء مفتحة و ملائكة الله ينزلون و يصعدون على ابن البشر . و فى اليوم الثالث كان عرس فى قانا ١ الجليل و كانت أم يسوع هناك و دُعى يسوع و تلاميذه إلى العرس و كان الخمر قد فرغ ، فقالت أم يسوع له : ليس لهم خمر ، فقال لها يسوع : ما لى و لك أيتها المرأة لم تأت ساعتى بعد ؟ فقالت أمه للخدام : افعلوا ما يأمركم به ، وكان هناك ستة أجاجين من حجارة موضوعة لتطهير اليهود تسع٢ كل واحدة٣ مطرين أو ثلاثة . فقال لهم يسوع : املأوا الأجاجين ماء ، فملأوها إلى فوق ، و قال لهم : اغرفوا الآن و ناولوا٤ رئيس السقاة ، فلما ذاق رئيس السقاة ذلك الماء المتحول خمرا لم يعلم من أين هو ، فدعا رئيس السقاة العريس و قال له : كل إنسان إنما يأتى بالشراب الجيد أولا فاذا سكروا عند ذلك يأتى بالدون و أنت أبقيت الجيد إلى الآن ! هذه الآية الأولى التى فعلها يسوع فى قانا الجليل و أظهر مجده و آمن به تلاميذه . و بعد هذا انحدر٥ إلى كفرناحوم هو و أمه و إخوته و تلاميذه فأقاموا هناك أياما يسيرة ؛ ثم قال : و علم السيد يسوع أن الفريسيين سمعوا أنه قد اتخذ تلاميذ كثيرة و أنه يعمد أكثر من يوحنا إذ ليس هو يعمد بل

(١) من م و مد، وفى الأصل: فانا ، وفى متن ظ : يوقانا ، و بهامشه : أى مدينة .
(٢) فى م ومد : يسع (٣) فى مد : واحد (٤) من م ومد وظ ، وفى الأصل ، تاولوا ـ كذا (٥) فى ظ : انحسر ـ كذا .

تلاميذه فترك اليهودية و مضى إلى الجليل و كان قد أزمع أن يعبر على موضع السامرة ، فأقبل إلى مدينة السامرة التى تسمى بسوخار[1] إلى جانب القرية التى كان يعقوب وهبها ليوسف ابنه و كان هناك بئر يعقوب و كان يسوع قد عيي[2] من تعب الطريق ، فجلس على البئر فى ست ساعات ، فجاءت امرأة من السمرة تستقى ماء ، فقال لها يسوع : ٥ أعطينى[3] أشرب - و كان تلاميذه قد دخلوا إلى المدينة ليبتاعوا لهم طعاما - فقالت له[4] تلك المرأة : كيف و أنت يهودى تستقى الماء و أنا امرأة سامرية و اليهود لا يختلطون بالسامرة ! أجاب / يسوع و قال لها : ٩٧/ لو كنت تعرفين عطية الله و من هذا الذى قال لك : ناوليني أشرب ، لكنت أنت تسألينه[5] أن يعطيك ماء الحياة ! قالت المرأة : يا سيد ! إنه ١٠ لا دلو لك و البئر عميقة فمن أين لك ماء الحياة ؟ لعلك[6] أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا هذه البئر و منها شرب هو و بنوه و ماشيته ! فقال لها : كل من يشرب من هذا الماء يعطش أيضا ، فأما من يشرب من الماء الذى أعطيه[7] لا يعطش إلى الأبد ، قالت المرأة : يا سيد ! أعطنى من هذا الماء لئلا أعطش و لا أجيء و لا أستقى من ههنا ، فقال : انطلقى و ادعى ١٥ زوجك و تعالى[8] إلى ههنا ، قالت : ليس لى زوج ، قال لها : حسنا قلت :

---

(١) من م و ظ ، و فى الأصل : بسوخار ، و فى مد : بَصُوخار (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عبي - كذا بالباء الموحدة (٣) فى م : اعطنى - كذا.
(٤) ليس فى م (٥) فى م : تسلمين (٦) فى مد : افانك - كذا (٧) فى م : عطية .
(٨) فى م : تعال .

إنه لا بعل لى، لأنه قد كان لك[١] خمسة بعولة و الذى هو لك الآن ليس هو زوجك، أما[٢] هذا فحقا قلت، قالت: يا سيد! إنى أرى أنك نبى[٣]، آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل و أنتم تقولون: إنه ياروشليم[٤] المكان الذى[٥] ينبغى أن يسجد فيه، قال: أيتها المرأة! آمنى به[٦]، إنه ستأتى ساعة لا فى
٥ هذا الجبل و لا فى يروشليم يسجدون للآب. أنتم تسجدون لما لا تعلمون و نحن نسجد لما نعلم، لكن ستأتى ساعة و هى الآن لكيما الساجدون المحقون[٧] يسجدون[٨] بالروح و الحق، و[٩] [١٠]الرب إنما يريد مثل هؤلاء الساجدين، و الذين يسجدون له بالروح و الحق[١٠] ينبغى أن يسجدوا، قالت المرأة: قد علمت أن مَسيا الذى هو المسيح يأتى، فاذا جاء ذاك
١٠ فهو يعلمنا كل شىء، فقال: أنا هو الذى أكلمك[١١]- و فى هذا جاء تلاميذه و تعجبوا من كلامه مع امرأة و لم يقل أحد: ما ذا تريد و لم تكلمها[١٢]- فتركت المرأة جرّتها و مضت إلى المدينة و قالت[١٣] للناس[١٤]: تعالوا! انظروا رجلا أعلمنى كل ما فعلت، لعل هذا هو المسيح، فخرجوا من المدينة و أقبلوا نحوه؛ و فى هذا سأله تلاميذه قائلين: يا معلم! كل،
١٥ فقال: إن لى طعاما لا تعرفونه[١٥] أنتم، فقالوا فيما بينهم: لعل إنسانا وافاه

(١) فى م: لى (٢) فى م: فاما (٣) فى م: بنى - كذا (٤) فى مد: يارشليم، و فى معجم البلدان: أُورِيشَلِم، و فيه اختلاف فراجعه (٥) زاد فى م: لا (٦) ليس فى ظ و مد (٧) من م و مد. و فى ظ: المحققون، و فى الأصل: المخفون - كذا. (٨) زاد فى م: له (٩) فى ظ و م: لان (١٠ - ١٠) ليست فى م (١١) فى م: يكلمك (١٢) فى م: يكلمها (١٣) زيد فى الأصل: تعالوا، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (١٤) ليس فى م (١٥) فى ظ: لا تعرض له.

بشيء فطعمه، فقال: طعامى أنا إن أعمل مسرة[1] من أرسلنى و أتم عمله، أليس أنتم تقولون: إن الحصاد يأتى بعد أربعة أشهر، و أنا قائل لكم: ارفعوا أعينكم و انظروا إلى الكور قد ابيضت و بلغت الحصاد، و الذى يحصد يأخذ الأجرة و يجمع ثمار الحياة الدائمة، و الزارع و الحاصد يفرحان معا، لأنه فى هذا توجد كلمة الحق، إن واحدا يزرع و آخر[2] ٥ يحصد، أنا أسألكم تحصدون شيئا ليس أنتم تعبتم فيه بل آخرون تعبوا فيه و أنتم دخلتم على تعب أولئك؛ فآمن به فى تلك المدينة سامريون كثيرون[3] من أجل كلمة تلك المرأة، و لما صار إليه السامريون طلبوا إليه أن يقيم[4] عندهم، فمكث عندهم يومين فآمن به كثير، و كانوا يقولون للمرأة: لسنا من أجل قولك نؤمن به لكنا قد سمعنا و علمنا أن[5] هذا هو المسيح ١٠ بالحقيقة مخلص العالم. و بعد يومين خرج يسوع إلى الجليل و مضى من هناك، لأنه شهد أن النبى لا يكرم فى[6] مدينته، و لما صار إلى الجليل قبّله الجليليون[7]، لأنهم عاينوا كل ما عمل بايروشليم[8] فى العيد؛ ثم جاء يسوع حيث صنع الماء خمرا و كان فى كفرناحوم عند الملك ابن مريض فسمع أن يسوع قد جاء من يهودا إلى الجليل، فمضى إليه و سأله أن ينزل ١٥ و يبرئ[9] ولده[10]، لأنه قد كان قارب الموت، فقال له يسوع: إن لم تعاينوا الآيات و الأعاجيب لا تؤمنون[11]، فقال له الملك: أنزل يا سيد

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ميسرة (٢) فى مد: الآخر (٣) من ظ، و فى الأصل و م و مد: كثير (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تقيم (٥) ليس فى ظ (٦) فى م: و (٧) فى ظ: الجليلون (٨) فى م: باويرشليم - راجع معجم البلدان. (٩) فى مد: يرى (١٠) ليس فى م (١١) فى م: لا تموتون.

قبل أن يموت فتاى ، قال[1] له يسوع : امض فابنك حي ، فآمن الرجل بالكلمة التي قالها يسوع ومضى ، وفيما هو ماض استقبله غلمانه وبشروه بأن ابنه قد عاش . فسألهم : في أي وقت ؟ فقالوا له : أمس في الساعة السابعة تركته الحمى ، فعلم أبوه أنه في تلك الساعة[2] التي قال له يسوع فيها : إن ابنك قد حي ، فآمن هو وبيته بأسره[3] ؛ وهذه أيضا آية ثانية عملها[4] يسوع لما جاء من يهودا إلى الجليل . قال مرقس : فأقبل إلى كفرناحوم وبقي يعلم في مجامعهم يوم السبت ، فتعجبوا من تعليمه لأنه كان كالمسلط . . قال متى : وكان يسوع يطوف في كل الجليل ويعلم في مجامعهم ويكرز[5] ببشارة الملكوت ويبرئ كل مرض ووجع في الشعب ، فخرج خبره في جميع الشام فقدم[6] إليه كل من به أصناف الأمراض والأوجاع المختلفة والذين بهم الشياطين والمعترين[7] في رؤس الأهلة والمخلعين فأبرأهم ، وتبعه جموع كثيرة[8] من الجليل والعشرة المدن وبروشليم واليهودية وعبر الأردن ، فلما أبصر الجميع[9] صعد إلى الجبل وجلس[10] ، وجاء إليه تلاميذه وفتح فاه يعلمهم قائلا : طوبى للمساكين بالروح ! فإن لهم ملكوت السماوات ، طوبى للحزانى[11] ! فإنهم يعزون ،

(١) في م ومد : فقال (٢) ليس في م (٣) في م ومد : بأسره (٤) في ظ : علمها (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : يكرز - كذا (٦) من م ، وفي الأصل ومد وظ : فقدموا (٧) في م : المعترين ، وفي مد : المعترين - كذا (٨) من م ، وفي الأصل ومد وظ : كثير (٩) في م ومد : الجمع (١٠) من م ومد وظ ، وفي الأصل : صعد - كذا (١١) هكذا في الأصل وظ ، وفي م : للحزانا ، وفي مد : للخزانا - كذا ؛ والحزانى جمع حزين . من حزنه الأمر يحزنه حزنا جعله =

طوبى للمتواضعين ! فانهم يرثون الأرض ، طوبى للجياع و العطاش من أجل البر ! فانهم يشبعون ، طوبى للرحماء ! فانهم يرحمون ، طوبى للنقية قلوبهم ! فانهم يعاينون الله ، طوبى لفاعلى[1] السلامة ! فانهم بنى الله يُدعَون ، طوبى للمطرودين من أجل البر ! فان لهم ملكوت السماوات[2] ، طوبى [لكم-٣] إذا طردوكم وعَيّروكم و قالوا فيكم كل كلمة شر من أجلى ؛ ٥ افرحوا و تهللوا ، فان أجركم عظيم فى السماوات[4] ، لأن هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم . [5]و قال لوقا[5] : هكذا كان آباؤكم[6] يصنعون بالأنبياء ، الويل لكم أيها الأغنياء ! لأنكم قد أخذتم عزاكم[7] ، الويل لكم أيها الشباعى الآن ! فانكم ستجوعون ؛ الويل لكم أيها الضاحكون الآن ! فانكم ستبكون و تحزنون ، الويل لكم إذا قال الناس فيكم قولا حسنا ! لأن آباءهم كذلك ١٠ فعلوا بالأنبياء الكذبة - يعنى المتنبئين - و فيه من الألفاظ / التى لا يجوز ٩٨/ إطلاقها فى شرعنا حمل[8] الله و الأب ، و قوله : بنى الله ، و سيأتى إن شاء الله تعالى فى آل عمران تأويل مثل هذا على تقدير صحته عنه[9] و أنه يرد إلى المحكم على أوضح وجه مثل الألفاظ التى وردت فى شرعنا و رددناها إلى المحكم ، و ضل بها من حملها على ظاهرها ممن يدعى الإسلام - ١٥ و الله الموفق[10] .

= حزينا أو جعل فيه حزنا - قطر المحيط ١/٣٩٦ .

(١) فى م فقط : لفاعل (٢) زاد فى م : والأرض (٣) زيد من م (٤) زاد فى ظ : و (٥-٥) فى م: وقالوا لو قال - كذا (٦) من ظ ، وفى الأصل وم ومد: آباؤهم (٧) فى ظ : عزكم (٨) كذا فى الأصول ، ولعله : مثل (٩) ليس فى مد (١٠) زاد فى م : =

و لما كان هذا حالهم مع الرسل مع أنسهم بهم و معرفتهم بأحوالهم و اتصالهم بالله و كمالهم علم أنهم فى منابذتهم لهم عبيد الهوى و أسرى الشهوات ، فتسبب عن ذلك الإنكار عليهم فقال: ﴿ ا فكلما ﴾ ٣ أى أ فعلتم ما فعلتم من نقض العهود مع مواترة الرسل و وجود الكتاب فكلما ٣ ﴿ جاءكم رسول ﴾ أى من عند الله ربكم ﴿ بما لا تهوى انفسكم ﴾

= كما ايدنا به غيره من أولى العزم - قاله الحرالى، والروح لمحمد من لمحات أمر الله ، و أمر الله قيوميته فى كلمة خلقه ملكا و ملكوتا ، فما هو قوام الخلق كله ملكا و ملكوتا هو امر «الا له الخلق و الامر» ، و ما هو قوام صورة من جملة الخلق هو الروح الذى هو لمحة من ذلك الأمر ؛ و لقيام عامة الملكوت و خصوصا حملة العرش بعالم الملك و خصوصا أمر الدين الباقى سماهم الله روحا و من أخصهم روح القدس الطهارة العلية التى لا يلحقها نجس على ما تقدم به ، و من أخص الروح به جبرئيل عليه السلام بما له من روح الأمر الدينى و إسرافيل عليه السلام بما له من روح النفخ الصورى - انتهى . و قد كان لعيسى عليه السلام بالروح مزيد اختصاص لكثرة ما أحيى من الموتى و لم تزالوا فى أحد جميع من ذكر ناقضين للعهود ، فلا أحد أحق منكم بالخلود فى النار ، ثم جاء محمد صلى الله عليه و سلم فلم تصدقوه فى ذكر شىء من الإنجيل يدل على أنه عليه السلام أتى بالبينات مع تأييده بروح القدس مستخلصا من الأناجيل الأربعة و قد جمعت بين ألفاظها . قال متى و معظم السياق له : فلما سمع يسوع و كان هذا حالهم .

(١) ليس فى م (٢) و قال أبو حيان الأندلسى : الهمزة أصلها للاستفهام و هى هنا للتوبيخ و التقريع ، و الفاء لعطف الجملة على ما قبلها ، و اعتنى بحرف الاستفهام فقدم و الأصل : فأكلما (٣-٣) هذه العبارة ليست فى ظ (٤) ما موصولة و العائد محذوف أى لا تهواه ، و أكثر استعمال الهوى فيما ليس بحق و منه هذه الآية ، و أسند الهوى إلى النفس و لم يسند إلى ضمير المخاطب فكأن يكون =

من الهوى و هو نزوع النفس لسفل شهوتها فى مقابلة معتلى[1] الروح لمنبعث انبساطه ، كأن النفس ثقيل الباطن بمنزلة الماء و التراب ، و الروح خفيف الباطن بمنزلة الهواء و النار ، وكأن العقل متسع الباطن بمنزلة اتساع النور فى كلية[2] الكون علوا و سفلا - قاله الحرالى . [3]و قد دل على أن المراد الباطل[4] بالتعبير بالهوى و النفس ﴿ استكبرتم[5] ﴾ [6]أى طلبتم الكبر و أوجدتموه بما لكم من الرئاسة على قومكم[7] عن قبول الحق ميلا إلى سنة إبليس مع إعطائكم العهد قبل ذلك على الدوام على اتباعه ﴿ ففريقا ﴾ أى

= بما لا تهوون إشعارا بأن النفس يسند إليها غالبا الأفعال السيئة - قاله أبو حيان (١/٣٠٠) .

(١) فى مد : مستقلى - كذا (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: كلية - كذا (٣) العبارة من هنا إلى «و النفس» ليست فى ظ (٤) فى م : الباطن (٥) ﴿استكبرتم﴾ استفعل هنا بمعنى تفعل وهو أحد معانى استفعل ، و فسر رسول الله صلى الله عليه و سلم الكبر بأنه سفه الحق و غمط الناس ، و المعنى قيل استكبرتم عن إجابته احتقارا للرسول أو استبعادا للرسالة و فى ذلك ما كانوا عليه من طبيعة الاستكبار الذى هو محل النقائص و نتيجة الإعجاب و هو نتيجة الجهل بالنفس المقارن للجهل بالخالق و إن ذلك كان يتكرر منهم بتكرر مجىء الرسل إليهم ، وهو كما ذكرنا استكبار بمعنى التكبر و هو مشعر بالتكلف و التفعل لذلك لا أنهم يصيرون بذلك كبراء عظماء بل يتفعلون ذلك و لا يبلغون حقيقته لأن الكبرياء إنما هى لله تعالى فمحال أن يتصف بها غيره حقيقة - قاله أبو حيان (٦-٦) ليست فى ظ .

فتسبب عن طلبكم الكبر أنكم فريقا ﴿كذبتم﴾ كعيسى و محمد عليهما الصلاة و السلام ﴿و فريقا تقتلون ٥﴾ أى قتلتم و لم تندموا على قتلهم بل عزمتم على مثل ذلك الفعل كلما جاءكم أحد منهم بما يخالف الهوى و هم لم يبعثوا إلا لصرف الأنفس ١ عن الهوى ١ ، لأن دعوة الرسول إلى ٥ الأعلى الذى هو٢ ضد هوى٢ النفس ؛ و الظاهر ٣ أنه سبحانه أشار٣ بهذه الصيغة المستقبلة ٤ إلى قتلهم النبى صلى الله عليه و سلم بالسم فى خيبر كما أشار إليه الحديث الماضى آنفا .

و لما بين سبحانه مخازيهم حتى ختمها بعظيم ما ارتكبوا من الرسل من القتل المعنوى بالتكذيب و الحسى بازهاق الروح مع العلم بأنهم أتوا ١٠ بالبينات و الآيات المعجزات فأرشد المقام إلى أن التقدير فقالوا للأنبياء لما أتوهم أمورا كثيرة يعجب من صدورها عن عاقل و أتوا فى الجواب عن تكذيبهم و قتلهم من التناقضات بما لا يرضاه عالم و لا جاهل عطف

(١ - ١) ليس فى م (٢) ليس فى م (٣ - ٣) فى م و مد : انه اشار سبحانه (٤) قال أبو حيان فى البحر المحيط ١/٣٠٠ : و أتى بفعل القتل مضارعا إما لكونه حكيت به الحال الماضية إن كانت أريدت فاستحضرت فى النفوس و صور حتى كأنه ملتبس به مشروع فيه ، و لما فيه من مناسبة رؤس الآى ، و إما لكونه مستقبلا لأنهم يرومون قتل رسول الله صلى الله عليه و سلم و لذلك سحروه و سموه . . . . و كان فى ذلك على هذا الوجه تنبيه على أن عادتهم قتل أنبيائهم لأن هذا النبى المكتوب عندهم فى التوراة و الإنجيل و قد أمروا بالإيمان و النصر له يرومون قتله فكيف من لم يكن فيه تقدم عهد من الله فقتله عندهم أولى - انتهى .

عليه أو[١] على "وقالوا لن تمسنا النار[٢]" قوله - بيانا لشدة بهتهم وقوة عنادهم: ﴿وقالوا[٣]﴾ فى جواب ما كانوا يلقون إليهم من جواهر العلم التى هى أوضح من الشمس ﴿قلوبنا غلف[٤]﴾ جمع أغلف وهو المغشى الذكر بالقلفة التى هى جلدته، كأن الغلفة[٥] فى طرفى المرء: ذكره وقلبه، حتى يتم الله كلمته فى طرفيه بالختان[٦] والإيمان - قاله الحرالى. فالمعنى: ٥ عليها أغطية فهى لا تفهم ما تقولون[٧]. فكان المراد بذلك مع أنهم أعلم

(١) من م ومد وظ، وفى الأصل: و (٢) زاد فى ظ: «الا اياما معدودة» (٣) الضمير فى ﴿قالوا﴾ عائد إلى اليهود وهم أبناء بنى إسرائيل الذين كانوا بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا ذلك بهتا ودفعا لما قامت عليهم الحجج وظهرت لهم البينات وأعجزتهم عن مدافعة الحق المعجزات، نزلوا عن رتبة الإنسانية إلى رتبة البهيمية - قاله أبو حيان (٤) وفى البحر المحيط ١/٣٠١: وقرأ ابن عباس والأعرج وابن هرمز وابن محيصن ﴿غُلُف﴾ بضم اللام وهى مروية عن أبى عمرو، وهو جمع غلاف ولا يجوز أن يكون فى هذه القراءة جمع أغلف لأن تثقيل فعل الصحيح العين لا يجوز إلا فى الشعر، يقال غلفت السيف جعلت له غلافا، فأما من قرأ غلْف بالإسكان فمعناه أنها مستورة عن الفهم والتمييز؛ وقال مجاهد: أى عليها غشاوة، وقال عكرمة: عليها طابع، وقال الزجاج: ذوات غلف، أى عليها غلف لا تصل إليها الموعظة، ويحتمل على هذه القراءة أن يكون قولهم هذا على سبيل البهت والمدافعة حتى يسكتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما من قرأ بضم اللام فمعناه أنها أوعية للعلم فلو كان ما تقوله حقا وصدقا لوعته - قاله ابن عباس والسدى - انتهى (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الغفلة (٦) فى ظ: بالحسينان - كذا (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يقولون.

الناس أن ما يقولونه[١] ليس بأهل لأن[٢] يوجه إليه الفهم ، و لذلك أضرب الله[٣] سبحانه عنه[٣] بقوله ﴿ بل ﴾ أى ليس الأمر كما قالوا[٤] من أن هناك غلفا حقيقة بل[٤] ﴿ لعنهم الله ﴾ أى طردهم[٥] الملك الأعظم[٥] عن قبول ذلك لأنهم ليسوا بأهل للسعادة[٦] بعد أن خلقهم على الفطرة الأولى القويمة[٧] لا غلف على قلوبهم ، لأن اللعن إبعاد فى المعنى و المكانة و المكان إلى أن يصير الملعون بمنزلة النعل فى أسفل القامة يلاقى به ضرر الموطى - قاله الحرالى[٨] .

ثم بين علة ذلك بقوله : ﴿ بكفرهم ﴾ . قال الحرالى : أعظم الذنوب ما تكون[٩] عقوبة الله تعالى[١٠] عليها الإلزام بذنوب أشد منها ، فأعقب استكبارهم اللعن كما كان فى حق إبليس مع آدم عليه السلام ، فانتظم صدر هذه السورة إظهار الشيطنتين من الجن و الإنس الذى انختم به القرآن فى قوله "من الجنة و الناس" ليتصل طرفاه ، فيكون ختما لا أول

(١) فى م : تقولونه (٢) فى ظ : ان (٣ - ٣) فى ظ : عنه سبحانه (٤ - ٤) ليست فى ظ ، و فى م : حقيقية - مكان : حقيقة (٥ - ٥) ليس فى ظ (٦) العبارة من هنا إلى « قلوبهم » ليست فى ظ (٧) فى م : القوية (٨) قال أبو حيان « بل » للاضراب و ليس إضرابا عن اللفظ المقول لأنه واقع لا محالة فلا يضرب عنه و إنما الإضراب عن النسبة التى تضمنها قولهم : إن قلوبهم غلف ، لأنها خلقت متمكنة من قبول الحق مفطورة لإدراك الصواب فأخبروا عنها بما لم تخلق عليها ، ثم أخبر تعالى أنها لعنوا بسبب ما تقدم من كفرهم و جازاهم بالطرد الذى هو اللعن المتسبب عن الذنب الذى هو الكفر - البحر المحيط ١ / ٣٠٠ (٩) من م و ظ ، و فى الأصل : يكون (١٠) ليس فى م .

له و لا آخر ؛ و الفاتحة محيطة به لا يقال [١] : هى أوله و لا آخره ، و لذلك ختم بعض القراء بوصله حتى لايتبين له طرف ، كما قالت العربيـــة [٢] لما سئلت عن بنيها : [هم-٣] كالحلقة المفرغة [٤] لا يدرى أين طرفاها . و لما أخبر بلعنهم سبب [٥] عنه قوله : ﴿ فقليلا ما يؤمنون ﴾ ، فوصفه بالقلة و أكده بما [٦] إيذانا بأنه مغمور [٧] بالكفر لا غناء له [٨] . ٥

و لما ذكر سبحانه من جلافتهم ما ختمـــه بلعنهم و كان قد قدم ذكر كتابهم مرارا و أشار إلى الإنجيل بإيتاء عيسى عليه السلام البينات ذكر سبحانه كفرهم بهذا الكتاب الذى مقصود السورة وصفه بالهدى و بهذا الرسول الآتى به دليلا على إغراقهم فى الكفر ، لأنهم مع استفتاحهم [٩] به صلى الله عليه و سلم قبل مبعثه على من يعاديهم و استبشارهم به و إشهادهم ١٠ أنفسهم بالسرور [١٠] بمجيئه كانوا أبعد الناس من دعوته تماديا فى الكفر

(١) زاد فى ظ : انها (٢) من م ومد وظ ، وفى الأصل : العريه ـ كذا (٣) زيد من م و مد (٤) فى ظ : المغرغة ـ كذا (٥) قال أبو حيان : ثم أخبر تعالى أنهم لعنوا بسبب ما تقدم من كفرهم و جازاهم بالطرد الذى هو اللعن المتسبب عن الذنب هو الكفر (٦) من م ومد وظ ، وفى الأصل : لما (٧) فى ظ : معمور ـ كذا (٨) و فى البحر المحيط انتصاب « قليلا » على أنه نعت لمصدر محذوف أى فايمانا قليلا يؤمنون ـ قاله قتادة ، و فى التفسير المظهرى ص ٩٤ : و قال الواقدى معناه لا يؤمنون قليلا و لا كثيرا كقول الرجل للاخر : ما أقل ما تفعل كذا ، أى لا تفعل أصلا ؛ فالقلة مجاز عن العدم ـ انتهى (٩) وقع فى م : استقباحهم ـ كذا مصحفا (١٠) فى ظ : بالسور ـ كذا .

و تقيدا بالضلال ؛ فكان هذا الدليل أبين من الأول عند أهل ذلك العصر و ذلك قوله تعالى ﴿ و لما جاءهم كتب ﴾ أى جامع[١] لجميع الهدى لعظمته لكونه[٢] ﴿ من عند الله ﴾ الجامع لجميع صفات الكمال . ثم ذكر من المحببات[٣] لهم فى اتباعه قوله ﴿ مصدق لما معهم ﴾ على لسان نبى يعرفون صحة أمره بأمور يشهد بها كتابهم ، و بتصديق هذا الكتاب له بإعجاز نظمه و تصديق معناه لكتابهم[٤] ؛ و الجواب محذوف و[٥] دل[٦] ما بعد على أنه كفروا به ، و فى ذلك قاصمة لهم لأن كتابهم يكون شاهدا على كفرهم ؛ و لما بين شهادة كتابهم اتبعه شهادتهم لئلا يحرفوا معنى ذلك فقال ﴿ و كانوا ﴾ أى و الحال أنهم كانوا[٧] ، و لما كان استفتاحهم فى بعض الزمان أثبت الجار[٨] فقال ﴿ من قبل ﴾ أى قبل مجيئه ﴿ يستفتحون ﴾[٩] أى يسألون الله الفتح[٩] بالاسم[١٠] الآتى به تيمنا بذكره[١١] ﴿ على الذين كفروا ﴾ يعنى أنهم لم يكونوا فى غفلة عنه بل كانوا أعلم الناس به و قد وطنوا

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مجامع (٢) فى م و مد : بكونه (٣) فى م : المجبيات ـ كذا (٤) العبارة من هنا إلى « كفروا به » ليست فى ظ (٥) ليس فى م (٦) زيد فى م : على (٧) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٨) من م و مد ، و فى الأصل : لكبار ـ كذا (٩ ـ ٩) ليست فى ظ (١٠) فى م و مد : باسم (١١) و فى البحر المحيط ١ / ٣٠٢ : ﴿ يستفتحون ﴾ أى يستحكمون أو يستعلمون أو يستنصرون ـ أقوال ثلاثة ، يقولون إذا دهمهم العدو : اللهم انصرنا عليهم بالنبى المبعوث فى آخر الزمان الذى نجد نعته فى التوراة ـ انتهى .

أنفسهم على تصديقه و مع ذلك كله ﴿ فلما جاءهم ﴾ [1] برسالة محمد صلى الله [عليه و سلم -[2]] علم[3] ﴿ ما عرفوا ﴾ [4] أى من صدقه بما ذكر من نعوته فى كتابهم[4] ﴿ كفروا به ﴾ [5] اعتلالا بأنواع من العلل البينة الكذب، منها زعمهم أن جبريل عليه السلام عدوهم و هو الآتى به؛ قال الثعلبى و الواحدى: روى ابن عباس رضى الله عنهما أن عبد الله بن صوريا حاجّ رسول الله صلى الله عليه و سلم عن أشياء، فلما اتجهت الحجة عليه قال: أى ملك يأتيك من السماء؟ قال: جبريل، و لم يبعث الله نبيا إلا و هو وليه - و فى رواية: و سأله عمن يهبط عليه بالوحى، فقال: جبريل - فقال: ذاك عدونا، و لو كان غيره لآمنا بك. و قال ابن إسحاق فى السيرة: حدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى حسين المكى عن شهر بن حوشب الأشعرى أن نفرا من أحبار يهود جاءوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا[6]: خبرنا[7] عن أربع نسألك عنهن، فان فعلت اتبعناك و صدقناك و آمنا بك؛ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم: عليكم بذلك عهد الله و ميثاقه لئن[8] أنا أخبرتكم بذلك لتصدقنى، قالوا: نعم، قال: فاسألوا[9] عما بدا لكم!

(١) العبارة من هنا إلى «علم» ليست فى ظ (٢) زيدت من م و مد (٣) ليس فى م و مد (٤-٤) ليست فى ظ (٥) قال الهائمى (١/٥٢): ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا ﴾ قبل مجيئه بما ذكر فى كتابهم و بعده بمعجزاته سيما القولية المصدقة لما معهم ﴿ كفروا به ﴾ عنادا و حسدا، فكيف يخفف فى حقهم العذاب أو يجعل أياما معدودة (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: قالوا (٧) فى م و مد و ظ: أخبرنا (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لإن (٩) فى م: فاسئلوا، و فى الأصل و مد و ظ: فسئلوا.

قالوا : فأخبرنا : كيف يشبه الولد أمه و إنما النطفة من الرجل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أنشدكم بالله و بأيامه عند بنى إسرائيل هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة و نطفة المرأة صفراء رقيقة فأيتهما علت ١ صاحبتها كان الشبه لها؟ قالوا : اللهم نعم ؛ قالوا: فأخبرنا٢ عن كيف نومك ؟ قال٣ : أنشدكم بالله و بأيامه عند بنى إسرائيل هل تعلمون أن نوم الذى تزعمون أنى لست به تنام عينه و قلبه يقظان؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فكذلك نومى، تنام عينى و قلبى يقظان ؛ قالوا : فأخبرنا٢ عما حرم إسرائيل على نفسه ، قال : أنشدكم بالله و بأيامه عند بنى إسرائيل هل تعلمون أنه٤ كان أحب الطعام و الشراب إليه ألبان الإبل و لحومها و أنه اشتكى شكوى فعافاه الله منها فحرم على نفسه أحب الطعام٥ و الشراب إليه٦ شكرا لله فحرم على نفسه لحوم الإبل و ألبانها ؟ قالوا : اللهم نعم ؛ قالوا : فأخبرنا عن الروح ، قال : أنشدكم بالله و بأيامه هل تعلمون٧ جبريل و هو الذى يأتينى ؟ قالوا : اللهم نعم ٨و لكنه يا محمد٨ لنا عدو ، و هو ملك إنما يأتى بالشدة و سفك الدماء ، و لولا ذلك لاتبعناك . فأنزل الله فيهم٩ "من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه و هدى و بشرى للمؤمنين ٥ - إلى قوله : او كلما عهدوا عهدا نبذه فريق

(١) زيد فى م : على (٢) فى م : اخبرنا (٣) فى م و ظ و مد : فقال (٤) فى م : ان (٥) من م و مد و ظ ، ووقع فى الأصل : العظام - كذا مصحفا (٦) ليس فى مد (٧) فى م و مد و ظ : تعلمونه (٨-٨) كرره فى م ثانيا (٩) ليس فى م .

منهم

منهم بل اكثرهم لا يومنون ه ١" و أصل ذلك فى البخارى فى خلق آدم و الهجرة و التفسير عن أنس بن مالك رضى الله عنه - من روايات جمعت بين ألفاظها - قال: أقبل نبى الله صلى الله عليه و سلم إلى المدينة أى فى الهجرة - إلى أن قال: فأقبل يسير حتى نزل إلى جانب دار أبى أيوب رضى الله عنه، فانه ليحدث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام و هو فى نخل ٥ لأهله يخترف لهم، فعجل أن يضع التى ٢ يخترف لهم فيها فجاء و هى معه،

(١) سورة ٢ آية ٩٧ - ١٠٠. و فى السراج المنير ١ / ٧٥: روى أنه كان لعمر رضى الله عنه أرض بأعلى المدينة و كان يمره على مدارس (كذا، و الظاهر: مِدراس) اليهود و كان يجلس إليهم و يسمع كلامهم فقالوا: يا عمر! قد أحببناك و إنا لنطمع فيك، فقال: والله ما أحبكم لحبكم و لا أسألكم لأنى شاك فى دينى! و إنما أدخل عليكم لأزداد بصيرة فى أمر محمد صلى الله عليه و سلم و أرى آثاره فى كتابكم، ثم سألهم عن جبريل، فقالوا: ذاك عدو لنا، يطلع محمدا على أسرارنا، و إنه صاحب كل خسف و عذاب، و ميكائيل صاحب الخصب و السلام - أى السلامة، فقال عمر: ما منزلتهما من الله؟ قالوا: جبريل عن يمينه و ميكائيل عن يساره و بينهما عداوة، فقال: لئن كان كما تقولون فليسا بعدوين - أى لقرب منزلتهما عند الله - و لأنتم أكفر من الحمير - أى لأن الكفر نتيجة الجهل و البلادة و الحمار مثل فيهما - و من كان عدو أحدهما فهو عدو الله تعالى؛ ثم رجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الآية، و قال عليه الصلاة و السلام: لقد وافقك ربك يا عمر! فقال عمر: لقد رأيتنى فى دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر - انتهى (٢) فى ظ: الذى، و فى م: الذى التى - كذا.

فسمع من نبي الله صلى الله عليه و سلم ثم رجع إلى أهله ، فقال نبي الله صلى الله عليه و سلم : أى [١]بيوت أهلنا[١] أقرب - فذكر نزوله على أبى أيوب رضى الله عنه ثم قال : فلما جاء نبي الله صلى الله عليه و سلم جاء عبد الله بن سلام [٢]رضى الله عنه[٢] فقال : أشهد أنك رسول الله و أنك جئت بحق !

٥ و قد علمت يهود أنى سيدهم و ابن سيدهم و أعلمهم و ابن أعلمهم فادعهم فسلهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد أسلمت ، فانهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فىّ ما ليس فىّ . و فى رواية : بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبى صلى الله عليه و سلم و هو فى أرض يخترف فأتاه فقال : إنى سائلك عن ثلاث[٣] لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أشراط الساعة ؟ و ما أول طعام

١٠ يأكله أهل الجنة ؟ و من أى شيء ينزع الولد إلى أبيه و من أى شيء ينزع إلى أخواله - و فى رواية : و ما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه - فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أخبرنى بهن جبريل آنفا ، فقال عبد الله : ذاك عدو اليهود من الملائكة ؛ فقرأ[٤] رسول الله صلى الله عليه و سلم هذه الآية "من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قبلك باذن الله"

١٥ أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، و أما أول طعام يأكله أهل[٥] الجنة فزيادة كبد حوت - و فى رواية : الحوت - و أما الشبه فى الولد فان الرجل إذا غشى[٦] المرأة فسبقها ماؤه كان

(١-١) فى م : بيوتنا (٢-٢) ليست فى م و مد (٣) فى م : اربع (٤) فى م : فتلى - كذا (٥) فى مد : اوهل - كذا (٦) من م و مد ، و فى الأصل : عشى ، و فى ظ : عنسى - كذا .

الشبه له، و إذا سبقت كان الشبه لها ـ و فى رواية: و إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، و إذا سبق ماء المرأة نزعت ـ قال: أشهد أنك رسول الله! ثم قال: يا رسول الله! إن اليهود قوم بهت، إن علموا باسلامى قبل أن تسألهم بهتونى[1] عندك، فأرسل نبى الله صلى الله عليه و سلم[2] فدخلوا عليه ـ و فى رواية: فجاءت[3] اليهود و دخل عبد الله البيت ـ فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا معشر اليهود! ويلكم اتقوا الله، فوالله الذى لا إله إلا هو! إنكم لتعلمون أنى رسول الله و أنى جئتكم بحق فأسلموا، قالوا: ما نعلمه ـ قالوا للنبى صلى الله عليه و سلم و قالها ثلاث مرار[4]، قال: فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا: ذاك سيدنا و ابن سيدنا و أعلمنا و ابن أعلمنا و أخيرنا و ابن أخيرنا، قال: أفرأيتم إن أسلم! قالوا: حاشا لله! ما كان ليسلم ـ و فى رواية: أعاذه الله من ذلك ـ قال: يا ابن سلام! اخرج عليهم، فخرج فقال: أشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا رسول الله، يا معشر اليهود! اتقوا الله فوالله[5] الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله و أنه جاء بحق، قالوا: كذبت، و قالوا: شرنا و ابن شرنا، و وقعوا فيه فانتقصوه، قال: فهذا[6] الذى كنت أخاف يا رسول الله! فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه و سلم.

و للواحدى فى أسباب النزول عن عمر رضى الله عنه قال: كنت آتى

/ ١٠٠

(١) فى م: بهتوا لى، و فى مد: بهتوى ـ كذا (٢) زيد فى م: اليهم (٣) من م و مد و م ظ، و فى الأصل: فجاءة ـ كذا بالتاء المربوطة (٤) فى ظ: مرات. (٥) فى م: فوا الله ـ كذا (٦) فى م: هذا.

اليهود عند دراستهم التوراة فأعجب من موافقة القرآن التوراة و موافقة التوارة القرآن، فقالوا: يا عمر! ما أحد أحب إلينا منك، قلت: و لم؟ قالوا: لأنك تأتينا و تغشانا[1]، قلت: إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضا و موافقة التوراة القرآن و موافقة القرآن التوراة، فبينا أنا عندهم ذات يوم إذ مر رسول الله صلى الله عليه و سلم خلف ظهرى فقالوا: إن هذا صاحبك فقم إليه، فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عليه و سلم قد دخل خوخة من المدينة، فأقبلت عليهم فقلت: أنشدكم الله و ما أنزل عليكم من كتاب أ تعلمون أنه رسول الله؟ قال سيدهم: قد نشدكم بالله فأخبروه، فقالوا[2]: أنت سيدنا فأخبره، فقال سيدهم: نعلم أنه رسول الله، قلت: فانى أهلككم إن كنتم تعلمون أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم تتبعوه، فقالوا: إن لنا عـــدوا من الملائكة[3] و سلما من الملائكة[3]، فقلت: من عدوكم و من سلمكم؟ قالوا: عدونا جبريل، قلت: و من سلمكم؟ قالوا: ميكائيل، قلت: فانى أشهد ما يحل لجبريل أن يعادى سلم ميكائيل، و ما يحل لميكائيل أن يسالم عدو جبريل، و إنهما جميعا و من معهما أعداء لمن عادوا و سلم لمن سالموا، ثم قمت فاستقبلنى - يعنى رسول الله صلى الله عليه و سلم - فقال: يا ابن الخطاب! ألا أقرئك آيات؟ فقرأ "من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك" - حتى بلغ "و ما يكفر بها الا الفسقون[4]" قلت: و الذى بعثك بالحق ما جئتك[5] إلا أخبرك بقول اليهود فاذا اللطيف

(١) فى م: تغشاها (٢) فى م: قالوا (٣-٣) ليس فى م (٤) سورة ٢ آية ٩٧ - ٩٩
(٥) فى م و ظ و مد: جئت.

الخبير

الخبير قد سبقني بالخبر! قال عمر: فلقد[1] رأيتني في دين الله أشد من حجر[2] - انتهى. وقد سألت بعض فضلاء اليهود الموجودين[3] في زماننا[3] عن عداوتهم لجبريل عليه السلام فلم يسمح بالتصريح وقال: ما يعطي ذلك. وقد روى هذا الحديث أيضا إسحاق ابن راهويه في مسنده عن الشعبي عن عمر رضي الله عنه، قال شيخنا البوصيري: وهو مرسل صحيح الإسناد ٥ [4]وفيه: انه قال لهم: وكيف منزلتهما[4] من ربهما؟ قالوا: أحدهما عن يمينه والآخر من الجانب الآخر، وإني أشهد أنهما وربهما سلم لمن سالموا وحرب لمن حاربوا.

[4]ولما بين سبحانه بهذا أنهم أعتى[4] الناس وأشدهم تدليسا[5] وبهتا بل كذبا وفسقا كانوا أحق الناس بوصف الكفر فسبب[6] عن ذلك قوله ١٠ ﴿فلعنة الله﴾ [4]أي الذي له الأمر كله[4] ﴿على الكٰفرين ۝﴾ [7]فأظهر موضع الإضمار تعليقا للحكم بالوصف ليعم وإشعارا بصلاح من شاء الله[8] منهم. ولما استحقوا بهذا وجوه[9] المذام كلها وصل به قوله ﴿بئسما﴾ [10]فأتى بالكلمة الجامعة للذام المقابلة لنعم الجامعة لوجوه المدائح كلها أي

(١) في مد: لقد (٢) في ظ: معجز (٣-٣) ليس في مد (٤-٤) ليست في ظ. (٥) في مد: تلبيسا (٦) في مد: تسبيب (٧) في التفسير المظهري ﴿فلعنة الله على الكفرين﴾ أي عليهم، أتى بالمظهر للدلالة على سبب استحقاقهم اللعنة فاللام للعهد، ويجوز أن يكون للجنس وهم داخلون فيه (٨) ليس في ظ (٩) في مد: وجود - كذا (١٠) قال المهائمي: أي بئسما باعوا به حظ أنفسهم الأخروي إذ باعوه بالكفر بما أنزل الله لا ريب فيه بل ﴿بغيا﴾ عنادا مع الله كراهة ﴿ان ينزل الله﴾ من وحيه - انتهى.

بئس شيء ﴿ اشتروا به انفسهم ﴾ [١] أى حظوظهم[١] ؛ فقدموها وآثروها فكان ذلك غبن فأخبرها[٢] عكس ما فعل المؤمنون من بيعهم لأنفسهم وخروجهم عنها بتعبدهم لله بايثار ما يرضيه على هوى أنفسهم[٣] ، فكان ذلك عين تحصيلها وتقديمها ، ثم فسر الضمير العائد على[٤] المبهم المأخوذ[٥] فى إحراز النفس فقال ﴿ ان يكفروا ﴾ أى يستروا[٦] [١] على التجدد والاستمرار[١] عليهم ﴿ بما انزل الله ﴾ [٧] الذى لا كفوء له ، أى اشتروا أنفسهم فأبقوها لهم على زعمهم بالكفر ولم يجعلوها تابعة[٨] ؛ ويجوز أن يكون "اشتروا" بمعنى باعوا ، لأنهم بذلوها[٩] للشيطان بالكفر كما بذل المؤمنون أنفسهم لله بالإيمان .

ثم علل كفرهم بقوله ﴿ بغيا[١٠] ﴾ [١١] أى حسدا وظلما لأن تكون النبوة فى بنى إسماعيل عليه السلام . و[١١] [١٢] قال الحرالى : هو اشتداد فى

(١-١) ليست فى مد و ظ (٢) وقع فى م : تاخيرها - كذا محرفا (٣) فى مد : النفس بهم (٤) فى ظ : الى (٥) فى مد : الموجود (٦) فى مد : يستمروا (٧) العبارة من هنا إلى « بالإيمان » سقطت من مد و ظ (٨) فى مد : بايعه (٩) فى مد : بذلوا.
(١٠) فى التفسير المظهرى ص ٩٥ : أصل البغى الطلب والفساد ، يقال بغى يبغى بغيا إذا طلب ، وبغى الجرح إذا فسد . ويطلق الباغى على الظالم لأنه مفسد ، وعلى الخارج على الإمام لأنه مفسد وطالب للظلم ، وعلى الحاسد فانه يظلم المحسود ويطلب إزالة نعمته ؛ والمعنى أنهم يكفرون حسدا وطلبا لما ليس لهم وفسادا فى الأرض - انتهى (١١-١١) ليست فى م و مد (١٢-١٢) العبارة من هنا إلى « والله الموفق » ليست فى م .

طلب شيء ما - انتهى . و أصله مطلق الطلب و الإرادة ، كأن الإنسان لما كان مجبولا على النقصان و مطبوعا على الشر و العصيان إلا من عصم الله و أعان كان مذموما على مطلق الإرادة ، لأن من حقه أن لا تكون له خيرة[1] و لا إرادة بل تكون إرادته تابعة لإرادة[2] مولاه كما هو شأن العبد - و الله الموفق . ٥

ثم علل بغيهم بقوله ﴿ان ينزل الله﴾ [3]ذو الجلال و الإكرام[3] ﴿من فضله﴾ و[4] في صيغة "ينزل" إشعار [5]بتمادي ما[5] يغيظهم فيما يستقبل ، و بشرى للنبي صلى الله عليه و سلم و المؤمنين ﴿على من يشاء من عباده﴾ [6]من العرب الذين حسدوهم[7] . ثم سبب عن ذلك قوله ﴿فباؤا﴾ [8]أي رجعوا لأجل ذلك ﴿بغضب﴾ في حسدهم لهذا النبي ١٠ صلى الله عليه و سلم لكونه من العرب ﴿على غضب﴾ كانوا استحقوه بكفرهم بأنبيائهم عنادا . ثم علق الحكم الذي استحقوه بوصفهم تعميما

(١) في مد: خيرة (٢) في مد: لامر (٣ - ٣) ليست في ظ (٤) ليس في مد .
(٥ - ٥) في ظ : بما (٦) قال المهائمي ﴿ان ينزل الله﴾ من وحيه الذي هو ﴿من فضله على من يشاء من عباده﴾ سيما من رآه أهلا له دونهم فعاندوا الله - انتهى . و في التفسير المظهري ﴿من فضله﴾ بلا سبق عمل يقتضيه (٧) في م: خسروهم - كذا .
(٨) وقال المهائمي ﴿فباؤا بغضب﴾ عظيم من الله على عنادهم معه و تحكمهم عليه ﴿على غضب﴾ على كفرهم بآياته و رسله و نقضهم مواثيق فكيف يكون عذابهم هينا و أياما معدودة - انتهى .

و إشارة إلى أنه سيؤمن بعضهم فقال ﴿ و للكفرين ﴾ [1] أى الذين هم راسخون فى هذا الوصف منهم[2] و من غيرهم ﴿ عذاب مهين ﴾ من الإهانة و هى الاطراح إذلالا و احتقارا[3] .

و لما أقام سبحانه الدليل على استحقاقهم للخلود فى النار بكفرهم بالكتاب الذى كانوا يستفتحون بالآتى به أقام دليلا آخر على ذلك أبين منه و ذلك بكفرهم بكتابهم نفسه فقال ﴿ و اذا قيل لهم[4] ﴾ [5] أى هؤلاء الذين نقضوا عهود كتابهم[5] ﴿ آمنوا بما انزل الله ﴾ أى [5]الملك الذى له[5]

(١) و فى البحر المحيط ١ / ٣٠٦ : الألف و اللام فى « الكفرين » للعهد ، و أقام المظهر مقام المضمر إشعارا بعلة كون العذاب المهين لهم إذ لو أتى : ولهم عذاب مهين ، لم يكن فى ذلك تنبيه على العلة ؛ أو تكون الألف و اللام للعموم فيندرجون فى الكافرين ، و وصف العذاب بالإهانة و هو الإذلال قال تعالى " و ليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين " و جاء فى الصحيح فى حديث عبادة ـ و قد ذكر أشياء محرمة فقال : فمن أصاب شيئا من ذلك فعوقب به فهو كفارة له ، فهذا العذاب إنما هو لتكفير السيئات ؛ أو لأنه يقتضى الخلود خلودا لا ينقطع ، أو لشدته و عظمته و اختلاف أنواعه ، أو لأنه جزاء على تكبرهم عن اتباع الحق ـ انتهى . و فى التفسير المظهرى : يراد بهم إذلالهم بخلاف عذاب العصاة من المؤمنين ، فانه لتطهيرهم عن الذنوب ـ انتهى (٢) ليس فى ظ (٣) فى مد : افتقارا (٤) قال أبو حيان : الإخبار عمن بحضرة رسول الله صلى الله عليه و سلم من اليهود ، و سياق الآية يدل على أن المراد آباؤهم ، لأنهم هم الذين قتلوا الأنبياء ، و حسن ذلك أن الراضى بالشىء كفاعله ، و أنهم جنس واحد و أنهم متبعون لهم و معتقدون ذلك و أنهم يتولونهم فهم منهم (٥ ـ ٥) ليست فى ظ .

الأمر كله مطلقا، و على جهة العموم[1] من الكتب و الصحف[2] . / و لما / ١٠١
رفع مقدارهم بالدعاء إلى الإيمان بما أسند إلى هذا الاسم الأعظم ﴿ قالوا ﴾
تسفيلا لأنفسهم ﴿ نؤمن بما أنزل علينا[3] ﴾ فأسقطوا اسم من يتشرف
بذكره و يتبرك باسمه [1]و خصوا بعض ما أنزله[1] . ثم عجب من دعواهم
هذه بقوله[4] ﴿ و يكفرون ﴾ أى قالوا ذلك و الحال أنهم يكفرون ﴿ بما ٥
وراءه ﴾ [5]أى وراء ما أنزل عليهم مما أنزل الله على رسله ، و هو يشمل
ما قبل التوراة و ما بعدها ، لأن وراء يراد بها تارة خلف و تارة قدام ،
فاذا قلت : زيد ورائى ، صح أن يراد فى المكان الذى[6] أواريه أنا بالنسبة
إلى من[6] خلفى فيكون أمامى ، و أن يراد فى المكان الذى هو متوار عنى
فيكون خلفى . و قال الحرالى : وراء ما لا يناله الحس و لا العلم حيث ١٠
ما كان من المكان ، فربما اجتمع أن يكون الشىء وراء من حيث أنه

(١-١) ليست فى ظ (٢) الجمهور أنه القرآن ، و قال الزمخشرى : مطلق فيما أنزل الله من كل كتاب (٣) يريدون التوراة وما جاءهم من الرسالات على لسان موسى و من بعده من أنبيائهم ، و حذف الفاعل هنا للعلم به لأنه لا ينزل الكتب الإلهية إلا الله ؛ و ذموا على هذه المقالة لأنهم أمروا بالإيمان بكل كتاب أنزله الله ، فأجابوا بأن آمنوا بمقيد ، و المأمور به عام فلم يطابق إيمانهم الأمر - قاله أبو حيان فى البحر المحيط ١ / ٣٠٧ (٤) فى مد : بقولهم (٥) و فى السراج المنير ١ / ٧٣ ﴿ بما وراءه ﴾ أى بما سواه من الكتب كقوله تعالى ﴿ فمن ابتغى وراء ذلك ﴾ أى سواه ، قال أبو عبيدة : بما بعده أى من القرآن ، و قوله تعالى ﴿ وهو ﴾ أى ما وراءه - انتهى (٦) العبارة من هنا إلى « هو متوار عنى » ليست فى م .

لا يعلم و يكون أماما فى المكان - انتهى . ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أن ذلك الذى وراءه هو ﴿ الحق ﴾ الواصل إلى أقصى غاياته بما دلت عليه "ال"[1] قال الحرالى : فانهاه لغاية الحق بكلمة "ال" لأن ما ثبت و لا زوال له لانتهائه هو "الحق" و ما ثبت وقتا ما ثم يتعقبه[2] تكملة[3] أو يقبل[4] زيادة فانما هو "حق" منكر اللفظ ، فان بين المعرف بكلمة "ال" و بين المنكر أشد التفاوت فى المعنى - انتهى . ﴿ مصدقا لما[5] معهم ﴾ فصح أنهم كافرون بما عندهم ، لأن المكذب بالمصدق لشيء مكذب بذلك الشيء .

(١) فى مد : الى - كذا (٢) فى ظ : تتعقبه ، و فى مد : تعقبه ، و فى م : تقعقبه - كذا (٣) فى مد : بكلمة (٤) فى مد : تقبل (٥) فى السراج المنير ١/٧٣ : أى من التوراة ، حال ثانية مؤكدة تتضمن رد مقالهم ، فانهم كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها ، ثم اعترض الله تعالى عليهم بقتل الأنبياء مع ادعاء الإيمان بالتوراة بقوله تعالى ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ فلم تقتلون ﴾ . و فى تبصير الرحمن للهائمى ١ / ٥٣ ﴿ لما معهم ﴾ من الكتاب الذى يؤمنون به ﴿ قل ﴾ إن صح إيمانكم بالتوراة وقد تضمنت ميثاق الإيمان بكل نبى فما لكم لا تؤمنون بالأنبياء ، و إن منعكم المتمسك بالتوراة من الإيمان بنبى لنسخه بعض أحكامه ﴿ فلم تقتلون ﴾ الآية . و فى البحر المحيط ١/٣٠٧ ﴿ مصدقا ﴾ حال مؤكدة ، إذ تصديق القرآن لازم لا ينتقل ﴿ لما معهم ﴾ هو التوراة ، أو التوراة و الإنجيل لأنهما أنزلا على بنى إسرائيل و كلاهما غير مخالف للقرآن ، و فيه رد عليهم لأن من لم يصدق ما وافق التوراة لم يصدق بها ، و إذا دل الدليل على كون ذلك منزلا من عند الله وجب الإيمان به ، فالإيمان ببعض دون بعض متناقض - انتهى .

ثم كشف سترا[1] مقالتهم[2] هذه[3] بأبين[4] نقض فقال ﴿ قل فلم ﴾ أى تسبب عن دعواكم هذه أن يقال لكم: لم ﴿تقتلون انبياء الله﴾ الملك الأعظم مع أن كتابكم محرم لمطلق القتل فكيف بقتل الأنبياء ! ثم بين أن كفرهم بهذا القتل إنما هو بطريق الرضى بقتل أسلافهم[5] بقوله مثبتا الجار لأن ذلك كان منهم فى بعض[6] الأزمان الماضية ﴿من قبل﴾ ٥ و فى صيغة المضارع[7] تصوير لشناعة هذا القتل بتلك الحال الفظيعة[8] و رمز إلى أنهم لو قدروا الآن فعلوا فعلهم ، لأن التقدير : و تُصرّون على قتلهم من بعد ؛ و فيه إيماء إلى حرصهم على قتل النبى صلى الله عليه و سلم تحذيرا منهم ، و لقد صدق هذا الإيماء الواقع ، فقد عزم بنو النضير على أن يلقوا عليه صخرة ، و سمّه أهل خيبر . ثم أورد مضمون دعواهم ١٠ بأداة الشك فقال ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ إشعارا[9] بأن مثل ذلك

(١) فى ظ : سترة (٢) فى مد : مقالهم (٣) ليس فى م (٤) فى م : بما بين (٥) فى مد : اسدوفهم - كذا (٦) ليس فى ظ (٧) و فى البحر المحيط ١ / ٣٠٧ (قال ابن عطية) و فائدة سوق المستقبل فى معنى الماضى الإعلام بأن الأمر مستمر ، ألا ترى أن حاضرى محمد صلى الله عليه و سلم لما كانوا راضين بفعل أسلافهم بقى لهم من قتل الأنبياء جزء ، و فى إضافة أنبياء إلى الله تشريف عظيم لهم و انه كان ينبغى لمن جاء من عند الله أن يعظم أجل تعظيم و أن ينصر لا أن يقتل - انتهى (٨) فى م : القطيعة (٩) فى م : اشعار .

لا يصدر من متلبس بالإيمان[1] .

و لما دل على كذبهم فى دعوى الإيمان بما فعلوا بعد موسى بما استحقوا به الخلود فى النار أقام دليلا آخر أقوى من كل ما تقدمه ، فانه لم يعهد إليهم فى التوراة ما عهد إليهم فى التوحيد و البعد عن الإشراك

٥ ٢ و هو[2] فى النسخ الموجودة بين أظهرهم الآن ، و قد نقضوا جميع ذلك باتخاذ العجل فى أيام موسى و بحضرة هارون عليهما السلام كما هو منصوص الآن فيما بين أيديهم منها فقال تعالى ﴿ و لقد جاءكم موسى بالبيّنت ﴾ [2]من الآيات[2] .

و لما كان كفرهم مع ذلك فى غاية الاستبعاد عبر عنه بأداته [3]مصورا

١٠ لزيادة قبحه بترتبه على أظهر البيان و موبخا لهم[3] فقال ﴿ ثم اتخذتم ﴾ [4] أى مع العلاج لفطركم الأولى و عقولكم السليمة[5] ﴿ العجل ﴾ [6]و نبه[7] بالجار

(١) قال على المهائمى (١/٥٠) : أى إن صح دعواكم فعلم أنكم لا تؤمنون بها أيضا ، ثم أشار إلى أن كفرهم لم يتأخر إلى عصر الأنبياء الذين قتلوهم بل كفروا فى عصر موسى بما هو أشد منه ـ انتهى . و قال أبو حيان : قيل « ان » نافية أى ما كنتم مؤمنين ، لأن من قتل أنبياء الله لا يكون مؤمنا ، فأخبر تعالى أن الإيمان لا يجامع قتل الأنبياء أى ما اتصف بالإيمان من هذه صفته ، قيل و الأظهر أن « ان » شرطية و الجواب محذوف ، التقدير : فلم فعلتم ذلك . و قال ابن عطية و﴿ ان كنتم ﴾ شرط و الجواب متقدم (٢ ـ ٢) ليس فى مد (٣ ـ ٣) ليست فى ظ (٤) العبارة من هنا إلى « السليمة » ليست فى ظ (٥) ليس فى م (٦) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ . وفى تبصير الرحمن ﴿ العجل ﴾ إلهها معبودا ﴿ من بعده ﴾ =

على أن الاتخاذ فى بعض زمن البعد فقال ﴿من بعده﴾ أى بعد مفارقة موسى لكم إلى الطور كما فى الآية الأخرى "فتنا قومك من بعدك" ﴿وأنتم﴾ أى والحال أنكم ﴿ظالمون﴾ أى[1] لم تزعموا أنه إلهكم على جهل منكم بل[2] بعد مجىء البينات إليكم أن إلهكم إنما هو الله الذى أنقذكم من العبودية وأراكم من[3] العجائب الخوارق ما لا يقبل شكا وسمعتم كلامه فعلمتم أنه ليس بجسم ولا يشبه الجسم، فلم تفعلوا ذلك إلا لأن الظلم - [4]وهو[5] المشى على غير نظام خبط عشواء - [6]وصف[6] لكم[3] لازم[7].

= أى من بعد تقررها عندكم ﴿و﴾ لا يبعد منكم إذ ﴿أنتم ظالمون﴾ أى عادتكم الظلم كقولكم "سمعنا وعصينا" حين رفع عليكم الطور - انتهى (٧) فى مد: قيد.
(١) ليس فى ظ (٢) فى م: اى (٣) ليس فى مد (٤) العبارة من هنا إلى «عشواء» ليست فى ظ (٥) فى مد: هى (٦-٦) ليس فى م (٧) فى البحر المحيط ١/٣٠٨: وإنما كررت هنا لدعواهم أنهم يؤمنون بما أنزل عليهم وهم كاذبون فى ذلك، ألا ترى أن اتخاذ العجل ليس فى التوراة بل فيها أن يفرد الله بالعبادة، ولأن عبادة غير الله أكبر المعاصى فكرر عبادة العجل تنبيها على عظيم جرمهم، ولأن ذكر ذلك قبل أعقبه تعداد النعم بقوله "ثم عفونا عنكم" و "فلو لا فضل الله عليكم ورحمته" وهنا أعقبه التقريع والتوبيخ، ولأن فى قصة الطور ذكر توليهم عما أمروا به من قبول التوراة وعدم رضاهم بأحكامها اختيارا حتى ألجئوا إلى القبول اضطرارا، فدعواهم الإيمان بما أنزل إليهم غير مقبولة، ثم فى قصة الطور تذييل لم يتقدم ذكره والعرب متى أرادت التنبيه على تقبيح شىء أو تعظيمه كررته، وفى هذا التكرير أيضا من الفائدة تذكارهم بتعداد نعم الله عليهم ونقمه منهم ليزدجر الأخلاف بما حل بالأسلاف - انتهى.

ثم ذكر أمرا آخر هو أبين فى عنادهم و أنهم إنما هم مع الهوى فقال مقبلا على خطابهم لأنه أشد فى التقريع ﴿ و اذ اخذنا ﴾ [١] و أظهره فى مظهر العظمة تصويرا [٢] لمزيد جرأتهم [٣] ﴿ ميثاقكم ﴾ على الإيمان و الطاعة ﴿ و رفعنا فوقكم الطور ﴾ الجبل العظيم الذى جعلناه زاجرا لكم عن الرضى بالإقامة فى حضيض الجهل و رافعا إلى أوج العلم و قلنا لكم و هو فوقكم ﴿ خذوا ما اتيناكم ﴾ من الأصول و الفروع فى هذا الكتاب العظيم ﴿ بقوة ﴾ .

[٤] و لما كانت فائدة السماع القبول و من سمع فلم يقبل كان كمن لم يسمع قال [٤] ﴿ و اسمعوا ﴾ [٥] و إلا دفناكم به ، [٦] و ذلك [٦] حيث يكفى غيركم فى التأديب رفع [٧] الدرة [٨] و السوط عليه فينبعث للتعلم [٩] الذى أكثر النفوس الفاضلة تتحمل فيه المشاق الشديدة لما له [١٠] من الشرف و لما به من الفخار ؛

---

(١) العبارة من هنا إلى « جرأتهم » ليست فى ظ (٢) فى م : تصوير (٣) فى م اختصاصهم (٤-٤) ليست فى ظ (٥) قال أبو حيان فى البحر المحيط ١/٣٠٨ : ﴿ و اسمعوا ﴾ أى اقبلوا ما سمعتم كقوله : سمع الله لمن حمده ، أو اسمعوا متدبرين لما سمعتم ، أو اسمعوا أطيعوا لأن فائدة السماع الطاعة - قاله المفضل ، و المعنى فى هذه الأقوال الثلاثة قريب . قال الماتريدى : معنى « اسمعوا » افهموا ، و قيل : اعملوا ، و وجهه أن السمع يسمع به ثم يتخيل ثم يعقل ثم يعمل به إن كان مما يقتضى عملا ؛ و لما كان السماع مبتدأ و العمل غاية و ما بينهما وسائط صح أن يراد بعض الوسائط و صح أن يراد به الغاية - انتهى (٦-٦) ليس فى م . (٧) فى م : وقع (٨) فى ظ : الديرة - كذا (٩) فى م : المتعلم (١٠) فى ظ : لها .

و لما ضلوا بعد هذه الآية الكبرى وشيكا مع كونها مقتضية للثبات على الإيمان بعد أخذ الميثاق الذي لا ينقضه ذو مروءة فكان ضلالهم بعده [1]منبئا عن[1] أن العناد لهم طبع لازم فكانوا كأنهم عند إعطاء العهد عاصون قال [2]مترجما عن أغلب أحوال أكثرهم فى مجموع أزمانهم و هو ما عبر عنه فى الآية السالفة بقوله "ثم توليتم" [2] مؤذنا بالغضب عليهم بالإعراض عن خطابهم بعد إفحامهم[3] بالمواجهة فى تقريعهم [4]حيث ناقضوا ما قال لهم من السماع النافع لهم فأخبروا أنهم جعلوه ضارا ﴿ قالوا سمعنا[5] ﴾ [6]أى بآذاننا[6] ﴿ و عصينا ﴾ [6]أى و عملنا بضد ما سمعنا[6]؛ و ساقه لغرابته[7] مساق جواب سائل كأنه قال: رفع الطور فوقهم أمر هائل جدا

(١ - ١) فى م: مبينا على، و فى ظ: منبياء عن - كذا (٢ - ٢) العبارة من هنا إلى « ثم توليتم » ليست فى ظ، و لفظ « ثم » فقط ليس فى مد (٣) فى م فقط: افخامهم - كذا بالخاء المعجمة (٤) العبارة من هنا إلى « ضارا » ليست فى ظ، و فى مد « فاخبر » مكان « فاخبروا » (٥) قال أبو حيان ﴿ واسمعوا ﴾ كل ما نقول لكم لئلا يفوتكم شيء من ذلك ﴿ قالوا سمعنا و عصينا ﴾ إنما قالوا: عصينا، فى تلك الحالة لأنهم "اشربوا". وفى السراج المنير ١/٧٤: سمعنا قولك وعصينا أمرك، وقيل: سمعنا بالآذان وعصينا بالقلوب، قال أهل المعانى: إنهم لم يقولوا هذا بألسنتهم و لكن لما سمعوا بالآذان و تلقوه بالعصيان نسب ذلك إلى القول اتساعا. وفى البحر المحيط ١/٣٠٨: ظاهره أن كلتا الجملتين مقولة ونطقوا بذلك مبالغة فى التعنت والعصيان، و يؤيده قول ابن عباس: كانوا إذا نظروا إلى الجبل قالوا: سمعنا وأطعنا، و إذا نظروا إلى الكتاب قالوا: سمعنا وعصينا (٦-٦) ليست فى ظ. (٧) فى مد: لغرابة.

مقتض للبادرة إلى إعطاء العهد ظاهرا و باطنا و الثبات عليه فما فعلوا؟
١٠٢ / فقيل: بادروا / إلى خلاف ذلك ﴿ و اشربوا ﴾ [١]فأعظم الأمر باسناد
الفعل إليهم ثم إلى قلوبهم، و هو [١] من الإشراب و هو مداخلة نافذة
سائغة كالشراب و هو الماء المداخل[٢] كلية الجسم للطافته و نفوذه - قاله
٥ الحرالى[٣] . [٤]و قال الكشاف: و[٥] خلط لون بلون ﴿ فى قلوبهم العجل ﴾
أى حبه، [٦]و حذفه للايذان بشدة التمكن بحيث صار المضاف هو المضاف
إليه[٦] ﴿ بكفرهم ﴾ و فيه إشارة إلى أن من أعرض عن امتثال الأمر
استحق الإبعاد عن مقام الأنس .

قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى المفتاح الباب الثامن فى وجوه بيان
١٠ الإقبال و الإعراض فى القرآن: اعلم أن كل مربوب يخاطب[٧] بحسب ما[٧]

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) فى ظ : الداخل (٣) قال على المهائمى : أى تداخلهم حب العجل تداخل الشراب فى أعماق البدن فاستقر . و قال الخطيب الشربينى : قال البغوى فى القصص : إن موسى عليه السلام أمر أن يبرد العجل بالمبرد ثم يذر فى النهر و أمر بالشرب منه ، فمن بقى فى قلبه شىء من حب العجل ظهرت صحالة الذهب على شاربه . قال أبو حيان الأندلسى: و الإشراب مخالطة المائع الجامد ، و توسع فيه حتى صار فى اللونين . قالوا: و أشربت البياض حمرة ، أى خلطتها بالحمرة ؛ و معناه أنه داخلهم حب عبادته كما داخل الصبغ الثوب . و قال ابن عرفة : أشرب قلبه حب كذا ، أى حل محل الشراب و مازجه - انتهى كلامه (٤) العبارة من هنا إلى « بلون » ليست فى ظ (٥) ليس فى م (٦ - ٦) ليست فى ظ . (٧ - ٧) فى ظ : بما .

فى

فى وسعه لقنه[1] و ينفى عنه ما ليس فى وسعه لقنه[1] ، فلكل سن من أسنان القلوب خطاب إقبال بحسب لقنه[1] ، و ربما كان له إباء عن بعض ذلك فيقع عنه الإعراض بحسب بادى ذلك الإباء، و ربما تلافته النعمة فعاد الإقبال إليه بوجه ما دون صفاء الإقبال[2] الأول، و ربما تناسقت الإقبالات مترتبة فيعلو البيان و الإفهام[3] بحسب رتبة من توجه إليه الإقبال، و يشتد الإدبار بحسب بادى الإدبار ، و ربما تراجع لفف البيان فيها بعضها على بعض ، فخطاب الإقبال على النبى صلى الله عليه و سلم أعظم إفهام فى القرآن "الم تر الى ربك كيف مد الظل - الآية[4]" "و هو الذى جعل لكم اليل لباسا - الآية[5]" تفاوت الخطابين بحسب تفاوت المخاطبين ، "او لم ير الذين كفروا ان السمٰوٰت و الارض كانتا رتقا ففتقنٰهما[6]" أعرض عنهما الخطاب و نفى عنهم ما ليس فى حالهم رؤيته . "خذوا ما اٰتينٰكم بقوة و اسمعوا قالوا سمعنا و عصينا و اشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم" خاطبهم و أمرهم ، فلما عصوا أعرض وجه الخطاب عنهم ثم تلافاهم بخطاب لسان نبى الرحمة لهم، و استمر إعراضه هو تعالى عنهم[7] فى[8] تمادى الخطاب "يٰايها النبى اذا طلقتم النساء[9]" تنزل الخطاب فى الرتبتين ليبين[10] للأعلى[11] ما يبينه للأدنى "ذلك[12] خير لكم[13] و اطهر[13]" ؛

(١) فى م : لقته (٢) زيد بعده فى الأصل «و» (٣) فى ظ : الفهم (٤) سورة ٢٥ آية ٤٥ (٥) سورة ٢٥ آية ٤٧ (٦) سورة ٢١ آية ٣٠ (٧) ليس فى ظ (٨) فى مد: و (٩) سورة ٦٥ آية ١ (١٠) فى م ومد: تبين ، و فى ظ : ليتبين (١١) من ظ ، وفى بقية الأصول : الأعلى (١٢) فى مد: ذلكم (١٣ - ١٣) ليس فى مد - راجع سورة القرآن ٥٨ آية ١٢ .

و هذا الباب عظيم النفع فى الفهم لمن استوضح بيانه و التفاف[1] موارده فى القرآن - انتهى .

و الدليل الوجودى[2] على إشرابهم حب العجل مسارعتهم إلى عبادة ما يشبهه فى عدم الضر النفع و الصورة ، ففى السفر الرابع من التوراة فى قصة بالاق ملك الأمورانيين الذى استنجد بلعام بن بعور ما نصه : و سكن بنو إسرائيل ساطيم و بدأ الشعب[3] أن يسفح ببنات مواب[4] و دعين[5] الشعب إلى ذبائح آلهتهم و أكل الشعب من ذبائحهم و سجدوا[6] لآلهتهم و كمل بنو إسرائيل العبادة[7] بعليون[8] الصنم و اشتد غضب الله على بنى إسرائيل - انتهى .

و لما بين سبحانه عظيم كفرهم و عنادهم مع وقاحتهم بادعاء[9] الإيمان و الاختصاص بالجنان أمر نبيه صلى الله عليه و سلم أن يقول لهم على وجه التهكم[10] بهم[11] [12]مؤكدا لذمهم[13] بالتعبير بما وضع لمجامع الذم[14] فقال[15]

(١) فى ظ : النقاق - كذا (٢) فى مد : الموجود (٣) وقع فى ظ : العشب - مصحفا . (٤) فى مد : موات . و فى الأصل : مؤاب - كذا (٥) - كذا فى الأصول كلها ، والظاهر : دعون (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : سجد ، و ليس فى مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لعبادة (٨) فى ظ : بعيلون (٩) فى م : بادعائهم . (١٠) فى الأصل : الهتكم ، و التصحيح من بقية الأصول (١١) ليس فى مد . (١٢) العبارة من هنا إلى « الذم » ليست فى ظ (١٣) من م ، و فى الأصل و مد : لزمهم - كذا بالزاى (١٤) فى مد : المذام (١٥) ليس فى مد .

﴿ قل بئسما[1] ﴾ [2]أى بئس شيئا الشيء الذى[2] ﴿ يأمركم به ﴾ من الكفر ﴿ ايمانكم ﴾ هذا الذى ادعيتموه؛ و أوضح هذا التهكم[3] بقوله على سبيل الفرض [2] و التشكيك[2] ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ على ما زعمتم ، فحصل من هذا أنهم إما كاذبون فى دعواهم ، و إما أنهم أجهل الجهلة حيث عملوا ما لا يجامعه الإيمان و هم لا يعلمون . ٥

(١) و فى التفسير المظهرى ص ٩٧ : و المخصوص محذوف يعنى هذا الأمر أو ما تفعلون من القبائح الظاهرة القباحة المذكورة فى الآيات الثلاث ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ تقرير للقدح فى دعواهم ، و الجواب محذوف يدل عليه ما قبله تقديره : إن كنتم مؤمنين بالتوراة فبئسما يأمركم به إيمانكم بها هذا الأمر ، لأن المؤمن لا يتعاطى إلا ما يقتضيه إيمانه لكن الإيمان لا يأمر به فلستم بمؤمنين بها ، أو إن كنتم مؤمنين بالتوراة ما فعلتم تلك القبائح لكنكم فعلتم فلستم مؤمنين . قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/٣٠٩ : ﴿ قل ﴾ يا محمد أو قل يا من يجادلهم ﴿ بئسما يأمركم به ايمانكم ﴾ ، عنى بايمانهم الذى زعموا فى قولهم " نؤمن بما انزل " و قيل ثم محذوف تقديره : صاحب إيمانكم و هو إبليس ، و أضاف الإيمان إليهم لكونه إيمانا غير صحيح و لذلك لم يقل : الإيمان ، و أضاف الأمر إلى إيمانهم على طريق التهكم ، كما قال أصحاب شعيب " اصلوتك تأمرك ان نترك " ، ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ قيل : إن نافية ، و قيل : شرطية ، قال الزمخشرى : تشكيك فى إيمانهم و قدح فى صحة دعواهم - انتهى كلامه . و قال ابن عطية : و قد يأتى الشرط و الشارط يعلم أن الأمر على أحد الجهتين كما قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام " ان كنت قلته فقد علمته " و قد علم عيسى عليه السلام أنه لم يقله ، و كذلك " ان كنتم مؤمنين " و القائل يعلم أنهم غير مؤمنين ، لكنه أقام حجة لقياس بين - انتهى كلامه (٢ - ٢) ليست فى ظ (٣) فى الأصل : الهتكم ، و التصحيح من بقية الأصول .

و لما نهضت الأدلة على أنه[١] لا حظ لهم فى الآخرة غير النار و ذلك نقيض دعواهم أنها[١] لهم فقط فى قولهم "لن تمسنا النار الا اياما معدودة[٢]" و [٣]تفسيرهم ذلك بأنها سبعة أيام و أنا نخلفهم[٤] فيها ختم سبحانه ذلك بدليل قطعى بديهى فقال[٣] ﴿قل ان كانت[٥]﴾ [٦]و قدم الجار إشعارا بالاختصاص

٥ فقال[٧] ﴿لكم الدار الآخرة﴾ أى كما زعمتم، و ميزها[٨] بقوله ﴿عندالله﴾ [٩]الذى له الكمال كله[٩]، و بين المراد بقوله ﴿خالصة﴾ [٩]و لما ذكر الخلوص تأكيدا للمعنى زاده تأكيدا بقوله[٩] ﴿من دون الناس﴾ أى سائرهم لا يشرككم فيها أحد منهم من الخلوص و هو تصفية الشىء مما يمازجه فى خلقته مما هو دونه - قاله الحرالى. ﴿فتمنوا الموت﴾ لأن ذلك علم

١٠ على[٧] صلاح حال العبد مع ربه و عمارة ما بينه و بينه و رجائه للقائه. قال الحرالى: فعلى قدر[١٠] نفرة النفس من الموت يكون ضعف منال النفس من المعرفة التى بها تأنس بربها فتتمنى لقاءه و تحبه، و من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، و من كره لقاء الله كره الله لقاءه، يقع ذلك لعامة المؤمنين عند

---

(١) فى ظ: انهم (٢) سورة ٢ آية ٨٠ (٣) ليس فى ظ (٤) فى م: نخلقهم - كذا.
(٥) و فى البحر المحيط ١ / ١٠٣ ما نصه: نزلت فيما حكاه ابن الجوزى عند ما قالت اليهود: إن الله لم يخلق الجنة إلا لإسرائيل و بنيه. و قال أبو العالية و الربيع: سبب نزول هاتين الآيتين قولهم "لن يدخل الجنة الا من كان هودا" و "نحن ابنؤا الله" و "لن تمسنا النار - الآيات"؛ و الضمير فى "قل" إما للنبى و إما لمن ينبغى إقامة الحجة عليهم منه و من غيره (٦) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ (٧) ليس فى م (٨) فى م: بينها (٩ - ٩) ليست فى ظ.
(١٠) فى م: قدرة.

الكشف حال الغرغرة، و لخاصة[1] المؤمنين فى مهل الحياة لأنهم لو كشف لهم الغطاء لم يزدادوا يقينا، فما هو للمؤمن بعد الكشف من محبة لقاء الله فهو للموقن[2] فى حياته و يقظته، لكمال الكشف له مع وجود حجاب[3] الملك الظاهر[4]؛ و لذلك ما مات نبي حتى يخير[5] فيختار لقاء الله، لتكون وفادته على الله وفادة محب مبادر، و لتقاصر[6] المؤمن عن يقين النبي يتولى[7] الله الخيرة[8] فى لقائه، لأنه وليه، و منه [9]ما ورد: ما ترددت[9] فى شيء ترددى فى [10]قبض روح[10] عبدى المؤمن يكره الموت، و أنا أكره مساءته و لا بد له منه؛ فى ضمن ذلك اختيار الله للمؤمن لقاءه، لأنه وليه يختار له فيما لا يصل إليه إدراكه - انتهى[11].

(١) فى ظ: مخاصة - كذا (٢) فى مد: للمؤمن (٣) فى مد: محاب - كذا (٤) فى مد: الظاهرى (٥) فى م: يخبر، و فى مد: خير (٦) فى مد: لقاصر (٧) فى ظ: تولى (٨) فى مد: الخيرة (٩-٩) فى م: ما تردد ما وردت (١٠-١٠) من م و ظ و مد: و فى الأصل: روح قبض - كذا (١١) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/٣١١: و المقصود من ذلك التحدى و إظهار كذبهم، و ذلك أن من أيقن أنه من أهل الجنة اختار أن ينتقل إليها و أن يخلص من المقام فى دار الأكدار و أن يصل إلى دار القرار، كما روى عمن شهد له رسول الله صلى الله عليه و سلم بالجنة كعثمان و على و عمار و حذيفة أنهم كانوا يختارون الموت، و كذلك الصحابة كانت تختار الشهادة؛ و فى الحديث الصحيح أنه قال صلى الله عليه و سلم: ليتنى أحيا ثم أقتل ثم أحيا فأقتل! لما علم من فضل الشهادة، و قال لما بلغه قتل من قتل ببئر معونة: يا ليتنى غودرت معهم فى لحف الجبل! و روى عن حذيفة أنه كان يتمنى الموت، فلما احتضر قال: حبيب جاء على =

ثم سجل [١]سبحانه عليهم[١] بالكذب فقال ﴿ان كنتم صدقين ٥﴾

١٠٣/ أى [٢] معتقدين / للصدق[٢] فى دعواكم خلوصها[٣] لكم، و لما كان التقدير: فقال لهم فما تمنوه؟ عطف عليه قوله ـ[٤] إخبارا بالغيب[٥] قطعا[٦] للعناد مؤكدا لأن ادعاءهم الخلوص أعظم من ادعائهم الولاية كما فى سورة الجمعة؛

٥ ﴿و لن يتمنوه ابدا﴾، ثم ذكر السبب فى عدم التمنى فقال ﴿بما قدمت﴾ و هو[٧] من التقدمة[٨] و هى[٩] وضع الشىء قداما و هو جهة[١٠] القدم الذى هو الأمم[١١] و التجاه أى قبالة الوجه ـ قاله الحرالى[١٢]؛ [١٣]و عبر باليد التى بها أكثر الأفعال إشارة إلى أن أفعالهم لقباحتها كأنها خالية عن القصد فقال[١٣]:

= فاتة! و عن عمار لما كان صفين قال:

غدا نلقى الأحبه محمدا و صحبه

و عن على أنه كان يطوف بين الصفين بغلالة فقال له ابنه الحسن: ما هذا بزى المحاربين، فقال: يا بنى! لا يبالى أبوك أعلى الموت سقط أم عليه سقط الموت؛ و كان عبد الله بن رواحة ينشد وهو يقاتل الروم:

يا حبذا الجنة و اقترابها طيبة و بارد شرابها

و الروم روم قد دنا عذابها

(١-١) فى مد: عليهم سبحانه (٢-٢) ليست فى ظ: و فى الأصل: معقدين ـ كذا، و التصحيح من م و مد (٣) كتب فوقه فى الأصل: أى الدار الآخرة (٤-٤) العبارة من هنا إلى «للعناد» ليست فى ظ و مد (٥) فى م: للغيب و (٦) ليس فى مد (٧) فى ظ: هى (٨) فى ظ: القدمة ـ كذا (٩) فى م: هو (١٠) فى مد: وجهة (١١) من م و ظ و مد، و وقع فى الأصل: الأهم ـ مصحفا (١٢) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/٣١١: هذا من المعجزات، لأنه إخبار بالغيب، و نظيره =

﴿ ايديهم ﴾ أى من الظلم و إلى ذلك أشار قوله [١] عاطفا على ما تقديره: فالله عليم بذلك[١]؟ ﴿ و الله ﴾ [١] الذى لا كفوء له[١] ﴿ عليم بالظلمين ۝ ﴾ [١] أى كلهم[١] حيث أظهر تنبيها على الوصف الموجب للحكم و تعميما و تهديدا.

و لما بين أنهم لا يتمنونه أثبت لهم ما هو فوق ذلك من تمنى الضد الدال على علمهم بسوء منقلبهم فقال ﴿ و لتجدنهم ﴾ أى بما تعلم[٢] من أحوالهم[٣] مما منه الوجدان، و هو إحساس الباطن بما[٤] هو فيه و الإصابة أيضا لما له[٥] علقة الباطن، كأنه فيه ﴿ [٦]احرص ﴾ صيغة[٦] مبالغة من الحرص،

= من الإخبار بالغيب قوله " فان لم تفعلوا و لن تفعلوا " وظاهره أن من ادعى أن الجنة خالصة له دون الناس ممن اندرج تحت الخطاب فى قوله " قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة " لا يمكن أن يتمنى الموت أبدا، و لذلك كان حرف النفى هنا « لن » الذى قد ادعى فيه أنه يقتضى النفى على التأبيد فيكون قوله « ابدا » على زعم من ادعى ذلك التوكيد، و أما من ادعى انه بمعنى لا فيكون « ابدا » إذ ذاك مفيدا لاستغراق الزمان، ويعنى بالأبد هنا ما يستقبل من زمان أعمارهم. و فى المنتخب ما نصه: و إنما قال هنا " و لن يتمنوه " وفى الجمعة " ولا يتمنونه " لأن دعواهم هنا أعظم من دعواهم هناك، لأن السعادة القصوى فوق مرتبة الولاية، لأن الثانية تراد لحصول الأولى، و " لن " أبلغ من " لا " فجعلها لنفى الأعظم - انتهى كلامه. قال ابن عطية: و الصحيح أن هذه النازلة من موت من تمنى الموت إنما كانت أياما كثيرة عند نزول الآية و هى بمنزلة دعائه النصارى من أهل نجران إلى المباهلة - انتهى كلامه (١٣ - ١٣) ليست فى ظ (١-١) ليست فى مد و ظ (٢) فى مد: يعلم (٣) فى م: حالهم (٤) فى مد: مما (٥) فى م: هو. (٦-٦) ليس فى مد. و كلمة « احرص » ثبتت فيه بعد « الحرالى ».

و هو طلب الاستغراق فيما يختص فيه الحظ - قاله الحرالى[١] . ﴿ الناس على حيوة ﴾ على أى حالة كانت و هم قاطعون بأنه لا يخلو يوم منها عن كدر، فانهم يعلمون أنها و إن كانت فى غاية الكدر خير لهم مما بعد الموت ﴿ [٢]و من[٢] ﴾ أى و أحرص من ﴿ الذين اشركوا ﴾ الذين لا بعث عندهم[٣] على الحياة علما منهم[٤] بأنهم صائرون[٥] إلى العذاب الدائم بالسيئات المحيطة و الشرك . قال الحرالى : إسناد[٦] الأمر المختص بواحد إلى من ليس له[٧] معه أمر - انتهى .

ثم بين مقدار ما يتمنونه[٨] فقال ﴿ يود ﴾ من الود و هو صحة نزوع النفس للشىء المستحق نزوعها له - قاله الحرالى . ﴿ احدهم ﴾ أى أحد من تقدم من اليهود و المشركين بجميع أصنافهم ، أو من اليهود خاصة ، أو من المشركين [٩]فتكون ودادة[٩] اليهود من باب الأولى . قال الحرالى : و هو نحو من خطاب القرآن لا يصل إليه ابلاغ الخلق ﴿ لو يعمر ﴾ من التعمير و هو تمادى العمر كأنه تكرار ، و العمر أمد ما بين بدو[١٠] الشىء

(١) فى البحر المحيط : و الضمير المنصوب فى ﴿ لتجدنهم ﴾ عائد على اليهود الذين أخبر عنهم بأنهم لا يتمنون الموت ، أو على جميع اليهود ، أو على علماء بنى إسرائيل - أقوال ثلاثة ؛ و أتى بصيغة أفعل من الحرص مبالغة فى شدة طلبهم للبقاء و دوام الحياة (٢ - ٢) ليس فى مد (٣) زيد فى ظ : علما (٤) ليس فى مد (٥) فى ظ : صابرون - كذا (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : استناد (٧) ليس فى م (٨) فى ظ : يتمنون ، و فى مد : يتمونه - كذا (٩ - ٩) فى مد : فيكون ود (١٠) فى مد : بد .

و انقطاعه - قاله الحرالى . ﴿ الف سنة ﴾ خوفا من الموت أو[1] ما بعده ، و الألف كمال العدد بكمال ثالثة رتبة ؛ و السنة أمد تمام دورة الشمس و تمام ثنتى عشرة دورة القمر - قاله الحرالى[2] . و هذا المعنى و إن كان موجودا فى الحول و العام و الحجة غير أن مأخذ الاشتقاق ملاحظ فى الجملة ، فلبلاغة[3] القرآن لا يطلق واحد من هذه الألفاظ إلا فيما يناسب السياق من أصل اشتقاق هذه الألفاظ ، فهذا السياق لما[4] كان المراد به ذمهم بتهالكهم على بقائهم فى الدنيا على أى حالة كانت علما منهم بأنها و لو[5] كانت أسوأ الأحوال خير لهم مما بعد الموت لتحقق شقائهم عبر بما منه الإسنات[6] و هو القحط و سوء الزمان ، أو[7] ما منه الدوران الذى فيه[8] كد و تعب[9] إن كان أصلها من سنا يسنو إذا دار حول البئر . قال السهيلى فى الروض : و قد تسمى السنة دارا ففى الخبر : إن بين آدم و نوح ألف دار - أى سنة ، ثم قال : فتأمل هذا فان العلم بتنزيل الكلام و وضع الألفاظ فى مواضعها اللائقة بها يفتح بابا من العلم بإعجاز القرآن و الله المستعان . ﴿ و ما هو ﴾[10] أى تعميره[10] ﴿ بمزحزحه ﴾ و الزحزحة إبعاد الشيء المستثقل[11] المترامى لما يبعد عنه - قاله الحرالى . ﴿ من العذاب ﴾

(١) فى م : و (٢) و قال أبو حيان الأندلسى: الألف عشر من المئين، و قد يتجاوز فيه فيدل على الشيء الكثير ، و هو من الألفة إذ هو مألف أنواع الأعداد ، إذ العشرات مألف الآحاد ، و المئون مألف العشرات ، و الألف مألف المئين - انتهى كلامه (٣) فى مد: بلاغة (٤) فى م : كما (٥) فى مد: ان (٦) فى ظ: الاستناب - خطأ (٧) فى م : و (٨) فى مد : له (٩) زيد فى الأصل و م و ظ « و » و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (١٠ - ١٠) ليست فى ظ و مد (١١) فى م : المستنقل .

١ أى ٢ زحزحة مبتدأة٢ من٣ العذاب ، و عبر بمن دون عن إعلاما ٤ بأنهم لم يفارقوا العذاب دنيا و لا آخرة٥ و إن لم يحسوا به فى الدنيا ؛ ثم فسر الضمير بقوله ﴿ ان يعمر ﴾ إنما تزحزحه الطاعة المقرونة بالإيمان الصحيح الذى ليس فيه٦ تفرقة . و لما كان التقدير : لأنهم يعملون فى ٥ أعمارهم الأعمال السيئة المحيطة ، عطف عليه قوله ﴿ و الله ﴾ ٧ الذى له الأمر كله٧ ﴿ بصير بما يعملون ﴾٨ ٩ .

و لما ذكر عداوتهم لأخص البشر و اجترامهم عليه١٠ بالتكذيب

---

(١) العبارة من هنا إلى « اعلاما » ليست فى ظ و مد (٢ - ٢) فى م : زحزحه مبتديه (٣) زيد فى م : بذلك (٤) العبارة من هنا إلى «فى الدنيا » ليست فى ظ . (٥) فى م : اخرى (٦) ليس فى ظ (٧-٧) ليست فى ظ (٨) وهذه الجملة تتضمن التهديد و الوعيد ، و أتى هنا بصفة بصير و إن كان الله تعالى متنزها عن الجارحة إعلاما بأن علمه بجميع الأعمال علم إحاطة و إدراك للخفيات - قاله أبو حيان الأندلسى (٩) وقد تضمنت هذه الآيات الكريمة الامتنان على بنى إسرائيل وتذكارهم بنعم الله إذ آتى موسى التوراة المشتملة على الهدى و النور و والى بعده بالرسل لتجديد دين الله و شرائعه و آتى عيسى الأمور الخارقة من إحياء الأموات و إبراء الأكمه و الأبرص و إيجاد المخلوق و نفخ الروح فيه و الإنباء بالمغيبات وغير ذلك ، وأيده بمن ينزل الوحي على يديه و هو جبريل عليه السلام ، ثم مع هذه المعجزات و النعم كانوا أبعد الناس عن قبول ما يأتيهم من عند الله - البحر المحيط (١٠) فى مد : عليهم .

و القتل، و ختم ذلك بعداوتهم لأكمل الخلق و أخصهم[1] حسدا لنزول هذا الذكر عليه عبارة ثم إشارة[2] بما رمزه[3] إلى نصبهم لقتله و أنهى ذلك بأنه لا محيص لهم من العذاب، لأنه بصير بأعمالهم الموجبة له ذكر ما هو من دقيق أعمالهم من عراقتهم[4] فى الكفر بعداوتهم لخواص الملائكة الذين هم خير محض لا حامل أصلا على بغضهم إلا الكفر. و بدئ[5] بذكر المنزل للقرآن، لأن عداوتهم للمنزل عليه لأجل ما نزل عليه عداوة لمنزله. لأنه سبب ما كانت العداوة لأجله، فقال آمرا له صلى الله عليه و سلم إعلاما بما أبصره من خفى مكرهم الفاضى بضررهم[6]: ﴿قل﴾؛ [7]أو يقال - و هو أحسن و أبين و أمتن: و لما أمره صلى الله عليه و سلم بما دل على كذبهم فى ادعائهم خلوص الآخرة لهم و أخبر بأنه [8]لا بد من[8] عذابهم أمره[9] بدليل آخر على كلا الأمرين، فعلى تقدير كونه دليلا على الأول يكون[10] منسوقا على "قل" الأولى بغير عاطف إشعار بأن كلا من الدليلين كاف[11] فيما سيق له، و على تقدير كونه دليلا على الثانى [12]الذى خصه[12] يكون جوابا لمن كأنه قال: لم لا يزحزحهم التعمير عن العذاب[13]؟ "قل"

(١) فى ظ: احضهم - كذا (٢) فى م: اشار (٣) فى م: زمزه (٤) فى م: عزاقتهم.
(٥) و فى: مد بدا (٦) فى م: بصرهم - كذا (٧) فى م: و (٨-٨) فى م: لا يومن.
(٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: ابصره (١٠) فى الأصل: نكون (١١) فى م: كان (١٢ - ١٢) ليس فى م و ظ و مد (١٣) و فى البحر المحيط ١/٣١٧: ثم ختم الآيات بأن الله تعالى مطلع على قبائح أفعالهم و مجازيهم عليها. و تبين بمجموع هذه الآيات ما جبل عليه اليهود من فرط كذبهم و تناقض أفعالهم و أقوالهم و نقص عقولهم و كثرة بهتهم - أعاذنا الله من ذلك و سلك بنا أنهج المسالك.

أى لهؤلاء الذين ادعوا أن دار الملك خالصة[1] لهم[2] و هم يعادون خواص جنده[3] ﴿من﴾ [4]وهى اسم مبهم يشمل الذوات العاقلة آحادا و جموعا و استغراقا - قاله الحرالى[4] . ﴿كان عدوا لجبريل﴾ أى فانه لا يضر إلا نفسه ، لأنه لا يبلغ ضره بوجه من الوجوه و لعداوته بعداوته له لله

٥ [5]الذى خصه بقربه و اختياره لرسالته[5] ، فكفر حينئذ هذا المعادى له[6] بجميع كتب الله و رسله ؛ و جبريل قال الحرالى / [7]يقال هو[7] اسم عبودية ، ١٠٤ / لأن إيل اسم من أسماء الله عز و جل فى الملأ الأعلى و هو يد بسط لروح[8] الله فى القلوب بما يحييها الله به من روح أمره إرجاعا إليه فى هذه الدار قبل إرجاع روح الحياة بيد القبض من عزرائيل[9] عليه السلام -

١٠ انتهى .

ثم علل هذا الخبر المحذوف بما أرشد إليه فقال: ﴿فانه﴾ أى جبريل ﴿نزله﴾ أى القرآن [5]الذى كفروا به ، لحسدهم للذى أنزل عليه بعد ما كانوا يستفتحون به[5] . الآتى بما ينفعهم ، الداعى إلى ما يصلحهم

(١) فى ظ : خالص (٢) من مد و ظ ، وفى الأصل : له (٣) زيد فى الأصل : ما تكلمت به من قولى العظيم ، ولم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها . (٤ - ٤) ليست فى م و مد (٥ - ٥) ليست فى ظ (٦) زيد فى ظ : أى حين معاداته له ، لأن من عادى رسولا أو صادقا فقد عاداهم كلهم كما تقرر ، يدل على ذلك ما سيأتى من قوله « ... قوم نوح المرسلين » ، « عاد المرسلين » إلى غير ذلك بل عليهم (٧ - ٧) فى م : هم (٨) زيد فى م : الروح - كذا (٩) فى ظ : عزائيل .

فيرفعهم . ١و لما كان المراد تحقيق أنه كلام الله ٢و أنه٣ أمر بابلاغه جمع بين "قل" و بين ﴿ على٣ قلبك ﴾ أى٤ و هو أكمل القلوب ، ٥دون أن يقال: على قلبى - المطابق لقل ؛ و أداة الاستعلاء٦ دالة على أن المنزل تمكن فى القلب فصارت مجامعه مغمورة٧ به ، فكان مظهرا له ﴿ باذن الله ﴾ الملك الأعظم الذى له الأمر كله . فليس لأحد إنكار ما أذن فيه ، و النازل به ٨لم يتعد شيئا مما أمر به٨ ؛ و الإذن رفع المنع و٩ إيتاء المكنة كونا و خلقا ما لم يمنعه حكم تصريف - قاله الحرالى . ﴿ مصدقا لما١٠ بين يديه ﴾ من كتب الله التى١١ أعظمها كتابهم ، فكانوا أحق الناس بالإيمان به و كان جبريل عليه السلام أحق الملائكة بمحبتهم له

(١) العبارة من هنا إلى « و بين » ليست فى ظ (٢ - ٢) ليس فى م (٣) ليست فى مد (٤) ليس فى ظ (٥) العبارة من هنا إلى « مظهرا له » ليست فى ظ .
(٦) أتى بلفظ " على " لأن القرآن مستعل على القلب ، إذ القلب سامع له و مطيع يمتثل ما أمر به و يجتنب ما نهى عنه ، وكانت أبلغ من إلى ، لأن إلى تدل على الانتهاء فقط و على تدل على الاستعلاء ، وما استعلى على الشيء يضمن الانتهاء إليه ؛ و خص القلب و لم يأت : عليك ، لأن القلب هو محل العقل و العلم و تلقى الواردات ، أو لأنه صحيفته التى يرقم فيها و خزانته التى يحفظ فيها ، أو لأنه سلطان الجسد - قاله أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/ ٣٢٠ (٧) فى م و مد : معمورة .
(٨ - ٨) قدمها فى ظ على « الملك الأعظم » ، وفى الأصل : لم يتعدا - كذا ، و التصحيح من م و ظ و مد (٩) فى مد : او (١٠) زيد فى م : أى ما تكلمت به من قولى العظيم (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الذى - كذا .

لانزاله ، وكان كفرهم به كفرا بما عندهم ، ا فلا وجه لعداوتهم له ا ؛ و البين حد فاصل فى حس أو معنى - قاله الحرالى . ﴿ و هدى ﴾ إلى كل خير ، ا لأنه بيان ما وقع التكليف به من أفعال القلوب و الجوارح ا ﴿ و بشرى ﴾ ا أى ببيان الثواب ا ﴿ للمؤمنين ﴾ ٢ أى الذين لهم الإيمان

٥ وصف لازم ، فلا يفرقون ٣ بين كتب الله و لا بين رسله ، بل حيثما قادهم الحق انقادوا ؛ فلا يدخل فى ذلك الذين آمنوا بألسنتهم " فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ٤ " و لا من علم الله منه ذلك و لو كان قبل مبعثه صلى الله عليه و سلم - الله أعلم بما كانوا عاملين ؛ فلو أنهم مؤمنون لما عادوا من نزل به بشرى لهم و لكنهم كفرة فهم فى العذاب ، و الآخرة ليست

١٠ لهم ا بل عليهم ا .

و لما كانت عداوة واحد من الحزب لكونه من ذلك الحزب عداوة لجميع ذلك الحزب تلاه بقوله ﴿ من كان عدوا لله ﴾ ٥ ا ذى الجلال و الإكرام ا لعداوته واحدا من أوليائه لكونه من أوليائه ﴿ و ملئكته ﴾

(١-١) ليست فى ظ (٢) خص الهدى و البشرى للمؤمنين لأن غير المؤمنين لا يكون لهم هدى به ولا بشرى كما قال " وهو عليهم عمى " ولأن المؤمنين هم المبشرون " فبشر عبادى " ، " يبشرهم ربهم برحمة منه " و دلت هذه الآية على تعظيم جبرئيل والتنويه بقدره حيث جعل الواسطة بينه تعالى و بين أشرف خلقه و المنزل بالكتاب الجامع للأوصاف المذكورة ، و دلت على ذم اليهود حيث أبغضوا من كان بهذه المنزلة الرفيعة عند الله تعالى - قاله أبو حيان الأندلسى .

(٣) فى مد : فلا يفرقوا (٤) سورة ٢ آية ٨٩ (٥) زيد فى مد : اى .

[1] النازلين بأمره [1] ﴿و رسله﴾ من البشر و غيرهم [1] ، [1] و خص من بينهم بالذكر من حباه بالفضل فقال[1] : ﴿و جبريل[2] و ميكٰل﴾ ، فانه قد كفر فأهلك نفسه بكفره ، و على ذلك دل قوله ﴿فان الله﴾ [1] الملك الأعلى [1] ﴿عدو للكٰفرين ٥﴾ [1] حيث أظهر و لم يضمر [1] ، و عبر بالوصف اللازم صرفا للخطاب عمن يتعظ منهم فيرجع فلا تلحقه المعاداة لذلك ؛ و ميكال ٥ يقال هو اسم عبودية أيضا و هو يد بسط للأرزاق[3] المقيمة للأجسام . كما أن إسرافيل يد بسط للأرواح التى بها الحياة - قاله الحرالى .

و لما فرغ من ترغيبهم فى القرآن بأنه من عند الله و أنه مصدق لكتابهم و فى جبريل بأنه الآتى به باذن الله و من ترهيبهم من عداوته اتبعه مدح هذا القرآن و أنه واضح الأمر لمريد[4] الحق و أن كفر به ١٠ منهم أو من غيرهم فاسق أى خارج عما يعرف من الحق فانه بحيث لا يخفى على أحد[5] فقال تعالى - عطفا على قوله : "فانه نزله على قلبك باذن الله" ، أو[6] قوله : "و لقد جاءكم موسى بالبينٰت" ، أو على ما تقديره : فلقد بان بهذا الذى نزله جبريل عليه السلام أن الآخرة ليست خالصة لهم [7]و أنهم[7]

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) جبريل اسم ملك علم له . . . و أبعد من ذهب إلى أنه مشتق من جبروت الله ، و من ذهب إلى أنه مركب تركيب الإضافة و معنى جبر عبد و إيل اسم من أسماء الله ، لأن الأعجمي لا يدخله الاشتقاق العربى ، و لأنه لو كان مركبا تركيب الإضافة لكان مصروفا - قاله أبو حيان الأندلسى ؛ و فيه مزيد تحقيق فليراجع ثمه (٣) فى مد : الارزاق (٤) فى مد فقط : لمزيد - كذا (٥) ليس فى م (٦) فى ظ : و (٧-٧) ليس فى ظ .

ممن أحاطت به خطيئته لكفره ـ : ﴿ و لقد انزلنا ﴾[١] بعظمتنا فى ذلك و غيره ﴿ اليك ﴾ و أنت أعظم الخلق ﴿ ايٰت بينٰت ﴾ فى الدلالة على صدقك و صحة أمرك ، [٢] و البينة الدلالة الفاصلة بين القصة[٣] الصادقة و الكاذبة ، ففسقوا بكفرهم بها ﴿ و ما يكفر بها ﴾ منهم و من غيرهم ﴿ الا الفٰسقون ﴾ الذين الفسق [٤] لهم صفة [٤] لازمة ، [٥] و عن الحسن أن الفسق إذا استعمل فى نوع من المعاصى وقع على أعظمه من كفر و غيره[٦] ،

(١) سبب نزولها فيما ذكر الطبرانى أن ابن صوريا قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ما جئت بآية بينة فنزلت ، و قال الزمخشرى : قال : ما جئتنا بشىء نعرفه وما أنزل عليك من آية فنتبعك لها ، فنزلت ـ انتهى . و مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة لأنه لما ذكر تعالى جملا من قبائح اليهود و ذمهم على ذلك و كان فيما ذكر من ذلك معاداتهم لجبريل فناسب ذلك إنكارهم لما نزل به جبريل فأخبر الله تعالى بأن الرسول عليه السلام أنزل عليه آيات بينات و أنه لا يجحد نزولها إلا كل فاسق و ذلك لوضوحها ـ قاله أبو حيان فى البحر المحيط ١/ ٣٧٣ (٢) العبارة من هنا إلى « و الكاذبة » ليست فى ظ (٣) فى م : القضية (٤-٤) فى م و مد : صفة لهم .
(٥) العبارة من هنا إلى « وغيره » ليست فى ظ (٦) قال أبو حيان الأندلسى ما نصه : و ناسب قوله ﴿ بينٰت ﴾ لفظ الكفر و هو التغطية ، لأن البين لا يقع فيه إلباس ، فعدم الإيمان به ليس لشبهة لأنه بين ، و إنما هو تغطية و ستر لما هو واضح بين ، و ستر الواضح لا يقع إلا من متمرد فى فسقه . . . . و كنى بالفسق هنا عن الكفر لأن الفسق خروج الإنسان عما حد له و قد تقدم قول الحسن أنه يدل على أعظم ما يطلق عليه فكأنه قيل : و ما يكفر بها إلا المبالغ فى كفره المنتهى فيه إلى أقصى غاية ـ انتهى كلامه .

و فى

و فى ذلك رجوع إلى وصف الكتاب الذى هو مقصود السورة .

و لما أنكر عليهم أولا ردهم للرسل لأمرهم[1] بمخالفة الهوى فى قوله "[1] فكلما جاءكم رسول" و اتبعه بما يلائمه إلى أن ختم بأن آيات هذا الرسول من الأمر البين الذى يشهد[2] به كتابهم و قد أخذ عليهم العهد باتباعه كما أرشد إليه قوله تعالى "فاما ياتينكم منى هدى - الآية" أنكر ٥ عليهم ثانيا كفرهم بما أتى به الرسل بقوله ﴿٣١ و كلما عهدوا عهدا نبذه﴾ أى طرحه محتقرا له ﴿فريق منهم﴾ أى ناس[4] شأنهم السعى فى الفرقة . و لما كان هذا مترددا بين التقليل و التكثير لتردد[5] التنوين بين التعظيم و التحقير رد احتمال التقليل[6] بقوله ﴿بل﴾ أى و ليس الفريق الكافر بالنبذ أقلهم بل ﴿اكثرهم لا يؤمنون ٥﴾ حالا و لا مآلا . ١٠

ثم اتبع هذا الإنكار ذكر الكتاب و الرسول كما فعل فى الإنكار الأول غير أنه صرح هنا بما طواه هناك فقال ﴿و لما جاءهم رسول﴾ أى[1] عظيم محيطة[8] دعوته بما أشعر به الاسم[8] الأعظم فى قوله ﴿من عند الله﴾ أى الملك الذى له[7] جميع الملك و الأمر ﴿مصدق لما معهم﴾ لكونه

(١) فى مد: امرهم (٢) فى م و مد: شهد (٣) و المراد بهذا الاستفهام الإنكار و إعظام ما يقدمون عليه من تكرر عهودهم و نقضها ، فصار ذلك عادة لهم و سجية فينبغى أن لا يكترث بأمرهم و أن لا يصعب ذلك ، فهى تسلية للرسول صلى الله عليه و سلم إذ كفروا بما أنزل عليه ، لأن ما كان ديدنا للشخص و خلقا لا ينبغى أن يحتفل بأمره - قاله أبو حيان (٤) فى مد: من (٥) زيد فى م و ظ: اى (٦) وقع فى م و مد: التعليل - مصحفا (٧) ليس فى م (٨) ليس فى مد .

أتى بكتاب محقق أنه من عند الله لإعجاز نظمه و تصديق معناه لكتابهم ﴿ نبذ ﴾ أى رمى رمى استخفاف ﴿ فريق من الذين اوتو الكتب ﴾ الأول ﴿ كتب الله ﴾ [١] الملك الأعلى [١] الذى أخذ عليهم فيه الميثاق على لسان نبيهم باتباع النبي الأمى أسوأ النبذ بجعله [٢] لاستخفافهم به [٢] ﴿ وراء ظهورهم ﴾ [٣] بتركهم للعمل به و إن حلوه بالذهب و وضعوه على الكراسى [٤] بين أيديهم [٤] . و أشعر بعنادهم بقوله ﴿ كأنهم لا يعلمون ﴾ [٥] و لما كانت سنة الله جارية بأنه ما أمات أحد سنة إلا زاد فى خذلانه بأن أحيي على يده بدعة أعقبهم نبذهم لكلام الله / أولى الأولياء إقبالهم على كلام الشياطين الذين هم أعدى الأعداء فقال تعالى ﴿ و اتبعوا ما تتلوا ﴾ أى [٦] تقرأ أو تتبع [٦] ، [٧] و عبر بالمضارع إشارة إلى [٨] كثرته و فشوه [٨]

/١٠٥

(١ - ١) ليس فى ظ (٢ - ٢) ليس فى ظ ، وفى م : لاستحقاقهم (٣) العبارة من هنا إلى « ايديهم » ليست فى ظ (٤ - ٤) ليس فى مد (٥) قال أبو حيان : و متعلق العلم محذوف أى كأنهم لا يعلمون أنه كتاب الله لا يداخلهم فيه شك لثبوت ذلك عندهم و تحققه ، و إنما نبذوه على سبيل المكابرة و العناد ، وقال الشعبي : هو بين أيديهم يقرؤونه ولكنهم نبذوا العمل به ، وعن سفيان : أدرجوه فى الديباج و الحرير و حلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله و لم يحرموا حرامه - انتهى كلامه . . . . وقال الماوردى : كأنهم لا يعلمون ما أمروا به من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل معناه : كأنهم لا يعلمون أنه نبي صادق ، و قيل معناه : كأنهم لا يعلمون أن القرآن والتوراة و الإنجيل كتب الله وأن كل واحد منها حق و العمل به واجب - انتهى كلامه (٦-٦) فى مد : يقرأ و يتبع (٧-٧) العبارة من هنا إلى « استمراره » ليست فى ظ (٨ - ٨) فى مد : كدته و تسوة - كذا .

و استمراره ﴿ الشيٰطين على ملك ﴾ أى زمن[1] ملك ﴿ سليٰمن ﴾ من السحر الذى هو كفر . قال الحرالى : من حيث أن حقيقته أمر يبطل بذكر اسم الله و يظهر أثره فيما قصر عليه من التخييل و التمريض و نحوه بالاقتصار به من[2] دون اسم الله الذى هو كفر - انتهى . وكأن السحر كان فى تلك الأيام ظاهرا عاليا على ما يفهمه التعبير بعلى ،[3] و أحسن من هذا أن يضمن " تتلوا " تكذب[4] ، فيكون التقدير : تتلو كذبا على ملكه ، كما أشار إليه ما رواه البغوى و غيره عن الكلبى و كذا ما روى عن السدى . [2]و قال أبو حاتم أحمد بن حمدان[5] الرازى فى كتاب الزينة : و روى فى الحديث أنه لما مات سليمان عليه السلام عمدت الشياطين فكتبت أصناف السحر : من كان يحب أن يبلغ كذا فليفعل كذا ، و جعلوه فى كتاب ثم ختموه بخاتم سليمان و كتبوا فى عنوانه : هذا كتاب آصف بن برخيا الصديق لسليمان[6] بن داود عليهما السلام من ذخائر

(١) فى مد : رمى - كذا (٢) ليس فى م (٣) العبارة من هنا إلى « فى يهود انتهى » ليست فى ظ (٤) فى البحر المحيط ١/٣٢٦ : و قال أصحابنا : لا تكون « على » فى معنى « فى » بل هذا من التضمين فى الفعل ضمن تتقول فعديت بعلى لأن تقول تعدى بها ، قال تعالى " ولو تقول علينا " و معنى " على ملك سليمن " أى شرعه و نبوته و حاله ، و قيل على عهده و فى زمانه ، و هو قريب ، و قيل : على كرسى سليمان بعد وفاته ، لأنه كان من آلات ملكه (٥) فى م : احمدان . (٦) فى مد : سليمان .

كنوز العلم، ثم دفنوه تحت كرسيه؛ فاستخرجه بعد ذلك بقايا بنى إسرائيل حين أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثروا عليه قالوا: ما كان ملك سليمان إلا بهذا، فأفشوا السحر فى الناس؛ فليس هو فى أحد أكثر منه فى يهود - انتهى.

٥ و سليمان - على ما ذكر فى أول إنجيل متى أثناء إنجيل لوقا - هو ابن داود بن لَسَّى[١] بن عونيد[٢] بن باعاز[٣] بن سلمون بن يصون بن عميناداب[٤] بن ارام بن يورام بن حصرون[٥] بن فارض بن يهودا بن يعقوب ابن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام و الحاصل أنهم مع تركهم للكتب المصدقة لما معهم، الكفيلة بكل هدى و بركة، الآتية من عند الله المتحبب

١٠ إلى عباده بكل جميل، على ألسنة رسله الذين هم أصدق الناس و أنصحهم و أهداهم، لا سيما هذا الكتاب المعجز الذى كانوا يتباشرون بقرب زمن صاحبه؛ اتبعوا السحر الذى هو أضر الأشياء و أبشعها[٦]، الآتى به الشياطين الذين هم [٧]أعدى الأعداء[٧] و أفظعها[٨]، و أعجب ما فى ذلك أنهم نسبوا السحر إلى سليمان عليه السلام كذبا و فجورا و كفروه به ثم كانوا هم أشد الناس

١٥ تطلبا له و مصاحبة علما و عملا و أكثر ما يوجد فيهم، فكانوا بذلك شاهدين على أنفسهم بالكفر؛ و من المحاسن أيضا أنه لما كان قوله "و لقد

(١) هكذا فى الأصل و ظ، و فى م: يسّى، و فى مد: سى - كذا (٢) فى مد: غونيد (٣) كذا فى الأصل و م، و فى ظ و مد: باعاز (٤) فى م: عميناداب بن - كذا (٥) فى ظ: خصرون (٦) فى مد: استفها (٧ - ٧) فى م: اعدآ الاعدا، و فى ظ: اعدا الاعدا (٨) فى م: اتطعها.

اتينا

آتينا موسى الكتب و قفينا من بعده بالرسل[١]" و ما بعده فى[٢] الكتب و الأنبياء[٢] و الرسل من البشر و الملائكة كانت فذلكته[٣] أن الكفرة من أهل الكتاب نبذوا ذلك كله و ناهذوه[٤] و أقبلوا على السحر الذى كان إبطاله من أول معجزات نبيهم و أعظمها؛ فهو أشد شيء منافاة لشرعهم مع علمهم بأن ذلك [٥]يضرهم فى الدارين و لا ينفعهم . ٥

و لما اعتقد أهل الكتاب بعد موت سليمان[٦] عليه السلام أن السحر منه ، و أن انتظام ملكه على الإنس و الجن و الطير و الوحش و الريح إنما كان به ، نفى الله تعالى ذلك عنه بقوله : ﴿و ما كفر سليمن[٧] ﴾ ، قال الحرالى : يقال[٨] هو [٩]من السلامة ، فانه من سلامة صدره[١٠] من تعلقه بما خوله الله تعالى من ملكه " هذا من فضل ربي ليبلونى ء اشكر ام اكفر[١١] " ١٠

(١) سورة ٢ آية ٨٧ (٢-٢) فى م : الانبياء و الكتب (٣) فى م : فذلكه (٤) فى مد: نابذوا (٥) زيد فى الأصل : «لا» و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) فى مد : موسى (٧) قال أبو حيان الأندلسى : تنزيه لسليمان عليه السلام عن الكفر ، أى ليس ما اختلقته الجن من نسبة ما تدعيه إلى سليمان تعاطاه سليمان ، لأنه كفر و من نبأه الله تعالى منزه عن المعاصى الكبائر و الصغائر فضلا عن الكفر؛ و فى ذلك دليل على صحة نفى الشيء عمن لا يمكن أن يقع منه الكفر؛ و لا يدل هذا على أن ما نسبوه إلى سليمان من السحر يكون كفرا ، إذ يحتمل أنهم نسبوا إليه الكفر مع السحر ، و روى أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لما ذكر سليمان فى الأنبياء قال بعض اليهود : انظروا إلى محمد يذكر سليمان فى الأنبياء و ما كان إلا ساحرا، نسبته إلى السحر و العمل به - انتهى كلامه (٨) ليس فى مد (٩) زيد فى م : اسم (١٠) فى ظ : مقدرة (١١) سورة ٢٧ آية ٤٠ .

و هو واحد كمال[١] فى ملك العالم المشهود من الأركان الأربعة و ما منها من المخلوقات - انتهى . أى مّا وقع منه[٢] كفر مّا فضلا عن أن يكون بالسحر الذى هو أبعد الأشياء عن آيات الأنبياء ﴿ و لكن الشيٰطين كفروا ﴾ .

ثم بين كفرهم بقوله ﴿ يعلمون الناس[٣] ﴾ أى المضطرين[٣] الذين لم يصلوا إلى سِنّ الذين آمنوا ﴿ السحر ﴾ أى الذى ولدوه هم بما يزينونه من حاله [٥]ليعتقد[٦] أنه مؤثر بنفسه و نحو ذلك ، كما أن الأنبياء[٧] و أتباعهم يعلمون الناس الحق بما يبينونه[٨] من أمره . و السحر قال الحرالى : هو قلب الحواس فى مدركاتها عن الوجه المعتاد لها فى صحتها عن سبب باطل لا يثبت مع ذكر الله عليه . و قال الكرمانى : أمر خارق للعادة صادر[٩] عن نفس شريرة[١٠] لا تتعذر[١١] معارضته . [١٢]و قال الأصفهانى : اختلفوا فى تعلمه على ثلاثة أوجه : أحدها[١٣] أنه حرام ، الثانى أنه مكروه ، الثالث أنه مباح ؛ و الحق أنه إن كان تعلمه للعمل فهو حرام ، و إن كان لتوقيه و عدم الاغترار به فهو مباح[١١] ، و قال : و[٤] المراد بالسحر ما يستعان

(١) فى مد : كما قال (٢) فى م : من (٣) أخره فى ظ عن « آمنوا » (٤) فى ظ : المضطربين (٥) فى م : خاله - كذا (٦) فى م : ليعتقدوا (٧) زيد فى م : عليهم السلام (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يبينوه (٩) من م و مد ، و فى الأصل : ضارّ ، و فى ظ : صار (١٠) فى م : سريرة (١١) فى مد : لا يتعذر (١٢) العبارة من هنا إلى « لما خفى سببه » ليست فى ظ (١٣) ليس فى م (١٤) ذكر أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/٣٢٧ فى حقيقة السحر سبعة أقوال . . . و قال بعد ذكر السابع : قال بعض معاصرينا : هذه الأقوال كلها التى قالوها فى حقيقة السحر أنواع =

فى تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بما لا يستقل به الإنسان ، و ذلك لا يستتب[1] إلا لمن يناسبه فى الشرارة و خبث النفس ، فان التناسب شرط فى التضام و التعاون و بهذا يميز الساحر عن[2] الولى و النبى[2] ؛ و أما ما يتعجب منه كما يفعله أصحاب الحيل بمعونة الآلات و الأدوية أو يريه[3] صاحب خفة[4] اليد فغير حرام ، و تسميته سحرا[5] على التجوز[6] لما فيه من الدقة[7] ، لأنه فى الأصل لما خفى سببه .

و قوله : ﴿ و ما ﴾ ، أى و اتبعوا[8] أو و يعلمون ﴿ ما انزل على الملكين ﴾ قال الحرالى : فيه إنباء بأن هذا التخييل ضربان : مودع فى الكون هو أمر الشياطين ، و منزل من غيب[9] هو المتعلم من الملكين ؛ و قال : ﴿ ببابل ﴾ تحقيقا لنزولهما إلى الأرض ﴿ هاروت و ماروت ﴾ بدل من الملكين[10] ، كأنهما لما كانا مع الحاجة إليهما لا يحتاجان إلى أحد[11]

= السحر و قد ضم إليها أنواع أخر من الشعبذة و الدك و النازنجيات و الأوفاق و العزائم و ضروب المنادل و الصرع و ما يجرى ذلك - انتهى كلامه . و لا يشك فى أن السحر كان موجودا لنطق القرآن و الحديث الصحيح (١٢) ليس فى م .

(١) فى م : لا تستتب ، و فى مد : لا يستتب (٢ - ٢) فى مد : النبى و الولى (٣) فى م : برية (٤) فى م فقط : حفة - بالحاء المهملة - كذا (٥) ليس فى مد (٦) فى م : البخور - كذا (٧) فى م : الرقة (٨) زيد فى ظ : ما (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عيب - كذا بالعين المهملة (١٠) زيد فى الأصل « و » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (١١) لعله إشارة إلى قصة ذكرها أبو حيان فى البحر المحيط ١ / ٣٢٩ و فيها : و امتنعت (زهرة) الا ان يعبدا صنما و يشربا =

وُصفا أيضا بكونهما ملكين - بكسر اللام، و عبارة الحرالى: ملَكان جعلا مليكين فى الأرض، و الآية من إظهار الله للملائكة ١فضل الخليفة١ . ثم بين نصيحة الملكين بقوله٢ ﴿ و ما ﴾ فأنبأ أن التقدير: و ما كفر الملكان كما كفر الشياطين فانهما ما ﴿ يعلمن ﴾، و زيادة من فى قوله ٢ ﴿ من ١٠٦ / ٥ احد ﴾ لتأكيد الاستغراق ﴿ حتى يقولا / انما نحن فتنة ﴾ أى على صورة الاختبار٣ من الله لعباده، ٤فانه يعلم نبأ من يختار السحر لما فيه من النفع العاجل على أمر النبوة فيكفر، و من يعلم حقيقته لئلا٥ يقع فيه و هو لا يشعر ثم يتركه إقبالا على دين الله؛ و وحد و المخبر عنه اثنان لأنها مصدر و هو لا يثنى و لا يجمع. ٢ قال الحرالى ٢: و أصل معناها من فتن ١٠ الذهب و هو تسخيره٦ ليظهر جوهره و يتخلص طيبه من خبيثه - انتهى. ﴿ فلا تكفر ﴾ ٧بالعمل بما نعلمكه، فان العمل به كفر، ٨أو باعتقاد أنه حق مغن عما جاء عن الله، أو مؤثر بنفسه٨ ﴿فيتعلمون منهما ما يفرقون به﴾ مخالفة للملكين فى النهى عن ذلك، و ذكر الفرقة فى أشد الاتصال٩ ليفهم منه ما دونه فقال: ﴿ بين المرء١٠ و زوجه ﴾، و المرء اسم سن من أسنان

= الخمر و يقتلا - الخ.

(١ - ١) فى م: فضلا الخليقة (٢ - ٢) ليست فى مد (٣) من مد و ظ، و فى الأصل: الاختيار - كذا (٤) العبارة من هنا إلى « و لا يجمع » ليست فى م و ظ (٥) فى الأصل: ليلا (٦) فى ظ: تسخير (٧) قال على رضى الله عنه: كانا يعلمان تعليم الإنذار لا تعليم دعاء إليه كأنهما يقولان: لا تفعل كذا، كما لو سأل سائل عن صفة الزنا أو القتل فأخبر بصفته ليجتنبه، فكان المعنى فى "يعلمن" يعلمان - قاله أبو حيان الأندلسى (٨-٨) ليست فى ظ (٩) فى م: الامتثال (١٠) قراءة الجمهور =

الطبع يشارك الرجل به المرأة و يكون له فيه[1] فضل ما و يسمى معناه المروة - قاله الحرالى.

و لما ذكر السبب القريب[2] للضرر رده إليه ترقية[3] للذهن الثاقب إلى أعلى[4] المراتب و صونا له عن اعتقاد ما لا يناسب فقال: ﴿ و ما هم بضارين ﴾ و هو من الضر - بالفتح و الضم - و هو ما يؤلم الظاهر من الجسم و ما يتصل بمحسوسه، فى مقابلة الأذى و هو إيلام النفس و ما يتصل بأحوالها، و تشعر[5] الضمة فى الضر بأنه عن علو[6] و قهر، و الفتحة بأنه ما يكون عن مماثل و نحوه، و قل ما يكون عن الأدنى[7] إلا أذى و منه "لن يضروكم الا اذى[8]" قاله الحرالى ﴿ به من احد ﴾. و لما أكد استغراقه بضروب من التأكيد تلاه بمعيار[9] العموم فقال: ﴿ الا باذن الله[10] ﴾، ١١ المحيط بكل شيء قدرة و علما ولا كفوء له[11]، و فيه إعلام لهم بأن ضرره

= بفتح الميم و سكون الراء و الهمز، و قرأ الحسن و الزهرى و قتادة: المر - بغير همز مخففا، و قرأ ابن أبى إسحاق: المُرء - بضم الميم و الهمزة، و قرأ الأشهب العقيلى: المرء - بكسر الميم و الهمز، و رويت عن الحسن، و قرأ الزهرى أيضا: المر - بفتح الميم و إسقاط الهمز و تشديد الراء - البحر المحيط ١/٣٢٧.

(١) ليس فى م (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: القرب - كذا (٣) من م و ظ، و فى الأصل: ترقيه (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: اعلا (٥) فى الأصل: و تشعر - كذا (٦) فى م عتو (٧) فى الأصل: الاذنى، و فى م و مد: الاذى، و فى ظ: الادمى - كذا (٨) سورة ٣ آية ١١١ (٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: خبار - كذا (١٠) و فى هذه الجملة أى ﴿ الا باذن الله ﴾ دليل على أن ما يتعلمون =

الرسول الله[١] صلى الله [٢]عليه و سلم[٢] ذلك الضرر الضعيف حيث سحره لبيد ابن الأعصم إنما هو كضرر غيره من الأسباب التى قد تخفى فيضاف الأمر فى ضررها إلى الله تعالى ، و قد تعرف[٣] فيضاف الضرر إليها كما كان يحصل لغيره من إخوانه من الأنبياء منهم و من غيرهم ، و العلم حاصل بأن المؤثر ٥ فى الجميع فى الحقيقة هو الله تعالى ، و سيأتى عند قوله تعالى "و هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها" فى سورة الأنعام[٤] ما ينفع استحضاره هنا .

و لما كان هذا الذى تقدم[٥] و إن كان للعامل[٦] به[٧] نفع على زعمه فضره أكبر من نفعه اتبعه قسما[٨] آخر ليس للعامل[٦] به شيء غير الضر ؛ فليس الحامل على تعلمه إلا إيثارا للحاق بابليس و حزبه فقال[٩] : ﴿و يتعلمون﴾ ، أى من السحر ١٠ الذى ولده الشياطين لا من[١٠] الملكين ﴿ما يضرهم﴾ لأن مجرد العمل به كفر أو معصية ثم حقق أنه ضرر كله لا شائبة للنفع[١١] فيه بقوله[١٢] : ﴿و لا[١٣] ينفعهم﴾

= له تأثير و ضرر لكن ذلك لا يضر إلا باذن الله ، لأنه ربما أحدث الله عنده شيئا و ربما لم يحدث - قاله أبو حيان (١١ - ١١) ليست فى ظ .

(١ - ١) فى م : لرسوله (٢ - ٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : علم (٣) فى مد يعرف (٤) ٦ آية ٩٧ (٥) من م و مد ، و فى الأصل : تقدم - كذا (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : للحامل (٧) فى ظ : بل (٨) فى م : قسم (٩) ليس فى ظ (١٠) فى ظ : لامر - كذا (١١) و فى مد : للنقض (١٢) فى م : بقولهم (١٣) لما ذكر انه يحصل به الضرر لمن يفرق بينهما ذكر أيضا أن ضرره لا يقتصر على من يفعل به ذلك بل هو أيضا يضر من تعلمه ، و لما كان إثبات الضرر بشيء لا ينفى النفع لأنه قد يوجد الشيء فيحصل به الضرر و يحصل به النفع نفى النفع عنه بالكلية و أتى بلفظ « لا » لأنها ينفى بها الحال و المستقبل - البحر المحيط ١ / ٣٣٣ .

/١٠٦ /لأنه لا[1] تأثير له أصلا ، و النفع وصول موافق الجسم الظاهر و مايتصل به فى مقابلة الضر . و لذلك يخاطب به الكفار كثيرا لوقوع[2] معنيها[3] فى الظاهر الذى هو مقصدهم من ظاهر الحياة الدنيا - قاله الحرالى .

ثم اتبعه ما يعرف أنهم ارتكبوه على علم فقال محققا مؤكدا : ﴿ و لقد علموا ﴾ ، بيانا لأنهم أسفه الناس ﴿ لمن اشترىٰه ﴾ أى آثره على ما يعلم نفعه من الإيمان[4] ﴿ ما له فى الآخرة ﴾ الباقية الباقى نفعها ﴿ من خلاق ﴾ أى نصيب موافق أصلا ، و الخلاق الحظ اللائق لمن يقسم له النصيب من الشيء كأنه موازن[6] به خلق نفسه و خلق جسمه - قاله الحرالى .

ثم جمع لهم المذامّ[7] على وجه التأكيد فقال : ﴿ و لبئس ما شروا ﴾ ، أى باعوا على وجه اللجاجة ﴿ به انفسهم ﴾ إشارة إلى أنه مما أحاط بهم فاجتثت[8] نفوسهم من أصلها فأوجب لهم الخلود فى النار ، ثم قال بعد اثبات العلم لهم : ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ ، أى لو كان لهم قابلية لتلقى واردات[9]

(١) ليس فى م (٢) فى ظ : للوقوع (٣) هكذا فى الأصل و مد ، و فى م و ظ : معنييها (٤) قال أبو حيان الأندلسى : و الضمير المنصوب فى اشترىٰه عائد على السحر أو الكفر أو كتابهم الذى باعوه بالسحر أو القرآن لأنه تعوضوا عنه بكتب السحر - أقوال أربعة . و الخلاق النصيب - قاله مجاهد ، أو الدين - قاله الحسن ، أو القوام - قاله ابن عباس ، أو الخلاص أو القدر ، قاله قتادة - أقوال خمسة - انتهى كلامه (٥) زيد فى ظ : أى (٦) فى مد : موافق (٧) فى الأصل : المزام (٨) وقع فى الأصل : فاجتيت ، و فى م و ظ : فاجثت ، و فى مد : فاحسست - مصححا (٩) فى ظ : وارات .

الحق ، إشارة إلى أن هذا لا يقدم عليه من له أدنى علم ، فعلمهم الذى أوجب لهم الجرأة على هذا عدمٌ بل تعدم خير منه .

و لما بين ما عليهم فيما ارتكبوه من المضار اتبعه ما فى الأعراض عنه[1] من المنافع فقال : ﴿ و لو انهم [آمنوا -[2]] ﴾ أى بما دعوا إليه من هذا القرآن ، [3] و من اعتقاد أن الفاعل فى كل شىء إنما هو الله لا السحر[3] ﴿ و اتقوا ﴾ ما يقدح فى الإيمان[4] من الوقوف مع ما كان حقا فنسخ من التوراة فصار باطلا ، و من الإقدام على ما لم يكن حقا أصلا من السحر لأثيبوا خيرا مما تركوا ، لأن[5] من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ؛ هكذا الجواب و لكنه[6] عبر عنه بما يقتضى الثبوت و الدوام و الشرف إلى غير ذلك مما[7] يقصر[8] عنه الأذهان من بلاغات القرآن فقال : ﴿ لمثوبة ﴾ [9]صيغة مفعلة من الثواب و هو الجزاء بالخير[10] ، و فى الصيغة

(١) ليس فى مد (٢) زيد من م و مد و ظ و القرآن المجيد ، و قد سقط من الأصل (٣ - ٣) ليست فى ظ (٤) وقع فى الأصل : الايماء - خطأ ، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) فى ظ : الان - كذا (٦) فى ظ : و لكن (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بما - كذا (٨) فى م و مد و ظ ، تقصر (٩) اللام لام الابتداء لا الواقعة فى جواب لو و جواب لو محذوف لفهم المعنى أى لأثيبوا ، ثم ابتدأ على طريق الإخبار الاستئنافى لا على طريق تعليقه بإيمانهم و تقواهم و ترتبه عليهما - هذا قول الأخفش أعنى أن الجواب محذوف - البحر المحيط ١/٣٣٥ (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل بالخير - كذا .

إشعار بعلو و ثبات - قاله الحرالى ، و شرفها بقوله : ﴿من عند الله[1]﴾ الذى[2] له جميع صفات الكمال[2]، و زادها شرفا بقوله : ﴿خير[3]﴾ ، مع حذف المفضل عليه . [4] قال الحرالى : و سوى بين هذه المثوبة و مضمون الرسالة فى كونهما من عند الله تشريفا لهذه المثوبة و إلحاقا لها بالنمط العلى من علمه و حكمته و مضاء[5] كلمته[6] - انتهى . و هذه المثوبة عامة لما يحصل فى الدنيا و الأخرى من الخيرات التى منها ما يعطيه الله لصالحى عباده من التصرف بأسماء الله الحسنى على حسب ما تعطيه مفهوماتها من المنافع ، و من ذلك واردات الآثار[7] ككون الفاتحة شفاء و آية الكرسى حرزا من الشيطان و نحو ذلك من منافع القرآن و الأذكار و التبرك بآثار الصالحين و نحوه .

ثم أكد الخبر[8] بأن علمهم جهل بقوله : ﴿لو كانوا يعلمون ه﴾ . و قال الحرالى : فيه إشعار برتبة من العلم أعلى و أشرف من الرتبة التى كانت تصرفهم عن[9] أخذ السحر ، لأن تلك الرتبة تزهد فى علم ما هو

(١) قال فى البحر المحيط : و فى وصف المثوبة بكونها من عند الله تفخيم و تعظيم لها ، و لمناسبة الإيمان و التقوى لذلك كان المعنى أن الذى آمنتم به و اتقيتم محارمه هو الذى ثوابكم منه على ذلك فهو المتكفل بذلك لكم ؛ و اكتفى بالتنكير فى ذلك إذ المعنى لشىء من الثواب :

قليلك لا يقال له قليل

(٢ - ٢) ليست فى ظ (٣) و قال أبو حيان : و ليس " خير " هنا أفعل تفضيل بل هى للتفضيل لا للأفضلية فهى كقوله " أفمن يلقى فى النار خير " " و خير مستقرا " : فشركما لخيركما الفداء

(٤) فى م : قاله (٥) فى م فقط : امضاء (٦) فى ظ : كلمة (٧) فى ظ : للاثار .

(٨) فى م : الخير (٩) فى مد : على .

شر و هذه ترغب فى منال[١] ما هو خير ؛ و فيه بشرى لهذه الأمة بما فى
١٠٧/ كيانها من / قبول هذا العلم الذى هو علم الأسماء و منافع القرآن يكون[٢]
لهم عوضا من علم السيميا الذى هو باب من السحر . و عساه أن يكون
من نحو المنزل على الملكين ، قال صلى الله عليه و سلم : من اقتبس علما من
٥ النجوم اقتبس بابا من السحر ، زاد ما زاد .

و حقيقة السيميا[٣] أمر من أمر الله أظهر آثاره فى العالم الأرضى على
سبيل أسماء و أرواح خبيثة من واطن الفتن فى العلويات من النيرات[٤]
و الكواكب و الصور ، و ما أبداه منه فى علوم و أعمال لا يثبت شىء
منه مع إسمه تعالى ، بل يشترط فى صحته إخلاؤه عن اسم الله و ذكره
١٠ و القيام بحقه و صرف التحنثات و الوجهة إلى ما دونه ، فهو لذلك كفر
موضوع فتنة من الله تعالى لمن شاء[٥] أن يفتنه به ، حتى كانت فتنة اسم
السيميا من هدى الاسم[٦] بمنزلة اسم اللات و العزى من هداية اسم الله
العزيز، و لله كلية الخلق و الأمر هدى و إضلالا إظهارا[٧] لكلمته الجامعة
الشاملة لمتقابلات الأزواج[٨] التى منتهاها قسمة[٩] إلى دارين: دار نور رحمانى
١٥ من اسمه العزيز الرحيم ، و دار نار انتقامى من اسمه الجبار المنتقم " و يوم
تقوم الساعة يومئذ يتفرقون[١٠] " .

و لما جعل سبحانه من المضرة فى السحر و نحوه كان من المثوبة لمن

---

(١) فى م و ظ : مثال (٢) فى مد : تكون (٣) ليس فى مد (٤) فى م : النيران - كذا (٥) فى م و ظ : يشاء (٦) فى ظ : لاسم (٧) فى مد : اظهار (٨) من م و ظ و مد، و فى الأصل : الأرواح (٩) فى ظ : قسمه (١٠) سورة ٣٠ آية ١٤ .

آمن و اتقى من هذه الأمة سورة الفلق و الناس المعوذتان حرزا و إبطالا و تلقفا لما يأفك سحر الساحرات عوضا دائما [١] باقيا لهذه الأمة من عصا موسى، فهما عصا هذه الأمة التى تلقف مايأفك سحر الساحرات عوضا دائما بما فيهما [٢] من التعويذ الجامع للعوذة من شر الفلق الذى من لمحة [٣] منه كان السحر مفرقا، فهما عوذتان من وراء ما وراء السحر و نحوه، و [٤] ذلك من مثوبة الدفع مع ما أوتوا من مثوبة النفع [٥]، و يكاد أن لا يقف [٦] من جاءه [٧] هذه الآية لهذه الأمة عند غاية من منال الخيرات و وجوه الكرامات - انتهى.

و لما كان من الحق كما قال الحرالى إجراء الأمور على حكم ما أثبتها الحق لأنها [٨] بذلك حق هو مثال [٩] للحق المبين و صرفها إلى من لم يثبتها الحق فى حيزه إفك و قلب [١٠] عن وجهه فهو خيال باطل [١١] هو فى باب الرأى [١٢] بمنزلة السحر فى الحس فهو خيال لما صحة النسبة فيه مثال اتبع الآيات الذامة للسحر الحقيقى التنبيه على السحر المجازى الذى خيلوا به الخير و قصدوا به الشر ليكون النهى عنه نهيا عن الأول بطريق [١٣] الأولى فقال ملتفتا عن ذكرهم إلى خطاب المؤمنين الذى هو أخص من "يبنى اسرائيل" الأخص من "يا ايها الناس اعبدوا ربكم [١٤]" ﴿ يا ايها الذين

(١) العبارة من هنا إلى « دائما » الآتى ليست فى م (٢) من مد و ظ . و فى الأصل و م : فيها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لمحه (٤) ليس فى م (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: للنفع (٦) فى م و ظ : تقف (٧) من مد ، و فى الأصل و م و ظ : مرجاة - كذا (٨) فى م: لان (٩) فى م: امثال (١٠) فى م: قلبه . (١١) زيد فى مد: و (١٢) فى مد: المراى (١٣) كذا. والظاهر: بالطريق (١٤) قال =

آمنوا ﴾، أى أقروا بالإيمان صدقوا إقراركم به بأن ﴿ لا تقولوا ﴾ للنبى صلى الله عليه و سلم : ﴿ راعنا ﴾ التى تقصدون[1] بها الرعاية و المراقبة لمقصد الخير و خفض[2] الجانب . فاغتنمها اليهود لموافقة ٣ كلمة سيئة ٣ عندهم فصاروا يلوون بها ألسنتهم و يقصدون بها الرعونة و هى إفراط الجهالة فنهاهم عن موافقتهم فى القول منعا للصحيح الموافق فى الصورة لشبهه من القبيح و عوضهم منها ما لا يتطرق إليه فساد فقال: ﴿ و قولوا انظرنا ﴾ فأبقى المعنى[4] و صرف اللفظ . قال الحرالى: ففيه إلزام بتصحيح الصور[5] لتطابق تصحيح المقاصد و ليقع الفرق بين الصورتين كما وقع الفرق بين المعنيين فهى آية فرقان خاصة بالعرب ، [6]قال الأصفهانى[7] :

= أبو حيان الأندلسى : و لما كانت الآيات السابقة فيها ما يتضمن من الوعيد من قوله " فان الله عدو للكفرين" و قوله " و ما يكفر بها الا الفسقون" و ذكر نبذ العهود و نبذ كتاب الله و اتباع الشياطين و تعلم ما يضر و لا ينفع و الإخبار عنهم بأنهم علموا أنه لا نصيب لهم فى الآخرة اتبع ذلك بآية تتضمن الوعد الجميل لمن آمن واتقى ، فجمعت هذه الآيات بين الوعيد والوعد و الترغيب و الترهيب و الإنذار والتبشير و صار فيها استطراد من شىء إلى شىء و إخبار بمغيب بعد مغيب متناسقة تناسق اللآلئ فى عقودها متضحة اتضاح الدرارى فى مطالع سعودها معلمة صدق من أتى بها و هو ما قرأ الكتب ولا دارس ولا رحل ولا عاشر الأحبار و لا مارس " و ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى " صلى الله عليه و أوصل أزكى تحية إليه .

(١) فى مد: يقصدون (٢) من ظ ، و فى الأصل و م و مد: حفظ (٣) من م و ظ ، و فى مد: سبية، و فى الأصل: سبة (٤) زيد فى م: الذى هو (٥) فى م: للصور .
(٦) العبارة من هنا إلى « الآن » ليست فى ظ (٧) و فى البحر المحيط ١/٣٣٩ =

و هذا

و هذا النهى اختص[1] بهذا الوقت ، قال الواحدى . لإجماع الأمة على جواز المخاطبة بهذا اللفظ الآن و قال: ﴿ و اسمعوا ﴾ أى قولوا ما أمرتكم به و امتثلوا جميع أوامرى و لا تكونوا كاليهود فى حملهم[2] السماع على حقيقته و قولهم " سمعنا و عصينا "؛ و عطف[3] ﴿ و للكفرين ﴾ على غير معطوف عليه مذكور مرشد إلى أن التقدير: فان السماع أى القبول إيمان ٥ و للسامعين نعيم كريم و الإعراض كفر و للكافرين من اليهود و غيرهم ﴿ عذاب اليم ﴾ .

و لما أرشد ختم الآية إلى العلة الحاملة[4] على الامتثال علل[5] بعلة أخرى فقال[6]: ﴿ ما يود الذين كفروا ﴾ مطلقا ﴿ من اهل الكتب[7] ﴾ اليهود و النصارى ﴿ و لا ﴾ من ﴿ المشركين ﴾ بأى نوع كان من أنواع ١٠

= «قال ابن عطية: و هذه لفظة مخلصة لتعظيم النبى صلى الله عليه و سلم ، و الظاهر عندى استدعاء نظر العين المقترن بتدبر الحال و هذا هو معنى « راعنا » فبدلت للمؤمنين اللفظة لزول تعلق اليهود - انتهى .

(١) فى م : اخص (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : جملهم (٣) قال أبو حيان الأندلسى : و لما نهى أولا و أمر ثانيا و أمر بالسمع و حض عليه إذ فى ضمنه انطاعة أخذ يذكر لمن خالف أمره و كفر " فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم " (٤) فى م: الحاصلة (٥) فى م: علله . (٦) ليس فى ظ (٧) ذكر المفسرون أن المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود : آمنوا بمحمد صلى الله عليه و سلم فقالوا : وددنا لو كان خيرا مما نحن عليه فنتبعه . فأكذبهم الله بقوله : ﴿ مايود الذين كفروا ﴾ فعلى هذا يكون المراد بأهل الكتاب الذين بحضرة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و الظاهر العموم فى أهل الكتاب و هم اليهود و النصارى ، و فى المشركين و هم مشركو العرب و غيرهم - قاله =

الشرك بغضا فيكم[١] حسدا لكم ﴿ ان ينزل عليكم ﴾ و أكد الاستغراق بقوله: ﴿ من خير من ربكم ﴾ أى[٢] المحسن إليكم، فكأنه[٣] قيل: للسماع علتان حاملتان عليه داعيتان[٤] إليه[٥]: إحداهما أخروية و هى النعيم للطيع و العذاب للعاصى، و الأخرى دنيوية و هى[٦] مخالفة الأعداء، [٧]فانهم ما يودون أن ينزل عليكم شىء لكم فيه خير فضلا عن أن تمتثلوه[٨]، و مخالفة الأعداء من الأغراض العظيمة للتمكنين فى الأخلاق الفاضلة من ذوى الأدوات[٩] الكاملة، و لم يعطف "ما يود" لأنه مع ذلك علة للعلة، فكأنه قيل: لهم عذاب اليم لأنهم يودون[١٠] لكم خيرا؛ فسماعكم من جملة عذابهم، لأنه واقع على خلاف ودادتهم[١١] مع ما يدخر لهم فى الآخرة بكفرهم و تمنيهم[١٢] كفركم[١٣]، و لا يخفى ما فيها و فى التى بعدها[١٤] من التحريض على الكتاب الذى لا ريب فيه.

و لما بين سبحانه ما يودون اتبعه التعريف بأن له التصرف التام[١٥]، رضى من رضى و سخط من سخط فقال معلقا الأمر بالاسم الأعظم

= أبو حيان الأندلسى.

(١) زيد فى م: و (٢) زيد فى مد: من (٣) فى م: فانه (٤) وقع فى الأصل: راعيتان - كذا، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) فى ظ: اليهما (٦) ليس فى مد (٧) العبارة من هنا إلى « الاعداء » ليست فى مد (٨) فى ظ: يمتثلوه.
(٩) فى م: الاودات - كذا (١٠) فى م: لا يودون (١١) فى مد: ودادهم.
(١٢) فى الأصل: تمينهم - كذا، و التصحيح من م و ظ و مد (١٣) فى م: كفرهم (١٤) فى ظ: يجدها - كذا (١٥) فى ظ: العام.

الجامع: ﴿ والله ﴾ أى [١] [٢]ما يودون والحال أن [٣] ذا [٣] الأسماء الحسنى ﴿ يختص ﴾ [٢]. ولما كان المنزل أتم الرحمة عبر عنه بقوله [٢]: ﴿ برحمته ﴾ التى وسعت كل شىء من الهداية والعلم وغير ذلك ﴿ من يشاء ﴾ [٤] أى يجعله مختصا أى منفردا بها من [٥] بين الناس، ولو كان عند غيره بمحل الاحتقار كما كان العرب عند بنى إسرائيل لما كانوا / يرون من جهلهم ٥ ١٠٨/ وضلالهم و[٦] جفائهم واختلال [٦] أحوالهم؛ و"الاختصاص" عناية تعين المختص لمرتبة [٧] ينفرد بها دون غيره، و"الرحمة" [٨] نحلة [٩] ما يوافى المرحوم فى ظاهره وباطنه، أدناه كشف الضر وكف الأذى، وأعلاه الاختصاص برفع الحجاب - قاله الحرالى. ولما كان ذلك ربما أوهم أنه إذا فعله لم يبق من رحمته مايسع غير المختص نفاه [١٠] بقوله مصدرا له [١١] ١٠ بالاسم الأعظم أيضا [١٢] عاطفا على ما أفهمه الاختصاص من نحو أن يقال

(١) زيد فى م: الذى يعلم (٢ - ٢) ليست فى ظ (٣) فى ظ: ذوا (٤) العبارة من هنا إلى «بين الناس» ليست فى ظ (٥) ليس فى م (٦-٦) فى مد: اختلال - فقط (٧) فى مد: لرتبة (٨) و"الرحمة" هنا عامة بجميع أنواعها، أو النبوة والحكمة والنصرة، اختص بها محمد صلى الله عليه وسلم - قاله على والباقر ومجاهد والزجاج، أو الإسلام - قاله ابن عباس، أو القرآن أو النبى صلى الله عليه وسلم "وما ارسلنك الا رحمة للعلمين" وهو نبى الرحمة - أقوال خمسة أظهرها الأول - البحر المحيط ١ / ٣٤١ (٩) من ظ وم، وفى الأصل: تحاة، وفى مد: محله - كذا (١٠) فى ظ: بقا - كذا (١١) ليس فى م (١٢) العبارة من هنا إلى «الرحمة عليهم» ليست فى ظ.

تعريضا باليهود : فالله بمن[1] يزوى[2] عنه الرحمة عليم[3] ﴿ والله ﴾[4] أى الملك الأعلى الذى له جميع العظمة و الرحمة فلا[5] كفوء له ﴿ ذو الفضل العظيم ٥ ﴾ أى الذى لا يحصر[6] بحد و لا يدخل تحت عد .

و لما حرم سبحانه قولهم "راعنا" بعد حله و كان ذلك من باب النسخ و أنهى[7] ما يتعلق به بالوصف بالفضل العظيم بعد التخصيص الذى من[8] مقتضاه نقل ما يكون من المنافع من ملك أو دين أو قوة أو علم من ناس إلى ناس[9] ، و كان اليهود يرون أن دينهم لا ينسخ ، فكان النسخ لذلك من مطاعنهم فى هذا الدين و فى كون هذا الكتاب هدى للمتقين ، لأنه على زعمهم لا يجوز على الله ، قالوا : لأنه يلزم منه البدا - أى بفتح الموحدة[10] مقصورا - و هو أن يبدو الشىء أى يظهر بعد أن لم يكن . و ذلك لا يجوز على الله تعالى ؛ هذا مع أن النسخ فى كتابهم الذى بين أظهرهم ، فان فيه أنه[11] تعالى أمرهم بالدخول إلى بيت المقدس بعد مقاتلة الجبارين ، فلما أبوا حرم عليهم دخولها و منعهم منه و من القتال بالقدرة و الأمر ، كما ستراه عن نص التوراة فى سورة المائدة إن شاء الله

(١) فى م : ممن ، و فى مد : عن (٢) فى مد : يروى (٣) فى مد : عليهم . (٤) العبارة من هنا إلى « له » ليست فى ظ (٥) فى م : ولا (٦) فى م : لا يحضر ، و فى مد : لا محصر . و فى الأصل : لا يحضر - كذا (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : انتهى (٨) ليس فى مد (٩) قال أبو حيان الأندلسى : ﴿الفضل العظيم﴾ يجوز أن يراد به هنا جميع أنواع التفضلات فتكون "ال" للاستغراق ، و عظمه من جهة سعته و كثرته (١٠) فى ظ : الباء (١١) فى م : ان .

تعالى ، و أمرهم بالجمعة فاختلفوا فيه ، كما قاله النبي صلى الله عليه و سلم و يأتى فى قوله تعالى "انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه[١]" و اختاروا السبت ، ففرض عليهم و شدد عليهم فيه و أحل لهم جميع اللحوم و الشحوم ، فلما اتخذوا العجل حرم عليهم الشحوم ؛ و أعظم[٢] من ذلك تعاطيهم من النسخ ما لم يأذن به الله فى تحريفهم الكلم عن ٥ مواضعه ، و تحريم الأحبار و الرهبان و تحليلهم لهم ما شاؤا من الأحكام التى[٣] تقدم عد جملة منها أصولا و فروعا ، كما قال تعالى "اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله[٤]" ، و لما قال عدى بن حاتم للنبي صلى الله عليه و سلم : يا رسول الله ! إنهم لم يكونوا يعبدونهم ، قال[٥] أليسوا[٦] يحلون لهم و يحرمون ؟ قال : بلى ، قال : فتلك عبادتهم لهم - كما هو مبين ١٠ فى السيرة فى وفادة عدى ؛ و كما فعلوا فى إبدال الرجم فى الزنا[٧] بالتحميم و الجلد[٧] ؛ و فى اتباع ما تتلو الشياطين مع أن فيه إبطال كثير من شرعهم ؛ و فى نبذ فريق منهم[٨] كتاب الله ؛ و فى قولهم "سمعنا و عصينا[٩]" ؛ و فى اتخاذهم العجل مع النهى عن ذلك - و كل ما شاكله فى كثير من فصول التوراة و فيما أشير إليه بقوله "افتؤمنون ببعض الكتب و تكفرون ١٥ ببعض[١٠]" إلى غير ذلك ؛ لما كان ذلك قال تعالى جوابا عن طعنهم

(١) سورة ١٦ آية ١٢٤ (٢) فى م ومد : العجب (٣) فى ظ : الذى (٤) سورة ٩ آية ٣١ (٥) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : قالوا (٦) زيد فى م : انهم (٧-٧) فى ظ : بالجلد و التحميم ، و فى م : بجلد و التحميم (٨) فى ظ : فيهم (٩) سورة ٢ آية ٩٣ (١٠) سورة ٢ آية ٨٥ .

سابقا[١] له فى مظهر العظمة معلما أنه قد ألبس العرب المحسودين ما كان قد زين به أهل الكتاب دهورا[٢] فابتذلوه و دنسوا محياه و رذلوه و غيروه و بدّلوه[٣] إشارة إلى أن الحسد لكونه اعتراضا على المنعم يكون سببا لإلباس المحسود ثوب الحاسد: ﴿ ما ننسخ ﴾ و النسخ[٤] قال الحرالى نقل بادٍ من أثر أو كتاب و نحوه من محله بمعاقب[٥] يذهبه. أو باقتباس يغنى عن غيبته و هو وارد الظهور فى المعنيين فى موارد الخطاب؛ و المعاقبة فى هذا أظهر - انتهى. و سافها بغير عطف لشدة التباسها بما قبلها لاختصاصنا لأجل التمشية[٦] على حسب المصالح بالفضل و الرحمة، لأنه إن كان المراد نسخ جميع الشرائع الماضية بكتابنا فلما فيه من التشريف بالانفراد بالذكر و عدم التبعية و التخفيف للأحمال[٧] التى كانت، و إن كان المراد نسخ ما شرع لنا فللنظر فى المصالح الدنيوية و الأخروية بحسب ما حدث

(١) فى ظ: سايقا - كذا (٢) فى م: وهورا (٣) من مد و ظ، و فى م: بدلوا، و فى الأصل: بذلوه - بالذال المعجمة (٤) النسخ إزالة: الشىء بغير بدل يعقبه نحو نسخت الشمس الظل و نسخت الريح الأثر. أو نقل الشىء من غير إزالة نحو نسخت الكتاب إذا نقلت ما فيه إلى مكان آخر. سبب نزولها فيما ذكروا أن اليهود لما حسدوا المسلمين فى التوجه إلى الكعبة و طعنوا فى الإسلام قالوا: إن محمدا يأمر أصحابه بأمر اليوم و ينهاهم عنه غدا و يقول اليوم قولا و يرجع عنه غدا، ما هذا القرآن إلا من عند محمد، و إنه يناقض بعضه بعضا فنزلت - البحر المحيط ١/ ٣٤٠ (٥ - ٥) فى م: محلة بمعاقبة (٦) فى م: التسمية (٧) من م و مد و ظ، و وقع فى الأصل: للاجمال - بالجيم خطأ.

من الأسباب ﴿ من آية ﴾ أى فنرفع[1] حكمها ، أو تلاوتها بعد إنزالها ، أو نأمر[2] بذلك على أنها من النسخ[3] [على - [4]] قراءة ابن عامر ، سواء كانت فى شرع من قبل كاستقبال بيت المقدس أو لم تكن ؛ و فى صيغة نفعل إشعار بأن من تقدم ربما نسخ عنهم ما لم يعوضوا به مثلا و لا خيرا ، ففى طيه ترغيب للذين آمنوا فى كتابهم الخاص بهم و أن يكون لهم عند النسخ حسن قبول فرحا[5] بجديد[6] أو اغتباطا[7] بما هو خير من المنسوخ ، ليكون حالهم عند تناسخ الآيات مقابل حال الآبين[8] من قبوله المستمسكين بالسابق المتقاصرين عن[9] خير لاحق و جدّته - قاله الحرالى . ﴿ او ننسأها[10] ﴾ [11] أى نؤخرها ، أى[12] نترك إنزالها عليكم أصلا ، و كذا معنى "او ننسها" من أنسى[13] فى قراءة غير ابن كثير و أبى عمرو ، أى نأمر بترك[14] إنزالها

(١) من ظ ، و فى الأصل : فيرفع ، و فى م : فنوقع (٢) فى مد : نامن - كذا . (٣) من م و مد ، وفى الأصل وظ : أنسخ (٤) زيد من م و مد وظ (٥) من م و مد و ظ ، و وقع فى الأصل : فرحا - كذا (٦) وقع فى الأصل و م و مد : تحديدا ، و التصحيح من ظ (٧) وقع فى الأصل وظ : اعتباطا - كذا بالعين المهملة ، و التصحيح من م و مد (٨) فى ظ : الآبين ، و فى الأصل و م ومد : الابين - كذا (٩) فى م: على (١٠) من مد ، وفى بقية الأصول : ننساها (١١) النسيئة التأخير نسأ ينسأ ، و يأتى نسأ بمعنى أمضى الشيء ، قال الشاعر :

أمون كألواح الأران نسأتها على لاحب كأنه ظهر برجد

- البحر المحيط ١ / ٣٣٧ (١٢) كذا ، و الظاهر : او (١٣) من م و ظ ، وفى الأصل ومد : النسى - كذا ، وفى البحر المحيط ١/٣٤٤ : و قرأ باقى السبعة =

﴿ نات بخير منها او مثلها ﴾ كما فعلنا فى "راعنا" و غيرها . أو يكون المعنى "ما ننسخ من آية" فنزيل حكمها أو لفظها عاجلا كما فعلنا فى "راعنا" أو "ننسأها" بأن نؤخر نسخها أو نتركه[1] - على قراءة "ننسها[2]" زمنا ثم ننسخها كالقبلة "نات[3]" عند نسخها "بخير منها او مثلها"؛

١٠٩ / ٥ و قال الحرالى : و هو الحق / إن شاء الله تعالى . و النسء[4] تأخير عن وقت إلى وقت ، ففيه مدار بين السابق و اللاحق بخلاف النسخ ، لأن النسخ معقب للسابق و النسء مداول[5] للمؤخر ، و هو نمط من الخطاب على خفى المنحى ، لم يكد يتضح معناه لأكثر العلماء إلا للأئمة[6] من آل محمد صلى الله عليه و سلم لخفاء الفرقان بين ما شأنه المعاقبة و ما[7] شأنه المداولة[8].

١٠ و من أمثاله ما وقع فى النسء[4] من نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن لحوم الأضاحى فتقبله[9] الذين آمنوا نسخا ، و إنما كان إنساء و تأخيرا لحكم

= "ننسها" بضم النون و كسر السين من غير همز ..... فتحصل فى هذه اللفظة دون قراءة الأعمش إحدى عشرة قراءة (١٤) وقع فى الأصل : نترك .

(١) وقع فى الأصل : بتركه - كذا ، و التصحيح من م و ظ و مد (٢) فى مد فقط : ننساها - كذا (٣) من م و مد ، و فى ظ : نات - كذا ، و وقع فى الأصل : يات - مصحفا (٤) فى م و مد : النسى (٥) فى مد و ظ : مدلول (٦) فى الأصل و م : الايمة ، و فى مد : لائمة ، و الكلمة لا تتضح فى ظ (٧) ليس فى ظ (٨) من مد و ظ ، وفى م : المدالة ، و فى الأصل : المداواة (٩) من م و ظ ، و فى الأصل : فيقبله ، و فى مد : فقبله .

الاستمتاع بها بعد ثلاث إلى وقت زوال الدافّة التى كانت دفت عليهم من البوادى ، فلم يلقن ذلك عن النبى صلى الله عليه و سلم حتى فسره فقال: إنما نهيتكم [١]من أجل[١] الدافة ، فنى متسع فقهه[٢] أن أحكاما تؤخر فتشابه النسخ من وجه ثم تعاد فتخالفه من هذا الوجه من حيث أن حكمة المنسوخ منقطعة و حكمة المنسىء متراجعة . و منه المقاتلة للعدو عند وجدان المنة و القوة و المهادنة[٣] عند الضعف عن المقاومة هو[٤] من أحكام المنسىء ، وكل ما[٥] شأنه أن يمتنع فى وقت لمعنى مّا ثم يعود فى وقت لزوال ذلك المعنى فهو من المنسىء[٦] الذى أهمل عليه أكثر الناظرين و ربما أضافوا أكثره إلى نمط النسخ لخفاء الفرقان بينهما ؛ فبحق أن[٤] هذه الآية من جوامع[٧] آى الفرقان ، فهذا حكم النسء و الإنساء[٨] و هو فى العلم بمنزلة تعاقب الفصول بما اشتملت عليه من الأشياء المتعاقبة فى وجه المتداولة فى الجملة . قلت : و حاصله تأخير الحل كما ذكر[٩] أو الحرمة كما فى المتعة و نحو ذلك إلى وقت آخر و ذلك هو مدلول النسء على ما كانت العرب تتعارفه كما سيأتى تحريره فى سورة براءة عند "انما النسىء زيادة فى الكفر[١٠]" قال : و أما النسيان و التنسية فمعناه أخفى من النسىء[١١] و هو ما يظهره الله[١٢]

(١ - ١) فى م : عن (٢) فى مد : ففهمه - كذا (٣) فى الأصل المهادية ، والتصحيح من م و ظ و مد (٤) ليس فى مد (٥) فى م : من (٦) زيد فى ظ : به (٧) فى م : جوامعه (٨) من ظ ، و فى الأصل : الاتساء ، و فى مد : الانسا ، و فى م : الانسيا - كذا (٩) فى مد : لما (١٠) سورة ٩ آية ٣٧ (١١) فى مد : النس . (١٢) ليس فى م .

من البيانات[١] على سبيل إدخال النسيان على من ليس شأنه أن ينسى كالسنن التى أبداها النبى صلى الله عليه و سلم عن تنسيته[٢] كما ورد من[٣] قوله: إنى لأَنسَى لأسُنَّ . و قال عليه الصلاة و السلام فى[٤] إفصاح القول فيه[٥]: بئسما لأحدكم أن يقول: نسيت ، بل هو نُسّى . و منه قيامه من اثنتين و سلامه من اثنتين حتى أظهر الله سنة ذلك لأمته ، و كانت تلك الصلاة بسهوها ليست بدونها من غير سهو بل هى مثلها أو خير[٦] ؛ و من نحوه منامه عن الصلاة حتى أظهر الله توقيت الصلاة بالذكر كما كان قد أظهرها

(١) فى مد: البيان (٢) فى مد: تنسيه (٣) فى ظ: فى (٤) فى م: على (٥) ليس فى مد (٦) و فى البحر المحيط ١ / ٣٤٤: و قال الزجاج: قراءة "ننسها" بضم النون و سكون النون الثانية و كسر السين لا يتوجه فيها معنى الترك ، لأنه لا يقال أنسى بمعنى ترك ؛ و قال أبو على الفارسى و غيره: ذلك متجه لأنه بمعنى نجعلك تتركها ، و كذلك ضعف الزجاج أن تحمل الآية على النسيان الذى هو ضد الذكر و قال: إن هذا لم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم ولا نسى قرآنا ، و قال أبو على وغيره: ذلك جائز وقد وقع ، و لا فرق بين أن ترفع الآية بنسخ أو بنُساة ، و احتج زجاج بقوله تعالى "ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك" أى لم نفعل ، قال أبو على: معناه لم نذهب بالجميع ، و حكى الطبرى قول الزجاج عن أقدم منه . قال ابن عطية: و الصحيح فى هذا أن نسيان النبى صلى الله عليه وسلم لما أراد الله أن ينساه و لم يرد أن يثبته قرآنا جائز ، و أما النسيان الذى هو آفة فى البشر فالنبى صلى الله عليه و سلم معصوم منه قبل التبليغ و بعد التبليغ ما لم يحفظه أحد من الصحابة و أما بعد أن يحفظه فجائز عليه ما يجوز على البشر ، =

بالوقت الزمانى، فصار[1] لها وقتان: وقت نور عيانى من مدارها مع الشمس، و وقت نور وجدانى من[1] مدارها مع الذكر، و لصحة وقوعها للوقتين كانت الموقتة بالذكر أداء بحسبه، قضاء بحسب فوت الوقت الزمانى؛ فلله تعالى على [هذه-[2]] الأمـــة فضل عظيم فيما يكمل لها على طريق النسخ و على سبيل النسء و على جهـة النسيان الذى ليس عن تراخ و لا إهمال ٥ و إنما يوقعه إجبارا مع إجماع العزم، و فى كل[3] ذلك إنباء[4] بان ما وقع من الأمر بعد هـذا النسيان خـير من موقع ذلك الأمر الذى كان يقع على إجماع و رعاية لتستوى أحوال هذه الأمة فى جميع تقلبات[5] أنفسها، كل ذلك من اختصاص رحمته و فضله العظيم - انتهى. و استدل[6] سبحانه على إتيانه[7] بذلك بقدرته، و القدرة[8] الشاملة التـامة مستلزمة للعلم أى ١٠ و ليس هو كغيره من الملوك إذا أمر بشىء خاف غائلة[9] أتباعه و رعاياه فى نقضه، و استدل على القدرة بأن له جميع الملك و أنه ليس لأحد معه

= لأنه قد بلغ و أدى الأمانة، و منه الحديث حين أسقط آية فلما فرغ من الصلاة قال: أفى القوم أبى؟ قال: نعم يا رسول الله! قال: فلم لم تذكرنى؟ قال: خشيت أنهـا رفعت، فقال النبى صلى الله عليه و سلم: لم ترفع و لكنى نسيتها - انتهى كلام ابن عطية.

(١-١) ليست فى مد (٢) زيد من م و ظ و مد، وقد سقط من الأصل.
(٣) ليس فى م (٤) فى مد: اتينا - كذا (٥) فى م: تغلبات، و فى مد: تقلباب.
(٦) زيد فى م: اى اوجد الدليل لغيره او فعل فعل من يطلب الدليل (٧) و فى ظ: اثباته (٨) زيد فى م: له (٩) فى ظ: غائلته.

أمر ؛ و حاصل ذلك أنه لما ذكر سبحانه هذا الكتاب و أكد أمره مرارا
و كان ناسخا لفروع شريعتهم و لا سيما ما فيها من الآصار و الأغلال أشار
سبحانه إلى أن من أعظم ضلالهم و غيهم و محالهم[1] ادعاؤهم أن النسخ
لا يجوز على الله، فمنعوا من "لا يسئل عما يفعل[2]" مما هو موجود فى
٥ كتابهم كما مر آنفا، و مما سوغوه لأنفسهم بالتحريف و التبديل، و لزم
من ذلك تكذيب كل رسول أتاهم بما لا تهوى أنفسهم، و فعلوا خلاف
حال المؤمنين المصدقين بما أنزل إلى نبيهم و ما أنزل إلى غيره، و ضمن
ذلك عيبهم بالقدح فى الدين بالأمر بالشيء اليوم و النهى عنه غدا، و أنه
لو كان من عند الله لما تغير[3] لأنه عالم بالعواقب، و لا يخلو إما أن يعلم
١٠ أن الأمر بذلك الشيء مصلحة فلا ينهى عنه بعدُ، أو[4] مفسدة
فلا يأمر به اليوم؛ و جوابهم عن ذلك معرضا عن خطابهم تعريضا بغباوتهم
إلى خطاب أعلم الخلق بقوله: ﴿ألم تعلم ان الله﴾ أى الحائز لجميع أوصاف[6]
الكمال ﴿على كل شيء قدير﴾ على وجه الاستفهام المتضمن[6] للانكار
/١١٠ و التقرير المشار فيه للتوعد و التهديد، فيخلق بقدرته من الأسباب / ما يصير
١٥ الشيء فى وقت مصلحة و فى وقت آخر مفسدة لحكم و مصالح دبرها لتصرم
هذا العالم، و يقضى[7] هذا الكون بشمول علمه بكل ما تقدم و ما تأخر،

(١) فى م: مخالهم - كذا بالخاء المعجمة (٢) سورة ٢١ آية ٢٣ (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: تغير - كذا (٤) فى مد: و (٥) فى مد: صفات (٦) زيد فى م و ظ: لاجل قصد اليهودية (٧) فى م و مد: تقضى.

و لو

و لو أراد لجعل[1] الأمر على سنن واحد[2] و الناس على قلب رجل واحد "و لوشاء ربك لأمن من فى الارض كلهم جميعا[3]" "لجعل[4] النـاس امة واحدة[5]" و لكنه مالك الملك و ملك[6] السماوات و الأرض، يتصرف على حسب ما يريد، لا راد لأمره و لا معقب لحكمه، و لا يسوغ الاعتراض عليه بوجه، و هل يجوز أن يعترض العبد الذى لا ينفك أصلا من الرق ٥ على السيد الثابت السودد على أنه لا يلزمه شيء أصلا فلا يلزمه الأمر على حسب المصالح؛ ثم اتبع ذلك بما هو كالدليل على شمول القدرة فقال: ﴿ الم تعلم ان الله ﴾ الجامع لأنواع العظمة ﴿ له ملك السمٰوٰت و الارض ﴾ يفعل فى ذواتهما و أحوالهما ما يشاء. قال الحرالى: فهو بما هو على كل شيء قـدير يفصل الآيـات، و هو بما له ملك السماوات و الأرض يدبر ١٠ الأمر - انتهى[7].

و لما أتم[8] سبحانه ما أراد من إظهار قدرته و سعة ملكه و عظمته بالاسم العلم الذى هو[9] [أعظم -[10]] من مظهر [العظمة -[10]] فى تنسخ و تنسا بالإقبال على خطاب من لا[11] يعلم ذلك حق علمه غيره فتهيأت[12] قلوب السامعين و صغت[13] لفت الخطاب إليهم ترهيبا فى إشارة إلى ترغيب فقال: ﴿و ما لكم

(١) فى م: بجعل (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: واحدة (٣) سورة ١٠ آية ٩٩ (٤) فى م فقط: فجعل - كذا؛ راجع سورة ١١ آية ١١٨ (٥) ليس فى م. (٦) فى م: مالك (٧) ليس فى ظ (٨) فى ظ: ثم (٩) زيد فى م: من (١٠) زيد من م و مد و ظ (١١) ليس فى مد (١٢) من م و ظ، وفى الأصل: فتهيات - كذا، و فى مد: فهيّات (١٣) من م، و فى بقية الأصول: صفت - كذا بالفاء.

من دون الله﴾ المتصف بجميع صفات العظمة ﴿من ولى﴾ يتولى أموركم، و هو من الولاية، قال الحرالى: و هى[١] القيام بالأمر عن وصلة واصلة[٢] ﴿و لا نصير ٥﴾ فأقبلوا بجميع قلوبكم إليه و لا تلفتوها[٣] عنه، و فى ذلك تعريض بالتحذير للذين آمنوا و لم يبلغوا درجة المؤمنين من مخالفة أمره ٥ إذا حكم عليهم بما أراد كائنا ما كان لئلا تلقن[٤] بواطنهم عن اليهود نحوا مما لقنت[٥] ظواهر ألسنتهم، بأن تستمسك[٦] بسابق[٧] فرقانها فتتثاقل[٨] عن قبول لاحقه و[٩] مكمله، فيكون[٩] ذلك تبعا لكثرة أهل الكتاب فى إبائها[١٠] نسخ ما لحقه التغيير من أحكام[١١] كتابها - أفاده الحرالى و قال: و هو فى الحقيقة خطاب جامع لتفصيل ما يرد[١٢] من النسخ فى ١٠ تفاصيل الأحكام و الأحوال بمنزلة الخطاب المتقدم فى صدر السورة المشتمل على جامع[١٣] ضرب الأمثال فى قوله تعالى: "ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما" الآية، و ذلك لأن هذه السورة هى فسطاط القرآن

(١) زيد فى م: الامر بالقيام، و فى مد: القيام بالامر (٢) فى مد: فاصله (٣) و فى ظ: لا تلقنوها (٤) من م و ظ، و فى الأصل: يلقن، و فى مد: يلقن - كذا (٥) فى الأصل: لقيت. و التصحيح من م و ظ و مد (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: يستمسك (٧) فى م: سابق، و فى مد: بظاهر (٨) من م و ظ، و فى الأصل: فيتثاقل، و فى مد: فتساهل - كذا (٩-٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: تكمله فكون - كذا (١٠) من م و ظ و مد، و فى الأصل: اباتها - كذا (١١) زيد فى ظ و مد: فى (١٢) زيد فى الأصل «الله» و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٣) ليس فى م و ظ.

الجامعة لجميع ما تفصّل[1] فيه؛ و هى سنام القرآن، و سنام الشى أعلاه؛ و هى سيدة سور[2] القرآن؛ ففيها لذلك[3] جوامع ينتظم بعضها ببعض أثر تفاصيله خلالها[4] فى سنامية معانيها و سيادة خطابها نحوا من انتظام آى[5] سورة الفاتحة المنتظمة من غير تفصيل وقع أثناءها[6] ليكون بين المحيط الجامع و[7] الابتداء الجامع مشاكلة مّا ـ انتهى. و لما كان[8] رسخ ٥ [9] ما ذكره سبحانه من تمام قدرته و عظيم مملكته و ما أظهر لذاته المقدس من العظم بتكرير اسمه العلَم [10] و إثبات أن ما سواه عدم[10] فتأهلت القلوب للوعظ صدعها[11] بالتأديب بالإنكار الشديد فقال: ﴿ ام ﴾ أى أتريدون أن تردوا أمر خالقكم فى النسخ أم ﴿ تريدون ان ﴾ تتخذوا من دونه إلها لا يقدر على شىء بأن ﴿ تسئلوا رسولكم ﴾ أن يجعل لكم إلها غيره ﴿ كما ١٠ سئل موسى ﴾ ذلك. [12] و لما كان سؤالهم ذلك فى زمن يسير أثبت[13] الجار فقال: ﴿ من قبل ﴾ أى قبل هذا الزمان إذ قال قومه بعد ما رأوا من الآيات و قد مرّوا بقوم يعكفون على أصنام لهم: "اجعل لنا الها كما لهم الهة[14]" و قالوا: "ارنا الله جهرة[15]"، و قالوا: "لن نصبر على طعام

(١) فى مد: يفضل (٢) فى م: سورة (٣) ليس فى مد (٤) فى الأصل: حلالها ـ كذا بالحاء المهملة، و التصحيح من بقية الأصول (٥) من م. و فى الأصل و مد: اى (٦) فى الأصل: اثناء، و فى م: اثنا، و فى مد: اسنا ـ كذا. (٧) و فى م: فى (٨) ليس فى م و ظ (٩) و فى م: مما (١٠ ـ ١٠) ليست فى ظ (١١) فى م: صدغها (١٢) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ. (١٣) من م و مد، و فى الأصل: اثبت ـ كذا (١٤) سورة ٧ آية ١٣٨. (١٥) سورة ٤ آية ١٥٣.

واحد[١] "، وكانوا يتعنتون عليه فى أحكام الله بانواع التعنتات كما تقدم . و " الإرادة " فى الخلق نزوع النفس لباد تستقبله - قاله الحرالى . و أدل دليل على ما [٢] قدرته قوله عطفا على ما تقديره: فيكفروا[٣] فانه من سأل ذلك فقد تبدل الكفر بالإيمان ﴿ و من يتبدل الكفر بالايمان ﴾ [٤] أى

٥ يأخذ الكفر بدلا من الإيمان بالإعراض عن الآيات و سؤال غيرها[٥] أو[٦] التمسك بما نسخ منه ، و عبر بالمضارع استجلابا[٧] لمن زل بسؤال شىء من ذلك إلى الرجوع بالتوبة ليزول عنه الاستمرار فيزول الضلال ﴿ فقد ضل سواء السبيل ﴾ أى عدله و وسطه فلم يهتد إليه و إن كان فى بينات منه ، فان من حاد عن السواء أوشك أن يبعد بعدا لا سلامة معه[٨] " و ان هذا

١٠ صراطى مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله[٩] " وكثيرا ما كان يتزلزل طوائف من الناس عند تبدل الآيات و تناسى الأحكام و بحسب ما يقع فى النفس ، من تثاقل[١٠] عنه أو تحامل على قبوله

---

(١) سورة ٢ آية ٦١ (٢) ليس فى ظ و مد (٣) وفسر الزمخشرى هذا بأن قال : و من ترك الثقة بالآيات المنزلة و شك فيها و اقترح غيرها . و قال أبو العالية : الكفر هنا الشدة و الإيمان الرخاء . و هذا فيه ضعف إلا أن يريد أنهما مستعاران فى الشدة على نفسه و الرخاء لها عن العذاب و النعيم - قاله أبو حيان الأندلسى .

(٤) العبارة من هنا إلى « الضلال » ليست فى ظ (٥) و فى م و مد : غيرهما .

(٦) فى مد فقط : و (٧) و فى مد : استجمنا - كذا (٨) فى مد : منه .

(٩) سورة ٦ آية ١٥٣ (١٠) من مد و ظ . و فى الأصل : ثاقل ، و فى م : تناقل - كذا .

يلحقه من هذا الضلال عن سواء هذا السبيل[١] ؛ و فيه إشعار بأن الخطاب للذين آمنوا ، لأن المؤمنين المعرفين بالوصف لا يتبدل أحوالهم من إيمان / لكفر ، لأن أحدا لا يرتد عن دينه بعد أن خالط الإيمان بشاشة قلبه / ١١١ "فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها[٢]" . "و من يسلم وجهه إلى الله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى[٣]" ؛ و قال عليه الصلاة و السلام : إن الله لا ينتزع[٤] العلم انتزاعا بعد أن أعطاكموه . فبذلك يتضح مواقع[٥] خطاب القرآن مع المترتبين[٦] [٧]في أسنان القلوب بحسب الحظ من الإيمان و الإسلام و الإحسان[٧] - قاله الحرالي . و عرف "السبيل" بأنه المشتمل على قوام السائر فيه و السالك له من نحو الرعي و السقي و شبهه ، و السواء بأنه من الشيء أسمحه

(١) و في البحر المحيط ١/٣٤٧ : لما كانت الشرطية توصل سالكها إلى رضوان الله تعالى كنى عنها بالسبيل ، و جعل من حاد عنها كالضال عن الطريق ، و كنى عن سؤالهم نبيهم ما ليس لهم أن يسألوه بتبدل الكفر بالإيمان ، و أخرج ذلك في صورة شرطية و صورة الشرط لم تقع بعد تنفيرا عن ذلك و تبعيدا منه ، فوبخهم أولا على تعلق إرادتهم بسؤال ما ليس لهم سؤاله و خاطبهم بذلك ، ثم أدرجهم في عموم الجملة الشرطية و ان مثل هذا ينبغي أن لا يقع لأنه ضلال عن المنهج القويم ؛ فصار صدر الآية إنكارا و توبيخا و عجزها تكفيرا و ضلالا ، و ما أدى إلى هذا فينبغي أن لا يتعلق به غرض ولا طلب و لا إرادة (٢) سورة ٢ آية ٢٥٦ (٣) سورة ٣١ آية ٢٢ (٤) من م وظ و مد ، و في الأصل : لا ينزع .

(٥) ليس في م (٦) في مد : المرتدين (٧ - ٧) ليست في مد .

بالأمر الذى قصد له ، قال : و يقال هو وسطه و خياره .

و لما كان أكثر المثيرين لهذه الشكوك فى صور أهل الإسلام قال تعالى مخاطبا للمؤمنين و هم فى غمارهم تنفيرا لهم عن الضلال الذى هو فى نفسه أهل لأن ١ ينفر عنه فكيف و هو شماتة العدو و بتخييله و ودادته[٢] تحذيرا لهم من مخالطتهم : ﴿ و د كثير ﴾ [٣] و هو تعليل لمعنى الكلام و هو : فلا تتبدلوا الكفر بالإيمان ، بعد تعليله بالضلال ؛ و ذلك كما مضى فى "ما يود الذين كفروا" سواء .

و لما كان المشركون عربا عالمين بأن طبع العرب[٤] الثبات لم يدخلهم معهم فى هذا الود و قال : ﴿ من اهل الكتب ﴾ فأنبأ[٥] أن[٦] المصافى منهم قليل ، و بشر سبحانه بأن ما يودونه من قسم المحال بسوقه[٧] سوق المتمنى فقال : ﴿ لو يردونكم ﴾ أى بأجمعكم[٨] ؛ ثم حقق أمر التمنى [٩]فى كونه[٩] محالا [١٠] ١مشيرا باثبات الجار إلى قناعتهم به و لو فى زمن يسير١١ فقال : ﴿ من بعد ايمانكم ﴾ ١١ أى الراسخ١١ ﴿ كفارا ﴾ ١١ أى لتكونوا مثلهم فتخلدوا معهم فى النار١١ ﴿ حسدا ﴾ على ما آتاكم الله من الخير الهادى إلى الجنة ، و الحسد قلق النفس من رؤية النعمة على الغير ، و عبر عن بلوغ الحسد

(١) فى ظ : لا (٢) فى م : ردادته (٣) و فى عبارة م من قوله «وهو تعليل» إلى قوله «سوق المتمنى فقال» تقديم و تأخير (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : للعرب (٥) من م وظ و مد ، وفى الأصل : فانبا ـ كذا (٦) سقط من مد (٧) فى مد : يسوقه (٨) فى مد : جمعكم (٩-٩) كرره فى مد ثانيا (١٠) زيد فى مد : فقال. (١١-١١) ليست فى ظ .

إلى غاية لا حيلة معها فى تركه بقوله : ﴿ من عند انفسهم [١] ﴾ أى أنه راسخ فى طبائعهم فلاتطمعوا فى صرفه بشىء [٢] ، فان أنفسهم غالبة على عقولهم ، ثم زاده تأكيدا بقوله [٣]مشيرا باثبات الجار إلى ذمهم [٤] بأنهم استمروا على الضلال بعد الدعوة ، لا يطلبون الحق مع القدرة على تعرفه ، حتى هجم عليهم [٥] بيانه و قهرهم عرفانه ، ثم لم يرجعوا إليه ؛ و ما كفاهم ٥ ضلالهم فى أنفسهم حتى تمنوا إضلال غيرهم بالرجوع عنه ﴿ من [٦] بعد ما تبين ﴾ [٧]أى بيانا عظيما بوضوحه [٨] فى نفسه ﴿ لهم الحق ﴾ [٩]أى من صحة رسالة محمد صلى الله عليه و سلم و أنه خاتم النبيين المرسل [١٠] إلى الناس [١٠]

(١) و يتعلق المجرور الذى هو "من عند انفسهم" إما بملفوظ به وهو ود أى ودوا ذلك من قبل شهوتهم لا أن ودادتهم ذلك هى من جهة التدين و اتباع الحق ، ألا ترى إلى قوله تعالى "من بعد ما تبين لهم الحق" ؟ و إما بمقدر فيكون فى موضع الصفة التقدير : حسدا كائنا من عند أنفسهم ؛ و على كلا التقديرين يكون توكيدا ، أى ودادتهم أو حسدهم من تلقائهم - البحر المحيط ١/٣٤٨ (٢) فى م : لشىء (٣) العبارة من هنا إلى «بالرجوع عنه» ليست فى ظ (٤) فى م : دينهم .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل : عليه (٦) فى البحر المحيط ١/٣٤٨ تتعلق "من" هذه بقوله "ود" أى أن ودادتهم كفركم للحسد المنبعث من عند أنفسهم ، و تلك الودادة ابتدأت من زمان وضوح الحق و تبينه لهم ، فليسوا من أهل الغباوة الذين قد يعزب عليهم وضوح الحق بل ذلك على سبيل الحسد و العناد ؛ و هذا يدل على أن الكفر يكون عنادا ، ألا ترى إلى ظاهر قوله ﴿ من بعد ما تبين لهم الحق ﴾ (٧) العبارة من هنا إلى «نفسه» ليست فى ظ (٨) فى م : بوضوح .
(٩) العبارة من هنا إلى «التوراة» ليست فى ظ (١٠-١٠) فى مد : للناس .

كافة [١] بشهادة ما طابقه من التوراة[١] ، و من أنهم خالدون فى النار ، لأنهم ممن[٢] أحاطت به خطيئته بما دل عليه سبحانه فى جميع هذه الآيات إبطالا لدعواهم فى مس النار لهم[٣] أياما معدودة .

ثم أرشد إلى الدواء بقوله مسببا عن الإخبار بأن ودهم محال و بعدم رجوعهم : ﴿ فاعفوا ﴾ أى عاملوهم معاملة العافى بأن لا تذكروا[٤] لهم شيئا مما تظهره تلك الودادة الناشئة عن هذا الحسد من الأقوال و الأفعال و لا تأخذوا فى مؤاخذتهم به ، فانهم لا يضرونكم و لا يرجعون إليكم ، ﴿ و اصفحوا ﴾ أى أظهروا لهم أنكم لم تطلعوا على شىء من ذلك ، و أصل معناه من الإعراض بصفحة العنق عن الشىء كأنه لم يره ، و أمرهم[٥] بمطلق الصفح و لم يقيده بالجميل الذى اختص به خطاب نبيهم صلى الله عليه و سلم فى قوله " فاصفح الصفح الجميل[٦] " لتنزل الخطاب على مراتبه و مستحق[٧] مواقعه . و حثهم[٨] على أن يكون فعلهم ذلك اعتمادا على تفريجه سبحانه بقوله : ﴿ حتى[٩] يأتى الله ﴾[١٠] الذى لا أمر لأحد معه ﴿ بأمره ﴾ فبشرهم

(١-١) ليست فى م (٢) فى م : من (٣) ليس فى ظ (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا يذكروا (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : امره (٦) سورة ١٥ آية ٨٥ (٧) فى ظ : مستجمع (٨) فى مد : حتم - كذا (٩) فى البحر المحيط ١/٣٤٩ : غيا العفو و الصفح بهذه الغاية و هذه موادعة إلى أن أتى أمر الله بقتل بنى قريظة و إجلاء بنى النضير و إذلالهم بالجزية و غير ذلك مما أتى من أحكام الشرع فيهم و ترك العفو و الصفح . و قال الكلبى : هو إسلام بعض و اصطلام بعض ، و قيل آجال بنى آدم ، و قيل : القيامة ، و قيل : المجازاة يوم القيامة ، و قيل : = بذلك

بذلك بظهورهم على من أمروا ١ بالصفح و العفو ١ عنهم ، و قد كان مبدأ ذلك و يتم فى زمن عيسى عليه السلام .

و لما كان النصر و هم فى القلة ٢ و الضعف بحال عظيم و قوة عدوهم وكثرتهم أعظم مستبعدا قال : ﴿ ان الله ﴾ و أظهر موضع الإضمار ٣ تحقيقا للبشرى بالإيماء إلى استحضار ما يدل عليه هذا الاسم الأعظم من ٥ صفات الجلال و الإكرام ﴿ على كل شيء قدير ٥ ﴾ ٤ فى هـذا الختم بشرى للمؤمنين بتقـديرهم كما أن فى الختم بالعلم بشرى بتعليمهم ، و فى إفهامه نذارة للكافرين بمقابل ٥ ذلك .

و لما أمرهم بالثقة ٦ بهذا الكتـاب ما نسخ منه و ما لم ينسخ و أن

= قوة الرسالة وكثرة الأمة ؛ و الجمهور على أنه الأمر بالقتال . و عن الباقر أنه لم يؤمر بقتال حتى نزل " اذن للذين يقتلون " و الأمر بالعفو و الصفح هو أن لا يقاتلوا و أن يعرض عن جوابهم ، فيكون أدعى لتسكين الثـائرة و إطفاء الفتنة و إسلام بعضهم لا أنه يكون ذلك على وجه الرضا لأن ذلك كفر (١٠) زيد فى مد : أى . و العبارة من هنا إلى « معه » ليست فى ظ .

(١-١) فى م و ظ : بالعفو و الصفح ، و فى مد : بالمعروف و الصفح (٢) فى م : العلة - كذا (٣) فى م : للاضمار (٤) و فيه إشعار بالانتقام من الكفار ، و وعد للمؤمنين بالنصر و التمكين ، ألا ترى أنـه أمر بالموادعـة بالعفو و الصفح و غيا ذلك الى ان " يأتى الله بامره " ثم أخبر بأنه قـادر على كل شيء - البحر المحيط ١/٤٤٩ (٥) فى مد : المقابل (٦) من مد ، و فى الأصل محرف غير واضح ، و فى م : النفد ، و فى ظ : الثقه .

لا يعوقهم عنه طعن الطاعنين و لا حسد الحاسدين و أمرهم[١] [٢]بالإعراض عن الغير أمرهم بالإقبال على إصلاح النفس و الإحسان إلى الغير[٢] مما[٣] اتصف به المهتدون فى قوله تعالى "و يقيمون الصلوٰة و مما رزقنٰهم ينفقون"، و لما كان المقصود من الصلاة قصر الهمة و النية على الحضرة الإلٰهية و تفريغ البال من جميع الشواغل علم أن التقدير بعد الختم بشمول القدرة فاعلموا / ذلك [٤]و ثقوا به[٤] ﴿ و اقيموا الصلوٰة ﴾ [٥]التى هى مع كونها[٦] سنبتليكم[٧] فى قبلتها بالنسخ قوام الدين و المعينة على جميع النوائب باعانة الخالق الذى قصد بها الإقبال عليه و التقرب إليه ﴿ و اٰتوا الزكوٰة ﴾ التى هى قرينة الصلاة ، فمن فرق بينهما [٨]فقد نسخ[٨] ما أثبت الله فاستحق القتال[٩] ليرجع عما ارتكب من الضلال ، [١٠]و هى[١٠] من أعظم نفقات المؤمنين إحسانا إلى الخلائق إن كنتم مصلين بالحقيقة ، فان المال بعض

/١١٢

(١) فى ظ : امر (٢-٢) ليست فى ظ (٣) فى م : بما (٤-٤) فى مد : و بقوله .
(٥) لما أمر بالعفو و الصفح أمر بالمواظبة على عمودى الإسلام : العبادة البدنية ، و العبادة المالية ، إذ الصلاة فيها مناجاة الله تعالى و التلذذ بالوقوف بين يديه ، و الزكاة فيها الإحسان إلى الخلق بالإيثار على النفس ، فأمروا بالوقوف بين يدى الحق و بالإحسان إلى الخلق . قال الطبرى : إنما أمر الله هنا بالصلاة و الزكاة ليحط ما تقدم من ميلهم إلى قول اليهود : راعنا ، لأن ذلك نهى عن نوعه ثم أمر المؤمنون بما يحطه ـ البحر المحيط (٦) فى الأصل فقط : كوننا ، و التصحيح من بقية الأصول (٧) فى مد : مستقبليكم (٨-٨) فى م : فنسخ ـ كذا (٩) فى مد : النار (١٠-١٠) فى مد : فهى .

ما صرفت عنه الصلاة من أعراض الدنيا .

و لما كان قوله "يايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا" و ما بعده خطابا للمؤمنين تحـــذيرا من كيد أعدائهم بالنهى عما يرديهم و الأمر بما ينجيهم و ختمه بهذه الآية فذلك لذلك كله جميعا لمعانيه و فتحها برأس العبادات البدنيـة و المـاليـة و كانت "ال ١" مشيرة ٢ إلى الواجب من ٥ ذلك ختم الآية نفسها بالأمر العام الجامع فقال: ﴿ و ما تقدموا لانفسكم من خير ﴾ أى من الصلاة و الزكاة و غيرهما فرضا و نفلا ﴿ تجدوه ﴾ و زاد ٣ ترغيبا فيه بقوله: ﴿ عند الله ﴾ أى الجـامع لصفات الكمال ، فهو يحفظه بما له من العلم و القدرة و يربيه ٤ بما له من الكرم و الرحمة - إلى غير ذلك من أمور الفضل . ١٠

و لما كان الشيء قد يهمل لكونه صغيرا و قد لا يطلع عليه لكونه خفيا حقيرا قال مرغبا مرهبـا: ﴿ ان الله ﴾ ٥المحيط قـدرة و علما٥ ﴿ بما تعملون بصـير ٥ ﴾ و أظهر الاسم فى موضع الإضمار إشعارا بالاستئناف للخير ليكون ختما جامعا ، لأنه لو عاد على خصوص هذا الخطاب ٦ لكان "انه" ، و ذلك لأن تجديد الإظهار يقع ٧ بمعنى رد ٨ ١٥

(١) فى م و ظ : ان (٢) فى م : مسيرة (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: زاده (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ربه - كذا (٥ - ٥) لبست فى ظ .
(٦) فى الأصل : الكتاب ، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) من م ، و فى مد: نفع (٨) فى مد : رده .

ختم الخطاب على إحاطة جملته[١] - قاله الحرالى . [٢] و المعنى أنه لو أضمر لكان ربما أفهم تقيد[٣] علمه بحيثية ما تقدم من عمل الخير ؛ و على مثل هذا دل قول العلامة شمس الدين الغزى[٤] فى أول شرحه لإيساغوجى[٥] : الغالب[٦] فى المضمر إرادة المعنى الأول ، و أما حديث : إعادة[٧] الشيء معرفة[٨] .

٥ فأصل يعدل عنه كثيرا للقرائن[٩] .

و لما ذكر دعواهم فى مس النار و أبطلها من وجوه كثيرة أحاطت بهم فيها الخطايا إحاطة اقتضت خلودهم فيها من جهة [ضلالهم إلى آية

(١) فى مد : قلته - كذا (٢) العبارة من هنا إلى « للقرائن » ليست فى ظ (٣) فى مد : تقييد ، و فى البحر المحيط : و هذه جملة خبرية ظاهرة التناسب فى ختم ما قبلها بها ، تتضمن الوعد و الوعيد ، و كنى بقوله " بصير " عن علم المشاهد ، أى لا يخفى عليه عمل عامل و لا يضيعه و من كان مبصرا لفعلك لم يخف عليه هل هو خير أو شر ، و أتى بلفظ بصير دون مبصر إما لأنه من بصر فهو يدل على التمكن والسجية فى حق الإنسان أو لأنه فعيل للمبالغة بمعنى مفعل الذى هو للتكثير . قال بعض الصوفية : على المريد إقامة المواصلات و إدامة التوسل بفنون القربات واثقا بأن ما تقدمه من صدق المجاهدات ستزكو ثمرته فى آخر الحالات وأنشدوا :

سابق إلى الخير و بادر به فانما خلقك ما تعلم
و قدم الخير فكل امرئ على الذى قدمه يقدم

(٤) من م ، و فى الأصل : الفزى ، و فى مد : بن الغزى (٥) فى م : لاتساغوجى . (٦) فى م : الغالبه (٧) فى م : اعاره ، و ليس فى مد (٨) فى م : معرفه (٩) زيد فى مد : و قال الشيخ سعد الدين فى المختصر فى بحث التشبيه : فلم يأت بالضمير لئلا يعود إلى المشبه المذكور هو أخص ، و ما يقال إن المعرفة إذا أعيدت كانت عين الأول فليس على إطلاقه .

النسخ

النسخ مرقيا الخطاب من سيئة إلى أسوأ منها ثم من جهة -[1] إضلالهم لغيرهم من آية النسخ عطف على تلك الدعوى الإخبار بدعواهم فى دخول الجنة تصريحا بما أفهمته الدعوى الأولى تلويحا و قرن بذلك مثل ما ختم به ما قبلها من أن[2] من فعل خيرا وجد[3] على وجه بين فيه أن ذلك الخير الإسلام و الإحسان فقال تعالى: ﴿ و قالوا ﴾ أى أهل الكتاب من اليهود و النصارى حسدا منهم على المسبب الذى هو الجنة كما حسدوا على السبب و هو إنزال ما اقتضى الإيمان الموصل إلى الرضوان الذى به تستباح الجنان ﴿ لن يدخل الجنة ﴾ المعدة لأولياء الله ﴿ الا من كان هودا ﴾ هذا قول اليهود منهم ﴿ او نصارى ﴾ و هذا قول النصارى نشرا[4] لما لفته[5] الواو[6] فى "و قالوا[7]".

(١) زيد من م وظ ومد (٢) زيد فى مد: ما (٣) فى م: اوجده، وفى مد وظ: وحده (٤) فى ظ فقط: فبشرا (٥) فى مد: لفت (٦) ليس فى مد (٧) وفى البحر المحيط ١ / ٣٥٠: و الضمير فى ﴿ وقالوا ﴾ عائد على أهل الكتاب من اليهود و النصارى، و لفهم فى القول ﴿ لن يدخل الجنة ﴾ لأن القول صدر من الجميع باعتبار أن كل فريق منهما قال ذلك لا أن كل فرد فرد قال ذلك حاكما على أن حصر دخول الجنة على كل فرد فرد من اليهود و النصارى، و لذلك جاء فى العطف با و التى هى للتفصيل و التنويع، و أوضح ذلك العلم بمعاداة الفريقين و تضليل بعضهم بعضا، فامتنع أن يحكم كل فريق على الآخر بدخول الجنة، و نظيره فى لف الضمير و فى كون أو للتفصيل قوله "و قالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا" إذ معلوم أن اليهود لا يأمر بالنصرانية و لا النصرانى يأمر باليهودية.

و لما كانوا[١] أبعد الناس عن هذه الأمانى التى تمنوها لأنفسهم لمنابذتهم لما عندهم من العلم و التى حسدوا فيها المؤمنين لأن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء قال مشيرا إلى بعدهم عن ذلك على وجه الاستئناف[٢] معترضا بين الدعوى و طلب الدليل عليها تعجيلا لتوهيتها[٣] : ﴿ تلك ﴾ بأداة البعد ﴿ امانيهم ﴾ تهكما بهم ، [٤] أى [٥] أمثال هذه الشهوة من ودهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم ، و أن يردوهم كفارا ، و أن لا يدخل الجنة غيرهم - و أمثال ذلك من شهواتهم[٦] .

و لما كان كل مدع لغيب مفتقرا فى تصحيح دعواه إلى دليل وكان مثل هذا لا يقنع فيه إلا بقاطع [٧]أمر أعلم[٧] الخلق لأنه لا ينهض بأخراسهم فى علمهم و لددهم غيره بمطالبتهم بذلك ناقضا لدعواهم فقال : ﴿ قل هاتوا برهانكم ﴾ بلفظ البرهان . قال الحرالى : و هو علم قاطع الدلالة غالب القوة بما تشعر به صيغة الفعلان ضم أولها و زيادتا[٨] آخرها،

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كان (٢) العبارة من هنا إلى «لتوهيتها» ليست فى ظ (٣) فى مد : لتوهينها (٤) العبارة من هنا إلى « شهواتهم » ليست فى ظ (٥) من م و مد ، و فى الأصل : الى (٦) قال أبو حيان الأندلسى : و الأظهر أن تلك إشارة إلى مقالتهم " لن يدخل الجنة " أى تلك المقالة أمانيهم أى ليس ذلك عن تحقيق و لا دليل من كتاب الله ولا من إخبار من رسول و إنما ذلك على سبيل التمنى و إن كانوا هم جازمين بمقالتهم لكنها لما لم تكن عن برهان كانت أمانى ، و التمنى يقع بالجائز و الممتنع ، فهذا من الممتنع ، و لذلك أتى بلفظ الأمانى و لم يأت بلفظ مرجواتهم ، لأن الرجاء يتعلق بالجائز ، تقول : ليتنى طائر ، و لا يجوز : لعلنى طائر (٧ - ٧) فى ظ : امرا اعلم (٨) فى مد : زيادة .

و هذا كما افتتح تلك بالنقض بقوله "قل اتخذتم" و فى ذلك إعلام بأنه تعالى ما غيّب[1] شيئا إلا و أبدى عليه علما ليكون فى العالم المشهود شفاف عن العالم الغائب ـ قاله الحرالى . [2] قالوا : و هـذا أهدم شىء[3] لمذهب المقلدين و دليل على أن كل قول لا برهان عليه باطل[4] .

و لما نادى عليهم بالكذب فى قوله : ﴿ ان كنتم صٰدقين ﴾ أثبت ٥ لغيرهم بقوله : ﴿بلى﴾ ما ادعوا الاختصاص به ، ثم بين أهل الجنة بقوله: ﴿ من اسلم وجهه ﴾ أى كليته ، لأن الوجه أشرف ما ظهر من الإنسان ، فمن أسلمه أسلم كله ، كما أن « الإيمان » إذعان القلب الذى هو أشرف ما بطن و إذعانه إذعان جميع الأعضاء ؛ و « الإسلام » قال الحرالى الإلقاء بما يكون من منة[5] فى باطن أو ظاهر ؛ و « الوجه » مجتمع حواس ١٠ الحيوان ، و أحسن ما فى الموتان[6] - و هو ما عدا الحيوان ، و موقع الفتنة من الشىء الفتان ؛ و هو أول ما يحاول إبداؤه من الأشياء لذلك[7] ﴿ لله ﴾ من أجل أنه الله[8] الجامع للكمال .

و لما كان ذكر الأجر لكل واحد بعينه أنص على المقصود و أنفى

---

(١) من م و ظ و مد ، وفى الأصل ، غير ـ كذا (٢) العبارة من هنا إلى «باطل» ليست فى ظ (٣) فى م : لى (٤) و فى البحر المحيط ١ / ٣٥١ : و فى هذا دليل على أن من ادعى نفيا أو إثباتا فلا بد له من الدليل ، و تدل الآية على بطلان التقليد و هو قبول الشىء بغير دليل . قال الزمخشرى : و هذا أهدم شىء لمذهب المقلدين و أن كل قول لا دليل عليه فهو باطل (٥) فى م : منه (٦) وقع فى م : الموتات ـ محرفا (٧) ليس فى ظ (٨) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

للتعنت[١]، أفرد الضمير فقال: ﴿ و هو محسن ﴾ فى جانب الحق[٢] باذعان القلب، و فى جانب الخلق بما يرضى الرب، [٣]فصلو يعبد الله كأنه يراه[٣]، فطابق سره[٤] علنه . و لما نفوا الأجر عن غيرهم و أثبته سبحانه للتصف بالإسلام منهم و ممن سواهم و كان ربما قيل إنه أعطى غيرهم لكونه الملك المطلق بغير سبب ربط الأجر بالفاء دليلا على أن إسلامهم هو السبب فقال: ﴿ فله ﴾ خاصة[٥] ﴿ اجره عند ربه ﴾ إحسانا إليه باثبات نفعه على حسب ما ربّه به فى كل شريعة .

[٦]و لما كان ربما ادعى أنه ما[٧] أفرد الضمير إلا لأن المراد واحد بعينه فلا يقدح ذلك فى دعوى أنه لن يدخل الجنة إلا اليهود أو النصارى جمع فقال: ﴿ و لا خوف عليهم ﴾ من آت ﴿ و لا هم يحزنون ﴾ على شيء فات دفعا لضرهم، و هذا كما أثبت سبحانه خلاف دعواهم فى مس النار بقوله: "بلى من كسب سيئة و احاطت به خطيئته" الآية[٨]، فالتحم الكلام بذلك أشد التحام و انتظم أى انتظام .

و لما أبطل دعوى اختصاصهم بالرحمة[٩] قدحا منهم فى غيرهم[٩] و أثبتها للمحسنين اتبع ذلك[١٠] قدح كل فريق منهم فى الآخر و[١٠] بيان انتفائها عنهم باساءتهم بابطال كل فرقة منهم دعوى الأخرى مع ما يشهد به

(١) فى م: للتعنت، والكلمة لا تتضح فى مد (٢) العبارة من هنا إلى «علنه» تأخرت فى م عن «هو السبب فقال» و قد ثبتت فى هامشه (٣-٣) ليست فى ظ (٤) زيد بعده فى م «و» (٥) ليس فى مد (٦) العبارة من هنا إلى «جمع فقال» ليست فى ظ (٧) من م و مد، و فى الأصل: انما (٨) سورة ٢ آية ٨١ (٩-٩) ليست فى ظ (١٠-١٠) ليست فى ظ، و فى م «الاجر» مكان «الآخر» كذا .

كتاب

كتاب كل من بطلان قوله فقال : ﴿ و قالت اليهود ليست ﴾[1] أنث[2] فعلهم لضعف قولهم و جمع أمرهم ﴿ النصارى على شيء ﴾ أى يعتد به لكونه صحيحا ، و ليس مخففة[3] من وزن فرح[4] ، و معناها مطلق النفى لمتقدم إثبات أو مقدره ـ قاله الحرالى[5] . ﴿ و قالت النصارى ﴾ كذلك[6]

(١) العبارة من هنا إلى « أمرهم » ليست فى ظ و إلى « صحيحا » ليست هنا فى مد بل أخرت عن « الحرالى » و لفظها ﴿ النصارى على شيء ﴾ أى يعتد به لكونه صحيحا أنث فعلهم لضعف قولهم و جميع أمرهم (٢) وقع فى م : انس ـ كذا بالسين محرفا (٣) فى الأصل : مخففه ، و فى م و مد : مخففه ـ كذا (٤) فى ظ : قزح ، و فى مد : فزح (٥) و قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١ / ٣٥٢ : قيل المراد عامة اليهود و عامة النصارى ، فهذا من الإخبار عن الأمم السالفة و تكون " ال " للجنس و يكون فى ذلك تقريع لمن بحضرة رسول الله صلى الله عليه و سلم من الفريقين و تسلية له صلى الله عليه و سلم إذ كذبوا بالرسل و بالكتب قبله ، و قيل المراد يهود المدينة و نصارى نجران حيث تماروا عند الرسول و تسابوا و أنكرت اليهود الإنجيل و نبوة عيسى و أنكرت النصارى التوراة و نبوة موسى ، فتكون حكاية حال و " ال " للعهد و المراد بذلك رجلان رجل من اليهود يقال له نافع بن حرملة قال لنصارى نجران : لستم على شيء ، و قال رجل من نصارى نجران لليهود : لستم على شيء ، فيكون قد نسب ذلك للجميع حيث وقع من بعضهم ، كما يقال : قتل بنو تميم ، و إنما قتله واحد منهم ، و ذلك على سبيل المجاز و التوسع ؛ و نسبة الحكم الصادر من واحد إلى الجمع و هو طريق معروف عند العرب فى كلامها نثرها و نظمها (٦) ليس فى ظ .

﴿ليست اليهود على شيء﴾ [١] فعجب منهم فى هذه الدعوى [٢] العامة لما قبل التبديل و النسخ و ما بعده بقوله: ﴿و هم﴾ [٣] أى و الحال أنهم [٣] ﴿يتلون الكتب﴾ أى مع أن [٤] فى كتاب كل منهم حقية أصل دين الآخر.

٥ ثم شبه بهم فى نحو هذا القول الجهلة الذين ليس لهم كتاب الذين هم عندهم ضلال، و فى ذلك غاية العيب لهم لتسوية حالهم مع علمهم بحال الجهلة فى القطع فى الدين بالباطل كما سوى حالهم بهم فى الحرص على الحياة فى الدنيا و منهم عبدة الأصنام الذين منهم العرب الذين أخرجوا الرسول صلى الله عليه و سلم من بلده و منعوه من مسجد أبيه إبراهيم عليهما

١٠ الصلاة و السلام الذى [٥] هو الحقيق به [٦] دونهم، و ساق ذلك جواب سائل كأنه قال: هذا قول العلماء بالكتاب فما حال من لا علم له؟ فقال: ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا القول البعيد عن القصد ﴿قال الذين لا يعلمون﴾ [٧] و لما كان صدور هذا من أهل العلم فى غاية الغرابة و صدوره من الجهلة

---

(١) زيد فى مد: أى لنسخ ديننا لدينهم و تعجب (٢) فى ظ: الدعوة.
(٣-٣) ليست فى ظ (٤) ليس فى مد (٥) فى الأصل: الذين، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) فى ظ: بهم (٧) و فى البحر المحيط ١/٣٥٣: ﴿الذين لا يعلمون﴾ هم مشركو العرب فى قول الجمهور، و قيل: مشركو قريش، و قال عطاء: أمم كانوا قبل اليهود و النصارى؛ و قال قوم: المراد اليهود و كأنه أعيد قولهم أى قال اليهود مثل قول النصارى و نفى عنهما العلم حيث لم ينتفعوا به فجعلوا لا يعلمون؛ و الظاهر القول الأول، و قال الزمخشرى: أى مثل ذلك الذى =

أغرب نبه تعالى [1]على أن[1] سامعه جدير بأن يقول لعده له عداد ما لا يصدق: كيف قال الجهلة؟ فقال أو يقال: ولما كان قولهم هذا لا يكاد يصدق من شدة غرابته كان كأنه قيل: أحق كان هذا منهم حقيقة أم كنى به عن[2] شيء آخر[3]؟ فأجيب[4] بقوله: "كذلك"، أى الأمر كما ذكرنا عنهم حقيقة لا كناية عن شيء غيره، فلما استقر فى النفس كان كأنه قيل: هل وقع هذا لأحد غيرهم؟ فقيل: نعم، وقع أعجب منه وهو أنه قال الجهلة [5]كعبدة الأصنام والمعطلة[5] ﴿مثل قولهم﴾ فعاندوا وضللوا المؤمنين أهل العلم بالكتاب الخاتم الذى لا كتاب مثله [5]وضللوا أهل كل دين[5].

ولما وقع الخلاف بين هذه الفرق تسبب عنه حكم الملك الذى لم يخلقهم سُدى بينهم فقال: ﴿فالله﴾ [5]الملك الأعظم[5] ﴿يحكم بينهم﴾ والحكم قصر المصرّف على بعض ما يتصرف فيه وعن بعض ما تشوّف[6] إليه - [7]قاله الحرالى[7]. وحقق أمر البعث بقوله: ﴿يوم القيٰمة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ والاختلاف افتعال من الخلاف وهو تقابل[8] بين رأيين

= سمعت على ذلك المنهاج قال الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الأصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لكل أهل دين: ليسوا على شيء، وهو توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم فى سلك من لا يعلم.

(١ - ١) فى م: بيان (٢) فى م: مرا - كذا (٣) ليس فى ظ (٤) فى م وظ: واجيب (٥-٥) ليست فى ظ (٦) من مد وظ، وفى الأصل: نشوف - كذا، وفى م: يشوف (٧ - ٧) ليس فى مد (٨) من مد، وفى الأصل وظ: يقابل - كذا، وفى م: تقابل.

فيما ينبغى انفراد الرأى فيه - قاله الحرالى ١ .

و لما اشتركت جميع هذه الفرق فى الظلم و زاد الجهلة منع حزب الله من عمارة المسجد الحرام بما يرضيه[٢] من القول و الفعل فازدادوا بذلك ظلما آخر و كان من منع مسجدا واحدا لكونه مسجدا مانعا لجميع المساجد قال[٣] : ﴿ و من اظلم ﴾ أى منهم ، و إنما أبدل الضمير بقوله : ﴿ ممن منع[٤] مسجد الله ﴾ أى [٥]الجامع لصفات الكمال[٥] التى هى جنان الدنيا لكونها أسباب الجنة التى قصروها[٦] عليهم ، ثم أبدل من ذلك [٥]تفخيما له تذكرة مرة بعد أخرى[٥] قوله : ﴿ ان يذكر فيها اسمه ﴾ و عطف بقوله : ﴿ و سعى فى خرابها ﴾ أى بتعطيلها عن ذكر الله لبعد وجوه ظلمهم زيادة فى تبكيتهم . و المنع الكف عما يترامى[٧] إليه . و المسجد مفعل لموضع السجود و هو

(١) و قال أبو حيان الأندلسى : و قد تضمنت هذه الآيات الشريفة أشياء ، منها افتتاحها بحسن النداء و إثبات وصف الإيمان لهم و تنبيههم على تعلم أدب من آداب الشريعة بأن نهوا عن قول لفظ لإيهام ما إلى لفظ أنص فى المقصود و أصرح فى المطلوب (٢) وقع فى ظ : يرليه - كذا مطموسا (٣) ليس فى ظ .
(٤) المنع الحيلولة بين المريد و مراده ، و لما كان الشىء قد يمنع صيانة صار المنع متعارفا فى المتنافس فيه - قاله الراغب ، البحر المحيط ١/٣٥٧ ؛ و ذكرت فيه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه جرى ذكر النصارى فى قوله "و قالت النصارى ليست اليهود على شىء" و جرى ذكر المشركين فى قوله "كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم" و فى أىّ نزلت منهم كان ذلك مناسبا لذكرها تلى ما قبلها.
(٥-٥) ليست فى ظ (٦) فى م : قصورها (٧) فى مد : يرامى .

أخفض[1] محط القائم . و السعى الإسراع فى الأمر حسا أو معنى . و الخراب ذهاب العمارة ، و العمارة إحياء المكان و إشغاله بما وضع له - قاله الحرالى .

ثم ذكر سبحانه ما رتبه على فعلهم من الخوف فى المسجد الذى أخافوا فيه أولياءه و فى جميع جنسه[2] و الخزى فى الدنيا و الآخرة / ضد ما رتبه لمن أحسن فقال[3]: ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ ما كان لهم ﴾ [4]أى ما صح و ما انبغى[4] ﴿ ان يدخلوها ﴾ أى المساجد الموصوفة ﴿ الا خائفين ﴾ [5]و ما كان أمنهم فيها إلا بسبب [6]كثرة المساعد على[6] ما ارتكبوه من الظلم و التمالؤ على الباطل و سنزيل ذلك ، ثم عمم الحكم بما يندرج فيه هذا الخوف فقال : ﴿ لهم فى الدنيا خزى ﴾ أى عظيم بذلك و بغيره ، ثم زاده بأن عطف عليه قوله : ﴿ و لهم فى الآخرة ﴾ [7]التى هم لها منكرون بالاعتقاد أو الأفعال ﴿ عذاب عظيم ﴾ فدل بوصف العذاب على وصف الخزى الذى أشار إليه بالتنوين . قال الحرالى : و فيه إنباء باحباط ما يصرف عنهم وجها من وجوه العذاب ، فنالهم من العذاب العظيم ما نال الكافرين حتى كان ما كان لهم من ملة و كتاب لم يكن ، و ذلك أسوأ الخسار ؛ قال : و من الموعود أن من أعلام قيام الساعة تضييع

/ ١١٤

---

(١) من م و ظ ، و فى الأصل : اخفط - كذا ، و فى مد : اخفص - كذا بالصاد المهملة (٢) فى الأصل : جلسه ، و التصحيح من م و ظ و مد (٣) زيد فى مد : تعالى (٤ - ٤) ليست فى ظ (٥) العبارة من هنا إلى « ذلك » ليست فى ظ . (٦-٦) ليست فى مد (٧) زيد فى ظ : اى .

المساجد[١] لذلك[٢] كل أمة و كل طائفة و كل شخص معين تطرق بجُرم[٣] فى مسجد يكون فعله سببا لخلائه فان الله عز و جل يعاقبه بروعة و مخافة تناله[٤] فى الدنيا ، حتى ينتظم[٥] بذلك من خرب مدينة من مدن الإسلام أو كانت أعماله سبب خرابها ، و فى ضمن ذلك ما كان من أحداث المسلطين على البيت المقدس بما جرّت إليه أعمال يهود فيه ؛ قال : كذلك أجرى الله سنته أن من لم يقم حرمة مساجده شرده منها و أحوجه[٦] لدخولها تحت رقبة[٧] و ذمة من أعدائه ، كما قد شهدت مشاهدة[٨] بصائر أهل التبصرة[٩] و خصوصا فى الأرض المقدسة المتناوب[١٠] فيها دول الغلب[١١] بين هذه الأمة

(١) فى البحر المحيط ١/ ٣٥٨ : و أضيفت المساجد لله على سبيل التشريف كما قال تعالى " وان المساجد لله " و خص بلفظ المسجد و إن كان الذى يوقع فيه أفعالا كثيرة من القيام و الركوع و القعود و العكوف و كل هذا متعبد به و لم يقل مقام و لا مركع و لا مقعد و لا معكف لأن السجود أعظم الهيئات الدالة على الخضوع و الخشوع و الطواعية التامة ، ألا ترى إلى قوله صلى الله عليه و سلم : أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد . و هى حالة يلقى فيها الإنسان نفسه للانقياد التام و يباشر بأفضل ما فيه وأعلاه وهو الوجه التراب الذى هو موطى قدميه . (قال ابن عطية) و هذه الآية تتناول كل من منع من مسجد إلى يوم القيامة أو خرب مدينة إسلام ، لأنها مساجد و إن لم تكن موقوفة ، إذ الأرض كلها مسجد (٢) فى م : كذلك (٣) فى مد : بحرم (٤) فى م : تباله ، و فى مد : تناوله (٥) من م وظ ، و فى مد : تنتظم ، وفى الأصل : ننتظم - كذا (٦) فى م : اخرجه (٧) فى الأصل و م وظ : رقيه ، وفى مد : رقمه - كذا (٨) ليس فى ظ . (٩) فى م : التبصر (١٠) من م وظ ، وفى مد : المتناوب ، وفى الأصل : المتناول . (١١) فى مد : القلب .

و أهل الكتاب " الٓمٓ ۝ غلبت الروم ۝ فى ادنى الارض و هم من بعد غلبهم سيغلبون ۝ فى بضع سنين ١ " فكل طائفة فى بضعها إذا ساء عملها فى مسجدها شردت منه و دخلته فى بضع الأخرى خائفة كذلك٢ حتى٣ تكون٤ العاقبة للمتقين حين٥ يفرح المؤمنون٦ بنصر الله ، قال : و فى إشعاره تحذير من غلق المساجد و إيصادها٧ و حجرها ٨على القاصدين٨ للتحنث٩ فيها ٥ و الخلوة بذكر الله ؛ و ليس رفع المساجد منعها بل رفعها١٠ أن لا يذكر فيها غير اسم الله ، قال تعالى " فى بيوت اذن الله ان ترفع ١١ " قال عمر رضى الله عنه لما بنى الرحبة : من أراد أن يلغط أو يتحدث أو ينشد شعرا فليخرج إلى هذه الرحبة . و قال صلى الله عليه و سلم : جنبوا مساجدكم صبيانكم و مجانينكم و سلّ سيوفكم و بيعكم و شراءكم ، و ابنوا على أبوابها ١٠ المطاهر . ففى كل ذلك إنباء١٢ بأن من عمل فى مساجد الله بغير ما وضعت له من ذكر الله كان ساعيا فى خرابها و ناله الخوف فى محل الأمن - انتهى١٣ .

---

(١) سورة ٣٠ آية ١ - ٣ (٢) فى م فقط : لذلك (٣) فى م : حين (٤) من م و مد ، و فى ظ : يكون ، و فى الأصل : نكون - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : حتى (٦) فى م : المؤمنين - خطأ (٧) فى مد : ايصادها (٨-٨) فى م : للقاصدين (٩) فى ظ : التحنث (١٠) فى مد : منعها (١١) سورة ٢٤ آية ٣٦ (١٢) هكذا فى الأصل ، و فى ظ و م : انبأ ، و فى مد : انبا (١٣) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١ / ٣٥٩ : هذا الجزاء مناسب لما صدر منهم ، أما الخزى فى الدنيا فهو الهوان و الإذلال لهم وهو مناسب للوصف الأول ، لأن فيه إخلال المساجد بعدم ذكر الله و تعطيلها من ذلك فجوزوا على ذلك بالإذلال و الهوان ، و أما العذاب العظيم =

و لما [١] أفهمت الآية أنه حصل لأولياء الله منع من عمارة بيت الله بذكره و كان الله تعالى قد منّ على هذه الأمة بأن جعل الأرض كلها لها مسجدا سلّى المؤمنين بأنهم أينما صلوا بقصد عبادته لقيهم ثوابه ، لأنه لا يختص به جهة دون جهة ، لأن ملكه للكل على حدّ سواء ؛ فكان كأنه قيل : فأقيموا الصلاة التى هى أعظم ذكر الله حيثما كنتم فانه لله ، كما [٢] أن المسجد الذى مُنعتموه لله ؛ و عطف عليه قوله : ﴿ و لله ﴾ [٣] أى الذى له الكمال كله [٣] ﴿ المشرق ﴾ أى موضع الشروق و هو مطلع الأنوار ﴿ و المغرب ﴾ و هو موضع أفولها . فأنبأ [٤] تعالى كما قال الحرالى باضافة جوامع الآفاق إليه إعلاما بأن الوجهة لوجهه لا للجهة ، من حيث أن الجهة له - انتهى .

و لما كان هذان [٥] الأفقان [٦] مدارا [٧] للكواكب [٨] من الشمس و غيرها عبر [٩] بهما عن جميع الجهات ، لتحول الأفلاك حال [١٠] الدوران

= فى الآخرة فهو العذاب بالنار و هو إتلاف هياكلهم و صورهم و تخريب لها بعد تخريب " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب " و هو مناسب للوصف الثانى و هو سعيهم فى تخريب المساجد فجوزوا على ذلك بتخريب صورهم و تمزيقهم بالعذاب (١) زيد فى م : كان (٢) ليس فى مد . (٣-٣) ليست فى مد و ظ ، و لفظ « اى » فقط ليس فى م (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فانباء (٥) فى م : هذا ان (٦) فى م : الافق ، و فى مد : الافاقان (٧) فى م : مدار (٨) فى م : الكواكب (٩) و فى البحر المحيط ١ / ٣٦٠ : و الذى يظهر أن انتظام هذه الآية بما قبلها هو أنه لما ذكر منع المساجد من ذكر الله = إلى

إلى كل منهما[١] ، فلذلك تسبب عن ذكرهما قوله : ﴿ فاينما[٢] تولوا ﴾ أى فأى مكان أوقعتم فيه التولية للصلاة إلى القبلة التى أمرتم بالتولية إليها من بيت المقدس أو الكعبة أو غيرهما فى النافلة ﴿ فثَمّ ﴾ أى فذلك الموضع ، لأن " ثَمّ " إشارة لظرف مكان ﴿ وجه الله ﴾ أى جهته[٣] [٤] التى وجهكم إليها[٤] أو مكان استقباله و التوجه إليه و ما يستقبلكم من [٥] جلاله [٥] و جماله[٥] و يتوجه[٦] إليكم من بره و افضاله . فان نسبة[٧] جميع الأماكن و الجهات فى الإبداع[٨] و القرب و البعد و غير ذلك إليه واحدة . قال الحرالى : و أبهم المولى ليقع تولى القلب لوجه الله حين تقع[٩] محاذاة وجه[١٠] الموجه الظاهر للجهة المضافة لله - انتهى[١١] .

= و السعى فى تخريبها نبه على أن ذلك لا يمنع من أداء الصلوات ولا من ذكر الله إذ المشرق و المغرب لله تعالى ، فأى جهة أديتم فيها العبادة فهى لله يثيب على ذلك ، و لا يختص مكان التأدية بالمسجد ؛ والمعنى ولله بلاد المشرق و المغرب وما بينهما ، فيكون على حذف مضاف (١٠) كرره فى ظ ثانيا .

(١) من مد ، وفى بقية الأصول: منها (٢) فى الأصل : فاين ما - كذا (٣) فى م : وجهته (٤-٤) ليس فى ظ (٥-٥) فى ظ : جماله وجلاله (٦) فى مد : متوجه

(٧) من م ومد وظ ، و فى الأصل : نسبه - كذا (٨) فى مد : الايداع .

(٩) من مد ، وفى م وظ : يقع ، وفى الأصل : وقع - كذا (١٠) ليس فى مد .

(١١) قال أبو حيان الأندلسى : و فى قوله ﴿ اينما تولوا فثم وجه الله ﴾ رد على من يقول إنه فى حيز وجهة ، لأنه لما خير فى استقبال جميع الجهات دل على أنه ليس فى جهة و لا فى حيز ، ولو كان فى حيز لكان استقباله و التوجه إليه أحق من جميع الأماكن ، فحيث لم يخصص مكانا علمنا أنه لا فى جهة و لا حيز بل جميع الجهات =

و لما أخبر من سعة فضله مبثوثا[1] فى واسع ملكه بما وقفت[2] العقول عن منتهى علمه عالمه[3] بما صغُر ذلك فى جنبه فقال: ﴿ ان الله ﴾ فذكره بالاسم الأعظم الجامع لجميع[4] الأسماء ﴿واسع﴾ أى محيط بما لا تدركه الأوهام، فلا يقع شىء إلا فى ملكه؛ و أصل الوسع[5] تباعد الأطراف
٥ و الحدود ﴿عليم ٥﴾ فلا يخفى عليه فعل فاعل أين ما كان و كيف ما كان، فهو يعطى المتوجه إليه على قدر نيته بحسب بلوغ إحاطته و شمول علمه و قدرته. قال الحرالى فى شرح الأسماء: و السعة المزيد على الكفاية من نحوها إلى أن ينبسط إلى ما وراء امتدادا [و -[6]] رحمة و علما "و رحمتى وسعت كل شىء[7]" / "للذين احسنوا الحسنى و زيادة[8]" "لهم ما يشاؤن
١١٠ /
١٠ فيها و لدينا مزيد[9]"، و لا تقع السعة إلا مع إحاطة العلم و القدرة و كمال الحلم و إفاضة الخير و النعمة لمقتضى كمال الرحمة، و لمسرى[10] النعمة فى وجوه الكفايات ظاهرا و باطنا خصوصا و عموما لم يكد يصل الخلق إلى حظ من السعة. أما ظاهرا فلا تقع[11] منهم و لا تكاد[12] «إنكم لن تسعوا الناس بمعروفكم»، و أما باطنا بخصوص حسن الخلق فعساه

= فى ملكه و تحت ملكه، فأى جهة توجهنا إليه فيها على وجه الخضوع كنا معظمين له ممتثلين لأمره - البحر المحيط ١/٣٦١.

(١) فى ظ: مثبوتا (٢) فى م: وفقت (٣) ليس فى م (٤) فى ظ: بجميع - كذا.
(٥) فى م: الواسع (٦) زيد من ظ (٧) سورة ٧ آية ١٥٦ (٨) سورة ١٠ آية ٢٦ (٩) سورة ٥٠ آية ٣٥ (١٠) فى مد: لمرى - كذا (١١) من م، و فى الأصل: فلا تقع - كذا، و فى مد و ظ: فلا يقع (١٢) فى مد: لا يكاد.

يكاد . و قال فى تفسيره : قدم تعالى "المشرق" لأنه موطن بدو[1] الأنوار التى منها رؤية الأبصار ، و أعقبه بالمغرب الذى هو مغرب الأنوار الظاهرة [و هو مشرق الأنوار الباطنة ، فيعود التعادل إلى أن مشرق الأنوار الظاهرة - ٢] هو مغرب الأنوار الباطنة «الفتنة هٰهنا من حيث يطلع قرن الشيطان - و أشار بيده نحو المشرق» «لا يزال أهل المغرب ظاهرين على الحق» انتهى . قلت : و من ذلك حديث صفوان ابن عسال[3] رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : إن لله بالمغرب بابا - و فى رواية : باب التوبة مفتوح من قبل المغرب - مسيرة عرضه سبعون عاما ، لا يغلق ما لم تطلع الشمس من قبله - أخرجه الطبرانى و البغوى فى تفسيره ، و قد ظهر أن المغرب فى الحديث المتقدم و هو فى الصحيح ما عدا المشرق الذى أشار إليه بالفتنة فى الحديث الآخر ؛ فالمغرب حينئذ المدينة و ما ينسب إليها من جهة المشرق[4] و ما وراء ذلك من جهة الجنوب و الشمال[4] و ما وراء ذلك من جهة الغرب إلى منتهى الأرض ، فلا يعارض حينئذ حديث «و هم بالشام» فانها من جملة المغرب على هذا التقدير[5] ، فدونك جمعا طال ما دارت فيه الرؤس و حارت فيه الأفكار فى المحافل و الدروس - و الله الموفق .

---

(١) من م ، وفى الأصل ومد : بدء ، وفى ظ : بدى (٢) زيدت من م وظ ومد.
(٣) فى مد: غسال - كذا بالغين المعجمة ، خطأ (٤-٤) ليست فى م . و وقع فى ظ «وراى» ، و فى الأصل «وارى» مكان «وراء» (٥) فى ظ : التقدير - كذا.

ولما [١] أفاد ما تقدم وصفه تعالى بتمام القدرة واتساع الملك والفضل وشمول العلم [١] كان من المحال افتقاره إلى شيء ولد أو غيره قدّم أهل الأديان الباطلة كلهم بافترائهم [٢] في الولد اليهود في عزير والنصارى في المسيح وعبدة الأوثان في الملائكة فقال معجبا ممن اجترأ على نسبة ذلك إليه مع معرفة ما تقدم عاطفا على ما سبق من دعاويهم: ﴿وقالوا اتخذ الله﴾ [٣] الذي له الكمال كله [٣] وعبر بقوله: ﴿ولدا﴾ [٤] الصالح للذكر والأنثى لينظم [٥] بذلك مقالات الجميع. ولما كان العطف على مقالات أهل الكتاب ربما أوهم اختصاص الذم بهم حذفت واو العطف في قراءة ابن عامر على طريق الاستئناف [٦] في جواب من كأنه قال: هل انقطع حبل افترائهم [٦]؟ إشارة إلى ذم كل من قال بذلك، وذلك إشارة إلى شدة التباسها بما قبلها كما قال الإمام أبو علي الفارسي في كتاب الحجة، لان جميع المتحزبين [٧] على أهل الإسلام مانعون لهم من إحياء المساجد بالذكر لشغلهم لهم بالعداوة عن لزومها؛ والحاصل أنه إن عطف كان انصباب الكلام إلى أهل الكتاب وأما غيرهم فتبع لهم للمساواة

(١-١) ليست في مد (٢) في مد: بافترايهم، وفي الأصل: بافترانهم، وفي م: بافترايهم، وفي ظ: بافترأيهم (٣-٣) ليست في ظ (٤) في البحر المحيط ١/٣٦٢: وقال القشيري: أتى بالولد وهو احدى الذات لا جزء لذاته ولا تجوز الشهوة في صفاته - انتهى (٥) في ظ: لينتظم (٦-٦) ليست في ظ ومكانه فيه: و (٧) من م ومد وظ، وفي الأصل: المتحربين.

في

فى المقالة[1] ، و إذا حذفت الواو انصب إلى الكل انصبابا واحدا ؛

و نزه نفسه الشريفة استئنافا بقوله : ﴿سبحنه﴾ فذكر[2] علم التسبيح الجامع لإحاطة المعنى فى جوامع التنزيه كله ، ثم جاء بكلمة الإضراب المفهمة الرد بالنفي فكأن الخطاب يفهم : ما اتخذ الله ولدا و لا له ولد ﴿بل له ما﴾ [3]فعبر بالأداة التى هى لغير العاقل[4] تصلح له تعميما و تحقيرا لهم ٥ ﴿فى السمٰوٰت و الارض﴾ مما ادعت كل فرقة منهم[5] فيه الولدية و غير ذلك .

ثم علله بقوله معبرا بما يفهم غاية الإذعان : ﴿كل له قٰنتون[6]﴾ أى مخلصون خاشعون متواضعون ، لاستسلامهم لقضائه من غير قدرة على دفاع ، و لا تطلع إلى نوع امتناع العاقل و غيره ، حتى كأنهم يسعون ١٠

(١) فى مد : المقاولة (٢) قال أبو حيان الأندلسى : و لما كانت هذه المقالة من أفسد الأشياء و أوضحها فى الاستحالة أتى باللفظ الذى يقتضى التنزيه و البراءة من الأشياء التى لا تجوز على الله تعالى قبل أن يضرب عن مقالتهم و يستدل على بطلان دعواهم ، و كان ذكر التنزيه أسبق لأن فيه ردعا لمدعى ذلك و أنهم ادعوا أمرا تنزه الله عنه ، ثم أخذ فى إبطال تلك المقالة - البحر المحيط ١ / ٣٦٢ (٣) العبارة من « فعبر » إلى « تحقيرا لهم » ليست فى ظ (٤) زيد فى م : و كل ، و فى مد : و - نقط (٥) ليس فى م (٦) قال أبو حيان الأندلسى : ﴿قٰنتون﴾ خبر عن كل ، و جمع حملا على المعنى ، و كل إذا حذف ما تضاف إليه جاز فيها مراعاة المعنى فتجمع ، و مراعاة اللفظ فتفرد ؛ و إنما حسنت مراعاة الجمع هنا لأنها فاصلة رأس آية ، و لأن الأكثر فى لسانهم أنه إذا قطعت عن الإضافة كان مراعاة المعنى أكثر و أحسن قال تعالى " و كل كانوا ظٰلمين " " و كل اتوه داخرين " " و كل فى فلك يسبحون " .

فى ذلك و يبادرون إليه مبادرة اللبيب الحازم . قال الحرالى : فجاء بالجمع المشعر كما يقال بالعقل[1] و العلم لما تقدم من أنه لا عجمة و لا جمادية بين الكون و المكوّن ، إنما يقع جمادية و عجمة بين آحاد من المقصرين فى الكون عن الإدراك التام ؛ و القنوت ثبات القائم بالأمر على قيامه تحققا[2] بتمكنه[3] فيه . انتهى .

ثم[4] علل ذلك بما هو أعظم منه فقال : ﴿ بديع السمٰوٰت و الارض ﴾ أى خالقهما على غير مثال سبق ، و ما أبدع كلية أمر كان أحرى[5] أن يكون ما فى طيه و إحاطته و إقامته من الأشياء المقامة به من مبدعه فكيف يجعل له شبيه[6] منه ؟ لأن الولد مستخرج شبيه بما استخرج من عينه - ذكره الحرالى . ﴿ و اذا قضى ﴾ [7]أى أراد ﴿ امرا ﴾ منهما أو من غيرهما[7] ، و القضاء إنفاذ[8] المقدر . و المقدر ما حد من مطلق المعلوم - قاله الحرالى . ﴿ فانما يقول له كن ﴾ من الكون و هو[9] كمال البادى[9]

(١) من م و مد و ظ . و فى الأصل : بالعاقل (٢) فى ظ : تحقيقا (٣) فى م : بتمكينه (٤) لما ذكر أنه مالك لجميع من فى السماوات و الأرض و أنهم كل قانتون له و هم المظروف للسماوات و الأرض ذكر الظرفين ، و خصهما بالبداعة لأنهما أعظم ما نشاهده من المخلوقات - قاله أبو حيان فى البحر المحيط ١/٣٦٤ .
(٥) فى م : اخرى - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : سببه ، و فى مد : سبب .
(٧-٧) العبارة أخرت فى مد عن « قاله الحرالى » (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : انفاذ - كذا بالدال (٩-٩) فى مد : كما قال الرازى .

فى ظاهره و باطنه ﴿ فيكون ﴾ [١] فهو منزه عن حاجة التوالد و كل حاجة ، و سر التعبير بالمضارع يذكر إن شاء الله تعالى فى آل عمران . [٢] قال الحرالى : و صيغته تمادى الكائن فى أطوار و أوقات و أسنان يمتد تواليها فى المكون / إلى [٣] غاية كمال [٣] ـ انتهى . قالوا : و رفع « يكون » للاستئناف أى فهو يكون ، أو العطف على " يقول " إيذانا بسرعة التكوين على جهة التمثيل ، و من قال بالأول منع العطف على " يقول " لاقتضاء الفاء أن القول مع التكوين فيلزم قدم التكوين . و قال الإمام أبو على الفارسى فى كتاب الحجة : إن ذلك لا يطرد فى مثل ثانى حرفى آل عمران و هو قوله تعالى " ثم قال له كن فيكون [٥] " لأنه لا يحسن تخالف الفعلين [٦] المتعاطفين بالمضى و غيره ، و أول قوله : /١١٦

ولقد أمر على اللئيم يسبنى فمضيت ثم أقول لا يعنينى

بأن معناه : مررت ماضيا ، و طعن فيه أبو شامة بأن يكون فى الآية ماض مثله و قد صرح أبو على و الحق معه بأنه على بابه يعنى ؛ و فائدة التعبير

(١) و فى البحر المحيط : لما ذكر ما دل على الاختراع ذكر ما يدل على طواعية المخترع و سرعة تكوينه . . . و المعتقد فى هذه الآية أن الله لم يزل آمرا للمعدوم بشرط وجودها قادرا مع تأخر المقدورات عالما مع تأخر وقوع المعلومات ، و كل ما فى الآية مما يقتضى الاستقبال فهو بحسب المأمورات والمحدثات تجىء بعد أن لم تكن ، و كل ما استند إلى الله من قدرة و علم فهو قديم لم يزل (٢) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست فى مد (٣-٣) من م وظ ، و فى الأصل ومد : كمال غاية (٤) فى مد : يكون (٥) سورة ٣ آية ٥٩ (٦) ليس فى ظ .

به مضارعا ١ تصوير الحال و الإرشاد إلى أن التقدير : كن فكان ، لأنه متى قضى شيئا قال له : كن ، فيكون ؛ و جعل الأحسن عطفه على "كن" لأنه و إن كان بلفظ الأمر فمعناه الخبر٢ أى يكون ؛ و قال : إن ذلك أكثر اطرادا لانتظامه لمثل قوله "ثم قال له [كن -٣] فيكون٤" . و هذا الموضع مجمع على رفعه ، و كذا قوله تعالى فى الأنعام "و يوم يقول٥ كن فيكون" . و إنما الخلاف فى ستة مواضع اختص ابن عامر منها بأربعة : و هى هذا الموضع ، و قوله تعالى فى آل عمران "اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون٦" ، و فى مريم مثله سواء ، و فى غافر "فاذا قضى امرا فانما يقول له٧ كن فيكون٨" ؛ و وافقه الكسائى٩ فى حرفين٩ فى النحل "انما قولنا لشىء إذا اردناه ان نقول له٧ كن فيكون١٠" و فى يس "انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون١١" فجعلوا النصب

---

(١) زيد فى مد : ان (٢) فى م : الخير - كذا (٣) زيد من ظ و م (٤) كناية عن سرعة تكوين ما أراد ، و لا خطاب هناك ، لأن المعدوم لا يؤمر و الموجود لا يؤمر بايجاده ، و هو من مجاز التمثيل ؛ و قرئ برفع "فيكون" أى فهو يكون ، و بالنصب على جواب الأمر ، شبه الأمر المجازى بالأمر الحقيقى إذ الأمر الحقيقى ينتظم منه شرط و جزاء فلا بد من التغاير ، إذ لا يصح تقدير : إن يكن يكن ، و من قال : إن النصب لحن ، فهو مخطئ و القراءة فى السبعة فهى من المتواتر - المدمن البحر المحيط ١/٣٦٤-٣٦٦ (٥) زيد فى الأصل «له» ولم تكن الزيادة فى م وظ و مد و القرآن المجيد سورة ٦ آية ٧٣ فحذفناها (٦) سورة ٣ آية ٤٧ (٧) زيد فى مد : له - خطأ (٨) سورة ٤٠ آية ٦٨ (٩ - ٩) ليس فى ظ (١٠) سورة ١٦ آية ٤٠ (١١) سورة ٣٦ آية ٨٢ .

فى

فى هذين عطفا على "يقول" و فى الأربعة الأولى جوابا للأمر فى قوله "كن" اعتبارا بصورة اللفظ و إن[1] لم يكن المعنى على الأمر فالتقدير[2]: يقول له يكون فيكون، أى فيطاوع، فطاح قول من ضعفه بأن المعنى على الخبر و أنه لا يصح النصب إلا إذا تخالف الأمر و جوابه، و هذا ليس كذلك بل يلزم فيه أن يكون الشيء شرطا لنفسه، لأن التقدير: إن يكن ٥ يكن؛ و صرح ابن مجاهد بوهم ابن عامر و أن هذا غير جائز فى العربية، كما نقله عنه الإمام أبو شامة فى شرح الشاطبية؛ فأمعنت النظر فى ذلك لوقوع القطع بصحة قراءة ابن عامر لتواترها نقلا عمن أنزل عليه القرآن، فلما رأيته لم ينصب إلا ما فى حيز «إذا» علمت أن ذلك لأجلها لما فيها من معنى الشرط. فيكون مثل قوله تعالى فى الشورى "و يعلمَ الذين يجادلون فى ١٠ آيتنا[3]" بنصب "يعلم" فى قراءة غير نافع و ابن عامر على بعض التوجيهات، و ذلك ماش على نهج السداد من غير كلفة و لا استبعاد إذا تؤمل الكلام على «إذا»؛ قال الرضى و هو العلامة نجم الدين محمد بن[4] حسن الإستراباذى فى الظرف[5] من شرحه لقول العلامة أبى عمرو عثمان بن الحاجب فى كافيته: و منها «إذا» و هى للمستقبل و فيها معنى الشرط، فلذلك اختير ١٥ بعدها الفعل، و الأصل فى استعمال "إذا" أن تكون لزمان من أزمنة المستقبل مختص من بينها بوقوع حدث فيه[6] مقطوع به، ثم قال: و كلمة الشرط ما يطلب جملتين يلزم من وجود مضمون أولاهما فرضا حصول

(١) فى م: انما (٢) فى مد: والتقدير (٣) سورة ٤٢ آية ٣٥ (٤) زيد فى مد: محمد بن.
(٥) فى م و ظ و مد: الظروف (٦) ليس فى مد.

مضمون الثانية ، فالمضمون الأول مفروض ملزوم، و الثانى لازمه ؛ ثم قال: و « إن » موضوعة لشرط مفروض وجوده[1] فى المستقبل مع عدم قطع المتكلم لا بوقوعه و لا بعدم وقوعه ، و ذلك لعدم القطع فى الجزاء لا بالوجود و لا بالعدم ، سواء شك فى وقوعه كما فى حقنا ، أو لم يشك كإن الواقعة فى كلامه تعالى ؛ و قال: و لا يكون الشرط فى اسم إلا بتضمن معناها ؛ ثم قال : فنقول[2] : لما كان « إذا » للأمر[3] المقطوع بوجوده فى اعتقاد المتكلم فى المستقبل لم يكن لمفروض وجوده ، لتنافى[4] القطع و الفرض فى الظاهر ، فلم يكن فيه معنى « إن » الشرطية ، لأن الشرط كما بينا هو المفروض وجوده ، لكنه لما كان ينكشف لنا الحال كثيرا فى الأمور التى نتوقعها قاطعين بوقوعها عن خلاف ما نتوقعه[5] جوّزوا تضمين « إذا » معنى « إن » كما فى « متى » و سائر الأسماء الجوازم ، فيقول القائل : إذا جئتنى فأنت مكرم - شاكا فى مجىء المخاطب غير مرجح وجوده على عدمه بمعنى متى جئتنى سواء ؛ ثم قال: و لما كثر دخول معنى الشرط فى « إذا » و خروجه عن أصله من الوقت المعين جاز استعماله و إن لم يكن فيه معنى « إن » الشرطية ، و ذلك فى الأمور القطعية استعمال « إذا » المتضمنة لمعنى « إن » ، و ذلك لمجىء جملتين بعده على طرز الشرط و الجزاء و إن لم يكونا شرطا و جزاء ، ثم قال فى الكلام على الفاء فى نواصب الفعل : و قد تضمر « أن » الناصبة بعد الفاء و الواو الواقعتين

(١) فى م : وجوه (٢) من مد، و فى م : فيقول ، وفى الأصل و ظ : فنقول - كذا (٣) فى مد: الامر (٤) فى م : لينا فى (٥) فى م : يتوقعه، و لا يتضح فى مد .

بعد الشرط ١ قبل الجزاء ، نحو إن تأتنى فتكرمنى - أو : و تكرمنى - آتك ، أو بعد الشرط و الجزاء ، نحو إن تأتنى آتك فأكرمك - أو : و أكرمك - و ذلك لمشابهة الشرط فى الأول و الجزاء فى الثانى المنفى ، إذ ٢ الجزاء مشروط وجوده بوجود الشرط ، و وجود الشرط مفروض، فكلاهما غير موصوفين بالوجود / حقيقة ، و عليه حمل قوله تعالى " ان يشا ٥ /١١٧ يسكن الريح فيظللن - إلى قوله : و يعلم الذين يجادلون ٣ " على ٤ قراءة النصب ؛ ثم قال : و إنما صرفوا ما بعد فاء السببية من الرفع إلى النصب لأنهم قصدوا التنصيص على كونها سببية و المضارع المرتفع بلا قرينة مخلصة للحال و الاستقبال ظاهر فى معنى الحال ، كما تقدم فى باب المضارع ، فلو أبقوه مرفوعا لسبق إلى الذهن أن الفاء لعطف ٤ جملة حالية الفعل ١٠ على الجملة التى قبل الفاء ، يعنى ٥ فكان يلزم أن يكون الكون قديما كالقول ، فصرفه إلى النصب منبه فى الظاهر على أنه ليس معطوفا ، إذ المضارع المنصوب بأن مفرد ، و قبل الفاء المذكورة جملة ، و يتخلص المضارع للاستقبال اللائق بالجزائية كما ذكرنا فى المنصوب بعد إذن ، فكان فيه شيئان : رفع جانب كون الفاء للعطف ، و تقوية ٦ كونه للجزاء ؛ فيكون ١٥ إذن ما بعد الفاء مبتدأ محذوف الخبر وجوبا - انتهى . فالتقدير هنا و الله أعلم : فكونه واقع حق ليس بخيال كالسحر و التمويهات ، فعلى هذا قراءة النصب أبلغ لظهورها ٨ فى ٩ الصرف عن الحال إلى الاستقبال مع

(١) فى م : و (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اذا (٣) سورة ٤٢ آية ٣٥ .
(٤) فى ظ : فى (٥) فى مد : تعطف (٦) ليس فى ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : نقوية - كذا ، و فى ظ و م : تقويته (٨) فى مد : لظهور ما (٩) زيد فى ظ : معنى .

ما دلت عليه من سرعة[١] الكون و أنه حق ، ثم رأيت البرهان [بن-[٢]] إبراهيم بن محمد السَّفاقُسى حكى[٣] فى إعرابه ما خرجته عن ابن الضائع[٤] - يعنى بالضاد المعجمة و العين المهملة - و هو الأستاذ أبو الحسن على بن محمد بن يوسف الكُتامى[٥] شيخ أبى حيان فقال ما نصه : زاد ابن الضائع

٥ فى نصب "فيكون" وجها حسنا و هو نصبه فى جواب الشرط و هو إذا ، و كان مراده التسبيب عن الجواب كما ذكرت ، قال السفاقسى : و يصح فيه وجه ثالث على مذهب الكوفيين و هو نصبه فى جواب الحصر بإنما ، لأنهم أجازوا : إنما هى ضربة أسد فيتحطم[٦] ظهره .

و لما تقرر بما أنبأ[٧] من بديع آياته[٨] فى منبث[٩] مصنوعاته أن عظمته

١٠ تقصر عنها الأوهام و تنكص خاسئة[١٠] دونها نوافذ الأفهام عجب من الجرأة عليه بما استوى فيه حال الجهلة من العرب بالعلماء من أهل الكتاب تبكيتا[١١] لهم و تنفيرا منهم بأنه لاحامل لهم[١٢] على الرضى لأنفسهم بالنزول من أوج العلم إلى حضيض أهل الجهل إلا اتباع الهوى فقال : ﴿ و قال الذين لا يعلمون ﴾ أى ليس لهم علم من العرب ﴿ لولا ﴾ أى هلا

١٥ ﴿ يكلمنا الله ﴾ أى يوجد[١٣] كلامه لنا على ما له من جميع الصفات

(١) فى م : شرعة (٢) زيد من م (٣) فى م : حلى - كذا (٤) فى م : الصانع (٥) فى مد : الكتامى - كذا (٦) من ظ ، و فى م و مد : فتحطم ، و فى الأصل : فتحظم - كذا . (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : انباء (٨) فى م و مد و ظ : اياته ، و فى الأصل : اياته . (٩) من مد ، و فى الأصل و م و ظ : منبت (١٠) فى الأصل : خاسة - كذا ، و فى م و ظ و مد : خاسية (١١) من مد و ظ ، و فى م : تنكيتا ، و فى الأصل : تكيتا - كذا . (١٢) ليس فى ظ (١٣) من مد و ظ ، و فى الأصل : توجد ، و فى م : يوجه - كذا .

﴿ او تأتينا اٰية ﴾ أى على حسب اقتراحنا عادّين[1] ما آتاهم من الآيات - على ما فيها من آية[2] القرآن التى لا يوازيها[3] آية أصلا - عدما .

و لما كان قولهم هذا جديرا[4] بأن لا يصدق نبيه عليه بقوله ﴿ كذلك ﴾ أى الأمر كما ذكرنا عنهم[5] . و لما كان كأنه قيل : هل وقع مثل هذا قط ؟ قيل : نعم ، وقع ما هو أعجب منه و هو أنه ﴿ قال الذين ﴾ ٥ [6]و لما كان المراد بعض من تقدم أدخل الجار فقال[6] : ﴿ من قبلهم ﴾ [7]ممن ينسب إلى العلم من أهل الكتاب[7] ﴿ مثل قولهم ﴾ ، ثم علله بقوله : ﴿ تشابهت قلوبهم ﴾ فى هذا و إن كانت مختلفة باعتبار العلم ، و فى ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم بأنه كما تعنت عليه تعنت على من قبله . و لما كان ذلك توقّع[8] السامع الإخبار عن البيان فكان كأنه قيل : هل قالوا ذلك جهلا أو عنادا ؟ فقيل : بل عنادا لأنا ﴿ قد بينا الاٰيٰت ﴾ فى كل آية[9] فى الكتاب المبين المسموع و الكتاب الحكيم المرئى . و لما كان يقع البيان خاصا بأهل الإيقان قال : ﴿ لقوم يوقنون ۝ ﴾ و فيه بعث

(١) فى م : علم دين (٢) فى الأصل : انه ، و التصحيح م و ظ و مد (٣) فى مد : لا توازيها (٤) فى م : حذرا (٥) من مد ، و فى ظ : عنهم ، و فى الأصل : معهم ، و فى م : بمفهم . و قال أبو حيان الأندلسى : و لما حكى عنهم نسبة الولد إلى الله تعالى أعقب ذلك مقالة أخرى لهم تدل على تعنتهم و جهلهم بما يجب لله تعالى من التعظيم و عدم الاقتراح على أنبيائه - البحر المحيط ١ / ٣٦٦ (٦-٦) ليست فى ظ . (٧-٧) أخر هذه العبارة فى م عن « باعتبار العلم » (٨) فى م : يوقع ، و فى ظ : يوقع - كذا (٩) من م ، و فى الأصل و مد و ظ : امة .

للشاك على تعاطى أسباب الإيقان ، و هو[1] صفاء العلم عن كدر [2]بطرق الريب[2] لاجتماع شاهدى السمع و العين . قال[3] الحرالى : و فيه إشارة لما حصل للعرب من اليقين ، كما قال سيد العرب على رضى الله عنه : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا . استظهارا لما بطن من عالم الملكوت على ظاهر عالم الملك إكمالا للفهم عن[4] واضح هذا البيان الذى تولاه الله و من اصطفاه الذى اشتمل عليه استتباع ضمير "بينا" ؛ و فى استواء العالم و غيره فى الجهل بعد البيان دليل على مضمون التى قبلها فى أن ما أراد كان . و لما تضمن هذا السياق الشهادة بصحة رسالته صلى الله عليه و سلم و أنه ليس عليه إلا البيان صرح بالأمرين فى قوله [5]مؤكدا لكثرة المنكرين[5] ﴿ انا ارسلنك ﴾ [6]هذا على أن يكون المراد بذلك جميع الأمم ،

(١) فى البحر المحيط : الإيقان وصف فى العلم يبلغ به نهاية الوثاقة فى العلم ، أى من كان موقنا فقد أوضحنا له الآيات فآمن بها و وضحت عنده و قامت به الحجة على غيره ، و فى جمع الآيت رد على من اقترح آية، إذا الآيات قد بينت فلم يكن آية واحدة فيمكن أن يدعى الالتباس فيها بل ذلك جمع آيات بينات لكن لا ينتفع بها إلا من كان من أهل العلم والتبصر و اليقين (٢-٢) فى مد : بطرق الريب ، و فى م : تطرق اليربي ، و فى ظ : تطرق الريب (٣) فى ظ : قاله (٤) فى م : على . (٥-٥) ليست فى ظ (٦) هذه الآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يضيق صدره لتماديهم على ضلالهم ، (و مناسبة هذه الآية لما قبلها) أنه لما ذكر أنه بين الآيات ذكر من بينت على يديه فأقبل عليه و خاطبه صلى الله عليه و سلم ليعلم أنه هو صاحب الآيات فقال : ﴿ انا ارسلنك بالحق ﴾ أى بالآيات الواضحة - البحر المحيط ١ / ٣٦٧ .

أما إذا أريد هذه الأمة فقط فيكون المعنى: قد بينا الآيات الدالات[1] على طريق الحق بأعظم برهان و بالإخبار عن دقائق لا يعلمها إلا حُذّاق أهل الكتاب لقوم يحق عليهم الإيقان لما وضح لهم من الأدلة، ثم علل ذلك بقوله: "انا ارسلنك" إرسالا ملتبسا ﴿ بالحق ﴾ [2] أى [3] بالأمر الكامل الذى يطابقه الواقع فى كل جزئية يخبر بها. قال الحرالى: [و الحق - [4]] التام المكمل بكلمة «ال» هو استنطاق الخلق عن أمر الله فيهم على وجه[5] أعلى لرسالته العلية الخاصة به عن عموم ما / وقعت به رسالة المرسلين من دون هذا الخصوص، و ذلك «حق» منكر، كما تقدم أى عند قوله: "و هو الحق مصدقا لما معهم" لأن ما أحق غيبا[6] مما أنزله الله فهو «حق» حتى السحر، و ما أظهر غيب القضاء و التقدير و أعلن بابداء حكمة الله على ما أبداها من نفوذ مشيئته فى متقابل ما أبداه من خلقه فهو «الحق» الذى خلقت به السماوات و الأرض ابتداء و به ختمت الرسالة انتهاء ليتطابق[7] الأول و الأخر كمالا؛ حال كونك ﴿ بشيرا و نذيرا ﴾ و قال الحرالى[8]: لما أجرى الله سبحانه من الخطاب عن أهل الكتاب و العرب نبأ[9] ردهم لما أنزل أولا و آخرا و نبأ ما افتروه مما[10] لا شبهة فى دعواه أعرض بالخطاب عن الجميع و أقبل به على النبى صلى الله عليه و سلم تسلية له و تأكيدا لما أعلمه به[3] فى أول السورة من أن الأمر مجرى على

/١١٨

(١) فى مد: الدالة (٢) العبارة من هنا إلى «يخبر بها» ليست فى ظ (٣) ليس فى مد (٤) زيد من م و مد، و فى ظ: فالحق (٥) فى م و ظ و مد: وجهه. (٦) فى مد: عبا - كذا (٧) فى مد: لتطابق (٨) ليس فى ظ (٩) فى الأصل: نباء (١٠) فى مد: بما.

تقديره و قسمته[١] الخلق بين مؤمن و كافر و منافق ، فأنبأه تعالى أنه ليس مضمون رسالته أن يدعو الخلق إلى غير ما جبلوا عليه ، و أن مضمون رسالته أن يستظهر خبايا الأفئدة و القلوب على الألسنة و الأعمال ، فيبشر المهتدى و الثابت على هدى سابق ، و ينذر[٢] الأبىّ[٣] و المنكر لما سبق إقراره به قبل ، فعم بذلك الأولين و الآخرين من المبشرين و المنذرين - انتهى - أى[٤] فليس عليك إلا ذلك فبشر و أنذر فانما عليك البلاغ و ليس عليك خلق الهداية فى قلوب أهل النعيم ﴿و لا تسئل﴾[٥] و يجوز أن يكون حالا من "ارسلنك" أو من "بشيرا"[٥] ﴿عن اصحب الجحيم ۝﴾ و المراد بهم من ذكر فى الآية السابقة من الجهلة و من قبلهم ، أى عن أعمالهم لتذهب نفسك عليهم[٦] حسرات لعدم إيمانهم ، كما قال[٦] تعالى "و لا تسئلون عما كانوا يعملون" أى[٧] فحالك مستو بالنسبة إلينا و إليهم ، لأنك إن بلغتهم جميع ما أرسلت به إليهم لم نحاسبك بأعمالهم ، و إن تركت بعض ذلك محاسنة[٨] لهم لم يحبّوك ما دمت على دينك فأقبل على أمرك و لا تبال بهم ، و هو معنى قراءة[٩] نافع "و لا تسئلْ" على النهى ، أى

(١) فى م : قسمه ، و فى مد : قسمة (٢) فى الأصل: و ينذر - كذا ، و التصحيح من بقية الأصول (٣) فى ظ : للآبى ، و فى مد : للاى - كذا (٤) ليس فى مد . (٥-٥) ليست فى ظ (٦-٦) ليست فى م و ظ (٧) ليس فى ظ (٨) فى مد : محاسبه - كذا (٩) قال أبو حيان الأندلسى : قراءة الجمهور بضم التاء و اللام ، و قرأ أبى « و ما تسأل » و قرأ ابن مسعود « و لن تسأل » و هذا كله خبر ، فالقراءة الأولى و قراءة أبى يحتمل أن تكون الجملة مستأنفة وهو الأظهر ، و يحتمل أن تكون =

احتقرهم

احتقرهم فانهم أقل من [أن -[1]] يلتفت إليهم، فبلغهم جميع الأمر فانهم لا يحبونك[1] إلا إذا[3] انسلخت عما[4] أنت عليه؛ و فى الحكم بكونهم أصحابها إثبات لما نفوه عن أنفسهم بقولهم "لن تمسنا النار - الآية[5]"، و نفى لما خصصوا به أنفسهم فى قولهم: "لن يدخل الجنة - الآية[6]". و الجحم قال الجرالى انضمام الشيء و عظم فيه، و من معنى حروفه الحجم و هو التضام و ظهور المقدار إلا أن الحجم فيما ظهر كالأجسام و الجحم - بتقديم الجيم - فيما يلطف[7] كالصوت و النار.

و لما جرت العادة بأن المبشر يسرّ بالبشير[8] أخبر تعالى أن أهل الكتاب فى قسم المنذرين فهم لا يزالون عليه غضابا فقال عطفا على ما اقتضاه ما قبله: ﴿و لن ترضى﴾ من الرضى و هو إقرار ما ظهر عن[9]

= فى موضع الحال، و أما قراءة ابن مسعود فيتعين فيها الاستئناف، و المعنى على الاستئناف أنك لا تسأل عن الكفار ما لهم لم يؤمنوا. لأن ذلك ليس إليك، ان عليك الا البلاغ، انك لا تهدى من احببت، انما انت منذر؛ و فى ذلك تسلية له صلى الله عليه و سلم و تخفيف ما كان يجده من عنادهم، فكأنه قيل: لست مسؤلا عنهم فلا يحزنك كفرهم.

(١) زيد من م و مد و ظ (٢) من مد و ظ، و فى الأصل و م: لا يحبوك (٣) فى م و مد و ظ: ان (٤) فى مد: عما (٥) سورة ٢ آية ٨٠ (٦) سورة ٢ آية ١١١.
(٧) فى م و ظ: لطف (٨) فى م: بالبشر (٩) فى م: على.

إرادة - قاله الحرالى . ﴿عنك اليهود و لا النصارى﴾ لشيء من الأشياء ﴿حتى تتبع ملتهم﴾ أى حتى تكون بشيرا لهم ، و لن تكون بشيرا لهم حتى توافقهم فيما أحدثوه من أهوائهم بأن تتبع[1] كتابهم على ما بدلوا فيه و حرفوا و أخفوا[2] على ما أفهمته إضافة الملة إليهم لا إلى صاحبها المعصوم و هو إبراهيم عليه السلام[3] ، و يكون ذلك برغبة[4] منك[5] تامة على ما أفهمته صيغة الافتعال و تترك[6] كتابك الناسخ لفروع كتابهم ؛ و الملة قال الحرالى الأخذ و العمل بما فى العقل هدايته من اعلام المحسوسات . و لما قيل ذلك اقتضى الحال سؤالا و هو : فما[7] أقول ؟ فقال : ﴿قل﴾ [8]و لم يقيده[8] بلهم إعراضا عنهم[9] ﴿ان هدى الله﴾ [10]الذى هو جميع

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مع - كذا (٢) روى أن اليهود و النصارى طلبوا من رسول الله صلى الله عليه و سلم الهدنة و وعدوه أن يتبعوه بعد مدة خداعا منهم فاطلعه الله على ستر خداعهم فنزلت ، نفى الله رضاهم عنه إلا بمتابعة دينهم و ذلك بيان أنهم أصحاب الجحيم الذين هم أصحابها لا يطمع فى إسلامهم . و الظاهر أن قوله تعالى ﴿و لن ترضى﴾ خطاب للنبى صلى الله عليه و سلم ، علق رضاهم عنه بأمر مستحيل الوقوع منه صلى الله عليه و سلم و هو اتباع ملتهم ، و المعلق بالمستحيل مستحيل - البحر المحيط ١ / ٣٦٨ (٣) زيد فى مد : و سيأتى تفسير الملة قريبا (٤) فى الأصل : برغمة ، و التصحيح من بقية النسخ (٥) فى مد : منه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : نترك - كذا (٧) فى ظ : كما ، و زيد بعده فى ظ و م و مد : ذا (٨-٨) ليس فى ظ (٩) فى م : لهم (١٠) زيد فى ظ : اى .

ما أنزل[1] [2] الجامع لصفات الكمال[2] على رسله من كتابي وكتابكم ﴿هو﴾ [2]أي خاصة[2] ﴿الهدى﴾ [2]أي كله[2] مشيرا بأداة التعريف إلى كمال معناه، [3]وبالحصر إلى[4] أن غيره هو الهوى؛ وأضافه إلى الاسم الأعظم وأكده[5] بإن وأعاده بلفظه وعبر عنه بالمصدر واستعمل فيه ضمير الفصل ردا لإنكارهم له، فإن اتبعوه كله فآمنوا بأن كتابهم داع إلى كتابك فبشرهم، ٥ وإن لم يتبعوه فالزم إنذارهم؛ وفي الآية إشارة إلى ذلك الكتاب لا ريب فيه.

ثم عطف على ما أفهمه السياق من نحو: فلئن زغت[6] عنه لتتركن[7] الهدى كله [2]باتباع الهوى[2]، قوله: ﴿[2]ولئن[2] اتبعت اهوائهم﴾[8] الداعية لهم[9] إلى تغيير كتابهم. قال الحرالي: فأظهر إفصاحا[10] ما أفهمته إضافة ١٠ الملة إليهم من حيث كانت وضعا بالهوى لا هداية نور عقل كما هي في حق الحنيفيين - انتهى. ولما كان الكلام هنا في أمر الملة التي هي ظاهرة للعقل أسقط "من" وأتى الذي بخلاف ما يأتي[11] في[12] القبلة[13] فقال:

(١) زيد في ظ: الله (٢-٢) ليس في ظ (٣) العبارة من هنا إلى «لإنكارهم له» ليست في ظ (٤) وفي م: على (٥) في مد: اكد (٦) في ظ: رغبت (٧) في م: ليتركن، وفي مد: لتركن، وفي ظ: لتترك (٨) والأهواء جمع هوى وكان الجمع دليلا على كثرة اختلافهم، إذ لو كانوا على حق لكان طريقا واحدا "ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا" وأضاف الأهواء إليهم لأنها بدعهم وضلالهم، ولذلك سمي أصحاب البدع أرباب الأهواء. (٩) ليس في مد (١٠) في مد: ايضاحا (١١) وهو قوله تعالى "من بعد ما جاءك" راجع السورة ٢ آية ١٤٥ (١٢) زيد في مد وظ «امر» (١٣) في ظ: القلة.

﴿ بعد الذى ﴾ قال الحرالى : أشارت[1] كلمة " الذى " إلى معنى قريب من الظاهر المحسوس كأنه عَلَم ظاهر ، ففيه إنباء بأن أدنى ما جاءه[2] من العلم مظهر لإبطال ما هم عليه فى وجوه تلبيسهم و أهوائهم ﴿ جاءك من العلم ﴾ بأنهم على ضلال و أنك[3] على جميع الهدى . و خاطبه بذلك صلى الله عليه و سلم و المراد و الله أعلم من اتبع أهواءهم بعد الإسلام من المنافقين تمسكا بولايتهم / طمعا فى نصرتهم و لذا[4] ختم بقوله : ﴿ ما لك من الله ﴾ [5] الذى له الأمر كله و لا كفوء له[5] ، و أكد النفى بالجار فقال : ﴿ من ولى و لا نصير ﴾[6] . /١١٩

و لما أفصح بمن يستحق النذارة منهم بتغيير الدين بأهوائهم فأفهم[7]

(١) فى ظ : اسارت ، و فى م و مد : اشارة - كذا (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : جاء (٣) فى الأصل : و انكر ، و التصحيح من بقية الأصول (٤) فى م : كذا (٥ - ٥) ليست فى ظ (٦) فى البحر المحيط ١/٣٦٩ ، قالوا : تدل هذه الآية على أمور ، منها أن من علم الله منه أنه لا يفعل الشىء يجوز أن يخاطب بالوعيد ، لاحتمال أن يكون الصارف له ذلك الوعيد ، أو يكون ذلك الوعيد أحد الصوارف ، و نظيره " لئن اشركت ليحبطن عملك " ؛ و منها أن قوله ﴿ بعد الذى جاءك من العلم ﴾ يدل على أنه لا يجوز الوعيد إلا بعد المعذرة أو لا فيبطل بذلك تكليف ما لا يطاق ؛ و منها أن اتباع الهوى باطل فيدل على بطلان التقليد . . . . و فى قوله : ﴿ مالك من الله من ولى و لا نصير ﴾ قطع لإطماعهم أن تتبع أهواءهم ، لأن من علم أنه لا ولى له و لا نصير ينفعه إذا ارتكب شيئا كان أبعد فى أن لا يرتكبه و ذلك إياس لهم فى أن يتبع أهواءهم أحد (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فانهم .

من يستحق البشارة تلاه بالإفصاح بالقسمين: من يستحق البشارة منهم، و من يستحق النذارة، فقال: ﴿الذين آتيناهم الكتب﴾ أى التوراة و الإنجيل ﴿يتلونه حق تلاوته﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما: يتبعونه حق اتباعه، من تلا فلان فلانا إذا تبعه - رواه عنه أبو عبيد[1]. و هى ناظرة إلى قوله قريبا[2]: "و هم يتلون الكتب" أى لا حق تلاوته بل[3] ٥ تلاوة ليس فيها تدبر لمعانيه و لا عمل بما فيه؛ هذا إذا جعلناه حالا، و إن جعلناه خبرا و قوله: ﴿أولئك﴾[4] أى العظيمو الرتبة خاصة[4] ﴿يؤمنون به﴾ خبرا ثانيا فالمعنى أن من لم يؤمن بالكتاب[4] حق الإيمان من غير تحريف له و لا إخفاء لشىء فيه[4] لما انتفى عنهم المقصود بالذات و هو الانتفاع بالكتاب المؤتى انتفى عنهم أصل الإيتاء لأنه تجرد عن ١٠ الفائدة؛ و الضمير فى "به" يصح أن يكون للهدى. قال الحرالى: و حقية الأمر هى وفاؤه إلى غايته و الإحاطة به إلى جماع حدوده حتى لا يسقط منه شىء و لا يقصّر[6] فيه غاية إشعارا[7] باشتمال[8] الكتاب على أمر محمد صلى الله عليه و سلم[9].

---

(١) فى مد: ابو عبيدة (٢) فى الأصل: فريقا - كذا، و التصحيح من بقية الأصول (٣) فى مد: بلا - كذا (٤-٤) ليست فى ظ (٥) كذا فى الأصل، و فى مد و ظ حقيقة، و فى م: حمعه - كذا (٦) فى م ظ و مد: تقصّر (٧) فى م و مد: اشعار (٨) فى ظ: اشمال (٩) قال أبو حيان الأندلسى فى بيان سبب نزول الآية: قال ابن عباس: نزلت فى أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن أبى طالب و كانوا اثنين و ثلاثين من أهل الحبشة و ثمانية من رهبان الشام، و قيل: كان =

و لما وصف المؤمنين به و لم يبين ما لهم اتبعه بالكافرين[١] فقال : ﴿ و من يكفر به ﴾[٢] أى بالكتب ، ثم حصر الخسر[٣] فيهم بقوله : ﴿فاولئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿هم﴾ خاصة ﴿الخسرون ۝﴾ فأفهم أن المؤمنين به هم الرابحون[٤] ؛ و من الوصف بالخسار[٥] يعلم أنهم كانوا على حق و شيء يمكن الربح فيه بتكملة الإيمان بكتابهم بالإيمان[٢] بالكتاب الخاتم فضيعوه فخسروا ، فانه لا يخسر إلا من له أصل مال متهيئ للنماء و الربح - و الله أعلم .

و لما طال المدى فى [٦]استقصاء تذكيرهم بالنعم ثم[٦] فى بيان عوارهم و هتك أستارهم و ختم ذلك بالترهيب بخسارهم[٧] لتضييع[٨] أديانهم بأعمالهم

= بعضهم من أهل نجران و بعضهم من أهل الحبشة و من الروم ، و ثمانية ملاحون أصحاب السفينة أقبلوا مع جعفر ؛ و قال الضحاك : هم من آمن من اليهود كابن سلام و ابن صوريا و ابن يامين و غيرهم ، و قيل : فى علماء اليهود و أحبار النصارى ، و قال ابن كيسان : الأنبياء و المرسلون ، و قيل : المؤمنون ، و قيل : الصحابة - قاله عكرمة و قتادة ، و على هذا الاختلاف يتنزل الاختلاف فى " الكتب " أهو التوراة أو الإنجيل أو هما و القرآن أو الجنس فيكون يعنى به المكتوب فيشمل الكتب المتقدمة .

(١) فى مد : الكافرين (٢) ليس فى م (٣) فى م : الحشر (٤) من م ، و فى بقية الأصول : راسخون (٥) فى مد : بالخسارة ، و فى ظ : بالخساره (٦-٦) ليست فى ظ (٧) العبارة من هنا إلى « و اقوالهم » ليست فى ظ (٨) فى م : لتضيع .

و أحوالهم و أقوالهم أعاد ما صدر به قصتهم من التذكير بالنعم[١] و التحذير من حلول النقم يوم يجمع الأمم و يدوم فيه الندم لمن زلت به القدم ، ليعلم أن ذلك فذلكة القصة و المقصود بالذات فى الحث على[٢] انتهاز[٣] الفرصة فى التفصى[٤] عن حرمة[٥] النقص إلى لذة الربح بدوام الشكر .

قال الحرالى : فليعده[٦] بالتقدم كرره تعالى إظهارا لمقصد التئام آخر الخطاب بأوله و ليتخذ[٧] هذا الإفصاح و التعليم أصلا لما يمكن أن يرد من نحوه فى سائر القرآن حتى كأن الخطاب إذا انتهى إلى غاية خاتمة يجب أن يلحظ القلب بداية تلك الغاية فيتلوها ليكون فى تلاوته جامعا لطرفى البناء[٨] و[٩] فى تفهمه جامعا لمعانى طرفى المعنى ؛ انتهى - فقال تعالى : ﴿ يٰبنى اسرائيل ﴾ أى ولد الأنبياء الأصفياء و والد الأنبياء السعداء ﴿ اذكروا نعمتى ﴾ أى الشريفة بالنسبة إلىّ ﴿ التى انعمت عليكم ﴾ بها فى الدنيا ﴿ و انى فضلتكم ﴾ و اقتصر هنا على نعمة التفضيل و لم يذكر الوفاء الذى هو فضيلة النفس الباطنة[١٠] إشارة إلى جمودهم باقتصارهم على النظر فى الظاهر ﴿ على العٰلمين ﴾ فى تلك[١١] الأزمان كلها بإتمام نعمة الدنيا بشرع الدين المقتضى للنعمة فى الأخرى ، فانكم إذا ذكرتم النعمة شكرتموها فقيدتموها و استوجبتم من

(١) فى ظ : بالنعيم (٢-٢) ليست فى ظ (٣) وقع فى ظ : انتهاض - خطأ (٤) فى م و مد و ظ : التقصى (٥) فى م : حرفة ، و فى ظ : حدته - كذا (٦) فى م : فليعده (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ليتحد - كذا بالدال المهملة .
(٨) فى م : البنا ، و فى مد : البنا ، و فى الأصل : النبا ، و فى ظ : النباء - كذا .
(٩) العبارة من هنا إلى « الأصفياء و » ليست فى ظ (١٠) زيدت « و » فى ظ .
(١١) زيد فى ظ : فى .

الله الزيادة فى الدنيا و الرضى فى العقبى ﴿و اتقوا يوما لا تجزى﴾ أى تقضى[١]، أى يصنع[٢] فيه ﴿نفس عن نفس شيئا﴾ أى من الجزاء .

و لما ختمت الآية الماضيه بحصر الخسارة فيهم ناسب تقديم نفى القبول فقال: ﴿و لا يقبل منها عدل﴾ - يبذل[٣] فى فكاكها من غير الأعمال الصالحة ﴿و لا تنفعها شفاعة﴾ غير مأذون فيها ﴿و لا هم ينصرون﴾ و إن كثرت جموعهم . قال الحرالى: أجراها تعالى فى هذا التكرار على حدها فى الأول إلا ما خالف بين الإيرادين فى قوله "و اتقوا يوما - إلى آخره" ليجمع النبأ فى كل واحد من الشفاعة و العدل بين مجموع الردين من الأخذ و القبول فيكون[٤] شفاعتها لا مقبولة و لا نافعة ، و يكون عدلها "لا مأخوذا و لا مقبولا" ، و ذلك لأن المعروض للقبول[٦] أول ما يؤخذ أخذا بحسبه من أخذ سمع أو عين ، ثم ينظر[٧] إليه نظر تحقيق فى المسموع و تبصر[٨] فى المنظور ؛ فاذا صححه التحقيق و التبصير قُبل ، و إذا[٩] لم يصححه رد ، و إنما يكون ذلك [١٠]لمن فى[١٠] حاله حظ صحة ظاهرة لا يثبت[١١] مع الخبرة ، فأنبأ تعالى بمضمون الآيتين الفاتحة و الخاتمة أن

(١) من ظ ، و فى م : يقضى . و فى الأصل : نقضى - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : نصنع - كذا ، و فى م : يضيع ، و فى مد : تضيع (٣) فى مد : يعدل . (٤) فى ظ : تكون ، و فى مد : فتكون (٥ - ٥) فى الأصول : لا ماخوذ و لا مقبول (٦) فى مد : المقبول (٧) فى ظ : تنظر (٨) فى مد فقط : يبصر . (٩) فى م : ان (١٠ - ١٠) ليس فى مد (١١) من م ، و فى الأصل و ظ : لا ثبت - كذا ، و فى مد : تثبت .

هؤلاء ليس فى حالهم حظ صحة البتة لا فى شفاعة و لا فى عدل فلا يقبل و لا يؤخذ [1] إنباء بغرائه[1] عن لبسه[2] ظاهر صحة يقتضى أخذه بوجه مّا، ففيه تبرئة[3] ممن حاله حال ما[4] نبّىء[5] به[6] عنهم على ما تقدم معناه فى مضمون الآية؛ و بهذه الغاية انصرف[7] الخطاب عنهم على خصوص ما أوتوا من الكتاب الذى كان / يوجب لهم أن يتديّنوا بقبول ما جاء ٥ ١٢٠ مصدقا لما معهم [8]فاتخذوا لهم[8] بأهوائهم ملة افتعلتها[9] أهوائهم، فنظم تعالى بذلك ذكر صاحب الملة التى يرضاها و افتتح بابتداء أمره فى ابتلائه ليجتمع عليهم الحجتان السابقة بحسب الملة الحنيفية الإبراهيمية و اللاحقة بحسب الدين المحمدى، كان صلى الله عليه و سلم يقول فى الصباح: أصبحنا[10] على فطرة الإسلام و كلمة الإخلاص و على دين نبينا محمد صلى الله عليه ١٠ و سلم و على ملة أبينا إبراهيم صلى الله عليه و سلم. فخص المحمدية بالدين و الإبراهيمية بالملة لينتظم ابتداء الأبوة الإبراهيمية بطوائف أهل الكتاب سابقهم و لاحقهم بنبإ[11] ابتداء الأبوة الآدمية فى متقدم قوله تعالى: "و إذ قال ربك للملئكة انى جاعل فى الارض خليفة - الآيات" لينتظم رؤس الخطابات[12] بعضها ببعض و تفاصيلها بتفاصيلها، و ليكون إظهار ذلك ١٥

(١ - ١) فى م و ظ: انبآء بغرايه (٢) فى م و ظ: لبسة (٣) فى ظ: بتوبة.
(٤) فى ظ: من (٥) فى مد: بنى، و فى م: بنىّ (٦) ليس فى مد (٧) فى ظ: اصرف (٨-٨) من ظ، و فى م و مد: فاتخذوهم، و فى الأصل: فاتخذولهم.
(٩) فى مد: افتلعها (١٠) فى مد: بحيث - كذا (١١) فى م و مد: بنبآء، و فى ظ: بنباء (١٢) فى مد: الخطاب.

فى سورة سنام القرآن أصلا لما فى سأره[1] من ذلك ، و ذكر قبل ذلك أن الملة ما يدعو إليه هدى العقل المبلغ عن الله توحيده من ذوات الحنيفين ، و أن الدين الإسلام . و الإسلام إلقاء ما باليد ظاهرا و باطنا ، و ذلك إنما يكون عن بادى غيب التوحيد - انتهى .

٥ و لما عاب سبحانه أهل الضلال و كان جُلُّهم[2] من ذرية إبراهيم عليه السلام[3] و جميع[4] طوائف الملل تعظمه[5] و منهم العرب و بيته الذى بناه أكبر مفاخرهم و أعظم مآثرهم ذكر الجميع ما أنعم به عليه تذكيرا يؤدى إلى ثبوت هذا الدين باطلاع هذا النبى الأمى الذى لم يخالط عالما قط على ما لا يعلمه إلا خواص العلماء ، و ذكر البيت الذى بناه فجعله الله

١٠ عماد صلاحهم ، و أمر بأن يتخذ بعض ما هناك مصلى تعظيما لأمره و تفخيما لعلى قدره ؛ و فى التذكير بوفائه بعد ذكر الذين وفوا بحق التلاوة و بعد دعوة بنى إسرائيل عامة إلى الوفاء بالشكر حث على الاقتداء به ، [6] و كذا فى ذكر الإسلام و التوحيد هزّ[7] لجميع من يعظمه إلى اتباعه فى ذلك . و قال الحرالى : لما وصل الحق تعالى بالدعوة العامة الأولى فى

١٥ قوله تعالى "يايها الناس" [8] ذكر أمر[8] آدم و افتتاح استخلافه ليقع بذلك جمع الناس كافة[9] فى طرفين فى اجتماعهم فى أب[10] واحد

(١) فى مد : سأره - كذا (٢) فى ظ : حلهم (٣) العبارة من هنا إلى « تعظمه » ليست فى ظ (٤) فى م و مد : جمع (٥) فى مد : يعظمه (٦) العبارة من هنا إلى « فى ذلك » ليست فى ظ (٧) فى م و مد : هو (٨-٨) فى م و مد : ذكرهم امر . (٩) من ظ و م و مد و فى الأصل : كانه (١٠) فى ظ : باب .

ولدين[1] واحد نظم تعالى بذلك وصل خطاب أهل الكتاب بذكر إبراهيم، ليقع بذلك اجتماعهم أيضا فى أب واحد و ملة واحدة اختصاصا بتبعية [الإمامة -٢] الإبراهيمية من عموم تبعية الخلافة الآدمية تنزيلا للكتاب و ترفيعا للخلق إلى علو اختصاص الحق؛ فكما[3] ذكر تعالى فى الابتداء تذكيرا معطوفا على أمور تجاوزها الإفصاح فى أمر آدم عطف أيضا التذكير ٥ بابتداء أمر إبراهيم عليه السلام على أمور تجاوزها[5] الإفصاح هى أخص من متجاوز الأول كما أن إفصاحها أخص من إفصاحها و أعلى رتبة من حيث أن الخلق و الأمر مبدوء من حد لم يزل و لا يزال يتكامل إلى غاية ليس وراءها مرمى فقال تعالى: ﴿و اذ ابتلى ابرهم﴾ انتهى[6]. و المعنى أنه عامله بالأمر[8] بأمور شاقة[9] معاملة المختبر الممتحن، و قال: ١٠

(١) كذا فى الأصل، والظاهر: و دين (٢) زيد من م ومد، وفى ظ: للامامة.
(٣) فى م: كما، وفى مد: فلما (٤) فى م: يجاوزها (٥-٥) ليست فى مد (٦) مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما جرى ذكر الكعبة و القبلة و أن اليهود عيروا المؤمنين بتوجههم إلى الكعبة و ترك بيت المقدس كما قال "ماولهم عن قبلتهم" ذكر حديث إبراهيم و ما ابتلاه به الله و استطرد إلى ذكر البيت و كيفية بنائه وأنهم لما كانوا من نسل إبراهيم كان ينبغى أن يكونوا أكثر الناس اتباعا لشرعه و اقتفاء لآثاره فكان تعظيم البيت لازما لهم فنبه الله بذلك على سوء اعتمادهم و كثرة مخالفتهم و خروجهم عن سنن من ينبغى اتباعه من آبائهم و أنهم و إن كانوا من نسله لا ينالون لظلمهم شيئا من عهده - البحر المحيط ١/ ٣٧٤.
(٧) العبارة من هنا إلى «الممتحن» ليست فى ظ (٨) ليس فى م (٩) من م، =

﴿ربه﴾ أى المحسن [١] إليه إشعارا [١] بأن تكليف العباد هو غاية الإحسان إليهم و فى ابتداء قصته بقوله : ﴿ بكلمٰت فاتمهن ﴾ بيان لأن أسنى أحوال العباد الإذعان و التسليم لمن قامت الأدلة على صدقه و[٢] المبادرة لأمره[٣] دون اعتراض و لا توقف و لا بحث عن علة ، و فى ذلك إشارة إلى تبكيت المدعين لاتباعه من بنى إسرائيل حيث اعترضوا فى ذبح البقرة و ارتكبوا[٤] غاية التعنت[٥] مع ما فى ذبحها من وجوه الحكم بعد أن أساؤا الأدب على نبيهم فى ذلك و فى غيره فى أول أمرهم و أثنائه و آخره فأورثهم ذلك نكالا و بعدا ، فظهر أن الصراط المستقيم حال إبراهيم و من ذكر معه من الأنبياء و الرسل عليهم الصلاة و السلام ، و أنهم المنعم عليهم ؛ و الظاهر عطف " اذ " على " نعمتى " فى قوله " يٰبنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم " أى و اذكروا إذ ابتلى أباكم[٢] إبراهيم فأتم ما ابتلاه به فما لكم أنتم[٦] لا تقتدون به فتفعلوا عند الابتلاء فعله فى إيفاء العهد و الثبات على الوعد لأجازيكم على ذلك جزائى للمحسنين ، و الإتمام التوفية لما له صورة تلتئم[٧] من أجزاء و آحاد - قاله الحرالى . فكأنه قيل : فما جوزى على شكره بالإتمام قيل ؟ ﴿ قال ﴾ له ربه ، و يجوز أن يكون " قال " بيانا لابتلى ﴿ انى جاعلك للناس ﴾ أى كافة ﴿ اماما ﴾ كما كانت خلافة أبيه آدم لبنيه كافة ، و الإمام ما يتبع هداية إلى سداد -

= و فى الأصل : شانه ، و فى مد : سانه .

(١-١) ليس فى ظ و مد ، و لفظ «إليه» ليس فى م (٢) ليس فى ظ (٣) فى م : لامر . و فى مد : لايره - كذا (٤) فى ظ : فارتكبوا (٥) فى م : التعب (٦) فى م : ان (٧) فى م : تليم - كذا .

قاله الحرالى[١] . و استأنف قوله ﴿ قال ﴾ أى[٢] إبراهيم ﴿ و من ﴾ أى و اجعل من ﴿ ذريتى ﴾ أئمة ﴿ قال لا ينال ﴾ أى قد أجبتك و عاهدتك بأن أحسن إلى ذريتك لكن لا ينال ﴿ عهدى ﴾ [٣]الذى عهدته إليك[٤] بالإمامة ﴿ الظالمين ﴾ منهم . لأنهم نفوا أنفسهم عنك فى أبوة الدين؛ و فى ذلك أتم ترغيب فى التخلق بوفائه لا سيما للذين دعوا قبلها إلى الوفاء ٥ بالعهد ، و إشارة إلى أنهم إن شكروا أبقى رفعتهم كما أدام رفعته . . إن ظلمو لم تنلهم دعوته فضربت عليهم الذلة / و ما معها و لا يجزى أحد / ١٢١ عنهم شيئا و لا هم ينصرون ؛ و الذرية مما[٥] يجمع[٦] معنى الذرّ و الذرء ، و الذرىّ مختلف وزنه على وجوه اشتقاقه ، فيكون فعلولة[٧] كأنه ذرورة ثم خفف بقلب الراء[٨] ياء استثقالا للتضعيف ثم كسر ما قبل الياءين تحقيقا[٩] ١٠ لها[١٠] لأنه اجتمع بعد القلب واو[١١] و ياء[١٢] سبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء ، أو[١٣] تكون[١٤] فعليّة[١٥] من الذر منسوبا ، و من الذرء مخفف فعولة بقلب[١٦] الهمزة ياء ثم الواو ياء لاجتماعها معها سابقة إحداهما

---

(١) و قال أبو حيان الأندلسى : الإمام القدوة الذى يؤتم به ، و منه قيل لخيط البناء إمام ، و للطريق : إمام ، و هو مفرد على فعال كالإزار الذى يؤتزر به ، و يكون جمع آم اسم فاعل من أم يؤم كخائع و جياع و قائم و قيام و نائم و نيام.
(٢) ليس فى مد (٣) العبارة من هنا إلى « بالإمامة » ليست فى ظ (٤) فى م : اليكا (٥) فى ظ : بما (٦) من ظ ، و فى الأصل : مجمع ، و فى م : بجمع - كذا (٧) فى مد : معاوله (٨) فى م : الذر (٩) فى ظ : تخفيفا ، و فى م : تحقيقا - كذا .
(١٠) ليس فى م (١١) فى م : راويا (١٢) زيد فى م و مد : و (١٣) فى ظ : و (١٤) فى م و مد : يكون (١٥) فى مد : فعيلة (١٦) فى مد : قلب .

بالسكون ثم الإدغام ، أو فعّيلة ١ إن يكن فى الكلام لما فيه من ثقل اجتماع الضم و الكسر - قاله الحرالى ٢ ، و فيه تصرف .

و لما كان من إمامته اتباع الناس له فى حج البيت الذى شرفه الله ببنائه قال إثر ذلك ناعيا على أهل الكتاب مخالفته و ترك دينه و موطئا لأمر القبلة : ﴿ و اذ جعلنا البيت ﴾ أى الذى بناه إبراهيم بأم القرى ﴿ مثابة للناس ﴾ أى مرجعا يرجعون إليه بكلياتهم ٣ . كلما ٤ تفرقوا عنه اشتاقوا إليه هم ٥ أو غيرهم آية ٦ على رجوعهم من الدنيا إلى ربهم . قال الحرالى : و هو مفعلة من الثوب و هو الرجوع ترامیا إليه بالكلية . و فى صيغة المفعلة دوام المعاودة ٧ مثابرة ﴿ و امنا ﴾ لكونه بيت الملك .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فعلية (٣) و قال أبو حيان الأندلسى : الذرية النسل مشتقة من ذروت أو ذريت أو ذرأ الله الخلق أو الذر و يضم ذالها أو يكسر أو يفتح ، فأما الضم فيجوز أن تكون ذرية فعيلة من ذرأ الله الخلق و أصله ذريئة فخففت الهمزة بابدالها ياء كما خففوا همزة النسىء فقالوا : النسىّ ، ثم أدغموا الياء التى هى لام الفعل فى الياء التى هى للمد ، و يجوز أن تكون فعولة : من ذروت ، الأصل ذرووة أبدلت لام الفعل ياء ، اجتمع لك واو و ياء واو المد و الياء المنقلبة عن الواو التى هى لام الفعل وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت واو المد ياء و أدغمت فى الياء وكسر ما قبلها لأن الياء تطلب الكسر ، و يجوز أن تكون فعيلة من ذررت ، اصلها ذريرة - البحر المحيط ١/٣٧٢ (٣) العبارة من هنا إلى « غيرهم » ليست فى ظ (٤) فى مد : كما (٥) ليس فى مد (٦) فى الأصل : انه . و التصحيح من مد و م و ظ (٧) زيد فى م : له .

من حرب الدنيا و من عذاب الآخرة إلا فى حق من استثناه الله من الكافرين فعلا بالشرك و قوة بالإلحاد؛ و الأمن براءة عيب [١] من تطرق أذى إليه - قاله الحرالى . ٢ و قد كانوا فى الجاهلية يرى الرجل قاتل أبيه فى الحرم فلا يتعرض [٣] له . قال الأصبهانى [٤]: و هذا شىء توارثوه من زمن [٥] إسماعيل عليه السلام فبقوا عليه إلى أيام النبى صلى الله عليه و سلم [٦]، ٥ فاليوم من أصاب فى الحرم جريرة أقيم عليه الحد بالإجماع .

و لما كان التقدير: فثاب الناس إليه [٧] ائتماما بيانيه و آمنوا بدعوته فيه عطف عليه قوله: ﴿ و اتخذوا ﴾، و على قراءة الأمر يكون التقدير: فتوبوا إليه أيها الناس ائتماما به و اتخذوا ﴿ من مقام ابرٰهم ﴾ خليلنا ﴿ مصلى ﴾ و هو مفعل لما تداوم فيه الصلاة، و مقام إبراهيم هو الحجر ١٠ الذى قام عليه حين جاء لزيارة ولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام فلم يجده، فغسلت امرأة إسماعيل رأسه و هو معتمد برجله عليه و هو راكب، غسلت شق رأسه [الأيمن - [٨]] و هو معتمد [٩] على الحجر برجله اليمنى، ثم

(١) ليس فى ظ. وزيد بعده فى م و مد: المرء (٢) العبارة من هنا إلى « بالإجماع » ليست فى ظ (٣) وقع فى الأصل: يعوض - مصحفا، والتصحيح من مد، و فى م: فلا يعرض (٤) فى م و مد: الاصفهانى (٥) فى م و مد: دين (٦) و الظاهر أن جعله امنا هو فى الدنيا، إذ كان العرب يقتتلون و يغير بعضهم على بعض ومكة آمنة من ذلك، فيلقى الرجل قاتل أبيه فيها فلا يهيجه. فأمن الناس فيه و الطير والوحش إلا الخمس الفواسق - المد من البحر المحيط ١/٣٧٩ (٧) ليس فى ظ ومد. (٨) زيد من ظ وم ومد (٩) زيدت فى الأصل « برجله عليه وهو راكب غسلت شق رأسه وهو معتمد » و قد كانت مكررة و لم تكن فى م ومد و ظ فحذفناها.

أدارت الحجر إلى الجانب الأيسر و غسلت شقه الأيسر، فغاصت رجلاه فيه؛ و لهذا أثر قدميه مختلف، أصابع هذه [١] عند عقب هذه [١]، و هو قيل أن يبنى [٢] البيت - و الله أعلم بمراده. ﴿و عهدنا﴾ عطف على قوله "جعلنا" ﴿الى ابرٰهم﴾ الوفى ﴿و اسمٰعيل﴾ ابنه الصادق الوعد، و فى ذكره إفصاح باجابة دعوته فيه فى قوله "و من ذريتى" و إشارة إلى أن فى ذريته من يختم [٣] الأمم بأمته و يكون استقباله بيته فى أجل العبادات [٤] من شرعته و أتم الإشارة بقوله: ﴿ان طهرا بيتى﴾ أى عن كل رجس حسى و معنوى، [٥] فلا يفعل بحضرته شىء لا يليق فى الشرع [٥]؛ و البيت موضع المبيت المخصوص من الدار المخصوصة من المنزل المختص من البلد - قاله الحرالى [٦]. ﴿للطائفين﴾ به الذين فعلهم فعل العارف بأنه ليس وراء الله مرمى و لا مهرب منه إلا إليه ﴿و العٰكفين﴾ فيه، و العكوف الإقبال على الشىء و ملازمته و الاقتصار عليه، و الطواف التحليق بالشىء فى غيب أو لمعنى غيب - قاله الحرالى. ﴿و الركع السجود﴾

(١-١) ليس فى م و مد (٢) فى م: يلى - كذا (٣) فى م نقط: تختم (٤) فى ظ: عبادته (٥-٥) ليست فى ظ (٦) قال أبو حيان الأندلسى: هذه إضافة تشريف لا أن مكانا محل الله تعالى، و لكن لما أمر ببنائه و تطهيره و إيفاد الناس من كل فج إليه صار له بذلك اختصاص فحسنت إضافته إلى الله بذلك و صار نظير قوله "ناقة الله" و "روح الله" من حيث أن فى كل منهما خصوصية لا توجد فى غيره فناسب الإضافة إليه تعالى. و الأمر بتطهيره يقتضى سبق وجوده إلا إذا حملنا التطهير على البناء و التأسيس على الطهارة و التقوى و قد تقدم أنه كان مبنيا على عهد نوح - البحر المحيط ١ / ٣٨٢.

قال الحرالى: و فى ذكر الركوع تخصيص للعرب الذين إنما شرع الركوع فى دينهم، و فى ذلك تبكيت لمن أخرج المؤمنين و منعهم من البيت، و فى تكرير تفصيل هذه الآيات باذ تنبيه على توبيخهم بترك دينه و هو الخليل و اتباع من لا يعلم و هو العدو.

و [1] لما ذكر أمر البيت الشريف فيما تكفل به [2] سبحانه و فيما أمر ٥ به الخليل و [1] ولده عليهما السلام من تطهيره ذكر باهتمامه بأهله و دعائه لهم مبكتا لمن عقّه من ذريته بالتصريح بكفرهم بيوم [3] الجزاء الآمر بكل خير الزاجر عن كل ضير فقال: ﴿ و اذ قال ابرٰهم رب ﴾ فأسقط أداة البعد إنباء بقربه [4] كما هو حال أهل الصفوة [5] ﴿ اجعل هذا ﴾ أى الموضع [6] الذى جعلت فيه بيتك و أمرتنى بأن أسكنته من ذريتى. ١٠

و لما كان السياق للمنع من المسجد و للسعى فى خرابه و كان ذلك شاملا بعمومه للبادى و لذلك [7] قرر أنه مثابة للناس عامة و أمنٌ كان الأنسب تنكير البلد فقال: ﴿ بلدا ﴾ يأنس [8] من يحل به ﴿ امنا ﴾ إفصاحا بما أفهمه "و اذ جعلنا البيت - الآية"؛ و المعنى أنكم عققتم أعظم آبائكم فى دعوتيه كلتيهما: فى كونه بلدا فانه [9] إذا انقطع الناس عن ١٥ أهله خرب [10]، و فى كونه آمنا، و هذا بخلاف ما يأتى فى سورة إبراهيم عليه السلام.

---

(١) ليس فى م (٢) ليس فى مد (٣) فى م: ينوم - كذا (٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: بقربه - كذا (٥) زيد فى ظ «و» (٦) زيد فى ظ: أى (٧) فى م: بذلك (٨) زيد فى م و ظ و مد «به» (٩) فى ظ: قاله - كذا (١٠) فى مد: حزب - كذا.

و لما ذكر القرار و الأمن اتبعه الرزق و قال[١] : ﴿ و ارزق اهله ﴾[٢] و قال: ﴿ من الثمرٰت ﴾ ، و لم يقل: من الحبوب ، لما فى تعاطيها من الذل المنافى للأمن ، لما روى أن النبي صلى الله عليه و سلم رأى سكة حرث فقال: ما دخلت هذه بيتا إلا ذل . و قال: ﴿ من اٰمن منهم بالله ﴾ ٥ ٣الجامع لصفات الكمال٣ ﴿ و اليوم الاٰخر ﴾ تقييدا لدعوة الرزق بما قيدت به دعوة الإمامة[٤] تأدبا معه[٥] حيث قال " لا ينال عهدى الظٰلمين " ﴿ قال ﴾ الله تعالى معلما أن شمول الرحمانية[٦] بأمن الدنيا و رزقها لجميع[٧] عمرة الأرض ﴿ و من كفر ﴾ أى أنيله[٨] أيضا ما ألهمتك من الدعاء بالأمن و الرزق ، و عبر عن ذلك بقوله: ﴿ فامتعه[٩] ﴾ تخسيسا له بما ١٠ أفهمه لفظ المتاع بكونه كما مضى من أسماء الجيفة التى إنما هى منال[١٠] المضطر على شعور برفضه على قرب من مترجى الغناء عنها ، و أكد[١١] ذلك بقوله:

(١) فى ظ : فقال (٢) قال أبو حيان الأندلسى : لما بنى إبراهيم البيت فى أرض مقفرة و كان حال من يتمدن من الأماكن يحتاج فيه إلى ماء يجرى و مزرعة و يمكن بها القطان بالمدينة دعا الله للبلد بالأمن و بأن يجبى له الأرزاق ، فانه إذا كان البلد ذا أمن أمكن وفود التجار إليه لطلب الربح ، و لما سمع فى الإمامة قوله تعالى " لا ينال عهدى الظٰلمين " قيد هنا من سأل له الرزق فقال ﴿ من اٰمن منهم بالله و اليوم الاٰخر ﴾ و الضمير فى " منهم " عائد على " اهله " ، دعا لمؤمنهم بالأمن و الخصب لأن الكافر لا يدعى له بذلك . (٣-٣) ليست فى ظ (٤) العبارة من هنا إلى " الظٰلمين " ليست فى ظ (٥) زيد فى مد : تعالى (٦) فى م : الرحمة (٧) فى ظ : بجميع (٨) فى مد : ابتله - كذا . (٩) زيد فى م : قليلا ، و سيأتى (١٠) فى م : متّال - كذا (١١) زيد فى م : فى .

﴿ قليلا ﴾ لكن فيه إيماء إلى أنه يكون أطيب حالا فى الدنيا و أوسع رزقا من المؤمن ، و كذا فى قوله : ﴿ ثم اضطره ﴾ [١] بما لى من العظمة الباهرة[١] ﴿ الى عذاب النار ﴾ أى[٢] بما أستدرجه[٣] به من النعم الحاملة له على المعاصى التى هى أسباب النقم ، و فى التعبير بلفظ الاضطرار إلى ما لا يقدم عليه أحد باختيار إشعار باجبار الله خلقه على ما يشاء[٤] منهم من إظهار حكمته ٥ و أن أحدا لايقـــدر على حركة و لاسكون إلا بمشيئته ؛ و الاضطرار الإلجاء إلى ما فيه ضرر بشدة و قسر[٥] . و لما كان التقدير : فبئس المتاع ما ذكر له فى الدنيا ، عطف عليه قوله : ﴿ و بئس المصير ﴾ أى العذاب له فى الآخرة ، و هو مفعل مما [٦]منه التصيير[٦] و هو التنقيل[٧] فى أطوار و أحوال ينتهى[٨] إلى غاية تجب[٩] أن تكون[١٠] غير حالة الشىء الأولى[١١] ١٠ بخلاف المرجع .

و لما ذكر بما مهده من أمر البيت دينا و دنيا اتبعه ببنائه مشيرا إلى ما حباهم[١٢] به من النعمة و ما قابلوه به من كفرها باختيارهم لأن يكونوا من غير الأمة المسلمة التى دعا لها لما دعا للرسول فقال[١٣] عاطفا على "اذ ابتلى" تعديدا لوجوه النعم على العرب بأبيهم الأعظم استعطافا إلى التوحيد[١٣] : ١٥ ﴿ و اذ يرفع ابرٰهم ﴾ [١٠] أى اذكر الوقت الذى يباشر بالرفع[١٣] ﴿ القواعد[١٤]

(١-١) ليست فى ظ (٢) ليس فى مد (٣) فى م : استدرجته (٤) فى مد : شاء .
(٥) فى م : قشر (٦-٦) فى م : فيه التعبير (٧) من م و ظ . و فى الأصل : التفقيد ، و فى مد : التنقل (٨) فى م و مد : تنتهى (٩) فى مد : تحت ، و فى بقية الأصول : تجب (١٠) فى ظ : يكون ، و فى مد : نكون ـ كذا (١١) فى م و مـد : الاول .
(١٢) فى ظ : احياهم (١٣-١٣) ليست فى ظ (١٤) القواعـد قال الكسائى =

من البيت ﴾ قال الحرالى : عدّد تعالى وجوه عنايته بسابقة العرب فى هذه الآيات كما عدد وجوه نعمته على بنى إسرائيل فى سابقة الخطاب ، فكانت هذه فى أمر إقامة دين الله ، و كانت تلك فى محاولة مدافعته ، ليظهر بذلك تفاوت ما بين الاصطفاء و العناية ؛ و القاعدة ما يقعد عليه الشىء

٥ أى[١] يستقر و يثبت[٢] و يجوز أن يراد بها سافات البناء ، لأن كل ساف[٣] قاعدة للذى يبنى[٤] عليه - قاله الأصبهانى[٥] .

و لما أفرد الخليل عليه السلام بهذا الرفع إظهارا لشرفه بكونه هو السبب الأعظم فى ذلك عطف عليه ولده فقال : ﴿ و اسمعيل ﴾ أى يرفع القواعد أيضا ، و وصل بهذا العمل الشريف قوله : "ربنا" مرادا

١٠ فيه القول محذوفا منه أداة البعد أى يقولان : ﴿ ربنا تقبل منا ﴾ أى عملنا[٦] بفضلك و لا ترده علينا . إشعارا بالاعتراف بالتقصير لحقارة العبد و إن اجتهد فى جنب عظمة مولاه . و لما تضمن سؤال القبول المشعر بخوف الرد علم الناقد البصير بالتقصير علله بقوله : ﴿ انك ﴾ و أكده

= و الفراء : هى الجدر ، و قال أبو عبيدة : الأساس . . . . فان كانت الأساس فرفعها بأن يبنى عليها فتنتقل من هيئة الانخفاض إلى هيئة الارتفاع و تتطاول بعد التقاصر . قال الزمخشرى : و يجوز أن يكون المراد بها سافات البناء ، و يجوز أن يكون المعنى ما قعد من البيت أى استوطىء يعنى جعل هيئة القاعدة المستوطأة مرتفعة عالية بالبناء ـ البحر المحيط ١ / ٣٧٣ و ٣٨٧ .

(١) فى م : ان (٢) العبارة من هنا إلى « الأصبهانى » ليست فى ظ (٣) فى مد : ساق (٤) فى م : بنى (٥) فى مد : الاصفهانى (٦) فى ظ : علمنا ـ كذا .

بقوله

بقوله: ﴿ انت السميع العليم ﴾ أى فان كنت سمعت أو علمت امنا حسنا فرده حسنا ، و إن كنت سمعت أو علمت ا غير ذلك من نحو قول ناشئ عن اختلاج فى النفس بما سببه كلال أو إعياء فاغفره .

و لما سأل القبول سأل الزيادة عليه بقوله : ﴿ ربنا ﴾ على ما مضى من طرز دعاء المقربين باسقاط أداة البعد ﴿ و اجعلنا ﴾ أى أنا و ابنى هذا الذى أعانى ﴿ مسلمين لك و من ذريتنا ﴾ قال الحرالى : لما تحقق مرجو الإيمان فى ذريته فى قوله : "من امن منهم" طلب التكملة باسلام الوجه و المسألة له و لابنه و لمن رزق الإيمان من ذريته و ذرية ابنه ، فان الإسلام لما كان ظاهر الدين كان سريع الانثلام لأجل مضايقة أمر

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى م : اعتياء (٣) قال أبو حيان الأندلسى : وحكى بعض المفسرين عن بعض الناس فرقا بين القبول و التقبل ، قال : التقبل تكلف القبول وذلك حيث يكون العمل ناقصا لا يستحق أن يقبل ، قال : فهذا اعتراف من إبراهيم و إسماعيل بالتقصير فى العمل ؛ و لم يكن المقصود إعطاء الثواب ، لأن كون الفعل واقعا موقع القبول من المخدوم ألذ عند الخادم العاقل من إعطاء الثواب عليه ؛ وسؤالهما التقبل بذلك على أن ترتيب الثواب على العمل ليس واجبا على الله تعالى - البحر المحيط ١/٣٨٨ (٤) لما تقدم الجواب له بقوله "لا ينال عهدى الظالمين" علم أن من ذريتهما الظالم وغير الظالم فدعا هنا بالتبعيض لا بالتعميم فقال : ﴿ ومن ذريتنا ﴾ و خص ذريته بالدعاء للشفقة و الحنو عليهم ولأن فى صلاح نسل الصالحين نفعا كثيرا لمتبعهم ، إذ يكونون سببا لصلاح من وراءهم ؛ و الذرية هنا قيل أمة محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله "وابعث فيهم" و قيل هم العرب لأنهم من ذريتهما. قال القفال : لم يزل فى ذريتهما من يعبد الله وحده لا يشرك به شيأ و لم تزل الرسل عليهم السلام من ذريتهما - البحر المحيط ١/٣٨٩ (٥) فى م : المسلمة .

الدنيا ، و إنما يتم الإسلام بسلامة الخلق من يد العبد و لسانه و الإلقاء بكل ما بيده لربه [١] مما ينازع فيه وجود النفس و متضايق الدنيا ، و لذلك [٢] هو مطلب لأهل الصفوة فى خاتمة العمر ليكون الخروج من الدنيا عن إلقاء للحق و سلام للخلق كما قال يوسف عليه السلام "توفنى مسلما [٣]" و طلب بقوله :
٥ ﴿ امة مسلمة لك ﴾ أن [٤] يكونوا بحيث يؤم بعضهم بعضا .

و لما كان المسلم مضطرا إلى العلم قال ﴿ و ارنا مناسكنا ﴾ و فى ذلك ظهور لشرف [٥] عمل الحج حيث كان متلقى عن الله بلا واسطة لكونه علما على آتى [٦] يوم الدين حيث لا واسطة هناك بين الرب و العباد . و المنسك [٧] مفعل من النسك و هو ما يفعل قربة و تدينا . تشارك حروفه
١٠ حروف السكون - قاله الحرالى . و لما كان الإنسان محل العجز فهو أضر شىء إلى التوفيق قال : ﴿ و تب علينا ﴾ إنباء بمطلب التوبة أثر الحسنة كما هو مطلب العارفين بالله المتصلين بالحسنات [٨] رجّعا بها إلى من له الخلق و الأمر ، ثم علل طمعه فى ذلك بأن عادته تعالى التطول و الفضل فقال :
١٢٣ / ﴿ انك / انت التواب ﴾ أى الرجّاع بعباده إلى موطن النجاة من حضرته بعد
١٥ ما سلط عليهم عدوهم بغوايته [٩] ليعرفوا فضله عليهم و عظيم قدرته ثم اتبعه

(١) زيد فى م و مد : و ذلك (٢) فى م : ذلك (٣) سورة ١٢ آية ١٠١ (٤) فى م : اى (٥) وقع فى الأصل : الشرف - كذا ، و التصحيح من م و ظ و مد . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اتى (٧) و قال تاج القراء الكرمانى : إن كان المراد أعمال الحج و ما يفعل فى المواقف كالطواف و السعى و الوقوف و الصلاة فتكون المناسك جمع منسك المصدر جمع لاختلافها ، و إن كان المراد المواقف التى يقام فيها شرائع الحج كمنى و عرفة و المزدلفة فيكون جمع منسك و هو موضع العبادة . و روى عن على أن إبراهيم لما فرغ عن بناء البيت و دعا بهذه الدعوة بعث الله إليه جبريل عليه السلام فحج به - البحر المحيط (٨) فى م : من الحسنات . (٩) فى مد : بغواته - كذا .

وصفا هو كالتعليل له فقال: ﴿ الرحيم ۝ ﴾ .

و لما طلب ما هو له فى منصب النبوة من تعليم الله له المناسك بغير واسطة طلب لذريتـــه مثل ذلك بواسطة من جرت العادة به لأمثالهم فقال: ﴿ ربنا و ابعث فيهم ﴾ أى الأمة المسلمة التى من ذريتى و ذرية ابنى إسماعيل ﴿ رسولا منهم ﴾ ١ ليكون أرفق بهم و أشفق عليهم و يكونوا٢ ٥ هم أجدر باتباعه و الترامى فى نصره ، و ذلك الرسول٣ هو محمد صلى الله عليه و سلم ، فانه لم يبعث من ذريتهما بالكتاب غيره ، فهو دعوة إبراهيم عليه السلام أبى العرب و أكرم ذريته ؛ فى ذلك أعظم ذم لهم بعداوته مع كونه مرسلا لتطهيرهم بالكتاب الذى ٤هو الهدى٤ لاريب فيه ، و إليه الإشارة بقوله : ﴿ يتلوا ﴾ أى يقرأ متابعا٥ مواصلا ﴿ عليهم ايٰتك ﴾ ١٠ أى علاماتك الدالات عليك أعم من أن يكون نزل بها الكتاب أو استنبطت منه ﴿ و يعلمهم الكتٰب ﴾ الكامل لشامل لكل كتاب أوتيت جوامع الكلم ﴿ و الحكمة ﴾ و هى كل أمر يشرعه لهم فيحفظهم فى صراطى ٦معاشهم و معادهم٦ من الزيغ المؤدى إلى الضلال الموجب للهلاك .

و لما كان ظاهر دعوته عليـــه السلام أن البعث فى الأمة المسلمة ١٥

---

(١) لما دعا ربه بالأمن لمكة و بالرزق لأهلها و بأن يجعل من ذريته أمة مسلمة ختم الدعاء لهم بما فيه سعادتهم دنيا و آخرة و هو بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فيهم ، فشمل دعاءه لهم الأمن و الخصب و الهداية ـ البحر المحيط ١/٣٩٢ (٢) فى ظ : فيكون (٣) فى م : للرسول (٤-٤) ليس فى م (٥) فى ظ : قرآنا (٦-٦) فى ظ : معشاهم و معاذهم .

كانوا إلى تعليم ما ذكر أحوج منهم إلى التزكية فان أصلها موجود بالإسلام فأخر قوله : ﴿ و يزكيهم ﴾ أى يطهر قلوبهم بما أوتى من دقائق الحكمة ، [1] فترتقى بصفائها [1] و لطفها من ذروة الدين إلى محل يؤمن عليها فيه أن ترتد [2] على أدبارها و تحرف كتابها كما فعل من تقدمها [3] ، و التزكية
٥ إكساب الزكاة ، و هى نماء النفس بما هو لها بمنزلة الغذاء للجسم - قاله الحرالى .

و لما ذكر سبحانه فى سورة الجمعة بعثه فى الأميين عامة اقتضى المقام تقديم التزكية التى رأسها البراءة من الشرك الأكبر ليقبلوا ما جاءهم من العلم ، و أما تقديمها فى آل عمران مع ذكر البعث للمؤمنين فلاقتضاء الحال بالمعاتبة على الإقبال على الغنائم الذى [4] كان سبب الهزيمة لكونها
١٠ إقبالا على الدنيا التى هى أم الأدناس ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انك انت العزيز [5] ﴾ أى الذى يغلب كل شىء و لا يغالبه شىء ، لأن العزة كما قال الحرالى الغلبة الآتية على كلية الظاهر و الباطن ، ﴿ الحكيم ﴾ أى الذى يتقن ما أراد فلا يتأتى نقضه ، و لا متصف [6] بشىء من ذلك غيرك ؛ و فى ذلك إظهار عظيم لشرف العلم و طهارة الأخلاق ، و أن ذلك لا ينال
١٥ إلا بمجاهدات لا يطيقها البشر و لا تدرك أصلا إلا بجد تطهره [7] العزة

(١-١) فى م : فترقى بصفاتها (٢) من م ، و فى الأصل : يرتد ، و فى مد و ظ : يرتد - كذا (٣) فى ظ : مقدمها (٤) فى م : الذين (٥) و فى البحر المحيط ١/٣٩٣ : المنيع الذى لا يرام - قاله المفضل بن سلمة ، أو الذى لا يعجزه شىء - قاله ابن كيسان ، أو الذى لا مثل له - قاله ابن عباس . أو المنتقم - قاله الكلبى ، أو القوى و منه " نعززنا بثالث " أو المعز و منه " و تعز من تشاء " (٦) فى م : لا يتصف ، و فى ظ : لا متصفه (٧) و فى م : نظيره .

و ترتيب

و ترتيب أرمته الحكمة ؛ هذا لمطلق ذلك فكيف بما يصلح منه للرسالة ! و فيه إشارة إلى أنه يكبت[1] أعداء الرسل و إن زاد عدهم و عظم جدهم ، و يحكم أمورهم فلا يستطيع أحد نقض شيء منها .

و لما كان التقدير : فمن يرغب فى مخالفة من يرسله من[2] هو بهذه الصفة ! عطف[3] عليه قوله : ﴿ و من يرغب عن ملة ابرٰهم ﴾ المستقيم الطريقة ، الظاهر[4] الخليقة ، الشفيق على ذريته ، البانى لهم أعظم المفاخر ، المجتهد لهم فى جليل المناقب و المآثر ﴿ الا من سفه نفسه ﴾ أى[5] امتهنها و احتقرها و استخف بها ، أى فعل بها ما أدى إلى ذلك ؛ و فى[5] ذلك تعريض بمعاندى أهل الكتاب . قال الحرالى : و السفاهة خفة الرأى فى مقابلة ما يراد منه من المتانة و القوة ، و فى نصب النفس إنباء بلحاق السفاهة بكلية ذى النفس ، لأن من سفهت نفسُه اختص السفه بها ، و من سفه نفسَه - بالنصب - استغرقت السفاهة ذاته و كليته و كان بدء ذلك و عاديته[6] من جهة نفسه ، يفهم ذلك نصبها ؛ و ذلك لأن الله عز و جل جعل النفس مبدأ كل شر أبداه فى ذات ذى النفس ، فانه تعالى يعطى الخير بواسطة و بغير واسطة . و لا يُحذىٰ[7] الشر[8] إلا بواسطة نفس ليكون فى ذلك حجة الله على خلقه ؛ و إنما استحق السفاهة من يرغب عن ملة إبراهيم لظهور شاهدها فى العقل و عظيم بركتها فى التجربة ، لأن من ألقى

(١) فى م و ظ : يكتب (٢) فى ظ : بمن (٣) ليس فى م (٤) فى م و ظ : الظاهر (٥-٥) ليست فى ظ (٦) فى م : عادته ، و فى مد : عايدته - كذا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : محذى - كذا ، و فى مد : يجدى (٨) فى الأصل : الخير ، و التصحيح من م و ظ و مد .

بيده لم يؤاخذ فى كل مرتبة[1] من رتب الدنيا و الآخرة ، فلا عذر لمن رغب عن ذلك ، لظهوره فى شاهدى العقل و الحس اللذين هما أظهر حجج الله على خلقه "و تلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه[2]" انتهى .

و لما كان التقدير : فلقد آتيناه من المزايا ما قدّمنا لكم مما لا يعدل[3] عنه ذو مسكة عطف عليه قوله : ﴿ و لقد اصطفيناه ﴾ [4]فذكره بمظهر العظمة تعظيما له ، فان العبد يشرف بشرف سيده ، و تشريفا لاصطفائه فان الصنعة تجل بجلالة[5] مبدعها ﴿ فى الدنيا ﴾ بما ذكرناه[6] من كريم المآثر التى يجمعها إسلامه ؛ و هو افتعال من الصفوة و هى ما خلص من اللطيف عن كثيفه[7] و مكدره ، و فى صيغة الافتعال من الدلالة على التعمد و القصد ما يزيد فيما أشير إليه من الشرف ﴿ و انه فى الآخرة لمن الصلحين ﴾ / [8]و فى هذا أكبر تفخيم لرتبة الصلاح حيث جعله من ١٢٤/

(١) فى م و مد : رتبة (٢) سورة ٦ آية ٨٣ (٣) فى م : لا تعدل (٤) فى البحر المحيط ١ / ٣٩٥ : أى جعلناه صافيا من الأدناس ، و اصطفاؤه بالرسالة و الخلة و الكلمات التى وفى و وصى بها و بناء البيت و الإمامة و اتخاذ مقامه مصلى و تطهير البيت و النجاة من نار نمرود و النظر فى النجوم و أذانه بالحج و إراءته مناسكه - إلى غير ذلك مما ذكر الله فى كتابه من خصائصه و وجوه اصطفائه - انتهى (٥) فى م : جلاله (٦) فى مد : ذكرنا (٧) فى ظ : كثفه (٨) وقال أبو حيان الأندلسى : ذكر تعالى كرامة إبراهيم فى الدارين بأن كان فى الدنيا من صفوته وفى الآخرة من المشهود له بالاستقامة فى الخير ، ومن كان بهذه الصفة فيجب على كل أحد أن لا يعدل عن ملته ؛ و هاتان الحالتان مؤكدتان ، أما الأولى فباللام و أما الثانية فبان و باللام .

المتصفين بها ، فهو حقيق بالإمامة لعلو رتبته عند الله فى الدارين ؛ ففى ذلك أعظم ترغيب فى اتباع دينه و الاهتداء بهديه ، و أشد ذم لمن خالفه ؛ و كل ذلك تذكير لأهل الكتاب بما عندهم من العلم بأمر هذا[1] النبي الكريم[2] و ما هو سبب له ، و إقامة للحجة[3] عليهم ، لأن أكثر ذلك معطوف على "اذكروا" قوله "يٰبنى اسراءيل اذكروا نعمتى" . ٥

و لما ذكر إمامته ذكر ما يؤتم به فيه و هو سبب اصطفائه و صلاحه و ذلك دينه ، و ما أوصى به عليه السلام بنيه ، و ما أوصى به بنوه بنيهم سلفا[4] لخلف[5] و لا سيما يعقوب عليه السلام المنوه بنسبة أهل الكتاب إليه فقال : ﴿ اذ ﴾ أى اصطفيناه بعظمتنا لأنه ﴿ قال له ربه اسلم ﴾ أى لإحسان ربك إليك ، و حذف المفعول ليتناول كل ما يصح إسلامه إلى ١٠ المسلم إليه و قصره عليه و تخلى[6] المسلم عنه ﴿ قال اسلمت لرب العٰلمين ۝ ﴾ أى المحسن إلىّ و إلى جميع الخلائق ﴿ و وصى بها ﴾ أى بهذه المقالة أو الوصية أو الخصلة التى اصطفاه الله بها ، و لعله لم يذكر الضمير لئلا يوهم

---

(١) ليس فى م (٢) زيد فى م : صلى الله عليه و سلم (٣) فى ظ : الحجة (٤) فى ظ : سلما - كذا (٥) من مد و ظ ، و فى الأصل : نخلف - كذا (٦) من م و ظ ، و فى الأصل : محلى - كذا ، و فى مد : تحلى . و قال أبو حيان الأندلسى : و فى قوله : ﴿ اسلم ﴾ تقدير محذوف ، أى أسلم لربك ، وأجاب بأنه أسلم لرب العالمين ، فتضمن أنه أسلم لربه لأنه فرد من أفراد العموم . و فى العموم من الفخامة ما لا يكون فى الخصوص ، لذلك عدل أن يقول : اسلمت لربى ، و من كان ربا للعالمين ينبغى أن يكون جميعهم مسلمين له منقادين .

الرجوع إلى ربه ؛ و قرئ "و اوصى" فهو[1] من ايصاء و الوصية و هى التقدم فى الشيء النافع المحمود عاقبته ، [1]و قراءة التشديد أبلغ لدلالتها على التكرر و التكثر[2] ﴿ ابرٰهم بنيه و يعقوب ﴾ وصّى بها أيضا بنيه فقال كل منهم : ﴿ يبنىّ ان الله ﴾ بعظمته و كماله ﴿ اصطفى لكم الدين ﴾ و هو الإسلام ، فأغناكم[3] عن تطلبه و إجالة الفكر فيه رحمة منه لكم ﴿ فلا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنى أقول لكم : لا ﴿ تموتن ﴾ على حالة من الحالات ﴿ الا و انتم ﴾ أى و الحال أنكم ﴿ مسلمون ۝ ﴾ أى ملقون بأيديكم و جميع ما ينسب إليكم لله لا حظ لكم فى شيء أصلا و لا التفات إلى غير مولاكم ، فان من كمل افتقاره إلى الغنى الحكيم أغناه بحسب ذلك . و قرر سبحانه بالآيات الآتية بطلان ما عليه المتعنتون من اليهودية و النصرانية ، و برّأ خليله و الأنبياء من ذلك على وجه أوجب القطع بأنهم عالمون ببطلانه .

ذكر قصة إبراهيم عليه السلام من التوراة : ذكر فى السفر الأول منها أنه ابرهيم[4] بن[5] تارح بن ناحور[6] بن شارغ[7] بن

---

(١) ليس فى مد (٢ - ٢) ليست فى ظ (٣) زيد فى ظ : به (٤) و فى البحر المحيط ١ / ٣٧٢ : إبراهيم اسم علم أعجمى ، قيل ومعناه بالسريانية قبل النقل إلى العلمية أب رحيم، وفيه لغى ست بألف و ياء وهى الشهيرة المتداولة وألف مكان الياء ، و باسقاط الياء مع كسر الهاء أو فتحها أو ضمها أو بحذف الألف والياء ففتح الهاء ، قال عبد المطلب :

نحن آل الله فى كعبته لم نزل ذاك على عهد إبرهم

و فى ص ٣٧٤ : هو الجد الحادى و الثلاثون لنبينا رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و هو خليل الله بن تارح بن ناجور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر و هو =

ارغو بن[1] فالغ[2] بن عابر[3] بن شالخ[4] بن ارفخشد[5] بن سام بن نوح ؛ لأنه قال فى التوراة : لما أتت على سام مائة سنة ولد له ارفخشد[5] فأتت عليه خمس[6] و ثلاثون سنة فولد له شالاح[7] و سماه فى موضع آخر شالخ[7]، فأتت عليه ثلاثون سنة فولد له عابر[3] فأتت عليه أربع و ثلاثون سنة فولد له فالغ[8]، فأتت عليه ثلاثون سنة فولد له أرغو[9]، فأتت عليه اثنتان[10] و ثلاثون سنة فولد له شارغ[11]، فأتت عليه ثلاثون سنة فولد له ناحور[12]،

= هود النبي عليه السلام ، و مولده بأرض الأهواز ، و قيل بكوثى و قيل بابل و قيل بنجران ، و نقله أبوه إلى بابل أرض نمروذ بن كنعان (٥) زيده بعده فى الأنساب للسمعانى ١٣/١ : ازر ، و فى نسب قريش : آزر (٦) من م وظ و مد ، و فى الأصل : ناخور ؛ وفى البحر المحيط : ناجور ؛ و فى الأنساب للسمعانى ١٣/١ : ماخور - راجع نسب قريش ٤/١ (٧) من الأنساب ، و فى الأصل و م و مد : ساروغ ، و فى ظ : ساوغ ، و فى نسب قريش : أسرع .

(١-١) من نسب قريش ، و فى الأصول : ارعو بن ، وليس فى الأنساب (٢) فى الأصل و م و مد : فالاع ، وفى م : قالاع ؛ و التصحيح من البحر المحيط و الأنساب و نسب قريش (٣) فى الأصول : عابار ، و التصحيح من الأنساب و نسب قريش .

(٤) فى الأصول : شالاح ، و التصحيح من الأنساب و نسب قريش (٥) فى الأصول : ارفخشاد ، و التصحيح من الأنساب و نسب قريش (٦) فى م : خمسة - كذا (٧) من التعليق عليه آنفا (٨) فى الأصل و م و ظ : فالاغ ، و فى مد : فالاع ، و التصحيح من الأنساب و نسب قريش (٩) فى الأصول : ارعو ، و التصحيح من نسب قريش (١٠) فى ظ : اثنان (١١) من الأنساب ، و فى الأصول : ساروغ ، و فى نسب قريش : امرع (١٢) هكذا فى الأصول و نسب قريش . و فى الأنساب : ماخور .

فأتت عليه [تسع و عشرون سنة فولد له تارَح فأتت عليه -[1]] خمس و سبعون سنة [2]فولد له[2] ابرم و ناحور[3] و هاران . و خالفه فى الإنجيل بعض المخالفة فقال فى إنجيل لوقا : ناحور[3] بن شارغ[4] بن ارغو[5] بن فالغ[6] بن عابر بن[7] صالا بن قينان[7] بن أرفخشد[8] بن سام بن نوح ؛ و نوح على ما قال فى التوراة ابن لمك[9] بن متوشلح[10] بن خَنُوخ[11] بن يارذ[12] [13] بن هليل[13] بن قينان[14] بن أنوش[15] بن شيث[16] بن آدم عليه السلام . و هكذا[17] قال فى أثناء[18] إنجيل لوقا إلا أنه قال فى لمك:

(١) زيد من م و ظ و مد (٢-٢) ليست فى م (٣) هكذا فى الأصول و نسب قريش ، و فى الأنساب : ماخور (٤) من الأنساب ، و فى ظ و مد : شارخ ، وفى الأصل و م : سارخ ، و فى نسب قريش : أَسْرَع (٥) فى الأصول : ارعو ، و التصحيح من نسب قريش (٦) فى الأصول : فالق ، و التصحيح من الأنساب و نسب قريش (٧ - ٧) كذا فى الأصول ، و فى الأنساب و نسب قريش : شالخ (٨) فى الأصول : ارنخشاد ، و التصحيح من الأنساب ونسب قريش (٩) هكذا فى الأصول والأنساب ، وفى نسب قريش : لامك (١٠) هكذا فى الأصول و الأنساب ، و فى نسب قريش : مَتَوْشالخ (١١) من ظ و الأنساب ونسب قريش ، و فى الأصل و م و مد : حنوح (١٢) فى م : يارد ، و فى نسب قريش : يادر ، و فى الأنساب : ادد (١٣ - ١٣) من نسب قريش ، و ليس فى الأنساب ، و فى الأصول : بن مهلاليل (١٤) هكذا فى الأصول والأنساب ، و فى نسب قريش : قَنان (١٥) هكذا فى الأصول والأنساب ، و فى نسب قريش : أَنش (١٦) من الأنساب ، و فى نسب قريش : شاث ، و فى الأصول : شيت - كذا بالتاء المثناة (١٧) فى م : كذا (١٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اثناء ، و زيد فيه بعده « و » .

لامك ، و فى ا يارذ : يرذ بن مهلالاييل [١] . ثم قال فى التوراة : و ولد هاران لوطا ، و مات هاران فى حياة أبيه تارح فى الأرض التى ولد فيها و هى أور [٢] الكلدانيين [٣] - و فى نسخة [٤] : الكزدانيين - [٥] فتزوج إبرم سُرّى و كانت عاقرا [٦] فلم يولد لها ولد ، فانطلق تارح بابنه إبرم و بلوط ابن ابنه هاران و بكّنته سرى [٧] من اور الكلدانيين متيمما أرض كنعان ، فانتهوا إلى حرّان فسكنوها ، فتوفى تارح بحرّان عن مائتى سنة و خمس سنين ؛ و قال الرب لإبرم : اخرج من أرضك من حيث ولدت و من آل [٨] أبيك إلى الأرض التى أريك فأجعلك [٩] لشعب عظيم و أباركك و أعظم اسمك و كن مباركا و أبارك بنيك و ألعن لاعنيك و يتبارك بك جميع قبائل الأرض و بزرعك ، فصنع إبرم كما أمره الرب و انطلق معه لوط ابن أخيه و سرى زوجته و كان إذ ذاك ابن خمس و سبعين سنة و معهم جميع مواشيهم و ما اتخذوا بحرّان من ولدان و خدم ، فخرجوا يريدون أرض كنعان فأتوها ، فجاء إبرم حتى [١٠] أتى بلاد سُحام و إلى بَلُّوط مُمرى و كان الكنعانيون بعد سكانا فى الأرض فاعتلن الرب لإبرم و قال له : إنى معطٍ ذريتك هذه الأرض ، و بنى إبرم هنالك مذبحا للرب إذ ظهر له ،

(١-١) فى م : ذيردمهلالاييل ، و فى ظ : بارد يرذ بن مهلاليل ، و فى مد : بارذ يرذ بن مهيالاييل (٢) فى مد فقط : اوار (٣) فى م : للكلدانيين (٤) زيد فى م و مد: اتون (٥) زيد فى م : و نقل الأصبهانى عن السدى أن اور أرض بين الكوفة و البصرة (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كاقرا (٧) زيد فى م : و . (٨) فى مد : الى (٩) فى م : فاجعل (١٠) ليس فى ظ .

و انتقل من هنالك إلى الجبل من المشرق إلى بيت ايل[1]، فنصب خيمته
فى بيت ايل من غربها قبالة البحر و عاى[2] من شرقها، و بنى ثم للرب
مذبحا و دعا باسم الرب، ثم ظعن منطلقا و كان مظعنه إلى مهبد[3] الجنوب
و كان جوع فى الأرض، فهبط إبرم إلى مصر ليسكنها، لأن الجوع
١٣٥/ ٥ اشتد فى الأرض؛ فلما دنى / من مصر قال لسرى امرأته: إنى عالم أنك
امرأة حسناء، فان رآك المصريون يقولون: امرأته، فيقتلوننى؛ قولى:
إنى أخته - فذكر قصة أخذ فرعون مصر لها و القوارع التى أصابته فخلت
بينه و بينها فخلى سبيلها و أحسن إليها و إلى إبراهيم - إلى أن قال: فخرج
إبرم من مصر هو و امرأته و لوط معه إلى أرض[4] التيمن - و فى
١٠ نسخة: إلى القبلة - و هى[5] جهة الجنوب فاستغنى إبرم جدا، فظعن[6] لمظعنه[7]
من الجنوب حتى أتى بيت ايل إلى الموضع الذى كان نصب فيه خيمته
من قبل و لوط معه و كان له غنم و بقر و خير كثير جدا و أخبية،
و لم تكن تلك الأرض تسعهما كليهما[8]، لأن مواشيهما كثرت جدا؛ فذكر
أن لوطا رفع بصره فنظر إلى أرض الأردن فاذا هى كلها أرض سقى و شرب
١٥ مثل فردوس الله و مثل أرض مصر التى فى مدخل صاغار - و فى نسخة:
زغر[9] فاختار لوط أرض الأردن؛ فسكن إبرم أرض كنعان، و سكن
لوط قرى عاجار و ورث - و فى نسخة: قرى المرج - و خيّم إلى سدوم و كان

(١) فى م: آيل - كذا (٢) فى م فقط: و عامى (٣) ليس فى مد (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الأرض - كذا (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: هو (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فطعن - كذا (٧) و فى ظ: لمطعنه، و فى مد: بمظعنه، و فى م: بمظعنه (٨) فى ظ: كلاهما (٩) فى مد: ژعر.

أهل سدوم أشرارا خطأة جدا ، فقال الرب لإبرم بعد ما اعتزل له لوط : مد بصرك فانظر من المكان الذى أنت فيه إلى الجرنيا [١] و التيمن - و فى نسخة : إلى الشمال و الجنوب و المشرق و المغرب - لأن جميع الأرض التى ترى إياك أعطيها و ذريتك من بعدك إلى الأبد ، و أجعل ذريتك مثل ثرى الأرض ، فان قدرت أن تحصى تراب الأرض فان زرعك ٥ يحصى [٢] ، فأتى إبرم فسكن بين بلوط - و فى نسخة : فى مرج ممرى الأمورانى التى يحبرون [٣] - و بنى هنالك مذبحا للرب ، و كان على عهد أمرقال [٤] ملك شنعار - و فى نسخة : شنوار - و ارنوخ ملك ذى [٥] اللاشار [٦] - و فى نسخة : الخزر - و كدر لعمر [٧] ، ملك عيلم [٨] - و فى نسخة : خوزستان - و ترغيل ملك جيلان [٩] - و فى نسخة : الأمم - اجتمع هؤلاء فى قاع ١٠ السدوميين و هو البحر المالح فقتلوا الجبارة الذين [١٠] فى العشرة القرى و الأبطال الذين بها و الحورانيين الذين فى جبال ساعير - و فى نسخة : شراة - إلى بطمة فاران ١١ التى فى البرية ، و رجعوا و أتوا عين الدنيا ١٢ - و فى نسخة : الحكم ١٣ - و هى رقيم و قتلوا كل رؤساء العمالقة و الامورانيين سكان عين جاد ، و خرج بارع ملك سدوم و برشع ١٤ ملك عامرا ١٥

(١) من ظ ، و فى الأصل : الجرنيا ، و فى م : الجريبا ، و فى مد : الجرتبا (٢) فى الأصل : يحصى - كذا (٣) من م و مد ، و فى ظ : يحيرون ، و فى الأصل : يجرون (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : امرفال (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : دى (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اللاتار (٧) فى م : لعمرى . (٨) فى م : هيلم (٩) هكذا فى الأصل و ظ ، و فى م و مد : جيلان (١٠) فى الأصل : الذى ، و التصحيح من م و مد و ظ (١١) فى ظ : ماران (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : دنيا (١٣) فى ظ : الحكيم (١٤) فى ظ : مرتسع .

و شنآب ملك ادوما [١] وَ شاليم ملك صَبُوْيم و ملك بالاع [٢] التى هى صاغار - و فى نسخة : زغر [٣] - خمسة ملوك [٤] ، قاتلوا الأربعة بقاع السدوميين ، فهرب ملك سدوم و ملك عامرا فوقعوا هناك ، و هرب البقية إلى الجبل فاستباحوا جميع مواشى سدوم و عامُرا و جميع طعامهم و استاقوا [٥] لوطا ابن أخى إبرم و ماشيته و انطلقوا ، فأتى من نجا منهم و أخبر إبرم [٦] العبرانى ، فعبّى فتيانه و مولّديه ثلاثمائة و ثمانية عشر رجلا و سار فى طلبهم إلى داريا - و فى نسخة : بانياس - فأحاط بهم ليلا ، فقاتلهم و هزمهم إلى الجوف - و فى نسخة : المزة [٧] - التى عن شمال دمشق و هى قرية يقال لها حلبون [٨] و رد لوطا ابن أخيه [٩] و ماشيته و جميع المواشى و النساء و الشعب ، فخرج ملك سدوم فتلقاه فرد إليه جميع ما سلب منه ؛ و من بعد هذا حلّ وحى [١٠] الله على إبرم فى الرؤيا و قال له : يا إبرم ! أنا أكافئك و أساعدك ، لأن ثوابك قد جزل جدا ؛ فقال إبرم : اللهم ! رب ما الذى تنحلنى و أنا خارج من الدنيا بلا نسل و يرثنى اليعازر [١١] غلامى الدمشقى ؟ فقال له الرب : لا يرثك هذا بل ابنك الذى يخرج من صلبك فهو يرثك ، و [١٢] قال له [١٢] :

(١) كذا فى الأصل بالدال المهملة ، و فى م و مد : اذوما - بالذال المعجمة .
(٢) فى م : بالاغ (٣) فى مد : ژغر - بالزاى الفارسية (٤) زيدت فى ظ : و .
(٥) من مد و ظ ، و فى م : اشتاقوا ، و فى الأصل : اسماقوا - كذا (٦) زيدت فى م : و (٧) فى ظ فقط : المرّة (٨) فى م و مد : حليون (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : خيه - كذا (١٠) من م و مد و ظ ، و وقع فى الأصل : و هى - محرفا (١١) فى م : العياذر - كذا (١٢-١٢) فى م : قاله .

انظر إلى السماء و أحص النجوم إن كنت تقدر أن تحصيها[١]، ثم قال له: كذلك تكون ذريتك، فآمن إبرم بالله[٢]، و قال له الرب: [أنا الرب - ٣] إلهك الذى أخرجك[٤] من اور الكلدانيين - و فى نسخة: اتون الكزدانيين - لأعطينك[٥] هذه الأرض لترثها؛ فلما كان غروب الشمس وقع الصمت على إبرم و غشيه خوف و ظلمة عظيمة فقال الرب لإبرم: اعلم علما ٥ يقينا أن نسلك سيسكنون[٦] فى أرض ليست لهم، فيتعبدونهم و يكدونهم أربعمائة سنة، و الشعب الذين يتعبدونهم فانى أدينهم و يخرجون من هناك بعد ذلك بمال عظيم، و أنت تنتقل إلى آبائك بسلام و تدفن[٧] بشيخوخة[٨] خير و صلاح، و الحقب الرابع يرجعون إلى ههنا، لأن إثم[٩] الاموراتيين لم يكمل بعد؛ فلما غربت الشمس صار دجى و حندسة و إذا بتنور يدخن ١٠ و مصباح نار يلتهب و يتردد بين تلك الأنصبة، و فى ذلك اليوم عاهد الرب إبرم عهدا و قال: إنى معط ذريتك هذه الأرض من نهر مصر و إلى الفرات النهر الأعظم، و إن سُرّى امرأة إبرم لم تكن تلد و كانت لها أمة مصرية اسمها هاجر فقالت سُرّى / لإبرم و هما بأرض كنعان: / ١٢٦ إن الرب قد حرمنى الولد فادخل[١٠] على أمتى و ابن بها لعلى أتعزى[١١] بولد ١٥ منها، تسمّع[١٢] إبرم قول سرى و أطاعها، و ذلك بعد ما سكن أرض

(١) فى م: تحصها (٢) فى ظ: الله (٣) زيد من وظ و مد (٤) فى مد: اخرج.
(٥) فى مد: لاعينك (٦) زيد فى م: ارض (٧) فى مد: لا تدفن (٨) فى م: بشيخواخه - كذا (٩) فى م: اسم، و فى مد: انم - كذا (١٠) فى م: فاخل.
(١١) فى م: اتعز (١٢) فى م و مد و ظ: فسمع.

كنعان عشر سنين ؛ فحبلت فقالت سرى لإبرم : أنت صاحب ظلامتى ، أنا وضعت أمتى فى حضنك [١] ، فلما حبلت هنت عليها بحكم الرب بينى و بينك ؛ فقال : هذه أمتك مسلمة إليك . اصنعى بها ما أحببت ، فأهانتها سرى [٢] سيدتها فهربت منها ، فلقيها ملاك الرب على عين ماء فى البرية فى طريق سور - و فى رواية [٣] : فى طريق حذر [٤] ، و فى نسخة : على العين التى بطريق الجفار - فقال لها : يا هاجر أمة سرى ! ارجعى إلى سيدتك و استكدّى تحت يدها ، ثم قال لها ملاك الله : لأكثرن نسلك حتى لا يحصى ، ثم قال لها : ها أنت حامل - و فى نسخة : إنك حبلى - و ستلدين ابنا و تدعين اسمه إسماعيل ، لأن الرب قد عرف لك خضوعك ، و يكون ابنك هذا رجلا يأوى البرية و يده فى جميع الناس - و فى نسخة : وحشى الناس - يده على كل و يد كل به ، و سيحل على جميع حدود إخوته ، فدعت اسم الرب الذى كلمها فقالت : أنت الله ذو الوحى و الرؤيا ، و ذلك لأنها قالت : إنى رأيت رؤيا ، و لذلك دعت تلك الطوى بئر الحى و هى بئر رقيم و حذر [٥] - و فى نسخة : فيما بين قادس و بارد [٦] - ثم ولدت هاجر لإبرم ابنا فدعا إبرم اسمه إسماعيل ، و كان إبرم ابن ست و ثمانين سنة إذ [٧] ولدت هاجر له إسماعيل ، فلما أتى على إبرم تسع و تسعون سنة اعتلن له الرب و قال له : أنا الله إله المواعيد ، أرضنى تكن غير ذى [٨]

(١) فى م : حصفك - كذا بالصاد و الفاء (٢) زيدت فى م : و (٣) فى ظ : نسخة .
(٤) فى م و مد : حدر ، و فى ظ : حدود (٥) فى م و مد : حذر (٦) فى مد : بادرا (٧) فى ظ : او - كذا (٨) ليس فى م .

عيب

عيب و أثبت عهدى بينى و بينك - و فى رواية : فأحسن أمامى و لا تكن ملوما فانى جاعل بينى و بينك ميثاقا ، و أكثرك جدا جدا ؛ فخر إبراهيم على وجهه فكلمه[1] الله و قال له : [أنا -[2]] أثبت لك عهدى - و فى نسخة : فأوحى الله إليه قائلا له : إنى قد جعلت ميثاقى معك - و تكون[3] أبا لشعوب كثيرة ، و[4] لا يدعى اسمك فيما بعد إبرم بل يكون اسمك ٥ إبراهيم . لأنى جعلتك أبا لشعوب كثيرة[4] ، و أنميك و أثريك جدا جدا ، و أجعلك للشعوب رئيسا ، و الملوك من صلبك يخرجون ، و أثبت العهد - و فى نسخة : و أفى بميثاقى[5] - بينى و بينك و بين نسلك من بعدك عهدا دائما ، و أكون لك إلها و لزرعك من بعدك ، و أعطيك و ذريتك من بعدك أرض سكناك و جميع أرض كنعان ميراثا إلى الأبد ، ١٠ و أكون لهم إلها ؛ و قال الله لإبراهيم : احفظ عهدى أنت و زرعك من بعدك لأحقابهم ، هذا عهدى الذى آمركم به لتحفظوه ليكون بينى و بينك و بين نسلك من بعدك أن تختنوا[6] كل ذكر و تختنوا[6] لحم غرلكم و يكون علامة العهد بينى و بينكم ؛ و ليختن كل ذكر منكم ابن ثمانية أيام لأحقابكم ولاد البيت و المبتاع بالمال . و كل من كان من أبناء ١٥ الغرباء[7] الذين ليسوا من زرعك فليختتن اختتان المولود فى بيتك و المبتاع بمالك ، و يكون عهدى ميسما فى أجسادكم عهدا دائما إلى الأبد ؛ و كل

(١) فى م : كلم (٢) زيد من م و ظ و مد (٣) فى ظ : يكون (٤ - ٤) ليست فى م (٥) فى م : ميثاق (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تختنوا - كذا . (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الغرابا - كذا .

ذكر ذى غرلة[1] لا تختن غرلته[2] فى اليوم الثامن فلتهلك تلك النفس من شعبها ، لأنها أبطلت عهدى . و قال الله لإبراهيم : سرى صاحبتك ، لا تدع اسمها سرى لأن اسمها سارة و أبارك فيها ، و أعطيك منها ابنا و أباركه ، و يكون رئيسا لشعوب كثيرة و ملوك الشعوب من نسله يخرجون ؛

٥ فخر إبراهيم على وجهه ضاحكا و قال فى قلبه - و فى رواية متعجبا يقول فى نفسه - و هل يولد لابن مائة سنة ابن و سارة تلد و قد أتى عليها تسعون سنة ! و قال إبراهيم[3] لله : يا ليت إسماعيل يحيى بين يديك ! و قال الله لإبراهيم : حقا - و فى نسخة : نعم - إن سارة صاحبتك ستلد ابنا و تسميه إسحاق ، و أثبت العهد بينى و بينه إلى الأبد و لذريته من بعده ؛

١٠ و قد استجبت لك فى إسماعيل فباركته و كثرته و أنميته جدا جدا ، و يولد له اثنا عشر عظيما ، و أجعله رئيسا لشعب عظيم ؛ و أثبت عهدى لإسحاق الذى تلد لك سارة فى هذا الحين[4] من قابل . فلما فرغ من كلامه ارتفع استعلان الرب عن إبراهيم ، فانطلق إبراهيم باسماعيل ابنه و جميع أولاد بيته و المبتاعين بما له كل ذكر من بيت إبراهيم فختن غُرلهم فى

١٥ ذلك اليوم كما أمره الله ، و كان قد أتى على إبراهيم تسع[5] و تسعون سنة إذ ختن غرلته و كان قد أتى لإسماعيل ابنه إذ اختتن ثلاث عشرة سنة ، و ختن

---

(١) فى م : غرله (٢) فى م : عزلته - كذا (٣) ليس فى ظ (٤) فى م و مد : حين ، وفى ظ : الحيز (٥) فى م : تسعة (٦) قال المؤرخون : نقل إبراهيم ولده إسماعيل إلى مكة و هو رضيع و قيل ابن سنتين و قيل ابن أربع عشرة سنة ، و ولد قبل إسحاق بأربع عشرة سنة ، و مات و له مائة و ثلاثون سنة ، و كان لإسماعيل لما مات أبوه إبراهيم تسع و ثمانون سنة ، و عاش إسحاق مائة و ثمانين سنة ، و مات =

أيضا معه أبناء الغرباء المشايعين ثم أكمل البشارة باسحاق ، كما سيأتى فى سورة هود إن شاء الله تعالى - إلى أن قال: و ذكر الرب سارة كما قال: و صنع ١ الله تبارك و تعالى بسارة كما وعد ، فحبلت و ولدت لإبراهيم ابنا على كبره فى الوقت الذى ٢ وعد الله ، فسمى إبراهيم ابنه من سارة إسحاق ، فختن إبراهيم إسحاق ابنه / فى اليوم الثامن كما أمره الرب ، و كان ٥ /١٢٧ إبراهيم ابن مائة سنة ؛ فقالت سارة : لقد أنعم الله على و فرحنى فرحا عظيما ، فمن سمع فليفرح لى ، و قالت : من كان يقول لإبراهيم : إن سارة ترضع غلاما و تلد ابنا بعد الكبر ؛ فشب الغلام و فطم و صنع إبراهيم يوم فطم٣ مأدبة عظيمة - ثم أعاد ذكر أمر سارة باخراج هاجر و إبعادها و أن هذا شق على إبراهيم جدا و قال : فقال الله لإبراهيم : لا يشقن ١٠ عليك حال الصبي و أمتك ، فغدا إبراهيم باكرا و أخذ٤ خبزا٥ و إداوة من ماء فأعطاها هاجر و حملها و الصبي و الطعام فانطلقت و تاهت فى برية بئر سبع - و فى نسخة : بئر الحلف ، لأن إبراهيم حالف صاحب تلك الأرض عندها - و نفد٦ الماء من الإداوة فألقت الصبي تحت

= بالأرض المقدسة و دفن عند أبيه إبراهيم ؛ و كان بين وفاة إبراهيم و مولد محمد صلى الله عليه وسلم نحو من ألفى سنة و ستمائة سنة و اليهود تنقص من ذلك نحوا من أربعمائة سنة - البحر المحيط ١ / ٤٠٠ .

(١) فى م : وضع (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل و م : للذى (٣) فى م : فطمه .
(٤) فى م و مد و ظ : فاخذ (٥) من م و مد ، و فى الأصل : حيزا ، و فى ظ : خبرا - كذا (٦) فى م و مد : نفذ .

شجرة من الشيح[1] و انطلقت و جلست قبالته و تباعدت عنه كرمية بسهم كيلا تعاين موته ، فلما صرخ الغلام و بكى سمع الرب صوته فدعا ملاك الرب هاجر من السماء و قال لها : ما لك يا هاجر ؟ لا تخافى ، لأن الرب قد سمع صوت الصبي حيث هو ، قومى فاحملى الصبي و شدى به يديك ، لأنى أجعله رئيسا لشعب عظيم ؛ فجلى الله عن بصرها فرأت بئر ماء ، فانطلقت فملأت الإداوة و سقت الغلام[2] ؛ و كان الله مع الغلام فشب و سكن برية فاران وكان يتعلم الرمى فى تلك البرية و زوجته أمه امرأة - انتهى . و فيه : إن هذا الكلام فى إخراج هاجر و ولدها ظاهره مناقض لما تقدم فى ختان إسماعيل عليه السلام ، فان فيه أنه كان ابن ثلاث عشرة سنة ، و هذا ظاهره أنه كان رضيعا ؛ و فى الحديث الصحيح أنه وضعه عند البيت و هو يرضع . و يمكن حمل هذا عليه بهذا الكلام الأخير ، و أما الأول فلم يقل فيه إنه كان عند الختان ببيت المقدس ، فيمكن أن إبراهيم عليه السلام طوى له الله الأرض بالبراق أو غيره فذهب إلى مكة المشرفة فختنه ثم رجع . و فيه بشارة بنبينا محمد صلى الله عليه و سلم أصرح مما ذكروه و هى قوله : و يتبارك بك جميع قبائل الأرض ، لأن ذلك لم يحصل بأحد من أولاد إبراهيم[3] عليه السلام إلا بالنبى صلى الله عليه و سلم ، فقد أثبت البركة به صلى الله عليه و سلم و الخير فى غالب قبائل

(١) من م و مد ، و فى الأصل : السج ، و فى ظ : الشيخ - كذا و الشيح شجرة - قطر المحيط ٢ / ١٠٩٧ (٢) ليس فى ظ (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : آدم - كذا .

الأرض، و يكون الباقى بعد نزول عيسى عليه السلام . و كذا قوله: و يده فى جميع الناس - إلى آخره، لأن إسماعيل عليه السلام لم ينقل أحد أن يده كانت على جميع الناس، و لا حل على جميع حدود إخوته، و لا اتصف من أولاده أحد بهذا الوصف إلا النبى صلى الله عليه و سلم؛ ثم رأيت فى شرح المقاصد للشيخ سعد الدين التفتازانى و شرح الصحائف ٥ للامام السمرقندى التنبيه على هذا النص .

و لما قرر سبحانه لبنى إسرائيل أن أباهم يعقوب ممن أوصى بنيه بالإسلام قال مبكتا لهم: ﴿ ام ﴾[١] فعلم قطعا من ذكر حرف العطف أن المعطوف عليه محذوف كما قالوه فى أحد التقادير[٢] فى هذه الآية و فى "امّن هو قانت اناء الليل[٣]" فى سورة الزمر[٤] فكان التقدير هنا[٥] ١٠ [٦]لتوبيخهم و تقريعهم بأن أىّ شق اختاروه لزمهم به ما يكرهون[٦]: [٧]أ كنتم غائبين عن هذه الوصية من إبراهيم و يعقوب عليهما السلام أم حاضرين و كنتم غائبين[٨] فى أمر يعقوب عليه السلام خاصة أم ﴿ كنتم شهداء ﴾ الآية، أى أ كنتم غائبين عن علم ذلك أم لا حين حكمتم بتخصيص أنفسكم بالجنة ليمنعكم ذلك عن مثل هذا الحكم؟ و على كل تقدير لا يضركم ١٥ جهله، لأن عندكم فى كتاب الله المنزل على نبيكم من الأمر بمثله عن الله ما يغنيكم عنه، و هو مانع لكم أيضا من هذا الحكم على وجه قطعى؛

(١) ليس فى م (٢) زيدت فى م «و» (٣) سورة ٣٩ آية ٩ (٤) زيد فى م و مد «كما يأتى فى سورة الجاثية» (٥) فى م: بها (٦-٦) ليست فى ظ (٧) فى م: ام؛ (٨) من م و مد و ظ، فى الأصل: عاملين .

و فى ذلك إشارة إلى عدم وجوب التقيد[1] بالآباء، و إرشاد إلى توسيع[2] الفكر إلى المنعم الأول و هو رب الآباء للتقيد[3] بأوامره و الوقوف عند زواجره[4] سواء كان ذلك موافقا لشرع الآباء أو مخالفا؛ و لما كان هذا لازما لمضمون قوله تعالى: "تلك امة قدخلت ـ الآية" اتبعه بها، أى

٥ فما لكم و للسؤال عنها فى ادعائكم أنهم كانوا هودا أو نصارى؟ كما سيأتى النص بالتوبيخ على ذلك و اتباعه مثل هذه الآية، لأنه إما أن يكون السؤال عن النسب أو عن العمل و لا ينفعكم شىء منهما، لأنه ليس للانسان إلا ما سعى، فليس السؤال عنهم حينئذ لمن عنده علم ما يأتى و ما يذر إلا فضولا؛ و فيه تنبيه على أنهم قطعوا أنفسهم عنهم، لأنهم لما لم

١٠ يتبعوهم فى الإسلام فصلوا ما بينهم و بينهم من الوصلة بالنسب و حصلت براءتهم منهم، لأن نسب الدين أعظم من نسب الماء و الطين، أو يقال و هو أحسن: لما ادعى أهل الكتاب أن الجنة خاصة بهم و رد ذلك سبحانه عليهم بأنها لمن أسلم محسنا و ذكرهم بأحوال الخليل عليه السلام حتى ختم بأنه[6] من رؤس المتصفين بهذا الوصف و أنه أوصى بنيه به

١٢٨ / ١٥ فكان كأنه قيل إنكارا عليهم فى دعواهم الاختصاص بالجنة و تقريرا لهم: أ[7] كنتم شهداء لذلك منه حتى تكونوا ممن ائتمر بأمره فى وصيته فتكونوا أهلا للجنة أم كنتم شهداء يا بنى يعقوب ﴿ اذ حضر يعقوب ﴾ صاحب

---

(١) فى م: التقييد (٢) فى م: توسع (٣) فى م: للتقييد (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: زواخره (٥) ليس فى م (٦) فى ظ: بابه، و لا يتضح فى م. (٧) فى م: ام.

نسبكم الأشهر ﴿ الموت ﴾ و هو [على-١] ما أوصى به إبراهيم بنيه ﴿ اذ قال ﴾ أى يعقوب ﴿ لبنيه ﴾ .

٢ و لما كان مراده صلى الله عليه و سلم التعميم فى كل شىء ليقع التخصيص موقعه فلا يحتاج إلى سؤال آخر٣ عبر بما العامة للعاقل و غيره فقال : ﴿ ما تعبدون٤ ﴾ ٥و لو عبر بمن لم يفد جوابهم هذا التصريح بنفى ٥ عبادة شىء مما لا يعقل٥ ؛ و قيده بقوله : ٦﴿ من بعدى ﴾ لأن الخليفة كثيرا ما يخلف٧ الغائب بسوء و إن كان مصلحا٨ فى حضوره ، ٩و أدخل الجار لأن أعمارهم لا تستغرق الزمان٩ ﴿ قالوا نعبد الهك ﴾ الذى خلقك ﴿ و اله ابائك ﴾ الذى خلقهم و بقى بعدهم و يبقى بعد كل

(١) زيد من م و مد و ظ (٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .
(٣) زيد فى مد : كان صنف (٤) فى البحر المحيط ١ / ٤٠٠ : نزلت فى اليهود قالوا : ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية ؟ قال الكلبي : لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الأوثان والنيرين فجمع بنيه و خاف عليهم ذلك فقال لهم : ما تعبدون من بعدى ؟ فأنزل الله هذه الآية إعلاما لبنيه بما وصى به يعقوب و تكذيبا لليهود ، و « أم » هنا منقطعة تتضمن معنى بل و همزة الاستفهام الدالة على الإنكار ، و التقدير : بل أ كنتم شهداء ، فمعنى الإضراب الانتقال من شىء إلى شىء لا أن ذلك إبطال لما قبله ، ومعنى الاستفهام هنا التقريع والتوبيخ وهو فى معنى النفى ، أى ما كنتم شهداء فكيف تنسبون إليه ما لا تعلمون و لا شهدتموه أنتم ولا أسلافكم - انتهى (٥ - ٥) ليست فى ظ (٦) زيد فى م : ما تعبدون (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يختلف (٨) فى الأصل : ماصحا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٩ - ٩) ليست فى ظ .

شيء و لا بعد له ، كما كان قبل كل شيء و لا قبل له ؛ ثم بينوا الآباء بقولهم : ﴿ ابرٰهم ﴾ أى جدك ﴿ و اسمٰعيل ﴾ لأنه عم و العم صنو الأب فهو أب مجازا ﴿ و اسحٰق ﴾ .

و لما تقدم ذكر الإله فى إضافتين بينوا أن المراد به[1] فيهما واحد[2] تحقيقا للبراءة من الشرك و تسجيلا على أهل الكتاب بتحتم بطلان قولهم فقالوا : ﴿ الٰها واحدا ﴾ ثم أخبروا بعد توحيدهم الذى تقدم أنه معنى الإحسان فى قوله " و هو محسن " باخلاصهم فى عبادتهم بقولهم ﴿ و نحن له ﴾ أى وحده لا للأب و لا غيره ﴿ مسلمون ﴾ أى لا اختيار لنا معه بل نحن له كالجمل الآنف[3] حيثما قادنا انقدنا ، أى أم كنتم شهداء له فى هذه الوصية لنشهد[4] لكم بما شهدنا لبنيه الموجودين [5]إذ ذاك[5] من الإسلام فتكونوا[6] من أهل الجنة .

و لما كان فى ذلك أعظم تسجيل عليهم بأنهم نابذوا وصية الأصفياء من أسلافهم و مرقوا من دينهم و تعبدوا بخلافهم و كان من المعلوم قطعا أن الجواب أنهم ما شهدوا[7] ذلك و لاهم مسلمون عبر عنه بقوله : ﴿ تلك امة قد خلت ﴾ أى قبلكم بدهور لم تشهدوها ، و نبه على أنهم عملوا بغير أعمالهم بقوله : ﴿ لها ﴾ أى الأمة ﴿ ما كسبت ﴾ أى من دين

(١) ليس فى مد (٢) فى م : واحدا ، و زيد بعده فى م و مد : فحكى سبحانه ذلك عنهم (٣) من م وظ ومد ، و فى الأصل : الآنف (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ليشهد (٥-٥) فى م : او ذلك (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فيكونوا (٧) فى م : شاهدوه .

الإسلام خاص[1] بها لا شركة لكم فيه ﴿ و لكم ما كسبتم ﴾ أى مما أنتم عليه من الهوى خاص بكم لا يسألون هم عن أعمالكم ﴿ و لا تسئلون ﴾ أى أنتم ﴿ عما كانوا يعملون ٥ ﴾ [2] و لما أخبر تعالى أنهم تركوا السنة فى تهذيب أنفسهم بالاقتداء فى الاهتداء بالأصفياء من أسلافهم و بين بطلان ما هم عليه الآن من كل وجه و أوضح أنه محض الضلال بين أنه عاقبهم على ٥ ذلك بأن صيرهم دعاة إلى الكفر ، لأن سنته الماضية سبقت[3] و لن تجد لسنته تحويلا أن من أمات سنة أحيي على يديه[4] بدعة عقوبة له . قال الحرالى : لأنهما متناوبان فى الأديان تناوب المتقابلات فى الأجسام فقال تعالى معجبا منهم عاطفا على قوله " و قالوا لن يدخل[5] " : ﴿ و قالوا ﴾ أى الفريقان من أهل الكتاب لاتباع الهدى ﴿ كونوا هودا او نصٰرى ١٠ تهتدوا ﴾ أى لم يكفهم ارتكابهم للباطل و سلوكهم طرق[6] الضلال حتى دعوا إلى ما هم عليه و وعدوا بالهداية الصائرة[7] إليه فأمره تعالى بأن

(١) فى ظ : خاصة (٢) جملة توكيدية لما قبلها لأنه قد أخبر بأن كل أحد يختص بكسبه من خير و شر ، و إذا كان كذلك فلا يسأل أحد عن عمل أحد ، فكما أنه لا ينفعكم حسناتهم فكذلك لا تسألون و لا تؤاخذون بسيئات من اكتسبها " و لا تزر وازرة وزر اخرى " كل شاة برجلها تناط . . . . و فى قوله ﴿ لها ما كسبت ﴾ إلى آخره دلالة على بطلان من يقول بجواز تعذيب أولاد المشركين بذنوب آبائهم ، و فى الآية قبلها دلالة على أن الأبناء يثابون على طاعة الآباء ـ البحر المحيط ١ / ٤٠٥ (٣) زيد فى م : و لن تجد لسنة الله تبديلا (٤) فى م : يده (٥) زيد فى م : الجنة (٦) فى م : طريق (٧) من ظ ، و فى بقية الأصول : الصائر ـ كذا .

يجيبهم أنه[1] مستن بسنة[2] أبيهم[3] لا يحول[4] عنها كما حالوا فقال موجها الخطاب إلى أشرف خلقه لعلو مقام ما يخبر به و صعوبة التقيد[5] به على النفس : ﴿ قل بل ﴾ مضربا عن مقالهم[6] ، أى لا يكون شيئا مما ذكرتم بل نكون[7] أو نلابس[8] أنا و من لحق بى من كمل أهل الإسلام ٥ ﴿ ملة ابرٰهم ﴾ ملابسة نصير[9] بها إياها كأننا[10] تجسدنا[11] منها ، و هو كناية عن عدم الانفكاك عنها ، فهو أبلغ مما لو قيل : بل أهل ملة إبراهيم . قال الحرالى : ففيه كمال تسنن محمد صلى الله عليه و سلم فى ملته بملة إبراهيم عليه السلام الذى هو الأول لمناسبة ما بين الأول و الآخر ، و قد ذكر أن الملة ما أظهره نور العقل من الهدى فى ظلم ما التزمه الناس من عوائد ١٠ أمر الدنيا ، فكان أتم ما أبداه نور العقل ملة إبراهيم ﴿ حنيفا ﴾[12] أى

---

(١) فى م : بانه (٢) فى مد : لسنة (٣) فى م وظ و مد : ابراهيم (٤) من ظ ، وفى الأصل : تحول ، و فى مد : محول ـ كذا غير منقوط (٥) و فى م : التقييد . (٦) وفى م : مقابلهم (٧) من م و مد ، و فى الأصل : يكون ، وفى ظ : نكون . (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : نلابس (٩) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : نصير (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كاينا ـ كذا . (١١) فى مد : تجسدنا ـ كذا (١٢) قال أبو حيان فى البحر المحيط ١/٤٠٦ : و ذكر حنيفا و لم يؤنث لتأنيث ملة ، لأنه حمل على المعنى ، لأن الملة هى الدين فكأنه قيل : بل نتبع دين إبراهيم حنيفا ، وعلى هذا خرجه هبة الله بن الشجرى فى المجلس الثالث من أماليه . . . و الحنيف هو المائل عن الأديان كلها ـ قاله ابن عباس ، أو المائل عما عليه العامة ـ قاله الزجاج ، أو المستقيم ـ قاله ابن قتيبة ، أو الحاج ـ قاله ابن عباس أيضا و ابن الحنفية . . . . و إنما خص إبراهيم دون غيره =

لينا هشّا[1] سهلا قابلا للاستقامة مائلا مع داعى الحق منقادا له مسلما أمره إليه ، لا يتوجه إليه شيء من العشاوة[2] و الكثافة و الغلظة و الجمود التى يلزم منها العصيان و الشماخة و الطغيان ، و ذلك لأن مادة حنف بكل ترتيب تدور على الخفة و اللطافة ، و يشبه أن تكون الحقيقة الأولى منها النحافة ، و يلزم هذا المعنى الانتشار و الضمور و الميل ، فيلزمه سهولة الانقياد ٥ و الاستقامة ، و يكشفه آية آل عمران "و لكن كان حنيفا مسلما[3]" فبذلك حاد عن بنيات طرق الخلق فى انحرافهم عن جادة طريق الإسلام . و قال الحرالى : الحنيف المائل عن متغير ما عليه الناس عادة إلى ما تقتضيه الفطرة / حنان[4] قلب إلى صدق حسه[5] الباطن . / ١٢٩

و لما أثبت له الإسلام بالحنيفية نفى عنه غيره بقوله : ﴿ و ما كان ١٠

= من الأنبياء و إن كانوا كلهم مائلين إلى الحق مستقيمى الطريقة حنفاء ، لأن الله اختص إبراهيم بالإمامة لما سنه من مناسك الحج و الختان و غير ذلك من شرائع الإسلام مما يقتدى به إلى قيام الساعة ، و صارت الحنيفية علما مميزا بين المؤمن و الكافر ، و سمى بالحنيف من تبعه و استقام على هديه ، وسمى المنكث عن ملته بسائر أسماء الملل فقيل : يهودى و نصرانى و مجوسى و غير ذلك من ضروب النحل ـ انتهى .

(١) فى م : مشا هشّا ، و فى مد : مشا (٢) فى ظ : عاوة ، و فى مد : العشاوة .

(٣) سورة ٣ آية ٦٧ (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جنان ـ كذا بالجيم .

(٥) فى م : خشية .

من المشركين ﴾ [١] قال الحرالى : فيه إنباء بتبرئة كيانه من أمر الشرك [٢] فى ثبت [٣] الأمور و الأفعال و الأحوال و فى إفهامه أنه من أمر محمد صلى الله عليه و سلم فى الكمال الخاتم كما أن محمدا صلى الله عليه و سلم منه فى الابتداء الفاتح ، قال تعالى لمحمد صلى الله عليه و سلم : " قل ان صلاتى - إلى قوله : و انا اول المسلمين [٤] " فهذه أولية رتبة الكمال التى هى خاصة به و من سواه فهو منه فيها ، لأن نفى الشىء يفهم البراءة و اللحاق بالمتأصل فى مقابله [٥] ، فمن لم يكن مثلا من الكافرين فهو من المؤمنين ، لأنه لو كان هو المؤمن لذكر بالصفة المقابلة لما نفى عنه ، لما فى ذلك من معنى إثبات الوصف و نفى مقابله ، و مثل هذا كثير الدور [٦] فى خطاب القرآن ، و بين من له الوصف و من هو منه تفاوت ما بين السابق و اللاحق فى جميع ما يرد من نحوه يعنى و مثل هذا التفاوت ظاهر للفهم خفى عن

(١) أخبر الله تعالى أنه لم يكن يعبد وثنا و لا شمسا و لا قمرا و لا كوكبا و لا شيئا غير الله و كان فى قوله ﴿ بل ملة ابرٰهم ﴾ دليل على أن ملته مخالفة لملة اليهود و النصارى ، و لذلك أضرب ببل عنهما ، فثبت أنه لم يكن يهوديا و لا نصرانيا ، و كانت العرب ممن تدين بأشياء من دين إبراهيم ثم كانت تشرك ، فنفى الله عن إبراهيم أن يكون من المشركين ؛ و قيل فى الآية تعريض بأهل الكتاب و غيرهم ، لأن كلا منهم يدعى اتباع إبراهيم و هو على الشرك - قاله الزمخشرى ؛ البحر المحيط ١ / ٤٠٧ (٢) فى م : المشركين (٣) فى الأصل : تدت - كذا (٤) سورة ٦ آية ١٦٢ و ١٦٣ (٥) فى م : مقابلة (٦) فى م و ظ : الورود .

مشاهد[1] العلم ؛ لأن العلم من العقل بمنزلة النفس ، و الفهم من العقل بمنزلة الروح ، فللفهم مدرك لا يناله العلم ، كما أن للروح[2] معتلى لا تصل إليه النفس ، لتوجـــه النفس إلى ظاهر الشهود و وجهة الروح إلى عنى الوجود - انتهى .

و لما قيل ذلك توجهت النفس إلى ما به يوصل إلى ملة إبراهيم ، ٥ فصرف الخطاب الذى كان عند الحجاج للأكمل على وجه يشمل من قاربه إلى من دونه بما يشمله . لأن المراد العموم[3] ، و ساقه تعالى فى جواب من كأنهم قالوا : ما نقول[4] حتى نكون إياها[5] فقال : ﴿ قولوا ﴾ [6]أى يا أيها الذين آمنوا ﴿ آمنا بالله ﴾ [7]الذى له جميع صفات الكمال[7].

---

(١) فى مد و ظ : شاهـد (٢) فى م : الروح (٣) زيد فى م و مد : فى سورة الكتاب الذى هم بالأمر بالإيمان به أحق (٤) فى م: تقول (٥) من م و مد ، و فى الأصل : نكون ، و فى ظ : تكون (٦) أخرج البخارى عن أبى هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرؤن التوراة بالعبرانية و يفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم و لكن " قولوا آمنا بالله و ما انزل الينا ـ الآية " فان كان حقا لم تكذبوه ، و إن كان كذبا لم تصدقوه .... و ارتبطت هذه الآية بما قبلها لأنه لما ذكر فى قوله ﴿ بل ملة ابرٰهم ﴾ جوابا إلزاميـا و هو أنهم و ما أمروا باتباع اليهودية و النصرانية و إنما كان ذلك منهم على سبيل التقليد هذا و كل طائفـة منهما تكفر الأخرى أجيبوا بأن الأولى فى التقليد اتباع إبراهيم لأنهم أعنى الطائفتين المختلفتين قد اتفقوا على صحة دين إبراهيم ، والأخذ بالمتفق أولى من =

و لما كان المأمور المؤمنين و كانت تعدية الإنزال بالى تقتضى الانتهاء و كان ذلك يقتضى واسطة قبل الانتهاء و كان الانتهاء إلى الاتباع إنما هو بالقصد الثانى كان الأنسب فى هذه الآية لتوجيه الأمر إليهم التعبير بالى بخلاف آية آل عمران كما سيأتى إن شاء الله تعالى فقال: ﴿ و ما انزل الينا ﴾ أى من الكتاب الذى تقدم ١ أنه الهدى على أى وجه كان من الأحكام و النسخ و النسىء و غير ذلك و قيل ﴿ و ما انزل الى ابرٰهم ﴾ ليكون المهيع ٢ واحدا ﴿ و اسمٰعيل و اسحٰق ﴾ ابنيه . قال الحرالى : فلقن العرب الأميين المحسودين على ما آتاهم الله من فضله نسق ما أجرى من لفظ بنى إسرائيل فى عهده لهم ، فكان فيه وصل ٣ العرب الذين هم أبناء إسماعيل بابراهيم و بنيه و قطع بنى إسرائيل عنهم ، و فيه إظهار لمزية فضل الله على العرب حين يلقنهم و لا يستنطقهم فيقصروا فى مقالهم فأغناهم بما لقنهم فتلوه عما كانوا يقولونه لو وكلوا ٤ إلى أنفسهم فسكّنهم ٥

= الأخذ بالمختلف فيه إن كان الدين بالتقليد ، فلما ذكر هنا جوابا إلزاميا ذكر بعده برهانا فى هذه الآية و هو ظهور المعجزة عليهم بانزال الآيات و قد ظهرت على يد محمد صلى الله عليه وسلم فوجب الإيمان بنبوته ، فان تخصيص بعض بالقبول و بعض بالرد يوجب التناقض فى الدليل و هو ممتنع عقلا - البحر المحيط ١/٤٠٧ .

(٧-٧) ليست فى ظ .

(١) زيد فى م : على ، و زيدت العبارة فى ظ : و قدم ﴿ ما انزل الينا ﴾ على غيره فى الإيمان به فى اللفظ لأنه أولى بالإضافة إليها و سبب للايمان بغيره (٢) فى م بياض (٣) فى م : وصلة (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : واكلوا (٥) من ظ ، و فى م و مد : فسكتهم ، و فى الأصل : فسكنهم - كذا .

ربهم فأقرأهم[1] ما يصلح من القول لهم و قال : ﴿و يعقوب و الاسباط﴾ تكملة لما تقدم فى العهد السابق - انتهى . ﴿و ما اوتى موسى و عيسى﴾ أى من ربهم من المنزل من التوراة و الإنجيل و غير المنزل ، و غيّر[2] الأسلوب تفضيلا لما لهما من الكتابين و المعجزات و غير ذلك من المكنة ؛ ثم أسند الإيتاء إلى الجميع لكون أهل الكتب العظيمة فيهم على ٥ سبيل التغليب فقال [3]مؤكدا الكلام لأنه على[4] لسان الاتباع و هم بالتأكيد أحق : ﴿و ما اوتى النبيون﴾ أى قاطبة من تقدم و غيرهم من المنزل من كتاب و غيره[5] ﴿من ربهم﴾ المحسن إليهم بذلك ﴿لا نفرق بين احد منهم﴾ فى أمر الإيمان باصطفائهم مع توجيه الأوامر[6] إليهم[7] ﴿و نحن له﴾ أى لربهم المحسن إلينا باحسانه إليهم وحده ﴿مسلمون ه﴾ أى منقادون ١٠ فى الظاهر بعد انقياد الباطن ، لا آمر[8] لنا معه أصلا . قال الحرالى : فأجرى على ألسنة الذين آمنوا من هذه الأمة تلقينا لهم ما أجراه على ألسنة الأسباط قولا منهم . فكانت العرب أحق بهم من أبناء[9] إسرائيل بما استووا فى الدين و إن افترقوا فى نسب الإسرائيلية - انتهى . و الأسباط جمع سبط ، قال فى القاموس : و السبط - بالكسر - ولد الولد و القبيلة من اليهود ١٥ و جمعه أسباط . و قال البيضاوى : و الأسباط جمع سبط و هو الحافد ، يريد به حفدة يعقوب و أبناءه و ذراريهم فانهم[10] حفدة لإبراهيم و إسحاق .

---

(١) فى ظ : فاقرعهم (٢) فى ظ : عزّ (٣) العبارة من هنا إلى « احق » ليست فى ظ (٤) فى م : يحل (٥) فى ظ : غيرهم (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الاولين (٧) زيد فى مد : بذلك (٨) من م ، و فى بقية الأصول : امر (٩) زيد فى م : بنى (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فانهن - كذا .

[1] و قال الأصبهانى: قيل أصل السبط فى اللغة شجرة ملتفة كثيرة الأغصان من شجرة واحـــدة [1] . و قال البغوى: و الأسباط يعنى أولاد يعقوب، واحدهم سبط، و هم اثنا عشر سبطا، و سبط الرجل حافده، و منه قيل للحسن و الحسين: سبطا رسول الله صلى الله عليه و سلم. و الأسباط من ٥ بنى إسرائيل كالقبائل من العرب من بنى إسماعيل، و الشعوب من العجم؛ و كان فى الأسباط أنبياء فلذلك قال: "و ما انزل اليهم" و قيل: هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم أنبيـاء - انتهى. قلت: و هذا هو الذى يظهر إذا تأملت هذه الآية مع التى بعدها و آية النساء، فان الأسباط - أعنى القبائل - كان منهم الضلال، و قد أنكر الله على من قال: إنهم كانوا هودا ١٠ أو نصارى، و أخبر فى آية النساء أنه أوحى إليهم، و قد عد [2] الأسباط - أعنى أولاد يعقوب - جماعة، فاختلفت عباراتهم عنهم، و الذى حررته أنا من التوراة من عـــدة [3] نسخ أصح، عدّهم فى آخر السفر الأول منها ثم قال فى أول السفر ثانى: و هذه / أسماء بنى إسرائيل الذين [4] دخلوا ١٣٠ /

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) فى ظ: و عدّد (٣) ليس فى م (٤) ليس فى م، و فى ظ: الذى - مكان: الذين. و فى البحر المحيط ١/٤٠٧: قال الشريف أبو البركات الجوّانى النسابة: و ولد يعقوب النبى صلى الله عليه و سلم يوسف النبى صلى الله عليـه و سلم صـاحب مصر و عزيزها و هو السبط الأول من أسباط يعقوب عليه السلام الاثنى عشر، و الأسباط سوى يوسف: كاد و بنيامين و يهوذا و يفتالى و زبولون و شمعون و روبين و يساخا و لاوى و ذان و ياشيرخا من يهوذا بن يعقوب و سليمان النبى صلى الله عليه و سلم، و جاء من سليمان عليه السلام النبى مريم ابنة عمران أم المسيح عليه السلام، و جاء من لاوى بن يعقوب =

مصر مع يعقوب أبيهم ، دخل كل أمرئ منهم و أهل بيته : روبيل و شمعون و لاوى و يهودا و ايساخار[١] و زبلون[٢] و بنيامين[٣] و دان و نفتالى[٤] و جاد و اشير[٥] ، و يوسف كان بمصر - انتهى . قلت : و بنيامين شقيق يوسف عليهما السلام و ربما قيل فيه : بنمن ، و فى روبيل : روبال ، و فى شمعون : شمعان ، و فى ايساخار : ايساخر ، و فى زبلون : زبولون و زبالون - و الله أعلم[٦] . ٥

و لما قدم تعالى ما أمرهم به و كان عين الهدى تسبب عنه قوله معبرا[٧] [٨]بأداة الشك إشارة إلى أن إيمانهم لما لهم من الكثافة و الغلظة و الجلافة فى غاية البعد[٨] : ﴿ فان امنوا ﴾ أى أهل الكتاب الذين أرادوا أن يستتبعوكم ﴿ بمثل ﴾ أى بنفس و حقيقة ﴿ ما امنتم[٩] به ﴾ كما يأتى بيانه فى " ليس كمثله شيء[١٠] " من الشورى ، فكانوا تبعا لكم ﴿ فقد اهتدوا ﴾ عكس ما قالوا[١١] : ١٠ كونوا مثلنا تهتدوا ، و عبر بفعل المطاوعة لكون الإيمان مع ظهوره بظهور دلائله موافقا للفطرة الأولى . و أما الكفر فانه لما كان لأجل

= موسى كليم الله و هارون أخوه عليهم السلام - انتهى كلامه .... و قيل : روبيل أكبر ولده ، و قال الحسين بن أحمد بن عبد الرحيم البيسانى : روبيل أصح و أثبت - يعنى باللام ، قال : و قبره فى قرافة مصر فى لحف الجبل فى تربة اليسع عليهما السلام .

(١) كذا ، و فى تفسير روح المعانى ٤/١٢ : يشجر (٢) كذا ، و فى الروح : ريالون (٣) وفى الروح : دينه ، و قال بعده : و يعد بنيامين بدل دينة (٤) كذا ، و فى الروح : يفتالى (٥) كذا ، وفى الروح : آشر (٦) ليس فى مد (٧) فى م : خبرا ، و ليس فى ظ (٨-٨) ليست فى ظ (٩) وقع فى مد : انتم - مصحفا . (١٠) سورة ٤٢ آية ١١ (١١) فى م : قالونه - كذا .

ظهور الإيمان و انطباعه فى الجنان بعيدا عن المزاج لا يكون إلا بنوع من العلاج بين الهوى و العقل وكان لا يكون إلا بعد الإعراض عن الإيمان و غيبته عن العيان عبر عن ارتكابه بما يشعر بذلك بصيغة التفعل فقال : ﴿ و ان تولوا ﴾ قال الحرالى : فيه إشعار بإيمان مؤمن منهم و تولى متول منهم ، لأن الله تعالى إذا صنف الخطاب كان نبأ عن تصنيف الكيان ، فهو تعالى لا يخرج نبأه على غير كائن فيكون نبأ لا كون له ، إنما ذلك من أدنى أوصاف بعض الخلق ﴿ فانما هم فى شقاق ﴾ [1] أى يريدون أن يكونوا فى شق غير شقكم ، لأنهم يعلمون أن الهدى ليس فى شىء [2] غيره كما اقتضته " انما " .

و لما كان اللازم لمشاقّتهم [3] على هذا الحال المكايدة و المحاربة و كان ذلك على وجه العناد لم يكل سبحانه كفاية أوليائه إلى غيره فسبب عن ذلك قوله : ﴿ فسيكفيكهم الله ﴾ [4] أى بوعد لا خلف فيه أصلا و إن تأخر شيئا من تأخر [4] بما له من قدرة و غيرها من صفات الكمال التى أفهمها الاسم الشريف ، و الكفاية إغناء المقاوم عن مقاومة عدوه بما لا يحوجه إلى

(١) قال أبو حيان الأندلسى : أكد الجملة الواقعة شرطا بان و تأكد معنى الخبر بحيث صار ظرفا لهم وهم مظروفون له ، فالشقاق مستول عليهم من جميع جوانبهم و محيط بهم إحاطة البيت بمن فيه . وهذه مبالغة فى الشقاق الحاصل لهم بالتولى ، وهذا كقوله " انا لنراك فى ضلال مبين " " انا لنراك فى سفاهة " وأبلغ من قولك : زيد مشاق لعمرو وزيد ضال وبكر سفيه ـ البحر المحيط ١ / ٧١٠ .

(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : شق (٣) فى الأصول : لمشافقتهم ـ كذا .

(٤ ـ ٤) ليست فى ظ .

دفع له - قاله الحرالى . و لما كان المناوى لشخص إما أن يكيده بقوله أو بفعله و كان الفعل مسبوقا بالارتسام[1] فى الضمير و كان الكافى[2] لشخص إنما يتوقف[3] كفايته على العلم بما يصلحه[4] قال: ﴿و هو السميع﴾ أى لما يقول أعداؤكم ﴿العليم ٥﴾ بما يضمرون[6] فهو يسبب لكل قول و ضمير منهم ما يرد ضرره عليه، فحظكم منهم مقصور على أذى فى القول و سوء وُدّ فى الضمير، و حظهم منكم قهرهم و سبيهم و الاستيلاء على ديارهم و أموالهم . و جعل الحرالى ﴿صبغة الله﴾ [7] أى هيئة صبغ الملك الأعلى التى هى حلية المسلم و فطرته كما أن الصبغة حلية المصبوغ[7] حالا تقاضاها معنى الكلام، و[8] عاب على[8] النحاة كونهم لا يعرفون الحال إلا من الكلم المفردة و لا يكادون يتفهمون[9] الأحوال من جملة الكلام، و قال: الصبغة تطوير معاجل بسرعة[10] وحيه، و قال: فلما كان هذا التلقين تلقينا وحيا سريع التصيير من حال الضلال المبين الذى كانت فيه العرب فى جاهليتها إلى حال الهدى المبين الذى كانت فيه الأنبياء فى هدايتها من غير مدة جعله تعالى صبغة

---

(١) فى م ارتسال (٢) فى م: المكافى (٣) فى م و ظ و مد: تتوقف (٤) فى ظ: تصلحه (٥) مناسبة هاتين الصفتين أن كلا من الإيمان وضده مشتمل على أقوال و أفعال و على عقائد ينشأ عنها تلك الأقوال و الأفعال فناسب أن يختم ذلك بهما أى و هو السميع لأقوالكم العليم بنياتكم و اعتقادكم، و لما كانت الأقوال هى الظاهرة لنا الدالة على ما فى الباطن قدمت صفة السميع على العلم و لأن العليم فاصلة أيضا - البحر المحيط ٤١١/١ (٦) فى م: يضمرونه (٧-٧) ليست فى ظ. (٨-٨) فى م: غاب عن (٩) فى ظ: يتفمهون - كذا (١٠) فى م: بشرعة.

كما يصبغ الثوب فى الوقت فيستحيل من لون إلى لون فى مقابلة ما يصبغه[١] أهل الكتاب بأتباعهم المتبعين لهم فى أهوائهم فى نحو[٢] الذى يسمونه «الغِطاس»[٣] ﴿ومن احسن من الله﴾[٤] أى الذى له الكمال كله[٤]

(١) فى م و ظ : يصنعه (٢) ليس فى م (٣) و قد تضمنت هذه الآية أصل الدين الحنيفى فكنى بالصبغة عنه ومجازه ظهور الأثر أو ملازمته لمن ينتحله فهو كالصبغ فى هذين الوصفين كما قال ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب ، والعرب تسمى ديانة الشخص لشىء واتصافه به صبغة ؛ قال بعض شعراء ملوكهم :

وكل أناس لهم صبغة وصبغة همدان خير الصبغ

صبغنا على ذاك أبناءنا فأكرم بصبغتنا فى الصبغ

و قد روى عن ابن عباس أن الأصل فى تسمية الدين صبغة أن عيسى حين قصد يحيى ابن زكريا فقال : جئت لأصبغ منك ، و اغتسل فى نهر الأردن ، فلما خرج نزل عليه روح القدس ، فصارت النصارى يفعلون ذلك بأولادهم فى كنائسهم تشبيها بعيسى و يقولون : الآن صار نصرانيا حقا ، و زعموا أن فى الإنجيل ذكر عيسى بأنه الصابغ و يسمون الماء الذى يغمسون فيه أولادهم «المعمودية» بالدال ، و يقال : المعمورية - بالراء ؛ قال : و يسمون ذلك الفعل «التغميس» ومنهم من يسميه «الصبغ» فرد الله ذلك بقوله ﴿صبغة الله﴾ . و قال الراغب : الصبغة إشارة إلى ما أوجده فى الناس من بدائة العقول التى ميزنا بها عن البهائم و رشحنا بها لمعرفته و معرفة طلب الحق و هو المشار إليه بالفطرة ، وسمى ذلك بالصبغة من حيث أن قوى الإنسان إذا اعتبرت جرت مجرى الصبغة فى المصبوغ - البحر المحيط ١/٤١١ (٤-٤) ليست فى ظ .

﴿ صبغة ﴾ لأنها صبغة قلب لا تزول لثباتها بما تولاها الحفيظ العليم ، و تلك صبغة[1] جسم لا تنفع ، و فيه إفهام بما يختص به الذين آمنوا من انقلاب جوهرهم نورا ، كما قال عليه الصلاة و السلام : اللهم اجعلنى نورا ! فكان ما انقلب إليه جوهر الأئمة انصبغت به قلوب الأمة ﴿ و نحن له ﴾ [أى خاصة -[2]] ﴿ عٰبدون ﴾ تكملة لرد الخطاب على خطاب ٥ عهد إسرائيل حيث قال : " ما تعبدون من بعدى " إلا أن العبادة فى عهد إسرائيل سابقة و الإسلام ختم ، و الإسلام فى هذا التلقين بدء لتقع العبادة شكرا - يختص برحمته من يشاء ، و جاء به بالوصف الثابت الدائم ففيه إشعار بأن أحدا منهم لا يرتد عن دينه سخطة له بعد أن خالط الإيمان بشاشة قلبه ، و هو حظ عام من العصمة الثابت خاصها للنبى صلى الله عليه و سلم فى على ١٠ أمره - انتهى .

و لما أمر تعالى بقوله : " قل بل ملة ابرٰهم " و ما بعده باعلام الخصم بالمخالفة و أن لا موافقه إلا بترك الهوى و اتباع الهدى أمر بمجادلتهم بما يوهى أقوالهم و يزيح شبههم فقال معرضا بالخطاب عن الجمع موجها له إلى رسوله ٣ صلى الله عليه و سلم رفعا لمقامه و تعريفا بعلى ١٥ منصبه إعلاما بأنه لا ينهض بذلك غيره لما لهم من العلم مع ما عندهم من الجدل و اللدد : ﴿ قل ﴾ منكرا لمحاجتهم [4] و موبخا لهم عليها[4] / ﴿ اتحاجوننا[5] ﴾ و لما كان الأنسب فى المقارعة إعلام الخصم بالمخالفة / ١٣١

(١) ليس فى ظ (٢) زيد من م و ظ و مد (٣) فى ظ : رسول الله .
(٤ - ٤) ليست فى ظ (٥) سبب النزول قيل إن اليهود و النصارى قالوا : =

لأنه أقطع لطمعه و أمكن لغيظه مع أنه هنا أقرب إلى رضى الخالق قدم على المجادلة ، و معنى قوله : ﴿ فى الله ﴾ فى اختصاصكم بالملك الذى لا ملك سواه ، لأن له الكمال كله المشار إلى إبطاله فيما سبق بقوله : " قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة - الآية " أى أتحاجوننا فى ٥ ذلك و لا وجه لاختصاصكم به ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ ربنا و ربكم ﴾ نحن و أنتم فى العبودية له سواء ﴿ و لنا اعمالنا ﴾ نختص بها دونكم ﴿ و لكم اعمالكم ﴾ تختصون بها دوننا ، لا نخاف[1] منه أن يخصكم[2] بأعمالنا و لا بشىء منها لتختصوا بها عنده و لا أن يخصنا بأعمالكم و لا بشىء منها لنبعد بها عنه ظلما و لا غلطا[3] ، لأنه السميع العليم الغنى الحميد ١٠ ﴿ و نحن ﴾ أحسن أعمالا منكم لأنا دونكم ﴿ له ﴾ وحده ﴿ مخلصون ٥ ﴾ لا نشرك به شيئا و أنتم تشركون به عزيرا و المسيح و الأحبار و الرهبان ، و أنتم تعلمون ذلك فى باطن الأمر و إن أظهرتم خلافه ، فلزم قطعا أنا أخص به منكم ؛ [4] و الإخلاص عزل النفس جملة ، فلا يبلغ عبد حقيقته حتى لا يحب[5] أن يحمد على عمل . و لما كان قد بقى من مباهتاتهم أنهم

= يا محمد ! إن الأنبياء كانوا منا و على ديننا و لم تكن من العرب ، و لو كنت نبيا لكنت منا و على ديننا ؛ و قيل : حاجوا المسلمين فقالوا : نحن أبناء الله و أحباؤه و أصحاب الكتاب الأول و قبلتنا أقدم فنحن أولى بالله منكم ، فأنزلت - البحر المحيط ١/٤١٢ .

(١) فى ظ فقط : يخاف (٢) فى م و مد : نخصكم - كذا (٣) فى م فقط : غلطا .
(٤) العبارة من هنا إلى « على عمل » ليست فى ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : لا يجب ، و فى م : لا يحب .

يدعون أن أسلافهم كانوا على دينهم فيكون[1] دعواهم الاختصاص بالجنة صحيحة أبطلها سبحانه بقوله: ﴿ام﴾ أي أرجعوا عن قولهم: "كونوا هودا او نصارى تهتدوا" لما ثبت من مخالفة ذلك لملة إبراهيم و آله أم ﴿تقولون[2]﴾ و لا يخفى أن التقدير على قراءة ابن عامر[3] و حمزة[3] و الكسائي و خلف و حفص و رويس بالخطاب: أرجعتم عن قولكم[4]: ٥ ﴿ان ابرٰهم﴾ خليل الله[5] ﴿و اسمٰعيل و اسحٰق﴾ ابنيه ﴿و يعقوب﴾ ابن إسحاق ﴿و الاسباط﴾ أولاد يعقوب ﴿كانوا هودا او نصارى﴾ لتصح دعواهم فى أن الجنة خالصة لأهل ملتهم، فكأنه قيل: فما يقال لهم إن قالوا ذلك؟ فقيل: ﴿قل ء انتم اعلم﴾ بذلك و بغيره ﴿ام الله﴾[6] [3]الذى له الإحاطة كلها[3] أعلم، فلا يمكنهم أى يقولوا: نحن، و إن ١٠ قالوا: الله، فقد برّأ الله إبراهيم من ذلك فبطل ما ادعوا.

و لما كان العلم عندهم عن الله بأن الخليل و من ذكر معه عليهم السلام على دين الإسلام و كانوا يكتمون ما عندهم من ذلك مع تقرير الله لهم به و استخبارهم عنه و نهيه لهم عن كتمانه و ما يقاربه بقوله: "و لا تلبسوا الحق بالباطل - الآية" و كان التقدير: فمن أظلم ١٥ ممن ادعى أنه أعلم من الله بدعواه ذلك صريحا أو لزومه له باخباره بخلاف ما ثبت فى القرآن المعلوم صدقه باعجازه! قال تعالى عطفا على هذا المقدور: ﴿و من اظلم ممن كتم شهادة عنده﴾ أى موجودة و مودعة عنده

(١) فى م و مد: فنكون (٢) فى الأصول: يقولون (٣-٣) ليست فى ظ.
(٤) زيد فى ظ: الى آخره (٥) زيد فى م: و صفيه (٦) زيد فى م و مد: اى.

﴿ من الله ﴾ أى كتمها من الملك الأعظم، أو هى عنده منه و هو يستخبره عنها مع علمه بأنه فاضحه لأنه العالم بالسرائر . و لما كان التقدير : فانه يعلم ما عمله[1] من كتمانه عطف عليه ما هو أعم منه فقال : ﴿ و ما الله ﴾ [2]المحيط بكل شىء قدرة و علما[2] ﴿ بغافل عما تعملون ٥ ﴾ إشعارا بصيغة المضارع بتماديهم بعد هذا كله على سوء أعمالهم و تحذيرا من مثل ذلك . و لما لم يدع لهم متمسكا من جهة إبراهيم عليه السلام اتبع ذلك الإشارة على تقدير صحة دعواهم إلى أن الدين دائر مع أمره فى كل زمان لا مع ما قرره لأحد من خلقه فانه لا حجر عليه و لا اعتراض بل له أن يأمر اليوم بأمر و غدا مثلا بضده و أن يفعل ما يشاء من إحكام و نسخ و نسىء و إنساء[3] فقال : [4]﴿ تلك امة ﴾ أى إبراهيم و آله ﴿ قد خلت ﴾ أى فهب أنهم على ما زعمتم فقد مضوا و قدم زمانهم فلا ينفعكم إلا ما تستجدونه[5] فى وقتكم هذا بحكم ما تجدد من المنزل المعجز لكافة أهل الأرض أحرهم

(١) من م و ظ، و وقع فى الأصل و مد : ما علمه ـ مصحفا (٢-٢) ليست فى ظ .
(٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : انشاء (٤) تضمنت الآية معنى التخويف و التهديد و ليس ذلك بتكرار لأن ذلك ورد إثر شىء مخالف لما وردت الجمل الأولى باثره ، و إذا كان كذلك فقد اختلف السياق فلا تكرار ، بيان ذلك أن الأولى وردت إثر ذكر الأنبياء فتلك إشارة إليهم هم ، و هذه وردت عقب أسلاف اليهود و النصارى فالمشار إليهم فقد اختلف المخبر عنه و السياق ، و المعنى أنه إذا كان الأنبياء على فضلهم و تقدمهم يجازون بما كسبوا فأنتم أحق بذلك ـ البحر المحيط ١ / ٤١٦ (٥) فى ظ : يسجدونه .

و أسودهم، [و - ١] يجوز أن يقال: لما كان مضمون ما سبق من إثبات الأعلمية لله و كتمانهم الشهادة ٢ بما عندهم ثبوت ما أخبر به سبحانه على لسان هذا النبي الكريم من كون أصفيائه على دينه ٣ الإسلام فهم برآء ٤ منهم كان المعنى: إن ادعيتم بهتا أن العلم جاءكم عن الله بما ادعيتموه قيل: إن من تدعون ٥ عليه ذلك ٦ من الأنبياء قد انقضت معجزته بموته، و كتابكم ٥ غير مأمون عليه التحريف و التبديل لكونه غير معجز، و هذا النبي الآتى بالقرآن قائم بين أظهركم و هو يخبركم عن الله بكذب دعواكم، و يؤيد قوله بالمعجزات التى منها هذا القرآن الذى عجزت العرب كلها عن الإتيان بسورة من مثله و أنتم كذلك مع مشاركتكم لهم فى الفصاحة نظما و نثرا و اختصاصكم عنهم بالعلم فلزمكم قبوله، لأنكم لا تستندون فى ترويج ١٠ كذبكم بعد الجهد إلا إلى من ثبت صدقه بثبوت رسالته، و ثبتت رسالته بظهور معجزته، فوجب عليكم قبول أمره، و ذلك ينتج قطعا أنه يجب ٧ عليكم قبول هذا الداعى بهذا القرآن لمثل ٨ ذلك سواء، و إلا كان قبول بعض من ثبت له هذا الوصف دون البعض / تحكما و اتباعا للهوى المذموم / ١٣٢ فى كل شرعة المنعى عليكم بقوله تعالى: "أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى ١٥ انفسكم - الآية" هذا مع أن رد قولكم هذا فيهم أظهر ظاهر من حيث أنه

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) فى م: للشهادة (٣) فى م: دين (٤) فى ظ: براوا - كذا (٥) من م و مد و ظ، وفى الأصل: يدعون (٦) قدمه فى م و مد و ظ على «عليه» (٧) من م و ظ، وفى الأصل: تجب، و فى مد يجب - كذا. (٨) من م و مد، و فى ظ: بمثل، و فى الأصل: بمثل - كذا.

لا يعقل أن يكون السابق على ١ نسبة اللاحق ١ ما حدثت به إلا بعده بمُدد متطاولة، و سيأتى النص الصريح بابطال ذلك فى آل عمران ٢ ٢إن شاء الله تعالى ٣ و الإشارة إلى منابذته للعقل بقوله: "افلا تعقلون" ليتطابق على إبطاله صادق النقل، حاكم العقل، و إلى هذا كله ٤ الإشارة بقوله: "تلك ٥ امة قد خلت" أى من ٦ قبلكم بدهور ٧ و لا يقبل الإخبار عنهم بعدها إلا بقاطع، و لا سبيل لكم إليه و قد قام القاطع على مخالفتكم لهم بهذا القرآن ٨ المقطوع بصدقه بإعجازه بما تقدم و بما أشار إليه قوله تعالى: ﴿لها ما كسبت﴾ أى من أعمالها ﴿و لكم ما كسبتم﴾ أى من أعمالكم، فلا يسألون هم عن أعمالكم ﴿و لا تسئلون﴾ أى أنتم ﴿عما كانوا يعملون ٥﴾.

و لما كان ادعاؤهم أن أسلافهم على دينهم لئلا تنتقض ٩ دعواهم أن الجنة خاصة بهم مع كونه فضولا لا سند له يثبت به شيء محاولة لعدم

(١-١) فى الأصل: تشبه اللاحق - كذا، والتصحيح من بقية الأصول (٢) سورة ٣ آية ٦٥ (٣-٣) ليس فى م و ظ و مد (٤) زيد فى م: اشارة (٥) ﴿تلك﴾ إشارة إلى إبراهيم و يعقوب و أبنائهما، و معنى ﴿خلت﴾ ماتت وانقطعت وصارت إلى الخلاء، وهو الأرض الذى لا أنيس به، و المخاطب هم اليهود و النصارى الذين ادعوا لإبراهيم وبنيه اليهودية و النصرانية، و الجملة من قوله: ﴿قد خلت﴾ صفة لامة . . . افتخروا بأسلافهم، فأخبروا أن أحدا لا ينفع أحدا متقدما كان أو متأخرا، و روى: يا بنى هاشم! لا يأتينى الناس بأعمالهم و تأتونى بأنسابكم، يا فاطمة! لا أغنى عنك من الله شيئا - البحر المحيط ١/٤٠٤ و ٤٠٥ (٦) ليس فى مد و ظ (٧) ليس فى ظ و م و مد (٨) فى ظ: اقران - كذا (٩) فى ظ: ينتقض.

جواز النسخ وكان إبطال الله تعالى لقولهم وعيبهم بما أحدثوا فى دينهم وتقريعهم به ملزوما لأن يكونوا أباحوا لأنفسهم منه ما منعوا منه خالقهم وهو لا يسأل عما يفعل كانوا أسفه الناس فعقبه بالتصريح بعيبهم والتعجيب منهم فى إنكارهم لنسخ القبلة وخفتهم بالاعتراض على ربهم فقال واصلا له[1] بما قبله على وجه أعم: . ﴿سيقول﴾ إلى آخره، لأنهم ٥ إذا لم يكونوا يعلمون حقيقة ذلك فلم يتبعوهم فلا أقل من أن يكفوا عن عيبهم[2] فكيف وهم عالمون[3] بأنه الحق! وقال: ﴿السفهاء﴾[4] ولم يقل: سيقولون، إظهارا للوصف الذى استخفهم إلى هذا القول الظاهر عواره[5] لأهل كل دين؛[6] والسفيه الذى يعمل بغير دليل، إما بأن لا يلتفت إلى دليل فلا يتوقف إلى أن[7] يلوح له بل يتبع هواه، أو[8] يرى غير الدليل ١٠

(١) ليس فى مد (٢) فى م و ظ: غيبتهم (٣) فى متن م: يعلمون، و بهامشه: عالمون (٤) ﴿السفهاء من الناس﴾ هم اليهود ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها﴾ فقال الله ﴿قل لله المشرق و لمغرب﴾ الآية (و مناسبة هذه الآية) لما قبلها أن اليهود و النصارى قالوا: إن إبراهيم و من ذكر معه كانوا يهود أو نصارى، ذكروا ذلك طعنا فى الإسلام، لأن النسخ عند اليهود باطل فقالوا: الانتقال عن قبلتنا باطل و سفه، فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله: ﴿قل لله المشرق و المغرب﴾ الآية، فبين ما كان هداية و ما كان سفها - البحر المحيط ٤١٩/١ (٥) فى م: عوارة (٦) العبارة من هنا إلى «دليلا» ليست فى ظ (٧) زيد فى الأصل فقط «لا»، و لم تكن الزيادة فى بقية الأصول فحذفناها (٨) فى م: و.

دليلا ، و أكد الوصف بالطيش بقوله : ﴿ من الناس ﴾ المأخوذ من النوس و هو التحرك ، دون أن يقول : من أهل الكتاب ، أو بنى إسرائيل - و نحو ذلك تصريحا بذمهم و تعميما لكل من مالأهم على ذلك ﴿ ما ولّهم ﴾ و لم يقولوا[٢] : مَنْ ، زيادة فى الأذى بالاحتقار ﴿ عن قبلتهم ﴾ . قال الحرالى : القبلة ما تجعل[٣] قبالة الوجه ، و القبل ما أقبل من الجسد فى مقابلة الدبر لما أدبر منه[٤] ﴿ التى كانوا عليها ﴾[٥] أى بيت المقدس ، و لعله ترك الإفصاح ليصلح ذلك لإرادة الكعبة أيضا ليصير المعنى : إن كانوا انتقلوا[٦] عن الكعبة بأمر الله فهم مبطلون فى رجوعهم و إلا فهم فى كل حال أتباع الهوى ؛ و فى ذلك إشارة إلى أنه لما انقطعت حججهم ألقوا هذه الشبهة إلى من اختدعوه من المنافقين و لم يقدروا أن يواجهوا بها أحدا من الثابتى الإيمان ، كما قالوا فيما تقدم : " كونوا هودا او نصارى " و نحوه علما منهم بأن المحاج لهم عن المؤمنين من له الحجة البالغة ؛ و لذا جاء جوابهم[٧] بقوله : ﴿ قل ﴾ خاليا عن خطاب لا كما مضى فى قوله : " قل اتخذتم عند الله عهدا " " قل هاتوا برهانكم "

---

(١) فى م : او (٢) فى ظ : لم يقل (٣) فى م و مد و ظ : بجعل - كذا (٤) فى م : عنه . و فى البحر المحيط ١/٤١٨ : القبلة الجهة التى يستقبلها الإنسان و هى من المقابلة ، و قال قطرب : يقولون فى كلامهم : ليس له قبلة ، أى جهة يأوى إليها ، و قال غيره : إذا تقابل رجلان فكل واحد منهما قبلة لآخر (٥) العبارة من هنا إلى « اتباع الهوى » ليست فى ظ (٦) فى م : ينتقلوا (٧) زيد بعده فى م و مد : استئنافا لجواب من يقول فما تقول : لهم إذا قالوا ذلك .

و نحوه

و نحوه ؛ و ساق سبحانه الإخبار عنهم بذلك على طريق هو من أعلام النبوة و دلائل الرسالة ؛ فانه إخبار عما سيكون من الأعداء ، فكان منهم على وفق الخبر ؛ و لم يقدروا مع شدة عداوتهم و اجتهادهم فى القدح بأدنى شبهة فى التكذيب على تكذيبه بالكف عن ذلك ؛ هذا مع توطئة [1] لذلك فيما سلف فى خمسة مواضع : تحريفهم لكلام الله ، ٥ و إيقاعه النسخ [2] و استدلاله على حسن فعله ، و إخباره بظلم مانع المسجد ، و إخباره بأنه لا يختص به جهة دون أخرى ، و ذكره بناء البيت و ما أمر به من تعظيمه و اتخاذه مصلى ؛ [3] مع ما فى ذلك من توطين نفوس أهل الإسلام و إكرامهم بتعليم الجواب قبل الحاجة ، ليكون أقطع للخصم و أكسر لشوكته و أردّ [4] لشغبه [5] . [6] و تسميتهم ١٠

(١) فى م : توطئته (٢) فى ظ : لنسخ (٣) العبارة من هنا إلى « لشغبه » ليست فى ظ (٤) فى مد : واردا (٥) من م ، و فى الأصل : لشعبه ، و فى مد : سعيه .
(٦) و ﴿ سيقول ﴾ ظاهر فى الاستقبال و أنه إخبار من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم أنه يصدر منهم هذا القول فى المستقبل و ذلك قبل أن يؤمروا باستقبال الكعبة ، و تكون هذه الآية متقدمة فى النزول على الآية المتضمنة الأمر باستقبال الكعبة ، فتكون من باب الإخبار بالشىء قبل وقوعه ، ليكون ذلك معجزا إذ هو إخبار بالغيب و لتتوطن النفس على ما يرد من الأعداء و تستعد له فيكون أقل تأثيرا منه إذ فاجأ و لم يتقدم به علم ، و ليكون الجواب مستعدا لمنكر ذلك و هو قوله : ﴿ لله المشرق و المغرب ﴾ و إلى هذا القول ذهب الزمخشرى و غيره ، و ذهب قوم إلى أنها متقدمة فى التلاوة متأخرة فى النزول و أنه نزل ﴿ قد نرى تقلب وجهك ﴾ الآية ، ثم نزل ﴿ سيقول السفهاء من الناس ﴾ نص على ذلك ابن عباس و غيره ـ البحر المحيط ١ / ٤١٩ .

سفهاء ناظر إلى قوله فيما مضى عمن نافق منهم و من غيرهم "الا انهم هم السفهاء"، لأنهم و إن كانوا مصارحين بالكفر فاسم النفاق منطبق عليه من جهة أخرى و هو ١ أنهم أظهروا الكفر و أبطنوا معرفة الإيمان، أظهروا التكذيب و أبطنوا ما هم عارفون به من صدقه، و أيضا ٥ فاذا كان المنافقون الذين أظهروا حسنا سفهاء لما أبطنوه من القبيح فالذين عمهم القبح ظاهرا و باطنا أسفه٢؛ و إلى قوله قريبا "و من يرغب عن ملة ابرٰهم الا من سفه نفسه" لما تقرر من مخالفتهم له و إن ادعوا الموافقه. و قال: ﴿لله﴾ ٣أى الملك المحيط بكل شيء عظمة و علما٣ ﴿المشرق و المغرب﴾ مخصصا لها لكونهما مجمعى الآفاق كما مضى فلا تختص ١٠ بالوجهة إليه جهة دون أخرى فما أمر به فهو الحق.

١٣٣/ و لما قرر أن الجهات / كلها بالنسبة إليه سواء لأنها ملكه، على٤ أن من توجه إلى شيء منها بأمره أصاب رضاه٥ و ذلك هو الوصول إليه فعبر عن ذلك مستأنفا بقوله٦ معظما لأهل٧ الإسلام و معرفا بعنايته بهم٨:

---

(١) فى ظ: هم (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: السفه. و السفه أصله الخفة يوصف به الجماد، قالوا: ثوب سفيه أى خفيف النسج و الهلهلة، و رمح سفيه أى خفيف سريع النفوذ، و يوصف به الحيوانات غير الناس. فلو اقتصر لاحتمل الناس و غيرهم، لأن القول ينسب إلى الناس حقيقة و إلى غيرهم مجازا، فارتفع المجاز بقوله: ﴿من الناس﴾ البحر المحيط ١ / ٤٢٠ (٣ - ٣) ليست فى ظ (٤) ليس فى م، و فى مد: علم (٥) فى ظ: برضاه (٦) العبارة من هنا إلى «بهم» ليست فى ظ. (٧) فى م: باهل (٨) قال المهائمى: ﴿لله المشرق والمغرب﴾ أى الجهات كلها، فله أن يولى عباده إلى أى جهة شاء لينضبط بها ظاهرهم فينضبط باطنهم لعلاقة بينهما مع =

﴿ يهدى من يشاء ﴾ أى من عباده، [1] و عظم الكعبة بقوله [1] : ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ فى أى جهة كانت، فمتى سلكه وصل [1] إلى المقصود [1] من غير ضلال، و نكّره لأن المراد به جزئيات من الشريعة؛ و أما الصراط المعرف فى الفاتحة فالمراد بـــه الشريعة كلها بما دلت عليه «ال» [2] من الكمال. ٥

و لما بين استقامة القبلة التى وجههم إليها عرف أنها وسط لا جور

= اجتماع الخلائق إلى جهة واحدة ليتفق بواطنهم فى استفاضة الأنوار و له أثر عظيم، لذلك شرعت الجماعـة فى الصلاة ليتفق أهل محلة و وجبت فى الجمعة ليتفق أهل بلد و وجب الحج ليتفق أهل الآفاق، و لا يتأتى تعيين الجهة إلا بأمر سماوى فخص إبراهيم عليه السلام بأكل الجهات و هى الكعبة لأنها المبدأ الترابى للانسان إذ بسطت الأرض من تحتها، فاذا توجه إليه الظاهر توجه الباطن إلى مبدئيـة جناب الحق، و قد كان فيها الدرة المحمدية أجابت الحق من الأرض و ما قابلها من السماء" إذ قال لها و للارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين"؛ ثم جعلت لليهود صخرة بيت المقدس لأن منهـا عروج بعض الأنبياء إلى السماء، فالتوجه إليها مشعر بمعراج الصلاة، ثم جعلتا لمحمد صـلى الله عليـه و سلم ليكون جامعا فجعلت له الكعبة أولا لكمال نشأتـه، ثم جعلت له الصخرة بعد تحقق معراجه ليزداد عروجا حين تحول إلى المدينة فصلى إليها ستة عشر شهرا يتألف بها اليهود، ثم عاد إلى الكعبة لأن النهاية فى الرجوع إلى البداية فكانت غاية الكمال لأن توجه الظاهر إليها لما استلزم توجه الباطن إلى الحق لم يكن ثمة مسافة و المعراج يشعر بالمسافة و هى إنما تعتبر فى حق البعداء فلذلك قال عز و جل ﴿ يـهدى من يشاء الى صراط مستقيم ﴾.

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى م: الى.

فيها فاتبع ذلك قوله : ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ما جعلنا قبلتكم وسطا لأنها إلى البيت العتيق الذى هو وسط الأرض و هو بناء إبراهيم عليه السلام الذى هو أوسط الأنبياء و هو مع ذلك خيار البيوت فهو وسط بكل معنى ﴿ جعلنكم ﴾ بالهداية إليه فى الاستقبال و إلى غيره ٥ مما نأمركم به ﴿ امة ﴾. قال الحرالى : من الأم و هو تتبع الجملة و العدد بعضها لبعض إلى أن ينتهى [1] لإمام أول [2] ، فالإمام و الأمة كالمتقابلين ، الإمام قاصد أمها ، و الأمة قاصدة إمامها الذى هو أمها ، و الأمام ما بين اليدين بمشهد الحس و سبيل القصد - انتهى . [3] ﴿ وسطا ﴾ أى شريفة [4] خيارا [5] ، لأن الوسط العدل الذى نسبة الجوانب كلها إليه ١٠ سواء ، فهو خيار الشىء . قال [6] أبو تمام [6] الطائى :

كانت هى الوسط [7] المحمى فاكتنفت [7] [8] بها الحوادث [8] حتى أصبحت طرفا [9]

(١) فى م : تنتهى (٢) ليس فى م (٣) زيد فى م و مد : و الأمم القرب و السير و البين من الأمر و القصد الوسط (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : سر بعه - كذا (٥) فى م فقط : خيار . و فى البحر المحيط ١/٤١٨ : الوسط لما بين الطرفين وصف به فأطلق على الخيار من الشىء لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل و لكونه اسما كان للواحد و الجمع و المذكر و المؤنث بلفظ واحد . . . . و وسط الوادى خير موضع فيه و أكثره كلاء و ماء ، و يقال : فلان من أوسط قومه و إنه واسطة قومه و وسط قومه ، أى من خيارهم و أهل الحسب فيهم ؛ و قال زهير :

و هم وسط يرضى الأنام بحكمهم اذا نزلت إحدى الليالى بمعظم

و قد وسط وسطة و وساطة (٦-٦) ليس فى ظ (٧-٧) كذا فى الأصول ، و فى ديوان أبى تمام ص ٢٠٤ : الممنوع فاستلبت (٨-٨) كذا ، و فى الديوان : ماحولها الخيل (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : طرفان - كذا .

و سالك

و سالك[1] الوسط من الطريق محفوظ من الغلط، و متى زاغ عن الوسط حصل الجور الموقع فى الضلال عن القصد ؛ فى هذا أنهم لما ادعوا الخصوصية كذبوا و ردت حججهم[2] ثم أثبتت الخصوصية لهذه الأمة[3] ؛ و الوسط بالتحريك اسم لعين ما بين طرفى الشىء كمركز الدائرة ، و بالسكون اسم مبهم لداخل الدائرة مثلا ، و كذا[4] كان ظرفا ، فالأول يجعل مبتدأ و فاعلا و مفعولا به ، و لا يصح شىء من هذا فى الساكن - قاله الأصبهانى .

و مادة وسط مهموزة و غير مهموزة واوية و يائية بتراكيبها الأحد عشر : وسط ، وطس ، سوط ، سطو ، طوس[5] ، طسو ، طيس[5] ، طسى ، [سيط -[6]] سطأ ، طسأ ، تدور على العدل السواء الذى نسبته إلى كل جانب على التساوى ، و يلزم أن يكون أعلى من غيره ، لأن أكثر[5] المخلوقات كُرىّ ؛ و كل ما كان فى وسط الكرة كان أعلى ، و لأن كل جزء بعد الوسط إذا نسبته إلى الطرف الذى يليه كان ما بينه و بينه أقل مما[7] بينه و بين الوسط ؛ و يلزم [العدل الجودة و يلزم -[8]] العلو الغلبة و السطوة و الكثرة و الشدة ، و قد يلزم العلو الاضطراب فيأتى الاختلاط و الاقتطاع و الضعف ؛ فمن الأصل الوسط من كل شىء أعدله ، و وسط الشىء ما بين طرفيه ، فاذا سكنت السين كان ظرفا

(١) وقع فى ظ : مالك - مصحفا (٢) فى م : حجهم (٣) العبارة من هنا إلى « الأصبهانى » ليست فى ظ (٤) فى م و مد : لذا (٥) ليس فى ظ (٦) زيد من م و مد ، وقد سقط من بقية الأصول (٧) فى مد : ما (٨) زيد من م و ظ و مد .

أو هو فيما هو مصمت فاذا كانت أجزاؤه متخلصة متباينة فبالإسكان؛ و وسّطه قطّعه نصفين، و توسط بينهم عمل الوساطة[١] و أخذ الوسط بين الردىء و الجيد، و وسط القوم و[٢] توسطهم و هو وسط فيهم أوسطهم نسبا و أرفعهم محلا و هو المتوسط بين القوم، و واسطة الرحل ما بين قادمته و آخرته، و أوطاس[٣] واد بديار هوازن[٤] لما وصفه به دريد بن الصمة من أنه لا حزن ضرس و لا سهل دهس[٥]، أى يثقل المشى فيه بكونه شبه الرمل و ما هو برمل و لا تراب. و من الجودة و هى[٦] ملزومة للحسن الوسط الباب، و الصلاة الوسطى أفضل الصلوات، و الطاووس طائر حسن، و الجميل من الرجال و الفضة، و الأرض المخضرة فيها كل ضرب من النبت، و المطوس كمعظم الشىء الحسن، و الطوس بالفتح القمر و حسن الوجه و نضارته بعد علة، و تطوست المرأة تزينت، و طواس كسحاب ليلة من ليالى المحاق كأنه من باب الإزالة أو بالنظر إلى أن النجوم فى شدة الظلام أحسن. و من العلو: سنطا الفرس أبعد الخطو[٧]، و الساطى الفرس البعيد الخطوة و الذى يرفع ذنبه فى حضره، و الطويل، و واسط الكور

(١) فى مد: الوسائط (٢) ليس فى ظ (٣) فى م: اوساط - كذا (٤) فى م: موازن - كذا (٥) من مد و ظ، و فى الأصل و م: دهش - كذا بالمعجمة.
(٦) فى ظ: هو (٧) فى م و ظ: الخطوة.

مقدمه[١] . و من الشدة و الغلبة : صار الماء وسيطه[٢] غلب على الطين ، و سطا عليه و به صال أو قهر بالبطش[٣] ، و الراعى على الناقة أدخل يده فى رحمها ليخرج ما فيها من ماء الفحل[٤] ، و الفرس ركب رأسه ، و ساطاه شدد عليه ؛ و الساطئ الفحل المغتلم يخرج من إبل إلى إبل ، و سطأها مهموزا كمنع جامعها ؛ و الوطس كالوعد الضرب الشديد ٥ و الكسر ، و الوطيس التنور و حرّ الحرب ، و الوطيسة شدة الأمر ، و ككتّاب[٥] الراعى ، و تواطسوا علىّ أى تواطحوا أى تداولوا الشر[٦] بينهم ، و الموج تلاطم ، و أوطاس واد بديار هوازن[٧] لأنه أشد مما هو رمل صرف ، و السوط[٨] الذى يضرب به و الشدة و الضرب ، / و المسواط فرس لا يعطى حضره[٩] إلا بالسوط ، ١٠ / ١٣٤ و السياط قضبان الكراب الذى عليه دماليقه أى عراجينه و الكراب أصول السعف الغلاظ العراض ، و سوّط أخرج ذلك ؛ و الطوس بالفتح الوطء و بالضم دوام الشىء و دواء يشرب للحفظ ، و طواس كسحاب ليلة من ليالى المحاق ، و ما أدرى أين طوّس به أى ذهب به[١٠] ؛

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مقدمة (٢) وقع فى الأصل : وشيطة ، و التصحيح من بقية الأصول (٣) وقع فى الأصل : بالطش ، و التصحيح من بقية الأصول (٤) فى م : العجل (٥) أى الوطّاس ، و فى مد : لكتاب ـ كذا . (٦) فى مد : السر (٧) زيد فى ظ « و » (٨) فى ظ : الصوط (٩) فى م و ظ و مد : خضره (١٠) ليس فى ظ .

و طسى كرضى طسا غلب الدسم ١ على قلبه فاتخم كطسا أى واويا[٢] ؛ و طسئ مهموزا أيضا كفرح و جمع طَسْأ و طساء فهو طسىء اتخم أو تغير من أكل الدسم ١ ، و أطسأه الشبع و نفسى[٣] طاسئة و يدخل هذا فى الاضطراب و الاختلاط و الضعف . و من الكثرة الوسط

٥ و هى الناقة تملأ الاناء و يدخل فى الجيد . و الطيس العدد الكثير ، و كل ما فى وجه الأرض من تراب و قمام أو خلق كثير النسل كالذباب و النمل و الهوام أو دقاق التراب كالطيسل[٤] فى الكل[٤] و كثرة كل شىء من الرمل و الماء و غيرهما ؛ و سطا[٥] الماء كثر[٦] ؛ و السويطاء مرقة كثيرة الماء . و من الاختلاط [سياط ككتاب مغن مشهور ؛ و ـ[٧]]

١٠ سطا الطعام ذاقه ؛ و الساطئ[٨] الفحل المغتلم يخرج من إبل إلى إبل ؛ و سطا الراعى على الناقة أدخل يده فى رحمها ليخرج ما فيها[٩] من ماء الفحل ؛ و السوط[١٠] الذى يضرب به و الخلط و الضرب ، و السياط قضبان الكراب الذى عليه دماليقه ، و سوط باطل ضوء يخرج[١١] من الكوّة ، و سطت الشىء بالسوط ضربته به ، و السوط أيضا ما يخلط

١٥ به كالمسواط و ولد لإبليس ، و المسواط فرس لا يعطى حُضره

(١) ليس فى ظ (٢) فى الأصل : راويا ـ كذا ، و التصحيح من بقية الأصول .
(٣) فى م : نفى ـ كذا (٤ ـ ٤) ليس فى ظ (٥) فى ظ : وسط (٦) فى مد : اكثر (٧) زيد من م و مد (٨) فى الأصل : الشاطى ، و التصحيح من بقية الأصول (٩) فى م : فيه (١٠) فى الأصل : الشوط ـ كذا بالشين المعجمة ، و التصحيح من بقية الأصول (١١) فى م و مد : يدخل .

إلا بالسوط ، و استوط أمره اضطرب [١] و اختلط ، و أموالهم سويطة [٢] بينهم مختلطة [٣] ، و الطوس بالضم دواء يشرب للحفظ ، و الطاووس طائر و الأرض المخضرة فيها كل ضرب من النبت . و من الاقتطاع الطاس أى الإناء يشرب فيه . و السوط النصيب و الفضلة من الغدير . و من الضعف الوسط من بيوت الشعراء و هو أصغرها ، و طسأ كمنع مهموزا استحيى [٤] .

و لما أثبت لهم الوسط الذى [٥] من حله كان جديرا بأن لا يخفى عليه شىء [٦] من الجوانب و استلزم ذلك كونه خيارا قال : ﴿ لتكونوا ﴾ أى أنتم لا غيركم ﴿ شهداء ﴾ [٧] [٨] كما أفاده التعبير [٨] بهذا [٦] دون أن يقال : لتشهدوا ، و قال : ﴿ على الناس ﴾ أى كافة . و لما كان الرسول صلى الله عليه و سلم أوسطهم قال : ﴿ و يكون الرسول ﴾ أى [٦] لا غيره بما اقتضاه اختصاصه بكونه وسط الوسط ﴿ عليكم ﴾ خاصة [٦] ﴿ شهيدا ﴾ بأنكم تابعتموه و صدقتموه فكنتم خير أمة أخرجت للناس ،

(١) فى ظ : الظرب (٢) فى الأصل : شويطة ، و التصحيح من بقية الأصول .
(٣) من مد ، و فى م و ظ : مختلطه ، و فى الأصل : مخلطه (٤) فى الأصل : استجىء ، و التصحيح من بقية الأصول ، و زيدت بعده فى ظ و مد : و سيأتى إن شاء الله تعالى فى قول لقمان عليه السلام "يبنى اقم الصلوة" (٥) ليس فى ظ .
(٦) ليس فى م (٧) زيد فى م و ظ و مد : أى بالفعل بما أهلكم له [و حققكم - زيد من م و مد] به بما أنالكم من التمكن (فى ظ فقط : الشكر) فى رتبة الوسط الجامعة للعلو [و الخير - زيد من ظ] المقتضيين [للقبول - زيد من مد فقط] بالعلم و الثقة (٨ - ٨) ليست فى م .

و بأنه قد بلغكم مدة حياته، فلما مات خلف فيكم كتابا معجزا متواترا لا يغسله الماء و لا تحرقه النار، لأنه محفوظ فى الصدور متلو بالألسن إلى أن يأتى أمر الله، و لذلك عبر بأداة الاستعلاء[1] فافهم صوغ الكلام هكذا: إنهم[2] حازوا شرفين أنه لا يشهد عليهم[3] إلا الرسول، و أنه لا يحتاج فى الشهادة على سائر الأمم إلى غير شهادتهم دفعا لتوهم أن غيرهم يشهد عليهم كما شهدوا هم عليهم، و لتوهم أن غيرهم لا يكتفى[4] فى الشهادة عليه إلا بشهادة الرسول كما لم يكتف فيهم إلا بذلك.

و لما أعلم بما "سيقول السفهاء" و علم جوابهم و بين سر التحويل بين علة التوجيه[5] إلى قبلتين بقوله: ﴿ و ما جعلنا ﴾[6] أى بعظمتنا التى لا يقاويها أحد[6] ﴿ القبلة ﴾ قال الحرالى: فى جملته إنباء بأن القبلة مجعولة أى مصيرة عن حقيقة وراءها[7] ابتلاء بتقليب[8] الأحكام

(١) و فى بحر المحيط ١/٤٢٢: و لما كان الشهيد كالرقيب على المشهود له جيء بكلمة «على» و تأخر حرف الجر فى قوله: ﴿ على الناس ﴾ عما يتعلق به، جاء ذلك على الأصل إذ العامل أصله أن يتقدم على المعمول، وأما فى قوله: ﴿عليكم شهيدا﴾ فتقدمه من باب الاتساع فى الكلام للفصاحة، و لأن «شهيدا» أشبه بالفواصل و المقاطع من قوله: «عليكم» فكان قوله «شهيدا» تمام الجملة و مقطعها دون عليكم (٢) فى م فقط: كأنهم (٣) فى مد: عليكم (٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: يكفى (٥) فى الأصل: الترخية، و التصحيح من بقية الأصول. (٦-٦) ليست فى ظ (٧) زيد فى الأصل و م: «و»، و لم تكن الزيادة فى مد و ظ فحذفناها (٨) وقع فى الأصل: بتلقيب - كذا مصحفا، و التصحيح من بقية الأصول.

ليكون تعلق القلب بالله الحكيم لا بالعمل المحكم، فالوجهة[1] الظاهرة ليكون ذلك علما على المتبع عن صدق فيثبت عند تقلب[2] الأحكام بما فى[3] قلبه من صدق التعلق بالله و التوجه له أيان ما وجهه، و على المجيب عن غرض ظاهر ليس يسنده صدق باطن فيتعلق من الظاهر بما لا يثبت عند تغيره - انتهى[4]. و بين أنها الأولى بقوله: ﴿ التى كنت عليها ﴾ و بين أن العلة التمييز بين الناس بقوله: ﴿ الا لنعلم ﴾ أى بما لنا من العظمة بالجنود و الرسل و غيرهم حين وجود الأمر بالتحول عنها ﴿ من يتبع الرسول ﴾ فى كل ما يأمر به اتباعا دالا على تمكن إيمانه ﴿ ممن ينقلب ﴾ أى يرتد[5] [فيدبر - [6]] بعد إقباله متنكسا ﴿ على عقبيه ﴾ علما متعلقا بموجود تقوم به الحجة فى مجارى عاداتكم، و العقب مؤخر القدم. و قال الحرالى: لنجعل علما ظاهرا على الصادق و غيره يشمل العلم به من علم الغيب قبل كونه و بعد كونه، و من لم يعلم الغيب إلا عن علم بما ينبئ عنه نون الاستتباع فهذا وجهه[7] و وجه ما يرد من نحوه فى القرآن و السنة - انتهى.

ثم بين[8] شدتها على من أخلد إلى العادة[9] لغلبة القوة الحيوانية البهيمية و لم يتمرن فى[8] الانقياد للأوامر الإلهية على خلع الإلف و ذل

(١) فى م و ظ و مد: و الوجهة (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يقلب - كذا (٣) ليس فى ظ (٤) ليس فى مد (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يريد (٦) زيد من م و ظ (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: وجه. (٨) ليس فى م (٩) فى مد: العبادة - كذا.

/١٣٥ النفس فقال: ﴿ و ان كانت ﴾ أى الجعلة / ﴿ لكبيرة ﴾ ١ أى ثقيلة شاقة جدا ١ لأن مفارقة الإلف بعد طمأنينة النفس إليه أمر شاق جدا. ثم استثنى من أيده سبحانه بروح منه و سكينة فقال: ﴿ الا على الذين هدى الله ﴾ أى خلق ٢ الذى له الأمر كله ٢ الهداية فى قلوبهم فانقادوا
٥ لما هداهم إليه بنصب الأدلة .

و لما كان قبولهم لهذا الأمر و ثباتهم ٣ عند تغير الأحكام إنما كان عن إيمان و علم محيط جعل الله عز و جل أعمالهم و توجههم للقبلة الأولى من الإيمان فقال: ﴿ و ما كان الله ﴾ ٢ الذى له الكمال المطلق ٢ ﴿ ليضيع ٤ ﴾ قال الحرالى: مما منه الضياع و الضيعة و هو التفريط
١٠ فيما له غناء و ثمرة إلى أن لا يكون له غناء و لا ثمرة ﴿ ايمانكم ﴾ أى المصرح بـه فى قولكم: "امنا بالله" المشار إلى صدق الدعوى فيه بقولكم: "و نحن له مخلصون" فى شىء من الأشياء لا فى صلاتكم إلى القبلة الأولى، و لا فى تميز الصادق منكم من المنافق بالامتحان بتغيير الأحكام من القبلة و غيرها و لا فى اختصاصكم به سبحانه دون أهل

(١-١) ليست فى ظ . و قال المهائمى: أى و ان تلك القبلة كانت ثقيلة على أرباب النظر لما فيها من الانتقال من الأعلى إلى الأسفل ﴿ الا على الذين هدى الله ﴾ للحكمة الإلهية فى تأليف اليهود فان هداهم يجبر نقصها (٢-٢) ليست فى ظ .
(٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل : تباعدهم (٤) أضاع الرجل الشىء أهمله و لم يحفظه، و الهمزة فيه للنقل من ضاع يضيع ضياعا، و ضاع المسك يضوع : فاح - البحر المحيط ١ / ٤١٨ .

الكتاب الجاحدين لآياته الناكبين عن مرضاته الناكثين لعهوده .

و لما نزه نفسه المقدسة عن جميع[1] هذه الإضاعة علل ذلك بما هو أعم فقال[2] ﴿ ان الله ﴾ ٣ أى المحيط بجميع صفات الكمال ٣ ﴿ بالناس ﴾ أى الذين هم أعم من المؤمنين و غيرهم ممن ينوسون بين حال الهدى و الفتنة ﴿ لرءوف ﴾ أى فيرحم من يشاء ممن توصل إليه بعمل صالح رأفة ٥ منه به ، فان الرأفة كما قال الحرالى فى التفسير عطف العاطف على من [لم - [4]] يجد عنده منه وصلة ، فهى رحمة ذى الصلة بالراحم ، قال : و الرحمة تعم من لا صلة له بالراحم ، و قال فى شرح الأسماء : إن المرؤف به تقيمه عناية الرأفة حتى تحفظ[5] بمسراها[6] فى سره ظهور ما يُستدعى العفو لأجله على[1] علنه - انتهى . و ذلك مقتض لكونها ١٠ أشد الرحمة و أبلغها و ألطفها كما قالوه[7] ﴿ رحيم ۞ ﴾ [8]لمن يشاء[8]

---

(١) ليس فى م و ظ و مد (٢) ختم هذه الآية بهذه الجملة ظاهر وهى جارية مجرى التعليل لما قبلها أى للطف رأفته و سعة رحمته نقلكم من شرع إلى شرع أصلح لكم و أنفع فى الدين ، أو لم يجعل لها مشقة على الذين هداهم ، أو لا يضيع إيمان من آمن ؛ وهذا الأخير أظهر - البحر المحيط ١ / ٤٢٧ (٣-٣) ليست فى ظ .
(٤) زيد من م (٥) فى ظ : يحفظ (٦) من م ومد وظ ، و فى الأصل : لمسراها .
(٧) فى البحر المحيط ١/٤٢٧ : و قال القشيرى : من نظر الأمر بعين التفرقة كبر عليه أمر التحويل ، و من نظر بعين الحقيقة ظهر لبصيرته وجه الصواب ﴿ و ما كان الله ليضيع ايمانكم ﴾ أى من كان مع الله فى جميع الأحوال على قلب واحد فالمختلفات من الأحوال له واحدة فسواء عبّر أو قرر أو أثبت =

و لو لم يكن منه سعى فى الوصلة فتقتلعه من ذنوبه اقتلاعا أشد ما كان بها اعتلاقا فتقيمه فيما ترضاه[1] الإلهية و ذلك مع موافقته لما قاله العلماء ترق من العالى[2] إلى الأعلى ، فان رحمة من لا سبب منه تقتضى العطف عليه أبلغ فى نوعها من حيث كونها ابتداء و الأولى أبلغ فى نفسها ٥ لما اقتضاها من السبب ؛ فان كان المراد بالناس العرب فهو بشارة له صلى الله عليه و سلم بأنه يقر عينه بجعلهم[3] من حزبه بالتثبيت لمن كان إذ ذاك مقبلا و الإقبال لمن كان مدبرا . و إن كان المراد أعم منهم فهو بشارة باتباع أكثر الخلائق له صلى الله عليه و سلم ، [4]فاذا نزل عيسى عليه السلام وقع العموم الحقيق فى الطريق المحمدى باتباع الكل له ١٠ صلى الله عليه و سلم[4] [5]و الله أعلم[5] ؛ و يجوز أن يكون تعليلا للكلام من أوله فيكون المعنى أن صفتى رأفته[6] و رحمته مقتضيتان للتميز بين المؤمنين و غيرهم للعدل بين الناس ، لأن تسوية المصلح بالمفسد يؤلم المصلح [4]و سيأتى إن شاء الله تعالى فى آخر براءة ما ينفع استحضاره هنا[4] .

١٥ و لما أشعر الكلام السابق أهل البلاغة باحداث أمر فى القبلة

= أو بدل أوحقق أو حوّل فهم به له فى جميع الأحوال ـ قال قائلهم :

حيثما دارت الزجاجة درنا يحسب الجاهلون أنا جننا

(٨ - ٨) ليست فى م .

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ترضا (٢) فى م : المعالى (٣) فى م و ظ و مد : يجعلهم (٤-٤) ليست فى م (٥ - ٥) ليست فى مد (٦) فى م : رحمته - كذا .

فتوقعوا الخبر عن ذلك و بين رأفته و رحمته بالناس عموما بين ذلك برسوله خصوصا بأن تحويله إلى الكعبة رأفة منه به و رحمة له مع ما تقدم من فوائده فقال تعالى: ﴿ قد نرى تقلب[1] وجهك ﴾ قال الحرالى: فيه نبأ إسماع لمن يرتقب أمرا أو خبرا يفيد مع المستقبل ندرة الوقوع، ففيه إعلام بأن النبي صلى الله عليه و سلم لما انطوى ضميره على إرادة التوجه للكعبة التى هى قيام للناس حين كان هو[2] رسولا لكافة الناس و كان[3] صلى الله عليه و سلم على ملة أبيه إبراهيم عليه السلام يكتفى بعلم الله به عن مسألته. لأن الدعاء للطالبين قضاء حاجة و للمكتفين بعلم الله عبادة أجاب الله تقلب وجهه على قلة وقوع ذلك منه على ما تشعر به « قد » بالتقليل للتقلب و للرؤية ﴿ فى السماء ﴾ فيه إعلام بما جعله من اختصاص السماء[3] بوجه الداعى، كما اختص غيب القلوب بوجهة المصلى، فالمصلى يرجع إلى غيب قلبه و لا يرفع طرفه إلى السماء « لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم إلى السماء[4] فى الصلاة أو لتخطفن أبصارهم » و الداعى يتوجه إلى السماء و يمد يديه كما قال: « حتى رأينا عفرة إبطيه » - انتهى ملخصا. ﴿ فلنولينك ﴾ أى فنسبب عن تلك

(١) التقلب التردد و هو للطاوعة قلبته فتقلب ..... ،و اختص التقلب بالسماء لأن السماء جهة تعود منها الرحمة كالمطر و الأنوار و الوحى، فهم يجعلون رغبتهم حيث توالت النعم، و لأن السماء قبلة الدعاء، و لأنه كان ينتظر جبريل و كان ينزل من السماء - البحر المحيط ١/ ٤٢٨ (٢) ليس فى م (٣) زيد فى ظ: النبي (٤) زيد فى م: إلى السماء - مكررا.

الرؤية أنا نوليك[١] من غير شك ﴿قبلة﴾ قال الحرالى: نكّرها لما كان من ورائها قبلة التوجه العام فى [٢]تنقله، فتلك[٢] هى القبلة التى هى[٣] توجه لوجه الله لا توجه لمنظر[٤] باد من خلق الله، فكان متسع القبلة ما بين اختصاص / القبلة الشامية إلى قيام القبلة الحجازية إلى إحاطة ١٣٦ / القبلة العامة الآفاقية[٥]؛ و فى قوله: ﴿ترضٰها﴾ إنباء باقراره للتوجه لهذه القبلة، لأن الرضى وصف المقر لما يريد، فكل واقع بارادة لا يكون رضىً إلى أن يستدركه الإقرار، فان تعقبه الرفع و التغيير فهو مراد غير مرضى - انتهى. و دل على أن مرضيه[٦] الكعبة بفاء السبب فى قوله: ﴿فول وجهك﴾، و أما قلبك فانما توجهه[٧] إلى الله، الغيب

(١) زيد فى م و مد: اى تتبعك و نوجهك (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى م: توجهه فتلك، و فى الأصل: ىقله قبلك (٣) ليس فى م (٤) فى مد: لنظر.
(٥) و قال أبوحيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/٤٢٨: و جاء الوعد قبل الأمر لفرح النفس بالإجابة ثم بانجاز الوعد فيتوالى السرور مرتين، و لأن بلوغ المطلوب بعد الوعد به أنس فى التوصل من مفاجأة وقوع المطلوب. و نكر القبلة لأنه لم يجر قبلها ما يقتضى أن تكون معهودة فتعرف بالألف و اللام، و ليس فى اللفظ ما يدل على أنه كان يطلب باللفظ قبلة معينة، و وصفها بأنها مرضية له لتقربها من التعيين لأن متعلق الرضا هو القلب و هو كان يؤثر أن تكون الكعبة و إن كان لا يصرح بذلك (٦) فى الأصل و ظ: مرضية، و التصحيح من م و مد (٧) فى الأصل: توجه، و التصحيح من بقية الأصول.

للغيب و الظاهر للظاهر ، ﴿ شطر ﴾[1] أى عين ﴿ المسجد ﴾ كما استدل الشافعى [2]رحمه الله[2] [3]فى الرسالة[3] على ذلك بجملة من أشعار العرب و قال[4]: و هذا كله من أشعارهم يبين[5] أن شطر الشىء قصد عين الشىء ، إذا كان معاينا فبالصواب و إن كان مغيبا فبالاجتهاد[6] ﴿ الحرام ﴾ و تعبيره بهذا دون الكعبة فيه توسعة . قال الحرالى: سماه الله حراما لحرمته حيث لم يوطأ قط إلا باذنه و لم يدخل إلا دخول تعبد و ذلة فكان حراما على من يدخله دخول متكبر أو متحير[7] - انتهى . [وعن الإمام الماوردى أن كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم إلا هذا فالمراد به الكعبة - انتهى . و عبر عنه بذلك لأن السياق للصلاة التى أعظم مقصودها[8] السجود ، و سيأتى عند

(١) الشطر النصف و الجزء من الشىء و الجهة ، قال الشاعر :

ألا من مبلغ عنى رسولا و ما تغنى الرسالة شطر عمر

أى نحوه . و يقال شطر عنه بعد و شطر إليه أقبل ، و الشاطر من الشباب البعيد من الجيران الغائب عن منزله ، يقال شطر شطورا ، و الشطير البعيد ؛ منزل شطير أى بعيد . . . . . أى استقبل بوجهك فى الصلاة نحو الكعبة ، و بهذا الأمر نسخ التوجه إلى بيت المقدس ـ البحر المحيط ١ / ٤١٨ ، ٤٢٨ .

(٢-٢) فى ظ : رضى الله عنه (٣-٣) ليس فى مد (٤) زيد فى م و مد : إذا قلت : اقصد شطر كذا . معروف (فى م : معلوم) أنك تقول : اقصد قصد عين كذا ، يعنى قصد نفس كذا ، ثم قال (٥) فى م : بين ، و ليس فى مد (٦) زيد فى م و مد : انتهى و كان حقيقته الموضع المنصف منه فهو الذى إذا قسم من عنده كان شطرين متساويين (٧) فى م : متحير (٨) العبارة من هنا الى «على هذا» ليست فى الأصل و ظ .

" يسئلونك عن الشهر الحرام[١] " زيادة على هذا -[٢]]، و فى الموطأ عن سعيد بن المسيب أنه قال: صلى[٣] رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهرا نحو بيت المقدس، ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين، و لما بشره[٤] سبحانه بالتحويل أولا و أوقع المبشر[٥] به ثانيا أشار إلى بشارة ثالثة بتكثير أمته و نشرهم فى أقطار الأرض فجمعهم إليه فى قوله: ﴿ و حيث ما كنتم ﴾ أى من جهات الأرض التى أورثكم إياها[٦] ﴿ فولوا وجوهكم شطره ﴾ بتوجيه قلوبكم إلىّ .

و لما حرر ذلك و قرره بيّن أن العائبين لدينه بذلك من أهل الكتاب عالمون بحقيقة هذا التحويل و أنه من أعلام نبوته فقال: ﴿ و ان الذين اوتوا الكتب ﴾ أى من اليهود و النصارى، و لم يصفهم هنا بالسفه لإثبات العلم فى قوله: ﴿ ليعلمون انه ﴾ أى هذا التحويل ﴿ الحق[٧] ﴾ أى[٨] ليس بعده فى أمر القبلة حق آخر يرفعه أصلا ﴿ من

(١) سورة ٢ آية ٢١٧ (٢) زيدت من م و مد و ظ (٣) ليس فى ظ (٤) فى م: بشر (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: البشر (٦) زيد فى م و مد: أى ميلوا و قربوا و اتبعوا موجهين . و فى البحر المحيط ١ / ٤٣٠: و لما كان صلى الله عليه و سلم هو المتشوف لأمر التحويل بدأ بأمره أولا ثم أتبع أمر أمته ثانيا لأنهم تبع له فى " ذلك و لئلا يتوهم أن ذلك مما اختص به صلى الله عليه و سلم، وفى حرف عبد الله " فولوا وجوهكم قبله " و قرأ ابن أبى عبلة " فولوا وجوهكم تلقاءه " و هذا كله يدل على أن المراد بالشطر النحو (٧) كرره فى م ثانيا . (٨) زيد فى مد: الذى .

ربهم ﴾ [١] أى المحسن إليهم بارسال هـذا الرسول الذى يرفع عنهم إصرهم و كانوا ينتظرون رسالته ، فعند ما أتاهم ردوا رحمته ، و جعل [٢] ذلك سبحانه [٢] فى سياق [٣] مهدد له [٣] مرج له و لأتباعه تسلية لهم و تثبيتا و تقوية لعزائمهم و تمكينا حيث ختم الآية بقوله : ﴿ و ما الله ﴾ [١] أى المحيط بكل شىء قدرة و علما [٤] ﴿ بغافل عما يعملون [٥] ﴾ قال الحرالى : بالياء أى التحتانية إعراضا عنهم ، و بالتاء إقبالا عليهم ، ففيه إنباء بتماديهم على [٦] سوء أحوالهم فى رتبتين : فى متماد على سوء هدد فيه لما أقبل عليه ، و فى متماد على أسوأ منه أوجب فى تهديده الإعراض عنه

(١) أى ثابتا من ربهم ، و فى ذلك دليل على أن التحول من بيت المقدس إلى الكعبة لم يكن باجتهاد ، إنما هو بأمر من الله تعالى ، و فى إضافة الرب إليهم تنبيه على أنه يجب اتباع الحق الذى هو مستقر ممن معتن باصلاحك كما قال تعالى "الحق من ربك" - البحر المحيط ١ / ٤٣٠ (٢ - ٢) فى م و مد : سبحانه ذلك . (٣-٣) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : بهدد له (٤-٤) ليست فى ظ (٥) من م ومد ، وفى الأصل: تعملون ، و فى ظ : يعملون - كذا. وفى البحر المحيط ١/٤٣٠: قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتاء على الخطاب ، فيحتمل أن يراد به المؤمنون لقوله "فولوا وجوهكم شطره" و يحتمل أن يراد به أهل الكتاب فتكون من باب الالتفات ، و وجهه أن فى خطابهم بأن الله لا يغفل عن أعمالهم تحريكا لهم بأن يعملوا بما علموا من الحق ، لأن المواجهة بالشىء تقتضى شدة الإنكار وعظم الشىء الذى ينكر . ومن قرأ بالياء فالظاهر أنه عائد على أهل الكتاب لمجىء ذلك فى نسق واحد من الغيبة ، و على كلتا القراءتين فهو إعلام أن الله تعالى لا يهمل أعمال العباد و لا يغفل عنها و هو متضمن للوعيد (٦) العبارة من هنا إلى « و فى متماد على » ليست فى م .

و الإقبال على غيره ممن لم يصل فى السوء و المكائدة إلى ما وصل إليه المعرض عنه .

و لما أطمع أول الآية فى أهل الكتاب ١ و قطع عنهم آخرها صرح بما لوّح ٢ إليه هذا الأخير ٣ و أعلمه صلى الله عليه و سلم بعاقبة أمرهم و أنه لا اتفاق بينه و بينهم أصلا و لا اتفاق بين فريقيهم مع كون الكل من بنى إسرائيل ليريحه صلى الله عليه و سلم من التطلع إلى هدى بعضهم فقال تعالى : ﴿ و لئن اتيت الذين اوتوا ﴾ ٤ بناه للمجهول تنبيها على هوانهم ٤ ﴿ الكتب ﴾ أى من اليهود و النصارى ﴿ بكل اية ﴾ أى من الآيات المسموعة مرغبة و مرهبة و من الآيات المرئية مغرّبة و مقربة ﴿ ما تبعوا قبلتك ﴾ أى هذه التى حولت إليها و كنت الحقيق بها لكونها قياما للناس كما أنت رسول إلى جميع الناس ، ٤ لأن إعراضهم ليس عن شبهة إذا زالت زال بل عن عناد ٤ . ثم أومأ له إلى أنهم ينصبون له الحبائل ليعود و لو ساعة من نهار إلى قبلتهم ليقدحوا بذلك فيه فقال : ﴿ و ما انت بتابع قبلتهم ﴾ ثم أشار إلى عيبهم باختلافهم و تفرقهم مع نهيهم عنه فقال : ﴿ و ما بعضهم ﴾ ٤ أى أهل الكتاب ٤ ﴿ بتابع قبلة بعض ﴾ مع تقاربهم فى النسب ، و ذلك حثا للعرب على الثبات على مباعدتهم و الحذر من مخادعتهم .

و لما كان دينهم قد نسخ أعلم سبحانه بأن ثباتهم على قبلتهم مع

(١) ليس فى م (٢) فى م : يلوح (٣) فى م و ظ ومد : الاخر (٤-٤) ليست فى ظ .

ذلك[1] مجرد هوى[2] [فقال - ٣] منفرا[4] للأمة عنهم و محذرا لهم منهم بخطاب الرأس ليكون ذلك أدعى لقبول الاتباع ﴿و لئن[5] اتبعت اهواءهم﴾ .

و لما كان هذا السياق لأمر القبلة فقط قال[6] : ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ قال الحرالى : فأبهمه و لم يكن نحو الأول الذى قال فيه " بعد الذى " لظهور ما ذكر فى الأول و خفاء ما وقعت[7] إليه الإشارة فى هـذا ، و جاءت فيه " مِنْ " التى هى لابتداء من أولية[8] لخفاء مبدإ أمر[1] ما جاء من العلم هنـا و ظهور ذلك الأول ، لأن ذلك كان فى أمر الملة التى

(١) ليس فى م (٢) العبارة من هنا إلى « الاتباع » ليست فى ظ (٣) زيد من م و مد (٤) من مد ، و فى الأصل : منفى ، و فى م : منفردا - كذا مصحفـا .
(٥) و تعليق وقوع الشىء على شرط لا يقتضى إمكان ذلك الشرط ، يقول الرجل لامرأته : إن صعدت إلى السماء فأنت طالق ، و معلوم امتناع صعودها إلى السماء و قال تعالى فى الملائكة الذين أخبر عنهم أنهم " لا يعصون الله ما امرهم و يفعلون ما يؤمرون " قال " و من يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظلمين " و إذا اتضح ذلك سهل ما ورد من هذا النوع و فهم من ذلك الاستحالة ، لأن المعلق عـلى المستحيل مستحيل ، و يصير معنى هذه الجملة التى ظاهرها الوقوع على تقدير امتناع الوقوع و يصير المعنى : لا يعد ظالما و لا تكونه لأنك لا تتبع أهواءهم ، و كذلك لا يحبط عملك لأن إشراكك ممتنع ، و كذلك لا يجزى أحد من الملائكة جهنم ، لأنه لا يدعى أنه إله ، و قالوا : ما خوطب به من هو معصوم ممـا لا يمكن وقوعه منه فهو محمول على إرادة أمته و من يمكن وقوع ذلك منه ، و إنما جاء الخطاب له على سبيل التعظيم لذلك الأمر و التفخيم لشأنه حتى يحصل التباعد منه - البحر المحيط ١/٤٣٢ (٦) فى ظ : قاله (٧) فى م : وقف (٨) فى م : اوليه .

مأخذها العقل ، و هذه[1] فى أمر التوجيه الذى مأخذه الدين و الغيب .
قال الحرالى : قال تعالى ﴿ انك اذا لمن الظلمين ﴾ على حد ما ذكر من
أنه من لمح لمحا من وصف كان من الموصوف به بألطف لطف و وصف
كل رتبة بحسبها ، فما يرفع عنه النبي صلى الله عليه و سلم من باب إظهار
١٣٧ / ٥ رغبته و حرصه على هداية / الخلق الذى جبل على الرحمة فيه و طلب
المسامحة فى التقاصر عنه نظرا منه إلى حق الله تعالى و مضمون وصية الله
تعالى له حين[2] أوصاه بغير ترجمان و لا واسطة أن يصفح عمن ظلمه
و يصل من قطعه ؛ فكان صلى الله عليه و سلم يطلب[3] وصل المنقطع عنه
حتى يعلن[4] عليه بالإكراه فى ترك ذلك و ودعه فيجيبه حكما و إن كان
١٠ معه عليا ، و منه قوله : اللهم [اغفر -[5]] لقومى ! فانهم لا يعلمون ،
فنى طىّ كل خطاب له يظهر الله عز و جل فيه إكراهه على أخذ حكم الحق
و إمضاء العدل أعظم مدحة له و التزام لوصيته إياه ، فهو ممدوح بما هو
مخاطب بخطاب الإكراه على إمضاء العدل و الاختصار فى أمر رحمته
للعالمين ، فرفعه الله أن يكون ممن يضع رحمة فى موضع استحقاق
١٥ وضع النقمة ، فذلك[6] الذى[3] يجمع معناه بين متقابل الظالمين فيمن يضع
النقمة موضع الرحمة فيكون أدنى الظلم ، أو من يضع الرحمة فى موضع

(١) فى م: هذا (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : حتى (٣) ليس فى م (٤) فى الأصل : يعلى ، و التصحيح من بقية الأصول (٥) زيد من م و ظ و مد . و فى رواية : اهد قومى (٦) فى ظ : بذلك .

النقمة فيكون منه بتغيير الوضع بوضع الفضل موضع العدل ؛ و على[1] ذلك جميع ما ورد فى القرآن من نحو قوله: "فان كنت فى شك مما انزلنا إليك فسئل الذين يقرءون الكتب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك - أى فى إمضاء العدل - فلا تكونن من الممترين[2]" فى طلب الفضل لأهل العدل فان الله يمضى عدله كما يفيض فضله ، و كذلك قوله: "عبس و تولى ، ان جاءه الاعمى[3]"[4] فيه[5] إظهار لمدحته بحرصه[5] على تألف الأبعدين و وصل القاطعين حتى ينصرف عنهم بالحكم[6] و إشادة[7] الإكراه عليه[8] فى ذلك ، فلا ينصرف عن حكم الوصية إلى حكم الكتاب بالحق إلا عن إشادة[7] باكراهه عليه ، فهو محمود بما هو منهى عنه ، لأن خطابه أبدا فى ذلك فى القرآن فيما بين الفضل و العدل ، و خطاب سائر الخلق جار فيما بين العدل و الجور ، فبين الخطابين ما بين درج العلو و درك السفل فى مقتضى الخطابين المتشابهين فى القول المتباينين

(١) ليس فى ظ . و فى البحر المحيط ١ / ٤٣٣ : قال الزمخشرى : قوله ﴿ و لئن اتبعت اهواءهم ﴾ بعد الإفصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده فى قوله " و ما انت بتابع قبلتهم " كلام وارد على سبيل الفرض و التقدير بمعنى: و لئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان و الإحاطة بحقيقة الأمر إنك إذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش ، و فى ذلك لطف للسامعين و زيادة تحذير و استفظاع بحال من يترك الدليل بعد إنارته و يتبع الهوى و إهاب للثبات على الحق (٢) سورة ١٠ آية ٩٤ (٣) سورة ٨٠ آية ١ و ٢ (٤) زيد فى م و ظ و مد: الآيات (٥ - ٥) فى م : اظهار المدحه بحرصه (٦) فى م : الحكم (٧) فى م: اشارة (٨) فى م: اليه .

فى العلم - انتهى . و سيأتى فى قوله تعالى : "عفا الله عنك لم اذنت لهم" فى سورة التوبة[١] ما يوضحه .

و لما ختم الخطاب بالإشارة بقوله : " اهواءهم[٢] " إلى علمهم بحقية هذا التحويل تلويحا كما فتحه بالإعلام به تصريحا كرّ على تأكيد الإعلام بما هم عليه فى أمرها من التحقق[٣] إشارة إلى ما تبطنوه[٤] من العناد الموجب للتمادى فى الفساد فقال مضمرا له على وجه يصلح أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم معظما لهذه المعرفة باسناد الإيتاء إليه سبحانه : ﴿ الذين اتيناهم ﴾[٥] أى بما لنا من العظمة التى هم بها عارفون[٥] ﴿ الكتب يعرفونه ﴾[٦] أى التحويل المتضمن لزيادة تحققهم لصدق الرسول صلى الله عليه و سلم و كمال[٧] علمهم به ﴿ كما يعرفون ابناءهم ﴾ لا يشكون فى حقية ذلك بوجه لظهور دلائله عندهم ، لأنهم يعرفون الرسول صلى الله عليه و سلم بجميع نعوته [معرفة -[٨]] لا يشكون فيها لكونها عن الله الذى لا خلف فى قوله ، فبذلك صاروا يعرفون صحة هذا التحويل هذه المعرفة ، و ذلك كما أنهم لا يشكون فى شىء مما تقع به المعرفة لأبنائهم لشدة ملابستهم لهم ؛ و الحاصل أن معرفتهم بنبوته تزيدهم فى المعرفة بحقية التحويل [بصيرة لأنه من نعته ، و معرفتهم بأمر التحويل -[٩]] يثبتهم فى حقية نبوته لكونه مما ثبت منها ، و لذلك قال الحرالى : فى انبائه تحققهم بعيان ما ذكر لهم من أمره ، لأن

(١) سورة ٩ آية ٤٣ (٢) فى م : « باهواهم » (٣) فى مد : التحقيق (٤) فى ظ : يبطنوه (٥ - ٥) ليست فى ظ (٦) العبارة من هنا إلى « ابناءهم » ليست فى م . (٧) فى ظ : كان (٨) زيد من م و ظ (٩) زيد من م و ظ و مد .

العارف بالشيء هو الذى كان له به إدراك ظاهر بأدلة ثم أنكره لاشتباهه عليه ثم عرفه لتحقق ذكره لما تقدم من ظهوره فى إدراكه، فلذلك معنى المعرفة لتعلقها بالحس و عيان القلب أتم من العلم المأخوذ عن علم بالفكر[1]؛ و إنما لم تجز[2] فى أوصاف الحق لما فى معناها من شرط النكرة، و لذلك يقال المعرفة حد بين علمين: علم على تشهد[3] الأشياء ببواديها، و علم دون يستدل على الأشياء بأعلامها؛ و فيه أى التشبيه بالأبناء إنباء باتصال معرفتهم بـه كيانا كيانا إلى ظهوره، و لو لم يكن شاهده[4] عليهم إلا ارتحالهم من بلادهم من الشام إلى محل الشدائد من أرض الحجاز لارتقابه و انتظاره "فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به" و أجرى المثل بذكر الأبناء لاشتداد عناية الوالد بابنه لاعتلاقه بفؤاده، ففيه إنباء بشدة اعتلاقهم به قبل كونه ﴿ و ان فريقا منهم ﴾ أى أهل الكتاب ﴿ ليكتمون الحق ﴾ أى يخفونه و لا يعلنونه[5].

و لما كان لا يلزم من ذلك علمهم به و لا يلزم من علمهم به استحضاره عند الكتمان قال: ﴿ و هم يعلمون ﴾ أى أنه حق و أنهم آثمون بكتمانه، فجعلهم أصنافا: صنفا عرفوه فاتبعوه، و صنفا عرفوه فأنكروه كما فى إفهامه،

(١) وقع فى الأصل: الفلك - كذا مصحفا، و التصحيح من بقية الأصول.
(٢) فى م و مد: لم تجر (٣) فى م و مد: يشهد (٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: شاهدة (٥) و الحق المكتوم هنا هو نعت رسول الله صلى الله عليه و سلم - قاله قتادة و مجاهد، أو التوجه إلى الكعبة، أو أن الكعبة هى القبلة، أو أعم من ذلك فيندرج فيه كل حق - البحر المحيط ١/٤٣٦.

و فريقا علموه فكتموه ؛ و فى تخصيص هذا الفريق بالعلم إشعار بفرقان ما بين حال من يعرف و حال من يعلم ، فلذلك كانوا ثلاثة أصناف : عارف ثابت ، و عارف منكر[1] هو أردؤهم[2] ، / و عالم كاتم لاحق به ؛ و فى مثال يكتمون و يعلمون إشعار بتماديهم فى العلم و تماديهم فى الكتمان . / ١٣٨

٥ و لأن هذا المجموع يفيد قهر الحق للخلق بما شاء منهم من هدى و فتنة لتظهر فيها رحمته و نقمته[3] و هو الحق الذى هو ماضى الحكم الذى جبلّة محمد صلى الله عليه و سلم تتقاضى التوقف فيه لما هو عليه من طلب الرحمة و لزوم حكم الوصية خاطبه الحق بقوله : ﴿ الحق ﴾ أى هذا التفريق و التصنيف الموجب لعمارات درجات الجنة و عمارات دركات النار ١٠ هو الحق ، أو يكون المعنى : الحق الذى أخبرت به فى هذه السورة أو الآيات ، أو جنس الحق[4] كائن ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك بطرد من يضر اتباعه كما هو محسن إليك بالإقبال بمن ينفع اتباعه ﴿ فلا تكونن[6] من الممترين[5] ﴾ فيما فسر نحوه من اشتباه المرتبتين الواقعة منه فيما بين الفضل و العدل و الواقعة من غيره فيما بين الجور

(١) فى ظ : متكبر (٢) فى م و مد و ظ : ارداؤهم ، و فى الأصل : اراداؤهم - كذا (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : نعمته - كذا (٤) أو للجنس على معنى أن الحق هو من عند الله لا من غيره ، أى ما ثبت أنه حق فهو من الله كالذى عليه الرسول ، و ما لم تثبت حقيقته فليس من الله كالباطل الذى عليه أهل الكتاب ، و قرأ على ابن أبى طالب " الحق " بالنصب و أعرب بأن يكون بدلا من الحق المكتوم فيكون التقدير : يكتمون الحق من ربك ؛ قاله الزمخشرى - البحر المحيط ١/٤٣٦ (٥) فى م : لما (٦) و المراد بهذا الخطاب فى المعنى هو الأمة ، =

و العدل - انتهى . و فيه زيادة و تغيير، و فى تأكيد الأمر تارة بالعلم و تارة بالمعرفة و تارة بغيرهما تأكيد لوجوب اتباعه صلى الله عليه و سلم و إزاحة لما يلقيه السفهاء العالمون به من الشبه . قال الحرالى : و الممترى من الامتراء و هو تكلف المرية و هى مجادلة تستخرج السوء من خبيئة[1] المجادل ، من امتراء ما فى الضرع و هو استيصاله حلبا ، و لأنه حال الشاك ٥ ربما أطلق عليه .

و لما بين أن أحدا من هؤلاء الفرق لا يتبع قبلة الآخر و تضمن ذلك أن لكل منهم قبلة[2] و قرر أن ذلك من أهل الكتاب على وجه العناد أثبت ما تضمنه الكلام السابق على وجه أعم منه و سبب عنه النتيجة فقال تعالى : ﴿ و لكل ﴾ أى[3] لكل فريق من المذكورين ١٠ و غيرهم ﴿ وجهة ﴾ أى مقصد يقصده و يوجه وجهه إليه و يقبل بقلبه عليه من القبلة للصلاة و غيرها من جميع المقاصد ﴿ هو موليها ﴾ إن كسر اللام كان المعنى هو متوليها أى فاعل التولية أى مائل إليها بوجهه[4] لأن المادة تدور بكل ترتيب على الميل كما يأتى إن شاء الله تعالى فى

= و دل " الممترين " على وجودهم ، و نهى أن يكون منهم و النهى عن كونه منهم أبلغ من النهى عن نفس الفعل . . . . و المعنى : فلا تكونن من الذين يشكون فى الحق ، لأن ما جاء من الله تعالى لا يمكن أن يقع فيه شك ولا جدال ، إذ هو الحق المحض الذى لا يمكن أن يلحق فيه ريب و لا شك - البحر المحيط ١/٤٣٧ .

(١) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : خبئة - كذا (٢) ليس فى مد (٣) زيدت فى م : و (٤) زيد فى م : و مستقبل و تابع لها .

آخر الانفال، فيكون ولىّ[١] بمعنى تولىّ كقدم بمعنى تقدم، و من المعلوم[٢] الفرق بين تولاه و تولى عنه، و إن فتح[٣] فالمعنى: هو ممالٍ إليها. قال الجمالى: و فى قراءة مولّيها - بالكسر - إشعار باختلاف جبلات أهل الملل و إقامة كل طائفة منهم بما جبلت عليه[٤]، و فى قراءة "مولّاها" إظهار حقيقة ذلك و أنه ليس ذلك منهم بل بما أقامهم فيه المولى لهم حيث شاء، و أبهم فيه المولى لما كان فى طوائف منهم حظ هوى[٥]، و هو من التولية و هو ما[٦] يجعل مما يلى الجسد، أو القصد أى [٧]يكون ميالا[٧] بين يديه ملاصقا له - انتهى.

و لما كان فعلهم هذا إنما هو لأجل تزكية النفس و خلاصها و كان ذلك لا يحصل إلا بفعل الخير و اجتناب الشر سبب عنه قوله: ﴿ فاستبقوا[٨] الخيرٰت ﴾ أى فاجعلوا أنتم مقصدكم أنواع الخير من القبلة

(١) ليس فى ظ (٢) زيد فى الأصل فقط «ان» (٣) و قرأ ابن عامر: هو مولّاها - بفتح اللام - اسم مفعول و هو قراءة ابن عباس (٤) و قيل المعنى و لكل ملك و رسول صاحب شريعة جهة قبلة، فقبلة المقربين العرش و قبلة الروحانيين الكرسى، و قبلة الكروبيين البيت المعمور، و قبلة الأنبياء قبلك بيت المقدس، و قبلتك الكعبة؛ و قد اندرج فى هذا الذى ذكرنا أن المراد بوجهة قبلة و هو قول ابن عباس و هى قراءة أبى قرأ: "و لكل قبلة" و قرأ عبد الله: "و لكل جعلنا قبلة" - البحر المحيط ١ / ٤٣٧ (٥) فى الأصل فقط: هدى (٦) فى م: مما (٧-٧) ليس فى م و ظ و مد (٨) الاستباق افتعال من السبق و هو الوصول إلى الشىء أولا، و يكون افتعل منه إما لموافقة المجرد =

و غيرها و تسابقوا فى قصدكم إليها، أى كونوا فى المبادرة إلى أفعال الخير كمن يسابق ١ خصما فهو يجتهد فى سبقه ، ٢ فان الاستباق٢ تكلف السبق و السبق بروز أحد المتجاريين٣ ، ثم حثهم على ذلك و حذرهم من تركه بقوله على وجه التعليل : ﴿ اين ما تكونوا ﴾ أى من الجهات التى استبقتم إليها الحسية و المعنوية ﴿ يات بكم الله ﴾ ٤ أى الملك الأعظم٤ ﴿ جميعا ﴾ ٥ منها إليه فى ٥ يوم البعث٦ ، ثم علل هذه العلة بقوله : ﴿ ان الله ﴾ ٤ أى الذى له الأمر كله ٤ ﴿ على كل شىء قدير ٥ ﴾ و فى ذكر البعث هنا معادلة بين القبلتين : قبلة أهل الفضل الأمة الوسط التى جعلت محل الأمن ، و القبلة الأولى . قال الحرالى : من حيث يرد الخلق فى ٧ البعث إلى موطن القبلة السابقة من أرض الشام ، فيكون موطن الحق و العدل أولى القبلتين بذلك ، ١٠ لأن أعلى القبلتين موطن أمنة من حيث أن من دخله كان آمنا ، فكان

= فيكون معناه و معنى سبق واحدا أو لموافقة تفاعل فيكون استبق و تسابق بمعنى واحد ـ البحر المحيط ١/٤١٩ .

(١) فى ظ : سابق (٢ ـ ٢) فى م و مد : فالاستباق ، و فى الأصل : فان الاسباق ـ كذا (٣) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : المتحاربين ـ كذا (٤ـ٤) ليس فى ظ (٥) ليس فى مد (٦) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١ / ٤٣٩ : هذه جملة تتضمن وعظا و تحذيرا و إظهارا لقدرته ، و معنى ﴿ يات بكم الله جميعا ﴾ أى يبعثكم و يحشركم للثواب و العقاب فأنتم لا تعجزونه وافقتم أم خالفتم ، و لذلك قال ابن عباس : يعنى يوم القيامة ، و قيل : المعنى أينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا، أى يجمعكم و يجعل صلاتكم كلها إلى جهة واحدة وكأنكم تصلون حاضرى المسجد الحرام ـ قاله الزمخشرى (٧) فى م : الى .

فكان المحشر إلى قبلتهم الأولى التى هى بداية الأمر ليطابق الآخر من القبلتين الأولى من حيث كان الآخر فى الدنيا للفضل و الأول فى الآخرة للعدل و من الدعوتين من حيث كانت الدعوة الأولى فى الأول حكما و علما و الإتيان الآخر فى العقبى قهرا و ملكا .

٥ و لما عظم فى شأن القبلة انتشار أقوالهم فى تنويع شغبهم[١] و جدالهم و كانوا أهل علم و كتاب ، و قد مرت لهم دهور و هم موسومون بأنهم على صواب ، فاشرأب لذلك النفاق ، و دارت رحى الباطل و الشقاق ، و قامت سوق الفسوق فيما هنالك على ساق ، كان الحال مقتضيا لمزيد تأكيد لأمرها تعظيما لشأنها و توهية[٢] لشبه السفهاء فقال تعالى ثانيا

١٠ معبرا بعبارة مشعرة[٣] بامامته صلى الله عليه و سلم و انتظار المصلين له : ﴿ و من حيث خرجت ﴾ أى للصلاة المفروضة باتباعك من هذه الجهة التى أنت بها الآن بالمدينة الشريفة التي هى شمال الكعبة المشرفة أو من غيرها / من الجهات من الشرق و الغرب و الجنوب ﴿ فول وجهك شطر ﴾ أى عين[٤] ﴿ المسجد الحرام ﴾ و أما قلبك فهو إلى الله . /١٣٩

١٥ و لما كان التقدير[٥] فانك مأمور بذلك لئلا يظن[٦] أن ذلك إنما

(١) فى ظ : شعبهم ـ كذا بالعين المهملة (٢) فى م : بوهيه (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : شعرة ـ كذا (٤) وقع فى الأصل : غير ـ مصحفا ، و التصحيح من بقية الأصول (٥) و فى بحر المحيط ١/٤٤٠ بعد نقل أقوال متعددة فى التكرار : و قيل ربما خطر فى بال جاهل أنه تعالى فعل ذلك لرضا نبيه لقوله : ﴿ فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ فأزال هذا الوهم بقوله : ﴿ و انه للحق من ربك ﴾ أى ما حولناك لمجرد الرضا بل لأجل أن هذا التحويل هو الحق ، فليست كقبلة اليهود التى يتبعونها =

عمل لتطلعه صلى الله عليه و سلم إليه و هو فيه بالخيار فيظن أن الرجوع إلى القبلة الأولى مصلحة لما انتشر[1] فى ذلك من الكلام الذى نفذ فى القلوب نفوذ السهام عطف عليه قوله: ﴿ و انه للحق من ربك ﴾ مؤكدا له بأنواع التأكيد مضيفا له إلى صفة الإحسان باحسان التربية و النظر فى أدبار الأمور و أحكامها . ٥

و لما كان التقدير: و إن ربك عالم بما قالوه من الشبه التى دارت بين الناس و خيفت عاقبتها عطف عليه ما هو أعم منه فقال[2]: ﴿ و ما الله ﴾ [3]أى الذى له الإحاطة الكاملة[3] ﴿ بغافل عما ﴾ أى عن[4] شىء مما ﴿ يعملون[5] ﴾ أى السفهاء من اليهود و غيرهم فى مستقبل الزمان فيوهيه و يبطل أذاه و يرميه[6] و يبعده و يقصيه ، و على قراءة ١٠ الخطاب أنتم فى هذا الوقف و بعده فيغلبه[7] و يثبته و يبقيه إن كان خالصا لوجهه و إلا جعله هباء منثورا . قال الحرالى: و من التفت بقلبه [فى صلاته إلى غير ربه لم تنفعه وجهة وجه بدنه إلى الكعبة ، لأن ذلك حكم حق حقيقته توجه القلب و من التفت بقلبه -[8]] إلى شىء من الخلق

= بمجرد الهوى ، ثم أعاد ثالثا و المراد: دوموا على هذه القبلة فى جميع الأزمنة .
(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: تظن - بصيغة الخطاب .
(١) زيدت فى م « و » (٢) وقع فى الأصل: فقالوا، و التصحيح من بقية الأصول (٣-٣) ليست فى ظ (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: من .
(٥) كذا فى الأصول و يؤيده تفسير المؤلف الذى يليه على وجه الإخبار عنهم ، و أما ما فى المصاحف فهو تعملون - بالتاء على وجه المخاطبة كما صرح به المؤلف بعده بقوله: وعلى قراءة الخطاب انتم - الخ (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: يوميه (٧) فى م و ظ : يعليه (٨) زيد من م و مد و ظ .

فى صلاته فهو مثل الذى استدبر بوجهه عن شطر قبلته ، فكما يتداعى الإجزاء[1] الفقهى باستدبار الكعبة حسا فكذلك يتداعى القبول باستدبار وجه القلب عن الرب غيبا ، فلذلك[2] أقبل هذا الخطاب على الذين آمنوا و الذين أسلموا ، لأنه هو صلى الله عليه و سلم مبرأ عن مثله - انتهى .

٥ ﴿ و من حيث خرجت ﴾ أى من بقاع الأرض للصلاة بأمتك ﴿ فول وجهك ﴾ أى اجعله يلى ﴿ شطر ﴾ أى عين[3] ﴿ المسجد الحرام ﴾ .

و لما تقرر بما تكرر أن هذا التحويل فرض فى حقه صلى الله عليه و سلم حتم لا فتور عنه و لا رخصة فيه إلا ما استثنى فى النفل أدخل معه أمته ليعمهم الحكم و ربأ[4] بمنصبه المنيف و قدره الشريف

١٠ عن أن يكون لأحد عليه ما يسمى حجة بحق أو باطل فقال : ﴿ و حيث ما كنتم ﴾ أى أيتها الأمة من جميع جهات الكعبة فى جميع أقطار الأرض الدانية و القاصية . قال الحرالى : و ذكر فى أمته بالكون لا بالخروج إشعارا بتقاصر الأمة عن علو أحوال الأئمة و أن حال الأمة فى خلوتهم كحالهم[5] فى جلوتهم - انتهى . ﴿ فولوا وجوهكم ﴾ أى اجعلوها والية[6]

١٥ ﴿ شطره ﴾ للصلاة . قال الحرالى : و فيه إشعار يلحظ صحة صلواتكم[7] فرادى و فى بيوتكم[8] ، كما قال : إذا جئت فصل مع الناس و إن كنت

---

(١) فى الأصل : الاحرا - كذا ، و التصحيح من بقية الأصول (٢) فى م : فكذلك (٣) من م و مد و ظ ، و وقع فى الأصل : غير - كذا مصحفا .
(٤) هكذا فى الأصل و مد بمعنى إعلاء ، و فى ظ : ريأ ، و كتب فوقه : اعلانا ، و فى م : ربشا - كذا (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كحالهم .
(٦) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : واليه (٧) كذا فى الأصل ، و فى م و ظ و مد : صلواتهم (٨) كذا فى الأصل ، و فى م و ظ و مد : بيوتهم .

قد

قد صليت فى أهلك ؛ بخلافه هو صلى الله عليه و سلم فان صلاته لا تقع إلا جمعا من حيث أنه يصلى لهم و أنه إمام [١] [٢] لا تقع صلاته [٢] فذا - انتهى .

و لما كان ربما ظن أن الرجوع إلى القبلة الأولى يزيل الكلام بين سبحانه و تعالى أن الأمر بخلاف ذلك فقال : ﴿ لئلا يكون للناس ﴾ ٥ أى لأحد [٣] منهم ﴿ عليكم حجة ﴾ بأن يقولوا : النبى [٤] المبشر به يستقبل [٥] بيت إبراهيم عليه [٦] الصلاة و [٦] السلام ثم لا [٧] يتحول عنه و هذا لم يفعل ، [٨] أو يقولوا : ما جاء بشىء جديد و إنما هو تبع لنا فى قبلتنا [٨] .

و لما كانت الحجة كلاما ينشأ عن مقدمات يقينية [٩] مركبة تركيبا صحيحا وقع الاستثناء باعتبار تلبس المستثنى بجزء المعنى الذى نفى عن ١٠ المستثنى منه بدلالة التضمن فهو قريب من الاستخدام فقال : ﴿ الا الذين ﴾ أى الناس الذين ﴿ ظلموا منهم ﴾ فانهم لعنادهم [١٠] و لددهم لا يرجعون

(١) زيد فى م : و ان (٢-٢) فى م : صلاته لا تقع (٣) ليس فى م (٤) فى م و مد : الشى - كذا (٥) زيد فى م : به (٦ - ٦) ليس فى م (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لم (٨ - ٨) ليست فى ظ . و فى البحر المحيط ١ / ٤٤١ : و الناس قيل هو عموم فى اليهود و العرب و غيرهم ، و قيل اليهود و حجتهم قولهم : يخالفنا محمد فى قبلتنا و قد كان يتبعها ، أو لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه أنه حق إلا برأيه و يزعم أنه أمر به ، أو ما درى و أصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ؛ و قيل مشركو العرب و حجتهم قولهم : قد رجع محمد إلى قبلتنا و سيرجع إلى ديننا حين صار يستقبل القبلة (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يقينه - كذا (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بعنادهم .

إلى الحق الذى يعرفونه بل يكون لهم عليكم مجرد كلام هو مادة الحجة لا حجة بما دل عليه وصفهم بالظلم الذى هو وضع الشىء فى غير محله كما هو شأن كل ماش[١] فى مأخذ الاشتقاق الذى هو الظلام، و يكون الاستثناء [٢]على هذا[٢] منقطعا[٣] بمعنى[٤]: لئلا يحتج أحد عليكم ٥ لكن الذين ظلموا يقولون أو[٥] يظهرون فجورا[٦] و لددا فى ذلك كلاما يسمونه حجة، و لعل السر فى تصويره على تقدير الانقطاع[٧] بصورة الاستثناء الحث على الثبات على أمر الله [٨]سبحانه و تعالى[٨] و الإعراض عمن خالفه نظرا إلى ما تأصل من إبطاله و استحضارا لما ظهر من فاسد أحواله و إن أبدى من الشبه ما يخفى أمره و يصعب على بعض ١٤٠/ ١٠ / المحقين[٩] حله حتى يظن حجة؛ و يجوز أن يراد بالحجة أعم من القطعى و الظنى فيكون الاستثناء متصلا، قال السفاقسى[١٠]: و مثار[١١] الخلاف هل الحجة الدليل الصحيح و الاستثناء منقطع أو الاحتجاج و الخصومة فهو متصل - انتهى[١٢]. و وصفها بالاستعلاء عليهم لما يحصل بها من

(١) من م و ظ، و فى الأصل: ماس - كذا (٢-٢) ليس فى م و مد (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: مطلقا (٤) ليس فى م و مد (٥) فى ظ: و (٦) فى م و مد: فجورا (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الانقطار - كذا. (٨-٨) ليست فى م و ظ (٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: المخفين - كذا. (١٠) فى م: السفاقشى (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مثال (١٢) و فى البحر المحيط ١/٤٤١: و نقل السجاوندى عن أبى بكر ابن مجاهد أنه قرأ «الى الذين» جعلها حرف جر و تأولها بمعنى مع، و أما على قراءة الجمهور فالاستثناء متصل - قاله ابن عباس و غيره و اختاره الطبرى و بدأ به ابن عطية و لم يذكر =

الأذى بدلالتها على العداوة و الشقاق لا بتغييرها فى وجه شيء من الأدلة ، ١ و " الذين ظلموا " إن أريد بهم اليهود فهم يقولون : ما رجع إلى الكعبة إلا ٢ محبة لبلده ، و لو كان فى قبلتنا على أمر من الله سبحانه ٣ ما تحول عنه ، و إن كان المشركين فهم يقولون : قد استقبل بلدكم و مسجدكم فيوشك أن يدين دينكم . و لما نفى ٤ عن أهل هذه القبلة ٥ بالثبات عليها كل سبيل تسبب عنه قوله : ﴿ فلا تخشوهم ﴾ أى فى هذا الأمر و لا غيره ، فانى أرد عنكم كيدهم و أوهن أمرهم ٥ . و لما تبين أحكام فعله و مضى ما يريد من ربطه و حله حثهم على لزوم هذه القبلة محذرا من مخالفته فى شيء من الأشياء فقال : ﴿ و اخشونى ٦ ﴾ ثم عطف على علة ٧ الاستقبال قوله : ﴿ و لاتم ﴾ أى بهذا الدين المفيد لعز الدارين ١٠

= الزمخشرى غيره و ذلك أنه متى أمكن الاستثناء المتصل إمكانا حسنا كان أولى من غيره . و فى المد من البحر ١ / ٤٤١ : و قرئ « الا » حرف استفتاح و « الذين ظلموا » مبتدأ خبره « فلا تخشوهم » .

(١) العبارة من هنا إلى « ان يدين دينكم » ليست فى ظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل : الى (٣) ليس فى م (٤) فى م : لقى - كذا (٥) قال المهائمى ١ / ٦٤ : ﴿ فلا تخشوهم ﴾ أن يقولوا : خالفتم قبلة إبراهيم ، لأن هذا القول منهم يخالف ما تواتر من قبلة إبراهيم . و قال أبو حيان الأندلسى ١ / ٤٤٢ : هذا فيه تحقير لشأنهم و أمر باطراحهم و مراعاة لأمره تعالى ..... و نهى عن خشيتهم فيما يزخرفونه من الكلام الباطل فانهم لا يقدرون على نفع و ضر و أمر بخشيته فى ترك ما أمرهم به من التوجه إلى المسجد الحرام (٦) فى الأصول : و اخشون . (٧) فى م : الجملة .

و نعيمها الذى من [1]جملته هذا[1] الاستقبال ﴿ نعمتى عليكم ﴾ بالتمكين من الحجج و غيره من أمور الدين حين[2] أنزل عليكم آية " اليوم اكملت لكم دينكم[3] " كما أتممتها على إبراهيم خليلى صاحب هذا البيت الذى وجهتكم إليه . قال الحرالى : و فى طيه بشرى بفتح مكة و استيلائه على جزيرة العرب كلها و تمكنه بذلك من سائر أهل الأرض لاستغراق الإسلام لكافة العرب الذين[4] فتح الله بهم له[5] مشارق الأرض و مغاربها التى انتهى إليها ملك أمته - انتهى . ﴿ و لعلكم تهتدون ﴾ أى و لتكونوا على رجاء عند أنفسكم و من يراكم ممن لا يعلم العواقب من أن تهتدوا[6] إلى الثبات[7] على هذه القبلة و غيرها من أمر هذا الدين بسبب خشيتى فانها جالبة لكل خير و دافعة لكل ضير . قال الحرالى : و فى كلمة « لعل »[8] على ما تقدم إيهام يشعر[9] بتصنيفهم صنفين : مهتد للثبات على السنة ، و متغير فيه بوجه من وجوه البدعة ، لما ذكر من أن ما هو للخلق تردد فهو من الحق تقسيم و إبهام فى تعيين ذلك التقسيم و التصنيف ، ففيه إعلام لقوم بالاهتداء الدائم بما تفهمه صيغة الدوام و إشعار بانقطاع

(١-١) من م وظ و مد ، و فى الأصل : جملة هذه (٢) فى م : حتى (٣) سورة ٥ آية ٣ (٤) فى ظ : الذى (٥) ليس فى ظ (٦) فى ظ و مد : يهتدوا (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الكتاب (٨) قال أبو حيان الأندلسى ١ / ٦٤ : و المعنى لتكونوا على رجاء إدامة هدايتى إياكم على استقبال الكعبة أو لكى تهتدوا إلى قبلة أبيكم إبراهيم ، و الظاهر رجاء الهداية مطلقا . و قال المهائمى : تهتدون للصراط المستقيم بالتوجه إليها لاستلزامه التوجه إلى الباطن فتهتدون بهذه القبلة هداية كاملة .

قوم عن ذلك التمادى بما يفهمه ما هو للخلق بموضع الترجى ، و فى طيه[1] إشعار باستبدادهم بالأمر بعد وفاة النبى صلى الله عليه و سلم و انقسامهم فيه بين ثابت عليه دائم الاهتداء فيه و متغير عنه كما ظهر فيما كان من ثبات من ثبت بعده و ردة من ارتد - انتهى ﴿ كما ﴾ أى وجهناكم إلى الكعبة لهذه العلل[2] ﴿ ارسلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ فيكم ﴾ لأجل ٥ ذلك بعينه و لئلا تقولوا[3] ما كانوا يقولون من أنكم لا حرمة لكم لإشراككم و لا إثم على من آذاكم [4]فيتم[5] عليكم النعمة بارسال من يستنقذكم[6] اتباعه من الجهل و الذل فى الدنيا و من العذاب فى الأخرى ﴿ رسولا ﴾ متصفا بأنه ﴿ منكم ﴾ تعرفون من صفته[7] العلية[8] و همه الشم الحاملة على اتباعه و التيمن برأيه ما لا يعرفه غيركم[9] ﴿ يتلوا عليكم ١٠

(١) فى م : طيهم (٢) زيد فى م و ظ و مد : كما (٣) فى ظ و م و مد : يقولوا .
(٤) العبارة من هنا إلى « فى الأخرى » ليست فى ظ (٥) فى م و مد : فتم (٦) من م و مد ، و فى الأصل : يستقذكم - كذا (٧) فى م و مد و ظ : صفاته (٨) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : العلى (٩) فى البحر المحيط ١/٤٤٥ : فبهذا يظهر تعلق ﴿ كما ﴾ بما قبلها و يكون فى ذلك تشبيه إتمام هذه النعمة الحادثة من الهداية لاستقبال قبلة الصلاة التى هى عمود الإسلام و أفضل الأعمال و أدل الدلائل على الاستمساك بشريعة الإسلام باتمام النعمة السابقة بارسال الرسول المتصف بكونه منهم إلى سائر الأوصاف التى وصفه تعالى بها و جعل ذلك إتماما للنعمة فى الحالين لأن استقبال الكعبة ثانيا أمر لا يزاد عليه شىء بنسخه فهى آخر القبلات المتوجه إليها فى الصلاة كما أن إرسال محمد صلى الله عليه و سلم هو آخر إرسالات الأنبياء عليهم الصلاة و السلام إذ لا نبى بعده و هو خاتم النبيين ، فشبه إتمام =

آيتنا ﴾ الحافظة[1] لمن رعاها حق رعايتها على الصراط المستقيم عوضا من تناشدكم الأشعار . قال الحرالى : و فيه أخذهم بما هو فى طباعهم من إيثار أمر السمع على أمر العين الذي عليه جبلت العرب ، لأنها أمة تؤثر مسموع المدح و الثناء من الخلق على ما تناله من الراحة فتجهد[2] فى طلب الثناء من الخلق ما لم تجهد أمة غيرها ، فكيف بها إذا كان ما دعيت إليه ثناء الحق عليها و تخليد ذلك لها فى كلام[3] هو كلام ربها ، فتنال بذلك ما هو فوق[4] مقصودها مما جبلت عليه من إيثار السماع على العين بخلاف ما عليه سائر الأمم ؛ ثم قال : و فيه إغناء العرب عن إعمال أفكارها فى تكسب العلم و الحكمة لتستخرج منه أحكاما ، فكان[5] فى تلاوة الآيات عليهم إغناؤهم عن الاستدلال بالدلائل و أخذ[6] الأمور بالشواهد و تولى الله و رسوله تعليمهم[7] ليكون شرف المتعلم[8] بحسب علاء من علمه ، ففضل علماء[9] العرب على سائر العلماء كفضل النبي صلى الله عليه و سلم / على معلمهم ممن سواه صلى الله عليه و سلم . انتهى[10] . /١٤١

= تلك النعمة التى هى كمال نعمة استقبال القبل بهذا الإتمام الذى هو كمال إرسال الرسل ، و فى إتمام هاتين النعمتين عز للعرب و شرف و استمالة لقلوبهم إذ كان الرسول منهم و القبلة التى يستقبلونها فى الصلاة بينهم الذى يحجونه قديما و حديثا و يعظمونه .

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الحافظ (٢) فى ظ : فتجتهد (٣) زيد فى م : من (٤) فى م : فرق (٥) فى ظ : و كان (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : واحد (٧) فى الأصل : تقليمهم ، و التصحيح من بقية الأصول (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : التعلم (٩) فى م : علم (١٠) قال أبو حيان الأندلسى : =

و لما كان السياق لفعل من الأفعال و هو التوجه[1] إلى البيت للصلاة و كانت الصلاة أعظم مطهر للقلوب من أوضار[2] الأدناس قدم قوله: ﴿ و يزكيكم ﴾ أى يطهركم فى أقوالكم و أفعالكم و ينميكم[3] بانعاش[4] قلوبكم لتشرف[5] بالمعانى الصالحة و الأخلاق الطاهرة الموجبة للفوز الدائم و النجاة عما[6] دنس اليهود و أوجب لهم الضلال من مرض القلب بانكار النسخ و كتم الحق و إفشاء الباطل المثمر مع الضلال للاضلال . قال الحرالى: أنبأهم بأن هذا التنزيل لأنفسهم بمنزلة الغذاء للأبدان ، فكما تتنامى أجسادهم بماء المزن و ما منه فكذلك تتنامى أنفسهم بأحكام الكتاب و تلاوة الآيات ، و ذلك زكاؤها و نماؤها ، لتتأكد فيه رغبتهم ، لأن للمغتذى[7]

= ﴿ رسولا منكم ﴾ فيه اعتناء بالعرب إذ كان الإرسال فيهم و الرسول منهم و إن كانت رسالته عامة و كذلك جاء « هو الذى بعث فى الاميين » و يشعر هذا الامتنان بأنه لم يسبق أن يرسل و لا يبعث فى العرب رسول غير نبينا محمد صلى الله عليه و سلم و لذلك أفرده فقال « رسولا منهم » و وصفه بأوصاف كلها معجز لهم و هى كونه منهم و تاليا عليهم آيات الله و مزكيا لهم و معلما لهم الكتاب و الحكمة و ما لم يكونوا يعلمون ، و قدم كونه منهم أى يعرفونه شخصا و نسبا و مولدا و منشأ ، لأن معرفة ذات الشخص متقدمة على معرفة ما يصدر من أفعاله.

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : التوجيه (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اوصار ـ كذا (٣) من م و مد ، و فى ظ : يمميكم ، و فى الأصل : يمنكم ـ كذا (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بانفاس ـ كذا بالسين المهملة . (٥) فى م و مد : لتشرق (٦) فى م و ظ و مد : مما (٧) من م و مد ، و فى ظ : المغتذى ، و فى الأصل : للقتدى .

رغبة فى الغذاء إذا تحققه ، فمن علم أن التزام الأحكام غذاء لنفسه حرص عليها ؛ و متى نمت[١] النفس و زكت قويت على ما شأنها أن تناله قواها ، كما أن البدن إذا قوى بالغذاء تمكن مما شأنه عمله[٢] - انتهى . ﴿ و يعلمكم الكتب ﴾ المقيم للدين[٣] و الدنيا . [٤] قال الحرالى[٤] : أى الفقه[٥] فيه ﴿ و الحكمة ﴾[٦] دقائق الإشارات الشافية لأمراض القلوب المانعة من اتباع الهوى . قال الحرالى : فخص تعليم الحكمة من عموم تعليم الكتاب ، لأن التوسل بالأحكام جهد[٧] عمل و التوسل بعلم الحكمة يسر[٨] منال عقل ، لأن الحكمة منال الأمر الذى فيه [عسر بسبب فيه - [٩]] يسر فينال الحكيم بحكمته لاطلاعه على إفضاء مجعول الأسباب بعضها لبعض مما بين أسباب عاجل[١٠] الدنيا و مسببات آجل الآخرة ما لا يصل[١١] إليه جهد العامل الكادح و فى تكملة الكتاب و الحكمة بكلمة[١٢] «ال[١٣]» إنهاء إلى الغاية الجامعة لكل كتاب و حكمة بما يعلمه الأولون[١٤] و الآخرون[١٥] . ثم قال :

(١) و فى ظ : تمت (٢) فى ظ : منه (٣) فى مد : الدين (٤-٤) ليس فى ظ (٥) من ظ و مد ، و فى م : التفقه . و فى الأصل : العفة (٦) زيد فى م و ظ و مد : اى . (٧) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : جهة (٨) فى الأصل فقط : ليسر (٩) زيدت من م و ظ و مد (١٠) فى م : جاعل (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا تصل (١٢) من م و مد ، و فى ظ : تكلمة ، و فى الأصل : تكلمه - كذا . (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : إلى (١٤) فى ظ : الأول (١٥) قال أبو حيان الأندلسى (١/٤٤٥) : و أتى بهذه الصفات فعلا مضارعا ليدل بذلك على التجدد ، لأن التلاوة و التزكية و التعليم تتجدد دائما ، و أما الصفة الأولى و هى كونه منهم فليست بمتجددة بل هو وصف ثابت له ﴿ و يعلمكم الكتب و الحكمة ﴾ =

و بذلك كان صلى الله عليه و سلم يتكلم فى علوم الأولين بكلمات يعجز عنها إدراك الخلق نحو قوله صلى الله عليه و سلم : « استاكوا بكل عود ما خلا الآس و الرمان فانهما يهيجان[1] عرق[2] الجذام » لأن الخلق لا يستطيعون حصر كليات المحسوسات ، غايـــة إدراكهم حصر كليات المعقولات ، و من استجلى أحواله صلى الله عليه و سلم علم اطلاع حسه على إحاطة المحسوسات و إحاطة حكمها و ألسنتها[3] ناطقها و أعجمها حيها و جمادها جمعا[4] ، لما فى العادة حكمة و لما فى خرق العادة آية[5] ؛ ثم قال : فعلى قدر ما وهب الله [6]سبحانه و تعالى[6] العبد من العقل يعلمه من الكتاب و الحكمة ، يؤثر عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكلم أبا بكر رضى الله تعالى عنه فكأنما[7] يتكلمان بلسان أعجمى[8] [9]لا أفهم مما يقولان[9] شيئا ، و لما كان انتهاء ما فى الكتاب عند هذه الغاية أنبأ تعالى أن رسوله صلى الله عليه و سلم

= و هو ذكر عام بعد خاص لأنهم لم يكونوا يعلمون الكتاب و لا الحكمة ، و فسر بعضهم ذلك بأن الذى لم يكونوا يعلمون قصص من سلف و قصص ما يأتى من الغيوب .

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يهيجيان - كذا (٢) و فى م : اعرق (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : انستها (٤) فى ظ : جميعا (٥) كذا فى الأصل ، و فى م : اتيه ، و فى مد : ايته ، و فى ظ : آيته (٦ - ٦) ليس فى م و مد (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فانما (٨) فى م و مد و ظ : اعجم (٩ - ٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كانهم مما يقولون .

يعلمهم ما لم يكن فى كتابهم مثال[1] عليه . [2] ففيه إشعار بفتح و تجديد فطرة[3]، يترقون لها[4] إلى ما لم يكن فى كتابهم[5] عليه - انتهى . و ذلك لأن استعمال الحكمة موجب للترقى فقال تعالى : ﴿ و يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ﴾ أى من الاستنباط من الكتاب من المعارف[6] بما يدريكم به من الأقوال و الأفعال و يسلككم فيه من طرق[7] الخير الكاشفة لظلام الظلم الجالية لمرأى الأفكار المنورة لبصائر الاعتبار .

و لما كان من المعلوم أن هذا الخير الذى لا يفتر عنه ذو بصيرة و لا يقصر[8] دونه من له أدنى همة إنما كان بذكر[9] الله سبحانه و تعالى للعرب تفضلا منه عليهم بعد طول الشقا و تمادى الجهل و الجهد[10] و العناء رغّبهم[10] فيما يديم ذلك مسببا له عما تقدم فقال : ﴿ فاذكرونى ﴾ أى لأجل إنعامى عليكم بهذا و بغيره ﴿ اذكركم ﴾ فأفتح لكم من المعارف و أدفع عنكم من المخاوف ما لا يدخل تحت حد[11] ﴿ و اشكروا لى ﴾ وحدى من غير شريك [تشركون معى أزدكم ، و أكد

(١) و فى ظ : مثال (٢) العبارة من هنا إلى «كتابهم عليه» ليست فى ظ (٣) من مد ، و فى الأصل و م : قطرة (٤) فى م و مد : بها (٥) فى م و مد : كيانهم - كذا . (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : العارف (٧) فى م : تطرق (٨) فى م : يقتصر (٩) من مد و م و ظ ، و فى الأصل : يذكر (١٠ - ١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : و العبار عنهم (١١) فى البحر المحيط ١ / ٧٥٠ : و قال القشيرى : ﴿ فاذكرونى اذكركم ﴾ الذكر استغراق الذاكر فى شهود المذكور ثم استهلاكه فى وجود المذكور حتى لا يبقى منه إلا أثر يذكر فيقال : قد كان فلان ، قال تعالى : "انهم كانوا قبل ذلك محسنين" و إنما الدنيا حديث حسن فكن حديثا حسنا لمن وعى .

هذه الإشارة بقوله - [1] ﴿ و لا تكفرون ﴾ أى أسلبكم[2]. قال الحرالى: و لما كان للعرب ولع بالذكر لآبائهم و [3]لوقائعهم و لأيامهم[3] جعل سبحانه و تعالى ذكره لهم عوض ما كانوا يذكرون، كما جعل كتابه عوضا من أشعارهم و هز عزائمهم لذلك بما يسرهم به من ذكره لهم - انتهى. ٥

و لما ختم الآيات[4] الآمرة باستقبال البيت فى الصلاة بالأمر بالشكر و مجانبة الكفر و كان ذلك رأس العبادة و فاعله / شديد الافتقار إلى المعونة التفت إلى قوله تعالى فى أم الكتاب: "اياك نعبد و اياك نستعين" فأمرهم بما تضمن ذلك من الصبر و الصلاة "ان الصلوٰة تنهى عن الفحشاء و المنكر[5]" عالما بأنهم سيمتثلون حيث عصى[6] بنو إسرائيل حين أمرهم ١٠ بمثل ذلك فى أول قصصهم بقوله: "و اقيموا الصلوٰة و اٰتوا الزكوٰة و اركعوا مع الرٰكعين - إلى أن قال: و[7] استعينوا بالصبر و الصلوٰة و انها لكبيرة الا على الخٰشعين[8]" فكان فى ذلك إشارة إلى أنهم [هم -[9]] الخاشعون و[7] حسن موقع هذه الآية كونها بعد أذى أهل الكتاب بنسبتهم لهم إلى بطلان الدين بتغيير الأحكام و نحو ذلك من ١٥

/ ١٤٢

(١) زيدت من م و مد و ظ، غير أن فى ظ: يشركون - مكان: تشركون.
(٢) من م و ظ، و فى الأصل: اسليكم. و فى البحر المحيط: وقيل: معنى الشكر هنا الاعتراف بحق المنعم و الثناء عليه، و لذلك قابله ﴿ولا تكفرون﴾ (٣-٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: اوفا معهم و لابايهم (٤) فى ظ: للآيات.
(٥) سورة ٢٩ آية ٤٥ (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يمضى (٧) ليس فى ظ (٨) سورة ٢ آية ٤٣-٤٥ (٩) زيد من مد و ظ.

[مُرّ-[1]] الكلام كما فى الآية الأخرى "و لتسمعن من الذين اوتوا الكتب من قبلكم و من الذين اشركوا اذى كثيرا و ان تصبروا و تتقوا فان ذلك من عزم الامور[2]" و كونها عقب الأمر بالذكر و الشكر إيماء إلى أن ملاك[3] كل منهما الصبر و الصلاة فكأنه قيل: لا تلتفتوا إلى طعن الطاعنين فى أمر[4] القبلة فيشغلكم ذلك عن ذكرى و شكرى بل اصبروا و صلوا إلىّ متوجهين إلى القبلة التى أمرتكم بها عالمين أن الصبر و الصلاة نعم العون على كل ما ينوب من دين و دنيا؛ و أرشق من هذا أن يقال: و لما علم من[5] هذه الآيات إعضال ما بينهم و بين السفهاء و أمرهم بالدواء المنجح[6] من الإعراض عنهم و الإقبال على[7] ذكره و شكره اتبع ذلك للاشارة[8] إلى أن الأمر يصل [إلى-[9]] أشد مما توهموه فقال: ﴿ يا ايها الذين امنوا ﴾[10] مخاطبا لهم على وجه

(١) زيد من ظ و مد (٢) سورة ٣ آية ١٨٦ (٣) وقع فى م: هلاك - كذا مصحفا (٤) وقع فى الأصل: امن، و التصحيح من م ومد و ظ (٥) فى م: فى. (٦) من مد و ظ، و فى الأصل: المنحج، و فى م: المنجى (٧) زيد فى الأصل «ما» و لم تكن الزيادة فى م وظ و مد فحذفناها (٨) فى مد: الاشارة (٩) زيد من م و مد و ظ (١٠) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١ / ٤٤٨: و مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة لأنهم سمعوا من طعن الكفار على التوجه إلى الكعبة و الصلاة إليها أذى كثيرا فأمروا عند ذلك بالاستعانة بالصبر و الصلاة، و قد قيد بعضهم الصبر هنا بأنه الصبر على أذى الكفار بالطعن على التحول و الصلاة إلى الكعبة .... و روى عن على كرم الله وجهه أنه قال: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد و لا خير فى جسد لا رأس له.

يشمل

يشمل الكامل صلى الله عليه و سلم و لعله صرف الخطاب عنه لما فى السياق مما يحمى عنه صلى الله عليه و سلم مقامه العالى ﴿ استعينوا بالصبر ﴾ أى على ما تلقون منهم و على الإقبال إلىّ[1] لأكفيكم كل مهم[2] ﴿ و الصلوٰة ﴾ فانها أكبر معين لأنها أجمع العبادات ، فمن أقبل بها على مولاه حاطه و كفاه لإعراضه عن كل ما سواه ، لأن ذلك شأن كل كبير[3] فيمن أقبل بكليته عليه .

و لما كانت الصلاة لا تقوم إلا بالصبر اقتصر على التعليل به فقال: ﴿ ان الله ﴾ [4] أى الذى له الكمال كله[4] ﴿ مع الصٰبرين ﴾ [5] أى و معلوم أن من كان الله سبحانه و تعالى معه فاز . قال الحرالى : و أيسر الصبر صبر النفس عن كسلها بأخذها بالنشاط فيما كلفت[6] به و "لا يكلف الله نفسا الا ما اٰتىٰها[7]" و "لا يكلف الله نفسا الا وسعها[8]" فمتى يسر الله سبحانه و تعالى عليها[9] [10] الجد و العزيمة[10] جعل لها فيما كانت تصبر عليه فى الابتداء الاستحلاء فيه و خفت عنها وظيفة الصبر ، و متى لم تصبر عن كسلها و على جدها تدنست فنالها عقوبات يكون الصبر عليها أشد

(١) فى م و ظ و مد: علىّ (٢) هكذا فى الأصل و مد ، و فى م و ظ : منهم .
(٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : كبيرة (٤-٤) ليست فى ظ (٥) و فى البحر المحيط : و لما كانت الصلاة ناشئة عن الصبر و صار الصبر أصلا لجميع التكاليف الشاقة قال ﴿ ان الله مع الصٰبرين ﴾ فاندرج المصلون تحت الصابرين اندراج الفرع تحت الأصل (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بلغت (٧) سورة ٦٥ آية ٧ (٨) سورة ٢ آية ٢٨٦ (٩) من مد و ظ ، و فى الأصل : عليه .
(١٠ - ١٠) فى الأصل : الجد و العزيمة .

من الصبر الأول ، كما أن [من -[1]] صبر عن حلو الطعام لم يحتج أن يصبر على مر الدواء ، فان تحملت الصبر على عقوبات ضياع الصبر الأول تداركها نجاة من اشتداد العقوبة عليها ، و إن لم تتصبر على تلك العقوبات وقعت فى مهالك شدائد العذاب فقيل لأهلها "فاصبروا او لا تصبروا سواء عليكم[2]" ؛ ثم قال : فبداية الدين صبر و خاتمته يسر ، فان من كان الله سبحانه و تعالى معه رفع عنه مرارة الصبر بوضع حلاوة الصحبة[3] التى تشعر بها كلمة[4] [مع -[5]] - انتهى .

و لما أشار لهم إلى ما يستقبلونه من حال الطاعنين فى دينهم و رقاهم فى ذلك درجة [بعد درجة -[5]] اتبعه ما دل[6] على أن الأمر يصل إلى القتل و ما داناه[7] ليأخذوا لذلك أهبته و يعتدوا له عدته .

و قال الحرالى : و لما كان الصبر لله إنما هو[8] حمل النفس على ما تعهد[9] فيه كرهها أنبأهم الحق تعالى أن الصبر له ليس على المعهود و أنه يوجد فيه عند تجشمه حلاوة لذة الحياة و إن كان[8] ذلك مما لا يناله شعور الذين آمنوا لخفائه عن[10] إدراك المعقول فأنبأهم بما يحملهم على تجشم الصبر فى الجهاد فى سبيل الله فقال : ﴿ و لا تقولوا ﴾[11] عطفا

(١) زيد من م و مد و ظ (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عليهم ؛ و وقع فى الأصول كلها : اصبروا - مكان : فاصبروا - راجع سورة ٥٢ آية ١٦ (٣) فى م فقط : الصحة (٤) وقع فى الأصل : كله - مصحفا (٥) زيد من م و مد و ظ . (٦) فى م : يدل (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ادناه (٨) ليس فى ظ . (٩) فى مد : يعهد (١٠) فى ظ : من (١١) قيل سبب نزول هذه الآية أنه قيل لمن قتل فى سبيل الله : مات فلان و ذهب عنه نعيم الدنيا و لذتها ، فأنزلت ، نهوا =

على متجاوز أمور تقتضيها بركة الجهاد - انتهى . أى و جاهدوهم لتقتلوهم و يقتلوكم و تسلبوهم و يسلبوكم و لا تقولوا ؛ أو يقال: و لما كان الصبر واقعا على أمور أشقها الجهاد ثم الحج ثم الصوم و كان[1] بعض الصحابة رضى الله تعالى عنهم قد سألوا عمن مات منهم على قبلة بيت المقدس فبين لهم ما صاروا إليه بقوله تعالى: "و ما كان الله / ليضيع ايمانكم" تلو[2] آية ٥ / ١٤٣ الصبر بتبيين حال الشهداء المقتولين فى الجهاد من المؤمنين دفعا[3] لظن أنهم أموات و التفاتا إلى ما أشار به إلى صيرورة الأمر[4] إلى الحرب حيث عاب المانعين للمسجد و أخبر بأنه سيحصل لهم خزى فى الدنيا بالقتل و الأسر و عذاب عظيم فى الآخرة بالنار و السخط و إيماء إلى أنه سيأذن لهم فى مقارعة من أمرهم بالصبر على أذاهم[5] من أهل الكتاب ١٠ حتى يمحقهم السيف و يسكنهم[6] الذل و الخوف[7]، فالمعنى: اصبروا على كل ما يقوله أهل الكتاب و غيرهم فى أمر[8] القبلة و غيره و على كل ما يغير به الشيطان فى وجه الإيمان و صلوا إلى البيت الذى وجهتكم إليه و جاهدوا كل من خالفكم حتى يكون الدين لله صابرين على كل ما ينوب فى ذلك من القتل و النهب و غيره و لا تقولوا إذا قاتلتم الكفار ١٥

= عن قولهم عن الشهداء: أموات ، و أخبر تعالى أنهم أحياء .

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: قال (٢) فى م و مد و ظ: تلى ، و لا يتضح فى الأصل (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: رضا (٤) من م و مد ، و فى الأصل: الامو ، و فى ظ: للامر (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: اذانهم . (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: يسلتهم (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: الخرف (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل: اهل .

المناصبين [لكم -[1]] من العرب و غيرهم [2] من أهل الكتاب و غيرهم[2] ﴿ لمن يقتل ﴾ منكم ﴿ فى سبيل الله ﴾ [3] أى الذى له جميع صفات الكمال[3] بأن يقاتلوا[4] لتكون كلمة الله هى العليا لا لشىء غير ذلك من دنيا أو عصبية ، فانا سنكتب عليكم الجهاد و نستشهد منكم شهداء : إنهم ٥ ﴿ أموات ﴾ بل قولوا : إنهم شهداء ، فانهم ليسوا بأموات ﴿ بل ﴾ هم ﴿ أحياء ﴾ و سيأتى فى آل عمران أن ذلك معنى الشهيد . قال الحرالى : فكأنه تعالى ينفى عن المجاهد مثال المكروه[5] من كل وجه حتى فى أن يقال عنه إنه ميت ، فحماه من القول الذى هو عندهم من أشد غرض أنفسهم لاعتلاق أنفسهم بجميل الذكر[6] ، ثم قال و أبهم أمرهم فى هذه السورة و نفى عنهم ١٠ القول ، لأن هذه سورة الكتاب المدعو به الخلق و صرح بتفضيله[7] فى آل عمران لأنها سورة قيام الله الذى به تجلى الحق فأظهر غيب أمره فى سورة إظهار أمره و أخفاه فى سورة ظاهر[8] دعوتهم - انتهى .

و لما كان الحس قاصرا عما أخبر به سبحانه و تعالى قال منبها على ذلك ﴿ و لكن لا تشعرون[9] ٥ ﴾ أنهم أحياء كما ترون النيام هموداً

(١) زيد من م و مد (٢-٢) ليست فى م (٣-٣) ليست فى ظ (٤) فى ظ : تقاتلوا .
(٥) زيد فى م : و (٦) و فى البحر المحيط ١ / ٤٤٨ : و أكثر أهل العلم على أنهم أحياء فى الوقت ، و معنى هذه الحياة بقاء أرواحهم دون أجسادهم إذ أجسادهم نشاهد فسادها و فناءها ، و استدلوا على بقاء الأرواح بعذاب القبر و بقوله : ﴿ و لكن لا تشعرون ﴾ معناه لا تشعرون بكيفية حياتهم (٧) فى م و ظ : بتفصيله (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ظاهره (٩) فى ظ : لا يشعرون .

لا يتحركون و لا شعور لكم بمن فيهم ينظر[1] أحلاما من[2] غيره، فلا فخر أعظم من ذلك فى الدنيا و لا عيش أرغد منه فى الآخرة[3]، و أما المقتول من أعدائكم فليس له فى الدنيا إلا الخزى و الفضيحة بالقهر و الذل و الهوان و العذاب الذى لا آخر له فى الآخرة . قال الحرالى : قال ذلك نفيا بكلمة لا و مثال الدوام ففيه إعلام بأن الذين آمنوا ليس فى رتبتهم ٥ الشعور به أصلا إلا أن يرقيهم الله [4]بنماء سن[4] القلوب و صفاء الأنفس إلى ما فوق ذلك من سن المؤمنين إلى سن المحسنين الذين يشهدون من الغيب ما لا يشهده من فى رتبة الذين آمنوا - انتهى . و فى هذا إشارة إلى أن كون الله معهم لا يمنع أن يستشهد منهم شهداء، بل ذلك من ثمرات كون الله معهم حيث يظفر من استشهد منهم بسعادة الأخرى و من بقى ١٠ بسعادة الدارين؛ و تلخيص ذلك أن يقال إنه[5] لما كان حاصل ما تقدم

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يقطر (٢) من مد و م و ظ ، و فى الأصل : ممن (٣) قال أبو حيان الأندلسى : و قد ذهب بعض الناس إلى أن الشهيد حى الجسد و الروح و لا يقدح فى ذلك عدم الشعور به من الحى غيره فنحن نراهم على صفة الأموات وهم أحياء كما قال تعالى " و ترى الجبال تحسبها جامدة و هى تمر مر السحاب " و كما ترى النائم على هيئة و هو يرى فى منامه ما ينعم به أو يتألم به . و نقل السهيلى فى كتاب دلائل النبوة من تأليفه حكاية عن بعض الصحابة أنه حفر فى مكان فانفتحت طاقة فاذا شخص جالس على سرير و بين يديه مصحف يقرأ فيه و أمامه روضة خضراء و ذلك بأحد ، و علم أنه من الشهداء لأنه رأى فى صفحة وجهه جرحا (٤ - ٤) من م و بمد و ظ ، و فى الأصل : بتماس - كذا (٥) ليس فى م .

فى هذه السورة أن أهل الأرض كلهم قريبهم و بعيدهم [١]وثنيهم و كتابيهم[١] مطبقون على عداوة أهل هذا الدين و كان كثيرا ما يأمرهم بالصبر على أذاهم اشتد تشوّف[٢] النفوس إلى أنه هل بعد هذا الكف من فعل، فأشار إلى أنه سيأمر[٣] بعد الصبر على أذى اللسان بالصبر على جلاد السيف و السنان أمرًا عاما فقال عاطفا[٤] هذا النهى على الأمر بالصبر، أى اصبروا [الآن على هذا الأذى ثم اصبروا -[٥]] إذا أمرتكم بالجهاد على وقع السيوف و اقتحام الحتوف و فقد من يقتل منكم[٦] و لا تصفوهم بالموت، و لعله فاجاءهم[٧] بما تضمنته هذه الآية توطينا لهم على القتل فى سبيله و كان استشرافهم إلى الحرب قد كثر و بشرهم[٨] بأن القتيل فيه حى[٩] و إن رئى ميتا تسلية لهم عن هذا الحادث العظيم و الخطب[١٠] الجسيم[١١].

و لما كان من شأن الطين الذى منه البشر و ما تولد منه أنه لا يخلص عن الشوائب إلا بعد معاناة شديدة، ألا ترى أن الذهب أصفاه و هو لا يخلو عن الغش و لا يعرى عما خالطه من الدنس إلا بالامتحان بشديد

(١-١) من م و مد و ظ، و وقع فى الأصل: و تنبههم وكسابهم - كذا مصحفا (٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: تشوق (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: ساير - كذا (٤) زيد فى م و ظ: على (٥) زيد من م و ظ (٦) فى م: منهم (٧) فى م: فاجابهم (٨) من م و ظ و مد، و فى الأصل: يسرهم. (٩) ليس فى م (١٠) من ظ، و فى الأصل: الحطب، و فى م و مد: خطب. (١١) و فى هذه الآية تسلية لأقرباء الشهداء و إخوانهم من المؤمنين بذكر أنهم أحياء فهم مغبوطون لا محزون عليهم - البحر المحيط ١/٤٤٩.

النيران ! قال تعالى معلما لهم بالتربية بما تحصل به التصفية بما تؤدى[1] إليه مناصبة الكفار و مقارعة / أهل دار البوار : ﴿ و لنبلونكم ﴾ عطفا ١٤٤/
على ما أرشد إليه التقدير من نحو قوله : فلنأمرنكم بمقارعة كل[2] من أمرناكم[3] من قبل بمجاملته[3] و لنبتلين عليكم أهل الأرض و لنبلونكم
[4] أى يصيبكم[5] بأشياء[6] إصابة تشبه[7] فعل المختبر لأحوالكم ليظهر الصابر ٥
من الجزع[8] . قال الحرالى[9] : فالصبر الأول أى فى " ان الله مع الصٰبرين " عن الكسل و على العمل ، و الصبر الثانى أى فى " و بشر الصٰبرين " على مصائب الدنيا ، فلذلك انتظم بهذه الآيات آية " و لنبلونكم " عطفا و تجاوزا لأمور يؤخذ بها من [10] لم يجاهد[10] فى سبيل الله ضعفا عن صبر النفس عن كره القتال " يٰايها الذين اٰمنوا كتب عليكم القتال و هو ١٠
كره لكم[11] " فمن لم يحمل الصبر الأول على الجهاد أخذ بأمور هى بلايا

(١) فى ظ : يؤدى (٢-٢) فى ظ : من اتاكم (٣) فى م : بمحاملته (٤) العبارة من هنا إلى « الجزع » ليست فى ظ (٥) فى م و مد : نصيبكم (٦) من م و مد ، و فى الأصل : باسنا (٧) من م و مد ، و فى الأصل : فشبه (٨) زيد فى م و ظ و مد « و » (٩) قال أبو حيان الأندلسى (١/٤٠٠) : و هذه الآية لها تعلق بقوله « و استعينوا بالصبر و الصلوٰة - الآية » و قبلها « و اشكروا لى » و الشكر يوجب زيادة النعم و الابتلاء بما ذكر ينافيه ظاهرا ، و توجيهه أن إتمام الشرائع إتمام للنعمة و ذلك يوجب الشكر ، و القيام بتلك الشرائع لا يمكن إلا بتحمل المشاق فأمر فيها بالصبر ، و أنه أنعم أولا فشكر و ابتلى ثانيا فصبر ، لينال درجتى الشكر و الصبر فيكمل إيمانه ؛ كما روى عنه عليه السلام : الإيمان نصفان : نصف صبر و نصف شكر (١٠-١٠) فى ظ : لم يكن يجاهد (١١) سورة ٢ آية ٢١٦ .

فى باطنه تجاوزها الخطاب فانعطف عليها "ولنبلونكم" ﴿بشىء من الخوف﴾ وهو حذر النفس من أمور ظاهرة تضرها ﴿والجوع﴾ وهو غلبة الحاجة إلى الغذاء على[1] النفس حتى تترامى لأجله فيما لا تتأمل عاقبته، فاذا كان على غير غلبة مع حاجة فهو الغرث[2]. فلذلك فى الجوع بلاء ما والغرث[3] عادة جارية. وقال أيضا: الجوع فراغ الجسم عما به قوامه كفراغ النفس عن الأمنة التى لها قوام ما، فأفقدها القوامين فى ذات نفسها بالخوف وفى بدنها بالجوع لما لم تصبر على كره الجهاد، وقد كان ذلك لأهل الصبر عليه أهون من الصبر على الخوف والجوع، وإنما كان أول نائلهم من هذا الابتلاء[4] الخوف حيث خافوا الأعداء على أنفسهم فجاءهم إلى مواطنهم، من لم يمش إلى طبيبه ليستريح جاء الطبيب لهلاكه، وشتان بين خوف الغازى للعدو فى عقره وبين خوف المحصر[5] فى أهله، وكذلك[6] شتان بين أرزاق المجاهد وتزويده[7] وخير الزاد التقوى فى سبيله لجهاده وبين جوع المتخلف فى عيلته - انتهى[8]. [9] ونكر الشىء وما بعده حثا على الشكر بالإشارة إلى أن كل

(١) فى م: عن (٢) من مد وظ، وفى الأصل: الفرث، وفى م: العرث.
(٣) من م وظ ومد، وفى الأصل: الفرث (٤) فى ظ: اللابتلا (٥) من م وظ ومد، وفى الأصل: الحصر (٦) زيد فى الأصل: عيلته، ولم تكن الزيادة فى م ومد وظ فحذفناها (٧) من م ومد وظ، وفى الأصل: تزيدوه.
(٨) وفى البحر المحيط ١/٤٥٠: وجاء هذا الترتيب فى العطف على سبيل الترقى فأخبر أولا بالابتلاء بشىء من الخوف وهو توقع ما يرد من المكروه، ثم انتقل منه إلى الابتلاء بشىء من الجوع وهو أشد من الخوف بأى تفسير فسر به من =

ما أصاب منها فنى قدرة الله ما هو أعظم منه، فعدم الإصابة به نعمة .

و لما كان الجوع قد يكون عن رياضة بين أنه عن حاجة بقوله: ﴿و نقص﴾ و هو التقاصر عن الكفاف ﴿من الاموال﴾ أى النعم التى كانت منها أغذيتهم . قال الحرالى: لأن ذلك عرف استعمالهم فى لفظ المال، و قال أيضا: [و المال - [1]] ما هو للتمول بمنزلة الجزء[2] منه عنده لماله لذلك منه، فضاعف تعالى مثال[3] البلاء فى ذوات أنفسهم و أبدانهم ليقطع عنهم راحة تطلع الكفاية من الأموال فى مقابلة ما ينال المجاهد من الغناء و الرزق، فالمجاهد آمن فى جيشه متزود فى رحله غانم من عدوه، و المتخلف خائف فى أهله جائع فى عيلته ناقص المال من ذات يده - انتهى .

و لما كان ذلك قد يكون عن إفراط فى الكثرة قال: ﴿و الانفس﴾[4] قال الحرالى: فيه إشعار بأن من جاهد كثر عدده[5] و نما ولده، و أن من تكاسل قل عدده و درج خلفه، و فى ضمنه إشعار بمنال[6] المتكاسل[7]

= القحط أو الفقر أو الحاجة إلى الأكل ..... فبدأ أولا بالأموال ثم ترقى إلى الأنفس؛ و أما ﴿و الثمرٰت﴾ فجاء كالتخصيص بعد التعميم لأنها تندرج تحت الأموال فلا ترقى فيها (٩) العبارة من هنا إلى «به نعمة» ليست فى ظ .

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) فى ظ فقط: الجزاء (٣) فى م فقط: منال - كذا.

(٤) قال أبو حيان الأندلسى: ﴿و الأنفس﴾ بالقتل و الموت، و قال الشافعى: بالأمراض، و قيل بالشيب (٥) فى م: عدوه - كذا (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: بمثال (٧) من م و ظ و مد، و فى الأصل: التكاسل .

حواصد[1] من جوارف الآجال[2] من الوباء و الطاعون و غيره - انتهى .
و قال : ﴿ و الثمرٰت ﴾[3] التى هى أنفس الأشجار التى بها قوام أنفس الأبدان تخصيصا لها بالذكر ، لأنها أعظم أموال الأنصار الذين هم من أخص الناس بهذا الذكر لا سيما فى وقت نزول هذه الآيات و هو أول زمان الهجرة .

و لما كان السياق مرشدا إلى أن التقدير : فأنذر من لم يصبر ، و لكنه طوى إشارة إلى إجلال الذين آمنوا عن أن يكون فيهم من لم يصبر عطف عليه إرشادا إليه و حثا على الصبر ثم الذكر الموجبين للنصر قوله : ﴿ و بشر الصٰبرين ﴾ و قال الحرالى : و لما كان هذا البلاء عن تكاسل من الصبر الأول كما قال تعالى "ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم[5]" و كان مما[6] يتداركه صبر عليه تدارك تعالى هذه الرتبة ببشرى[7] الصابرين من هلكة ما ينال من لم يصبر على هذه المصيبة

(١) فى ظ : حواسد (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل: الرجال (٣) و فى البحر المحيط ١ / ٤٥٠ ﴿و الثمرٰت﴾ يعنى الجوائح فى الثمرات و قلة النبات و انقطاع البركات ، و قال القفال : قد يكون نقصها بالجدوب ، و قد يكون بترك عمارة الضياع للاشتغال بالجهاد ، و قد يكون بالإنفاق على من يرد من الوفود على رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و قيل بظهور العدو عليهم ، و قال الشافعى : ﴿و الثمرٰت﴾ موت الأولاد ، لأن ولد الرجل ثمرة قلبه (٤) ليس فى ظ .
(٥) سورة ١٣ آية ١١ (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : هما (٧) من م و مد و ظ . و فى الأصل : ليسرى - كذا .

وضجر منها وتسخط فيها [١]، فكان للصابر الأول الصحبة بقوله: "ان الله مع الصٰبرين".

ولما [٢] كان للصابر الثانى البشرى [٣] بالسلامة من عقوبة الآخرة و[٤] منالهم لما نولهم [٤] وشتان بين من كان الله معه وبين من قيل لنبيه / بشره / ١٤٥
بصبره على بلاء التخلف [٥]، و[٦] لما كان للأنفس مدخل فى تحمل الصبر ٥
شرفا وحفيظة على الأحساب والرتب الدنيوية خلص تعالى الصابرين له من الصابرين تطبعا وتحاملا فقال: ﴿الذين اذا اصابتهم﴾ من الإصابة

(١) من م وظ ومد، وفى الأصل: فيها (٢) ليس فى م ومد (٣) من م ومد وظ، وفى الأصل: اليسرى - كذا (٤ - ٤) من م وظ ومد، وفى الأصل: ينالهم لما تولهم (٥) فى م: المتخلف (٦) قال أبو حيان الأندلسى: قالوا: والصبر من خواص الإنسان، لأنه يتعارض فيه العقل والشهوة وهو بدنى، وهو إما فعلى كتعاطى الأعمال الشاقة، وإما احتمال كالصبر على الضرب الشديد، ونفسى وهو قمع النفس عن مشتهيات الطبع؛ فان كان من شهوة الفرج والبطن سمى عفة، وإن كان من احتمال مكروه اختلفت أساميه باختلاف المكروه، ففى المصيبة يقتصر عليه باسم الصبر ويضاده الجزع، وإن كان فى الغنى سمى ضبط النفس ويضاده البطر، وإن كان فى حرب سمى شجاعة ويضاده الجبن؛ وإن كان فى نائبة مضجرة سمى سعة صدر ويضاد الضجر، وإن كان فى إخفاء كلام سمى كتمانا ويضاده الإعلان، وإن كان فى فضول الدنيا سمى زهدا ويضاده الحرص، وإن كان على يسير من المال سمى قناعة ويضاده الشره؛ وقد جمع الله أقسام ذلك وسمى جميعها صبرا فقال: "والصٰبرين فى الباساء" أى المصيبة "والضراء" أى الفقر "وحين الباس" أى المحاربة - البحر المحيط ١/٤٥١.

و هو [١] وقوع المسدد على [٢] حد ما سدد [٢] له من موافق لغرض النفس أو مخالف لها ﴿ مصيبة ﴾ خصيصة [٣] عرف الاستعمال بما لا يوافق تكرها لخصوص ذكره - انتهى . [٤] و المراد [أيّ - [٥]] مصيبة كانت و لو قلّت و ضعفت بما أفهمه تأنيثه [٦] الفعل ﴿ قالوا انا لله ﴾ أى [٧] الملك المحيط بكل شيء [٧] إسلاما بأنفسهم لربهم [٨] فهو يفعل بنا من هذه المصيبة و غيرها ما يريد فهو المسؤل [فى - [٩]] أن يكون ذلك أصلح لنا .

و لما كان التقدير بيانا لكونهم لله تقريرا للاستسلام [١٠] به : نحن مبتدئون ، عطف عليه ﴿ و انا اليه ﴾ [٧] أى لا إلى غيره [٧] ﴿ راجعون ٥ ﴾ [١١]

(١) فى م وظ ومد : و هى (٢-٢) من م وظ و مد ، و فى الأصل : حدم و اسدد.
(٣) فى مد : خصيصه ، و فى م و ظ : خصصه (٤) العبارة من هنا إلى « الفعل » ليست فى ظ (٥) زيد من م و مد (٦) كذا فى الأصل و مد ، و فى م : تانيث.
(٧-٧) ليست فى ظ (٨) العبارة من هنا إلى « عطف عليه » ليست فى ظ .
(٩) زيد من م و مد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : للاستلام (١١) و فى البحر المحيط ١ / ٤٥١ : إقرار بالبعث و تنبيه على مصيبة الموت التى هى أعظم المصائب و تذكير أن ما أصاب الإنسان دونها فهو قريب ينبغى أن يصبر له . . .
و فى المنتخب ما ملخصه : إن إسناد الإصابة إلى المصيبة لا إلى الله تعالى ليعم ما كان من الله و ما كان من غيره ، فما كان من الله فهو داخل تحت قوله ﴿ انا لله ﴾ لأن فى الإقرار بالعبودية تفويضا للأمور إليه ، و ما كان من غيره فتكليفه أن يرجع إلى الله فى الإنصاف منه و لا يتعدى كأنه فى الأول : انا لله يدبر كيف يشاء ، و فى الثانى : إنا اليه ينصف لنا كيف يشاء .

[1]معنى فى أن جميع أمورنا لا يكون شيء منها إلا به و حسابا لبعث و ظهور ذلك بعده ظهورا تاما . قال الحرالى[1] : لتكون[2] ذلك غاية فى إسلام ثمراتهم و أموالهم و ما نقصوا من أنفسهم ، فحين لم يجاهدوا فى سبيل الله فأصابتهم المصائب كان تلافيهم أن يسلموا أمرهم لله و يذكروا مرجعهم إليه و يشعروا أن ما أخذ من أنفسهم و ما معها ذخيرة[3] عنده ، ٥ فيكون ذلك شاهد إيمانهم و رجائهم للقائهم فتقع[4] مجاهدتهم لأنفسهم فى ذلك بموقع جهادهم فى سبيل الله الذى فاتهم و جعلها[5] جامعة مطلقة لكل من أصابته مصيبة فاسترجع بها ثبت أجره بما أصيب و تلاقاه الله بالاهتدا إلى ما تقاصر عنه قبل ذلك قال : ﴿ اولئك ﴾ خطابا لنبيه و استحضارا لهم بمحل بعد عن قربه و غيبة عن إقباله عليهم . قال : ١٠ ﴿ عليهم صلوٰت ﴾ صلاة الله على عباده هى إقباله عليهم بعطفه[6] إخراجا لهم من حال ظلمة إلى رفعة نور ، قال : " هو الذى يصلى عليكم و ملٰئكته ليخرجكم من الظلٰمت إلى النور[7] " فبصلاتهم[8] عليهم إخراجهم[9] من جهات ما أوقعهم فى وجوه تلك الابتلاءات ، فلذلك كان ذلك[10] صلوات بالجمع[11] و لم يكن صلاة ليعدد ما أصابهم منه عدد تلك ١٥ الابتلاءات . و فى قوله تعالى ﴿ من ربهم ﴾ إشعار بتدريجهم فى ذلك

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى م و ظ و مد : ليكون (٣) فى م : و خيره ، و فى ظ : و خيرة ـ كذا (٤) من م و مد ، و فى الأصل : فنقطع ، و فى ظ : فيقع (٥) زيد فى م و ظ و مد : تعالى (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بعطف . (٧) سورة ٣٣ آية ٤٣ (٨) فى م و ظ و مد : بصلواته (٩) فى م و ظ : اخرجهم . (١٠) ليس فى ظ (١١) فى ظ : الجمع .

بحكم تربية و تدارك الأحوال[١] ما أصابهم ، قال تعالى : ﴿ و رحمة ﴾[٢] إفرادا لمنالها لهم بعد متقدم الصلوات عليهم ، فنالتهم الرحمة جمعا حين أخرجتهم الصلوات أفرادا[٣] . قال تعالى : ﴿ و اولئك ﴾ إشارة إلى الذين[٤] نالتهم الصلوات و الرحمة فأبقاهم[٥] مع ذلك فى محل بعد فى الحضرة

٥ و غيبة فى الخطاب ﴿ هم المهتدون ﴾ فجاء بلفظ "هم" إشعارا بصلاح بواطنهم عما جره[٦] الابتلاء من أنفسهم - انتهى[٧] . و الذى يلوح

---

(١) زيد فى مد : على (٢) و الرحمة قيل : هى الصلوات ، كررت تأكيدا لما اختلف اللفظ كقوله : " رافة و رحمة " و قيل : الرحمة كشف الكربة و قضاء الحاجة ، و قال عمر : نعم العدلان و نعم العلاوة ! و تلا " الذين اذا اصابتهم - الآية " يعنى بالعدلين الصلوات و الرحمة و بالعلاوة الاهتداء . و فى قوله : " اولئك " اسم الإشارة الموضوع للبعد دلالة على بعد هذه الرتبة ، كما جاء " اولئك على هدى من ربهم " و الكناية عن حصول الغفران و الثناء بقوله : " عليهم صلوات " بحرف « على » إشارة إلى أنهم منغمسون فى ذلك قد غشيتهم و تجللتهم ، و هو أبلغ من قوله « لهم » (٣) من م و مد وظ ، و فى الأصل : افراد (٤) فى الأصل : اللذين (٥) من م و مد وظ ، و فى الأصل : فاتفاهم - كذا (٦) من مد وظ ، و فى م : جرت ، و فى الأصل : خيره (٧) قال أبو حيان الأندلسى : ﴿ هم المهتدون ﴾ إخبار من الله عنهم بالهداية ، و من أخبر الله عنه بالهداية فلن يضل أبدا ، و هذه جملة ثابتة تدل على الاعتناء بأمر المخبر عنه إذ كل وصف له يبرز فى جملة مستقلة . و بدئ بالجملة الأولى لأنها أهم فى حصول الثواب المترتب على الوصف الذى قبله ، و أخرت هذه لأنها تنزلت مما قبلها منزلة العلة ، لأن ذلك القول المترتب عليه ذلك الجزاء الجزيل لا يصدر إلا عمن سبقت هدايته ، و أكد بقوله "هم" و بالألف و اللام كأن الهداية =

لى[1] أن أداة البعد فى " اولئك" إشارة إلى علو مقامهم و عز مرامهم ، و لذا عبر عن هدايتهم بالجملة الاسمية على وجه يفهم الحصر ؛ و الصلاة الإنعام بما يقتضى التشريف ، و الرحمة الإنعام بما يقتضى العطف و التحنّن - و الله سبحانه و تعالى الموفق ؛ و فى ذلك إشارة إلى الأمر بالإعراض عن أهل الكتاب فيما يطعنون عليهم به بألسنتهم و الإملاء لهم إلى حين الإذن فى مطاعنتهم بالرماح و مصالتتهم[2] ببيض الصفاح ، كما فى الآية الأخرى " لتبلون فى اموالكم و انفسكم - إلى آخرها[3] " و يمكن[4] أن يراد بالخوف الجهاد ، و بالجوع الصوم ، و بنقص لأموال زكاة الصامت من المال ، و بالأنفس زكاة الحيوان ، و بالثمرات زكاتها ؛ لكن الأنسب لافتتاح الآية و اختتامها و ما تقدمها و تلاها أن تكون مقصورة[6] على الجهاد .

و لما فرغ مما[7] أراد من أحوال الطاعنين فى القبلة التى هى قيام للناس و ما استتبع ذلك مما[7] يضطر إليه فى إقامة الدين من جدالهم و جلادهم و ختم ذلك بالهدى شرع فى ذكر ما كان البيت به قياما

= انحصرت فيهم ؛ و باسم الفاعل ليدل على الثبوت ، لأن الهداية ليست من الأفعال المتجددة وقتا بعد وقت فيخبر عنها بالفعل هل هى وصف ثابت .

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : إلى (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مصالتهم (٣) سورة ٣ آية ١٨٦ (٤) فى م : يحتمل (٥ - ٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بالخرف بالجهاد (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : مقصودة . (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ما .

للناس من المشاعر القائدة إلى كل خير الحامية عن[١] كل ضير[٢] التى جعلت مواقفها أعلاما على الساعة[١] لا سيما و الحج أخو الجهاد فى المشقة و النزوح[٣] عن الوطن و قد سماه النبي صلى الله عليه و سلم أحد الجهادين مع أنه من أعظم مقاصد البيت المذكورة[١] فى هذه الآيات

٥ مناقبه المتلوة مآثره[٤] المنصوبة شعائره التى هى فى الحقيقة دعائمه من الاعتكاف / و الصلاة و الطواف [المشار -[٥]] إلى حجه[٦] و اعتماره ١٤٦ / بقوله: "مثابة للناس و امنا[٧]" فأفصح به بعد تلك الإشارة بعض الإفصاح إذ[٨] كان لم يبق من مفاخره[٩] العظمى غيره و ضم إليه العمرة الحج الأصغر لمشاركتها له فى إظهار فخاره و إعلاء مناره فقال:

١٠ ﴿ان الصفا و المروة[١٠]﴾ فهو كالتعليل لاستحقاق البيت لأن يكون

---

(١) زيد فى الأصل و مد و ظ «و» و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: خير (٣) من م، و فى الأصل: النزوج، و فى ظ: التروح، و فى مد: الزوج -كذا (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: مآتره.

(٥) زيد من م و مد و ظ (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: حجة.

(٧) سورة ٢ آية ١٢٥ (٨) فى م: اذا (٩) من مد و ظ، و فى الأصل: مفاخرة.

(١٠) قال أبو حيان الأندلسى (و مناسبة هذه الآية لما قبلها) أن لله تعالى لما أثنى على الصابرين و كان الحج من الأعمال الشاقة المفنية للمال و البدن و كان أحد أركان الإسلام ناسب ذكره بعد ذلك. و قال: الصفا ألفه منقلبة عن واو لقولهم صفوان، و لاشتقاقه من الصفو و هو الخالص ..... المروة واحدة المرو و هو اسم جنس و قالوا: مروان فى جمع مروة ..... و هى الحجارة الصغار التى فيها لين. و الصفا و المروة فى الآية علمان لجبلين معروفين ..... و قد =

قبلة

قبلة ، و عرفهما لأنهما جبلان مخصوصان معهودان تجاه الكعبة[1] ، اسم الصفا من الصفوة و هو ما يخلص من الكدر ، و اسم المروة من المرو و هو ما تحدد من الحجارة - قاله الحرالى . و خصهما هنا بالذكر إشارة إلى أن بركة الإقبال عليهما على ما شرع الله سبحانه و تعالى مفيدة لحياة القلوب بما أنزل على هذا الرسول صلى الله عليه و سلم من الكتاب ٥ و الحكمة الباقيين إلى آخر الدهر شفاء للقلوب و زكاة للنفوس زيادة للنعمة بصفة الشكر و تعليما بصفة العلم كما كان الإقبال على السعى[2] بينهما تسليما لأمر الله مفيدا لحياة أبيه[3] إسماعيل عليه الصلاة و السلام و نفع من بعده بما أنبع له من ماء زمزم الباقى إلى قيام الساعة طعام طعم و شفاء سقم ؛ و فى ذلك مع تقديم الصفا إشارة للبصراء[4] من أرباب ١٠ القلوب إلى أن الصابر لله المبشر فيما قبلها ينبغى أن يكون قلبه[5] جامعا بين الصلابة و الصفا . فيكون بصلابته الحجرية مانعا من القواطع الشيطانية ، و برقته الزجاجية[6] جامعا للوامع[7] الرحمانية ، بعيدا عن القلب المأتى بصلابته ، و عن الحجرى[8] بصفائه و استنارته . و من أعظم المناسبات أيضا كون

= نقلوا أن قوما قالوا : ذكر الصفا لأن آدم وقف عليه ، و أنثت المروة لأن حواء وقفت عليها - البحر المحيط ١ / ٤٥٤ و ٤٥٦ .

(١) زيد فى ظ : المشرفة (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : السعر (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ابنه (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : للصبرا .

(٥) ليس فى مد (٦) فى الأصل : الدجاجية ، و التصحيح من م و مد و ظ .

(٧) فى الأصل : للواضع ، و التصحيح من م و ظ و مد (٨) فى الأصل : الحى ، و التصحيح من م و مد و ظ .

سبيل الحج إذ ذاك كان ممنوعا بأهل الحرب ، فكأنها علة لما قبلها و كأنه قيل : ولنبلونكم بما ذكر لأن الحج من أعظم شعائر هذا البيت الذى أمرتم باستقباله و هو مما[1] يفرض عليكم و سبيله ممنوع بمن تعلمون ، فلنبلونكم بقتالهم لزوال[2] مانع الحج و قتال غيرهم من أهل الكتاب

٥ و غيرهم لإتمام النعمة بتمام الدين و ظهوره على كل دين . و من أحسنها أيضا أنه تعالى لما ذكر البلايا بنقص[3] الأموال بسبب الذنوب "و ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم[4]" اتبعها الدواء الجابر لذلك النقص دينا و دنيا ، فان الحج و العمرة ينفيان الفقر و الذنوب كما ينفى الكير خبث الذهب و الفضة - رواه الإمام أحمد و الترمذى و النسائى

١٠ و ابن خزيمة و ابن حبان فى[5] صحيحيهما[6] عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم و روى أيضا عن عدة من الصحابة رضى الله تعالى عنهم كما بينته فى كتابى الاطلاع على حجة الوداع .

و قال الحرالى : لما تقدم ذكر جامعة من أمر الحج فى قوله سبحانه و تعالى "و لاتم نعمتى عليكم[7]" من حيث أن النعمة المضافة[8] إليه أحق بنعمة

١٥ الدين و فى ضمنها نعمة الدنيا التى لم يتهيأ الحج إلا بها من الفتح و النصر و الاستيلاء على كافة العرب كما قال تعالى فيما أنزل يوم تمام الحج الذى

(١) فى ظ : ما (٢) فى الأصل : ان قال . و التصحيح من م و مد و ظ .
(٣) من م و ظ ، و فى الأصل : ينقص ، و مد : بمعض - كذا (٤) سورة ٤٢ آية ٣٠ (٥) ليس فى ظ (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : صحيحيهما .
(٧) سورة ٢ آية ١٥٠ (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : المضاف .

هو يوم عرفة "اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى [١]" و ذلك بما أتم الله سبحانه و تعالى عليهم من نعمة تمام معالم الدين و تأسيس الفتح بفتح أم القرى التى فى فتحها فتح جميع الأرض لأنها قيام الناس نظم تعالى بما تلاه من الخطاب تفصيلا من تفاصيل أمر الحج انتظم بأمر الذين [٢] آمنوا من حيث ما فى سبب إنزاله من التحرج للذين أعلموا ٥ برفع الجناح عنهم و هم طائفة من الأنصار كانوا يهلون [٣] لمناة و كانت مناة حذو قديد فتحرجوا [٤] من التطوف بين الصفا [٥] و المروة [٥]، و طائفة أيضا خافوا أن يلحقهم فى الإسلام [٦] بعملهم نحو ما كانوا يعملونه [٧] فى الجاهلية نقص فى عمل الإسلام، فأعلمهم الله سبحانه و تعالى أن ذلك موضوع عنهم لمختلف نياتهم فان الأعمال بالنيات، فما نوى لله كان لله ١٠ و لم يُبل فيه بموافقه ما كان من عاداتهم فى الجاهلية؛ و فى فقهه صحة السجود لله سبحانه و تعالى لمن أكره على [٨] السجود للصنم [٨]، و فى طى ذلك صحة التعبد لله بكلمة الكفر لمن أكره عليها، أذن [٩] صلى الله عليه و سلم

(١) سورة ٥ آية ٣ (٢) فى ظ: الدين (٣) من م و ظ، و فى الأصل: يملون.
(٤) و فى البحر المحيط ١/٤٥٦: سبب النزول أن الأنصار كانو ايحجون لمناة وكانت مناة خزفا وحديدا وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا و المروة فلما جاء الإسلام سألوا فأنزلت وخرج هذا السبب فى الصحيحين وغيرهما، و قد ذكر فى التحرج عن الطواف بينهما أقوال (٥ - ٥) ليس فى م (٦) العبارة من هنا إلى «الاسلام» ليست فى م (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: بعلمهم... يعلمونه (٨-٨) من م ومد وظ، وفى الأصل: للسجود على الصنم (٩) زيد فى م: رسول الله.

غير مرة فى أن يقول فيه[١] قائل ما يوافق الكفار بحسن نية للقائل فى ذلك و لقضاء حاجة له من حوائج دنياه عند الكفار ، فظهر بذلك كونه صلى الله عليه و سلم رحمة للعالمين ، يقبل الضمائر و لا يبالى / بالظواهر فى أحوال الضرائر[٢] ؛ فرفع الله سبحانه و تعالى عنهم الجناح بحسن نياتهم و إخلاصهم لله سبحانه و تعالى عملهم ، فبهذا النحو[٣] من[٤] التقاصر فى هذه الرتبة انتظم افتتاح هذا الخطاب بما قبله من أحوال الذين آمنوا من المبتلين بما ذكر - انتهى . ﴿ من شعائر الله ﴾[٥] أى أعلام دين الملك[٦] الأعلى الذى دان كل شىء لجلاله[٧] . و قال الحرالى : و هى[٨] أى الشعائر[٨] ما أحست[٩] به القلوب من حقه ، و قال : و الشعيرة ما شعرت به القلوب من أمور باطنة " ذلك و من يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب "[١٠] و إنما ذكرها تعالى بالشعائر و عملها معلم [من -[١١]] معالم الإسلام

/ ١٤٧

(١) ليس فى ظ (٢) فى مد : ظواهر (٣) فى م : النجوم - كذا (٤) ليس فى م .
(٥) العبارة من هنا إلى «الحرالى» ليست فى ظ (٦) فى مد : الله (٧) قال أبو حيان الأندلسى : الشعائر جمع شعيرة أو شعارة ، قال الهروى : سمعت الأزهرى يقول : هى العلائم التى ندب الله إليها و أمر القيام بها ، و قال الزجاج : كل ما كان من موقف و مشهد و مسعى و مذبح و قد تقدمت لنا هذه المادة - أعنى مادة شعر أى أدرك وعلم - و تقول العرب : بيننا شعار ، أى علامة ، و منه إشعار الهدى - البحر المحيط ١/٤٥٤ . و قال فى ص ٤٥٦ : و ليس الجبلان لذاتهما من شعائر الله بل ذلك على حذف مضاف أى أن طواف الصفا و المروة ، و معنى من شعائر الله معالمه (٨-٨) ليس فى ظ (٩) فى مد : حست (١٠) سورة ٢٢ آية ٣٢ .
(١١) زيد من م و ظ و مد .

و حرمة

و حرمة من حرم الله لما[1] كان حكم فى أمر القلوب التى كان فى ضمائرها تحرجهم فمن حيث ذكرها بالشعيرة صححها الإخلاص و النية ﴿ فمن حج ﴾ من الحج و هو تَرْداد[2] القصد[3] إلى ما يراد خيره و بره .[4] و قال الأصفهانى[5] : أصله زيادة شىء تعظمه - انتهى . ﴿ البيت ﴾[6] ذكر البيت[6] فى الحج و المسجد الحرام فى التوجه لانتهاء الطواف إلى البيت و اتساع المصلى من حد المقام إلى ما وراءه لكون الطائف منتهيا إلى البيت و كون المصلى قائما بمحل أدب يؤخره عن منتهى الطائف مداناة البيت ؛ و ذكره تعالى بكلمة "مَن" المطلقة[7] المستغرقة لأولى[8] العقل تنكبا بالخطاب عن خصوص المتحرجين[9] ، فى إطلاقه إشعار بأن الحج[10] يمنعه شىء مما يعرض فى مواطنه من مكروه الدين لاشتغال الحاج بما هو فيه عما سواه ، فـــفى خفى فقهه إعراض الحاج عن مناكر تلك المواطن التى تعرض فيها بحسب الأزمان و الأعصار ؛ و يؤكد ذلك أن الحج آية[11] الحشر و أهل الحشر "لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ."[11] فكذلك

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : كما . و فى البحر المحيط ١/٤٥٦ : و لما كان الطواف بينهما ليس عبادة مستقلة ، إنما يكون عبادة إذا كان بعض حج أو عمرة بين تعالى ذلك بقوله (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تزداد ـ كذا (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : القصر (٤) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست فى ظ (٥) فى مد : الأصبهانى (٦ - ٦) ليس فى ظ (٧) زيد فى م و مد : اى (٨) من م و ظ و مـد ، و فى الأصل : لاول ـ كذا (٩) من م و مد ، و فى الأصل : المتخرجين ، و فى ظ بلا نقط (١٠) فى الأصل : انـه ، و التصحيح من بقية الأصول (١١) سورة ٨٠ آية ٣٧ .

حكم ما هو آيته[١]؛ و حج البيت إتيانه فى خاتمة السنة من الشهور الذى هو شهر ذى الحجة أنه ختم العمر، كما كان النبي صلى الله عليه و سلم حيث ختم الله سبحانه و تعالى عمره بعمل الحج؛ قال سبحانه و تعالى ﴿ او اعتمر ﴾ فذكر العمرة مع الحج لما كان الطواف[٢] بين الصفا ٥ و المروة من شعائر العملين ﴿ فلا جناح ﴾[٣] و هو المؤاخذة على الجنوح، و الجنوح الميل عن جادة القصد - انتهى[٣] ﴿ عليه ان يطوف[٤] ﴾ °أى يدور بهمة و تعمد و نشاط° ﴿ بهما ﴾ °باديا بما بدأ الله . قال الحرالى°: رفع[٦] الجناح عن الفعل حكم يشترك فيه الجائز و الواجب و الفرض و المباح حتى يصح أن يقال: لا جناح عليك أن تصلى الظهر، ١٠ كما يقال: لا جناح عليك أن تطعم إذا جعت؛ و إنما يشعر بالجواز و التخيير نفى[٧] الجناح عن الترك لا عن الفعل، كما قال عليه الصلاة و السلام للذين سألوه عن العزل: لا جناح عليكم أن لا تفعلوا، أى أن لا تُنزلوا، لأن الفعل كناية عن الثبوت لا عن الترك الذى هو معنى العزل، و هو الذى قررته عائشة رضى الله تعالى عنها[٨] لما قال[٨] عروة:

---

(١) من م و مد، و فى الأصل: اتية، و فى ظ: آتيه (٢) فى ظ و مد: التطوف.
(٣-٣) ليست فى م، و فى البحر المحيط ١ / ٤٥٤: الجناح الميل إلى المأثم ثم أطلق على الإثم، يقال: جنح إلى كذا جنوحا: مال، و منه: جنح الليل: ميله بظلمته، وجناح الطائر (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل فقط: تطوف (٥-٥) ليست فى ظ (٦) من ظ و مد و م، و فى الأصل: دفع (٧) هكذا فى الأصل و ظ و مد، و فى م: نفى (٨-٨) ليس فى م، و زيد فى ظ بعده: لها.

ما أرى على أحد شيئا أن لا يطوف بهما ، فقالت : لو كان كما[1] تقول كان : فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما - الحديث . قلت : و لعل التعبير بالنفى إنما اختير ليدل على نفى ما توهموه بالمطابقة[2] ، و تقع الدلالة على الوجوب[3] بافهام الجزاء لأن من حج[4] أو اعتمر و لم يتطوف بهما كان عليه حرج ، و بالسنة التى بينته[5] من قوله صلى الله عليه و سلم : اسعوا فان الله قد كتب عليكم السعى ، و من فعله صلى الله عليه و سلم مع قوله : خذوا عنى مناسككم ، و من عدهما من الشعائر و نحو ذلك . قال الحرالى : و ما روى من قراءة من قرأ "ان لا يطوف بهما"[6] فليست "لا"[6] نافية على حد ما نفت معناه عائشة رضى الله تعالى عنها و إنما هى مؤكدة للاثبات بمنزلة : "ما منعك الا تسجد[7]" و "لئلا يعلم اهل الكتب[8]" لأن من[9] تمام المبهم استعماله فى المتقابلين من النفى و الإثبات كاستعماله فى وجوه من التقابل كما تستعمل « ما » فى النفى و الإثبات ، و كذلك جاءت « لا » فى لسان العرب بمنزلتها فى الاستعمال و إن كان دون ذلك فى الشهرة ، فوارد[10] القرآن معتبر بأعلى رتبة لغة العرب و أفصحها ، لا يصل إلى تصحيح عربيته من اقتصر من النحو و الأدب على ما دون

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٢) فى الأصل : بالطايفة ، و التصحيح من م و ظ و مد (٣) العبارة من هنا إلى « حرج و » ليست فى ظ (٤) زيد فى م : البيت (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بنيته (٦ - ٦) فى الأصل : فليت ما ، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) فى الأصل : لا تنجد - كذا ، و التصحيح من م و مد و ظ - راجع القرآن الكريم سورة ٧ آية ١٢ . (٨) سورة ٥٧ آية ٢٩ (٩) ليس فى م (١٠) فى ظ فقط : موارد - كذا .

١٤٨ / الغاية / لعلوه فى رتبة العربية " انا جعلنه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون "[١] انتهى . و الذين قرؤا[٢] بزيادة « لا[٣] » علىّ و ابن عباس - بخلاف عنه - و أبى بن كعب و ابن مسعود و أنس بن مالك رضى الله تعالى عنهم و سعيد ابن جبير و محمد بن سيرين [و ميمون بن مهران ، كما نقل ذلك الإمام

٥ أبو الفتح عثمان بن جنى فى كتابه المحتسب فى توجيه القراآت - [٤] الشواذ ؛ و معنى قول عائشة رضى الله تعالى عنها لكان أن لا يطوف خاصة ، و لم ترد قراءة بالإثبات ؛ و أما مع قراءة الإثبات فان المعنى يرشد إلى أن قراءة النفى مثلها[٥] ، لأن كونهما من الشعائر يقتضى التطوف بهما لا إهمالهما[٦] - و الله سبحانه و تعالى أعلم . قال الحرالى : و ذكره

(١) سورة ٤٣ آية ٣ (٢) قال أبو حيان الأندلسى : و قرأ أنس و ابن عباس و ابن سيرين و شهر " ان لا " و كذلك هى فى مصحف أبى و عبد الله و خرج ذلك على زيادة « لا » نحو " ما منعك الا تسجد " و قوله :

و ما ألوم البيض أن لا تسخرا إذا رأين الشمط القفندرا

فتتحد معنى القراءتين و لا يلزم ذلك لأن رفع الجناح فى فعل الشىء هو رفع فى تركه إذ هو تخيير بين الفعل و الترك نحو قوله تعالى " فلا جناح عليهما ان يتراجعا " فعلى هذا تكون « لا » على بابها للنفى و تكون قراءة الجمهور فيها رفع الجناح فى فعل الطواف نصا و فى هذه رفع الجناح فى الترك نصا و كلتا القراءتين تدل على التخيير بين الفعل و الترك فليس الطواف بهما واجبا و هو مروى عن ابن عباس و أنس و ابن الزبير و عطاء و مجاهد و أحمد بن حنبل فيما نقل عنه أبو طالب و أنه لا شىء على من تركه عمدا كان أو سهوا و لا ينبغى أن يتركه - البحر المحيط ١/٤٥٦ (٣) ليس فى ظ (٤) زيدت من م و ظ و مد (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مثلهما (٦) فى مد : ابقالهما - كذا .

تعالى

تعالى بالتطوف الذى هو تفعّل أى تشبه بالطواف، و مع البيت بالطواف فى قوله تعالى: "ان طهرا بيتى للطائفين[1] " لما كان السعى ترددا فى طول، و المراد الإحاطة بهما، فكان فى المعنى كالطواف لا فى الصورة، فجعله لذلك تطوفا أى تشبها [2] بالطواف - انتهى .

و لما كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم لم يقصدوا بترك الطواف بينهما إلا الطاعة فأعلموا أن الطواف بينهما طاعة، عبر بما يفيد مدحهم فقال تعالى: ﴿ و من تطوع[3] ﴾ [4] قال الحرالى[4] : أى كلف نفسه معاهدة البر و الخير من غير استدعاء له ﴿خيرا﴾ فيه إعلام بفضيلة النفقة فى الحج و العمرة بالهدى و وجوه المرافق[5] للرفقاء بما يفهمه لفظ الخير، لأن عرف استعماله فى خير الرزق و النفقة، كما قال تعالى "و انه لحب الخير لشديد[6] " و" ان ترك خيرا[7] "؛ و لما كان رفع الجناح تركا عادلها[8] فى الخطاب باثبات عمل خير ليقع فى الخطاب إثبات [9] يفيد عملا حين لم [9] يفد الأول إلا تركا، فمن تحقق بالإيمان أجزل نفقاته فى الوفادة[10]

(١) سورة ٢ آية ١٢٥ (٢) العبارة من هنا إلى « مدحهم» ليست فى ظ (٣) قال أبو حيان الأندلسى : التطوع ما ترغب به من ذات نفسك مما لا يجب عليك، ألا ترى إلى قوله فى حديث ضمام : هل على غيرها؟ قال : لا، إلا أن تطوع، أى تتبرع، هذا هو الظاهر؛ فيكون المراد التبرع بأى فعل طاعة كان وهو قول الحسن أو بالنفل على واجب الطواف - قاله مجاهد؛ البحر المحيط ١/٤٥٨ (٤ - ٤) ليس فى ظ، و زيد قبله فى مد « اى » (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل : الموافق . (٦) سورة ١٠٠ آية ٨ (٧) سورة ٢ آية ١٨٠ (٨) فى ظ : عاد عادلها (٩-٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل : ليفيد عمل خير و لم (١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل : الزفادة - كذا .

على ربه و اختصر فى أغراض نفسه ، [١] و من حرم النصف من دنياه اقتصر فى نفقاته فى وفادته [٢] على ربه و أجزل نفقاته فى أغراض نفسه و شهوات عياله ، فذلك من أعلام المؤمنين و أعلام الجاهلين ، من وفد على الملك أجزل ما يقدم [٣] بين يديه ، و إنما قدمه بالحقيقة لنفسه لا لربه ، فمن شكر نعمة الله باظهارها [٤] حين الوفادة [٤] ، عليه فى آية بعثه إليه و لقائه له شكرا لله له [٥] ذلك يوم يلقاه ، فكانت هدايا الله له يوم القيامة [٦] أعظم من هديه [٧] إليه يوم الوفادة عليه فى حجه [٨] و عمرته ﴿ فان الله ﴾ [٩] أى المحيط بجميع صفات الكمال [٩] ﴿ شاكر ﴾ [٩] أى مجاز بالأعمال مع المضاعفة لثوابها ؛ قال الحرالى [٩] : و قوله : ﴿ عليم ﴾ فيه تحذير من مداخل الرياء و السمعة فى إجزال النفقات لما يغلب [١٠] على النفس من التباهى فى إظهار الخير - انتهى [١١] . و لما تقدم أن بعض أهل الكتاب يكتمون ما يعلمون من هذا الحق و ختم ما اتبعه له بصفتى الشكر و العلم ترغيبا و ترهيبا بأنه يشكر من فعل ما شرعه له و يعلم من أخفاه و إن دق

(١) العبارة من هنا إلى « أغراض نفسه » ليست فى ظ (٢) من مد و م ، و فى الأصل : وقادته (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تقدم (٤ - ٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : خير له بوفادة (٥) ليس فى م (٦) فى الأصل : القياية - كذا ، و فى م : لقاه ، و فى ظ و مد : لقائه (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : هدية . (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حجة (٩ - ٩) ليست فى ظ (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تغلب (١١) و فى البحر المحيط ١/٤٥٨ ، و شكر الله العبد بأحد معنيين إما بالثواب و إما بالثناء ، و علمه هنا هو علمه بقدر الجزاء الذى للعبد على فعل الطاعة أو بنيته و إخلاصه فى العمل ، و قد وقعت الصفتان =

فعله و بالغ فى كتمانـــه انعطف الكلام إلى تبكيت[1] المنافقين منهم و المصارحين فى[2] لعنهم على كتمانهم ما يعلمون من الحق إذ كانت هذه كلها فى الحقيقة قصصهم و الخروج إلى غيرها إنما هو استطراد [على-٣] الأسلوب الحكيم المبين لأن هذا الكتاب هدى و كان السياق مرشدا إلى أن التقدير بعد "شاكر عليم": و من أحدث شرا فان الله عليم قدير، فوصل بـــه استئنافا قوله على وجه يعمهم و غيرهم: ﴿ ان الذين يكتمون ﴾ بيانا لجزائهم ﴿ ما انزلنا ﴾ أى[4] بعظمتنا . قال الحرالى: فانتظمت هذه الآية أى[5] فى ختمها لهذا الخطاب بما مضى فى أوله من قوله: "و لا تلبسوا الحق بالباطل و تكتموا الحق و انـــتم تعلمون" فكانت البداية خاصة و كان الختم عاما، ليكون ما فى كتاب الله أمرا على نحو ما كان أمر محمد صلى الله عليه و سلم و من تقدمـه من الرسل خلقا لينطبق الأمر على الخلق بدأ و ختما انطباقا واحدا، فعم[6] كل كاتم من الأولين و الآخرين - انتهى . ﴿ من البينٰت[7] ﴾ أى التى لا يحتاج

= هنا الموقع الحسن، لأن التطوع بالخير يتضمن الفعل و القصد فناسب ذكر الشكر باعتبار الفعل و ذكر العلم باعتبار القصد، و أخرت صفة العلم و إن كانت متقدمة على الشكر كما أن الية مقدمة على الفعل لتوافى رؤس الآى .

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تنكيت (٢) فى ظ و مد: و (٣) زيد من م و ظ و مد (٤) ليس فى مد (٥) ليس فى م و مد (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: فعلم (٧) و"البينٰت" هى الحجج الدالة على نبوته صلى الله عليه و سلم، و"الهدىٰ" الأمر باتباعه، أو البينات و الهدىٰ واحد و الجمع بينهما توكيد وهو ما أبان عن نبوته صلى الله عليه و سلم و هدى إلى اتباعه، أو البينات الرجم =

سامعها المجرد عن الهوى فى فهمها إلى شىء معها . قال الحرالى : فنى إفهامه إذن فى كتم ما يخفى من العلم عن عقول لم تصل إليه - انتهى .

﴿و الهدى﴾ أى الذى من شأنه أن يقود من أحبه[١] إلى صراط مستقيم .

[٢]و لما كان المراد الترهيب من الكتمان فى وقت ما و لو قل أثبت الجار فقال[٢] : ﴿من بعد ما بينه﴾ [٢]أى بما لنا / من العظمة[٢] ﴿للناس[٣]﴾ أى الذين هم فى أدنى طبقات المخاطبين ، [٤]و فيه تبكيت عظيم لبنى إسرائيل فانهم من أعظم المقصودين بذلك لكتمانهم ما عندهم[٤] . قال الحرالى : لأن المسمين[٥] بالناس من أصاغر سن القلوب لما ذكر من نوسهم[٦] . و أكثر ما يخص به كما تقدم الملوك و رؤساء القبائل و أتباعهم الذين زين لهم حب الشهوات - انتهى[٧] . ﴿فى الكتب﴾ أى الجامع لكل خير .

١٤٩ /

= و الحدود و سائر الأحكام ، و الهدى أمر محمد صلى الله عليه وسلم نعته و اتباعه - البحر المحيط ١ / ٤٥٨ .

(١) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : احسه - كذا (٢ - ٢) ليست فى ظ .

(٣) من م و مد ، و قد قدمه فى الأصل على « اى بما لنا » (٤-٤) ليست فى ظ .

(٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : السمين - كذا (٦) فى الأصل : يوسهم ، و التصحيح من بقية الأصول (٧) و الأظهر عموم الآية فى الكاتمين و فى الناس و فى الكتاب و إن نزلت على سبب خاص فهى تتناول كل من كتم علما من دين الله يحتاج إلى بثه و نشره و ذلك مفسر فى قوله صلى الله عليه وسلم : من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من النار ، و ذلك إذا كان لا يخاف على نفسه فى بثه ، و قد فهم الصحابة من هذه الآية العموم و هم العرب الفصح المرجوع إليهم كما روى عن عثمان و أبى هريرة و غيرهما : لو لا آية فى كتاب الله ما حدثتكم - البحر المحيط ١ / ٤٥٨ .

قال

قال الحرالى: فما بينه الله سبحانه و تعالى فى الكتاب لا يحل كتمه، لما ذكر من أن الكتاب هو ما احتوى على الأحكام و الحدود بخلاف ما يختص بالفرقان أو يعلو إلى رتبة القرآن - [1] انتهى.

و لما كان المضارع دالا على التجديد[2] المستمر و كان الإصرار المتصل[3] بالموت دالا على [4] سوء الجبلة [4] أسقط فاء السبب إشارة إلى استحقاقهم للخزى فى نفس الأمر من غير نظر إلى سبب فقال: ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ يلعنهم الله ﴾ أى يطردهم [5]الملك الأعظم طرد خزى و ذل[5] ﴿ و يلعنهم اللعنون ﴾ أى كل من يصح منه لعن؛ أى هم متهيؤن[6] لذلك ثم يقع لهم ذلك بالفعل عند كشف الغطاء، [7]و اللعن إسقاط الشىء إلى أردى محاله حتى يكون فى الرتبة بمنزلة الفعل من العامة - قاله الحرالى[7]: و أخص من ذلك و أسهل تناولا أن يقال: لما كان أشق الصبر ما[8] على فقد المحبوب من الالف و الأمن و السعة و كان العلم واقعا بأن عداوة الكفار لهم ستؤول إلى ابتلائهم بذلك اتبع [آية -[9]] الصبر بقوله: "و لا تقولوا - الآيتين" فكأنه قيل: و لا تقولوا كذا فليكتبن[10] عليكم الجهاد عموما "و لنبلوكم" فيه "بشىء من الخوف - الآية" لأن الصفا و المروة من شعائر الله

(١) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ (٢) من مد، و فى الأصل وم: التحديد (٣) من م و مد، و فى الأصل: بالفضل (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل: سو ر الجبلة (٥-٥) ليست فى ظ (٦) فى م: المتسيبون، و فى ظ: مهيون، و فى مد: متهيون (٧-٧) ليست فى م و مد (٨) ليس فى ظ (٩) زيد من م و مد و ظ. (١٠) فى ظ: فلنكتبن.

و وصولكم إليها[1] ممنوع بالكفار فلابد فى الفتح من قتالهم و قد جرت العادة فى القتال بمثل ذلك البلاء .

و لما تم أمر القبلة و ما استتبعه و ختم بشريعة الحج المكتوبة على الناس عامة الأمر لهم بها بانى البيت إبراهيم عليه الصلاة و السلام عن أمر الله سبحانه و تعالى بقوله إذ قام[2] المقام : يا أيها الناس! كتب عليكم الحج فحجوا ، فأجابه من علم الله سبحانه و تعالى أنه يحج ثم حجت[3] الأنبياء من بنى إسرائيل بن إبراهيم عليهما السلام ثم أخفاها أهل الكتاب فيما أخفوه من كتابهم حسدا للعرب و ختمت آية الحج بعليم[4] رجع إلى أمر الكاتمين الذين يكتمون الحق و هم يعلمون ، و أعظم ما كتموه أمر هذا الكتاب الذى هو الهدى المفتتح به السورة ، و لما بين جزاءهم استثنى منهم التائبين مبينا لشرائط التوبة الثلاثة فقال : ﴿ الا[5] الذين تابوا ﴾ بالندم على ارتكاب الذنب ﴿ و اصلحوا ﴾ بالعزم على عدم العود ﴿ و بينوا ﴾ ما كانوا كتموه فظهرت توبتهم بالإقلاع .

[6] و لما كان الإنسان يحب ما كان بسبب منه رغبهم[7] فى المتاب بعد توبتهم سببا لتوبته و رحمته و إن كان ذلك كله مَنّا منه فى نفس

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اليها (٢) زيد فى ظ و مد : على (٣) فى م و ظ : حجه ، و فى مد : حج (٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : يعلم . (٥) هذا استثناء متصل ، و معنى ﴿تابوا﴾ عن الكفر إلى الإسلام ، أو عن الكتمان إلى الإظهار ـ قاله أبو حيان فى البحر المحيط ١ / ٤٥٩ (٦) العبارة من هنا إلى « بالفاء » ليست فى ظ (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رعيهم .

الأمر فقال معبرا بالفاء : ﴿ فاولئك ﴾ العالو الرتبة[1] ﴿ اتوب عليهم ﴾ [2]أى أقبل توبتهم[2] فأحفظهم بما يشعر به مثال الفعل الدائم فيما وفقتهم لابتدائه ، و فى[3] الربط بالفاء إشارة إلى إسراع[4] استنقاذ توبة الله عليهم من نار الخوف و الندم رحمة منه لهم برفعهم إلى موطن الإنس ، لأن نار الخوف فى الدنيا للقترف رحمة من عذاب النار تفدية من نار السطوة فى ٥ الآخرة ، من لم يحترق بنار المجاهدة أحرقته نار الخوف ، فمن لم يحترق بنار الخوف أحرقته نار السطوة ـ أفاده الحرالى[5] . و لما كان من شأن الإنسان معاودة الذنوب لصفة النسيان ختم الآية بما دل على أن التقدير: فانى أحب التوابين فقال : ﴿ و انا التواب ﴾ أى مرة بعد مرة لمن كر على الذنب[6] ثم راجع التوبة كرة إثر كرة ﴿ الرحيم ﴾ لمن فعل ما يرضينى . ١٠

و لما لعن الكاتمين و استثنى منهم التائبين ذكر المصرّين معبرا عن كتمانهم بالكفر لتعم العبارة[7] كل[8] كفر فقال[9] : ﴿ ان الذين كفروا ﴾

(١) فى الأصل : الزينة ، و التصحيح من بقية الأصول (٢ ـ ٢) ليست فى ظ . (٣) ليس فى ظ (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الاسراع (٥) قال أبو حيان الأندلسى : ﴿ فاولئك ﴾ إشارة إلى من جمع هذه الأوصاف من التوبة و الإصلاح و التبيين ﴿ اتوب عليهم ﴾ أى أعطف عليهم ، و من تاب الله عليه لا تلحقه لعنة ـ البحر المحيط ١ / ٤٦٠ (٦) فى مد : الذنوب (٧) من م و مد . و فى الأصل و ظ : العبادة (٨) ليس فى ظ (٩) لما ذكر حال من كتم العلم و حال من تاب ذكر حال من مات مصرا على الكفر ، و بالغ فى اللعنة بأن جعلها مستعلية عليه و قد تجللته و غشيته فهو تحتها ، و هى عامة فى كل من كان كذلك ، و قال أبو مسلم : هى مختصة بالذين يكتمون ما أنزل الله فى الآية قبل ، و ذلك أنه ذكر حال الكاتمين ثم ذكر حال التائبين ثم ذكر حال من مات من غير توبة منهم ، و لأنه لما ذكر أن الكاتمين ملعونون فى الدنيا حال الحياة ذكر أنهم ملعونون أيضا بعد الممات ـ البحر المحيط ١/٤٦٠ .

أى بهذا الكتمان و غيره ﴿ و ماتوا و هم كفار ﴾ قال الحرالى: فى إشعاره يسر[١] توبة الكافرين و عسر توبة المنافقين من حيث صرح بذكر توبة الكاتم و تجاوز[٢] فى الذكر توبة الكافر، فكان الذين كفروا يتوبون[٣] إلا الأقل و الذين يكتمون يتمادون إلا الأقل، فلذلك

١٥٠/ ٥ / [وقع -[٤]] الاستثناء فى الكاتم و التخصيص من الكافر - انتهى .

[٥] و لما كان الموت على شىء دالا على أصل الجبلة[٦] فالميت كافرا مجبول جبلة شر بيّن سبحانه و تعالى أنه مستحق فى نفس الأمر لكل خزى[٧] لذلك [٨] لا لسبب[٨] جدده[٩]، فمن وجد خيرا فليحمد الله، و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه، لأنه سبحانه و تعالى لا يسأل

١٠ عما يفعل، فأسقط فاء السبب و[١٠] عبر عنهم بأداة البعد[١١] إشارة إلى طردهم فقال: ﴿ اولئك ﴾[١٢] [١٣]الذين هم فى غاية السفول[١٣] ﴿ عليهم لعنة الله ﴾ أى طرد[١٤] ١٣ الملك الذى لا ملك سواه١٣ و إبعاده، ثم بين اللاعنين[١٥] فى التى قبلها فقال: ﴿ و الملئكة و الناس اجمعين ﴾ أى[١٦] هم أهل لذلك ١٣ و كل أحد يلعن الظالم و أظلم الظالمين الكافر١٣

١٥ ﴿ خلدين فيها ﴾ أى اللعنة .

(١) من م و ظ، و فى الأصل و مد: بيسر (٢) من م و ظ، و فى الأصل و مد: يجاوز، و لا يتضح فى مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يقولون .
(٤) زيد من م و ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى « فاء السبب » ليست فى ظ .
(٦) من م و مد، و فى الأصل: الحيله (٧) فى م و مد: شر (٨-٨) فى مد: السبب (٩) فى مد: حدده (١٠) فى ظ: ثم (١١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: التعمد (١٢) زيد فى م و مد: اى (١٣-١٣) ليست فى ظ (١٤) فى ظ: طرده (١٥) فى م: اللاعنين (١٦) فلعنة الله هى التى تجر لعنة الملائكة و الناس، ألا ترى إلى قول بعض الصحابة: و مالى لا ألعن من لعنه الله على لسان رسوله =

و لما

و لما كان اللعن دالا على العذاب صرح به فقال: ﴿ لا يخفف عنهم العذاب ﴾ لاستعلاء اللعن عليهم و إحاطته بهم . و قال الحرالى: ذكر وصف العذاب بذكر ما لزمهم من اللعنة ليجمع لهم بين العقابين: عقابا من الوصف و عقابا من الفعل، كما يكون لمن يقابله نعيم و رضى - انتهى . ﴿ و لا هم ينظرون ۞ ﴾ قال الحرالى: من النظرة و هو التأخير المرتقب نجازه[1] فالمعنى أنهم لا[2] يمهلون[3] من [مهل -[4]] ما أصلا كما يمهلون فى الدنيا -[5] بل يقع عليهم العذاب حال فراقهم للحياة ثم لا يخفف عنهم . قال الحرالى: ففيه[6] إشعار بطائفة[7] أى من عصاة المؤمنين[7] يؤخر عذابهم ، و فى مقابلة علم الجزاء بأحوال [أهل -[8]] الدنيا تصنيفهم بأصناف فى اقتراف[9] السوء ، فمن داومه داومه العذاب و من أخره وقتا ما فى دنياه أخر عنه العذاب ، و من تزايد فيه تزايد عذابه ، و ذلك لكون الدنيا مزرعة الآخرة و أن الجزاء بحسب الوصف "سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم ۞[10] " انتهى .

و لما أفاض عليهم سبحانه و تعالى ما أفاض من بحار الحجاج المفرقة[11] بالأمواج و قرر ما أراد من شرائع الإسلام على وجه الإتقان

= . . . . ثم ثنى بالملائكة لما فى النفوس من عظم شأنهم و علو منزلتهم و طهارتهم، ثم ثلث بالناس لأنهم من جنسهم فهو شاق عليهم لأن مفاجأة المماثل من يدعى المماثلة بالمكروه أشق بخلاف صدور ذلك من الأعلى - البحر المحيط ١/ ٤٦٢ .

(١) فى ظ : نجاته . و زيد فيه بعده : انتهى (٢) فى م : ما (٣) العبارة من هنا إلى «اصلا» ليست فى ظ (٤) زيد من م ومد (٥) زيد فى الأصل « مهل » ولم تكن الزيادة فى بقية الأصول فحذفناها (٦) فى م وظ ومد: ففى افهامه (٧-٧) ليست فى ظ ومد (٨) زيد من م وظ ومد (٩) من م و مد وظ، و فى الأصل : اقتران. (١٠) سورة ٦ آية ١٣٩ (١١) هكذا فى الأصل ومد، و فى م و ظ : المغرقة .

و الإحكام و أرشد هذا السياق المذكور فيه ثواب المطيع و عقاب العاصى إلى أن التقدير: فالهكم إله واحد لا شريك له يدافعه عما يريد لا إله إلا هو المنتقم من أعدائه العظيم فى كبريائه ، عطف عليه مكررا الزاجر لكل منافق و كافر و مذكرا بالعاطف لكل موافق مؤالف قوله تعالى: ﴿ و الهكم - ١ ﴾ [١] و لما كان المراد أن الوحدة معتبرة فى نفس الأمر فى الإله الحق، فلا يصح أصلا أن يكون الإله الحق منقسما بالنوع و لا بالشخص و لا بالوصف و لا بالفعل و لا بغير ذلك بوجه من الوجوه أعاد لفظ الإله فقال [٢] : ﴿ اله واحد ﴾ أى [٣] لا ينقسم بوجه من الوجوه لا بمجانسة و لا بغيرها [٤] و هو مع ذلك ﴿ لا اله الا هو - ٥ ﴾ [٢] فهذا تقرير للوحدانية بنفى غيره و إثباته [٢] فلا [٦] يصح

(١) ظاهر الخطاب أنه لجميع المخلوقات المتصور منهم العبادة ، فهو إعلام لهم بوحدانية الله تعالى ، و يحتمل أن يكون خطابا لمن قال : صف لنا ربك و انسبه ، أو خطابا لمن يعبد مع الله غيره من صنم و وثن و نار ـ البحر المحيط ١ / ٤٦٢ .

(٢-٢) ليست فى ظ (٣) زيد فى ظ : الذى . و فى البحر المحيط : و الواحد المراد به نفى النظير أو القديم الذى لم يكن معه فى الأزل شىء ، أو الذى لا أبعاض و لا أجزاء ، أو المتوحد فى استحقاق العبادة ـ أقوال أربعة أظهرها الأول ، تقول : فلان واحد فى عصره ، أى لا نظير له و لا شبيه ، و ليس المعنى هنا بواحد مبدأ العدد (٤) فى م و ظ و مد : لا غيرها (٥) و فى البحر المحيط ١/٤٦٢ و ٤٦٣ : توكيد لمعنى الواحدانية و نفى الإلهية عن غيره ، و هى جملة جاءت لنفى كل فرد فرد من الآلهة ، ثم حصر ذلك المعنى فيه تبارك و تعالى ، فدلت الآية الأولى على نسبة الواحدية إليه تعالى ، و دلت الثانية على حصر الإلهية فيه من اللفظ الناص على ذلك و إن كانت الآية الأولى تستلزم ذلك ، لأن من ثبتت له الواحدية ثبتت له الإلهية (٦) فى ظ : لا .

بوجه و لا يمكن فى عقل أن يصلح للالهية غيره أصلا[١] . [٢] فلا يستحق العبادة إلا هو[٢] لأنه ﴿ الرحمٰن ﴾ أى العام الرحمة بالنعم الزائلة لأوليائه و أعدائه ﴿ الرحيم ﴾ أى المخصص بالنعم الباقية لأوليائه ، فثبت بالتفرد[٣] بالألوهية أنـــه حائز بجميع[٤] العظمة و بيده مجامع الكبرياء و القهر ، و بوصفى[٥] الرحمة أنه مفيض لجلائل[٦] النعم و دقائقها . فكل ما سواه إما نعمة أو منعم عليـه ، فهو المخشى سطوته المرجو رحمته . يغفر لمن يشاء[٧] و يلعن من كفر و يخلده فى العذاب من غير أن يقدر

(١) و قال فى المنتخب : لما قال تعالى ﴿و الٰهكم الٰه واحد﴾ أمكن أن يخطر ببال أحد أن يقول : هب أن إلهنا واحد فلعل إله غيرنا مغائر لإلهنا ، فلا جرم أزال ذلك الوهم ببيان التوحيد المطلق فقال ﴿لا الٰه الا هو﴾ ، فقوله : لا الٰه ، يقتضى النفى العام الشامل، فاذا قال بعده : إلا الله ، أفاد التوحيد التام المطلق المحقق ؛ و لا يجوز أن يكون فى الكلام حذف كما يقوله النحويون ، و التقدير : لا إله لنا أو فى الوجود إلا الله . لأن هذا غير مطابق للتوحيد الحق ، لأنه إن كان المحذوف «لنا» كان توحيدا لإلٰهنا لا توحيدا للا لٰه المطلق ، فحينئذ لا يبقى بين قوله ﴿و الٰهكم الٰه واحد﴾ وبين قوله ﴿لا الٰه الاهو﴾ فرق، فيكون ذلك تكرارا محضا و انه غير جائز، و أما إن كان المحذوف «فى الوجود» كان هـذا نفيا لوجود الإلـٰه الثانى ، أما لو لم يضمر كان نفيا لماهية الإلٰه الثانى و معلوم أن نفى المـاهية أقوى فى التوحيد الصرف من نفى الوجود ، فكان إجراء الكلام على ظاهره و الإعراض عن هذا الإضمار أولى ؛ و إنما قدم النفى على الإثبات لغرض إثبات التوحيـد و نفي الشركاء و الأنـداد ـ البحر المحيط ١/٤٦٣ (٢-٢) ليست فى ظ (٣) فى ظ و مد: للتفرد (٤) فى مد: لجميع (٥) فى الأصول : لوصفى ، مع أنه معطوف على « بالتفرد » (٦) فى ظ : بجلائل (٧) فى م و ظ : تاب ، و فى مد : يتاب .

غيره أن يعترض عليه فى شىء من ذلك ؛ و لا يبعد عندى[1] و إن بعد المدى أن تكون الواو فى قوله "و الهكم" عاطفة[2] على قوله فى أوائل السورة "و هو بكل شىء عليم" قبل قوله "و اذ قال ربك للملئكة انى جاعل فى الارض خليفة" فان التوحيد هو المقصود بالذات و عنه تنشأ جميع العبادات ، فلما قال أولا "يايها الناس اعبدوا ربكم" اتبعه فى قوله "الذى خلقكم - إلى آخره" بوصف هو دليل استحقاقه للعبادة ، فلما قام الدليل قال "فلا تجعلوا لله اندادا" إعلاما بأنه لا شريك له فى العبادة كما أنه قد تبين أنه لا شريك له فى الخلق . ثم اتبعه بما يليق لذلك المقام مما تقدم التنبيه[3] عليه ، ثم رجع إليه قائلا ثانيا "كيف تكفرون بالله و كنتم امواتا فاحياكم - إلى آخرها" فأعاد الدليل على وجه أبين من الاول و أبسط ، فلما تقرر على وجه لا مطعن فيه أمر الوحدانية و الإعادة كان الأنسب ما أولاه من الآيات السابقة لما ذكر فيها من غير ذلك من المهمات إلى أن صار إلى ذكر الكاتمين و التائبين و المصرين و ذكر ما أعد لكل من الجزاء فاتبع ذلك [هذه -[4]] الآية عاطفا لها على ما ذكرته على وجه أصرح مما تقدم فى إثبات التوحيد بيانا لما هو الحق و إشارة إلى أنه تعالى ليس كملوك الدنيا [الذين -[4]] قد يحول بينهم و بين إثابة[6] بعض الطائعين و عقوبة بعض العاصين

/١٥١/

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : عنه شىء (٢) فى م : عاطف (٣) فى مد : التشبيه (٤) زيد من م وظ و مد (٥) زيد من م ومد (٦) من م و مد وظ ، و فى الأصل : الاية .

بعض أتباعهم ، فانه واحد لا [1] كفوء له [1] بل و لا مدانى فلا مانع لنفوذ أمره ؛ و لا يستنكر تجويز هذا العطف لأنه جرت عادة البلغاء أن أحدهم إذا أراد إقامة الحجة على شيء لأمر يرتبه عليه أن يبدأ بدليل كاف ثم يتبعه تقريب الثمرات المجتناة منه ثم يعود إلى [2] تأكيده على وجه آخر لتأنس به النفوس [3] و تسرّ به [3] القلوب ، و ربما كان الدليل طويل الذيول كثير الشعب ، فيشرح كل ما يحتاج إليه من ذيوله و ما يستتبعه من شعبه ، فاذا استوفى ذلك و رأى أن الخصم لم يصل إلى غاية الإذعان أعاد له الدليل على وجه آخر عاطفا له على الوجوه الأول تذكيرا بما [4] ليس بمستنكر ذلك فى مجارى عاداتهم و مبانى خطاباتهم [5] . و من تأمل مناظرات الباقلانى و أضرابه من أولى الحفظ الواسع و التبحر فى العلم علم ذلك . و [6] قال الحرالى : و لما كان مضمون الكتاب دعوة الخلق إلى الحق ، و التعريف بحق الحق على الخلق ، و إظهار مزايا من اصطفاه الله تعالى ممن شملهم أصل الإيمان من ملائكته و أنبيائه و رسله و من يلحق بهم من أهل ولايتهم ، و إظهار شواهد ذلك منهم و إقامة الحجة بذلك على من دونهم فى إلزامهم أتباعهم ، و كان الضار للخلق إنما هو الشتات كان النافع لهم إنما هو الوحدة ، فلما أظهر لهم تعالى مرجعهم إلى وحدة أبوة آدم عليه الصلاة و السلام فى جمع [7] الذرية

(١ - ١) فى م : كقوله (٢) فى الأصل : اى ، و التصحيح من بقية الأصول .
(٣-٣) وقع فى ظ : تشريه ـ كذا مصحفا (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : لها ، و فى مد : بها (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : خطاياهم (٦) ليس فى م و مد (٧) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : جميع .

و وحدة أبوة إبراهيم عليه الصلاة و السلام فى جمع[١] الإسلام و وحدة[٢] أحمدية محمد صلى الله عليه و سلم فى جمع[١] الدين فاتضح[٣] لهم عيب[٤] الشتات و التفرق و تحقق لهم شاهد النفع فى الجمع إلى وحدات كان ذلك آية على أعظم الانتفاع بالرجوع إلى وحدة[٥] الإلهية فى أمر الحق و فى إفهام ذلك وحدات ما يظن فى ظاهر الوحدات الظاهرة[٦] من وحدة الروح و وحدة النفس و العقل فقال تعالى عطفا على ما ظهر بناؤه من الوحدات الظاهرة[٦] و ما أفاده إفهامها من الوحدات الباطنة : "و الهكم اله واحد" فاذا قبح الشتات مع وحدة الأب الوالد فكيف به مع وحدة[٧] الأب المدبّر ! فكيف به مع وحدة[٧] النبي المكمل ! فكيف به مع وحدة الإله الذى هو الرحمن الذى شمل خلقه رحمانية ! الرحيم الذى اختص أولياءه و أصفياءه عناية فجمعهم بوحدته التى هى قائم كل وحدة دونه ! فجميع أسمائه لها وحدة تنتهى وحدتها[٨] إلى وحدة الإله الذى انتهى إليه الأله[٩] و هو تعبد الظاهر لإلجاء[١٠] المتعبد إليه فى كل حاجاته و إقاماته[١١] الظاهرة و الباطنة ، و لا أتم من وحدة ما لا[١٢] يتصوره

---

(١) فى مد : جميع (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : وحدية (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فانفتح (٤) فى م : غيب (٥) فى الأصل : وحيدة ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦-٦) ليست فى ظ (٧-٧) ليست فى م (٨) فى الأصل : و حلتها ، و التصحيح من بقية الأصول (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الامر له (١٠) فى الأصل : لايجاء ، و التصحيح من م و ظ و مد . (١١) فى م : اقامة (١٢) ليس فى ظ .

العقل و لا يدركه الحس فى علو وحدة الغيب الذى لا يبدو فيه ذات فيكون لها أو فيها كميات و لا كيفيات؛ ثم قال: و قد صح بالتجربة أن الراحة فى صحبة الواحد و أن التعب فى اتباع العدد، لاختصاص كل واحد بقصد فى التابع يتشاكس عليه لذلك[1] حال اتباعهم، فكان أعظم دعوة إلى جمع[2] الخلق دعوتهم إلى جمع توحيد الإلهية انتظاما بما ٥ دعوا إليه من الاجتماع فى اسم الربوبية فى قوله تعالى متقدما "يا أيها الناس اعبدوا ربكم" فاعلاء الخطاب من رتبة الربوبية إلى رتبة هذه الدعوة[3] بالإلهية لتعلو من هذا الحد إلى الدعوة إلى الله الأحد الذى أحديته مركوزة فى كافة فطر الخلق و جبلاتهم حين لم يقع الشرك فيه بوجه و إنما وقع فى رتبة الإلهية، فكان هذا أوسط الدعوة بالاجتماع فى ١٠ وحدة الإلهية و فى إضافة اسم الإله إليهم أتم تنزل بمقدار معقولهم من تعبدهم الذى هو تألههم[4]؛ و لما كان فى الإلهية دعوى[5] كثرة توهم[6] الضلال المبين اتبع ذلك بكلمة التوحيد بناء على اسمه المضمر فى باطن ظاهر الإلهية[7] فقال تعالى "لا اله الا هو" ردا على إضمار ما فى الأول و لم يذكر اسمه المظهر ليكون للدعوة إليه رتبة عالية تكون[8] هذه متوقلا ١٥ إليها، و لما / كان هذا التوحيد الإلهى أمر غيب من الإله أظهره سبحانه / ١٥٢

(١) فى م فقط: كذلك (٢) فى م: جميع (٣) زيد فى م: بالاجتماع فى الالهية.
(٤) فى الأصل: نالهم، و التصحيح من م و مد و ظ (٥) فى الأصل: دعوة، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) من م، و فى الأصل و ظ: يوهم، و فى مد: بوهم (٧) فى ظ: الادلة (٨) فى م: لتكون.

و تعالى بمظهر الرحمانية المحيطة الشاملة و الرحيمية الاختصاصية لما عند الخلق من شاهد ذلك فيما يجدونه من أثر الرحمانية فى دنياهم و آثارهم[1] و ما يجدون من[2] آثار الرحيمية [فى اختصاصهم المزية فى تضاعف رحمته، فكان فى مجموع هذه الآية أعظمية من غيب الإلهية إلى تمام اختصاص الرحيمية - ٣]، فلذلك كانت هذه الآية مع آية الإحاطة فى [أول - ٤] آل عمران الجامعة لمقابلة[5] ما فى هذه الآية من خصوص الرحيمية[6] مع خصوص مقابلها من وصف الانتقام الظاهر عن وصف العزة الذى أبداه[7] قوله سبحانه و تعالى "و الله عزيز ذو انتقام" فكانت هذه الآية لذلك مع "الٓمٓ ۞ الله لا اله الا هو الحى القيوم[8] ۞" اسم الله الأعظم المحيط بالغيب و الشهادة جمعا للرحمة و النقمة فى الظاهر و إحاطة عظمة فى الباطن، فكان هذا الحد من علو الخطاب ابتداء رفع[9] الخلق

(١) فى م و ظ و مد: ظاهرهم (٢) فى م: فى (٣) زيدت من ظ، و زيد فى الأصل: الرحيمية - فقط (٤) زيد من م و ظ و مد (٥) فى م و ظ و مد: لمقابل (٦) ﴿الرحمن الرحيم﴾ ذكر هاتين الصفتين منبها بهما على استحقاق العبادة له لأن من ابتدأك بالرحمة أنشأ بشرا سويا عاقلا و تربية فى دار الدنيا موعودا الوعد الصدق بحسن العاقبة فى الآخرة جدير بعبادتك له و الوقوف عند أمره و نهيه، و أطمعك بهاتين الصفتين فى سعة رحمته، و جاءت هذه الآية عقيب آية مختومة باللعنة و العذاب لمن مات غير موحد له تعالى إذ غالب القرآن إذا ذكرت آية عذاب ذكرت آية رحمة و إذا ذكرت آية رحمة ذكرت آية عذاب - قاله أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١ / ٤٦٤ (٧) فى مد: ابده.
(٨) سورة ٣ آية ١ و ٢ (٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: وقع.

إلى

إلى التعلق باسم الله الأعظم الذى يرفعهم عن سفل تقيدهم[1] بأنفسهم المحقرة إظهارا لمبدإ العناية بهذه الأمة الخاتمة - انتهى.

و لما كان هذا المقام لا يصح إلا بتمام العلم و كمال القدرة نصب الأدلة على ذلك فى هذه الآية الثالثة بأبسط مما[2] فى الآية الثانية كما كانت الثانية أبسط من الأولى و أجلى تبصيرا[3] للجهال و تذكيرا للعلماء؛ فكانت هذه الآية تفصيلا لتينك الآيتين السابقتين و لم تدع حاجة إلى مثل هذا التفصيل[4] فى آية آل عمران، لأن معظم المراد بها الدلالة على شمول[4] القدرة [و أما هذه فدليل على[5] التفرد، فكان لابد من ذكر ما ربما أضيف إلى أسبابه القريبة[6]] تنبيها على أنه لا شريك له فى شىء من ذلك و أن الكل بخلقه و إن أقام لذلك أسبابا ظاهرية فقال تعالى: ﴿ ان فى خلق السمٰوٰت[7] و الارض ﴾ [8]أى و اختلافهما[9] فان

---

(١) فى الأصل: تعبدهم، و التصحيح من بقية الأصول (٢) فى م و مد: ما (٣) فى م: تبصرا (٤) ليس فى م (٥) ليس فى ظ (٦) زيدت من م و ظ و مد (٧) زيد فى م و مد: جمعها لاختلاف أجناسها و لأن تعددها يعرف بالكواكب فتسهل إقامة الدليل عليه، و قدمها لأنها أشرف و أعجب خلقا و أكبر (٨) روى أنه لما نزل ﴿والهكم اله واحد﴾ قالت كفار قريش: كيف يسع الناس إله واحد؟ فنزل ﴿ ان فى خلق السمٰوٰت ﴾ و لما تقدم وصفه تعالى بالوحدانية و اختصاصه بالألوهية استدل بهذا الخلق الغريب و البناء العجيب استدلالا بالأثر على المؤثر و بالصنعة على الصانع و عرفهم طريق النظر و فيم ينظرون فبدأ أولا بذكر العالم العلوى فقال: ﴿إن فى خلق السمٰوٰت﴾ وخلقها إيجادها و اختراعها أو خلقها و تركيب =

خلق ما ذكر فى الآية من نعمته على عباده كما ذكر فى أول السورة، ثم ذكر ما ينشأ عنهما[1] فقال: ﴿و اختلاف﴾ و هو افتعال[2] من الخلف، و هو ما يقع من افتراق بعد اجتماع فى ٣ أمر من ٣ الأمور ﴿اليل﴾[4] قدمه لأنه الأصل و الأقدم "و اٰية لهم الّيل[5]" ﴿و النهار﴾ ٥ [6]و خلقهما، فالآية من الاحتباك[7]، ذكر الخلق أولا دليلا على حذفه ثانيا و الاختلاف ثانيا[8] على حذفه أولا[9]. و قال الحرالى: و لما كان من سنة الله أن من دعاه إليه و إلى رسله بشاهد خرق عادة[10] فى خلق أو أمر عاجله بالعقوبة فى الدنيا و جدد بعده أمة أخرى كما قال سبحانه و تعالى: "و ما منعنا ان نرسل بالاٰيٰت الا ان كذب بها الاولون[11]"، ١٠ و كانت هذه الأمة خاتمة ليس بعدها أمة غيرها أعفاها ربها من

= أجرامها وائتلاف أجزائها، من قولهم: خلق فلان حسن، أى خلقته و شكله - البحر المحيط ١/٤٦٤ (٩) فى ظ: اختلافها.

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: عنها (٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: فعل (٣-٣) من م ومد و ظ، و فى الأصل: امرين (٤) العبارة من هنا إلى «اليل» الآتى ليست فى ظ (٥) زيد فى م و مد: الآية. سورة ٣٦ آية ٣٧ (٦) العبارة من هنا إلى «حذفه اولا» ليست فى م (٧) فى الأصل: الاحتيال، و التصحيح من مد و ظ.

(٨) زيد فى ظ: دليلا (٩) قال أبو حيان الأندلسى: اختلافهما باقبال هذا و إدبار هذا، أو اختلافهما بالأوصاف فى النور و الظلمة و الطول و القصر، أو تساويهما - قاله ابن كيسان. و قدم الليل على النهار لسبقه فى الخلق، قال تعالى: "و اٰية لهم اليل نسلخ منه النهار" البحر المحيط ١/٤٦٥ (١٠) فى مد: العادة (١١) سورة ١٧ آية ٥٩.

احتياجها إلى خرق العوائد ، قال عليه الصلاة و السلام : ما من نبي إلا و قد أوتى من الآيات ما مثله أمن[1] عليه البشر ، و إنما كان الذى آتانى[2] الله[3] وحيا أوحاه الله سبحانه و تعالى إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا . فكان أمر الاعتبار أعم إجابة و أسمح مخالفة و كفاها بما قد أظهره [لها -[4]] فى خلقه بالإبداء و التسخير من الشواهد ، ليكونوا ٥ علماء منقادين لروح العلم لا[5] لسلطان القهر ، فيكون ذلك من مزاياهم على غيرهم ، و لم يجبها إلى ما سألتـــه من ذلك ، فلما[6] وصل[7] تعالى بدعوة الربوبية ذِكْر الخلق و الرزق و ذكر الأرض بأنها فراش والسماء بأنها بناء على عادة العرب فى رتبة حس[8] ظاهر أعلاهم فى هذا الخطاب بإيراد آياته و شواهده على علو رتبة معنى معقول فوق رتبة الأمر ١٠ المحسوس [السابق فقال : "ان فى خلق السمٰوٰت و الارض" خطابا مع من له نظر عقلى يزيد على نظر الحس -[9]] باعتبار السماوات أفلاكها و عددها بشواهد نجومها حتى يتعرف أنها سماوات معدودة ، و ذلك مما يظهر موقعه عند من له اعتبار فى[10] مخلوق السماوات ؛ و لما لم يكن للأرضين شواهد محسوسة بعددها كما فى[11] السماوات لم يجر ذكرها ١٥ فى القرآن إلا[12] مفردة[13] ، و جاء ذكر السماوات معددة لأهل النظر

(١) فى مد فقط : آمن (٢) فى م : اتاه (٣) زيد فى م : لى (٤) زيد من م و ظ و مد.
(٥) فى م : الا (٦) فى م و ظ و مد : فكما (٧) فى ظ : و صلت (٨) فى مد : حسى ، و فى ظ : حسن (٩) زيد من م و ظ و مد (١٠) فى م : من (١١) زيد فى م : ظاهر .
(١٢) زيد فى م : فى (١٣) قالوا : و جمع السماوات لأنها أجناس ، كل سماء من =

العقلى و مفردة لأهل النظر الحسى ، و أيسر معتبر ما بين السماوات و الأرض فى مقابلة حظيهما فى كون السماوات فى حد من العلو و الصفاء و النورانية و الحركة ، و الأرض فى مقابل ذلك من السفل و الكثافة و الظلمانية و السكون ، فيقع الاعتبار بحصول مشهود التعاون من مشهود التقابل ، و ذلك مما يعجز الخلق فيعلمون أنه من[2] أمر الحق ، لأن الخلق إنما يقع لهم التعاون بالمتناسب لا بالمتقابل ، فمن آلته الماء مثلا تفسد[3] عليه النار . و من آلته النار يفسد عليه الماء ، و الحق سبحانه و تعالى أقام للخلق و الموجودات[4] و الموالد آحادا مجتمعة قد قهر فيها متنافرات موجودات الأركان و موجود[5] خلق السماء و الأرض المشهود / تقابلهما[6] ، فما وقع اجتماع النار بالماء على تقابل ما بين الحار و البارد ، و اجتماع الهواء بالأرض على تقابل ما بين الكثيف و اللطيف ، و اجتماع الكل فى شىء واحد من جسم واحد و عضو

١٥٣ /

=جنس غير جنس الأخرى ، و وحد الأرض لأنها كلها من تراب ؛ و بدأ بذكر السماء لشرفها و عظم ما احتوت عليه من الأفلاك والأملاك والعرش و الكرسى و غير ذلك ، و آياتها ارتفاعها من غير عمد تحتها و لا علائق من فوقها ثم ما فيها من النيرين الشمس و القمر و النجوم السيارة و الكواكب الزاهرة شارقة و غاربة و ممحوة و عظم أجرامها و ارتفاعها ـ البحر المحيط ١/٤٦٤ .

(١) من م وظ و مد ، و فى الأصل : ما (٢) زيد فى م : له (٣) فى ظ : يفسد . (٤) سقط من م (٥) فى ظ : مشهود (٦) و ذكر أرباب الهيئة أن الأرض نقطة فى وسط الدائرة ليس لها جهة و أن البحار محيطة بها و الهواء محيط بالماء و النار محيطة بالهواء و الأفلاك وراء ذلك ـ البحر المحيط ١/٤٦٥ .

واحد

واحد حتى فى جزء واحد من أدق أجزائه إلا بأمر يعجز عنه الخلق ولا يقدر عليه إلا الحق الذى يحار فيه الخلق، فهو إذن إلههم الذى هو إله واحد، آثاره[1] موجودة فى أنفسهم، و شواهده[2] مبصرة بأعينهم و حقائق تلك الشواهد بادية لعقولهم، فكأنه سبحانه و تعالى أقرأهم ذكره الحكيم المرئى لأعينهم[3] كشفا لغطاء أعينهم ليتميزوا عن الذين كانت أعينهم فى غطاء عن ذكره. و لما ذكر[4] سبحانه و تعالى خلق متقابل[5] العلو و السفل فى ذكر السماوات و الأرض نظم بها اختلاف الأفقين اللذين فيهما ظهور مختلفى الليل و النهار ليتريع[6] اعتبارهم بين اعتبار الأعلى و الأسفل و المشرق و المغرب فيقع[7] شواهد الإحاطة بهم عليهم فى توحيد ربهم و إرجاع ذلك إليه دون أن يعزى ذلك إلى شىء من دونه مما هو داخل فى حصر موجود هذه الإحاطة من المحيط الأعلى و المحيط الأسفل و المحيط بالجوانب كلها من ملبس الآفاق من الليل و النهار خطابَ إجمال يناسب مورد السورة التى موضوعها إجمالات ما يتفسر فيها و فى سائر القرآن من حيث أنها فسطاطه و سنامه - انتهى.

و لما ذكر تعالى ما أنشأه عن سير الكواكب فى ساحة الفلك اتبعه سير الفلك فى باحة[8] البحر فقال: ﴿و الفلك﴾ و هو ما عظم من السفن

(١) من م و مد و ظ، و زيد بعده: عندهم، و فى الأصل: آثارهم (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: شواهد (٣) فى مد: لانفسهم (٤) فى ظ: ذكره تعالى. (٥) من م و مد و ظ: و فى الأصل: بتقابل (٦) من م و ظ، و فى الأصل و مد: ليتزيع - كذا بالزاى (٧) فى م و ظ و مد: فتقع (٨) فى م: بارحة.

[فى مقابلة - ١] القارب و هو المستخف منها٢ . قال الحرالى : استوى واحده و جمعه ، حركات الواحد أول فى الضمير و حركات الجمع ثوان فى الضمير من حيث أن الواحد أول و الجمع ثان مكسر٣ - ٤ انتهى . و لما أراد هنا الجمع لأنه أدل على القدرة ٥ وصف بأداة ٥ التأنيث فقال : ﴿ التى تجرى ﴾ بتقدير الله ، ٦ و حقق ٧ الأمر بقوله : ﴿ فى البحر ﴾ ٨ أسند الجرى إليها و من المعلوم أنه لا جرى لها حقيقة و لا فعل بوجه ترقية إلى اعتقاد مثل ذلك فى النجوم إشارة إلى أنه لا فعل لها و لا تدبير كما يعتقد بعض الفلاسفة ٨ . و قال الحرالى : و لما ذكر سبحانه و تعالى جملة الخلق و جملة الاختلاف فى الوجهين وصل بذلك إحاطة البحر بالأرض و تخلل ٩ التجار ١٠ فيها لتوصل المنافع المحمولة فى الفلك مما يوصل من منافع المشرق للغرب و منافع المغرب للشرق و منافع الشمال

---

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) قال أبو حيان الأندلسى : أول من عمل الفلك نوح على نبينا و عليه أفضل الصلاة و السلام و قال له جبريل عليه السلام : ضعها على جؤجؤ الطائر ، فالسفينة طائر مقلوب و الماء فى أسفلها نظير الهواء فى أعلاها - قاله أبو بكر بن العربى ، و آيتها تسخير الله إياها حتى تجرى على وجه الماء و وقوفها فوقها مع نقلها و تبليغها المقاصد و لو رميت فى البحر حصاة لغرقت ، و وصفها بهذه الصفة من الجريان لأنها آيتها العظمى - البحر المحيط ١/٤٦٥ (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : منكسر (٤) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٥ - ٥) فى م : وصفه بادلة ، و فى مد : وصفه باداة . (٦) العبارة من هنا إلى « بقوله » ليست فى ظ (٧) فى مد : حق (٨-٨) ليست فى ظ (٩) فى ظ فقط : حلل (١٠) فى م : البحار .

للجنوب و بالعكس ، فما حملت جارية شيئا ينتفع به [١] إلا و[٢] قد تضمن ذكره مبهم[٣] [٤] كلمة «ما» فى[٤] قوله تعالى: ﴿بما[٥] ينفع الناس﴾ و ذكرهم باسم الناس الذى هو أول من يقع فيه الاجتماع و التعاون و التبصر بوجه ما أدنى[٦] ذلك فى منافع الدنيا الذى هو[٧] شاهد هذا[٧] القول - انتهى .

و لما ذكر نفع البحر بالسفن ذكر من نفعه ما هو أعم من ذلك ٥ فقال: ﴿و ما انزل الله﴾ [٨] الذى له العظمة التامة[٨] ﴿من السماء﴾ أى جهتها باجتذاب السحاب له . [٩] و لما كان النازل منها على أنواع و كان السياق للاستعطاف إلى رفع الخلاف ذكر ما هو سبب الحياة فقال: [٩] ﴿من ماء فاحيا به الارض﴾ بما ينبت منها . [٩] و لما كان الإحياء يستغرق الزمن المتعقب للموت نفى الجار فقال: [٩] ﴿بعد موتها﴾ بعدمه[١٠] . ١٠

(١) زيد فى الأصل «و» و لم تكن الزيادة فى بقية الأصول فحذفناها (٢) ليس فى م و مد (٣) من م و مد و ظ . و فى الأصل: منهم (٤ - ٤) من مد و ظ ، و فى الأصل: كلهم ما فى ، و قد سقطت من م (٥) يحتمل أن تكون «ما» موصولة أى تجرى مصحوبة بالأعيان التى تنفع الناس من أنواع المتاجر و البضائع المنقولة من بلد إلى بلد فتكون الباء للحال ، و يحتمل أن تكون «ما» مصدرية أى ينفع الناس فى تجاراتهم و أسفارهم للغزو و الحج و غيرهما فتكون الباء للسبب ؛ و اقتصر على ذكر النفع و إن كانت تجرى بما يضر لأنه ذكرها فى محل الامتنان - البحر المحيط ١/٤٦٥ (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل: ادى . (٧ - ٧) فى ظ: مشاهد (٨ - ٨) ليست فى ظ . و فى م كلها - مكان: التامة . (٩ - ٩) ليست فى ظ (١٠) قال أبو حيان الأندلسى: كنى بالإحياء عن ظهور ما أودع فيها من النبات ، و بالموت عن استقرار ذلك فيها و عدم ظهوره ، =

و لما ذكر حياة الأرض بالماء أشار إلى أن حياة كل ذى روح به فقال: ﴿و بث﴾ من البث و هو تفرقة أحاد مستكثرة فى جهات مختلفة ﴿فيها﴾ بالخصب[1] ﴿من كل دابة﴾[2] من الدبيب و هو الحركة بالنفس[3]، قال الحرالى: أبهم تعالى أمر الخلق و الاختلاف و الإجراء فلم يسنده إلى اسم من أسمائه يظهره، و أسند إنزال الماء من السماء إلى اسمه العظيم الذى هو الله لموقع ظهور القهر على الخلق فى استدرار أرزاق الماء و استجداده[4] وقتا بعد وقت بخلاف مستمر ما أبهم من خلق السماوات و الأرض الدائم على حالة و اختلاف الليل و النهار المستمر على وجهة[5] و احتيال إجراء الفلك الماضى على حكم عادته، فأظهر اسمه فيما يشهد[6] به عليهم ضرورتهم إليه فى كل حول ليتوجهوا[7] فى العبادة إلى علو المحل الذى منه[8] ينزل الماء فينقلهم بذلك من عبادة ما فى الأرض إلى عبادة

= و هما كنايتان غريبتان، لأن ما برز منها بالمطر جعل تعالى فيه القوة الغاذية و النامية و المحركة، و ما لم يظهر فهو كامن فيها كأنه دفين فيها و هى له قبر.

(١) ليس فى ظ (٢) زيد فى م: اى (٣) ﴿و بث فيها من كل دابة﴾ فيكون ذلك أعظم فى الآيات، لأن ما بث تعالى فى الأرض من كل دابة فيه آيات عظيمة فى أشكالها و صفاتها و أحوالها و انتقالاتها و مضارها و منافعها و عجائبها و ما أودع فى كل شكل منها من الأسرار العجيبة و لطائف الصنعة الغريبة و ذلك من الفيل إلى الذرة و ما أوجد تعالى فى البحر من عجائب المخلوقات المباينة لأشكال البر فمثل هذا ينبغى إفراده بالذكر - البحر المحيط ١/٤٦٦ (٤) فى م: استجراده (٥) زيد فى ظ: واحدة (٦) فى م: تشهد (٧) من ظ، و فى بقية الأصول: ليوجهوا (٨) سقط من م.

من

من فى السماء "ءامنتم من فى السماء ان يخسف بكم الارض[١]" و قال عليه الصلاة و السلام للأمة : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : أعتقها / فانها مؤمنة . فاذن أدنى الإيمان[٢] التوجه إلى عبادة من فى السماء ترقيا إلى علو المستوى على العرش[٣] إلى غيب الموجود فى أسرار القلوب ، فكان فى هذه التوطئة توجيه الخلق إلى الإله الذى ينزل الماء من السماء و هو الله[٤] الذى لم يشرك به أحد سواه ليكون ذلك توطئة لتوحيد الإله ، و لذلك ذكر[٥] تعالى آية الإلهية التى هى الإحياء ، و الحياة كل خروج عن الجمادية من حيث أن معنى الحياة فى الحقيقة إنما هو تكامل فى الناقص ، فالمهتزّ حى بالإضافة إلى الجماد ترقيا إلى ما فوق ذلك من رتب الحياة من نحو حياة الحيوان و دواب الأرض ، فلذلك ذكر تعالى الإحياءين[٦] بالمعنى ، و أظهر الاسم مع الأرض لظهوره فى الحيوان ، فأظهر حيث خفى عن الخلق ، و لم يذكره حيث هو ظاهر للخلق ، فنبههم[٧] على الاعتبارين[٨] إنزال الماء الذى لهم منه[٩] شراب و منه شجر و به حياة الحيوان و منه مرعاهم .

و لما ذكر سبحانه و تعالى بث ما هو السبب[١٠] للنبات المسبب عن الماء ذكر بث ما هو سبب للسحاب[١١] السبب للمطر[١٢] السبب للحياة فقال

(١) سورة ٦٧ آية ١٦ (٢) ليس فى ظ (٣) فى م : الارض (٤) ليس فى مد .
(٥) زيد فى م : الله (٦) فى م : الاحياء (٧) فى ظ : نبههم (٨) من مد و م و ظ ، و فى الأصل : الاعتبار من (٩) فى مد : منهم (١٠) زيد فى م : عن (١١) فى م : السحاب (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : للمطر .

تعالى : ﴿ و تصريف الريح [١] ﴾ أى تارة صبا و أخرى دبورا و[٢] مرة شمالا و كرة جنوبا ، و التصريف إجراء المصرف بمقتضى الحكم عليه ، و الريح متحرك الهوى فى الأقطار ﴿ و السحاب ﴾ و هو المتراكم فى جهة العلو من جوهر ما بين الماء و الهواء المنسحب[٣] فى الجو ﴿ المسخر ﴾ أى بها ، من التسخير[٤] و هو إجراء الشىء على مقتضى غرض ما سخر له ﴿ بين السماء و الارض ﴾ لا يهوى إلى جهة السفل مع ثقله بحمله بخار الماء ، كما تهوى بقية الأجرام العالية حيث لم يكن لها ممسك[٥] محسوس[٦] [٧]و لا ينقشع مع أن الطبع يقتضى أحد الثلاثة : فالكثيف يقتضى النزول ، و اللطيف يقتضى الصعود ، و المتوسط يقتضى الانقشاع[٧] ﴿ لآيٰت ﴾

(١) فى هبوبها قبولا و دبورا و جنوبا و شمالا ، و فى أوصافها حارة و باردة و لينة و عاصفة و عقيما و لواقح و نكباء و هى تأتى بين مهبى ريحين ، و قيل : تارة بالرحمة و تارة بالعذاب..... و الريح جسم لطيف شفاف غير مرئى ، و من آياته ما جعل الله فيه من القوة التى تقلع الأشجار و تعفى الآثار و تهدم الديار و تهلك الكفار و تربية الزرع و تنميته و اشتداده بها و سوق السحاب إلى البلد الماحل ـ قاله أبو حيان الأندلسى (١/٤٦٧)(٢)من م و مد و ظ ، و فى الأصل : او (٣) ليس فى ظ (٤) تسخيره بعثه من مكان إلى مكان ، و قيل : تسخيره ثبوته بين السماء و الأرض بلا علاقة تمسكه..... فقيل : السحاب يأخذ المطر من السماء ، و قيل : يغترفه من بحار الأرض ، و قيل : يخلقه الله فيه ؛ و للفلاسفة فيه أقوال ، و جعل مسخرا باعتبار إمساكه الماء إذ الماء ثقيل فبقاؤه فى جو الهواء هو على خلاف ما طبع عليه و تقديره بالمقدار المعلوم الذى فيه المصلحة يأتى به الله فى وقت الحاجة و يرده عند زوال الحاجة ـ البحر المحيط (٥) فى م : تمسك (٦) زيد فى مد : و لا يعلو (٧-٧) ليست فى ظ .

و قال الحرالى: لما ذكر تعالى الأعلى و الأسفل و مطلع الليل و النهار من الجانبين و إنزال[1] الماء أهواءً ذكر ما يملأ ما بين ذلك من الرياح و السحب الذى هو ما بين حركة هوائية إلى استنارة[2] مائية إلى ما يلزم ذلك من بوادى نيراته من نحو صواعقه و جملة أحداثه، فكان فى هذا الخطاب اكتفاء بأصول من مبادئ الاعتبار، فذكر السماء و الأرض و الآفاق ٥ و ما بينهما من الرياح و السحب و الماء المنزل الذى جملته قوام الخلق فى عاجل دنياهم، ليجعل لهم ذلك آية على علو أمر وراءه و يكون[3] [4]كل وجه منه آية على أمر من [أمر-[5]] الله فيكون آيات، لتكون السماء آية على علو أمر الله فيكون أعلى من الأعلى، و تكون الأرض آية على باطن أمر الله فيكون أبطن من الأبطن، و يكون اختلاف الليل و النهار آية ١٠ على نور بدوه و ظلمة غيبته مما وراء أمر الليل و النهار، و يكون[6] ما أنزل من الماء لإحياء الأرض و خلق الحيوان آية ما ينزل من نور علمه على القلوب[7] فتحيا[8] بها حياة تكون حياة الظاهر آية[9] عليه، و يكون تصريف الرياح و السحاب المسخر بين السماء و الأرض آيات على تصريف ما بين أرض العبد الذى هو ظاهره و سمائه الذى هو باطنه، و تسخير ١٥ بعضه لبعض ليكون ذلك آية على علو الله على سمائه العلى فى الحس و على سماء القلوب العلية فى الوجدان؛ فلجملة ذلك جعل تعالى صنوف

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: انزل (٢) فى م فقط: استتار (٣) فى ظ: فيكون (٤) العبارة من هنا إلى «علو امر الله فيكون» ليست فى ظ (٥) زيد من م و مد (٦) زيد فى م: و يكون - مكررا (٧) فى م: الحياة (٨) زيد فى م: به (٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: انه.

هذه الاعتبارات ﴿لآيٰت ١ لقوم ٢﴾ و هم الذين يقومون فى الأمر حق القيام ، ففيه إشعار بأن ذلك لا يناله من هو فى سن الناس حتى يتنامى طبعه و فضيلة عقله إلى أن يكون من قوم يقومون فى الاعتبار قيام المنتهضين فى أمور الدنيا ، لأن العرب عرف استعمالها فى القوم إنما هو لأجل النجدة و القوة حتى يقولون : قوم أو نساء ٣ . تقابلا بين المعنيين؛ و ذكر تعالى العقل الذى ٤ هو نور من نوره هدى لمن أقامه من حد تردد حال الناس إلى الاستضاءة بنوره فى قراءة حروف كتابه الحكيم التى كتبها بيده و أغنى الأميين بقراءة ما كتب لهم عن قراءة كتاب ما كتبه الخلق - انتهى ؛ فقال ٥ : ﴿يعقلون ٥﴾ أى فيعلمون أن مصرف

(١) فى م و مد و ظ : ايات - كذا (٢) و ﴿لقوم﴾ فى موضع الصفة أى كائنة لقوم ، و الجملة صفة لقوم لأنه لا يتفكر فى هذه الآيات العظيمة إلا من كان عاقلا ، فانه يشاهد من هذه الآيات ما يستدل به على وحدانية الله تعالى و انفراده بالإلٰهية و عظيم قدرته و باهر حكمته ، و قد أثر فى الأثر : ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها ! أى لم يتفكر فيها و لم يعتبر بها (و مناسبة هذه الآية لما قبلها) هو أنه لما ذكر تعالى أنه واحد و أنه منفرد بالإلٰهية لم يكتف بالإخبار حتى أورد دلائل الاعتبار ، ثم مع كونها دلائل بل هى نعم من الله على عباده فكانت أوضح لمن يتأمل و أبهر لمن يعقل ، إذ التنبيه على ما فيه النفع باعث على الفكر ، لكن لا تنفع هذه الدلائل إلا عند من كان متمكنا من النظر و الاستدلال بالعقل الموهوب من عند الملك الوهاب - قاله أبو حيان الأندلسى فى تفسيره المسمى ببحر المحيط ١/٤٦٨ (٣) فى مد : نسيا - كذا (٤) سقط من م (٥) ليس فى ظ .

هذه الأمور على هذه الكيفيات المختلفة و الوجوه المحكمة فاعل مختار
و هو قادر بما يشاهد من إحياء الأرض و غيرها / مما[1] هو أكبر منه على ١٥٥ /
بعث الموتى و غيره[2] مما يريده و أنه مع ذلك كله واحد لا شريك له يمانعه
العقلاء من الناس ، يعلمون ذلك بذلك[3] فلا يتخذون أندادا من دونه
و لا يميلون عن جنابه[4] الأعلى إلى[5] سواه[6] ، و قد اشتملت هذه الآية ٥
على جميع ما نقل البيهقى فى كتاب الأسماء و الصفات عن الحليمى أنه مما[7]
يجب اعتقاده فى الله سبحانه و تعالى و هو خمسة أشياء : الأول إثباته
سبحانه و تعالى لتقع به مفارقة التعطيل ، و الثانى وحدانيته لتقع به البراءة
عن[8] الشرك - و هذان من قوله "و الهكم اله واحد" ، و الثالث إثبات
أنه ليس بجوهر و لا عرض لتقع به البراءة من التشبيه و هذا من قوله ١٠
" لا اله الا هو[9] " لأن من لا يسد غيره مسده لا شبيه له ، و الرابع إثبات

(١) من م و مد ، و فى ظ : بما ، و فى الأصل : ممن (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : غيرها (٣) العبارة من هنا إلى « سواه » ليست فى ظ (٤) فى م : جانبه .
(٥) زيد فى م : ما (٦) ثم ختم ذلك بما لا تتم النعمة للانسان إلا به و هو التصريف المشروح ، و هذه الآيات ذكرها تعالى على قسمين : قسم مدرك بالبصائر ، و قسم مدرك بالأبصار ، فخلق السماوات و الأرض مدرك بالعقول و ما بعد ذلك مشاهد للأبصار ، و المشاهد بالأبصار انتسابه إلى واجب الوجود مستدل عليه بالعقول ، فلذلك قال تعالى ﴿ لآيات لقوم يعقلون ﴾ و لم يقل : لآيات لقوم يبصرون ، تغليبا لحكم العقل ، إذ مآل ما يشاهد بالبصر راجع بالعقل نسبته إلى الله تعالى - البحر المحيط ١/٤٦٨ (٧) سقط من م (٨) فى م : من (٩) زيد فى ظ : الحى .

أن وجود كل ما سواه كان بابداعه له و اختراعه إياه لتقع به البراءة من قول من يقول بالعلة[١] و المعلول و هذا من قوله "الرحمن الرحيم" "ان فى خلق السمٰوٰت و الارض"، و الخامس أنه مدبر[٢] ما أبدع و مصرفه على ما يشاء لتقع به البراءة من قول القائلين بالطبائع أو تدبير الكواكب أو تدبير الملائكة و هذا من قوله "و ما انزل الله من السماء من ماء - إلى آخرها" قال البيهقى: كان[٣] أسماء الله سبحانه و تعالى جده التى ورد بها الكتاب و السنة و أجمع[٤] العلماء على تسميته بها منقسمة[٥] بين العقائد الخمس، فليلحق[٦] بكل واحدة منهن بعضها، و قد يكون منها ما يلتحق بمعنيين و يدخل فى بابين[٧] أو أكثر - انتهى.[٨] و سبب تكثير الأدلة أن عقول الناس متفاوتة، فجعل سبحانه و تعالى العالم و هو الممكنات الموجودة و هى جملة ما سواه الدالة على وجوده و فعله بالاختيار على قسمين: قسم من شأنه أن يدرك بالحواس الظاهرة و يسمى فى عرف أهل الشرع الشهادة و الخلق و الملك، و قسم لايدرك بالحواس الظاهرة و يسمى الغيب و الأمر و الملكوت، و الأول يدركه عامة الناس و الثانى يدركه أولو الألباب الذين عقولهم خالصة عن الوهم و الوساوس، فالله

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: بالعملة - كذا (٢) زيد فى م: كل (٣) فى م: لان، و فى ظ: ثم ان (٤) زيد فى الأصل فقط: اهل. و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: متضمنة (٦) فى م و ظ: فليلتحق، و فى مد: فيلتحق (٧) من م و ظ و مد، و فى الأصل: ما بين. (٨) العبارة من هنا إلى «و العياذ بالله سبحانه و تعالى هو الشقى» ليست فى ظ.

سبحانه و تعالى بكمال عنايته و رأفته و رحمته جعل العالم بقسميه[1] محتويا على جمل و تفاصيل [من - ٢] وجوه متعددة و طرق متكثرة تعجز القوى البشرية عن ضبطها يستدل بها على وحدانيته بعضها أوضح من بعض ليشترك الكل فى المعرفة ، فيحصل لكل بقدر[3] ما هيئ[4] له ، اللهم إلا أن يكون ممن طبع على قلبه ، فذلك و العياذ بالله سبحانه و تعالى هو الشقى .

و لما نهضت الأدلة و سطعت البراهين و زاحت العلل و الشكوك عاب من عبد سواه و فزع إلى غيره كما نهى عن الأنداد عقب الآية الأولى الداعية إلى العبادة مشيرا بختم التى قبل بيعقلون ، إلى أن هؤلاء ناس ضلت عقولهم و فالت[5] آراؤهم و بين أنهم يتبرأ بعضهم من[6] بعض يوم ينكشف حجاب الغفلة عن سرادق العظمة و يتجلى الجبار فى صفة النقمة فقال سبحانه و تعالى عاطفا على ما قدرته مما أرشد إليه المعنى : و من ، أو يكون التقدير : فمن الناس من عقل تلك الآيات فآمن بربه و فنى فى حبه ﴿ و من الناس من يتخذ ﴾ و هم من لا يعقل[7] ﴿ من

(١) من م و مد ، و فى الأصل : بقسميته (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل : يقدر (٤) فى م فقط : يهيئ (٥) كتب فوقه فى ظ : أى ضعفت . (٦) فى ظ : على (٧) لما قرر تعالى التوحيد بالدلائل الباهرة أعقب ذلك بذكر من لم يوفق واتخاذه الأنداد من دون الله ، ليظهر تفاوت ما بين المنهجين ، و الضد يظهر حسنه الضد ، و أنه مع وضوح هذه الآيات لم يشاهد هذا الضال شيئا منها ، و لفظ « الناس » عام و الأحسن حمله على الطائفتين من أهل الكتاب =

دون الله ﴾ [١] الذى لا كفوء له [١] مع وضوح [٢] الأدلة ﴿ اندادا ﴾ مما خلقه، ادعوا أنهم شركاؤه، [٣] أعم من أن يكونوا أصناما أو رؤساء يقلدونهم فى الكفر بالله و التحريم و التحليل من [٤] غير أمر الله ﴿ يحبونهم ﴾ من الحب و هو إحساس بوصلة لا يدرى كنهها ﴿ كحب الله ﴾ [٥] الذى له الجلال و الإكرام بأن يفعلوا [٦] معهم من الطاعة و التعظيم فعل المحب [٧] كما يفعل من ذلك مع الله الذى لا عظيم غيره، [١] هذا على أنه من المبنى للمفعول و يجوز أن يكون للفاعل فيكون المعنى كحبهم لله لأنهم مشركون [١] ﴿ و الذين آمنوا أشد حبا لله ﴾ [٨] الذى له الكمال كله من حب المشركين لأندادهم فأفاض عليهم [٩] من كماله، لأنهم لا يعدلون به شيئا [١٠] فى حالة من الحالات من ضراء أو سراء فى بر أو بحر [١١]، بخلاف المشركين فانهم

= وعبدة الأوثان، فالأنداد باعتبار أهل الكتاب هم رؤساؤهم و أحبارهم اتبعوا ما رتبوه لهم من أمر و نهى و إن خالف أمر الله و نهيه، قال تعالى "اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله" و الأنداد باعتبار عبادة الأوثان هى الأصنام اتخذوها آلهة و عبدوها من دون الله ـ البحر المحيط ١ / ٤٦٩ .

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) زيد فى م و ظ و مد : هذه (٣) العبارة من هنا إلى « أمر الله » ليست فى ظ (٤) فى م : عن (٥) العبارة من هنا إلى « بأن » ليست فى ظ . و لفظ « بأن » فقط ليس فى م (٦) زيد قبله فى الأصل فقط « اى » و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها . و فى ظ : يفعلون (٧) فى م : الحب . (٨) العبارة من هنا إلى « من كماله » ليست فى ظ (٩) فى مد : اليهم (١٠) فى م : اشياء (١١) العبارة من هنا إلى « عقلى » ليست فى ظ .

يعدلون فى الشدائد إليه سبحانه و تعالى ، و إذا رأوا فى الرخاء حجرا أحسن تركوا الأول و عبدوه ، وحبهم هوائى و حب المؤمنين عقلى .

و قال الحرالى : و لما استحق القوم ا القائمون فى أمر الله سبحانه و تعالى هذا الاعتبار بما آتاهم الله من العقل لم يكن من / اتخذ من دون الله أندادا / ١٥٦ مما يقال فيهم : قوم ، بل يقصرون إلى اسم النوس الذى هو تردد وتلدّد[٢] ٥ فكأنه سبحانه و تعالى عجب ممن[٣] لم يلحق بهؤلاء[٤] القوم فى هذا الاعتبار الظاهرة شواهده البيّنة آثاره ، فأنبأ أن طائفة من الناس على المقابلة من ذلك الاعتبار الظاهر لنور العقل فى أخذهم لمقابل العقل من الحزق الذى يقدم[٥] فى موضع الإحجام و يحجم فى موضع الإقدام ، ثم غلب ذلك عليهم حتى وصل إلى بواطنهم [فصار حبا كأنه وصلة بين بواطنهم - [٦]] ١٠ و قلوبهم و ما اتخذوه من دون الله أندادا ، ففيه إشعار بنحو مما أفصح به لبنى إسرائيل فى كون قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة . فنى كرم[٧] هذا الخطاب فى حق العرب ستر عليهم رعاية لنبيهم فى أن يصرح عليهم بما صرح على بنى إسرائيل ، فنى لجنه إشعار[٨] بأن من اتخذ [ندا[٦] -] من دون الله فتلك لوصلة[٩] بين حال قلبه و حال[١٠] ما اتخذ من دون الله ، فمن ١٥

---

(١) ليس فى ظ (٢) من مد و ظ ، و وقع فى الأصل : تلـذد ، و فى م : تلذذ - كذا مصحفا (٣) فى ظ : من (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : هؤلاء . (٥) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : تقـدم (٦) ما بين الحاجزين زيد من م و ظ و مد (٧) بهامش م بعلامة النسخة : كون (٨) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : اشعارا (٩) فى مد : الموصلة (١٠) زيد فى م و مد : من .

عبد حجرا فقلبه[١] فى القلوب حجر و من عبد نباتا فقلبه[١] فى القلوب نبات ، و كذا من عبد[٢] دابة "و اشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم[٣] كذلك إلى ما يقع معبودا من دون الله مما بين أعلى النيرين[٤] الذى هو الشمس إلى أدنى الأوثان إلى ما يقع فى الخلق من عبادة بعضهم بعضا من نحو عبادة الفراعنة و النماردة إلى ما يلحق بذلك من نحو[٢] رتبة العبادة باتباع الهوى [٥]الشائع موقعه[٥] فى الأمم و فى هذه الأمة ، لأن من غلب عليه هوى شىء فقد عبده ، فكأن عابد الشمس قلبه سعير و عابد النار قلبه نار و عابد القمر قلبه زمهرير . و من عبد مثله من الخلق فقد عبد هواه "ارايت من اتخذ الٰهه هوٰىه[٦]" فمن عبد الله فهو الذى علا عن سواه من المخلوقات فعادل سبحانه و تعالى خطاب الأولين المعتبرين العقلاء بهذا الصنف الذى انتهى أمرهم فى الكفر إلى الحب من حيث اعتلقت بواطنهم بهم[٧] فيما شأنه أن يختص بالله من الخوف و الرجاء و النصرة على الأعداء و الإعانة للأولياء ، فلما توهموا فيهم مرجى الإلهية و مخافتها أحبوهم لذلك كحب الله[٨] لأن المتعبد مؤتمر و مبادر فالمبادر قبل الأمر محب ، و المجيب

(١) وقع فى الأصل : تقلبه ، و التصحيح من م وظ و مد (٢) ليس فى م .
(٣) ليس فى مد (٤) فى م : النيران (٥-٥) فى م : السائغ موقفه .
(٦) سورة ٢٥ آية ٤٣ (٧) فى م : بيه (٨) قال الراغب : الحب أصله من المحبة ، حببته أصبت حبة قلبه و أصبته بحبة القلب ، و هى فى اللفظ فعل و فى الحقيقة انفعال ، و إذا استعمل فى الله فالمعنى أصاب حبة قلب عبده بفعله مصونة عن الهوى و الشيطان و سائر أعداء الله - انتهى . و قال عبد الجبار : =

للأمر مطيع ، فالمحب أعلى فى الطرفين - انتهى . و لما عجب من حالهم حذر من سوء منقلبهم و مآلهم فقال : ﴿ و لو يرى الذين ظلموا ﴾ أى و لو يرون أى المتخذون للأنداد و لكنه أظهر لأجل التعميم الوصف الذى استحقوا به ما يذكر ، و هو وضعهم الشيء فى غير محله كفعل من يمشى فى مأخذ الاشتقاق و هو الظلمة ، و ذلك هنا تسويتهم ممن[1] لا يملك ٥ شيئا أصلا بمن يملك كل شيء ﴿ اذ يرون العذاب ﴾ أى يتخذون أندادا و الحال أنهم لو يعلمون حين إهانتهم و لين ما غلظ من أكبادهم [2] و رؤية ما لا يستحق غيره بالنسبة إليه أن يسمى عذابا[2] ﴿ ان القوة لله ﴾ [الذى -[3]] له مجامع الكمال ﴿ جميعا ﴾ حين يشاهدون العذاب قد[4] أحاط بهم[5] ﴿ و ان الله ﴾ الذى لا ملك سواه ﴿ شديد العذاب ﴾ لم يتخذوا أندادا ١٠ و لم يعدلوا بالله أحدا ، أو يكون التقدير : و لو ترى بالتاء و الياء ، أى لو أبصرت أو أبصر الذين ظلموا أنفسهم[4] باتخاذهم الأنداد[6] - إلى آخره . و قال الحرالى : قال تعالى "و لو ترى" عطفا على متجاوز أمور من أمور جزائهم مما نالهم من عقوبات أثر كفرهم فى الدنيا ، قال عليه الصلاة

= حب العبد لله تعظيمه و التمسك بطاعته ، و حب الله العبد إرادة الثناء عليه و إثابته ، و أصل الحب فى اللغة اللزوم ، لأن المحب يلازم حبيبه ما أمكن ؛ قاله أبو حيان الأندلسى - البحر المحيط ١/٤٧٠ .

(١) فى م و ظ : من (٢-٢) ليست فى ظ (٣) زيد من م و ظ و مد (٤) ليس فى ظ (٥) زيد فى م و مد : فيتحققون أنه لا شيء يعجزه من ثواب و لا عقاب ولا غيره (٦) من م و مد و ظ ، و وقع فى الأصل : لانه او - مصحفا .

و السلام : إذا أذنب العبد نكتت فى قلبه نكتة سوداء ، إلى متمادى غاية رؤيتهم العذاب ؛ و فى قوله "ترى - بالتاء" إقبالا على النبى صلى الله عليه و سلم تعجيب له بما ينالهم مما أصابوه ، و فيه إشعار بأن ذلك من أمر يعلو أمره إلى محل رؤيته التى هى أتم الرؤية ، و فى قوله "يرى - بالياء" تحسر[1] عليهم يشعر بأن منالهم من رؤية العذاب[2] مما كان يزجرهم[3] عما هم عليه لو رأوه - انتهى . "اذ يرون" أى الوقت الذى يبصرون فيه العذاب ، أى الأكبر الذى لا عذاب مثله ؛ كما أفهمه تعريفه بال ، ثم بينه بقوله "ان القوة" و هى مُنّة[4] الباطن التى[5] يجدها المقتدر منشأ لما يبديه ظاهره [و ما يبديه ظاهره -[6]] قدرة القوة جمعها[7] و أصلها و القدرة ظاهرها و تفصيل إنشائها لله جميعا ، فانه لا شىء أشق على الإنسان من أن يرى خصمه[8] نافذ[9] الأمر منفردا بالعز[10] فى كل معنى لا سيما [إذا كان جبارا متكبرا شديد البطش ممن عصاه ، كما يشير إليه قوله "و ان الله شديد العذاب" و لاسيما -[11]] إذا كان العاصى له قد أساء إليه بالإساءة[12] إلى أوليائه و بالغ حتى لم يدع للصلح موضعا . و قال الحرالى : موضع[13]

(١) زيد فى م «و» (٢) العبارة من هنا إلى «فيه العذاب» ليست فى م (٣) من مد و ظ ، و فى الأصل : يرجوهم - كذا (٤) من مد ، و فى الأصل و م : منه ، و فى ظ : مته (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٦) زيد من م و ظ و مد ، غير أن فى م «ظاهرة» مكان «ظاهره» (٧) فى مد : جميعها (٨) من م و مد و ظ . و فى الأصل : خضد (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : نافر (١٠) فى م : بالعزم (١١) زيدت من م و ظ و مد (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بالاشارة - كذا (١٣) فى م ظ و مد : موقع .

الرؤية فى الحقيقة هو ان القوة لله جميعا سلبا عن جميع أندادهم الذين[1]
أحبوهم و عن / أنفسهم ، كما قال قائلهم " نحن اولوا قوة و اولوا باس / ١٥٧
شديد[2] " لكن لما كان رؤيتهم لذلك عن رؤية مشهود العذاب الذى
هو أتم العذاب ذكر العذاب الذى هو ظاهر مرأى ان القوة لله جميعا ،
و فى " ان القوة " إعلام باطلاعهم يوم هذه الرؤية على بواطن أندادهم ٥
و سلبها ما[3] شأن البواطن أن تتحلى[4] به من القوة من حيث وصفهم
لهم بالحب الباطن اطلعهم على سلب قواهم الباطنة بالرؤية التى هى باطن
البصر الذى هو باطن النظر ، و لما ذكر أمر القوة عطف عليه ما هو
أمر القدرة فقال " و ان الله شديد العذاب " إكمالا للخطاب بظاهره ،
و استأنف معه الاسم العظيم لإظهار ما بين غايتى الباطن و الظاهر فى أمر ١٠
القدرة و القوة ، ليكون مع المنظر[5] الظاهر بالقدرة[6] اسم أظهره و استأنفه
و قدم ذكره كما كان مع المرأى الباطن بالقوة اسما أضاف إليه و أنهى
له ليقع ماولى أول[7] الخطاب مقابل ما ختم به الخطاب ، فينعطف أوله
على آخره و آخره على أوله باطنا لظاهر و ظاهرا[8] لباطن فى المتعاطفين
جميعا فى قوله " ان القوة لله جميعا و ان الله شديد العذاب " انتهى . ١٥
أو يقال : إذ يرون العذاب الذى[9] يتوعدون به[10] الآن لأن القوة لله جميعا

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الذى (٢) سورة ٢٧ آية ٣٣ (٣) زيد فى مد : هو (٤) من م و مد ، و فى الأصل : تنخلى ، و فى ظ : سحلى ـ كذا بلا نقط . (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل فقط : النظر (٦) فى م فقط : بالقوة (٧) فى م : اولى (٨) فى م : ظاهر (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الذين (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لله .

فلا مانع له من إتيانهم به ، كما تبين فى الآيتين قبلها أنه لا كفوء له و أنه كامل القدرة شامل العلم ، و الجواب محذوف لتهويله لذهاب وهم المتوعد إلى كل ضرب من أنواع التوعد ، و لو ذكر ضرب منه لأمكن أن يوطن نفسه عليه ، فالتقدير : لو رأيت أو رأوا ذلك الوقت الذى يشاهدون فيه تلك العظمة لرأيت أو لرأوا أمرا[1] فظيعا هائلا شاغلا لهم عن اتخاذ الأنداد و محبتها و غير ذلك من الظلم ، [2] و حذف الجواب للعلم به كما حذف من أمثاله [2] ؛ ثم[3] أبدل من " اذ يرون " قوله : ﴿اذ تبرأ﴾ و هو من التبرؤ[4] الذى هو طلب البراءة و إيقاعها بجد و اجتهاد ، و هى[5] إظهار التخلص من وصلة أو اشتباك[6] ﴿الذين اتُّبعوا﴾ [7] أى مع[8] اتباع غيرهم لهم ، و هم الرؤسا ﴿من الذين اتَّبعوا﴾ مع نفعهم[9] لهم فى الدنيا بالاتباع لهم و الذب عنهم . و قال الحرالى : قال ذلك إظهارا لإفصاح[10] ما أفهمه مضمون الخطاب الأول لتتسق الآيات بعضها ببعض ، فتظهر الآية ما فى ضمن سابقتها ، و تجمع الآية ما فى تفصيل لاحقتها[11] و إعلاء[12] للخطاب بما هو[13] المعقول علمه المتقدم[14] إلى ما فى الإيمان نبأه[15] ليتم نور

(١) فى الأصل : أمر ، و التصحيح من م و مد و ظ (٢ - ٢) ليست فى ظ .
(٣) ليس فى م (٤) فى ظ : التبراء - كذا (٥) فى م : من (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : استياك (٧) العبارة من هنا إلى « لهم » ليست فى ظ (٨) فى م و مد : وقع (٩) من م و مد ، و فى الأصل : يقعهم - كذا (١٠) فى مد : لافضاح .
(١١) فى ظ : لاحقه (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اعلام (١٣) فى م و ظ و مد : فى (١٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : المقدم (١٥) زيد فى م و مد « و » .

العقل الذى[1] وقع به الاعتبار بنور الإيمان الذى يقع به القبول لما فى الآخرة عيانه ، فمن عقل عبرة الكون الظاهر استحق إسماع نبأ الغيب الآتى[2] ؛ ثم قال : بذا يتبرأ المتبوع فى الذكر لأنه الآخر فى الكون ، فكأنه فى المعنى : إنما تعلق التابع بالمتبوع ليعيده[3] فى الآخرة كما كان عهد منه [أن يعيده[4] فى الدنيا فيتبرأ[5] منه -[6]] لما ذكر تعالى من ٥ " ان القوة لله جميعا " ولذلك اتصل ذكر التبرؤ بذكر قبض القوة و القدرة عنهم - انتهى .

قال تعالى ﴿ و راوا ﴾ أى الكل ﴿ العذاب ﴾ أى الذى لا محيص لهم عنه . و قال الحرالى : قاله ردا للاضمار على الجميع ، و فيه إشعار بأن ذلك قبل غلبة العذاب عليهم و فى حال الرؤية ، ففيه إنباء بأن بين رؤيتهم ١٠ العذاب و بين أخذهم به مهل يقع فيه خصومتهم و تبرؤهم و إدراكهم للحق الذى كان متغيبا عنهم فى الدنيا بما فتن بعضهم بعضا - انتهى .[7] ﴿ و تقطعت ﴾ أى تكلفت و تعمدت القطع و هو بين المتصل ، أشار إليه الحرالى ، و معناه أنه قطع بقوة عظيمة[8] ، و يجوز أن تكون صيغة التفعل إشارة إلى تكرر القطع فى مهلة[9] بأن يظهر لهم انقطاع الأسباب ١٥

(١) زيد فى م : هو (٢) ليس فى م (٣) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : ليعيده .
(٤) فى ظ فقط : يعيده (٥) فى م : فيتبوا - كذا (٦) زيدت من م وظ و مد .
(٧) زيد فى م : و لما بين حال هذه التبرئة بين أن الأمر المهم من ذلك ، لأن كلا منهم يتبرا من أقرب الناس إليه ولا يهمه غير نفسه و لا يجد من يغنيه نوع غناء فقال (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عظيم (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : جهلة .

شيئا فشيئا زيادة فى إيمانهم[1] و إيلامهم و هو أنهم ﴿ بهم ﴾ أى كلهم جميع[2] ﴿ الاسباب[2] ﴾ أى كلها ، و هى الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا ، و السبب [ما -٣] يتوصل به إلى حصول ، [4]فى الأصل الحبل ، ثم قيل لكل[4] مقصد . قال الحرالى : و فيه إشعار بخلوّ[5] بواطنهم من التقوى ٥ و من استنادهم إلى الله سبحانه و تعالى فى دنياهم ، و أنهم لم يكونوا عقلوا إلا تسبب بعضهم ببعض فتقطعت بهم الأسباب[6] و لم يكن[7] لهم ، لأن ذلك واقع بهم فى أنفسهم لا واقع لهم فى غيرهم ، فكأنهم كانوا نظام أسباب تقطعت بهم فانتثروا[8] منها ، و أسبابهم وصل ما بينهم فى الدنيا التى لم تثبت[9] فى الآخرة ، لأنها من الوصل الفانية لا من الوصل الباقية ١٠ لأن متقاضى ما فى الدنيا ما كان منه بحق فهو من الباقيات الصالحات و ما كان منه عن هوى فهو من الفانى الفاسد - انتهى .

/١٥٨ ﴿ و قال / الذين اتبعوا ﴾ و هم الأذناب متمنين للحال ندما على اتباع من لا ينفع[10] حيث لا ينفع الندم ﴿ لو ان لنا كرة ﴾ أى رجعة

(١) فى م : ابهامهم (٢) ليس فى م و ظ (٣) زيد من م و ظ (٤-٤) ليست فى م و مد و ظ (٥) فى الأصل : تحملوا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٦) و فى البحر المحيط ١/٤٧٣ : ﴿ و تقطعت بهم الاسباب ﴾ كناية عن لا منجى لهم من العذاب و لا مخلص و لا تعلق بشىء يخلص من عذاب الله ، و هو عام فى كل ما يمكن أن يتعلق به (٧) كذا فى الأصل ، و الظاهر : لم تكن (٨) فى ظ : فاشتروا - كذا (٩) فى م : لم تنبت (١٠) فى الأصل : لا يقع ، و التصحيح من م و ظ و مد .

إلى

إلى الدنيا . و قال الحرالى : [1]هى رجع[1] و عودة[2] عند غاية فرّة[3] - انتهى .
[4]و لما كانت «لو» بمعنى التمنى نصب جوابها[5] فقال ﴿ فنتبرا منهم ﴾ أى الرؤساء هناك و نذلهم ﴿ كما تبرءوا منا ﴾ و أذلّونا هنا . و قال الحرالى : فيه إنباء عن تأسفهم على اتباع من دون ربهم ممن اتبعوا و إجراء لتأسفهم على وجه متوهم غير محقق على حد ما كان تمسكهم[6] بهم متوهم انتفاع غير محقق ، ففيه إثبات لحالهم فى الآخرة على ما كان ينالهم[7] فى الدنيا من الأخذ بالموهوم[8] و الغيبة عن المعلوم - انتهى .

و لما كانت هذه الأشياء بعضها ثمرة أعمالهم و بعضها حكاية أقوالهم[9] قال تعالى على طريق الاستئناف [10]جوابا لمن يقول : لقد رأوا جزاء عقائدهم فهل يرون جزاء أعمال الجوارح[10] ﴿ كذلك ﴾ أى الأمر الفظيع المهول ﴿ يريهم الله ﴾ [10]الذى له القدرة التامة و العظمة الكاملة[10] ﴿ اعمالهم ﴾ الخبيثة و غيرها ﴿ حسرٰت عليهم ﴾ أى تلهفا على ما فات ، إطلاقا للسبب على السبب [10]و أشار بأداة الاستعلاء إلى غلبتهم و شدة هوانهم فقال[10] : "عليهم". و قال الحرالى : لما [11] كانت عقائدهم فيهم[12] حسرات أراهم أعمالهم التى عملوها[13] لابتغاء الخير فى الدنيا حسرات" و قدمنا إلى

(١-١) فى م فقط : أى رجعة (٢) من م ومد و ظ ، وفى الأصل فقط : دعوة .
(٣) من م و مد ، و فى الأصل : قرة . و فى ظ : قوة (٤) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٥) فى م : جوابا (٦) فى م : تاسفهم (٧) فى ظ : حالهم .
(٨) فى م : الموهم (٩) فى ظ : اعمالهم (١٠-١٠) ليست فى ظ (١١) فى ظ ومد : كما (١٢) فى ظ ومد «فى» (١٣) و ﴿ أعمالهم ﴾ قيل هى الأعمال التى =

ما عملوا من عمل فجعلنه هباء منثورا ٥[1]" كما كان عمل من قلبه[2] محب و متألّه[3] لما دون الله ، و فيه إشعار بأن عمل كل عامل مردود إلى ما اطمأن به قلبه و سكنت إليه نفسه و تعلق به خوفه و رجاؤه ، فمن غلب على سره شيء فهو ربه الذى يصرف عمله إليه ، فلا يجد عنده جزاء لتبرؤه منه فيصير حسرة عليه ، فأنبأ سبحانه و تعالى بأنهم لا ينصرونهم فى الآخرة و لا يجزونهم[4] على أعمالهم ، فلم ينفعهم تألههم[5] إياهم ، و المتبوع منهم[6] متأله لنفسه فلم يجد عندها جزاء عمله ، فتحسر كل منهم على ما عمل من عمل الخير لإحباطه " و لقد اوحى إليك و الى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك[7] " و الحسرة أشد الأسف على الفائت الذى[8] يحسر المتلهف أى يقطعه عما تحسر عليه - انتهى . و يدخلون بأعمالهم النار ﴿ و ما هم ﴾[9] أى[10] بفائت[11] خروجهم بل هم و إن خرجوا من

= صنعوها ، و أضيفت إليهم من حيث عملوها و أنهم مأخوذون بها ، و هذا على قول من يقول إن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة ، و هذا معنى قول الربيع و ابن زيد إنها الأعمال السيئة التى ارتكبوها فوجب لهم بها النار ، و قال ابن مسعود و السدى : المعنى أعمالهم الصالحة التى تركوها ففاتهم الجنة ، و أضيفت إليهم من حيث كانوا مأمورين بها - البحر المحيط ١/٤٧٥ .

(١) سورة ٢٥ آية ٢٣ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : قبله (٣) من م و مد ، و فى الأصل : مناله ، و فى ظ : مقاله (٤) : من م و ظ ، و فى مد : لا تجزونهم ، و فى الأصل : لا يجزوهم (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بالهم (٦) ليس فى م (٧) سورة ٣٩ آية ٦٥ (٨) فى م : التى (٩) العبارة من هنا إلى « يعودون إليه » ليست فى ظ (١٠) زيد فى م و مد : خاصة و أكد النفى بالجار فقال بخارجين أى . (١١) فى مد : بثابت .

السعير إلى الزمهرير يعودون إليه ﴿ بخرجين[1] من النار ﴾ يوما من الأيام و لا ساعة من الساعات بل هم خالدون فيها على طول[2] الآباد و مر الأحقاب ، [3] بخلاف عصاة المؤمنين فانهم إذا خرجوا منها لم يعودوا إليها[3] . قال الحرالى : و[4] فيه إشعار بقصدهم الفرار منها و الخروج كما قال سبحانه و تعالى " كلما [ارادوا-[5]] ان يخرجوا [منها اعيدوا فيها-[6]] " ٥ فأنبأ تعالى أن وجهتهم للخروج لا تنفعهم ، فلم تبق[7] لهم منه تنهضهم منها حتى ينتظم[8] قطع رجائهم[9] من منة أنفسهم بقطع رجائهم ممن اعتلقوا به من شركائهم و لم يكن " و ما هم منها بمخرجين[10] " كما[11] قال فى أهل الجنة للاشعار بأن اليأس و الانقطاع واقع منهم على أنفسهم ، فكما كان بوادى أعمالهم فى الدنيا من أنفسهم عندهم جرى نبأ[10] ١٠ جزائها على حد ذلك فى[12] المعنى[12] كما[14] قال : أعمال أهل الجنة عندهم من توفيق ربهم جرى ذكر[15] جزائهم على حد ذلك من المعنى بحسب ما يقتضيه اختلاف الصيغتين ـ انتهى . و لعل الآية ناظرة[16] إلى قوله أول

(١) ليس فى م و مد (٢) من م وظ ومد، و فى الأصل: طور (٣-٣) ليست فى ظ (٤) ليس فى مد (٥) زيد من م ومد و ظ، و قد سقط من الأصل (٦) زيد من م ـ راجع سورة ٣٢ آية ٢٠ (٧) فى ظ: فلم يبق (٨) فى م: ينقطع (٩) فى ظ: درجاتهم (١٠) سورة ١٥ آية ٤٨ (١١) من م و مد وظ ، و فى الأصل: بنا ـ كذا (١٢) ليس فى م (١٣) زيد فى مد: و (١٤) العبارة من هنا إلى «من المعنى» ليست فى م (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل: ذلك (١٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: نظرة .

السورة "و من الناس من يقول[1] آمنا بالله و باليوم الآخرة و ما هم بمؤمنين" يعنى كما أن فى أهل الكتاب منافقين و مصارحين فكذلك فى العرب، فصار قوله[1] "ان الذين كفروا سواء عليهم" شاملا[2] للأقسام الأربعة، ثم اتبع ذلك المنافقين من العرب ثم المنافقين[3] و المشاقين[3] من أهل الكتاب ثم المجاهرين[4] من العرب فصار قسما العرب مكتنفين[5] لقسمى أهل الكتاب إشارة إلى أنهم المقصودون بالذات و أنه سيؤمن أكثرهم و يغلبون أهل الكتاب و يقتلونهم قتل[6] الكلاب؛ و لما عجب سبحانه و تعالى من الضالين و بين من مآلهم[7] ما يزجر مثله من له أدنى عقل[8]، فكانوا بذلك فى عداد المقبل بعد الإدبار و المذعن[9] بعد الاستكبار أقبل على الكل كما فعل فى آية التوحيد الأولى فقال "يايها الناس اعبدوا ربكم" إقبال متلطف بعموم الإذن فى تناول[10] ما أبدعه لهم و رحمهم به فى هذا الملكوت المذكور فى ضمن ما نصب من الأدلة تذكيرا لهم/ بالنعمة و تودداً[11] إليهم بجميع ما يوجب المحبة و إشارة إلى أنه هو الذى خلق لهم ما تقربوا به إلى غيره مما ادعوه[12] ندا من /١٥٩

(١) ليس فى ظ (٢) فى م: شامل (٣-٣) ليس فى م (٤) فى م: المجاهدين.
(٥) فى ظ: مكتفين (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: قتلا (٧) من م و ظ و مد، و فى الأصل: مسايلهم (٨) من م و ظ و مد، و فى الأصل: عقله (٩) من مد، و فى م: المدعى، و فى ظ و الأصل: المدعن - كذا بالدال المهملة (..) من ظ، و فى بقية الأصول: تناوله (١١) من م، و فى الأصل و ظ: تودوا، و فى مد: توددوا (١٢) زيد فى م: به.

البحيرة و السائبة و الوصيلة[1] و ما شاكلها فقال "يا يها الناس" و إن اختصرت فقل: لما أقام سبحانه و تعالى الدليل على الوحدانية بما خلق من المنافع و صنف الناس صنفين ضال[2] معطوف دال بعطفه[3] على غير مذكور على مهتد معطوف عليه و ختم بتأبيد[4] عذاب الضال[5] أقبل على الصنفين إقبال متلطف مترفق[6] مستعطف مناديا لهم إلى تأبيد[7] نفعهم قائلا: ﴿يا يها الناس[8]﴾ [9]أى كافة[9]. و قال الحرالى: [10]لما استوفى سبحانه و تعالى ذكر أمر الدين إلى أنهاه من رتبة دين الإسلام الذى رضيه و كان الدين هو غذاء[11] القلوب و زكاة الأنفس نظم به ذكر غذاء[12] الأبدان

---

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الوسيلة - كذا بالسين؛ راجع سورة ٥ آية ١٠٣ (٢) فى م: دال، و ليس فى ظ (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: بعطف (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: بتابيد - كذا (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: القتال (٦) فى ظ: مترقق (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تابيد (٨) هذا ثانى نداء وقع فى سورة البقرة بقوله "يا يها الناس" و لفظه عام، قال الحسن: نزلت فى كل من حرم على نفسه شيئا لم يحرمه الله عليه . . . . . قيل: و بنى مدلج حرموا على أنفسهم من الحرث و الأنعام و حرموا البحيرة و السوائب و الوصيلة و الحام، فان صح هذا كان السبب خاصا و اللفظ عام و العبرة لعموم اللفظ لا بخصوص السبب، (و مناسبة هذا لما قبله) أنه لما بين التوحيد و دلائله و ما للتائبين و العاصين اتبع ذلك بذكر إنعامه على الكافر و المؤمن ليدل أن الكفر لا يؤثر فى قطع الأنعام. و قال المروزى: لما حذر المؤمنين من حال من يصير عمله عليه حسرة أمرهم بأكل الحلال لأن مدار الطاعة عليه - البحر المحيط ١ / ٤٢٨ (٩-٩) ليس فى ظ (١٠) زيد فى م «و» (١١) فى م: عذاب. (١٢) فى م: غداء، و فى ظ: عذا - كذا.

من الأقوات ليتم بذكر[1] النماءين نماء الذوات ظاهرها البدنى و باطنها الدينى ، لما بين تغذى الأبدان و قوام الأديان من التعاون على جمع أمرى صلاح العمل ظاهرا و قبوله باطنا ، قال عليه الصلاة و السلام : لا يقبل الله عملا إلا بالورع الشافى ؛ و كما قيل : ملاك الدين الورع ، و هلاكه الترف ، و نقصه السرف ؛ فكما انتظم الكتاب قصر الخلق على أفضل متصرفاتهم فى التدين اتصل به قصرهم على أفضل مأكلهم فى التقوت ، و لما ذكر الدين فى رتبتى صنفين من الناس و الذين آمنوا انتظم به ذكر المأكل فى صنفيهما فقال " يايها الناس " فانتظم بخطاب قوله تعالى " يايها الناس اعبدوا ربكم " لما بين العبادة و المأكل من الالتزام - انتهى .

و لما كانت رتبة الناس من أدنى المراتب فى خطابهم أطلق لهم الإذن تلطفا بهم و لم يفجأهم بالتقييد فقال [2]مبيحا لهم ما أنعم به عليهم[3] : ﴿ كلوا[3] ﴾ [2]و لما كان فى الأرض ما لا يؤكل قال[2] : ﴿ مما فى الارض ﴾ أى مما بينا لكم أنه من أدلة الوحدانية . و لما كان فى هذا الإذن تنبيه على أن الكل له و الانتفاع به يتوقف على إذن منه دلهم على أن فيه ما أباحه و فيه ما حظره فقال : ﴿ حلالا[4] ﴾ قال الخرالى : و هو ما اتقى

---

(١) فى مد : بذلك و (٢ - ٢) ليست فى ظ (-) و فى البحر المحيط ١ / ٤٧٨ : كلوا أمر إباحة و تسويغ لأنه تعالى هو الموجد للأشياء فهو المتصرف فيها على ما يريد .

(٤) قال أبو حيان الأندلسى فى تفسيره ١ / ٤٧٧ : الحلال مقابل الحرام و مقابل المحرم ، يقال شىء حلال أى سائغ الانتفاع به و شىء حرام ممنوع منه ، و رجل = عنه

عنه حكم التحريم فينتظم بذلك ما يكره وما لا يكره ، و التحريم المنع مما يلحق الآكل منه ضرر فى جسمه كالميتة ، أو فى نفسه كلحم الخنزير ، أو رين على قلبه كما أهل لغير الله به ؛ ثم أشار إلى أن ما حرم خبيث بقوله : ﴿طيبا﴾ أى غير[1] خبيث مستقذر[2] ، [3] و الأصل فيه ما يستلذ ؛ و يوصف[4] به على جهة التشبيه الطاهرُ لأن النجس تكرهه النفس ٥

= حلال أى ليس بمحرم ، قيل وسمى حلالا لانحلال عقد المنع منه ، و الفعل منه حل يحل بكسر الحاء فى المضارع على قياس الفعل المضاعف اللازم ، و يقال هذا حل أى حلال ، و يقال حل بل على سبيل التوكيد ، و حل بالمكان نزل به و مضارعه جاء بضم الحاء و كسرها ، و حل عليه الدين حان وقت أدائه .

(١) من م و ظ و مد ، و وقع فى الأصل : مخير — خطأ (٢) و فى البحر المحيط ١/٤٧٨ : ﴿ طيبا ﴾ انتصب صفة لقوله ﴿ حلالا ﴾ إما مؤكدة لأن معناه و معنى حلالا واحد وهو قول مالك وغيره ، وإما مخصصة لأن معناه مغاير لمعنى الحلال و هو المستلذ و هو قول الشافعى وغيره ، و لذلك يمنع أكل الحيوان القذر وكل ما هو خبيث ..... و قال الزمخشرى فى قوله ﴿ طيبا ﴾ : طاهرا من كل شبهة ، و قال السجاوندى : ﴿ حلالا ﴾ مطلق الشرع ﴿ طيبا ﴾ مستلذ الطبع . و قال فى المنتخب ما ملخصه : الحلال الذى انحلت عنه عقدة الحظر إما لكونه حراما لجنسه كالميتة ، و إما لا لجنسه كملك الغير إذ لم يأذن فى أكله . و الطيب لغة الطاهر ، و الحلال يوصف بأنه طيب كما أن الحرام يوصف بأنه خبيث ، و الأصل فى الطيب ما يستلذ و وصف به الطاهر و الحلال على جهة التشبيه لأن النجس تكرهه النفس ، و الحرام لا يستلذ لأن الشرع منع منه — انتهى (٣) العبارة من هنا إلى « الزجر الشرع عنه » ليست فى ظ (٤) فى م : الوصف .

لقذره[١] ، و الحلالُ[٢] لأن الحرام يقذره العقل لزجر الشرع عنه . و قال الحرالى: الحـــلال مطلوب ليكتسب لا ليؤكل حتى يطيب، و الطيب ما لا منازغ فيه - انتهى .

و لما كان هذا الصنف أدنى المتدينين[٣] قرن سبحانه و تعالى باطعامهم مما فى الأرض لكونهم أرضيين نهاهم عن اتباع العدو المبنى أمره على المنافرة فقال: ﴿ و لا تتبعوا ﴾ و أشار بصيغة الافتعال إلى انهماك هذا الصنف على اللحاق به و أنهم غير واصلين ما داموا فى هذا الحيز إلى تمام منابذته و إنما عليهم الجهد لأن مخالفته لا تكون إلا بمجاهدة كثيرة[٤] لا يقدرون عليها ما داموا فى هذه الرتبة ﴿ خطوٰت ﴾ جمع خطوة و هى ما بين القدمين فى المشى ﴿ الشيطٰن ﴾ أى طرقه[٥] فى وساوسه فى اتخاذ الأنداد و تحريم الحلال كالسوائب[٦] و تحليل الحرام كالميتات[٧]، فان ذلك كله من أمره كما يأتى فى قوله: "و لآمرنهم فليبتكن آذان الانعام - الآية[٨]" و هو من شطن إذا بعد، و شاط إذا احترق، فهو يبعدهم - كما قال الحرالى - عن وطن ما هم عليه من الائتمار فى مآكلهم[٩] إلى التناول بشهواتهم ليستدرجهم لذلك من خطوة الأكل بالشهوة إلى الأكل بالهوى فيتداعى[١٠] منها إلى المحرمات -

(١) من م و مد، و فى الأصل: لقذرة (٢) بعده بياض فى م (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: المتدنين (٤) فى م و ظ و مد: كبيرة (٥) فى ظ: طريقه .
(٦) فى م: كالشهوات ، و ليس فى ظ (٧) ليس فى ظ (٨) سورة ٤ آية ١١٩ .
(٩) العبارة من هنا إلى «انتهى» ليست فى ظ (١٠) فى م: فتتداعى .

انتهى

انتهى[1] . ثم علل[2] ذلك بقوله : ﴿ انه لكم عدو ﴾ [3] بتكبره على أبيكم و مكره به و سؤاله الإنظار لإضلالكم[3] ﴿ مبين ﴾ أى [3] ظاهر العداوة[3] فلا تتبعوا العدو فى منابذة الولى . ثم علل إبانة عداوته [3] و النهى عن اتباعه[3] بقوله : ﴿ انما ﴾ فحصر لينتفى[4] عنه الأمر بشىء فيه رشد؛ و فى قوله : ﴿ يأمركم ﴾ كما قال الحرالى إنباء بما مكنه الله سبحانه و تعالى ٥ حتى صار أمرا ﴿ بالسوء ﴾ و هو خبائث الأنفس الباطنة التى يورث فعلها مساءة ﴿ و الفحشاء ﴾ قال الحرالى : و هو[5] ما يكرهه الطبع من رذائل الأعمال الظاهرة كما / ينكره العقل و يستخبثه الشرع ، فيتفق ٥/ فى حكمه آيات الله الثلاث من الشرع و العقل و الطبع ، بذلك يفحش

(١) و فى البحر المحيط ١ / ٤٧٩ قال معناه الزمخشرى : و النهى عن اتباع خطوات الشياطين كناية عن ترك الاقتداء به وعن اتباع ما سن من المعاصى ، يقال اتبع زيد خطوات عمرو و وطئ على عقبيه إذا سلك مسلكه فى أحواله . ..... و قيل ما ينقلهم إليه من معصية إلى معصية حتى يستوعبوا جميع المعاصى مأخوذ من خطو القدم من مكان إلى مكان (٢) تعليل لسبب هذا التحذير من اتباع الشيطان لأن من ظهرت عداوته و استبانت فهو جدير بأن لا يتبع فى شىء و أن يفر منه فانه ليس له فكر إلا فى إرداء عدوه - البحر المحيط .

(٣-٣) ليست فى ظ (٤) فى م : لينتهى (٥) فى م و مد : هى . و قال أبو حيان الأندلسى : و قال ابن عباس : السوء ما لا حد له ، و الفحشاء قال السدى : هى الزنا ، و قال ابن عباس : كل ما بلغ حدا من الحدود لأنه يتفاحش حينئذ ، و قيل ما تفاحش ذكره ، و قيل ما قبح قولا أو فعلا ، و قال طاوس : ما لا يعرف فى شريعة و لا سنة ، و قال عطاء : هى البخل .

الفعل ﴿ و ان تقولوا على الله ﴾ الحائز أقصى مراتب العظمة ﴿ ما لا تعلمون ٥ ﴾ مما تستفتحون[1] قوله فى أقل الموجودات[2] من إشراك أو ادعاء ولد أو تحليل و[3] تحريم أو غير ذلك[4]، و لقد أبلغ سبحانه و تعالى فى هذه الآية فى[5] حسن الدعاء لعباده[6] إليه لطفا منه بهم و رحمة لهم بتذكيرهم فى سياق الاستدلال على وحدانيته بما أنعم عليهم بخلقه لهم أولا و بجعله لهم ملائما ثانيا و إباحته لهم ثالثا و تحذيره لهم من العدو رابعا - إلى غير ذلك من دقائق الألطاف و جلائل المنن فى سياق مشير[7] إلى جميع أصناف الحلال و سبب تحليله . قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى كتاب العروة[8] فى حرف الحلال : وجه إنزال هذا الحرف توسيع[9] الاستمتاع[10] بما خلق الله فى الأرض من [11] نعمة و خيره[11]

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يستفتحون - كذا بصيغة الغيبة (٢) العبارة من هنا إلى « غير ذلك » ليست فى ظ (٣) فى م: او (٤) و قال الزمخشرى: هو قولهم: هذا حلال و هذا حرام - بغير علم، و يدخل فيه كل ما يضاف إلى الله مما لا يجوز عليه - انتهى . قيل و ظاهر هذا تحريم القول فى دين الله بما لا يعلمه القائل من دين الله فيدخل فى ذلك الرأى و الأقيسه و الشبهة و الاستحسان، قالوا: وفى هذه الآية إشارة إلى ذم من قلد الجاهل و اتبع حكمه - البحر المحيط ١/٤٨٠ .
(٥) ليس فى مد (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: لعبادة (٧) من م و مد وظ، وفى الأصل: مشيرا (٨) من م و ظ ومد، و فى الأصل: العدوة - كذا .
(٩) من ظ و مد و م، و فى الأصل: توسع (١٠) من م و ظ ومد، وفى الأصل: لاستمتاع (١١-١١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: نعمة و خير .

الموافقة لطباعهم[1] و أمزجتهم و قبول نفوسهم فى جميع جهات الاستمتاع من طعام و شراب و لباس و مركب و مأوى و سائر ما ينتفع به مما أخرج الله سبحانه و تعالى و مما بثه[2] فى الأرض و ما عملت أيديهم فى ذلك من صنعة و تركيب و مزج ليشهدوا دوام لبس[3] الخلق الجديد فى كل خلق على حسب ما منه فطر خلقه؛ و لما كان الإنسان مخلوقا ٥ من صفاوة كل شىء توسع له بجهات الانتفاع بكل شىء إلا ما استثنى منه بحرف الحرام و وجهه كما استثنى لآدم أكل الشجرة من متسع رغد الجنة فكان له[4] المتاع بجميعه إلا ما أضر ببدنه أو خبث نفسه أو ران على علم قلبه و ذلك بأن يسوغ له طبعا و تحسن مغبّته[5] فى أخلاق نفسه و يسنده قلبه لمنعمه الذى يشهد منه بداياته و تكملاته[6] تجربة[7] ١٠ ثم كمل القرآن ذلك باخلاصه للنعم من غير[8] أثر لما سواه فيه و جامع منزله[9] بحسب ترتيب [القرآن قوله "تعالى: هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا"، و من أوائله بحسب ترتيب -[10]] البيان و الله [11]سبحانه و تعالى[11] أعلم "هو الذى انزل لكم[12] من السماء ماء لكم منه شراب

(١) فى الأصل: اطباعهم، و التصحيح من م وظ و مد (٢) من م و ظ، و فى الأصل و مد: نبه - كذا (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ليس (٤) ليس فى مد (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: منبته (٦) فى ظ: مكملاته (٧) من م و مد، و فى الأصل: تجرية، و فى ظ: تجرمه - كذا (٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: غيره (٩) من م و ظ، و فى الأصل و مد: منزلة (١٠) زيدت من م و ظ و مد، و قد أخرت فى الأصل عن «منه مداد القرآن» و زيد فيه «سبحانه و» قبل «تعالى» (١١-١١) ليس فى م و مد و ظ (١٢) ليس فى م و ظ.

و منه شجر فيه تسيمون - الآية ١ " و سائر الآيات الواردة فى سورة النحل وفى سورة يٰس إذ هى القلب الذى منه مداد القرآن كله فى قوله تعالى " و اٰية لهم الارض الميتة احييٰنهـا و اخرجنا منها حبا فمنه ياكلون ٢ - الآيات ٣ " إلى سائر ما فى القرآن من نحوه ، و من متسع خلال ٤ هذا الحرف وقعت الفتنـة على الخلق بما زين ٥ لهم منه " زين للناس حب الشهوٰت من النساء و البنين - الآيـة ٦ " و وجه فتنته أن على قدر التبسط فيه يحرم من طيب الآخرة " اذهبتم طيبٰتكم فى حيوٰتكم الدنيا و استمتعتم بها ٧ " ، إنما يلبس هذه ٨ من لا ٩ خلاق له فى الآخرة ، " فاستمتعوا بخلاقهم ١٠ " و من رؤية ١١ سوء هذا ١١ المخبر نشأ ١٢ زهد الزاهدين ، و من رؤية حسن المتجر و ربحه و تضاعفه إلى ما لا يدرك مداه و نعيمه فى بيع خلاق ١٣ الدنيا بخلاق ١٣ الآخرة نشأ ورع المتورعين ؛ فاستراحت قلوبهم بالزهد ، و انكفؤا بالورع عن الكد ، و تفرغت قلوبهم و أعمالهم لبذل الجد فى سبيل الحمد ، و تميز الشقى من السعيد بالرغبة ١٤ فيه أو عنه ، فمن رغب فى الحلال شقى و من رغب عنه سعد ؛ و هو ١٥ الحرف الذى

(١) سورة ١٦ آية ١٠ (٢) فى ظ : تاكلون (٣) سورة ٣٦ آية ٣٣ - ٤٣ (٤) من مد و ظ ، وفى الأصل و م : حلال (٥) من م ومد وظ ، وفى الأصل : لزين . (٦) سورة ٣ آية ١٤ (٧) سورة ٤٦ آية ٢٠ (٨) فى الأصول : هذا - راجع للحديث صحيح البخارى لباس ٢٥ ، ٣٠ و صحيح مسلم لباس ٦ - ١٠ (٩) ليس فى ظ (١٠) سورة ٩ آية ٦٩ (١١ - ١١) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : شواهد (١٢) فى م : انشا (١٣ - ١٣) ليس فى مد (١٤) فى مد : بالرغب (١٥) فى مد : هذا .

قبض :

قبض بسطه حرف النهى حتى لم يبق لابن آدم حظ فيما زاد على جلف[1] الطعام و هى كسرة و ثوب يستره و بيت[2] يكنـــه ، و ما زاد عليه متجر إن أنفقه ربحه[3] و قدم عليه و إن ادخره خسره و ندم عليه ؛ و لذلك لم يأذن الله سبحانه و تعالى لأحد فى أكله حتى يتصف بالطيب للناس الذين هم أدنى المخاطبين بانسلاخ أكثرهم من العقـل[4] و الشكر ٥ و الإيمان " يايها[5] الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا[6] " و محا اسمه عن[7] الذين آمنوا و هم الذين لا يثبتون و لا يدومون على خير[8] أحوالهم بل يخلطون[9] و ذلك فى قوله تعالى " يايها الذين امنوا كلوا من طيـبت ما رزقـنكم[10] " و هو ما طيبه حرف النهى علما ، و برئ[11] من حواد[12] القلوب طمأنينة ، و تمم و أنهى صفوة[13] للرسلين فقال " يايها الرسل[14] ١٠ كلوا من الطيـبت " و ورد جوابـا لسؤالهم فى قوله تعالى " يسئلونك ما ذا[15] احل لهم قـل احل لـكم الطيـبت " ؛ فمن آثر حرف النهى على ١٦١/ حرف الحلال فقد تزكى و اتبع الأحسن و صح[16] هـداه و صفا لـبّه ،

(١) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : حلف ـ ؛ راجع جامع الترمذى زهد ٣٠ .
(٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بيته (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ربحة (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الفضل (٥) فى م : بيايها الناس .
(٦) سورة ٢ آية ١٦٨ (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : من (٨) فى م فقط : خير (٩) فى م : غيطون (١٠) سورة ٢ آية ١٧٢ (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يرى (١٢) من ظ ، و فى الأصل : جواز ، و فى م : حواز ، و فى مد : حوار (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : صفوه (١٤) فى الأصل : الناس ، و التصحيح من م و ظ و مد ـ راجع سورة ٢٣ آية ٥١ (١٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اذا ـ راجع سورة ٥ آية ٤ (١٦) فى م : و اتبع .

و من آثر حرف الحلال على حرف النهى فقد تدسّى ١ و حرم هدى الكتب و علم الحكمة و مزيد التأييد ٢ بما فاته من التزكية و تورط فيه من التدسية ـ و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل . ثم قال فيما به تحصل قراءته : اعلم أن الإنسان لما كان جامعا كان بكل شيء منتفعا أما فى حال السعة فمع استثناء أشياء يسيرة مما يضره من جهة نفسه أو غيره أو ربه على ما ذكر فى الفصل الأول أى حرف الحرام " هو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا ٣ " " قل لا اجد فيما اوحى الى محرما - الآية ٤ " و أما فى حال الضرورة فبغير ٥ استثناء البتة " ٦ فمن اضطر غير باغ و لا عاد فلا اثم عليه ٦ " " فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم ٧ " ؛ و الذى ٨ تحصل به ٨ قراءة هذا الحرف أما من جهة القلب فمعرفة حكمة الله فى المتناول من مخلوقاته و معرفة أخص منافعها مما خلقه ٩ ، ليكون غذاء فى سعة أو ضرورة و ١٠ إداما أو فاكهة أو دواء كذلك ؛ و معرفة موازنة ١١ ما بين الانتفاع بالشيء و مضرته و استعماله على حكم الأغلب من منفعته ، أو اجتنابه على حكم الأغلب ١٢ من مضرته " قل فيهما اثم كبير و منافع

(١) من م و مد و ظ : و فى الأصل : تدبر (٢) من مد ، و فى بقية الأصول : التايد ـ كذا (٣) سورة ٢ آية ٢٩ (٤) سورة ٦ آية ١٤٥ (٥) فى الأصل : فتعبر ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦-٦) ليست فى م . راجع سورة ٢ آية ١٧٣ . (٧) سورة ٥ آية ٣ (٨ - ٨) فى م و ظ و مد : به تحصل (٩) هكذا فى الأصل و مد : و فى م و ظ : خلق (١٠) فى مد : أو (١١) فى ظ : مواذيه (١٢) زيدت فى الأصل : من منفعته أو اجتنابه على حكم الأغلب ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها .

للناس و اثمهما اكبر من نفعهما [١] " و ذلك مدرك عن الله سبحانه و تعالى باعتبار العقل و إدراك الحس فى مخلوقاته كما [٢] أدركه الحنيفيون ، كان الصديق رضى الله تعالى عنه قد حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية ، و كان إذا أخذ عليه فى ذلك يقول : و الله لو أصبت شيئا أشتريه [٣] بمالى كله يزيد فى عقلى لفعلت فكيف أشترى بمالى شيئا ينقص من عقلى ! وكان ٥ رسول الله صلى الله عليه و سلم كثيرا ما ينبه على حكمة الله سبحانه و تعالى فى الأشياء التى [بها - ٤] تتناول أو تجتنب عملا بقوله تعالى " يزكيهم و يعلمهم الكتب و الحكمة [٥] " فقال لطلحة رضى الله تعالى عنه و قد ناوله سفرجلة تذهب بطخاء [٦] الفؤاد . و قال لأبى هريرة رضى الله تعالى عنه و هو رمد فى خبز الشعير و السلق [٧] : كل من هذا فانه أوفق لك . ١٠ و قال فى التمر [٨] و القثاء : حر هذا [٩] يكسر برد [٩] هذا . و قال لرمد : أتأكل التمر و أنت رمد ؟ و قال لعائشة رضى الله تعالى عنها فى الماء المشمس : لا تفعلى يا حميراء ! فانه يولد البرص . و قال : استاكوا بكل عود ما خلا الآس و الرمان فانهما يهيجان عرق الجذام . و قال لامرأة استطلقت بالشبرم [١٠] : " حار جار [١١] ، ألا استطلقت بالسنا ؟ فانه لو كان ١٥

(١) سورة ٢ آية ٢١٩ (٢) فى م : مما (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : اشتريته (٤) زيد من ظ و مد (٥) سورة ٣ آية ١٦٤ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بطحاء - راجع مجمع بحار الأنوار (٧) فى الأصل : السلف ، و التصحيح من م و ظ و مد (٨) فى مد : الثمر (٩-٩) فى الأصل : يكثر يرد ، و التصحيح من بقية الأصول (١٠) فى الأصل : بالنيرم ، و التصحيح من م و ظ و مد (١١-١١) من م ، و فى الأصل : خار جار ، و فى ظ : جار حار ، و فى مد : حار خار - راجع المجمع .

شيء يذهب الداء لأذهبه[١] السنا - إلى غير ذلك مما إذا أباحه أو حظره نبه[٢] على حكمته . و كانت عائشة رضى الله تعالى عنها تقول للمريض : اصنعوا له خزيرة[٣] فانها مَجَمّة[٤] لفؤاد المريض و تذهب بعض الحزن . و مثل ذلك كثير من كلام العلماء رضى الله تعالى عنهم و مجربات الحكماء و معارف الحكماء[٥] الحنفاء[٦] ، قال الشافعى رحمه الله تعالى فى قوله سبحانه و تعالى "يحل لهم الطيبٰت و يحرم عليهم الخبٰئث[٧]" الطيبات ما استطابته نفوس العرب ، و الخبائث ما استخبثته نفوس العرب ؛ هذا من جهة [القلب -[٨]] و أما من جهة النفس فسخاؤها بما يقع فيه الاشتراك [من -[٨]] المنتفعات[٩] المحللات ، لأن الشحّ بالحلال عن مستحقه محظر له على المختص به الضيافة على أهل الوبر "و إذا حضر القسمة اولوا القربى و اليتامى و المسٰكين فارزقوهم منه[١٠]" "وآت ذا القربى حقه و المسكين و ابن السبيل[١١]" "فكلوا منها و اطعموا القانع

(١) فى م : لاذهبته (٢) فى الأصل : فيه ، و التصحيح من م و ظ و مد .
(٣) هكذا فى الأصل و مد ، و فى م : حريرة ، و فى ظ : حزيرة ، و فى المجمع : هو لحم يقطع صغارا و يصب عليه ماء كثير فاذا نضج ذرّ عليه الدقيق ، فان لم يكن فيها لحم فهى عصيدة و قيل هى حساء من دقيق و دسم و قيل إذا كان من دقيق فهو حريرة و إذا كان من نخالة فهو خزيرة . ن: و قيل هو بحاء مهملة و راء مكررة ما يكون من اللبن (٤) أى مظنة الاستراحة ، و فى م: مجمة - كذا - راجع المجمع (٥) ليس فى ظ و مد (٦) فى ظ : لحنقا ، و فى م : و معارف الحنفا .
(٧) سورة ٧ آية ١٥٧ (٨) زيد من م و ظ و مد (٩) فى م : المنفعات .
(١٠) سورة ٤ آية ٨ (١١) سورة ٣٠ آية ٣٨ .

و المعتر

و المعتر[١] " و كذلك صبرها[٢] عما تشتهيه من المضرات من الوجوه المذكورة[٣] " انما الخمر و الميسر - إلى قوله: لعلكم تفلحون[٤] "، " و لا تاكلوا اموالهم إلى اموالكم[٥] " " و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون[٦] " و كذلك التراضى و طيب النفس فيما يقع فيه الاشتراك " الا ان تكون تجارة عن تراض منكم فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا[٧] " هذه الشروط الثلاثة من السخاء و الصبر و التراضى فى النفس ، و أما فى العمل و تناول اليد فأول ذلك ذكر الله و التسمية عند كل متناول ، لأن كل شيء لله فما تنوول[٨] / باسمه أخذ باذنه و ما تنوول[٩] بغير اسمه أخذ تلصصا على غير وجهه و شارك الشيطان فى تناوله فتبعه المتناول معه فى خطواته و شاركهم فى الأموال و الأولاد ؛ جاء أعرابى وصبي ليأكلا طعاما[١٠] [١١] بين أيدى[١١] النبي صلى الله عليه و سلم بغير تسمية فأخذ بأيديهما[١٢] و قال : إن الشيطان جاء ليستحل[١٣] بهما هذا الطعام ، و الذى نفسى بيده ! إن يده[١٤] فى يدى[١٤] مع أيديهما ، فسمى النبي صلى الله

/ ١٦٢

(١) سورة ٢٢ آية ٣٦ (٢) فى الأصل : صبرها - كذا ، و التصحيح من بقية الأصول (٣) زيد فى م : و (٤) سورة ٥ آية ٩٠ (٥) سورة ٤ آية ٢ (٦) سورة ٥٩ ٦٤ آية ٩ ، ١٦ (٧) سورة ٤ آية ٤ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : تتوول (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : سول - كذا ، و فى م : تتوول . (١٠) فى ظ : طعام ، و زيد بعده فى الأصل « ما » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (١١-١١) ليس فى ظ ، و فى م و مد : يدى - مكان : أيدى . (١٢) فى ظ : فى يديهما - كذا (١٣) من م و مد ، أى يتمكن من أكله ؛ و فى الأصل : ليستحيل ، و فى ظ : يستحيل - راجع المجمع (حلل) (١٤-١٤) ليس فى م .

عليه و سلم و أكل ثم أطلقها و قال: كلا باسم الله . و قال لغلام آكل: يا غلام! سمّ الله . و الثانى التناول باليمين، لأن الشيطان يأكل بشماله و يشرب بشماله، و اليمين خادم ما علا من الجسد و الشمال خادم ما سفل منه . و الثالث[١] أن يتناول تناول تقنّع[٢] و ترفع عن تناول النهبة[٣]، كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يأكل بثلاثة أصابع و يشرب مصّا فى ثلاث، و قال: هو أبرأ و أمرأ[٤] و أهنأ[٤] . و قال: الكُباد[٥] من العبّ[٦] . و الرابع الاكتفاء[٧] بما دون الشبع لما فى ذلك من حسن اغتذاء البدن و حفظ الحواس الظاهرة و الباطنة؛ و من علامات الساعة ظهور السمن عن الأكل فى الرجال؛ و ما ملأ ابن آدم وعاء شرا[٨] من بطن[٩] و ما دخلت الحكمة معدة ملئت طعاما؛ و المؤمن يأكل فى معًى واحد و الكافر[١٠] يأكل فى سبعة أمعاء، لتوكل المؤمن فى قوامه و لاتكال الكافر على الغذاء فى قوته، و حسب المؤمن[١١] لقيمات يقمن صلبه، فان كان و لا بد فاعلا فثلث للطعام و ثلث للشراب و ثلث

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الثالثة (٢) فى الأصل: تقنغ ـ كذا بالغين، و التصحيح من بقية الأصول (٣) فى ظ: النهمة (٤-٤) فى م: هنا ـ كذا . (٥) فى الأصول: الكاد، راجع المجمع (٦) فى الأصل: التعب، و التصحيح من م و ظ و مد؛ و فى المجمع (كبد): الكباد بالضم وجع الكبد ـ اه و عبّ الماء: شربه أو كرعه بلا تنفس (٧) زيد فى الأصل «من» و لم تكن الزيادة فى بقية الأصول فحذفناها (٨) فى م: شر (٩) فى م: بطنه (١٠) فى م: المؤمن ـ خطأ (١١) فى م: ابن آدم .

للنفس - انتهى . قلت : و لعل المراد أن الكافر يأكل شبعا فيأكل ملأ بطنه ، لأن الأمعاء كما قالوا سبعة ، و المؤمن يأكل تقوتا فيأكل فى معًى واحد و هو سبع[1] بطنه ، فان لم يكن ففى معاءين و شىء و هو الثلث - و الله سبحانه و تعالى أعلم . قال الحرالى : و الخامس حمد الله تعالى فى الختام ، لأن من لم يحمد الله فى الختام كفر بنعمته . و من حمد غير الله آمن بطاغوته ؛ فبهذه الأمور معرفة فى القلب و حالا[2] فى النفس و آدابا فى العمل تصح قراءة حرف الحلال و يحصل خير الدنيا و يتمهد الأساس [3]لبناء خير[3] الآخرة ، و الله سبحانه و تعالى ولى التوفيق - انتهى .

و لما نهاهم سبحانه و تعالى عن متابعة العدو[4] ذمهم بمتابعته مع أنه عدو من غير حجة بل بمجرد التقليد للجهلة[5] فقال عاطفا على " و من الناس" معجبا منهم : ﴿ و إذا قيل ﴾ [6]أى من أى قائل[7] كان . و لما كان[7] الخطاب للناس عامة و كان أكثرهم مقلدا و لا سيما للآباء أعاد الضمير عليهم و المراد أكثرهم فقال : ﴿ لهم[8] اتبعوا ﴾ أى اجتهدوا

(١) فى ظ فقط: شبع - كذا (٢) فى م: حال (٣-٣) من م ومد وظ ، وفى الأصل: لتاخير (٤) زيد فى م « و » (٥) فى الأصل : للجملة ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٧-٧) فى م : لان . (٨) الضمير فى ﴿ لهم ﴾ عائد على كفار العرب لأن هذا كان وصفهم و هو الاقتداء بآبائهم و لذلك قالوا لأبى طالب حين احتضر : أ ترغب عن ملة عبد المطلب؟ ذكروه بدين أبيه و مذهبه . و قال ابن عباس : نزلت فى اليهود ، فعلى هذا يكون الضمير على غير مذكور و هم أشد الناس اتباعا لأسلافهم .... =

فى تكليف أنفسكم الرد عن الهوى الذى نفخه فيها الشيطان ، و فى قوله ﴿ ما انزل الله[١] ﴾ [٢] أى الذى له العلم الشامل و القدرة التامة [٢] انعطاف على ذلك الكتاب لا ريب فيه و ما شاكله ﴿ قالوا بل ﴾ أى لا نتبع ما أنزل [٣] الله بل ﴿ نتبع ﴾ أى نجتهد فى تبع ﴿ ما الفينا ﴾ أى وجدنا ، ٥ قال الحرالى : من الإلفاء و هو وجدان الأمر على ما ألفه المتبصر فيه أو الناظر إليه ﴿ عليه اباءنا[٤] ﴾ [٢] أى على ما هم عليه من الجهل و العجز ، قال [٢] : ففيه إشعار بأن عوائد الآباء منهية[٤] حتى يشهد لها شاهد أبوة الدين[٥] ففيه التحذير فى رتب ما بين حال الكفر إلى أدنى الفتنة التى شأن الناس أن يتبعوا فيها عوائد آبائهم - انتهى .

= و قال الطبرى : هو عائد على الناس من قوله " يأيها الناس كلوا " و هذا هو الظاهر ، و يكون ذلك من باب الالتفات ، و حكمته أنهم أبرزوا فى صورة الغائب الذى يتعجب من فعله حيث دعى إلى اتباع شريعة الله التى هى الهدى و النور ، فأجاب باتباع شريعة أبيه و كأنه يقال : هل رأيتم أسخف رأيا و أعمى بصيرة ممن دعى إلى اتباع القرآن المنزل من عند الله فرد ذلك و أضرب عنه و أثبت أنه يتبع ما وجد عليه أباه ؛ و فى هذه الآية دلالة على ذم التقليد و هو قبول الشيء بلا دليل و حجة ـ البحر المحيط ١/١٨٠ .

(١) و فى قوله ﴿ ما انزل الله ﴾ إعلام بتعظيم أمرهم باتباعه إن نسب إنزاله إلى الله الذى هو المشرع للشرائع فكان ينبغى أن يتلقى بالقبول و لا يعارض باتباع آبائهم رؤس الضلالة ـ البحر المحيط ١/٤٨٠ (٢-٢) ليست فى ظ .
(٣) ليس فى م (٤) فى ظ : متهه (٥) فى الأصل : الذين ، و التصحيح من بقية النسخ .

و لما

و لما أبوا [١] إلا إلف [١] وهاد التقليد فدنوا عن [٢] السمو إلى عداد [٣] أولى العلم بالنظر السديد [٤] أنكر عليهم سبحانه و تعالى ذلك فقال مبكتا لهم: ﴿ اولو ﴾ أى أيتبعون آباءهم و الحال أنه ﴿ كان [٥] اباؤهم لا يعقلون [٦] ﴾ بصائر قلوبهم ﴿ شيئا ﴾ من الأشياء المعقولة ﴿ و لا يهتدون ﴾ بأبصار عيونهم إلى شىء من الأشياء المحسوسة . ٥

و لما كان التقدير: فمثلهم حينئذ كمن تبع [٧] أعمى فى طريق وعر خفى [فى فلوات - [٨]] شاسعة [٩] كثيرة الخطر عطف عليه ما يرشد إلى تقديره من قوله منبها على أنهم صاروا بهذا كالبهائم بل [١٠] أضل لأنها و إن كانت لا تعقل فهى تسمع و تبصر فتهتدى إلى منافعها ﴿ و مثل ﴾ و بين الوصف الذى حملهم على هذا الجهل بقوله: ﴿ الذين كفروا ﴾ ١٠ أى ستروا ما يعلمون من عظمة الله سبحانه و تعالى و قدرته و علمه و حكمته بما عندهم من الهوى [١١] فى أنهم لا يسمعون من الدعاء إلا جرس النغمة و دوى الصوت من غير إلقاء أذهان و لا استبصار ﴿ كمثل ﴾

(١ - ١) فى الأصل: الالف ، و فى ظ : لالف ، و التصحيح من م و مد .
(٢) فى م : من (٣) فى م : اعداد (٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد: الشديد .
(٥) زيد فى م: لو (٦) و قدم نفى العقل لأنه الذى تصدر عنه جميع التصرفات ، و أخر نفى الهداية لأن ذلك مترتب على نفى العقل ، لأن الهداية للصواب هى ناشئة عن العقل و عدم العقل عدم لها - البحر المحيط ١/٨٨١ .
(٧) فى م: اتبع ، و فى ظ : يتبع (٨) زيد من م و مد و ظ (٩) فى ظ : شايعة (١٠) زيد فى م «هم» (١١) العبارة من هنا إلى « و الاستبصار» ليست فى ظ .

/١٦٣/ قال الحرالى : المثل ما يتحصل فى باطن الإدراك من حقائق الأشياء المحسوسة فيكون ألطف[1] من الشيء المحسوس فيقع لذلك جاليا[2] لمعنى مثل المعنى المعقول و يكون الأظهر منهما مثلا للأخفى ، فلذلك يأتى استجلاء[3] المثل بالمثل ، ليكون فيه تلطيف للظاهر المحسوس و تنزيل للغائب المعلوم ؛ فنى هذه الآية يقع الاستجلاء بين المثلين لا بين الممثولين لتقارب المثلين يعنى و هو وجه الشبه و تباعد الممثولين ، و فى ذكر هذين المثلين تقابل يفهم مثلين آخرين ، فاقتضى ذلك تمثيلين فى مثل واحد كأن وفاء[4] اللفظ الذى أفهمه [هذا الإيجاز مثل الذين كفروا و مثل راعيهم كمثل الراعى و مثل ما يرعى من البهائم و هو من أعلى خطاب فصحاء العرب ، و من لا يصل فهمه -[5]] إلى جمع[6] المثلين يقتصر على تأويله بمثل واحد فيقدر فى الكلام : و مثل داعى الذين كفروا ﴿ كمثل الذى ينعق[7] ﴾ أى يصيح ، و ذلك لأن التأويل يحمل على الإضمار و التقدير ، و الفهم يمنع منه و يوجب فهم إيراد القرآن على حده و وجهه[8] ؛ و قال : ﴿ بما ﴾ أى[9] بسبب سيء من البهائم الى[9] ﴿ لا ﴾ [10] عقل لها فهو[10] ﴿ يسمع الا دعاء ﴾ أى[11] من الناطق[11] فيما

(١) فى م : العطف (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حاليا (٣) ليس فى م .
(٤) فى مد : وقا (٥) زيدت من م و ظ و مد (٦) فى ظ : جميع (٧) النعيق دعاء الراعى و تصويته بالغنم ، قال الشاعر :

فانعق بضأنك يا جرير فانما مثلك نفسك فى الخلاء ضلالا

و يقال : نعق المؤذن ، و يقال : نعق ينعق نعيقا و نعاقا و نعقا ، و أما نعق الغراب =

يدعى إليه من قوام غذائه[1] و نسله ﴿ و نداء[2] ﴾ فيما ساق إليه بمحل دعائه من حيث أن النداء يشعر [بالبعد و الدعاء يشعر -٣] بالشروع فى القصد - انتهى . فالكافرون[4] فى كونهم لا يرجعون عن غيهم[5] لما يسمعون من الأدلة و هم أولو عقل و سمع و بصر كالبهم التى تسمع

= فبالغين المعجمة ، و قيل أيضا يقال بالمهملة فى الغراب - البحر المحيط ٤٧٧/١ .

(٨-٨) فى مد: على حدة و وجهة (٩-٩) فى ظ : بسبب ما (١٠-١٠) ليست فى ظ : و زيد بعدها فى م : لا (١١-١١) ليس فى ظ . و فى م و مد: الناعق - مكان : الناطق .

(١) فى م : عذابه - كذا (٢) النداء مصدر نادى كالقتال مصدر قاتل و هو بكسر النون و قد تضم ، قيل : و هو مرادف للدعاء ، و قيل : مختص بالجهر ، و قيل : بالبعد ، و قيل : لغير المعين - البحر المحيط ٤٧٧/١ (٣) زيد من م و مد و ظ ، غير أن لفظ « يشعر » ليس فى ظ (٤) فى البحر المحيط ٤٨١/١ : لما ذكر تعالى أن هؤلاء الكفار إذا أمروا باتباع ما أنزل الله أعرضوا عن ذلك و رجعوا إلى ما ألفوه من اتباع الباطل الذى نشؤا عليه و وجدوا عليه آباءهم و لم يتدبروا ما يقال لهم و صموا عن سماع الحق و خرسوا عن النطق به و عموا عن إبصار النور الساطع النبوى ذكر هذا التشبيه العجيب فى هذه الآية منبها على حالة الكافر فى تقليده أباه و محقرا نفسه إذ صار هو فى مرتبة البهيمة أو فى رتبة داعيها على الخلاف الذى سيأتى فى هذا التشبيه ، و هذه الآية لا بد فى فهم معناه من تقدير محذوف (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : غيبهم .

و تبصر و لكنها لكونها لا تعقل [لا ترجع - [1]] بالكلام [2] لأنها لا تسمع إلا ظاهر الصوت و لا تفهم ما تحته [2] بل بالحجر و العصا، فإن الراعى إذا أراد رجوعها عن ناحية [3] صاح بها و رمى بحجر إلى ما أمامها فترجع، فهى محل مثلهم الذى هو عدم الإدراك، و البهم فى كونها لا ترجع بالنداء بل بقارع [4]. كالأصم الأبكم الأعمى الذى لا يرجع إلا بقارع يصكه فى وجهه فينكص على عقبه فهو محل مثلها، و داعيهم فى كونه يتكلم فلا يؤثر كلامه مع المبالغة فيه كراعى البهم فهو موضع مثله، و راعى البهم من حيث أن بهمه لا ترجع [5] إلا بضربة [6] بالحجر أو غيره كالسوط الذى يقمع [7] به الأصم أو كضارب الأصم المذكور فهو محل [8] مثله؛ فلذلك كانت نتيجة التمثيل قوله: ﴿صم﴾ [9] أى لا يسمعون [9] ﴿بكم﴾ [9] أى لا ينطقون [9] ﴿عمى﴾ [9] أى لا يبصرون [9]، و قد علم بهذا أن الآية [من - [10]] الاحتباك [11] حذف من الأول مثل الداعى لدلالة الناعق عليه و من الثانى المنعوق به لدلالة المدعوين عليه. و لما كان موجود [12] إدراك العقل هو حقائق المحسوسات و قد نفى عنهم الحس المدرك للمحسوسات ترتب عليه قوله:

(١) زيد من مد و ظ (٢-٢) ليست فى ظ (٣) فى م و ظ و مد: جهة (٤) من مد و ظ، و فى الأصل: تقارع (٥) فى م: لا يرجع (٦) فى ظ: بضربه، و فى م و مد: بضربه (٧) فى ظ: يقع (٨) ليس فى ظ (٩-٩) ليس فى ظ (١٠) زيد من م و مد و ظ (١١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لاحتباك (١٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: موجودا.

﴿فهم﴾ بالفاء ربطا و تعقيبا و تسببا ﴿لا يعقلون﴾ لأنهم لا ينتفعون بعقولهم كما أن هذا الأصم كذلك، و نفاه بلا النافية للمتنع و صيغة المضارع [1] المنبئة عن [1] الدوام - قاله الحرالى [2] .

و لما أخبر سبحانه و تعالى أن الدعاء لا يزيدهم إلا نفورا رقى [3] الخطاب [من الناس - [4]] إلى أعلى منهم رتبة فقال [5] آمرا لهم أمر إباحة أيضا و هو إيجاب فى تناول ما يقيم البينة و يحفظها [6] : ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا﴾ . و قال الحرالى [7] : لما كان تقدم الخطاب فى أمر الدين فى رتبتين أولاهما "يا أيها الناس اعبدوا ربكم" و ثانيتهما "يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا [8] " فأمر الناس فيه بالعبادة و أمر الذين آمنوا بحسن الرعاية مع النبى صلى الله عليه و سلم، كذلك [9] هنا أمر الناس

(١-١) فى م: المبنية على (٢) و قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ١/٤٨٤: لما تقرر فقدهم لمعانى هذه الحواس قضى بأنهم لا يعقلون كما قال أبو المعالى وغيره: العقل علوم ضرورية يعطيها هذه الحواس إذ لا بد فى كسبها من الحواس انتهى. قيل و المراد العقل الاكتسابى لأن العقل المطبوع كان حاصلا لهم، و العقل عقلان: مطبوع و مكسوب؛ و لما كان الطريق لاكتساب العقل المكتسب هو الاستعانة بهذه القوى الثلاث كان إعراضهم عنها فقد العقل المكتسب و لهذا قيل: من فقد حسا فقد فقد عقلا - انتهى (٣) من م و مد، و ليس فى ظ، و فى الأصل: و فى - كذا (٤) زيد من م و ظ و مد (٥) ليس فى مد (٦) العبارة من «آمرا لهم» إلى هنا ليست فى ظ (٧) و قال أبو حيان الأندلسى: لما أباح تعالى لعباده أكل ما فى الأرض من الحلال الطيب و كانت وجوه الحلال كثيرة بين لهم ما حرم عليهم لكونه أقل، فلما بين ما حرم بقى =

بالأكل مما فى الأرض و نهى عن اتباع خطوات الشيطان ، و أشعر الخطاب بأنهم ممن يتوجه الشيطان نحوهم للأمر بالسوء و الفحشاء و القول بالهوى ، و أمر الذين آمنوا بالأكل ﴿ من طيبت ﴾ فأعرض فى خطابهم عن ذكر الأرض لتناولهم الرزق من السماء ، فان أدنى الإيمان عبادة من فى السماء و استرزاق من فى السماء كما قال للسوداء : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : أعتقها فانها مؤمنة ، قال سبحانه و تعالى : " و فى السماء رزقكم " ، فأطعم الأرضيين و هم الناس مما فى الأرض و أطعم السماويين و هم الذين آمنوا من رزق السماء كذلك ، و خص هذا الخطاب بلفظ[1] الحلال لما كان آخذا رزقه من السماء متناولا طيبة لبراءته من حال مما[2] فى الأرض مما شأنه ضر فى ظاهر أو أذى[3] فى باطن ، و لذلك " لو كانت الدنيا دما[4] عبيطا[5] لكان قوت المؤمن منها حلالا " ، فالمسترزق من السماء يصير المحرم له حلالا لأخذه منه عند / الضرورة تقوتا لا تشهيا[6] ، و يصير الحلال له طيبا لاقتناعه منه ١٦٤/أ

= ما سوى ذلك على التحليل حتى يرد منع آخر ، و هذا مثل قوله صلى الله عليه و سلم لما سئل عما يلبس المحرم فقال : لا يلبس القميص و لا السراويل ، فعدل عن ذكر المباح إلى ذكر المحظور لكثرة المباح و قلة المحظور ؛ و هذا من الإيجاز البليغ (٨) زيد فى م : " و قولوا انظرنا " (٩) فى مد : لذلك .

(١) فى م و مد و ظ : لفظ (٢) فى مد و ظ : ما (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ادنى (٤) فى الأصل : دنا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٥) فى مد : غبيطا ـ كذا (٦) فى الأصل : تستهيا ، و التصحيح من م و مد و ظ .

بالكفاف دون التشهى[1] يسئلونك ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبت[2]"، وفى مورد هذين الخطابين بيان أن كلمة[3] "الناس" واقعة على سن من أسنان القلوب و كلمة "الذين امنوا" واقعة على سن فوقه وليس يقع على عموم يشمل جميع الأسنان القلبية ، فتوهم ذلك من أقفال[4] القلوب التى تمنع تدبر القرآن ، لأن خطاب القرآن يتوجه لكل أولى سن [على حسب سن -[5]] قلوبهم ، لا يصلح خطاب كل سن إلا له ، يتقاصر عنه من دونه و لا يحتاج إليه من فوقه ، و هى[6] أسنان متعددة : سن الإنسان[7] ، ثم سن الناس ، ثم سن الذين آمنوا ، ثم سن الذين يؤمنون ، ثم سن المؤمنين ، [ثم سن المؤمنين -[8]] حقا ، ثم سن المحسنين ؛ هذه أسنان سبعة خطاباتها[9] مترتبة[10] بعضها فوق بعض ، و من وراء ذلك أسنان فوقها من سن الموقنين ، و ما وراء ذلك إلى أحوال أثناء هذه الأسنان من حال الذين أسلموا و المسلمين و من يوصف بالعقل و الذكر و الفكر و السماع و غير ذلك من الأوصاف التى تلازم تلك الأسنان فى رتب متراقية[11] لا يشمل أدناها أعلاها و لا ينهض أدناها لرتبة خطاب أعلاها

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : التستهى (٢) سورة ٥ آية ٤ .
(٣) و قيل : هذا الخطاب مؤكد لقوله : " يا أيها الناس كلوا مما فى الارض "، و لما كان لفظ الناس يعم المؤمن و الكافر ميز الله المؤمنين بهذا النداء تشريفا لهم و تنبيها على خصوصيتهم (٤) فى م : اقفال (٥) ما بين المربعين زيد من م و ظ و مد (٦) فى ظ : هين (٧) فى مد : الاسنان (٨) زيد من مد ، و لا بد منه ليكون مجموع الأسنان سبعة كما سيبين (٩) فى م : مخطاياتها - كذا (١٠) فى ظ : مرتبة (١١) من م و مد ، و فى الأصل : متراقبة ، و فى ظ : مراقبة .

إلى ما وراء ذلك من خصوص خطاب النبي صلى الله عليه و سلم فيه بما لا يليق إلا به و بمن هو منه من إله ، و فى انتظام تفصيل هذه الرتب جامعة لما يقع من معناه فى سائر القرآن - انتهى . و لما كانت هذه الرتبة كما تقدم أرفع من رتبة الناس خص فى خطابهم بعد بيان أن ما لم يحل خبيث فقال: "من طيبت" و لم يأت بذلك العموم الذى تألف به "الناس" .

و لما كانوا فى أول طبقات الإيمان نبههم[1] على الشكر بقوله فى مظهر العظمة: ﴿ما رزقنكم[3]﴾[2] و أخلصناه لكم من الشبه ، و لا تعرضوا لما فيه دنس كما أحله المشركون من المحرمات ، و لا تحرموا ما أحلوا منها من السائبة و ما معها ثم صرح به[5] فى قوله [آمرا أمر إيجاب-[6]]: ﴿و اشكروا لله[7]﴾ أى[8] و خصوا شكركم بالمنعم[8] الذى لا نعمة إلا منه[9] ،

---

(١) فى ظ : بالف (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ينبههم - كذا (٣) ﴿ما رزقنكم﴾ فيه إسناد الرزق إلى ضمير المتكلم بنون العظمة لما فى الرزق من الامتنان والإحسان ، و إذا فسرت الطيبت بالحلال كان فى ذلك دلالة على أن ما رزقه الله ينقسم إلى حلال و إلى حرام - البحر المحيط ١/٤٨٥ (٤) العبارة من هنا إلى « و ما معها » ليست فى ظ (٥) ليس فى ظ (٦) زيد من مد ، و فى م : امر امر إيجاب - كذا (٧) هذا من الالتفات إذ خرج من ضمير المتكلم إلى اسم الغائب ، و حكمة ذلك ظاهرة لأن هذا الاسم الظاهر متضمن لجميع الأوصاف التى منها وصف الإنعام و الرزق ، و الشكر ليس على هذا الإذن الخاص - البحر المحيط (٨-٨) ليست فى م ، و فى ظ : بالله - مكان : بالمنعم (٩) العبارة من « الذى » إلى هنا ليست فى ظ .

و هذا

و هذا بخلاف ما يأتى فى سورة المؤمنين خطابا لأعلى طبقات الخلّص و هم الرسل .

و لما كان الشكر لا يصح إلا بالتوحيد علقه باختصاصهم إياه بالعبادة فقال : ﴿ ان كنتم اياه ﴾ أى وحده ﴿ تعبدون ه ﴾ فان اختصاصه بذلك سبب للشكر ، فاذا انتفى الاختصاص الذى هو السبب انتفى الشكر ، و أيضا إذا انتفى المسبب الذى هو الشكر انتفى الاختصاص لأن السبب واحد ، فهما متساويان يرتفع كل واحد منهما بارتفاع الآخر[1] . و قال الحرالى : و لما كان هذا[2] الخطاب منتظما لتناول الطيب و الشكر و حقيقته[3] البذل من الطيب فشكر كل نعمة إظهارها على حدها من [4]مال أو جاه[4] أو علم أو طعام أو شراب أو غيره و إنفاق فضلها و الاقتناع منها بالأدنى و التجارة [بفضلها -[5]] لمبتغى الأجر و[6] إبلاغها إلى أهلها لمؤدى[7]

(١) و فى البحر المحيط : و لا يراد بالشرط هنا إلا التثبت و الهز للنفوس ، و كان المعنى العبادة له واجبة فالشكر له واجب ، و ذلك كما تقول لمن هو مستحق العبودية : إن كنت عبدى فأطعنى ، لا تريد بذلك التعليق المحض بل تبرزه فى صورة التعليق ليكون أدعى للطاعة و أهز لها . . . . . و قال الزمخشرى : إن صح أنكم تختصونه بالعبادة و تقرون أنه مولى النعم ، و عن النبى صلى الله عليه و سلم يقول الله تعالى : إنى و الجن و الإنس فى نبأ عظيم أخلق و يعبد غيرى و أرزق و يشكر غيرى - انتهى كلامه (٢) ليس فى مد (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حقيقة (٤-٤) و فى م و ظ و مد : جاه او مال . (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) فى م : أو (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كمودى .

الأمانة لأن أيدى العباد خزائن الملك الجواد « دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض » . فلما [1] كان ذلك لا يتم إلا بمعرفة الله [2] سبحانه و تعالى المخلف [3] على من أنفق كما قال " و ما انفقتم من شيء فهو يخلفه [4] " نبّهوا [5] على عهدهم الذى لقنوه فى سورة الفاتحة فى قوله " اياك نعبد و اياك نستعين " فقيل لهم : كلوا و اشكروا إن كنتم إياه تعبدون ؛ فمن عرف الله بالكرم هان عليه أن يتكرم و من عرف الله بالإنعام و الإحسان هان عليه أن يحسن و هو شكره لله ، من أيقن بالخلف [6] جاد بالعطية - انتهى .

و لما قيد الإذن لهم بالطيب [7] من الرزق [7] افتقر [8] الأمر إلى بيان الخبيث منه [9] ليجتنب فبين صريحا [10] ما حرم عليهم مما كان المشركون يستحلونه و يحرمون غيره [7] و أفهم حل ما عداه و أنه كثير جدا ليزداد المخاطب شكرا [7] فقال : ﴿ إنما حرم عليكم ﴾ . و قال الحرالى : و لما كان إدراك المؤمنين لمقتضى الخطاب فوق إدراك الناس خاطبهم تعالى بذكر ما حرم عليهم فناظر ذلك ما نهى عنه الناس من اتباع خطوات

---

(١) فى الأصل : كلما ، و التصحيح من م و ظ و مد (٢) فى م و مد : بالله . (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المخلق (٤) سورة ٣٤ آية ٤٠ (٥) فى الأصل : فنبهوا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٦) فى الأصل : بالخلق ، و التصحيح من م و ظ و مد (٧-٧) ليست فى ظ (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فبعد (٩) ليس فى ظ (١٠) فى م : سبحانه ، و ليس فى ظ .

الشيطان فقال : " انما حرم " و أجرى[1] إضماره / على الاسم العظيم /١٦٥
الأول إعلاما بأن الذى أذن لهم إنما حرم عليهم ما لا يصلح لهم[2] بكل
وجه لشدة مضرته عليهم فى إحاطة ذواتهم ظاهرها و باطنها ، لما[3] ذكر
أن المحرم إما لحرمته علوا كالبلد الحرام و تحريم الأمر ، أو لحرمته دناءة
كتحريم هذه المحرمات[4] ، ففى كلمة " إنما " نفى لمتوهمات[5] ما يلحقه ٥
التحريم بما دون المذكور هنا كأن قائلا يقول : حرم كذا و حرم
كذا من نحو ما حرمته الكتب الماضية أو حرمته الأهواء المختلفة أو حرمه
نظر على كالذى حرمه[6] إسرائيل على نفسه ، فكان الإفهام لرد تلك
المحرمات كلها - انتهى . فالمعنى و الله سبحانه و تعالى أنكم حرمتم
الوصيلة و السائبة و غيرهما مما أحله الله و أحللتم الميتة و الدم و غيرهما ١٠
[7] حرمه الله سبحانه و تعالى و لم[7] يحرم الله عليكم من السائبة و ما معها
مما حرمتموه و لا غيره مما استحللتموه[8] إلا ما ذكرته[9] هذه الآية ؛
و إذا راجعت ما فى[10] قوله سبحانه و تعالى فى الأنعام " فكلوا مما
ذكر اسم الله عليه[11] " و قوله " و لا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله
عليه[12] " و قوله " قل لا اجد فيما اوحى الى [محرما - ١٣] " ١٥

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اجزى (٢) ليس فى م (٣) فى مد : كما .
(٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الحرمات (٥) فى ظ : لتوهمات (٦) من ظ ،
و فى بقية الأصول : حرم (٧-٧) فى م : احله الله و احللتم الميتة و الدم و غيرهما
مما حرمه الله و لا (٨) فى ظ : استخلفتموه (٩) زيد فى م : لكم (١٠) من م
و ظ و مد ، و فى الأصل : من (١١) سورة ٦ آية ١١٨ (١٢) سورة ٦
آية ١٢١ (١٣) زيد من م . سورة ٦ آية ١٤٥ .

من كتابى هذا عرفت المراد من هذه الآية . و قال ﴿ الميتة ﴾ [١] أى التى سماها بذلك أهل العرف ، و هى [٢] ما فارقه [٣] الروح من غير ذكاة شرعية و هو [٤] مما يذكى [٥] . قال الجرالى : و هى ما أدركه الموت من الحيوان عن ذبول القوة و فناء الحياة ، و هى [٦] أشد مفسد [٦] للجسم لفساد تركيبها [٧] بالموت و ذهاب تلذذ [٨] أجزائها و عتقها [٩] و ذهاب روح الحياة و الطهارة منها . ﴿ و الدم ﴾ [١٠] أى الجارى [١٠] لأنه جوهر مرتكس عن حال الطعام و لم يبلغ بعد [١١] إلى حال الأعضاء ، فهو ميتة من خاص حياته مرتكس فى جوهره إلا من طيب الله كليته كما فى محمد صلى الله عليه و سلم و فيمن نزع [١٢] عنه خبث [١٣] الظاهر و الباطن طبعا و نفسا . ﴿ و لحم الخنزير ﴾ لأذاه [١٤] للنفس [١٥] كما حرم ما قبله لمضرتهما فى الجسم ، لأن من حكمة الله فى خلقه أن من اغتذى [١٦]

(١) العبارة من هنا إلى « يذكى » ليست فى ظ (٢) فى مد : هو (٣) من م و مد ، و فى الأصل : فارقة - كذا (٤) فى م : هى (٥) قال أبو حيان الأندلسى : قيل حكى أبو معاذ عن النحويين الأولين أن الميت بالتخفيف الذى فارقته الروح ، و الميت بالتشديد الذى لم يمت بل عاين أسباب الموت - البحر المحيط ١/٤٨٦ .
(٦-٦) فى ظ : اى اسد الميتة عليه (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تركيتها .
(٨) فى م و مد : تلزز (٩) من م ، و فى الأصل : عقتها ، و فى مد و ظ : عقبها (١٠-١٠) ليست فى ظ (١١) فى الأصل : بعدا ، و التصحيح من بقية الأصول (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فزع (١٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حيث (١٤) فى الأصل : لاداة ، و التصحيح من بقية الأصول .
(١٥) من م و ظ ، و فى الأصل : النفس ، و فى مد : فى النفس (١٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : أعتدى .

جسمه

جسمه بجسمانية شيء اغتذت[1] نفسه[2] بنفسانية ذلك الشيء « الكبر والخيلاء فى الفدادين أهل الوبر ، و السكينة فى أهل الغنم » فلما[3] جعل فى الخنزير من الأوصاف الذميمة حرم على من حوفظ على نفسه من ذميم الأخلاق[4] ؛ و اللحم ما لحم بين أخفى ما فى الحيوان من وسط عظمه وما انتهى إليه ظاهره من سطح جلد ، و عرف غلبة استعماله على رطبة الأحمر ، وهو هنا على أصله فى اللغة يجمع اللحم الأحمر و الشحم و الأعصاب و العروق إلى حد الجلد و ما اشتمل عليه ما بين الطرفين[5] من أجزاء الرطوبات ، [6] و إذا حرم لحمه الذى هو المقصود بالأكل و هو أطيب

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اعتدت (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : نفسانيته (٣) فى م : فكما ، و فى ظ : كلما (٤) فى البحر المحيط ١/٤٨٧ و ٤٨٨ : و لم يذكر الله تعالى حكمة فى تحريم أكل الميتة والدم ولا جاء نص عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى ذلك ، و لو تعبدنا تعالى بجواز أكل الميتة و الدم لكان ذلك شرعا يجب اتباعه ، و قد ذكروا أن الحكمة فى تحريم الميتة جمود الدم فيها بالموت و أنه يحدث أذى للآكل ، و فى تحريم الدم أنه بعد خروجه يجمد فهو فى الأذى كالجامد فى الميتة ، و هذا ليس بشيء لأن الحس يكذب ذلك ، وجدنا من يأكل الميتة و يشرب الدم من الأمم صورهم و سحنهم من أحسن ما يرى و أجمله و لا يحدث لهم أذى بذلك . . . . . و علة تحريم الخنزير قالوا : تفرد النصارى بأكله فنهى المسلمون من أكله ليكون ذلك ذريعة إلى أن تقاطعوهم إذ كان الخنزير من أنفس طعامهم ، و قيل : لكونه ممسوخا فغلظ تحريم أكله لخبث أصله ، و قيل : لأنه يقطع الغيرة ويذهب بالأنفة (٥) فى م : الظرفين (٦) العبارة من هنا إلى « بالتحريم » ليست فى ظ .

ما فيه كان غيره من أجزائه أولى بالتحريم .

و لما حرم ما يضر الجسم و يؤذى النفس حرم ما يرين على القلب فقال : ﴿ و ما اهل ﴾ و الإهلال رفع الصوت لرؤية أمر مستعظم ﴿ به ﴾[1] أى رفع[2] رافع الصوت بسببه ذابحا ﴿ لغير الله ج ﴾[3] أى الذى لا كفوء له بوجه . قال الحرالى[4] : لأن ما[5] لم يذكر[6] عليه اسم الله أخذ من يد من ذكر عليه اسمه و ليس ذلك خالقه و[7] مالكه ، إنما خالقه و مالكه الله الذى جعل ذكر اسمه عليه إذنا فى الانتفاع به و ذكر على إزهاق الروح من هى من نفخته لا من لا يجد[8] للدعوى فيها

(١) العبارة من هنا إلى « ذابحا » ليست فى ظ (٢) ليس فى م (٣) العبارة من هنا إلى « الحرالى » ليست فى ظ (٤) قال الأندلسى : ما ذبح للأصنام و الطواغيت ـ قاله ابن عباس و مجاهد و قتادة و الضحاك ، أو ما ذكر عليه اسم غير الله ـ قاله الربيع بن أنس أو غير . . . . . أو ما قصد به غير وجه الله تعالى للتفاخر و التباهى ـ قاله على و الحسن . . . . . و منع الحسن من أكل جزور ذبحتها امرأة للعبها و قال : إنها نحرت لصنم ؛ و سئلت عائشة عن أكل ما يذبحه الأعاجم لأعيادهم و يهدون للمسلمين فقالت : لا تأكلوه و كلوا من أشجارهم ؛ و الذى يظهر من الآية تحريم ما ذبح لغير الله فيندرج فى لفظ « غير الله » الصنم و المسيح و الفخر و اللعب ، و سمى ذلك إهلالا لأنهم يرفعون أصواتهم باسم المذبوح له عند الذبيحة ، ثم توسع فيه و كثر حتى صار اسما لكل ذبيحة جهر عليها أو لم يجهر ـ البحر المحيط ١/٤٨٩ (٥) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : من (٦) من م و مد ، و فى الأصل : لم تذكر ، و فى ظ : لم يذكر ـ كذا (٧) زيد « لا » فى م و ظ و مد (٨) فى م : يجد ، و فى ظ : نجد .

سبيلا من الخلق . و ذكر الإهلال إعلام بأن ما أعلن عليه بغير اسم الله هو أشد المحرم ، فنى إفهامه تخفيف الخطاب عما[1] لا يعلم من خفى الذكر «قالوا : يا رسول الله ! إن ناسا يأتوننا بلحام[2] لا ندرى أ سموا الله عليها أم لا . فقال رسول[3] الله صلى الله عليه و سلم : سموا الله أنتم و كلوا» فكان المحرم ليس ما لم يعلم[4] أن اسم الله ذكر عليه بل الذى علم أن غير اسم الله قد أعلن به عليه ، و فى تقدم إضمار المحرم فى قوله "به" تأكيد لمعناه لأنهم يقدمون[5] ما هم بـه أهم و هم ببيانه[6] أعنى ، قال[7] صلى الله عليه و سلم : «أبدأوا بما بدأ الله به» ، فلما كانت هذه الآية جامعة آى[8] التحريم أظهر فيها تقديم العناية بالمحرم و هى فى الإبلاغ أنهى[9] معنى[10] من الذى [11]أخر فيها[11] هذا الضمير .

و لما كان هذا الدين يسرا[12] لا عسر فيه و لا حرج و لا جناح [رفع حكم[13] هذا التحريم عن[14] المضطر ، و لما كان شأن الاضطرار أن يشمل جمعا من الخلق أنبأهم تعالى بأن هذا الذى رفع عنهم من التحريم لا يبرأ[15]

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : عمن (٢) فى م و ظ و مد : لحمان . (٣) ليس فى م و مد و ظ (٤) ليس فى م (٥) فى الأصل : تقدمون ، و التصحيح من ظ و م و مد (٦) فى ظ : ببنائه (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : قوله (٨) فى م : لآى (٩) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : انتهى . (١٠) فى الأصل : يعنى ، و التصحيح من بقية الأصول (١١-١١) من مد و ظ ، و فى الأصل : اخوفها ، و فى م : اخرفها (١٢) فى م : يسيرا (١٣) ليس فى م و ظ (١٤) فى م : من (١٥) فى ظ : لايبدا .

من كلية الأحكام بل يبقى مع هذه الرخصة موقع[١] الأحكام[٢] فى البغى و العدوان -٣] فقال: ﴿فمن اضطر﴾ أى [أحوجه محوج و ألجأه ملجىء بأى ضرورة كانت -٤] إلى أكل[٥] شىء مما حرم/ بأن أشرف على التلف فأكل من شىء منه حال كونه ﴿غير باغ﴾ أى[٦] قاصد فسادا[٦] بمكيدة يكيد بها لضعفه آخذا من تلك[٧] الميتة هو أقوى منه كأن يحيله[٨] على غيرها خداعا منه ليستأثر عليه بالأحسن منها ﴿و لا عاد﴾ على غيره بأن يكون أقوى منه فيدفعه[٩] عنها، و لا مجاوز[١٠] لسد الرمق و إزالة الضرورة[١١]؛ [١٢] و يدخل فى الآية أن من بغى[١٣] على إمام أو[١٤] قصد بضربه فى الأرض فسادا أو عدا على أحد ظلما فحصل له[١٥] بسبب ذلك مخمصة[١٦] لا يحل[١٧] له ما كان حراما لأن فى ذلك إعانة له على معصيته[١٨]، فان تاب استباح[١٩] ﴿فلا اثم عليه[٢٠ط]﴾ لا من التحريم الأول و لا

١٦٦ /

(١) فى م: موضع (٢) فى م و ظ: للأحكام (٣) العبارة زيدت من م و مد و ظ (٤) زيدت من م و مد (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: كل. (٦-٦) من م و مد و زيد بعده فى م: به، و ليس فى ظ، و فى الأصل: قاصد فاسدا (٧) فى ظ: تكده (٨) فى ظ: يهله، و لا يتضح فى م (٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: قيدفيه (١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تجاوز (١١) فى م: الضرر (١٢) العبارة من هنا إلى «بسبب ذلك» ليست فى ظ. (١٣) من م، و فى الأصل و مد: بقى (١٤) فى م: و (١٥) ليس فى م (١٦) فى م: مخمصه، و فى مد: مخمصته (١٧) فى م: تحل، و فى مد: محل - كذا. (١٨) فى م: معصية (١٩) و فى البحر المحيط ١/٤٨٩: و قال عكرمة و قتادة و الربيع و ابن زيد و غيرهم: غير قاصد فساد و تعد بأن يجد عن هذه المحرمات =

من

من الحكم الآخر ، و لو كان رفع الإثم دون هذين الاشتراطين لوقع بين المضطرين من البغى و التسلط ما مثله لا يحل لغير المضطرين ، فانتفى الإثم على صحة من الأمرين و ارتفاع الحكمين[1] ، ففى السعة يجتنب ما يضر و فى الضرورة[2] يؤثر[3] ضرورة الجسم لقوامه على حكم الكتاب فى إقامته ، و فى إفهامه أن من اضطر لشىء مما حرم عليه فأكله لم تنله[4] مضرة ، لأن الله سبحانه و تعالى إذا أباح شيئا أذهب ضره « إن الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها » ، ففيه[5] تنبيه لتغيير هذه الأعيان للمضطر عما كانت عليه حتى تكون رخصة فى الظاهر و تطييبا[6] فى الباطن[6] ، فكما[7] رفع عنه حكمها الكتابى يتم فضله فيرفع عنه ضرها الطبيعى .

ثم علل هذا الحكم مرهبا مرغبا بقوله : ﴿ ان الله ﴾ فأتى بهذا الاسم المحيط إشارة إلى عموم هذا الحكم للمضطر و الموسع ، و فى قوله : ﴿ غفور[8] ﴾ إشعار بأنه لا يصل إلى حال الاضطرار إلى ما حرم

= مندوحة ، و قال ابن عباس و الحسن : غير باغ فى الميتة فى الأكل و لا عاد بأكلها وهو يجد غيرها ، وهو يرجع لمعنى القول قبله و به قال أبو حنيفة و مالك ، و أباح هؤلاء للبغاة الخارجين على المسلمين الأكل من هذه المحرمات عند الاضطرار كما أباحوا لأهل العدل (٢٠) ليس فى مد .

(١) فى ظ : الحكم (٢) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : الضرورى (٣) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : يوفر (٤) فى ظ : لم ينله (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : قصة (٦-٦) فى مد : للباطن (٧) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : فلما .

(٨) لما ذكر أشياء محرمة اقتضى المنع منها ثم ذكر إباحتها للمضطر فى تلك الحال =

عليه أحد إلا عن[١] ذنب أصابه، فلولا المغفرة لتممت[٢] عليه عقوبته، لأن المؤمن أو الموقن[٣] لا تلحقه ضرورة، لأن الله سبحانه و تعالى لا يعجزه شيء و عبد الله [٤]لا يعجزه ما لا يعجز ربه[٤] "و ان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين[٥]" فاليأس الذى يحوج إلى ضرورة إنما يقع لمن هو دون رتبة اليقين و دون رتبة الإيمان «جهز رسول الله صلى الله عليه و سلم [جيشا -[٦]] ففنيت أزوادهم فأقاموا أياما يتقوتون[٧] بيسير حتى تقوتوا بتمرة تمرة فأخرج الله لهم العنبر دابة من البحر[٨]» فلم يحوجهم فى ضرورتهم إلى ما حرم عليهم بل جاءهم فى ضرورتهم بما هو أطيب مأكلهم فى حال السعة من صيد البحر الذى هو الطهور ماؤه الحل ميتته[٩]. و فى قوله: ﴿رحيم﴾

= المقيدة له اتبع ذلك بالإخبار عن نفسه بأنه تعالى ﴿غفور رحيم﴾ لأن المخاطب بصدد أن يخالف فيقع فى شيء من أكل هذه المحرمات، فأخبر أنه غفور للعصاة إذا تابوا رحيم بهم، أو لأن المخاطب إذا اضطر فأكل ما يزيد على قدر الحاجة فهو تعالى غفور له ذلك، رحيم بأن أباح له قدر الحاجة، أو لأن مقتضى الحرمة قائم فى هذه المحرمات ثم رخص فى تناولها مع قيام المانع فعبر عن هذا الترخيص و الإباحة بالمغفرة؛ ثم ذكر بعد الغفران صفة الرحمة أى لأجل رحمتى بكم أبحت لكم ذلك - البحر المحيط ١ ٤٩١.

(١) فى م: من (٢) فى مد: اتممت (٣) فى ظ: المومن (٤-٤) ليست فى مد. (٥) سورة ٣٠ آية ٤٩ (٦) زيد من م و مد و ظ (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يتقون (٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الأرض (٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ميتة.

إنباء بأن من اضطر فأصاب[1] مما اضطر إليه شيئا لم يبغ[2] فيه و لم يعد تناله[3] من الله رحمة توسعه من[4] أن يضطر بعدها إلى مثله فيغفر له الذنب السابق الذى أوجب الضرورة و يناله بالرحمة الموسعة التى ينال بها من لم يقع منه ما وقع ممن اضطر إلى مثله - انتهى؛ و تصرفت فيه .

و لما كان فى بيان هـذه المحرمات الإشارة إلى عيب من استحلها من العرب [5]و ترك ما أمر به من الطيبات[5] جهلا و تقليدا تلاها[6] بتكرير عيب الكاتمين لما عندهم من الحق مما أنزل فى كتابهم من [5]صفة النبى صلى الله عليه و سلم و أمر الحج و[5] أمر القبلة و غيرها مما يصدق هذا الكتاب الذى لا ريب فيه [7]خوفا على انقطاع ما كان يهدى إليهم لرئاستهم من دينهم على وجه عائب[8] لهم لاستحلالهم أكل السحت على علم مبين أنهم استحقوا الذم من وجهين : أحدهما نفس الأكل [9]على هذا الوجه المؤدى إلى الإعراض عن الطيبات و الموافقة[10] للعرب ، الثانى كونه على كتمان ما يعلمون من الحق فقال[11] : ﴿ ان الذين

(١) من مد و ظ ، و فى م : فاصابه ، و فى الأصل : فاجاب (٢) فى الأصل : لم يقع ، و التصحيح من م و مد و ظ (٣) فى ظ : يناله ، و فى مد : تناوله (٤) فى م و ظ و مد : عن (٥ - ٥) ليست فى ظ (٦) ليس فى م (٧) من هنا إلى « من دينهم » ليست فى ظ (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غائب (٩) العبارة من هنا إلى « للعرب » ليست فى ظ (١٠) فى م : الموافقة (١١) روى عن ابن عباس أنه قال إن الملوك سألوا علماءهم قبل المبعث : ما الذى تجدون فى التوراة ؟ فقالوا : نجد أن الله يبعث نبيا من بعد المسيح يقال له محمد بتحريم الربا و الخمر و الملاهى و سفك الدماء ، فلما بعث قالت الملوك لليهود : هذا الذى تجدونه فى كتابكم =

يكتمون ﴾ مؤكدا لذمهم بأنواع التأكيد، و لقد بدع إيلاؤه لصفتى المغفرة و الرحمة كما ختم آية الكتمان الأولى بوصفى التوبة و الرحمة، فكان [مع ما فيه من الترغيب - ١] من قبيل الاحتراس [أى إنه - ٢] إعانة لا يغفر لمثل هؤلاء إلا أن اتصفوا ٣بما أشارت٣ إليه الآية الأولى من التوبة. قوله: ﴿ ما انزل الله ﴾ باسناد الإنزال٤ إلى اسمه الأعظم لإحاطة الكتاب بمختلفات الأحكام ﴿ من الكتب ﴾ أى من حدوده و أحكامه و غير ذلك مما أشارت إليه الآية الأولى بالبينات و الهدى من الحكم و الأحكام.

و لما كان من الكتم ما يكون لقصد خير، فكم من كلمة حق أريد بها باطل! قيده بقوله: ﴿ و يشترون٥ به ثمنا ﴾ قال الحرالى: و الثمن ما لا ينتفع / بعينه حتى يصرف إلى غيره من الأعواض٦، /١٦٧ فالإيعاد٧ على ما يتضمن جهل الكاتم و حرصه باستكسابه بالعلم و إجرائه

= فقالوا طمعا فى أموال الملوك: ليس هذا بذلك النبى، فأعطاهم الملوك الأموال، فأنزلت إكذابا لهم - البحر المحيط ١/٤٩١.

(١) زيدت من م و مد و ظ (٢) زيد من م و مد و ظ غير أن «اى» ليس فى ظ (٣-٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: كاشارات (٤) ليس فى م.
(٥) فى البحر المحيط: لما تعوضوا عن الكتم شيئا من سحت الدنيا أشبه ذلك البيع و الشراء لانطوائهما على عوض و معوض عنه فأطلق عليه اشتراء (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: فالأعراض (٧) فى م: فلايعاض، و فى ظ: و الايعاد.

فى

فى غير ما أجراه الله[1] تعالى على ألسنة أنبيائه "و ما اسئلكم عليه من اجر[2]" و لما كان [3]كل ما لم يثبت من[3] خير الدنيا فى الآخرة و إن جل حقيرا[4] قال: ﴿قليلا[4]﴾ هذا المراد لا تقييده[5] بالقليل.

و لما كانوا قد بعدوا عن[6] مواطن الرحمة بخلهم بما لا ينقصه[7] الإنفاق أشار إليهم بأداة البعد فقال: ﴿اولئك﴾ و[8] فى خطاب النبى صلى الله عليه و سلم به[9] إشعار بوقوع ذلك من طائفة من أمته حرصا على الدنيا ﴿ما ياكلون﴾ أى فى هذه الحال على ما دلت عليه 'ما'. [10]و لما كان الأكل يطلق على مجرد الإفساد حقق معناه بقوله[10]: ﴿فى بطونهم﴾ جمع بطن و هو فضاء[11] جوف الشىء الأجوف، لغيبته عن ظاهره الذى هو ظهر ذلك البطن ﴿الا النار﴾ كما أحاط علمه[12] سبحانه و تعالى بالغيب ان ذلك على الحقيقة و بصره لعيون أهل الكشف الذين يرون العواقب فى الأوائل و الغيب فى الشهادة، و فى ذكره بصيغة الحصر نفى لتأويل[13] المتأول بكونه سببا و صرف[14] له إلى وجه التحقيق الذى يناله

(١) ليس فى م و مد (٢) سورة ٢٦ آية ١٠٩ (٣-٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: من لم ينبت من من - كذا (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: حقير. (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لا نقيده (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: من (٧) من م و مد، و فى الأصل: لا ينقضه، و فى ظ: لا ينصصه (٨) ليس فى مد (٩) ليس فى م (١٠-١٠) ليست فى ظ (١١) فى الأصل: قضا، و التصحيح من بقية الأصول (١٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: علم (١٣) فى م و مد: التأويل (١٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: حرف - كذا.

الكشف ويقصر عنه الحس، فكانوا فى ذلك كالحذر الذى يجعل يده فى الماء الحار ولا يحس به فيشعر ذلك بموت حواس هؤلاء عن حال ما تناولوه[١] .

ولما قدم الوعيد فى الثمن لكونه الحامل على الكتم اتبعه وعيد نفس الكتم فقال: ﴿ ولا يكلمهم الله ﴾ أى [٢]الملك الأعظم الذى من كلمه أقبل كل شىء عليه كلاما يدل على مرضى[٢] لكونهم لم يكلموا الناس بما كتب عليهم وقال: ﴿ يوم القيٰمة ﴾ تأكيدا لما أشارت إليه ما[٣] من[٤] أن المراد بالذى قبله الحال ﴿ ولا يزكيهم صلى ج ﴾ أى [٥]يطهرهم من دنس الذنوب أو يثنى عليهم أو ينمى أعمالهم[٥] بما يحصل لهم من الميثاق فى يوم التلاق كما يزكى بذلك من يشاء من عباده لأنهم كتموا عن العباد[٦] ما يزكيهم و٣ فى هذا تعظيم لذنب كتموا العلم ﴿ ولهم ﴾ مع هذا العذاب ﴿ عذاب اليم ه ﴾ لما أوقعوا فيه الناس من التعب بكتمهم[٧] عنهم ما يقيمهم على المحجة[٨] السهلة[٩] .

(١) فى ظ : تنالوه (٢-٢) ليست فى ظ . وفى مد « قبل » مكان « اقبل » .
(٣) ليس فى م (٤) فى ظ : امن (٥-٥) ليست فى ظ (٦) من م وظ ومد ، وفى الأصل : العبادة (٧) من م ومد وظ ، وفى الأصل : يكتمهم (٨) من م ومد وظ ، وفى الأصل : الحجة (٩) (وناسب) ذكر هذه الآية ما قبلها لأنه تعالى ذكر فى الآية قبلها إباحة الطيبات ثم فصل أشياء من المحرمات فناسب أن يذكر جزاء من كتم شيئا من دين الله ومما أنزله على أنبيائه فكان ذلك تحذيرا أن يقع المؤمنون فيما وقع أهل الكتاب من كتم ما أنزل الله عليهم واشترائهم به ثمنا قليلا - البحر المحيط ١/٤٩٣ .

و لما ذكر جزاءهم اتبعه ترجمة[1] حالهم مؤكدا لبعدهم فقال: ﴿ اولئك الذين اشتروا[2] ﴾ أى لجاجا و تماديا فى الغى ﴿ الضلٰلة ﴾ عن طريق[3] الخير ﴿ بالهدىٰ ﴾ و لما ذكر حالهم فى الدنيا اتبعه أمر الآخرة فقال: ﴿ و العذاب ﴾ بارتكابهم هذه الموبقة ﴿ بالمغفرة ج ﴾ التى كانت تنجيهم[4] إذا محت صغائرهم لو سلموا من هذه العضلة[6] التى كانت سببا لضلال خلق كثير فكان عليهم وزرهم. و لما جعل سبحانه و تعالى أول مأكلهم[7] نارا و آخر أمرهم عذابا و ترجمة حالهم عدم المغفرة فكان بذلك أيضا أوسط حالهم نارا سبب عنه التعجيب[7] من أمرهم بحبسهم[8] أنفسهم فى ذلك الذى هو معنى الصبر[9] لالتباسهم بالنار حقيقة أو بموجباتها من غير مبالاة[9] فقال: ﴿ فما اصبرهم ﴾ أى ما أشد حبسهم أنفسهم[10] أو ما أجرأهم ﴿ على النار ه ﴾ التى أكلوها فى الدنيا فأحسوا بها فى[11] الأخرى - ذكر[12] كثيرا من[13] ذلك الحرالى[14] غير أنى تصرفت فيه؛

(١) من م ومد و ظ، و فى الأصل: ترجة (٢) قال أبو حيان الأندلسى: و فى لفظ "اشتروا" إشعار بإيثارهم الضلالة و العذاب، لأن الإنسان لا يشترى إلا ما كان له فيه رغبة و مودة و اختيار و ذلك يدل على نهاية الخسارة و عدم النظر فى العواقب (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: طرق (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ينجيهم (٥) فى م: المعضلة. و فى مد: المعضلة (٦) فى م: كلمهم - كذا (٧) فى م: التعجب (٨) فى م: يحسبهم (٩-٩) ليست فى ظ، و فى م «بنموحياتها» مكان «بموجباتها» (١٠) العبارة من هنا إلى «تصرفت فيه» ليست فى ظ (١١) فى م: الاخرة (١٢) من مد، و فى الأصل و ظ: ذكرا، و فى م: ذلك - كذا (١٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل فقط: فى (١٤) قال =

و إذا جعلته مجازا كان مثل قولك لمن عاند السلطان : ما أصبرك على السجن الطويل و القيد الثقيل ! تهديدا له .

و لما ذكر جزاءهم[1] و شرح حالهم و التعجيب من أمرهم ذكر السبب الموجب لهذا الإبعاد العظيم و التهديد الكبير فقال : ﴿ ذلك ﴾ مشيرا بأداة البعد ﴿ بان الله ﴾ فذكر الاسم الأعظم أيضا [2]الذى معناه أن له جميع صفات الكمال[2] تعظيما للمقام ﴿ نزّل الكتٰب ﴾ أى الجامع لأنواع الهدى ﴿ بالحق ط ﴾ منجما تقريبا للأفهام و تدريبا للخاص و العام ، [2]و هو صالح لإرادة القرآن و التوراة[2] [3]أى الثابت الكامل فى الثبات[3] ، فمن كتمه فقد حاول نفى ما أثبته الله تعالى فقد ضاد الله فى ملكه ، و من خالف فيه و هو الذى لا شبهة تلحقه فقد عد الواضح ملبسا فقد أبعد المرمى .

و لما كان التقدير : فاختلفوا ، اتبعه قوله : ﴿ و ان الذين اختلفوا ﴾ أى خالف بعضهم بعضا ﴿ فى الكتٰب ﴾ نفسه أى[4] لا فى فهمه ، و هذه العبارة تدل على [ان -[5]] الاختلاف قول بعض فى الكتاب كله

= الأندلسى : و قال الزمخشرى ﴿ فما اصبرهم على النار ﴾ تعجب من حالهم فى التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم ، انتهى كلامه و انتهى القول فى أن الكلام تعجب ، و ذهب معمر بن المثنى و المبرد إلى أن ما استفهامية لا تعجبية و هو استفهام على التوبيخ لهم أى أى شىء صبرهم على النار حتى تركوا الحق و اتبعوا الباطل ، و هو قول ابن عباس و السدى ١/٤٩٥ .

(١) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : جراهم - كذا (٢-٢) ليست فى ظ .

(٣-٣) ليست فى م (٤) ليس فى مد (٥) زيد من م .

أو

أو فى شىء منه هو باطل و الإقرار ببعض أحكامه و الإنكار لبعضها و تحريف الكلم عن مواضعه و نحو هذا ﴿ لفى شقاق[1] ﴾ لكون[2] كل واحد[3] منهم فى شق / ﴿ بعيد[4] ﴾ جدا عن شق أهل الحق ، ١٦٨/
و لذلك[4] خاف الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من[5] اختلاف أهل هذا الدين فى القرآن كما اختلف اليهود و النصارى فجمعوهم على مصحف ٥
واحد ، فليس الاختلاف فى وجوه الروايات و أنحاء[6] الفهم من ذلك ؛ و قد وقع كما ترى تنبيه المشركين من العرب بدون ما تضمنه تنبيه بنى إسرائيل من التقريع و التوبيخ لفرقان ما بينهم ، لأن كفر المشركين عن جهل و كفر أولئك عن تعنت بعد تكرر مشاهدة الآيات[7] ، و من تدبر القرآن و طالع التوراة علم طول مكث موسى عليه الصلاة و السلام ١٠
فيهم يتلو عليهم التوراة على حسب تنزيلها شيئا فشيئا و أنهم كانوا مع ذلك كلما شاهدوا آية أحدثوا كفرا و خلعوا شكرا و سألوا غيرها

---

(١) و كنى بالشقاق عن العداوة و وصف الشقاق بالبعد إما لكونه بعيدا عن الحق أو لكونه بعيدا عن الألفة أو كنى به عن الطول أى فى معاداة طويلة لا تنقطع ، و هذا الاختلاف هو سبب اعتقاد كل طائفة أن كتابها هو الحق و أن غيره افتراء و قد كذبوا فى ذلك ، كتب الله يشبه بعضها بعضا و يصدق بعضها بعضا ـ البحر المحيط ١/٤٩٦ (٢) فى م : بكون ، و فى ظ و مد : يكون .
(٣) ليس فى م (٤) من م و ظ و مد . و فى الأصل : كذلك (٥) ليس فى ظ .
(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : انجا ـ كذا (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لايات ـ كذا .

عنادا و مكرا "و جعلنا قلوبهم قسية[1]" و قد مر من[2] أول السورة عن التوراة كثير من ذلك و سيأتى إن شاء الله تعالى بقيته[3] فى المواضع اللائقة به من آيات القرآن . و قال الإمام أبو جعفر بن الزبير : و متى بين شيء فى الكتاب العزيز من أحوال النصارى فليس على ما ورد من ٥ مثله فى اليهود لما ذكر أى من أن كفرهم تعنت ، و خطاب مشركى العرب فيما أشير إليه دون خطاب الفريقين إذ قد تقدم لهم ما لم يتقدم للعرب و بشروا فى كتبهم و ليس لمشركى العرب مثل ذلك ؛ و الزيغ عن الهدى شامل للكل و ليسوا فى شيء من الصراط المستقيم [4]مع أن[4] أسوأ الأحوال حال من أضله الله على[5] علم ؛ و هنا انتهى ١٠ ذكر ما حذر منه و نهى عنه من أراد سلوك[6] الصراط المستقيم و بيان حال من حاد[7] عنه و تنكبه و ظن أنه على شيء و ضم[8] مفترق أصناف الزائغين فى أصناف ثلاثة و هم اليهود و النصارى و أهل الشرك ، و بهم يلحق سائر من تنكب فيلحق باليهود منافقو أمتنا ممن ارتاب[9] بعد إظهار إيمانه و فعل أفاعليهم من المكر و الخديعة و الاستهزاء ، ١٥ و[10] يلحق بالنصارى من اتصف بأحوالهم . و بالمشركين من جعل لله سبحانه و تعالى ندا و اعتقد فعلا لغيره على غير طريقة الكسب ؛

(١) سورة ٥ آية ١٣ (٢) فى م و ظ و مد : فى (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بقية (٤-٤) من م و مد و ظ . و فى الأصل : لان (٥) ليس فى م . (٦) فى م : شكوك (٧) فى م : حال (٨) من م و ظ ، و فى الأصل : ضد ، و فى مد : علم (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ارياب (١٠) ليس فى ظ .

و المجوس لاحقون بأهل الشرك . و الشرك أكثر هذه الطرق الستة تشعبا و لهذا قال عليه الصلاة و السلام : الشرك أخفى من دبيب النمل ، و من فعل أفعال من ذكر و لم يئل به الأمر إلى مفارقة دينه و الخروج فى شىء من اعتقاده[1] خيف عليه أن يكون ذلك وسيلة إلى اللحوق بمن تشبه به ، و إلى هذا أشار عليه الصلاة و السلام بقوله : أربع من كن فيه كان منافقا خالصا : إذا حدث كذب ، و إذا عاهد غدر ، و إذا وعد أخلف ، و إذا خاصم فجر - إلى أشباه هذا من الأحاديث ؛ انتهى .

(١) من م و ظ و بد ، و فى الأصل : اعتقاد

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الثانى من تفسير «نظم الدرر فى مناسبات الآيات و السور» للشيخ العلامة أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله يوم الخميس الثالث عشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٣٩٠ هـ = ١٨ يونيو سنة ١٩٧٠ م .

و قد اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه الأستاذ الأديب فضيلة الشيخ السيد محمد عبد الحميد شيخ الجامعة النظامية بحيدر آباد الدكن عم فيضه! و عنى بتنقيحه راقم هذه الخاتمة ، تحت إدارة الأريب اللبيب صاحب الفضيلة السيد محامد على العباسى مدير الدائرة و عميدها - أبقاه الله لخدمة العلم و الدين .

و يليه الجزء الثالث إن شاء الله تعالى أوله «و لما بين سبحانه و تعالى كفر أهل الكتاب الطاعنين فى نسخ القبلة - الخ» .

و فى الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد

السيد محمد حبيب الله الرشيد القادرى

(كامل الجامعة النظامية)

صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

و لما بين سبحانه و تعالى كفر أهل الكتاب الطاعنين[1] فى نسخ القبلة بتكذيب الرسول صلى الله عليه و سلم و كتمان الحق و غير ذلك إلى أن ختم بكفرهم بالاختلاف فى الكتاب [2] و كتمان ما فيه من مؤيدات الإسلام ٢ اتبعه الإشارة إلى أن أمر الفروع [3] أحق من أمر الأصول لأن الفروع ٣ ليست مقصودة لذاتها، و الاستقبال الذى جعلوا ٥ من جملة شقاقهم أن[4] كتموا ما عندهم من الدلالة على حقيته[5] و أكثروا الإفاضة[6] فى عيب[7] المتقين به ليس مقصودا لذاته، و إنما المقصود بالذات الإيمان فاذا وقع تبعته جميع الطاعات من الصلاة المشترط فيها الاستقبال و غيرها فقال تعالى: ﴿ ليس البر ﴾ أى الفعل المرضى الذى هو فى تزكية النفس كالبر فى تغذية البدن ﴿ ان تولوا وجوهكم ﴾ أى ١٠

(١) فى الأصل: الطاغين، و التصحيح م و ظ و مد (٢-٢) ليست فى ظ. (٣-٣) ليست فى م. و فى ظ «احف» مكان «احق» (٤) فى م: اذ (٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: حقيقة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: الاضافة (٧) من مد، و فى م: غيبة، و فى الأصل و ظ: غيب.

فى الصلاة ﴿ قبل المشرق ﴾ الذى هو جهة [1]مطالع الأنوار[1] ﴿ و المغرب[2] ﴾ الذى هو جهة أفولها[3] أى و غيرهما من الجهات المكانية ، فان ذلك كله لله سبحانه و تعالى كما مضى عند أول اعتراضهم التصريح بنسبة الكل إليه "فاينما تولوا فثم وجه الله".

٥ و لما كان قد بين للمتقين كما ذكر قبل[4] ما يخرج عن الصراط المستقيم و حذروا منه ليجتنبوه عقبه بما يلزمهم ليعملوه[5] فابتدأ من هنا بذكر الأحكام إلى قوله : "آمن الرسول" و بدأ ذلك بما بدأ به السورة و فصل لهم كثيرا مما كلفوه مما أجمله[6] قبل ذلك ففصل الإيمان تفصيلا لم يتقدم فقال : ﴿ و لكن البر من[7] ﴾ أى إيمان من ، و لعله

(١-١) من مد و ظ ، و فى م و الأصل : افولها (٢) و مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة لأنها إن كانت فى أهل الكتاب فقد جرى ذكرهم بأقبح الذكر من كتمانهم ما أنزل الله و اشترائهم به ثمنا قليلا و ذكر ما أعد لهم و لم يبق لهم مما يظهرون به شعار دينهم إلا صلاتهم و زعمهم أن ذلك البر فرد عليهم بهذه الآية و إن كانت للمؤمنين فهو نهى لهم أن يتعلقوا من شريعتهم بأيسر شىء كما تعلق أهل الكتابين و لكن عليهم العمل بجميع ما فى طاقتهم من تكاليف الشريعة على ما بينها الله تعالى - البحر المحيط ٢/١ (٣) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : مطالع الانوار.

(٤) من مد و ظ ، و فى الأصل : قيل . و فى م : قل (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ليعلموه (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : احل - كذا (٧) و فى البحر المحيط ٢/٢ : البر معنى من المعانى فلا يكون خبره الذوات إلا مجازا فاما أن يجعل البر هو نفس من آمن على طريق المبالغة - قاله أبو عبيدة و المعنى و لكن البار ، و إما أن يكون على حذف من الأولى أى و لكن ذا البر - =

عبر بذلك إفهاما لأن فاعل ذلك نفسه[1] بر أى أنه زكى[2] حتى صار نفس الزكاة ﴿ آمن بالله ﴾ / الذى دعت إليه آية الوحدانية[3] فأثبت له ١٦٩ / صفات الكمال و نزهه عن كل شائبة نقص بما على ذلك من دلائل أفعاله . و لما كان من أهم خلال الإيمان القدرة على البعث و التصديق به[4] لأنه يوجب لزوم الخير و البعد عن الشر[4] قال : ﴿ و اليوم الآخر ﴾ ٥ الذى كذب به كثير من الناس فاختل نظامهم يبغى [بعضهم -[5]] على بعض ، فالأول مبرئ عن الأنداد و هذا مبعد عن أذى العباد .

و لما كان[6] هذا إيمان الكمّل و كان أكثر الناس نيام العقول لا يعرفون شيئا إلا بالتنبيه و ضُلال البصائر يفترقون[7] إلى الهداية ذكر سبحانه و تعالى الهداة الذين جعلهم وسائط بينه و بين عباده بادئا ١٠ بالأول [فالأول -[8]] فقال[9] : ﴿ و الملئكة ﴾[10] أى الذين أقامهم فيما بينه

= قاله الزجاج ، أو من الثانى أى بر من آمن - قاله قطرب ، و على هذا خرجه سيبويه ، قال فى كتابه : و قال جل و عز ﴿ و لكن البر من آمن ﴾ و إنما هو ولكن البر بر من آمن بالله - انتهى .

(١) فى ظ : لنفسه (٢) فى م : تزكى (٣) فى ظ : الواحدنية - كذا (٤-٤) ليست فى ظ (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) ليس فى م (٧) فى الأصل : يعتقدون ، و التصحيح من م و ظ و مد (٨) زيد من م و ظ و مد (٩) و مضمون الآية أن البر لا يحصل باستقبال المشرق و المغرب بل بمجموع أمور ، أحدها الإيمان بالله ، و أهل الكتاب أخلوا بذلك ، أما اليهود فللتجسم و لقولهم : عزير ابن الله ، و أما النصارى فلقولهم : المسيح ابن الله ؛ الثانى الإيمان بالله و اليوم الآخر ، واليهود أخلوا به حيث قالوا : لن تمسنا النار الا اياما ، و النصارى أنكروا المعاد =

و بين الناس و هم غيب محض ﴿ و الكتب ﴾ الذى ينزلون به على وجه لا يكون فيه ريب ١ أعم من القرآن و غيره ١ ﴿ و النبيين ج ﴾ الذين تنزل به عليهم الملائكة ، لكونهم خلاصة الخلق ، فلهم جهة ملكية يقدرون بها على التلقى من الملائكة لمجانستهم إياهم بها ، و جهة بشرية ٥ يتمكن الناس بها من التلقى منهم ، و لهم من المعانى الجليلة الجميلة التى صرفهم الله فيها بتكميل أبدانهم و أرواحهم ما لا يعلمه إلا هو فعليهم الصلاة و السلام و التحية و الإكرام . قال الحرالى : ففيه أى الإيمان بهم و بما قبلهم قهر النفس للاذعان لمن هو من جنسها و الإيمان بغيب من ليس من جنسها ليكون فى ذلك ما يزع النفس عن هواها - انتهى . و كذا ١٠ فضل سبحانه و تعالى الصدقة ، و فى تعقيب الإيمان بها إشعار بأنها المصدقة له فمن بخل بها كان مدعيا للايمان بلا بينة ، و إرشاد ٢ إلى أن فى بذلها السلامة من فتنة المال " انما اموالكم و اولادكم فتنة ٣ " لأن من آمن و تصدق كان قد أسلم لله روحه و ماله الذى هو عديل روحه فصار عبد الله حقا ، و فى ذلك إشارة إلى الحث على مفارقة ١٥ كل محبوب سوى الله سبحانه و تعالى فى الله . قال الحرالى : فمن ظن

= الجسمانى ؛ الثالث الإيمان بالملائكة ، و اليهود عادوا جبرئيل ؛ الرابع الإيمان بكتب الله ، و النصارى و اليهود أنكروا القرآن ؛ و الخامس الإيمان بالنبيين ، و اليهود قتلوهم ، و كلا الفريقين من أهل الكتاب طعنا فى نبوة محمد صلى الله عليه و سلم - البحر المحيط ٢ / ٣ (١٠) العبارة من هنا إلى « و الكتب » سقطت من ظ .

(١-١) سقطت العبارة من ظ (٢) فى م : ارشادا (٣) سورة ٦٤ آية ١٥ .

أن حاجته يسدها المال فليس [1]برا، إنما[1] البر الذى أيقن أن حاجته إنما يسدها[2] ربه ببره الخفى - انتهى[3]. فلذلك قال: ﴿ و آتى المال ﴾ أى الذى أباحه بعد جعله دليلا عليه كرم نفس و تصديق إيمان بالاعتماد فى الخلف[4] على من ضمن الرزق و هو على كل شىء قدير؛ و أشار إلى أن شرط الإيمان به إيثاره سبحانه و تعالى على كل شىء بقوله: ﴿ على حبه ﴾ أى إيتاء عاليا فيه حب الله على حبه[5] المال[6] إشارة إلى التصدق فى حال [7]الصحة و الشح[7] بتأميل[8] الغنى و خشية الفقر[9]؛ و أشار إلى أنه لوجهه لا لما كانوا يفعلونه فى الجاهلية من التفاخر فقال: ﴿ ذوى القربى ﴾ أى لأنهم أولى الناس بالمعروف[10] لأن إيتاءهم[11]

(١-١) وقع فى الأصل: يرا انما، و فى م و ظ و مد: برءا انما - كذا (٢) فى ظ: ليسده (٣) ليس فى ظ (٤) فى الأصل: الخلق، و فى م: الحلف، و التصحيح من مد و ظ (٥) و فى م و ظ: حب (٦) العبارة من هنا إلى «الفقر» ليست فى ظ (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل: الصدق و الشيخ (٨) فى م و مد: بتاصيل (٩) و فى البحر المحيط ٢/٥: و المعنى أنه يعطى المال محبا له أى فى حال محبته للمال واختياره وإيثاره، وهذا وصف عظيم أن يكون نفس الإنسان متعلقة بشىء تعلق المحب بمحبوبه ثم يؤثر به غيره ابتغاء وجه الله كما جاء: أن تصدق و أنت صحيح شحيح تخشى الفقر و تأمل الغنى. و فى النهر الماد من البحر ٢/٥: يبدأ بالأهم لأنها صدقة و صلة، ثم باليتامى إذ ليس لهم من يقوم بأودهم، و فى الحديث: أنا و كافل اليتيم كهاتين فى الجنة، ثم بالمساكين لأن الحاجة قد تشتد بهم، ثم بابن السبيل منقطع به عن أهله (١٠) العبارة من هنا إلى «وصلة» ليست فى ظ (١١) فى الأصل: انفاهم، و التصحيح من م و مد.

صدقة و صلة ﴿ و اليتمى ﴾ من ذوى القربى و غيرهم لأنهم أعجز الناس ﴿ و المسكين ﴾ لأنهم بعدهم فى العجز و يدخل فيهم الفقراء بالموافقة ﴿ و ابن السبيل لا ﴾ لعجزهم بالغربة ١ ، و إذا جعلنا ذلك أعم من ٢ الحال و المآل ٢ دخل فيه الغازى ٣ ﴿ و السآئلين ٤ ﴾ لأن الأغلب أن يكون سؤالهم عن حاجة و يدخل الغارم ﴿ و فى الرقاب ج ﴾ قال الحرالى : جمع رقبة و هو ما ناله الرق من بنى آدم فالمراد الرقاب المسترقة التى يرام فكها بالكتابة و فك الأسرى منه ، و قدم عليهم أولئك ٥ لأن حاجتهم لإقامة البينة .

و لما ذكر سبحانه و تعالى مواساة الخلق و قدمها حثا على مزيد الاهتمام بها لتسمح النفس بما زين لها حبه من المال اتبعها حق الحق

(١) من م و ظ ، و فى الأصل : بالفرية ، و فى مد : فى الغربة (٢-٢) فى م : المال و المآل (٣) فى م : الغازين (٤) ثم بالسائلين لأن حاجتهم دون حاجة من تقدم لأنه عرض نفسه للسؤال - النهر المادّ من البحر ٢/٥ ، و فى البحر المحيط ٢/٦ : قال الراغب : اختير هذا الترتيب لما كان أولى من يتفقد الإنسان لمعروفه أقاربه فكان تقديمه أولى ، ثم عقبه باليتامى ؛ و الناس فى المكاسب ثلاثة : معيل غير معول ، و معول معيل ، و معول غير معيل ، و اليتيم معول غير معيل فمواساته بعد الأقارب أولى ؛ ثم ذكر المساكين الذين لا مال لهم حاضرا و لا غائبا ، ثم ذكر ابن السبيل الذى يكون له مال غائب ، ثم ذكر السائلين الذين منهم صادق و كاذب ، ثم ذكر الرقاب الذين لهم أرباب يعولون ؛ فكل واحد ممن أخر ذكره أقل فقرا ممن قدم ذكره عليه - انتهى كلامه (٥) كتب فوقه فى ظ : أى ذوى القربى و من معهم .

فقال: ﴿ و اقام الصلوٰة ﴾ [1] التى هى [2] أفضل العبادات البدنية و لا تكون إلا بعد سد أود الجسد و لا تكون إقامتها إلا بجميع حدودها و المحافظة عليها . و لما ذكر ما يزكى الروح [3] بالمثول بين [يدى ـ [4]] الله سبحانه و تعالى و التقرب بنوافل الصدقات ذكر ما يطهر المال و ينميه و هو حق الخلق فقال: ﴿ و اٰتى الزكوٰة ﴾ و فى الاقتصار فيها على الإيتاء إشعار بأن ٥ إخراج المال على هذا الوجه لا يكون إلا مع الإخلاص [5] .

و لما أتم الإيمان و ما يصدق دعواه فى الجملة شرع [6] فى كمال ذلك فعطف على أول الكلام ما دل بعطفه كذلك على أنه مقصود لذاته فانه جامع لدخوله فى جميع ما تقدمه فقال: ﴿ و الموفون [7] بعهدهم ﴾

(١) زيد فى ظ : اى (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: من (٣) العبارة من هنا إلى « الصدقات » ليست فى ظ (٤) زيد من م و مد (٥) عطف قوله ﴿و اقام الصلوٰة واٰتى الزكوٰة﴾ على صلة من وصلة من اٰمن واٰتى و تقدمت صلة من اللتى هى اٰمن لأن الإيمان أفضل الأشياء المتعبد بها و هو رأس الأعمال الدينية و هو المطلوب الأول و ثنى بإيتاء المال من ذكر فيه لأن ذلك من آثر الأشياء عند العرب و من مناقبها الجلية و لهم فى ذلك أخبار و أشعار كثيرة يفتخرون بذلك حتى هم يحسنون للقرابة و إن كانوا مسيئين لهم و يحتملون منهم ما لا يحتملون من غير القرابة ـ البحر المحيط ٢/٧ (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : شرعا ـ كذ (٧) قال الراغب و إنما لم يقل : و و فى ، كما قال : « و اقام » لأمرين : أحدهما اللفظ و هو أن الصلة متى طالت كان الأحسن أن يعطف على الموصول دون الصلة لئلا يطول و يقبح ، و الثانى أنه ذكر فى الأول ما هو داخل فى حيز الشريعة و غير مستفاد إلا منها و الحكمة العقلية تقتضى العدالة =

قال الحرالى : من الإيفاء و هو الأخذ بالوفاء و الوفاء نجاز الموعود فى أمر المعهود - انتهى . و بين بقوله : ﴿ اذا عٰهدوا ج ﴾ أن المطلوب ما ألزموا أنفسهم به [1]للحق أو الخلق[1] تصريحا بما أفهمه ما قبله . و لما / قطع الوفاء تعظيما له لدخوله فيما قبل فعل كذلك[2] فى الصبر لذلك /١٧٠
٥ بعينه فقال : ﴿ و الصٰبرين ﴾ و فيه رمز إلى معاملته بما كان من حقه لو عطف على "من امن" لو سبق على الأصل . قال الحرالى : و فيه إشعار بأن من تحقق بالصبر على الإيثار فكان شاكرا تحقق منه الصبر فى الأبتلاء و الجهاد تأييدا من الله سبحانه و تعالى لمن شكره[3] ابتداء باعانته على الصبر و المصابرة انتهاء ، كأنه لما جاد بخير الدنيا على حبه
١٠ أصابه الله ببلائها تكرمة له ليوفيه حظه من مقدوره فى دنياه فيكون ممن يستريح عند موته و بأنه إن جاهد ثبت بما يحصل فى نفس الشاكر الصابر من الشوق إلى لقاء الله سبحانه و تعالى تبرئا من الدنيا و تحققا بمنال[4] الخير من الله - انتهى .

و عين أشد ما يكون الصبر فيه فقال : ﴿ فى الباسآء[5] ﴾ أى عند

= دون الجور ، و لما ذكر الوفاء بالعهد و هو مما تقضى به العقود المجردة صار عطفه على الأول أحسن ، و لما كان الصبر من وجه مبدأ الفضائل و من وجه جامعا للفضائل إذ لا فضيلة إلا و للصبر فيها أثر بليغ غير إعرابه على هذا المقصد - البحر المحيط ٢/٨ .

(١-١) ليس فى م (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٣) فى م و ظ و مد : شكر (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل فقط : بمنازل (٥) قال =

حلول الشدة بهم فى أنفسهم من الله سبحانه و تعالى بلا واسطة أو منه بواسطة العباد ﴿ و الضرآء ﴾ بحصول الضر فى أموالهم و بقية أحوالهم من احتقار الناس لهم و نحوه ، و فسرها فى القاموس بالشدة و النقص فى الأموال و الأنفس فهو حينئذ أعم ليكون الأخص مذكورا مرتين .

و قال الحرالى : البأساء فعلاء من البؤس و هو سوء الحال و الفاقة و فقد المنة[1] عن إصلاحه ، و الضراء مرض البدن و آفاته ، فكان البأساء فى الحال و الضراء فى البدن - انتهى . ﴿ و حين الباس[2] ﴾ أى الحرب الجامع للأنفس و الأموال . و قال الحرالى : البأس[2] الشدة فى الحرب[3] .

= الأندلسى : اتفقوا على تغير قوله "حين البأس" أنه حالة الفقر ، و اختلف المفسرون فى ﴿ الباساء والضراء ﴾ فأكثرهم على أن البأساء هو الفقر و أن الضراء الزمانة فى الجسد ، و إن اختلفت عباراتهم فى ذلك ، و هو قول ابن مسعود و قتادة والربيع و الضحاك ، و قيل : البأساء القتال و الضراء الحصار - ذكره الماوردى ، و هذا من باب الترقى فى الصبر من الشديد إلى أشد فذكر أولا الصبر على الفقر ثم الصبر على المرض و هو أشد من الفقر ثم الصبر على القتال و هو أشد من الفقر والمرض . قال الراغب : استوعب أنواع الصبر لأنه إما أن يكون فيما يحتاج إليه من القوت فلا يناله و هو البأساء أو فيما ينال جسمه من ألم و سقم و هو الضراء فى مدافعة مؤذية و هو البأساء - انتهى كلامه .

(١) من م و ظ ومد ، و فى الأصل : النة (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الباسا (٣) و عدى الصابرين إلى البأساء و الضراء بفى لأنه لا يمدح الإنسان على ذلك إلا إذا صار له الفقر و المرض كالظرف ، و أما الفقر وقتا ما أو المرض وقتا ما فلا يكاد يمدح الإنسان بالصبر على ذلك لأن ذلك قل أن يخلو منه =

و لما كانت هذه الخلال أشرف خلال أشار إلى شرفها بشرف أهلها فقال مستأنفا [١] بيانا لأنه لا يستحق اسم البر إلا من اجتمعت فيه هذه الخلال [١] : ﴿ اولـٰئك ﴾ أى خاصة الذين علت هممهم [٢] و عظمت أخلاقهم و شيمهم ﴿ الذين صدقوا ط ﴾ أى فيما ادعوه من الإيمان ، ٥ ففيه إشعار بأن من لم يفعل أفعالهم لم يصدق فى دعواه ﴿ و اولـٰئك هم ﴾ خاصة ﴿ المتقون * ﴾ ليوم الجزاء ، و فى جعله نعتا لهم إشعار بأنهم تكلفوا هذه الأفعال لعظيم [٣] الخوف . و قال ابن الزبير فى برهانه : ثم ذكر الزكاة و الصيام و الحج و الجهاد إلى غير ذلك من الأحكام كالنكاح و الطلاق و العدد [٤] و الحيض [و الرضاع و الحدود و الربا ١٠ و البيوع إلى ما تخلل هذه الآيات من تفاصيل الأحكام و مجملها - [٥]] و قدم منها الوفاء بالعهد و الصبر ، لأن ذلك يحتاج إليه فى كل الأعمال ، و ما تخلل هذه الآيات من لدن قوله " ليس البر - إلى قوله : آمن الرسول "

= أحد ، و أما القتال فعدى الصابرين إلى ظرف زمانه لأنها حالة لا تكاد تدوم و فيها الزمان الطويل فى أغلب أحوال القتال فلم تكن حالة القتال تعدى إليها بفى المقتضية للظرفية الحسية التى نزل المعنى المعقول فيها كالجرم المحسوس ، و عطف هذه الصفات فى هذه الآية بالواو يدل على أن من شرائط البر استكمالها و جمعها فمن قام بواحدة منها لم يوصف بالبر و لذلك خص بعض العلماء هذا بالأنبياء عليهم السلام - البحر المحيط ٢/٨ .

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) فى الأصل : همهم ، و التصحيح من م و مد و ظ .
(٣) من م و ظ ، و فى الأصل : العظيم ، و فى مد : اعظم (٤) كذا فى الأصول كلها ، و الظاهر : العدة (٥) زيدت من م و ظ و مد .

مما ليس من قبيل الإلزام و التكليف فلتسبب[1] أوجب ذكره و لتعلق استدعاه - انتهى . و الحاصل أنه سبحانه و تعالى لما طهرهم من أوصار المحارم بقوارع الزواجر شرع فى تزكيتهم بالإقحام فى غمرات الأوامر ليكمل[2] تعبدهم بتحليهم[3] بأمره بعد تخليهم[4] من سخطه بصادع زجره فذكر فى هذه السورة جميع أركان هذا الحرف و حظيرته . قال الإمام ٥ أبو الحسن الحرالى فى العروة : وجه إنزال هذا الحرف حمل الخلق على صدق التذلل لله سبحانه و تعالى إثر التطهير من رجزهم[5] ليعود بذلك وصل ما انقطع و كشف ما انحجب و هو حرف[6] العبادة المتلقاة بالإيمان المثابر عليها [بسابق-[7]] الخوف المبادر لها [تشوقا بصدق المحبة ، فالعابد من ساقه الخوف إليها و العارف من قاده الحب لها-[8]] و هو ١٠ بناء[9] ذو[10] عمود و أركان و له حظيرة تحوطه ، فأما عموده فافراد التذلل لله سبحانه و تعالى توحيدا و طليعته[11] آية ما كان نحو قوله سبحانه و تعالى "اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا[12]" طهرهم حرف الزجر من

(١) هكذا فى الأصل و مد ، و فى م و ظ : فلسبب (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لتكمل ، و زيد بعده فى ظ نقط : لهم (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بتجليهم (٤) فى ظ : بتحليهم - كذا بالحاء (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : زجرهم (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : خوف . (٧) زيد من م و مد و ظ ، غير أن فى ظ : سابق - كذا (٨) زيدت من م و ظ و مد (٩) فى مد : بينا (١٠) فى ظ : ذوا (١١) فى ظ : طليعه ، و فى م و مد : طليعة (١٢) سورة ٤ آية ٣٦ .

رجز[1] عبادة إله آخر فأثبت لهم حرف الأمر التفريد حتى لا يشركوا معه فى التذلل شيئا أى[2] شيء كان آخر، و هو أول ما أقام الله[3] من بناء الدين و لم يفرض [غيره -[4]] نحو العشر[5] من السنين فى إنزال ما أنزل بمكة و سن مع فرضه الركن الأول و هو الصلاة، و بدئت[6] بالوضوء عملا من حذو تطهير القلب و النفس بحرف النهى و أعقب بالصلاة عملا من حذو طهور القلب بالتوحيد بين يدى الرب سبحانه و تعالى، فالوضوء وجه عمل حرف[7] الزجر و الصلاة وجه عمل حرف الأمر، و سن على تأسيس بدار الحب لتبدو قوة الإيمان فى مشهود ملازمة خدمة الأبدان، فكان أقواهم إيمانا أكثرهم و أطولهم صلاة و قنوتا، من أحب ملكا خدمه و لازمه، و لا تخدم الملوك بالكسل و التهاون و إنما تخدم بالجهد و التذلل، فكانت الصلاة / علم الإيمان تكثر بقوته و تقل بضعفه، لأنها لو فرضت لم يظهر فيها تفاوت قوة الإيمان و صدق الحب كما لا يظهر بعد فرضها إلا فى النوافل، و لإجهاد النبى صلى الله عليه و سلم نفسه و بدنه فى ذلك أنزل عليه "مآ انزلنا عليك القرآن لتشقى ۝ الا تذكرة لمن يخشى ۝ تنزيلا ممن خلق الارض و السمٰوٰت العلى ۝ الرحمن على العرش استوى ۝ - إلى قوله : الله

/١٧١

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل : زجر (٢) فى الأصل و ظ : الى، و التصحيح من م و مد (٣) فى الأصل : اليه، و التصحيح من م و ظ و مد.
(٤) زيد من م و ظ و مد (٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل : العشرة.
(٦) من م و مد، و فى الأصل : يرتب، و فى ظ : بدت (٧) فى م : خوف.

لآ اله الا هو له الآسماء الحسنى ه[1] " هذا التوحيد و إظهاره هو كان يومئذ المقصود الأول و ذلك قبل إسلام[2] عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه و عمر موفى أربعين من عدد المؤمنين ، فلما دخل الإسلام من لا يبعثه الحب و الاستراحة على الصلاة بعد عشر أو نحوها فرضت الصلاة فاستوى فى فرضها المحب و الخائف ، و سن رسول الله صلى الله ٥ عليه و سلم التطوع على ما كان أصلها . و ذلك صبيحة ليلة الإسراء ، و أول منزل هذا الحرف[3] و الله سبحانه و تعالى أعلم فى فرض هـذا الركن أو من أول منزله[4] قوله تعالى : " اقم الصلوٰة لدلوك الشمس إلى غسق الليل و قرآن الفجر[5] " اختص لهم بها أوقات الرحمة و جنبهم بها أوقات الفتنة و منه جميع آى إقامة الصلاة و إتمامها . الركن الآخر ١٠ الصوم و هو إذلال النفس [6]لله سبحانه و تعالى[6] بامساكها عن كل ما تشوف إليه من خاص أمرها نهارا للمقتصر و دواما[7] للمعتكف ، و هو صلة بين العبد و بين نفسه و وصل لشتاته فى ذاته ، و أول ما أنزل هذا الركن من هذا الحرف بالمدينة بعد مدة من الهجرة و أول منزله " يآيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم[8] " ١٥ و إنما فرض و الله سبحانه و تعالى أعلم بالمدينة لأنهم لما آمنوا من

(١) سورة ٢٠ آية ٢ - ٨ (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اسلامه .
(٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الخوف (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منزلة (٥) سورة ١٧ آية ٧٨ (٦ - ٦) ليست فى ظ (٧) زيد بعده فى الأصل : و اما - كذا (٨) سورة ٢ آية ١٨٣ .

عداوة الأمثال و الأغيار و عام الفتنة بالمدينة عادت الفتنة خاصة [١] فى الأنفس [١] بالتبسط فى الشهوات و ذلك لا يليق بالمؤمنين المؤثرين للدين على الدنيا ، ثم أنزل الله سبحانه و تعالى إتمامه بقوله تعالى : " شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن [٢] " إلى ما يختص من الآى بأحكام الصيام . الركن الآخر الزكاة و هو كسر نفس الغنى بما يؤخذ بأخذه منه من حق أصنافها إظهارا لأن المشتغلين [٣] بالدين آثر [٤] عند الله سبحانه و تعالى [٥] من المقيمين على الأموال و ليميز بها الذين آمنوا من المنافقين لتمكنهم من الرياء [٦] فى العمود و الركنين ، و لم يشهد الله سبحانه و تعالى بالنفاق جهرا أعظم من شهادته على مانع الزكاة ، و من منع زكاة المال عن الخلق كان كمن امتنع عن زكاة قُواه بالصلاة [٧] من الحق [٧] ، فلذلك لا صلاة لمن لا زكاة له ، و كما كانت الزكاة حبا قبل [٨] فرضها كذلك كان الإنفاق لما زاد على الفضل عزما مشهورا عندهم لا يعرفون غيره و لا يشعرون فى الإسلام بسواه ، فلما شمل الإسلام أخلاط و شحت [٩] النفوس فرضت الزكاة و عين أصنافها ، و ذلك بالمدينة حين اتسعت أموالهم و كثر خير الله عندهم و حين عم نفاق قوم بها أنفة

(١-١) فى م : بالأنفس (٢) سورة ٢ آية ١٨٥ (٣) وقع فى الأصل : المستعلين - مصحفا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٤) فى ظ : آثرة (٥) زيد بعده فى الأصل « عند الله » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٦) من ظ ، و فى الأصل : الريا - كذا (٧-٧) فى مد : بالحق (٨) فى م و مد : قبل (٩) وقع فى الأصل : سخت - كذا بالسين المهملة ، و التصحيح من م و مد و ظ .

من حط رئاستهم بتذلل الإسلام لله و النصفة بخلق الله و تبين[1] فيها الخطاب مرة لأرباب الأموال بقوله تعالى: "و اتوا الزكوة" لتكون لهم قربة إذا آتوها سماحا[2] و مرة للقائم بالأمر بقوله تعالى: "خذ من اموالهم صدقة[3]" حين يؤنس من نفوسهم شح، و شدد[4] الله سبحانه و تعالى فيها الوعيد فى القرآن جبرا لضعف أصنافها و نسق لذلك جميع ما أنزل[5] فى بيان النفقات و الصدقات بدارا[6] عن حب أو ائتمارا عن خوف. الركن الآخر الحج و هو حشر الخلق من أقطار الأرض للوقوف بين يدى ربهم فى خاتم منيتهم و مشارقة وفاتهم ليكون لهم أمنة[7] من حشر ما بعد مماتهم، فكمل به بناء الدين و ذلك فى آواخر سنى الهجرة و من آخر المنزل بالمدينة، و أول خطابه "و لله على الناس حج البيت[8]" بتنبيهه[9] على أذان إبراهيم عليه الصلاة و السلام "و اذن فى الناس بالحج [ياتوك رجالا -[10]]" إلى ما أنزل[11] فى أمر[11] الحج و أحكامه الحظيرة[12] الحائط و هى الجهاد، و لم تزل مصاحبة الأركان كلها إما مع ضعف كما بمكة أو مع قوة كما فى المدينة، و من أول تصريح منزله "اذن للذين يقتلون بانهم ظلموا[13]" إلى قوله "و قاتلوا / المشركين كآفة ١٧٢/

(١) فى ظ و مد: يتبين (٢) فى مد: سماعا - كذا بالعين (٣) سورة ٩ آية ١٠٣.
(٤) من م و مد و ظ، و وقع فى الأصل: سدو - كذا مصحفا (٥) زيد فى م: الله (٦) فى م: بدار (٧) من ظ، و فى مد: امنه، و فى م: آمنة، و فى الأصل: امته (٨) سورة ٣ آية ٩٧ (٩) فى الأصل: يتنبيهه - كذا (١٠) زيد من م. سورة ٢٢ آية ٢٧ (١١ - ١١) فى ظ: من (١٢) فى م: الخطيرة (١٣) فى م: الاية. سورة ٢٢ آية ٣٩.

كما يقاتلونكم كآفة ١ " " قاتلوا الذين [يلونكم من الكفار - ٢ " إلى قوله: "جاهد الكفار و المنفقين ٣ " إلى انتهاء قتال أهل الكتاب فى قوله تعالى " قاتلوا الذين - ٤] لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر - الآية ٥ " إلى تمام ٦ المنزل فى شأنه فى قوله تعالى " و قتلوهم حتى لا تكون فتنة و يكون الدين كله لله ج ٧ " و هذا تمام حرف الأمر؛ و لكل ٨ فى ذلك الظاهر فى الإسلام موقع حدوده فى الإيمان و موقع فى الإحسان لدى ثلاثتها الذى هو كمال الدين كله ، ذلك من تنزل القرآن من بين إفصاح و إفهام فى هذا الحرف ، و هو وفاء الدين و التعبد لله رب العالمين .

ثم قال فيما به ٩ تحصل قراءة حرف الأمر: اعلم أن الوفاء بقراءة حرف النهى تماما يفرغ لقراءة ١٠ حرف الأمر ، لأن المقتنع فى معاش الدنيا يتيسر ١١ له ١٢ التوسع فى عمل الأخرى ، و المتوسع فى متاع الدنيا لا يمكنه ١٣ التوسع فى عمل الأخرى لما بينهما من التضار و التضاد ، و الذى تحصل به قراءة هذا الحرف أما من جهة القلب فالتوحيد و الإخلاص ، و أعم ذلك البراءة من الشرك العظيم لئلا يتخذ مع الله

(١) سورة ٩ آية ٣٦ (٢) سورة ٩ آية ١٢٣ (٣) سورة ٩ آية ٧٣ (٤) زيدت من م و مد و ظ (٥) سورة ٩ آية ٢٩ (٦) فى ظ : اتمام (٧) سورة ٨ آية ٣٩ . (٨) فى ظ : لذلك (٩) أخره فى ظ عن « تحصل » (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : القراءة ، و فى ظ : لقرة - كذا (١١) فى ظ : يتيسير ، و فى م : تيسر - (١٢) فى ظ : به (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يمكنها .

إلها آخر، لأن المشرك[1] فى الإلهية لا تصح منه المعاملة بالعبادة "مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف[2] لا يقدرون مما كسبوا على شىء[2]" و أخص منه الإخلاص بالبراءة من الشرك الجلى بأن لا يرى لله سبحانه و تعالى شريكا فى شىء من أسمائه الظاهرة، لأن المشرك[1] فى سائر أسمائه الظاهرة لا يصح له القبول، ٥ و الذى يحلف[3] به عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنه: لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر[4]، و لكل عمل [من -[5]] المأمورات[6] خصوص اسم فى الإخلاص [كاخلاص -[7]] المنفق بأن الإنعام من الله سبحانه و تعالى لا من العبد المنفق، و كاخلاص المجاهد بأن النصر من الله سبحانه و تعالى لا من العبد المجاهد "و ما ١٠ النصر الا من عند الله[8]" و كذلك سائر الأعمال يخصها الإخلاص فى اسم من الأسماء يكون أملك بذلك العمل؛ و أما من جهة أحوال النفس فأولها و أساسها طمأنينة النفس بربها فى قوامها من غير طمأنينة لشىء سواه، فتى اطمأنت النفس بما تقدر عليه و ما لها من منة أو بما تملكه من مملوك أو بما تستند إليه من غير رُدت جميع عباداتها لما ١٥ اطمأنت إليه و كتب اسمها على وجهه و كانت أمته لا أمة ربها و كان

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الشرك (٢) سورة ١٤ آية ١٨ (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يخلف (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: القدرة.
(٥) زيد من م و مد و ظ (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: المامورات.
(٧) زيد من م و مد (٨) سورة ٣ آية ١٢٦ و سورة ٨ آية ١٠.

المرء عبده لا عبد ربه " تعس عبد الدينار[1] و عبد الدرهم و عبد الخميصة[2] "
و هذا [هو -[3]] الذى أحبط[4] عمل العاملين[5] من حيث لا يشعرون ؛
و أما من جهة ما يخص كل واحد من الأوامر فى أحوال النفس فما
يناسبه من أحوالها و أخلاقها كاجتماعها فى الصلاة بأن لا تصغى
٥ لوسواس الشيطان و أن لا تتحدث فى تسويلها ، و كسماحها و سخائها
فى الإنفاق و إيتاء الزكاة ، و كصبرها فى الصوم و الصوم الصبر كله ،
و يصحبها كل ذلك فى الحج مع زيادة اليقين ، و يصحبها الجميع فى
الجهاد مع غريزة[6] الشجاعة ؛ هذا من جهة حال النفس و أما من جهة
العمل و أحوال الجوارح فان أدب الناطق بكلمة الشهادة أن يجمع
١٠ حواسه إلى قلبه و يحضر فى قلبه كل جارحة فيه و ينطق بلسانه عن
جميع ذاته أحوال نفس و جوارح بدن حتى يأخذ كل عضو منه و كل
جارحة فيه و كل حال لنفسه قسطه منها كما أشار إليه رسول الله صلى الله
عليه و سلم و أعلم أن بذلك تتحات عنه الذنوب كما يتحات الورق
عن الشجر ، فلم يقرأ تهليل القرآن من لم يكن[7] ذلك حاله فيه و كذلك
١٥ فى تشهد الأذان ، و بذلك[8] يهدم التهليل سيئاته فى الإسلام كما هدم
من المخلص به جرائم الكفران ، سمع النبى صلى الله عليه و سلم رجلا

(١) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : الدنيا (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الخيصه (٣) زيد من م و ظ و مد (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اهبط . (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : العاملين (٦) من م و ظ ، و فى الأصل : غريز ، و فى مد : عزيزة (٧) ليس فى م (٨) فى م : كذلك .

يؤذن فلما قال: الله أكبر الله أكبر، قال: على الفطرة، فلما قال: لا إله إلا الله، قال: خرجت من النار؛ و أما أدب الصلاة فخشوع الجوارح و الهدو فى الأركان و إتمام كل ركن بأذكاره المخصوصة به و جمع الحواس إلى القلب كماله فى الشهادة حتى لا يحقق مدرك حاسة غفلة؛ و أما أدب الإنفاق فحسن المناولة، كان النبى[1] صلى الله عليه ٥ و سلم يناول السائل بيده و لا يكله[2] إلى [غيره، و - ٣] الإسرار أتم "و ان تخفوها و تؤتوها الفقرآء فهو خير لكم[4]" و ينفق من كل شىء بحسب ما رزقه مياومة أو[5] مشاهرة أو مسانهة "و مما رزقنهم ينفقون"؛ و أما أدب الصوم فالسحور[6] مؤخرا / و الفطر معجلا، و صوم الأعضاء /١٧٣ كلها عن العدل فأحرى عن الجور و ترك العناية بما يفطر عليه إلى ١٠ ما بعد الزوال و الأخذ فيه لشهوة[7] العيال؛ و أما أدب الحج فاستطابة الزاد و الاعتماد على ما بيد الله لا على حاصل ما بيد العبد، و هو تزود التقوى و الرفع مع الرفيق[8] و الرفق بالظهر[9] و تحسين الأخلاق و الإنفاق فى الهدى و هو الثج و الإعلان بالتلبية و هو العج، و تتبع أركانه على ما تقتضيه[10] أحكامه و إقامة شعائره على معلوم السنة لا على معهود ١٥

(١) فى م: رسول الله، وليس فى مد و ظ (٢) فى الأصل لا يكلمه، والتصحيح من م و ظ و مد (٣) زيد من م و ظ و مد (٤) سورة ٢ آية ٢٧١ (٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: و (٦) فى الأصل: فالسجود، والتصحيح من م و مد و ظ (٧) فى ظ: بشهوة (٨) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الرفيق (٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: بالطهر (١٠) فى ظ: يقتضيه، و فى مد: تقتضيه.

العادة ؛ و أما أدب الجهاد فاستطابة الزاد و إصلاح العدة و مباسرة[١] الخلطاء و حسن القيام على الخيل و تطييب علفها تصفية و ورعا و تناوله بيده ، كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يتناول علف فرسه بيده و يمسحه بردائه ، و التزام ما [٢]يجد معه[٢] المنة من أن يكون فارسا أو راجلا أو رامحا أو نابلا[٣] ، [و -[٤]] من[٥] تكلف غير ما يجد منته فقد ضيع الحق و عمل بالتكليف[٦] ، و الصمت عند اللقاء و غض البصر عن النظر إلى الأعداء[٧] ، [٨]و قال صلى الله عليه و سلم[٨] : إذا [٩]أكثبوكم فارموهم[٩] و لا تسلوا السيوف حتى يغشوكم[١٠] ، و كف اليد[١١] عما للغير فيه حق و هو الغلول ، و أن لا يدعوا للبراز[١٢] ، و أن يجيب إذا دعى ، و قال صلى الله عليه و سلم : يقول الله عز و جل : عبدى كل عبدى الذى يذكر الله[١٣] و هو ملاق قرنه ؛ و لكل أمر و تلبس بمأمور أدب يخصه[١٤] على ما يستقرأ من السنن النبوية و آثار الخلفاء و صالحى الأمراء

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مباشرة (٢ - ٢) فى الأصل : يجدتنه - كذا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٣) فى الأصل : مايلا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٤) زيد من م و مد و ظ (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عن (٦) فى ظ : بالتكلف (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الأمر . (٨ - ٨) ليست فى ظ (٩ - ٩) فى الأصل : اكثبوهم ، فامروهم ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يغشكم (١١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الله (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : للضرار . (١٣) فى م و ظ : يذكرنى (١٤) ليس فى ظ .

فبهذه الأمور من إخلاص[١] القلب و طيب النفس و أدب الجوارح، فيصح[٢] قراءة حرف الأمر و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم - انتهى[٣].

و لما تقدم أن شرط رفع الإثم عن المضطر ترك العدوان و كان العدوان فى ذلك و فى غيره ربما أدى إلى القتل و تلا ذلك بما استتبعه[٤] كما تقدم إلى أن ختم بهذه الآية و ختمها بمدح الصبر و الصدق فى دعوى الإيمان و الوفاء بالعهد و كل شىء و كان من جملة ما خاف فيه أهل الكتاب [العهد -[٥]] أمر سفك الدماء فغيروه كله أو بعضه على ما أشار إليه[٦] تعالى [بقوله -[٥]] "و اذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم - الآيات[٧]" و كان الصبر على بذل الروح أعظم الصبر و فعله أعظم مصدق فى الإيمان و الاستسلام للقصاص أشد وفاء بالعهد أخبر المؤمنين بما أوجب عليهم من ذلك و ما يتبعه فقال تعالى ملذذا لهم بالإقبال عليهم بالخطاب ﴿ يا ايها الذين امنوا ﴾ أى ادعوا الإيمان بألسنتهم، [٨]و لما حصل [٩]التعديل بها[٩] وقع سابقا من[١٠] التأديب فعلم المخاطبون أن الحكم إنما[١١] هو لله بنى[١٢] للمجهول قوله[١٣] : ﴿ كتب عليكم ﴾ أى فرض

(١) فى ظ : خلاص (٢) فى م و ظ : تصح (٣) ليس فى ظ (٤) فى الأصل : استبعد، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) فى الأصل : الله، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) سورة ٢ آية ٨٤ (٨) العبارة من هنا إلى « للمجهول » ليست فى (٩ - ٩) فى م : التهذيب عما، و فى مد : التهذيب بما (١٠) من م و مد، و فى الأصل : ممن (١١) من م و مد، و فى الأصل : بما (١٢) من م و مد، و فى الأصل : نهى (١٣) ليس فى م .

فى الكتاب و قد سمعتم إنذارى للذين اختلفوا فى الكتاب ،[١] و الذى عين[٢] إرادة الفرض أن الكتب استفاض فى الشرع[٣] فى معناه و أشعر به التعبير بعلى ﴿ القصاص[٤] ﴾ أى المساواة فى القتل[٥] و الجراحات لأنه[٦] من القص و هو تتبع الأثر . قال الحرالى : كأنه يتبع بالجانى

(١) العبارة من هنا إلى « التعبير بعلى » ليست فى ظ (٢) فى م : غير .
(٣) فى الأصل : التشريح ، و التصحيح من م و مد (٤) و مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما حلل ما حلل قبل و حرم ما حرم ثم اتبع بذكر من أخذ مالا من غير وجهه و أنه ما يأكل فى بطونه إلا النار و اقتضى ذلك انتظام جميع المحرمات من الأموال ثم أعقب ذلك بذكر من اتصف بالبر و أثنى عليهم بالصفات الحميدة التى انطووا عليها أخذ بذكر تحريم الدماء و يستدعى حفظها وصونها فنبه بمشروعية القصاص على تحريمها و نبه على جواز أخذ مال بسببها و أنه ليس من المال الذى يؤخذ من غير وجهه و كان تقديم تبيين ما أحل الله و ما حرم من المأكول على تبيين مشروعية القصاص لعموم البلوى بالمأكول لأن به قوام البنية و حفظ صورة الإنسان ، ثم ذكر حكم متلف تلك الصورة لأن من كان مؤمنا يندر منه وقوع القتل فهو بالنسبة لمن اتصف بالأوصاف السابقة بعيد منه وقوع ذلك وكان ذكر تقديم ما تعم به البلوى أعم و نبه أيضا على أنه وإن عرض مثل هذا الأمر الفظيع لمن اتصف بالبر فليس ذلك مخرجا عن البر و لا عن الإيمان و لذلك ناداهم بوصف الإيمان فقال : ﴿ يا أيها الذين كتب عليكم القصاص فى القتلى ﴾ . . . . و تعدى كتب هنا بعلى يشعر بالفرض و الوجوب و فى القتلى فى هنا للسببية أى بسبب القتلى مثل دخلت امرأة النار فى هرة و المعنى أنكم أيها المؤمنون وجب عليكم استيفاء القصاص من القاتل بسبب قتل القتلى بغير موجب ـ البحر المحيط ٢/٩ (٥) ليس فى ظ (٦) من م و مد و ظ ، فى الأصل : لأن .

إثر ما جنى فيتبع إثر عقوبته إثر جنايته - انتهى . ﴿ فى القتلى ط ﴾
[أى - ١] ٢ فى سائر أمور القتل فمن قتل بشىء قتل به ، و من قتل
على كيفية قتل ٣ بمثلها ، كأن ٣ قطع يدا فسرى إلى النفس فتقطعه ،
٤ فان سرى و إلا جززنا رقبته لتكون ٤ الآية عامة مخصوصة فى بعض
الصور ، و متى لم يقل ٥ بالعموم كانت مجملة و التخصيص أولى من ٥
الإجمال ، فصدقوا دعواكم الإيمان ٦ ٦ مما يعمل الأئمة ٧ الاستيفاء ٨
و غيرهم بالانقياد فيه و لا تكونوا كأهل الكتاب الذين اختلفوا فى كتابهم
فآمنوا ببعضه و كفروا ببعضه ، و أيضا لما ذكر إيتاء المال على حبه
و كان قد ذكر أن البار هو المؤمن بالكتاب و كان من الكتاب بذل
الروح المعلوم حبها عقبه به إشارة إلى أن المال عديلها لا يؤتى لأجل ١٠

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) العبارة من هنا إلى « من الإجمال » ليست فى ظ .
(٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل : لمثلها فان (٤ - ٤) فى الأصل : فان سرق
و الا خرزنا قيته ليكون ، و فى م : سرى و إلا جزرنا رقبته لتكون ، و فى
مد : و الاحززنا لتكون (٥) فى م : لم تقل ، و فى مد : لم تقل (٦) فى م :
للايمان . و العبارة من هنا إلى « و غيرهم » ليست فى ظ (٧-٧) فى م : بالعمل
الأئمة بالاستيفاء ، و فى مد : بالعمل (٨) من م ، و فى الأصل : و الاستيقاء ،
و فى مد : الانباء . و فى البحر المحيط : قال الراغب . . . فان قيل على من يتوجه
هذا الوجوب . قيل : على الناس كافة فمنهم من يلزمه تسليم النفس و هو
القاتل ، و منهم من يلزمه استيفاؤه و هو الإمام إذا طلبه الولى ، و منهم من
يلزمه المعاونة و الرضى ، و منهم من يلزمه أن لا يتعدى بل يقتص أو يأخذ
الدية ، و القصد بالآية منع التعدى فان أهل الجاهلية كانوا يتعدون فى القتل
و ربما لا يرضى أحدهم إذا قتل عبدهم إلا بقتل حر .

الله إلا بمحض الإيمان كما أن الروح لا تبذل إلا بذلك .

ولما كان أهل الكتاب قد بدلوا حكم التوراة فى القصاص الذى ١أشير بآية المائدة١ إلى أنه كتب عليهم العدل فيه فكان من ٢ كان منهم أقوى جعل لقومه فى ذلك فضلا ٣ فكان بنو النضير كما نقله ٥ ابن هشام فى السيرة يأخذون فى قتلاهم الدية كاملة و بنو قريظة نصف الدية وكان بعضهم كما نقله البغوى فى سورة المائدة عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يقتل النفس بالنفس أشار سبحانه و تعالى إلى مخالفتهم فى هذا الجور ٤ مبينا للمساواة : ﴿ الحر بالحر ﴾ / ٥ و لا ٦ يقتل ١٧٤ / بالعبد ٧ لأن ذلك ليس ٨ بأولى من الحكم المذكور و لا مساويا بقتل ٩ ١٠ العبد به لأنه أولى ١٠ و لا ١٠ بالحكم فهو مفهوم موافقة .

و لما ١١ قدم هذا لشرفه ١١ تلاه بقوله : ﴿ و العبد بالعبد ﴾ تعظيما للذكورية ، ١٢ و كذا يقتل بالحر لأنه أولى ، و لا يقتل [الحر - ١٣] بالعبد لأنه [ليس - ١٤] مساويا للحكم ﴿ و الانثى بالانثى ط ﴾ ١٥ و تقتل ١٥

(١-١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اشرنا به المايدة (٢) من م و ظ ومد، و فى الأصل : بمن (٣) ليس فى م (٤) زيد فى م : بقوله (٥) العبارة من هنا إلى « موافقة » ليست فى ظ (٦) ليس فى م ، وزيد بعده فى مد : الحر (٧) فى م : الحر. (٨) قدمه فى الأصل على «ذلك» (٩) فى م : يقتل، و فى مد : و يقتل (١٠-١٠) ليس فى مد (١١-١١) فى ظ : و قدمه لشرفه ، و فى مد : قدم هذا اشرفه؛ و فى الأصل : الشرفة ـ مكان : لشرفه ، و فى م : هذه ـ مكان : هذا (١٢-١٢) العبارة من هنا إلى « للحكم » ليست فى ظ (١٣) زيد من م و مد (١٤) زيد من م . (١٥-١٥) فى ظ : أى فلا تقتل . و العبارة من هنا إلى « انه لا يقتل » ليست فى ظ .

الأنثى بالذكر و الذكر بها، لأن كلا منهما مساو[1] للآخر وفاقا للأصل المؤيد بقوله[2] صلى الله عليه و سلم: [النساء - ٣] شقائق الرجال، احتياطا للدماء[3] التى انتهاكها[4] أكبر الكبائر بعد الشرك، و نقصت الدية النصف إن كانت بدل الدم وفاقا لقوله تعالى "و للرجال عليهن درجة[5]" و تنبيها على انحطاط[6] حرمة الأموال[6] عن حرمة الدماء على أن ٥ تصيب[7] مفهوم الآية أنه لا يقتل بالمقتول إلا قاتله، و إذا تأملت قوله "القتلى[8]" دون أن يقول[9]: القتل. علمت ذلك. قال الحرالى[10]: لأن أخذ غير الجانى ليس قصاصا بل اعتداء[11] ثانيا و لا ترفع[11] العدوى بالعدوى إنما ترفع العدوى بالقصاص[13] على نحوه و حده - انتهى[14]. [15]و كذا [16]أخذ غير[17] المساوى اعتداء فلا يقتل مسلم ١٠

(١) من م و مد، و فى الأصل: مساويا (٢) فى م: به قوله (٣) زيد من م.
(٤-٤) من م و مد، و فى الأصل: انتهى انفهاكها - كذا (٥) سورة ٢ آية ٢٢٨ (٦-٦) من م و مد، و وقع فى الأصل: و فيه الأصول - مصحفا.
(٧) فى م: يصب - كذا، و لا يتضح فى مد (٨) من ظ و مد و هامش م، و فى متن م: القتل، و فى الأصل: القبل (٩) من م و مد، و فى الأصل: تقول.
(١٠) و قال الأندلسى: و قوله ﴿كتب عليكم القصاص فى القتلى﴾ جملة مستقلة بنفسها، و قوله ﴿الحر بالحر﴾ ذكر لبعض جزئياتها فلا يمنع ثبوت الحكم فى سائر الجزئيات؛ و قال مالك: أحسن ما سمعت فى هذه الآية أنه يراد به الجنس الذكر و الأنثى سواء فيه و أعيد ذكر الأنثى توكيدا و تهمما بإذهاب أمر الجاهلية - البحر المحيط ٢ / ١٠ (١١) فى الأصل: اعيدا، و التصحيح من م و مد و ظ.
(١٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: لا يرفع (١٣) فى الأصل: القصاص، و التصحيح من م و ظ و مد (١٤) ليس فى ظ (١٥) العبارة من هنا إلى «من الآيات» ليست فى ظ (١٦-١٦) فى الأصل: أحدعين، و التصحيح من م و مد.

بكافر بما أفهمه القصاص ، و تقييد الحكم بأهل الإيمان مع قوله سبحانه و تعالى "لا يستوى اصحب النار و اصحب الجنة" [٢] فى أمثالها من الآيات [٣] .

و لما فتح سبحانه و تعالى لنا باب الرحمة بالقصاص منبها [٤] على تبكيت أهل الكتاب و كان ذلك من حكم التوراة لكن على سبيل الحتم و كان العفو على النصارى كذلك [٥] أظهر فى الفرقان زيادة توسعة بوضع هذا الإحتراز عنا بالتخيير بينهما [٦] ؛ قال الحزالى : نقلا من عقاب الآخرة إلى ابتلاء الدنيا و نقلا من ابتلاء الدنيا فى الدم إلى الكفارة بأخذ حظ من المال كما كان [٧] فى الفداء [٨] الأول لذبح [٩] إبراهيم عليه الصلاة و السلام لمن ولده فقال : ﴿ فمن عفى له ﴾ [١٠] عن جنايته من العفو و هو ما جاء بغير تكلف و لا كره - انتهى . و عبر بالبناء للمفعول إشارة إلى أن الحكم يتبع [١١] العفو من أى عاف كان له العفو فى شىء

(١) من م و مد ، و فى الأصل : ما (٢) زيد فى الأصل : اصحاب الجنة ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفناها (٣) زيد فى م فقط : انتهى (٤) فى الأصل : منها ، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لذلك : (٦) و فى البحر المحيط ٢/٤٢ : قال علماء التفسير : معنى ذلك أن أهل التوراة كان لهم القتل و لم يكن لهم غير ذلك و أهل الإنجيل كان لهم العفو و لم يكن لهم القود و جعل الله هذه الأمة لمن شاء القتل و لمن شاء أخذ الدية و لمن شاء العفو ؛ و قال قتادة : لم تحل الدية لأحد غير هذه الأمة (٧) زيد فى م : كان . (٨) فى الأصل : الفذ (٩) فى م و ظ : لذبح (١٠) زيد فى م و مد : اخيه (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يقع .

من

من الحق و لو كان يسيرا و هو معنى قوله : ﴿ فمن اخيه شىء ﴾ أى أى شىء كان من العفو[1] بالنزول عن طلب الدم إلى الدية ، و فى التعبير بلفظ الأخ كما قال الحرالى تأليف بين[2] الجانى و المجنى عليه و أوليائه من حيث " ما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ[3] " و إن لم يكن[4] خطأ الطبع فهو خطأ القصد من حيث لم يقصد أن يقتل مؤمنا إنما قصد أن يقتل عدوا[5] و شاتما أو عاديا على أهله و[6] ماله أو ولده ، فاذا انكشف حجاب الطبع عاد إلى أخوة الإيمان ﴿ فاتباع ﴾[7] أى فالامر فى ذلك اتباع من ولى[8] الدم ﴿ بالمعروف ﴾ فيه توطين النفس على كشرها عن[9] حدة ما تجره[9] إليها أحقاد الجنايات ، و المعروف ما شهد عيانه[10] لموافقته[11] و بقبول[12] موقعه[13] بين الأنفس[13] فلا يلحقها منه[14] تنكر[15] .

و لما أمر المتبع أمر المؤدى فقال ﴿ و اداء اليه باحسان ﴾ لئلا

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : عفو (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : من (٣) سورة ٤ آية ٩٢ (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لم يمكن (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : عدوانا (٦) و فى م : أو (٧) العبارة من هنا إلى « ولى الدم » ليست فى ظ (٨) فى مد : اول (٩ - ٩) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : حدة ما يجره (١٠) فى الأصل : عقابه - كذا ، و التصحيح من م و ظ و مد (١١) فى ظ و مد : بموافقته (١٢) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : بقول (١٣ - ١٣) ليس فى م (١٤) فى ظ : عنه (١٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فتكر .

يجمع بين جنايته أو جناية وليه و سوء قضائه ، و فى إعلامه[١] إلزام لأولياء الجانى بالتذلل و الخضوع و الإنصاف لأولياء المقتول بما لهم من السلطان " فقد جعلنا لوليه سلطانا[٢] " فيراقبون[٣] فيهم رحمة الله التى رحمهم بها فلم يأخذ الجانى بجنايته - انتهى .

٥ و لما وسع لنا[٤] سبحانه و تعالى بهذا الحكم نبه على علته تعظيما للمنة فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الرفق[٥] و هو التخيير بين القصاص و العفو مجانا و على الدية[٦] ﴿ تخفيف ﴾ أى عن القتال و أوليائه ﴿ من ربكم ﴾[٧] المحسن إليكم بهذه الحنيفية السمحة و هذا الحكم الجميل ، و جمع الضمير مراعاة كما قال الحرالى للجانبين لأن كل طائفة معرضة لأن ١٠ تصيب منها الأخرى - انتهى . ﴿ و رحمة ط ﴾ لأولياء القتيل[٨] بالدية و للآخرين بالعفو عن الدم ، روى البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كان فى بنى إسرائيل القصاص و لم تكن[٩] فيهم الدية ، فمن عفى له من أخيه شىء[٤] أى يقبل[١٠] الدية فى العمد ذلك تخفيف من ربكم و رحمة مما[١١] كتب على من[١٢] كان قبلكم فمن

(١) فى مد : اعلام (٢) سورة ١٧ آية ٣٣ (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فيراضون - كذا (٤) ليس فى م و ظ (٥) العبارة من هنا إلى « الدية » ليست فى ظ (٦) فى الأصل : والديه - كذا ، والتصحيح من م و مد (٧) زيد فى م و ظ : اى (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : القتل (٩) فى ظ : لم يكن (١٠) من م و مد ، و فى ظ : يقبل ، و فى الأصل : يقتل - كذا (١١) من م و ظ و مد و فى الأصل : كما (١٢) فى ظ : ممن .

اعتدى بعد ذلك قتل بعد قبول الدية - انتهى . و قال أهل [التفسير : كتب على اليهود - [1]] القصاص و [حرم عليهم - [1]] الدية [و العفو و على النصارى العفو و حرم عليهم الدية - [1]] [2] و لما كانت هذه منه عظيمة تسبب عنها تهديد من أباها[3] فقال تعالى : ﴿ فمن اعتدى ﴾ أى بالقتل ﴿ بعد ذلك ﴾ أى [4] التخيير و [4] العفو و لو كان العافى ٥ غيره ﴿ فله عذاب اليم ﴾ بقتله أو أخذ الدية منه جزاء على عداوته بقدره[5] و تعديه بما أشعر بابائه لهذه / الرخصة التى حكم بها المالك ١٧٥ / فى عبيده الملك الذى لا تسوغ[6] مخالفته ، و فى تسمية جزائه بالعذاب و عدم تخصيصه باحدى الدارين إعلام بشيائه فى كليهما تغليظا عليه . قال[7] الحرالى :[8] و فى الآية دليل على أن القاتل عمدا لا يصير بذلك ١٠ كافرا ، قال الأصبهانى : قال ابن عباس : سمى[9] القاتل فى أول الآية مؤمنا و فى وسطها أخا و لم يؤيسه[10] آخرها من التخفيف و الرحمة .

و لما أخبر سبحانه و تعالى بفائدة العفو أخبر بفائدة[11] مقابله تتميما لتأنيب أهل الكتاب على عدولهم[12] عن النص و عماهم[13] عن الحكمة

(١) زيد من م و مد (٢) العبارة من « انتهى » إلى هنا ليست فى ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : اتاها (٤-٤) ليس فى ظ (٥) فى الأصل و م : بقدره ، و التصحيح من ظ و مد (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا تسوغ (٧) فى م : قاله (٨) العبارة من هنا إلى « و الرحمة » ليست فى ظ (٩) زيد فى مد : الله (١٠) من مد ، و فى الأصل : لم يوصيه ، و فى م : لم يوسه (١١) فى م و ظ : بعائدة (١٢) فى ظ : عدوهم (١٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حماهم .

فقال : ﴿ ولكم ﴾ أي يا أيها الذين آمنوا ﴿ في القصاص ﴾ (١ أي هذا الجنس ١) وهو قتل النفس القاتلة بالنفس المقتولة من غير مجاوزة ولا عدوان ﴿ حيوة ﴾ (١ أي عظيمة بديعة ١)، (١٠ لأن من[٣] علم أنه يقتل لا يقتل ١٠). وقال الحرالي: فالحياة لمن سوى الجاني من عشيرته ممن كان يعتدى عليه بجناية غيره في الدنيا[٤]، والحياة للجاني بما[٥] اقتص منه في الأخرى[٦]، لأن من يكفّر ذنبه[٧] حي في الأخرة، ومن بقي عليه جناية فأخذ بها فهو في حال ذلك ممن لا يموت فيها ولا يحيي، لأن المعاقب[٨] في حال عقوبته لا يجد طعم الحياة لغلبة ألمه ولا هو في الموت لإحساسه بعقوبته - انتهى. وأما مطلق القتل كما كان أهل الجاهلية يقولون: القتل أنفى للقتل[٩]، (١٠ وليس ١٠) كذلك، لأن من علموا أنهم إذا قتلوا اثنين لا يقتل بهما إلا واحد ربما كان ذلك مجريا لهم على القتل ويدخل

(١-١) ليس في ظ (٢) وفي البحر المحيط ٢/١٥ : قال الزمخشري : ﴿ ولكم في القصاص حيوة ﴾ كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن إصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لأن المعنى ولكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حياة عظيمة أو نوع من الحياة وهو الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل (٣-٣) من م وظ ومد، وفي الأصل: لا من. (٤) من م وظ ومد، وفي الأصل: الحياة (٥) في الأصل: ربما، والتصحيح من م وظ ومد (٦) في ظ: الاخرة (٧) وقع في الأصل: وفيه - مصحفا، والتصحيح من م وظ ومد (٨) من م ومد وظ، وفي الأصل: العاقب. (٩) من م ومد وظ، وفي الأصل: القتل (١٠-١٠) في مد: فليس.

فيه

فيه القتل ابتداء و هو أجلب للقتل لا أنفى له ، و قد كانوا مطبقين على استجادة[2] معنى كلمتهم و استرشاق[3] لفظها ، و من[4] المعلوم[5] لكل ذى لب أن بينها[6] و بين ما فى القرآن كما بين الله و خلقه [7]فانها[8] زائدة على عبارة القرآن فى الحروف و[4] ناقصة فى المعنى ، فاذا أريد[9] تصحيحها قيل القتل قصاصا أنفى للقتل ظلما فكثرت الزيادة و لم تصل إلى[10] رشاقة ما فى القرآن و عذوبته[11] ـ و الله سبحانه و تعالى الموفق .

و لما كانت هذه العبارة كما ترى معجزة فى صحة معناها و دقة

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مطيعين (٢) من ظ ، و فى الأصل : استحاده ، و فى مد : استحادة ، و فى م : استخارة (٣) زيد فى الأصل فقط : لكل . (٤) ليس فى م و مد و ظ (٥) قال أبو حيان الأندلسى : و قالت العرب فيما يقرب من هذا المعنى : القتل أوقى للقتل ، و قالوا : أنفى للقتل ، و قالو : أكف للقتل ، و ذكر العلماء تفاوت ما بين الكلامين من البلاغة من وجوه : أحدها أن ظاهر قول العرب يقتضى كون وجود الشىء سببا لانتفاء نفسه و هو محال ، الثانى تكرير لفظ القتل فى جملة واحدة ، الثالث الاقتصار على أن القتل هو أنفى للقتل ، الرابع أن القتل ظلما هو قتل ولا يكون نافيا للقتل و قد اندرج فى قولهم القتل أنفى للقتل و الآية المكرمة بخلاف ذلك ، و من أراد التفصيل فراجع البحر المحيط ٢ / ١٤ و ١٥ (٦) فى م : تنبيها ، و فى مد : بينهما (٧) العبارة من هنا إلى « عذوبته » ليست فى ظ (٨) من مد ، و فى م : فانهاه ، و فى الأصل : بايها (٩) من م و مد ، و فى الأصل : ارتد (١٠) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١١) من م و مد ، و فى الأصل : عدويته .

إشاراته و غزير[1] مفهوماته قال[2] سبحانه و تعالى مرغبا فى علو الهمم: ﴿ يـٰأولى الالباب ﴾ أى العقول التى تنفع[3] أصحابها بخلوصها مما هو كالقشر[4] لأنه جمع لب . قال الحرالى: و هو باطن العقل الذى شأنه أن يلحظ أمر الله فى المشهودات كما شأن ظاهر العقل [أن -[5]] يلحظ[6] الحقائق من المخلوقات ، فهم الناظرون إلى ربهم فى آياته - انتهى . ثم علل ذلك بقوله: ﴿ لعلكم تتقون ٥ ﴾ أى الله بالانقياد لما شرع فتتحامون[7] القتل . قال الحرالى: و فى إبهام لعل التى هى من الخلق كما تقدم تردد[8] إعلام بتنصيفهم[9] صنفين [بين من -[10]] يثمر ١١ ذلك له ١١ تقوى

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عزيز (٢) و فى البحر المحيط ٢/١٦: و نبه بالنداء نداء ذوى العقول و الصبائر على المصلحة العامة وهى مشروعية القصاص إذ لا يعرف كنه محصولها إلا أولو الألباب القائلون لامتثال أوامر الله و اجتناب نواهيه و هم الذين خصهم الله بالخطاب " انما يتذكر اولوا الالباب " " لأيت لقوم يعقلون " " لأيت لاولى الالباب " " لأيت لاولى النهى " " لذكرى لمن كان له قلب " . و ذوو الألباب هم الذين يعرفون العواقب و يعلمون جهات الخوف إذ من لا عقل له لا يحصل له الخوف فلهذا خص به ذوى الألباب (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تبع (٤) من م و ظ ، و فى مد : كالقسر ، و فى الأصل : كالفز - كذا (٥) زيد من م و مد (٦) العبارة من « امر الله » إلى هنا ليست فى ظ (٧) فى الأصل : فيتحافون بالقتل ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فتردد (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تنصيفهم (١٠) زيد من م و ظ (١١-١١) فى ظ : له ذلك .

و بين من يحمله ذلك و يزيده فى الاعتداء - انتهى . و لما حث[1] سبحانه و تعالى على بذل المال ندبا و إيجابا فى حال الصحة و الشح و تأميل الغنى و خشية الفقر تصديقا للايمان و أتبعه بذل الروح التى هو عديلها بالقتل الذى هو أحد أسباب الموت أتبع ذلك بذله فى حال الإشراف على النقلة و الأمن من فقر الدنيا و الرجاء لغنى الآخرة ٥ استدراكا لما فات من بذله على حبه فقال - و قال الحرالى : لما أظهر سبحانه و تعالى وجوه التزكية فى هذه المخاطبات ٢ و ما ألزمه ٢ من الكتاب و علمه من الحكمة و أظهر استناد ٣ ذلك كله إلى تقوى تكون وصفا ثابتا[4] أو [5]استجدادا معالجا حسب[5] ما ختم به آية " ليس البر " من قوله : " هم المتقون " و ما ختم به آية القصاص فى قوله : " لعلكم تتقون " ١٠ رفع رتبة الخطاب إلى ما هو حق على المتقين حين كان الأول مكتوبا على المترجين لأن يتقوا[6] [تربية و تزكية بخطاب[7] يتوسل به إلى خطاب أعلى فى التزكية لينتهى فى[8] الخطاب من رتبة -[9]] إلى رتبة [إلى -[9]] أن يستوفى نهايات رتب أسنان القلوب و أحوالها كما تقدمت الإشارة إليه ، و لما كان فى الخطاب السابق[10] ذكر القتل و القصاص الذى هو ١٥

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حب (٢-٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : و ما الزيقه - كذا (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : استار . (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ثانيا (٥-٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : استجدابا بمعالجة (٦) فى الأصل : لان ىتقوا - كذا (٧) فى ظ : لخطاب (٨) ليس فى ظ (٩) زيد ما بين الحاجزين من م و مد و ظ (١٠) فى البحر المحيط ١٦/٢ مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة و ذلك أنه لما ذكر تعالى =

حال حضرة الموت انتظم به ذكر الوصية لأنه حال من حضره الموت ؛ انتهى - فقال : ﴿ كتب عليكم ﴾ أى فرض [١] كما استفاض فى الشرع و أكد هنا بعلى [١] ، ثم نسخ بآية المواريث وجوبه فبقى جوازه ، [٢] و بينت السنة أن الإرث [٣] والوصية [٣] لا يجتمعان ، فالنسخ [٤] إنما هو فى حق القريب الوارث لا مطلقا فقال [٥] صلى الله عليه و سلم : إن الله سبحانه و تعالى أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث - رواه أحمد و الأربعة و غيرهم عن عمرو بن خارجة و أبى أمامة رضى الله تعالى عنهما ﴿ إذا حضر احدكم الموت ﴾ / أى بحضور أسبابه و علاماته ١٧٦/ ﴿ ان ترك خيرا ج ﴾ أى مالا ينبغى أن يوصى فيه قليلا كان أو كثيرا ، [٦] أما إطلاقه على الكثير فكثير ، و أطلق على القليل فى " انى لما انزلت [٧] الىّ من خير فقير [٨] " ثم ذكر القائم مقام فاعل كتب [٩] بعد

= القتل فى القصاص و الدية أتبع ذلك بالتنبيه على الوصية و بيان أنه مما كتبه الله على عباده حتى يتنبه كل أحد فيوصى مفاجأة الموت فيموت على غير وصية ، و لا ضرورة تدعو إلى أن كتب أصله العطف على " كتب عليكم القصاص فى القتلى " : و كتب عليكم ، و أن الواو حذفت للطول بل هذه جملة مستأنفة ظاهرة الارتباط بما قبلها لأن من أشرف على أن يقتص منه فهو بعض من حضره الموت ، و معنى حضور الموت مقدماته و أسبابه من العلل و الأمراض و الأعراض المخوفة .

(١-١) ليست فى ظ (٢) العبارة من هنا إلى « رضى الله تعالى عنهما » ليست فى ظ (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل : فالوصية (٤) من م ، و فى مد : فالنسخ فى ، و فى الأصل : فى النسخ (٥) فى م : قال (٦) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٧) فى م : انزل - كذا (٨) سورة ٢٨ آية ٢٤ (٩) فى الأصل : كنت ، و التصحيح من م و مد .

أن [١] اشتد التشوف [١] إليه فقال : ﴿ الوصية ﴾ [٢] و ذكر الفعل الرافع [٣] لها لوجود [الفاصل - [٤]] إفهاما لقوة طلبه ﴿ للوالدين ﴾ بدأ بهما لشرفهما و عظم حقهما ﴿ و الاقربين بالمعروف ج ﴾ أى العدل الذى يتعارفه الناس فى التسوية [٥] و التفضيل [٦] . قال الحرالى : و كل ذلك فى [٧] المحتضر [٨] ؛ و المعروف ما تقبله [٩] الأنفس و لا تجد [١٠] منه تكرها - انتهى . و أكد الوجوب بقوله : ﴿ حقا ﴾ و كذا قوله : ﴿ على المتقين ٥ط ﴾ فهو إلهاب [١١] و تهييج و تذكير [١٢] بما أمامه من القدوم على من يسأله [١٣] على [١٤] النقير [١٥] و القطمير .

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل : اسند ، و فى البحر المحيط ٢ / ٢٠ : فنقول : لما أخبر أنه كتب على أحدهم إذا حضره الموت إن ترك خيرا تشوف السامع لذكر المكتوب ما هو ، فتكون الوصية مبتدأ أو خبرا لمبتدإ على هذا التقدير ويكون جوابا لسؤال مقدر كأنه قيل : ما المكتوب على أحدنا إذا حضره الموت وترك خيرا ؟ فقيل : الوصية للوالدين والأقربين هى المكتوبة ، أو المكتوب الوصية للوالدين والأقربين (٢) العبارة من هنا الى « طلبه » ليست فى ظ (٣) فى الأصل : الرابع ، والتصحيح من م و مد (٤) زيد من م و مد (٥) فى الأصل : النوبة ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التفصيل (٧) من م ، و فى الأصل و مد و ظ : الى (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المختصر ، و فى م : المختضر (٩) فى م : تتقبله ، و فى ظ : يتقبله ، و فى مد : بقبله - كذا (١٠) فى ظ : لا يجد (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اظهاره . (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تذكر (١٣) فى الأصل : يسلمه - كذا ، و فى ظ و م و مد : يسيله (١٤) فى م فقط : عن (١٥) فى الأصل : المقير ، و التصحيح من م و ظ و مد .

و لما تسبب عن كونه فعل[1] ما دعت إليه التقوى من العدل وجوب العمل به قال: ﴿ فمن بدله ﴾ أى [2]الإيصا الواقع على الوجه المشروع أو[2] الموصى به بأن غير عينه إن [كان -٣] عينيا[4] أو نقصه[5] إن كان مثليا . و قال الحرالى: ٢لما ولى٢ المتقين إيصال متروكهم إلى والديهم و قراباتهم فأمضوه بالمعروف تولى عنهم التهديد لمن بدل عليهم[6]، و فى إفهامه أن الفرائض إنما أنزلت عن تقصير وقع فى حق الوصية فكأنه لو بقى على ذلك لكان كل المال[7] حظا للمتوفى ، فلما فرضت الفرائض اختزل[8] من يديه الثلثان و بقى الثلث على الحكم الأول، و بين أن الفرض عين الوصية فلا وصية لوارث لأن الفرض بدلها - انتهى . ﴿ بعد ما سمعه ﴾ أى علمه علما لا شك فيه ، أما إذا لم يتحقق فاجتهد فلا اثم ، و أكد[9] التحذير من تغيير المغير و سكوت الباقين عليه بقوله : ﴿ فانما اثمه ﴾ أى التبديل[10] ﴿ على الذين يبدلونه ط ﴾ بالفعل أو التقدير لا يلحق الموصى منه شيء . و لما كان للموصى و المبدل أقوال و أفعال

(١) زيد فى الأصل و م و ظ : على ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها . (٢-٢) ليست فى ظ (٣) زيد من م و مد و ظ (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : علينا (٥) فى ظ : نقضه - كذا (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : لهم . (٧) فى ظ : الحال (٨) فى الأصل : احترك ، و فى م : اختزل - كذا ، والتصحيح من ظ و مد (٩) فى الأصل : كذا ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٠) و فى هذا دليل على من اقترف ذنبا فانما وباله عليه خاصة فان قصر الولى فى شيء مما أوصى به الميت لم يلحق الميت من ذلك شيء - البحر المحيط ٢/٢٢ .

و نيات حذر بقوله: ﴿ان الله﴾ [1] أى المحيط بجميع صفات الكمال [1] ﴿سميع﴾ أى لما يقوله كل منهما ﴿عليم﴾ بسره و علنه فى ذلك، فليحذر من عمل السوء و إن أظهر غيره و من دعاء المظلوم فان الله يجيبه.

و لما كان التحذير [من - ٢] التبديل إنما هو فى عمل العدل و كان الموصى ربما [3] جار فى وصيته [4] لجهل أو غرض تسبب عنه قوله [5]: ﴿فمن خاف﴾ أى علم [6] و توقع و ظن، أطلقه عليه [7] لأنه من أسبابه [8]، و لعله عبر بذلك [9] إشارة إلى أنه يقنع فيه بالظن ﴿من موص جنفا﴾ أى ميلا فى الوصية خطأ ﴿او اثما﴾ أى ميلا فيها عمدا. قال الحرالى: و كان حقيقة معنى الجنف إخفاء حيف فى صورة بر - انتهى.

(١-١) ليست فى ظ (٢) زيد من م و ظ و مد (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: و بما (٤) وقع فى ظ: وظيفته - مصحفا (٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: بقوله (٦) و قيل: يراد بالخوف هنا العلم أى فمن علم، و خرج عليه قوله تعالى "الا أن يخافا الا يقيما حدود الله" و قول أبى محجن:

أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

و العلقة بين الخوف و العلم حتى أطلق على العلم الخوف أن الإنسان لا يخاف شيئا حتى يعلم أنه مما يخاف منه، فهو من باب التعبير بالمسبب عن السبب؛ و قال فى المنتخب: الخوف و الخشية يستعملان بمعنى العلم، و ذلك لأن الخوف عبارة عن حالة مخصوصة متولدة من ظن مخصوص، و بين الظن و العلم مشابهة فى أمور كثيرة فلذلك صح إطلاق كل واحد منهما على الآخر - البحر المحيط ٢/٢٣.

(٧) ليس فى م (٨) العبارة من «و توقع» إلى هنا ليست فى ظ (٩) فى م و مد: به.

﴿ فأصلح بينهم ﴾ أى بين[١] الموصى و الموصى لهم إن كان ذلك قبل موته بأن أشار عليه بما طابت به الخواطر، أو بين الموصى لهم و الورثة[٢] بعد موته إن خيف من وقوع شر فوفق[٣] بينهم على أمر يرضونه . و قال الحرالى : و فى إشعاره بذكر الخوف من الموصى ما[٤] يشعر أن ٥ [ذلك -[٥]] فى حال حياة الموصى ليس بعد قرار الوصية على جنف[٦] بعد الموت، فان ذلك لا يعرض له مضمون هذا الخطاب ، و فى إيقاع الإصلاح على لفظة 'بين' إشعار بأن[٧] الإصلاح [٨]نائل البين[٨] الذى هو وصل ما بينهم فيكون من معنى ما يقوله النحاة مفعول على السعة حيث لم يكن فأصلح [٩]بينه و بينهم[٩] - انتهى . ﴿ فلا أثم عليه[١] ﴾[١٠] أى ١٠ بهذا التبديل . و لما كان المجتهد قد يخطئ فلو أوخذ[١١] بخطائه[١٢] أحجم عن الاجتهاد جزاه الله سبحانه عليه بتعليل رفع[١٣] الإثم بقوله إعلاما بتعميم[١٤] الحكم فى كل مجتهد : ﴿ ان الله ﴾ أى المختص باحاطة العلم

(١) فى ظ : اسر (٢) ليس فى ظ (٣) فى الأصل : فوق ، و فى ظ : فوقف ، و التصحيح من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما (٥) زيد من م ومد و ظ (٦) فى م ومد و ظ ، حيف (٧) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : لان (٨-٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فائل العين (٩-٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: بينهم و بينه (١٠) و قال أبو حيان الأندلسى : قال مجاهد : المعنى من خشى أن يجنف الموصى و يقطع ميراث طائفة و يتعمد الاذاية أو يأتيها دون تعمد و ذلك هو الجنف دون إثم فاذا تعمد فهو الجنف فى إثم فوعظه فى ذلك و رده فصلح بذلك ما بينه و بين ورثته فلا إثم عليه - البحر المحيط ٢/٢٣٠ . (١١) من م ومد ، و فى الأصل : اوجد ، و فى ظ : اوحذ (١٢) فى م : بخطيه . (١٣) فى م : دفع (١٤) فى م : بتعليل .

﴿ غفور ﴾ أى لمن قصد خيرا فأخطأ ﴿ رحيم ٥ ﴾ أى يفعل به من الإكرام فعل الراحم بالمرحوم[1].

و لما أباح[2] سبحانه الأكل مما خلقه دليلا على الوحدانية و الرحمة العامة و الخاصة و كان من طبع الإنسان الاستيثار و كان الاستيثار جارا إلى الفتن، و أتبعه حكم المضطر و أشار إلى زجره عن العدوان ٥ بتقييده عنه فى حال التلف فكان فى ذلك زجر لغيره بطريق الأولى، و أولاه الندب إلى التخلى عما دخل فى اليد من متاع الدنيا للأصناف الستة و من لا فهم، ثم الإيجاب بالزكاة تزهيدا فى زهرة الحياة الدنيا ليجتث[3] العدوان من أصله، و قفى[4] ذلك بحكم من قد يعدو، ثم بما تبعه من التخلى عن المال فى حضرة الموت فتدربت[5] النفس فى الزهد بما ١٠ هو معقول المعنى بادئ / بدء من التخلى[6] عنه لمن ينتفع به أتبعه الأمر /١٧٧

(١) هذه الآيات حاوية لما يطلب من المكلف من بدء حاله و هو الإيمان بالله و ختم حاله و هو الوصية عند مفارقة هذا الوجود و ما تخلل بينهما مما يعرض من مبار الطاعات و هنات المعاصى من غير استيعاب لأفراد ذلك بل تنبيها على أفضل الأعمال بعد الإيمان و هو إقامة الصلاة و ما بعدها و على أكبر الكبائر بعد الشرك و هو قتل النفس، فتعالى من كلامه فصل و حكمه عدل - قاله أبو حيان فى البحر المحيط ٢ / ٢٥ (٢) زيد فى ظ : الله (٣) من م، و وقع فى الأصل : ليحث، و فى مد : ليحثت، و فى ظ : ليجبث - مصحفا (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل : وقع (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فقدرتب (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل : التجلى.

بالتخلى[١] عنـــه لا لمحتاج إليه بل لله الذى أوجده لمجرد تزكيـــة النفس و تطهيرها لتهيئها[٢] لما يقتضيه[٣] عليها صفة الصمدية من الحكمة ؛ هذا [٤]مع ما[٤] للقصاص و الوصية[٥] من المناسبة للصوم من حيث أن فى القصاص قتل النفس حسا [و فى الصوم قتل الشهوة السبب للوطى السبب لإيجاد النفس حسا -[٦]] و فيه حياة الأجساد معنى و فى الصوم حياة الأرواح بطهارة القلوب و فراغها للتفكر[٧] و تهيئها لإفاضة الحكمة و الخشية الداعية إلى[٨] التقوى و إماتة الشهوة و شهره[٩] شهر الصبر المستعان به على الشكر، و فيه تذكير بالضر[١٠] الحاث على الإحسان إلى المضرور و هو مدعاة إلى التخلى من الدنيـا و التحلى[١١] بأوصاف الملائكة و لذلك نزل فيه القرآن المتلقى[١٢] من الملك[١٣] ، فهو أنسب شىء لآية الوصية المأمور بها المتقون بالتخلى من الدنيا عند مقاربة الاجتماع بالملائكة ، و ختمها بالمغفرة و الرحمة إشارة إلى أن الصائم من أقرب الناس إليهما فقال :

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : التجلى (٢) فى الأصل : ليتهتها ، و فى ظ : لتهيها و فى مد: لتهتها ـ كذا (٣) فى الأصل: يقتضه ، فى م نقيضه : نقيضه ، و فى مد : نقيضه، وفى ظ: تقيضبه (٤-٤) من مد، و فى بقية الأصول: مامع (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الصوم (٦) زيدت من مد و ظ (٧) من م و مد و ظ ، و وقع فى الأصل : للتنكرة ـ مصحفا (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فى . (٩) من م ، وفى مد و ظ : شهرة ، و فى الأصل : شهوة (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بالصبر (١١) من مد ، و فى م و ظ : التخلى ، و فى الأصل : المتخلى (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : التلقى (١٣) فى ظ : الملائكة .

تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا[1] ﴾ فخاطب بما يتوجه[2] بادئ بدء[3] إلى أدنى الطبقات التى التزمت [أمر الدين - ٣] لأنه[4] لم يكن لهم باعث[5] حب و شوق[6] يبعثهم[7] على فعله من غير فرض بخلاف ما فوقهم من رتبة المؤمنين و المحسنين فانهم كانوا يفعلون معالم الإسلام من غير إلزام فكانوا يصومون على قدر ما يجدون من الروح فيه - قاله[8] الحرالى ، و قال: فلذلك[9] لم ينادوا فى[10] القرآن نداء بعدٍ و لا ذكروا إلا ممدوحين ، و الذين ينادون فى القرآن هم الناس الذين انتبهوا لما أشار به بعضهم على بعض و الذين آمنوا بما هم فى محل الائتمار متقاصرين عن البدار[11]، فلذلك كل نداء فى القرآن متوجه إلى هذين الصنفين إلا[12] ما توجه للانسان بوصف[13]

(١) مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه أخبر تعالى أولا بكتب القصاص و هو إتلاف النفوس و هو من أشق التكاليف فيجب على القاتل إسلام نفسه للقتل ، ثم أخبر ثانيا بكتب الوصية و هو إخراج المال الذى هو عديل الروح ، ثم انتقل ثالثا إلى كتب الصيام هو منهك للبدن مضعف له مانع و قاطع ما ألفه الإنسان من الغذاء بالنهار ، فابتدأ بالأشق ثم بالأشق بعده ثم بالشاق ، فهذا انتقال فيما كتبه الله على عباده فى هذه الآية ، و كان فيما قبل ذلك قد ذكر أركان الإسلام ثلاثة : الإيمان و الصلاة و الزكاة ، فأتى بهذا الركن الرابع و هو الصوم - البحر المحيط ٢/٢٨ (٢ - ٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بادنى بد (٣) زيد من م و ظ و مد (٤) فى ظ : لانهم (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : باحث (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : شرق - كذا (٧) فى م و مد : ببعثهم (٨) من مد و ظ ، و فى الأصل : قال (٩) من م ، و فى بقية الأصول : كذلك (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : إلى (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : البزار (١٢) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : الى (١٣) فى مد : توجه .

ذم فى قليل من الآى - انتهى[١] . ﴿ كتب ﴾ أى فرض بما استفاض فى لسان الشرع و تأيد بأداة الاستعلاء ﴿ عليكم الصيام ﴾ و[٢] هو الإمساك عن المفطر من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بالنية[٣] و قال الحرالى[٤] : فرض لما فيه من التهيؤ لعلم الحكمة و علم ما لم تكونوا تعلمون و هو الثبات على تماسك عما من شأن الشيء أن يتصرف[٥] فيه و يكون شأنه كالشمس فى وسط السماء ، يقال : صامت[٦] - إذا لم[٧] يظهر لها[٧] حركة لصعود و لا لنزول التى [هى-[٨]] من شأنها ، و صامت الخيل - إذا لم تكن[٩] [مركوضة و لا -[١٠]] مركوبة ، فتماسك[١١] المرء عما[١٢] شأنه فعله من

(١) ليس فى ظ (٢) ليس فى مد (٣) ليس فى م (٤) و قال أبو حيان الأندلسى : الصيام و الصوم مصدران لصام ، و العرب تسمى كل ممسك صائما و منه الصوم فى الكلام " انى نذرت للرحمن صوما " أى سكوتا فى الكلام ، و صامت الريح أمسكت عن الهبوب ، و الدابة أمسكت عن الأكل و الجرى ، و قال النابغة الذبيانى :

خيل صيام و خيل غير صائمه تحت العجاج و أخرى تعلك اللجما

أى ممسكة عن الجرى و تسمى الدابة التى لا تدور الصائمة ... و قالوا : صام النهار ثبت حره فى وقت الظهيرة و اشتد .... و مصام النجوم إمساكها عن السير و منه :

كأن الثريا علقت فى مصامها

(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يتصدق (٦) فى م : صاحب (٧-٧) فى م : تظهرها (٨) زيد من مد (٩) فى ظ : لم تلزم (١٠) زيد من م و مد (١١) وقع فى الأصل : فيماشك - مصحفا ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٢) زيد فى مد و ظ : من .

حفظ

حفظ بدنه بالتغذى و حفظ نسله بالنكاح و خوضه فى زور القول و سوء الفعل هو صومه ؛ و فى الصوم[1] خلاء من الطعام و انصراف عن حال الأنعام و انقطاع شهوات الفرج ، و تمامه الإعراض عن أشغال[2] الدنيا و التوجه إلى الله و العكوف فى بيته ليحصل بذلك نبوع الحكمة من القلب ؛ و جعل كتبا حتى لا يتقاصر عنه من كتب عليه إلا انشرم[3] دينه كما ينشرم[4] خرم[5] القربة[6] المكتوب[7] فيها - انتهى[8] . ﴿ كما كتب ﴾ أى فرض ، فالتشبيه فى مطلق الفرض[9] ﴿ على الذين ﴾ و كأنه أريد أهل الكتابين فقط[10] و أثبت[11] الحال[12] فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ فيه إشعار

(١) فى الأصل : العدم ، و التصحيح من م و مد و ظ (٢) من م ، و فى مد و ظ : اشتغال ، و فى الأصل : انتقال ـ كذا (٣) شرم الشىء يشرمه شرما شقه ، و انشرم الجلد انشق ـ قطر المحيط ١/ ١٠٣٤ (٤) فى م : بتشرم . (٥) فى م و مد و ظ : خرز (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : القرية . (٧) فى م : المكتوم (٨) ليس فى ظ (٩) فى م و ظ و مد : الفرضية (١٠) ليس فى م و مد و ظ (١١) فى م و مد و ظ : فاثبت (١٢) فى م و مد و ظ : الجار . و فى البحر المحيط ٢/٢٩ : الظاهر أن هذا المجرور فى موضع الصفة لمصدر محذوف أو فى موضع الحال على مذهب سيبويه على ما سبق أى كتبا مثل ما كتب .. .. ظاهره عموم الذين من قبلنا من الأنبياء و أممهم من آدم إلى زماننا ، و قال على : أولهم آدم ، فلم يفترضها عليكم يعنى أن الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله أمة من افتراضها عليهم فلم يفترضها عليكم خاصة ، و قيل : الذين من قبلنا هم النصارى ..... و قيل كذا كان صوم اليهود فيكون المراد بالذين من قبلنا اليهود و النصارى .

بأنه مما نقضوا فيه العهد فكتموه حرصا على ضلال العرب ، و لما كان في التأسي[1] إعلاء للهمة القاصرة و إسعار[2] و إغلاء للقلوب الفاترة لأن الشيء الشاق إذا عم سهل[3] تحمله قال : ﴿ لعلكم تتقون ﴾ أي تجعلون بينكم و بين إسخاط الله وقاية بالمسارعة إليه و المواظبة عليه رجاء لرضى ربكم و خوفا ممن[4] سبق من قبلكم ، لتكون[5] التقوى لكم صفة راسخة فتكونوا[6] ممن جعلت الكتاب هدى لهم ، فان الصوم يكسر الشهوة فيقمع الهوى فيروع[7] عن موافقة[8] السوء . قال الحرالي[9] : و في إشعاره تصنيف[10] المأخوذين بذلك صنفين : من يثمر[11] له صومه على وجه الشدة تقوى[12] ، [13] و من لا يثمر له ذلك[13] .

(١) من مد و ظ ، و في الأصل : الناس (٢) من م و مد ، و في الأصل و ظ : اشعار (٣) في الأصل : سهلة ، و التصحيح من بقية الأصول (٤) من مد و ظ ، و في الأصل و م : من (٥) في م و مد : لكم لتكون ، و في ظ : لكم ليكون ، و في الأصل : لم تكون (٦) في م و مد : فيكونوا (٧) من م و ظ و مد ، و في الأصل : فيرفع (٨) في م و ظ : موافقه ، و في مد : مواقعة (٩) قال أبو حيان الأندلسي : قال الراغب : للصوم فائدتان : رياضة الإنسان نفسه عما تدعو إليه من الشهوات ، و الاقتداء بالملأ الأعلى على قدر الوسع - انتهى . و حكمة التشبيه أن الصوم عبادة شاقة فاذا ذكر أنه كان مفروضا على من تقدم من الأمم سهلت هذه العبادة ﴿ تتقون ﴾ الظاهر تعلق ' لعل ' بكتب ، أي سبب فرضية الصوم هو رجاء حصول التقوى لكم ، فقيل : المعنى تدخلون في زمرة المتقين لأن الصوم شعارهم ، و قيل : تجعلون بينكم و بين النار وقاية بترك المعاصي فان الصوم لإضعاف الشهوة و ردعها كما قال عليه السلام : فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء . (١٠) من م و مد ، و في الأصل و ظ : نصف (١١) من م و مد و ظ : و في الأصل : مثمر (١٢) ليس في م (١٣-١٣) ليست في م .

و لما كان لهذه الأمة جمع لما فى الكتب و الصحف كانت مبادئ أحكامها على حكم الأحكام المتقدمة فكما وجهوا وجهة أهل الكتاب ابتداء ثم ختم لهم بالوجهة إلى الكعبة انتهاء كذلك صوّموا صوم أهل الكتاب ﴿ اياما معدودٰت[1] ﴾ أى قلائل مقدرة بعدد[2] معلوم ابتداء[3] ثم رقوا إلى صوم دائرة الشهر وحدة[4] قدر انتهاء[5]، و ذلك أنه لما كان من قبلهم أهل حساب[6] لما فيه حصول أمر الدنيا / فكانت أعوامهم شمسية كان صومهم عدد أيام لا وحدة شهر؛ و فى إعلامه[7] إلزام بتجديد النية لكل يوم حيث هى أيام معدودة، [و -[8]] فى إفهامه منع من تمادى الصوم فى زمن الليل الذى هو معنى الوصال الذى يشعر صحته[9] رفع رتبة الصوم إلى صوم الشهر الذى هو دورة القمر يقنع[10]

/١٧٨

(١) إن كان ما فرض صومه هنا هو رمضان فيكون قوله: ﴿ اياما معدودٰت ﴾ عنى به رمضان و هو قول ابن أبى ليلى و جمهور المفسرين، و وصفها بقوله: "معدودٰت" تسهيلا على المكلف بأن هذه الأيام يحصرها العد ليست بالكثيرة التى تفوت العد و لهذا وقع الاستعمال بالمعدود كناية عن القلائل كقوله فى أيام معدودات: "لن تمسنا النار الا اياما معدودة" "وشروه بثمن بخس دراهم معدودة" و إن كان ما فرض صومه هو ثلاثة أيام من كل شهر، و قيل: هذه الثلاثة و يوم عاشوراء، كما كان ذلك مفروضا على الذين من قبلنا، فيكون قوله: " اياما معدودٰت" عنى بها هذه الأيام، و إلى هذا ذهب ابن عباس و عطاء - البحر المحيط ٢/٣٠ (٢) فى م: بقدر (٣) فى م: ابتده، و فى ظ و مد: ابتدا، و فى الأصل: بهذا (٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: وحده (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ايتها (٦) من ظ، و فى الأصل: احسان، و فى م: احساب، ولا يتضح فى مد (٧) فى م: اعلامهم، وفى ظ: اعلامها (٨) زيد من م وظ ومد (٩) فى م وظ: بصحته (١٠) من ظ، وفى الأصل وم ومد: يقع.

الفطر فى ليلة [١]رخصة للضعيف[١] لا عزما[٢] على الصائم، وكان فيه من الكلفة ما فى صوم أهل الكتاب من حيث لم يكن فيه أكل و لا نكاح بعد نوم، فكان فيه كلفة ما فى الكتب لينال رأس هذه الأمة و أوائلها حظا من منال أوائل الأمم ثم يرقيها[٣] الله إلى حكم ما يخصها فتكون[٤] مرباة تجد طعم اليسر بعد العسر - انتهى و فيه تصرف . و مذهب الشافعى رضى الله تعالى عنه تحريم الوصال، قالوا: يا رسول الله! إنك تواصل! قال: إنى لست كهيئتكم[٥]؛ و قال: من كان مواصلا فليواصل إلى السحر، قال الحرالى: فأنبأ بتمادى الصوم إلى السحر لتنتقل[٦] وجبة[٧] الفطر التى توافق[٨] حال أهل الكتاب إلى وجبة[٧] السحر التى هى خصوص أهل الفرقان - انتهى . و فى مواصلة النبى صلى الله عليه و سلم بهم لما أبوا إلا الوصال أياما [ما -[٩]] يشهد[١٠] لمن أباح ذلك و الله سبحانه و تعالى أعلم . قال الحرالى: و فى تأسيسه على العدد ملجأ يرجع إليه عند إغماء الشهر الذى هو الهلال[١١] [١٢]كما سيأتى[١٢] التصريح به، فصار

(١-١) فى الأصل: رخيصة للضيف، و التصحيح من م و مد و ظ غير أن فى م و ظ: رخصه (٢) من م و مد و ظ، وفى الأصل: لا غرما (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يرفعها (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فيكون . (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: نهيتكم (٦) فى م فقط: لتثقل (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: رحية (٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يوافق (٩) زيد من مد (١٠) من م و ظ و مد، و فى الأصل: شهد (١١) فى الأصل: الهلاك، و التصحيح من م و مد و ظ (١٢-١٢) من مد و ظ، و فى م: فما ياتى، و فى الأصل: أى فى سياتى .

لهم العدد فى الصوم بمنزلة التيمم فى الطهور يرجعون إليه عند ضرورة فقد إهلال الرؤية كما يرجعون إلى الصعيد عند فقد الماء .

و لما كان للمريض حاجة للدواء و الغذاء بحسب تداعى جسمه رفع عنه الكتب فتسبب عما مضى قوله سبحانه و تعالى[1] : ﴿ فمن كان منكم مريضا ﴾ أى مرضا يضره عاجلا أو يزيد فى علته آجلا . قال الحرالى : فبقى على حكم التحمل بيقين مما[2] يغذو المؤمن و يسقيه من[3] غيب بركة[3] الله سبحانه و تعالى ، كما قال عليه الصلاة و السلام : أبيت عند ربى يطعمنى و يسقينى ، فللمؤمن[4] غذاء فى صومه من بركة ربه بحكم يقينه فيما لا يصل إليه من لم يصل إلى محله ، فعلى قدر ما تستمد[5] بواطن الناس من ظواهرهم يستمد ظاهر الموقن من باطنه حتى يقوى فى أعضائه بمدد نور باطنه كما ظهر ذلك فى أهل الولاية و الديانة ، فكان فطر[6] المريض رخصة لموضع تداويه و اغتذائه .

و لما كان المرض وصفا جاء بلفظ الوصف و لما كان السفر و هو إزالة الكن عن الرأس تمام دورة يوم و ليلة بالمسير عنه بحيث لا يتمكن من عوده لمأواه فى مدار يومه و ليلته[7] نسبة بين[7] [جسمانيين - [8]] جاء

(١) زيد فى م و مد : انتهى (٢) زيد فى مد : ما (٣-٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : غيث تركه (٤) فى مد : فللموقن (٥) من م و مد ، و فى ظ : يستمد ، و فى الأصل : تنمد (٦) فى الأصل : نظر ، و التصحيح من م و ظ و مد (٧-٧) فى الأصل : يشبه من ، و التصحيح من م و ظ و مد (٨) زيد من م و مد و ظ .

بحرف الإضافة مفصولا[١] فقال: ﴿ او على سفر ﴾[٢] لما يحتاج إليه المسافر من اغتذاء[٣] لوفور نهضته[٤] فى عمله فى سفره و أن وقت اغتذائه بحسب البقاع لا بحسب الاختيار إذ[٥] المسافر و[٦] متاعه على قلب[٧] إلا ما وقى الله ، السفر قطعة من العذاب ، و ذلك لئلا يجتمع [عـلى العبد -[٨]] كلفتان فيتضاعف[٩] عليه المشقة دينا و دنيا فاذا خف عنه الأمر من [وجه -[٨]] طبيعى أخذ بالحكم من وجه آخر دينى ﴿ فعدة ﴾ نظمه يشعر أن المكتوب عدة ﴿ من ايام ﴾ أى متتابعة أو متفرقة[١٠] ﴿ اخر[١] ﴾ لانتظام مقاطع الكلام بعضها ببعض رؤسا و أطرافا ، ففى[١١] إفهامه أن مكتوب المريض و المسافر غير مكتوب الصحيح و المقيم ، فبذلك لا يحتاج إلى تقدير: فأفطر ، لأن المقصد[١٢] معنى الكتب و يبقى[١٣] ما دون الكتب

(١) فى م فقط: مفعولا (٢) و فى البحر المحيط: و موضع ﴿او على سفر﴾ نصب لأنه معطوف على خبر كان ، و معنى أو هنا التنويع ، وعدل عن اسم الفاعل وهو أومسافر إلى "او على سفر" إشعارا بالاستيلاء على السفر لما فيه من الاختيار للمسافر بخلاف المرض فانه يأخذ الإنسان من غير اختيار فهو قهرى بخلاف السفر فكان السفر مركوب الإنسان يستعلى عليه ، و لذلك يقال: فلان على طريق و راكب طريق ، إشعارا بالاختيار و أن الإنسان مستول على السفر مختار لركوب الطريق فيه (٣) فى الأصل: اعيدا ، و فى م: الغذاء ، وفى مد: اعتذاء ، و فى ظ: افتداء . (٤) من م ومد ، و فى ظ: نهضة ، و فى الأصل: بهصيته ـ كذا (٥) من م وظ ، وفى الأصل و مد: ان (٦) ليس فى ظ (٧) فى م: قلت ، وفى ظ: قلة ـ وكتب فوقه: اى متتابعة او مفرقة (٨) زيد من م و مد و ظ (٩) فى م و مد: فتتضاعف (١٠) فى م و ظ ومد: مفرقة (١١) من م ومد و ظ ، وفى الأصل: تقى (١٢) فى م: القصد (١٣) من م ومد ، و فى الأصل: ينبغى ، وفى ظ: نبقى.

على حكم تحمله ، فكأنه يقال للريض[1] و المسافر : مكتوبك أياما أخر لا هذه الأيام ، [فتبقى هذه الأيام -[2]] خلية عن حكم الكتب لا خلية عن تشريع[3] الصوم .

و لما كانوا قوما لم يتعودوا الصوم و كانت عناية الله محيطة[4] بهم تشريفا لرسولهم صلى الله عليه و سلم قال مخيرا فى أول الأمر : ﴿ و على الذين يطيقونه ﴾ أى الصوم، من الطوق[5] و هو ما يوضع[6] فى العنق حلية ، فيكون ما يستطيعه[7] من[8] الأفعال طوقا[9] له فى المعنى ﴿ فدية[10] طعام ﴾ بالإضافة أو الفصل ﴿ مسكين ﴾ بالإفراد إرجاعا إلى اليوم الواحد ، و بالجمع[11] إرجاعا إلى مجموع الأيام لكل يوم طعام واحد ، و هو مد و حفنتان بالكفين هما قوت الحافن[12] غداء و عشاء كفافا لا إقتارا[13] و لا إسرافا ، فى جملته توسعة أمر الصوم على من لا يستطيعه / ممن هو لغلبة ١٧٩/

(١) من م و ظ ، و فى الأصل : لا لمريض ، و فى مد : لا للريض (٢) زيدت من م و مد و ظ (٣) فى الأصل : تشريح ، و لعله مصحف عن : تشريع ، و فى م و ظ و مد : شرع (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : محيط (٥) فى البحر المحيط ٢/٢٦ : الطاقة و الطوق القدرة و الاستطاعة ، و يقال طاق و أطاق كذا أى استطاعه و قدر عليه ... قال أبو ذئب :

فقلت له احمل فوق طوقك إنها مطبعة من يأتها لا يضيرها

(٦) من م ومد وظ ، وفى الأصل : وضع (٧) من ظ و مد ، وفى م : يستطيعونه ، وفى الأصل : يستطيقه (٨) فى ظ : على (٩) من م ومد وظ ، وفى الأصل : طرقا . (١٠) كرره فى الأصل ثانيا (١١) من م و مد وظ ، و فى الأصل : و ما يجمع . (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الحاضر (١٣) فى م نقط : اقتدارا .

حاجة طبعه إلى الغذاء بمنزلة المريض و المسافر [١] فهو ممراض بالتهمة [٢] كأنها حال مرض جبل عليه الطبع ، فكان فى النظر إليه توفية رحمة النظر [إلى المريض - ٣] و المسافر إلا ما بين رتبتى الصنفين من كون هذا مطيقا و ذينك غير مطيق أو غير متمكن ، [و - ٤] فى إعلامه بيان أن من لم يقدر على التماسك عن غذائه [٥] فحقه أن يغذو [٦] غيره ليقوم بذل الطعام عوضا [عن التماسك - ٤] عن الطعام لمناسبة [٧] ما بين المعنيين [لذلك - ٤] ؛ و لم يذكر هنا مع الطعام عتق و لا صوم ﴿ فمن تطوع خيرا [٨] ﴾ أى فزاد فى الفدية ﴿ فهو خير له ﴾ لأنه فعل ما يدل على حبه [٩] لربه .

و لما ساق سبحانه و تعالى الإفطار عند الإطاقة و الفدية واجبها و مندوبها مساق [١٠] الغيبة [١١] و ترك ذكر الفطر و إن دل السياق عليه

(١) العبارة من هنا إلى « و المسافر » ليست فى م (٢) من ظ ، و فى الأصل و مد : بالتهمة (٣) زيد من مد و ظ (٤) زيد من م و ظ و مد (٥) فى ظ : غدايه ـ بالدال المهملة (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يغذوه (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : للناسبة (٨) زيد فى م : عليه . و فى البحر المحيط ٢ / ٣٨ : خير هنا أفعل التفضيل و المعنى أن الزيادة على الواجب إذا كان يقبل الزيادة خير من الاقتصار عليه ، و ظاهر هذه الآية العموم فى كل تطوع بخير و إن كانت وردت فى أمر الفدية فى الصوم ، و ظاهر التطوع التخيير فى أمر الجواز بين الفعل و الترك وأن الفعل أفضل و لا خلاف فى ذلك ، فلو شرع فيه ثم أفسده لزمه القضاء عند أبى حنيفة و لا قضاء عليه عند الشافعى (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : على من مد حبه (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل . ساق (١١) موضعه بياض فى الأصل .

إشارة إلى خساسته تنفيرا عنه جعل أهل الصوم محل حضرة الخطاب إيذانا بما له من الشرف على ذلك كله ترغيبا فيه و حضا عليه فقال: ﴿و ان تصوموا﴾ أيها المطيقون ﴿خير لكم﴾ [من الفدية و إن زادت-[1]]، قال الحرالى: ففيه إشعار بأن الصائم يناله من الخير فى جسمه و صحته و رزقه حظ وافر مع عظم[2] الأجر فى الآخرة، كما أشار إليه الحديث القدسى[3]: ٥ «كل عمل ابن آدم له[4] إلا الصوم [5]فانه لى[5]»، و ذلك لأنه لما كانت الأعمال أفعالا و إنفاقا[6] و سيرا و أحوالا مما شأن العبد أن يعمله لنفسه و لأهله فى دنياه و كان من شأنه [كانت له، و لما كان الصوم ليس من شأنه لم يكن له، فالصلاة مثلا[7] أفعال و أقوال و ذلك من شأن المرء و الزكاة إنفاق و ذلك من شأنه، و الحج ضرب فى الأرض و ذلك من شأنه ١٠ و ليس من شأنه-[8]] أن لا يأكل و لا يشرب و لا ينكح و لا ينتصف ممن[9] يعتدى عليه فان امرؤ شاتمه أو قاتله فليقل: إنى صائم، فليس [10]جملة مقاصد[10] الصوم من شأنه و حقيقته [11]إذبال جسمه[11] و إضعاف

(١) زيد من م (٢) فى ظ و مد: عظيم (٣) فى م: المقدسى (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فله (٥-٥) ليس فى م و مد و ظ (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: اتفاقا (٧) فى م: من لا (٨) ما بين الحاجزين زيد من م و ظ و مد. (٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: من (١٠-١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: مقاصد جملة (١١-١١) وقع فى الأصل: اذيال خمسة - مصحفا، والتصحيح من م و مد و ظ.

نفسه و إماتته ، [و لذلك كان الصوم كفارة للقتل خطأ لينال بالصوم من قتل نفسه -[1]] بوجه ما [ما -[1]] جرى على يده خطأ من القتل ، فكان فى الصوم تنقص[2] ذات الصائم فلذلك قال تعالى : « فانه لى » حين لم يكن من جنس عمل الآدمى ، قال سبحانه و تعالى « و أنا أجزى به » ففى ٥ إشارته أن جزاءه من غيب الله مما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر ، كل ذلك فى مضمون [قوله -[1]] ﴿ ان كنتم تعلمون ٣٥ ﴾ انتهى . و جوابه[4] و الله سبحانه و تعالى أعلم : صمتم و تطوعتم ، فانهم إن لم يعلموا أنه خير[5] لهم[6] لم[7] يفعلوا فلم يكن[7] خيرا لهم . قال الحرالى : كان خيرا[8] حيث لم يكن بين جمع الصوم ١٠ و الإطعام تعاند بل تعاضد لما يشعر به لفظ الخير - انتهى . روى البخارى رضى الله تعالى عنه فى التفسير[9] [و مسلم و أبو داود و الترمذى

(١) زيد ما بين الحاجزين من م وظ و مد (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ينقص (٣) من ذوى العلم و التمييز ، و يجوز أن يحذف اختصارا لدلالة الكلام عليه أى ما شرعته و بينته لكم من أمر دينكم أو فضل أعمالكم و ثوابها ، أو كنى بالعلم عن الخشية أى تخشون الله لأن العلم يقتضى خشيته "إنما يخشى الله من عباده العلمؤا" - البحر المحيط ٢/٣٨ (٤) العبارة من هنا إلى « انه خير لهم » ليست فى ظ (٥) فى مد و ظ : خيرا (٦) زيد فى م و مد : و لم يكونوا من اهل العلم (٧-٧) فى ظ : لم يفعلوه لم يكن (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : خير . (٩) فى صحيح البخارى ٢ / ٦٤٧ : عن سلمة بن الأكوع قال : لما نزلت "و على الذين يطيقونه فدية طعام مسكين" كان من أراد أن يفطر و يفتدى حتى نزلت الآية التى بعدها فنسختها .

و النسائى - [1]] عن سلمة[2] بن الأكوع رضى الله تعالى عنه قال: لما نزلت "و على الذين يطيقونه - الآية" كان من أراد [أن - ٣] يفطر و يفتدى حتى[4] نزلت الآية [[5]التى بعدها فنسختها[5] و فى رواية: حتى نزلت هذه الآية - [6]] "فمن شهد منكم الشهر فليصمه" و للبخارى عن ابن عمر عن أصحاب محمد رضى الله تعالى عنهم قالوا: أنزل "شهر رمضان" فشق عليهم فكان من أطعم كل يوم مسكينا ترك الصوم من[7] يطيقه [8]و رخص[8] لهم فى ذلك فنسختها "و ان تصوموا خير لكم" فأمروا بالصوم.

و لما أبهم الأمر أولا[9] فى الأيام [10]و جعله واجبا مخيرا على المطيق[10] عين هنا [11]و بت الأمر فيه[11] بقوله تعالى: ﴿ شهر رمضان ﴾

(١) زيد من م و ظ و مد، و فى صحيح مسلم ٣/١٥٦: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا بكر يعنى ابن مضر عن عمرو بن الحارث عن بكير عن يزيد مولى سلمة عن سلمة بن الأكوع قال: لما نزلت هذه الآية "و على الذين يطيقونه فدية طعام مسكين" كان من أراد أن يفطر و يفتدى حتى نزلت الآية التى بعدها فنسختها و فيه عن بكير بن الأشج عن يزيد مولى ابن سلمة عن سلمة بن الأكوع أنه قال: كنا فى رمضان على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم من شاء صام و من شاء أفطر فافتدى بطعام مسكين حتى أنزلت هذه الآية "فمن شهد منكم الشهر فليصمه" (٢) وقع فى م: مسلمة - خطأ (٣) زيد من مد و صحيح البخارى.
(٤) من صحيح البخارى و صحيح مسلم و م وظ و مد، و فى الأصل: حين.
(٥-٥) هكذا فى الصحيح للبخارى و مسلم (٦) زيد ما بين الحاجزين من م.
(٧) من م و الصحيح للبخارى، و فى الأصل و مد و ظ: ممن (٨-٨) فى ظ و الصحيح للبخارى: فرخص (٩) ليس فى ظ (١٠-١٠) ليست فى ظ.
(١١-١١) ليست فى ظ، و وقع فى الأصل «رتب» مكان «بت» و التصحيح من م و مد.

لأن[١] ذلك أضخم وآكد من تعيينه[٢] من أول الأمر . قال الحرالى[٣] : و الشهر هو الهلال الذى شأنه [أن - [٤]] يدور دورة من حين أن[٥] يهل إلى أن يهل ثانيا سواء كانت عدة أيامه تسعا و عشرين أو ثلاثين ، كلا العددين فى صحة التسمية بالشهر واحد ، فهو شائع فى فردين متزايدى العدد بكمال[٦] العدة كما يأتى أحد الفردين لمسماه[٧] رمضان ، يقال[٨] : هو اسم من أسماء الله سبحانه و تعالى[٩] ، و اشتقاقه من الرمضاء و هو اشتداد حر الحجارة من الهاجرة ، كأن هذا الشهر سمى بوقوعه زمن[١٠] اشتداد الحر بترتيب أن يحسب[١١] المحرم من أول

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : كان (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تعينه (٣) فى البحر المحيط ٢/٢٦ : قال الأندلسى : الشهر مصدر شهر الشيء يشهره : أظهره ، و منه الشهرة و به سمى الشهر ، و هو المدة الزمانية التى يكون مبدؤ الهلال فيها خافيا إلى أن يستسر ثم يطلع خافيا ، سمى بذلك لشهرته فى حاجة الناس إليه فى المعاملات و غيرها من أمورهم . و قال الزجاج : الشهر الهلال ، قال : و الشهر مثل قلامة الظفر سمى بذلك لبيانه (٤) زيد من م و مد و ظ (٥) ليس فى م و مد و ظ (٦) فى مد و ظ : فكمال (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لسماه (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فقال (٩) فى البحر المحيط ٢/٢٦ : رمضان علم على شهر الصوم و هو علم جنس و يجمع على رمضانات و أرمضة و علقة هذا الاسم من مدة كان فيها فى الرمضى و هو شدة الحر كما سمى الشهر ربيعا من مدة الربيع و جمادى من مدة الجمود ، و يقال : رمض الصائم يرمض احترق جوفه من شدة العطش ، و رمضت الفصال أحرق الرمضاء أخفافها فبركت من شدة الحر و انزوت إلى ظل أمهاتها ، و يقال : أرمضته الرمضاء أحرقته و أرمضنى الأمر . . . . وعن ابن السكيت : =

فصل الشتاء أى ليكون ابتداء العام أول ابتداء خلق باحياء الأرض بعد موتها، قال: و بذلك يقع الربيعان فى الربيع الأرضى السابق حين تنزل الشمس الحوت و السماوى اللاحق حين تنزل الشمس الحمل، و قال: إنه لما وقع لسابقة هذه الأمة صوم كصوم أهل الكتاب كما وجهوا إلى القبلة أولا بوجه أهل الكتاب تداركه الإرفاع[1] إلى حكم ٥ الفرقان المختص [بهم - [2]]، فجعل صومهم[3] القار[4] لهم بالشهر لأنهم أهل شهور ناظرون إلى الأهلة[5] ليسوا بالمستغرقين فى حساب الشمس، فجعل صومهم لرؤية الشهر و جعل لهم الشهر [يوما واحدا فكأنهم نقلوا من صوم أيام معدودات إلى صوم - [6]] يوم واحد غير معدود لوحدته، لأنهم أمة / أمية "و وعدنا موسى ثلثين ليلة" هى ميقات أمة ١٠ /١٨٠ محمد صلى الله عليه و سلم "و اتممنها بعشر[7]" هى ميقات موسى عليه الصلاة و السلام و أمته و من بعده من الأمم إلى هذه الأمة - انتهى.

و لما كان هذا خطاب إرقاء مدحه سبحانه و تعالى بانزال الذكر[8] فيه

= و كانوا يرمضون أسلحتهم فى هذا الشهر ليحاربوا بها فى شوال قبل دخول الأشهر الحرام و كان هذا الشهر فى الجاهلية يسمى ناتقا (١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: من (١١) من ظ، و فى م: محسب، و فى مد: يحرم، و فى الأصل: يجب.

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لارفاع (٢) زيد من م و مد و ظ. (٣) العبارة من هنا إلى «صومهم» ليست فى ظ (٤) من م و مد، و موضعه فى الأصل بياض (٥) من م و مد، و فى الأصل: اهله (٦) زيدت من م و ظ و مد (٧) سورة ٧ آية ١٤٢ (٨) من م و ظ، و فى الأصل: البركة ولا يتضح فى مد.

جملة [١] إلى بيت العزة و ابتدئ من [٢] إنزاله إلى الأرض . قال الحرالى: و أظهر فيه وجه القصد [٣] فى الصوم و حكمته الغيبية التى لم تجر فى الكتب الأول [٤] الكتابى فقال: ﴿ الذى انزل فيه [٥] القرآن ﴾ فأشعر أن فى الصوم حسن تلق لمعناه و يسرا لتلاوته ، و لذلك جمع فيه بين صوم النهار و تهجد الليل ، و هو صيغة مبالغة من القرء و هو ما جمع الكتب و الصحف و الألواح - انتهى [٦] . و فى مدحه بانزاله فيه مدح للقرآن به من حيث أشعر أن من أعظم المقاصد بمشروعيته

(١) العبارة من هنا إلى « الأرض » ليست فى ظ (٢) ليس فى م (٣) من م وظ و مد ، وفى الأصل: الفصل (٤) زيد فى ظ « و » (٥) وظاهره أنه ظرف لإنزال القرآن و القرآن يعم الجميع ظاهرا ، ولم يبين محل الإنزال فعن ابن عباس أنه أنزل جميعه إلى سماء الدنيا ليلة أربع و عشرين من رمضان ثم أنزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم منجما ، و روى واثلة بن الأسقع عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال: أنزلت صحف إبراهيم فى أول ليلة من شهر رمضان ، و التوراة لست مضين منه ، و الإنجيل لثلاث عشرة ، و القرآن لأربع و عشرين - البحر المحيط ٢/٣٩ و ٤٠ (٦) و قال أبو حيان الأندلسى : القرآن مصدر قرأ قرآنا ، قال حسان رضى الله عنه .

محوا باسمك عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا و قرآنا

أى و قراءة .... و معنى قرآن بالهمز الجمع لأنه يجمع السور كما قيل فى القرء و هو إجماع الدم فى الرحم أولا لأن القارئ يلقيه عند القراءة من قول العرب: ما قرأت هذه الناقة سلا قط أى ما رمت به - البحر المحيط ٢/٢٦ و ٢٧ .

تصفية[1] الفكر لأجل فهم القرآن ليوقف على حقيقة[2] ما أتبع [3]هذا به[3] من أوصافه التى قررت ما افتتحت به السورة من أنه "لاريب فيه" و[4] أنه "هدى[4]" على وجه أعم من ذلك الأول فقال سبحانه و تعالى: ﴿ هدى للناس ﴾ قال الحرالى: فيه إشعار بأن طائفة الناس يعليهم الصوم أى *بالتهيئة للتدبر* و الفهم و انكسار النفس إلى رتبة الذين آمنوا و المؤمنين ٥ [و يرقيهم -[6]] إلى رتبة المحسنين، فهو هدى[7] يغذو فيه فقد الغذاء القلب كما يغذو وجوده الجسم[8] و لذلك أجمع مجربة أعمال الديانة من الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه أن مفتاح الهدى[9] إنما هو الجوع و أن المعدة و الأعضاء متى أوهنت لله نور الله سبحانه و تعالى القلب و صفى النفس و قوى الجسم ليظهر من أمر الإيمان بقلب العادة[10] ١٠ جديد عادة هى لأوليائه أجل فى القوة و المنة من عادته فى الدنيا لعامة[11] خلقه؛ و فى إشارته لمح[12] لما يعان به الصائم من سد[13] أبواب النار

(١) من م و مد، و فى ظ: تصفيته، و فى الأصل: بصبغة ـ كذا (٢) فى م: حقيقته (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل: هذا، و فى ظ: هدايه (٤-٤) من م وظ و مد، و فى الأصل: ان هذا (٥ - ٥) من مد و ظ، و فى الأصل: بالهيبة للقدير، و فى م: لتهيئه للتدبر (٦) زيد من م و ظ و مد (٧) من م وظ و مد، و فى الأصل: هذا (٨) من م وظ و مد، وفى الأصل: الختم (٩) فى م: الهداية. (١٠) من ظ، و فى الأصل و م: العبادة، و فى مد: العيادة (١١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: العامة (١٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: قمح. (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شدة.

و فتح أبواب الجنة و تصفيد[1] الشياطين، كل ذلك بما يضيق من مجارى الشيطان من الدم الذى ينقصه الصوم، فكان فيه مفتاح الخير كله؛ و إذا هدى الناس كان للذين آمنوا أهدى و كان[2] نورا لهم و للمؤمنين أنور، كذلك إلى أعلى رتب الصائمين العاكفين الذاكرين الله كثيرا الذين تماسكوا بالصوم عن كل ما سوى مجالسة[3] الحق بذكره. و فى قوله: ﴿ و بينٰت ﴾ إعلان بذكر ما يجده الصائم من نور قلبه و انكسار نفسه و تهيئة فكره لفهمه ليشهد تلك البينات فى نفسه و كونها ﴿ من الهدىٰ ﴾ الأعم الأتم[4] الأكمل الشامل لكافة الخلق ﴿ و الفرقان ج ﴾ الأكمل، و[5] فى حصول الفرقان عن بركة الصوم و[5] الذى هو بيان رتب ما أظهر الحق رتبه[6] على وجهه إشعار بما يؤتاه[7] الصائم من الجمع الذى هو من اسمه الجامع الذى لا يحصل إلا بعد[8] تحقق الفرقان، [فان -[9]] المبنى على التقوى المنولة للصائم فى قوله فى الكتب الأول "لعلكم تتقون" فهو صوم ينبنى عليه تقوى ينبنى عليها فرقان كما قال تعالى "ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا[10]" ينتهى[11] إلى جمع[12] يشعر به نقل[13] الصوم من عدد الأيام إلى وحدة الشهر - انتهى. فعلى[14]

(١) فى الأصول كلها: تصفد - كذا (٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: فكان.
(٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: محالة (٤) فى ظ: ثم (٥) ليس فى م و ظ.
(٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: رتبة (٧) فى م: توقاه (٨) فى م: به.
(٩) زيد من مد (١٠) سورة ٨ آية ٢٩ (١١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: انتهى (١٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: جميع (١٣) فى ظ فقط: نقل.
(١٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فعل.

ما قلته المراد بالهدى الحقيقة، و على ما قاله[1] الحرالى هو مجاز[2] علاقته السببية لأن الصوم مهيء[3] للفهم وموجب للنور، و"الهدى" المعرف[4] الوحى أعم من الكتاب و السنة أو أم الكتاب أو غير ذلك، و على ما قال الحرالى يصح أن يراد به القرآن الجامع للكتب كلها فيعم الكتب الأول للأيام، و الفرقان هو الخاص بالعرب[5] الذى أعرب عن وحدة الشهر. و لما أتم ما فى ذكر الشهر من الترغيب إثر التعيين ذكر ما فيه من عزيمة و رخصة فقال: ﴿فمن شهد﴾ أى حضر[6] حضورا تاما برؤية بينة لوجود الصحو[7] من غير غمام أو باكمال عدة شعبان إن كان غيم و لم يكن مريضا و لا مسافرا. قال الحرالى: و[8] فى

(١) فى م وظ ومد: قال (٢-٢) من م و مد وظ، و فى الأصل: علاقة التشبيه.
(٣) ليس فى م، و فى ظ: يهى، و فى مد: مهيء (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العرف. و فى البحر المحيط ٢/٤٠: و الهدى و الفرقان يشمل الكتب الإلهية فهذا القرآن بعضها و عبر عن البينات بالفرقان و لم يأت من الهدى و البينات فيطابق العجز الصدر لأن فيه مزيد معنى لازم للبينات و هو كونه يفرق به بين الحق و الباطل فمتى كان الشيء جليا واضحا حصل به الفرق، و لأن فى لفظ الفرقان مؤاخاة للفاصلة قبله و هو قوله: "شهر رمضان" ثم قال: "الذى انزل فيه القرآن" ثم قال: "هدى للناس و بينت من الهدى و الفرقان" فحصل بذلك تواخى هذه الفواصل، فصار الفرقان هنا أمكن من البينات من حيث اللفظ و من حيث المعنى (٥) من م و ظ، و فى الأصل و مد: بالعرف (٦) العبارة من هنا إلى «مسافرا» ليست فى ظ (٧) فى م: الصحوى.
(٨) ليس فى ظ.

شياعه إلزام لمن رأى الهلال[١] وحده بالصوم . و قوله : ﴿ منكم ﴾ خطاب الناس[٢] و من فوقهم حين كان الصيام معليا لهم ﴿ الشهر ﴾ هو المشهود على حد ما تقول النحاة مفعول[٣] على السعة ، لما فيه من حسن[٤] الإنباء و إبلاغ المعنى ، و يظهر معناه قوله تعالى : ﴿ فليصمه ط ﴾ فجعله واقعا على الشهر لا واقعا على معنى : فيه ، حيث [لم يكن: فليصم فيه - [٥]] ؛ و فى إعلامه صحة صوم ليلة ليصير ما كان فى الصوم الأول من السعة بين الصوم و الفطر للمطيق واقعا[٦] هنا بين صوم الليل و فطره لمن رزق القوة بروح من الله تعالى - انتهى[٧] .

[٨]و لما نسخ[٩] بهذا ما مر من التخيير [١٠]أعاد ما[١٠] للمريض و المسافر

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الهلاك (٢) فى م و ظ ، للناس (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : مفعولا . و فى البحر المحيط ٢ / ٤١ : الألف و اللام فى الشهر للعهد و يعنى به شهر رمضان ولذلك ينوب عنه الضمير ولو جاء فمن شهد منكم فليصمه لكان صحيحا و إنما أبرزه ظاهرا للتنويه و التعظيم له و حسن له أيضا كونه من جملة ثانية ، ومعنى شهود الشهر الحضور فيه فانتصاب الشهر على الظرف ، و المعنى أن المقيم فى شهر رمضان إذا كان بصفة التكليف يجب عليه الصوم إذ الأمر يقتضى الوجوب و هو قوله "فليصمه" و قالوا على انتصاب الشهر : إنه مفعول به و هو على حذف مضاف (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حين (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : واقفا (٧) ليس فى م و مد (٨) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٩) من م و مد ، و فى الأصل : سنح (١٠-١٠) من م و مد ، و فى الأصل : اعادها .

/ لئلا[1] يظن نسخه[2] فقال: ﴿ و من كان مريضا ﴾ أى سواء شهده[3] /١٨١
أو لا ﴿ او على سفر ﴾ أى سواء كان مريضا أو صحيحا[4] و هو
[5]بين بأن[5] المراد شهوده فى بلد الإقامة ﴿ فعدة ﴾ قال الحرالى:
فرد[6] هذا الخطاب من مضمون أوله فمعناه: فصومه عدة، من حيث
لم يذكر[7] فى هذا الخطاب الكتب، ليجرى مرد[8] كل خطاب على ٥
حد مبدئه. و فى قوله: ﴿ من ايام اخر[9] ﴾ إعلام بأن القضاء لم يجر
على وحدة شهر لاختصاص الوحدة بشهر رمضان و نزول قضائه منزلة
الصوم الأول، [و -[9]] فى عدده و فى إطلاقه إشعار بصحة وقوعه
متتابعا و غير متتابع - انتهى. و لما رخص[10] [11]ذلك علل[11] بقوله:
﴿ يريد[12] الله ﴾ أى الذى لا يستطيع أحد أن يقدره حق قدره ١٠

(١) زيد فى م «و» (٢) من م و مد، و فى الأصل: منحه (٣) فى م: اشهده.
(٤) العبارة من هنا إلى «الإقامة» ليست فى ظ (٥-٥) فى م و مد: يبين ان.
(٦) من مد و ظ، و فى الأصل: فرو، و فى م: فراد. و فى البحر المحيط ٢/٤١: تقدم تفسير هذه الجملة و ذكر فائدة تكرارها على تقدير أن شهر رمضان هو قوله: "اياما معدودات"، فأغنى ذلك عن إعادته هنا (٧) فى م: لم تذكر (٨) من ظ و مد، و فى الأصل و م: مراد (٩) زيد من م (١٠) من ظ، و فى الأصل و م و مد: ارخص (١١-١١) فى م و مد و ظ: علل ذلك (١٢) و الإرادة هنا إما أن تبقى على بابها فتحتاج إلى حذف ولذلك قدره صاحب المنتخب: يريد الله أن يأمركم بما فيه يسر، و إما أن يتجوز بها عن الطلب أى يطلب الله منكم اليسر، و الطلب عندنا غير الإرادة؛ و إنما احتيج إلى هذين التأويلين لأن ما أراده الله كائن لا محالة على مذهب أهل السنة و الجماعة و على ظاهر الكلام لم يكن ليقع عسر و هو واقع - البحر المحيط ٢/٤٢.

﴿بكم اليسر﴾ [١] أى شرع السهولة [١] بالترخيص للمريض و المسافر و بقصر [٢] الصوم على شهر ﴿و لا يريد بكم العسر﴾ فى جعله عزيمة على الكل و زيادته [٣] على شهر . قال الحرالى : اليسر عمل [٤] لا يجهد النفس و لا يثقل الجسم ، و العسر ما يجهد النفس و يضر الجسم . و قال : فيه إعلام برفق الله بالأجسام التى يسر عليها بالفطر ، و فى باطن هذا الظاهر إشعار لأهل القوة بأن اليسر فى صومهم و أن العسر فى فطر المفطر [٥] ، ليجرى الظاهر على حكمته فى الظهور و يجرى الباطن على حكمته [٦] فى البطون ، إذ لكل آيـة منه [٧] ظهر و بطن ، فلذلك و الله سبحانة و تعالى أعلم كان النبى صلى الله عليه و سلم يصوم فى رمضان فى السفر و يأمر بالفطر ، و كان أهل القوة من العلماء يصومون و لا ينكرون الفطر - انتهى . [٨] قال الشعبى [٩] : إذا اختلف عليك أمران فان أيسرهما أقربهما

(١-١) ليست فى ظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل : يقصر ، و فى ظ : تقصر . (٣) فى م : زيادة (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عمدا (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الفطر (٦) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : حكمه (٧) فى م : من ، و فى الحديث : لكل آية ظهر و بطن (٨) العبارة من هنا إلى « لهذه الآية » ليست فى ظ (٩) و فى الحديث : دين الله يسر « يسر و لا تعسر » ، و ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ؛ و فى القرآن : " ما جعل عليكم فى الدين من حرج " " و يضع عنهم اصرهم و الاغلال التى كانت عليهم " فيندرج فى العموم فى اليسر فطر المريض و المسافر اللذين ذكر حكمهما قبل هذه الآية ، و يندرج فى العموم فى العسر صومهما لما فى حالتى المرض و السفر من المشقة و التعسير ؛ و روى عن على و ابن عباس و مجاهد و الضحاك أن اليسر الفطر فى السفر و العسر الصوم فيه - البحر المحيط ٢/٤٢ .

إلى

إلى الحق لهذه الآية .

ولما كانت علة التيسير[1] المؤكد بنفى التعسير[2] الإطاقة فكان التقدير: لتطيقوا ما أمركم به ويخف[3] عليكم أمره، عطف عليه قوله: ﴿ ولتكملوا ﴾ من الإكمال وهو بلوغ الشيء إلى غاية حدوده فى قدر أو عد حسا أو معنى ﴿ العدة ﴾ أى عدة أيام رمضان إلى رؤية الهلال إن رأيتموه [و -[4]] إلى انتهاء ثلاثين التى لا يمكن زيادة الشهر عليها إن غم[5] عليكم بوجود الغمام فلم تشهدوه[5]، فانه لو كلفكم أكثر منه أو كان إيجابه على كل حال [كان -[4]] جديرا بأن تنقصوا[6] من أيامه إما[7] بالذات بأن تنقصوا من عدتها أو بالوصف بأن تأكلوا فى أثنائها[8] كما تفعل[9] النصارى، فيؤدى ذلك إلى إعدامها أصلا ورأسا . وقال الحرالى: التقدير[10]: لتوفوا[11] الصوم بالرؤية ولتكملوا إن أغمى عليكم،

(١) من م ومد وظ، وفى الأصل: اليسر (٢) من م ومد وظ، وفى الأصل: النفس (٣) من مد وظ، وفى م: يخف؛ وفى الأصل: يخفف (٤) زيد من م ومد وظ (٥ - ٥) ليست فى ظ (٦) من م ومد وظ، وفى الأصل: بان تنقضوا - كذا بالضاد (٧) فى ظ: اياما (٨) من م ومد وظ، وفى الأصل: منتهايها (٩) فى م ومد وظ: يفعل (١٠) وقال الأندلسى: قال الزمخشرى: تقديره: شرع ذلك، يعنى جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص فى إباحة الفطر؛ فقوله "لتكملوا" علة الأمر بمراعاة العدة "ولتكبروا" علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر "ولعلكم تشكرون" علة الترخيص والتيسير، وهذا نوع من اللف لطيف المسلك البحر المحيط ٢/٤٣ (١١) فى م: لتوفر، وفى ظ: لتوقو .

فنى هذا الخطاب تعادل ذكر الصحو فى الابتداء بقوله : "شهد" و ذكر الغيم فى الانتهاء بالإكمال[١] - انتهى . [٢]و فيه إشارة إلى احتباك ، فان ذكر الشهود أولا يدل على عدمه ثانيا و ذكر الإكمال لأجل الغمام ثانيا يدل على الصحو أولا[٢] .

٥ و لما كان العظيم إذا يسر أمره كان ذلك أجدر بتعظيمه قال : ﴿ و لتكبروا ﴾ و التكبير إشراف القدر[٣] أو المقدار حسا أو معنى - قاله الحرالى . و قرن به الاسم الأكبر لاقتضاء المقام له فقال : ﴿ الله ﴾ أى [٤]الذى تقف[٥] الأفهام[٦] خاشئة دون جلاله و تخضع الأعناق لسبوغ[٧] جماله لتعتقدوا عظمته بقلوبكم و تذكروها بألسنتكم فى العيد

١٠ و غيره ليكون ذلك أحرى بدوام الخضوع من القلوب . قال الحرالى : و فيه إشارة إلى ما يحصل[٨] للصائم بصفاء باطنه من شهود ما يليح[٩] له أثر صومه من هلال نوره[١٠] العلى ، فكما[١١] كبر فى ابتداء الشهر لرؤية الهلال يكبر فى انتهائه لرؤية باطنه مرأى من هلال نور ربه[١٢] ، فكان عمل ذلك هو صلاة ضحوة[١٢] يوم العيد ، و أعلن فيها بالتكبير و كرر

(١) من و مد و ظ ، و فى الأصل : بما لا يثمار (٢ - ٢) ليست فى ظ (٣) من م و ظ ، و فى الأصل : القدرة (٤) العبارة من هنا إلى « جماله » ليست فى ظ . (٤٥) فى م : يقف (٦) فى م : الاجسام (٧) من م و مد ، و فى الأصل : لسيوع . (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يجعل (٩) من ظ ، و فى الأصل : ثلج ، و فى م : يلبيج ، و فى مد : يليج (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مورد (١١) فى م : فلما (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : به (١٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : هو .

لذلك ، و جعل[1] فى براح[2] من متسع الأرض لمقصد التكبير لأن تكبير الله سبحانه و تعالى إنما هو بما جل من مخلوقاته ، فكان فى ٣ لفظه إشعار[3] لما أظهرته السنة من صلاة العيد على اختصاصها بتكبير الركعتين و الجهر لمقصد موافقة معنى التكبير الذى إنما يكون علنا[4] - انتهى[5] .

و من أعظم أسراره أنه لما كان العيد محل فرح و سرور و كان من ٥ طبع النفس تجاوز الحدود لما جبلت عليه من الشره[6] تارة غفلة و تارة بغيا أمر فيه به ليذهب من غفلتها و يكسر[7] من سورتها ، و لما كان للوترية أثر[8] عظيم فى التذكير بالوتر الصمد الواحد الأحد و كان للسبعة منها مدخل عظيم فى الشرع جعل تكبير صلاته وترا و جعل سبعا فى الأولى لذلك و تذكيرا بأعمال الحج السبعة من الطواف و السعى و الجمار ١٠

---

(١) فى م : جعله (٢) فى م : براخ (٣-٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لفظة اشعارا (٤) فى م : عليا ، و فى ظ و مد : علنيا (٥) و قال الأندلسى فى البحر المحيط ٢/٤٢ : و رجح فى المنتخب أن إكمال العدة هو فى صوم رمضان و أن تكبير الله هو عند الانقضاء على ما هدى إلى هذه الطاعة و ليس بمعنى التعظيم ، قال : لأن تكبير الله بمعنى تعظيمه هو واجب فى جميع الأوقات و فى كل الطاعات فلا معنى للتخصيص - انتهى ، و " على " تتعلق بتكبروا و فيها إشعار بالعلية كما تقول : أشكرك على ما أسديت إلى . قال الزمخشرى : و إنما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كأنه قيل : و لتكبروا الله حامدين على ما هداكم (٦) من ظ ، و فى الأصل : السرة ، و فى م و مد : الشرة (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يكر (٨) فى ظ : اثمر .

تشويقا[1] إليها لأن النظر[2] إلى العيد الأكبر أكثر و تذكيرا بخالق[3]
١٨٢/ هذا الوجود بالتفكر فى أفعاله / المعروفة من خلق السماوات السبع
و الأرضين السبع و ما فيهما فى[4] الأيام السبع لأنه خلقهما[5] فى ستة
و خلق آدم فى اليوم السابع يوم الجمعة، و لما جرت عادة الشارع
٥ بالرفق بهذه الأمة و منه تخفيف الثانية على الأولى و كانت الخمسة أقرب
وترا[6] إلى السبعة من دونها[7] جعل تكبير[8] الثانية خمسا لذلك، و لأنه[9]
لما استحضرت عظمة الخالق باشارة الأولى للعلم بأنه المتفرد بالعظمة
و القهر و الملك بجميع[10] الأمر فأقبلت القلوب إليه و قصرت الهمم
عليه أشير بتكبير الثانية إلى عبادته[11] بالإسلام المبنى على الدعائم الخمس
١٠ و خصوصا بأعظم دعائمه الصلوات الخمس - و الله سبحانه و تعالى الموفق.

و لما كانت الهداية تطلق تارة على مجرد البيان و تارة عليه مع الحمل على
لزوم المبين و كان تخفيف المأمور به و تسهيله أعون على لزومه قال:
﴿على﴾ أى حامدين له على ﴿ما هدىكم﴾ أى يسر[12] لكم من شرائع

(١) من م، و فى الأصل: تشريعا، و فى ظ و مد: تشويفا (٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الفطر (٣) من مد، و فى م: بخالق، و فى ظ: يخالق، و فى الأصل: يخالف (٤) فى ظ: من (٥) فى مد: خلقها (٦) فى م و مد و ظ: وتر (٧) من م و ظ و مد، و فى الأصل: بدونها (٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تكثير (٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لاية (١٠) فى م: لجميع. (١١) فى الأصل: عادته، و التصحيح من النسخ الباقية (١٢) وقع فى م: ليس - خطأ.

هذا الدين فهيأكم[١] للزومها و دوام التمسك بعراها[٢]، و لعل هذا سر الاهتمام بالصيام من الخاص و العام حتى لا يكاد[٣] أحد من المسلمين يخل به إلا نادرا - و الله سبحانه و تعالى الموفق . و قال الحرالى : إن الهداية إشارة إلى تلك الموجدة التى يجدها الصائم و ما يشهده الله من بركاته من رؤية ليلة القدر بكشف خاص لأهل الخلوة أو آيات بينة ٥ لأهل التبصرة أو بآية[٤] بادية[٥] لأهل المراقبة كلا على [٦]حكم وجده[٦] من استغراق تماسكه و خلوته و استغراق ذكره فى صومه ، فأعظم الهدى هدى المرء[٧] لأن يذبل[٨] جسمه و نفسه و تفنى ذاته فى حق ربه ، كما يقول : « يدع طعامه و شرابه من أجلى » فكل عمل فعل و ثبت إلا الصوم فانه محو و فقد ، فناسب تحقيق ما هو الإسلام و التقوى من إلقاء منة ١٠ الظاهر و قوة الباطن - انتهى .

و لما كان الشكر صرف ما أنعمه المنعم فى طاعته[٩] و كان العمل[١٠] إذا خف أقرب إلى لزوم الطاعة بلزومه و لو ثقل لأوشك أن يعصى بتركه[١١] قال : ﴿ و لعلكم[١٢] تشكرون ﴾ أى و لتكونوا فى حالة يرجى

(١) فى الأصل : فهناكم ، و التصحيح من النسخ الأخر (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بعداها (٣) فى ظ : لا يكون (٤) فى الأصل : بانه ، و التصحيح من م ومد وظ (٥) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : بادته (٦-٦) هكذا فى الأصل و م و مد ، غير أن فى الأصل : وحده ، و فى ظ : وجد حكمه (٧) فى ظ : المراء (٨) من م و ظ ، و فى الأصل : تذلل ، و لا يتضح فى مد (٩) فى م و ظ و مد : طاعاته (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : المعنى . (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ببركة (١٢) هو ترج فى حق البشر على نعمة الله فى الهداية - قاله ابن عطية ، فيكون الشكر على الهداية ، و قيل : المعنى =

معهـا لزوم الطاعة و اجتناب المعصية . و قال الحرالى : فيه تصنيف فى الشكر نهاية كما كان فيه[١] تصنيف للتقوى[٢] بداية ، كما قال : " و لعلكم تتقون " فمن صح له التقوى ابتداء صح منه الشكر انتهاء ؛ و فى إشعاره إعلام باظهار نعمة الله و شكر الإحسان الذى هو مضمون [فرض - ٣] زكاة الفطر عن[٤] كل صائم و[٥] عمن يطعمه[٥] الصائم ، فكان فى الشكر إخراجه[٦] فطره بختم صومه و استقبال فطره بأمر ربه[٧] و إظهار شكره بما خوله من إطعام عيلته ، فلذلك جرت فيمن يصوم و فيمن يعوله الصائم - انتهى .

= تشكرون على ما أنعم به من ثواب طاعاتكم ..... و إذا كان التكليف شاقا ناسب أن يعقب بترجى التقوى و إذا كان تيسيرا و رخصة ناسب أن يعقب بترجى الشكر فلذلك ختمت هذه الآية بقوله ﴿ و لعلكم تشكرون ﴾ لأن قبله ترخيص للريض و المسافر بالفطر و قوله " يريد الله بكم اليسر " و جاء عقيب قوله " كتب عليكم الصيام " " لعلكم تتقون " و قبله " ولكم فى القصاص حيوة " ثم قال " لعلكم تتقون " لأن الصيام و القصاص من أشق التكاليف ، و كذا يجىء أسلوب القرآن فيما هو شاق و فيما فيه ترخيص و ترقية فينبغى أن يلحظ ذلك حيث جاء فانه من محاسن علم البيان - البحر المحيط ٢/٤٥ .

(١) من مد و م و ظ ، و فى الأصل : نية (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : التقوى (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : من (٥-٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : عن مطعمه (٦) زيدت فى الأصل : زكاة صائم وعن تطعمه الصائم ، و لم تكن الزيادة فى م ومد وظ فحذفناها (٧) فى الأصل : به ، و التصحيح من بقية الأصول .

و لما كان دعاء الصائم مجابا و كان هذا[1] الشهر بالخصوص مظنة الإجابة للصيام و[2] لمكان ليلة القدر و كان ذكر كبريائه سبحانه و تعالى مهيئا لعباده للاحساس بالبعد فكان ربما أوقع فى وهم أنه على عادة المتكبرين فى بعد المسافة عن محالّ العبيد و أنه إن[3] كان بحيث يسمع لم يكن لأحد منهم أن يسأله[4] إلا بواسطة رفع هذا[5] الوهم بقوله : ٥ ﴿ و إذا ﴾ دالا بالعطف على غير مذكور أن التقدير : فاذا سألك عبادى عنى فانى[6] مع علو شأنى رقيب على من أطاعنى و من عصانى "و إذا".

و[5] قال الحرالى : لما أثبت الحق سبحانه و تعالى كتاب الصيام لعباده لما أرادهم [له -[7]] من إعلائهم[8] إلى خبء[9] جزائه و أطلعهم على ما شاء فى صومهم من ملكوته بحضور[10] ليلة القدر فأنهاهم[11] إلى التكبير ١٠ على[12] عظيم ما هداهم إليه و استخلفهم فى فضله و شكر نعمته بما[13] خولهم من عظيم فضله و أظهر عليهم من رواء بركاته ما يدعو الناظرين[14] لهم

(١) ليس فى م (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : أو (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : ينسله ، و فى م : يسيلة ، و فى مد : يسيله (٥) ليس فى ظ (٦) زيد فى م : قريب (٧) زيد من م و مد و ظ . (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اعلامهم (٩) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : حب ؛ قال تعالى : الصوم لى و أنا أجزى و لم يظهر ما يجزى ليعلى شأن الصائمين . (١٠) زيد فى ظ : ليلة (١١) من م و مد و ظ : و انهاهم (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الى (١٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : مما (١٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الناطر .

إلى سؤالهم عما نالوه من ربهم فيليحون[1] لمن دونهم ما[2] به يليق بهم [رتبة - ٣] [3]رتبة ؛ يؤثر[4] عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم[5] أبا بكر رضى الله تعالى عنه فكأنما يتكلمان بلسان أعجم لا أفهم مما يقولان شيئا ، إلى أن ينتهى الأمر

٥ إلى أدنى[6] السائلين الذين هم فى رتبة حضرة [بعد - ٧] [8]فيبشرون بمطالعة القرب[8] فقال : و " اذا " عطفا على أمور متجاوزة كأنه[9] يقول : إذا خرجت من معتكفك فصليت و ظهرت زينة الله التى باهى بها ملائكته ليست زينة الدنيا التى يتمقتها[10] أهل حضرته من ملائكته فاذا سألك من حاله كذا فأنبئه[11] بكذا و إذا / سألك من حاله كذا فأنبئه[11] بكذا /١٨٣

١٠ [و إذا - ٧] ﴿ سالك عبادى عنى ﴾ أى هل أنا على حال المتكبرين من ملوك الدنيا فى البعد عمن دونهم فأخبرهم أنى لست كذلك .

و لما كان لا يسأل[12] عن الشىء إلا أن[13] كان معظما له متشوقا إلى تعجيل الإخبار به كان الأنسب للقام [و - ١٤] الأقرّ لعيون

(١) من م و مد ، و فى ظ : فيلحون ، و فى الأصل : فيلتحون (٢) ليس فى م . (٣) زيد من مد (٤-٤) ليس فى م (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تكلم (٦) فى ظ : اولى (٧) زيد من ظ و م و مد ، (٨-٨) فى الأصل: فيشيرون بمطالع العرب ، و التصحيح من م و ظ و مد (٩) فى م : لأنه (١٠) من ظ ، و فى الأصل : سمعتها ، و فى م : ينمقتها ، و فى مد: بتمقتها (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فانتبه (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : السائل (١٣) فى م و ظ و مد: من (١٤) زيد من ظ و مد .

العباد و الأزجر لأهل العناد تقريب الجواب و إخباره سبحانه و تعالى بنفسه الشريفة دون واسطة إشعارا بفرط قربه و حضوره مع كل سائل فقال: ﴿ فانى ﴾ دون ' فقل إنى ' فانه لو أثبت ' قل ' لأوهم بُعدا و ليس المقام كذلك، و لكان قوله ' انى ' موهما فيحتاج إلى أن يقال ' إن الله ' أو نحوه، و مع ذلك فلا ينفك عن إشكال؛ و إذا كان هذا التلطف بالسائلين فما ظنك بالسالكين السائرين ! و قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى ما معناه: الذين يسألون عن الجبال و عن اليتامى و عن المحيض و عن الأهلة و نحوها يجابون بالواسطة، و أما الذين يسألون عنى [1] فانى أرفع [1] الوسائط بينى و بينهم. و قال الإمام قاضى القضاة ناصر الدين بن ميلق [2] ما معناه: إنه سبحانه و تعالى لما كان قد تعرف إلى عباده بأفعاله و آياته و ما ركز [3] فى العقول من معرفته كان حذف الواسطة فى الإخبار عنه [4] أنسب بخلاف الأهلة و نحوها فان العقول لا تستقل بمعرفتها، فكان الإخبار عنها بواسطة الرسول الذى لا تعرف [5] إلا من [5] جهته أنسب. ﴿ قريب ط ﴾ فعيل من القرب و هو مطالعة الشيء حسا أو معنى [أى - [6]] من طلبنى بعقله وجدنى [7] و عرفنى و إنما أرسلت الرسل زيادة فى التعرف [8]

(١ - ١) فى الأصل: فانى اوقع، و التصحيح من م و ظ و مد (٢) فى م فقط: الملق. و فى ظ و مد: الميلق (٣) من م و مد و ظ: و فى الأصل: ذكر (٤) فى ظ: عليه (٥ - ٥) فى م: الامى (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ: و جد لى (٨) فى م: التعريف.

و رفعا[1] الحرج [2]بسر التلطف[2]، و إسقاط [2]قل[2] أسرع فى التعرف فهو أجدر بتعظيم الواسطة لأن الإسراع فى الإجابة أقرب دلالة على صدقه فى الرسالة . قال الحرالى: بشر[3] أهل حضرة البعد بالقرب [4]لما رقى أهل القرب إلى الوصول بالقرب[4] فكان المبشر واصلا و كان المتقاصر[5] عن القرب مبشرا به ، و معلوم[6] أن قرب الله و بعد المخلوق منه ليس بعد مسافة و لا قرب مسافة ، فالذى يمكن إلاحته[7] من معنى القرب أن من سمع فيما يخاطب به خطاب ربه فهو قريب ممن كان [8]ذلك الخطاب[8] منه ، و من كان إنما يسمع الخطاب ممن واجهه بالخطاب فى حسه و محسوسه فسمعه ممن دون ربه كان بعيدا بحسب تلك الواسطة من بعد دون بعد إلى أبعد البعد ، و لذلك يعلن للنبى صلى الله عليه و سلم " انما عليك البلاغ " و كان [9]أن ما[9] يتلوه لأمته

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : دفعا (٢-٢) فى الأصل : يسر التلطيفه ، و التصحيح من بقية الأصول (٣) زيد فى م : به (٤-٤) كرر هذه العبارة فى الأصل مرتين . و وقع فيه « رمى » مكان « رقى » و التصحيح من م و مد و ظ (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : التقاصر (٦) و القرب المنسوب إلى الله تعالى يستحيل أن يكون قربا بالمكان و إنما القرب هنا عبارة عن كونه تعالى سامعا لدعائه مسرعا فى إنجاح طلبة من سأله ، فمثل حالة تسهيله ذلك بحالة من قرب بمكانه ممن يدعوه فانه لقرب المسافة يجيب دعاءه ، و نظير هذا القرب هنا قوله تعالى "و نحن اقرب اليه من حبل الوريد" و ما روى من قوله عليه السلام : هو بينكم و بين أعناق رواحلكم ـ البحر المحيط ٢/٤٥ (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الاحية (٨-٨) كرره فى الأصل ثانيا ، و فيه : الخطا ، مكان : الخطاب ، فى كلا الموضعين ، و التصحيح من بقية الأصول . (٩ - ٩) فى الأصول كلها : انما ـ كذا .

إنما هو كلام ربـــه يتلو لهم كلام ربهم ليسمعوه من ربهم لأمته حتى لا يكون صلى الله عليه و سلم واسطة بين العبد و ربه بل يكون يوصل العبد إلى ربه ، و للاشارة[1] بهذا المعنى يتلى[2] كلمة ' قل ' فى القرآن ليكون إفصاحا [3]لسماع كلام[3] الله سبحانه و تعالى ممن سمع كائنا من كان ، و فى إشعاره إهزاز القلوب و الأسماع إلى نداء الحج إثر الصوم ، لأنه ٥ جعل تعالى أول يوم من شهور الحج إثر[4] يوم من أيام الصوم ، فكأن منادى الله ينادى يوم الفطر بالحج ، ففى خفى[5] إشارتـــه إعلاء نداء[6] إبراهيم عليه الصلاة و السلام الذى تقدم أساس أمر الإسلام على حنيفيته و ملته ، و ليكون فى هذه الآية الجامعة توطئة لذكر الحج لما تقدم من أن هـذه السورة تنتظم[7] جوامعها خلال تفاصيلهـا انتظاما عجيبا يليح ١٠ المعنى لأهل الفهم و يفصله[8] لأهل العلم ثم يحكم به على أهل الحكم قال[9]: ﴿اجيب﴾ من الإجابة[10] و هى[11] اللقاء بالقول ابتداء شروع[12] لتمام

(١) فى م : للارشاد (٢) فى م و مد : تتلا (٣-٣) فى ظ : لكلام (٤) فى م و ظ: اخر (٥) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : حقى - كذا (٦) زيـد فى الأصل « امر » (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ينتظم (٨) من م و مد و ظ ، فى الأصل : تفصله (٩) فى م : نقال (١٠) و الإجابة عبارة عن الوفاء بما ضمن للطيعين من الثواب - البحر المحيط ٢/٤٥ ، و فيه : و روى أنه نزل قوله ﴿اجيب دعوة الداع اذا دعان﴾ لما نزل ﴿فانى قريب﴾ قال المشركون: كيف يكون قريبا و من بيننا و بينه على قولك سبع سموات فى غلظ،سمك كل سماء خمسمائة عام و فيما بين كل سماء و سماء مثل ذلك فبين بقوله : " اجيب " أن ذلك القرب هو الإجابة و القدرة (١١) ليس فى م (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المشروع .

اللقاء بالمواجهة ﴿ دعوة الداع ﴾ ففيه إشعار باجابة الداعى [أى للحج - [1]]
عند خاتمة الصوم يعنى لما بين العبادتين من تمام[2] المناسبة ، فان حال
الصوم التابع لآية الموت[3] فى كونه[4] محوا لحال البرزخ و حال الحج
فى كونه سفرا إلى مكان مخصوص على حال التجرد كحال الحشر[5] ؛
٥ قال : و جاء الفطر يعنى بعد إكمال الصوم بما يعين على إجابة دعوة
الوفادة على الله سبحانه و تعالى إثر الخلوة فى / بيت الله ليكون انتقالهم[6] ١٨٤/
من بيت خلوته بالعكوف إلى موقف تجليه[7] فى الحج ، و فيه تحقيق
للداعى[8] من حاله[9] ليس الداعى من أغراضه و شهواته ، فان الله سبحانه
و تعالى يجيب دعوة العبد إذا كان فيه رشد[10] و إلا ادخرها له أو[11] كفر بها
١٠ عنه كما بينه صلى الله عليه و سلم[12] .

(١) زيد من م وظ و مد (٢) ليس فى م (٣) فى الأصل : الصوم ، والتصحيح من م و ظ و مد (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : كون (٥) من م وظ و مد ، و فى الأصل : الفطر (٦) فى ظ : انتقاله (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تجلية (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الداعى (٩) فى مد : حالة . (١٠) فى م و مد : رشده ، و فى ظ : رشدة (١١) فى م : و (١٢) وذكروا قيودا فى هذا الكلام وتخصيصات فقيدت الإجابة بمشيئة الله تعالى ، التقدير : إن شئت و يدل عليه التصريح بهذا القيد فى الآية الأخرى " فيكشف ما تدعون اليه ان شاء " . . . . و قيل : يكون المسؤل خيرا للسائل أى إن كان خيرا ، و قيل : يكون المسؤل غير محال ، و قد يثبت بصريح العقل و صحيح النقل أن بعض الدعاة لا يجيبه الله إلى ما سأل و لا يبلغه المقصود مما طلب فخصصوا الداعى بأن يكون مطيعا مجتنبا لمعاصيه - البحر المحيط ٢/٤٦ .

و لما

و لما كان كل خلق داعيا لحاجته و إن لم ينطق بها أشار تعالى إلى مقصد إظهار الدعاء مقالا و ابتهالا فقال: ﴿ اذا دعان[1] ﴾ ليكون حاله صدقا بمطابقة حاله [مقالا - ١] ، و فى قراءة الاكتفاء بكسرة[2] "الداع[3]" و "دعان[4]" عن ياءيهما و قراءة تمكينهما توسعة[5] القراءة[6] بما تيسر على قبائل العرب [7]بحسب ما فى[7] ألسنة بعضها من التمكين و ما فى ألسنة بعضها من الحذف "و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدّكر[8]" و فى إجابته حجة عليهم بأن السيد إذا التزم إجابة عبده كان إجابة العبد لسيده أوجب التزاما لاستغناء السيد و حاجة العبد ، فحين كان الغنى مجيبا كان أولى بأن يكون المحتاج مستجيبا يعنى فلذلك سبب عنه قوله إشارة إلى شرط الإجابة ﴿ فليستجيبوا لى[9] ﴾ إنباء عما قد دعاهم إليه من قربه و قصد بيته[10] بما جبلهم عليه من حاجتهم

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بكثرة .
(٣) من مد ، و فى ظ : الداعياء ، و فى الأصل : الداعى (٤) فى مد و ظ : دعان
(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بوسعة (٦) فى م فقط : القرآن (٧-٧) من م و مد ، و فى ظ : بما فى ، و فى الأصل : بحسب باق (٨) سورة ٥٤ آية ١٧ .
(٩) أى فليطلبوا إجابتى لهم إذا دعونى - قاله ثعلب ، فيكون استفعل قد جاءت بمعنى الطلب كاستغفر و هو الكثير فيها ، أو فليجيبوا لى إذا دعوتهم إلى الإيمان و الطاعة كما أنى أجيبهم إذا دعونى لحوائجهم - قاله مجاهد و أبو عبيدة وغيرهما ، و يكون استفعل فيه بمعنى أفعل و هو كثير فى القرآن "فاستجاب لهم ربهم انى لا اضيع" "فاستجبنا له و وهبنا له يحيى" - من البحر المحيط ٢ / ٤٧ (١٠) فى الأصل بينه ، و التصحيح من م و مد و ظ .

إليه ، و جاء بصيغة الاستفعال المشعر باستخراج الإجابة مما شأنه الإباء لما فى الأنفس من كره فيما تحمل[1] عليه من الوصول إلى بيت لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس - انتهى و فيه تصرف . و لما أوجب استجابته سبحانه[2] فى كل[2] [ما - ٣] دعا إليه و كانت الاستجابة بالإيمان أول المراتب و أولاها[4] و كانت مراتب الإيمان فى قوته وضعفه[5] لا تكاد تتناهى[5] قال مخاطبا لمن آمن و غيره : ﴿ و ليؤمنوا بى ﴾ أى مطلق الإيمان أو[6] حق الإيمان ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ لعلهم يرشدون ﴾ أى ليكونوا على رجاء من الدوام على إصابة المقاصد و الاهتداء إلى طريق الحق . قال الحرالى : و الرشد حسن التصرف فى الأمر حسا أو معنى فى[7] دين أو دنيا ، و من [مقتضى -[8]] هذه الآية[9] تنفصل جميع أحوال السالكين إلى الله سبحانه و تعالى من توبة التائب من حد بعده إلى سلوك سبيل قربه [إلى -[8]] ما يؤتيه الله من وصول العبد إلى ربه - انتهى[10] .

---

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يحمل (٢-٢) ليس فى ظ (٣) زيد من م و مد ، و فى ظ : فيما (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اولا (٥-٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا يكاد يتناهى (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : وفى البحر المحيط ٢/٤٧: معطوف على "فليجيبوا لى" و معناه الأمر بالإيمان بالله وحمله على الأمر بانشاء الإيمان لأن صدر الآية يقتضى أنهم مؤمنون فلذلك يؤول على الديمومة أو على إخلاص الدين والدعوة والعمل (٧) ليس فى م (٨) زيد ما بين الحاجزين من م وظ و مد (٩) فى م و ظ : تنفصل (١٠) قال الأندلسى : و ختم الآية برجاء الرشد من أحسن الأشياء لأنه تعالى لما أمرهم بالاستجابة =

و لما تصوروا لهذه[1] الآية الشريفة قربه و حبه[2] على عظمته و علوه فتذكروا لذيذ[3] مخاطبته[4] فيما قبل[5] فاشتاقوا إليها و كان قد يسر لهم أمر الصوم كما على جميعهم و كيفا على أهل الضرورة منهم كانوا كأنهم سألوه التيسير[6] على أهل الرفاهية فيما حرم عليهم كما حرم على أهل الكتاب و[7] الوطء فى شهر الصوم و الأكل بعد النوم فقال ٥ تحقيقا للاجابة و القرب : ﴿ احل لكم ﴾ فأشعر[8] ذلك بأنه[8] كان حراما ﴿ ليلة ﴾ أى فى جميع ليلة ﴿ الصيام الرفث ﴾ و هو ما يواجه[9] به النساء فى أمر النكاح[10] ، فاذا غير[11] فلا رفث عند العلماء من أهل اللغة ، و يدل عليه وصله[12] بحرف الانتهاء ١٣بيانا لتضمين الإفضاء أى مفضين ﴿ إلى نسائكم[1] ﴾ بالجماع قولا و فعلا ، و خرج بالإضافة نساء ١٠ الغير[14] .

= و بالإيمان به نبه على أن هذا التكليف ليس القصد منه إلا وصولك بامتثاله إلى رشادك فى نفسك ، لا يصل إليه تعالى منه شىء من منافعه و إنما ذلك مختص بك ، و لما كان الإيمان شبه بالطريق المسلوك فى القرآن ناسب ذكر الرشاد و هو الهداية (١) فى م و ظ و مد : بهذه (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : و حب (٣) زيد فى م : هه ـ كذا (٤) فى م : خطابه (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : قيل (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : التيسر (٧) فى م و ظ : من الوطى (٨-٨) من مد و ظ ، و فى م : ذلك انه ، و فى الأصل : بذلك ان (٩) فى م و ظ و مد : تواجه (١٠) فى م : النساء (١١) فى م : غبن ، و فى ظ : غيرا ، و فى مد : عير ، و فى الأصل : عين ـ كذا (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : وصلة (١٣) العبارة من هنا إلى « قال » ليست فى ظ (١٤) من م و مد ، و فى الأصل : لغيره .

و لما كان الرفث و الوقاع متلازمين غالبا قال مؤكدا لإرادة حقيقة الرفث و ياق السبب فى إحلاله: ﴿ هن [١] ﴾ أى نساؤكم ﴿ لباس لكم ﴾ تلبسونهن ، و المعنى: أبيح ذلك فى حالة [٢] الملابسة أو صلاحيتها ، و هو يفهم أنه لا يباح نهارا - و الله سبحانه و تعالى أعلم ؛ و يجوز أن يكون تعليلا لأن اللباس لا غنى عنه [٣] و الصبر يضعف [٤] عنهن حال الملابسة و المخالطة .

و لما كان الصيام عاما للصنفين قال: ﴿ و انتم لباس لهن [٥] ﴾ يلبسنكم [٦] ، ثم علل ذلك بقوله مظهرا لعظمة هذه الأمة عنده فى إرادته

(١) سقط من ظ . و مناسبة هذه الآية لما قبلها من الآيات أنها من تمام الأحوال التى تعرض للصائم ، و لما كان افتتاح آيات الصوم بأنه كتب علينا كما كتب على الذين من قبلنا اقتضى عموم التشبيه فى الكتابة و فى العدد و فى الشرائط و سائر تكاليف الصوم و كان أهل الكتاب قد أمروا بترك الأكل بالحل و الشرب و الجماع فى صيامهم بعد أن يناموا و قيل بعد العشاء و كان المسلمون كذلك ، فلما جرى لعمر و قيس ما ذكرناه فى سبب النزول أباح الله لهم ذلك من أول الليل إلى طلوع الفجر لطفا بهم و ناسب أيضا قوله تعالى فى آخر الصوم " يريد الله بكم اليسر " و هذا من التيسير - البحر المحيط ٢/٤٨ .

(٢) فى م و ظ و مد : حال (٣) العبارة من هنا إلى « و المخالطة » ليست فى ظ .

(٤) فى م و مد : يصعب (٥) زيد فى م و مد و ظ : أى (٦) فى م و ظ و مد ، يلبسونكم ، و فى الأصل : تلبسونكم - كذا . و فى البحر المحيط ٢/٤٩ : و قدم ﴿هن لباس لكم﴾ على قوله ﴿وانتم لباس لهن﴾ لظهور احتياج الرجل إلى المرأة و قلة صبره عنها ، و الرجل هو البادئ بطلب ذلك الفعل ، و لا تكاد المرأة تطلب ذلك الفعل ابتداء لغلبة الحياء عليهن حتى أن بعضهن تستر وجهها عند المواقعة حتى لا تنظر =

الرفق

الرفث بها ﴿ علم الله ﴾ أى [٢] المحيط علمه و رحمته [٣] و له الإحاطة الكاملة [٣] كما قدم [٤] من كونه قريبا اللازم منه كونه رقيبا ﴿ انكم كنتم تختانون ﴾ أى تفعلون فى الخيانة فى ذلك من المبادرة إليه فعل الخامل نفسه عليه، و الخيانة التفريط فى الأمانة ، و الأمانة ما وضع ليحفظ [٥] ، روى البخارى فى التفسير عن البراء [٦] رضى الله تعالى عنه قال : لما نزل صوم [٧] رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله و كان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله عز و جل " علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم - الآية ٢ " ، و روى البخارى و الترمذى و النسائى عن البراء أيضا رضى الله تعالى عنه قال : كان الرجل إذا صام فنام لم يأكل إلى مثلها و إن صرمة [٨] بن قيس الأنصارى رضى الله تعالى عنه - فذكر حديثه فى نومه قبل الأكل و أنه

=إلى زوجها حياء وقت ذلك الفعل . جمعت الآية ثلاثة أنواع من البيان : الطباق المعنوى بقوله " احل لكم " فانه يقتضى تحريما سابقا فكأنه أحل لكم ما حرم عليكم أو ما حرم على من قبلكم ، و الكناية بقوله " الرفث " و هو كناية عن الجماع ، و الاستعارة البديعة بقوله " هن لباس لكم " و أفرد اللباس لأنه كالمصدر تقول : لابست ملابسة و لباسا .

(١) من مد و ظ و م ، و فى الأصل : الوفق (٢) ليس فى ظ (٣-٣) ليست فى ظ (٤) فى م : تقدم (٥) فى ظ : للحفظ (٦) فى م : البزار (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : صور (٨) من ظ ، و فى الأصل : لصرمة ، و فى م : حبرمة ، و فى مد : عرفة ، و فى البحر المحيط ٢/٤٨ : إن قيس بن صرمة الأنصارى نام قبل أن يفطر و أصبح صائما فغشى عنه انتصاف النهار ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه و سلم فنزلت . و فى الإصابة فى صرمة بن مالك =

غشى عليه قبل انتصاف النهار فنزلت الآية .

/١٨٥ و لما كان ضرر ذلك / لا يتعداهم[1] قال : ﴿ انفسكم ﴾ ، ثم سبب عنه قوله : ﴿ فتاب عليكم ﴾ . قال الحرالى : ففيه يسر من حيث لم يؤاخذوا بذنب حكم خالف شرعة[2] جبلاتهم فعذرهم[3] بعلمه فيهم و لم[4] يؤاخذهم[5] بكتابه عليهم ، و فى التوب رجوع إلى مثل الحال قبل الذنب « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » و كانت هذه الواقعة لرجل من المهاجرين و رجل من الأنصار ليجتمع[6] اليمن[7] فى الطائفتين ، فان أيمن الناس على الناس من وقع فى مخالفة فيسر الله حكمها بوسيلة مخالفته ، كما فى هذه

= ٣/٢٤٣ : و وقع فى صحيح البخارى أن الذى وقع له ذلك قيس بن صرمة أخرجه من طريق البراء بن عازب ... و وقع عند أبى داود من هذا الوجه صرمة بن قيس و فى رواية النسائى أبو قيس بن عمرو فان حمل فى هذا الاختلاف على تعدد أسماء من وقع له ذلك و إلا فيمكن الجمع برد جميع الروايات إلى واحد فانه قيل فيه صرمة بن قيس و صرمة بن مالك و صرمة بن أنس و قيل فيه : قيس بن صرمة و أبو قيس بن صرمة و أبو قيس بن عمرو فيمكن أن يقال : إن كان اسمه صرمة بن قيس فمن قال فيه قيس بن صرمة فاسمه و إنما اسمه صرمة و كنيته أبو قيس أو العكس و أما أبوه فاسمه قيس أو صرمة على ما تقرر من القلب و كنيته أبو أنس و من قال فيه أنس حذف أداة الكنية و من قال فيه ابن مالك نسبه إلى جد له و العلم عند الله تعالى .

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا يتعدى لهم (٢) من م و ظ ، و فى الأصل : شرعه ، و فى مد : شرعية (٣) فى ظ : بعذرهم (٤) فى ظ : فلم (٥) فى مد و ظ : ياخذهم (٦) فى م : ليختم (٧) من م و ظ ، و فى الأصل : اليمين ، و لا يتضح فى مد .

الآية التى أظهر الله سبحانه و تعالى الرفق فيها بهذه الأمة من حيث شرع لها ما يوافق كيانها[1] و صرف عنها ما علم أنها تختان[2] فيه لما جبلت عليه من خلافه، و كذلك[3] حال الآمر إذا شاء أن يطيعه مأموره يأمره بالأمور التى لو ترك[4] و دواعيه لفعلها و ينهاه عن الأشياء التى لو ترك[4] و دواعيه لاجتنبها، فبذلك يكون حظ حفظ المأمور من المخالفة، و إذا شاء الله تعالى أن يشدد[5] على أمة أمرها بما جبلها على تركه و نهاها عما جبلها على فعله، فتفشو[6] فيها المخالفة لذلك؛ و هو من أشد الآصار التى كانت على الأمم فخفف[7] عن هذه الأمة باجراء شرعتها[8] على ما يوافق خلقتها؛ فسارع سبحانه و تعالى لهم إلى حظ من هواهم، كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها للنبى صلى الله عليه و سلم: «إن ربك يسارع إلى هواك»، ليكون[9] لهم حظ مما لنبيهم كليته، و كما قال عليه الصلاة و السلام لعلى رضى الله تعالى عنه: «اللهم! أدر الحق معه حيث دار»، كان صلى الله عليه و سلم يأمر الشجاع بالحرب [10]و يكف الجبان[10] عنه، حتى لا تظهر[11] فيمن معه مخالفة إلا عن سوء

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: كتابها (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تختانون (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: ذلك (٤) فى م: تركها.
(٥) من م و ظ، و فى الأصل: يشده، و لا يتضح فى مد (٦) فى ظ: فيفشو.
(٧) فى ظ: فخففت (٨) فى الأصل: سرعتها، و التصحيح من م و ظ و مد.
(٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: فيكون (١٠-١٠) فى الأصل: يكشف الجبان، والتصحيح من م و مد و ظ (١١) فى م و ظ و مد: لا يظهر.

طبع لا يزعه وازع الرفق ، و ذلك قصد العلماء الربانيين الذين يجرون المجرب و المدرب[١] على ما هو أليق بحاله و جبلة نفسه [٢] و أوفق [٢] لخلقه[٣] و خلقه ؛ ففيه[٤] أعظم اللطف لهذه الأمة من ربها و من نبيها و من أئمة زمانها ، و منه قوله عليه الصلاة و السلام : « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة حتى سمعت [أن - ٥] فارس[٦] [و - ٥] الروم يصنعون[٧] ذلك فلا يضر ذلك[٨] أولادهم شيئاً » لتجرى[٩] الأحكام على ما يوافق الجبلات و طباع الأمم لكونه رسولا إلى الناس كافة على اختلاف طباعهم ؛ و ما فى السنة و الفقه من ذلك فمن مقتبسات[١٠] هذا الأصل[١١] العلى الذى أجرى الله سبحانه و تعالى الحكم فيه لأمة[١٢] محمد صلى الله عليه و سلم على وفق ما تستقر[١٣] فيه أمانتهم و تندفع عنهم خيانتهم . و فى [قوله - ١٤] ﴿ و عفا عنكم ﴾ أى [بمحو - ١٤] أثر الذنب [إشعار بما كان يستحق ذلك من تطهر[١٥] منه من نحو كفارة و شبهها ، و لما كان ما أعلى إليه - ١٤] خطاب

(١) زيد فى م و ظ و مد : و المؤدب (٢-٢) فى ظ : وافق (٣) فى الأصل : بحاله ، و التصحيح من م و ظ و مد (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : قصة (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فرس . (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يصيغون - كذا (٨) ليس فى ظ (٩) فى م و مد و ظ : ليجرى (١٠) من ظ ، و مد : و فى م : متسببات ، و فى الأصل : تقنيات - كذا (١١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الامر (١٢) فى الأصل : لامر ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٣) فى ظ : يستقر (١٤) زيد ما بين الحاجزين من م و مد و ظ (١٥) فى ظ : تطهير .

الصوم صوم الشهر على حكم وحدته[1] الآتية[2] على ليلة[3] و نهاره إعلاء عن[4] رتبة الكتب الأول التى هى أيام معدودات مفصول ما بين أيامها بلياليها ليجرى النهار على حكم العبادة[5] و الليل على حكم الطبع[6] و الحاجة[7] فكان فى هذا الإعلاء[8] إطعام الضعيف مما[9] يطعمه الله و يسقيه لا لأنه منه [10]أخذ بطبع[10] بل بأنه[11] حكم عليه حكم بشرع[12] حين جعل الشرعة[13] على حكم طباعهم، كما قال فى الساهى: «إنما أطعمه الله و سقاه[14]»، و فيه إغناء القوى عن الطعام و الشراب كما قال عليه الصلاة و السلام: «إنى لست كهيئتكم»، فكان يواصل، و أذن فى الوصال إلى السحر، فكما أطعموا و سقوا شرعة مع تمادى حكم الصوم فكذلك أنكحو شرعة مع تمادى حكمه، فصار نكاحهم اتمارا بحكم[15] الله لا إجابة طبع و لا غرض نفس فقال: ﴿ فالئن ﴾ أى حين[16] [أظهر -[17]] لكم إظهار[18] الشرعة على العلم فيكم و ما جبلت عليه طباعكم

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: وجدته (٢) زيد فى الأصل «من» و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٣) فى الأصل فقط: ليلة (٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: من (٥) فى ظ: العبارة (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الواسع (٧) ليس فى مد (٨) من مد، و فى م و ظ: الاعلى، و فى الأصل: الاعلام (٩) فى الأصل: بما، و التصحيح من بقية الأصول.
(١٠-١٠) من م و مد، و فى الأصل: احد يطبع، و فى ظ: اخذ يطبع.
(١١) فى الأصل: ياته، و التصحيح من م و مد و ظ (١٢) فى م فقط: يشرع.
(١٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: للشرعة (١٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: و اسقاه (١٥) فى م و مد: لحكم (١٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: حل (١٧) زيد من م و مد و ظ، غير أن فى ظ: اطهر (١٨) فى ظ: اطهار.

فسدت[١] عنكم أبواب المخالفة التى فتحت على غيركم ﴿ باشروهن ﴾ حكما[٢]، حتى استحب طائفة من العلماء النكاح للصائم ليلا حيث صار طاعة، و هو من المباشرة و هى التقاء البشرتين عمدا ﴿ و ابتغوا ﴾ أى اطلبوا [٣]بجد و رغبة[٣] ﴿ما كتب الله ﴾ [٤]أى الذى له القدرة الكاملة فلا يخرج شىء عن أمره[٤] ﴿ لكم ص ﴾ أى من الولد أو[٥] المحل الحل؛ و فيه إشعار بأن ما قضى من الولد فى ليالى[٦] رمضان نائل بركة ذرئه[٧] على نكاح [٨]أمر به[٨] حتى كان بعض علماء [الصحابة -[٩]] يفطر على النكاح . ﴿ و كلوا و اشربوا ﴾ كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يفطر على رطبات، فان لم يجد فعلى تمرات[١٠]، فان لم يجد حسا حسوات[١١] من ماء و قال : « إن الماء طهور »؛ و فى تقديم الأكل إجراء لحكم هذا الشرع على وفق الطبع[١٢] - انتهى . و لأنه سبب العطش، و دل على وجوب تبييت[١٣] النية[٤] و جواز تأخير الغسل / إلى النهار[٤]، بقوله: ﴿ حتى ﴾ فان فى جعل /١٨٦

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فشدت (٢) و فى البحر المحيط ٢ / ٤٩ : أى ليلة الصيام باشروهن و هذا أمر يراد به الإباحة لكونه ورد بعد النهى و لأن الإجماع انعقد عليه (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل: بحد و رعنه - كذا، و فى ظ : حتى (٤-٤) ليست فى ظ (٥) زيد فى م « من » (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: ليال (٧) فى الأصل: دره، و فى م و ظ : ذرءه، و فى مد: ذريه (٨-٨) فى م فقط : امر ربه (٩) زيد من م و ظ ومد (١٠) فى ظ و مد: تمرات (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: حسات (١٢) فى ظ: الطباع (١٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تبيت .

تبين[1] الفجر غاية لحل[2] المفطرات إيجابا لمراقبته للكف عنها، و ذلك هو حقيقة النية، [3]و من استمر مباشرا إلى الفجر لم يمكنه الاغتسال ليلا[3] و قال: ﴿ يتبين ﴾ قال الحرالى: بصيغة يتفعل و هو حيث يتكلف الناظر نظره[4]، و كأن الطالع، يتكلف الطلوع، و لم يقل: يبين[5]، لأن ذلك يكون بعد الوضوح - انتهى. و فى قوله: ﴿ لكم ﴾ بيان لأن الأحكام ٥ بحسب الظاهر و أن التكليف بما فى الوسع[6] ﴿ الخيط الابيض ﴾[7] قال الأصبهانى: و هو أول ما يبدو من الفجر المعترض فى الأفق كالخيط الممدود. و قال الحرالى: فمد إلى غاية انتهاء الليل و تبين حد النهار بأرق ما يكون من مثل الخيط ﴿ من الخيط الاسود[8] ﴾[9] قال الأصبهانى: و هو ما يمتد معه[10] من غبش[11] الليل أى[12] البقية من الليل، ١٠

(١) فى ظ: تبيين (٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: محل (٣-٣) ليست فى ظ.
(٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: نظرة (٥) من م ومد وظ، و فى الأصل: يبن (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الوسيع (٧) و فى البحر المحيط ٢/٥١: و روى عن على أنه صلى الصبح بالناس ثم قال: الآن تبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود، و مما قادهم إلى هذا القول أنهم يرون أن الصوم إنما هو فى النهار و النهار عندهم من طلوع الشمس إلى غروبها و قد تقدم ذكر الخلاف فى النهار و فى تعينه إباحة المباشرة و الأكل و الشرب بتبين الفجر للصائم دلالة على أن من شك فى التبين و فعل شيئا من هذه ثم انكشف أنه كان الفجر قد طلع و صام أنه لاقضاء لأنه غياه بتبين الفجر للصائم لا بالطلوع. و العبارة من هنا إلى «الممدود» ليست فى ظ (٨) كرره فى الأصل: ثانيا.
(٩) العبارة من هنا إلى «و اسود» ليست فى ظ (١٠) ليس فى م و مد و ظ.
(١١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: عيس - كذا (١٢) من م و مد، و فى الأصل: إلى.

و قيل: ظلمة آخر الليل ، شبها بخيطين أبيض و أسود . و قال الحرالى [١]: ففيه إنهاض لحسن الاستبصار [٢] فى ملتقى الليل و النهار حتى يؤتى [٣] العبد نور حسن [٤] بتبين [٥] ذلك على دقته [و رقته - ٦] و قد كان أنزل هذا المثل دون بيان بمثوله حتى [أخذ - ٦] أعرابى ينظر إلى خيطين محسوسين فأنزل ﴿من الفجر ص﴾ يعنى فبين الأبيض ، [٧] فأخرجه بذكر المشبه من الاستعارة إلى التشبيه لأن من شرائطها أن يدل عليها الحالة [٨] أو الكلام ، و [٩] هذه الاستعارة و إن كانت متعارفة عندهم [١٠] قد نطقت بها شعراؤهم و تفاوضت [١١] [بها - ١٢] فصحاؤهم و كبراؤهم لم يقتصر عليها ، و زيد فى البيان لأنها خفيت على بعض الناس منهم عدى بن حاتم رضى الله تعالى عنه ، فلم تكن الآية بجملة و لا تأخر البيان عن وقت الحاجة ، و لو كان الأمر كذلك ما عاب النبى صلى الله عليه و سلم على عدى رضى الله تعالى عنه عدم فهمها . و قال الحرالى [١] فى كتاب له فى اصول الفقه [١٣] بناء على أنها بجملة [١٣] : و الخطاب بالإجمال [١٤]

(١) ليس فى ظ (٢) فى م: الابتصار (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: تولى.
(٤) من م و ظ ، و فى مد: حس ، و فى الأصل: حين (٥) من ظ و مد ، و فى م: يتبين ، و فى الأصل: تبين (٦) زيد من م و ظ و مد (٧) العبارة من هنا إلى « عدم فهمها » ليست فى ظ (٨) فى م: لحاله (٩) من م و مد ، و فى الأصل: فى (١٠) زيد فى م: قل (١١) فى الأصل: تقاومت ، و التصحيح من م و مد .
(١٢) زيد من مد ، و فى م: قه (١٣-١٣) ليست فى ظ (١٤) فى م: الاجمال .

ممكن

ممكن الوقوع و ليس يلزم العمل به فالإلزام ١ تكليف ما لا يطاق و إلزام العمل يستلزم ٢ البيان و إلا ٣ عاد ذلك الممتنع ، و تأخير بيان المجمل إلى وقت الإلزام ممكن ، لأن فى ذلك تناسب حكمة الوحى المنزل بحكمة ٤ العالم المكون ، فان الإجمال فى القرآن ٥ بمنزلة نطق ٥ الأكوان و البيان فيه بمنزلة تخطيط الصور و ذلك ظاهر عند من زاوله ، و حينئذ ٥ فلا يقال : خطاب الإجمال عديم الفائدة لأنه يفيد تدريج حكمة التنزيل و تحصيل بركة التلاوة ، و فى الاقتصار على بيانه [نمط - ٦] من فصاحة الخطاب العربى حيث لم يكن فيه ذكر الممثولين اكتفاء بأحدهما عن الآخر ، ففيه تأصيل لأصل البيان من الإفهام حيث لم يقل : من الليل ، كما قال : من الفجر ، [اكتفاء بما - ٦] فى الفهم من الذكر ، و فى وقوع ١٠ المبين إثر غير مثله [نمط - ٦] آخر من ٧ فصاحة الخطاب العربى ٨ [لأن العرب - ٦] يردون الثالث ٩ إلى الأول لا إلى الثانى ليتعلق بالأول فى المعنى و ينتظم بالثانى فى اللفظ فيكون محرز ١٠ المحل المفهوم راجعا إلى الأول بالمعنى - انتهى . و أوضح دليل على إيجاب التبييت ١١ أمره بالإتمام ، فانه لما وقع الشروع فيه ١٢ فالتقدير : فاذا تبين الفجر الذى أمرتم بمراقبته ١٥

(١) فى م و ظ و مد : و الالزام (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بمستلزم (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فالا (٤) فى م : بحكمه (٥-٥) فى م : بمنزله نطف (٦) زيد من م و ظ و مد (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عن (٨) زيد فى مد فقط : العزم (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لثالث . (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : محور ، و لعله : محوز - بمعنى محرز . (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : التبيت (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : نية .

لكونه غاية لما أحل [لكم - ١] فصوموا أى أمسكوا عن المفطر ٢ ﴿ ثم اتموا ﴾ ذلك ﴿ الصيام إلى الليل ج ﴾ و التعبير بثم ٣ إشارة إلى بُعد ما بين طرفى الزمان الذى أحل فيه المفطر ٤ . و قال الحرالى : فكان صوم النهار إتماما لبدء من صوم ليلة فكأنه فى الليل صوم ليس بتام لانثلامه ٥ للحس و إن كان فى المعنى صوما ، و من معناه رأى بعض العلماء الشروع فى الاعتكاف قبل الغروب لوجه مدخل الليل فى الصوم التام بالعكوف و إضافة الليل للنهار فى حكم صوم ما ٦ و هو فى النهار تمام بالمعنى و الحس ، و إنما ألزم ٧ بإتمام الصوم ٨ نهارا و اعتد به ليلا و جرى فيه الأكل و النكاح بالأمر لأن النهار معاش فكان الأكل فيه أكلا فى وقت انتشار الخلق و تعاطى بعضهم من بعض فيأنف عنه المرتقب ، و لأن الليل سبات ٩ و وقت توف ١٠ و انطماس ، فبدأ فيه من أمر الله ما انحجب ظهوره فى النهار ، كأن المُطعَم بالليل طاعم من ربه الذى هو وقت تجليه ١١ « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا » فكأن الطاعم فى الليل إنما أطعمه الله و سقاه ، فلم يقدح ذلك فى معنى صومه

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الفطر (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ثم (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الفطر .
(٥) من م ، و فى مد : لاسلامه ، و فى ظ : لانتلامه ، و فى الأصل : لاسلامه .
(٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تمام (٧) فى م : لزم (٨) فى م : صوم .
(٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : شباب (١٠) إشارة إلى قوله تعالى : " الله يتوفى الانفس حين موتها و التى لم تمت فى منامها " (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تجلية .

وإن ظهر صورة وقوعه فى حسه كالناسى / بل المأذون له أشرف رتبة من الناسى[1] - انتهى . / ١٨٧

ولما كان الصوم شديد الملابسة للمساجد والاعتكاف وكانت المساجد مظنة [للاعتكاف[2] وكان سبحانه قد أطلق فى صدر الآية الإذن فى الوطى فى جميع الأماكن والأحوال[3] غير حال الصوم خص من سائر الأحوال -[4]] الاعتكاف[5] ومن الأماكن المساجد فعقب ذلك بأن قال: ﴿ ولا تباشروهن[6] ﴾ أى فى أىّ مكان كان ﴿ وأنتم عٰكفون[7] ﴾ أى [8]بائتون مقيمون أو[8] معتكفون، ومدار مادة عكف على الحبس[9] أى وأنتم حابسون[9] أنفسكم لله ﴿ فى المسٰجد[7] ﴾ عن شهواتها بنية العبادة "وفى المساجد" ظرف لعاكفون، فتحرم المباشرة فى الاعتكاف ولو فى غير المسجد؛ وتقييد الاعتكاف بها[10] لا يفهم صحته فى غير مسجد، فانه إنما ذكر لبيان الواقع وليفهم حرمة الجماع فى

(١) من م ومد وظ، وفى الأصل: الناس (٢) فى ظ: الاعتكاف (٣) زيد فى مد فقط: إلى (٤) زيادة ما بين الحاجزين من م ومد وظ (٥) فى ظ: للاعتكاف.

(٦) فى البحر المحيط ٢/٥٣: لما أباح لهم المباشرة فى ليلة الصيام كانوا إذا كانوا معتكفين ودعت ضرورة أحدهم إلى الجماع خرج إلى امرأته فقضى ما فى نفسه ثم اغتسل وأتى المسجد فنهوا عن ذلك فى اعتكافهم داخل المسجد وخارجه ..... وقال بعض الصوفية فى قوله ﴿ ولا تباشروهن - الآية ﴾: أخبر الله أن محل القربة مقدس عن اجتلاب الحظوظ (٧-٧) ليست فى ظ (٨) فى الأصل: الجلس، والتصحيح من بقية الأصول (٩) من م ومد وظ، وفى الأصل: جالسون (١٠) من م ومد وظ، وفى الأصل: بما.

المساجد ، لأنه إذا حرم تعظيما لما هى سبب لحرمته و مصححة [١] له كانت حرمته تعظيما [٢] لها لنفسها [٢] أولى ، أو يقال و هو أحسن : لما كان معنى العكوف [٣] مطلق الحبس [٤] قيده بالمسجد ليفهم خصوص الاعتكاف الذى هو الحبس [٤] عبادة [٥] ، فصار كأنه قال : و أنتم [٦] معتكفون ؛ [٧] هذا معنى [٨] المبتدإ و الخبر [٩] و ما تعلق به [٩] ، و كأنه جرد الفعل ليشمل ما إذا كان اللبث فى المسجد بغير نية ؛ و الحاصل أنه سبحانه و تعالى سوى بين حال الصوم حال الاعتكاف فى المنع من الجماع ، فان اجتمعا كان آكد ، فان الاعتكاف من كمال الصوم [١٠] و ذلك على وجه منع من المباشرة فى المسجد مطلقا . قال الحرالى : و إنما كان العاكف فى المسجد مكملا لصومه لأن [١١] حقيقة الصوم التماسك عن كل ما شأن [١٢] المرء أن يتصرف فيه من بيعه و شرائه و جميع أغراضه فاذا [١٣] المعتكف المتماسك [١٤] عن التصرف [كله - [١٥]] إلا ما لا بد له من ضرورته و [١٦] الصائم المكمل

(١) فى مد : مصححه (٢ - ٢) من مد ، وفى م : لها انفسها ، و فى ظ : له انفسها ، و فى الأصل : لها نفسها (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المعكوف (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الجنس (٥) فى ظ فقط : عبارة (٦) فى ظ : فانتم . (٧) العبارة من هنا إلى « بغير نية » ليست فى ظ (٨) من م ، و فى الأصل و مد : يعنى (٩ - ٩) ليست فى م (١٠) العبارة من هنا إلى « مطلقا » ليست فى ظ . (١١) فى م : كان (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : شاء (١٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فان (١٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : التماسك . (١٥) زيد من م و مد (١٦) فى م و مد و ظ : هو .

صيامه و المتصرف الحافظ للسانه الذى لا يتصف بالحق ممن [1] اعتدى [2]عليه [3]هو المتمم [4] [للصيام ، و من نقص عن ذلك فاتصف بالحق ممن اعتدى عليه - [5]] فليس بمتمم للصيام ، فمن أطلق لسانه و أفعاله فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه و شرابه ؛ فاذا حقيقة الصوم هو الصوم لا صورته حتى ثبت معناه للأكل ليلا و نهارا ، قال صلى الله عليه و سلم : « من صام رمضان و أتبعه بست [6] من شوال فكأنما صام الدهر » و قال [7]صلى الله عليه و سلم [7] : « ثلاثة أيام من كل شهر فذلك صوم الدهر » و كان بعض أهل الوجهة من الصحابة يقول قائلهم : أنا صائم ، ثم يرى يأكل من وقته فيقال له فى ذلك فيقول [8] : قد صمت ثلاثة أيام من هذا الشهر ، فأنا صائم فى فضل الله مفطر فى ضيافة الله ؛ كل ذلك اعتداد [9] من أهل الأحلام [10] و النُهى بحقيقة الصوم أكثر من الاعتداد بصورة ظاهرة - انتهى بمعناه [11] .

و لما قدم سبحانه و تعالى ذكر هذه الحرمات ضمن ما قدم [12] فى [13]

---

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بمن (٢) العبارة من هنا إلى « و افعاله » ليست فى ظ (٣) زيد فى م « و » (٤) فى م : المتمم (٥) زيدت من م و مد ؛ (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بستة (٧-٧) فى م : عليه الصلاة و السلام ؛ (٨) فى م : فيقال (٩) فى م و ظ و مد : اعتدادا (١٠) من م و ظ ، و فى مد : الاحكام ، و فى الأصل : الاسلام (١١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : معناه . (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : قدر (١٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : من .

الأحكام أما فى المناهى فصريحا و أما فى الأوامر فلزوما و تقدم فيها لأن حمله سبحانه و تعالى فى الأرض محلومه نبه على تعظيمها و تأكيد تحريمها باستئناف قوله مشيرا بأداة البعد: ﴿ تلك ﴾ أى الأحكام البديعة، النظام العالية[1] الحرام ﴿ حدود الله ﴾ و ذكر الاسم الأعظم تأكيدا للتعظيم، و حقيقة الحد الحاجز بين الشيئين المتقابلين[3] ليمنع من دخول أحدهما فى الآخر[3]، فأطلق هنا على الحكم تسمية للشىء باسم جزئه بدلالة التضمن[4] و أعاد الضمير على مفهومه المطابق استخداما فقال: ﴿ فلا تقربوها ﴾ معبرا بالقربان، لأنه فى سياق الصوم[5] والورع به أليق، لأن موضوعه فطام النفس عن الشهوات فهو نهى عن الشبهات من باب «من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه»[6] فيدخل فيه مقدمات الجماع[7] فالورع تركها[7].

و لما علا هذا البيان إلى حد لا يدركه حق[8] إدراكه الإنسان كأنه كأنه قال دهشا[9]: هل يحصل بيان مثله لشىء غير هذا؟ فقيل[10] بيانا للواقع و تشويقا إلى التلاوة و حثا على تدبر الكتاب الذى هو الهدى لا ريب فيه: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا البيان العلى الشأن ﴿ يبين الله ﴾ لما

(١) فى ظ: البعيدة (٢) فى ظ: الغاية (٣-٣) ليست فى ظ (٤-٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: لدلالة التضمين (٥-٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: السياق (٦) العبارة من هنا إلى «تركها» ليست فى ظ (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل: فالورع نزلها (٨) فى مد: حد (٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل «و». (١٠) من م و مد و ظ: و فى الأصل: يقيد.

له من العظمة التى لا تحصر بحد و لا تبلغ[1] بعد ﴿آيته﴾ التى يحق[2] لعظمتها أن تضاف إليه و قال: ﴿للناس﴾ إشارة إلى العموم دلالة على تمام قدرته بشمول علمه إلى أن يصل البيان إلى حد لا يحصل فيه تفاوت فى أصل الفهم بين غبى و ذكى، و علل ذلك بقوله: ﴿لعلهم يتقون﴾ أى ليكون[3] حالهم حال من يرجى منه خوف الله تعالى لما علموا من هذا البيان [4]من عظمته[4]، و أشعر / هذا الإبهام[5] أن فيهم[6] من لا يتق[6]. ١٨٨/

و لما أذن سبحانه و تعالى فيما كان قد منع منه من المطعم و المنكح للصائم و قدم المنكح لأنه أشهى[7] إذ الطبع إليه أدعى و لأن المنع منه كان فى جميع الشهر فالضرر فيه أقوى، و أتبعه الإذن فى الأكل لأنه قوام الجسم و أولاه المنع من النكاح فى بعض الأحوال؛ فعل كذلك[8] فى المال الذى منه[9] الأكل لأنه قد كان مما خان[10] فيه أهل الكتاب عهد كتابهم و[11] اشتروا به ثمنا قليلا كثيرا[12] من أمره لا سيما تحريم الرشوة فانهم[13] أخفوه و استباحوها حتى صارت بينهم شرعا متعارفا

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لا يتلغ - كذا (٢) فى الأصل: يحوج لها، و فى م و ظ و مد: يحق (٣) فى مد: لتكون (٤-٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: لعظمته (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الايهام (٦-٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: بمن لا يبقى (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: سهى (٨) فى الأصل: لذلك، و التصحيح من بقية الأصول (٩) فى م: هو. (١٠) فى م: خاف، و لا يتضح فى ظ (١١) زيد فى الأصل «ان» و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (١٢) فى ظ و مد: كثير (١٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فان هم.

و كان طيب المطعم محثوثا عليه لا سيما فى الصوم فنهى عن بعض أسباب تحصيل المال أعم من أن تكون[1] برشوة أو غيرها فقال: ﴿ و لا تاكلوآ[2] ﴾ أى يتناول بعضكم مال بعض ، و لكنه عبر بالأكل لأنه المقصد[3] الأعظم من المال .

٥ و لما كان المال ميالا[4] يكون فى يد هذا اليوم و فى يد غيره غدا فمن صبر وصل إليه ما كتب له مما فى يد غيره بالحق و من استعجل وصل إليه بالباطل فحاز[5] السخط و لم ينل أكثر مما قدر له قال: ﴿ اموالكم ﴾ و قال: ﴿ بينكم ﴾ تقبيحا لهذه المعصية و تهييجا على الأمر بالمعروف ﴿ بالباطل ﴾ و هو ما لم يأذن به الله بأى وجه كان[6] سواء كان

١٠ بأصله أو بوصفه[6] .

و لما كان من وجوه أكله بالباطل التوصل بالحاكم[7] بحجة باطلة

---

(١) فى مد: يكون (٢) و مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة و ذلك أن من يعبد الله تعالى بالصيام يحبس نفسه عما تعوده من الأكل و الشرب و المباشرة بالنهار ثم حبس نفسه بالتقييد فى مكان يعبد الله صائما له ممنوعا من اللذة الكبرى بالليل و النهار جدير أن لا يكون مطعمه و مشربه إلا من الحلال الخالص الذى ينور القلب و يزيده بصيرة و يفضى به إلى الاجتهاد فى العبادة فلذلك نهى عن أكل الحرام المفضى به إلى عدم قبول عبادته من صيامه و اعتكافه ـ البحر المحيط ٢/٥٥ .

(٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : القصد (٤) فى الأصل : حيالا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٥) فى الأصل : بحاز ، و التصحيح من م و مد و ظ .

(٦-٦) ليست فى ظ (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بالحكم .

بعجز

يعجز الخصم عن دفعها كما قال صلى الله عليه و سلم : « و لعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على حسب ما أسمع منه ، فمن قضيت له[1] بشيء من حق أخيه فانما أقطع له قطعة من النار » فيكون[2] الإثم[3] خاصا بالآكل دون الحاكم عطف عليه ما يشاركه فيه الحاكم فقال عاطفا على "تاكلوا": ﴿ و تدلوا ﴾ أى و لاتتوصلوا فى خفائها[4] ٥ ﴿ بها الى الحكام ﴾ بالرشوة العمية[5] للبصائر ، من الإدلاء . [قال الحرالى -[6]] و هو من معنى إنزال الدلو خفية فى البئر ليستخرج منه ماء[7] فكأن الراشى يدلى [دلو -[8]] رشوته للحاكم[9] خفية ليستخرج جوره ليأكل به مالا - انتهى . ﴿ لتاكلوا فريقا ﴾ أى شيئا يفرق بينه و بين صاحبه

(١) زيد فى ظ : بحق (٢) من م و مد ، و فى الأصل : فتكون ، و فى ظ : فنكون - كذا (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الامم (٤) و فى م فقط : خفاء بها. (٥) فى مد : المعجبة (٦) زيد من م و ظ و مد . و قال الأندلسى فى البحر المحيط ٢ / ٥٦ : و الإدلاء هنا قيل : معناه الإسراع بالخصومة فى الأموال إلى الحكام إذا علمتم أن الحجة تقوم لكم إما بأن لا يكون على الجاحد بينة أو يكون المال أمانة كمال اليتيم و نحوه مما يكون القول فيه قول المدعى عليه ، و الباء على هذا القول للسبب ؛ و قيل : معناه لا ترشوا بالأموال الحكام ليقضوا لكم بأكثر منها ؛ قال ابن عطية : و هذا القول يترجح ، لأن الحاكم مظنة الرشاء إلا من عصم و هو الأقل و أيضا فان اللفظتين متناسبتان ، "تدلوا" من إرسال الدلو و الرشوة من الرشاء كأنها يمد بها لتقضى الحاجة - انتهى كلامه و هو حسن . (٧) فى م : الماء (٨) زيد من م و مد و ظ (٩) فى مد : الحاكم .

﴿من اموال الناس﴾ [١] من أى طائفة كانوا [١] ﴿بالاثم﴾ أى الجور العمد، [٢] و من مدلولاته [٣] الذنب و أن يعمل ما لا يحل ﴿ و انتم ﴾ أى و الحال أنكم ﴿ تعلمون [٤] ﴾ أى من أهل العلم [٤] مطلقا فان الباطل منهم أشنع و يلزم منه العلم بأن ذلك التوصل لا يفيد الحل، [٥] و لعله إيماء [٥] إلى جواز التوصل إلى ماله عند جاحد لم يجد [٦] طريقا إلى خلاصه إلا ذلك. و قال الحرالى فى [٧] مناسبة هذه الآية لما قبلها: لما كان منزل القرآن لإقامة الأمور الثلاثة التى بها قيام المخاطبين به و هو صلاح دينهم و هو ما بين العبد و ربه من عمل أو إلقاء بالسلم [٨] إليه و [٩] إصلاح دنياهم و هو ما فيه معاش المرء [١٠] و إصلاح آخرتهم و هو ما إليه معاده كان لذلك منزل القرآن مفصلا بأحكام تلك الأمور الثلاثة فكان شذرة للدين و شذرة للدنيا و شذرة للآخرة، فلما كان فى صدر هذا الخطاب " يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا "، و هو خطاب للملوك [١١] و من تبعهم من رؤساء القبائل و من تبعهم انتظم به بعد ذلك حكم من أحكام [١٢]

(١-١) ليست فى ظ (٢) العبارة من هنا إلى « لا يحل » ليست فى ظ (٣) فى م: مدلواته (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى الأصل: و لعلمه انما، و التصحيح من م و مد و ظ (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لم تجد (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: و (٨) فى م: بالمسلم (٩) زيد فى ظ: هو (١٠) فى ظ: المراء. (١١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: المؤمنين (١٢) فى الأصل: حكام، و التصحيح من م و مد و ظ.

أهل العلم و من تبعهم فى قوله تعالى : "ان الذين يكتمون[1] - الآية" ، ثم انتظم به ذكر الوصية من أهل الجدة[2] ، ثم انتظم به ذكر أحوال الرشى من الراشى و المرتشى ، ليقع نظم التنزيل ما بين أمر فى الدين و نهى فى الدنيا ليكون ذلك أجمع[3] للقلب فى قبول حكم الدنيا عقب حكم الدين و يفهم حال المعاد من [عبرة-[4]] أمر الدنيا ، فلذلك[5] تعتور[6] الآيات هذه المعانى و يعتقب[7] بعضها لبعض و يتفصل[8] بعضها ببعض[9] ، كما هو حال المرء فى يومه و فى مدة عمره حيث تعتور عليه أحوال[10] دينه و دنياه و معاده ، يطابق[11] الأمر الخلق فى التنزيل و التطوير - انتهى .

و لما أتم / سبحانه و تعالى البيان لما أراده[12] مما شرعه فى شهر ١٠ /١٨٩ الصوم ليلا و نهارا و بعض ما تبع[13] ذلك و كان كثير من الأحكام يدور على الهلال لا سيما أحد قواعد الإسلام الحج الذى هو أخو الصوم و كانت الأهلة كالحكام توجب أشياء و تنفى[14] غيرها كالصيام و الديون و الزكوات و تؤكل بها الأموال حقا أو باطلا و كان ذكر الشهر و إكمال

(١) فى مد : يا كلون - كذا (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الحدة (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : جمع (٤) زيد من م و مد و ظ (٥) فى م فقط : كذلك (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لعبور (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تعيق (٨) من م و مد ، و فى الأصل : ينصل ، و فى ظ : يفصل . (٩) من م مد و ظ ، و فى الأصل : لبعض (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اسم (١١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : مطابق (١٢) فى م و ظ و مد : اراد (١٣) من م و ظ و مد . و فى الأصل : يقع (١٤) فى م و ظ : تتقى .

العدة قد حرك العزم للسؤال عنه بين ذلك بقوله تعالى : ﴿ يسئلونك[١] ﴾ و جعل ذلك على طريق الاستئناف جوابا لمن كأنه قال : هل سألوا عن الأهلة ؟ فقيل[٢] : نعم ، و ذلك لتقدم ما يثير العزم إلى السؤال عنها صريحا فكان سببا للسؤال عن السؤال عنها ، و كذا ما يأتى من قوله

٥ " يسئلونك ما ذا ينفقون[٣] " " يسئلونك عن الشهر الحرام[٤] " " يسئلونك عن الخمر و الميسر[٥] " بخلاف ما عطف على ما[٦] قبله بالواو كما يأتى ، و سيأتى إن شاء الله تعالى فى سورة[٦] الأنعام ما ينبغى من علم النجوم و ما لا ينبغى ﴿ عن الاهلة[٤] ﴾ [٧]أى التى[٧] تقدم أنه ليس البر تولية الوجه قبل[٨] مشارقها و مغاربها : ما سبب زيادتها بعد كونها كالخط

١٠ أو[٩] الخيط حتى[١٠] تتكامل و تستوى[١٠] و نقصها بعد ذلك حتى تدق

(١) و مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة و هو أن ما قبلها من الآيات نزلت فى الصيام و أن صيام رمضان مقرون برؤية الهلال و كذلك الإفطار فى شهر شوال ، و لذلك قال صلى الله عليه و سلم : صوموا لرؤيته و أفطروا لرؤيته ، و كان أيضا قد تقدم الكلام فى شىء من أعمال الحج و هو الطواف ، و الحج أحد الأركان التى بنى الإسلام عليها و كان قد مضى الكلام فى توحيد الله تعالى و فى الصلاة و الزكاة و الصيام فأتى بالكلام على الركن الخامس و هو الحج ليكون قد كملت الأركان التى بنى الإسلام عليها - البحر المحيط ٢/٦١ (٢) فى ظ : فقل (٣) سورة ٢ آية ٢١٥ (٤) سورة ٢ آية ٢١٧ (٥) سورة ٢ آية ٢١٩ .
(٦) ليس فى م و ظ و مد (٧-٧) فى م : الذى (٨) فى الأصل : قبل ، و التصحيح من م و مد و ظ (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : و (١٠-١٠) من م و مد و ظ : و فى الأصل : يتكامل و يستوى .

و تنمحق[1] ؟ قال الحرالى: و هى جمع هلال[2] و هو ما يرفع الصوت عند رؤيته فغلب على رؤية الشهر الذى هو الهلال - انتهى .

و لما كان كأنه قيل: ما جوابهم؟ قيل[3]: ﴿ قل ﴾ معرضا عنه لما لهم فيه من الفتنة لأنه ينبنى على النظر فى حركات الفلك و ذلك يجر إلى علم تسيير[4] النجوم و ما يتبعه من الآثار التى تقود[5] إلى الكلام فى الأحكام المنسوبة إليها فتستدرج[6] إلى الإلحاد[7] و قد ضل بذلك كثير من الأمم السالفة و القرون الماضية فاعتقدوا تأثيرها[8] بذواتها و قد قال عليه الصلاة و السلام ناهيا عن ذلك لذلك: «من اقتبس علما من النجوم اقتبس بابا من السحر [زاد -[9]] ما زاد» أخرجه أحمد و أبو داود و ابن ماجه

(١) فى ظ: تمحق (٢) و الهلال ذكر صاحب كتاب شجر الدر فى اللغة أنه مشترك بين هلال السماء و حديدة كالهلال بيد الصائد يعرقب بها الحمار الوحشى و ذؤابة النعل و قطعة من الغبار و ما أطاق من اللحم بظفر الأصابع و قطعة من رحى و سلخ الحية و مقاولة الأجير على الشهور و المباراة فى رقة النسج و المباراة فى التهليل، و جمع هلة و هى المفرجة و الثعبان و بقية الماء فى الحوض - انتهى ما ذكره ملخصا، و يسمى الذى فى السماء هلالا لليلتين و قيل لثلاث، و قال أبو الهيثم: لليلتين من أوله و لليلتين من آخره و ما بين ذلك يسمى قمرا، و قال الأصمعى: سمى هلال إلى أن يحجز، و تحجيره أن يستدير له كالخيط الرقيق - البحر المحيط ٢/٥٩ (٣) فى م: قال (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تسير (٥) فى الأصل: اقوه، و التصحيح من م و مد و ظ (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فيستدرج (٧) فى م: الاتخاذ (٨) فى الأصل: ياتيها، و التصحيح من م و مد و ظ (٩) زيد من م و ظ و مد.

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ؛ و قال على رضى الله تعالى عنه : « من طلب [١] علم النجوم تكهن » مرشدا سبحانه و تعالى إلى ما فيه صلاحهم : ﴿ هى مواقيت ﴾ جمع ميقات من الوقت و هو الحد الواقع بين أمرين أحدهما معلوم سابق و الآخر معلوم به لاحق . [٢] و قال الأصبهانى [٣] : و الفرق بين الوقت و المدة و الزمان أن المدة المطلقة امتداد حركة الفلك من مبدئها [٤] إلى الزمان ، و الزمان مدة مقسومة ، و الوقت الزمان المفروض لأمر ما [٥] . ﴿ للناس ﴾ فى صومهم كما تقدم و معاملاتهم [٦] ليعلموا عدد السنين و الحساب [٦] ﴿ و الحج ط [٧] ﴾ صرح به لأنه من أعظم [٨]

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : علم (٢) العبارة من هنا إلى « لامر ما » ليست فى ظ (٣) فى م : الأصفهانى (٤) من م و مد ، و فى الأصل : ميدانها . (٥) و قال الرمانى : الوقت مقدار من الزمان محدد فى ذاته ، و التوقيت تقدير حده و كلما قدرت له غاية فهو موقت ، و الميقات منتهى الوقت ، و الآخرة منتهى الخلق ، و الإهلال ميقات الشهور ، و مواضع الإحرام مواقيت الحج لأنها مقادير ينتهى إليها ، و الميقات مقدار جعل علما لما يقدر من العمل - انتهى كلامه . و فى تغير الهلال بالنقص و النماء رد على الفلاسفة فى قولهم إن الأجرام الفلكية لا يمكن تطرق التغيير إلى أحوالها ، فأظهر تعالى الاختلاف فى القمر و لم يظهر فى الشمس ليعلم أن ذلك بقدرة منه تعالى - البحر المحيط ٢/٦٢ (٦-٦) ليست فى ظ . راجع سورة ١٠ آية ٥ (٧) قال القفال : إفراد الحج بالذكر لبيان أن الحج مقصور على الأشهر التى عينها الله تعالى لفرض الحج و أنه لا يجوز نقل الحج عن تلك الأشهر لأشهر أخر إنما كانت العرب تفعل ذلك فى النسىء - انتهى كلامه . (٨) زيد فى م و مد و ظ : او اعظم .

مداخلها . قال الحرالى : و هو حشر العباد إلى الموقف فى شهور آخر السنة ، فهو أمر دينى مشعر بختم الزمان و ذهابه لما فيه من آية المعاد - انتهى .

و لما كانوا قد اعتادوا فى الحج فعلا منكرا و كان ترك المألوفات أشق شىء على النفوس ، و لذلك قال أهل الطريق و سادات أهل التحقيق : ملاك القصد إلى الله تعالى خلع العادات[1] و استجداد[2] قبول الأمور المنزلات[3] من قيوم السماوات و الأرض ، و بذلك كان الصحابة[4] رضى الله تعالى عنهم[4] سادات أهل الإسلام ، قال تعالى عاطفا على " ليس البر " مقبحا لذلك الفعل عليهم منبها على أنهم عكسوا فى سؤالهم كما عكسوا فى فعالهم ، و يجوز أن يكون معطوفا على حال دل عليها السياق تقديرها : و الحال / [أنه -[5]] ليس البر سؤالكم هذا عنها ﴿ و ليس البر ﴾[6] و أكد النفى بزيادة الباء فى قوله : ﴿ بأن تأتوا البيوت ﴾ أى لا الحسية و لا المعنوية ﴿ من ظهورها ﴾ عند القدوم من الحج أو غيره كما أنه

/ ١٩٠

(١) فى الأصل : العبادات ، و التصحيح من م و ظ و مد (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : استحداد (٣) فى مد : المزلات (٤-٤) فى مد و ظ : رضوان الله عليهم (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) و مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر أن الأهلة مواقيت للحج استطرد إلى ذكر شىء كانوا يفعلونه فى الحج زاعمين أنه من البر فبين لهم أن ذلك ليس من البر و إنما جرت العادة به قبل الحج أن يفعلوه فى الحج ، و لما ذكر سؤالهم عن الأهلة بسبب النقصان و الزيادة و ما حكمة ذلك و كان من المعلوم أنه تعالى حكيم فأفعاله جارية على الحكمة رد عليهم بأن ما يفعلونه من إتيان البيوت - البحر المحيط ٢/٦٣ .

ليس البر بأن تعكسوا فى مقالكم بترك السؤال عما يعنيكم و السؤال عما لا يعنيكم [بل يعنيكم -[١]] .

و لما نفى البر عن ذلك كما نفى فى الأول استدرك على نهج الأول فقال : ﴿ و لكن البر ﴾ قال الحرالى : بالرفع و التخفيف استدراكا لما هو البر و إعراضا عن الأول ، و بالنصب و التشديد مع الالتفات إلى الأول لمقصد[٢] طرحه - انتهى . ﴿ من اتقى ج ﴾ فجعل المتقى نفس[٣] البر إلهابا له إلى الإقبال على التقوى ، لما كانت التقوى حاملة على جميع ما مضى من خلال الإيمان[٤] الماضية اكتفى بها[٥] . و لما كان التقدير : فاتقوا[٦] فلا تسألوا عما لا يهمكم [فى دينكم -[١]] عطف عليه : ﴿ و اتوا البيوت

(١) زيد من م و مد و ظ (٢) فى الأصل و م : لقصد ، و التصحيح من ظ و مد (٣) فى الأصل : نفى ، و التصحيح من م و ظ و مد (٤) فى م : الاعيان .
(٥) و فى البحر المحيط ٢ / ٦٤ : ﴿ و لكن البر من اتقى ﴾ التأويلات التى فى قوله " و لكن البر من آمن " سائغة هنا من أنه أطلق البر و هو المصدر على من وقع منه على سبيل المبالغة ، أو فيه حذف من الأول أى ذا البر ، و من الثانى أى بر من آمن ، و تقدم الترجيح فى ذلك ؛ و هذه الآية كأنها مختصرة من تلك لأن هناك عد أوصافا كثيرة من الإيمان بالله إلى سائر تلك الأوصاف و قال فى آخرها " اولئك هم المتقون " و قال هنا " و لكن البر من اتقى " و التقوى لا تحصل إلا بحصول تلك الأوصاف فأحال هنا على تلك الأوصاف ضمنا إذ جاء معها هو المتقى (٦) ليس فى ظ .

من

من ابوابها ص ﴾ حسا فى العمل و معنى فى التلقى ، و الباب المدخل للشىء المحاط بحائط يحجزه و يحوطه - قاله الحرالى . و تقدم تعريفه له بغير هذا .

و لما كان الأمر بالتقوى قد تقدم ضمنا و تلويحا أتى به دالا على عظيم جدواها ذكرا و تصريحا دلالة على التأكيد فى تركهم تلك العادة ٥ لاقتضاء الحال ذلك لأن من اعتاد شيئا قلّ ما يتركه و إن تركه طرقه خاطره وقتا ما فقال: ﴿ و اتقوا الله ﴾ [٢] أى الملك الأعظم فى كل ما تأتون [٣] و ما تذرون و وطنوا النفوس و اربطوا [٤] القلوب على أن جميع أفعاله تعالى حكمة و صواب من غير اختلاج شبهة و لا اعتراض شك فى ذلك حتى لا يسأل عنه [٥] لما فى السؤال من الإيهام [٦] بمفارقة ١٠ الشك ، ثم علله بقوله: ﴿ لعلكم تفلحون ٥ ﴾ أى لتكون [٧] حالكم [حال - [٨]] من يرجى [٩] دوام التجدد [١٠] لفلاحه و هو ظفره بجميع مطالبه من البر و غيره ، فقد دل سياق الآية على كراهة [١١] [هذا - [٨]] السؤال؛ و ذكر الحرالى أن أكثر ما يقع [فيه - [٨]] سؤال يكون مما ألبس

(١) فى الأصل: فى ، و التصحيح من م و ظ و مد (٢) العبارة من هنا إلى « بمفارقة الشك » ليست فى ظ (٣) من م و مد ، و فى الأصل: ياتون (٤) من م و مد ، و فى الأصل: رابطوا (٥) سقط من م (٦) فى م و مد: الاتهام . (٧) فى ظ: ليكون (٨) زيد ما بين الحاجزين من م و ظ و مد (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: ترجى (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: التحدد . (١١) فى الأصل: كرامة ، و التصحيح من م و ظ و مد .

فتنة أو[1] أشرب محنة أو[2] أعقب بعقوبة و لذلك قال تعالى: "لا تسئلوا عن اشياء[3]" [4]و كره[4] رسول الله صلى الله عليه و سلم المسائل [5]و عابها[5] و قال: «دعونى[6] ما تركتكم فانما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم - الحديث»، و منه كره الرأى و تكلف[7] توليد المسائل لأنه [8]شغل عن[8] علم التأصيل و تعرض[9] لوقوعه كالذى سأل عن الرجل يبتلى فى أهله فابتلى به، و يقال: كثرة توليد مسائل[10] السهو أوقع فيه. و قال: و هذه الآية كالجامعة الموطئة لما ذكر بعدها من أمر توقيت القتال الذى كانوا عليه كما[11] كان من أمر الجاهلية حكم التحرج[12] من القتال فى الأشهر الحرم و التساهل[13] فيه فى[14] أشهر الحل مع كونه عدوى[15] بغير حكم حق فكان فيه عمل بالفساد و سفك الدماء - انتهى و فيه تصرف. فمحى سبحانه ما أصلوه من ذلك بما شرعه من أمر القتال لكونه جهادا فيه لحظ[16] من حظوظ الدنيا.

---

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: و (٢) فى ظ: اذ (٣) سورة ٥ آية ١٠١.
(٤-٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ذكره (٥-٥) من مد و ظ، و فى م: و غابها، و فى الأصل: دعامها (٦) من الصحيحين و غيرهما، و فى الأصول: ذرونى (٧) فى ظ: تكليف (٨-٨) فى الأصل: سعل من، و التصحيح من م و ظ و مد (٩) من مد، و فى الأصل و م و ظ: يعرض (١٠) فى ظ: المسائل.
(١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لما (١٢) فى الأصل: التخرج، و التصحيح من م و مد و ظ (١٣) من م و مد، و فى الأصل: التساحل، و فى ظ: التاهل (١٤) فى الأصل: و، و التصحيح من م و ظ و مد (١٥) فى الأصل: عدى، و التصحيح من م و ظ و مد (١٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: لاحظ.

و لما ذكر سبحانه الحج فى هذه السورة المدنية و كان سبيله إذ ذاك ممنوعا عن أهل الإسلام بأهل الحرب[1] الذين أخرجوهم من بلدهم و منعوهم من المسجد الذى[2] هم أحق به من غيرهم و كان الحج من[3] الجهاد و كان كل من الصوم و الجهاد تخليا من الدنيا «سياحة أمتى الصوم، و رهبانية أمتى الجهاد» و كانت أمهات العبادات موقتة[4] و هى الصلاة ٥ و الزكاة و الصوم و الحج و غير موقتة[4] و هى الذكر و الجهاد و هو قتال أهل الحرب خلافا لما[5] كان عند أهل الجاهلية من توقيته مكانا بغير الحرم و زمانا بغير الأشهر الحرم و كان القتال فى الأشهر الحرم و فى الحرم فى غاية المنع فكيف عند المسجد و كان سبحانه قد ذكر العبادات الموقتة أتبعها بغير الموقتة / و هى الجهاد الذى هو حظيرة الموقتة الذى ١٠ / ١٩١ لا سلامة لها بدونه التفاتا إلى الظالمين[6] بالمنع عن المسجد الحرام و الإخراج منه فأمر بأن يفعل معهم مثل ما فعلوا من القتال و الإخراج فعل الحكيم الذى يوصى بالشىء العظيم فهو يلقيه بالتدريج فى أساليب البلاغة و أفانين البيان تشويقا إليه[7] و تحريضا عليه بعد [أن -[8]] أشار لأهل هذا الدين أولا بأنه يخزى[9] ظالميهم و ثانيا بأن المقتول منهم حى يرزق ١٥

(١) فى الأصل: تحرب، و التصحيح من بقية الأصول (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الذين (٣) هكذا فى م و مد و ظ، و أخره فى الأصل عن «الجهاد».
(٤-٤) ليست فى ظ (٥) فى الأصل: لمن، و التصحيح من م و مد و ظ (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الطايلين (٧) فى مد: له (٨) زيد من م و ظ و مد.
(٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يجرى.

و ثالثا بمدحهم [1] على الصبر فى مواطن البأس بأنهم الذين صدقوا و أنهم المتقون فلما شوقهم إلى جهاد أهل البغى [2] و العناد ألزمهم القتال بصيغة الأمر لتيسير باب [3] الحج الذى افترضه و سبيله ممنوع بأهل الحرب فقال تعالى [4] و قيل : إنها أول آية نزلت فى القتال ؛ قاله الأصبهانى [4] :

٥ [5] ﴿ و قاتلوا فى سبيل الله ﴾ [6] أى الذى [7] لا كفوء له [7] إشعارا [8] بذكره على سبيل الإطلاق بعد الموقت [9] بالهلال [10] إلى أنه غير موقت به . قال الحرالى : من حيث أنه حظيرة على دين الإسلام المقيد بالمواقيت من

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بمرحهم (٢) فى م و ظ : الغى (٣) فى الأصل : ايات ، و التصحيح من بقية الأصول (٤-٤) ليست فى ظ . و فى م « الأصفهانى » مكان « الاصبهانى » (٥) و يظهر أيضا أن المناسب هو أنه لما أمر تعالى بالتقوى و كان أشد أقسام التقوى و أشقها على النفس قتال أعداء الله فأمر به فقال تعالى " و قاتلوا فى سبيل الله " و الظاهر أن المقاتلة فى سبيل الله هى الجهاد فى الكفار لإظهار دين الله و إعلاء كلمته ؛ و أكثر علماء التفسير على أنها أول آية نزلت فى الأمر بالقتال ، أمر فيها بقتال من قاتل و الكف عمن كف فهى ناسخة لآيات الموادعة . و روى عن أبى بكر أن أول آية نزلت فى القتال " اذن للذين يقتلون بانهم ظلموا " قال الراغب : أمر أولا بالرفق و الاقتصار على الوعظ و المجادلة الحسنة ، ثم أذن له فى القتال ، ثم أمر بقتال من يأبى الحق بالحرب ؛ و ذلك كان أمرا بعد أمر على حسب مقتضى السياسة ؛ انتهى - البحر المحيط ٢/٦٥ (٦) العبارة من هنا إلى « له » ليست فى ظ (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل : له القول (٨) فى م : اشعار (٩) فى الأصل : الموت ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بالهلاك .

حيث إن الإسلام عمل يقيده[1] الوقت ، و الدفع عنه أمر لا يقيده وقت بل أيان[2] طرق[3] الضر[4] لبناء الإسلام دفع عنه كما هو حكم الدفع فى الأمور الدينية ، فكانت الصلاة لمواقيت اليوم و الليلة ، و الصوم و الحج لمواقيت الأهلة ، و الزكاة لميقات الشمس ، و الجهاد لمطلق الميقات حيث ما وقع من[5] مكان و زمان ناظرا بوجه ما لما يقابله من عمود الإسلام الذى هو[6] ذكر كلمة الإخلاص و هى لا إله إلا الله على الدوام "يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا[7]" "فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم[8]" انتهى . [9]و قال[9] : ﴿ الذين يقاتلونكم ﴾ أى من شأنهم[10] قتالكم[11] لا[6] من ليس شأنه ذلك كالصبيان؛ و فيه إشعار بأن القتال[12] عن سبب المقاتلة ١٢ فهو مما[14] يفعل[15] عن سبب لا مما يفعل لوقت ، و صيغة المضارع لم يقصد بها[16] إلا صدور الفعل من غير نظر إلى زمان مخصوص كما قالوه فى أمثاله .

و لما كان الله سبحانه و تعالى [قد ـ[17]] أوجب العدل[18] فى كل

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بعبده (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ايمان (٣) فى م : طريق (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الصبر . (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٦) ليس فى م (٧) سورة ٣٣ آية ٤١ . (٨) سورة ٩ آية ٥ (٩-٩) ليس فى م (١٠) فى م : منشائهم (١١) العبارة من هنا إلى « كالصبيان » ليست فى ظ (١٢) زيد فى م : مما يفعل (١٣) فى ظ : المقابلة . (١٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ما (١٥) فى م : المقاتلة فهو (١٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : لها (١٧) زيد من م و ظ و مد (١٨) فى ظ : العد ـ كذا .

شيء حتى فى حق أعدائه قال[١] : ﴿ ولا تعتدوا[٢] ﴾ فنظم[٣] ذلك ابتداء القتال لمن[٤] لم يبح [له -[٥]] ابتداءه[٦] به إما بعهد أو بغير دعوة لمن لم يبلغه أمر الدين أو بغير ذلك من أنواع الخيانة و الغدر و قتل النساء و الصبيان و الشيوخ الفانين الذين لامنعة فيهم و لا رأى لهم ، و دوام
٥ القتال لمن ألقى السلم بعد الابتداء به ، [٧] فحذف المتعلق اختصارا فأفاد زيادة المعنى و هو من غريب أفانين البلاغة[٧] و كأنه أفهم[٨] بصيغة الافتعال التقييد بالتعمد ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ إن الله ﴾ أى لما له من صفات الكمال ﴿ لا يحب المعتدين ﴾ مطلقا فى هذا و غيره ، أى لا يفعل بهم من الخير فعل المحب .

١٠ و لما حرم الاعتداء صرح باباحة أصل[٩] القتال فقال : ﴿ و اقتلوهم ﴾ أى الذين يقاتلونكم ﴿ حيث ثقفتموهم ﴾ أى وجدتموهم و أنتم تطمعون[١٠]

(١) ليس فى ظ (٢) نهى عام فى جميع مجاوزة كل حد حده الله تعالى ، فدخل فيه الاعتداء فى القتال بما لا يجوز ، و قيل : المعنى و لا تعتدوا فى قتل النساء و الصبيان و الرهبان و الأطفال و من يجرى مجراهم - قاله ابن عباس وعمر بن عبد العزيز و مجاهد و رجحه جماعة من المفسرين كالنحاس و غيره لأن المفاعلة غالبا لا تكون إلا من اثنين و القتال لا يكون من هؤلاء ، و لأن النهى ورد فى ذلك ، نهى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن قتل النساء و الصبيان و عن المثلة - البحر المحيط ٢/٦٥ (٣) فى ظ : فنظم - كذا (٤) فى الأصل : ان ، و التصحيح من بقية الأصول (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : ابيدؤه (٧-٧) ليست فى ظ (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : انهم (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اهل . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مطمعون .

فى أن تغلبوا[١] أو حيث تمكنتم[٢] من قتلهم - قاله الأصبهانى، لأنه من ثقف[٣] بالضم ثقافة إذا صلب[٤] و ثقف أى[٥] بالكسر كذلك، و أيضا صار حاذقا فطنا، و ثقفت[٦] الشىء ثقفا إذا[٧] أخذته و الشىء صادفته[٧] - قاله ابن القطاع. [٨]و قال الأصبهانى: و الثقف وجوده[٩] على وجه الأخذ و الغلبة[١٠]، و أطلق الوجدان فشمل الحل و الحرم من الزمان و المكان ٥ لأنهم كذلك يفعلون[١١] بالمسلمين، كانوا يؤذونهم[١٢] و يفتنونهم عند البيت فى

(١) العبارة من هنا إلى «قاله الأصبهانى» ليست فى ظ (٢) فى الأصل: يمكنهم، و التصحيح من م و مد (٣) زيد بعده فى م و مد و ظ: اى. و فى البحر المحيط ٢/٥٩: قال أبو حيان الأندلسى: ثقف الشىء إذا ظفر به و وجده على جهة الأخذ و الغلبة، و منه: رجل ثقف سريع الأخذ لأقرانه، و منه "فاما تثقفنهم فى الحرب" و قول الشاعر:

فأما تثقفونى فاقتلونى فمن أثقف فليس إلى خلود

و قال ابن عطية: "ثقفتموهم" أحكمتم غلبتهم، قال: رجل ثقف لقف إذا كان محكما لما يتناوله من الأمور - انتهى، و يقال: ثقف الشىء ثقافة، إذا حذقه، و منه: أخذت الثقافة بالسيف، و الثقافة أيضا حديدة تكون للقواس و الرماح يقوم بها المعوج، و ثقف الشىء ازمه، و هو ثقف إذا كان سريع العلم، و ثقفته: قومته، و منه: الرماح المثقفة أى المقومة (٤) فى ظ: صلب، و فى م: صلت (٥) ليس فى م و مد و ظ (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ثقف. (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: صادقه (٨) العبارة من هنا إلى «الغلبة» ليست فى ظ (٩) من مد، و فى م: وجود، و فى الأصل: وجدد - كذا. (١٠) فى الأصل: القلب، و التصحيح من م و مد (١١) فى الأصل: سيغلبون، و التصحيح من بقية الأصول (١٢) فى م: يوذوهم.

١٩٢ / كل وقت ، و فى التعبير / بالفعل ما[1] يشعر بالنصر بحزب[2] الله و بشرى بضعفه[3] العدو عن مداومة المقاومة للجاهدين و قد ظهرت التجربة مثل ذلك و أقله أنهم إذا فروا لم يكروا .

و لما كانت الآية ناظرة إلى القصاص قال : ﴿ و اخرجوهم ﴾ أى

٥ فان[4] [لم -][5] يقاتلوكم[6] ﴿ من حيث اخرجوكم[7] ﴾ أى[8] مكة التى هى موطن الحج و العمرة و محل الشعائر المقصودة لأهل الإسلام . و لما كان [هذا -][5] مشعرا[9] بأنهم لم يكن منهم إليهم قتال فى مكة لغير[10] الأذى المحوج إلى الخروج من الديار على[11] أن التقدير : فان الإخراج من السكن أشد فتنة و قد فتنوكم بـه ، فعطف عليه قوله :

١٠ ﴿ و الفتنة ﴾ أى العذاب[12] بالإخراج أو[13] غيره من أنواع الإخافة ﴿ اشد ﴾[14] تليينهم للاسلام[14] ﴿ من القتل ج ﴾[15] أعم من أن يكون المراد من قتلكم إياهم فى الحرم أو[13] غيره أو قتلهم إياكم أو غير ذلك لما فيه[16]

---

(١) من م و ظ ، و فى الأصل : مما . و عبارة مد مطموسة من هنا إلى « و يخلص الدين لله توحيدا » من صفحة ١١٥ سطر ١ (٢) فى م : لحزب (٣) فى م : لضعف (٤) فى م و ظ : و ان (٥) زيد من م و ظ (٦) من م و ظ ، و فى الأصل : يقاتلونكم (٧) و ضمير النصب فى " اخرجوكم " عائد على المأمورين بالقتل و الإخراج - البحر المحيط ٢ / ٦٦ (٨) فى م : من (٩) فى م : مشعر . (١٠) فى م : بغير (١١) فى م و ظ : علم (١٢) ليس فى ظ (١٣) فى م و ظ : و (١٤ - ١٤) ليست فى ظ ، و فى الأصل : بينهم مكان : تليينهم ، و التصحيح من م (١٥) العبارة من هنا إلى « او غير ذلك » ليست فى ظ (١٦) فى م و ظ : فيها .

من مواصلة الغم القابض للنفس عن مراداتها[1]، فلذلك سوغنا لكم[2] قتلهم[3] قصاصا بسبب إخراجكم، فكان [المراد بالذات إخراجهم لتمكن[4] الحج والاعتمار ولكنه [لما -[5]] لم يمكن[6] إلا بقتالهم[7] وقتلهم أذن فيهما[8] وقد كشف الواقع في أمر: عكرمة بن أبي جهل وصفوان بن[9] أمية وعبدالله بن[9] أبي ربيعة[9] أن الإخراج من مكة لينهم للاسلام أكثر من تليين القتل فانهم أسلموا لما أشرفوا على فراق مكة بظهور الإسلام فيها ولم يسلم أحد من قريش خوفا من القتل، فلكون[10] السياق لإخراجهم عبر هنا بأشد.

ولما كان الإذن في الإخراج مستلزما في العادة للقتال وكان قد أذن في[11] الابتداء به[11] حيث ثقفوا خصص ذلك فقال ناظرا إلى المقاصة[12] أيضا ومشيرا إلى ما سيقع في غزوة الفتح المشار إليها بقوله بعد "وكفر به والمسجد الحرام": ﴿ولا تقتلوهم﴾ أي هؤلاء الذين أذن لكم في إخراجهم ﴿عند المسجد الحرام﴾ أي الحرم إذا أردتم إخراجهم [13]فانعوكم[13] ﴿حتى يقتلوكم فيه﴾ أي في ذلك الموضع الذي هو عند المسجد،

(١) من م و ظ، و في الأصل: مرادتها (٢) في م: لهم (٣) ليس في م (٤) في م و ظ: ليمكن (٥) زيد من م و ظ (٦) من م و ظ، و في الأصل: لم يكن. (٧) العبارة من هنا إلى «عبر هنا بأشد» ليست في ظ (٨) زيد في الأصل «ابي» ولم تكن الزيادة في م فحذفناها - راجع أنساب الأشراف (٩-٩) في م: الزبعرى - راجع أنساب الأشراف ١/٣١٢ (١٠) في م: فيكون. (١١-١١) في الأصل: الابتدائية، والتصحيح من م و ظ (١٢) في الأصل: المقاصد، وفي م: حال المخاصصة، وفي ظ: حال القاصصة (١٣-١٣) في الأصل: فا منعوكم، والتصحيح من م و ظ.

و كأنه عبر بفيه فى الثانى و عند فى الأول و المراد الحرم فى كل منهما كفا، عن القتال فيه مهما وجد إلى الكف سبيل تعظيما له و إجلالا لمحله لأنه موضع[1] للصلاة[2] التى أعظم مقاصدها السجود لا لغيره فضلا عن القتال. ﴿فان قتلوكم﴾ أى فى ذلك المكان ﴿فاقتلوهم[3]﴾ أى لا تقصروا[4] على مدافعتهم بل اصدقوهم فى الضرب المجهز و لا حرج عليكم من جهة المسجد فان الانتهاك لحرمته منسوب إلى البادئ، و فى التعبير بالفعل فى جواب المفاعلة فى قراءة الجمهور أو الفعل فى قراءة حمزة و الكسائى بشارة[5] بنصرة المبغى عليه و قوة إدالته؛ و لما كان هذا مفهما أنه خاص بهم عمم بقوله: ﴿كذلك﴾ أى مثل هـذا الفعل العظيم الجدوى ﴿جزآء الكفرين﴾ كلهم.

و لما كان النزوع بعد الشروع لا سيما حالة الإشراف على الظفر عسرا على الأنفس الأبية و الهمم العلية قال: ﴿فان انتهوا﴾ أى عن القتال و مقدماته، و فيه إشعار بأن طائفة منهم تنتهى فان العالم بكل

(١) فى ظ: موضوع (٢) من م و ظ، و فى الأصل: الصلاة (٣) من ظ، و فى الأصل: لا تقتضوا، و فى م: لا تقتصروا. و فى البحر المحيط ٢/٦٧ هذا: تصريح بمفهوم الغاية و فيه محذوف أى فان قاتلوكم فيه فاقتلوهم فيه، و دل على إرادته سياق الكلام و لم يختلف فى قوله "فاقتلوهم" أنه أمر بقتلهم على ذلك التقدير، و فيه بشارة عظيمة بالغلبة عليهم أى هم من الخذلان و عدم النصرة بحيث أمرتم بقتلهم لا بقتالهم فأنتم متمكنون منهم بحيث لا يحتاجون إلا إلى إيقاع القتل بهم إذا ناشبوكم القتال لا إلى قتالهم (٤) من م و ظ، و فى الأصل: تارة.

شيء لا يعبر بأداة الشك إلا كذلك . و لما كان التقدير : فكفوا عنهم ولا تعرضوا لهم فان الله قد[1] غفر لهم علله بأمر عام فقال : ﴿فان الله﴾ [2]أى المحيط بجميع صفات الكمال[2] ﴿غفور رحيم﴾ أى له هاتان الصفتان أزلا و أبدا فكل من تاب فهذا شأنه معه[3] .

و لما كان المراد بما مضى من [4]قتالهم كف[4] أذاهم بأى فعل كان [5]حققه[5] بقوله : ﴿و قاتلوهم﴾ أى / هؤلاء الذين نسبناهم[6] إلى قتالكم و إخراجكم و فتنتكم[7] أعم من أن يكونوا كفارا أو[8] لا ﴿حتى لا تكون﴾ أى توجد فتنة بأن لا يقدروا أن يؤذوا[9] أحدا من[10] أهل الإسلام ليردوه عن دينه أو يخرجوه من داره أو يخلعوه[11] من ماله أو يغلبوه على حقه ، فقتال كل من وقع منه ذلك كفرا أو بغيا فى سبيل الله حتى بغى[12] إلى أمر الله ﴿و يكون الدين﴾ [13]أى الطاعة و العبادة . و لما كان

/١٩٣

---

(١) ليس فى ظ (٢-٢) ليست فى ظ (٣) و فى قوله ﴿فان انتهوا فان الله غفور رحيم﴾ دلالة على قبول توبة قاتل العمد إذ كان الكفر أعظم مأثما من القتل و قد أخبر تعالى أنه يقبل التوبة من الكفر - البحر المحيط ٢/٦٧ (٤-٤) فى ظ : قالهم (٥) فى الأصل : حقيقة ، و التصحيح من م و ظ (٦) من م و ظ ، و فى الأصل : سبيناهم (٧) فى م و ظ : فتنكم (٨) من م و ظ ، و فى الأصل : و (٩) من م و ظ ، و فى الأصل : يودوا (١٠) من م و ظ ، و فى الأصل : منكم . (١١) من م و ظ ، و فى الأصل : يجعلوه (١٢) من م و ظ ، و فى الأصل : تفىء . (١٣) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ .

هذا فى أوائل ما بعد الهجرة قبل أن يروا من نصر الله لهم ما يقوى عزائمهم أعراه[1] من التأكيد فقال: ﴿ لله ﴾ أى [2]الذى لا كفوء له[2] خاصا به بأن يكون أمر المسلمين ظاهرا[3]. [2]ليس للشيطان فيه نصيب[2]، لا[4] يقدر أحد من أهل الكفر و لا أهل البغى على التظاهر بأذى[5] أحد منهم، [6]و ذلك بأن لا يبقى مشرك أصلا و لا يبقى كتابى إلا ألزم[7] الصغار بالجزية؛ و الحكمة فى إبقائهم دون المشركين أن لهم كتبا أمهلوا[8] لحرمتها و لينظروا[9] فيها فيقفوا على الحق منها فانها و إن كانت قد وقع فيها التحريف قد بقى فيها ما يهدى الموفق[10] لأنها لم يعمها التحريف، و أما أهل الأوثان فليس لهم ما يرشدهم إلى الحق فكان إمهالهم زيادة فى شركهم مقطوعا بها من غير فائدة تنتظر. قال الحرالى: فى[11] طيه إشعار بما[12] وقع و هو واقع و سيقع من قتال طائفة الحق لطائفة البغى سائر اليوم المحمدى بما تخلص من الفتنة

---

(١) قيل: و جاء فى الأنفال " و يكون الدين كله لله " و لم يجئ هنا كله لأن آية الأنفال فى الكفار عموما و هنا فى مشركى كفار مكة فناسب هناك التعميم و لم يحتج هنا إليه - البحر المحيط ٢/٦٨ (٢ - ٢) ليست فى ظ (٣) من م و ظ، و فى الأصل: ظاهر (٤) فى م: فلا (٥) فى الأصل: بادنى، و التصحيح من م، و فى ظ: يادى - كذا (٦) العبارة من هنا إلى « فائدة تنتظر » ليست فى ظ. (٧) من م، و فى الأصل و ظ: ذلتهم (٨) فى الأصل: امتثلوا، و التصحيح من م. (٩) فى الأصل: و لينظرؤا، و التصحيح من م (١٠) من م، و فى الأصل: الموقف (١١) فى الأصل: ففيه، و التصحيح من م و ظ (١٢) فى الأصل: مما، و التصحيح من م و ظ.

و يخلص

و يخلص[1] الدين لله توحيدا [2] و رضى و ثباتا[3] على حال السلف الصالح و زمان الخلافة و النبوة - انتهى . ﴿ فان انتهوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم الرجوع عما استوجبوا به القتال فقد تركوا الظلم ، و النهى قال الحرالى الحكم المانع من الفعل المترامى[4] إليه بمنزلة أثر[5] العقل المسمى نُهى لمنعه عما تهوى[6] إليه النفس مما يستبصر فيه النهى ، قال عليه الصلاة و السلام « ليلينى منكم[7] أولو الأحلام و النهى » فمن لم يكن من أهل النهى كان نهاه[8] النهى و هو الحكم المذكور - انتهى . ﴿ فلا عدوان ﴾ [9]أى فلا [سبيل - [10]] يقع فيه العدو الشديد[11] للقتال عليهم ، فانه لا عدوان ﴿ الا على الظلمين ﴾ قال الحرالى[12] : فذكر الظلم الشامل

---

(١) فى ظ : تخلص (٢) إلى هنا انتهت العبارة المطموسة من مد (٣) فى الأصل : وقتا ، و التصحيح من بقية الأصول (٤) فى الأصل : الترامى ، و التصحيح من بقية الأصول (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الر - كذا (٦) فى الأصل : نهوا ، و التصحيح من بقية الأصول (٧) فى الأصل : فيكم ، و التصحيح من م و ظ و مد (٨) فى الأصل : نهاره ، و التصحيح من م و ظ و مد (٩) العبارة من هنا إلى « للقتال » ليست فى ظ (١٠) زيد من م و مد . (١١) من م و مد ، و فى الأصل : الشدايد (١٢) قال أبو حيان الأندلسى : و العدوان مصدر عدا بمعنى اعتدى و هو نفى عام أى لا يؤخذ فرد فرد من أنواعه البتة إلا على من ظلم و يراد بالعدوان الذى هو الظلم الجزاء ، سماه عدوانا من حيث هو جزاء عدوان . . . . . و قال الرمانى : إنما استعمل لفظ العدوان فى الجزاء من غير مزاوجة اللفظ لأن مزاوجة اللفظ مزاوجة المعنى كأنه يقول : انتهوا عن العدوان فلا عدوان إلا على الظالمين - البحر المحيط ٢/٦٨ .

لوجوه إيقاع[1] الأمر فى غير موضعه من أعلى الدين إلى أدناه - انتهى . و يجوز أن يكون[2] التقدير : فان انتهوا عن الشرك فقد انتفى عنهم اسم الظلم فلا تعتدوا عليهم ؛ فان اعتديتم عليهم [3]سلطنا عليكم[3] لظلمكم لهم من يعتدى عليكم ، فانه لا عدوان إلا على الظالمين الذين ٥ دخلتم فى مسماهم و خرجوا من مسماهم بالانتهاء ، فلا عدوان إلا عليكم لا عليهم ؛ [4]و معنى العدوان القتال بغاية العدو و الشدة و العزم[4] .

و لما أباح تعالى القتال فى كل مكان حتى فى الحرم و كان فعله فى الأشهر الحرم عندهم شديدا جدا ثار - [5] العزم للسؤال عنه فقال [6]معلما لهم ما يفعلون فى عمرة القضاء إن احتاجوا على[7] وجه عام : ١٠ ﴿ الشهر الحرام ﴾ [8] و هو ذو القعدة من سنة سبع[9] إن قاتلتموهم فيه لكونهم قاتلوكم فى شهر حرام ﴿ بالشهر الحرام ﴾ الذى قاتلوكم فيه [4]و هو ذو القعدة سنة ست حيث صدوكم فيه عن عمرة الحديبية[4] . و لما أشعر[10] ما مضى بالقصاص أفصح به على وجه أعم فقال : ﴿ و الحرمٰت ﴾ أى كلها ، [11]و هى جمع حرمة و هى ما يحفظ و يرعى و لا ينتهك[11]

(١) فى الأصل : اتباع ، و التصحيح من بقية الأصول (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يمكن (٣-٣) فى الأصل : سلطا عليهم ، و التصحيح من بقية الأصول (٤-٤) ليست فى ظ (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : و . (٦) العبارة من هنا إلى « وجه عام » ليست فى ظ (٧) من م و مد ، و فى الأصل : الى (٨) زيد فى م و ظ : أى (٩) العبارة من « و هو » إلى هنا ليست فى ظ . (١٠) فى الأصل : اسفو ، و التصحيح من م و ظ و مد (١١-١١) العبارة ليست فى ظ .

﴿ قصاص ﴾ [١] أى تتبع للمساواة و المماثلة [١] ﴿ فمن ﴾ أى فتسبب عن هذا أنه من ﴿ اعتدى عليكم ﴾ أى تعمد [٢] أذاكم فى شىء من الأشياء [فى - ٣] أى زمان أو مكان كان ﴿ فاعتدوا عليه ﴾ أى فجازوه [٤]، سمى اعتداء مشاكلة تقوية [٥] لعزائمهم و توطينا لهممهم أى افعلوا و إن سماه المتعنت بغير ما يحق له ﴿ بمثل ما اعتدى ﴾ أى عدوانه [٦] ﴿ عليكم ﴾ ٥ أى [٧] بمثل الذى اعتدى عليكم به، و لعله أعاد الظرف و إن أفهمه الأول لدفع تعنت من [٨] لعله يقول: الكلام شامل لاعتدائه على و على غيرى فلى [أن - ٣] أقابله [٩] بأعلى ما وقع له [١٠] من ذلك، لأن المراد ردعه و لو [١١] لم يرد الحكم [١٢] هذا لقيد [١٣] بما [١٤] ينفيه. و لما جعل [١٥] المماثلة حدا و كان أمرها خفيا [١٦] و الوقوف عنده بعد استرسال النفس بارسالها ١٠ صعبا [١٧] حذر [١٨] من تعديه بعد الإذن فى القصاص الذى جر [١٩] أغلبه [٢٠]

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: تتبع (٣) زيد من م و مد و ظ (٤) فى ظ: بجاوزوه (٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: مقربة (٦) فى الأصل: عداوته، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) فى م و ظ و مد: او (٨) فى الأصل: لن، و التصحيح من بقية الأصول (٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: ان اقاتله (١٠) من م و ظ و مد، و فى الأصل: لى (١١) ليس فى ظ (١٢) فى ظ: الحكيم (١٣) من م و مد، و فى ظ: القيد، و فى الأصل: لقدى (١٤) من م و ظ، و فى الأصل: مما، و فى مد: ما (١٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: حصل (١٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: خفى (١٧) فى الأصل: حينا، و التصحيح من م و ظ و مد. (١٨) من م و ظ و مد، و فى الأصل: حذرا (١٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: احدا (٢٠) من مد و ظ، و فى الأصل و م: عليه.

بتسميته اعتداء على وجه نادب ١ إلى العفو للمستبصر فقال: ﴿ و اتقو الله ﴾
/ أى المحيط علما بكل شيء بالتحرى فى القصاص حتى لا تتجاوزوا ١٩٤ /
﴿ و اعلموا ﴾ ٢ و ٣ أظهر و لم يضمر ٣ ٤ لئلا يقيد بالتقوى فى باب الاعتداء
مثلا فقال ٤: ﴿ ان الله ﴾ ٥ أى الذى له جميع صفات الكمال ٥ معكم إن
٥ اتقيتم ٦ بالتحرى فيه أو بالعفو فان الله ﴿ مع المتقين ٥ ﴾ و من كان
[الله- ٧] معه أفلح كل الفلاح « ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا » . قال
الحرالى ٨ : فنى ضمنه إشعار و تطريق لمقصد السماح ٩ الذى هو خير
الفضائل ١٠ من وصل القاطع و العفو ١١ عن الظالم ، و لما كان فى هذه ١٢

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بادر (٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٣-٣) فى الأصل : اطهروا و لم يضمن ، و التصحيح من م ومد . (٤-٤) فى م : ليلا يقيد ، و فى مد : ليلا بقيد بالتقوى . و فى الأصل : يعتدى - مكان : يقيد (٥-٥) ليست فى ظ (٦) من مد و ظ ، و فى م : ابقيتم ، و فى الأصل : اتقيتم (٧) زيد من م (٨) قال أبو حيان الأندلسى : أمر بتقوى الله فيدخل فيه اتقاؤه بأن لا يتعدى الإنسان فى القصاص إلى ما لا يحل له ﴿ و اعلموا ان الله مع المتقين ﴾ بالنصرة و التمكين و التأييد ، و جاء بلفظ 'مع' الدالة على الصحبة و الملازمة حضا على الناس بالتقوى دائما إذ من كان الله معه فهو الغالب المنتصر ، ألا ترى إلى ما جاء فى الحديث «ارموا و أنا مع بنى فلان» فأمسكوا فقال : «ارموا انا معكم كلكم» البحر المحيط ٢ / ٧٠ (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الصلاح (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الفاضل (١١) فى ظ : فالعفو . (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : هذا .

التقوى[1] خروج عن حظ النفس أعلمهم أنه تعالى يكون عوضا لهم من أنفسهم بما اتقوا و داوموا على التقوى حتى كانت وصفا لهم فأعلمهم بصحبته[2] لهم - انتهى .

و لما كانت النفقة من أعظم دعائم الجهاد و كان العيش فى أول الإسلام ضيقا و المال قليلا فكان ذلك موجبا لكل أحد أن يتمسك[3] بما فى يده ظنا أن فى التمسك به النجاة و فى إنفاقه الهلاك أخبرهم أن الأمر على غير ما يسول به الشيطان من ذلك "الشيطان يعدكم الفقر[4]" - و قال الحرالى : و لمكان ما لزم العفو من العز الذى جاء على خلاف غرض النفس نظم به تعالى ما يجىء على خلاف مدرك الحس فى الإنفاق الذى [5]يحصل به الزكاء[5] و النماء ، و أيضا لما أسس[6] تعالى[7] حكم الجهاد الذى هو أشق[8] الأعمال على النفس[9] نظم به أمر الجود و الإنفاق الذى هو أشق[10] منه على الأنفس ، و من حيث [أن -[11]] القتال مدافعة يشتمل[12] على عدة و زاد لم يكن أمره يتم إلا

(١) فى ظ : القوى (٢) فى مد : بصحته (٣) فى م و ظ و مد : يستمسك .
(٤) سورة ٢ آية ٢٦٨ (٥-٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : به تحصل الزكاة (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : أسن (٧) زيد فى الأصل «و» و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٨) فى الأصل : شق ، و التصحيح من بقية الأصول (٩) فى ظ و مد : الانفس (١٠) فى مد : اشد (١١) زيد من م و ظ و مد (١٢) فى ظ و مد : يشمل .

[1] باعمال الغريزتين[1]؛ الشجاعة و الجود، ولذلك[2] كان أشد الآفات فى الدين البخل و الجبن ؛ انتهى - فقال تعالى: ﴿ و انفقوا[3] ﴾ [1] و أظهر و لم يضمر إظهارا للاعتناء بأمر النفقة و لئلا يقيد بحيثية من الحيثيات فقال[4] : ﴿ فى سبيل الله ﴾ [5] أى الملك الذى كل شيء تحت قهره [5] كما قال : " و قاتلوا فى سبيل الله[6] " [5] و هو كل ما أمر به الله و إن كان استعماله فى الجهاد أكثر[5] ، أى و لا تخافوا العيلة و الضيعة[7] فان الله ربكم هو الذى أمركم بذلك " و الله يعدكم مغفرة منه و فضلا[8] " قال الحرالى : فالنظر للأموال بانفاقها لا باصلاحها و إثباتها فانتظم الخطابان ما فى العفو من العز و ما فى الإنفاق من النماء ، و أكد ذلك بالإعلام بما لا تصل إليه مدارك[9] الأنفس من أن إصلاح الأموال و إمساكها تهلكة - انتهى . فقال تعالى : ﴿ و لا تلقوا بايديكم ﴾ أى تسرعوا بوضعها إسراع من

(١-١) فى الأصل : الاعمال العزيز بين ، و التصحيح من م و ظ و مد ، غير أن فى م : العزيزتين - مكان : الغريزتين (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كذلك (٣) و قيل : المعنى ابذلوا أنفسكم فى المجاهدة فى سبيل الله ، و سمى بذل النفس فى سبيل الله إنفاقا مجازا و اتساعا كقول الشاعر :

و أنفقت عمرى فى البطالة و العمى فلم يبق لى عمر و لم يبق لى أجر

و لما اعتقبت هذه الآية لما قبلها مما يدل على القتال و الأمر به تبادر إلى الذهن النفقة للجهاد للمناسبة - البحر المحيط ٢/٧٠ (٤-٤) ليست فى م و ظ (٥-٥) ليست فى ظ (٦) سورة ٢ آية ١٩٠ (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الضيفة . (٨) سورة ٢ آية ٢٦٥ (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تدارك .

يلقى الشيء بعدم الإنفاق ﴿ الى التهلكة ﴾ من الهلاك[1] وهو تداعي الشيء إلى أن يبطل و يفنى فان فى ذلك الإخلاد إلى الدعة و التواكل فيجترئ[2] عليكم العدو فلا يقوم[3] لكم قائمة فان البخل أسرع شيء إلى الهلاك ، [4]و هى تفعلة بضم العين مصدر هلك ، و قيل : إنه لا ثانى له[5] فى[6] كلامهم ، و حقيقة[7] أوقع الإلقاء لما ينفعه من نفسه و غيرها بيده أى بنفسه فجعل التهلكة آخذة بها مالكة لصاحبها . و قال الحرالى : إحاطة الخطاب تقتضى أن[8] التهلكة تضييع القتال و الإنفاق اللذين بتركهما تقع الاستطالة على[9] مبنى الإسلام [فيتطرق -[10]] إلى هدمه ؛ و لما كان

(١) فى م و ظ و مد : الهلك . و فى البحر المحيط ٢/٥٩ و ٦٠ ، التهلكة على وزن تفعلة مصدر لهلك ، و تفعلة مصدرا قليل ، حكى سيبويه منه التضرة و التسرة و مثاله من الأعيان التنصبة و التنفلة ، يقال : هلك هلكا و هلاكا و تهلكة و هلكاء على وزن فعلاء . . . و الهلاك فى ذى الروح الموت و فى غيره الفناء و النفاد . . و قيل : التهلكة ما أمكن التحرز منه و الهلاك ما لا يمكن التحرز منه ، و قيل : التهلكة الشيء المهلك و الهلاك حدوث التلف ، و قيل : التهلكة كل ما تصير غايته إلى الهلاك (٢) من م و مد ، و فى الأصل : فيحتوى ، و فى ظ : فيجزى . (٣) فى م و مد : فلا تقوم ، و فى ظ : فلا نقوم - كذا (٤) العبارة من هنا إلى « لصاحبها » ليست فى ظ (٥) فى البحر المحيط : و زعم ثعلب أن التهلكة مصدر لا نظير له إذ ليس فى المصادر غيره ، و ليس قوله بصحيح إذ قد حكينا عن سيبويه أنه حكى التضرة و التسرة مصدرين (٦) من م و مد ، و فى الأصل : من . (٧) فى مد و م : حقيقته (٨) العبارة من هنا إلى « كان امر » ليست فى ظ . (٩) من م و مد ، و فى الأصل : الى (١٠) زيد من مد و م غير أن فى م : يتطرق .

أمر الإنفاق أخص بالأنصار الذين كانوا أهل الأموال لتجرد المهاجرين عنها[1] كان في ضمنه أن أكثر فصل الخطاب فيه للأنصار - انتهى . و قد روى أبو داود و الترمذي - و هذا لفظه و قال: حسن[3] صحيح - و النسائي عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار لما أعز الله الإسلام و كثر ناصره [٤ - ٤] قال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن[5] أموالنا قد ضاعت، فلو أقمنا في أموالنا! فأنزل الله هذه الآية، فكانت التهلكة الإقامة[6] على الأموال و إصلاحها و تركنا الغزو . و روى البخاري في التفسير عن حذيفة رضي الله تعالى عنه "و انفقوا في سبيل الله و لا تلقوا بايديكم الى التهلكة" قال: نزلت في النفقة .

و لما كانت التوسعة[7] في أمر القتال قد تجر إلى الاعتداء ختمه بالنهي عنه[8] و بأن[8] الله لا يحب المعتدين و كانت[9] التوسعة في الإنفاق في سبيل الله من[10] أعلى خلال[11] الإيمان / قال تعالى: ﴿و احسنوا﴾ أي[12] أوقعوا[13] الإحسان على العموم بما[14] أفهمه قصر[14] الفعل

١٩٥ /

(١) في م: الانصار (٢) زيد في الأصل «كما» و لم تكن الزيادة في م و مد و ظ فحذفناها (٣) ليس في ظ (٤) زيد من م (٥) في م: انما (٦) في ظ: للاقامة (٧) من م، و في الأصل و ظ و مد: الوسعة (٨-٨) من م و مد و ظ، و في الأصل: فان (٩) من مد و ظ. و في الأصل و م: كان (١٠) ليس في م و ظ (١١-١١) من م و مد. و في الأصل: اعلا خلاف، و في ظ: اعلى احلال (١٢) العبارة من هنا إلى «المتعلق» ليست في ظ (١٣) في الأصل: ادعوا، و التصحيح من بقية الأصول (١٤-١٤) في الأصل: اتهمه قصد، و التصحيح من م و مد.

و ترك

و ترك المتعلق بالإكثار من الإنفاق ١ [و ظنوا بالله الحسن ٢ الجميل، و أظهر من غير إضمار لطول الفصل و لنحو ما تقدم - ٣] ﴿ان الله﴾ الملك العظيم ٤ ﴿يحب المحسنين﴾ أى يفعل ٥ معهم ٦ كل ما يفعله ٦ المحب مع من يحبه من الإكرام و الإعلاء و النصر و الإغناء و غير ذلك من جميع ما يحتاجه كما أنه لا يحب المعتدين . قال الحرالى : فانتظم ختم الخطابين بأن لا يقع الاعتداء فى القتل و أن يقع الإحسان فى المال ؛ و فى إشعاره حض ٧ الأنصار على إنفاق أموالهم يتلون به حال المهاجرين فى التجرد عنها ٨ ؛ فكما ٩ كان أمر المهاجرين أن لا ينقضوا الهجرة كان أمر الأنصار ان لا يلتفتوا إلى الدنيا ، فما خرج المهاجرون عن أصله خرج الأنصار ١٠ عند التمسك به عن وصفه ١١ ، فكان إعراضهم

(١) وفى البحر المحيط ٢/٧١ : هذا أمر بالإحسان و الأولى حمله على طلب الإحسان من غير تقييد بمفعول معين . و قال عكرمة : المعنى و أحسنوا الظن بالله ، و قال زيد بن أسلم : و أحسنوا بالإنفاق فى سبيل الله و فى الصدقات ، و قيل : و أحسنوا فى أعمالكم بامتثال الطاعات ـ قال ذلك بعض الصحابة ، قيل : "و احسنوا" معناه : جاهدوا فى سبيل الله و المجاهد محسن (٢) من م ، و فى بقية الأصول : المحسن . (٣) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٤) فى م : الأعظم (٥) فى م و مد و ظ : فيفعل . (٦ - ٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : كما يفعل (٧) من ظ ، و فى الأصل و م : يخص ، و فى مد : خص (٨) قال الأندلسى : هذا تحريض على الإحسان لأن فيه إعلاما بأن الله يحب من الإحسان صفة له ، و من أحبه الله لهذا الوصف فينبغى أن يقوم وصف الإحسان به دائما بحيث لا يخلو منه محبة الله دائما ـ البحر المحيط ٢/٧١ (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فلما (١٠) زيد بعده فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (١١) فى م : وضعه .

تابعا لترك المهاجرين [أموالهم - ١] .

و لما ختم آيات القتال بالنفقة فى سبيل الله لشدة حاجة الجهاد إليها و كان سبيل الله اسما يقع على الحج كما يقع على الجهاد كما ورد فى الحديث « الحج من سبيل الله » رجع إلى الحج و العمرة المشير إليهما ٥ "مثابة للناس" "و ان الصفا و المروة - الآية" "و مواقيت للناس و الحج ٢" و لا سيما و آيات القتال هذه إنما نظمت ٣ ههنا بسببهما ٤ توصيلا ٥ إليهما و بعضها سببه عمرة الحديبية التى صد المشركون عنها، فكان كأنه قيل : مواقيت للناس و الحج فحجوا و اعتمروا أى تلبسوا بذلك و إن صددتم عنه و قاتلوا فى سبيل الله من قاتلكم فى وجهكم ١٠ ذلك لينفتح ٦ لكم السبيل ؛ و لما كان ذلك بعد الفتح ممكنا ٧ لا صاد عنه عبر بالإتمام فقال : ﴿ و اتموا ٨ ﴾ أى بعد فتح السبيل بالفتح

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) زيد فى م : فحجوا و اعتمروا أى تلبسوا بذلك و ان صددتم (٣) فى م : انتظمت (٤) فى م : لسببهما (٥) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : توصلا (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ليفتح (٧) فى الأصل : فمكنا ، و التصحيح من م و ظ و مد (٨) و المعنى افعلوهما كاملين و لا تأتوا بهما ناقصين شيئا من شروطهما و أفعالهما التى تتوقف وجود ماهيتهما عليهما كما قال غيلان :

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

جعل وقوف المطايا على محبوبته و هى من كبعض مناسك الحج الذى لا تتم به، هذا ظاهر اللفظ و قد فسر الإتمام بغير ما يقتضيه الظاهر - البحر المحيط ٢/٧٢ .

﴿ الحج و العمرة ﴾ [1] بمناسكهما و حدودهما و شرائطهما و سننهما [1] .
و لما تقدم الإنفاق فى سبيل الله و القتال فى سبيل الله نبه هنا على أن ذلك كله إنما هو لتقام [2] العبادات التى هى مبنى الإسلام له سبحانه و تعالى فقال : ﴿ لله ﴾ [3] الملك الذى لا كفوء له [3] أى [4] لذاته ، [5] و لم يضمر لئلا يتقيد بقيد [5] . ٥

و لما كان سبحانه و تعالى قد أعز هذه الأمة إكراما لنبيها صلى الله عليه و سلم فلا يهلكها بعامة [6] و لا يسلط [7] عليها عدوا من غيرها بل جعل كفارة ذنوبها فى إلقاء بأسها بينها [8] أومأ إلى أنه ربما يقطعها عن الإتمام قاطع من ذلك بقوله [9] بانيا للمفعول لأن الحكم دائر مع وجود الفعل من غير نظر [10] إلى فاعل معين معبرا [11] بأداة الشك إشارة إلى ١٠ أن هذا [12] مما يقل [12] وقوعه : ﴿ فان احصرتم ﴾ أى منعتم و حبستم عن إتمامها ، من الإحصار و هو منع [13] العدو المحصر عن متصرفه [14]

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) فى ظ : ليقام (٣ - ٣) ليست هذه العبارة فى ظ ، و زيد قبلها فى م و مد « اى » و لفظ « الملك » فقط ليس فى مد (٤) ليس فى م و ظ (٥ - ٥) ليست فى ظ ، و وقع فى الأصل : لم يضمن - مكان : لم يضمر ، و التصحيح من م و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بعامه (٧) من م و مد و ظ : و فى الأصل ، سلط (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : نبيها ، و فى م : بنهيها (٩) العبارة من هنا إلى « وقوعه » ليست فى ظ (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : نظر (١١) من م ، و فى الأصل و مد : معبر (١٢ - ١٢) من مد ، و فى الأصل : انفك ، و فى م : يقل (١٣) فى ظ : ممنع (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : منصرفه .

كالمرض يحصره[1] عن التصرف فى شأنه ـ قاله الحزالى[2] ، ﴿ فما ﴾ أى فالواجب على المحصر[3] الذى منع عن إكماله[4] تلافيا لما وقع له من الخلل فى عملها ﴿ استيسر ﴾ أى وجد يسره[5] على غاية السهولة حتى كأنه طالب يسر نفسه[6] و اليسر[7] حصول الشىء عفوا بلا كلفة ﴿ من الهدى[8] ﴾[9] إذا أراد التحلل من الحج و العمرة[10] من الإبل و البقر و الغنم يذبحه حيث أحصر و يتصدق به و قد رجع حلالا

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بحصره (٢) قال يونس بن حبيب : أحصر الرجل رد عن وجه يريده ، قيل : حصر و أحصر لمعنى واحد ـ قاله الشيبانى و الزجاج و قاله ابن عطية عن الفراء ، و قال ابن ميادة :

و ما هجر ليلى أن يكون تباعدت عليك و لا أن أحصرتك شغول

و قيل : أحصر بالمرض و حصره العدو ـ قاله يعقوب ؛ البحر المحيط ٢/٦٠ (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الحصر (٤ـ٤) ليست فى ظ ، و فى م و مد : إذا أراد التحلل من الحج و العمرة ، و أخرت فى م العبارة التى فى المتن عن « عملها » (٥) فى م و ظ : يسره (٦) العبارة من « على غاية » إلى هنا ليست فى ظ (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : التيسير . و فى البحر المحيط ٢/٧٤ : و « استيسر » هو بمعنى الفعل المجرد ، أى يسر بمعنى استغنى و غنى و استصعب و صعب و هو أحد المعانى التى جاءت لها استفعل (٨) الهدى ما يهدى إلى بيت الله تعالى تقربا إليه بمنزلة الهدية يهديها الإنسان إلى غيره ، يقال : أهديت إلى البيت الحرام هديا و هديا بالتشديد و التخفيف ، فالتشديد جمع هدية كبطية و مطى ، و التخفيف جمع هدية كجدية السرج و جدى ؛ قال الفراء : لا واحد للهدى من البحر المحيط ٢/٦٠ (٩ـ٩) ليست فى ظ ، و فى م : جمع هدية . (١٠) زيد فى م : الحلق .

و لما كان الحاج هو الشعث التفل أشار إلى حرمة التعرض لشعره[1] بقوله : ﴿ و لا تحلقوا رءوسكم ﴾ أى شعرها[2] إذا كنتم محرمين بحج أو عمرة ، من الحلق . قال الحرالى[3] : و هو إزالة ما يتأتى للزوال بالقطع من الآلة الماضية فى عمله[4] ، و الرأس مجتمع الخلقة[5] و مجتمع كل شىء رأسه - انتهى . ﴿ حتى يبلغ ﴾ من البلاغ و هو الانتهاء إلى الغاية ٥ ﴿ الهدى ﴾ أى[6] إن كان معكم هدى ﴿ محله[7] ﴾ أى الموضع الذى يحل[8] ذبحه فيه ، إن كنتم محصرين فحيث أحصرتم و إلا فعند المروة أو فى منى و نحوهما[9] . قال[10] الحرالى : و الهدى ما تقرب به الأدنى للأعلى و هو اسم لما يتخذ فداء من الأنعام بتقديمه إلى الله سبحانه و تعالى و توجيهه إلى البيت العتيق ، و فى تعقيب[10] الحلق بالهدى[10] إشعار ١٠ باشتراكهما فى معنى واحد و هو الفداء ، و الهدى[11] فى الأصل فداء لذبح[12] الناسك نفسه لله[13] سنة إبراهيم فى ولده عليهما الصلاة و السلام ، و إزالة الشعر فداء من جزاء لرأس[14] لله ، و لذلك لما سئل النبى

(١) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : لظفره (٢) ليس فى ظ (٣) قال الأندلسى : الحلق مصدر حلق يحلق إذا أزال الشعر بموسى أو غيره من محدد أو نورة .
(٤) من مد و م و ظ ، و فى الأصل : علمه (٥) من ظ ، و فى الأصل : الحلقة ، و فى م و مد : الحلقة - كذا (٦) ليس فى م و مد و ظ (٧) فى ظ : يجعل (٨) فى م و مد و ظ : نحوها (٩) فى ظ و مد : قاله (١٠-١٠) فى م : الهدى بالحلق .
(١١) فى م و مد : فالهدى (١٢) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : الذبح .
(١٣) زيد بعده فى م : هذه (١٤) فى م : الشعر ، و بهامشه : الرأس .

صلى الله عليه و سلم عن تقديم أحدهما على الآخر قال: افعل و لا حرج؛
١٩٦/ لأن الجميع غاية بالمعنى / الشامل[1] للفداء - انتهى.

و لما كان الإنسان [2]محلا لعوارض[2] المشقة و كان الله سبحانه و تعالى قد وضع عنا الآصار ببركة النبي المختار صلى الله عليه و سلم فجعل دينه
٥ يسرا قال[3]: ﴿ فمن كان ﴾ [4]و قيده بقوله[4]: ﴿ منكم ﴾ أيها المحرمون[5] ﴿ مريضا ﴾ يرجى [6]له بالحلق خير[6] ﴿ او بـه اذى ﴾ و لو قـل، و الأذى[7] ما تعلق النفس أثره ﴿ من راسـه ﴾ بقمل[8] أو غيره ﴿ ففدية ﴾ أي فعليه بحلق رأسه [9]أو المداواة بما نهى المحرم عنه[9] فدية ﴿ من صيام ﴾ لثلاثة أيام ﴿ او صدقة ﴾ لثلاثة آصع من طعام على
١٠ ستة مساكين، لأن الصدقة كما قال الحرالي عدل الصيام عند فقده كما

---

(١) من م و مد و ظ. و في الأصل: السامد (٢-٢) من ظ، و في بقية الأصول: محل العوارض (٣) ليس في ظ (٤-٤) ليست في ظ، و في م: قيد - مكان: قيده (٥) من م و مد و ظ، و في الأصل: المجرمون (٦-٦) من مد و ظ، وفي م: له الحلق خير، و في الأصل: لما يحلق خيرا (٧) الأذى مصدر و هو بمعنى الألم، تقول: آذاني زيد إيذاء آلمني - البحر المحيط ٢/٦٠ (٨) و في البحر المحيط ٢/٧٥ - سبب النزول حديث كعب بن عجرة المشهور و هو أنه صلى الله عليه وسلم رآه و القمل يتناثر من رأسه، و قيل: رآه و قد قرح رأسه؛ و لما تقدم النهي عن الحلق إلى الغاية التي هي بلوغ الهدي كان ذلك النهي شاملا فخص بمن ليس مريضا و لا به أذى من رأسه، أما هذان فأبيح لهما الحلق (٩-٩) ليست في ظ.

تقدم ، و لليوم وجبتا فطر و سحور ، لكل [١] وجبة مدان [١] فلكل يوم صاع [٢] ﴿ او نسك ج ٣ ﴾ أى تقرب بذبح شىء من الأنعام [٤] و هذه فدية مخيرة [٤] .

و لما كان الله سبحانه و تعالى [٥] بسعة حلمه [٥] و عظيم قدرته و شمول علمه قد أقام أسبابا [٦] تمنع المفسدين [٦] على كثرتهم من التمكن من الفساد أشار إلى ذلك بأداة التحقيق بعد تعبيره عن الإحصار بأداة الشك فقال : ﴿ فاذا أمنتم قف ﴾ أى حصلتم فى الأمن [٧] فزال الإحصار

(١-١) من م و ظ و مد ، غير أن فى ظ : وحية ؛ و فى الأصل : وحية مدا . و فى البحر ٧٦/٢ : و اختلف فى قدر الطعام و محل الإطعام ، أما القدر فاضطربت الرواية فى حديث [ابن] عجرة و اختلف الفقهاء فيه، قال أبو حنيفة : لكل مسكين من التمر صاع و من الحنطة نصف صاع ، وقال مالك و الشافعى : الطعام فى ذلك مدان بالمد النبوى، و هو قول أبى ثور و داود (٢) لأن الصاع مكيال يسع أربعة أمداد ، و المد رطل و ثلث بالعراق و به يقول الشافعى و فقهاء الحجاز ، و قيل : هو رطلان ، و به أخذ أبو حنيفة و فقهاء العراق فيكون الصاع خمسة أرطال و ثلثا أو ثمانية أرطال (٣) قال ابن الأعرابى : النسك سبائك الفضة كل سبيكة منها نسيكة ثم قيل للتعبد : ناسك ، لأنه خلص نفسه من دنس الآثام وصفاها كالنسيكة المخلصة من الدنس ، ثم قيل للذبيحة : نسك ، لأنها من أشرف العبادات التى يتقرب بها إلى الله تعالى - البحر المحيط ٦٠/٢ .

(٤-٤) ليست فى ظ (٥-٥) فى الأصل : سبعة كلمة ، و التصحيح من بقية الأصول (٦-٦) فى الأصل : بمنع المفرين ، و التصحيح من بقية الأصول .

(٧) العبارة من هنا إلى « على الشكر » ليست فى ظ .

و المرض، [و-١] بنى الفعل هنا للفاعل إشارة إلى أنه كأنه أت بنفسه تنبيها على أنه الأصل بخلاف الإحصار حثا على الشكر ﴿ فمن تمتع ﴾ [٢] أى تلذذ [٢] باستباحة دخوله إلى الحرم باحرامه [٢] فى أشهر الحج على مسافة القصر من الحرم [٢] ﴿ بالعمرة ﴾ ليستفيد الحل حين وصوله إلى البيت

٥ و يستمر [٣] حلالا فى سفره ذلك ﴿ الى الحج ﴾ أى إحرامه بـه [٤] [٥] من عامه [٦] ذلك [٧] من مكة المشرفة [٧] من غير رجوع إلى الميقات ﴿ فما ﴾ أى فعليه ما ﴿ استيسر ﴾ [٨] وجد [٩] [١٠] اليسر به [١٠] ﴿ من الهدى ج ﴾ من النعم يكون هذا الهدى لأجل ما تمتع بـه بين النسكين [١١] [٢] من الحل [٢] و هو مسافر، هذا للمتمتع و أما القـارن فلجمعه [١٢] بين النسكين [١١] فى

١٠ سفر واحد و شأنهما أن يكونا فى وقتين وقت حل و وقت حرم [١٣]، و فى العبارة إشعار بصحة إرداف [١٤] الحج على العمرة لأنه ترق من إحرام أدنى [١٥] إلى إحرام أعلى .

و لما أفهم التقييد باليسر حالة [١٦] عسر بينها [١٧] بقوله : ﴿ فمن لم

---

(١) زيد من مـد (٢-٢) ليس فى ظ (٣) فى ظ : تستمر (٤) ليس فى مد، و فى م : ذلك (٥) العبارة من هنا إلى « الميقات» ليست فى ظ (٦) من م و مد، و فى الأصل : عامة (٧-٧) من م و مد، وفى الأصل : بمكة الشرفة (٨) زيد فى م و مد و ظ : اى (٩) من م و ظ، و فى مد: وحد، و فى الأصل : اوجد . (١٠-١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل : الميسرة (١١) من م و مـد و ظ، و فى الأصل : التسكين (١٢) فى ظ : المجمـع (١٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل : احرام (١٤) فى ظ : ارذاف ـ كذا بالذال (١٥) زيد فى م : الحل . (١٦) زيد فى م : حاله (١٧) فى الأصل : بينهما، و التصحيح من بقية الأصول .

يجد

يجد ﴾ أى هديا ، من الوجد و هو الطول و القدرة ﴿ فصيام ﴾ أى فعليه بدل الهدى صيام[1] ﴿ ثلثة ايام فى الحج ﴾ أى فى أيام تلبسه به[2] فلا يصح قبله و يجب[3] أن يكون[4] قبل يوم عرفة بحيث يكون فيه مفطرا ، ﴿ و ﴾ صيام[5] ﴿ سبعة ﴾ أى من الأيام ﴿ اذا رجعتم[6] ﴾ إلى بلادكم[7] فلا تصح قبل الوصول ، و لم يفرد ليفهم أن العبرة إمكان الرجوع لا حقيقة رجوعه[7] ، فلو أقام بمكة مثلا صام بها ، و لو فاتته الثلاثة فى الحج فرق بينها[8] و بين السبعة فى الوطن بقدر مدة إمكان العود و زيادة أربعة أيام[9] التشريق و العيد[9] ليحكى القضاء الأداء . قال الحرالى : فيكون الصوم عدلا للهدى الذى يطعمه المهدى[10] كما كان[10] الإطعام عدلا للصوم فى آية "و على الذين يطيقونه" انتهى . و لما كان للتصريح[11] مزية ليست لغيره قال : ﴿ تلك ١٢ ﴾

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فصيام (٢) العبارة من هنا إلى « مفطرا » ليست فى ظ (٣) فى م : يستحب (٤) فى م : تكون (٥) زيد فى الأصل فقط « و » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٦) العبارة من هنا إلى « القضاء الأداء » ليست فى ظ (٧) زيد فى م « هو » (٨) من م و مد ، و فى الأصل : بينهما (٩-٩) فى م : العيد و التشريق (١٠-١٠) ليست فى ظ (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : التصريح (١٢) تلك إشارة إلى مجموع الأيام المأمور بصومها قبل ، و معلوم أن ثلاثة و سبعة عشرة فقال الأستاذ أبو الحسن على بن أحمد الباذش ما معناه : أتى بعشرة توطية للخبر بعدها ، لا أنها هى الخبر المستقل به فائدة الإسناد فجىء بها للتوكيد كما تقول : زيد رجل صالح ، و قال ابن عرفة : مذهب العرب إذا ذكروا عددين أن يجملوهما ، و حسّن هذا القول=

أى[١] العدة [النفيسة -[٢]] المأمور بصومها ﴿ عشرة ﴾ دفعا لاحتمال أن تكون الواو بمعنى « أو » أو أن يكون المراد بالسبع المبالغة دون الحقيقة[٣] و ليحضر العدد فى الذهن جملة[٤] [كا -[٥]] أحضره[٦] تفصيلا ؛ و العشرة: قال الحرالى: معاد[٧] عد[٨] الآحاد [إلى -[٩]] أوله .

٥ و لما كان زمن الصومين مختلفا قال: ﴿ كاملة[١] ﴾ نفيا لتوهم[١٠] أن الصوم بعد الإحلال دون ما فى الإحرام ، و الكمال: قال الحرالى: الانتهاء إلى الغاية التى ليس وراءها مزيد من كل وجه ، و قال: فكما[١١] استوى حال الهدى فى[١٢] انتهائه إلى الحرم أو الحل كذلك استوى حال الصوم فى البلد الحرام والبلد الحلال ليكون فى إشارته إشعار بأن الأرض لله مسجد[١٣]

١٠ كما أن البيت الحرام لله مسجد فأظهر معنى استوائهما فى الكمال فى حكم الأجر لأهل الأجور[١٤] و القبول لأهل القبول و الرضاء لأهل الرضاء

= الزمخشرى بأن قال : فائدة الفذلكة فى كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم ، و فى أمثال العرب : علمان خير من علم ، قال ابن عرفة : و إنما تفعل العرب ذلك لقلة معرفتهم بالحساب . و قال المفضل : لما فصل بينهما بافطار قيدها بالعشرة ليعلم أنها كالمتصلة فى الأجر - البحر المحيط ٢ / ٧٩ و ٨٠ .

(١) ليس فى ظ (٢) زيد من م و مد و ظ ، و زيد بعده فى ظ : اى (٣) العبارة من هنا إلى « تفصيلا » ليست فى ظ (٤) ليس فى م ، و فى مد : جملة (٥) زيد من م و مد (٦) فى م و مد : احضر ، و فى الأصل : احصره (٧) فى الأصل : بعاد - كذا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) من ظ ، و فى م و مد : حد ، و فى الأصل : عدا (٩) زيد من م و ظ و مد (١٠) فى الأصل : لتوهم ، و التصحيح من م و مد و ظ (١١) فى مد : و كما (١٢) من م مد و ظ ، و فى الأصل : و (١٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مسجدا (١٤) فى م و ظ و مد : الاجر .

و الوصول لأهل الوجهة كل عامل[1] على رتبة عمله - انتهى . [2]و لو قال: تامة ، لم يفد هذا لأن التمام[3] قد يكون فى العدد[4] مع خلل بعض الأوصاف .

و لما كان ربما وقع فى الفكر السؤال عن هذا / الحكم هل هو خاص أو عام استأنف تخصيصه بمن هو غائب عن حرم مكة على مسافة القصر فقال : ﴿ ذالك ﴾ أى الحكم المذكور[5] العلى [فى - ٦] نفعه الحكيم[7] فى وضعه ﴿ لمن لم يكن اهله ﴾ من زوجته[8] أو أقاربه أو سكان وطنه . و قال الحرالى : و الأهل سكن المرء من زوج و مستوطن[9] ﴿حاضرى[10] ﴾[11] على مسافة الحضر[12] بأن يكون ساكنا /١٩٧

(١) فى الأصل : عام ، و التصحيح من م و مد و ظ (٢) العبارة من هنا إلى « بعض الأوصاف » ليست فى ظ (٣) من م و مد ، و فى الأصل : الاتمام . (٤) فى م و مد : العدة . و فى البحر المحيط ٢/٨١ : قال الحسن : كاملة فى الثواب ، سدها مسد الهدى فى المعنى الذى جعلت بدلا عنه ، و قيل : كاملة فى الغرض و الترتيب ، و لو صامها على غير هذا الترتيب لم تكن كاملة : و قيل : كاملة فى الثواب لمن لم يتمتع ، و قيل : كاملة توكيد ، كما تقول : كتبت بيدى ، " نخر عليهم السقف من فوقهم " . . . . . و بهذه الفوائد التى ذكرناها رد على الملحدين فى طعنهم بأن المعلوم بالضرورة أن الثلاثة و السبعة عشرة فهو إيضاح للواضحات و بأن وصف العشرة بالكمال يوهم وجود عشرة ناقصة و ذلك محال و الكمال وصف نسبى لا يحتمل بالعددية كما زعموا لعنهم الله . (٥) العبارة من هنا إلى « فى وضعه » ليست فى ظ (٦) زيد من م و مد (٧) فى م و مد : الحكم (٨) فى م و مد : زوجه (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : مستوطنين (١٠) و قال الإسكندرى فى المد من البحر ٢/٨٠ و هم سكان =

افى الحرم أو من الحرم على دون مسافة القصر و كل من كان هكذا فهو حاضر من الحضور و هو ملازمة الوطن [١] لا على مسافة السفر من ﴿ المسجد الحرام [٢] ﴾ أى الحرم بل كان أهله على مسافة الغيبة منه و هى مسافة القصر . قال الحرالى إفصاحا بما أفهمه معنى المتعة :

٥ و ذلك لأن الله عز و جل إذا تولى إبانة [٢] عمل أنهاه إلى الغاية فى الإفصاح - انتهى . و عبر عن الحرم بالمسجد إجلالا و تعظيما لما قرب من الحرم ، كما عظم الحرم بقربه من المسجد ، و عظم المسجد بمجاورة الكعبة ؛ لأنه جرت عادة الأكابر أن يكون لبيوتهم دور ، و لدورهم أفنية ، و حول تلك الأفنية بيوت خواصهم ؛ و أما حاضروه فلا دم

١٠ عليهم [فى تمتع و لا قران - ٣] فرقا بين خاصة الملك و غيرهم .

و لما [٤] كثرت الأوامر فى هذه الآيات وكان لا يحمل على

= مكة لأنهم هم الذين يشاهدون المسجد الحرام ، و حضور الأهل يقتضى مراد حضور المتمتع لأن الغالب سكناه حيث يسكن أهله . و فى البحر المحيط ٢/٨١ : وذكر حضور الأهل والمراد حضوره هو لأن الغالب أن يسكن حيث أهله ساكنون (١١) زيد فى م و ظ و مد : اى (١٢) العبارة من هنا إلى « فهو حاضر » سقطت من ظ .

(١) فى ظ : الموطن ، و فى مد : للوطن (٢) فى الأصل : اياته ، و التصحيح من م و ظ و مد (٣) زيد من م و مد و ظ . و فى البحر المحيط ٢ / ٨٠ : واختلفوا فى المشار إليه بذلك فقيل : المتمتع وما يلزمه و هو مذهب أبى حنيفة فلا متعة و لا قران لحاضرى المسجد الحرام ، ومن تمتع منهم أو قرن كان عليه دم جناية لا يأكل منه ، والقارن والمتمتع من أهل الآفاق دمهما نسك يأكلان منه .

(٤) لما تقدم أمر و نهى و واجب ناسب أن يختم ذلك بالأمر بالتقوى فى أن= امتثالها

امتثالها إلا التقوى أكثر تعالى فيها من الأمر بها . قال الحرالى : لما تجره [1] النفوس من مداخل نقص فى النيات و الأعمال و التنقلات من الأحكام إلى أبدالها فما انبنى [2] على التقوى خلص و لو قصر [3] - انتهى. و لما كان من الأوامر ما هو معقول المعنى و منها ما هو تعبدى و كان عقل المعنى يساعد على النفس فى الحمل على امتثال الأمر ناسب اقتران [4] ٥ الأمر به بالترغيب كما قال : "و اتقوا الله [6] و اعلموا ان الله [7] شديد العقاب [7]" و لما كان امتثال [ما - [8]] ليس بمعقول المعنى من عند قوله : "و اتموا الحج و العمرة لله" شديدا على النفس مع جماحها [9] عن جميع الأوامر ناسب اقترانه [10] بالتهديد فكان ختامه بقوله : ﴿ و اتقوا ﴾ أى فافعلوا جميع ذلك و احملوا أنفسكم على التحرى فيه ١٠ و الوقوف عند حدوده ظاهرا و باطنا و اتقوا ﴿ الله ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين غضب هذا الملك الأعظم وقاية ، و أكد تعظيم المقام بالأمر

= لا يتعدى ما حده الله تعالى ثم أكد الأمر بتفصيل التقوى بقوله : "و اعلموا" البحر المحيط ٢/٨١ .

(١) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : تحبوه (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل: ايقن (٣) فى ظ : تسر (٤) من م و مد ، و فى الأصل : الاقتران ، و فى ظ ، اقترانه (٥) العبارة من هنا إلى « ناسب اقترانه » ليست فى ظ (٦) زيدت فى م و مد : لعلكم تفلحون واتقوا الله (٧-٧) فى م: مع المتقين (٨) زيد من م و مد . (٩) من م و مد ، و فى الأصل : حجاجها (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : اقترابه .

بالعلم و تكرير الاسم الأعظم [١] و لئلا يفهم الإضمار تقييد [٢] شديد عقابه بخشية [٣] مما مضى فقال : ﴿ و اعلموا ﴾ تنبيها على أن الباعث على المخافة إنما هو العلم [٤] ، ﴿ ان الله ﴾ أى الذى لا يدانى عظمته شىء ﴿ شديد العقاب ﴾ و هو الإيلام الذى يتعقب [٥] به جرم سابق ؛ هذا

٥ مع مناسبة هذا الختام لما بعده من النهى عن الرفث و ما فى حيزه ، و من تدبر [٦] الابتداء عرف الختم و من تأمل الختم لاح له الابتداء . قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى كتاب المفتاح فى الباب الخامس فى تنزلات [٧] القرآن بحسب الأسماء : اعلم أن خطاب الله يرد بيانه بحسب أسمائه و يجمعها جوامع أظهرها ما ترى آياته و هو اسمه [٨] الملك و ما يتفصل إليه من

١٠ الأسماء القيمة [٩] لأمر [١٠] الحكم و القضاء و الجزاء نحو العزيز الحكيم الذى [١١] يختم [١٢] به آيات [١٣] الأحكام " نكالا من الله والله عزيز حكيم " ثم ما تسمع [١٥] آياته من اسمه الرحمن الرحيم و ما يتفصل من الأسماء من [١٦]

---

(١) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ (٢) فى الأصل: يفسد، والتصحيح من م و مد (٣) فى الأصل : بحيثية ، و فى مد : بحتته والتصحيح من م (٤) لأن من علم شدة العقاب على المخالفة كان حريصا على تحصيل التقوى إذ بها يأمن العقاب. البحر المحيط ٢/٨١ (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يتعاق (٦) من ظ ، و فى الأصل و مد : يدبر ، و فى م : يدير (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تنزيلات (٨) فى م : اسم (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : العميمة (١٠) فى الأصل : لامن ، و التصحيح من م و مد و ظ (١١) فى ظ : التى (١٢) فى م و ظ و مد : تختم (١٣) العبارة من هنا إلى « من اسمه » ليست فى م (١٤) سورة ٥ آية ٣٨ (١٥) فى مد : يسمع (١٦) فى مد : فى .

معنى الرحمة المنبئة عن الصفح و المغفرة الذى[1] تختم بـه آيات الرحمة "و يتوب الله على المؤمنين و المؤمنات و كان الله غفورا رحيما[2]" فلكل تفصيل فى مورد وجهى العدل و الفضل أسماء يختص به بناؤها و لذلك قال عليه الصلاة و السلام ما لم يختم[3] آية رحمة[4] بعذاب أو آية عذاب برحمة[5]، ثم ما توجد آياته[6] وجدانا فى النفس و هى الربوبيـة ٥ و ما ينتهى إليه معنى سواء أمرها من "الحمد لله رب العلمين" و ما ينفصل إليه من الأسماء الواردة فى ختم الإحاطات[7] نحو "الواسع العليم"، فمن تفطن لذلك استوضح من التفصيل الختم و استشرح من الختم التفصيل. و قد كان ذلك واضحا عند العرب فاستعجم عند المتعربين[8] إلا ما كان ظاهر الوضوح منه و لتكرار الأسماء بالإظهار و الإضمار بيان متين[9] ١٠ الإفهام فى القرآن - انتهى.

و لما ذكر سبحانه و تعالى أن الحج موقت بالأهلة و لم يعين[10] له وقتا من شهور السنة و ختم ذلك بالتفرقة فى بعض أحكام الحج بسبب الأماكن تشوفت[11] / النفس إلى تعيين[12] وقته و أنـه هل هو كالمكان ١٩٨/

(١) فى م: التى (٢) سورة ٣٣ آية ٧٣ (٣) فى م و مد: لم تختم (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: رحمته (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: برحمه (٦) فى م: انه (٧) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الاحاطة (٨) فى ظ: المعربين، و فى مد: المغربين، و فى م: المتعرفين (٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: يبين. (١٠) من م و ظ و مد، و فى الأصل: لم يبين (١١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: تشوقت (١٢) فى ظ: تعين.

أو عام الحكم فقال ﴿ الحج ﴾ [١] أى وقته [٢] ﴿ اشهر ﴾ فذكره بصيغة [ثمن - ٣] جموع القلة الذى أدناه ثلاث و هى ثلاث بجبر المنكسر [٤] : [٣] شوال و ذو القعدة و تسع من ذى الحجة و ليلة العيد بدليل أنه يفوت بطلوع الفجر يوم النحر ؛ و لما أبهم عين فقال [٢] : ﴿ معلومت ج ﴾ [٥] أى قبل نزول الشرع فأذن هذا أن [٦] الأمر بعد الشرع على ما كان عليه و لا شك أن فى الإبهام ثم التعيين إجلالا و إعظاما للحدث عنه .

و لما ختم الآية التى قبلها بالتحذير من سطواته أمر باخلاص الحج عن الشوائب ناهيا بصيغة النفى تفخيما له و تأكيدا للنهى [٧] و لما كان الحج لا يقع إلا فرضا قال : ﴿ فمن فرض ﴾ أى أوجب بالإحرام ، و هو من الفرض و هو الحز [٨] فى الشىء لينزل فيه ما يسد فرضته [٩] حسا

(١) لما أمر الله تعالى باتمام الحج و العمرة و كانت العمرة لا وقت لها معلوما بين أن الحج له وقت معلوم ، فهذه مناسبة هذه الآية لما قبلها ؛ و ﴿ الحج اشهر ﴾ مبتدأ و خبر و لابد من حذف ، إذ الأشهر ليست الحج ، و ذلك الحذف إما فى المبتدإ فالتقدير : أشهر الحج أو وقت الحج ، أو فى خبر أى الحج حج أشهر ، أو يكون الأصل : فى أشهر ، فاتسع فيه و أخبر بالظرف عن الحج لما كان يقع فيه و جعل إياه على سبيل التوسع و المجاز - البحر المحيط ٢/٨٤ (٢-٢) ليست فى ظ .
(٣) زيد من م و مد و ظ (٤) فى الأصل : المنكر ، و التصحيح من بقية الأصول (٥) العبارة من هنا إلى « كان عليه » ليست فى ظ (٦) ليس فى م .
(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : النهى (٨) من م و مد ، و فى الأصل : الجزء ، و فى ظ الحر . و فى البحر المحيط ٢/٨٦ : و أصل الفرض الحز الذى يكون فى السهام و القسى و غيرها و منه فرضة النهر و الجبل و المراد بهذا الفرض ما يصير به المحرم محرما (٩) من مد و ظ ، و فى الأصل : فرضيته ، و فى م : فرضه .

أو معنى فمن تعظيمه سبحانه و تعالى له أنه جعله دون سائر العبادات لا نفل فيه بعد التلبس به . قال الحرالى : لأن الفرائض من لم يقمها[1] تساقط عضوا عضوا قائم دينه كما أن النوافل من لم يأت بها عرى من زينتها[2] فكانت الفروض صحة و النوافل زينة . و فى قوله : ﴿ فيهن ﴾ إشعار بصحة وقوع الحج فى بعضهن و أن الحج ليس كالصوم طبق زمانه ، فكان من العبادات ما هو طبق زمانه كالصوم ، وما يتسع[3] فيه كالصلاة ، و ما[4] لا بد أن ينتهى إلى خاتمته كالحج و تقع[5] التوسعة فى الشروع - انتهى . ﴿ الحج ﴾ أى تلبس به كيف[6] كان .

[7]و لما كان فى الإنسان قوى أربع : شهوانية بهيمية ، و غضبية[8] سبعية و[9] وهمية شيطانية تبعث مع مساعدة القوتين الأخريين على المنازعة[10] و المغالبة فى كل شىء[4] ، و عقلية ملكية ؛ و كان المقصود من جميع[4] العبادات قهر[10] القوى الثلاث لأن منشأ الشرور[11] كلها محصور فيها بالعقلية قال دالا عليها محذرا منها مرتبة : ﴿ فلا رفث ﴾ أى[12] مواجهة للنساء بشىء من أمور النكاح . و لما كان الرفث هو[13] داعيا إلى الوقاع[14]

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يتمها (٢) فى مد : رتبتها (٣) فى م : يتبع. (٤) ليس فى م (٥) زيد فى ظ : فيه (٦) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : كلسيف - مصحفا (٧) العبارة من هنا إلى « محذرا منها مرتبة » ليست فى ظ (٨) فى مد : . غضبيته (٩) ليس فى م و مد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل: فهو (١١) من م و مد ، و فى الأصل : السرور (١٢) زيد فى م : لا (١٣) ليس فى م و مد و ظ (١٤) فى ظ : الوقوع .

الذى هو فسق بالخروج عن الإحرام الصحيح قال ضاما إليه كل ما دخل فى هذا الاسم : ﴿ ولا فسوق ﴾ قال الحرالى : هو الخروج عن إحاطة العلم و العقل و الطبع - انتهى . و لما كان المراء[1] قد يجر إلى الفسق بما يثير[2] من الإحن و توعير[3] الصدور فكان فسقا خاصا عظيما ضرره[4] قال : ﴿ ولا جدال[5] ﴾ أى مدافعة بالقول بفتل[6] عن القصد[7] كمدافعة الجلاد باليد أو السيف[8] و لعله عبر بهذا المصدر الذى شأنه أن يكون مزيدا دون الجدل[9] الذى معناه الدرء[10] فى الخصومة لأن

(١) من مد و ظ . و فى الأصل : المرء (٢) فى الأصل : يبير ، و التصحيح من بقية الأصول ، و العبارة من هنا إلى « بالقول بفتل » ليست فى ظ (٣) من م ، و فى الأصل و مد : توغير (٤) من م ، و فى الأصل و مد : ضرورة (٥) الجدال فعال مصدر جادل و هى المخاصمة الشديدة مشتق ذلك من الجدالة و هى الأرض كأن كل واحد من الخصمين يقاوم صاحبه حتى يغلبه فيكون كمن ضرب منه الجدالة و منه قول الشاعر :

قد أنزل الآلة بعد الآله و أنزل العاجز بالجداله

أى بالأرض ، و قيل : اشتق ذلك من الجدل و هو الفتل و منه قيل : زمام مجدول . و قيل له : جديل ، لفتله ؛ و قيل للصقر : الأجدل ، لشدته و اجتماع خلقه كأن بعضه فتل فى بعض فقوى - البحر المحيط ٢ / ٨٢ ، و فى صفحة ٨٧ : و الجدال هنا مماراة المسلم حتى يغضب فأما فى مذاكرة العلم فلا نهى عنها - قاله ابن مسعود و ابن عباس و عطاء و مجاهد (٦) فى الأصل : بعقل ، و فى م : تفتل ، و فى مد : تفتل (٧) فى م : الصيد (٨) العبارة من هنا إلى « فى الفسوق » ليست فى ظ (٩) فى م : الجدال (١٠) من م ، و فى الأصل : الرد ، و فى مد : المدد .

يصب[1] النفى على المبالغة فيفهم العفو عن أصله [2] لأنه لا يكاد[2] يسلم منه أحد ، و كذا الحال فى الفسوق ﴿ فى الحج[ط] ﴾ فصار الفسق واسطة[3] بين أمرين جارين[4] إليه و الجدال لكونه قد يفسد ذات البين[5] [6] أعظمها[7] خطرا [8] و يجمع ما فى الرفث من الشهوة و قد يكون فسقا فقد اشتمل على قبائح الكل ؛ [فلذلك -[9]] أجمع القراء السبعة[10] على بنائه مع لا على الفتح دون ما قبله [11] لأن البناء دال على نفى الماهية و نفيها موجب لنفى جميع أفرادها ، و أما الرفع فانما يدل على نفى فرد منكر من تلك الماهية و هو لا يوجب نفى [جميع -[9]] الأفراد ، و لأن العرب كانوا يبنون[12] الحج على النسىء[13] و يتخالفون[14] فيه فى الموقف ، فزال الجدال فيه بعد البيان بكل اعتبار من جهة الخدم و العيال و غيرهم و النسىء[15] و الموقف و غيرهما من حيث أنه قد علمت مشاعره[16]

(١) فى م : ينصب (٢-٢) فى م : لئلا يكاد (٣) ليس فى ظ (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حارس (٥) فى الأصل : اليمين ، و التصحيح من م و ظ ومد (٦) زيد فى ظ : فلذلك (٧) فى م : اعظمها (٨) العبارة من هنا إلى « قبائح الكل » ليست فى ظ (٩) زيد من م و مد (١٠) ليس فى ظ (١١) العبارة من هنا إلى « نفى جميع الأفراد » ليست فى ظ (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يبتون (١٣) فى الأصل : الشىء ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يتحالفون (١٥) و فى البحر المحيط ٢/٢٧ : الجدال ، الاختلاف أيهم صادف موقف أبيهم و كانوا يفعلون ذلك فى الجاهلية تقف قريش فى غير موقف العرب ثم يتجادلون بعد ذلك - قاله ابن زيد و مالك ، أو يقول قوم : الحج اليوم ، و قوم : الحج غدا - قاله القاسم ، أو المماراة =

و تقررت شرائعه[1] و أحكمت شعائره و أوضحت جميع معالمه فارتفع النزاع أصلا فى أمره[2] . قال الحرالى : فمنع فى الحج من الإقبال على الخلق بما فيه كره من رفث و مسابّة[3] و جدال حتى لا يقبل[4] الخلق على[4] الخلق فى الحج إلا[5] بما الإقبال فيه إقبال على الحق بالحقيقة فما ينزه الحق تعالى عن مواجهته بما[6] [يتحامى - [7]] مع الخلق فى زمن الحج كما تحومى[8] ما يختص بالنفس من الأحداث فى عمل الصلاة ؛ و فى وروده نفيا لا نهيا[9] إعلام بأنه مناقض لحال الحج حين نفى لأن شأن ما يناقض أن ينفى و شأن ما لا يناقض و يخالف أن ينهى عنه ، كما قال فيما هو قابل للجدال " و لا تجادلوا اهل الكتب الا بالتى هى احسن[10] "

= فى الشهور حسبما كانت العرب عليه من الذى كانوا ربما جعلوا الحج فى غير ذى الحجة و يقف بعضهم بجمع و بعضهم بعرفة و يتمارون فى الصواب من ذلك قاله مجاهد ؛ قال ابن عطية : هذا أصح الأقوال و أظهرها ، فرر الشارع وقت الحج و إحرامه حتم لاجدال فيه . (١٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : متشاعرة .

(١) فى الأصل : رابعة ، و التصحيح من م و ظ و مد (٢) زيد فى ظ : بالقول و قبل (٣) وقع فى الأصل : وما به - مصحفا . و التصحيح من م ومد و ظ . (٤-٤) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : الحج فى (٥) ليس فى م (٦) من ظ ، و فى الأصل : به ، و ليس فى م و مد (٧) زيد من م و مد و ظ (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : نحو (٩) فى الأصل : منهيا ، و التصحيح من بقية الأصول (١٠) سورة ٢٩ آية ٤٦ .

و بين خطاب النهى و النفى فوت فى الأحكام الشرعية ينبنى[1] الفقه[2] فى الأحكام[3] على تحقيقه فى تأصيلها / و التفريع عليها - انتهى . / ١٩٩

و لما كانت هذه المنفيات شرا[4] و كان التقدير : فما فعلتم[5] من هذه المنهيات على هذا الوجه الأبلغ عوقبتم عليه عطف عليه : ﴿و ما﴾ و[6] قال الحرالى : و لما حمى من سوء معاملة الخلق[7] مع الخلق[7] عرض[8] بأن يوضع موضع ذلك الإحسان فيقع فى محل إخراج الأنفس أن يتودد[9] إليها[10] باسداء الخير[10] و هو الإحسان من خير الدنيا ، ففى إعلامه تحريض على إحسان الحاج بعضهم لبعض لما يجمع وفده من الضعيف و المنقطع فقال[11] : و ما ﴿تفعلوا﴾ انتهى[12] . أى يوجد لكم فعله فى وقت من الأوقات ﴿من خير[13]﴾ فى الحج أو غيره بتوكل[14] فى تجرد[1]

(١) فى الأصل : ينبغى ، و التصحيح من م و مد و ظ (٢) زيد قبله فى م و مد : على (٣) زيد فى م : الشرعية (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سرا (٥) فى ظ : علمتم (٦) ليس فى مد (٧-٧) ليس فى م (٨) فى الأصل : عوض ، و التصحيح من م و مد و ظ (٩) فى الأصل و م : يتردد ، و التصحيح من ظ و مد . (١٠-١٠) فى م : بابد الخير ، و فى مد : باشد الخير ، و فى ظ : باسد الخير ، و فى الأصل : باسر الخلق (١١) ليس فى مد و ظ (١٢) ليس فى م (١٣) و خص الخير و ان كان تعالى عالما بالخير و الشر حثا على فعل الخير ، و لأن ما سبق من ذكر فرض الحج هو خير ، و لأن نستبدل بتلك المنهيات أضدادها فنستبدل بالرفث الكلام الحسن و الفعل الجميل و بالفسوق الطاعة و بالجدال الوفاق ، و لأن يكثر رجاء وجه الله تعالى . و لأن يكون وعدا بالثواب - البحر المحيط ٢ / ٩٢ . =

أو تزود فى تزهد أو غير ذلك من القول[٢] الحسن عوض الرفث ، و البر[٣] و التقوى مكان الفسق، و الأخلاق الجميلة و اليسر والوفاق مكان الجدال ﴿ يعلمه الله[ط] ﴾ الذى له جميع[٤] صفات الكمال فيجازيكم عليه *فهو أشد ترغيب و ترهيب* .

٥ و لما عمم فى الحث على الخير على وجه شامل للتزود و تركه بعد التخصيص أشار إلى أن الخير هو الزاد على وجه يعم الحسى و المعنوى زيادة فى الحث عليه إذ لا أضر من إعواز الزاد لأكثر[٦] العباد فقال : ﴿ و تزودوا ﴾ أى التقوى لمعادكم الحاملة على التزود الحسى لمعاشكم الحامل على الزهد فيما[٧] فى أيدى الناس ، [٨]و المواساة لمحتاجهم[٨]

١٠ الواقية للعبد من عذاب الله « اتقوا النار و لو بشق تمرة » و ذلك هو ثمرة التقوى؛ و الزاد هو[٩] متعة[١٠] المسافر . ثم علل ذلك بما أنتجه بقوله[١١] " فان خير " ، و يجوز[١٢] أن يكون التقدير : و تزودوا و اتقوا الله فى

= (١٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يتوكل .

(١) العبارة من هنا إلى «مكان الجدال» ليست فى ظ (٢) من م و مد، و فى الأصل : المقول (٣) ليس فى م (٤) ليس فى مد و ظ (٥-٥) ليست فى ظ (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا كبر (٧) فى ظ : مما (٨-٨) فى ظ : فالمواساة لمحتاجيهم (٩) ليس فى م و مد و ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : منعه ، و فى مد : متعه، و فى م : منعة (١١) فى م و مد و ظ : من قوله (١٢) فعلى ما روى من سبب نزول هذه الآية يكون أمرا بالتزود فى الأسفار الدنيوية ، و الذى يدل عليه سياق ما قبل هذا الأمر و ما بعده أن يكون الأمر بالتزود هنا بالنسبة إلى تحصيل الأعمال الصالحة التى =

تزودكم ﴿ فإن خير الزاد التقوى ﴾ و فى التجرد مداخل خلل[1] فى بعض نيات الملتبسين[2] بالمتوكلين من الاتكال على الخلق ، فأمر الكل بالتزود ستراً للصنفين ، إذ كل جمع لا بد فيه من كلا الطرفين - قاله[3] الحرالى. و[4] قال : و فى ضمنه تصنيفهم ثلاثة أصناف : متكل لا زاد معه فمعه خير الزادين ، و متمتع لم يتحقق[5] تقواه فلا زاد له فى الحقيقة ، و جامع بين التقوى و المتعة فذلك على كمال السنة ؛ كما قال عليه الصلاة و السلام : « قيّدها و توكل » لأن ذلك أستر للطرفين ؛ و حقيقة التقوى فى أمر التزود النظر[6] إلى الله تعالى فى إقامة خلقه و أمره ، قال بعض أهل المعرفة : من عوده الله سبحانه و تعالى دوام النظر إليه بالغيبة[7] عما سواه فقد ملك الزاد فليذهب حيث شاء فقد استطاع سبيلا[8] - انتهى .

= تكون له كالزاد إلى سفره للآخرة ، ألا ترى أن قبله " و ما تفعلوا من خير يعلمه الله " و معناه الحث و التحريض على فعل الخير الذى يترتب عليه الجزاء فى الآخرة ، و بعده " فإن خير الزاد التقوى " ؛ و التقوى فى عرف الشرع و القرآن عبارة عما يتقى به النار ، و يكون مفعول " تزودوا " محذوفا و تقديره : و تزودوا التقوى أو من التقوى ، و لما حذف المفعول أتى بخبر " إن " ظاهرا ليدل على أن المحذوف هو هذا الظاهر ، و لو لم يحذف المفعول لأتى به مضمرا عائدا على المفعول ، أو كان يأتى ظاهرا تفخيما لذكر التقوى و تعظيما لشأنها - البحر المحيط ٢/٩٣ .

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : حلل ، و فى م : الخلل (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : المتلبسين (٣) فى م و مد و ظ : افاده (٤) ليس فى م و مد و ظ .
(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لم يحقق (٦) زيد فى الأصل « و » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٧) فى م و مد : بالغنية (٨) فى البحر المحيط ٢/٩٣ =

ولما علم من ذلك أن التقدير : فأكثروا من الزاد مصحوبا بالتقوى وكان الإنسان محل النقصان فكان لإكثار حاملا له في العادة على الطغيان إلا من عصمه الله وقليل ما هم قال سبحانه وتعالى مؤكدا لأمر التقوى مشرفا لها بالإضافة إلى نفسه الشريفة تنبيها على الإخلاص لأجل ذاته السنية لا ٣ بالنظر إلى شيء من رجاء أو خوف أو اتصاف بحج

= بعد ذكر الأقوال في التزود : ثم أخبر أن زاد التقوى خيرهما لبقاء نفعه ودوام ثوابه ، وهذا يدل على بطلان مذهب أهل التصوف والذين يسافرون بغير زاد ولا راحلة لأنه تعالى خاطب بذلك من خاطبه بالحج ، وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سئل عن الاستطاعة فقال : هي الزاد والراحلة - انتهى كلامه ؛ ورد عليه بأن الكاملين في باب التوكل لا يطعن عليهم إن سافروا بغير زاد لأنه صح : لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ، وقال تعالى "ومن يتوكل على الله فهو حسبه" ، وقد طوى قوم الأيام بلا غذاء ، وبعضهم اكتفى باليسير من القوت في الأيام ذوات العدد ، وبعضهم بالجرع من الماء ، وصح من حديث أبي ذر اكتفاؤه بماء زمزم شهرا ، أو خرج منها وله عكن ، وإن جماعة من الصحابة اكتفوا أياما كثيرة كل واحد منهم بتمرة في اليوم ؛ فأما خرق العادات من دوران الرحى بالطحين وامتلاء الفرن بالعجين وإن لم يكن هناك طعام ، ونحو ذلك فحكوا وقوع ذلك ، وقد شرب سفيان بن عيينة فضلة سفيان الثوري من ماء زمزم فوجدها سويقا ، وقد صح وثبت خرق العوائد لغير الأنبياء عليهم السلام فلا يتكرر ذلك إلا من مدع ذلك وليس هو على طريق الاستقامة ككثير ممن شاهدناهم يدعون ويدعون ذلك لهم .

(١) من م ومد وظ ، وفي الأصل : مسرقا (٢) العبارة من هنا إلى « أو غيره » ليست في ظ (٣) في م : لأن (٤) من م ومد ، وفي الأصل : انصاف .

أو

أو غيره عاطفا على ما أرشد إلى تقديره السياق : ﴿ واتقون[1] ﴾ أى فى تقواكم [بالتزود][2] ، و زاد الترغيب فيها بقوله : ﴿ يا أولى الألباب ﴾ أى العقول الصافية و الأفهام النيرة الخالصة التى تجردت عن جميع العلائق[3] الجسمانية فأبصرت جلالة التقوى فلزمتها .

و لما فهم [4]من هذا[4] الحث على الإكثار من الزاد تحركت نفوس ٥ أولى الهمم الزاكية القابلة للتجرد عن الأعراض الفانيه إلى[5] السؤال عن المتجر لإنفاقه فى وجوه الخير هل يكره فى زمان أو مكان[6] لا سيما عند تذكر أن أناسا[7] كانوا فى الجاهلية يكرهون التجارة للحاج فأجيب[8] بقوله معلما أن قطع العلائق لمن صدق عزمه و شرفت همته أولى : ﴿ ليس عليكم جناح ﴾ أى إثم فى ﴿ ان تبتغوا ﴾ أى تطلبوا بجد ١٠ و اجتهاد ﴿ فضلا ﴾ أى إفادة بالمتجر فى مواسم الحج و غيرها ﴿ من

(١) و لما تقدم ما يدل على اجتناب أشياء فى الحج و أمروا بالتزود للمعاد و أخبر بالتقوى عن خير الزاد ناسب ذلك كله الأمر بالتقوى و التحذير من ارتكاب ما تحل به عقوبته ، ثم قال : ﴿ يا اولى الالباب ﴾ تحريكا لامتثال الأمر بالتقوى لأنه لا يحذر العواقب إلا من كان ذا لب فهو الذى تقوم عليه حجة الله و هو القابل للأمر والنهى ، و إذا كان ذو اللب لا يتقى الله فكأنه لا لب له ..... و الظاهر من اللب أنه لب مناط التكليف فيكون عاما لا اللب الذى هو مكتسب بالتجارب فيكون خاصا لأن المأمور باتقاء الله هم جميع المكلفين - البحر المحيط ٢/٩١ (٢) زيد من م و مد و ظ (٣) فى الأصل : الحلائق ، و التصحيح من بقية الأصول (٤-٤) ليس فى ظ (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فى. (٦) العبارة من هنا إلى « للحاج » ليست فى ظ (٧) فى م و مد : ناسا (٨) فى ظ : فاحيبت ، و فى و مد : فاجيبت .

ربكم ط ﴾ المحسن إليكم فى كل حال فلا تعتمدوا فى الفضل[1] إلا عليه ، و روى البخاري في التفسير عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : كانت عكاظ و مجنة و ذو المجاز أسواقا في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا فى المواسم فنزلت "ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم[2]" فى مواسم الحج .

و لما كان الاستكثار من المال إنما يكره للشغل عن ذكر الله سبب عنه الأمر[3] بالذكر فى قوله "فاذا" أى فاطلبوا الفضل من ربكم بالمتجر ﴿ فاذآ افضتم ﴾[4] أى أوقعتم الإفاضة ، ترك مفعوله للعلم به[4] أى دفعتم ركابكم[5] عند غروب الشمس فاضت فى تلك الوهاد /كما /٢٠٠ يفيض الماء المنساب[6] فى منحدر الشعاب ، و أصل الإفاضة[7] الدفع بكثرة[8]

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فضل (٢) و مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما نهى عن الجدال ، و التجارة قد تفضى إلى المنازعة ناسب أن يتوقف فيها لأن ما افضى إلى المنهي عنه منهي عنه ، و لأن التجارة كانت محرمة عند أهل الجاهلية إذ من يشتغل بالعبادة يناسبه أن لا يشغل نفسه بالأكساب الدنيوية ، أو لأن المسلمين لما صار كثير من المباحات محرما عليهم فى الحج كانوا بصدد أن تكون التجارة من هذا القبيل عندهم فأباح الله ذلك و أخبرهم أنه لا درك عليهم فيه فى أيام الحج ، و يؤيد ذلك قراءة من قرأ في مواسم الحج - البحر المحيط ٢/٩٤ (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : للأمر (٤-٤) ليست فى ظ (٥) من م و مد و ظ . و فى الأصل : زكاتكم (٦) فى م و ظ : المنساب (٧) الإفاضة الانخراط و الاندفاع و الخروج من المكان بكثرة شبه بفيض الماء و الدمع ، فأفاض من الفيض لا من فوض و هو اختلاط الناس بلا سائس يسوسهم - البحر المحيط ٢/٨٣ (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكثرة .

﴿من عرفت﴾ الجبل الذى وقفتم فيه بباب ربكم [١] الموقف الأعظم الذى لا يدرك الحج إلا به [٢] من معنى التعرف لما تقدمته نكرة ، و ليست [٢] [٣] تاؤه للتأنيث فتمنعه الصرف بل هى علامة جمع المؤنث [٣] ، قاصدى [٤] المبيت [٥] بالمزدلفة ، و هو [٦] علم [٧] على الموقف سمى بجمع [٧] ﴿فاذكروا الله﴾ ذا [٨] الجلال لذاته [٩] بأنواع الذكر ﴿عند﴾ [١٠] أى قريبا من [١٠] ﴿المشعر﴾ ٥ [١١] أى المعلم [و لما كان - [١٢]] بالحرم ، قال : ﴿الحرام ص﴾ و هو الجبل المسمى قزح [١٣] ، و هو من الشعور و هو خفى الإدراك الباطن [١٤] فالموقف الأول آية على نقوض [١٥] الدنيا و محوها و زوالها ، و الثانى دال [١٦] بفجره [١٧] و شمسه [١٨]

(١) العبارة من هنا إلى « جمع المؤنث » ليست فى ظ (٢-٢) ليست فى م . (٣-٣) ليست فى م و ظ (٤) من ظ ، و فى بقية الأصول : قاصدين (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : البيت (٦) زيد فى ظ : اسم و فى البحر المحيط ٢/٨٣ : علم على الجبل الذى يقفون عليه فى الحج ، فقيل : ليس بمشتق ، و قيل : هو مشتق من المعرفة و ذلك سبب تسميته بهذا الاسم ، و فى تعيين المعرفة أقاويل . . . . و قيل : من العرف و هو الرائحة الطيبة ، و قيل : من العرف و هو الصبر ، و قيل : العرب تسمى ما علا عرفات و عرفة ، و منه عرف الديك لعلوه ، و عرفات مرتفع على جميع جبال الحجاز ؛ و عرفات إن كان اسم جبل فهو مؤنث (٧-٧) فى ظ : فى معنى التعرف لما تقدمته نكرة (٨) من ظ ، و فى بقية الأصول : ذو (٩) ليس فى ظ (١٠-١٠) ليست فى ظ (١١) العبارة من هنا إلى « قال » ليست فى م (١٢) زيد من مد (١٣) فى الأصل و م و مد : فرح ، و فى ظ : فرح - راجع لسان العرب (١٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لباطن (١٥) فى مد و ظ : نقوض ، و فى م : نقوض (١٦) فى الأصل : وان ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٧) من ظ ، و فى م : لفجره ، و فى مد : يفجره ، و فى الأصل : يجزه (١٨) فى الأصل : سميته ، و التصحيح من م و مد و ظ .

على البحث لمجازاة[1] الخلائق بأعمالها؛[2] و التعبير بعند[3] للاعلام بأن مزدلفة كلها موقف غير محسر[4] فانها كلها تقاربه[5]، و يفهم ذلك صحة الوقوف عليه بطريق الأولى. قال الحرالى: و ذلك حظ من الوقوف هنيهة وقت فى البلد الحرام عند إقبال النهار معادلة للوقوف بعرفة من الحل إلى إقبال الليل ليتثنى[6] الوقوف فى الحل و الحرم. فكان فيه موقف نهار[7] ينتهى إلى الليل فى عرفة و موقف ليل[8] ينتهى إلى النهار فى المشعر[9]؛ فوقف فيه صلى الله عليه و سلم بعد صلاة الفجر و قبل[10] طلوع الشمس، و هو ذكره عنده، لأن الذكر بحسب الذاكر، فذكر اللسان القول، و ذكر البدن العمل، و ذكر النفس الحال و الانفعال، و ذكر القلب المعرفة و العلم و اليقين و نحو ذلك، و لكل شىء[11] ذكر بحسبه؛ و فى جمع الموقفين فى الحل و الحرم فى معلم الحج الذى هو آية الحشر إيذان و بشرى بأن أهل الموقف صنفان: [صنف -[12]] يقفون فى موطن

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: بمجازاة (٢) العبارة من هنا إلى «بطريق الأولى» ليست فى ظ (٣) و معنى العندية هنا القرب منه وكونه يليه، و مزدلفة كلها موقف إلا وادى محسر، و جعلت كلها موقفا لكونها فى حكم المشعر و متصلة به - البحر المحيط ٢/٩٧ (٤) فى الأصل: محر، و فى م: محشر، و التصحيح من مد. (٥) من م و مد، و فى الأصل: مقاربة (٦) من م و مد، و فى الأصل: ليلتى، و فى ظ: ليتثنى (٧) من م و ظ و مد، و فى الأصل: نهارا (٨) فى م و مد: الليل. (٩) زيد فى م: الحرام (١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: قبل (١١) زيد فى الأصل «و» و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (١٢) زيد من م و مد و ظ.

روع و مخافة وقوفا طويلا اعتبارا بوقوف الواقفين[1] بعرفة من حين زوال الشمس إلى غروبها ست ساعات ، و صنف حظهم[2] من الوقوف[3] قرار فى أمنة[3] ظل العرش الذى هو حرم يوم القيامة و كعبته[4] فتشعر خفة[4] الوقوف بالمشعر الحرام أن أمد طول ذلك اليوم يمر على المستظلين بظل العرش فيه كأيسر مدة كما قال عليه الصلاة و السلام بمقدار صلاة مكتوبة ، فكان فى ذلك فضل ما بين موقف الحرم على موقف الحل - انتهى .

و لما[5] علم من ذكر الاسم الأعظم أن التقدير : كما هو مستحق للذكر[6] لذاته ، عطف عليه قوله : ﴿ و اذكروه ﴾ أى عند المشعر و غيره ﴿ كما[7] ﴾[8] أى على ما و لأجل ما[8] ﴿ هداكم ج ﴾ أيها الناس كافة للاسلام و أيها الخمس خاصة لترك[9] الوقوف به و الوقوف مع الناس فى موقف

(١) فى الأصل : المواقفين ، و التصحيح من م و مد و ظ (٢) فى م و مد و ظ : حطهم ، و فى الأصل : خطهم (٣-٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : قرارا فى أمنه. (٤-٤) من مد و ظ ، و فى الأصل : فيشعر خفة ، و فى م : فتشعر حضر (٥) ليس فى م و مد ، و فى الأصل : كما ، و التصحيح من ظ (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الذكر (٧) و فى البحر المحيط : و الكاف فى "كما" للتشبيه ، و هى فى موضع نصب إما على النعت لمصدر محذوف و إما على الحال .... و المعنى أوجدوا الذكر على أحسن أحواله من مماثلته لهداية الله لكم إذ هدايته إياكم أحسن ما أسدى إليكم من النعم فليكن الذكر من الحضور و الديمومة فى الغاية حتى تماثل إحسان الهداية ؛ و لهذا المعنى قال الزمخشرى : اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة - انتهى (٨-٨) ليست فى ظ (٩) فى الأصل : الترك ، و التصحيح من بقية الأصول .

أبيكم إبراهيم عليه الصلاة و السلام . [١] و لما كان التقدير : فانه بين لكم بيانا لم يبينه لأحد كان قبلكم و وفقكم للعمل عطف عليه قوله[١] : ﴿ و ان ﴾ أي فانكم[٢] ﴿ كنتم ﴾[٣] و لما كانوا قبل عمرو بن لحى على هدى فكان[٤] منهم بعد ذلك المهتدى كزيد بن عمرو [و - [٥]] وورقة بن نوفل فلم يستغرق زمانهم بالضلال أثبت الجار فقال : ﴿ من قبله ﴾ أى الهدى الذى جاءكم به محمد صلى الله عليه و سلم ﴿ لمن الضآلين [٦] ﴾ عن سنن الهدى و مواقف الأنبياء [١] علما و عملا حيث كنتم تفيضون من المشعر الحرام [١] .

و لما قبح[٧] [عليهم - [٨]] ما كانوا عليه من المخالفة فى الوقوف بالنسبة إلى الضلال بالجملة الاسمية مؤكدة بأنواع التأكيد [١] و كان ما مضى من ذكر الإفاضة ليس بقاطع فى الوجوب[١] أشار لهم إلى تعظيم ما هداهم له من الموافقة بأداة التراخى فقال عاطفا على ما[٩] تقديره : فلا تفيضوا من المشعر الحرام الإفاضة التى كنتم تخالفون فيها الناس[١] دالا على تفاوت الإفاضتين و بعد ما بينهما على وجه معلم بالوجوب[١] : ﴿ ثم ﴾ أى بعد طول[١٠] تلبسكم بالضلال أنزلت عليكم فى هذا الذكر الحكيم

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى م و ظ : و انكم (٣) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٤) فى م و مد : و كان (٥) زيد من م و مد (٦) و الظاهر فى الضلال أنه ضلال الكفر كما أن الظاهر فى الهداية هداية الإيمان ، و قيل : من الضالين عن مناسك الحج أو عن تفصيل شعائره - البحر المحيط ٢/٩٨ (٧) فى الأصل : فتح ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) زيد من م و مد و ظ . (٩) ليس فى م (١٠) ليس فى ظ .

الذى أبيتموه[1] و هو[2] عزكم و شرفكم[2] لا ما ظننتم أنه شرف لكم بالتعظم[3] على الناس بمخالفة الهدى[4] فى الوقوف بالمزدلفة و الإفاضة منها[4] ﴿ افيضوا ﴾ أى إذا قضيتم[5] الوقوف . و قال الحرالى: لما كان للخطاب ترتيب للأهم فالأهم كما كان[6] للكيان[7] ترتيب للأسبق فالأسبق كان حرف المهلة[8] الذى هو 'ثم' يقع تارة لترتيب[9] الكيان و تارة لترتيب الإخبار فيقول القائل مثلا: امش[10] إلى حاجة كذا[11] - تقديما فى الخبر للأهم[12] - ثم ليكن[13] / خروجك من موضع كذا، فيكون السابق فى الكيان متأخرا بالمهلة[8] فى الإخبار، فمن معنى ذلك قوله - انتهى[11] . ثم أفيضوا[14] أيها الحمس! ﴿ من حيث افاض الناس ﴾ أى معظمهم[15]، و هو عرفات، إلى المشعر الحرام لتبيتوا[16] بـه، و روى البخارى فى التفسير عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: كانت قريش و من دان دينها يقفون بالمزدلفة و كانوا يسمعون الحمس[17] و كان سائر العرب

/ ٢٠١

(١) فى الأصل و ظ: اتيتموه؛ و التصحيح من م و مد (٢-٢) فى م و ظ ومد: شرفكم وعزكم (٣) من م ومد و ظ، و فى الأصل: بالتعظيم (٤-٤) ليست فى ظ (٥) فى م: افضتم (٦) فى ظ: ان (٧) فى الأصل: للكتاب، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) فى الأصل: المهمة، و التصحيح من م و مد و ظ (٩) فى الأصل: لترهب، و التصحيح من م و مد و ظ (١٠) فى مد: امس (١١) ليس فى م (١٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الاهم (١٣) فى م: لكن (١٤) زيد فى ظ: اى (١٥) من م و مد، و فى الأصل: يعطهم، و فى ظ: كافة (١٦) فى ظ: ليبيتوا (١٧) من م و ظ، و فى الأصل و مد: الخمس .

يقفون بعرفات فلما جاء الإسلام أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم أن يأتى عرفات ثم يقف بها[١] ثم يفيض منها فذلك قوله سبحانه و تعالى "ثم افيضوا" - الآية، ﴿[٢]و استغفروا الله ط[٢]﴾[٣] أى اطلبوا[٤] من ذى الجلال و الإكرام[٤] أن يغفر لكم ما كنتم تفعلونه أيام جاهليتكم من مخالفة الهدى فى الوقوف و[٥] ما يبقى[٥] فى الأنفس من آثار تلك العادة و من غير ذلك من النقائص التى يعلمها الله منكم. قال الحرالى: و العادات[٦] أشد ما على المتعبدين و الطريق إلى الله تعالى بخلعها[٦]، و قد كان جدالهم أى فى وقوفهم فى الحرم بغير علم لأن العلم يقتضى أن الواقف خائف و الخائف لا يخاف فى الحرم لأن الله سبحانه و تعالى جعل الحرم آمنا، فمن حق الوقوف أن يكون فى الحل فاذا أمن دخل الحرم و إذا دخل الحرم أمن - انتهى. [٧]و أظهر[٨] الاسم الشريف تعريفا[٩] للمقام و إعلاما بأنه

(١) فى الأصل: لها، و التصحيح من م و مدوظ (٢-٢) فى الأصل: استغفر الله. و التصحيح من بقية الأصول (٣) أمرهم بالاستغفار فى مواطن مظنة القبول و أماكن الرحمة و هو طلب الغفران من الله باللسان مع التوبة بالقلب، إذ الاستغفار باللسان دون التوبة بالقلب غير نافع. و أمروا بالاستغفار و إن كان فيهم من لم يذنب كمن بلغ قبيل الإحرام و لم يقارف ذنبا و أحرم فيكون الاستغفار من مثل هذا لأجل أنه ربما صدر منه تقصير فى أداء الواجبات و الاحتراز من المحظورات، وظاهر هذا الأمر أنه ليس طلب غفران من ذنب خاص بل طلب غفران الذنوب، و قيل: إنه أمر لطلب غفران خاص - البحر المحيط ٢/١٠١ (٤-٤) فى ظ: منه (٥-٥) فى م و مد و ظ: مما تبقى (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: العبادات (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يخلعها (٨) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ (٩) من م و مد، و فى الأصل: الاظهر (١٠) فى م و مد: تعظيما.

موصوف بما يصفه به على وجه العموم من غير نظر إلى قيد و لا حيثية[1] فقال: ﴿ ان الله ﴾ ذا[2] الكمال ﴿ غفور ﴾ أى ستور ذنب من استغفره ﴿ رحيم ﴾ أى بليغ[3] الرحمة يدخل المستغفر فى جملة المرحومين الذين لم يبد منهم ذنب فهو يفعل بهم من الإكرام فعل الراحم بالمرحوم ليكون التائب من الذنب كمن لا ذنب له. ٥

و لما أمرهم بالذكر فى المناسك و كان الإنسان فيها بصدد الذكر أمرهم بالذكر بعد قضائها لأن من فرغ من العبادة كان بصدد أن يستريح فيفتر عن الذكر إلى غيره و كانت عادتهم أن يذكروا بعد فراغهم مفاخر آبائهم فقال: ﴿ فاذا قضيتم ﴾[4] أى أنهيتم[5] إنهاء بينا لا شبهة فيه[5] ﴿ مناسككم ﴾ أى أركان الحج، [6] و أعاد الاسم الأعظم بمثل[7] ١٠ ما مضى من التعظيم و تعميم[8] الذكر فى جميع الوجوه فقال[9]: ﴿ فاذكروا الله ﴾ الذى لا نعمة عليكم إلا منه و هو الذى هداكم،

(١) من م و مد، و فى الأصل: حيفية ـ كذا (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ذو (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: يتبع (٤) و قال السدى: كانوا إذا قضوا المناسك و أقاموا بمنى يقوم الرجل و يسأل الله فيقول: اللهم! إن أبى كان عظيم الجفنة كثير المال فأعطنى بمثل ذلك، ليس يذكر الله إنما يذكر أباه و يسأل الله أن يعطيه فى دنياه .... و المعنى: ابتهلوا بذكر الله و الهجوا به كما يلهج المرء بذكر أبيه (٥-٥) ليست فى ظ (٦) العبارة من هنا إلى «جميع الوجوه» ليست فى ظ (٧) فى مد: لمثل (٨) من م و مد، و فى الأصل: تعمم (٩) سقط من ظ.

ذكرا[1] ﴿كذكركم آباءكم﴾ لكونهم أحسنوا إليكم بالتربية التى هى فى الحقيقة من فضل الله تعالى، على أنهم فعلوا بكم كل[2] محنة لا توازيها نعمة فانهم أضلوكم، فسبحان من رضى[3] و هو المنعم المطلق الهادى بأن يذكر مثل ذكر من كان سببا لنعمة خاصة هو سبحان[4] الذى أفاضها عليه مع أنه كان سببا فى الضلال! قال الحرالى: فانتظم ذكر إخراجهم عن قولهم المعهود باخراجهم عن موقفهم المعهود إخراجا لهم عن معتادهم فى أعمالهم و أحوالهم، و فى إعلامه *أخذ للخلق* بأن يعاملوا الحق معاملة من يجلونه[6] من الخلق و ذلك عن بلية ما غلب عليهم من التقيد[7] بما يرون و ضعف الإيمان بما سمعوا أو علموا.

و لما كان فى هذه التربية[8] بخس[9] جرى[10] عليه هذا الخطاب كما ورد «استحى من الله كما تستحي[11] رجلا جليلا من قومك» قال تعالى: ﴿او اشد ذكرا[1]﴾ انتهى. أى[12] [13] اذكروا الله ذكرا أعلى[14] من ذلك

(١) سقط من ظ (٢) ليس فى م و مد و ظ (٣) زيد فى م: عنكم (٤) فى م ومد و ظ: سبحانه (٥-٥) فى الأصل: احد الخلق، و التصحيح من بقية الأصول. (٦) فى م: يجعلونه، و لا يتضح فى مد (٧) من م و ظ و مد، و فى الأصل: التقييد (٨) من ظ، و فى بقية الأصول: الرتبة (٩) من م و ظ، و فى الأصل: بحسن، و فى مد: بحس (١٠) فى الأصل: حوى، و التصحيح من م و ظ و مد (١١) فى الأصل: يستحى، و التصحيح من م و مد و ظ (١٢) زيد فى ظ: منكم، و زيد فى م: و، و فى مد: او (١٣) العبارة من هنا إلى «من ذكركم» ليست فى ظ (١٤) من م و مد، و فى الأصل: على.

بأن تذكروه ذكرا أشد من ذكركم لآبائكم لما له من الفضل العام[1]، و مما يدخل تحت هذا الذكر أن يأنف من أن يكون لله[2] فى عبادته أو شىء من أموره شريك كما يستنكف ابن [3]أن يكون لأبيه فيه شريك بل يكون فى أمر الشرك أشد أنفة . قال الحرالى: فرفع الخطاب إلى ما هو أليق [بالحق -[4]] من إيثار ما يرجع إليه على ما يرجع إلى الخلق [انتهى - ٤] .

و لما أمر تعالى[5] بما أمر من ذكره[6] لذاته ثم لإحسانه على الإطلاق ثم قيد بافراده[7] بذلك و ترك ذكر الغير سبب عنه تقسيم الناس فى قبول الأمر فقال[8] صارفا من[9] القول عن الخطاب دلالة على العموم : ﴿ فمن الناس[10] من[9] ﴾ تكون الدنيا أكبر همه فلا التفات

(١) العبارة من هنا إلى « انفة » ليست فى ظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل : الله (٣) ليس فى م و مد (٤) زيد من م و ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : بها ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٦) العبارة من هنا إلى « ذكر الغير » ليست فى ظ ، و أخرت فى م عن « فمن الناس من » (٧) فى م : لافراده. (٨) العبارة من هنا إلى « على العموم » ليست فى ظ (٩) ليس فى مد . (١٠) قالوا : بين تعالى حال الذاكرين له قبل مبعثه و حال المؤمنين بعد مبعثه و علمهم بالثواب و العقاب ، و الذى يظهر أن هذا تقسيم للأمورين بالذكر بعد الفراغ من المناسك و أنهم ينقسمون فى السؤال إلى من يغلب عليه حب الدنيا فلا يدعو إلا بها ، و منهم من يدعو بصلاح حاله فى الدنيا و الآخرة ، و أن هذا من الالتفات و لو جاء على الخطاب لكان : فمنكم من يقول و منكم ، و حكمة هذا الالتفات أنهم ما وجهوا بهذا الذى لا ينبغى أن يسلكه عاقل و هو الاقتصار على الدنيا فأبرزوا فى صورة أنهم غير مخاطبين بذكر الله بأن =

/٢٠٢ له إلى غيرها فهو ﴿ يقول ﴾ / [1] أفرد الضمير رعاية للفظ "من" بشارة بأن الهالك [2] فى هذه الأمة إن شاء الله قليل ﴿ ربنآ [3] ﴾ أيها المحسن إلينا ﴿ آتنا فى الدنيا ﴾ [4] و مفعوله محذوف تقديره: ما نريد - ﴿ و ﴾ الحال أنه ﴿ ما له ﴾ [6] و يجوز أن يكون [7] عطفا على ما تقديره: فيعطيه ما شاء سبحانه منها لا [8] ما طلب هو، و ليس [له - [9]] ﴿ فى الآخرة من خلاق ﴾ أى نصيب لأنه لا رغبة له فيها فهو لا يطلبها و لا يسعى لها سعيها. قال الحرالى: و الخلاق الحظ اللائق بالخَلَق و الخُلق. ﴿ و منهم من ﴾ [10] يجعل عبادته و حجه وسيلة إلى الرغبة إلى ربه و [11] يذكر الله تعالى كما أمر فهو ﴿ يقول ربنآ ﴾ باحسانك ﴿ آتنا فى الدنيا ﴾ حالة [12] و عيشة [13] ﴿ حسنة ﴾ لا توصل بها إلى الآخرة على ما يرضيك. قال الحرالى: و هى الكفاف من المطعم و المشرب و الملبس

= جعلوا فى صورة الغائبين، و هذا من التقسيم الذى هو من جملة ضروب البيان وهو تقسيم بديع يحصره المقسم إلى هذا النوعين - البحر المحيط ٢/١٠٤.

(١) العبارة من هنا إلى «قليل» ليست فى ظ (٢) فى م: الهلاك (٣) و جمع فى قوله: ﴿ربنا آتنا فى الدنيا﴾ و لو جرى على لفظ "من" لكان: رب آتنى، و روعى الجمع هنا لكثرة من يرغب فى الاقتصار على مطالب الدنيا و نيلها، و لو أفرد لتوهم أن ذلك قليل - البحر المحيط ٢/١٠٥ (٤) ليس فى م. و العبارة من هنا إلى «ما نريد» ليست فى ظ (٥) من مد، و فى م: يزيد، و فى الأصل: يريد. (٦) العبارة من هنا إلى «وليس» ليست فى ظ (٧) زيد فى م و مد: هذا (٨) من مد، و فى الأصل: لأنه، و فى م: لأن (٩) زيد من م و مد (١٠-١٠) ليست فى ظ.

و المأوى و الزوجة على ما كانت لا شرف فيها - انتهى . ﴿ و فى الأخرة حسنة ﴾ أى من رحمتك التى [1] تدخلنا بها [1] الجنة . و لما كان الرجاء لا يصلح إلا بالخوف [2] و إعطاء الحسنة [3] لا ينفى [4] المس [5] بالسيئة [6] قال : ﴿ و قنا عذاب النار [7] ﴾ أى بعفوك و مغفرتك . و لما كان هؤلاء على منهاج الرسل [8] لأنهم عبدوا الله أولا كما أشار إليه السياق فانكسرت نفوسهم [ثم - [9]] ذكروه على تلك المراتب الثلاث فنارت [قلوبهم - [9]] بتجلى [10] نور جلاله سبحانه و تعالى فتأهلوا بذلك للدعاء فكان دعاؤهم كاملا ، كما فعل الخليل عليه الصلاة و السلام حيث قال : " الذى خلقنى فهو يهدين - الآيات [حتى - [9]] قال : رب هب لى حكما و الحقنى

(١-١) من م و مد ، و فى ظ : تدخلها بنا ، و فى الأصل : قد حلنا بها (٢) العبارة من هنا إلى « بالسيئة » ليست فى ظ (٣) من م و مد ، و فى الأصل : الجنة (٤) من م و مد ، و فى الأصل : لا تنفى (٥) من م و مد ، و فى الأصل : الا (٦) فى م : من السيئة (٧) و قال القشيرى : و اللام فى " النار " لام الجنس فتحصل الاستعاذة عن نيران الحرقة و نيران الفرقة - انتهى ، و ظاهر هذا الدعاء أنه لما كان قولهم : ﴿ فى الاخرة حسنة ﴾ يقتضى أن من دخل الجنة و لو آخر الناس صدق عليه أنه أوتى فى الآخرة حسنة فدعوا الله تعالى أن يكونوا مع دخول الجنة يقيهم عذاب النار فكأنه دعاء بدخول الجنة أولا دون عذاب و أنهم لا يكونون ممن يدخلون النار بمعاصيهم و يخرجون منها بالشفاعة ، و يحتمل أن يكون مؤكدا لطلب دخول الجنة كما قال بعض الصحابة : إنما أقول فى دعائى : اللهم! أدخلنى الجنة و عافنى من النار و لا أدرى ما دندنتك و لا دندنة معاذ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حولها ندندن - البحر المحيط ٢ / ١٠٦ (٨) العبارة من هنا إلى « فقدموا الطاعة » ليست فى ظ (٩) زيد من م و مد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : تتجلى .

بالصلحين[١] "، فقدم الذكر على الدعاء وكما هدى إليه آخر آل عمران فى قوله : "ربنا انا سمعنا مناديا ينادى للايمان ان آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا[٢] - الآيات[٣] ، فقدموا الطاعة عظم شأنهم بقوله على سبيل الاستئناف[٤] جامعا [٥]على معنى[٥] من بشارة بكثرة الناجى فى هذه الأمة[٦]

٥ أو يكون الجمع لعظم[٧] صفاتهم : ﴿ اولئك ﴾[٨] أى العالو المراتب العظيمو المطالب ﴿ لهم ﴾ [٩]أى هذا القسم فقط لأن الأول قد[١٠] أخبر أن الأمر عليه لا له .

ولما كان غالب أفعال العباد على غير السداد[١١] وأقل[١١] ما فيها أن تكون خالية[١٢] عن نية حسنة قال مشيرا إلى ذلك : ﴿ نصيب ﴾ وهو

١٠ اسم للحظ الذى أتت عليه القسمة بين جماعة ، كائن[١٣] ﴿ مما ﴾[١٤] لو

---

(١) سورة ٢٦ آية ٧٨ - ٨٣ (٢) زيد فى م : ذنوبنا (٣) سورة ٣ آية ١٩٣ .
(٤) العبارة من هنا إلى « صفاتهم » ليست فى ظ (٥ - ٥) فى م : أعلى (٦) فى الأصل : الآية ، والتصحيح من م ومد (٧) فى م ومد : تعظيم (٨) فالظاهر أن « اولئك » إشارة إلى الفريقين إذ المحكوم به وهو كون نصيب لهم مما كسبوا مشترك بينهما ، فالمعنى أن كل فريق له نصيب مما كسب إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، ولا يكون الكسب هنا الدعاء بل هذا مجرد إخبار من الله بما يؤل إليه أمر كل واحد من الفريقين وأن أنصباءهم من الخير والشر تابعة لأنصبائهم .... وكما جاء فى الصحيح : وأما الكافر فيطعم بحسناته فى الدنيا ما عمل لله بها فاذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يجزى بها - البحر المحيط ٢ / ١٠٦ .
(٩) العبارة من هنا إلى « لأنه » ليست فى ظ (١٠) ليس فى م (١١-١١) من م ومد وظ ، وفى الأصل : ماقل (١٢) فى ظ : لحاله (١٣) ليس فى ظ (١٤) زيد فى م ومد « وه » . والعبارة من هنا إلى « إلى قوله » ليست فى ظ .

لو قال : طلبوا ـ مثلا ، لم يعم[1] جميع أفعالهم ؛ و لو قال : فعلوا ، لظُن خروج القول فعدل إلى قوله : ﴿ كسبوا ﴾ أى[2] طلبوا و أصابوا و تصرفوا و اجتهدوا[3] فيه و جمعوا من خلاصة أعمالهم القولية و الفعلية و منها الاعتقادية و هو ما أخلصوا فيه [4]فهو الذى يثابون عليه[4] و هو قليل بالنسبة إلى باقى أعمالهم . ٥

و لما كان أسرع الناس [حسابا-[5]] أعلمهم بفنونه خطأ و صوابا و[6] كان التقدير : فالله عالم بخفى أعمالهم و جليها و تمييز جيدها من رديئها فهو يجازيهم على حسب ذلك عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ [4]أى المحيط علما و قدرة[4] ﴿ سريع الحساب ﴾ [7]و هو أحصى الأعمال و بيان ما يجب لكل [منها-[8]] من الجزاء و اتصاله[9] إلى العامل[10] لما له من ١٠ سعة العلم و شمول القدرة ، قيل لبعضهم : كيف يحاسب الله الخلق فى وقت واحد ؟ قال : كما يرزقهم فى وقت واحد ؛ [11]و فيه ترغيب بأنه لا ينسى عملا ، و ترهيب بأنه لا يمشى[12] عليه باطل و لا يقدر على مدافعته مطاول[13] .

---

(١) فى الأصل : لم يقم ، و التصحيح من م و مد (٢) العبارة من هنا إلى « الاعتقادية » ليست فى ظ (٣) فى م : فاحتهدوا (٤-٤) ليست فى ظ (٥) زيد من م و مد و ظ (٦) زيد فى مد « لما » (٧) العبارة من هنا إلى « إلى العامل » ليست فى ظ (٨) زيد من م و مد (٩) فى م : ايصاله (١٠) فى الأصل : العالم ، و التصحيح من م و مد (١١) العبارة من هنا إلى « مطاول » ليست فى ظ . (١٢) فى م : لا يمسى (١٣) فى م : مطول .

و لما كان قد أمرهم بذكره عند قضاء الأركان [١] و كان [١] ربما فهم اقتصارهم عليه فى الوقت الذى كانوا يذكرون فيه آباءهم قال معمّما و ليكون الحث عليه آكد لتكرير الندب إليه بصيغة الأمر فيكون أضخم لشأنه: ﴿ و اذكروا ﴾ [٢] بالرمى، أمر بالرمى و عبر عنه بالذكر ٥ ليشمل كل ذكر لسانيا كان أو غيره ﴿ الله ﴾ أى لما يستحقه فى ذاته من الكمال [٣] ﴿ فى أيام ﴾ [٤] و لما كانت لا تحتاج [٥] إلى غير [٦] العد لكونها قليلة و بعد الأيام التى يحتاط فى أمرها بالرأى [٧] و غيره حتى تكون معلومات [٨] قال جامعا صفة ما لا يعقل بما اطرد فيها من الألف و التاء إذا كان موصوفها جمع قلة: ﴿ معدودٰت ط ﴾، و هى أيام إقامتكم / بمنى ٢٠٣ / ١٠ فى ضيافته سبحانه لفعل بقية [٩] ما عليكم من تتمات العبادات الحجية [١٠] أولها

(١ - ١) فى الأصل: كان، و التصحيح من م و مد و ظ (٢) زيد فى ظ: أى. و فى البحر المحيط ٢/١٠٩: هذا رابع أمر بالذكر فى هذه الآية، و الذكر هنا التكبير عند الجمرات و أدبار الصلاة و غير ذلك من أوقات الحج، أو التكبير عقيب الصلوات المفروضة - قولان. و فى ص ١١١: و إن هذا الذكر هو مما يختص به الحاج من أفعال الحج سواء كان الذكر عند الرمى أم عند أعقاب الصلوات (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: بالراى (٤) العبارة من هنا إلى «حتى تكون» ليست فى ظ (٥) فى الأصل: لا يحتاج، و التصحيح من م و مد (٦) من م، و فى الأصل: غيره (٧) فى م و مد: بالترآى (٨) العبارة من هنا إلى «معدودٰت» ليست فى ظ (٩) فى ظ: ينته (١٠) من ظ، و فى الأصل: أبحيه، و فى م و مد: الحجية. و العبارة من «اولها» إلى «و الذكر» ليست فى ظ.

يوم القر[1] و هو الحادى عشر [2]ليستقر الناس فيه[2] بمنى، ثانيها يوم النفر الأول، ثالثها يوم النفر الأعظم، و الثلاثة تسمى أيام التشريق، و هى[3] مع يوم العيد تسمى[4] أيام النحر. و الأربعة مع يوم عرفة أيام التكبير و الذكر؛ و لما فهم من هذا أنه لا بد من الإقامة بها -[5] فى مدة الثلاثة الأيام نفى ذلك ميسرا لأن الحج يجمع القوى و الضعيف و الخادم و المخدوم، و الضعيف فى هذا الدين[6] أمير على القوى فقال[7] مشيرا إلى أن الإنسان فى ذلك الجمع الأعظم[8] له نازعان نازع ينزع إلى[9] الإقامة فى تلك الأماكن المرضية و الجماعات المغفورة و نازع ينزعه إلى أهله و أوطانه و عشائره و إخوانه: ﴿ فمن تعجل ﴾[10] منكم النفر[5] للرجوع[11] إلى أوطانه ﴿ فى يومين[12] ﴾ منها ﴿ فلآ اثم عليه ج ﴾ و العجلة فعل الشىء

(١) من م و مد، و فى الأصل: العشر (٢-٢) فى م: يستقر فيه الناس (٣) فى الأصل و م: هو، و التصحيح من مد (٤) من م و مد، و فى الأصل: يسمى. (٥) ليس فى ظ (٦) فى م: الزمن (٧) العبارة من هنا إلى «و اخوانه» ليست فى ظ (٨) فى الأصل: اعظم، و التصحيح من م و مد (٩) فى مد: عن (١٠) زيد فى م و ظ و مد: اى (١١) فى ظ: الرجوع (١٢) و معنى ﴿فى يومين﴾ من الأيام المعدودات، و قالوا: المراد أنه ينفر فى اليوم الثانى من أيام التشريق.. و ظاهر قوله: ﴿فمن تعجل﴾ العموم فسواء فى ذلك الآفاقى و المكى، لكل منهما أن ينفر فى اليوم الثانى .... و لم تتعرض الآية للرمى لا حكما و لا وقتا و لا عددا و لا مكانا لشهرته عندهم، و تؤخذ أحكامه من السنة، و قيل فى قوله: "و اذكروا الله" تنبيه عليه، إذ من سنته التكبير على كل حصاة منها ﴿فلا اثم عليه﴾ ... و الذى يظهر أن المعنى: فلا اثم عليه فى التعجيل ولا إثم عليه فى التأخير لأن الجزاء مرتب على الشرط، و المعنى أنه لا حرج على من تعجل و لا على =

قبل وقته [١] الأليق به ، و قيد باليومين إعلاما بأن من أدركه غروب اليوم الثانى بمنى و هو مقيم لزمه مبيت الليلة الثالثة و رمى [٢] اليوم الثالث ، فان نفر قبل غروبه سقط عنه المبيت [٣] و الرمى ؛ قال فى شرح المهذب : بلا خلاف ، و كذا إن أدركه الغروب و هو راحل قبل أن ينفصل

= من تأخر .... و فى هاتين الجملتين الشرطيتين من علم البديع الطباق فى قوله : "فمن تعجل" و من تأخر و الطباق ذكر الشيء وضده كقوله : "وانه هو اضحك وابكى" وهو هنا طباق غريب ، لأنه ذكر تعجل مطابق تأخر ، و فى الحقيقة مطابق تعجل تأنى و مطابق تأخر تقدم ، فعبر فى تعجل بالملزوم عن اللازم ، وعبر فى تأخر باللازم عن الملزوم ؛ وفيها من علم البيان المقابلة اللفظية إذ المتأخر أتى بزيادة فى العبادة فله زيادة فى الأجر و إنما أتى بقوله : "فلا اثم عليه" مقابلا لقوله "فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه" كقوله : "فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه" البحر المحيط ٢/١١٢ .

(١) فى الأصل : وفيه ، و التصحيح من بقية الأصول (٢) فى الأصل : روى ، و التصحيح من بقية الأصول (٣) فى الأصل : بالمبيت ، و التصحيح من م و ظ و مد . و فى البحر المحيط ٢/١١١ : و ظاهر قوله : "فى يومين" أن التعجل لا يكون بالليل بل شيء من النهار بنفر إذا فرغ من رمى الجمار و هو مذهب الشافعى و هو مروى عن قتادة ، و قال أبو حنيفة : قبل طلوع الفجر و يعنى من اليوم الثالث .... و ظاهر قوله : "و من تعجل" سقوط الرمى عنه فى اليوم الثالث فلا يرمى جمرات اليوم الثالث فى يوم نفره .... و ظاهر قوله : "و اذكروا الله فى ايام معدودات فمن تعجل" - إلى آخره مشروعية المبيت بمنى أيام التشريق لأن التعجل والتأخر إنما هو فى النفر من منى و أجمعوا على أنه لا يجوز لأحد من الحجاج أن يبيت إلا بها إلا الرعاء و من ولى السقاية من آل العباس .

منها ، و لم يقيد التأخر لأن نهايته باليوم الثالث معروفة من أن الأيام ثلاثة .

و لما كان ذلك ربما أفهم أن المتأخر يلحقه إثم كما كان أهل الجاهلية يقولون و كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم قوما [1]يسابقون إلى المعالى[1] و كان سبحانه و تعالى يريد الرفق بأهل هذا الدين ستر[2] التصريح بالترغيب ٥ فى التأخر فعبر[3] عنه[4] أيضا بنفى الإثم كالأول بعد أن أشار إلى الترغيب فيه بالتعبير عن النفر[5] الأول بالتعجل[6] فقال : ﴿ و من تاخر ﴾ أى فأقام فى منى إلى تمام الثلاثة [7]فرمى اليوم الثالث[7] ﴿ فلآ أثم عليه[9] ﴾ و التأخر إبعاد الفعل [8]من الآن الكائن[8] . قال الشيخ محيى الدين فى شرح المهذب : قال الشافعى [9]رضى الله تعالى عنه[9] و الأصحاب : [يجوز[10]] ١٠ النفر فى اليوم الثانى من التشريق و يجوز فى الثالث ، و هذا مجمع عليه لقوله تعالى : " فمن تعجل " - الآية ، قالوا : و التأخر إلى اليوم الثالث أفضل[11] للأحاديث الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم نفر فى اليوم الثالث .

(١ - ١) فى الأصل : سابقون الى المعانى ، و التصحيح من بقية الأصول (٢) فى الأصل : مشير ، و التصحيح من م و مد و ظ (٣) من م و مد ، و فى الأصل : بغير ، و فى ظ : فعبر - كذا (٤) فى م و ظ : فيه (٥) فى ظ : بالنفى (٦) فى ظ : بالتعجيل (٧-٧) ليست فى ظ ، و فى الأصل : فرضى - مكان : فرمى ، و التصحيح من م و مد (٨ - ٨) فى الأصل : الكاين من الان ، و التصحيح من م و ظ و مد (٩ - ٩) ليست فى ظ (١٠) زيد من م و ظ و مد (١١) فى الأصل : اتصل ، و التصحيح من م و مد و ظ .

ولما كان مدار الأعمال البدنيات على النيات قيد ذلك بقوله: ﴿ لمن ﴾ أى هذا النفى للاثم عن القسمين [لمن - ١] ﴿ اتقى ٤ ﴾ من أهلها ٢ فأدار أفعاله على ما يرضى الله . ولما كان التقدير: فافعلوا ما شئتم من التعجل والتأخر عطف عليه ما علم أنه روحه فقال: ﴿ واتقوا الله ﴾ ٥ ٣ أى الذى له الإحاطة الشاملة ٣ . ولما كان الحج ٤ حشرا فى الدنيا والانصراف منه ٥ يشبه انصراف أهل الموقف بعد الحشر عن الدنيا فريقا إلى الجنة وفريقا إلى السعير ذكرهم بذلك بقوله: ﴿ واعلموا انكم ﴾ ٦ جميعا إليه لا إلى غيره ﴿ تحشرون ٥ ﴾ بعد البعث، والحشر الجمع بكره ٧ ، وهو واقع على أول خروجهم من الأجداث إلى انتهاء ١٠ الموقف ٨ ، فاعلموا ٩ لما يكون سببا فى انصرافكم [منه - ١٠] إلى دار كرامته

(١) زيد من م و مد و ظ . و فى البحر المحيط ٢/١١٢ : و قيل المعنى ذلك التخيير و نفى الإثم عن المتعجل و المتأخر لأجل الحاج المتقى لئلا يختلج فى قلبه شىء منهما فيحسب أن أحدهما ترهق صاحبه آثام فى الإقدام عليه ، لأن ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ، و لأنه الحاج على الحقيقة - قاله الزمخشرى (٢) فى مد: أهلها (٣-٣) ليست فى ظ ، و فى م: الكاملة - مكان: الشاملة (٤) فى م: الحشر (٥) فى م: عنه (٦) زيد فى م و ظ و مد: أى (٧) فى الأصل: يكره ، و فى م: بكرة ، و التصحيح من مد و ظ . و العبارة من هنا إلى « الموقف » ليست فى ظ (٨) فى ذكر الحشر تخويف من المعاصى ، و ذكر الأمر بالعلم دليل على أنه لا يكفى فى اعتقاد الحشر إلا الجزم الذى لا يجامعه شىء من الظن - البحر المحيط ٢/١١٣ (٩) كذا فى الأصل ، و فى م و ظ: فاعملوا ، و لا يتضح فى مد (١٠) زيد من م و ظ و مد .

لا

لا إلى دار إهانته . قال الحرالى : و كلية الحج و مناسكه مطابق فى الاعتبار لأمر يوم الحشر[1] و مواقفه[2] من خروج الحاج من وطنه متزودا كخروج[3] الميت من الدنيا متزودا بزاد العمل ، و وصوله إلى الميقات و إهلاله متجردا[4] كانبعاثه من القبر متعريا ـ[5] ، و تلبيته فى حجه كتلبيته[6] فى حشره " مهطعين الى الداع[7] " كذلك اعتباره موطنا إلى غاية الإفاضة ٥ و الحلول بحرم[8] الله فى الآخرة التى هى الجنة ، و الشرب من ماء زمزم التى هى آية نزل الله لأهل الجنة على وجوه من [9]الاعتبارات يطالعها[9] أهل الفهم و اليقين ، فلأجل ذلك كان أتم ختم لأحكام[10] الحج ذكر الحشر ـ انتهى . [و هنا ـ [11]] تم ما أراد سبحانه و تعالى من [بيان ـ [12]] قواعد الإسلام الخمس : الإيمان و الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج ، ١٠ المشار إلى الثلاث الأول منها بقوله تعالى أول السورة : " يؤمنون

(١) الحشر جمع القوم من كل ناحية ، و المحشر مجتمعهم ، يقال منه : حشر يحشر ، و حشرات الأرض دوابها الصغار ؛ و قال الراغب : الحشر ضم المفترق و سوقه و هو بمعنى الجمع الذى قلناه ـ البحر المحيط ٢/١٠٨ (٢) من مد و ظ ، و فى الأصل : موافقة (٣) فى الأصل : الخروج ، و التصحيح من م و مد و ظ . (٤) فى م و ظ : منجردا (٥) فى م فقط : متعديا (٦) فى ظ : تلبية (٧) فى م و مد و ظ : الداعى ـ راجع سورة ٥٤ آية ٨ (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تحرم (٩-٩) فى الأصل : الاختيارات مطالعها ، و التصحيح من م و ظ و مد . (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الاحكام (١١) زيد من م و مد (١٢) زيد من م و مد و ظ .

بالغيب و يقيمون الصلوٰة و مما رزقنهم ينفقون" و ذكر الحج لمزيد الاعتناء به لاحقا للصوم بعد ذكره سابقا عليه ؛ و لعل ذلك هو السبب في تقديم / الصوم على الحج تارة و تأخيره أخرى في روايات حديث ٢٠٤/
ابن عمر رضي الله تعالى عنهما في الصحيح « بني الإسلام على خمس » .

٥ و لما كان قد ذكر سبحانه و تعالى الراغب في الدنيا وحدها [و الراغب -[1]] في الدارين و كان قد بقي من الأقسام العقلية المعرض عنها و هو مفقود[2] فلم يذكره و الراغب في الآخرة فقط ؛ و كل من الأقسام تارة يكون مسرّا[3] و تارة يكون معلنا و كان المحذور[4] منها -[5] إنما هو المسر[6] لإرادة الدنيا باظهاره لإرادة الآخرة و كان هذا هو المنافق بدأ به بعد ذكر[7]

١٠ التقوى و الحشر ليكون مصدوعا بادئ بدء[8] بذلك الأمر مقصودا بالتهديد بالحشر و ساقه بصيغة ما في أول السورة من ذكر المنافقين ليتذكر السامع تلك القصص و يستحضرها بتلك[9] الأحوال و حسن ذلك طول الفصل و بعد العهد فقال : ﴿ و من الناس من[10] ﴾

---

(١) زيادة من م و ظ و مد (٢) في م : مفقور (٣) في الأصل : مسواء و التصحيح من م و مد و ظ (٤) في الأصل : المحدود ، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) من م و مد ، و في الأصل : بينها ، و قد سقط من ظ (٦) في الأصل : السر ، و التصحيح من م و مد و ظ (٧) ليس في ظ (٨) في ظ : بداء (٩) في م و ظ : يستحضرها تيك (١٠) و مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه لما قسم السائلين الله قبل إلى مقتصر على أمر الدنيا و سائل حسنة الدنيا و الآخرة و الوقاية من النار أتى بذكر النوعين هنا فذكر من النوع الأول من هو حلو المنطق مظهر الود و ليس ظاهره كباطنه و عطف عليه من يقصد رضى الله تعالى=

[1] أى شخص أو الذى [1] ﴿ يعجبك ﴾ [2] أى يروقك [3] و يأخذ بمجامع قلبك [4] أيها المخاطب ﴿ قوله ﴾ كما ذكرنا أول السورة أنه يخادع، و يعجب [5] من الإعجاب و هو من العجب و هو كون الشيء خارجا عن نظائره من جنسه حتى يكون ندرة [6] فى صنعه - قاله الحرالى . [7] و قال الأصبهانى : حالة تغشى [8] الإنسان عند إدراك كمال مجهول السبب ، [و عن الراغب أنه قال : و ليس هو شيئا له فى ذاته [حالة - [9]] بل هو بحسب الإضافات إلى من يعرف السبب - [10]] و من لا يعرفه ، و حقيقة أعجبنى كذا :

= و يبيع نفسه فى طلبه ، و قدم هنا الأول لأنه هناك المقدم فى قوله : « فمنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا » و أحال هنا على إعجاب قوله دون غيره من الأوصاف لأن القول هو الظاهر منه أولا فى قوله تعالى : " فمن الناس من يقول ربنا " فكان من حيث توجهه إلى الله تعالى فى الدعاء ينبغى أن يكون لا يقتصر على الدنيا و إن سأل منه ينجيه من عذابه ، و كذلك هذا الثانى ينبغى أن لا يقتصر على حلاوة منطقه بل كان يطابق فى سريرته لعلانيته - البحر المحيط ٢/١١٣ .

(١-١) ليست فى ظ (٢) العبارة من هنا إلى « بمجامع قلبك » ليست فى ظ (٣) من م و مد ، و فى الأصل : يرزقك (٤) العبارة من هنا إلى « اعرف سببه » سقطت من م (٥) الإعجاب إفعال من العجب و أصله لما لم يكن مثله - قاله المفضل ، و هو الاستحسان للشيء و الميل إليه و التعظيم ، تقول : أعجبنى زيد ، و الهمزة فيه للتعدى . و قال الراغب : العجب حيرة تعرض للانسان بسبب الشيء و ليس هو شيئا له فى ذاته حالة بل هو بحسب الإضافات إلى من يعرف السبب و من لا يعرفه ، و حقيقة أعجبنى كذا أى ظهر لى ظهورا لم أعرف سببه ؛ انتهى كلامه - قاله أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ٢/١٠٨ (٦) فى الأصل : نذره ، و التصحيح من مد و ظ (٧) العبارة من هنا إلى « اعرف سببه » ليست فى ظ .
(٨) من مد ، و فى الأصل : تنسى - كذا (٩) زيد من بحر المحيط قول الراغب
(١٠) زيدت من مد .

ظهر[1] لى ظهورا لم[2] أعرف سببه :

و لما [كان - ٣] ذكر هذا بعد ذكر الحشر ربما أوهم أن يكون القول أو[4] الإعجاب واقعا فى تلك الحالة قيده بقوله[5] : ﴿ فى ﴾ أى الكائن فى ﴿ الحيوة الدنيا[6] ﴾ لا يزداد[7] فى طول مدته فيها إلا تحسينا لقوله و تقبيحا لما[8] يخفى من فعله [و -][9] أما فى الآخرة[10] فكلامه غير حسن و لا معجب[10] ﴿ و يشهد الله ﴾ المستجمع لصفات الكمال

(١) من مد، و فى الأصل: اظهر (٢) فى الأصل ومد: لست، و التصحيح من البحر المحيط قول الراغب (٣) زيد من م وظ ومد (٤) من م ومد وظ، و فى الأصل: و (٥) زيد فى م: قوله (٦) ﴿فى الحيوة﴾ متعلق بقوله أى ﴿ يعجبك ﴾ مقالته فى معنى الدنيا لأن ادعائه المحبة و التبعية بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا و لا يريد به الآخرة إذ لا تراد الآخرة إلا بالإيمان الحقيقى و المحبة الصادقة - البحر المحيط ٢/١١٣ (٧) فى ظ: لا يزاد (٨) زيد فى م: لا (٩) العبارة من هنا إلى « و لا معجب » ليست فى ظ (١٠ - ١٠) ليست فى ظ . و قال الزمخشرى بعد أن ذكر هذا الوجه : و يجوز أن يتعلق بيعجبك أى قوله حلو فيصح فى الدنيا فهو يعجبك و لا يعجبك فى الآخرة لما ترهقه فى الموقف من الحبسة و الكنة أو لأنه لا يؤذن لهم فى الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه - انتهى؛ و فيه بعد و الذى يظهر أنه متعلق بيعجبك لا على المعنى الذى قاله، و المعنى أنك تستحسن مقالته دائما فى مدة حياته إذ لا يصدر منه من القول إلا ما هو معجب رائق لطيف فمقالته فى الظاهر معجبة دائما، ألا تراه يعدل عن تلك المقالة الحسنة الرائقة إلى مقالة خشنة منافية و مع ذلك أفعاله منافية لأقواله الظاهرة و أقواله الباطلة مخالفة أيضا لأقواله الظاهرة إذ لا يحمل قوله " يعجبك قوله " و قوله : " و هو الد الخصام " إلا على حالتين فهو حلو المقالة فى الظاهر شديد الخصومة فى الباطن - البحر المحيط ٢/١١٤ .

﴿ على ما فى قلبه ﴾ أنه مطابق لما أظهره[1] بلسانه ﴿ وهو ﴾ أى والحال أنه ﴿ ألد الخصام ﴾ أى يتمادى فى الخصام بالباطل لا يتقطع جداله كل ذلك وهو يظهر أنه على الحسن الجميل ويوجه[2] لكل شىء من خصامه وجها يصرفه عما أراد به من القباحة[3] إلى[4] الملاحة؛ و اللدد[5] شدة الخصومة، و الخصام القول الذى يسمع[6] المصيخ[7] و[8]يولج فى صماخه ما يكفه[9] عن مزعمه و دعواه - قاله الحرالى[10]. [11]و قال الأصبهانى: هو التعمق فى البحث عن الشىء و المضايقة فيه و يجوز أن يجعل الخصام ألد على المبالغة - انتهى[11].

و لما ذكر أنه ألد شرع يذكر وجه لدده فقال[12] عاطفا على ما

(١) فى ظ: اظهر (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: موجه (٣) من م ومد و ظ، و موضعه بياض فى الأصل (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الى.
(٥) و اللدد شدة الخصومة، يقال: لددت لدودا و لداذة و رجل ألد و امرأة لداء و رجال و نساء لد و رجل التد و يلتد أيضا شديد الخصومة، و إذا غلب خصمه قيل: لده يلده - متعديا، و قال الراجز: يلد أقران الرجال اللدد.
و اشتقاقه من لديدى العنق و هما صفحتاه - قاله الزجاج، و قيل: من لديدى الوادى هما جانباه، سميا بذلك لاعوجاجهما، و قيل: هو من لده حبسه، فكأنه يحبس خصمه عن مفاوضته و مقاومته (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: سمع، و فى م: يتم (٧) هكذا فى الأصل، و فى م و مد و ظ: المصيخ (٨) زيد فى م: يلج (٩) من م ومد وظ، و فى الأصل: يكفيه (١٠) وقال الأندلسى: والأصل فى الخصومة التعميق فى البحث عن الشىء ولذلك قيل فى زوايا الأوعية: خصوم، انواحد خصم - البحر المحيط ٢ / ١٠٨ (١١-١١) ليست فى ظ (١٢) العبارة من هنا إلى «جملة حالية» ليست فى م.

تقديره : فاذا واجهك[١] اجتهد فى إظهار أنه مصلح[٢] [٣]أو تكون جملة حالية[٣] ﴿ و إذا[٤] تولى ﴾ أى أعرض بقلبه[٥] أو قاله[٦] عمن خدعه بكلامه ، [٧]و كنى[٨] بالتعبير بالسعى عن[٩] الإسراع فى إيقاع الفتنة بغاية الجهد فقال : ﴿ سعى ﴾[١٠] و نبه على[١١] كثرة فساده بقوله : ﴿ فى الارض ﴾ [٣]أى كلها[٣] بفعله و قوله عند من يوافقه ﴿ ليفسد ﴾ أى ليوقع الفساد [١٢]و هو اسم لجميع المعاصى[١٢] ﴿ فيها ﴾ أى فى[١٣] الأرض[١٤] فى ذات البين لأجل الإهلاك و الناس أسرع شىء إليه فيصير له مشاركون فى أفعال[١٣] الفساد ؛ فاذا فعل منه ما يريد كان معروفا عندهم فكان له عليه أعوان [١٥]و بين أنه يصل بافساده إلى الغاية بقوله مسميا[١٦] المحروث حرثا[١٧]

(١) فى ظ : وجهك (٢) و فى هذه الآية دليل على الاحتياط بما يتعلق بأمور الدين و الدنيا و استواء أحوال الشهود و القضاة و أن الحاكم لا يعمل على ظاهر أحوال الناس و ما يبدو من إيمانهم و صلاحهم حتى يبحث عن باطنهم لأن الله بين أحوال الناس و أن منهم من يظهر جميلا و ينوى قبيحا ـ البحر ٢/١١٥ . (٣ - ٣) ليست فى ظ (٤) زيد فى ظ : اى و الحال ايضا انه اذا (٥) فى مد : قالبه (٦) العبارة من « أعرض » إلى هنا ليست فى ظ ، و من « بقلبه » ليست فى م (٧) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٨) فى الأصل : كنى ، والتصحيح من م و مد (٩) من م ، و فى الأصل : من (١٠) العبارة من هنا إلى « بقوله » ليست فى ظ (١١) فى الأصل : عن ، و التصحيح من م و مد . (١٢-١٢) ليست فى ظ . و فى الأصل : بجميع ـ مكان : لجميع ، والتصحيح من م و مد (١٣) ليس فى م و مد (١٤) العبارة من « أى » إلى هنا ليست فى ظ . (١٥) العبارة من هنا إلى « مبالغة » ليست فى ظ (١٦) فى الأصل : مسما ـ كذا ، و التصحيح من م و مد (١٧) زيد فى م : لأنه الذى .

مبالغة : ﴿ و يهلك الحرث ﴾ أى المحروث[1] الذى يعيش به الحيوان ؛ قال الحرالى [سماه حرثا لأنه الذى نسبة إلى الخلق ، و لم يسمه زرعا لأن ذلك منسوب إلى الحق - انتهى] . و لأنه إذا هلك السبب هلك المسبب من غير عكس ﴿ و النسل[1] ﴾ أى المنسول الذى به بقاء نوع الحيوان . قال الحرالى [[2]] : و هو استخراج لطيف الشىء من جملته - انتهى . و فعله ٥ ذلك للافساد[3] و نظمت[3] الآية هكذا إفهاما[4] لأن المعنى أن غرضه أولا بافساد[5] ذات البين التوصل إلى الإهلاك و ثانيا بالإهلاك[6] التوصل إلى الإفساد ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن[7] الملك الأعظم ﴿ لا يحب الفساد ﴾ أى لا يفعل فيه فعل المحب فلا يأمر به بل ينهى عنه و لا يقر عليه بل يغيره و إن طال المدى و يعاقب عليه ، و لم يقل : الهلاك ، لأنه ١٠ قد يكون[8] صورة فقط فيكون[8] صلاحا كما إذا كان قصاصا [و لا -[9]]

(١) ليس فى ظ (٢) العبارة المحجوزة من م و مد و ظ ، غير ان فى ظ : الذى به بدأ بقاء - مكان : المنسول الذى به بقاء (٣-٣) من م و ظ و مد ، و موضعه بياض فى الأصل (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ايهاما ، و فى البحر المحيط ٢/١١٦ : و الفساد يكون بأنواع من الجور و القتل و النهب و السبى و يكون بالكفر " و يهلك الحرث و النسل " عطف هذه العلة على العلة قبلها و هو " ليفسد فيها " و هو شبيه بقوله " و ملئكته و رسله و جبريل و ميكئل " و قوله :

أكر عليه دعلجا و لبانه

لأن الإفساد شامل يدخل تحته إهلاك الحرث و النسل و لكنه خصهما بالذكر لأنهما أعظم ما يحتاج إليه فى عمارة الدنيا فكان فسادهما غاية الإفساد (٥) فى م : ياق و (٦) من م و مد ، و فى ظ : باهلاك ، و فى الأصل : لاهلاك (٧) زيد فى ظ : الله (٨-٨) ليست فى ظ (٩) زيد من م و مد و ظ .

قال[١] : الإفساد[٢] يشمل ما إذا كان الفساد عن غير قصد ، و الآية من الاحتباك ، ذكر أولا الإفساد ليدل على حذفه[٣] ثانيا و ثانيا الإهلاك ليدل على حذفه[٤] أولا ، و ذكر الحرث الذى هو السبب دلالة على الناسل و النسل الذى هو المسبب دلالة على الزرع فهو احتباك ثان .

٥ و لما كان من الناس من يفعل الفساد فاذا نهى عنه انتهى بين أن هذا على غير ذلك تحقيقا لألديته[٥] فقال مبشرا بأداة التحقيق بأنه لا يزال فى / الناس من يقوم بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر : /٢٠٥ ﴿ و إذا قيل له ﴾ [من -[٦]] أى قائل كان ﴿ اتق الله ﴾ [٧] أى الملك الأعظم الذى كل شىء تحت قهره[٧] و اترك ما أنت عليه من الفساد ١٠ ﴿ أخذته[٨] ﴾ أى قهرته لما له من ملكة الكبر ﴿ العزة ﴾ فى نفسه[٩]

(١) فى مد : مال (٢) و قال الراغب : الإفساد إخراج الشىء عن حالة محمودة لا لغرض صحيح و ذلك غير موجود فى فعل الله تعالى . . . . . فالمحبة و مقابلها بالنسبة إلى الله نقيضان و بالنسبة إلى غيره ضدان ، و ظاهر الفساد يعم كل فساد فى أرض أو مال أو دين ، و قد استدل عطاء بقوله " و الله لا يحب الفساد " على منع شق الإنسان ثوبه ، و قال ابن عباس : الفساد هنا الخراب - البحر المحيط ٢/١١٦ و ١١٧ (٣) فى الأصل : حدثه ، و التصحيح من م و مد ، و فى ظ : حدفه (٤) العبارة من هنا إلى « احتباك ثان » ليست فى ظ (٥) فى الأصل : الا لرتبة ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) زيد من م و ظ و مد (٧ - ٧) ليست فى ظ . (٨) احتوت عليه و أحاطت به و صار كالمأخوذ لها كما يأخذ الشىء باليد . قال الزمخشرى : من قوله : أخذته بكذا ، إذا حملته عليه و ألزمته إياه ، أى حملته العزة التى فيه و حمية الجاهلية على الإثم الذى ينهى عنه و ألزمته ارتكابه و أن = لا

لما فيها [من الكبرياء -[1]] و الاستهانة بأمر الله ، و ليس من شأن الخلق الاتصاف بذلك فان العزة لله جميعا ﴿بالاثم﴾ أى مصاحبا[2] [3] للذنب ، وهو العمل الرذل[4] السافل و ما -[5] لا يحل و يوجب العقوبة باحتقار الغير و الاستكبار عليه .

و لما كان هذا الشأن الخبيث شأنه دائما يمهد به لنفسه التمكين[6] ٥ مما يريد سبب عنه قوله : ﴿ فحسبه ﴾ أى كفايته ﴿ جهنم[7] ﴾ تكون مهادا له كما مهد للفساد ، و تخصيص هذا الاسم المنبىء عن الجهامة فى المواجهة أى الاستقبال[8] بوجه كريه [لما -[9]] وقع منه من المواجهة لمن أمره من[10] مثله . قال الحرالى : فلمعنى ما يختص بالحكم يسمى تعالى

= لا يخلى عنه ضررا و لجاجا أو على رد قول الواعظ ؛ انتهى كلامه - البحر المحيط ٢/١١٧ (٩) فى ظ : سننه .

(١) زيد من م و مد و ظ (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تصاحبا ، و زيد بعده فى ظ : له (٣) العبارة من هنا إلى « العقوبة » ليست فى ظ (٤) من م و مد ، و فى الأصل : الرذل (٥) من م و مد ، و فى الأصل : مما (٦) فى م و مد : للتمكن ، و فى ظ : للتمكن (٧) جهنم علم للنار ، و قيل : اسم الدرك الأسفل فيها ، و هى عربية مشتقة من قولهم : ركية جهنام ، إذا كانت بعيدة القعر ، و قد سمى الرجل بجهنام أيضا ، فهو علم و كلاهما من الجهم و هو الكراهة و الغلظة فالنون على هذا زائدة فوزنه فعنل ، و قد نصوا على أن جهناما وزنه فعنال ..... و قيل : هى أعجمية و أصلها كهنام فعربت بابدال من الكاف جيما و باسقاط الألف - البحر المحيط ٢/١٠٨ و ١٠٩ (٨) فى ظ : للاستقبال (٩) زيد من م و مد ؛ و فى ظ : الما (١٠) ليس فى م .

النار[1] باسم من أسمائها - انتهى . ﴿ ولبئس المهاد ﴾ [هي -[2]] و المهاد[3] موطن الهدوء[4] و المستطاب مما يستفرش و يوطأ - قاله الحرالي ، و قال : فيه إشعار بإمهال الله عز و جل لهذه الأمة رعاية لنبيها [فأحسب -[5]] فاجرها و كافرها بعذاب الآخرة ، و لو عاجل مؤمنها بعقوبة الدنيا لخلص[6] لكافرها الدنيا و لمؤمنها[7] الآخرة و أنبأ بطول المقام و الخلود فيها[8] .

و لما أتم الخبر عن هذا القسم الذي هو شر الأقسام أتبعه خيرها ليكون ختاما[9] و بينهما تباين فان[10] الأول من يهلك الناس لاستبقاء نفسه و هذا يهلك نفسه لاستصلاح الناس[11] فقال : ﴿ و من الناس من ﴾ [12] أي شخص أو الذي[12] ﴿ يشري ﴾ أي يفعل هذا الفعل كلما[13] لاح له و هو أنه يبيع[14] بغاية الرغبة و الانبعاث ﴿ نفسه ﴾[15] فيقدم على إهلاكها

(١) من م و مد و ظ ، و في الأصل : المختار (٢) زيد من ظ . و في البحر المحيط ٢ / ١١٨ : و حذف هنا المخصوص بالذم للعلم به إذ هو متقدم و التقدير : ولبئس المهاد جهنم - أو : هي (٣) " المهاد " : الفراش و هو ما وطئ للنوم ، و قيل : هو جمع مهد و هو الموضع المهيأ للنوم - البحر المحيط ٢ / ١٠٩ (٤) في الأصل : الهدى ، و في م : ومد : الهد ، والتصحيح من ظ (٥) زيد من م و مد و ظ (٦) من م و ظ و مد ، و في الأصل : لخاص (٧) من م و مد ، و في الأصل : فلمومنها (٨) زيد في م و ظ و مد : انتهى (٩) في م و مد : ختاما - كذا . (١٠) في م : و ان (١١) العبارة من " و بينهما " إلى هنا ليست في ظ . (١٢-١٢) ليست في ظ (١٣) في م : كل ما (١٤) في الأصل : يتبع ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٥) العبارة من هنا إلى " بالاجتهاد " ليست في ظ .

أو يشتريها ١ بما يكون سبب ٢ إعتاقها و إحيائها ٢ بالاجتهاد فى أوامر الله بالنهى لمثل هـذا الآلد عن فعله الخبيث و الأمر له بالتقوى و التذكير بالله ، و روى ٣ أنها نزلت فى صهيب رضى الله تعالى عنـه لأنه لما هاجر أرادت قريش رده فجعل لهم ماله حتى خلوا سبيله فقال له النبي صلى الله عليه و سلم : « ربح البيع ! » فعلى هذا يكون 'شرى' بمعنى اشترى ، ثم ٥ علل ذلك بقوله : ﴿ ابتغآء ﴾ أى تطلب ٤ و تسهل و تيسر بغاية ما يمكن أن يكون كل من ذلك ٤ ﴿ مرضات الله ٤ ﴾ ٥ أى رضى المحيط بجميع صفات الكمال و زمان الرضى و مكانه بما دل عليه كون المصدر ميميا ٦ و يكون ذلك غاية فى بابه بما دل عليه من وقفه ٧ بالتاء الممدودة لما يعلم من شدة رحمة الله تعالى به ﴿ و الله رءوف ﴾ أى بالغ الرحمة ، ١٠

(١) من م و مد ، و فى الأصل : يشريها (٢-٢) فى مد : احيائها و اعتاقها (٣) نقل أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ٢/١١٨ روايات فى سبب نزول هذه الآيات و قال : والذى ينبغى أن يقال إنه تعالى لما ذكر " ومن الناس من يعجبك قوله " و كان عاما فى المنافق الذى يبدى خلاف ما أضمر ناسب أن يذكر قسيمه عاما من يبذل نفسه فى طاعة الله تعالى من أى صعب كان فكذلك المنافق مدار عن نفسـه بالكذب و الرياء و حلاوة المنطق و هذا باذل نفسه لله و لمرضاته ، و تندرج تلك الأقاويل التى فى الآيتين تحت عموم هاتين الآيتين و يكون ذكر ما ذكر من تعيين من عين إنما هو على نحو من ضرب المثال ، ولا يبعد أن يكون السبب خاصا و المراد عموم اللفظ (٤-٤) ليست فى ظ (٥) العبارة من هنا إلى « بالتاء الممدودة » ليست فى ظ (٦) فى الأصل : تنميا ، و التصحيح من م ومد. (٧) فى مد : وقف .

و أظهر موضع الإضمار دلالة على العموم و على الوصف المقتضى للرحمة و الشرف فقال[١] : ﴿ بالعباد[٢] ﴾ كلهم حيث أسبغ عليهم نعمه[٣] ظاهرة و باطنة مع كفرهم به أو تقصيرهم فى أمره ، و بين لهم الطريق غاية البيان بالعقل أولا و الرسل ثانيا و الشرائع ثالثا و الكتب الحافظة لها رابعا ؛ و لعل الفصل بين الأقسام الأربعة بالأيام المعدودات اهتماما بأمرها لكونها من فعل[٤] الحج ، و تأخيرها عن أخواتها إشارة إلى أنها ليست من دعائم المناسك بل [٥]تجبر بدم[٥] .

و [لما -[٦]] ختم هذين القسمين بالساعى فى رضى الله عنه[٤] مشاكلة للأولين [٧]حسن جدا[٧] تعقيبه بقوله : ﴿ يآيها الذين آمنوا ﴾

(١-١) ليست فى ظ (٢) و العباد إن كان خاصا و هو الأظهر لأنه لما ختم الآية بالوعيد من قوله : " فحسبه جهنم " و كان ذلك خاصا بأولئك الكفار ختم هذه بالوعد المبشر لهم بحسن الثواب و جزيل المآب ، و دل على ذلك بالرأفة التى هى سبب لذلك فصار ذلك كناية عن إحسان الله إليهم لأن رأفته بهم تستدعى جميع أنواع الإحسان و لو ذكر أى نوع من الإحسان لم يفد ما أفاده لفظ الرأفة و لذلك كانت الكناية أبلغ ، و يكون إذ ذاك فى لفظ العباد التفاتا إذ هو خروج من ضمير غائب مفرد إلى اسم ظاهر فلو جرى على نظم الكلام السابق لكان : والله رؤف به - أو : بهم ، و حسن الالتفات هنا بهذا الاسم الظاهر شيئان : أحدهما أن لفظ العباد له فى استعمال القرآن تشريف و اختصاص .... و الثانى مجىء اللفظة فاصلة - البحر المحيط ٢/١١٩ (٣) من مد و ظ ، و فى الأصل وم : نعمة (٤) ليس فى م و مد و ظ (٥-٥) فى الأصل : يجبر بذم ، و التصحيح من بقية الأصول (٦) زيد من م و ظ و مد (٧-٧) فى الأصل : حين حذا ، و التصحيح من بقية الأصول .

ليكون هـذا النداء واقعا بادئ[1] بدء[2] فى أذن[3] هذا الواعى كما كان المنافق مصدوعا بما سبقه من التقوى و الحشر مع كونه دليلا على صفة الرأفة ، و تكرير الأمر بالإيمان بين طوائف الأعمال من أعظم دليل على حكمة الآمر به فانه مع كونه آكد[4] لأمره و أمكن لمجده و فخره يفهم أنه العماد فى الرشاد الموجب للاسعاد يوم التناد فقال : ﴿ ادخلوا ٥ فى السلم ﴾ أى الإيمان الذى هو ملزوم لسهولة الانقياد إلى كل خير ، و هو فى الأصل بالفتح و الكسر الموادعة[5] فى الظاهر بالقول و الفعل أى يا من [آمن -[6]] بلسانه [7] كهذا الألد[7] ليكن الإيمان[8] أو الاستلام بكليـة الباطن و الظاهر[8] ظرفا محيطا بكم من جميع الجوانب فيحيط بالقلب و القالب[9] كما أحاط باللسان و لا يكون لغرامة[10] الجهل و جلافة[11] ١٠ الكفر[12] إليكم سبيل / ﴿ كآفة ص١٣ ﴾ أى و ليكن جميعكم فى ذلك شرعا /٢٠٦

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : باد (٢) فى ظ : بداء (٣) فى ظ : باذن .
(٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الد (٥) فى ظ : المواعدة (٦) زيد من م و ظ و مد (٧-٧) ليس فى ظ ، و فى الأصل : لهذا ـ مكان : كهذا ، والتصحيح من م و مد (٨-٨) ليست فى ظ (٩) ليس فى ظ (١٠) فى م و مد : لعرامة ، و فى ظ : لعرامـه (١١) فى الأصل : خلافة ، و فى م : خلافه ، و التصحيح من ظ و مد (١٢) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : الكفو (١٣) " كافـة " هو اسم فاعل استعمل بمعنى جميعا ، وأصل اشتقـاقه من كف الشيء منع من أخذه و الكف المنع و منه كفة القميص حاشيته و منـه الكف و هو طرف اليد لأنه يكف بها عن سائر البدن و رجل مكفوف منع بصره أن ينظر و منه كفة الميزان لأنه تمنع الموزون أن ينتشر ـ البحر المحيط ٢/١٠٩ .

واحدا كهذا[١] الذى يشرى نفسه ، ولا تنقسموا[٢] فيكون بعضكم هكذا و بعضكم كذلك الألد ، فان ذلك دليل الكذب فى دعوى الإيمان .

و لما كان الإباء و العناد[٣] الذى يحمل[٤] عليه الأنفة و الكبر فعل الشيطان و ثمرة[٥] كونه [٦]من نار[٦] قال : ﴿ و لا تتبعوا ﴾ أى تكلفوا أنفسكم من أمر الضلال ضد ما فطرها الله تعالى عليه و سهله لها[٧] من الهدى ﴿ خطوٰت الشيطٰن[٨] ﴾ أى طرق[٨] [٩]المبعد المحترق[٩] فى الكبر عن الحق . قال الحرالى : فنى إفهامه أن التسليط فى هذا اليوم له ، و فيه إشعار و إنذار بما وقع فى هذه الأمة و هو واقع و سيقع من خروجهم من السلم[١٠] إلى الاحتراب بوقوع الفتنة فى الألسنة و الأسنة على[١١] أمر الدنيا و عودهم إلى أمور جاهليتهم ، لأن الدنيا أقطاع الشيطان كما أن الآخرة خلاصة الرحمن ، فكان ابتداء الفتنة منذ كسر[١٢] الباب الموصد[١٣] على السلم و هو عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فلم يزل الهرج و لا يزال إلى أن تضع الحرب أوزارها[١٤] .

---

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لهذا (٢) من ظ ، و فى م : لا تنقسموا ، و فى الأصل : لا يتقسموا ، و فى مد : لا ينقسموا (٣) فى م : الفساد (٤) فى ظ و مد : تحمل (٥) من مد ، و فى الأصل : غيره ، و فى م و ظ : ثمره (٦-٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كار - كذا (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : له (٨) فى ظ : طرقه (٩-٩) ليس فى ظ ، و فى الأصل : البعد - مكان : المبعد ، و التصحيح من م و مد (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : المتسلم (١١) فى ظ : الى (١٢) فى الأصل : نحو ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٣) فى مد : المرصد (١٤) زيد فى م و ظ و مد : انتهى .

ثم علل ذلك سبحانه و تعالى بقوله: ﴿ انه لكم عدو مبين ٥ ﴾ أى بما أخبرناكم به فى أمر أبيكم آدم عليه الصلاة و السلام و غير ذلك مما شواهده ظاهرة، و ما أحسن هذا الختم المضاد[1] لختم التى قبلها! فان تذكر الرأفة منه سبحانه على[2] عظمته و العبودية [منا - [3]] الذى هو معنى الولاية[4] التى روحها الانقياد لكل ما يحبه الولى و تذكر عداوة المضل أعظم منفر منه و داع إلى الله سبحانه و تعالى.

و لما أقام سبحانه و تعالى الأدلة على عظمته التى منها الوحدانية و أزال الشبه[5] و محا الشكوك و ذكر بأنواع اللطف و البر إلى أن ختم الآيتين بما ذكر من ولايته و عداوة المضل عن طريقه[6] سبب عن ذلك [قوله - [3]] ﴿ فان زللتم[7] ﴾ مشيرا بأداة الشك إلى أنهم صاروا إلى حالة من وضوح الطريق الواسع الأمكن الأمين المستقيم الأسلم يبعد معها[8] كل البعد أن يزلوا[9] عنه و لذلك[10] قال: ﴿ من بعد ما جاءتكم

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: مصادر (٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: و تعالى (٣) زيد من م و ظ و مد (٤) فى الأصل: الدلالة، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل: الشبة، و فى ظ: الشبهة (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: طريقة (٧) أى عصيتم و كفرتم أو أخطأتم أو ضللتم - أقوال ثانيها عن ابن عباس و هو الظاهر لقوله "ادخلوا فى السلم" أى الإسلام فان زللتم عن الدخول فيه، و أصل الزلل للقدم، يقال: زلت قدمه كما قال:

و لا شامت إن نعل عزة زلت

ثم يستعمل فى الرأى و الاعتقاد و هو الزلق - البحر المحيط ١٢٣/٢ (٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: منها (٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: نزلوا. (١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: كذلك.

البينت ﴾ أى بهذا الكتاب الذى لا ريب فيه . قال الحرالى : بينات التجربة شهودا و نبأ عما مضى و تحققا[1] بما وقع ، و قال : [إن -[2]] التعبير بان يشعر بأنهم يستزلون[3] ، و التعبير بالماضى إشعار بالرجوع عنه رحمة من الله لهم كرحمته قبل لأبويهم حين أزلهما[4] الشيطان فكما أزل[5] أبويهم فى الجنة عن محرم الشجرة أزلهم فى الدنيا عن[6] شجرة المحرمات من الدماء و الأموال و الأعراض - انتهى .

و لما كان الخوف حاملا على لزوم[7] طريق السلامة قال : ﴿ فاعلموآ ﴾ فان العلم أعون[8] شىء على المقاصد ﴿ ان الله ﴾ الحاوى[9] لصفات الكمال ﴿ عزيز ﴾ لا يعجزه من زل و لا يفوته من ضل ﴿ حكيم ۝[10] ﴾ يبرم ما لا يقدر أحد على نقض[11] شىء منه .

---

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تحقيقا (٢) زيد من م و ظ و مد (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يشتركون (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ازالهما (٥) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : ازال (٦) كرره فى الأصل ثانيا .

(٧) ليس فى مد (٨) فى الأصل : عوان ، و التصحيح من بقية الأصول (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الحادى (١٠) و فى وصفه هنا بالعزة التى هى تتضمن الغلبة و القدرة اللتين يحصل بهما الانتقام وعيد شديد لمن خالفه و زل عن منهج الحق ، و فى وصفه بالحكمة دلالة على إتقان أفعاله و أن ما يرتبه من الزواجر لمن خالف هو من مقتضى الحكمة ؛ و روى أن قارئا قرأ : غفور رحيم ، فسمعه أعرابى فأنكره و لم يكن يقرأ القرآن و قال : إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا ، الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه - البحر المحيط ٢/١٢٣ .

(١١) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : نقص .

و لما

و لما كان هذا الختم مؤذنا بالعذاب و كان إتيان[1] العذاب من محل تتوقع[2] منه الرحمة أفظع و كان أنفع[3] الأشياء السحاب لحمله[4] الغيث و الملائكة الذين هم [خير - [5]] محض و كان الذين شاهدوا العذاب من السحاب[6] الذى هو مظنة الرحمة ليكون أهول[6] عادا و بنى إسرائيل و كان عاد[7] قد مضوا فلا يمكن عادة سؤالهم و كان من زل ٥ بعد هذا البيان قد أشبه بنى إسرائيل فى هذا الحال[8] فكان جديرا[9] بأن يشبههم فى المآل فيما صاروا إليه من ضرب الذلة و المسكنة و حلول الغضب و الوقوع فى العطب قال تعالى : ﴿ هل ينظرون ﴾ أى ينتظرون إذا زلوا ، سائقا له فى أسلوب الإنكار ، و صيغة[10] الغيبة مجردة عن الافتعال تنبيها على أن الزالين[11] فى غاية البعد عن مواطن الرأفة[12] و الاستحقاق ١٠ بمظهر الكبر و النقمة[13] باعراض السيد عن خطابهم و إقباله من عذابهم على ما لم يكن فى حسابهم ﴿ الآ ان ياتيهم[14] الله ﴾ أى مجد[15] الذى

(١) فى مد : ايتاء (٢) فى ظ : يتوقع (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : انفس (٤) من م وظ و مد ، و فى الأصل : بحملة (٥) زيد من م و ظ و مد. (٦ - ٦) ليست فى ظ (٧) فى مد : عادا (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : المكان (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : جدرا (١٠) فى الأصل : صفة ، و التصحيح من م و مد و ظ (١١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الزائلين. (١٢) فى م : الرحمة (١٣) من م و مد وظ ، و فى الأصل : النعمة (١٤) الإتيان حقيقة فى الانتقال من حيز إلى حيز وذلك مستحيل بالنسبة إلى الله تعالى فروى أبو صالح عن ابن عباس أن هذا من المكتوم الذى لا يفسر و لم يزل السلف فى هذا و أمثاله يؤمنون و يكلون فهم معناه إلى علم المتكلم به و هو الله تعالى ، =

لا يحتمل شيء تجلي عظمته و ظهور جلاله ، كائنا مجده ﴿ فى ظلل من الغمام ﴾ ظلة فى داخل ظلة ، و هى ما يستر[٢] من الشمس[٣] فهى[٤] فى غاية الإظلام[٥] و الهول و المهابة[٦] لما لها من الكثافة التى تغم[٧] على الرائى ما فيها و تدمر ما أتت[٨] عليه - إلى غير ذلك من أنواع المجد الذى لا يقدره حق قدره[٩] [إلا - [١٠]] الله ﴿ و الملئكة ﴾ أى و يأتى[١١] جنده[١٢] الذين لا يعصون الله ما أمرهم[١٣] ، هذا على قراءة الجماعة ، و على قراءة [أبى - [١٤]] جعفر بالخفض ، المعنى و ظلل من الملائكة أى جماعات[١٥] يملأون الأقطار ليتبادروا[١٦] إلى امتثال أوامره ؛ و هل ينتظرون[١٧]

= و المتأخرون تأولوا الإتيان و إسناده على وجوه - و بعد بيان الوجوه قال أبو حيان الأندلسى : و الأولى أن يكون المعنى أمر الله ، إذ قد صرح به فى قوله " او يأتى امر ربك " و تكون عبارة عن بأسه و عذابه لأن هذه الآية إنما جاءت مجيء التهديد و الوعيد - البحر المحيط ٢/١٢٤ (١٥) ليس فى م و ظ .

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : على (٢) من م و مد ، و فى الأصل : يستتر . (٣) العبارة من « و هى » إلى هنا ليست فى ظ (٤) فى الأصل : فهو ، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) فى مد : اظلال (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : و الالهاية (٧) من م و مد ، و فى ظ : تعم ، و فى الأصل : تقم (٨) فى مد : آتت ، و فى ظ : انت (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قدرة (١٠) زيد من م و ظ . (١١) من م و مد ، و فى الأصل : تاتى (١٢) العبارة من « أى » إلى هنا ليست فى ظ (١٣) العبارة من هنا إلى « امتثال أوامره » ليست فى ظ (١٤) زيد من مد ، و فى م : ابن ابى . و فى البحر المحيط ٢/١٢٥ : و قرأ الحسن و أبو حيوة و أبو جعفر " الملئكة " بالجر عطفا على " فى ظلل " (١٥) فى م : جماعة (١٦) من مد ، و فى م : ليبادرو ، و فى الأصل : ليتبادر (١٧) فى م و ظ و مد : ينتظر .

/ من القوى المحكم لما يفعل العزيز الذى يعلو أمره كل أمر إلا إتيانه[1] / ٢٠٧
بالبأس إذا غضب بعد طول الحلم[2] و تمادى الأناة فلا يرد بأسه
و لا يعارض أمره و هو المراد من قوله: ﴿ و قضى ﴾ أى و الحال أنه
قد قضى ﴿ الامر[1] ﴾ أى نفذ باهلاكهم[3] سريعا فرجعوا إلى الله سبحانه
و تعالى بأسرهم لا يملكون لأنفسهم شيئا ﴿ و الى الله ﴾ [4]الذى له ٥
الإحاطة الكاملة[1] وحده ﴿ ترجع الامور ع ﴾ كلها دنيا و أخرى،
فان حكمه[5] لا يرد و قدرته لا تحد[6]. قال الحرالى: و إتيان الله فى محل
الإيمان أمر مبهم لا يناله علم العالمين و يقف دونه[7] إيمان المؤمنين،
لا يأخذونه بكيف[8] و لا يتوهمونه بوهم، و إتيان الله فى أوائل فهم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: ايتايه (٢) فى الأصل: الحكم، و التصحيح من م و ظ و مد (٣) فى الأصل: باملالهم، و التصحيح من م و ظ و مد.
(٤-٤) ليست فى ظ (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: حكمة (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لا مجد. و فى قوله ﴿و قضى الامر و الى الله ترجع الامور﴾ قسمان من أقسام علم البيان: أحدهما الإيجاز فى قوله ﴿و قضى الامر﴾ فان فى هاتين الكلمتين يندرج فى ضمنها جميع أحوال العباد منذ خلقوا إلى يوم التناد و من هذا اليوم إلى الفصل بين العباد، و الثانى الاختصاص بقوله ﴿و الى الله﴾ فاختص بذلك اليوم لانفراده فيه بالتصرف و الحكم و الملك - انتهى، و قال السلمى: و قضى الامر وصلوا إلى ما قضى لهم فى الأزل من إحدى المنزلتين، وقال جعفر: كشف عن حقيقة الأمر و نهيه، و قال القشيرى: انهتك ستر الغيب عن صريح التقدير - البحر المحيط ١٢٦/٢ (٧) فى مد: عنده (٨) فى م: يكيف.

الفاهمين بدو أمره و خطابه فى[1] محل ما من السماء و الأرض أو العرش أو الكرسى أو[2] ما شاء من خلقه؛ فهو تعالى يجل أن يحجبه كون، فحيث ما بدأ خطابه كفاحا لا[3] بواسطة فهناك هو «فناديناه من جانب الطور الايمن - إلى: انى[4] انا الله[5]» و فى الكتاب الأول: جاء الله من سيناء - انتهى. و تمامه: و شرق[6] من جبل ساعير[7] و ظهر لنا من جبال[8] فاران؛ و المراد بالأول نبوة موسى عليه الصلاة و السلام و هو واضح، و بالثانى[9] نبوة عيسى عليه الصلاة و السلام، فان جبل ساعير هو جبل الجليل[10] و هو الذى بين طبرية[11] و مرج بنى[12] عامر، و بالثالث نبوة محمد صلى الله عليه و سلم فان فاران [هى-١٣] مكة المشرفة.

و لما كان بنو إسرائيل أعلم الناس بظهور[14] مجد الله[14] فى الغمام لما رأى أسلافهم منه عند خروجهم من مصر و فى جبل الطور[15] و قبة الزمان[15] و ما فى ذلك[16] على ما[16] نقل إليهم من وفور الهيبة و تعاظم

(١) زيد فى مد: كل (٢) من مد و ظ، و فى الأصل: و، و فى م: الى (٣) سقط من م (٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: ان (٥) راجع لمضمونها سورة ١٩ آية ٥٢ و سورة ٢٠ آية ١٤ (٦) فى الأصل و م: شرف، و التصحيح من مد و ظ (٧) من م و ظ و مد، و فى الأصل: اساعير (٨) من مد و ظ: و فى الأصل و م: جبل (٩) فى ظ: الثانى (١٠) فى الأصل: الخليل، و التصحيح من م و ظ و مد (١١) فى الأصل و م: طرمة، و التصحيح من مد و ظ (١٢) فى الأصل: بن. و فى مد: ابن، و التصحيح من ظ و م (١٣) زيد من م. (١٤-١٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: محمد صلى الله عليه وسلم (١٥-١٥) فى الأصل: فيه الرمان، و التصحيح من م و ظ و مد (١٦-١٦) فى ظ: مما.

الجلال قال تعالى: جوابا لمن كأنه[1] قال: كيف [يكون - ٢] هـــذا؟ ﴿ سل ﴾ [3] بنقل حركة العين إلى[4] الفاء فاستغنى عن همزة الوصل ﴿ بنى اسرآءيل ﴾ أى الذين هم أحسد[5] الناس للعرب[6] ثم استفهـم أو استأنف الإخبار[7] ﴿ كم اتيـنهم ﴾ من ذلك و من غيره

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: كان (٢) زيد من م و مد و ظ .
(٣) العبارة من هنا إلى « همزة الوصل » ليست فى ظ (٤) فى الأصل: فى، و التصحيح من م و مد . و فى البحر المحيط ١٢٦/٢: وقرأ قوم: إسل، و أصله: اسأل، فنقل حركة الهمزة إلى السين و حذفت الهمزة التى هى عين و لم تحذف همزة الوصل لأنه لم يعتد بحركة السين لعروضها كما قالوا: ألحمر - فى الأحمر ..... و لما تقدم " هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل" و كان المعنى فى ذلك استبطاء حق لهم فى الإسلام و أنهم لا ينتظرون إلا آية عظيمة تلجئهم إلى الدخول فى الإسلام جاء هذا الأمر بسؤالهم عما جاءتهم من الآيات العظيمة و لم تنفعهم تلك الآيات فعدم إسلامهم مرتب على عنادهم و استصحاب لجاجهم و هذا السؤال ليس سؤالا عما لا يعلم إذ هو عالم أن بنى إسرائيل آتاهم الله آيات بينات، و إنما سؤال عن معلوم فهو تقريع و توبيخ و تقرير لهم على ما آتاهم الله من الآيات البينات وأنها ما أجدت عندهم لقوله بعد: " و من يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته " و فى هذا السؤال أيضا تثبيت و زيادة كما قال تعالى " و كلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك " أو زيادة يقين المؤمن فالخطاب فى اللفظ له صلى الله عليه و سلم و المراد أمته أو إعلام أهل الكتاب أن هذا القول من عند الله لأن النبى صلى الله عليه و سلم و قومه لم يكونوا يعرفون شيئا من قصص بنى إسرائيل و لا ما كان فيهم من الآيات قبل أن أنزل الله ذلك فى كتابه (٥) فى الأصل: احد، و التصحيح من م و مد و ظ (٦-٦) ليست فى ظ .

﴿ من آية بينة ﴾ ١ بواسطة أنبيائهم[١] فانهم لا يقدرون على إنكار ذلك، و سكوتهم على سماعه منك إقرار[٢] منهم . و قال الحرالى : و لما كان هذا الذى أنذروا به أمرا مجملا أحيلوا فى تفاصيل الوقائع و تخصيص الملاحم و وقوع الأشباه[٣] و النظائر على ما تقدم و وقع[٤] مثاله فى بنى إسرائيل لتكرار ما وقع فيهم فى هذه الأمة حذو النعل بالنعل و القذة [بالقذة - [٥]] فقال[٦] : "سل"، استنطاقا لحالهم[٧] لا[٨] لإنبائهم و إخبارهم[٨]، فالتفات النبي صلى الله عليه و سلم إلى ما يشهده الله من أحوال بنى إسرائيل و أحوال ملوكهم و أحبارهم[٩] و أيامهم و تفرقهم و اختلافهم و صنوف بلاياهم هو سؤاله و استبصاره لا[١٠] أن يسأل واحدا فيخبره[١١]؛ انتهى - كذا قال، و الظاهر أنه إباحة لسؤالهم ١٢ فانه صلى الله عليه و سلم ما سألهم عن شيء و كذبوا فى جوابه فبين كذبهم ١٣إلا عرفوا١٣ بالكذب، كقصة[١٤] حد الزنا و قضية سؤالهم[١٥] عن أبيهم و قضية سم الشاة و نحو هذا، و فى ذلك زيادة لإيمان من يشاهده و إقامة للحجة[١٦]

(١-١) ليس فى ظ (٢) فى ظ : اقرارا (٣) فى ظ : الاشتباه (٤) من مد و ظ ، و فى الأصل : و دفع ، و فى م : وقوع (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) فى ظ : نقل (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بحالهم (٨-٨) من ظ ، و فى الأصل : لاتيانهم و اخيارهم ، و فى م و مد : لانبائهم و احبارهم (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اخبارهم (١٠) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : الى (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فيخبره (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : سوالهم (١٣-١٣) فى مد و ظ : الا اعترفوا ، و فى م : الا ان اعترفوا (١٤) فى م : لقصة (١٥) زيد فى مد : و (١٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الحجة .

عليهم و غير هذا[1] من الفوائد .

و لما كان التقدير : فكانوا إذا بدلوا شيئا من آياتنا و امتهانوا به عاقبناهم فشددنا[2] عقابهم ، كما دل عليه [ما سقته من التوراة فى هذا الديوان لمن تدبر عطف عليه - ٣] قوله : ﴿ و من يبدل ﴾[4] من التبديل و هو تصيير[5] الشىء على غير ما كان ﴿ نعمة الله ﴾[6] أى الذى لا نعمة إلا منه[6] التى هى سبب الهدى فيجعلها[7] سببا لضلال أو سببا لشكر[7] فيجعلها سبب الكفر[8] كائنا من كان . قال الحرالى[9] : و أصل هذا التبديل رد علم العالم عليه و رد صلاح الصالح إليه و عدم الاقتداء بعلم العالم و الاهتداء بصلاح الصالح و ذلك المشاركة[10] التى تقع بين العامة و بين العلماء و الصلحاء و هو كفر نعمة الله و تبديلها - انتهى .

و لما كان الفطن[11] من الناس يستجلب النعم قبل إتيانها إليه و[14] الجامد الغبى[12]

---

(١) فى ظ و مد : ذلك (٢) فى مد : فسددنا - كذا (٣) زيد من م و مد (٤) العبارة من هنا إلى « ما كان » ليست فى ظ (٥) من م و مد ، و فى الأصل : تصير . (٦-٦) ليست فى ظ (٧-٧) فى م و مد : سبب الضلال او سبب الشكر ، غير أن فى مد « و » مكان « او » (٨) العبارة من «أو» إلى هنا ليست فى ظ (٩) قال أبو حيان الأندلسى : و لفظ ﴿من يبدل﴾ عام و هو شرط فيندرج فيه مع بنى إسرائيل كل مبدل نعمه ككفار قريش و غيرهم فان بعثة محمد صلى الله عليه و سلم نعمة عليهم و قد بدلوا بالشكر عليها و قبولها الكفر - البحر المحيط ٢/١٢٨ . (١٠) فى م و ظ و مد : المتاركة (١١) فى الأصل : الفطر ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٢-١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الجاهد الغنى .

يغتبط بها بعد سبوغها عليه [١] و كان المحذور تبديلها فى وقت ما لا فى كل وقت [١] قال تعالى : ﴿ من بعد [٢] ما جآءته ﴾ أى و تمكن [٣] من الرسوخ فى علمها [٤] تنبيها على أن من بدلها فى تلك الحال فقد - [٥] سفل [٦] عن أدنى الإنسان و التحق بما لا يعقل من الحيوان . و لما كان التقدير : يهلكه الله ، علله [٧] بقوله : ﴿ فان الله ﴾ أى العظيم الشأن ﴿ شديد العقاب ﴾ و هو عذاب يعقب [٨] الجرم [٩] ، [و - [١٠]] ذكر بعض ما يدل على / صدق الدعوى [١١] فى معرفة بنى إسرائيل بما فى ظهور المجد فى الغمام من الرعب و ما آتاهم من الآيات البينات ، قال فى أوائل السفر الخامس [١٢] من التوراة : فاسمعوا الآن يا بنى إسرائيل السنن و الأحكام التى أعلمكم لتعملوا [١٣] بها و تعيشوا و تدخلوا و ترثوا الأرض التى يعطيكم الله رب آبائكم ، لا تزيدوا [١٤] على الوصية التى أوصيكم /٢٠٨

(١-١) ليست فى ظ (٢) أى من بعد ما أسديت إليه و تمكن من قبولها و من بعد ما عرفها كقوله : "ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه" و أتى بلفظ 'من' إشعارا بابتداء الغاية و أنه يعقب ما جاءته يبدله ، و فى قوله : "من بعد ما جاءته" تأكيد لأن إمكانية التبديل منه متوقفة على الوصول إليه - البحر المحيط ٢/١٢٨ . (٣) من ظ ، و فى الأصل : يمكن ، و فى م و مد : مكن (٤) فى م : عملها . و العبارة من « اى » إلى هنا ليست فى ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : قد (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مسك (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : علل (٨) من م و مد ، و فى الأصل : يوقع (٩) العبارة من « و هو » إلى هنا ليست فى ظ (١٠) زيد من م (١١) فى مد : التقوى (١٢) فى ظ : الثالث (١٣) فى الأصل و م : لتعدوا ، و التصحيح من ظ و مد (١٤) فى ظ : لا تزيدوا .

بها

بها[١]، قد رأيتم ما صنع[٢] الله ببعلصفون[٣] من أجل أن كل رجل اتبع بعلصفون أهلكه الله ربكم من بينكم و أنتم الذين تبعتم الله ربكم [أنتم - [٤]] أحياء - سالمون إلى اليوم، انظروا أنى قد علمتكم السنن و الأحكام كما أمرنى الله لتعملوا[٦] بها فى الأرض التى تدخلونها و تحفظوها[٧] و تعملوا بها، لأنها حكمتكم و فهمكم تجاه الشعوب التى تسمع منكم هذه السنن كلها و يقولون إذا سمعوها: ما أحكم هذا الشعب العظيم! و ما أحسن فهمه! أى شعب عظيم إلهه[٨] قريب منه مثل الله ربنا فيما دعوناه! و أى شعب عظيم[٩] له سنن و أحكام معتدلة مثل هذه السنة التى أتلو عليكم اليوم! و لكن احتفظوا[١٠] و احترسوا بأنفسكم و لا تنسوا جميع الآيات التى رأيتم و لا تزل عن قلوبكم كل[١١] أيام حياتكم بل علموها بنيكم[١٢] و بنى بنيكم[١٢] و أخبروهم بما رأيتم يوم وقفتم أمام الله ربكم فى حوريب[١٣] يوم قال[١٤] الرب: اجمع هذا الشعب أمامى لأسمعهم آياتى و[١٥] يتعلموا أن يتقونى[١٥] كل أيام حياتهم على الأرض

(١) فى م: بما (٢) فى مد: فعل (٣) من م و ظ، و فى مد: ببعلضفون، و فى الأصل: بعاصفون (٤) زيد من م (٥) زيد فى ظ: و (٦) فى م: لتعلموا. (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تحفظوا (٨) من م و ظ، و فى الأصل و مد: الهة (٩) سقط من ظ (١٠) فى م: احفظوا (١١) ليس فى م و مد و ظ. (١٢-١٢) ليس فى م (١٣) من م و ظ و مد، و هو جبل فى شبه جزيرة سينا، و فى الأصل: جوريب - كذا بالجيم (١٤) زيد فى م: لى (١٥-١٥) فى م: يتعلوا أن يتقوى.

و يعلموا بنيهم أيضا و تقدمتم و قمتم فى سفح الجبل [و الجبل يشتعل نارا يرتفع لهيبها إلى جو السماء و رأيتم الظلة و الضباب و السحاب فكلمكم الرب فى الجبل -[1]] من النار ، كنتم تسمعون[2] صوت الكلام و لم تكونوا[3] ترون شبها ، فأظهر لكم عهده و أمركم أن تعلموا العشر آيات[4] و كتبها على لوحين[5] من حجارة ، احترسوا و احتفظوا بأنفسكم جدا لأنكم لم تروا[6] شبها فى اليوم الذى كلمكم الله[7] ربكم من الجبل من النار ، احتفظوا[8] ، لا تفسدوا و لا تتخذوا أصناما و أشباها من كل جنس شبه ذكر أو أنثى أو شبه[9] بهيمة فى الأرض أو شبه كل طير فى الهواء أو شبه كل هوام الأرض ، و لا ترفعوا أعينكم إلى السماء و تنظروا إلى الشمس و القمر و الكواكب و إلى كل أجناد السماء[10] و تضلوا بها و تسجدوا لها و تعبدوها ، التى اتخذها جميع[11] الشعوب الذين[12] تحت السماء ؛ فأما أنتم فقربكم الله و أخرجكم من كور الحديد من أرض مصر لتصيروا له ميراثا كاليوم - هذا نصه و قد تقدم ذلك مستوفى من السفر الثانى من التوراة عند قوله تعالى " و اذ استسقى موسى لقومه[13] " فكان الرجوع إلى قص ما يريد الله سبحانه و تعالى

(١) زيادات من م و مد و ظ (٢) فى الأصل : يستمعون ، و التصحيح من م و ظ و مد (٣) ليس فى م (٤) فى م و مد : الايات (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الوحين (٦) من مد و ظ ، و فى الأصل : لم تروها ، و فى م : م ترون . (٧) زيد فى م : فيه (٨) فى م : احترسوا (٩) فى ظ : شبهه ، و ليس فى م . (١٠) فى م : أو (١١) فى م : جمع (١٢) فى م : الذى (١٣) سورة ٢ آية ٦٠ .

من أحوال بنى إسرائيل للأغراض الماضية على غاية ما[1] يكون من الاحكام و فى الذروة[2] العليا من حسن الانتظام و تجلى الملائكة فى ظلل[3] الغمام أمر مألوف منه ما فى الصحيح عن البراء[4] رضى الله تعالى عنه قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف و إلى جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابة فجعلت تدنو و تدنو و جعل فرسه ينفر؛ فلما أصبح أتى النبى صلى الله عليه و سلم فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزلت بالقرآن. و عن عمران بن حصين رضى الله تعالى عنه أنه بينما هو يقرأ سورة البقرة و فرسه مربوط عنده إذ جالت الفرس، فسكت و سكنت، ثم قرأ فجالت، فانصرف؛ فلما أصبح حدث النبى صلى الله عليه و سلم و قال: فرفعت رأسى إلى السماء فاذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح فرفعت[5] حتى لا أراها، قال: و تدرى ما ذاك؟ قال: لا، قال: تلك الملائكة دنت لصوتك، و لو قرأت لأصبحت

(١) فى ظ: من (٢) فى ظ: الذرية (٣) فى ظ: ظل (٤) فى ظ: البزار - كذا. و فى صحيح البخارى ٢/٧٥٠ - كتاب فضائل القرآن فى باب نزول السكينة و الملائكة عند قراءة القرآن: و قال الليث حدثنى يزيد بن الهاد عن محمد بن إبراهيم عن أسيد بن حضير قال: بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة و فرسه مربوط عنده - الحديث، و قال ابن الهاد: و حدثنى هذا الحديث عبد الله بن خباب عن أبى سعيد الخدرى عن أسيد بن حضير. و فيه ٢/٧٤٩ فى باب فضل سورة الكهف: حدثنا عمرو بن خالد قال حدثنا زهير قال حدثنا أبو إسحاق عن البراء قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف - الحديث؛ فالبزار كما وقع فى ظ خطأ (٥) فى م: فوقعت.

[1] ينظر الناس [1] إليها لا تتوارى منهم .

و لما تقدم من الأمر بالسلم و التهديد على الزلل عنه ما يقتضى لزومه حتما [2] كان كأنه قيل : ما فعل من خوطب بهذه الأوامر و قمع [3] بتلك الزواجر ؟ فقيل : أبى أكثرهم ، فقيل : إن هذا لعجب ! ما الذى صدهم ؟ فقيل [4] : تقدير العزيز الذى لا يخالف مراده الحكيم الذى يدق [5] عن الأفكار استدراجه ، فقيل : كيف يتصور من العاقل كفر النعمة ؟ فبين أن سبب ذلك غالبا الترفع و التعظم [6] و الكبر و البطر فرحا بما فى اليد و ركونا إليه و إعراضا عما خبئ [7] فى خزائن الله فى حجب القدرة [8] فقال مستأنفا [9] بانيا [10] للمفعول دلالة على ضعف عقولهم بأنهم يغترون [11] بكل مزين ﴿ زين ﴾ [12] قال الحرالى : من التزيين بما [13] منه الزينة ،

(١-١) فى م : الناس ينظرون ، و فى ظ : تنظر الناس (٢) فى ظ : ختما - كذا بالخاء المعجمة (٣) فى الأصل : وقع ، و التصحيح من م و مد و ظ (٤) فى م : فقال (٥) فى الأصل : بدل ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) فى الأصل : التعظيم ، و التصحيح من م و مد و ظ (٧) فى الأصل : جبى ، و فى مد : حبى ، و التصحيح من م و ظ (٨) فى م : الله (٩) العبارة من هنا إلى « بكل مزين » ليست فى ظ (١٠) فى الأصل : بانها ، و التصحيح من م و مد (١١) من مد ، و فى م : مغترون ، و وقع فى الأصل : يغيرون - كذا (١٢) نزلت فى أبى جهل و أصحابه كانوا يتنعمون بما بسط الله لهم و يكذبون بالمعاد و يسخرون من المؤمنين الفقراء كعمار و صهيب و أبى عبيدة و سالم و عامر بن فهيرة و خباب و بلال و يقولون : لو كان نبينا لتبعه أشرافنا . .. و مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر أن بنى إسرائيل أتتهم آيات واضحة من الله تعالى و أنهم بدلوا =

/ ٢٠٩ وهى بهجة العين التى لا تخلص إلى باطن المزين - انتهى . ﴿للذين / كفروا﴾ حتى بدلوا النعمة ﴿الحيوٰة الدنيا﴾ لحضورها فألهتهم عن غائب الآخرة . قال الحرالى[1] : فنى[2] ضمنه إشعار بأن استحسان بهجة الدنيا كفر ما من حيث أن نظر العقل و الإيمان يبصر طيتها و يشهد جيفتها فلا يغتر بزينتها و هى آفة الخلق فى انقطاعهم عن الحق ، و أبهم تعالى المزين ٥ فى هذه الآية ليشمل أدنى التزيين الواقع على لسان الشيطان و أخفى التزيين الذى يكون من استدراج الله كما فى قوله تعالى: " كذلك زينا لكل امة عملهم[3] " - انتهى .

و لما ذكر ذلك بين حالهم عنده فقال: ﴿و يسخرون﴾ أى و الحال أنهم لا يزالون يسخرون أى يوقعون السخرية ، و هى استزراء ١٠

= أخبر أن سبب ذلك التبديل هو الركون إلى الدنيا و الاستبشار بها و تزيينها لهم و استقامتهم للمؤمنين ، فلبنى إسرائيل من هذه الآية أكبر حظ لأنهم كانوا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا و يكذبون على كتاب الله فيكتبون ما شاؤا لينالوا حظا خسيسا من حظوظ الدنيا و يقولون : هذا من عند الله - البحر المحيط ٢/١٢٩ (١٣) فى م و مد: مما .

(١) و قال أبو حيان الأندلسى : و تزيينه تعالى إياها لهم بما وضع فى طباعهم من المحبة لها فيصير فى نفوسهم ميل و رغبة فيها أو بالشهوات التى خلقها فيهم و إليه أشار بقوله: " زين للناس حب الشهوٰت " - الآية ، و إنما أحكمه من مصنوعاته و أتقنه و حسنه فأعجبهم بهجتها و استمالت قلوبهم فمالوا إليها كلية و أعطوها من الرغبة فوق ما تستحقه - البحر المحيط ٢/١٢٩ (٢) فى الأصل : ففيه ، و التصحيح من م و مد و ظ (٣) سورة ٦ آية ١٠٨ .

العقل هزؤا . و قال الحرالى : هى استزراء العقل معنى[1] بمنزلة الاستسخار فى الفعل حسا ﴿ من الذين آمنوا[2] ﴾ لما هم[2] فيه من الضعف و الحاجة لإعراضهم عن الدنيا رغبة فيما عند الله لما وهبهم[3] الله سبحانه و تعالى[3] من العلم الخارق لتلك الحجب الكاشف لأستار المغيب[4] و لأن الله ٥ يزوى[5] عنهم الدنيا و يحميهم[6] منها رغبة بهم عنها لكرامتهم عليه كما يحمى الإنسان حبيبه الطعام و الشراب إن[7] كان مريضا لكرامته عليه فصار الكفار بهذا التزيين مع ما بوأناهم من الهوان بأنواع التهديد التى لا مرية[8] فى قدرتنا[8] عليها مشغولين بلعاعة من العيش فهم راضون بأحوالهم مسرورون بها بحيث أنهم لا ينظرون فى عاقبة بل مع الحالة ١٠ الراهنة فيهزؤون بأهل الحق متعامين عن البينات معرضين عن التهديد تاركين الاستبصار[9] بأحوال بنى إسرائيل .

و لما كان الاستسخار بذوى الأقدار مرا و للنفوس مضرا قال تعالى مبشرا بانقلاب الأمر فى دار[10] الخلد مرغبا فى التقوى بعد الإيمان : ﴿ و الذين اتقوا ﴾ أى آمنوا خوفا من الله تعالى ، فأخرج ١٥ المنافقين[11] و[12] الذين يمكن دخولهم فى[13] الجملة الماضية ﴿ فوقهم ﴾ فى

(١) فى الأصل : يعنى ، و التصحيح من م و ظ و مد (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بهم (٣-٣) ليست فى ظ (٤) فى م و ظ : الغيب (٥) فى ظ : يزرى . و فى مد : يروى (٦) فى مد : تحميهم (٧) فى م و ظ و مد : اذا (٨-٨) فى م : لقدرتنا (٩) فى مد و ظ : للاستبصار (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ذكر (١١) العبارة من هنا إلى «الماضية» ليست فى ظ (١٢) ليس فى م (١٣) من م و مد ، و فى الأصل : من .

الرزق و الرتبة [1] و المكان بدليل "افيضوا" [2] و ٣ آية "انى كان لى قرين" [3] و كل أمر سارّ ﴿ يوم القيمة [4] ﴾ فهم يضحكون منهم جزاء بما كانوا يفعلون .

و لما كان تبدل الأحوال قريبا عندهم من المحال [كان - ٥] كأنه قيل فى تقريب ذلك : برزق من عند الله يرزقهموه [6] ﴿ و الله ﴾ ٥ بعز سلطانه و جلال عظمته و باهر كرمه ﴿ يرزق من يشآء ﴾ أى فى الدنيا و فى [7] الآخرة و لو كان أفقر الناس و أعجزهم . و لما كان الإعطاء جزافا لا يكون إلا عن كثرة و [8] بكثرة قال [8] : ﴿ بغير حساب [9] ﴾ أى رزقا لا يحد و لا يعد [10] ، لأن كل ما دخله الحد [11] فهو محصور متناه يعد ، و فى هذه الأمة من لا يحاسبه الله [12] على ما آتاه فهى فى ١٠

(١) العبارة من هنا إلى «قرين» ليست فى ظ (٢) سورة ٧ آية ٥٠ (٣) من م ومد، و فى الأصل : او (٤) سورة ٣٧ آية ٥١ (٥) زيد من م و مد وظ (٦) من م وظ و مد، وفى الأصل : يرزقهم (٧) ليس فى م (٨-٨) من م وظ ومد، و فى الأصل: يكثره فقال (٩) اتصال هذه الجملة بما قبلها من تفضيل المتقين يوم القيامة يدل على تعلقها بهم فقيل : هذا الرزق فى الآخرة و هو ما يعطى المؤمن فيها من الثواب و يكون معنى قوله "بغير حساب" أى بغير نهاية ، لأن ما لا يتناهى خارج عن الحساب أو يكون المعنى أن بعضها ثواب و بعضها تفضيل محض فهو بغير حساب ، و قيل: هذا الرزق فى الدنيا ، و هو إشارة إلى تملك المؤمنين المستهزإ بهم أموال بنى قريظة و النضير يصير إليهم بلا حساب بل ينالونها بأسهل شىء و ايسره - قاله ابن عباس و قال نحوه القفال - البحر المحيط ٢ / ١٣١ (١٠) العبارة من هنا إلى «متناه يعد» ليست فى ظ (١١) فى م: العد (١٢) زيد فى الأصل: الا ، ولم تكن الزيادة فى م وظ و مد فحذفناها .

حقه على حقيقتها من هذه الحيثية .

و لما كان كأنه قيل : هل كان[1] هذا الكفر و التزيين من بدء الأمر أم هو شيء حدث[2] فيكون حدوثه أعجب ؟ فقيل : لا فرق عند الحكيم بين[3] هذا و ذاك[4]، فان قدرته[5] على الكبير و الصغير و الجاهل و العليم و الطائش و الحليم على حد سواء على أن الواقع أن ذلك شيء حدث بعد البيان الواضح[6] ﴿ كان الناس ﴾ أى كلهم ﴿ امة ﴾ [7] أى مجتمعين على شيء واحد يؤم بعضهم بعضا و يقتدى بعضهم بعضا[8] ثم أكد اجتماعهم فقال : ﴿ واحدة قف ﴾ أى[9] على الصراط المستقيم فزل[10] بعضهم فاختلفوا و تفرقت بهم السبل كما فى آية يونس "و ما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا[11]" [و على هذا أكثر المحققين كما قاله[12] الأصفهانى - ١٣] و قد رواه أبو يعلى الموصلى فى مسنده بسند متصل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال : على الإسلام كلهم[14]

(١) فى ظ : كانها (٢) العبارة من هنا إلى « شيء حدث » ساقطة من م (٣) من م و مد، و فى الأصل : بعد (٤) فى ظ : ذلك (٥-٥) فى ظ و مد : على الصغير و الكبير (٦) زيد فى م : قال (٧) العبارة من هنا إلى « فقال » سقطت من ظ . (٨) فى م و مد : ببعض (٩) ليس فى ظ (١٠) فى الأصل : نزل ، و التصحيح من م و ظ (١١) سورة ١٠ آية ١٩ (١٢) من مد ، و فى م : قال (١٣) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد (١٤) فى البحر المحيط ٢/١٣٤ : مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أن إصرار هؤلاء على كفرهم هو حب الدنيا و أن ذلك ليس مختصا بهذا الزمان الذى بعثت فيه بل هذا أمر كان فى الأزمنة المتقادمة إذ كانوا على حق ثم اختلفوا بغيا و حسدا و تنازعا فى طلب الدنيا ، و" الناس " القرون = فبعث

﴿ فبعث الله ﴾ [١] أى الذى لا حكم لغيره [١] ﴿ النبيين ﴾ الذين رفعهم [٢] الله تعالى [٢] على بقية خلقه فأنبأهم بما يريد من أمره و أرسلهم إلى خلقه ﴿ مبشرين ٣ ﴾ [٤] لمن أطاع، [و هو جار مجرى حفظ الصحة، و لأنه مقصود بالذات قدم - ٥] [٦] ﴿ و منذرين ص ﴾ لمن عصى [١]، و ذلك جار مجرى إزالة المرض بالدواء [١]. قال الحرالى: فيه إعلام بأنه ليس للأنبياء ٥ من الهداية شيء و إنما هم مستجلون لأمر جبلات الخلق و فطرهم [٧] فيبشرون من فطر على خير و ينذرون من جبل على شر، لا يستأنفون أمرا لم يكن بل يظهرون أمرا كان مغيبا، و كذلك حال كل إمام و عالم فى زمانه يميز الله الخبيث من الطيب ٨ - انتهى. ﴿ و انزل معهم الكتب ﴾ أى كلامه الجامع للهداية. قال الحرالى: إبراما لثنى الأمر المضاعف ليكون الأمر ١٠ بشاهدين أقوى منه بشاهد واحد فقد [٩] / كان فى الرسول كفاية و فى الكتاب وحده كفاية لكن الله [١٠] تعالى ثنى الأمر و جمع الكتاب / ٢١٠

= بين آدم و نوح و هى عشرة كانوا على الحق حتى اختلفوا فبعث الله نوحا فمن بعده - قاله ابن عباس و قتادة.

(١ - ١) ليست فى ظ (٢ - ٢) ليس فى م (٣) و قدم البشاره لأنها أبهج للنفس و أقبل لما يلقى النبى و فيها اطمئنان المكلف و الوعد بثواب ما يفعله من الطاعة و منه " فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين و تنذر به قوما لدا " - البحر المحيط ٢/١٣٥ (٤) العبارة من هنا إلى « الأصبهانى » ليست فى ظ (٥ - ٥) من م ومد.
(٦) زيدت فى الأصل: و على هذا أكثر المحققين كما قاله الأصبهانى، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٧) فى الأصل: نظرهم، والتصحيح من م ومدوظ.
(٨) راجع لمضمونها سورة ٨ آية ٣٧ (٩) فى ظ: فقط (١٠) زيد فى ظ: ثنى.

و الرسول لتكون[1] له الحجة البالغة - انتهى . ﴿ بالحق ﴾ أى الثابت كل ثبات ﴿ ليحكم ﴾ [2] أى الله بواسطة الكتاب[2] ﴿ بين الناس فيما اختلفوا فيه[3] ﴾ [3] من الدين الحق الذى كانوا عليه قبل ذلك أمة واحدة فسلكوا بهم بعد جهد[4] السبيل الأقوم ثم ضلوا على علم بعد موت الرسل فاختلفوا فى الدين لاختلافهم فى الكتاب ﴿ و ما اختلف فيه ﴾ أى الكتاب[4] الهادى للحق الذى لا لبس فيه المنزل لإزالة الاختلاف[4] ﴿ الا الذين ﴾ و لما كان العالم يقبح منه مخالفة العلم مطلقا لا بقيد كونه من معلم مخصوص بنى للمفعول[7] ﴿ اوتوه ﴾ أى[8] فبدلوا نعمة الله بأن أوقعوا الخلاف فيما أنزل لرفع الخلاف ، فى هذا غاية التعجيب و إظهار القدرة الباهرة التى حملتهم على ذلك .

(١) فى ظ : ليكون (٢ - ٢) سقطت من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « و ما اختلف فيه » ليست فى ظ (٤) فى م : جهية (٥) زيد بعده فى مد : قوله . و العبارة من « و لما كان » إلى هنا ليست فى ظ (٦) ليس فى ظ . و فى البحر المحيط ٢/١٣٧ : و الذين أوتوه أرباب العلم به و الدراسة له ، و خصهم بالذكر تنبيها منه على شناعة فعلهم و قبيح ما فعلوه من الاختلاف ، و لأن غيرهم تبع لهم فى الاختلاف فهم أصل الشر ، و أتى بلفظ ' من ' الدالة على ابتداء الغاية منبها على أن اختلافهم متصل بأول زمان مجىء البينات لم يقع منهم اتفاق على شىء بعد المجىء بل بنفس ماجاءتهم البينات اختلفوا لم يتخلل بينهما فترة ؛ و "البينات" التوراة و الإنجيل فالذين أوتوه هم اليهود و النصارى ، أو جميع الكتب المنزلة فالذين أوتوه علماء كل ملة .... ثم بين أن ذلك الاختلاف الذى كان لا ينبغى أن يكون ليس لموجب و لا داع إلا مجرد البغى و الظلم و التعدى .

و لما كان الخلاف ربما كان عن أمر غامض بين أن الأمر على غير ذلك فقال [1]مشيرا باثبات الجار إلى أنـه لم يستغرق الزمان[1] ﴿ من بعد ما جآءتهم البينٰت ﴾[2] أى الدلائل العقلية و النقلية التى ثبتت بها النبوة التى[3] ثبت بها الكتاب . قال الحرالى : الجامعة لآيات ما فى المحسوس و آيات ما فى المسموع ، فلذلك كانت البينات[4] مكملة لاجتماع شاهديها[5] - انتهى .

و لما كان هذا محل السؤال عن السبب بين أنه الحسد و الاستطالة عدولا عن الحق [1]محبة لما زين من الدنيا و تنافسا فيها[1] فقال : ﴿ بغيا ﴾ قال الحرالى[6] : و البغى اعمال الحسد بالقول و الفعل قال عليه الصلاة و السلام « ثلاث لا يسلم منهن أحد » و منهن متحلى الحسد و الطيرة و الظن ، فاذا حسدت فلا تبغ[7] لأن الحسد[8] واقع فى النفس[9] كأنها مجبولة عليه فلذلك عذرت فيه ؛ فاذا استعملت بحسبه[10] مقالها و فعالها

(١-١) سقطت من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « ثبت بها الكتاب » ليست فى ظ (٣) زيد فى الأصل : ثبت بها النبوة التى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) فى م : الآيات ، و فى مد : المبينات (٥) فى م و مد : شاهدها . (٦) قال الأندلسى : و فى قوله " البينٰت " دلالة على أن الدلائل العقلية المركبة فى الطباع السليمة و الدلائل السمعية التى جاءت فى الكتاب قد حصلا و لا عذر فى العدول و الإعراض عن الحق لكن عارض هذا الدليل القطعى ما ركب فيهم من البغى و الحسد و الحرص على الاستئثار بالدنيا - البحر المحيط ١٣٧/٢ (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فلا يتبع (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الجسد - كذا (٩) فى مد : النفى (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بحسبة .

كانت باغية - انتهى . و [1]زاده عجبا[1] بقوله : ﴿ بينهم ﴾ أى لا بغيا على غيرهم فبدلوا من كل جهة .

و لما ذكر إنزال الكتاب و سببه ذكر ما تسبب عنه فقال [1]عاطفا على ما تقديره : فعموا عن البينات[1] : ﴿ فهدى الله ﴾ فى إسناده إلى الاسم الأعظم كما قال الحرالى إعلام بأنه ليس من طوق[2] الخلق إلا[4] بعون و توفيق من الحق - انتهى . ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى بالنبيين[5] ببركة إيمانهم ﴿ لما اختلفوا ﴾ [2]أى أهل الضلالة[2] ﴿ فيه ﴾ ثم بينه بقوله : ﴿ من الحق[6] ﴾ [و يجوز أن تكون تبعيضية لما عموا عنه

(١ - ١) فى ظ : زاد تعجبا (٢ - ٢) ليست فى ظ (٣) فى مد : طرق (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا (٥) ليس فى ظ (٦) فى البحر المحيط ٢/١٣٨ : "و من الحق" تبيين المختلف فيه و 'من' تتعلق بمحذوف لأنها فى موضع الحال من 'ما' فتكون للتبعيض ، و يجوز أن تكون لبيان الجنس على قول من يرى ذلك التقدير : لما اختلفوا فيه الذى هو الحق ، و الأحسن أن يحمل المختلف فيه هنا على الدين و الإسلام و يدل عليه قراءة عبد الله : لما اختلفوا فيه من الاسلام ، و قد حمل هذا المختلف فيه على غير هذا و فى تعيينه خلاف أهو الجمعة ، جعلها اليهود السبت و النصارى الأحد و كانت فرضت عليهم كما فرضت علينا ، و فى الصحيحين : نحن الأولون و الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا و أوتيناه من بعدهم ؛ فهذا اليوم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له قال : يوم الجمعة ، فاليوم لنا و غدا لليهود و بعد غد للنصارى ؛ أو الصلاة فمنهم من يصلى إلى المشرق و منهم من يصلى إلى المغرب فهدى الله تعالى المؤمنين إلى القبلة - قاله زيد بن أسلم ؛ أو إبراهيم على نبينا و عليه السلام قالت النصارى : كان نصرانيا ، و قالت اليهود : كان يهوديا ، فهدى الله المؤمنين لدينه بقوله : "ما كان=

من الحق الذى نزل به الكتاب الذى جاء به النبيون -[1]] ﴿ باذنه[1] ﴾ أى بما ارتضاه لهم من علمه [2] و إرادته و تمكينه[2] . قال الحرالى: فيه إشعار بما فطرهم[3] عليه من التمكين لقبوله لأن[4] الإذن أدناه التمكين و إزالة المنع - انتهى . ﴿ و الله ﴾[5] أى المحيط علما و قدرة[5] ﴿ يهدى من يشآء ﴾ أى بما له من أوصاف الكمال ﴿ الى صراط مستقيم ٥ ﴾ قال الحرالى[6]: هذا هدى أعلى من الأول كأن الأول هدى إلى إحاطة علم الله و قدرته و هذا هدى إليه ، و فى صيغة المضارع بشرى لهذه الأمة بدوام هداهم إلى ختم اليوم المحمدى « لا تزال طائفة من

= ابرٰهيم يهوديا و لا نصرانيا" ؛ أو عيسى على نبينا و عليه السلام جعلته اليهود لعنة و جعلته النصارى إلٰها فهدانا الله تعالى لقول الحق فيه - قاله ابن زيد ؛ أو الكتب التي آمنوا ببعضها و كفروا ببعضها ؛ أو الصيام اختلفوا فيه فهدانا الله لشهر رمضان - فهذه ستة أقوال غير الأول - انتهى .

(١) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد ، و قد سقطت من الأصل و ظ .

(٢ - ٢) هكذا ثبتت فى م و مد ، و ليست فى ظ ؛ و قدمها فى الأصل على « باذنه » و ليس فيه « و » (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : و طرهم .

(٤) فى م : الان (٥ - ٥) سقطت من ظ (٦) و قال أبو حيان الأندلسى : فى هذه الجملة و ما قبلها دليل على أن هدى العبد إنما يكون من الله لمن يشاء له الهداية و رد على المعتزلة فى زعمهم أنه يستقل بهدى نفسه ؛ و تكرر اسم الله فى قوله : " و الله " جاء على الطريقة الفصحى التى هى استقلال كل جملة و ذلك أولى من أن يفتقر بالإضمار إلى ما قبلها من مفسر ذلك المضمر .... و فى قوله : "من يشاء" إشعار بل دلالة على أن هدايته تعالى منشأها الإرادة فقط لا وصف =

أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله » انتهى . و لما [١] أفهم ما صرح به الكلام السابق من الاختلاف [٢] وقوع العداوات و كان فى العداوات خطر الأموال و الأنفس و كان ذلك أشق ما يكون و كانت العادة قاضية بأن المدعوين [٣] إلى ذلك إن لم يصمموا على الآيات كانوا [٤] بين مستثقلين [٥] لأمر [٦] الرسل يرون أنهم يفرقون ما اتفق من الكلمة و رضى به الناس لأنفسهم و يشتتون أمرهم مستثقلين [٥] لطول انتظار الانتصار كان حالهم حال من يطلب الراحات [٧] فى [٨] ذرى الجنات [٨] بلا مشقات و ذلك محال و محض ضلال ، [٩] فان الثبات على الصراط المستقيم لا يكون إلا باحتمال شدائد التكاليف [٩] فكان كأنه قيل فى جواب ذلك [١٠] عدولا عن خطاب النبى صلى الله عليه و سلم المقول له " سل بنى اسرائيل [١١] " إلى [١٢] خطاب الأتباع تشريفا له عن ذلك و رفعا

= ذاتى فى الذى يهديه يستحق به الهداية بل ذلك مفدوق بارادته تعالى فقط " لا يسئل عما يفعل " - البحر المحيط ٢/١٣٩ .

(١) العبارة من هنا إلى « لم يصمموا على الآيات » ليست فى ظ (٢) فى م : اختلاف (٣) فى الأصل : الموعودين ، و التصحيح من م و مد (٤) كتب فوقه فى ظ : أى الناس (٥) فى الأصل : مستقلين ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لامن (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الراجات (٨-٨) من مد و ظ ، و فى الأصل : درى الجنات ، و فى م : درى الجنايات (٩-٩) سقطت من ظ (١٠) العبارة من هنا إلى « لعزائمهم » ليست فى ظ (١١) سورة ٢ آية ٢١١ (١٢) فى الأصل : أى ، و التصحيح من م و مد .

لهممهم بالمواجهة بالخطاب و التأسيـــة بمن[1] مضى من أولى الألباب تنشيطا لهم و تقوية لعزائمهم : أحسبتم أنا لا نرسل الرسل لتميز الخبيث من الطيب ﴿ ام حسبتم[2] ﴾ بعد إرسالهـم أن الأمر هـين بأن تنالوا السعادة بلا اجتهاد فى العبادة . قال الحرالى : هو مما منه الحسبان و هو ٣ما تقع[3] غلبته فيما هو من نوع المفطور عليه المستقر عادته ، و الظن الغلبة فيما هو من المعلوم المأخوذ بالدليل و العلم ؛ فكأن / ضعف علم العالم ظن و ضعف عقل العاقـل حسبان ـ انتهى . و هـذا الذى قدرته هو معنى[4] ﴿ ان تدخلوا الجنة ﴾ أى التى هى نعيم دائم ﴿ و ﴾ الحال أنه

/ ٢١١

(١) فى الأصل : بمنى ، و التصحيح من م و مـد (٢) نزلت فى غزوة الخندق حين أصاب المسلمين ما أصاب من الجهد و شدة الخوف و البرد و أنواع الأذى كما قال تعالى : " و بلغت القلوب الحناجر " ـ قاله قتادة و السدى ، أو فى حرب أحد قتل فيها جماعة من المسلمين و جرت شدائد حتى قال عبد الله بن أبى و أصحابه : إلى متى تقتلون أنفسكم و تهلكون أموالكم ؟ لو كان محمد نبيا لما سلط عليكم القتل و الأسر ! فقالوا : لا جرم ، من قتل منا دخل الجنة ، فقال : إلى متى تسلون أنفسكم بالباطل ؟ أو فى أول ما هاجروا إلى المدينـة دخلوها بلا مال و تركوا ديارهم و أموالهم بأيدى المشركين ـ رضى الله تعالى عنهم ـ فأظهرت اليهود العداوة و أسرّ قوم النفاق ـ قاله عطاء . قيل و مناسبة هذه الآية لما قبلها أنـه قال " يهدى من يشاء " و المراد إلى الحق الذى يفضى اتباعه إلى الجنة فبين أن ذلك لا يتم إلا باحتمال الشدائد و التكليف ، أو لما بين أنه هداهم بين أنه بعد تلك الهداية احتملوا الشدائد فى إقامـة الحق فكذا أنتم أصحاب محمد لا تستحقون الفضيلة فى الدين إلا بتحمل هذه المحن ـ البحر المحيط ٢/١٣٩ (٣ - ٣) فى ظ : مما يقع (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بمعنى .

﴿ لما ياتكم مثل[١] ﴾ أي وصف ﴿ الذين خلوا ﴾[٢] و لما كان القرب في الزمان أشد في التأسية أثبت الجار فقال[٢] : ﴿ من قبلكم[٢] ﴾[٣] أي يقص[٤] عليكم لتعلموا[٥] به أو[٦] يصيبكم ما أصابهم من الأحوال الغريبة و القضايا[٧] العجيبة التي هي في غرابتها كالأمثال[٨] . و قال الحرالي : و'أم' عطف على أمور يفهمها مبدأ الخطاب كأنه يقول : أحسبتم أن تفارق أحوالكم أحوال الأمم الماضية في حكمة الله و سنته و لن تجد لسنة الله تبديلا إلى ما[٩] يستجره معنى[٩] الخطاب إجمالا و تفصيلا في واقع الدنيا من شدائدها[١٠] و حرها و بردها و ضيق عيشها و أنواع أذاها و حال البرزخ و حال النشر و الحشر إلى ما وراء ذلك إلى غاية دخول الجنة فكان عند انتهاء ذلك بادئة خطاب "ام حسبتم" تجاوزا لما بين [أول -[١١]] البعث و غاية دخول الجنة - انتهى[١٢] . ١٣ و نبهت 'لما' التي فيها معنى التوقع لأنها في النفي نظيرة 'قد' في الإثبات على أنه كان ينبغي لهم أن يكون دخولهم

(١) هكذا ثبت هنا في م و مد و ظ ، أخره في الأصل عن « وصف » .
(٢-٢) سقطت من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « كالامثال » ليست في ظ .
(٤) من م و مد ، و في الأصل : تقص (٥) في الأصل : لتعملوا ، و التصحيح من م و مد (٦) في م : و (٧) في م : البلايا (٨) في الأصل : كالاقبال ، و التصحيح من م و مد (٩-٩) من م و مد و ظ ، غير أن في ظ : يستجرها ، و في الأصل : يستحق بمعنى (١٠) في م : حدائدها (١١) زيد من ظ و مد .
(١٢) قال أبو حيان الأندلسي : في 'ام' هنا أربعة أقوال ، الانقطاع على أنها بمعنى بل و الهمزة و الاتصال على إضمار جملة قبلها و الاستفهام بمعنى الهمزة و الإضراب بمعنى بل ، و الصحيح هو القول الأول و مفعولا حسبتم سدت =

فى الدين على بصيرة من حصول الشدائد لكثرة المخالف و المعاند فيكونوا متوقعين فى كل وقت مكابدة القوارع و حلول الصوادع و الصوارع ليكون ذلك أجد[1] فى أمرهم و أجدر لهم بالثبات و الارتقاء إلى أعلى الدرجات .

و لما كان كأنه قيل : ما ذلك المثل ؟ أجيب بيانا[2] بقوله : ﴿ مستهم ٥ الباسآء ﴾ أى المصائب فى الأموال ﴿ و الضرآء ﴾ أى[3] فى الأنفس - نقله أبو عبيد الهروى عن الأزهرى ، و الأحسن عندى[4] عكسه ، لأن البأس كثير الاستعمال فى الحرب و الضر كثير الاستعمال فى الفقر ، أى جزاء لهم كما[5] قال الحرالى على ما[6] غيروا مما[6] يجلب كلا[7] منهما و لكل عمل جزاء ﴿ و زلزلوا ﴾ لأمور باطنة من خفايا القلوب - ١٠

= أن يسدها . . . "و لما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم" الجملة حال ، التقدير : غير آتيكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، أى أن دخول الجنة لا بد أن يكون على ابتلاء شدائد و صبر على ما ينال من أذى الكفار و الفقر و المجاهدة فى سبيل الله و ليس ذلك على مجرد الإيمان فقط بل سبيلكم فى ذلك سبيل من تقدمكم من أتباع الرسل ، خاطب بذلك الله تعالى عباده المؤمنين ملتفتا إليهم على سبيل التشجيع و التثبيت لهم و إعلاما لهم أنه لا يضر كون أعدائكم لا يوافقون فقد اختلفت الأمم على أنبيائها و صبروا حتى أتاهم النصر - البحر المحيط ٢/١٣٩ و ١٤٠ (١٣) العبارة من هنا إلى « اعلى الدرجات » ليست فى ظ .

(١) من م و مد ، و فى الأصل : اجدر (٢) ليس فى ظ ، و زيد بعده فى م : له .
(٣) ليس فى ظ (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عنده (٥) فى ظ : كمال .
(٦-٦) فى م : غيروا انما (٧) فى م : كل .

انتهى . [١] و المعنى أنهم أزعجوا بأنواع البلايا و الرزايا و الأهوال و الأفزاع إزعاجا شديدا شبيها بالزلزلة التى تكاد تهد الأرض و تدك الجبال ﴿ [٢] حتى يقول [٢] ﴾ رفعه نافع [٣] على حكاية الحال فى وقتها بمعنى أن الغاية و المغيا [٤] قد [٥] وجدا و مضيا فهما ماضيان [٦] و كأنك تحكى [٧] ذلك حين وقوعه مثل من يقول عن مريض يشاهده : مرض حتى لا يرجونه ، فان النصب بتقدير ' أن ' و هى علم الاستقبال فهى لا تنصب إلا مضارعا بمعناه ؛ و نصبه [٨] الجماعة على حكاية الحال أيضا لكن بتقدير أن الزلزال مشاهد و القول منتظر حقق ذلك المتبين [٩] [١٠] حتى يقول [١٠]

(١) العبارة من هنا إلى « ذلك المتبين » ليست فى ظ (٢-٢) من م و مد ، و فى الأصل : و زلزلوا - كذا (٣) ليس فى مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل : و المعنى (٥) ليس فى م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل : ماضيات (٧) من م و مد ، و فى الأصل : يحكى (٨) فى البحر المحيط ٢/١٤٠ : قرأ الأعمش : و زلوا و يقول الرسول - بالواو بدل : حتى ، و فى مصحف عبد الله : و زلزلوا ثم زلزلوا و يقول الرسول ، و قرأ الجمهور : حتى ، و الفعل بعدها منصوب إما على الغاية و إما على التعليل ، أى و زلزلوا إلى أن يقول الرسول ، أو و زلزلوا كى يقول الرسول ؛ و المعنى الأول أظهر لأن المس و الزلزال ليسا معلولين لقول الرسول و المؤمنين ، و قرأ نافع برفع "يقول" بعد "حتى" و إذا كان المضارع بعد حتى فعل حال فلا يخلو أن يكون حالا فى حين الإخبار نحو : مرض حتى لا يرجونه ، و إما أن يكون حالا قد مضت فيحكيها على ما وقعت فيرفع الفعل على أحد هذين الوجهين و المراد به هنا المضى فيكون حالا محكية إذ المعنى و زلزلوا فقال الرسول (٩) فى م و مد : المبين (١٠-١٠) كذا فى الأصل ، و ليس فى بقية الأصول .

﴿ الرسول ١ ﴾ و هو أثبت الناس ﴿ و الذين آمنوا معه ﴾ و هم الأثبت بعده لطول تمادى الزمان فيما مسهم و عبر بالمضارع تصويرا لحالهم و إشارة إلى تكرير ذلك من مقالهم . و قال الحرالى : فذكر قول الرسول الواقع فى رتبة الذين آمنوا معه لا قوله فيما يخصه فى ذاته وحده و من هو منه أو متبعه ، لأن للنبي ترتبا فيما يظهر من قول و فعل مع رتب أمته ٢ ، فكان قول الرسول المنبئ ٣ عن حالهم ﴿ متى نصر الله ٤ ﴾ فكأنهم فى مثل ترقب المتلدد الحائر الذى كأنه و إن وعد بما هو الحق يوقع له التأخير صورة الذى ٥ انبهم عليه الأمر لما يرى من اجتثاث ٦ أسباب الفرج ، ففى إشعاره إعلام بأن الله سبحانه و تعالى إنما يفرج

(١) أخره فى الأصل عن « الناس » و التصحيح من م و مد و ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م : امة (٣) من م ، و فى ظ : المبنئى، و فى مد: المبنى، و فى الأصل : النبي (٤) متى سؤال عن الوقت ، فقيل ذلك على سبيل الدعاء لله تعالى و الاستعلام لوقت النصر ، فأجابهم الله تعالى فقال: « الا ان نصر الله قريب » و قيل ذلك على سبيل الاستبطاء إذ ما حصل لهم من الشدة و الابتلاء و الزلزال هو الغاية القصوى و تناهى ذلك و تمادى بالمؤمنين إلى أن نطقوا بهذا الكلام فقيل ذلك لهم إجابة لهم إلى طلبهم من تعجيل النصر ؛ و الذى يقتضية النظر أن تكون الجملتان داخلتين تحت القول و أن الجملة الأولى من قول المؤمنين، قالوا ذلك استبطاء للنصر و ضجرا مما نالهم من الشدة ، و الجملة الثانية من قول رسولهم إجابة لهم و إعلاما بقرب النصر، فتعود كل جملة لمن يناسبها وصح نسبة المجموع للجموع لانسبة المجموع لكل نوع من القائلين ـ البحر المحيط ٢/١٤٠ (٥) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : للذى (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: اختناث .

عن أنبيائه و من معهم بعد انقطاع أسبابهم ممن سواه ليمتحن قلوبهم للتقوى فتتقدس[1] سرائرهم من الركون[2] لشيء من الخلق و تتعلق[3] ضمائرهم بالله تعالى وحده حتى يقول صلى الله عليه و سلم: «لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، و نصر عبده، و هزم الأحزاب وحده[4]» إعلاما
٥ بأن الله سبحانه و تعالى ناصره دون حجاب و لا وسيلة شيء من خلقه، كذلك سنته[5] مع رسله "انا لننصر رسلنا و الذين آمنوا فى الحيوة الدنيا[6]" و على ذلك جرت خوارق العادات للأولياء و أهل الكرامات لا يكاد يقع لهم إلا عن ضرورة قطع الأسباب، و فى قراءة النصب إعراب بأن غاية الزلزال القول، و فى الرفع إعراب عن غاية الزلزال
١٠ و أنه أمر مبهم، له وقع فى البواطن و الظواهر، أحد تلك الظواهر وقوع هذا القول، فى الرفع إنباء باشتداد الأمر بتأثيره فى ظاهر القول و ما وراءه[7] - انتهى. [8]و هو فى النصب / واضح فان 'حتى' مسلطة /٢١٢
على الفعل، و أما فى الرفع فهى مقطوعة عن الفعل لأنها لم تعمل فيه لمضيه لتذهب النفس فى[9] الغاية كل مذهب [ثم -[10]] استؤنف شيء

(١) فى ظ: فيتقدس (٢) فى ظ و مد: المركون، و فى الأصل و م: الركوب.
(٣) فى ظ: يتعلق (٤) العبارة من هنا إلى «إنا» ليست فى مد (٥) من م و ظ، و فى الأصل: سنة (٦) سورة ٤٠ آية ٥١ (٧) فى الأصل: رواه، و التصحيح من بقية الأصول (٨) العبارة من هنا إلى «استبطاء الأمر» ليست فى ظ (٩) من مد، و فى الأصل و م: من (١٠) زيد من م و مد.

من

من بيانها بالفعل .

و لما كان معنى الكلام طلب النصر[1] و استبطاء الأمر[2] أجابهم تعالى إجابة المنادي فى حال اشتداد الضر[3] بقوله : ﴿ الآ ﴾ قال الحرالى : استفتاحا و تنبيها [4]و جمعا[4] للقلوب للسماع ﴿ ان ﴾ تأكيدا و تثبيتا ﴿ نصر الله ﴾ الذى لا سبب له إلا العناية [5]من ملك الملوك[5] بعد قطع كل سبب من دونه ﴿ قريب ﴾ لاستغنائه عن عدة و مدة ، ففى جملته بشرى باسقاط كلفة النصر بالأسباب و العدد و الآلات[6] المتعبة[7] ، و الاستغناء بتعلق القلوب بالله ، و لذلك إنما ينصر الله هذه الأمة بضعفائها ، لأن[8] نصرتها بتقوى القلوب لا بمدافعة الأجسام ، فلذلك تفتح خاتمة هذه الأمة قسطنطينية[9] الروم بالتسبيح و التكبير ، قال صلى الله عليه و سلم : « إنا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » فانعطف ذلك على ما أراده الله تبارك و تعالى بأنبيائه و أصفيائه من اليسر الذى كماله لهذه الأمة فأراد بهم اليسر فى كل حال - انتهى . و فى[10] بعض الآثار[11] : إنما تقاتلون الناس بأعمالكم ، و الحاصل أنه لا يكفى مجرد ادعائهم الدخول فى السلم بل لا بد من إقامة البينة بالصبر

(١) من م ومد ، وفى الأصل : النفس - كذا (٢) زيد فى ظ « ثم » (٣) فى ظ : الأمر (٤-٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : وجها (٥-٥) ليس فى ظ (٦) فى مد : الايات (٧) من م و ظ ، و فى مد : المتبعة ، و فى الأصل : المتعقبة (٨) فى ظ : لا (٩) من م و مد ، و فى الأصل : قسطنطنية ، و فى ظ : قسطنطينة (١٠) فى م : عن (١١) فى م : الانصار ، و فى ظ : الأخبار .

على ما يمتحنهم كما امتحن الأمم الخالية و القرون الماضية ، فانظر[١] هذا التدريب فى مصاعد[٢] التأديب ، و تأمل كيف ألقى إلى العرب و إن كان الخطاب لمن آمن ذكر القيامة فى قوله : " و الذين اتقوا[٣] فوقهم يوم القيمة " و الجنة فى قوله : " ان تدخلوا الجنة[٤] " و هم ينكرونهما[٥] إلقاء ما كأنه محقق لا نزاع فيه تأنيسا لهم بذكرهما ، و انظر[٦] ما فى ذلك من بدائع الحكم .

و لما كانت النفقة من أصول ما بنيت عليه السورة من صفات المؤمنين " و مما رزقناهم ينفقون " ثم كرر الترغيب فيها فى تضاعيف الآى إلى أن أمر بها فى أول آيات الحج الماضية آنفا مع أنها من دعائم بدايات الجهاد إلى أن تضمنتها الآية السالفة مع القتل الذى [هو -[٧]] نهاية الجهاد كان هذا موضع السؤال عنهما فأخبر تعالى عن ذلك على طريق النشر المشوش و ذلك مؤيد لما فهمته فى[٨] البأساء و الضراء فان استعماله فى القرآن أكثر من المرتب فقال معلما لمن سأل : [٩]هل سأل[٩] المخاطبون بذلك عنهما ؟ ﴿ يسئلونك[١٠] ما ذا ﴾ [١١]أى أىّ شىء[١١]

(١) فى م : فانظروا (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : مساعد (٣) فى الأصل : آمنوا ، و التصحيح من م و مد و ظ - راجع سورة ٢ آية ٢١٢ . (٤) سورة ٢ آية ٢١٤ (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ينكرونها (٦) فى م : فانظر (٧) زيد من م و مد و ظ (٨) فى ظ : من (٩-٩) ليس فى م . (١٠) نزلت فى عمرو بن الجموح كان شيخا كبيرا ذا مال كثير سأل بما ذا أتصدق و على ما أنفق - قاله أبو صالح عن ابن عباس..... ومناسبة هذه =

﴿ ينفقون ﴾ [1] من الأموال [1] . و قال الحرالى : لما كان منزل القرآن على نحو متصرف المرء فى الأزمان كان انتظام خطابه متراجعا بين خطاب [2] دين [3] يتلقى عن الله و بين إقامة [4] بحكم يكون [4] العبد فيه خليفة الله فى نفاذ أمره و بين إنفاق يكون فيه خليفة فى أيصال فضله ، لأن الشجاعة و الجود - [5] خلافة [6] و الجبن و البخل عزل عنها ، فكان فى طى ما تقدم من الخطاب [7] الإحسان و الإنفاق ، و كان حق ذلك أن لا يسأل عما ذا ينفق ، لأن المنفق هو الفضل كله ، قال صلى الله عليه و سلم : « يا ابن آدم ! إن تبذل الفضل خير لك و إن تمسكه شر لك » فى هذا السؤال ممن سأله [8] نوع تلدد [9] من نحو ما تقدم لبنى إسرائيل فى أمر البقرة من مرادة المسألة ، لم [10] يستأذن الصديق رضى الله تعالى عنه حين أتى بماله كله و لا [11] استأذن عمر رضى الله عنه حين أتى بشطر

= الآية لما قبلها أن الصبر على النفقة و بذل المال هو من أعظم ما تحلى به المؤمن وهو من أقوى الأسباب الموصلة إلى الجنة حتى لقد ورد : الصدقة تطفئ غضب الرب - البحر المحيط ٢/١٤٢ (١١-١١) هكذا فى م و مد متأخرا عن « ماذا » ، و قدمه فى الأصل على « ما ذا » ؛ و ليس فى ظ .

(١-١) ليس فى ظ (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : خطابه (٣) من ظ و مد ، و فى م : و بين ، و فى الأصل : و من (٤-٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يحكم بكون (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : جود (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : خلافه (٧) زيد فى م « و » (٨) ليس فى مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : تلذذ (١٠) فى مد : لن (١١) فى الأصل : بما ، و التصحيح من م و ظ و مد .

ماله و لا استأذن سعد بن الربيع حين خرج لعبد الرحمن بن عوف رضى الله تعالى عنهما عن شطر ماله و إحدى زوجتيه ؛ فكان فى هذا السؤال إظهار مثل الذين خلوا من قبلهم[1] و لو لا أن الله رحيم لكان جوابهم : تنفقون[2] الفضل ، فكان يقع[3] واجبا و لكن الله لطف بالضعيف لضعفه و أثبت الإنفاق [و أبهم قدره -[4]] فى نكس الإنفاق بأن يتصدق على الأجانب مع حاجة من الأقارب فقال تعالى خطابا للنبى صلى الله عليه و سلم و إعراضا منه عن السائلين لما فى السؤال من التبلد الإسرائيلى - انتهى . فقال : ﴿ [5]قل ما انفقتم من خير ﴾ أى من مال[5] و عدل عن بيان المنفق[6] ما هو إلى بيان المصرف[7] لأنه أنفع على وجه عرف منه سؤالهم و[8]هو كل[8] مال عدّوه خيرا فقال معبرا بالماضى ليكون أشمل : "[9]ما انفقتم من خير[9]" فعمم المنفق منه و هو كل مال[10] تعدونه[11] خيرا[12] و خص المصرف مبينا أهمه لأن النفقة

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : قبلكم (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ينفقون (٣) ليس فى م (٤) زيدت من م و مد و ظ (٥ - ٥) من م و ظ و مد (غير أن العبارة من « أى من مال » إلى « ما انفقتم من خير » ليست فى مد) ، و فى الأصل بياض (٦) من م ، و فى الأصل : السبق (٧) من م ، و فى الأصل : الصرف (٨-٨) فى م : يوكل - كذا (٩-٩) من م ، و فى الأصل بياض. (١٠) فى م : ما . و العبارة من « و عدل » إلى هنا ليست فى ظ (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يعدونه (١٢) زيد فى م : فللوالدين و الاقربين ، و العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ . و فى البحر المحيط ٢/١٤٢ : هذا بيان لمصرف =

لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها فقال: ﴿ فللوالدين[1] ﴾ لأنهما أخرجاه إلى الوجود[2] فى عالم الأسباب / ﴿ ٣و الاقربين٣ ﴾[4] لما لهم من الحق المؤكد بأنهم كالجزء لما لهم من قرب القرابة[4] ﴿ ٣و اليتمى٣ ﴾ [5]لتعرضهم للضياع[5] لضعفهم . و قال الحرالى: لأنهم أقارب بعد الأقارب باليتم الذى أوجب خلافة الغير عليهم - انتهى ﴿ ٣و المسكين٣ ﴾ لمشاركتهم الأيتام[6] فى الضعف ٣و قدرتهم فى الجملة على نوع كسب٣ .

٢١٣ /

= ما ينفقونه و قد تضمن السؤال عنه وهو المنفق بقوله " من خير " و يحتمل أن يكون " ماذا " سؤالا عن المصرف على حذف مضاف ، التقدير : مصرف ما ذا ينفقون ، أى يجعلون إنفاقهم ، فيكون الجواب إذ ذاك مطابقا ؛ و يحتمل أن يكون حذف من الأول الذى هو السؤال المصرف و من الثانى الذى هو الجواب ذكر المنفق و كلاهما مراد و إن كان محذوفا و هو نوع من البلاغة تقدم نظيره فى قوله: " و مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق "؛ و قال الزمخشرى : قد تضمن قوله تعالى : " ما انفقتم من خير " بيان ما ينفقونه و هو كل خير و بنى الكلام على ما هو أهم و هو بيان المصرف لأن النفقة لا يعتد بها إلا أن تقع موقعها كقول الشاعر :

إن الصنيعة لا تكون صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع

انتهى كلامه ؛ و هو لا بأس به " و من خير " يتناول القليل و الكثير ، و بدأ فى المصرف بالأقرب فالأقرب ثم بالأحوج فالأحوج .

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل بياض . و العبارة من هنا إلى « الأسباب » ليست فى ظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل : الوجوه (٣-٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل بياض (٤-٤) ليست فى ظ (٥-٥) ليست فى ظ . و لفظ « للضياع » كرره فى الأصل ثانيا (٦) فى مد : للايتام .

[١] قال الحرالى[١] : و هم المتعرضون لغة و المستترون الذين لا يفطن لهم و لا يجدون ما يغنيهم شرعا و لغة نبوية[٢] - انتهى . ﴿[٣] و ابن السبيل[٤] [٣]﴾ لضعفه بالغربة [[٤] و الآية محكمة فحمل ما فيها على ما لا يعارض غيرها[٥] .

و لما خص من ذكر عمم و بشر بقوله : ﴿و ما تفعلوا من خير[٦]﴾ أى مما يعد خيرا من عين أو معنى من هذا أو غيره[٧] مع هؤلاء أو غيرهم[٨] ﴿فان الله﴾ المحيط علما و قدرة بكل شىء[٩]] . [١٠] و لما كان [١١] على طريق الاستئناف[١١] فى مقام الترغيب و الترهيب لكونه وكل الأمر إلى المنفقين[١٢] و[١٣] كان سبحانه عظيم الرفق بهذه الأمة [١٤] أكد علمه بذلك فقدم بذلك[١٤] فقدم[١٥] الظرف إشارة إلى أن له غاية النظر إلى أعمالهم الحسنة فقال : ﴿[٣] به عليم[٣]﴾ أى[١٦] بالغ العلم

(١-١) ليست فى مد (٢) فى الأصل : نبوته، والتصحيح من م ومد وظ (٣-٣) من م ومد و ظ ، و فى الأصل بياض (٤) العبارة المحجوزة سقطت من الأصل . (٥) العبارة من « و الآية » إلى هنا زيدت من م و مد، و ليست فى ظ (٦) العبارة من « و لما » إلى هنا زيدت من م و مد وظ (٧) العبارة من « أى » إلى هنا زيدت من م ومد ، و ليست فى ظ (٨) العبارة من « مع هؤلاء » إلى هنا زيدت من م و مد ، غير أن فى م : من - مكان : مع ، و : غيره - مكان : غيرهم (٩) العبارة من « فان » إلى هنا زيدت من م و مد و ظ ، غير أن فى م : لكل - مكان : بكل (١٠) العبارة من هنا إلى « المنفقين » ليست فى ظ (١١-١١) ليست فى م و مد (١٢) فى مد : المتقين (١٣) زيد فى ظ : لما (١٤-١٤) ليست فى م و مد و ظ (١٥) فى ظ : قدم (١٦) ليس فى ظ .

وهو أولى من جازى على الخير . وقال الحرالى[1] : ختم بالعلم لأجل دخول الخلل على النيات[2] فى الإنفاق لأنه من أشد شىء تتباهى[3] به النفس فيكاد[4] لا يسلم لها[5] منه إلا ما لا تعلمه شمالها التى هى التفاتها و تباهيها ويختص بيمينها التى هى صدقها و إخلاصها - انتهى . ولما أخبروا بما سألوا عنه من إحدى الخصلتين المضمنتين لآية الزلزال كان ذلك موضع السؤال عن الأخرى فأجيبوا[6] على طريق الاستئناف بقوله : "كتب"[6] . وقال الحرالى : لما التف[7] حكم الحج بالحرب تداخلت آيات اشتراكهما[8] وكما تقدم تأسيس فرض الحج فى آيـة "فمن فرض فيهن الحج" انتظم[9] به كتب القتال ، والفرض من الشىء ما ينزل بمنزلة[10] الجزء منه ، والكتب ما حُرز[11] بالشىء فصار كالوصلة فيه ، كما جعل الصوم لأن فى الصوم جهاد النفس كما أن فى القتال جهاد العدو ، فجرى ما شأنه

(١) وقال الأندلسى فى البحر المحيط ٢/١٤٣ : ولما كان أولا السؤال عن خاص أجيبوا بخاص ثم أتى بعد ذلك الخاص التعميم فى أفعال الخير وذكر المجازاة على فعلها ، وفى قوله : "فان الله به عليم" دلالة على المجازاة لأنه إذا كان عالما به جازى عليه فهى جملة خبرية و تتضمن الوعد بالمجازاة (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الثبات . (٣) فى ظ : يتباهى (٤) فى ظ : يكاد (٥) فى ظ : منها (٦-٦) من م و مد و ظ ، و موضعها بياض فى الأصل غير أن «بقوله» موجود فيه بعد «فاجيبوا» (٧) فى مد : التفت (٨) فى مد : اشتراكها (٩) فى ظ : انتظر (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : منزلة (١١) من ظ ، وفى مد : حزز ، و فى م : حزر ، و فى الأصل : حوز .

المدافعة بمعنى الكتب و ما شأنه العمل و الإقبال بمعنى الفرض، و هما معنيان مقصودان فى الكتاب و السنة تحق[1] العناية بتفهمهما[2] لينزل كل من القلب فى محله و يختص[3] النية فى كل واحد على وجهه و قد كان من أول منزلة[4] آى القتال "اذن للذين يقتلون[5]" فكان الأول إذنا لمن شأنه المدافعة عن الدين بداعية من نفسه من نحو ما كانت الصلاة قبل الفرض واقعة من الأولين بداعية من حبهم لربهم و رغبتهم إليه[6] [فى الخلوة به و الأنس بمناجاته فالذين كانت صلاتهم حبا كان الخطاب لهم بالقتال إذنا لتلفتهم إليه -[7]] فى بذل أنفسهم لله الذين كان ذلك حبا لهم يطلبون الوفاء به[8] حبا للقاء ربهم بالموت كما أحبوا[9] لقاء ربهم[9] بالصلاة[10] "حين عقلوا[11]" و أيقنوا أنه لا راحة لمؤمن إلا فى لقاء ربه، فكان من عملهم لقاء ربهم بالصلاة فى السلم، و طلب لقائه بالشهادة "[12]فى الحرب[12]"، فلما اتسع أمر الدين و دخلت الأعراب و الأتباع الذين لا يحملهم صدق المحبة للقاء الله على البدار للجهاد [13] نزل كتبه[13] كما نزل[14] فرض الصلاة

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يحق (٢) فى م: لتفهمها، و فى ظ: يتفهما (٣) فى م و مد: تختص، و فى ظ: مختص - كذا (٤) فى م و ظ و مد: منزله (٥) سورة ٢٢ آية ٣٩ (٦) سقط من م و مد و ظ (٧) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد و ظ (٨) فى ظ: ربه (٩-٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: ربهم لقاء (١٠) العبارة من هنا إلى «بالصلاة» ليست فى م (١١) فى الأصل: غفلوا، و التصحيح من مد و ظ (١٢-١٢) فى ظ: بالحرب (١٣-١٣) فى الأصل: ترك كتبة، و التصحيح من م و ظ و مد (١٤) فى الأصل: ترك، و التصحيح من م و ظ و مد.

استدراكا فقال: ﴿ [١] كتب عليكم القتال [١] ﴾ [٢] أى أيتها الأمة [٢] ! وكان فى المعنى راجعا لهذا الصنف الذين يسألون عن النفقة، وبمعنى ذلك انتظمت الآية بما قبلها فكأنهم يتبلدون فى الإنفاق تبلدا إسرائيليا و يتقاعدون عن الجهاد تقاعد أهل التيه منهم الذين قالوا: "اذهب انت و ربك فقاتلا [٣]" - انتهى. ﴿ [٤] وهو كره [٤] ﴾ وهو ما يخالف غرض النفس ٥ وهواها، ولعله لكونه لما كان خيرا عبر باللام فى ﴿ لكم ج - [٥] ﴾ وهذا باعتبار الأغلب وهو كما قال الحرالى عند المحبين للقاء الله من أحلى [٦] ما تناله أنفسهم حتى كان ينازع الرجل منهم فى أن يقف فيقسم على الذى يمسكه أن يدعه والشهادة، قال بعض التابعين: لقد أدركنا قوما كان

(١ - ١) من م ومد وظ، وموضعها بياض فى الأصل. وفى البحر المحيط ٢/١٤٣: قال ابن عباس: لما فرض الله الجهاد على المسلمين شق عليهم وكرهوا فنزلت هذه الآية، وظاهر قوله: "كتب" أنه فرض على الأعيان كقوله: "كتب عليكم الصيام" "كتب عليكم القصاص" "ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا" وبه قال عطاء، قال: فرض القتال على أعيان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فلما استقر الشرع وقيم به صار على الكفاية، وقال الجمهور: أول فرضه إنما كان على الكفاية دون تعيين ثم استمر الإجماع على أنه فرض كفاية إلى أن نزل بساحة الإسلام فيكون فرض عين .... ومناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه لما ذكر ما مس من تقدمنا من أتباع الرسل من البلايا وأن دخول الجنة معروف بالصبر على ما يبتلى به المكلف ثم ذكر الإنفاق على من ذكر فهو جهاد النفس بالمال انتقل إلى أعلى منه وهو الجهاد الذى يستقيم به الدين، وفيه الصبر على بذل المال والنفس - انتهى كلامه (٢-٢) سقط من ظ.

(٣) سورة ٥ آية ٢٤ (٤ - ٤) من م وظ ومد، وموضعها بياض فى الأصل.

(٥) من م ومد وظ، وموضعه بياض فى الأصل (٦) من م ومد وظ، وفى الأصل: أجلى.

الموت لهم أشهى من الحياة عندكم اليوم[١] و إنما كان ذلك لما خربوه[٢] من دنياهم و عمروه من أخراهم فكانوا يحبون النقلة من الخراب إلى العمارة - انتهى[٣] .

و لما كان هذا[٤] مكروها[٥] لما فيه على[٦] المال[٧] من المؤونة و على النفس من المشقة و على الروح من الخطر من حيث الطبع شهيا[٨] لما فيه[٩] من الوعد[٩] باحدى[١٠] الحسنيين[١١] من حيث الشرع أشار إلى ذلك بجملة حالية فقال: ﴿ [١٢] و عسى ان[١٢] ﴾ و سيأتى إن شاء الله تعالى فى سورة براءة من شرح معانى 'عسى[١٣]' ما يوضح أن المعنى: و حالكم جدير[١٤] و خليق لتغطية[١٥] علم العواقب عنكم بأن ﴿ تكرهوا شيئا ﴾[١٦] أى كالغزو[١٦]

(١) فى ظ: الموت - كذا (٢) من مد و ظ ، و فى الأصل و م: ضربوه .
(٣) ليس فى م (٤) ليس فى م و مد و ظ (٥) العبارة من هنا إلى «الخطر» ليست فى ظ (٦) من م و مد، و فى الأصل: من (٧) من م و مد، و فى الأصل: على .
(٨) العبارة من هنا إلى «الحسنيين» ليست فى ظ (٩-٩) ليس فى م (١٠) فى م: إحدى (١١) فى مد: الحسنتين (١٢-١٢) من م و مد و ظ ، و موضعه بياض فى الأصل (١٣) عسى هنا للاشفاق لا للترجى و مجيئها للاشفاق قليل و هى هنا تامة لا تحتاج إلى خبر... و اندرج فى قوله: "شيئا" القتال لأنه مكروه بالطبع لما فيه من التعرض للأسر و القتل و إفناء الأبدان و إتلاف الأموال ، و الخير الذى فيه هو الظفر و الغنيمة بالاستيلاء على النفوس و الأموال أسرا و قتلا و نهبا و فتحا و أعظمها الشهادة و هى الحالة التى تمناها رسول الله صلى الله عليه و سلم مرارا - البحر المحيط ٢/١٤٣ (١٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: جدر (١٥) فى ظ: بتغطية (١٦-١٦) من م و مد ، و فى الأصل: كالغزو اى ، و فى ظ: اى .

فتعرضوا عنه الظنكم أنه شرلكم[1] / ﴿ و هو ﴾ أى[2] [و الحالَ أنه -٣] ٢١٤/
﴿خير لكم ج﴾ ٤ لما فيه من الظفر والغنيمة أو الشهادة والجنة[4] فانكم لا تعلمون
و الذى كلفكم ذلك عالم بكل شىء غير محتاج إلى شىء و ما كلفكم ذلك
إلا لنفعكم . قال الحرالى: فشهد[5] - لهم لما[6] لم يشهدوا مشهد الموقنين الذين
يشاهدون غيب الإيمان كما يشهدون عن الحس، كما قال[7] ثعلبة : «كأنى ٥
أنظر إلى أهل الجنـــة فى الجنة ينعمون و أنظر إلى أهل النار فى النار
يعذبون» و لم يبرم لهم الشهادة و لكن ناطها بكلمة 'عسى' لما علمه
من ضعف قبول من خاطبه بذلك، و فى إعلامه إلزام بتنزل العلى الأدنى
رتبة لما أظهر هذا الخطاب من تنزل الحق فى مخاطبة الخلق إلى حد
مجاوزة[8] المترفق[9] فى الخطاب - انتهى . ١٠

و لما رغبهم سبحانه و تعالى فى الجهاد [بما-١٠] رجاهم[11] فيه من الخير
رهبهم من القعود[12] عنه بما يخشى فيه من الشر . قال الحرالى : فأشعر
أن المتقاعد له فى تقاعده آفات و شر فى الدنيا و الآخرة ليس أن
لا ينال خير الجهاد فقط بل و ينال شر التقاعـــد و التخلف - انتهى .

(١-١) من م و مد، و ليس فى ظ ، و فى الأصل : والحال انه (٢) ليس فى ظ .
(٣) زيد من م و مد (٤-٤) ليست فى ظ (٥) فى ظ : نشهد (٦) فى ظ : ما .
(٧) فى م : قاله (٨) فى مد: مجاورة - بالراء المهملة (٩) فى م : المترقى (١٠) زيد
من مد و ظ ، و فى م: لما (١١) من ظ و م و مد ،غير أن فى مد زيد قبله «فى»،
و فى الأصل: جاءهم (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : النقوذ .

[1] فقال تعالى[1] : ﴿ وعسى[2] ان تحبوا شيئا ﴾ أى كالقعود[3] فتقبلوا [1] عليه لظنكم أنه خير لكم[1] ﴿ وهو ﴾ [1] أى والحال أنه[1] ﴿ شر لكم[4] ﴾ [1] لما فيه من الذل والفقر وحرمان الغنيمة والأجر[1] وليس أحد منكم إلا قد جرب مثل[4] ذلك مرارا فى أمور دنياه، فاذا صح ذلك فى فرد صار كل شىء كذلك فى إمكان خيريته وشريته فوجب ترك الهوى والرجوع إلى العالم المنزه عن الغرض ولذلك قال [5] عاطفا على ما تقديره: فالله قد حجب عنكم سر التقدير[5] ﴿ والله ﴾ [1] أى الذى له الإحاطة الكاملة[1] ﴿ يعلم ﴾ أى [1] له علم[1] كل شىء وقد أخبركم فى صدر هذا الأمر أنه رؤف بالعباد فهو لا يأمركم إلا بخير . وقال الحرالى: شهادة بحق[6] العلم يرجع إليها عند الأغبياء[7] فى تنزل الخطاب - انتهى . [1] والآية من الاحتباك ذكر الخير أولا دال على حذفه ثانيا وذكر الشر ثانيا دال على حذفه مثله أولا[1] .

(١-١) ليست فى ظ (٢) 'عسى' هنا للترجى ومجيئها له هو الكثير فى لسان العرب وقالوا: كل عسى فى القرآن للتحقيق يعنون به الوقوع إلا قوله تعالى: "عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا" واندرج فى قوله: "شيئا" الخلود إلى الراحة وترك القتال لأن ذلك محبوب بالطبع لما فى ذلك من ضد ما قد يتوقع من الشر فى القتال والشر الذى فيه هو ذلهم وضعف أمرهم واستئصال شأفتهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم وملك بلادهم - البحر المحيط ٢/١٤٤.

(٣) من م ومد، وفى الأصل: كالنفوذ، وليس فى ظ (٤) ليس فى ظ .

(٥-٥) ليست فى ظ، وفى م «شر» مكان «سر» (٦) فى م: تحق (٧) فى الأصل: الأغناء، والتصحيح من م وظ ومد.

و لما أثبت سبحانه و تعالى شأنه العلم لنفسه نفاه عنهم فقال: ﴿و انتم لا تعلمون ه﴾ أى ليس لكم من أنفسكم علم و إنما عرض لكم ذلك من قبل ما علمكم فثقوا به [1] و بادروا إلى كل ما يأمركم به و إن شق [1] . و قال الحرالى[2] : فنفى العلم عنهم بكلمة "لا" أى التى هى للاستقبال[3] حتى تفيد دوام الاستصحاب "و ما اوتيتم من العلم الا قليلا[4]" قال من حيث رتبة هذا الصنف من الناس من الأعراب و غيرهم ، و أما المؤمنون أى الراسخون فقد علمهم الله من علمه ما علموا أن القتال خير لهم و أن التخلف شر لهم - انتهى . حتى أن علمهم ذلك أفاض على ألسنتهم ما يفيض الدموع و ينير القلوب ، حتى شاورهم النبى صلى الله عليه و سلم فى التوجه إلى غزوة بدر ، فقام أبو بكر رضى الله تعالى عنه فقال و أحسن ، ثم قام عمر رضى الله تعالى عنه فقال و أحسن ، ثم قام المقداد[5] رضى الله تعالى عنه فقال: [يا -[6]] رسول الله! امض لما أراك الله فنحن معك ، و الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: "[فاذهب -[7]] انت و ربك فقاتلا انا ههنا قعدون[8]"

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) و قال أبو حيان الأندلسى : ﴿و انتم لا تعلمون﴾ ما يعلمه الله تعالى لأن عواقب الأمور مغيبة عن علمكم و فى هذا الكلام تنبيه على الرضى بما جرت به المقادير ، قال الحسن : لا تكرهوا الملمات الواقعة فلرب أمر تكرهه فيه إربك و لرب أمر تحبه فيه عطبك - البحر المحيط ٢/١٤٤ .
(٣) فى م : الاستقبال (٤) سورة ١٧ آية ٨٥ (٥) زيد فى مد و ظ : بن عمرو .
(٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد من م و ظ و مد (٨) سورة ٥ آية ٢٤ .

ولكن اذهب أنت وربك[1] فقاتلا إنا معكما مقاتلون، فوالذى بعثك بالحق! لو سرت[2] إلى برك الغماد[2] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه[3]؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشيروا علىّ أيها الناس! فقال[4] سعد بن معاذ الأنصارى رضى الله تعالى عنه: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: أجل، [5]قال: فقد[5] آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك. فوالذى بعثك بالحق! لو استعرضت[6] بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك! ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن [7]تلقى بنا[7] عدونا غدا! إنا لصبر[8] فى الحرب صدق فى اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقرّ به عينك، فسر بنا على بركة الله تعالى.

/٢١٥ ولما أخبرهم سبحانه وتعالى بإيجاب / القتال [عليهم مرسلا فى جميع الأوقات وكان قد أمرهم فيما مضى بقتلهم حيث ثقفوهم ثم قيد عليهم فى القتال -[9]] فى المسجد الحرام كان بحيث يسأل هنا: هل[10]

(١) فى الأصل: ربكما، والتصحيح من م ومد وظ (٢-٢) من مد وظ، وفى الأصل: إلى برك العماد - كذا بالعين؛ وفى م: لبرك الغماد (٣) وقع فى ظ: تبغله - كذا مصحفا (٤) زيد فى ظ ومد: له (٥-٥) فى ظ: فقال قد، وفى مد: قال لقد (٦) فى الأصل: استفرضت، والتصحيح من م وظ ومد. (٧-٧) فى ظ: تلقانا (٨) من مد، وفى ظ: لصبر، وفى الأصل وم: لصير - كذا (٩) زيدت من م ومد وظ (١٠) فى ظ: على.

الأمر فى الحرم [والحرام -[1]] كما مضى أم[2] لا؟ وكان المشركون قد نسبوهم[3] فى سرية عبد الله بن جحش التى قتلوا فيها من المشركين[4] عمرو بن الحضرمى إلى التعدى بالقتال فى الشهر الحرام واشتد تعييرهم لهم[5] به فكان موضع السؤال: هل سألوا عما عيرهم بـه الكفار من ذلك؟ فقال مخبرا عن سؤالهم مبينا لحالهم: ﴿يسئلونك[6]﴾[7] أى أهل الإسلام لا سيما أهل سرية عبد الله بن جحش رضى الله تعالى عنهم[7] ﴿عن

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) فى م: أو (٣) فى الأصل: نسير، و التصحيح من م و مد و ظ (٤) فى م و ظ و مد: الكفار (٥) ليس فى ظ (٦) طول المفسرون فى ذكر سبب نزول هذه الآية فى عدة أوراق و ملخصها و أشهرها أنها نزلت فى قصه عبد الله بن جحش الأسدى حين بعثه رسول الله صلى الله عليه و سلم فى ثمانية معه سعد بن أبى وقاص ..... و أميرهم عبد الله يترصدون عير قريش ببطن نخلة فوصلوها و مرت العير فيها عمرو بن الحضرمى ..... وكان ذلك فى آخر يوم من جمادى على ظنهم و هو أول يوم من رجب فرمى واقد عمرا بسهم فقتله، و كان أول قتيل من المشركين و أسروا الحكم و عثمان، و كانا أول أسيرين فى الإسلام و أفلت نوفل و قدموا بالعير المدينة فقالت قريش: استحل محمد الشهر الحرام، و أكثر الناس فى ذلك فوقف رسول الله صلى الله عليه و سلم العير و قال أصحاب السرية: ما نبرح حتى تنزل توبتنا، فنزلت الآية فحبس العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أول خمس فى الإسلام ..... و مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما فرض القتال لم يخص بزمان دون زمان و كان من العوائد السابقة أن الشهر الحرام لا يستباح فيه القتال فبين حكم القتال فى الشهر الحرام - البحر المحيط ٢/ ١٤٤ (٧-٧) ليست فى ظ، و فى الأصل «عنه» مكان «عنهم» و التصحيح من م و مد.

الشهر الحرام ﴾ [١] فلم يعين الشهر و هو رجب ليكون أعم، و سميت الحرم لتعظيم حرمتها حتى حرموا القتال فيها [١]، فأبهم المراد من السؤال ليكون للنفس إليه [٢] التفات [٣] ثم بينه [٣] ببدل الاشتمال فى قوله: ﴿ قتال فيه ﴾ ثم أمر [٤] بالجواب [٥] فى قوله: ﴿ قل قتال فيه ﴾ أىّ قتال كان فالمسوغ العموم.

و لما كان مطلق القتال فيه فى زعمهم لا يجوز حتى و لا لمستحق [٦] القتل و كان فى الواقع القتال عدوانا فيه أكبر منه فى غيره قال: ﴿ كبير ط ﴾ أى فى الجملة.

و لما كان من المعلوم أن المؤمنين فى غاية السعى فى تسهيل سبيل الله فليسوا من الصد عنه و لا من الكفر فى شىء لم يشكل أن ما بعده كلام مبتدأ هو للكفار [٧] و هو قوله: ﴿ و صد ﴾ [٨] أىّ صد كان ﴿ عن سبيل الله ﴾ [١] الملك الذى له الأمر كله [١] أى [٩] الذى هو دينه الموصل إليه أى إلى رضوانه، أو البيت الحرام فان [١٠] النبى صلى الله عليه و سلم سمى الحج سبيل الله. قال الحرالى: و الصد صرف إلى ناحية باعراض و تكره [١١]، و السبيل طريق الجادة [١٢] السابلة عليه الظاهر لكل سالك [١٣]

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) ليس فى ظ (٣-٣) فى الأصل: لم ينبه، و التصحيح من م و ظ و مد (٤) فى مد: أمرهم (٥) فى الأصل: بالخراب، و التصحيح من م و مد و ظ (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: المستحق (٧) فى م: الكفار (٨) زيد فى م و مد و ظ: أى (٩) ليس فى م و مد (١٠) فى ظ: قال (١١) فى مد: نكرة (١٢) فى م: ايجاده (١٣) فى م: مالك - كذا.

منهجه ﴿ و كفر به ﴾ أىّ كفر كان ، أى[1] بالدين ، أو بذلك الصد أى بسببه فانه كفر إلى كفرهم ، و حذف الخبر لدلالة ما بعده عليه[2] دلالة بينة لمن أمعن النظر و هو أكبر أى من القتال فى الشهر الحرام ، و التقييد فيما يأتى بقوله : "عند الله" يدل على ما فهمته من أن المراد بقوله : "كبير" فى زعمهم و فى الجملة [3]لا أنه[3] من الكبائر . ٥

و لما كان قد تقدم الإذن بالقتال فى الشهر الحرام و فى المسجد الحرام بشرط كما مضى[4] كان مما يوجب السؤال عن القتال فيه فى الجملة بدون ذلك الشرط أو بغيره توقعا للاطلاق لا سيما و السرية التى كانت سببا لنزول هذه الآية و هى سرية عبد الله بن جحش كان الكلام فيها كما رواه ابن إسحاق عن[5] الأمرين كليهما فانه قال : إنهم لقوا الكفار ١٠ الذين قتلوا منهم و أسروا و أخذوا[6] عيرهم[7] فى آخر يوم من رجب فهابوهم فلطفوا لهم حتى سكنوا فتشاوروا فى أمرهم و قالوا : لئن تركتموهم

(١) ليس فى م و مد (٢) ليس فى ظ (٣-٣) فى الأصل : لانه ، و فى م : الانه ، و التصحيح من ظ و مد . و فى البحر المحيط ٢/١٤٦ : و قيل فى المنتخب : إنما نكر فيها لأن النكرة الثانية هى غير الأولى و ذلك أنهم أرادوا بالأول الذى سألوا عنه فقال عبد الله بن جحش و كان لنصرة الإسلام و إذلال الكفر فلا يكون هذا من الكبائر بل الذى يكون كبيرا هو قتال غير هذا و هو ما كان الفرض فيه هدم الإسلام و تقوية الكفر (٤) فى الأصل : معنى ، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) فى الأصل : على ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) فى م : أنفذوا . (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : غيرهم ـ كذا .

هذه الليلة ليدخلن الحرم و لئن قتلتموهم لتقتلنهم[1] فى الشهر الحرام ، [2]فترددوا ثم[2] شجعوا أنفسهم ففعلوا ما فعلوا[3] فعيرهم[4] المشركون بذلك فاشتد تعييرهم لهم و اشتد قلق الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين لا سيما أهل السرية[5] من ذلك و لا شك أنهم أخبروا النبى صلى الله عليه و سلم بكل ذلك فاخبارهم له على هذه الصورة كاف[6] فى عدة سؤالاتهم فضلا عن دلالة ما[7] مضى على[8] التشوف إلى[9] السؤال عنه لما كان ذلك قال تعالى : ﴿و المسجد﴾ أى و يسألونك عن المسجد ﴿الحرام[10]﴾ [أى -[11]] الحرم الذى هو للصلاة و العبادة بالخضوع لا لغير ذلك "قتال فيه قل قتال فيه كبير" عندكم على نحو ما مضى ثم ابتدأ[12] قائلا : ﴿و اخراج﴾ كما ابتدأ قوله : "و صد عن سبيل الله" و قال : ﴿اهله﴾ أى [13]المسجد الذى[13] كتبه الله لهم فى القدم و هم أولى الناس به ﴿منه[14] اكبر﴾[15] أى من القتال فى الشهر الحرام خطأ و بناء على الظن والقتل فيه[15] ﴿عند الله ج﴾[15] أى المحيط بكل شىء قدرة وعلما[15]

(١) فى الأصل : لتقتلهن ، و فى م : لتقلنهم ، و التصحيح ، من م و ظ (٢-٢) فى الأصل : افتردده واثم ، و فى م : فتردوا ثم ، و التصحيح من ظ و مد (٣) زيد فى ظ : ثم (٤) فى ظ : يصرهم (٥) فى ظ : البرية (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : كان (٧) ليس فى ظ (٨) من مد و ظ ، و فى الأصل : الى ، و فى م : عن (٩) فى الأصل : عن ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الحرم (١١) زيد من م و مد و ظ (١٢) فى ظ : ابتداء . (١٣-١٣) فى ظ و مد: الذين (١٤) زيد فى م و مد : اى المسجد (١٥-١٥) ليست فى ظ

فقد حذف[1] من كل جملة ما دل عليه ما ثبت فى الأخرى فهو من وادى الاحتباك ، و سر[2] ما صنع فى هذا الموضع من الاحتباك أنه لما كان القتال فى الشهر الحرام[3] قد وقع من المسلمين حين هذا السؤال فى سرية عبد الله بن جحش / أبرز[4] السؤال[5] عنه و الجواب ، و لما كان / ٢١٦ القتال فى المسجد الحرام لم يقع بعد و سيقع من[6] المسلمين أيضا عام الفتح ٥ طواه و أضمره ، و لما كان الصد عن سبيل الله الذى هو البيت و الكفر الواقع بسببه لم يقع و سيقع من الكفار عام الحديبية أخفى خبره و قدّره ، و لما كان الإخراج[7] قد وقع منهم ذكر خبره و أظهره[8] ؛ فأظهر سبحانه و تعالى ما أبرزه على يد الحدثان ، و أضمر ما أضمره فى صدر الزمان ، و صرح بما صرح به لسان الواقع ، و لوح[9] إلى ما لوح ١٠ إليه صارم الفتح القاطع - و الله الهادى . و المراد بالمسجد الحرام الحرم كله ، قال[10] الماوردي من أصحابنا : كل موضع ذكر الله فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم إلا قوله تعالى : "فول وجهك شطر المسجد الحرام[11]" فان المراد به الكعبة[12] - نقله عنه ابن الملقن[13] . و قال غيره : إنه يطلق أيضا على نفس مكة مثل "سبحان الذى اسرى بعبده ليلا ١٥

(١) فى م و مد : صدق (٢) فى م : شر (٣) ليس فى م (٤) فى ظ : انذر (٥) فى مد : السول (٦) فى ظ : فى (٧) فى م : الاخبار (٨) من م و ظ ، و فى الأصل : أظهر ، و فى مد : اطهر (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : لوحه (١٠) كرره فى م ثانيا (١١) سورة ٢ آية ١٤٩ و ١٥٠ (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : للكعبة (١٣) فى ظ : المنقن .

من المسجد الحرام[١] " فان[٢] فى بعض طرق البخارى « فرج[٣] سقف بيتى و أنا بمكة فنزل جبريل ففرج[٣] صدرى ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست[٤] - إلى أن قال : ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى[٥] السماء » و يطلق أيضا على نفس المسجد نحو قوله تعالى " و يصدون عن سبيل الله و المسجد الحرام الذى جعلنه للناس[٦] سواءِ العاكف فيه و الباد[٧] " .

و لما كان كل ما تقدم[٨] من أمر الكفار فتنة[٩] كان كأنه قيل : أكبر ، لأن ذلك فتنة[١٠] ﴿ و الفتنة ﴾ أى بالكفر و التكفير بالصد[١١] و الإخراج و سائر أنواع الأذى التى ترتكبونها بأهل الله فى الحرم و الأشهر الحرم ﴿ اكبر من القتل[١] ﴾ و لو كان فى الشهر الحرام لأن همه يزول و غمها يطول[١٢] .

و لما كان التقدير : و قد فتنوكم[١٣] و قاتلوكم و كان الله سبحانه و تعالى عالما بأنهم إن تراخوا فى قتالهم[١٤] ليتركوا الكفر لم يتراخوهم فى قتالهم

---

(١) سورة ١٧ آية (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : قال (٣) فى مد و ظ : فرح (٤) فى م : بطشت (٥) ليس فى ظ (٦) سقط من م (٧) فى الأصول : البادى - راجع سورة ٢٢ آية ٢٥ (٨) فى ظ : متقدم (٩) ليس فى م ، و فى ظ : فيه (١٠) فى ظ : فيه (١١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بالصدد (١٢) زيد فى م و مد : ولأجل خوف الفتنة بأنواع الإهانة احتمل الصحابة رضى الله عنهم الخروج من مكة بالهجرة و أقدموا عليها كما كانوا يقدمون على القتل التى هى أكبر منه و ما لان أحد منهم بشىء من ذلك للردة و لذا لم يعبر هنا بأشد . (١٣) فى الأصل : فتنوهم ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٤) فى م : قتالكم .

ليتركوا الإسلام و كان أشد الأعداء من إذا تركته لم يتركك قال تعالى عاطفا على ما قدرته[1] : ﴿ و لا يزالون ﴾[2] أى الكفار[2] ﴿ يقاتلونكم ﴾ أى يجددون[3] قتالكم كلما لاحت لهم فرصة .

و لما كان قتالهم إنما هو لتبديل الدين الحق بالباطل علله[4] تعالى بقوله : ﴿ حتى ﴾ و لكنهم لما كانوا يقدرون أنه هيّن عليهم لقلة المسلمين و ضعفهم تصوروه[5] غاية لا بد من انتهائهم إليها ، فدل على ذلك بالتعبير بأداة الغاية ، ﴿ يردوكم ﴾ أى كافة ما بقى منكم واحد ﴿ عن دينكم ﴾ الحق ، و نبه على أن ' حتى ' تعليلية بقوله مخوفا من التوانى[6] عنهم فيستحكم[7] كيدهم ملهبا للأخذ فى الجد فى حربهم[8] و إن كان يشعر بأنهم لا يستطيعون[8] : ﴿ ان استطاعوا[1] ﴾ أى إلى ذلك سبيلا ،

(١) و فى البحر المحيط ٢/١٤٩ : و قال عبد الله بن جحش فى هذه القصة شعر :ـ

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة و أعظم منها لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد و كفر به و الله راء و شاهد
و إخراجكم من مسجد الله رحله لئلا يرى لله فى البيت ساجد
فانا و إن عيرتمونا بقتلة و أرجف بالإسلام باغ و حاسد
سقينا من ابن الحضرمى رماحنا بنخلة لما أوقد الحرب واقد
دما و ابن عبد الله عثمان بيننا ينازعه غل من القد عاند

(٢-٢) ليس فى مد (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يجدون (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : علل . و فى البحر المحيط ٢/١٤٩ : و "حتى يردوكم" يحتمل الغاية و يحتمل التعليل ، و عليهما حملها أبو البقاء ؛ و هى متعلقة فى الوجهين بيقاتلونكم (٥) فى م : تصوره (٦) فى ظ : التوالى (٧) فى ظ : فيسحنكم .
(٨-٨) ليست فى ظ .

فأنتم أحق بأن لا تزالوا كذلك ، لأنكم قاطعون بأنكم على الحق و أنكم منصورون و أنهم على الباطل و هم مخذولون ؛ و لا بد و إن طال المدى لاعتمادكم على الله و اعتمادهم على قوتهم ، و من وكل إلى نفسه ضاع ؛ فالأمر الذى بينكم و بينهم أشد من الكلام فينبغى[1] الاستعداد له بعدته و التأهب له بأهبته فضلا عن أن يلتفت إلى التأثر بكلامهم الذى توحيه إليهم الشياطين طعنا فى الدين و صدا عن السبيل و شبههم التى أصّلوا عليها دينهم و لا أصل لها ، و فى الآية إشارة إلى ما وقع من الردة بعد موت النبى صلى الله عليه و سلم فان القتال على الدين لم ينقض[2] إلا بعد الفروغ[3] من أمرهم . قال الحرالى : [4]الاستطاعة مطاوعة النفس فى العمل و إعطاؤها الانقياد فيه ، ثم قال[4] : [5]فيه إشعار بأن طائفة ترتد عن دينها و طائفة تثبت ، لأن كلام الله لا يخرج فى بته و اشتراطه إلا لمعنى واقع لنحو ما و يوضحه تصريح الخطاب فى قوله : "و من يرتدد" إلى آخره[5] ؛ و هو من الرد و منه الردة و هو كف بكره لما شأنه الإقبال بوفق - انتهى . و كان صيغة الافتعال المؤذنة بالتكلف و العلاج إشارة إلى أن الدين لا يرجع عنه إلا باكراه النفس لما فى مفارقة الإلف من الألم[6] ؛ [7]و إجماع القراء على الفك هنا للاشارة إلى أن الحبوط

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: فينبغ (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: لم ينقص (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: الفروع (٤-٤) من م و ظ و مد ، و أخرّها فى الأصل عن « و من يرتدد - الى آخره » (٥-٥) من م و مد و ظ ، و أخرها فى الأصل عن « و إن كان القلب مطمئنا » (٦) و قال الأندلسى : ارتد افتعل من الرد و هو الرجوع كما قال تعالى : "فارتدا على =

مشروط بالكفر ظاهرا باللسان و باطنا بالقلب فهو مليح بالعفو عن نطق اللسان مع طمأنينة القلب ، و أشارت[1] قراءة الإدغام فى المائدة[2] إلى أن الصبر أرفع درجة من الإجابة باللسان و إن كان القلب مطمئنا .

و لما حماهم[3] سبحانه و تعالى باضافة الدين إليهم / بأنهم يريدون سلبهم ما اختاروه لأنفسهم لحقيته[4] و ردهم قهرا إلى ما رغبوا عنه لبطلانه[5] خوفهم من التراخى عنهم حتى يصلوا إلى ذلك فقال : ﴿ و من يرتدد منكم ﴾ أى يفعل ما يقصدونه من الردة ﴿ عن دينه ﴾ [6]و عطف على الشرط قوله[6] ﴿ فيمت ﴾[7] أى فيتعقب ردته أنه يموت ﴿ و هو ﴾ أى

= آثارهما تصصا " و قد عدها بعضهم فيما يتعدى إلى اثنين إذا كانت عنده بمعنى صير ، و جعل من ذلك قوله : " فارتد بصيرا " أى صار بصيرا ، و لم يختلف هنا فى فك المثلين و الفك هو لغة الحجاز ، و جاء افتعل هنا بمعنى التعمل و التكسب لأنه متكلف إذ من باشر دين الحق يبعد أن يرجع عنه فلذلك جاء افتعل هنا و هذا المعنى و هو التعمل و التكسب هو أحد المعانى التى جاءت لها افتعل - البحر المحيط ٢/١٠٠ (٧) العبارة من هنا إلى « ثم قال » ليست فى ظ .

(١) فى الأصل: اشاراته ، وفى م : اشارة ؛ والتصحيح من مد (٢) سورة ٥ آية ٢١ .

(٣) فى الأصل: أجابهم ، وفى م وظ ومد: أحماهم ، وبين السطور فى ظ: من الحمية .

(٤) فى ظ: بحقيته (٥) من م وظ و مد، وفى الأصل: لبطالته (٦-٦) ليست فى ظ .

(٧) وهذان شرطان أحدهما معطوف على الآخر بالفاء المشعرة بتعقيب الموت على الكفر بعد الردة و اتصاله بها و رتب عليه حبوط العمل فى الدنيا و الآخرة و هو حبطه فى الدنيا باستحقاق قتله و إلحاقه فى الأحكام بالكفار وفى الآخرة =

و الحال أنه ﴿ كافر ﴾[1] .

و لما أفرد الضمير على اللفظ نصا على كل فرد فرد جمع لأن إخزاء الجمع[2] إخزاء لكل[3] فرد منهم و لا عكس، و قرنه بفاء السبب إعلاما بأن سوء أعمالهم هو السبب فى وبالهم فقال: ﴿ فاولئك ﴾ البعداء البغضاء ﴿ حبطت اعمالهم ﴾ أى بطلت معانيها و بقيت صورها، من حبط الجرح إذا برأ و نفى[4] أثره . و قال الحرالى: من الحبط و هو فساد فى الشىء الصالح يأتى عليه من وجه يظن به صلاحه و هو فى الأعمال بمنزلة البطح فى الشىء القائم الذى[5] يقعده عن قيامه كذلك الحبط[6] فى الشىء الصالح يفسده عن وهم صلاحه ﴿ فى الدنيا ﴾ بزوال ما فيها من روح الأنس بالله سبحانه و تعالى و لطيف الوصلة به و سقوط إضافتها إليهم إلا مقرونة[7] ببيان حبوطها[8] فقد بطل ما كان لها من الإقبال من الحق

= بما يؤول إليه من العقاب السرمدى و قيل حبوط أعمالهم فى الدنيا هو عدم بلوغهم ما يريدون بالمسلمين من الإضرار بهم و مكايدتهم فلا يحصلون من ذلك على شىء لأن الله قد أعز دينه بأنصاره - البحر المحيط ٢/١٥٠ .

(١) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ (٢) من م و مد، و فى الأصل: الجميع. (٣) من م و مد، و فى الأصل: الكل (٤) فى م و مد: بقى (٥) زيد فى الأصل و مد: لا، و لم تكن الزيادة فى م و ظ فحذفناها (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: المحيط. (٧) فى ظ : مقرونه (٨) و ظاهر هذا الشرط و الجزاء ترتب حبوط العمل على الموافاة على الكفر لا على مجرد الارتداد و هذا مذهب جماعة من العلماء منهم الشافعى، و قد جاء ترتب حبوط العمل على مجرد الكفر فى قوله: " و من يكفر بالايمان فقد حبط =

و التعظيم من الخلق ﴿ و الآخرة ج ﴾ بابطال ما كان يستحق عليها من الثواب بصادق الوعد . و لما كانت الردة[1] أقبح أنواع الكفر كرر المناداة بالبعد على أهلها فقال: ﴿ و اولئك اصحب النار ج ﴾ فدل بالصحبة على أنهم أحق الناس بها[2] فهم غير منفكين منها .

و لما كانوا كذلك كانوا[3] كأنهم[4] المختصون بها دون غيرهم ٥ لبلوغ ما لهم فيها من السفول إلى حد لا يوازيه غيره فتكون لذلك اللحظ[5] لهم بالأيام من غيرهم فقال تقريرا للجملة التى قبلها: ﴿ هم فيها خلدون ه ﴾ أى مقيمون إقامة لا آخر لها ، و هذا الشرط ملوح إلى ما وقع بعد موت النبي صلى الله عليه و سلم من الردة لأن الله سبحانه و تعالى إذا ساق شيئا مساق الشرط اقتضى أنه سيقع شيء[6] منه فيكون ١٠ المعنى: و من يرتد فيتب عن[7] ردته يتب الله عليه كما وقع لأكثرهم ، و كان التعبير بما قد يفيد الاختصاص إشارة إلى أن عذاب غيرهم

= عمله " " و لو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون " " و الذين كذبوا بآيتنا و لقاء الآخرة حبطت اعمالهم " " لئن اشركت ليحبطن عملك " و الخطاب فى المعنى لأمته ، و إلى هذا ذهب مالك و أبو حنيفة و غيرهما يعنى إنه يحبط عمله بنفس الردة دون الموافاة عليها و إن راجع الإسلام ، و ثمرة الخلاف تظهر فى المسلم إذا حج ثم ارتد ثم أسلم فقال مالك : يلزمه الحج ، و قال الشافعى : لا يلزمه الحج - البحر المحيط ٢/١٥٠ .

(١) فى مد : المردة (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لها (٣) ليس فى مد .
(٤) ليس فى ظ (٥) فى م و مد : اللحظة (٦) ليس فى م (٧) فى م : من .
(٨) العبارة من هنا إلى « أنواع الكفر » ليست فى ظ .

عدم بالنسبة إلى عذابهم لأن كفرهم أفحش أنواع الكفر .

و لما بين سبحانه و تعالى المقطوع لهم بالنار بين الذين هم أهل لرجاء الجنة لئلا يزال العبد هاربا من موجبات النار ا مقبلا على مرجئات الجنة خوفا من أن يقع فيما يسقط رجاءه - و قال الحرالى : لما ذكر أمر المتزلزلين ٥ ذكر أمر٢ الثابتين٣ ؛ انتهى - فقال : ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان ٤ .

و لما كانت الهجرة التى هى فراق المألوف و الجهاد الذى هو المخاطرة بالنفس فى مفارقة وطن البدن و المال فى مفارقة وطن النعمة أعظم الأشياء على النفس بعد مفارقة وطن الدين كرر لهما الموصول إشعارا

(١) زيد فى م وظ و مد « و » (٢) ليس فى ظ (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التائبين (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بلا يمان . و فى البحر المحيط ٢/١٥١ : سبب نزولها أن عبد الله بن جحش قال : يا رسول الله ! هب أنه عقاب علينا فيما فعلنا فهل نطمع منه أجرا و ثوابا ؟ فنزلت لأن عبد الله كان مؤمنا و كان مهاجرا و كان بسبب هذه المقاتلة مجاهدا ، ثم هى عامة فى من اتصف بهذه الأوصاف ، و قال الزمخشرى : إن عبد الله بن جحش و أصحابه حين قتلوا الحضرمى ظن قوم أنهم إن سلموا من الإثم فليس لهم أجر فنزلت - انتهى كلامه . . و على هذا السبب فمناسبة هذه الآية لما قبلها واضحة ، و قيل : لما أوجب الجهاد بقوله : " كتب عليكم القتال " و بين أن تركه سبب للوعيد أتبع ذلك بذكر من يقوم به و لا يكاد يوجد وعيد إلا و يتبعه وعد و قد احتوت هذه الجملة على ثلاثة أوصاف و جاءت مرتبة بحيث الوقائع و الواقع .

باستحقاقهما للاصالة[1] فى أنفسهما فقال[2] مؤكدا للمعنى بالإخراج فى صيغة المفاعلة[3] : ﴿ و الذين هاجروا ﴾[4] [أى - ٥] أوقعوا المهاجرة بأن فارقوا بغضا و نفرة تصديقا لإقرارهم بذلك ديارهم و من خالفهم فيه من أهلهم و أحبابهم . قال الحرالى : من المهاجرة و هو مفاعلة من الهجرة و هو التخلى عما شأنه الاغتباط به لمكان ضرر منه ﴿ و جهدوا ﴾ ٥ [6] أى أوقعوا[6] المجاهدة ، مفاعلة من الجهد - فتحا و ضما ، و هو الإبلاغ فى الطاقة و المشقة فى العمل ﴿ فى سبيل الله[7] ﴾ أى [7] دين الملك الأعظم[7] كل من خالفهم ﴿ اولئك ﴾ العالو الرتبة العظيمو الزلفى و القربة [6] و لما كان أجرهم إنما هو من فضل الله قال[6] : ﴿ يرجون[8] ﴾ من الرجاء وهو ترقب الانتفاع بما[9] تقدم له سبب ما - قاله الحرالى[10] ﴿ رحمت[11] الله ط ﴾ ١٠

(١) فى م : للاصابة (٢) العبارة من هنا إلى « المفاعلة » ليست فى ظ (٣) فى الأصل : الفاعلة ، وفى م : المبالغة . والتصحيح من مد (٤) العبارة من هنا إلى « و نفرة » ليست فى ظ (٥) زيد من م و مد (٦ - ٦) ليس فى ظ (٧-٧) فى ظ : دينه . (٨) وأتى بلفظة " يرجون " لأنه ما دام المرء فى قيد الحياة لا يقطع أنه صائر إلى الجنة و لو أطاع أقصى الطاعة إذ لا يعلم بما يختم له و لا يتكل على عمله لأنه لا يعلم أقبل أم لا و أيضا فلأن المذكورة فى الآية ثلاثة أوصاف و لا بد مع ذلك من سائر الأعمال و هو يرجو أن يوفقه الله لها كما وفقه لهذه الثلاثة فلذلك قال " فاولئك يرجون " - البحر المحيط ٢/١٥٢ (٩) زيد فى مد : ترقب (١٠) العبارة من هنا إلى « عذبهم » ليست فى مد (١١) و " رحمت " هنا كتب بالتاء على لغة من يقف عليها بالتاء هنا أو على اعتبار الوصل لأنها فى الوصل تاء و هى سبعة مواضع كتبت " رحمت " فيها بالتاء أحدها هذا و فى الأعراف " ان رحمت الله =

أى إكرامه لهم غير قاطعين بذلك علما منهم أن له أن يفعل ما يشاء ١ لأنه الملك الأعظم فلا كفوء له و هم غير قاطعين بموتهم محسنين ، ٢ قاطعون بأنه سبحانه و تعالى لو أخذهم بما يعلم من ذنوبهم عذبهم .

و لما كان الإنسان محل النقصان فهو لا يزال فى فعل ما إن أوخذ به هلك قال مشيرا إلى ذلك مبشرا[٣] بسعة الحلم فى جملة حالية من واو "يرجون" - [٤] و يجوز[٥] أن يكون عطفا على ما تقديره : و يخافون عذابه فالله منتقم عظيم : ﴿ و الله ﴾ [٦] أى الذى له صفات / الكمال[٦] ﴿ غفور ﴾ /٢١٨ أى ستور لما فرط منهم من الصغائر أو[٧] تابوا عنه من الكبائر ﴿ رحيم ٥ ﴾ فاعل بهم فعل الراحم من الإحسان و الإكرام و الاستقبال بالرضى .

قال الحرالى[٨] : و فى الختم بالرحمة أبدا فى خواتم الآى إشعار[٩] بأن

= قريب" و فى هود "رحمت الله و بركاته" و فى مريم "ذكر رحمت ربك" و فى الزخرف "اهم يقسمون رحمت ربك" "و رحمت ربك خير مما يجمعون" و فى الروم "فانظر الى اثار رحمت الله" - قاله أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ٢/١٥٢ .

(١) العبارة من هنا إلى « عذبهم » ليست فى ظ (٢) زيد فى م « و » (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ميسرا (٤) العبارة من هنا إلى « منتقم عظيم » ليست فى ظ (٥) فى مد : تجوز (٦-٦) ليست فى ظ (٧) فى م : و (٨) و قال الأندلسى : لما ذكر أنهم طامعون فى رحمة الله أخبر تعالى أنه متصف بالرحمة و زاد وصفا آخر و هو أنه تعالى متصف بالغفران فكأنه قيل : الله تعالى ، عند ما ظنوا و طمعوا فى ثوابه فالرحمة متحققة لأنها من صفاته تعالى - البحر المحيط ٢/١٥٢ .

(٩) فى م : اشعارا .

فضل

فضل الله فى الدنيا و الآخرة ابتداء فضل ليس فى الحقيقة جزاء العمل فكما يرحم العبد طفلا ابتداء برحمه[1] كهلا انتهاء و يبتدئه برحمته فى معاده كما ابتدأه برحمته[2] فى ابتدائه - انتهى بالمعنى .

و لما كان الشراب مما أذن فيه فى ليل الصيام و كان غالب شرابهم النبيذ من التمر و الزبيب و كانت بلادهم حارة فكان ربما اشتد فكان ٥ عائقا عن العبادة لا سيما الجهاد لأن[3] السكران لا ينتفع به فى رأى و لا بطش و لم يكن ضروريا فى إقامة البدن كالطعام أخر بيانه إلى أن فرغ[4] مما هو أولى منه بالإعلام و ختم[5] الآيات المتخللة[5] بينه و بين آيات الإذن بما بدأها به من الجهاد و نص فيها على أن[6] فاعل أجدّ الجدّ و أمهات الأطايب[7] من الجهاد و ما ذكر معه[8] فى محل الرجاء ١٠ للرحمة فاقتضى الحال السؤال: هل سألوا عن أهزل الهزل و أمهات الخبائث؟ فقال معلما بسؤالهم عنه مبينا لما اقتضاه الحال من حلمه[9] فيبقى ما[10] عداه على الإباحة المحضة: ﴿ يسئلونك عن الخمر[11] ﴾ الذى هو أحد ما غنمه عبد الله بن جحش رضى الله تعالى عنه فى سريته التى أنزلت

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: برحمة (٢) فى م: كان (٣) فى ظ: وفرع (٤) العبارة من هنا إلى « نص فيها على » ليست فى ظ (٥) فى الأصل: لتخلله ، و التصحيح من م و مد (٦) فى ظ: بان (٧) فى الأصل: الاطلب ، و التصحيح من م و ظ و مد (٨) زيد فى م: من الجهاد و ما ذكر معه . (٩) فى مد: حكمة (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: لما (١١) و فى البحر المحيط ٢/١٥٦: سبب نزولها سؤال عمر و معاذ قالا: يا رسول الله! أفتنا فى الخمر و الميسر فانه مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت .

الآيات السالفة بسببها[١] . قال الحرالى : و هو مما[٢] منه الخمر - بفتح الميم - و هو ما وارى من شجر و نحوه ، فالخمْر - بالسكون - فيما يستبطن بمنزلة الخمر - بالفتح - فيما يستظهر ، كأن الخمر يوارى ما بين العقل المستبصر من الإنسان و بهيميته[٣] العجماء ، [٤]و هى ما أسكر من أى شراب كان سواء فيه القليل و الكثير[٤] ﴿ و الميسر[٥] ﴾ قال الحرالى : اسم مقامرة كانت الجاهلية تعمل بها[٥] لقصد انتفاع الضعفاء و تحصيل ظفر المغالبة - انتهى[٦] . و قرنهما سبحانه و تعالى لتآخيهما[٧] فى الضرر بالجهاد و غيره

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بسببها (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل: ما (٣) فى م : بهيمته (٤-٤) سقطت من ظ ، قال أبو حيان الأندلسى : الخمر هى المعتصر من العنب إذ غلى و اشتد و قذف بالزبد ، سمى بذلك من خمر إذا ستر ، ومنه خمار المرأة و تخمرت و اختمرت وهى حسنة الخمرة ، والخمر ما واراك من الشجر و غيره ، و دخل فى خمار الناس و غمارهم أى فى مكان خاف و خمر فتاتكم و خامرى أم عامر مثل الأحمق و خامرى حضاجر أتاك ما تحاذر و حضاجر اسم للذكر و الأنثى من السباع و معناه ادخلى الخمر و استترى ، فلما كانت تستر العقل سميت بذلك ، و قيل : لأنها تخمر أى تغطى حتى تدرك و تشتد ، و قال ابن الأنبارى : سميت بذلك لأنها تخامر العقل أى تخالطه ، يقال : خامر الداء خالط ، و قيل : سميت بذلك لأنها تترك حين تدرك ، يقال : اختمر العجين بلغ إدراكه ، و خمر الرأى تركه حتى يبين فيه الوجه ؛ فعلى هذه الاشتقاقات تكون مصدرا فى الأصل وأريد بها اسم الفاعل أو اسم المفعول - البحر المحيط ٢/١٥٤ .
(٥) سقط من ظ (٦) و قال أبو حيان الأندلسى : الميسر القمار و هو مفعل من يسر كالموعد من وعد ، يقال : يسرت الميسر أى قامرته ، قال الشاعر : =

باذهاب المال مجانا عن غير طيب[1] نفس مع ما بين سبحانه و تعالى من المؤاخاة بينهما هنا و فى المائدة و إن كان سبحانه و تعالى اقتصر هنا على ضرر الدين و هو الإثم لأنه أسّ يتبعه كل ضرر فقال فى الجواب : ﴿ قل فيهما ﴾ أى فى استعمالها ﴿ اثم كبير ﴾ لما فيهما من المساوى المنابذة لمحاسن الشرع[2] من الكذب و الشتم و زوال العقل و استحلال مال الغير فهذا مثبت[3] للتحريم باثبات الإثم و لأنهما من الكبائر . قال الحرالى : فى قراءتى الباء الموحدة و المثلثة إنباء عن مجموع الأمرين من كبر المقدار و كثرة العدد و[4] واحد من هذين مما يصد [5]ذا الطبع[5] الكريم و العقل الرصين[6] عن الإقدام عليه بل يتوقف عن الإثم الصغير القليل فكيف عن الكبير الكثير - انتهى . ﴿ و منافع للناس[7] ﴾ يرتكبونهما[7] لأجلها[8] من التجارة فى الخمر و اللذة بشربها ، و من أخذ

= لوتيسرون بخيل قد يسرت بها و كل ما يسر الأقوام مغروم

و اشتقاقه من اليسر و هو السهولة ، أو من اليسار لأنه يسلب يساره ، أو من يسر الشيء لى إذا وجب ، أو من يسر إذا جزر و الياسر الجازر و هو الذى يجزئ الجزور أجزاء . . . و سميت الجزور التى يسهم عليها ميسرا لأنها موضع اليسر ثم قيل للسهام : ميسر ، للمجاورة - البحر المحيط ٢/١٥٤ (٥) من م و مد ، و فى ظ : لتاخيها ، و فى الأصل : لتاخيرهما .

(١) فى م : طبيب (٢) العبارة من هنا إلى « من الكبائر » ليست فى ظ (٣) فى م : أثبت (٤) ليس فى م (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ذا لطبع . (٦) فى الأصل : الرصفين ، و التصحيح من م و ظ ، و لا يتضح فى مد . (٧) من م و ظ ، و لا يتضح فى مد ، و فى الأصل : يرتكبونها (٨) العبارة من هنا إلى « و اعطياتهم » ليست فى ظ .

المال الكثير فى الميسر و انتفاع الفقراء و سلب الأموال و الافتخار على الأبرام و التوصل بهما إلى مصادقات[١] [٢] الفتيان و معاشراتهم[٣] و النيل من مطاعمهم و مشاربهم و أعطياتهم[٤] و درء[٥] المفاسد مقدم فكيف ﴿ واثمهما اكبر من نفعهما[ط] ﴾ و فى هذا كما قال الحرالى تنبيه على النظر فى تفاوت الخيرين و[٦] تفاوت الشرين - انتهى . [٧] قال أبو حاتم أحمد بن أحمد[٨] الرازى فى كتاب الزينة : و قال بعض أهل المعرفة : و النفع الذى ذكر الله فى الميسر أن العرب فى الشتاء و الجدب كانوا يتقامرون بالقداح على الإبل ثم يجعلون لحومها لذوى الفقر[٩] و الحاجة فانتفعوا و اعتدلت أحوالهم ؛ قال الأعشى فى ذلك :

المطعمو الضيف إذا ما شتوا و الجاعلو القوت على الياسر

- انتهى . و[١٠] قال غيره : و كانوا يدفعونها للفقراء و لا يأكلون منها و يفتخرون بذلك و يذمون من[١١] لم يدخل فيه و يسمونه البرم ، و بيان المراد من الميسر عزيز الوجود مجتمعا و قد استقصيت ما قدرت عليه

(١) فى مد : مصادقان (٢) زيد فى الأصل « و » و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل : معاشرتهم (٤) فى مد : عطياتهم ، و فى م : اعطائهم (٥) فى ظ : ذرا (٦) زيد فى ظ : فى (٧) العبارة من هنا إلى « و يسمونه البرم » ليست فى ظ (٨) كذا فى الأصل ، و فى م و مد : حمدان ؛ و فى معجم المؤلفين ١ / ٢١١ : أحمد بن حمدان بن أحمد الورسامى ، الليثى (أبو حاتم) من أهل الأدب ، و المعرفة باللغة ، و سمع الحديث كثيرا ، و له تصانيف ، ثم صار من دعاة الإسماعيلية (ط) ابن حجر : لسان الميزان ١ : ١٦٤ . (٩) من م و مد ، و فى الأصل : الفقرا (١٠) ليس فى م (١١) فى مد : لمن .

منه إتماما للفائدة قال المجد[1] الفيروزابادى فى قاموسه : و الميسر اللعب بالقداح[2] ، يسر ييسر ، أو الجزور / التى كانوا يتقامرون عليها ، أو النرد[3] أو كل قمار - انتهى . [4] و قال صاحب [كتاب -[5]] الزينة[6] : و جمع الياسر يسر و جمع اليسر أيسار فهو جمع الجمع مثل حارس [وحرس -[5]] و أحراس[7] - انتهى[8] . و القمار كل مراهنة[9] على غرر محض و كأنه مأخوذ من القمر آية الليل ، لأنه يزيد مال[10] المقامر تارة و ينقصه أخرى كما يزيد القمر و ينقص ؛ و قال أبو عبيد الهروى فى الغريبين و عبد الحق الإشبيلى فى كتابه الواعى : قال مجاهد : كل شىء فيه قمار فهو الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز[11] ، و ١٢ فى تفسير الأصبهانى عن الشافعى : إن الميسر[13] ما يوجب دفع مال أو أخذ مال ، فاذا خلا[14]

(١) من م وظ و مد ، و فى الأصل : الجد (٢) من مد و ظ و القاموس ، و فى الأصل : بالقدح (٣) فى الأصل : النزاد ، و التصحيح من م و مد و ظ .
(٤) العبارة من هنا إلى « انتهى » ليست فى ظ (٥) زيد من م و مد (٦) و قال الأندلسى : و اليسر الذى يدخل فى الضرب بالقداح و جمعه أيسار ، و قيل : يسر جمع ياسر كحارس و حرس و أحراس ، و صفة الميسر أنه عشرة أقداح ، و قيل : أحد عشر على ما ذكر فيه و هى الأزلام و الأقلام و السهام ، لسبعة منهن حظوظ و فيها فروض على عدة الحظوظ - البحر المحيط ٢/١٥٤ .
(٧) فى الأصل : اعراس ، و التصحيح من م و مد (٨) ليس فى مد (٩) فى م : مواهنة - كذا (١٠) ليس فى م (١١) العبارة من هنا إلى « لم يكن ميسرا » ليست فى ظ (١٢) من م ومد ، و فى الأصل : أو (١٣) و أما فى الشريعة فاسم الميسر يطلق على سائر ضروب القمار ، و الإجماع منعقد على تحريمه ، قال على و بن عباس و عطاء و ابن سيرين و الحسن و ابن المسيب و قتادة و طاووس =

الشطرنج عن الرهان و اللسان عن الطغيان و الصلاة عن النسيان لم يكن ميسرا . و قال الأزهرى: الميسر الجزور الذى كانوا يتقامرون عليه، سمى ميسرا لأنـــه يجزأ[1] أجزاء فكأنه موضع التجزئة، و كل شيء جزأته[2] فقد يسرته، و الياسر الجازر[3] لأنه يجزئ لحم الجزور، [قال -[4]]

٥ و هذا الأصل فى الياسر ثم يقال للضاربين بالقداح[5] و المتقامرين[6] على الجزور: ياسرون، لأنهم جازرون[7] إذ كانوا[7] سببا لذلك، و يقال: يسر القوم - إذا قامروا، و رجل يسر و ياسر و الجمع أيسار؛ القزاز[8]: فأنت ياسر و هو ميسور برجع[9] و المفعول ميسور - يعنى الجـــزور، و أيسار جمع يسر و يسر جمع ياسر، و قال القزاز: و اليسر القوم الذين

= و مجاهد و معاوية بن صالح: كل شيء فيه قمار من نرد و شطرنج و غيره فهو ميسر حتى لعب الصبيان بالكعاب و الجوز إلا ما أبيح من الرهان فى الخيل و القرعـة فى إبراز الحقوق، و قال مالك: الميسر ميسران: ميسر اللهو فمنه النرد و الشطرنج و الملاهى كلها، و ميسر القمار و هو ما يتخاطر النـاس عليه، و قال علـى: الشطرنج ميسر العجم، و قال القاسم: كل شيء ألهى عن ذكر الله و عن الصلاة فهو ميسر - البحر المحيط ٢/١٥٧ (١٤) فى م: خلى.

(١) فى الأصل: يجرا، و فى م: يجز، و فى ظ: يجرأ، و فى مد: يجزا (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: جزايه (٣) فى الأصل: الحار، و فى ظ: الحازر، و التصحيح من م و مد (٤) زيـد من م و ظ و مد (٥) فى مد: القـداح. (٦) فى مد: المتقامرون، و فى ظ: المتقاصرون (٧-٧) من ظ، و فى الأصل: اذا كانت، و فى م: اذا كانوا، و فى م: كانوا (٨) من ظ، و فى الأصل و مد: القرار، و فى م: القزار (٩) كذا فى الأصل، و فى م و مد و ظ: رجع.

يتقامرون على الجزور ، واحدهم ياسر كما تقول : غائب[1] و غيب ، ثم يجمع أيسر فيقال : أيسار ، فيكون الأيسار جمع الجمع ، و يقال للضارب بالقداح[2] : يسر ، و الجمع أيسار ، و يقال للنرد : ميسر ، لأنه يضرب عليها كما يضرب على الجزور ، و لا يقال ذلك فى الشطرنج لمفارقتها ذلك المعنى ؛ و قال عبد الحق فى الواعى : و الميسر موضع التجزئة ؛ ٥ أبو عبد الله : كان أمر الميسر أنهم كانوا يشترون جزورا فينحرونها ثم يجزؤنها أجزاء ، قال أبو عمرو : على عشرة أجزاء ، و قال الأصمعى : على ثمانية و عشرين جزءا ، ثم يسهمون عليها بعشرة قداح[3] ، لسبعة منها أنصباء و هى الفذ[4] و التوأم و الرقيب و الحلس[5] و النافس[6] و المسبل[7]

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : غايت (٢) من م و ظ ، و فى الأصل : القدح ، و فى مد : القداح (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اقداح (٤) و فى البحر المحيط ٢/ ١٥٤ و ١٥٥ : الفذ و له سهم واحد ، و التوأم و له سهمان ، و الرقيب و له ثلاثة ، و الحلس و له أربعة ، و النافس و له خمسة ، و المسبل و له ستة ، و المعلى و له سبعة ؛ و ثلاثة أغفال لا حظوظ لها و هى المنيح و السفيح و الوغد ، و قيل : أربعة و هى المصدر و المضعف و المنيح و السفيح ، تزاد هذه الثلاثة أو الأربعة على الخلاف لتكثر السهام و تختلط على الحرضة و هو الضارب بالقداح فلا يجد إلى الميل مع أحد سبيلا ، و يسمى أيضا المجيل و المفيض و الضارب و الضريب ، و يجمع ضرباء ، و هو رجل عدل عندهم ؛ و قيل : يجعل رقيب لئلا يحابى أحدا ثم يجثو الضارب على ركبتيه و يلتحف بثوب و يخرج رأسه يجعل تلك القداح فى الربابة و هى خريطة يوضع فيها ، ثم يجلجلها و يدخل يده و يخرج باسم رجل رجل قدحا منها ، فمن خرج له قدح من ذوات =

و المعلى، و ثلاثة منها[١] ليس لها أنصباء و هى المنيح[٢] و السفيح و الوغد[٣]، ثم يجعلونها على يد رجل عدل عندهم[٤] يجيلها[٥] لهم باسم رجل رجل، ثم يقسمونها[٦] على قدر ما يخرج لهم السهام، فمن خرج سهمه من هذه السبعة أخذ من الأجزاء بحصة ذلك، و من خرج له واحد من الثلاثة فقد اختلف الناس فى هذا[٧] الموضع فقال بعضهم: من خرجت باسمه لم[٨] يأخذ شيئا و لم يغرم و لكن تعاد[٩] الثانية و[١٠] لا يكون[١٠] له نصيب و يكون لغوا؛ و قال بعضهم: بل يصير

= الأنصباء أخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح، و من خرج له قدح من تلك الثلاثة لم يأخذ شيئا و غرم الجزور كله؛ و كانت عادة العرب أن تضرب بهذه القداح فى الشتوة و ضيق العيش و كلب البرد على الفقراء، فيشترون الجزور و تضمن الأيسار ثمنها ثم تنحر، و يقسم على عشرة أقسام فى قول أبى عمرو و ثمانية و عشرين على قدر حظوظ السهام فى قول الأصمعى. قال ابن عطية: و أخطأ الأصمعى فى قسمة الجزور على ثمانية وعشرين؛ و أيهم خرج لهم نصيب واسى به الفقراء و لا يأكل منه شيئا و يفتخرون بذلك، و يسمون من لم يدخل فيه البرم و يذمونه بذلك (٥) فى م: المحلس (٦) فى م: النافش (٧) فى الأصل: المنيل، و التصحيح من م و ظ و مد.

(١) ليس فى م (٢) فى ظ: المبيح (٣) فى ظ: الوعد (٤) فى م: منهم (٥) فى الأصل: يجعلها، و التصحيح من م و مد و ظ (٦) فى مد: يقتسمونها (٧) ليس فى ظ (٨) من م و ظ و مد، و فى الأصل: لو (٩) زيد فى م: له. (١٠-١٠) من م و ظ و مد، و فى الأصل: ليس.

ثمن

ثمن الجزور كله على أصحاب هؤلاء الثلاثة فيكونون[1] مقمورين[2] و يأخذ أصحاب السبعة أنصباء على ما خرج لهم فهؤلاء الياسرون . قال أبو عبيد: و لم أجد علماءنا يستقصون علم معرفة هذا و لا يدعونه ، و رأيت أبا عبيدة أقلهم ادعاء له ، قال أبو عبيدة: و قد سألت عنه الأعراب فقالوا[3]: لا علم لنا بهذا ، هذا شيء قد قطعه الإسلام منذ جاء فلسنا ٥ ندرى كيف كانوا ييسرون . قال أبو عبيد: و إنما كان هذا منهم فى أهل الشرف و الثروة و الجدة - انتهى . و لعل هذا سبب تسميته ميسرا . [4]و قال صاحب الزينة: فالتى لها الغنم و عليها الغرم أى من السهام يقال لها: موسومة[5] ، لأجل الفروض فانها بمنزلة السمة ، و يكون عدد الأيسار سبعة أنفس يأخذ كل رجل قدحا ، و ربما نقص عدد الرجال عن ١٠ السبعة فيأخذ الرجل منهم قدحين ، فاذا فعل ذلك مدح به و سمى مثنى الأيادى ، قال النابغة:

إنى أتمم إيسارى و أمنحهم[6] مثنى الأيادى وأكسو[7] الحفنة[8] الأدما

و قال: و يقال للذى[9] يضرب بالقداح: حرضة ، و إنما سمى بذلك لأنه رجل يجيل[10] لا يدخل مع الأيسار[11] و لا يأخذ نصيبا و لذلك يختارونه ١٥

(١) فى ظ: فيكونوا (٢) فى مد: مقهورين (٣) فى م: قالوا (٤) العبارة من هنا إلى « هو الدفع منها إلى جمع - انتهى » ليست فى ظ (٥) فى م: موسة .
(٦) فى الأصل: منحم، و التصحيح من م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل: السو (٨) من م و مد، و فى الأصل: الحفقة (٩) فى الأصل: للذين، و التصحيح من م و مد (١٠) فى الأصل: بخيل، و فى م: يحيل، و فى مد: بحيل (١١) العبارة من هنا إلى « مع الأيسار » ليست فى مد و م .

لأنه لا غنم له و لا غرم عليه ، و الذى لا يضرب القداح و لا يدخل مع الأيسار فى شىء من أمورهم يقال له : البرم ، و تجمع القداح فى جلدة ، و قال بعضهم : فى خرقة ، و تسمى تلك الجلدة الربابة ، أى بكسر الراء المهملة و موحدتين[1] ، ثم تجمع أطرافها و يعدل بينها و تكسى[2] يده أديما لكى لا يجد مس قدح له فيه رأى و تشد[3] عيناه ، فيجمع أصابعه عليها[4] / و يضمها كهيئة الضغث[5] [ثم -[6]] يضرب رؤوسها بحاق[7] راحته[8] فأيها طلع من الربابة[9] كان فائزا ؛ قال : و قال غيره : تكون الربابة شبه الخريطة تجمع فيها[10] القداح ثم يؤمر الحرضة[11] أن يجيلها ، فمنها ما يعترض فى الربابة فلا يخرج و منها ما لا يعترض فيطلع ، فذاك يكون فائزا[12] ، و يقعد رجل أمين على الحرضة يقال له : الرقيب ، و يقال للذى يضرب بالقداح : مفيض ، و الإفاضة الدفع و هو أن يدفعها دفعة واحدة إلى قدام و يجيلها ليخرج منها قدح ؛ و كذلك الإفاضة من عرفة هو الدفع[13] منها إلى جمع - انتهى . و قال فى القاموس : كانوا إذا أرادوا أن يسروا اشتروا جزورا نسيئة و نحروه قبل أن يسروا[14] و قسموه

/ ٢٢٠

(١) فى الأصول : هو حدتين - كذا (٢) فى م : يكمى (٣) من م و مد ، و فى الأصل : يشد (٤) فى م : عليهما (٥) فى م : الضعث (٦) زيد من م و مد (٧) فى م : بحاف (٨) فى الأصل : راحية ، و التصحيح من م و مد (٩) فى مد : الرباعة به (١٠) فى م : بها (١١) فى م : الحرصة ، و العبارة من هنا إلى « على الحرضة » ليست فى م (١٢) فى مد : فابراء (١٣) فى الأصل : الرفع ، و التصحيح من م و مد (١٤) زيد فى م : اشتروا جزورا نسيئة .

ثمانية و عشرين سهما أو عشرة أقسام ، فاذا خرج واحد واحد باسم رجل رجل[1] ظهر فوز من خرج لهم ذوات الأنصباء و غرم من خرج له الغفل[2] - انتهى . و قال عبد الغافر الفارسى فى مجمع الغرائب[3]: الياسر هو الضارب فى القداح[4] ، و هو من الميسر و هو القمار الذى كان أهل الجاهلية يفعلونه ، و كانوا يتقامرون على الجزور أو غيره و يجزؤنه ٥ أجزاء و يسهمون عليها مثلا بعشرة لسبعة منها أنصباء و هى الفذ - إلى آخره ، ثم يخرجون ذلك ، فمن خرج سهمه من السبعة أخذ بحصته ، و من خرج له واحد من الثلاثة لم يأخذ شيئا ؛ و لهم فى ذلك مذاهب ما عرفها أهل الإسلام و لم [يكن - ٥] أحد من أهل اللغة على ثبت فى كيفية ذلك - انتهى . هذا ما قالوه فى مادة يسر و قد نظمت ١٠ أسماء القداح تسهيلا لحفظها فى قولى :

الفذ و التوأم و الرقيب و الحلس[6] و النافس يا ضريب
و مسبل مع المعلى عدوا[7] ثم[8] منيح[9] و سفيح وغد

و أما ما قالوه فى مادة كل اسم منها فقال فى القاموس : الفذ[10] أى بفتح الفاء و تشديد الذال المعجمة : أول سهام الميسر ، و التوأم أى ١٥

(١) ليس فى مد (٢) فى الأصل : العقل ، و التصحيح م و مد و ظ (٣) فى مد و ظ : العرايب (٤) فى مد : القدح (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) فى الأصل : الجلس ، و التصحيح من م و مد و ظ (٧) من م و مد و ظ ، غير أن فى م : عدوا - كذا ؛ و فى الأصل : عذوا (٨) فى م و مد و ظ : و (٩) فى الأصل : منيج ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٠) وقع فى ظ : القذ - خطأ .

بفتح الفوقانية المبدلة من الواو و إسكان الواو و فتح الهمزة ـ وزن كوكب: سهم من سهام الميسر أو ثانيها، و الرقيب أمين أصحاب[1] الميسر أو الأمين على الضريب و الثالث من قداح الميسر، و قال فى مادة ضرب: و الضريب[1] الموكل بالقداح أو[2] الذى يضرب بها كالضارب و القدح الثالث؛ و قال فى الجمع بين العباب و المحكم: و الرقيب الحافظ و رقيب القداح الأمين على الضريب، و قيل: هو أمين[3] أصحاب الميسر، و قيل: هو الرجل الذى يقوم خلف[4] الحرضة[5] فى الميسر، و معناه كله[6] سواء، و إنما قيل للعيوق: رقيب الثريا، تشبيها برقيب الميسر، و الرقيب الثالث من قداح الميسر، و فيه ثلاثة فروض، و له غنم ثلاثة أنصباء إن فاز، و عليه غرم ثلاثة إن لم يفز؛ و قال فى مادة ضرب: و ضرب بالقداح و الضريب الموكل بالقداح، و قيل: الذى يضرب بها، قال سيبويه: فعيل بمعنى فاعل، و الضريب القدح الثالث من قداح الميسر، قال اللحيانى: و هو الذى يسمى الرقيب، قال: و فيه ثلاثة فروض إلى آخر ما فى الرقيب؛ و قال فى القاموس: و الحرضة[7] أى بضم المهملة و إسكان المهملة ثم معجمة أمين المقامرين[8]،

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الضرب (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: و (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: من (٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: خلفه (٥) فى م فقط: العرضة (٦) فى الأصل: كلمة، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الحرمضة (٨) فى م: القامرين.

و الحلس

والحلس بكسر المهملة وإسكان اللام ثم مهملة و ا ككتف الرابع من سهام الميسر، والناقس بنون وقاف مكسورة ومهملة اسم فاعل خامس سهام الميسر، ومسبل أى بسين مهملة [وموحدة قال: بوزن محسن، السادس أو الخامس من قداح الميسر؛ وقال فى مجمع البحرين: وهو المصفح أيضا يعنى بفتح الفاء، والمعلّى كمعظم سابع سهام الميسر، ٥ والمنيح كأمير أى بنون وآخره مهملة - ٢] قدح بلا ٣ نصيب، و٤ السفيح أى بوزنه وبمهملة ثم فاء وآخره مهملة قدح من الميسر لا نصيب له، والوغد أى بفتح ثم سكون المعجمة ثم مهملة الأحمق الضعيف الرذل٥ الدنىء٦ وقدح لا نصيب له؛ وقال ٧ صاحب الزينة: وكانوا يبتاعون الجزور ويتضمنون ثمنه ثم يضربون بالقداح عليه ثم ١٠ ينحرونه٨ ويقسمونه عشرة أجزاء على ما حكاه أكثر٩ علماء اللغة، ثم يجيلون عليها القداح فان١٠ خرج المعلى أخذ صاحبه سبعة أنصباء ونجا من الغرم، ثم يجيلون عليها ثانيا فان١٠ خرج الرقيب أخذ صاحبه ثلاثة أنصباء ونجا من الغرم وقدت أجزاء الجزور، وغرم الباقون على عدد أنصبائهم فغرم صاحب الفذ نصيبا واحدا وصاحب التوأم نصيبين/ - فعلى ١٥ / ٢٢١

(١) كذا فى الأصول، والظاهر: أو (٢) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد و ظ (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: فلا (٤) ليس فى مد (٥) ليس فى ظ، ولا يتضح فى مد (٦) فى م: الزى - كذا (٧) العبارة من هنا إلى «وقال القزاز» سقطت من ظ (٨) من م و مد، و فى الأصل: يتجزونه (٩) ليس فى م (١٠) فى م: فاذا.

ذلك يقسمون الغرم بينهم . و ذكر عن الأصمعى أنه قال : كانوا يقسمون الجزور على ثمانية و عشرين جزءا : للفذ جزء ، و للتوأم جزءان ، و للرقيب ثلاثة أجزاء ـ فعلى هذا حتى تبلغ ثمانية و عشرين جزءا ؛ و خالفه فى ذلك أكثر العلماء و خطأوه و قالوا : إذا كان ذلك كذلك و أخذ كل قدح نصيبه لم يبق هنالك غرم فلا يكون إذاً قامر[1] و لا مقمور ، و[2] من أجل[2] ذلك قالوا لأجزاء[3] الجزور : أعشار[4] ، لأنها عشرة أجزاء ، قال امرؤ القيس :

و ما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسهميك[5] فى أعشار قلب مقتّل

جعل القلب بدلا لأعشار[6] الجزور و جعل العينين مثلا للقدحين أى سبت[7] قلبه ففازت به كما يفوز صاحب المعلى و الرقيب[8] ؛ و قال القزاز[9] فى التاء الفوقانية من ديوانه : و التوأم أحد أقداح الميسر و هو الثانى منها ، و إنما سمى توأما بما عليه من الحظوظ[10] ، و عليه حظان[11] و له من أنصباء الجزور نصيبان ، و إن قرت أنصباء الجزور غرم من خرج له التوأم نصيبين ، و ذلك أنها عشرة قداح[12] أولها الفذ و عليه فرض

(١) من م و مد ، و فى الأصل : قامروا (٢-٢) فى م : لاجل (٣) من م و مد ، و فى الأصل : الاجزاء (٤) و قع فى م : اعتبار ـ خطأ (٥) فى م : بسمك ـ كذا . (٦) فى مد : لاجل عشار (٧) كذا ، و الظاهر : سلبت (٨) زيدت فى مد : بأعشار الجزور فتحوى عليها ـ و الكلمة التى بعدها مطموسة (٩) فى م : القزار ، و إلى هنا انتهت السقطة من ظ (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الخطوط (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : خطان (١٢) فى م : أقداح .

و له نصيب، و الثانى التوأم و عليه فرضان و له نصيبان، و الثالث الرقيب و عليه ثلاثة فروض و له ثلاثة أنصباء، و الرابع الحلس و عليه أربعة فروض و له أربعة أنصباء، و الخامس النافس و عليه خمسة فروض و له خمسة[1] أنصباء، و السادس المسبل و عليه ستة فروض و له ستة أنصباء، و السابع المعلى و عليه سبعة فروض و له سبعة أنصباء، ٥ و منها ثلاثة لا حظوظ لها و هى السفيح[2] و المنيح و الوغد، و ربما سموها بأسماء غير هذه لكن ذكرنا المستعمل منها ههنا و نذكرها[3] بأسمائها فى مواضعها[4] من الكتاب إن شاء الله تعالى؛ و هذه التى لا حظوظ لها ليس عليها فرض، و لذلك تدعى أغفالا[5] لأن الغفل[6] من الدواب الذى لا سمة[7] له. و هيئة ما يفعلون فى القمار هو أن تنحر[8] ١٠ الناقة و تقسم عشرة أجزاء فتجعل[9] إحدى الوركين جزءا، و الورك الأخرى[10] جزء ١١ و عجزها جزء[11]، و الكاهل جزء، و الزور و هو الصدر جزء، و الملحا[12] أى ما بين الكاهل و العجز من الصلب جزء، و الكتفان و فيهما[13] العضدان[14] جزءان، و الفخذان[15] جزءان، و تقسم الرقبة و الطفاطف بالسواء على تلك الأجزاء، و ما بقى من عظم أو بضعة ١٥

(١) من م و مد و ظ. و فى الأصل: سبعة (٢) فى م: الفسيح (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تذكرها (٤) فى ظ: مواضع (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: اعقالا (٦) فى الأصل: العقل، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لاسم (٨) من م و مد، و فى الأصل: يتخر، و فى ظ: يتحر (٩) من ظ و مد، و فى الأصل و م: فيجعل (١٠) فى م و ظ: الاخر. (١١-١١) سقطت من م (١٢) فى الأصل: والملجا، و التصحيح من م و ظ و مد (١٣) فى ظ: فيها (١٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: القصدان (١٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الفخذ.

فهو الريم[1] و أصله من الزيادة على الحمل و هى التى تسمى علاوة فيأخذ الجازر[2]؛ و ربما استثنى بائع الناقة [3]منها شيئا[3] لنفسه[4] و أكثر ما يستثنى الأطراف و الرأس، فاذا صارت الجزور على هذه الهيئة[5] أحضروا رجلا يضرب بها بينهم يقال له الحرضة فتشد عيناه و يجعل على يديه ثوب لئلا يحس القداح ثم يؤتى بخريطة فيها القداح واسعة الأسفل ضيقة الفم قدر ما يخرج منها سهم أو سهمان و القداح فيها كفصوص النرد الطوال غير أنها مستديرة فتجعل الخريطة على يدى الحرضة، و يؤتى برجل يجعل أمينا عليه يقال له الرقيب فيقال له: جلجل القداح، فيجلجلها فى الخريطة مرتين أو ثلاثا، فاذا فعل ذلك أفاض بها و هو أن يدفعها[6] دفعة واحدة فتندر[7] من مخرجها ذلك الضيق، فاذا خرج قدح أخذه الرقيب، فان كان من الثلاثة التى لا فروض [8]عليها رده[8] إلى الخريطة و قال: [9]أعد، و إن[9] كان من السبعة ذوات الحظوظ[10] دفعه إلى صاحبه و قال له: اعتزل القوم، و ذاك[11] أن الذين يتقامرون قد أخذ كل واحد منهم قدحا[12] على ما يحب[13]،

(١) من م ومد وظ، وفى الأصل: الديم (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الجاذر (٣-٣) وفى مد: شيئا منها (٤) سقط من م (٥) فى م: الحالة، و بهامشه: الهيئة (٦) فى م: يدفع بها (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فتنذر (٨-٨) فى مد: لها رد (٩-٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: اعدوا ان (١٠) من م وظ و مد، و فى الأصل: الخطوط (١١) فى ظ: ذلك (١٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: قد جاء (١٣) من ظ، و فى م و مد: يحب - كذا، و فى الأصل: يجب.

فان

فان كان الذى خرج الفذ[1] أخذ صاحبه جزءا و سلم من الغرم و أعاد الحرضة الإفاضة، و إن كان الذى خرج التوأم أخذ صاحبه نصيبين و اعتزل القوم و سلم من الغرم أيضا، و كذا كل واحد منهم يأخذ ما خرج له [و يعتزل القوم و يسلم من الغرم، فاذا خرج فى الثانية قدح أخذ صاحبه ما خرج له - ٢] ٣و كذا الثالث يأخذ ما خرج له٣ ٥ و يعتزل القوم[4] ما لم يستغرق الأول و الثانى أنصباء[5] الجزور، مثل أن يخرج للأول الرقيب فيأخذ ثلاثة أنصباء، ثم[6] يخرج للثانى المعلى فيأخذ سبعة أنصباء[7] و يغرم الباقون ثمن[8] الجزور. أو يخرج فى الأول الفذ و فى الثانى التوأم و فى الثالث المعلى فيذهب أيضا سائر الأنصباء و يغرم باقى القوم ثمن الجزور، و كذا ما كان مثل هذا؛ فان زادت ١٠ سهام من خرج له/ قدح على ما بقى من الجزور غرم له من بقى[9] /٢٢٢ ما زاد سهمه؛ و ذلك مثل أن يخرج للأول المعلى فيأخذ سبعة أنصباء ثم يخرج للثانى النافس و حظه خمسة و إنما بقى من الجزور ثلاثة فيأخذها و يغرم له الباقون خمسى الجزور، و كذا لو خرج للأول النافس و أخذ خمسة أنصباء ثم خرج للثانى الحلس فأخذ أربعة أنصباء و خرج ١٥ للثالث المعلى أخذ النصيب الذى بقى و غرم له الباقون ثلاثة أخماس

(١) فى الأصل: الفذا (٢) زيد ما بين المربعين من م و مد (٣-٣) ليست فى ظ (٤) زيد فى م: و يسلم من الغرم (٥) زيد فى ظ «و» (٦) فى مد: لم. (٧) ليس فى م (٨) فى الأصل: من، و التصحيح من م و مد و ظ (٩) زيد فى م: من الجزور.

الجزور ، و على هذا سائر قمارهم ، إذا تدبرته علمت كيف يجرى[1] جميعه و يغرم القوم ما يلزمهم على قدر سهامهم الباقية يفرضون ما لزمهم على عدد ما فى أنصبائهم من الفرض ، و قد ذكر أن الجزور تجزأ على عدد ما فى القداح[2] من الفروض و هى ثمانية و عشرون ٣ جزءا ، و[3] لا معنى[4] لهذا القول[5] لأنه يلزم أن لا يكون فى هذا قمار[6] و لا فوز و لا خيبة إذ كل واحد يختار لنفسه ما أحب من السهام ثم يأخذ ما خرج له ثم لا تفرغ أجزاء الجزور إلا بفراغ القداح ، فلا معنى للتقامر عليها[7] ، و الأول أصح و[8] يدل عليه[8] شعر[9] العرب ، و ذلك لأن الرجل ربما أخذ فى الميسر قدحين فيفوز بأجزاء الجزور ، مثل أن يأخذ المعلى و الرقيب فاذا ضرب له[10] الحرضة خرج له أحدهما[11] فقاز بحظه[11] ، ثم إذا ضرب الثانية خرج له الآخر[12] فيفوز بسائر الجزور ، و لو كان السهام و الأنصباء على[13] ما ذكروا[14] لم يفز صاحب سهمين بسائر[15]

(١) فى م : يجزى (٢) فى ظ : القدح (٣-٣) فى الأصل : جزا او ، و فى م : جزاو ، و فى مد : جزأو ، و فى ظ : جزاءو - كذا (٤) فى ظ : معلى (٥) زيد فى م « و » (٦) فى الأصل : قام ، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) فى الأصل عليها ، و التصحيح من م و ظ و مد (٨-٨) فى م و ظ و مد : عليه يدل .
(٩) و من الافتخار بذلك قول الأعشى :

المطعمو الضيف إذا ما شتا و الجاعلو القوت على الياسر

- البحر المحيط ٢/١٥٥ (١٠) ليس فى م و مد و ظ (١١-١١) فى ظ : فقال يحطه .
(١٢) فى الأصل : الاجر ، والتصحيح من م و ظ و مد (١٣) زيد فى ظ : قدر .
(١٤) فى م : ذكروان (١٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : سائر .

الأنصباء إذ لا تذهب الأنصباء إلا بفراغ القداح ، و مما يدل على فوز صاحب السهمين بالكل قول امرئ القيس :

و ما ذرفت عيناك إلا لتضربى بسهميك فى أعشار قلب مقتل

يقول : تضرب بسهميها المعلى و الرقيب فتحوز[1] القلب كله ، و من هذا قول كثير و وصف ناقة هزلها السير حتى أذهب[2] لحمها : ٥

و تؤبن من نص الهواجر و السرى بقدحين فازا[3] من قداح المقعقع

يقول : هذه الناقة هزلها السير حتى لم يبق من لحمها شيء فكأنه ضرب عليها بالقداح ففاز منها قدحان فاستوليا على أعشارها و هو الرقيب و المعلى - انتهى . هكذا ذكر شرح قول كثير و رأيت على حاشية نسخة من كتابه ما لعله[4] أليق ، و ذلك لأنه[5] قال أى يظن بها فضل ١٠ على الإبل فى سيرها بعد نص الهواجر و السرى لصبرها و كرمها و شدتها كفضل رجل فاز قدحه مرتين على قداح أصحابه ؛ و المقعقع هو الذى يجيل[6] القداح - انتهى . و هو أقرب مما قاله لأن قوله : تؤبن بقدحين فازا[7] ، ظاهر[8] فى أن القدحين لها و أنها[9] هى الفائزة ؛ و الله سبحانه

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فتجوز (٢) فى م : أذهبت (٣) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : فاذا - كذا ؛ و الصواب بالزاى المعجمة كما فى م و ظ و مد (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لعلمه (٥) فى م و ظ و مد : انه . (٦) فى الأصل و ظ و مد : يحيل - كذا بالحاء ، وفى م : يخيل - كذا (٧) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : فاز (٨) من م و مد و ظ غير أن فى مد و ظ بلا نقطة ، و فى الأصل : المظاهر (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : انما .

و تعالى الموفق ـ هـذا . و قوله : لا معنى للتقامر عليها ، على تقدير التجزئه بثمانية[1] و عشرين ليس كذلك بل تظهر ثمرته فى التفاوت فى الأنصباء ، [2] و ذلك بأن تكون[3] السهام و هى القداح عشرة ، فانه لما قال : إن الأجزاء تكون ثمانية و عشرين ، لم يقل : إنها على عدد السهام ، حتى تكون السهام ثمانية و عشرين ، بل قال : إنها على عدد الفروض التى فى السهام ، و قد علم أنها عشرة ؛ و قد[4] صرح صاحب الزينة و غيره عن الأصمعى كما مضى و هو ممن قال بهذا القول ، فحينئذ من خرج له المعلى مثلا أخذ سبعة أنصباء من ثمانية و عشرين فيكون أكثر حظا[5] ممن خرج له ما عليه ستة فروض فما دونها للضربات[6] ؛ و قوله : إن الرجل ربما [7] أخذ قدحين - إلى آخره ، يبين وجها آخر من التفاوت ، و هو أن الرجل[7] ربما خرج له[8] سهم واحد لاعتراض السهام و تحرفها [9] عن سنن[9] الاستقامة حال الخروج ، و ربما خرج له

(١) فى مد : ثمانية (٢) موضع العبارة من هنا إلى « ستة فروض فما دونها » فى ظ هكذا : مع ابهام السهام و تعيين الرجال للضربات بان يقال لفلان الاجالة الاولى و لفلان الثانية و هكذا أو يقال من يبدء به فيقول شخص انا فما خرج من سهم فهو له ثم يفعل بحسب ذلك فقد يخرج للانسان ما لا يختاره ثم إذا كمل الضرب وفوا ثمن الجزور على السواء بحسب الرؤس لا بحسب الانصباء للضربات (٣) فى مد : يكون (٤) فى م : به (٥) فى م : خطا (٦) ليس فى م . (٧ - ٧) سقطت من م (٨) العبارة من هنا إلى « خرج له » سقطت من ظ . (٩ - ٩) من م و مد ، و فى الأصل : لسنن .

سهمان أو ثلاثة [١] فى إفاضة واحدة لاستقامة السهام و اعتدالها للخروج فقاز[٢] بمعظم الجزور ، و ذلك بأن يكون[٣] الرجال[٤] أقل من السهام ، و ربما خرج له أكثر من ذلك مع الوفاء للثمن[٥] بينهم على السواء ، [٦]و هذا الوجه يتأتى أيضا بتقدير أن تكون السهام و الرجال على عدد الأجزاء ، لانحصار / [٧]العد فيمن[٧] خرج له سهام سواء كانت على ٥ /٢٢٣ عددهم[٨] أو أكثر و انحصار الغرم فيمن لم يخرج له سهم على تقدير أن يخرج لغيره عدد من السهام ؛ و بتقدير أن لا[٩] يخرج لكل واحد واحد يكون قمارا[١٠] أيضا ، لأن كل واحد منهم غير واثق بالفوز و يكون فائدة ذلك حينئذ للفقراء ، و من قال: إن من خرج له شيء من السهام الثلاثة الأغفال[١١] يغرم ، كان القمار عنده لازما فى كل صورة بكل ١٠ تقدير . و قال فى[٩] الكشاف: إنهم كانوا يعطون الأنصباء للفقراء و لا يأخذون منها شيئا ، [١٢]و قد تقدم نقل ذلك عن[١٣] صاحب الزينة و الله سبحانه و تعالى أعلم .

و لما ذكر ما يذهب ضياء الروح و قوام البدن و ذم النفقة فيهما[١٤]

---

(١) العبارة من هنا إلى « نفاز » سقطت من ظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل: نقال (٣) فى م و مد: تكون (٤) فى ظ : الرحال (٥) فى م: بالثمن (٦) العبارة من هنا إلى « بكل تقدير » سقطت من مد و ظ (٧-٧) من م ، و فى الأصل: انه ممن (٨) من م ، و فى الأصل : عادتهم (٩) سقط من م (١٠) من م ، و فى الأصل: قمار (١١) من م ، و فى الأصل: الاعقال (١٢) العبارة من هنا إلى « الزينة » ليست فى ظ (١٣) من م و مد ، و فى الأصل: من (١٤) من م و مد ، و فى الأصل: فيها ، و فى ظ : فيما .

اقتضى الحال السؤال عما يمدح الإنفاق[1] فيه فقال عاطفا على السؤال عن[2] المقتضى[3] لتبذير المال ﴿ و يسئلونك ما ذا ينفقون ﴾ و أشعر تكرير السؤال عنها بتكرير الواردات المقتضية لذلك ، فأنبأ ذلك بعظم شأنها لأنها أعظم دعائم الجهاد و ساق ذلك سبحانه و تعالى على طريق العطف لأنه لما تقدم السؤال عنه و الجواب فى[4] قوله "قل ما انفقتم من خير فللوالدين[5]" - الآية ، منع[6] من توقع سؤال آخر ، و أما اليتامى و المحيض فلم يتقدم ما يوجب توقع السؤال عن السؤال عنهما أصلا ، و ادعاء[7] أن سبب العطف النزول جملة و سبب القطع النزول مفرقا[8] مع كونه غير شاف للغلة[9] بعدم بيان الحكمة يرده ما ورد أن آخر آية نزلت "و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله[10]" و هى بالواو أخرجه البيهقى فى الدلائل و الواحدى من وجهين فى مقدمة أسباب النزول و ترجم لها البخارى فى الصحيح [11]و من[11] تتبع أسباب النزول وجد كثيرا من ذلك . و قال الحرالى : فى العطف إنباء بتأكد[12] التلدد مرتين كما فى قصة بنى إسرائيل ، لكن ربما تخوفت هذه الأمة من ثالثتها فوقع ضمهم عن السؤال فى الثالثة[13] لتقاصر[14] ما يقع فى هذه

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : للانفاق (٢) فى م : بمن (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المقتص (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عن (٥) زيد فى م : والاقربين (٦) فى م : مع (٧) زيد فى ظ «و» (٨) فى ظ : مقترفا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : للعلة (١٠) سورة ٢ آية ٢٨١ (١١-١١) فى م : من ، و فى ظ : فى - كذا ، و فى مد مطموس (١٢) فى م : بتاكيد (١٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الثانية (١٤) فى ظ : لتقام .

الأمة عما وقع فى بنى إسرائيل بوجه ما ، و قال سبحانه و تعالى فى الجواب : ﴿ قل العفو ط ﴾ و هو ما سمحت به النفس من غير كلفة[1] قال[2] : فكأنه ألزم النفس نفقة العفو و حرضها[3] على نفقة ما تنازع فيه[4] و لم يلزمها ذلك لئلا يشق عليها لما يريده بهذه الأمة من اليسر ، فصار المنفق[5] على ثلاث رتب: رتبة حق مفروض لا بد منه و هى الصدقة المفروضة التى إمساكها هلكة فى الدنيا و الآخرة ، و فى مقابلته عفو لا ينبغى الاستمساك به لسماح النفس بفساده[6] فمن أمسكه تكلف إمساكه ، و فيما[7] بينهما ما تنازع النفس إمساكه فيقع لها المجاهدة فى إنفاقه و هو متجرها[8] الذى تشترى به الآخرة من دنياها ، قالت أمراة للنبى صلى الله عليه و سلم : ما يحل لنا من أموال أزواجنا - تسأل عن الإنفاق منها ، قال : الرطب - بضم الراء[9] و سكون الطاء[9] - تأكلينه و تهدينه ، لأنه من العفو الذى يضر إمساكه بفساده[10] ؛ لأن الرطب هو ما إذا أبقى[11] من يوم إلى يوم تغير كالعنب و البطيخ و فى معناه الطبائخ و سائر الأشياء التى تتغير بميتها[12] - انتهى . و فى تخصيص المنفق بالعفو[2] منع

(١) قال الراغب : العفو متناول لما هو واجب و لما هو تبرع و هو الفضل عن الغنى ، و قال الماتريدى : الفضل عن القوت - البحر المحيط ٢/١٥٨ (٢) ليس فى ظ (٣) فى ظ : حرضتها (٤) ليس فى م (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : المنفقة (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : به (٧) فى مد : فيها (٨) فى مد : متحرها (٩-٩) ليس فى مد (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بفسادة . (١١) فى م : بقى (١٢) من م و ظ ، و الأصل : بميتها ، و فى مد : بميعتها - كذا .

لمتعاطى الخمر قبل حرمتها من التصرف ، إذ[1] كان الأغلب أن تكون[2] تصرفاته لا على هذا الوجه ، لأن حالة السكر غير معتد[3] بها و التصرف فيها يعقب فى الأغلب عند الإفاقة أسفا و كذا الميسر بل هو أغلظ . و لعل تأخير بيان أن المحثوث عليه من النفقة إنما هو الفضل إلى هذا المحل ليحمل أهل الدين الرغبة فيه مع ما كانوا فيه من الضيق على الإيثار على النفس من غير أمر به رحمة لهم، و من أعظم الملوحات إلى ذلك أن[4] فى بعض الآيات الذاكرة له فيما سلف "و آتى المال على حبه" . [5]قال الأصبهانى : قال أهل التفسير : كان الرجل بعد نزول هذه الآية إذا كان له ذهب أو فضة أو زرع أو ضرع ينظر ما يكفيه و عياله لنفقة سنة أمسكه و تصدق بسائره ، فان كان ممن يعمل بيده أمسك ما يكفيه و عياله يومه ذلك و تصدق بالباقى حتى نزلت آية الزكاة فنسختها هذه الآية .

/٢٢٤ و لما / بين الأحكام الماضية فى هذه السورة أحسن بيان و فصل ما قص من جميع ما أراد أبدع تفصيل[6] لا سيما أمر النفقة فانه بينها مع أول السورة إلى هنا فى أنواع من البيان على غاية الحكمة و الإتقان كان موضع سؤال : هل يبين[7] لنا ربنا غير هذا من الآيات كهذا[8] البيان ؟ فقال : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ما مضى من هذا البيان العلى الرتبة

(١) فى م : اذا (٢) فى ظ : يكون (٣) فى ظ : معتد ـ كذا (٤) سقط من م .
(٥) العبارة من هنا إلى « فنسختها هذه الآية » سقطت من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « و الاتقان » ساقطة من ظ (٧) فى م : بين (٨) فى ظ : هكذا .

البعيد المنال[1] عن منازل[2] الأرذال ﴿ يبين الله ﴾[3] [4]الذى له جميع صفات الكمال[4] ﴿ لكم ﴾ جميع ﴿ الأيٰت ﴾[5] قال الحرالى: لجمعها لأنها آيات من جهات مختلفات لما يرجع لأمر القلب و للنفس[6] و للجسم و لحال المرء مع غيره - انتهى . [7]و أفرد الخطاب أولا و جمع ثانيا إعلاما بعظمة هذا القول للاقبال به[8] على الرأس ، و إيماء إلى أنه صلى الله عليه و سلم قد امتلأ علما من قبل هذا بحيث لا يحتاج إلى زيادة و أن هذا البيان إنما هو للأتباع يتفهمونه على مقادير أفهامهم و هممهم، و يجوز أن يكون الكلام تم بكذلك أى البيان ثم استأنف ما بعده فيكون البيان مذكورا[9] مرتين: مرة فى خطابه تلويحا ، و أخرى[10] فى خطابهم تصريحا ؛ أو يقال : أشار إلى علو الخطاب بالإفراد و إلى عمومه بالجمع [انتهى -[11]] ﴿لعلكم تتفكرون[12] ﴾ أى لتكونوا على حالة يرجى لكم معها التفكر ، و هو طلب الفكر و هو يد النفس التى تنال بها المعلومات كما تنال[13] يد الجسم المحسوسات - قاله الحرالى .

[14]و لما كان البيان من أول السؤال [إلى -[14]] هنا قد شفى فى أمور

---

(١) فى ظ : المال (٢) فى م : مناز - كذا (٣) زيد فى م و مد : أى (٤-٤) ليست فى ظ (٥) زيد فى ظ : جميعها (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : النفس . (٧) العبارة من هنا إلى « و الى عمومه بالجمع » ليست فى ظ (٨) ليس فى م . (٩) من م و مد ، و فى الأصل : مذكور (١٠) فى م : مرة (١١) زيد من م و مد (١٢) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : ينال (١٣) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (١٤) زيد من م و مد .

الدارين و كفى و أوضح ثمرات كل منهما و كان العرب ينكرون الآخرة ساق ذكرها مساق ما لا نزاع فيه لكثرة ما دل عليها فقال: ﴿ فى الدنيا و الآخرة ط ﴾ أى فى أمورها[1] فتعلموا بما فتح الله[2] لكم سبحانه و تعالى من الأبواب و ما أصل لكم من الأصول ما هو صالح و ما هو أصلح ٥ و ما هو شر و ما هو أشر لتفعلوا الخير و تتقوا الشر[3] فيؤول بكم ذلك إلى فوز الدارين .

و لما كان العفو غير مقصور على المال بل يعم القوى البدنية و العقلية و كان النفع لليتيم من أجل ما يرشد إليه[4] التفكر فى أمور الآخرة و[5] كان الجهاد من أسباب القتل الموجب لليتم وكانوا يلون[6] يتامام فنزل ١٠ التحريج الشديد فى أكل أموالهم فجانبوهم واشتد ذلك عليهم سألوا عنهم فأفتاهم سبحانه و تعالى فيهم و ندبهم إلى مخالطتهم[7] على وجه الإصلاح الذى لا يكون لمن يتعاطى الخمر و الميسر فقال[3]: ﴿ و يسئلونك عن اليتٰمٰى[8] ط ﴾

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : امورها (٢) ليس فى م و مد و ظ .
(٣) سقط من ظ (٤) زيد فى الأصل : قال الأصبهانى قال أهل التفسير ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٥) سقطت الواو من م (٦) فى ظ : يكون.
(٧) فى م : مخاطبتهم (٨) سبب نزولها أنهم كانوا فى الجاهلية يتحرجون من مخالطة اليتامى فى مأكل و مشرب و غيرهما و يتجنبون أموالهم - قاله الضحاك و السدى ، و قيل : لما نزلت " و لا تقربوا مال اليتيم " " ان الذين يأكلون اموال اليتٰمٰى " تجنبوا اليتامى وأموالهم و عزلوهم عن أنفسهم فنزلت - قاله ابن عباس و ابن المسيب ، و مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر السؤال =

أى فى ولايتهم لهم[1] و عملهم فى أموالهم و أكلهم منها و نحو ذلك مما يعسر حصره ؛ و أمره بالجواب بقوله : ﴿ قل اصلاح[2] لهم خير[1] ﴾ أى من تركه ، و لا يخفى الإصلاح على ذى لب فجمع بهذا الكلام

= عن الخمر و الميسر و كان تركهما مدعاة إلى تنمية المال و ذكر السؤال عن النفقة وأجيبوا بأنهم ينفقون ما سهل عليهم ناسب ذلك النظر فى حال اليتيم وحفظ ماله و تنميته و إصلاح اليتيم بالنظر فى تربيته فالجامع بين الآيتين أن فى ترك الخمر و الميسر إصلاح أحوالهم أنفسهم و فى النظر فى حال اليتامى إصلاحا لغيرهم ممن هو عاجز أن يصلح نفسه فيكون قد جمعوا بين النفع لأنفسهم و لغيرهم ، و الظاهر أن السائل جمع الاثنين بواو الجمع و هى للجمع به و قيل به ؛ و قال مقاتل : السائل ثابت بن رفاعة الأنصارى ، و قيل : عبد الله بن رواحة ، و قيل : السائل من كان بحضرة النبى صلى الله عليه و سلم من المؤمنين ، فان العرب كانت تتشاءم بخلط أموال اليتامى بأموالهم فأعلم تعالى المؤمنين إنما كانت مخالطتهم مشؤمة لتصرفهم فى أموالهم تصرفا غير سديد كانوا يضعون الهزيلة مكان السمينة و يعوضون التافه عن النفيس فقال تعالى " قل اصلاح لهم خير " ـ البحر المحيط ٢/١٦٠ .

(١) فى ظ : هم (٢) الإصلاح لليتيم يتناول إصلاحه بالتعليم و التأديب و إصلاح ماله بالتنمية و الحفظ ..... و " اصلاح " كما ذكرنا مصدر حذف فاعله فيكون " خير " شاملا للاصلاح المتعلق بالفاعل و المفعول فتكون الخيرية للجانبين معا أى أن إصلاحهم لليتامى خير للصلح و المصلح فيتناول حال اليتيم و الكفيل ، و قيل : خير للولى ، و المعنى إصلاحه لليتيم من غير عوض و لا أجرة خير له و أعظم أجرا ، و قيل : « خير » عائد لليتيم ، أى إصلاح الولى لليتيم و مخالطته له خير لليتيم من إعراض الولى عنه و تفرده عنه ـ البحر المحيط ٢ / ١٦١ .

اليسير المضبوط بضابط العقل الذى أقامه تعالى حجة على خلقه ما لا يكاد يعد ، و فى قوله : "لهم[١]" ما يشعر بالحث على تخصيصهم بالنظر فى أحوالهم و لو أدى ذلك إلى مشقة على الولى .

و لما كان ذلك قد يكون مع مجانبتهم و كانوا قد يرغبون فى نكاح يتيماتهم قال : ﴿ و ان تخالطوهم ﴾ أى بنكاح أو غيره ليصير النظر فى الصلاح مشتركا بينكم و بينهم ، لأن المصالح صارت كالواحدة . قال الحرالى : و هى[٢] رتبة دون الأولى ، و المخالطة مفاعلة من الخلطة[٣] و هى إرسال الأشياء التى شأنها الانكفاف بعضها فى بعض كأنه رفع التحاجز[٤] بين ما شأنه ذلك ﴿ فاخوانكم[٥] ط ﴾ جمع أخ و هو الناشىء[٦] مع أخيه من منشأ واحد على السواء[٧] بوجه ما - انتهى . أى فعليكم من مناصحتهم ما يقودكم الطبع إليه من مناصحة الإخوان و يحل لكم من الأكل من أموالهم بالمعروف و ما يحل من أموال إخوانكم؛ [[٨] قالت عائشة

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : هو (٣) فى مد : الخلط (٤) فى ظ : التحاجر - بالراء المهملة (٥) و الذى يظهر أن المخالطة لم تقيد بشىء لم يقل فى كذا فتحمل على أى مخالطة كانت مما فيه إصلاح لليتيم و لذلك قال "فاخوانكم" أى تنظرون لهم نظركم إلى إخوانكم مما فيه إصلاحهم و قد اكتنف هذه المخالطة الإصلاح قبل و بعد فقبل بقوله : "قل اصلاح لهم خير" و بعد بقوله : "و الله يعلم المفسد من المصلح" - البحر المحيط ٢/١٦١ (٦) من م و ظ ، و الأصل و مد : الناسى . (٧) زيد فى ظ : بل (٨) العبارة المحجوزة من م و مد ، و قد سقطت من ظ ، و موضعها فى الأصل العبارة السابقة : جمع أخ و هو الناسى مع أخيه من منشأ واحد على السواء بوجه ما - انتهى .

رضى الله عنها: إنى لأكره أن يكون مال اليتيم عندى كالغدة حتى أخلط طعامه بطعامى و شرابه بشرابى . قالوا: و إذا كان هذا فى أموال اليتامى واسعا كان فى غيرهم أوسع ، و هو أصل شاهد لما يفعله الرفاق[1] فى الأسفار، يخرجون النفقات بالسوية و يتباينون فى قلة المطعم و كثرته - نقله الأصبهانى] . ٥

و لما كان ذلك مما قد يدخل فيه الشر[2] الذى يظهر فاعله أنه لم يرد به إلا الخير وعكسه قال مرغبا مرهبا: ﴿ و الله ﴾ [3]أى الذى له الإحاطة بكل شىء[3] ﴿ يعلم ﴾ أى فى كل حركة و سكون . [4]و لما كان الورع[5] مندوبا إليه محثوثا عليه لا سيما فى أمر اليتامى / فكان التحذير / ٢٢٥ بهذا المقام أولى قال: ﴿ المفسد ﴾ أى[6] الذى الفساد[7] صفة له ﴿ من ١٠ المصلح ط ﴾ [8] فاتقوا الله فى جميع الأمور و لا تجعلوا خلطتكم إياهم ذريعة إلى أكل أموالهم .

و لما كان هذا أمرا[9] لا يكون فى بابه أمر[10] أصلح منه و لا أيسر منّ عليهم بشرعه فى قوله: ﴿ و لو شآء الله ﴾ أى بعظمة كماله

(١) من مد ، و فى م : الرقاق (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : السر . (٣-٣) ليست فى ظ (٤) العبارة من هنا إلى «قال» ليست فى ظ (٥) فى الأصل: الزرع ، والتصحيح من م و مد (٦) ليس فى مد (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لفساد (٨) العبارة من هنا إلى «اموالهم» ليست فى ظ (٩) فى م: امر (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل: امرا .

﴿ لاعنتكم ط ﴾ أى كلفكم فى أمرهم و غيره ما يشق عليكم [١] مشقة لا تطاق [١] [٢] فحد لكم [٢] حدودا و عينها يصعب [٣] الوقوف عندها و ألزمكم لوازم يعسر تعاطيها ، من الاعنات و هو إيقاع العنت و هو أسوأ الهلاك الذى [٤] يفحش [٥] نعته - قاله الحرالى . ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان الله ﴾ [١] أى الملك الأعظم [١] ﴿ عزيز [٦] ﴾ يقدر على ما يريد ﴿ حكيم ۝ ﴾ يحكمه بحيث لا يقدر أحد على نقض شيء منه . و لما ذكر تعالى فيما مر حلّ الجماع فى ليل الصيام و أتبع ذلك من أمره ما أراد إلى أن ذكر المخالطة على وجه يشمل النكاح فى سياق مانع مع الفساد داع إلى

(١-١) ليست فى ظ (٢-٢) وقع فى ظ : لحذلكم - كذا مصحفا (٣) فى مد : يصعبه (٤) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : الا تى (٥) من ظ ، و فى م و مد : نفحش ، و فى الأصل : بفحش (٦) قال الزمخشرى : " عزيز " غالب يقدر على أن يعنت عباده و يحرجهم لكنه " حكيم " لا يكلف إلا ما تتسع فيه طاقتهم ، و قال ابن عطية : " عزيز " لا يرد أمره و " حكيم " أى محكم ما ينفذه - انتهى . و فى وصفه تعالى بالعزة و هو الغلبة و الاستيلاء إشارة إلى أنه مختص بذلك لا يشارك فيه ، فكأنه لما جعل لهم ولاية على اليتامى نبههم على أنهم لا يقهرونهم و لا يغالبونهم و لا يستولون عليهم استيلاء القاهر فان هذا الوصف لا يكون إلا لله ، و فى وصفه تعالى بالحكمة إشارة إلى أنه لايتعدى ما أذن هو تعالى فيهم وفى أموالهم فليس لكم نظر إلا بما أذنت فيه لكم الشريعة و اقتضته الحكمة الإلهية إذ هو الحكيم المتقن لما صنع و شرع ، فالإصلاح لهم ليس راجعا إلى نظركم إنما هو راجع لاتباع ما شرع فى حقهم - البحر المحيط ٢/١٦٣ .

الصلاح و ختم بوصف الحكمة و لما [1] كان النكاح من معظم[2] المخالطة فى النفقة و غيرها و كان الإنسان جهولا تولى[3] سبحانه و تعالى بحكمته تعريفه ما يصلح له و ما لا يصلح من ذلك ، و أخر أمر النكاح عن بيان ما ذكر معه من الأكل و الشرب فى ليل الصيام لأن الضرورة إليهما أعظم ، و قدمه فى آية الصيام لأن النفس إليه أميل[4] فقال عاطفا على ما دل ٥ العطف على غير مذكور على أن تقديره[5] : فخالطوهم[6] و أنكحوا[7] من تلونه[8] من اليتيمات على وجه الإصلاح إن أردتم ﴿ و لا تنكحوا[9] ﴾

(١) سقط من م ومد وظ (٢) فى م و ظ و مد : اخطر (٣) زيد فى ظ : الله .
(٤) فى م : أمهل (٥) فى مد : التقدير (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : فانكحوا .
(٨) فى ظ : تكونه (٩) قال ابن عباس : نزلت فى عبد الله بن رواحة أعتق أمة و تزوجها و كانت مسلمة ، فطعن عليه ناس من المسلمين فقالوا : نكح أمة ! و كانوا يريدون أن ينكحوا إلى المشركين رغبة فى أحسابهم فنزلت . . .
ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر تعالى حكم اليتامى فى المخالطة و كانت تقتضى المناكحة و غيرها مما يسمى مخالطة حتى أن بعضهم فسرها بالمصاهرة فقط و رجح ذلك كما تقدم ذكره و كان من اليتامى من يكون من أولاد الكفار نهى الله تعالى عن مناكحة المشركات والمشركين وأشار إلى العلة المسوغة للنكاح وهى الأخوة الدينية فنهى عن نكاح من لم تكن فيه هذه الأخوة و اندرج يتامى الكفار فى عموم من أشرك ومناسبة أخرى أنه لما تقدم حكم الشرب فى الخمر والأكل فى الميسر و ذكر حكم المنكح فكما حرم الخمر من المشروبات وما يجر إليه الميسر من المأكولات حرم المشركات من المنكوحات ـ البحر المحيط ٢/١٦٣.

قال الحرالى : مما ١ منه النكاح و هو إيلاج نهد فى فرج ليصيرا بذلك كالشيء الواحد ـ ٢ انتهى . و٣ هذا ٤ أصله لغة ، و المراد هنا العقد لأنه استعمل فى العقد فى الشرع و كثر استعماله فيه و غلب حتى صار حقيقة شرعية فهو فى الشرع حقيقة فى العقد مجاز فى الجماع و فى اللغة بالعكس

٥ و سيأتى عند "حتى تنكح زوجا غيره٥" عن الفارسى قرينة يعرف بها مراد أهل اللغة ﴿المشركٰت٦﴾ أى الوثنيات٧ ، و الأكثر على أن الكتابيات مما٨ شملته الآية ثم خصت بآية "[و-٩] المحصنٰت من الذين اوتوا الكتٰب من قبلكم١٠" ﴿حتى يؤمن ط﴾ فان المشركات شر محض ﴿و لامة﴾ رقيقة ١١ ﴿مؤمنة﴾ ١٢ لأن نفع ١٣ الإيمان أمر دينى

(١) فى ظ : ما (٢) العبارة من هنا إلى « اهل اللغة » ليست فى ظ (٣) ليس فى م . (٤) فى مد : هو (٥) سورة ٢ آية ٢٣٠ (٦) "و المشركٰت" هنا الكافرات فتدخل الكتابيات ومن جعل مع الله إلٰها آخر ، و قيل : لا تدخل الكتابيات ، و الصحيح دخولهن لعبادة اليهود عزيرا و النصارى عيسى و لقوله سبحانه و تعالى : "عما يشركون" و هذا القول الثانى هو قول جل المفسرين ، و قيل المراد مشركات العرب ـ قاله قتادة ـ البحر المحيط ٢/١٦٣ (٧) العبارة من هنا إلى "من قبلكم" ساقطة من ظ (٨) من م و مد ، و فى الأصل : ما (٩) زيد من م و مد ، و قد سقط من الأصل (١٠) سورة ٥ آية ٥ (١١) ليست فى ظ . و فى البحر المحيط ٢ / ١٦٤ : قيل و فى هذه الآية دليل لجواز نكاح القادر على طول الحرة المسلمة للأمة المسلمة ، و وجه الاستدلال أن قوله : "خير من مشركة" معناه من حرة مشركة ، و واجد طول الحرة المشركة واجد لطول الحرة المسلمة لأنه لا يتفاوت الطولان بالنسبة إلى الإيمان و الكفر فقدر المال =

يرجع إلى[1] الآخرة الباقية ﴿ خير ﴾ على سبيل التنزيل ﴿ من مشركة ﴾ حرة[2] ﴿ و لو أعجبتكم ج ﴾ أى المشركة[3] لأن نفع نسبها و مالها و جمالها[4] يرجع إلى الدنيا الدنية الفانية . قال الحرالى : فانتظمت هذه الآيات فى تبيين خير الخيرين و ترجيح [أمر الغيب فى - [5]] أمر الدين و العقبى فى أدنى الإماء من المؤمنات خلقا وكونا و ظاهر صورة [على حال العين فى أمر العاجلة من الدنيا فى أعلى الحرائر من المشركات خلقا و ظاهر صورة - [6]] و شرف بيت - انتهى . ﴿ و لا تنكحوا ﴾ أيها الأولياء

= المحتاج إليه فى أهبة نكاحها سواء ، فيلزم من هذا أن واجد طول الحرة المسلمة يجوزله نكاح الأمة المسلمة و هذا استدلال لطيف (١٢) عبارة ظ من هنا إلى « الباقية » كما يلى : حرة كانت أو رقيقة (١٣) فى مد : امر .

(١) فى الأصل : اى ، والتصحيح من بقية الأصول (٢) فى ظ ومد : على كل حال (٣) العبارة من هنا إلى « الفانية » ليست فى ظ (٤) فى الأصل : لجمالها ، والتصحيح من م ومد (٥) زيد ما بين الحاجزين من م و ظ و مد (٦) زيدت من م ومد وظ . وفى البحر المحيط ٢/١٦٥ : ' لو ' هذه بمعنى إن الشرطية نحو ردوا السائل ولو بظلف شاة محرق ، و الواو فى "ولو" للعطف على حال محذوفة التقدير: خير من مشركة على كل حال ولو فى هذه الحال ، وقد ذكرنا أن هذا يكون لاستقصاء الأحوال و أن ما بعد لو هذه إنما يأتى و هو مناف لما قبله بوجه ما فالإعجاب مناف لحكم الخيرية و مقتض جواز النكاح لرغبة الناكح فيها و أسند الإعجاب إلى ذات المشركة و لم يبين ما المعجب منها فالمراد مطلق الإعجاب إما لجمال أو شرف أو مال أو غير ذلك مما يقع به الإعجاب ، و المعنى أن المشركة و إن كانت فائقة فى الجمال والمال و النسب فالأمة المؤمنة خير منها ، لأن ما فاقت به المشركة =

﴿ المشركين ﴾ أى الكفار بأى كفر كان شيئا من المسلمات ﴿ حتى يؤمنوا ط ﴾ فان الكفار شر محض ﴿ و لعبد ﴾ أى مملوك ١ ﴿ مؤمن[٢] خير ﴾ على سبيل التنزيل ﴿ من مشرك ﴾ حر٣ ﴿ و لو اعجبكم ط ﴾ أى المشرك٤ ، و أفهم هذا خيرية الحرة و الحر المؤمنين من باب الأولى مع التشريف العظيم لهما بترك[٥] ذكرهما إعلاما بأن خيريتهما أمر مقطوع به لا كلام فيه و أن المفاضلة إنما هى بين من[٦] كانوا يعدونه دنيا فشرفه الإيمان و من يعدونه شريفا[٧] فحقره الكفران ، و كذلك[٨] ذكر الموصوف بالإيمان فى الموضعين ليدل على أنه و[٩] إن كان دنيا موضع التفضيل١٠ لعلو وصفه ، و أثبت الوصف بالشرك فى الموضعين مقتصرا عليه لأنه موضع التحقير و إن علا فى العرف موصوفه .

و لما كانت مخالطة أهل الشرك مظنة الفساد الذى ربما أدى إلى التهاون بالدين فربما دعا الزوج زوجته ١١ إلى الكفر فقاده[١١] الميل إلى

= يتعلق بالدنيا ، و الإيمان يتعلق بالآخرة ، و الآخرة خير من الدنيا ، فبالتوافق فى الدين تكمل المحبة و منافع الدنيا من الصحبة و الطاعة و حفظ الأموال و الأولاد و بالتباين فى الدين لا تحصل المحبة و شىء من منافع الدنيا .

(١) فى ظ : رجل (٢) زيد فى ظ : حرا كان أو رقيقا (٣) فى ظ : بكل حال . (٤) العبارة من هنا إلى « موصوفه » ساقطة من ظ (٥) من م ، و فى مد : يترك ، و فى الأصل : مشترك ـ كذا (٦) فى م : ما (٧) فى مد : حقيرا (٨) فى مد : لذلك (٩) ليس فى م (١٠) فى م : التفصيل ـ كذا بالصاد المهملة (١١) من ظ ، و فى بقية الأصول : زوجه (١٢) زيد فى الأصل « الى » و لم تكن الزيادة فى م و ظ و مد فحذفناها .

اتباعه قال منبها على ذلك و معللا لهذا الحكم: ﴿ اولئك -[1] ﴾ أى الذين هم أهل للبعد[2] من كل خير ﴿ يدعون الى النار ﴾ أى الأفعال المؤدية إليها و لابد[3] فربما أدى [4]الحب الزوج[4] المسلم إلى الكفر و لا عبرة باحتمال ترك الكافر للكفر و إسلامه موافقة للزوج المسلم لأن درء المفاسد مقدم ؛ و سيأتى فى المائدة عند قوله تعالى: "و من يكفر بالإيمان فقد حبط عمله[5]" لذلك مزيد بيان .

و لما رهب[6] من أهل الشرك حثا على البغض فيه رغب فى الإقبال إليه سبحانه / و تعالى بالإقبال على أوليائه بالحب فيه و بغير ذلك فقال: ﴿ و الله ﴾ أى بعز جلاله و عظمة كماله ﴿ يدعوا ﴾ أى بما يأمر به ﴿ الى الجنة ﴾ أى الأفعال المؤدية إليها . و لما كان ربما لا يوصل إلى الجنة إلا بعد القصاص قال: ﴿ و المغفرة ﴾ أى إلى أن يفعلوا ما يؤدى إلى أن يغفرلهم و يهذب[7] نفوسهم بحيث يصيرون إلى حالة سنية

/٢٢٦

(١) و فى هذه الآية تنبيه على العلة المانعة من المناكحة فى الكفار لما هم عليه من الالتباس بالمحرمات من الخمر و الخنزير و الانغماس فى القاذورات و تربية النسل و سرقة الطباع من طباعهم و غير ذلك مما لا تعادل فيه شهوة النكاح فى بعض ما هم عليه و إذا نظر إلى هذه العلة فهى موجودة فى كل كافر و كافرة فتقتضى المنع من المناكحة مطلقا - البحر المحيط ٢/١٦٥ (٢) فى الأصل: للعبد ، و التصحيح من م و مد و ظ (٣) العبارة من هنا إلى « مقدم » ساقطة من ظ .
(٤ - ٤) فى م: حب الزوج (٥) سورة ٥ آية ٥ (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: رغب - كذا (٧) فى م: يذهب .

يعفرون فيها للناس ما أتوا إليهم . و لما كان الدعاء قد يكون بالحمل على الشيء و قد يكون بالبيان بحيث يصير المدعو إليه متهيئا للوصول إليه قال : ﴿ باذنه ج ﴾ أى بتمكينه من ذلك لمن يريد سعادته ﴿ و يبين ايٰته ﴾ فى ذلك و فى غيره ﴿ للناس ﴾ كافة من أراد سعادته و غيره ﴿ لعلهم يتذكرون ه ﴾ أى ليكونوا على[1] حالة[2] يظهر لهم بها[3] بما خلق لهم ربهم من الفهم و ما طبع فى[4] أنفسهم من الغرائز حسن ما دعاهم إليه و قبح ما نهاهم عنه *غاية الظهور بما أفهمه الإظهار* .

و لما كان فى ذكر هذه الآية رجوع إلى تتميم ما أحل من الرفث فى ليل الصيام على أحسن وجه تلاها بالسؤال عن غشيان الحائض و لما كان فى النكاح شائبة للجماع تثير[6] للسؤال عن أحواله و شائبة للانس[7] و الانتفاع تفتر عن ذلك كان نظم آية الحرث بآية العقد بطريق العطف أنسب منه بطريق الاستئناف فقال : ﴿ و يسئلونك عن المحيض[5] ﴾ أى عن نكاح[8] النساء فيه مخالفة لليهود[9] . قال الخرالى : و هو

(١) زيد فى ظ : كل (٢) فى ظ : حال (٣) زيد فى م : التذكر (٤) فى م : من . (٥-٥) ساقطة من ظ (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : كثير (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الانس (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : النكاح - كذا (٩) فى صحيح مسلم عن أنس أن اليهود كانت إذا حاضت امرأة منهم أخرجوها من البيت و لم يؤاكلوها و لم يشاربوها و لم يجامعوها فى البيت فسألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فأنزل الله تعالى هذه الآية ..... ؛ و قيل : كانت النصارى يجامعون الحيض و لا يبالون بالحيض و اليهود يعتزلونهن فى كل شيء فأمر الله بالاقتصاد بين الأمرين - البحر المحيط ٢/١٦٦ .

مفعل من الحيض و هو معاهدة اندفاع الدم العفن الذى هو فى الدم بمنزلة البول و العذرة فى فضلتى الطعام و الشراب من الفرج ﴿ قل هو اذى [١] ﴾ أى مؤذ للجسم و النفس لأن فيه اختلاط النطفة بركس الدم الفاسد العفن - قاله الحرالى، و قال: حتى أنه يقال إن التى توطأ و هى حائض يقع فى ولدها من[١] الآفات أنواع - انتهى. [٢]و لهذا سبب سبحانه و تعالى[٣] [عنه -[٤]] قوله[٥] ﴿فاعتزلوا النساء﴾ أى كلفوا أنفسكم ترك وقاعهن، من الاعتزال و هو طلب العزل و هو الانفراد عما شأنه الاشتراك - قاله الحرالى. ﴿ فى المحيض [٥] ﴾ أى زمنه[٦]، و أظهره لئلا يلبس لو أضمر بأن الضمير لمطلق المراد بالأذى [من الدم -[٧]] فيشمل الاستحاضة و هى[٨] دم صالح يسيل من عرق ينفجر من عنق الرحم فلا يكون أذى كالحيض[٩] الذى هو دم فاسد يتولد من طبيعة المرأة من طريق الرحم و لو احتبس لمرضت المرأة، فهو كالبول و الغائط فيحل الوطء معه دون الحيض لإسقاط العسر - قاله الإمام. ﴿ و لا تقربوهن ﴾ أى فى محل الإتيان بجماع و لا مباشرة فى ما دون الإزار و إنما تكون المباشرة[٢] فى ما علا عن الإزار ﴿ حتى ﴾ و لما كان فيه ما أشير إليه

(١) فى ظ: فى (٢) ليس فى م (٣) ليس فى م و مد و ظ (٤) زيد من م و مد و ظ (٥) فى م: بقوله (٦) العبارة من هنا إلى « قاله الإمام » ليست فى ظ (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل: هو (٩) من م و مد، و فى الأصل: كالحيض، و فى م و مد: كالحيض، و هو الصواب.

من الركس قال : ﴿ يطهرن ج ١ ﴾ أي بانقطاعه ٢ و ذهاب إبانه ٣ و الغسل منه ، و الذي يـــدل على إرادة ذلك مع قرأة التشديد قوله تعالى: ﴿فاذا تطهرن﴾ أي اغتسلن ٤، *فالوطء له شرطان : الانقطاع و الاغتسال* و ربما دلت قراءة التخفيف على جواز القربان لا الإتيان و ذلك بالمباشرة فيما سفل عن الإزار ﴿ فاتوهن ﴾ أي جماعا و خلطة مبتدئين ﴿ من حيث امركم الله ط ﴾ *أي الذي له صفات الكمال* ، و هو القبل على أي حالة كان ذلك ؛ و لما دل ما في السياق من تأكيد على أن بعضهم عزم أو أحب أن يفعل بعض ما تقدم النهي عنه علل بقوله : ﴿ ان الله ﴾

(١) قرأ حمزة و الكسائي و عاصم في رواية أبي بكر و المفضل عنه "يطهرن" بتشديد الطاء و الهاء و الفتح و أصله يتطهرن و كذا هي في مصحف أبي و عبد الله ، و قرأ الباقون من السبعة : يطهرن ـ مضارع طهر ، و في مصحف أنس : و لا تقربوا النساء في محيضهن و اعتزلوهن حتى يتطهرن ، و ينبغي أن يحمل هذا على التفسير لا على أنه قرآن لكثرة مخالفته السواد ـ البحر المحيط ٢/١٦٨.

(٢) من م و مد و ظ ، و في الأصل : بانقطاع (٣) في م : أيامه (٤) قال مجاهد و جماعة هنا أنه أريد الغسل بالماء و لابد لقرينة الأمر بالإتيان و إن كان قربهن قبل الغسل مباحا لكن لا تقع صيغة الأمر من الله تعالى إلا على الوجه الأكمل و إذا كان التطهر الغسل بالماء فمذهب مالك و الشافعي و جماعة أنه كغسل الجنابة و هو قول ابن عباس و عكرمة و الحسن ، و قال طاووس و مجاهد : الوضوء كاف في إباحة الوطء ، و ذهب الأوزاعي إلى أن المبيح للوطء هو غسل محل الوطء بالماء و به قال ابن حزم ـ البحر المحيط ٢/١٦٨ (٥-٥) سقطت من ظ .

مكررا الاسم[1] الأعظم تعظيما للمقام[2] و لم يضمره[3] إعلاما بأن هذا حكم عام لما يقع من هفوة بسبب الحيض أو غيره ﴿ يحب ﴾[4] أى بما له من الاختصاص بالإحاطة بالإكرام و إن كان مختصا بالإحاطة بالجلال[4] ﴿ التوابين ﴾[5] أى الرجاعين عما كانوا عزموا عليه من ذلك و من كل ذنب أوجب لهم نقص الإنسانية[4] و لا سيما شهوة الفرج[4] الإلمام ٥ به،[6] كلما وقعت منهم[7] زلة أحدثوا لها توبة لأن ذلك من أسباب إظهاره[8] سبحانه صفة الحلم و العفو و الجود و الرحمة و الكرم «لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم»[9] أخرجه مسلم و الترمذى عن أبى أيوب رضى الله تعالى عنه، و إذا أحب من يتكرر[10] منه التوبة بتكرار[11] المعاصى فهو فى التائب الذى لم يقع منه بعد توبته ١٠ زلة إن كان[12] ذلك يوجد أحب و فيه أرغب و به أرحم، و لما كان ذلك مما يعز التخلص من إشراكه إما فى تجاوز / ما فى المباشرة أو فى ٢٢٧/

(١) من مد و ظ، و فى الأصل و م: لاسم (٢) العبارة من هنا إلى «أو غيره» ليست فى ظ (٣) من م و مد، و فى الأصل: لم يضمر (٤-٤) ليست فى ظ.
(٥) فى البحر المحيط ٢/١٦٩: أى الراجعين إلى الخير، و جاء عقب الأمر و النهى إيذانا بقبول توبة من يقع منه خلاف ما شرع له و هو عام فى التوابين من الذنوب (٦) العبارة من هنا إلى «و به أرحم» ليست فى ظ (٧) فى م: لهم.
(٨) من م و مد، و فى الأصل: الجهالة (٩) زيد فى الأصل «و» و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٠) فى م: تتكرر (١١) من م و مد، و فى الأصل: بتكرر (١٢) هكذا فى م و مد. و قد أخره فى الأصل عن «ذلك».

الجماع أولا أو آخرا أتى بصيغة المبالغة . قال الحرالى[1] : تأنيسا لقلوب المتحرجين من معاودة الذنب بعد توبة منه، [2] أى و من معاودة التوبة بعد الوقوع فى ذنب ثان لما يخشى العاصى من أن يكتب عليه كذبه كلما أحدث توبة و زل بعدها فيعد مستهزئا فيسقط[3] من عين الله ثم[4] لا يبالى به فيوقفه[5] ذلك عن التوبة .

و لما كانت المخالطة على الوجه الذى نهى الله عنه قذرة[6] جدا

(١) قال أبو حيان الأندلسى : و الذى يظهر أنه تعالى ذكر فى صدر الآية " و يسئلونك عن المحيض " و دل السبب على أنهم كانت لهم حالة يرتكبونها حالة الحيض من مجامعتهن فى الحيض فى الفرج أو فى الدبر ثم أخبر الله تعالى بالمنع من ذلك و ذلك فى حالة الحيض فى الفرج أو فى الدبر ثم أباح الإتيان فى الفرج بعد انقطاع الدم و التطهر الذى هو واجب على المرأة لأجل الزوج و إن كان ليس مأمورا به فى لفظ الآية فأثنى الله تعالى على من امتثل أمر الله تعالى و رجع عن فعل الجاهلية إلى ما شرعه الله تعالى و أثنى على من امتثلت أمره تعالى فى مشروعية التطهر بالماء و أبرز ذلك فى صورتين عامتين استدرج الأزواج و الزوجات فى ذلك فقال تعالى " ان الله يحب التوابين " أى الراجعين إلى ما شرع " و يحب المتطهرين " بالماء فيما شرع فيه ذلك فكان ختم الآية بمحبة الله من اندرج فيه الأزواج و الزوجات و ذكر الفعل ليدل على اختلاف الجهتين من التوبة و التطهر و أن لكل من الوصفين محبة من الله يخص ذلك الوصف ـ البحر المحيط ٢/١٦٩ (٢) العبارة من هنا إلى « عن التوبة » ليست فى ظ (٣) من م و مد ، و فى الأصل : فسقط (٤) ليس فى م . (٥) من م و مد ، و فى الأصل: فيوقعه (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : قدرة.

أشار[1] إلى ذلك بقوله: ﴿ و يحب ﴾ [و - ٢] لما كانت شهوة النكاح و شدة[3] الشبق[4] جديرة[5] بأن تغلب الإنسان إلا بمزيد مجاهدة منه أظهر [تاء - ٢] التفعل فقال: ﴿ المتطهرين ﴾ أى الحاملين أنفسهم على ما يشق[6] من أمر الطهارة من هذا و غيره، و هم الذين يبالغون ورعا[7] فى البعد عن كل مشتبه فلا يواقعون حائضا إلا بعد كمال التطهر؛ أى يفعل معهم من الإكرام فعل المحب[8] و كذا كل ما يحتاج إلى طهارة حسية أو معنوية[8].

و لما بين سبحانه[9] و تعالى المأتى[10] فى الآية السابقة[11] نوع بيان أوضحه مشيرا إلى ثمرة النكاح الناهية لكل ذى[12] لب عن السفاح[13] فقال: ﴿ نساؤكم[14] ﴾[10] أى اللاتى هن حل لكم بعقد أو ملك يمين.

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: اشارة (٢) زيد من مد و ظ (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: سده - كذا (٤) فى م و مد و ظ: السبق، و فى الأصل: اسبق (٥) فى مد: جديره (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يسق (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ودعا - كذا.
(٨ - ٨) سقطت من ظ (٩) العبارة من هنا إلى «ذى لب عن» ليست فى م.
(١٠) من مد و ظ، و فى الأصل: الآتى (١١) فى ظ و مد: السالفة (١٢) ليس فى ظ (١٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: السفاع (١٤) فى البخارى و مسلم أن اليهود كانت تقول فى الذى يأتى امرأته من دبرها فى قبلها: إن الولد يكون أحول، فنزلت؛ و قيل: سبب النزول كراهة نساء الأنصار ذلك لما يزوجهم المهاجرون و كانوا يفعلون ذلك بمكة يتلذذون بالنساء مقبلات و مدبرات - روى معناه الحاكم فى صحيحه ..... و مناسبتها لما قبلها ظاهرة لأنه لما تقدم "فأتوهن من حيث امركم الله" و كان الإطلاق يقتضى تسويغ إتيانهن على =

و لما كان إلقاء النطفة التى يكون منها النسل كالقاء البذر الذى يكون منه الزرع شبههن بالمحارث[1] دلالة على[2] أن الغرض[3] الأصيل طلب النسل فقال مسميا[4] موضع الحرث باسمه موقعا اسم الجزء على الكل موحدا لأنه جنس ﴿ حرث لكم ﴾ *فأوضح ذلك* . قال الحرالى :

٥ لبقع الخطاب بالإشارة أى فى الآيـة الأولى لأولى الفهم و بالتصريح أى فى هذه لأولى[6] العلم لأن الحرث كما قال بعض العلماء إنما يكون فى موضع الزرع - انتهى . و فى تخصيص الحـرث بالذكر و تعميم

= سائر أحوال الإتيان أكد ذلك بأن نص بما يدل على سائر الكيفيات و بين أيضا المحل بجعله حرثا وهو القبل، و الحرث كما تقدم فى قصة البقرة شق الأرض للزرع ثم سمى الزرع حرثا " اصابت حرث قوم " و سمى الكسب حرثا، قال الشاعر :

إذا أكل الجراد حروث قوم فحرثى همـه أكل الجـراد

قالوا يريد فامرأتى ، و أنشد أحمد بن يحيى :

إنما الأرحام ارضو ن لنا محترثات
فعلينا الزرع فيها و على الله النبات

و هذه الجملة جاء بيانا و توضيحا لقول : " فاتوهن من حيث امركم الله " البحر المحيط ٢/١٧٠ (١٥) العبارة من هنا إلى « لأنه جنس » ليست فى ظ .

(١) فى م : الحارث (٢) من مد ، وقد سقط من م ، و فى الأصل : عن (٣) من م ، و فى الأصل و مد : الفرض (٤) من م و مد ، و فى الأصل : متسميا .
(٥ - ٥) سقطت من ظ (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الاولى .

جميع [١] الكيفيات الموصلة إليه بقوله : ﴿ فأتوا حرثكم ﴾ [٢] أى الموضع الصالح للحراثة [٢] ﴿ انى شئتم [٣] ﴾ [٢] أى من أين و كيف [٢] إشارة إلى تحريم ما سواه لما فيه من العبث بعدم المنفعة . [٢] قال الثعلبى : الأدبار موضع الفرث لا موضع الحرث [٢] .

و لما كانت هذه أمورا خفية لا يحمل على صالحها و تحجر [٤] عن فاسدها إلا محض الورع قال : ﴿ و قدموا [٥] ﴾ [٦] أى أوقعوا التقديم . و لما كان السياق للجماع و هو من شهوات النفس قال مشيرا إلى الزجر عن اتباعها [٧] [كل - [٨]] ما تهوى : ﴿ لانفسكم [٩] ﴾ أى من هذا العمل و غيره [٢] من كل ما يتعلق بالشهوات [٢] ما [٩] إذا عرض على من تهابونه و تعتقدون خيره [١٠] افتخرتم به عنده و ذلك بأن تصرفوا مثلا هذا العمل عن محض الشهوة إلى قصد الإعفاف و طلب الولد الذى يدوم به صالح العمل فيتصل الثواب ، و من التقديم التسمية عند الجماع على ما وردت به السنة و [١١] صرح به الحبر ابن عباس رضى الله تعالى عنهما على

(١) من مد و ظ ، و فى الأصل : جمع (٢ - ٢) ليست فى ظ (٣) أخره فى م عن « و كيف » (٤) فى ظ : محجز (٥) مفعول قدموا محذوف فقيل التقدير ذكر الله عند القربان أو طلب الولد و الأفراط شفعاء - قاله ابن عباس . أو الخير - قاله السدى ، أو قدم صدق - قاله ابن كيسان - البحر المحيط ٢/١٧٢ (٦) العبارة من هنا إلى « ما تهوى » ليست فى ظ (٧) زيد فى م : من (٨) زيد من مد (٩) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : اما (١٠) من م وظ ، و فى مد : غيره ، وفى الأصل : خبره (١١) ليس فى مد و ظ .

ما نقل عنه .

[1]و لما كانت أفعال الإنسان فى [2] الشهوات تقرب [3] من فعل من عنده شك[4] احتيج إلى مزيد وعظ فقال: ﴿ و اتقوا الله[5] ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين ما يكرهه [6]الملك الأعظم[6] من ذلك و غيره وقاية من الحلال أو المشتبه . و زاد سبحانه و تعالى فى الوعظ و التحذير بالتنبيه بطلب العلم و تصوير العرض فقال: ﴿ و اعلموآ انكم ملاقوه ط[7] ﴾ و هو سائلكم عن جميع ما فعلتموه من دقيق و جليل و صالح و غيره [6]فلا تقعوا فيما تستحيون منه إذا سألكم فهو أجلّ من كل جليل[6] . قال الحرالى: و فيه إشعار بما يجرى فى أثناء ذلك من الأحكام التى لا يصل إليها[8] أحكام حكام الدنيا مما لا يقع الفصل فيه إلا فى الآخرة من حيث أن أمر ما بين الزوجين سر لا يفشى، قال عليه الصلاة و السلام: «لا يسأل الرجل فيم[9] ضرب امرأته» و قال: «لا أحب للمرأة أن تشكو زوجها»

(١) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ (٢) فى م: من (٣) من مد، و موضعه بياض فى الأصل و م (٤) فى مد: وعظ (٥) أى اتقوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه و هو تحذير لهم من المخالفة و لأن العظيم الذى تقدم يحتاج إلى أن يقدم معك ما تقدم به عليه مما لا تفتضح به عنده وهو العمل الصالح (٦-٦) ليست فى ظ (٧) الظاهر أن الضمير المجرور فى "ملاقوه" عائد على الله تعالى وتكون على حذف مضاف أى ملاقو جزائه على أفعالكم ... ويجوز أن يعود على الجزاء الدال عليه معمول قدموا المحذوف، و فى ذلك رد على من ينكر البعث والحساب و المعاد سواء عاد على الله تعالى أو على معمول قدموا أو على الجزاء - البحر المحيط ٢ / ١٧٢ (٨) فى ظ: اليه (٩) فى مد: لم .

فأنبأ تعالى أن أمر ما بين الزوجين مؤخر حكمه[1] إلى لقاء الله عز وجل حفيظة على ما بين الزوجين ليبقى سرا لا يظهر أمره إلا الله تعالى ، و فى إشعاره إبقاء للمروة فى أن لا يحتكم الزوجان[2] عند حاكم فى الدنيا و أن يرجع كل واحد منهما إلى تقوى الله و علمه بلقاء الله - انتهى .

و لما كان هذا لا يعقله حق عقله كل أحد / أشار إلى ذلك ٥ /٢٢٨ بالالتفات إلى أكمل الخلق فقال عاطفا على ما تقديره : فأنذر المكذبين فعلا أو قولا ، قوله تعالى : ﴿ و بشر المؤمنين[3] ﴾ أى الذين صار لهم الإيمان وصفا راسخا تهيأوا به للمراقبة ، و هو إشارة إلى أن مثل هذا من باب الأمانات لا يحجز عنه إلا الإخلاص فى الإيمان و التمكن فيه .

و لما أذن فى إتيان النساء فى محل الحرث كيف [ما -[4]] اتفق ١٠ و منع مما سوى ذلك و منع من محل الحرث فى حال الحيض بين حكم ما إذا منع الإنسان نفسه من ذلك بالإيلاء أو بمطلق اليمين و لو على غير سبيل[5] الإيلاء لأنه نقل عن كثير منهم شدة الميل إلى النكاح فكان يخشى المواقعة فى حال المنع فتحمله شدة الورع على أن يمنع نفسه بمانع

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حكمة (٢) فى الأصل : الزوجات ، و التصحيح من م و ظ و مد (٣) أى بحسن العاقبة فى الآخرة ، و فيه تنبيه على وصف الذى به يتقى الله و يقدم الخير و يستحق التبشير و هو الإيمان ، وفى أمره لرسول الله صلى الله عليه و سلم بالتبشير تأنيس عظيم و وعد كريم بالثواب الجزيل ، و لم يأت بضمير الغيبة بل أتى بالظاهر الدال على الوصف و لكونه مع ذلك فصل آية - البحر المحيط ٢/١٧٢ (٤) زيد من ظ (٥) فى م : ذلك .

مظاهرة كما بين فى سورة المجادلة أو[1] غيرها من الأيمان فمنعهم من ذلك [2]بقوله تعالى عادلا عن خطاب نبيه صلى الله عليه و سلم تعظيما لمقامه[2] : ﴿ و لا تجعلوا الله[3] ﴾ أى الذى لا شىء يدانى جلاله و عظمته و كماله ﴿ عرضة ﴾ أى معرضا ﴿ لايمانكم ﴾ فيكون فى موضع ما يمتهن[4] و يبتذل

٥ *فان ذلك إذا طال حمل على الاجتراء[6] على الكذب فجر[7] إلى أقبح

---

(١) فى م : و (٢-٢) فى ظ : فى جملة حالية من واو اعلموا بقوله تعالى (٣) قال ابن عباس : نزلت فى عبد الله بن رواحة و ختنه بشير بن النعمان كان بينهما شىء فحلف عبد الله أن لا يدخل عليه ولا يكلمه و لا يصلح بينه و بين زوجته و جعل يقول: حلفت بالله فلا يحل لى إلا بر يمينى . . . و مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما أمر بتقوى الله تعالى وحذرهم يوم الميعاد نهاهم عن ابتذال اسمه وجعله معرضا لما يحلفون عليه دائما لأن من يتقى و يحذر تحب صيانة اسمه و تنزيهه عما لا يليق به من كونه يذكر فى كل ما يحلف عليه من قليل أو كثير عظيم أو حقير لأن كثرة ذلك توجب عدم الاكتراث بالمحلوف به ، و قد تكون المناسبة بأنه تعالى لما أمر المؤمنين بالتحرز فى أفعالهم السابقة من الخمر و الميسر و إنفاق العفو و أمر اليتامى و نكاح من أشرك وحال وطىء الحائض أمرهم تعالى بالتحرز فى أقوالهم فانتظم بذلك أمرهم بالتحرز فى الأفعال و الأقوال ـ البحر المحيط ٢/١٧٦ .

(٤) فى ظ : يمهن (٥) العبارة من هنا إلى « أقبح الأشياء » سقطت من ظ ، و قد أخرها فى مد مع ما بعدها إلى « صمد غيره » عن « و تصلحوا بين الناس » .

(٦) من م و مد ، و فى الأصل : الاحتوا ـ كذا (٧) من م و مد ، و فى الأصل: بفرا .

الأشياء . قال الحرالى : و العرضة ١ ذكر الشيء و أخذه[٢] على غير قصد له و لا صمد نحوه[٣] بل له صمد غيره ﴿ ان ﴾ أى لأجل أن ﴿ تبروا ﴾ فى أموال اليتامى و غيرها[٤] مما تقدم الأمر به أو النهى عنه ﴿ و تتقوا ﴾ أى تحملكم أيمانكم على البر و هو الاتساع فى كل خلق جميل و التقوى و هى التوغل فى خوف الله سبحانه و تعالى ﴿ و تصلحوا بين الناس[٥] ﴾ ٥ فتجعلوا الأيمان لكم ديدنا فتحلفون تارة أن تفعلوا و تارة أن لا تفعلوا لإلزام أنفسكم [بتلك ـ[٦]] الأشياء فان من لا ينقاد[٧] إلى الخير إلا بقائد من يمين أو غيرها ليس بصادق العزيمة ، و فى الأمثال : فرس لا تجرى[٨] إلا بمهماز بئس الفرس .

و لما أرشد السياق و العطف على غير مذكور إلى أن التقدير : فالله ١٠

---

(١) قال الأندلسى : العرضة فعلة من العرض و هو بمعنى المفعول كالفرقة و القبضة ، يقال : فلان عرضة لكذا ، و المرأة عرضة للنكاح ، أى معرضة له .. .... قال حبيب :

متى كان سمعى عرضة للوائمى و كيف صفت للعاذلين عزائمى

و يقال : جعله عرضة للبلاء ، أى معرضا .... و قيل : هو اسم ما تعرضه دون الشيء ، من عرض العود على الإناء فيعترض دونه و يصير حاجزا و مانعا ، و قيل : أصل العرضة القوة و منه يقال للجمل القوى : هذا عرضة للسفر ، أى قوى عليه ، و للفرس الشديد الجرى : عرضة لارتحالنا ـ البحر المحيط ٢/١٧٤ (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اخذة (٣) فى م : له (٤) فى م : غيره (٥) العبارة من هنا إلى « الأشياء » ليست فى ظ (٦) زيد من م (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الانتقاد (٨) فى مد و ظ : لا يجرى .

جليل عظيم [عطف - ١] عليه قوله: ﴿ والله ﴾ أى بما له من العز والعظمة ﴿ سميع ﴾ لجميع[٢] ما يكون من ذلك وغيره ﴿ عليم[٣] ﴾ بما أسر منه وما أعلن، فاحذروه فى جميع ما يأمركم به و[٤] ينهاكم عنه، ويجوز أن يكون[٥] الجملة حالا من واو "تجعلوا" فلا يكون هناك مقدر ٥ [٦]ويكون الإظهار موضع الإضمار لتعظيم المقام[٦].

ولما تقدم إليهم سبحانه وتعالى فى هذا وكانت ألسنتهم قد مرنت على الأيمان من غير قصد بحيث صاروا لا يقدرون على ترك ذلك إلا برياضة كبيرة ومعالجة[٧] طويلة وكان مما رحم الله به هذه الأمة العفو عما أخطأت به ولم تتعمده قال[٨] فى جواب من كأنه[٩] سأل عن ١٠ ذلك: ﴿ لا يؤاخذكم[١٠] ﴾[١١] أى لا يعاقبكم[١٢]، وحقيقته[١٣] يعاملكم معاملة

(١) زيد من م ومد وظ (٢) من م وظ ومد، وفى الأصل: بجميع (٣) ختم هذه الآية بهاتين الصفتين لأنه تقدم ما يتعلق بهما، فالذى يتعلق بالسمع الحلف لأنه من المسموعات، والذى يتعلق بالعلم هو إرادة البر والتقوى والإصلاح إذ هو شىء محله القلب فهو من المعلومات، فجاءت هاتان الصفتان منتظمتين للعلة والمعلول وجاءتا على ترتيب ما سبق من تقديم السمع على العلم كما قدم الحلف على الإرادة - البحر المحيط ٢/١٧٩ (٤) زيد فى ظ: ما (٥) فى م ومد: تكون، وفى ظ: يكون (٦-٦) سقطت من ظ (٧) من م ومد وظ، وفى الأصل: مصالحة (٨) فى ظ: كان (٩) من م ومد وظ، وفى الأصل: كان (١٠) مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة لأنه تعالى لما نهى عن جعل الله معرضا للأيمان كان ذلك حتما لترك الأيمان وهم يشق عليهم ذلك لأن العادة جرت لهم بالأيمان فذكر أن ما كان منها لغوا فهو لا يؤاخذ به لأنه مما لا يقصد به حقيقة اليمين وإنما هو شىء =

من

من يناظر شخصا فى أن كلا منهما يريد أخذ الآخر بذنب أسلفه إليه ﴿ الله ﴾ فكرر[1] فى الإطلاق و العفو الاسم الأعظم الذى ذكره فى التقييد و المنع إيذانا بأن عظمته لا تمنع من المغفرة ﴿ باللغو ﴾ و هو ما تسبق إليه الألسنة من القول على غير عزم قصد إليه - قاله الحرالى[2] . ﴿ فى ايمانكم ﴾ فان ذلك لا يدل على الامتهان بل ربما دل على المحبة و التعظيم . ٥

و لما بين ما أطلقه بين ما منعه فقال : ﴿ و لكن يؤاخذكم ﴾ و العبارة صالحة للاثم و الكفارة . و لما كان الحامل على اليمين فى الأغلب المنافع الدنيوية التى هى الرزق و كان الكسب يطلق على طلب الرزق و على القصد و الإصابة عبر به فقال : ﴿ بما[3] كسبت ﴾ أى تعمدت ﴿ قلوبكم[4] ﴾

= يجرى على اللسان عند المحاورة من غير قصد، و هذا أحسن مما يفسر به اللغو لأنه تعالى جعل مقابلة ما كسبه القلب و هو ما له فيه اعتماد و قصد - البحر المحيط ٢/١٧٩ .

(١١) العبارة من هنا إلى « اسلفه إليه » ليست فى ظ (١٢) من م و مد، و فى الأصل: يعافيكم (١٣) من م و مد، و فى الأصل : حقيقة .

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: تكرر (٢) و ذكر أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ٢/١٧٥ : اللغو ما يسبق به اللسان من غير قصد - قاله الفراء، و هو مأخوذ من قولهم لما لا يعتد به فى الدية من أولاد الإبل : لغو، و يقال: لغا يلغو لغوا و لغى يلغى لغا، و قال ابن المظفر : تقول العرب : اللغو و اللاغية و اللواغى و اللغوى، و قال ابن الأنبارى: اللغو عند العرب ما يطرح من الكلام استغناء عنه و يقال هو ما لا يفهم لفظه، يقال: لغا الطائر يلغو صوت، و يقال: لغا بالأمر لهج به يلغا، و يقال: اشتق من هذا اللغة (٣) أى باليمين التى للقلب فيها كسب فكل يمين عقدها القلب فهى كسب له و لذلك فسر مجاهد =

فاجتمع فيه مع اللفظ النية . قال الحرالى: فيكون ذلك عزما باطنا و قولا ظاهرا فيؤاخذ[1] باجتماعهما، ففى جملته ترفيع لمن لا يحلف بالله فى عزم و لا لغو، و ذلك هو الذى حفظ حرمة الحلف بالله، و فى مقابلته من يحلف على الخير أن لا يفعله - انتهى . و لم يبين هنا الكفارة صريحا إشارة إلى أنهم ينبغى أن يكونوا أتقى من[2] أن يمنعوا من شىء فيقارفوه، و أشار إليها فى الإيلاء كما يأتى .

و لما كان ذكر المؤاخذة مقطعا لقلوب الخائفين سكنها بقوله مظهرا موضع الإضمار[3] إشارة إلى أن رحمته سبقت [غضبه -[4]]: ﴿ و الله ﴾ أى مع ما له من العظمة ﴿ غفور ﴾ أى ستور لذنوب عباده إذا تابوا.[5] و لما كان السياق للمؤاخذة التى هى معاجلة[6] كل من / المتناظرين لصاحبه بالأخذ كان الحلم أنسب الأشياء لذلك فقال: ﴿ حليم ﴾[7] /٢٢٩

= الكسب بالعقد كآية المائدة " بما عقدتم الايمان " و قال ابن عباس و النخعى: هو أن يحلف كاذبا أو على باطل و هى الغموس - البحر المحيط ٢/١٨٠ .

(١) فى ظ فيؤخذ (٢) فى م: عن (٣) العبارة من هنا إلى « سبقت » ساقطة من ظ (٤) زيد من م و مد (٥) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٦) من م و مد، و فى الأصل: معالجة (٧) جاءت هاتان الصفتان تدلان على توسعة الله على عباده حيث لم يؤاخذهم باللغو فى الأيمان ، و فى تعقيب الآية بهما إشعار بالغفران و الحلم عن من أوعده تعالى بالمؤاخذة و إطماع فى سعة رحمته لأن من وصف نفسه بكثرة الغفران و الصفح مطموع فى ما وصف به نفسه ، فهذا الوعيد الذى ذكره تعالى مقيد بالمشيئة كسائر وعيده تعالى - البحر المحيط ٢/١٨٠ .

لا يعاجلهم بالأخذ ، و الحلم احتمال[1] الأعلى الاذى[2] من الأدنى ، و هو أيضا رفع المؤاخذة عن مستحقها بجناية[3] فى حق مستعظم - قاله الحرالى[4].

و لما كان الإيلاء حلفا مقيدا و بين حكم مطلق اليمين قبله لتقدم المطلق على المقيد بانفكاكه عنه بينه دليلا على حلمه[5] [6] حيث لم يؤاخذهم به فقد كانوا يضارون به النساء[7] فى الجاهلية بأن يحلفوا على عدم الوطء أبدا فتكون المرأة [8]لا أيما[8] و لا ذات بعل و جعل لهم فيه مرجعا يرجعون إليه فقال فى جواب من كأنه سأل عنه لما أشعر به ما تقدم : ﴿ للذين يؤلون[9] ﴾ أى يحلفون حلفا مبتدئا ﴿من نسآئهم﴾ فى صلب النكاح أو علقة الرجعة بما أفادته الإضافة بأن لا يجامعوهن أبدا أو فوق

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الاحتمال (٢) من مد و ظ ، و فى الأصل و م: الادنى (٣) ليس فى مد (٤) و قال الأندلسى فى البحر المحيط ٢ / ١٧٠ : الحليم الصفوح عن الذنب مع القدرة على المؤاخذة به ، يقال: حلم الرجل يحلم حلما و هو حليم ... و يقال: حلم الأديم يحلم حلما إذا تنقب و فسد ؛ قال :

فانك والكتاب إلى على كدابغه و قد حلم الأديم

(٥) فى م : حكمه (٦) العبارة من هنا إلى « يرجعون إليه » ليست فى ظ (٧) ليس فى م (٨-٨) فى م : لايما - كذا (٩) قال ابن المسيب: كان الإيلاء ضرار أهل الجاهلية ، كان الرجل لا يترك المرأة و لا يحب أن يتزوجها غيره فيحلف أن لا يقربها فيتركها لا أيما و لا ذات زوج فأنزل الله هذه الآية ، وقال ابن عباس: كان إيلاء أهل الجاهلية السنة والسنتين و أكثر فوقت الله ذلك ؛ و مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة لأنه تقدم شيء من أحكام النساء و شيء من أحكام الأيمان و هذه الآية جمعت بين الشيئين - البحر المحيط ٢/١٨٠ .

أربعه أشهر فالتعدية[١] بمن تدل على أخذ فى البعد عنهن[٢]. قال الحرالى: و الإيلاء تأكيد الحلف و٣ تشديده [٤]سواء كانوا أحرارا أو عبيدا أو بعضا و بعضا فى حال الرضى أو الغضب محبوبا كان أو لا لأن المضارة حاصلة بيمينه[٤] ﴿تربص[٥]﴾ أى إمهال و تمكث يتحمل فيه الصبر الذى هو مقلوب لفظه[٦] - انتهى . ﴿اربعة اشهر ح﴾ ينتظر فيها رجوعهم إليهن[٧] حلما من الله سبحانه و تعالى حيث لم يجعل الأمر [٨]بتا حين[٨] الحلف بفراق[٩] أو وفاق[١٠] . قال الحرالى: و لما كان لتخلص المرأة من الزوج

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تحديد (٢) العبارة من هنا إلى «و تشديده» مقدمة فى الأصل و مد على «حلفا مبتدئا» و قد ثبتت هنا فى ظ و م (٣) ليس فى ظ (٤ - ٤) ليست فى ظ، و قد قدمها فى م على «حلفا مبتدئا» (٥) و ظاهر هذا أن ابتداء أجل الإيلاء من وقت حلف لا من وقت المخاصمة و الرفع إلى الحاكم، قيل: و حكمه ضرب أربعة أشهر لأنه غالب ما تصبر المرأة فيها عن الزوج و قصة عمر مشهورة فى سماع المرأة تنشد بالليل:

ألا طال هذا الليل و اسود جانبه و أرقنى أن لا حبيب ألاعبه

و سؤاله: كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقيل له: لا تصبر أكثر من أربعة أشهر، فجعل ذلك أمدا لكل سرية يبعثها - البحر المحيط ٢/١٨٢ (٦) التربص الترقب و الانتظار، مصدر تربص و هو مقلوب التصبر قال:

تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوما أو يموت حليلها

(٧) من م و ظ، و فى الأصل و مد: اليمين (٨ - ٨) من مد و ظ، و فى الأصل و م: بتاخير (٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: بفواق (١٠) فى م: وفاة - كذا.

أجل عدة كان أجلها مع أمد هذا التربص كأنه - و الله سبحانه و تعالى أعلم - هو القدر الذى تصبر المرأة عن زوجها[١] ، يذكر أن عمر رضى الله تعالى عنه سأل النساء عن قدر ما تصبر المرأة عن الزوج ، فأخبرنه[٢] أنها تصبر ستة أشهر ، فجعل ذلك أمد البعوث[٣] فكان التربص و العدة قدر ما تصبره[٤] المرأة عن زوجها ، و قطع سبحانه و تعالى بذلك ضرار الجاهلية فى الإيلاء إلى غير حد - انتهى و فيه تصرف .

و لما كان حالهم بعد ذلك مرددا بين تعالى قسميه فقال "مفصلا له" ﴿ فان فآءو ﴾ أى رجعوا فى الأشهر ، [٦]و أعقبها[٦] عن المفاصلة إلى المواصلة ، من الفىء[٧] و هو الرجوع إلى ما كان منه الانبعاث ﴿ فان الله ﴾ يغفرلهم ما قارفوه[٨] فى ذلك من إثم و يرحمهم[٩] بانجاح مقاصدهم لأنه ﴿ غفور[١٠] رحيم ﴾ له هاتان الصفتان ينظر بهما إلى من

(١) ليس فى م (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فأخبر به (٣) فى م فقط : المبعوث (٤) فى م : تصبر (٥-٥) ليس فى ظ (٦-٦) ليست فى ظ . و فى م : عقبها ، و فى مد : او عقبها (٧) فاء يفىء فيئا و فيأة رجع ، و سمى الظل بعد الزوال فيئا لأنه رجع عن جانب المشرق إلى المغرب ، و هو سريع الفيأة أى الرجوع ، قال علقمة :

فقلت لها فيئى فما تستنفرين ذوات العيون و البنان المخضب

(٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فارقوه (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : رحمهم (١٠) استدل بهذا من قال أنه إذا فاء المولى و وطىء فلا كفارة عليه فى يمينه ، و إلى هذا ذهب الحسن و إبراهيم ؛ و ذهب الجمهور مالك و أبو حنيفة و الشافعى و أصحابهم إلى إيجاب كفارة اليمين على المولى بجماع =

يستحقهما[1] فيغفر ما فى ذلك من جناية منهما أو من أحدهما إن شاء و يعامل بعد ذلك بالإكرام . قال الحرالى: و فى مورد هذا الخطاب باسناده للأزواج ما يظافر معنى إجراء[2] أمور النكاح على سترة[3] و إعراض عن حكم الحكام من حيث جعل التربص له و الفىء منه ، فكأن الحكم من الحاكم إنما يقع على من هتك حرمة ستر أحكام الأزواج التى يجب أن تجرى بين الزوجين من وراء ستر كما هو سر النكاح الذى هو سبب جمعهما ليكون حكم السر سرا و حكم الجهر جهرا - انتهى .

و لما كان الحال فى مدة الإيلاء شبيها بحال الطلاق و ليس به [4]قال مبينا أن الطلاق لا يقع بمجرد مضى الأربعة الأشهر[5] بل إما[6] أن يفىء أو يطلق فان أبى طلق عليه الحاكم[7]: ﴿ و ان عزموا الطلاق ﴾ فأوقع عليه العزم من غير حرف جر بمعنى أنهم تركوا ما كانوا فيه من الذبذبة و جعلوا الطلاق عزيمة واقعا من غير مجمجة[8] و لا ستر ،

= امرأته ، فيكون الغفران هنا إشعار باسقاط الإثم بفعل الكفارة ، و هو قول على و ابن عباس و ابن المسيب إنه غفران الإثم و عليه كفارة - البحر المحيط ٢/١٨٣ .

(١) من م ومد وظ . و فى الأصل : يستحقها (٢) فى مد: اجزاء (٣) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : ستره (٤) العبارة من هنا إلى « عليه الحاكم » ليست فى ظ . (٥) فى م : اشهر (٦) من مد . و فى الأصل : انما (٧) العبارة من « بل إما » إلى هنا ليست فى م (٨) فى م : مجمحة ، و فى مد : مجمجة .

و العزم الإجماع على إنفاذ الفعل ، و الطلاق[1] هو فى المعنى بمنزلة إطلاق الشيء من اليد الذى يمكن أخذه بعد إطلاقه ـ قاله الحرالى .

و لما كان المطلق ربما ندم فحمله العشق على إنكار الطلاق رهبه بقوله : ﴿ فان الله ﴾ [2] أى الملك الذى له الجلال و الإكرام [2] ﴿ سميع ﴾ أى [3] لعبارتهم عنه [3] . قال الحرالى : فى إشارته إعلام[4] بأن الطلاق لا بد له من ظاهر[5] لفظ يقع مسموعا - انتهى . ﴿ عليم [5] ﴾ أى به و بنيتهم[6] فيه[7] . قال الحرالى[8] : و فيه تهديد بما يقع فى الأنفس و البواطن من المضارة[9] و المضاجرة[10] بين الأزواج فى أمور لا تأخذها الأحكام و لا يمكن أن يصل إلى علمها الحكام فجعلهم أمناء على أنفسهم فيما بطن و ظهر ، و لذلك رأى العلماء أن الطلاق أمانة / فى أيدى الرجال كما أن ١٠ / ٢٣٠

(١) الطلاق انحلال عقد النكاح ، يقال منه : طلقت تطلق فهى طالق و طالقة ؛ قال الأعشى :

أيا جارتا بينى فانك طالقه

و يقال : طلقت ـ بضم اللام ، حكاه أحمد بن يحيى و أنكره الأخفش ـ البحر المحيط ٢/١٧٥ (٢ - ٢) ليست فى ظ (٣ - ٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لعبادتهم منه (٤) فى ظ : اعلامها (٥) فى م : ظاجر ـ كذا (٦) فى م : منيتهم . (٧) ليس فى مد (٨) جاء " سميع " باعتبار إيقاع الطلاق لأنه من المسموعات و هو جواب الشرط " عليم " باعتبار العزم على الطلاق لأنه من باب النيات و هو شرط ، و لا تدرك النيات إلا بالعلم ، و تأخر هذا الوصف لمؤاخاة رؤوس الآى و لأن العلم أعم من السمع ـ قاله الأندلسى فى النهر الماد من البحر ٢ / ١٨٣ (٩) فى ظ : المضادة (١٠) كذا فى الأصول : و بهامش م : لعله المشاجرة .

العدد و الاستبراء أمانـــة فى أيدى النساء ، فلذلك انتظمت آية تربص المرأة فى عدتها بآية تربص الزوج فى إيلائه - انتهى . و بقى من أحكام[1] الإيلاء قسم ثالث ترك التصريح به إشارة إلى أنهم ينبغى أن يكونوا فى غاية النزاهة عنه و هو الإصرار[2] على الإضرار ، و أشار بصفتى المغفرة و الرحمة لفاعل ضده إلى أن[3] مرتكبه يعامل بضدهما مما[4] حكمه معروف فى الفقه و الله [الموفق .

و لما ختم آيتى الإيلاء بالطلاق بين عدته فقال : - و قال الحرالى : لما ذكر تربص الزوج -[5]][6] سبحانه و تعالى[6] فى أمر الطلاق الذى هو أمانته ذكر تربص المرأة فى أمر العـــدة التى هى أمانتهـا ؛ انتهى[7] - فقال : ﴿ و المطلقت[8] ﴾ أى المدخول بهن بما أفهمه الإيلاء من أن الكلام فيهن[9] غير الحوامل لأن عدتهن بالولادة و غير ذوات الأشهر لصغر[10]

(١) فى ظ : اقسام (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اضرار (٣) فى مد : من (٤) فى ظ : ما (٥) زيد من م و مد و ظ (٦-٦) ليس فى م و مد و ظ .
(٧) ليس فى مد (٨) و مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة جدا لأنه حكم غالب من أحكام النســاء لأن الطلاق يحصل به المنع من الوطىء و الاستمتاع دائما و بالإيلاء منع نفســه من الوطىء مدة محصورة فناسب ذكر غير المحصور بعد ذكر المحصور و مشروع تربص المولى أربعـة أشهر و مشروع تربص هؤلاء ثلاثـة قروء فناسب ذكرها بعقبهـا ، و ظاهر " و المطلقات " العموم و لكنه مخصوص بالمدخول بهن ذوات الأقراء لأن حكم غير المدخول بها و الحامل و الآيسة منصوص عليه مخالف لحكم هؤلاء - البحر المحيط ٢ / ١٨٤
(٩) العبارة من هنا إلى « أو كبر » ليست فى ظ (١٠) فى الأصل : تصغر ، و التصحيح من م و مد .

أو

أو كبر . و لما أريد التأكيد لأمرهن بالعدة سبق[1] بعد تأكيده ببنائه على المبتدأ[2] فى صيغة الخبر الذى من شأنه أن يكون قد وجد و انقضى [3] إيماء إلى المسارعـــة إلى امتثاله[3] فقيل : ﴿ يتربصن ﴾ أى [4]ينتظرن اعتدادا[4] .

٣ و لما كانت النفس داعية إلى الشهوات لاسيما أنفس النساء إلى الرجال[3] و[5] كان التربص عاما فى النفس بالعقد لزوج آخر و فى التعرض له باكتحال و تزين و تعريض بكلام مع البينونة و بغير ذلك خص الأول معبرا[6] لها[6] [7]بالنفس هـذا[7] إلى الاحتياط فى كمال[8] التربص و الاستحياء مما يوهم[9] الاستعجال[10] فقال : ﴿بانفسهن﴾ فلا يطمعنهـا فى مواصلة رجل قبل انقضاء العدة . ٥ ١٠

١١ و لما كان القرء مشتركا بين الطهر و الحيض و كان الأقراء مشتركا بين جمع كل منهما و كان الطهر مختصا عند جمع من أهل اللغة بأن يجمع على قروء كان[12] مذكرا يؤنث عدده و كانت الحيضة مؤنثة[13] يذكر[14]

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : سبق (٢) العبارة من « بعد تأكيـده » إلى هنـا ليست فى ظ (٣-٣) ليست فى ظ (٤-٤) فى م : ينتظرون اعتداد . (٥) ليس فى م و مد (٦) من م ومد ، و فى الأصل : معبر (٧-٧) من م ومد ، و فى الأصل : لنفس هذا (٨) فى مد : اكمال (٩) فى م : يوجب (١٠) العبارة من « معبرا » إلى هنا ليست فى ظ (١١) العبارة من هنا إلى « ظرف التربص » ليست فى ظ (١٢) من م و مد ، و فى الأصل : و كلهـا (١٣) فى م و مد : مؤنثه (١٤) فى الأصل : مذكر ، و فى م و مد : بذكر .

عددها دل[١] على أن المراد الأظهار بما يخصه من الجمع و بتأنيث[٢] عدده فقال ذاكرا ظرف التربص : ﴿ ثلاثة قروء[ط ٣] ﴾ أى جموع من الدم و سيأتى فى أول سورة[٤] الحجر أن[٤] هذه لمادة بأى ترتيب كان تدور[٥] على الجمع و أن المراد بالقروء[٦] الأطهار لأنها زمن جمع الدم حقيقة ، و أما زمن الحيض فانما[٧] يسمى بذلك لأنه سبب تحقق الجمع . و المشهور من كلام أهل اللغة أن جمع القرء[٨] بمعنى الطهر أقراء و قروء ، و أن جمعه إذا أطلق على الحيض أقراء فقط ؛ و ذلك لأن المادة لما كانت للجمع كانت أيام الطهر هى المتحققة بذلك و كان جمع الكثرة أعرف[٩]

(١) زيد فى الأصل : عليه ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .
(٢) فى م و مد : تانيث (٣) القرء أصله فى اللغة الوقت المعتاد تردده ، و قرء النجم وقت طلوعه و وقت غروبه ، و يقال منه : أقرأ النجم أى طلع أو غرب ، و قرء المرأة حيضها أو طهرها ، فهو من الأضداد ـ قاله أبو عمرو و يونس و أبو عبيد ، و يقال منهما : أقرأت المرأة ، و قال أبو عمرو : من العرب من يسمى الحيض مع الطهر قرءا ، و قال بعضهم : القرء ما بين الحيضتين ، و قال الأخفش : أقرأت صارت صاحبة حيض ، فاذا حاضت قلت : قرت بغير ألف ، و قيل : القرء أصله الجمع ، من قولهم : قرأت الماء فى الحوض ـ جمعته ، و منه : ما أقرأت هذه الناقة سلا قط ، أى ما جمعت فى بطنها جنينا ، فاذا أريد به الحيض فهو اجتماع الدم فى الرحم أو الطهر فهو اجتماع الدم فى البدن ـ البحر المحيط ٢/١٧٥ (٤-٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الحجرات (٥) فى ظ : يدور .
(٦) فى م و مد و ظ : بالقرء (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فانهما .
(٨) من م و مد ، و فى الأصل : القرؤ ، و فى ظ : القراء (٩) فى مد : أعرق

فى الجمع كان بالطهر أولى . و قال الحرالى : قروء جمع قرء و هو الحد الفاصل بين الطهر و الحيض الذى يقبل الإضافة إلى كل واحد منهما ، و لذلك[1] ما تعارضت فى تفسير لغته تفاسير اللغويين و اختلف فى معناه أقوال العلماء لخفاء معناه بما هو حد بين الحالين كالحد الفاصل بين الظل و الشمس فالقروء الحدود ، و ذلك حين تطلق المرأة لقبل[2] عدتها فى طهر[2] لم تمس[3] فيه ليطلقها على ظهور براءة من علقتها[4] لئلا يطلق ما لم تنطلق[5] عنه ، فاذا انتهى الطهر و ابتدأ الحيض كان ما بينهما[6] قرءا لأن القرء استكمال جمع الحيض حين يتعفن فما[7] لم ينته إلى الخروج لم يتم قرءا ، فاذا طهرت الطهر الثانى و انتهى إلى الحيض كانا قرءين ، فاذا طهرت الطهر الثالث و انتهى إلى الحيض شاهد كمال القرء[8] كان ثلاثة أقراء ، فلذلك يعرب معناه عن حل المرأة عند رؤيتها الدم من الحيضة الثالثة لتمام عدة الأقراء الثلاثة[9] ، فيوافق معنى من يفسر القرء بالطهر و يكون أقرب من تفسيره بالحيض فأمد الطهر ظاهرا[10] هو أمد الاستقراء للدم باطنا فيبعد[11] تفسيره بالحيض عما هو تحقيقه من معنى الحد بعدا ما - انتهى .

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كذلك (٢-٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : علتها لطهر (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لم يمشى (٤) فى ظ : علقتها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لم ينطلق (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بينها (٧) فى ظ : فلما (٨) زيد بعده فى الأصل « و » ولم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الثالثة (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : طاهرا - كذا بالطاء (١١) فى م : فيعد .

و لما كان النكاح أشهى ما إلى الحيوان و كان حبك للشيء يعمى و يصم و كان النساء أرغب فى ذلك مع ما بهن من النقص فى العقل و الدين فكان ذلك ربما حملهن على كتم ولد لإرادة زوج آخر [١] تقصيرا للعدة و إلحاقا للولد به [١] ، أو حيض لرغبة [٢] فى رجعة المطلق قال سبحانه و تعالى : ﴿ و لا يحل [٣] لهن ﴾ أى المطلقات ﴿ أن يكتمن ما خلق الله ﴾ / أى [١] الذى له الأمر كله [١] من ولد أو [٤] دم ﴿ فى ارحامهن ﴾ جمع رحم . قال الحرالى : و هو ما يشتمل على الولد من أعضاء التناسل [٥] يكون فيه تخلقه من كونه نطفة إلى كونه خلقا آخر - انتهى . و ليس فيه دليل على أن الحمل يعلم ، إنما تعلم أماراته .

/٢٣١

و لما كان معنى هذا الإخبار النهى ليكون نافيا للحل [٦] بلفظه مثبتا للحرمة بمعناه تأكيدا له فكان التقدير : و لا يكتمن ، قال [٧] مرغبا

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى م : رغبة (٣) المنهى عن كتمانه الحيض تقول لست حائضا و هى حائض أو حضت و ما حاضت لتطويل العدة أو استعجال الفرقة ، قال عكرمة و النخعى و الزهرى : أو الحبل - قاله عمر و ابن عباس ، أو الحيض و الحبل معا - قاله ابن عمر و مجاهد و الضحاك و ابن زيد و الربيع ، و لهن فى كتم ذلك مقاصد فأخبر الله تعالى أن كتم ذلك حرام ؛ و دل قوله : " و لا يحل لهن ان يكتمن " أنهن مؤتمنات على ذلك ، و لو أبيح الاستقصاء لم يمكن الكتم - البحر المحيط ٢/١٨٧ (٤-٤) فى مد : وكذا و (٥) فى الأصل : التناقل ، و التصحيح من م و مد و ظ ، غير أن فى م زيادة « بل » بعده (٦) فى مد : للحد (٧) العبارة من هنا إلى « ضده » ليست فى ظ .

فى

فى الامتثال مرهبا من ١ ضده: ﴿ ان ٢ كن يؤمن بالله ﴾ أى الذى له ٣ جميع العظمة ﴿ و اليوم الأخر ط ﴾ الذى ٤ تظهر فيه ٤ عظمته أتم ظهور و يدين فيه العباد ٥ بما فعلوا ، أى ٦ فان كتمن شيئا من ذلك دل على عدم الإيمان . و قال الحرالى : فى إشعاره إثبات نوع نفاق على الكاتمة ٧ ما فى رحمها ؛ انتهى - ٨ و فيه تصرف ٨ . ٥

و لما كان الرجعى أخف الطلاق بين الرجعة تنبيها ٣ على أنه إن كان و لا بد من الطلاق فليكن رجعيا فقال تعالى : ﴿ و بعولتهن ﴾ أى أزواجهن ، جمع بعل . قال الحرالى ٩ : و هو الرجل المتهيء لنكاح ٣ الأنثى ١٠ المتأتى ١١ له ذلك ، يقال على الزوج و السيد - انتهى . و لما كان

(١) من م و مد ، و فى الأصل : فى (٢) و المعنى أن من اتصف بالإيمان لا يقدم على ارتكاب ما لا يحل له ، و علق ذلك على هذا الشرط و إن كان الإيمان حاصلا لهن إيعادا و تعظيما للكتم ، و هذا كقولهم : إن كنت مؤمنا فلا تظلم ، و إن كنت حرا فانتصر ، يجعل ما كان موجودا كالمعدوم و يعلق عليه و إن كان موجودا فى نفس الأمر ... و قيل : فى الكلام محذوف أى إن كن يؤمن بالله و اليوم الآخر حق الإيمان - البحر المحيط ٢/١٨٧ (٣) ليس فى م (٤-٤) فى م و مد و ظ : فيه تظهر (٥) فى الأصل : العبادة ، والتصحيح من بقية الأصول .
(٦) فى م : الى (٧) فى الأصل : المكاتمة ، و التصحيح من النسخ الباقية .
(٨-٨) ليست فى ظ (٩) و قال الأندلسى : البعل الزوج ، يقال منه : بعل يبعل بعولة ، أى صار بعلا ، وباعل الرجل امرأته إذا جامعها ، و هى تباعله إذا فعلت ذلك معه ، و امرأة حسنة التبعيل إذا كانت تحسن عشرة زوجها ، والبعل أيضا الملك و به سمى الصنم لأنه المكتفى بنفسه و منه بعل النحل - البحر المحيط ٢/١٧٥ .
(١٠) فى م : للانثى (١١) فى الأصل : المتانى ، و التصحيح من م و مد و ظ .

للمطلقة حق فى نفسها قال : ﴿ احق بردهن ﴾ أى إلى ما كان لهم عليهن من العصمة [١] لإبطال التربص فله [٢] حرمة الاستمتاع من المطلقات بارادة السراح ﴿ فى ذلك ﴾ أى فى أيام الأقراء فاذا انقضت صارت أحق بنفسها منه [٣] بها لانقضاء حقه و الكلام فى الرجعية [٤] بدليل الآية التى بعدها [٥] .

و لما أثبت الحق لهم و كان منهم من يقصد الضرر قيده بقوله : ﴿ ان ارادوآ ﴾ أى بالرجعة ﴿ اصلاحا ﴾ و هذا تنبيه على أنه [إن - [٦]] لم يرد الإصلاح [٧] و أرادت هى [٧] السراح كان فى باطن الأمر زانيا . قال الحرالى : الإصلاح لخلل ما بينهما أحق فى علم الله و حكمته من افتتاح وصلة ثانية لأن تذكر الماضى يخل بالحاضر ، مما حذر النبى صلى الله عليه و سلم عنه [٨] نكاح اللفوت و هى التى لها ولد من زوج سابق ، فلذلك كان الأحق إصلاح الأول دون استفتاح وصلة لثان [٩] - انتهى [١٠] .

---

(١) العبارة من هنا إلى « لانقضاء حقه » ليست فى ظ (٢) ليس فى م ، و فى مد : و (٣) فى م : منع (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الرجعة (٥) زيد فى ظ : فى ذلك أى فى أيام الاقراء و أرادت هى السراح (٦) زيد من م و مد و ظ . (٧-٧) موضعها فى ظ : من المطلقات بارادة (٨) من مد و ظ ، و ليس فى م ، و فى الأصل : عند (٩) فى م : الثانى (١٠) قال الماوردى : فى الإصلاح المشار إليه وجهان : أحدهما إصلاح ما بينهما من الفساد بالطلاق ، الثانى القيام لما لكل واحد منهما على صاحبه من الحق - انتهى كلامه ، قالوا : و يستغنى الزوج فى المراجعة عن الولى و عن رضاها و عن تسمية مهر و عن الإشهاد على الرجعة على الصحيح ، و يسقط بالرجعة بقية العدة و يحل جماعها فى الحال - البحر المحيط ٢/١٨٩ .

و لما اخرج أمر الرجعة عنهن جبرهن بقوله: ﴿ و لهن[1] ﴾ أى من الحقوق ﴿ مثل الذى عليهن ﴾ أى[1] فى كونه حسنة فى نفسه على ما يليق بملك[3] منهما لا فى النوع[4]، فكما للرجال الرجعة قهرا فلهن[5] العشرة بالجميل[6]، و كما لهم حبسهن فلهن ما يزيل الوحشة بمن يؤنس و نحو ذلك . و لما كان كل منهما قد يجور[7] على صاحبه قال: ﴿ بالمعروف ص ﴾ ٥ أى من حال كل[8] منهما . قال الحرالى: و المعروف ما أقره الشرع و قبله العقل و وافقه كرم الطبع - انتهى

و لما ذكر الرجعة له بصيغة الأحق و بين الحق من الجانبين بين فضل الرجال بقوله: ﴿ و للرجال[9] ﴾ [10]أعم من أن يكونوا بعولة[10]

---

(١) هذا من بديع الكلام إذ حذف شيئا من الأول أثبت نظيره فى الآخر و أثبت شيئا فى الأول حذف نظيره فى الآخر ، و أصل التركيب : و لهن على أزواجهن مثل الذى لأزواجهن عليهن ، فحذفت على أزواجهن لإثبات 'عليهن' و حذف لأزواجهن لإثبات 'لهن' ؛ و اختلف فى هذه المثلية فقيل : المماثلة فى الموافقة و الطواعية - و ذكرت أقوال أخر من أراد الاطلاع عليها فليراجع البحر المحيط ٢/١٨٩ (٢) ليس فى م (٣) فى م : بكل (٤) العبارة من « فى كونه » إلى هنا ساقطة من ظ ، و زيد بعدها فى م : اى (٥) فى مد : فعليهن (٦) فى ظ : بالحمل - كذا ، و فى مد : بالجميل (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يجوز . (٨) قدمه فى الأصل على « حال » (٩) و قال ابن عباس : تلك الدرجة إشارة إلى حض الرجال على حسن العشرة و التوسع للنساء فى المال و الخلق أى أن الأفضل ينبغى أن يتحامل على نفسه - انتهى . و الذى يظهر أن الدرجة هى ما تريده النساء من البر و الإكرام و الطواعية و التبجيل فى حق الرجال و ذلك أنه لما قدم أن على كل واحد من الزوجين للاخر مثل ما للآخر عليه اقتضى ذلك المماثلة فبين أنهما و إن تماثلا فى ما على كل واحد منهما للآخر فعليهن مزيد =

﴿ عليهن ﴾ أى أزواجهم ﴿ درجة ط ﴾ أى فضل من جهات لا يخفى[١] [٢] كالإنفاق و المهر[٢] لأن الدرجة المرقى إلى العلو . و قال الحرالى : لما أوثروا به من رصانة[٣] العقل و تمام الدين - انتهى . فالرجل يزيد على المرأة بدرجة من ثلاث لأن كل امرأتين بمنزلة رجل .

٥ و لما أعز سبحانه و تعالى الرجل وصف[٤] نفسه بالعزة مبتدئا بالاسم الأعظم الدال على كل كمال فقال [عطفا على ما تقديره : لأن الله أعزهم عليهن بحكمته -[٥]] : ﴿ و الله ﴾ [٢] أى الذى له كمال العظمة[٢] ﴿ عزيز[٦] ﴾ إشارة إلى أنه[٧] أعز[٨] بل لا عزيز إلا هو ليخشى كل من أعاره[٩] ثوب عزة سطوته ؛ و قال : ﴿ حكيم ۝ ﴾ تنبيها على أنه ما فعل ذلك إلا لحكمة

= إكرام و تعظيم لرجالهن و أشار إلى العلة فى ذلك و هو كونه رجلا يقالب الشدائد و الأهوال و يسعى دائما فى مصالح زوجته و يكفيها تعب الاكتساب فبإزاء ذلك صار عليهن درجة للرجل فى مبالغة الطواعية وفيما يفضى إلى الاستراحة عندها - البحر المحيط ١ / ١٩٠ (١٠ - ١٠) ليست فى ظ .

(١) فى مد و ظ : لا تخفى (٢ - ٢) ليست فى ظ (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : رضاية - كذا (٤) فى م : وصفه - كذا (٥) زيد ما بين الحاجزين من م و مد و ظ (٦) ختم الآية بها لأنه تضمنت الآية ما معناه الأمر فى قوله : "يتربصن" و النهى فى قوله : "و لا يحل لهن" و الجواز فى قوله : "و بعولتهن احق" و الوجوب فى قوله : "و لهن مثل الذى عليهن" ناسب وصفه تعالى بالعزة و هو القهر و الغلبة و هى تناسب التكليف ، و ناسب وصفه بالحكمة و هى إتقان الأشياء و وضعها على ما ينبغى و هى تناسب التكليف أيضا - قاله الأندلسى فى البحر المحيط ٢/١٩١ (٧) فى الأصل : آية ، و التصحيح من بقية الأصول (٨) فى م : عزّ (٩) من م ، و فى الأصل : اعاده ، و فى مد : اعازه .

بالغة

بالغة تسلية[1] للنساء و إن ما أوجده بعزته و أتقنه[2] بحكمته لا يمكن نقضه .
و لما ذكر الرجعة[3] و لم يبين لها غاية تنتهى[4] بها فكانت الآية كالمجمل[5]
عرض سؤال : هل هى ممتدة[6] كما كانوا يفعلون فى الجاهلية متى راجعها
فى العدة له أن يطلقها ما دام يفعل ذلك و لو ألف مرة أو[7] منقطعة ؟
فقال : ﴿ الطلاق ﴾ أى المحدث عنه و هو الذى تملك فيه الرجعة . ٥
قال الحرالى : لما كان الطلاق لما يتهيأ رده قصره الحق تعالى على المرتين
اللتين يمكن فيهما تلافى النكاح بالرجعة - انتهى . و قال[8] تعالى :
﴿ مرتٰن ص[9] ﴾ دون طلقتان [تنبيها -[10]] على / أنه ينبغى أن تكون[11] ٢٣٢ /
[12]مرة بعد مرة[12] كل طلقة[13] فى مرة لا أن يجمعهما فى مرة .

(١) زيد فى الأصل : عنه و هو ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها .
(٢) فى الأصل : انفقه ، و التصحيح من م و مد و ظ (٣) العبارة من هنا إلى « كالمجمل » ليست فى ظ (٤) من م و مد ، و فى الأصل : تنتهن (٥) من م و مد ، و فى الأصل : كالجمل (٦) العبارة من هنا إلى « ألف مرة » ليست فى ظ (٧) فى م و مد و ظ : ام (٨) فى ظ : فقال (٩) ﴿ الطلاق مرتٰن ﴾ و مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة و هو أنه لما تضمنت الآية قبلها الطلاق الرجعى و كانوا يطلقون و يراجعون من غير حد و لا عدد بين فى هذه الآية "مرتٰن" فحصر الطلاق الرجعى فى أنه مرتان أى يملك المراجعة إذا طلقها ثم يملكها إذا طلق ثم إذا طلق ثالثة لا يملكها ، و هو على حذف مضاف أى عدد الطلاق الذى يملك فيه الرجعة مرتان و الثالثة لا يملك فيها الرجعة ، فعلى هذا الألف و اللام فى الطلاق للعهد فى الطلاق السابق و هو الذى تثبت معه الرجعة و به قال عروة و قتادة - البحر المحيط ٢ / ١٩١ (١٠) زيد من م و ظ و مد (١١) فى ظ و مد : يكون .
(١٢-١٢) ليس فى ظ (١٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : طلاقه .

و لما كان له بعد الثانية فى العدة [حالان إعمال و إهمال و كان الإعمال إما بالرجعة و إما بالطلاق بدأ بالإعمال لأنه الأولى بالبيان - ١] لأنه أقرب ٢ إلى أن يؤذى به و أخر الإهمال إلى أن تنقضى العدة لأنه مع فهمه من آية الأقراء ٣ سيصرح به فى قوله فى الآية الآتية " او سرحوهن بمعروف " فقال معقبا بالفاء ٣ ﴿ فامساك ﴾ أى إن راجعها فى عدة الثانية . قال الحرالى ٤ : هو من المسك ٥ و هو إحاطة تحبس الشىء ، و منه المسك - بالفتح - للجلد ﴿ بمعروف ﴾ [قال الحرالى - ٦] فصرفهم بذلك عن ضرار الجاهلية الذى كانوا عليه بتكرير الطلاق إلى غير حد فجعل له حدا يقطع قصد الضرار - انتهى . ﴿ او تسريح ﴾ أى إن طلقها الثالثة ، ٧ و لا يملك بعد هذا التسريح عليها الرجعة لما كان عليه حال أهل الجاهلية ٧ . قال الحرالى : سمى ٨ الثالثة ٩ تسريحا لأنه إرسال لغير معنى الأخذ كتسريح الشىء الذى لا يراد إزجاعه . و قال أيضا ١٠ : هو إطلاق الشىء على وجه لا يتهيأ للعود ، فمن أرسل البازى

(١) زيد ما بين المربعين من م و ظ و مد (٢) فى م : الاقرب (٣-٣) ليست فى م (٤) و قال الأندلسى : الإمساك للشىء حبسه و منه اسمان مسك و مساك ، يقال إنه لذو مسك و ميساك إذا كان بخيلا ، و فيه مسكة من خير أى قوة و تماسك و مسيك بين المساكة - البحر المحيط ٢/١٧٦ (٥) فى ظ : بالتحريك . (٦) زيد من ظ (٧-٧) ليست فى ظ (٨) فى مد و ظ : فسمى (٩) العبارة من « و لا يملك » إلى هنا ليست فى م (١٠) و قال الأندلسى : التسريح الإرسال ، و سرح الشعر خلص بعضه من بعض ، و الماشية أرسلها لترعى و السرح الماشية ، و ناقة مسرح سهلة المسير لانطلاقها فيه - البحر المحيط ٢/١٧٦ .

مثلا ليسترده فهو مطلق ، و من أرسله لا ليسترجعه[1] فهو مسرح[2] انتهى . ٣ و يجوز أن يراد بالتسريح عدم المراجعة من الثانية لا أنه طلقة ثالثة[3] ، و لما كان مقصود النكاح حسن الصحبة و كانت من الرجل الإمتاع[4] بالنفس و المال و كان الطلاق [منعا للامتاع بالنفس قال: ﴿ باحسان ﴾ تعريضا بالجبر بالمال لئلا يجتمع منعان: منع النفس -[6]] ٥

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يسترجعه (٢) زيد بعده فى الأصل و م : و كان أخذه أو شيئا منه مشاركا للسراح فى أنه يقطع عليه ما كان له من ملك الرجعة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها و ستأتى بعد « أعطيته المرأة » .
(٣) العبارة من هنا إلى « طلقة ثالثة » ليست فى ظ (٤) وفى البحر المحيط ٢/١٩٤: قال الزمخشرى : و قيل معناه الطلاق الرجعى مرتان لأنه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف أى برجعة أو تسريح باحسان أى بأن لا يراجعها حتى تبين بالعدة أو بأن لا يراجعها مراجعة تريد بها تطويل العدة عليها و ضرارها و قيل بأن يطلقها الثالثة ، و روى أن سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين الثالثة ؟ فقال عليه السلام : أو تسريح بأحسان - انتهى كلامه ، و تفسير التسريح باحسان أن لا يراجعها حتى تبين بالعدة هو قول الضحاك و السدى ، و قوله: بأن لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها و ضرارها كلام لا يتضح تركيبه على تفسير قوله: أو تسريح باحسان ، لأنه يقتضى أن يراجعها مراجعة حسنة مقصودا بها الإحسان و التألف و الزوجية فيصير هذا قسيم قوله: فامساك بمعروف ، فيكون المعنى فامساك بمعروف أو مراجعة مراجعة حسنة ، و هذا كلام لا يلتئم إن يفسر به " او تسريح باحسان " و لو فسر به " فامساك بمعروف " لكان صوابا ، و أما قوله: و قيل بأن يطلقها الثانية ، فهو قول مجاهد و عطاء و جمهور السلف و علماء الأمصار (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل: للامتاع (٦) العبارة المحجوزة زيدت من م =

و ذات اليد - أفاده الحرالى و قال: ففيه بوجه ما تعريض بما صرحت به آية المتعة الآتية - انتهى . و من ذلك بذل[1] الصداق[2] كاملا و أن لا يشاححها[3] فى شيء لها فيه حق مع [4]طيب المقال[4] و كرم الفعال[5] .

و لما كان سبحانه و تعالى قد خيره بين شيئين: الرجعة و التسريح الموصوفين و كانت الرجعة أقرب إلى الخير بدأ بها و لكنها لما كانت قد تكون لأجل الافتداء بما أعطيته المرأة و كان أخذه أو شيئا منه مشاركا للسراح فى أنه يقطع عليه ما كان له من ملك الرجعة [6]و لا يملك بعد هذا التسريح عليها الرجعة كما كان عليه حال أهل الجاهلية[6] و كان الافتداء قد يكون فى الأولى[7] لم يفرعها[8] بالقابل[9] قال مشيرا إلى أن من إحسان التسريح سماح الزوج بما أعطاها عاطفا على ما تقديره: فلا يحل لكم مضارتهن[10]: ﴿ و لا يحل لكم ﴾ أى أيها المطلقون [11]أو المتوسطون

= و مد و ظ .

(١) فى م: بدّل ، و فى ظ: بدل (٢) فى م: الصدقات (٣) فى الأصل: يساحجها ، و التصحيح من م و ظ و مد (٤ - ٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: طلب القال (٥) من م و ظ ، و فى الأصل: الفعلا ، و فى مد: لالفعال (٦ - ٦) سقطت من م و ظ و مد (٧) فى مد: الأول (٨) فى م: يقزعها (٩) من م ، و فى الأصل: بالقايل ، و فى مد: بالقابل ، و فى ظ: بالفاعل (١٠) من ظ ، و فى بقية الأصول: مضارتهن . و فى البحر المحيط ٢/١٩٦: سبب النزول أن جميلة بنت عبد الله بن أبى كانت تحت ثابت ابن قيس بن شماس و كانت تبغضه و هو يحبها فشكته إلى أبيها فلم يشكها ثم شكته إليه ثانية و ثالثة و بها أثر ضرب فلم يشكها فأتت النبى صلى الله عليه وسلم و شكته إليه و أرته أثر الضرب و قالت: لا أنا و لا ثابت =

من

من الحكام [وغيرهم لأنهم لما كانوا آمرين عدوا آخذين - [1]]
﴿ ان تاخذوا ﴾ إحسانا فى السراح ﴿ مما اتيتموهن ﴾ من صداق
وغيره ﴿ شيئا ﴾ [2] أى بدون مخالفة [2] . قال الحرالى : لأن إيتاء الرجل
للمرأة إيتاء نحلة لإظهار مزيـة [3] الدرجة لا فى مقابلة الانتفاع فلذلك
أمضاه ولم يرجع منه شيئا ولذلك لزم فى النكاح الصداق لتظهر مزية ٥
الرجل بذات اليد كما ظهرت فى ذات النفس - انتهى .

ولما كان إسناد الخوف إلى ضمير الجمع ربما ألبس قال : ﴿ الا [4]

= لا يجمع رأسى ورأسه شىء والله لا أعتب عليه فى دين ولا خلق لكنى أكره الكفر فى الإسلام ما أطيقه بغضا ، إنى رفعت جانب الخيام فرأيته أقبل فى عدة وهو أشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فقال ثابت : مالى أحب إلى منها بعدك يا رسول الله وقد أعطيتها حديقة تردها على وأنا أخلى سبيلها ففعلت ذلك فخلى سبيلها وكان أول خلع فى الإسلام ونزلت الآية ؛ ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر تعالى الإمساك بمعروف أو التسريح باحسان اقتضى ذلك أن من الإحسان أن لا يأخذ الزوج من امرأته شيئا مما أعطى واستثنى من هذه الحالة قصة الخلع فأباح للرجل أن يأخذ منها على ما سنبينه فى الآية وكما قال الله تعالى " واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا " الآية (١١) العبارة من هنا إلى " من الحكام " سقطت من م ومد وظ .

(١) العبارة المحجوزة زيدت من م ومد غير أن فى م « آمين » مكان « آمرين » (٢-٢) ليست فى ظ (٣) من م ومد وظ ، وفى الأصل : من آية (٤) هذا استثناء من المفعول له أى لا يحل بسبب من الأسباب إلا بسبب الخوف ، والضمير فى " يخافا " عائد على صنفى الزوجين ، ولما كان الاستثناء بعد مضى جملة الخطاب جاز الالتفات وله حكمة وهو أن لا يخاطب من كان مؤمنا بالخوف من انتفاء إقامة حدود الله فناسب فيه =

ان يخافا ﴾ نصا على المراد بالإسناد إلى الزوجين ، و عبر عن الظن بالخوف تحذيرا من عذاب الله[١] ، و عبر فى هذا الاستثناء إن قلنا إنه منقطع[٢] بأداة المتصل تنفيرا من الأخذ و معنى البناء للمفعول فى قراءة حمزة و أبى جعفر و يعقوب إلا أن يحصل[٣] لهما [٤]أمر من[٤] حظ أو شهوة يضطرهما إلى الخوف من التقصير فى الحدود ، و لا مفهوم للتقييد بالخوف لأنه لا يتصور من عاقل أن يفتدى بمال من غير[٥] أمر محوج و متى حصل المحوج كان الخوف و متى خاف أحدهما خافا لأنه متى خالفه الآخر حصل التشاجر [٦]المثير للحظوظ المقتضية للاقدام على ما لا يسوغ[٦] و الله سبحانه و تعالى أعلم ﴿ الّا يقيما ﴾ أى فى الاجتماع ﴿ حدود الله[٤] ﴾ العظيم فيفعل كل منهما ما وجب عليه من الحق . قال الحرالى : و فى إشعاره أن الفداء فى حكم الكتاب مما أخذت الزوجة من زوجها لا من غير ذلك من مالها ، و الحدود جمع حد و هو النهاية فى المتصرف المانع من الزيادة عليه - انتهى . ثم زاد الأمر بيانا لأنه فى مقام

= الالتفات و كذلك فيما بعده ، و لو جاء على ما مضى من الحكاية لكان التركيب : الا أن يخافوا ألا يقيموا - المد من البحر ٢/١٩٦ .

(١) زيد بعده فى م و مد : و سوغ ذلك أن الظن سببه و أنك لا تخاف ما لا تظنه (٢) فى مد : مقطوع (٣) فى م : تحصل ، و فى مد و ظ : محصل - كذا .

(٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : من امر ، و ليس فى م (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : غيره ، و فى و مد : غير - بدون الاضافة إلى الضمير و هو الصحيح لحذف الضمير (٦ - ٦) سقطت من ظ .

التحديد فقال مسندا [١] إلى ضمير الجمع حثا على التحقق ليحل الفداء حلا [٢] نافيا لجميع الحرج : ﴿فإن خفتم﴾ أى [٣] أيها المتوسطون بينهما من الحكام و غيرهم من الأئمة بما ترون منهما و ما [٤] يخبرانكم به عن أنفسهما [٥] ﴿ألا يقيما حدود الله [٦]﴾ و تكرير الاسم الأعظم يدل على رفعة زائدة لهذا المقام ، و تعظيم كبير لهذه الأحكام ، و حث عظيم على التقيد ٥ فى هذه الرسوم بالمراعاة و الالتزام ، و ذلك لأن [٦] كل إنسان مجبول على تقديم نفسه على غيره ، و الشرع كله مبني على العدل الذى هو الإنصاف و محبة المرء لغيره ما يحب لنفسه ﴿فلا جناح﴾ أى ميل بأثم ﴿عليهما﴾ [٧] و سوغ ذلك أن الظن شبهة فانك لا تخاف مالا تظنه [٧]

(١) فى م : مسند (٢) فى ظ : حل (٣) ليس فى م و مد (٤) فى م : و لم .
(٥) و روى أن امرأة نشزت على عهد عمر فبيتها فى اصطبل فى بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال : كيف رأيت مكانك ؟ فقالت : ما رأيت ليالى أقر لعينى منها و ما وجدت الراحة مذ كنت عنده إلا هذه الليالى ، فقال عمر : هذا و أبيكم النشوز ، و قال لزوجها : اخلعها ولو من قرطها ، اختلعها بما دون عقاص رأسها فلا خير لك فيها ـ البحر المحيط ٢/٩٩ ؛ (٦) فى م : ان (٧-٧) سقطت من ظ ، و موضعها فى م و مد : و أشار إلى حل الأخذ مطلقا بدون تقيد بما آتاها بانه لم يقل « فى ذلك » بل قال . و فى البحر المحيط ٢/١٩٩ : و الضمير فى " عليهما " عائد على الزوجين معا أى لا جناح على الزوج فيما أخذه و لا على الزوجة فيما افتدت به ، و قال الفراء : " عليهما " أى عليه كقوله " يخرج منهما " أى المالح ، و " نسيا حوتهما " و الناسى يوشع ..... و ظاهر قوله : " فيما افتدت به " العموم بصداقها و بأكثر منه و بكل مالها ـ قاله عمر و ابنه و عثمان =

﴿ فيما افتدت به ط ﴾ أى[1] لا[2] على الزوج بالأخذ و لا عليها بالإعطاء سواء كان ذلك مما[3] آتاها أو من غيره أكثر منه أو لا[4] لأن الخلع عقد معاوضة فكما[5] جاز لها أن تمتنع من أول العقد حتى ترضى و لو بأكثر من مهر المثل فكذا فى الخلع يجوز له أن لا يرضى إلا بما فى نفسه كائنا ما كان و يكون ذلك عما كان يملكه عليها من الرجعة، فاذا أخذه بانت المرأة فصارت أحق بنفسها فلا سبيل عليها إلا باذنها.

و لما كانت أحكام النساء تارة بالمرافقة و تارة بالمفارقة و كانت مبنية على الشهوات تارة على[6] البهيمية و تارة على السبعية و كان سبحانه و تعالى قد حد فيها حدودا تكون بها المصالح و تزول[7] المفاسد منع سبحانه و تعالى من تعدى تلك الحدود أى الأحكام التى بينها فى ذلك و لم يذكر قربانها كما مضى فى آية الصوم فقال: ﴿ تلك ﴾ أى الأحكام

= و ابن عباس و مجاهد و عكرمة و النخعى و الحسن و قبيصة بن ذؤيب و مالك و أبو حنيفة و الشافعى و أبو ثور و قضى بذلك عمر، و قيل: فيما أفدت به من الصداق و حده من غير زيادة منه ـ قاله على و طاووس .... و قيل: ببعض صداقها و لا يجوز بجميعه إذا دخل بها حتى يبقى منه بقية ليكون بدلا عن استمتاعه بها.

(١) ليس فى ظ (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الى (٣) فى م و ظ: ما. (٤) العبارة من هنا إلى « كائنا ما كان » ليست فى ظ (٥) من م و مد، و فى الأصل: فلما (٦) سقط من ظ (٧) زيد فى م: بها.

العظيمة

العظيمة التى تولى الله بيانها [١] من أحكام الطلاق و الرجعة و الخلع و غيرها [١] ﴿ حدود الله ﴾ أى شرائع [٢] الملك الأعظم [٣] الذى له جميع العزة [٤] من الأوامر و النواهى التى بينها فصارت كالحدود المعروفة فى الأراضى . و لما كانت شرائع الله ملائمة للفطرة الأولى السليمة عن نوازع [٥] النقائص و جواذب الرذائل أشار إلى ذلك سبحانه بصيغة الافتعال فى قوله : ﴿ فلا تعتدوها ج ﴾ أى لا تتكلفوا مجاوزتها ، و فيه أيضا إشارة إلى العفو عن المجاوزة من غير تعمد .

و لما أكد الأمر تارة بالبيان و تارة بالنهى زاد فى التأكيد بالتهديد فقال عاطفا على ما تقديره : فمن تعدى شيئا منها فقد ظلم : ﴿ و من يتعد [٦] ﴾ أى يتجاوز ﴿ حدود الله ﴾ أى [١] المحيط بصفات الكمال التى [١] بينها

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) فى ظ : شرائعه . و فى البحر المحيط ٢/٢٠٠ " تلك " إشارة إلى الآيات التى تقدمت من قوله " و لا تنكحوا المشركات " إلى هنا و إبراز الحدود بالاسم الظاهر لا بالضمير دليل على التعظيم لحدود الله تعالى ، و فى تكرار الإضافة تخصيص لها و تشريف و يحسن التكرار بالظاهر كون ذلك فى جمل مختلفة ، و " تلك " مبتدأ و " حدود الله " الخبر و معنى " فلا تعتدوها " أى لا تجاوزوها إلى ما لم يأمركم به (٣) ليس فى م و مد (٤) العبارة من « الملك الأعظم » إلى هنا ليست فى ظ (٥) ليس فى ظ (٦) لما نهى عن اعتداء الحدود و هو تجاوزها و كان ذلك خطابا لمن سبق له الخطاب قبل ذلك أتى بهذه الجملة الشرطية العامة الشاملة لكل فرد فرد ممن يتعدى الحدود و حكم عليهم أنهم الظالمون ، و الظلم و هو وضع الشىء فى غير موضعه فشمل بذلك المخاطبين قبل و غيرهم - قاله أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ٢/٢٠٠ .

و أكد أمرها و زاد تعظيمها بتكرير اسمه الأعظم . قال الحرالى : ففيه ترجية[1] فيما يقع من تعدى الحدود من دون ذلك من حدود أهل العلم و وجوه السنن و فى [إعلامه - ٢] إيذان بأن وقوع الحساب يوم الجزاء على حدود القرآن التى لا مندوحة لأحد بوجه من وجوه السعة ٥ فى مخالفتها و لذلك تتحقق التقوى و الولاية [مع - ٢] الأخذ بمختلفات السنن و مختلفات أقوال العلماء - انتهى . و إليه يرشد الحصر فى قوله : ﴿ فاولـٰئك ﴾ أى المستحقون للابعاد ﴿ هم الظلمون ٥ ﴾ أى العريقون[3] فى الظلم بوضع الأشياء فى غير مواضعها فكأنهم يمشون فى الظلام . قال الحرالى : و فى إشعاره تصنيف الحدود ثلاثة أصناف : حد الله ١٠ سبحانه الله و تعالى ، و حد النبى صلى الله عليه و سلم ، وحد العالم ؛ قال صلى الله عليه و سلم : ما جاء من الله فهو الحق ، و ما جاء منى فهو السنة ، و ما جاء من أصحابى فهو السعة . فأبرأ العباد من الظلم من حافظ على أن لا يخرج عن حدود العلماء ليكون أبعد أن يخرج من حدود السنة ليكون أبعد أن يخرج من حدود الكتاب ، فالظالم المنتهى ظلمه الخارج ١٥ [عن الحدود الثلاثة : حد العالم[4] ، و حد السنة ، و حد الله - انتهى . و لما بين قسمى الطلاق البائن - [5]] و كان نظر الطلاق إلى العدد أشد

(١) فى م : توجيه (٢) زيد من م و ظ و مد (٣) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : الغريقون (٤) من ظ ، و فى م و مد : العلم (٥) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد و ظ .

من نظره إلى العوض قدم قسمه [١] فى قوله: "او تسريح باحسان [١]" ثم فرع عليه [٢] فقال موحدا لئلا يفهم الحكم على الجمع [أن الجمع - ٣] قيد فى الحكم و أفهم التكرير للجمع شدة الذم لما كانوا يفعلون فى الجاهلية من غير هذه الأحكام: ﴿ فان طلقها [٤] ﴾ أى الثالثة التى [٥] تقدم التخيير فيها بلفظ التسريح [٦] فكأنه قال: فان اختار الطلاق البات بعد المرتين إما فى العدة من الطلاق الرجعى أو بعد الرجعة [٦] بعوض أو غيره و لا فرق [٦] فى جعلها ثالثة بين أن تكون بعد تزوج المرأة بزوج آخر أو لا [٦]. قال الحرالى: فردد معنى التسريح الذى بينه فى

(١-١) سقطت من م و مد (٢) العبارة من هنا إلى «هذه الأحكام» ليست فى ظ.
(٣) زيد من م ومد (٤) وفى البحر المحيط ٢/٢٠٠: يعنى الزوج الذى طلق مرة بعد مرة و هو راجع إلى قوله "او تسريح باحسان" كأنه قال فان سرحها التسريحة الثالثة الباقية من عدد الطلاق- قاله ابن عباس و قتادة والضحاك ومجاهد والسدى، قول ابن عباس ان الخلع فسخ عصمة و ليس بطلاق، و يحتج بهذه الآية بذكر الله للطلاقين ثم ذكر الخلع ثم ذكر الثالثة بعد الطلاقين و لم يك للخلع حكم يعتد به، وأما من يراه طلاقا فقال: هذا اعتراض بين الطلقتين و الثالثة ذكر فيه أنه لا يحل أخذ شىء من مال الزوجة إلا بالشريطة التى ذكرت وهو حكم صالح أن يوجد فى كل طلقة طلقة وقوع آية الخلع بين هاتين الآيتين حكية أن الرجعة و الخلع لا يصلحان إلا قبل الثالثة فأما بعدها فلا يبقى شىء من ذلك و هى كالخاتمة لجميع الأحكام المعتبرة فى هذا الباب. و فى مدارك التنزيل ١/٩٠: فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين. فان قلت: الخلع طلاق عندنا و كذا عند الشافعى فى قول فكان هذه تطليقة رابعة! قلت: الخلع طلاق ببدل فيكون طلقة ثالثة و هذه بيان لذلك أى «ن طلقها الثالثة ببدل فحكم التحليل كذا (٥) ليس فى مد (٦-٦) ليست فى ظ.

موضعه بلفظ الطلاق لما هيأها بوجه إلى المعاد ، و ذلك فيما يقال من خصوص هذه الأمة و إن حكم الكتاب الأول أن المطلقة ثلاثا لا تعود[1] أبدا فلهذا العود بعد زوج صار السراح طلاقا - انتهى .

﴿ فلا تحل له ﴾ [و - ٢] ٣ لما كان إسقاط الحرف و الظرف يوهم أن الحرمة تختص بما استغرق زمن البعد فيفهم أن نكاحه لها فى بعض ذلك الزمن يحل قال : ﴿ من بعد ﴾ أى [فى زمن و لو قل من أزمان ما - [2]] بعد استيفاء الدور الذى هو الثلاث [4] بما أفاده إثبات الجار ، و تمتد الحرمة ﴿ حتى ﴾ [5] أى إلى أن [5] ﴿ تنكح ﴾ أى تجامع[6] بذوق[7] العسيلة التى صرح بها النبى صلى الله عليه و سلم ، قال الفارسى[8] : إذا قال العرب : نكح فلان فلانة ، أرادوا عقد عليها ؛ و إذا[9] قالوا :

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : لا يعود (٢) زيد من م و مد (٣) العبارة من هنا إلى « قال » ليست فى ظ (٤) العبارة من هنا إلى « الحرمة » ليست فى ظ . (٥-٥) سقطت من ظ (٦) زيد فى الأصل « مع » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تذوق (٨) قال أبو حيان الأندلسى : و النكاح يطلق على العقد و على الوطء فحمله ابن المسيب و ابن جبير و ذكره النحاس فى معانى القرآن له على العقد - البحر المحيط ٢/٢٠٠ . و فى مدارك التنزيل ١/٩١ : حتى تتزوج غيره و النكاح يسند إلى المرأة كما يسند إلى الرجل كالتزوج ، و فيه دليل على أن النكاح ينعقد بعبارتها ، و الإصابة شرطت بحديث العسيلة كما عرف فى أصول الفقه ، و الفقه فيه أنه لما أقدم على فراق لم يبق للندم مخلص لم تحل له إلا بدخول فحل عليها ليمتنع عن ارتكابه (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اذ .

نكح امرأته أو زوجته ، أرادوا جامعها ؛ [1] و قال الإمام : إن هذا الذى قاله أبو على جار على قوانين الأصول و إنه لا يصح إرادة غيره و دل على ذلك بقياس رتبة ، فالآية دالة على أنه لا يكتفى فى التحليل بدون الجماع كما بينته السنة و إلا كانت السنة ناسخة ، لأن غاية الحرمة فى الآية العقد و فى الخبر الوطء و خبر الواحد لا ينسخ القرآن [2] ، و أشار بقوله ٥ ﴿ زوجا ﴾ إلى أن شرط هذا الجماع أن يكون حلالا فى عقد صحيح ﴿ غيره ط ﴾ أى المطلق ، و فى جعل هذا غاية للحل زجر لمن له غرض ما فى امرأته عن طلاقها ثلاثا لأن كل ذى مروة يكره أن يفترش امرأته آخر [3] و مجرد العقد لا يفيد هذه الحكمة و ذلك بعد أن أثبت له سبحانه و تعالى من كمال رأفته بعباده الرجعة فى الطلاق الرجعى مرتين ١٠

---

(١) العبارة من هنا إلى « لا ينسخ القرآن » ليست فى ظ (٢) ولا يلزم ما ذكره من هذا الإشكال و هو أنه يلزم من ذلك نسخ القرآن بخبر الواحد لأن القائل يقول : لم يجعل نفى الحل منتهيا إلى هذه الغاية التى هى نكاحها زوجا غيره فقط و إن كان الظاهر فى الآية ذلك بل ثم معطوفات قبل الغاية المذكورة فى الآية وما بعدها يدل على إرادتها وهى غايات أيضا و التقدير : فلا تحل له من بعد ، أى من بعد الطلاق الثلاث حتى تنقضى عدتها منه و تعقد على زوج غيره و يدخل بها و يطلقها و تنقضى عدتها منه فحينئذ تحل للزوج المطلق ثلاثا أن يتراجعا فقد صارت الآية من باب ما يحتاج بيان الحل فيه إلى تقدير هذه المحذوفات و تبيينها و دل على إرادتها الكتاب و السنة الثابتة و إذا كانت كذلك و بين هذه المحذوفات الكتاب و السنة فليس ذلك من باب نسخ القرآن بخبر الواحد ـ البحر المحيط ٢ / ٢٠٢ (٣) العبارة من هنا إلى « المنهى عنها » ليست فى ظ .

لأن الإنسان فى حال الوصال لا يدرى ما يكون حاله بعده و لا تفيده[١] الأولى كمال التجربة فقد يحصل له نوع شك بعدها[٢] و فى الثانية يضعف ذلك جدا و يقرب الحال من التحقق فلا يحمل على الفراق بعدها[٣] إلا قلة التأمل و محض الخرق بالعجلة المنهى عنها ﴿ فان طلقها ﴾ أى الثانى و تعبيره بان[٣] التى للشك للتنبيه على أنه متى شرط الطلاق على المحلل بطل العقد بخروجه عن دائرة الحدود المذكورة . لأن النكاح كما قال الحرالى عقد حرمة مؤبدة[٤] لا حد متعة موقتة فلذلك لم يكن الاستمتاع إلى أمد محللا فى السنة و عند الأئمة لما يفرق بين النكاح و المتعة من التأبيد و التحديد - انتهى . ﴿ فلا جناح عليهما ﴾ أى على المرأة و مطلقها الأول ﴿ ان يتراجعا ﴾ بعقد جديد بعد عدة طلاق الثانى[٥] المعلومة مما تقدم من قوله : "و المطلقت يتربصن" و هذه مطلقة[٥] إلى ما كانا فيه من النكاح ﴿ ان ظنا ﴾ أى وقع فى[٦] ظن كل منهما[٧] ﴿ ان يقيما حدود الله ط ﴾[٥] أى الذى له الكمال كله[٥] التى

(١) من م و مد ، و فى الأصل : نقيده (٢ - ٢) ليست فى م (٣) و أتى بلفظ إن دون ' إذا ' تنبيها أن طلاقه يجب أن يكون على ما يخطر له دون الشرط - انتهى . و معناه أن إذا إنما تأتى للتحقق و إن تأتى للمبهم و المجوز وقوعه و عدم وقوعه أو للحقق المبهم زمان وقوعه كقوله تعالى " أ فائن مت فهم الخلدون " ؛ و المعنى فان طلقها و انقضت عدتها منه - البحر المحيط ٢/٢٠٢ (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مويدة (٥ - ٥) سقطت من ظ (٦) سقط من مد (٧) زيد فى الأصل « ان ظنا » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها .

[حدها لهما فى العشرة . قال الحرالى : لما جعل الطلاق سراحا جعل تجديد النكاح مراجعة -[1]] كل ذلك إيذانا بأن الرجعة للزوج أولى من تجديد الغير[2] - انتهى .

و لما كان الدين مع سهولته و يسره شديدا لن يشاده[3] أحد إلا غلبه[4] و كانت الأحكام مع وضوحها قد تخفى لما فى تنزيل الكليات على ٥ الجزئيات من الدقة لأن الجزئى الواحد قد يتجاذبه كليان فأكثر فلا تجردها من مواقع الشبه[5] إلا من نور الله بصيرته عطف على تلك الماضية تعظيما للحدود قوله : ﴿ و تلك ﴾ [6]أى الأحكام المتناهية فى مدارج العظم و مراتب الحكم[6] ﴿ حدود الله ﴾ أى العظيمة[7] باضافتها إليه سبحانه و تعالى و بتعليقها بالاسم الأعظم ﴿ يبينها ﴾ أى يكشف اللبس ١٠ عنها بتنوير القلب ﴿ لقوم ﴾ فيهم نهضة و جد فى الاجتهاد و قيام و كفاية ﴿ يعلمون ه ﴾ أى يجددون النظر و التأمل / بغاية الاجتهاد فى كل وقت ٢٣٥/ فبذلك يعطيهم الله ملكة يميزون بها ما يلبس على غيرهم " ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا[8] " " و اتقوا الله و يعلمكم الله[9] " .

و لما ذكر الطلاق رجعية و بائنة عقبه ببيان وصف الرجعة من ١٥ الحل و الحرمة و بيان [6]وقتها و تحديده[6] و الإشارة إلى تصوير[10] بعض

(١) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد و ظ (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الغيرة (٣) من مد و ظ ، وفى الأصل : لن يشاده ، و فى م : يستاده . (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عليه (٥) فى م : الشبهة (٦ - ٦) سقطت من ظ (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : العظمة (٨) سورة ٨ آية ٢٩ (٩) سورة ٢ آية ٢٨٢ (١٠) ليس فى م .

صور المضارة نرهيبا منها [١] فليست الآية مكررة [١] فقال [٢] : ﴿ و إذا طلقتم النسآء ﴾ [٣] أى طلاقا رجعيا [٤] و المراد من يملك نكاحها من هذا النوع الشامل للقليل و الكثير و لم يقل : نساءكم ، لئلا تفهم [٥] الإضافة أن لطلاقهم [٥] غير نسائهم حكما مغائرا لهذا فى بلوغ الأجل مثلا و نحوه .

٥ و لما كانت إباحة الرجعة فى آخر العدة دالة على إباحتها فيما قبل ذلك بطريق الأولى و كان من المقطوع به عقلا أن لما بعد الأجل حكما غير الحكم الذى كان له قبله لم يكن التعبير بالبلوغ ملبسا [٦] و كان التعبير به مفيدا أقصى ما يمكن [٧] به [٨] المضارة [٩] فقال : ﴿ فبلغن [١٠] اجلهن ﴾ أى شارفن انقضاء العدة ، بدليل الأمر بالإمساك لأنه لا يتأتى بعد

(١-١) ليست فى ظ (٢) ليس فى مد (٣) نزلت فى ثابت بن يسار و يقال أسنان الأنصارى طلق امرأته حتى إذا بقى من عدتها يومان أو ثلاثة و كادت أن تبين راجعها ثم طلقها ثم راجعها ثم طلقها حتى مضت سبعة أشهر مضارة لها و لم يكن الطلاق يومئذ محصورا ، و الخطاب فى " طلقتم " ظاهره أنه للأزواج ، و قيل : لثابت بن يسار ، خوطب الواحد بلفظ الجمع للاشتراك فى الحكم - البحر المحيط ٢/٢٠٧ (٤) العبارة من هنا إلى « و نحوه » ليست فى ظ (٥-٥) من مد ، و فى الأصل : الاضافتان لطلاقهم ، و فى م : الاتهام ان لطلاق (٦) العبارة من هنا إلى « المضارة » سقطت من ظ (٧) فى م و مد : تمكن (٨) ليس فى م (٩) فى الأصل : المصادرة ، و فى م : المصاررة ، و فى مد : المضاررة (١٠) بلغ يبلغ بلوغا وصل إلى الشىء ، قال الشاعر :

و مجر كتلان الأنيعم بالغ ديار العدو ذى زهاء و أركان

و البلغة منه ، و البلاغ الأصل يقع على المدة كلها و على آخرها ، يقال لعمر الإنسان أجل و للموت الذى ينتهى أجل و كذلك الغاية و الأمد .... " فبلغن " أى قاربن انقضاء العدة ، و الأجل هو الذى ضربه الله للمعتدات من الأقراء =

الأجل . و[1] قال الحرالى : و لما كان للحد المحدود الفاصل بين أمرين متقابلين بلوغ و هو الانتهاء إلى أول حده و قرار و هو الثبات عليه و مجاوزة لحده ذكر سبحانه و تعالى البلوغ الذى هو الانتهاء إلى أول الحد دون المجاوزة و المحل ، و الأجل مشارفة انقضاء أمد[2] الأمر حيث يكون منه ملجأ الذى هو مقلوبه كأنه مشارفة فراغ المدة - انتهى . ﴿ فامسكوهن ﴾ ٥ أى بالمراجعة إن أردتم و لو فى آخر لحظة من العدة ﴿ بمعروف ﴾ أى بحال[4] حسنة تحمد[5] عاقبتها ، و نكره إشعارا بأنه لا يشترط فيه رضى المرأة ﴿ او سرحوهن بمعروف ﴾ بأن تتركوهن حتى تنقضى العدة فيملكن أنفسهن من غير تلبيس بدعوى و لا تضييق[6] فى شىء من الأشياء .

= و الأشهر و وضع الحمل ، و أضاف الأجل إليهن لأنه أمس بهن ، و لهذا قيل : الطلاق للرجال و العدة للنساء - البحر المحيط ٢/٢٠٦ و ٢٠٧ .

(١) ليس فى م و ظ (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : امر (٣) أى راجعوهن قبل انقضاء العدة ، و فسر المعروف بالإشهاد على الرجعة ، و قيل : بما يجب لها من حق عليه - قاله بعض العلماء و هو قول عمر و على و أبى هريرة و ابن المسيب و مالك و الشافعى و أحمد ..... قالوا : الإمساك بمعروف هو أن ينفق عليها فان لم يجد طلقها فاذا لم يفعل خرج عن حد المعروف فيطلق عليه الحاكم من أجل الضرر الذى يلحقها باقامتها عند من لا يقدر على نفقتها حتى قال ابن المسيب : إن ذلك سنة ، و فى صحيح البخارى : تقول المرأة : إما أن تطعمنى و إما أن تطلقنى . و قال عطاء و الزهرى و الثورى و أبو حنيفة و أصحابه : لا يفرق بينهما و يلزمها الصبر عليه و تتعلق النفقة بذمته لحكم الحاكم - البحر المحيط ٢/٢٠٧ .

(٤) فى ظ : بحالة (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تجد (٦) فى ظ : تضيق .

و قال الحرالى : هـذا معروف الإمتاع و الإحسان و هو غير معروف الإمساك ، و لذلك فرقه الخطاب و لم يكن : فأمسكوهن أو سرحوهن بمعروف ـ انتهى .

و لما كان المعروف يعم كل خير و كان الأمر به لا يفيد التكرار خص ترك الشر اهتماما بـه معبرا بما يتناول جميع الأوقات فقال : ﴿ و لا تمسكوهن ﴾ أى بالمراجعة فى آخر العدة ﴿ ضرارا ﴾ كما كان فى الجاهلية ﴿ لتعتدوا ج ﴾ أى قاصدين بذلك التوصل إلى شىء من مجاوزة الحدود التى بينت ١ لكم مثل أن يريد تطويل العدة عليها ٢ فانه قد يفضى إلى اعتدادها تسعة أشهر .

و لما كان التقدير : فمن يفعل ذلك فقد ظلم زوجه عطف عليه زيادة فى التنفير عنه قوله : ﴿ و من يفعل ذلك ﴾ أى الفعل البعيد عن الخير ، و فى التعبير بالمضارع إشعار بأن فى الأمة من يتمادى على فعله ﴿ فقد ظلم نفسه ط ﴾ أى بتعريضها لسخط الله عليه و نفرة الناس منه .

و لما كان قد لا يقصد شيئا من انتهاك الحرمات و لا من المصالح فكان مقدما على ما لا يعلم ٣ أو يظن له عاقبة حميدة تهاونا بالنظر و كان فاعل ذلك شبيها بالهازئ ٤ ٥ كما يقال ٦ لمن لا ٧ يجد فى أمر : هو لاعب ، قال : ﴿ و لا تتخذوآ ءايـٰت الله ﴾ أى مع ما تعلمون من عظمتها بعظمة

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ينبت ـ كذا (٢) ليس فى م (٣) فى ظ : لا يعلمه.
(٤) فى م و مد : بالهازى (٥) العبارة من هنا إلى « لاعب » ليست فى ظ .
(٦) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) فى م و مد : لم.

ناصبها ﴿ هزوا ذ ﴾ باهمالها عن قصد المصالح الذى هو زوجها[1] .

و لما كان على العبد أن يقتفى أثر السيد فى جميع أفعاله قال: ﴿ و اذكروا نعمة الله ﴾[2] أى الذى له الكمال كله ثم[3] عبر بأداة الاستعلاء إشارة إلى عموم النعم و غلبتها[4] فقال: ﴿ عليكم ﴾ هل ترون فيها شيئا من وادى العبث[5] بخلوه عن حكمة ظاهرة ﴿ و ما ﴾ أى و خصوا بالذكر ٥ [الذى -[6]] ﴿ انزل عليكم من الكتب ﴾ الذى فاق جميع[7] الكتب [8]و علا[9] عن المعارضة فغلب جميع الخلق بما أفادته أداة الاستعلاء[10] ﴿ و الحكمة ﴾ التى بثها فيه و فى سنة نبيه صلى الله عليه و سلم حال كونه ﴿ يعظكم ﴾ أى يذكر بما يرقق[11] قلوبكم ﴿ به ط ﴾ أى بذلك كله ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى بالغوا فى الخوف ١٢ ممن له الإحاطة بجميع صفات الكمال ١٢ باستحضار ١٠

---

(١) و قال الزمخشرى : أى جدوا فى الأخذ بها و العمل بما فيها و ارعوها حق رعايتها و إلا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا ، و يقال لمن لم يجد فى الأمر: إنما أنت لاعب و هازئ ، انتهى كلامه ـ البحر المحيط ٢/٢٠٨ (٢) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (٣) فى مد: و (٤) فى م و مد : عظمتها (٥) فى م: العيب (٦) زيد من م و مد ، و فى ظ : ما (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل: جمع (٨) العبارة من هنا إلى « الاستعلاء » ليست فى ظ (٩) زيد فى الأصل « فى » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (١٠) و فى خطابه تعالى بقوله "عليكم" تشريف و تعظيم لهم و هو فى الحقيقة نزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم و "الكتاب" القرآن و "الحكمة" السنة . و الضمير فى "به" عائد على "ما" الموصولة ـ المد من البحر ٢/٢٠٩ (١١) من مد ، و فى الأصل و م و ظ : يرفق (١٢-١٢) موضعها فى ظ : منه .

/٢٣٦ ما له من العظمة / التى لا تتناهى و نبه على عظيم[1] أمره بقوله: ﴿ و اعلموآ[2] ﴾ و بتكرير الاسم الأعظم فى قوله: ﴿ ان الله ﴾ فلم يبق وراء ذلك مرمى ﴿ بكل شىء ﴾ أى من أمور النكاح و غيرها ﴿ عليم ٥ ﴾ أى بالغ العلم[3] فاحذروه[4] حذر من يعلم أنه بحضرته و كل ما يعمله[5] من سر و علن فبعينه. قال الخرالى: و التهديد بالعلم منتهى التحديد - انتهى.

و لما نهى[6] عن الضرار فى العصمة و فى أثرها الذى هو العدة أتبعه النهى عما كان منه بعد انقضائها بالعضل من كل من[7] يتصور منه عضل لكن لما كان نهى الأولياء إذا كانوا أزواجا [نهيا -[8]] لغيرهم بطريق الأولى أسنده إلى الأزواج و هم فى غمارهم[9] فقال: ﴿ و اذا طلقتم ﴾ أى أيها الأزواج، و أظهر و لم يضمر لأن المذكور هنا أعم من الأول فقال: ﴿ النسآء ﴾ أىّ طلاق كان ﴿ فبلغن اجلهن ﴾ أى

(١) فى م و مد: عظم (٢) و المعنى بطلب العلم الديمومة عليه إذ هم عالمون بذلك و فى ذلك تنبيه على أنه يعلم نياتكم فى المضارة و الاعتداء فلا تلبسوا على أنفسكم، و كرر اسم الله فى قوله تعالى "و اتقوا الله و اعلموا ان الله" لكونه من جملتين فتكريره أفخم و ترديده فى النفوس أعظم - البحر المحيط ٢/٢٠٩.
(٣) ليس فى م و مد (٤) زيد فى ظ: و (٥) فى مد و ظ: يعلمه (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: انهى (٧) فى م: ما (٨) زيد من م و ظ و مد.
(٩) من مد و ظ، و فى الأصل و م: عمارهم.

انقضت عدتهن فقد دل سياق الكلامين[1] على اختلاف البلوغين - نقله الأصبهانى عن الشافعى يعنى أن الأول دل على المشارقة للأمر بالإمساك و هذا على الحقيقة للنهى عن العضل[2] ﴿فلا تعضلوهن﴾ أى تمنعوهن أيها الأولياء أزواجا كنتم أو غير أزواج[3]، و العضل قال الحرالى[4] هو أسوأ المنع، من عضلت الدجاجة إذا نشبت[5] بيضتها فيها حتى تهلك - انتهى[6]. ٥

(١) من م و مد، و فى الأصل: الكلام (٢) العبارة من « فقد دل » إلى هنا ليست فى ظ و قد قدمت فى الأصل على « منه عضل » (٣) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ٢/٢٠٩ بعد بيان أسباب نزول الآية: و يبعد جدا أن يكون الخطاب فى "و اذا طلقتم" للأزواج و فى "فلا تعضلوهن" للأولياء لتنافى التخاطب و لتنافر الشرط و الجزاء فالأولى و الذى يناسبه سياق الكلام أن الخطاب فى الشرط و الجزاء للأزواج لأن الخطاب من أول الآيات هو مع الأزواج و لم يجر للأولياء ذكر و لأن الآية قبل هذه خطاب مع الأزواج فى كيفية معاملة النساء قبل انقضاء العدة و هذه الآية خطاب لهم فى كيفية معاملتهم معهن بعد انقضاء العدة و يكون الأزواج المطلقون قد انتهوا عن العضل إذ كانوا يفعلون ذلك ظلما و قهرا و حمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الأزواج، و على هذا يكون معنى "ان ينكحن ازواجهن" أى من يردن أن يتزوجنه، فسموا أزواجا باعتبار ما يؤلون إليه، و على القول بأن الخطاب للأولياء يكون أزواجهن هم المطلقون، سموا أزواجا باعتبار ما كانوا عليه و إن لم يكونوا بعد انقضاء العدة أزواجا حقيقة، و جهات العضل من الزوج متعددة بأن يجحد الطلاق أو يدعى رجعة فى العدة أو يتوعد من يتزوجها أو يسىء القول فيها لينفر الناس عنها، فنهوا عن العضل مطلقا بأى سبب كان مما ذكرناه و من غيره (٤) زيد فى الأصل و م « و » و لم تكن الزيادة فى مد و ظ فحذفناها (٥) فى الأصل: نسبت، و فى مد: نسبت. و فى =

﴿ أن ينكحن ازواجهن ﴾ أى الذين طلقوهن و غيرهم ، و سموا أزواجا [١] لمآل أمرهم [١] إلى ذلك كما أن المطلقين سموا أزواجا بما كان ؛ و استدل الشافعى رضى الله تعالى عنه و رحمه بها [٢] على أنه لا نكاح إلا بولى ، لأن التعبير بالعضل دال على المنع الشديد المعبر [٣] من الداء العضال ، و [٤] إن عضل [٤] من غير [٥] كفوء جاز [٥] و لم تزوج منه و لو كانت المرأة تزوج نفسها لما كان إعياء و لا يثبت عضله [٦] الممنوع ليحصل عزله إلا إذا منع [٧] عند الحاكم و قد بينت [٨] ذلك [٩] السنة . [١٠] و هذه الآية من عجائب أمر الاحتباك " طلقتم " يفهم الأزواج من " تعضلوهن "

= م و ظ : نسيت . و فى البحر المحيط ٢ / ٢٠٦ : العضل المنع ، عضل أيمه منعها من الزوج ، يعضلها بكسر الضاد و ضمها .... و يقال دجاج معضل إذا احتبس بيضها ـ قاله الخليل ..... و يقال : أصله الضيق ، عضلت المرأة نشب الولد فى بطنها ، و عضلت الشاة ، و عضلت الأرض بالجيش ضاقت بهم ..... و أعضل الداء الأطباء أعياهم ، و داء عضال ضاق علاجه ولا يطاق ..... وأعضل الأمر اشتد و ضاق ، و كل مشكل عند العرب معضل ، و قال الشافعى رحمة الله عليه :

إذا المعضلات تصدينى كشفت حقائقها بالنظر

(٦) ليس فى ظ .

(١-١) فى م : لمآلهم (٢) و فيه (أى " فى ان ينكحن ") دلالة على أن للمرأة أن تنكح بغير ولى لأنه لو كان له حق لما نهى عنه فلا يستدل بالنهى على إثبات الحق ـ البحر المحيط ٢/٢١٠ (٣) فى م : المعبى ، و فى ظ : المعبى ، و فى مد : المغنى . (٤ - ٤) فى ظ : اعضل (٥ - ٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عرحار . (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عضلة (٧) فى م : امتنع (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يثبت (٩) أخره فى ظ عن « السنة » (١٠) العبارة من هنا إلى « الادراك » ليست فى ظ .

و "تعضلوهن[١]" يفهم الأولياء من "طلقتم" و قد بينت ذلك فى كتابى الإدراك ﴿ اذا تراضـــوا ﴾ أى النساء و الأزواج الأكفاء بما أفهمته الإضافة دون أن يقال: أزواجا لهن مثلا . و لما كان الرضى ينبغى أن يكون على العدل أشار إليه بقوله: ﴿ بينهم ﴾ و لما كانا قد يتراضيان على ما لا ينبغى قيده بقوله: ﴿ بالمعروف[٤] ﴾ فان تراضوا على غيره كما[٢] لو كان الزوج غير كفوء فاعضلوهن ، و عرفه كما قال الحرالى لاجتماع[٣] معروفين منهما فكان مجموعهما المعروف التام و أما المنكر[٤] فوصف أحدهما - انتهى .

و لما ذكر الأحكام مبينا لحكمها فكان ﴿ ذلك ﴾ وعظا و كان أكثر الناس يظن أن الوعظ مغائر للأحكام أقبل على المختار للكمال فقال: ذلك[٥] الأمر العظيم[٦] يا أيها الرسول ﴿ يوعظ ﴾ أى يرقق[٧] ﴿ به ﴾ قلوب ﴿ من كان ﴾ و الوعظ قال الحرالى إهزاز النفس بموعود الجزاء و[٨] وعيده - انتهى[٩] . [١٠] فهو تهديد لمن تشق[١١] عليه الأحكام و هم الأكثر .

و لما كان من أتباعه صلى الله عليه و سلم من جاهد نفسه حتى صار أهلا لفهم الدقائق و إدراك الإشارات و الرقائق[١٢] فألقى كليته للسماع

(١) من م و مد ، و فى الأصل: يعضلوهن (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: فما (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: الاجتماع (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: النكر (٥) زيد فى مد: أى (٦) زيد فى الأصل «اى» و لم تكن الزيادة فى م و ظ و مد فحذفناها (٧) من مد و ظ ، و فى الأصل و م: يرفق .
(٨) فى م: أو (٩) ليس فى ظ (١٠) العبارة من هنا إلى «الأكثر» ليست فى ظ .
(١١) فى م: تسبق (١٢) زيد فى الأصل «و لما كان من الحكمة» و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها .

لحظه[1] بقوله : ﴿ منكم ﴾ معلما أن[2] الخطاب فى الحقيقة لكل فاهم ، و إنما قيد[3] بهم لأنهم المنتفعون به[4] الفاهمون له لما لهم من رقة القلوب الناشئة عن الإذعان [5]لأن الخطاب[5] و إن كان بالأحكام فهو وعظ يتضمن الترهيب كما يتضمن الترغيب . و لما كان من الحكمة [أن -[6]] من لا ينتفع بشىء لا يقصد به أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ يؤمن بالله ﴾ أى لما له من العظمة ﴿ و اليوم الآخر ط ﴾ خوفا من الفضيحة فيه ، و فى تسميته وعظا[7] إفهام بأن من تجاوز حدا فى غيره سلط عليه من يتجاوز فيه حدا . قال الحرالى : لأن من فعل شيئا فعل به[8] نحوه كأنه من عضل عن زوج عضل ولى آخر عنه حين يكون هو[9] زوجا ، من زنى زنى[11] به "سيجزيهم وصفهم[11]" - انتهى .

فلما وقع ما هيجوا إليه ١٢ من كمال ١٢ الإصغاء قال مقبلا عليهم : ﴿ ذلكم ١٣ ﴾ أى الأمر العظيم الشأن/ ﴿ ازكى لكم ﴾ أى أشد تنمية /٢٣٧

(١) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : لحظة (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اى (٣) فى ظ : قيده (٤) العبارة من هنا إلى « الترغيب » ليست فى ظ .
(٥-٥) سقطت من م و مد و ظ (٦) زيد من م و ظ و مد (٧) فى م : وعظ .
(٨) زيد فى الأصل و مد « و » و لم تكن الزيادة فى م و ظ فحذفناها .
(٩) ليس فى ظ (١٠) فى مد : زانى ، و ليس فى ظ (١١) سورة ٦ آية ١٣٩ .
(١٢-١٢) كرره فى ظ ثانيا (١٣) أى التمكن من النكاح أزكى لمن هو بصدد العضل لما له فى امتثال أمر الله من الثواب و أطهر للزوجين لما يخشى عليهما من الريبة إذا منعا من النكاح و ذلك بسبب العلاقات التى بين النساء و الرجال - البحر المحيط ٢/٢١١ .

و تكثيرا [١] و تنقية و تطهيرا [١] بما يحصل منه بينكم من المودة و البركة من الله سبحانه و تعالى ﴿ و اطهر ط ﴾ للقلوب . و لما كان وصف المتكلم بالعلم أدعى لقبول من دونه منه قال [٢] مظهرا [٣] و معيدا [٤] للاسم [٥] الأعظم تعظيما للأمر : ﴿ و الله ﴾ أى أشير إليكم بهذا و الحال أن الملك الأعظم ﴿ يعلم ﴾ أى له [٦] هذا الوصف ﴿ و انتم لا تعلمون ه ﴾ أى ليس لكم هذا الوصف بالذات [٧] لا فى الحال و لا فى الاستقبال لما أفهمه النفى بكلمة لا [و - [٨]] صيغة الدوام .

(١-١) ليست فى ظ (٢) العبارة من هنا إلى « للأمر » ليست فى ظ (٣) من مد، و فى الأصل و م : مطهرا (٤) من م ، و فى الأصل : معيد ، و فى مد : صعيدا (٥) فى الأصول : الاسم (٦) زيد فى الأصل « وصف » و لم تكن الزيادة فى م و ظ و مد فحذفناها (٧) زيد فى الأصل فقط « بالذات » مكررا (٨) زيد من م و ظ و مد . و قال أبو حيان الأندلسى : و قيل تضمنت هذه الآية ستة أنواع من ضروب الفصاحة و البلاغة من علم البيان : الأول الطباق و هو الطلاق و الإمساك فانهما ضدان و التسريح طباق ثان لأنه ضد الإمساك ، و العلم و عدم العلم لأن عدم العلم هو الجهل ، الثانى المقابلة فى " فامسكوهن بمعروف و لا تمسكوهن ضرارا " قابل المعروف بالضرار و الضرار منكر فهذه مقابلة معنوية ، الثالث التكرار فى " فبلغن اجلهن " كرر اللفظ لتغيير المعنيين و هو غاية الفصاحة إذ اختلاف معنى الاثنين دليل على اختلاف البلوغين ، الرابع الالتفات فى " و اذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن " ثم التفت إلى الأولياء فقال " فلا تعضلوهن " و فى الآية فى قوله " ذلك " اذا كان خطابا للنبى صلى الله عليه و سلم ثم التفت إلى الجمع فى قوله " منكم " ، الخامس التقديم والتأخير ، التقدير =

و لما كان النكاح قد يكون[1] عنه ولادة فيكون عنها رضاع و قد تكون [2]المرضعة زوجة و قد تكون[2] أجنبية و الزوجة قد تكون متصلة و قد تكون منفصلة و كان الفراق بالطلاق أكثر منه بالموت وسّطه بين عدتى الطلاق و الوفاة لإدلائه إلى كل بسبب[3] و اهتماما بشأنه و حثا على الشفقة على الصغير و شدة العناية بأمره لأن الأم [4]ربما كانت مطلقة فاستهانت بالولد إيذاء للزوج إن كان الطلاق عن شقاق أو رغبة فى زوج آخر[4] و كذا الأب فقال تعالى عاطفا[5] على ما تقديره مثلا : فالنساء لهن أحكام كثيرة و قد علمتم منها هنا أصولا تفهم من بصره الله كثيرا من الفروع ، و المطلقات إن لم يكن بينكم و بينهن علقة بولادة أو نحوها فلا سبيل لكم عليهن[6] . و قال الحرالى : لما ذكر سبحانه و تعالى أحكام الاشتجار[7] بين الأزواج التى عظم متنزل الكتاب لأجلها و كان من حكم تواشج الأزواج وقوع الولد و أحكام الرضاع

= : أن ينكحن أزواجهن بالمعروف إذا تراضوا ، السادس مخاطبة الواحد بلفظ الجمع لأنه ذكر فى أسباب النزول أنها نزلت فى معقل بن يسار أو فى أخت جابر و قيل ابنته .

(١) فى ظ : تكون (٢-٢) سقطت من م ، و فى الأصل : الموضعة - مكان : المرضعة (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : نسب (٤ - ٤) فى ظ : اذا كانت منفصلة ترغب فى النكاح فربما فرطت فى أمر الطفل (٥) فى ظ و مد : عطفا . (٦) العبارة من هنا إلى « لكم عليهن » ليست فى م (٧) من م و ظ ، و فى الأصل: الاشجار ، و فى مد : الاستجار .

نظم به عطفا أيضا على معانى ما يتجاوزه الإفصاح و يتضمنه الإفهام لما قد علم من أن إفهام القرآن أضعاف إفصاحه بما لا يكاد ينتهى عده[1] فلذلك يكثر فيه الخطاب عطفا أى على غير مذكور ليكون الإفصاح أبدا مشعرا بافهام يناله من وهب روح العقل من الفهم كما ينال فقه الإفصاح من وهبه الله نفس العقل الذى هو العلم؛ انتهى[2] - فقال تعالى: ٥ ﴿و الوٰلدٰت[3]﴾ أى من المطلقات و غيرهن، و أمرهنّ بالإرضاع [4]فى صيغة الخبر[4] الذى من شأنه أن يكون قد فعل و تم تنبيها على تأكيده و إن كان الندب بما أفهمه إيجاب الأجرة لهن[5] [6]هنا و[6] فى سورة الطلاق و ما يأتى من الاسترضاع فقال: ﴿يرضعن اولادهن﴾ قال الحرالى[7]: جعل تعالى

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: عدة (٢) ليس فى م (٣) مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر جملة فى النكاح و الطلاق و العدة و الرجعة و العضل أخذ يذكر حكم ما كان من نتيجة النكاح و هو ما شرع من حكم الإرضاع ومدته وحكم الكسوة والنفقة على ما يقع الكلام فيه فى هذه الآية إن شاء الله - البحر المحيط ٢/٢١١ (٤-٤) ليست فى مد (٥) ليس فى م و مد و ظ (٦-٦) ليس فى ظ (٧) قال الأندلسى: "يرضعن اولادهن" صورته خبر محتمل أن يكون معناه خبرا أى فى حكم الله تعالى الذى شرعه فالوالدات أحق برضاع أولادهن سواء كانت فى حبالة الزوج أو لم تكن فان الإرضاع من خصائص الولادة لا من خصائص الزوجية، و يحتمل أن يكون معناه الأمر كقوله "و المطلقٰت يتربصن" لكنه أمر ندب لا إيجاب إذ لو كان واجبا لما استحق الأجرة و قال تعالى "و ان تعاسرتم فسترضع له اخرى" فوجوب الإرضاع إنما هو على الأب لا على الأم و عليه أن يتخذ له ظئرا إلا إذا تطوعت الأم بارضاعه وهى=

الأم أرض النسل الذى[١] يغتذى[٢] من غذائها فى البطن دما كما يغتذى[٣] أعضاؤها من دمها فكان لذلك[٤] لبنها أولى بولدها [٥]من غيرها[٥] ليكون مغذاه وليدا من مغذاه جنينا فكان الأحق أن يرضعن أولادهن ، و ذكره بالأولاد ليعم الذكور و الإناث ؛ و قال : الرضاعة التغذية بما يذهب الضراعة[٦] و هو الضعف و النحول[٧] بالرزق[٨] الجامع الذى هو طعام و شراب و هو اللبن الذى مكانه الثدى من المرأة و الضرع من ذات الظلف - انتهى .

و لما ذكر الرضاع ذكر مدته و لما كان المقصود مجرد تحول الزمان بفصوله الأربعة و رجوع الشمس بعد قطع البروج الاثنى عشر إلى البرج الذى كانت فيه عند الولادة و ليس المراد الإشعار بمدح الزمان ولا ذمه[٩] و لا وصفه بضيق و لا سعة عبر بما يدل على مطلق التحول[١٠] فقال : ﴿حولين﴾ [و -[١١]] [١٢]الحول[١٣] تمام القوة فى الشىء الذى ينتهى لدورة

= مندوبة إلى ذلك و لا تجبر عليه ، فاذا لم يقبل ثديها أو لم يوجد له ظئر أو عجز الأب عن الاستئجار وجب عليها إرضاعه ، فعلى هذا يكون الأمر للوجوب فى بعض الوالدات - البحر المحيط ٢/٢١١ و ٢١٢ .

(١) فى مد: التى (٢) فى ظ: تغتذى (٣) فى م: تغتذى (٤) فى م: كذلك (٥-٥) ليس فى ظ (٦) فى م : الفراغة (٧) من م ومد، و فى الأصل وظ : التحول (٨) زيد فى الأصل «و» و لم تكن الزيادة فى م و ظ و مد فحذفناها (٩) من م و مد وظ ، و فى الأصل: ذمة (١٠) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : التمول .

(١١) زيد من م وظ (١٢) العبارة من هنا إلى « التحويل » ليست فى مد .

(١٣) الحول السنة و أحول الشىء صار له حول ، قال الشاعر :

من القاصرات الطرف لو دب محول من الذر فوق الإتب منها لأثرا =

الشمس و هو العام الذى يجمع كمال النبات الذى يتم[1] فيه قواه - قاله الحرالى . و كأنه مأخوذ مما له قوة التحويل . و لما كان الشيء قد يطلق على معظمه مجازا فيصح أن يراد حول [و - ٢] بعض[3] الثانى بين أن المراد الحقيقة[4] قطعا لتنازع الزوجين فى مدة الرضاع و إعلاما بالوقت المقيد للتحريم كما قال صلى الله عليه و سلم « إنما الرضاعة من المجاعة »[4] ٥ بقوله : ﴿ كاملين ﴾ و لما كان ذلك ربما أفهم[5] وجوب الكمال [نفاه - ٢] بقوله : ﴿ لمن ﴾[4] أى هذا الحكم لمن[4] ﴿ اراد[6] ان يتم

= و يجمع على أحوال ، و الحول الحيلة ، و حال الشيء انقلب ، و تحول انتقل ، و رجل حوّل كثير التقليب و التصرف ، و قد تقدم أن حول يكون ظرف مكان ، تقول : زيد حولك و حواليك و حوالك و أحوالك ، أى فيما قرب منك من المكان - قاله أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ٢/٢٠٦ .

(١) وقع فى ظ : يتمر - مصحفا (٢) زيد من م و ظ و مد (٣) زيدت فى الأصل « و » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٤-٤) سقطت من ظ (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : انهم (٦) هذا يدل على أن الإرضاع فى الحولين ليس بحد لا يتعدى و إنما ذلك لمن أراد الإتمام و أما من لا يريده فله فطم الولد دون بلوغ ذلك إذا لم يكن فيه ضرر للولد ، و روى عن قتادة أنه قال : تضمنت فرض الإرضاع على الوالدات ثم يسر ذلك و خفف فنزل " لمن اراد ان يتم الرضاعة " قال ابن عطية : هذا قول متداع ، قال الراغب : و فى قوله " حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة " تنبيه على أنه لا يجوز تجاوز ذلك و إن لا حكم للرضاع بعد الحولين و تقويه : لا رضاع بعد الحولين ، و الرضاعة من المجاعة ، و يؤكد أن كل حكم فى الشرع علق بعدد مخصوص يجوز الإخلال =

الرضاعة[1] ﴾ فأفهم أنه يجوز الفطام للمصلحة قبل ذلك و أنه لا رضاع بعد التمام . و قال الحرالى : و هو أى الذى يكتفى به دون التمام هو ما جمعه قوله تعالى "و حمله و فصله ثلثون شهرا[1] " فاذا كان الحمل تسعا كان الرضاع أحدا[1] و عشرين شهرا ، و إذا كان حولين كان المجموع[3] ثلاثا و ثلاثين شهرا فيكون ثلاثة آحاد و ثلاثة عقود فيكون ذلك تمام الحمل و الرضاع ليجتمع فى الثلاثين تمام الرضاع و كفاية الحمل - انتهى .

و لما أوهم[4] أن ذلك[1] يكون مجانا نفاه بقوله : ﴿ و على ﴾ و لما كانت الوالدية[5] لا تتحقق فى الرجل كما تتحقق فى المرأة و كان النسب يكتفى فيه بالفراش و كان للرجل دون المرأة فقال[6] : ﴿ المولود له ﴾ أى على فراشه ﴿ رزقهن ﴾ أى المرضعات[7] لأجل الرضاع سواء كن

= به فى أحد الطرفين لم يجز الإخلال به فى الطرف الآخر كخيار الثلاث وعدد حجارة الاستنجاء و المسح على الخفين يوما و ليلة و ثلاثة أيام و لما كان الرضاع يجوز الإخلال فى أحد الطرفين و هو النقصان لم تجز مجاوزته - انتهى كلامه ، و قال غيره : ذكر الحولين ليس على التوقيت الواجب و إنما هو لقطع المشاجرة بين الوالدين ، و جمهور الفقهاء على أنه يجوز الزيادة و النقصان إذا رأيا ذلك - البحر المحيط ٢/٢١٢ .

(١) سورة ٤٦ آية ١٥ (٢) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : احدى (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الجموع (٤-٤) فى ظ : ذلك ان (٥) فى ظ : الوالدية (٦) فى م و ظ و مد : قال (٧) العبارة من هنا إلى « فقال » سقطت من ظ .

متصلات أو منفصلات فلو نشزت[1] المتصلة لم يسقط و إن سقط ما يخص الزوجية . و لما كان اشتغالها بالرضاع عن كل ما يريده الزوج من الاستمتاع ربما أوهم سقوط الكسوة ذكرها فقال: ﴿ وكسوتهن ﴾ [2]أجرة لهن[2] . قال الحرالى : [3]الكسوة رياش الآدمى الذى يستر ما ينبغى ستره من الذكر و الأنثى، و قال : فأشعرت إضافة الرزق و الكسوة ٥ إليهن باعتبار حال المرأة فيه و عادتها بالسنة لا بالبدعة - انتهى .

و لما كان الحال مختلفا فى النفقة و الكسوة باختلاف أحوال الرجال و النساء قال: ﴿ بالمعروف ط ﴾ [أى -[4]] من حال كل منهما . قال الحرالى : فأكد ما أفهمته الإضافة و صرح[5] الخطاب باجماله - انتهى . ثم علله أو فسره بالحنيفية التى منّ علينا سبحانه و تعالى بها فقال: ١٠ ﴿ لا تكلف ﴾ قال الحرالى[6] : من التكليف[7] و هو أن يحمل المرء على أن يكلف [8]بالأمر كلفة[8] بالأشياء التى يدعوه إليها طبعه ﴿ نفس ﴾ أى لا يقع تكليفها و إن كان له سبحانه و تعالى أن يفعل ما يشاء ﴿ الا وسعها ج[9] ﴾ أى ما تسعه و تطيقه لا كما فعل سبحانه بمن[10] قبل ،

(١) من م و مد، و وقع فى الأصل: تشدت - كذا مصحفا (٢-٢) ليس فى ظ (٣) العبارة من هنا إلى « و قال » ليست فى م (٤) زيد من م و ظ و مد . و فى البحر المحيط ٢/٢١٤ : و معنى "بالمعروف" ما جرى به العرف من نفقة. وكسوة لمثلها بحيث لا يكون إكثار و لا إقلال - قاله الضحاك (٥) فى م: صريح (٦) قال الأندلسى : التكليف إلزام ما يؤثر فى الكلفة ، من كلف الوجه و كلف العشق لتأثيرهما (٧) فى ظ : التكلف (٨) ليس فى مد (٩) « وسعها » =

كان أحدهم يقرض ما أصاب البول من جلده بالمقراض [و الوسع قال الحرالى ما يتأتى[1] بمنة و كمال قوة - ٢] .

و لما كانت نتيجة ذلك حصول النفع و دفع[3] الضر قال: ﴿ لا تضآر والدة بولدها ﴾ أى لا تضر المنفق به و لا يضرها ، و ضم الراء ابن كثير و أبو عمرو[4] و يعقوب[4] على الخبر و هو آكد[5] ، و فتح الباقون[6] على النهى[6] ، و يحتمل فيها[7] البناء[8] للفاعل و المفعول[8] ﴿ و لا مولود له

= طاقتها و هو ما يحتمله و قد بين تعالى ذلك فى قوله: " لينفق ذو سعة من سعته - الآية " و ظاهر قوله: " لا تكلف نفس الا وسعها " العموم فى سائر التكاليف قبل ، و المراد من الآية أن والد الصبى لا يكلف من الإنفاق عليه و على أمه إلا بما تتسع به قدرته ، و قيل: المعنى لا تكلف المرأة الصبر على التقصير فى الأجرة و لا يكلف الزوج ما هو إسراف بل يراعى القصد - البحر المحيط ٢/٢١٤ (١٠) من مد و ظ ، و فى الأصل: من ، و فى م: عن .

(١) من م ، و فى مد و ظ: ياتى (٢) زيدت العبارة المحجوزة من م و ظ و مد.

(٣) فى م: رفع (٤-٤) ليس فى م (٥) و فى البحر المحيط ٢/٢١٦ بعد يعقوب: و أبان عن عاصم: لا تضار - بالرفع أى برفع الراء المشددة و هذه القراءة مناسبة لما قبلها من قوله: " لا تكلف نفس الا وسعها " لاشتراك الجملتين فى الرفع و إن اختلف معناهما لأن الأولى خبرية لفظا و معنى و هذه خبرية لفظا نهيية فى المعنى . . . . . وقرأ: لا يضارّ - بكسر الراء المشددة على النهى ، و قرأ أبو جعفر الصفار: لا تضار - بالسكون مع التشديد ، أجرى الوصل مجرى الوقف ، و روى عنه: لا تضار - باسكان الراء و تخفيفها ، و هى قراءة الأعرج من ضار يضير و هو مرفوع ، أجرى الوصل فيه مجرى الوقف (٦-٦) ليس فى ظ (٧) فى م و ظ: فيهما (٨-٨) فى م: للمفعول و الفاعل .

بولده ق ﴾ أى [1] المولود على فراشه ليس له أن يضر الوالدة به و ليس لها أن تضره به و لا أن [2] تضر الولد بتفريط و نحوه حملا للفاعلة على الفعل المجرد ، [3] و كل من أسند سبحانه و تعالى المضارة [4] إليه أضاف إليه الولد استعطافا له عليه و تحريكا لطبعه إلى مزيد نفعه . قال الحرالى : ففيه [5] إيذان بأن لا يمنع الوالد الأم أن ترضع ولدها فيضرها [6] فى فقدها له و لا يسىء معاملتها فى رزقها و كسوتها بسبب ولدها ، فكما لم يصلح أن يمسكها زوجة إلا بمعروف لم يصلح أن يسترضعها إلا بالمعروف [7] و لا يتم المعروف إلا بالبراءة من المضارة ، و فى إشعاره تحذير الوالدات من ترك أولادهن لقصد الإضرار مع ميل [8] الطبع إلى القيام بهم و كذلك فى إشعاره أن لا تضره فى سرف رزق و لا كسوة - انتهى .

و لما تم الأمر بالمعروف و ما تبعه من تفسيره و كان ذلك على تقدير وجود الوالد إذ ذاك بين الحال بعده فقال : ﴿ و على الوارث [9] ﴾ أى

(١) ليس فى م و مد و ظ (٢) ليس فى ظ (٣) العبارة من هنا إلى « نفعه » ليست فى ظ (٤) فى الأصل : المضاف ، و التصحيح من م و مد (٥) فى م : نفيه (٦) فى الأصل : فيصيرها ، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) فى م : بمعروف . (٨) فى الأصل : مثل ، و التصحيح من م و مد و ظ (٩) هذا معطوف على قوله « و على المولود له » و الجملتان قبل هذا كالتفسير لقوله « بالمعروف » اعتراض بهما بين المتعاطفين . و قرأ يحيى بن يعمر : و على الورثة مثل ذلك - بالجمع ، و الظاهر فى الوارث أنه وارث المولود له لعطفه عليه و لأن المولود له و هو الأب هو المحدث عنه فى الجملة المعطوف عليه ، و المعنى أنه إذا مات المولود له وجب على وارثه ما وجب عليه من رزق الوالدات و كسوتهن بالمعروف =

وارث الوالد و هو الرضيع ﴿ مثل ذلك ج ﴾ أى المأمور به من المعروف على ما فسره به فى ماله إن مات والده و الوارث . قال الحرالى : المتلق من الأحياء عن الموتى ما كان لهم من حق أو مال - انتهى[1] . و قيل فى الوارث غير ذلك [2] لأنه تقدم ذكر الوالدات[3] و الولد و المولود له فاحتمل أن يضاف الوارث إلى كل منهم .

و لما بين أمد الرضاع و أمر النفقة صرح بما أفهمه الكلام من جواز الفطام قبل التمام فقال مسببا عما أفهمته العبارة : ﴿ فان ارادا ﴾ [أى -[4]] الوالدان ﴿ فصالا ﴾ أى فطاما *قبل تمام الحولين* للصغير عن الرضاع . قال الحرالى : و هو من الفصل / و هو عود المتواصلين إلى ٢٣٩/ بين سابق - ه انتهى . و هو أعم من الفطم فلذا عبر به[5] . و لما بين ذلك نبه[6] على أنه لا يجوز إلا مع المصلحة فقال : ﴿ عن تراض منهما[7] ﴾

= و تجنب الضرار ، و روى هذا عن عمر و الحسن و قتادة و السدى ، و خصه بعضهم بمن يرث من الرجال يلزمه الإرضاع كما كان يلزم أبا الصبى لو كان حيا ، وقاله مجاهد و عطاء ، و قال سفيان : الوارث هو الباقى من والدى المولود بعد وفاة الآخر منهما و يرى مع ذلك إن كانت الوالدة هى الباقية أن يشاركها العاصب فى إرضاع المولود على قدر حظه من الميراث كما قال : و اجعله الوارث منا - البحر المحيط ٢/٢١٦ .

(١) سقط من م و ظ (٢) العبارة من هنا إلى « كل منهم » ليست فى ظ . (٣) من مد ، و فى الأصل و م : الوالدان (٤) زيد من م و ظ و مد (٥-٥) ليست فى ظ (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عبر (٧) و فى المد من البحر ٢/٢١٧ : فلابد من تراضيهما فلو رضى أحدهما و أبى الآخر لم يجبر ، و أخر التشاور لأنه =

ثم بين أن الأمر خطر يحتاج إلى تمام النظر بقوله: ﴿ و تشاور ﴾ أى إدارة[1] للكلام[2] فى ذلك ليستخرج الرأى الذى ينبغى أن يعمل به. قال الحرالى: فأفصح باشعار ما فى قوله "ان يتم" و أن الكفاية قد تقع بدون الحولين فجعل ذلك لا يكون بريا من المضارة[3] إلا باجتماع إرادتهما و تراضيهما و تشاورهما[4] لمن له تبصرة لئلا تجتمعا على نقص[5] الرأى، قال عليه الصلاة و السلام «ما خاب من استخار و لا ندم من استشار»، و المشورة أن تستخلص حلاوة الرأى و خالصه[6] من خلايا الصدور كما يشور[7] العسل جانيه - انتهى. ﴿ فلا جناح عليهما ﴾ فيما [8]نقصاه عن[8]

= به يظهر صلاح الأمور و الآراء و فسادها، و يحتمل أن يكون التشاور منهما أى يشاور أحدهما الآخر أو يشاور أحدهما أو كلاهما غيرهما.

(١) وقع فى ظ: ارادة - مصحفا (٢) فى مد الكلام (٣) فى م: المضارعة. (٤) و فى م و ظ و مد: مشاورتهما. و التشاور فى اللغة استخراج الرأى، من قولهم: شرت العسل أشوره، إذا اجتنيته، و الشورة و المشورة و بضم العين و تنقل الحركة كالمعونة، قال حاتم:

و ليس على نارى حجاب أكفها لمقتبس ليلا و لكن أشيرها

و قال أبو زيد: شرت الدابة و شورتها أجريتها لاستخراج جريها ... و منه الشوار و هو متاع البيت لظهوره للناظر، و شارة الرجل هيئته لأنها تظهر من زيه و تبتدئ من زينته - البحر المحيط ٢/٢٠٦ و ٢٠٧ (٥) فى م: نقض. (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: خالصة (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يسور (٨-٨) فى الأصل: نقصاه من، و فى م: نقصان عن، و التصحيح من مد.

الحولين[١] لأنهما[٢] غير متهمين فى أمره و اجتماع رأيهما فيه و رأى من يستشيرانه[٣] قلّ ما يخطئ . قال الحرالى : فيه إشعار بأنها ثلاث رتب : رتبة تمام فيها الخير و البركة ، و رتبة كفاية فيها[٤] رفع الجناح ، و حالة مضارة فيها الجناح - انتهى[٥] . و قد أفهم تمام هذه العناية أن الإنسان كلما كان أضعف كانت[٦] رحمة الله له أكثر و عنايته به أشد .

و لما بين رضاع الوالدات و قدمه دليلا على أولويته أتبعه ما يدل على جواز غيره فقال : ﴿ و ان اردتم ﴾ أى[٧] أيها الرجال ﴿ ان تسترضعوآ ﴾ أى أن[٧] تطلبوا من يرضع ﴿ اولادكم ﴾ من غير الأمهات ﴿ فلا جناح ﴾ أى ميل بأثم ﴿ عليكم اذا سلمتم ﴾ أى إلى المراضع[٨] ﴿ مآ أتيتم ﴾ أى ما جعلتم لهن من العطاء ﴿ بالمعروف ط ﴾ موفرا طيبة به أنفسكم من غير تشاحح و لا تعاسر[٩] لأن ذلك أقطع[١٠] لمعاذير المراضع

(١) العبارة من « فيما » إلى هنا ليست فى ظ ، و قال أبو البركات النسفى فى مدارك التنزيل ١/٩٢ : فلا جناح فى ذلك زادا على الحولين أو نقصا ، و هذه توسعة بعد التحديد (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : انهما (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يستشيرا له (٤) زيد فى م : يقع (٥) فى مدارك التنزيل ١/٩٢ : و ذكر التشاور ليكون التراضى عن تفكر فلا يضر الرضيع فسبحان الذى أدب الكبير و لم يهمل الصغير و اعتبر اتفاقهما لما للأب النسبة و الولاية و للأم الشفقة و العناية (٦) فى مد : كان (٧) ليس فى ظ (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المواضع (٩) العبارة من هنا إلى « الصغير » ليست فى ظ . (١٠) فى م : قطع .

فهو أجدر بالاجتهاد فى النصيحة [1] و عدم التفريط فى [2] حق الصغير .

و لما كان التقدير : فافعلوا جميع ما أمرتكم به و انتهوا عن جميع ما نهيتكم عنه فقد جمعت لكم مصالح الدارين فى هذا الكتاب الذى هو هدى للمتقين ، عطف عليه قوله : ﴿ و اتقوا الله [3] ﴾ [4] أى الذى له القدرة الشاملة و العلم الكامل [4] ثم خوفهم [5] سطواته بقوله [5] منبها [4] على عظم هذه الأحكام [4] ﴿ و اعلموآ ﴾ و علق الأمر بالاسم الأعظم الجامع لجميع [6] الأسماء الحسنى فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال تعظيما للمقام و لذلك أكد [عليه - [7]] سبحانه و تعالى هنا على نحو ما مضى فى " و ما تفعلوا من خير فان الله به عليم " بتقديم قوله للإعلام بمزيد الاهتمام ﴿ بما تعملون ﴾ أى من سر و علن .

و لما كانت هذه الأحكام أدق [8] مما فى الآية التى بعدها و كثير

---

(١) العبارة من هنا إلى « الصغير » ليست فى ظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل : فمن (٣) لما تقدم أمر و نهى خرج على تقدير أمر بتقوى الله تعالى و لما كان كثير من أحكام هذه الآية متعلقا بأمر الأطفال الذين لا قدرة لهم و لا منعة مما يفعله بهم حذر و هدد بقوله " و اعلموا " و أتى بالصفة التى هى " بصير " مبالغة فى الإحاطة بما يفعلونه معهم و الاطلاع عليه كما قال تعالى " و لتصنع على عينى " فى حق موسى على نبينا و عليه أفضل الصلاة و السلام إذ كان طفلا ، قالوا : و فى الآية ضروب من البيان و البديع ، منها تلوين الخطاب و معدوله فى " والوالدات يرضعن " فانه خبر معناه الأمر على قول الأكثر و التأكيد بكاملين - البحر المحيط ٢/٢١٩ (٤ - ٤) ليست فى ظ (٥ - ٥) فى ظ : بواسطة قوله (٦) فى ظ : بجميع (٧) زيد من م و ظ و مد (٨) فى م : ارق .

منها منوط بأفعال القلوب ختمها[١] بما يدل على البصر و العلم فقال: ﴿ بصير ه[٢] ﴾ أى بالغ العلم به فاعملوا بحسب ذلك .

و لما ذكر الرضاع و كان من تقاديره ما إذا مات الأب ذكر عدة الوفاة[٣] لذلك و تتميما لأنواع العدد فقال[٤] . و قال الحرالى: لما ذكر عدة الطلاق الذى هو فرقة الحياة انتظم برأس آيته[٥] ذكر عدة الوفاة الذى هو فراق الموت و اتصل بالآية السابقة لما انجر فى ذكر الرضاع من موت الوالد و أمر الوارث و كذلك كل آية تكون رأسا لها متصلان متصل بالرأس النظير لها المنتظمة به و متصل بالآية السابقة قبلها بوجه ما - انتهى . فقال: ﴿ و الذين[٦] ﴾ أى و أزواج الذين ﴿ يتوفون منكم ﴾ أى[٧] يحصل وفاتهم[٧] بأن[٨] يستوفى[٩] أنفسهم التى كانت عارية فى أبدانهم الذى[١٠] أعارهم إياها . قال الحرالى: من الوفاة و هو استخلاص الحق

(١) فى ظ : ختم (٢) من م و ظ و القرآن المجيد ، و فى الأصل : خبير ، ولا يتضح فى مد (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الوفا (٤) ليس فى ظ .
(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اتية (٦) مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما تقدم ذكر عدة طلاق الحيض و اتصلت الأحكام إلى ذكر الرضاع و كان فى ضمنها قوله "وعلى الوارث مثل ذلك" أى وارث المولود له ذكر عدة الوفاة إذ كانت مخالفة لعدة طلاق الحيض ، و قرأ الجمهور : يتوفون - بضم الياء مبنيا للمفعول ، و قرأ على و المفضل عن عاصم بفتح الياء مبنيا للفاعل ، و معنى هذه القراءة أنهم يستوفون آجالهم - البحر المحيط ٢/٢٢١ (٧-٧) سقطت من ظ ، و فى مد: تحصل وفاتهم (٨) من م و مد ، و فى الأصل : كان ، و فى ظ : اى .
(٩) فى م و مد: تستوفى (١٠) فى م: التى .

من حيث وضع . إن الله عز و جل نفخ الروح و أودع النفس ليستوفيها بعد أجل من حيث أودعها فكان ذلك توفيا[1] تفعلا[2] من الوفاء و هو أداء الحق ﴿ و يذرون ﴾ من الوذر[3] و هو أن يؤخذ المرء عما شأنه إمساكه ﴿ أزواجا ﴾ بعدهم . و لما أريد تأكيد[4] التربص مراعاة لحق الأزواج و حفظا لقلوب الأقارب و احتياطا للنكاح أتى به في صيغة الخبر الذي من شأنه أن يكون قد وجد و تم فقال : ﴿ يتربصن ﴾ أي يتنظرنه أزواجهن[5] لانقضاء العدة . و لما كان الممنوع إنما هو العقد و التعرض له بالأفعال دون طلبه بالتعريض قال[6] معبرا بالنفس لذلك و للتنبيه على أن العجلة عن ذلك إنما تكون شهوة نفسانية بهيمية ليكون ذلك حاديا[8] على[9] البعد عنها : ﴿ بأنفسهن ﴾ فلا يبذلنها[10] لزوج[11] ولا يخرجن من[12] منزل الوفاة و يتركن الزينة و كل ما للنفس فيه شهوة تدعو[13] إلى النكاح كما بينت ذلك السنة ﴿ أربعة أشهر و عشرا ﴾

٢٤٠ /

(١) من م و مد و ظ . و في الأصل : ترقيا (٢) من م و ظ ، و في الأصل : تفصيلا ، و لا يتضح في مد (٣) يذر معناه يترك ، و يستعمل منه الأمر و لا يستعمل منه اسم الفاعل و لا المفعول و جاء الماضي منه على طريق الشذوذ - قاله الأندلسي في البحر المحيط ٢ / ٢٢٠ (٤) سقط من م ، و لا يتضح في مد (٥) في الاصل : بحق ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) في ظ : ازواجهم (٧) العبارة من هنا إلى « البعد عنها » ساقطة من ظ (٨) من مد ، و في الاصل و م : حاديا . (٩) في الأصل : عن ، و التصحيح من م ومد (١٠) من مد و ظ ، و في الأصل و م : فلا يبذلنها (١١) العبارة من هنا إلى « السنة » ليست في ظ (١٢) من م ومد . و في الاصل : عن (١٣) من م ، و في الاصل : يدعوا ، و لا يتضح في مد .

إن كن حرائر[1] و لم يكن حمل[2] [3] سواء كانت صغيرة أو كبيرة تحيض أو لا ، ابتداؤها من حين الوفاة لأنها السبب[4] [و غلب الليالى فأسقط - [5]] التاء لأن أول الشهر الليل ﴿ فاذا بلغن اجلهن ﴾ و لما كان [الله - [6]] سبحانه و تعالى قد جعل المسلمين كالجسد الواحد و كان الكلام فى أزواج الموتى أعلم سبحانه و تعالى بأنه يجب على إخوانهم المسلمين من حفظ حقوقهم ما كانوا يحفظونه لو كانوا أحياء بقوله : ﴿ فلا جناح

(١) فى الأصل: حرير ، والتصحيح من بقية الأصول (٢) زيد فى الأصل «حمل» مكررا فحذف . و قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ٢/ ٢٢٥ : و قال الراغب: ذكر الأطباء أن الولد فى الأكثر إذا كان ذكرا يتحرك بعد ثلاثة أشهر و إذا كان أنثى بعد أربعة أشهر ، و زيد على ذلك " عشرا " استظهارا ، قال : و خصت العشرة بالزيادة لكونها أكمل الأعداد و أشرفها لما تقدم فى " تلك عشرة كاملة " . قال القشيرى : لما كان حمل الميت أعظم لأن فراقه لم يكن بالاختيار كانت مدة وفاته أطول و فى ابتداء الإسلام كانت عدة الوفاة سنة ثم ردت إلى أربعة أشهر وعشرة أيام لتخفيف براءة الرحم عن ماء الزوج ، ثم إذا انقضت العدة أبيح لها التزوج بزوج آخر إذ الموت لا يستديم موافاة إلى آخر عمر أحد كما قيل :

وكما تبلى وجوه فى الثرى فكذا يبلى عليهن الحزن

(٣) العبارة من هنا إلى « لأنها السبب » ليست فى ظ (٤) من م و مد ، و فى الأصل: المسبب (٥) زيدت من م و ظ و مد . و فى البحر المحيط ٢/٢٢٣ : قالوا معناه و عشر ليال و لذلك حذف التاء و هى قراءة ابن عباس و المراد عشر ليال بأيامها فيدخل اليوم العاشر، قيل و غلب حكم الليالى إذ الليالى أسبق من الأيام و الأيام فى ضمنها و عشر أخف فى اللفظ ، و لا تنقضى عدتها إلا بانقضاء اليوم العاشر - هذا قول الجمهور (٦) زيد من م و ظ و مد .

عليكم

عليكم ﴾ أى يا أهـل الدين ﴿ فيما ﴾ و لما كان لا بد من إذن المرأة و قد تأذن للقاضى على رغم[1] الولى عند عضله مثلا أسند الفعل إليهن فقال: ﴿ فعلن فى انفسهن[2] ﴾ أى من النكاح و مقدماته[3] التى كانت ممنوعة منها بالإحداد[3]، و لا يحمل هذا على المباشرة ليكون[4] [دليلا على -[5]] إنكاح المرأة نفسها لمعارضة آية " و لا تعضلوهن " المتأيدة[6] بالسنة. و لما كان ذلك قد لا يكون على وجه شرعى قال: ﴿ بالمعروف ﴾ لينصرف إلى الكامل فلا يكون فى ذلك شوب نكارة[7]، فان فعلن ما ينكر كان على الناس الجناح بترك الأمر[8] كما عليهن بالفعل؛ و أجمع الفقهاء غير أبى مسلم الأصفهانى على أن هذه الآية ناسخة لآية العدة بالحول، و التقدم فى التلاوة لا يمنع التأخر فى النزول لأن[9] الترتيب ليس على ترتيب النزول - نقل ذلك الشمس الأصفهانى، و يرد عليه ما سيأتى[10] نقله [له -[5]] عن مجاهد.

و لما كان التقدير: فالله حد لكم هـذه الحدود فاحفظوها عطف

---

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: زعم (٢) قال الزمخشرى: " فيما فعلن فى انفسهن " من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذى لا ينكره الشرع، و المعنى أنهن لو فعلن ما هو منكر كان على الأئمة أن يكفوهن، و إن فرطوا كان عليهم الجناح - انتهى كلامه، و هو حسن - البحر المحيط ٢/ ٢٢٥.
(٣-٣) ليست فى ظ (٤) فى م: لتكون (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) فى مد: المتابدة (٧) فى ظ: نكادة، و لا يتضح فى مد (٨) فى مد: لامر (٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لانه (١٠) فى مد: يأتى.

عليه[1] قوله محذرا من التهاون في شيء منها في أنفسهم أو من الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في حق غيرهم: ﴿ و الله ﴾ أي الذي له صفات الكمال ﴿ بما تعملون ﴾ من سر و علانية . [و لما كان هنا من أمر[2] العدة[3] ما لم تعرفه العرب قبل فربما أنكرته القلوب لكونها[3] لم تفهم سره و كان أمر النكاح و إن قيد بالمعروف باطنا ختم بقوله -[4]] ﴿ خبير[5] ﴾ أي يعلم خفايا البواطن كما يعلم ظواهرها فاحذروا مخالفته و أطيعوا أمره[4] .

و لما حد سبحانه و تعالى هذه المدة لمنعهن عن الرجال بين أن التعريض بالخطبة ليس داخلا في المنع فقال: ﴿ و لا جناح عليكم ﴾ أي إثم بميل[6] ﴿ فيما عرضتم به ﴾ أي قلتموه و أنتم تقصدون ما هو بعيد عنه كأنه في جانب و هو في جانب آخر لا يتأدى إليه إلا بدورة[7] [كأنت جميلة أو نافعة ، و أنا عازم على أن أتزوج ، و عسى أن ييسر الله لي قرينة[8] صالحة -[9]] . قال الحوالي : من التعريض و هو تفعيل من

(١) سقط من م (٢) ليس في مد و ظ (٣-٣) ليست في مد و ظ (٤) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد و ظ (٥) أخره في الأصل : عن « ظواهرها » . و في البحر المحيط ٢/ ٢٢٠ : خبير للمبالغة ، من خبرت الشيء علمته ، و منه قتل ارضا خارها ، و خبرت زيدا اختبرته ، و لهذه المادة رجع الخبر لأنه الشيء المعلم به ، و الخبار الأرض اللينة ، و فيه ٢/ ٢٣٥ : و هو العلم بما لطف و التقصي له . (٦) من م و مد ، و في الأصل : بميل . و ليس في ظ (٧) في ظ : بدوة (٨) في م : قريبة - كذا (٩) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد .

العرض[1] و العرض[1] و هو إلقاء القول عرضا أى ناحية على غير قصد إليه و صمد نحوه -[2] انتهى . و الفرق بينه و بين الكناية أنه كلام ظاهر فى معنى يقصد به غير معناه الظاهر فلا يفهم المراد إلا بالقرائن ، كقول المحتاج : جئت لأسلم عليك و أنظر وجهك الكريم ، و يسمى التلويح أيضا ، و الكناية ذكر اللازم و إرادة الملزوم ، و قد أفهم نوط الحل بالتعريض تحريم التصريح المقابل له و للكناية[3] ، و الصريح اسم لما هو ظاهر المراد عند السامع بحيث يسبق إلى فهمه المراد[4] و لا يسبق غيره عند الإطلاق ﴿ من خطبة ﴾ و هى الخطاب فى قصد[5] التزوج . [6] و قال الحرالى[7] : هى هيئة الحال فيما بين الخاطب و المخطوبة التى النطق عنها هو الخطبة بالضم ﴿ النساء ﴾ المتوفى عنهن أزواجهن و من أشبههن فى طلاق بائن بالثلاث أو غيرها .

(١) فى مد : الغرض (٢) العبارة من هنا إلى « عند الإطلاق » ليست فى ظ .
(٣) فى مد : و الكناية (٤) ليس فى م (٥) فى الأصل : قصة ، و فى ظ : عرض ، و التصحيح من م و مد (٦) العبارة من هنا إلى « بالضم » ليست فى م (٧) و قال الأندلسى : الخطبة بكسر الخاء التماس النكاح ، يقال : خطب فلان فلانة ، أى سألها خطبه أى حاجته ، فهو من قولهم : ما خطبك ، أى ما حاجتك و أمرك ؛ قال الفراء : الخطبة مصدر بمعنى الخطب و هو من قولك : إنه يحسن القعدة و الجلسة ، يريد القعود و الجلوس ؛ و الخطبة بضم الخاء الكلام المشتمل على الزجر و الوعظ و الأذكار ، و كلاهما راجع للخطاب الذى هو الكلام و كانت سجاح يقول لها الرجل : خطب ، فتقول : نكح - البحر المحيط ٢/٢٢١ .

و لما أحل[1] له التعريض و كان قد يعزم على التصريح إذا حل له ذلك[2] نفى عنه الحرج فيه بقوله: ﴿ او اكننتم ﴾ أى[3] أضمرتم ﴿ فى أنفسكم ط ﴾ من تصريح و غيره [4]سواء كان من شهوات النفس أو لا[4]. قال الحرالى: من الكن - بالفتح - و هو الذى من معناه الكن - بالكسر - و هو ما وارى بحيث لا يوصل به إلى شىء.

و لما كان لله سبحانه و تعالى بهذه الأمة عناية عظيمة فى التخفيف عنها أعلمها بذلك بقوله على سبيل التعليل: ﴿ علم الله ﴾ أى بما له من صفات / الكمال ﴿ انكم ستذكرونهن ﴾ أى فى العدة فأذن لكم [5]فى ذلك على ما حد لكم[5]. قال الحرالى: ففيه إجراء الشرعة على الحيلة[6] الخاص /٢٤١

(١) من مد، و فى الأصل و م و ظ: اجل (٢) زيد بعده «و» فى الأصل و لم تكن الزيادة فى م و ظ فحذفناها (٣) و فى البحر المحيط ٢/٢٢٥: أى أخفيتم فى أنفسكم من أمر النكاح فلم تعرضوا به و لم تصرحوا بذكر و كان المعنى رفع الجناح عمن أظهر بالتعريض أو ستر ذلك فى نفسه، و إذا ارتفع الحرج عمن تعرض باللفظ فأحرى أن يرتفع عمن كتم و لكنهما حالة ظهور و إخفاء عفى عنهما، و قيل المعنى أنه يعقد قلبه على أنه سيصرح بذلك فى المستقبل بعد انقضاء العدة فأباح الله التعريض و حرم التصريح فى الحال و أباح عقد القلب على التصريح فى المستقبل و لا يجوز أن يكون الإكنان فى النفس هو الميل إلى المرأة لأنه كان يكون من قبيل إيضاح الواضحات لأنه التعريض بالخطبة أعظم حالا من ميل القلب. . . . أكن الشىء أخفاه فى نفسه و كنه ستره شىء، و الهمزة فى أكن للتفرقة بين المعنيين كأشرقت (٤-٤) ليست فى ظ (٥-٥) فى م: على ما حد لكم فى ذلك (٦) فى م و مد: الجبلة.

بهذه الأمة [انتهى - [1]] .

و لما كان التقدير : فاذكروهن ، استثنى منه قوله : ﴿ و لكن لا تواعدوهن ﴾ أى فى ذكركم إياهن[2] ﴿ سرا ﴾ و لما كان السر يطلق على ما أسر بالفعل و ما هو أهل أن يسر به[3] و إن جهر بين أن المراد الثانى و هو السر بالقوة فقال : ﴿ الآ ان تقولوا ﴾ أى فى الذكر لهن ٥ ﴿ قولا معروفا[4] ﴾ لا يستحيي منه عند أحد من الناس ، فآل[4] الأمر إلى أن المعنى لا تواعدوهن إلا ما لا يستحيي من ذكره فيسر[5] و هو التعريض ؛ [6]فنصت [7]هذه الآية على تحريم التصريح بعد إفهام الآية الأولى لذلك اهتماما به لما[8] للنفس من الداعية إليه .

و لما كانت عدة الوفاة طويلة فكان حبس النفس فيها عن النكاح ١٠ شديدا و كانت إباحة التعريض قريبة من الرتع حول الحمى[9] و كان من يرتع حول الحمى[9] يوشك أن يواقعه خصها باتباعها النهى عن العقد قبل الانقضاء حملا على التحرى و منعا من التجرى[10] فقال : ﴿ و لا تعزموا ﴾ أى تبتّوا أى تفعلوا فعلا بتّا مقطوعا به غير متردد فيه[11]

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) فى مد : اياهم (٣) أخره فى م و مد و ظ عن «جهر» . (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : قال (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فليس (٦) العبارة من هنا إلى «الداعية إليه» سقطت من ظ (٧) من م و مد ، و فى الأصل : فنصب (٨) من م و مد ، و فى الأصل : لا (٩-٩) سقطت من م ، و فى ظ : المحمى - مكان : الحمى (١٠) فى ظ : التحرى . و زيد بعده فى الأصل فقط : مى - كذا (١١) زيدت فى ظ : فالنهى عن العقد بطريق الأولى . و فى =

﴿ عقدة النكاح ﴾ [١] أى النكاح الذى يصير معقودا [١] للمعتدة عدة هى فيها بائن [٢] فضمن العزم البتة [٣] و لذلك أسقط 'على' و أوقعه على العقدة التى هى من آثاره و لا تتحقق [٤] بدونه فكأنه قال: و لا تعزموا على النكاح باقين عقدته، و هو أبلغ مما لو قيل: و لا تعقدوا [٥] النكاح، فان النهى عن العزم الذى هو سبب العقد نهى عن العقد بطريق [٦] الأولى [٧].

قال الحرالى [٨]: و العقدة توثيق جمع الطرفين المفترقين بحيث يشق حلها

= البحر المحيط ٢/٢٢٩: ﴿و لا تعزموا﴾ نهوا عن العزم على عقدة النكاح و إذا كان العزم منهيا عنه فأحرى أن ينهى عن العقدة، و انتصاب عقدة على المفعول به لتضمين « تعزموا » معنى ما يتعدى بنفسه فضمن معنى تنووا .... و عقدة النكاح ما تتوقف عليه صحة النكاح .

(١-١) سقطت من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « بطريق الأولى » ليست فى ظ.

(٣) فى م: البت . و قال أبو حيان الأندلسى: و قيل انتصب على إسقاط حرف الجر و هو على هذا التقدير: و لا تعزموا على عقدة النكاح، حكى سيبويه أن العرب تقول: ضرب زيد الظهر و البطن أى على الظهر و البطن، و قال الشاعر:

و لقد أبيت على الطوى و أطله حتى أنال به كريم المأكل

أى و أطل عليه فحذف على و وصل الفعل إلى الضمير فنصبه (٤) من م، و فى الأصل و مد: لا يتحقق (٥) من م و مد، و فى الأصل: و لا تعتدوا (٦) كذا فى الأصول، و الظاهر: بالطريق (٧) زيد فى الأصل « باين » و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) و فى البحر المحيط ٢/٢٢١: العقدة فى الحبل و فى الغصن معروفة، يقال: عقدت الحبل و العهد، و يقال: أعقدت العسل، و هو راجع لمعنى الاشتداد، و تعقد الأمر على: اشتد، و منه العقود .

و هو معنى دون الكتب الذى هو وصلة و خرز[1] ﴿ حتى يبلغ الكتب ﴾ أى الذى تقدم فيما أنزلت عليكم منه بيان عدة من زالت عصمتها من رجل بوفاة [2]أو طلاق ، أو ما كتب و فرض من العدة[2] ﴿ اجله ط ﴾ أى أخر مدته التى ضربها للعدة .

و لما أباح سبحانه و تعالى التعريض و حظر عزم العقدة[3] و غلظ الأمر بتعليقه بالكتاب و[4] بقى بين[4] الطرفين أمور[5] كانت الشهوة فى مثلها غالبة و الهوى مميلا غلظ سبحانه و تعالى الزواجر لتقاوم[6] تلك الدواعى فتولى تلك الأمور تهديد قوله تعالى: ﴿ و اعلموآ ﴾ أى أيها الراغبون فى شىء من[7] ذلك ﴿ ان الله ﴾ و له جميع الكمال ﴿ يعلم ما فى أنفسكم ﴾ كله ﴿ فاحذروه ج ﴾ [و - [8]] [9]لا تعزموا على شر[9] فانه يلزم من إحاطة العلم إحاطة القدرة .

و لما هددهم بعلمه و كان ذلك النهاية فى التهديد و كان كل أحد يعلم من نفسه فى[10] النقائص ما يجل عن الوصف أخبرهم بما أوجب الإمهال على ذلك من منه بغفرانه و حلمه حثا على التوبة و إقامة بين الرجاء و الهيبة فقال[11] : ﴿ و اعلموآ ان الله ﴾ أى كما اقتضى جلاله العقوبة

(١) من مد و ظ ، و فى الأصل : حرز، و فى م : حزر (٢-٢) سقطت من ظ.
(٣) فى ظ : العقد (٤-٤) فى الأصل : نفى من ، و التصحيح من م و مد و ظ .
(٥) من مد، و فى م: امرو، و فى ظ : امورا (٦) من م ومد و ظ، و فى الأصل : التقادم (٧) سقط من ظ (٨) زيد من م و مد (٩-٩) سقطت من ظ .
(١٠) فى ظ و مد: من (١١) و فى البحر المحيط ٢/٢٣٠ : و لما هددهم بأنه مطلع =

اقتضى جماله العفو فهو لذلك ﴿ غفور ﴾ أى ستور لذنوب الخطائين إن تابوا ﴿ حليم ﴾ لا يعاجل أحد العقوبة فبادروا بالتوبة رجاء غفرانه و لا تغتروا بامهاله [1] فان غضب الحليم لكونه بعد طول الأناة لا يطاق ، و يجوز أن يكون التقدير : [2] و لا [2] تصرحوا للنساء المعتدات ٥ بعقدة [3] النكاح فى عدة [4] من العدد ؛ و السر فى تفاوتها أن عدة الوفاة طولت مراعاة للورثة إلى حد هو أقصى [5] دال على [5] براءة الرحم ، لأن الماء يكون فيه أربعين يوما نطفة و مثلها علقة و مثلها مضغة ثم [6] ينفخ فيه الروح فتلك أربعة أشهر ، و قد تنقص الأشهر أربعة أيام فزيدت عليها و جبرت بما أتم أقرب العقود إليها ؛ و فى صحيح مسلم رضى الله ١٠ تعالى عنه تقدير المدة الأولى باثنين و أربعين يوما [7] ، و فى رواية : خمس و أربعين ، و فى رواية : بضع و أربعين ، فاذا حمل البضع على ست و زيد

= على ما فى أنفسهم و حذرهم منه أردف ذلك بالصفتين الجليلتين ليزيل عنهم بعض روع التهديد و الوعيد و التحذير من عقابه ليعتدل قلب المؤمن فى الرجاء و الخوف ، و ختم بهاتين الصفتين المقتضيتين المبالغة فى الغفران و الحلم ليقوى رجاء المؤمن فى إحسان الله تعالى و طمعه فى غفرانه و حلمه إن زل و هفا ، و أبرز كل معنى من التحذير و الإطماع فى جملة مستقلة و كرر اسم الله تعالى للتفخيم و التعظيم بمن يسند إليه الحكم .

(١) العبارة من هنا إلى « لا يطاق » ليست فى ظ (٢-٢) فى ظ : فلا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعدة (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : عدد . (٥-٥) فى ظ : دالة (٦) فى مد : لم (٧) ليس فى ظ و م ، و لا يتضح فى مد .

ما قد تنقصه الأشهر صارت أربعة أشهر و عشرا[1] ؛ و لم تزد على ذلك مراعاة للمرأة لما قيل إنه يقل صبر النساء بعد ذلك ، و اقتصر فى الاستبراء على قرء[2] و هو أقل دال على براءة الرحم لأن السيد يكون مخالطا للأمة غالبا فيشق الصبر ، و ثلثت عدة الحرة جريا على سنة الشارع فى الاستظهار بالتثليث مع زوال علة[3] الإسراع من المخالطة ، / و لأن ٥ / ٢٤٢ أكثر الطلاق رجعى فربما كان عن غيظ فمدت ليزول فيتروى ، و كانت عدة الأمة من الطلاق بين الاستبراء و عدة الحرة لما تنازعها من حق السيد المقتضى[4] للقصر و حق الزوج المقتضى[5] للطول مع عدم إمكان التنصيف[6] ـ و الله سبحانه و تعالى أعلم .

و لما تمت أحكام العدد و ما يتبعها مما حق الرجال فيه أغلب ١٠ أتبعها أحكام[7] الأصدقة ، و لما كان الكلام قد طال فى أحكام الطلاق

(١) و اختص هذا العدد فى عدة المتوفى عنها زوجها استبراء للحمل فقد روى ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه و سلم قال : يكون خلق أحدكم نطفة أربعين يوما ثم علقة أربعين يوما ثم مضغة أربعين يوما ثم ينفخ فيه الروح أربعة أشهر ، و زاد الله العشر لأنها مظنة لظهور حركة الجنين أو مراعاة لنقص الشهور و كمالها أو استظهارا لسرعة ظهور الحركة أو إبطائها فى الجنين . قال أبو العالية و غيره : إنما زيدت العشر لأن نفخ الروح يكون فيها و ظهور الحمل فى الغالب . و قال الأصمعى : ولد كل حامل يركض فى نصف حمله ـ البحر المحيط ٢/٢٢٤ .

(٢) فى ظ : قراء ، و فى مد : قرأ (٣) فى الأصل : علمه ، و التصحيح من م و مد و ظ (٤) فى ظ : المقتضى (٥) زيد فى م : للزوج (٦) فى ظ : التضيف .

(٧) فى م : حق .

و الموت و لم يذكر الصداق و كان قد ختم[1] تلك الأحكام بصفتى الغفر و الحلم و كان[2] الصداق معلوما عندهم قبل الإسلام اقتضى ذلك السؤال: هل يجب للمفارقة صداق أو هو مما[3] دخل تحت المغفرة و الحلم فلا يجب؟ فقيل: ﴿ لا جناح عليكم[4] ﴾ أى لا تبعة من مهر و لا غيره إلا ما يأتى من المتعة، و أصل الجناح الميل من[5] الثقل ﴿ ان طلقتم النسآء ﴾ أى إن طلق أحد منكم ما يملك عصمته منهن ﴿ ما لم تمسوهن ﴾ أى تجامعوهن. من المس و من المماسة فى القراءة الأخرى و هو ملاقاة الجرمين بغير حائل بينهما - قاله الحرالى ﴿ او تفرضوا لهن فريضة ج ﴾ أى تسموا لهن مهرا معلوما، أى لا جناح عليكم ما لم يقع أحد الأمرين أى مدة انتفائه و لا ينتفى الأحد المبهم إلا بانتفاء الأمرين معا فاذا انتفيا انتفى الجناح و إن وجدا أو أحدهما وجد، فان وجد المسيس وجب[6] المسمى أو مهر المثل، و إن وجد الفرض وجب نصفه إن خلا عن مسيس. قال الحرالى: فى إنبائه صحة عقد النكاح مع إهمال ذكر الصداق

(١) فى م: ضم (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فكان (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: ما (٤) نزلت فى أنصارى تزوج حنيفية و لم يسم مهرا ثم طلقها قبل أن يمسها فقال صلى الله عليه و سلم: متعها و لو بقلنسوتك، فذلك قوله: «لا جناح عليكم» - الآية، و مناسبتها لما قبلها أنه لما بين تعالى حكم المطلقات المدخول بهن و المتوفى عنهن أزواجهن بين حكم المطلقة غير المدخول بها و غير المسمى لها مدخولا بها أو غير ذلك - البحر المحيط ٢/٢٣١ (٥) فى مد: مع. (٦) فى م: وجد.

لا مع إبطاله ، ففيه صحة نكاح التفويض[1] و نكاح التأخير لذكر الصداق ، فبان به أن الصداق ليس ركنا فيه و أن إبطاله مانع من بنائه ، فيكون له ثلاثة أحوال من رفع الجناح فيه عن[2] المهمل الذى لم يمس فيه كأنه كان يستحق فرضا ما [فرفع[3] عنه جناحه من حيث أن على الماس كلية النحلة و على الفارض شطر النحلة - [4]] فرفع عنه جناح الفرض[5] [و جبر موضع الفرض - [4]] بالإمتاع ، و لذلك ألزمت[6] المتعة طائفة من العلماء - انتهى .

و لما كان التقدير : و طلقوهن إن أردتم و راعوا فيهن ما أوجبت من الحقوق لكم و عليكم عطف عليه قوله : ﴿ و متعوهن ج ﴾ أى جبرا[7] لما وقع من الكسر بالطلاق على حسب حال المطلقين ، و المطلقة[8] من غير مس و لا فرض تستحقه[9] للمتعة بالإجماع - نقله الأصبهانى[10] . ﴿ على الموسع ﴾ منهم[11] أى الذى له فى حاله[12] سعة . و قال الحرالى : [هو - [13]] من الإيساع و هو المكنة فى السعة التى هى أكثر من[14]

(١) من م و ظ ، و فى الأصل : التفريض ، و فى مد مطموس (٢) فى م : بمن (٣) فى م : رفع (٤) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد و ظ (٥) كرره فى م (٦) من م و ظ ، و فى الأصل : الزمن ، و لا يتضح فى مد (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : خيرا - كذا (٨) العبارة من هنا إلى « سعة » ليست فى مد (٩) فى م : مستحقة (١٠) فى م و ظ : الاصفهانى (١١) من م و ظ ، و فى الأصل : منع (١٢) فى الأصل : حالة ، و التصحيح من م و ظ و مد . (١٣) زيد من م و ظ و مد (١٤) فى م : فى .

الكفاية ﴿ قدره ﴾ من القدر و هو الحد المحدود فى الشيء حسا أو معى ﴿ و على المقتر ﴾ أى الذى فى حاله[١] ضيق . قال الحرالى : هو[٢] من الإقتار و هو النقص من القدر الكافى - انتهى[٣] . ﴿ قدره ج ﴾ أى ما يقدر عليه و يطيقه ، و قراءة فتح الدال كقراءة إسكانها فانهما[٤] لغتان

٥ *أو أن الفتح مشير إلى التفضل[٦] بتحمل شيء ما فوق القدرة ﴿ متاعا ﴾ أى تمتيعا ﴿ بالمعروف ج ﴾ و هو ما ليس فيه فى الشرع نكارة ﴿ حقا على المحسنين ه ﴾ أى الذين صار الإحسان لهم وصفا لازما ، و الإحسان غاية رتب الدين كأنه[٧] كما قال الحرالى إسلام ظاهر يقيمه إيمان باطن يكمله إحسان شهودى - انتهى . فالكلام على هذا النظام إلهاب و تهييج

١٠ لا قيد ، و إنما كانت إحسانا لأن ملاك القصد فيها كما قال الحرالى ما تطيب[٨] به نفس المرأة و يبقى باطنها و باطن أهلها سلما أو ذا مودة

(١) فى الأصل : حالة ، و التصحيح من ظ و م و مد (٢) ليس فى م (٣) ليس فى ظ . و قال الأندلسى : هذا مما يؤكد الوجوب فى المتعة إذ أتى بعد الأمر الذى هو ظاهر فى الوجوب بلفظ على التى تستعمل فى الوجوب كقوله و « على المولود له رزقهن » « فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب » و الموسع الموسر ، و المقتر الضيق الحال ، و ظاهره اعتبار حال الزوج فمن اعتبر ذلك بحال الزوجة دون الزوج أو بحال الزوج و الزوجة فهو مخالف للظاهر و قد جاء هذا القدر مبهما فطريقة الاجتهاد غلبة الظن إذ لم يأت فيه بشيء موقت ، و معنى قدره مقدار ما يطيقه الزوج - البحر المحيط ٢/٢٣٣ .
(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كأنهما (٥) العبارة من هنا إلى «القدرة» ساقطة من ظ (٦) فى م : التفصيل (٧) فى م : فكأنه ، و فى ظ و مد : فانه .
(٨) فى مد : تطمئن .

لعل

" لعل الله يحدث بعد ذلك امرا[1] " - انتهى. و لا شك فى أن هذا إحسان.

و لما نفى الجناح بانتفاء[2] المسيس و الفرض فأفهم أنهما إذا وجدا وجد الجناح بوجوب المفروض كله أتبعه ما إذا انتفى أحدهما[3] فقط [4]فذكر الحكم عند انتفاء المسيس وحده صريحا فى ضد المفوضة[5] السابقة و أفهم بذلك ما إذا انتفى الفرض وحده تلويحا فقال: ﴿ و ان طلقتموهن ﴾ ٥ أى الزوجات ﴿ من قبل ان تمسوهن ﴾ أى تجامعوهن سواء كانت هناك خلوة أو لا ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنكم[6] ﴿ فرضتم ﴾ [7]أى سميتم[7] ﴿ لهن فريضة ﴾ أى[8] مهرا مقدرا[9] ﴿ فنصف ﴾ أى فالمأخوذ نصف ﴿ ما فرضتم ﴾ أى سميتم لهن من الصداق[10] لا غير[11].

و لما أوجب لها ذلك بعثها[12] على تركه لأن الزوج لم ينتفع منها ١٠ بشىء بالتعبير / بالعفو فقال: ﴿ الآ ان يعفون ﴾ أى النساء[13] فان النون ٢٤٣ / ضميرهن و الواو لام الفعل[13] فلا يؤخذ منكم شىء ﴿ او يعفوا الذى

(١) سورة ٦٥ آية ١ (٢) فى م: فانتفى (٣) من م ومد وظ، وفى الأصل: احدها. (٤) العبارة من هنا إلى « الفرض وحده » ساقطة من ظ (٥) كذا، و الظاهر: الفريضة. وفى البحر المحيط ٢/٢٣٤: لما بين حال المطلقة قبل المسيس و قبل الفرض بين حال المطلقة قبل المسيس و بعد الفرض، و المراد بالمسيس الجماع و بالفريضة الصداق، و الجملة من قوله « و قد فرضتم » فى موضع الحال و يشمل الفرض المقارن للعقد و الفرض بعد العقد و قبل الطلاق (٦) زيد فى الأصل « و قد » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٧ - ٧) أخرها فى ظ عن « لهن فريضة » (٨) فى ظ: لهن (٩) ليس فى ظ (١٠) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى ظ (١١) فى م و مد: غيره (١٢) من م و مد، و فى الأصل: بعضها. (١٣-١٣) ليست فى ظ.

يده ﴾ أى إليه و لكن لما كان أغلب[١] الأعمال باليد أسندت كلها[٢] إليها فصارت كناية عن القدرة ﴿ عقدة النكاح ط ﴾ و هو الزوج الذى إن شاء أبقاها و إن شاء حلها فيسمح[٣] لها بالجميع كان[٤] التعبير بهذا هزا للزوج إلى العفو فى نظير ما جعل إليه من هذا دونها . قال الحرالى :
٥ إذا قرن هذا الإيراد[٥] بقوله : "و لا تعزموا عقدة النكاح" خطابا للأزواج [قوى - [٦]] فسر من جعل الذى بيده عقدة النكاح هو الزوج معادلة للزوجات ، و من خص عفوهن بالمالكات أى الراشدات[٧] خص هذا بالأولياء[٨] فكان هذا النمط من التهديف للاختلاف ليس عن سعة إيهام و كأنه عن تبقية[٩] بوجه ما من نهاية الإفصاح فنشأ الخلاف
١٠ فيه دون[١٠] منشأ الخلاف من[١١] خطابات السعة بالإيهام - انتهى . و جعل الإمام هذا مفهوما من التعبير بالعقدة[١٢] لأنها تدل على المفعول [١٣] كالأكلة و اللقمة[١٣] و الذى بيده ذلك الزوج و الذى بيد الولى العقد [و - [١٤]] [١٣]هو المصدر كالأكل و اللقم[١٣] لا العقدة[١٥] [١٣] الحاصلة بعد العقد[١٣] ﴿ و ان تعفوآ ﴾ أيها الرجال و النساء ﴿ اقرب ﴾ أى من الحكم بالعدل
١٥ الذى هو السواء[١٦] .

و لما كان المقام للترغيب عبر باللام الدالة على مزيد القرب دون

(١) ف م : غالب (٢) ليس ف م و مد (٣) ف ظ : فيمسح (٤) ف مد : كائن (٥) ف ظ : لايراد (٦) زيد من م و ظ و مد (٧) ف م و ظ و مد : الرشيدات . (٨) من م و مد و ظ ، و ف الأصل : الأولياء (٩) من م و مد، و ف ظ : تبقيه، و ف الأصل : تبغيه - كذا بالغين (١٠) سقط من م (١١) ف ظ : ف (١٢) ف ظ : بالعقد (١٣ - ١٣) ليست ف ظ (١٤) زيد من م و مد (١٥) ف م : العدة . (١٦) ف م : السو .

إلى فقال: ﴿ للتقوى ط ﴾ أما من المرأة فلأجل أن الزوج لم ينل منها شيئا و لا حظى بطائل فهو أقرب إلى رضاه، و أما من الرجل فلما أشار إليه بجعل العقدة بيده[1] [فانه - ٣] كما ربطها باختياره [حلها باختياره - [4]] فدفعه[5] الكل أقرب إلى جبر المرأة و رضاها،[6] و من فعل الفضل كان بفعله[7] ذلك أقرب إلى أن يفعل الواجب بمن[8] لم يفضل. ٥

و لما كان العفو فضلا من العافى و إحسانا لها[9] منه و كانوا إنما يتفاخرون بالفضائل أكده بقوله: ﴿ و لا تنسوا ﴾ أى تتركوا ترك[10] المنسى، و التعبير بالنسيان[10] آكد فى النهى ﴿ الفضل ﴾ أى أن تكونوا مفضلين فى جميع ما مضى لا مفضلا عليكم، فان اليد العليا خير من اليد السفلى، و زاده[11] تأكيدا بقوله: ﴿ بينكم ط ﴾ أى حال كونه واقعا فيكم من بعضكم ١٠ لبعض ليس شىء منه خارجا عنكم، و لن ينال الله منه شىء لأنه غنى عن كل شىء، فما[12] أمركم به إلا لنفعكم خاصة، [13] لئلا يتأذى الزوج

(١) ليس فى م (٢) فى ظ: انتهى (٣) زيد من مد و ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٥) من مد و ظ، و فى الأصل و م: فدفعة. (٦) العبارة من هنا إلى «لم يفضل» ليست فى ظ (٧) من م و مد، و فى الأصل: يفعله (٨) فى مد: ممن (٩) ليس فى م و مد و ظ (١٠) فى م: بالنساء - كذا. و قرأ على و مجاهد و أبو حيوة و ابن أبى عبلة: و لا تناسوا الفضل، قال ابن عطية: وهى قراءة متمكنة المعنى لأنه موضع تناس لا نسيان الا على التشبيه؛ انتهى - البحر المحيط ٢/٢٣٨ (١١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: زاد (١٢) فى ظ: مما (١٣) العبارة من هنا إلى «بسببه شىء» سقطت من ظ.

يبذل لم ينتفع[1] فى مقابله[2] من المرأة بشىء ، و لا المرأة بطلاق لم يحصل لها فى نظير ما يلحقها من الكسر بسببه شىء ، و هو يصح أن يكون بالتغليب خطابا للقبيلين . و خصه الحرالى[3] بالرجال فقال : فمن حق الزوج الذى له فضل الرجولة أن يكون هو العافى و أن لا يؤاخذ[4] النساء بالعفو ، و لذلك لم يأت فى الخطاب أمر لهن و لا تحريض ، فمن أقبح ما يكون حمل الرجل[5] على المرأة فى استرجاع ما آتاها بما[6] يصرح به قوله "او اتيتم احدىٰهن قنطارا فلا تاخذوا منه[7] شيئا" فينبغى أن لا تنسوا ذلك الفضل فتجرون عليه حيث لم تلزموا به - انتهى .

(١) زيد فى الأصل « الا » و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) من م و مد ، و فى الأصل : مقابلة (٣) قال أبو حيان الأندلسى : و الذى يظهر أنه خطاب للأزواج فقط و قاله الشعبى إذ هم المخاطبون فى صدر الآية فيكون ذلك من الالتفات إذ رجع من ضمير الغائب و هو الذى "بيده عقدة النكاح" على ما اخترناه فى تفسيره إلى الخطاب الذى استفتح به صدر الآية ، و كون عفو الزوج أقرب للتقوى من حيث أنه كسر قلب مطلقته فيجبرها بدفع جميع الصداق لها إذ كان قد فاتها منه صحبته فلا يفوتها منه نحلته إذ لا شىء أصعب على النساء من الطلاق فاذا بذل لها جميع المهر لم تيأس من ردها إليه و استشعرت من نفسها أنه مرغوب فيها فانجبرت بذلك - البحر المحيط ٢/٢٣٨ (٤) فى م و مد : يؤخذ (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الرجال (٦) فى م : كما (٧) فى الأصل : منهن ، و التصحيح من م و مد و ظ و القرآن المجيد سورة ٣ آية ٢٠

ثم

ثم علل ذلك مرغبا مرهبا[1] بقوله : ﴿ ان الله ﴾[2] [3]أى الذى له الكمال كله[3] ﴿ بما تعملون ﴾ أى و إن دق ﴿ بصير ۝ ﴾ و أفهم ذلك : و إن طلقتموهن بعد المسيس و قبل الفرض فجميع مهر المثل .

و لما ذكرت أحكام النساء و شعبت حتى ضاق فسيح العقل بانتشارها و كاد [أن -[4]] يضيع فى متسع مضمارها مع ما هناك من مظنة[5] الميل ٥ بالعشق و النفرة بالبغض الحامل على الإحن[6] و الشغل[7] بالأولاد و غير ذلك من فتن و بلايا و محن يضيق عنها نطاق الحصر و يكون بعضها مظنة للتهاون بالصلاة بل و بكل عبادة اقتضى الحال أن يقال : يا رب ! إن الإنسان ضعيف و فى بعض ذلك له[8] شاغل عن كل مهم فهل[9] بقى له سعة لعبادتك ؟ فقيل : ﴿ حافظوا ﴾ بصيغة المفاعلة الدالة / على ١٠ / ٢٤٤ غاية العزيمة أى[10] ليسابق بعضكم بعضا فى ذلك ، و يجوز أن يكون ذلك

(١) سقط من ظ (٢) ختم هذه الآية بهذه الصفة الدالة على المبصرات لأن ما تقدمه من العفو من المطلقات و المطلقين و هو أن يدفع شطر ما قبضن أو يكلون لهن الصداق و هو مشاهد مرئى فناسب ذلك المجىء بالصفة المتعلقة بالمبصرات ، ولما كان آخر قوله «والذين يتوفون منكم - الآية » قوله « فلا جناح عليكم فيما فعلن فى انفسهن » مما يدرك بلطف و خفاء ختم ذلك بقوله « و الله بما تعملون خبير » و فى ختم هذه الآية بقوله « ان الله بما تعملون بصير » وعد جميل للمحسن و حرمان لغير المحسن - البحر المحيط ٢/٢٣٨ (٣-٣) ليست فى ظ .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : نطنة (٦) فى الأصل : الاحسن ، و التصحيح من م و مد و ظ (٧) فى ظ : التتعل - كذا .
(٨) ليس فى مد (٩) فى م : فقد (١٠) العبارة من هنا إلى « تشريفكم بها » ليست فى ظ .

بالنسبة إلى العبد و ربه فيكون المعنى : احفظوا صلاتكم له ليحفظ صلاته عليكم فلا يفعل فيها فعل الناسى فيترك تشريفكم بها ، و أخصر منه أن يقال : لما ذكر سبحانه و تعالى ما بين العباد[1] خاصة ذكر ما بينه و بينهم فقال : ـ و قال الحرالى : لما كان ما أنزل له الكتاب إقامة ثلاثة أمور :

٥ إقامة أمر الدين الذى هو ما بين العبد و ربه ، و تمشيـة حال الدنيا التى هى دار محنـة العبد ، و إصلاح حال الآخرة و المعاد الذى [هو - ٢] موضع قرار العبد ، صار ما يجرى[3] ذكره من أحكام تمشية الدنيا غلسا[4] نجوم إنارته أحكام أمر الدين فلذلك[5] مطلع نجوم خطابات الدين أثناء خطابات أمر الدنيا فيكون [خطاب -[6]] الأمر[7] نجما خلال خطابات

١٠ الحرام و الحلال فى أمر الدنيا ؛ و إنما كان نجم هذا الخطاب للمحافظة[8] على الصلاة لأن هذا الاشتجار[9] المذكور بين الأزواج فيما يقع من تكرّه[10] فى الأنفس و تشاح فى الأموال إنما وقع من تضييع المحافظة على الصلوات لأن الصلاة بركة فى الرزق و سلاح على الأعداء و كراهة الشيطان ؛ فهى دافعة للأمور التى منها[11] تتضايق الأنفس و تقبل[12]

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : العبادة (٢) زيد من م و مد و ظ (٣) فى الأصل : ينحوى ـ كذا ، و التصحيح من بقيـة الأصول (٤) فى ظ : علنيا . (٥) فى م فقط : فكذلك (٦) زيد من م و ظ ، و فى مد : خطابات النجم (٧) فى مد : لامر (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الحافظة (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الاشجار (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : نكرة (١١) سقط من م (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يقبل .

الوسواس و يطرقها[1] الشح ، فكان فى إفهام نجم هذا الخطاب أثناء[2] هذه الأحكام الأمر[3] بالمحافظة على الصلوات لتجرى أمورهم على سداد يغنيهم عن الارتباك فى جملة[4] هـذه الأحكام - انتهى . فقال تعالى : "حافظوا[5]" . قال الحرالى : من المحافظة مفاعلة من الحفظ و هو رعاية العمل علما و هيئة و وقتا و إقامة بجميع[6] ما يحصل به أصله و يتم به عمله[7] ٥

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : قطرتها (٢) فى الأصل : ابنا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٣) فى ظ : الامن (٤) فى م و مـد و ظ : حملة - بالحاء المهملة (٥) قال الأندلسى : و الذى يظهر فى المناسبة أنه تعالى لما ذكر جملة كثيرة من أحوال الأزواج و الزوجات و أحكامهم فى النكاح و الوطء و الإيلاء و الطلاق و الرجعة و الإرضاع و النفقة و الكسوة و العدد و الخطبة و المتعة و الصداق و التشطر و غير ذلك كانت تكاليف عظيمة تشغل من كلفها أعظم شغل بحيث لا يكاد يسع معهـا شىء من الأعمال و كان كل من الزوجين قد أوجب عليه للآخر ما يستفرغ فيه الوقت و يبلغ منه الجهـد و أمر كلا منهما بالإحسان إلى الآخر حتى فى حالة الفراق و كانت مدعاة إلى التكاسل عن الاشتغال بالعبادة إلا لمن وفقه الله تعالى أمر تعالى بالمحافظة على الصلوات التى هى الوسيلة بين الله و بين عبده ، و إذا كان قد أمر بالمحافظة على أداء حقوق الآدميين فلأن يؤمر بأداء حقوق الله أولى و أحق ، و لذلك جاء : فدين الله أحق أن يقضى ، فكأنه قيل : لا يشغلنكم التعلق بالنساء و أحوالهن عن أداء ما فرض الله عليكم فمع تلك الأشغال العظيمة لا بد من المحافظة على الصلاة حتى فى حالة الخوف فلا بد من أدائها رجالا و ركبانا و إن كانت حالة الخوف أشد من حالة الاشتغال بالنساء - و ذكر وجوها أخر للمناسبة من شاء الاطلاع فليراجع البحر المحيط ٣٢٩/٢ (٦) فى م و مد : لجميع (٧) فى ظ : علمه .

و ينتهى[1] إليه كماله ، و أشار إلى كمال الاستعداد لذلك بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ على الصلوٰت ﴾ فجمع و عرف حتى يعم[1] جميع أنواعها ، أى افعلوا فى حفظها فعل من يناظر آخر فيه فانه لا مندوحة عنها فى حال من الأحوال حتى و لا فى حال خوف التلف ، فان فى المحافظة عليها كمال صلاح أمور الدنيا و الآخرة لا سيما إدرار الأرزاق و إذلال الأعداء " و امر اهلك بالصلوٰة و اصطبر عليها[2] " - الآية و " استعينوا بالصبر و الصلوٰة[3] " كان النبى صلى الله عليه و سلم إذا حزبه[4] أمر فزع[5] إلى الصلاة ، و لا شك أن اللفظ صالح لدخول صلاة الجنازة فيه ، و يزيده وضوحا اكتناف آيتى[6] الوفاة لهذه الآية سابقا و لاحقا . و قال الحرالى : إن الله سبحانه و تعالى يعطى الدنيا على نية الآخرة و أبى أن يعطى الآخرة على نية الدنيا ، خلل حال المرء فى دنياه و معاده إنما هو عن خلل حال[7] دينه ، و ملاك دينه و أساسه[8] إيمانه و صلاته ، فمن حافظ على الصلوات أصلح الله حال دنياه و أخراه ، و فى المحافظة عليها تجرى مقتضيات عملها عملا إسلاميا و خشوعا و إخباتا إيمانيا و رؤية[7] و شهودا إحسانيا فبذلك تتم المحافظة عليها ، و أول ذلك

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يتم (٢) سورة ٢٠ آية ١٣٢ (٣) سورة ٢ آية ١٩٣ (٤) فى م : ضرّبه - كذا (٥) فى ظ : فرغ - خطأ (٦) فى الأصل : التى ، والتصحيح من م و ظ و مد (٧) ليس فى م (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اساس .

الطهارة لها باستعمال الطهور على حكم السنة و تتبع معانى الحكمة ، كما فى مسح الأذنين مع الرأس ، لأن من فرق بينهما لم يكد يتم له طهور نفسه بما أبدته[1] الحكمة و أقامته السنة و عمل العلماء فصد عنه عامة الخلق الغفلة[2] ؛ ثم التزام[3] التوبة عندها لأن طهور القلب التوبة كما أن طهور البدن و النفس الماء و التراب ، فمن صلى على غير تجديد توبة صلى محدثا ٥ بغير طهارة ؛ ثم حضور القلب فى التوحيد عند الأذان و الإقامة ، فان من غفل قلبه عند الأذان و الإقامة عن التوحيد نقص من صلاته روحها فلم يكن لها عمود قيام ، من حضر قلبه[4] عند الأذان و الإقامه حضر قلبه[4] فى صلاته ، و من غفل قلبه عندهما غفل قلبه فى صلاته ؛ ثم هيئتها فى تمام ركوعها و سجودها ؛ و إنطاق كل ركن عملى بذكر الله يختص[5] به ١٠ أدنى[6] ما يكون ثلاثا فليس فى الصلاة عمل[7] لا نطق له ؛ و لا يقبل الله صلاة / من لم يقم صلبه فى ركوعه و سجوده و قيامه و جلوسه ؛ فبالنقص ٢٤٥/ من تمامها تنقص المحافظة عليها [و بتضييع المحافظة عليها يتملك الأعداء النفس و يلحقها الشح فتنتقل عليها الأحكام و تتضاعف عليها -[8]] مشاق الدنيا ، و ما من عامل يعمل عملا فى وقت صلاة أو حال أذان إلا كان ١٥ وبالا عليه و على من ينتفع به من عمله ، و كان ما يأخذه من أجر فيه

(١) فى مد : ايدته (٢) من م و ظ ، و فى الأصل : العقلية ، و فى مد : العقلة .
(٣) ليس فى م (٤ - ٤) ليست فى م ، و فى ظ « حال » مكان « عند » (٥) فى م و ظ و مد : مختص (٦) فى ظ : أولى (٧) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : عملا (٨) العبارة المحجوزة زيدت من م و ظ و مد .

شقى [١] خبث لا يثمر له [١] عمل بر و لا راحة نفس فى عاجلته و لا آجلته ، و خصوصا بعد [٢] أن أمهل الله الخلق من طلوع شمس يومهم إلى زوالها ست ساعات فلم [٣] يكن لدنياهم حق فى الست الباقية فكيف إذا طولبوا منها بأويقات [٤] الأذان و الصلاة و ما نقص عمل من صلاة ، فبذلك كانت المحافظة على الصلوات [٥] ملاكا لصلاح أحوال الخلق مع أزواجهم فى جميع أحوالهم - انتهى . ﴿ و الصلوٰة الوسطىٰ ﴾ أى خصوصا فانها أفضل الصلوات لأنها [٦] أخصها بهذا النبى الخاتم كما مضى بيانه فى [٧] أول السورة فى قوله " استعينوا بالصبر و الصلوٰة " [٨] فخصها سبحانه و تعالى بمزيد تأكيد و أخفاها لأداء ذلك إلى المحافظة على الكل و لهذا السبب أخفى ليلة القدر فى رمضان ، و ساعة الإجابة فى يوم الجمعة ، و الاسم الأعظم فى جميع الأسماء ، و وقت الموت حملا على التوبة فى كل لحظة . و قال الحرالى : و ما من جملة إلا و لها زهرة فكان [٩] فى الصلوات ما هو منها بمنزلة الخيار من الجملة و خيارها وسطاها [١٠] فلذلك خصص تعالى خيار الصلوات بالذكر ، و ذكرها بالوصف إبهاما [١١] ليشمل الوسطى الخاصة بهذه الأمة و هى العصر التى لم تصح لغيرها من الأمم ، و لينتظم

(١ - ١) فى الأصل : حيث لا ينزله ، و التصحيح من م و ظ و مد غير أن لفظ « له » ليس فى م (٢) ليس فى م (٣) فى م : فمن (٤) فى م : باوقات (٥) فى ظ : الصلاة (٦) فى ظ : لانها (٧) سقط من م و ظ و مد (٨) العبارة من هنا إلى « كل لحظة » سقطت من ظ (٩) فى الأصل : فكانه ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٠) فى ظ : وساطها (١١) فى م : ايهاما - كذا .

الوسطى العامة لجميع الأمم و لهذه الأمة التى هى الصبح ، و لذلك اتسع لموضع أخذها[1] بالوصف مجال العلماء فيها ثم تعدت[2] أنظارهم إلى جميعها لموقع الإبهام[3] فى ذكرها حتى تتأكد المحافظة فى الجميع بوجه ما ، و فى قراءة عائشة رضى الله تعالى عنها : و صلاة العصر - عطفا[4] ما يشعر بظاهر العطف باختصاص الوسطى بالصبح على ما رآه بعض العلماء ، ٥ و فيه[5] مساغ لمرجعه على " الصلوٰة الوسطىٰ " بنفسها ليكون عطف أوصاف ، و تكون تسميتها بالعصر مدحة[6] و وصفا من حيث أن العصر خلاصة الزمان كما أن عصارات الأشياء خلاصاتها " ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس و فيه يعصرون[7] " فعصر اليوم هو خلاصة لسلامته من وهج الهاجرة و غسق الليل ، و لتوسط الأحوال و الأبدان ١٠ و الأنفس بين[8] حاجتى الغداء[9] و العشاء التى هى مشغلتهم بحاجة[10] الغذاء ؛ و من إفصاح العرب عطف الأوصاف المتكاملة فيقال : فلان كريم و شجاع - إذا تم فيه الوصفان ، فاذا نقصا عن التمام قيل : كريم ١١ شجاع - بالاتباع ، فبذلك يقبل معنى هذه القراءة أن تكون الوسطى هى العصر عطفا لوصفين ثابتين لأمر واحد - انتهى . و يوضح ما قاله ١٥ رحمه الله تعالى قولهم[12] فى الرمان المز : حلو ١٣ حامض - من غير عطف ،

---

(١) فى م : اجرها ، فى ظ : اخذها (٢) فى الأصل : نقدت ، و التصحيح من م و ظ و مد (٣) فى م : الايهام (٤) زيد فى مد : على (٥) فى ظ : فى (٦) فى مد : مدحه (٧) سورة ١٢ آية ٤٩ (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يمين . (٩) فى مد : الغذا (١٠) فى ظ و مد : لحاجة (١١) زيد فى م نقط « و » . (١٢) فى مد : قوله (١٣) فى الأصل : حلوه ، و التصحيح من م و ظ و مد .

و برهانه أنهم قالوا : إن الجمل إذا تتابعت من غير عطف كان ذلك مؤذنا بتمام الاتصال بينها[1] فتكون الثانية إما[2] علة للأولى[2] و إما مستأنفة على تقدير سؤال سائل و نحو ذلك مما قاله البيانيون فى باب الفصل و الوصل ، و لو لا إشعار الكلام الأول بالجملة الثانية لاحتياجه إليها لم يوجد [محرك ـ ٣] للسؤال بخلاف ما إذا تعاطفت كان[4] ذلك يؤذن[5] بأن كل واحدة منها غنية عما بعدها و ذلك مؤذن بالتمام : و أما أسماء الله تعالى فتتابعها دون عطف ، لأن شيئا منها لا يؤدى جميع مفهوم اسم الذات العلم و لذلك ختم سبحانه و تعالى آيات سورة الحشر بقوله " له الاسماء الحسنى[6] " أى أن هذه الأسماء التى ذكرت هى مما[7] أفهمه مدلول الاسم العلم المبتدإ به سواء قلنا إنه مشتق أو لا ، و مهما اطلعت على وصف حسن يليق به سبحانه و تعالى فهو مما دل عليه الاسم الأعظم ، لأن من يستحق العبادة / لا يكون إلا كذلك جامعا /٢٤٦ لأوصاف الكمال ، أو لأنه لما جبلت النفوس و طبعت القلوب على المعرفة بأنه سبحانه و تعالى منزه عن شوائب النقص و متصف بأوصاف الكمال كان الإعراء من العطف فيها للإيذان بذلك و ما عطف منها فلمعنى دعا[8] إليه كما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى فى مواضعه ، و أنا لا أشك أن المعطل إذا وقع فى ضيق أخرجه و دهمه من البلاء ما أعجزه و أحرق

(١) وقع فى م : بنفيها ـ مصحفا (٢ ـ ٢) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : علمه للأول (٣) زيد من م و ظ و مد (٤) فى ظ و مد : فان (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : موذن (٦) سورة ٥٩ آية ٢٤ (٧) فى ظ : ما .
(٨) فى م : دعى .

قلبه و أجرى دمعه التفت قلبه ضرورة إلى الله سبحانه و تعالى فى كشفه و ضرع[1] إليه فى إزالته لما ركز فى جبلته[2] من كماله و عظمته و جلاله ذاهلا عما تكسبه من قُرناء السوء[3] من سوء الاعتقاد و جر نفسه إليه من العناد - و الله سبحانه و تعالى أعلم ؛ فدونك قاعدة نفيسة طال ما تطلبتها و سألت عنها الفضلاء فما وجدتها و ضربت بفكرى فى رياض الفنون و مهامه[4] العلوم[5] حتى تصورتها[6] ثم بعد فراغى من تفسيرى رأيت الكشاف أشار إليها فى آية[7] "و المستغفرين بالاسحار[8]" فى آل عمران - و الله سبحانه و تعالى الموفق .

و لما أمر بالمحافظة عليها أتبعه جامع ذلك فقال : ﴿و قوموا لله﴾ [9]أى الذى له الجلال و الإكرام[9] ﴿قنتين ٥﴾ أى مطيعين - قاله الحسن و سعيد[10] بن جبير و الشعبي و عطاء و قتادة و طاوس . و روى الطبرانى فى الأوسط و الإمام أحمد و أبو يعلى الموصلى فى مسنديهما[11] و ابن حبان فى صحيحه عن أبى سعيد رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : كل حرف ذكر من القنوت فى القرآن فهو الطاعة . و قيل : القنوت السكوت ، ففى الصحيحين عن زيد بن أرقم رضى الله

(١) فى الأصل : وصوع ، و التصحيح من م و مد و ظ (٢ - ٢) فى الأصل : كما ذكر فى حيلته ، و التصحيح من م و مد وظ (٣) فى الأصل : السوية ، و فى م : السَو ، و فى ظ : السواء ، و فى مد : السوَ - كذا (٤) فى مد : مهايته (٥) فى م : المعلوم (٦) العبارة من هنا إلى « آل عمران » ليست فى ظ (٧) من م و مد ، و فى الأصل : الآية (٨) سورة ٣ آية ١٧ (٩-٩) ليست فى ظ (١٠) فى م و مد : سعد (١١) فى م : مسندهما .

تعالى عنه قال: كنا نتكلم فى الصلاة، يكلم الرجل صاحبه و هو إلى جنبه فى حاجته حتى نزلت "و قوموا لله قنتين" فأمرنا بالسكوت و نهينا عن الكلام . و قال مجاهد: خاشعين، و قيل[1] غير ذلك؛ و إذا[2] علم أصل معنى هذه الكلمة لغة علم أن المراد: مخلصين، و إليه يرجع جميع ما قالوه، و ذلك أن مادة قنت بأى ترتيب كان تدور على الضمور من القتين[3] للقليل اللحم و الطعم، و قتن المسك إذا يبس، فيلزمه الاجتذاب و الخلوص، فانه لو لا تجاذب الأجزاء[4] لزوال ما بينها من المانع لم يضمر، و منه امرأة ناتق إذا كانت ولودا كأنها تجتذب المنى كله فتظفر بما يكون منه الولد، أو أنه لما كان المقصود الأعظم من الجماع[5] الولد كانت كأنها المختصة بجذب المنى وكأن اجتذاب غيرها عدم، أو كأنها تجتذب الولد من رحمها فتخرجه، و ذلك من نتق السقاء و هو نفضه[6] حتى يقتلع ما فيه فيخلص، و من

(١) قال أبو حيان الأندلسى : أو مطيلين القيام - قاله ابن عمر و الربيع، أو داعين - قاله ابن عباس ... أو عابدين أو مصلين أو قارئين - روى هذا عن ابن عمر، أو ذاكرين الله فى القيام - قاله الزمخشرى، أو راكدين كاف الأيدى و الأبصار - قاله مجاهد و هو الذى عبر عنه قبل بالخشوع؛ و الأظهر حمله على السكوت، إذ صح أنهم كانوا يتكلمون فى الصلاة حتى نزلت "و قوموا لله قنتين" فأمروا بالسكوت، و المعنى و قوموا فى الصلاة - البحر المحيط ٢/٢٤٢ (٢) فى م : فاذا (٣) فى الأصل : الفنين، و فى ظ : القتين، و فى م : الفتين، و فى مد : القين - كذا (٤) فى م : الأشياء (٥) ليس فى ظ (٦) من م، و فى مد و ظ : نقضه، و فى الأصل : نقصه .

ذلك : البيت المعمور[1] تاق الكعبة ، أى مطل عليها من فوق فلو أنه جاذب شيئا من الأرض لكان إياها لأنه تجاهها ، و من الضمور : [2] التقن - لرسابة [2] الماء ؛ و هو الكدر الذى يبقى فى الحوض فانه متهيئ لاجتذاب العكولة ؛ و يلزم الضمور الإحكام لجودة التراص فى الأجزاء لخلوصها عن مانع ، و منه : أمر متقن ، أى محكم ، و : رجل تقن - إذا كان حاذقا بالأشياء ، فهو خالص[3] الرأى ؛ و يلزمه الإخلاص و الخشوع و التواضع فتأتى[4] الطاعة بالدعاء و غيره فانها جمع[5] الهم على المطاع "امن هو قانت انآء الليل[6]" و نحو ذلك ، و التقن[7] أيضا الطبيعة[8] فانها سر الشيء و خالصه ، و منه الفصاحة من : تقن فلان ، أى طبعه ؛ و يلزم الضمور القيام فانه ضمور بالنسبة إلى بقية الهيئات ؛ و منه : أفضل الصلاة طول القنوت . و السكوت ضمور بالنسبة إلى الكلام ؛ و يلزم الضمور اليبس و الذبول و منه التقن للطين الذى يذهب عنه الماء فييبس و يتشقق ؛ و القلة و منه : قراد قتين ، أى قليل الدم ، فيأتى أيضا السكوت و الإحكام ؛ و إذا راجعت[9] معانى هذه المادة و هى قنت و قتن و تقن و تق من كتب اللغة ازددت بصيرة فى هذا ، و إذا علم ذلك [علم -[10]]

(١) زيد فى الأصل «و» و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها .
(٢-٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المتقن الرسابة (٣) فى م : حاذق .
(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فتاتى - كذا (٥) فى م : تجمع (٦) سورة ٣٩ آية ٩ (٧) فى الأصل : النفس ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) فى الأصل : لطبيعة ، و فى م و ظ : و الطبيعة ، و لا يتضح فى مد (٩) فى م : رجعت .
(١٠) زيد من م و ظ ، و زيد فى مد : ذلك .

/٢٤٧ أن الآيـــة منطبقة على الحديث محتملة لجميع أقوال / العلماء [١] رضى الله تعالى عنهم [١]، و ذلك أن الصلاة إذا [٢] أخلصت لم يكن فيها قول و لا فعل ليس منها و ذلك محض الطاعة و الخشوع . و قال الحرالى : القنوت الثبات [٣] على أمر الخير و فعله ، و ذلك أن فعل الخير و البر يسير على ٥ الأكثر و لكن الثبات و الدوام عسير عليهم ، و كان من القنوت مداومة الحق فيما جاء به فى الصلاة حتى لا يقع التفات للخلق ، فلذلك لزم الصمت عن الخلق من معناه ، لأن كلام الناس قطـــع لدوام المناجاة ، ففى إشعاره أن من قام لله سبحانه و تعالى قانتا فى صلاته أقام الله سبحانه و تعالى فى دنياه حاله فى إقامته و مع أهله ، كما يشير ١٠ إليه معنى آية "و امر اهلك بالصلوٰة و اصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك [٤] " ففيه إيذان بأن الصلاة تصلح الحال مع الأهل و تستدر البركة فى الرزق - انتهى . و حديث زيد هذا صريح فى أن الصلاة فى أول الأمر لم تكن [٥] على الحدود التى صارت [٦] إليها آخرا ؛ فيحتمل أن الفعل كان مباحا فيها كما كان الكلام ، و يؤيده أن الأصل فى ١٥ الأشياء الإباحة حتى يأتى نص بالمنع ، و بهذا يزول ما فى حديث ذى اليدين من الإشكال من أنه يقتضى إباحة القول و الفعل للمصلى إذا ظن

(١ - ١) ليست فى م و مد و ظ (٢) فى م و مد : اذ (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الثبوت (٤) سورة ٢٠ آية ٣٢ (٥) فى الأصل : لم يكن ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) فى ظ : صار .

أنه أكمل الصلاة أو نسى أنه فيها، لأن النبى صلى الله عليه و سلم صلى إحدى صلاتى العشى فسلم من ركعتين ثم قام إلى خشبة فى ناحية المسجد فاتكأ عليها و خرج سرعان الناس، فلما أعلمه ذو اليدين بالحال سأل الناس فصدقوه، فرجع فأكمل الصلاة؛ فان الحديث غير مؤرخ فيحتمل أنه كان قبل تحريم [1] الأفعال و الأقوال [1] بهذه الآية، و يؤيد ٥ احتمال إباحة الأفعال أولا إتباع الآية بقوله تعالى: ﴿ فان خفتم ﴾ أى بحال من أحوال الجهاد الذى تقدم أنه "كتب عليكم" أو نحو ذلك [2] من عدو أو سبع أو غريم [3] يجوز الهرب [3] منه أو غير ذلك ﴿ فرجالا ﴾ [4] أى قائمين على الأرجل، و هو جمع راجل من حيث أنه أقرب إلى صورة الصلاة. قال البغوى: أى إن لم يمكنكم ١٠ أن تصلوا قائمين موفين للصلاة حقها لخوف [5] فصلوا مشاة على أرجلكم ﴿ او ركبانا ﴾ أى كائنين على ظهور الدواب على هيئة التمكن. و قال الحرالى: ما من حكم شرعه الله فى السعة إلا و أثبته فى الضيق و الضرورة

(١ - ١) فى ظ: الاقوال و الافعال (٢) العبارة من هنا إلى «غير ذلك» ليست فى ظ (٣ - ٣) فى الأصل: يحرر الترب، و التصحيح من م و مد (٤) و فى البحر المحيط ٢/٢٤٣: لما ذكر المحافظة على الصلوات و أمر بالقيام فيها قانتين كان مما يعرض للمصلين حالة يخافون فيها فرخص لهم فى الصلاة ماشين على الأقدام و راكبين، و الخوف يشمل الخوف من عدو و سبع و سيل و غير ذلك فكل أمر يخاف منه فهو مبيح ما تضمنته الآية هذه، و قال مالك: يستحب فى غير خوف العدو الإعادة فى الوقت إن وقع الأمن، و أكثر الفقهاء على تساوى الخوف (٥) فى ظ: بخوف.

بحيث لا يفوت فى ضيقــه بركة من حال سعته ليعلم أن فضل الله لا ينقصه وقت و لا يفقده[1] حال[2] ، و فيه إشعار بأن المحافظة على الصلاة فى التحقيق ليس [إلا -٣] فى إقبال القلب بالكلية على الرب ، فما اتسع له الحال ما[4] وراء ذلك فعل و إلا[5] اكتفى بحقيقتها[6] ، و لذلك ٥ انتهت الصلاة عند العلماء فى شدة الخوف إلى تكبيرة واحدة يجتمع إليها وحدها بركة أربع الركعات التى تقع فى السعة[7] ، و فيها على حالها من البركة فى اتساع الرزق و صلاح الأهل ما فى الواقعة فى السعة مع

(١) فى ظ : لا يعقده (٢) قال الأندلسى : و تدل هذه الآية على عظيم قدر الصلاة و تأكيد طلبها إذا لم تسقط بالخوف فلا تسقط بغيره من مرض و شغل و نحوه حتى المريض إذا لم يمكنه فعلها لزمه الإشارة بالعين عند أكثر العلماء ، و بهذا تميزت عن سائر العبادات لأنهـا كلها تسقط بالأعذار و يترخص فيها - البحر المحيط ٢/٢٤٤ (٣) زيد من م و مد و ظ (٤) فى م و ظ و مد : مما (٥) فى م : لا (٦) فى م : بتحقيقها (٧) و فى البحر المحيط ٢/٢٤٣ : و لم تتعرض الآية لعدد الركعات فى هذا الخوف والجمهور أنها لا تقصر الصلاة عن عدد صلاة المسافر إن كانوا فى سفر تقصر فيه . و قال الحسن و قتادة و غيرهما : تصلى ركعة إيماء ، و قال الضحاك بن مزاحم : تصلى فى المسايفة و غيرها ركعة فان لم يقدر فليكبر تكبيرتين ، و قال إسحاق : فان لم يقدر إلا على تكبيرة واحدة أجزأت عنه و لو رأوا سوادا فظنوه عدوا ثم تبين أنـه ليس بعدو فقـال أبو حنيفة : يعيدون ، و ظاهر الآية أنه متى عرض له الخوف فله أن يصلى على هاتين الحالتين ، فلو صلى ركعة آمنا ثم طرأ له الخوف ركب و بنى أو عكسه أتم و بنى عند مالك و هو أحد قولى الشافعى و به قال المزنى .

معاجلة النصرة لعزيمة إقامتها على الإمكان فى المخافــة ، و قد وضح[1] باختلاف أحوال صلاة الخوف أن حقيقتها أنها لا صورة لها ، فقد صح فيها عن النبى صلى الله عليه و سلم أربع عشرة[2] صورة و زيادة صور فى الأحاديث الحسان[3] - انتهى . و روى البخارى فى التفسير عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما كيفية فى صلاة الخوف ثم قال: فان كان خوف أشد من ذلك صلوا رجالا قياما على أقدامهم أو[4] ركبانا مستقبلى القبلة أو[5] غير مستقبليها[6] . قال مالك: قال نافع: [لا -[7]] أرى عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ذكر ذلك إلا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم - يعنى لأن مثل ذلك لا يقال من قبل الرأى ﴿ فاذآ امنتم ﴾ أى حصل لكم الأمن مما كان أخافكم .

و لما كان المراد الأعظم من الصلاة الذكر و هو دوام حضور القلب قال مشيرا إلى أن صلاة الخوف يصعب فيها ذلك منبها بالاسم الأعظم على ما يؤكد[8] / الحضور فى الصلاة و غيرها من كل ما يسمى ذكرا[9] ﴿فاذكروا الله﴾ [10]أى الذى له الأمر كله[10] . قال البغوى: أى[11] فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها . و قال الحرالى: أظهر المقصد فى عمل الصلاة و أنه /٢٤٨

(١) فى الأصل و م : وضع ، و التصحيح من ظ و مد (٢) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : عشر (٣) فى الأصل : الحساب ، و التصحيح من م و ظ و مد . (٤) من م ومد وظ ، وفى الأصل : «و» (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اى (٦) فى الأصل : مستقبلها ، والتصحيح من م وظ و مد (٧) زيد من م وظ و مد (٨) فى م : يولد - كذا (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ذكر . (١٠-١٠) ليست فى ظ (١١) ليس فى مد .

إنما هو الذكر الذى هو قيام الأمن و الخوف - انتهى : فكأنه سبحانه و تعالى لما منع مما ليس من الصلاة من الأقوال و الأفعال استثنى الأفعال حال الخوف فأبقيت على الأصل لكن قد روى الشافعى رضى الله تعالى عنه[1] [2]و صرحه[2] فى كتاب اختلاف الحديث من الأم و أبو داود
٥ و النسائى من طريق عاصم بن أبى النجود عن أبى وائل عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال : كنا نسلم على رسول الله صلى الله عليه و سلم [3]و هو[3] فى الصلاة - الحديث فى أنه لما رجع من الحبشة قال له النبى صلى الله عليه و سلم[4] : إن الله يحدث من أمره ما شاء و إن مما أحدث أن[5] لا تتكلموا فى الصلاة . و حكم بأنه قبل حديث ذى اليدين
١٠ لما فى بعض طرقه مما يقتضى أن رجوعه كان قبل هجرة النبى صلى الله عليه و سلم إلى المدينة و هو كذلك ، لكن عاصم له أوهام فى الحديث و إن كان حجة[6] فى القراءة فلا يقوى حديثه لمعارضة ما فى الصحيحين من حديث زيد الماضى المغيا بنزول الآية . و البقرة مدنية كما فى الصحيح فى فضائل القرآن عن عائشة رضى الله تعالى عنها أنها قالت : ما نزلت
١٥ سورة البقرة و النساء إلا و أنا عند النبى صلى الله عليه و سلم ، و فيه فى النكاح و غيره أنه صلى الله عليه و سلم بنى بها و هى بنت تسع سنين و أقامت عنده تسعا ، فيكون ذلك فى السنة الثانية من الهجرة . و قال

(١) فى مد : رحمه الله (٢ - ٢) ليس فى م و مد و ظ (٣ - ٣) ليست فى ظ .
(٤) زيد فى م : قال (٥) ليس فى م و مد و ظ (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : قوى .

الشافعى (رضى الله تعالى عنه) فى الرسالة فى باب وجه آخر من الناسخ و المنسوخ: أخبرنا محمد بن أبى فديك عن ابن أبى ذئب عن المقبرى عن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى [عن أبى سعيد الخدرى -(٢)] رضى الله تعالى عنه قال: حبسنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم الخندق عن الصلاة حتى كان بعد المغرب بهوى من الليل حتى ٥ كفينا و ذلك قول الله سبحانه و تعالى "و كفى الله المؤمنين القتال و كان الله قويا عزيزا(٣)" قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه و سلم بلالا فأمره فأقام الظهر فصلاها فأحسن صلاتها كما كان يصليها فى وقتها، ثم أقام العصر كذلك، ثم أقام المغرب فصلاها كذلك، ثم أقام العشاء فصلاها كذلك أيضا؛ و ذلك قبل أن ينزل الله تعالى فى ١٠ صلاة الخوف "فان خفتم فرجالا او ركبانا(٤)". و قد روى الشيخان أيضا حديث ابن مسعود رضى الله تعالى عنه بلفظ: كنا نسلم على النبى صلى الله عليه و سلم و هو فى الصلاة فيرد علينا، فلما رجعنا من عند النجاشى سلمنا عليه فلم يرد علينا و قال: إن فى الصلاة شغلا. لكنه ليس صريحا فى تحريم الكلام فيعود الاحتمال السابق، فان كان ١٥ الواقع أن حديث زيد متأخر كان ما قلت و إلا كان الذى ينبغى القول به أنه لا فرق بين القول و الفعل لأن اشتمال حديث ذى اليدين عليهما على حد سواء، كما صححه صاحب التتمة من أصحاب الشافعى

(١-١) ليست فى مد و ظ (٢) زيد من م و ظ و مد (٣) سورة ٣٣ آية ٢٥.
(٤) سورة ٢ آية ٢٣٨.

و نقل عن [اختيار -[1]] الشيخ محي الدين النواوى[2] فى كتابه التحقيق و تبعه عليه السبكى و غيره من المتأخرين، و كلام الشافعى ظاهر فيه فانه قال فى الرد على من نسبه إلى أنه خالف[3] فى التفريع على الحديث المذكور: فأنت خالفت أصله و فرعه و لم نخالف نحن من أصله و لا من فرعه حرفا واحدا - هذا نصه فى[4] كتاب الرسالة.

و لما أمر[5] سبحانه و تعالى بالذكر عند الأمن علله بقوله: ﴿ كما علمكم ﴾ أى لأجل إنعامه عليكم بأن خلق[6] فيكم العلم المنقذ من الجهل، فتكون الكاف للتعليل[7] و قد جوزه أبو حيان فى النهر و نقله فى موضع آخر منه عن النحاة - و الله سبحانه و تعالى أعلم ﴿ ما لم تكونوا تعلمون ﴾ بما آتاكم على لسان هذا النبي الكريم [8]من الأحكام التى تقدمت فى هذه السورة المفصلة / ببدائع الأسرار من الأصول و دقائق العلوم كلها[8]. و قال الخرالى: من أحكام هيئة الصلاة فى الأعضاء /٢٤٩

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) فى م وظ و مد: النووى (٣) فى ظ: خلاف. (٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: من (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ذكر (٦) فى م: خلف - خطأ (٧) و فى البحر المحيط ٢/٢٤٤: «كما علمكم» أى أحسن إليكم بتعليمكم ما كنتم جاهليه من أمر الشرائع و كيف تصلون فى حال الخوف و حال الأمن، و ما مصدرية و الكاف للتشبيه أمر أن يذكروا الله تعالى ذكرا يعادل و يوازى نعمة ما علمهم بحيث يجتهد الذاكر فى التشبيه ذكره بالنعمة فى القدر والكفاءة و إن لم يقدر على بلوغ ذلك، و معنى "كما علمكم" كما أنعم عليكم فعلمكم فعبر بالسبب عن المسبب لأن التعليم ناشئ عن إنعام الله على العبد و إحسانه له، و قد تكون الكاف للتعليل (٨-٨) ليست فى ظ.

و البدن و حالها فى النفس من الخشوع و الإخبات و التخلى من الوسواس و حالها فى القلب من التعظيم و الحرمة ، و فى إشارته[1] ما وراء ظاهر العلم من أسرار القلوب التى اختصت بها أئمة[2] هذه الأمة - انتهى .

و لما كان ذكر أحكام عشرة[3] النساء على هذا الوجه مظنة سؤال سائل كما تقدم[4] يقول : قد استغرق الاشتغال[5] بهن الزمان و أضر بالفراغ للعبادة و كان هذا السؤال إيماء إلى الاستئذان فى الرهبانية و الاختصاء[6] الذى سأل فيه من سأل كما سيبين إن شاء الله سبحانه و تعالى فى المائدة فى قوله "و لا تحرموا طيبت ما احل الله لكم[7]" و كان الإعراض عن جواب السائل بالأمر بالمحافظة على الصلاة ربما أشعر بالإقرار على مضمون السؤال و[8] الإذن فى الترهب[9] بقرينة الإعراض عن السؤال و ربما كان مشيرا إلى النهى عن الترهب[10] بقرينة السكوت على ما تقدم من الأمر بعشرتهن من غير نهى عنه عقب الأمر بذلك ببعض آيات النساء تأكيدا لما أفهمته تلك الإشارة أى اتركوا الترهب و كونوا رجالا فى الاقتداء بنبيكم صلى الله عليه و سلم

(١) زيد فى ظ «و» (٢) من م و مد و ظ . و فى الأصل : الأئمة - كذا .
(٣) فى الأصل : ثمرة ، و التصحيح من م و ظ و مد (٤) زيد فى الأصل : كما ، و لم تكن الزيادة فى م و ظ و مد فحذفناها (٥) من مد و ظ ، و فى الأصل : الانتقال ، و فى م : الاشغال (٦) فى الأصل : الاختصاص ، و فى م : الاحتضا ، و التصحيح من مد و ظ (٧) سورة ٥ آية ٨٧ (٨) فى ظ : أو .
(٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الترهيب (١٠) فى ظ : الترهيب .

فى القيام بحقوق الله و حقوق نفسه و غيره من سائر العباد و جعل ما تعقب[1] آية الصلاة من تعلق النكاح آيتين فقط أولاهما[1] فى حكم من أحكام الموت و هى منسوخة كما قال الأكثر ليست من دعائم أحكام هذا الباب إشارة إلى أنه ينبغى أن يكون الإقبال على العبادة أكثر و أن يكون الاشتغال بأمر النساء و الأولاد إنما هو على وجه التزود للموت و ما بعده فقال تعالى: ﴿و الذين﴾ و قال الحرالى: لما ذكر سبحانه و تعالى أحكام الأزواج فى الطلاق و الوفاة و حكم الفرض و المتعة فى المطلقات قبل الدخول ختم هذه الأحكام المؤكدة بالفرض و الأمر بما هو من نحوها فنظم بالمتعة من النفقة و الكسوة و الإخدام و ما فى معناه المتعة بالسكنى للتوفى عنها زوجها إلى حد ما كانت العدة فى الجاهلية ليكون للخير و المعروف بقاء فى الإسلام بوجه ما أيما عقد و عهد كان فى الجاهلية فلن يزيده الإسلام إلا شدة[3] - انتهى . فقال تعالى: ﴿يتوفون منكم﴾ أى يقاربون أن يستوفى أرواحهم من أعارها أبدانهم فيخلصها منها[1] كاملة لا يغادر منها شيئا و لا يأخذ شيئا من الجسم معها مع ما بينهما من كمال الامتزاج الذى لا يقدر معه على تمييز أحدهما عن[5] الآخر إلا هو سبحانه و تعالى ﴿و يذرون ازواجا ج﴾ بعد موتهم ، فليوصوا ﴿وصية﴾ و من رفع فالتقدير عندهم[6] : فعليهم

(١) فى ظ : يعقب (٢) فى الأصل : اولهما ، و التصحيح من م و ظ و مد .
(٣) فى الأصل : شد ، و التصحيح من م و ظ و مد (٤) ليس فى ظ (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : من (٦) فى ظ و مد : عنده .

وصية ، و يجوز أن تحمل الوفاة على حقيقتها و يكون التقدير : وصية من الله لأزواجهم ، أو يوصيكم الله وصية ﴿ لازواجهم ﴾ بالسكنى فى بيوتهم ﴿ متاعا ﴾ لهن ﴿ الى ﴾ رأس ﴿ الحول ﴾ من حين الوفاة . قال الحرالى : و هو غاية العمر و جامع لجملة[1] الفصول التى بوفائها تظهر[2] أحوال الصبر عن الشيء و الحرص عليه و إنما الحول الثانى[3] استدراك - انتهى . ﴿ غير اخراج ج ﴾ أى غير مصاحب ذلك المتاع بنوع إخراج [4]أو غير ذوى إخراج[4] . [5]قال الحرالى : لتكون الأربعة الأشهر و العشر فرضا و باقى الحول متاعا لتلحق أنواع المتعة بأنواع اللازم فى الزوجية من نفقة و كسوة و إخدام و سكنى ، و لما كان هذا المتاع الزائد إنما هو تقرير للزوجة فى حال ما كانت عليه مع زوجها إشعارا ببقاء العصمة و إلاحة[6] من الله تعالى بحسن صبر المرأة المتوفى عنها زوجها على زوجها ، لا تتزوج عليه غيره حتى تلقاه فتكون معه على النكاح السابق ليكون للأمة فى أزواجهم لمحة حظ من تحريم أزواج نبيهم بعده اللاتى يقمن بعده إلى أن يلقينه أزواجا بحالهن ، فيكون ذلك لمن يستشرف / من خواص[7] أمته إلى اتباعه فى أحكامه ٢٥٠/ و أحكام أزواجه لأن الرجال مما يستحسنون ذلك لأزواجهم ، فمن أشد

(١) فى ظ : بجملة ، و فى مد : لحلة - كذا (٢) من م و ظ ، و فى الأصل : يظهر ، و فى مد : ظهر (٣) فى الأصل : الثاني - كذا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٤-٤) ليست فى ظ (٥) زيد فى م : و (٦) فى م : الأخذ (٧) فى الأصل : خوص ، و التصحيح من م و ظ و مد .

ما يلحق الرجل بعد وفاته تزوج زوجه[1] من بعده لأنها بذلك كأنها هى المطلقة له ، و لذلك ورد أن المرأة إنما تكون لآخر زوج . لأنها تركت الزوج و لم يتركها هو ، قال صلى الله عليه و سلم : أنا و سفعاء[2] الخدين حبست [نفسها على [3]] يتاماها حتى ماتوا - أو : باتوا[4] - كهاتين فى الجنة . كأنه صلى الله عليه و سلم أكد ذلك المعنى على من ترك لها المتوفى ذرية لأنه[5] أثبت عهد معه - انتهى . روى البخارى فى التفسير عن مجاهد "و الذين يتوفون منكم و يذرون ازواجا[6]" قال:[7] كانت هذه العدة تعتد عند أهل زوجها واجب[8] فأنزل الله عز و جل "و الذين يتوفون منكم و يذرون ازواجا[9] وصية لازواجهم[9] متاعا إلى الحول غير اخراج" قال: جعل الله سبحانه و تعالى لها تمام السنة سبعة أشهر و عشرين ليلة وصية ، إن شاءت سكنت فى وصيتها و إن شاءت خرجت و هو قول الله سبحانه و تعالى "غير اخراج" فالعدة[10] كما[11] هى[12] واجب[13] عليها .

و لما كان هذا المتاع الواجب من جهة الزوج جائزا من جهة المرأة نبه عليه بقوله : ﴿ فان خرجن ﴾ أى من أنفسهن من غير مزعج

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : زوجة (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : شفعا (٣) زيد ما بين المربعين من م و ظ و مد (٤) فى الأصول : باتوا ، و التصحيح من مسند الإمام أحمد ٦ / ٢٩ (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : لانها (٦) سورة ٢ آية ٢٣٤ (٧) زيد فى مد : ما (٨) كذا فى صحيح البخارى (٩ - ٩) زيد من م والقرآن المجيد سورة ٢ آية ٢٤٠ (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : و العدة (١١) ليس فى م (١٢) من م و مد و ظ و صحيح البخارى ، و فى الأصل: هو (١٣) كذا فى الأصول و صحيح البخارى .

ولا مخرج[1] ﴿ فلا جناح عليكم ﴾[2] يا أهل الدين الذين يجب عليهم الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ﴿ فيما فعلن فى انفسهن ﴾ من النكاح و مقدماته . و لما كانت لهن فى الجاهلية أحوال منكرة فى الشرع قيده بقوله : ﴿ من معروف[3] ﴾ أى عندكم يا أهل الإسلام .

و لما كان فى هذا حكمان [حكم من جهة الرجال فضل و آخر - ٣] ٥ من جهة النساء عفو فكان التقدير : فالله غفور[4] حليم ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ [5]أى الذى لا كفوء له[5] ﴿ عزيز حكيم ﴾ و فى ضمنه كما قال الحرالى[6] تهديد شديد للأولياء إن لم ينفذوا و يمضوا هذه[7] الوصية بما ألزم الله ، ففى إلاحته أن من أضاع ذلك ناله من عزة الله عقوبات فى ذات نفسه و زوجه و مخلفيه من بعده و يجرى[8] مأخذ ١٠ ما تقتضيه العزة على وزن الحكمة جزاء وفاقا و حكما قصاصا ، و هذه

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تخرج (٢) زيد فى ظ : اى . و فى البحر المحيط ٢/٢٤٦ : منع من له الولاية عليهن من إخراجهن . فان خرجن مختارات للخروج ارتفع الحرج عن الناظر فى أمرهن إذ خروجهن مختارات جائز لهن و موضح انقطاع تعلقهن بحال الميت فليس له منعهن بما يفعلن فى أنفسهن من تزويج و ترك إحداد و تزين و خروج و تعرض للخطاب إذا كان ذلك بالمعروف شرعا (٣) زيد ما بين المربعين من م و ظ و مد (٤) فى ظ و مد : عفو (٥-٥) ليست فى ظ (٦) و قال الأندلسى : ختم الآية بهاتين الصفتين فقوله " عزيز " إظهار للغلبة و القهر لمن منع من إنفاذ الوصية بالتمتيع المذكور ، أو أخرجهن وهن لا يخترن الخروج و مشعر بالوعيد على ذلك ، و قوله " حكيم " إظهار أن ما شرع من ذلك فهو جار على الحكمة و الإتقان و وضع الأشياء مواضعها - البحر المحيط ٢ / ٢٤٦ (٧) فى م : بهذه (٨) فى ظ و مد : تجرى .

الآية مما ذكر فيها بعض الناس النسخ[١] و إنما هى[٢] مما[٣] لحقها نسيان أوقعه الله تعالى على الخلق حتى لا يكاد أن يكون عمل بها أحد إلا أحدا لم يذكر به و لم يشتهر منه فهى مما أنسى فران عليه[٤] النسيان[٥] لأمر شاءه[٦] الله سبحانه و تعالى و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل ، و قد ورد أن النبى صلى الله عليه و سلم أنفذ[٧] لامرأة من [تركة -[٨]] زوجها نفقة سنة ، و ذلك و الله سبحانه و تعالى أعلم قبل نزول آية الفرائض حين كانت الوصية للوالدين و الأقربين بالمعروف - انتهى . و بما[٩] قال الحرالى[١٠] من أنها غير منسوخة قال مجاهد [كما تقدم فى رواية البخارى عنه -[٨]] إن الزوجة إن اختارت هذا فعدتها الحول و إلا فعدتها الآية الأولى ، و نقله الشمس الأصفهانى عنه[١١] فى تفسيره ، و نقل عن بلديه[١٢] أبى مسلم قريبا منه فانه[١٣] قال بعد أن نقل عنه أنها غير منسوخة : ليس

(١) فى م : الفسخ (٢) ليس فى ظ (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ما . (٤) ليس فى م و مد و ظ (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : النسان . كذا (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : شاء (٧) فى ظ : انقد (٨) زيد ما بين الحاجزين من م و ظ و مد (٩) فى الأصل : وسحر بما - كذا ، والتصحيح من م و مد و ظ (١٠) و قال الأندلسى فى البحر المحيط ٢/٢٤٦ : قال ابن عطية و هذا كله قد زال حكمه بالنسخ المتفق عليه إلا ما قاله الطبرى عن مجاهد ، و فى ذلك نظر على الطبرى - انتهى كلامه ، و قد تقدم أول الآية ما نقل عن مجاهد من أنها محكمة و هو قول ابن عطية فى ذلك (١١) زيد فى م « و » (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يلديه ، و فى م : يلدبه - كذا (١٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فان .

التقدير ما يفيد الوجوب على الزوج مثل: فليوصوا[1] بل التقدير: و قد وصوا، أو: و لهم وصية. و حسن تعقيب آية المحافظة على الصلاة بعدة الوفاة كون الخوف المذكور فيها من أسباب القتل، و لعل إثباتها[2] فى التلاوة مع كونها منسوخة الحكم على ما قال[3] الجمهور تذكيرا للنساء بما كان عدة لهن فى أول الأمر لئلا يستطلن[4] العدة الثابتة[5] بأربعة أشهر ٥ و عشر فينتهكن شيئا من حرماتها، كما أشار إليه ما فى الصحيحين و غيرهما عن أم سلمة رضى الله تعالى عنها أن امرأة استأذنت النبى صلى الله عليه و سلم أن تكحل ابنتها لوجع أصابها، فأبى و قال: قد كانت إحداكن فى الجاهلية ترمى بالبعرة على رأس الحول.

و لما ذكر سبحانه و تعالى متاع المتوفى عنهن عقبه[6] متاع المطلقات ١٠ تأكيدا للحكم بالتكرير و تعميما بعد[7] تخصيص بعض[8] أفراده فقال تعالى: ﴿ و للمطلقت ﴾ [9]أى أىّ[8] المدخول بهن بأى / طلاق كان ٢٥١ / ﴿ متاع ﴾ أى من جهة الزوج يجبر[10] ما حصل لها من الكسر[11] ﴿ بالمعروف ط ﴾ أى من حالها ﴿ حقا على المتقين ٥ ﴾ قال الحرالى[12]:

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ليوصوا - كذا (٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: اثباته (٣) فى م و ظ: قاله (٤) فى الأصل: يستطلق، و التصحيح من م و مد و ظ (٥) من مد، و فى ظ: الثابتة، و فى الأصل و م: الثانية. (٦) فى ظ و مد: اعقبه (٧) فى م: بعض (٨) ليس فى م (٩) العبارة من هنا الى «بهن» ليست فى ظ (١٠) فى م: يجبر، و زيد فى ظ بعده «و» (١١) فى مد: انكسر (١٢) قال الأندلسى: قال ابن زيد: نزلت هذه الآية مؤكدة =

حيث كان الذى قبل الدخول حقا على المحسنين كان المحسن يمتع[1] بأيسر وصلة فى القول دون الإفضاء و المتقى يحق عليه الإمتاع بمقدار ما وقع له من حرمة الإفضاء و لما وقع بينهم من الإرهاق و الضجر فيكون فى المتعة إزالة لبعض ذلك و إبقاء بسلام أو مودة - انتهى .

٥ و فيه إشارة إلى أن الطلاق كالموت لانقطاع حبل الوصلة الذى هو كالحياة و أن المتاع كالإرث .

و لما بين سبحانه و تعالى هذه الأحكام هذا البيان الشافى كان [كأن - [2]] سائلا قال : هل يبين غيرها مثلها[3] ؟ فقال : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا البيان ﴿ يبين الله ﴾ [4] أى الذى له الحكمة البالغة لأنه ١٠ المحيط بكل شىء[3] ﴿ لكم آيته ﴾ أى المرئية بما يفصل[5] لكم فى آياته المسموعة ﴿ لعلكم تعقلون ٥[6] ﴾ أى لتكونوا على حال يرجى لكم معها

= لأمر المتعة لأنه نزل قبل " حقا على المحسنين " فقال رجل : فان لم أرد أن أحسن لم أمتع فنزلت " حقا على المتقين " - البحر المحيط ٢/٢٤٦ .

(١) فى ظ : يمنع (٢) زيد من م و مد و ظ (٣) فى ظ : مثله (٤ - ٤) ليست فى ظ (٥) فى ظ و مد : يفصله (٦) فى البحر المحيط ٢ / ٢٤٦ : ما يراد منكم من التزام الشرائع و الوقوف عندها لأن التبيين للأشياء مما يتضح للعقل بأول إدراك بخلاف الأشياء المغيبات والمجملات فان العقل يرتبك فيها ولا يكاد يحصل منها على طائل، قيل و فى هذه الآيات من بدائع البديع وصنوف الفصاحة النقل من صيغة افعلوا إلى فاعلوا للمبالغة وذلك فى " حافظوا " و الاختصاص بالذكر فى " و الصلوٰة الوسطى " و الطباق المعنوى فى " فان خفتم " لأن التقدير فى " حفظوا " وهو مراعاة أوقاتها و هيآتها : إذا كنتم آمنين ، و الحذف فى " فان خفتم " العدو و ما جرى مجراه .

التفكر فى الآيات المسموعات و الآيات المرئيات كما يفعل العقلاء فيهديكم ذلك إلى سواء السبيل؛ و قد كرر مثل هذا القول كثيرا و فصلت به الآيات تفصيلا [١] و كان لعمرى يكفى الفطن السالم من مرض القلب و آفة [٢] الهوى إيراده مرة واحدة [٣] فى الوثوق بمضمونه و الركون [٤] إلى مدلوله ، و إنما كرر تنبيها على بلاغة الآيات المختومة به و خروجها عن طوق [٥] البشر و قدرة المخلوق ، و ذلك أنهم كلما سمعوا شيئا من ذلك و هم أهل السبق فى البلاغة و الظفر على جميع أرباب الفصاحة و البراعة [٦] فرأوه فائتا [٧] لقواهم و بعيدا من قدرهم [٨] خطر لهم [٨] السؤال عن مثل ذلك البيان ناسين لما تقدم من صادق الوعد و ثابت القول بأن الكل على هذا المنوال البديع المثال البعيد المنال ، لما اعتراهم من دهش العقول و انبهار الألباب و الفهوم .

و لما انقضى ما لابد منه مما سبق [٩] بعد الإعلام بفرض القتال المكروه للأنفس من تفصيل ما أحل فى ليل الصيام [١٠] من المشارب و المناكح [٩٠] و ما تبعها [١١] و كان الطلاق كما سلف كالموت و كانت المراجعة كالإحياء و ختم ذلك بالصلاة حال الخوف الذى أغلب صورة

(١) فى م : كثيرا (٢) فى ظ : انه - كذا (٣) ليس فى ظ (٤) فى الأصل : الركوب ، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : طرق - كذا (٦) فى مد : البراة - كذا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فأتيا (٨-٨) فى ظ : حظرهم (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : سبق . (١٠-١٠) فى ظ : من المناكح و المشارب (١١) فى م : يتبعها .

الجهاد ثم [1] بتبيين الآيات [1] أعم من أن تكون فى الجهاد أو [2] غيره عقب ذلك [2] بقوله دليلا [3] على آية كتب القتال المحثوث فيها على الإقدام على المكاره [4] لجهل المخلوق بالغايات: ﴿ الم تر ﴾ و قال الحرالى [5] : لما [6] كان أمر الدين مقاما بمعالمه [7] الخمس التى [8] إقامة ظاهرها [8] تمام فى الأمة و إنما تتم إقامتها بتقوى القلوب و إخلاص النيات كان القليل [9] من المواعظ و القصص فى شأنه كافيا، و لما كان حظيرة الدين

(١-١) فى م: تبيين ايات (٢-٢) فى الأصل: غير عقبة لك، و التصحيح من م و مد و ظ (٣) فى الأصل: دليل، و التصحيح من م و مد و ظ (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: المكارة (٥) و قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ٢/٢٤٨: مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى متى ذكر شيئا من الأحكام التكليفية أعقب ذلك بشىء من القصص على سبيل الاعتبار للسامع فيحمله ذلك على الانقياد و ترك العناد و كان تعالى قد ذكر أشياء من أحكام الموتى و من خلفوا فأعقب ذلك بذكر هذه القصة العجيبة و كيف أمات الله هؤلاء الخارجين من ديارهم ثم أحياهم فى الدنيا فكما كان قادرا على إحيائهم فى الدنيا هو قادر على إحياء المتوفين فى الآخرة فيجازى كلا منهم بما عمل، ففى هذه القصة تنبيه على المعاد و أنه كائن لا محالة فيليق بكل عاقل أن يعمل لمعاده بأن يحافظ على عبادة ربه و أن يوفى حقوق عباده؛ و قيل: لما بين تعالى حكم النكاح بين حكم القتال لأن النكاح تحصين الندين و القتال تحصين الندين و المال و الروح؛ و قيل: مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه لما ذكر "كذلك يبين الله آياته لعلكم تعقلون" ذكر هذه القصة لأنها من عظيم آياته و بدائع قدرته (٦) فى م: و لما (٧) من مد و ظ، و فى م: لمعالمه، و فى الأصل: بمعاملة (٨-٨) من م و ظ و مد. و فى الأصل: اقامه ظاهر (٩) فى ظ: القليل.

إنما هو الجهاد الذى فيه بذل الأنفس و إنفاق الأموال كثرت فيه مواعظ القرآن و[1] ترددت و عرض لهذه الأمة باعلام بما يقع فيه فذكر ما وقع من الأقاصيص فى الأمم السالفة و خصوصا أهل الكتابين بنى إسرائيل و من لحق بهم من أبناء العيص[2] فكانت وقائعهم مثلا لوقائع هذه الأمة فلذلك أحيل[3] النبى صلى الله عليه و سلم على ٥ استنطاق أحوالهم بما يكشفه الله سبحانه و تعالى له من أمرهم عيانا و بما ينزله من خبرهم[4] بيانا و كان من جامعة معنى ذلك ما تقدم من قوله سبحانه و تعالى "سل بنى اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة[5]" و كان من جملة الآيات التى يحق الإقبال بها على النبى صلى الله عليه و سلم [لعلو معناها فأشرف المعانى ما قيل فيه "الم تر" إقبالا على النبى ١٠ صلى الله عليه و سلم -[6]] و عموم المعانى ما قيل فيه "الم تروا" إقبالا على الأمة ليخاطب كل على قدر ما قدم لهم من تمهيد موهبة العقل لتترتب[7] المكسبة[8] من العلم على مقدار الموهبة[9] من العقل فكان من القصص العلى العلم اللطيف الاعتبار ما تضمنته[10] هذه الآيات من قوله "الم تر"

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : او (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : العيض - كذا بالضاد المعجمة (٣) فى م : اجبل ، و فى مد : اجيل ، و فى ظ : احمل - كذا (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : خيرهم (٥) سورة ٢ آية ٢١١ (٦) زيدت من م و مد و ظ (٧) فى مد : لتتراتب - كذا (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المسكنة (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الوهبة (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تضمنه - كذا .

ليكون ذلك عبرة لهذه الأمة حتى لا يفروا من الموت فرار من قبلهم ،
/٢٥٢ قال عليه الصلاة / و السلام : إذا نزل الوباء بأرض و أنتم بها فلا تخرجوا
فرارا منه . و ذلك لتظهر مزيتهم على من قبلهم [بما يكون من عزمهم كما[1]
أظهر الله تعالى مزيتهم على من قبلهم -[2]] بما آتاهم من فضله و رحمته
٥ التى لم ينولها لمن قبلهم - انتهى .

و لما كانت مفارقة الأوطان مما لا يسمح به نبه بذكره على عظيم
ما دهمهم فقال : ﴿ الى الذين خرجوا ﴾ أى ممن تقدمكم من الأمم
﴿ من ديارهم ﴾ التى ألفوها و طال ما تعبوا حتى توطنوها لما وقع فيها
مما لا طاقة لهم به على[3] الموت ﴿ و هم الوف ﴾ أى كثيرة جدا تزيد
١٠ على العشرة مما أفهمه جمع التكثير[4] . قال الحرالى[5] : فيه إشعار بأن
تخوفهم لم يكن من نقص عدد و إنما كان من جزع أنفس فأعلم سبحانه

(١) من مد و ظ ، و ى م : ما (٢) زيد ما بين الحاجزين من م و ظ و مد .
(٣) فى م و ظ و مد : من (٤) فى الأصل و ظ : التكسير ، و التصحيح من م
و مد (٥) و قال الأندلسى : « وهم الوف » فى هذا تنبيه على أن الكثرة
و التعاضد و إن كانا نافعين فى دفع الأذيات الدنيوية فليسا بمغنيين فى الأمور
الإلهية ، وهى جملة حالية ، و ألوف جمع ألف جمع كثرة فناسب أن يفسر بما زاد
على عشرة آلاف . . . . . و قد فسر بما هو لأدنى العدد ، استعير لفظ الجمع الكثير
للجمع القليل . . . . . ولفظ القرآن « وهم الوف » لم ينص على عدد معين ،
و يحتمل أن لا يراد ظاهر جمع ألف بل يكون ذلك المراد منه التكثير كأنه قيل
خرجوا من ديارهم و هم عالم كثيرون لا يكادون يحصيهم عاد فعبر عن هذا المعنى
بقوله « و هم الوف » البحر المحيط ٢/ ٢٥ .

و تعالى أن الحذر لا ينجى من القدر و إنما ينجى منه كما قال النبي صلى الله عليه و سلم الدعاء، إن الدعاء ليلقى القدر[١] فيعتلجان إلى يوم القيامة - انتهى . ﴿حذر الموت ص﴾ فرارا من طاعون وقع[٢] فى مدينتهم أو[٣] [فرارا من -[٤]] عدو دعاهم نبيهم[٥] إلى[٦] قتاله - على اختلاف الرواية - ظنا منهم أن الفرار ينجيهم . ٥

و دل سبحانه و تعالى على أن موتهم كان كنفس واحدة بان جعلهم كالمأمور الذى لم يمكنه التخلف عن الامتثال بقوله[٧] مسببا[٨] عن خروجهم على هذا الوجه : ﴿ فقال لهم الله ﴾ أى الذى لا يفوته هارب و لا يعجزه طالب[٩] لأن له الكمال كله[٩] ﴿ موتوا قف ﴾ أى فماتوا أجمعون موت نفس واحدة لم ينفعهم حذرهم و لا صد القدر ١٠ عنهم علمهم بالأمور و بصرهم[١٠] إعلاما بأن من هاب القتال حذر الموت لم يغنه حذره مع ما جناه[١١] من إغضاب ربه و من أقدم عليه لم يضره إقدامه مع ما[١٢] فاز به[١٢] من مرضاة مولاه . قال الحرالى[١٣] : فى إشعاره

(١) فى م وظ ومد : القضاء (٢-٢) من م و مد وظ ، وفى الأصل : بمدينتهم. (٣) ليس فى ظ (٤) زيد من م و مد و ظ (٥) فى الأصل : بينهم ، و التصحيح من م و مد و ظ (٦) سقط من م (٧) العبارة من هنا إلى « الوجه » ليست فى ظ (٨) من م و مد ، و فى الأصل : تسببا (٩-٩) ليست فى ظ (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يصرهم (١١) فى الأصل : جفاه ، و التصحيح من مد ، و فى م : جناه ، و فى ظ : خباه - كذا (١٢-١٢) فى الأصل : قارنه ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٣) قال أبو حيان الأندلسى : ظاهره أن ثم قولا لله فقيل : قال لهم ذلك على لسان الرسول أذن له فى أن يقول لهم ذلك =

إنباء بأن هذه الإماتة إماتة تكون بالقول حيث لم يقل : فأماتهم الله ، فتكون إماتة حاقة[1] لا مرجع منها ، ففيه إبداء[2] لمعنى تدريج ذات الموت فى أسنان متراقية من حد ضعف الأعضاء و القوى بالكسل إلى حد السنة إلى حد النوم إلى حد الغشى إلى حد الصعق الى حد هذه الإماتة [بالقول إلى حد الإماتة الآتية على جملة الحياة التى لا ترجع إلا بعد البعث و كذلك الإماتة -[3]] التى يكون عنها تبدد الجسم مع بقائه على صورة أشلائه[4] أشد إتيانا على الميت من التى لا تأتى[5] على أعضائه ، إن[6] الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء و الشهداء و العلماء و المؤذنين ، فكما للحياة أسنان من حد ربو[7] الأرض إلى حد حياة المؤمن إلى ما فوق ذلك من الحياة كذلك للموت أسنان بعدد أسنان الحياة مع كل سن حياة موت إلى أن ينتهى الأمر إلى الحى الذى لا يموت "و ان الى ربك المنتهى[6]"، فبذلك يعلم ذو الفهم أن

= عن الله ، و قيل : على لسان الملك ..... و قيل : لا قول هناك و هو كناية عن قابليتهم الموت فى ساعة واحدة و موتهم كموتة رجل واحد و المعنى فأماتهم لكن أخرج ذلك مخرج الشخص المأمور بشىء المسرع الامتثال من غير توقف و لا امتناع كقوله تعالى "كن فيكون"؛ و فى الكلام حذف، التقدير : فماتوا ، و ظاهر هذا الموت مفارقة الأرواح الأجساد - البحر المحيط ٢/٢٥٠ .

(١) فى ظ فقط : حاقة (٢) فى الأصل : ايدا ، و التصحيح من م و مد و ظ .
(٣) زيدت من م و ظ و مد (٤) فى ظ : اشدائه (٥) فى ظ : لا تتاتى .
(٦) من م ظ و مد ، و فى الأصل : لأن (٧) فى مد : ربوة (٨) سورة ٥٣ آية ٤٢ .

ذلك توطئة لقوله: ﴿ثم احياهم ط[1]﴾ و فى كلمة "ثم" إمهال إلى ما شاء الله - انتهى . و جعل سبحانه و تعالى ذلك تقريرا له صلى الله عليه و سلم بالرؤية إما لأنه كشف له عنهم فى الحالتين و إما تنبيها على أنه فى القطع باخبار الله تعالى له على حالة هى كالرؤية لغيره تدريبا لأمته؛ و لعل فى الآية [2] حضا[3] على التفضل بالمراجعة من الطلاق كما تفضل الله على ٥ هؤلاء بالإحياء بعد أن أدبهم بالإماتة و ختم ما قبلها بالإقامة فى مقام الترجى للعقل فيه إشارة إلى أن الخارجين[4] من ديارهم لهذا الغرض سفهاء فكأنه قيل: لتعقلوا فلا تكونوا كهؤلاء الذين ظنوا أن فرارهم[5] ينجيهم من الله بل تكونون[6] عالمين بأنكم أينما كنتم ففى[7] قبضته و طوع

(١) قال قتادة أحياهم ليستوفوا آجالهم، و ظاهره أن الله هو الذى أحياهم بغير واسطة و قال مقاتل: كانوا قوم حزقيل فخرج فوجدهم موتى فأوحى الله إليه أنى جعلت حياتهم إليك، فقال لهم: احيوا، و قال ابن عباس: النبى شمعون و ريح الموتى توجد فى أولادهم - البحر المحيط ٢/٢٥١ (٢) و فى البحر المحيط ٢/٢٥١: و أتت هذه القصة بين يدى الأمر بالقتال تشجيعا للمؤمنين و حثا على الجهاد و التحريض للشهادة و إعلاما أن لا مفر مما قضى الله تعالى " قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا " و احتجاجا على اليهود و النصارى بانبائه صلى الله عليه و سلم بما لا يدفعون صحته مع كونه أميا لم يقرأ كتابا و لم يدارس أحدا، و على مشركى العرب إذ من قرأ الكتب يصدقه فى إخباره بما جاء مما هو فى كتبهم (٣) فى ظ: حضامة (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الجارحين. (٥) من م و ظ و مد، و فى الأصل: اقرارهم (٦) فى ظ: تكونوا، و الظاهر: كونوا (٧) فى ظ: فى.

مشيئته و قدرته فيفيدكم ذلك الإقدام على ما كتب عليكم [مما تكرهونه -١] من القتال ، أو يقال : و لما كان المتوفى قد يطلق زوجه ٢ فى مرض موته فرارا ٣ من إرثها و قد يخص بعض وارثيه بما يضار به غيره و قد يحتال ٤ على المطلقة ضرارا بما يمنع ٥ حقها ختم آية ٦ الوفاة عن الأزواج و المطلقات بترجية العقل ٧ بمعنى أنكم إذا عقلتم لم تمنعوا ٥ أحدا من فضل الله الذى آتاكم علما منكم بأنه تعالى قادر على أن يمنع المراد إعطاؤه و يمنح المراد منعه بأسباب يقيمها و دواعى يخلقها أو يشفى ٨ فاعل ذلك من مرضه ثم يسلبه ٩ فضله فيفقره ١٠ بعد غناه و يضعفه بعد قواه ، فانه لا ينفع من قدره حذر ، و لا يدفع مراده كيد و لا حيل

٢٥٣/ و إن / كثر العدد و جل المدد ، "ألم تر" - إلى أن قال : "ان الله" ١١ أى الذى له ١٢ الإحاطة بالجلال ١٢ و الإكرام "لذو فضل" ١٣ "على الناس" ١٤ أى عامة فليذكر كل واحد ١٥ ما له عليه من الفضل

(١) زيدت من م و ظ و مد (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : زوجة . (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فزارا (٤) فى ظ : يختار (٥) فى متن م : يضيع ، و بهامشه : يمنع ، كما فى بقية الأصول (٦) فى م و مد و ظ : آيات . (٧) ليس فى مد (٨) فى الأصل : ينفى ، و التصحيح من بقية الأصول (٩) فى م : يسلبه (١٠) من مد و ظ ، و فى الأصل : فيغفره ، و فى م : فيفقده (١١) العبارة من هنا إلى « و الإكرام » ليست فى ظ (١٢-١٢) فى م : احاطة الجلال . (١٣) زيد فى الأصل : اى عظيم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها . (١٤) و فى البحر المحيط ٢ / ٢٥١ : أكد هذه الجملة بإن و اللام و أتى الخبر لذو الدالة على الشرف بخلاف صاحب ، و "الناس" هنا عام لأن كل أحد له عليه =

و ليرغبوا فى العفو عمن يرون أن منعه عدل[1] لأن ذلك أقرب إلى الشكر و أبعد عن الكفر، فطلاق الفار إخراج الزوجة عن دائرة[2] عصمته[3] حذرا من إماتة ماله بأخذ[4] ما يخصها منه و خروج الزوج عن دائرة[5] النكاح حذرا من موت مقيد بكونها فى عصمته[3] و خروج الألوف من دار الإقامة حذرا من موت مطلق، و من المناسبات البديعة أنه لما كانت حقيقة حال العرب أنهم انتقلوا بعد أبيهم إسماعيل عليه الصلاة و السلام و التابعين له[6] باحسان من ضيق[7] دار العلم و الإيمان[8] حذرا [من -[9]] هلاك[10] الأبدان بتكاليف الأديان[11] إلى

= فضل أى فضل و خصوصا هنا حيث نبههم على ما به يستبصرون و يعتبرون على النشأة الآخرة و أنها ممكنة عقلا كائنة باخباره تعالى إذ أعاد إلى الأجسام البالية المشاهدة بالعين الأرواح المفارقة و أبقاها فيها الأزمان الطويلة إلى أن قبضها ثانية وأى فضل أجل من هذا الفضل إذ تتضمن جميع كليات العقائد المنجية و جزئياتها، و يجوز أن يراد بالناس ههنا الخصوص و هم هؤلاء الذين تفضل عليهم بالنعم و أمرهم بالجهاد ففروا منه خوفا من الموت فأماتهم ثم تفضل عليهم بالإحياء و طول لهم فى الحياة ليستيقنوا أن لا مفر من القدر و يستدركوا ما فاتهم من الطاعات و قص الله علينا ذلك تنبيها على أن لا نسلك مسلكهم بل نمتثل ما يأمر به تعالى (١٥) فى م و ظ و مد: احد.

(١) فى الأصل: عدلا، التصحيح من م و ظ و مد (٢) فى ظ: دارة (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: عصمة (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ياخذ (٥) فى مد و ظ: دارة (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: لهم.
(٧) فى م: طبق (٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الإيمام (٩) زيد من ظ.
(١٠) فى ظ: اهلاك (١١) فى ظ: الابدان.

قضاء الشهوات و العصيان فوقعوا فى موت الجهل و الكفران فلما نزل عليهم القرآن و كان أكثر هذه السورة فى الرد على أهل الكتاب و كرر فيها هداية العرب من الكفر و الجهل بكلمة الإطماع فى غير موضع نحو "و لأتم نعمتى عليكم و لعلكم تهتدون" "لعلكم تتقون" "لعلهم يرشدون" "لعلكم تتفكرون فى الدنيا و الآخرة" و غير ذلك إلى أن ختم هذه الآيات بترجى العقل و كان أهل الكتاب قد اشتد حسدهم لهم بجعل[2] النبى الذى كانوا ينتظرونه[3] منهم و كان الحاسد يتعلق فى استبعاد الخير عن محسوده بأدنى شىء كانوا كأنهم قالوا: [أ-٤] يحيى[5] هؤلاء العرب على كثرتهم و انتشارهم فى أقطار هذه الجزيرة من موت الكفر و الجهل بالإيمان و العلم بعد أن تمادت بهم فيهما الأزمان و توالت عليهم الليالى و الأيام حتى عتوا فيهما[6] و عسوا[7] و مردوا عليهما و قسوا؟ فأجيبوا بنعم و ما استبعدتموه غير بعيد، فقالوا: فان كان لله بهم عناية فلم تركهم[8] يجهلون[9] و يكفرون بعد ما شرع لهم أبوهم إسماعيل عليه الصلاة و السلام دين أبيه إبراهيم عليه الصلاة و السلام؟ فأجيبوا بأنه[10] فعل بهم ذلك لذنب استحقوه

(١) فى م: الكفر (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يجعل (٣) فى م: ينتظرون (٤) زيد من مد و ظ (٥) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٦) من م و مد و ظ. و فى الأصل: فيها (٧) فى م: عشوا. (٨) فى م: تركوهم، فى مد: تركهم (٩) من م و ظ، و فى الأصل: يحملون، و فى مد: يجهلهم (١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: بانهم.

لحكمه

لحكمة اقتضاها سابق علمه ثم ذكّرهم قدرته فى مثل ذلك من العقوبة و اللطف بما هم به عالمون فقال تعالى مخاطبا لنبيه صلى الله عليه و سلم و المراد هم - كما يقال: الكلام لك و اسمعى يا جارة - : "الم تر" و يجوز أن يكون الخطاب لكل فاهم أى تعلم بقلبك أيها السامع علما هو كالرؤية يصرك لما[1] تقدم من الأدلة التى هى أضوأ من الشمس على القدرة على البعث و يؤيد أنه لمح فيه الإبصار تعديته[2] بالى[3] [فى -[4]] قوله: "الى الذين خرجوا"[5] و قال[5]: "فقال لهم الله" أى [[6]الذى له العظمة كلها[6] عقوبة لهم بفرارهم من أمره "موتوا ثم احياهم" بعد أن تطاول عليهم الأمد و تقادم بهم الزمن كما أفهمه العطف بحرف التراخى تفضلا منه، فكما تفضل على أولئك بحياة أشباههم بعد عقوبتهم بالموت فهو يتفضل على هؤلاء بحياة أرواحهم من موت الكفر و الجهل -[7]] إظهارا لشرف نبيهم صلى الله عليه و سلم، ثم علل ذلك بقوله: ﴿ ان الله[8] ﴾ أى الذى له العظمة[9] كلها[9] بما له من الجلال[10] و العظمة و الكمال ﴿ لذو فضل[11] ﴾ أى عظيم ﴿ على الناس ﴾ أى

(١) فى م: كما (٢) فى ظ: تعدية (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: على.
(٤) زيد من م و مد و ظ (٥-٥) ليس فى ظ (٦-٦) ليست فى ظ (٧) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد و ظ (٨) زيد ما بين القوسين من م و مد و ظ و القرآن المجيد (٩-٩) ليست فى م و ظ و مد (١٠) زيد فى م: و الاكرام.
(١١-١١) فى الأصل: و افضل، و التصحيح من م و مد، و فى ظ: لذو افضل - كذا.

كافة مطيعهم و عاصيهم . قال الحرالى: بما ينسبهم تارة إلى أحوال مهوية ثم ينجيهم منها إلى أحوال منجية بحيث لو أبقى هؤلاء على هذه الإماتة و من لحق بسنتهم من بعدهم لهلكت آخرتهم كما هلكت دنياهم و لكن ١ الله سبحانه و تعالى أحياهم لتجدد فضله عليهم - انتهى . كما تفضل عليكم [٢] يا بنى إسرائيل٢ بأن٣ أحياكم من موت العبودية و ذلك الذل بعد أن كان ألزمكموه بذنوبكم دهورا طويلة و كما [٤] تفضل عليكم أيها العرب بقص ٢مثل هذه٢ الأخبار عليكم لتعتبروا ﴿ و لكن اكثر الناس ﴾ كرر الإظهار و لم يضمر [٥] ليكون أنص على العموم لئلا يدعى مدع أن المراد بالناس الأول أهل زمان ما فيخص الثانى أكثرهم ﴿ لا يشكرون ﴾ [٦] و ذلك تعريض ببنى إسرائيل فى أنهم لم يشكروه سبحانه و تعالى فى الوفاء بمعاهدته لهم فى اتباع هذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة و السلام ، و فى هذا الأسلوب بعد هذه المناسبات إثبات لقدرته سبحانه و تعالى على الإعادة و جر لمنكر ذلك إلى الحق من حيث

---

(١) ليس فى مد (٢-٢) ليست فى م (٣) فى م : ان (٤) فى م : لا (٥) فى الأصل: يضمن ، و التصحيح من ظ و مد (٦) تقدم فضل الله على جميع الناس بالإيجاد و الرزق و غير ذلك فكان المناسب لهم أنهم يشكرون الله على ذلك و هذا الاستدراك بلكن مما تضمنه قوله " ان الله لذو فضل على الناس " و التقدير : فيجب عليهم أن يشكروا الله على فضله ، فاستدرك بأن أكثرهم لا يشكرون ، و دل على أن الشاكر قليل كقوله " و قليل من عبادى الشكور " و يخص " الناس " الثانى بالمكلفين ـ البحر المحيط ٢/٢٥١ .

لا يشعر . قال الحرالى : و الشكر ظهور باطن الأمر على ظاهر الخلق
بما هو باطن فمن حيث أن الأمر/ كله لله قسرا[1] فالشكر أن يبدو الخلق /٢٥٤
كله بالله شكرا ، لان أصل الشكور الدابة التى يظهر عليها ما تأكله سمنا
و صلاحا ، فمن أودع خلق أمر لم يبد على خلقه فهو كفور . فلما[2]
أودعه سبحانه و تعالى فى ذوات الأشياء من معرفته و علمه و تكبيره ٥
كان من[3] لم يبد ذلك على ظاهر خلقه كفورا ، و من بدا ما استسر
فيه من ذلك شكورا ، و ليس من وصف الناس ذلك لترددهم[4] بين أن
يكون البادى عليهم عندهم تارة من الله سبحانه و تعالى و تارة من
أنفسهم و ممن دون الله ممن اتخذوه أولياء على[5] حد كفر أو هوى
أو بدعة أو خطيئة و على حد رين كسبهم على قلوبهم ، ففى اعتبار هذه ١٠
الآية تحذير[6] لهذه الأمة من أن يحذروا الموت . قال بعض التابعين
[7]رضى الله تعالى عنهم[7]: لقد رأينا أقواما يعنون[8] من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه و سلم الموت ألى أحدهم أشهى[9] من الحياة عندكم اليوم ؛
و إنما ذلك لما تحققوا من[10] موعود الآخرة حتى كأنهم يشاهدونه فهان
عليهم الخروج من خراب الدنيا إلى عمارة[11] آخرتهم[12] - انتهى . و ما أحسن ١٥

(١) فى م : تسرا - كذا (٢) فى ظ : علما (٣) ليس فى م (٤) فى الأصل : لتوددهم ، و التصحيح من م و مد و ظ (٥) فى م و ظ و مد : فى (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تحذيرا (٧ - ٧) ليست فى مد (٨) فى م : يعفون . (٩) فى الأصل : اشهر ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٠) ليس فى م . (١١) فى م : عمار (١٢) فى م : الاحرة ، و بهامشه بعلامة النسخة : آخرتهم .

الرجوع إلى قصص الأقدمين و الالتفات إلى قوله "كتب عليكم القتال و هو كره لكم" على هذا الوجه و هؤلاء الذين أماتهم الله ثم أحياهم؛ قال أهل التفسير: إن إحياءهم كان على يد حزقيل[1] أحد أنبياء بنى إسرائيل عليهم[2] الصلاة و السلام[2]؛ و قال البغوى: إنه ثالث خلفائهم، و الذى رأيته فى سفر الأنبياء المبعوثين[3] منهم بعد موسى عليه[4] الصلاة و السلام لتجديد أمر التوراة و إقامة ما درس من أحكامها و هم ستة عشر نبيا أولهم يوشع بن نون و آخرهم دانيال على جميعهم الصلاة و السلام و التحية و الإكرام أن حزقيل[5] خامس عشرهم عليه الصلاة و السلام. قال فى الإصحاح[6] الحادى و العشرين من نبوته: و كانت

(١) فى الأصل: حزقتال، و فى ظ: خرقيال، و فى مد: حزقيال. و فى البحر المحيط ٢/٢٤٩: و قيل: قوم من بنى إسرائيل وقع فيهم الوباء فخرجوا فرارا منه فأماتهم الله فبنى عليهم سائر بنى إسرائيل حائطا حتى إذا بليت عظامهم بعث الله حزقيل فدعا الله فأحياهم له - حكى هذا قوم من اليهود لعمر بن الخطاب، و قال السدى: هم أمة كانت قبل واسط فى قرية يقال لها داوردان وقع بها الطاعون فهربوا منه فأماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا و يعلموا أن لا مفر من قضاء الله، و قيل: مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل و قد عريت عظامهم و تفرقت أوصالهم فلوى شدقه و أصابعه تعجبا مما رأى فأوحى إليه: ناد فيهم أن قوموا باذن الله، فنادى فنظر إليهم قياما يقولون: سبحانك اللهم و بحمدك لا إله إلا أنت.
(٢-٢) فى ظ: اسرايل، و فى م و مد: السلام (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: المبعوث (٤) فى ظ و مد: عليهم (٥) فى الأصل: حزقيال (٦) من م و ظ، و فى الأصل: الامتحاج، و لا تتضح فى مد.

على يد الرب و أخرجنى روح الرب إلى صحراء[1] مملوءة عظام موتى و أمرنى أجوز عليها و أدور حولها، فرأيتها كثيرة فى الصحراء يابسة. و قال [لى - ٢] : يا ابن الإنسان ! هل تعيش هذه العظام ؟ فقلت : أنت تعلم[3] يا رب الأرباب ! قال لى[4] : تنبأ[5] على هذه العظام و قل لها : أيتها العظام البالية ! اسمعوا كلام الله أن هكذا يقول[6] رب الأرباب ٥ لهذه العظام : إنى أرد فيكم الروح فتحيون و تعلمون أنى أنا الرب ، آتى بالعصب[7] و الجلد و اللحم[7] أنبته ، و أرد فيكم الأرواح فتحيون ، فلما[8] تنبأت بهذا صار صوت عظيم و زلزلة ، و اقتربت[9] العظام كل عظم إلى مفصله ، و رأيت قد صعد عليها العصب و نبت اللحم و رد عليها الجلد من فوق ذلك و لم يكن فيهم روح ، و قال[10] الرب : [11] يا ابن ١٠ الإنسان ! هذه العظام كلها من بنى إسرائيل و من الأنبياء الذين كانوا يقتلون و قد بليت عظامهم وكل رجل بطل[11] ، تنبأ[12] أيها الإنسان و قل للروح : هكذا يقول رب الأرباب : تعالوا أيها الأرواح[13] ، و أنفخ[14] فى هؤلاء القتلى فيعيشوا ، فتنبأت كالذى أمرنى الرب ، فدخلت فيهم الروح

(١) فى ظ : صخرا (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : اعلم (٤) ليس فى ظ .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تبنا (٦) زيد فى م : الرب (٧-٧) و فى م و ظ و مد : اللحم و الجلد (٨) زيد فى ظ : نحلم - كذا (٩) فى ظ : اقترب .
(١٠) زيد فى ظ و مد : لى (١١-١١) ليست فى م و ظ و مد (١٢) فى ظ : تنباو (١٣) زيد فى الأصل : من الاربع ارواح - كذا ، و لم تكن الزيادة فى م ومد وظ فحذفناها (١٤) فى ظ : انفخوا ، وفى الأصل وم ومد: انفخى .

و عاشوا و قاموا على أرجلهم جيش عظيم جدا ، و قال لى[1] الرب : يا ابن الإنسان ! هذه العظام كلها من بنى إسرائيل و من الأنبياء الذين كانوا يقتلون و قد بليت عظامهم و كل رجل بطل ، فمن أجل هذا تنبأ و قل : هكذا يقول رب الأرباب : هو ذا أفتح قبوركم و أصعدكم من قبوركم و آتى بكم إلى أرض إسرائيل و تعلمون أنى أنا الرب أنفخ فيكم روحى فتعيشون[2] و أتركم تعملون[3] ؛ قد قلت هذا و أنا أفعله - انتهى . و لما بين سبحانه و تعالى أن الموت لا يصون منه فرار[4] [5]أمر بالجهاد الذى هو المقصود الأعظم بهذه السياقات و لفت القول إلى من يحتاج إلى الأمر به[6] و صدره بالواو فأفهم[7] العطف على غير معطوف عليه مذكور أن التقدير : فلا تفروا من أسباب الموت بل اثبتوا فى مواطن البأساء ﴿ و قاتلوا[8] ﴾[9] و عبر بفى الظرفية[10] إشارة إلى وجوب كونهم /٢٥٥

(١) ليس فى م (٢) فى ظ : يعيشون (٣) فى م : تعلمون (٤) فى م : فرارا .
(٥) العبارة من هنا إلى «بالواو» سقطت من ظ (٦) زيد فى م ومد : من الامة .
(٧) فى ظ : أفهم (٨) هذا خطاب لهذه الأمة بالجهاد فى سبيل الله و تقدمت تلك القصة كما قلنا تنبيها لهذه الأمة أن لا تفر من الموت كفرار أولئك و تشجيعا لها وتثبيتا ، و روى عن ابن عباس و الضحاك أنه أمر لمن أحياهم الله بعد موتهم بالجهاد أى و قال لهم : قاتلوا فى سبيل الله ، و قال الطبرى : لا وجه لهذا القول - انتهى . و الذى يظهر القول الأول وأن هذه الآية ملتحمة بقوله "حفظوا على الصلوات" و بقوله "فان خفتم فرجالا او ركبانا" لأن فى هذا إشعارا بلقاء العدو ثم ما جاء بين هاتين الآيتين جاء كالاعتراض ، فقوله: "وللمطلقات متاع بالمعروف" تتميم أو توكيد لبعض أحكام المطلقات وقوله =

فى القتال و إن اشتدت الأحوال مظروفين للدين[1] مراعين له لا يخرجون عنه بوجه ما[2] فيصدقون فى الإقدام على [من - ٣] لج ٤ فى الكفران و يسارعون إلى الإحجام عمن بدا منه الإذعان و نحو ذلك من مراعاة شرائـــع الإيمان، و عبر بالسبيل إشارة إلى يسر الدين و وضوحه فلا عذر فى الخروج عن شىء منه بحال فقال: ﴿ فى سبيل الله ﴾ [3]أى الذى لا كفوء[4] له كما كتبه عليكم و إن كنتم تكرهون القتال.

و لما أمرهم بعد ما حذرهم رغبهم و رهبهم بقوله: ﴿ و اعلموآ ﴾ منبها لهم لأن يلقوا أسماعهم و يحضروا أفهامهم لما يلقى عليهم ﴿ان الله﴾ [5]أى الذى له القدرة الكاملة و العلم المحيط[6] ﴿ سميع ﴾ لما تقولون إذا أمرتم بما يكره من القتال ﴿ عليم ﴾ بما تضمرون من الإعراض عنه و الإقبال فهو يجازيكم على الخير قولا و عملا و نية، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعين ضعفا إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة و عـــلى السيئة بمثلها إن شاء "و لا يظلم ربك احدا[7]".

= " الم تر الى الذين " اعتبار بمن مضى ممن فر من الموت فمات أن لا ننكص و لا نحجم عن القتال و بيان المقاتل فيه و أنه سبيل الله فيه حث عظيم على القتال إذ كان الإنسان يقاتل للحمية و لنيل عرض من الدنيـا و القتال فى سبيل الله مورث للعز الأبدى و الفوز السرمدى - البحر المحيط ٢/٢٥١ (٩) العبارة من هنا إلى « فقـال » ليست فى ظ (١٠-١٠) من مد، و فى الأصل: به بالظرفية، و فى م: به الظرفية فيه.

(١) من م و مد، و فى الأصل: للذين (٢) ليس فى م و مد (٣) زيـد من م و مد و لا بد منه (٤) فى مـد: سح، و هو محرف (٥-٥) ليست فى ظ.
(٦) سورة ١٨ آية ٤٩.

و لما كانت النفقة التى هى من أعظم مقاصد السورة أوثق دعائم الجهاد و أقوى مصدق للايمان و محقق لمبايعة الملك الديان كرر الحث عليها على وجه[1] أبلغ تشويقا مما مضى فقال على هيئة الممتحن للصادق ممن[2] أمره و حذره و أنذره: ﴿من ذا الذى﴾ منكم يا من كتب عليهم القتال و الخروج عن الأنفس و الأموال ﴿يقرض الله﴾ [3]الذى تفرد بالعظمة، و هو من الإقراض أى إيقاع القرض[4] و لذا[5] قال: ﴿قرضا﴾ و شبه سبحانه و تعالى العمل به لما يرجى عليه من الثواب فهو كالقرض الذى [هو -[6]] بذل المال للرجوع بمثله، و عبر به لدلالته على المحبة لأنه لا يقرضك إلا محب، و لأن أجره أكثر من أجر

(١) فى ظ: اوجه (٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: من (٣) هذا على سبيل التأسيس و التقريب للناس بما يفهمونه و الله هو الغنى الحميد، شبه تعالى عطاء المؤمن فى الدنيا بما يرجو ثوابه فى الآخرة بالقرض كما شبه بذل النفوس و الأموال فى الجنة بالبيع و الشراء؛ و مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما أمر بالقتال فى سبيل الله و كان ذلك مما يفضى إلى بذل النفوس و الأموال فى إعزاز دين الله أثنى على من بذل شيئا من ماله فى طاعة الله و كان هذا أقل حرجا على المؤمنين إذ ليس فيه إلا بذل المال دون النفس فأتى بهذه الجملة الاستفهامية المتضمنة معنى الطلب - البحر المحيط ٢/٢٥٢ (٤) أسند الاستقراض إلى الله و هو المنزه عن الحاجات ترغيبا فى الصدقة كما أضاف الإحسان إلى المريض و الجائع و العطشان إلى نفسه تعالى فى قوله جل و علا: يا ابن آدم! مرضت فلم تعدنى و استطعمتك فلم تطعمنى و استسقيتك فلم تسقنى - الحديث، خرجه مسلم و البخارى - البحر المحيط ٢/٢٥٢ (٥) فى ظ: كذا (٦) زيد من م و مد و ظ.

الصدقة

الصدقة ﴿ حسنا ﴾ أى جامعا لطيب النفس و إخلاص النية و زكاء المال . و قال الحرالى : القرض الجزّ[1] من الشيء و القطع منه ، كأنه يقطع له من ماله قطعة ليقطع له من ثوابه أقطاعا مضاعفة ، و القرض بين الناس قرضا بقرض[2] مثلا بمثل . فمن ازداد فقد أربى و من زاد من غير عقد و لا عهد فقد وفى ، فالقرض مساواة و الربا ازدياد[3] ، و وصف ٥ سبحانه و تعالى القرض الذى حرض عليه بالحسن لتكون[4] المعاملة بذلة[5] على وجه الإحسان الذى هو روح الدين و هو أن يعامل الله به كأنه يراه - انتهى .

و لما كانت الأنفس مجبولة على الشحّ بما لديها[6] إلا لفائدة رغبها بقوله مسببا عن ذلك : ﴿ فيضعفه ﴾ قال الحرالى[7] : من المضاعفة ١٠ مفاعلة من الضعف - بالكسر - و هى ثنى الشيء بمثله مرة أو مرات ، و أزال عنه ريب الاحتمال بقوله : ﴿ له ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة .

---

(١) فى م : الحز (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يقرض (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اذديأد - كذا بالذال (٤) فى ظ : ليكون .

(٥) فى م و ظ و مد : به له (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : لديها .

(٧) و قال الأندلسى : الضعف مثل قدرين متساويين و يقال : مثل الشيء - فى المقدار ، و ضعف الشيء مثله ثلاث مرات إلا أنه إذا قيل : ضعفان ، فقد يطلق على الاثنين المثلين فى القدر من حيث أن كل واحد يضعف الآخر كما يقال : الزوجان ، لكل واحد منهما زوجا للآخر ، و فرق بعضهم بين يضاعف و يضعف فقال : التضعيف لما جعل مثلين و المضاعفة لما زيد عليه أكثر من ذلك - البحر المحيط ٢/٢٤٨ .

قال الحرالى: هذه المضاعفة أول إنبائها أن الزائد ضعف ليس كسرا من واحد المقرض ليخرج ذلك عن[1] معنى وفاء القضاء فان المقترض تارة يوفى على الواحد كسرا من وزنه ، كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يقترض قرضا إلا وفى عليه زيادة ، و قال: خير الناس أحسنهم قضاء ، فأنبأ تعالى أن اقتراضه ليس بهذه المثابة بل بما هو فوق ذلك لأنه يضعف القرض بمثله و أمثاله إلى ما يقال فيه الكثرة؛ و فى قوله: ﴿ اضعافا ﴾ ما يفيد [أن -[2]] الحسنة بعشر[3] ، و فى قوله: ﴿ كثيرة ط ﴾ ما يفيد البلاغ إلى فوق العشر و إلى المائة كأنه المفسر فى قوله بعد هذا "مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله" - الآية ، فأوصل تخصيص هذه الكثرة إلى المئين ثم فتح باب التضعيف إلى ما لا يناله علم العالمين فى قوله "و الله يضاعف لمن يشاء" - انتهى .

و لما رغب سبحانه و تعالى فى إقراضه أتبعه جملة حالية من ضمير يضاعف مرهبة مرغبة فقال: ﴿ و الله ﴾ [4]أى المحيط علما و قدرة[4]

(١) فى ظ : من (٢) زيد من ظ (٣) فى الأصل : بعد ، و ليس فى م ، و التصحيح من ظ و مد . و فى البحر المحيط ٢ / ٢٥٣ : و جمع لاختلاف جهات التضعيف باعتبار الإخلاص ، و هذه المضاعفة غير محدودة لكنها كثيرة ، قال الحسن و السدى: لا يعلم كنه التضعيف إلا الله تعالى و هو قول ابن عباس ، و قد رويت مقادير من التضعيف و جاء فى القرآن "كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة" ثم قال: "و الله يضاعف لمن يشاء" قيل: و الآية عامة فى سائر وجوه البر من صدقة و جهاد و غير ذلك (٤ - ٤) ليست فى ظ .

﴿ يقبض ﴾ أى له هذه الصفة و هى[1] إيقاع القبض و الإقتار بمن يشاء و إن جلت أمواله . قال الحرالى : و القبض[2] / إكمال الأخذ ، أصله ٢٥٦/
القبض باليد كله ، و القبص - بالمهملة - أخذ بأطراف الأصابع و هو جمع عن بسط فلذلك قوبل به ﴿ و يبصّط ص ﴾ أى لمن يشاء و إن ضاقت حاله ، و البسط توسعة المجتمع[3] إلى حد غاية ﴿ و اليه ترجعون ه ﴾ حسا بالبعث ٥ و معنى فى جميع أموركم[4] ، فهو يجازيكم فى الدارين[5] على حسب ما يعلم من نياتكم .

و لما كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يتمنون فى مكة المشرفة الإذن فى مقارعة الكفار ليردوهم عما هم عليه من الأذى و الغى و العمى عجب من حال بنى إسرائيل حيث سألوا الأمر بالقتال ثم لم ينصفوا ١٠ إذ[6] أمروا تحذيرا من مثل حالهم ، و تصويرا لعجيب قدرته على نقض العزائم و تقليب القلوب ، و إعلاما بعظيم[7] مقادير الأنبياء و تمكنهم فى المعارف الإلهية ، و دليلا على ختام الآية التى قبلها فقال مقبلا[8] على أعلى[9] الخلق إشارة إلى أن للنفوس من دقائق الوساوس ما لا يفهمه

(١) فى ظ : هو (٢) قال الأندلسى فى البحر المحيط ٢/٢٤٨ : القبض ضم الشىء و الجمع عليه ، و البسط ضده و منه قول أبى تمام :

تعوّد بسط الكف حتى لو أنه دعاها لقبض لم تجبه أنامله

(٣) فى الأصل : الممتنع ، و التصحيح من م و مد و ظ (٤) العبارة من هنا إلى « نياتكم » ليست فى ظ (٥) فى مد : فى الدنيا (٦) فى م و مد : اذا (٧) فى م : بعظم (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : مفضلا (٩) ليس فى ظ .

الا البصراء: ﴿ الم تر ﴾ قال الحرالى: أراه فى الأولى حال أهل الحذر٢ من الموت بما فى الأنفس من الهلع الذى حذرت منه هذه الأمة ثم أراه فى هذه مقابل ذلك من الترامى إلى طلب الحرب٣ و هما طرفا انحراف فى الأنفس، قال صلى الله عليه و سلم «لا تتمنوا لقاء العدو و اسألوا الله العافية، فاذا لقيتموه٤ فاصبروا و اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» ففيه إشعار لهذه الأمة بأن لا تطلب الحرب ابتداء و إنما تدافع عن٥ منعها من إقامة دينها كما قال سبحانه و تعالى "اذن للذين يقتلون بانهم ظلموا٦" و قال عليه الصلاة و السلام:

و المشركون قد بغوا علينا اذا أرادوا فتنة أبينا

فحق المؤمن أن يأبى الحرب و لا يطلبه فانه إن طلبه فأوتيه عجز [كما عجز -٧] هؤلاء حين تولوا إلا قليلا فهذه الأقاصيص ليس المراد منها٨ حديثا عن٩ الماضين و إنما هو إعلام بما يستقبله الآتون، إياك

(١) مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة و ذلك أنه لما أمر المؤمنين بالقتال فى سبيل الله و كان قد تقدم قبل ذلك قصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت إما بالقتال أو بالطاعون على سبيل التشجيع و التثبيت للمؤمنين و الإعلام بأنه لا ينجى حذر من قدر أردف ذلك بأن القتال كان مطلوبا مشروعا فى الأمم السابقة فليس من الأحكام التى خصصتم بها لأن ما وقع فيه الاشتراك كانت النفس أميل لقبوله من التكليف الذى يكون يقع به الانفراد - البحر المحيط ٢ / ٢٥٣ .
(٢) فى م: بحامى (٣) فى م: الحرث (٤) فى م و ظ: لقيتموهم (٥) فى ظ و مد: من (٦) سورة ٢٢ آية ٣٩ (٧) زيد من م و ظ و مد (٨) فى الأصل: منه، و التصحيح من ظ و مد (٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: على .

أعنى

أغنى[1] و اسمعى يا جارة ! فلذلك لا يسمع القرآن من لم يأخذه بجملته خطابا لهذه الأمة بكل ما قص له من أقاصيص الأولين - انتهى . و يجوز أن يكون الخطاب لكل من ألقى السمع و هو شهيد .

و لما كان الإخلال[2] من الشريف أقبح قال : ﴿ إلى الملا ﴾ أى الأشراف ، قال الحرالى[3] : الذين يملؤن العيون بهجة و القلوب هيبة - انتهى . و لما كان ذلك من أولاد الصلحاء أشنع[4] قال : ﴿ من بنى اسرآءيل ﴾ و لما كان ممن تقرر له الدين و اتضحت له المعجزات و اشتهرت عنده[5] الأمور الإلهيات أخش قال : ﴿ من بعد موسى م ﴾ أى الذى أتاهم من الآيات بما طبق[6] الأرض كثرة و ملأ الصدور عظمة و أبقى فيهم كتابا عجبا ما بعد القرآن من الكتب السماوية مثله . قال الحرالى : و فيه إيذان بأن الأمة تختل بعد نبيها بما يصحبها من نوره زمن وجوده

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اغنى (٢) فى م : الخلال (٣) و قال الأندلسى : الملأ الأشراف من الناس و هو اسم جمع و يجمع على أملاء ، قال الشاعر :

و قال لها الأملاء من كل معشر و خير أقاويل الرجال سديدها

و سموا بذلك لأنهم يملؤون العيون هيبة أو المكان إذا حضروه ، أو لأنهم مليئون بما يحتاج إليه ، و قال الفراء : الملأ الرجال فى كل القرآن لا تكون فيهم امرأة و كذلك القوم و النفر و الرهط ، و قال الزجاج : الملأ هم الوجوه و ذوو الرأى - البحر المحيط ٢/٢٤٨ (٤) فى م : اشفع (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عند (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ضيق .

معهم ، قالوا : ما نفضنا[١] أيدينا من تراب رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أنكرنا قلوبنا - انتهى . ﴿ اذ قالوا ﴾ و لما كان الإخلاف[٢] مع الأكابر لا سيما [مع - ٣] الأنبياء أفظع[٤] قال : ﴿ لنبي لهم ﴾ و نكره[٥] لعدم مقتض[٦] لتعريفه . قال الحرالى : لأن نبيهم المعهود الآمر لهم [إنما -[٨]] هو موسى عليه الصلاة و السلام ، و من بعده[٩] إلى عيسى عليهم الصلاة و السلام إنما هم أنبياء بمنزلة[١٠] الساسة و القادة لهم كالعلماء فى هذه الأمة منفذون و عالمون[١١] بما أنزل على موسى [١٢]عليه الصلاة و السلام[١٢] كذلك كانوا إلى حين تنزيل الإنجيل فكما قص فى صدر السورة حالهم مع موسى [١٢]عليه الصلاة و السلام[١٢] قص فى خواتيمها حالهم من بعد موسى لتعتبر هذه الأمة من ذلك حالها مع نبيها صلى الله عليه و سلم و بعده [انتهى -[٨]] .

و لما كان عندهم من الغلظة ما لا ينقادون به إلا لإنالة[١٣] الملك و كان القتال لا يقوم[١٤] إلا برأس جامع تكون الكلمة به واحدة قالوا : ﴿ ابعث لنا[١٥] ﴾ [١٦]أى خاصة[١٦] ﴿ ملكا ﴾ أى يقيم لنا أمر الحرب ﴿ نقاتل ﴾ أى عن أمره ﴿ فى سبيل الله ط ﴾ [١٦]أى الملك الأعلى[١٦] .

---

(١) فى الأصل و مد : نقضنا - بالقاف ، و فى ظ : نفضينا ، و التصحيح من م .
(٢) فى الأصل : الاخلاق ، و فى مد : الاختلاف ، و التصحيح من م و ظ .
(٣) زيد من ظ (٤) فى الأصل : اقصع ، و فى م و مد و ظ : افضع - كذا (٥) فى م : تكره (٦) فى الأصل : مقتضى ، والتصحيح من م و ظ و مد (٧) زيد فى ظ و مد : و (٨) زيد من م و ظ و مد (٩) فى ظ : بعد (١٠) فى مد : بحسب (١١) فى ظ و مد : عاملون (١٢-١٢) ليست فى مد و ظ (١٣) فى مد : لاياله ، و فى ظ : لايالة (١٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : لا تقوم (١٥) و قد طول =

قال الخرالى: فى إعلامه أخذهم الأمر بمنة الأنفس حيث لم يظهر فى قولهم إسناد[1] إلى الله سبحانه و تعالى الذى[2] لا تصح الأعمال / إلا باسنادها /٢٥٧

= المفسرون فى هذه و نحن نلخصها فنقول: لما مات موسى عليه السلام خلف من بعده فى بنى إسرائيل يوشع يقيم فيهم التوراة ثم قبض فخلف حزقيل ثم قبض ففشت فيهم الأحداث حتى عبدوا الأوثان فبعث إليهم إلياس ثم من بعده اليسع ثم قبض فعظمت فيهم الأحداث و ظهر لهم عدوهم العمالقة قوم جالوت كانوا سكان ساحل بحر الروم بين مصر و فلسطين و ظهروا عليهم و غلبوا على كثير من بلادهم و أسروا من أبناء ملوكهم كثيرا و ضربوا عليهم الجزية و أخذوا توراتهم و لم يكن لهم من يدبر أمرهم و سألوا الله أن يبعث لهم نبيا يقاتلون معه و كان سبط النبوة هلكوا إلا امرأة حبلى دعت الله أن يرزقها غلاما فرزقها شمويل فتعلم التوراة فى بيت المقدس و كفله شيخ من علمائهم و تبناه فلما بلغ النبوة أتاه جبريل و هو نائم إلى جنب الشيخ و كان لا يأمن عليه فدعاه بلحن الشيخ: يا شمويل! فقام فزعا و قال: يا أبت! دعوتنى؟ فكره أن يقول له: لا، فيفزع فقال: يا بنى! نم، فجرى ذلك له مرتين فقال له: إن دعوتك الثالثة فلا تجبنى، فظهر له جبريل فقال: اذهب فبلغ قومك رسالة ربك و قد بعثك نبيا، فأتاهم فكذبوه و قالوا: إن كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله آية من نبوتك و كان قوام بنى إسرائيل بالاجتماع على الملوك و كان الملك يسير بالجموع و النبى يسدده و يرشده؛ و قال وهب: بعث شمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة بأحسن حال و كان الله اسقط عنهم الجهاد إلا من قاتلهم فلما كتب عليهم القتال تولوا ثم كان من أمر جالوت و العمالقة ما كان. و معنى "ابعث لنا ملكا" انهض لنا من نصدر عنه فى تدبير الحرب و ننتهى إلى أمره، و انجزم "نقاتل" على جواب الأمر - البحر المحيط ٢/٢٥٥ (١٦-١٦) ليس فى ظ.

(١) فى ظ: اسنادا (٢) فى م: التى.

إليه فما[1] كان بناء على تقوى تم ، و ما كان على دعوى نفس انهدّ
﴿ قال ﴾ أى ذلك النبى ﴿ هل ﴾ كلمة تنبئ[2] عن تحقيق[3] الاستفهام
اكتفى بمعناها عن الهمزة - انتهى . ﴿ عسيتم ﴾ أى قاربتم [و لما كانت -[4]]
*العناية بتأديب السائلين فى هذا المهم أكثر قدم قوله ﴿ ان كتب ﴾
٥ أى فرض* - كذا قالوا ، و الأحسن عندى كما يأتى إن شاء الله تعالى
تحقيقه[6] فى سورة براءة أن يكون المعنى : هل تخافون من أنفسكم ،
و لما كان القصد التنبيه على سؤال العافية و البعد عن التعرض[7] للبلاء
لخطر المقام بأن الأمر إذا وجب لم تبق[8] فيه رخصة فمن قصر[9] فيه
هلك وسط بين عسى و صلتها قوله[10] : ﴿ عليكم القتال ﴾[11] فرضا لازما ،
١٠ و بناه للمفعول صيانة لاسم الفاعل عن مخالفة يتوقع تقصيرهم بها[12]
﴿ الا تقاتلوا[13] ﴾ فيوقعكم ذلك فى العصيان . قال الحرالى : بكسر سين عسى
و فتحها لغتان[14] ، عادة النحاة [أن -[14]] لا يلتمسوا اختلاف المعانى من
أوساط الصيغ و أوائلها ، و فى فهم اللغة و تحقيقها إعراب فى الأوساط
و الأوائل كما اشتهر إعراب الأواخر عند عامة النحاة ، فالكسر حيث

---

(١) فى م و مد : فكما (٢) فى الأصل : تمنى ، و التصحيح من م و ظ و مد .
(٣) فى ظ : حقيقة (٤) زيد من م و مد (٥-٥) ليست فى ظ (٦) ليس فى م .
(٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : التعريض (٨) فى ظ و مد : لم يبق .
(٩) فى الأصل و م : تصد ، و التصحيح من ظ و مد (١٠) زيد فى ظ : ان
كتب اى فرض (١١) زيد فى م : اى (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل :
بها (١٣) فى م : لغتين و (١٤) زيد من م و مد و ظ .

كان مبنى[1] عن باد[2] عن ضعف و انكسار ، و الفتح معرب عن باد عن قوة و استواء - انتهى . فكأنه صلى الله عليه و سلم فهم أن بعضهم يترك القتال عن ضعف عنه و بعضهم يتركه عن قوة و لذلك نفى الفعل و لم يقل : أن تعجزوا[3] . قال الحرالى[4] : فأنبأهم بما آل إليه أمرهم فلم يلفتوا[5] عنه و حاجوه و ردوا عليه بمثل سابقة قولهم ، ففى إشعاره إنباء [بما -[6]] كانوا عليه من غلظ الطباع و عدم سرعة التنبه[7] - انتهى .

و لما كان مضمون هذا الاستفهام : إنى أخشى عليكم القعود عن القتال [8]أعلمنا الله عن جوابهم بقوله[8] : ﴿ قالوا ﴾ [9]أى لموسى فى المخالفة[9] و لما أرشد العطف على غير مذكور أن التقدير : ما يوجب لنا القعود و إنا لا نخاف ذلك على أنفسنا بل نحن جازمون بأنا نقاتل أشد القتال ! عطف عليهم قولهم[10] : ﴿ و ما ﴾ أى و أى شىء ﴿ لنآ ﴾ فى ﴿ الا نقاتل ﴾ و لما كانت النفس فيما[11] لله[12] أجدّ و إليه أنهض قالوا :

(١) فى م و مد : منبئى (٢) فى ظ : عباد (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : أن يعجزوا (٤) قال القشيرى : أظهروا التجلد و التصلب فى القتال ذبا عن أموالهم ومنازلهم حيث قالوا "وما لنا ان لا نقاتل فى سبيل الله و قد اخرجنا من ديارنا و ابنائنا" فلذلك لم يتم قصدهم لأنه لم يخلص لحق الله عزمهم ، و لو أنهم قالوا : و ما لنا أن لا نقاتل فى سبيل الله لأنه قد أمرنا و أوجب علينا ، لعلهم و فقوا لإتمام ما قصدوا - البحر المحيط ٢ / ٢٥٦ (٥) فى ظ و مد : يلقنوا . (٦) زيد من م و مد و ظ (٧) من مد و ظ ، و فى م : التنبيه ، و فى الأصل : الشبه (٨-٨) ليست فى ظ (٩-٩) ليست فى م و مد و ظ (١٠) فى مد : قوله . (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فى ملا - كذا (١٢) زيد فى م : ابر .

﴿ فى سبيل الله ﴾ [١] أى الذى لا كفوء له [١] إلهابا و تهييجا ﴿ و قد [٢] ﴾ أى و الحال أنا قد ﴿ اخرجنا ﴾ [١] أعم من أن يكون مع لإخراج إبعاد أو لا [١]، [٣] و بناه [٣] للمجهول لأن موجب الإحفاظ و الإخراج نفس الإخراج لا نسبة [٤] إلى أحد بعينه [٥] ﴿ من ديارنا ﴾ [٦] التى هى لأبداننا ٥ كأبداننا لأرواحنا . و لما كان فى "اخرجنا" معنى أبعدنا عطف عليه ﴿ و ابنآئنا [٧] ﴾ فخلطوا بذلك ما لله بما لغيره و هو أغنى الشركاء لا يقبل إلا خالصا . قال الحرالى : فأنبأ سبحانه و تعالى أنهم أسندوا ذلك إلى غضب الأنفس على الإخراج و إنما يقاتل فى سبيل الله من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا - انتهى . و لما كان إخلاف الوعد [مع - [٧]] قرب العهد [٨] ١٠ أشنع قال : ﴿ فلما ﴾ بالفاء المؤذنة بالتعقيب ﴿ كتب عليهم ﴾ [٩] أى خاصة [٩] ﴿ القتال ﴾ أى الذى سألوه كما كتب عليكم بعد أن [١٠] كنتم تمنونه إذ كنتم بمكة كما سيبين إن شاء الله تعالى فى النساء عند قوله تعالى "ألم تر الى الذين

(١-١) ليست فى م و مد و ظ (٢) "و قد اخرجنا" جملة حالية ، أنكروا ترك القتال و قد التبسوا بهذه الحال من إخراجهم من ديارهم و أبنائهم و القائل هذا لم يخرج لكنه أخرج مثله فكان ذلك اخراجا له ، و يمكن حمله على الظاهر لأن كثيرا منهم استولى على بلادهم و أسر أبناؤهم فارتحلوا إلى غير بلادهم التى كان منشأهم بها كما مر فى قصتهم - قاله أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ٢/٢٥٦ (٣-٣) من مد و ظ ، و فى الأصل : دينا ه - كذا (٤) فى مد : نسبته (٥) العبارة من « اعم من » إلى هنا ليست فى م (٦) زيد فى م : اى . (٧) زيد من م و ظ و مد (٨) زيد فى ظ : العبد (٩-٩) ليس فى ظ (١٠) فى ظ : اذ .

قيل لهم كفوا ايديكم[1] " الآية ، ﴿ تولوا[2] ﴾ فبادروا الإدبار[3] بعد شدة ذلك الإقبال ﴿ الا قليلا[4] منهم ط ﴾ أى فقاتلوا و الله عليم بهم ﴿ و الله ﴾ [5] أى الذى له الإحاطة بكل كمال ﴿ عليم ﴾ بالمتولين ، هكذا كان الأصل و لكنه قال : ﴿ بالظلمين ه[6] ﴾ معلما بأنهم سألوا البلاء و كان من حقهم سؤال العافية ، ثم لما أجيبوا إلى ما سألوا أعرضوا عنه فكفوا حيث ٥ ينبغى المضاء و مضوا حيث كان ينبغى الكف فعصوا الله الذى أوجبه عليهم ، فجمعوا بين عار الإخلاف و فضيحة العصيان و خزى النكوص عن الأقران[7] و قباحة الخذلان للاخوان .

و لما أرشد العطف على غير مذكور إلى أن التقدير : فقال لهم

---

(١) سورة ٤ آية ٧٧ (٢) هذا شأن المترف المنعم متى كان متلبسا بالنعمة قوى عزمه و أنف فاذا ابتلى بشىء من الخطوب كع ،و ذل التولى حقيقة هو عند المباشرة للحرب و معناه هنا صرف عزائمهم عما سألوه من القتال ـ البحر المحيط ٢/٢٥٦ . (٣) فى م : بالادبار ، و فى ظ : للادبار ، و فى مد : لادباد (٤) و لم يبين هنا عدة هذا القليل و بينته السنة ، صح أن النبى صلى الله عليه و سلم لما سئل عن عدة من كان معه يوم بدر قال : ثلاثمائة و ثلاثة عشر على عدة قوم طالوت ، و هؤلاء القليل ثبتوا على نياتهم السابقة و استمرت عزائمهم على قتال أعدائهم ـ البحر المحيط ٢/٢٥٦ (٥) العبارة من هنا إلى « بكل كمال » ليست فى ظ ، و إلى « العافية ثم » ليست فى م و مد (٦) فيه وعيد و تهديد لمن تقاعد عن القتال بعد أن فرض عليه بسؤاله و رغبته ، و أن الإعراض عما أوجب الله على العبد ظلم إذ الظلم وضع الشىء فى غير موضعه ـ البحر المحيط ٢ / ٢٥٧ (٧) فى الأصل : الاقرار ، و التصحيح من م و مد و ظ .

نبيهم : ألم أقل لكم : لا تسألوا البلاء و لا تدانوا أمر القضاء فان أكثر قول النفس كذب و جل أمانيها زور و أما أمر الله فمتى[1] برز يجب ، عطف عليه قوله : ﴿ و قال لهم ﴾ أى خاصة / [2]لم يكن معهم أحد غيرهم يحال عليهم جوابهم الذى لا يليق وصرح بالمقصود لئلا يظن أن القائل[3] الله و أنهم واجهوه بالاعتراض فقال[4] : ﴿ نبيهم ﴾ أى الذى تقدم أنهم سألوه ذلك[5] مؤكدا[6] معظما محققا بأداة التوقع لأن سؤالهم على لسان نبى يقتضى توقع[7] الإجابة ﴿ ان الله ﴾ أى بجلاله و عز كماله ﴿ قد ﴾ [8]و لما كان إلباس الشخص عز[9] الملك مثل إعزاز الجماد بنفخ الروح كان التعبير عن ذلك بالبعث أليق[10] فقال : ﴿ بعث لكم[11] ﴾ [12]أى خاصة[12]

/٢٥٨

(١) فى م : متى (٢) العبارة من هنا إلى قوله تعالى " ان آية ملكه " كانت مطموسة فى الأصل فجعلنا أساس المتن نسخة مد (٣) فى م : القائل (٤) العبارة من «خاصة» إلى هنا ليست فى ظ (٥) ليس فى ظ (٦) العبارة من هنا إلى «توقع الإجابة» هكذا ثبتت فى م و مد، و قد تدمت فى الأصل على «و اما أمر الله» و سقطت من ظ من «بأداة التوقع» إلى «توقع الإجابة» (٧) ليس فى م (٨) العبارة من هنا إلى «فقال» ليست فى ظ (٩) فى م و مد : عن ـ كذا (١٠) فى الأصل : النبى ، و التصحيح من م. (١١) قول النبى لهم "ان الله قد بعث" لا يكون إلا بوحى لأنهم سألوه أن يبعث لهم ملكا يقاتل فى سبيل الله فأخبر ذلك النبى أن الله قد بعثه ، فيحتمل أن يكون ذلك بسؤال من النبى أن يبعثه الله، ويحتمل أن يكون ذلك بغير سؤاله بل لما علم حاجتهم إليه بعثه ؛ و قال المفسرون إنه سأل الله أن يبعث لهم ملكا فأتى بعصا و قرن فيه دهن القدس و قيل : الذى يكون ملكا طوله طول هذه العصا ، و قيل للنبى : انظر القرن =

لأجل سؤالكم ﴿ طالوت ﴾ اسم ملك[1] من بنى إسرائيل من سبط لم يكن الملك[2] فيهم ﴿ ملكا ط ﴾ تنتهون[3] فى تدبير الحرب إلى أمره . قال الحرالى : فكان أول ما ابتلوا به أن ملك عليهم من لم يكن من أهل

= فاذا دخل رجل فنش الدهن الذى هو فيه فهو ملك بنى إسرائيل فقاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها ، وكان طالوت سقاء على ماء - قاله السدى ، أو دباغا على ما قاله وهب ، أو مكاريا وضاع حمار له أو حمر لأهله فاجتمع بالنبى ليسأله عما ضاع له و يدعو الله له فبينا هو عنده نش ذلك القرن و قاسه النبى بالعصا فكان طولها فقال له: قرب رأسك، فقربه ودهنه بدهن القدس ، قال: أمرنى الله أن أملكك على بنى إسرائيل ، فقال طالوت : أنا ! قال : نعم، قال : أو ما علمت أن سبطى أدنى أسباط بنى إسرائيل ؟ قال : بلى ، قال : أفما علمت أن بيتى أدنى بيوت بنى إسرائيل؟ قال : بلى، قال : فبآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره ، وكان كذلك ، و انتصب ملكا على الحال ، و الظاهر أنه ملك ملكه الله عليهم ، و قال مجاهد : معناه أميرا على الجيش - البحر المحيط ٢/٢٥٧ (١٢-١٢) ليس فى ظ .

(١) طالوت اسمه بالسريانية سايل و بالعبرانية ساول بن قيس، من أولاد بنيامين ابن يعقوب ، وسمى طالوت قالوا لطوله وكان أطول من كل أحد برأسه ومنكبيه، فعلى هذا يكون وزنه فعلوتا كرحموت و ملكوت فتكون ألفه منقلبة عن واو إلا أنه يعكر على هذا الاشتقاق منعه الصرف إلّا أن يقال إن هذا التركيب مفقود فى اللسان العربى و لم يوجد إلا فى اللسان العجمى ، و قد اتفقت اللغتان فى مادة الكلمة كما زعموا فى يعقوب أنه مشتق من العقب ، لكن هذا التركيب بهذا المعنى مفقود فى اللسان العربى - البحر المحيط ٢/٢٤٨ (٢) فى الأصل : الما ان ، و فى ظ : الملك ، و فى م : الملك ان (٣) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : منتهون .

بيت[١] الملك عندهم فكان أول فتنتهم بما طلبوا ملكا فأجيبوا فلم يرضوا بما بعث لهم - انتهى . و لما أجابهم إلى ما سألوا كان من أول جلافتهم اعتراضهم على أمر الملك الديان الذى أورده[٢] لهم باسمه الأعظم الدال على جميع الكمال من الجلال و الجمال ليكون [٣]أجدر لهم[٣] بقبول أمره و الوقوف عند زجره و أورد اعتراضهم فى جواب من كأنه قال: ما فعلوا إذ[٤] أجابهم إلى ما سألوا؟ فقال: ﴿ قالوآ ﴾ [٥]أى هم لا غيرهم[٥] ﴿ انىٰ ﴾ أى من أين [٥]و كيف[٥] ﴿ يكون له ﴾ [٥]أى خاصة[٥] ﴿ الملك علينا و نحن ﴾ أى و الحال أنا نحن ﴿ احق بالملك منه ﴾ لأن فينا من هو من سبط الملوك دونه . قال الحرالى: فثنوا اعتراضهم[٦] بما هو أشد

(١) سقط من م (٢) من ظ ، و فى م و مد: اوردوه (٣ - ٣) من م و ظ ، و فى مد: وجه ربهم - كذا (٤) فى م: اذا (٥ - ٥) ليس فى ظ (٦) و قال الأندلسى: هذا كلام من تعنت وحاد عن أمر الله و هى عادة بنى إسرائيل فكان ينبغى لهم إذ قال لهم النبى عن الله "ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا" أن يسلموا لأمر الله و لا تنكره قلوبهم ولا يتعجبوا من ذلك ، ففى المقادير أسرار لا تدرك ، فقالوا: كيف يملك علينا من هو دوننا ، ليس من بيت الملك الذى هو سبط يهوذا ومنه داود و سليمان ، و ليس من بيت النبوة الذى هو سبط لاوى و منه موسى و هارون . قال ابن السائب: و كان سبط طالوت قد عملوا ذنبا عظيما نكحوا النساء نهارا على ظهر الطريق فغضب الله عليهم فنزع النبوة و الملك منهم و كانوا يسمون سبط الإثم ؛ و فى قولهم "انى يكون له الملك علينا" - إلى آخره ما يدل على أنه مركوز فى الطباع أن لا يقدم المفضول على الفاضل و استحقار من كان غير موسع عليه فاستبعدوا أن يتملك عليهم من هم أحق بالملك منه و هو =

و هو الفخر بما ادعوه من استحقاق الملك على من ملكه الله عليهم فكان فيه حظ من فخر إبليس حيث قال حين أمر بالسجود لآدم : " انا خير منه " - انتهى . ﴿ و لم ﴾ أى و الحال أنه لم ﴿ يؤت سعة من المال ط ﴾ أى فصار له مانعان : أحدهما أنه [1] ليس من بيت المملكة [2] ، و الثانى أنه مملق و الملك لا بد له من مال يعتضد به . قال الحرالى : فكان فى هذه الثالثة فتنة استصنام [3] المال و أنه مما يقام [به - [4]] ملك و إنما الملك [5] بايتاء الله [5] فكان فى هذه الفتنة الثالثة جهل و شرك ، فتزايدت صنوف فتنتهم فيما انبعثوا إلى طلبه من أنفسهم - انتهى .

و لما كان الخلق كلهم متساوين فى أصل الجسمية و إنما جاء تفضيل بعضهم على بعض من الله فكان هو المدار علق الأمر به فى قوله : ﴿ قال ﴾ [6] أى النبى لا غيره مؤكدا لأجل [7] إنكارهم معظما عليهم الحق

= فقير و الملك يحتاج إلى أصالة فيه إذ يكون أعظم فى النفوس و إلى غنى يستعبد به الرجال و يعينه على مقاصد الملك ، لم يعتبروا السبب الأقوى و هو قضاء الله و قدره " قل اللهم ملك الملك تؤتى الملك من تشاء " و اعتبروا السبب الأضعف و هو النسب و الغنى " يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر و انثى و جعلناكم شعوبا و قبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقكم " لا فضل لعربى على عجمى و لا لعجمى على عربى إلا بالتقوى ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم و قال الله تعالى " ولعبد مؤمن خير من مشرك و لو أعجبكم " - البحر المحيط ٢/٢٥٧ .

(١) زيد فى ظ : من (٢) فى م : التملكة (٣) فى م : استضام (٤) زيد من م و ظ (٥-٥) فى ظ : بايتا لله (٦) العبارة من هنا إلى « الاسم الأعظم » ليست فى ظ (٧) ليس فى م .

باعادة الاسم الأعظم ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له جميع الأمر فلا اعتراض عليه و هو أعلم بالمصالح ﴿ اصطفٰه ﴾ قال الحرالى : و الاصطفاء أخذ الصفوة ـ انتهى . و لما كان ذلك مضمنا معنى ملكه قال فى تعديته ﴿ عليكم ﴾ ثم أتبع ذلك ما أودعه سبحانه مما اقتضى ذلك فقال :

٥ ﴿ و زاده ١ ﴾ أى عليكم ﴿ بسطة فى العلم ﴾ الذى به تحصل المكنة فى التدبير و النفاذ فى كل أمر، و هو يدل على اشتراط العلم ٢ فى الملك، و فى تقديمه أن الفضائل النفسانية أشرف ٣ من الجسمانية و غيرها ، و أن الملك ليس بالإرث ﴿ و الجسم ط ﴾ الذى به يتمكن من الظفر بمن ٤ بارزه من الشجعان و قصده من سائر الأقران .

١٠ و لما كان من إليه شىء كان له الخيار فى إسناده إلى غيره قال ٥ : ﴿ و الله ﴾ أى اصطفاه و الحال ٦ أن الملك الذى لا أمر لغيره ٦ ﴿ يؤتى ملكه ﴾ أى الذى هو له و ليس لغيره فيه شىء ﴿ من يشآء ط ﴾

(١) قيل : فى العلم بالحروب ، و الظاهر علم الديانات و الشرائع ، و قيل : قد أوحى إليه و نبئ ؛ و أما البسطة فى الجسم فقيل أريد بذلك معانى الخير و الشجاعة و قهر الأعداء ، و الظاهر أنه الامتداد و السعة فى الجسم ، قال ابن عباس : كان طالوت يومئذ أعلم رجل فى بنى إسرائيل و أجمله و أتمه و قد تقدم قول المفسرين فى طوله ، و نبه على استحقاق طالوت للملك باصطفاء الله له على بنى إسرائيل " و ربك يخلق ما يشاء و يختار ما كان لهم الخيرة " و بما أعطاه من السعة فى العلم و هو الوصف الذى لا شىء أشرف منه " انما يخشى الله من عباده العلمؤا " ، أنا أعلمكم بالله ـ البحر المحيط ٢ / ٢٥٨ (٢) ليس فى م (٣) فى الأصل : لشرف ، و التصحيح من م و ظ (٤) فى ظ : ممن (٥) فى م : فقال (٦-٦) ليست فى ظ .

كما آتاكموه بعد أن كنتم مستعبدين عند آل فرعون ﴿ و الله ﴾ [1]الذى له الإحاطة الكاملة فلا يجوز الاعتراض عليه[1] ﴿ واسع ﴾ أى فى إحاطة قدرته و شمول عظمته و كثرة جنوده و رزقه ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم، فما اختاره فهو[2] المختار و ليس لأحد معه خيرة فهو يفعل بما له من السعة فى القدرة و العلم ما قد لا تدركه العقول و لا تحتمل وصفه الألباب و الفهوم و يؤتى من ليس له مال من خزائن رزقه ما يشاء[3].

و لما كان أغلبهم[4] واقفا مع المشاهدات غير ثابت القدم فى الإيمان بالغيب قال: ﴿ و قال لهم نبيهم ﴾ مثبتا لأمر طالوت ﴿ ان آية ﴾ أى علامة ﴿ ملكه ﴾ قال الحرالى[5]: و قل ما احتاج أحد[6] فى إيمانه إلى آية خارقة

(١-١) ليست فى ظ (٢) فى ظ: هو (٣) فى البحر المحيط ٢/٢٥٩: و فى قصة طالوت دلالة على أن الإمامة ليست وراثة لإنكار الله عليهم ما أنكروه من التمليك عليهم من ليس من أهل النبوة و الملك و بين أن ذلك مستحق بالعلم و القوة لا بالنسب و دل أيضا على أنه لا حظ للنسب مع العلم و فضائل النفس و أنها مقدمة عليه لاختيار الله طالوت عليهم لعلمه و قدرته و إن كانوا أشرف منه نسبا (٤) فى م: عليهم (٥) قال الأندلسى فى البحر المحيط ٢/٢٦٠: و قال الطبرى: و حكى معناه عن ابن عباس و السدى و ابن زيد، تعنت بنو إسرائيل و قالوا لنبيهم: و ما آية ملك طالوت؟ و ذلك على وجه سؤال الدلالة على صدق نبيهم فى قوله "ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا" و هذا القول أشبه من الأول بأخلاق بنى إسرائيل و تكذيبهم و تعنتهم لأنبيائهم، و قيل: خيرهم النبى فى آية فاختاروا التابوت و لا يكون إتيان التابوت آية إلا إذا كان يقع على وجه يكون خارقا للعادة فيكون ذلك آية على صدق الدعوى، فيحتمل أن يكون مجيئه هو =

إلا كان إيمانه إن آمن غلبة يخرج عنه بأيسر فتنة ، و من كان إيمانه باستبصار ثبت عليه و لم يحتج إلى آية ، فان كانت الآية [كانت - ١] له نعمة و لم تكن عليه فتنة " و ما منعنا ان نرسل بالآيٰت الا ان كذب بها الاولون - و ما نرسل بالآيٰت الا تخويفا ؟ " ٣ فان الآيات ٣ طليعة المؤاخذة و الاقتناع ٤ بالاعتبار طليعة القبول و الثبات - انتهى . ﴿ ان ياتيكم ﴾ أى من غير آت به ترونه ﴿ التابوت ﴾ قال الحرالى : [و - ٥] ٦ يعز قدره ٦ - انتهى . و هو و الله سبحانه و تعالى أعلم الصندوق الذى وضع فيه اللوحان اللذان كتب فيهما العشر الآيات التى نسبتها من التوراة نسبة فاتحة الكتاب من القرآن و هو يسمى تابوت الشهادة كما تقدم ذكره [فى - ١] وصف قبة الزمان فيما مضى أول قصة بنى إسرائيل و كانوا ٧ إذا حاربوا ٨ حمله جماعة ٨ منهم موظفون لحمله ٩

= المعجزة ، و يحتمل أن يكون ما فيه هو المعجز و هو سبب لاستقرار قلوبهم و اطمئنان نفوسهم (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : احدا .

(١) زيد من م و مد و ظ (٢) سورة ١٧ آية ٥٩ (٣-٣) ليس فى ظ ، و فى م و مد : فاذا - مكان : فان (٤) فى ظ : الاقتاع - كذا (٥) زيد من ظ (٦-٦) فى الأصل : و عاما بهذ قدره ، و فى م : يعز قدرته ، و التصحيح من مد و ظ .

(٧) و قال الزمخشرى : التابوت صندوق التوراة كان موسى عليه السلام إذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بنى إسرائيل و لا يفرون و السكينة السكون و الطمأنينة ، و ذكر عن على أن السكينة لها وجه كوجه الإنسان و هى ريح هفافة - البحر المحيط ٢/٢٦٢ (٨-٨) فى الأصل : جمله لجماعة ، فى مد : احمله جماعة ؛ و التصحيح من م و ظ (٩) فى الأصل : مجملة ؛ و التصحيح من م و مد و ظ .

و يتقدمون به أمام الجيش فيكون ذلك سبب نصرهم [و كان - [1]] العمالقة أصحاب جالوت لما ظهروا عليهم أخذوه[2] فى جملة ما أخذوا من نفائسهم وكأن عهدهم به كأن[3] قد طال فذكّرهم[4] بمآثره ترغيبا[5] فيه و حملا على الانقياد لطالوت فقال : ﴿ فيه سكينة ﴾ أى شىء يوجب السكون[6] و الثبات فى مواطن الخوف . و قال الحرالى : معناه ثبات فى القلوب ٥ يكون له فى عالم الملكوت [7]صورة بحسب[7] حال المثبت ، و يقال : كانت سكينة بنى إسرائيل صورة [8]هرّ من[8] ياقوت و لؤلؤ و زبرجد ملفق منه أعضاء تلك الصورة تخرج منه ريح هفّافة[9] تكون علم النصر لهم - انتهى[10] . و زاده مدحا بقوله : ﴿ من ربكم ﴾ أى الذى

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) من م و ظ ، و فى الأصل : اخذوا ، و لا يتضح فى مد (٣) ليس فى م (٤) فى م : فذكره (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ترغيا (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : السكوت (٧-٧) فى الأصل : ضررة بحبب ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨-٨) فى الأصل : هو من ، و فى م : هرمى ، و التصحيح من ظ و مد (٩) فى م : صفاته (١٠) و فى البحر المحيط ٢/٢٦٢: و قيل : السكينة صورة من زبرجد أو ياقوت لها رأس كرأس الهر و ذنب كذنبه و جناحان ، فتئن فيزف التابوت نحو العدو و هم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا و سكنوا و نزل النصر ، و قيل : السكينة بشارات من كتب الله المنزلة على موسى و هارون و من بعدهما من الأنبياء فان الله ينصر طالوت و جنوده ؛ و يقال : جعل تعالى سكينة بنى إسرائيل فى التابوت الذى فيه رضاض الألواح و العصا و آثار أصحاب نبوتهم ، وجعل تعالى سكينة هذه الأمة فى قلوبهم و فرق بين مقر تداولته الأيدى قد فر مرة و غلب عليه مرة و بين مقر بين إصبعين من أصابع الرحمن .

طال إحسانه إليكم و تربيته[١] باللطف لكم . و قال الحرالى و غيره : إنه كان فى التابوت صورة يأتى منها عند النصر ريح تسمع . [٢]قال الحرالى[٢] : كما كانت الصبا تهب لهذه الأمة بالنصر ، قال صلى الله عليه و سلم : نصرت بالصبا . فكانت سكينتها كلية آفاقها[٣] و تابوتها كلية سمائها حتى لا تحتاج إلى محمل يحملها و لا عدة تعدها[٤] لأنها أمة أمية تولى[٥] الله لها[٦] إقامة علمها و أعمالها ـ انتهى .

و لما كان الكليم و أخوه عليهما الصلاة و السلام أعظم أنبيائه[٧] قال : ﴿ و بقية ﴾ قال الحرالى : فضلة[٨] جملة ذهب جلها[٩] ﴿ مما ترك ﴾ من الترك و هو أن لا يعرض للأمر حسا أو معنى ﴿ آل موسى و آل هرون ﴾ أى و هى لوحا العهد . قال الحرالى[١٠] : و فى إشعار تثنية[١١]

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ترتيبه (٢-٢) ليس فى ظ (٣) من م و ظ ، و فى الأصل : افاقنها ، و فى مد : افانها ـ كذا (٤) فى ظ : يعدها (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تولو (٦) ليس فى م (٧) فى م و ظ و مد : انبيائهم . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فضله ، و فى م : فصلة (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حلها . و فى البحر المحيط ٢/٢٦٢ بعد نقل أقوال كثيرة : و قيل لوحان من التوراة و ثياب موسى و هارون و عصواهما و كلمة الله لا إله إلا الله الحكيم الكريم و سبحان الله رب السماوات السبع و رب العرش العظيم و الحمد لله رب العالمين (١٠) و قال الأندلسى فى البحر المحيط ٢/٢٦٢ : هم من الأنبياء إليهما من قرابة أو شريعة ، و الذى يظهر أن آل موسى و آل هارون هم الأنبياء الذين كانوا بعدهما فانهم كانوا يتوارثون ذلك إلى أن فقد . . . و قال الزمخشرى : و يجوز أن يراد مما تركه موسى و هارون ، و الآل مقحم لتفخيم شأنهما ـ انتهى . . . . . و دعوى الإقحام و الزيادة =

ذكر

ذكر الآل ما يعلم باختصاص موسى عليه الصلاة و السلام [بوصف دون هارون عليه السلام - ١] بما كان فيه٢ ٣من الشدة فى أمر الله و باختصاص هارون عليه الصلاة و السلام بما كان فيه٣ من اللين و الاحتمال حيث٤ لم يكن آل موسى و هارون ، لأن الآل٥ حقيقة٦ من يبدو فيه وصف من هو آله . و قال : الآل٧ أصل معناه السراب٨ الذى تبدو٩ فيه الأشياء البعيدة كأنه مرآة تجلو١٠ الأشياء فآل١١ الرجل من٤ إذا حضروا فكأنه لم يغب - انتهى . ثم صرح بما أفهمه إسناد

= فى الأسماء لا يذهب إليه نحوى محقق ، و قول الزمخشرى : و الآل مقحم لتفخيم شأنهما ، إن عنى بالإقحام ما يدل عليه أول كلامه فى قوله : ويجوز أن يراد مما تركه موسى و هارون ، فلا أدرى كيف يفيد زيادة آل تفخيم شأن موسى و هارون ، و إن عنى بالآل الشخص فانه يطلق على شخص الرجل آله فكأنه قيل مما ترك موسى و هارون أنفسهما فنسب تلك الأشياء العظيمة التى تضمنها التابوت إلى أنها من بقايا موسى و هارون شخصيهما أى أنفسهما لا من بقايا غيرهما فجرى آل هنا مجرى التوكيد الذى يراد به أن المتروك من ذلك الخير هو منسوب لذات موسى و هارون فيكون فى التنصيص عليهما بذاتهما تفخيم لشأنهما و كان ذلك مقحما لأنه لو قيل : مما ترك موسى و هارون ، لاكتفى و كان ظاهر ذلك أنهما أنفسهما تركا ذلك و ورث عنهما - انتهى كلامه (١١) من م و ظ ، وفى الأصل : تثنيته ، و لا يتضح فى مد .

(١) زيد من م و مد (٢) فى مد : عليه (٣ - ٣) ليست فى ظ (٤) سقط من م .
(٥) فى م : الأول (٦) فى م : حقيقته ، و فى ظ : خفيته (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الال (٨) فى م : الشراب - كذا بالشين المعجمة (٩) فى ظ : يبدوا (١٠) من ظ ، وفى الأصل و م : يجلوا ، وفى مد : بجلو - كذا (١١) من =

الإتيان إليه فقال : ﴿ تحمله[١] ﴾ من الحمل و هو ما استقل به الناقل ﴿ الملٰئكة ط ﴾ و ما هذا بأغرب من قصة سفينة رضى الله تعالى عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و معه أصحابه رضى الله تعالى عنهم [فثقل عليهم متاعهم - ٢] فقال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم : ٥ ابسط كساءك ، فبسطته فجعلوا فيه متاعهم فحملوه [على - ٣] ، فقال[٤] رسول الله صلى الله عليه و سلم : احمل فانما أنت سفينة[٥] ! قال : فلو حملت من يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة[٦] أو سبعة[٦] ما ثقل علىّ . و أما مقاتلة الملائكة صلوات الله و سلامه عليهم فى غزوة بدر فأمر شهير ، كان الصحابى يكون قاصدا ١٠ الكافر ليقاتله[٧] فاذا رأسه قد سقط من قبل أن يصل إليه ، و لما كان هذا أمرا باهرا قال منبها على عظمته : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر

= مد و ظ ، و فى الأصل : قال ، و فى م : قآل .

(١) و هذه الجملة حال من التابوت أى حاملا له الملائكة ، و يحتمل الاستئناف كأنه قيل : و من يأتى به و قد فقد ! فقال " تحمله الملئكة " استعظاما لشأن هذه الآية العظيمة و هو أن الذى يباشر إتيانه إليكم الملائكة الذين يكونون معدين للأمور العظام و لهم القوة و التمكين و الاطلاع باقدار الله لهم على ذلك ، ألا ترى إلى تلقيهم الكتب الإلٰهية ، و تنزيلهم بها على من أوحى إليهم ، و قلبهم مدائن العصاة ، و قبض الأرواح ، و إزجاء السحاب ، و حمل العرش و غير ذلك من الأمور الخارقة ؛ و المعنى تحمله الملائكة إليكم. البحر المحيط ٢/٢٦٣ .

(٢) زيد من م و ظ (٣) زيد من م و مد و ظ (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كما قال (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : سفين (٦-٦) ليس فى مد (٧) فى م : فيقاتله .

العظيم الشأن ﴿ لآية ﴾ أى باهرة ﴿ لكم ان كنتم مؤمنين ٥ ﴾ فان المواعظ لا تنفع غيرهم . قال الحرالى : و لما ضعف قبولهم عن النظر و الاستبصار صار حالهم[1] فى صورة الضعف الذى يقال فيه : إن كان كذا ، فكان[2] فى إشعاره خللهم و فتنتهم إلا قليلا ـ انتهى . و فى هذه القصة توطئة لغزوة بدر و تدريب لمن كتب عليهم القتال و هو كره لهم و تأديب لهم ٥ و تهذيب و إشارة عظيمة واضحة إلى خلافة الصديق رضى الله تعالى عنه بما دل عليها من أمر استخلافه فى الإمامة فى الصلاة التى هى خلاصة هذا الدين كما أن ما[3] فى تابوت الشهادة كان خلاصة ذلك الدين ، و تحذير لمن لعله يخالف فيها أو يقول إنه ليس من بنى هاشم و لا عبد مناف الذين هم بيت[4] الإمامة و الرئاسة و نحو ذلك مما حمى[5] الله المؤمنين منه ، ١٠ كما قال النبى صلى الله عليه و سلم : يأبى الله ذلك و المؤمنون . و فى توجيه الخطاب إلى النبى صلى الله عليه و سلم إعلام بأن أول مقصود به الأقرب منه صلى الله عليه و سلم فالأقرب[6] ، و فيها تشجيع[7] للصحابة رضوان الله تعالى عليهم فيما يندبهم[8] إليه الصديق رضى الله تعالى عنه من قتال أهل الردة و ما بعده إلى غير ذلك من الإشارات التى تقصر عنها العبارات ـ ١٥ و الله سبحانه و تعالى الموفق .

---

(١) فى مد : لهم (٢) فى مد : فان (٣) ليس فى م (٤) فى الأصل : بنت ، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) فى م : احمى ، و لا يتضح فى مد (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الأقرب (٧) فى ظ : تسجيع ـ كذا بالسين المهملة . (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يندهم .

و لما كان التقدير : فأتاهم التابوت على الصفة المذكورة فأطاعوا نبيهم فيه فملكوه و انتدبوا معه فخرج بهم إلى العدو و فصل بالجنود من محل السكن ، عطف عليه قوله : ﴿ فلما فصل[1] ﴾ من الفصل و هو انقطاع[2] بعض من كل ، و أصله : فصل نفسه أو جنده - أو[3] نحو ذلك ، و لكنه كثر حذف المفعول للعلم[4] به فصار يستعمل استعمال اللازم ﴿ طالوت ﴾ أى الذى ملكوه ﴿ بالجنود[5] ﴾ أى التى اختارها و خرجوا للقاء من سألوا لقاءه لكفره بالله مع ما قد أحرقهم به من أنواع القهر . قال الحرالى[5] : و هو جمع جند و هم أتباع يكونون نجدة للمستتبع ﴿ قال ﴾ أى ملكهم ﴿ ان الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه و أنتم خارجون فى مرضاته ﴿ مبتليكم بنهر ج ﴾ من الماء الذى جعله[6] سبحانه و تعالى حياة لكل

(١) بين هذه الجملة و الجملة قبلها محذوف تقديره : فجاءهم التابوت و أقروا له بالملك و تأهبوا للخروج ، " فلما فصل طالوت " أى انفصل من مكان إقامته - البحر المحيط ٢/٢٦٣ (٢) فى م و ظ و مد : اقتطاع (٣) فى م و ظ : و (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : لتعلم (٥) قال الأندلسى : الجنود جمع جند و هو معروف ، و اشتقاقه من الجند و هو الغليظ من الأرض إذ بعضهم يعتصم ببعض ، قال عكرمة : لما رأى بنو إسرائيل التابوت سارعوا إلى طاعته و الخروج معه فقال لهم طالوت : لا يخرج معى من بنى بناء لم يفرغ منه و لا من تزوج امرأة لم يدخل بها و لا صاحب زرع لم يحصده و لا صاحب تجارة لم يرحل بها و لا من له أو عليه دين و لا كبير و لا عليل ، فخرج معه من تقدم الاختلاف فى عددهم على شرطه فسار بهم ، فشكوا قلة الماء و خوف العطش و كان الوقت قيظا و سلكوا مفازة فسألوا الله أن يجرى لهم نهرا " قال ان الله مبتليكم بنهر " قال : وهب : هو الذى اقترحوه - البحر المحيط ٢ / ٢٦٤ (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : جعل .

شيء ، فضربه[1] مثلا للدنيا التى من ركن إليها ذل و من صدف[2] عنها عز .
قال الحرالى : فأظهر الله على لسانه ما أنبأ[3] به نبيهم فى قوله "و زاده بسطة فى العلم" - انتهى . ﴿ فمن شرب منه ﴾ أى ملأ بطنه ﴿ فليس منى ج ﴾[4] أى كمن انغمس فى الدنيا فلا يخفف عنهم العذاب و لا هم ينصرون ﴿ و من لم يطعمه[5] فانه منى ﴾ كمن [6]عزف عنها[6] بكليته ثم تلا هذه ٥

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فضرب (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : صرف (٣) فى ظ : انبائهم (٤) أى ليس من أتباعى فى هذه الحرب و لا أشياعى ، و لم يخرجهم بذلك من الإيمان نحو : من غشنا فليس منا ، ليس منا من شق الجيوب و لطم الخدود ؛ أو ليس بمتصل بى و متحد معى ، من قولهم : فلان منى ، كأنه بعضه لاختلاطهما و اتحادهما - البحر المحيط ٢ / ٢٦٤ (٥) أى من لم يذقه ، و طعم كل شيء ذوقه ، ومنه التطعم ، يقال : تطعمته منه أى ذقته ، و تقول العرب لمن لا تميل نفسه إلى مأكول : تطعم منه يسهل أكله ، قال ابن الأنبارى : العرب تقول : أطعمتك الماء - تريد أذقتك ، و طعمت الماء أطعمه بمعنى ذقته . قال الشاعر :

فان شئت حرمت النساء عليكم وأن شئت لم أطعم نقاخا و لا بردا

النقاخ العذب و البرد النوم ، و يقال : ما ذقت غماضا ، و فى حديث أبى ذر فى ماء زمزم : طعام طعم ، و فى الحديث : ليس لنا طعام إلا الأسودين : التمر و الماء ، و الطعم يقع على الطعام و الشراب ؛ و اختير هذا اللفظ لأنه أبلغ لأن نفى الطعم يستلزم لنفى الشرب و نفى الشرب لا يستلزم نفى الطعم ، لأن الطعم ينطلق على الذوق ، و المنع من الطعم أشق فى التكليف من المنع من الشرب ، إذ يحصل بالقائه فى الفم و إن لم يشربه نوع راحة . و فى قوله "و من لم يطعمه" دلالة على أن الماء طعام - البحر المحيط ٢/٢٦٤ (٦-٦) فى م : غرف منها .

الدرجة العلية التى قد[1] قدمت للعناية بها بما يليها من الاقتصاد فقال مستثنيا [من - ٢] "فمن شرب" : ﴿ الا من اغترف ﴾ أى تكلف الغرف ﴿ غرفة بيده ج ﴾ فى قراءة فتح الغين إعراب عن معنى إفرادها أخذة[3] ما أخذت من قليل أو كثير ، و فى الضم إعلام بملئها ، و الغرف بالفتح الأخذ بكلية اليد ، و الغَرفة الفعلة[4] الواحدة منه ، و بالضم اسم ما حوته الغرفة ؛ فكان فى المغترفين من استوفى الغرفة و منهم من لم يستوف - قاله[5] الحرالى و قال : فكان فيه إيذان بتصنيفهم ثلاثة أصناف : من لم يطعمه البتة و أولئك الذين ثبتوا و ظنوا أنهم ملاقو الله ، و من شرب منهم و أولئك الذين افتتنوا و انقطعوا عن الجهاد فى سبيل الله ، و من اغترف غرفة و هم الذين ثبتوا و تزلزلوا حتى ثبتهم الذين لم[6] يطعموا .

و لما كان قصص بنى إسرائيل مثالا لهذه الأمة كان مبتلى هذه الأمة بالنهر ابتلاهم بنهر الدنيا الجارى خلالها ، فكانت جيوشهم يحكم هذا الإيحاء الاعتبارى[7] إذا مروا بنهر أموال الناس و بلادهم و زروعهم و أقطارهم فى سبيلهم إلى غزوهم ، فمن أصاب[8] من أموال الناس ما لم ينله الإذن من الله انقطع عن ذلك الجيش و لو حضره . فما كان[9] فى بنى إسرائيل

(١) ليس فى م (٢) زيد من م و مد (٣) فى مد : آخذة (٤) فى الأصل : السعة ، و فى م : العلة ، والتصحيح من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : قال (٦) ليس فى ظ (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الاعتبار (٨) وقع فى الأصل : اصاف - مصحفا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٩) زيد فى الأصل فقط : اهل ، و لم تكن الزيادة فى م و ظ و مد فحذفناها .

عيانا يكون وقوعه فى هذه الأمة استبصارا سترة لها ١ و فضيحة لأولئك ، و من لم يصب منها شيئا بتا كان [أهل - ٢] ثبت ذلك الجيش الثابت المثبت ؛ قيل لعلى رضى الله تعالى عنه / : يا أمير المؤمنين ! ما بال فرسك لم يكب بك قط ؟ قال : ما وطئت به زرع مسلم قط . و من أصاب ٣ ما له فيه ضرورة من منزل ينزله أو غلبة عادة تقع منه و يوده أن لا يقع ٤ فهؤلاء يقبلون التثبيت من الذين تورعوا كل الورع ، فملاك هذا الدين الزهد فى القلب و الورع فى التناول باليد ، قال صلى الله عليه و سلم : إنما تنصرون بضعفائكم . و فى إلاحة هذا التمثيل و الاعتبار أن أعظم الجيوش جيش يكون فيه من أهل الورع بعدد الثابتين من أصحاب طالوت الذين بعددهم كان أصحاب "رسول الله" صلى الله عليه و سلم يوم بدر و هم ثلاثمائة و ثلاثة عشر عدد المرسلين من كثرة عدد النبيين ؛ قال[٦] : و فى إفراد اليد إيذان بأنها غرفة اليد اليمنى[٧] لأنها اليد الخاصة

/ ٢٦١

(١) ليس فى ظ (٢) زيد من م و ظ و مد (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : أصابه (٤) فى م و مد : لا تقع (٥ - ٥) فى ظ : النبى (٦) و ظاهر " غرفة بيده " الاقتصار على غرفة واحدة و أنها تكون باليد ، قال ابن عباس و مقاتل : كانت الغرفة يشرب منها هو و دوابه و خدمه و يحمل منها ، و قال مقاتل : و يملأ منها قربته ، قيل : فيجعل الله فيها البركة حتى تكفى لكل هؤلاء و كان هذا معجزة لنبى ذلك الزمان ؛ قال بعض المفسرين : لم يرد غرفة الكف و إنما أراد المرة الواحدة بقربة أو جرة أو ما أشبه ذلك ، و هذا الابتلاء الذى ابتلى الله به جنود طالوت ابتلاء عظيم حيث منعوا من الماء مع وجوده و كثرته فى شدة الحر و اليقظة و أن من أبيح له شىء منه فانما هو مقدار ما يغرف بيده =

للتعريف، ففى اعتباره أن الأخذ من الدنيا إنما يكون بيد لا بيدين لاشتمال اليدين على جانبي ' الخير و الشر ' - انتهى . فعرض لهم النهر كما أخبرهم به ﴿ فشربوا[٢] منه ﴾ مجاوزين حد الاقتصاد ﴿ الا قليلا منهم[ط] ﴾ فأطاعوا فأراهم[٣] الله و قوى قلوبهم ، و من عصى فى شربه غلبه العطش

٥ و ضعف عن اللقاء فبقى على شاطئ النهر . قال الحرالى : و فيما يذكر أنه قرئ[٤] بالرفع و هو إخراج لهم من الشاربين بالاتباع كأن الكلام

= فأين يصل منه ذلك ؛ و هذا أشد فى التكليف مما ابتلى به أهل أيلة من ترك الصيد يوم السبت مع إمكان ذلك فيه وكثرة ما يرد إليهم فيه من الحيتان - البحر المحيط ٢/٢٦٥ (٧) من م و مد و ظ . و فى الأصل : اليمين .

(١-١) سقط من م (٢) أى كرعوا فيه ، ظاهره أن الأكثر شربوا وأن القليل لم يشربوا ، و يحمل الشرب الذى وقع من أكثرهم على أنه الشرب الذى لم يؤذن فيه و وقع به المخالفة ، و يكون الاستثناء على أن ذلك القليل لم يشربوا ذلك الشرب الذى لم يؤذن فيه ، فبقى تحت القليل قسمان: أحدهما لم يطعمه البتة، و الثانى الذى اغترفوا بأيديهم ، و هذا التقسيم روى معناه عن ابن عباس أن الأكثر شربوا على قدر يقينهم فشرب الكفار شرب الهيم و شرب العاصون دون ذلك و انصرف من القوم ستة و سبعون ألفا ، و بقى بعض المؤمنين لم يشرب شيئا و أخذ بعضهم الغرفة ، فأما من شرب فلم يرو بل برح به العطش ، و أما من ترك الماء فحسنت حاله و كان أجدر ممن أخذ الغرفة - البحر المحيط ٢/٢٦٥ (٣) فى ظ : فاروهم (٤) و قرأ عبد الله و أبى و الأعمش « الا قليل » بالرفع . قال الزمخشرى : و هذا من ميلهم مع المعنى و الإعراض عن اللفظ جانبا و هو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى " فشربوا منه " فى معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل : فلم يطيعوه إلا قليل منهم، ونحوه قول الفرزدق :

(وعض زمان يا ابن مروان) لم يدع من المال إلا مسحتا أو مجلف =

مبنى

مبنى[1] عليه حيث صار تابعا و إعرابه مما أهمله النحاة فلم يحكموه و حكمه[2] أن ما بنى على إخراجه [اتبع و ما لم يبن على إخراجه - ٣] و كأنه إنما اثنى[4] إليه بعد مضاء الكلام الأول قطع و نصب - انتهى . و كان المعنى فى النصب أنه لما استقر الفعل للكل رجع الاستثناء إلى البعض ، و فى الاتباع نوى الاستثناء من الأول فصار كالمفرغ[5] و هذه القراءة عزاها الأهوازى[6] فى كتاب الشواذ إلى الأعمش و عزاها السمين فى إعرابه إلى عبد الله و أبى رضى الله تعالى عنهما ، و عقد سيبويه رحمه الله تعالى فى نحو نصف كتابه لاتباع[7] مثل هذا [بابا - ٣] ترجمه[8] بقوله : باب ما يكون فيه إلا و ما بعده وصفا بمنزلة غير[9] و مثل ، و دل عليه بأبيات

= كأنه قال : لم يحق من المال إلا مسحت أو مجلف - انتهى كلامه . و المعنى أن هذا الموجب الذى هو " فشربوا منه " هو فى معنى المنفى كأنه قيل : فلم يطيعوه ، فارتفع قليل على هذا المعنى و لو لم يلحظ فيه معنى النفى لم يكن ليرتفع ما بعد إلا فيظهر أن ارتفاعه على أنه بدل من جهة المعنى فالموجب فيه كالمنفى ، و ما ذهب إليه الزمخشرى من أنه ارتفع ما بعد إلا على التأويل هنا دليل على أنه لم يحفظ الاتباع بعد الموجب فلذلك تأوله - قاله أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ٢/٢٦٦ ، ثم أثبت الاتباع بعد الموجب بقوله و نقول - و من أراد الاطلاع عليه فليراجعه.

(٥) العبارة من هنا إلى « حكمه أن ما » ليست فى م

(١) فى مد و ظ : فبنى (٢) من مد و ظ ، و فى الأصل : حكم (٣) زيدت من م و ظ و مد (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اثنين (٥) فى ظ : المرفوع . (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الاعوازى (٧) فى م : الاتباع (٨) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : ترجمة (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عر - كذا .

كثيرة منها :

و كل أخ مفارقه[1] أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان

[قال -[2]] كأنه قال : و كل أخ غير الفرقدين ، و سوى[3] بين هذا و بين آية "لا يستوى القعدون من المؤمنين غير اولى الضرر[4] "
٥ بالرفع "و غير المغضوب عليهم" ، و جوز فى "ما قام[5] القوم إلا زيد" - بالرفع البدل و الصفة ، قال الرضى تمسكا بقوله : و كل أخ - البيت ، و قوله صلى الله عليه و سلم : الناس كلهم هلكى إلا العالمون ، و العالمون كلهم هلكى إلا العاملون و العاملون كلهم هلكى إلا المخلصون ، و المخلصون على خطر عظيم . و قال السمين : و الفرق بين الوصف بالّا و الوصف
١٠ بغيرها[6] أن لا[6] يوصف بها المعارف و النكرات[7] و الظاهر و المضمر ، و قال بعضهم : لا يوصف بها إلا النكرة[8] و المعرفة بلام الجنس فانه فى قوة النكرة .

و لما ذكر فتنتهم بالنهر أتبعه فتنة اللقاء ببحر الجيش و ما فيه من عظيم الخطر المزلزل للقلوب حثا على سؤال العافية و تعريفا بعظيم[9]
١٥ رتبتها كما قال صلى الله عليه و سلم يوم عرض نفسه الشريفة على أهل الطائف و مسه منهم من عظيم الأذى ما مسه : إن لم يكن بك على غضب

(١) من مد و ظ ، و فى الأصل : مفارقة ، و فى م : مفارق (٢) زيد من ظ وم و مد (٣) فى ظ : سوا (٤) سورة ٤ آية ٩٥ (٥) فى م : قال ، و لا يتضح فى مد (٦-٦) فى ظ و مد: الا (٧) من م وظ و مد، و فى الأصل: و المنكرات . (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : المنكرة (٩) فى م : بعظم ، و لا يتضح فى مد .

فلا أبالى و لكن عافيتك هى أوسع لى ! فقال سبحانه و تعالى : ﴿ فلما جاوزه ﴾ أى النهر من غير شرب ، من المجاوزة مفاعلة من الجواز و هو العبور من عدوة دنيا إلى عدوة قصوى ﴿ هو و الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان و جاوزوا ﴿ معه ﴾ و تراءت الفئتان ﴿ قالوا ﴾ أى معظمهم .

قال الحرالى : ردا الضمير مرداا عاما إيذانا بكثرة الذين اغترفوا و قلة الذين لم يطعموا كما آذن ضمير شربوا بكثرة الذين شربوا منه - انتهى . ﴿ لا طاقة ﴾ مما منه الطوق و هو ما استقل به الفاعل و لم يعجزه ﴿ لنا اليوم ﴾ أى على ما نحن فيه من الحال ﴿ بجالوت و جنوده ﴾ لما هم فيه من القوة و الكثرة . قال الحرالى : ففيه / من نحو قولهم " و لم يؤت سعة من المال " اعتمادا على أن النصر بعدة مال أو قوة ، و ليس إلا بنصر الله ، ثم قال : فاذا نوظر هذا الإنباء منهم و الطلب أى كما يأتى فى " ربنا أفرغ " بما تولى الله [من -] أمر هذه الأمة فى جيشهم الممثول لهذا الجيش فى سورة الأنفال من نحو

/ ٢٦٢

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : و (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مرادا . و فى البحر المحيط ٢/٢٦٧ : قائل ذلك الكفرة الذين انخزلوا و هو الفاعل فى شربوا - قاله ابن عباس و السدى ، و قيل : من قلت بصيرته من المؤمنين و هم الذين جاوزوا النهر و هم القليل - قاله الحسن و قتادة و الزجاج . (٣) فى م : لم يطمعو - كذا (٤) من مد و ظ ، و فى الأصل : اذل ، و فى م : ادن - كذا (٥) ليس فى م و مد و ظ (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بما (٧) من ظ ، و فى الأصل و م : الطرق ، و لا يتضح فى مد (٨) فى ظ : مما (٩) ليس فى ظ (١٠) ليس فى م (١١) زيد من م و ظ و مد .

قوله "اذ يغشيكم النعاس امنة منه[١]" - الآيات، علم عظيم فضل الله على هذه الأمة و استشعر بما يكون لها فى خاتمتها مما هو أعظم نبأ و أكمل عيانا فلله الحمد على ما أعظم من فضله و لطفه[٢] - انتهى .

و لما أخبر عنهم بهذا القول نبه على أنه لا ينبغى [٣]أن يصدر[٣] ممن يظن أن أجله مقدر لا يزيد بالجبن و الإحجام و لا ينقص بالجرأة و الإقدام و أنه يلقى الله فيجازيه على عمله و أن النصر من الله لا بالقوة و العدد فقال: ﴿ قال الذين يظنون ﴾ أى يعلمون و لكنه عبر بالظن لما ذكر ﴿ انهم ملٰقوا الله ﴾ [٤]أى الذى له الجلال و الإكرام[٤] إشارة إلى أنه يكفى فى الخوف من الله و الرجاء له الظن لأنه يوجب فرار العاقل مما يظن أنه يكرهه سبحانه و تعالى إنقاذا لنفسه من الهلاك بذلك كما أسرف[٥] هؤلاء[٦] فى الشرب[٦] لظن الهلاك بعدمه و رجعوا لظن الهلاك باللقاء؛ و يجوز[٧] أن يكون الظن على بابه و يأول اللقاء بالحالة الحسنة[٨] ﴿ كم من فئة[٩] قليلة ﴾ كما كان فى هذه الأمة فى يوم

(١) سورة ٨ آية ١١ (٢) ليس فى م (٣-٣) سقط من م (٤-٤) ليست فى ظ .
(٥) من م و ظ ، و فى الأصل و مد: أشرف (٦-٦) فى م: بالشرب (٧) فى مد: تجوز (٨) فى ظ: الحسية . و فى البحر المحيط ٢/٢٦٧ : و قيل: ملاقو طاعة الله لأنه لا يقطع أن عمله هذا طاعة لأنه ربما شابه شيء من الرياء والسمعة، و قيل: ملاقو وعد الله إياهم بالنصر لأنه و إن كان مقطوعا به فهو مظنون فى المرة الأولى، و يحتمل أن يكون الظن بمعنى الإيقان أى يوقنون بالبعث و الرجوع إلى الله - قاله السدى فى آخرين (٩) الفئة القطعة من الناس، و قيل: هو مأخوذ من فاء يفيء إذا رجع فيكون المحذوف عين الكلمة، أو من فأوت رأسه كسرته فيكون المحذوف لام الكلمة قولا - البحر المحيط ٢/٢٦٠ .

بدر ﴿ غلبت فئة كثيرة ﴾ ثم نبه على أن سبب النصر الطاعة و الذكر لله بقوله : ﴿ باذن الله ط ﴾ أى بتمكين[1] [2]الذى لا كفوء له[2] ، فلا ينبغى لمن علم ذلك أن يفتر[3] عن ذكره و يرضى بقضائه[4] . ثم بين أن ملاك ذلك كله الصبر بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ مع الصٰبرين ۝ ﴾ و لا يخذل[5] من كان معه . ٥

ثم بين أنهم صدقوا قولهم قبل المباشرة بالفعل عندها فقال[6] عاطفا على [ما -[7]] تقديره : فلما قالوا لهم ذلك جمع الله كلمتهم فاعتمدوا عليه و برزوا للقتال بين يديه : ﴿ و لما برزوا[8] ﴾ و هم على ما هم عليه من الضعف و القلة ، و البروز هو الخروج عن كل شىء يوارى فى براز من الأرض و هو الذى لا يكون فيه ما يتوارى فيه عن عين الناظر ١٠ ﴿ لجالوت ﴾ اسم[9] ملك من ملوك الكنعانيين[10] كان بالشام فى زمن

(١) فى ظ : بتمكينه ، و لا يتضح فى مد (٢-٢) ليست فى ظ (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يفتر (٤) قال أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط ٢/٢٦٨ : و فى هذه الآية دليل على جواز قتال ، الجمع القليل للجمع الكثير و إن كانوا أضعاف أضعافهم إذا علموا أن فى ذلك نكاية لهم ، و أما جواز الفرار من الجمع الكثير إذا زادوا عن ضعفهم فسيأتى بيانه فى سورة الأنفال إن شاء الله تعالى .
(٥) فى م : لا يخزى (٦) العبارة من هنا إلى « بين يديه » ليست فى ظ (٧) زيد من م و مد (٨) صاروا بالبراز من الأرض و هو ما ظهر و استوى ، و المبارزة فى الحرب أن يظهر كل قرن لصاحبه بحيث يراه قرنه و كان جنود جالوت ثلاثمائة ألف فارس ، و قيل : مائة ألف ، و قال عكرمة : تسعين ألفا - البحر المحيط ٢/٢٦٨ .
(٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اى . و فى البحر المحيط ٢ / ٢٦٠ : كان ملك العمالقة و يقال : إن البربر من نسله (١٠) فى ظ : الكنعانية .

بنى إسرائيل ﴿ و جنوده ﴾ على ما هم عليه[١] من القوة و الكثرة و الجرأة بالتعود[٢] بالنصر[٣] ﴿ قالوا[٤] ربنآ افرغ ﴾ من الإفراغ و هو السكب المفيض على كلية المسكوب[٥] عليه ﴿ علينا صبرا[٦] ﴾ حتى نبلغ من الضرب ما نحب فى مثل هذا الموطن ﴿ و ثبت ﴾ من التثبيت تفعيل من الثبات

٥ و هو التمكن فى الموضع الذى شأنه الاستزلال ﴿ اقدامنا ﴾ جمع قدم و هو ما يقوم عليه الشيء و يعتمده ، أى بتقوية قلوبنا [حتى لا نفر و تكون ضرباتنا منكبة[٧] موجعة و أشاروا بقولهم -[٨]] ﴿ و انصرنا على القوم الكٰفرين ﴾ موضع قولهم : عليهم ، إلى أنهم إنما يقاتلونهم لتضييعهم حقه سبحانه و تعالى لا لحظ من حظوظ النفس كما كان من

١٠ معظمهم أول ما سألوا ، و إلى أنهم أقوياء فلا بد لهم من معونته عليهم سبحانه و تعالى ، ثم رتب[٩] [١٠]على ذلك[١٠] النتيجة حثا على الاقتداء بهم لنيل

---

(١) فى مد : فيه (٢) من م و مد ، و فى الأصل : بالتقود - كذا (٣) فى م : بالنصرة (٤) العبارة من « كان بالشام » إلى هنا ليست فى ظ (٥) فى الأصل : السكوت ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) الصبر هنا حبس النفس للقتال ، فزعوا إلى الدعاء لله تعالى فنادوا بلفظ الرب الدال على الإصلاح و على الملك ، ففى ذلك إشعار بالعبودية ، و قولهم « افرغ علينا صبرا » ، سؤال بأن يصب عليهم الصبر حتى يكون مستعليا عليهم و يكون لهم كالظرف و هم كالمظروفين فيه - البحر المحيط ٢/٢٦٨ (٧) من مد ، و فى ظ : منكية ، و فى م : منكئة (٨) العبارة المحجوزة زيدت من م و ظ و مد. و فى البحر المحيط ٢/٢٦٨ : فلا تزل عن مداحض القتال ، و هو كناية عن تشجيع قلوبهم و تقويتها ، و لما سألوا ما يكون مستعليا عليهم من الصبر سألوا تثبيت أقدامهم و إرساخها (٩) فى م : ركب (١٠-١٠) فى م : تلك .

ما نالوا فقال عاطفا [1] على ما تقديره: فأجاب الله سبحانه و تعالى دعاءهم: ﴿ فهزموهم ﴾ مما منه الهزيمة و هو فرار من شأنه الثبات - قاله [2] الحرالى، و قال: و لم يكن فهزمهم الله، كما لهذه الأمة فى " و لكن [3] الله قتلهم [4] " انتهى. ﴿ باذن الله ﴾ أى الذى له الأمر كله. ثم بين ما خص به المتولى لعظم الأمر بتعريض [6] نفسه للتلف فى ذات الله سبحانه و تعالى من الخلال الشريفة الموجبة لكمال الحياة الموصلة إلى البقاء السرمدى فقال: ﴿ و قتل داود ﴾ و كان فى جيش طالوت ﴿ جالوت ﴾ قال الحرالى [7]: مناظرة قوله " و ما رميت اذ رميت و لكن الله رمى [4] " و كان فضل الله عليك عظيما - انتهى. و فى الزبور فى المزمور [8] الحادى و الخمسين بعد المائة و هو آخره [9]: صغيرا كنت فى إخوتى، حدثا فى بيت

(١) فى ظ: عطفا (٢) فى م و مد: قال (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: و لكنهم (٤) سورة ٨ آية ١٧ (٥-٥) ليست فى ظ (٦) فى م: بتعظيم.
(٧) و قال أبو حيان الأندلسى: طول المفسرون فى قصة كيفية قتل داود لجالوت و لم ينص الله على شىء من الكيفية و قد اختصر ذلك السجاوندى اختصارا يدل على المقصود فقال: كان أصغر بنيه يعنى بنى إيشا والد داود الثلاثة عشر و كان مخلفا فى الغنم و أوحى إلى نبيهم أن قاتل جالوت من استوت عليه من ولد إيشا درع عند طالوت فلم تستو إلا على داود، و قيل: لما برز جالوت نادى طالوت: من قتل جالوت أشاطره ملكى و أزوجه بنتى! فبرز داود و رماه بحجر فى قذافة فنفذ من بين عينيه إلى قفاه و أصاب عسكره - البحر المحيط ٢/٢٦٨.
(٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الوذر (٩) من مد و ظ، و فى الأصل: اخبره، و فى م: اجره.

أبى ، راعيا غنمه ، يداى صنعتا الأرغن ، و أصابعى عملت القيثار[١] ، من الآن اختارنى الرب إلهى[٢] و استجاب لى و أرسل ملاكه و أخذنى من غنم أبى و مسحنى[٣] بدهن مسحته إخوتى حسان[٤] و أكرمنى[٥] و لم يسر[٦] بهم الرب ، خرجت ملتقيا الفلسطينى الجبار الغريب فدعا على/ بأوثانه[٧] فرميته /٢٦٣
٥ بثلاثة أحجار فى جبهته بقوة الرب فصرعته و استللت سيفه و قطعت به رأسه و نزعت العار عن بنى إسرائيل . ﴿ و آتىه الله ﴾ بجلاله و عظمته ﴿ الملك ﴾ قال الحرالى : كان داود عليه الصلاة و السلام عندهم من سبط الملك فاجتمعت له المزيتان من استحقاق البيت و ظهور الآية على يديه بقتل جالوت ، قال تعالى : ﴿ و الحكمة ﴾ تخليصا[٨] للملك مما[٩]
١٠ يلحقه بفقد الحكمة من اعتداء الحدود انتهى . فكان داود عليه الصلاة و السلام أول من جمع له بين الملك و النبوة ﴿ و علمه ﴾ أى زيادة مما[١٠] يحتاجان إليه ﴿ مما يشاء ط ﴾ من صنعة الدروع و كلام الطير و غير ذلك[١١] .

---

(١) فى الأصل : الفتيار ، و فى م و مد و ظ : القيتار ، و التصحيح من تاريخ اليعقوبى ١ / ٤٩ (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاهى (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مسحين (٤) كذا فى الأصول كلها (٥) من م ، و فى الأصل و مد و ظ : اكبر منى (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لم يشربهم . (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : باوثانة (٨) فى ظ : تخلصا (٩) فى م : ممن (١٠) فى م و ظ ومد : عما (١١) و قيل : الزبور ، و قيل : الصوت الطيب و الألحان . قيل : و لم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته ، كان إذا قرأ الزبور تدنو الوحوش حتى يأخذ بأعناقها و تظله الطير مصيخة له و يركد الماء الجارى و تسكن الريح ، و ما صنعت المزامير و الصنوج إلا على صوته - البحر المحيط ٢/٢٦٩ .

و لما بين سبحانه و تعالى هذه الواقعة على طولها هذا البيان الذى يعجز عنه الإنس و الجان بين حكمة الجهاد و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر بل ما هو أعم من ذلك من تسليط[1] بعض الناس على بعض بسبب أنه جبل[2] البشر على خلائق موجبة للتجبر و طلب التفرد بالعلو المفضى إلى الاختلاف فقال - [3]بانيا له على ما تقديره: فدفع الله بذلك ٥ عن بنى إسرائيل ما كان[4] ابتلاهم به -: ﴿ و لو لا دفع[5] الله ﴾ [6]المحيط بالحكمة و القدرة[6] بقوته و قدرته ﴿ الناس ﴾ و قرئ: دفاع[7]. قال الحرالى: فعال[8] من اثنين و ما يقع من أحدهما دفع. و هو رد الشىء

(١) فى م و ظ: تسليطه (٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: جعل (٣) العبارة من هنا إلى «ابتلاهم به» ليست فى ظ (٤) من م ومد، وفى الأصل: ما كانوا. (٥) زيد فى م و مد: أى (٦-٦) ليست فى ظ (٧) قرأ نافع و يعقوب و سهل: و لو لا دفاع، و هو مصدر دفع نحو كتب كتابا أو مصدر دافع بمعنى دفع، قال أبو ذؤيب:

و لقد حرصت بأن أدافع عنهم فاذا المنية أقبلت لا تدفع

و قرأ الباقون: دفع، مصدر دفع كضرب ضربا، و المدفوع بهم جنود المسلمين، و المدفوعون المشركون، و" لفسدت الارض" بقتل المؤمنين و تخريب البلاد و المساجد - قال معناه ابن عباس و جماعة من المفسرين، أو الأبدال و هو أربعون كلما مات واحد أقام الله واحدا بدل آخر و عند القيامة يموتون كلهم، اثنان و عشرون بالشام و ثمانية عشر بالعراق، و روى حديث الأبدال عن على و أبى الدرداء و رفعا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، أو المذكورون فى حديث: لو لا عباد ركع و أطفال رضع و بهائم رتع لصب عليكم العذاب - البحر المحيط ٢/٢٦٩ (٨) فى م: افعال شىء.

بغلبة و قهر عن وجهته التى هو منبعث إليها بأشد منته[1] ، [2]و هو أبلغ من الأول إشارة إلى أنه سبحانه و تعالى يفعل فى ذلك فعل المبالغ[2] .

و لما أثبت سبحانه و تعالى أن الفعل له خلقا و إيجادا بيّن أنه لعباده كسبا و مباشرة فقال : ﴿ بعضهم ببعض ﴾ فتارة ينصر قويهم [3]على ضعيفهم[3] كما هو مقتضى القياس ، و تارة ينصر ضعيفهم - كما فعل فى قصة طالوت - على قويهم حتى لا يزال ما أقام بينهم من سبب الحفظ بهيبة بعضهم لبعض قائما ﴿ لفسدت الارض ﴾ بأكل القوى الضعيف حتى لا يبقى أحد ﴿ و لكن الله[4] ﴾ تعالى بعظمته و جلاله و عزته و كماله يكف بعض الناس ببعض و يولى بعض الظالمين بعضا و قد يؤيد الدين بالرجل الفاجر على نظام دبّره[5] و قانون أحكمه فى الأزل يكون سببا لكف القوى عن الضعيف إبقاء لهذا الوجود على هذا النظام إلى الحد الذى حده ثم يزيل الشحناء على زمن عيسى عليه الصلاة و السلام

(١) زيد بعده فى م و مد : انتهى (٢ - ٢) ليست فى ظ (٣-٣) ليس فى م .

(٤) وجه الاستدراك هنا هو أنه لما قسم الناس إلى مدفوع به و مدفوع و أنه يدفعه بعضهم ببعض امتنع فساد الأرض فهجس فى نفس من غلب و قهر عن ما يريد من الفساد فى الأرض أن الله تعالى غير متفضل عليه إذ لم يبلغه مقاصده و مآربه فاستدرك أنه و إن لم يبلغ مقاصده هذا الطالب للفساد أن الله لذو فضل عليه و يحسن إليه و اندرج فى عموم العالمين و قال تعالى " ان الله لذو فضل على الناس " و ما من أحد إلا و لله عليه فضل و لو لم يكن إلا فضل الاختراع ، و هذا الذى أبديناه من فائدة الاستدراك هو على ما قرره أهل العلم باللسان من أن لكن تكون بين متنافيين بوجه ما - البحر المحيط ٢/٢٧٠ (٥) فى م : دثره .

ليتم العلم بكمال قدرته و اختياره و ذلك من فضله على عباده و هو ﴿ ذو فضل ﴾ عظيم جدا ﴿ على العلمين ٥ ﴾ أى كلهم أولا بالإيجاد [١] و ثانيا بالدفاع ، فهو يكف من ظلم الظلمة إما بعضهم ببعض أو [٢] بالصالحين و قليل ما هم و يسبغ [٣] عليهم غير ذلك من أثواب نعمه [٤] ظاهرة و باطنة ، و مما يشتد [٥] اتصاله بهذه القصة ما أسنده الحافظ أبو القاسم بن عساكر ٥ فى الكنى من تاريخ دمشق فى ترجمة أبى [٦] عمرو بن العلاء عن الأصمعى قال : أنشدنا أبو عمرو بن العلاء قال : سمعت أعرابيا ينشد و قد كنت خرجت إلى ظاهر البصرة متفرجا مما نالنى [٧] من طلب الحجاج و استخفائى منه :

صبر النفس عند كل ملم [٨] إن فى الصبر حيلة المحتال ١٠
لا تضيقن فى الأمور فقد يكشف لأواؤها [٩] بغير احتيال [١٠]
ربما تجزع النفوس [١١] من الأمر له فرجة كحل العقال
قد يصاب الجبان [١٢] فى آخر الصف و ينجو مقارع الأبطال

فقلت : ما وراءك يا أعرابى ؟ فقال [١٣] : مات الحجاج ، فلم أدر بأيهما أفرح بموت الحجاج أو بقوله : [له] فرجة [١٤] ! لأنى كنت أطلب شاهدا لاختيارى ١٥

(١) فى ظ : بالاعباد ـ كذا (٢) فى ظ : و اما (٣) فى ظ : تسبغ (٤) فى مد : نعمة (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يستند (٦) سقط من م (٧) فى ظ : نالى (٨) من م و مد ، و فى الأصل : سلم ، و فى ظ : مسلم (٩) فى ظ : لاؤها ـ كذا (١٠) من مد و ظ ، و فى الأصل : احتال ، و فى م : اختيال (١١) فى م : النفس (١٢) من م ، و فى الأصل و مد : الحيان ، و فى ظ : الجبا ـ كذا . (١٣) فى م و ظ و مد : قال (١٤) فى ظ : فرحة ، و فى مد : فرجه .

القراءة[1] فى سورة البقرة "الا من اغترف غرفة" - انتهى . و لعل
ختام قصص بنى إسرائيل بهذه القصة لما فيها للنبى صلى الله عليه و سلم
من واضح الدلالة على صحة دعواه الرسالة / لأنها مما لا يعلمه إلا القليل /٢٦٤
من حذاق علماء بنى إسرائيل ثم عقبها بآية الكرسى التى هى العلم الأعظم
٥ من دلائل التوحيد فكان ذلك فى غاية المناسبة لما فى أوائل السورة
فى قوله تعالى "[يايها الناس اعبدوا ربكم[2] "- إلى آخر تلك الآيات
من دلائل[3] التوحيد[4] المتضمنة لدلائل النبوة[5] المفتتح بها-[5]] قصص
بنى إسرائيل فكانت دلائل التوحيد مكتنفة[6] قصتهم[7] أولها و آخرها
مع ما فى أثنائها[8] جريا على الأسلوب الحكيم فى مناضلة العلماء و مجادلة
١٠ الفضلاء، فكان خلاصة ذلك كأنه قيل: "الم" تنبيها للنفوس بما استأثر[9]
العليم سبحانه و تعالى بعلمه فلما ألقت[10] الأسماع و أحضرت الأفهام قيل
"يايها الناس" فلما عظم التشوف قال "اعبدوا ربكم" ثم عينه بعد
وصفه بما بينه بقوله "الله لا اله الا هو الحى القيوم" كما سيجمع ذلك
من غير فاصل أول سورة التوحيد آل عمران المنزلة فى مجادلة أهل
١٥ الكتاب من النصارى و غيرهم، و تختم قصصهم بقوله: "ربنا اننا سمعنا

(١) سقط من م (٢) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد و ظ إلا ما ننبه عليه.
(٢) سورة ٢ آية ٢١ (٣) فى م فقط: الدلائل (٤) زيد من مد فقط (٥-٥) زيد
من مد و ظ (٦) فى ظ: مكشفه - كذا (٧) من م و ظ و مد، و فى الأصل:
قصهم (٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: اثباتها (٩) فى الأصل: استاره -
كذا، و التصحيح من م و مد و ظ (١٠) فى م: الفت.

مناديا[1] ينادى للايمان ان آمنوا بربكم" يعنى بالمنادى و الله سبحانه و تعالى أعلم القائل "يايها الناس اعبدوا ربكم" - إلى آخرها ، و مما يجب التنبه له من قصتهم[2] هذه ما فيها لأنها تدريب لمن كتب عليهم القتال و تأديب فى ملاقاة الرجال من الإرشاد إلى أن أكثر حديث النفس و أمانيها الكذب لا سيما بالثبات فى مزال الأقدام فتشجع الإنسان ، ٥ فاذا توّرط أقبلت به[3] على الهلع[3] حتى لا يتمنوا لقاء العدو كما أدبهم به نبيهم صلى الله عليه و سلم ، و ذلك أن بنى إسرائيل مع كونهم لا يحصون كثرة سألوا نبيهم صلى الله عليه و سلم بعث ملك للجهاد ، فلما بعث فخالف أغراضهم لم[4] يفاجئوه إلا بالاعتراض ، ثم لما استقر الحال بعد نصب الأدلة و إظهار الآيات ندبهم ، فانتدب جيش لا يحصى كثرة ، ١٠ فشرط عليهم الشاب الفارغ بناء دار و بناء بامرأة[5] ، فلم يكن الموجود بالشرط إلا ثمانين ألفا ؛ ثم امتحنوا بالنهر فلم يثبت منهم إلا ثلاثمائة و ثلاثة عشر و هم دون الثلث من ثمن العشر من المتصفين بالشرط من الذين هم دون الدون من المنتدبين الذين هم دون الدون من السائلين فى بعث الملك ، فكان الخالصون معه ، كما قال بعض الأولياء المتأخرين لآخر ١٥ قصده بالزيارة[6] :

ألم تعلم بأنى صيرفى[7] أحك الأصدقاء على محك

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : منادى - راجع القرآن المجيد سورة ٣ آية ١٩٣ (٢) فى ظ : قصصهم (٣-٣) فى الأصل : الى البلغ ، والتصحيح من م و ظ مد (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٥) فى م : امراة (٦) فى الأصول : بالزيادة - كذا بالدال (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : صيرنى .

فمنهم بهرج لا خير فيه ومنهم من أجوزه بشك
وأنت الخالص الذهب المصفى بتزكيتى ومثلى من يزكى

وهذا سر[1] قول الصادق عليه الصلاة والسلام «أمتى كالإبل المائة[2] لا تكاد تجد فيها راحلة» وقوله صلى الله عليه وسلم «لا تمنوا لقاء العدو واسألوا[3] الله العافية، فاذا لقيتموهم فاصبروا» فالحاصل أنه على العاقل المعتقد جهله[2] بالعواقب وشمول قدرة ربه أن لا يثق بنفسه فى شىء من الأشياء، ولا يزال يصفها بالعجز وإن ادعت خلاف ذلك، ويتبرأ من حوله وقوته إلى حول مولاه وقوته ولا ينفك يسأله العفو والعافية.

ولما علت هذه الآيات عن أقصى ما يعرفه البصراء البلغاء من الغايات، وتجاوزت إلى حد تعجز العقول عن مناله، وتضاءل نوافذ الأفهام عن الإتيان بشىء من مثاله، نبه سبحانه وتعالى على ذلك بقوله: ﴿تلك﴾ أى الآيات المعجزات لمن شمخت أنوفهم[5]، وتعالت فى مراتب الكبر هممهم ونفوسهم؛ والإشارة إلى ما ذكر فى هذه السورة و[6]لاسيما هذه القصة من أخبار بنى إسرائيل والعبارة عن ذلك فى هذه الأساليب الباهرة والآفانين المعجزة القاهرة ﴿آيات الله﴾ أى الذى علت عظمته وتمت قدرته وقوته[7]، ولما كانت الجلالة من حيث أنها اسم[8] للذات جامعة لصفات الكمال [والجمال -[9]] ونعوت الجلال

(١) فى م: من (٢) فى م: المهابة (٣) فى الأصل: سئلو (٤) فى مد: جهلة.
(٥) فى م: انوافهم (٦) ليس فى م (٧) العبارة من هنا إلى «نقال» ليست فى ظ.
(٨) فى م: احتم (٩) زيد من م ومد.

لفت القول[1] إلى مظهر العظمة إشارة إلى / إعجازهم عن هذا النظم بنعوت ٢٦٥/
الكبر و التعالى[2] فقال: ﴿ نتلوها ﴾ أى ننزلها شيئا فى إثر شىء [3]بما لنا
من العظمـــة[3] ﴿ عليك ﴾ تثبيتا لدعائم الكتاب الذى[4] هو الهدى،
و تشييدا[5] لقواعده[6] ﴿ بالحق ط ﴾ قال الإمام سعد الدين التفتازانى فى
شرح العقائد: الحق الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال و العقائد ٥
و الأديان و المذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك و يقابله الباطل، و أما
الصدق فقد شاع فى الأقوال خاصة و يقابله الكذب؛ و قد يفرق بينهما
بأن المطابقة تعتبر فى الحق من جانب الواقع، و فى الصدق من جانب
الحكم؛ فمعنى صدق الحكم مطابقته الواقع. و معنى حقيته[7] مطابقة الواقع
إياه - انتهى. فمعنى الآية على هذا: إنا عالمون بالواقع من هذه الآيات ١٠
فأتينا[8] بعبارة يطابقها ذلك الواقع لا يزيد عنها و لا ينقص، فتلك
العبارة ثابتة ثبات الواقع لا يتمكن منصف عالم من إنكارها و لا إنكار
شىء منها، كما لا يتمكن من إنكار الواقع المعلوم وقوعه، و يكون
الخبر عنها صدقا. لأنه مطابق لذلك الواقع بغير زيادة و لا نقص؛
و الحاصل أن الحق يعتبر من جانب المخبر، فانه يأتى بعبارة يساويها ١٥
الواقع فتكون[9] حقا. و أن الصدق يعتبر من جانب السامع، فانه[10]

(١) فى م و مد: السوال (٢) فى الأصل: التفال، و فى مد: التعال. و فى م: العال (٣-٣) ليست فى ظ (٤) فى ظ: التى (٥) من م و مد، و فى الأصل: لتشيد، و فى م: تسييدا - كذا (٦) من م ومد و ظ، و فى الأصل: القواعد. (٧) من مد و ظ، و فى الأصل و م: حقيقته (٨) فى م: فايتنا - كذا (٩) فى مد: فيكون (١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: و كانه.

ينظر إلى الخبر[١]، فان وجده مطابقا للواقع قال: هذا صدق، و ليس بعيد أن يكون من الشواهد على ذلك[٢] هذه الآية و قوله سبحانه و تعالى "و الذى جاء بالصدق و صدق بـه[٣]" و قوله "قال فالحق و الحق اقول[٤]" "بل جاء بالحق و صدق المرسلين[٥]" و "هو الحق مصدقا لما بين يديه[٦]"، و كذا "و ما خلقنا السمٰوٰت و الارض و ما بينهما الا بالحق[٧]" أى أن هذا الفعل و هو [٨]خلقنا لها[٨] لسنا متعدين فيه، و هذا[٩] الواقع يطابق خلقها لا يزيد عليه[١٠] بمعنى أنه كان علينا أن نزيد[١١] فيها شيئا و ليس لنا الاقتصار على ما وجد و لا ننقص[١٢] عنه بمعنى أنه كان علينا أن نجعلها ناقصة عما هى عليه و لم يكن لنا إتمامها هكذا؛ أو[١٣] بالحق الذى هو قدرتنا و اختيارنا لا كما يدعيه[١٤] الفلاسفة من الفعل بالذات من غير اختيار: أو بسبب[١٥] الحق أى إقامته و إثباته و إبطال الباطل و نفيه، و قوله "و اتينٰك بالحق و انا لصٰدقون[١٦]" أى أتيناك[١٧] بالخبر[١٨] بعذابهم و هو ثابت. لأن مضمونه إذا وقع فنسبتَه إلى الخبر[١٩]

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الخير (٢) سقط من م (٣) سورة ٣٩ آية ٣٣ (٤) سورة ٣٨ آية ٨٤ (٥) سورة ٣٧ آية ٣٧ (٦) سورة ٣٥ آية ٣١.
(٧) سورة ١٥ آية ٨٥ (٨-٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: خلقناها.
(٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: هو (١٠) ريد فى ظ: ان خلقها (١١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: تريد (١٢) من م، و فى بقية الاصول: لا ينقص.
(١٣) فى م: و (١٤) فى ظ: تدعيه (١٥) فى م: سبب (١٦) سورة ١٥ آية ٦٤.
(١٧) فى م: اتينا (١٨) من ظ، و فى الأصل و م و مد: بالخير (١٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الخير - كذا.

علمت مطابقته له أى مطابقة الواقع إياه و إخبارنا عنه على ما هو به فنحن صادقون فيه ، أى نسبنا[1] وقوع العذاب إليهم[2] نسبة تطابق الواقع فاذا وقع نظرت إلى إخبارنا فرأيته مطابقا له فعلمت[3] صدقنا فيه ؛ و الذى لا يدع فى ذلك لبسا قوله سبحانه و تعالى حكاية عن يوسف عليه الصلاة و السلام " قد جعلها ربى حقا[4] " أتى بمطابقة الواقع لتأويلها ، و أما صدقه صلى الله عليه و سلم فهو بنسبة الخبر[5] إلى الواقع و هو أنه رأى ما أخبر به و ذلك موجود من حين إخباره صلى الله عليه و سلم فان خبره[6] كان حين إخباره به مطابقا للواقع ، و أما صدق الرؤيا[7] فباعتبار أنه كان لها واقع طابقه[8] تأويلها ؛ فان قيل : تأسيس المفاعلة أن تكون بين اثنين فصاعدا يفعل أحدهما بالآخر ما يفعل الآخر به ، فهب أنا اعتبرنا[9] المطابقة من جانب واحد فذلك لا ينفى اعتبارها من الجانب الآخر فما ذا يغنى ما ادعيته ، قيل[10] إنها و إن كان لا بد فيها من مراعاة الجانبين لكنها تفهم أن الذى أسند إليه الفعل هو الطالب ، بخلاف باب التفاعل فانه لا دلالة لفعله على ذلك ، و جملة الأمر أن الواقع أحق باسم الحق لأنه الثابت و الخبر[5] أحق باسم الصدق ، و الواقع

(١) من مد و ظ ، و فى الأصل : نسبتنا ، و فى م : نستنا (٢) فى م : عليهم .
(٣) زيد فى م : صدقه (٤) سورة ١٢ آية ١٠٠ (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الخير (٦) من م و ظ ، و فى الأصل : خيره ، و قد سقط من مد .
(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الرويات (٨) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : طابقة (٩) فى ظ : اختبرنا - كذا (١٠) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : قبل .

طالب[1] لخبر يطابقه ليعرف [على - [2]] ما هو عليه و الخبر طالب لمطابقة الواقع له فيكتسب الشرف بتسميته صدقا ، و أول ثابت فى نفس الأمر هو الواقع فانه قبل الخبر عنه بأنه وقع ، فاذا[3] كان مبدأ الطلب من الواقع سمى الخبر / باسمه ، و إذا كان مبدأ الطلب من الخبر سمى باسمه /٢٦٦
٥ الحقيق به ، و لعلك إذا اعتبرت آيات الكتاب الناطق بالصواب وجدتها كلها على هذا الأسلوب ـ و الله سبحانه و تعالى الموفق . و لما ثبت أن التلاوة عليه صلى الله عليه و سلم حق قال تعالى : ﴿ و انك[4] ﴾ أى و الحال أنك ﴿ لمن المرسلين ﴾ بما دلت هذه الآيات عليه[5] من علمك بها من غير معلم من البشر ثم باعجازها الباقى على مدى[6] الدهر .

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : طلب (٢) زيد من م و ظ و مد (٣) فى ظ : فانه اذا (٤) و لما ذكر تعالى أنه تلا الآيات على نبيه أعلم أنه من المرسلين و أكد ذلك بان و اللام حيث أخبر بهذه الآية من غير قراءة كتاب و لا مدارسة أحبار و لا سماع أخبار ـ البحر المحيط ٢ / ٢٧١ (٥) قدمه فى م على « هذه » . (٦) فى م : هذا .

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الثالث من تفسير « نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور » للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله يوم الثلاثاء الثانى من شهر صفر المظفر سنة ١٣٩١ هـ = ٣٠ مارس سنة ١٩٧١ م .

و قد اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه الأستاذ الأديب فضيلة الشيخ السيد محمد عبد الحميد شيخ الجامعة النظامية بحيدر آباد الدكن عم فيضه! و عنى بتنقيحه راقم هذه الخاتمة تحت إشراف صاحب الفضيله الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير الدائرة و عميدها أبقاه الله لخدمة العلم و الدين!

و يليه الجزء الرابع إن شاء الله تعالى أوله "و لما تقدم فى هذه السورة ذكر رسل كثيرة - الخ"

و فى الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد

السيد محمد حبيب الله القادرى الرشيد

(كامل الجامعة النظامية)

صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

و لما تقدم فى هذه السورة ذكر رسل كثيرة و ختم هذه الآيات بأنه صلى الله عليه و سلم منهم تشوفت[1] النفس إلى[2] معرفة أحوالهم فى الفضل هل هم فيه سواء أو هم متفاضلون ، فأشار إلى علو مقادير الكل فى قوله : ﴿ تلك الرسل[3] ﴾ بأداة البعد إعلاما ببعد مراتبهم و علو منازلهم و أنها بالمحل الذى لا ينال و المقام الذى لا يرام ، و جعل الحرالى التعبير بتلك التى هى أداة التأنيث دون أولئك التى هى إشارة المذكر[4] توطئة و إشارة لما يذكر بعد من اختلاف الأمم بعد أنبيائها[5] و قال : يقول فيه النحاة إشارة لجماعة المؤنث و إنما هو فى العربية لجماعة ثانية فى الرتبة ، لأن التأنيث أخذ[6] الثوانى عن أولية تناسبه فى المعنى

---

(١) من م و ظ و مد ، وفى الأصل: تشوقت (٢) من م و مد ، و فى الأصل وظ : فى (٣) مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر اصطفاء طالوت على بنى إسرائيل و تفضل داود عليهم بإيتائه الملك و الحكمة و تعليمه ثم خاطب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بأنه من المرسلين وكان ظاهر اللفظ يقتضى التسوية بين المرسلين بين بأن المرسلين متفاضلون أيضا كما كان التفاضل بين غير المرسلين كطالوت و بنى إسرائيل ـ البحر المحيط ٢ /٢٧٢ (٤) فى الأصل : المذكور ، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) فى م: ابنائها (٦) من ظ ، وفى بقية الأصول : احد .

و تقابله[1] فى التطرق[2]، قال: و من لسن العرب و إشارة تأسيس كلها أن المعنى متى أريد إرفاعه[3] أطلق عن[4] علامة الثانى فى الرتبة و إشارته، و متى أريد إنزاله[5] قيد بعلامة الثانى و إشارته، ثم قال[6]: فنى ضمن هذه الإشارة لأولى التنبه إشعار بما تتضمنه الآية من الإخبار النازل عن رتبة الثبات و الدوام إلى رتبة الاختلاف و الانقطاع كما أنه لما كان الذكر واقعا فى محل إعلاء فى آية الإنعام قيل: "اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده[7]" و لما كان شأن الاختلاف و الانقطاع غير مستغرب فى محل النقص و الإشكال وطئ[8] لهذا الواقع بعد الرسل بأنه ليس من ذلك و أنه من الواقع بعد إظهار التفضيل و إبلاغ البينات لما يشاؤه من أمره - انتهى. ثم أتبع هذه الإشارة حالا منها أو استئنافا قوله: ﴿ فضلنا بعضهم على بعض ﴾ أى بالتخصيص بمآثر[9] لم تجتمع لغيره "بعد أن فضلنا الجميع بالرسالة".

(١) فى ظ: يقابله (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: التطر (٣) من م و مد و ظ، و فى الأصل: ارفاعة (٤) فى ظ: غير (٥) فى م: انزله (٦) و قال الأندلسى: وأتى بتلك التى للواحدة المؤنثة و إن كان المشار إليه جمعا لأنه جمع تكسير و جمع التكسير حكمه حكم الواحدة المؤنثة فى الوصف و فى عود الضمير و فى غير ذلك وكان جمع تكسير هنا لاختصار اللفظ ولإزالة قلق التكرار لأنه لو جاء: أولئك المرسلون فضلنا، كان اللفظ فيه طول و كان فيه التكرار - البحر المحيط ٢/٢٧٢.
(٧) سورة ٦ آية ٩٠ (٨) فى م: وطأ (٩) من م وظ و مد، و فى الأصل: لمآثره.
(١٠-١٠) سقطت من ظ. و التفضيل بالفضائل بعد الفرائض أو الشرائع =

و لما

و لما كان أكثر السورة فى بنى اسرائيل و أكثر ذلك فى أتباع موسى عليـــه الصلاة و السلام بدأ بوصفه و ثنى بعيسى عليه الصلاة و السلام لأنه الناسخ لشريعته و هو آخر أنبيائهم فقال مبينا لما أجمل من ذلك التفضيل[1] بادئا بدرجة الكلام لأنها من أعظم الدرجاتِ لافتا القول إلى مظهر الذات بما لهـا من جميع الصفات لأنه أوفق للكلام المستجمع للتمام[2] ﴿ منهم من كلم الله ﴾[2] أى بلا واسطة[4] بما[3] له من الجلال[4] كموسى[2] و محمد و آدم عليهم الصلاة و السلام[2] ﴿ و رفع بعضهم ﴾ و هو محمد صلى الله عليه و سلم[5] على غيره، و من

= أو بالخصائص كالكلام ..... و نص تعالى فى هذه الآيـة على تفضيل بعض الأنبياء على بعض فى الجملة دون تعيين مفضول و هكذا جاء فى الحديث: أنا سيد ولد آدم، و قال: لا تفضلونى على موسى، و قال: لا ينبغى لأحد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى - البحر المحيط ٢/٢٧٢ .

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: التفصيل (٢-٢) ليست فى ظ (٣) فى م: لما (٤) و تظافرت نصوص المفسرين هنا على أن المراد بالمكلم هنا هو موسى على نبينا و عليه الصلاة و السلام و قد سئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن آدم: أنبى مرسل؟ فقال: نعم نبى مكلم، و قـد صح فى حديث الإسراء حيث ارتقى رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى مقـام تأخر عنه فيه جبريل أنـه جرت بينه صلى الله عليه و سلم و بين ربه تعالى مخاطبات و محاورات فـلا يبعد أن يدخل تحت قوله "منهم من كلم الله" موسى و آدم و محمد صلى الله عليه و سلم لأنه قد ثبت تكليم الله لهم - البحر المحيط ٢/٢٧٣ (٥) فى البحر المحيط ٢/٢٧٣: هو محمد صلى الله عليه أو إبراهيم أو إدريس صلى الله عليهم - ثلاثـة أقوال، =

فوائد الإبهام[1] الاستنباط بالدليل ليكون مع أنه أجلى[2] أجدر[3] بالحفظ و ذلك الاستنباط أن يقال إنه سبحانه و تعالى قد عمهم بالتفضيل بالرسالة أولا ، ثم بين أنه فضل بعضهم على غيره ، و ذلك كله رفعة فلو كانت هذه مجرد رفعة لكان تكريرا فوجب أن يفهم أنها رفعة على أعلاهم ، و أسقط الفوقية هنا إكراما للرسل بخلاف ما فى الزخرف[4] فقال معينا

= قالوا و الأول أظهر وهو قول مجاهد . . . . و قال الزمخشرى : "ورفع بعضهم درجٰت " أى و منهم من رفعه على سائر الأنبياء فكان بعد تفاوتهم فى الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة ، و الظاهر أنه أراد محمدا صلى الله عليه و سلم لأنه هو المفضل عليهم حيث أوتى ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية إلى ألف آية و أكثر و لو لم يؤت إلا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتى الأنبياء ، لأنه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات ، و فى هذا الإبهام من تفخيم فضله و إعلاء قدره ما لا يخفى ، لما فيه من الشهادة على أنه العلم الذى لا يشتبه و المتميز الذى لا يلتبس . و يقال للرجل : من فعل هـذا؟ فيقول : أحدكم أو بعضكم ، يريد به الذى تعورف و اشتهر بنحوه من الأفعال فيكون أفخم من التصريح به و أتوه بصاحبه ، و سئل الحطيئة عن أشهر الناس فذكر زهيرا و النابغة ثم قال : و لو شئت لذكرت الثالث ـ أراد نفسه ، و لو قال : و لو شئت لذكرت نفسى ، لم يفخم امره ؛ و يجوز أن يريد إبراهيم ومحمدا وغيرهما من أولى العزم من الرسل ـ انتهى كلام الزمخشرى و هو كلام حسن .

(١) فى م : الايهام (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : احلى (٣) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : احذر (٤) من قوله تعالى " و رفعنا بعضهم فوق بعض درجٰت "ـ راجع سورة ٤٣ آية ٣٢ .

بعض ما اقتضاه التفضيل ١ : ﴿ درجت ط ﴾ أى عظيمة ٢ بالدعوة العامة و المعجزات الباقية ؛ و الأتباع الكثيرة ٣ فى الأزمان ٤ الطويلة ، من غير تبديل و لا تحريف ، و بنسخ شرعه لجميع الشرائع ، و بكونه رحمة للعالمين ، و أمته خير أمة أخرجت للناس ، و كونه خاتما للنبيين الذين ٥ أرسلهم سبحانه و تعالى عند الاختلاف مبشرين و منذرين و أنزل معهم ٥ الكتاب ، فلا نبى بعده ينسخ شريعته ، و إنما يأتى النبى الناسخ لشريعة موسى عليه الصلاة و السلام مقررا ٦ لشريعته مجددا لما درس منها كما كان من أنبياء بنى إسرائيل الذين ٥ بينه و بين موسى / عليهم ٢ الصلاة ٢٦٧/ و السلام ، و لما كان الشخص لا يبين ٨ فضله إلا بآثاره ٩ و كانت آيات موسى [و عيسى - ١٠] عليهما ١١ الصلاة ١٢ و السلام أكثر من آيات ١٠ من ١٣ سبقهما خصهما ١٣ بالذكر إشارة إلى ذلك ، فكان فيه إظهار الفضل لنبينا صلى الله عليه و سلم ، لأنه لا نسبة لما أوتى أحد من الأنبياء إلى ما أوتى ، و إبهامه ١٤ يدل على ذلك من حيث أنه إشارة إلى أن

(١) العبارة من « و ذلك الاستنباط » إلى هنا ليست فى ظ (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عظمة (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الكثير . (٤) فى م : الأزمنة (٥) فى ظ : الذى (٦) من مد و ظ ، و فى الأصل: مقدرا . (٧) فى مد: عليه (٨) فى م : لا يتبين (٩) من م ومد و ظ ، و فى الأصل: باناره - كذا بالنون (١٠) زيد من م ومد و ظ (١١) من م ومد و ظ ، و فى الأصل : عليه (١٢) ليس فى م و مد و ظ (١٣-١٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : سبقها خصها (١٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ايهامه .

إبهامه فى الظهور و الجلاء كذكره[1]، لأن ما وصف به لا ينصرف إلا إليه[2].

و لما كان الناس واقفين مع الحس[3] إلا الفرد النادر و كان لعيسى صلى الله عليه و سلم من تكرر الآيات المحسوسات كالإحياء و الإبراء ما ليس لغيره [و مع -[4]] ذلك[5] ارتد أكثرهم بعد رفعه عليه الصلاة و السلام قال[6] صارفا القول إلى مظهر العظمة تهديدا لمن كفر بعد ما رأى أو سمع من تلك الآيات الكبر: ﴿ و اتينا[7] ﴾ بما لنا من العظمة بالقدرة على كل شيء من الخلق و التصوير كيف نشاء و على غير ذلك ﴿ عيسى ﴾ و نسبه[8] إلى أمه إشارة إلى أنه لا أب له فقال: ﴿ ابن مريم ﴾ أى الذى خلقناه منها بغير واسطة ذكر أصلا ﴿ البينت ﴾ من إحياء الموتى و غيره. قال الحرالى: و البينة ما ظهر

(١) زيد فى م: فى (٢) العبارة من هنا إلى « الآيات الكبر » ليست فى ظ.
(٣) من م و مد، و فى الأصل: الحسن (٤) زيد من مد (٥) ليس فى م (٦) فى مد: فقال (٧) و نص هنا لعيسى على الآيات البينات تقبيحا لأفعال اليهود حيث أنكروا نبوته مع ما ظهر على يديه من الآيات الواضحة. و لما كان نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم هو الذى أوتى ما لم يؤته أحد من كثرة المعجزات و عظمها و كان المشهود له باحراز قصبات السبق حف ذكره بذكر هذين الرسولين العظيمين ليحصل لكل منهما بمجاورة ذكره الشرف إذ هو بينهما واسطة عقد النبوة فينزل منهما منزلة واسطة العقد التى يزدان بها ما جاورها من اللآلى - البحر المحيط ٢ / ٢٧٤ (٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: نسبة.

برهانه فى الطبع و العلم و العقل بحيث لا مندوحة عن شهود وجوده ، و ذلك فيما أظهر[1] الله سبحانه و تعالى على يديه من الإحياء و الإماتة الذى هو من أعلى آيات الله ، فان كل باد فى الخلق و متنزل فى الأمر فهو من آيات الله ، فما كان أقرب الى ما اختص الله تعالى به كان أعلى و أبهر ، و ما كان مما يجرى نحوه على أيدى خلقه كان أخفى و ألبس ٥ إلا على من نبه الله قلبه لاستبصاره فيه ﴿ و ايدنه ﴾ [2] أى بعظمتنا البالغة [2] ﴿ بروح القدس[3] ﴾ فى إعلامه ذكر [3] ما جعل [3] تعالى بينه و بين عيسى[4] عليه الصلاة و السلام فى كيانه[5] فجرى[6] نحوه فى عمله من واسطة الروح كما قال سبحانه و تعالى "فارسلنا اليها روحنا[7]" كذلك كان فعله مع تأييده ؛ و فى ذلك بينه و بين موسى عليهما الصلاة ١٠ و السلام موازنة ابتدائية ، حيث كان أمر موسى من ابتداء أمر التكليم الذى هو غاية سقوط الواسطة ، و كان أمر عيسى عليه الصلاة و السلام من ابتداء أمر الإحياء الذى هو غاية تصرف المتصرفين - انتهى .

ذكر شيء مما فى الإنجيل من بيناته و حكمه و آياته

قال متى : أنتم ملح الأرض ، فاذا فسد الملح فبما[8] ذا يملح[9] ! لا يصلح ١٥ لشيء لكن يطرح خارجا و تدوسه[10] الناس . و قال لوقا : جيد هو الملح فان[11]

(١) فى ظ : اظهره (٢-٢) ليس فى ظ (٣-٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : سبحانه و (٤) فى ظ : موسى (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كتابه . (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فجرى - كذا (٧) سورة ١٩ آية ١٧ . (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فيما (٩) فى مد : يصلح (١٠) فى م : تدرسه (١١) فى م : فاذا .

فسد بما[1] ذا يملح! لا يصلح[2] للأرض و لا المزبلة[3] لكن خارجا[4]، من كان له أذنان سامعتان فليسمع . و قال متى: أنتم نور العالم، لاتستطيع مدينة تخفى[5] و هى موضوعة على رأس جبل، و لا يوقد سراج فيوضع تحت مكيال لكن يوضع على منارة [و-[6]] يضىء لكل من فى البيت، هكذا فليضئ نوركم قدام الناس ليروا أعمالكم الحسنة و يمجدوا أباكم[7] الذى فى السماوات، لا تظنوا أنى جئت لأخل[8] الناموس أو[9] الأنبياء، لم آت لأخل[10] بل لأكمل الحق[11]، أقول لكم إن السماء[12] و الأرض تزولان، و خطة[13] واحدة لا تزول من الناموس حتى يكون هذا كله؛ فمن أخل إحدى[14] هذه الوصايا الصغار و علم الناس هكذا يدعى فى ملكوت السماوات صغيرا، و الذى يعمل و يعلم هذا يدعى عظيما فى ملكوت السماء؛ ثم قال: و إذا صليتم فلا تكونوا كالمرائين، لأنهم يحبون القيام فى المجامع و زوايا الأزقة يصلون ليظهروا للناس الحق، أقول لكم: لقد أخذوا أجرهم، و إذا صليت[15] فادخل

(١) فى م: فيما، وفى ظ ومد: فبما (٢) زيد فى ظ: خارجا (٣) من م و مد وظ، و فى الأصل: المزبلة (٤) فى م: جارجا (٥) فى مد: تقفى (٦) زيد من م و ظ و مد (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: اياكم (٨) فى م: لاخلى. (٩) من م و مد وظ، و فى الأصل: و (١٠) فى ظ: لاجل (١١) فى م: الخلق. (١٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: السموات (١٣) من مد و ظ، و فى الأصل: حطة، و فى م: حظه (١٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: احد. (١٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: صليتم.

إلى مخدعك و أغلق بابك عليك ، و صل لأبيك سرا[١] و أبوك يرى السر فيعطيك علانية ، و إذا صليتم فلا تكثروا[٢] الكلام مثل الوثنيين ، لأنهم يظنون أنهم سيسمع لهم لكثرة[٣] كلامهم ، فلا تتشبهوا بهم ، لأن أباكم عالم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه[٤] ، و هكذا تصلون[٥] أنتم : أبانا الذى فى السماوات ! قدوس اسمك ، يأتى ملكوتك ، تكون مشيئتك / كما فى السماء[٦] على الأرض ، خبزنا كفافنا[٧] أعطنا فى اليوم ، و اغفر لنا ما يجب علينا كما غفرنا لمن أخطأ إلينا ، و لا تدخلنا التجارب لكن نجنا من الشرير ، لأن لك[٨] المجد و القوة إلى الأبد - آمين . و قال مرقس[٩] : و إذا قمتم تصلون اغفروا لكل من لكم عليه لكيما أبوكم[١٠] الذى فى السماوات يترك[١١] لكم هفواتكم . و قال متى : فان غفرتم للناس خطاياهم غفر لكم أبوكم السمائى خطاياكم ، و إن لم تغفروا للناس سيئاتهم[١٢] لم يغفر لكم خطاياكم . و قال لوقا و كان يصلى فى قفر[١٣] فلما فرغ قال واحد من تلاميذه : يا رب ! علمنا نصلى كما علم

/٢٦٨

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : سوى (٢) فى م : فلا تظهروا (٣) فى ظ و مد : بكثرة (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يسئلون (٥) فى الأصل : يصلون ، و التصحيح من م و مد و ظ (٦) زيد فى الأصل و م : و (٧) فى ظ : كفافا (٨) فى م : ذلك (٩) فى الأصل و م : مرقش ، و التصحيح من مد و ظ ، و هو من تلامذة بطرس ينسبون إليه تأسيس كنيسة الإسكندرية ، له إنجيل مرقس (١٠) فى الأصل : ابيكم ، و التصحيح من م و ظ و مد (١١) فى الأصل : ينزل ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٢) فى م : مشبهاتهم (١٣) من م و مد و ظ ، و وقع فى الأصل : فقد - مصحفا .

يوحنا تلاميذه، فقال لهم: إذا صليتم فقولوا: أبانا الذى فى السماوات! يتقدس اسمك، يأتى ملكوتك، تكون إرادتك [كما -[1]] فى السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم، اغفر لنا خطايانا لأنا نغفر لمن لنا عليه، و لا تدخلنا التجارب[2] لكن نجنا من الشرير؛ ثم قال لهم: من[3] منكم له صديق يمضى إليه نصف الليل فيقول له: يا صديقى! هبنى ثلاث خبزات فان صديقا لى جاء [إلى -[1]] من طريق و ليس لى ما أقدم إليه، فيجيبه ذلك من داخل و يقول: لا تتعبنى قد أغلقت بابى، و أولادى معى على مرقدى و لا أقدر أقوم فأعطيك، أقول لكم[4]: إن لم يقم و يعطيه من أجل الصداقة فيقوم و يعطيه من أجل الحاجة ما يحتاج إليه، و أنا أيضا[5] أقول لكم[6]: سلوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم، كل من سأل أعطى، و من طلب وجد، و من يقرع[7] يفتح له. و قال متى: و إذا صمتم[8] فلا تكونوا كالمرائين لأنهم يعبسون وجوههم و يغيرونها ليظهروا للناس صيامهم، الحق أقول لكم، لقد أخذوا أجرهم، و أنت إذا صمت ادهن رأسك و اغسل وجهك لئلا يظهر للناس صيامك. و قال لوقا: من[3] منكم له عبد يحرث أو يرعى فاذا جاء من الحقل يقول له للوقت[9]: اصعد

(١) زيد من ظ و مد (٢) من م و ظ و مد. و فى الأصل: التحارب (٣) فى ظ: ما (٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: لك (٥) ليس فى م (٦) زيد فى م: ايضا (٧) من م و ظ و مد، و فى الأصل: قرع (٨) فى م: ضمنتهم (٩) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الموقت.

و اجلس ، أو ليس يقول له : أعد لى ما آكله و شد حقويك ، و اخدمنى[1] حتى آكل و أشرب ، و من بعد ذلك تأكل [2]و تشرب أنت[2] ، هل لذلك العبد فضل عند ما فعل ما أمر به ! كذلك أنتم إذا فعلتم كل شىء أمرتم به قولوا: إنا عبيد بطالون[3] ، إنما عملنا ما يجب علينا ؛ و قال أيضا : فقال[4] له واحد من الجمع : يا معلم ! قل لأخى : يقاسمنى ٥ الميراث ، فقال له : يا إنسان ! من أقامنى عليكم حاكما أو مقسما ! و قال لهم : انظروا و تحفظوا من كل الشره[5] لأن الحياة ليست للانسان بكثرة ماله ؛ و قال لهم مثلا : إنسان غنى أخصبت[6] له كورة ففكر[7] و قال : ما ذا أصنع إذ ليس لى حيث أضع غلاتى ، أهدم أهرائى[8] و أبنيها[9] و أوسعها و أخزن هناك و أقول لنفسى : يا نفس ! لك خيرات ١٠ كثيرة موضوعة لسنين كثيرة ، [10]استريحى و كلى و اشربى و افرحى ، فقال له الله سبحانه و تعالى : يا جاهل ! فى هذه الليلة تنزع نفسك و هذا الذى أعددته لمن يكون هكذا ، من يدخر[11] ذخائر و ليس هو غنيا[12] بالله . و قال متى : لا تكنزوا[13] لكم كنوزا فى الأرض حيث

(١) فى م : و أخذ منى (٢ - ٢) فى م و ظ و مد : انت و تشرب (٣) فى ظ : بطالو (٤) فى م و ظ و مد : و قال (٥) فى الأصل : السر ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) هكذا فى الأصل و مد ، و فى م : اخصيت ، و فى ظ : احصيت . (٧) فى الأصل : فنكر ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) جمع هُرْى بمعنى بيت كبير يجمع فيه القمح و نحوه ؛ و فى م : اهرامى - كذا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ابينها (١٠) زيد فى الأصل : و ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (١١) فى م و مد : يذخر (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : غنى (١٣) فى ظ : لا تكثروا .

الآكلة و السوس يفسد و الا ينقب[١] السارقون [يتحيلون -[٢]] فيسرقون ، اكنزوا[٣] لكم كنوزا في السماء حيث لا آكلة و لا سوس يفسد و لا ينقب السارقون فيسرقون . و قال لوقا : بيعوا أمتعتكم و أعطوا رحمة فاجعلوا[٤] لكم أكياسا لا تبلى و كنوزا فى السماوات[٥] لا تفنى حيث لا يصل إليه سارق و لا يفسده سوس . و قال متى : لأنه[٦] حيث تكون كنوزكم هناك تكون قلوبكم ، سراج الجسد العين ، فان كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون [نيرا ، و إن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون -[٧]] مظلما ، فاذا كان النور الذى فيك ظلاما فالظلام ما هو ! ليس يستطيع إنسان يعبد ربين إلا أن يبغض الواحد و يحب[٨] الآخر أو[٩] يجل الواحد و يحتقر الآخر ، لا تقدرون أن تعبدوا الله و المال ، فلهذا أقول لكم : لا تهتموا لنفوسكم بما تأكلون أو بما تشربون و لا لأجسادكم بما تلبسون ، ألبس[١٠] النفس ؟ و قال لوقا : لأن النفس أفضل من المآكل ، و الجسد من اللباس[١١] ، انظروا إلى طيور السماء التى[١٢] لا تزرع و لا تحصد و لا تخزن فى الأهراء و أبوكم السمائى[١٣] يقوتها ،

(١-١) ليس فى م و ظ و مد (٢) زيد من م و مد ، و فى ظ : يتخيلون - كذا (٣) فى ظ : اكثروا (٤) فى م : فاجعل (٥) زيد فى ظ : حيث (٦) فى ظ : لانكم (٧) العبارة المحجوزة زيدت من م و ظ و مد (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يجب (٩) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : و (١٠) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : اليس - كذا (١١) فى ظ : الناس (١٢) فى ظ : الذى (١٣) فى م : السماوى ، و فى ظ : السما .

أليس أنتم بالحريين[1] أن تكونوا أفضل منها ؛ و قال / لوقا فيكم : أنتم ٢٦٩ /
أفضل من الطيور ، من منكم[2] يهتم فيقدر أن يزيد على قامته[3] ذراعا
واحدا ! فلما ذا تهتمون[4] باللباس ! اعتبروا بزهر الحقل كيف يتربى[5]
و لا يتعب ؛ و قال لوقا : تأملوا الزهر كيف ينمو بغير تعب و لا عمل -
انتهى . [6]أقول لكم إن سليمان فى[7] كل مجده لم يلبس كواحدة منها ، ٥
فاذا كان زهر[8] الحقل يكون اليوم و فى غد يطرح[9] فى التنور يلبسه
الله هكذا فيكم أنتم أحرى يا قليلى الإيمان فلا تهتموا و تقولوا[10] : ما ذا
[11]نأكل و نشرب[11] و ما ذا نلبس[12]؟ هذا كله يطلبه[13] الأمم البرانية و أبوكم
يعلم أنكم تحتاجون[14] [إلى -[15]] هذا جميعه ، اطلبوا أولا ملكوت
الله و بره و هذا كله تزادونه ، لا تهتموا بالغد ، فالغد يهتم بشأنه ، ١٠
و يكفى كل يوم شره ؛ و قال لوقا : تكون أوساطكم مشدودة[16]
و سرجكم موقودة ، كونوا متشبهين بأناس ينتظرون سيدهم متى يأتيهم
من العرش [17]لكى إذا جاء[17] و قرع يفتحون له ، طوبى لأولئك

(١) فى ظ : بالجربين (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فيكم (٣) فى ظ : اقامته (٤) فى م : تهتموا (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ليربى (٦) زيد فى ظ : الحق (٧) فى م : و (٨) من م و مد ، و فى ظ : كزهر ، و فى الأصل : كزهو - كذا (٩) من ظ و مد ، و فى م : يطرخ ، و فى الأصل : يطوح - كذا . (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : نقول (١١ - ١١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تاكل و ما ذا تشرب (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تلبس (١٣) فى م و ظ و مد : تطلبه (١٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تحتاجوا (١٥) زيد من م و مد و ظ (١٦) فى ظ : مشدده (١٧ - ١٧) فى م : اذا ، و فى مد : لكن اذا .

العبيد الذين[1] يأتى سيدهم فيجدهم مستيقظين! الحق أقول لكم إنه يشد وسطه و يتكئون هم[2] و يقف يخدمهم لذلك ، فطوبى لأولئك العبيد! ثم قال: فقال له بطرس : يا رب! من أجلنا تقول هذا المثل أم للجميع؟ فقال : من ترى الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على حشمه[3] يعطيهم طعامهم فى حينه؟ فطوبى لذاك العبد الذى يأتى سيده فيجده فعل هكذا! الحق أقول لكم إنه يقيمه على جميع ماله ، فان قال ذلك العبد الشرير فى قلبه: إن سيدى يبطئ قدومه و يأخذ فى ضرب عبيد سيده و إمائه و يأكل و يشرب و يسكر فيأتى سيده فى يوم لا يظن و ساعة لا يعلم[4] فيشقه من وسطه و يجعل نصيبه مع الغير[5] مؤمنين ، فأما العبد[6] الذي يعلم إرادة سيده و لا يستعد[7] و يعمل إرادة سيده فيضرب كثيرا ، و الذى لا يعلم و يعمل ما يستوجب به الضرب يضرب يسيرا ، لأن من أعطى كثيرا يطلب كثيرا [[8] و الذى استودع[9] كثيرا يطلب بكثير] ؛ و قال فى موضع آخر: الأمين فى القليل يكون أمينا فى الكثير ، و الظالم فى القليل ظالم فى الكثير ، فان كنتم غير أمناء فى مال الظلم فمن يأتمنكم فى الحق! و إن كنتم غير أمناء فيما ليس لكم فمن يعطيكم[10] مالكم! جئت لألقى نارا فى الأرض و ما أريد إلا

(١) فى ظ : الذى (٢) ليس فى ظ (٣) فى م : حشمة (٤) فى ظ : لا تعلم .
(٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الغيره ـ كذا (٦) فى مد : العلم (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : لا يتعد (٨) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد و ظ (٩) فى ظ : يستودع (١٠) فى ظ : يعطكم .

اضطرامها ، و لى صبغة أصطبغها[1] ، و أنا مُجدّ لتكمل ، هل تظنون أنى جئت لألقى سلامة فى الأرض ! أقول لكم : يكون افتراق من الآن ، يكون خمسة فى بيت ، واحد يخالف اثنين و اثنان ثلاثةً ، يخالف الأب ابنه ، و الابن أباه ، و الأم ابنتها ، و الابنة أمها ، و الحمأة كنتها ، و الكنة[2] حمأتها . و قال متى : لا تدينوا لئلا تدانوا ، و بالكيل الذى تكيلون يكال لكم . و قال لوقا : و لا تحبوا الحكم على أحد لئلا يحكم عليكم ، اغفروا يغفر لكم ، أعطوا تعطوا بمكيال صالح مملوء فائض ملقى فى حضونكم ، لأنه بالكيل الذى تكيلون يكال لكم ، هل يستطيع أعمى أن يقود أعمى ! أليس يقعان كلاهما فى حفرة ! و قال متى : لما [ذا - ٣] تنظر القذى الذى فى عين أخيك و لا تفطن[4] بالخشبة التى فى عينك ، و كيف تقول لأخيك : دعنى أخرج القذى من عينك . و فى عينك[5] [خشبة - [6]] ، يا مرائى ! أخرج أولا الخشبة من عينك و حينئذ تنظر أن تخرج القذى من عين أخيك ، لا تعطوا القدس للكلاب[7] ، و لا تلقوا جواهركم أمام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها و ترجع فتزمنكم[8] ،

(١) فى م : اصبغها (٢) فى م : الكنت - كذا (٣) زيد من مد (٤) فى ظ : يفطن . و العبارة من «هل يستطيع» إلى هنا كانت مقدمة فى الأصل على «و قال لوقا : و لا تحبوا» و لم تكن مستقيمة فوضعناها على ما هى فى م و مد و ظ (٥) ليس فى م . و فى مد : عينى (٦) زيد من مد و ظ (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الكلاب (٨) من م و مد ، و فى الأصل : فتزنكم ، و فى ظ : فترمنكم ؛ من وزم يزم فلانا بفيه : عضه عضة خفيفة .

سلوا تعطوا ، اطلبوا تجدوا ، اقرعوا يفتح لكم . [1]لأن كل[1] من يطلب يجد ، [و من سأل يعط -[2]] و من يقرع يفتح له ، أيّ إنسان منكم يسأله ابنه خبزا فيعطيه حجرا ! أو يسأله سمكة[3] فيعطيه حية ! فاذا كنتم أنتم الأشرار تعرفون تمنحون العطايا الصالحة لأبنائكم فكم بالحرى أبوكم الذي فى السماوات يعطى الخيرات لمن[4] يسأله ! و كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوه أنتم بهم ؛ فهذا هو الناموس و الأنبياء .

قال لوقا : و زوال السماء و الأرض أسهل من أن يبطل من الناموس حرف واحد ؛ و قال أيضا و قال لهم مثلا[5] : لكى يصلوا كل حين و لا يملوا ؛ قال : كان قاض[6] فى مدينة لا يخاف الله / تعالى و لا ٢٧٠/ يستحيي من الناس[7] و كان فى تلك المدينة أرملة و كانت تأتى إليه و تقول : أنصفنى من خصمى ، و لم يكن يشاء[8] إلى زمان ، و بعد ذلك قال فى نفسه : إن كنت لا أخاف الله سبحانه و تعالى و لا أستحيي من الناس لكن من أجل هذه المرأة أحكم لها و لا تعود تعنفنى و تأتى إلىّ فى كل حين لتتعبنى[9] ! قال الرب سبحانه و تعالى : اسمعوا ما قال قاضى الظلم ،

(١-١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لكل (٢) زيدت من م و ظ و مد .
(٣) فى الأصل : سمك . و التصحيح من م و مد و ظ (٤) فى م : لكل من .
(٥) ليس فى مد (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : قاضى (٧) فى ظ : الباس (٨) فى الأصل : شيئا . و التصحيح من م و مد و ظ (٩) من ظ ، و وقع فى الأصل و م و مد : لتتبعنى - مصحفا .

أفليس الله أحرى أن ينتقم لمختاريه[1] الذين يدعونه النهار[2] و الليل ! نعم أقول لكم إنه ينتقم لهم سريعا .

و قال متى : ادخلوا من الباب الضيق ، فإن المسلك واسع ، و الطريق المؤدية إلى الهلاك رحبة ، و الداخلين[3] فيها كثير هم ، ما أضيق الباب و أكرب الطريق التى تؤدى إلى الحياة[4] ! و قليل هم الذين يجدونها ، ٥ احذروا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم[5] بلباس الحملان و داخلهم ذئاب[6] خطفة ، و من ثمارهم فاعرفوهم ، هل يجمع من الشوك عنب و من العوسج تين ! هكذا كل شجرة[7] [صالحة -[8]] تخرج ثمرة جيدة ، و الشجرة الرديئة تخرج ثمرة شريرة ؛ لا تقدر[9] شجرة صالحة تخرج[10] ثمرة شريرة ، و لا شجرة رديئة تخرج ثمرة جيدة . ١٠

و قال لوقا : و كل شجرة تعرف من ثمرتها[11] ليس يجمع من الشوك تين ، و لا يقطف من العليق عنب ، الرجل الصالح من الذخائر التى[12] فى قلبه يخرج الصالحات ، و الشرير من ذخائره الشريرة يخرج الشر ، لأن من فضل ما فى القلب ينطق الفم .

---

(١) زيد فى ظ : الدين (٢) فى مد : النار ، و فى م : النها - كذا (٣) فى مد : الداخلون (٤) فى الأصل : الكياة ، و التصحيح من م و مد و ظ (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ياتوكم (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ذباب . (٧) فى م : ثمرة (٨) زيد من م و ظ و مد (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا يقدر (١٠) زيد فى مد : من ثمرتها (١١) فى ظ : ثمرها (١٢) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : التجا - كذا .

و قال متى : و كل شجرة لا تثمر ثمرة جيدة تقطع و تلقى فى النار ؛ فمن ثمارهم تعرفونهم ؛ ليس كل من يقول : يا رب ! يا رب ! يدخل ملكوت السماوات ، لكن الذى يعمل إرادة الذى فى السماوات أى أمره ، كثيرون يقولون لى فى ذلك اليوم : يا رب ! يا رب ! أليس باسمك تنبأنا[1] و باسمك أخرجنا الشياطين و باسمك صنعنا آيات كثيرة ! فحينئذ أعترف لهم أنى ما أعرفكم قط ، اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم .

و قال لوقا : فقال له واحد : يا رب ! قليل هم الذين ينجون ! فقال : احرصوا على الدخول من الباب الضيق . فانى أقول لكم إن كثيرا يريدون الدخول منه فلا يستطيعون ، فاذا قام رب البيت يغلق الباب فعند ذلك يقفون خارجا و يقرعون الباب و يقولون : يا رب ! يا رب ! افتح لنا ، فيجيب : لا أعرفكم ، من أين أنتم ؟ فيقولون : أكلنا قدامك و شربنا ، فيقول : ما[2] أعرفكم ، من أين أنتم ؟ تباعدوا عنى بأعمال الظلم ؛ هناك يكون البكاء و صرير الأسنان .

قال متى : كل من يسمع كلماتى هذه و يعمل بها يشبه رجلا عاقلا بنى بيته على الصخرة .

و قال لوقا : بنى بيتا[3] و حفر و عمق و وضع الأساس على صخرة ، فنزل المطر وجرت الأنهار و هبت الرياح و ضربت ذلك البيت فلم يسقط ، لأن أساسه ثابت على الصخرة ، و كل من يسمع كلماتى هذه

(١) فى الأصل : تبنيانا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٢) فى م : لا (٣) فى الأصل : بنيا ، و التصحيح من م و ظ و مد .

و لا

و لا يعمل بها يشبه رجلا جاهلا بنى بيته على الرمل ، فنزل المطر و جرت الأنهار و هبت الرياح و ضربت ذلك البيت فسقط و كان سقوطه عظيما. و كان لما أكمل يشوع [1] هذه الكلمات بهت الجميع من تعليمه ، لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان و ليس كمثل كُتابهم .

و فيه مما يمتنع إطلاقه فى شرعنا لفظ الأب و الرب و سيأتى فى آل عمران ما يشفى العليل [2] فى تأويل مثل ذلك على تقرير صحته . و كل ما ورد من وصف الأنبياء بالكذبة فالمراد به المدعى للنبوة كذبا .

و لما تقدم أن الله سبحانه و تعالى أرسل رسلا و أنزل معهم كتبا ، و أنهم تعبوا و مستهم البأساء و الضراء و زلزلوا حتى جمعوا الناس على الحق ، و أن أتباعهم اختلفوا بعد ما جاءتهم البينات كان مما يتوجه [3] النفس للسؤال عنه سبب اختلافهم ؛ فبين أنه مشيئته سبحانه و تعالى لا غير إعلاما بأنه الفاعل المختار فكان التقدير : و لو شاء الله سبحانه و تعالى لساوى بين الرسل فى الفضيلة ، و لو شاء لساوى بين أتباعهم فى قبول ما أتوا به فلم يختلف عليهم اثنان ، و لكنه لم يشأ ذلك فاختلفوا عليهم و هم [4] يشاهدون البينات ؛ و عطف عليه قوله [5] تسلية لنبيه صلى الله عليه و سلم [6] لافتا القول إلى التعبير بالجلالة إشارة إلى أن الاختلاف

(١) هكذا فى الأصل و م ، و فى مد : شيوع ، و فى ظ : سيوع (٢) فى م و ظ و مد : الغليل (٣) فى م و مد : تتوجه (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لم .
(٥) العبارة من هنا إلى « بالجلالة » ليست فى مد (٦) العبارة من هنا إلى « الجلال و الجمال » ليست فى ظ .

/٢٧١/ / مع دلالة العقل على أنه لا خير فيه شاهد للخالق بجميع صفات الجلال و الجمال ﴿ و لو شآء الله ﴾ أى الذى له جميع الأمر . قال الحرالى : و هى كلمة جامعة قرآنية محمدية تشهد الله وحده و تمحو عن الإقامة ما سواه - انتهى . ﴿ ما اقتتل ﴾ أى ما تكلف القتال[1] مع أنه مكروه للنفوس ٥ ﴿ الذين من بعدهم ﴾ لاتفاقهم على ما فارقوا عليه نبيهم من الهدى . قال الحرالى : فذكر الاقتتال الذى إنما يقع بعد فتنة المقال بعد فتنة الأحوال بالضغائن[2] و الأحقاد بعد فقد السلامة[3] بعد فقد الوداد بعد فقد المحبة [الجامعة -[4]] للأمة مع نبيها - انتهى ﴿ من بعد ما جآءتهم البينت ﴾ أى على أيدى رسلهم . قال الحرالى : فيه إيذان بأن الوسائل و الأسباب ١٠ لا تقتضى آثارها[5] إلا بامضاء كلمة الله فيها - انتهى .[6] ﴿ و لكن اختلفوا ﴾ لأنه سبحانه و تعالى لم يشأ اتفاقهم على الهدى[6] ﴿ فمنهم ﴾ أى فتسبب عن اختلافهم أن كان منهم ﴿ من اٰمن ﴾ أى ثبت على ما فارق عليه نبيه[7] حسبما دعت إليه البينات فكان إيمانه هذا هو الإيمان فى الحقيقة لأنه أعرق[8] فى أمر[9] الغيب ﴿ و منهم من كفر ﴾ ضلالا ١٥ عنها أو عنادا .

و لما كان [من -[4]] الناس من أعمى الله قلبه فنسب أفعال المختارين

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لقتال (٢) فى ظ : بالصغائر (٣) فى ظ و مد : السلام (٤) زيد من م و مد و ظ (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ايثارها (٦ - ٦) ليست فى ظ (٧) فى الأصل : بنيه ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) من ظ و مد . و فى الأصل و م : اغرق (٩) فى م : علم .

من الخلق إليهم استقلالا قال تعالى معلما أن الكل بخلقه تأكيدا لما مضى من ذلك [1]معيدا ذكر الاسم الأعظم إشارة إلى عظم الحال فى أمر القتال الكاشف لمن باشره فى ضلال عن أقبح الخلال[1] : ﴿ ولو شآء الله ﴾[2] [1]الذى لا كفوء له[1] ﴿ما اقتتلوا قف[3]﴾ بعد اختلافهم بالإيمان والكفر ، [4]و كرر الاسم الأعظم زيادة فى الإعلام بعظم[5] المقام ٥ ﴿ ولكن الله ﴾ أى بجلاله و عز[6] كماله شاء اقتتالهم فانه ﴿ يفعل ما يريد ﴾ فاختلفوا و اقتتلوا طوع[7] مشيئته على خلاف طباعهم و ما يناقض ما عندهم من العلم و الحكمة .

و لما كان الاختلاف على الأنبياء سببا للجهاد الذى هو حظيرة الدين و كان عماد [الجهاد ـ[8]] النفقة أتبع ذلك قوله رجوعا إلى ١٠ أول السورة من هنا إلى آخرها[9] و إلى التأكيد بلفظ الأمر لما تقدم الحث عليه من أمر النفقة : ﴿ يآيها الذين [1]منوآ[1] ﴾ أى أقروا بألسنتهم

(١-١) ليست فى ظ (٢) زيد فى مد : أى (٣) قيل : الجملة كررت توكيدا للأولى ـ قاله الزمخشرى ، و قيل : لا توكيد لاختلاف المشيئتين ، فالأولى و لو شاء الله أن يحول بينهم و بين القتال بأن يسلبهم القوى و العقول ، و الثانية و لو شاء الله أن يأمر المؤمنين بالقتال و لكن أمر و شاء أن يقتتلوا ـ البحر المحيط ٢/٢٧٤ (٤) العبارة من هنا إلى « بعظم المقام » ليست فى ظ (٥) فى م : بحسب . (٦) فى مد : عن (٧) فى ظ : طلوع ـ كذا (٨) زيد من م و ظ و مد (٩) فى الأصل : آخره ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٠) مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه لما ذكر أن الله تعالى أراد الاختلاف إلى مؤمن و كافر و أراد الاقتتال =

بالإيمان ﴿ انفقوا ﴾ تصديقا لدعواكم فى جميع أبواب الجهاد الأصغر و الأكبر و لا تبخلوا فأى داء[1] أدوأ من البخل " و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون[2] " .

و لما أمر[3] بذلك هونه عليهم بالإعلام بأنه له لا لهم فقال :

٥ ﴿ مما ﴾ [4]أى الشيء الذى ورد القول إلى مظهر العظمة حثا على المبادرة إلى[5] امتثال الأمر و تقبيحا بحال من أبطأ عنه فقال : ﴿ رزقنكم ﴾

= و أمر به المؤمنين و كان الجهاد يحتاج صاحبه إلى الإعانة عليه أمر تعالى بالنفقة من بعض ما رزق فشمل النفقة فى الجهاد وهى و إن لم ينص عليها مندرجة فى قوله " انفقوا " و داخلة فيها دخولا أوليا إذ جاء الأمر بها عقب ذكر المؤمن و الكافر و اقتتالهم ، قال ابن جريج و الأكثرون : الآية عامة فى كل صدقة واجبة أو تطوع ، و قال الحسن : هي فى الزكاة و الزكاة منها جزء للجاهدين ، و قاله الزمخشرى ، قال : أراد الإنفاق الواجب لاتصال الوعيد به " من قبل ان يأتى يوم " لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الإنفاق لأنه " لا بيع فيه " حتى تبتاعوا ما تنفقونه " و لا خلة " حتى تسامحكم أخلاؤكم به ، و إن أردتم أن يحط عنكم ما فى ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم فى حط الواجبات لأن الشفاعة ثم فى زيادة الفضل لا غير ، " و الكفرون هم الظلمون " أراد و التاركون الزكاة هم الظالمون فقال : و الكافرون - للتغليظ ، كما قال فى آخر آية الحج " و من كفر " مكان : و من لم يحج ، و لأنه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار فى قوله " و ويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة " ؛ انتهى كلامه = البحر المحيط ٢/٢٧٥ .

(١) فى مد : اودواء (٢) سورة ٥٩ آية ٩ (٣) فى ظ : أمرهم (٤) العبارة من هنا إلى « فقال » ليست فى م و ظ (٥) فى مد : على .

[1]بما لنا من العظمة[1] ، و جزم هنا بالأمر لأنه لما رغب فى النفقة من أول السورة إلى هنا مرة بعد أخرى فى أساليب متعددة صارت دواعى العقلاء فى درجة القبول لما تندب إليه من أمرها و إن كان الخروج عما فى اليد فى غاية الكراهة إلى النفس ؛ [2]و صرف الأمر بالتبعيض إلى الحلال الطيب، فمنع احتجاج المعتزلة بها[3] فى أن الرزق لا يكون إلا حلالا ٥ لكونه مأمورا به ، و أتبعه بما يرغب و يرهب من حال يوم التناد الذى[4] تنقطع فيه الأسباب التى أقامها سبحانه و تعالى فى هذه الدار فقال: ﴿ من قبل ان ياتى يوم ﴾ موصوف بأنه ﴿ لا بيع فيه ﴾ موجود ﴿ و لا خلة ﴾ قال الحرالى[5]: هى مما منه المخالة و هى المداخلة فيما يقبل التداخل حتى[6] يكون كل واحد خلال الآخر ، و موقع معناها الموافقة ١٠ فى وصف[7] الرضى و السخط ، فالخليل من رضاه رضى خليله و فعاله من فعاله - انتهى . ﴿ و لا شفاعة ط ﴾ و المعنى أنه لا يفدى فيه أسير[8] بمال ، و لا يراعى لصداقة من مساو[9] و لا شفاعة من كبير ، لعدم إرادة الله

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) العبارة من هنا إلى « مأمورا به » ليست فى ظ .
(٣) ليس فى م (٤) فى ظ : التى (٥) قال أبو حيان الأندلسى : الخلة الصداقة كأنها تتخلل الأعضاء أى تدخل خلالها و الخلة الصديق قال الشاعر :

وكان لها فى سالف الدهر خلة يسارق بالطرف الخباء المسترا

(٦) زيد فى الأصل و مد « لا » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها .
(٧) فى الأصل : وفق ، و التصحيح من م و ظ و مد (٨) هكذا فى م و مد ، و فى ظ : امير (٩) فى الأصول : مساوى .

سبحانه و تعالى لشيء من ذلك و لا يكون إلا ما يريد ؛ و فى الآية التفات شديد[1] إلى أول السورة حيث وصف المؤمنين [2]بالإنفاق مما رزقهم و الإيقان بالآخرة ، و بيان لأن المراد بالإنفاق أعم من الزكاة[2] و أن ذلك يحتمل جميع وجوه الإنفاق من جميع المعادن[3] و الحظوظ التى تكسب المعالى و تنجى من المهالك[4] ، و سيأتى فى الآيات الحاثة على النفقة ما يرشد إلى ذلك كقوله تعالى "ان تبدوا الصدقت[5]" / و غيرها. /٣٧٣

و قال الحرالى : فانتظم هذا الانتهاء فى الخطاب بما فى ابتداء السورة من "الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلوٰة ـ إلى قوله : المفلحون" فلذلك وقع بعد هذا الانتهاء افتتاح آية هى سيدة آى هذه السورة[6] المنتظمة بأولها انتظاما معنويا برأس "الٓمٓ ذلك الكتٰب" فكان فى إشارة هذا الانتظام توطئة لما أفصح به الخطاب فى فاتحة سورة آل عمران ، لما ذكر من أن القرآن مثانى إفهام و حمد . فكان أوله حمدا و آخره حمدا ينثنى ما بين الحمدين على أوله ، كما قال « حمدنى عبدى ، أثنى علىّ عبدى » فجملته حمد و تفاصيله[7] ثناء - انتهى .

و لما حث سبحانه و تعالى على الإنفاق ختم الآية بذم الكافرين لكونهم لم يتحلوا بهذه الصفة لتخليهم من الإيمان و بعدهم عنه[8] و تكذيبهم

(١) فى ظ : شديدة (٢ - ٢) ليست فى م (٣) من ظ ، وفى م : المعازف ، وفى الأصل و مد : المعاون (٤) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : الهالك (٥) سورة ٢ آية ٢٧١ (٦) فى م : السورة (٧) فى الأصل : تفاضله ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) فى م و ظ و مد : منه .

بذلك اليوم فهم لا ينفقون لخوفه و لا رجائه فقال بدل - و لا نصرة لكافر ١ : ﴿ و الكٰفرون ٢ ﴾ أى المعلوم كفرهم فى ذلك اليوم ، و هذا العطف يرشد إلى أن التقدير : فالذين آمنوا يفعلون ما أمرناهم به لأنهم المحقون ، و الكافرون ﴿ هم ﴾ المختصون بأنهم ﴿ الظٰلمون ٥ ﴾ أى الكاملون فى الظلم لا غيرهم ، و من المعلوم أن الظالم خاسر و أنه مخذول ٥ غير منصور ، لأنه يضع الأمور فى غير مواضعها ، و من كان كذلك لا يثبت له أمر و لا يرتفع له شأن بل هو دائما على شفا جرف هار ، و لأجل ذلك يختم سبحانه و تعالى كثيرا من آياته بقوله " و ما للظٰلمين من انصار " فقد انتفى بذلك جميع أنواع الخلاص المعهودة ٣ فى الدنيا فى ذلك اليوم من الافتداء بالمال و المراعاة لصداقة أو عظمة ذى شفاعة ١٠ أو نصرة بقوة .

و لما ابتدأ سبحانه و تعالى الفاتحة كما مضى بذكر الذات ، ثم ٤ تعرف بالأفعال لأنها مشاهدات ، ثم رقى الخطاب إلى التعريف بالصفات ، ثم أعلاه رجوعا إلى الذات للتأهل للمعرفة ابتدأ هذه السورة بصفة الكلام لأنها أعظم المعجزات و أبينها و أدلها على غيب الذات و أوقعها ١٥

(١) فى مد : الكافر (٢) قال عطاء بن دينار : الحمد لله الذى قال " و الكٰفرون " و لم يقل : و الظالمون هم الكافرون ، و لو نزل هكذا لكان قد حكم على كل ظالم و هو من يضع الشىء فى غير موضعه بالكفر ، فلم يكن ليخلص من الكفر كل عاص إلا من عصمه الله من العصيان - البحر المحيط ٢/٢٧٦ (٣) من م و ظ و مد ، و فى : الأصل المعهود (٤) فى الأصل : انتم ، و التصحيح من م و مد و ظ .

فى النفوس لا سيما عند العرب ، ثم تعرف بالأفعال فأكثر منها ، فلما لم يبق[1] لبس[2] أثبت الوحدانية بآيتها السابقه مخللا[3] ذلك بأفانين الحكم و محاسن الأحكام و أنواع الترغيب و الترهيب فى محكم الوصف و الترتيب فلما تمت الأوامر و هالت تلك الزواجر [و تشوقت الأنفس - ٤]
٥ و تشوفت الخواطر إلى معرفة سبب انقطاع الوصل بانبتار الأسباب و انتفاء الشفاعة فى ذلك اليوم ، إذ كان المألوف من ملوك الدنيا أنهم لا يكادون يتمكنون من أمر من الأمور حق التمكن من كثرة الشفعاء و الراغبين من الأصدقاء ، إذ كان الملك منهم لا يخلو مجلسه قط عن جمع كل منهم صالح للقيام[5] مقامه و لو خذله أو وجه إليه مكره[6]
١٠ ضعضع أمره و فتّ[7] فى عضده فهو محتاج إلى مراعاتهم و استرضائهم و مداراتهم ؛ بين سبحانه و تعالى صفة الآمر بما هو عليه من الجلال و العظمة و نفوذ الأمر و العلو عن الضد و التنزه عن الكفر و الند و التفرد بجميع الكمالات و الهيبة المانعة بعد انكشافها هناك أتم انكشاف لأن تتوجه[8] الهمم لغيره و أن تنطق بغير إذنه و أن يكون غير ما يريد
١٥ ليكون ذلك أدعى إلى قبول أمره و الوقوف عند نهيه و زجره ، و لأجل هذه[9] الأغراض[10] ساق الكلام مساق جواب السؤال[11] فكأنه

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لم يبقى - كذا (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ليس (٣) من م و مد . و فى الأصل : مخللام ، و فى ظ : مخدلا . (٤) زيد من م و ظ و مد (٥) فى مد : للقام (٦) فى م : بكره (٧) فى الأصل : وقت ، و التصحيح من م و ظ و مد (٨) فى ظ : يتوجه (٩) فى الأصل : هذا ، والتصحيح من م و مد و ظ (١٠) فى الأصل : الاعراض ، و التصحيح من م و ظ و مد (١١) من م و ظ ، و فى الأصل : كسوال ، و فى مد : لسوال .

قيل

قيل: هذا ما لا يعرف من أحوال الملوك فمن الملك فى ذلك اليوم؟ فذكر آية الكرسى [سيدة - ١] آى القرآن التى ما اشتمل كتاب على مثلها مفتتحا لها بالاسم العلم الفرد الجامع الذى لم ٢يتسم به ٢ غيره، و ذلك لما تأهل السامع بعد التعرف بالكلام و التودد بالأفعال لمقام المعرفة فترقى إلى ٣أوج المراقبة ٣ و حضرة المشاهدة فقال ٤عائدا إلى ٥ مظهر الجلال الجامع لصفات الجلال و الإكرام لأنه من أعظم مقاماته: ﴿ الله ٥ ﴾ أى هو الملك فى ذلك اليوم ثم أثبت له صفات الكمال

(١) زيد من م و ظ و مد (٢-٢) فى الأصل: يقسم له، والتصحيح من م و مد و ظ (٣-٣) فى الأصل: اوجه المراتبة، والتصحيح من م و ظ و مد (٤) العبارة من هنا إلى « مقاماته » ليست فى م و ظ (٥) ورد أن سيد الكلام القرآن، و سيد القرآن البقرة، و سيد البقرة آية الكرسى؛ و فضلت هذا التفضيل لما اشتملت عليه من توحيد الله و تعظيمه و ذكر صفاته العلى و لا مذكور أعظم من الله فذكره أفضل من كل ذكر ..... و مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر أنه فضل بعض الأنبياء على بعض و أن منهم من كلمه و فسر بموسى عليه السلام و أنه رفع بعضهم درجات و فسر بمحمد صلى الله عليه و سلم، و نص على عيسى عليه السلام، و تفضيل المتبوع يفهم منه تفضيل التابع، و كانت اليهود و النصارى قد أحدثوا بعد نبيهم بدعا فى أديانهم و عقائدهم و نسبوا الله تعالى إلى ما لا يجوز عليه، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم بعث إلى الناس كافة فكان منهم العرب و كانوا قد اتخذوا من دون الله آلهة و أشركوا فصار جميع الناس المبعوث إليهم صلى الله عليه و سلم على غير استقامة فى شرائعهم و عقائدهم و ذكر تعالى أن الكافرين هم الظالمون و هم الواضعون الشىء غير مواضعه؛ أتى بهذه الآية العظيمة الدالة على إفراد الله بالوحدانية والمتضمنة صفاته العلى =

منزها عن شوائب النقص مفتتحا لها بالتفرد فقال[١] : ﴿ لا اله الا هو ج ﴾ مقررا لكمال التوحيد ، فانه المقصود الأعظم من جميع الشرائع و لكن الإنسان لما جبل عليه من النقصان لا بد [له - ٢] من ترغيب يشده و ترهيب يرده و مواعظ ترققه و أعمال تصدقه و أخلاق تحققه ، فخلل سبحانه و تعالى أى التوحيد بالأحكام و القصص ، و الأحكام[٣] تفيد الأعمال الصالحة فترفع أستار الغفلة / عن عيون[٤] القلوب و تكسب الأخلاق الفاضلة لتصقل الصدأ عن مرائى النفوس فتتجلى[٥] فيها حقائق التوحيد ، و القصص تلزم بمواعظها و اعتباراتها بالأحكام و تقرر دلائل المعارف فيرسخ التوحيد ؛ و كان هذا التفصيل لأنه أنشط للنفس بالانتقال من نوع إلى آخر مع الهز بحسن النظم و بلاغة التناسب و الإلهاب ببداعة الربط و براعة التلاحم . و قال الحرالى : لما أتى بالخطاب[٦] على بيان جوامع من معالم الدين و جهات الاعتبار و بيان أحكام الجهاد

/٢٧٣

= من الحياة و الاستبداد بالملك و استحالة كونه محلا للحوادث و ملكه لما فى السماوات و الأرض و امتناع الشفاعة عنده إلا باذنه و سعة علمه و عدم إحاطة أحد بشىء من علمه إلا بارادته و باهر ما خلق من الكرسى العظيم الاتساع و وصفه بالمبالغة فى العلو و العظمة إلى سائر ما تضمنته من أسمائه الحسنى و صفاته العلى نبههم بها على العقيدة الصحيحة التى هى محض التوحيد و على طرح ما سواها - البحر المحيط ٢ / ٢٧٧ .

(١) ليس فى ظ (٢) زيد من م و ظ و مد (٣) فى م و مد : فالأحكام (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عيوب (٥) فى م : فتتحلى (٦) فى مد و ظ : الخطاب .

و الإنفاق فيه فتم الدين بحظيرته[١] معالم إسلام و شعائر إيمان و لمحة إحسان [٢] أعلى تعالى الخطاب إلى بيان أمر الإحسان [٢] كما استوفى البيان فى أمر الإيمان و الإسلام فاستفتح[٣] هذا الخطاب العلى الذى يسود كل خطاب ليعلى به الذين آمنوا فيخرجهم به من ظلمة الإيمان بالغيب الذى نوره يذهب ظلمة الشك و الكفر إلى صفاء ضياء الإيقان الذى يصير ٥ نور[٤] الإيمان بالإضافة إليه ظلمة كما يصير نور القمر عند ضياء الشمس ظلمة؛ فكانت نسبة هذه الآية[٥] من آية الإلهية فى قوله سبحانه و تعالى "و الهكم اله واحد" [٦] و ما بعدها من الاعتبار فى خلق السماوات و الأرض[٦] نسبة ما بين علو اسمه الله الذى لم[٧] يقع فيه شرك[٨] بحق و لا بباطل إلى اسمه الإله[٧] الذى وقع فيه الشرك بالباطل فينقل تعالى ١٠ المؤمنين الذين[٧] استقر لهم إيمان الاعتبار بآية "و الهكم اله واحد" و ما بعدها من الاعتبار فى خلق السماوات و الأرض إلى يقين[٩] العيان باسمه "الله" و ما يلتئم[١٠] بمعناه من أوصافه العظيمة - انتهى .

و لما وحّد[١١] سبحانه و تعالى نفسه الشريفة أثبت استحقاقه لذلك بحياته و بين أن المراد بالحياة الأبدية بوصف[١٢] القيومية[١٣] فقال: ١٥

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بحظرته (٢ - ٢) ليست فى م (٣) فى م : فافتتح (٤) فى م : نوره (٥) زيد فى م : الالهية (٦ - ٦) ليست فى م و مد و ظ. (٧) ليس فى م (٨) فى م : شركة (٩) فى الأصل : تعين ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٠) فى م : تلتئم (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : وجد (١٢) فى مد : بوصفه (١٣) فى م : القيومة .

﴿ الحى ﴾ [أى الذى له الحياة و هى صفة توجب صحة العلم و القدرة أى الذى يصح أن يعلم و يقدر[١]] ﴿ القيوم[٢] ﴾ أى القائم بنفسه المقيم[٣] لغيره على الدوام على أعلى ما يكون من القيام و الإقامة[٤] . قال الحرالى: فيعول زيدت فى أصوله الياء ليجتمع فيه لفظ ما هو من معناه الذى هو القيام بالأمر مع واوه التى هى من قام يقوم فأفادت صيغته من المبالغة ما فى القيام و القوام على حد ما تفهمه معانى الحروف عند المخاطبة بها من أئمة العلماء [٥]الواجين فى[٥] مدينة العلم المحمدى من بابه العلوى - انتهى .

ثم بين قيوميته و كمال حياته بقوله: ﴿ لا تاخذه سنة ﴾ قال الحرالى[٦]: هى مجال النعاس فى العينين قبل أن يستغرق[٧] الحواس و يخامر القلب ﴿ و لا نوم ط ﴾ [٨]و هو ما وصل[٨] من النعاس[٩] إلى القلب فغشيه

---

(١) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد و ظ و قد انتهت فى م و مد إلى « و القدرة » ، و ابتدأت فى ظ من « أى الذى يصح » (٢) هكذا فى م و مد و ظ ، وأخره فى الأصل عن « والإقامة » (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : القيم (٤) و قرأ ابن مسعود و ابن عمر و علقمة و النخعى و الأعمش : القيّام ، و قرأ علقمة أيضا : القيم ، كما تقول : ديور و ديار .... و معناه أنه قائم على كل شىء بما يجب له ، بهذا فسره مجاهد والربيع و الضحاك - البحر المحيط ٢/٢٧٧ (٥-٥) فى الأصل : الواى من ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) قال أبو حيان الأندلسى فى المد من البحر ٢/٢٧٧ : يقال وسن سنة و وسنا ، و المعنى أنه تعالى لا يغفل عن دقيق و لا جليل ، عبر بذلك عن الغفلة لأنه سببها ... أولا تحله الآفات و لا العاهات المذهلة عن حفظ المخلوقات (٧) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : تستغرق (٨-٨) فى الأصل : هو ماصل ، و التصحيح من م و ظ و مد (٩) زيد فى م : فى العينين .

فى

فى حق من ينام قلبه و ما استغرق الحواس فى حق من لا ينام قلبه - انتهى ، و لما عبر بالأخذ الذى هو بمعنى القهر و الغلبة وجب تقديم ١ السنة ، كما لو قيل : فلان لا يغلبه أمير و لا سلطان ؛ ثم بين هذه الجملة بقوله : ﴿ له ﴾ أى بيده و فى تصرفه و اختصاصه ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ الذى من جملته الأرض ﴿ و ما فى الارض ط ﴾ أى من السنة و النوم ٥ و غيرهما ٢ إبداعا و دواما و ما هو فى قبضته و تصرفه لا يغلبه . قال الحرالى : و سلب بالجملة الأولى أمر الملكوت من أيدى الملائكة إلى قهر جبروته و الآثار من نجوم الأفلاك إلى جبره ، و سلب بالجملة الثانية الآثار و الصنائع من أيدى خليفته ٣ و خليقته إلى قضائه و قدره و ظهور قدرته ، فكان هذا الخطاب بما أبدى للفهم إقامة قيامه على ١٠ مجعول الحكمة الأرضية و السمائية التى هى حجاب قيوميته سلبا لقيام ما سواه - انتهى .

ثم بين ما تضمنته هذه الجملة بقوله منكرا على من ربما توهم أن شيئا يخرج عن أمره فلا يكون مختصا به ﴿ من ذا الذى يشفع ﴾ أى مما ادعى الكفار ٤ شفاعته و غيره ﴿ عنده الا باذنه ط ﴾ أى بتمكينه لأن ١٥

(١) فى م : تقدم (٢) فى ظ : غيرها (٣) فى الأصل : خليقته - كذا (٤) كان المشركون يزعمون أن الأصنام تشفع لهم عند الله و كانوا يقولون " ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى " وفى هذه الآية أعظم دليل على ملكوت الله و عظم كبريائه بحيث لا يمكن أن يقدم أحد على الشفاعة عنده إلا باذن منه تعالى كما قال تعالى " لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن " و دلت الآية على وجود الشفاعة باذنه تعالى و الإذن هنا معناه الأمر كما ورد : اشفع تشفع ، أو العلم أو التمكين إن شفع أحد بلا أمر - البحر المحيط ٢/٢٧٨ .

من لم يقدر أحد على مخالفته كان من البيّن[1] أن كل شيء فى قبضته، و كل ذلك دليل على تفرده بالإلهية . قال الحرالى : و حقيقة الشفاعة وصلة بين الشفيع و المشفوع له لمزية وصلة بين الشفيع و المشفوع عنده ، فكان الإذن فى باطن الشفاعة حظا من سلب ما للشفعاء ليصير بالحقيقة إنما الشفاعة لله سبحانه و تعالى عند الله سبحانه و تعالى ، فهو سبحانه و تعالى بالحقيقة الذى شفع عند نفسه بنفسه ، فباخفائه تعالى شفاعته فى شفاعة الشفعاء كان هو الشفيع فى الابتداء من وراء حجاب لأن / إبداءه[2] كله فى حجاب و إعادته من غير حجاب ، فلذلك هو /٢٧٤ سبحانه و تعالى خاتم الشفعاء حيث يقول كما ورد فى الخبر « شفع الأنبياء و المرسلون[3] و لم يبق إلا الحى القيوم » انتهى . ثم بين جميع ما مضى بقوله : ﴿ يعلم ما بين ايديهم ﴾ أى ما فى الخافقين ممن ادعت شفاعته و غيرهم . قال الحرالى : أى ما أتاهم علمه من أمر أنفسهم و غيرهم، لأن ما بين يدى المرء يحيط به حسه ؛ و ما علمه أيضا فكأنه[4] بين يدى قلبه يحيط[5] به علمه ﴿ و ما خلفهم ح ﴾ و هو ما لم ينله علمهم ، لأن الخلف هو ما لا يناله الحس ، فأنبأ أن علمه من وراء علمهم محيط بعلمهم فيما علموا و ما لم يعلموا - انتهى[6] .

و لما بين قهره لهم بعلمه بين عجزهم عن كل شيء من علمه إلا ما

(١) فى م : المبين (٢) فى م و مد : ابداه - كذا ، و فى ظ : ابدا ، و فى الأصل : بداه (٣) فى الأصل : المرسلين ، و التصحيح من م و مد و ظ (٤) فى م : فكان (٥) فى ظ و مد : محيط (٦) ليس فى مد .

أفاض عليهم بحلمه فقال : ﴿ و لا يحيطون[1] بشيء ﴾ أى قليل و لا كثير ﴿ من علمه الا بما شآء ج ﴾ فبان بذلك ما سبقه ، لأن من كان شامل العلم و لا يعلم غيره إلا ما علمه كان كامل القدرة ، فكان كل شيء فى قبضته ، فكان منزها عن الكفوء متعاليا عن كل عجز و جهل ، فكان بحيث لا يقدر غيره أن ينطق إلا باذنه لأنه يسبب[2] له ما يمنعه مما لا يريده .

ثم بين ما فى هذه الجملة من إحاطة علمه و تمام قدرته بقوله مصورا لعظمته و تمام علمه و كبريائه و قدرته بما اعتاده الناس فى ملوكهم : ﴿ وسع كرسيه[3] ﴾ و مادة ' كرس ' تدور على القوة و الاجتماع و العظمة

(١) الإحاطة تقتضى الحفوف بالشيء من جميع جهاته و الاشتمال عليه ، و العلم هنا المعلوم لأن علم الله الذى هو صفة ذاته لا يتبعض كما جاء فى حديث موسى و الخضر : ما نقص علمى و علمك من علمه إلا كما نقص هذا العصفور من هذا البحر ، و الاستثناء يدل على أن المراد بالعلم المعلومات و قالوا : اللهم اغفر علمك فينا ، أى معلومك ، و المعنى : لا يعلمون من الغيب الذى هو معلوم الله شيئا إلا ما شاء أن يعلمهم - قاله الكلبى ، و قال الزجاج : إلا بما أنبأ به الأنبياء تثبيتا لنبوتهم - البحر المحيط ٢/ ٢٧٩ (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بسبب .
(٣) فى البحر المحيط ٢/٢٧٩ : قرأ الجمهور : وسع - بكسر السين ، و قرئ شاذا بسكونها ، و قرئ أيضا شاذا : وسع - بسكونها و ضم العين ، "و السمٰوٰت و الارض" بالرفع مبتدأ و خبرا . و الكرسى جسم عظيم يسع السماوات و الأرض . فقيل : هو نفس العرش - قاله الحسن ، و قال غيره : دون العرش و فوق السماء السابعة ، و قيل : تحت الأرض كالعرش فوق السماء - عن السدى ، و قيل : الكرسى موضع قدمى الروح الأعظم أو ملك آخر عظيم القدر ، =

و الكرس[1] الذى هو البول و البعر الملبد[2] مأخوذ من ذلك . و قال الأصفهانى : الكرسى ما يجلس عليه و لا يفضل عن مقعد القاعد[3] . و قال الحرالى : معنى الكرس هو الجمع ، فكل ما كان أتم جمعا فهو أحق بمعناه ، و يقال على المرقى للسرير الذى يسمى العرش الذى يضع الصاعد عليه قدمه إذا صعد و إذا نزل و حين يستوى إن شاء : كرسى ، ثم قال : و الكرسى فيه صور[4] الأشياء كلها كما بدت[5] آيته فى الأرض

= و قيل : السلطان و القدرة و العرب تسمى أصل كل شىء الكرسى ، وسمى الملك الكرسى لأن الملك فى حال حكمه و أمره و نهيه يجلس عليه فسمى باسم مكانه على سبيل المجاز ، قال الشاعر :

قد علم القدوس مولى القدس أن أبا العباس أولى نفس

فى معدن الملك القديم الكرسى

و قيل : الكرسى العلم لأن موضع العالم هو الكرسى ، سميت صفة الشىء باسم مكانه على سبيل المجاز ، و منه يقال للعلماء : كراسى ، لأنهم المعتمد عليهم ، كما يقال : أوتاد الأرض ، و منه الكراسة و قال الشاعر :

تحف بهم بيض الوجوه و عصبة كراسى بالأحداث حين تنوب

... و قال : هو الأصل المعتمد عليه ، قال المغربى : من تكرس الشىء تراكب بعضه على بعض و أكرسته أنا ، قال العجاج :

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال نعم أعرفه و أكرسا

(١) فى الأصل : الكراس ، و التصحيح من م و ظ و مد ، و فى قطر المحيط ١٨٣٨/٤ : و الكِرْس أيضا ما يبنى لطليان المعزى مثل بيت الحمام و الصاروج و البعر و البول المتلبد بعضه على بعض (٢) فى ظ : المبلد (٣) فى ظ : المقاعد . (٤) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : صورة (٥) فى م : بدات .

التى

التى فيها موجودات الأشياء كلها ، فما فى الأرض صورة إلا و لها فى الكرسى مثل ، فما فى العرش إقامته ففى الكرسى أمثلته ، و ما فى السماوات إقامته ففى الأرض صورته ، فكان الوجود مثنيا كما كان[1] القرآن مثانى إجمالا و تفصيلا[2] فى القرآن و مدادا و صورا فى الكون ، فجمعت هذه الآية العلية تفصيل المفصلات و انبهام صورة المداديات بنسبة ما بين السماء[3] و ما منه ؛ و جعل وسع الكرسى وسعا واحدا حيث قال : ﴿ السمٰوٰت و الارض ج ﴾ و لم يكن وسعان لأن[4] الأرض فى السماوات[4] و السماوات فى الكرسى و الكرسى فى العرش و العرش فى الهواء - انتهى[5] . فبان بذلك ما قبله لأن من كان بهذه العظمة فى هذا التدبير المحكم و الصنع المتقن كان بهذا العلم و هذه القدرة التى لا يثقلها شىء و لذا[6] قال : ﴿ و لا يئوده[7] ﴾ أى يثقله . قال الحرالى : من الأود أى

(١) زيد فى م فقط : فى (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تفضيلا - كذا . (٣) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : الماء (٤ - ٤) فى الأصل : السموات فى الارض ، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) و قال الزمخشرى : و فى قوله "وسع كرسيه" أربعة أوجه : أحدها أن كرسيه لم يضق عن السماوات و الأرض لبسطته و سعته و ما هو إلا تصوير لعظمته و تخييل فقط و لا كرسى ثمة و لا قعود و لا قاعد لقوله " و ما قدروا الله حق قدره و الارض جميعا قبضته يوم القيٰمة و السمٰوٰت مطويٰت بيمينه " من غير تصور قبضة وطى و يمين و إنما هو تخييل لعظمة شأنه و تمثيل حسى ، ألا ترى إلى قوله "و ما قدروا الله حق قدره " ؛ انتهى ما ذكره فى هذا الوجه - البحر المحيط ٢/ ٢٨٠ (٦) فى م : لذلك (٧) و قرئ شاذا بالحذف كما حذفت همزة أناس ، و قرئ أيضا : يوده =

بلوغ المجهود ذودا[١] ، و يقابله[٢] ياء من لفظ الأيد أى و هو القوة ، و أصل معناه و الله[٣] سبحانه و تعالى[٣] [أعلم - ٤] أنه لا يعجزه علو أيده و لذلك يفسره اللغويون بلفظة يثقله ﴿ حفظهما ج ﴾[٥] فى قيوميته كما يثقل غيره أو يعجزه حفظ ما ينشئه بل هو عليه يسير لأنه لو أثقله لا اختل أمرهما و لو يسيرا و لقدر[٦] غيره و لو يوما ما على غير ما يريده[٧] . و الحفظ قال الحرالى الرعاية لما هو متداع فى نفسه فيكون تماسكه بالرعاية له عما يوهنه أو يبطله - انتهى .[٨] و لما لم يكن علوه و عظمته بالقهر و السلطان و الإحاطة بالكمال منحصرا فيما تقدم عطف عليه قوله[٨] : ﴿ و هو ﴾ أى مع ذلك كله المتفرد بأنه ﴿ العلى ﴾ أى الذى لا رتبة إلا و هى منحطة عن رتبته ﴿ العظيم ه ﴾ كما أنبأ عن ذلك افتتاح الآية بالاسم العلم[٩] الأعظم الجامع لجميع معانى[١٠] الأسماء الحسنى علوا و عظمة تتقاصر عنهما الأفهام لما غلب عليها[١١] من الأوهام ؛ و نظم الاسمين هكذا دال على أنه أريد بالعظم علو الرتبة و بعد المنال عن إدراك

= بواو مضمومة على البدل من الهمزة ، أى لا يشقه و لا يثقل عليه - البحر المحيط ٢/٢٨٠ .

(١) من مد ، و فى ظ : ذوودا ، و فى م : زودا ، و فى الأصل : رودا (٢) زيد فى الأصول : يامن - كذا (٣-٣) ليس فى م و مد و ظ (٤) زيد من م و مد و ظ (٥) زيد فى م : أى (٦) فى الأصل : لو قدر ، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يريد (٨-٨) ليست فى م (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : العلى (١٠) فى ظ : معالى (١١) فى م : عليها .

العقول ، و قد ختمت الآية بما بدئت به غير أن بدأها بالعظمة كما قال الحرالى كان[1] باسم[2] " الله " إلاحة[3] و ختمها كان بذلك إفصاحا لما ذكر من أن الإبداء من وراء حجاب و الإعادة بغير حجاب ، كذلك تنزل القرآن ، مبدأ الخطاب إلاحة[4] و خاتمته إفصاح ليتطابق الوحى / و الكون ٢٧٥ / تطابق قائم و مقام " الا له الخلق و الامر " ، و لما فى العلو من الظهور ٥ و فى العظمة من الخفاء لموضع الإحاطة لأن العظيم هو ما يستغرق كما يستغرق الجسم العظيم جميع الأقطار " و له المثل الاعلى " و ذلك حين كان ظاهر العلو هو كبرياؤه الذى شهد به كبير خلقه ، قال سبحانه و تعالى فيما أنبأ عنه نبيه صلى الله عليه و سلم « الكبرياء ردائى » لأن الرداء هو ما على الظاهر « و العظمة إزارى » و الإزار ما ستر الباطن و الأسفل ، ١٠ فاذا فى السماء كبرياؤه و فى الأرض عظمته ، و فى العرش علوه و فى الكرسى عظمته ، فعظمته أخفى ما يكون حيث التفصيل ، و كبرياؤه و علوه أجلى ما يكون حيث الإبهام و الانبهام ؛ فتبين بهذا المعنى علو رتبة[5] هذه الآية بما علت على الإيمان علو الإيمان على الكفران ، و لما ألاحته للأفهام من قيوميته تعالى و علوه و عظمته و إبادة ما سواه فى ١٥ أن ينسب إليهم شىء لأنه سبحانه و تعالى إذا بدا باد ما سواه كان فى إلاحة هذه الآية العلية[6] العظيمة تقرير دين الإسلام الذى هو دين[7] الإلقاء[8] كما كان فيما تقدم من إيراد السورة تقرير[9] دين القيمة الذى

(١) فى م : كائن (٢) فى م و مد و ظ : باسمه (٣) فى ظ : الاخوة (٤) سقط من م (٥) فى ظ و مد : رتبه (٦) ليس فى م (٧) فى ظ : زين (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الابقاء (٩) فى م : تقديم ، و فى ظ : تقريره .

ما أمروا إلا ليعبدوا به مخلصين حنفاء و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة، و لذلك[١] كان ذكر دين الإسلام فى سورة الإفصاح بمعانى هذه السورة آل عمران إثر قوله "شهد الله انه لا اله الا هو" - انتهى . و قد علم من هذا التقرير أن كل جملة[٢] استؤنفت فهى علة لما قبلها و أن الأخيرة

٥ شارحة[٣] للازم العلم المحيط و هو القدرة التامة التى أقمت دليل لزومها فى طه، فمن ادعى شركة فليحفظ هذا الكون و لو فى عام من الأعوام و ليعلم بما هو فاعل فى ذلك العام ليصح قوله : و أنى له ذلك و أنى ! و اتضح بما تقرر[٤] له سبحانه و تعالى من العلو و العظمة أن الكافر به هو الظالم، و أن يوم تجليه للفصل لا تكون[٥] فيه شفاعة و لا خلة،

١٠ و أما البيع فهم عنه فى أشغل[٦] الشغل، و إن كان المراد به الفداء فقد علم أنه لا سبيل إليه و لا تعريج عليه ؛ و بهذه[٧] الأسرار اتضح[٨] قول

(١) فى م : كذلك (٢) و فى البحر المحيط ٢/٢٨١ : قال الزمخشرى : (فان قلت) كيف ترتبت الجمل فى آية الكرسى من غير حرف عطف ؟ (قلت) ما منها جملة إلا و هى واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه ، و البيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عطف لكان كما تقول العرب بين العصا و محانها ، فالأولى بيان لقيامه بتدبير الخلق و كونه مهيمنا عليه غير ساه عنه ، و الثانية لكونه مالكا لما يدبره ، و الثالثة لكبرياء شأنه ، و الرابعة لإحاطته بأحوال الخلق و علمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة و غير المرتضى ، و الخامسة لسعة علمه و تعلقه بالمعلومات كلها أو بجلاله و عظيم قدره - انتهى كلامه (٣) فى م : مشارحة (٤) فى ظ : تفرد (٥) فى ظ و مد : لا يكون (٦) فى م : شغل (٧) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : بهذا (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تضح .

السيد المختار صلى الله عليه و سلم : إن هذه الآية سيدة آى القران ، و ذلك لما اشتملت عليه من أسماء الذات و الصفات و الأفعال ، و نفى [١] النقص و إثبات الكمال ، و وفت [٢] به [٣] من أدلة التوحيد على أتم وجه فى أحكم نظام و أبدع أسلوب متمحضة [٤] لذلك ، فان [٥] فضل الذكر و العلم يتبع المذكور و المعلوم ؛ و قد احتوت على الصفات السبع : الحياة و العلم و القدرة [و الإرادة - [٦]] و الكلام صريحا ، فان الإذن لا يكون إلا بالكلام و الإرادة ، و على السمع و البصر من لازم " له ما فى السمٰوٰت و ما فى الارض " و من لازم " الحى " لأن المراد الحياة الكاملة ؛ و كررت فيها الأسماء الشريفة ظاهرة و مضمرة [٧] سبع عشرة [٧] مرة بل إحدى و عشرين ، و لم يتضمن هذا المجموع آية غيرها فى كتاب الله ، و هى خمسون كلمة على عدد [٨] الصلوات المأمور بها أولا فى تلك الحضرة السماء [٩] حضرة العرش و الكرسى فوق سدرة المنتهى ، و بعدد ما استقرت عليه من رتبة الأجر آخرا ، فكأنها مراقى لروح قارئها [١٠] إلى ذلك المحل الأسمى الذى هو [١١] آتيه [١٢] الذى تعرج الملائكة و الروح إليه فى يوم

(١) فى م : بنفى (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : وقت (٣) فى ظ : فيه .
(٤) فى مد : ممتحضه (٥) فى مد : قال (٦) زيد من م و ظ و مد (٧ - ٧) من م و مد ، و فى ظ : سبع عشر ، و فى الأصل : سبعة عشر (٨) فى م : حكم .
(٩) فى الأصل : الشحا ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٠) فى الأصل و ظ : قاريها ، و فى مد : قاربها - كذا ، و فى م : قاربها (١١) من ظ ، و فى بقية الأصول : هى (١٢) فى الأصل : اتية ، و فى م و مد و ظ : ايته .

كان مقداره خمسين ألف سنة ، و لعل هذا سر ما ثبت من أنه لا يقرب من يقرؤها عند النوم شيطان ، لأن من كان فى حضرة[١] الرحمن عال عن وساوس[٢] الشيطان - و الله سبحانه و تعالى الموفق .

[و - ٣] لما اتضحت الدلائل لكل عالم و جاهل صار الدين إلى حد[٤] لا يحتاج فيه منصف[٤] لنفسه إلى إكراه فيه فقال : ﴿ لآ اكراه فى الدين قف لا ﴾ و قال الحرالى : لما نقل سبحانه و تعالى رتبة الخطاب من حد خطاب الأمر و النهى و الحدود و ما ينبنى عليه المقام به دين القيمة الذى أخفى لهم أمر العظمة و الجبروت الجابر[٥] لأهل[٦] الملكوت و الملك فيما[٧] هم فيه مصرفون إلى علو رتبة دين الله المرضى الذى لا لبس[٨] فيه و لا حجاب عليه و لا عوج له ، و هو اطلاعه سبحانه و تعالى عبده على قيوميته الظاهرة بكل باد و فى كل باد و على كل باد و أظهر من كل باد و عظمته الخفية التى لا يشير إليها اسم و لا يحوزها رسم و هى مداد / كل مداد بين سبحانه و تعالى و أعلن بوضع الإكراه الخفى موقعه فى دين القيمة من حيث ما فيه من حمل الأنفس على كرهها فيما كتب عليها مما[٩] هو علم عقابها و آية عذابها ، فذهب بالاطلاع على أمر الله فى قيوميته و عظمته كره النفس بشهودها جميع ما تجرى فيه لها ما عليها . /٢٧٦

(١) فى م : خضره (٢) فى ظ : وسواس (٣) زيد من م و ظ و مد (٤-٤) فى م : لا يصل فيه متصف (٥) من مد و ظ ، و فى م : الحائز ، و فى الأصل : الجائز (٦) فى م : لامر (٧) فى م : فيما (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ليس (٩) فى الأصل : ما ، و التصحيح من م و ظ و مد .

فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات[1] بما استشعرته[2] قلوبهم من ماء التوحيد الجارى تحت مختلفات أثمار أعمالهم فعاد [3]حلوه و مره[3] بذلك التوحيد حلوا ، كما يقال فى الكبريت الأحمر الذى يقلب أعيان الأشياء الدنية إلى حال أرفعها - انتهى[4] .

ثم علل سبحانه و تعالى انتفاء الإكراه عنه بقوله : ﴿ قد تبين الرشد ﴾ قال الحرالى : و هو حسن التصرف فى الأمر و الإقامة عليه بحسب ما يثبت و يدوم ﴿ من الغى ج ﴾ و هو سوء التصرف فى الشىء و إجراؤه على ما تسوء عاقبته[5] - انتهى . أى فصار كل ذى لب يعرف أن الإسلام خير كله و غيره شر كله ، لما تبين من الدلائل و صار بحيث يبادر كل من أراد نفع نفسه إليه و يخضع أجبر الجبابرة لديه ، فكأنه[6] لقوة ظهوره و غلبة نوره قد انتفى عنه الإكراه بحذافيره[7] ،

(١) فى مد : حسناتهم (٢) فى م : استشعر به (٣-٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حلوة و مرة (٤) و فى البحر المحيط ٢/٢٨١ : و قال أبو مسلم و القفال : معناه أنه ما بنى تعالى أمر الإيمان على الإجبار و القسر و إنما بناه على التمكن و الاختيار ، و يدل على هذا المعنى أنه لما بين دلائل التوحيد بيانا شافيا قال بعد ذلك : لم يبق عذر فى الكفر إلا أن يقسر على الإيمان و يجبر عليه و هذا ما لا يجوز فى دار الدنيا التى هى دار الابتلاء إذ فى القهر و الإكراه على الدين بطلان معنى الابتلاء ، و يؤكد هذا قوله بعد " قد تبين الرشد من الغى " يعنى ظهرت الدلائل و وضحت البينات و لم يبق بعدها إلا طريق القسر و الإلجاء و ليس بجائز لأنه ينافى التكليف (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عاقبة (٦) فى م : فانه . (٧) فى م : مجدا فيره .

لأن الإكراه الحمل على ما لم يظهر فيه وجه المصلحة فلم يبق منه مانع إلا حظ النفس الخبيث فى شهواتها البهيمية و الشيطانية ﴿ فمن ﴾ أى فكان ذلك سببا لأنه من ﴿ يكفر بالطاغوت ١ ﴾ و هو نفسه و ما دعت إليه و مالت ٢ بطبعها الردىء إليه . و قال الحرالى : و هو ما أفحش فى الإخراج عن الحد الموقف ٣ عن الهلكة صيغة مبالغة و زيادة انتهاء ٤ مما منه الطغيان ـ انتهى . ﴿ و يؤمن بالله ﴾ ٥ أى الملك الأعلى ٥ ميلا مع العقل الذى هو خير كله لما رأى بنوره من الأدلة القاطعة و البراهين الساطعة و داوم على ذلك بما أفادته صيغة المضارع من يكفر و يؤمن ﴿ فقد استمسك ﴾ على بصيرة منه ﴿ بالعروة الوثقى ﴾ أى التى لا يقع شك فى أنها أوثق الأسباب فى نجاته بما ألقى بيده و استسلم لربه " و من يسلم وجهه الى الله " ـ الآية ٦ ، و العروة ما تشد ٧ به العياب و نحوها

(١) قال ابن عطية : و قدم ذكر الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ليظهر الاهتمام بوجوب الكفر بالطاغوت ـ انتهى ، و ناسب ذلك أيضا اتصاله بلفظ "النفى" و لأن الكفر بالطاغوت متقدم على الإيمان بالله لأن الكفر بها هو رفضها و رفض عبادتها ، و لم يكتف بالجملة الأولى لأنها لا تستلزم الجملة الثانية إذ قد يرفض عبادتها و لا يؤمن بالله لكن الإيمان يستلزم الكفر بالطاغوت و لكنه نبه بذكر الكفر بالطاغوت على الانسلاخ بالكلية مما كان مشتبها به سابقا له قبل الإيمان لأن فى النصية عليه مزيد تأكيد على تركه ـ البحر المحيط ٢/٢٨٢ (٢) فى ظ : ما دلت (٣) فى الأصل : الموفق ، و التصحيح من م و ظ و مد (٤) فى الأصل : انتباه ، و التصحيح من م و ظ و مد (٥-٥) ليست فى ظ (٦) سورة ٢٢ آية ٣١ (٧) فى ظ : نشتد .

تداخلها

بتداخلها[1] بعضها فى بعض دخولا لا ينفصم بعضه من بعض إلا بفصم طرفه فاذا انفصمت منه عروة انفصم جميعه ، و الوثقى صيغة فعلى للمبالغة من الثقة بشدة[2] ما شأنه أن يخاف وهنه ، ثم بين وثاقتها بقوله : ﴿ لا انفصام[3] لها ﴾ أى لا مطاوعة فى حل و لا صدع و لا ذهاب .

قال ابن القطاع : فصمت الشيء صدعته ، و العقدة حللتها ، و الشيء عنه ذهب . و قال الحرالى : من الفصم و هو خروج العرى بعضها من بعض ، أى فهذه العروة لا انحلال لها أصلا ، و هو تمثيل للمعلوم[4] بالنظر و الاحتجاج بالمشاهد المحسوس ليتصوره السامع كأنه ينظر إليه بعينه[5] فيحكم اعتقاده فيه و يحل[6] اغتباطه به . فعلم من هذا أنه لم يبق عائق عن الدخول فى هذا الدين إلا القضاء و القدر ، فمن سبقت له السعادة قيض[7] الله سبحانه و تعالى له من الأسباب ما يخرجه به من الظلمات إلى النور ، و من غلبت عليه الشقاوة سلط عليه الشياطين فأخرجته من نور الفطرة إلى ظلمات[8] الكفر و الحيرة[9] .

و لما كان كل من الإيمان و الكفر المتقدمين قولا و فعلا و اعتقادا قال مرغبا فيهما و مرهبا من تركهما : ﴿ و الله ﴾[10] الذى له صفات

(١) فى ظ : يتداخلها (٢) فى م : بشده (٣) قال أبو حيان الأندلسى : قال الفراء : الانفصام و الانقصام هما لغتان ، و بالفاء أفصح ، و فرق بعضهم بينهما فقال : الفصم انكسار بغير بينونة ، و القصم انكسار ببينونة ـ البحر المحيط ٢ / ٢٨٣ (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : المعلوم (٥) فى ظ : لعينه (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يحل ـ كذا بالحاء (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : قبض . (٨) فى م : ظلمة (٩) من م ومد و ظ ، وفى الأصل : الخيرة . و فى البحر المحيط =

الكمال ﴿ سميع ﴾ أى لما يقال مما يدل على الإيمان ﴿ عليم ﴾ أى[1] بما يفعل أو يضمر من الكفر و الطغيان و مجاز عليه ، و لعل فى الآية التفاتا إلى ما ذكر أول السورة [2] فى الكفار [2] من أنه سواء عليهم الإنذار و تركه و إلى المنافقين و تقبيح ما هم عليه مما هو فى غاية المخالفة لما صارت أدلته أوضح من الشمس و هى مشعرة بالإذن فى الإعراض عن المنافقين ، و لما قرر ذلك و أرشد السياق إلى شىء اقتضت البلاغة طيه إرشادا إلى البعد منه و الهرب عنه لبشاعته و سوء مغبته[3] و هو و من يؤمن بالطاغوت / و يكفر[4] بالله فلا يتمسك[5] له و الله يهويه إلى الجحيم ، /٢٧٧ [6] كأنه قيل : فمن يخلص النفس من ظلمات الهوى و الشهوة و وساوس الشيطان ؟ فقال مستأنفا : ﴿ الله ﴾ أى بما له من العظمة و الأسماء الحسنى

= ٢ / ٢٨٣ : و الظلمات هنا الكفر و النور الإيمان - قاله قتادة و الضحاك و الربيع ..... و الإخراج هنا إن كان حقيقة فيكون مختصا بمن كان كافرا ثم آمن ، و إن كان مجازا فهو مجاز عن منع الله إياهم من دخولهم فى الظلمات ، قال الحسن : معنى " يخرجهم " يمنعهم و إن لم يدخلوا ، و المعنى أنه لو خلا عن توفيق الله لوقع فى الظلمات فصار توفيقه سببا لدفع تلك الظلمة ، قالوا : و مثل هذه الاستعارة شائع سائغ فى كلامهم كما قال طفيل الغنوى :

فان تكن الأيام أحسنّ مرة إلىّ فقد عادت لهن ذنوب

(١٠) زيد فى مد : اى . و العبارة من هنا إلى « الكمال » ليست فى ظ .

(١) ليس فى م و مد ، و فى ظ : عليم (٢ - ٢) ليس فى مد (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مغيته (٤) فى الأصل : يومن ، و التصحيح من م و مد و ظ (٥) كذا فى الأصل و مد ، و فى م : متمسك ، و فى ظ : مستمسك .

(٦) زيد فى الأصول : كان .

﴿ ولى الذين امنوا ١ لا ﴾ أى يتولى مصالحهم ، و لذلك بين ولايته بقوله: ﴿ يخرجهم من الظلـٰمت ﴾ [أى المعنوية -٢] جمع ظلمة و هو ما يطمس الباديات حسا أو معنى ، و جمعها لأن طرق الضلال كثيرة ، فان الكفر أنواع ﴿ الى النور ﴾ أى المعنوى و هو ما يظهر الباديات حسا أو معنى - قاله الحرالى ، و وحده لأن الصراط المستقيم واحد " و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ٣ " ، ٤ و من المحامل الحسنة أن يشار بالجمع إلى ما ينشأ ٥ من الجهل ٥ عن المشاعر ٦ التى أخبر بالختم عليها ، فصار البصر عريا عن الاعتبار ، و السمع خاليا عن الفهم و الاستبصار ، و القلب ٧ معرضا عن التدبر و الافتكار ؛ و بالوحدة فى النور إلى صلاح القلب فانه كفيل بجلب كل سار و دفع كل ٨ ضار ، و النور الذى هو العقل و الفطرة الأولى ذو ٩ جهة واحدة ١٠ و هى القوم ، و الظلمة الناشئة عن النفس ذات جهات هى فى غاية الاختلاف .

---

(١) قال الزمخشرى : " اٰمنوا " أرادوا أن يؤمنوا ، تلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه و تأييده من الكفر إلى الإيمان ، أو الله ولى المؤمنين يخرجهم من الشبه فى الدين إن وقعت لهم بما يهديهم و يوفقهم لها من حلها حتى يخرجوا منها إلى نور اليقين - انتهى ؛ فيكون على هذا القول " اٰمنوا " على حقيقته - البحر المحيط ٢/٢٨٣ (٢) زيد ما بين المربعين من م وظ ومد (٣) سورة ٦ آية ١٥٣ .
(٤) زيد فى الأصل « اى المفر » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها .
(٥-٥) فى م : عن الجهل ، و فى ظ : بالجهل (٦) فى م : المشاعة - كذا .
(٧) زيد فى م : به (٨) سقط من م (٩) فى م : دون ، و فى ظ : ذوا .
(١٠) سقط من ظ .

و لما ذكر عُبّاده[1] الخلص ذكر عُبّاد[1] الشهوات فقال: ﴿و الذين كفروآ﴾ أى ستروا[2] ما دلت عليه أدلة العقول أولا و النقول ثانيا بشهوات النفوس ﴿اولـيٓئهم الطاغوت﴾ من شهواتهم و ما أدت إليه من اتباع كل ما أطغى من الشياطين و العكوف على الأصنام[3] و غير ذلك؛ ثم بين استيلاءهم عليهم بقوله: ﴿يخرجونهم﴾ و إسناده إلى ضمير الجمع يؤيد أن جمع الظلمات لكثرة أنواع الكفر ﴿من النور﴾ أى الفطرى[4] ﴿الى الظلـمت[5]﴾ قال الحرالى: و فيه بيان استواء جميع الخلق فى حقيقة النور الأول إلى الروح المجندة إلى[6] الفطرة المستوية «كل مولود يولد على الفطرة» انتهى.

(١) فى الأصل: عبادة، و التصحيح من م و ظ و مد (٢) من م و مد و ظ، و فى الأصل: اشتروا (٣) وقع فى م: الاسلام - خطأ (٤) فى م: الفطرة (٥) قال مجاهد و عبدة بن أبى لبابة: نزلت فى قوم آمنوا بعيسى فلما جاء محمد عليه السلام كفروا به، فذلك إخراجهم من النور إلى الظلمات، و قال الكلبى: يخرجونهم من إيمانهم بموسى عليه السلام و استفتاحهم بمحمد صلى الله عليه و سلم إلى كفرهم . . . و قال الزمخشرى: من نور البينات التى تظهر لهم إلى ظلمات الشك و الشبهة، و قال ابن عطية: لفظ الآية مستغن عن التخصيص بل هو مترتب فى كل أمة كافرة آمن بعضها كالعرب و ذلك أن كل من آمن منهم فالله وليه أخرجه من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان و من كفر بعد وجود الداعى النبى المرسل فشيطانه و مغويه كأنه أخرجه من الإيمان إذ هو معد و أهل للدخول فيه، و هذا كما تقول لمن منعك الدخول فى فى أمر: أخرجتنى يا فلان من هذا لأمر، و إن كنت لم تدخل فيه البتة - انتهى؛ و المراد بالطاغوت الصنم لقوله "رب انهن اضللن كثيرا من الناس"، قيل: الشياطين، و الطاغوت اسم جنس، و قرأ الحسن: الطواغيت، بالجمع - البحر المحيط ٢/٢٨٣ (٦) فى م: اى.

و لما

و لما ذكر استيلاء الشهوات عليهم الداعى إليها الطيش و الخفة الناشئ عن عنصر النار التى هى شعبة من الشيطان بين أن أجزاءهم من جنس مركبهم فقال: ﴿ اولٓئك ﴾ أى الحالون فى محل البعد[1] و البغض ﴿ اصحٰب النار ج ﴾ [2] قال الحرالى[2]: الذين اتبعوها من حيث لم يشعروا من حيث أن الصاحب من اتبع مصحوبه [3] - انتهى . و لما علم من ذكر الصحبة دوامهم فيها صرح به تأكيدا بقوله مبينا اختصاصهم بها: ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ فيها خٰلدون ۝ ﴾ إلى ما لا آخر له . قال الحرالى: و جعل الخلود وصفا لهم[4] إشعارا بأنهم فيها و هم فى دنياهم - انتهى .

و لما ذكر [5]ما له سبحانه و تعالى[5] من الإحاطة و العظمة و أتبعه أمر الإيمان و توليه[6] حزبه[7] و أمر الكفران و خذلانه[8] أهله أخذ يدل على ذلك بقصة المحاج للخليل و المار على القرية مذكرا بقصة الذين قال لهم[9] موتوا ثم احياهم فى سياق التعجيب من تلك الجرأة - قال الحرالى: و لما كان ما أظهره الحق فى آية عظمته و ما اتصل بها فى خاصة عباده[10] اختص هذا الخطاب بالنبى صلى الله عليه و سلم لعلو مفهوم مغزاه عمن دونه ؛ انتهى - فقال تعالى: ﴿ الم تر[11] ﴾ أى تعلم بما نخبرك[11]

(١) زيد فى م : و الغضب (٢-٢) سقط من م (٣) فى مد : مصحوبة (٤) فى م : بهم (٥-٥) فى م و ظ : سبحانه ما له (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تولية (٧) من مد و ظ ، و فى الأصل : خربه ، و فى م : ضربه (٨) فى من : جدلانه. (٩) زيد فى ظ : الله (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عبادة - كذا . (١١) مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما أخبر أنه ولى الذين آمنوا و أخبر =

به علما هو عندك كالمشاهدة لما لك من كمال البصيرة و بما أودعناه فيك من المعانى المنيرة . و لما كان هذا المحاج بعيدا من[١] الصواب كثيف الحجاب أشار إلى بعده بحرف الغاية فقال : ﴿ الى الذى حآج ابرٰهم ﴾ أى الذى هو أبو العرب و هم أحق [الناس-٢] بالاقتداء به ﴿ فى ربه ﴾ الضمير يصح أن يعود على كل منهما أى فيما يختص به خالقه [٣] المربى له[٣] المحسن إليه بعد وضوح هذه الأدلة و قيام هذه البراهين إشارة إلى أنه سبحانه أوضح على لسان كل نبى أمره و بين عظمته و قدره[٤] مع أنه ركز[٥] ذلك فى جميع الفطر و قادها إلى بحور جلاله بأدنى نظر فكأن نمرود[٦] المحاج للخليل ممن أخرجته الشياطين من النور إلى الظلمات ،

= أن الكفار أولياؤهم الطاغوت ذكر هذه القصة التى جرت بين إبراهيم والذى حاجه و أنه ناظر ذلك الكافر فغلبه و قطعه إذ كان الله وليه ، و انقطع ذلك الكافر و بهت إذ كان وليه هو الطاغوت "الا ان حزب الله هم الغلبون" "الا ان حزب الله هم المفلحون" فصارت هذه القصة مثلا للمؤمن و الكافر اللذين تقدم ذكرهما - البحر المحيط ٢/٢٨٦ (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يخبرك .
(١) فى م : عن (٢) زيد من م و ظ و مد (٣ - ٣) أخره فى م و مد و ظ عن « المحسن اليه » (٤) من مد و ظ ، و فى الأصل : قدرة ، و فى م : قدرته (٥) فى الأصل : ركن ، و التصحيح من م و مد و ظ (٦) هو نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح ملك زمانه و صاحب النار و البعوضة - قاله مجاهد و قتادة و الربيع و السدى و ابن إسحاق و زيد بن أسلم و غيرهم ، و قال ابن جريج : هو أول ملك فى الأرض .... و قال قتادة : هو أول من تجبر وهو صاحب الصرح ببابل ، و قيل : إنه ملك الدنيا بأجمعها و نفذت فيها طينة ، و قال مجاهد ملك الأرض مؤمنان : سليمان و ذو القرنين ، و كافران : نمروذ و بخت نصر - البحر المحيط ٢/٢٨٦ .

و لما كان ذلك أمرا باهرا معجبا بين أن علته الكبر[1] الذى أشقى إبليس فقال: ﴿ ان ﴾ أى لأجل أن ﴿ اٰتىٰه الله ﴾ [2] أى الملك الأعلى[2] بفيض[3] فضله ﴿ الملك [4] ﴾ الفانى فى الدنيا الدنيئة ، فجعل موضع ما يجب عليه من شكر من ملكه ذلك محاجته فيه وكبره / رغم[4] عليه ، و عرفه إشارة ٢٧٨/ إلى كماله بالنسبة إلى الآدميين[5] بالحكم على جميع الأرض . قال الحرالى : ٥ و فى إشعاره أن الملك [6] فتنة و بلاء[6] على من أوتيه - انتهى . فتكبر بما خوله الله فيه على عباد الله و هم يطيعونه[7] لما مكّن[8] الله له[9] من الأسباب إلى أن رسخت قدمه فى الكبر المختص بالملك الأعظم مالك الملك و مبيد الملوك فظن جهلا أنه أهل له .

و لما أخبر سبحانه و تعالى بمحاجته بين ما هى تقريرا لآية[10] " فقال ١٠ لهم الله موتوا ثم [احياهم - ١١] " دلالة على البعث ليوم لا بيع فيه و لا خلة و لا شفاعة فقال : ﴿ اذ ﴾ أى حاجه[12] حين[13] ﴿ قال ابرٰهم ربى ﴾ أى الذى أحسن إلىّ بخلق و إدامة الهداية [لى - ١١]

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الكبرى (٢ - ٢) ليست فى ظ (٢) من م ومد، وفى ظ : بفيض - كذا ، و فى الأصل: يفيض (٤) من م ، و فى بقية الأصول : زعم (٥) من مد و ظ ، وفى م : الاربين، وفى الأصل : الارهبين (٦-٦) فى م و ظ و مد : بلاء و فتنة (٧) فى الأصل : يطيعون ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) فى الأصل : امكن ، والتصحيح من م و ظ و مد (٩) فى الأصل : لهم، والتصحيح من م و ظ و مد (١٠) فى م : الاية (١١) زيد من م و مد و ظ . (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حاجة (١٣) ليس فى م .

﴿ الذي يحيي و يميت ﴾ أي وحده ، و هذه العبارة تدل على تقدم كلام في هذا و ادعاء أحد لمشاركة في هذه الصفة .

و لما كان كأنه قيل : هذا أمر ظاهر [مجمع - ٢] عليه فما ذا الذي يحاج المحاج فيه ؟ أجيب بقوله : ﴿ قال ﴾ أي ذلك المحاج بجرأة و عدم تأمل لما ألفه من ذل الناس له و طواعيتهم لجبروته ﴿ انا ﴾ أي أيضا ﴿ احي و اميت ط ﴾ بأن آمُنَّ على من استحق القتل و أقتل من لا يستحق القتل .

فلما رأى إبراهيم عليه الصلاة و السلام أنه قد اجترأ على عظيم و أن محاجته في نفس الإحياء ربما خفيت أو طالت رأى أن يعجل إبهاته مع بيان حقارته بما هو أجلى من ذلك ، و فيه أنه دون ما ادعاه بمراتب لأن الإحياء إفاضة الروح على صورة بعد إيجادها من العدم بأن

(١) هذا من إبراهيم عن سؤال سبق من الكافر و هو أن قال : من ربك ؟ و قد تقدم في قصته شيء من هذا ، و إلا فلا يبتدأ كلام بهذا ، و اختص إبراهيم من آيات الله بالإحياء و الإماتة لأنهما أبدع آيات الله و أشهرها و أدلها على تمكن القدرة ... و في قول إبراهيم " ربي الذي يحيي و يميت " ... إشارة إلى أنه هو الذي أوجد الكافر و يحييه و يميته كأنه قال : ربي الذي يحيي و يميت هو متصرف فيك و في أشباهك بما لا تقدر عليه انت و لا أشباهك من هذين الوصفين العظيمين المشاهدين للعالم اللذين لا ينفع فيهما حيل الحكماء و لا طب الأطباء - البحر المحيط ٢ / ٢٨٨ (٢) زيد من م و مد و ظ ، غير أن في ظ : تجمع (٣) زيد في الأصل « على » و لم تكن الزيادة في م و مد و ظ فحذفناها .
(٤) في ظ : ما (٥) ليس في م و مد و ظ (٦) في ظ : احفيت .

﴿ قال ابرهم ﴾ و قال الحرالى : و لما كان من حسن الاحتجاج ترك المراء بمتابعة[1] الحجة الملبسة كما قال تعالى "فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا[2]" نقل[3] المحاج من الحجة الواقعة فى الأنفس إلى الحجة الواقعة فى الآفاق بأعظم كواكبها الشمس[4] "سنريهم ايتنا فى الأفاق و فى انفسهم[5]" فى ظاهر الاحتجاج انتقال و فى [[6]طيه تقرير الأول لأن الروح شمس البدن فكأنه ضرب مثل من حيث أن الإحياء إنما هو أن يؤتى بشمس[7] الروح من حيث غربت فكان فى ظاهر و استقبال حجة قاطعة] باطنه تتميم للحجة الأولى قال تعالى : ﴿ فان ﴾ بالفاء الرابطة بين الكلامين إشعارا لتتمة الحجة الأولى بالحجة الثانية - انتهى .

أى تسبب عن دعواك هذه[4] أن أقول لك : إن ﴿ الله ﴾ بما له من العظمة و الجلال باستجماع صفات الكمال ﴿ يأتى بالشمس ﴾ أى و هو الذى أوجدها ﴿ من المشرق ﴾ أى فى كل يوم من قبل أن توجد أنت بدهور ﴿ فات بها ﴾[8] أنت ﴿ من المغرب ﴾ و لو يوما واحدا .

---

(١) فى م : متابعة (٢) سورة ٦١ آية ٥٣ (٣) فى الأصل : هل ، و التصحيح من م و ظ و مد . و فى البحر المحيط ٢/٢٨٨ : لما خيل الكافر أنه مشارك لرب إبراهيم فى الوصف الذى ذكره إبراهيم و رأى إبراهيم من معارضته ما يدل على ضعف فهمه أو مغالطته فانه عارض اللفظ بمثله و لم يتدبر اختلاف الوصفين ذكر له ما لا يمكن أن يدعيه و لا يغالط فيه ، واختلف المفسرون هل ذلك انتقال من دليل إلى دليل أو هو دليل واحد و الانتقال فيه من مثال إلى مثال أوضح منه (٤) سقط من م (٥) سورة ٤١ آية ٥٣ (٦) العبارة المحجوزة زيدت من م و مد و ظ (٧) فى ظ : شمس (٨) زيد فى ظ : اى .

قال الحرالى: إظهارا لمرجع العالم بكليته إلى واحد، و أن قيوم الإنسان فى الإحياء و الإماتة هو قيوم الآفاق فى طلوع الشمس و غروبها، و فى لحنه إشعار بأن الله سبحانه و تعالى لا بد و أن يأتى بالشمس من المغرب ليكون فى ذلك إظهار تصريفه لها حيث شاء حتى يطلعها من حيث غربت كما يطلع الروح من حيث قبضت ليكون طلوع الشمس من مغربها آية مقاربة قيام الساعة و طلوع الأرواح من أبدانها - انتهى.

﴿ فبهت ﴾ قال الحرالى: من البهت و هو بقاء الشىء على حاله[1] و صورته[2] لا يتغير عنها لأمر يبهره وقعه أى فتسبب عن ذلك أنه[3] بهت ﴿ الذى كفر ط ﴾ أى حصل له الكفر بتلك الدعوى التى لزمه بها إنكاره لاختصاصه سبحانه و تعالى بالقدرة على ذلك[4] و ادعاؤه لنفسه الشركة[4]، فبين له الخليل عليه الصلاة و السلام [بهذا المثال - [5]] أنه عاجز عن تحويل صورة صورها الله سبحانه و تعالى و وضعها فى[6] جهة [إلى - [5]] غير تلك الجهة فكيف له بأن يوجد صورة من العدم فكيف ثم كيف بافاضة الروح عليها فكيف بالروح الحساسة فكيف بالروح الناطقة ! و سيأتى لهذا الشأن فى سورة[7] الشعراء مزيد بيان، فيا لله[8] ما أعلى مقامات الأنبياء ! و ما أصفى بصائرهم ! و ما أسمى درجاتهم و أزكى عناصرهم ! عليهم أجمعين منى أعظم الصلاة و السلام و أعلى

(١) فى مد: حالة (٢) فى مد: صورة (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: ان (٤-٤) ليست فى م (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) زيد فى م: غير (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: الله.

التحية و الإكرام . و قال الحرالى : فعرفه أى فى قوله "كفر" بوصفه من حيث دخل عليه البهت منه ١ - انتهى . أى لأنه ستر ٢ ما يعلمه من عجز نفسه و قدرة خالقه ، فكشف سبحانه و تعالى بلسان خليله صلى الله عليه و سلم الستر الذى أرخاه كشفا واضحا و هتكه بعظيم البيان هتكا فاضحا . ٥

و لما كان التقدير : لأنه / ظلم فى ادعائه ذلك و فى الوجه الذى ادعى ٢٧٩ / ذلك بسببه من قتل البرئ و ترك المجترئ ، قال سبحانه و تعالى : ﴿ و الله ﴾ ٣أى الذى ٤ لا أمر لأحد معه ﴿ لا يهدى القوم ﴾ أى الذين ٥ أعطاهم قوة المقاومة للأمور ﴿ الظلمين ٥ ﴾ عامة لوضعهم الأشياء بارادته و تقديره فى غير مواضعها ، لأنه أظلم قلوبهم فجعلها أحلك من ١٠ الليل ٦ الحالك فلم يبق لهم [ذلك - ٧] وجها ثابتا ٨ يستمسكون به ، فأين منهم الهداية و قد صاروا بمراحل عن مواطن أهل العناية ! و قصر فعل الهداية لإفادة العموم ، قال الإمام : فاختصر اللفظ إفادة لزيادة ٩ المعنى و هو من اللطائف القرآنية .

و لما كان الإحياء و الإماتة من أظهر آيات الربانية و أخصها ١٥ بها أظهر سبحانه و تعالى الغيرة عليها تارة بابهات المدعى للشاركة ، و تارة

(١) ليس فى ظ (٢) سقط من م (٣) العبارة من هنا إلى « معه » ليست فى ظ .
(٤) زيد فى م : له الأمر (٥) فى الأصل : الذى ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) فى ظ : اليل (٧) زيد من م و ظ و مد (٨) فى الأصل : ثانيا ، و التصحيح من م و ظ و مد (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بزيادة .

باشهاد[1] المستبعد[2] فى نفسه و غيره بفعل ربه[3]، و تارة باشهاد المسترشد فى غيره بنفسه معبرا فى كل منها بما اقتضاه حاله و أشعر به سؤاله، فعبر فى الكافر[4] بالى إشارة إلى أنه فى محل البعد عن المخاطب صلى الله عليه و سلم، و فى المتعجب[5] باسقاطها إسقاطا لذلك البعد[6]، و فى المسترشد المستطلع باذ كما هى العادة المستمرة فى أهل الصفاء و المحبة و الوفاء فأتبع التعجيب من حال المحاجج التعجيب أيضا من حال من استعظم إحياءه تعالى لتلك القرية. و لما كان معنى "الم تر" هل رأيت لأن 'هل' كما ذكر الرضى و غيره تختص مع كونها للاستفهام بأن تفيد فائدة النافى حتى جاز أن يجىء بعدها 'إلا' قصدا للايجاب كقوله سبحانه و تعالى "هل جزاء الاحسان الا الاحسان[7]" و قوله سبحانه و تعالى "هل هذا الا بشر مثلكم[8]"، كان كأنه قيل: هل رأيت الذى حاج إبراهيم ﴿او﴾ هل رأيت ﴿كالذى﴾ و يجوز أن يكون التقدير لأن أخبار[9] الأولين إنما[10] هى مواعظ لنا: أقومك كهذا المحاج لأعظم إبائهم فهم يقولون: إن الإحياء ليس على حقيقته بالبعث بعد الموت،

(١) فى الأصل: باشهار، و التصحيح من م و مد و ظ (٢) فى الأصل: المستعبد، و التصحيح من م و ظ و مد (٣) فى ظ: به ـ كذا (٤) فى الأصل: بالكافر، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) فى م: التعجب (٦) فى مد: للبعد. (٧) سورة ٥٥ آية ٦٠ (٨) سورة ٢١ آية ٣ (٩) فى الأصل: اخيار، و التصحيح من م و مد و ظ (١٠) فى مد: انما (١١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: لهذا.

أو

أو هم كالذى ﴿ مر ﴾ قال الحرالى : [من المرور-١] و هو جعل الشيء على مسلك إلى غيره مع التفات إليه٢ [فى -١] سبيله ﴿ على قرية ﴾ و هي التى خرج منها الألوف أو بيت المقدس ﴿ و هى خاوية ﴾ أى متهدمة ساقطة جدرانها٣ ﴿ على عروشها ج ﴾ أى سقوفها ، أو خالية على بقاء سقوفها . قال الحرالى : من الخوا و هو خلو الشيء عما شأنه أن يعينه حسا أو معنى ، و العروش٤ جمع عرش من نحو معنى العريش و هو ما أقيم من البناء على٥ حالة٦ عجالة يدفع سورة الحر و البرد و لا يدفع جملتها كالكن المشيد ، فكان المشيد فى الحقيقة عريشا لوهاء الدنيا بجملتها فى عين الاستبصار٧ - انتهى .

و لما كان كأنه قيل : ما الذى فى حاله ذلك مما يعجب منه ؟ قيل : ﴿ قال انى يحيى هذه ﴾ أى القرية ﴿ الله ﴾ ٨أى الذى له الأمر كله٨ ﴿ بعد موتها ج ﴾ أى بما صارت إليه من الخراب و ذهاب الأهل فيعيدها إلى ما كانت عليه عامرة آهلة . قال الحرالى : و فى لفظة ٩انى٩ لشمول معناها لمعنى٩ كيف و حيث و متى استبعاده١٠ الإحياء فى الكيف و المكان و الزمان ، و منشأ هذا الاستبعاد إنما يطوق١١ النفس

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الى (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : جدا (٤) فى م : للعروش (٥) فى الأصل : من ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل : حاله ، و فى ظ : حال (٧) فى ظ : الاستعبار (٨-٨) ليست فى ظ (٩) فى م : بمعنى (١٠) فى ظ : استيعاده (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يطرق .

من طلبها لمعرفة تكييف[1] ما لا يصل إليه علمها - انتهى .

و لما كان هذا المستبعد قاصرا عن رتبة الخليل عليه الصلاة و السلام فى التهيؤ للطمأنينه بل[2] كان إيقانه على الكيفية متوقفا[3] فى الحكمة على تركه فى عالم الغيب المدة التى ضربت لبقائه ميتا ليكون ذلك كالتخمير فى الطين لتهيأ نفسه لعلم ذلك و الإيقان بـه قال : ﴿ فاماته ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن أماتـه ﴿ الله ﴾ [4]أى الذى لا كفوء له فهما أراد[4] كان [لإيقانه على علم ذلك عناية من الله به -[5]] ﴿ مائـة ﴾ و لما كان المراد أن مدة موته كانت طويلة ليكون[6] قد بلى فيها فتكون إعادته أمكن فى القدرة على ما تستبعده[7] العرب و أن ذلك الزمان كان حسنا طيبا لقبوله[8] الإحياء و العمارة عبر عنه بما يدل على السعة فقال : ﴿ عام ﴾ حتى بلى حماره[9] و حفظ طعامه / و شرابه من التغير ليتحقق كمال القدرة بحفظ ما شأنه التغير و تغير ما شأنه البقاء و إعادة ما فنى . قال الحرالى : و[10] خص المائة لكمالها فى العد المثلث من الآحاد [و -[5]] العشرات و عشرها وتر الشفـع لأن ما تم فى الثالث كان ما زاد عليه تكرارا يجزئ عنه الثلاث ﴿ ثم بعثه ط ﴾ فى بيانه إشعار

/٢٨٠

(١) فى م : فكيف (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بالايقان (٣) فى مد : موافقا (٤) ليست فى ظ (٥) زيد من م و مد و ظ (٦) فى الأصل : فيكون ، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) فى م و ظ : يستبعده ، و فى مد : استبعده . (٨) فى م و مد : لقوله (٩) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : حمارة (١٠) فى م : او .

بأن بدنـــه لم يتغير و لا قى فناء حماره حيث لم يكن ثم نشره و الله سبحانه و تعالى أعلم كما قال "ثم اذا شاء انشره[١]" ـ انتهى .

و لما أحاط العلم بأن هذا العمل لأجل إيقانه على القدرة تشوفت النفس إلى ما حصل له بعد البعث فأجيبت بقوله تنبيها له و لكل سامع على ما فى قصته من الخوارق : ﴿ قال ﴾ أى له الله سبحانه و تعالى أو من[٢] ٥ شاء ممن[٣] خطابه[٤] ناشئ عنه ﴿ كم لبثت ط ﴾ أى فى رقدتك هـــذه ﴿ قال ﴾ لنظره إلى سلامة طعامه و شرابه ﴿ لبثت يوما ﴾ ثم تغير ظنه بحسب الشمس أو غيرها فقال : ﴿ او بعض يوم ط ﴾ و كأنه استعجل بهذا الجواب - كما هى عادة الإنسان - قبل النظر إلى حماره ﴿ قال ﴾ أى الذى خاطبه مضربا عن جوابه بيانا لأنه غلط ظاهر ﴿ بل لبثت مائة عام ﴾ ١٠ معبرا عن الحول بلفظ يـدور على معنى[٥] السعة و الامتـداد و الطول [و دله ـ[٦]] على ذلك و على كمال القدرة بقوله : ﴿ فانظر الى طعامك و شرابك ﴾ أى الذى كان معك لمـا رقدت و هو أسرع الأشياء فسادا تين[٧] و عصير ﴿ لم يتسنه ج ﴾ [٨]من السنة[٨] أى يتغير بمر السنين على طول مرورها و قوة تقلباتها و تأثيرها ، و معنى القراءة بهاء السكت ١٥ [أن الخبر بذلك ـ[٩]] أمر جازم مقنع[١٠] لا مرية فيه و لا تردد أصلا ﴿ و انظر الى ﴾ ﴿ حمارك ﴾ باليا رميما ، فجمع الله [له ـ[٩]] سبحانه

(١) سورة ٨٠ آية ٢٢ (٢) فى الأصل : ممن ، و التصحيح من م و مد و ظ .
(٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: من (٤) فى م : خاطبه (٥) ليس فى م (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ ، و فى م : ابين ، و فى الأصل : بين (٨-٨) ليس فى م .
(٩) زيد من م و مد و ظ (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مفتع .

او تعالى ا بين آيتى الرطب فى حفظه و اليابس فى نقضه .

و لما كان التقدير : فعلنا ذلك لنجعله آية لك ٢ على كمال القدرة أو لتعلم أنت قدرتنا ، عطف عليه قوله : ﴿ و لنجعلك ﴾ أى فى مجموع خبرك ﴿ اٰية للناس ﴾ أى كافة فكان أمره إبقاء و تثبيتا آية فى ٥ موجود الدنيا على ما سيكون فى أمر الآخرة قيام ساعة و بعثا و نشورا - قاله الحرالى .

و لما ٣ أمره ٤ بالنظر إلى ما جعله له ٥ آية ٦ على لبثه ذلك الزمن الطويل أمره بالنظر إلى ما جعله له آية ٦ على اقتداره على الإحياء كيف ما أراد فقال ٧ : ﴿ و انظر الى العظام ﴾ أى من حمارك و هى ٨ ١٠ جمع عظم و هو عماد البدن ٩ الذى عليه مقوم صورته ﴿ كيف ننشزها ﴾ قال الحرالى : بالراء من النشر و هو عود الفانى إلى صورته الأولى و بالضم جعل و تصيير إليه ، و بالزاى من النشز و هو إظهار الشىء و إعلاؤه ، من نشز ١٠ الأرض و هو ما ارتفع منها و ظهر - انتهى . و ضم بعضها إلى بعض على ما كانت عليه ينظم ذلك كله ١٥ ﴿ ثم نكسوها لحما ط ﴾ قال الحرالى : جعل حياته بعثا و حياة حماره نشورا و أراه [النِشر - ١١] ، و اللحم الذى لحم بين ١٢ العظام حتى

(١-١) ليس فى مد (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : له (٣) زيد فى م : كان .
(٤) فى مد : امر (٥) سقط من ظ (٦-٦) ليست فى ظ (٧) سقط من م (٨) فى ظ : هو (٩) فى الأصل : الدين ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٠) من مد ، و فى الأصل و م و ظ : نشر (١١) زيد من م و ظ و مد (١٢) فى مد : ابين .

صارت صورة واحدة ليتبين [١] أمر الساعة عيانا فيكون حجة على الكافر و المستبعد ﴿ فلما تبين له [٢] ﴾ أى هذا الأمر الخارق الباهر الدال على ما وصف [٢] سبحانه و تعالى به [٢] نفسه المقدسة فى آية الكرسى . قال الحرالى : و فى صيغة تفعل إشعار بتردده فى النظر بين الآيتين حتى استقر عنده أمر ما أعلم به و اضمحل عنده ما قدره ﴿ قال اعلم ﴾ ٥ بصيغة الفعل بناء على [٣] نفسه و بصيغة الأمر إفادة لغيره ما علم لتدل القراءتان على أنه علم و علم لأن العلم إنما يتم حين يصل إلى غير العالم [فيجمع فضل العلم و التعليم - انتهى . و يجوز أن يدل التعبير بالمضارع فى أعلم على أنه لم يزل متصفا بهذا العلم - [٤]] من غير نظر إلى حال و لا استقبال و يكون ذلك اعتذارا عن تعبيره فى التعجيب [٥] بما دل على ١٠ الاستبعاد بأنه إنما قاله [٦] استبعادا لتعليق القدرة بذلك لا [٧] للقدرة عليه ﴿ ان الله ﴾ أى لما أعلم من عظمته ﴿ على كل شىء ﴾ أى من هذا و غيره ﴿ قدير ﴾ قال الحرالى : فى إشعاره إلزام البصائر شهود قدرة الله سبحانه و تعالى فى تعينها فى الأسباب الحكمية التى تتقيد بها الأبصار إلحاقا لما دون [٨] آية الإحياء و الإماتة بأمرها ليستوى فى العلم ١٥ أن محييك [٩] هو مصرفك ، فكما أن حياتك بقدرته [فكذلك عملك

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تبين (٢ - ٢) فى م و ظ : به سبحانه .
(٣) فى مد : عن (٤) زيد من م و ظ و مد (٥) فى م و مد و ظ : التعجب .
(٦) فى م : قال (٧) فى الأصل : الا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) فى الأصل : دونه ، و التصحيح من م و ظ و مد (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : محيتك - كذا .

بقدرته - [١]] فلاءم تفصيل افراد القدرة لله بما تقدم من إبداء[٢] الحفظ
بالله و العظمة لله ، فكأنها جوامع و تفاصيل / كلها تقتضى إحاطة أمر /٢٨١
الله سبحانه و تعالى بكلية ما أجمل و بدقائق تفاصيل ما فصل - انتهى .
و فى الآية بيان لوجه مغالطة الكافر لمن استخفه[٣] من قومه فى المحاجة
٥ مع الخليل صلوات الله و سلامه عليه بأن الإحياء الذى يستحق به الملك
الألوهية[٤] هو هذا الإحياء الحقيقى لا التخلية عمن استحق القتل .

و لما كان الإيمان بالبعث بل الإيقان من المقاصد العظمى فى هذه
السورة و انتهى إلى هذا السياق الذى هو لتثبيت دعائم القدرة على
الإحياء مع تباين المناهج و اختلاف الطرق[٥] فبين أولا بالرد على
١٠ الكافر ما يوجب الإيمان و باشهاد المتعجب ما ختم[٦] الإيقان علا[٧] عن
ذلك البيان فى قصة الخليل صلوات الله و سلامه عليه إلى ما يثبت
الطمأنينة ، و قد قرر سبحانه و تعالى أمر البعث فى هذه السورة بعد
ما أشارت إليه الفاتحة بيوم الدين أحسن تقرير ، فبث نجومه فيها خلال
سماوات[٨] آياتها و فرق رسومه فى أرجائها بين دلائلها و بيناتها فعل
١٥ الحكيم[٩] الذى يلقى[١٠] ما يريد بالتدريج غير عجل و لا مقصر ، فكرر[١١]

(١) زيدت من م و ظ و مد غير أن فى ظ : علمك - مكان : عملك (٢) فى م : ابد (٣) فى الأصل : استحقه ، و التصحيح من م و ظ و مد (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل: الالهية (٥) فى الأصل : الطرفين ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) فى م و مد : حتم (٧) فى ظ : علان (٨) ليس فى ظ (٩) فى الأصل : الحكم ، والتصحيح من م و مد و ظ (١٠) ليس فى م (١١) فى الأصل و م : تكرر ، و التصحيح من ظ و مد .

سبحانه و تعالى ذكره بالآخرة تارة و الإحياء أخرى[1] تارة فى الدنيا و تارة فى الآخرة[2] فى مثل قوله "و بالأخرة هم يوقنون" "كيف تكفرون بالله و كنتم امواتا فاحياكم" - الآية "ثم بعثناكم من بعد موتكم" "كذلك يحى الله الموتى" "فقال لهم الله موتوا ثم احياهم" و ما كان من أمثاله و نظائره و أشكاله فى تلك الأساليب المرادة غالبا ٥ بالذات لغيره فاستأنست أنفس المنكرين له [به - ٣]، فصار لها استعداد لسماع الاستدلال عليه حتى ساق لهم أمر خليله عليه الصلاة و السلام و التحية و الإكرام، فكان كأنه قيل: يا منكرى البعث و مظهرى العجب منه و مقلدى الآباء فى أمره بالأخبار التى أكثرها كاذب! اسمعوا قصة أبيكم إبراهيم[4] صلى الله عليه و سلم[4] التى[5] لقاكم ١٠ بها الاستدلال على البعث و جمع المتفرق[6] و إعادة الروح باخبار من لا يتهم بشهادة القرآن الذى أعجزكم عن الإتيان بمثل شىء منه فشهادته[7] شهادة الله لتصيروا[8] من ذلك على علم اليقين[9] بل عين اليقين[9] فقال تعالى: ﴿و اذ﴾[10] عطفا على نحو اذكروا ما تلى عليكم من أمر البعث و اذكروا قصة أبيكم إبراهيم فيما يدل عليه اذ[10]. و قال الحرالى: و لما ١٥

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: اخره (٢) فى م و مد و ظ: اخرى. (٣) زيد من م و ظ و مد (٤ - ٤) ليست فى مد (٥) فى م: الذى، و ليس فى مد (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: التفرق (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: شهادة (٨) فى ظ: ليصيروا (٩ - ٩) سقط من م (١٠ - ١٠) ليست فى ظ.

كان أمر منزل القرآن إقامة الدين بمكتوبه و حدوده فأنهاه تعالى منتهى منه[1] ثم نظم به ما نظم من علنه فى آية الكرسى و رتب على ذلك دين الإسلام الذى[2] هو إلقاء كالقاء اليد عند الموت انتظم به أمر المعاد [3]الذى لا مدخل للعباد فى أمره فرتب سبحانه و تعالى ذكر المعاد[3] ٥ فى ثلاثة أحوال : حال الجاحد الذى انتهت غايته إلى [بهت ، ثم حال المستبعد الذى انتهت غايته إلى - ٤] علم و إيمان ، و أنهى الخطاب إلى حال المؤمن الذى انتهى حاله إلى يقين و طمأنينة و رؤية ملكوت فى[5] ملكوت الأرض - انتهى ؛ فقال سبحانه و تعالى : [و اذ -[6]] ﴿ قال إبرٰهم ﴾ و لقد استولى الترتيب و التعبير فى هذه الآيات الثلاث ١٠ على الأمد الأقصى من[7] الحسن ، فانها بدئت بمن أراد أن يخفى ما أوضحته البراهين من أمر الإله فى الإحياء بأن ادعى لنفسه المشاركة باحياء مجازى تلبيسا بلفظ إلى الدال على بعده و لعنه و طرده ، ثم بمن استبعد إحياء القرية فأراه الله سبحانه و تعالى كيفية الإحياء الحقيق آية له و تتميما للرد على ذلك مع الإقبال عليه بالمخاطبة و لذة الملاطفة ثم ١٥ بمن سأل إكرام الله تعالى له[8] بأن يريه كيف يحيي فيثبت ثم أثبتت ثم أكدت ، و مناسبة الثلاث[9] بكونها فى إحياء[10] الأشباح بالأرواح

(١) فى مد : عنه (٢) فى ظ : التى (٣-٣) ليست فى م (٤) زيدت من م و مد (٥) فى ظ و مد : من (٦) زيد من م و مد و ظ (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : على (٨) ليس فى مد (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الثلاثة (١٠) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : الاحيا .

لما قبلها و هو فى إحياء الأرواح بأسرار الصلاح أجل مناسبة ، فالمراد التحذير عن حال الأول و النـــدب إلى الارتقاء عن درجة الثانى إلى مقام الثالث الذى[1] حقيقته الصدق فى الإيمان لرجاء الحيازة[2] مما أكرم بـــه ، و لذلك عبر فى قصته بقوله [و اذ - ٣] و لم يسقها[4] مساق التعجيب كالأول[5] ﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ ﴿ ارنى كيف تحيى الموتى ﴾ قال الحرالى : طلب ما هو أهله[6] بما قال تعالى "و كذلك نرى / ابرٰهيم ملكوت السمٰوٰت و الارض[7]" فمن ملكوت الأرض الإحياء ، فقرره سبحانه و تعالى على تحقيق ابتداء حاله من تقرر الإيمان فقال مستأنفا : ﴿ قال ﴾ و لما كان التقدير : ألم[8] تعلم أنى قادر على الإحياء لأنى قادر على كل شىء عطف عليه قوله : ﴿ او لم تؤمن ط ﴾ فان الإيمان يجمع ذلك كله ﴿ قال بلٰى ﴾ فتحقق أن طلبه كيفية الإحياء ليس عن بقية تثبت فى الإيمـان ، فكان فى إشعاره أن أكثر طالبى الكيف فى الأمور إنما يطلبونه عن وهن فى إيمانهم ، و من طلب لتثبت[9] الإيمان مع أن فيما دون الكيف من الآيات كفايته لم ينتفع بالآية فى إيمانه ، لأن كفايتها فيما دونه و لم يعل لليقين لنقص إيمانه عن تمام حده ، فاذا تم الإيمان بحكم آياته التى فى موجود حكمة الله فى

/٢٨٢

(١) فى ظ : التى (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الحيارة - كذا (٣) زيد من م و ظ و مد (٤) فى الأصل : لم يسبقها ، و التصحيح من م و مد و ظ .
(٥) فى ظ : بالاول (٦) فى الأصل : اصله ، و التصحيح من م و ظ و مد .
(٧) سورة ٦ آية ٧٥ (٨) فى م : ام لم (٩) فى مد : لتثبيت .

الدنيا بيناته ترتب عليه برؤية ملكوت شهود الدنيا رتبة اليقين ، كما وجد تجربته أهل الكشف من الصادقين فى أمر الله حيث أورث لهم اليقين ، و متى شاركهم فى أمر من رؤية الكشف أو الكرامات ضعيف الإيمان طلب ١ فيه تأويلا ٢ ، و ربما كان عليه فتنة تنقصه مما كان عنده من حظ من إيمانه حتى ربما داخله نفاق لا ينفك منه إلا أن يستنقذه الله ، فلذلك أبدى تعالى خطاب تقريره لخليله ٣ صلى الله عليه و سلم ٣ على تحقيق الإيمان ليصح الترقى منه إلى رتبة الإيقان ، و هو مثل نحو ما تقدم فى مطلق قوله سبحانه و تعالى "الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمت الى النور" ؛ و ذكر عن الخليل عليه الصلاة و السلام أنه نظر الى بدن ٤ دابة توزعها دواب البحر و دواب البر و طير الهواء ، فتعجب منها و قال : يا رب ! قد علمت لتجمعنها فأرنى ٥ كيف تحييها لأعاين ذلك ، فانما ينبنى يقين العيان على تحقيق الإيمان ﴿ و لكن ﴾ أريد المعاينة ﴿ ليطمئن ﴾ ٦ من الطمأنينة و هى الهدو و السكون على سواء ٧ الخلقة و اعتدال الخلق ﴿ قلبى ط ﴾ من فطر على نيل ٨ شىء جبل على الشوق ٩ له ١٠ ، فلما كان إبراهيم عليه الصلاة و السلام متهيئا

(١) فى م : يطلب (٢) فى الأصل : تاويلان ، و التصحيح من م و ظ و مد .
(٣ - ٣) ليس فى مد (٤) ليس فى م وظ (٥) من م وظ و مد ، و فى الأصل : فارى (٦) العبارة من هنا إلى « الخلق » ليست فى م (٧) فى الأصل : سوء ، و التصحيح من مد (٨) ليس فى م (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : المشوق (١٠) فى مد : اليه .

لقبول[1] الطمأنينة[2] قذف فى قلبه طلبها ، فأجابه الله بما قد هيأه له ، فضرب[3] سبحانه و تعالى له مثلا أراه إياه ، جعله جرى العيان جلى الإيقان ، و ذلك أن الله تعالى سبحانه هو الأحد الذى لا يعد و لا يحد[4] و كان من تنزل *تجليه لعباده* أنه الإله الواحد ، و الواحد برىء من العد ، فكان أول ظهور الخلق هو[5] أول ظهور[6] العد ، فأول العد الاثنان "و من كل شىء خلقنا زوجين[7]" فالاثنان عد هو خلق كل [واحد ـ[8]] منهما واحد ، فجعل تعالى اثنين كل واحد منهما اثنان لتكون الاثنينية فيه[9] كلا[10] و جزءا فيكون زوجا من زوج ، فكان ذلك العد هو الأربع ، فجعله الله سبحانه و تعالى أصلا لمخلوقاته فكانت جملتها وتره ، فجعل الأقوات من أربع "و قدر فيها اقواتها فى اربعة ايام[11]" و جعل الأركان التى خلق منها صور المخلوقات أربعا ، و جعل الأقطار أربعا ، و جعل الأعمار أربعا ، و قال عليه الصلاة و السلام : خير الرفقاء أربعة ، و خير البعوث أربعون ، و خير السرايا[12] أربعمائة و خير الجيوش أربعة آلاف ؛ و المربعات فى أصول الخلق كثيرة تتبعها العلماء و اطلع عليها الحكماء "هو الذى بعث فى الامين رسولا

(١) ليس فى م (٢) فى م : للطمانينة (٣) فى ظ : قصرت (٤) فى م : لا يحصى (٥ - ٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تجلية لعبادة (٦) زيد فى ظ : الخلق. (٧) سورة ٥١ آية ٤٩ (٨) زيد من م و مد و ظ (٩) ليس فى مد (١٠) فى الأصل : كيلا ، و التصحيح من م ومد وظ (١١) سورة ٤١ آية ١٠ (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : السرية .

منهم[١] " - الآية ، و لما كان خلق آدم و سائر المخلوقات من مداد الأركان التى هى الماء و التراب و الهواء و النار فأظهر منها الصور " و صوركم فاحسن صوركم[٢] " ثم أظهر[٣] سبحانه و تعالى قهره[٤] باماتته و إفناء صوره ؛ كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب ، منه خلق و فيه يركب ، فكان بددها[٥] فى أربعة أقطار شرقا و غربا و شمالا و جنوبا ، أرى خليله عليه الصلاة و السلام كيف يدعو خلقه من أقطار آفاقه الأربعة بعد بددها[٥] و اختلاطها و التئام أجزائها على غير حدها ؛ يقال إن عليا رضى الله تعالى عنه ضرب بيده على قدح من فخار فقال : كم فيه من خد أسيل و عين كحيل ! " قد علمنا ما تنقص الارض منهم[٦] " فأرى[٧] تعالى/ خليله عليه الصلاة و السلام مثلا من جملة ذلك ﴿ قال فخذ ﴾ /٢٨٣/ بالفاء تحقيقا لمقاله و تصديقا[٨] فيما تحقق من إيمانه و إبداء لاستحقاقه اليقين و الطمأنينة بتقرر إيمانه ﴿ اربعة من الطير ﴾ هو اسم جمع من معنى ما منه الطيران و هو الخفة من ثقل ما ليس من شأنه أن يعلو فى الهواء ، جعل تعالى المثل من الطير لأن الأركان المجتمعة فى الأبدان طوائر تطير إلى أوكارها و مراكزها التى حددها الله تعالى لها[٩] جعلا

(١) سورة ٦٢ آية ٢ (٢) سورة ٤٠ آية ٦٤ (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ظهر (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : قهرة (٥) فى الأصل : يددها ، و فى مد : يذذها ، و التصحيح من م و ظ (٦) سورة ٥٠ آية ٤ (٧) فى الأصل : فاوى ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) فى م و ظ و مد : صدقه (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بها .

فيها لا طبعا واجبا منها ، فان الله عز و جل هو الحكيم الذى جعل الحكمة ، فمن أشهده الحكمة و[١] أشهده أنه جاعلها فهو حكيمها ، و من أشهده الحكمة الدنياوية و لم يشهده أنه جاعلها فهو جاهلها ، فالحكمة شهود الحكمة مجعولة من الله كل ماهية ممهاة ، و كل معنوية ممعناة[٢] ، و كل حقيقة محققة ، فالطبع و ما فيه جعل [٣]من الله[٣] ، من جهله ألحد ٥ و من تحققه وحد . كذلك المعقول[٤] و ما فيه إقباس من الله و إراءة من أمر الله ، من تقيد به و اعتقده لا ينفك نسبة الحد فى الطبع و احتاج إلى ملجأ فمن التأويل فى غيب الشرع ، و كل ما سوى الحق[٥] موضوع معطى حظا و حدا ينال ما أعطى و يعجز عما فوقه ، للعقول حد تقف عنده لا تتعداه ، فلذلك جعلها[٦] تعالى طوائر يقهرها قفص ١٠ الصورة و تمام التسوية ، و يظهر تماسكها نفخ الروح - انتهى .[٧] و قوله سبحانه و تعالى[٧] ، ﴿ فصرهن ﴾ أى اضممهن ﴿ اليك ﴾ أى لتعرف[٨] أشكالها فيكون ذلك أثبت فى أمرها . قال الحرالى : من الصور[٩] و هو استمالة القلوب بالإحسان حتى يشتد إلى المستميل صغوها و ميلها ؛ و إشعاره ينبئ[١٠] و الله [١١]سبحانه و تعالى[١١] أعلم أن إبراهيم عليه الصلاة ١٥ و السلام رباهن و غذاهن[١٢] حتى عرفنه[١٣] ليكون ذلك مثلا[١٤] لما لله

(١) سقط من مد (٢) فى ظ : ممغاة (٣-٣) ليس فى ظ (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : العقول (٥) سقط من ظ (٦) زيد فى م : الله (٧-٧) فى م : فقال تعالى ، و فى مد : قول و تعالى (٨) فى ظ : لتفرق (٩) فى الأصل : الصورة ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ينبئ (١١-١١) ليس فى مد (١٢) فى مد و ظ : عداهن (١٣) فى م : عرفته . (١٤) فى الأصل : ميلا ، و التصحيح من م و ظ و مد .

سبحانه و تعالى فى خلقه من تربيتهم بخلقهم و رزقهم حتى عرفوه بما احتاجوا إليه ، فوجدوه معرفة عجز عنه لا معرفة نيل له ، فمتى دعاهم من أقطار الآفاق أجابوه إجابة هذه الطوائر لخليله [بحظ - [1]] يسير من تربيته لهن ، و إذا كانت هذه الأربع مجيبة [للخليل عليه السلام - [2]] بهذا الحظ اليسير من الصور و الصغو[3] فكيف تكون إجابة الجملة للجليل العزيز الحكيم ! قال تعالى : ﴿ ثم اجعل ﴾ عطفا بكلمة المهلة[4] تجاوزا بعد تربيتهن عن ذبحهن و درسهن و خلطهن حتى صرن لحمة واحدة لا يبين فى جملتها شيء من الصور الذاهبة[5] ، كما تصير المواليد ترابا[6] عند موتها و تبددها صورة واحدة ترابية ليتطابق[7] المثل و الممثول مطابقة تامة إلى ما وراء ذلك من مجاوزة عبرة[8] و روية ﴿ على كل جبل ﴾ [9]من الجبال القريبة إليك ﴿ منهن جزءا ﴾ و الجزء بعض من كل يشابهه كالقطعة من الذهب و نحوه ، فجعل الجبال مثل الأقطار و هى لارتفاعها أمكن فى الرؤية و أبعد من الاشتباه "إن كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون[10] " "[11] فانما هى[11] زجرة واحدة

(١) زيد من م و مد و ظ (٢) زيد من م و ظ و مد غير أن « عليه السلام » ليس فى مد (٣) من مد ، و فى ظ : الصفو ، و فى الأصل و م : الصغر (٤) فى الأصل : المهملة ، و التصحيح من م و مد و ظ (٥) فى م : الزاهية (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ابا - كذا (٧) فى م : لتطابق (٨) فى الأصل : غيره ، و التصحيح من م و مد و ظ (٩) زيد فى ظ : اى (١٠) سورة ٣٦ آية ٥٣ (١١-١١) من م ، و فى الأصل و مد و ظ : ان كانت الا .

فاذا هم بالساهرة[1]" فما كان بالصيحة و الزجرة من الممثول كان بالدعاء فى المثل، كما أن ما كان بالخلق و الرزق فى الممثول كان بالصور فى المثل و جعله جزءا حيث كان يشبه بعضه بعضا ﴿ ثم ادعهن يأتينك سعيا ﴾ و السعى هو العدو و القصد المسرع[2] يكون فى الحس، و المعنى فى إتيان الطائر طائرا حظ من مُنّته و فى إتيانه سعيا[3] حظ من ذلته، ٥ فلذلك جلبهن[4] عليه سعيا بحال المتذلل الطالب للرزق و الأمنة من اليد التى عهد منها الرزق و الجنبة[5] التى ألف منها الأمن فبدأ[6] المثل مطابقا للممثول و غايته مرأى عين، فصار موقنا مطمئنا[3]؛ و ليس ذلك بأعجب من مشى الأحجار تارة و الأشجار كرة و أغصانها أخرى إلى خدمة ولده المصطفى صلى الله عليه و سلم، و كذا إلحام يد معوذ بن عفراء ١٠ بعد ما قطعت و جاء يحملها كما ذكر فى السير فى غزوة بدر، فصارت مثل أختها فى أشياء من أمثال ذلك، على أنه قد كان / له من إحياء ٢٨٤/ الموتى ما أذكره فى آل عمران، و كان لآحاد[7] أمته من ذلك ما ذكره[8] البيهقى فى الدلائل منه عددا كثيرا، و إنما لم يكثر ذلك على يده صلى الله عليه و سلم لأنه مرسل إلى قوم لا[9] يقرون بالبعث، و محط ١٥ الإيمان التصديق بالغيب، فلو كثر وقوع ذلك له صلى الله عليه و سلم

(١) سورة ٧٩ آية ١٣ (٢) فى الأصل: الشرع، و التصحيح من م و ظ و مد (٣) سقط من م (٤) فى م و مد: جبلهن (٥) من ظ، و فى بقية الأصول: الجنية (٦) فى ظ: فبُدى (٧) زيد فى الأصل «ذلك ما» و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٨) فى م و مد: ذكر (٩) فى م: لم.

لكشف الغطاء ، [١] و إذا كشف الغطاء[١] عوجل من تخلف عن الإيمان بالعذاب و هو نبي الرحمة صلى الله عليه و سلم ، و أما عيسى عليه الصلاة و السلام فكان فى قوم يؤمنون بالآخرة ففعله ذلك[٢] لإظهار المعجزة بنوع أعلى مما كانوا يصلون[٣] إليه بالطب[٤] ، على أنه لا فرق[٥] فى إظهار الخارق بين واحد و أكثر - و الله سبحانه و تعالى الموفق .

و لما أراه سبحانه و تعالى ملكوت الأرض صارت تلك الرؤية علما على عزة[٦] الله من وراء الملكوت فى محل الجبروت فقال : ﴿ و اعلم ان الله ﴾ [٧] أى المحيط علما و قدرة[٧] ﴿ عزيز ﴾ و لما كان للعزة صولة لا تقوى[٨] لها فطر المخترعين نزل تعالى الخطاب إلى محل حكمته فقال : ﴿ حكيم ﴾ فكان فيه إشعار بأنه سبحانه و تعالى جعل الأشياء بعضها من بعض كائنة و بعضها إلى بعض عامدة[٩] [و بعضها من ذلك البعض معادة " منها خلقناكم و فيها نعيدكم و منها نخرجكم تارة اخرى[١٠] " و هذه -[١١]] الحكمة التى أشار إليها اسمه الحكيم حكمة ملكوتية جامعة لوصلة ما بين حكمة الدنيا و حكمة الآخرة ، لأن الحكيم بالحقيقة ليس من علمه الله

(١ - ١) سقطت من مد (٢) فى م و ظ و مد : لذلك (٣) سقط من م .
(٤) فى م : بالظبا ، و فى الأصل : بالطبا ، و التصحيح من ظ و مد (٥) فى م : لا فوق (٦) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : عز (٧ - ٧) ليست فى ظ .
(٨) فى ظ : لا يقوى (٩) فى ظ : عايدة (١٠) سورة ٢٠ آية ٥٥ (١١) زيدت من م و ظ و مد .

حكمة الدنيا و ألبس عليه جعله لها بل ذلك جاهلها كما تقدم ، إنما الحكيم الذى أشهده الله حكمة الدنيا أرضا و أفلاكا و نجوما و آفاقا و موالد و توالدا[1] ، و أشهده أنه حكيمها ، و مزج[2] له علم حكمة موجود الدنيا بعلم حكمة موجود الآخرة ، و أراه[3] كيفية[4] توالج الحكمتين[4] بعضها فى بعض و مآل بعضها إلى بعض حتى يشهد دوران الأشياء فى حكمة أمر الآخرة التى هى غيب الدنيا إلى مشهود حكمة الدنيا ثم إلى مشهود حكمة الآخرة كذلك عودا على بدء و بدأ على عود فى *ظهور غيب* الإبداء إلى مشهوده[6] و فى عود مشهوده إلى غيبه "قالوا ربنا امتنا اثنتين و احييتنا اثنتين[7]" كذلك إلى المعاد الأعظم الإنسانى "يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن[8]" فهذا هو الحكيم[9] المتوسط الحكمة ، ثم وراء ذلك أمر آخر من على أمر الله فى متعالى تجلياته بأسماء و أوصاف يتعالى و يتعاظم للمؤمنين و يتبارك و يستعلن[10] للمؤقنين الموحدين ، فله سبحانه و تعالى العزة فى خلقه و أمره و له الحكمة فى خلقه و أمره و من ورائها كلمته التى لا ينفد[11] تفصيل حكمها "قل لو كان البحر مدادا[12]" - الآية ، و كلماته لا تحد و لا تعد

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : توالد (٢) فى ظ : مرج - كذا بالراء المهملة (٣) فى م : اراد (٤-٤) فى م : توابج الحكمين (٥-٥) فى م : ظهر عيب. (٦) فى م : مشهود (٧) سورة ٤٠ آية ١١ (٨) سورة ٦٤ آية ٩ (٩) فى ظ : الحكم (١٠) فى الأصل : يستمكن ، و التصحيح من م و مد و ظ (١١) من مد . و فى ظ : لا ينقد ، و فى الأصل : لا ينفذ (١٢) سورة ١٨ آية ١٠٩ .

"و لو ان ما فى الارض من شجرة اقلام[١] " - الآية ، فهو العزيز الحكيم العلى العظيم - انتهى . و هو أعلى من الجوهر الثمين و قد لاح بهذا أن قصد الخليل عليه أفضل الصلاة و السلام[٢] الانتقال من علم اليقين إلى عين[٣] اليقين بل إلى حق اليقين ، و كأنه عد المرتبة الدنيا من الطمأنينة بالنسبة إلى العليا عدما ، و قيل : بل كان قصده بالسؤال رؤية[٤] المحيي و لكنه[٥] طلبها تلويحا . فأجيب بالمنع منها بوصف[٦] العزة[٧] تلويحا ، و موسى عليه الصلاة و السلام لما سأل تصريحا أجيب تصريحا ، و سؤال الخليل عليه الصلاة و السلام ليس على وجه الشك ، و قول النبي صلى الله عليه و سلم : نحن أحق بالشك من إبراهيم ، يرشد إلى ذلك ، لأنه صلى الله عليه و سلم لم يشك ، و إذا انتفى الشك عن[٨] الأحق انتفى الشك عن غيره من باب الأولى ، و لئن[٩] سلمنا فالمراد أنه[١٠] فعل مثل ما يفعل الشاك إطلاقا لاسم الملزوم على اللازم فى الجملة ، و أما نفس الشك[١١] فقد نفاه القرآن عنه صلى الله عليه و سلم تصريحا بقوله "بلى[١٢]" و تلويحا بكون[١٣] هذه الآية عقب آية محاجته لذلك الذى بهت ؛ و نقل

(١) سورة ٣١ آية ٢٧ (٢) فى مد : التسليم (٣) فى الأصل : علم ، و التصحيح منَ م و ظ و مد (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بروية (٥) فى ظ : و لكنها (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يوصف (٧) فى م : العز (٨) فى ظ : على (٩) فى م : ليس (١٠) فى م و مد و ظ : به (١١) فى ظ : الشاك . (١٢) ليس فى ظ (١٣) فى الأصل : يكون ، و التصحيح من م و مد ، و فى ظ : بكون - كذا .

أن الشيخ أحمد أخا حجة الإسلام الغزالى [سئل - [1]] أيما أعلى[2] المقام الإبراهيمى[3] فى سؤال الطمأنينة أو المقام العلوى القائل : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ؟ فقال : الإبراهيمى لقوله تعالى "و[4] جحدوا بها و استيقنتها انفسهم[5]" .

و لما انقضى[6] جواب السؤال عن الملك الذى لا تنفع / عنده ٥ /٢٨٥ شفاعة بغير إذنه و لا خلة و لا غيرهما و ما تبع ذلك إلى أن ختم بقصة الأطيار التى صغت إلى الخليل بالإنفاق [عليها - [1]] و الإحسان إليها ثنى الكلام إلى الأمر بالنفقة قبل ذلك اليوم الذى لا تنفع[7] فيه الوسائل إلا بالوجه الذى شرعه بعد قوله "من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضعفه له[8]" نظرا[9] إلى أول السورة تذكيرا ١٠ بوصف المتقين حثا عليه ، فضرب لذلك مثلا صريحة لمضاعفتها فاندرج فيه مطلق الأمر بها اندراج المطلق فى المقيد و[10] تلويحه الذى هو[11] من جملة المشار إليه بحكيم للاحياء[12] ، فصرح بأن النفقة المأمور بها من ذخائر ذلك اليوم الذى لا ينفع فيه إلا ما شرعه و هو من جليل[13] العزة ، و ساقه على وجه يتضمن إحياء الموات الذى هو أنسب الأشياء ١٥

---

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) زيد فى ظ : مقام (٣) فى الأصل : الابراهيم ، و التصحيح من م و مد و ظ (٤) زيد فى ظ : ما (٥) سورة ٢٧ آية ١٤ .
(٦) فى الأصل : انقض ، و التصحيح من م و مد و ظ (٧) فى ظ : لا ينفع .
(٨) سورة ٥٧ آية ١١ (٩) فى م : نظر (١٠) ليس فى م (١١) ليس فى مد .
(١٢) فى م : الاحياء (١٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : خليل .

لما قبله من نشر الأموت ، فهو إيماء إلى الاستدلال على البعث بأمر محسوس ، و ذلك من دقيق[١] الحكمة ، فكأنه سبحانه و تعالى يقول : إن خليلي عليه الصلاة و السلام لما كان من الراسخين فى رتبة الإيمان أهّلته لامتطاء درجة أعلى من درجة[٢] الإيقان بخرق العادة فى رفع الأستار على يده عن إحياء[٣] الأطيار و أقمت نمطا من ذلك لعامة الخلق مطويا فى إحياء النبات على وجه معتاد فمن اعتبر به أبصر و من عمى عنه انعكس حاله و أدبر فقال سبحانه و تعالى: ﴿ مثل ﴾ فكان كأنه قيل : "من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا" - الآية "يا أيها الذين آمنوا انفقوا[٤]" - الآية فانه [مثل -[٥]] ﴿ الذين ينفقون ﴾ أى يبذلون[٦] ﴿ اموالهم ﴾ بطيب نفس ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى[٧] الذى له الكمال كله[٧] كمثل زارع و مثل ما ينفقون ﴿ كمثل حبة ﴾ مما زرعه . قال الحرالى: من الحب و هو تمام النبات المنتهى إلى صلاحية[٨] كونه طعاما للآدمى الذى هو أتم الخلق ، فالحب أكمل من الثمرة طعامية و الثمرة إدامية ﴿ انبتت ﴾ أى بما جعل[٩] الله سبحانه و تعالى لها من قوة الإنبات بطيب

---

(١) فى م : دقائق (٢) فى م و ظ : مرتبة ، و فى مد : رتبه (٣) فى الأصل : الاحياء، و التصحيح من م و مد و ظ (٤) سقط من م (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) فى الأصل : بذلون ، و التصحيح من م و مد و ظ (٧-٧) العبارة من « اى » إلى هنا ليست فى ظ (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : صلاحيته. (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : جعله .

أرضها

أرضها و اعتدال ريها[١] ﴿ سبع سنابل ﴾ بأن تشعب منها سبع شعب[٢] فى كل شعبة سنبلة و هو من السنبل . قال الحرالى : و هو مجتمع الحب فى أكمامه ، كأنه آية[٣] استحقاق اجتماع أهل ذلك الرزق فى تعاونهم فى أمرهم ، و تعريف بأن الحب يجمعه لا بوحدته ﴿ فى كل سنبلة مائة حبة[٤] ﴾ فصارت الحبة سبعمائة حبة بمضاعفة الله لها . قال الحرالى : فضرب المثل للانفاق فى سبيل الله [٤]و ذكر السبع لما فيه من التمام[٤] بالحرث الذى هو كيميا عباده[٥] يشهدون من تثميره حيث تصير الحبة أصلا و يثمر الأصل سنابل و يكون فى كل سنبلة أعداد[٦] من الحب ، فكان ما ذكر[٧] تعالى هو أول الإنفاق فى سبيل الله و ذكر السبع لما فيه من التمام و ما يقبله من التكثير ، فان ما أنبت أكثر من سبع إذا قصد بالتكثير أنبأ عنه بالسبع ، لأن العرب تكثر به ما هو أقل منه أو أكثر ، فجعل أدنى النفقة فى سبيل الله سبعمائة ضعف ، ثم فتح تعالى باب التضعيف إلى ما لا يصل إليه عد - انتهى . فالآية من الاحتباك و تقديرها : مثل الذين ينفقون و نفقتهم كمثل حبة و زارعها ، فذكر المنفق أولا دليل[٨] على [٩]حذف الزارع[٩] ثانيا ، و ذكر الحبة ثانيا دليل على حذف النفقة أولا .

---

(١) فى م : زيها (٢) فى م : شعبة (٣) من مد و ظ ، و فى الأصل : اته ، و فى م : اته (٤-٤) ليست فى م و مد و ظ (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عبادة . (٦) فى م : اعدادا (٧) زيد فى مد : الله (٨) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : دليلا (٩-٩) فى م : المضارع .

و لما كان التقدير: فكما ضاعف سبحانه و تعالى للزارع حبته فهو يضاعف للنفق نفقته، عطف عليه قوله: ﴿ و الله يضعف لمن يشآء[1] ﴾ بما له من السعة فى القدرة و كل صفة حسنى ﴿ و الله ﴾ أى بما له من الكمال فى كل صفة ﴿ واسع ﴾ لا يحد فى صفة من صفاته التى تنشأ عنها أفعاله ﴿ عليم ﴾ فهو يضاعف لأهل النفقة على قدر ما علمه من نياتهم؛ و لما ختم أول آيات هذه الأمثال بهاتين الصفتين ختم آخرها بذلك إشارة إلى أن سعته قد أحاطت بجميع[2] الكائنات فهو جدير بالإثابة فى الدارين، و أن علمه قد شمل كل معلوم فلا يخشى أن يترك عملا.

٢٨٦/ ١٠ و لما كان الإنسان قد يزرع ما يكون / لغيره بين أن هذا لهم بشرط فقال: ـ و قال الحرالى: [و - ٣] لما كان للخلافة و خصوصا بالإنفاق موقع من النفس بوجوه مما ينقص التضعيف أو يبطله كالذى يطرأ على الحرث الذى ضرب به المثل مما ينقص نباته أو يستأصله نبه تعالى على ما يبطل؛ انتهى. فقال سبحانه و تعالى ـ: ﴿ الذين ينفقون ﴾ و رغبهم فى إصلاحها و رهبهم من إفسادها باضافتها إليهم فقال: ﴿ اموالهم ﴾ و حث على الإخلاص فى قوله: ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى[4] الذى له الأسماء الحسنى[5].

(١) من م و ظ، و فى مد: لا محد ـ كذا، و فى الأصل: لا يجد (٢) زيد فى م: هذه (٣) زيد من م و ظ و مد (٤) ليس فى م (٥) العبارة من «اى» إلى هنا ليست فى ظ.

و لما كانت النفس مطبوعة على ذكر فضلها و كان من المستبعد جدا تركها له نبه عليه[1] بأداة البعد إعلاما بعظيم فضله فقال: ﴿ ثم لا يتبعون ما انفقوا ﴾ بما يجاهدون به أنفسهم ﴿ منا ﴾ قال الحرالى: و هو ذكره لمن أنفق عليه فيكون قطعا لوصله بالإغضاء عنه لأن أصل معنى المنّ القطع ﴿ و لا اذى[2] ﴾ و هو ذكره لغيره فيؤذيه بذلك لما يتعالى عليه[2] بانفاقه - انتهى[3]. و كذا أن يقول لمن شاركه[4] فى فعل خير: لو لم أحضر ما تم، و تكرير 'لا' تنبيه على أن[5] انتفاء كل منهما شرط لحصول الأجر ﴿ لهم ﴾ و لم يقرنه بالفاء إعلاما بأنه ابتداء عطاء من الله تفخيما لمقداره و تعظيما لشأنه حيث لم يجعله مسببا عن إنفاقهم ﴿ اجرهم ﴾ أى الذى ذكره[6] فى التضعيف فأشعر ذلك[7] أنه إن اقترن بما نهى عنه لم يكن لهم، ثم زادهم رغبة بقوله: ﴿ عند ربهم ج ﴾ أى المحسن إليهم بتربيتهم القائم على ما يقبل من النفقات بالحفظ و التنمية[8] حتى يصير فى العظم إلى حد يفوت الوصف ﴿ و لا خوف عليهم ﴾ من هضيمة تلحقهم ﴿ و لا هم يحزنون ۝ ﴾ على فائت، لأن ربهم سبحانه و تعالى لم يترك شيئا من الفضل اللائق بهم إلا أوصله إليهم.

و لما أفهم هذا و هى ما لا يقترن بالشرط من الإنفاق فتشوقت[9]

---

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: عليها (٢) زيد فى الأصل «من» و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٣) ليس فى مد (٤) فى ظ: نشاركه (٥) ليس فى م و مد و ظ (٦) فى م و ظ و مد: ذكر (٧) فى م: بذلك (٨) فى ظ: التسمية (٩) فى ظ و مد: تشوفت.

النفس إلى الوقوف على الحقيقة من أمره صرح به فى قوله : ﴿ قول معروف ﴾ قال الحرالى : و هو ما لا يوجع قلب المتعرض بحسب حاله و حال القائل . و لما كان [١] السائل قد يلح و يغضب من الرد و إن كان بالمعروف من القول فيغضب المسؤل قال : ﴿ و مغفرة ﴾ [٢] للسائل إذا أغضب من رده ﴿ خير من صدقة ﴾ و هى الفعلة التى يبدو بها [٣] صدق الإيمان بالغيب من حيث أن الرزق غيب فالواثق منفق تصديقا بالخلف [٤] [إعلاما بعظم فضله - [٥]] ﴿ يتبعها اذى [٦] ﴾ [٦] بمن [٣] أو غيره ، لأنه حينئذ [٧] يكون جامعا بين نفع و ضر و ربما لم يف ثواب النفع بعقاب الضر [٨] ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الملك [٩] الذى لا أعظم منه ﴿ غنى ﴾ فهو لا يقبل ما لم يأذن فيه . و لما رهب [١٠] المتصدق بصفة الغنى رغبة فى الحلم عمن أغضبه بكفران [١١] الإحسان أو الإساءة [١٢] فى القول عند الرد بالجميل فقال : ﴿ حليم ﴾ أى لا يعاجل من عصاه بل يرزقه و ينصره و هو يعصيه و يكفره . و لما شرط لقبولها شرطا و وهّى

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد فى م و ظ و مد : اى (٣) من م و مد ، و فى الأصل : يبدونها ، و فى ظ : يبدوا بها (٤) فى الأصل : بالخلق ، و التصحيح من م و ظ و مد (٥) زيد من مد (٦) زيد فى ظ : اى (٧) زيد فى مد : كن . (٨) العبارة من « لأنه حينئذ » إلى هنا ليست فى م (٩) فى ظ : الله (١٠) فى م : وهب (١١) فى الأصل : بكفر اذ ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الاشارة .

ما عرى[1] منها [عنه -[2]] أتبعه التصريح بالنهى عن إهماله [3] و النص على محقه لها و إبطاله[3] و ضرب لذلك مثلا و ضرب للمثل مثلا مبالغة فى الزجر عن ذلك فقال: ﴿ يآيها الذين امنوا ﴾ أى أقروا بذلك صدقوا إقراركم بأن ﴿ لا تبطلوا ﴾ قال الحرالى: فبين أن ما اشترطه فى الأجر المطلق مبطل للانفاق - انتهى . ﴿ صدقتكم بالمن و الاذى[4] ﴾ فربما وازى[4] عقابهما ثواب الصدقة أو زاد فكان[5] كالإبطال لأوله إلى أن لا ثواب . قال الحرالى: فألحق عمل الإخلاص بآفة[6] ما تعقبه بما بنى على أصل الرياء[7] - انتهى . فقال: ﴿ كالذى ينفق ماله ﴾ لغير الله، إنما ينفقه ﴿ رئآء الناس ﴾ أى لقصد أن يروه . قال الحرالى: هو الفعل المقصود به رؤية الخلق غفلة عن رؤية الحق و عماية عنه .

و لما شبه[8] المانّ و المؤذى[9] بالمرائى لأنه أسقط الناس و أدناهم همة و أسوؤهم نظرا و أعماهم قلبا فأولو الهمم العلية لا سيما العرب أشد شىء[10] نفرة[11] منه و أبعده[12] عنه و[13] كان لمن يرائى[14] حالان ألحقه

(١) من ظ ، و فى م و مد: عزى ، و فى الأصل : عرف (٢) زيد من م و ظ و مد (٣-٣) ليست فى ظ (٤) من م و مد ظ ، و فى الأصل : واذى - كذا بالذال (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فكانه (٦) من مد و ظ ، و فى الأصل : بانة . و فى م : باية (٧) فى الأصل : الرويا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) فى م: يشبه (٩) فى الأصل : و الاذى و الوذى . و التصحيح من م و ظ و مد (١٠) من م و ظ ، و فى مد : اشدى ، و فى الأصل : اسدى - كذا (١١) فى مد : نفس (١٢) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : ابعد (١٣) ليس فى مد (١٤) فى الأصل : يران ، و التصحيح من م و ظ و مد .

/٢٨٧ بأشدهما/ فقال: ﴿ و لا يؤمن بالله ﴾ أى الذى له صفة[1] الكمال ﴿ و اليوم الأخر ﴾[2] الذى يقع فيه الجزاء بعد نقد[3] الأعمال جيدها من[4] رديئها . قال الحرالى: و لما ضرب مثلا[5] لنماء النفقه بالحرث ضرب مثلا[5] لإبطالها بخطأ الحارث فى الحرث فقال: ﴿ فمثله ﴾ فى إنفاقه[6] مقارنا لما يفسده، و مثل نفقته ﴿ كمثل صفوان ﴾ و ما زرع عليه، و هو صيغة مبالغة من الصفا و هى الحجارة الملس الصلبة التى [لا -[7]] تقبل[8] انصداعها بالنبات - انتهى. ﴿ عليه تراب ﴾[9] فاغتر به بعض الجهلة فزرع عليه[10] .

و لما كانت إزالة التراب عما وقع عليه عقب وقوعه أجدر ١١ما زالت١١ بحذافيره و لا سيما إن كان حجرا أملس قال إبلاغا فى إبطال الرياء للعمل: ﴿ فاصابه ﴾[12] أى عقب كون التراب عليه من غير مهلة بخلاف ما يأتى من الربوة فانها صفة[13] لازمة فلو تعقبها المطر لدام بدوامها فأفسدها ﴿ وابل ﴾ أى مطر كثير فأزال التراب عنه ﴿ فتركه صلدا ﴾ أى صخرا لا يقبل النبات بوجه بل يخيب من

(١) فى مد و ظ : صفات (٢) زيد فى م : اى (٣) فى الأصل : نفذ، و فى م : فقد، و فى مد: نقذ، و التصحيح من ظ (٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل : و (٥-٥) ليست فى م (٦) فى مد: نفاقه (٧) زيد من م و ظ و مد (٨) فى ظ : لا يقبل (٩) زيد فى م و ظ و مد: اى (١٠) العبارة من هنا إلى « للعمل » ليست فى ظ (١١-١١) فى مد: بازالته (١٢) العبارة من هنا إلى « فأفسدها » ليست فى ظ (١٣) من م و مد، و فى الأصل : صنفه .

بأمله كما يقال أصله الزند إذا لم يور ، فجعل قلب المؤذى المانّ بمنزلة الصفوان الذى أصابه وابل المطر ، فأذهب عائد نفقته كما أذهب بذر[1] الحارث[2] على الصفوان وابل المطر الذى شأنه أن يصلح البذر - قاله الحرالى و فيه تصرف . و لما بان بهذا بطلان العمل فى المثل و الممثول ترجمه[3] بقوله[4] : ﴿ لا يقدرون[5] ﴾ أى الممثل لهم و الممثل بهم ﴿ على شىء مما كسبوا[5] ﴾ فالآية[5] من الاحتباك و لما كان الزارع على مثل هذا عجبا فى الضلال و الغباوة و كان التقدير : فان الله لا يقبل عمل المؤذين كما لا يقبل عمل المرائين ، عطف عليه معلما أنه يعمى[6] البصراء[7] عن أبين الأمور إذا أراد و مهما شاء فعل قوله : ﴿ و الله ﴾[8] [9] الذى له الحكمة كلها[9] ﴿ لا يهدى ﴾ أى لوجه مصلحة ، و لما كان كل من المؤذى و المرائى قد غطى[10] محاسن عمله بما جره[11] من السوء[12] قال: ﴿ القوم الكفرين ﴾ و فى ذكره و لهذه الجملة وحدها أشد ترهيب للتصدق على هذا الوجه .

و لما فرغ من مثل العارى عن الشرط ضرب للمقترن بالشرط من

---

(١) فى الأصل : به ، و التصحيح من م و ظ و مد (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الحرث (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ترجمة (٤) زيد فى ظ : و (٥) فى م و مد و ظ : و الاية (٦) فى ظ : تعمى (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : البصر (٨) زيد فى مد : اى (٩-٩) ليست فى ظ (١٠) من مد ، و فى الأصل و م و ظ : عطى - كذا (١١) فى ظ : جر (١٢) فى الأصل : السوق ، و التصحيح من م و مد و ظ .

الإنفاق مثلا منبها فيه على أن غيره[١] ليس مبتغى به وجه الله فقال: ﴿ومثل﴾ قال الحرالى: عطفا[٢] على "[٣] الذى ينفق ماله[٣] رئاء [الناس -[٤]] ولا يؤمن بالله واليوم[٥] الأخر" عطف مقابلة[٦] [٧]وعلى[٧] "مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله" عطف مناسبة - انتهى. ﴿الذين ينفقون اموالهم﴾ أى[٨] مثل نفقاتهم [٩]لغير علة[٩] دنياوية ولا شائبة نفسانية بل[١٠] ﴿ابتغاء مرضات الله﴾ [٧]أى الذى له الجلال والإكرام[٧]. فلذلك صلح كل الصلاح فعرى عن المن والأذى وغيرهما من الشوائب الموجبة للخلل[١١] قال الحرالى: والمرضاة مفعلة لتكرر[١٢] الرضى ودوامه - انتهى. ﴿وتثبيتا من انفسهم﴾ بالنظر فى إصلاح العمل وإخلاصه بالحمل على الحلم[١٣] والصفح والصبر على جميع مشاق التكاليف[١٤] فان من راض[١٥] نفسه بحملها[١٦] على بذل المال الذى [هو -[١٧]] شقيق

(١) من م ومد وظ، وفى الأصل: غير (٢) فى مد: عطف (٣-٣) فى الأصل: مثل الذين ينفقون، والتصحيح من م ومد وظ غير أن «ماله» ليس فى مد وظ (٤) زيد من م (٥) من م، وفى الأصل ومد وظ: ولا باليوم (٦) من مد، وفى الأصل وم وظ: مقابله (٧-٧) ليس فى ظ (٨) ليس فى م، وزيد بعده فى مد: و (٩-٩) فى الأصل: بغير عمله، والتصحيح من م وظ ومد. (١٠) من م وظ، وفى الأصل: مثل، وليس فى مد (١١) فى الأصل: للخليل صلوات الله وسلامه عليه، والتصحيح من م ومد وظ (١٢) فى ظ: لتكرار. (١٣) فى الأصل: الحكم، والتصحيح من م وظ مد (١٤) فى الأصل: التكليف، والتصحيح من م ومد وظ (١٥) فى الأصل: اراضى، والتصحيح من م ومد وظ (١٦) فى ظ: لحملها (١٧) زيد من ظ ومد.

الروح و ذلت له خاضعة و قل طمعها فى اتباعه لشهواتها[1] فسهل[2] عليه حملها على سائر العبادات ، و متى[3] تركها و هى مطبوعة[4] على النقائص[5] زاد طمعا[6] فى اتباع الشهوات و لزوم الدناآت ، فمن للتبعيض مفعول به مثلها فى قولهم : لين من[7] عطفه[8] و حرك[9] من نشاطه ﴿ كمثل جنة ﴾ أى بستان و مثل صاحبها . قال الحرالى : و لما كان حرث الدنيا حبا و ثمرا[10] جعل نفقات الأخرى كذلك حبا و ثمرا ، فمن أنفق فى السبيل جعل مثله كالحب ، و من أنفق ابتغاء لمرضاة[11] الله جعل مثله كالجنة[12] التى لها أصل ثابت تدور عليها الثمرات [و هى ثابتة - ١٣] و تستغنى[14] من الماء بما[15] لا يستغنى به الحرث لأن الحرث مستجد فى كل وقت ، كما أن الجهاد واقع عند الحاجة إليه و المنفق ابتغاء مرضاة الله ينفق فى كل وجه دائم الإنفاق ، فكان مثله مثل الجنة[16] الدائمة ليتطابق المثلان[17] بالممثولين ، فعمت هذه النفقة[18] جهات / الإنفاق كلها فى جميع

٢٨٨ /

(١) فى م : بشهواتها (٢) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : فهل (٣) فى الأصل : بنى ، و التصحيح من م و مد و ظ (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مقبوضة (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : التقابض (٦) فى ظ : طعمها . (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فى (٨) فى م : عطنه (٩) من مد و ظ ، وفى الأصل و م : جرى (١٠) فى م : ثمر (١١) فى الأصل : المرضات ، و فى م و ظ و مد : مرضات (١٢) فى الأصل : كالحبة ، و التصحيح من م و مد و ظ . (١٣) زيدت من م و ظ و مد (١٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يستغنى . (١٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مما (١٦) من م و مد و ظ ، وفى الأصل الحبة (١٧) فى الأصل : الثلاث ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المنفقة .

سبل الخير - انتهى . ﴿ بربوة ﴾ أى مكان عال ليس بجبل . قال الحرالى: فى إعلامه أن خير الجنات ما كان فى الربوة لتنالها الشمس و تخترقها الرياح اللواقح ، فأما ما كان من الجنان فى الوهاد تجاوزتها الرياح اللواقح من فوقها فضعفت حياتها ، لأن الرياح هى حياة النبات ، الريح من نفس الرحمن ، انتهى . ثم وصفها بقوله: ﴿ اصابها وابل ﴾ أى مطر كثير ﴿ فآتت اكلها ﴾ أى أخرجته باذن الله [1] سبحانه و تعالى [1] حتى صار فى قوة المعطى ﴿ ضعفين ج ﴾ أى مثل ما كانت تخرجه لو أصابها دون الوابل - كذا قالوا: مثلين ، و الظاهر أن المراد أربعة أمثاله ، لأن المراد بالضعف قدر الشيء و مثله معه فيكون الضعفان أربعة - و الله سبحانه و تعالى أعلم ؛ و الآية من الاحتباك ، ذكر المنفق أولا دال على حذف صاحب الجنة ثانيا ، و ذكر الجنة ثانيا دال على حذف النفقة أولا .

و لما كان الوابل قد لا يوجد قال : ﴿ فان لم يصبها وابل فطل ﴾ أى فيصيبها لعلوها طل ، و هو الندى الذى ينزل فى الضباب . و قال الحرالى: الطل [سن - ٢] من أسنان المطر خفى لا يدركه الحس حتى يجتمع ، فان المطر ينزل خفيا عن الحس و هو الطل ، ثم يبدو بلطافة و هو الطش [3] ، ثم يقوى و هو الرش ، ثم يتزايد و يتصل و هو الهطل [4] ، ثم يكثر و يتقارب و هو الوابل ، ثم يعظم سكبه و هو الجود ؛ فله

(١-١) ليس فى مد (٢) زيد من م و ظ و مد (٣) فى م : الكش (٤) وقع فى ظ : الطهل - مصحفا .

أسنان مما لا يناله الحس للطافته إلى ما لا يحمله الحس كثرة[1] - انتهى[2] .
و المعنى أن أهل هذا الصنف لا يتطرق إلى أعمالهم فساد، غايتها أن يطرقها النقص باعتبار ضعف النيات، و لذلك كان التقدير تسبيبا عن ذلك: فالله بما تستحقون[3] على نياتكم عليم، فعطف عليه قوله[4]: ﴿ و الله ﴾[4] أى المحيط علما و قدرة[4] ﴿ بما تعملون ﴾ أى بما ظهر منه ﴿ بصير ﴾[5] كما هو كذلك بما بطن، فاجتهدوا فى إحسان الظاهر و الباطن، [6]و قدم مثل العارى عن الشرط عليه لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح[6] .

و لما قدم سبحانه و تعالى أن المن مبطل[7] للصدقة و مثله بالرياء و ضرب لهما مثلا و رغب فى الخالص و ختم ذلك بما يصلح للترهيب من المن و الرياء رجع إليهما دلالة على الاهتمام بهما فضرب لهما مثلا أوضح من السالف و أشد فى التنفير عنهما و البعد منهما فقال - و قال الحرالى: و لما تراجع خبر الإنفاقين و مقابلهما[7] تراجعت أمثالها فضرب لمن ينفق مقابلا لمن يبتغى مرضاة الله تعالى مثلا بالجنة[8] المخلفة، انتهى. فقال - منكرا على من يبطل عمله كأهل مثل الصفوان بعد كشف الحال بضرب هذه الأمثال: ﴿ ايود احدكم ﴾ أى يحب حبا شديدا

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: كثيرة (٢) ليس فى ظ (٣) من مد و ظ، فى م: يستحقون، و فى الأصل: يستخفون (٤ - ٤) ليست فى ظ. (٥-٥) ليست فى مد (٦) من م و ظ و مد، و فى الأصل: يبطل (٧) فى مد: تقابلهما (٨) من م و مد و ظ، و فى الأصل: بالحبة.

﴿ ان تكون له جنة ﴾ أى حديقة تستر[١] داخلها ، و عين هنا ما أبهمه فى المثل الأول فقال : ﴿ من نخيل ﴾ جمع نخلة[٢] و هى الشجرة القائمة ٣على ساق[٣] الحية[٤] من أعلاها أشبه الشجر بالآدمى ، ثابت ورقها ، مغذ[٥] مؤدم ثمرها ، فى كليتها نفعها حتى فى خشبها طعام للآدمى بخلاف ٥ سائر الشجر ، مثلها كمثل المؤمن الذى ينتفع به كله ﴿ و اعناب ﴾ جمع عنب و هو شجر متكرم لا يختص ذهابة بجهة العلو اختصاص النخلة بل يتفرع[٦] علوا و سفلا و [٧]يمنة و يسرة[٧] ، مثله مثل[٨] المؤمن المتقى الذى يكرم بتقواه فى كل جهة - قاله الحرالى .

و لما كانت الجنان لا تقوم[٩] و تدومها إلا بالماء قال : ﴿ تجرى ١٠ من تحتها الانهار[٩] ﴾ أى لكرم أرضها . و[١٠] قال الحرالى : و فى إشعاره تكلف ذلك فيها[١٠] بخلاف الأولى التى هى بعل[١١] فان الجائحة فى السقى أشد عل المالك منها فى البعل [١٣]لقلة الكلفة فى البعل[١٣] و لشدة الكلف فى السقى - انتهى .

و لما وصفها بكثرة الماء ذكر[١٢] نتيجة ذلك فقال : ﴿ له[١٣] فيها من ١٥ كل الثمرت[١٣] ﴾ أى مع النخل و العنب . و لما ذكر كرمها ذكر شدة

(٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تسر (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : نخل (٣-٣) ليس فى م (٤) فى م : الجنة (٥) فى ظ : مغد (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يتفرغ (٧-٧) فى مد و ظ : يمنه و يسره (٨) فى مد : كمثل . (٩) فى ظ : لا يقوم (١٠) ليس فى ظ (١١) البعل من الأرض ماسقته السماء ولم يسق بماء الينابيع (١٢) فى ظ : ذار - كذا (١٣) زيد من م و ظ و مد و القرآن المجيد .

الحاجة إليها فقال: ﴿ و اصابه ﴾ أى و الحال أنه أصابه ﴿ الكبر ﴾ فصار لا يقدر على اكتساب ﴿ و له ذرية ضعفآء ﴾ بالصغر كما ضعف هو بالكبر ﴿ فاصابهآ ﴾ أى الجنة [1] مرة من المرات [1] ﴿ اعصار ﴾ أى ريح شديدة جدا . قال الحرالى: صيغة اشتداد بزيادة الهمزة / و الألف فيه من العصر و هو [2] الشدة المخرجة لخبء [4] الأشياء ، و الإعصار ريح شديدة فى غيم يكون فيها حدة من برد الزمهرير ، و هو] أحد قسمى النار ، نظيره من السعير السموم . و قال الأصفهانى: ريح تستدير [5] فى الأرض ثم تسطع نحو السماء كالعمود ﴿ فيه نار ، فاحترقت [3] ﴾ تلك الجنة و بقى صاحبها بمضيعة [6] مع ضعفه و ثقل ظهره بالعيال و قلة المال . قال الحرالى: من الاحتراق و هو ذهاب روح الشىء و صورته ذهابا و حيا [7] باصابة قاصف لطيف يشيع فى كليته فيذهبه و يفنيه ؛ فجعل المثل الأول فى الحب أى الذى على الصفوان لآفة من تحته . و جعل المثل فى الجنة بجائحة [8] من فوقه كأنهما [9] جهتا [10] طرو العلل و الآفات من جهة أصل أو فرع - انتهى . فحال من رأى فى أعماله أو آذى فى صدقة ماله فى يوم القيامة و أهواله كحال هذا فى نفسه و عياله عند خيبة

/ ٢٨٩

(١ - ١) ليست فى ظ ، و فى م :الموت - مكان : المرات (٢) زيدت من م وظ و مد (٤) من مد ، و فى ظ : لخباء ، و فى م : لخبث (٥) فى الأصل : فتدمر ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) فى مد : لضيعته (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : باوحيا (٨) فى الأصل : بجايحة ، و فى ظ : يحاجه ، و فى مد : عايجه (٩) فى م : كانها (١٠) فى مد : اجهتا .

آماله ، و روى البخارى [1] رضى الله تعالى عنه [1] فى التفسير عن عبيد ابن عمير [قال قال عمر [2]] رضى الله تعالى عنه لأصحاب النبي صلى الله عليه و سلم : فيم ترون هذه الآية نزلت "ايود احدكم" - إلى أن قال : قال ابن عباس [3] رضى الله تعالى عنه [3] : [4] ضربت مثلا [4] لعمل ، قال عمر ٥ [3] رضى الله تعالى عنه [3] : أىّ عمل ؟ قال ابن عباس : لعمل ، قال عمر [3] رضى الله تعالى عنه [3] : لرجل غنى يعمل بطاعة الله [3] سبحانه و تعالى [3] ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله .

و لما بين لهم هذا البيان الذى أبهت بلغاء الإنس و الجان نبههم على تعظيمه لتبجيله و تكريمه بقوله مستأنفا : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ١٠ هذا البيان ﴿ يبين الله ﴾ [5] أى الذى له الكمال كله [5] ﴿ لكم الأيٰت ﴾ أى كلها ﴿ لعلكم تتفكرون ﴾ أى ليكون حالكم حال من يرجى أن يحمل نفسه على الفكر ، و من يكون كذلك ينتفع بفكره . و قال الحرالى : فتبنون الأمور على تثبيت ، لا خير فى عبادة إلا بتفكر [6] ، كما أن البانى لابد أن يفكر فى بنائه ، كما قال الحكيم : أول الفكرة ١٥ آخر العمل و أول العمل آخر الفكرة ، كذلك من حق أعمال الدين أن لا تقع إلا بفكرة فى إصلاح أوائلها السابقة و آواخرها اللاحقة ، فكانوا فى ذلك صنفين بما يشعر به "لعلكم" مطابقين للمثل متفكر مضاعف

(١-١) ليست فى مد (٢) زيد من ظ ، و فى م و مد : قال عمر (٣-٣) ليست فى م و مد و ظ (٤-٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ضرب مثل . (٥-٥) ليست فى ظ (٦) فى ظ : تتفكر .

حرثه و جنته و عامل [١] بغير فكرة [١] تستهويه أهواء نفسه فتلحقه الآفة في عمله في حرثه و جنته [٢] من [٣] سابقه أو لاحقه [٣] - انتهى .

و لما رغب في الفعل و تخليصه عن الشوائب أتبعه المال المنفق منه فأمر بطيبه فقال : ﴿ يَاأَيُّهَا الذين آمنوا ﴾ أي أقروا بالإيمان ﴿ انفقوا ﴾ أي تصديقا لإيمانكم ﴿ من طيبٰت ما كسبتم ﴾ و إنما قدم الفعل لأنه ألصق بالإنسان و تطييبه أعم نفعا . و لما ذكر [٤] ما أباحه سبحانه [٤] و تعالى من أرباح [٥] التجارات و نحوها أتبعه ما أباحه من منافع النباتات [٦] و نحوها منبها بذلك على أن كل ما يتقلب [٧] العباد فيه من أنفسهم و غيرها نعمة منه أنشأها من الأرض التي أبدعها من العدم ترغيبا في الجود به و في جعله خيارا حلالا و ترهيبا من الشح به و جعله دينا أو حراما فقال : ﴿ و مما اخرجنا ﴾ أي بعظمتنا ﴿ لكم ﴾ نعمة منا عليكم ﴿ من الارض ص ﴾ قال الحرالي : قدم [٨] خطاب المكتسبين بأعمالهم كأنهم المهاجرون و عطف عليهم المنفقين من الحرث و الزرع كأنهم الأنصار - انتهى .

و لما أمر بذلك أكد الأمر به بالنهي عن ضده فقال : ﴿ و لا تيمموا ﴾ أي [٩] لا تتكلفوا أن تقصدوا ﴿ الخبيث منه ﴾ أي خاصة

(١-١) في م : بفكرة (٢) من م و مد و ظ ، و في الأصل : خيثه - كذا .
(٣-٣) في م : سابقة او لاحقة (٤-٤) في ظ : سبحانه ما اباحه (٥) في الأصل : ارباب ، و التصحيح من م و ظ و مد (٦) من م و مد و ظ ، و في الأصل : النبات (٧) من م و مد و ظ ، و في الأصل : ينقلب (٨) في م : فقدم (٩) زيد في م و ظ و مد : و .

﴿ تنفقون ﴾ قال الحرالى : الخبيث صيغة مبالغة بزيادة الياء من الخبث و هو ما ينافر[1] حس النفس ظاهره و باطنه ، فى مقابله[2] ما يرتاح إليه من الطيب الذى ينبسط[3] إليه ظاهرا و باطنا[4] ، و قال[5] : فنى إلاحته معنى حصر[6] كأنهم لا ينفقون إلا منه ليتجاوز النهى[7] من ينفق من طيبه و خبيثه على غير قصد اختصاص النفقة من الخبيث - انتهى .

ثم أوضح قباحة ذلك بقوله : ﴿ و لستم بآخذيه ﴾ أى إذا كان لكم على أحد حق فأعطاكموه ﴿ الآ ان تغمضوا ط ﴾ أى تسامحوا ﴿ فيه ط ﴾ [8] بالحياء مع الكراهة [8] . قال الحرالى : من الإغماض و هو الإغضاء عن / العيب[9] فيما يستعمل ، أصله من الغمض و هى نومة تغشى الحس ثم ٢٩٠ / تنقشع ، و قال : و لما كان الآخذ هو الله سبحانه و تعالى ختم بقوله : ﴿ و اعلموآ ﴾ انتهى . و عبر بالاسم الأعظم فقال : ﴿ ان الله ﴾[10] المستكمل لجميع صفات الكمال من الجلال و الجمال ﴿ غنى ﴾ يفضل[11] على من أسلف خيرا رغبة[12] فيما عنده و ليست به حاجة تدعوه إلى أخذ الردىء و لا رغبكم[13] فى أصل الإنفاق لحاجة منه إلى شىء مما عندكم

(١) فى ظ : يتاخر (٢) من ظ ، و فى بقية الأصول : مقابلة (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يبسط (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : باطن (٥) زيد فى م : قال الحرالى (٦) فى م : خصر - كذا بالخاء المعجمة (٧) فى م : النفس . (٨-٨) ليست فى ظ (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الغيب (١٠) زيد فى م و مد و ظ : اى (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يفصل (١٢) فى ظ : رغبه (١٣) فى ظ : لا رغبكم - كذا .

و إنما ذلك لطف منه بكم ليجرى عليه [1]الثواب و العقاب[1] ﴿ حميد ﴾ يجازى المحسن أفضل الجزاء على أنه لم يزل محمودا و لا يزال عذب أو أثاب . قال الحرالى[2] : و هى صيغة مبالغة بزيادة ياء من الحمد الذى هو سواء أمر الله الذى لا تفاوت فيه من جهة إبدائه[3] وافق الأنفس أو خالفها . ٥

و لما رغب سبحانه و تعالى فى الإنفاق و ختم آياته بما يقتضى الوعد من أصدق القائلين بالغنى و الإثابة فى الدارين أتبعه بما للعدو الكاذب من ضد ذلك فقال محذرا من البخل ـ فى جواب من[4] كأنه قال : هذا ما لا يشك فيه فما للنفوس لا توجد غالبا إلا شحيحة بالإنفاق ـ : ﴿ الشيطن ﴾ أى الذى اسمه أسوأ الأسماء ، فانه يقتضى الهلاك و البعد ، ١٠ و أحد[5] الوصفين كاف فى مجانبته فكيف إذا اجتمعا ! ﴿ يعدكم الفقر ﴾ المانع من الإنفاق . قال الحرالى : الذى لخوفه تقاطع أهل الدنيا و تداروا و حرصوا و ادخروا ، و كل ذلك لا يزيل الفقر ، كل حريص فقير و لو ملك الدنيا ، و كل مقتنع غنى ، و من حق من كان عبدا لغنى أن يتحقق أنه غنى يغنى سيده ، فنى خوف الفقر إباق العبد عن ربه ؛ ١٥ و الفقر فقد ما إليه الحاجة فى وقت من قيام المرء فى ظاهره و باطنه ـ انتهى . ﴿ و يامركم بالفحشآء ج ﴾ المبطلة له من المن و الأذى و غيرهما من مستلذات الأنفس و ربما كان فيها[6] إتلاف الأموال و إذهاب

(١-١) فى ظ : العقاب و الثواب (٢) ليس فى ظ (٣) فى م : امدانه (٤) زيد فى م : كان (٥) فى م فقط : اخذ (٦) فى م : فيهما .

الأرواح . و قال الحرالى : و كل ما اجتمعت عليه استقباحات [١] العقل و الشرع [١] و الطبع فهو فحشاء ، و أعظم مراد بها هنا [٢] البخل الذى [هو - ٣] أدوأ [٤] داء ، لمناسبة ذكر الفقر ، و عليه ينبنى شر الدنيا و الآخرة و يلازمه الحرص و يتابعه الحسد و يتلاحق به الشر كله [انتهى - ٣]

٥ و فيه تصرف .

و لما ذكر ما للعدو من الشر [٥] أتبعه [٦] سبحانه و تعالى بما له [٦] من الخير فقال مصرحا بما تقدم [٧] التلويح به : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الأسماء الحسنى و الصفات العلى الرحيم الودود ﴿ يعدكم مغفرة منه ﴾ لما وقع منكم من تقصير ، و فيه إشعار بأنه لا يقدر أحد أن يقدر الله

١٠ حق قدره لما [٨] له من الإحاطة بصفات الكمال و لما جبل عليه الإنسان من النقص ﴿ و فضلا ﴾ بالزيادة فى الدارين ، و كل نعمة منه فضل ؛ ثم أكد ذلك بقوله : ﴿ و الله ﴾ [٩] أى المحيط بكل كمال [٩] ﴿ واسع ﴾ لتضمنه معنى [حليم - ٣] غنى ، و أتبعه بقوله : ﴿ عليم ﴾ إشارة إلى أنه لا يضيع شيئا و إن دق . قال الحرالى : و فى إشعاره توهين [١٠]

١٥ لكيد الشيطان و وعد كريم للفتون بخوف الفقر و عمل الفحشاء لما

(١-١) فى م و مد و ظ : الشرع و العقل (٢) فى ظ : هذا (٣) زيد من م و ظ و مد (٤) فى ظ : ادواء (٥) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : السر .
(٦-٦) فى م و ظ و مد : ماله سبحانه (٧) من م و مد ، و فى الأصل : يقدم ، و فى ظ : بعدم - كذا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بما (٩-٩) ليست فى ظ (١٠) فى الأصل : نوعين ، و التصحيح من م و مد و ظ .

علمه[1] من ضعف الأنفس و سرعة قبولها من الوسواس - انتهى . فختم آخر آيات الأمثال بما ختم به أولها ترغيبا و ترهيبا .

و لما انقضى الكلام فى الإنفاق و المال المنفق على هذا الأسلوب الحكيم تصريحا و تلويحا[2] و ختم ذلك بهاتين الصفتين و تضمن ذلك مع التصريح بأنه عليم أنه حكيم أتبع ذلك الوصف بأن من سعته ٥ و علمه و حكمته أنه يهب من صفاته ما يشاء لمن يشاء بأن يؤتيه الحكمة فيوقفه[3] على علم ما خفى من هذه الأمثال المتقنة[4] و الأقوال[5] الحسنة تصريحا و تلويحا و يوفقه[6] للعمل بذلك إنشاء و تصحيحا فقال تعالى منبها على ترجيح العمل بأمر الرحمن و قبول وعده[7] بأنه على مقتضى العقل و الحكمة و أن أمر الشيطان و وعده على وفق الهوى[8] و الشهوة : - ١٠

و قال الحرالى : و لما أبدى سبحانه و تعالى أمر الآخرة / و أظهر ما فيها ٢٩١ /
و بين أمر الدنيا من الترتيب و التسبيب[9] و رجع بعضها على بعض عودا على بدء أنبأ تعالى أن ذلك من حكمته و أنهى الحكمة لما فيها من استيفاء[10] حكمة الدارين [11]فليس الحكيم[11] من [12]علم أمر[12] الدنيا بل من علم

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : عمله (٢) العبارة من هنا إلى « و تلويحا » الآتى ليست فى م (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يوفقه (٤) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : النفقة (٥) فى مد : الاحوال (٦) فى م : يوفقه (٧) زيد فى مد : لحكمه (٨) من م ، و فى الأصل: البهوا ، و فى مد : الهوا ، و فى ظ : الهواء (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : التسبب (١٠) فى م و ظ و مد : استبقاء (١١ - ١١) فى م و ظ و مد : فان الحكيم ليس (١٢ - ١٢) فى ظ : امر علم .

أمر ما بين الدنيا و الآخرة فداوى أدواء الدنيا بدواء الآخرة و داوى النفس بـدواء الدارين و ضمّ[1] جوامعها فى تيسير الكلم كما ضمّها لمن اصطفاه "ذلك مما أوحى إليك ربّك من الحكمة[2]" فقال سبحانه و تعالى: ﴿ يؤتى الحكمة ﴾ انتهى . و فى ترتيبها على واسع عليم بعد غنى حميد بعد عزيز حكيم التحذير من التعريض لإنفاق ما يرده لعزته و غناه و سعته و يذم[3] عليه لعلمه[4] لرداءته أو فساد فى نيته[5] و إن خفى فان ذلك خارج عن[6] منهاج الحكمة منا[7] و مقتضى الحكمة منه سبحانه و تعالى كما وقع[8] لقابيل إذ قرب رديئا كما هو مشهور[9] فى قصته، و لعله لوح إليه بالتذكر فى ختام هذه الآية ثم بقوله "و ما للظلمين من انصار" فصار كأنه قال سبحانه و تعالى: و اعلم أن الله عزيز حكيم يؤتى الحكمة [و هى العلم -[10]] بالأشياء على ما هى عليه المزين بالعمل و العمل المتقن بالعلم ﴿ من يشآء ج ﴾ من عباده، ثم مدح من حلاه بها فقال مشيرا ببناء الفعل للمفعول[11] إلى[12] أنها مقصودة فى نفسها: ﴿ و من يؤت الحكمة ﴾ أى التى هى صفة من صفاته، و أشار بالتعريف إلى كما لها

(١) فى م: ختم (٢) سورة ٢٧ آية ٣٩ (٣) فى ظ: ندم (٤) فى م و مد: بعلمه، و فى ظ: يعلمه (٥) فى الأصل: بيته، و التصحيح من م و مد و ظ (٦) ليس فى م (٧) من م و ظ و مد، و فى الأصل: هنا (٨) فى مد: داع (٩) فى الأصل: مشهود، و التصحيح من م و ظ و مد (١٠) زيدت من مد و ظ، و فى م زيادة: من يشاء و هى العلم (١١) من م و ظ و مد، وفى الأصل: الى المفعول. (١٢) فى م: إلا.

بحسب

بحسب ما تحتمله قوى العبيد[1]، و الحكمة قوة[2] تجمع أمرين: العلم المطابق و فعل العدل و هو العمل على وفق العلم . قال الأصبهانى[3]: و القرآن مملوء من الآيات الدالة على أن كمال الإنسان ليس إلا هاتين القوتين ﴿ فقد اوتى خيرا كثيرا ﴾ قال الحرالى[4] ما معناه: إنه نكره[5] لما فى الحكمة[6] من التسبب الذى فيه كلفة[7] و لو يسرت فكان الخير الكثير المعرف فى الكلمة لما فيها من اليسر و الحياطة و الإنالة [الذى - [8]] لا ينال منه منال بسبب و إنما هو فضله يؤتيه من يشاء فيصير سبحانه و تعالى سمعه و بصره - إلى آخره .

و لما كان التقدير: فان ذلك الذى أوتى الحكمة يصير [9]ذا لبّ فيتأهل[9] لأن يتذكر بما يلقيه الله سبحانه و تعالى من كلمته ما بث فى الأنفس و الآفاق من حكمته وصل به قوله: ﴿ و ما يذكر ﴾ أى بكلام الله [10]سبحانه و تعالى[10] حكمه ﴿ الا اولوا الالباب ﴾

---

(١) فى مد: العبد (٢) فى الأصل: قد، و التصحيح من م و ظ و مد (٣) فى ظ: الاصفهانى (٤) و فى البحر المحيط ٢/٣٢٠: ذكر أبو حيان الأندلسى تسعة و عشرين مقالة لأهل العلم فى تفسير الحكمة، قال ابن عطية: و قد ذكر جملة من الأقوال فى تفسير الحكمة ما نصه: و هذه الأقوال كلها ما عد قول السدى قريب بعضها من بعض لأن الحكمة مصدر من الإحكام و هو الإتقان فى عمل أو قول؛ و كتاب الله حكمة و سنة نبيه حكمة و كل ما ذكر فهو جزء من التى هى الجنس - انتهى كلامه (٥) فى الأصل: نكرة (٦) فى الأصل: الجملة، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) فى ظ: كلفه (٨) زيد من م و ظ و مد . (٩-٩) فى م: دال فتباهل - كذا (١٠-١٠) فى م: و .

أى أصحاب العقول الصافية عن دواعى الهوى المنبعثة من التوهمات الحاصلة عن الوسوسة فهم يترقون بالتذكر بأنهم لا حول لهم عن المسببات[١] إلى أسبابها إلى أن يصلوا إلى مسببها[٢] فيعرفوه حق معرفته . و قال الحرالى: الذين لهم لب العقل الذى ينال لب الحس كأن الدنيا قشر تنال بظاهر العقل ، و الآخرة لب تنال بلب العقل ظاهرا[٣] لظاهر و باطنا[٤] لباطن ، من تذكر[٥] ابتداء من الابتداءات السابقة ورد عليه فضل الله منه ، من رجع من حسه إلى نفسه تنشأت له أوصاف الفضائل النفسانية[٦] و ترقى عما[٧] فى محسوسه من المهاوى الشهوانية ، و من تخلص من نفسه إلى روحه تحسس[٨] بالوصلة الرحمانية و المحبة الربانية ، كذلك من ترقى[٩] من روحه إلى أمره تحقق بالإحاطة الوحدانية ، و من استبطن من أمره إلى سره اجتمع إلى الأولية الفردانيـــة ؛ فهذا الترتيب من كمالات هذه الحكمة المؤتاة المنزلة بالوحى فى هذا الكتاب الجامع لنبأ ما سبق و خبر ما لحق و باطن ما ظهر أنهى تعالى[١٠] إلى ذكرها أعمال

(١) فى م : المشيات (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : متسببهـا (٣) فى الأصل و م : ظاهر ، و التصحيح من ظ و مد (٤) فى الأصل و م : باطن ، و التصحيح من ظ و مد (٥) فى مد : يتذكر (٦) فى الأصل : التصافيـة ، و التصحيح من م و مد و ظ (٧) زيد فى مد : هو (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تحسيس (٩) فى الأصل : توقى ، و التصحيح من م ظ و مد . (١٠) فى مد : ذلك .

الخلق و خصوصا فى الجود بالموجود كما أنهى إقامة مبنى[1] الدين بظهور وجوده . فأنهى تنزيل أمره بظهور وجوده و أنهى استخلاف عباده[2] بالانتهاء إلى مدد جوده، فكان أعلى الحكمة الجود[3] [بالموجود - [4]] ، فبذلك - و الله سبحانه و تعالى أعلم - اتصل ذكر آية الحكمة بالإنفاق[5] نظما و بآية الكرسى مناظرة - انتهى . ٥

و لما كان السياق سابقا و لاحقا للانفاق علم أن التقدير : فما جمعتم من / شىء فان الله مطالبكم فى وضعه و جمعه بوجه الحكمة و محاسبكم /٢٩٢ على ذلك ، فعطف عليه حثا على الإسرار بالنفقة فى الخير و الوفاء بالنذر و تحذيرا من الإنفاق فى المعصية و لو على أدق الوجوه بأنه يعلم ذلك كله و يجازى عليه قوله : ﴿ و ما أنفقتم من نفقة ﴾ أى فى وجه من ١٠ الوجوه ، فدخل فيه جميع التوسعات المشروعات عند النكاح و الختان و الولادة و اتخاذ المسكن و فى الدعوات للاخوان و غير ذلك .

و لما كان الإنسان كثيرا ما يخشى فوات[6] أمر فينذر[7] إن حصل بنفقة[8] فى وجه خير و نحو ذلك و لكن[9] ربما ظن أن الترغيب فى الإنفاق خاص بما ندب الله إليه ابتداء لا بما[10] ألزمه الإنسان نفسه ١٥

(١) فى الأصل : منبئ ، و التصحيح من م و مد و ظ (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عبادة (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بالجود (٤) زيد من م و ظ و مد (٥) فى م : بالاتفاق (٦) فى م و ظ : فوت (٧) فى ظ : فينفر (٨) فى م و مد : ينفقه (٩) فى م و ظ و مد : كان (١٠) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : ما .

[قال -[1]] ﴿ او نذرتم من نذر ﴾ و إدخال 'من' لتأكيد الاستغراق . قال الحرالى : و النذر إبرام العدة بخير يستقبل فعله أو يرتقب[2] له ما يلتزم به و هو أدنى الإنفاق لا سيما إذا كان على وجه الاشتراط ، قال صلى الله عليه و سلم : إنما يستخرج به من البخيل - انتهى . ﴿ فان الله ﴾ عظم [3]الأمر بهذا[3] الاسم الأعظم ﴿ يعلمه[4] ﴾ ذكر الضمير لأنه [4]مع وضوح[4] عوده إلى المتقدم أشد تعظيما للنذر[5] لما قد يتوهم فيه من النقص[6] عن مندوب[7] الشرع فتحروا[8] فى طيب[9] ذلك و الوفاء به و جميع ما يدخل فيه من الأوامر و النواهى تحرى من يطلب إرضاء ملك عظيم بما يهدى إليه و يعرضه عليه ، فما تصرفتم فيه بالحكمة من إنفاق أو غيره فالله سبحانه و تعالى يجازيكم عليه على حسب ما ذكر لكم من التضعيف ، و من فعل منكم شيئا [منه -[1]] على غير وجه الحكمة[10] فهو ظالم واضع للشيء فى غير موضعه فهو مردود عليه و معاقب[11] به و ما له من ناصر ، هكذا كان الأصل و لكنه سبحانه و تعالى عم و علق [12]الحكم بالوصف[12] فقال: ﴿ و ما للظالمين[13] ﴾ أى[14] الواضعين للشيء فى

---

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ترتقب . (٣-٣) ليس فى ظ (٤-٤) ليس فى م (٥) زيد فى الأصل : كما ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٦) فى الأصل : النفس ، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) فى الأصل : منذور ، و التصحيح من م و ظ و مد (٨) فى م : فتجدوا (٩) فى م : طيبه (١٠) ليس فى م (١١) زيد فى ظ : عليه (١٢-١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الوصف بالحكم (١٣) الذين يمنعون الصدقات ، أو ينفقون أموالهم فى المعاصى ، أو ينذرون فى المعاصى ، أو لا يفون بالنذور - قاله النسفى (١٤) ليس فى ظ .

غير موضعه ﴿من انصار﴾ قال الحرالى: فنى[1] إفهامه أن الله آخذ بيد السخى و بيد الكريم كلما عثر فيجد له نصيرا و لا يجد الظالم بوضع القهر موضع البر ناصرا، و فيه استغراق نفى بما تعرب عنه كلمة 'من' - انتهى.

و لما كان حال الإنفاق المحثوث عليه يختلف[2] بالسر و الجهر فكان ٥ مما يسأل عنه قال سبحانه و تعالى حاثا على الصدقة فى كلتا الحالتين مع ترجيح الإسرار لما فيه من البعد عن الرياء: ﴿ان تبدوا الصدقت﴾ أى المتطوع بها، قال الحرالى: و هى من أدنى النفقة و لذلك لا تحل[3] لمحمد و لا لآل محمد لأنها طهرة[4] و غسول يعافها أهل الرتبة [العلية-[5]] و الاصطفاء، و قال: و الهدية[6] أجل حق المال لأنها لمن[7] فوق[8] رتبة ١٠ المهدى و الهبة لأنها للمثل ﴿فنعما هى ج﴾ لجمع لها الأمداح المبهمة لأن[9] 'نعم' كلمة مبالغة تجمع المدح كله و 'ما' كلمة مبهمة تجمع الممدوح فتطابقتا[10] فى الإبهام؛ و قال أبو طالب العبدى فى شرح الإيضاح: إن 'نعم' و بئس للمبالغة فالمراد بهما التناهى فى المدح و الذم و لاختصاصهما بهذا المعنى منعتا التصرف، و اقتصر بهما على المعنى لأن المدح و الذم ١٥ إنما يكونان متعلقين بما ثبت و استقر[11]، لا يمدح الإنسان بما لم يقع منه -

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: ففيه (٢) فى م و مد: تختلف (٣) فى ظ: لا يحل (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: طهره (٥) زيد من م و مد و ظ. (٦) فى مد: الهداية (٧) فى م: من (٨) فى الأصل و م: فوق، و التصحيح من ظ و مد (٩) فى م: لانها (١٠) فى ظ: فتطابقا (١١) فى م: استقرا.

انتهى . ﴿ و ان تخفوها ﴾ حتى لا يعلم بها إلا من فعلتموها[1] له . و لما كان المقصود بها سد الخلة قال : ﴿ و تؤتوها الفقرآء فهو ﴾ أى فذلك[2] الإخفاء و القصد للمحتاج ﴿ خير لكم[3] ﴾ لأنه أبعد عن الرياء و أقرب إلى الإخلاص الذى هو روح العبادات ، و فى تعريفها و جمعها ما ربما أشعر بعموم الفرض و النفل لما فى إظهار المال الخفى من التعرض للظلم و الحسد و فى إفهام السياق أن الصدقة تجوز على الغنى . و لما كان التقدير : فانا نرفع بها درجاتكم ، عطف عليه قوله : ﴿ و يكفر عنكم من سيآتكم[3] ﴾ أى التى بيننا و بينكم .

و لما كان التقدير : فلا تخافوا من إخفائها [أن يضيع عليكم - ٣] شيء منها فان الله بكل ما فعلتموه منها عليم ، عطف عليه تعميما و ترغيبا و ترهيبا : ﴿ و الله ﴾ [4] أى الذى له كل كمال[4] ﴿ بما تعملون ﴾ أى من ذلك و غيره ﴿ خبير ﴾ فلم يدع[5] حاجة أصلا إلى الإعلان[6] فعليكم بالإخفاء فانه أقرب إلى صلاح[7] الدين و الدنيا / فأخلصوا فيه و قروا عينا بالجزاء عليه . ٢٩٣ /

و لما حث سبحانه و تعالى على وجوه الخير و رغب فى لزوم الهدى و كان أكثرهم معرضين ، لأن ما دعا إليه هادم لما جبلوا عليه

(١) فى ظ : قلتموها (٢) فى مد : ذلك (٣) زيد من م و مد و ظ (٤-٤) ليست فى ظ ، و فى مد : الكمال - مكان : كمال (٥) فى م : لم تدع ، و فى ظ : فلم تدع ، و فى مد : فلم يدع - كذا (٦) زيد فى الأصل فقط : فاخفوا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٧) فى م : اصلاح .

من الحب لتوفير المال و الحفيظة على النفس ، و كان صلى الله عليه و سلم شديد الأسف عليهم دائم القلق من أجلهم لعظيم[1] رحمته لهم[2] و شفقته عليهم ، فكان يجد من تقاعدهم عما يدعوهم إليه من هذه الحالة العلية التى هى حكمة الله التى رأسها الإيمان بالله و اشتراء الآخرة بكلية الدنيا وجدا شديدا ، خفض[3] سبحانه و تعالى عليه الأمر و خفف عليه الحال ٥ فقال : ﴿ ليس عليك ﴾ أى عندك ﴿ هدٰهم ﴾ حتى تكون قادرا عليه ، فما عليك إلا البلاغ ، و أما خلق الهداية لهم فليس عليك و لا تقدر عليه ﴿ و لكن الله ﴾ [4]الذى لا كفوء له[4] [هو -[5]] القادر على ذلك وحده فهو ﴿ يهدى من يشآء[1] ﴾ فظهر من هذا أنه يتعين أن يكون ' عليك ' بمعنى عندك و معك و نحو ذلك ، لأن ' لكن ' ١٠ للاستدراك[6] و هو أن يكون حكم ما بعدها مخالفا لما[7] قبلها و كلام أهل اللغة يساعد على ذلك ، قال الإمام عبد الحق فى كتابه الواعى : فى حديث عمران بن حصين رضى الله تعالى عنهما : كنت أضحى بالجذع و ' علينا[8] ' ألف شاة ، معناه : و عندنا ألف شاة ، تقول العرب : علينا كذا و كذا ، أى منا[9] - فسره قاسم ؛ انتهى . و هو يرجع إلى القدرة ١٥ كما تقول : علىّ رضى فلان ، أى أنا مطيق لذلك قادر على حمله ، فالمعنى :

(١) فى ظ : بعظيم (٢) ليس فى ظ (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : أخفض (٤-٤) ليست فى ظ (٥) زيد من م و مد و ظ (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الاستدراك (٧) فى ظ : بحكم ما (٨) فى متن م : عندنا ، و بهامشه : لعله و علينا (٩) فى ظ : معناه .

لست تقدر على إيجاد الاهتداء فيهم أصلا و إنما ذلك إلى الله سبحانه و تعالى فهو يهدى من يشاء فيفعل ما يقدره سبحانه له من وجوه الهدى من نفقة و غيرها . قال الحرالى ما معناه : إن[1] الأنصار رضى الله تعالى عنهم من أول مراد بهذه[2] الجملة لأنه سبحانه و تعالى جعل فيهم نصرة دينه .

و لما كان المقصود الأعظم فى هذه الحكمة و هذا الهدى [3]إنما هو الهدى[3] للتوسل إلى الجواد بالجود بالنفس و المال النائل عموما القريب و البعيد و المؤمن و الكافر بمنزلة المطر الجود الذى يأخذ السهل و الجبل حتى كان هذا[4] الخطاب صارفا لقوم تحرجوا[5] من الصدقة على فقراء الكفار و صلة قراباتهم منهم فحملوا على عموم الإنفاق - انتهى . فقال سبحانه و تعالى : ﴿ و ما تنفقوا من خير ﴾ أى مال و معروف على مؤمن[6] أو كافر يحل فعل ذلك معه[7] و لو قل « لا تحقرن جارة لجارتها و لو فرسن شاة[8] » ﴿ فلا نفسكم[9] ﴾ كما قيل له صلى الله عليه و سلم عن شاة ذبحت : ذهبت[9] أى بالهدية و الصدقة إلا رقبتها ! فقال : بقيت إلا رقبتها ! فهو[10] يفهم أنكم إن بخلتم[11] أو منتم فانما تفعلون

(١) ليس فى م (٢) فى مد : بهذا (٣-٣) سقط من مد (٤) سقط من م (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تخرجوا (٦) زيد فى م : هداه الله (٧) فى م : له. (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بشاة (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ذهب (١٠) فى م و ظ و مد : و هو (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نحلتم .

ذلك بأنفسكم .

و لما كان الكلام فى النفقة مع المؤمنين [المنفقين - [1]] و فى سبيل الله و عبر عنها بالخير[2] و[3] كل ذلك إشارة إلى الإخلاص الحرى بحال المؤمن فقال[4] : ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنكم[5] ما ﴿ تنفقون الا ابتغآء ﴾ أى إرادة . و لما كان تذكر الوجه [6] لما له[6] من الشرف أدعى ٥ إلى الاجتهاد فى تشريف العمل باحسانه و إخلاصه قال : ﴿ وجه الله[7] ﴾ [7] أى الملك الأعظم[7] من سد خلة فقير أو صلة رحم مسلم[8] أو كافر تجوز الصدقة عليه[9] لا لأنفسكم و لا غيرها[9] بل[10] تخلصا[11] من إمساك المال بأداء الأمانة فيه إلى عباد الله [12] لأنهم عباده[12] ، هذا هو الذى يدعو إليه الإيمان فلا يظن لمؤمن أن[13] يفعل غيره و ذلك يقتضى ١٠ البعد جدا عن الأذى و الرياء و كل نقيصة[14] و الملابسة لكل ما يوجب القبول من الكمال الحسى و المعنوى .

و لما كان الإيقان بالوفا[15] مرغبا فى الإحسان و مبعدا من[16] الإساءة و الامتنان خوفا من جزاء[17] الملك الديان[15] [قال - [1]] ﴿ وما تنفقوا من خير ﴾ [أى - [1]] على أى وجه كان و بأى وصف كان التصدق ١٥

---

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بالخير (٣) ليس فى م و مد و ظ (٤) فى م و مد و ظ : قال (٥) زيد فى مد : ما (٦ - ٦) ليس فى م (٧ - ٧) ليست فى ظ (٨) فى م : مسلمة (٩ - ٩) قدمها فى الأصل على « من سد » و فى م : لغيرها - مكان : غيرها (١٠) ليس فى م (١١) فى الأصل : يخلصاه ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٢ - ١٢) ليس فى مد (١٣) فى ظ : انه (١٤) من مد و ظ ، و فى الأصل : نقيضة (١٥) ليس فى م و مد (١٦) فى ظ : عن (١٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اجرا .

و المتصدق عليه ﴿ يوف ﴾ أى يبالغ فى وفائه[1] بالتضعيف[2] واصلا ﴿ اليكم و انتم لا تظلمون ﴾ أى لا يقع عليكم ظلم[3] فى [ترك] شىء مما أنفقتموه و لا[3] فى نقص مما وعدتموه من / التضعيف[4] إن أحسنتم و المماثلة إن أسأتم . /٢٩٤

٥ و لما كان غالب هذه الأحكام التى ذكرت فى الإنفاق من أجل المحاويج و كان ما مضى[5] شاملا للمؤمن و غيره بيّن أنّ محطّ[6] القصد فى الحثّ عليها المؤمن قال[7] سبحانه و تعالى: ﴿ للفقرآء ﴾ أى هذه الأحكام لهم ﴿ الذين احصروا ﴾ أى منعوا عن التكسب ، و أشار بقوله: ﴿ فى سبيل الله ﴾ [8]أى الذى له الجلال و الإكرام[8] إلى أن المقعد لهم ١٠ عن ذلك الاشتغال باقامة الدين بالجهاد و غيره ﴿ لا يستطيعون ضربا فى الارض[9] ﴾ بالتجارة لأجل ذلك و أشار إلى شدة رضاهم عن الله سبحانه و تعالى بعدم[9] شكايتهم فقال: ﴿ يحسبهم الجاهل ﴾ أى الذى ليس عنده فطنة الخلص ﴿ اغنيآء من ﴾ أجل ﴿ التعفف ج ﴾ عن المسألة و التلويح بها قناعة بما أعطاهم الله[10] سبحانه و تعالى مولاهم[11] و رضى عنه[12]

(١) ليس فى ظ (٢) فى ظ : التضعيف (٣ - ٣) سقطت من م ، و ما بين الحاجزين زيد من مد و ظ (٤) زيد بعده فى ظ « و » (٥) زيد فى الأصل : « لمن » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٦) فى الأصل : يحط ، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) فى مد : فقال (٨ - ٨) ليست فى ظ ، و فى مد : له الكمال و الاكرام (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : لعدم (١٠) ليس فى م و مد و ظ (١١) فى الأصل : سوالهم ، و التصحيح من م و ظ و مد . (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عنهم .

و شرف نفس ، و التعفف تكلف العفة و هى كف ما ينبسط للشهوة من الآدمى إلا بحقه و وجهه - قاله الحرالى .

و لما ذكر خفاءهم على الغبى[1] ذكر جلاءهم عند المتوسم فقال: ﴿ تعرفهم ﴾ أى يا أبصر الموقنين و أفطنهم[2] أنت و من رسخت قدمه فى متابعتك ﴿ بسيمهم ج ﴾ قال الحرالى : و هى صيغة مبالغة من السمة ٥ و الوسم و هى العلامة الخفية[3] التى تتراءى[4] للمتبصر - انتهى . و تلك العلامة و الله سبحانه و تعالى أعلم هى السكينة و الوقار و ضعف الصوت و رثاثة الحال مع علو الهمة و البراءة من الشماخة[5] و الكبر و البطر[6] و الخيلاء و نحو ذلك ﴿ لا يسئلون ﴾ لطموح أبصار[7] بصائرهم عن الخلق إلى الخالق ﴿ الناس ﴾ من ملك و لا غيره ﴿ الحافا ط ﴾[8] سؤال ١٠ إلزام ، أخذا من اللحاف الذى يتغطى به للزومه لما يغطيه ، و منه لاحفه أى لازمه . و قال الحرالى : هو لزوم و مداومة[9] فى الشىء من حروف الحلف الذى هو إنهاء الخبر[10] إلى الغاية كذلك [اللحف -[11]] إنهاء السؤال إلى الغاية - انتهى . و إنما يسألون إن سألوا على وجه العرض[12]

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الغنى - كذا (٢) فى ظ : افضلهم (٣) فى م : الخفيفة (٤) فى ظ : تبرا اى (٥) من مد و ظ و م ، و فى الأصل : السماحة . (٦) فى الأصل : النظر ، والتصحيح من م و ظ و مد (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ابصارهم (٨) زيد فى م و ظ و مد : اى (٩) فى ظ : مدافعة . (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الخير - كذا (١١) زيد من م و ظ و مد (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : للعرض .

و التلويح الخفى ، كما كان أبو هريرة رضى الله تعالى عنه يستقرئ غيره الآية ليضيفه[١] و هو أعرف بها ممن[٢] [يستقرئه-٣] فلا يفهم[٤] مراده إلا النبى صلى الله عليه و سلم ؛ فالتعبير بالتعفف يفيد الاجتهاد فى العفة و المبالغة فيها ، و التقييد بالإلحاف يدل على وقوع السؤال قليلا جدا

٥ أو على وجه التلويح لا التصريح كما يؤيده و يؤكده المعرفة بالسيما .

و لما ذكر سبحانه و تعالى أخفى مواضع النفقة أشار إلى إخفائها لا سيما فى ذلك الموضع فقال : ﴿ و ما تنفقوا من خير ﴾ أى فى أى وقت أنفقتموه ﴿ فان الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿ به عليم ﴾ و إن اجتهدتم فى إخفائه باعطائه لمن لا يسأل[٦] بأن لا[٦]

١٠ يعرف أو بغير ذلك ، و ذكر العلم فى موضع الجزاء أعظم مرغب و أخوف مرهب كما يتحقق ذلك بامعان التأمل لذلك .

و لما حض[٧] على النفقة فأكثر و ضرب فيها الأمثال و أطنب فى المقال و لم يعين لها وقتا كان كأن سائلا قال : فى أى وقت تفعل ؟ فبين فى آية جامعة لأصناف[٨] الأموال و الأزمان و الأحوال أنها

١٥ حسنة فى كل وقت و على كل حال فقال : ﴿ الذين ينفقون اموالهم ﴾

---

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ليضيقه (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : من (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى م : فلا يعرف (٥-٥) ليست فى ظ (٦-٦) فى م و ظ و مد : فلا (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : خص .
(٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الأصناف .

أى فى الوجوه الصالحة التى تقدم التنبيه عليها و قدم من المتقابلين ما كان أقرب إلى ١ الإخلاص اهتماما ١ به دلالة على فضله فقال: ﴿ بالليل ﴾ ٢ إن اقتضى ذلك الحال ﴿ و النهار ﴾ إن دعتهم إلى ذلك خطة ٣ رشد ﴿ سرا و علانية ﴾ كذلك .

و لما كان الانتهاء عن المن و الأذى فى بعض الأحوال أشد ٥ ما يكون على النفس لما يرى من المنفق عليه من الغض ٤ و نحو ذلك فلا يكاد يسلم منه [أحد - ٥] .

ابتدأ الجزاء فى آيته من غير ربط بالفاء إشارة إلى العفو عما يغلب ٦ النفس منه تنزيلا له منزلة العدم ، و إيماء إلى تعظيمه بكونه ابتداء عطية من الملك ، ترغيبا فى الكف عنه ، لأنه منظور إليه فى ١٠ الجملة ، و ربط الجزاء فى هذه إعلاما بأنه مسبب عن هذه الأحوال ، لأن الأفعال أيسر من التروك ٧ ، / فحصوله متوقف على حصولها ، حثا ٢٩٥/ على الإتيان بها كلها للسهولة فى ذلك ، لأن من سمح بالإنفاق لله سبحانه و تعالى استوت عنده ٨ فيه الأوقات ٨ فقال: ﴿ فلهم أجرهم ﴾ و سببيته ٩

(١-١) فى م : الاهتماما (٢) زيد فى مد : اى (٣) من مد ، و فى الأصل : حطة ، و فى م : حظة ، و فى ظ : حظه (٤) فى الأصل : القص ، و فى م : العض ، و التصحيح من ظ و مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يلغب (٧) فى الأصل : النزول ، و فى م : المتروك ، و التصحيح من ظ و مد (٨-٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بقية الأقوال و الأحوال . (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : سببه .

كونه علامة لحصول الأجر ، لا أنه سبب حقيق ، إنما السبب الحقيق رحمة الله بالتوفيق للعمل و الاعتداد به ، و أعلم[١] بأنه محفوظ مضاعف مربى لا يضيع أصلا بقوله : ﴿ عند ربهم ج ﴾ [أى - ٢] فهو يربى نفقاتهم و يزكيها كما رباهم ، ثم ختم آى النفقات بما بدأها به من الأمن و السرور فقال : ﴿ و لا خوف عليهم ﴾ كما فرحوا بها عن غيرهم ﴿ و لا هم يحزنون ۝ ﴾ لأنه لا ثواب أعظم من ذلك ، إذ لا عيشة لحزين و لا خائف ؛ و لشدة مشاق[٣] الإنفاق على الأنفس لا سيما فى أول الإسلام لما كانوا فيه من الضيق أكد تعالى فيه هذا التأكيد بجملته و بينه هذا البيان الواضح حتى لم يبق[٤] فيه خفية وجه إلا أظهرها و حذر منها و قررها - أشار إلى ذلك الأستاذ أبو الحسن الحرالى فقال[٥] : فأفضلهم المنفق ليلا سرا . و أنزلهم المنفق نهارا علانية[٦] ؛ فهم بذلك أربعة أصناف ـ انتهى .

و لما كان سبحانه و تعالى قد ذكر النفقة مما[٧] أفاض عليهم من الرزق من أول السورة إلى هنا فى غير آية[٨] ، و رغب فيها بأنواع من الترغيب فى فنون[٩] من الأساليب ، و كان الرزق يشمل الحلال

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : علم (٢) زيد من م و ظ و مد (٣) فى الأصل : ميثاق ، و التصحيح من م و ظ و مد (٤) فى م و مد و ظ : لم تبق . (٥) فى مد : و قال (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : على نية (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٨) فى الأصل : انه ، و التصحيح من م و مد و ظ (٩) فى الأصل : قبول ، و التصحيح من م و ظ و مد .

والحرام ، وكان مما[1] يسترزقون به قبل الإسلام الربا ، وهو أخذ مجانا ، وهو فى الصورة زيادة و[2] فى الحقيقة نقص وعيب ، ضد ما تقدم الحث عليه من الإعطاء مجانا ، وهو فى الظاهر نقص وفى الباطن زيادة وخير[3] ؛ نهاهم[4] عن تعاطيه ونفرهم منه ، وبين لهم حكمه[5] وأنه خبيث لا يصلح لآكل ولا صدقة ، وجعل ذلك فى أسلوب الجواب لمن قال : هل يكون[6] النفقة المحبوبة المحثوث عليها من كل مال ؟ فأجاب بقوله : - وقال الحرالى : ولما كان حال المنفق لا سيما المبتغى وجه الله سبحانه وتعالى أفضل الأحوال ، وهو الحال الذى[2] دعوا إليه ؛ نظم به أدنى الأحوال ، وهو الذى يتوسل بـه[2] إلى الأموال بالربا ، فأفضل الناس المنفق ، وشر الناس المربى ؛ فنظم به خطاب الربا فقال : - ﴿ الذين ﴾ ولما كان من الصحابة من أكل الربا عبر بالمضارع إشارة إلى [أن -[7]] هذا الجزاء يخص المصر فقال : ﴿ يأكلون الربٰوا ﴾ وهو الزيادة من جنس المزيد عليه المحدود بوجه ما - انتهى . فجرى على عادة هذا الذكر الحكيم فى ذكر أحد[8] الضدين[9] بعد الآخر ، وعبر بالأكل عن التناول ، لأنه أكبر المقاصد وأضرها[10] ، ويجرى

(١) من م ومد وظ ، وفى الأصل : بما (٢) سقط من م (٣) من مد وظ ، وفى م : خبر ، وفى الأصل : جبر (٤) فى م : فانهاهم (٥) من م ومد وظ ، وفى الأصل : حكمة (٦) فى م ومد وظ : تكون (٧) زيد من م وظ ومد . (٨) ليس فى ظ (٩) فى م : الصدى (١٠) فى الأصل : اجرها ، والتصحيح من م وظ ومد .

من الإنسان مجرى الدم كالشيطان ﴿ لا يقومون ﴾ أى عند البعث يظهر ثقله فى بطونهم فيمنعهم النشاط ١و يكون ذلك سيماهم يعرفون به بين أهل الموقف١ هتكا٢ لهم و فضيحة . و قال الحرالى : فى إطلاقه إشعار بحالهم فى الدنيا و البرزخ و الآخرة ، ففى إعلامه إيذان بأن آكله يسلب٣ عقله و يكون بقاؤه فى الدنيا بخرق٤ لا بعقل٥ ، يقبل فى محل الإدبار و يدبر فى محل الإقبال [انتهى -٦] . و هو مؤيد بالمشاهدة٧ فانا لم نر و لم نسمع قط بآكل ربا ينطق بالحكمة و لا يشهر٨ بفضيلة٩ بل هم أدنى الناس و أدنسهم ﴿ الا كما يقوم ﴾ المصروع ﴿ الذى يتخبطه ﴾ أى يتكلف خبطه و يكلفه إياه و يشق به عليه ﴿ الشيطٰن ﴾ و لما كان ذلك قد يظن أنه يخبط١٠ الفكر بالوسوسة مثلا قال : ﴿ من ﴾ أى تخبطا مبتدئا١١ من ﴿ المس ط ﴾ أى الجنون ، فأشار سبحانه و تعالى بذلك إلى المنع من أن تكون النفقة من حرام [و -٦] لا سيما الربا ، و إلى أن الخبيث المنهى عن تيمم١٢ إنفاقه قسمان١٣ : حسى و معنوى ،

(١ - ١) ثبتت العبارة هكذا فى م و مد و ظ ، و قد قدمت فى الأصل على "لا يقومون" (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : متكا (٣) فى م : يذهب . (٤) فى الأصل : بجرق (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا يعقل (٦) زيد من م و ظ و مد (٧) فى الأصل : بالماظرة - كذا ، والتصحيح من م و ظ و مد . (٨) فى م : لا يشتهر (٩) من م و مد ، و فى الأصل : تفضيله ، و فى ظ : نفيضيله . (١٠) فى مد و ظ : تخبط ، و فى الأصل : يحيط ، و التصحيح من م (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : مبتدا (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تتميم ، و ليس فى م (١٣) فى م : قسماته - كذا .

و النهى

و النهى[١] فى المعنوى أشد . و قال البيضاوى تبعا للزمخشرى[٢] : و هو أى التخبط و المس وارد على ما يزعمون أى العرب أن الشيطان يخبط[٣] الإنسان فيصرع و أن الجنى يمسه فيختلط عقله - انتهى . و ظاهره إنكار ذلك و ليس بمنكر بل هو الحق الذى لا مرية فيه ، قال المهدوى[٤] فى تفسيره : و هذا دليل على من أنكر [أن -[٥]] الصرع من جهة الجن و زعم أنه فعل الطبائع . و قال الشيخ سعد الدين التفتازانى فى شرح المقاصد : / و بالجملة فالقول بوجود الملائكة و الجن و الشياطين مما انعقد [عليه -[٦]] إجماع الآراء [و -[٧]] نطق به كلام الله سبحانه و تعالى و كلام الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، و حكى مشاهدة الجن عن كثير من العقلاء و أرباب المكاشفات من الأولياء ، فلا وجه لنفيها[٨] ؛ و قال : [٩]الجن أجسام لطيفة هوائية تتشكل[١٠] بأشكال مختلفة و يظهر منها أحوال عجيبة ، و الشياطين أجسام نارية شأنها إلقاء الناس فى الفساد و الغواية ؛ و لكون الهواء[١١] و النار فى غاية اللطافة و التشفيف كانت الملائكة و الجن و الشياطين يدخلون المنافذ[١٢] الضيقة حتى أجواف

/٢٩٦

(١) فى م : فالنهى (٢) فى الأصل : لخرى ، و التصحيح من م و مد و ظ . (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يحيط (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المهدى (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد من مد (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لنصيها - كذا (٩) زيد فى مد و ظ : و (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تستشكل (١١) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : الهوى (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المنافد .

الناس[١] و لا يرون بحس البصر إلا إذا اكتسبوا من الممتزجات - انتهى .
و قد ورد فى كثير من الأحاديث عن النبى صلى الله عليه و سلم أن
الشيطان يجرى من [٢]ابن آدم[٢] مجرى الدم ، و ورد أنه صلى الله عليه
و سلم أخرج الصارع من الجن من جوف المصروع فى صورة كلب -
٥ و نحو ذلك ؛ و فى كتب الله سبحانه و تعالى المتقدمة[٣] ما لا يحصى من
مثل ذلك ، فأما[٤] مشاهدة المصروع يخبر بالمغيبات و هو مصروع غائب
الحس ، و ربما كان [٥]يلقى فى النار[٥] و هو لا يحترق ، و ربما ارتفع فى
الهواء[٦] من غير رافع ، فكثير جدا لا يحصى مشاهدوه[٧] - إلى غير ذلك
من الأمور الموجبة للقطع أن ذلك من الجن أو الشياطين ؛ و[٨]ها أنا[٨]
١٠ أذكر لك[٩] من أحاديث النبى صلى الله عليه و سلم [ثم -[١٠]] من
كتب الله القديمة ما فيه مقنع لمن تدبره - و الله سبحانه و تعالى الموفق :
روى الدارمى فى أوائل مسنده بسند حسن عن ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما أن امرأة جاءت [١١]بابن لها[١١] إلى النبى صلى الله عليه و سلم

(١) فى م و ظ و مد : الانسان (٢ - ٢) من صحيح البخارى ، و فى الأصل : بنى آدم ، وفى م وظ و مد : الانسان (٣) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : المقدسة (٤) فى م و مد و ظ : و اما (٥-٥) فى ظ : ملقى النار ، وفى م ومد : ملقى (٦) فى الأصول : الهوى (٧) فى الأصل : مشاهدة ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨-٨) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : هانا (٩) فى م و ظ و مد : فى ذلك (١٠) زيد من م و مد و ظ (١١-١١) فى ظ : بابنها .

فقالت : يا رسول الله ! إن ابنى به جنون و إنه يأخذه عند اغدائنا و عشائنا[1] فيخبث علينا ، فمسح رسول الله صلى الله عليه و سلم صدره و دعا [فثعّ ثعة-[2]] و خرج من صدره مثل الجرو الأسود[3] - فثعّ ثعة[3] بمثلثة و مهملة[4] أى قاء[5] . و للدارمى أيضا و عبد بن حميد بسند صحيح[6] حسن أيضا عن جابر رضى الله تعالى عنه قال : خرجت مع النبى صلى الله عليه و سلم فى سفر فركبنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و رسول الله صلى الله عليه و سلم بيننا كأنما على رؤسنا الطير تظلنا ، فعرضت له امرأة معها صبى[6] [لها -[7]] فقالت[8] : يا رسول الله ! إن ابنى هذا يأخذه الشيطان كل يوم ثلاث مرار[9] ، فتناول الصبى فجعله بينه و بين مقدم الرحل[10] ثم قال : اخسأ[11] عدو الله أنا رسول الله - ثلاثا ! ثم دفعه إليها . و أخرجه الطبرانى من وجه آخر و بين أن السفر غزوة ذات الرقاع و أن ذلك[12] فى حرة واقم[13] ، قال جابر :

(١-١) فى ظ : عشائنا وعد ربما (٢) زيد من ظ و مد ، و فى م : كثع ثعة . (٣-٣) فى الأصل و م و مد و ظ : فسعى ثع - كذا (٤) فى ظ : بمهملة (٥) فى الأصل : فاوا ، و فى مد : قاؤ ، و فى م و ظ : فاؤ - كذا (٦) ليس فى م و مد و ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى مد : فقال (٩) فى م و ظ : مرات (١٠) من مد و ظ ، وفى الأصل و م : الرجل (١١) فى الأصل : احس ، وفى بقية الأصول : اخس - كذا (١٢) زيد فى ظ و مد : كان (١٣) و فى معجم البلدان : أطم من آطام المدينة كأنه سمى بذلك لحصانته و معناه أنه يردّ عن أهله ، و حرّة واقم إلى جانبه نسبت إليه .

فلما قضينا سفرنا مررنا بذلك المكان فعرضت لنا المرأة و معها[١] صبيها و معها[٢] كبشان تسوقهما فقالت : يا رسول الله ! اقبل منى هديتى ، فوالذى[٣] بعثك بالحق ما عاد إليه بعد ذلك[٤] ! فقال : خذوا منها واحدا و ردوا عليها الآخر . و روى[٥] البغوى فى شرح السنة عن يعلى بن مرة رضى الله تعالى عنه . و فى الإنجيل من ذلك كثير جدا ، قال فى إنجيل متى و لوقا و مُرقُس[٦] يزيد أحدهم على الآخر و قد جمعت بين ألفاظهم : و جاء يعنى عيسى عليه الصلاة و السلام إلى عبر[٧] البحر إلى كورة الجرجسيين[٨] ، و قال فى إنجيل لوقا : [التى -[٩]] هى مقابل عبر[١٠] الجليل[١١] ، فلما خرج من السفينة استقبله [مجنون ، قال لوقا : من المدينة معه شياطين ، و قال متى -[٩]] مجنونان جائيان من المقابر رديئان جدا حتى أنه[١٢] لم يقدر[١٢] أحد أن يجتاز من تلك الطريق فصاحا قائلين : ما لنا و لك يا يسوع[١٣] ! جئت لتعذبنا قبل الزمان ؟ قال لوقا :

(١) سقط من م (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : معهما (٣) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : فوالله (٤) ليس فى م و مد و ظ (٥) فى م و ظ و مد : رواه (٦) فى الأصل : مرقشى - كذا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٧) فى الأصل : عين ، و فى م : عبرة ، و التصحيح من ظ و مد (٨) من م ، و فى مد و ظ : الجرحسيين ، و فى الأصل : الحرحيين (٩) زيد من م و ظ و مد . (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عين (١١) منطقة فى فلسطين الشمالية ، بين لبنان شمالا و المتوسط غربا و الأردن شرقا و السامرة جنوبا ، ينبسط فى جنوبها سهل عزريلون أو مرج ابن عامر ؛ من مدنها حيفا و عكّا و من بلداتها الناصرة و قانا و قديما كفرنا حوم (١٢-١٢) من و مد و ظ ، و فى الأصل : لم يعد يرا - كذا (١٣) فى مد : يشوع .

و كان

و كان يربط بالسلاسل و القيود و يحبس ، و كان يقطع الرباط و يقوده[١] الشيطان إلى البرارى ، فسأله[٢] يسوع[٣] : ما اسمك ؟ فقال[٤] : لاجاون[٥] ، لأنه دخل فيه[٦] شياطين كثيرة ؛ و قال مرقس[٧] : فقال له : اخرج أيها الروح النجس ! اخرج من الإنسان ، ثم[٨] قال له : ما اسمك ؟ فقال : لاجاون اسمى لأنا كثير ، و طلب إليه[٩] أن لا يرسلهم خارجا[١٠] من الكورة ؛ و كان هناك نحو[١١] الجبل قطيع خنازير كثيرة[١٢] يرعى بعيدا / منهم ، فطلب إليه الشياطين [قائلين - ١٣] : إن كنت تخرجنا فأرسلنا إلى قطيع الخنازير [[١٤] فقال لهم : اذهبوا ، و قال مرقس[١٥] : فأذن لهم يسوع[١٤] ، فللوقت خرجت الأرواح النجسة و دخلت فى الخنازير] و قال [متى - ١٣] : فلما خرجوا و مضوا فى الخنازير و إذا بقطيع خنازير[١٦] قد[١٧] وثب[١٨] على جرف[١٩] و تواقع فى البحر و مات جميعه فى المياه ،

/٢٩٧

(١) فى مد : يقود (٢) من م و مد ، و فى ظ : قال له ، و فى الأصل : فسال .
(٣) فى مد : يشوع (٤) من م و مد ، و فى الأصل : فقا - كذا ، و ليس فى ظ .
(٥) من مد و ظ ، و فى الأصل : لاحاون ، و فى م : لااجاون (٦) فى الأصل : بينه ، و التصحيح من م و ظ و مد (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : مرقش (٨) فى الأصل : بما ، و التصحيح من م و مد و ظ (٩) فى الأصل : اليهم ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٠) فى ظ : جارجا (١١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بحر (١٢) فى م و ظ و مد : كثير (١٣) زيد من م و مد و ظ (١٤) زيد ما بين المربعين من م و ظ و مد (١٥) فى م : مرقش (١٦) فى الأصل : ير ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٧) ليس فى مد و ظ (١٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وتب (١٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حرف .

و أن الرعاة هربوا و مضوا إلى المدينة و أخبروهم بكل شيء و بالمجنونين ، فخرج كل من فى[1] المدينة للقاء يسوع[2] ؛ قال مرقس[3] : و أبصروا ذلك المجنون جالسا [لابسا - [4]] عفيفا فخافوا ، فلما أبصروه - يعنى عيسى عليه الصلاة و السلام - طلبوا إليه أن يتحول عن تخومهم[5] ؛ قال لوقا : لأنهم خافوا عظيما ، و قال مرقس[6] : فلما صعد السفينة طلب إليه[7] المجنون أن يكون معه فلم يدعه يسوع[2] لكن [قال له - [4]] امض[8] إلى بيتك و عرفهم صنع الرب [بك - [4]] و رحمته إياك ، فذهب و كرز[9] فى العشرة مدن ، و قال كل ما صنع به يسوع[2] فتعجب [جميعهم ؛ و فى إنجيل لوقا معناه ، و فى آخره : فذهب و كان ينادى فى المدينة كلها بكل ما صنعه معه يسوع ؛ ٢ و فى إنجيل متى : فلما خرج يسوع[2] من هناك قدموا إليه أخرس به شيطان ، فلما خرج الشيطان تكلم الأخرس ، فتعجب - [4]] الجميع[10] قائلين : لم يظهر قط هكذا فى بنى[11] إسرائيل ، فقال الفريسيون[12] : إنه باركون[13] الشياطين

(١) سقط من مد (٢) فى مد : يشوع (٣) من مد و ظ ، و فى الأصل : مرقش ، و فى م : بل مرقش (٤) زيد من م و ظ و مد (٥) من مد و ظ ، و فى م : تحومهم ، و فى الأصل : نجومهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : مرقش . (٧) فى الأصل : الله ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : امضى (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كرر (١٠) فى م و مد : الجمع (١١) سقط من م و مد و ظ (١٢) كذا فى الأصول (١٣) من م و ظ ، و فى الأصول : تاركون ، و فى مد : بازكون .

يخرج[1] الشياطين .

ثم قال : حينئذ أتى إليه بأعمى به شيطان أخرس ، فأبرأه حتى أن الأخرس تكلم و أبصر[2] ، فبهت الجمع [كلهم - ٣] و قالوا : لعل هذا هو ابن داود ، فتسمع الفريسيون فقالوا : هذا لا يخرج الشياطين إلا[4] بباعل زبول[4] رئيس الشياطين . و فيه[5] بعد ذلك : فلما جاء إلى الجمع جاء إليه إنسان[6] ساجدا له قائلا : يا رب ! و فى إنجيل لوقا : يا معلم ! ارحم ابنى ، فانه يعذب فى رؤس الأهلة ، و مرارا كثيرة يريد أن ينطلق فى النار ، و مرارا[7] كثيرة فى الماء ؛ و فى إنجيل مرقس[8] : قد أتيتك بابنى ! و به روح نجس[9] و حيث ما أدركه صرعه و أزبده و ضرر[10] أسنانه فتركه يابسا[11] ؛ و فى إنجيل لوقا : أضرع[12] إليك أن تنظر إلى ابنى ، لأنه وحيدى ، و روح يأخذه فيصرخ[13] بغتة و يلبطه[14] بجهل ، و يزبد عند انفصاله عنه و يرضضه[15] ، و ضرعت[16]

(١) من م و ظ ، و فى مد : نخرج - كذا ، و فى الأصل : تخرج (٢) فى الأصل : فاتصبر ، و التصحيح من م و مد و ظ . وزيد فى م و مد بعده : الأعمى .
(٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) فى م : بباعول زمول ، و فى ظ : باعل زبون .
(٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : نبه (٦) فى ظ : اسنان (٧) من م ، و فى الأصل : مرار (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : مرقش (٩) فى ظ : نجسة .
(١٠) فى م : صرر - بالصاد المهملة (١١) فى ظ : ياسيا (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اصرع (١٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فيصرح .
(١٤) فى م : بليطه - كذا (١٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يرضه .
(١٦) من م ، و فى مد و ظ : صُرعت ، و فى الأصل : صرعوه .

لتلاميذك ١ أن يخرجوه فلم يقدروا ؛ و فى إنجيل [متى - ٢] : و قدمته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يبرئوه٣ ، أجاب يسوع٤ : أيها الجيل الأعوج [الغير مؤمن - ٢] ! إلى متى أكون معكم ! و حتى [متى - ٢] أحتملكم ! قدمه إلى هنا٥ ؛ و فى إنجيل لوقا : و فيما هو جاءٍ بـه٦ طرحه٧ الشيطان و لبطه ؛ و فى إنجيل مرقس٨ : فلما رأته الروح النجسة من ساعته صرعته٩ و سقط على الأرض مضطربا مزبدا١٠ ؛ ثم قال لأبيه : من كم أصابه هذا؟ فقال : منذ صباه ، ثم قال ما معناه : افعل معه ما استطعت و تحنن١١ علينا ، فقال له يسوع٤ : كل شيء١٢ مستطاع للمؤمن ، فصاح أبو الصبي و قال : أنا أومن فأعن ضعف إيمانى ، فلما رأى يسوع٤ تكاثر الجمع انتهر الروح النجس و قال : يا١٣ أيها الروح الأصم الغير ناطق ! أنا آمرك١٤ أن تخرج١٥ منه و لا تدخل١٦ فيه ، فصرخ١٧

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لتلاميذى (٢) زيد من م و ظ و مد .
(٣) فى م و ظ : يبروه ، و فى مد : يبرؤه (٤) فى مد : يشوع (٥) و فى مد و ظ : هاهنا ، و فى مد : ههنا (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ربه .
(٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : خرجه (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : و م : مرقش (٩) من م و ظ ، و فى الأصل : صرعنه ، و فى مد : ضرعته .
(١٠) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : مربدا (١١) فى الأصل : تجنن ، و التصحيح من النسخ الباقية (١٢) زيد فى الأصل : بر ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (١٣) ليس فى م و مد و ظ (١٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : أمرنا - كذا (١٥) فى م و مد و ظ : ان تخرجى (١٦) فى م و مد و ظ : لا تدخلى .
(١٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فصرع .

و لبطه

ولبطه كثيرا[١] وخرج منه وصار كالميت، وقال كثير: إنه مات، فأمسك[٢] يسوع[٣] يده وأقامه فوقف؛ وفى إنجيل متى: فانتهره يسوع[٣] فخرج منه الشيطان وبرئ[٤] الفتى فى تلك الساعة، حينئذ أتى التلامذة[٥] إلى يسوع[٣] منفردين وقالوا [له - ٦]: لما ذا[٧] لم نقدر نحن نخرجه؟ فقال لهم يسوع[٣]: من أجل قلة إيمانكم، الحق أقول لكم أن لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لقلتم لهذا الجبل: انتقل من ههنا إلى هناك، فينتقل ولا يعسر عليكم شيء[٨]، وهذا الجنس لا يخرج إلا بالصوم والصلاة؛ وقال مرقس[٩]: لا يستطاع أن يخرج بشيء[١٠] إلا بصلاة وصوم؛ وقال فى إنجيل مرقس[١١]: إنه كان يعلم فى كفرناحوم مدينة فى الجليل[١٢]، قال: وكان فى مجمعهم رجل فيه روح شيطان نجس فصاح بصوت عظيم قائلا[١٣]: ما لنا ولك يا يسوع[٢] الناصرى! أتيت لتهلكنا! قد عرفنا[١٤] من أنت يا قدوس الله! فنهره[١٥] يسوع[٢] قائلا: اسدد

(١) من مد وظ، وفى الأصل وم: كثير (٢) فى ظ: وامسك (٣) فى مد: يشوع (٤) فى م ومد وظ: براء - كذا (٥) فى ظ ومد: التلاميذ (٦) زيد من م وظ ومد (٧) من م ومد وظ، وفى الأصل: لما ذام - كذا (٨) سقط من م (٩) من مد وظ، وفى الأصل وم: مرقش، وزيد بعده فى ظ: لوقا. (١٠) فى م: شيء (١١) من مد وظ، وفى الأصل: مرقش، وليس فى م. (١٢) من م وظ ومد، وفى الأصل: الخليل (١٣) ليس فى مد وم. (١٤) فى م ومد وظ: عرفت (١٥) من م وظ ومد، وفى الأصل: فقهره.

فاك و اخرج منه ! فأقلقته [١] الروح النجسة و صاح بصوت عظيم و خرج [٢] منه [٣] ؛ و فى إنجيل لوقا : فطرحه الشيطان فى وسطهم و خرج منه و لم يؤلمه و خاف الجمع مخاطبين [٤] بعضهم بعضا قائلين : ما هو هذا العلم الجديد [٥] الذى سلطانه [٦] يأمر [٧] الأرواح النجسة فتطيعه [٨] ! و خرج خبره فى كل كورة الجليل [٩] ؛ و فيه : ثم قام من هناك و ذهب إلى تخوم [١٠] صور [١١] و صَيْدا [١٢] و دخل إلى بيت فأراد [١٣] أن لا يعلم أحد [١٤] به ، فلم يقدر أن يختفى ، فلما سمعت امرأة كانت بابنة [١٥] لها روح نجس جاءت إليه و سجدت قدام قدميه ، و كانت يونانية صورية ، و سألته أن يخرج الشيطان من ابنتها [١٦] ، فقال لها : دعى البنين حتى يشبعوا أولا ، لا تحسبن [١٧]

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فاقلعته (٢) فى الأصل : مفرح ، و التصحيح من م و مد و ظ (٣) زيد فى م : و لم يوله و خاف الجمع (٤) فى م و ظ و مد : مخاطبا (٥) فى م و مد و ظ : التعليم (٦) فى م و ظ : بسلطانه . (٧) فى م : يخرج (٨) فى م : فقطيعه - كذا (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الخليل (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : نجوم (١١) قضاء فى لبنان (محافظة الجنوب) مركزه صُور و هى مدينة ساحلية و مرفأ على المتوسط ، من عواصم الفينيقيين (١٢) قضاء فى محافظة الجنوب (لبنان) ، مركزه صيدا مدينة ساحلية و مرفأ ، تبعد عن بيروت ٤٥ كم جنوبا . أسسها الفينيقيون و جعلوها قاعدة بحرية ، و فى م : صعدا (١٣) فى ظ و مد : و اراد (١٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : أحدا ، و أخره فى م عن « به » (١٥) فى الأصل : تاتيه ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٦) فى الأصل : ابنيها ، و التصحيح من م و مد و ظ . (١٧) فى ظ : لا يحسبن ، و فى مد : لا محسن - كذا .

أن[١] يؤخذ خبز البنين[١] يدفع للكلاب ، و أجابت بنعم[٢] يا رب ! و الكلاب أيضا تأخذ مما يسقط من المائدة من فتات الأطفال ، [فقال - ٣] لها من أجل هذه الكلمة : اذهبي قد خرج [الشيطان من ابنتك ، فذهبت إلى بنتها فوجدت الصبية على السرير و الشيطان قد خرج - ٣] منها ؛ و فى [آخر - ٣] إنجيل مرقس[٤] : إنه أخرج من مريم ٥ المجدلانية[٥] سبعة[٦] شياطين ؛ و فى إنجيل لوقا : و كان بعد ذلك يسير[٧] إلى كل مدينة و قرية و يكرز[٨] و يكبر بملكوت الله و معه الاثنا عشر[٩] و نسوة[٩] كن أبرأهن من الأمراض و الأرواح الخبيثة : مريم التى تدعى المجدلانية[٥] التى أخرج [منها - ٣] سبعة شياطين و مرثا[١٠] امرأة[١١] خوزى خازن[١٢] هين ١٣ و دس و سوسنة[١٤] و أخوات كثيرات[١٥] ؛ و فى ١٠ إنجيل لوقا : و فيما هو يعلم فى أحد[١٦] المجامع فى السبت فاذا امرأة معها روح

(١-١) فى الأصل : يوجد خير النبيين ، و التصحيح من م و مد و ظ غير أن فى م : يأخذ - مكان : يؤخذ ، ولعل « و » سقط بعده من الأصول (٢) فى م و ظ و مد : نعم (٣) زيد من م و ظ و مد (٤) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : مرقش (٥) فى الأصل: المجدلابنة ، فى ظ : المجدلاينه ، وفى مد : المجدلانه ؛ والتصحيح من تاريخ اليعقوبى ص ٧٨ (٦) فى الأصل : سبقه ، والتصحيح من م و مد و ظ (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يصير (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تكرر (٩-٩) فى ظ : الاثنى عشر ، ولعله يريد به تلامذته . (١٠) فى ظ : مرتا (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لمراة (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حارف (١٣) من م و مد و ظ ، و الأصل : خير (١٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : سوسة (١٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كثيرة (١٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اخذ .

مزمن[١] منذ ثمان عشرة[٢] سنة و كانت منحنية[٣] لا تقدر[٤] أن تستوى البتة ، فنظر إليها يسوع[٥] و قال : يا امرأة ! أنت محلولة[٦] من مرضك [و وضع يده عليها ، فاستقامت للوقت و مجدت الله ، فأجاب رئيس الجماعة و هو مغضب -[٧]] و قال للجميع[٨] : لكم ستة أيام ينبغى العمل فيها و فيها[٩] تأتون و تستشفعون إلا فى السبت ! فقال : يا مراؤن[١٠] ! واحد [منكم -[٧]] يحل ثوره أو حماره من المدود فى السبت و يذهب فيسقيه و هذه[١١] ابنة إبراهيم كان الشيطان قد ربطها منذ ثمان عشرة سنة ! أما كان يحل أن تطلق من هذا الرباط فى يوم السبت ؟ فلما قال هذا الكلام أخزى[١٢] كل من كان يقاومه ، و كل الشعب كانوا يفرحون بالأعمال الحسنة التى كانت منه - انتهى .

و إنما كتبت هذا مع كون[١٣] ما نقل عن نبينا صلى الله عليه و سلم كافيا لأنه لا يدفع أن يكون فيه إيناس له و مصادقة تزيد[١٤] فى الإيمان مع أن[١٥] فيه دلائل رادة على النصارى فى ادعائهم التثليث و الاتحاد

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : من (٢) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : عشر (٣) فى الأصل : منخفية ، و التصحيح من م و مد و ظ (٤) فى متن م : تستطيع ، و بهامشه : تقدر (٥) فى مد : يشوع (٦) يقال « فيه حَلة او حِلة » أى تكسّر و ضعف ، و فى الأصل : مجنونة ، و التصحيح من م و مد و ظ . (٧) ما بين الحاجزين زيد من م و مد و ظ (٨) فى مد : للجمع (٩) فى م : فيما . (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : يامر ، و فى ظ : يامرآؤنى (١١) زيد فى مد « هى » (١٢) فى الأصل : اجرى ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٣) سقط من م (١٤) فى الأصل : زيد ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٥) فى ظ : انه .

و أحسن

و أحسن ما ردّ[١] على الإنسان من كلامه[٢] و بما[٣] يعتقده، و سيأتى إن شاء الله سبحانه و تعالى فى المائدة عند قوله سبحانه و تعالى "و ما من الٰه الا الله" ما يلتفت إلى بعض هذا و يشرحه شرحا جيدا نافعا و كذا فى جميع ما أنقله[٤] من الإنجيل كما ستراه إن شاء الله تعالى فى مواضعه، و كل ما فيه من متشابه لم تألفه مما يوهم اتحادا أو تثليثا[٥] فلا تزدد[٦] نفرتك منه و[٧] راجع ما سيقرر[٨] فى آل عمران و غيرها يرجع معك إلى المحكم[٩] رجوعا جليا[١٠]، على أن أكثره إذا تؤملت أطرافه وجدته[١١] لا شبهة فيه أصلا، و إن لم تكن أهلا للجرى فى مضمار ما ينسب إلى أمير المؤمنين على رضى الله تعالى[١٣] عنه: كن ممن يعرف الرجال بالحق ولا تكن ممن يعرف الحق بالرجال، فانظر كتاب الرد الجميل لإلٰهية عيسى بصريح الإنجيل لحجة الإسلام أبى[١٣] حامد الغزالى رحمه الله تعالى تجده أوّل كثيرا[١٤] مما ذكرته بمثل تأويلى[١٥] أو قريب منه، ولم أر كتابه إلا بعد كتابتى[١٦] لذلك -

(١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: و رد (٢) فى الأصل: كلا، و التصحيح من م و مد و ظ (٣) من م و ظ و مد، و فى الأصل: و مما (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: نقله (٥) فى الأصل: تذلنا، و التصحيح من م و مد و ظ. (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: فلا تردد، و فى م: فلا تزود (٧) من م و مد و ظ، و فى الأصل: فى (٨) فى الأصل: يستر، و التصحيح من م و ظ و مد. (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحكم (١٠) فى الأصل: جليلا، و التصحيح من م و ظ، و فى مد: حليا (١١) فى م: كوجدته (١٢) ليس فى م و مد و ظ. (١٣) فى م: اى (١٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: كثير (١٥) فى الأصل: تاويل، و التصحيح من م و مد و ظ (١٦) فى م: كتابى.

و الله سبحانه و تعالى الموفق .

و فى الآية إشارة إلى أنه سبحانه و تعالى [قضى -[1]] [2]بنزع نور[2] العقل من المربى و دل على ذلك بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر البعيد من الصواب ﴿ بانهم ﴾ أى المربون ﴿ قالوآ ﴾ [جدالا لأهل الله -[3]] ٥ ﴿ انما البيع ﴾ أى الذى تحصرون[4] [الحل -[5]] فيه يا أهل[6] الإسلام ﴿ مثل الربٰوا ﴾ فى أن كلا منهما معاوضة ، فنحن نتعاطى الربا كما تتعاطون أنتم البيع ، فما لكم تنكرونه علينا ؟ فجعلهم الربا أصلا انسلاخ مما[7] أودعه الله فى نور العقل و حكم الشرع و سلامة الطبع من الحكمة ؛ و البيع كما عرفه الفقهاء نقل ملك بثمن . و قال ١٠ الحرالى : هو رغبة المالك عما فى يده إلى ما فى يد غيره ، و الشراء رغبة المستملك فيما فى يد غيره بمعاوضة بما فى يده مما رغب عنه ، فلذلك[8] [كل -[1]] شار[9] بائع ﴿ و احل ﴾ [أى -[1]] و الحال أنه أحل ﴿ الله ﴾[10] الذى له تمام العظمة المقتضية للعدل ﴿ البيع ﴾ أى لما فيه من عدل الانتفاع ، لأنه معاوضة على سبيل النصفة للتراضى من الجانبين ، لأن

(١) زيد من م و مد و ظ (٢-٢) من ظ ، و فى م : بنور ، و فى الأصل و مد : ينزع نور (٣) زيد من م و مد و ظ غير ان فى ظ : جذلا - مكان : جدالا . (٤) فى الأصل : تنحصرون ، و التصحيح من م و مد و ظ (٥) زيد من م و ظ و مد غير ان فى م : الحل - مكان : الحل (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : هل - كذا (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٨) من م و مد ، و فى الأصل : لذلك ، و فى ظ : فكذلك (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : سار . (١٠) زيد فى ظ : اى .

الغبن[١] فيه / غير محقق على واحد منهما ، لأن من اشترى ما يساوى /٢٩٩
درهما بدرهمين يمكن أن يبيعه بعد ذلك لرواجه أو وجود راغب فيه
لأمر دعاه إليه بثلاثة ﴿ و حرم الربٰوا ط ﴾ لما فيه من اختصاص أحد
المتعاملين بالضرر و الغبن و الآخر بالاستئثار[٢] على وجه التحقق ، فان
من أخذ درهما بدرهمين لا يرجى خير ما فاته من ذلك الوجه أصلا ، ٥
و كذلك[٣] ربا المضاعفة و هو ما إذا طلب دينه فكان الغريم معسرا
فألزمه بالدفع أو الزيادة فى الدين فانه ليس فى مقابلة هذا الزائد شيء
ينتفع به المدين . قال الحرالى : فيقع الإيثار قهرا و ذلك الجور الذى
يقابله العدل الذى[٤] غايته الفضل ، فأجور الجور فى الأموال[٥] الربا ،
و أجور الجور فى الربا الربا كالذى [يقتل -[٦]] بقتيل[٧] قتيلين[٨] ، و كل من ١٠
طفف فى ميزان فتطفيفه[٩] ربا بوجه ما ؛ و لذلك تعددت أبواب الربا
و تكثرت[١٠] ؛ قال[١١] قال صلى الله عليه و سلم : الربا[١٢] بضع و سبعون بابا ،

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : العتن (٢) فى الأصل : بالاستنشار ، و فى م و مد و ظ : بالاستيثار (٣) فى م و ظ و مد : كذا (٤) فى الأصل : التى ، و التصحيح من م و مد و ظ ، و زيد بعده فى م : الذى يقابله العدل الذى غايته الفضل فاجور الجور - مكررا (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اموال (٦) زيد من م و مد و ظ (٧) فى ظ : يقتل (٨) فى م : قتلين (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فيزانه (١٠) فى الأصل : تكبرت ، التصحيح من م و مد و ظ (١١) ليس فى م و مد (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : للربا .

و الشرك مثل ذلك و هـذا رأسه ، و هو ما كانت تتعامل[1] به أهل الجاهلية ، من قولهم : إما أن تربى[2] و إما أن تقضى ، ثم لحق به سائر أبوابه ، فهو انتفاع للربى و تضرر للذى يعطى الربا ، و هذا أشد الجور بين العبيد الذين[3] حظهم التساوى فى أمر بلغة الدنيا ؛ فكما أعلمهم سبحانه و تعالى أثر حكمة[4] الخير [فى الإنفاق -[5]] أعلمهم أثر حكمة الشر [فى الربا فى دار الآخرة و فى غيب أمر الدنيا -[5]] و كما أنه يعجل للمنفق خلفا فى الدنيا كذلك يعجل للربى مَحْقا فى الدنيا حسب ما صرح به الخطاب بعد هذا الإشعار - انتهى . و مادة بيع بجميع تقاليبها [التسعة -[6]] يائية و واوية[7] مهموزة و غير مهموزة : بيع و عيب و عبى[8] و بوع و[9] بعو و[9] وبع و وعب و عبو[10] و عبا - تدور[11] على الاتساع ، فالبيع يدور على التصرف التام بالقوة تارة و بالفعل أخرى ، و الذى بالفعل يكون بالملك تارة و بغيره أخرى ، و الذى بالملك يكون بالتحصيل تارة و بالإزالة أخرى ، و لا يخفى أن كل ذلك من الاتساع فمن الذى بالقوة : باعه من السلطان سعى به إليه ، و امرأة بائع إذا كانت نافقة[12] لجمالها ، و البياعة السلعة ، و البيّع كسيد[13] : المساوم ، و أبعته[14] بمعنى عرضته للبيع ؛ و من

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تعامل (٢) فى ظ : تزلى (٣) فى م : الذى .
(٤) فى م و مد : حكمه (٥) زيد من م و مد و ظ (٦) زيد من ظ و مد .
(٧) زيد فى ظ « و » (٨) فى ظ : عبي (٩-٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تعو - كذا (١٠) سقط من ظ (١١) من مد و ظ ، فى الأصل : يدور ، و فى م : يذور (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : نافعة (١٣) فى الأصل : كعد ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٤) فى الأصل : ابتعه ، و التصحيح من م و مد و ظ .

الذى بالفعل [من - ١] غير ملك : باع على بيعه أى قام ٢ مقامه فى المنزلة و الرفعة ٣ و ٤ ظفر به ، و كذا أبعت الرجل فرسا ٥ أى أعرته ٦ إياه ليغزو عليه ؛ و من الذى بالملك إزالة : بعته و أبعته أى أزلت ملكى عنه بثمن ، و استباعه سأله أن يبيعه منه ، و انباع نفق ، و انباع لى فى سلعته سامح فى بيعها و ٧ امتد إلى ٧ الإجابة إليه ؛ و من ٨ الذى بالملك تحصيلا ٩ : باع الشىء بمعنى اشتراه . قال الفارابى ١٠ فى ديوان الأدب : قال أبو ثروان ١١ : بع لى تمرا بدرهم - يريد اشتر ، و هذا الحرف من الأضداد ، و ابتاعه : اشتراه . و العيب ١٢ بمعنى الوصمة ١٣ توسع ١٤ الكلام فى العرض و سببه توسع الإنسان فى قول أو فعل على غير منهاج العقل ١٥ ، و العيبة ١٦ وعاء من أدم يوضع فيه المتاع و هى ١٧ أيضا الصدر ١٨ و القلب و موضع السر ، و العائب من اللبن الخادر ١٩ أى الآخذ طعم حموضة

(١) زيد من م و مد و ظ (٢) فى ظ : اقام (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الربعة (٤) سقط من مد (٥) فى م : قرشا (٦) فى ظ : اعترته (٧-٧) فى الأصل : ابتدر ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) زيد فى الأصل « ذا » ولم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تحصلا (١٠) فى م و مد : الفارانى - راجع الأنساب ٤١٥/ب (١١) فى الأصل : أبو نوروان ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : البيع (١٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الوصية (١٤) فى م و ظ : يوسع (١٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الفصل ؛ و [illegible] بعده فى الأصل و م : به (١٦) فى م و مد : الغيبة (١٧) فى ظ : هو (١٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الصدور (١٩) من م ، و فى الأصل : الخازر ، و فى ظ : الحارز ، و فى مد : الحارز ؛ و فى لسان العرب : و العائب : الخاثر من اللبن .

إما من[1] العيب و إما لأنه انتشر عن طعمه الأول ؛ و العباية[2] ضرب من الأكسية لاتساعه عن الآزر[3] و نحوها طولا و عرضا و الرجل الجافى الثقيل تشبيها بها فى الخشونة و الثقالة ، و تعبئة الجيش[4] تهيئته من موضعه[4] كأن مراكزه[5] عياب[6] له وضعت كل فرقة منه[7] فى عيبتها[8] ،

٥ و عيبك[9] من الجزور نصيبك[10] ، و التعابى أن يميل رجل مع قوم و آخر مع آخرين لأن ذلك اتساع بالفريقين و انتشار من الرجلين ؛ و من المهموز العبء - بالكسر و هو الحمل الثقيل من أى شىء كان لأنه بقدر وسع الحامل أو فوق وسعه و هو أوسع[11] مما[12] دونه من الأحمال ، و هو أيضا العدل لأنه يسع ما يوضع فيه و المثل ، و يفتح لأن[13]

١٠ الاثنين أوسع من الواحد ، و العبء بالفتح ضياء الشمس و هو واضح فى السعة ، و عبأ المتاع و الأمر [كمنع -[14]] هيأ[15] كعبأه تعبئة[15] لأنه

(١) ليس فى مد و ظ (٢) من مد و ظ و م ، و فى الأصل : العيابة (٣) فى الأصل : الارز ، و التصحيح من م و مد و ظ (٤-٤) فى الأصل : كهيته من موضعه ، و فى م : تهيبه فى مواضعه ، و فى مد : تهيئة فى مواضعه ، و التصحيح من ظ (٥) فى الأصل : مراكرة - كذا ، و التصحيح من م و مد و ظ . (٦) من م و ظ ، و فى الأصل : عقاب ، و فى مد : عباب (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : منها (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : غيبها (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عليك (١٠) فى الأصل : يصبك ، و التصحيح من م و ظ و مد (١١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : واسع (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : من (١٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا (١٤) زيد من م و ظ و مد (١٥-١٥) فى الأصل : كعياه بعينه ، و التصحيح من م و مد و ظ .

أعطاه ما يسعه و وضعه / فى مواضع تسعه[1]، و الطيب صنعه و خلطه / ٣٠٠
فاتسع بالخلط و انتشرت رائحته بالصنعة ؛ و العباء كساء معروف و هو
يسع ما يلف به كالعباية[2]، و الأحمق الثقيل الوخم و تقدم تخريجه و يمكن
جعله[3] من العبء بمعنى الحمل و بمعنى الثقيل [و المعبأة - [4]] كمكنسة
خرقة الحائض لأنها بقدر ما يسعه الفرج، و[5] المعبأ كمقعد المذهب[5] لاتساعه ٥
للذاهب فيه، و ما أعبأ به ما أصنع ، و بفلان: [6]ما أبالى[6] أى ما أوسع
الفكر فيه - انتهى المهموز[7]؛ و الباع[8] قدر مد اليدين و الشرف
و الكرم ، و البوع[9] أبعاد خطو الفرس فى جريه[10] ، و بسط اليد بالمال ،
و المكان المنهضم أى المطمئن فى لِصب[11] الجبل - و اللصب بالكسر
الشعب الصغير من الجبل أضيق من اللهب و أوسع من الشقب[12] ، ١٠
و اللهب مهواة[13] ما[14] بين كل جبلين أو الصدع فى الجبل أو الشعب
الصغير[15] ، و الشعب بالعين الطريق فى الجبل و مسيل الماء فى بطن

(١) من مد و ظ ، و فى الأصل و م: تسعة (٢) فى الأصل : كالعبابة ، و التصحيح من م و مد و ظ (٣) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : جعلهم (٤) زيد من ظ و مد ، و فى م: العباة (٥-٥) فى الأصل : و العبا كتعلم الذهب ، و التصحيح من م و مد و ظ (٦-٦) فى الأصل : مال يأتى ، و التصحيح من م و مد و ظ . (٧) فى مد : المهموزة (٨) فى م : اليساع (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : النوع (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حريه (١١) فى الأصول : لضب (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : النقب (١٣) من - ، و فى م و ظ : مهواه ، و فى الأصل : هواه - كذا (١٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مما (١٥) زيد فى ظ : فيه .

أرض أو ما انفرج بين الجبلين ، و الشقب بالقاف صدع يكون فى لهوب الجبال و لصوب الأودية دون الكهف توكر[1] فيه الطير - و باعة الدار ساحتها ، و البائع ولد الظبى إذا باع[2] فى مشيه ، و ٣ انباع العرق[3] سال ، و الحية بسطت[4] نفسها بعد تحوّيها لتساور ؛ و الوبّاعة الاست لاتساعها بخروج الخارج منها ، و كذبت وبّاعته أى حبق[5] يعنى ضرط ، و الوباعة من الصبى ما يتحرك من يافوخه[6] لامتداده إلى الحركة ، و وعبه كوعده أخذه أجمع ، كأوعبه و استوعبه ، وأوعب جمع ، و الشىء فى الشىء أدخله كله أى وسعه حتى دخل فيه ، و الوعب من الطرق : الواسعة ، و بيت وعيب واسع ؛ و البعو الجناية و الجرم لأن ذلك يوسع الكلام فى العرض ، و هو أيضا العارية ، و بعاه قره[7] و أصاب منه ، و بعاه بالعين أصابه بها كأنه[8] وسع لعينه فيه حظا .

(١) فى الأصل : يولد ، و التصحيح من م و مد و ظ (٢) فى الأصل : باعه ، و فى م و مد و ظ : بايع ؛ و فى لسان العرب (بو ع) : و البائع ولد الظبى إذا باع فى مشيه (٣ - ٣) من م و ظ ، و فى الأصل : اتباع العرف ، و فى مد : انباع العرف - راجع اللسان (بو ع) (٤) فى الأصل : يطب ، و التصحيح من م و مد و ظ و اللسان (٥) و فى الأصل : حنق - كذا ، و التصحيح من م و مد و ظ (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فانوخه - كذا (٧) فى م : قهره ؛ كذا - راجع اللسان (بعا) (٨) فى الأصل : كاين ، و التصحيح من م و مد و ظ .

و لما

و لما كان الوعظ[1] كما قال الحرالى دعوة الأشياء بما فيها من العبرة[2] للانقياد للإله الحق بما يخوفها و يقبضها[3] فى مقابلة التذكير بما يرجيها[4] و يبسطها ، و كان فيما أخبر به سبحانه و تعالى عن حال المربى أتم زاجر لأن أجلّ ما للانسان بعد روحه عقله سبب عن ذلك قوله : ﴿ فمن جآءه ﴾ قال الحرالى : أطلق[5] الكلمة من علامة التأنيث النازل الرتبة ترفيعا لقدر هذه الموعظة الخفية المدرك العظيمة الموقع ﴿ موعظة ﴾ [بناء - [6]] مبالغة و إعلاء[7] لما أشعرت المفعلة[8] الزائدة الحروف على أصل[9] لفظ الوعظ بما يشعر[10] به الميم[11] من التمام و الهاء من الانتهاء ، فوضع الأحكام حكمة ، و الإعلام بثمراتها فى الآخرة موعظة تشوق[12] النفس إلى رغبتها و رهبتها - انتهى .

و لما كان التخويف من المحسن أردع لأن النفس منه أقبل قال: ﴿ من ربه ﴾ أى المربى له المحسن إليه بكل ما هو فيه[13] من الخير .

(١) من مد و ظ و م ، و فى الأصل : لوعظ (٢) فى الأصل : الغيرة ، والتصحيح من م و مد و ظ غير أن فى م : للعبرة - مكان : العبرة (٣-٣) من م و مد و ظ ، وفى الأصل: نخوفها و يقضيها (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : مرجيها - كذا . (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اطلاق (٦) زيد من م و مد و ظ غير أن فى م : نبا - مكان : بناء (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اعلاما . (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: الفعلة (٩) فى م : اصله (١٠) فى ظ : تشعر ، و فى مد: شعر - كذا (١١) فى الأصل : الوسط اليهم ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٢) فى ظ : تسوق - كذا (١٣) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : منه .

قال الحرالى: فى إشعاره [أن - ١] من أصل التربية الحمية من هذا الربا - انتهى. ﴿ فانتهى ﴾ أى عما كان سببا للوعظ. قال الحرالى: أتى بالفاء المعقبة فلم يجعل [فيه - ٢] فسحة[٣] و لا قرارا[٤] عليه لما فيه من خبل[٥] العقل الذى [هو أصل - ١] مزية الإنسانية و إن لم يشعر به حكماء الدنيا و لا أطباؤها - انتهى.

و لما كان السياق بما أرشد إليه التعليل بقوله "ذلك بانهم قالوا" دالا على أن الآية فى الكفرة و أن المراد بالأكل الاستحلال أكد ذلك بقوله: ﴿ فله ما سلف[ط] ﴾ أى من قبيح ما ارتكبه بعد أن كان عليه و لا يتبعه [شىء - ٢] من جريرته[٦] لأن الإسلام يجبّ ما قبله و توبة المؤمن لا تجب المظالم. قال الحرالى: و السلف هو الأمر الماضى بكليته الباقى[٧] بخلفه[٨]، و قال: [٩] فى إعلامه[٩] إيذان بتحليل ما استقر فى أيديهم من ربا الجاهلية ببركة توبتهم من استئناف العمل به فى الإسلام لما كان الإسلام يجب ما قبله[١٠]، و فى طىّ إشعاره تعريض برده لمن

(١) زيد من م و مد و ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى الأصل: قبيحة، و التصحيح من م و مد و ظ (٤) من م و مد و ظ، و فى الأصل: قرار. (٥) فى الأصل: حبل، و التصحيح من م ومد وظ (٦) فى الأصل: حريرته، و فى م: جدبرته، و التصحيح من مد و ظ (٧) فى الأصل: المنافى، و التصحيح من م و مد (٨) فى الأصل: بخلقه، و فى م: يخافه، و فى مد: نخافه - كذا. (٩ - ٩) من م ومد، و فى الأصل: علامة (١٠) العبارة من «و توبة المؤمن» إلى هنا ليست فى ظ.

يأخذ[1] لنفسه[2] بالأفضل و يقوى إشعاره [قوله - ٣] ﴿ و امره الى الله ﴾ انتهى ، أى[4] فهو يعامله[5] بما له من[6] الجلال و الإكرام[7] بما يعلمه[8] من نيته[9] من خلوص و غيره .

و لما كان المربون بعد هذه الزواجر بعيدين من رحمة[10] الله عبر عنهم سبحانه / و تعالى بأداة البعد فى قوله : ﴿ و من عاد ﴾ أى إلى ٥ /٣٠١ تحليل الربا بعد انتهائه عنه نكوبا[11] عن حكمة ربه ﴿ فاولئك ﴾ أى البعداء من الله ﴿ اصحب النار[1] ﴾ و لما كانت نتيجة الصحبة الملازمة قال: ﴿ هم فيها خلدون ٥ ﴾ .

و لما كان المرغب فى الربا ما فيه من الربح الناجز[12] المشاهد ، و المفتر[12] عن الصدقة كونها[13] نقصا محققا[13] بالحس بيّن أن الربا و إن كان بصورة ١٠ الزيادة فهو نقص [و أن الصدقة و إن كانت بصورة النقص فهى زيادة -[14]] لأن ذلك إنما هو بيده سبحانه و تعالى[15] فما شاء[15] محقه و إن كان كثيرا

(١) فى م : ياخذه (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بنفسه (٣) زيد من م و مد و ظ (٤) ليس فى م (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يعامل . (٦) زيد فى م : احاطة (٧) العبارة من « بما له » إلى هنا ليست فى ظ (٨) فى م : يعلم (٩) فى مد : بيته (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : نعمة (١١) فى الأصل : يكون ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٢-١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الشاهد و الفتر (١٣-١٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : نقص مخففا - كذا (١٤) ما بين الحاجزين زيد من م و مد و ظ غير أن فى ظ : كان - مكان : كانت (١٥-١٥) فى ظ : انشا .

أو ما أراد نماه[1] و إن كان يسيرا فقال كالتعليل[2] للأمر بالصدقة و النهى عن الربا و لكون فاعله من أهل النار : ﴿ يمحق الله ﴾ أى بما له من الجلال و القدرة ﴿ الربٰوا ﴾ بما يفتح له من أبواب المصارف . قال الحرالى : و المحق الإذهاب بالكلية بقوة و سطوة ﴿ و يربى الصدقٰت[4] ﴾ أى يزيد الصدقات بما يسد عنها من مثل ذلك و يربح فى تقلباتها[5] و يجوز كونه استئنافا و ذلك أنه لما تقرر[6] أن فاعليه من أصحاب النار ساقه مساق الجواب لمن كأنه قال : و إن تصدقوا من أموال الربا و أنفقوا فى سبيل[6] الخير ! إعلاما بأن الربا مناف للخير فهو مما يكون هباء منثورا . و لما آذن جعلهم من أصحاب النار أن من لم ينته عن الربا أصلا أو انتهى و عاد إلى فعله مرتبك فى شرك الشرك قاطع[7] نحوه عقبات : ثنتان منها فى انتهاك حرمة [الله : ستر آياته فى عدم الانتهاء ، و الاستهانة بها فى العود إليه ، الثالثة انتهاك حرمة -[8]] عباد الله فكان إثمه متكررا [9]مبالغا فيه[9] لا[10] يقع إلا كذلك[11] عبر سبحانه و تعالى بصيغة

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : نماوه (٢) فى ظ : كالقليل (٣) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : او (٤) سقط من م و مد و ظ (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يقرر (٦) فى ظ : سبل (٧) فى الأصل : فاقطع ، و التصحيح من م و ظ و مد (٨) عبارة المحجوزة زيدت من م و مد و ظ غير أن فى م « بما » مكان « بها » (٩-٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بالعافية (١٠) فى ظ : الا (١١) زيد فى ظ : فلذا و الله اعلم .

المبالغة فى قوله عطفا على ما تقديره تعليلا لما قبله : فالمتصدق مؤمن كريم و المربى كفار أثيم : ﴿ و الله ﴾ المتصف بجميع صفات الكمال ﴿ لا يحب كل كفار ﴾ أى فى واجب الحق بجحد[1] ما شرع من آياته و سترها و الاستهانة بها ، أو كفار لنعمته[2] سبحانه و تعالى بالاستطالة بما أعطاه على سلب[3] ما أعطى[4] عباده ﴿ اثيم[5] ﴾ فى واجب الخلق ، ٥ أى منهمك فى تعاطى ما حرم من اختصاصاتهم بالربا و غيره ، فلذا[5] لا يفعل معهم سبحانه و تعالى فعل المحب لا بالبركة فى أموالهم و لا باليمن[6] فى أحوالهم ، و هذا النفى من عموم السلب ، و طريقه[7] أنك تعتبر النفى أولا ثم تنسبه إلى الكل ، فيكون المعنى : انتفى عن كل كفار أثيم حبه ، و كذا كل ما ورد عليك من أشباهه إن اعتبرت ١٠ النسبة إلى الكل أولا ثم نفيت فهو لسلب العموم ، و إن اعتبرت النفى أولا ثم نسبته إلى الكل فلعموم السلب ، و كذلك جميع[8] القيود ؛ [9]فالكلام المشتمل[9] على نفى و قيد قد يكون لنفى التقييد و قد يكون لتقييد النفى ، فمثل[10] : ما ضربته تأديبا ، أى[11] بل إهانة ، سلب للتعليل و العمل

(١) من ظ ، و فى م و مد : يجحد ، و فى الأصل : جحد (٢) فى ظ : النعمة (٣) فى الأصل : اسلب ، و التصحيح من بقية الأصول (٤) فى م : اعطاه (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فكذا (٦) فى الأصل : بالتمن ، و التصحيح من م و مد و ظ (٧) من مد و ظ ، و فى الأصل طريقة ، و فى م : طر[illegible] (٨) من م و ظ و مد . و فى الأصل : لجميع (٩-٩) من مد و ظ ، و فى م : فالكلام مشتمل . و فى الأصل : بالكلام المشتمل (١٠) فى ظ : فى مثل (١١) زيد من م و ظ و مد .

للفعل ، و ما ضربته إكراما له ، أى[١] تركت ضربه للاكرام[٢]، تعليل للسلب و العمل للنفى ، و ما جاءنى راكبا ، أى بل ماشيا ، نفى للكيفية ، و ما حج مستطيعا ، أى ترك الحج مع الاستطاعة ، تكيف[٣] للنفى ؛ و قد أشبع[٤] الشيخ سعد الدين التفتازانى رحمه الله تعالى الكلام فى ذلك فى
٥ شرحه للمقاصد فى بحث الرؤية عند [٥]استدلال المعتزلة بقوله[٥] تعالى "لا تدركه الابصار[٦]" .

و لما[٧] بين تعالى ما سلبه عن[٨] الكافرين من محبته أتبعه ما أثبته للمؤمنين المصدقين [٩]من رحمة[٩] الملوح إليهم فيما قبل بالعطف على غير معطوف عليه ظاهر كما تقدم آنفا على وجه لم يخله[١٠] من ذكر النفقة
١٠ فقال تعالى[١١] مشيرا إلى قسيم[١٢] "و من عاد" : ﴿ ان الذين اٰمنوا[١٣] ﴾ أى صدقوا بجميع ما أتتهم به الرسل صلوات الله و سلامه عليهم عن الله سبحانه و تعالى ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لإيمانهم ﴿ الصٰلحٰت ﴾ ائتمارا

(١) زيد فى الأصل « ما » و لم تكن الزيادة فى م و ظ و مد فحذفناها (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الاكرام (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تكيف (٤) فى م : اشنع - كذا (٥ - ٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الاستدلال للمعتزلة قوله (٦) سورة ٦ آية ١٠٤ (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : بما (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : من (٩-٩) سقط من م . (١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لم يحله (١١) العبارة من هنا إلى « عاد » ليست فى ظ (١٢) مد مد ، و فى الأصل و م : قسم (١٣) مناسبة هذه الآية لما قبلها واضحة و ذلك لما ذكر حال آكل الربا و حال من عاد بعد مجىء الموعظة و أنه كافر أثيم ذكر ضد هؤلاء ليبين فرق ما بين الحالين و ظاهر الآية العموم - البحر المحيط ١/٣٣٧ .

و انتهاء لا سيما ترك الربا[1] .

و لما كانت الصلاة زبدة الدين فيما بين الحق و الخلق خصها بالذكر فقال: ﴿ و اقاموا الصلوٰة ﴾ بجميع حدودها "ان الصلوٰة تنهى عن الفحشآء و المنكر[2] " . و لما كان الإيثار أجل ما بين [3] الحق وا لخلق[3] و زبدته إخراج الواجب من المال عن طيب نفس قال: ٥ ﴿ و اٰتوا الزكوٰة ﴾ فضلا عن أن يبخلوا فضلا عن [4] أن يربوا و دل[4] على أن جزاءهم بحسب النيات [5] لثباتهم فى فتنة الردة[5] بقوله: ﴿ لهم اجرهم﴾ و أعلم بحفظه و تنميته[6]/ بقوله: ﴿ عند ربهم ج﴾ و آذن بتمام /٣٠٢ الانتفاع بقوله: ﴿ و لا خوف عليهم ﴾ أى من طارق يطرقهم بغير ما[7] يلائمهم لأنهم فى كنف العزيز العليم ﴿ و لا هم يحزنون ه ﴾ على ١٠ شىء[8] فاتهم فهم فى غاية الرضى [بما هم فيه ـ[9]] ، و لعظيم الجدوى فى ذلك كرره فى هذه الآيات غير[10] مرة و نوه[11] به كرة[12] فى أثر كرة .

و لما كانت نتيجة الآية الماضية فى الاعتماد على ما عند الله سبحانه و تعالى من الأجر و عدم الحزن على ما فات من ربا و[13] غيره و الخوف

(١) فى ظ : الرياء (٢) سورة ٢٩ آية ٤٥ (٣-٣) فى م: الخلق و الحق ، و فى مد الخلق و الحلق ـ كذا (٤ - ٤) فى الأصل : ان يوثروا ول ، و التصحيح من م و مد و ظ (٥-٥) ليست فى ظ (٦) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : تتميمه . (٧) زيد فى الأصل « لا » ولم تكن الزيادة فى م و مد وظ فحذفناها (٨) زيد فى ظ : مما (٩) زيد من م و ظ و مد (١٠) من م وظ و مد ، و فى الأصل : بغير (١١) فى م: نور ـ كذا (١٢) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : مرة (١٣) فى مد: او .

من شيء آت من فقر أو غيره ترك كل شيء ينسب إلى الربا [و-١] كان بين أهل الإسلام و أهل الجاهلية و بين بعضهم [و-١] بعض معاملات[٢] فى الجاهلية ربوية لم تتم بعد بين أمرها نفيا[٣] لما قد يتوهم[٤] من قوله سابقا "فله ما سلف" من تحليل بقايا الربا و أن النهى خاص[٥] بما تجدد منه فقال مخاطبا لأقرب من ذكره ممن تلبس بالإيمان و لم يلتفت إلى غيرهم تشريفا لهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أى أقروا بالتصديق بألسنتهم. و لما كان الربا قد يكون مؤجلا فيكون صاحبه قد مضت [عليه-١] مدد و هو موطن نفسه على أخذه فيصير الكف عنه يعدل الموت عنده أبلغ سبحانه و تعالى فى التشديد[٦] فى هذه المواعظ فقال: ﴿ اتقوا الله ﴾[٧] أى الذى له جميع العظمة[٨] تصديقا لإقراركم ﴿ و ذروا ﴾ أى اتركوا أى ترك كان ﴿ ما بقى من الربوٰا ﴾ أى الذى كنتم تعاملون به فلا تستحلوه[٩] و لا تأكلوه.

و لما لوح فى أول[١٠] الآية [إلى-١١] أن من أصر[١٢] فهو غير صادق

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) العبارة من هنا إلى «ان النهى خاص» ليست فى ظ (٣) فى م: نصا (٤) من م ومد، و فى الأصل: نشرهم (٥) فى م: خاصا.
(٦) فى ظ: الشديد (٧) العبارة من هنا إلى «العظمة» ليست فى ظ.
(٨) زيد فى مد: تستحلوه و لا تاكلوه (٩) فى الأصل: فلا يبخلوه، و التصحيح من م و مد و ظ (١٠) فى م: هذه (١١) زيد من مد و ظ.
(١٢) فى ظ: اضر.

فى

فى دعوى الإيمان صرح بذلك فى آخرها فقال : ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ أى ١ متصفين بما ذكرتموه بألسنتكم . قال الحرالى : فبين أن الربا و الإيمان لا يجتمعان و أكثر بلايا هذه الأمة حتى أصابها ما أصاب بنى إسرائيل من البأس الشنيع و الانتقام بالسنين إنما هو من عمل من عمل بالربا ، و هذه الآية [أصل - ٢] عظيم فى أحكام الكفار إذا أسلموا فما مضى منها ٣لم ينقص٣ و ما٤ لم يمض لم يفعل - نبه عليه الأصبهانى٥ .

و لما كان من حق من عاند السيد الأخذ سبب عن ذلك قوله٦ : ﴿ فان لم تفعلوا ﴾ أى ترك الربا . قال الحرالى : فى إشعاره أن طائفة منهم لا يذرونه بعد تحريمه بما أنهم ليسوا من الذين كانوا مؤمنين - انتهى . ﴿ فاذنوا بحرب ﴾ أى عظيمة . قال الحرالى : و الحرب مدافعة بشدة ٧عن اتساع ، المدافع بما يطلب٧ منه الخروج عنه٦ فلا يسمح به و يدافع عنه٨ بأشد مستطاع٩ ؛ ثم عظم أمرها بايراد الاسم الأعظم فقال : ﴿ من الله ﴾ العظيم الجليل ﴿ و رسوله ﷺ ﴾ ٩صلى الله عليه و سلم٩ الذى هو أعظم الخلائق بتشريفه بالإضافة إليه . و قال

(١) زيد فى الأصل « غير » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٢) زيد من م و ظ و مد (٣-٣) فى م : لا ينقص ، و فى ظ و مد : لا ينقض (٤) زيد فى الأصل « مضى » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها ( ) فى م و مد : الأصفهانى (٦) ليس فى ظ (٧-٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : من الشاع المدانع بما تطلب (٨) فى مد : به (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ماستطاع . (٩-٩) ليست فى مد و ظ .

الحرالى : الذى هيأه[١] للرحمة ، فكان نبى الرحمة محاربا له ، فانقطعت وصلته من الرحيم و الشفيع - انتهى . ﴿ و ان تبتم ﴾ أى فعلتم بعد الإذن بالقتال أو قبله ما أمركم الله به من ترك ما بقى منه ﴿ فلكم رءوس اموالكم ج ﴾ أى كما هو حال البيع . و لما كان ذلك هو العدل لأنه الحق قال : ﴿ لا تظلمون ﴾ أى بأخذ شىء مما[٢] بقى من الربا ﴿ و لا تظلمون ه ﴾ بنقص من رأس المال أو دفع بمطال[٣] لأنه الحق[٣] . [و لما كان -[٤]] الناس منقسمين إلى موسر و معسر أى غنى و فقير كان كأنه قيل : هذا حكم الموسر ﴿ و ان كان ﴾ أى وجد من المدينين[٥] ﴿ ذو[٦] عسرة ﴾ لا يقدر على الأداء[٧] فى هذا الوقت ﴿ فنظرة ﴾ أى فعليكم نظرة له . قال الحرالى : و هو التأخير المرتقب نجازه[٨] ﴿ الى ميسرة ط ﴾ إن لم ترضوا إلا بأخذ أموالكم ؛ و قرأ نافع [و حمزة -[٩]] بضم السين ؛ قال الحرالى : إنباء[١٠] عن استيلاء اليسر[١١] و هى أوسع النظرتين[١١] ، و الباقون بالفتح إنباء[١٠] عن توسطها ليكون اليسر

(١) فى ظ : هياة (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ما (٣-٣) ليس فى م و مد و ظ (٤) زيد ما بين المربعين من م و مد و ظ (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المدنيين - كذا (٦) فى ظ : ذوا (٧) فى الأصل : الاذى ، و فى ظ : الوفا ، و التصحيح من م و مد (٨) من مد و ظ ، و فى الأصل : تجارة ، و فى م : بجازه (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ ، و فى بقية الأصول : انبا (١١ - ١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : هو واسع النظرين .

فى مرتبتين[١] ، فمن انتظر إلى أوسع اليسرين[٢] كان أفضل توبة - انتهى .

﴿ و ان تصدقوا ﴾ أى و صدقتكم[٣] على المعسر بتركه له ، ذلكم[٤] ﴿ خير ﴾ [٥]فى الدنيا بما يبارك الله سبحانه و تعالى ﴿ لكم ﴾ و يعوضكم و فى الآخرة بما يجزل لكم من الأجر .

و لما كان كل[٦] أحد يدعى[٧] العلم و يأنف أشد أنفة[٧] من النسبة ٥ إلى الجهل قال: ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ أى إن كنتم من ذوى العلم [٨]فأنتم تعرفون/ صحة[٨] ما دعوتكم إليه مما[٩] يقتضى الإدبار عنه أو الإقبال ٣٠٣/ عليه ، فاذا تحققتم ذلك فامتثلوه فانه يقبح[١٠] على العالم بقبح[١١] الشىء الإصرار[١٢] عليه و إلا فبينوا أنه ليس بخير و إلا فأنتم من أهل الاعوجاج بالجهل تقومون بالحرب و[١٣]الضرب و الطعن[١٣] كالسباع الضارية[١٤] و[١٥]الذئاب ١٠ العاوية[١٥] . و قال الحرالى : فأعلم سبحانه و تعالى أن[١٦] من وضع

(١) فى الأصل : مرتبتهن ، و فى م و مد و ظ : رتبتين (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : اليشرين - كذا بالشين المعجمة (٣) فى م : صدقكم (٤) ليس فى مد و ظ (٥) زيد فى ظ و مد : لكم (٦) فى الأصل : اكل ، و التصحيح من م و مد و ظ (٧-٧) فى الأصل : اليكم و ما ألف اشد انفه ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨-٨) فى الأصل : فاين تعرفون نصيحة ، و التصحيح من م و مد و م و ظ غير أن فى م : توفون - مكان : تعرفون (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بما (١٠) فى الأصل : يفتح ، و التصحيح من م و ظ و مد (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بفتح (١٢) فى ظ : للاصرار (١٣-١٣) فى م و مد و ظ : الطعن و الضرب (١٤) فى الأصول : الضاربة - كذا (١٥-١٥) فى الأصل : الديات العارية ، و التصحيح من م و مد و ظ غير أن فى م : الغاوية - مكان : العاوية (١٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : انه .

كيانه[1] للعلم فكان ممن يدوم علمه؟ تنبه لأن خير الترك خير من خير[2] الأخذ فأحسن بترك جميعه - انتهى . و روى البخارى فى التفسير عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : لما أنزلت[3] الآيات الأواخر - و فى رواية : من آخر سورة البقرة فى الربا - قرأهن[4] النبى صلى الله عليه وسلم - و فى رواية : على الناس فى المسجد - ثم حرم التجارة فى الخمر . و له عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: آخر آية نزلت على النبى صلى الله عليه و سلم آية الربا . و لأبى عبيد عن ابن[5] شهاب قال: آخر القرآن عهدا بالعرش آية الربا و آية الدين . و له عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال : آخر آية نزلت[6] من القرآن " و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله " قال : زعموا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مكث بعدها تسع ليال و بدئ به يوم السبت و مات يوم الاثنين - انتهى . و لا مخالفة لأنها[7] من آية[8] الربا و الدين . و روى الحديث أبو عمرو الدانى[9] فى كتاب البيان فى عدد آى القرآن و قال فيه[10] : قال الملك : اجعلها على

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كتابه (٢) ليس فى ظ (٣) فى م و ظ : نزلت (٤) فى الأصل : قرأه من ، و التصحيح من م و مد و ظ (٥) فى م : ابى. (٦) فى مد و ظ : انزلت (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : انها (٨) فى ظ و مد : آيات (٩) فى الأصل : الدارانى ، و التصحيح من م و ظ و مد . (١٠) و قال الأندلسى فى البحر المحيط ٢/٣٤١ : و روى أنه قال : اجعلوها بين آية الربا و آية الدين ، و روى أنه قال عليه السلام : جاءنى جبريل فقال : اجعلها على رأس مائتين و ثمانين آية من البقرة .

رأس

رأس ثمانين و مائتين من البقرة .

و لما كان من المعلوم أنه لا يدفعه[1] حجة كان التقدير : فامتثلوا ما أمرتم به و اجتنبوا ما نهيتم عنه ، فعطف عليه تخويفا من يوم العرض عليه و المجازاة بين يديه فقال ـ و قال الحرالى : [2]لما أنهى الخطاب بأمر الدين [و ـ ٣] علنه[4] و أمر[5] الآخرة على وجوهها و إظهار حكمتها المرتبطة ٥ بأمر الدنيا و بين أمر الإنفاق و الربا الذى هو غاية أمر الدين[6] و الدنيا فى صلاحهما[7] و أنهى ذلك إلى الموعظة بموعود جزائه فى الدنيا و الآخرة أجمل الموعظة بتقوى يوم الرجعة إلى إحاطة أمره ليقع الختم بأجمل موعظة و أشملها[8] ليكون انتهاء الخطاب على ترهيب الأنفس لتجتمع[9] عزائمها على ما هو ملاك أمرها من قبول صلاح دينها و دنياها و معادها ١٠ من خطاب الله سبحانه و تعالى لها فختم ذلك بكمال معناه بهذه الآية كما [10]أنها هى[10] الآية التى ختم بها التنزيل أنزلت على النبى صلى الله عليه وسلم [11]هو فى[11] الشكاية و هى آخر آية أنزلت [12]على النبى صلى الله عليه و سلم[12] فى مقابلة "اقرا باسم ربك" الذى هو أول منزل النبوة

(١) فى م و ظ و مد : ليس لا حد معه سبحانه (٢) زيد فى مد «و» (٣) زيد من مد و ظ (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : عليه (٥) فى ظ : اقرّ . (٦) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الدنيا (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : صلاحها (٨) فى م : اجملها (٩) فى ظ : ليجتمع (١٠-١٠) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : انهى هذه (١١-١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : و هى (١٢-١٢) فى م و ظ و مد : عليه .

[و - ١] " يـٰأيها المدثر " الذى هو أول منزل الرسالة فكان أول الأمر ٢ نذارة و آخره موعظة تبعث النفس على الخوف و تبعث ٣ القلب على الشوق [من - ٤] معنى ما انختم به أمر خطاب الله سبحانه و تعالى فى آية " ملك يوم الدين " انتهى - فقال تعالى : ﴿ و اتقوا ٥ يوما ﴾ أى فى غاية العظم ﴿ ترجعون فيه ﴾ حسا بذواتكم كما أنتم فى الدنيا و معنى بجميع أموركم رجوعا ظاهرا لا يحجبه شىء من الأسباب و لا يحول دونه عارض ارتياب ﴿ الى الله ﴾ [الذى - ٥] لا يحصر ٦ عظمته وصف و لا يحيط بها حد ، فيكون حالكم بعد النقلة من ٧ الدنيا كحالكم قبل البروز إليها من البطن لا تصرف ٨ لكم أصلا ١٠ و لا متصرف ٩ فيكم ١٠ إلا الله و يكون ١١ حالكم فى ذلك اليوم الإعسار ، لأنه لا يمكن ١٢ أحد أن يكافىء ما لله سبحانه و تعالى عليه من نعمه ١٣ ، فمن نوقش الحساب عذب ؛ فان كنتم تحبون المجاوزة ١٤ عنكم هنالك ١٤

(١) زيد من مد (٢) فى ظ : الأجر (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يبعث (٤) زيد من مد و ظ غير أن فى ظ : و من - بزيادة الواو (٥) زيد من م و مد و ظ (٦) فى الأصل : لا يخص ، و التصحيح من م و مد و ظ . (٧) فى مد : عن (٨) فى الأصل : مصرف ، و التصحيح من م و ظ و مد . (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : لا يتصرف (١٠) من م و ظ ، و فى الأصل : منكم ، و فى مد : لكم (١١) فى م و مد و ظ : تكون (١٢) فى ظ : يمن (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نعمة (١٤ - ١٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : هنالك عنكم .

فتجاوزوا أنتم عن إخوانكم اليوم ، و تصدقوا ما دمتم قادرين على الصدقة ، و اتقوا النار فى ذلك اليوم و لو بشق تمرة[١] ؛ و أشار سبحانه و تعالى إلى طول وقوفهم ذلك الموقف فى مقام الهيبة[٢] و تمادى حبسهم[٣] فى مشهد الجلال و العظمة بأداة التراخى فى قوله : ﴿ ثم ﴾ قال الحرالى و قيل : يا رسول الله ! أين يكون[٤] الناس[٥] ، يوم تبدل الارض غير الارض و السموات[٦] " ؟ قال : فى الظلمة دون الجسر[٧] ، و قال صلى الله عليه و سلم : يقيمون[٨] / فى الظلمة ألف سنة . و ورد عن على رضى الله تعالى عنه فى تفصيل مواقف يوم الجزاء أن الخلق يوقفون[٩] على قبورهم ألف سنة ، و يساقون إلى المحشر[١٠] ألف سنة ، و يوقفون[١١] فى الظلمة ألف سنة ؛ ثم يكون انشقاق[١٢] [السماوات - ١٣] السبع و تبديل الأرض و ما شاء الله سبحانه و تعالى من أمره انتظارا لمجيئه[١٤] ؛ فنى عبرة[١٥] مقاله و الله سبحانه و تعالى أعلم أن[١٦] ذلك يكون[١٦] ستة آلاف

/ ٣٠٤

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تمرة (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الهية (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حبهم (٤) فى ظ : تكون (٥) زيد فى الأصل : « فى » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٦) سورة ١٤ آية ٤٨ (٧) من م ، و فى الأصل : الحشر ، و فى ظ : الحر ، و فى مد : الحسر - كذا (٨) فى ظ : تقيمون (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يقفون (١٠) فى مد : المخر - كذا (١١) من م و مد ، و فى ظ : يوقعون . و فى الأصل : يحشرون . (١٢) فى ظ : انشاق (١٣) زيد من م و ظ و مد (١٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لمجيبة - كذا (١٥) من م و مد و ظ غير أن فى ظ : عمرة ، و فى الأصل : غيره (١٦-١٦) فى م : يكون ذلك .

سنة و أنها كما بنيت[1] فى ستة أيام تهدم فى ستة أيام " كما بدانا اول خلق نعيده[2] " ، فيكون ذلك تسعة أيام ؛ و يكون[3] مجيئه[4] فى اليوم العاشر الذى هو يوم عاشوراء ذلك اليوم الذى تكرر مجىء أمره فيه فى يوم الدنيا - ثم وصف صلى الله عليه و سلم المواقف إلى منتهاها - انتهى .

٥ *و لما كان إيقاف[6] الإنسان على كل ما عمل من سر و علن فى غاية الكراهة إليه فضلا عن جزائه على كل شىء [منه -[7]] لا بالنسبة إلى موقف معين بنى للمفعول قوله : ﴿ توفى ﴾ أى تعطى على سبيل الوفاء ﴿ كل نفس ما كسبت ﴾[8] من خير و شر . قال الحرالى : جاء بصيغة فعل المشعر بجرى[9] العمل على غير تكلف و تحمل ، ففى ١٠ إشعاره أنها توفى ما كسبت من الخير و ما كونت له من الشر و أن ما تكلفته[10] من الشر و فى دخلتها كراهية[11] ربما غفر لها حيث لم تكن توفى ما كسبت و ما اكتسبت كما قال فى الآية التى بعدها[12] " لها

(١) فى الأصل : بينت ، و التصحيح من م و مد و ظ (٢) سورة ٢١ آية ١٠٤ . (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لتكون (٤) فى الأصل: مجيبه ، و التصحيح من م و مد . و فى ظ : مجيبه - كذا (٥) العبارة من هنا إلى « قوله » ليست فى ظ (٦) من م و مد ، و فى الأصل : انفاق (٧) زيد من م و مد (٨) زيد فى م و مد : اى (٩) من م ومد وظ ، و فى الأصل : يجرى (١٠) من م و ظ ومد، و فى الأصل : كلفته (١١) فى م : كراهة ، و فى ظ : كراهته (١٢) فى مد و ظ : بعد هذا . و فى م : بعده هذا .

ما

ما كسبت و عليها ما اكتسبت" فكان مكتسبها عليها و ربما غفر لها فانها[1] وفيت[2] ما كسبته من الشر و اشتمل عليه ظاهرها و باطنها حتى يسرت له - انتهى .

و لما كانت عادة الناس أنه إذا بقي[3] شيء يسير وقع في محل المسامحة و كان اليسير يختلف[4] باختلاف الأصل فالألف مثلا يتسامح ٥ فيه بمائة [مثلا -[5]] بيّن[6] أن الأمر عنده على غير ذلك فقال: ﴿ و هم لا يظلمون ﴾[7] شيئا من الأشياء و لو قلّ، و هذا إشارة إلى العدل بين عباده قال الحرالي: و هذه الآية ختم للتزيين و ختم لتمام[8] المعنى في هذه السورة التي هي سنام القرآن و فسطاطه[9] و ختم لكل موعظة و كل ختم، فهو من خواص المحمدية الجامعة المفصلة من سورة ١٠ الحمد المشيرة[10] إلى تفاصيل عظيم[11] أمر الله في حقه و في خلقه و فيما بينه و بين خلقه - انتهى .

و لما نهى سبحانه و تعالى عن الربا و كان أحد مداييناتهم و كان غيره من الدين مأذونا فيه و هو من أنواع الإنفاق مع دخوله[12] في المطالبة برؤس الأموال عقب ذلك بآية الدين . و أيضا فأنه سبحانه ١٥

(١) من مد ، و في بقية الأصول : فان ما (٢) في ظ : وفت (٣) في م : نفى (٤) في ظ : مختلفا (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) في الأصل : ابين ، و التصحيح من م و مد و ظ (٧) زيد في ظ : اى (٨) في الأصل : للتمام ، و التصحيح من م و مد و ظ (٩) من م و مد و ظ ، و في الأصل : فسطاطة (١٠) في ظ : الميسرة . (١١) في مد : عظم (١٢) من مد و ظ ، و في م : دخول ، و في الأصل : دخله .

و تعالى لما ذكر فى المال أمرين ينقصانه ظاهرا و يزكيانه باطنا : الصدقة[١] و ترك الربا ، و ا أذن فى رؤس الأموال و أمر بالإنظار[٢] فى الإعسار و ختم بالتهديد فكان [ذلك - ٣] ربما أطمع المدين فى شيء من الدين و لو بدعوى الإعسار[٤] اقتضى حال الإنسان لما له من النقصان الإرشاد إلى حفظ المال الحلال[٥] و صونه عن الفساد و التنبيه[٦] على كيفية التوثق فقال : ﴿ يآيها الذين امنوآ[٧] ﴾ كالذى تقدمه ﴿ اذا تداينتم ﴾ من التداين تفاعل بين اثنين من الدين ، و الدين فى الأمر الظاهر معاملة على تأخير كما أن الدين بالكسر فيما بين العبد و بين الله سبحانه و تعالى معاملة على تأخير[٨] - قاله الحرالى . أى أوقعتم[٩] بينكم [ذلك - ١٠] . و الدين[١١] مال مرسل فى الذمة[١١] سواء كان مؤجلا أو لا ، و هو خلاف الحاضر [و - ٣] العين[١٢] ، [و - ٣] قال : ﴿ بدين ﴾[١٣] مع دلالة الفعل عليه[١٣] ليخرج بيع الدين بالدين ، لأنه مداينة بدينين[١٤] . قال الحرالى : فكان

(١) سقط من مد (٢) فى الأصل : بالانتظار ، و التصحيح من م و مد و ظ . (٣) زيد من م و ظ ومد (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الاعصار (٥) فى ظ : الحال (٦) فى الأصل : التشبيه ، و التصحيح من م و مد و ظ (٧) و مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما أمر بالنفقة فى سبيل الله و بترك الربا و كلاهما يحصل به تنقيص المال نبه به على طريق حلال فى تنمية المال و زيادته و أكد فى كيفية حفظه و بسط فى هذه الآية و أمر فيه بعدة أوامر (٨) زيد فى ظ : انتهى . (٩) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : ارسلتم (١٠) زيد من ظ و مد (١١ - ١١) فى الأصل : ما لا يرسل فى المذملة ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : المعين (١٣-١٣) ليست فى م و مد (١٤) فى الأصل : بدينهن ، و التصحيح من م و مد و ظ .

فى إعلامه أى بالإتيان بصيغة "إذا" أنهم لا بد أن يتداينوا لأنها حين منتظر فى أغلب معناها - انتهى . و أرشد[1] إلى ضبطه بالوقت إشارة إلى أنه يجوز كونه حالا[2] و إلى أن الأجل [و -[3]] هو الوقت المحدود و أصله التأخير إن كان مجهولا كان باطلا بقوله : ﴿ الىٰ اجل مسمى ﴾ قال الحرالى : من التسمية و هى[4] إبداء الشىء باسمه للسمع فى معنى المصور -[5] و هو إبداء الشىء بصورته فى العين .

و لما كان الله سبحانه و تعالى و هو العليم الخبير قد أجرى سنته فى دينه بالكتابة فأمر ملائكته و هم الأمناء العدول باثبات أعمال الخلق [6]لحكم[7] و مصالح لا تخفى و أنزل كتابه الشريف شهادة/ لهم و عليهم بما يوفونه[8] فى يوم الدين من ثواب و عقاب قطعا لحججهم أمرهم أن يكون عملهم فى الدين[9] كما كان فعله فى الدين فأرشدهم إلى إثبات ما يكون دينهم[10] من المعاملات لئلا[11] يجر[12] ذلك إلى[13] المخاصمات

/ ٣٠٥

(١) فى م : اشار (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حلالا (٣) زيد من م و مد و ظ (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٥) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : صورة (٦) زيد فى الأصل « و » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : محكم (٨) من م و مد ، و فى ظ : توفونه ، و فى الأصل : يوتونه (٩) فى الأصل : الذين ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٠) فى الأصل : لنبيهم ، و التصحيح من م و مد و ظ . (١١) فى الأصل و مد : ليلا ، و التصحيح من م و ظ (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تجر (١٣) فى ظ : على .

١ فقال سبحانه ١ و تعالى٢ أمرا للارشاد ٣ لا للايجاب ٣ ﴿فاكتبوه ط﴾ و فى ذكر الأجل إشارة إلى البعث الذى وقع الوعد بالوفاء فيه٤ "افحسبتم انما خلقناكم عبثا و انكم الينا لا ترجعون ه٥" "ثم قضى اجلا ط و اجل مسمى عنده٦" . و لما٧ أمر بالكتابة و كان المراد تحصيلها فى الجملة لا من أحد بعينه لأن أغلب الناس ٨ لا يحسنها٨ أتبعها الإرشاد إلى تخير٩ الكاتب بقوله : ﴿ و ليكتب بينكم ﴾ أى الدين المذكور ﴿ كاتب ﴾ و إن كان صبيا أو عبدا كتابة مصحوبة ﴿ بالعدل ص ﴾ ١٠ استئنانا به١٠ سبحانه و تعالى فى ملائكته "و ان عليكم لحفظين ه كراما كاتبين ه١١" "بايدى سفرة ه كرام بررة ه١٢" .

و لما أرشد إلى تخير١٣ الكاتب تقدم إليه بالنهى تقديما لدرء المفاسد ثم الأمر فقال : ﴿ و لا ياب كاتب ان يكتب ﴾ أى ما ندب إليه من ذلك ﴿ كما علمه الله ﴾ أى لأجل١٤ الذى هو غنى عنه و عن غيره١٥

(١-١) ليس فى م (٢) ليس فى م و مد و ظ (٣-٣) فى الأصل : كالايجاب ، و التصحيح من م و مد و ظ (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فيه - كذا . (٥) سورة ٢٣ آية ١١٥ (٦) سورة ٦ آية ٢ (٧) زيد فى م : كان (٨-٨) فى الأصل : احسنها ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : تخير (١٠-١٠) فى الأصل : استثنا بانه ، و التصحيح من م و ظ و مد (١١) سورة ٨٢ آية ١٠ (١٢) سورة ٨٠ آية ١٥ (١٣) فى الأصل : الخبر ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٤) ليس فى مد (١٥) فى الأصل : غيرهما ، و التصحيح من م و مد و ظ .

من

من خلقه شكرا [له-١] على تلك النعمة و كتابة مثل الكتابة التى[٢] علمها الله[٣] سبحانه و تعالى لا ينقص[٤] عنها[٥] شيئا ﴿ فليكتب[٦] ﴾ و فى ذلك تنبيه على ما فى بذل الجهد فى النصيحة من المشقة .

و لما كان ذلك و كان لا بد فيه من عمل بين من يصح إملاؤه للمكتوب فقال : ﴿ و ليملل ﴾ من الإملال[٦] و هو إلقاء ما تشتمل[٧] عليه الضمائر على اللسان قولا و على الكتاب رسما - قاله الحرالى ﴿ الذى عليه الحق ﴾ ليشهد عليه المستملى[٨] و من يحضره .

و لما كانت الأنفس مجبولة على محبة الاستئثار[٩] على الغير حذرها مما[١٠] لا يحل من ذلك فقال : ﴿ و ليتق الله ﴾ فعبر بالاسم الأعظم ليكون أزجر للمأمور ثم قال : ﴿ ربه ﴾ تذكيرا بأنه لإحسانه لا يأمر إلا بخير ، و[١١] ترجية للعوض[١١] فى ذلك إذا أدى فيه الأمانة فى الكم و الكيف من الأجل و غيره ؛ و أكد ذلك بقوله : ﴿ و لا يبخس ﴾ من البخس و هو أسوأ النقص الذى لا تسمح به الأنفس لبعده عن

(١) زيد من م و ظ و مد (٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الذى (٣) ليس فى م ، و فى مد و ظ : له (٤) فى م و مد : لا تنقص (٥) فى الأصل : عليها ، و التصحيح من م و مد و ظ (٦) من ظ ، و فى بقية الأصول : الاملا (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يشمل (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : المشتمل (٩) من م ، و فى الأصل : الاستشار ، و فى ظ : الاستبشار ، و فى مد : الاستيثار (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بما (١١-١١) فى الأصل : توجيه للعرض ، و التصحيح من م و ظ و مد .

محل السماح[1] إلى وقوعه فى حد الضيم ﴿ منه شيئا ط ﴾ .

و لما كان هذا المملى قد يكون لاغى العبارة و كان الإملاء لا يقدر عليه كل أحد قال سبحانه و تعالى : ﴿ فان كان الذى عليه الحق سفيها ﴾ فلا يعتبر إقراره لضعف رأيه و نظره و نقص حظه من حكمة الدنيا ٥ ﴿ او ضعيفا ﴾ عن الإملاء فى ذلك الوقت لمرض أو غيره من صبا أو جنون أو هرم[2] من الضعف و هو [وهن ـ ٣] القوى حسا أو معنى ﴿ او لا يستطيع ان يمل هو ﴾ كعىّ[4] أو حياء أو عجمة و نحوه ﴿ فليملل وليه ﴾ القائم لمصالحه من أب أو وصى أو حاكم أو ترجمان أو وكيل ﴿ بالعدل ط ﴾ فلا يحيف عليه[5] و لا على[5] ذى الحق . ١٠ قال الحرالى : فجعل لسان الولى لسان المولى عليه ، فكان فيه[6] مثل لما نزل به الكتاب من إجراء كلام الله سبحانه و تعالى على ألسنة خلقه فى نحو ما تقدم من[7] قوله " اياك نعبد و اياك نستعين " و ما تفصل[8] منها " الله ولى الذى آمنوا " أمل[9] ما عليهم من الحقوق له فجعل كلاما من كلامه يتلونه ، فكان الإملال[10] منه لهم لتقاصرهم عن واجب حقه تقاصر ١٥ السفيه[11] و من معه عن إملال[12] وليه عنه لرشده و قوته و تمكن[13]

(١) فى ظ : السماع (٢) فى ظ : هو (٣) زيد من م و ظ و مد (٤) من ظ ، وفى م ومد : لعى ، وفى الأصل يعنى (٥-٥) ليس فى ظ (٦) فى مد : عنه (٧) فى ظ : فى (٨) من م و ظ و مد ، وفى الأصل : يفصل (٩) من م و ظ ومد ، وفى الأصل : اتل ـ كذا (١٠) من م و ظ ، وفى الأصل : الاملاك ، وفى مد : الاملاء . (١١) فى م : السفينة ـ كذا (١٢) فى الأصل : املاك ، و التصحيح من م ومد و ظ (١٣) من م و مد ، وفى ظ : تمكين ، وفى الأصل : يمكن .

استطاعته - انتهى .

و لما لم يكن بين الكتابة و الشهادة ملازمة نص عليها و بين أهلها فقال: ﴿ و استشهدوا ﴾ أى اطلبوا الشهادة و أوجدوها مع الكتابة و دونها ﴿ شهيدين ١ ﴾ قال الحرالى: فجعل شهادة الدَين باثنين كما جعل الشاهد ٢ فى الدين اثنين: شاهد التفكر ٣ فى الآيات المرئية ٣ ٥ و شاهد التدبر ٤ للآيات المسموعة، [و - ٥] فى صيغة [فعيل - ٥] مبالغة فى المعنى فى تحقق الوصف بالاستبصار و الخبرة ٦ - انتهى . و لما بيّن عدد الشاهد بيّن نوعه فقال: ﴿ من رجالكم ج ﴾ و أعلم بالإضافة اشتراط كونه مسلما و إطلاق هذا ٧ الذى ينصرف ٧ إلى الكامل مع ما يؤيده فى الآية ٨ يفهم الحرّية كقوله ٨: / "و لا ياب الشهدآء"، و الإتيان . ٣٠٦/
بصيغة المبالغة فى الشاهد و تقييده مع ذلك بالرضى ٩ و تعريف الشهداء و ١٠ نحوه . قال الحرالى: و لكثرة المداينة و عمومها وسع فيها الشهادة

(١) سقط من ظ (٢) من م و ظ و مد، و فى الأصل: الشهادة (٣) فى الأصل: المرتبة، و التصحيح من م ومد و ظ (٤) فى الأصل: لتدبير، و التصحيح من م ومد و ظ (٥) زيد من م و ظ و مد (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: الجبره (٧-٧) فى الأصل: الدين متصرف، و التصحيح من م و مد و ظ . (٨-٨) فى الأصل: بفهم الجزية بقوله، و التصحيح من م و مد و ظ (٩) لكون الأصل مطموسا جعلنا أساس المتن «مد» من هنا إلى «ربما داخل الرجل» ص ١٥٧ (١٠) من م و ظ، و فى الأصل و مد: او .

فقال : ﴿ فان لم يكونا ﴾ [أى الشاهدان - ١] ﴿ رجلين ﴾ ٢ أى على صفة الرجولية كلاهما ٢ ﴿ فرجل و امراتٰن ﴾ و فى عموم معنى الكون إشعار بتطرق ٣ شهادة ٤ المرأتين مع إمكان طلب الرجل بوجه ما من حيث لم يكن ، فان لم تجدوا ففيه تهدف للخلاف، بوجه ما من حيث ٥ أن شمول الكتاب توسعة فى العلم سواء كان على تساوٍ أو على ترتب ؛ و لما كنّ ناقصات عقل و دين جعل ثنتان منهن مكان رجل - انتهى . و لما بيّن العدد بيّن الوصف فقال : ﴿ ممن ترضون ﴾ أى فى العدالة ﴿ من الشهدآء ﴾ هذا فى الديون و نحوها . قال الحرالى : و فى مفهوم الشهادة استبصار نظر الشاهد لما فى الشهود من إدراك معنى خفى فى ١٠ صورة ظاهر ٥ يهدى إليها النظر النافذ ٦ - انتهى .

و لما شرط فى القيام مقام الواحد من الرجال العدد من النساء علله بما يشير إلى نقص الضبط فيهن فقال : ﴿ ان تضل احدٰىهما ﴾ أى تغيب عنها الشهادة ٧ فتنساها أو شيئا منها ٧ ﴿ فتذكر احدٰىهما الاخرىٰ ﴾ ٧ فتهتدى إلى ما ضلت عنه بواسطة الذاكرة ٧ . قال الحرالى : بما هى ١٥ أعرف بمداخل الضلال عليها ، لأن المتقاربين أقرب فى التعاون ، و فى قراءتى التخفيف و التثقيل إشعار بتصنيف النساء صنفين فى رتبة هذه الشهادة من يلحقها الضلال عن بعض ما شهدت فيه حتى تذكر بالتخفيف

(١) زيد من م و ظ (٢-٢) ليست فى ظ (٣) فى مد : يتطرق (٤) فى مد و ظ : لشهادة (٥) فى م : ظاهره (٦) فى ظ : الناقد (٧-٧) ليست فى ظ .

و لا

و لا يتكرر عليها ذلك و من شأنها أن يتكرر عليها ذلك ، و فى إبهامه بلفظ إحدى ١ أى من غير اقتصار على الضمير الذى يعين ما يرجع إليه ١ إشعار أن ذلك يقع بينهما متناوبا حتى ربما ضلت هذه عن وجه و ضلت تلك عن وجه آخر فأذكرت كل واحدة منهما صاحبتها فلذلك يقوم بهما معا شاهد واحد حافظ - انتهى . و فى ذكر الإذكار منع من ٥ الشهادة بدون الذكر ، ١ و الآية من الاحتباك ١ . و لما أفهم ذلك الحث على الشهادة صرح بـه فى قوله : ﴿ و لا ياب الشهدآء ﴾ أى تحمل الشهادة و أدائها بعد التحمل ﴿ اذا ما دعوا ط ﴾ دعاء جازما بما أفهمته زيادة ' ما ' .

و لمّا تمّ ذلك و كان صغير الحق و كبيره ربما تُركت كتابته ١٠ تهاونا بالصغير و مَلَلًا للكبير حذر من ذلك و لم يجعله فى صلب الأمر قبل الإشهاد بل أفرده بالذكر تعظيما لشأنه فقال : ﴿ ولا تسئموآ ﴾ من السآمة . قال الحرالى : بناء مبالغة و هو أشد الملالة ﴿ ان تكتبوه ﴾ أى لا تفعلوا فعل السئيم فتتركوا كتابته ﴿ صغيرا ﴾ كان الدين ﴿ او كبيرا ﴾ طالت الكتابة أو قصرت . قال الحرالى : و لم يكن ١٥ قليلا أو كثيرا ، لأن الكثرة و القلة واقعة بالنسبة إلى الشىء المعدود فى ذاته ، و الصغير و الكبير يقع بالنسبة إلى المداين ، فربما كان الكثير ٢ فى العدد صغير القدر عند الرجل الجليل المقدار ، و ربما كان القليل العدد كثيرا ٣ بالنسبة إلى الرجل المشاحح فيه ، فكان الصغر و الكبر

(١ - ١) ليست فى ظ (٢) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : الكبير (٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : تبعا .

أشمل و أرجع إلى حال المداين الذى هو المخاطب بأن يكتب - انتهى .
﴿ الىٓ اجله ﴾ أى الذى توافقتم و تواثقتم عليه .

و لما كان كأنه قيل : ما فائدة ذلك ؟ فقيل : ﴿ ذلكم ﴾ إشارة بأداة البعد و ميم الجمع إلى عظم جدواه . قال الحرالى : و لبيانه و وضوحه عندهم لم يكن إقبالا على النبي صلى الله عليه و سلم الذى يقبل عليه فى الأمور الخفية - انتهى . ﴿ اقسط ﴾ أى أعدل فقد نقل عن ابن السيد[٢] أنه قال فى كتابه الاقتضاب : إن قسط بمعنى جار و بمعنى عدل . و قال الحرالى : "أقسط" من الإقساط و هو وضع القسط و هو حفظ الموازنة حتى لا تخرج[٣] إلى تطفيف[٤] . ثم زاد تعظيمه بقوله : ﴿ عند الله ﴾ أى الذى هو محيط بصفات الكمال بالنسبة إلى كل صفة من صفاته ، لأنه يحمل على العدل بمنع[٥] المغالطة و التلون فى شيء من أحوال ذلك الدين ﴿ و اقوم للشهادة ﴾ أى و أعدل فى قيام الشهادة إذا طلب من الشاهد أن يقيمها بما هو مضبوط له و عليه ﴿ و ادنىٓ ﴾ أى أقرب فى ﴿ ان لا ترتابوآ ﴾ أى تشكوا فى شيء من الأمر الذى

(١) الإشارة إلى أقرب مذكور و هو الكتابة ، و قيل : الكتابة و الاستشهاد و جميع ما تقدم مما يحصل به الضبط - البحر المحيط ٢ / ٣٥١ (٢) فى م : ابن السيده - كذا ؛ و هو أبو محمد عبد الله بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسى و من مؤلفاته الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب - راجع كشف الظنون ١ / ٤٨ . و فى البحر المحيط ٢ / ٣٥٢ : قال ابن السيد فى الاقتضاب ما نصه : حكى ابن السكيت فى كتاب الأضداد عن أبى عبيدة : قسط جار و قسط عدل و أقسط - بالألف : عدل لا غير (٣) فى ظ : لا يخرج (٤) فى م : الطفيف (٥) فى م : يمنع .

وقع . قال الحرالى : فنى إشعاره أنه ربما داخل الرجل[1] و الرجلين نحو ما داخل المرأتين فيكون الكتاب مقيما لشهادتهما ، فنفى عن الرجال الريبة[2] بالكتاب كما نفى عن النساء الضلال بالذكر[3] - انتهى .

و لما كان الدين المؤجل أعم من أن يكون قرضا أو تجارة ينمى[4] بها المال المأمور بالإنفاق منه فى وجوه الخير النافعة يوم الدين و كان ٥ قد أكد فى أمر الكتابة تأكيدا ربما ظن معه الحث عليها و لو لم يكن أجل نبه على أن العلة فيها الأجل[5] الذى هو مظنة النسيان المستولى على الإنسان بقوله : ﴿ الآ ان تكون ﴾ أى المداينة ﴿ تجارةً حاضرة ﴾ هذا على قراءة عاصم ، و 'كان' فى قراءة غيره[6] تامة ﴿ تديرونها بينكم ﴾ أى يدا بيد ، من الإدارة . قال الحرالى : من أصل[7] الدور و هو رجوع ١٠ الشىء عودا على بدئه[8] ﴿ فليس عليكم ﴾ حينئذ[9] ﴿ جناح ﴾ أى اعتراض فى ﴿ ان لا تكتبوها ط ﴾ أى لأنها مناجزة[10] و هى عرض زائل لا يكاد يستقر فى يد أحد لأن القصد به المتجر[11] [[12] لا الاستبقاء[13]

---

(١) إلى هنا انتهت العبارة المطموسة من الأصل فابتدئ به من هنا تأسيسا للمتن .
(٢) من م و مد و ظ ، ووقع فى الأصل : الرتبة - مصحفا (٣) فى مد : بالذكرى .
(٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يثمن (٥) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : اجل (٦) فى ظ : غير (٧) فى الأصل : اهل ، و التصحيح من م و مد و ظ (٨) فى الأصل و م : يديه ، و التصحيح من مد و ظ (٩) ليس فى مد .
(١٠) فى الأصل : متاخرة ، و التصحيح من م و مد و ظ (١١) فى الأصل : التجوا ، و التصحيح من مد ، و فى م و ظ ، المتحر (١٢) العبارة المحجوزة زيدت من م و ظ و مد (١٣) فى م : الا استبقاء .

فبعد ما يخشى[١] من التجاحد .

و لما كان البيع أعم من أن يقصد به المتجر] أو[٢] غير ذلك من وجوه الانتفاع قال: ﴿ و اشهدوآ ﴾ سواء كانت كتابة أو لا ﴿ اذا تبايعتم ﴾ أى على وجه المتجر عاجلا أو آجلا أو لا للتجر ، لأن الإشهاد أبعد من الخلاف و أقرب إلى التصادق[٣] [٤]بما فيه من الإنصاف[٤] ، و الأمر للارشاد فلا يجب[٥] .

و لما ألزم فى صدر الخطاب الكاتب أن يكتب و الشهيد[٦] أن يجيب[٧] و لا يأبى[٨] و أكد ذلك بصيغة تشمل المستكتب و المستشهد فقال ناهيا[٩] : ﴿ و لا يضآرّ ﴾ يصح أن يكون للفاعل و المفعول[١٠] و هو صحيح المعنى على كل منهما ﴿ كاتب و لا شهيد ﴾ أى لا يحصل ضرر منهم[١١] و لا عليهم . قال الحرالى : فنى إلاحته تعريض بالإحسان منه للشهيد و الكاتب ليجيبه لمراده و يعينه على الائتمار لأمر ربه بما يدفع عنه من ضرر عطلته و استعماله فى أمر من أمور دنياه ، فنى تعريضه إجازة لما يأخذه الكاتب و من يدعى لإقامة معونة فى نحوه ممن يعرض

(١) فى مد : تخشى ، و فى ظ : نخشى - كذا (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : و (٣) فى ظ : التصاف (٤-٤) ليست فى ظ (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فلا يجيب - كذا (٦) فى م : الشهداء (٧) فى م : تجيب ، و فى مد : بجيب - كذا . (٨) فى م : و لا تابى (٩) ليس فى ظ (١٠) فى م و ظ و مد : للفعول (١١) من م و مد و ظ ، و قد قدمه فى الأصل : على « ضرر » .

له فيما يضره التخلى[1] عنه - انتهى . ﴿ و ان تفعلوا ﴾ أى ما نهيتم عنه من الضرار[2] و غيره ﴿ فانه فسوق ﴾ أى خروج ﴿ بكم ط ﴾ عن الشرع[3] الذى نهجه الله لكم . قال الحرالى : و فى صيغة فعول تأكيد فيه و تشديد فى النذارة - انتهى .

و ختم آيات هذه المعاملات بصفة[4] العلم بعد الأمر بالتقوى فى غاية المناسبة لما يفعله المتعاملون من الحيل التى[5] يجتلب[6] كل منهم بها الحظ لنفسه ، و الترغيب فى امتثال ما أمرهم[7] به فى هذه الجمل بأنه[8] من علمه و تعليمه فقال تعالى - عاطفا على ما تقدم من أمر و نهى ، أو على ما تقديره : فافعلوا ما أمرتم به و انتهوا عما نهيتم عنه - : ﴿ و اتقوا الله ط ﴾ أى خافوا[9] الذى له العظمة كلها[9] فيما أمركم به[10] و نهاكم من هذا و[11] غيره . و لما كان التقدير [استئنافا لبيان فخامة هذه التنبيهات - [12]] يرشدكم الله إلى مثل هذه المراشد لإصلاح ذات بينكم ، عطف عليه قوله : ﴿ و يعلمكم الله ط ﴾ أى يدربكم[13] الذى له الكمال كله[13] بذلك على العلم . و قال الحرالى[14] : و فى قوله " يعلم " بصيغة الدوام إيذان بما

(١) فى ظ : التجلى (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : الضرر (٣) زيد فى م « و » (٤) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بصيغة (٥) فى م : الذى (٦) فى ظ : تجتلب ، و فى مد : مجتلب - كذا (٧) فى م : امرتم (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بان (٩ - ٩) ليست فى ظ (١٠) ليس فى م و ظ (١١) فى م : او . (١٢) ما بين الحاجزين زيد من م و ظ و مد (١٣ - ١٣) ليست فى مد و ظ . (١٤) و قال الاندلسى : هذه جملة تذكر بنعم الله التى أشرفها التعليم للعلوم - البحر المحيط ٣٥٤/٢ .

يستمر به التعليم من دون هذا[١] المنال[٢] [انتهى - ٣] .

[٤]و أظهر الاسم الشريف هنا و فى الذى بعده تعظيما للمقام و تعميما للتعليم فقال[٥]: ﴿ و الله ﴾ [٦]أى الذى له الإحاطة الكاملة[٦] ﴿ بكل شىء عليم ﴾ و هذا الختم جامع لبشرى التعليم و نذارة[٧] التهديد .

و لما كان التقدير : هذا إذا كنتم حضورا يسهل عليكم إحضار الكاتب و الشاهد ، عطف عليه قوله : ﴿ و ان كنتم ﴾ و لما كان الإنسان فى السفر يكون مستجمع القوى كامل الآلات تام الأهبة عبر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿ على سفر ﴾ يعوز[٨] مثله إحضار كاتب ﴿ و لم تجدوا كاتبا فرهن[٩] ﴾ أى فيغنيكم عن الكتب رهن يكون[١٠] بدلا عنه ، و قرئ: فرهان ، و كلاهما جمع رهن - بالفتح و الإسكان ، و هو التوثقة بالشىء مما[١١] يعادله بوجه ما[١٢] . و أشار بأن بدليتها لا تفيد إلا بما وصفها[١٣] من قوله : ﴿ مقبوضة ط ﴾ أى [١٤]بيد رب[١٤] الدين وثيقة لدينه .

(١) فى م : بعد (٢) من مد و ظ : و فى الأصل و م : المثال (٤) ما بين الحاجزين زيد من م و ظ و مد (٤ - ٤) و فى م : بعد (٥) العبارة من « و اظهر » إلى هنا ليست فى م و مد و ظ (٦ - ٦) ليست فى ظ (٧) فى مد و ظ : ندارة (٨) من مد و م و ظ ، و فى الأصل : يعوذ (٩) قرأ عامة قراء الحجاز والعراق «فرهان» وقرأ آخرون « فرُهُن » و آخرون « فرُهْن » راجع تفسير الطبرى (١٠) فى م و ظ و مد : تكون (١١) فى مد : لما (١٢) زيد فى ظ و مد : قاله الحرالى ، و فى م : قاله (١٣) سقط من م ، و زيد بعده فى مد و ظ : به (١٤-١٤) فى الأصل : يبدون ، و التصحيح من م و ظ و مد . و فى البحر المحيط ٢/٣٥٥ : و الظاهر من قوله " مقبوضة " اشتراط القبض و أجمع الناس على صحة قبض المرتهن و قبض وكيله ، و أما قبض عدل يوضع الرهن على يديه فقال الجمهور به .

و لما كان التقدير : هذا إن تخوفتم من المداين ، عطف عليه قوله : ﴿ فان امن ﴾ و لما كان الائتمان تارة / يكون من الدائن[1] و تارة يكون[2] من الراهن قال : ﴿ بعضكم بعضا ﴾ أى فلم تفعلوا شيئا من ذلك ﴿ فليؤد ﴾ أى يعط ، من الأداء و هو الإتيان بالشيء لميقاته . ٣٠٨/

و لما كان المراد التذكير بالإحسان بالائتمان ليشكر و لم يتعلق غرض[3] بكونه من محسن معين بنى للمفعول قوله : ﴿ الذى اؤتمن ﴾ من الائتمان و هو طلب الأمانة و هو إيداع[4] الشيء لحفيظته[5] حتى يعاد إلى المؤتمن - قاله الحرالى . ﴿ امانته ﴾ و هو [الدين -[6]] الذى ترك المؤتمن التوثق[7] به من المدين[8] إحسانا[9] إليه و حسن ظن[10] به ، و كذا إن كان الائتمان من جهة الراهن ﴿ و ليتق الله ﴾ المستجمع لصفات العظمة ﴿ ربه ﴾ أى[11] الذى رباه فى نعمه و صانه من بأسه و نقمه و عطّف عليه قلب من أعطاه و ائتمنه ليؤدى[12] الحق على الصفة التى أخذه بها فلا يخن[13] فى شيء مما اؤتمن[14] عليه .

---

(١) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : المداين (٢) ليس فى مد و ظ (٣) فى م و ظ : عرض (٤) فى ظ : ابداع (٥) من مد ، و فى الأصل : حفيظته ، و فى م : بحفيظة ، و فى ظ : لحفيظة (٦) زيد من م و مد و ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بالتوثق (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الدين (٩) زيد فى م : منه (١٠) فى م : ظنه (١١) ليس فى م و مد و ظ (١٢) من مد و ظ ، و فى الأصل و م : ليؤد (١٣) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : فلا يحق (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ائتمن .

و لما كانت الكتابة لأجل إقامة الشهادة و كانت الأنفس مجبولة على الشح مؤسسة على حب الاستئثار فيحصل [1] بسبب ذلك [1] مخاصمات و [2] يشتد عنها المشاحنات [3] و ربما كان بعض المخاصمين ممن يخشى أمره و يرجى بره فيحمل ذلك الشهود على السكوت قال سبحانه و تعالى:

٥ ﴿ و لا تكتموا الشهادة ﴾ أى سواء كان صاحب الحق يعلمها أو لا . و لما نهى أتبع النهى التهديد فقال: ﴿ و من يكتمها فانه اثم [4] ﴾ و لما كان محلها القلب الذى هو عمدة البدن قال: ﴿ قلبه ﴾ و من أثم قلبه [5] [فسد ، و من فسد قلبه فسد كله ، لأن القلب قوام البدن ، إذا فسد فسد سائر الجسد .

١٠ و لما - [6]] كان التقدير: فان الله سبحانه و تعالى عالم بأنه كتم [7] و كان للشهداء جهات تنصرف بها [8] الشهادة عن وجه الإقامة عطف عليه قوله - ليشمل التهديد تلك الأعمال باحاطة العلم: ﴿ و الله ﴾ أى

(١-١) فى م: بذلك (٢) ليس فى ظ (٣) من م و مد و ظ ، و فى الأصل: و يسد عنها المشاحات (٤) زيد هنا فى الأصل « قلبه » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ و ستأتى بعد فحذفناها من هنا (٥) و فى البحر المحيط ٢/٣٥٦: كتم الشهادة هو إخفاؤها بالامتناع من أدائها ، و الكتم من معاصى القلب لأن الشهادة علم قام بالقلب فلذلك علق الإثم به و هو من التعبير بالبعض عن الكل « ألا ! إن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا ! و هى القلب » (٦) زيد ما بين الحاجزين من م و مد و ظ (٧) فى م: اتم (٨) فى ظ: بها .

المحيط بجميع صفات الكمال . و لما كان الإنسان هو المقصود[1] الأعظم من سائر الأكوان فكانت أحواله [مضبوطة -[2]] بأنواع من الضبط كأن[3] العلم[4] البليغ مقصور[5] عليه فلذلك قدم قوله : ﴿ بما تعملون ﴾ أى كله و إن دق سواء كان فعل القلب وحده أو لا ﴿ عليم ﴾ قال الحرالى : فأنهى[6] أمر ما بين الحق و الخلق ممثولا و أمر ما بين الخلق و الخلق[7] مثلا - انتهى .

و لما أخبر عن سعة علمه دل عليه بسعة ملكه المستلزم لسعة[8] قدرته ليدل[9] ذلك على جميع الكمال لأنه قد ثبت كما قال الأصبهانى[10] أن الصفات التى هى كمالات حقيقة ليست إلا القدرة و العلم المحيط فقال واعدا للمطيع متوعدا للعاصى مصرحا بأن أفعال العباد و غيرها مخلوق له : - و قال الحرالى : و لما كان أول السورة إظهار كتاب التقدير فى الذكر الأول كان ختمها إبداء أثر ذلك الكتاب [الأول -[2]] فى الأعمال و الجزاء التى هى الغاية فى ابتداء أمر التقدير فوقع الختم[11] بأنه سلب الخلق [ما -[2]] فى أيديهم مما أبدوه و ما أخفوه من أهل السماوات و الأرض ؛ انتهى - فقال[12] : ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعظم . و لما

(١) زيد فى م : بالذات (٢) زيد ما بين الحاجزين من م و مد و ظ (٣) فى م فقط : كانه (٤) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : كالعلم (٥) من م ومد وظ ، و فى الأصل : مقصود (٦) فى م : فانتهى (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : الحق - كذا (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : بسعة (٩) فى الأصل : ايد ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٠) فى م : الأصفهانى (١١) فى مد : الحكم . (١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : قال .

كانت 'ما' ترد لمن[1] يعقل و كان[1] أغلب الموجودات [و الجمادات - ٢] عبر بها فقال[٣]: ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ أى كله على علوها و اتساعها من ملك و غيره ﴿ و ما فى الارض ﴾ مما تنفقونه و غيره من عاقل و غيره، يأمر فيهما و منهما[4] بما يشاء و ينهى عما يشاء و يعطى من يشاء ٥ و يمنع من يشاء و يضاعف[5] لمن[6] يشاء.

و لما كان التقدير: فهو يعلم جميع ما فيهما[7] من[8] كتمانكم و غيره و يتصرف[9] فيه بما يريد، عطف عليه محذرا من يكتم الشهادة أو [10]يضمر سوءا[10] غيرها أو[11] يظهره[12] قوله تعالى: ﴿ و ان تبدوا ﴾ أى تظهروا

(١-١) من م و ظ و مد، و فى الأصل: يعقل وكانت (٢) زيد من م ومد و ظ.
(٣) مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة لأنه لما ذكر أن من كتم الشهادة فان قلبه آثم ذكر ما انطوى عليه الضمير فكتمه أو أبداه فان الله يحاسبه به، ففيه وعيد و تهديد لمن كتم الشهادة، و لما علق الإثم بالقلب ذكر هنا الأنفس فقال "و ان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه" و ناسب ذكر هذه الآية خاتمة لهذه السورة لأنه تعالى ضمنها أكثر علم الأصول و الفروع من دلائل التوحيد و النبوة و الصلاة و الزكاة و القصاص و الصوم .... فناسب تكليفه إيانا بهذه الشرائع أن يذكر أنه تعالى مالك لما فى السماوات و ما فى الأرض فهو يلزم من شاء من مملوكاته بما شاء - البحر المحيط ٢/٣٥٩ (٤) زيد فى ظ: ما شاء (٥) من م و ظ، و فى مد: يصف، و فى الأصل: يصيب (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: من (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فيها (٨) ليس فى ظ (٩) فى ظ: ينصرف (١٠-١٠) من م و مد و ظ، و فى الأصل: يصير سواء
(١١) فى م: و (١٢) من م و مد، و فى الأصل: يظهرها، و فى ظ: يظهر.
قال الأندلسى: و المعنى أن الحالتين من الإخفاء و الإبداء بالنسبة إليه تعالى سواء.

﴿ ما فى انفسكم ﴾ من شهادة أو غيرها ﴿ او تخفوه ﴾ مما[1] وطنتموه فى النفس و عزمتم عليه و ليس هو من الخواطر[2] التى كرهتموها و لم تعزموا[3] عليها . قال الحرالى: من الإخفاء و هو تغييب الشيء و أن لا يجعل عليه علم يهتدى إليه من جهته ﴿ يحاسبكم ﴾ من المحاسبة مفاعلة من الحساب و الحسب[4] ، و هو استيفاء الأعداد فيما للمرء و عليه من الأعمال الظاهرة و الباطنه يعنى[5] ليجازى بها ﴿ به الله ﴾ أى بذكره لكم و أنتم تعلمون ما له من صفات الكمال . قال الحرالى: و فى ضمن هذا الخطاب لأولى الفهم/ إنباء[6] بأن الله سبحانه و تعالى إذا عاجل العبد بالحساب بحكم[7] ما يفهمه ترتيب الحساب على وقوع العمل حيث لم يكن فيحاسبكم مثلا فقد أعظم اللطف به ، لأن من حوسب بعمله عاجلا فى الدنيا خف[8] جزاؤه عليه حيث يكفر عنه بالشوكة يشاكها[9] حتى بالقلم يسقط من يد الكاتب ، فيكفر عن المؤمن بكل ما يلحقه فى دنياه حتى يموت على طهارة من ذنوبه [و فراغ من حسابه -[10]] كالذى يتعاهد بدنه و ثوبه بالتنظيف فلا يتسخ و لا يدرن[11] و لا يزال

٣٠٩/

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما (٢) فى الأصل : الحق الطواء ، و التصحيح من م و مد و ظ (٣) فى م : لم يعزموا (٤) ليس فى ظ (٥) ليس فى م (٦) فى م و مد : إيماء ، و فى ظ : ايمان (٧) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يحكم (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : حتى (٩) فى الأصل : لمشاكها ، و التصحيح من م و مد و ظ (١٠) ما بين الحاجزين زيد من م و ظ و مد . (١١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لا يرون - كذا .

نظيفا - انتهى و فيه تصرف .

و لما كان[1] حقيقة المحاسبة ذكر الشيء و الجزاء عليه و كان المراد بها هنا العرض[2] و هو الذكر فقط بدلالة التضمن دل عليه بقوله [3]مقدما الترجئة معادلة لما أفهمه صدر الآية من التخويف[3] :

٥ ﴿ فيغفر لمن يشآء ﴾ أى فلا يجازيه على ذلك كبيرة كان أو لا ﴿ و يعذب من يشآء ﴾ بتكفير أو جزاء .

و لما أخبر سبحانه و تعالى بهذا أنه مطلق التصرف ختم الكلام دلالة على ذلك بقوله مصرحا بما لزم تمام[4] علمه من كمال قدرته : ﴿ و الله ﴾ أى[5] الذى لا أمر لأحد معه[6] ﴿ على كل شيء قدير ﴾

١٠ أى ليس [هو -[7]] كملوك الدنيا يحال بينهم و بين بعض ما يريدون بالشفاعة[8] و غيرها . قال الحرالى : فسلب بهذه الآية القدرة عن جميع الخلق - انتهى . و قد ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الآية خاصة بأمر[9] الشهادة ، و قال الأكثرون[10] : هى عامة كما فهمها الصحابة رضوان الله سبحانه و تعالى عليهم فى الوسوسة و حديث النفس المعزوم عليه و غيره

١٥ ثم خففت بما بعدها ، روى مسلم فى[11] صحيحه عن أبى هريرة رضى الله

---

(١) فى م و ظ و مد : كانت (٢) فى م : للعرض (٣-٣) ليست فى ظ (٤) ليس فى م (٥) ليس فى مد (٦) العبارة من « اى » إلى هنا ليست فى ظ (٧) زيد من م و مد و ظ (٨) فى م و ظ و مد : بالشفاعات (٩) فى الأصل : بامن ، و التصحيح من م و ظ و مد (١٠) زيد فى الأصل « و » و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (١١) زيد فى ظ : اول .

تعالى

تعالى عنه قال: لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم "لله ما فى السمٰوٰت[1] " - الآية إلى "قدير" اشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم بركوا[2] على الركب فقالوا: يا[3] رسول الله! كُلّفنا من الأعمال[4] ما[5] نطيق: الصلاة و الصيام و الجهاد و الصدقة و قد أنزلت [عليك -[6]] هذه الآية و لا نطيقها، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أ ترون[7] أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: "سمعنا و عصينا"، قولوا: "سمعنا و اطعنا غفرانك ربنا و اليك [المصير"، قالوا: "سمعنا و اطعنا غفرانك ربنا و اليك المصير" - [8]].

فلما اقترأها القوم و ذلت بها ألسنتهم أنزل الله فى إثرها "آمن الرسول بما انزل اليه - [9] إلى المصير"؛ فلما فعلوا ذلك نسخها الله تعالى [10] و أنزل[10] "لا يكلف الله نفسا الا وسعها" - إلى ["او اخطانا"، قال: نعم - قال البغوى: و فى رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما: قد فعلت - [11]]، و استمر إلى آخر السورة كلها[12] قرأوا جملة[13] قال: نعم. فقد تبين

(١) زيد فى م «و ما فى الارض» (٢) فى الأصل: نزلوا، و التصحيح من م و ظ و مد (٣) فى م و ظ و مد: اى (٤) من م و ظ و مد، و فى الأصل: العمل (٥) زيد فى الأصل و مد: لا، و لم تكن الزيادة فى م و ظ فحذفناها. (٦) زيد من م و ظ (٧) فى م وظ: تريدون (٨) العبارة المحجوزة زيدت من مد و ظ، و زيد فى م «المصير» فقط (٩) زيد فى مد: من، و فى م: من ربه. (١٠-١٠) فى ظ و مد: فانزل (١١) زيد ما بين الحاجزين من م و مد و ظ. (١٢) فى الأصل: كلها، و التصحيح من م و مد و ظ (١٣) فى مد: اجمله.

من هذا تناسب هذه الآيات ، و أما مناسبتها لأول السورة ردا للقطع[1] على المطلع فهو أنه لما ابتدأ السورة بوصف المؤمنين بالكتاب الذى لا ريب فيه على الوجه الذى تقدم ختمها بذلك بعد تفصيل الإنفاق الذى وصفهم به أولها على وجه يتصل بما قبله من الأوامر و النواهى و الاتصاف بأوصاف الكمال أشد اتصال[2] ، و جعل رأسهم الرسول عليه أفضل[3] الصلاة و أزكى[3] السلام تعظيما للمدح و ترغيبا فى ذلك الوصف[4] فأخبر بإيمانهم[4] بما أنزل إليه بخصوصه و بجميع الكتب و جميع الرسل و بقولهم الدال على كمال الرغبة و غاية الضراعة و الخضوع فقال استئنافا لجواب من كأنه قال : ما فعل[5] من أنزلت عليه هذه الأوامر و النواهى و غيرها[6] ؟ ﴿ آمن الرسول ﴾ أى بما ظهر[7] له من المعجزة[8] القائمة على أن الآتى إليه[9] بهذا الوحى ملك من عند الله سبحانه و تعالى كما آمن الملك به بما ظهر[10] له من المعجزة الدالة على أن الذى أتى به كلام الله أمره الله سبحانه و تعالى بإنزاله فعرفه إشارة إلى أنه أكمل الرسل فى هذا الوصف باعتبار إرساله إلى جميع الخلائق

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : للقطع (٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اتصاف (٣-٣) ليس فى ظ و مد (٤-٤) فى الأصل : فاخبرنا بما بهم ، و التصحيح من م و مد و ظ (٥) زيد فى الأصل : بكما ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (٦) من مد و ظ ، و فى الأصل : غيرهما ، و ليس فى م . (٧) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : اظهر (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : العجزة (٩) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : له (١٠) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : يظهر .

الذين هم لله سبحانه و تعالى ، و أنه الجامع لما تفرق[1] فيهم من الكمال ، و أنه المخصوص بما لم يعطه أحد منهم من المزايا و الأفضال ﴿ بما انزل اليه ﴾ أى من أن الله سبحانه و تعالى يحاسب بما ذكر و غير ذلك مما أمر بتبليغه و مما اختص [2]هو به[2] و رغب فى الإيمان بما[3] آمن به بقوله : / ﴿ من ربه ﴾ أى المحسن إليه بجليل التربية المزكى [له - [4]] ٥ /٣١٠ بجميل[5] التزكية فهو لا ينزل[6] إليه إلا ما هو غاية فى الخير[7] و منه ما حصل له فى دنياه من المشقة . قال الحرالى : فقبل[8] الرسول هذا الحساب الأول العاجل الميسر ليستوفى أمره منه و حظه فى دنياه ، قال صلى الله عليه و سلم لما قالت [له -[9]] فاطمة رضى الله تعالى عنها عند موته : وا كرباه ! « لا كرب[10] على أبيك بعد اليوم » و قال صلى الله عليه و سلم[11] ١٠ فيما رواه أبو نعيم فى الحلية عن أنس رضى الله تعالى عنه « ما أوذى أحد فى الله ما أوذيت » فنال حظه من حكمة[12] ربه فى دنياه حتى كان يوعك كما يوعك عشرة[13] رجال ، و ما شبع من خبز بر ثلاثا تباعا عاجلا حتى لقى الله ؛ و كذلك المؤمن لا راحة له دون لقاء ربه و لا سجن[14]

(١) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : يفرق (٢ - ٢) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : به هو (٣) فى الأصل : نجا ، والتصحيح من م و مد و ظ (٤) زيد من م و ظ (٥) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : لتجمل - كذا (٦) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : لا يترك (٧) من م و ظ ، و فى الأصل و مد : الخير (٨) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : فقيل (٩) زيد من م و ظ و مد (١٠) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : اكرب (١١) زيد فى م و ظ و مد : اى (١٢) فى م : حكم . (١٣) فى الأصول: عشر - كذا (١٤) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : يسحن .

عليه بعد خروجه من دنياه ، الحمى[1] حظ كل مؤمن من النار - انتهى .

و لما أخبر عن الرأس أخبر عمن يليه فقال: ﴿ و المؤمنون ط ﴾ معبرا بالوصف الدال على الرسوخ[2] أى آمنوا بما ظهر لهم من المعجزة التى أثبتت أنه كلام الله سبحانه و تعالى بما دلت على أن الآتى به رسول الله صلى الله عليه و سلم .

و لما أجمل فصل فقال مبتدئا[3] : ﴿ كل ﴾ أى منهم . قال الحرالى : لجمعهم فى كلية كأن قلوبهم قلب واحد لم يختلفوا ، لأن القبول واحد و الرد يقع مختلفا - انتهى . ثم أخبر عن ذلك المبتدأ بقوله : ﴿ آمن بالله[4] ﴾ أى لما يستحقه من ذلك لذاته *لما له من الإحاطة بالكمال* ﴿ و ملٰٓئكته ﴾ [6]الذين منهم النازلون بالكتب[6] ، لأن الإيمان بالمنزل يستلزم ذلك ﴿ و كتبه ﴾ أى كلها ﴿ و رسله قف ﴾ كلهم ، من البشر كانوا أو من الملائكة ، فان فيما أنزل إليه صلى الله عليه و سلم الإخبار

(١) فى الأصل : الخير ، و التصحيح من م و مد و ظ (٢) فى الأصل : الرسول ، و التصحيح من م و مد و ظ (٣) ليس فى م (٤) و هذا الترتيب فى غاية الفصاحة ، لأن الإيمان بالله هى المرتبة الأولى و هى التى يستبد بها العقل إذ وجود الصانع يقر به كل عاقل ، و الإيمان بملائكته هى المرتبة الثانية لأنهم كالوسائط بين الله و عباده ، و الإيمان بالكتب هو الوحى الذى يتلقنه الملك من الله يوصله إلى البشر هى المرتبة الثالثة ، و الإيمان بالرسل الذين يقتبسون أنوار الوحى فهم متأخرون فى الدرجة عن الكتب هى المرتبة الرابعة - البحر المحيط ٢/٣٦٤ (٥ - ٥) ليست فى ظ (٦ - ٦) ليست فى م .

بذلك

بذلك . [١] قال الحرالى : انقيادا لامتثال من البشر [١] .

و لما كان فى الناس من يؤمن ببعض الأنبياء [٢] و يكفر ببعض قال مؤكدا لما أفهمته صيغة الجمع المضاف من الاستغراق [٣] أى قالوا: ﴿ لا نفرق ﴾ كما فعل أهل الكتاب [٤] و عبر بما يشمل الاثنين فما فوقهما فقال [٤] : ﴿ بين احد ﴾ [٥] أى واحد و غيره [٥] ﴿ من رسله ﴾ [٦] أى لا نجعل أحدا منهم على صفة الفرقة البليغة من صاحبه [٦] فى ذلك بل نؤمن بكل واحد منهم ، و الذى دل على تقدير « قالوا » دون غيره [٧] أنه [٨] لما أكمل قولهم فى القوة النظرية الكفيلة [٩] باعتقاد المبدأ أتبعه قولهم فى القوة العملية الكائنة فى الوسط عطفا عليها : ﴿ و قالوا سمعنا ﴾ أى بآذان عقولنا [١٠] كل ما [١٠] يمكن أن يسمع عنك و علمناه و أذعنا [١١] له ﴿ و اطعنا ﴾ أى لكل ما فيه من أمرك . قال الحرالى : فشاركوا أهل الكتاب فى طليعة [١٢] الإباء و خالفوهم فى معاجلة التوبة و الإقرار بالسمع و الطاعة فكان لهؤلاء ما للتائب و على أولئك ما على المصر - انتهى .

(١ - ١) ليست فى ظ ، و فى م و مد : للامتثال - مكان : لامتثال (٢) ليس فى ظ (٣) زيد فى م و ظ و مد : لا (٤ - ٤) ليست فى مد و ظ ، و فى م : الايتين - مكان : الاثنين (٥ - ٥) ليست فى مد و ظ (٦ - ٦) ليست فى مد و ظ ، و لفظ «من صاحبه» ليس فى م أيضا (٧) من ظ ، و فى بقية الأصول : غيرها (٨) فى م : انما هو ، و فى ظ : انها (٩) فى م : الكفلية - كذا (١٠ - ١٠) فى الأصل : كلما ، و التصحيح من م و مد و ظ (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ادعنا .
(١٢) من م و مد و ظ ، و فى الأصل : طلعة .

و لما كان الإنسان محل الزلل و النقصان أشاروا إلى ذلك تواضعا منهم كما هو الأولى بهم لمقام الألوهية فقالوا مع طاعتهم معترفين[١] بالمعاد: ﴿غفرانك﴾ أى اغفرلنا أو نسألك غفرانك الذى يليق[٢] إضافته إليك لما له من الكمال و الشرف و الجلال ما قصرنا فيه ٥ و لا تؤاخذنا به فانك إن فعلت ذلك هلكنا، و الحاصل[٣] أنهم طلبوا أن يعاملهم بما هو أهله لا بما هم أهله فجرى[٤] بما جراهم عليه فى[٥] قوله "فيغفر لمن يشاء". قال الحرالى: فهذا القول من الرسول صلى الله عليه و سلم كشف عيان[٦]، و من المؤمنين[٧] نشء[٨] إيمان، و من القائلين للسمع و الطاعة قول إذعان، فهو شامل للجميع[٩] كل على رتبته - ١٠ انتهى. و زادوا تملقا بقولهم: ﴿ربنا﴾ ذاكرين وصف الإحسان فى مقام طلب الغفران. قال الحرالى: و هو خطاب قرب[١٠] من حيث لم يظهر[١١] [فيه -[١٢]] أداة نداء، و لم يجر الله سبحانه و تعالى على ألسنة المؤمنين فى كتابه العزيز نداء بُعْد قط؛ و الغفران فعلان صيغة مبالغة تعطى الملء[١٣] ليكون غفرا للظاهر و الباطن و هو مصدر محيط المعنى[١٤] نازل

(١) من م و مد و ظ، و فى الأصل: معترض - كذا (٢) فى م و ظ و مد: تليق (٣) فى م: الحال (٤) ليس فى م و مد و ظ (٥) من م و مد و ظ، و فى الأصل: من (٦) من م و مد و ظ، و فى الأصل: عنان (٧) فى م: المؤمن. (٨) فى م و مد: نشئ، و فى ظ: نشاء، و فى الأصل: نشر - كذا (٩) من م و مد و ظ، و فى الأصل: للجمع (١٠) زيد فى الأصل «و» و لم تكن الزيادة فى م و مد و ظ فحذفناها (١١) فى م و مد و ظ: لم تظهر (١٢) زيد من م و ظ و مد (١٣) من مد، و فى الأصل: الملى، و فى ظ: الملأ، و فى م: الملاء. (١٤) فى م: لمعنى، والعبارة ساقطة من مد من هنا إلى "واولئك هم وقود النار" -

منزلة الاستغفار الجامع لما أحاط به الظاهر و الباطن مما أودعته الأنفس التى هى / مظهر حكمة الله سبحانه و تعالى التى وقع فيها[1] مجموع الغفران و العذاب "فيغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء" فى ضمنه بشرى بتعيين القائلين المذعنين و من تبعهم بالقول لحال[2] المغفرة ، لأن هذه الخواتيم مقبولة من العبد بمنزلة الفاتحة لاجتماعهما فى كونهما من الكنز الذى تحت العرش ، و على ما ورد من قوله : حمدنى عبدى - إلى أن قال : و لعبدى ما سأل[3] ، و على ما ورد فى دعاء هذا الختم فى قوله : قد فعلت قد فعلت ، و بما ابتدأ تعالى به آية هذا الحساب و ختمها به من سلب الأمر أولا و سلب القدرة عما سواه آخرا ، و كان[4] فى الابتداء و الختم إقامة عذر القائلين ، فوجب لهم تحقق الغفران كما كان لأبيهم آدم حيث تلقى الكلمات من ربه - انتهى .

٣١١/

و لما كان التقدير بما أرشد إليه "ربنا" : فانه منك مبدأنا[5] ، عطف عليه قوله حثا على الاجتهاد فى كل ما أمر به و نهى عنه على وجه الإخلاص : ﴿ و اليك ﴾[6] أى لا إلى غيرك[6] ﴿ المصير ﴾ أى مطلقا لنا و لغيرنا . و قال ابن[7] الزبير : و لما بين سبحانه و تعالى أن الكتاب هو الصراط المستقيم ذكر افتراق الأمم كما يشاء[8] و أحوال الزائغين و المتنكبين[9] تحذيرا من حالهم و نهيا عن مرتكبهم و حصل

(١) فى مد : فيه (٢) من ظ ، و فى الأصل : الحال ، و فى م : للحال (٣) فى ظ : سا - كذا (٤) فى م : فكان (٥) من م و ظ ، و فى الأصل : اوفا (٦-٦) ليست فى ظ (٧) ليس فى م (٨) فى م و ظ : شاء (٩) من ظ ، و فى م : المستنكبين ، و فى الأصل : الميلتين - كذا .

[1] قبيل النزول[1] بجملته و انحصار[2] التاركين و أعقب بذكر ملتزمات المتقين و ما ينبغى لهم امتثاله و الأخذ به من الأوامر[3] و الأحكام و الحدود و أعقب[4] ذلك بأن المرء يجب أن ينطوى على ذلك و يسلم الأمر لمالكه فقال سبحانه و تعالى "آمن الرسول بما انزل" فأعلم أن هذا إيمان الرسول ٥ و من كان معه على إيمانه و أنهم قالوا "سمعنا[5] و اطعنا" لا كقول بنى إسرائيل : "سمعنا[5] و عصينا" و أنه أثابهم على إيمانهم رفع الإصر و المشقة و المؤاخذة بالخطأ و النسيان فقال : "لا يكلف الله نفسا الا وسعها" ، فحصل من هذه السورة بأسرها بيان الصراط المستقيم على الاستيفاء و الكمال أخذا و تركا و[6] بيان شرف من أخذ به و سوء حال ١٠ من تنكب[7] عنه . و كان العباد لما علموا[8] "اهدنا الصراط المستقيم" - إلى آخر السورة قيل لهم : عليكم بالكتاب - إجابة لسؤالهم ؛ ثم بين لهم حال من سلك ما طلبوا فكان[9] قيل لهم : أهل[10] الصراط المستقيم و سالكوه هم الذين بيّن[11] شأنهم و أمرهم ، و المغضوب عليهم من المتنكبين هم اليهود الذين بين أمرهم و شأنهم ، و الضالون هم النصارى الذين[12] بيّن[11]

(١-١) فى الأصل : سد النزول - كذا ، و التصحيح من م و ظ (٢) فى الأصل : و انصار ، و التصحيح من م و ظ (٣) فى ظ : الاموار - كذا (٤) فى م : احكم (٥ - ٥) ليست فى م (٦) ليس فى م (٧) من م و ظ ، و فى الأصل : ينكب (٨) فى م فقط : غنموا (٩) زيد فى م و ظ : قد (١٠) من م و ظ ، و فى الأصل : اهدنا (١١) فى الأصول : من (١٢) فى م: الذى .

أمرهم

أمرهم و شأنهم ؛ فيجب على من رغب فى[1] سلوك الصراط المستقيم أن يحذر ما أصاب هؤلاء مما نبه عليه و أن يأخذ نفسه بكذا و كذا و أن ينسحب إيمانه على كل ذلك ، و أن يسلم الأمر لله الذى تطلب[2] منه الهداية ، و يتضرع إليه بأن لا يؤاخذه بما يثمره[3] الخطأ و النسيان ، و أن لا يحمله ما ليس فى وسعه ، و أن يعفو عنه - إلى آخر[4] السورة[5] ؛ انتهى .

و لما مُنّوا بالإيمان فى سؤال الغفران عللوا السؤال بقولهم : ﴿ لا يكلف الله[6] ﴾ أى الملك الأعظم الرحيم الأكرم الذى له جميع صفات الكمال ﴿ نفسا الا وسعها[7] ﴾ أى ما تسعه و تطيقه و لا تعجز عنه ، و ذلك هو الممكن لذاته الذى [7]يتعلق اختيار العبد بفعله[7] ، و لم يخبر الله تعالى بأنه لا يقع لا المحال لذاته و لا الممكن لذاته سواء كان مما لا مدخل للانسان فى اختياره كالنوم أو كان له مدخل فيه و قد تعلق[8] العلم

(١) ليس فى م (٢) فى م : يطلب (٣) من م و ظ ، و فى الأصل يثمر (٤) العبارة من هنا إلى « عللوا » ليست فى م (٥) فى ظ : السوال (٦) ظاهره أنه استئناف خبر من الله تعالى أخبر به أنه لا يكلف العباد من أفعال القلوب و الجوارح إلا ما هو فى وسع المكلف و مقتضى إدراكه و بنيته ، و انجلى بهذا أمر الخواطر الذى تأوله المسلمون فى قوله " ان تبدوا " الآية ، و ظهر تأويل من يقول إنه لا يصح تكليف ما لا يطاق ؛ و هذه الآية نظير " يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر " " و ما جعل عليكم فى الدين من حرج " " فاتقوا الله ما استطعتم " - البحر المحيط ٢/٣٦٦ (٧-٧) ليست فى م (٨) من م و ظ ، و فى الأصل : يعلو - كذا .

الأزلى بعدم وقوعه و أخبر سبحانه و تعالى بعدم وقوعه معينا لصاحبه، فهذا لا يقع التكليف[١] به و يجوز[٢] التكليف به[٣]؛ و هذا[٤] الكلام من جملة دعائهم[٥] على وجه الثناء طلبا[٦] للوفاء بما أخبرهم بـه الرسول صلى الله عليه و سلم عنه سبحانه و تعالى[٧] خوفا من أن يكلفوا بما لله سبحانه و تعالى كما دلت عليه الآية و قول المؤمنين عند نزولها و جواب النبي صلى الله عليه و سلم لهم أن يكلف به من المؤاخذة بالوساوس[٨] التى لا يقع العزم عليها لأنه مما تخفيه النفوس و لا طاقة على دفعه فهو من باب:

/ إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء /٣١٢

و لعل العدول عن[٩] الخطاب إلى الغيبة بذكر الاسم الأعظم من باب التملق بأن له من صفات العظمة ما يقتضى العفو عن ضعفهم و من صفات الحلم و الرحمة و الرأفة ما يرفه عنهم و يحتمل أن يكون ذلك من قول الله سبحانه و تعالى[١٠] جزاء لهم على قولهم "سمعنا و اطعنا" - الآية،

(١) من م و ظ، و فى الأصل: التكلف (٢) فى م: تحور، و فى ظ: محوز. (٣) ليس فى ظ (٤) فى الأصل: هل، و التصحيح من م و ظ (٥) فى ظ: ادعائهم (٦) من م و ظ، و فى الأصل: طلب (٧) زيد فى الأصل: خوفا من ذلك، و فى م: من ذلك خوفا، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨) فى ظ: بالسواس - كذا (٩) فى ظ: من (١٠) و قيل: هذا من كلام الرسول و المؤمنين أى و قالوا: "لا يكلف الله نفسا الا وسعها" و المعنى أنهم لما قالوا "سمعنا و اطعنا" قالوا: كيف لا نسمع ذلك و لا نطيع و هو تعالى لا يكلفنا إلا ما فى وسعنا، و الوسع دون المجهود فى المشقة و هو ما يتسع له قدرة الإنسان - البحر المحيط ٢/٣٦٦.

فأفادهم بذلك أنه لا يحاسبهم بحديث النفس الذى لا عزم فيه ؛ فانتفى ما شق عليهم من قوله "و ان تبدوا ما فى انفسكم [١] "- الآيـة ، بخلاف [ما أفاد - ٢] بنى إسرائيل قولهم "سمعنا و عصينا" من الآصار فى الدنيا و الآخرة ، فيكون حينئذ استئنافا جوابا [٣] لمن كأنه قال: هل أجاب دعاءهم؟ و يكون شرح قوله أول السورة: "اولئك على هدى من ربهم"- الآية ، و يؤيد هـذا الاحتمال اتباعه لحكم ما فى الوسع على طريق الاستئناف [٤] أو الاستفتاح [٤] بقوله: ﴿ لها ﴾ أى خاصا بها ﴿ ما كسبت ﴾ و ذكر الفعل مجردا فى الخير إيماء إلى أنه يكفى فى الاعتداد به مجرد وقوعه و لو مع الكسل بل و مجرد نيته . قال الحرالى: و صيغة فعل مجردة تعرب [٥] عن أدنى الكسب فلذلك من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة [٦]- انتهى . ﴿ و عليها ﴾ أى بخصوصها ﴿ ما اكتسبت [٥] ﴾ فشرط فى الشر صيغة الافتعال الدالة على الاعتمال إشارة إلى أن [من - ٢] طبع النفس الميل إلى الهوى بكليتها و إلى أن الإثم لا يكتب إلا مع

(١) زيد فى م: "او تخفوه" (٢) زيد من م وظ (٣) من م وظ ، وفى الأصل: جواب (٤ - ٤) ليس فى م ، و فى ظ « و » مكان « او » (٥) من ظ ، و فى الأصل: يقرب ، و فى م: تقرب (٦) و الصحيح عند أهل اللغة أن الكسب والاكتساب واحد والقرآن ناطق بذلك ، قال الله تعالى "كل نفس بما كسبت رهينة" وقال "و لا تكسب كل نفس الا عليها" و قال "بلى من كسب سيئة و احاطت به خطيئته" و قال "بغير ما اكتسبوا"- البحر المحيط ٢ / ٣٦٧ .

التصميم و العزم القوى[١] الذى إن كان عنه عمل ظاهر كان[٢] بجد و نشاط[٢] و رغبة و انبساط ، فلذلك من همّ بسيئة[٣] فلم يعملها لم تكتب[٤] عليه ، و ربما جاءت العبارة بخلاف ذلك لمعنى[٥] فى ذلك السياق اقتضاه المقام .

٥ و لما بشرهم بذلك عرفهم مواقع نعمه فى دعاء رتبه على الأخف فالأخف على سبيل التعلى إعلاما بأنه لم يؤاخذهم بما اجترحوه نسيانا و لا بما قارفوه[٦] خطأ و لا حمل عليهم ثقلا بل جعل شريعتهم حنيفية سمحا و لا حملهم فوق طاقتهم مع أن له جميع ذلك ، و أنه عفا عن عقابهم ثم سترهم فلم[٧] يخجلهم بذكر سيئاتهم ، ثم رحمهم[٨] بأن أحلهم ١٠ محل القرب فجعلهم أهلا للخلافة ؛ فلاح بذلك أنه يعلى أمرهم على كل أمر و يظهر دينهم على كل دين ، إذ[٩] كان سبحانه و تعالى هو الداعى عنهم ، و ليكون الدعاء كله محمولا[١٠] على الإصابة و مشمولا[١١] بالإجابة فقال[١٢] سبحانه و تعالى : ﴿ ربنا[١٣] لا تؤاخذنآ ﴾ أى لا تفعل معنا فعل

(١) العبارة من هنا إلى « انبساط » ليست فى ظ (٢-٢) من م ، و فى الأصل : الجد و النشاط (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : بحسنة (٤) زيد فى م : له . (٥) من م و ظ ، و فى الأصل : المعنى (٦) من م ، و فى الأصل : رموه ، و فى ظ : فارقوه (٧) من م و ظ ، و فى الأصل : و لم (٨) من م و ظ ، و فى الأصل : رغبهم (٩) من م و ظ ، و فى الأصل : اذا (١٠) فى ظ : محمول (١١) فى ظ : شمولا (١٢) من م و ظ ، و فى الأصل : قال (١٣) هذا على إضمار القول أى قولوا فى دعائكم : ربنا لا تؤاخذنا ، و الدعاء مخ العبادة إذ الداعى يشاهد نفسه فى مقام الحاجة و الذلة و الافتقار و يشاهد ربه بعين الاستغناء و الإنفضال ، =

من

من يناظر خصما فهو يناقشه على كل صغير و كبير ﴿ ان نسينآ ﴾ أى[1] ففعلنا ما نهيتنا عنه ﴿ او اخطانا ج ﴾ أى فعلناه ذاكرين له لكنا لم نتعمد سوءا . قال الحرالى : و الخطأ هو الزلل عن الحد عن غير تعمد بل مع عزم الإصابة أو ودّ أن لا يخطئ ، و فى إجرائه من كلام الله سبحانه و تعالى على لسان عباده قبوله [2] - انتهى[3] . و إعادة ' ربنا ' فى صدر كل جملة من هذا الطراز[4] كما[5] تقدمت الإشارة إليه فى التذكير بعظم المقام فى حسن التربية و لطف[6] الإحسان و الرأفة .

و لما كان ذلك قد يكون فان له أن يكلف بما يشاء مع تحميل ما تعظم[7] مشقته من[8] التكاليف فانه[9] لا يسئل عما يفعل قال : ﴿ ربنا و لا تحمل علينآ اصرا ﴾ أى ثقلا[10] . قال الحرالى : هو العهد الثقيل [أى - [11]] الذى فى تحمله أشد المشقة - انتهى . ثم عظم المنة

= فلذلك ختمت هذه السورة بالدعاء و التضرع و افتتحت كل جملة منها بقولهم : ربنا ، إيذانا منهم بأنهم يرغبون من ربهم الذى هو مربيهم و مصلح أحوالهم ، و لأنهم مقرون بأنهم مربوبون داخلون تحت رق العبودية و الافتقار ؛ ولم يأت لفظ ' ربنا ' فى الجمل الطلبية أخيرا لأنها نتائج ما تقدم من الجمل التى دعوا فيها بربنا - البحر المحيط ٢/٣٦٧ .

(١) ليس فى ظ (٢) من م و ظ ، و فى الأصل : فقوله (٣) ليس فى م (٤) فى الأصل : الطرف ، و التصحيح من م و ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل و م : ان (٦) فى م و ظ : لطيف (٧) من م و ظ ، و فى الأصل : يعظم (٨) من م و ظ ، و فى الأصل : فى (٩) فى م و ظ : لأنه (١٠) زيد فى م و ظ « و » .
(١١) زيد من ظ .

بقوله : ﴿ كما حملته على الذين من قبلنا ج﴾ إشارة إلى أنه كان حمل على من سبق من الأحكام ما يهدّ الأركان تأكيدا لما يحمل على الشكر على تخفيف ذلك عنا ، و أصل ١ الإصر العاطف ، أصره الشيء يأصره : عطفه ، و يلزمه الثقل ٢ لأن الغصن إذا ثقل مال و انعطف ٢ و هو المقصود هنا ؛ و تلك الآصار المشار إليها كثيرة ٣ جدا ، منها ما فى السفر الثانى من التوراة فى القربان أنه ينضح ٤ من دم الذبيحة ٥ على زوايا المذبح ٦ ، ثم قال : و من تقرب بذبح ثور أو غيره فى مكان غير [باب - ٢] قبة الزمان بيت الرب يعاقب ذلك الرجل عقوبة من قتل قتيلا لأنه سفك دما / و يهلك ذلك الرجل من شعبه ، و من أكل دما نزل به الغضب و هلك لأن أنفس البهائم هى الدم ، [و إنما أمروا أن يقربوه على المذبح لغفران خطاياهم و تطهير أنفسهم لأنه إنما يغفر للنفس بالدم - ٨] ،

/٣١٣

(١) قال ابن عباس و مجاهد و قتادة و السدى و ابن جريج و الربيع و ابن زيد : الإصر العهد و الميثاق الغليظ . . . . و قال الزمخشرى : العبء الذى يأصر صاحبه أى يحبسه مكانه لا يستقل به ، استعير للتكليف الشاق من نحو قتل النفس و قطع موضع النجاسة من الجلد و الثوب و غير ذلك - انتهى . قال القفال : من نظر فى السفر الخامس من التوراة التى يدعيها هؤلاء اليهود وقف على ما أخذ عليهم من غليظ العهود و المواثيق و رأى الأعاجيب الكثيرة - البحر المحيط ٢/٣٦٩ .
(٢-٢) ليس فى ظ ، و لفظ « مال » سقط من م فقط (٣) من م و ظ ، و فى الأصل : كبيرة (٤) فى الأصل : فصح ، و التصحيح من م و ظ (٥) من م و ظ ، و فى الأصل : البهيمة (٦) من م و ظ ، و فى الأصل : الذبح (٧) زيد من م (٨) العبارة المحجوزة زيدت من م و ظ .

و من قرب قربانا أكل منه يوم ذبحه و ثانيه[١]، و ما بقى فى الثالث أحرق بالنار ، و من أكل منه هلك من شعبه ؛ و من ذلك فى[٢] ذوى العاهات أن من برص من الآدمين[٣] يجلس وحده و[١] لا يختلط مع الناس و يكون سكنه خارجا من محلة بنى إسرائيل - حتى ذكر البرص فى الثياب[٤] و البيوت[٥] و غيرها ، فما[٦] برص [٧]من الجلود و الثياب[٧] يقطع موضع البرص منه ، فان ظهر فيه بعد القطع أحرق [كله -[٨]] بالنار ، و إن ظهر فى بيت برص يهدم و تجمع حجارته و خشبه و ترابه خارجا من القرية و يحرق بالنار ؛ و كذا مرض السلس فيه تشديدات[٩] كثيرة ، منها أن من جلس على ثوب[١٠] عليه مسلوس يغسل ثيابه[١١] و يستحم بالماء و يكون نجسا إلى الليل - و نحو هذا ؛ ثم قال: و كلم الرب موسى و قال له[١١] : هذه سنة الأبرص[١٣] الذى يتطهر: يقدم[١٤] إلى الكاهن و يخرجه[١٥] خارجا من العسكر و ينظر الحبر[١٦]

(١) ليس فى ظ (٢) ليس فى م (٣) من م و ظ ، و فى الأصل : ذوى المعاهات .
(٤) من م و ظ ، و فى الأصل : النبات (٥) فى الأصل : النبوت - كذا ، و ليس فى م و ظ (٦) من م و ظ ، و فى الأصل : مما (٧ - ٧) فى م و ظ : الثياب و الجلود (٨) زيد من م و ظ (٩) من م و ظ ، و فى الأصل : لشدة بذات (١٠) فى م : ثوبه (١١) من م و ظ ، و فى الأصل : ثوبابه (١٢) ليس فى م و ظ (١٣) من م و ظ ، و فى الأصل : لابرص (١٤) من م و ظ ، و فى الأصل : تقدم (١٥) من م و ظ ، و فى الأصل : تخرجه (١٦) من م ، و فى الأصل : الجير ، و فى ظ : الخبر .

إن كانت[١] ضربة البرص قد برأت و تطهر منها [٢]يأمر الحبر فيقدم[٢]، و يؤتى بعصفورين حيين زكيين، و عود من خشب الأرز[٣]، و عهنة[٤] حمراء - و عد أشياء أخرى؛ و قربانا على كيفية مخصوصة صعبة[٥] على عين[٦] ماء، و يغسل ثيابه و بدنه، و يحلق شعر [٧]رأسه و لحيته[٧] و حاجبيه[٨] و كل شعر جسده، و أنه يمكث خارجا من بيته سبعة أيام، و فى اليوم الثامن يأتى بقربان آخر [فيقرب - [٩]] على كيفية مخصوصة، و ينضح الكاهن من دمه على [١٠]ثياب و[١٠] بدن هذا الذى تطهر[١١] من البرص، و كذا من زيت[١٢] قربانه، و يصب بقيته على رأسه. و كذا فى مرض السلس إذا برأ المسلوس [يمكث - ١٣] سبعة أيام، [ثم - [٩]] يتطهر و يغسل ثيابه، و يقرب قربانا فى باب قبة الزمان. و قال: و أى[١٤] رجل أمذى[١٥] أو خرج منه منيه[١٦] يغسل جسده كله بالماء، و يكون نجسا إلى الليل؛ و من [دنا - [١٧]] من الحائض يكون

(١) من م و ظ، و فى الأصل: كانه (٢-٢) فى الأصل: بامر الخبريه و تقدم، و التصحيح من م و ظ (٣) من م و ظ، و فى الأصل: الارر (٤) فى م: عنبة.
(٥) من م و ظ، و فى الأصل: ضبعه (٦) من م و ظ، و فى الأصل: غير.
(٧-٧) فى ظ: لحيته و راسه (٨) فى الأصل: خاصة، و التصحيح من م و ظ.
(٩) زيد من م و ظ (١٠-١٠) من م، و فى الأصل و ظ: اشياء من.
(١١) من م و ظ، و فى الأصل: يظهر (١٢) من م و ظ، و فى الأصل: رتب.
(١٣) زيد من م و ظ، غير أن فى م: بمكث - كذا (١٤) من م و ظ، و فى الأصل: راى (١٥) من م، و فى الأصل و ظ: امدى - كذا (١٦) فى الأصل: ففيه، و التصحيح من م و ظ (١٧) زيد من ظ.

نجسا إلى الليل[١] [و أى ثوب أو فراش وقعت عليه جنابة يغسل بالماء و يكون نجسا إلى الليل - [٢]] ، و أى ثوب رقدت عليه و هى حائض كان نجسا ، و من دنا من فراشها يغسل ثيابه و يستحم بالماء و يكون نجسا إلى الليل ، و كذا المستحاضة . و فيه أيضا : و كلم الرب موسى و قال له : كلم بنى إسرائيل و قل لهم : المرأة إذا حبلت و ولدت ذكرا ٥ تكون نجسة [سبعة - [٣]] أيام كما تكون فى أيام حيضها ، و فى اليوم الثامن يختن[٤] الصبى ، و تكون نجسة و تجلس مكانها ثلاثة[٥] و ثلاثين يوما ، لا تدنو من شىء مقدس ، و لا تدخل بيت الله سبحانه و تعالى لأن الصلاة محرمة عليها حتى تتم أيام تطهيرها[٦] ؛ فان ولدت جارية تكون مثل[٧] نجاستها فى أيام حيضها أربعة [عشر - [٣]] يوما و تجلس ١٠ مكانها على الدم الزكى[٩] ستة و ستين يوما ، فاذا كملت أيام تطهيرها[٨] [١٠] ابنا ولدت[١٠] أو بنتا تجىء بحمل حول[١١] - فذكر قربانا فى قبة الزمان على يد الكاهن لتطهر[١٢] مما كان يجرى منها [من - [٣]] الدم . و من الآصار ما فى السفر الثانى أيضا من أنهم إذا حصدوا أرضا أو قطفوا كرما حرم عليهم الاستقصاء و أمروا أن يتركوا للساكين ، ثم قال : ١٥

(١) العبارة من « و من دنا » إلى هنا ليست فى م ، و أخرت فى ظ عن العبارة المحجوزة التالية (٢) زيد من ظ (٣) زيد من م و ظ (٤) من م و ظ ، و فى الأصل : تختن (٥) من ظ ، و فى الأصل و م : ثلاثا (٦) فى ظ : تطهرها . (٧) زيد فى م : ايام (٨) العبارة من « فان ولدت » إلى هنا مكررة فى ظ . (٩) من م و ظ ، و فى الأصل : الذكى (١٠-١٠) من ظ ، و فى الأصل و م : ابنا او بنتا و ولدت ؛ و لفظ «و ولدت» ليس فى م (١١) فى ظ : حولى (١٢) من م و ظ ، و فى الأصل : ليطهر .

و لا تلتقطوا ما ينتثر[1] من زيتونكم[2] بل دعوه للساكين و الذين يقبلون إلىّ لأنى أنا الله ربكم ، ثم قال : فاذا دخلتم الأرض و غرستم فيها كل شجر يثمر[3] ثمارا تؤكل فدعوها [4]ثلاث سنين[4] و لا تأكلوا من ثمارها ، فاذا كان فى السنة الرابعة صيروا جميع ثمار شجركم حرمة[5] للرب و مجدا لإكرامه ، و فى السنة الخامسة كلوا ثمارها فانها تنمو و[6] تزداد لكم[6] غلاتها ، أنا الله ربكم ! و قال فى أواخر السفر الخامس و هو آخر أسفارها : لا تحيفوا على المسكين و اليتيم و الساكن[7] بينكم فى القضاء ، و لا تأخذوا ثوب الأرملة رهنا ، و اذكروا أنكم كنتم عبيدا بأرض مصر و أنقذكم الرب / [8] من هناك ، لذلك آمركم[9] و أقول لكم إنه[10] واجب /٣١٤ عليكم أن تفعلوا مثل هذا الفعل ، و إذا حصدتم حقل أرضكم و نسيتم حزمة لا ترجعوا فى طلب أخذها بل تكون للساكن و لليتيم[11] و الأرملة ، ليبارك الله ربكم فى جميع أعمال أيديكم ؛ و إذا نثرتم زيتونكم فلا تطلبوا ما نسيتم فى حقلكم بل يكون لليتيم و الساكن و الأرملة ، و إذا قطعتم كرومكم لا تستقصوا ما فيها بل دعوها ما يعيش به الساكن

(١) من م و ظ ، و فى الأصل : يتيسر (٢) فى الأصل : بيوتكم ، و التصحيح من م و ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل و م : تثمر (٤ - ٤) فى الأصل : ثلاثين سنة ، و التصحيح من م و ظ (٥) من م و ظ ، و فى الأصل : محبة (٦-٦) فى ظ : تزاد ذلكم (٧) من م و ظ ، و فى الأصل : المساكين (٨) جعلنا أساس المتن نسخة ظ من هنا إلى « الخلافة فكانت سناما للقرآن » ص ١٨٧ لكون عبارة نسخة الأصل مطموسة (٩) فى م : أمرتكم (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : اى (١١) فى م : اليتيم .

و اليتيم و الأرملة ؛ و اذكروا أنكم كنتم عبيدا بأرض مصر ، لذلك آمركم أن تفعلوا هذا الفعل - و أما ما على النصارى من ذلك فسيأتى كثير منه إن شاء الله تعالى فى المائدة عند قوله تعالى "و ليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه[1] " .

و لما دعوا بما تضمن الإيمان بما نزل إليهم مما حمل من كان[2] قبلهم من الثقل أتبعوه ما يدل على اعتقادهم أن ذلك عدل منه[3] فى القضاء ، و أنه له أن يفعل فوق ذلك فيكلف بما ليس فى الوسع ، لأنه المالك التام المِلك و المَلِك المنفرد بالمُلك ، و سألوا التخفيف برفع ذلك فقالوا : ﴿ ربنا و لا ﴾ و عبر بالتفعيل [4]لما فيه[4] بما يفهم من العلاج من مناسبة التكليف بما لا يطاق فقال : ﴿ تحملنا ما لا طاقة ﴾ أى قدرة ﴿ لنا به ج ﴾ .

و لما كان الإنسان قد يتعمد الذنب لشهوة تدعوه إليه و غرض يحمله عليه أتبعوا ذلك دعاء عاما فقالوا : ﴿ و اعف عنا وقفة ﴾ أى ارفع عنا عقاب الذنوب كلها ﴿ و اغفر لنا وقفة ﴾ أى و لا تذكرها لنا أصلا ، فالأول العفو[5] عن عقاب الجسم ، و الثانى العفو عن عذاب الروح .

(١) سورة ٥ آية ٤٧ (٢) ليس فى م (٣) زيد فى م : سبحانه (٤-٤) ليس فى م .

(٥) قال الراغب : العفو إزالة الذنب بترك عقوبته ، و الغفران ستر الذنب و إظهار الإحسان بدله ، فكأنه جمع بين تغطية ذنبه و كشف الإحسان الذى غطى به ، و الرحمة إفاضة الإحسان إليه ؛ فالثانى أبلغ من الأول و الثالث أبلغ من الثانى ؛ انتهى - البحر المحيط ٢/٣٧٠ .

و قال الحرالى : و لما كان قد يلحق من يعفى عنه و يغفر له قصور فى الرتبة عن منال الحظ من الرحمة ألحق تعالى المعفو عنه المغفور له بالمرحوم ابتداء بقوله : ﴿ و ارحمنا وقفة ﴾ أى حتى يستوى المذنب التائب و الذى لم يذنب قط فى منال الرحمة .

٥ و لما ضاعف لهم تعالى عفوه و مغفرته و رحمته أنهاهم بذلك إلى محل الخلافة العاصمة " لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم [١] " فلما صاروا خلفاء تحقق منهم الجهاد لأعداء الله و القيام بأمر الله و منابذة من تولى غير الله ، فتحقق أنه لا بد أن يشاققهم أعداء و ينابذوهم ، فعلمهم الذى رحمهم سبحانه إسناد أمرهم بالولاية إليه قائلا عنهم : ﴿ انت ١٠ مولنا ﴾ و المولى هو الولى اللازم الولاية القائم بها الدائم عليها لمن تولاه باسناد أمره إليه فيما ليس هو بمستطيع له - انتهى بالمعنى . و كان حقيقته الفاعل لثمرة الولاية و هى القرب و الإقبال ، و ذلك أنهم لما سألوا العفو عن عذاب الجسم و الروح سألوا ثوابهما ، فثواب الجسم الجنة و ثواب الروح لذة الشهود و ذلك ثمرة الولاية و هى الإقبال على ١٥ الولى بالكلية ، ثم جعل ختام توجه المؤمنين إلى ربهم الدعاء بثمرة الولاية فقال : ﴿ فانصرنا [٢] ﴾ باللسان و السنان ، و أشار إلى قوة

(١) سورة ١١ آية ٤٣ (٢) أدخل الفاء إيذانا بالسببية لأن كونه تعالى مولاهم و مالك تدبيرهم و أمرهم ينشأ عن ذلك النصرة لهم على أعدائهم ، كما تقول : أنت الشجاع فقاتل ، و أنت الكريم فجدعلى ؛ أى أظهرنا عليهم بما تحدث فى قلوبنا من الجرأة و القوة و فى قلوبهم من الخور و الجبن - البحر المحيط ٢/٣٧٠ .

المخالفين حثا على تصحيح الالتجاء و الصدق فى الرغبة بقوله : ﴿ على القوم ﴾ و أشار إلى أن الأدلة عليه سبحانه فى غاية الظهور لكل عاقل بقوله : ﴿ الكٰفرين ﴾ أى الساترين للأدلة الدالة لهم على ربهم المذكورين أول السورة ، فتضمن ذلك وجوب قتالهم و أنهم أعدى الأعداء ، و أن قوله تعالى "لا اكراه فى الدين" ليس ناهيا عن ذلك ٥ و إنما هو إشارة إلى أن الدين صار فى الوضوح إلى حد لا يتصور فيه إكراه بل ينبغى لكل عاقل أن يدخل فيه بغاية الرغبة فضلا عن الإحواج[1] إلى إرهاب ، فمن نصح نفسه دخل فيه بما دله عليه عقله ، و من أبى أدخل فيه قهرا بنصيحة الله التى هى الضرب بالحسام و نافذ السهام . و لما كان الختم بذلك مشيرا إلى أنه تعالى لما ضاعف لهم ١٠ عفوه[2] عن الذنب فلا يعاقب عليه و مغفرته له بحيث يجعله كأن لم يكن فلا يذكره أصلا و لا يعاقب عليه و رحمته فى إيصال المذنب المعفو عنه المغفور له إلى المنازل العالية أنهاهم إلى رتبة الخلافة فى القيام بأمره و الجهاد لأعدائه و إن جل أمرهم و أعى حصرهم كان منبها على أن بداية هذه الصورة هداية و خاتمتها خلافة ، فاستوفت ١٥ تبيين أمر النبوة إلى حد ظهور[3] / الخلافة فكانت سناما للقرآن ، و كان ٣١٥/ جماع ما فى القرآن منضما إلى معانيها إما لما صرحت[4] به أو لما ألاحته و أفهمه[5] إفصاح من إفصاحها كما تنضم هى مع سائر القرآن إلى[6] سورة

(١) فى م : الاحوج (٢) ليس فى م (٣) إلى هنا انتهت العبارة المطموسة من الأصل فابتدئ به تأسيسا للمتن (٤) من م و ظ ، و فى الأصل : صرت ـ كذا . (٥) من م و ظ ، و فى الأصل : فهمه (٦) من م و ظ ، و فى الأصل : فى .

الفاتحة فتكون ١ أمّا للجميع - أفاد ٢ ذلك الأستاذ أبو الحسن الحرالى .
و قد بان بذكر المنزل ٣ و الإيمان به و النصرة ٤ على الكفار بعد تفصيل
أمر النفقة و المال الذى ينفق منه رد مقطعها على مطلعها و آخرها
على أولها ، و من الجوامع العظيمة فى أمرها و شمول معناها المبين لعلو
٥ قدرها ما قال الحرالى أنه لما كان منزل هذا القرآن المختص بخاتم النبيين
٥صلوات الله و سلامه عليه و عليهم أجمعين٥ منزلا حروفا محيطة المعانى
مخاطبا بها ٦ النبى و الأئمة و تفصيل [آيات - ٧] مخاطبا به عامة الأمة
انتظمت هذه السورة صنفى الخطابين ٨ فافتتحت بالٓمٓ حروفا منبئة ٩ عن
إحاطة بما تضمنته معانيها من إحاطة القائم من معنى الألف و إحاطة
١٠ المقام من معنى الميم و إحاطة الوصلة من معنى اللام ؛ و لما كانت الإحاطة
فى ثلاث رتب إحاطة إلهية قيومية و إحاطة كتابية و إحاطة تفصيلية
كانت الإحاطة الخاصة بهذه الأحرف [التى - ٧] افتتحت ١٠ بها هذه
السورة إحاطة كتابية متوسطة ، فوقع الافتتاح فيما وقع عليه [أمر - ٧]
القرآن فى تلاوته فى الأرض بالرتبة المتوسطة من حيث هى أقرب
١٥ للطرفين و أيسر ١١ للاطلاع على الأعلى و القيام بالأدنى ، فكان ما كان

(١) من م و ظ ، و فى الأصل : فيكون (٢) من م و ظ ، و فى الأصل : فافاد .
(٣) فى الأصل : او بمنزل ، و التصحيح من م و ظ (٤) فى ظ : النصر .
(٥-٥) ليست فى م و ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : به (٧) زيد من م
و ظ (٨) فى الأصل : بخطابين ، و التصحيح من م و ظ (٩) من م و ظ ،
و فى الأصل : مبنية (١٠) من م و ظ ، و فى الأصل : انفتحت (١١) من م
و ظ ، و فى الأصل : امر .

فى القرآن من "الٓمٓ تلك اٰيٰت الكتٰب الحكيم[1]" ونحوه تفصيل إحاطة من إحاطة [الكتاب - ٢] التى أنزلت فيها سورة البقرة ، فكانت مشتملة على إحاطات[3] الكتب الأربعة : كتاب التقدير الذى كتبه الله سبحانه و تعالى قبل أن يخلق الخلائق بما شاء الله من أمد [و - ٢] عدد ، ورد أن الله كتب الكتاب و قضى القضية و عرشه على الماء ، ٥ و أن الله سبحانه و تعالى قدر مقادير الخلائق[4] قبل أن يخلقهم بخمسين ألف عام ، و أنه قدر الأرزاق قبل أن يخلق الصور بألفى عام - و كثير من ذلك مما ورد فى الأخبار ؛ و فى مقابلة هذا الكتاب السابق[5] بالتقدير الكتاب اللاحق بالجزاء الذى كتبه الله سبحانه و تعالى و يكتبه[6] أثر تمام الإبداء[7] باستبقاء[8] الأعمال البادية على أيدى الخلق الذين[9] ١٠ ينالهم النعيم و الجحيم و الأمن[10] و الروع و الكشف و الحجاب ؛ و هذا الكتاب الآخر مطابق للكيان[11] الأول ، و يبين[12] بتطرقهما[13] كتاب الأحكام المتضمن لأمر الدين و الدعوة الذى وقعت فيه الهداية و الفتنة ، ثم كتاب الأعمال الذى كتبه الله سبحانه و تعالى فى ذوات المكلفين من

(١) سورة ٣١ آية ١ و ٢ (٢) زيد من م و ظ (٣) فى م : احاطة (٤) من م و ظ ، و فى الأصل : الخلق (٥) زيد فى الأصل « لف » و لم تكن الزيادة فى م و ظ فحذفناها (٦) من م و ظ ، و فى الأصل : ركبه (٧) من م و ظ ، و فى الأصل : الابد (٨) فى م : باستيفاء (٩) من م و ظ ، و فى الأصل : الذى (١٠) فى الأصل : الأمر ، و التصحيح من م و ظ (١١) من م و ظ ، و فى الأصل : للكتاب .
(١٢) فى م و ظ : بين (١٣) فى ظ : تطرقهما ، و فى م : تطرفهما .

أفعالهم و أحوال أنفسهم و ما كتب فى قلوبهم من إيمان أو طبع عليها أو ختم[١] عليها بفجور أو طغيان ؛ فتطابقت الأوائل و الأواخر و اختلف كتاب الأحكام و كتاب الأعمال بما أبداه الله سبحانه و تعالى من وراء حجاب من معنى الهدى و الفتنه و الإقدام و الإحجام ، فتضمنت ٥ سورة البقرة إحاطات[٢] جميع هذه الكتب و استوفت[٣] كتاب الأقدار بما فى صدرها من تبيين أمر المؤمنين و الكافرين و المنافقين ، و كتاب الأفعال كما ذكر[٤] سبحانه و تعالى أمر الختم على الكافرين و المرض فى قلوب المنافقين ، و ما يفصل[٥] فى جميع السورة من أحكام الدين و ما يذكر معها مما[٦] يناسبها من الجزاء من ابتداء الإيمان إلى غاية الإيقان ١٠ الذى انتهى إليه معنى[٧] السورة فيما بين الحق و الخلق من أمر الدين ، و فيما بين الخلق و الخلق من المعاملات و المقاومات[٨] ، و فيما بين المرء و نفسه من الأيمان و العهود ، إلى حد ختمها بما يكون من الحق للخلق فى استخلاف الخلفاء الذين[٩] ختم بذكرهم هذه السورة الذين قالوا : [" غفرانك -[١٠]] ربنا "- إلى انتهائها ؛ و لما كان مقصود هذه السورة الإحاطة ١٥ الكتابية كان ذلك إفصاحها و معظم آياتها و كانت الإحاطة الإلهية[١١]

(١) من م و ظ ، و فى الأصل : اختم (٢) فى م : احاطت (٣) فى م و ظ : فاستوفت (٤) من م و ظ ، و فى الأصل : ذكره (٥) فى م و ظ : تفصل . (٦) ليس فى ظ (٧) فى م : امر (٨) فى م و ظ : المعاونات (٩) من م و ظ ، و فى الأصل : الذى (١٠) زيد من م ، و زيد فى ظ : غفرتك (١١) من م و ظ ، و فى الأصل : الكتابية .

القيومية إلاحتها و نور آياتها[1]، فكان ذلك / فى آية الكرسى تصريحا ٣١٦/
و فى سائر آيها الإحة بحسب قرب الإحاطة الكتابية من الإحاطة
الإلهية، و فى بدء سابق أو ختم لاحق أو حكمة جامعة، فلذلك[2] انتظم
بالسورة التى ذكرت فيها البقرة السورة التى يذكر فيها آل عمران،
لما نزل[3] فى سورة آل عمران[4] من الإحاطة الإلهية حتى كان فى مفتتحها ٥
اسم الله الأعظم، فكان ما فى البقرة إفصاحا فى سورة آل عمران[4]
إلاحة، و كان ما فى البقرة إلاحة فى سورة آل عمران إفصاحا، إلا
ما اطلع فى كل واحدة منهما من تصريح الأخرى؛ فلذلك[5] هما سورتان
مرتبطتان و غايتان[6] و غمامتان تظلان[7] صاحبهما[8] يوم القيامة،
و[9]بما هما[9] من الذكر الأول و بينهما من ظاهر التفاوت ما بين الإحاطة ١٠
الكتابية و بين الإحاطة الإلهية فلذلك كانت سورة البقرة سناما[10]
له[11] و السنام أعلى ما فى الحيوان المنكب و أجمله جملة و هو البعير،
و كانت سورة آل عمران تاج القرآن و التاج هو أعلى ما فى[12]

---

(١) فى م: اياتيها - كذا (٢) ليس فى ظ (٣) فى م و ظ: انزل (٤-٤) ليست فى م، وفى الأصل: مفتحها - مكان: مفتتحها، و التصحيح من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل و م: فكذلك (٦) فى الأصل و ظ: غيابتان، و فى م: غايتان - كذا، راجع مسند الإمام أحمد ٤/١٨٣ (٧) من م وظ، وفى الأصل: يظلان. (٨) من م و ظ، و فى الأصل: صاحبها (٩-٩) من م و ظ، و فى الأصل: سماهما (١٠) من م وظ، و فى الأصل: هناما - كذا (١١) من م و ظ، و فى الأصل: لها؛ و فى مسند الإمام أحمد بن حنبل ٥/٢٦: البقرة سنام القرآن و ذروته (١٢) زيد فى الأصل «اعلى» و لم تكن الزيادة فى م و ظ فحذفناها.

المخلوقات[١] من الخلق القائم المستخلف فى الأرض ظاهره[٢] و فى جميع المكون إحاطته ؛ فوقع انتظام هاتين السورتين على نحو من انتظام الآى يتصل الإفصاح فى الآية [٣] بالاحة سابقتها[٣] كما تقدم التنبيه عليه فى مواضع ـ انتهى . و سر[٤] ترتيب سورة السنام على هذا النظام أنه ٥ لما افتتحها سبحانه و تعالى بتصنيف الناس الذين هم للدين كالقوائم الحاملة لذى السنام[٥] فاستوى و قام ابتداء المقصود بذكر أقرب السنام إلى أفهام أهل القيام فقال مخاطبا لجميع الأصناف التى قدمها "يآيها الناس اعبدوا ربكم" و استمر إلى أن بان الأمر غاية البيان فأخذ يذكر منته [سبحانه ـ[٦]] على الناس المأمورين[٧] بالعبادة بما أنعم عليهم [٨] من خلق جميع ١٠ ما فى الوجود لهم بما أكرم به أباهم آدم عليه الصلاة و السلام ، ثم خص العرب و من تبعهم ببيان[٩] المنة عليهم فى مجادلة بنى إسرائيل و تبكيتهم ، و هو سبحانه و تعالى يؤكد كل قليل أمر الربوبية و التوحيد[١٠] بالعبادة[١١] من غير ذكر شىء من الأحكام إلا ما انسلخ منه بنو إسرائيل ، فذكره على وجه الامتنان به على العرب و تبكيت بنى إسرائيل بتركه[١٢] لا على

(١) زيد فى ظ : من المخلوقات (٢) سقط من م (٣-٣) من م و ظ ، و فى الأصل : بالاحاطة ما بينهما (٤) فى م : من (٥) فى الأصل: الاسنام ، و التصحيح من م و ظ (٦) زيد من م و ظ (٧) من ظ ، و فى م : المارين ، و فى الأصل : المامور (٨) العبارة من هنا إلى « المنة عليهم » ليست فى م (٩) من ظ ، و فى الأصل : لبيان (١٠) فى ظ : التوحد (١١) من م و ظ ، و فى الأصل : بالعباد . (١٢) فى م : بتركهم .

أنه مقصود بالذات ، فلما تزكوا ١ فترقوا ٢ فتأهلوا لأنواع المعارف قال معليا ٣ لهم من مصاعد الربوبية إلى معارج الإلهية "و الهكم اله واحد لا اله الا هو" ، فلما تسنموا ٤ هذا الشرف لقنهم ٥ العبادات المزكية و نقاهم أرواحها المصفية فذكر أمهات الأعمال أصولا و فروعا الدعائم الخمس و الحظيرة و ما تبع ذلك من الحدود ٦ فى المآكل ٥ و المشارب و المناكح و غير ذلك من المصالح ٧ فتهيؤا بها ٧ و أنها الموارادات الغر ٨ من ذى الجلال فقال مرقيا ٩ لهم إلى غيب حضرته الشماء [ذاكرا - ١٠] مسمى جميع الأسماء "الله لا اله الا هو الحى القيوم" .

و لما كان الواصل إلى أعلى مقام الحرية لابد ١١ عند القوم من رجوعه إلى ربقة ١٢ العبودية ذكر لهم بعض الأعمال اللائقة بهم ، فحث على ١٠ أشياء أكثرها من وادى الإحسان الذى هو مقام أولى العرفان ، فذكر مثل النفقة التى هى أحد مبانى السورة عقب ما ذكر مقام الطمأنينة

(١) فى الأصل: نزلوا ، و فى ظ : تركوا ، و التصحيح من م (٢) من ظ ، و فى م : افترقوا ، و فى الأصل : فتفرقوا (٣) من م وظ ، و فى الأصل : معلما - كذا (٤) فى الأصل : لسموا ، و التصحيح من م و ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لقسهم ، و فى م : لقتهم (٦) زيد فى الأصل « فقال مرقيا لهم » ولم تكن الزيادة فى م و ظ فحذفناها من هنا و ستأتى (٧-٧) من م و ظ ، و فى الأصل : فيها (٨) من ظ ، و فى م : الفر ، و فى الأصل :العز (٩) من ظ ، و فى الأصل و م : مرهبا - كذا (١٠) زيد من م و ظ (١١) ليس فى م (١٢) من ظ ، و فى الأصل : رتبة ، و فى م : ربعة .

إيذانا بأن ذلك شأن المطمئن ، و رغب فيها إشارة إلى أنه لا مطمع فى الوصول إلا بالانسلاخ من الدنيا كلها ، و أكثر من الحث على طيب المطعم الذى لا بقاء[١] بحال من الأحوال بدونه ، و نهى عن الربا أشد نهى إشارة إلى التقنع بأقل الكفاف و نهيا عن مطلق[٢] الزيادة للخواص و عن كل حرام للعوام ، و أرشد إلى آداب الدين الموجب[٣] للثقة بما عند الله المقتضى بصدق التوكل المثمر للعون من الله سبحانه و تعالى و الإرشاد[٤] إلى ذلك[٥] ، توفى النبى صلى الله عليه و سلم و هو متلبس به ؛ و بنى سبحانه و تعالى كل ثلث[٦] من هذه الأثلاث على مقدمة فى تثبيت أمره و توجه بخاتمة فى التحذير من التهاون به ، و زاد الثالث لكونه الختام و به بركة التمام أن أكد عليهم بعد خاتمته فى الإيمان بجميع[٧] ما فى السورة ، و ختم / بالإشارة إلى أن عمدة ذلك الجهاد الذى لذوى الغى و العناد ، و الاعتماد فيه على مالك الملك و ملك العباد ، و ذلك هو طريق أهل الرشاد[٨] ، و الهداية [و السداد -[٩]] [١٠]و الله سبحانه و تعالى هو الموفق للصواب[١٠] .

/ ٣١٧

(١) من م و ظ ، و فى الأصل : لا يقال (٢) فى م : مطلوب (٣) فى م : الواجب . (٤) فى م و ظ : الاشارة (٥) من م و ظ ، و فى الأصل : الله (٦) فى الأصل : ثلاث ، و التصحيح من م و ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل و م : فى جميع (٨) من من م و ظ ، و فى الأصل : الارشاد (٩) زيد من م و ظ (١٠ - ١٠) ليست فى ظ ، و لفظ « سبحانه و تعالى هو » ليس فى م ؛ و زيد بعدها فى م : تم هذا الجزء المبارك بحمد الله وعونه و حسن توفيقه على يد كاتبه العبد الفقير إلى الله تعالى المعترف بالعجز و التقصير محمد بن حسين بن حسين الشهير بالازهرى غفر الله له و لوالديه ولمن طالع فيه او نظر إليه من غير مطالعة و دعا له و لوالديه بالمغفرة و الرحمة و لجميع المسلمين و صلى الله و سلم على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم - آمين .

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة آل عمران[1]

﴿ بسم الله ﴾ الواحد المتفرد[2] بالإحاطة بالكمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى وسعت [3]رحمة إيجاده[3] كل مخلوق و أوضح للمكلفين طريق النجاة ﴿ الرحيم[4] ﴾ الذى اختار أهل التوحيد[5] لمحل أنسه و موطن[6] جمعه و قدسه ﴿ الٓمٓ ﴾ المقاصد التى سيقت لها هذه السورة إثبات الوحدانية لله سبحانه و تعالى ، و الإخبار[7] بأن رئاسة الدنيا بالأموال و الأولاد و غيرهما مما آثره الكفار على الإسلام غير مغنية عنهم شيئا فى الدنيا و لا فى الآخرة ، و أن ما أعد للمتقين من الجنة و الرضوان هو الذى ينبغى الإقبال عليه و المسارعة إليه [و فى وصف المتقين بالإيمان و الدعاء و الصبر و الصدق و القنوت و الإنفاق - [8]] و الاستغفار

(١) لم نظفر بنسخة م من هنا إلى آخر سورة الأنعام . ومن هذه السورة ابتدأ تصحيح زميلنا السيد محمد عمران العمرى الأعظمى حامل شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس بالهند ، و قد انتهى تصحيح فضيلة الشيخ محمد عبد الحميد شيخ الجامعة النظامية إلى نهاية سورة البقرة (٢) من ظ ، وفى الأصل : المنفرد . (٣-٣) من ظ ، وفى الأصل : رحمته اتحاد (٤) زيد بعده فى ظ : اى (٥) فى ظ : الايمان (٦) من ظ ، وفى الاصل : وطن (٧) من ظ ، وفى الأصل : و الاصار . (٨) العبارة المحجوزة زيدت من ظ .

ما [١] يتعطف عليه [١] كثير [٢] من أفانين أساليب هذه السورة - هذا ما كان ظهر [٣] لى أولا ، و أحسن منه أن نخص القصد [٤] الأول و هو التوحيد بالقصد فيها فان الأمرين الآخرين يرجعان [٥] إليه ، و ذلك لأن الوصف بالقيومية يقتضى القيام بالاستقامة ، فالقيام يكون على كل نفس ، و الاستقامة العدل كما قال " قائما بالقسط [٦] " أى بعقاب العاصى و ثواب الطائع بما يقتضى للوفق ترك العصيان و لزوم الطاعة ؛ و هذا الوجه أوفق للترتيب ، لأن الفاتحة لما كانت جامعة للدين [٧] إجمالا جاء [٨] ما به التفصيل محاذيا [٩] لذلك ، فابتدئ بسورة الكتاب المحيط بأمر الدين ، ثم بسورة التوحيد الذى هو سر حرف الحمد [و - [١٠]] أول حروف الفاتحة ، لأن التوحيد هو الأمر [١١] الذى لا يقوم بناء إلا عليه ، و لما صح الطريق و ثبت الأساس جاءت التى بعدها داعية إلى الاجتماع على ذلك ؛ و أيضا [١٢]

(١ - ١) وقع فى الأصل : يتعطق اليه - كذا ، و التصحيح من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : كثيرا (٣) من ظ ، و فى الأصل : ظهرا (٤) فى ظ : المقصد . (٥) من ظ ، و فى الأصل : مرجعان (٦) سورة ٣ آية ١٨ (٧) من ظ ، و فى الأصل : للذين (٨) من ظ ، و فى الأصل : حا (٩) من ظ ، و فى الأصل : مجازيا (١٠) زيد من ظ (١١) من ظ ، و فى الأصل : الاسم (١٢) و فى تفسير روح المعانى ١/٥١٥ : و وجه مناسبتها (أى البقره) لتلك السورة أن كثيرا من مجملاتها تشرح بما فى هذه السورة ، و أن سورة البقرة بمنزلة إقامة الحجة و هذه بمنزلة إزالة الشبهة ، و لهذا تكرر فيها ما يتعلق بالمقصود الذى هو بيان حقيقة الكتاب من إنزال الكتاب و تصديقه للكتب قبله و الهدى إلى الصراط المستقيم ..... و ألطف من ذلك أنه افتتح البقرة بقصة آدم و خلقه من =

فلما ثبت بالبقرة أمر الكتاب فى أنه هدى و قامت به دعائم الإسلام الخمس جاءت هذه لإثبات الدعوة الجامعة فى قوله سبحانه و تعالى: "يآيها الناس اعبدوا ربكم[1]" فأثبت الوحدانية له بابطال إلهية[2] غيره باثبات أن عيسى عليه الصلاة و السلام الذى كان يحيي الموتى عبده فغيره[3] بطريق الأولى ، فلما ثبت أن الكل عبيده دعت سورة النساء ٥ إلى إقبالهم إليه و اجتماعهم عليه ؛ و مما يدل على أن القصد بها هو التوحيد تسميتها[4] بآل عمران ، فان[5] لم يعرب عنه فى هذه السورة ما أعرب عنه ما ساقه سبحانه و تعالى فيها من أخبارهم بما فيها من الأدلة على القدرة التامة الموجبة للتوحيد الذى ليس فى درج الإيمان أعلى منه ، فهو التاج الذى هو خاصة[6] الملك المحسوسة ، كما أن التوحيد ١٠ خاصته المعقولة ، و التوحيد موجب لزهرة[7] المتحلى[8] به فلذلك سميت الزهراء .

= تراب و لا أم و ذكر فى هذه نظيره فى الخلق من غير أب وهو عيسى ، و لذلك ضرب له المثل بآدم ، و اختصت البقرة بآدم لأنها أول السور و هو أول فى الوجود و سابق ، و لأنها الأصل و هذه كالفرع و التتمة لها فاختصت بالأغرب .

(١) سورة ٢ آية ٢١ (٢) من ظ ، و وقع فى الأصل : السنة - كذا مصحفا .
(٣) فى الأصل : فعبره ، و التصحيح من ظ (٤) فى الأصل : فسميتها ، و التصحيح من ظ (٥) فى ظ : فانه (٦) من ظ ، و فى الأصل : خاصته (٧) فى الأصل وظ : لزهادة - كذا (٨) من ظ ، و فى الأصل : المتجلى .

القصد الأول التوحيد

و مناسبة هذا الأول بالابتدائية لآخر ما قبلها أنه لما كان آخر البقرة فى الحقيقة آية الكرسى و ما بعدها إنما هو بيان ، لأنها أوضحت أمر الدين بحيث لم يبق وراءها مرمى لمتعنت[١] ، أو تعجب[٢] من حال من ٥ جادل فى الإلهية أو استبعد شيئا من القدرة و لم ينظر فيما تضمنته هذه الآية من الأدلة مع وضوحه ، أو إشارة إلى الاستدلال على البعث بأمر السنابل[٣] فى قالب الإرشاد إلى ما ينفع فى اليوم الذى نفى فيه نفع البيع و الخلة و الشفاعة[٤] من النفقات ، و بيان بعض ما يتعلق بذلك ، و تقرير أمر ملكه لما منه الإنفاق من السماوات و الأرض ، و الإخبار ١٠ بإيمان الرسول و أتباعه بذلك ، و بأنهم[٥] لا يفرقون بين أحد من الرسل المشار إليهم فى السورة ، و بصدقهم[٦] فى التضرع برفع الأثقال التى كانت على من قبلهم من بنى إسرائيل و[٧] غيرهم ، و بالنصرة على عامة الكافرين ؛ / لما كان ذلك على هذا الوجه ناسب هذا الاختتام غاية المناسبة /٣١٨ ابتداء هذه السورة بالذى وقع الإيمان به[٨] سبحانه و تعالى و وجهت[٩] ١٥ الرغبات آخر تلك إليه ؛ و أحسن منه أنه لما نزل[١٠] إلينا كتابه فجمع مقاصده فى الفاتحة على وجه أرشد فيه إلى سؤال الهداية ثم شرع فى

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : لتغيب (٢) فى ظ : تعجيب (٣) من ظ ، و فى الأصل : السايل (٤) فى الأصل : الشفعات ، و التصحيح من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : و أنهم (٦) من ظ ، و فى الأصل : يصدقهم (٧) فى ظ : او (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : و وجه (١٠) فى ظ : انزل .

تفصيل ما جمعه فى الفاتحة ، فأرشد فى أول البقرة إلى أن الهداية فى هذا الكتاب ، و بيّن ذلك بحقية[1] المعنى و النظم كما تقدم - إلى أن ختم البقرة بالإخبار عن خلص عباده[2] بالإيمان بالمنزل[3] بالسمع و الطاعة ، و أفهم ذلك مع التوجه بالدعاء إلى المنزل له أن له سبحانه و تعالى كل شىء و بيده النصر ، علم[4] أنه[5] واحد لا شريك له حى لا يموت[6] قيوم لا يغفل و أن ما أنزل هو الحق ، فصرح أول هذه بما أفهمه آخر تلك ، كما يصرح بالنتيجة بعد المقدمات المنتجة لها فقال : ﴿ الله ﴾ [7]أى الذى لا يذل من والاه و لا يعز من عاداه لأن له الإحاطة بجميع أوصاف الكمال و النزاهة الكاملة من كل شائبة نقص[7] .

و قال الحرالى مشيرا إلى القول الصحيح فى ترتيب السور من[8] أنه باجتهاد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم إقرارا لله سبحانه و تعالى لهذا الانتظام و الترتيب السورى فى مقرر هذا الكتاب : هو ما رضيه[9] الله سبحانه و تعالى فأقره ؛ فلما كانت سورة الفاتحة جامعة لكلية أمر الله سبحانه و تعالى فيما يرجع إليه ، و فيما يرجع إلى عبده ، و فيما بينه و بين عبده ، فكانت أم القرآن و أم الكتاب ؛ جعل مثنى[10] تفصيل

(١) من ظ ، و فى الأصل : مخفية (٢) فى الأصل : عبادة ، و التصحيح من ظ .
(٣) فى الأصل : المنزل ، و التصحيح من ظ ، و لكن زيد فيه بعده : و (٤) من ظ ، و فى الأصل : على (٥) زيد فى الأصل : حى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) زيد فى الأصل « و » و لم تكن فى ظ فحذفناها (٧ - ٧) سقطت من ظ (٨) ليس فى ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : رضى (١٠) من ظ ، و فى الأصل : معنى .

ما يرجع منها إلى الكتاب المنبأ عن موقعه فى الفاتحة مضمنا[1] سورة البقرة إلى ما أعلن به، لألا نور[2] آية الكرسى فيها، و كان منزل هذه السورة من مثنى تفصيل ما يرجع إلى خاص علن الله سبحانه و تعالى فى الفاتحة؛ فكان منزلة سورة آل عمران منزلة تاج الراكب[3] وكان منزلة سورة البقرة منزلة سنام المطية؛ قال صلى الله عليه و سلم «لكل شىء سنام و سنام القرآن سورة البقرة، لكل شىء تاج و تاج القرآن سورة آل عمران» [و إنما بدىء هذا الترتيب لسورة الكتاب لأن علم الكتاب أقرب إلى المخاطبين من تلقى علن أمر الله، فكان فى تعلم سورة البقرة و العمل بها تهيؤ لتلقى ما تضمنته سورة آل عمران-[4]] ليقع التدرج و التدرب بتلقى الكتاب حفظا و بتلقيه على اللقن[5] منزل الكتاب بما أبداه علنه[6] فى هذه السورة؛ و بذلك يتضح أن إحاطة "الٓمٓ" المنزلة فى أول سورة البقرة إحاطة كتابية بما[7] هو قيامه و تمامه، و وصلة[8] ما بين قيامه و تمامه، و أن إحاطة[9] "الٓمٓ" المنزلة فى أول هذه السورة إحاطة إلهية حيابية قيومية مما بين غيبة[10] عظمة اسمه «الله» إلى تمام

(١) من ظ، و فى الأصل: مضنا (٢) من ظ، و فى الأصل: نوار - كذا.
(٣) من ظ، و فى الأصل: الكواكب (٤) العبارة المحجوزة زيدت من ظ.
(٥) من ظ، وفى الأصل: اللفن (٦) من ظ، و فى الأصل: علته (٧) من ظ، و فى الأصل: لما (٨) من ظ، و فى الأصل: و وصله (٩) من ظ، و فى الأصل: حاطة (١٠) فى ظ: غيب.

قيوميته البادية فى تبارك ما أنبأ عنه اسمه "الحى القيوم" و ما أوصله لطفه من مضمون توحيده المنبىء عنه كلمة الإخلاص فى قوله "لا اله إلا هو"، فلذلك[1] كان هذا المجموع فى منزله[2] قرآنا حرفيا و قرآنا كليا اسمائيا[3] و قرآنا كلاميا تفصيليا مما هو اسمه الأعظم كما تقدم من قوله صلى الله عليه و سلم: «اسم [الله -[4]] الأعظم فى هاتين الآيتين: "و الهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم[5]"، "الٓمٓ الله لا اله الا هو الحى القيوم"؛ و كما وقعت الإلاحة فى سورة البقرة لما وقع بـه الإفصاح[6] فى سورة آل عمران كذلك[7] وقع فى آل عمران من نحو ما وقع تفصيله فى سورة البقرة ليصير منزلا واحدا بما أفصح مضمون كل سورة بالاحة الأخرى، فلذلك هما[8] غمامتان و غيايتان[8] على قارئهما يوم القيامة - كما تقدم - لا تفترقان[9]، فأعظم "الٓمٓ" هو مضمون "الٓمٓ" الذى افتتحت به هذه السورة و يليه فى الرتبة ما افتتحت به [سورة البقرة، و يليه فى الرتبة ما افتتحت به -[4]] سور[10] الآيات نحو قوله سبحانه و تعالى: "الٓمٓ تلك اٰيٰت الكتٰب الحكيم[11]" فللكتاب الحكيم إحاطة قواما و تماما و وصلة،

(١) من ظ، و فى الأصل: فكذلك (٢) من ظ، و فى الأصل: منزلة (٣) من ظ، و فى الأصل: اسمانا (٤) زيد من ظ (٥) سورة ٢ آية ١٦٣ (٦) من ظ، و فى الأصل: الافضاح - كذا (٧) من ظ، و فى الأصل: لذلك (٨-٨) فى الأصل: عمامتان و غمامتان، و التصحيح من ظ و لكن فيه: غيايتان - مكان: غيايتان؛ راجع النهاية (غيا) (٩) من ظ. و فى الأصل: لا يفترقان (١٠) فى ظ: سورة (١١) سورة ٣١ آية ٢.

و لمطلق الكتاب إحاطة كذلك ، و إحاطة الإحاطات و أعظم العظمة إحاطة[١] افتتاح هذه السورة ؛ و كذلك أيضا اللواميم[٢] محيطة باحاطة الطواسيم لما تتخصص به معانى حروفها من دون إحاطات حروف اللواميم[٣] ، و إحاطة[٤] الحواميم من دون إحاطة الطواسيم لما يتخصص بـه معانى حروفها / من دون إحاطات حروف الطواسيم على ما يتضح تراتبه[٥] و علمه لمن[٦] آتاه الله فهما بمنزلة قرآن الحروف المخصوص بانزاله هذه الأمة[٧] دون سائر الأمم[٨] ، الذى [هو -[٩]] من العلم الأزلى العلوى؛ ثم قال : و لما كانت أعظم الإحاطات إحاطة [عظمة اسمه « الله » الذى هو مسمى التسعة و التسعين أسماء التى أولها « إله » كان ما أفهمه أولى الفهم هنا اسم ألف بناء فى معنى إحاطات الحروف عن نحو إحاطة -[٩]] اسمه « الله » فى الأسماء ، فكانت هذه الألف مسمى[١٠] كل ألف كما كان اسمه[١١] « الله » سبحانه و تعالى مسمى[١٠] كل اسم سواه حتى أنه مسمى[١٠] سائر الأسماء الأعجمية التى هى أسماؤه سبحانه و تعالى فى جميع الألسن كلها مع أسماء العربية أسماء لمسمى[١٢] هو هذا الاسم العظيم

٣١٩/ ٥

١٠

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الحواميم (٣) من ظ ، و فى الأصل : الخواتيم (٤) فى ظ : احاطات (٥) فى ظ : ترائبه (٦) من ظ ، و فى الأصل : مما (٧) من ظ ، و فى الأصل : الآية (٨) من ظ ، و فى الأصل : الآى (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : منتهى (١١) من ظ ، و فى الأصل : اسم . (١٢) من ظ ، و فى الأصل : المسمى .

الذى هو « الله » الأحد[1] الذى لم يتطرق إليه شرك ، كما تطرق [2]إلى أسمائه من اسمه[2] « الـه » إلى غاية اسمه « الصبور » ، و كما كان إحاطة هذا الألف أعظم إحاطة حرفية و سائر الألفات أسماء لعظيم[3] إحاطته ؛ كذلك هذه الميم أعظم إحاطة ميم تفصلت فيه و كانت له أسماء بمنزلة ما هى سائر الألفات أسماء لمسمى[4] هذا الألف كذلك سائر الميمات ٥ اسم لمسمى[4] هذا الميم ، كما أن اسمه « الحى القيوم » أعظم تمام كل عظيم من أسماء عظمته ؛ و كذلك[5] هذا اللام بمنزلة ألفه و ميمه ، و هى لام الإلهية الذى[6] أسراره لطيف[6] التنزل إلى تمام ميم قيوميته ؛ فمن لم ينته إلى فهم معانى الحروف فى هذه الفاتحة نزل له الخطاب إلى ما هو إفصاح إحاطتها فى الكلم و الكلام المنتظم فى قوله "الله لا الـه الا هو ١٠ الحى القيوم" ، فهو قرآن حرفى يفصله[7] قرآن كلمى يفصله[7] قرآن[8] كلامى ـ انتهى . فقوله "الله" أى الذى آمن به الرسول و أتباعه[9] بما له من الإحاطة بصفات الكمال[9] ﴿ لا الـه الا هو ﴾ [9]أى متوحد لا كفوء له[9] فقد [فاز -[10]] قصدكم إليه بالرغبة و تعويلكم[11] عليه فى المسألة . قال الحرالى : فما أعلن به هذا الاسم العظيم [أى -[10]] الله فى هذه ١٥

(١) من ظ ، و فى الأصل : احد (٢-٢) فى ظ : لاسمائه من أسماء (٣) من ظ ، و فى الأصل : العظـيم (٤) من ظ ، و فى الأصل : لمنتهى (٥) من ظ ، و فى الأصل : و لذلك (٦-٦) فى ظ : اسراه لطف (٧) من ظ ، و فى الأصل : مفصلـة (٨) من ظ ، و فى الأصل : قراة (٩-٩) سقطت من ظ (١٠) زيد من ظ (١١) فى الأصل و ظ : تقويلكم .

الفاتحة هو ما[1] استعلن به فى قوله تعالى "قل هو الله احد"، و لما كان إحاطة العظمة أمرا خاصا لأن العظمة إزار الله الذى لا يطلع عليه إلا صاحب سر كان البادى لمن دون أهل الفهم من رتبة أهل العلم اسمه «الله الصمد» الذى يعنى إليه بالحاجات و الرغبات المختص بالفوقية و العلو الذى يقال للمؤمن عنه: أين الله؟ فيقول: فى السماء، إلى حد[2] علو أن يقول: فوق العرش، فذلك الصمد الذى أنبأ عنه اسمه "الله" الذى أنزل فيه إلزام الإخلاص و التوحيد منذ عبدت فى الأرض الأصنام، فلذلك نظم توحيد اسمه الإله بأحدية مسمى[3] هو من اسمه العظيم «الله»، و رجع عليه باسم المضمر الذى[4] هو فى جبلات الأنفس و غرائز القلوب الذى تجده غيبا[5] فى بواطنها فتقول فيه: هو، فكان هذا الخطاب مبدوءا[6] بالاسم العظيم المظهر منتهيا[7] إلى الاسم المضمر، كما كان خطاب[8] "قل هو الله احد" [مبدوءا بالاسم المضمر منتهيا إلى الاسم العظيم المظهر، و كذلك أيضا اسم الله الأعظم فى سورة "قل هو الله احد"-[9]] كما هو فى [هذه-[9]] الفاتحة.

و لما كان لبادى الخلق افتقار [إلى قوام-[9]] لا يثبت طرفة عين دون قوامه كان القوام البادى آيته[10] هى الحياة فما حي ثبت و ما مات فنى و هلك؛ انتهى - و لما كان المتفرد بالملك من أهل الدنيا

(١) من ظ، و فى الأصل: مما (٢) فى ظ: عـد (٣) من ظ، و فى الأصل: منتهى (٤) من ظ. و فى الأصل: اليه (٥) من ظ، و فى الأصل: عيبا (٦) من ظ، و فى الأصل: مبداوه (٧) من ظ، و فى الأصل: منبها (٨) من ظ، و فى الأصل: الخطاب (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ (١٠) من ظ، و فى الأصل: انيه - كذا.

يموت قال: ﴿ الحى ﴾ أى الحياة الحقيقية التى[1] لا موت معها . و لما كان الحى قد يحتاج فى التدبير إلى وزير[2] لعجزه عن الكفاية[3] بنفسه فى جميع الأعمال قال: ﴿ القيوم ﴾ إعلاما بأن به قيام كل شىء و هو قائم على كل شىء . قال الحرالى: فكما أن الحياة[4] بنفخة من روح أمره فكل متماسك على صورته حى بقيوميته - انتهى . و فى وصفه ٥ بذلك إعلام بأنه قادر على نصر جنده و إعزاز دينه و عون وليه، و حث على مراقبته[5] بجهاد أعدائه و دوام الخضوع لديه و الضراعة إليه . و لما كان من معنى القيوم أنه المدبر للصالح اتصل[6] به الإعلام بتنزيل ما يتضمن ذلك، و هو الكتاب المذكور فى قوله "بما انزل إليه من ربه" و الكتب المذكورة فى أول البقرة فى قوله: "بما انزل اليك ١٠ و ما انزل من قبلك" و فى آخرها [بقوله -[7]] "و كتبه و رسله" التى من جملتها التوراة و الإنجيل اللذان فيهما / الآصار[8] المرفوعة عنا، ٣٢٠ / ثم شرح بعده أمر[9] التصوير فى الأحشاء، و ذلك لأن المصالح قسمان: روحانية و جسمانية، و أشرف المصالح الروحانية العلم الذى هو للروح[10] كالروح للبدن فانها تصير به مرآة مجلوة ينجلى فيها صور الحقائق[11]، ١٥

(١) فى الأصل: الذى، و التصحيح من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: وزيره (٣) فى الأصل: الكتابة، و التصحيح من ظ (٤) فى ظ: الحيوان. (٥) من ظ، و فى الأصل: امراقبته - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل: افضل. (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ: الاذصار - كذا (٩) من ظ، و فى الأصل: لهذا. (١٠) من ظ، و فى الأصل: الروح (١١) من ظ، و فى الأصل: الخلائق.

و أشرف[١] المصالح الجسمانية تعديل المزاج و تسوية البنية[٢] فى أحسن هيئة ، و قدم الروحانية المتكفل بها الكتاب لأنها أشرف .

و لما كانت مادة « كتب » دائرة على معنى الجمع عبر بالتنزيل الذى[٣] معناه التفريق لتشتمل هذه الجملة [على -[٤]] وجازتها[٥] من أمره على إجمال و تفصيل فقال : - و قال الحرالى : [و -[٤]] لما كانت[٦] إحاطة الكتاب أى فى البقرة ابتداء و أعقبها أى فى أول هذه السورة إحاطة الإلهية جاء [هذا -[٤]] الخطاب ردا عليه ، فتنزل من الإحاطة الإلهية إلى الإحاطة الكتابية بالتنزيل[٧] الذى [هو -[٤]] تدريج من رتبة إلى رتبة دونها ؛ انتهى - فقال : ﴿ نزّل ﴾ أى شيئا فشيئا فى هذا العصر ﴿ عليك ﴾ أى خاصة بما اقتضاه تقديم الجار من الحصر[٨] ، و كأن موجب ذلك ادعاء بعضهم أنه يوحى إليه و أنه يقدر على الإتيان[٩] بمثل هذا الوحى ﴿ الكتب ﴾ أى القرآن الجامع للهدى[١٠] منجما بحسب الوقائع ، لم يغفل عن واحدة منها و لا قدم جوابها و لا أخره عن محل الحاجة ، لأنه قيوم لا يشغله شأن عن شأن .

(١) فى ظ : و لشرف (٢) من ظ ، و فى الأصل : النيه - كذا (٣) زيد بعده فى الأصول : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : وجارتها (٦) فى ظ : كان (٧) زيد بعده فى الأصل : بل ، و لم تكن الزيادة فى الأصل فحذفناها (٨) من ظ ، و فى الأصل : الاحتمام . (٩) من ظ ، و فى الأصل : الايتاء (١٠) فى الأصل : للبدى ، و التصحيح من ظ .

قال

قال الحرالى : و هذا الكتاب هو الكتاب المحيط الجامع الأول الذى لا يتنزل[1] إلا على الخاتم الآخر المعقب لما أقام[2] به حكمته من أن صور الأواخر[3] مقامة بحقائق الأوائل ، فأول الأنوار الذى هو نور محمد صلى الله عليه و سلم هو قثم[4] خاتم الصور التى هى صورة محمد - انتهى . تنزيلا ملتبسا[5] ﴿ بالحق ﴾ أى الأمر الثابت ، فهو ثابت فى نفسه ، و كل ما ينشأ عنه من قول و فعل كذلك[6] . قال الحرالى : و كما أن هذا الكتاب هو الكتاب الجامع الأول المحيط بكل كتاب كذلك[6] هذا الحق المنزل به هذا الكتاب هو الحق الجامع المحيط الذى كل حق منه ، و هو الحق الذى أقام به حكمته فيما رفع[7] و وضع - انتهى . حال كونه ﴿ مصدقا ﴾ [8] و لما كان العامل مرفوعا لأنه أمر فاعل قواه[9] باللام فقال : ﴿ لما بين يديه ﴾ أى من الكتب السماوية التى أتت بها الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم عن الحضرة الإلهية . قال الحرالى : لما كان هذا الكتاب أولا و جامعا و محيطا كان كل كتاب بين يديه و لم يكن من ورائه كتاب - انتهى .

و لما [كان -[10]] [11] نزاع وفد نجران[11] فى الإله أو النبى أو فيهما

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا يتبين (٢) من ظ ، و فى الأصل : قام (٣) من ظ ، و فى الأصل : اخر (٤) فى الأصل : فيم ، و التصحيح من ظ ، و بهامشه : أى جامع (٥) من ظ ، و فى الأصل : ماتقيا (٦) من ظ ، و فى الأصل : لذلك . (٧) من ظ ، و فى الأصل : وقع (٨) العبارة من هنا إلى «فقال» سقطت من ظ . (٩) فى الأصل : قرأه ، و فى روح المعانى : و اللام لتقوية العمل (١٠) زيد من ظ (١١-١١) من ظ ، و وقع فى الأصل : فراغ و قد بخوان - كذا مصحفا .

كان هذا الكلام كفيلا[1] على وجازته بالرد[2] عليهم فى ذلك بيان الحق فى الإله بالقيومية، و فى المعنى بالكتاب المعجز، و لما كانوا مقرين بالكتب القديمة أشار إلى أن ليس لهم إنكار هذا الكتاب و هو أعلى منها فى كل أمر أوجب[3] تصديقها، و إلى [أن -[4]]
٥ من أنكره بعد ذلك كان من الأمر الظاهر أنه معاند لا شك فى عناده فقال: ﴿ و انزل التورىٰة ﴾ و هو « فوعلة » لو صرفت من الورى و هو قدح النار[5] من الزند، استثقل[6] اجتماع الواوين فقلب أولهما تاء كما فى اتحاد[7] [و -[4]][8] اتّلاج و اتّزار و اتّزان[8] و نحوه. قال الحرالى: فهى[9] توراة بما هى نور أعقبت ظلام ما وردت عليه من [كفر -[4]]
١٠ دعى إليها من الفراعنة، فكان فيها هدى و نور ﴿ و الانجيل ﴾ من النجل، وضع على زيادة « إفعيل » لمزيد معنى ما وضعت له هذه الصيغة[10]، و زيادتاها مبالغة فى المعنى، و أصل النجل استخراج خلاصة الشيء، و منه يقال للولد: نجل أبيه، كأن الإنجيل استخلص خلاصة نور التوراة فأظهر باطن ما شرع فى التوراة ظاهرة، فان التوراة
١٥ كتاب إحاطة لأمر[11] الظاهر الذى يحيط بالأعمال و إصلاح أمر الدنيا و حصول الفوز من عاقبة [يوم الأخرى فهو جامع إحاطة

(١) تأخر فى ظ عن « وجازته » (٢) من ظ، و فى الأصل: فى الرد (٣) من ظ، و فى الأصل: واجب وجب (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: الزناد (٦) من ظ، و فى الأصل: انتقل (٧) فى ظ: اتجاه، و كلاهما يصح (٨ - ٨) من ظ، و فى الأصل. اتلاح و اتربا و اتران (٩) فى ظ: فهو (١٠) من ظ، و فى الأصل: الصفة (١١) من ظ، و فى الأصل: الامر.

الظواهر ، و كل آية ظاهرة فمن كتاب التوراة و الإنجيل كتاب إحاطة -١] لأمر[٢] البواطن يحيط بالأمور[٣] النفسانية التى بها يقع لمح موجود الآخرة مع الإعراض[٤] عن / إصلاح الدنيا بل مع هدمها ، فكان الإنجيل مقيما لأمر الآخرة هادما لأمر الدنيا مع حصول[٥] أدنى [بلغة - ١] ، و كانت التوراة مقيمة لإصلاح الدنيا مع تحصيل الفوز فى الآخرة ، لجمع هذان الكتابان إحاطتى الظاهر و الباطن ، فكان منزل التوراة من مقتضى اسمه الظاهر ، و كان منزل الإنجيل من مقتضى اسمه الباطن ، كما كان منزل الكتاب الجامع من مقتضى ما فى أول هذه السورة من أسمائه العظيمة مع لحظ التوحيد ليعتبر الكتاب و السورة[٦] بما نبه بتنزيله[٦] من اسمه الله و سائر أسمائه على وجوه إحاطاتها[٧] - انتهى و فيه تصرف ؛ فأحاط هذا الكتاب إحاطة ظاهرة بأمرى الظاهر و الباطن بما أذن منه تصديقه للكتابين[٨] ، و خصهما سبحانه و تعالى بالتنويه[٩] بذكرهما إعلاما بعلى قدرهما .

٣٢١ /

[١٠] و لما لم يكن إنزالهما مستغرقا للماضى لأنه لم يكن فى أول الزمان أدخل الجار معريا من التقييد بمن نزلا عليه لشهرته و عدم النزاع بخلاف القرآن[١٠] ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل هذا الوقت إنزالا انقضى[١١]

(١) ما بين الحاجزين زيد من ظ (٢) من ظ . وفى الأصل : الامر (٣) فى ظ : بالاحوال (٤) من ظ ، و فى الأصل : الاغراض (٥) فى ظ : تحصيل (٦ - ٦) فى ظ : منه تنزيله (٧) من ظ ، و فى الأصل : احاطتها (٨) من ظ ، و فى الأصل : الكتابين (٩) من ظ ، وفى الأصل : بالتنزيه (١٠-١٠) سقطت من ظ (١١) فى الأصل وظ : انقض - كذا .

أمره و مضى زمانه حال كون[1] الكل ﴿ هدى ﴾ أى بيانا ، و لذا[2] عم فقال : ﴿ للناس ﴾ و أما فى أول البقرة فبمعنى خلق الهداية فى القلب ، فلذا[3] خص المتقين ؛ و الحاصل أن هذه الآية كالتعليل لآخر البقرة فكأنه قيل : كل آمن بالله لأنه متفرد[4] بالألوهية ، لأنه متفرد[4] بالحياة ، ٥ لأنه متفرد[4] بالقيومية ؛ و آمن برسله الذين جاؤا بكتبه المنزلة بالحق من عنده بواسطة ملائكته[5] .

و لما كانت مادة « فرق » للفصل[6] عبر بالإنزال الذى لا يدل على التدريج لما تقدم من إرادة الترجمة بالإجمال و التفصيل على غاية الإيجاز لاقتضاء[7] الإعجاز ، و جمع الكتابين فى إنزال واحد و استجد ١٠ لكتابنا إنزالا تنبيها على [علو -[8]] رتبته عنهما بمقدار[9] علو رتبة المتقين الذين هو هدى لهم ، و بتقواهم يكون لهم فرقان على رتبة الناس الذين هما هدى لهم فقال تعالى : ﴿ و انزل الفرقان ط ﴾ أى الكتاب المصاحب[10] للعز الذى يكسب صاحبه قوة التصرف فيما يريد من الفصل و الوصل الذى هو وظيفة السادة المرجوع إليهم عند الملمات ، المقترن ١٥ بالمعجزات الفارقة ١١ بين الحق ١١ و الباطل ، و سترى هذا المعنى إن شاء

(١) من ظ ، و فى الأصل : كونه (٢) فى ظ : كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : فكذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : منفرد (٥) من ظ ، و فى الأصل : ملايكة. (٦) من ظ ، و فى الأصل : الفصل (٧) من ظ ، و فى الأصل : اقتضاء (٨) زيد من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : لمقدار (١٠) من ظ ، و فى الأصل : الصاحب. (١١-١١) من ظ ، و فى الأصل : بالحق .

الله سبحانه و تعالى فى سورة الأنفال بأوضح من هذا؛ فعل ذلك لينفذ قائله أمر الكتاب المقرر فيه الشرع الحق المباين لجميع [1] الملل الباطلة [1] و الأهواء المضلة و النحل الفاسدة ، و ذلك هو روح النصر على أعداء الله المرشد إلى [2] الدعاء به [2] ختام البقرة . قال الحرالى : فكان الفرقان جامعا لمنزل ظاهر التوراة و منزل باطن الإنجيل [3] جمعا يبدى [3] ما وراء منزلها بحكم استناده [4] للتقوى [5] التى هى تهيؤ لتنزل [5] الكتاب " ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا [6] "، فكان الفرقان [7] أقرب الكتب للكتاب الجامع ، فصار التنزيل فى ثلاث رتب : رتبة الكتاب المنزل بالحق الجامع ، ثم رتبة الفرقان المظهر لمحل الجمع بين [8] الظاهر و الباطن ، ثم منزل التوراة و الإنجيل [المختفى فيه موضع التقاء ظاهر التوراه بباطن الإنجيل - [9]] انتهى .

و مناسبة ابتدائها بالتوحيد لما فى أثنائها [10] أنه لما كان خلق عيسى عليه الصلاة و السلام من أنثي فقط و هى أدنى أسباب [11] النماء كان

(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : الملك الباطنة (٢ - ٢) من ظ ، و فى الأصل : الرعاية (٣ - ٣) من ظ ، و فى الأصل : بيد - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : باسناده (٥ - ٥) من ظ ، و قد قدمها فى الأصل على « قال الحرالى » (٦) سورة ٨ آية ٢٩ (٧) وقع فى الأصل : الفقران - كذا مصحفا ، و التصحيح من ظ . (٨) من ظ ، و فى الأصل : من (٩) العبارة المحجوزة زيدت من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : افتاتها (١١) زيد بعده فى الأصل : وجود ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

وجوده إشارة إلى أن الزيادة قد انتهت ، و أن الخلق أخذ فى النقصان ، و هذا العالم أشرف على الزوال ، فلم يأت بعده من قومه نبى بل كان خاتم أنبياء بنى إسرائيل ، و كان [هذا - ١] النبى الذى أتى بعده من غير قومه خاتم الأنبياء مطلقا ، و كان مبعوثا مع نفس الساعة ، و كان ٥ نزوله هو فى آخر الزمان علما على الساعة ، و صدرت هذه السورة التى نزل كثير منها بسببه[٢] بالوحدانية إشارة إلى أن الوارث قد دنا زمان إرثه ، و أن يكون - و لا شىء معه - كما كان ، و أن الحين الذى يتمحض فيه تفرد الواحد قد حان ، و الآن الذى يقول فيه سبحانه / له الملك اليوم[٣] قد[٤] آن ؛ و يوضح[٤] ذلك أنه لما كان آدم عليه /٣٢٢ ١٠ الصلاة و السلام مخلوقا من التراب الذى هو أمتن أسباب النماء ، و هو غالب على كل ما جاوره[٥] ، و كانت الأنثى مخلوقة من آدم الذى هو الذكر و هو أقوى سببى التناسل كان ذلك إشارة إلى كثرة الخلائق و نمائهم و ازديادهم ، فصدر أول سورة ذكر فيها[٦] خلقه و ابتداء أمره بالكتاب إشارة إلى أن ما يشير إليه ذكره من تكثر الخلائق و انتشار ١٥ الأمم و الطوائف داع إلى إنزال الشرائع و إرسال الرسل بالأحكام[٧] و الدلائل ، فالمعنى أن آدم عليه الصلاة و السلام لما كان منه الابتداء

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : لسببه - كذا (٣) فى قوله تعالى " لمن الملك اليوم لله الواحد القهار " - سورة ٤٠ آية ١٦ (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : آت و توضح . (٥) من ظ ، و فى الأصل : جاوزه (٦) من ظ ، و فى الأصل : منها (٧) من ظ ، و فى الأصل : و الاحكام .

و عيسى عليه الصلاة و السلام لما كان دليلا على الانتهاء اقتضت الحكمة أن يكون كل منهما مما كان منه[1] ، و أن تصدر سورة كل بما[2] صدرت به ـ و الله سبحانه و تعالى الموفق . و قال ابن الزبير ما حاصله : إن اتصالها بسورة البقرة ـ و الله سبحانه و تعالى أعلم ـ من جهات : إحداها[3] ما تبين فى صدر السورة مما [هو -[4]] إحالة[5] على ما ضمن فى سورة ٥ البقرة بأسرها[6] ، ثانيها الإشارة فى صدر السورة أيضا إلى أن الصراط المستقيم قد تبين شأنه لمن تقدم فى كتبهم ، فان هذا الكتاب جاء مصدقا لما [نزل -[7]] " نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه " ، فهو بيان لحال الكتاب الذى هو هدى للمتقين ، و لما بين افتراق الأمم بحسب السابقة إلى أصناف ثلاثة ، و ذكر من تعنت[8] بنى إسرائيل و توقفهم ١٠ ما تقدم أخبر سبحانه و تعالى هنا أنه أنزل عليهم التوراة ، و أنزل بعدها الإنجيل ، و أن كل ذلك هدى لمن وفق ، إعلاما منه سبحانه و تعالى لأمة محمد صلى الله عليه و سلم أن من تقدمهم قد بين لهم " و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا[9] " ؛ و الثالثة قصة عيسى عليه الصلاة و السلام و ابتداء أمره من غير أب و الاعتبار به نظير الاعتبار بآدم ١٥ عليه الصلاة و السلام و لهذا أشار[10] قوله سبحانه و تعالى : " ان مثل

(١) من ظ ، وفى الأصل : فيه (٢) من ظ ، وفى الأصل : مما (٣) من ظ ، وفى الأصل : احداهما (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : احاله (٦) فى الأصل : باساها ، و التصحيح من ظ (٧) زدناه و لا بد منه (٨) من ظ ، وفى الأصل : تعب ـ كذا (٩) سورة ١٧ آية ١٥ (١٠) من ظ ، وفى الأصل : اشارة .

عيسى عند الله كمثل آدم " - انتهى .

و لما علم بذلك أمر القيوم سبحانه و تعالى بالحق [١] و هو الإيمان علم [٢] أن لمخالفي [٣] أمره من أضداد المؤمنين الموصوفين - و هم الكفرة المدعو بخذلانهم المنزل الفرقان لمحو أديانهم - الويل و الثبور . فاتصل بذلك قوله : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى [٤] غطوا ما دلتهم [٤] عليه الفطرة الأولى التى فطرهم الله سبحانه و تعالى عليها ، ثم ما بينت لهم الرسل عليهم الصلاة و السلام عنه سبحانه و تعالى من البيان الذى لا لبس معه ﴿ بآيٰت الله ﴾ المستجمع [٥] لصفات الكمال إقبالا منهم على ما ليس له أصلا صفة كمال ، و هذا الكفر - كما قال الحرالى - دون الكفر بأسماء الله الذى هو دون الكفر بالله ، قال : [فكما - [٦]] بدأ خطاب التنزيل من أعلاه نظم به ابتداء الكفر من أدناه - انتهى . ﴿ لهم عذاب شديد [٧] ﴾ كما تقتضيه صفتا العزة [٧] و النقمة ، و فى وصفه بالشدة إيذان بأن من كفر دون هذا الكفر كان له مطلق عذاب . قال الحرالى : [٨] ففى إشعاره [٨] أن لمن داخله كفر مّا حط بحسب خفاء [٩] ذلك الكفر ، فأفصح الخطاب بالأشد و ألاح بالأضعف [١٠] - انتهى .

(١) من ظ ، و فى الأصل : الحق (٢) من ظ ، و فى الأصل : اعلم (٣) من ظ ، و فى الأصل : مخالفى (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : عطوا مالتهم - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : المجتمع (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : العظمة. (٨-٨) من ظ ، و فى الأصل : ففيه اشعار (٩) من ظ ، و فى الأصل : جفا . (١٠) من ظ ، و فى الأصل : بلا ضعفه - كذا .

و الآية على تقدير سؤال ممن كأنه[1] قال: ما ذا يفعل بمن أعرض عن الكتب الموصوفة؟ أو يقال: إنه لما قال: "و انزل الفرقان" أى الفارق بين الحق و الباطل من الآيات و الأحكام عليك و على غيرك من الأنبياء لم يبق لأحد شبهة[2] فقال[3]؛ و أحسن من ذلك كله أنه سبحانه و تعالى لما أنزل سورة البقرة على طولها فى بيان أن الكتاب هدى للمتقين، و بين أن أول هذه وحدانيته و حياته و قيوميته الدالة على تمام العلم و شمول القدرة، فأنتج ذلك صدق ما أخبر به سبحانه و تعالى، أيد ذلك بالإعلام بأن ذلك الكتاب مع أنه هاد إليه حق[4]، و دل على ذلك لمصادقته[5] لما قبله من الكتب.

و لما ختم أوصافه / بأنه فرقان لا يدع لبسا و لا شبهة أنتج ذلك / ٣٢٣ قطعا أن الذين[6] قدم أول تلك أنهم[7] أصروا على الكفر به خاسرون، فأخبر سبحانه و تعالى بما أعد لهم من العذاب فقال "ان الذين" مؤكدا مظهرا لما كان من حقه الإضمار[8]، لو لا إرادة تعليق الحكم بالوصف و هو الكفر أى الستر لما تفضل[9] عليهم به من الآيات؛ ثم قرر قدرته على ما هدد به و[10] عبر به[10] فقال - عاطفا على ما أرشد السياق مع العطف على غير مذكور إلى أنه: فالله سبحانه و تعالى عالم بما له

(١) فى ظ: كان (٢) من ظ، و فى الأصل: شبهه (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: حتى (٥) من ظ، و فى الأصل: بصادقته (٦) من ظ، و فى الأصل: الدين (٧) من ظ، و فى الأصل: اليهم (٨) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ فحذفناها (٩) فى ظ: تفصل (١٠-١٠) من ظ، و فى الأصل: عدته.

من القيومية بجميع أحوالهم - : ﴿ والله ﴾ [١] أى الملك العظيم [١] مع كونه رقيبا ﴿ عزيز ﴾ لا يغلبه شيء و هو يغلب كل شيء ﴿ ذو انتقام ٥ ﴾ [١] أى تسلط و بطش شديد بسطوة [١] . قال الحرالى : فأظهر وصف العزة موصولا بما أدام من انتقامه بما يعرب [٢] عنه كلمة 'ذو' المفصحة بمعنى ٥ صحبة و دوام ، فكأن فى إشعاره دواما لهذا الانتقام [٣] بدوام أمر [٣] الكتاب الجامع المقابل علوه لدنو هذا الكفر ، و كان فى طى إشعار [٤] الانتقام أحد قسمى إقامة القيومية [٥] فى طرفى النقمة و الرحمة ، فتقابل [٦] هذان الخطابان إفصاحا و إفهاما من حيث ذكر تفصيل الكتب إفصاحا فافهم متنزل الفتنة فى الابتداء إلاحة [٧] ، فانه كما أنزل الكتب [٨] ١٠ هدى أنزل متشابهها فتنة ، فتعادل الإفصاحان [٩] و الإلاحتان ، و تم [٩] بذلك أمر الدين فى هذه السورة - انتهى . و ما أحسن إطلاق [العذاب بعد ذكر الفرقان ليشمل الكون فى الدنيا نصرة للمؤمنين استجابة لدعائهم ، و فى الآخرة - [١٠]] تصديقا لقولهم و زيادة فى سرورهم و نعيمهم ، و تهديدا لمن تُرك كثير من هذه السورة بسببهم [١١] و هم وفد نصارى ١٥ نجران . يجادلون النبى صلى الله عليه و سلم فى أمر عيسى عليه الصلاة

(١-١) سقطت من ظ (٢) فى ظ : تعرب (٣-٣) فى ظ : و اما مد - كذا .
(٤) زيد بعده فى الأصل : اظهار ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) فى ظ : القيمومة (٦) فى ظ : فيقابل (٧) فى ظ : الاحد - كذا (٨) فى ظ : الكتاب .
(٩-٩) من ظ ، و فى الأصل : و الالاجان و سم - كذا (١٠) زيدت من ظ .
(١١) من ظ ، و فى الأصل : بسببهم .

و السلام ، فتارة يقولون : هو الله ، و تارة يقولون : هو ابن الله ، و تارة يقولون : هو[1] ثالث ثلاثة ، و كان بعضهم عالما بالحق فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام و بأن[2] أحمد الذى بشر به هو هذا النبى العربى فقال له[1] بعض أقاربه : فلم لا تتبعه و أنت تعلم أن عيسى أمر باتباعه ؟ فقال له : لو اتبعناه لسلبنا[3] ملك الروم جميع ما ترى من النعمة ، ٥ و كان ملوك الروم قد أحبوهم[4] لاجتهادهم فى دينهم و عظموهم و سودوهم و خولوهم فى النعم حتى[5] عظمت رئاستهم و كثرت أموالهم - على ما بين فى السيرة الهشامية[6] و غيرها ، و استمر سبحانه و تعالى [يؤكد - [7]] استجابته[8] لدعاء أوليائه بالنصرة آخر البقرة فى نحو قوله "ان الذين كفروا لن تغنى عنهم اموالهم[9]" "قل للذين كفروا ستغلبون[10]" ١٠ إلى أن ختم السورة بشرط[11] الاستجابة فقال "اصبروا و صابروا[12]" - الآية ، ثم قال توضيحا لما قدم فى آية الكرسى من[13] إثبات العلم ، و استدلالا على وصفه سبحانه و تعالى بالقيومية التى فارق بها كل من يدعى فيه الإلهية مشيرا بذلك إلى الرد على من جادل فى عيسى عليه الصلاة و السلام[14] فأطراه بدعواه[14] أنه إله ، و موضحا لأن كتبه هدى ١٥

(١) ليس فى ظ (٢) فى ظ : ان (٣) فى ظ : اسلبنا (٤) فى الأصل : احبوه ، وفى ظ : احبولهم (٥) من ظ ، و فى الأصل : حيث (٦) من ظ . و فى الأصل : السابقة (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : استجابة (٩) سورة ٣ آية ١٠٠ (١٠) سورة ٣ آية ١٢ (١١) فى ظ : بشروا (١٢) سورة ٣ آية ٢٠٠ (١٣) من ظ . و فى الأصل : فى (١٤-١٤) فى ظ : فاطرا بدعوى .

و أنه عالم بالمطيع و العاصى بما تقدم أنه أرشد العطف فى "و الله عزيز" إلى تقديره[١]، و معللا لوصفه بالعزة و القدرة لما يأتى فى سورة طه من أن تمام العلم يستلزم شمول القدرة: ﴿ إن الله ﴾ بما له من صفات الكمال التى منها القيومية ﴿ لا يخفى عليه شىء ﴾ و إن دق، و لما كان تقريب المعلومات بالمحسوسات أقيد[٢] فى التعليم و البعد عن الخفاء قال - و إن كان علمه سبحانه و تعالى لا يتقيد بشىء: ﴿ فى الارض و لا فى السمآء ﴾ أى و لا هم يقدرون على[٣] أن يدعوا فى عيسى عليه الصلاة و السلام مثل هذا العلم، بل فى إنجيلهم الذى بين أظهرهم الآن فى حدود السبعين و الثمانمائة التصريح بأنه يخفى عليه بعض الأمور، قال فى ترجمة إنجيل مرقس فى قصة التى كانت بها نزف[٤] الدم: إنها أتت من ورائه[٥] فأمسكت ثوبه فبرأت فعلم القوة التى خرجت منه، فالتفت إلى الجمع[٦] و قال: من مس ثوبى؟ فقال له تلاميذه: ما ندرى[٧]، الجمع يزحمك[٨]؛ و يقول: من اقترب؟ / فجاءت و قالت له الحق، فقال: يا[٩] ابنة! إيمانك[٩] خلصك؛ و هو فى إنجيل لوقا بمعناه و لفظه: فجاءت من ورائه و أمسكت طرف ثوبه، فوقف جرى دمها الذى كان يسيل منها، فقال يسوع [من لمسنى؟ فأنكر جميعهم، فقال بطرس: الذى

/٣٢٤

(١) من ظ، وفى الأصل: تقدير (٢) فى ظ: اقعد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: نزيف (٥) فى ظ: رواية (٦) فى ظ: الجميع (٧) فى الأصل و ظ: ما تدرى (٨) فى الأصل و ظ: يرحمك - كذا (٩ - ٩) من ظ، و فى الأصل: ابيه انما لك.

معه : يا معلم الخير ! الجميع يزحمك[1] و يضيق عليك ، و يقول : من الذى لمسنى - ٢] من قرب منى ؟ قد علمت أن قوة خرجت منى - إلى آخره .

و قال ابن الزبير : ثم أشار قوله تعالى "ان الله لا يخفى عليه شىء" [3] إلى ما تقدم - أى فى البقرة من تفصيل أخبارهم . فكان الكلام فى قوة أن لو قيل : أيخفى عليه[3] مرتكبات[4] العباد ! و هو مصورهم فى الأرحام[5] و المطلع عليهم حيث لا يطلع عليهم غيره - انتهى .

و لما قرر سبحانه و تعالى شمول علمه أتبعه دليله[6] من تمام قدرته فقال : - و قال الحرالى : و لما كان كل تفصيل[7] يتقدمه بالرتبة مجمل[8] جامع ، و كانت تراجم السورة موضع الإجمال ليكون تفصيلها موضع التفاصيل ، و كان من المذكور فى سورة الكتاب ما وقع من اللبس[9] [3] كذلك كان فى هذه السورة التى ترجمها جوامع إلهية ما وقع من اللبس [3] فى أمر الإلهية فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام ، فكان فى هذه الآية [الجامعة توطئة لبيان الأمر فى شأنه عليه السلام من حيث أنه مما صور فى الرحم - ٢] و حملته الأنثى و وضعته ، و أن جميع ما حوته السماء و الأرض لا ينبغى أن[10] يقع فيه لبس[11] فى أمر الإلهية ؛ انتهى -

(١) فى الأصل و ظ : يرحمك (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقطت من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : مرتكبان (٥) من ظ ، و فى الأصل : الاحكام رحام (٦) من ظ ، و فى الأصل : دليل (٧) من ظ ، و فى الأصل : يفصل (٨) من ظ ، و فى الأصل : مجل (٩) من ظ ، و فى الأصل : لبسه (١٠) من ظ ، و فى الأصل : لمن .
(١١) فى ظ : ليس .

فقال مبينا أمر قدرته بما لا يقدر عليه عيسى عليه الصلاة و السلام و لا غيره : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى ﴾ و قرعهم بصرف القول من الغيبة إلى الخطاب ليعظم تنبههم على ما هم فيه من قهر المصور لهم على ما أوجدهم عليه مما يشتهونه و[1] لا يفقهونه فقال : ﴿ يصوركم ﴾ أى بعد أن كنتم نطفا . من التصوير و هو إقامة الصورة . و هى تمام البادى التى[2] يقع عليها حس[3] الناظر لظهورها ، فصورة[4] كل شىء تمام بدوه[5] - قاله الحرالى . ﴿ فى الارحام ﴾ أى التى لا اطلاع لكم عليها بوجه ، و لما كان التصوير فى نفسه أمرا معجبا و شيئا[6] للعقل إذا تأمله و إن كان قد هان لكثرة[7] [8]الإلف باهرا[8] [9]فكيف بأحواله المتباينة[9] و أشكاله المتخالفة المتباينة[10] أشار إلى التعجب من أمره و جليل سره بآلة الاستفهام و إن قالوا : إنها فى هذا[11] الوطن شرط ، فقال : ﴿ كيف ﴾ أى كما ﴿ يشآء ط ﴾ أى على أى حالة أراد ، سواء عنده كونكم من نطفتى ذكر و أنثى أو نطفة أنثى وحدها[12] دليلا على كمال العلم و القيومية ، و إيماء إلى أن من صور فى الأرحام كغيره من العبيد لا يكون إلا عبدا ، إذ الإله[13] متعال عن ذلك لما فيه من [أنواع -[14]] الاحتياج و النقص .

(١) تكرر فى ظ (٢) من ظ . و فى الأصل : الذى (٣) من ظ ، و فى الأصل : حسن (٤) من ظ ، و فى الأصل : فصوره (٥) فى ظ : بدره (٦) من ظ ، و فى الأصل : سبا (٧) فى ظ : بكثرة (٨-٨) فى الأصل : للالف ماهو ، و التصحيح من ظ ، غير أن فيه : باهرا - كذا (٩ - ٩) من ظ ، و قد أخرها فى الأصل عن « بآلة الاستفهام » (١٠) فى ظ : المتنابية (١١) من ظ ، و فى الأصل : هذه (١٢) فى ظ : وجدها (١٣) فى ظ : لاله (١٤) زيد من ظ .

و قال الحرالى: فكان فى إلاحة هذه الآية توزيع ١ أمر الإظهار على ثلاثة ٢ وجوه تناظر وجوه التقدير ٣ الثلاثة التى فى [فاتحة - ٤] سورة البقرة ، فينتج ٥ هدى و إضلالا و إلباسا أكمل الله به وحيه ، كما أقام بتقدير الإيمان و الكفر و النفاق خلقه فطابق الأمر الخلق فأقام الله سبحانه و تعالى بذلك قائم خلقه و أمره ، فكان فى انتظام هذه الإفهامات ٥ أن ٦ بادى الأحوال الظاهرة عند انتهاء الخلق إنما ظهرت لأنها مودعة فى أصل التصوير فصورة نورانية يهتدى بها و صورة ظلمانية يكفر لأجلها ، و صورة ملتبسة عيشية علمية يفتتن ٧ و يقع الإلباس و الالتباس ٨ من جهتها ، مما لا يفى ببيانها إلا الفرقان المنزل على هذه الأمة ، و لا تتم إحاطة جميعها إلا فى القرآن المخصوصة ٩ به أئمة هذه الأمة - انتهى . فقد ١٠ علم أن التصوير فى الرحم أدق شىء علما و قدرة ، فعلم فاعله بغيره و القدرة عليه من باب الأولى فثبت ١٠ أنه لا كفوء له ؛ فلذلك وصل به كلمة الإخلاص - و قال الحرالى: و لما تضمنت إلاحة هذه الآية ما تضمنته من الإلباس و التكفير أظهر سبحانه و تعالى كلمة الإخلاص ليظهر نورها أرجاس تلك الإلباسات و تلك التكفيرات فقال: ﴿ لآ اله الا هو ﴾ ١٥

(١) من ظ ، و فى الأصل : توريع (٢) زيد بعده فى الأصل : اوجه ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) فى ظ : التقرير (٤) زيد من ظ (٥) فى الأصل : فيايح ، و فى ظ : فسح - كذا (٦) فى ظ : اى (٧) من ظ ، و فى الأصل : تعيين - كذا (٨) فى الأصل : الانقياس ، و فى ظ : الالباس (٩) فى ظ : المخصوص (١٠) من ظ ، و فى الأصل : بكتب .

إيذانا بما هى له [الإلباس - ١] و التكفير ٢ من وقوع الإشراك بالإلهية و الكفر فيها و التلبس و الالتباس فى أمرها ؛ فكان فى طى هذا التهليل بشرى بنصرة ٣ أهل الفرقان و أهل القرآن على أهل الالتباس و الكفران ٤ و خصوصا على أهل الإنجيل و التوراة الذين ذكرت كتبهم ٥ / صريحا فى ٣٢٥/
٥ هذا التنزيل [بل - ١] يؤيد إلاحته فى التهليل إظهار الختم فى هذه الآية بصفتى العزة المقتضية للانتقام من أهل عداوتـــه و الحكمة المقتضية ٦ لإكرام أهل ولايتـه ؛ انتهى - فقال : ﴿ العزيز ﴾ أى الغالب غلبة ٧ لا يجد معها المغلوب وجه مدافعة ٨ و لا انفلات ٩ ، و لا معجز له فى إنفاذ ١٠ شىء من أحكامه ﴿ الحكيم ٥ ﴾ أى الحاكم بالحكمة ، فالحكم ١١ المنع عما
١٠ يترامى إليه المحكوم عليه و حمله ١٢ على ما يمتنع منه من جميع أنواع الصبر ظاهرا بالسياسة العالية نظرا له ، و الحكمة العلم ١٣ بالأمر الذى لأجله وجب الحكم ١٤ من قوام أمر العاجلة و حسن العقبى فى الآجلة ؛ فى ظاهر ذلك الجهد ، و فى باطنه الرفق ، و فى عاجله الكره ، و فى آجله ١٥ الرضى و الروح ؛ و لا يتم الحكم و تستوى الحكمة إلا بحسب سعة ١٦ العلم ، فبذلك يكون

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : و التكفرر (٣) فى الأصل : نصر ، و فى ظ : تبصرة (٤) من ظ ، و فى الأصل : و الكفرات (٥) فى ظ : قلوبهم (٦) فى ظ : المقضية (٧) فى الأصل و ظ : عليه - كذا (٨) فى ظ : مرافعته (٩) من ظ ، و فى الأصل : انقلاب (١٠) من ظ ، و فى الأصل : ابقاه - كذا (١١) فى ظ : فالحكمة (١٢) من ظ ، و فى الأصل : جملة (١٣) فى ظ : بالعلم (١٤) من ظ ، و فى الأصل : الحلم (١٥) فى ظ : امله (١٦) فى ظ : سفه .

تنزيل أمر العزة على وزن الحكمة - قاله الحرالى بالمعنى[1] .

و لما ختم سبحانه و تعالى بوصف العزة الدالة على الغلبة الدالة على كمال[2] القدرة و الحكمة المقتضى لوضع كل شيء فى أحسن محاله و أكملها المستلزم[3] لكمال العلم ، تقديرا لما مر من التصوير و غيره ، و كان هذا الكتاب أكمل مسموعات[4] العباد لنزوله[5] على وجه ٥ هو أعلى الوجوه ، و نظمه على أسلوب أعجز الفصحاء و أبكم البلغاء - إلى غير ذلك من الأمور الباهرة و الأسرار الظاهرة ، و على عبد هو أكمل الخلق ؛ أعقب الوصفين بقوله بيانا لتمام علمه و شمول قدرته : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى ﴾ و لما فصل أمر المنزل إلى المحكم و المتشابه نظر إليه جملة كما اقتضاه التعبير بالكتاب فعبر بالإنزال دون التنزيل فقال : ١٠ ﴿ انزل عليك ﴾ أى خاصة ﴿ الكتب ﴾ أى القرآن ، و قصر[6] الخطاب على[7] النبى صلى الله عليه و سلم لأن هذا موضع[8] الراسخين و هو رأسهم دلالة على أنه لا يفهم هذا حق فهمه من الخلق غيره . قال الحرالى : و لما كانت هذه السورة فيما اختصت به من علن أمر الله سبحانه و تعالى مناظرة بسورة البقرة فيما أنزلت من إظهار كتاب الله سبحانه و تعالى ١٥ كان المنتظم بمنزل[9] فاتحتها ما يناظر المنتظم بفاتحة سورة البقرة ، فلما

(١) من ظ ، و فى الأصل : فالمعنى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : المتلزم (٤) من ظ ، و فى الأصل : مسموعان (٥) من ظ ، و فى الأصل : كنزوله. (٦) من ظ ، و فى الأصل : وفصل (٧) من ظ ، و فى الأصل : عن (٨) من ظ ، و فى الأصل : بموضع (٩) فى ظ : بمنزلة .

كانت سورة البقرة منزل كتاب [هو - ١] الوحى انتظم بترجمتها الإعلام بأمر كتاب الخلق الذى هو القدر ، فكما بين فى أول سورة البقرة كتاب تقدير الذى قدره و كتبه فى ذوات من مؤمن [و كافر - ١] و مردد ٢ بينهما هو المنافق فتنزلت ٣ سورة الكتاب للوحى إلى بيان قدر الكتاب الخلق لذلك كان متنزل هذا الافتتاح الإلهى إلى أصل منزل الكتاب الوحى ؛ و لما بين فى أمر الخلق أن منهم من فطره ٤ على الإيمان و منهم من جبله على الكفر ٥ و منهم من أناسه بين الخلقين ، بين فى الكتاب أن منه ما أنزله على الإحكام و منه ما أنزله على الاشتباه ؛ و فى إفهامه ما أنزله على الافتتان و الإضلال بمنزلة ختم الكفار ؛ انتهى - فقال : ﴿ منه ءايـٰت محكمـٰت ﴾ أى لا خفاء بها . قال الحرالى : و هى التى أبرم حكمها فلم ينبتر ٦ كما يبرم ٧ الحبل الذى يتخذ ٨ حكمة ٩ أى زماما يزم به الشىء الذى يخاف ١٠ خروجه عن الانضباط ، كأن الآية المحكمة تحكم ١١ النفس عن جولانها ١٢ و تمنعها عن ١٣ جماحها ١٤ و تضبطها إلى محال مصالحها ، ثم قال : فهى آى التعبد ١٥ من الخلق للخلق

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : مرتد (٣) من ظ ، و فى الأصل : فتتركب (٤) فى الأصل : قطرة ، و فى ظ : فطرة - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : القرآن . (٦) من ظ ، و فى الأصل : ينتثر (٧) من ظ ، و فى الأصل : تبرم (٨) من ظ ، و فى الأصل : يتحد (٩) فى الأصل و ظ : حكمه (١٠) فى ظ : تخاف (١١) فى كلتا النسختين : يحكم (١٢) من ظ ، و فى الأصل : حولاتها (١٣) من ظ ، و فى الأصل : من (١٤) فى الأصل : جماجها ، و فى ظ : حماجها (١٥) من ظ ، و فى الأصل : البعيد .

اللائى[1] لم يتغير حكمهن فى كتاب من هذه الكتب الثلاث المذكورة ، فهن لذلك أم - انتهى .

و لما كان الإحكام فى غاية البيان فكان فى تكامله و رد بعض معانيه إلى بعض كالشيء الواحد ، و كان رد المتشابه[2] إليه فى غاية السهولة لمن رسخ إيمانه و صح[3] قصده و اتسع علمه ليصير الكل شيئا ٥ واحدا أخبر عن الجمع بالمفرد فقال : ﴿ هن ام الكتٰب ﴾ و الأم الأمر الجامع الذى يؤم أى يقصد ، و قال الحرالى : هى الأصل المقتبس[4] منه الشيء فى *الروحانيات و النابت* منه أو فيه فى الجسمانيات[6] ﴿ و اخر ﴾ أى منه ﴿ متشٰبهت[5] ﴾ قال الحرالى : و التشابه[7] تراد التشبه[7] فى ظاهر أمرين لشبه[8] كل واحد منهما / [بالآخر بحيث يخفى ١٠ /٣٢٦ خصوص كل واحد منهما -[9]] ؛ ثم[10] قال : و هن[11] الآى[12] التى أخبر الحق سبحانه و تعالى فيهن عن نفسه و تنزلات تجلياته[13] و وجوه[14] إعانته لخلقه و توفيقه و إجرائه ما أجرى من اقتداره و قدرته فى بادى[15]

(١) من ظ ، و فى الأصل : الاى (٢) من ظ ، و فى الأصل : التشابه (٣) فى ظ : صبح (٤) من ظ ، و فى الأصل : المقيس (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : الروحانية و الغايت (٦) من ظ ، و فى الأصل : الجسمانية (٧ - ٧) من ظ ، و فى الأصل : يراد النسبة (٨) من ظ ، و فى الأصل : تشبه (٩) ما بين الحاجزين زيد من ظ (١٠) زيدت الواو قبله فى الأصل ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١١) فى ظ : و هى (١٢) من ظ ، و فى الأصل : اللاى (١٣) من ظ ، و فى الأصل : تخلياته (١٤) فى ظ : وجود (١٥) فى ظ : باذى .

ما أجراه عليهم ، فهن لذلك متشابهات من حيث أن نبأ الحق عن نفسه لا تناله عقول الخلق ، و لا تدركه أبصارهم ، و تعرف لهم فيما تعرف بمثل من أنفسهم ، فكأن المحكم للعمل و المتشابه لظهور العجز ، فكان لذلك حرف المحكم أثبت الحروف عملا ، و حرف المتشابه أثبت الحروف إيمانا ، و اجتمعت على إقامته الكتب الثلاث ، و اختلفت فى الأربع اختلافا كثيرا فاختلف حلالها و حرامها و أمرها و نهيها ، و اتفق على محكمها و متشابهها - انتهى . فبين سبحانه و تعالى بهذا[1] أنه كما يفعل الأفعال المتشابهة - مثل تصوير[2] عيسى عليه الصلاة و السلام من غير نطفة ذكر ، مع إظهار الخوارق على يديه ليتبين[3] الراسخ فى الدين من غيره - كذلك يقول الأقوال المتشابهة ، و أنه فعل فى هذا الكتاب ما فعل فى غيره من كتبه من تقسيم آياته إلى محكم و متشابه ابتلاء لعباده ليبين فضل العلماء الراسخين الموقنين بأنه من عنده ، و أن كل ما كان من عند الله سبحانه و تعالى فلا اختلاف فيه فى نفس الأمر ، لأن سبب الاختلاف الجهل أو[4] العجز ، و هو سبحانه و تعالى متعال جده منزه قدره عن شيء من ذلك ، فبين فضلهم[5] بأنهم يؤمنون به ، و لا يزالون يستنصرون[6] منه سبحانه و تعالى فتح المنغلق و بيان المشكل[7] حتى يفتحه عليهم بما يرده إلى المحكم ، و هذا على وجه يشير إلى المهمه[8] الذى تاه

(١) من ظ ، و فى الأصل : لهذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : تصور (٣) فى ظ : ليتبين (٤) من ظ ، و فى الأصل : و (٥) من ظ ، و فى الأصل : فضله (٦) فى ظ : يستمطرون (٧) من ظ ، و فى الأصل : الشكل (٨) فى كلتا النسختين : المهمة .

فيه النصارى ، و التيه الذى ضلوا فيه عن المنهج ، و اللج الذى أغرق جماعاتهم ، و هو المتشابه الذى منه [أنهم زعموا -[1]] أن عيسى عليه الصلاة و السلام كان يقول له القائل : يا رب ! افعل لى كذا - و[2] يسجد له ، فيقره على ذلك و يجيب[3] سؤاله ، فدل[4] ذلك على أنه إله ، و منه إطلاقه على الله سبحانه و تعالى أبا[5] و على نفسه أنه ابنه ، فابتغوا[6] الفتنة فيه و اعتقدوا الأبوة و البنوة على حقيقتهما[7] و لم يردوا ذلك [إلى -[1]] المحكم[8] الذى قاله لهم فأكثر منه ، كما أخبر عنه أصدق القائلين سبحانه و تعالى فى الكتاب المتواتر الذى حفظه من التحريف و التبديل : "لا[9] ياتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه" ، و هو "انى عبد الله اٰتٰنى الكتٰب و جعلنى نبيا و جعلنى مبٰركا اين ما كنت و اوصٰنى بالصلوٰة و الزكوٰة ما دمت حيا[10]" [ما -[11]] قلت لهم الا ما امرتنى به ان اعبدوا الله ربى و ربكم[12]" [ان الله ربى و ربكم -[11]] فاعبدوه هذا صراط مستقيم[13]" ، هذا مما ورد فى كتابنا الذى لم يغيروا ما عندهم فان كانوا قد بدلوه فقد بقى - و لله الحمد - منه فى الأناجيل الأربعة التى بين أظهرهم الآن[14] فى أواخر هذا القرن[15] التاسع من المحكم ما يكفى فى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : او (٣) من ظ ، و فى الأصل : يحب (٤) فى ظ : فدال (٥) فى ظ : انا (٦) من ظ ، و فى الأصل : فاتبعوا . (٧) من ظ ، و فى الأصل : حقيقتها (٨) من ظ ، و فى الأصل : الحكم (٩) من القرآن المجيد سورة ٤١ آية ٤٢ ، و فى الأصل و ظ «فلا» (١٠) سورة ١٩ آية ٣٠ (١١) زيد من ظ و القرآن المجيد (١٢) سورة ٥ آية ١١٧ (١٣) سورة ٣ آية ٥١ (١٤) فى ظ : الا ان (١٥) فى الأصل و ظ : القران .

رد المتشابه إليه ، ففى[1] إنجيل لوقا[2] أن جبريل عليه الصلاة و السلام ملاك الرب[3] لما تبدى[4] لمريم [مبشرا بالمسيح عليه السلام و خافت منه قال لها : لا تخافى يا مريم -[5]] ظفرت بنعمة من [عند -[5]] الله سبحانه و تعالى ، و أنت تقبلين[6] حبلا و تلدين ابنا يدعى يسوع ، يكون عظيما ، [7]و ابن العذراء[7] يدعى ؛ و يعطيه الرب الإله كرسى [8]داود أبيه[8] ؛ و فى إنجيله أيضا و إنجيل متى أن عيسى عليه الصلاة و السلام قال - و قد أمره إبليس أن يجرب[9] قدره عند الله بأن يطرح نفسه من شاهق : مكتوب : لا تجرب الرب إلهك ، و قال - و قد أمره أن يسجد له : مكتوب : للرب إلهك اسجد ، و إياه[10] وحده اعبد ، و صرح أن الله سبحانه و تعالى واحد فى غير موضع ؛ و فى إنجيل لوقا أنه دفع إلى المسيح سفر أشعيا[11] [النبى -[5]] فلما فتحه وجد الموضع الذى فيه مكتوب : روح الرب علىّ ، من أجل هذا مسحنى[12] و أرسلنى لأبشر المساكين و أبشر بالسنة المقبولة للرب ، و الأيام التى أعطانا[13] إلهنا ، ثم طوى السفر و دفعه

(١) فى ظ : بقى (٢) فى ظ : لو قال (٣) من ظ ، و فى الأصل : للرب (٤) فى ظ : ابتدا (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من تاريخ اليعقوبى ١/٧٣ ، و فى الأصل : تعتلين ، و فى ظ : تعقلين (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : دين العذار . (٨-٨) من ظ ، و فى الأصل : اوداسه - كذا (٩) فى ظ : مجرب (١٠) من التاريخ ١ / ٦٩ ، و فى الأصل : اله ، و فى ظ : له (١١) من التاريخ ١/٧٢ ، و فى الأصل : شعيبا ، و فى ظ : شعبا (١٢) من ظ و التاريخ ١/٧٤ ، و فى الأصل : منحنى (١٣) من ظ ، و فى الأصل : اعطنا .

إلى الخادم[1] ؛ و فيه و فى غيره من أناجيلهم : من قبل هذا فقد قبلى ، و من قبلنى فقد قبل الذى أرسلنى ، [و من سمع منكم فقد سمع منى ، و من جحدكم فقد جحدنى ، و من جحدنى فقد شتم الذى أرسلنى -[2]] و من أنكرنى قدام الناس أنكرته قدام الناس ، أنكرته قدام ملائكة الله ، و فى إنجيل يوحنا[3] أنه قال عن نفسه عليه الصلاة و السلام : الذى / أرسله الله إنما ينطق بكلام الله لأنه ليس بالكيس[4] ، أعطاه الله[5] الروح ، و قال : و قد سأله[6] تلاميذه أن يأكل فقال لهم : طعامى[7] أن أعمل مسرة من أرسلنى و أتم عمله ؛ و فيه فى موضع آخر : الحق الحق أقول لكم ! إن من يسمع كلامى و آمن بمن أرسلنى وجبت له الحياة المؤبدة ، لست أقدر أعمل شيئا من ذات نفسى ، و إنما أحكم بما أسمع ، و دينى عدل لأنى[8] لست أطلب مسرتى بل مسرة من أرسلنى ؛ و فى إنجيل مرقس[9] أنه قال لناس : تعلمتم[10] وصايا الناس و تركتم وصايا الله ، و زجر بعض من اتبعه فقال : اذهب يا شيطان ! فانك لم تفكر[11] فى

/٣٢٧

(١) فى الأصل : الخاتم ، و فى ظ : المقادم ، و التصحيح من تاريخ اليعقوبى ١/٧٥ .
(٢) لزيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : لوقا (٤) من ظ ، و فى الأصل : بالكيل (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : سال .
(٧) لزيد بعده فى الأصل : انا ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨) من ظ ، و فى الأصل : لأنه (٩) من ظ ، و فى الأصل : مرقش (١٠) من ظ ، و فى الأصل : يعلمهم (١١) فى ظ : لم تنكر .

ذات الله ، و تفكر[1] فى ذات الناس ؛ [2]فقد جعل الله إلهه و ربه و معبوده ، و اعترف له بالوحدانية و جعل ذاته مباينا لذات الناس الذى هو منهم ؛ و فى جميع أناجيلهم نحو هذا ، و أنه كان يصوم و يصلى لله و يأمر تلاميذه بذلك ، فنى إنجيل لوقا أنهم قالوا له : يا رب ! علمنا نصلى كما علم يوحنا تلاميذه ، فقال لهم : إذا صليتم فقولوا : أبانا الذى فى السماوات يتقدس اسمك ! كفافنا أعطنا فى[3] كل يوم ، و اغفرلنا خطايانا لأنا نغفر لمن لنا عليه ، و لا تدخلنا فى التجارب ، لكن نجنا من الشرير ؛ و لما دخل الهيكل بدأ يخرج الذين يبيعون[4] و يشترون فيه ، فقال[5] لهم : مكتوب [أن -[6]] بيتى[7] هو بيت الصلاة و أنتم جعلتموه مفازة اللصوص ! فعلم من هذا كله أن إطلاق اسم الرب عليه لأن الله سبحانه و تعالى أذن له أن يفعل بعض أفعاله التى ليست فى قدرة البشر ، و الرب يطلق على السيد[8] أيضا ، كما قال يوسف عليه الصلاة و السلام : "اذكرنى عند ربك[9]" . ثم وجدت فى [أوائل -[6]] إنجيل يوحنا أن الرب تأويله العلم ، و لو ردوا أيضا الأب و الابن إلى هذا المحكم[10] و أمثاله - و هى كثيرة فى جميع أناجيلهم - لعلموا[11] بلا شبهة أن معناه أن الله سبحانه

(١) فى ظ : تنكر (٢) العبارة من هنا إلى « لذات الناس » سقطت من ظ .
(٣) ليس فى ظ (٤) فى ظ : يبتغون (٥) فى ظ : و قال (٦) زيد من ظ .
(٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٨) فى ظ : السر - كذا (٩) سورة ١٢ آية ٤٢ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : الحكم (١١) من ظ ، و فى الأصل : ليعلموا .

و تعالى

و تعالى يفعل معه ما يفعل الوالد مع ولده من التربية و الحياطة[1] و النصرة و التعظيم و الإجلال ، كما لزمهم حتما[2] أن يأولوا[3] قوله فيما قدمته[4] : أبانا الذى فى السماوات ، و قوله فى إنجيل متى لتلاميذه : هكذا فليضئ نوركم قدام الناس[5] ليروا أعمالكم الحسنة و يمجدوا أباكم الذى فى السماوات ، و قال : و أحسنوا إلى من أبغضكم ، و صلوا على من يطردكم و يخزيكم[6] لكيما تكونوا بنى أبيكم الذى فى السماوات ، لأنه المشرق[7] شمسه على الأخيار و الأشرار ، و الممطر على الصديقين و الظالمين ، انظروا ! لا تصنعوا[8] أمرا حكم قدام الناس لكى يروكم ، فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماوات ، و إذا صنعت رحمة فلا تضرب قدامك بالبوق ، و لا تصنع كما يصنع المراؤن[9] فى المجامع[10] و فى الأسواق لكى [11] يمجدوا من[11] الناس ، الحق أقول لكم ! لقد أخذوا أجرهم ؛ و أنت إذا صنعت رحمة لا تعلم شمالك ما صنعته يمينك ، لتكون صدقة فى خفية ، و أبوك الذى يرى الخفية يعطيك على نية ؛ و قال فى الفصل العاشر منه : و صل لأبيك سرا ، و أبوك يرى السر فيعطيك علانية .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : و الخياطة (٢) من ظ ، و فى الأصل : ختما (٣) فى الأصل و ظ : يولوا - كذا (٤) فى ظ : قدسته (٥) زيد بعده فى الأصل : لكن ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) من ظ ، و فى الأصل : لحرلكم - كذا. (٧) فى الأصل : الشرق ، و فى ظ : المشرف - كذا بالفاء (٨) فى الأصل : لا تضعوا ، و فى ظ : لا تفشوا (٩) فى ظ : المروان (١٠) فى ظ : الجامع (١١-١١) من ظ ، و فى الأصل : يمجدوكم .

وهكذا فى جميع آيات الأحكام من الإنجيل كرر لهم هذه اللفظة تكريرا[1] كثيرا، فكما[2] تأول[3] لها النصارى بأن المراد منها تعظيمهم له أشد من تعظيمهم لآبائهم ليعتنى بهم أكثر من اعتناء الوالد بالولد فكذلك يأولون ما فى إنجيل لوقا وغيره أن أم عيسى وإخوته أتوا إليه فلم يقدروا لكثرة الجمع[4] على الوصول إليه فقالوا له: أمك وإخوتك خارجا يريدون أن ينظروا إليك، فأجاب: أمى وإخوتى الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها؛ فكذلك يلزمهم تأويلها فى حق عيسى عليه الصلاة والسلام لذلك[5] ليرد المتشابه[6] إلى المحكم. وإن لم يأولوا ذلك فى حق أنفسهم وحملوه على الظاهر - كما هو ظاهر قوله سبحانه وتعالى: "وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه[7]" كانوا مكابرين فى المحسوس بلا شبهة، فان كل أحد منهم مساو لجميع الناس وللبهائم[8] فى أن له أبوين، وكانت دعواهم هذه ساقطة لا يردها عليهم إلا من تبرع بالزامهم بمحسوس آخر هم[9] به يعترفون[9]، وقد أقام هو / نفسه عليه الصلاة والسلام [10]أدلة على صرفها عن[10] ظاهرها، منها غير ما تقدم أنه كثيرا ما كان يخبر عن نفسه فيقول: ابن[11] الإنسان يفعل كذا، /٣٢٨

(١) فى ظ: تكرير (٢) من ظ، وفى الأصل: فكا (٣) فى الأصل: لوا، وفى ظ: لون (٤) فى ظ: الجميع (٥) فى ظ: كذلك (٦) من ظ، وفى الأصل: التشابه (٧) سورة ٥ آية ١٨ (٨) من ظ، وفى الأصل: البهيم (٩-٩) فى ظ: معترفون (١٠-١٠) من ظ، وفى الأصل: اوله صرفها على (١١) من ظ، وفى الأصل: الا ان.

ابن البشر [قال كذا -[1]] يعنى نفسه الكريمة ، فحيث نسب نفسه إلى البشر كان مريدا للحقيقة ، لأنه ابن امرأة منهم ، و هو مثلهم فى الجسد ، و المعانى حيث نسبها إلى الله سبحانه و تعالى كان على المجاز - كما تقدم . و أما السجود فقد ورد فى التوراة كثيرا[2] لأحاد الناس من غير نكير ، فكأنه كان جائزا فى شرائعهم فعله لغير الله سبحانه و تعالى على وجه التعظيم - و الله سبحانه و تعالى أعلم ، و أما نحن فلا يجوز[3] فعله لغير الله ، و لا يجوز فى شريعتنا أصلا إطلاق الأب و لا الابن بالنسبة إليه سبحانه و تعالى ، و كذا كل لفظ أوهم نقصا[4] سواء صح أن ذلك كان جائزا فى شرعهم أم لا ، و إذا راجعت[5] تفسير البيضاوى لقوله سبحانه و تعالى فى البقرة " اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون[6] " زادك بصيرة[7] فيما هنا ؛ و الحاصل أنهم لم يصرفوا ذلك فى حق عيسى عليه الصلاة و السلام عن ظاهره و حقيقته و تحكموا[8] بأن المراد منه المجاز و هو هنا إطلاق اسم الملزوم على اللازم ، و كذا غيره من[9] متشابه الإنجيل ، كما فعلنا نحن بمعونة الله سبحانه و تعالى فى وصف الله سبحانه و تعالى بالرضى و الغضب و الرحمة و الضحك و غير ذلك [مما يستلزم حمله على الظاهر و صفات المحدثين ، و كذا ذكر اليد و الكف و العين و نحو ذلك -[1]]

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : كثير (٣) فى ظ : فلا نجوز .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : نفظا (٥) من ظ ، و فى الأصل : رجعت (٦) سورة ٢ آية ١١٧ (٧) من ظ ، و فى الأصل : بصره (٨) من ظ ، و فى الأصل : يحكوا .
(٩) من ظ ، و فى الأصل : عن .

فحملنا ذلك كله على أن المراد منه لوازمه و غاياته مما[1] يليق بجلاله سبحانه و تعالى مع تنزيهنا له سبحانه و تعالى عن كل نقص و إثباتنا[2] له كل كمال، فان الله سبحانه و تعالى [3]عزه و جده[3] و جل قدره و مجده أنزل حرف[4] المتشابه ابتلاء لعباده ليتبين الثابت من الطائش ٥ و الموقن من الشاك. قال الحرالى فى كتابه[6] عروة المفتاح: وجه إنزال هذا الحرف تعرف[7] الحق للخلق[8] بمعتبر ما خلقهم عليه ليلفتوا عنه و ليفهموا خطابه، و ليتضح[9] لهم نزول رتبهم عن علو ما تعرف[7] به لهم، و ليختم بعجزهم[10] عن إدراك هذا الحرف علمهم بالأربعة يعنى[11] الأمر و النهى و الحلال و الحرام، و حبسهم بالخامس[12] ١٠ و توقفهم[13] عنه و الاكتفاء بالإيمان منه ما تقدم من عملهم بالأربعة، و اتصافهم بالخامس ليتم[14] لهم العبادة[15] بالوجهين من العمل و الوقوف و الإدراك و العجز "فارجع البصر هل ترى من فطور[16]" علما و حسا[17]

(١) من ظ، و فى الأصل: ما (٢) من ظ، و فى الأصل: اثباتا (٣-٣) من ظ، و فى الأصل: عز جده (٤) من ظ، و فى الأصل: احرف (٥) من ظ، و فى الأصل: الطالب (٦) فى ظ: كتاب (٧) من ظ، و فى الأصل: يعرف. (٨) فى ظ: للحق (٩) من ظ، و فى الأصل: و لينضح (١٠) من ظ، و فى الأصل: بمعجزهم (١١) من ظ، و فى الأصل: بمعنى (١٢) زيد فى ظ: يعنى المحكم - كذا، و الظاهر: المتشابه (١٣) من ظ، و فى الأصل: و توقف فيهم (١٤) فى ظ: لتم (١٥) من ظ، و فى الأصل: العبارة (١٦) سورة ٦٧ آية ٣ (١٧) من ظ، و فى الأصل: أو جنسا.

ثم

"ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا و هو حسير[1]" عجزا[2]، أعلمهم بحظ[3] من علم أنفسهم و غيرهم بعد أن أخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا[4]، ثم أعجزهم عن علم أمره و أيامه الماضية و الآتية و غائب الحاضرة ليسلموا له اختيارا فيرزقهم[5] اليقين بأمره و[6] غائب أيامه[6]، كما أسلموا له فى الصغر اضطرارا، فرزقهم حظا من علم خلقه، فمن لم يوفقه[7] فى حد الإيمان اشتباه[8] خطابه سبحانه و تعالى عن نفسه و ما بينه و بين خلقه و حاول تدركه بدليل أو فكر أو تأويل حرم اليقين [9]بعلى الأمر[9] و التحقيق فى علم الخلق، و أوخذ[10] بما أضاع من محكم ذلك المتشابه حين اشتغل لما[11] يعنيه[12] من حال نفسه بما لا يعنيه[12] من أمر ربه، فكان كالمتشاغل بالنظر فى ذى الملك، و تنظره[13] يرمى نفسه عن مراقبة ما يلزمه[14] من تفهم حدوده و تذلله لحرمته[15]؛ و جوامع منزل هذا الحرف فى رتبتين: مبهمة[16] و مفصلة،

(١) سورة ٦٧ آية ٤ (٢) من ظ، و فى الأصل: و عجز (٣) من ظ، و فى الأصل: بحظ (٤) اقتباس من قوله تعالى "اخرجكم من بطون امهتكم لا تعلمون شيئا" - سورة ١٦ آية ٧٨ (٥) فى ظ: فيزوقهم (٦-٦) من ظ، و فى الأصل: غاية اياته (٧) من ظ، و فى الأصل: لم يوفقه (٨) من ظ، و فى الأصل: استشاره (٩-٩) من ظ، و فى الأصل: فعلى العلم (١٠) من ظ، و فى الأصل: اخذوا (١١) من ظ، و فى الأصل: بما (١٢ - ١٢) سقطت من ظ (١٣) فى النسختين: تنظيره (١٤) من ظ، و فى الأصل: تلزمه (١٥) من ظ، و فى الأصل: لحريته (١٦) فى ظ: مهمة.

أما انبهامه[1] فلوقوف[2] العلم [به - ٣] على تعريف الله سبحانه و تعالى من غير واسطة من وسائط النفس من فكر و لا استدلال ، و ليتدرب المخاطب بتوقفه على المبهم على توقفه عن مفصله و مبهمه ، و هو جامع الحروف المنزلة فى أوائل السور[4] التسع[5] و العشرين[6] من سوره[7] و به افتتح[8] الترتيب فى القرآن ، ليتلقى الخلق بادى أمر الله بالعجز و الوقوف و الاستسلام إلى أن يمن[9] الله سبحانه و تعالى بعلمه بفتح من لدنه ، و لذلك لم يكن فى تنزيله فى هذه الرتبة ريب لمن علمه الله سبحانه و تعالى كنهه من حيث[10] لم يكن للنفس مدخل فى علمه ، و ذلك قوله سبحانه و تعالى : "الٓمٓ ذلك الكتٰب لا ريب فيه" لمن علمه الله إياه "هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب" وقوفا عن محاولة علم ما ليس فى وسع الخلق علمه ، حتى تلحقه[11] العناية من ربه فعلمه ما لم يكن فى علمه ؛ و أما الرتبة الثانية فمتشابه[12] الخطاب المفصل[13] المشتمل على إخبار الله عن نفسه و تنزلات[14] أمره ، و رتب إقامات خلقه بابداع كلمته و تصيير[15] حكمته و باطن ملكوته و عزيز جبروته و أحوال أيامه ؛ و أول ذلك فى ترتيب القرآن إخباره عن استوائه فى قوله "ثم استوى الى السماء[16]"

(١) فى ظ : إبهامه (٢) فى ظ : فلوفوق (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : السورة (٥) فى الأصل و ظ : التسعة (٦) من ظ ، و فى الأصل : و العشرون. (٧) من ظ ، و فى الأصل : سورة (٨) من ظ ، و فى الأصل : افتتح (٩) فى ظ : يمنى (١٠) من ظ ، و فى الأصل : حين (١١) فى ظ : يلحقه (١٢) من ظ ، و فى الأصل : فتشابه (١٣) من ظ ، و فى الأصل : الفصل (١٤) فى ظ : تنزيلات. (١٥) فى الأصل : يصير ، و فى ظ : تصير (١٦) سورة ٢ آية ٢٩ .

إلى قوله سبحانه و تعالى " فاينما تولوا فثم وجه الله [١] " - إلى سائر ما أخبر عنه من عظم [٢] شأنه فى جملة آيات متعددات لقوله سبحانه و تعالى " الا لنعلم من يتبع الرسول [٣] "، " فانى قريب [٤] "، " هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام و الملئكة [٥] "، " الله لا اله الا هو الحى القيوم [٦] "، " فاذنوا بحرب من الله و رسوله [٧] "، " هو الذى يصوركم فى الارحام [٨] "، " و يحذركم الله نفسه [٩] "، " و لله ملك السمٰوٰت والارض [١٠] "، " و الله على كل شىء قدير [١١] "، " و كان الله سميعا بصيرا [١٢] "، " بل يداه مبسوطتٰن ينفق كيف يشاء [١٣] "، " وهو الله فى السمٰوٰت و فى الارض يعلم سركم و جهركم [١٤] "، " خلق السمٰوٰت و الارض [١٥] "، " ثم استوى على العرش [١٦] "، " و لتصنع على عينى [١٧] "، " قل من بيده ملكوت كل شىء [١٨] "، " فلما اتٰها نودى من شاطئ الواد الايمن فى البقعة المبٰركة من الشجرة ان يٰموسى انى [١٩] انا الله [٢٠] "، " كل شىء هالك الا وجهه [٢١] "، " هو الذى يصلى عليكم و ملئكته [٢٢] "، " ان الله و ملئكته يصلون على النبى [٢٣] "، " ما منعك ان تسجد [٢٤] لما خلقت بيدى [٢٥] "، " وهو

(١) سورة ٢ آية ١١٥ (٢) فى ظ : عظيم (٣) سورة ٢ آية ١٤٣ (٤) سورة ٢ آية ١٨٦ (٥) سورة ٢ آية ٢١٠ (٦) سورة ٢ آية ٢٥٥ (٧) سورة ٢ آية ٢٧٩ .
(٨) سورة ٣ آية ٦ (٩) سورة ٣ آية ٢٨ و ٣٠ (١٠) سورة ٣ آية ١٨٩ .
(١١) سورة ٢ آية ٢٨٤ (١٢) سورة ٤ آية ٥٨ (١٣) سورة ٥ آية ٦٤ (١٤) سورة ٦ آية ٣، وزيد بعده فى الأصل : ويعلم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .
(١٥) سورة ٧ آية ٥٤ (١٦) سورة ٧ آية ٥٤ (١٧) سورة ٢٠ آية ٣٩ .
(١٨) سورة ٢٣ آية ٨٨ (١٩) من ظ و القرآن المجيد ، و فى الأصول : انى .
(٢٠) سورة ٢٨ آية ٣٠ (٢١) سورة ٢٨ آية ٨٨ (٢٢) سورة ٣٣ آية ٤٣ .
(٢٣) سورة ٣٣ آية ٥٦ (٢٤) فى كلتا النسختين: يسجد ، والتصحيح من القرآن المجيد (٢٥) سورة ٧ آية ١٢ .

الذى فى السماء اله و فى الارض اله[١]" "و سخر لكم ما فى السمٰوٰت وما فى الارض جميعا منه[٢]"، "و له الكبرياء فى السمٰوٰت و الارض[٣]"، "كل من عليها فان و يبقى وجه ربك[٤]"، "هو الاول و الأخر و الظاهر و الباطن[٥]"، "و هو معكم اين ما كنتم[٦]"، "ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم و لاخمسة الا هو سادسهم و لا ادنى من ذلك و لا اكثر الا هو معهم اين ما كانوا[٧]"، "فاتٰهم الله من حيث لم يحتسبوا[٨]"، "تبارك الذى بيده الملك[٩]"، "تعرج الملٰئكة والروح اليه[١٠]"، "وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة[١١]"، "و ما تشاؤن الا ان يشاء الله[١٢]"، "و جاء ربك و الملك صفا صفا[١٣]" - إلى سائر ما أخبر فيه عن تنزلات أمره و تسوية خلقه و ما أخبر عنه حبيبه صلى الله عليه وسلم من محفوظ الأحاديث التى عرف بها أمته ما[١٤] يحملهم فى[١٤] عبادتهم[١٥] على الانكماش[١٦] و الجد[١٧] و الخشية و الوجل[١٨] و الإشفاق و سائر الأحوال المشار إليها فى حرف المحكم من نحو حديث النزول و القدمين[١٩] و الصورة و الضحك و الكف و الأنامل، و حديث عناية لزوم التقرب بالنوافل و غير ذلك من الأحاديث التى ورد بعضها فى الصحيحين، و اعتنى بجمعها الحافظ المتقن أبو الحسن الدارقطنى رحمه الله

---

(١) سورة ٤٣ آية ٨٤ (٢) سورة ٤٥ آية ١٣ (٣) سورة ٤٥ آية ٣٧ (٤) سورة ٥٥ آية ٢٦ و ٢٧ (٥) سورة ٥٧ آية ٣ (٦) سورة ٥٧ آية ٤ (٧) سورة ٥٨ آية ٧ (٨) سورة ٥٩ آية ٢ (٩) سورة ٦٧ آية ١ (١٠) سورة ٧٠ آية ٤ (١١) سورة ٧٥ آية ٢٢ و ٢٣ - (١٢) سورة ٧٦ آية ٣٠ (١٣) سورة ٨٩ آية ٢٢ (١٤-١٤) من ظ، و فى الأصل : تحملهم على (١٥) فى ظ : عيادتهم (١٦) من ظ ، و فى الأصل : الانكماس. (١٧) فى ظ : الحد (١٨) من ظ ، و فى الأصل : والوجد (١٩) فى ظ : الفعلين .

تعالى

تعالى، و دوّن بعض المتكلمين [1]جملة منها[1] لقصد التأويل، و شدد النكير[2] فى ذلك أئمة المحدثين، يؤثر عن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه و رحمه أنه قال: آيات الصفات[3] و أحاديث الصفات[3] صناديق مقفلة مفاتيحها بيد الله سبحانه و تعالى، تأويلها تلاوتها، و لذلك أئمة الفقهاء و فتياهم لعامة المؤمنين و الذى اجتمعت عليه الصحابة رضوان الله تعالى ٥ عليهم و لقنته[4] العرب كلها أن ورود ذلك عن الله و من رسوله و من الأئمة إنما هو لمقصد[5] الإفهام، لا لمقصد الإعلام، فلذلك لم يستشكل الصحابة رضوان الله تعالى عليهم شيئا قط، بل كلما كان وارده عليهم أكثر كانوا به أفرح، و للخطاب به أفهم، حتى قال بعضهم لما ذكر النبى صلى الله عليه و سلم أن الله تعالى يضحك من عبده: لا نعدم[6] الخير ١٠ من رب يضحك! و هم و سائر العلماء بعدهم صنفان: إما متوقف عنه فى حد[7] الإيمان، قانع بما أفاد من الإفهام، و إما مفتوح عليه بما هو فى صفاء[8] الإيقان، و ذلك أن الله سبحانه و تعالى [9]تعرف/ لعباده[9] فى ٣٣٠/ الأفعال و الآثار فى الآفاق و فى أنفسهم تعليما، و تعرف[10] للخاصة منهم

(١-١) فى ظ: من (٢) من ظ، و فى الأصل: النكر (٣) من ظ، و فى الأصل: الصاقات (٤) من ظ، و فى الأصل: و لفته (٥) من ظ، و فى الأصل: بقصد (٦) من ظ، و فى الأصل: لا يعدم، و لفظ الحديث كما ورد فى مسند الإمام أحمد ٤/١١: لن نعدم من رب يضحك خيرا (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: صفات (٩-٩) من ظ، و فى الأصل: يعرف كعباده (١٠) من ظ، و فى الأصل: يعرف.

بالأوصاف العليا و الأسماء الحسنى مما يمكنهم اعتباره تعجيزا، فجاوزوا حدود التعلم بالإعلام إلى عجز الإدراك فعرفوا أن لامعرفة[1] لهم، و ذلك هو حد العرفان و إحكام قراءة هذا الحرف المتشابه فى منزل القرآن، و تحققوا أن "ليس كمثله شيء" و "لم يكن له كفوا احد" فتهدفوا[2] بذلك لما يفتحه الله على من يحبه من صفاء الإيقان، و الله يحب المحسنين. ثم قال فيما به تحصل قراءة هذا الحرف: اعلم أن تحقيق الإسلام بقراءة حرف المحكم لا يتم إلا بكمال الإيمان بقراءة حرف المتشابه [3] تماما لأن [3] حرف المحكم حال يتحقق للعبد، و لما[4] كان حرف المتشابه إخبارا عن نفسه سبحانه و تعالى بما يتعرف به لخلقه[5] من أسماء و أوصاف كانت قراءته[6] بتحقق العبد أن تلك[7] الأسماء و الأوصاف ليست مما تدركه حواس الخلق و لا ما[8] تناله عقولهم، و إن أجرى[9] على[10] تلك الأسماء و الأوصاف على الخلق فيوجه[11]، لا يلحق أسماء الحق[11] و لا أوصافه منها تشبيه[12] فى وهم و لا تمثيل فى عقل و "ليس كمثله شيء و هو السميع البصير[13]"، "و لم يكن له كفوا احد[14]"، فالذى يصح به قراءة هذا الحرف أما من جهة القلب

(١) من ظ، و فى الأصل: تعرفه (٢) من ظ، و فى الأصل: فيهدفوا. (٣-٣) من ظ، و فى الأصل: بما مالات - كذا (٤) فى ظ: و كما (٥) فى ظ: بخلقه (٦) زيد بعده فى ظ: ان (٧) من ظ، و فى الأصل: ذلك (٨) فى ظ: بما (٩) من ظ، و فى الأصل: جرى (١٠) فى ظ: فتوجه (١١) فى ظ: الخلق. (١٢) من ظ، و فى الأصل: تشبه (١٣) سورة ٤٢ آية ١١ (١٤) سورة ١١٢ آية ٤.

فالمعرفة بأن جميع أسماء الحق و أوصافه تعجز عن معرفتها إدراكات الخلق و تقف عن تأويلها إجلالا و إعظاما معلوماتُهم، و أن حسبها[1] معرفتها بأنها لا تعرفها، و أما من جهة حال النفس و الاستكانة[2] لما يوجبه تعرف الحق بتلك الأسماء و الأوصاف من التحقق بما يقابلها و البراءة من الاتصاف بها لأن ما صلح للسيد حرم على العبد لتحقق فقر الخلق من تسمى[3] الحق بالغنى، و لا يتسمى[4] بالغنى فيقدح فى هداه، فيهلك باسمه و دعواه، و لتحقق ذلهم من تسميته تعالى بالعزة [و - [5]] عجزهم عن تسميته[6] بالقدرة[7]، و استحقاق تخليهم[8] من جميع ما تعرف[9] به من أوصاف الملك و السلطان و الغضب و الرضى و الوعد و الوعيد و الترغيب و الترهيب - إلى سائر ما تسمى[10] به فى جميع تصرفاته مما ذكر فى المتشابه من الآى، و أشير إليه من الأحاديث، و ما عليه اشتملت [11]واردات الأخبار[11] فى جميع الصحف و الكتب، و مرائى الصالحين و مواقف[12] المحدثين و[13]مواجد المروّعين[13]؛ و أما من جهة

(١) فى ظ: حسها - كذا (٢) فى ظ: و الاستعانة (٣) فى كلتا النسختين: تسمى - خطأ (٤) فى الأصل: لا تتسمى، وفى ظ: لاسمى (٥) زيدت الواو من ظ.
(٦) فى ظ: سمية (٧) من ظ، و فى الأصل: بالمعذرة (٨) من ظ، و فى الأصل: عليهم (٩) فى ظ: يعرف (١٠) فى ظ: يسمى (١١-١١) من ظ، و فى الأصل: وارادت الاحيا، و زيد قبله فى الأصل: الاحياء فى جميع، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١٢) من ظ، و فى الأصل: موافق (١٣-١٣) من ظ، و فى الأصل: مواحد المردعين، و المروع: من يلهم الصواب.

العمل فحفظ اللسان عن إطلاق ألفاظ التمثيل و التشبيه تحقيقا[١] لما فى مضمون قوله سبحانه و تعالى "و لم يكن له كفوا احد" لأن مقتضاها الرد على[٢] المشبه من هذه الأمة ، و ليس لعمل[٣] الجوارح فى هذا الحرف مظهر سوى ما ذكر من لفظ اللسان ، فقراءته كالتوطئة لتخليص العبادة بالقلب فى قراءة مفرد حرف الأمثال ؛ و الله العلى الكبير - انتهى .

و قد تقدم حرف الأمثال عند قوله تعالى "مثلهم كمثل الذى استوقد نارا[٤]" و قد بين سبحانه و تعالى أنه لا يضل بحرف المتشابه إلا ذوو[٥] الطبع العوج[٦] الذين[٧] لم ترسخ[٨] أقدامهم فى الدين و لا استنارت معارفهم فى العلم فقال : ﴿ فاما الذين فى قلوبهم زيغ ﴾ أى اعوجاج عدلوا به عن الحق . و قال الحرالى : هو ميل[٩] المائل إلى ما يزين[١٠] لنفسه الميل إليه ، و المراد هنا أشد الميل الذى هو ميل القلب عن جادة[١١] الاستواء ، [و -[١٢]] فى إشعاره ما يلحق بزيغ[١٣] القلوب من سيئ الأحوال فى الأنفس و زلل[١٤] الأفعال فى الأعمال ، فأنبأ تعالى عما هو الأشد[١٥] و أبهم[١٦] ما هو الأضعف : ﴿ فيتبعون ﴾ فى إشعار هذه الصيغة[١٧] بما تنبئ[١٨] عنه[١٩]

(١) من ظ ، و فى الأصل : بتحقيق (٢) فى ظ : عن (٣) من ظ ، و فى الأصل : اعماله (٤) سورة ٢ آية ٧ (٥) فى النسختين : ذو - كذا (٦) سقط من ظ . (٧) فى النسختين : الذى (٨) فى ظ : لم يترسخ (٩) من ظ ، و فى الأصل : مثل . (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تزين (١١) من ظ ، و فى الأصل : حادة (١٢) زيدت الواو من ظ (١٣) من ظ ، و فى الأصل : تزيغ (١٤) فى ظ : ذين - كذا (١٥) من ظ ، و فى الأصل : الامر (١٦) فى ظ : افهم (١٧) من ظ ، و فى الأصل : المسيغة (١٨) من ظ ، و فى الأصل : ينى (١٩) فى ظ : منه .

من تكلف المتابعة بأن من وقع له الميل فلفته[1] لم تلحقه مذمة هذا الخطاب، فاذا وقع الزلل و لم يتتابع حتى يكون اتباعا سلم من حد الفتنة بمعالجة التوبة ﴿ ما تشابه منه ﴾ فأبهمه[2] إبهاما يشعر بما[3] جرت به الكليات فيما يقع نبأ[4] عن الحق و عن الخلق [من نحو أوصاف النفس كالعليم و الحكيم و سائر أزواج الأوصاف كالغضب و الرضى بناء على الخلق -[5]] ٥ فى بادى الصورة من نحو العين و اليد و الرجل و الوجه و سائر / بوادى الصورة ، كل ذلك مما[6] أنه[7] متشابهات أنزلها الله تعالى ليتعرف للخلق بما جبلهم عليه مما لو[7] لم يتعرف لهم به لم يعرفوه ، ففائدة إنزالها التعرف بما يقع به الامتحان باحجام الفكر عنه و الإقدام على التعبد له ، ففائدة إنزاله عملا فى المحكم و فائدة إنزاله فيه[7] توقفا[8] عنه ليقع الابتلاء ١٠ بالوجهين : عملا بالمحكم و وقوفا عن المتشابه ، قال عليه الصلاة و السلام « لا تتفكروا فى الله » و قال على رضى الله تعالى عنه « من تفكر فى ذات الله تزندق » و وافق[9] العلماء إنكار[10] الخلق عن التصرف فى تكييف شىء منه ، كما ذكر عن مالك رحمه الله تعالى فى قوله : الكيف[11] مجهول و السؤال عنه بدعة ، فالخوض فى المتشابه بدعة ، و الوقوف عنه سنة[12] ؛ ١٥ و أفهم عنه الإمام أحمد يعنى فيما تقدم فى آيات الصفات من أن تأويلها

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فانبه (٣) من ظ ، و فى الأصل : بها (٤) فى ظ : بنآ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : بما (٧) فى ظ : آية (٨) فى كلتا النسختين : توقفا (٩) فى ظ : اوفق (١٠) فى ظ : افكار (١١) فى كلتا النسختين : الكنف (١٢) فى ظ : منه .

تلاوتها، هذا هو حد الإيمان و موقفه، و إليه أذعن الراسخون فى العلم، و هم الذين تحققوا فى أعلام العلم، و لم يصغوا[1] إلى وهم التخييل و التمثل[2] به فى شىء مما أنبأ الله سبحانه و تعالى به عن نفسه و لا فى شىء مما بينه و بين خلقه و [كان فى ـ ٣] توقفهم عن الخوض[4] فى المتشابه تفرغهم[5] للعمل فى المحكم[6]، لأن المحكم واضح وجدانى[7]، متفقة[8] عليه مدارك الفطن و إذعان الجبلات و منزلات الكتب، لم يقع فيه اختلاف بوجه حتى كان لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة[9] من كبر، للزوم الواجب من العمل بالمحكم فى إذعان النفس، فكما لا يصلح العراء[10] عن الاتصاف بالمحكم لا يصلح الترامى[11] إلى شىء من الخوض فى المتشابه لأحد من أهل العلم و الإيمان[12] أهل الدرجات، لأن الله سبحانه و تعالى جبل الخلق و فطرهم على إدراك حظ من أنفسهم و من أحوالهم، و أوقفهم[13] عن إدراك ما هو راجع إليه، فأمر الله و تجلياته لا تنال[14] إلا بعناية[15] منه، يزج العبد[16] زجه[17] يقطع به الحجب الظلمانية و النورانية

(١) فى ظ : يطغوا (٢) من ظ، و فى الأصل : المتمثل (٣) زيد من ظ .
(٤) فى كلتا النسختين : العوض (٥) فى كلتا النسختين : تفرعهم (٦) من ظ، و فى الأصل : محكم (٧) من ظ، و فى الأصل : وحدانى (٨) سقط من ظ .
(٩) فى ظ : حبة (١٠) من ظ، و فى الأصل : الغذا ـ كذا (١١) وقع فى الأصل : اكثر امتى، و فى ظ : الترامى ـ كلاهما مصحفين عما أثبتناه (١٢) فى النسختين كلتيهما : لايمان (١٣) فى الأصل : اوفقهم، و فى ظ : اوقفهم (١٤) فى ظ : لا ينال (١٥) فى ظ : بعنايته (١٦) فى ظ : بالعبد (١٧) من ظ، و فى الأصل : زجة .

التى فيها مواقف العلماء ؛ فليس فى هذا الحرف المتشابه إلا أخذ[1] لسانين: لسان وقفة[2] عن حد الإيمان للراسخين[3] فى العلم المشتغلين[4] بالاتصاف بالتذلل و التواضع و التقوى و البر الذى أمر صلى الله عليه و سلم أن يتبع فيه حتى ينتهى العبد[5] إلى أن يحبه الله ، فيرفع عنه عجز الوقفة[6] عن المتشابه[7] ، و ينقذه[8] من حجاب النورانية ، فلا يشكل عليه دقيق و لا يعييه[9] خفى بما أحبه الله ، و ما بين ذلك من خوض دون إنفاذ[10] هذه العناية فنقص عن حد رتبة الإيمان و الرسوخ فى العلم ، فكل خائض فيه ناقص من حيث يحب[11] أن يزيد ، فهو إما عجز إيمانى من حيث الفطر الخلق ، و إما تحقق إيقانى[12] توجبه[13] العناية و المحبة[14] - انتهى .

و لما ذكر سبحانه و تعالى اتباعهم له ذكر علته فقال : ﴿ ابتغآء الفتنة ﴾ أى تميل[15] الناس عن عقائدهم بالشكوك ﴿ و ابتغآء تاويله ج ﴾ أى ترجيعه إلى ما يشتهونه و تدعو إليه نفوسهم المائلة و أهويتهم الباطلة بادعاء أنه[16] مآله . قال الحرالى : و الابتغاء افتعال[17] : تكلف[18] البغى ، و هو شدة[19] الطلب ، و جعله تعالى ابتغاءين لاختلاف وجهيه ، فجعل

(١) من ظ ، و فى الأصل : حد (٢) فى النسختين : وفقه (٣) من ظ ، و فى الأصل : الراسخين (٤) فى ظ : المستعلى (٥) سقط من ظ (٦) فى الأصل : الوفقة ، و فى ظ : الونعة - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : التشابه (٨) فى ظ : و ينفده . (٩) فى النسختين : و لا يعيبه (١٠) فى ظ : انفاد (١١) فى ظ : يجب (١٢) فى ظ : اتفاق (١٣) من ظ ، و فى الأصل : توجيه (١٤) من ظ ، و فى الأصل : و المحقة (١٥) فى ظ : تمثيل (١٦) من ظ ، و فى الأصل : امة (١٧) من ظ ، و فى الأصل : فنعل - كذا (١٨) فى ظ : يكلف (١٩) فى ظ : اشد .

الأول فتنـــة لتعلقه بالغير وجعل الثانى تأويلا أى طلبا للمآل عنده، لاقتصاره على نفسه، فكان أهون الزيغين - انتهى.

ولما بين زيغهم بين أن نسبة [١] خوضهم فيما لا يمكنهم علمه فقال: ﴿وما﴾ أى والحال أنه [ما - ٢] ﴿يعلم﴾ فى الحال وعلى القطـع ٥ ﴿تأويلهٗ﴾ قال الحرالى: هو ما يؤول إليه أمر الشىء فى مآله إلى معاده ﴿الا الله٢﴾ أى المحيط قدرة وعلما، قال: ٣ والكل[٣] باد من الخلق مآل كما أن الآخرة مآل الدنيا "يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق[٤]" ولذلك كل يوم من أيام الآخرة مآل للـــذى قبله، فيوم الخلود مآل يوم الجزاء، ومآل ١٠ الأبد مآل يوم الخلود؛ وأبد الأبد مآل الأبد، وكذلك[٥] كل الخلق له / مآل من الأمر، فأمر الله مآل[٦] خلقه وكذلـــك[٧] الأمر، كل تنزيل[٨] أعلى منه مآل للتنزيل[٩] الأدنى إلى كمال الأمر، وكل أمر الله مآل من أسمائه وتجليـاته، وكل[١٠] تجل أجلى[١٠] مآل لما دونه من تجل[١١] أخفى، قال عليـه الصلاة والسلام «فيأتيهم [ربهم - ٢] فى ١٥ غير الصورة التى يعرفونها - الحديث إلى قوله: أنت ربنا» فكان تجليه[١٢]

---

(١) من ظ، وفى الأصل: ثمه (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) سقط من ظ.
(٤) سورة ٧ آيـة ٥٣ (٥) فى ظ: لذلك (٦) فى ظ: كما (٧) من ظ، وفى الأصل: ولذلك (٨) من ظ، وفى الأصل: تنزل (٩) فى ظ: للتنزل (١٠-١٠) فى ظ: تجلى اجلى، وفى الأصل: يحل احلى (١١) فى الأصل: تحلى، وفى ظ: تجلى (١٢) من ظ، وفى الأصل: يحليه.

الأظهر لهم مآل تجليه[1] الأخفى عنهم؛ فكان كل أقرب[2] للخلق من غيب خلق و قائم أمر و على تجل[3] إبلاغا[4] إلى ما وراءه - فكان تأويله، فلم تكن[5] الإحاطة بالتأويل المحيط إلا لله[6] سبحانه و تعالى.

و لما ذكر الزائغين ذكر الثابتين[7] فقال: ﴿ و الرّٰسخون فى العلم ﴾ قال الحرالى: و هم المتحققون فى أعلام العلم من حيث أن الرسوخ - النزول بالثقل فى الشيء الرخو - ليس الظهور على الشيء، فلرسوخهم كانوا أهل إيمان[8]، و لو أنهم كانوا ظاهرين على العلم كانوا أهل إيقان، لكنهم راسخون فى العلم لم يظهروا بصفاء الإيقان على نور العلم، فثبتهم الله سبحانه و تعالى عند حد[9] التوقف فكانوا دائمين على الإيمان بقوله: ﴿ يقولون ءامنا به ﴾ بصيغة الدوام - انتهى. أى هذا حالهم فى رسوخهم.

و لما كان هذا قسيما[10] لقوله "و اما الذين فى قلوبهم زيغ" كان ذلك واضحا فى كونه ابتداء و أن الوقوف[11] على ما قبله، و لما كان هذا الضمير محتملا للحكم فقط قال: ﴿ كل ﴾ أى من المحكم و المتشابه. قال الحرالى: و هذه الكلمة[12] معرقة بتعريف الإحاطة التى أهل النحاة ذكرها فى وجوه التعريف إلا من ألاح[13] معناها منهم

(١) فى الأصل: يحليه، وفى ظ: تجلية (٢) من ظ، و فى الأصل: اقره. (٣) فى الأصل: يحل، و فى ظ: تجلى (٤) من ظ، و فى الأصل: ايلا (٥) من ظ، و فى الأصل: فلم يكن (٦) فى النسختين: الله (٧) من ظ، و فى الأصل: التائبين (٨) من ظ، و فى الأصل: الايمان (٩) سقط من ظ (١٠) فى النسختين: قسا (١١) فى ظ: الوقف (١٢) فى ظ: الحكمة (١٣) من ظ، و فى الأصل: الا.

فلم يلقن و لم ينقل جماعتهم ذلك ؛ و هو من أكمل[1] وجوه التعريف ، لأن حقيقة التعريف [2]التعين بعيان[2] أو عقل ، و هى إشارة إلى إحاطة ما أنزله على إبهامه . فكان مرجع المتشابه و المحكم عندهم مرجعا واحدا ، آمنوا بمحل اجتماعه الذى منه نشأ فرقانه ، لأن كل مفترق بالحقيقة إنما

٥ هو معروج[3] من حد اجتماع ، فما رجع إليه[4] الإيمان فى قولهم : آمنا به ، هو محل اجتماع المحكم و المتشابه فى إحاطة الكتاب قبل تفصيله - انتهى . ﴿ من عند ربنا ﴾ أى المحسن إلينا بكل اعتبار ، و لعله [5]عبر بعند[5] و هى بالأمر الظاهر بخلاف [6]لدن[6] إشارة إلى ظهور ذلك عند التأمل ، و عبروه[6] عن الاشتباه .

١٠ و لما كان مع كل مشتبه أمر إذا[7] دقق[8] النظر فيه رجع إلى مثال حاضر للعقل إما محسوس و إما فى حد ظهور المحسوس قال - معمما لمدح المتأملين على دقة الأمر و شدة غموضه بادغام تاء التفعل[9] مشيرا إلى أنهم تأهلوا بالرسوخ إلى الارتقاء عن رتبته ، ملوحا إلى أنه[10] لا فهم لغيرهم عاطفا على ما تقديره : فذكرهم الله من معانى المتشابه ببركة إيمانهم

١٥ و تسليمهم[11] بما نصبه[11] من الآيات فى الآفاق و فى أنفسهم ما يمكن أن

---

(١) فى ظ : الحمل (٢ - ٢) فى ظ : اليقين لعيان (٣) فى ظ : مغروح (٤) فى ظ : الا (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : غير بعيد - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : و عزوه (٧) من ظ ، و فى الأصل : ا - فقط (٨) فى ظ : دقق (٩) من ظ ، و فى الأصل : لتفعل (١٠) من ظ ، و فى الأصل : انهم (١١) من ظ ، و فى الأصل : لتسليمهم (١٢) من ظ ، و فى الأصل : نصه .

يكون إرادة [١] منه سبحانه [١] و تعالى و إن لم [يكن - ٢] على القطع بأنه إرادة - : ﴿ و ما يذكر ﴾ [أى - ٢] من الراسخين بما سمع من المتشابه ما فى حسه و عقله من أمثال ذلك ﴿ الآ اولوا الالباب ﴾ قال الحرالى : الذين لهم لب العقل الذى للراسخين فى العلم ظاهره ، فكان بين أهل الزيغ و أهل التذكر مقابلة بعيدة ، فمنهم متذكر ينتهى إلى إيقان ، و راسخ فى العلم يقف عند حد إيمان ، و متأول يركن إلى لبس [٣] بدعة ، و فاتن يتبع هوى ؛ فأنبأ جملة [٤] هذا البيان عن أحوال الخلق بالنظر إلى تلقى الكتاب كما أنبأ بيان سورة البقرة عن [٥] جهات تلقيهم [٦] للأحكام - انتهى .

و لما علم بذلك أن الراسخين أيقنوا أنه من عند الله المستلزم لأنه لا عوج [٧] فيه أخبر أنهم أقبلوا على التضرع إليه فى أن يثبتهم [٨] بعد هدايته ثم أن يرحمهم ببيان ما أشكل عليهم بقوله - حاكيا عنهم و هو فى الحقيقة تلقين منه لهم لطفا بهم [٩] مقدما ما ينبغى تقديمه من السؤال فى تطهير القلب عما لا ينبغى على طلب تنويره بما [١٠] ينبغى لأن إزالة المانع قبل [١١] إيجاد المقتضى عين الحكمة [١٢] - : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا [١٣]

(١ - ١) فى ظ : سبحانه منه (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ليس (٤) فى الأصل : حمله ، و فى ظ : حملة (٥) فى ظ : من (٦) فى ظ : تلقنهم.
(٧) من ظ ، و فى الأصل : حرج (٨) من ظ ، و فى الأصل : تسبثهم - كذا .
(٩) من ظ ، و فى الأصل : لهم (١٠) زيد بعده فى ظ : لا (١١) فى ظ : مثل .
(١٢) فى ظ : المحكمة (١٣) من ظ ، و فى الأصل : اليها .

﴿ لا تزغ قلوبنا ﴾ أى عن الحق .

و لما كان صلاح القلب [صلاح الجملة -[1]] و [فساده -[1]] فسادها و كان[2] ثبات الإنسان على سنن الاستقامة ممن غير عوج أصلا / مما ٣٣٣/
لم يجر به سبحانه و تعالى عادته لغير المعصومين[3] قال - نازعا[4] الجار مسندا
٥ الفعل إلى ضمير الجملة -: ﴿ بعد اذ هديتنا ﴾ إليه . و قال الحرالى: فى إلاحة معناه أن هذا الابتهال واقع من أولى الألباب ليترقوا من محلهم[5] من التذكر إلى ما هو أعلى و أبطن - انتهى . فلذلك قالوا: ﴿ و هب لنا من لدنك ﴾ أى أمرك الخاص بحضرتك القدسية ، الباطن عن غير خواصك ﴿ رحمة ج ﴾ أى فضلا و منحة منك ابتداء من غير سبب منا ،
١٠ و نكرها تعظيما بأن أيسر شىء منها يكفى الموهوب[6] .

و لما[7] لم يكن لغيره شىء[7] أصلا فكان[8] كل عطاء من فضله قالوا - و قال الحرالى: و لما كان الأمر اللدنى ليس مما فى[9] فطر[10] الخلق و جبلاتهم و إقامة حكمتهم ، و إنما هو موهبة من الله سبحانه و تعالى بحسب العناية ختم بقوله: ﴿ انك انت الوهاب ٥ ﴾ و هى صيغة مبالغة من

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : كانت (٣) فى ظ : المقصومين - كذا بالقاف (٤) من ظ ، و فى الأصل : بارعا (٥) من ظ ، و فى الأصل : كلهم (٦) من ظ ، و فى الأصل : للوهوب (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : لم تكن لغير حسيا (٨) من ظ ، و فى الأصل : و كان (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ . و فى الأصل : نظر .

الوهب[1] و الهبة ، و هى العطية سماحا من غير قصد من الموهوب[2] - انتهى .

و لما كان من المعلوم من أول ما فرغ السمع من الكتاب فى الفاتحة و أول البقرة و [3] أثنائها أن[3] للناس يوما يدانون فيه وصلوا بقولهم السابق قوله : ﴿ ربنآ انك جامع ﴾ قال الحرالى : من الجمع ، و هو ضم ما شأنه الافتراق و التنافر لطفا أو قهرا - انتهى . ﴿ الناس ﴾ أى كلهم ﴿ ليوم ﴾ أى يدانون فيه ﴿ لا ريب فيه[4] ﴾ ثم عللوا نفى الريب بقولهم - عادلين عن الخطاب آتين[5] بالاسم الأعظم لأن المقام للجلال - : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ لا يخلف[6] ﴾ و لما كان نفى الخلف فى زمن الوعد و مكانه أبلغ من نفى خلافه[6] نفسه عبر[7] بالمفعال فقال : ﴿ الميعاد ﴾ و قال الحرالى : هو مفعال من الوعد ، و[8] صيغ [9] لمعنى تكرره[9] و دوامه ، و الوعد العهد فى الخير[10] - انتهى . و كل ذلك تنبيها على أنه يجب التثبت[11] فى فهم الكتاب و الإحجام عن مشكله خوفا من الفضيحة يوم الجمع يوم يساقون إليه و يقفون بين يديه ، فكأنه تعالى يقول للنصارى : هب أنه أشكل عليكم بعض أفعالى[12]

---

(١) فى ظ : الموهب (٢) من ظ ، و فى الأصل : الموهب (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : اتيانها - فقط (٤) من ظ ، و فى الأصل : ابين (٥) زيد بعده فى ظ : ميعاد (٦) من ظ ، و فى الأصل : خلافة (٧) من ظ ، و فى الأصل : عبر (٨) سقطت الواو من ظ (٩-٩) فى ظ : المعنى يكرره (١٠) من ظ ، و فى الأصل : الخبر . (١١) من ظ ، و فى الأصل : التثبية (١٢) من ظ ، و فى الأصل : افعال .

و أقوالى فى الإنجيل فهلا فعلتم فعل الراسخين فنزهتمونى عما لا [١] يليق بجلالى من التناقض و غيره ، و وكلتم أمر ذلك إلىّ ، و عولتم [٢] فى فتح مغلقه علىّ خوفا من يوم الدين؟ قال ابن الزبير : ثم لما بلغ الكلام إلى هنا - أى إلى آية التصوير - كان كأنه قد قيل : فكيف طرأ عليهم ٥ ما طرأ مع وجود الكتب؟ فأخبر تعالى بشأن الكتاب و أنه محكم و متشابه ، و كذا غيره من الكتب - و الله سبحانه و تعالى أعلم ، فحال أهل التوفيق تحكيم [٣] المحكم ، و حال أهل الزيغ اتباع المتشابه و التعلق به ، وهذا بيان لقوله : " يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا [٤] " و كل [٥] هذا بيان لكون الكتاب العزيز أعظم فرقان و أوضح بيان إذ قد أوضح أحوال المختلفين ١٠ و من أين أتى عليهم مع وجود الكتب ، و فى أثناء ذلك تنبيه العباد على عجزهم و عدم استبدادهم لئلا يغتر الغافل [٦] فيقول مع هذا البيان و وضوح الأمر : لا طريق إلى تنكب [٧] الصراط ، فنبهوا [٨] حين علموا [الدعاء - [٩]] من قوله : " و اياك نستعين [١٠] " ثم كرر تنبيههم لشدة الحاجة ليذكر هذا أبدا ، ففيه معظم [١١] البيان ، ومن اعتقاد الاستبداد ينشأ الشرك الأكبر إذ اعتقاد الاستبداد ١٥ بالأفعال إخراج لنصف [١٢] الموجودات عن يد بارئها [١٣] " و الله خلقكم

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : و عونتم (٣) من ظ ، و فى الأصل : بحكيم (٤) سورة ٢ آية ٢٦ (٥) من ظ ، و فى الأصل : و كان (٦) فى ظ : الفاعل (٧) فى ظ : تبكيت (٨) فى ظ : فينهوا (٩) زيد من ظ (١٠) سورة ١ آية ٤ (١١) من ظ ، و فى الأصل : تعظيم (١٢) من ظ ، و فى الأصل : النصف . (١٣) فى ظ : باوبها .

و ما تعملون[1] " فمن التنبيه[2] " ان الذين كفروا " و منه : " يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا[3] " و منه : " أمن الرسول " - إلى خاتمتها ، هذا من [4]جلى التنبيه[4] و محكمه ، و مما يرجع إليه و يجوز معناه بعد اعتباره : " و الهكم اله واحد[5] " وقوله : " الله لا اله الا هو الحى القيوم[6] " ، فمن رأى الفعل أو بعضه[7] لغيره تعالى حقيقة فقد قال بالهية[8] غيره ، ثم حذروا أشد التحذير لما بين لهم فقال تعالى : " ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد[9] " ثم ارتبطت الآيات إلى آخرها - انتهى .

و لما تحقق أن يوم الجمع كائن لا محالة تحقق أن من نتائجه تحقيقا لعزته سبحانه و تعالى / و انتقامه من الكفرة قوله تعالى : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى الذين يظنون لسترهم[10] ما دلت عليه مرأى عقولهم أنهم يمتنعون من أمر الله لأنهم يفعلون فى عصيانه و عداوة أوليائه فعل من يريد المغالبة[11] ﴿ لن تغنى عنهم اموالهم ﴾ أى و إن كثرت ، و قدمها لأن بها قوام ما بعدها و تمام لذاته[12] ، و أكد باعادة[13] النافى ليفيد النفى عن[14] كل حالة[15] و عن المجموع فيكون أصرح فى المرام[16] / ٣٣٤

(١) سورة ٣٧ آية ٩٦ (٢) من ظ ، و فى الأصل : التشبيه (٣) سورة ٢ آية ٢٦ .
(٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : حلى التشبيه (٥) سورة ٢ آية ١٦٣ (٦) سورة ٢ آية ٢٥٥ (٧) من ظ ، و فى الأصل : يقصد (٨) من ظ ، و فى الأصل : بالهيبة .
(٩) سورة ٣ آية ٤ (١٠) فى ظ : لشرهم (١١) من ظ ، و فى الأصل : الغالبة .
(١٢) فى ظ : لذته (١٣) من ظ ، و فى الأصل : باعادته (١٤) من ظ ، و فى الأصل : على (١٥) فى ظ : على حباله (١٦) فى ظ : المراد .

﴿ و لآ اولادهم ﴾ و إن جلت و عظمت ﴿ من الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ شيئا[1] ﴾ أى من إغناء مبتدئا من جهة الله ، و إذا كانت تلك الجهة عارية عما يغنى كان كل ما يأتيهم من قبله سبحانه و تعالى من بأس واقعا بهم لا مانع له ، فهما أراد بهم كان من خذلان فى الدنيا و بعث بعد الموت و حشر بعد[1] البعث و عذاب فى الآخرة ، فأولئك المعرضون[2] منه لكل بلاء ﴿ و اولئك هم وقود النار ﴾ و فى ذلك [أعظم - ٣] تنبيه على أن الزائغين الذين خالفوا[4] الراسخين فوقفت[5] بهم نعمه المقتضية لتصديقه [عن تصديقه - ٦] ليست مغنية[7] عنهم تلك النعم شيئا ، و أنهم مغلوبون لا محالة فى الدنيا و محشورون[8] فى الآخرة إلى جهنم .

و لما كانت هذه السورة سورة التوحيد كان الأليق بخطابها أن يكون الدعاء فيه إلى الزهد أتم من الدعاء فى غيرها ، و الإشارة فيه إلى ذلك أكثر من الإشارة فى غيره ، فكانت هذه الآية قاطعة للقلوب النيرة[9] بما أشارت إليه من فتنة الأموال و[10] الأولاد الموجبة للهلاك[11] .

قال الحرالى : و لما كان من مضمون ترجمة سورة البقرة إطلاع النبى صلى الله عليه و سلم على سر التقدير الذى صرف عن الجواب فيه و إظهار[12]

(١) و إلى هنا انتهت السقطة من مد (٢) فى مد : المفرضون (٣) زيد من مد.
(٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : قابلوا (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : فوقعت.
(٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد ، و فى الأصل : مضيه ، و فى ظ : مغيبة .
(٨) فى الأصل و ظ : محشرون (٩) من ظ و مد . و فى الأصل : الغيرة (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : للحلال (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : و اظهر .

سره موسى كليم الله و عيسى كلمة الله عليهما الصلاة و السلام كان مما أظهره الله سبحانه و تعالى لعامة أمة محمد صلى الله عليه و سلم إعلاء لها على كل أمة[1] ، و اختصاصا لها بما[2] علا اختصاص نبيها صلى الله عليه و سلم حتى قال قائلهم : أخبرهم أنى برىء منهم و أنهم براء منى - لقوم لم يظهروا[3] على سر القدر ، و قال : و الذى يحلف[4] به عبد الله بن عمر : لو أن ٥ لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل منه حتى يؤمن بالقدر ، فأفهم الله سبحانه و تعالى علماء هذه الأمة أن أعمالها لا تقبل إلا على معرفة سر التقدير لتكون[5] قلوبها[6] بريئة من أعمال ظواهرها ، كما قيل فى أثارة[7] من العلم : من لم يختم عمله بالعلم لم يعمل ، و من لم يختم علمه[8] بالجهل لم يعلم ، فختم العامل [عمله -[9]] بالعلم أن يعلم أنه لا عمل له ، و أن ١٠ المجرى على يديه أمر مقدر قدره الله تعالى عليه و أقامه[10] فيه لما خلقه[11] له من حكمته من وصفه من خير أو شر و من تمام كلمته فى رحمته أو عقوبته ليظهر[12] بذلك حكمة الحكيم ، و لا حجة للعبد على ربه و لا حجة للصنعة على صانعها - و لله سبحانه و تعالى الحجة البالغة ؛ و كذلك[13] العالم متى

(١) فى ظ : احد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بها (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : لم يظهر (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يخلف (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليكون (٦) فى ظ : قلوبنا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اثاره . (٨) فى ظ : عمله (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من مد ، و فى الأصل : و اقامة ، و سقط من ظ (١١) فى مد : خلق (١٢) فى ظ و مد : لتظهر (١٣) فى ظ : لذلك .

لم ينطو سره على أنه لا يعلم و إنما العلم عند الله سبحانه و تعالى لم يثبت له علم ، فذلك[١] ختم العمل[٢] بالعلم و ختم العلم بالجهل ، فكما أطلعه سبحانه و تعالى فى فاتحة سورة البقرة على سر تقديره فى خلقه أظهره فى فاتحة سورة آل عمران على علن قيوميته الذى هو شاهده فى وحى ربه ، كما هو بصير[٣] بسر القدر فى تفرق أفعال خلقه ، فكان منزل سورة البقرة قوام الأفعال ، و منزل سورة آل عمران قوام التنزيل [و الإنزال ، فكان علن[٤] القيومية قوام التنزيل - [٥]] للكتاب[٦] الجامع الأول ، و التنزيل قوام إنزال الكتب ، و إنزال الكتاب الجامع لتفسير الكتب قوام تفصيل الآيات المحكمات و المتشابهات ، و الإحكام و التشابه[٧] إقامة الهدى و الفتنة ، و الهدى و الفتنة إقامة متصرف الحواس الظاهرة و الباطنة ، و الأحوال و ما دونها من الأفعال على وجه جمع يكون[٨] قواما لما تفصل من مجمله و تكثر من وحدته و تفرق من اجتماعه ، و لعلو[٩] مضمون هذه السورة لم يقع فيها توجه الخطاب بها لصنف[١٠] الناس[١١] ، و اختص خطابها بالذين آمنوا فى علو من معانى الإيمان لما ذكر من شرف سن الإيمان على سن الناس فى تنامى[١٢] / [أسنان - [٥]] /٣٣٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلذلك (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : العلم . (٣) فى ظ : يصير (٤) من مد ، و فى ظ : على (٥) ما بين الحاجزين زيد من ظ و مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الكتاب (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل المتشابه (٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعلو (١٠) من مد و ظ ، و موضعه بياض فى الأصل (١١) فى ظ : الكتاب (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتامى .

القلوب ، و كان خطاب[١] سورة البقرة بمقتضى رتبة العقل الذى به يقع أول الإصغاء و الاستماع ، كما ظهر فى آيات الاعتبار فيها فى قوله سبحانه و تعالى : " ان فى خلق السمٰوٰت و الارض - إلى قوله : لقوم يعقلون[٢] " فكان خطاب سورة آل عمرٰن إقبالا على أولى الألباب الذين [لهم - ٣] لب العقل ، بما ظهر فى أولها و خاتمتها فى قوله : " و ما يذكر الا اولوا الالباب " و فى خاتمتها فى آيات اعتبارها فى قوله سبحانه و تعالى " ان فى خلق السمٰوٰت و الارض و اختلاف الّيل و النهار لأيٰت لاولى الالباب[٤] " فبالعقل يقع الاعتبار لمنزل الكتاب و باللب يكون التذكر ، إيلاء إلى الذى نزل الكتاب ، و بالجملة فمثانى هذه السورة من تفاصيل آياتها و جمل[٥] جوامعها مما[٦] هو أعلق بطيب[٧] الإيمان و اعتبار اللب ، كما أن منزل سورة البقرة أعلق بما هو من أمر الأعمال و إقامة[٨] معالم الإسلام بما ظهر فى هذه السورة من علن أمر الله ، و بما افتتحت به [من - ٩] اسم الله الأعظم الذى جميع الأسماء أسماء له لإحاطته[١٠] و اختصاصها بوجه ما ، فكان فيها علن[١١] التوحيد [و - ١٢] كماله و قوام تنزيل[١٣] الأمر و تطور[١٤] الخلق فى جميع متنزلها و مثانيها[١٥] ، و ظهر

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : ختام (٢) سورة ٢ آية ١٦٤ (٣) زيد من ظ و مد (٤) سورة ٣ آية ١٩٠ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : و حمل . (٦) فى ظ : بما (٧) فى مد : بقلب (٨) فى ظ : اقامت (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ : لاحاطة (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (١٢) زيدت الواو من ظ و مد (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تنزيله (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بطور (١٥) من مد ، و فى الأصل : منابتها ، و فى ظ : مشانيها - كذا .

فيها تفصيل وجوه الحكم العلية التى تضمن جملة ذكرها الآية الجامعة فى سورة البقرة فى قوله سبحانه و تعالى "يؤتى الحكمة من يشاء[١]" فكان من جملة بناء الحكمة ما هو السبب فى ظهور الكفر من الذين كفروا بما غلب عليهم من الفتنة بأموالهم و أولادهم حتى ألهتهم عن ذكر الله، فانتهوا فيه إلى حد الكفر الذى نبه عليه "الذين آمنوا" فى قوله سبحانه و تعالى: "يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم و لا أولادكم عن ذكر الله[٢]" - انتهى.

و لما كان السبب المقتضى لاستمرار الكفر من[٣] النصارى المجادلين فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام الخوف ممن فوقهم من ملوك النصرانية نبههم سبحانه و تعالى على أول قصة أسلافهم من بنى إسرائيل، و ما كانوا فيه من الذل مع آل فرعون، و ما كان فيه فرعون من العظمة التى [٤]تُقسر بها[٤] ملوك زمانهم، ثم لما أراد الله سبحانه و تعالى قهر أسلافهم له لم تضرهم[٥] ذلتهم[٦] و لا قلتهم، و لا نفعته عزته و لا كثرة آله، فلذلك صرح بهم سبحانه و تعالى و طوى ذكر من قبلهم فقال: ﴿كداب﴾ أى لم يغن عنهم ذلك شيئا[٣] مثل عادة ﴿آل فرعون[٧]﴾ أى الذين اشتهر لديكم استكبارهم[٧] و عظمتهم و فخارهم، قال الحرالى:

---

(١) سورة ٢ آية ٢٦٩ (٢) سورة ٦٣ آية ٩ (٣) سقط من ظ (٤-٤) من مد، و فى الأصل بياض، و فى ظ: بعسرتها (٥) فى ظ: لم يضرهم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: قلتهم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: استكثاركم.

الدأب العادة الدائمة التى[1] تتأبد[2] بالتزامها، و آل[3] الرجل من إذ أحصر[4] تراءى فيهم فكأنه لم يغب[5]؛ و فرعون اسم ملك مصر فى الكفر، و مصر أرض جامعة كليتها و جملة[6]، إقليمها نازل منزلة الأرض كلها، فلها إحاطة بوجه ما، فلذلك أعظم شأنها فى القرآن و شأن العالى فيها من الفراعنة، و كان الرسول المبعوث إليه أول المؤمنين بما ٥ وراء أول[7] الخلق من طليعة[8] ظهور الحق لسماع كلامه بلا واسطة ملك، فكان أول من طوى فى رتبة بنوته[9] رتبة البنوة ذات الواسطة، فلذلك بدئ [به -[10]] فى هذا الخطاب لعلو رتبة بنوته بما هو كليم الله و مصطفاه على[11] الناس، و لحق به من تقدمهم بما وقعت فى بنوته من واسطة زوج أو ملك، و خص آله لأنه هو كان عارفا بأمر الله ١٠ سبحانه و تعالى فكان جاحدا[12] لا مكذبا - انتهى. ﴿ و الذين ﴾ و لما كان المكذبون إنما هم بعض المتقدمين أدخل الجار فقال: ﴿من قبلهم ط ﴾ و قد نقلت إليكم أخبارهم و قوتهم و استظهارهم فكأنه قيل: ما ذا[13] كانت عادتهم؟ فقيل: ﴿ كذبوا ﴾ و لما كان التكذيب موجبا للعقوبة

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: الذى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: يتابد. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: دار- كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: احضر (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يعب (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: و جملتها (٧) فى مد: امر (٨) فى ظ و مد: طايقة (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: موته (١٠) زيد من مد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: جاهدا (١٣) من مد، و فى الأصل: ما اذا، و فى ظ: فاذا.

كان مظهر العظمة [به - ١] أليق، فصرف القول إليه فقال: ﴿ بآيتنا ﴾ السورية و الصورية مع ما لها من العظمة [بما لها - ٢] من إضافتها إلينا ﴿ فاخذهم ﴾ و لما أفحشوا فى التكذيب عدل إلى أعظم من مظهر العظمة تهويلا لأخذهم فقال: ﴿ الله ﴾ فأظهر الاسم الشريف تنبيها على باهر العظمة ﴿ بذنوبهم ط ﴾ أى من٣ التكذيب و غيره. قال الحرالى: فيه إشعار بأن صريح المؤاخذة مناط٤ بالذنوب، و أن / المؤاخذة الدنيوية لا تصل إلى حد الانتقام على التكذيب، فكان ما ظهر من [أمر - ٢] الدنيا يقع عقابا على ما ظهر من الأعمال، و ما بطن من أمر الآخرة يستوفى٥ العقاب على ما أصرت٦ عليه٧ الضمائر من التكذيب، و لذلك يكون عقاب الدنيا طهرة للمؤمن لصفاء٨ باطنه من التكذيب، و٩ يكون واقع يوم الدنيا كفاف ما جرى على ظاهره [من المخالفة - ١] فكأن الذنب من المؤمن يقع فى دنياه خاصة، و الذنب من الكافر يقع فى دنياه و أخراه من استغراقه لظاهره و باطنه، و أظهر الاسم الشريف و لم يضمر للتنبيه١٠ على زيادة العظمة فى عذابهم لمزيد اجترائهم فقال: ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الملك الذى لا كفوء له فى جبروته و لا شىء من نعوته ﴿ شديد العقاب ۝ ﴾ لا يعجزه شىء.

/٣٣٦

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) سقط من مد (٤) فى ظ و مد: يناط (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ليستوفى (٦) فى ظ: اخبرت (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: اليه (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بصفاء (٩) زيد بعده فى ظ: لذلك يكون عقاب الدنيا و (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: التشبيه.

و لما تم ذلك على هذه الوجوه الظاهرة التى[1] أوجبت اليقين لكل[2] منصف[3] بأنهم مغلوبون وصل بها أمره صلى الله عليه و سلم و هو الحبيب العزيز بأن يصرح [لهم -[4]] بمضمون ذلك فقال : ﴿ قل للذين كفروا ﴾ أى من أهل زمانك جريا[5] على منهاج أولئك الذين أخذناهم ﴿ ستغلبون ﴾ كما غلبوا و إن كنتم ملأ الأرض لأنكم ٥ إنما تغالبون خالقكم و هو الغالب لكل شىء : « و ليُغلَبنّ مُغالِبُ[6] الغَلّاب[7] » و اللام على قراءة الجمهور بالخطاب معدية[8] ، و على قراءة الغيب معللة[9] ، أى قل لأجلهم ، أو هى بمعنى عن ، أى قل عنهم ، و قد أفهم الإخبار بمجرد الغلبة دون ذكر العذاب كما كان يذكر فى تهديد من قبلهم أن أخذهم بيد المغالبة و المدافعة و النصرة[10] تشريفا لنبيهم صلى الله عليه ١٠ و سلم لأنه عرض عليه[11] عذابهم فأبى إلا المدافعة على سنة المصابرة[12] ، فكان أول ذلك غلبته[13] صلى الله عليه و سلم على مكة المشرفة ، و كان فتحها فتحا لجميع الأرض لأنها أم القرى - نبه على ذلك الحرالى . ﴿ و تحشرون ﴾ أى تجمعون[14] بعد موتكم أحياء كما كنتم قبل الموت

(١) فى ظ : الذى (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : بكل (٣) فى ظ : متصف .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد ، و فى الأصل : جزاء ، و فى ظ : حرفا .
(٦) فى ظ : بغالب (٧) والمصراع الأول « همّت سَخينةُ أن تغالب ربّها » ، والبيت لكعب بن مالك - لسان العرب (٨) فى ظ : يتعدبه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : مقلة (١٠) زيدت الواو بعده فى ظ (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليهم (١٢) فى ظ : المضابرة (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : عليه (١٤) فى ظ : يجتمعون .

﴿ الى جهنم ط ﴾ قال الحرالى : و هى من[1] الجهامة ، و هى كراهة[2] المنظر - انتهى ؛ فتكون[3] مهادكم ، لا مهاد لكم غيرها ﴿ و بئس ﴾ أى و الحال أنها بئس ﴿ المهاد ه ﴾ .

و لما كان الكفرة من أهل الكتاب و غيرهم من العرب بمعرض أن يقولوا حين قيل لهم ذلك : كيف [نغلب -[4]] و ما هم فينا إلا[5] كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود؟[6] قيل لهم : إن كانت قصة آل فرعون لم تنفعكم لجهل أو[7] طول عهد فانه ﴿ قد كان لكم اٰية ﴾ أى عظيمة بدلالة تذكير 'كان' ﴿ فى فئتين ﴾ تثنية[8] فئة[9] - للطائفة[10] التى[11] يفىء إليها[11] - أى يرجع - من يستعظم شيئا ، استنادا[12] إليها حماية بها لقوتها و منعتها[13] ﴿ التقتا ط ﴾ أى فى بدر ﴿ فئة ﴾ أى منهما[14] مؤمنة ، لما يرشد إليه قوله : ﴿ تقاتل فى سبيل الله ﴾ أى الملك الأعلى لتكون كلمة الله هى العليا ، و من كان كذلك[15] لم يكن قطعا [إلا -[16]] مؤمنا ﴿ و اخرى ﴾ أى منهما[14] ﴿ كافرة ﴾

(١) سقط من مد (٢) فى ظ : كراهة (٣) فى ظ : فيكون (٤) زيد من مد ، و فى ظ : يغلب (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ل لا - كذا (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) فى ظ : و (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تشية - كذا . (٩) وقع فى النسخ : فيه - مصحفا ، و زيد بعده فى الأصل : للطايفتين ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : طايفة . (١١ - ١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تفىء فيها (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : استناد (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ومنفعتها (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : منها (١٥) فى ظ : لذلك (١٦) زيد من ظ و مد .

أى تقاتل فى سبيل الشيطان، فالآية كما ترى من وادى الاحتباك، و هو أن يؤتى بكلامين يحذف[1] من كل منهما شىء[2] إيجازا، يدل[3] ما ذكر من كل على ما [4]حذف من[4] الآخر، و بعبارة أخرى: هو أن يحذف من كل جملة [شىء -[5]] إيجازا و يذكر فى الجملة الأخرى ما يدل عليه. ٥

و لما نبه سبحانه و تعالى على الاعتبار بذكر الآية نبه على موضعها بقوله[6]: ﴿ يرونهم ﴾ و ضمن[7] 'يرى' البصيرية[8] القاصرة[9] على مفعول واحد فعل الظن، و انتزع[10] منه حالا و دل عليها بنصب مفعول ثان فصار التقدير: ظانيهم ﴿ مثليهم ﴾ فعلى قراءة نافع بالتاء الفوقانية يكون المعنى: ترون[11] [12] أيها المخاطبون[12] الكفار المقاتلين[13] للمؤمنين، ١٠ و على قراءة غيره بالغيب[14] المعنى: يرى[15] المسلمون الكفار مثلى المسلمين[16] ﴿ رأى العين ط ﴾ أى بالحزر[17] و التخمين، لا بحقيقة العدد، هذا أقل

---

(١) فى مد: تحذف (٢) فى ظ: بقى (٣) فى النسخ: بدل (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: خذيبين - كذا (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بقول (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: و ضمير (٨) فى مد: البصرية، و سقط من ظ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: القاهرة (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: و انتزح - كذا (١١) من مد، و فى الأصل و ظ: تروك. (١٢-١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مايها الخاطيون - كذا (١٣) فى ظ: القايلون (١٤) فى ظ: بالمعيب (١٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ترى (١٦) فى ظ: المؤمنين (١٧) من مد، و فى الأصل و ظ: فالحذر.

ما يجوزونه فيهم ، و قد كانوا ثلاثة أمثالهم [١] و مع ذلك [١] فجزاهم الله على مصادمتهم و نصرهم [٢] عليهم ، أو يرى الكفار [٣] المسلمين مثلى الكفار مع كونهم على الثلث من عدتهم ، كما هو المشهور [٤] فى الآثار تأييدا من الله سبحانه و تعالى لأوليائه ليرعب [٥] الأعداء فينهزموا ، أو يرى [٦] الكفار المسلمين ضعفى عدد المسلمين ـ قال الحرالى / : لتقع الإراءة على صدقهم [فى موجود الإسلام الظاهر [٧] و الإيمان الباطن ، فكان كل واحد منهم [٨] -] بما [٩] هو مسلم [١٠] ذاتا ، و بما هو مؤمن ذاتا ، فالمؤمن المسلم ضعفان أبدا " فان [١١] يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين و ان يكن [١٢] منكم الف يغلبوا الفين [١٣] " و ذلك بما أن الكافر ظاهر لا باطن له فكان ذات عين ، لا ذات قلب له ، فكان المؤمن ضعفه ، فوقعت الإراءة للفئة المؤمنة على ما هى [١٤] عليه شهادة من الله سبحانه و تعالى بثبات إسلامهم و إيمانهم ، و كان ذلك أدنى الإراءة لمزيد موجود [١٥] الفئة المقاتلة فى سبيل الله بمقدار الضعف الذى هو أقل

٣٣٧/ ٥

١٠

(١-١) هكذا فى مد و ظ ، و قدمه فى الأصل على « أقل ما » (٢) فى ظ : بصرهم . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالكفار (٤) فى ظ و مد : مشهور (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ليرغب (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ترى (٧) من مد ، و فى ظ : للظاهر (٨) العبارة المحجوزة زيدت من ظ و مد (٩) زيد فى الأصل « و » ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من مد و ظ ، و فى الأصل : موقن ، و زيد قبله فى ظ : منهم (١١) من القرآن المجيد ، و فى الأصول : ان (١٢) سقط من ظ (١٣) سورة ٨ آية ٦٦ (١٤) فى ظ : هو (١٥) زيد بعده فى ظ « و » .

الزيادة الصحيحة ، و أما بالحقيقة فان التام[1] الدين بما هو مسلم مؤمن صاحب يقين إنما هو بالحقيقة[2] عشر تام نظير موجود الوجود[3] الكامل ، فهو عشر ذوات بما هو صاحب يقين و دين "ان يكن منكم عشرون صبرون يغلبوا مائتين[4]" [انتهى - ٥] . و هذا[6] التقليل و التكثير واقع بحسب أول القتال[7] و آخره ، و قبل[8] اللقاء و بعده ، لما أراد الله سبحانه و تعالى من الحكم [كما - ٥] فى آية الأنفال ، و المعنى : إنا فاعلون بكم[9] أيها الكفار على أيديهم ما فعلناه بأولئك ، و قد كانوا قائلين أعظم من مقالاتكم ، فلم تغن عنهم[10] ١١ كثرتهم شيئا ١١ و لا شدة ١٢ شكيمتهم و نخوتهم ١٢ فان الله سبحانه و تعالى ولى المؤمنين لطيبهم ١٣ "قل[14] لا يستوى الخبيث و الطيب و لو اعجبك كثرة الخبيث[15]" .

و لما كان التقدير : فنصر[16] الله سبحانه و تعالى الفئة القليلة ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ يؤيد ﴾ و الأيد تضعيف القوة الباطنة ﴿ بنصره ﴾ قال الحرالى : و النصر لا يكون إلا لمحق[17] ، و إنما

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : القام (٢) فى ظ : بالحقية (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الموجود (٤) سورة ٨ آية ٦٥ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : هو (٧) فى ظ : العيال - كذا (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : قيل (٩) فى ظ : يكفر (١٠) فى ظ : عنكم (١١ - ١١) فى مد : شيئا كثرتهم (١٢ - ١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : مسكنتهم و نحوهم . (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لطيبتهم (١٤) من القرآن ، و فى الأصل : و (١٥) سورة ٥ آية ١٠٠ (١٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بنصر (١٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لحق .

يكون لغير المحق[١] الظفر و الانتقام - انتهى . ﴿ من يشآء ط ﴾ أى فلا عجب فيه فى التحقيق ، فلذلك اتصل به قوله : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر الباهر[٢] ، و فى أداة البعد - كما قال الحرالى - إشارة بعد إلى محل [علو - ٣] الآية ﴿ لعبرة ﴾ قال : هى المجاوزة من عدوة دنيا إلى عدوة قصوى ، و من علم أدنى إلى علم أعلى ، فنى لفظها بشرى بما ينالون[٤] من ورائها مما[٥] هو أعظم منها إلى غاية العبرة[٦] العظمى من الغلبة[٧] الخاتمة التى[٨] عندها تضع الحرب أوزارها ، حيث يكون من أهل الكمال بعدد أهل بدر ثلاثمائة و ثلاثة عشر ، فهو غاية العبرة لمن له بصر نافذ[٩] و نظر جامع[١٠] بين البداية و الخاتمة " كما بدانا اول خلق نعيده[١١] " - انتهى . ﴿ لاولى الابصار ه ﴾ أى يصيرون[١٢] بها من حال إلى أشرف منها فى قدرة الله و عظمته و فعله بالاختيار . قال الحرالى : أول موقع العين على الصورة[١٣] نظر ، و معرفة[١٤] خبرتها الحسية بصر ، و نفوذه[١٤] إلى حقيقتها رؤية ؛ فالبصر[١٥] متوسط بين النظر و الرؤية

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحق (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الباهرة (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : تنالون (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : العزة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : العلية (٨) فى ظ : الذى (٩) من مد ، و فى الأصل : ناقد ، و فى ظ : نافد (١٠) فى ظ : خامع (١١) سورة ٢١ آية ١٠٤ (١٢) فى مد : يعبرون . (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الضرورة (١٤-١٤) من مد ، و فى الأصل : حربها الحسنة بصير و تعوده ، و فى ظ : حربها الحسية بصر نفوده (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فالنصر .

كما قال سبحانه و تعالى : "و ترنهم ينظرون اليك و هم لا يبصرون [١]" فالعبرة هى المرتبة [٢] الأولى [٣] لأولى الأبصار [٤] الذين يبصرون الأواخر [٥] بالأوائل ، فأعظم [٦] غلبة [٧] بطشه فى الابتداء غلبة [٧] بدر [٨] ، و أعظمها فى الانتهاء الغلبة الخاتمة التى لا حرب [٩] وراءها ، التى تكون بالشام فى آخر الزمان - انتهى .

و لما علم بهذا أن الذى وقف بهم عن الإيمان من الأموال و الأولاد و سائر المتاع إنما [هو - [١٠]] شهوات و عرض زائل ، لايؤثره [١١] على اتباع ما شرعه الملك إلا من انسلخ [١٢] من صفات البشر إلى طور البهائم التى لا تعرف إلا [١٣] الشهوات ، و ختم [١٤] ذلك بذكر [١٤] آية الفتنتين كان كأنه قيل : الآية العلامة ، و من شأنها الظهور ، [١٥] فما حجبها [١٥] عنهم ؟ فقيل : تزيين [١٦] الشهوات لمن [١٧] دنت همته [١٧] . و قال

(١) سورة ٧ آية ١٩٨ (٢) فى ظ : المريبة ، و فى مد : المربة (٣) سقط من ظ ومد (٤-٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : لاخبار (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : اولا واخر (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما عظم (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : عليه (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : به (٩) فى ظ : حزب (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : لا يوثر (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : افلح (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى (١٤ - ١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بذلك ذكر (١٥ - ١٥) من مد ، و فى الأصل : فاجبها ، و فى ظ : فاحجبها - كذا (١٦) من ظ ، و فى الأصل : يرس ، و فى مد : نرين (١٧ - ١٧) من مد ، و فى الأصل : دنت هته ، و فى ظ : دنب همته .

الحرالى : لما أظهر سبحانه و تعالى فى هذه السورة ما أظهره[١] [٢] بقاء لعلن[٢] قيوميته من تنزيل الكتاب الجامع الأول ، و إنزال[٣] الكتب الثلاثة : إنزال التوراة بما أنشا عليه قومها من وضع رغبتهم و رهبتهم فى أمر الدنيا ، فكان وعيدهم فيها و وعدهم على إقامة[٤] ما فيها إنما هو برغبة[٥] فى[٦] الدنيا و رهبتها ، لأن كل أمة تدعى [٧]لنحو ما[٧] جبلت عليه من رغبة و رهبة ، فمن مجبول على رغبة و رهبة فى أمر الدنيا ، [و ـ[٨]] من مجبول على ما هو من نحو ذلك فى أمر الآخرة ، و من مفطور على ما هو من غير[٩] ذلك / من أمر الله ، فيرد خطاب كل أمة و ينزل عليها كتابها من نحو ما جبلت عليه ، فكان كتاب التوراة كتاب رجاء و رغبة و خوف و رهبة فى موجود الدنيا ، و كان[١٠] كتاب الإنجيل [كتاب ـ[٨]] دعوة إلى ملكوت[١١] الآخرة ، و كانا[١٢] متقابلين ، بينهما ملابسة ، لم يفصل أمرهما فرقان واضح ، فكثر فيهما[١٣] الاشتباه ، فأنزل الله تعالى الفرقان لرفع لبس ما فيهما فأبان فيه المحكم و المتشابه من منزل الوحى ، و كما أبان فيه فرقان الوحى أبان فيه أيضا فرقان [الخلق[١٤] و ما اشتبه[١٥] من أمر الدنيا و الآخرة و ما التبس على

/٣٣٨

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ظهره (٢-٢) من مد ، و فى الأصل بياض ، وفى ظ : بقاء نعلن (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : و انزل (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : امامة (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ترغبة (٦) سقط من مد . (٧-٧) فى ظ : لنحوها (٨) زيد من ظ و مد (٩) فى مد : عبرة (١٠) فى ظ : فكان (١١) فى ظ : ملوك (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فكانا (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهما (١٤) فى ظ : للخلق (١٥) فى ظ : اشبه .

أهل الدنيا من أمر-١] الخلق بلوائح[٢] آيات الحق عليهم ، فتبين فى الفرقان محكم الوحى من متشابهه[٣] ، و [محكم الخلق من متشابهه - ١] و كان[٤] متشابه الخلق هو المزين[٥] من متاع الدنيا ، و محكم الخلق هو المحقق من دوام خلق الآخرة ، فاطلع نجم هذه الآية لإنارة[٦] غلس ما بنى عليه أمر[٧] التوراة من إثبات أمر الدنيا لهم وعدا و وعيدا ، لتكون هذه الآية توطئة لتحقيق صرف النهى عن مد اليد و البصر إلى ما متع[٨] به أهلها ، فأنبأ تعالى أن متاع[٩] الدنيا أمر مزين ، لا حقيقة لزينته و لا حسن[١٠] لما وراء زخرفه فقال : ﴿ زين للناس ﴾ فأبهم المزين[١١] [١٢] لترجع إليه[١٢] ألسنة التزيين عما[١٣] كانت فى رتبة علو أو دنو ، و فى إناطة[١٤] التزيين بالناس دون الذين آمنوا و من فوقهم إيضاح لنزول سنهم[١٥] فى أسنان القلوب و أنهم ملوك الدنيا و أتباعهم و رؤساء القبائل و أتباعهم الذين هم أهل الدنيا ﴿ حب الشهوٰت ﴾ جمع شهوة ، و هى[١٦]

(١) العبارة المحجوزة زيدت من ظ و مد (٢) من ظ ، و فى الأصل و مد : باواضح (٣) فى ظ : متشابه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل كانت (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الزمن (٦) من مد ، و فى الأصل : لاسارة ، و فى ظ : لا ثارة (٧) من مد ، و فى الأصل : اثر ، و قد سقط من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : منع (٩) فى ظ : امر (١٠) فى ظ : احسن (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الزين (١٢-١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لترجيع . (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما (١٤) زيد بعده فى الأصل : اكثر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٥) فى ظ : منهم (١٦) فى جميع النسخ : و فى .

نزوع النفس إلى محسوس لا تتمالك[1] عنه - انتهى . و فى هذا الكلام إعلام بأن الذى وقع عليه التزين الحب ، لا الشيء المحبوب ، فصار اللازم لأهل الدنيا إنما هو محبة الأمر الكلى من هذه المسميات و ربما إذا تشخص فى الجزئيات لم تكن[2] تلك الجزئيات محبوبة لهم ، و فيه تحريك لهمم أهل الفرقان إلى العلو عن رتبة الناس الذين أكثرهم لا يعلمون و لا يشكرون و لا يعقلون ، ثم بين ذلك بما هو محط القصد كله ، و آخر[3] العمل من حيث أن الأعلق[4] بالنفس حب أنثاها[5] التى هى منها "خلقكم من نفس واحدة و خلق منها زوجها[6]" فقال : ﴿ من النساء ﴾ أى المبتدئة[7] منهن ، و أتبعه ما هو منه أيضا و هو بينه و بين الأنثى فقال : ﴿ و البنين ﴾ قال الحرالى : و أخفى فتنة النساء بالرجال سترا لهن ، كما أخفى [8]أمر حواء[8] فى ذكر المعصية لآدم [حيث -[9]] قال : "و عصى آدم ربه[10]" فأخفاهن لما فى ستر الحرم من الكرم ، و الله سبحانه و تعالى حي كريم - انتهى . ثم أتبع ذلك ما يكمل به أمره فقال : ﴿ و القناطير ﴾ قال الحرالى : [جمع -[9]]

(١) فى ظ : لا يتمالك (٢) فى ظ : لم يكن (٣) من مد ، و فى الأصل : واحده ، و فى ظ : و آخره (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاغلق (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : انشايها (٦) سورة ٤ آية ١ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : المبتداة (٨-٨) من مد ، و فى الأصل : بامر حوى ، و فى ظ : امر حواسه . (٩) زيد من ظ و مد (١٠) سورة ٢٠ آية ١٢١ .

قنطار ، يقال[١] : هو مائة رطل[٢] و يقال : إن الرطل اثنتا عشرة[٣] أوقية ، و الأوقية أربعون[٤] درهما ، و الدرهم خمسون حبة [و خمسا -[٥]] [٦]من حب[٦] الشعير ؛ و أحقه أن يكون[٧] من شعير المدينة ﴿ المقنطرة ﴾ أى المضاعفة[٨] مرات - انتهى . ثم بينها بقوله : ﴿ من الذهب و الفضة ﴾ ثم أتبعها الزينة الظاهرة التى هى[٩] أكبر الأسباب فى تحصيل الأموال[١٠] فقال : ﴿ و الخيل ﴾ قال الحرالى : اسم جمع لهذا الجنس المجبول على هذا الاختيال[١١] لما خلق له من الاعتزاز[١٢] به و قوة المنة فى الافتراس عليه الذى منه[١٣] سمى واحده[١٤] فرسا ﴿ المسومة ﴾ أى المعلمة بأعلام هى سمتها و سيماها[١٥] [١٦] التى تشتهر[١٦] بها جودتها ، من السومة[١٧] - بضم السين ، و هى العلامة التى تجعل على الشاة[١٨] لتعرف[١٩] بها ، و أصل السوم

(١) وقع بعده فى الأصل زيادة : له ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : قنطارا (٣) من مد ، و فى الأصل : اثنا عشر ، و فى ظ : اثنى عشر (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اثنا عشر (٥) زيد من ظ و مد ، و بعده زيد فى مد : حبة (٦-٦) فى ظ و مد : بحب (٧) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المضاعفات (٩) سقط من مد (١٠) فى مد : الاسباب (١١) من مد ، و فى الأصل : الاختبال ، و فى ظ : الاحتباك (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعترار - كذا (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : نبه (١٤) فى الأصل : واحدة ، و فى ظ : واحد ، و لا يتضح فى مد (١٥) فى الأصول : سماها (١٦-١٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشى تشهير (١٧) فى ظ : التسومة (١٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشيء (١٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليعرف .

بالفتح الإرسال للرعى مكتفى فى المرسل ١ بعلامات تعرف بها نسبتها لمن تتوفر الدواعى ٢ للحفيظة ٣ عليها من أجله من الواقع عليها من الخاص و العام ، فهى مسومة بسيمة ٤ تعرف بها جودتها و نسبتها ﴿ و الانعام ﴾ و هى جمع نعم ٥ ، ٦ و هى الماشية ٦ فيها إبل ، و الإبل واحدها ، فاذا خلت منها الإبل لم يجر على الماشية اسم نعم - انتهى . و قال فى القاموس : النعم - و قد تسكن ٧ عينه ٨ - الإبل و الشياه ٩ جمع أنعام ، و جمع ١٠ جمعه أناعيم ١٠ . و قال القزاز فى جامعه : النعم اسم يلزم الإبل خاصة ، و ربما دخل فى النعم سائر المال ١١ ، و جمع النعم أنعام ، و قد ذكر بعض اللغويين أن النعم فى الإبل خاصة ، فاذا قلت : الأنعام - دخل فيها البقر و الغنم ، قال : و إن أفردت الإبل و الغنم لم يقل فيها نعم ١٢ و لا أنعام ١٢ . و قال ١٣ قوم : / النعم و الأنعام بمعنى ، و قال فى المجمل : و الأنعام البهائم ، و قال الفارابى ١٤ فى ديوان الأدب : و النعم واحد الأنعام ، و أكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل . و لما ذكر هذه الأعيان التى ١٥ زين ١٦ حبها فى نفسها أتبعها ما يطلب ١٧ لأجل تحصيلها

٣٣٩/

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الرسل (٢) فى مد : الداعى (٣) فى مد : للحفيظ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : تسمية (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثور (٦-٦) فى ظ : هل لماشية (٧) فى مد : يسكن (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : عفية (٩) فى مد : انشا - كذا (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : لجمعه ابايهم - كذا (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : المثال . (١٢-١٢) فى ظ : و الانعام (١٣) سقط من ظ (١٤) فى ظ : العارانى (١٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (١٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : رمن - كذا (١٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بطلت .

١و تنميتها و تكثيرها ١ فقال: ﴿ و الحرث ط ﴾ .

و لما فصلها[٢] و ختمها بما هو مثل الدنيا فى البداية و النهاية و الإعادة أجمل الخبر عن[٣] ثمرتها و بيان حقيقتها فقال: ﴿ ذلك ﴾ أى ما ذكر من الشهوات المفسر بهذه الأعيان تأكيدا[٤] لتخسيسه[٥] البعيد من إخلاد ذوى الهمم إليه[٦] ليقطعهم[٧] عن الدار الباقية . و قال الحرالى: الإشارة إلى بعده عن حد[٨] التقريب[٩] إلى حضرة الجنة - انتهى . ﴿ متاع الحيوة الدنيا ج ﴾ أى التى هى مع دناءتها[١٠] إلى فناء . قال الحرالى: جعل سبحانه و تعالى ما أحاط به حس[١١] النظر العاجل من موجود العاجل أدنى ، فأفهم أن ما[١٢] أنبأ به على سبيل السمع أعلى ، فجعل تعالى من أمر اشتباه كتاب الكون المرئى به[١٣] و ذكره المشهود أن عجل محسوس العين و حمل على تركه و قبض اليد بالورع و القلب[١٤] بالحب عنه ، و أخر مشهود[١٥] مسموع الأذن من الآخرة

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل: و قيمتها و تكثرها (٢) فى ظ : فضلها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٤) فى مد : باكيد (٥) من مد ، و فى ظ : للخسيسه ، و فى الأصل : للجنسية (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اليهم . (٧) فى ظ ومد : لقطعهم (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : حضرة (٩) فى ظ : التقرب (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : دنايها (١١) من مد ، و فى الأصل : جنس ، وفى ظ : حسن (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : من . (١٣) سقط من مد (١٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : و القبض (١٥) فى ظ و مد : شهود .

و أنبأ بالصدق عنه و نبه بالآيات عليه ليؤثر المؤمن مسمعه[١] على منظره، كما آثر الناس منظرهم على مسمعهم، حرض[٢] لسان الشرع على ترك[٣] الدنيا و الرغبة فى الأخرى، فأبت الأنفس[٤] و قبلت[٥] قلوب و هيم[٦] لسان الشعر فى زينة[٧] الدنيا فقبلته[٨] الأنفس و لم تسلم القلوب منه إلا بالعصمة، فلسان الحق يصرف إلى حق الآخرة و لسان الخلق[٩] يصرفه[١٠] إلى زينة الدنيا، فأنبأ سبحانه و تعالى أن ما فى الدنيا متاع، و المتاع ما ليس له بقاء، و [١١]هو فى[١١] نفسه خسيس[١٢] خساسة[١٣] الجيفة - انتهى. ثم أتبع ذلك سبحانه و تعالى حالا من فاعل معنى الإشارة فقال: ﴿ و الله ﴾[١٤] [١١]الذى بيده كل شىء، و يجوز أن يكون عطفا على ما تقديره: و هو سوء المبدأ[١١] فى هذا الذهاب إلى غاية[١٥] الحياة، و الله[١٥] ﴿ عنده حسن المآب ﴾ قال الحرالى: مفعل من الأوب و هو الرجوع إلى ما منه كان الذهاب - انتهى. فأرشد هذا الخطاب اللطيف كل من ينصح نفسه إلى منافرة هذا العرض[١٦] الخسيس[١٧] بأنه إن حصل له يعرض عنه بأن يكون فى يده، لا فى قلبه فلا يفرح [به -[١٨]] بحيث

(١) فى ظ : سمعه (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : حرس (٣) فى ظ : بترك.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل : النفس (٥) فى مد : قلب (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : وهم (٧) فى ظ : رتبة (٨) فى ظ : فقبلت (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : الاخرة (١٠) فى ظ : يصروه، و فى مد : يصرف (١١-١١) سقط من ظ (١٢) سقط من ظ (١٣) فى ظ : حساسة (١٤) زيد بعده فى ظ : اى.
(١٥-١٥) فى ظ : الذهاب (١٦) فى ظ : الغرض (١٧) من ظ و مد، و فى الأصل : الحسيس (١٨) زيد من مد.

يشغله

يشغله عن الخير، بل يجعل عونا على الطاعة و أنه إن منع منه لا يتأسف عليه لتحقق زواله و لرجاء الأول إلى ما عند خالقه الذى ترك[1] ذلك لأجله.

و لما ذكر سبحانه و تعالى ما أوجب الإعراض عن هذا العرض فكان السامع جديرا بأن [يقول - ٢] [3]فعلام أقبل[3]؟ أمر سبحانه و تعالى أقرب الخلق إليه و أعزهم لديه بجوابه لتكون البشارة داعية إلى حبه فقال: ﴿ قل ﴾ أى لمن[4] فيه قابلية الإقبال إلينا، و لما أجرى سبحانه و تعالى هذه البشارة[5] على[6] لسان نبيه[6] صلى الله عليه و سلم لتقوم الحجة على العباد بحاله كما تقوم بمقاله من حيث أنه لا يدعو إلى شيء إلا كان أول فاعل له، و لا ينهى[7] عن شيء إلا كان أول[8] تارك له، [9]لإيثاره الغائب المسموع[9] من بناء الآخرة على العاجل المشهود[10] من أثر الدنيا كما قال صلى الله عليه و سلم لعمر رضى الله تعالى عنه حين أشفق عليه من تأثير رمال السرير فى جنبه فذكر ما فيه فارس و الروم من النعيم: أو فى شك أنت يا ابن الخطاب؟

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: نزل (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) فى الأصل: فعلم اقيل، و فى ظ و مد: فعلى مَ اقبل (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: من.
(٥) فى مد: البشرى (٦-٦) فى مد: لسانه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: منتهى (٨) و إلى هنا من «كان أول» تكررت العبارة فى ظ (٩-٩) من مد، و فى الأصل: لاساره الغايب المسموح، و فى ظ: لايناره الغالب المسموع.
(١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: الشهود.

أما ترضى أن تكون لهم الدنيا و لنا الآخرة؟ شوق إليها بالاستفهام [١] فى قوله [١]: ﴿ أَؤُنبئكم بخير من ذلكم ﴾ أى [الذى - [٢]] ذكر من الشهوات، و عظمه بأداة البعد [٣] و ميم الجمع لعظمته عندهم و الزيادة [٤] فى التعظيم ما يرشد إليه، ثم استأنف بيان هذا الخير بقوله:

٥ ﴿ للذين اتقوا ﴾ أى اتصفوا بالتقوى فكان مما [٥] أثمر لهم اتصافهم بها أن أعرضوا عن هذه الشهوات من حيث أنها شهوات و جعلوها عبادات واقية لهم من عذاب ربهم، فتلذذوا بالنساء [٦] لا لمجرد [٦] الشهوة [٧] [بل لغض البصر - [٢]] من الجانبين و ابتغاء ما كتب لهم من الولد [٨] إنفاذا لمراد ربهم [٨] من تكثير خلائفهم [٩] فى الأرض للاصلاح، و لقوله

١٠ صلى الله عليه و سلم « تناكحوا تناسلوا فانى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة » و نحو ذلك، و فرحوا بالبنين لا لمجرد [١٠] المكاثرة بل لتعليمهم [١١] العلم و حملهم على الذكر و الجهاد و الشكر و أنواع السعى فى رضى السيد، و حازوا النقدين [١٢] لا للكنز [١٣]، بل للانفاق فى سبيل [١٤] الخيرات، و ربطوا

(١ - ١) من مد، و فى الأصل: و قوله، و فى ظ: فى اوله (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: البعيد (٤) فى مد: و للزيادة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بما (٦ - ٦) من مد و ظ، و فى الأصل: نتجرد. (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: اللذة (٨-٨) من مد، و فى الأصل: انقادا للراد بهم، و فى ظ: انفا و المراد ربهم (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: فلا يفهم. (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: بمجرد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: لتعليم (١٢) فى ظ: النقدى - كذا (١٣) من مد، و فى الأصل و ظ: لكنز. (١٤) فى مد: سبل.

للجهاد[١]، لا للفخر[٢] و الرئاسة على العباد بل لقمع [أولياء - ٣] الشيطان و رفع أولياء الرحمن المستلزم لظهور الإيمان، كما بين النبي[٤] صلى الله عليه و سلم *متشابه اقتنائها* فقال «هي لرجل أجر[٦] و لرجل[٧] ستر و على[٨] رجل وزر». ثم عظم سبحانه و تعالى ما لهم بقوله مرغبا بلفت[٩] القول إلى وصف الإحسان المقتضى لتربية[١٠] الصدقات و غيرها من الأعمال الصالحات: ﴿عند ربهم﴾ أى المحسن إليهم بلباس[١١] التقوى الموجب[١٢] لإيثارهم الآخرة على الدنيا، و قوله: ﴿جنّت﴾ مرفوع بالابتداء، و يجوز أن يكون خبر مبتدإ محذوف إذا كان و للذين، متعلقا بخير[١٣]، ثم وصفها بقوله: ﴿تجرى من تحتها الانهر﴾ أى أن ماءها غير مجلوب[١٤]، بل كل مكان منها متهيئ[١٥] لأن ينبع منه ماء يجرى لتثبت بهجتها[١٦] و تدوم زهرتها و نضرتها، ثم أشار بقوله: ﴿خلدين فيها﴾ إلى أنها هى المشتملة على جميع الإحسان المغنية عن الحرث و الأنعام،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الجهاد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تفخر (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من مد، و فى الأصل: متشابة اقتنابها، و فى ظ: متشابة اقتنابها (٦) فى جميع النسخ: اخر - كذا (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: رجل (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: و أعلى (٩) من مد، و فى الأصل: ملقب، و فى ظ: بلقب (١٠) فى ظ: تربية (١١) من مد، و فى الأصل و ظ: بلسان (١٢) سقط من مد (١٣) من مد، و فى الأصل و ظ: بخبر (١٤) من مد، و فى الأصل و ظ: محلوب. (١٥) من مد و ظ، و فى الأصل: شيء (١٦) من ظ و مد، و فى الأصل: نهجتها.

و أن ذلك على وجه لا انقطاع له . قال الحرالى : و فى معنى لفظ الخلود إعلام بسكون الأنفس إليها لما فيها من موافقتها - انتهى . و لعله إنما خص من بين[١] ما تقدم من الشهوات ذكر النسوان فى قوله : ﴿و ازواج﴾ لأنها أعظم المشتهيات[٢] ، و لا يكمل التلذذ بها إلا بحصول جميع ما يتوقف ٥ ذلك عليه ، فصار ذكرهن على سبيل الامتنان من القادر كناية عن جميع ما تشتهى الأنفس و تلذ الأعين .

و لما كانت التقوى حاملة على تطهير الأنفس من [٣]أوضار الأدناس[٣] من الأوصاف السيئة و كان الوصف بالمفرد أدل على أنهن فى[٤] أصل الطهارة كأنهن نفس واحدة قال عادلا عما هو الأولى من ١٠ الوصف بالجمع لجمع من يعقل : ﴿ مطهرة ﴾ لأنهن مقتبسات من أنفسهم " خلق لكم من انفسكم ازواجا[٥] " .

و لما ذكر حظ البدن قرر لذة هذا النعيم بما للروح[٦] ، و زاده من الأضعاف المضاعفة ما لا حد له [بقوله -[٧]] : ﴿ و[٧] رضوان ﴾ قال الحرالى : بكسر الراء و ضمها ، [اسم -[٧]] مبالغة فى معنى الرضى ، ١٥ و هو على عبرة امتلاء بما تعرب عنه الألف و النون و تشعر ضمة[٨] رائه بظاهر إشباعه ، و كسرتها بباطن إحاطته[٩] - انتهى .

---

(١) فى ظ : بنى (٢) فى ظ : المشتهوات (٣ - ٣) فى ظ : اوضاره الا الادناس ، و زيد بعده فى الأصل الواو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : هى (٥) سورة ٣٠ آية ٣١ (٦) من مد و ظ ، و فى الأصل : للزوج (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ : ضمه (٩) فى ظ : لماطته .

و لما

و لما جرى وعد الجنات على اسم الربوبية الناظر إلى الإحسان بالتربية فخم[1] أمر هذا الجزاء و أعلاه على ذلك بنوطه[2] بالاسم الأعظم فقال: ﴿ من الله ط ﴾ أي المحيط بصفات الكمال . و لما كان شاملا لجميعهم[3] و كان ربما ظن أنهم فيه متساوون أشار إلى التفاوت بقوله مظهرا في موضع الإضمار إشارة إلى الإطلاق عن التقييد[4] بحيثية ما: ﴿ و الله ﴾ ٥ أي الذي له الحكمة البالغة ﴿ بصير بالعباد ج ﴾ أي بنياتهم و مقادير ما يستحقونه[5] بها[6] على حسب إخلاصها، و بغير ذلك من أعمالهم و أقوالهم و سائر أحوالهم .

و لما أخبر سبحانه و تعالى بأنه[7] بصير بمن يستحق [ما أعد - [8]] من الفوز أتبعه ما استحقوا[9] ذلك به من الأوصاف تفضلا منه عليهم ١٠ [بها - [8]] و بإيجاب ذلك على نفسه حثا لهم على التخلق[10] بتلك الأوصاف فقال: - و قال الحرالي: لما وصف تعالى قلوبهم بالتقوى و برأهم من الاستغناء بشيء من دونه وصف أدبهم في المقال[11] فقال؛ انتهى. - ﴿ الذين يقولون ربنآ ﴾ أي يا[12] من ربانا باحسانه و عاد علينا بفضله[13] ، و أسقط أداة

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : في (٢) من ظ ، و في الأصل : بتوطه ، و في مد: بثوطه (٣) من مد ، و في الأصل و ظ : بجميعهم (٤) في مد : التقيد . (٥) في ظ و مد : يستحقون (٦) زيد بعده في مد : بفضله (٧) في ظ : ابانه . (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : استحلوا (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : المتخلق (١١) من ظ و مد ، و في الأصل : القال - كذا . (١٢) سقط من مد (١٣) من ظ و مد ، و في الأصل : بفضل .

النداء إشعارا بما لهم من القرب لأنهم فى حضرة المراقبة؛ و لما كانت
/٣٤١ أحوالهم/ فى تقصيرها عن أن يقدر الله حق قدره كأنها أحوال من
لم يؤمن اقتضى المقام التأكيد فقالوا: ﴿ اننآ ﴾ فأثبتوا النون ١ إبلاغا فيه ١
﴿ امنا ﴾ أى بما دعوتنا إليه ، و أظهروا هذا المعنى بقولهم: ﴿ فاغفر لنا
٥ ذنوبنا ﴾ أى فاننا عاجزون عن دفعها و رفع الهمم[٢] عن مواقعتها[٣]
و إن اجتهدنا لما جبلنا[٤] عليه من الضعف و النقص ، تنبيها منه تعالى على
أن مثل ذلك لا يقدح فى التقوى إذا هدم بالتوبة لأنه ما أصر[٥] من
استغفر ، و التوبة تجب ما قبلها . قال الحرالى: و بين المغفرة على مجرد
الإيمان إشارة إلى أنه لا تغيرها[٦] الأفعال ، من ترتب إيمانه على تقوى
١٠ غفرت ذنوبه ، فكانت[٧] مغفرة الذنوب لأهل هذا الأدب فى مقابلة
الذين أخذهم الله بذنوبهم من الذين كذبوا ، ففى شمول ذكر الذنوب فى
الصنفين[٨] إعلام باجراء قدر الذنوب على الجميع ، فما كان منها مع[٩]
التكذيب أخذ به . و ما كان منها مع التقوى و الإيمان غفرله - انتهى .

و لما رتب سبحانه و تعالى الغفران على التقوى ابتداء رتب عليها
١٥ الوقاية[١٠] انتهاء[١١] فقال: ﴿ وقنا عذاب النار ﴾ أى الذى استحققناه
بسوء أعمالنا .

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بلا غاية (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الهم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : موافقتها (٤) من مد ، و فى الأصل : جعلنا ، و فى ظ : حيلنا (٥) فى ظ : اخبر (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : بغيرها (٧) فى مد : فكان (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : الصفتين (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : حكم (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : الوقابه (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : انتهى .

قال الحرالى : و لما وصف تقوى قلوبهم باطنا و أدب مقالهم ظاهرا وصف لهم ١ أحوال أنفسهم ليتطابق ظاهر أمرهم بمتوسطه و باطنه ٢ فقال: ﴿الصّٰبرين﴾ فوصفهم٣ بالصبر إشعارا بما ينالهم من سجن الدنيا و شدائدها٤، و الصبر أمدح أوصاف النفس، به تنحبس٥ عن هواها و عما زين من الشهوات المذكورة بما تحقق من الإيمان بالغيب الموجب لترك٦ الدنيا للآخرة ٥ فصبروا٧ عن الشهوات؛ أما النساء٨ فبالاقتصار على ما ملكوه؛ و أما البنون٩ فبمراعاة أن ما تقدم خير مما تأخر، قال صلى الله عليه و سلم - يعنى [فيما -١٠] رواه ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه «لسقطٌ أقدمه بين يدى أحب إلى من فارس أخلفه خلفى١١» و أما الذهب و الفضة فبالنظر إليها ١٢ أصناما يضر موجودها، و بالحرى ١٢ أن ينال ١٠ منها السلامة ١٣ بنفقة لا يكاد يصل إنفاقها١٤ إلى أن يكون كفارة كسبها و جمعها، فكان الصبر عنها١٥ أهون من التخلص منها؛ و أما

(١) سقط من مد (٢) فى ظ : باطنة (٣) من مد، و فى الأصل : فوضعهم، و فى ظ : فبوصفهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : سد الدعا - كذا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : تنجيس (٦) من مد، و فى الأصل : بترك، و فى ظ : ترك (٧) فى ظ : فعبروا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : لنساء (٩) من مد، و فى الأصل : الفنون، و فى ظ : السوك - كذا (١٠) زيد من ظ و مد.

(١١) من سنن ابن ماجه - كتاب الجنائز، و فى النسخ : بعدى (١٢ - ١٢) من مد، و فى الأصل : اصنافا نصر بوجودها و الحرى، و فى ظ : اصناما بضير موجودها و بالحرى (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل : الاية (١٤) من مد، وفى الأصل : لقافها، و فى ظ : اتفاقها (١٥) من مد، و فى الأصل و ظ : عليها.

الخيل فلما[1] يصحبها من التعزز الممد لخيلاء النفس الذى هو أشد ما على النفس أن تخرج عن زهوها و خيلائها[2] إلى احتمال الضيم[3] و السكون بحب[4] الذل، يقال: إنه آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرئاسة؛ و أما الأنعام فبالاقتصار منها على قدر الكفاف، لأن كل مستزيد[5] تمولا من الدنيا زائدا على كفاف منه من مسكن أو ملبس أو مركب أو مال فهو محجر على من سواه من عباد الله ذلك الفضل الذى هم أحق به منه، قال صلى الله عليه و سلم «لنا غنم[6] مائة لا نريد[6] أن تزيد[7] - الحديث» "و ان من شيء الا عندنا خزائنه و ما ننزله الا بقدر معلوم[8]"؛ و أما الحرث فبالاقتصار[9] منه على قدر الكفاية لما يكون راتبا للالزام و مرصدا للنوائب[10] و مخرجا للبذر[11]، فان أعطاه الله فضلا أخرجه بوجه من وجوه الإخراج و لو بالبيع، و لا يمسكه متمولا[12] لقلبه إلى غيره من الأعيان فيكون محتكرا، قال عليه الصلاة و السلام كما أخرجه أحمد و أبو يعلى عن ابن عمر رضى الله

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: فلا (٢) فى ظ: خيلاتها (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: للضم (٤) فى مد: تحت (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: متزيد. (٦-٦) من مد، و فى الأصل: ما به لا نريد، و فى ظ: مائة لا يزيد (٧) من مسند الإمام أحمد ٤/ ٣٣، و فى الأصل و مد: تريد، و فى ظ: يزيد. (٨) سورة ١٥ آية ٢١ (٩) فى مد: فبالاكتفاء (١٠) من مد، و فى الأصل: الترايب، و فى ظ: النوائب - كذا (١١) من مد، و فى الأصل: للقدر، و فى ظ: للبدر (١٢) فى ظ: تمولا.

تعالى عنهما « من احتكر أربعين يوما فقد برئ من الله و برئ الله منه » .
فبذلك يتحقق الصبر بحبس النفس عما[1] زين للناس من التمولات[2] من
الدنيا الزائدة على الكفاف التى هى حظ من لا خلاق له[2] فى الآخرة ،
و لذلك يحق أن تكون هذه الكلمات معربة بالنصب مدحا ، لأن
الصفات المتبعة للمدح حليتها[3] النصب فى لسان العرب ، و إنما يتبع فى ٥
الإعراب ما كان لرفع لبس أو تخصيص - انتهى .

و لما كان سن[4] التقوى فوق سن الإيمان عطف أمداحهم كلها
بالواو إيذانا بكمالهم فى كل وصف منها و تمكنهم[5] فيه بخلاف ما فى
آية براءة على ما سيأتى إن شاء الله تعالى فقال : ﴿ و الصٰدقين ﴾ / قال ٣٤٢/
الحرالى : فى عطف الصفات ما يؤذن بكمال الوصف لأن العرب تعطفها[6] ١٠
إذا كملت و تتبع[7] بعضها بعضا إذا تركبت[8] و التأمت ، يعنى مثل : الرمان
حلو حامض - إذا كان[9] غير صادق الحلاوة[10] و لا الحموضة ، ففى العطف
إشعار ١١ بكمال صبرهم ١١ عن العاجلة على ما عينه حكم النظم ١٢، فى الآية

(١) فى ظ و مد : مما (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : لهم (٣) من مد ، و فى الأصل : كليتها ، و فى ظ : خليتها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يمكنهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعظمها . (٧) فى ظ : يتبعها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ركبت (٩) زيد بعده فى الأصل : مثل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) وقع بعده فى الأصل زيادة : و تتبع بعضها بعضا اذا ترا ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (١١-١١) من مد ، و فى الأصل : بكمال صبره ، و فى ظ : لكمال صبرهم (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : النظر .

السابقة ، و من شأن الصابر[١] عن الدنيا الصدق ، لأن أكثر المداهنة[٢] و المراءاة إنما ألجأ إليها التسبب[٣] إلى كسب الدنيا ، فاذا رغب عنها لم يحمله على ترك الصدق حامل[٤] ، فيتحقق به فيصدق[٥] فى جميع أموره ، و الصدق مطابقة أقواله و أفعاله لباطن حاله فى نفسه و عرفان قلبه - انتهى . ﴿ و القنتين ﴾ أى المخلصين لله فى جميع أمورهم الدائمين عليه .

و لما ذكر سبحانه و تعالى العمل الحامل عليه خوف الحق و رجاؤه[٦] أتبعه ما الحامل عليه ذلك مع الشفقة على الخلق ، لأن من أكرم المنتمى[٧] إليك فقد بالغ فى إكرامك فقال : ﴿ و المنفقين ﴾ أى مما رزقهم الله سبحانه و تعالى فى كل ما يرضيه ، فانه لا قوام لشىء من الطاعات إلا بالنفقة . قال الجرالى : فيه إشعار بأن من صبر نوّل[٨] ، و من صدق أعلى ، و من قنت جل و عظم قدره ، فنوله[٩] الله ما يكون له منفقا ، و المنفق أعلى حالا من المزكى ، لأن المزكى يخرج ما وجب عليه فرضا ، و المنفق يجود بما فى يده فضلا - انتهى .

و لما ذكر هذه الأعمال الزاكية الجامعة العالية أتبعها الإشارة إلى أن الاعتراف بالعجز عن الوفاء بالواجب هو العمدة فى الخلاص فقال :

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الصابرين (٢) فى ظ : المرامنه (٣) فى ظ : النسب (٤) زيد بعده فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيصدقه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : رخاؤه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : المنتهى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : نزل (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : فهوله - خطأ .

﴿ و المستغفرين ﴾ أى من نقائصهم[1] مع هذه الأفعال و الأحوال التى هى نهاية ما يصل إليه الخلق من الكمال ﴿ بالاسحار ﴾ التى هى أشق الأوقات استيقاظا عليهم، و أحبها راحة[2] لديهم، و أولاها بصفاء[3] القلوب، و أقربها إلى الإجابة المعبر عنها فى الأحاديث بالنزول كما يأتى بيانه فى آية التهجد فى سورة الإسراء. قال الحرالى: و هو جمع سحر، و أصل معناه التعلل عن الشيء بما يقاربه و يدانيه و يكون منه بوجه[4] ما، فالوقت من الليل الذى يتعلل فيه بدنو الصباح هو السحر، و منه السحور[5]، تعلل[6] عن الغداء[7]؛ ثم قال: و فى إفهامه تهجدهم فى الليل كما قال سبحانه و تعالى: "كانوا قليلا من الّيل ما يهجعون و بالاسحار هم يستغفرون[8]" فهم يستغفرون من حسناتهم كما يستغفر[9] أهل السيئات من سيئاتهم تبرأ[10] من دعوى الأفعال و رؤية الأعمال التاما[11] بصدق[12] قولهم فى الابتداء: "ربنا [اننا - ١٣] امنا" و كمال[13] الإيمان بالقدر خيره و شره، فباجتماع[15] هذه الأوصاف السبعة[16] من التقوى و الإيمان و الصبر

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الحايصهم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: رايحة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل بصفات (٤) فى ظ: توجه (٥) من ظ، و فى الأصل: السحرو، ولا يتضح فى مد (٦) فى مد: تغلل (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: العدا (٨) سورة ٥١ آية ١٧و١٨ (٩) فى ظ: تستغفر (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: تبرى (١١) فى ظ: التناما (١٢) فى النسخ: يصدق (١٣) زيد من ظ و مد و القرآن المجيد (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل: كما قال. (١٥) فى ظ: لاجتماع (١٦) فى الأصل و مد: السبع، و فى ظ: السمع.

[و الصدق - ١] و القنوت [و الإنفاق و الاستغفار كانت الآخرة خيرا لهم من الدنيا ٢ و ما فيها ٢ ، و قد بان ٣ بهذا محكم آيات الخلق - ١] من متشابهها بعد الإعلام بمحكم آيات الأمر و متشابهها ، فتم ٤ بذلك منزل الفرقان ٥ فى آيات [الوحى - ٦] المسموع و الكون المشهود - انتهى . و لعله سبحانه و تعالى أشار بهذه الصفات الخمس المتعاطفة إلى دعائم الإسلام الخمس ، فأشار بالصبر إلى الإيمان ، و بالصدق إلى الزكاة المصدقة لدعواه ، و بالقنوت الذى مدار مادته على الإخلاص إلى الصلاة التى هى [محل - ٦] المراقبة ، و بالإنفاق إلى الحج الذى أعظم مقوماته المال ، و بالاستغفار إلى الصيام الذى مبناه التخلى من أحوال البشر و التحلى ٧ بحلية الملك لا سيما فى القيام و لا سيما فى السحر ؛ و سر ترتيبها أنه لما ذكر [ما - ١] بين العبد و الخالق فى التوحيد الذى ٨ هو العدل أتبعه ما بينه و بين الخلائق فى الإحسان ، و لما ذكر عبادة [القلب و المال ذكر عبادة البدن الدالة على الإخلاص فى الإيمان ، و لما ذكر عبادة - ١] البدن مجردا ٩ بعد عبادة المال مجردا ذكر عبادة ظاهرة مركبة ١٠ منهما ، شعارها ١٠ تعرية ١١ الظاهر ، ثم أتبعه ١٢

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢ - ٢) سقط من مد (٣) زيد بعده فى ظ : فى - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فثم (٥) فى ظ : القرآن . (٦) زيد من مد (٧) فى ظ و مد : التجلى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذين (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمجردا (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : من اشعارها - كذا (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : معونة . (١٢) فى مد : تبعه .

عبادة بدنية خفية، عمادها تعرية الباطن، فختم بمثل ما بدأ به، و هو ما لا يطلع عليه حق الاطلاع إلا الله سبحانه و تعالى.

و لما أخبر سبحانه و تعالى بوحدانيته فى أول السورة و استدل[1] عليها و أخبر عما أعد[2] للكافرين و استدل عليه بما دل على الوحدانية و ختم بالإخبار بما أعد للتقين مما[3] جر إلى ذكره تعالى بما يقتضى[4] الوحدانية أيضا من الأوصاف المبنية على الإيمان أنتج ذلك [ثبوتها-[5]] ثبوتا لا مرية[6] فيه، فكرر تعالى ذكر هذه النتيجة على وجه أضخم من الماضى كما اقتضته[7] الأدلة فقال - و قال الحرالى: لما أنهى تعالى الفرقان نهايته ببيان المحكمين و المتشابهين فى الوحى و الكون انتظمت هذه الشهادة التى هى أعظم شهادة[8] فى كتاب الله بآية القيومية التى هى أعظم آية الوجود لينتظم آية الشهود بآية الوجود؛ انتهى. فقال سبحانه و تعالى -: ﴿ شهد الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له ﴿ انه ﴾ قال الحرالى: فأعاد بالإضمار ليكون الشاهد و المشهود له ﴿ لا اله إلا هو ﴾ فأعاد بالهوية لمعنى[9] الوحدانية [10] فى الشهادة[10] و لم يقل: الا الله، لما[11] يشعر به تكرار الاسم فى محل الإضمار من التنزل

(١-١) تكررت فى ظ (٢) فى ظ: عد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: بما.
(٤) من مد، و فى الأصل: يقتض، و فى ظ: سنى (٥) زيد من ظ و مد.
(٦) من مد، و فى الأصل: لا مريه، و فى ظ: لا مربه (٧) من مد، و فى الأصل: اقتضه، و فى ظ: قضته (٨) فى ظ: بشهادة (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بمعنى (١٠-١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: و لم.

العلى - انتهى . و المعنى أنه سبحانه و تعالى [فعل - ١] فعل الشاهد فى إخباره[٢] عما يعلم حقيقته[٣] بلفظ الشهادة جريا على عادة الكبراء إذا [٤]رأوا تقاعس[٤] أتباعهم عما يأمرون[٥] به من المهمات فى تعاطيهم [له - ١] بأنفسهم تنبيها على أن الخطب[٦] قد فدح و الأمر قد تفاقم[٧] ، فيتساقط[٨] حينئذ إليه الأتباع و لو أن فيه الهلاك تساقط الذباب فى أحلى الشراب ، و إلى ذلك ينظر[٩] قول وفد ثقيف : [١٠]ما لمحمد[١٠] يأمرنا بأن نشهد له بالرسالة[١١] و لا [١٢]يشهد هو[١٢] لنفسه ! فكان صلى الله عليه و سلم بعد لا يخطب خطبة إلا شهد لنفسه الشريفه [١٣] صلى الله عليه و سلم الشهادة لله[١٣] [[١٤]- فيها بالرسالة ، فكأنه قيل : إن ربكم الذى أسبغ عليكم نعمه ظاهرة و باطنة قد نصب لكم الأدلة بخلق ما خلق على تفرده[١٥] بحيث انتفى كل ريب فكان[١٦] ذلك أعظم [١٧]شهادة منه[١٧] سبحانه

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اخبار (٣) فى مد : حقيته .
(٤-٤) من مد ، و فى الأصل : راوعن ، و فى ظ : واوا تقاعس (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : يرون (٦) من مد ، و فى الأصل وظ : الحطب (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : تقايم (٨) فى ظ : فتساقط (٩) من ظ ، و فى الأصل : ومد تنظر (١٠-١٠) من ظ ومد ، وفى الأصل : بالمحمد (١١) من مد ، وفى الأصل و ظ : بالرياسة (١٢ - ١٢) فى ظ : تشهد (١٣ - ١٣) ليست فى مد و ظ .
(١٤) العبارة المحجوزة زيدت من ظ و مد (١٥) من مد ، و فى ظ : مفرده .
(١٦) فى ظ : كان (١٧ - ١٧) فى ظ : بشهادة .

لنفسه ، و إليه أومأ من قال:

و لله فى كل [1]تحريكة و تسكينة[1] أبدا شاهد
و فى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

ثم شهد بذلك لنفسه بكلامه جمعا بين آيتى السمع و البصر فلم يبق لكم عذرا . قال الحرالى: و هذه الشهادة التى هى من الله لله هى الشهادة التى إليها قصد القاصدون و سلك السالكون و إليه انتهت الإشارة ، و عندها وقفت العبارة ، و هى أنهى المقامات و أعظم الشهادات ، فمن شهد بها فقد شهد شهادة ليس وراءها مرمى ، و من شهد بما دونها كانت شهادته مشهودا عليها لا شهادة ، يؤثر أن النبى صلى الله عليه و سلم لم يزل يوم الجمعة و هو قائم بعرفة منذ كان وقت العصر إلى أن غربت الشمس فى حجته التى كمل بها الدين و تمت بها النعمة يقول[2] هذه الآية[3] لا يزيد عليها ، فأى عبد شهد لله بهذه الشهادة التى] هى شهادة الله لله سبحانه و تعالى بالوحدانية فقد كملت شهادته ، و أتم الله سبحانه و تعالى النعمة عليه ، و هى سر كل شهادة من دونها ، و هى آية علن التوحيد الذى هو منتهى المقامات و غاية الدرجات فى الوصول إلى محل الشهود الذى منه النفوذ إلى الموجود[4] بمقتضى الأعظمية التى فى الآية الفاتحة - انتهى .

(١ - ١) فى ظ : تحريكه و تسكينه (٢) من مد ، و فى ظ : يقول (٣) ليس فى ظ (٤) فى ظ و مد: الوجود .

و لما أخبر سبحانه و تعالى عن نفسه المقدسة أخبر عمن يعتد به من خلقه[1] فقال مقدما لأن المقام للعلم لمن هم أعلم به سبحانه و تعالى عمن أطلعهم من الملك و الملكوت على ما لم يطلع عليه الإنسان و لا شاغل لهم من شهوة و لا حظ و لا فتور: ﴿ و الملئكة ﴾ أى العباد المقربون المصفون من أدناس البشر، الذين لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون . و لما خص أهل [السماوات - [2]] عم فقال: ﴿ و اولوا العلم ﴾ و هم الذين عرفوه بالأدلة القاطعة ففعلوا[3] ما فعل العظيم من الشهادة ليكون ذلك أدعى لغيرهم إليه و أحث عليه، و لما كانت الشهادة قد تكون على غير وجه العدل نفى ذلك بقوله: ﴿ قآئما ﴾ و أفرد ليفهم أنه حال كل من المذكورين لا المجموع بقيد[4] الجمع، و يجوز - و هو الأقرب - أن يكون حالا من الاسم الشريف إشارة إلى أنه ما وحد الله سبحانه و تعالى حق توحيده[5] غيره، لأنه لا يحيط به أحد علما . و قال الحرالى: أفرد القيام فاندرج من ذكر من الملائكة و أولى العلم فى هذا القيام إفهاما، كما اندرجوا فى الشهادة إفصاحا، فكان فى إشعاره أن الملائكة و أولى العلم لا يقاد منهم فيما يجريه الله سبحانه و تعالى على أيديهم، لأن أمرهم قائم بالقسط من الله، يذكر[6] أن عظيم عاد لما كشف له عن[7] الملائكة فى يوم النقمة[8] قال

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: خلقه (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: فعلوا (٤) فى ظ: يقيد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: توحيد (٦) فى الأصول: بذكر (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٨) من مد، و فى الأصل: القيامة، و فى ظ: النعمة .

لهود عليه الصلاة و السلام : يا هود! ما هذا الذى أراهم فى السحاب كأنهم البخاتى[1]؟ فقال : ملائكة ربى ، فقال له[2] : أرأيت إن آمنت بالهك أيقيدنى[3] منهم بمن قتلوا من قومى ؟ قال : ويحك! و هل رأيت ملكا يقيد من جنده - انتهى . ﴿ بالقسط ط ﴾ أى العدل السواء الذى لا حيف[4] فيه أصلا بوجه من الوجوه ، و قد ثبت بهذه الشهادة على هذا الوجه أن التوحيد فى نفس الأمر على ما وقعت به الشهادة ، و يجوز أن يراد مع ذلك أن قيامه بالعدل فعله فى خلقه فانه عدل و إن كان من بعضهم إلى بعض ظلما ، فانه تصرف [منه سبحانه -[5]] فى ملكه الذى لا شائبة لأحد فيه ، فهو إذا نسب إليه كان عدلا ، لأنه فعله [بالحكمة ، و إذا نسب إلى الظالم كان ظلما ، لأنه فعله -[5]] لحظه لا للحكمة ، فلذلك[6] قال على طريق الاستنتاج و التعليل للقيام بالقسط /و التلقين[7] للعباد لأن يقولوها بعد ثبوتها بما تقدم[8] و أن يكرروها[9] /٣٤٤ دائما أبدا : ﴿ لآ اله الا هو ﴾ و قال الحرالى : كرر هذا التهليل لأنه فى مرتبة[10] القسط الفعلى ، لأن التهليل الأول فى مرتبة الشهادة العلمية فاستوفى التهليلان جميع البادى [11]علما و فعلا[11] - انتهى . و أتبعه سبحانه

(١) فى مد : النجامى (٢) سقط من ظ و مد (٣) فى ظ : ا يقيد ، و لا يتضح فى مد (٤) فى ظ : صرف (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) فى ظ : فكذا ، و فى مد : فلذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : و المقين - كذا .
(٨) فى ظ : يقدم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكروها (١٠) فى ظ و مد : رتبة (١١ - ١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعلا و علما .

و تعالى بقوله: ﴿العزيز الحكيم﴾ دليلا على قسطه، لأنه لا يصح أبدا[1] لذى العزة الكاملة [و الحكمة الشاملة-[2]] أن يتصرف بجور[3]، [و-[2]] على وحدانيته، لأنه لا يصح التفرد بدون الوصفين و ليسا على الإطلاق لأحد غيره أصلا؛ و لما كانت الآيات كلها فى الإيقاع بالكافرين قدم الوصف الملائم لذلك. قال الحرالى: و قسط الله هو إخفاء عدله فى دار الدنيا من حيث أنه خفض و رفع، يعادل[4] خفضه رفعه و رفعه خفضه، فيؤول إلى عدل، و يراه بذلك فى حال تفاوته كل[5] ذى لب بما أنه عزيز يظهر عزته فيما يرفع، حكيم يخفى معنى حكمه فيما يخفض، فكل ما هو باد من الخلق جود فهو من الله سبحانه و تعالى قسط، طيته[6] عدل، سره سواء، فيظهر عزته فيما حكم انتقاما و حكمته فى الموازنة بين الأعمال و الجزاء عدلا - انتهى.

و لما كان ذلك علم أنه يجب[7] أن تخضع له الرقاب و يخلص[8] له التوحيد جميع الألباب و ذلك هو الإسلام فقال معللا للشهادة منهم بالعدل - و قراءة[9] الكسائى بالفتح أظهر فى التعليل -: ﴿ان الدين﴾ و أصله الجزاء، أطلق هنا على[10] الشريعة لأنها مسببه[11] ﴿عند الله﴾

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: ايدا (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى النسخ: يحور - كذا (٤) فى النسخ: يعادله (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: كما (٦) فى ظ: طسه - كذا (٧) من ظ وفى الأصل: يحب، وفى مد: يحب - كذا (٨) من ظ، وفى الأصل ومد: تخلص (٩) زيد بعده فى الأصل: له التوحيد، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: علم (١١) من ظ، وفى الأصل ومد: سببه.

أى [الملك - ١] الذى له الأمر[٢] كله[٣] ﴿ الاسلام قف ﴾ فاللام للعهد فى هذه الشهادة فانها أس[٤] لكل طاعة ، فلأجل أن الدين عنده هذا شهدوا له هذه الشهادة[٥] المقتضية[٦] لنهاية الإذعان .

و لما كان ذلك مصرحا بأنه لا دين عنده غيره كان كأن ٢ قائلا قال : فكان يجب أن يعلم بذلك الأنبياء الماضون و الأمم السالفون ٥ ليلزموه و يلزموه[٧] أتباعهم ! فقيل : قد فعل ذلك ، فقيل : فما لهم لم يلزموه ؟ فقيل : قد لزموه مدة مديدة ﴿ و ما ﴾ و يجوز و هو أحسن أن يكون التقدير : بين الله سبحانه و تعالى بشهادته ما يرضيه بآياته المرئية[٨] ثم أوضحه غاية الإيضاح[٩] بآياته المسموعة بكتبه [و ما - ١] ﴿ اختلف الذين اوتوا الكتب ﴾ هذا الاختلاف الذى ترونه ﴿ الا ١٠ من بعد ما جآءهم العلم ﴾ بذلك كله ، و ما كان اختلافهم لجهلهم بذلك بل ﴿ بغيا ﴾ واقعا ﴿ بينهم ط ﴾ لا بينهم و بين غيرهم ، بل من بعضهم على بعض للحسد و التنافس[١٠] فى الدنيا لشبه أبدوها[١١] و دعاو ادعوها ، طال بينهم فيها النزاع[١٢] و عظم الدفاع ، و الله سبحانه و تعالى عالم[١٣] بكشفها ، قادر على صرفها . قال الحرالى : و البغى السعى بالقول و الفعل ١٥

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : كلمه - كذا (٤) من مد ، و فى الأصل : امن ، و فى ظ : اسن (٥) فى مد : الشهاد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : المقضية (٧) زيد بعده فى ظ : اننا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المزية (٩) فى ظ : الاوضاح (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : التنافر (١١) فى مد : اوبدوها (١٢) فى ظ : للنزاع (١٣) فى ظ : مالم - كذا .

فى إزالة نعم أنعم[١] الله تعالى بها على خلق بما اشتملت عليه ضمائر[٢] الباغى من الحسد له - انتهى .

و لما كان التقدير : فمن استمر على الإيمان فان الله عظيم الثواب ، عطف عليه قوله : ﴿ و من يكفر ﴾ أى يستمر على كفره ٣و لم يقل حلما منه : و من كفر٣ ﴿ بآيٰت الله ﴾ أى المرئيات و المسموعات الدالة[٤] على إحاطته[٥] بالكمال وقوفا[٦] مع تلك الشبه و عمى عن الدليل فالله مهلكه عاجلا ﴿ فان الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما و لا كفوء له ﴿ سريع ﴾ قال الحرالى : من السرعة و هى[٧] وحاء النجاز[٨] فيما شأنه الإبطاء - انتهى . و يحتمل أن يكون كنى بالسرعة عن القرب فالمعنى : قريب ﴿ الحساب ۝ ﴾ أى عن[١] قريب يجازيهم على كفرهم فى هذه الحياة [الدنيا -[٩]] بأيدى بعضهم و بأيدى المؤمنين ، ثم ينقلون[١٠] إلى حسابه سبحانه و تعالى فى الدار الآخرة المقتضى لعذاب الكفرة[١١] ، و يحتمل أن تكون السرعة على بابها ، و المراد أنه لا يتهيأ فى حسابه ما يتهيأ فى حساب غيره من المغالطة المقتضية للنجاة أو المطاولة فى مدة الحساب المقتضية لتأخر الجزاء فى مدة المراوغة[١٢] -

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : فما يرى (٣-٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل و مد : الدالات (٥) فى ظ : احاطه (٦) فى مد : وقوعا (٧) فى ظ : هو (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : النجاة (٩) زيد من ظ ومد (١٠) فى ظ : يفعلون (١١) فى ظ : الآخرة (١٢) فى النسخ : المراوغة - كذا بالعين المهملة ، و المراوغة : المصارعة .

و الله/ تعالى أعلم . و من الكفر بالآيات الكفر بعيسى عليه الصلاة /٣٤٥
و السلام حين انتحلوا فيه الإلهية . قال الحرالى : كان آية من الله
سبحانه و تعالى للهداية ، فوقع عندهم بحال من كفروا به ، فكان سبب
كفرهم ما كان مستحقا أن يكون سبب هداية المهتدى ، و كان ذلك
فيه لمحل اشتباهه لأنه اشتبه[1] عليهم خلقه بما ظهر على يديه من آيات ٥
الله سبحانه و تعالى ، و فى التعريض به إلاحة لما يقع لهذه الأمة فى
نحوه ممن هو مقام الهداية فوقع فى طائفة موقع آية كفروا بها ، كما
قال عليه الصلاة و السلام فى على رضى الله تعالى عنه « مثلك يا على
كمثل عيسى بن مريم أبغضه يهود[2] فبهتوا أمه[3] و أحبه النصارى فأنزلوه
بالمحل الذى ليس به » كذلك[4] تفرقت[5] فرق فى على رضى الله تعالى ١٠
عنه من بين خارجيهم و رافضيهم - [انتهى -[6]] .

و لما تم[7] ذلك[8] كان كأنه[8] قيل : قد[9] جئناك بالأمر الواضح
الذى لا يشكون فيه ﴿ فان حآجوك ﴾ بعده فى شىء مما تضمنه و هدى
إليه و دل صريحا أو تلويحا عليه فاعلم أن جدالهم عن عناد مع العلم
بحقيقة الحال ﴿ فقل ﴾ أى فأعرض عنهم إلى أن آمرك بالقتال ، لأن ١٥
من الواجبات - كما تقرر فى آداب[10] البحث - الإعراض عمن كابر فى

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : اشبه (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : امة (٤) فى ظ : لذلك (٥) زيد بعده فى الأصل : بـه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : تحاتم. (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : كانه كان (٩) فى ظ : عل (١٠) فى ظ : آيات .

المحسوس ، و قل أنت عملا بالآية السالفة : ﴿ اسلمت وجهى ﴾ أى أخلصت قصدى و توجهى [١] ، و انقدت [٢] غاية الانقياد ﴿ لله ﴾ الملك الأعظم الذى له الأمر كله ، فلا كفوء له .

قال الحرالى : و [٣] لما أدرج تعالى شهادة الملائكة و أولى العلم فى شهادته لمن نبيه صلى الله عليه و سلم أن يدرج من اتبعه فى إسلامه وجهه لله ليكون إسلامهم باسلام نبيهم [٤] صلى الله عليه و سلم [٤] لا [٥] باسلام أنفسهم ، لتلحق التابعة من الأمة بالأئمة ، و ذلك حال الفرقة الناجية مؤثرة الفرق الاثنين و السبعين التى قال [النبى - [٦]] صلى الله عليه و سلم « ما أنا عليه » - فيما أوتى [٧] من اليقين ، « و أصحابى » - فيما أوتوه [٧] من الانقياد و براءتهم من الرجوع إلى أنفسهم فى أمر ، كما [٣] كانوا يقولون عند كل ناشئة [٨] علم أو أمر : الله و رسوله أعلم ، فمن دخل برأيه فى أمر نقص حظه من الاتباع بحسب استبداده - انتهى [٨] . فقال تعالى عاطفا على الضمير المرفوع المتصل لأجل الفعل : ﴿ و من ﴾ أى و أسلم من ﴿ اتبعن ط ﴾ وجوههم له سبحانه و تعالى .

و لما كان المكمل لنفسه يجب عليه السعى فى إكمال غيره أعلمه بذلك فى قوله : ﴿ و قل ﴾ تهديدا و تعجيزا و تبكيتا [٥] و تقريعا

(١) فى ظ : توجيهى (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : و انقذت ، و زيد بعده فى الأصل : عليه ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٣) سقط من ظ ومد . (٤-٤) سقط من ظ ومد (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ (٧-٧) تكرر فى ظ (٨-٨) سقطت من ظ .

﴿ للذين اوتوا الكتٰب ﴾ أى عامة من هؤلاء النصارى الذين يجادلونك و من اليهود أيضا ﴿ و الامّيّن ﴾ الذين لا كتاب لهم ، مشيرا بالاستفهام إلى عنادهم ١ منكرا عليهم موبخا ٢ لهم : ﴿ ءاسلمتم ط فان اسلموا ﴾ عند ذلك ﴿ فقد اهتدوا ج ﴾ فنفعوا أنفسهم فى الدنيا و الآخرة . و فى صيغة ' افتعلوا ' ما يلمح إلى ٣ أن الأنفس ٣ مائلة إلى الضلال ٤ زائغة عن طرق ٤ الكمال ﴿ و ان تولوا ﴾ أى عن الإسلام فهم معاندون فلا يهمنك أمرهم ﴿ فانما عليك البلٰغ ط ﴾ أى و عليهم وبال توليهم ، و فى بنية التفعل ما يومى إلى أن طرق الهدى بعد البيان آخذ [محاسنها ٥] بمجامع القلوب ، و أن الصادف عنها بعد ذلك ٦ قاهر لظاهر ٦ عقله ٧ و قويم فطرته الأولى ٧ برجاسة نفسه و اعوجاج طبعه .

و لما كان التقدير : فالله يوفق لقبول ٨ البلاغ عنك من علم فيه الخير ، و ينكب عنه من علم فيه الشر ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ بصير بالعباد ج ﴾ أى فهو يوفق من خلقه للخير منهم و يخذل غيره . لا يقدر على فعل ذلك غيره ، و لا يقدر أحد غيره أن يفعل غير ذلك .

و لما أشرك اليهود فى هذا الخطاب و أفهم شرط ٩ التولى بأداة

(١) فى ظ : عبادهم (٢) من مد . و فى الأصل و ظ : موتجا - كذا (٣-٣) فى ظ : انه لا نفس (٤-٤) فى ظ : ذايقة عن طروة - كذا (٥) زيد من ظ و مد. (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : قاهر لطاهر ، و فى ظ : قاهرا ظاهر - كذا . (٧-٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : بقبول (٩) فى ظ : بشرط .

الشك وقوعه ، فتشوفت[1] النفس إلى معرفة جزائهم[2] أشار إليه واصفا لهم
٣٤٦/ ببعض ما اشتد فحشه من أفعالهم فقال[3] : - و قال / الحرالى : و[3] لما كانت
هذه السورة منزلة لتبيين ما اشتبه[4] على [5]أهل الإنجيل[5] جرى ذكر أهل
التوراة فيها مجملا[6] بجوامع من ذكرهم ، لأن[7] تفاصيل أمرهم قد استقرأته[8]
٥ سورة البقرة ، فكان أمر أهل التوراة فى سورة البقرة بيانا و أهل
الإنجيل إجمالا ، و كان[9] أمر أهل الإنجيل فى سورة آل عمران
بيانا و ذكر أهل التوراة إجمالا ، لما كان ليس[10] أهل التوراة فى الكتاب
فوقع تفصيل ذكرهم فى سورة " الٓمٓ ذلك الكتٰب " ، و لما كان اشتباه
أمر أهل الإنجيل فى شأن الإلٰهية كان بيان ما تشابه عليهم فى سورة
١٠ " الٓمٓ الله لا اله الا هو الحى القيوم " فجاء هذا الذكر لأهل التوراة معادلة
بينهم و بين أهل الإنجيل بما كفروا بالآيات من المعنى الذى اشتركوا
فيه فى أمر الإلٰهية فى عزير[11] و اختصوا[12] بقتل الأنبياء و قتل أهل الخير
الآمرين[13] بالقسط ، انتهى . فقال تعالى - : ﴿ ان الذين يكفرون ﴾
و هم الذين خذلهم الله ﴿ بايٰت الله ﴾ فى إبراز الاسم الأعظم إشارة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فتشرفت (٢) فى ظ : خرابهم (٣) سقطت الواو من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشبه (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الإنجيل اهل (٦) من مد ، و فى الأصل : محلا ، و فى ظ : بجملا (٧) فى ظ : و ان (٨) فى ظ : استقرته (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : دون (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليس (١١) فى ظ : عزيز (١٢) من مد ، و فى الأصل : و اختلفوا ، و فى ظ : و اختصموا (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الامر عنه .

إلى عظيم كفرهم بكونه مما أضيف إليه[1] سبحانه و تعالى . قال الحرالى : و فى ذكره بصيغة [الدوام -[2]] ما يقع منهم من الكفر بآيات[3] الله فى ختم اليوم المحمدى[4] مع الدجال[5] فانهم أتباعه ﴿ و يقتلون النبيّين ﴾ فى إشعاره ما تمادوا عليه من البغى على الأنبياء حتى كان[6] لهم مدخل[6] فى شهادة النبى صلى الله عليه و سلم[7] التى رزقه الله فيما كان[8] يدعو به حيث كان ٥ يقول صلى الله عليه و سلم « اللهم ارزقنى شهادة فى يسر منك و عافية » .

و لما كان قتلهم إياهم بدون شبهة أصلا بل لمحض و الكفر و العناد[10] ، لأن الأنبياء مبرؤن[11] من أن يكون لأحد قِبَلهم حق دنيوى أو أخروى قال : ﴿ بغير حق[12] ﴾ أى لا صغير و لا كبير فى نفس الأمر و لا فى اعتقادهم ، فهو أبلغ مما[13] فى البقرة على عادة أفعال ١٠ الحكماء فى الابتداء بالأخف[13] فالأخف . و لما خص[14] ذكر أكمل الخلق عبر بما يعم أتباعهم فقال [15]معيدا للفعل[15] زيادة فى لومهم و تقريعهم :

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الله (٢) من ظ و مد ، و موضعه فى الأصل بياض (٣) فى ظ : لآيات (٤) من ظ و مد . و فى الأصل : الحد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الرجال (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : هم كل ، و فى ظ : لهم مدخلا (٧) العبارة من هنا إلى « عليه و سلم » سقطت من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : كانوا (٩) فى ظ : بمحض (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفساد (١١) من ظ ، و فى الأصل و مد : براون (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : و الاخف (١٤) سقط من ظ (١٥-١٥) فى ظ : مقيدا للعامل ، و فى مد : مفيدا للعامل .

﴿ و يقتلون الذين يامرون بالقسط ﴾ أى العدل ، و لما كان ذلك شاملا لمن لا قدرة لهم على قتله[١] من الملائكة قال[٢] : ﴿ من الناس[٣] ﴾ أى كلهم ، سواء كانوا أنبياء[٣] أو لا ، و يجوز أن يكون المراد[٤] بهذا القيد زيادة توبيخهم بأنهم يقتلون جنسهم الذى[٥] من حقهم أن يألفوه[٦] و يسعوا فى بقائه ، و هذا تحقيق لأن قتلهم لمجرد العدوان قال الحرالى : فيه إعلام بتمادى تسلطهم على أهل الخير من الملوك و الرؤساء ، فكان فى طيه إلاحة لما استعملوا فيه من علم التطبب[٧] و مخالطتهم[٨] رؤساء الناس بالطب الذى توسل[٩] كثير منهم إلى قتلهم به عمدا و خطأ ، ليجرى ذلك على أيديهم خفية فى هذه الأمة نظير ما جرى على أيدى أسلافهم فى قتل الأنبياء جهرة - انتهى . و يجوز أن يكون الخبر عنهم محذوفا و[١٠] التقدير : أنهم مطبوع على قلوبهم ، أو : لا يؤمنون ، أو : لا يزالون يجادلونك و ينازعونك[١١] و[١٢] يبغون لك الغوائل[١٢] ﴿ فبشرهم بعذاب اليم ﴾[١٣] أى اجعل[١٤] إخبارهم بأنه[١٤] لهم موضع البشارة ، فهو

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قسمه - كذا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقال (٣) فى ظ : الانبياء (٤) فى ظ و مد : اراد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذين (٦) وقع فى جميع الأصول : يالقوه - كذا محرفا عما أثبتناه (٧) فى ظ : الطب . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تخالصتهم (٩) فى ظ : ترسل (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : أو (١١) فى ظ : ينازعون (١٢-١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : سعون لك العوايل (١٣) العبارة من هنا إلى « ضرب وجيع » سقطت من مد (١٤-١٤) فى ظ : اجنادهم بان .

من وادى: تحيتهم[1] بينهم ضرب وجيع .

و لما كان الحال ربما اقتضى أن يقال من بعض أهل الضلال : إن لهؤلاء أعمالا حسانا و اجتهادات فى الطاعة[2] عظيمة ، بين تعالى أن تلك الأفعال مجرد صور لا معانى لها لتضييع[3] القواعد ، كما أنهم هم[4] أيضا ذوات بغير قلوب ، لتقع المناسبة بين الأعمال و العاملين ٥ فقال : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ الذين حبطت ﴾ أى فسدت فسقطت ، و أشار بتأنيث الفعل إلى ضعفها من أصلها ﴿ اعمالهم ﴾ أى كلها الدنياوية و الدينية[5] ، و أنبأ تعالى بقوله : ﴿ فى الدنيا ﴾ كما قال الحرالى - أنهم يتعقبون أعمال خيرهم يبغى يمحوها[6] فلا يطمعون بجزائها[7] فى[8] عاجل و لا آجل[8] ، و بذلك تمادى عليهم الذل و قل منهم المهتدى - ١٠ انتهى . ﴿ و الأخرة ﴾ فلا يقيم[9] لهم الله[9] فى يوم الدين وزنا ، و أسقط ذكر الحياة إشارة إلى أنه[10] لا حياة لهم فى واحدة من الدارين .

و لما كان التقدير: فلا ينتصرون[11] / بأنفسهم[12] أصلا ، فانهم لا يدبرون تدبيرا إلا كان فيه تدميرهم[13] ، عطف عليه قوله : ﴿ و ما لهم من نصرين ٥ ﴾ /٣٤٧

(١) من ظ ، و فى الأصل : تحية (٢) فى ظ : الطاعات (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : التضييع (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الدسه - كذا (٦) فى ظ : يمحونها ، و فى مد : تمحوها (٧) فى مد : بجزائها (٨-٨) فى ظ : العاجل ولا الآجل (٩-٩) فى ظ : الله لهم (١٠) فى مد : انهم (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تنصر رما - كذا (١٢) فى ظ : لانفسهم (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تدبيرهم .

قال الحرالى : فيه إعلام[1] بوقوع الغلبة[2] عليهم غلبة لا نصرة[3] لهم فيها فى[4] يوم النصر الموعود فى سورة الروم التى هى تفصيل[5] من معنى هذه السورة فى قوله تعالى "و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء[6]" فهم غير داخلين فيمن ينصر[7] بما قد ورد أنهم[8] يقتلون فى آخر الزمان حتى يقول الحجر : يا مسلم ! خلفى يهودى فاقتله ، حتى لا يبقى منهم إلا من[9] يستره شجر[10] الفرقد كما قال صلى الله عليه و سلم : «إنه من شجرهم» ، و فى إفهامه أن طائفة من أهل الإنجيل يقومون بحقه ، فيكونون ممن تشملهم[11] نصرة الله سبحانه و تعالى مع المسلمين ، فتتسق[11] الملة واحدة مما يقع من الاجتماع حين تضع الحرب أوزارها - انتهى .

و لما كان من المعلوم[12] أن ثبات الأعمال و زكاءها إنما هو باتباع أمر الله سبحانه و تعالى و أمر رسوله صلى الله عليه و سلم و أمر الذين ورثوا العلم[13] عنه[14] دل على ما أخبر به من الحبوط و عدم النصر بما يشاهد من أحوالهم فى منابذة الدين فقال : ﴿ الم تر ﴾ و كان الموضع لأن يقال : إليهم ، و لكنه قال : ﴿ الى الذين اوتوا نصيبا من الكتب ﴾

(١) فى ظ : اعلم (٢) فى ظ : القتلة (٣) فى ظ : مصيرة (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ : مفضل (٦) سورة ٣٠ آية ٤ و ٥ (٧) من ظ و مد. وفى الأصل : يبصر (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فانهم (٩) فى ظ : شجرة (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : تشتملهم (١١) من مد ، و فى الأصل : فتلق ، و فى ظ : فتلسق (١٢) فى ظ : العلوم (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكتاب .
(١٤) سقط من ظ و مد .

ليدل

ليدل على أن ضلالهم على علم ، و أن الذى[1] أوتوه منه قراءتهم له بألسنتهم و ادعاء الإيمان [به -[2]] . و قال الحرالى : كتابهم الخاص بهم نصيب[3] من الكتاب الجامع ، و ما أخذوا من كتابهم نصيب من اختصاصه ، فانهم لو[4] استوفوا حظهم منه لما عدلوا فى الحكم عنه و لرضوا[5] به ، و كان فى هذا التعجيب أن يكون غيرهم يرضى بحكم كتابهم ثم لا يرضون هم به - انتهى . ﴿ يدعون الى كتب الله ﴾ أظهر الاسم الشريف و لم يقل : إلى كتابهم ، احترازا عما غيروا و بدلوا و[4] لأنهم إنما دعوا إلى كتاب الله الذى أنزل على موسى عليه الصلاة و السلام، لا إلى ما عساه أن يكون بأيديهم مما غيروا - نبه عليه الحرالى . و فيه أيضا إشارة إلى عظيم اجترائهم بتوليهم عمن له الإحاطة الكاملة[6] ﴿ ليحكم بينهم ﴾ قال الحرالى : فى إشعاره أن طائفة منهم على حق منه ، أى و هم المذعنون لذلك الحكم الذى دعى إليه - انتهى .

و لما كان اتباعه واجبا واضحا نفعه لمن جرد نفسه عن الهوى عبر عن مخالفته بأداة البعد فقال : ﴿ ثم ﴾ و قال الحرالى : فى إمهاله ما يدل[6] على تلددهم[7] و تبلدهم فى ذلك بما يوقعه[8] الله من المقت و التحير على من دعى[9] إلى حق فأباه ، و فى صيغة 'يتفعل'[10] فى قوله : ﴿ يتولى ﴾

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذين (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد : نصب (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : لرعبوا (٦) فى ظ : يلد - كذا . (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : تلذذهم (٨) فى ظ : يوقفه ، و فى مد : يوقفه . (٩) فى ظ : ادعى (١٠) فى ظ : يفتعل .

ما يناسب معنى ذلك فى تكلف التولى[1] على[2] انجذاب من بواطنهم[3] لما عرفوه و كتموه ، و صرح[4] قوله : ﴿ فريق منهم ﴾ بما أفهمه ما تقدم من قوله "ليحكم بينهم" فأفهم أن طائفة منهم "ثابتون قائلون" لحكم كتاب الله تعالى ، و أنبأ[6] قوله المشير إلى كثرة أفراد هذا الفريق :

٥ ﴿ و هم معرضون ﴾ بما سلبوه من ذلك التردد و التكلف ، فصار وصفا لهم بعد أن كان تعملا[7] ، ما أنكر منكر حقا و هو يعلمه إلا سلبه[8] الله تعالى علمه[9] حتى يصير إنكاره له بصورة و بوصف من لم يكن قط علمه - انتهى .

و فى هذا تحذير لهذه الأمة من الوقوع فى مثل ذلك و لو بان

١٠ يدعى أحدهم من حسن إلى أحسن منه - نبه عليه الحرالى و قال : إذ ليس المقصود حكاية ما مضى فقط و لا ما هو كائن فحسب ، بل خطاب القرآن قائم دائم ماض كلية خطابه فى غابر[10] اليوم المحمدى[11] مع من يناسب أحوال من تقدم منهم ، و فى حق المرء مع نفسه فى أوقات مختلفة - انتهى . ثم علل اجتراءهم على الله تعالى فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى الإعراض

٥ البعيد عن أفعال أهل الكرم المبعد من الله ﴿ بانهم قالوا ﴾ كذبا على الله - كما تقدم بيانه فى سورة البقرة ﴿ لن / تمسنا النار الا اياما ﴾ و لما ٣٤٨/

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : السوال (٢) فى ظ : عن (٣) فى ظ : تواطيهم .
(٤) فى ظ و مد : خرج (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : قاتلون ثابتون .
(٦) فى ظ : انما (٧) فى ظ : نعا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : سلبة (٩) فى ظ : عليه (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : عابر (١١) فى ظ : المحمد .

كان المقام هنا لتناهى اجترائهم على العظائم لاستهانتهم بالعذاب لاستقصارهم لمدته[١] و التصريح بقتل[٢] الآمرين بالقسط عامة و بحبوط الأعمال، [٣]و كان[٣] [جمع -[٤]] القلة [قد -[٤]] يستعار[٥] للكثرة[٦] أكدت إرادتهم حقيقة القلة بجمع[٧] آخر للقلة، فقيل على ما هو الأولى من وصف جمع[٨] القلة لما لا يعقل بجمع جبرا له[٨]: ﴿ معدودٰت ص ﴾ و تطاول الزمان و هم على هذا الباطل حتى آنسوا به[٩] و اطمأنوا إليه لأنه ما كذب أحد بحق إلا عوقب بتصديقه بباطل، و ما ترك قوم سنة إلا أحيوا بدعة، على أن كذبهم أيضا جرهم[١٠] إلى الاستهانه بعذاب الله الذى لا يستهان بشىء منه و لو قل . و لما نسبوا ذلك إلى الكتاب فجعلوه دينا قال: ﴿ و غرهم ﴾ قال الحرالى: من الغرور و هو إخفاء الخدعة[١١] فى صورة النصيحة[١٢] - انتهى. ﴿ فى دينهم ما كانوا ﴾ أى بما هيئوا له وجبلوا[١٣] عليه ﴿ يفترون ﴾ أى يتعمدون كذبه، قال الحرالى: فتقابل[١٤] التعجيبان[١٥] فى ردهم حق الله سبحانه و تعالى و سكونهم إلى باطلهم - انتهى.

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مدته (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بقبيل. (٣-٣) من ظ، و فى الأصل: ولما كان، و فى مد: فكان (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: تستعار (٦) فى ظ: الكثرة، و فى مد: لكثرة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بجميع (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ: منه (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: حرهم - كذا (١١) فى ظ: الجذعة - كذا (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: النصحة (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: جعلوا (١٤) فى ظ: فتقاتل (١٥) من ظ و مد، و فى الأصل: التعجب ان - كذا.

و لما تسبب عن اجترائهم بالكذب على الله أن يُسأل عن حالهم معه قال صارفا القول إلى مظهر العظمة المقتضى للمجازاة[1] و المناقشة : ﴿فكيف﴾ أى يكون حالهم ﴿اذا جمعنهم﴾ أى وقد[2] رفعنا حجاب العظمة[3] و شهرنا[4] سيف العزة[5] و السطوة . و لما كان المقصود بالجمع الجزاء قال : ﴿ليوم﴾ و وصفه بقوله : ﴿لا ريب فيه قف﴾ مشعر - كما قال الحرالى - بأنهم ليسوا على طمأنينة فى باطلهم بمنزلة الذى لم يكن له أصل كتاب، فهم فى ريبهم يترددون إلى أن يأتى ذلك اليوم .

و لما كان الجزاء أمرا متحققا لابد منه أشار إليه بصيغة الماضى فى قوله : ﴿و وفيت﴾ و البناء للمفعول للافهام بسهولة[6] ذلك عليه و إن كان يفوت[7] الحصر، و تأنيث[8] الفعل للاشارة إلى دناءة[9] النفوس و ضعفها، و قوله : ﴿كل نفس﴾ قال الحرالى : الفصل الموقع للجزاء مخصوص بوجود[10] النفس التى دأبها أن تنفس فتريد[11] و تختار و تحب و تكره، فهى التى توفى، فمن سلب الاختيار[12] و الإرادة و الكراهة بتحقق الإسلام الذى تقدم ارتفع عنه التوفية، إذ لا وجود نفس له

(١) من مد، و فى الأصل : للجازا، و فى ظ : للجاوزة (٢) سقط من ظ . (٣) فى ظ : القدرة (٤) فى الأصل: سهرنا، و فى ظ و مد : شهدنا (٥) فى ظ : العز (٦) فى ظ : لسهولة (٧) من ظ و مد، و موضعه بياض فى الأصل . (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : تانيثه (٩) من مد، و فى الأصل : دناه، و فى ظ : دناس - كذا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : بوجوه (١١) فى ظ : و تريد (١٢) فى ظ : الاختبار .

بما

بما أسلم وجهه لله ، فلذلك اختص وعيد القرآن كله بالنفس فى نفاستها بارادتها و ما تنشأ[1] لها عليه من أحوالها و أفعالها و دعواها[2] فى ملكها و مُلكها ، فمتى[3] [نفست فتملكت -[4]] ملكا أو تشرفت مُلكا خرجت عن إسلامها حتى ينالها سلب القهر منه و إلزام الذل عنه ، و بلمح[5] من هذا المعنى اتصلت الآية التى بعدها بختم هذه الآية و ناظرت [رأس -[6]] آية ذكر الإسلام ، فانما هو مسلم[7] لله و ذو نفس متملك على الله حتى يسلبه الله فى العقبى أو يذله فى الدنيا ، فشمل هذا الوفاء لكل نفس أهل الكتاب و غيرهم ، و عم الوفاء لكل من يعمه[8] الجمع ، كذلك[9] خطاب القرآن يبدأ [10]بخصوص فيختم بعموم ، و يبدأ[10] بعموم فيثنيه[11] تفصيل - انتهى .

و لما كان هذا الجزاء شاملا للخير و الشر قال : ﴿ ما ﴾ أى جزاء ما ﴿ كسبت ﴾ فأتى به مخففا ليشمل[12] المباشرة بكسب أو اكتساب ، و أنث[13] الفعل مع جواز التذكير مراعاة للفظ ' كل ' إشارة إلى الإحاطة بالأفعال و لو كانت فى غاية الحقارة ، و راعى معنى ' كل ' للوفاء بالمعنى مع موافقة الفواصل ﴿ و هم لا يظلمون ﴾ أى لا يقع عليهم ظلم[14]

(١) فى ظ : يشاء (٢) فى ظ : دعوها (٣) فى ظ : فهى (٤) ما بين الحاجزين من مد ، و موضعه بياض فى الأصل ، و فى ظ : خفيت و تمكنت (٥) فى ظ : تلمح (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : سلم (٨) فى ظ : نعمه . (٩) فى ظ : لذلك (١٠-١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فسمه - كذا (١٢) فى ظ : يشمل (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : انت . (١٤) فى ظ : محكم .

بزيادة و لا نقص ، و لا يتوقعونه .

و لما أخبر تعالى أن[1] الكفار سيغلبون و أنه ليس لهم من ناصرين كان حالهم مقتضيا لأن[2] يقولوا : كيف و نحن أكثر من الحصى و أشد شكائم من[3] ليوث الشرى[3] ، فكيف نغلب[4] ؟ أم كيف لا ينصر بعضنا[5] بعضا و فينا[6] الملوك و الأمراء و الأكابر و الرؤساء و مناوونا[7] القليل[8] الضعفاء ، أهل الأرض الغبراء[9] ، و أولو البأساء و الضراء ، فقال تعالى لينتبه الراقدون من فرش الغفلات المتقلبون[10] فى فلوات البلادات من تلهيهم بما رأوا و سمعوا من نزع الملك من أقوى الناس و إعطائه لأضعفهم / فيعلموا[11] أن الذى من شأنه أن يفعل ذلك مع بعض أعدائه /٣٤٩ جدير بأن يفعل[12] أضعافه لأوليائه : "قل اللهم" . قال[13] الحرالى : و لما كان هذا[14] الأمر نبوة ثم خلافة ثم ملكا فانتظم بما تقدم من أول السورة أمر النبوة فى التنزيل و الإنزال ، و أمر الخلافة فى ذكر الراسخين

(١) فى ظ : فان ، و فى مد : بانه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٣-٣) فى الأصل : لبون الشرى ، و فى ظ : لبوث الثرى ، و فى مد : لبوب الشرى . و الشرى موضع تنسب إليه الأسد - كما فى لسان العرب (٤) فى ظ : نقلب ، و فى مد : نقلب (٥) فى ظ : بعضهم (٦) فى ظ : ميتا ، و فى مد : فيتا - كذا . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ملوونا (٨) فى ظ : العليل ، و فى مد : الغليل . (٩) فى ظ : الم - كذا (١٠) فى ظ : المنغلبون ، و فى مد : المتغلبون (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيعلمون (١٢) من مد ، و فى الأصل : يفصل ، و فى ظ : يفعلا (١٣) فى مد : و قال (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه .

فى العلم الذين يقولون : "ربنا لا تزغ قلوبنا [بعد اذ هديتنا -١"] ، و كانت من هجيرى أبى بكر رضى الله تعالى عنه ، يقنت بها فى وتر صلاة النهار فى آخر ركعة من المغرب - انتظم برؤس تلك المعانى ذكر الملك الذى آتى الله هذه الأمة ، و خص به٢ من لاق به الملك ، كما خص بالخلافة من صلحت له الخلافة ، كما تعين للنبوة الخاتمة من لا يحملها سواه - انتهى٣ ؛ ٥ فقال : ﴿ قل ﴾ أى يا محمد أو يامن ٤آمن بنا٤ مخاطبا لإلهك مسمعا٥ لهم و معرضا عنهم و منبها٦ لهم من سكرات غفلاتهم فى إقبالهم على ملوك لا شىء فى أيديهم ، و إعراضهم عن هذا الملك الأعظم الذى بيده كل شىء . قال الحرالى : لعلو٧ منزل هذه السورة كثر الإقبال فيها بالخطاب على النبى صلى الله عليه و سلم و جعل القائل لما كانت المجاورة معه ، لأن منزل ١٠ القرآن ما كان منه لإصلاح ما بين الخلق و ربهم يجىء٨ الخطاب فيه من الله سبحانه و تعالى إليهم مواجهة حتى ينتهى إلى الإعراض عند إباء من يأبى منهم ، و ما كان لإصلاح٩ ما بين الأمة و نبيها١٠ يجرى الله الخطاب فيه على لسانه من حيث توجههم بالمجاورة١١ إليه ، فاذا قالوا قولا

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : بها (٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : سمعا (٦) فى ظ : منهيا (٧) من مد ، و فى الأصل : العلو ، و فى ظ : يعلو (٨) فى ظ : لمجى . (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاصلاح (١٠) فى الأصل : نتها ، و فى ظ : بينها ، و فى مد : بنيها (١١) فى ظ و مد : بالمجاوزة .

يقصدونه ١ به ٢ قال الله عز و جل : قل لهم ، و لكون القرآن متلوا ثبتت٣ فيه كلمة ' قل ' - انتهى . ﴿ اللّهم مُلك الملك ﴾ أى لا يملك شيئا منه غيرك . قال الحرالى : فأقنعه٤ صلى الله عليه و سلم ملك ربه ، فمن كان منه و من آله و خلفائه و صحابته يكون من إسلامه وجهه٥ لربه إسلام الملك كله الذى منه شرف الدنيا لله ، فلذلك لم يكن صلى الله عليه و سلم يتظاهر٦ بالملك و لا يأخذ مآخذه ، لأنه كان نبيا عبدا ، لا نبيا ملكا ، فأسلم الملك لله٧ ، كذلك٨ خلفاؤه أسلموا الملك [لله - ٩] فلبسوا الخلقان و المرقعات١٠ و اقتصروا على شظف العيش ، ١١و لانوا١١ فى الحق ، و حملوا جفاء الغريب ، و اتبعوا أثره فى العبودية ، فأسلموا الملك لله سبحانه و تعالى ، و لم ينازعوه شيئا منه ، حمل عمر رضى الله تعالى عنه قربة على ظهره فى زمن خلافته حتى سكبها فى دار امرأة من الأنصار فى أقصى المدينة ، فلما جاء الله بزمن الملك و استوفيت أيام الخلافة عقب وفاء زمان النبوة أظهر الله سبحانه و تعالى الملك فى أمة محمد صلى الله عليه و سلم ، ١٢و كما خصص بالنبوة و الإمامة بيت١٣ محمد و آل

(١) فى مد : يقصدون (٢) سقط من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : تنبت ، و فى ظ : ثبت (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فانفعه (٥) فى مد : وجهة . (٦) فى ظ : يتظاهر (٧) فى ظ : له (٨) من ظ ، و فى الأصل و مد : لذلك . (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : و المرقعان . (١١-١١) فى ظ : لاينا (١٢) العبارة من هنا إلى « عليه وسلم » سقطت من مد . (١٣) فى ظ : بنت .

محمد صلى الله عليه و سلم [1]و خصص[1] بالخلافة فقراء المهاجرين خصص بالملك الطلقاء الذين[2] كانوا عتقاء الله و رسوله ، لينال كل من رحمة [الله -٣] و فضله[4] ، التى ولى [5]جميعها نبيُّه[5] صلى الله عليه و سلم كلَّ طائفة على قدر قربهم منه ، حتى اختص بالتقدم قريشا[6] ما كانت ، ثم العرب ما كانت إلى ما صار له الأمر بعد الملك من سلطنة[7] و تجبر[8] ، إلى ما يصير إليه من دجل[9] ، كل ذلك مخول لمن يخوله بحسب القرب و البعد منه ﴿ تؤتى الملك من تشآء ﴾ فى الإيتاء إشعار بأنه تنويل[10] من الله من غير قوة و غلبة[11] ، و لا مطاولة فيه ، و فى التعبير بمن العامة للعقلاء إشعار بمنال[12] الملك من لم يكن من أهله ، و أخص الناس بالبعد منه[13] العرب ، ففيه إشعار بأن الله ينول ملك فارس و الروم العربَ[14] كما وقع منه ما وقع ، و ينتهى منه ما بقى إلى من نال الملك بسببها و عن الاستناد إليها من سائر الأمم الذين دخلوا فى هذه الأمة من قبائل الأعاجم و صنوف أهل الأقطار حتى ينتهى الأمر إلى أن يسلب الله الملك جميع أهل الأرض ، فيعيده[15] إلى إمام العرب الخاتم

(١-١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الذى (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل : فضل (٥-٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : حيعها نبيه ـ كذا (٦) فى ظ : قريش (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : سلطنه (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل: تخير (٩) فى ظ : رجل (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل: تنزيل (١١) من ظ ، وفى الأصل ومد : غلب (١٢) من ظ ومد. وفى الأصل : بمال (١٣) من ظ ، و فى الأصل و مد: عنه (١٤) من ظ ، و فى الأصل و مد: للعرب . (١٥) فى ظ : ليفيد .

للهداية من ذريته ختمه صلى الله عليه و سلم للنبوة من ذرية آدم ، و يؤتيهم[١]
من المكنة ، كما قال / صلى الله عليه و سلم : « لو شاء أحدهم أن يسير /٣٥٠
من المشرق إلى المغرب فى خطوة لفعل[٢] » و مع ذلك فليسوا من
الدنيا و ليست الدنيا منهم ، فيؤتيهم الله ملكا من ملكه - ظاهر هداية
٥ من هداه ، شأفة عن سره الذى يستعلن به فى خاتمة يوم الدنيا[٣] ليتصل
بظهوره ملك يوم الدين ، و الملك التلبس[٤] بشرف[٥] الدنيا و الاستئثار
بخيرها[٦] ؛ قال أبو بكر لعمر رضى الله تعالى عنهما فى وصيته : إذا جنيت
فلتهجر يدك فاك حتى يشبع من جنيت له ، فان نازعتك نفسك فى
مشاركتهم فشاركهم[٧] غير مستأثر[٨] عليهم ، و إياك و[٧] الذخيرة ! فان
١٠ الذخيرة تهلك دين[٩] الإمام و تسفك دمه . فالملك التباس بشرف الدنيا
و استئثار[١٠] بخيرها و اتخاذ ذخيرة[١١] منها .

لما أرادوا أن يخيروا على عمر رضى الله تعالى عنه زيه[١٢] عند إقباله
على بيت المقدس[١٣] نبذ زيهم[١٣] و قال : إنا قوم أعزنا الله بالإسلام ! فلن
نلتمس العزة بغيره . فمن التمس الشرف[٢] بجاه الدنيا فهو ملك بقدر
١٥ ما يلتمس من شرفها قل[١٤] ذلك[١٥] الحظ أو جل[١٥] ، و هو به من أتباع

(١) فى ظ : توبتهم (٢) فى ظ : الفعل (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الدين.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : التلبس (٥) فى ظ : يشرف (٦) من ظ
و مد ، و فى الأصل : بخبرها (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : مناثر (٩) فى ظ :
دينى (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : استيثارها (١١) فى ظ : خبره (١٢) من
ظ و مد ، و فى الأصل : زبة (١٣-١٣) من مد ، و فى الأصل : فبدرهم ، و فى
ظ : بندريهم (١٤) فى ظ : قبل (١٥-١٥) من مد ، و فى الأصل : الحطا وجل ،
و فى ظ : الحظ و حل .

ملوك الدنيا ، و كذلك[1] من التمس الاستئثار[2] بخيرها و اتخذ الذخيرة منها ، كل ينال من الملك و يكون من شيعة الملوك[3] بحسب[4] ما ينال و يحب[4] من ذلك حتى ينتهى إلى حشره[5] مع الصنف الذى يميل إليه ، فمن تذلل و تقلل[6] و توكل بعث مع[7] الأنبياء و المرسلين و الخلفاء ، كما أن من تشرف بالدنيا و استأثر و ادخر منها حشر مع الملوك ٥ و السلاطين ؛ جلس عمر رضى الله تعالى عنه يوما و سلمان و كعب و جماعة رضى الله تعالى عنهم فقال : أخبرونى أخليفة أنا أم ملك ؟ فقال له سلمان رضى الله تعالى عنه : يا أمير المؤمنين ! إن جبيت درهما من هذا المال فوضعته فى غير حقه فأنت ملك ، و إن لم تضعه إلا فى حقه فأنت خليفة ، فقال كعب : رحم الله تعالى ! ما ظننت أن[7] أحدا يعرف ١٠ [8]الفرق بين[8] الخليفة و الملك غيرى ، فالتزام[9] مرارة العدل[10] و إيثار الغير خلافة[11] و تشيع[12] فى سبيلها ، و منال حلاوة الاستئثار[13] بالعاجلة شرفها و مالها ملك[14] و تحيز لتباعه[14] - انتهى . و فى تقديم الإيثاء على

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : و لذلك (٢) فى ظ : الايثار (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الملكوت (٤ - ٤) فى ظ : يقال بحب ، و فى مد : نيال و تحب (٥) فى ظ : حسرة (٦) فى ظ : تعلل ، و فى مد : تقلل (٧) سقط من ظ . (٨ - ٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : فالتزم (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : العدول (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : خلافه (١٢) من مد ، و فى الأصل : فشع ، و فى ظ : تشييع (١٣) فى الأصول : الاستيثار (١٤ - ١٤) فى ظ : تحير اتباعه .

النزع إشارة إلى أن الداعى[1] ينبغى أن يبدأ بالترغيب ﴿ و تنزع ﴾ قال الحرالى : من النزع ، و هو الأخذ بشدة و بطش - انتهى . ﴿ الملك ممن تشآء ﴾ و فيه إشارة إلى أن الدعاء باللين[2] إن لم يجدِ ثنى بالترهيب ، و على هـذا المنوال[3] أبرز قوله : ﴿ و تعز من تشآء ﴾ أى إعزازه ٥ ﴿ و تذل من تشآء ﴾ أى إذلاله ، و هو كما قال : « إن رحمتى سبقت غضبى » قال الحرالى : و فى كلمة النزع بما ينبئ عنه من البطش و القوة ما يناسب معنى الإيتاء ، فهو إيتاء[4] للعرب و نزع[5] من العجم ، كما ورد أن كسرى رأى فى منامه أنه يقال له : سلم[6] ما بيدك لصاحب الهراوة ، فنزع مُلكَ الملوك من الأكاسرة و القياصرة و خوّله[7] قريشا و من قام[8] ١٠ بأمرها و انتحل الملك باسمها من صنوف الأمم غربا و شرقا و جنوبا و شمالا ، إلى ما يتم به الأمر فى الختم ، و العز - و الله سبحانه و تعالى أعلم - عزة[9] الله سبحانه و تعالى لأهله و لآل نبيه[10] صلى الله عليه و سلم و الأنصار[11] و الصلحاء من صحابته و عشيرته و أبنائهم و ذرياتهم الذين سلبهم الله[12] ملك الدنيا فخلاهم[13] بعز الآخرة و بعزة الدين كما قال

(١) من ظ و مد و فى الأصل : الدا - كذا ، و زيد فيه بعده : ان لم يجد ، و لم تكن الزيادة فيها فحذفناها (٢) فى ظ و مد : باللسن - كذا (٣) فى ظ : النوال (٤) فى ظ : انبا (٥) فى ظ : نوع (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مسلم (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : حوله (٨) فى ظ : اقام (٩) فى ظ : عزه . (١٠) زيد قبله فى الأصل : بيت ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها ، و سقطت الكلمتان من ظ (١١) فى مد : للانصار (١٢) سقط من ظ (١٣) فى ظ : بخلاهم .

سبحانه و تعالى: "و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين[١]" ليكون فى الخطاب إنباء[٢] بشرى لهم أنه أتاهم من العز بالدين ما هو خير من الشرف بملك الدنيا ["من كان يريد العزة فلله العزة جميعا[٣]" فالملوك و إن تشرفوا بملك الدنيا - [٤]] فليس لهم من عزة الدين شىء، أعزهم الله سبحانه و تعالى بالدين، تخدمهم الأحرار و تتوطد لهم الأمصار[٥]، لا يجدون ٥ وحشة، و لا يحصرون فى محل، و لا تسقط لهم حرمة حيث ما[٦] حلوا و حيث ما كانوا، استتروا أو اشتهروا[٧]، و المتلبسون بالملك لا يخدمهم إلا من استرقوه قهرا، يملكون تصنع[٨] الخلق و لا يملكون محاب[٩] قلوبهم، محصورون فى أقطار ممالكهم، لا يخرجون / عنها و لا ٣٥١ / ينتقلون منها[١٠] حتى يمنعهم[١١] من كمال الدين، فلا ينصرفون فى الأرض ١٠ و لا يضربون فيها، حتى يمتنع ملوك من الحج مخافة نيل الذل فى غير موطن الملك، و الله عز وجل يقول "إن عبدا أصححت له جسمه، و أوسعت[١٢] عليه فى[١٢] رزقه، يقيم خمسة أعوام لا يفد[١٣] علىّ المحروم"

(١) سورة ٦٣ آية ٨ (٢) فى الأصل و مد: انبا - و فى ظ: انبا - كذا.
(٣) سورة ٣٥ آية ١٠ (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: الاحار (٦) من مد و فى الأصل: فا. و العبارة من هنا إلى «وحيث» سقطت من ظ (٧) من مد، و فى الأصل: و استهروا، و فى ظ: استمتهدوا - كذا (٨) فى ظ: تصنع - كذا (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: حجاب (١٠) فى ظ: عنها.
(١١) من ظ و مد، و فى الأصل: صنعهم (١٢-١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: له (١٣) من مد، و فى الأصل: لا يغر، و فى ظ: لا يعد.

فالملوك مملوكون بما ملكوا ، و أعزاء[1] الله ممكنون فيما إليه وجهوا ، لا يصدهم عن تكملة[2] أمر الدين و إصلاح أمر الآخرة صادّ ، و لا يردهم عنه راد[3] لخروجهم من سجن الملك إلى سعة العز بعزة الله سبحانه و تعالى ، فقارض الله أهل بيت نبيه صلى الله عليه و سلم و رضى عنهم ، و من[4] لم يرضه للملك بعز الإمامة و رفعة[5] الولاية و الاستيلاء على محاب القلوب[6] فاسترعاهم الله قلوب[6] العالمين بما استرعى الملوك بعض حواس[7] المستخدمين و المستتبعين ، و الذل مقابل ذلك العزة ، فاذا كان ذلك العز عزا دينيا ربانيا عوضا عن سلب الملك كان[8] هذا الذل - و الله تعالى أعلم - ذل أهل الدنيا فى دنياهم الذى ألزمهم الله سبحانه و تعالى إياه بما أذلتهم أنفسهم ، فاستعملتهم فى شهواتها و أذلهم أتباعهم فتوسلوا بهم إلى قضاء أغراضهم فى أهوائهم ، و يستذلهم[9] من يظلمونه بما ينتصفون منهم ، و ينالهم من ذل تضييع الدين ، و يبدو على وجوههم من ظلمة الظلم ما يشهد[10] ذلهم[11] فيه أبصار العارفين - انتهى . و لعل نصارى نجران أشد قصدا[12] بهذا الخطاب ، فانهم خافوا أن ينزع منهم ملوك الروم[13] ما خولوهم فيه من الدنيا إن أخبروا بما يعلمون[14] من أمر هذا النبى

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : و اعز (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تكلمة (٣) فى ظ : و اذ (٤) فى ظ : و ممن (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : رفع (٦-٦) سقط من مد (٧) فى ظ : خواص (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : يستذلهم (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : يشد (١١) فى ظ : ذلك (١٢) فى ظ : قصرا (١٣) زيدت الواو بعده فى ظ (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعملون .

[الأمى - ١] صلى الله عليه و سلم .

و لما تقرر ٢ أنه مالك لما تقدم أنتج أن له التصرف المطلق فعبر ٣ عنه بقوله : ﴿ بيدك ﴾ أى وحدك ﴿ الخير ﴾ و لم يذكر الشر تعليما لعباده ٤ الأدب فى خطابه ، و ترغيبا لهم ٥ فى الإقبال عليه و الإعراض عما سواه ، لأن العادة جارية بأن الناس أسرع شىء إلى معطى النوال ٥ و باذل الأموال ، و تنبيها على أن الشر أهل للاعراض عن كل شىء من أمره حتى عن مجرد ٦ ذكره و إخطاره ٧ بالبال ، مع أن الاقتصار على الخير بملك الخير كله مستلزم لمثل ذلك فى الشر ، لأنهما ضدان ، كل منهما ٨ مساوٍ لنقيض ٨ الآخر ، فاثبات أحدهما نفى للآخر ٩ و نفيه ١٠ إثبات للآخر ، فلا يعطى الخير إلا و قد نفى الشر ، و لا ينزع ١٠ الخير إلا و قد وضع الشر - و الله سبحانه و تعالى أعلم . و لما أفهم أن الشر بيده كما أعلم ١١ أن الخير بيده و خاص به قرر ذلك على وجه أعم بقوله معللا ١٢ : ﴿ انك على كل شىء قدير ﴾ .

١٣ فلما ثبتت ١٣ خصوصيته سبحانه و تعالى بصفة القدرة على الوجه

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقدم (٣) فى ظ : يعبر (٤) فى الأصل و ظ : لعبادة ، و فى مد : لعبارة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : له . (٦) من مد ، و فى الأصل : تجرد ، و فى ظ : مجرده (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : اخطاوه (٨ - ٨) من مد ، و فى الأصل : متثبتا و لتنقيض ، و فى ظ : مسا و لبعض (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الآخر (١٠) من مد ، و فى الأصل : و بقيه ، و فى ظ : و بقيته (١١) فى ظ : علم (١٢) سقط من مد (١٣ - ١٣) فى ظ : و لما ثبت .

الأعم ذكر بعض ما تحت ذلك مما لم يدخل شيء منه تحت قدرة غيره فقال: - و قال الحرالى: و لما كانت هذه الآية متضمنة تقلبات نفسانية فى العالم القائم الآدمى اتصل بها[١] ذكر تقلبات فى العالم الدائر ليؤخذ لكل منهما اعتبار من الآخر. و لما ظهر فى هذه الآية افتراق فى النزع و الإيتاء و الإعزاز و الإذلال أبدى[٢] فى الآية التالية[٣] توالج بعضها فى بعض ليؤذن بولوج العز فى الذل و الذل فى العز، و الإيتاء فى النزع و النزع فى الإيتاء، و توالج المفترقات[٤] و المتقابلات بعضها فى بعض، و لما كانت هذه السورة[٥] متضمنة لبيان الإحكام و التشابه[٦] فى منزل الكتاب بحكم الفرقان أظهر تعالى فى آياتها ما أحكم و بين فى خلقه و أمره [و ما التبس و أولج فى خلقه و أمره -[٧]]، فكان من محكم آية فى الكائن القائم الآدمى ما تضمنه[٨] إيتاء الملك و نزعه و الإعزاز و الإذلال، وكان من الاشتباه إيلاج العز فى الذل و إيلاج الذل فى العز، فلما صرح بالإحكام ببيان الطرفين فى الكائن القائم[٩] الآدمى، وضمن الخطاب اشتباهه فى ذكر العز و الذل صرح به فى آية الكون الدائر، فذكر آية الآفاق و هو الليل و النهار بما يعاين فيها من التوالج حيث ظهر ذلك فيها و خفى فى توالج أحوال الكائن القائم، لأن الإحكام و الاشتباه

(١) فى ظ: بما (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ايدى (٣) فى ظ: الثالثة.
(٤) فى ظ: المعترفات (٥) فى مد: الآية (٦) فى ظ: المتشابه (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: يضمنه (٩) تقدم فى الأصل على «فى الكائن».

متراد بين الآيتين :/ آية الكائن القائم الآدمى و آية الكون الدائر / ٣٥٢
العرشى ، فما وقع اشتباهه فى أحدهما ظهر إحكامه فى الآخر ١ فقال
سبحانه و تعالى : ﴿ تولج ﴾ من الولوج ، و هو الدخول فى الشىء
الساتر لجملة الداخل ﴿ الليل فى النهار ﴾ فيه تفصيل من مضاء قدرته ،
فهو سبحانه و تعالى يجعل كل واحد من المتقابلين بطانة للآخر والجا فيه ٥
على وجه لا يصل [إليه - ٢] منال ٣ العقول ٤ لما فى المعقول ٥ من افتراق
المتقابلات ، فكان فى القدرة إيلاج المتقابلات بعضها فى بعض و إيداع
بعضها فى بعض على وجه [لا - ٦] يتكيف بمعقول ٧ و لا ينال بفكر -
انتهى . ﴿ و تولج النهار فى الليل ﴾ أى تدخل ٨ كلا منهما فى الآخر
بعد ظهوره حتى يذهب فيه فيخفى و لا يبقى له أثر . قال الحرالى : و لما ١٠
جعل المتعاقبين من ٩ الليل و النهار متوالجين جعل المتباطنين من الحى
و الميت مخرجين ، فما ١٠ ظهر فيه الموت بطنت فيه الحياة ، و ما ظهرت
فيه الحياة بطن فيه الموت ؛ انتهى . فقال سبحانه و تعالى : ﴿ و تخرج
الحى ﴾ أى من النبات و الحيوان ﴿ من الميت ﴾ منهما ١١ ﴿ و تخرج

(١) فى ظ : الاخير (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : مثال (٤) فى ظ و مد : المعقول ، و سقط بعده « لما فى المعقول » من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : العقول (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : لعقول (٨) فى ظ : يدخل (٩) فى ظ : فى (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : فا (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : منها .

الميت ﴾ منهما[1] ﴿ من الحى ذ ﴾ منهما كذلك .

قال الحرالى : فهذه سنة الله سبحانه و تعالى و حكمته فى الكائن القائم و فى الكون الدائر ، فأما فى الكون الدائر فباخراج حى الشجر[2] و النجم من موات[3] البذر[4] و العجم ، و بظهوره فى العيان كان أحكم فى البيان مما[5] يقع فى الكائن القائم ، كذلك[6] الكائن القائم يخرج الحى المؤمن الموقن من الميت الكافر الجاهل " و ما كان استغفار ابرٰهيم لأبيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه[7] " و يخرج الكافر الآبى من المؤمن الراحم " ينوح انه ليس من اهلك[8] " أظهر سبحانه و تعالى بذلك وجوه[9] الإحكام و الاشتباه فى آيتى خلقه ليكون ذلك آية على ما فى أمره ، و ليشف ذلك عما يظهر من أمر علمه و قدرته على من[10] شاء من عباده كما أظهر فى ملائكته و أنبيائه ، و كما خصص بما شاء من إظهار عظيم أمره فى المثلين الأعظمين[11] : مثل آدم و عيسى عليهما الصلاة و السلام ، فأنزلت هذه السورة لبيان الأمر فيما اشتبه على من التبس[12] عليه أمر عيسى عليه الصلاة و السلام ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : منها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : شجر . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : قواة - كذا (٤) فى ظ : البدر (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : ما (٦) فى ظ : لذلك (٧) سورة ١٤ آية ١١ (٨) سورة ١١ آية ٤٦ (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : وجود (١٠) فى ظ : ما (١١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (١٢) من مد ، و فى الأصل : التلبس ، و فى ظ : تلبس .

فهو تعالى أظهر من موات الإنسانية ما شاء من الإحياء باذنه، و أظهر فى آدم عليه الصلاة و السلام ما شاء من علمه حين علم آدم الأسماء كلها، كذلك[1] أظهر فى عيسى عليه الصلاة و السلام ما شاء من قدرته كما أظهر فى الخلق ما شاء من ملكه، فملك من شاء و نزع الملك ممن[2] شاء، و أعز من شاء و أذل من شاء، و أظهر بالنهار ما شاء و طمس[3] بالليل ما شاء، و أولج المتقابلين بعضهما فى بعض و أخرج المتباينين بعضهما من بعض - انتهى.

و لما بدأ الآية سبحانه و تعالى بما يقتضى الترغيب بما هو محط[4] أحوال الأنفس من الملك و أنواع الخير ختمها بمثل ذلك مما لا يقوم الملك و لا يطيب العيش إلا به فقال[4]: ﴿و ترزق من تشآء﴾ قويا كان أو ضعيفا ﴿بغير حساب﴾ أى تعطيه عطاء واسعا جدا متصلا من غير تضييق و لا عسر، كما فعل بأول هذه الأمة على ما كانوا فيه من القلة و الضعف حيث أباد بهم[5] الأكاسرة و القياصرة[4] و آتاهم[6] كنوزهم و أخدمهم[7] أبناءهم و أحلهم ديارهم. و قال الحرالى: و لما ذكر سبحانه و تعالى هذا[8] الإحكام و الاشتباه فى أمر العلية من الخلق أهل شرف الملك و أهل عزة[9] الدين ختم الخطاب بأمر الرزق[10] الذى هو

(١) فى ظ: لذلك (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اطمس (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يهم. (٦) فى ظ: اياهم، و فى مد: اتاهم (٧) فى ظ: اخذ منهم (٨) فى الأصول: هذه (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: غيره (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: الرزقة.

تتمة الخلق ، و فيه من الإحكام و الاشتباه نحو ما فى الإيتاء و النزع ، و لما فيه من الوزن و الإيتاء بقدر ختم بأعزيه[1] و هو الإرزاق الذى لا يقع[2] على وزن و لا يكون بحساب ، و فيه إشعار بالإرزاق الختمى الذى يكون فى آخر اليوم المحمدى للذين يؤتيهم الله سبحانه و تعالى ما شاء من ملكه و عزه و سعة رزقه بغير حساب ، فكما ختم الملك لبنى إسرائيل بملك سليمان عليه الصلاة و السلام فى قوله سبحانه و تعالى ["هذا عطاؤنا - ٣] فامنن او امسك بغير حساب[4]" كذلك[5] يختم لهذه الأمة بأن يرزقهم بغير حساب حين تلقى الأرض بركاتها[6] و تستطهر / من فتنتها ، فتقع المكنة[7] فى ختم اليوم المحمدى بالهداية و الهدنة[8] كما انقضت لبنى إسرائيل بالملك و القوة - انتهى .

٣٥٣ /

و لما بان بهذه الآية أن لا شىء فى يد غيره ، و اقتضى ذلك قصر الهمم عليه ، و كان نصارى نجران إنما داموا على موالاة ملوك الروم لمحض[9] الدنيا مع العلم ببطلان ما هم عليه حذر المؤمنين[10] من مداناة مثل ذلك مع كونهم مؤمنين كما وقع لحاطب بن أبى بلتعة رضى الله تعالى عنه مما[11] قص فى سورة الممتحنة إشارة إلى أنه لا تجتمع

---

(١) فى الأصل و مد : باعزبه ، و فى ظ : ماعزبه ، و على « به » فى ظ و مد علامة القطع (٢) فى ظ : لا يشق (٣) زيد من ظ و مد (٤) سورة ٣٨ آية ٣٩ (٥) فى ظ : اذلك (٦) فى ظ : بركتها (٧) فى ظ : الملائكة ، و لا يتضح فى مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : و الهدية (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بلخص (١٠) من ظ ، و فى الأصل و مد : المومنون (١١) فى ظ : بما .

موالاة المؤمنين و موالاة الكافرين فى قلب [إلا - ١] أوشكت ٢ إحداهما أن تغلب على الأخرى٣ فتنزعها ، فقال تعالى منبها على ذلك كله سائقا له مساق النتيجة لما قبله - و قال الحرالى : و لما كان مضمون هاتين الآيتين بشرى لخصوص هذه الأمة و عمومها بالعز و الملك و ختم الرزق الذى لا حساب فيه كان من الحق أن تظهر ٤ على المبشرين ٥ عزة البشرى فلا يتولوا غيره ، و لما قبض ما بأيدى الخلق إليه فى إيتاء الملك و نزعه و الإعزاز و الإذلال ، و أظهر ٥ إحاطة قدرته على كل شىء و إقامة امتحانه بما أولج و أخرج ، و أنبأ عن إطلاق حد العد عن أرزاقه فسد ٦ على النفس الأبواب التى منها تتوهم ٧ الحاجة إلى الخلق؛ نهى المؤمنين الذين كانت لهم عادة بمباطنة ٨ بعض كفرة ٩ ١٠ أهل الكتاب و غيرهم من المشركين و من شمله وصف الكفر أن يجروا على عادتهم فى موالاتهم و مصافاتهم و الحديث معهم ، لأن المؤمنين يفاوضونهم بصفاء ، و الكافرون يتسمعون ١٠ و يأخذون منهم بدغل و نفاق عليهم كما قال تعالى "هاتم اولاء تحبونهم و لا يحبونكم ١١" . فنهاهم الله سبحانه و تعالى عما غاب عنهم خبرته وطيته ١٢ فقال ١٣ تعالى - : ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : و سكت (٣) فى ظ : الاخر (٤) فى ظ : يظهر (٥) فى ظ : اظهار (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فشد (٧) فى ظ : تتولهم (٨) من ظ ، و فى الأصل : بباطنه ، و فى مد : بمباضة - كذا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : كفره (١٠) زيد فى ظ : بناوصوتهم بصفا و الكافرون (١١) سورة ٣ آية ١١٩ (١٢) زيد بعده فى الأصل : عليهم كما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : قال .

﴿ لا يتخذ المؤمنون ﴾ أى الراسخون فى الإيمان، و عبر فى أضدادهم بالوصف لئلا يتوهم ذلك فى كل من تلبس بكفر فى وقت ما فقال: ﴿ الكٰفرين اولياء ﴾ و نبه بقوله: ﴿ من دون المؤمنين ج ﴾ على أن ولاية أوليائه من ولايته، و أن[1] المنهى عنه إنما هو الولاية التى قد توهن الركون إلى المؤمنين لأن فى ذلك - كما قال الحرالى - تبعيد القريب و تقريب البعيد، و المؤمن أولى بالمؤمن كما قال عليه الصلاة و السلام «المؤمن [للمؤمن-[2]] كالبنيان يشد بعضه بعضا» فأقواهم له ركن، و ضعيفهم مستند لذلك الركن القوى، فاذا والاه قوى به[3] مما[4] يباطنه و يصافيه[5]، و إذا اتخذ الكافر وليا من دون مؤمنه القوى ربما تداعى ضعفه فى إيمانه إلى ما ينازعه فيه من ملابسة أحوال الكافرين، كما أنهم لما أصاخوا إليهم إصاخة أوقعوا بينهم[6] سباب[7] الجاهلية [كما-[8]] فى قوله تعالى "يٰايها الذين اٰمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتٰب يردوكم بعد ايمانكم كٰفرين[9]" و كما قال سبحانه و تعالى "يٰايها الذين اٰمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خٰسرين[10]"، و لم يمنع سبحانه و تعالى من صلة أرحام من لهم من الكافرين، و لا من خلطتهم فى أمر الدنيا فيما يجرى[11] مجرى المعاملة من البيع و الشرى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: انما (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ.
(٤) من مد، و فى الأصل و ظ: بما (٥) فى ظ: يعافيه (٦) فى ظ: اليهم.
(٧) من ظ و مد. و فى الأصل: اسباب (٨) زيد من مد (٩) سورة ٣ آية ١٠٠ (١٠) سورة ٣ آية ١٤٩ (١١) فى ظ: تجرى.

و الأخذ و العطاء و غير ذلك ليوالوا فى الدين أهل[1] الدين ، و لا يضرهم أن يباروا[2] من لم يحاربهم[3] من الكافرين ـ انتهى .

[4] و لما كان التقدير : فمن[4] تولاهم وكل إليهم و كان فى عدادهم ، لأنه ليس من الراسخين فى صفة الإيمان عطف عليه ترهيبا لمن قد تتقاصر همته فيرضى بمنزلة ما دون الرسوخ قوله : ﴿ و من يفعل ذلك ﴾ أى هذا الأمر البعيد من أفعال ذوى الهمم الذى يكون به فى عداد الأعداء بعد هذا البيان و مع رفع هذا الحجاب الذى كان مسدولا على أكثر الخلق ﴿ فليس من الله ﴾ أى[5] الذى بيده كل شىء فلا كفوء له ﴿ فى شىء ﴾ قال الحرالى : فنى إفهامه أن من تمسك بولاية المؤمنين فهو من الله فى شىء بما هو متمسك بعنان من هو له وسيلة إلى الله سبحانه و تعالى من الذين[6] إذا رُؤوا[7] ذُكر الله ـ انتهى .

و لما كان من الناس القوى و الضعيف و الشديد و اللين نظر إلى أهل الضعف سبحانه و تعالى فوسع / لهم بقوله : ﴿ الآ ان تتقوا منهم تقية[8] ﴾ أى إلا أن تخافوا منهم[9] أمرا خطرا[8] مجزوما به ، [9] لا كما[9] خافه نصارى نجران و توهمه حاطب[10] ، فحينئذ يباح إظهار الموالاة

/ ٣٥٤

(١) فى ظ : اصل (٢) فى ظ : ينادوا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجازيهم (٤ - ٤) تكرر فى الأصل و مد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : الدين. (٧) فى ظ : ووا (٨) فى ظ : خطر (٩-٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما طب ـ كذا .

و إن كانت درجة من [1] تصلب [فى - [2]] مكاشرتهم [3] و تعزز [4] لمكابرتهم و مكاثرتهم، و إن قطع أعظم فاياكم أن تركنوا إليهم! فان الله سبحانه و تعالى يحذركم إقبالكم [5] على عدوه، فان ذلك موجب لإعراضه عنكم ﴿ و يحذركم الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ نفسه [6] ﴾ فانه عالم بما تفعلونه [6]. و هو الحكم فى الدنيا كما ترون من إذلاله العزيز و إعزازه الذليل، و هذا المحذر منه و هو نفسه سبحانه و تعالى - كما قال الحرالى - مجموع أسماء تعاليه المقابلة بأسماء أوصافهم التى مجموعها أنفسهم. و موجود النفس ما تنفس، و إذا كانت أنفس الخلق تنفس على ما دونها إلى حد مستطاعها، فكان ما حذره الله من نفسه أولى و أحق بالنفاسة فى تعالى أوصافه و أسمائه أن تنفس على من يغنيه فلا يستغنى، و يكفيه فلا يكتفى و يريه [7] مصارف [8] سد خلاته و حاجاته فلا ينصرف إليها و لا يتوجه نحوها، فهو سبحانه و تعالى يعذب من تعرف له بنفسه فلم يعرفه أشد من عذاب من يتعرف له بآياته فلا يعتبر بها، بما أن كل ما أبداه من نفسه بلا واسطة فهو أعظم مما أبداه بالواسطة من نعيم و عذاب، فلا أعظم من نعيم من تعرف له بنفسه [9] فعرفه، و لا أشد من عذاب من تعرف له بنفسه [9] فأنكره - انتهى.

---

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : مكاثرتهم (٤) من ظ، و فى الأصل و مد : تعزر (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : اقباله (٦) فى ظ : يفعلونه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : ريه - كذا (٨) سقط من ظ. (٩-٩) سقطت من ظ.

و لما

و لما كانت مصائب الدنيا قد تستهان قال سبحانه و تعالى عاطفا على نحو ما تقديره: فمن الله المبدأ :- و قال الحرالى: و لما كان الزائل أبدا مؤذنا بترك[1] الاعتماد [عليه -[2]] أقام تعالى على المتمسك بما دونه حجة بزواله، فلا يستطيع[3] الثبات عليه عند[4] ما تناله[5] [الإزالة -[2]] و الإذهاب[6]، و يصير الأمر كله لله، فأعلم أن المصير[7] المطلق إلى الله سبحانه و تعالى، فمن تعرف إليه[8] فعرفه نال[9] أعظم النعيم، و من تعرف إليه فأنكره نال أشد الجحيم - انتهى؛ فقال -: ﴿ و الى الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ المصير ﴾ أى و إن طال إملاؤه لمن أعرض عنه فيوشك أن ينتقم منه .

و لما كانت الموالاة بالباطن المنهى[10] عنها مطلقا و دائما قد تفعل و يدعى نفيها لخفائها أمره صلى الله عليه و سلم بتحذيرهم من موالاة أعدائه على وجه النفاق أو غيره فقال :- و قال الحرالى: و لما كان حقيقة ما نهى عنه فى الولاية و التقاة أمرا باطنا يترتب عليه فعل ظاهر فوقع التحذير فيه على الفعل كرر فيه التحذير على ما وراء الفعل مما فى الصدور [و -[2]] نبه فيه على منال[11] العلم خفية[11]، فانه قد يترك الشىء فعلا

(١) فى ظ : يترك (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : تستطيع (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : عن ز - كذا (٥) فى ظ : يناله . (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : الاذهان (٧) فى ظ : الاصير (٨-٨) فى ظ : تعرفه قال (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : النهى (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ : منال (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : حقيقة .

و لا تترك[1] النفس الغية صغوا و نزوعا إليه فى أوقات، و كرر فى ختمه التحذير ليثنى[2] التحذيران ترقيا[3] من الظاهر فى الفعل إلى باطن الحماية فى العلم كما ثنى[4] الأمران فى الظاهر و الباطن. و كان[5] فى إجراء هذا الخطاب على لسان النبي صلى الله عليه و سلم حجة عليهم بما أنه بشر مثلهم يلزمهم الاقتداء به فيما لم يبادروا إلى أخذه من الله فى خطابه الذى عرض به نحوهم؛ انتهى. فقال تعالى - : ﴿ قل ان تخفوا ﴾ أى يا ايها المؤمنون ﴿ ما فى صدوركم او تبدوه يعلمه الله[6] ﴾ أى[6] المحيط قدرة و علما، [ثم -[7]] قال عاطفا على جملة الشرط التى هى مقول[8] القول إرادة التعميم: ﴿ و يعلم ما ﴾ أى جميع ما ﴿ فى السمٰوٰت ﴾ و لما كان الإنسان مطبوعا على ظن أنه إذا أخفى شيئا فى نفسه لا يعلمه[9] غيره أكد باعادة الموصول[10] فقال: ﴿ و ما ﴾ أى و جميع ما ﴿ فى الارض[6] ﴾ ظاهرا كان أو باطنا.

و لما كان ذو العلم لا يكمل إلا بالقدرة، و كان يلزم من تمام العلم شمول القدرة - كما سيأتى إن شاء الله تعالى برهانه فى سورة طٰهٰ - كان التقدير: فالله بكل شىء عليم، فعطف عليه قوله: ﴿ و الله ﴾ أى بما له

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: يترك (٢) من مد، و فى الأصل: ليثنى، و فى ظ: ليثنى (٣) فى ظ: توقيا، و فى مد: ترقبا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: تبنى (٥) فى مد: قال (٦) سقط من مد (٧) زيد من مد (٨) فى ظ: مفول (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: تعلمه (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: للوصول.

من صفات الكمال ﴿ على كل شيء قدير ﴾ و من نمط[1] ذلك قوله سبحانه و تعالى "ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض و لا فى السماء[2]" مع ذكر التصوير كيف يشاء و الختم بوصفى العزة و الحكمة، و قد دل سبحانه و تعالى بالتفرد[3] بصفتى العلم / و القدرة على التفرد[4] بالألوهية . ٣٥٥ /

و لما تم الوصف بالعلم و القدرة بعد التحذير من سطواته ذكر يوم المصير المحذر منه، المحصى فيه كل كبير و صغير، المعامل[5] فيه[6] كل عامل بما يليق به، الذى يتم فيه انكشاف الأوصاف لكل ذكى و غبى[7] فقال تعالى: ﴿ يوم ﴾ و هو معمول لعامل[8] من معنى 'يحذر' ﴿ تجد كل نفس ﴾ و الذى يرشد إلى تعيين[9] تقدير هذا العامل - إذا جعل العامل مقدرا - قوله سبحانه و تعالى "و يحذركم الله نفسه" سابقا لها و لاحقا، و يجوز أن يكون بدلا من يوم فى قوله[10] "ليوم لا ريب فيه" و تكون فتحته للبناء لإضافته إلى الجملة - و الله سبحانه و تعالى أعلم؛ و المراد بالنفس - و الله سبحانه و تعالى أعلم - المكلفة[11] ﴿ ما عملت من خير محضرا ج ﴾ أى لا نقص فيه و لا زيادة، بأمر القاهر القادر على كل شيء ﴿ و ما عملت من سوء ج ﴾ حاضرا ملازما، فما عملت من خير

(١) سقط من ظ (٢) سورة ٣ آية ٥ (٣) زيد بعده فى الأصل و مد: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ: التقرب (٥) فى ظ: العامل . (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: عليه (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الغنى . (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: العامل (٩) سقط من مد (١٠) فى ظ: قبوله (١١) فى ظ: الكلفة .

تود أنها لا تفارقه و لا ينقص منه شيء [و ما عملت من سوء تود -[1]]
أي تحب حبا شديدا ﴿ لو ان بينها و بينه ﴾ أي ذلك العمل السوء
﴿ امدا ﴾ أي زمانا . قال الحرالي : و أصله مقدار ما يستوفي جهد
الفرس من الجري ، فهو مقدار ما يستوفي ظهور ما في التقدير إلى وفاء
٥ كيانه[2] ﴿ بعيدا ط ﴾ من البعد ، و هو منقطع الوصلة في حس أو معنى -
انتهى . فالآية من الاحتباك : ذكر إحضار الخير دلالة على حضور
السوء[3] ، و ود بُعد السوء دلالة على ود لزوم الخير .

[4]و لما ذكر هول ذلك اليوم كان كأنه قال : فاتقوه فان الله
يحذركموه ﴿ و يحذركم الله ﴾ أي[5] الذي له العظمة التي لا يحاط بها
١٠ ﴿ نفسه ط ﴾ فالله سبحانه و تعالى منتقم ممن تعدى طوره و نسي أنه عبد[6] ،
قال الحرالي : أن تكون لكم أنفس فتجد ما عملت ، و يلزمها وطأة
هذه المؤاخذة ، بل[7] الذي ينبغي أن يبرئ العبد من نفسه تبرئته من أن
يكون له إرادة ، و أن يلاحظ علم الله و قدرته في كلية[8] ظاهره
و باطنه[8] و ظاهر الكون و باطنه - انتهى .

١٥ و لما كان تكرير[9] التحذير قد ينفر[10] بين أن تحذيره للاستعطاف ،

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) في ظ : كتابه - كذا (٣) من ظ ، و في الأصل و مد : الشر (٤) العبارة من هنا إلى « أنه عبد » تأخرت في ظ عن « وباطنه انتهى » (٥) سقط من مد (٦) العبارة من هنا إلى « و باطنه انتهى » ساقطة من ظ (٧) في ظ : من (٨ - ٨) من مد ، و في الأصل و ظ : ظاهرة و باطنة (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : تكوير (١٠) من مد ، و في الأصل : ينقد ، و في ظ : ينفد .

فانه بنصب الأدلة و بعث الدعاة و الترغيب فى الطاعة و الترهيب من المعصية المسبب عنه سعادة الدارين، فهو[1] من رأفته بالمحذرين[2] فقال بانيا[3] على ما تقديره: و يعدكم الله سبحانه و تعالى فضله و يبشركم به لرأفته بكم: ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن[4] الذى له وحده[5] الجلال و الإكرام ﴿رءوف بالعباد ه﴾ قال الحرالى: فكان هذا التحذير الخاتم ٥ ابتدائيا، و التحذير السابق انتهائيا، فكان هذا رأفة سابقة، و كان الأول الذى ترتب على الفعل تحذيرا لاحقا متصلا بالمصير إلى الله، و هذا الخاتم مبتدءا بالرأفة من الله.

و الرأفة - يقول أهل المعانى - هى أرق[6] الرحمة، و الذى يفصح عن المعنى - و الله سبحانه و تعالى أعلم - أنها عطف العاطف على من يجد عنده ١٠ منه وصلة، فهى رحمة ذى الصلة بالراحم، فمن تحقق أن الأمر لله سبحانه و تعالى وجد رفقه[7] و فضله و رحمته عليه لما برئ[8] من دعوى شىء من نسبة الخير إلى نفسه، فأحبه لذلك؛ قيل لأعرابى: إنك تموت و تبعث و ترجع إلى الله؟ فقال: أ تهددوننى[9] بمن لم أر الخير قط إلا منه! فلذلك[10] إذا تحقق العبد ذلك من ربه أحبه بما وحّده[11] و بما[12] وجده ١٥

---

(١) فى ظ: و هو (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل: بمانبا، و فى ظ: ثانيا، و فى مد: بانبا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: انه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: وحدة (٦) فى ظ: ارف (٧) فى ظ: رفعة (٨) من مد، و فى الأصل: يرى، و فى ظ: من يرى (٩) من مد، و فى الأصل: اتهدودنى، و فى ظ: اتهددونى (١٠) فى مد: فكذلك (١١) من مد، و فى الأصل و ظ: وجده. (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ربما.

فى العاجلة فحماه أن يجد عمل نفسه فى الآجلة - انتهى . و قد علم أن الآية من الاحتباك : التحذير أولا دال[1] على الوعد بالخير ثانيا ، و الرأفة ثانيا[2] دالة على الانتقام أولا - و الله سبحانه و تعالى الموفق .

و لما فطمهم سبحانه و تعالى عن موالاة الكفار ظاهرا و باطنا بما اقتضى القصر على موالاة أهل الله لنفيه[3] من تولى الكفر عن أن يكون فى شيء من الله ، و كان الإنسان ربما والى الكافر و هو[4] يدعى محبة الله سبحانه و تعالى ، و ختم برأفته سبحانه و تعالى بعباده[5] ، / و كانت الرأفة قد تكون عن المحبة الموجبة للقرب ، فكان الإخبار بها ربما دعا إلى الاتكال[6] ، و وقع لأجله الاشتباه فى الحزبين[7] ؛ جعل [8]لذلك سبحانه و تعالى[8] علامة فقال : - و قال الحرالى : لما كان أعظم ما يترامى إليه مقامات السالكين إلى الله سبحانه و تعالى القاصدين إليه من مبدإ حال الذكر الذى هو منتهى المقامات العشر المترتبة[9] فى قوله سبحانه و تعالى " ان المسلمين " محبةَ الله سبحانه و تعالى بما أن المحبة وصلة خفية يعرف الحاس بها كنهها ، أقام سبحانه و تعالى الحجة على المترامين لدعوى القرب من الله و الادعاء فى أصل[10] ما يصل إليه القول من محبته بما

/٣٥٦

(١) فى ظ : دل (٢) فى ظ : كائنا ، و فى مد : ثابتا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لنفسه - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : هى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعبادة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الانكال (٧) فى ظ : الحرمين (٨-٨) فى ظ : سبحانه لذلك (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : المرتبة . (١٠) فى ظ : اعلى ، و لا يتضح فى مد .

أنبأهم أن من انتهى إلى أن[1] يحب الله سبحانه و تعالى فليتبع هذا النبي الذى أحبه الله سبحانه و تعالى [فمن اتبعه أحبه الله -[2]]، فقامت بذلك الحجة على كل[3] قاصد و سالك[3] و متقرب، فان نهاية الخلق أن يحبوا الله، و عناية الحق أن يحب[4] العبد، فرد سبحانه و تعالى جميع من أحاط به الاصطفاء و الاجتباء و الاختصاص، و وجههم إلى ٥ *وجهة الاتباع* لحبيبه[6] الذى أحبه، كما قال صلى الله عليه و سلم «لو أن موسى بين أظهركم ما وسعه إلا اتباعى» و إذا كان ذلك فى موسى عليه الصلاة و السلام كان فى المنتحلين لملته ألزم[7] بما هم متبعون لمتبعه عندهم، و أصل ذلك أنه صلى الله عليه و سلم لما كان المبدأ[8] فى الأبد وجب[9] أن يكون النهاية فى المعاد، فألزم الله سبحانه و تعالى على[11] الخليقة[11] ١٠ ممن أحب الله سبحانه و تعالى أن يتبعوه، و أجرى ذلك على لسانه إشعارا بما فيه من الخير و الوصول إلى الله سبحانه و تعالى من حيث[12] أنه نبي البشرى، و ليكون ذلك أكظم لمن أبى اتباعه - انتهى ؛ فقال سبحانه و تعالى - : ﴿ قل ان كنتم تحبون الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال مخلصين فى حبه لاعتقاد أنه على غاية الكمال، فان الكمال محبوب لذاته ١٥

(١) من مد، و فى الأصل : من ، و قد سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣-٣) فى ظ و مد : سالك و قاصد (٤) فى ظ : تحب (٥-٥) فى ظ : وجهه للاتباع (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : لحبيب (٧) فى ظ : الزام . (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : البدا (٩) فى ظ و مد : اوجب (١٠) فى ظ : اعلى (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : الخليفة (١٢) سقط من ظ .

﴿ فاتبعونى [١] ﴾ قال الحرالى: قد فسر صلى الله عليه و سلم ظاهر اتباعه فقال [٢] «فى البر»، و أصل حقيقته الإيمان بالله و الإيثار لعباده [٣]، و التقوى و هى ملاك الأمر و أصل الخير، و هى إطراح استغناء العبد بشىء من شأنه، [٤] لا من [٤] مِلك و لا من مُلك و لا من فعل و لا من وصف و لا من ذات حتى يكون عنده كما هو عند ربه فى أزله قبل أن يكون موجودا [٥] لنفسه ليكون أمره كله بربه فى وجوده كما كان أمره بربه قبل [٦] وجوده لنفسه، و قد فسر حق التقاة التى هى غاية التقوى بأن يكون العبد يشكر فلا يكفر [٧]، و يذكر فلا ينسى، و يطيع فلا يعصى - انتهى.

قال الإمام: المحبة توجب الإقبال بالكلية على المحبوب و الإعراض عن غيره - انتهى. فمن ادعى محبته و خالف سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم فهو كذاب، و كتاب الله سبحانه و تعالى يكذبه ﴿ يحببكم الله ﴾ أى الذى له الأسماء الحسنى و الصفات العلى [٨] حبا ظهرت [٩] أماراته بما أعلم به الفك، فان الأمر المنجى [١٠] غاية النجاة إنما هو محبة الله سبحانه و تعالى للعبد، لا محبة العبد لله، فانه ربما كانت له حالة

(١) فى ظ: فاتبعون (٢) تزيد بعده فى الأصل: لـه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مـد فحذفناها (٣) فى ظ و مد: لعباد الله (٤-٤) فى ظ: لا مر (٥) فى مد: موجود (٦) من ظ، و فى الأصل: مثل، و لا يتضح فى مـد (٧) فى مد: ولا يكفر (٨) فى ظ: العليا (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: طهرت (١٠) فى ظ: السخى - كذا.

يظن

يظن بها أنه يحب الله، و الواقع أنه ليس كما ظن لكونه يعمل بما يسخطه سبحانه و تعالى، و الأمارة الصحيحة لذلك رد[1] الأمر كله إلى الله، و حينئذ يفعل الله مع العبد فعل المحب من حسن الثناء و الإكرام بالثواب. قال الحرالى: فان من رد الأمانة إلى الله سبحانه و تعالى أحبه الله فكان سمعه و بصره و يده و رجله، و إذا أحب الله عبدا أراحه و أنقذه من مناله فى أن يكون هو يحب الله، فمن أحب الله وله، و من أحبه الله سكن فى ابتداء عنايته و ثبته الله سبحانه و تعالى - انتهى. فقد أشار سبحانه و تعالى إلى أن الدلالة الناشئة عن الرأفة من الإكرام بالنعم من الهداية بالبيان و الإبلاغ فى الإحسان عامة للمحبوب و غيره، و أن الدليل على المحبة الإلهية هو[2] الاتباع للداعى[3] [«اعملوا - [4]] فكل ميسر لما خلق له، فأما / من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، و أما / ٣٥٧ من كان من أهل الشقاوة فييسر لعمل أهل الشقاوة[5]»، «ما تقرب المتقربون إلى[6] بمثل أداء[6] ما افترضته[7] عليهم، و لا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه».

و لما كان الدين[8] شديدا[9] لن يشاده أحد إلا غلبه، لما عليه العبد من العجز و المعبود من عظيم الأمر أتبع ذلك الإعلام[10] بأنه مع

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مرد (٢) فى ظ: عن (٣) فى ظ: الداعى. (٤) زيد من مد، و فى ظ: فعملوا (٥) زيد بعده فى ظ و مد: ليسر لعمل اهل الشقاة (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل: باداء (٧) فى مد: افترضت (٨) فى مد: الذين (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: شديد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: الملام.

إيصال[1] الثواب برفع العقاب[2] فقال - و قال الحرالى: و لما كان من آية حب الله له صلى الله عليه و سلم ما أنزل عليه من قوله "انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك و ما تاخر[3]" أجرى لمن أحبه[4] الله باتباعه حظ[5] منه فى قوله -: ﴿و يغفر لكم ذنوبكم ط﴾ أى مطلقا، و ذنب كل عبد بحسبه[6]، لأن أصل معنى الذنب أدنى[7] مقام العبد، فكل ذى مقام أعلاه حسنته و أدناه ذنبه، و لذلك فى كل مقام توبة، حتى تقع التوبة [من التوبة -[8]] فيكمل الوجود و الشهود.

و لما كان هذا الأمر من[9] أخص ما[10] يقع، و كان مما دونه مقامات خواص الخلق فيما بين إسلامهم إلى محبتهم لله سبحانه و تعالى ختم تعالى بما يفهم أحوال ما يرجع إلى من دون هذا الكمال فقال: ﴿و الله﴾ أى[11] الذى له الكمال كله ﴿غفور رحيم ۝﴾ أى لمن [لم -[8]] ينته لرتبة حب الله له بما يقع فى أثناء أحواله من موجب المغفرة و استدعاء الرحمة حيث لم يصل إلى المحبة، فرحوم بعد مغفرة و هو القاصد، و مغفور بعد محبة و هو الواصل - انتهى.

و لما كان الاتباع قد يكون عن غلبة لا عن طاعة بين أنه لا ينفع إلا مع الإذعان فقال - أو يقال: لما كان صلى الله عليه و سلم فى غاية

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اتصال (٢) تكرر فى الأصل و مد.
(٣) سورة ٤٨ آية ١ و ٢ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: حبه (٥) فى ظ: حط.
(٦) فى ظ: بحسب (٧) فى ظ: اذن (٨) زيد من ظ و مد (٩) سقط من ظ.
(١٠) فى ظ: مما (١١) سقط من مد.

الرأفة بالعباد و كان يعلم أن آحاد الأمة لا يقدرون على كمال اتباعه لما له مع العصمة من الطبع على خصال الكمال كان كأنه قال له سبحانه و تعالى: فان لم يقدروا على كمال اتباعى[١] ؟ فقال "قل" - و قال الحرالى: و لما ذكر تعالى ما تقدم من التحذيرين فى رتبتين أولاهما[٢] فى الذكر بحاتين[٣] من موجب التحذيرين، فكان الاتباع موجب النجاة من التحذير الثانى الباطن الذى مبدؤه الرأفة، وكان الطاعة موجب النجاة من التحذير[٤] الأول السابق، فمن أطاع الله و رسوله فيما نهى عنه[٥] من اتخاذ[٦] [٧]ولاية الكافرين من دون[٧] ولاية المؤمنين سلم من التحذير الظاهر، و من اتبع الرسول فأحبه الله سلم من التحذير الباطن، فختم الخطاب بما به [٨]بدأ؛ أو[٨] لما كانت رتبة الاتباع عليا وليتها رتبة الائتمار، فهو إما متبع على حب و إما مؤتمر على طاعة، فمن لم يكن من أهل الاتباع فليكن من أهل الطاعة. فكأن الخطاب يفهم: "قل[٩] إن كنتم تحبون الله فاتبعونى"، فان لم تستطيعوا أن تتبعونى فأطيعونى؛ انتهى - فقال سبحانه و تعالى: ﴿ قل اطيعوا الله ﴾ أى[٥] لما له من صفات

(١) فى ظ: اتباعه (٢) من ظ و مد. و فى الأصل: اولها، و زيد فيه بعده: فعل ماض أى اولى أى أتبع التحذيرين، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها، فهذه الجملة فى الأصل وقعت تفسيرا من الناسخ للصيغة التى قبلها (٣) فى ظ: محلين (٤) زيد بعده فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اتحاد (٧-٧) سقط من ظ. (٨-٨) فى ظ: بدلاو، و فى مد: بدا و (٩) سقط من ظ و مد.

الكمال . و لما قدم أن رضاه فى اتباعه صلى الله عليه و سلم فدل على أن الطاعتين [١] واحدة قال موحدا [٢] للعامل: ﴿ و الرسول ج ﴾ أى الكامل فى الرسلية لما له [به - ٣] سبحانه و تعالى من مزايا الاتصال ، و هو و إن [٤] كان اسما كليا لكنه كان حين إنزال هذا الخطاب مختصا بأكمل الخلق محمد بن عبد الله بن عبد المطلب المرسل إلى الخلق كافة على أن طاعته [٦] طاعة [٧] لجميع الرسل الذين بينوا للناس أمره صلى الله [عليه و - ٣] عليهم أجمعين [٨] و سلم [٨] . قال الحرالى : فكان إشارة ذلك إلى ما نهوا عنه من التولى إلى ما ينتظم فى معنى ذلك ، و فيه إشعار بأن الأمر يكون [٩] فيه محوطا بالرحمة من حيث ذكر الرسول فيه بما هو [١٠] رحمة للعالمين ﴿ فان تولوا ﴾ أى عن طاعة خطاب الله و الرسول المحفوف باللطف من الله سبحانه و تعالى [و الرحمة - ٣] من رسول الله - انتهى . و ' تولوا ' يحتمل المضارع و المضى ، فكان / الأصل فى الكلام: ﴿ فان الله ﴾ الذى له الغنى المطلق لا يحبكم ، أو: لا يحبهم ، و لكنه أظهر الوصف المعلم [١١] بأن التولى كفر فقال: ﴿ لا يحب

/٣٥٨

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الطاعة (٢) من ظ ، و فى الأصل و مد : موجدا (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مختص (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اطاعته . (٧) سقط من ظ و مد (٨ - ٨) تقدم فى ظ و مد على « عليهم » (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : العلم .

الكـٰفرين ﴾ قال الحرالى : أفرد الأمر لله لما كان وعيدا ، إبقاء لرسوله صلى الله عليه وسلم فى حيز الرحمة .

ولما نفى عمن تولى أن يحبه كان فى إشعاره أن هذا الكفر عموم كفر يداخل رتبا[1] من الإيمان من حيث نفى عنه[2] الحب فنفى منه ما يناله العفو أو المغفرة والرحمة ونحو ذلك بحسب رتب تناقص[3] الكفر ، لأنه كفر دون كفر ، [ومن فيه كفر - [4]] فهو غير مستوفى اتباع الرسول بما أنه الماحى الذى يمحو الله به الكفر ، وإنما يحب الله من اتبع رسوله ، فعاد الختم فى الخطاب إلى إشعار من معنى أوله . وفى إلاحته أن حب الله للعبد بحسب توحيده ، فكلما كان أكمل توحيدا[5] كان أحب ، وما سقط عن رتبة أدنى التوحيد الذى هو محل الأمر بطاعة الله سبحانه وتعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم كان كفرا بحسب ما يغطى[6] على[7] تلك الرتبة من التوحيد ، لأن هذه السورة سورة إلهية إيمانية حبية[8] توحيدية ، فخطابها مخصوص بما يجرى فى حكم ذلك من الإيمان والكفر والمحكم والمتشابه وكشف[9] غطاء الأعين ورفع حجب القلوب - انتهى .

وقد وضح أن الآية من الاحتباك - فأصل[10] نظمها : فان تولوا

---

(١) من مد ، وفى الأصل : ربنا ، وفى ظ : رتبة (٢) سقط من مد (٣) فى مد : تناقض (٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : توحيد . (٦) فى ظ : يعطى (٧) فى مد : عن (٨) فى ظ ومد : حبيه (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : كشفه (١٠) من ظ ومد ، وفى الأصل : فاهل .

فان الله لا يحبهم لكفرانهم [١] ، و إن أقبلوا فان الله يحبهم لإيمانهم ، فان الله لا يحب الكافرين ، و الله يحب المؤمنين - إثبات التولية فى الأول يدل [٢] على حذف الإقبال من الثانى ، و إثبات الكراهة فى الثانى يدل على حذف مثلها فى الأول .

٥ و لما كان الأصفياء أخص من مطلق الأحباب بين بعض الأصفياء [٣] و ما أكرمهم به تصديقا لقوله سبحانه و تعالى فى الحديث القدسى الشريف « فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، و بصره الذى يبصر به ، و يده التى يبطش [٤] بها ، و رجله التى يمشى بها » تنبيها لوفد نصارى نجران و غيرهم على أنه مثل ما اصطفى لنفسه دينا اصطفى للتخلق به ناسا يحبونه

١٠ و يطيعونه و يوالون أولياءه و يعادون أعداءه ، و ليسوا [٥] من صفات الكافرين فى شىء فقال - أو يقال : إنه سبحانه و تعالى لما شبه أفعاله فى التشابه و غيره بأقواله و عرف أن الطريق الأقوم رد المتشابه منها إلى الواضح المحكم و الالتجاء فى كشف المشكل [٦] إليه مع الاعتقاد الجازم المستقيم ، و بين أن الموقف [٧] [عن - [٨]] هذا الطريق الأقوم الوقوف

١٥ مع العرض [٩] الدنيوى من الرئاسة و غيرها و ألف الدين مع التعلل فيه

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : بكفرانهم (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : عدل (٣) فى مد : الانبياء (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تبطش (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليس (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشكل (٧) فى ظ : الوقف (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفرض .

بالتمنى[1] الفارغ[2]، و أنهى ذلك و توابعه إلى أن ختم بتهديد من تولى عن الحق أخذ فى [تصوير - ٣] تصويره فى الأرحام كيف شاء بما[4] شوهد من ذلك و لم يشك فيه من أحوال أناس هم من خلص[5] عباده المقبلين على ما يرضيه فقال: - أو يقال و لعله أحسن: و لما أخبر سبحانه و تعالى أن أهل الكتاب [ما - ٣] اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم ٥ فكفروا بذلك، و ألحق به ما تبعه[6] إلى أن ختم بالأمر باتباع الرسول و بأنه لا يحب الكافرين بالتولى عن رسله اشتد تشوف[7] النفس إلى معرفة الرسل الآتين[8] بالعلم الذين توجب مخالفتهم الكفر فبينهم بقوله: - و قال الحرالى: لما كان منزل هذه السورة لإظهار[9] المحكم و المتشابه فى الخلق و الأمر قدم سبحانه و تعالى بين يدى إبانة متشابه خلق عيسى ١٠ عليه الصلاة و السلام وجه الاصطفاء المتقدم للآدمية و مَنّ منها من الذرية لتظهر[10] معادلة خلق عيسى عليه الصلاة و السلام آخرا لمتقدم[11] خلق آدم عليه الصلاة و السلام أولا، حتى يكونا مثلين محيطين بطرفى[12] الكون فى علو روحه[13] و دنو[14] أديم تربته[15] و أنه سبحانه و تعالى نزل

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بالتمن (٢) فى ظ: النازع (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: كما (٥) فى ظ: خاص (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يتبعه. (٧) فى ظ: تشوق (٨) فى ظ: الابين (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الاظهار. (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: تظهر (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: لتقدم (١٢) فى ظ: فى (١٣) فى ظ: درجة (١٤) من ظ، و فى الأصل و مد: دنوا (١٥) فى ظ: تربيته، و فى مد: رتبته.

الروح إلى الخلق الآدمى كما قال "ولو جعلنه ملكا لجعلنه رجلا و للبسنا عليهم ما يلبسون[1]" و ظهر[2] أثر ذلك اللبس بما وقع لأهل الزيغ فى عيسى كما[3] أنه رقى الخلق الطينى رتبة رتبة[3] إلى كمال / التسوية إلى أن نفخ فيه من روحه ، فكان ترقى الآدمى إلى النفخة لتنزل الروح إلى الطينة[4] الإنسانية التى تم بها وجود عيسى عليه الصلاة و السلام كما كمل وجود آدم عليه الصلاة و السلام بالنفخة .

/٣٥٩

و لما كان أصل الإبداء نورا عليا نزله الحق سبحانه و تعالى فى رتب التطوير و التصيير و الجعل[5] إلى أن بدأ عالما دنياويا محتويا على الأركان الأربعة و المواليد الثلاثة[6] ، و خفيت نورانيته فى موجود أصنافه[7] صفى الله سبحانه و تعالى من وجود كلية ذلك هذا الخلق الآدمى فكان صفى الله ، فأنبأ الخطاب عن[8] تصييره إلى الصفاء بالافتعال ؛ انتهى . ـ فقال سبحانه و تعالى : ﴿ ان الله ﴾ أى بجلاله و عظمته و كماله فى إحاطته و قدرته ﴿ اصطفى ﴾ أى للعلم و الرسالة عنه سبحانه و تعالى إلى خلقه و الخلافة له فى ملكه[9] ﴿ آدم ﴾ أباكم الأول الذى لا تشكون[10] فى أنه خلقه من تراب ، و هو تنبيه لمن غلط فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام على أن أعظم ما استغربوا[11] من عيسى كونه من

(١) سورة ٦ آية ٩ (٢) فى مد : فظهر (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الطبعة (٥) فى ظ : الحيل (٦) فى الأصول : الثلاث (٧) فى ظ : اضافة (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : ملك (١٠) فى ظ : يشكون (١١) فى جميع النسخ : استقربوا .

غير

غير ذكر ، و آدم أغرب[1] حالا منه بأنه ليس من ذكر و لا أنثى و لا من جنس الأحياء - كما سيأتى ذلك صريحا بعد هذا التلويح لذى الفهم الصحيح .

قال الحرالى : فاصطفاه من كليـــة مخلوقه الذى أبداه[2] ملكا و ملكوتا خلقا و أمرا ، و أجرى اسمه من أظهر [3]ظاهره الأرضى[3] و أدنى أدناه ، فسماه آدم من أديم الأرض ، على صيغة أفعل ، التى هى نهاية كمال الآدمية و الأديمية . فكان مما أظهر تعالى فى اصطفاء آدم ما ذكر جوامعه على رضى الله عنه فى قوله : لما خلق الله سبحانه و تعالى أبان [4]فضله للملائكة و أراهم[4] ما اختصه به من سابق العلم من حيث علمه عند استنبائه[5] إياه أسماء الأشياء[6] فجعل الله سبحانه و تعالى آدم محرابا و كعبة و بابا و قبلة ، أسجد[7] له الأبرار و الروحانيين الأنوار ، ثم نبه آدم على مستودعه و كشف له خطر ما ائتمنه عليه بعد أن سماه عند الملائكة إماما ، فكان تنبيهه على خطر أمانته ثمرة اصطفائه - انتهى . ﴿ و نوحا ﴾ أباكم الثانى الذى أخرجه من بين أبوين شابين على عادتكم المستمرة فيكم . و قال الحرالى : أنبأ تعالى أنه عطف لنوح عليه الصلاة و السلام اصطفاء على اصطفاء آدم ترقيا إلى كمال الوجود الآدمى و تعاليا إلى الوجود الروحى العيسوى ، فاصطفى نوحا عليه الصلاة

(١) فى مد : اعزب (٢) فى ظ : ابراه (٣-٣) فى ظ : ظاهرة الأرض (٤-٤) فى ظ : لصلة الملائكة و اراه (٥) فى ظ : استثنائه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاسماء (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : سجد .

والسلام بما[1] جعله أول رسول بتوحيده من حيث دحض[2] الشرك وأقام كلمة الإيمان بقول "لا إله إلا الله"، لما تقدم بين[3] آدم ونوح من عبادة الأصنام والأوثان، فكان هذا الاصطفاء اصطفاء باطنا[4] لذلك الاصطفاء الظاهر فتأكد الاصطفاء وجرى[5] من أهلكته طامة الطوفان مع نوح عليه الصلاة والسلام من الذر[6] الآدمي مجرى تخليص الصفاوات من خثارتها[7]، [و-[8]] [9] كما صفى[9] آدم من الكون كله صفى نوحا عليه السلام وولده الناجين[10] معه من مطرح الخلق [الآدمي-[8]] الكافرين الذين لا يلدون إلا فاجرا كفارا، فلم يكن فيهم[11] ولا[11] في مستودع ذراريهم صفاوة تصلح لمزية الإخلاص الذي اختص بصفوته نوح عليه الصلاة والسلام [" واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح[12]" فكان ميثاق نوح عليه السلام -[8]] ما قام به من كلمة التوحيد ورفض الأصنام والطاغوت التي اتخذها الظلمانيون من ذر[13] آدم، فتصفى[14] بكلمة التوحيد النورانيون منه، فكان نوح عليه الصلاة والسلام ومن نجا معه صفوة زمانه، كما كان آدم صفوة حينه[15] - انتهى.

---

(١) من مد، وفي الأصل وظ: مما (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: وخص.
(٣) في ظ: من (٤) في ظ: باطلا (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: حزى.
(٦) من ظ، وفي الأصل ومد: الدو (٧) في ظ: خساواتها (٨) زيد من ظ ومد (٩-٩) في ظ: لما صفى (١٠) في ظ: الناجي (١١ - ١١) في ظ: كما.
(١٢) سورة ٣٣ آية ٧ (١٣) من ظ، وفي الأصل: دره، وفي مد: ذرا.
(١٤) في ظ: مصل - كذا (١٥) في ظ: حيه.

و لما كان أكثر الأنبياء من نسل إبراهيم عليه الصلاة و السلام زاد في تعظيمه[1] بقوله[2]: ﴿ و آل ابرٰهيم ﴾ أي الذين[3] أوجد فيهم الخوارق و لا سيما في إخراج الولد من بين شيخين كبيرين لا يولد لمثلهما، و في ذلك إشارة إلى أن عيسى عليه الصلاة و السلام مثلهم لأنه أحدهم، و كذا قوله: ﴿ و آل عمرٰن ﴾ و في قوله: ﴿ على العٰلمين ﴾ إشارة إلى أنه كسائر[4] أقاربه منهم، و أفصح بذلك إفصاحا جليا في قوله: ﴿ ذرية بعضها من بعض ﴾ أي فهم كلهم من بني آدم، لا مزية لبعضهم على بعض في ذلك، لا مزية[5] / في شيء من ذلك، و أنتم لا تشكون فيه في شيء من الخصائص مما دون أمر[6] عيسى عليه الصلاة و السلام، فما لكم لما[7] خص سبحانه و تعالى آل عمران من بين العالمين بخرق العادة فيهم باخراج ولد من أنثى فقط من غير ذكر لم تردوا ما لم تعرفوا منه إلى ما تعرفون من الخوارق حتى انجلى[8] لكم و اتضح لديكم؟ بل أشكل عليكم و قامت فيكم[9] قيامتكم بما يفضى[10] إلى الشك في قدرة الإله الذى[11] لا تشكون[12] أن من شك في تمام قدرته كفر.

/ ٣٦٠

(١) في ظ: العظمة (٢) زيد بعده في ظ: قال (٣) في ظ: الذى (٤) في ظ: سائر (٥) زيد بعده في مد: في مزية (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: كما (٨) في ظ: انحل (٩) في مد: فيه، و قد سقط من ظ (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: يقضى (١١) في مد: الذين (١٢) من مد، و في الأصل: تنكرون، و في ظ: يشكون.

و قال الحرالى: فاثبات هذه الجملة بتشابه[1] و تماثل تتعالى[2] عن نحوه[3] الإلهية، فأبان[4] هـذا الخطاب فى عيسى عليه الصلاة و السلام اصطفاء من جملة هذا الاصطفاء، فكما لم يقع فيمن سواه لبس من أمر الإلهية فكذلك[5] ينبغى أن لا يقع فيه[6] هو أيضا لبس لمن يتلقن بيان الإحكام و التشابه من الذى أنزل الكتاب محكما و[7] متشابها و أظهر الخلق باديا و ملتبسا - انتهى. و قد عاد سبحانه و تعالى بهذا الخطاب على أحسن وجه إلى قصة عيسى عليه الصلاة و السلام [[8] - الذى نزلت هذه الآيات كلها فى المجادلة فى أمره و الإخبار عن حمله[9] و ولادته و غير ذلك من صفاته التى يتنزه الإله عنها، و كراماته التى لا تكون[10] إلا للقرب، فأخبر أولا عن حال[11] أمه و أمها و أختها و ما اتفق لهن من الخوارق التى تمسك بوقوع مثلها من عيسى عليه السلام] من كفر برفعه فوق طوره[12]، ثم شرع فى قص أمره حتى لم يدع فيه لبسا بوجه.

و قال الحرالى: فى التعبير عن اصطفاء إبراهيم و من بعده عليهم الصلاة و السلام فى إشعار الخطاب اختصاص إبراهيم عليه الصلاة

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تتشابه (٢) فى ظ: فتعالى (٣) فى مد: نجوه.
(٤) فى ظ: قايمان (٥) فى ظ: فلذلك (٦) تأخر فى الأصل عن «أيضا».
(٧) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٨) العبارة المحجوزة زيدت من مد و ظ (٩) من مد، و فى ظ: حملة (١٠) من مد، و فى ظ: لا يكون (١١) ليس فى ظ (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: طورة.

و السلام

و السلام بما هو أخص من هذا الاصطفاء [1] من حيث انتظم فى سلكه آله لاختصاصه هو بالخلة التى لم يشركه فيها أهل هذا الاصطفاء [1]، فاختص نمط هذا الاصطفاء بآله، و هم - و الله سبحانه و تعالى أعلم - إسحاق و يعقوب و العيص عليهم الصلاة و السلام و من هو [منهم - [2]] من ذريتهم، لأن إسماعيل عليه السلام اختص بالوصلة بين إبراهيم الخليل ٥ و محمد الحبيب صلوات الله و سلامه عليهم [1] فكان مترقى ما هو لهم من وراء هذا الاصطفاء، و لأن إنزال هذا الخطاب لخلق [3] عيسى عليه الصلاة و السلام، و هو من ولد داود عليه الصلاة و السلام فيما يذكر، و داود من سبط لاوى بن إسرائيل عليهم الصلاة و السلام فيما ينسب، فلذلك - و الله سبحانه و تعالى أعلم - جرى هذا الاصطفاء على آله [4]، ١٠ فظهر [5] من مزية هذا الاصطفاء لآله ما [6] كان [7] من اصطفاء [7] موسى عليه السلام بالتكليم و إنزال الكتاب السابق "يـٰموسى انى اصطفيتك على الناس [8]" فكان هذا الاصطفاء استخلاص صفاوة من صفاوة نوح عليه الصلاة و السلام المستخلصين [9] من صفاوة آدم عليه الصلاة و السلام، و آل عمران [10] - و الله سبحانه و تعالى أعلم - مريم و عيسى عليهما الصلاة ١٥ و السلام ليقع الاصطفاء فى نمط يتصل من آدم إلى عيسى عليهما الصلاة

(١ - ١) سقطت من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : الخلق، و فى مد : بخلق (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : الة (٥) فى ظ : نظر (٦) فى ظ : لما . (٧ - ٧) من ظ و مد، و فى الأصل : لاصطفاء (٨) سورة ٧ آية ١٤٤ (٩) فى ظ : المتخلصين (١٠) فى ظ : ابراهيم .

و السلام ليحوزا[1] طرفى الكون روحا و سلالة[2] ، و العالمون[3] علم الله الذى له الملك ، فكما[4] أن الملك لابد له من علم يعلم به بدوه و ظهوره جعل الله ما أبداه من خلقه علما على ظهور ملكه بين يدى[4] ظهور خلقه فى غاية يوم الدين عاما ، و فى يوم الدنيا لمن شاء من أهل اليقين و العيان خاصا ، و أعلى معناه بما ظهر فى لفظه من الألف الزائدة على لفظ العلم ، فاصطفى سبحانه و تعالى آدم عليه الصلاة و السلام على الموجودين فى وقته ، و كذلك نوحا[5] و آل إبراهيم و آل عمران كلا على عالم زمانه ، و من هو بعد فى غيب لم تبد[6] صورته فى العالم العيانى لم يلحقه بعد عند أهل النظر اسم العالم ، و أشار سبحانه و تعالى بذكر الذرية من معنى الذره[7] الذى هو مخصوص بالخلق ليظهر انتظام عيسى عليه الصلاة و السلام فى سلك الجميع[8] ذرءا ، و أنه لا يكون مع الذره لبس الإلهية[9] ، لأن الله سبحانه و تعالى لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا أحد ، فكان نصب لفظ الذرية تكييفا[10] لهذا الاصطفاء المستخلص على وجه الذر[11] ، و هو الذى يسميه[12] النحاة حالا - انتهى .

و لما ذكر سبحانه و تعالى هؤلاء الذين اصطفاهم[13] ، و كان مدار

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : ليجوزا (٢) فى ظ : ثلالة (٣) فى ظ : كما .
(٤) فى ظ : ايدى (٥) فى الأصول : نوح - كذا (٦) من مد ، و فى الأصل : لم يقد ، و فى ظ : لم يتسد - كذا (٧) فى ظ و مد : الدر (٨) فى مد : الجمع .
(٩) فى مد : الاهية (١٠) فى ظ : تكييف (١١) فى ظ : الدر (١٢) فى ظ : تسميه (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اصطفاه .

أمر الاصطفاء على العلم[1] ، و مدار ما يقال لهم و فيهم مما يكون كفرا أو إيمانا على السمع ختم سبحانه و تعالى الآية بقوله عاطفا على ما تقديره: فالله سبحانه و تعالى يفعل باحاطته ما يريد : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط قدرة و علما ﴿ سميع عليم ﴾ إشارة إلى أنه اصطفاهم على[2] تمام العلم بهم ترغيبا فى أحوالهم و الاقتداء بأفعالهم / و أقوالهم . ٣٦١/ ٥

و لما كان جل[3] المقصود هنا بيان الكرامات فى آل عمران لاسيما فى الولادة ، و كان آدم الممثل بـه عليه الصلاة و السلام قد تقدم بيان أمره فى سورة البقرة سورة الكتاب المثمر للعلم ، و كذا بيان كثير[4] مما اصطفى به إبراهيم و آله عليهم الصلاة و السلام إذ كان معظم القصد[5] بالكلام لذريته ، و كان معظم المقصود من ذكر نوح عليه الصلاة و السلام كونه فى[6] عمود النسب ، و ليس فى أمر ولادته ما هو خارج عن العادة قال طاويا لمن قبل : ﴿ اذ ﴾ أى اذكر جوابا لمن يجادلك فى أمرهم و يسألك عن حالهم حين ﴿ قالت امرات عمران ﴾ و هى حامل . ١٠

و قال الحرالى : لما كان مَن ذكر فى الاصطفاء إنما ذكر توطئة لأمر عيسى عليه الصلاة و السلام اختص التفصيل[7] بأمر عيسى عليه الصلاة و السلام دون سائر من ذكر معه ، و كان فى هذه المناظرة بين الصورتين حظ من التكافؤ من حيث ذكر [أمر -[8]] خلق آدم ١٥

(١) فى مد : العلم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الى (٣) فى ظ : جعل . (٤) سقط من مد (٥) فى مد : المقصد (٦) هكذا ثبت فى مد و ظ ، و قد تأخر فى الأصل عن « عمود » (٧) فى ظ : بالتفصيل (٨) زيد من ظ و مد .

عليه الصلاة و السلام فى سورة البقرة ، فذكر خلق المثل المناظر له فى السورة المناظرة لسورة البقرة و هى هذه السورة ، فعاد[1] توقيت هذا القول إلى غاية هذا الاصطفاء ، فأنبأ عن ابتداء ما اختص منه بعيسى عليه الصلاة و السلام من قول[2] أم مريم امرأة عمران حين أجرى على لسانها و أخطر بقلبها أن تجعل ما فى بطنها نذرا ، ففصل ما به ختم من اصطفاء آل عمران ، و لذلك عرفت[3] أم مريم فى هذا الخطاب بأنها امرأة عمران ليلتئم التفصيل بجملته السابقة ﴿ رب انى نذرت لك ما فى بطنى ﴾ و كان نذر الولد شائعا[4] فى بنى إسرائيل إلا أنه كان [5]عندهم معهودا[5] فى الذكور لصلاحهم لسدانة[6] بيت الله و القيام به ، فأكمل الله سبحانه و تعالى مريم لما كمل له الرجال - كما قال عليه أفضل الصلاة و أزكى السلام « كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء إلا أربع » فذكر مريم بنت عمران عليها السلام ، فكان من كمالها خروج والدتها عنها ، و كان أصله من الأم التى لها الإشفاق ، فكان خروجها أكمل من خروج الولد لأنها لها فى زمن الحمل و الرضاع و التربية إلى أن يعقل الولد أباه فحينئذ يترقى[7] إلى حزب أبيه ، و لذلك - و الله سبحانه و تعالى أعلم - أرى إبراهيم عليه الصلاة و السلام ذبح ولده عند تمييزه ، و خرجت امرأة عمران عن حملها و هو فى بطنها حين ما هو أعلق بها -

(١) فى ظ : تعاد (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : قوله (٣) فى ظ : عرف . (٤) فى ظ : فائقا (٥-٥) فى ظ : معهودا عندهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لدابه - كذا (٧) فى ظ : يتوق .

انتهى

انتهى . و نذرته لله تعالى حال[1] كونه ﴿ محررا ﴾ أى لا اعتراض و لا حكم لأحد من الخلق عليه ، قال الحرالى : و التحرير طلب الحرية ، و الحرية رفع اليد عن الشيء من كل وجه ، و فى الإتيان[2] بصيغة ٣ التكثير و التكرير[3] إشعار بمضى العزيمة فى قطع الولاية عنه[4] بالكلية لتسلم ولايته لله تعالى - انتهى . ﴿ فتقبل منى ج ﴾ و لما كان حسن[5] إجابة[6] ٥ المهتوف به[7] الملتجأ إليه على حسب إحاطة سمعه و علمه عللت سؤالها فى التقبل بأن قصرت السمع و العلم[8] عليه سبحانه فقالت : ﴿ انك انت ﴾ أى وحدك ﴿ السميع العليم ه ﴾ فقالت كما قال سلفها إبراهيم و إسماعيل عليهما الصلاة و السلام "ربنا تقبل منا[9]" - الآية ، أى فلا يسمع أحد قولى[10] مثل سمعك ، و لا يعلم أحد نيتى[11] مثل علمك و لا أنا ، فان ١٠ كان فيها[12] شيء لا يصلح فتجاوز عنه .

و لما أخبر بما اقتضى مضى عزمها قبل الوضع أخبر بتحقيقه بعده فقال : ﴿ فلما وضعتها قالت ﴾ أى تحسرا ذاكرة وصف الإحسان استمطارا للامتنان ﴿ رب انى وضعتها ﴾ قال الحرالى : من الوضع و هو إلقاء الشيء المستثقل[13] ﴿ انثى ط ﴾ هى أدنى زوجى[14] الحيوان المتناكح - انتهى . ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بحال (٢) زيد فى ظ و مد : به (٣-٣) فى ظ : التكبر و التكثير (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل و مد : عن.
(٦) فى ظ : المجابة (٧) سقط من مد (٨) فى مد : البصر (٩) سورة ٢ آية ١٢٧
(١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : قول (١١) فى ظ : منى (١٢) فى مد : فيها (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : المستقل (١٤) فى ظ : نوعى .

و لما كان الإخبار عادة إنما هو لمن لا يعلم الخبر[1] بينت أن أمر الله سبحانه و تعالى ليس كذلك، لأن المقصود باخباره ليس مضمون الخبر و إنما هو شيء من لوازمه و و هنا التحسر فقالت: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال.

٥ و لما كان المراد التعجيب[2] من هذه المولودة بأنها من خوارق العادات عبرت[3] عنها بما فقالت[4]: ﴿ اعلم بما وضعت[5] ﴾ و عبرت بالاسم الأعظم موضع ضمير الخطاب إشارة إلى السؤال فى أن يهبها من كماله و يرزقها من هيبته و جلاله، و فى قراءة إسكان التاء الذى [هو -] إخبار من الله سبحانه و تعالى عنها - كما قال الحرالى - إلاحة[6] معنى أن

٣٦٢ / ١٠ مريم عليها / الصلاة و السلام و إن كان ظاهرها الأنوثة ففيها حقيقة المعنى الذى ألحقها بالرجال فى الكمال، حتى كانت ممن كمل من النساء لما[7] لا يصل إليه كثير من رجال عالمها. فكان فى إشعاره أن الموضوع كان ظاهره ذكرا و حقيقته أنثى.

و لما كان مقصودها مع إمضاء نذرها بعد تحقق كونها أنثى التحسرَ

١٥ على ما فاتها من الأجر فى خدمة البيت المقدس بما[8] يقابل فضل قوة الذكر على الأنثى وصلاحيته للخدمة فى كل أحواله قالت: ﴿ و ليس الذكر ﴾

(١) من ظ. و فى الأصل و مد: الخير (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: التعجب (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: عبر (٤) فى ظ: يقال (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ: الاحدة - كذا (٧) فى ظ: بما (٨) من ظ، و فى الأصل و مد: مما.

أى[1] الذى هو معتاد للنذر و كنت أحب أن تهبه لى لأفوز بمثل أجره فى هذا الفرض فى قوته و سلامته من العوارض[2] المانعة من المكث فى المسجد و مخالطة القومة ٣ ﴿ كالانثى ج ﴾ التى وضعتها ، و هى داخلة فى [عموم - ٤] النذر[5] بحكم الإطلاق فى الضعف و عارض الحيض و نحوه فلا ينقص يا رب أجرى بسبب ذلك ، و لو قالت : و ليست الأنثى ٥ كالذكر ، لفهم أن مرادها أن نذرها لم يشملها فلا حق للمسجد فيها من جهة الخدمة .

قال الحرالى : و فى إشعار هذا القول تفصل[6] مما تتخوفه أن لا يكون ما وضعته كفافا لنذرها ، لما شهدت من ظاهر أنوثة ما وضعت ، فجعلها الله سبحانه و تعالى لها أكمل مما اشتملت عليه عزيمتها من رتبة ١٠ الذكورة التى كانت تعهدها[7] ، فكانت مريم عليها السلام أتم من معهود نذرها مزيدَ فضل من ربها عليها بعد وفاء حقيقة مقصودها فى نذرها - انتهى . و يجوز أن يكون هذا من كلام الله سبحانه و تعالى كالحالية[8] التى قبله إذا أسكنت التاء ، و التقدير : قالت كذا و الحال أن الله أعلم منها بما وضعت ، و الحال [أيضا - ٤] أنه ليس الذكر الذى[1] أرادته ١٥ بحكم معتاد النذر[9] كالأنثى التى وهبت لها فدخلت فيه بحكم إطلاقه ،

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) فى ظ : العوبة - كذا (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيدت الواو بعده فى ظ (٦) فى ظ و مد : تتصل (٧) فى ظ : بعهدها (٨) فى ظ : كالحالة (٩) من ظ ، و فى الأصل : التذكر . و فى مد : النذير .

بل هى أعلى، لأن غاية ما تعرفه من المنذرين أن يكون كأنبيائهم المقررين لحكم التوراة، و هذه الأنثى مع ما لها من العلو فى نفسها ستكون سببا فى السؤال فى نبى هو أعظم أنبيائهم، و تلد صاحب شريعة مستقلة، ثم[1] يكون مقررا لأعظم الشرائع.

٥ و لما تم ما قالته عند الوضع أو قاله الله فى تلك الحالة أتم سبحانه و تعالى الخبر عن بقية كلامها[2] و أنها عدلت[3] عن مظهر الجلالة إلى الخطاب على طريق أهل الحضرة، و أكدت إعلاما بشدة رغبتها فى مضمون كلامها فقال حاكيا: ﴿ و انى سميتها مريم ﴾ و معنى هذا الاسم بلسانهم: العابدة. قال الحرالى: فيه إشعار بأن من جاء بشىء أو قربه

١٠ فحقه[4] أن يجعل له اسما، و رد أن السقط إذا لم يسم يطالب مَن حقه أن يسميه فيقول[5]: يا رب! أضاعونى، فكان من تمام أن وضعتها أن تسميها[6]، فيكون إبداؤها [لها -[7]] وضع عين و إظهار اسم، لما فى وجود الاسم من كمال الوجود فى السمع كما هو فى العين، ليقع التقرب و النذر بما هو كامل الوجود عينا و اسما.

١٥ و لما كانت محررة لله سبحانه و تعالى كان حقا أن يجرى الله سبحانه و تعالى إعاذتها قولا كما هو جاعلها معاذة كونا من حيث هى له[8]، و ما

(١) فى ظ و مد: و (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: كلا منها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عذلت (٤) فى ظ: حقه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فتقول (٦) من ظ، و فى الأصل و مد: سميتها (٧) زيد من ظ و مد. (٨) سقط من ظ.

كان فى حمى[1] الملك لا يتطرق إليه طريدة[2] فقالت: ﴿ و انى اعيذها بك ﴾ و فى قوله: ﴿ و ذريتها ﴾ إشعار بما أوتيته[3] من علم[4] بأنها ذات[4] ذرية، فكأنها نطقت عن غيب من أمر الله سبحانه و تعالى مما لا يعلمه إلا الله، فهو معلمه لمن شاء[5].

و لما كان من فى حصن الملك و حرزه بجواره[6] بعيدا ممن أحرقه بنار البعد و أهانه[7] بالرجم[8] حققت الإعاذة بقولها: ﴿ من الشيطن الرجيم ﴾ و فى هـذا التخليص[9] لمريم عليها السلام بالإعاذة و لذريتها حظ من التخليص المحمدى[10] لما شق صدره و نبذ حظ[11] الشيطان منه و غسل قلبه بالماء و الثلج فى البداية الكونية، و بماء زمزم فى البداية النبوية عند الانتهاء الكونى، فلذلك كان لمريم و لذريتها بمحمد صلى الله عليه و سلم اتصال واصل؛ قال صلى الله عليه و سلم: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، من أجل أنه ليس بينى و بينه نبى، و بما هو حكم أمامه فى خاتمة يومه و قائم من[12] قومة دينه.

---

(١) فى ظ: حما (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: طريده (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اوتبت (٤-٤) من مد، و فى الأصل: من انها ذات، و فى ظ: فانها داب (٥) زيد بعده فى الأصل: الله. و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٦) فى ظ: بحرازه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: امانـه (٨) فى الأصل و ظ: بالرحم، و فى مد: بالمرحم (٩) فى ظ و مد، و فى الأصل: التلخيص. (١٠) من ظ و مـد، و فى الأصل: المحمد (١١) فى ظ: حق (١٢) فى ظ: عن.

و لما أخبر بدعائها[1] أخبر باجابتها فيه فقال: ﴿ فتقبلها ﴾ فجاء بصيغة التفعل مطابقة لقولها "فتقبل" /، ففيه إشعار بتدرج[2] و تطور و تكثر، كأنه يشعر بأنها مزيد لها فى كل طور تتطور[3] إليه، من حيث لم يكن "فاقبل منى"[4] فلم تكن[4] إجابته "فقبلها[5]"، فيكون إعطاء واحدا منقطعا عن التواصل و التتابع، فلا تزال بركة[6] تحريرها متجددا[6] لها فى نفسها و عائدا[7] بركته على أمها حتى تترقى إلى العلو المحمدى فتكون[8] فى أزواجه و من يتصل به - انتهى. و جاء بالوصف المشعر بالإحسان مضافا إليها إبلاغا فى المعنى فقال: ﴿ ربها ﴾ قال الحرالى: و ظهر سر[9] الإجابة فى قوله سبحانه و تعالى: ﴿ بقبول حسن ﴾ حيث لم يكن[10] "بتقبل"[11] - جريا على الأول.

٣٦٣/

و لما أنبأ[12] القبول[13] عن معنى ما[13] أوليته باطنا أنبأ الإنبات عما أوليته ظاهرا فى جسمانيتها، و فى[14] ذكر الفعل من "أفعل" فى قوله:

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ببنايها (٢) فى ظ: يندرج (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يتطور (٤ - ٤) فى ظ: فتكون (٥) فى ظ: فتقبلها - كذا. (٦ - ٦) من مد، و فى الأصل: تجدير متجددا، و فى ظ: تحديرها متجردا. (٧) فى ظ: عائذا - كذا بالذال المعجمة (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فيكون (٩) من ظ و مد. و فى الأصل: سد (١٠) فى ظ: لم تكن (١١) فى الأصل و مد: يتقبل، و فى ظ: تتقبل (١٢) زيد فى الأصل: عن، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٣-١٣) فى ظ: عما (١٤) فى مد: من.

﴿ و انبتها ﴾ و الاسم من "فعل" فى قوله : ﴿ نباتا حسنا ﴾ إعلام بكمال الأمرين من إمدادها فى النمو الذى هو غيب عن العيون و كمالها فى ذاتيـة النبات الذي هو ظاهر للعين ، فكمل فى الإنبـاء و الوقوع حسن التأثير و حسن الأثر[1] ، فأعرب عن إنبـاتها[2] و نباتها[3] معنى حسنا - انتهى . فوقع الجواب لأنها عناية من الله سبحانه و تعالى بها على ما وقع سؤالها فيه ، فلقد ضل و افترى من قذفها و بهتها ، و كفر و غلا من ادعى فى ولدها من الإطراء ما[4] ادعى .

و قال الحرالى : و قد أنبأ[5] سبحانه و تعالى فى هذه السورة الخاصة[6] بقصة مريم عليها الصلاة و السلام من تقبلها و إنباتها و حسن سيرتها بما نفى اللبس فى أمرها و أمر ولدها ، لأن المخصوص بمنزل[7] هذه السورة ما[8] هو فى بيان رفع اللبس الذى ضل به النصارى ، فيذكر فى كل سورة ما هو الأليق و الأولى بمخصوص[9] منزلها ، فلذلك ينقص الخطاب فى القصة الواحدة فى سورة ما يستوفيه فى سورة أخرى لاختلاف مخصوص منزلها ، كذلك الحال فى القصص المتكررة فى القرآن من قصص الأنبياء و ما ذكر فيه[10] لمقصد الترغيب و التثبيت و التحذير و غير ذلك من وجوه التنبيه - انتهى ، و فيه تصرف .

---

(١) فى ظ : الاكثر (٢) فى ظ : انبائها (٣) زيد فى مد : عن (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : اما (٥) فى ظ : انبانا (٦) فى ظ : بالخاصـة (٧) فى ظ : بمنزلة . (٨) فى ظ : بمـا (٩) فى ظ : بخصوص (١٠) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

و لما كان الصغير لا بد له فيما جرت [١] به العادة [١] من كبير يتولى أمره قال: ﴿ و كفلها ﴾ قال الحرالى: من الكفل و هو [٢] حياطة [٣] الشيء من جميع جهاته حتى يصير عليه كالفلك الدائر ﴿ زكريا ج ﴾ و فى قراءة التشديد إنباء بأن الله سبحانه و تعالى هو فى الحقيقة كفيلها [٤] بما هو تقبلها [٤]، و فيه استخلاص لزكريا [٥] من حيث جعله [٦] يدَ وكالة [٦] له فيها - انتهى .

و لما كان من شأن الكفيل القيام بما يعجز عنه المكفول بين سبحانه و تعالى أن [٧] تلك الكفالة إنما كانت جريا على العوائد و أنه تبين أن تقبل الله لها أغناها [٨] عن [٩] سواه فقال فى جواب من لعله يقول: ما فعل فى كفالتها؟: ﴿ كلما ﴾ أى كان كلما ﴿ دخل عليها زكريا المحراب [٩] ﴾ أى موضع العبادة . و قال الحرالى: هو صدر البيت و مقدمه الذى لا يكاد يوصل إليه إلا بفضل منه و قوة و جهد حرب ﴿ وجد عندها رزقا ج ﴾ و ذلك كما وجد عند خبيب بن عدى الأنصارى رضى الله تعالى عنه قطف [١٠] العنب - كما سيأتى فى آخر المائدة، و مثل ذلك كثير فى هذه الأمة، و فى هذه العبارة أى من أولها إلاحة لمعنى حسن كفالته

(١ - ١) فى ظ : العادة به (٢) من ظ، و فى الأصل و مد : فى (٣) فى ظ : مباطة، و فى مد: خياطة (٤ - ٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : كزكريا (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل : بدوكانه (٧) سقط من ظ . (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : اغناه (٩) زيد بعده فى ظ : من (١٠) فى الأصول : القطف .

و أنه

و أنه كان يتفقدها عند تقدير حاجتها إلى الطعام بما تفيده [١] كلمة "كلما" من التكرار، فيجد الكفيل الحق قد عاجلها [٢] برزق [٣] من غيب [٣] بما هو سبحانه و تعالى المتولى لإنباتها ليكون نباتها من غيب [٤] رزقه فتصلح لنفخ روحه و مستودع كلمته، و لا يلحقها بعد الإعاذة ما فيه مس من الشيطان الرجيم الذى أعاذها [٥] الله سبحانه و تعالى منه بكثرة الاختلاط ٥ فى موجودات [٦] الأرزاق، فكان من حفظها أن تولى [٧] الله سبحانه و تعالى أرزاقها من غيب إلا ما يطيبه من باد، و ليكون حسن نباتها من أحسن رزق الله سبحانه و تعالى كما يقال: من غذى بطعام قوم غذى بقلوبهم [٨] و من غـــذى بقلوبهم [٨] آل إلى منقلبهم [٩]، و كانت هى مثل ما كفلها كافلها ظاهرا كفلته باطنا حين أبدى الله سبحانـه و تعالى له من أمره ١٠ ما لم يكن قبل بدا له، [١٠] فكان لمريم عليهـا الصلاة و السلام توطئـة فى رزقها لما يكون كماله فى حملها فيكون رزقهـا بالكلمة ابتـداء [١٠] ليكون حملها بالكلمة، فعند / ذلك طلب زكريا عليه السلام نحو ما عاين لها من / ٣٦٤ أن يرزقه الولد فى غير إبّانه [١١] كما رزق مريم الرزق فى غير أوانه، و فى

(١) من ظ، و فى الأصل: يقيده، و فى مـد: يفيده (٢) فى ظ: عاش.
(٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فى عنب (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: غير (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اعاذنا (٦) فى ظ: موجبات (٧) فى ظ: قول (٨-٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: متقليهم.
(١٠-١٠) سقط من مد (١١) من ظ و مد، أى حينه، و فى الأصل: اباته - كذا.

تعيين محلها بالمحراب ما يليح معنى ما ذكر من رجوليتها باطنا من حيث
١ أن محل النساء أن يتأخرن فأبدى ١ الله سبحانه و تعالى فى محلها ٢ ذكر
المحراب إشارة بكمالها ، و المحراب صدر البيت المتخذ للعبادة ، و فى
لزومها لمحرابها فى وقت تناول الرزق إعلام بأن الحبيس ٣ و المعتكف
٥ بيته محرابه و محرابه ٢ بيته ، بخلاف ٤ من له ٤ متسع فى الأرض و محل
من غير بيت الله ، إنما المساجد بيوت أهل الله المنقطعين إليه ، فهو محلهم
فى صلاتهم و محلهم فى تناول أرزاقهم ، ففيه إشعار بحضورها ، و حضور
أهل العكوف حضور سواء ٥ فى صلاتهم و طعامهم ، و لذلك أمى حال
العبد عند ربه بما هو عليه فى حال تناول طعامه و شرابه ، فأهل الله ٦
١٠ سواء محياهم و مماتهم و أكلهم و صلاتهم ، من غفل عند طعامه قلبه لم
يستطع أن يحضر فى صلاته قلبه ، و من حضر عند طعامه قلبه لم يغب ٧
فى صلاته قلبه ، و فى ذكر الرزق شائعا إشعار بأنها أنواع من أرزاق
من حيث أنه لو اختص يخص ٨ به ما هو أخص من هذا الاسم - انتهى .

٩ و لما كان كأنه قيل : فما كان يقول لها إذا رأى ذلك ؟ قيل :

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه محل الثنا ان ماحرب ما به فى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحبس (٤ - ٤) فى ظ : ما به (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : سر (٦) زيد فى الأصل : انـه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مـد ، و فى الأصل : لم يف (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : نخص (٩) زيد قبله فى الأصل : و لما ذكر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

كان كلما[1] وجد ذلك ، أو : لما تكرر وجدانه لذلك[2] ﴿قال يٰمريم أنّى﴾ أى من أين ﴿لك هذا[3]﴾ قال الحرالى : كلمة 'أنى' تشعر باستغرابه وجود[3] ذلك الرزق من وجوه مختلفة : من جهة الزمان أنه ليس زمانه ، و من جهة المكان أنه ليس مكانه ، و من جهة الكيف و وصوله إليها أنه ليس حاله ، و فى ذكر الضمير فى قوله : ﴿قالت هو[4] من عند الله ط[4]﴾ ٥ إيذان بنظرها إلى مجموع حقيقة ذلك الرزق لا إلى أعيانه ، فهو إنباء عن رؤية قلب ، لا عن نظر عين لأن 'هو' كلمة إضمار جامعة لكل ما تفصلت صورة مما اتحد[5] مضمره ، و لما لم يكن [[6] من معهود ما أظهرته[7] حكمته سبحانه مما يجريه على معالجات أيدى الخلق قالت "من عند الله" ذى الجلال و الإكرام ، لأن ما خرج] من[8] معهود معالجة الحكمة فهو من عنده ، ١٠ و ما كان مستغربا[9] فيما هو من عنده فهو من لدنه ، فهى[10] ثلاث رتب : رتبة لدنية[11] ، و رتبة عندية ، و رتبة حكمية عادية ؛ فكان هذا من وسط الثلاث - كما قال تعالى "آتيناه رحمة من عندنا و علمناه من لدنا علما[12]" حيث كان مستغربا[13] عند أهل الخصوص كما قال "اخرقتها لتغرق

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كلها (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : كذلك (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : وجوه (٤-٤) تأخر فى ظ و مد عن كلمة « قالت » الآتية (٥) فى ظ : اتخذ (٦) العبارة المحجوزة زيدت من ظ و مد (٧) من مد ، وفى ظ : اضمرته (٨) فى ظ و مد : عن (٩) فى ظ : متغربا . (١٠) فى ظ : فهو (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : لدينه (١٢) سورة ١٨ آية ٦٥ . (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : مستعربا .

أهلها لقد جئت شيئا امرا[١]" و الإمر العجب، و لعلو رتبته عن الرتبة العادية جرى النبأ[٢] عنه مضافا إلى الاسم العظيم الذى هو مسمى الأسماء كلها من حيث لم يكن "من عند ربى" لما فى ذكر اسم الربوبية من إشعار بمادة أو قريب منها أو ما كان من نحوها كما قال "هذا من فضل ربى[٣]" لما كان من عادته المكنة[٤] على الملوك، و كان ممكنا فيما أحاط بـه موجود[٥] الأركان الأربعة ـ انتهى.

و لما أخبرت بخرقه[٦] سبحانه و تعالى لها العادة عللت ذلك بقولها مؤكدة تنبيها على أن ذلك ليس فى قدرة ملوك الدنيا: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطـة الكلية. [٧]قال الحرالى: فى تجديد[٨] الاسم العظيم فى النبأ[٩] إشعار باتساع النبأ[١٠] و إيذان و إلاحة بأن[١١] ذلك يكون لك[١٢] و لمن شاء الله كما هو لى بما شاء الله، من حيث لم يكن 'انه' فيكون مليحا لاختصاص ما بها، و يؤيده عموم قولها: ﴿ يرزق من يشآء ﴾ و قولها: ﴿ بغير حساب ٥ ﴾ يشعر بأنـه عطاء متصل، فلا يتحدد و لا يتعدد، فهو رزق[١٣] لا متعقب عليه، لأن كل محسوب فى الإبداء

(١) سورة ١٨ آية ٧١ (٢) من ظ، و فى الأصل: البنا، و فى مد: البناء.
(٣) سورة ٢٧ آية ٤٠ (٤) فى ظ: الممكنة (٥) فى ظ: من جود (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بخرقـة (٧) زيدت الواو فى ظ (٨) فى ظ: حـديث.
(٩) من مد، و فى الأصل: البنا، و فى ظ: الدنيا (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: البنا (١١) فى ظ: فان (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك.
(١٣) سقط من ظ.

محاسب عليه فى الإعادة، فكان فى الرزق بغير حساب من علاج الحكمة بشرى[1] برفع الحساب عنهم[2] فى المعاد[2] و كفالة بالشكر عنه، لأن أعظم الشكر لرزق الله سبحانه و تعالى معرفة العبد بأنه من الله تعالى، إنما يشكر رزق الله من أخذه من الله سبحانه و تعالى - انتهى.

و لما كان كأنه قيل: فما قال زكريا حينئذ؟ قيل: ﴿ هنالك ﴾ ٥ أى فى ذلك الوقت و ذلك المكان العظيمى المقدار ﴿ دعا زكريا ربه ج ﴾ تذكرا لما عودهم الله سبحانه و تعالى[3] به من الإكرام، فظهرت عليه كرامات هذه الكفالة. قال الحرالى: لما أشهده الله سبحانه / و تعالى ٣٦٥ / [4]أنه يخرق[4] عادته لمن شاء بكلمته فى حق كفيلته فى الظاهر، الكافلة[5] له فى هذا المعنى، دعا ربه الذى عوده بالإحسان [أن -[6]] يرزقه ولدا ١٠ فى غير إبانه[7] كما رزق مريم رزقا فى غير زمانه فوجب دعاؤه - انتهى. ﴿ قال رب ﴾ أى[8] الذى عودنى[9] باحسانه ﴿ هب لى من لدنك ﴾ قال الحرالى: طلب عليه من باطن الأمر كما قال سبحانه و تعالى "و علمناه"[10]

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بشوى (٢ - ٢) فى ظ: لا لمعاد (٣) العبارة من هنا إلى «سبحانه و تعالى» تكررت فى الأصل (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اية تخرق (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الكفالة (٦) زيد من مد، و فى ظ موضعه: الذى (٧) من مد، و فى الأصل: ابانة، و فى ظ: انانه. (٨) من ظ، و فى الأصل: ايها، و سقط من مد (٩) فى ظ: وعدنى. (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: علمنا.

[من لدنا علما[1] "-[2]]، و[3] كما قال فيه[4] " و حنانا من لدنا[5] "، لأن كل ما كان من ' لدن ' فهو أبطن من ' عند ' ﴿ ذرية ﴾ فيه إشعار بكثرة و نسل باق، فأجيب بولد فرد لما كان زمان انتهاء فى ظهور كلمة الروح و بأنه لا ينسل فكان يحيي حصورا لغلبة الروحانية على إنسانيته - انتهى.

٥ ﴿ طيبة ج ﴾ أى مطيعة لك لأن ذلك طلبة أهل الخصوص، ثم علل إدلاله على المقام الأعظم بالسؤال بقوله[6] : ﴿ انك سميع الدعآء ﴾ أى مريده [و مجيبه -[6]] لأن من شأن من يسمع - و لم يمنع - أن يجيب إذا كان قادرا كاملا، و قد ثبتت[7] القدرة بالربوبية الكاملة التى لا تحصل[8] إلا من الحى القيوم، بخلاف الأصنام و نحوها مما عبد فانها لا تسمع،

١٠ و لو سمعت لم تقدر على الإجابة إلى ما تسأل[9] فيه لأنها مربوبة[10] . قال الحرالى: أعلم الداعى بما لله سبحانه و تعالى من الإجابة، و القرب [11] وسيلة فى قبول[11] دعائه - انتهى .

و لما كان الله سبحانه و تعالى عند ظن عبده به سمع دعاءه كما قال ﴿ فنادته ﴾ أى فتسبب عن دعائه و حسن رجائه [أن نادته -[12]] ﴿ الملئكة ﴾

(١) سورة ١٨ آية ٦٥ (٢) ما بين الحاجزين زيد من ظ و مد، غير أن « علما » ليس فى مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : هو (٤) سقط من ظ .
(٥) سورة ١٩ آية ١٣ (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : لبست (٨) من ظ، و فى الأصل : لا يصلح، و فى مد : لا تصلح (٩) من ظ، و فى الأصل : يشك، و فى مد : يسيل (١٠) فى مد : مربوبه (١١ - ١١) فى ظ : و نسأله فى قرب .
(١٢) زيد من ظ و مد، غير أن فى مد « انه » مكان « ان » .

يعنى هذا النوع ، لا كلهم[1] بل ناداه البعض ، و كان متهيئا[2] بما آتاه الله سبحانه و تعالى من الفضل لمناداة[3] الكل ، كما هو شأن أهل الكمال من الرسل ﴿ و هو قآئم يصلى فى المحراب[4] ﴾ و هو موضع محاربة العابد للشيطان ، و هو أشرف الأماكن لذلك[4] . قال الحرالى : فيه إشعار بسرعة إجابته و لزومه معتكفه و قنوته فى قيامه [5]و أن الغالب[5] على صلاته القيام لأن الصلاة قيام ، و سجود يقابله[6] ، و ركوع متوسط ، فذكرت صلاته بالقيام إشعارا[7] بأن حكم القيام [8]غالب عليها[8] - انتهى . ثم استأنف فى قراءة حمزة و ابن عامر بالكسر لجواب من كأنه قال : بأى شىء نادته الملائكة ؟ قولَه : ﴿ ان الله يبشرك ﴾ قال الحرالى : فذكر الاسم الأعظم المحيط معناه بجميع [معانى -[9]] الأسماء ، و لم يقل 'ان ربك' لما كان أمر إجابته من وراء الحكمة العادية[10] ؛ و فى قوله ﴿ يحيى ﴾ مسمى بصيغة[11] الدوام - مع أنه كما قيل : قتل - إشعار بوفاء حقيقة الروحانية الحياتية[12] فيه دائما ، لا يطرقه[13] طارق موت الظاهر حيث قتل شهيدا - انتهى . ﴿ مصدقا بكلمة ﴾ أى نبى خلق بالكلمة

(١) فى ظ : كلهم (٢) من مد ، و فى الأصل : منها ، و فى ظ : منهيا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمفاداة (٤) من ظ ، و فى الأصل : كذلك ، و فى مد : لذا (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فان الغايب (٦) فى ظ : مقابلة . (٧) فى ظ : اشعار (٨-٨) فى الأصول : الغالب عليها ، غير أن فى ظ : عليه - مكان : عليها (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ : العاذيه (١١) فى ظ : بصفة (١٢) فى ظ : الحيابيه ، و فى مد : الحيابة - كذا (١٣) فى ظ و مد : لا تطرقه .

لا بالمعالجة[١] العادية، يرسله الله سبحانه و تعالى إلى عباده فيكذبه أكثرهم[٢] و يصدقه [هو - ٣]، و إطلاق الكلمة عليه من إطلاق السبب على المسبب.

قال الحرالى: فكان عيسى عليه الصلاة و السلام كلمة الله سبحانه و تعالى، و يحيى مصدقه[٤] بما هو منه كمال كلمته[٥] حتى أنهما[٦] فى سماء واحدة، ففى قوله: ﴿من الله﴾ إشعار باحاطته فى ذات الكلمة - انتهى. ﴿و سيدا و حصورا﴾ [أى فلا يتزين[٧] بزينة - ٨] لأنه بالغ الحبس لنفسه و[٩] التضييق عليها[١٠] فى المنع من النكاح. قال فى القاموس: و الحصور من لا يأتى النساء و هو قادر على ذلك، أو[١١] المنوع منهن، أو من لا يشتهيهن[١٢] و لا يقربهن، و المجبوب - و الهيوب[١٣] المحجم[١٤] عن الشىء[١٥]. و قال الحرالى: و هو من الحصر و هو المنع عما شأن الشىء أن يكون مستعملا فيه - انتهى[١٦]. ﴿و نبيا﴾

(١) فى ظ: بالعالجة (٢) فى ظ: اكثره (٣) زيد من ظ و مد، و الواو الآتية بعده ساقطة من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مصدقة (٥) من ظ، و فى الأصل و مد: كلمة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: انها (٧) فى ظ و مد: يزن (٨) العبارة المحجوزة زيدت من ظ و مد (٩) فى ظ: فى. (١٠) سقط من مد (١١) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل «و». (١٢) فى ظ: يشهن (١٣) من ظ و القاموس، و فى الأصل و مد: و الهبوب، (١٤) فى ظ: المحج (١٥) زيد بعده فى الأصل: يذن يرتبه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٦) سقط من ظ.

و لما كان النبي لا يكون إلا صالحا لم يعطف بل قال: ﴿ من الصٰلحين ٥ ﴾ إعلاما بمزية رتبة الصلاح و احترازا من المتنبيين[1]، فكأنه قيل: فما قال حين أجابه ربه سبحانه و تعالى؟ فقيل: ﴿ قال ﴾ يستثبت بذلك[2] ما[3] يزيده طمأنينة[4] و يقينا و سكينة[4] ﴿ رب ﴾ أى[5] أيها المحسن إلى.

و لما كان مطلوبه ولدا يقوم مقامه فيما هو [فيه -[1]] من النبوة التى لا يطيقها إلا الذكور[7] الأقوياء الكملة[8]، و كانت / [9] العادة قاضية بأن ولد الشيخ يكون ضعيفا لا سيما إن كان حرثه مع الطعن فى السن فى أصله غير قابل للزرع أحب أن يصرح له بمطلوبه فقال: ﴿ انّٰى ﴾ أى كيف و من أين ﴿ يكون لى ﴾ و عبر بما تدور مادته على الغلبة و القوة زيادة فى الكشف فقال: ﴿ غلٰم ﴾ و فى[10] تعبيره به فى سياق الحصور[11] دليل على أنه فى غاية ما يكون من صحة الجسم و قوته اللازم منه شدة الداعية إلى النكاح، و هو مع ذلك يمنع نفسه [منه -[12]] منعا زائدا على الحد، لما عنده من غلبة الشهود اللازم منه[13] الإقبال على العبادة[14] بكليته و الإعراض عن كل ما يشغل عنها جملة لا سيما النكاح،

٣٦٦/

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: التنبين (٢) من ظ، و فى الأصل و مد: ذلك.
(٣) فى الأصول: بما (٤-٤) فى ظ: و تعينا و يعينه، و فى مد: و قبيا و سكينة - كذا (٥) سقط من ظ، و زيد قبله فى مد: انى (٦) زيد من ظ و مد.
(٧) زيدت الواو بعده فى ظ (٨) سقط من ظ، و فى مد: الكلمة (٩) و من هنا إلى "لأنه وقت" ص ٣٧١ أسسنا المتن على ظ لكون الأصل فى غاية الانطماس.
(١٠) سقط من مد (١١) من مد، و فى ظ: المحصور (١٢) زيد من مد.
(١٣) من مد، و فى ظ: عن (١٤) من مد، و فى ظ: العادة.

بحيث يظن[1] أنه لا [إرب له فيه ، و هذا لموافق للتعبير الأول للحصور في القاموس ، و هو الذى ينبغى ألا - ٢] يعرج على غيره لأنه بناء مبالغة من متعد ، و لأنه أمدح له صلى الله عليه و سلم . و مهما دار الشيء على صفة الكمال فى الأنبياء عليهم السلام وجب أن لا يعدل عنه ، و ما [ورد - ٢]

٥ - كما يأتى إن شاء الله تعالى فى سورة مريم عليها السلام - أن النبي صلى الله عليه و سلم قال « ذكره مثل هذه[3] القذاة » فقد ضعفوه ، و على تقدير صحته[4] فيكون ذلك إخبارا[5] عن أنه لما أعرض عنه رأسا ضعف ما معه لذلك ، فهو إخبار عن آخر أمره الذى أدت إليه عزيمته ، و الآية مشيرة إلى ما اقتضته خلقته و غريزته و إن كان الجمع لكمال[6] الوجود

١٠ الإنسانى بالنكاح أكمل كما وقع لنبينا صلى الله عليه و سلم و يقع لعيسى عليه السلام بعد نزوله ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ بلغنى الكبر ﴾ إلى حد لا يولد فيه عادة ﴿ و امراتى عاقر[1] ﴾ قال الحرالى : من العقر و هو البلوغ إلى حد انقطاع النسل هرما[7] - انتهى ؛ كذا قال ، و آية سورة مريم تدل[8] على أن المعنى أنها لم تزل عقيما ، و عليه يدل كلام

١٥ أهل اللغة ، قال فى القاموس فى الراء[9] : العقرة و تضم[10] : العقم ، و قد

(١) سقط من مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد (٣) من مد ، و فى ظ : هذا (٤) من مد ، و فى ظ : صحبته (٥) من مد ، و فى ظ : اجنادا (٦) من مد ، و فى ظ : بكماله (٧) من مد ، و فى ظ : منها (٨) من مد ، و فى ظ : فدل . (٩) من مد ، و فى ظ : الزاء (١٠) من القاموس ، و فى ظ : بضم ، و فى مد : يضم .

عُقرت كعُنى[1] فهى[2] عاقر ، و رجل عاقر و عقير : لا يولد له [ولد - ٣] ، و العُقَرة[4] كهمزة : خرزة[4] تحملها المرأة لئلا تلد ، و قال فى الميم : العقم بالضم : هزمة تقع فى الرحم فلا تقبل[5] الولد ، عقمت[6] كفرح و نصر[7] و كرم[8] و عُنى ، و رحم[8] عقيم و امرأة عقيم [و رجل عقيم - [9]] : لا يولد له ، و قال الإمامان أبو عبد الله القزاز فى ديوانه ٥ و عبد الحق فى واعيه : و العقر بضم العين و سكون القاف مصدر العاقر من النساء و هى التى لا تحمل من غير داء و لا كبر ، يقال : امرأة عاقر ، و بها عقر ، سميت بذلك كأن فى رحمها عقرا يمنعها من الولادة ، و قال [الإمام - [10]] أبو غالب [11]ابن التيانى[11] فى كتابه الموعب[12] صاحب العين[13] : العقر مصدر العاقر من النساء و هى التى لا تحمل[14] من غير داء ١٠ و لا كبر ، لكن خلقة ، [ثم قال - [10]] و تعقرت : إذا ولدت ثم أمسكت - و الله الموفق .

---

(١) من القاموس ، و فى ظ و مد : يعنى (٢) من القاموس و مد ، و فى ظ : فهو (٣) زيد من القاموس (٤ - ٤) من القاموس ، و فى ظ و مد : كثمرة جوزه (٥) من القاموس ، و فى ظ و مد : يقبل (٦) فى مد : عقم (٧) من القاموس و مد ، و فى ظ : يصر (٨ - ٨) من القاموس و مد ، و فى ظ : غير و دحم - كذا (٩) زيد من اللسان و مد (١٠) زيد من مد (١١-١١) من معجم المؤلفين ٣ / ٩٢ ، و فى ظ : التانى - كذا ، و فى مد : ابن التبانى (١٢) من مد و المعجم ، و فى ظ : الموجب (١٣) أى صاحب تلقيح العين ، كما فى المعجم و كشف الظنون (١٤) زيد بعده فى ظ : من النساء ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

ثم وصل به قوله: ﴿ قال كذلك ﴾ أى مثل هذا الفعل الجليل البعيد[١] الرتبة . و لما كان استنباؤه عن القوة و الكمال لا عن الخلق عبر سبحانه فى تعليل ذلك بالفعل بخلاف ما يأتى فى قصة مريم عليها السلام فقال: ﴿ الله يفعل ما يشآء ﴾ لأنه المحيط بكل شىء قدرة و علما فكأنه [٢]قيل: قد[٢] قرت عينه فما قال[٣]؟ [قيل ـ[٤]] ﴿ قال ﴾ إرادة تعجيل البشرى و تحقيق السراء: ﴿ رب اجعل لى ءاية ﴾ أى علامة أعلم بها[٥] ذلك ﴿ قال ءايتك الا تكلم الناس ﴾ أى لا تقدر[٦] على أن تكلمهم بكلام دنيوى[٧] ﴿ ثلثة ايام ﴾ .

و لما كان الكلام يطلق على الفعل مجازا استثنى منه قوله: ﴿ الا رمزا ﴾ لتخلص هذه المدة للذكر شكرا[٨] على النعمة[٨] فاحمد ربك على ذلك . قال الحرالى: و الرمز تلطف فى الإفهام باشارة تحرك طرف كاليد و اللحظ و الشفتين و نحوها ، و الغمز أشد منه [باليد ـ[٤]] و نحوها ـ انتهى . فعدم[٩] الكلام مع صحة آلته دليل إيجاد المتكلم[١٠] مع

(١) من مد ، و فى ظ : العد ـ كذا (٢-٢) من مد ، و فى ظ : قد قيل (٣) من مد ، و فى ظ : يفعل (٤) زيد ما بين الحاجزين من مد (٥) من مد ، و فى ظ : بما (٦) من مد ، و فى ظ : لا يقدر (٧) زيدت بعده فى ظ « و لما كانت عنده سورة التوحيد الذى عند قاض منه ... كل نور و هى اثر سورة الكتاب الذى هو النور و هما الزهراوان ناسب كل المناسبة التعبير هنا بمحل النور فقال » ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨-٨) فى مد : للنعمة (٩) من مد ، و فى ظ : فقدم (١٠) من مد ، و فى ظ : المتكون .

ضعف آلته إلى حد لا يتكون[1] عنها عادة، و لما كان الأتم فى القدرة أن يحبس عن كلام دون آخر قال: ﴿ و اذكر ربك ﴾ أى بالحمد و هو[2] أن تثبت له الإحاطة بكل كمال ﴿ كثيرا ﴾ فى الأيام التى منعت فيها من كلام الناس خصوصا، و فى سائر أوقاتك عموما ﴿ وسبح ﴾ [أى أوقع التسبيح لمطلق الخليل ربك بأن تنفى عنه كل نقص - ٣] ٥ ﴿ بالعشى ﴾ و قال الحرالى: من العشو، و أصل معناه: إيقاد نار على علم لمقصد هدى أو قرى و مأوى على حال وهن، فسمى به عشى النهار لأنه وقت[4] / فعل ذلك، و يتأكد معناه فى العشاء، و منه سمى الطعام: العشاء ﴿ و الابكار ﴾ و أصله المبادرة لأول الشىء، و منه التبكير / ٣٦٧ و هو السرعة، و الباكورة[5] و هو أول ما يبدو من الثمر، فالإبكار ١٠ اقتطاف زهرة النهار و هو أوله - انتهى.

و لما فرغ مما[6] للكافل بعد ما نوه بأمر المكفولة[7] بيانا لاستجابة الدعاء من أمها لها أعاد الإشارة بذكرها و الإعلام بعلى قدرها فقال عاطفا على ما تقديره: هذا ما للكافل فاذكره لهم فانهم لا يشكون معه فى نبوتك: ﴿ و ﴾ [اذكر - ٣] ﴿ اذ قالت الملئكة ﴾ و عبر بالجمع ١٥ و المراد جبريل وحده[8] عليه الصلاة و السلام كما فى سورة مريم عليها

(١) من مد، و فى ظ: يتكلون (٢) من مد، و فى ظ: فهو (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد (٤) و إلى هنا انتهت نسخة ظ أساسا، و يبتدئ من هنا تأسيس الأصل، كما نبهنا عليه فى التعليق نمرة ٩ ص ٣٦٧ (٥) فى ظ: و التكوير. (٦) فى ظ: بما (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الكفولة (٨) سقط من مد.

السلام لتهيئها[1] لخطاب كل منهم كما مضى ﴿ يمريم ان الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ اصطفٰك ﴾ أى اختارك فى نفسك ، لا بالنظر إلى شىء آخر عما يشين بعض من هو فى نفسه خيار[2] ﴿ و طهرك ﴾ أى[3] عن كل دنس ﴿ و اصطفٰك ﴾ أى اصطفاء خاصا ﴿ على نسآء العٰلمين ٥ ﴾

٥ [4]فمن هذا[4] الاصطفاء - و الله سبحانه و تعالى أعلم - كما قال الحرالى : أن خلصت[5] من الاصطفاء الأول العبرانى إلى اصطفاء على عربى حتى أنكحت من محمد صلى الله عليه و سلم النبى العربى ؛ قال صلى الله عليه و سلم لخديجة رضى الله تعالى عنها[6] « أما شعرت أن الله سبحانه و تعالى زوجنى معك مريم بنت عمران » - انتهى .

١٠ و لما أخبرها سبحانه و تعالى بما اختصها به أمرها بالشكر فقال : ﴿ يمريم اقنتى ﴾ أى أخلصى أفعالك للعبادة ﴿ لربك ﴾ الذى[7] عودك[8] الإحسان بأن رباك هذه التربية . و لما قدم الإخلاص الذى هو روح العبادة أتبعه أشرفها[9] فقال : ﴿ و اسجدى ﴾ فان أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد . قال الحرالى : و كان من اختصاص هذا الاصطفاء

١٥ العلى - أى الثانى - ما اختصها من الخطاب بالركوع الذى لحقت به بهذه الأمة الراكعة التى أطلعها الله سبحانه و تعالى من سر عظمته التى هى إزاره

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتهيوبها (٢) فى مد : خيارا (٣) سقط من مد.
(٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى هذه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : خلصته (٦) فى ظ : عنهما (٧) فى ظ : اى (٨) فى مد : عوذك (٩) فى ظ : اشرافها .

على ما لم يطلع عليه أحدا[1] ممن سواها[2] فى قوله : ﴿ واركعى مع الرٰكعين ﴾ كما قال لبنى إسرائيل عند الأمر بالملة المحمدية "واركعوا مع الرٰكعين[3]" - إلى ما يقع من كمال ما بشرت[4] به حيث[5] يكلم الناس كهلا فى خاتمة اليوم المحمدى ، و يكمل له الوجود[6] الإنسانى حيث[7] يتزوج و يولد له - كما[8] ذكر ، و[8] ذلك كله فيما يشعر به [[9]ميم التمام فى ابتداء[10] الاسم[11] و انتهائه ، و فيما بين التمامين من كريم التربية لها ما يشعر به] الراء[12] من تولى الحق لها[13] فى تربيتها و رزقها ، و ما تشعر به الياء[14] من كمالها الذى اختصت به على عالمها - انتهى .

و المراد باتباع قصتها لما مضى التنبيه على انخراطها فى سلك[15] ما مضى من أمر[16] آدم و يحيى إفصاحا ، و إبراهيم فى ابنيه[17] إلاحة فى خرق العادة فيهم ، و أن تخصيصها بالإنكار[18] أو التعجب و التنازع مع الإقرار بأمرهم ليس من أفعال العقلاء ؛ و الظاهر أن المراد بالسجود فى هذا المقام ظاهره[19] و بالركوع الصلاة نفسها ، فكأنه قيل : و اسجدى مصلية

(١) فى ظ : احد (٢) فى ظ : سواه (٣) سورة ٢ آية ٤٣ (٤) فى ظ : يشترط .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : حتى (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الوجوه (٧) فى مد : حين (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكروا - كذا .
(٩) العبارة المحجوزة زيدت من ظ و مد (١٠) فى مد : امتها (١١) من مد ، و فى ظ : الامم (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المرا (١٣) فى ظ و مد : بها (١٤) فى ظ : الباء (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مسلك (١٦) فى ظ : الأمر (١٧) فى ظ : ايته ، و فى مد : ابنه (١٨) فى ظ : الابكار (١٩) فى ظ : ظاهرة .

و لتكن صلاتك مع المصلين أى فى جماعة ، فانك فى عداد[1] الرجال لما خصصت به من الكمال ، و لم يقل[2] : مع الراكعات ، لأن الاقتداء بالرجال أفضل و أشرف و أكمل ، و إنما قلت هذا لأنى تتبعت التوراة فلم أره ذكر [فيها - ٣] الركوع فى صلاة إبراهيم عليه السلام و لا من بعده من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و [لا - ٣] أتباعهم إلا فى موضع واحد لا يحسن جعله فيه على ظاهره ، و رأيته ذكر الصلاة فيها على ثلاثة أنحاء[4] : الأول إطلاق لفظها من غير بيان كيفية ، و الثانى إطلاق لفظ السجود مجردا ، و[5] الثالث إطلاقه مقرونا بركوع أو جثو أو خرور على الوجه و نحو ذلك ؛ ففى السفر الأول منها فى قصة إبراهيم عليه الصلاة و السلام حين ماتت زوجته سارة رضى الله تعالى عنها و سأل بنى حاث[6] أهل تلك الأرض أن يعطوه مكانا يدفنها فيه فأجابوه : فقام إبراهيم فسجد[7] لشعب الأرض بنى حاث[8] وكلمهم ؛ و فيه فى قصة ربانية قال : و سجد على الأرض و قال : يا رب - فذكر دعاء ثم قال : و صلى إبراهيم بين يدى الرب ؛ و فيه فى قصة عبد لإبراهيم عليه الصلاة و السلام أنه ذهب إلى بلاد حران[9] يخطب لإسحاق عليه السلام امرأة فظفر[10] بقصده : فجثى[11] الرجل - أى عبد[12] إبراهيم - / على الأرض /٣٦٨

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عدد (٢) فى ظ : يقع (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) فى ظ : أنحاذ - كذا (٥) سقطت الواو من ظ (٦) فى ظ : بنى حارث (٧) فى ظ : سجد - كذا (٨) فى مد : لبنى حاث ، و فى ظ : بنى حارث (٩) فى النسخ : جران - كذا (١٠) فى ظ : فظهر (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فجثى .
(١٢) فى ظ : عند .

فسجد للرب و قال: تبارك الله رب سيدى إبراهيم؛ و فيه لما[1] أجابه[2] أهل المرأة: فلما سمع غلام إبراهيم كلامهم سجد على الأرض قدام المرأة؛ و فيه عند لقاء عيصو[3] لأخيه[4] يعقوب عليه الصلاة و السلام: فدنت الأمان[5] و أولادهما فسجدوا - أى لعيصو[6]، و دنت[7] ليا و ولدها فسجدوا؛ فلما كان أخيرا دنت راحيل[8] و يوسف فسجدا[9]؛ و فيه فى قصة يوسف عليه السلام: و دنا إخوته فخروا له سجدا و قالوا له: ها[10] نحن لك عبيد؛ و فى السفر الثانى عند قدوم موسى عليه الصلاة و السلام إلى بنى إسرائيل و إخباره لهم بارسال الله سبحانه و تعالى [له -[11]] و إظهاره لهم الآيات: فآمن[12] الشعب و سمعوا أن الرب قد ذكر بنى إسرائيل[13] و أبصر[14] إلى خضوعهم، و جثا الشعب و سجدوا للرب؛ و فيه فى خروجهم من مصر: فركع الشعب كله ساجدا لله سبحانه و تعالى؛ و فيه: فاستعجل موسى فخر على وجهه على الأرض ساجدا؛ و فيه فى

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: فلما (٢) فى مد: جابه (٣) من تاريخ اليعقوبى ١/٢٨، و فى الأصول: عيسو (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: كاخيه (٥) من ظ، و فى الأصل و مد: الامتان (٦) من تاريخ اليعقوبى، و فى الأصول: لعيسوا (٧) فى ظ: ذنمت - كذا (٨) فى ظ: رحيل (٩) من مد، و فى الأصل: و ظ: فسجدوا (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: ما (١١) زيد من ظ و مد (١٢) فى ظ: فامن (١٣) زيد بعده فى الأصل: و اخباره لهم بارسال الله سبحانه و تعالى وبحاره لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اوابد.

تلق موسى عليه السلام لختنه[1] شعيب عليهما السلام إذ جاءه يهنئه بما أنعم الله عليه بعد غرق فرعون: فخرج موسى يتلق ختنه و سجد له و قبله و سأل كل منهما عن سلامة صاحبه؛ و فيه: و قال الله سبحانه و تعالى لموسى عليه الصلاة و السلام عند ما بشره بقتل الكنعانيين و غيرهم من سكان بلاد القدس: لا تسجدوا لآلهتهم و لا تعبدوها و لا تفعلوا كأفعالهم - بل كبهم كبا[2] على وجوههم و كسر أصنامهم - و اعبدوا الرب[3] إلهكم؛ و في أوائل [السفر -[4]] الثالث في ذكر ظهور مجد الرب لهم في قبة الزمان التي كانوا يصلون إليها على حياة موسى عليه الصلاة و السلام: و عاين ذلك جميع[5] الشعب و حمدوا[6] الله سبحانه و تعالى و خر[7] الشعب كله على وجهه، و في الرابع عند ما هم بنو إسرائيل بالرجوع إلى مصر[8] تضجرا[9] من حالهم: فخر موسى و هارون عليهما السلام على وجوههما ساجدين بين يدي جماعة بني إسرائيل كلها؛ و فيه: و كلم الرب موسى و هارون و قال لهما: تنحيا[10] عن هذه الجماعة لأني مهلكها[11]، فخرا ساجدين على وجوههما؛ و فيه عند ما تذمروا عليه من أجل العطش: فجاء موسى و هارون من عند الجماعة إلى باب قبة الزمان

(١) في ظ: لختنة (٢) في ظ: بما (٣) من ظ، و في الأصل و مد: للرب. (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيدت الواو بعده في مد (٦) من ظ و مد، و في الأصل: وحدوا - كذا (٧) من مد، و في الأصل و ظ: خروا (٨) في ظ: حصر (٩) في ظ: تضجزوا (١٠) من مد، و في الأصل: منتحيا، و في ظ: ينحيا (١١) في ظ: مهلكهما.

نخرا[1] على وجوههما فظهر لهما مجد الرب - فـذكر قصة ضرب الحجر بالعصا و انفجار الماء ؛ و فيه فى قصة بلعام بن باعور[2] حين رأى ملكا فى طريقه لجثا على وجهه ساجدا . . .

و أما إطلاق لفظ الصلاة فقال فى آخر السفر الثانى: وكان إذا خرج موسى عليه الصلاة و السلام إلى قبة الزمان كان جميع الشعب[3] ٥ يقفون[4] و يستعد كل امرئ منهم على باب خيمته ، و ينظرون إلى موسى عليه الصلاة و السلام من خلفه حتى[5] يدخل إلى القبة ، [و إذا دخل موسى القبة كان ينزل عمود السحاب فيقف على باب القبة ، و يكلم موسى ، و كان جميع الشعب ينظرون إلى عمود السحاب واقفا على بـاب القبة -[6]] و كان يقف جميع الشعب و يصلى كل امرئ منهم على باب ١٠ خيمته ؛ و فيه : و[7] عمل سطلا[8] من نحاس فنصبه[9] عند منظر النسوة اللاتى يأتين فيصلين على باب قبة الأمد .

و كل ما فيها من ذكر الصلاة فهكذا يطلق لفظه غير مقرون بما يرشد إلى كيفية[10] ، [11]فلا فائدة[11] فى سرده ؛ و هذه القبة أمر الله سبحانه

---

(١) فى ظ : نخروا (٢) من تاريخ اليعقوبى ١/٤٠ ، و فى الأصول : بعور .
(٣) فى ظ : السعوب (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعفون - كذا (٥) فى ظ : حين (٦) زيد من ظ و مـد (٧) سقطت الواو من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل : مبطلا ، و فى ظ : سلطا ، و السطل إناء من نحاس له عروة يحمل بها (٩) فى الأصل : فتصمها ، و فى ظ : قبضها ، و فى مد : فنصبها (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : كيفيته (١١-١١) فى ظ : فالفائدة .

و تعالى موسى عليه الصلاة و السلام باتخاذها مظهر المجد و أن يجعلها كهيئة الغمام الذى ظهر له مجده تعالى فيه فى جبل طور سيناء، و هى من غرائب الدهر فى الارتفاع و السعة و الهيئة، ففيها من الخشب و البيوت[1] و التوابيت و الأعمدة و الجواهر و صفائح الذهب و الفضة و النحاس و السرادقات و الستور من الحرير و الأرجوان و الكتان و الأطناب و غير ذلك مما[2] يكل عنه الوصف، و كله بنص[3] من الله سبحانه و تعالى على الطول و العرض و الوزن و المحل بحيث أنه كان فيها من[4] صفائح الذهب و مساميره و نحوها تسعة و عشرون قنطارا و[5] أربعمائة و ثلاثون مثقالا بمثقال القدس، و من الفضة مائة قنطار و ألف و سبعمائة و سبعون مثقالا، و من النحاس سبعون قنطارا و ألفان و أربعمائة مثقال؛ و كانت / هذه القبة تنصب فى مكان من الأرض ٣٦٩/
و ينزل بنو لاوى سبط موسى عليه الصلاة و السلام و هارون حولها يخدمونها بين يدى هارون عليه الصلاة و السلام و بنيه، و من دنا منها[6] من غيرهم احترق، و ينزل أسباط بنى إسرائيل حول بنى لاوى، لكل سبط منزلة[7] لا يتعداها من [8]شرقها و غربها[8] و جنوبها و شمالها، كل ذلك بأمر من الله سبحانه و تعالى لموسى عليه الصلاة و السلام؛ و كان

(١) فى ظ : النبوت (٢) من ظ، و فى الأصل و مد : ما (٣) فى ظ : بعض.
(٤) سقط من مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : او (٦) فى مد : منهما.
(٧) فى مد : منزله (٨-٨) من ظ، و فى الأصل و مد : شرقيها و غربيها.

السحاب يغشاها بالنهار، وكانت النار[1] تضيء عليها بالليل وتزهر، فما دام السحاب مجللا لها[2] فهم مقيمون، فاذا ارتفع عنها كان إذنا فى سفرهم.

فالذى فهمته من هذه الأماكن وغيرها أن الصلاة عندهم تطلق على الدعاء وعلى فعل هو مجرد السجود، فان ذكر معه ما يدل على وضع[3] الوجه على الأرض فذاك حينئذ[4] يسمى صلاة، وإلا كان المراد به مطلق الانحناء للتعظيم، وذلك موافق للغة، قال فى القاموس: سجد: خضع؛ والخضوع التطأمن، وأما المكان الذى [5]فيه ذكر[5] الركوع فالظاهر أن معناه: فصلى[6] الشعب كله ساجدا لله سبحانه وتعالى، لأن الركوع فى اللغة يطلق على معان[7] منها الصلاة، يقال: ركع - أى صلى، وركع - إذا انحنى كبوا[8]، والراكع من يكبو[9] على وجهه، ولا يصح حمل الركوع على ظاهره، لأنه لا يمكن فى حال السجود، وإن ارتكب فيه تأويل لم يكن بأولى مما ذكرته فى الركوع - والله سبحانه وتعالى أعلم، واحتججت باللغة لأن مترجم النسخة التى وقعت لى فى عداد البلغاء، يعرف ذلك من تأمل مواقع[10] ترجمته لها، على أنى سألت عن صلاة اليهود الآن فأخبرت أنه[11] ليس فيها ركوع، ثم رأيت البغوى

(١) من ظ، وفى الأصل: الليل، وفى مد: النهار (٢) فى ظ: محلا (٣) من مد، وفى الأصل وظ: وجه - كذا (٤) فى الأصول: وحينئذ (٥-٥) فى ظ: ذكر فيه (٦) فى ظ: فعل (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: اماكن (٨) وقع فى الأصل ومد: كبرا، وفى ظ: كثيرا، مصحفا (٩) فى ظ: يكبر (١٠) فى ظ: بتواقع (١١) من ظ ومد، وفى الأصل: ان.

صرح فى [1] تفسير قوله [1] سبحانه و تعالى "و اركعوا مع الرٰكعين" بأن صلاتهم لاركوع فيها، و كذا ابن عطية و غيرهما.

و لما كان المقصود من ذكر هذه الآيات بيان الخوارق التى كانت لآل عمران من زكريا و يحيى و عيسى و أمه [2] عليهم الصلاة و السلام للمجادلة بالحق فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام، و بيان أن ما أشكل [3] عليهم من أمره ليس خارجا عن إشكال الخوارق فى آله، و كان الرد على كل [2] طائفة بما [4] تعتقد أولى وجب [5] ذكر ذلك من الأناجيل الأربعة الموجودة الآن بين أظهر النصارى: ذكر [5] قصة يحيى عليه الصلاة و السلام فى حمله و ولادته و نبوته و ما اتفق [6] فى ذلك من الخوارق من الأناجيل، و قد مزجت بين ألفاظها فجعلتها [7] شيئا واحدا على وجه ألم بعضه بأول أمر المسيح عليه الصلاة و السلام؛ قال مترجمها فى أول إنجيل لوقا: كان فى أيام هيرودس [8] ملك اليهودية كاهن، أى حبر إمام [9]، اسمه زكريا من خدمة آل أبيا [10]، و امرأته من بنات هارون و اسمها اليصابات [11]، و كانا كلاهما تقيين قدام الله سائرين فى

(١ - ١) فى ظ: قوله لعير - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: استكل (٤) فى ظ: مما (٥-٥) سقطت من ظ (٦) فى ظ: انفق. (٧) فى ظ: فجعلها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: هيروس (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: امامه (١٠) فى ظ: اسا، و مد: آبيا (١١) فى ظ: البصابات، و فى تاريخ اليعقوبى ١/٧٢: اليسبع.

جميع وصاياه و حقوق الرب بغير عيب[1]، و لم يكن لهما ولد لأن اليصابات[2] كانت عاقرا[3]، و كانا كلاهما قد طعنا فى أيامهما، فبينما هو يكهن فى أيام ترتيب خدمته[4] أمام الله كعادة [5]الكهنوت إذ[5] بلغته نوبة[6] وضع البخور فجاء ليبخر، فدخل إلى هيكل الله و جميع[7] الشعب يصلون خارجا فى وقت البخور، فتراءى له ملاك الرب قائما عن يمين مذبح البخور، فلما رآه زكريا اضطرب و وقع عليه خوف[8] فقال له الملاك: لا تخف يا زكريا! قد سمعت طلبتك، و امرأتك اليصابات[9] تلد[10] ابنا، و يدعى[11] اسمه يوحنا، و يكون لك فرح و تهلل، و كثير يفرحون بمولده، و يكون عظيما قدام الرب، لا يشرب خمرا و لا سكرا، و يمتلىء من روح القدس و هو فى بطن أمه، و يعيد كثيرا من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم، و هو يتقدم أمامه[12] بالروح و بقوة ألياء، و يقبل[13] بقلوب الآباء على الأبناء و العصاة[14] إلى علم الأبرار، و يُعد للرب شعبا[15] مستقيما، فقال زكريا للملاك: كيف أعلم هذا و أنا شيخ و امرأتى قد طعنت فى أيامها؟ فأجاب الملاك[16] و قال: أنا[17] جبريل الواقف

(١) فى ظ ومد: غيب (٢) فى ظ: البصايات، ومن «و كانا كلاهما» إلى هنا تكررت العبارة فيه (٣) فى ظ: ماقرا (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ: الكهنوب إذا (٦) فى ظ: نوبه (٧) فى ظ: و جعل (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: حون (٩) فى ظ: البصايات (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: تلدو - كذا (١١) فى ظ: تدعى (١٢) فى ظ: امامهم (١٣) من مد، و فى الأصل: يقتل، و فى ظ: نقيل (١٤) فى ظ: العصا (١٥) فى ظ: مبلغا (١٦) فى ظ: الملك (١٧) زيد فى مد و ظ: هو.

/٣٧٠ قدام الله، أرسلت أكلمك[1] بهذا و أبشرك، و من / الآن تكون[2] صامتا[3]، لا تستطيع[4] أن تتكلم[5] إلى اليوم الذى يكون هذا.

و كان الشعب منتظرين زكريا متعجبين من إبطائه فى الهيكل، فلما خرج لم يقدر يكلمهم، فعلموا أنه قد رأى[6] رؤيا فى الهيكل، فكان يشير إليهم، و أقام صامتا، فلما كملت أيام خدمته مضى إلى بيته، و من بعد تلك الأيام حملت اليصابات[7] امرأته، و كتمت حملها خمسة أشهر قائلة: هذا ما صنع بى[8] الرب فى الأيام التى نظر إلى فيها لينزع عنى[9] العار[10] بين الناس، و لما كانت فى الشهر السادس أرسل جبريل عليه الصلاة و السلام الملاك من عند الله سبحانه و تعالى إلى مدينة فى[11] الجليل[12] تسمى ناصرة إلى عذراء خطيبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود، و اسم العذراء مريم. فلما دخل إليها الملاك قال لها: افرحى يا ممتلئة نعمة الرب معك! مباركة أنت فى النساء، فلما رأته اضطربت من كلامه و فكرت قائلة[13]: ما هذا السلام[14] فقال؟ [15]لها الملاك[15]: لا تخافى يا مريم! فقد ظفرت

(١) فى ظ: كلمك (٢) فى ظ: يكون (٣) فى النسخ: ضامنا - كذا (٤) فى ظ: لا يستطيع (٥) فى ظ: يتكلم (٦) زيد بعده فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) فى ظ: اليصايات (٨) فى ظ و مد: فى (٩) فى ظ: يمين، و فى مد: عين (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: العور - كذا (١١) زيد فى تاريخ اليعقوبى ١/٧٣: جبل (١٢) من التاريخ و مد، و فى الأصل و ظ: الخليل - كذا (١٣) فى الأصل: قابله، و فى ظ: قائلة، و فى مد: قائله (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الملام (١٥-١٥) سقط من ظ.

بنعمة من عند الله سبحانه و تعالى و أنت تقبلين حبلا و تلدين ابنا[١]، و يدعى اسمه يسوع[٢]، هذا يكون عظيما، و ابن العذراء يدعى، و يعطيه ٣ الرب الإله ٣ كرسى داود أبيه، و يملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه انقضاء[٤]، فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا و لا أعرف رجلا؟ فأجاب الملاك ٥ و قال لها: روح القدس يحل عليك و قوة العلى ٥ تقبلك، فانه ليس عند الله سبحانه و تعالى أمر عسير، فقالت مريم: هانذا[٦] عبدة[٧] الرب فيكون فىّ كقولك[٨]، و انصرف عنها الملاك، فقامت[٩] مريم فى تلك الأيام و مضت مسرعة[١٠] إلى عين كرم إلى مدينة يهودا، و دخلت إلى بيت زكريا فسلمت [على -[١١]] اليصابات[١٢]، فلما سمعت اليصابات[١٢] صوت سلام مريم تحرك الطفل فى بطنها، ١٠ فامتلأت اليصابات[١٢] من روح القدس و صرخت بصوت عظيم و قالت: مباركة أنت فى النساء! و مباركة ثمرة بطنك! من أين لى هذا أن يأتى ١٣ أمر ربى إلى، منذ وقع صوت سلامك فى أذنى تحرك الطفل بتهليل فى بطنى، فطوبى للتى آمنت أن يتم لها ما قيل[١٤] من الرب! فقالت

(١) فى ظ: ولدا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: فيسوع (٣-٣) فى ظ: الاله الرب (٤) من ظ، وفى الأصل: انقطا، وفى مد: انقصا - كذا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: هاتد (٧) فى الأصول: عبده. (٨) من مد، و فى الأصل: كفولك، و فى ظ: قولك (٩) فى ظ: فقالت. (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: مشرعة (١١) زيد من مد (١٢) فى ظ: البصايات (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يابى - كذا (١٤) فى ظ و مد: قبل.

مريم: تعظم[1] نفسى بالرب و يتهلل روحى بالله مخلصى[2] لأنه نظر إلى تواضع عبدته، و قدوس اسمه، و رحمته لخائفيه[3]، صنع[4] القوة[5] بذراعه[6] و فرق المستكبرين[7] بفكر قلوبهم، أنزل القادرين عن الكراسى و رفع المتواضعين، أشبع الجياع من الخيرات، فأقامت مريم عليها السلام

٥ [عندها ـ[8]] نحوا من ثلاثة أشهر[9] و عادت إلى بيتها.

و لما تم زمان اليصابات[10] لتلد ولدت ابنا، فسمع جيرانها و أقاربها أن الرب قد أعظم[11] رحمته معها، ففرحوا لها، فلما كان فى اليوم الثامن جاءوا ليختنوا[12] الصبى و دعوه باسم أبيه[13] زكريا فأجابت أمه قائلة: لا ولكن ادعوه يوحنا، فقالوا لها: ليس أحد[14] فى جنسك يدعى[15]

١٠ بهذا الاسم، فأشاروا إلى أبيه: ما تريد أن تسميه[16]؟ فاستدعي لوحا وكتب [قائلا ـ[8]]: يوحنا، فتعجب جميعهم، و انفتح فوه قائلا[13] من ساعته و لسانه، و تكلم و بارك، و وقع خوف عظيم على جميع جيرانهم، و تُحدث بهذا الكلام فى جميع تخوم[17] يهودا. و فكر جميع السامعين

(١) فى ظ: بعظم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مخلص (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لخايفيه (٤) فى ظ: ضع (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: للقوة. (٦) فى ظ: بذراعيه (٧) فى ظ: المتكبرين (٨) زيد من ظ و مد (٩) زيد بعده فى مد: رفقته (١٠) فى ظ: البصايات (١١) فى ظ: عظم (١٢) من مد، و فى الأصل: ليختبوا، و فى ظ: ليختنو (١٣) سقط من ظ (١٤) تأخر فى ظ عن «جنسك» (١٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بدعاه (١٦) فى الأصول: تسمية (١٧) من مد، و فى الأصل: تحرم، و فى ظ: نحوم.

فى قلوبهم قائلين : ما ذا ترى يكون من هذا الصبي ! و يد الرب كانت[١] معه ، فامتلأ[٢] زكريا أبوه من روح القدس و بدأ قائلا : [٢]تبارك الرب[٢] إله[٣] إسرائيل الذى اطلع [٤]و صنع نجاة[٤] لشعبه[٥] و أقام لنا[٦] قرن خلاص[٧] من بيت داود فتاه[٨] كالذى تكلم على أفواه أنبيائه القديسين من الأبد ، خلاص من أعدائنا و من يدى كل مبغضنا[٩] ، [١٠]صنع رحمة[١٠] مع آبائنا ، و ذكر عهدة[١١] القديس : القسم[١٢] الذى [١٣]عهد به[١٣] لإبراهيم أبينا ليعطينا[١٤] الخلاص بلا خوف من يدى أعدائنا لنخدمه بالبر و العدل قدامه فى كل أيام حياتنا ، و أنت أيها الصبى نبى العلاء تدعى ، و تنطلق[١٥] قدام وجه الرب لتصلح طريقه[١٦] ليعطى علم / الخلاص لشعبه لمغفرة[١٧] الخطايا بتحنن[١٨] و رحمة ، إلهنا الذى افتقدنا[١٩] شرق[٢٠] من العلو ليضىء للجالس فى الظلمة و ظلال الموت[٢١] لتستقيم سبل أرجلنا للسلامة .

/ ٣٧١

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كادت (٢ - ٢) فى مد : مبارك الله (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ال (٤ - ٤) فى ظ : و ضع نجاه (٥) من ظ ، و فى الأصل و مد : لشعبته (٦) فى ظ : لما (٧) فى ظ : خلاصة (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : فتاة (٩) فى مد : مبغضينا (١٠ - ١٠) فى ظ : اضع لرحمة (١١) من مد ، وفى الأصل : عهدة ، و فى ظ : عهد (١٢) سقط من ظ (١٣ - ١٣) فى ظ : عهدته (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمعطيا (١٥) فى ظ : تنطق (١٦) فى مد : طريقة (١٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمغفرة (١٨) فى ظ : بيحى - كذا (١٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : افتقرنا (٢٠) فى ظ : تسرف (٢١) فى ظ : الرب .

فأما الصبي فكان يشب و يتقوى[1] بالروح و أقام فى البرية إلى يوم ظهوره لإسرائيل ، و فى سنة خمس عشرة[2] من ولاية طيباريوس قيصر[3] و فيلاطوس[4] النبطى على اليهودية و هيرودس[5] رئيس الجليل ، و فيلفوس[6] أخوه على ربع الصورية و كورة أبطرحيون[7] ، و أوساسوس[8] رئيس على ربع الإيليا[9] ، و حنان و قيافا[10] رؤساء الكهنة ، حلت كلمة الله سبحانه و تعالى على يوحنا بن زكريا فى البرية فجاء إلى كل البلاد المحيطة بالأردن[11] يكرز[12] بمعمودية[13] التوبة لمغفرة الخطايا - كما هو مكتوب فى سفر كلام أشعيا[14] النبي - قائلا : صوت صارخ فى البرية : أعدوا[15] طريق الرب فاصنعوا[16] سبله مستقيمة ، جميع الأودية تمتلىء [و -[17]] جميع الجبال و الآكام تتضع ، و يصير الوعر سهلا و الخشنة[18] إلى طريق سهلة ، و يعاين كل ذى جسد خلاص الله سبحانه و تعالى ؛

(١) فى ظ : يقوى (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : خمسة عشرة (٣) فى ظ و مد : فيصير (٤) من تاريخ اليعقوبى ١/٧٧ ، و فى الأصول : بيلاطس (٥) من مد ، و فى الأصل : هيروس ، و فى ظ : هيردوس (٦) من التاريخ ١/٧١ ، و فى الأصل و مد ، فيلقس ، و فى ظ : فليقس (٧) فى ظ : انطرحيوان (٨) فى مد : اوسانوس (٩) فى الأصل و مد : الا باية ، و فى ظ : الابلية (١٠) فى ظ : قباقا . (١١) فى ظ : بالادرن ، و لا يتضح فى مد (١٢) من مد ، و فى الأصل : بلرز ، و فى ظ : يكون (١٣) فى ظ : تعمودية (١٤) من تاريخ اليعقوبى ١/٦٤ ، و فى الأصل و ظ : شعبا ، و فى مد : شعيا (١٥) فى ظ : اهدوا . (١٦) فى ظ : فاضعوا (١٧) زيدت الواو من ظ و مد (١٨) فى مد : الخشبة .

و فى

وفى إنجيل متى: وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان[1] يكرز فى بريـة[2] يهودا ويقول: توبوا فقد[3] اقترب[4] ملكوت[5] السماوات - هذا هو الذى فى أشعيا[6] النبى: إذ يقول صوت صارخ؛ وقال مرقس[7]: مكتوب فى أشعيا[8] النبى: هوذا أنا مرسل ملاكى أمام وجهك ليسهل طريقك قدامك، ثم استنعى[9] صوت صارخ فى البرية: أعدوا[10] طريق الرب وسهلوا سبله[11]، وكان لباس يوحنا وبر الإبل، ومنطقته جلدا على حقويه، وكان طعامه الجراد وعسل البر، حينئذ خرجوا إليه من يروشليم، وكل اليهودية وجميع كور الأردن، وكان يعمدهم[12] فى نهر الأردن معترفين بخطاياهم؛ وفى مرقس: كان يوحنا يعمد[13] فى القفر[14] [15]ويكرز بمعمودية[15] التوبة لغفران الخطايا، وكان يخرج إليه جميع

(١) فى الأصل: الغمدانى، وفى ظ: العمل اتى، وفى مد المعمد ابن - كذا، ويوحنا المعمدان: ابن زكريا واليصابات، من أنسباء يسوع المسيح، يعمد بالماء للتوبة (٢-٢) فى ظ: بكوز فى سرية، وفى مد: بكوزفى أبرية (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: فعصار - كذا (٤) فى ظ: اقترنت (٥) سقط من ظ.
(٦) من تاريخ اليعقوبى، وفى الأصول: شعيا، والمراد منه سفر أشعيا النبى.
(٧) فى ظ: مرقوص (٨) من التاريخ، وفى الأصل: شعيا، وفى ظ ومد: شعبا (٩) أى شاع وانتشر، وفى الأصول: انتفا - كذا (١٠) فى ظ: اغدوا.
(١١) فى ظ: سهله (١٢) من مد، وفى الأصل وظ: يعمرهم (١٣) فى ظ: يعمو (١٤) من ظ ومد، وفى الأصل: الفقر (١٥-١٥) فى ظ: يركز لعمودية.

كور يهودا و كل يروشليم [فيعمدهم[1] فى نهر الأردن معترفين بخطاياهم -[2]]
فقال للجمع[3] الذين يأتون إليه و يعتمدون منه : يا ثمرة الأفاعى ! و فى
متى : فلما رأى كثيرا[4] من الفريسيين[5] و الزنادقة يأتون إلى معموديته
قال لهم : يا أولاد الأفاعى - ثم اتفق هو و لوقا[6] - من دلكم على الهرب
٥ من الغضب الآتى ؟ اعملوا الآن ثمارا تليق[7] بالتوبة[8] و لا تقولوا
فى نفوسكم : إن أبانا إبراهيم ، أقول لكم : إن الله سبحانه و تعالى قادر
أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم[9] ، ها هوذا[10] الفأس موضوع
على أصول الشجر ، و كل شجرة لا تثمر ثمرة طيبة تقطع و تلقى فى
النار ، فسأله الجموع : ما ذا نصنع ؟ أجاب و قال لهم[11] : من له ثوبان
١٠ فليعط من ليس له ، و من له طعام فليصنع مثل ذلك ، فأتى[12] العشارون
ليعتمدوا[13] منه فقالوا : ما ذا نصنع[14] يا معلم ؟ فقال لهم : لا تفعلوا أكثر
مما أمرتم به ، و سأله أيضا الجند قائلين : ماذا نصنع نحن[11] أيضا ؟ فقال
لهم : لا تعيبوا[15] أحدا و لا تظلموا أحدا ، و اكتفوا بأرزاقكم .

(١) من مد ، و فى ظ : فيعمرهم (٢) ما بين الحاجزين زيد من ظ و مد .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : للجميع (٤) فى الأصول : كثير (٥) من ظ
و مد ، و فى الأصل : الفرسيين (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يوقا (٧) فى
ظ : يليق (٨) زيد بعده فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٩) فى ظ : ابراهيم (١٠) من مد ، و فى الأصل : هاهوذ ، و فى ظ : ماهوذ .
(١١) سقط من ظ (١٢) من مد ، و فى الأصل : فابى ، و فى ظ : ناتى (١٣) من
ظ و مد ، و فى الأصل : ليصتهدوا - كذا (١٤) من مد ، و فى الأصل و ظ :
تصنع (١٥) فى ظ : لا تغبنوا .

و إن جميع الشعب فكروا فى قلوبهم[١] و ظنوا أن يوحنا المسيحُ،
أجابهم [يوحنا -[٢]] أجمعين و قال لهم: أما أنا فأعمدكم بالماء للتوبة،
و سيأتى الذى هو أقوى منى[٣]، الذى لا أستحق[٤] أن أحل سيور حذائه؛
و قال متى: لا أستحق[٤] أن أحمل حذاءه[٥]؛ و قال مرقس[٦]: [٧]و كان[٧]
يبشر قائلا: الذى يأتى بعدى أقوى منى، لست أهلا - [٨]أعنى لحل[٨] ٥
سيور حذائـــه، أنا أعمدكم بالماء و هو يعمدكم بروح القدس و النار،
[الذى -[٢]] بيده المرفش[٩]، ينقى[١٠] به الذرة[١١]، و يجمع القمح إلى
أهرائه[١٢]، و يحرق التبن بنار لا تطفأ[١٣]، و لا يخبز[١٤] الشعب، و يبشرهم بأشياء
كثيرة؛ و فى إنجيل يوحنا: كان إنسان[١٥] أرسل من الله، اسمه يوحنا،
جاء للشهادة للنور الذى هو نور الحق [الذى -[٢]] يضىء لكل إنسان، ١٠

---

(١) فى ظ: قلوبكم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد، و فى الأصل: معى، و فى ظ: من (٤) فى ظ: لا استحى (٥) من مد، و فى الأصل: جدا، و فى ظ: حداه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: مرقش (٧-٧) سقط من ظ. (٨-٨) من مد، و فى الأصل: اغى كل، و فى ظ: اعتى محل (٩) يقال: رفش القمح: جرفه، و فى الأصل: المرقش، و فى ظ و مد: الرقش (١٠) من مد، و فى الأصل: يبقى، و فى ظ: يتقى (١١) من ظ، و فى الأصل و مد: ابذره - كذا (١٢) من ظ و مد، جمع الهرى و هو البيت الكبير الذى يجمع فيه القمح و نحوه، و فى الأصل: اعدايه (١٣) من مد، و فى الأصل: لا تطفى، و فى ظ: لا يطفى (١٤) فى مد: لا يخبر (١٥) فى ظ: انسانا.

الآتى إلى العالم[1] ، إلى خاصته ، [2]جاء و[2] خاصته لم تقبله[3] ، فأما الذين
قبلوه فأعطاهم سلطانا ، و الكلمة صارت[4] جسدا ، و حل فينا ، / و رأينا ٣٧٢/
مجده مجدا مثل الوحيد الممتلىء نعمة ، و حقا يوحنا شهد[5] من أجله
و صرخ و قال : هذا الذى قلت إنه يأتى بعدى كان قبلى[6] ، لأنه أقدم
٥ منى ، و من امتلائه نحن بأجمعنا أخذنا نعمة من أجل أن الناموس
بموسى أعطى ، و النعمة و الحق [7]أوحيا بيسوع[7] المسيح[8] الذى لم يره
أحد قط[8] ، الابن الوحيد .

هذه شهادة يوحنا إذ[9] أرسل إليه اليهود من يروشليم كهنة
و لاويين[10] - أى ناسا من أولاد لاوى ١١ - ليسألوه : من أنت ، فاعترف
١٠ و أقر أنى لست المسيح ، فسألوه : فمن أليـاء؟ فقال : لست أنا النبى ،
قال : كلا ! فقالوا له : فمن أنت لنرد الجواب إلى الذين أرسلونا ، ما ذا تقول
عن نفسك؟ قال : أنا الصوت الصارخ فى البرية : سهلوا طريق الرب - كما قال
أشعيا[12] النبى . فأما أولئك الذين أرسلوا فكانوا من الفريسيين فقالوا :
ما بالك تعمد إن كنت لست المسيح و لا أليـاء و لا النبى؟ أجابهم
١٥ يوحنا : أنا أعمدكم بالماء ، و فى وسطكم قائم ذاك[13] الذى لستم[14] تعرفونه ،

(١) زيد بعده فى ظ ومد : فى العالم (٢-٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : جار .
(٣) من مد ، و فى الأصل : لم تقتله ، وفى ظ : لم تقبل (٤) فى ظ و مد : صار .
(٥) فى ظ : يعمد (٦) فى ظ : قبل (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : اوحى
يشوع ، و فى مد : اوحيا بيشوع (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ و مد : اذا .
(١٠) فى ظ : لاوين (١١) فى ظ : لاو (١٢) من التاريخ ٧٤/١ ، و فى الأصول :
شعيا (١٣) فى ظ : ذلك (١٤) فى ظ : لست .

الذى يأتى بعدى [و -[1]] هو أقوى منى ، و هو قبلى[2] كان ، ذاك الذى لست مستحقا أن أحل سيور حذائه . هذا كان فى بيت عنيا فى عبر[3] الأردن حيث كان يوحنا [[4] - يعمد . قال لوقا : فأما هيرودس [5]رئيس الربع[5] فكان يوحنا] يبكته من أجل هيروديا امرأة أخيه فيلفوس[6] و لأجل الشر الذى كان هيرودس[7] يفعله ، و زاد على ذلك أنه طرح يوحنا فى السجن ؛ و قال مرقس و قد ذكر آيات أظهرها المسيح : وسمع هيرودس الملك و قال : إن[8] يوحنا المعمدان[9] قام من الأموات ، و من أجل تلك القوات[10] يعمل ، و قال آخرون : إنه أليا ، و آخرون : إنه نبى كواحد من الأنبياء ، فلما سمع هيرودس ١١قال : أنا قطعت رأس يوحنا ؛ و فى متى : و فى ذلك الزمان سمع هيرودس ١١ [12]رئيس الربع[12] خبر يسوع١٣ فقال لغلمانه : هذا [هو -[14]] يوحنا المعمدان[15] ، و هو قام من الأموات ، من أجل هذه القوات[16] يعمل ، و كان هيرودس قد

(١) زيدت الواو من ظ (٢) فى ظ : قبل (٣) من مد ، و فى الأصل : عير ، و فى ظ : غير (٤) العبارة المحجوزة زيدت من ظ ومد (٥-٥) وقع فى ظ ومد : و بئس الربيع - مصحفا ، و المراد بالربع ربع الجليل (٦) من التاريخ ١/٧١ ، و فى الأصول : فيلقس (٧) فى ظ : فيرودس (٨) فى ظ : انه (٩) فى الأصل : العمدانى ، و فى ظ : الغمدانى ، و فى مد : المعمدانى - كذا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : الفوات (١١-١١) سقطت من ظ (١٢-١٢) وقع فى الأصول : و بيس الربيع - كذا مصحفا (١٣) فى مد : يشوع (١٤) زيد من ظ و مد . (١٥) فى الأصول : العمدانى - كذا (١٦) زيد بعده فى ظ و مد : التى .

أمسك يوحنا و شده و جعله فى السجن، و قال مرقس[١]: و حبسه من أجل هيروديا امرأة[٢] فيلفوس[٣]، لأنــه كان قد تزوجها و قال له يوحنا: ما يحل لك أن تأخذ امرأة أخيك، و كانت هيروديا حنقة[٤] عليه تريد قتله، و لم تقتله[٥] لأن هيرودس كان يخاف من يوحنا، لأنه يعلم أنه رجل صديق قديس و يحفظه و يسمع منه كثيرا بشهوة[٦]، و كان فى يوم من الزمان وافى[٧] هيرودس مولود، فصنع وليمة لعظمائه و رؤسائه و مقدمى الجليل، و دخلت ابنة هيروديا فرقصت، فوافق ذلك هيرودس و جلساءه، فقال الملك للصبية[٨]: سلى ما أردت فأعطيك! و حلف لها أنى[٩] أعطيك ما سألت و لو كان نصف ملكى، فخرجت [١٠]و قالت[١٠] لأمها: أى شىء أسأله؟ فقالت[١١]: رأس يوحنا المعمدان[١٢]، فرجعت[١٣] للوقت بسرعة إلى الملك و سألت رأس يوحنا على طبق، فحزن الملك، و من أجل اليمين و المتكئين[١٤] لم يرد منعها،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مرقش (٢) زيد بعده فى الأصل: حنقة عليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من تاريخ اليعقوبى ١ / ٧١، و فى الأصول: فيلقس (٤) أى مغتاظة، و فى ظ و مد: حنقه (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: يقتله (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بسهوه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: و انى (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: لصبية (٩) فى ظ و مد: انى (١٠-١٠) ما بين الرقمين تأخر فى الأصل عن «لأمها» (١١) فى ظ: فقال. (١٢) فى الأصل و ظ: العمدانى، و فى مد: المعمدانى (١٣) فى ظ: فخرجت. (١٤) فى ظ: المتكئمين، و فى مد: المنلبين - كذا.

فأنفذ[1] سيافا من ساعته[2] و أمر أن يؤتى برأسه فى طبق، فمضى و قطع رأسه[3] فى الحبس[3] و جاء به فى طبق و أعطاه للصبية، فأخذته الصبية و دفعته لأمها؛ و سمع تلاميذه فجاؤا و رفعوا جثته و جعلوها فى قبر؛ قال متى: و جاء تلاميذه فأخذوا جسده و دفنوه، و أتوا فأخبروا يسوع[4]، فلما سمع يسوع مضى من هناك فى سفينة إلى البرية مفردا، ٥ فسمع الجمع فتبعوه ماشين[5] من المدن[6]، فلما خرج أبصر جمعا كثيرا فتحنن[7] عليهم و أبرأ[8] [أعلاءهم و مرضاهم -[9]] انتهى.

و لما أتى نبينا صلى الله عليه و سلم بهذه الأخبار الغريبة المحررة العجيبة التى لا يعرفها على وجهها إلا الحذاق من علماء بنى إسرائيل كان من حق سامعها أن يتنبه من[10] غفلته و يستيقظ من رقدته، لأنها منبهة ١٠ بنفسها للمنصف[11] الفطن على أن الآتى بها - و السامع خبير بأنه لم يخالط عالما [قط -[9]] - صادق لا مرية فى صدقه فى كل ما يدعيه عن الله سبحانه و تعالى، و كان من حق / من يتنبه[12] أن يبادر إلى الإذعان فيصرح ٣٧٣ / بالإيمان، فلما [13]لم يفعلوا[13] التفت[14] إلى[15] تنبيه النبى[15] و تبكيت

(١) من مد، و فى الأصل: فاقدت، و فى ظ: فانفد (٢) زيد بعده فى الأصل: عنه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣-٣) سقط من ظ و مد (٤) فى مد: يشوع (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: ماشيين (٦) فى ظ: الميدن (٧) فى ظ: فتحتن (٨) فى الأصل و مد: ايد، و فى ظ: ابو - كذا (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ: عن (١١) فى ظ: للصنف - كذا. (١٢) فى ظ و مد: يتنبه (١٣-١٣) فى ظ: يفعلوا (١٤) فى ظ: اتنبه، و فى مد: الفت (١٥-١٥) من مد، و فى الأصل: تنبه الفتى، و فى ظ: تنبيه العين.

العتى[1] فقال: ﴿ ذلك ﴾ أى الخطاب العلى المقام[2] الصادق المرام البديع النظام ﴿ من انبآء الغيب نوحيه ﴾ أى نجدد إيحاءه[3] فى أمثاله ﴿ اليك ﴾ فى كل حين، فما كنت لديهم فى هذا الذى ذكرناه لك يوما [على هذا التحرير مع الإعجاز فى البلاغة -[4]]، و[5] يجوز أن تكون الجملة حالا تقديرها: ﴿ و ﴾ الحال[6] أنك ﴿ ما[7] كنت ﴾ و لما كان هذا مع كونه من أبطن السر[8] هو من أخفى العلم[9] عبر فيه بلدى[10] لما هو فى أعلى رتب الغرابة كما تقدم فى قوله: "هو من عند الله" و كررها زيادة فى تعظيمه و تنبيها على أنه مما يستغرب جدا حتى عند أهل الاصطفاء فقال: ﴿ لديهم ﴾ قال الحرالى: لدى[11] هى "عند"[12] حاضرة لرفعة ذلك الشىء الذى ينبأ به[13] عنه - انتهى. ﴿ [14]اذ يلقون[14] ﴾ [15]لأجل القرعة[15] - ﴿ اقلامهم ﴾ [قال الحرالى: جمع قلم، و هو مظهر الآثار المنبئة عما وراءها من الاعتبار - انتهى -[4]] ﴿ ايهم[16] ﴾

---

(١) من مد، و فى الأصل: الفتى، و فى ظ: العنى (٢) فى ظ و مد: التام. (٣) من مد، و فى الأصل: انجاة، و فى ظ: ايجاده (٤) ما بين الحاجزين زيد من ظ و مد (٥) زيد بعده فى ظ: ما (٦) فى ظ: والحد (٧) من مد، و فى الأصل: و ما، و سقط من ظ (٨) من مد. و فى الأصل و ظ: الشبر (٩) فى ظ: العلى (١٠) زيد فى الأصول: لأنها (١١) من ظ، و فى الأصل و مد: الذى (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عندى (١٣) سقط من مد (١٤-١٤) ما بين الرقمين - مع «اقلامهم» الآتى - تقدم فى الأصل على «قال الحرالى» السابق. (١٥-١٥) تقدم فى الأصل على "و" الحال انك "ما كنت" (١٦) سقط من ظ.

أى يستهمون[1] [أيهم -[2]] ﴿ يكفل مريم ﴾ أى يحضنها و يربيها تنافسا فى أمرها[3] لما شرفها الله تعالى به ﴿ و ما كنت لديهم اذ ﴾ أى حين ﴿ يختصمون ﴾ أى فى ذلك حتى نقصّ[4] مثل هذه الأخبار على هذا الوجه السديد[5] - يعنى أنه لا وجه لك إلى علم ذلك إلا بالكون معهم إذ ذاك ،[6] أو أخذ ذلك عن[7] أهل الكتاب ، أو بوحى[8] منا ؛ و من الواضح الجلى أن بُعد نسبتك[9] إلى التعلم من البشر كبعد نسبتك[10] إلى الحضور بينهم فى ذلك الوقت ، لشهرتك بالنشأة أميا[11] مباعدا للعلم و العلماء حتى ما يتفاخر به قومك من السجع[12] و معاناة[13] الصوغ لفنون الكلام على الوجوه الفائقة ، فانحصر إخبارك بذلك فى الوحى منا ، و جعل هذا التنبيه فى نحو وسط هذه القصص ليكون السامع على ذكر مما مضى و يلقى السمع و هو شهيد لما بقى ، و جعله بعد الافتتاح بقصة مريم عليها السلام تنبيها على عظم شأنها و أنها المقصودة بالذات للرد [على -[14]] و فد نصارى نجران ، و كأنه أتبع التنبيه ما كان فى أول

(١) فى الأصل مع « اذ يلقون اقلامهم » متأخر عن «لديهم» ، و فى ظ فقط : يسهمون (٢) زيد من ظ و مد ، غير أن فى ظ عليه علامة الآية (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : امره (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقصر (٥) فى ظ و مد : الشديد - كذا بالشين المعجمة (٦) زيد فى ظ : اى (٧) فى ظ : على . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يوحى (٩) من مد ، و فى الأصل : نسبك ، و فى ظ : نسيك (١٠) فى ظ : نسيتك (١١) فى ظ : امنا (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الشجع (١٣) فى مد : معناه (١٤) زيد من مد .

القصة من اقتراعهم بالأقلام و اختصامهم فى كفالتها لخفائه إلا على خواص أهل الكتاب ، هذا مع ما فى مناسبة الأقلام للبشارة بمن يعلمه الكتاب ، و استمر فى إكمال المقال[1] على ذلك الأسلوب الحكيم حتى تمت الحجة و استقامت المحجة فقال تعالى مبدلا من "إذ"[2]

٥ الأولى إيذانا[3] بأن ما بينهما اعتراض لما نبه عليه من شريف الأغراض[4]: ﴿ اذ قالت الملئكة يمريم ﴾ و لما كانت هذه السورة[2] سورة التوحيد المقتضى للتفرد[5] بالعظمة عبر بما صدرت به من اسم الذات الجامع لجميع الصفات فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له ، فلا راد لأمره ﴿ يبشرك ﴾ و كرر هذا الاسم الشريف فى هذا المقام

١٠ زيادة فى إيضاح هذا المرام بخلاف ما يأتى فى سورة مريم عليها السلام ، و قوله : ﴿ بكلمة ﴾ أى مبتدئة ﴿ منه ﴾ من غير واسطة أب هو[6] من تسمية المسبب باسم السبب ، و التعبير بها أوفق لمقصود السورة و أنفى[7] لما يدعيه المجادلون فى[8] أمره ، ثم بين أنه ليس المراد بالكلمة[9] حقيقتها ، بل ما يكون عنها و يكون فعالا بها[10] فقال مذكرا للضمير :

١٥ ﴿ اسمه ﴾ أى[2] الذى يتميز به عمن سواه مجموع[2] ثلاثة أشياء :

---

(١) فى ظ : المقام ، و زيد بعده فيه و فى الأصل : فى مناسبة ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الايذا . (٤) من مد ، و فى الأصل : الأعراض ، و فى ظ : الاعواض (٥) فى ظ : للتغير (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : وهو (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابقى كذا (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : من (٩) فى ظ : بكلمة (١٠) فى ظ : لها .

﴿ المسيح ﴾ أصل[1] هذا الوصف أنه كان فى شريعتهم: من مسحه الإمام بدهن القدس كان طاهرا[2] متأهلا للملك و العلم و المزايا[3] الفاضلة مباركا، فدل سبحانه و تعالى على أن عيسى عليه الصلاة و السلام ملازم للبركة الناشئة عن المسح و إن لم يُمسَح؛ و أما وصف الدجال[4] بذلك فاما أن يكون لما كان هلاكه على يد[5] عيسى عليه الصلاة و السلام ٥ وصف بوصفه - من باب التسمية بالضد، و إما أن يكون إشارة إلى أنه ملازم للنجاسة فهو بحيث لا ينفك - و لو مسح - عن[6] الاحتياج إلى التطهير[7] بالمسح من الدهن / الذى يمسح بـه المذنبون و من كان به ٢٧٤ / برص و نحوه فيبرأ - و الله سبحانه و تعالى أعلم.

و لما وصفه بهذا الوصف الشريف ذكر اسمه فقال: ﴿ عيسى ﴾ ١٠ و بين أنه[8] يكون منها وحدها[9] من غير ذكر بقوله موضع "ابنك[10]": ﴿ ابن مريم ﴾ و ذلك أنى لما ضل به من ضل[11] فى أمره[11]، و أوضح فى تقرير مقصود السورة و فى تفخيم هذا الذكر بجعله نفس الكلمة وبابهامه[12] أولا ثم تفسيره، و قوله "اسمه[13]" تعظيم لقدره[11] و بيان لفضله

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اهل (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: ظاهرا.
(٣) من مد، و فى الأصل: الرايا، و فى ظ: الولايات (٤) فى الأصول: الرجال (٥) فى ظ: يدى (٦) فى ظ: على (٧) زيدت الواو بعده فى ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٩) فى ظ و مد: وجدها (١٠) فى ظ: ابنه.
(١١-١١) سقط من مد (١٢) من مد، و فى الأصل: باتهامه، و فى ظ: بايهامه.
(١٣) من مد، و فى الأصل: اسم، و قد سقط من ظ (١٤) فى الأصول: لقدرة - كذا.

على يحيى عليهما[1] السلام حيث لم يجعل له فى البشارة به مثل هذا الذكر، ثم أتم لها البشارة بأوصاف جعلها أحوالا دالة[2] على أنه يظهر اتصافه بها حال[3] الولادة تحقيقا لظهور أثر الكلمة عليه فقال: ﴿ وجيها ﴾ قال الحرالى: صيغة مبالغة مما منه الوجاهة، و أصل معناه الوجه و هو الملاحظ المحترم[4] بعلو ظاهر فيه - انتهى. ﴿ فى الدنيا ﴾ و لما كان ذلك قد لا يلازم الوجاهة بعد الموت قال: ﴿ و الأخرة ﴾ و لما كانت الوجاهة ثم مختلفة ذكر أعلاها عاطفا[5] بالواو إشارة إلى تمكنه فى الصفات فقال: ﴿ و من المقربين ﴾ أى عند الله.

و لما كان ذلك قد لا يقتضى خرق العادات قال: ﴿ و يكلم الناس ﴾ أى مَن كلمه من جميع هذا النوع، بأى لسان كان [كله -[6]]، حال كونه ﴿ فى المهد ﴾ قال الحرالى: هو موطن[7] الهدوء و السكون [8]للتحسس اللطيف الذى يكون بذلك [9]السكون و الهدو[9] قوامه - انتهى. و بشرها بطول حياته بقوله: ﴿ [1]وكهلا ﴾ أى بعد نزوله من السماء فى خاتمة اليوم المحمدى، و يكون كلامه فى[10] الحالتين كلام الأنبياء من غير تفاوت.

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: عليه (٢) من ظ و مد، و فى الاصل: دلالة.
(٣) فى ظ: حالة (٤) فى ظ: المحتوم، و فى مد: المجترم (٥) سقط من ظ.
(٦) زيد من مد و ظ، غير أن فى ظ: كلمة (٧) فى ظ: موضع (٨) العبارة من هنا إلى «والهدو» سقطت من ظ (٩-٩) فى مد: الهدو والسكون (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: من.

قال

قال الحرالى: و الكهولة سن من أسنان أرابيع الإنسان، و تحقيق حده أنه الربع[1] الثالث الموتر لشفع[2] متقدم سنيه[3] من الصبا و الشباب فهو خير عمره، يكون فيمن[4] عمره ألف شهر - بضع و ثمانون سنة - من حد نيف و أربعين [5]إلى بضع[5] و ستين، إذا قسم الأرباع لكل ربع إحدى و عشرون سنة صبا، و[6] إحدى وعشرون[7] شبابا، و إحدى وعشرون كهولة، و إحدى و عشرون شيوخة[8]، فذلك بضع و ثمانون سنة - انتهى. و هذا تحقيق ما اختلف من كلام أهل اللغة، [5]و قريب منه قول الإمام أبي منصور عبد الملك بن أحمد الثعالبي فى الباب الرابع عشر من كتابه فقه اللغة[5]: ثم ما دام بين الثلاثين والأربعين فهو[9] شاب، ثم كهل إلى أن يستوفى الستين؛ و يقال: شاب الرجل، ثم شمط[10]، ثم شاخ، ثم كبر - انتهى[11]. و الكهل - قال أهل اللغة - مأخوذ من: اكتهل النبات[12] - إذا تم طوله قبل أن يهيج، و كلام الفقهاء لا يخالفه، فان مبناه[13] العرف، فالنص على كهولته إشارة لأمه بأنه ممنوع من أعدائه إذا قصدوه[14]، و تنبيه على أن دعواهم لصلبه كاذبة.

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: الرابع (٢) فى ظ: للشفع (٣) من مد، و فى الأصل: سنية، و فى ظ: سينه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فيهن (٥-٥) سقط من ظ (٦) العبارة من هنا إلى «شبابا» سقطت من ظ (٧) من مد، و فى الأصل: وعشرين (٨) فى الأصول: شيخة - كذا (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: هو (١٠) فى الأصول: سمط - كذا بالسين المهملة (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ: النبات (١٣) فى ظ: مثناة (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تصدره.

و لما كانت رتبة الصلاح فى غاية العظمة قال مشيرا إلى علو مقدارها: ﴿ و من الصلحين ﴾ و معلما بأنها محيطة بأمره[١]، شاملة لآخر عمره، كما كانت مقارنة لأوله، وكأنها[٢] لما سمعت ذلك امتلأت تعجبا فاستخفها[٣] ذلك إلى الاستعجال[٤] بالسؤال قبل إكمال المقال بأن ﴿ قالت[٥] رب ﴾ أيها المحسن إلى ﴿ أنى ﴾[٦] أى من أين وكيف[٦] ﴿ يكون لى ﴾ و لما كان استبعادها لمطلق الحبل، لا بقيد[٧] كونه ذكرا كما فى قصة زكريا عليه السلام [قالت -[٨]] ﴿ ولد ﴾ و قالت: ﴿ و لم يمسسنى بشر ﴾ لفهمها ذلك من نسبته إليها فقط[٩]. قال الحرالى: و البشر هو اسم المشهود من الآدمى فى جملته بمنزلة الوجه فى أعلى قامته[١٠]، من معنى البشرة، و هو ظاهر الجلد [انتهى -[٨]] (و لعل هذا الكلام خطر لها و لم تلفظ به فعلم الملك عليه السلام أنه شغل فكرها فأجابها عنه لتفريغ[١١] الفهم بأن ﴿ قال كذلك ﴾ أى مثل هذا [الفعل -[١٢]] العظيم الشأن العالى[١٣] الرتبة[١٤] يكون ما بشرتك[١٥] به) و لما كان استبعادها لمطلق التكوين من

(١) فى ظ: بامر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: كانت (٣) من ظ، و فى الأصل و مد: فاستحقها (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: الاستجعال (٥) فى ظ: قال (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل تأخر عن « عليه السلام » (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: مقيد (٨) زيد من ظ و مد (٩) زيد بعده فى مد: كما. (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: اقامته (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: لتقريع (١٢) زيد من مد، و فى ظ: الفضل (١٣) فى ظ: العلى (١٤) العبارة من هنا إلى « بالخلق فقال » متقدمة فى الأصل على « "ولد" و قالت » (١٥) فى ظ: بشرك.

غير سبب أصلا عبر[1] فى تعليل ذلك بالخلق فقال: ﴿ الله ﴾[2] أى الملك الأعظم الذى لا / اعتراض عليه[2] ﴿يخلق﴾ أى يقدر و يصنع و يخترع ﴿ما يشاء ط﴾ فعبر بالخلق إشارة إلى أن العجب[3] فيه لا فى مطلق الفعل كما فى يحيى عليه السلام من جعل الشيخ كالشاب، ثم علل ذلك بما بين سهولته فقال: ﴿ اذا قضىٰ امرا ﴾ أى جل أو قل ﴿ فانما يقول له كن فيكون ه ﴾ بيانا للكلمة، فلما[4] أجابها عما شغل قلبها من العجب فتفرغ[5] الفهم[6] أخذ فى إكمال المقال بقوله عطفا على "و يكلم الناس" - بالياء كما قبله فى قراءة نافع و عاصم، و بالنون فى قراءة الباقين نظرا إلى العظمة إظهارا لعظمة العلم: ﴿ و يعلمه[7] ﴾ أو[8] يكون مستأنفا فيعطف على [ما -[9]] تقديره: فنخلقه[10] كذلك[11] و نعلمه ﴿الكتٰب﴾ أى الكتابة[12] أو جنس الكتاب فيشمل ذلك معرفة الكتاب و حفظه و فهمه[13] و غير ذلك من أمره ﴿و الحكمة﴾ أى العلوم[14] [الإلٰهية

/ ٣٧٥

(١) فى مد و ظ: و عبر (٢-٢) سقطت من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تعجب (٤) فى ظ: و لما (٥) فى ظ: فيفرغ، و فى مد: ففرغ - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل: للفهم، و لا يتضح فى مد (٧) بصيغة الغائب عطفا على «يبشرك» أو على «يخلق» أو على «يكلم» و فى الأصول: نعلمه - كذا بالنون و هو يقتضى الاستئناف الآتى بيانه؛ قرأ أهل المدينة و عاصم و يعقوب و سهل «و يعلمه» بالياء، و الباقون بالنون - راجع روح المعانى (٨) فى ظ «و».
(٩) زيد من مد و ظ (١٠) فى الأصل: فيخلقه، و فى ظ و مد: فتخلقه.
(١١) فى ظ: لذلك (١٢) من مد، و فى الأصل و ظ: الكتاب (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فيه (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بالعلوم.

لتفيده[1] تهذيب الأخلاق فيفيض عليـــه -[2]] قول الحق و فعله على أحكم الوجوه [بحيث - ٢] لا يقدر أحد على نقض[3] شيء مما يبرمه[4].

و لما وصفه بالعلوم النظرية و العملية[5] فصار متأهلا لأسرار الكتب الإلٰهية قال: ﴿ و التورٰىة ﴾ أى التى تعرفينها ﴿ و الإنجيل ﴾ بانزاله ٥ عليه تاليـا لها، و تأخيره فى الذكر يفيد تعظيمه بأن ما قبله مقدمات لتلقيه؛ و لا يصح عطفه على: فيكون، لأنه فى حيز[6] الشرط فيقتضى اتصاف كل[7] مقضى[8] بهذه الأوصاف كلها.

و لما ذكر الكتاب المنزل عليه حسن ذكر الرسالة فقال بعد ما أفاد عظمتها بجعله[9] ما مضى مقدمات لها: ﴿ و رسولا ﴾ عطفا على «تاليا» ١٠ المقدر، أو ينصب بتقدير: يجعله[10] ﴿ الى بنى اسرآءيل ﴾ أى بالإنجيل.

و لما كان ذكر الرسالة موجبا لتوقع الآية دلالة[11] على صحتها، و كان من شأن الرسول مخاطبة المرسل إليهم و إقباله بجميع رسالتـــه عليهم اتبعه ببيان[12] الرسالة مقرونا بحرف التوقع[13] فقال: ﴿ انى ﴾ أى ذاكرا أنى ﴿ قد جئتكم بٰاية من ربكم ﴾ أى[14] الذى طال إحسانه إليكم، ١٥ ثم أبدل من «اٰية» ﴿ انى اخلق لكم ﴾ أى لأجل تربيتكم بصنائع[15] الله

(١) فى ظ: ليفيده (٢) زيد مابين الحاجزين من ظ و مد (٣) من ظ، و فى الأصل: نقص، و لا يتضح فى مد (٤) فى مد: ابرمه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: العلمية (٦) فى ظ: خـير (٧) من ظ و مـد، و فى الأصل: بل. (٨) فى ظ: مقتضى (٩) فى مد: تجعله (١٠) فى مد: تجعله (١١) فى ظ: دالة (١٢) فى ظ: شان (١٣) فى ظ: التواقع - كذا (١٤) سقط من مد (١٥) وقع فى ظ: بضياع - كذا مصحفا.

من

﴿ من الطين ﴾ قال الحرالى : هو متخمر[1] الماء و التراب حيث يصير متهيئا[2] لقبول وقوع الصورة فيه ﴿ كهيئة ﴾ و هى كيفية وضع أعضاء الصورة بعضها من بعض التى يدركها ظاهر الحس - انتهى . ٣ و هى الصورة[3] المتهيئة[4] لما يراد[5] منها[6] ﴿ الطير ﴾ ثم ذكر احتياجه فى إحيائه[7] إلى معالجة بقوله[8] معقبا للتصوير : ﴿ فانفخ ﴾ قال الحرالى : من النفخ ، ٥ و هو إرسال الهواء من منبعثه بقوة [انتهى -[9]] . ﴿ فيه ﴾ أى فى ذلك الذى هو مثل الهيئة ﴿ فيكون طيرا ﴾ أى طائرا بالفعل - كما فى قراءة نافع ، و ذكر المعالجة لئلا يتوهم أنه خالق حقيقة ، ثم أكد ذلك إزالة[10] لجميع الشبه بقوله : ﴿ باذن الله ج ﴾ أى بتمكين الملك الأعظم الذى له جميع صفات الكمال ، له روح كامل لحمله فى الهواء تذكيرا بخلق ١٠ آدم عليه السلام من تراب ، و إشارة إلى أن هذا أعجب من خلق آدمى[11] من أنثى فقط فلا تهلكوا فى ذلك .

و لما ذكر ما يشبه أمر آدم عليه السلام أتبعه علاج أجساد أولاده بما يردها إلى معتادها [بما يعجز أهل زمانه ، و كان الغالب عليهم الطب -[12]] و بدأ بأجزائها[13] فقال : ﴿ و ابرئ ﴾ قال الحرالى : من الإبراء ١٥

(١) فى ظ : متحمر (٢) فى ظ : متضيا (٣-٣) فى ظ : وهل بصورة (٤) فى ظ : المتهياة ، وفى الأصل : المهياة (٥) فى ظ : يراه (٦) العبارة من «وهى الصورة» إلى هنا سقطت من مد (٧) فى ظ : احبابه (٨) فى ظ : تقوله (٩) زيد من ظ ومد (١٠) من ظ ومد ، و فى الأصل : ازاله (١١) من ظ ومد ، و فى الأصل : ادم (١٢) من مد ، و فى ظ : الطيب ، و العبارة المحجوزة زيدت من ظ ومد. (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : باخرايها

و هو تمام التخلص من الداء، و الداء[1] ما يوهن[2] القوى و يغير الأفعال العامة للطبع و الاختيار - انتهى. ﴿ الاكمه و الابرص ﴾ بايجاد ما فقد منهما[3] من الروح المعنوى؛ و الكمه - قال الحرالى - ذهاب البصر فى أصل الخلقة كالذى يولد أعمى أو يعمى قبل أن يميز الأشياء أو يدركها.

٥ و البرص أصل معناه: تلمع الشيء بلمع[4] خلاف ما هو عليه، و منه براص الأرض - لبقع[5] لا نبت فيها، و منه البريص فى معنى البصيص، فما تلمع من الجلد على غير حاله[6] فهو لذلك[7] برص. و قال الحرالى: البرص عبارة عن[8] سوء مزاج يحصل بسببه تكرج[9]، أى فساد بلغم يضعف القوة المغيرة[10] عن إحالته[11] إلى لون الجسد - انتهى.

١٠ و لما فرغ من رد الأرواح إلى أجزاء الجسم[12] أتبعه رد الروح الكامل فى جميعه المحقق لأمر البعث المصور له باخراجه من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فى بعض / الآدميين فقال: ﴿ و احى الموتى ﴾ أى برد أرواحهم إلى أشباحهم، بعضهم بالفعل و بعضهم بالقوة، لأن الذى أقدرنى على البعض قادر على ذلك فى الكل، و قد أعطانى قوة ذلك، /٣٧٦

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: و الزا (٢) فى ظ: توهن (٣) فى ظ و مد: متهما - كذا (٤) فى الأصول: يلمع (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: ابقع (٦) فى ظ: حالة (٧) فى ظ: كذلك (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٩) فى الأصل: تكوح، وفى ظ: يكرح، و فى مد: تكوج (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: الغيرة (١١) فى ظ: حالته (١٢) فى ظ: الجسد.

و هذا كما نقل القضاعى أن الحسن قال: أتى رجل رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر أنه طرح بنيّة له فى وادى كذا[١] ، فمضى معه إلى الوادى و ناداها باسمها: يا فلانـــة! أجيبى[٢] باذن الله سبحانه و تعالى! فخرجت و هى تقول: لبيك و سعديك! فقال لها[٣]: إن أبويك قد أسلما[٤] فان أحببت[٥] أردك إليهما[٥]، فقالت: لا حاجة [لى-[٦]] بهما، وجدت الله خـــيرا لى منهما. و قد تقدم فى البقرة عند "ارنى كيف تحيى[٧] الموتى" ما ينفع هنا، و قصة قتادة بن دعامة فى رده صلى الله عليه و سلم عينه[٨] بعد أن أصابها سهم[٩] فسالت على خده، فصارت أحسن من أختها شهيرة، و قصة أويس القرنى رحمه الله تعالى فى إبراء الله سبحانه و تعالى له من البرص ببرّه[١٠] لأمه كذلك[١١].

و لما كان ذلك من أمر[١٢] الإحياء الذى هو من خواص الإلهيـة و أبطن آيات الملكوتية ربما أورث لبسا فى أمر الإله تبرأ منه و رده إلى من هو له، مزيلا للبس و موضحا للأمر فقال[١٣] مكررا لما قدمه فى مثله[١٣] معبرا بما يدل على عظمه: ﴿ باذن الله ج ﴾ أى بعلمه و تمكينه،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لدا - كذا (٢) فى مد: اجيبنى (٣) سقط من ظ (٤-٤) من ظ و مد، وفى الأصل: فاحببت ان (٥) من ظ، و فى الأصل: اليها، و قد سقط من مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى الأصول: يحى، و التصحيح من القرآن المجيد - راجع سورة ٢ آية ٢٦٠ (٨) فى ظ: عينيـة (٩) فى مد: بسهم (١٠) فى ظ: بره (١١) فى ظ: لـذلك (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اعز (١٣-١٣) ما بين الرقمين تأخر فى الأصل عن «الشهادة فقال».

ثم[١] أتبعه ما هو من جنسه فى الإخراج من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فقال: ﴿ و انبئكم ﴾ أى من الأخبار الجليلة من عالم[٢] الغيب ﴿ بما تاكلون ﴾ أى مما لم أشاهده، بل تقطعون[٣] بأنى كنت غائبا عنه[٤] ﴿ و ما تدخرون[٥] ﴾ و لما كان مسكن الإنسان أعز[٥] البيوت عنده و أخفى لما يريد[٦] أن يخفيه قال: ﴿ فى بيوتكم ﴾ قال الحرالى: من الادخار: افتعال من الدخرة، قلب حرفاه[٧] الدال[٨] لتوسط الدال[٩] بين تطرفهما فى متقابلى حالها؛ و الدخرة ما[١٠] اعتنى بالتمسك به عدة لما شأنه أن يحتاج إليه فيه، فما كان لصلاح خاصة الماسك فهو ادخار، و ما كان لتكسب[١١] فيما يكون من[١٢] القوام فهو احتكار - انتهى.

و لما ذكر هذه[١٣] الخوارق نبه على أمرها بقوله: ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ لأية لكم ﴾ أى أيها المشاهدون[١٤] على أنى عبد الله و مصطفاه، فلا تهلكوا فى تكوينى من أثى فقط فتطرونى، فانى لم أعمل شيئا منها إلا ناسبا له إلى الله سبحانه و تعالى و صانعا فيه ما يؤذن بالحاجة المنافية للالهية و لو بالدعاء، و أفرد[١٥] كاف الخطاب أولا لكون ما عده ظاهرا لكل أحد على انفراده أنه آية لجميع المرسل إليهم، و كذا

(١) فى ظ و مد «و» (٢) فى مد: علم (٣) فى ظ: يقطعون (٤) سقط من ظ.
(٥) فى ظ: اغبر (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: يويد (٧) فى ظ: حرفا.
(٨) من مد، و فى الأصل و ظ: للدال (٩) سقط من مد (١٠) فى ظ: اعتنى.
(١١) فى ظ: لتمسك (١٢) فى ظ: فى (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: هذا (١٤) فى ظ: الشاهدون (١٥) من ظ و مد، و فى الأصل: افره.

جمع ١ ثانيا ٢ قطعا لتعنت ٢ من قد يقول : إنها لا تـــدل إلا باجتماع أنظار ٣ جميعهم - ٤ لو جمع ٤ الأول ، و إنها ليست آية لكلهم بل لواحد منهم - لو وحد ٥ فى الثانى ، و لما كانت الآيات لا تنفع مع المعاندات قال : ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ أى مذعنين بأن الله سبحانه و تعالى قادر على ما يريد ، و أهلا لتصديق ما ينبغى التصديق به . و لما كانت ترجمة "انى قد جئتكم" : آتيا إليكم بآية كذا ، مصدقا بها لما أتيت ٦ به ، عطف على الحال المقدر منه تأكيدا لأنه عبد الله قوله : ﴿ و مصدقا لما بين يدى ﴾ أى كان قبل إتيانى إليكم ﴿ من التورٰة ﴾ أى المنزلة على أخى موسى عليه الصلاة و السلام ، لأن القبلية تقتضى العدم الذى هو صفة المخلوق ؛ ٧ أو يعطف ٧ على "بآية ٨" ، ٩ إذا جعلنا الباء ٩ للحال ، لا للتعدية ، أى وجئتكم مصحوبا بآية و مصدقا .

و لما ذكر التوراة أتبعها ما يدل على أنه ١٠ ليس ١١ كمن بينه ١١ و بين موسى من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام فى إقرارها كلها على

(١) سقط من مد (٢-٢) فى مد : قطع التعنت ، و زيدت قبله الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : انظار . (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لرحم (٥) فى ظ و مد : وجد (٦) فى ظ : اتت ، و فى مد : اوتيت (٧-٧) فى ظ : و العطف (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : بابه (٩-٩) فى ظ : و اجعلنا الياء (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : اتهامه (١١-١١) فى ظ : كن بيته .

ما هى عليه و تحديد[1] أمرها على ما كان زمن موسى عليه الصلاة و السلام، [بل -[2]] هو مع تصديقها ينسخ[3] بعضها فقال: ﴿و لاحل﴾ أى صدقتها[4] لأحكم[5] على العمل بها و لأحل ﴿لكم بعض الذى حرم عليكم﴾ أى فيها تخفيفا عليكم ﴿و جئتكم﴾ الآية[6] ليس مكررا لتأكيد: ٣٧٧/ ٥ /"انى قد جئتكم بآية من ربكم انى اخلق لكم من الطين" على ما توهم[7]، بل المعنى - و الله سبحانه و تعالى أعلم - أن عيسى عليه الصلاة و السلام لما أتاهم بهذه الخوارق التى من جملتها إحياء الموتى، و كان من المقرر عندهم - كما ورد فى الأحاديث الصحيحة - التحذير من الدجال، و كان من المعلوم من حاله أنه يأتى بخوارق، منها إحياء ميت و يدعى الإلهية، كان من ١٠ الجائز أن يكون ذلك سببا لشبهة[8] تعرض لبعض الناس، فختم هذا الدليل على رسالته بما هو البرهان الأعظم على عبوديته، و ذلك مطابقته لما دعا إليه الأنبياء و المرسلون كلهم من إخلاص العبادة لله سبحانه و تعالى فقال: و جئتكم ﴿بآية﴾ أى عظيمة خارقة للعادة ﴿من﴾ عند ﴿ربكم﴾ أى[9] المحسن إليكم بعد التفرد بخلقكم، و هى أجل ١٥ الأمارات و أدلها على صدقى فى رسالتى، هو عدم تهمتى بوقوع شبهة فى عبوديتى.

(١) فى مد: تجديد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: بفسخ (٤) سقط من ظ. (٥) من ظ، و فى الأصل: لاحقكم، و لا يتضح فى مد (٦) فى ظ: لانه (٧) فى ظ: يوهم (٨) من مد، و فى الأصل: لشبهته، و فى ظ: لشبهه (٩) سقط من مد.

و لما تقرر بذكر الآية مرة ١ بعد مرة [مع - ٢] ما أفادته من تأسيس التفصيل ٣ لأنواع الآيات تأكيد رسالته تلطيفا ٤ ٥ لطباعهم الكثيفة ٥ ، فينقطع ٦ منها ما كانت ألفته ٧ فى الأزمان المتطاولة ٨ من العوائد الباطلة سبب عن ذلك ما ٩ يصرح بعبوديته أيضا ١٠ فقال مبادرا ١١ للاشارة إلى أن الأدب مع المحسن آكد ١٢ و الخوف منه أحق و أوجب لئلا يقطع إحسانه و يبدل امتنانه ١٣ : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ و اطيعون ٥ ﴾ أى فى قبولها [فان التقوى مستلزمة لطاعة ١٤ الرسول - ١٥] .

و لما كان كأنه قيل : ما تلك الآية التى ١ سميتها « آية » بعد ما جئت به من الأشياء الباهرة قال ١٦ : ﴿ ان الله ﴾ الجامع لصفات الكمال ﴿ ربى و ربكم ﴾ أى خالقنا و مربينا ، أنا و أنتم فى ذلك شرع واحد ، و قراءة من فتح "ان" أظهر فى المراد ﴿ فاعبدوه ط هذا ﴾ أى الذى دعوتكم إليه ﴿ صراط مستقيم ٥ ﴾ أنا و أنتم فيه سواء ، لا أدعوكم

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : التفضيل (٤) فى ظ : تلطفا (٥-٥) فى ظ : لطبائهم الكشفة (٦) فى ظ : فتنقلع ، و فى مد : فينقلع .
(٧) فى الأصول : الفية - كذا (٨) فى ظ : المطاولة (٩) فى ظ و مد : بما .
(١٠) سقط من مد (١١) فى ظ : بادرا (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الد - كذا (١٣) فى ظ و مد : امتهانه . و العبارة من هنا إلى « اى فى قبولها » قدمت فى الأصل على « سبب عن ذلك » (١٤) من مد ، و فى ظ : لطاعة .
(١٥) العبارة المحجوزة زيدت من ظ و مد (١٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقال .

إلى شيء إلا كنت أول[1] فاعل[2] له، و لا أدعى أنى إله و لا أدعو[3]
إلى عبادة غير الله تعالى كما يدعى الدجال و غيره من [4]الكذبة الذين[4]
تظهر الخوارق على أيديهم امتحانا من الله سبحانه و تعالى لعباده[5]
فيجعلونها سببا للعلو فى الأرض و الترفع على الناس، و جاء بالتحذير
٥ منهم و تزييف[6] أحوالهم[7] الأنبياء، و إلى هذا يرشد قول عيسى عليه
السلام فيما سيأتى عن إنجيل يوحنا أن من يتكلم[8] من عنده إنما يطلب
المجد لنفسه، فأما الذى يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق و ليس فيه
ظلم؛ و إلى مثل ذلك أرشدت التوراة فانه جعل العلامة على صدق
الصادق و كذب الكاذب الدعوة، فمن كانت دعوته إلى الله سبحانه
١٠ و تعالى وجب تصديقه، من كذبه هلك، و من دعا[9] إلى غيره وجب
تكذيبه، و من صدقه هلك؛ قال فى السفر الخامس منها: و إذا دخلتم
الأرض التى[10] يعطيكم الله ربكم فلا تعملوا مثل أعمال تلك الشعوب،
و لا يوجد فيكم من يقبر[11] [12]ابنه أو[12] ابنته فى النار نذرا للأصنام، و لا
من[1] يطلب تعليم العرافين، و لا من يأخذ بالعين، و لا يوجد فيكم

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: فاعلا (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: ادعى.
(٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الكذب الذى (٥) من ظ و مد، و فى
الأصل: لعبادة (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: ترنيف (٧) زيد بعده فى ظ:
عن (٨) فى ظ: يتعلم (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: عاد (١٠) فى ظ: الذى
(١١) من ظ و مد، و فى الأصل: يعبر - كذا (١٢-١٢) فى ظ: ابنته و - كذا.

من

من يتطير[1] طيرة[2]، و لا ساحر، و لا من يرقى رقية، و لا من ينطلق [إلى - ٣] العرافين[4] و القافة[5] فيطلب إليهم و يسألهم عن الموتى، لأن [كل - ٣] من يعمل هذه الأعمال هو نجس بين يدى الله ربكم، و من أجل هذه النجاسة يهلك الله هذه الشعوب من بين أيديكم؛ ولكن كونوا متواضعين مخبتين أمام الله [ربكم - ٣]، لأن هذه الشعوب ٥ التى[6] ترثونها[7] [كانت - ٣] تطيع العرافين و المنجمين، فأما[8] أنتم فليس هكذا يعطيكم الله ربكم، بل يقيم لكم نبيا[9] من إخوتكم مثلى، فأطيعوا ذلك النبى كما أطعتم الله ربكم فى حوريب[10] يوم الجماعة[11] و قلتم: لا نسمع[12] صوت الله ربنا و لا نعاين[13] هذه النار العظيمة لئلا[14] نموت، فقال الرب: ما أحسن ما تكلموا! سأقيم لهم[15] نبيا من إخوتهم مثلك ١٠ و أجرى قولى فيه و يقول لهم ما آمره به، و الرجل الذى لا يقبل

(١) فى ظ: ينظر (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: طير (٣) زيد من ظ و مد. (٤) جمع العراف و هو المنجم أو الحازى الذى يدعى علم الغيب الذى استأثر الله بعلمه (٥) جمع القائف و هو الذى يتتبع الآثار و يعرفها و يعرف شبه الرجل بأخيه و أبيه (٦) فى ظ: الذى (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: توثرنها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: واما (٩) فى ظ: نبينا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: حوريت، و حوريب جبل فى شبه جزيرة سينا، تجلى فيه الرب لموسى الكليم و من بعده لأنبياء النبى (١١) من ظ ومد، و فى الأصل: جمعه (١٢) من مد، وفى الأصل وظ: يسمع (١٣) فى مد: لانغابن (١٤) فى مد: كيلا (١٥) سقط من ظ.

/ ٣٧٨ قول النبي الذى يتكلم[١] باسمى أنا أنتقم منه . فأما النبي الذى[٢] / يتكلم و يتجرأ باسمى و يقول ما لم آمره أن يقوله و يتكلم بأسماء الآلهة[٣] الأخرى ليقتل[٤] ذلك النبي ، و إن قلتم فى قلوبكم : كيف لنا أن نعرف[٥] القول الذى لم يقله الرب ، إذا تكلم ذلك النبي باسم الرب فلم يكمل ٥ قوله [و لم يتم فلذلك القول لم يقله الرب -[٦]] و لكن تكلم ذلك النبي جراءة و صفاقة وجه[٧] ، فلا تخافوه و لا تفزعوا[٨] منه ؛ و قال قبل ذلك بقليل[٩] : و إذا أهلك الله الشعوب التى تنطلقون إليها و أبادهم[١٠] من بين أيديكم[١١] و ورثتموهم و سكنتم أرضهم ، احفظوا ، لا تتبعوا آلهتهم من بعد ما يهلكهم[١٢] الله من بين أيديكم ، و لا تسألوا عن آلهتهم[١٣] ١٠ و لا تقولوا : كيف كانت هذه الشعوب تعبد[١٤] آلهتها حتى نفعل[١٤] نحن مثل[١٥] فعلها ؟ [١٦]و لا تفعلوا مثل فعالها[١٦] أمام الله ربكم ، لأنهم عملوا بكل ما أبغض الله و أحرقوا بنيهم و بناتهم لآلهتهم ، و لكن القول الذى آمركم به إياه احفظوا و به اعملوا ! لا تزيدوا و لا تنقصوا[١٧] منه شيئا !

---

(١) العبارة من هنا إلى « الذى يتكلم » تكررت فى الأصل (٢) سقط من مد (٣) فى ظ : الالهية (٤) فى ظ : يقبل ، و فى مد : يقتل (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : نفرق (٦) زيد من ظ و مد (٧) صفق صفاقة - الرجل : كان وقحا ، يقال : وجه صفيق ، أى لا حياء له (٨) فى الأصول : لا تقرعوا (٩) فى ظ : تعليل (١٠) فى ظ : اباذهم (١١) فى ظ : ايديهم (١٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : تهلكهم (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الهتكم (١٤ - ١٤) فى ظ : الهتنا حتى تفعل (١٥) زيد فى ظ : ما (١٦ - ١٦) سقط من ظ (١٧) من ظ ، و فى الأصل و ظ : لا تنقضوا .

فان قام بينكم نبي أو من يفسر أحلاما و عمل آية أو عجيبة و يقول: أقبلوا بنا نعبد الآلهـة الأخرى التى لا تعرفونها و نتبعها - لا يقبل قول ذلك النبي و صاحب الأحلام ، لأنه إنما يريد [[1] - أن يجربكم ليعلم هل تحبون الله ربكم، احفظوا وصاياه و اتقوا [2] و اسمعوا قوله] [3] و اعبدوه و الحقوا به ، فأما ذلك النبي و ذلك الذى تحلّم الأحلام [فليقتل ، لأنه نطق بأثم [4] أمام الله - [1]] ربكم [5] الذى أخرجكم من أرض [6] مصر و خلصكم من العبودية ، فأراد أن يضلكم عن الطريق الذى أمركم الله ربكم أن تسيروا فيه ، و استأصلوا الشر من بينكم ، و إن شوقك أخوك ابن أمك و أبيك أو ابنتك أو حليلتك أو صديقك و يقول لك: هلم [7] بنا نتبع الآلهة الأخرى التى لم تعرفها أنت و لا آباؤك من آلهة الشعوب التى حولكم - القريبة منكم و البعيدة - و من أقطار الأرض إلى أقصاها - لا تقبل [8] قوله و لا تطعه [9] و لا تشفق عليه و لا ترحمه و لا تلتم [10] عليه و لا تتعطف [11] عليه ، و لكن اقتله قتلا ، و ابدأ به

---

(١) العبارة المحجوزة زيدت من مد و ظ (٢) من مد ، و فى ظ : و اتقوا .
(٣) العبارة من هنا إلى « تحلم الاحلام » متقدمة فى الأصل على « لأنه انما يريد » .
(٤) من مد ، و فى ظ : باسمى (٥) تكرر فى مد (٦) فى ظ : امر (٧) فى النسخ : حلم - كذا (٨) من مد ، و فى الأصل : لا تقيل ، و فى ظ : لا يقبل (٩) من ظ ، و فى الأصل و مد : لا تطيعه (١٠) كذا - من لمم ، يقال : التم بالقوم : أتاهم فنزل بهم ، و لعله : لا تلتئم عليه - من لأم ، أى لا تجتمع ، يقال : التأم القوم : اجتمعوا (١١) من ظ ، و فى الأصل و مد : لا تنعطف .

أنت قتلا ، ثم يبدأ بـه جميع الشعوب ، و ارجموه[١] بالحجارة و ليمت ، لأنـه أراد أن يضلك عن عبادة الله ربك[٢] الذى أخرجك من أرض مصر و خلصك من العبوديـة ، ويسمع[٣] بذلك [جميع -[٤]] بنى إسرائيل ، و يفزعون فلا يعودوا أن يعملوا مثل هذا العمل السوء[٥] بينكم ، و إذا سمعتم أن فى قرية من القرى التى أعطاكم الله[٦] قوما قد ارتكبوا خطيئة و أضلو أهل قريتهم و قالوا لهم[٧] : [٨] ننطلق فنعبد[٨] آلهة أخرى لم تعرفوها ، ابحثوا نعما و سلوا حسنا ، إن كان القول الذى بلغكم يقينا و فعلت هذه النجاسة فى تلك القرية اقتلوا أهل تلك القريـة بالسيف ، و اقتلوا كل من فيها من النساء و الصبيان و البهائم بالسيف ، و اجمعوا [جميع -[٩]] نهبها خارج القرية و أحرقوا القريـة بالنار و أحرقوا كل نهبها أمام الله ربكم ، و تصير القرية تلّا خرابا إلى الأبد و لا تبنى أيضا ، و لا يلصق[١٠] بأيديكم من خرابهـا شىء ليصرف الرب غضبه عنـكم و يعطف عليكم و يفيض رحمته عليكم و يجبيكم[١١] و يرحمكم و يكثركم كما قال لآبائكم ؛ هذا إن أنتم سمعتم قول الله ربكم ، و حفظتم وصاياه التى أمرتكم بها اليوم ، و عملتم الحسنات أمام الله ربكم ، فاذا فعلتم هذا صرتم لله ربكم ، لا تأثموا

(١) من ظ و مـد ، و فى الأصل : راجموه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ربكم (٣) فى ظ : ليسمع (٤) زيد من مـد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : السر (٦) فى ظ : الرب (٧) سقط من مد (٨-٨) من مد ، و فى الأصل وظ : تنطلق فيعبد (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ : لا تلصق (١١) فى مد : يحبيكم ، و فى ظ : تجبيكم ، و فى الأصل : يحكم - كذا .

ولا

ولا تصيروا [1] شبه [2] الوحش ولا تخدشوا [3] وجوهكم وبين أعينكم على الميت، لأنكم شعب طاهر لله ربكم، وإياكم اختار الله ربكم أن تكونوا له [4] شعبا حبيبا أفضل من جميع شعوب الأمم - انتهى.

فقد تبين من هذا كله أن عيسى عليه الصلاة والسلام مصدق للتوراة فى الدعاء إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وأن الآية [5] الكبرى على صدق النبى الحق اختصاصه الله تعالى بالدعوة وتسويته بين نفسه وجميع من يدعوه فى الإقبال عليه والتعبد له والتخشع لديه، وأن الآية على كذب الكاذب دعاؤه إلى غير الله؛ وفى ذلك وأمثاله مما سيأتى عن الإنجيل فى سورة النساء تحذير من الدجال وأمثاله، فثبت أن المراد بالآية فى هذه الآية ما قدمته [6] من الإخبار بأن الله سبحانه وتعالى رب الكل والأمر / بعبادته [7]، وهذا كما يأتى من أمر الله سبحانه وتعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى "قل ياأهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم - إلى أن قال :- ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله [8]". / ٣٧٩

ولما ختم سبحانه وتعالى هذه البشارة [9] بالآية القاطعة القويمة الجامعة، وكان قوله [فى - [9]] أول السورة "يصوركم فى الأرحام

(١) فى مد : لا يضروا - كذا (٢) من مد، وفى الأصل وظ : اشبه (٣) فى ظ : لا تحدشوا (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : الايات (٦) فى ظ : قدمت. (٧) من ظ ومد، وفى الأصل : بقيادته (٨) سورة ٣ آية ٦٤ (٩) زيد من مد.

كيف يشاء" و قوله هنا "يخلق ما يشاء" مغنيا عن ذكر حملها، طواه و أرشد السياق حتما إلى[١] أن التقدير: فصدق الله فيما قال لها، فحملت به من غير ذكر فولدته - على ما قال سبحانه و تعالى - وجيها و كلم الناس فى المهد و بعده، و علمه[٢] الكتاب و الحكمة و أرسله إلى

٥ بنى إسرائيل، فأتم لهم الدلائل و نفى الشبه على ما أمره به [٣]الذى أرسله سبحانه و تعالى و علموا أنه[٣] ناسخ لا مقرر، فتابعه قوم و خالفه آخرون فغطوا جميع الآيات و أعرضوا عن[٤] الهدى و البينات، و نصبوا له الأشراك و الحبائل و بغوه[٥] الدواهى و الغوائل، فضلوا على علم و ظهر منهم الكفر البين و اعوجوا عن الصراط المستقيم [عطف -[٦]] عليه

١٠ قوله مسليا[٧] لهذا النبى الكريم صلى الله عليه و سلم: ﴿ فلما احس ﴾ قال الحرالى: من الإحساس و هو منال[٨] الأمر بادرا[٩] إلى العلم و الشعور الوجدانى[١٠] - انتهى ﴿ عيسى منهم الكفر ﴾ أى علمه علم من شاهد الشىء بالحس و رأى مكرهم على ذلك يتزايد[١١] و عنادهم[١٢] يتكاثر

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٢) فى ظ: علم (٣-٣) فى ظ: و علموا سبحانه انه الذى ارسله (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عنه (٥) فى ظ: و نفوه (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: سليا (٨) فى ظ: مثال (٩) من مد، و فى الأصل: بادر، و فى ظ: نادرا (١٠) فى ظ: الوحدانى (١١) من مد، و فى الأصل و ظ: تتزايد (١٢) فى ظ: غناوهم (١٣) من مد، و فى الأصل: مرته، و فى ظ: مزية.

بعد أن علم كفرهم علما لا مرية[1] فيه ، فاستغاث بالأنصار و علم أن منجنون[2] الحرب قد دار ، فعزم على إلحاقهم دار البوار ﴿ قال من انصاري ﴾ .

و لما كان المقصود ثبات[3] الأنصار معه إلى أن يتم أمره عبر عن ذلك بصلة دلت على تضمين[4] هذه الكلمة كلمة توافق الصلة فقال: ﴿ إلى ﴾ أى سائرين أو واصلين معى بنصرهم إلى ﴿ الله[5] ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ قال الحواريون ﴾ قال الحرالى : جمع حوارى و هو المستخلص نفسه فى نصرة[6] من تحق نصرته بما كان من إيثاره على نفسه بصفاء و إخلاص لا كدر فيه و لا شوب[7] - انتهى . و هو مصروف لأن ياءه عارضة ﴿ نحن انصار الله ج ﴾ أى الذى أرسلك[7] و أقدرك على ما تأتى[8] به من الآيات ، فهو المحيط بكل شيء عزة و علما ، ثم صححوا النصرة و حققوا بأن عللوا بقولهم: ﴿ امنا بالله ج ﴾ أى على ما له من صفات الكمال ، ثم أكدوا ذلك بقولهم مخاطبين لعيسى عليه الصلاة و السلام رسولهم أكمل[9] الخلق إذ ذاك : ﴿ و اشهد بانا مسلمون ه ﴾ أى منقادون لجميع ما تأمرنا [به -[10]] كما [11] هو حق[11] من آمن لتكون

(١) من مد ، و فى الأصل : مرته ، وفى ظ : مزية (٢) من مد ، و فى الأصل : متحنون ، وفى ظ : محمون - كذا ، وفى لسان العرب : المنجنون : الدولاب التى يستقى عليها . ابن سيده وغيره : المنجنون أداة السانية التى تدور - الخ (٣) فى ظ : بنات (٤) من ظ ، و فى الأصل و مد : تضمير (٥) من مد ، و فى الأصل وظ : نصره (٦) فى ظ : يسوب (٧) فى مد : ان سلك (٨) من مد ، وفى الأصل : ياتى ، و فى ظ : ناتى (٩) فى ظ : كمل (١٠) زيد من مد (١١-١١) من ظ ومد ، و فى الأصل : وفق .

شهادتك علينا أجدر لثباتنا[1] و لتشهد[2] [لنا - ٣] بها يوم القيامة .

ثم لما خاطبوا الرسول أدبا[4] ترقوا[5] إلى المرسل[6] فى خطابهم إعظاما للأمر و زيادة فى التأكيد فقالوا مسقطين[7] لأداة النداء استحضارا لعظمته بالقرب لمزيد القدرة و ترجى منزلة أهل الحب : ﴿ ربنآ امنا ٥ بمآ انزلت ﴾ أى على ألسنة رسلك كلهم ﴿ و اتبعنا الرسول ﴾ الآتى إلينا بذلك معتقدين رسالته منك و عبوديته لك ﴿ فاكتبنا ﴾ لتقبّلك[8] شهادتنا[9] و اعتدادك بها ﴿ مع الشٰهدين ٥ ﴾ أى الذين[10] قدمت أنهم شهدوا لك بالوحدانية مع الملائكة ، و لعله عقب ذلك بقوله : ﴿ و مكروا ﴾ المعطوف على قوله : " قال من انصارى [الى الله - [11]] " بالإضمار الصالح ١٠ لشمول[12] كل[4] من تقدم له ذكر إشارة إلى أن التمالؤ[13] عليه يصح أن ينسب إلى المجموع من حيث هو مجموع ، أما مكر اليهود[14] فمشهور ، و أما الحواريون الاثنا عشر[15] فنقض[16] أحدهم و هو الذى تولى

(١) فى ظ : لثباتها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لنشهد (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : فرقوا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الرسل (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مسقطين - كذا (٨) من مد ، و فى الأصل : التقلبك ، وفى ظ : ليقبلك (٩) زيد بعده فى ظ : واعتمد ، و لا يتضح فى مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (١١) زيد من ظ (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بشمول (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : التماكر . (١٤) فى ظ : الشهود (١٥) فى ظ : الاثنى عشر (١٦) من مد ، وفى الأصل : بتقض ، و فى ظ : فيفض .

كبر[1] الأمر و جر[1] اليهود إليه و دلهم عليه - كما يأتى بيانه إن شاء الله تعالى فى سورة النساء، و[2] ترتيب المكر على الشرط يفهم أنهم لما علموا إحساسه بكفرهم خافوا [3] غائلته فأعملوا[3] الحيلة فى قتله . و المكر - قال الحرالى - إعمال الخديعة و الاحتيال فى هدم بناء [4] ظاهر كالدنيا، و الكيد إعمال الخدعة و الاحتيال فى هدم بناء[4] باطن كالتدين و التخلق و غير ٥ ذلك، فكان المكر خديعة [4] حس و الكيد خديعة[4] / معنى - انتهى . ٣٨٠ / ثم إن مكرهم تلاشى و اضمحل بقوله: ﴿ و مكر الله[5] ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما .

و لما كان المقام لزيادة العظمة أظهر و لم يضمر لئلا يفهم الإضمار خصوصا من جهة ما فقال: ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أنه[6] الذى له هذا ١٠ الاسم الشريف[6] فلم يشاركه[7] فيه أحد بوجه ﴿ خير الماكرين ﴾ بإرادته[8] تأخير حربه[9] لهم إلى وقت قضاه[10] فى الأزل فأمضاه، و ذلك عند مجىء الدجال بجيش اليهود فيكون أنصاره الذين[12] سألهم ربه[11] هذه الأمة تشريفا لهم، ثم بين ما فعله بهم من القضاء الذى هو على صورة المكر فى كونه أذى[12] يخفى على المقصود به بأنه[13] رفعه إليه و شبه ذلك عليهم ١٥

(١-١) فى ظ : الامم و حر (٢) سقطت الواو من ظ (٣-٣) فى ظ : غائلة مما عملوا (٤-٤) سقطت من ظ (٥) فى مد : ان (٦) سقط من ظ ومد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ : فلم يشارك (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : بارادة . (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : ضربة (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : قضاة (١١-١١) فى ظ : سالوهم ربهم (١٢) فى ظ : ادنى (١٣) فى ظ : بان .

حتى ظنوا أنهم صلبوه[1] و إنما صلبوا أحدهم، و يقال: إنه الذى دلهم، و أما هو عليه الصلاة و السلام فصانه عنده بعد رفعه إلى محل أوليائه و موطن قدسه لينزله فى آخر الزمان لاستئصالهم بعد أن ضرب[2] عليهم الذلة بعد قصدهم له بالأذى الذى طلبوا به[3] العز إلى[3] آخر الدهر فكان تدميرهم فى تدبيرهم[4]، و ذلك أخفى الكيد فقال تعالى مخبرا عن ذلك على وجه مبشر له بأنه عاصمه من أن يقتلوه و يميته حتف[5] أنفه: ﴿ اذ ﴾ أى مكر حين[6] ﴿ قال الله ﴾ أى بما له من[7] التفرد بصفات الكمال ﴿ يٰعيسىٰ انى متوفيك ﴾ و عبر عن ذلك بطريق الكناية الإيمائية فان عصمته من قتل[8] الكفار ملزومة للموت حتف[9] الأنف، و أما قول الزمخشرى: أى مستوفى أجلك و معناه: إنى[10] عاصمك من أن يقتلك الكفار، و مؤخرك إلى أجل كتبته لك، و يميتك حتف[5] أنفك لا قتلا بأيديهم - ليكون كناية تلويحية[11] عن العصمة ١٢ من القتل ١٢ لأنها ملزومة لتأخيره إلى الأجل المكتوب و التأخير ملزوم للموت حتف[9] الأنف - فلا ينبغى الاغترار به لأنه مبنى على مذهب الاعتزال من أن القاتل

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: طلبوه (٢) فى ظ: ضربت (٣-٣) فى ظ: الغزالى (٤) فى ظ: تدميرهم، و فى مد غير واضح (٥) فى ظ: حنق (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: خير (٧) زيد بعده فى الأصل: صفات، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) فى ظ: قبل (٩) فى ظ: خنق (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (١١) فى ظ: تلويحية (١٢-١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لمن يقتل.

قطع أجل المقتول المكتوب ، و كأن القاضى البيضاوى لم يتفطن له فترجم هـذه العبارة بما يؤديها ؛ و يجوز أن[1] يكون معنى متوفيك[2] : آخذك إلىّ من غير أن يصلوا منك إلى محجم دم[3] و لا ما فوقه من عضو و لا نفس فلا تخش[4] مكرهم . قال فى القاموس : أوفى[5] فلانا حقه : أعطاه وافيا ، كوفّاه و وافاه فاستوفاه[6] و توفاه[6] .

ثم زاد[7] سبحانه و تعالى فى بشارته بالرفعة إلى محل كرامته و موطن ملائكته و معدن النزاهـة عن الأدناس فقال : ﴿ و رافعك ﴾ و زاد إعظام ذلك بقوله : ﴿ الىّ و مطهرك من الذين كفروا ﴾ .

و لما كان لذوى الهمم العوال[8] ، أشد التفات[9] إلى ما يكون عليه [10]خلائفهم بعدهم[10] من الأحوال ، بشره سبحانه و تعالى فى ذلك بما يسره[11] فقال : ﴿ و جاعل الذين اتبعوك ﴾ أى و لو بالاسـم ﴿ فوق الذين كفروآ ﴾ أى ستروا ما يعرفون[12] من نبوتك بما رأوا من الآيات التى أتيت[13] بها مطابقة[14] لما عندهم من البشائر بك ﴿ الى يوم القيٰمة ج ﴾ و كذا

(١) فى ظ : انه (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : موفيك (٣) سقط من ظ .
(٤) فى الأصل و مد : فلا تخشى ، و فى ظ : فلا يخشى (٥) من القاموس ، و فى الأصل و ظ : و فى ، و فى مد : وفا (٦-٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : بين .
(٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : العوادل ـ كذا (٩) فى ظ : التفاوت .
(١٠-١٠) فى ظ : خلائقهم يعدهم (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : بشره .
(١٢) فى ظ : تعرفون (١٣) فى ظ : اثبته ، و فى مد : اتيته (١٤) فى ظ و مد : مطابقه .

كان، لم يزل من اتسم[1] بالنصرانية حقا أو باطلا فوق اليهود، ولا يزالون كذلك[2] [إلى -[3]] أن يعدموا[4] فلا يبقى منهم أحد.

ولما كان البعث عاما دل عليه بالالتفات[5] إلى الخطاب فقال[6] تكميلا لما بشر به من النصرة: ﴿ ثم الى مرجعكم ﴾ أى المؤمن و الكافر

٥ فى الآخرة ﴿ فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون ﴾ [7]ثم فصل[7] له الحكم فقال مرهبا لمخالفيه[8] مرغبا لموافقيه[9]، و قدم المخالفين لأن السياق لبيان إذلالهم[10]: ﴿ فاما الذين كفروا ﴾ أى من الطائفتين ﴿ فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا ﴾ بالذل و الهوان و القتل و الأسر ﴿ و الأخرة ﴾ بالخزى الدائم ﴿ و ما لهم من نصرين ﴾ [و إن كثر عددهم -[11]] و لم يقل:

١٠ و أما الذين اتبعوك[12] - لئلا يلتبس[13] الحال و إن كان من اتبع النبى الأمى فقد اتبعه فى بشارته به و الأمر باتباعه، بل قال: ﴿ و أما الذين امنوا و عملوا الصلحت ﴾ لأن هذه ترجمة الذين اتبعوه حق الاتباع.

و لما كان تمام الاعتناء بالأولياء متضمنا لغاية القهر للأعداء أبدى

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اسم (٢) فى الأصول: لذلك (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: ان تعدموا (٥) فى مد: بالتفات (٦) سقط من مد (٧-٧) فى ظ: لا نصل، و فى مد: ثم فصل (٨) من ظ، و فى الأصل و مد: لمخالفته. (٩) من ظ، و فى الأصل: لموافقته، و فى مد: لموالقيه - كذا (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: ادلالهم (١١) ما بين الحاجزين زيد من ظ و مد (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اتبعوا (١٣) فى ظ و مد: لئلا يلبس.

فى

٣٨١/ فى مظهر العظمة قوله تعظيما لهم[١] و تحقيرا لأعدائهم: ﴿ فنوفيهم[٢] اجورهم[٣] ﴾ أى / نحبهم[٣] [من -[٤]] غير أن نبخسهم[٥] منها شيئا، أو[٦] نظلم أحدا[٦] من الفريقين فى شىء، فان الله سبحانه و تعالى متعال عن ذلك ﴿ و الله ﴾ الذى له الكمال كله ﴿ لا يحب الظلمين ﴾ من كانوا، أى لا يفعل[٧] معهم فعل المحب، فهو[٨] يحبط أعمالهم لبنائها على غير أساس الإيمان، فالآية من الاحتباك، و نظمها على الأصل: فنوفيهم لأنا نحبهم و الله يحب المؤمنين، و الذين ظلموا نحبط[٩] أعمالهم لأنا لا نحبهم و الله لا يحب الظالمين؛ فتوفية[١٠] الأجر أولا ينفيها ثانيا[١١]، و إثبات الكراهة ثانيا[١١] يثبت[١٢] ضدها أولا، و حقيقة الحال[١٣] أنه [أثبت للمؤمنين -[١٤]] لازم المحبة المراد منها فى حق الله سبحانه و تعالى لأنه أسرّ[١٥]،

(١) فى ظ: لقولهم (٢) وقع فى النسخ كلها: فتوفيهم - كذا بصيغة الخطاب فأرجعناها إلى التكلم وفق المفسرات الآتية، و قرأ حفص و رويس عن يعقوب "فيوفيهم" - بياء الغيبة، و زاد رويس ضم الهاء و قرأ الباقون بالنون وقد رجحها المفسر، وأما المصاحف المتداولة فى بلادنا ففيها "فيوفيهم" بياء الغيبة - راجع روح المعانى ١/٦٠٠ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يحبهم - كذا (٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تبخسهم (٦ - ٦) من مد، و فى الأصل وظ: تظلم احد (٧) فى ظ: لا يغفل (٨) فى ظ: وهو (٩) فى مد: تحبط (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: فتوفيه (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: فانيا. (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تثبت (١٣) فى ظ: المحال (١٤) زيد من ظ و مد، غير أن فى ظ: المومنين (١٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اثر.

و لازم المراد [من عدمها - ١] فى الظالمين لأنه أنكأ ٢ .

و لما أتم سبحانه و تعالى ما أراد من أمر عيسى عليه الصلاة و السلام من ابتداء تكوينه إلى انتهاء رفعه و ما كان [بعده - ١] من أمر أتباعه مشيرا بذلك إلى ما فيه من بدائع ٣ الحكم و خزائن ٣ العلوم و اللطائف المتنزلة على مقادير الهمم على أتقن وجه و أحكمه و أتمه و أخلصه و أسلمه ، و ختمه بالتنفير من ٤ الظلم ، و كان الظلم وضع الشيء فى غير موضعه ، و كان هذا القرآن العظيم قد حاز ٥ من حسن الترتيب و رصانة ٦ النظم بوضع كل شيء منه لفظا و معنى فى محله الأليق به المحلّ الأعلى ، لا سيما هذه الآيات التى أتت بالتفصيل من أمر عيسى عليه الصلاة و السلام ، فلم تدع فيه شكا و لا أبقت ٧ شبهة و لا لبسا ، أتبع ما تقدم من ٤ تفصيل الآيات ٨ البينات قوله منبها على عظمة هذه الآيات الشاهدات ٩ الآتى بها صلى الله عليه و سلم بأوضح الصدق بإعجازها فى نظمها و فى العلم بمضامينها من غير معلم من البشر كما تقدم نحو ذلك فى " ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك ١٠ " : ﴿ ذٰلك ﴾ أى النبأ العظيم و الأمر الجسيم الذى لم تكن ١١ تعلم شيئا منه و لا علمه من شبان ١٢ قومك

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : انكار (٣-٣) من مد ، ووقع فى الأصل : الحلم و حسنا من ، وفى ظ : الحكم و خبرا من - كذا مصحفا . (٤) فى ظ : عن (٥) فى ظ : جاز (٦) فى ظ : رضاية - كذا (٧) فى ظ : اتقن (٨) العبارة من هنا إلى « الشاهدات » تكررت فى ظ (٩) فى ظ : الشاهدة (١٠) سورة ١١ آية ٤٩ (١١) فى ظ : لم يكن (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : شان .

﴿ نتلوه ﴾ أى نتابع قصه[1] بما لنا من العظمة ﴿ عليك ﴾ و أنت أعظم الخلق حال كونه ﴿ من الآيٰت ﴾ أى التى لا إشكال فيها ، و يجوز أن يكون خبر اسم الإشارة ، ﴿ و الذكر الحكيم ۝ ﴾ إشارة إلى ذلك لأن الحكمة وضع الشىء فى أعدل مواضعه و أتقنها ، و أشار بأداة البعد تنبيها على علو منزلته و رفيع قدره . ٥

ثم أكد ظلمهم و صور حكمته بمثل هذا الفرقان فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام الكاشف لما فى ذلك مما ألبس عليهم فقال : ﴿ ان مثل عيسى ﴾ أى فى كونه من أنثى فقط ﴿ عند الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما فى إخراجه من غير سبب حكمى عادى ﴿ كمثل ادم[1] ﴾ فى أن كلا منهما أبدع من غير أب ، بل أمر آدم أعجب فانه[2] أوجده ١٠ من غير أب و لا أم ، و لذلك فسر مثله بأنه ﴿ خلقه ﴾ أى [3] قدره و صوره[3] جسدا[4] من غير جنس البشر ، بل ﴿ من تراب ﴾ [5]فعلمنا أن تفسير مثل عيسى كونه خلقه من جنس البشر من أم[6] فقط بغير أب ، فمثل عيسى أقل غرابة[7] من هذه الجهة و إن كان أغرب من حيث أنهم لم يعهدوا مثله ، فلذلك كان مثل آدم مثلا له موضحا لأنه مع كونه ١٥ أغرب أشهر[8] ﴿ و عبر بالتراب دون الماء و الطين و الحمأ و غيره كما فى

(١) فى الأصول : قصة - كذا (٢) سقط من ظ (٢-٣) فى ظ : قدرة و صورة (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : حسيدا (٥) العبارة من هنا إلى « أغرب أشهر » تأخرت فى ظ عن « نير أعجب » (٦) من مد و ظ ، و فى الأصل : ادم (٧) زيد فى ظ : جهة (٨) زيد فى ظ : اى بشرا كاملا روحا جسدا ، و سيأتى بعد قوله تعالى "ثم قال له كن" .

غير هذا الموطن ، لأن التراب أغلب[1] أجزائه و لأن المقام لإظهار العجب ، و إبداعُ ما أسكنه أنواع الأنوار[2] بالهداية و العلوم الباهرة من التراب الذى هو[3] أكثف[4] الأشياء أغرب كما أن تغليب ظلام الضلال على الشياطين من كونهم من عنصر نير[5] أعجب .)

٥ و لما شبه المثل بالمثل علمنا أن مثل عيسى كل ولد نشاهده تولد[6] من أنثى ، و مثل آدم كل حيوان نشاهده [تولد -[7]] من تراب ، و ما شاهده بنو إسرائيل من خلق عيسى عليه الصلاة و السلام [الطير -[7]] من الطين فهذا المثل الذى هو كل ما تولد [من أنثى مثل ذلك المثل الذى هو كل ما تولد -[7]] من تراب فى أن كلا منهما لم يكن ١٠ إلا بتكوين الله سبحانه و تعالى ، و إلا لكان كل جماع موجبا للولد وكل تراب موجبا لتولد الحيوان منه ، فلما كان أكثر الجماع لا يكون [منه -[7]] و لد علمنا أن الإيجاد بين الذكر و الأنثى إنما هو[8] بقدرة الله سبحانه و تعالى و إرادته[8] ، و من إرادته و قدرته / كونه من ذكر و أنثى ، ٣٨٢ / فلا فرق فى ذلك بين أن يريد كونه من أنثى بتسبيب جماع من ذكر ١٥ يخرق[9] به عادة الجماع فيجعله موجبا للحبل[10] و بين أن يريد كونه من

(١) فى مد : اغلى (٢) فى ظ : الابرار (٣) سقط من مد (٤) من ظ ، و فى الأصل و مد : اكنف - كذا بالنون (٥) زيد فى ظ : من (٦) فى ظ : يولد . (٧) زيد من ظ و مد (٨-٨) فى ظ و مد : بارادة الله و قدرته (٩) فى ظ : يحرق (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : للحل .

أنثى فقط فيخرق به عادة ما نشاهده الآن[1] من التوليد بين الذكر و الأنثى، كما أنا لما[2] علمنا أنه ليس كل تراب يكون منه حيوان علمنا قطعا أن هذا المتولد من تراب إنما هو بارادة القادر و اختياره لا بشيء آخر، و إلى ذلك أشار يحيى عليه الصلاة و السلام بقوله فيما سلف قريبا: إن الله قادر على أن يقيم من الحجارة أولادا لإبراهيم، أى لأنه سبحانه و تعالى هو الذى يخلق المسببات فلا فرق حينئذ بين مسبب[3] و سبب، بل كلها فى قدرته سواء، و إلى ذلك أشار قوله: ﴿ ثم قال له كن ﴾ أى بشرا كاملا روحا و جسدا، و عبر بصيغة المضارع المقترن بالفاء فى ﴿ فيكون ﴾ دون الماضى و إن كان المتبادر إلى الذهن أن المعنى عليه حكاية للحال و تصويرا لها إشارة إلى أنه كان مع[2] الأمر من غير تخلف و تنبيها على أن هذا هو الشأن دائما، يتجدد[4] مع كل مراد، لا يتخلف عن مراد[5] الآمر أصلا - كما تقدم التصريح به فى آية "اذا قضى امرا[6]" و ذلك أغرب مما كان سبب ضلال النصارى الذين[7] يجادل عن معتقدهم وفد نجران، قال سبحانه و تعالى ذلك إشارة إلى أنهم ظلموا فى القياس، و كان العدل أن يقاس فى خرقه للعادة بأبى أمه[8] الذى كان يعلم الأسماء كلها و سجد له الملائكة، لا بخالقه[9] و[10] مكونه تعالى عما[11]

(١) فى ظ: الا - كذا (٢) سقط من ظ (٣) فى مد: سبب - كذا (٤) فى ظ: بتجدد (٥) من ظ، وفى الأصل وظ: حال (٦) سورة ٢ آية ١١٧ (٧) فى ظ: الذى (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: انه (٩) من ظ، و فى الأصل: لا يخالفه، و فى مد: لا لخالقه (١٠) فى ظ: و لا (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: مما.

يقول الظالمون علوا كبيرا .

قال الحرالى: جعل سبحانه و تعالى آدم عليه الصلاة و السلام مثلا مبدؤه[١] السلالة الطينية ، و غايته النفخة الأمرية[٢] ، و كان عيسى عليه الصلاة و السلام مثلا مبدؤه الروحية و الكلمة[٣] ، و غايته[٤] التكمل بملابسة[٤] السلالة الطينية ، حتى قال صلى الله عليه و سلم : إنه عند نزوله فى خاتمة اليوم المحمدى يتزوج امرأة[٥] من بنى أسد و يولد له غلام لتكمل[٦] [به -[٧]] الآدمية فى العيسوية كما كملت العيسوية فى الآدمية و ليكونا مثلا واحدا أعلى جامعا "و له المثل الاعلى فى السمٰوٰت و الارض[٨]" - انتهى .

و لما ابتدأ القصة بالحق فى قوله "نزل عليك الكتٰب بالحق" ختمها بذلك على وجه آكد و أضخم فقال : ﴿ الحق ﴾ أى الكامل فى الثبات كائن ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك بأنه لا يدع لخصم عليك مقالا ، و لما تسبب عما مضى نقلا و عقلا الاعتقاد الحق فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام قال : ﴿ فلا تكن من الممترين ٥ ﴾ مشيرا بصيغة الافتعال إلى أنه لا يشك فيه بعد هذا إلا من أمعن الفكر فى[٩] شبه يثيرها[٩] و أوهام يزاولها[١٠] و يستزيرها ، و ما أحسن ما فى سفر الأنبياء

(١) فى ظ : مبداة (٢) فى ظ : الامر به - كذا (٣) تكرر فى الأصل .
(٤-٤) تكرر فى الأصل (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : امراته (٦) فى ظ : ليكمل (٧) زيد من ظ (٨) سورة ٣٠ آية ٢٧ (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : مشبه بنيرها (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بزوالها .

الإسرائيليين الذى هو بأيدى الطائفتين اليهود ثم[1] النصارى، يتناقلونه معتقدين ما فيه، و أوضحه فى خلاف معتقدهم فى عيسى عليه الصلاة و السلام و موافقة[2] معتقدنا فيه، لكنهم لا يتدبرون، و ذلك أنه قال فى نبوة أشعيا[3] عليه السلام: اسمع منى يا يعقوب عبدى و أنت يا إسرائيل الذى انتخبته[4]! أنا الذى خلقتك فى الرحم و أعنتك[5]، ثم[6] قال: هكذا يقول: يقول الرب: أنا الذى جبلتك فى الرحم[7] و خلصتك و أعنتك، أنا الذى خلقت الكل، و أنا الذى مددت السماء وحدى، و أنا الذى ثبتّ الأرض، أنا الذى أبطل آيات العرافين، و أصير كل تعريفهم [8]جهلا، و أرد[8] الحكماء إلى خلفهم، و أعرف أعمالهم [للناس -[9]]، و أثبت كلمة عبيدى، و أتمم[10] قول رسلى؛ ثم قال: أنا الرب الذى خلقت هذه الأشياء، الويل للذى يخاصم خالقه و لا يعلم أنه من خزف الطين! لعل الطين يقول للفاخورى[11]: لما ذا تصنعنى؟ أو لعله يقول له: لست أنا من صنعتك، الويل للذى[12] يقول لأبيه: لما ذا ولدتنى؟ أو لأمه: لما ذا حبلت بى؟ هكذا يقول الرب قدوس

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: موافقه (٣) فى ظ: شعيا (٤) فى ظ: انت حينه - كذا.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اغنيك (٦) العبارة من هنا إلى «و اعنتك» الآتى سقطت من ظ (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الرب (٨-٨) فى ظ: جهل لى واراد (٩) زيد من مد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: اتهم - كذا (١١) زيد فى الأصل: يقول، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى.

إسرائيل و مخلصه: أنا الذى[1] خلقت السماء و مددتها بيدى و جميع أجنادها، و جعلت فيها الكواكب البهية[2].

/٣٨٣ ذكر ما يحتاج إليه المفسرون[3] / - و يثمر[4] إن شاء الله سبحانه و تعالى زيادة الإيقان لكل مسلم - من قصة عيسى عليه السلام فى ولادته و ما[5] يتعلق بهذه السورة من مبدإ أمره و منتهاه و بعض ما ظهر على يديه من الآيات و لسانه من الحكم المشيرة إلى أنه عبد الله و رسوله و غير ذلك من الأناجيل الأربعة التى فى أيدى النصارى اليوم، و قد أدخلت كلام بعضهم فى بعض و جمعت ما تفرق[6] من المعانى فى سياقاتهم بحيث صار الكل حديثا واحدا:

قال[7] متى - و معظم السياق له -: كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود[8] ابن إبراهيم عليهم الصلاة و السلام، ثم قال: لكل الأجيال من إبراهيم إلى داود أربعة عشر جيلا، و من داود إلى زربابل[9] أربعة عشر[10] جيلا، و من زربابل[9] إلى المسيح أربعة عشر[10] جيلا[11]؛ لما خطبت مريم أمه ليوسف قبل أن يفترقا[12] وجدت حبلا[13] من

(١) زيد فى ظ: خلصته (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: البهيمة - كذا.
(٣) فى ظ: المفسر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: و بثمر (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يفرق (٧) فى ظ: قالت (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) من تاريخ الطبرى ٢/١٣، و فى الأصل و ظ: سربابل - كذا (١٠) من مد، و فى الأصل: اربع عشر (١١) العبارة من «و من داود» إلى هنا سقطت من ظ (١٢) فى ظ و مد: يفترقا - كذا.
(١٣) فى ظ: جيلا.

روح القدس، و كان يوسف خطيبها صديقا و لم يرد[1] أن[2] يشهرها، و هم بتخليتها[2] سرا، و فيما هو مفكر[3] فى هذا إذ ظهر له ملاك الرب فى الحلم[4] قائلا: يا يوسف بن داود! لا تخف أن تأخذ مريم خطيبتك، فان الذى تلده هو من روح القدس، و ستلد ابنا و يدعى اسمه يسوع[5]، و هو يخلص شعبه[6] من خطاياهم، هذا كله كان لكى[7] يتم ما قيل[8] من قبل الرب على لسان النبى القايل: ها هو ذا[9] العذراء تحبل و تلد[10] ابنا، و يدعى[11] اسمه[12] «عمانويل» الذى تفسيره: الله معنا، فقام يوسف من النوم و صنع كما أمره ملاك الرب و أخذ مريم خطيبته و لم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر، و دعى اسمه يسوع[5].

و فى إنجيل لوقا: و لما كان فى تلك الأيام - أى أيام[12] ولادة يحيى بن زكريا عليهما السلام - خرج أمر من[13] أوغوسطوس قيصر[13]

---

(١) فى الأصل: لم ترد، و فى ظ: لم يردها، و فى مد: لم يزد (٢-٢) من ظ، و فى الأصل: نشرها و يتم بتحاميها، و فى مد: بتشيرها و سم بتحليها (٣) فى ظ: بفكر (٤) من ظ، و فى الأصل و مد: الحكم (٥) فى مد: يشوع (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: شعبة (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: لكن (٨) فى ظ: قبل، و فى مد: قبل - كذا (٩) من مد، و فى الأصل: ما هو اذا، و فى ظ: ما هوذا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: يلد (١١) فى مد: تدعى. (١٢) سقط من ظ (١٣-١٣) من تاريخ الطبرى ٢/٢٥، و فى الأصل اوعسطس فيضر، و فى ظ: اوعسطس فيصبر، و فى مد: آوعسطس فتصير - كذا.

بأن يكتب جميع المسكونة هذه الكتبة[1] الأولى فى ولاية[2] فرسوس[3] على الشام، فمضى جميعهم ليكتتب[4] كل واحد [منهم -[5]] فى مدينته، فصعد يوسف أيضا من الجليل من [6]مدينة الناصرة[6] إلى اليهودية إلى مدينة داود التى تدعى بيت لحم، لأنه كان من بيت داود و قبيلته ليكتتب[7] مع مريم خطيبته و هى حبلى[8]، [9]فبينما هما هناك[9] إذ تمت أيام ولادتها لتلد، فولدت ابنها البكر و لفته [و تركته -[5]] فى مزود[10] لأنه لم يكن لهما[11] موضع حيث نزلا، و كان فى تلك الكورة رعاة يسهرون[12] لحراسة الليل نوبا على مراعيهم[13]، و إذا ملاك الرب قد وقف بهم و مجد الرب أشرق[14] عليهم، فخافوا خوفا عظيما، قال لهم الملاك[15] : [لا تخافوا -[5]] الآن، هو ذا أبشركم بفرح عظيم يكون لكم و لجميع الشعوب، لأنه ولد لكم اليوم مخلص، الذى هو المسيح فى مدينة داود، و هذه علامة لكم أنكم تجدون طفلا ملفوفا موضوعا فى

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : الكتابة (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : ولادته (٣) فى ظ : قوسوس (٤) فى ظ : ليكتب (٥) زيد من ظ و مد. (٦-٦) من ظ، و فى الأصل : مدينته الناصر، و فى مد : مدينة الناصر (٧) من مد، و فى الأصل : لتكتتب، و فى ظ : ليكتب (٨) فى ظ: حبل (٩-٩) فى ظ : فبيناها هنالك (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : مرود (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : بها (١٢) من ظ، و فى الأصل : يحرسون، و فى مد : يحرسونه. (١٣) فى ظ : مراعتهم (١٤) فى ظ : اشرف (١٥) فى ظ : ملاك الرب.

مزود[1] ، [و -[2]] للوقت بغتة تراءى[3] مع الملاك[4] جنود كثيرة[5] سماويون ، يسبحون الله سبحانه و تعالى و يقولون: المجد[6] لله فى العلى ، و على الأرض السلام ، [و - ٢] فى الناس المسرة ؛ فلما صعد الملائكة إلى السماء قال الرجال الرعاة بعضهم لبعض: امضوا بنا إلى بيت لحم لننظر الكلام الذى أعلمنا به الرب ، فجاؤا مسرعين فوجدوا مريم و يوسف و الطفل موضوعا فى مزود[1] ؛ فلما رأوه علموا أن الكلام الذى قيل لهم عن الصبى حق ، و كل من سمع تعجب مما تكلم به الرعاة ، و كانت مريم تحفظ هذا الكلام كله و تقيه[7] ، و رجع الرعاة يمجدون الله سبحانه و تعالى و يسبحون على كل ما سمعوا و عاينوا كما قيل لهم .

و لما تمت ثمانية أيام [أتوا به - [8]] ليختتن[9] و دعوا اسمه يسوع[10] كالذى دعاه الملاك قبل أن تحبل به فى البطن ، فلما كملت[11] أيام تطهيرها - على ما فى ناموس موسى - صعدوا به إلى يروشليم ليقيموه للرب ، كما هو مكتوب فى ناموس الرب ١٢ أن كل ذكر فاتح[13] رحم أمه يدعى قدوس الرب ، و يقرب عنه - كما هو مكتوب فى / ناموس الرب - زوج ٣٨٤ /

(١) من ظ ، و فى الأصل و مد : مدود (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل وظ : يترا اى (٤) فى ظ : الملوك (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كثير (٦) فى ظ : الحمد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقية (٨) زدناه من تاريخ اليعقوبى ١/٧٤ كى ينتسق الكلام (٩) فى ظ : ليختتن (١٠) فى مد : يشوع (١١) فى ظ : اكملت (١٢) العبارة من هنا إلى « ناموس الرب » الآتى سقطت من ظ (١٣) من مد ، و فى الأصل : فايح - كذا .

يمام أو فرخا[١] حمام ؛ و كان إنسان بايروشليم اسمه شمعون[٢] ، و كان رجلا بارا تقيا ، يرجو[٣] عز بنى إسرائيل ، و روح[٤] القدس كان عليه ، و كان يوحى إليه من روح القدس أنه لا يموت حتى يعاين المسيح الرب ، فأقبل بالروح إلى الهيكل عند ما جاؤا بالطفل يسوع[٥] ليصنى[٦] عنه - كما يجب فى الناموس[٧] ، فحمله على ذراعه و بارك[٨] الرب قائلا : الآن يا سيد ! أطلق عبدك[٩] بسلام لكلامك[١٠] ، لأن عينى أبصرتا[١١] خلاصك[١٢] الذى أعددت قدام جميع الشعوب ، نور[١٣] استعلن[١٤] للأمم و مجد[١٥] لشعبك إسرائيل ؛ و كان يوسف و أمه يتعجبان مما يقال عنه[١٦] ، و باركهما شمعون[١٧] و قال لمريم أمه[١٨] : هو ذا هذا موضوع[١٩] لسقوط كثير[٢٠] و قيام كثير من [بنى -[٢١]] إسرائيل . و كانت حنة النبية[٢٢] ابنة فانوئل[٢٣] من[٢٤] سبط أشير[٢٥] قد طعنت[٢٦] فى أيامها و أقامت مع

(١) فى مد : فرضا (٢) فى ظ : سمعون (٣) من ظ ، و فى الأصل : فرحو ، و فى مد : مدحوا - كذا (٤) فى مد : زوج (٥) فى مد : يشوع (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليضيقا (٧) فى ظ : الناس (٨) فى ظ : ناول (٩) فى مد : عندك . (١٠) فى مد : ككلامك (١١) من ظ ، وفى الأصل : ابصرنا ، وفى مد : ابصربا . (١٢) فى مد : خلاص (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : نورثها (١٤) فى ظ : اشتعل (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مجدا (١٦) فى ظ : عنهما (١٧) فى الأصول : سمعان (١٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : احد (١٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : موضع (٢٠) فى ظ : كثيرا (٢١) زيد من ظ (٢٢) فى الأصل : السيد - كذا ، و فى ظ و مد : السه - كذا غير منقوط (٢٣) من كتاب البدء و التاريخ ٣/٦ ، و فى الأصل : فابويل ، و فى ظ : قانوبل ، و فى مد : فانوبل . (٢٤) فى ظ : عن (٢٥) فى ظ : اسير (٢٦) فى الأصل : ظعنت ، و فى ظ : لعنت ، و فى مد : طلعت .

زوجها سبعة[1] و ستين بعد بكوريتها[2]، و ترملت أربعة و ثمانين عاما غير مفارقة للهيكل عائدة للصوّم، و للطلبة[3] ليلا و نهارا، و فى تلك الساعة جاءت قدامه معترفة لله و كانت تتكلم[4] من أجله عند كل أحد، تترجى[5] خلاص يروشليم[6]. فلما أكملوا كل شيء على ما فى ناموس الرب[7] رجعوا إلى الجليل[8] إلى مدينتهم الناصرة، فأما الصبى فكان ينشأ[9] و يتقوى بالروح و يمتلئ بالحكمة، و نعمة الله كانت عليه، و أبواه يمضيان إلى يروشليم[6] فى كل سنة فى[10] عيد الفصح[10].

و قال متى: فلما ولد يسوع[11] فى بيت لحم يهودا فى أيام هيرودس الملك إذا مجوس وافوا[12] من المشرق[13] إلى يروشليم[6] قائلين: أين هو المولود ملك اليهود لأنا رأينا نجمة فى المشرق، و وافينا لنسجد[14] له، فلما سمع هيرودس الملك اضطرب و جمع يروشليم[15] و جمع كل رؤساء الكهنة و كتبة الشعب و استخبرهم: أين يولد المسيح؟ فقالوا

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: سبعا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بكر.
(٣) فى ظ: الطلبة (٤) فى مد: يتكلم (٥) من ظ، و فى الأصل و مد: ترعى (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: يروسليم (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ، و فى الأصل و مد: الخليل (٩) فى ظ: ينسا (١٠ - ١٠) من تاريخ اليعقوبى ١/٧٤، و فى النسخ: عيد النسخ (١١) فى مد: يشوع (١٢) من ظ، و فى الأصل: واقرا، و فى مد: وافرا (١٣) فى ظ: الشرق (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل: نسجد.
(١٥) أى أهل يروشليم.

[له -[1]] : فى بيت لحـــم أرض يهودا - كما هو مكتوب فى النبي[2] :
و أنت يا بيت لحم أرض يهودا لست بصغيرة[3] فى ملوك يهود، يخرج
منك مقدم، الذى يرعى [4] شعب بنى[4] إسرائيل. حينئذ دعا هيرودس
و الروم المجوس سرا، و تحقق منهم الزمان الذى ظهر لهم فيه النجم
٥ و أرسلهم إلى بيت لحم قائلا: امضوا فابحثوا عن الصبي باجتهاد، فاذا
وجدتموه فأخبرونى لآتى[5] أنا و أسجد له، فلما سمعوا من الملك ذهبوا،
و إذا النجم الذى رأوه فى المشرق يقدمهم حتى جاء و وقف حيث كان
الصبي، فلما رأوا النجم فرحوا فرحا عظيما جدا، و أتوا إلى البيت فرأوا
الصبي مع مريم أمـــه، فخروا له سجدا و فتحوا أوعيتهم و قدموا[6] له
١٠ قرابين ذهبا و لُبانا[7] و مُرّا[8]، و أوحى إليهم فى الحلم[9] أن لا يرجعوا[10]
إلى هيرودس، بل يذهبوا[11] فى طريق أخرى إلى كورتهم، فلما ذهبوا
و إذا ملاك[12] الرب تراءى ليوسف[13] فى الحلم[9] قائلا: [14] قم، خذ[14]
الصبي و أمه و اهرب إلى أرض مصر و كن هناك حتى أقول لك، فان
هيرودس مزمع[15] أن يطلب الصبي ليهلكه، فقام و أخذ الصبي و أمه

(١) زيـد من ظ و مـد (٢) أى سفر النبي - كما مر، و المراد بالنبي أشعيا.
(٣) فى ظ: لصغين (٤ - ٤) من ظ، و فى الأصل و مد: شعبى (٥) فى ظ:
لاق (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: قربوا (٧) اللبان: الكندر (٨) المر:
مائع يسيل من شجرة فيجمد و هو طيب الرائحة مر الطعم (٩) فى ظ: الحكم.
(١٠) فى ظ: لا ترجعوا (١١) فى الأصول: يذهبون (١٢) فى ظ و مد: ملك.
(١٣) فى ظ: يوسف (١٤-١٤) فى ظ: ثم أخذ (١٥) فى ظ: مرمع.

ليلا ، و مضى [1] إلى مصر [1] و كان هناك إلى وفات هيرودس ، [2] - لكى يتم ما قيل من قبل الرب بالنبى القابل [3] من مصر : دعوت ابنى ؛ حينئذ لما رأى هيرودس] سخرية [4] المجوس به غضب جدا و أرسل ، فقتل كل صبيان بيت لحم و كل تخومها من ابن سنتين [5] فما دون ، كنحو الزمان الذى تحقق عنده من المجوس ، حينئذ تم ما قيل [6] من أرميا النبى حيث يقول : صوت [7] سمع فى الزأمة [8] ، بكاء و نوح و عويل كثير ، راحيل [9] تبكى على بنيها [10] و لا تريد أن تتعزى [11] لفقدهم ؛ فلما مات هيرودس ظهر ملاك [12] الرب ليوسف فى الحلم [13] بمصر قائلا : [11] قم ، خذ [14] الصبى و أمه و اذهب إلى أرض إسرائيل ؛ فلما سمع أن أورشلاوش قد ملك على اليهودية عوض هيرودس أبيه [15] خاف أن يذهب إلى هناك ، فأخبر فى الحلم [16] و ذهب إلى حور [17] ناحية الجليل [18] ، فأتى و سكن فى مدينة تدعى ناصرة لكى يتم ما قيل فى الأنبياء : إنه يدعى ناصريا [19] .

(١ - ١) سقط من ظ (٢) العبارة المحجوزة زيدت من ظ و مد (٣) فى ظ : القائل (٤) فى ظ : سخربه (٥) فى ظ : سنن - كذا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعل (٧) سقط من ظ (٨) أى الصوت الشديد (٩) من مد ، و فى الأصل : مراحيل ، و فى ظ : واخيل (١٠) من مد ، و فى الأصل : بينها ، و فى ظ : بنتها . (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تتقرى (١٢) فى ظ و مد : ملك (١٣) فى ظ : الحكم (١٤-١٤) فى ظ : ثم اخذ (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابنه . (١٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحكم (١٧) فى ظ : حوز (١٨) من ظ ، و فى الأصل و مد : الخليل (١٩) فى ظ و مد : ناصرنا .

٣٥٨ / و فى إنجيل لوقا: فلما تمت له اثنتا عشرة[١] / سنة مضوا إلى يروشليم[٢] إلى[٣] العيد كالعادة، فلما كملت الأيام ليعودوا تخلف عنهما يسوع[٤] فى يروشليم[٢] و لم تعلم[٥] أمه و يوسف، لأنهما كانا يظنان أنه مع السائرين فى الطريق، فلما ساروا نحو يوم طلباه عند أقربائهما و معارفهما فلم ٥ يجداه، فرجعا إلى يروشليم يطلبانه، و بعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل جالسا بين العلماء يسمع منهم و يسألهم، وكان كل من يسمعه مبهوتين من علمه و إجابته لهم، فلما أبصراه بهتا[٦]، فقالت [له -[٧]] أمه: يا بنى! ما هذا الذى صنعت بنا[٨]؟ إن أباك و أنا كنا نطلبك باجتهاد معذبين، فقال لهما: لم تطلبانى؟ أما تعلمان أنه ينبغى أن أكون فى الذى لأبى؟ ١٠ فأما هما فلم يفهما الكلام و[٩] نزل معهما و جاء إلى الناصرة و كان يطيعهما[١٠]، فأما[١١] يسوع[٤] فكان ينشأ فى قامته [و -[٧]] فى الحكمة و النعمة عند الله و الناس.

قال متى: و فى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان[١٢] يكرز[١٣] فى برية

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اثنا عشرة (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: يروسليم (٣) العبارة من هنا إلى «فى يروشليم» سقطت من ظ (٤) فى مد: يشوع (٥) فى ظ: لم يعلم (٦) فى ظ: ابهتا (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ: بيان (٩) زيد بعده فى الأصل: جاء، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: يطيقهما (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: ما (١٢) فى الأصل و ظ: العمدانى، و فى مد: الهمدانى - كذا (١٣) فى ظ: بكرز.

يهودا - إلى آخر ما تقدم آنفا من بشارة يحيي عليه الصلاة و السلام به ، ثم قال : حينئذ[1] أتى يسوع[2] من الجليل إلى الأردن ليعتمد من يوحنا ، [3]فامتنع يوحنا[3] منه و قال : أنا المحتاج أن أعتمد منك و أنت تأتى إلى ، فأجاب يسوع[2] : دع الآن ، هكذا يجب لنا أن نكمل[4] كل البر ، حينئذ تركه فاعتمد يسوع[2] ، و للوقت صعد من الماء فانفتحت له السماوات ، ٥ و رأى روح الله نازلا كمثل حمامة جائيا[5] إليه . و قال مرقس[6] : و كان تلك الأيام جاء يسوع[2] من ناصرة الجليل و اصطنع[7] فى نهر الأردن من يوحنا ، فساعة صعد من الماء [8]رأى السماوات[8] قد انشقت ، و روح القدس كالحمامة نزلت عليه ، و للوقت أخرجه الروح إلى البرية ، و أقام بها أربعين يوما و أربعين ليلة ، [و هو مع الوحوش ، و الملائكة ١٠ تخدمه . و قال متى : و صام أربعين يوما و أربعين ليلة -[9]] . و قال لوقا : و كان لما اعتمد جميع الشعب و اعتمد يسوع[2] فبينما[10] هو يصلى انفتحت السماء و نزل عليه روح القدس شبه جسد حمامة ، و كان قد صار ليسوع[11] ثلاثون سنة و كان يُظنّ أنه ابن يوسف و أن[12] يسوع[2] امتلأ من روح القدس و رجع من الأردن ، فانطلق به الروح أربعين يوما ، ١٥

(١) تقدم فى الأصل على « ثم قال » (٢) فى مد : يشوع (٣-٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : يكمل (٥) من مد ، و فى الأصل : جانيا ، و فى ظ : جاءما - كذا .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مرقش (٧) فى مد : اصطبغ (٨-٨) فى ظ : فارى السماء (٩) العبارة المحجوزه زيدت من مد (١٠) من ظ ، و فى الأصل و مد : فيما (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : لتسوع - كذا (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابن .

لم يأكل شيئا فى تلك الأيام ؛ ثم قال : و رجع يسوع[١] إلى الجليل بقوة الروح و خرج خبره فى كل الكورة ، و كان يعلم فى مجامعهم و يمجده كل أحد ، و جاء إلى الناصرة حيث كان تربى و دخل كعادته[٢] إلى مجمعهم[٣] يوم السبت ، و قام ليقرأ[٤] فدفع إليه سفر أشعيا[٥] النبى ، فلما فتح السفر وجد الموضع الذى فيه مكتوب : روح الرب علىّ ، من أجل هذا مسحنى و أرسلنى لأبشر المساكين و أشفى منكسرى[٦] القلوب و أبشر[٧] المأسورين بالتخلية و العميان بالنظر ، و أرسل المربوطين[٨] بالتخلية ، و أبشر بالسنة المقبولة للرب و الأيام التى[٩] أعطانا إلهنا ؛ ثم طوى السفر و دفعه إلى الخادم و جلس ، و كل من كان[١٠] فى الجمع[١١] كانت عيونهم[١٢] محدقة إليه ، فبدأ يقول لهم : اليوم كمل هذا المكتوب بأسماعكم ؛ و فى إنجيل يوحنا : إن يسوع[١] قال : إن كنت أنا أشهد لنفسى فليست[١٣] شهادتى حقا ، و لكن الذى يشهد لى بها حق ، أنتم أرسلتم إلىّ يوحنا فشهد لى بالحق ، و أما أنا فلست أطلب شهادة من إنسان و لكنى

---

(١) فى مد : يشوع (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كعادية (٣) سقط من ظ . (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليقوى (٥) من تاريخ اليعقوبى ١/٧٤ ، و فى الأصول : شعيا (٦) فى ظ : منكسر (٧) فى الأصول : و انذر ، و مبنى التصحيح ما ورد فى تاريخ اليعقوبى ١ / ٧٥ : و لأبشر المسبيين بالخلاص و العميان بالبصر (٨) فى ظ : المربوتين (٩) فى ظ : الذى (١٠) هكذا فى مد و ظ ، و تقدم فى الأصل على « كل من » (١١) فى ظ : الحبيم - كذا (١٢) فى ظ : عينهم (١٣) فى ظ : فليس .

أقول هذا لتخلصوا أنتم ، و أنا على أعظم من شهادة يوحنا لأن الأعمال التى أعملها تشهد من أجلى أن الرب[1] أرسلنى ، و الذى أرسلنى قد شهد لى و لم تسمعوا[2] قط صوته و لا عرفتموه و لا رأيتموه ، و كلمته لا تثبت[3] فيكم لأنكم لستم تؤمنون بالذى أرسل ، فتشوا[4] الكتب التى تظنون أن تكون لكم بها[2] حياة الأبد فهى تشهد من أجلى ، لست ٥ آخذ المجد من الناس ، أنا أتيت[5] باسم أبى[5] فلم تقبلونى[6] ، و إن أتاكم آخر باسم نفسه قبلتموه ، كيف تقدرون أن تؤمنوا و إنما تقبلون المجد بعضكم من بعض و لا تظنون أن[2] المجد من الله تعالى الواحد ، لا تظنوا أنى أشكوكم[2] ، إن لكم من / يشكوكم[8] : موسى الذى [عليه -[9]] / ٣٨٦ تتوكلون ، فلو كنتم آمنتم بموسى آمنتم بى ، لأن ذلك كتب من أجلى ، ١٠ و إن كنتم لا تؤمنون بكتب ذلك[11] فكيف تؤمنون بكلامى - انتهى ما وقع الاختيار أخيرا على إثباته هنا و فيه من الألفاظ المنكرة[12] فى شرعنا إطلاق الأب و الابن ، و قد تقدم التنبيه على مثل ذلك .

و لما أتاهم سبحانه و تعالى من أمر عيسى عليه الصلاة و السلام بالفصل فى البيان الذى ليس بعده إلا العناد ، فبين أولا ما تفضل[11] فيه ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاب (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تنبت (٤) فى ظ : فتسوا ، و فى مد : فتسنوا - كذا (٥ - ٥) فى ظ : باسما بنى (٦) فى ظ : فلم نقبلون (٧) فى الأصول : اشكركم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يشكركم (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ ، و فى الأصل : لك ، و فى مد : ذاك (١١) فى ظ : النكرة (١٢) فى ظ : ينقل ، و فى مد : تنقل .

عيسى عليه الصلاة و السلام [1] من أطوار الخلق الموجبة للحاجة المنافية للالهية ، ثم فضح بتمثيله بآدم عليه الصلاة و السلام شبهتهم ، ألزمهم على تقديره بالفيصل [2] الأعظم للعاند الموجب للعذاب المستأصل أهل [3] الفساد فقال سبحانه و تعالى : ﴿ فمن ﴾ أى فتسبب عما آتيناك به من الحق فى أمره أنا [4] نقول لك [5] : [من - [6]] ﴿ حاجك فيه ﴾ أى خاصمك بايراد حجة ، أى كلام يجعله [7] فى عداد ما يقصد .

و لما كان الملوم إنما هو من بلغته هذه الآيات و عرف معناها دون من حاج [8] فى الزمان الذى هو بعد نزولها دون اطلاعه عليها قال : ﴿ من ﴾ أى مبتدئا [9] المحاجة [10] من [1] ، و يجوز أن يكون [12] الإتيان بمن لئلا يفهم أن المباهلة تختص بمن استغرق زمان البعد بالمجادلة ﴿ بعد ما جاءك من العلم ﴾ أى الذى أنزلناه إليك و قصصناه عليك فى أمره ﴿ فقل تعالوا ﴾ أى أقبلوا أيها المجادلون إلى [13] أمر نعرف فيه علو المحق [14] و سفول المبطل ﴿ ندع ابناءنا و ابناءكم ﴾ أى الذين [15] هم أعز ما عند الإنسان لكونهم بعضه ﴿ و نساءنا و نساءكم ﴾ أى اللاتى هن أولى ما يدافع عنه

(١) العبارة من هنا إلى « و السلام » الآتى سقطت من ظ (٢) فى ظ : الفصل. (٣) فى ظ : اصل (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : يجهله (٨) فى النسخ : حاجج (٩) زيد فى الأصل « من » (١٠) من ظ ، و فى الأصل : المحاججة ، و فى مد : المحاحجة (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ : تكون (١٣) من مد ، و فى الأصل وظ : اى (١٤) فى ظ : الحق (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى .

أولو الهمم العوالى[1] ﴿ و انفسنا و انفسكم قف ﴾ فقدم ما يدافع[2] عنه ذوو[3] [4]الأحساب و يفدونه بنفوسهم[4]، و قدم منه الأعز الألصق بالأكباد[5] و ختم بالمدافع، و هذا الترتيب على سبيل الترقى إذا اعتبرت أنه قدم[6] الفرع ثم الأصل و بدأ بالأدنى و ختم بالأعلى، و فائدة الجمع الإشارة إلى القطع بالوثوق بالكون [7]على الحق[7]. ثم ذكر ما له هذا الجمع مشيرا بحرف التراخى إلى خطر الأمر و أنه مما ينبغى الاهتمام به و التروى له و إمعان النظر فيه لوخامة العاقبة و سوء المنقلب للكاذب فقال: ﴿ ثم نبتهل ﴾ أى نتضرع - قاله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كما نقله الإمام أبو حيان فى نهره. و قال الحرالى: الابتهال طلب البهل، و البهل أصل معناه التخلى[8] و الضراعة فى مهم مقصود - انتهى. ﴿ فنجعل لعنت الله ﴾ [أى -[9]] [10]الملك الذى له العظمة كلها فهو يجير و لا يجار عليه[10]، أى إبعاده[11] و طرده ﴿ على الكذبين ۝ ﴾ [و -[9]] قال ابن الزبير بعد ما تقدم من كلامه: ثم لما أتبعت[12] قصة آدم عليه الصلاة و السلام - يعنى فى البقرة - بذكر بنى إسرائيل لوقوفهم من تلك القصص على ما

(١) فى النسخ: العوال (٢) فى ظ: يدفع (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ذوا (٤-٤) فى ظ: الاجتناب و يعدونه لنفوسهم. و فى مد: الاحساب و يعدونه بنفوسهم (٥) من مد، و فى الأصل: بالالباد، و فى ظ: باكباد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: مذموم - كذا (٧ - ٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: النحل. (٩) زيد من مد (١٠ - ١٠) تأخرت فى ظ عن «إبعاده» (١١) فى ظ: ابعاد. (١٢) فى ظ: انتفت.

لم تكن العرب تعرفه، وأنذروا و حذروا، أتبعت[1] قصة عيسى عليه الصلاة و السلام - يعني هنا - بذكر الحواريين وأمر النصارى إلى آية المباهلة - انتهى .

ولما كان العلم الأزلي حاصلا بأن المجادلين في أمر عيسى عليه الصلاة و السلام يكفون عن المباهلة بعد المجادلة خوفا من الاستئصال في العاجلة مع الخزي الدائم في الآجلة، و كان كفهم[2] عن ذلك موجبا للقطع بابطالهم في دعواهم لكل من يشاهدهم أو يتصل به خبرهم، حسن كل الحسن تعقيب[3] ذلك بقوله - تنبيها على ما فيه من العظمة - : ﴿ان هذا﴾ أي الذي تقدم ذكره [من أمر عيسى عليه السلام و غيره -[4]] ﴿لهو﴾ أي خاصة دون غيره مما يضاده ﴿القصص الحق[5]﴾ و القصص - كما قال الحرالي - تتبع الوقائع بالإخبار[5] عنها شيئا بعد شيء على ترتيبها، في معنى قص[6] الأثر، و هو اتباعه حتى ينتهي إلى محل ذي الأثر - انتهى .

و لما بدأ سبحانه و تعالى القصة أول السورة بالإخبار بوحدانيته مستدلا على ذلك بأنه الحي القيوم صريحا[7] ختمها بمثل ذلك إشارة[7] و تلويحا فقال - عاطفا على ما أنتجه ما تقدم من أن عيسى صلى الله عليه و سلم عبد الله و رسوله معمما للحكم معرقا[8] بزيادة الجار[9] في النفي : ﴿و ما من اله﴾ أي معبود بحق، لأن له صفات الكمال، فهو[10] بحيث /٣٨٧

(١) في ظ : اتبعة (٢) في مد : يفهم (٣) من ظ و مد، و في الأصل : تعقبت .
(٤) ما بين الحاجزين زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و في الأصل : الاخبار .
(٦) في ظ : اقص (٧-٧) في ظ : ختم ذلك إشارة (٨) في ظ : مغرقا (٩) في ظ : المجاز (١٠) في ظ : و هو .

يضر و ينفع ﴿ الا الله[1] ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ، لأنه الحى القيوم -كما مضى التصريح به ، فاندرج فى ذلك عيسى عليه الصلاة و السلام و غيره ، و قد علم من هذا السياق أنهم لما علموا[1] تفرده[2] تركوا المباهلة رهبة منه سبحانه و تعالى علما منهم بأنهم له عاصون و لحقّه مضيعون و أن ما يدعون إلهيته لا شىء فى يده من الدفع عنهم و لا من النفع لهم ، فلا برهان أقطع من هذا .

و لما كان [فى - ٣] نفى العزة و الحكمة عن غيره تعالى نوع خفاء[4] أتى بالوصفين على طريق الحصر فقال - عاطفا على ما قدّرته مما[5] أرشد السياق إلى أنه علة ما قبله من نفى - : ﴿ و ان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ لهو ﴾ أى وحده ﴿ العزيز الحكيم * ﴾ و هذا بخلاف الحياة و القيومية فانه لم يؤت بهما على طريق الحصر لظهورهما ، و قد علم بلا شبهة بما علم من أنه لا عزيز و لا حكيم إلا هو أنه لا إله إلا هو .

و لما ثبت ذلك كله[6] سبب عنه[7] تهديدهم على الإعراض[8] بقوله - منبها بالتعبير بأداة الشك على أنه لا يعرض عن هذا [9]المحل البين[9] إلا من كان عالما بأنه مبطل ، و مثل ذلك لا يظن بذى عقل و لا مروة ،

(١) فى ظ : قالوا - كذا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : انفراده (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : خفى (٥) زيد فى الأصل : الحياة و القيومية فانه لم يوت بهما على طريق الحصر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها ، و ستأتى بعد اختتام الآية (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : عليه (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاغراض (٩ - ٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحل المبين .

فمن حق ذكره أن يكون من قبيل فرض المحالات[١] -: ﴿ فان تولوا ﴾ أى عن إجابتك إلى ما تدعو إليه ﴿ فان الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ عليم ﴾ بهم، هكذا [كان -[٢]] الأصل، فعدل عنه لتعليق الحكم بالوصف تنفيرا من مثل حالهم فقال: ﴿ بالمفسدين ﴾ أى فهو ٥ يحكم فيهم بعلمه فينتقم منهم لفسادهم بعزته انتقاما يتقنه[٣] بحكمته فينقلبون منه بصفقة خاسر و لا يجدون[٤] من ناصر.

و لما نكصوا عن المباهلة بعد أن [أورد -[٥]] عليهم أنواع الحجج فانقطعوا، فلم تبق[٦] لهم شبهة و قبلوا[٧] الصغار و الجزية، فعلم انحلالهم عما كانوا فيه من المحاجة[٨] و لم يبق إلا إظهار النتيجة، اقتضى ذلك عظم ١٠ تشوفه[٩] صلى الله عليه و سلم إليها [١٠] لعظم حرصه صلى الله عليه و سلم على هداية الخلق[١٠]، فأمره[١١] بأن[١٢] يذكرها مكررا إرشادهم بطريق أخف مما[١٣] مضى بأن يؤنسهم[١٤] فيما يدعوهم[١٥] إليه بالمؤاسلة[١٦]، فيدعو دعاء يشمل[١٧] المحاجين[١٨] من النصارى و غيرهم ممن[١٩] له كتاب من اليهود و غيرهم إلى الكلمة التى قامت البراهين على حقيتها[٢٠] و نهضت الدلائل على صدقها،

---

(١) فى ظ: بالحالات (٢) زيد من مد (٣) فى ظ: سعته - كذا (٤) فى الأصول: تجدون (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ: فلم يبق (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: و قيل (٨) من ظ، و فى الأصل و مد: المحاجة (٩) فى ظ: شوقه، و فى مد: تشوفه - كذا (١٠-١٠) سقطت من مد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: فأمرها (١٢) فى ظ: ان (١٣) فى ظ: بما (١٤) فى ظ: يومهم (١٥) من مد، و فى الأصل: يوعدهم، و فى ظ: يدعون (١٦) فى ظ: المساواة (١٧) فى مد: تشمل (١٨) من ظ، و فى الأصل و مد: المحاجين (١٩) فى ظ: من: (٢٠) من مد و ظ، و فى الأصل: حقيقتها.

دعاء [لا - ١] أعدل منه، على وجه يتضمن نفى ما قد يتخيل من إرادة التفضل عليهم ٢ و الاختصاص بأمر دونهم، و ذلك أنه ٣ بدأ بمباشرة ما دعاهم ٤ إليه و رضى لهم ما رضى لنفسه و ما اجتمعت عليه الكتب و اتفقت عليه الرسل فقال سبحانه و تعالى: ﴿ قل ﴾ و لما كان قد ٢ انتقل من طلب الإفحام ٥ خاطبهم تلطفا بهم بما يحبون فقال: ﴿ يآهل الكتب ﴾ إشارة إلى ما عندهم فى ذلك من العلم ﴿ تعالوا ﴾ أى ٢ ارفعوا ٦ أنفسكم من حضيض ٧ الشرك الأصغر و الأكبر الذى أنتم به ﴿ الى كلمة ﴾ ثم وصفها بقوله: ﴿ سوآء ﴾ أى ذات عدل لا شطط فيه بوجه ﴿ بيننا و بينكم ﴾ ثم فسرها ٨ بقوله: ﴿ الا نعبد الا الله ﴾ أى لأنه الحائز لصفات الكمال، و أكد ذلك بقوله: ﴿ و لا نشرك به شيئا ﴾ أى لا نعتقد له شريكا و إن لم نعبده.

و لما كان التوجه إلى غير الله خلاف ما تدعو إليه الفطرة ٩ الأولى عبر بصيغة الافتعال فقال: ﴿ و لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا ﴾ [أى - ١] كعزير ١٠ و المسيح و الأحبار و الرهبان الذين يحلون و يحرمون. و لما كان الرب قد يطلق على ١١ المعلم و المربى ١١ بنوع تربية [نبه - ١] على

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: لأنه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: دعا (٥) فى ظ: الاقحام (٦) من ظ، و فى الأصل و مد: ارفقوا (٧) من مد، و فى الأصل: خصيص، و فى ظ: حصيص (٨) فى ظ: فسره (٩) فى ظ: النظرة (١٠) فى ظ: لعزير (١١ - ١١) من ظ و مد، و فى الأصل: المربى و المعلم.

أن المحذور إنما هو اعتقاد الاستبداد، و الاجتراء على ما يختص به الله / سبحانه و تعالى فقال: ﴿ من دون الله ط ﴾ الذى اختص بالكمال.

و لما زاحت الشكوك و انتفت العلل أمر بمصارحتهم بالخلاف فى سياق ظاهره المتاركة [و باطنه الإنذار الشديد المعاركة فقال - مسببا عن ٥ ذلك مشيرا بالتعبير بأداة الشك - [1]] إلى أن الإعراض[2] عن هذا[3] العدل لا يكاد يكون -: ﴿ فان تولوا ﴾ أى عن الإسلام [له - ١] فى التوحيد ﴿ فقولوا ﴾ أنتم تبعا لأبيكم إبراهيم عليه السلام إذ قال: "اسلمت لرب العٰلمين[4]"، [5]و امتثالا لوصيته[5] إذ قال: ["و لا تموتن الا و انتم مسلمون[6] " - [1]] ﴿ اشهدوا بانا ﴾ أى نحن ﴿ مسلمون ه ﴾ أى متصفون ١٠ بالإسلام منقادون لأمره، فيوشك أن يأمرنا نبيه[7] صلى الله عليه و سلم بقتالكم لنصرته عليكم جريا على عادة الرسل، فنجيبه بما أجاب به الحواريون المشهدون بأنهم مسلمون، ثم نبارزكم متوجهين إليه معتمدين عليه، و أنتم تعرفون أيامه الماضية[8] و وقائعه السالفة[8].

و لما علم أهل الكتاب ما جبل [9]عليه العرب[9] من محبة أبيهم ١٥ إبراهيم عليه الصلاة و السلام و أن محمدا صلى الله عليه و سلم أتى بدينه كما تقدم فى قوله سبحانه و تعالى "بل ملة ابرٰهم حنيفا و ما كان من

---

(١) زيد من مد و ظ (٢) فى الأصول: الاغراض (٣) فى ظ: نداء (٤) سورة ٢ آية ١٣١ (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: و امنت لالوهيته - كذا. (٦) سورة ٢ آية ١٣٢ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بنبيه (٨-٨) فى ظ: و وقائعة السالفون (٩-٩) من مد، و فى الأصل: على الحرب، و فى ظ: عليه.

المشركين [1] " اجتمع ملأ من قرابتهم [2] بحضرة النبي صلى الله عليه و سلم ، و ضلل كل منهم الآخر و ادعى [كل - ٣] منهم قصدا لاجتذاب [4] المسلمين إلى ضلالهم بكيدهم [5] و محالهم اتباع إبراهيم عليه الصلاة و السلام بأنه صلى الله عليه و سلم كان [6] على دينهم ، و لم يكن لذلك ذكر فى كتابهم ، مع أن العقل يرده بأدنى التفات ، لأن دين كل منهم إنما قرر بكتابهم ، و كتابهم إنما نزل [7] على نبيهم ، و نبيهم إنما كان بعد إبراهيم عليه الصلاة و السلام بدهور متطاولة ، و اليهود ينسبون إلى يهوذا [8] بن يعقوب عليه السلام ، لأخذه البكورية عن أخيه بنيامين لأمر مذكور فى كتابهم ، و النصارى ينسبون إلى الناصرة [9] مخرج عيسى عليه الصلاة و السلام فى جبل الجليل ، و لا يعقل أن يكون المتقدم على دين [10] ما حدث إلا بعده و على نسبة متأخرة عنه ، و كان دينه صلى الله عليه و سلم إنما هو الإسلام ، و هو الحنيفية السمحة فقال سبحانه و تعالى مبكتا [11] لهم : ﴿ يآهل الكتب ﴾ كالمعلل لتبكيتهم ، لأن الزلة من العالم أشنع ﴿ لم تحآجون فى ابرٰهيم ﴾ فيدعيه [12] كل من فريقكم ﴿ و ١٣ ﴾

(١) سورة ٢ آية ١٣٥ (٢) فى ظ : قربتهم ، و فى مد : قرايعتهم (٣) زيد من ظ و مد (٤) من مد ، وفى الأصل : لا اجتذاب ، و فى ظ : اجتذاب (٥) العبارة من هنا إلى « فى كتابهم » متكررة فى ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : انزل . (٨) من تاريخ الطبرى ١/٣١ ، و فى الأصول : يهود (٩) فى ظ : الناصر (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : دينه (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : متكيا (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يدعيه (١٣) زيد فى ظ و مد : ما . و العبارة من بعده إلى « انزلت » سقطت من مد .

الحال أنــه ﴿ ما[1] انزلت[2] التورية و الانجيل ﴾ المقرر كل[3] منهما لأصل دين متجدد[4] منكم ﴿ الا ﴾ و لما كان إنزال [5]كتاب كل[5] منهم غير مستغرق للزمان الآتى بعده أدخل الجار فقال: ﴿ من بعده[6] ﴾ [و أعظم ما يتمسك به كل فرقة منهما السبت و الأحد ، و لم يكن ما يدعونه فيهما فى شريعة إبراهيم عليه السلام ، لا يقدرون على إنكار ذلك ، و لا يأتى مثل ذلك فى دعوى أنه مسلم ، لأن الإسلام الذى هو الإذعان للدليل معنى قديم موجود من حين خلق الله العقل ، و الدليل أنه لا يقدر أحد أن يدعى أنه ما حدث إلا بعد إبراهيم عليه السلام كما قيل فى الدينين المذكورين -[6]] .

و لما كان الدليل العقلى واضحا فى ذلك ختم الآية بقوله منكرا عليهم: ﴿ افلا تعقلون ﴾ أى هب أنكم لبستم و ادعيتم أن ذلك فى كتابكم زورا و بهتانا ، و ظننتم أن ذلك [يخفى -[6]] على من لا إلمام له بكتابكم ، فكيف غفلتم عن البرهان العقلى ! ثم استأنف تبكيتا آخر فقال منبها لهم مكررا التنبيه إشارة إلى طول رقادهم أو شدة عنادهم: ﴿ هَانتم هَؤلاء ﴾ أى الأشخاص الحمقى[7] ، ثم بين ذلك بقوله: ﴿ حاججتم ﴾ أى قصدتم مغالبة من يقصد الرد عليكم ﴿ فيما لكم به علم ﴾ أى نوع

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : انزل (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بكل .
(٤) فى ظ : منتحله ، و فى مد : متحله - كذا (٥ - ٥) فى ظ : كل كتاب .
(٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخفى .

من

من العلم من[1] أمر موسى [و عيسى - ٢] عليهما[3] الصلاة و السلام لذكر كل منهما فى كتابكم و إن كان جدالكم فيهما[4] على خلاف ما تعلمون من أحوالهما عنادا[5] أو[6] طغيانا ﴿ فلم تحاجون ﴾ أى تغالبون بما تزعمون أنه[7] [حجة - ٨] ، و هو لا يستحق أن يسمى شبهة[9] فضلا عن أن يكون حجة ﴿ فيما ليس لكم به علم ط ﴾ أصلا ، لكونه لا ذكر له فى كتابكم بما حاججتم فيه[10] مع مخالفته لصريح العقل ﴿ و الله ﴾ أى[11] المحيط بكل شىء ﴿ يعلم ﴾ أى و أنتم تعلمون[12] [أن - ١٣] مجادلتكم فى الحقيقة إنما هى مع الله سبحانه و تعالى ، [و تعلمون - ٨] أن علمه محيط بجميع ما جادلتم فيه ﴿ و انتم ﴾ أى و تعلمون أنكم أنتم ﴿ لا تعلمون ه ﴾ أى ليس لكم علم أصلا إلا ما علمكم الله سبحانه و تعالى ، هذا على تقدير كون « ها » فى « هانتم » للتنبيه ، و نقل شيخنا ابن الجزرى فى كتابه « النشر فى القراءات / العشر »[14] عن أبى عمرو[15] بن العلاء[15] و عن[11] أبى الحسن الأخفش أنها[16] بدل من همزة ؛ و روى عن أبى حمدون عن اليزيدى أن أبا عمرو قال : و إنما هى "[17] اتم[17]" ممدودة ، فجعلوا الهمزة

/ ٣٨٩

(١) فى ظ : فى ، و سقط من مد (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : عليه (٤) من ظ و مد ، و لا يتضح فى الأصل (٥) فى مد : عناد (٦) فى ظ « و » (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اية (٨) زيد من ظ و مد (٩) فى ظ : لشبهة (١٠) سقط من ظ (١١) سقط من ظ و مد (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تعلمون (١٣) زيد من ظ (١٤) زيدت الواو قبله فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (١٥-١٥) سقط من ظ (١٦) فى ظ : بها . (١٧-١٧) فى ظ : اتم .

هاء، و العرب تفعل هذا، فعلى هذا التقدير يكون استفهاما معناه التعجيب[١] منهم و التوبيخ لهم.

و لما وبخهم[٢] على ذلك من جهلهم نفى سبحانه و تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة و السلام ما ادعاه عليه[٣] كل منهم طبق ما برهنت[٤] عليه الآية الأولى، و نفى عنه كل شرك أيضا، و أثبت أنه كان مائلا عن كل باطل[٥] منقادا مع الدليل إلى كل حق بقوله سبحانه و تعالى: ﴿ ما كان ابرٰهيم يهوديا ﴾ أى كما ادعى اليهود ﴿ و لا نصرانيا ﴾ كما ادعى النصارى - لما تقدم من الدليل ﴿ و لٰكن كان حنيفا مسلما ط ﴾ و قد بين معنى الحنيف عند قوله تعالى: "قل بل ملة ابرٰهم حنيفا[٦]" بما يصدق على المسلم، و قال الإمام العارف ولى الدين الملوى فى كتابه حصن النفوس فى السؤال فى القبر: و اليهودى[٧] أصله من آمن بموسى عليه الصلاة و السلام و التزم أحكام التوراة، و النصرانى من آمن بعيسى عليه الصلاة و السلام و التزم أحكام الإنجيل، ثم صار[٨] اليهودى[٩] من كفر بما أنزل بعد موسى عليه الصلاة و السلام، و النصرانى[١٠] من كفر بما أنزل بعد عيسى عليه الصلاة و السلام؛ و الحنيف المائل عن كل دين باطل، و المسلم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: التعجب (٢) فى الأصل: و بحهم، و فى ظ: نوبخهم، و فى مد: ونحهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: هبت (٥) من مد، و فى الأصل وظ: باطلة (٦) سورة ٢ آية ١٣٥ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: و اليهود (٨-٨) تكرر فى ظ (٩) فى ظ: اليهود (١٠) فى ظ: النصارى.

المطيع لأوامر الله سبحانه و تعالى فى أى كتاب أنزلت[1] مع أى رسول أوردت[2]، و إن شئت قلت: هو المنقاد لله سبحانه و تعالى وحده بقلبه و لسانه و جميع جوارحه المخلص عمله لله عز و جل، قال النبي صلى الله عليه و سلم لمن قال له: قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا[3] غيرك «قل: آمنت بالله ثم استقم» - انتهى. ٥

ثم خص بالنفى[4] من عرفوا بالشرك مع الصلاح[5] لكل من داخله شرك من غيرهم كمن أشرك[6] بعزير و[6] المسيح عليهما الصلاة و السلام فقال: ﴿ و ما كان من المشركين ﴾ و فى ذكر[7] وصفى الإسلام و الحنف تعريض[8] لهم بأنهم فى غاية العناد و الجلافة[9] و اليبس[10] فى التمسك بالمألوفات و ترك ما أتاهم من واضح الأدلة و قاطع الحجج ١٠ البينات.

و لما نفى عنه صلى الله عليه و سلم كل زيغ[11] بعد أن نفى عنه[12] أن يكون على ملة هو متقدم عن[13] حدوثها شرع فى بيان ما يتم[14] به[15]

(١) فى ظ: انزل (٢) من مد، و فى الأصل: اورد، و فى ظ: وردت.
(٣) فى ظ: احد (٤) من مد، و فى الأصل: بالشرك لنفى، و فى ظ: بالنهى.
(٥) فى ظ: الصلاحية (٦-٦) وقع فى ظ: بعد نزول - كذا مصحفا (٧) من ظ، و فى الأصل و مد: ذلك (٨) من ظ، و فى الأصل: تفريطها، و فى مد: بقولهم - كذا (٩) فى ظ: الخلافة، و فى مد: الجلالفة (١٠) من مد، و فى الأصل: التبس، و فى ظ: من البيس (١١) العبارة من هنا إلى «ان يكون» متكررة فى الأصل (١٢) من مد، و فى الأصل و ظ: عن (١٣) فى ظ: على.
(١٤) فى ظ: تتم (١٥) سقط من مد.

نتيجة ما مضى بيان[1] من هو أقرب إليه ممن جاء بعده، فقرر أن الأولى [به - [2]] إنما هو [من - [2]] اتبعه فى أصل الدين، و هو التوحيد و التنزيه الذى لم يختلف فيه نبيان أصلا، و فى الانقياد للدليل و ترك المألوف من غير تلعثم[3] حتى[4] صاروا أحقاء بالإسلام الذى هو وصفه بقوله سبحانه و تعالى مؤكدا ردا[5] عليهم و تكذيبا لمحاجتهم: ﴿ ان اولى الناس ﴾ أى أقربهم و أحقهم ﴿ بابرٰهيم للذين اتبعوه ﴾ أى فى دينه من أمته و غيرهم، لا الذين ادعوا أنه تابع لهم، ثم صرح بهذه الأمة فقال: ﴿ و هذا النبى ﴾ أى هو أولى الناس به ﴿ و الذين آمنوا[1] ﴾ أى من أمته و غيرهم و إن كانوا فى أدنى درجات الإيمان ﴿ و الله ﴾ - أى بما له من صفات الكمال - وليهم[6]، هذا الأصل، و لكنه قال: ﴿ ولى المؤمنين ﴾ ليعم الأنبياء كلهم و أتباعهم من كل فرقة، و يعلم أن الوصف الموجب للتقريب العراقة فى الإيمان ترغيبا لمن[7] لم يبلغه فى بلوغه.

و لما كان قصد بعضهم بدعواه أن إبراهيم عليه الصلاة و السلام[8] على دينه إنما هو إضلال أهل الإسلام عقب ذلك بالإعراب عن مرادهم بقوله تعالى - جوابا لمن كأنه قال: فما كان مراد أهل الكتابين بدعواهم

(١) فى ظ: بتبين (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ، أى توقف و تأن، و فى الأصل و مد: تعليم (٤) فى ظ: متى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: زاد (٦) فى ظ: وفيهم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٨) زيد فى ظ: انما هو.

فيه مع علمهم أن ذلك مخالف لصريح العقل ؟ - : ﴿ ودت طآئفة ﴾ أى من شأنها أن تطوف حولكم طواف التابع المحب مكرا و خداعا ﴿ من اهل الكتٰب ﴾ حسدا لكم ﴿ لو يضلونكم[1] ﴾ بالرجوع إلى دينهم الذى يعلمون ١ أنه قد نسخ ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنهم ما ﴿ يضلون ﴾ بذلك التمنى أو الإضلال / لو وقع ﴿ الآ انفسهم ﴾ لأن كلا[2] من تمنيهم ٥ / ٣٩٠ و إضلالهم ضلال لهم مع أنهم لا يقدرون أن يضلوا من هداه الله ، فمن تابعهم على ضلالهم فانما أضله الله ﴿ و ما يشعرون ۝ ﴾ أى و ليس يتجدد لهم [فى - ٣] وقت من الأوقات نوع شعور ، فكيدهم لا يتعداهم فقد جمعوا بين الضلال و الجهل ، إما حقيقة لبغضهم و إما لأنهم لما عملوا بغير ما[4] يعلمون عد علمهم جهلا و عدوا هم بهائم ، فكانت هذه ١٠ الجملة على غاية التناسب ، لأن أهم شىء فى حق من رمى بباطل - إنما غلبة الرامى ليتعاظم بأنه شأنه[6] - بيان إبطاله فى دعواه ، ثم تبكيته المتضمن[7] لبراءة المقذوف ، ثم التصريح ببراءته ، ثم بيان من هو أولى بالكون من حزبه[8] ، ثم بيان المراد من تلك الدعوى الكاذبة ليحذر غائلتها السامع .

و لما ختم الكلام فيهم بنفى شعورهم بين[9] تعالى فى معرض التبكيت ١٥

(١) فى ظ : يعلمونه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كل (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد فى الأصل : يعملون ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : عليه (٦) من مد ، و فى الأصل : سلفه ، و فى ظ : شغله (٧) فى ظ : المضمر - كذا (٨) فى الأصل و ظ : خزيه ، و فى مد : حربه (٩) فى ظ : من .

[أن نفيهم عنه إنما هو - [1]] لأنهم معاندون ، لا يعملون بعلمهم [2] ، [بل يعملون - [1]] بخلافه ، فقال مستأنفا بما يدل على غاية التبكيت المؤذنة [3] بشديد [4] الغضب : ﴿ يٰأهل الكتٰب ﴾ أى الذين يدعون أنهم أهل العلم [5] ﴿ لم تكفرون ﴾ أى كفرا [6] تجددونه فى كل وقت ٥ ﴿ بٰايٰت الله ﴾ أى تسترون [7] ما عندكم من العلم بسبب الآيات التى أنزلت عليكم من الملك المحيط [8] بكل شىء عظمة و عزا و علما [9] ﴿ و انتم تشهدون ٥ ﴾ أى تعلمون علما هو عندكم فى غاية الانكشاف أنها آياته ؛ ثم أتبع ذلك استئنافا آخر مثل [10] ذلك [11] إلا أن الأول قاصر على ضلالهم و هذا متعد إلى إضلالهم [11] فقال : ﴿ يٰأهل الكتٰب لم تلبسون ١٠ الحق ﴾ [أى - ١] الذى لا مرية فيه ﴿ بالباطل ﴾ أى بان تؤولوه بغير تأويله ، أو [12] تحملوه على غير [12] محله [13] ﴿ و تكتمون الحق ﴾ أى الذى لا يقبل تأويلا ، و هو ما تعلمون من البشارة بمحمد صلى الله عليه و سلم و توابعها ﴿ و انتم ﴾ أى و الحال أنكم ﴿ تعلمون ٥ ﴾ [أى من

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : تعلمهم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الموذية (٤) فى ظ : لشديد (٥) فى ظ : الكتاب . و العبارة من « أى الذين » إلى هنا تقدمت فى الأصل على « لأنهم معاندون » (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل: كفروا (٧) من مد ، و فى الأصل : المشترون ، و فى ظ : يشترون (٨) فى ظ : لمحيط (٩) العبارة من « من الملك » إلى هنا تأخرت فى الأصل عن « إلى إضلالهم » (١٠) فى ظ : لمثل (١١ - ١١) تأخرت فى الأصل عن « التى أنزلت عليكم » (١٢-١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تحلوه بغير (١٣) فى مد : محله

ذوى العلم ، فانتم تعرفون - [1]] [2]ذلك قطعا[2] و أن عذاب الضال المضل عظيم جدا .

و لما ذكر لبسهم دل عليه بقوله عطفا[3] على "ودت طائفة" مبينا لنوع إضلال[4] آخر : ﴿ و قالت طآئفة من اهل الكتب ﴾ أى من يهود[5] المدينة ﴿ 'امنوا ﴾ أى أظهروا الإيمان ﴿ بالذىٓ انزل على الذين 'امنوا ﴾ متابعة لهم ﴿ وجه ﴾ أى أول ﴿ النهار ﴾ سمى وجها لأنه أول ما يستقبلك منه و هو ما يظهر ، و لذا[6] عبروا [به - [7]] عن الأول الذى يصلح [8]لاستغراق النصف[8] ، لأن مرادهم التلبيس بظاهر[9] لا باطن له ، و لفظ لا حقيقة له ، [فى جزء - [10]] يسير جدا ﴿ و اكفروآ 'اخره ﴾ أى ليظنوا أنه لا غرض لكم إلا الحق ، و أنه ما ردكم عن دينهم بعد اتباعكم[11] له إلا ظهور بطلانه ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أى ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن دينه ﴿ و لا تؤمنوآ ﴾ أى توقعوا التصديق الحقيق ﴿ الا لمن تبع دينكم ط ﴾ فصوبوا[12] طريقته و صدقوا دينه و عقيدته .

و لما كان هذا[13] عين الضلال أمره[14] سبحانه و تعالى أن يعجب

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢ - ٢) تأخر فى الأصل و مد عن « عظيم جدا » (٣) فى ظ : عظيما (٤) فى ظ : ضلال (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اليهود (٦) فى ظ : وكذا (٧) زيد من مد (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاستغراق المتصف (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : ظاهر (١٠) زيد من ظ و مد (١١) فى ظ : اتباعهم (١٢) فى ظ : فصبوا (١٣) سقط من ظ (١٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : امر .

من حالهم منبها على ضلالهم بقوله معرضا عنهم إيذانا بالغضب: ﴿ قل ان الهدى هدى الله ﴾ أى المختص بالعظمة و جميع صفات الكمال، أى[1] لا تقدرون[2] على إضلال أحد منا عنه، و لا نقدر[3] على إرشاد أحد منكم إليه إلا باذنه، ثم[4] وصل به تقريعهم [فقال - [5]]: ﴿ ان ﴾ باثبات همزة[1] الإنكار فى قراءة ابن كثير، و تقديرها فى قراءة غيره، أى أفعلتم[6] الإيمان على الصورة المذكورة خشية [أن - [5]] ﴿ يؤتى أحد ﴾ أى من طوائف الناس ﴿ مثل ما اوتيتم ﴾ أى من العلم و الهدى الذى كنتم عليه أول الأمر ﴿ او ﴾ كراهة أن [﴿ يحاجوكم ﴾ أى - [5]] يحاجكم أولئك الذين أوتوا مثل ما أوتيتم ﴿ عند ربكم ﴾[7] الذى طال إحسانه إليكم بالشهادة عليكم أنهم آمنوا و كفرتم بعد البيان الواضح فيفضحوكم[8].

و لما كانت هذه الآية شبيهة[9] بآية البقرة "ما يود الذين كفروا من اهل الكتب و لا[10] المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم[11]" فى الحسد على ما أوتى غيرهم من الدين الحق و كالشارحة[12] لها ببيان[12] ما يلبسونه لقصد الإضلال ختمت بما ختمت به تلك، لكن لما قصد بها

(١) سقط من ظ و مد (٢) فى ظ: لا يقدرون (٣) فى ظ: لا يقدر.
(٤) زيد بعده فى الأصل: وصفهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ: فعلتم (٧) زيد فى ظ: اى (٨) فى ظ: فيفضحكم (٩) فى الأصل و ظ: شبهة، و فى مد: شبيه (١٠) سقط من ظ.
(١١) سورة ٢ آية ١٠٥ (١٢-١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: له لبيان.

الرد عليهم فى كلا هذين[1] الأمرين اللذين[2] دبروا هذا المكر لأجلها زيدت ما له[3] مدخل فى ذلك فقال / تعالى مجيبا لمن تشوف إلى تعليم ٣٩١ / [ما -[4]] لعله يكف من مكرهم و يؤمن من[5] شرهم معرضا عنهم بالخطاب بعد الإقبال عليهم به[6] إيذانا بشديد الغضب : ﴿ قل أن الفضل ﴾ [7]فى التشريف[7] بانزال الآيات و غيرها ﴿ بيد الله ج ﴾ المختص[8] بأنه ٥ لا كفوء له ، فله الأمر كله و لا أمر لأحد معه ، و أتبعه نتيجته فقال : ﴿ يؤتيه من يشآء ط ﴾ فله مع كمال[6] القدرة كمال الاجتباء ، ثم قال مرغبا مرهبا[9] و رادا عليهم[9] فى الأمر الثانى : ﴿ و الله ﴾ الذى له من العظمة و[6] سائر صفات[10] الكمال ما لا تحيط بـه العقول و لا تبلغه الأوهام[11] ﴿ واسع عليم ٥ ﴾ أى يوسع على من[12] علم فيه خيرا ، و يهلك من علم ١٠ أنه لا يصلح لخير ، و يعلم دقيق أمركم[13] و جليله ، فلا يحتاج سبحانه و تعالى إلى تنبيه أحد بمحاجتكم عليه عنده .

و لما كان هذا من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى تأكيد انتقل[14] عنه إلى تأكيد الرد عليهم فى الأمر[15] الأول بثمرة هذه الجملة و نتيجتها[16]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذا (٢) فى ظ : بالذين (٣) العبارة من هنا إلى « و يؤمن » سقطت من ظ (٤) زيد من مد (٥) زيد بعده فى مد : مكر . (٦) سقط من ظ (٧ - ٧) فى ظ : بالشريف (٨) زيد بعده فى الأصل : له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩-٩) فى ظ : زاد عليه (١٠) فى مد : صفاته (١١) زيد بعده فى ظ : و الله (١٢) زيد فى مد بعده : سمع (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الامر (١٤) فى ظ : العقل (١٥) فى ظ : الامور (١٦) فى مد : نتيجها .

من أنه فاعل بالاختيار تام الاقتدار[١] فقال[٢]: ﴿يختص برحمته من يشآء﴾ [ثم أكد تعظيم ما لديه[٣] دفعا لتوهم من يظن أن اختصاص البعض لضيق الرحمة عن[٤] العموم فقال -[٥]]: ﴿والله﴾ الذى كل شيء دونه فلا ينقص ما[٦] عنده ﴿ذو الفضل العظيم﴾ و كرر الاسم الأعظم هنا[٧] تعظيما لما ذكر من النعم مشيرا بذلك كله إلى التمكن من الإعطاء باختياره و غزارة فضله و إلى القدرة على الإنجاء من حبائل[٨] المكر بسعة علمه.

فلما تقرر أن الأمر كله له ذكر دليل ذلك فيهم بأنه فضل فريقا منهم فأعلاه، و رذل فريقا منهم[٩] فأرداه، فلم يردهم الكتاب - وهم يتلونه - إلى الصواب، فقال عاطفا[١٠] على ما مضى من مخازيهم[١١] مقررا[١٢] لكتمانهم للحق مع علمهم بأنه الحق بأن الخيانة ديدنهم فى الأعيان الدنيوية و المعانى الدينية منبها على أنهم و إن شاركوا الناس فى انقسامهم إلى أمين و خائن فهم يفارقونهم[١٣] من حيث أن خائنهم يتدين[١٤] بخيانته و يسندها - مروقا من ربقة[١٥] الحياء - إلى الله، مادحا للأمين منهم[١٦]: ﴿و من

(١) فى ظ: بالاقتدار (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: قال. و العبارة من "فى الأمر" إلى هنا متأخرة فى الأصل عن "برحمته من يشاء" (٣) من مد، و فى ظ: اريد (٤) فى مد: على (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) فى ظ: عما (٧) سقط من مد (٨) فى ظ: بحبايل (٩) سقط من ظ و مد (١٠) فى مد: عطفا (١١) من مد، و فى الأصل و ظ: محاربهم (١٢) فى مد: مكررا. (١٣) من مد، و فى الأصل و ظ: يفارقونه (١٤) فى ظ: يبدين (١٥) من مد، و فى الأصل: ريعة، و فى ظ: ريقة (١٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فقال.

اهل الكتب ﴾ أى الموصوفين ﴿ من ان تامنه بقنطار ﴾ أى من الذهب المذكور فى الفريق الآتى ﴿ يؤدّه اليك ج ﴾ غير خائن فيه ، فلاتسوقوا الكل مساقا واحدا فى الخيانة[1] ﴿ و منهم من ان تامنه بدينار ﴾ أى واحد ﴿ لا يؤدّه اليك ﴾ فى زمن من الأزمان دناءة و خيانة ﴿ الا ما ﴾ أى وقت ما[2] ﴿ دمت عليه قآئما ط ﴾ تطالبه به غالبا له ، بما دلت[3] عليه أداة الاستعلاء ، ثم استأنف علة[4] الخيانة بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر البعيد من الكمال ﴿ بانهم قالوا ﴾ كذبا على شرعهم ﴿ ليس علينا فى الامين ﴾ يعنى من ليس له كتاب فليس على دينهم ﴿ سبيل ج ﴾ .

و لما كان ترتيب الإثم على شىء إثباتا و نفيا لا يعرف إلا من قبل الله سبحانه و تعالى قال مبينا أن هذا تضمن الكذب على الله تعالى سائقا له على وجه معرف بأنهم أجرأ الناس على الكذب : ﴿ و يقولون ﴾ أى على سبيل التجديد[5] و الاستمرار[6] غير متحاشين[7] ﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ الكذب ﴾ أى بهذه الدعوى و غيرها مجترئين[8] عليه .

و لما كان الكذب من عظم[9] القباحة بمكان يظن بسببه أنه لا يجترئ عليه ذو عقل فكيف على الله سبحانه و تعالى قال : ﴿ و هم

(١) من ظ ، و فى الأصل : الجناية ، و سقط من مد (٢) سقط من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل : له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٥) فى الأصل و مد : التحذير ، و فى ظ : التحديد (٦) زيد بعده فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) فى ظ : متحائين (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : محترمين (٩) فى ظ و مد : عظمة .

يعلمون ﴾ أى ذوو علم فيعلمون أنه كذب .

و لما ادعوا نفى الجناح عنهم فيهم و بين تعالى أنهم لا يتحاشون عن الكذب صرح بكذبهم فى هذا الأمر بخصوصه[1] بقوله : ﴿ بلى ﴾ أى عليكم فى خيانتهم[2] لتحريم العذر عليكم مطلقا ، أى سبيل - كما هو فى التوراة و قد[3] مضى نقله[3] فى البقرة فى آية "ان الذين آمنوا و الذين هادوا[4]" و آية "و قولوا للناس حسنا[5]" .

[6]و لما[6] مضى تقسيمهم إلى أمين و خائن استأنف بشارة الأول و نذارة الثانى على وجه عام لهم و لغيرهم لتحريم[7] الخيانة فى كل شرع فى [حق - [8]] كل أحد منهما[9] ، إن الله يبغض[10] الخائن فقال : ﴿ من اوفى بعهده ﴾ فى الدين و الدنيا ﴿ و اتقى ﴾ أى[11] كائنا من كان ﴿ فان الله ﴾ ذا[12] الجلال و الإكرام يحبه ، هكذا[13] الأصل ، لكنه[14] أظهر الوصف لتعليق الحكم به و إشعارا بأنه العلة الحاملة له[15] على الأمانة فقال : ﴿ يحب المتقين[16] ﴾ . /٣٩٢/

و لما كانت النفوس نزاعة [17]إلى الخيانة[17] رواغة عند مضائق الأمانة ،

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : بخصوصة (٢) فى ظ : جنايتهم (٣-٣) فى الأصل : نقله مضى (٤) سورة ٢ آية ٦٢ (٥) سورة ٢ آية ٨٣ (٦-٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : التحريم (٨) زيد من ظ و مد (٩) فى ظ : معهما (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينقص (١١) فى ظ : اذ (١٢) من مد ، و فى الأصل : ذو ، و فى ظ : ذى (١٣) من ظ ، و فى الأصل و مد : هذا (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : و لكن (١٥) سقط من ظ و مد (١٦) فى ظ : الخائنين - كذا . (١٧-١٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : للخيانة .

و كانت

و كانت الخيانة تجر[1] إلى الكذب بسط في الإنذار فقال : ﴿ ان الذين يشترون ﴾ أي يلجون[2] في أن يأخذوا على وجه العوض ﴿ بعهد الله ﴾ أي الذي عاهدوه عليه من الإيمان بالرسول الذي عاهدهم على الإيمان به و ذكر صفته للناس، و هو سبحانه أعلى و أعز من كل شيء[3] فهو محيط بكل شيء[3] قدرة و علما ﴿ و ايمانهم ﴾ أي التي عقدوها بالتزام متابعة الحق على ألسنة الرسل[4] بما دل عليه العقل ﴿ ثمنا قليلا ﴾ في الدنيا ﴿ اولئك ﴾ أي البعيدو الرتبة في الدناءة[5] ﴿ لا خلاق ﴾ أي نصيب ﴿ لهم في الآخرة ﴾ أي[6] لبيعهم له بنصيب الدنيا ﴿ و لا يكلمهم الله ﴾ أي الملك الأعظم استهانة بهم و غضبا عليهم[7] بما انتهكو[7] من حرمته .

و لما زادت هذه عن آية البقرة العهد و الحلف، و كان من عادة[8] الحالف و المعاهد النظر إلى من فعل ذلك لأجله زاد قوله : ﴿ و لا ينظر اليهم ﴾ [أي -[9]] بل يعدهم أحقر[10] شيء بما أعرضوا عنه، و لما كان لكثرة الجمع مدخل عظيم في مشقة الخزي قال : ﴿ يوم القيٰمة ﴾ الذي من[11] افتضح في جمعه[12] لم يفز[13] ﴿ و لا يزكيهم ص ﴾ لأنهم لم يزكوا

(١) من ظ و مد، و في الأصل : يجر (٢) من مد، وفي الأصل : يلحوا، و في ظ : يلحون (٣-٣) سقط من ظ (٤) في مد : الوصل (٥) في ظ : الدنيا . (٦) سقط من ظ و مد (٧-٧) من مد، و في الأصل : كما ابتهلوا، و في ظ : بما انهتكوا (٨) في ظ : غاية (٩) زيد من ظ و مد (١٠) في ظ : احقر - كذا . (١١) زيد بعده في الأصل : جاء، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها . (١٢) زيدت الواو بعده في الأصل و ظ، و لم تكن في مد فحذفناها (١٣) في ظ : لم يفز - كذا .

اسمه ﴿ و لهم ﴾ أى مع ذلك ﴿ عذاب اليم ﴾ يعرفون به ما جهلوا من عظمته[١] .

و لما نسبهم إلى الكذب عموما نبه على نوع خاص[٢] منه هو أكذب الكذب فقال: ﴿ و ان منهم لفريقا ﴾ أى جبلوا على الفرقة، فهم لا يزالون يسعون فى التفريق[٣] ﴿ يلوون ﴾ أى يفتلون و يحرفون[٤] ﴿ السنتهم بالكتب ﴾ بأن ينقلوا[٥] اللسان لتغيير[٦] الحرف[٧] من مخرج إلى آخر - مثلا بأن يقولوا فى "اعبدوا الله[٨]": اللات، و فى "لا تقتلوا النفس الا بالحق": بالحد، و فى "من زنى فارجموه": [فارحموه - [٩]] بالمهملة، أو فحموه، أو اجلدوه[١٠] - و نحو هذا .

و لما كان كلام الله سبحانه و تعالى لما له من الحلاوة و الجلالة لا يلبس[١١] بغيره إلا على[١٢] ضعيف العقل ناقص الفطرة عبر بالحسبان تنفيرا[١٣] عن السماع منهم و تنبيها[١٤] على بعد [١٥]ما يسمعه[١٥] الإنسان من غيره فقال: ﴿ لتحسبوه[١٦] ﴾ أى الذى لوى[١٧] به اللسان لحرف[١٨] ﴿ من

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: عظمة (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: خاصا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الفرقة (٤) فى ظ: متحرفون (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ينقلون (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لتغير (٧) فى ظ: الحوف (٨) زيد بعده فى ظ: فى (٩) زيد من مد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: اجلدوا (١١) فى ظ: لا يانس (١٢) سقط من ظ و مد (١٣) فى ظ: متعيرا (١٤) من مد، و فى الأصل و ظ: فتنبيها (١٥-١٥) سقط من مد. (١٦) هكذا وقع هنا فى مد و ظ، و قد تقدم فى الأصل على «و لما كان». (١٧) فى ظ: لذى (١٨) العبارة من «أى الذى» إلى هنا تأخرت فى الأصل عن "و يقولون".

الكتب ﴾ [أى[1] المنزل من عند الله ، و لما علم بهذه أنه ليس منه نبه على أنه فى غاية البعد عنه فقال -[2]] : ﴿ و ما هو من الكتب ج ﴾ أعاده[3] ظاهرا تصريحا بالتعميم .

و لما كان[4] إيهامهم[5] هذا من الجرأة بمكان أعلم سبحانه و تعالى أنهم[6] تجاوزوا إلى[6] ما هو أعظم منه فصرحوا بما أوهموه فقال : ﴿ و يقولون ﴾ أى [مجددين التصريح بالكذب فى كل وقت بأن يقولوا -[2]] ﴿ هو من عند الله ج ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ، ثم صرح بكذبهم بقوله - مبعدا لما لووا به ألسنتهم عن أن يكون فيه ثبوت[7] حق مظهرا فى موضع الإضمار لأن الاسم الذى لم[8] يشارك فيه أحد بوجه[9] أنص[10] على المراد و أنفى لكل احتمال - : ﴿ و ما هو ﴾ أى الذى لووا[11] به ألسنتهم حتى أحالوه عن حقيقته ﴿ من عند الله ج ﴾ أى الذى له الإحاطة العامة ، فما لم يكن من عنده فلا حق فيه بوجه من الوجوه ، لا بكونه من الكتاب[12] و لا من غيره .

و لما بين بهذا كذبهم على الله سبحانه و تعالى تصريحا بعد أن قدم فى الآية الأولى بيانه بما يظن تلويحا أخبر بأن ذلك عادة لهم ، لا يقفون[13]

---

(١) سقط من مد (٢) ما بين الحاجزين زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : اعادة .
(٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ : انها لهم ، و فى مد : كانهم - كذا (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تجاوزوه على (٧) فى مد : بثوب (٨) فى ظ : لما (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يوخذ (١٠) فى ظ : ارض (١١) فى ظ : اووا .
(١٢) العبارة من هنا إلى « الأولى بيانه » سقطت من ظ (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : لا يعفون .

منه[١] عند عد[٢]، و لا ينحصرون فيه بحد، فقال: ﴿ و يقولون على الله ﴾ أى الحائز[٣] لجميع العظمة جرأة منهم ﴿ الكذب ﴾ أى[١] العام[٤] كما قالوا عليه هذا الكذب الخاص، و لما كان الكذب قد يطلق على ما لم يتعمد، بل وقع خطأ احترز عنه بقوله: ﴿ و هم يعلمون ﴾ [أى -[٥]]
٣٩٣/ ٥ أنه كذب، لا يشكون / فيه.

و لما فرغ من بيان ما أراد من كتمانهم للحق مع الإشارة إلى بعض توابعه إلى أن ختم بأنهم لا يتحاشون من الكذب على الله المقتضى للكذب على الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم، لأنهم لا علم[٦] لهم بقول الله سبحانه و تعالى إلا بواسطة الأنبياء عليهم السلام، و مهما كان القول
١٠ كذبا على الله سبحانه و تعالى اقتضى أن يكون[٧] تعبدا للمنسوب[٧] إليه من دون الله سبحانه و تعالى لأنه هو الذى شرعه، و ذلك موجب لأن يدعى أن النبي دعا إلى عبادته من دون الله سبحانه و تعالى، و ذلك[٨] بعد أن أوضح سبحانه و تعالى من صفات عيسى عليه الصلاة و السلام

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: عدد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: الجايز - كذا بالجيم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: العامة (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ: اعلم (٧ - ٧) من مد، و فى الأصل: تعبدا للتشوب، و فى ظ: العبد المنسوب (٨) زيد بعده فى الأصل «مع الإشارة إلى بعض توابعه إلى أن ختم بأنهم لا يتحاشون من الكذب على» و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها، و قد مرت بعد «كتمانهم للحق».

المقتضية[١] لنفى الإلهية عنه ما لا يخفى على ذى لب شرع يبين أنهم كاذبون فيما يدعونه فى عيسى عليه الصلاة و السلام ، فنفى أن يكون قال لهم ذلك أو شيئا منه على وجه شامل [له -[٢]] و لكل من اتصف بصفته و بسياق[٣] هو بمجرده كاف فى إبطال قولهم[٤] فقال[٥] : ﴿ ما كان ﴾ أى صح و لا تصور بوجه من الوجوه ﴿ لبشر ﴾ أى من البشر كائنا من كان من عيسى و عزير عليهما الصلاة و السلام و غيرهما ﴿ ان يؤتيه الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ الكتب و الحكم ﴾ أى الحكمة المهيئة[٦] للحكم ، و هى العلم المؤيد بالعمل و العمل المتقن بالعلم ، لأن أصلها الإحكام ، و هو وضع الشىء فى محله بحيث يمتنع فساده[٧] ﴿ و النبوة ﴾ و هى[٨] الخبر من الله سبحانه و تعالى [المقتضى لأتم الرفعة ، يفعل[٩] الله به -[١٠]] ذلك الأمر الجليل و ينصبه للدعاء إلى اختصاصه[١١] الله بالعبادة و ترك الأنداد ﴿ ثم ﴾ يكذب على الله سبحانه و تعالى بأن ﴿ يقول للناس كونوا عبادا لى ﴾[١٢] .

و لما كان ذلك[١٣] قد يكون[١٤] تجوزا عن[١٤] قبول قوله و المبادرة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المقتضى (٢) زيد من مد (٣) فى ظ : يساق .
(٤) فى ظ : قوله (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : قال (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : المهبة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : افساده (٨) فى ظ : هو .
(٩) من مد ، و فى ظ : بفعل (١٠) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (١١) فى ظ : اختصاص (١٢) زيد بعده فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٣) فى ظ : ذاك (١٤-١٤) من مد ، و فى الأصل : تجور عن ، و فى ظ : تجوزا عنى .

لامتثال أمره عن الله سبحانه و تعالى احترز عنه بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى المختص بجميع صفات الكمال [1] إذ لا [1] يشك عاقل [أن - [2]] من أوتى نبوة و حكمة - و[3] هو بشر - فى غاية البعد عن ادعاء مثل ذلك ، لأن كل صفة من صفاته - لا سيما تغير بشرته الدالة على انفعالاته - مستقلة [4] بالإبعاد عن [4] هذه الدعوى ، فلم يبق لهم مستند ، لا من جهة عقل و لا من طريق نقل ، فصار قول مثل ذلك منافيا للحكمة التى هو متلبس بها ، فصح قطعا انتفاؤه عنه .

و لما ذكر ما لا يكون له أتبعه ما له [5] فقال : ﴿ و لكن ﴾ أى يقول ﴿ كونوا ربٰنيين ﴾ أى تابعين طريق الرب منسوبين إليه بكمال العلم المزين بالعمل ، و الألف و النون زيدتا [6] للايذان بمبالغتهم فى المتابعة و رسوخهم فى العلم اللدنى ، فان [7] الربانى هو الشديد التمسك بدين الله سبحانه و تعالى و طاعته ، قال محمد ابن الحنفية عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لما مات : مات ربانى هذه الأمة . ﴿ بما كنتم تعلمون الكتٰب ﴾ أى بسبب كونكم عالمين به معلمين له ﴿ و بما كنتم تدرسون ﴾ فان فائدة الدرس العلم ، و فائدة العلم العمل ، و منه الحث على الخير و المراقبة للخالق [8] .

و لما نفى أن يكون الحكيم [9] [10] من البشر [10] داعيا [إلى نفسه ،

(١-١) فى ظ : اى فلا (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقطت الواو من مد (٤-٤) فى ظ : للابعاد من ، و فى مد : بالابعاد من (٥) فى ظ : قاله (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : زيدتان (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : قال (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : للخالف (٩) فى ظ : الحلم (١٠-١٠) تكرر فى الأصل .

و أثبت أنه يكون و لا بد داعيا - [1]] إلى الله سبحانه و تعالى لتظهر[2] حكمته أثبت أن ذلك لا بد و أن يكون على وجه الإخلاص، لأن بعض الشياطين يحكم مكره بابعاد التهمة عن نفسه بالدعاء إلى غيره على وجه الشرك لا سيما إن كان ذلك الغير ربانيا كعيسى عليه الصلاة و السلام فقال: ﴿ و لا يامركم ﴾ أى[3] ذلك البشر ﴿ ان تتخذوا ﴾ أتى[4] بصيغة الافتعال إيذانا بأن[5] الفطر مجبولة على التوجه لله سبحانه و تعالى من غير كلفة[6] ﴿ الملئكة و النبين ﴾ فضلا عن غيرهم ﴿ ارباباط ﴾ أى مع الله سبحانه و تعالى أو من دونه. ثم[4] بين أن كل عبادة كان فيها أدنى شائبة فهى باطلة بقوله على طريق الإنكار / تبرئة[7] لعباده المخلص من مثل ذلك: ﴿ ايامركم بالكفر ﴾ إشارة إلى أن الله سبحانه و تعالى غنى، لا يقبل إلا ما كان خالصا لوجهه ﴿ بعد اذ انتم مسلمون ه ﴾ أى منقادون لأحكامه، أو متهيئون للتوحيد على[4] علىّ الفطرة الأولى. /٣٩٤

و لما بين سبحانه و تعالى فيما مضى أن التولى عن الرسل كفر، و ذكر[8] كثيرا من الرسل فخص فى[9] ذكرهم و عمم، ذكر قانونا كليا لمعرفة الرسول عنه سبحانه و تعالى و التميز بينه و بين الكاذب فقال عاطفا على "اذ انتم مسلمون": ﴿ و اذ اخذ الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ ميثاق النبين ﴾ أى كافة، و المعنى: ما كان له أن يقول ذلك بعد

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى ظ: ليظهر (٣) فى ظ: ان.
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: فان (٦) فى ظ: كلمته (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بنزيه - كذا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك (٩) فى ظ: من.

الإنعام عليكم بالإسلام و الإنعام عليه بأخذ الميثاق على الناس - الأنبياء و غيرهم - بأن يؤمنوا به إذا أتاهم، فيكون بذلك الفعل مكفرا لغيره[1] و كافرا بنعمة ربه، و هذا معنى قوله: ﴿ لما ﴾ أى فقال لهم[2] الله: [لما - [3]] ﴿ اتيتكم ﴾ و قراءة نافع ~~اتيتكم~~، أوفق لسياق[4] الجلالة - [قاله - [3]] الجعبرى[5] ﴿ من كتب و حكمة ﴾ أى أمرتكم بها بشرع من الشرائع، فأمرتم[6] بذلك من أرسلتم إليه ﴿ ثم جآءكم رسول[7] ﴾ أى من عندى[8]؛ ثم وصفه[9] بما يعلم أنه من عنده فقال: ﴿ مصدق لما معكم ﴾ أى من ذلك الكتاب و الحكمة ﴿ لتؤمنن به ﴾ أى أنتم و أممكم ﴿ و لتنصرنه ط ﴾ أى[10] على من يخالفه، فكأنه قيل: إن [هذا - [3]] الميثاق عظيم، فقيل: إنّ[11] ا، زاد فى تأكيده اهتماما به فقال[12]: ﴿ قال[7] ءاقررتم ﴾ [أى - [3]] يا معشر النبيين ﴿ و اخذتم على ذلكم[13] ﴾ أى العهد المعظم[14] بالإشارة بأداة البعد و ميم الجمع ﴿ اصرى ط ﴾ أى عهدى، سمى بذلك لما فيه من الثقل، فانه يشد فى نفسه بالتوثيق و التوثق، و يشتد[15] بعد كونه على النفوس لما لها[16] من النزوع إلى الإطلاق عن[17]

(١) فى مد: لغيرة (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى مد: بسياق (٥) نسبة إلى قلعة جعبر بكمفر - راجع تعليق الأنساب نمرة ٢ ج ٣ ص ٢٨٧، و فى ظ: الجعيرى (٦) فى ظ: فامرتكم (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عنده (٩) فى ظ: اوصفه (١٠) سقط من مد (١١) من ظ، و فى الأصل و مد: انه (١٢) فى ظ: فقابل (١٣) زيد بعده فى ظ: اصرى. (١٤) فى ظ: العظيم (١٥) فى ظ: بشد (١٦) من ظ و مد، و فى الأصل: له. (١٧) فى ظ: على.

عهد التقيد بنوع من القيود . فكأنه قيل : ما قالوا ؟ فقيل : ﴿ قالوآ اقررنا[٤] ﴾ أى بذلك ، فقيل : ما قال ؟ [فقيل - [١]] : ﴿ قال فاشهدوا ﴾ أى يا أنبياء ! بعضكم على بعض ، أو يا[٢] ملائكة ! عليهم ﴿ و انا معكم من الشٰهدين ۝ فمن ﴾ أى فتسبب عنه أنه من ﴿ تولى ﴾ أى منكم أو[٣] من أممكم[٤] الذين[٥] بلغهم ذلك عن نصرة نبي موصوف بما ذكر . و لما كان المستحق لغاية[٦] الذم إنما هو من اتصل توليه[٧] بالموت لم يقرن الظرف بجار فقال : ﴿ بعد ذلك ﴾ أى الميثاق البعيد الرتبة بما فيه من الوثاقة ﴿ فاولٓئك ﴾ أى البعداء[٨] من خصال الخير ﴿ هم الفٰسقون ۝ ﴾ أى المختصون بالخروج العظيم عن دائرة الحق .

و لما كان المدرك لكل نبي إنما هم أمة النبي الذى قبله ، و كانوا يكذبونه و يخالفونه قال - خاتما لهذه القصص بعد الشهادة بنفسه المقدسة بما بدأها به فى قوله "شهد الله" الآية إلى "ان الدين عند الله الاسلام" على وجه الإنكار و التهديد عاطفا على ما دل عليه السياق - : ﴿ افغير ﴾ أى أ تولوا[٩] ففسقوا ، فتسبب عن ذلك أنهم غير[١٠] [دين الله -[١١]] ، و أورد[١٢] بأن[١٣] تقديم

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : و (٤) فى ظ : امتكم (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٦) من مد ، و فى الأصل : لغات ، و فى ظ : بقاء (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : تولية . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : البعد (٩) فى ظ : اتو (١٠) فى ظ : عين . (١١) زيد من ظ (١٢) من ظ ، و فى الأصل : وارد ، و العبارة من هنا إلى « فى محله » ساقطة من مد (١٣) فى ظ : ان .

غير يفهم أن الإنكار منحط[1] على طلبهم اختصاصا[2] لغير دين الله، وليس ذلك هو المراد كما لا يخفى، وأجيب بأن تقديمه[3] الاهتمام بشأنه في الإنكار، والاختصاص متأخر مراعاته عن نكتة[4] غيره - كما تقرر في محله ﴿ دين الله[5] ﴾ الذي اختص بصفات الكمال ﴿ يبغون ﴾ أي يطلبون بفسقهم، أو[6] أتوليتم[7] - على قراءة الخطاب ﴿ وله ﴾ أي والحال أنه [له -[7]] خاصة ﴿ اسلم ﴾ أي خضع بالانقياد[8] لأحكامه والجري تحت[9] مراده وقضائه[9]، لا يقدرون على مغالبة قدره بوجه ﴿ من في السموت والارض ﴾ وهم من لهم[10] قوة الدفاع بالبدن والعقل فكيف بغيرهم ﴿ طوعا ﴾ بالإيمان أو بما وافق أغراضهم ﴿ وكرها ﴾ بالتسليم لقهره في إسلام أحدهم وإن كثرت أعوانه وعز سلطانه إلى أكره[11] ما يكره وهو صاغر داخر، لا يستطيع أمرا ولا يجد نصرا[12] ﴿ وإليه ترجعون[13] ﴾ بالحشر، لا تعالجون مقرا ولا تلقون

(١) في ظ : محط (٢) في الأصول : اختصاص (٣) من ظ، وفي الأصل : تقديم. (٤) كذا في الأصل، وفي ظ : ثلاثة (٥-٥) سقط من ظ (٦-٦) في ظ : توليتم، وفي مد : اتولتم - كذا (٧) زيد من ظ ومد (٨) زيد بعده في الأصل : له، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها (٩-٩) في ظ : قضائه ومراده (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل : له (١١) من ظ ومد، وفي الأصل : كره (١٢) من ظ ومد، وفي الأصل : نصيرا (١٣) قرأ عاصم بياء الغيبة وقراءته شائعة في بلادنا، وقرأ الباقون بالخطاب وهي القراءة التي اختارها المفسر رحمه الله - راجع روح المعاني ١/٦٢٢.

ملجأ و لا مفرا[1] ، فاذا[2] كانوا كذلك لا يقدرون على التفصى[3] من قبضته بنوع قوة و لا حيلة فى سكون و لا حركة فكيف يخالفون ما أتاهم من أمره على ألسنة رسله و قد ثبت أنهم / رسله بما أتى به كل منهم من المعجزة ! و من المعلوم أن المعاند للرسول صلى الله عليه و سلم معاند للمرسل . ٣٩٥/

و لما تم تنزيه الأنبياء عليهم الصلاة و السلام عن الدعاء إلى شيء غير الله ، ثم هدد من تولى ، فكان السامع[4] جديرا بأن يقول : أنا مقبل[5] غير متول فما أقول و ما أفعل ؟ قال مخاطبا لرأس السامعين ليكون أجدر[6] لامتثالهم : ﴿ قل ﴾ أى [قبل كل شيء ، أى -[7]] ملفتا لمن نفعه هذا التذكير و التهديد فأقبل ﴿ آمنا ﴾ أنا و من أطاعنى من أمتى - مبكتا لأهل الكتاب بما تركوه من دين إبراهيم عليه الصلاة و السلام و من بعده من خلص أبنائه[8] ، و أبَوه و جادلوا فيه عدوانا و ادعوه ؛ ثم فصل المأمور بالإيمان به فقال : ﴿ بالله ﴾ الذى لا كفوء له .

و لما كان الإنزال على الشيء مقصودا به ذلك الشيء بالقصد الأول كان الأنسب أن يقال : ﴿ و ما أنزل علينا ﴾ فيكون ذلك له حقيقة و لأتباعه مجازا ، و كانت هذه السورة بذلك أحق لأنها سورة التوحيد

(١) من ظ ، و فى الأصل و مد : مقرا (٢) فى ظ : فان (٣) من ظ و مد - بمعنى التخلص ، و فى الأصل : المقتضى - كذا (٤) فى ظ : السميع (٥) زيد فى ظ : على (٦) من مد ، و فى الأصل : احذر ، و فى ظ : اجد (٧) ما بين الحاجزين زيد من ظ و مد (٨) فى ظ : انبيائه .

﴿ و ما انزل علىّ ابرٰهيم ﴾ أى أبينا ﴿ و اسمٰعيل و اسحٰق ﴾ أى[1] ابنيه ﴿ و يعقوب ﴾ ابن إسحاق ﴿ و الاسباط ﴾ أى أولاد يعقوب .

و لما كان ما ناله صاحبا[2] شريعة بنى إسرائيل من الكتابين المنزلين عليهما و المعجزات الممنوحين بها أعظم مما كان لمن قبلهما غير السياق إلى قوله : ﴿ و ما اوتى موسى ﴾ من أولاد الأسباط من التوراة و الشريعة ﴿ و عيسى ﴾ من [ذريـــة داود من - [3]] الإنجيل و الشريعة الناسخة لشريعة موسى عليهما الصلاة و السلام .

[و لما كان النظر هنا إلى الرسول صلى الله عليه و سلم أكثر لكونها سورة التوحيد الذى هو أخلق به و أغرق فيه ناسب الإعراء عن التأكيد بما فى البقرة ، و نظر[4] إلى الكل لمحا واحدا فقال - [5]] : ﴿ و النبيون ﴾ أى كافة من الوحى و المعجزات ليكون الإيمان[6] بالمنزل مذكورا مرتين لشرفه ﴿ من ربهم ص ﴾ أى المحسن إليهم خاصة و إلى العباد عامة بارسالهم إليهم ؛ ثم استأنف تفسير هذا الإيمان[6] بقوله : ﴿ لا نفرق بين احد منهم ذ ﴾ تنبيها على الموضع الذى كفر به اليهود و النصارى ﴿ و نحن له ﴾ أى لله[7] و ما أنزل من عنده[8] ﴿ مسلمون ه ﴾ أى منقادون على طريق الإخلاص و الرضى[9] .

---

(١) سقط من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : صاحب (٣) ما بين الحاجزين زيد من ظ و مد ، غير أن فى مد زيد قبله : ابن (٤) من مد ، و فى ظ : سينظر .
(٥) ما بين الحاجزين زيد من ظ و مد ، و زيد بعده فى مد : كلها - أيضا .
(٦-٦) ليست فى ظ (٧) فى مد : الله (٨) فى ظ : بعده (٩) فى ظ : الوحى .

و لما

و لما أمر سبحانه و تعالى باظهار [1]الإيمان بهذا القول[1]، و كان ذلك هو الإذعان الذى هو الإسلام قال- محذرا من الردة[2] عنه عاطفا على "امنا" و مظهرا لما من حقه الإضمار لو لا إرادة التنبيه على ذلك مشيرا بصيغة الافتعال إلى مخالفة الفطرة الأولى-: ﴿ و من يبتغ ﴾ أى يتطلب ﴿ غير ﴾ دين ﴿ الاسلام ﴾ الذى هو ما ذكر من الانقياد لله سبحانه ٥ و تعالى المشتمل على الشرائع المعروفة التى أساسها الإيمان بعد التلبس به حقيقة باظهار اتباع الرسل أو مجازا بالكون على الفطرة الأولى بما أشعر به الابتغاء[3]- كما تقدم، و كرر الإسلام فى هذا السياق كثيرا لكونه فى حيز الميثاق المأخوذ بمتابعة الرسول المصدق حثا على تمام[4] الانقياد له ﴿ دينا ﴾ و أتى بالفاء الرابطة [إعلاما -[5]] بأن ما بعدها مسبب عما قبلها ١٠ و مربوط به فقال: ﴿ فلن يقبل منه ﴾ أى فى الدنيا، و أشعر ترتيب هذا على السبب بأنه يرجى زوال السبب لأنه مما عرض للعبد كما جرى[3] فى الردة فى خلافة الصديق رضى الله تعالى عنه، فانه رجع إلى الإسلام أكثر المرتدين و حسن إسلامهم، و قوله: ﴿ و هو فى الأخرة من الخسرين ﴾ معناه: و لا يقبل منهم فى الآخرة، مع زيادة التصريح ١٥ بالخسارة - و هى[6] حرمان الثواب - المنافية لمقاصدهم، و القصد الأعظم بهذا[7] أهل الكتاب مع العموم لغيرهم لإقرارهم بهذا النبى الكريم

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: القولى بهذا الإيمان (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الرد (٣) سقط من ظ (٤) فى مد: اتمام (٥) زيد من ظ و مد. (٦) فى ظ: هو (٧) فى ظ: هنا.

و توقعهم[1] له، عالمين قطعا بصدقه لما فى كتبهم من البشارة به ،

و لما أخبر سبحانه و تعالى بخسارة من ارتد عن الإسلام شرع يستدل على استحقاقه لذلك بقوله: ﴿ كيف يهدى الله ﴾ مع ما له من كمال العظمة ﴿ قوما ﴾ أى يخلق الهداية فى قلوب[2] ناس لهم قوة المحاولة لما يريدونه ﴿ كفروا ﴾ أى أوقعوا الكفر بالله ربهم و بما ذكر ٥ عما أتت به رسله إعراضا عنه و عنهم . و لما كان المقصود / بكمال الذم ٣٩٦/
من استمر[3] كفره إلى الموت قال من غير جار: ﴿ بعد ايمانهم ﴾ بذلك كله ﴿ و شهدوآ ﴾ أى و بعد أن شهدوا ﴿ ان الرسول حق ﴾ بما عندهم من العلم به ﴿ و جآءهم البينت ط ﴾[4] أى القاطعة بأنه حق و أنه ١٠ رسول الله قطعا[4]، لا شىء أقوى من بيانه و لا أشد من ظهوره بما أشعر به إسقاط[5] تاء التأنيث[5] من 'جاء'[4] .

و لما كان الحائد[6] عن الدليل بعد البيان لا يرجى فى الغالب عوده كان الاستبعاد[7] بكيف موضحا لأن التقدير لأجل التصريح بالمراد: أولئك لا يهديهم الله لظلمهم[8] بوضعهم ثمرة الجهل بنقض عهد الله سبحانه ١٥ و تعالى المؤكد بواسطة رسله موضع[9] ثمرة العلم، فعطف[10] على هذا المقدر المعلوم تقديره قوله: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ لا يهدى

(١) فى ظ: تربعهم (٢) زيد فى الأصل بعده: قوم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اشتهر (٤-٤) سقطت من ظ. (٥-٥) فى ظ: فالتانيث (٦) فى ظ: المحائل (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الاستناد (٨) سقط من مد (٩) فى ظ: مواضع (١٠) فى ظ: فقولوا.

القوم الظالمين ﴾ أى الغريقين فى الظلم لكونه جبلهم على ذلك ، تحذيرا من مطلق الظلم ، و لما علمت بشاعة خيانتهم تشوف[1] السامع إلى معرفة جزائهم فقال : ﴿ اولئك ﴾ [أى -[2]] البعداء البغضاء ﴿ جزآؤهم ان عليهم لعنة الله ﴾ أى الملك الأعظم ، و هى غضبه و طرده ﴿ و الملئكة و الناس اجمعين ﴾ حتى أنهم هم[3] ليلعنون أنفسهم ، فان الكافر يطبع على قلبه فيظن أنه على هدى و يصير يلعن الكافر ظانا أنه ليس بكافر ، و هذا اللعن واقع عليهم حال تلبسهم بالفعل لوضعهم الشيء فى غير محله ، فصار كل من له علم يبعدهم لسوء صنيعهم لتبديلهم الحسن بالسيئ ، و حذرا من[4] فعل مثل[4] ذلك معه ﴿ خلدين فيها ﴾ أى اللعنة دائما .

و لما كان المقيم[5] فى الشدة قد[3] تنقص[6] شدته على طول نفى ذلك بقوله : ﴿ لا يخفف عنهم العذاب ﴾ مفيدا أن عليهم مع مطلق الشدة بالطرد شدائد[7] أخرى بالعقوبة[8] . و لما كان المعذب على شيء ربما استمهل[9] وقتا ما ليرجع عن ذلك الشيء أو ليعتذر نفى ذلك بقوله : ﴿ و لا هم ينظرون ﴾ أى يؤخرون للعلم بحالهم باطنا و ظاهرا حالا و مآلا[10] ، و لإقامة الحجة عليهم من جميع الوجوه ، لم يترك شيء منها

(١) فى ظ : تشوق (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من مد (٤ - ٤) من مد و ظ ، و فى الأصل : مثل فعل (٥) من ظ و مد ، و فى الاصل : المغنم (٦) فى ظ : ينقص (٧) فى ظ : شديد (٨) فى ظ : العقوبة (٩) زيد بعده فى الأصل : مالا ، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (١٠) من ظ ومد ، و فى الأصل : سلا ، و زيد بعده فى ظ : له .

لأن المقيم لها منزه عن العجز و النسيان .

و لما انخلعت القلوب بهذه الكروب نفّس عنها سبحانه و تعالى مشيرا إلى أن فيهم - و إن استبعد رجوعهم - موضعا[1] للرجاء بقوله : ﴿ الا الذين تابوا ﴾ أى رجعوا إلى ربهم متذكرين لإحسانه ، و لما كان التائب[2] لم يستغرق زمان ما بعد الإيمان بالكفر ، [و كانت التوبة[3] مقبولة و لو قل زمنها - [4]] [5]أثبت الجار فقال[5] : ﴿ من بعد ذلك ﴾ الارتداد حيث تقبل التوبة ﴿ و اصلحوا قف ﴾ أى بالاستمرار على ما تقتضيه[6] من الثمرات الحسنة ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام يغفر[7] ذنوبهم لأن الله ﴿ غفور ﴾ يمحو[8] الزلات ﴿ رحيم ٥ ﴾ باعطاء المثوبات ، هذه صفة لهم و لكل من تاب من ذنبه .

و لما رغب فى التوبة رهب من التوانى عنها فقال : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى بالله و أوامره ، و أسقط الجار لما مضى [9]من قوله[9] ﴿ بعد ايمانهم ﴾ بذلك . و لما كان الكفر [10]لفظاعته و قبحه[10] و شناعته جديرا بالنفرة[11] عنه و البعد منه نبه سبحانه و تعالى على ذلك باستبعاد إيقاعه ، فكيف بالتمادى عليه فكيف بالازدياد منه ! و عبر عن ذلك بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم ازدادوا كفرا ﴾ أى بأن تمادوا على ذلك و لم يبادروا

(١) فى ظ : موصعا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الثابت (٣) فى ظ : التورية - كذا (٤) العبارة المحجوزة زيدت من ظ (٥ - ٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : يقتضيه (٧) فى ظ : فيغفر (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمحو (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : منها فقال (١٠ - ١٠) فى ظ : لطفا منه و قيمته (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالمغفرة .

بالتوبة ﴿ لن تقبل توبتهم ﴾ أى إن تابوا ، لأن الله سبحانه و تعالى يطبع على قلوبهم فلا يتوبون توبة نصوحا يدومون عليها و يصلحون ما فسد، [1]أو لن توجد[1] منهم[2] توبة حتى يترتب عليها القبول لأنهم زادوا عن[3] أهل القسم الأول بالتمادى ، و لم يأت بالفاء الدالة على أنه مسبب[4] عما قبله إعلاما بأن ذلك إنما هو لأنهم مطبوع على قلوبهم ، مهيؤن للكفر من أصل الجبلة ، فلا يتوبون أبدا توبة صحيحة ، فالعلة[5] الحقيقية الطبع لا الذنب ، و هذا شامل لمن تاب عن[6] شىء وقع منه كأبى عزة الجمحى ، و لمن لم يتب كحيي بن أخطب ﴿ و اولئك[7] هم ﴾ [8]أى خاصة[8] ﴿ الضآلون[9] ﴾ أى الغريقون فى الضلال ، و إليه أشار "و لو اسمعهم / لتولوا[10] "لوقوعهم فى أبعد شعابه[11] و أضيق نقابه[12] ، فأنى لهم بالرجوع منه و التفصى عنه[13] ! ٣٩٧/

و لما أثبت لهم الخصوصية بذلك لاثنا[14] لهم فيه إلى حد أيس معه من رجوعهم تشوف[15] السامع إلى حالهم فى الآخرة فقال [16]مبينا [لهم-[17]]

(١-١) فى ظ : الن توجد ، و فى مد : او لن يوجد (٢) فى ظ : معهم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : سبب (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : فابعد (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : من (٧) فى ظ و مد : فاولئك ـ كذا . (٨-٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : الظالون ـ كذا (١٠) سورة ٨ آية ٢٣ . و العبارة من « و اليه اشار » إلى هنا سقطت من ظ و مد (١١) فى ظ : سعابة . (١٢) فى ظ : لقابه (١٣) فى ظ : منه (١٤) فى ظ : لاثنا (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تشرف (١٦) هكذا ثبتت العبارة من هنا إلى « تفويت محلها » فى مد وظ ، وقد تأخرت فى الأصل عن « سببا للخلود فى النار » (١٧) ما بين الحاجزين زيد من ظ و مد .

أن السبب فى عدم قبول توبتهم تفويت[1] محلها [بتماديهم على الكفر - [2]]: ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى هذا الكفر أو غيره[3]، و يجوز أن يكون المراد أنهم[4] ثلاثة أقسام: التائبون توبة صحيحة و هم الذين أصلحوا، و التائبون توبة فاسدة، و الواصلون [كفرهم - [2]] بالموت من غير توبة، و لذا[5] قال: ﴿ و ماتوا وهم كفار ﴾ و لما كان الموت كذلك سببا للخلود فى النار لأن السياق للكفر[6] و الموت عليه، صرح بنفى قبول الفداء[7] كائنا من كان[8]، و ربطه بالفاء فقال: ﴿ فلن يقبل ﴾ أى بسبب شناعة فعلهم الذى هو[9] الاجتراء على الكفر ثم الموت[10] عليه ﴿ من احدهم ﴾ أى كائنا من كان ﴿ ملء الارض ذهبا ﴾ أى من الذهب، [لا يتجدد له قبول ذلك لو بذله هبة أو هدية أو غير ذلك - [2]] ﴿ و لو افتدى به ط ﴾ 'لو' فى مثل هذا السياق تجىء منبهة على أن ما قبلها جاء على سبيل الاستقصاء، و ما بعدها جاء تنصيصا على الحالة التى يظن أنها لا تندرج فيما قبلها، كقوله صلى الله عليه و سلم «أعطوا السائل و لو جاء على فرس» فكونه[11]

---

(١) من مد و ظ، و فى الأصل: تعذيب (٢) ما بين الحاجزين زيد من ظ و مد (٣) زيد بعده فى الأصل «اى بسبب شناعة فعلهم الذى هو الاجتراء على الكفر ثم أو ثم عليه» و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها و ستأتى بعد قوله تعالى "فلن يقبل" من غير زيادة «ثم او ثم عليه» (٤) فى ظ: بهم (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: كذا (٦) فى ظ: لكفر (٧) زيد بعده فى مد: فقال. (٨) العبارة من «لان السياق» إلى هنا تأخرت فى الأصل عن «أى من الذهب» (٩) زيد بعده فى ظ: لاجل (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: ماتوا (١١) فى ظ: لكونه.

جاء على فرس يؤذن بغناه، فلا يناسب أن يعطى فنص عليه؛ و أما هنا فلما كان قبول الفدية واجبا عند أهل الكتاب - كما مر فى قوله سبحانه و تعالى "و إن ياتوكم اسرى تفدوهم[1]" [2]كان بحيث[2] ربما ظن أن[3] بذله - على طريق الافتداء يخالف بذله على غير ذلك الوجه حتى يجب قبوله، فنص عليه؛ و أيضا فحالة الافتداء حالة لا يمتن فيها المفتدى على المفتدى ٥ منه، إذ هى حالة قهر من المفتدى منه للفتدى - قاله أبو حيان. فالمعنى: لا يقبل من أحدهم [ما -[4]] يملأ الأرض من الذهب على حال من الأحوال و لو على حال الافتداء، و المراد بالمثال المبالغة فى الكثرة، أى لا يقبل[5] منه شىء؛ و إنما اقتصر على ملء الأرض لأنه أكثر ما يدخل تحت أوهام الناس و يجرى فى محاوراتهم[6] - و الله سبحانه ١٠ و تعالى أعلم.

و لما تشوف السامع إلى معرفة ما يحل بهم أجيب بقوله: ﴿اولئك﴾ أى البعداء من الرحمة ﴿لهم عذاب اليم﴾ و لعظمته أغرق فى النفى بعده بزيادة الجار فقال: ﴿و ما لهم من نصرين ٥﴾ أى ينصرونهم[7] بوجه من الوجوه، فانتفى عنهم كل وجه من وجوه الاستنقاذ[8]: ١٥

* * * * *

(١) سورة ١ آية ٨٥ (٢-٢) فى ظ: كما بحث (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: انه (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لافتدى. (٦) من مد، و فى الأصل: محظوراتهم، و فى ظ: مجاوزاتهم (٧) فى ظ: ينصروهم (٨) فى الأصول: الاستنقاد - كذا بالدال المهملة.

خاتمة الطبع

تم بمنّه تعالى و حسن توفيقه طبع الجـــزء الرابع من تفسير "نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله يوم الجمعة الثانى عشر من شهر ذى القعدة سنة ١٣٩١ هـ = ٣١ ديسمبر سنة ١٩٧١ م .

و قد اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه إلى نهاية سورة البقرة ص ١٩٤ الأستاذ الأديب فضيلة الشيخ محمد عبد الحميد شيخ الجامعة النظامية بحيدرآباد الدكن عم فيضه ! و ابتدأ تصحيحه من بدء سورة آل عمران ص ١٩٥ مصححُ دائرة المعارف العثمانية الأخ الفاضل محمد عمران الأعظمى العمرى (أفضل العلماء ـ جامعة مدراس) و عنى بتنقيحه راقم هذه الخاتمة تحت إشراف الأديب الفـاضل صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير الدائرة و عميدها أبقاه الله لخدمة العلم و الدين !

و يليـــه الجزء الخامس إن شاء الله تعالى أوله « و لما كان آخر هذه القصص فى الحقيقة إبطال كل ما خالف الإسلام ـ الخ » .

و فى الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العلمين .

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد
السيد محمد حبيب الله القادرى الرشيد
(كامل الجامعة النظامية)
صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

و لما كان آخر هذه القصص فى الحقيقة إبطال كل ما خالف[1] الإسلام الذى هو معنى "ان الدين عند الله الاسلام[2]" - و ما بعد ذلك إنما جرّه[3] - ختم الآية بدعوى أن المخالفين من الخاسرين، و ختم ذلك[4] بأن من مات على الكفر لا يقبل إنفاقه للانقاذ[5] مما يلحقه من الشدائد، لا بدفع[6] لقاهر و لا بتقوية[7] لناصر، فتشوفت النفس إلى الوقت الذى يفيد فيه الإنفاق و أى وجوهه أنفع، فأرشد إلى[8] ذلك و إلى أن الأحب منه أجدر[9] بالقبول، رجوعا إلى ما قرره سبحانه و تعالى قبل آية الشهادة بالوحدانية من صفة عباده المنفقين و المستغفرين بالأسحار على وجه أبلغ بقوله: ﴿ لن تنالوا البر ﴾ و هو كمال الخير ﴿ حتى تنفقوا ﴾ أى فى وجوه الخير ﴿ مما تحبون ﴾ أى من كل ما تقتضون[11]، كما ترك إسرائيل عليه الصلاة و السلام أحب الطعام إليه لله سبحانه و تعالى.

(١) فى ظ: يخالف (٢) سورة ٣ آية ١٩ (٣) فى مد: جزه كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بذلك (٥) فى ظ: للانفاذ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يدفع (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: يتقويه (٨) زيد فى ظ: سياق (٩) فى ظ: احذر (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: ابدا (١١) فى ظ: تعتنون، و فى مد: تفتنون.

و لما كان التقدير : فان أنفقتم منه علمه[1] الله سبحانه و تعالى فأنالكم[2] به البر ، و إن تيممتم الخبيث الذى تكرهونه فأنفقتموه لم تبروا ، و كان كل من المحبة و الكراهة أمرا خفيا ، قال سبحانه و تعالى مرغبا مرهبا : ﴿ و ما تنفقوا من شيء ﴾ أى من المحبوب[3] و غيره ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة . و قدم[4] الجار اهتماما به إظهارا لأنه يعلمه من جميع وجوهه كما تقول[5] لمن [سألك -[6]] هل[7] تعلم كذا : لا أعلم إلا هو ، فقال : ﴿ به عليم ﴾ فهذا كما ترى احتباك . /٣٩٨

و لما أخبر بذلك بين أنه كان ديدن أهل الكمال على وجه يقرر به ما مضى من الإخبار بعظيم اجتراء أهل الكتاب على الكذب بأمر حسّي فقال تعالى : ﴿ كل الطعام ﴾ أى من الشحوم مطلقا[8] و غيرها ﴿ كان حلا لبنى اسرآءيل ﴾ [أى -[9]] أكله - كما كان حلا لمن قبلهم على أصل[10] الإباحة ﴿ الا ما حرم اسرآءيل ﴾ تبررا و تطوعا ﴿ على نفسه ﴾ و خصه بالذكر استجلابا لبنيه [[11] - إلى[12] ما يرفعهم بعد اجتذابهم للمؤمنين إلى ما يضرهم و لا ينفعهم . و لما كانو[13] بما أغرقوا[13] فيه[14] من الكذب ربما قالوا : إنما حرم ذلك اتباعا لحكم التوراة قال :]

(١) فى ظ : علم (٢) فى ظ : فاتالكم (٣) فى ظ : الحبوب (٤) فى ظ : قدتم . (٥) فى ظ : يقول (٦) زيد من ظ ، و زيد فى مد موضعه : قال (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٨) سقط من مد (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ : اهل (١١) العبارة المحجورة زيدت من ظ و مد (١٢) فى مد : الا (١٣-١٣) فى ظ : لما عرفوا (١٤) ليس فى ظ .

﴿ [١]من قبل[١] ﴾ [٢] - و أثبت الجار لأن تحريمه كان فى بعض ذلك الزمان ، لا مستغرقا له . و عبر بالمضارع لأنه أدل على التجدد فقال:] ﴿ [٣]ان تنزل التورٰىة[٣] ﴾ [٢] - و كان قد ترك لحوم الإبل و ألبانها و كانت أحب الأطعمة إليه لله و إيثارا لعباده - كما تقدم ذلك فى البقرة عند " فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به[٤] "] .

و لما كانت هذه الآية إلزاما لليهود باعتقاد النسخ الذى طعنوا به فى هذا الدين فى أمر القبلة ، و كانوا ينكرونه ليصير عذرا لهم فى التخلف عن اتباع النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم ، فكانوا يقولون : لم تزل الشحوم و ما ذكر معها حراما على من قبلنا كما كانت حراما علينا ، فأمر بجوابهم بأن قال : ﴿ قل ﴾ أى لليهود ﴿ فاتوا بالتورٰىة فاتلوها ﴾ أى لتدل لكم ﴿ ان كنتم صٰدقين ۝ ﴾ فيما ادعيتموه ، فلم يأتوا بها فبان كذبهم فافتضحوا فضيحة لا مثل لها فى الدنيا ﴿ فمن ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه [من - ٥] ﴿ افترى ﴾ أى تعمد ﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ الكذب ﴾ أى فى أمر المطاعم أو[٦] غيرها . و لما كان المراد النهى عن إيقاع الكذب فى أى زمن كان ، لا عن إيقاعه فى جميع الزمان الذى بعد نزول الآية أثبت الجار فقال : ﴿ من بعد ذٰلك ﴾ أى البيان العظيم الظاهر جدا ﴿ فاولٰئك ﴾ أى الأباعد الأباغض[٧] ﴿ هم ﴾ خاصة

(١-١) تأخر فى الأصل عن « بان قال » (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .
(٣-٣) تأخر فى الأصل عن قوله تعالى "من قبل" (٤) سورة ٢ آية ٨٩ .
(٥) زيد من ظ (٦) فى مد « و » (٧) فى ظ : الاباعر - كذا .

لتعمدهم الكذب على من هو محيط بهم و لا تخفى[1] عليه خافية ﴿ الظالمون ﴾ أى المتناهو[2] الظلم بالمشى على خلاف الدليل فعل من يمشى[3] فى الظلام ، فهو لا يضع شيئا فى موضعه ، و ذلك بتعرضهم إلى أن يهتكهم التام العلم و يعذبهم الشامل القدرة .

٥ و لما اتضح كذبهم و افتضح تدليسهم[4] - لأنه لما استدل عليهم بكتابهم فلم يأتوا به صار ظاهرا كالشمس ، لا شك فيه و لا لبس ، و لم يزدهم ذلك إلا تماديا فى الكذب - أمر سبحانه و تعالى نبيه[5] صلى الله عليه و سلم بقوله : ﴿ قل ﴾ أى لأهل الكتاب الذين أنكروا النسخ فأقمت عليهم الحجة من كتابهم ﴿ صدق الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى

١٠ له الكمال كله فى جميع ما أخبر ، و تخبر[6] به عن ملة إبراهيم و غيره من بنيه أسلافكم ، و تبين أنه ليس على دينكم هو و لا أحد ممن[7] قبل موسى عليه الصلاة و السلام ، لأنكم لو كنتم صادقين لآتيتم بالتوراة ، نافيا بذلك أن يكون تأخرهم عن الإتيان بها لعلة يعتلون[8] بها غير ذلك ، و إذ قد تبين صدقه تعالى فى جميع ما قال وجب اتباعه فى كل ما يأمر به ، و أعظمه

١٥ ملة إبراهيم فانها الجامعة للمحاسن .

و لما ثبت ذلك بهذا الدليل المحكم لزم قطعا أنه ما كان يهوديا

---

(١) فى ظ : لا يخفى ، و فى مد : لا نخفى - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : المتباهر ، و فى ظ : المتناهون (٣) فى ظ : تمشى ، و فى مد : نمشى - كذا (٤) فى ظ : تدلسهم (٥) فى ظ : بنبيه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يخبر (٧) فى ظ : من (٨) فى ظ : يقبلون .

و لا نصرانيا و لا مشركا، و قد أقروا بأن ملته هى الحق و أنهم أتباعه، فتسبب عن ذلك وجوب اتباعه فيما أخبر الله سبحانه و تعالى به فبان كالشمس صدقه، [لا -[1]] فيما افتروه لهم من الكذب، فقال سبحانه و تعالى: ﴿ فاتبعوا ملة ابرٰهيم ﴾ و هى الإسلام أى الانقياد للدليل[2]، و هو معنى قوله: ﴿ حنيفا ﴾ أى تابعا للحجة إذا تحررت، غير متقيد ٥ بمألوف. و لما كان صلى الله عليه و سلم مفطورا على الإسلام فلم يكن فى جبلته شىء من العوج[3] فلم يكن له دين غير الإسلام نفى الكون فقال: ﴿ و ما كان من المشركين ﴾ أى بعزير[4] و لا غيره من الأكابر كالأحبار الذين تقلدونهم[5] مع علمكم بأنهم يدعون إلى ضد ما دعا إليه سبحانه و تعالى. ١٠

و لما ألزمهم سبحانه و تعالى بالدليل الذى دل على النسخ أنهم على غير ملة إبراهيم عليه الصلاة و السلام، و أوجب عليهم اتباعها بعد بيان أنها هى ما عليه محمد صلى الله عليه و سلم و أتباعه، أخبر عن البيت الذى يخول[6] إليه التوجه[7] فى الصلاة، فعابوه على [أهل -[1]] الإسلام أنه أعظم[8] شعائر إبراهيم عليه الصلاة و السلام التى[9] كفروا بتركها، ١٥ و لذلك أبلغ فى تأكيده[10] فقال سبحانه و تعالى: ﴿ ان اول بيت ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الى الدليل (٣) من مد، و فى الأصل: الفرج، و فى ظ: القدح (٤) فى ظ: بعزير (٥) فى ظ: تقلدوهم (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: التوبة (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اعلم (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: تاكيده.

/٣٩٩ أى من البيوت الجامعة / للعبادة ﴿ وضع للناس ﴾ أى على العموم متعبدا واجبا عليهم قصده و حجه بما أمرهم به على لسان موسى عليه الصلاة و السلام، و استقباله فى الصلاة بما أنزل على محمد صلى الله عليه و سلم فى ذلك، و لعل [بناء - ١] 'وضع' للمفعول إشارة إلى أن وضعه كان قبل إبراهيم عليه الصلاة و السلام ﴿ للذى ببكة ﴾ أى البلدة التى تدق أعناق الجبابرة، و يزدحم[٢] الناس فيها ازدحاما[٣] لا يكون فى غيرها مثله و لا قريب منه، فلا بد أن[٤] يدق هذا النبى الذى أظهرته منها الأعناق من كل من ناواه، و يزدحم الناس على الدخول فى دينه ازدحاما لم يعهد مثله، فان فاتكم ذلك ختم[٥] فى الدارين غاية الخيبة و دام ذلكم و صغاركم؛ حال كونه ﴿ مبركا ﴾ أى عظيم الثبات كثير الخيرات فى الدين و الدنيا ﴿ و هدى للعلمين ﴾ أى من بنى إسرائيل و من قبلهم و من بعدهم، فعاب[٦] عليهم سبحانه و تعالى فى هذه الآية فعلهم [٧]من النسخ[٧] ما أنكروه على مولاهم، و ذلك نسخهم لما شرعه من حجه[٨] من عند أنفسهم تحريفا[٩] منهم مثالا لما قدم من[١٠] الإخبار به عن كذبهم، و هذا أمر شهير يسجل[١١] عليهم بالمخالفة و يثبت[١٢] للمؤمنين

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : من زحم (٣) فى ظ : ازواجا (٤) زيد بعده فى الأصل : يكون، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : خفيتم (٦) من ظ و مد. و فى الأصل : فتاب (٧-٧) سقط من ظ. (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : حجة (٩) فى ظ : تخويفا (١٠) سقط من ظ و مد (١١) من مد، و فى الأصل و ظ : يسحل (١٢) فى ظ : ثبت.

المؤالفة

المؤالفة ، فان حج البيت الحرام و تعظيمه من أعظم ما شرعه إبراهيم عليه الصلاة و السلام - كما هو مبين [فى -[1]] السير و غيرها و هم عالمون بذلك ، و قد حجه أنبياؤهم عليهم الصلاة و السلام و أسلافهم إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و الأسباط و غيرهم من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و أتباعهم - كما روى من غير طريق عن[2] النبى صلى الله عليه و سلم حتى أن فى بعض الطرق [أنه كان -[1]] مع موسى عليه الصلاة فى حجة إليه سبعون ألفا من بنى إسرائيل ، و من المحال عادة أن يخفى ذلك عليهم ، و من الأمر الواضح أنهم قد تركوا هذه الشريعة العظيمة أصلا و رأسا ، فكيف يصح لهم دعوى أنهم[3] على دين إبراهيم عليه الصلاة و السلام مع انسلاخهم[4] من معظم شرائعه ! ثم فسر الهدى بقوله : ﴿ فيه ايٰت بينٰت ﴾ و قوله : ﴿ مقام ابرٰهيم ﴾ - أى أثر قدمه عليه الصلاة و السلام فى الحجر حيث قام لتغسل[5] كنته[6] رأسه الشريف - أعربه[7] أبو حيان بدلا أو عطف بيان من الموصول الذى هو خبر "ان" فى قوله "للذى ببكة" فكأنه قيل : إن أول بيت وضع للناس لمقام[8] إبراهيم ، و أعربه غيره[9] بدل بعض من قوله "ايٰت" و هو وحده آيات لعظمه[10] ، و لتعدد ما فيه من تأثير القدم ، و حفظه

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لأنهم (٤) فى ظ : أسلامهم (٥) من مد ، و فى الأصل : يغسل ، و فى ظ : ليغتسل (٦) فى مد : كنه - كذا (٧) فى ظ : اعزبه (٨) فى ظ : كمقام (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : قوله (١٠) فى ظ : لتعظمه .

إلى هذا الزمان مع كونه منقولا ، و تذكيره[1] بجميع قضايا إبراهيم [و إسماعيل -[2]] عليهما الصلاة و السلام .

و لما كان أمن أهله فى بلاد النهب و الغارات التى ليس بها حاكم يفزع إليه و لا رئيس يعول[3] فى ذلك عليه من أدل الآيات قال سبحانه و تعالى : ﴿ و من دخله ﴾ أى[4] فضلا عن[5] أهله ﴿ كان آمنا ﴾ أى عريقا[6] فى الأمن ، [7] أو فأمنوه[7] بأمان الله ، و تحويل العبارة عن « و أمن داخله[8] » لأن هذا أدل على المراد[9] من تمكن الأمن ، و فيه بشارة بدخول الجنة .

و لما أوضح سبحانه و تعالى براءتهم من[10] إبراهيم عليه الصلاة و السلام لمخالفتهم إياه بعد دعواهم[11] بهتانا أنه على دينهم ، و كانت[12] المخالفة فى الواجب أدل قال سبحانه و تعالى : ﴿ و لله ﴾ أى الملك الذى له الأمر كله ﴿ على الناس ﴾ أى عامة ، فأظهر فى موضع الإضمار دلالة على الإحاطة و الشمول - كما سيأتى بيان ذلك إن شاء الله تعالى عن الأستاذ أبى الحسن الخرالى فى " استطعما[13] اهلها[14] " فى الكهف[15] ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تدبيره (٢) زيد من ظ و مد (٣) تأخر فى الأصل عن « فى ذلك » (٤) زيد بعده فى ظ : على (٥) فى ظ : على (٦) فى ظ : غريقا (٧-٧) من مد ، و فى الأصل : اذ يامنوا ، و فى ظ : ان يامنوه (٨) فى ظ : دخله (٩) زيدت الواو بعده فى ظ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى . (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : دعواه (١٢) فى ظ : فكانت (١٣) فى ظ : استعظما ، و فى مد : استعطعها (١٤) آية ٧٧ (١٥) سورة ١٨ .

و ذلك لئلا يدعى خصوصة بالعرب أو غيرهم ﴿حج البيت﴾ أى زيارته زيارة[1] عظيمة، و أظهر أيضا تنصيصا عليه و تنويها بذكره تفخيما لقدره، و عبر هنا بالبيت لأنه فى الزيارة، و عادة العرب زيارة معاهد الأحباب و أطلالهم[2] و أماكنهم[3] و حلالهم[4]، و أعظم ما يعبر به عن الزيارة عندهم الحج، ثم مَن بالتخفيف[5] بقوله مبدلا من 'الناس' تأكيدا ٥ بالإيضاح / بعد الإبهام و حملا على الشكر بالتخفيف بعد التشديد و غير / ٤٠٠ ذلك من البلاغة: ﴿من استطاع﴾ أى منهم ﴿اليه سبيلا[6]﴾ فمن حجه كان مؤمنا.

و لما كان من الواضح أن التقدير: و من لم يحجه مع الاستطاعة كفر بالنعمة إن كان معترفا بالوجوب، و بالمروق من الدين إن جحد، ١٠ عطف عليه[6] قوله: ﴿و من كفر﴾ أى بالنعمة أو بالدين ﴿فان الله﴾ أى الملك الأعلى ﴿غنى﴾ و لما كان غناه مطلقا [7]دل عليه[7] بقوله موضع 'عنه': ﴿عن العٰلمين ۝﴾ أى طائعهم و عاصيهم، صامتهم و ناطقهم، رطبهم و يابسهم، فوضح بهذه الآية و ما شاكلها أنهم ليسوا على دينه كما وضح بما تقدم أنه ليس على دينهم، فثبتت بذلك براءته منهم، ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بزيارة (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: اظلالهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: و امكانهم - مكررا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: خلالهم - كذا بالخاء المعجمة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بالتخفيف - كذا (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: على (٧-٧) سقط من ظ.

و الآية[1] من الاحتباك لأن إثبات فرضه أولا يدل على كفر من[2] أباه، و إثبات[2] "و من كفر" ثانيا يدل على[3] إيمان من حجه[3].

و لما أتم سبحانه و عز شأنه البراهين و أحكم الدلائل عقلا و سمعا، و لم يبق لمتعنت[4] شبهة، و لم يبادروا الإذعان[5]، بل زادوا فى الطغيان، و كادوا أن يوقعوا[6] الضراب و الطعان بين أهل الإيمان؛ أعرض سبحانه و تعالى عن خطابهم إيذانا بشديد الغضب و رابع الانتقام فقال سبحانه و تعالى مخاطبا لرسوله الذى يكون قتلهم على يده: ﴿قل﴾ و أثبت أداة دالة على بعدهم عن الحضرة القدسية فقال: ﴿يا أهل الكتب﴾ أى من الفريقين ﴿لم تكفرون﴾ أى توقعون الكفر ﴿بآيت الله﴾ أى و هى[7] - لكونه الحائز[8] بجميع الكمال - البينات نقلا و عقلا الدالة على أنكم على الباطل لما وضح من أنكم على غير ملة إبراهيم عليه الصلاة و السلام.

و لما كان كفرهم ظاهرا ذكر شهادته تعالى فقال مهددا[9]: ﴿والله﴾ أى و الحال أن الله الذى هو محيط بكل شىء قدرة و علما فلا إله غيره و قد أشركتم به ﴿شهيد على﴾ كل ﴿ما تعملون ٥﴾ أى لكونه يعلم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بل آية (٢ - ٢) فى ظ: اتاه او انبات - كذا. (٣ - ٣) فى ظ: ايمانه و من حجه - كذا (٤) فى الأصل و مد: لمنعت، و فى ظ: منعت (٥) فى مد: للاذعان (٦) فى ظ: يرفعوا (٧) فى ظ: و هو (٨) من مد، و فى الأصل: ايجاز، و فى ظ: الجائز (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: موكدا.

سبحانه السر و أخفى[1] و إن حرفتم و أسررتم . ثم استأنف[2] إيذانا بالاستقلال[3] تقريعا[4] آخر لزيادتهم على الكفر التكفير فقال: ﴿ قل يآهل الكتب ﴾ أى المدعين[5] للعلم و اتباع الوحى، كرر هذا الوصف لأنه مع أنه أبعد فى التقريع[6] أقرب إلى التلطف فى صرفهم عن ضلالهم ﴿ لم تصدون ﴾ أى بعد كفركم ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى الملك الذى له القهر و العز و العظمة و الاختصاص بجميع صفات الكمال، و سبيله دينه الذى جاء به نبيه محمد صلى الله عليه و سلم، و قدمه اهتماما به[7]. ثم ذكر المفعول فقال: ﴿ من ءامن ﴾ حال كونكم ﴿ تبغونها ﴾ أى السبيل ﴿ عوجا ﴾ أى بليكم[8] ألسنتكم و افترائكم على الله، و لم يفعل سبحانه و تعالى إذ أعرض عنهم فى هذه الآية ما فعل [من قبل -[9]] إذ أقبل عليهم بلذيذ خطابه تعالى جده و تعاظم مجده[10] إذ قال[10] "يآهل الكتب لم تحاجون فى ابرٰهيم"، "يآهل الكتب لم تكفرون" و[11] الآية التى بعدها بغير واسطة . و قال أبو البقاء فى إعرابه: إن 'تبغون' يجوز[12] أن يكون مستأنفا و أن يكون حالا من الضمير فى 'تصدون' أو من 'السبيل'،

(١) فى مد: الاخفى (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: استناف (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: للاشتغال (٤) فى ظ: تفريعا، و فى مد: تعريعا - كذا. (٥) فى ظ: المذعنين (٦) فى الأصل: الوصف لتقريع، و فى ظ: التفريع، و فى مد: لتعريع - كذا (٧) فى ظ: لـه (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بغيكم (٩) زيد من ظ و مد (١٠ - ١٠) فى ظ: اذا قالوا (١١) سقطت الواو من ظ و مد (١٢) فى الأصل: بجواز، و فى ظ و مد: بجوز - كذا.

لأن فيها ضميرين راجعين إليهما، فلذلك يصح[1] أن يجعل حالا من كل واحد منهما، و 'عوجا' حال - انتهى. و قال صاحب القاموس فى بنات[2] الواو: بغا الشيء بغوا: نظر إليه كيف هو، و قال فى بنات[3] الياء: [4]بغيته أبغيه[4]: طلبته، فالظاهر أن جعل 'عوجا' حالا - كما قال أبو البقاء - أصوب[5] من جعله مفعولا - كما قال فى الكشاف. و يكون 'تبغون'[6] إما يائيا[7] فيكون معناه: تريدونها معوجة أو ذات عوج، فان 'طلب' بمعنى: أراد؛ و إما أن يكون واويا بمعنى: ترونها ذات عوج، أى[8] تجعلونها فى نظركم يعنى: تتكلفون[9] وصفها[10] بالعوج مع علمكم باستقامتها، لكن قوله صلى الله عليه و سلم فى الصحيح «ابغنى أحجارا أستنفض[11] بهن» يؤيد قول صاحب الكشاف.

و لما ذكر صدهم و إرادتهم العوج الذى لا يرضاه ذو عقل قال موبخا: ﴿و انتم شهدآء[1]﴾ أى باستقامتها بشهادتكم[12] باستقامة[13] دين إبراهيم مع قيام أدلة السمع و العقل أنها دينه و أن النبى و المؤمنين أولى الناس به

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يصح (٢) من ظ، و فى الأصل: ثبات، و لا يتضح فى مد (٣) فى ظ: ثبات (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بغية ابغيته (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اضرب (٦) فى الأصول: يبغون. (٧) فى الأصل: باينا، و فى ظ: بيانا، و فى مد: بايا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٩) فى الأصول: يتكلفون (١٠) فى ظ: و عيبها - كذا (١١) من صحيح البخارى - باب الاستنجاء بالحجارة، و فى الأصل: استقصر، و فى ظ: استقضى، و فى مد: استقض - كذا (١٢) سقط من ظ (١٣) فى ظ: باستقامتكم.

لانقيادهم للأدلة . و لما كان الشهيد قد يغفل، و كانوا يخفون مكرهم
في صدهم، هددهم[1] / باحاطة علمه فقال: ﴿ و ما الله ﴾ أي الذي تقدم ٤٠١/
أنه شهيد عليكم و له صفات الكمال كلها ﴿ بغافل ﴾ أي أصلا[2]
﴿ عما تعملون ۝ ﴾ .

و لما تم إيذانه بالسخط على أعدائه و أبلغ في إنذارهم عظيم انتقامه ٥
إن داموا على إضلالهم[3]، أقبل بالبشر على أحبائه، مواجها لهم بلذيذ
خطابه وصفي غنائه، محذرا لهم الاغترار[4] بالمضلين، و منبها و مرشدا
و مذكرا و دالا على ما ختم به ما قبلها من إحاطة علمه بدقيق مكر اليهود،
فقال سبحانه و تعالى: ﴿ يآيها الذين امنوآ ﴾ أي بنبينا محمد صلى الله عليه
و سلم ﴿ ان تطيعوا فريقا ﴾ أتى[5] بهذا اللفظ لما كان المحذر منه ١٠
الافتراق و المقاطعة الذي[6] يأتي عيب[7] أهل الكتاب به ﴿ من الذين
اوتوا الكتب ﴾ أي القاطعين بين الأحباب مثل شأس[8] بن قيس الذي
مكر بكم إلى أن أوقع[9] الحرب بينكم، فلو لا النبي الذي رحمكم[10] به ربكم
لعدتم إلى شر ما كنتم فيه ﴿ يردوكم ﴾ و زاد في تقبيح هذا الحال بقوله
مشيرا باسقاط الجار إلى الاستغراق زمان البعد: ﴿ بعد ايمانكم كفرين ۝ ﴾ ١٥

(١) من ظ و مد، و في الأصل: يمددهم (٢) من ظ و مد، و في الأصل: اضلا (٣) في ظ: ضلالهم (٤) في ظ: الاعتذار (٥) في ظ: اى (٦) في ظ: التي (٧) من ظ و مد، و في الأصل: غيب (٨) في ظ: ساس (٩) في ظ: وقع بكم (١٠) العبارة من «إلى أن» إلى هنا تكررت في الأصل .

أى غريقين فى صفة[١] الكفر ، [٢]فيا لها[٢] من صفقة[٣] ما أخسرها و طريقة ما أجورها !

و لما حذرهم منهم عظم[٤] عليهم طاعتهم بالإنكار و التعجيب[٥] من ذلك[٤] [مع -[٦]] ما هم عليه بعد اتباع الرسول صلى الله عليه و سلم من الأحوال الشريفة فقال - عاطفا على ما تقديره : فكيف تطيعونهم و أنتم تعلمون عداوتهم - : ﴿ و كيف تكفرون ﴾ أى يقع منكم ذلك فى وقت من الأوقات على حال من الأحوال ﴿ و انتم تتلى ﴾ أى تواصل بالقراءة ﴿ عليكم ايٰت الله ﴾ أى علامات الملك الأعظم البينات ﴿ و فيكم رسوله[٦] ﴾ الهادى من الضلالة المنقذ من الجهالة ، فتكونون[٧] قد جمعتم[٨] إلى موافقة العدو[٩] مخالفةَ الولى[١٠] و أنتم بعينه و فيكم أمينه[١١] ﴿ و من ﴾ أى و الحال أنه من[١٢] ﴿ يعتصم ﴾ أى [١٣]يجهد نفسه[١٣] فى ربط أموره ﴿ بالله ﴾ المحيط بكل شىء علما و قدرة فى جميع [١٤]أحواله كائنا من كان[١٤] . و لما

(١) من ظ ومد ، و فى الأصل : صفقة (٢-٢) فى ظ : فنالها (٣) زيد بعده فى ظ : خاسرتها (٤) سقط من ظ (٥) فى مد : التعجب (٦) زيد من مد (٧) فى ظ : فتكون (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : جمعتهم (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها (١٠) العبارة من هنا إلى « كائنا من كان » تأخرت فى الأصل عن « السبب فقال » ، و الترتيب من ظ و مد (١١) العبارة من « و أنتم بعينه » إلى هنا تأخرت فى الأصل عن « كائنا من كان » ، و الترتيب من ظ و مد (١٢) سقط من ظ و مد (١٣-١٣) فى ظ : يجتهد بنفسه ، و فى مد : يجهد بنفسه (١٤-١٤) سقط من ظ .

كان من قصر نفسه على من له الكمال كله متوقعا للفلاح عبر بأداة التوقع مقرونة بفاء السبب فقال: ﴿ فقد هدى ﴾ و عبر بالمجهول على طريقة كلام القادرين ﴿ الى صراط مستقيم ٥ ﴾ .

و لما انقضى هذا التحذير من أهل الكتاب و التعجيب و الترغيب، أمر بما يثمر ذلك من رضاه فقال[1]: ﴿ يآيها الذين آمنوآ ﴾ أى ادعوا ٥ ذلك بألسنتهم ﴿ اتقوا الله ﴾ أى صدقوا دعواكم بتقوى ذى الجلال و الإكرام ﴿ حق تقته ﴾ فأديموا الانقياد له بدوام مراقبته و لا تقطعوا أمرا دونه ﴿ و لا تموتن ﴾ على حالة من الحالات ﴿ الا و انتم مسلمون ٥ ﴾ أى منقادون أتم الانقياد[2]، و نقل عن العارف أبى الحسن الشاذلى أن هذه الآية فى أصل الدين و هو التوحيد، و[3] قوله سبحانه و تعالى "فاتقوا الله ١٠ ما[4] استطعتم[5]" فى فروعه .

و لما كان عزم الإنسان فاترا و عقله[6] قاصرا، دلهم[7] - بعد أن أوقفتهم[8] التقوى - على الأصل لجميع الخيرات المتكفل بالحفظ من جميع الزلات فقال: ﴿ و اعتصموا ﴾ أى كلفوا أنفسكم الارتباط الشديد و الانضباط العظيم ﴿ بحبل الله ﴾ أى [طريق دين - [9]] الملك الذى ١٥ لا كفوء له التى نهجها[10] لكم و مهدها[11]، و أصل الحبل السبب الذى يوصل به

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد : انقياد (٣) زيد بعده فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى ظ : بما (٥) سورة ٦٤ آية ١٦ .
(٦) فى ظ : فعله (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : و لهم (٨) فى ظ : او تعتم .
(٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ : منحها (١١) العبارة من « الملك الذى » إلى هنا تأخرت فى الأصل عن « أكده بقوله » ، و الترتيب من ظ و مد .

إلى البغية و الحاجة ، و [كل - [1]] من يمشى على طريق دقيق يخاف[2] أن تزلق[3] رجله عنـــه[4] إذا تمسك بحبل مشدود الطرفين بجانبي ذلك الطريق أمن الخوف ، و لا يخفى دقة الصراط بما ورد به النقل الصحيح ، و هذا الدين[5] مثاله ، فصعوبته و شدته على النفوس بما لها من النوازع و الحظوظ مثال دقته ، فمن قهر نفسه و حفظها على التمسك به حفظ عن السقوط عما هو مثاله .

و لما أفهم كل من الضمير و الحبل و الاسم[6] الجامع إحاطة الأمر بالكل أكده بقوله : ﴿ جميعا ﴾ لا تدعوا أحدا منكم يشذ[7] عنها ، بل كلما عثرتم[8] على أحد فارقها و لو قيد شبر فردوه إليها و لا تناظروه و لا تهملوا أمره ، و لا تغفلوا عنه فيختل[9] النظام ، و تتعبوا[10] على الدوام ، بل لا تزالوا[11] كالرابط ربطا[12] شديدا حزمة[13] نبل[14] بحبل ، لا يدع واحدة منها تنفرد[15] عن الأخرى ، ثم أكد ذلك[16] بقوله : / ﴿ و لا تفرقوا ص ﴾ ثم ذكرهم[16] نعمة الاجتماع ، لأن[17] ذلك باعث على شكرها ، و هو باعث

/٤٠٢

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من مد (٣) فى ظ : يزلف (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليه (٥) فى ظ : الـذى (٦) زيدت الواو بعـده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٧) فى الأصل و مد : يشهد ، و فى ظ : يسند . (٨) من مد ، و فى الأصل : اغترتم ، و فى ظ : عرتم - كذا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : مثل - كذا (١٠) فى ظ : منتعوا - كذا (١١) فى ظ : لا يزالوا . (١٢) سقط من ظ (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : خزمه (١٤) من مد ، و فى الأصل : قبل ، و فى ظ : بقل - كذا (١٥) فى ظ : منفرد (١٦) فى ظ : ذكر (١٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان .

على إدامة الاعتصام و التقوى ، و بدأ منها بالدنيوية لأنها أس الأخروية فقال : ﴿ و اذكروا نعمت الله ﴾ الذى له الكمال كله ﴿ عليكم ﴾ يا من اعتصم[1] بعصام الدين ! ﴿ اذ كنتم اعدآء ﴾ متنافرين أشد تنافر ﴿ فالف بين قلوبكم ﴾ بالجمع على هذا الصراط القويم و المنهج العظيم ﴿ فاصبحتم بنعمته اخوانا ج ﴾ قد نزع ما فى قلوبكم من الإحن[2] ، و أزال[3] تلك[4] الفتن و المحن .

و لما ذكر النعمة التى أنقذتهم من هلاك الدنيا[5] ثنى بما تبع[6] ذلك من نعمة الدين التى عصمت من الهلاك الأبدى فقال : ﴿ و كنتم على شفا ﴾ أى حرف و طرف ﴿ حفرة من النار ﴾ بما كنتم فيه من الجاهلية ﴿ فانقذكم منها ط ﴾ .

و لما تم هذا البيان على هذا الأسلوب الغريب نبه على ذلك بقوله - جوابا لمن يقول : لله در[7] هذا البيان ! ما أغربه من بيان ! - : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا البيان البعيد المنال[8] البديع[9] المثال ﴿ يبين الله ﴾ المحيط علمه الشاملة[10] قدرته [بعظمته -[11]] ﴿ لكم اٰيٰتـه ﴾ و عظم الأمر

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعتقم (٢) من مد ، و فى الأصل : الاجل ، و فى ظ : الآخر (٣) فى ظ : ازالة ، و فى مد : زال (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٥) زيد بعده فى ظ : ثم (٦) فى مد : بتبع (٧) فى ظ : رد . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المثال (٩) فى ظ : البعيد (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : الشامل (١١) زيد من ط و مد .

بتخصيصهم به[١] و إضافة الآى إليه . [٢]و لما كان السياق لبيان دقائق الكفار فى إرادة إضلالهم ختم الآية بقوله[٢] : ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ أى ليكون[٣] حالكم عند من ينظركم حال من ترجى[٤] و تتوقع هدايته ، هذا الترجى حالكم فيما بينكم ، و أما هو سبحانه و تعالى فقد أحاط علمه بالسعيد و الشقى ، ثم الأمر إليه ، فمن شاء هداه ، و من أراد أرداه[٥] .

و لما عاب[٦] سبحانه و تعالى الكفار بالضلال[٧] ثم بالإضلال أمر المؤمنين بالهدى فى أنفسهم ، و أتبعه الأمر بهداية الغير بالاجتماع[٨] ، و كان الأمر بالاجتماع المؤكد بالنهى عن التفرق ربما أفهم الوجوب لتفرد[٩] الجميع فى كل جزئية من جزئيات العبادة فى كل وقت على سبيل الاجتماع مع الإعراض عن كل عائق عن ذلك سواء كان وسيلة أو لا بالنسبة إلى كل فرد فرد ، أتبعه بقوله ـ منبها على الرضى بإيقاع ذلك فى الجملة سواء كان بالبعض أو الكل كما هو شأن فروض الكفايات ـ : ﴿ و لتكن منكم امة ﴾ أى جماعة تصلح لأن يقصدها غيرها ، و يكون بعضها قاصدا بعضا[١٠] ، حتى تكون[١١] أشد شىء ائتلافا[١٢] و اجتماعا فى

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقطت من ظ (٣) فى مد ، لتكون (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يرجى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اراده (٦) فى ظ : غاب (٧) فى ظ : بالضلالة (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاجماع . (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : لتجرد (١٠) فى ظ : بعضها (١١) فى ظ : يكون (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ايتلافا ـ كذا .

كل وقت من الأوقات على البدل ﴿ يدعون ﴾ مجددين لذلك فى كل وقت ﴿ الى الخير ﴾ أى بالجهاد و التعليم [و الوعظ و التذكير - [1]] .

و لما عم كل خير خص ليكون المخصوص مأمورا به مرتين [2] دلالة على جليل أمره و علىّ قدره فقال : ﴿ و يامرون بالمعروف ﴾ أى من الدين [3] ﴿ و ينهون عن المنكر ط ﴾ فيه بحيث لا يخلو وقت من الأوقات ٥ عن قوم قائمين بذلك . و هو تنبيه لهم على أن يلازموا [4] ما فعله الرسول صلى الله عليه و سلم و من معه من أصحابه رضى الله تعالى عنهم من أمرهم بالمعروف و نهيهم عن المنكر [حين - [5]] استفزهم الشيطان بمكر شأس ابن قيس فى التذكير [6] بالأحقاد وَ الأضغان و الأنكاد [6] ، و إعلام بأن الذكرى تنفع المؤمنين . ١٠

و لما كان هذا السياق مفهما لأن التقدير : فانهم ينالون بذلك خيرا كثيرا ، و لهم نعيم مقيم؛ عطف عليه مرغبا : ﴿ و اولـٰئك ﴾ أى العالو الرتبة العظيمو النفع ﴿ هم المفلحون ه ﴾ حق الإفلاح ، فبين سبحانه و تعالى أن الاجتماع المأمور به إنما هو بالقلوب [7] الجاعلة لهم كالجسد الواحد ، و لا يضر فيه صرف بعض الأوقات إلى المعاش [8] و تنعيم البدن ببعض ١٥ المباحات ، و إن كان الأكمل صرف الكل بالنية إلى العبادة .

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بين (٣) فى ظ : الذين.
(٤) فى ظ : لا يلازموا (٥) زيد من مد ، و فى ظ موضعه : خيرا - كذا .
(٦ - ٦) فى ظ : بالاخفا و اضغان و الافكاف ، و فى مد : بالاحقاد و اضغان و الانكاد - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : القلوب (٨) فى مد : المعائش.

و لما أمر بذلك أكده بالنهى عما يضاده معرضا بمن نزلت هذه الآيات فيهم من أهل الكتاب مبكتا لهم [بضلالهم -[١]] و اختلافهم فى دينهم على أنبيائهم فقال: ﴿ و لا تكونوا كالذين تفرقوا ﴾ بما ابتدعوه فى أصول دينهم و بما ارتكبوه من المعاصى، فقادهم[٢] ذلك و لا بد إلى التخاذل و التواكل و المداهنة[٣] التى قصدوا بها المسالمة فجرتهم[٤] إلى المصارمة[٥]. و لما كان التفرق ربما كان بالأبدان فقط مع الاتفاق[٦] فى الآراء[٧] بين أن الأمر ليس كذلك فقال: ﴿ واختلفوا ﴾ بما أثمر لهم الحقد الحامل على الاتصاف بحالة[٨] من[٩] يظن أنهم / جميع و قلوبهم شتى. /٤٠٣

و لما ذمهم بالاختلاف الذى دل العقل على ذمه[١٠] زاد فى تقبيحه بأنهم خالفوا فيه بعد نهى العقل واضح النقل فقال: ﴿ من ﴾ أى و ابتدأ اختلافهم من الزمان الذى هو من[١١] ﴿ بعد ما جآءهم ﴾ و عظمه باعرائه عن التأنيث ﴿ البينت ط ﴾ أى بما يجمعهم و يعليهم و يرفعهم و يوجب اتفاقهم[١٢] و ينفعهم، فأرداهم ذلك الافتراق و أهلكهم.

و لما كان التقدير: فأولئك قد تعجلوا الهلاك فى الدنيا فهم الخائبون[١٣]،

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: نفادهم (٣) من مد، و فى الأصل: لمداهنة، و فى ظ: المناهه - كذا (٤) فى ظ: لجرتهم (٥) فى ظ: المضارمة (٦) فى ظ: الانفاق (٧) فى ظ: الآوا - كذا (٨) فى ظ: بحاله. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: منه (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: ذمة (١١) سقط من ظ (١٢) من مد، و فى الأصل: انفاقهم، و فى ظ: نفاقهم (١٣) من مد، و فى الأصل: الخايضون، و فى ظ موضعه: يفهم على وجه لزومها لهم فى الدنيا والأخرة، و سيأتى قبل قوله تعالى "هم فيها خلدون".

عطف عليه[1] قوله : ﴿ [2]و اولٓئك ﴾ [أى - [3]] [4]البعداء البغضاء[4] ﴿ لهم عـذاب عظيم[5] ﴾ أى فى الدار الآخرة بعد عذاب الدنيا [5]باختلافهم منابذين [6]لما من[6] شأنه الجمع ، و الآية من الاحتباك : إثبات "المفلحون" أولا يدل على "الخسرون" ثانيا ، و العذاب[7] العظيم ثانيا يدل على النعيم المقيم أولا . ٥

و لما قدم [ما - [3]] لأهل الكتاب المقدمين على الكفر[8] على علم يوم القيامة فى قوله "ان الذين يشترون بعهد الله و ايمانهم[9] "، و ختم [10]تلك الآية[10] بأنهم[11] لهم عذاب أليم و استمر حتى ختم هذه الآية[12] بأنه مع[12] ذلك عظيم؛ بين ذلك اليوم بقوله - بادئا بما هو أنكى لهم من تنعيم أضدادهم - : ﴿ يوم تبيض وجوه ﴾ أى بما[14] لها من المآثر[14] الحسنة ﴿ و تسود ١٠ وجوه[4] ﴾ بما عليها من الجرائر[15] السيئة ﴿ فاما الذين اسودت وجوههم قف ﴾

---

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) العبارة من هنا إلى « عذاب الدنيا » تقدمت فى الأصل على « و لما كان » (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) فى ظ و مد : البغضاء البعداء .
(٥) العبارة من هنا إلى « النعيم المقيم أولا » وقعت فى الأصل بعد « الافتراق و أهلكهم » (٦-٦) فى ظ : لمن (٧) فى ظ : فالعذاب (٨) فى ظ : الكفرة .
(٩) سورة ٣ آية ٧٧ (١٠-١٠) فى ظ : ذلك الامة ، و فى مد : تلك الامة .
(١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بان (١٢) سقط من مد (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : من (١٤ - ١٤) فى ظ : لنا من اثر (١٥) من مد ، و فى الأصل : الجاير ، و فى ظ : الجوائر - كذا .

بدأ بهم لأن [١] النشر المشوش أفضح [١]، و لأن المقام للترهيب و زيادة النكاية لأهله ، فيقال [٢] لهم توبيخا و تقريعا [٣]: ﴿ اكفرتم ﴾ يا سود الوجوه و عبيد الشهوات ! ﴿ بعد ايمانكم ﴾ بما جبلتم عليه من الفطر [٤] السليمة و مكنتم [٥] به من العقول المستقيمة من النظر فى الدلائل ، ثم بما [٦] أخذ عليكم أنبياؤكم من العهود ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ أى الأليم العظيم ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ و أنتم تعلمون ، فانكم فى لعنة الله ماكثون [٧] ﴿ و اما الذين ابيضت وجوههم ﴾ إشراقا و بهاء لأنهم آمنوا فأمنوا من العذاب ﴿ ففى رحمة الله ﴾ أى ثمرة [٨] فعل ذى [٨] الجلال و الإكرام الذى [٩] هو فعل الراحم ، لا فى غير رحمته . ثم أجاب عن سؤال من كأنه قال : هل تزول عنهم كما هو حال النعم [١٠] فى الدنيا ؟ بقوله - على وجه يفهم لزومها لهم فى الدنيا و الآخرة - : ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ فيها خلدون ﴾ فلذا [١١] كانوا يؤمنون ، فالآية من الاحتباك : إثبات الكفر أولا دل على إرادة الإيمان ثانيا ، و إثبات الرحمة ثانيا دل على حذف اللعنة أولا .

(١-١) من مد ، و فى الأصل : النسر المسوس افضح ، و فى ظ : السو المسوس افضح - كذا (٢) فى ظ : فقال (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقريعا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفطرة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : و مكتم . (٦) فى ظ : بها (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : ماكنون (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذى فعل (٩) سقط من ظ (١٠) فى مد : النعيم (١١) فى ظ : فكذا .

و لما حازت هذه الآيات[١] من التهذيب و إحكام الترتيب و حسن السياق قصبَ السباق أشار[٢] إليها مع قربها بأداة البعد [٣]و أضافها إلى أعظم[٣] أسمائه فقال: ﴿تلك اٰيٰت الله﴾ أى هذه دلائل الملك الأعظم العالية[٤] الرتب البعيدة المتناول[٥]، ثم استأنف الخبر عنها [٦]فى مظهر العظمة[٦] قائلا: ﴿نتلوها﴾ أى [٧]نلازم قصها[٧]، و زاد فى تعظيمها بعد المبتدإ بالمنتهى فقال: ﴿عليك﴾ ثم أكد ذلك بقوله: ﴿بالحق[٨]﴾ أى ثابتة المعانى راسخة المقاصد صادقة الأقوال فى[٨] كل ما أخبرت به من فوزكم و هلاكهم[٩] من غير أن نظلم[١٠] أحدا منهم ﴿و ما الله﴾[١١] أى الحائز[١١] لجميع الكمال ﴿يريد ظلما﴾ قل أو جل ﴿للعٰلمين ٥﴾ أى ما ظلمهم و لا يريد ظلم أحد منهم، لأنه سبحانه و تعالى متعال عن ذلك، لا يتصور منه و هو غنى عنه، لأن له كل شىء.

و لما كان أمرهم[١٢] بالإقبال عليه و نهيهم عن الإعراض عنه ربما أوقع فى وهم أنه غير قادر على ضبطهم أو محتاج إلى ربطهم[١٣] أزال ذلك دالا على أنه غنى عن الظلم بقوله: ﴿و لله﴾ الملك الأعلى ﴿ما﴾ أى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الاية (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: فاشار (٣-٣) فى ظ: و اضافتها إلى عظم (٤) فى ظ: الغالية (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: المتناولة (٦-٦) سقط من مد (٧-٧) فى ظ: اللازم قصتها.
(٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فيها (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: هلاككم (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: يظلم (١١-١١) فى ظ: الجائز.
(١٢) فى ظ: ابراهيم (١٣) فى ظ: زيطهم - كذا.

كل شيء ﴿ فى السمٰوٰت و ﴾ كل[1] ﴿ ما فى الارض[1] ﴾ من جوهر و عرض ملكا و مُلكا . و لما كان المقصود سعة الملك لم يضمر[2] لئلا يظن تخصيص الثانى بما فى حيز الأول فقال : ﴿ و الى الله ﴾ الذى [3]لا أمر[3] لأحد معه ﴿ ترجع الامور ﴾ أى كلها ، التى فيهما و التى فى غيرهما ، فلا داعى له إلى الظلم ، لأنه[4] غنى عن كل شيء و قادر على كل شيء .

و لما كان من رجوع[5] الأمور إليه هدايته من يشاء و إضلاله من يشاء قال - مادحا لهذه الأمة ليمعنوا[6] فى رضاه[7] حمدا و شكرا و[8] مؤيسا لأهل الكتاب عن إضلالهم[9] ليزدادوا حيرة[10] و سكرا[11] - : /٤٠٤

﴿ كنتم خير امة ﴾ أى وجدتم على هذا الوصف الثابت لكم جبلة و طبعا . ثم وصف الأمة بما يدل على عموم الرسالة و أنهم سيقهرون أهل الكتاب فقال : ﴿ اخرجت للناس ﴾ ثم بين وجه الخيرية[12] بما لم يحصل مجموعه لغيرهم على ما هم[13] عليه من المكنة بقوله : ﴿ تامرون ﴾ أى على سبيل التجدد و الاستمرار ﴿ بالمعروف ﴾ أى كل ما عرفه الشرع و أجازه

(١) تقدم فى الأصل على « السموات » (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يظهر (٣-٣) فى ظ : لامر (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (٥) فى ظ : مجموع (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليثمنوا (٧) فى ظ : رضاها (٨) سقطت الواو من ظ (٩) زيد بعده فى الأصل « من يشاء قال مادحا لهذه الأمة » و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) فى ظ : حيلة (١١) فى ظ : شكرا . (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخير به (١٣) فى ظ و مد : هو .

﴿ و تنهون عن المنكر ﴾ و هو ما خالف ذلك، و لو وصل الأمر إلى القتال، مبشرا لهم بأنه قضى فى الأزل أنهم يمتثلون[1] ما أمرهم به من [2]الأمر بالمعروف[2] و النهى عن المنكر فى قوله "و لتكن منكم امة يدعون الى الخير" إراحة لهم من كلفة النظر فى[3] أنهم هل يمتثلون[4] فيفلحوا، و إزاحة[5] لحلهم[6] أعباء الخطر بكونهم يعانون عليه ليفوزوا[7] و يربحوا، فصارت فائدة الأمر كثيرة الثواب بقصد امتثال الواجب، و للترمذى - و قال: حسن - عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبى[8] صلى الله عليه و سلم يقول فى هذه الآية «أنتم تتمون[9] سبعين أمة أنتم خيرها و أكرمها على الله سبحانه و تعالى»، و للبخارى فى التفسير عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال «أنتم خير الناس للناس[10]، تأتون[11] بهم فى[3] السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا[12] فى الإسلام[13]».

و لما أخبر عنهم بهذا الوصف الشريف فى نفسه أتبعه ما زاده شرفا، و هو أنهم فعلوه فى حال إيمانهم فهو معتبر بـه لوجود شرطه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: سيعلبون - كذا (٢-٢) فى ظ: المعروف. (٣) فى ظ «و» (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يمتثلون (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: اراحة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: كلهم (٧) فى ظ: ليفوا - كذا (٨) فى ظ: رسول الله (٩) فى ظ: سمون - كذا (١٠) سقط من ظ و مد (١١) فى ظ: ياتون (١٢) فى ظ: يدخلون (١٣) و لفظ البخارى فى صحيحه ٢/٦٥٤ «قال: خير الناس للناس يأتون بهم فى السلاسل فى أعناقهم حتى يدخلوا فى الإسلام».

الذى هو أساس كل خير [فقال - ١]: ﴿ و تؤمنون ﴾ أى تفعلون ذلك و الحال أنكم تؤمنون ٢ ﴿ بالله ط ﴾ أى الملك الأعلى الذى تاهت الأفكار فى معرفة كنه ذاته، و ارتدت ٣ نوافذ أبصار ٣ البصائر خاسئة ٤ عن حصر صفاته، أى تصدقون أنبياءه و رسله بسببه فى كل ما أخبروا به قولا و فعلا ظاهرا و باطنا، و تفعلون جميع أوامره و تنهون عن جميع مناهيه؛ و هذا يفهم أن من لم يؤمن كايمانهم فليس من هذه الأمة أصلا، لأن الكون المذكور ٥ لا يحصل إلا بجميع ٦ ما ذكر، و كرر الاسم الأعظم زيادة فى تعظيمهم؛ و قد صدق ٧ الله و من أصدق من الله حديثا!

قال الإمام أبو عمر يوسف [بن - ١] عبد البر النمرى ٨ فى خطبة كتاب الاستيعاب: روى ابن القاسم عن مالك أنه سمعه يقول: لما دخل ٩ أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم الشام نظر إليهم رجل من أهل الكتاب فقال: ما كان أصحاب عيسى بن مريم الذين قطعوا بالمناشير ١٠ و صلبوا على الخشب بأشد اجتهادا ١١ من هؤلاء - انتهى.

و لما كان من المعلوم أن التقدير: و ذلك خير لكم، عطف عليه

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣-٣) فى ظ: نوافر الابصار (٤) فى ظ: خاسه (٥) فى ظ: بالمذكور (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بمجموع و. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اصدق (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: التموى - راجع المشتبه ص ١١٧ (٩) زيد بعده فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) فى الأصل: بالمباشير، و فى ظ: المناشير، و فى مد: بالمياشير (١١) فى ظ: اجتهاد.

قوله : ﴿ و لو آمن اهل الكتب ﴾ أى أوقعوا[1] الإيمان كما آمنتم بجميع الرسل و جميع ما أنزل عليهم فى كتابهم و غيره ، و لم يفرقوا[2] بين شىء من ذلك ﴿ لكان ﴾ أى الإيمان ﴿ خيرا لهم[3] ﴾ إشارة إلى تسفيه[3] أحلامهم[4] فى وقوفهم مع ما منعهم عن الإيمان من العرض[5] القليل الفانى و الرئاسة التافهة ، و تركهم[6] الغنى الدائم و العز الباهر الثابت . ٥

و لما كان هذا ربما أوهم أنه لم يؤمن منهم أحد قال مستأنفا : ﴿ منهم المؤمنون ﴾ أى الثابتون فى الإيمان ، و لكنهم قليل ﴿ و اكثرهم الفسقون ٥ ﴾ أى[7] الخارجون من رتبة الأوامر و النواهى خروجا يضمحل معه خروج غيرهم . و لما كانت مخالفة الأكثر قاصمة خفف عن أوليائه بقوله : ﴿ لن يضروكم ﴾ و لما كان الضر - كما تقدم عن الحرالى - إيلام ١٠ الجسم و ما يتبعه من الحواس ، و الأذى إيلام النفس و ما يتبعها من الأحوال ، أطلق الضر هنا على جزء معناه[8] و هو مطلق الإيلام[9] ، ثم استثنى منه فقال : ﴿ الا اذى ط ﴾ أى بألسنتهم ، و عبر بذلك لتصوير[10] مفهومى الأذى و الضر[10] ليستحضر[11] فى الذهن ، فيكون الاستثناء[12] أدل على نفى وصولهم إلى المواجهة ﴿ و ان يقاتلوكم ﴾ أى يوما من الأيام ﴿ يولوكم ﴾ ١٥

(١) فى ظ : اوفقو (٢) فى ظ : لم يتفرقوا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : شقية (٤) فى ظ : اخلاقهم (٥) فى ظ : العوض (٦) فى ظ : و تركتم (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعناه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاسلام (١٠-١٠) فى ظ و مد : مفهوم الضر و الاذى (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتستحضروا (١٢) فى مد : استثنا .

صرح بضمير المخاطبين نصا فى المطلوب ﴿ الادبار قف ﴾ أى انهزاما ذلا وجبنا .

و لما كان المولى قد تعود له [١]كرة بعد فرة[١] قال - عادلا عن حكم / الجزاء لئلا يفهم التقييد بالشرط مشيرا بحرف التراخى إلى عظيم رتبة خذلانهم - : ﴿ ثم لا ينصرون[٢] ﴾ أى لا يكون لهم ناصر من غيرهم أبدا و إن طال المدى ، فلا تهتموا [٣]بهم و لا بأحد[٣] يمالئهم من المنافقين ، و قد صدق[٤] الله و من أصدق من الله قيلا ! لم يقاتلوا فى موطن إلا كانوا كذلك[٥] .

/٤٠٥

و لما أخبر عنهم سبحانه و تعالى بهذا الذل أتبعه [٦]الإخبار بأنه[٦] فى كل زمان وكل مكان معاملة[٧] منه لهم بضد ما أرادوا ، فعوضهم عن الحرص على الرئاسة إلزامَهم الذلة ، و عن الإخلاد إلى المال إسكانَهم المسكنة ، و أخبر أن ذلك لهم طوق[٨] الحمامة غير مزائلهم[٩] إلى آخر الدهر باق فى أعقابهم بأفعالهم هذه التى لم ينابذهم[١٠] فيها الأعقاب فقال سبحانه و تعالى مستأنفا : ﴿ ضربت عليهم الذلة ﴾ و هى الانقياد كرها ، و أحاطت بهم كما يحيط البيت المضروب بساكنه ﴿ اين ما ثقفوآ ﴾ أى

(١-١) فى ظ : كره بعد فره (٢) من ظ و مد و القرآن المجيد ، و فى الأصل : لا تنصرون (٣-٣) فى ظ : لهم و لا لاحد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اصدق (٥) فى ظ : لذلك (٦-٦) فى ظ : الاحمار انه - كذا (٧) فى ظ : معامله . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : طول (٩) فى ظ : مزايلة (١٠) من مد ، و فى الأصل : لم ينايدهم ، و فى ظ : لم تنابذهم - كذا .

وجدهم من هو حاذق خفيف فطن فى كل مكان و على كل حال ﴿الا﴾ حال كونهم معتصمين ﴿ بحبل ﴾ أى عهد وثيق [1]مسبب للأمان[1]، و هو عهد الجزيـــة و ما شاكله[2] ﴿ من الله ﴾ أى الحـائز[3] لجميع العظمة[4] ﴿و حبل من الناس﴾ أى قاطبة : الذين آمنوا و غيرهم ، موافق لذلك[5] الحبل الذى من الله سبحانه و تعالى . ٥

و لما كان الذل ربما كان مع الرضى و لو من وجه قال: ﴿و بآءو﴾ أى رجعوا عما كانوا فيه من الحال الصالح ﴿ بغضب من الله ﴾ الملك الأعظم، ملازم لهم ، و لما كان الوصفـان[6] قد يصحبهما اليسار قال: ﴿ و ضربت ﴾ أى مع ذلك ﴿ عليهـــم[7] ﴾ أى كما يضرب البيت[8] ﴿ المسكنة[4] ﴾ أى الفقر ليكونوا بهذه الأوصاف أعرق[9] شيء فى الذل، ١٠ فكأنه قيل: لم[10] استحقوا ذلك ؟ فقيل: ﴿ ذلك ﴾ أى الإلزام لهم بما ذكر ﴿ بانهم ﴾ أى أسلافهم الذين رضوا هم[11] فعلهم ﴿ كانوا[12] يكفرون ﴾ أى يجددون[13] الكفر [مع الاستمرار ـ[14]] ﴿ [15]بآيٰت الله[15] ﴾ [أى

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: مسببا لأمان ، و زيد بعده فى ظ : و ثيق مسبب للايمـان ـ كذا (٢) فى ظ : شاكلها (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: الجائز (٤) فى ظ : الصفة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : كذلك (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : الوجهان (٧) زيد بعده فى ظ : الذلة (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) فى ظ : اغرق (١٠) فى الأصول : ثم (١١) سقط من ظ (١٢) تقدم فى الأصل على « أى أسلافهم » (١٣) فى ظ و مد : تجـددون (١٤) زيد من ظ و مد (١٥-١٥) تأخر فى الأصل عن « بالاسم الأعظم » .

الملك الأعظم الذى له الكمال كله ، و ذلك أعظم الكفر-[١]] لمشاهدتهم لها مع اشتمالها من العظم[٢] على ما يليق بالاسم الأعظم ﴿ [٣]و يقتلون الانبيآء[٣] ﴾ أى الآتين من عند الله سبحانه و تعالى حقا [٤]على كثرتهم بما دل عليه جمع[٥] التكسير ، فهو أبلغ مما فى أولها الأبلغ مما[٦] فى البقرة ٥ ليكون ذمهم على سبيل الترقى كما هى قاعدة الحكمة .

و لما كانوا معصومين دينا و دنيا قال : ﴿ بغير حق[١] ﴾ أى يبيح قتلهم ؛ ثم علل إقدامهم[٧] على هذا الكفر بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الكفر و القتل العظيمان ﴿ بما عصوا و كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ يعتدون ه ﴾ أى يجددون تكليف أنفسهم الاعتداء ، فان الإقدام على المعاصى[٨] و الاستهانة ١٠ بمجاوزة الحدود يهوّن الكفر . قال الأصفهانى : قال أرباب المعاملات : من ابتلى بترك الآداب وقع فى ترك السنن ، و من ابتلى بترك[٩] السنن [١٠]وقع فى ترك[١٠] الفرائض ، و من ابتلى بترك الفرائض وقع فى استحقار الشريعة ، و من ابتلى بذلك وقع فى الكفر . و الآية دليل على مؤاخذة الابن الراضى بذنب الأب و إن علا ، و ذلك طبق ما رأيته فى ترجمة ١٥ التوراة التى بين أيديهم[١١] الآن[١٢] ، قال فى السفر الثانى : و قال الله سبحانه

(١) زيد مابين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى ظ : العظيم (٣-٣) زيد من ظ ومد. (٤) العبارة من هنا إلى « قاعدة الحكمة » سقطت من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : جميع (٦) من مد ، و فى الأصل : ما (٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : قدامهم (٨) فى ظ : العاص (٩) فى مد : بترق (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابتلى بترك (١١) فى مد : جميعهم (١٢) فى ظ : لأنه .

و تعالى

و تعالى جميع هذه الآيات كلها: أنا[1] الرب إلهك الذى أصعدتك من أرض مصر من العبودية و الرق، لا تكون[2] لك آلهة أخرى[3]، لا تعملن شيئا من الأصنام و التماثيل التى مما فى السماء فوق و فى الأرض من تحت، و مما فى الماء أسفل الأرض، لا تسجدن لها و لا تعبدنها، لأنى أنا الرب إلهك إله[3] غيور، [4]أجازى الأبناء[4] بذنوب الآباء إلى ثلاثة أحقاب ٥ و أربعة خلوف، و أثبت النعمة إلى ألف حقب لأحبائى و حافظى[5] وصاياى.

و لما كان السياق ربما أفهم أنهم كلهم[3] كذلك[6] قال مستأنفا نافيا لذلك: ﴿ ليسوا سوآء[1] ﴾ أى فى هذه الأفعال، يثنى سبحانه و تعالى على من أقبل على الحق منهم و خلع الباطل و لم يراع سلفا و لا خلفا ١٠ بعيدا و لا قريبا. ثم استأنف قوله بيانا لعدم استوائهم: ﴿ من اهل الكتب ﴾ فأظهر لئلا يتوهم عود الضمير على خصوص من حكم بتكفيرهم ﴿ امة ﴾ أى جماعة يحق لها أن تؤم[7] ﴿ قآئمة ﴾ أى مستقيمة على / ما أتاها به نبيها[8] فى الثبات على ما شرعه، متهيئة بالقيام للانتقال عنه / ٤٠٦ عند مجىء الناسخ الذى بشر به و وصفه، غير زائغة بالإيمان ببعضه ١٥ [9]و الكفر ببعضه[9]. ثم ذكر الحامل على الاستقامة فقال: ﴿ يتلون ﴾ أى

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: ان (٢) فى ظ: لا يكون (٣) سقط من ظ.
(٤-٤) فى ظ: احاد الابنا الابنا - كذا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: حاتطن - كذا (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لذلك (٧) فى الأصول: قوم (٨) من مد، و فى الأصل: بغيرها، و فى ظ: تنبها (٩-٩) سقط من ظ.

يتابعون مستمرين ﴿ آيٰت الله ﴾ أى علامات ذى الجلال و الإكرام[١] المنزلة الباهرة[٢] التى [٣]لا لبس[٣] فيها ﴿ آناء الّيل ﴾ أى ساعاته ﴿ وهم يسجدون ﴾ أى يصلون فى غاية الخضوع . ثم ذكر ما أثمر لهم التهجد فقال : ﴿ يؤمنون[٤] ﴾ وكرر الاسم الأعظم إشارة إلى استحضارهم[٥] لعظمته فقال : ﴿ بالله ﴾ أى[٦] الذى له من الجلال و تناهى الكمال ما حير العقول . و أتبعه[٧] اليوم[٨] الذى تظهر[٩] فيه عظمته كلها ، لأنه الحامل على كل خير فقال : ﴿ و اليوم الأخر ﴾ أى إيمانا يعرف[١٠] أنه حق بتصديقهم له بالعمل الصالح بما يرد عليهم من المعارف التى ما لها من نفاد ، فيتجدد تهجدهم[١١] فتثبت[١٢] استقامتهم .

و لما وصفهم [١٣]بالاستقامة فى أنفسهم وصفهم[١٣] بأنهم يقوّمون غيرهم فقال : ﴿ و يامرون بالمعروف ﴾ أى مجددين[١٤] ذلك مستمرين عليه[١٤] [ـ[١٥] ﴿ و ينهون عن المنكر ﴾ لذلك ، ولما ذكر فعلهم للخير ذكر نشاطهم

(١) زيد بعده فى الأصل : الذى له الجلال و تناهى الكمال ما حير العقول ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد ـ وستأتى بعد قوله تعالى "يؤمنون بالله" ـ فحذفناها .
(٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : القاهرة (٣-٣) فى ظ : ليس (٤) فى ظ : تومنون (٥) فى ظ : استحضاره (٦) سقط من ظ و مد (٧) فى ظ : اوتبعه .
(٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : باليوم (٩) فى ظ : يظهر (١٠) فى ظ : ليعرف .
(١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهجدهم (١٢) من مد ، و فى الأصل : فتثبت ـ كذا ، و فى ظ : فيثبت (١٣ - ١٣) سقطت من ظ (١٤ - ١٤) تكرر فى ظ (١٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد .

فى جميع أنواعه فقال]: ﴿ و يسارعون فى الخيرٰت[1] ﴾ و لما كان التقدير: فأولئك من المستقيمين، عطف عليه: ﴿ و اولٰئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ من الصٰلحين ۝ ﴾ إشارة إلى أن[1] من لم يستقم لم يصلح لشىء، و أرشد السياق إلى أن التقدير: و أكثرهم ليسوا بهذه الصفات[2].

و لما كان التقدير: فما[3] فعلوا[4] من خير[4] فهو بعين[5] الله سبحانه و تعالى، يشكره لهم، عطف عليه قوله: ﴿ و ما تفعلوا[6] ﴾ أى أنتم ﴿ من خير ﴾ من إنفاق أو غيره ﴿ فلن تكفروه[7] ﴾ بل[1] هو[8] مشكور لكم بسبب فعلكم، و بنى للجهول تأدبا معه سبحانه و تعالى، و ليكون على طريق المتكبرين. و عطف على ما تقديره: فان الله عليم بكل[1] ما يفعله[9] الفاعلون، [قولـه -[10]]: ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بكل شىء ﴿ عليم بالمتقين ۝ ﴾ من الفاعلين الذين كانت التقوى حاملة لهم

(١) سقط من ظ (٢) فى مد: الصفة (٣) فى ظ: ما (٤-٤) سقطت من ظ. (٥) وقع فى ظ: يعن- كذا مصحفا (٦) كذا بالخطاب فى جميع النسخ (٧) من ظ ومد، و فى الأصل: فلن يكفروه؛ و قرأ أهل الكوفة إلا أبا بكر بالياء فى الفعلين و الباقون بالتاء فيهما غير أبى عمرو فانه روى عنه أنه كان يخير بهما، و على قراءة الغيبة (و هى الشائعة فى بلادنا) يجوز أن يراد من الضمير ما أريد من نظائره فيما قبل ويكون الكلام حينئذ على وتيرة واحدة، ويحتمل أن يعود للأمة و يكون العدول إلى الغيبة مراعاة للأمة، كما روعيت أولا فى التعبير بأخرجت دون أخرجتم، و هذه طريقة مشهورة للعرب فى مثل ذلك - راجع روح المعانى ١/٦٥٣ (٨) فى ظ: فهو (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يفعلون (١٠) زيد من ظ.

على كل خير ، فهو يثيبهم[١] أعظم الثواب ، و بغيرهم فهو يعاقبهم[٢] بما يريد من العقاب ، هذا على قراءة[٣] الخطاب ، و أما على[٤] قراءة الغيبة فأمرها واضح فى نظمها بما قلته[٥] .

و لما رغبهم فى الإنفاق بما يشمل كل خير و أخبرهم بانه عالم بدقه و جله ، و أخبر أن ذلك كان دأب إسرائيل عليه الصلاة و السلام على وجه أنتج أن بنيه[٦] كاذبون فى ادعائهم أنهم على ملة جده إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، ثم حذر منهم و ختم ما[٧] ختمه بالمتقين بالترغيب فى الخير بما اندرج فيه الإنفاق الذى قدم أول السورة أنه من صفة المتقين المستغفرين بالأسحار [٨] التى هى[٨] أشرف آناء الليل ، و كان مما يمنع منه خوفُ الفقر و النزول عن حال الموسرين من الكفار[٩] المفاخرين[١٠] [١١] بالإكثار المعيرين[١١] بالإقلال من المال و الولد وقوفا مع الحال الدنيوى ، و كان قد أخبر أنه لا يقبل من أحد[١٢] منهم [١٣] فى الآخرة[١٣] ملء الأرض ذهبا ؛ أعقب هذا بمثل ذلك على وجه أعم فقال - واصفا أضداد[١٤] من تقدم ، نافيا ما يعتقدون من أن أعمالهم الصورية تنفعهم[١٥] - : ﴿ ان الذين

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسيبهم (٢) فى ظ و مد : يعافيهم (٣) سقط من ظ (٤) سقط من مد (٥) فى ظ : بينته (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : نبته. (٧) فى ظ : بما (٨ - ٨) فى ظ : الذى هو (٩) فى ظ : الكافرين (١٠) من مد ، وفى الأصل وظ : الفاخرين (١١-١١) فى ظ : بالاكبار المعبر - كذا (١٢) فى ظ : الجد. (١٣ - ١٣) سقط من مد (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : صداد (١٥) من ظ ، و فى الأصل : ننفعهم ، و فى مد : ينفعهم .

كفروا ﴾ أى بالله[1] بالميل عن المنهج القويم و إن ادعوا الإيمان به نفاقا أو غيره ﴿ لن تغنى عنهم اموالهم ﴾ أى[1] و إن كثرت ﴿ و لآ اولادهم ﴾ و إن عظمت ﴿ من الله ﴾ [أى -[2]] الملك الذى لا كفوء له ﴿ شيئا[1] ﴾ أى من الإغناء[3] تأكيدا لما قرر[4] من عدم نصرة أهل الكتاب الذين حملهم على إيثار الكفر على الإيمان[5] استجلاب الأموال و الرئاسة على الأتباع على وجه يعم جميع الكفار - كما قال فى أول السورة[6] - سواء .

و لما كان التقدير : فأولئك هم الخاسرون ، عطف عليه قوله : ﴿ و اولئك اصحب النار[4] ﴾ أى هم مختصون بها ، ثم استأنف ما يفيد ملازمتها فقال : ﴿ هم فيها خلدون ﴾ و لما كان ربما قيل : فما حال ما يبذلونه فى المكارم و يواسون به فى المغارم ؟ ضرب لذلك مثلا جعله هباء منثورا ، ضائعا و إن كثر بورا[7] ، كأن لم يكن شيئا مذكورا ، بقوله سبحانه و تعالى جوابا لهذا السؤال : ﴿ مثل ما ينفقون ﴾ أى من المال ، و حقر / قصدهم بتحقير محله فقال[1] : ﴿ فى هذه الحيوة الدنيا ﴾ أى على وجه القربة أو غيرها ، لكونهم[8] ضيعوا الوجه الذى به[1] يقبل[9] ، و هو الإخلاص . و مثل إنفاقهم له و[1] مثل حرث أصيب بالريح ﴿ كمثل ريح فيها صر ﴾ أى برد شديد ﴿ اصابت حرث قوم ﴾ موصوفين بأنهم

/ ٤٠٧

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : الاعناق (٤) فى ظ : تقرر .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الأموال (٦) راجع آية ١٠ (٧) فى ظ : بوارا (٨) العبارة من هنا إلى « و هو الاخلاص » ساقطة من مد (٩) فى ظ : تقبله .

﴿ ظلموا انفسهم ﴾ أى بالبناء على غير أساس الإيمان ﴿ فاهلكته[1] ﴾ فمثل ما ينفقون فى كونه لم ينفعهم فى الدنيا باتاج[1] ما أرادوا [2]فى الدنيا[2] و ضرهم فى الدارين، أما فى الدنيا فبضياعه فى غير شىء، و أما فى الآخرة فبالمعاقبة عليه لتضييع أساسه و قصدهم الفاسد به؛ مثل الزرع الموصوف فانه لم ينفع أهله الموصوفين، بل ضرهم[3] فى الدنيا بضياعه. و فى الآخرة بما قصدوا بـــه من المقصود الفاسد[4]، و مثل إنفاقهم له فى كونه ضرهم و لم ينفعهم مثل الريح فى كونهـا ضرت الزرع و لم تنفعه، فلما كانت الريح الموصوفة أمرا مشاهـــدا[5] جليا جعلت فى إهلاكها مثلا لضياع إنفاقهم الذى هو أمر معنوى خفى؛ و لما كان الزرع المحترق أمرا محسوسا جعل فيما حصل له بعـــد[6] التعب من[7] العطب مثالا لأمر[8] معقول، و هو أموالهم فى كون إنفاقهم إياها لم يثمرلهم شيئا غير الخسارة و التعب[9]، فالمثلان ضياع الزرع و الإنفاق، و ضياع الزرع أظهر فهو مثل لضياع[10] الإنفاق لأنه أخفى، و قد بان أن الآية من الاحتباك: حذف أولا مثل الإنفاق لدلالة الريح عليه، و ثانيا الحرث لدلالة ما ينفق عليه.

و لما كان سبحانه و تعالى موصوفا بأنه الحكم العدل القائم بالقسط و أنه لا ينسى خيرا فعل قال دفعا لتوهم أن ذلك بخس[11]: ﴿ و ما ظلمهم ﴾ أى الممثل بهم و الممثل لهم ﴿ الله ﴾ الملك الأعظم [12]الغنىّ الغِنى[12] المطلق

(١) فى ظ: باتباع (٢-٢) سقط من مد (٣) فى ظ: غيرهم (٤) فى الأصول: الفاسدة (٥) فى ظ: شاهدا (٦) فى ظ: هذا (٧) فى ظ: عن (٨) فى ظ: لا امر. (٩) فى ظ: النعت (١٠) فى ظ: الضياع (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: يحسن - كذا (١٢-١٢) من مد، و فى الأصل: لغنى الغنى، و فى ظ: المغنى.

لأنه المالك المطلق، و قد كفروا، أما الممثل لهم فبكونهم أنفقوا على غير الوجه الذى شرعه، و أما الممثل بهم[1] فبكونهم لم يحرسوا زرعهم بالطاعات، و فى الآية دليل على أن أهل الطاعات تحرس ضوائعهم من الآفات و تخرق فيها العادات، ثم قال: ﴿ و لكن ﴾ و لما كان الممثل لأجلهم الذين كفروا أعم[2] من أن يموتوا عليه أو يسلموا لم يعبر ٥ فى الظلم بما تقتضيه[3] الجبلة من فعل الكون و قال: ﴿ انفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ يظلمون ﴾ فأفاد أنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بتضييعهم[4] الأساس بكفرهم، و أن ظلمهم مقصور على أنفسهم، لا يتعداها إلى غيرها و إن ظهر[5] لإنفاقهم نكاية فى عدوهم، فان العاقبة لما[6] كانت للمؤمنين كانت نكايتهم كالعدم، بل هى زيادة فى وبالهم، فهى[7] من ظلمهم لأنفسهم. ١٠

و لما كان الجمال بالمال لا سيما مع الإنفاق من أعظم المرغبات فى الموالاة، و كانت هذه الآية قد [8]صيرت جميله[8] قبيحا و بذوله شحيحا؛ قال سبحانه و تعالى - مكررا التنبيه على مكر ذوى الأموال و الجمال الذين يريدون إيقاع الفتنة بينهم من اليهود و المنافقين ليضمحل أمرهم و تزول شوكتهم[9]: ﴿ يآيها الذين امنوا ﴾ أى إيمانا صحيحا مصدقا ١٥ ادعاؤه بالعمل الصالح الذى من أعظمه الحب فى الله و البغض فى الله ﴿ لا تتخذوا بطانة ﴾ أى من تباطنونهم بأسراركم و تختصونهم[10] بالمودة

(١) فى ظ: لهم (٢) فى ظ: عم (٣) فى ظ: يقتضيه (٤) فى ظ: بتضيعهم (٥) فى ظ: اظهر (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ما (٧) فى ظ: و هى (٨-٨) فى ظ: جبرت حيلة - كذا (٩) فى ظ: شكوتهم (١٠) فى ظ: تخصمونهم.

و الصفاء و مبادلة المال و الوفاء ﴿ من دونكم ﴾ أى ليسوا منكم أيها المؤمنون، و عبر بذلك إعلاما بأنهم يهضمون[1] أنفسهم و ينزلونها [عن -[2]] علىّ درجتها[3] بموادتهم . ثم[4] وصفهم تعليلا للنهى بقوله : ﴿ لا يألونكم خبالا[5] ﴾ أى يقصرون بكم [من -[6]] جهة الفساد ؛ ثم بين ذلك بقوله على سبيل التعليل أيضا : ﴿ ودوا ما عنتم ج ﴾ أى تمنوا[6] مشقتكم .

و لما كان هذا قد يخفى بينه بقوله معللا : ﴿ قد بدت البغضآء من افواههم صلے ﴾ أى هى بينة فى حد ذاتها مع اجتهادهم فى إخفائها ، لأن الإنسان إذا امتلأ من شىء غلبه بفيضه ، و لكنكم لحسن ظنكم و صفاء نياتكم لا تتأملونها[7] فتأملوا . ثم أخبر عن علمه سبحانه قطعا و علم الفطن من عباده بالقياس ظنا بقوله : ﴿ و ما تخفى صدورهم اكبر[8] ﴾ مما ظهر على سبيل الغلبة . ثم استأنف على طريق الإلهاب و التهييج قوله : ﴿ قد بينا ﴾ أى بما لنا من / العظمة ﴿ لكم ﴾ أى بهذه الجمل ﴿ الأيٰت ﴾ /٤٠٨ أى الدالات[9] على سعادة الدارين و معرفة الشقى و السعيد و المخالف و المؤالف . و زادهم إلهابا[10] بقوله : ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ تعقلون ه ﴾ ثم استأنف الإخبار [عن -[6]] ملخص[11] حالهم معهم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عرضون - كذا (٢) زيد من مد (٣) فى ظ : درجاتها (٤) فى ظ : فى (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يمنوا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يتاملونها (٨) زيد من ظ و مد و القرآن المجيد (٩) فى ظ : الدالة (١٠) فى ظ : اتفاقا (١١) من مد ، و فى الأصل : تلخص ، و فى ظ : مخلص .

فقال

فقال منبها أو[1] مبدلا الهاء من همزة[2] الإنكار: ﴿ هآنتم اولآء ﴾ أى المؤمنون المسلمون المستسلمون ﴿ تحبونهم ﴾ أى لاغترارکم باقرارهم بالإيمان لصفاء بواطنكم[3] ﴿ و لا ﴾ أي و الحال أنهم [لا -[4]] ﴿ يحبونكم ﴾ لمخالفتهم لكم فى الدين، فانهم كاذبون فى إقرارهم بالإيمان ﴿ و تؤمنون ﴾ أى أنتم ﴿ بالكتب كله ج ﴾ أى و يكفرون هم به كله، ٥ إما بالقصد الأول و إما بالإيمان بالبعض و الكفر بالبعض ﴿ و اذا لقوكم قالوآ ﴾ أى لكم ﴿ امنا ﴾ لتغتروا بهم ﴿ و اذا خلوا ﴾ أى منكم، و صوّر شدة حنقهم بقوله: ﴿ عضوا عليكم ﴾ لما يرون من ائتلافكم[5] و حسن أحوالكم ﴿ الانامل من الغيظ[6] ﴾ أى المفرط منكم، و من جعل الهاء فى "هآنتم" بدلا عن همزة الاستفهام[7] فالمراد عنده[7]: أأنتم يا هؤلاء ١٠ [8]القرباء منى[8] تحبونهم و الحال أنهم على ما هم عليه من منابذتكم و أنتم على ما أنتم عليه من الفطنة بصفاء الأفكار و علىّ الآراء بقبولكم الحق كله، لأن المؤمن كيس[9] فطن؛ فهو استفهام - و إن[10] كان من وادى التوبيخ - المراد به التنبيه و التهييج[11] المنقل من سافل الدركات إلى[11] عالى الدرجات - و الله الموفق. ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: «و» (٢) فى ظ: الهمزة (٣) من ظ ومد، و فى الأصل: بواطنهم (٤) زيد من مد (٥) فى ظ: انقلابكم (٦) فى مد: استفهام (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: عند (٨ - ٨) من مد، و فى الأصل و ظ: القربا متى - كذا (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: ليس (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: و انه (١١) فى ظ: التهيج (١٢) فى مد: اليه.

و لما كانوا كأنهم قالوا: فما نفعل؟ قال مخاطبا للرأس المسموع الأمر المجاب الدعاء: ﴿ قل ﴾ أى لهم[١] ﴿ موتوا بغيظكم[٢] ﴾ أى[٣] ازدراء بهم[٣] و دعاء عليهم بدوام الغيظ من القهر و زيادته حتى يميتهم[٣]. و لما كانوا يحلفون[٤] على نفى هذا ليرضوهم قال تعالى مؤكدا لما أخبر به لئلا
٥ يظن أنه أريد به غير الحقيقة: ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ عليم بذات الصدور ﴾ أى فلا تظنوا أنه أراد بعض ما يتجوز[٥] بالغيظ عنه.

و لما كان ما أخبرت به هذه الجمل من بغضهم و شدة عداوتهم محتاجا ليصل إلى المشاهدة إلى بيان دل عليه بقوله: ﴿ ان تمسسكم ﴾ أى
١٠ مجرد مس ﴿ حسنة تسؤهم ﴾ و لما كان هذا دليلا شهوديا و لكنه ليس صريحا أتبعه الصريح بقوله: ﴿ و ان تصبكم ﴾ أى بقوة مرها[٦] و شدة[٧] وقعها و ضرها ﴿ سيئة يفرحوا بها[٨] ﴾ و لما كان هذا أمرا[٩] مبكتا[٩] غائظا مؤلما داواهم[١٠] بالإشارة إلى النصر [مشروطا - [١١]] بشرط التقوى و الصبر فقال: ﴿ و ان تصبروا و تتقوا ﴾ أى تكونوا من أهل
١٥ الصبر و التقوى ﴿ لا يضركم كيدهم شيئا[٨] ﴾ ثم علل ذلك بقوله:

(١) زيد بعده فى ظ: قل (٢-٢) فى مد: ازداد (٣) فى ظ: يمنيهم (٤) فى ظ: يحلفون، و فى مد: يحلقون (٥) من مد، و فى الأصل: ينجوز، و فى ظ: يتجور (٦) فى ظ: برها (٧) فى ظ و مد: و شديد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الامر (٩) فى الأصل: مبكما، و فى مد و ظ: منكيا (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: دواهم (١١) زيد من مد.

﴿ ان الله ﴾ أى ذا[1] الجلال و الإكرام ﴿ بما يعملون[2] محيط ۝ ﴾ أى فهو يعد لكل كيد ما يبطله ، و المعنى على قراءة الخطاب : بعملكم[3] كله ، فمن صبر و اتقى ظفرته ، و من عمل على[4] غير ذلك انتقمت منه .

و لما كان ما تضمنته هذه الآية من الإخبار و من الوعد [و من الوعيد -[5]] منطوقا و مفهوما محتاجا إلى الاجتلاء[6] فى صور[7] الجزئيات ٥ ذكرهم سبحانه و تعالى بالوقائع التى شوهدت[8] فيها أحوالهم[9] من النصر[10] عند العمل بمنطوق الوعد من الصبر و التقوى و عدمه عند العمل بالمفهوم ، و شوهدت [فيها -[11]] أحوال عدوهم من المساءة عند السرور و السرور[12] عند المساءة[13] ، و ذلك[14] غنى عن[14] دليل لكونه من المشاهدات ، مشيرا إلى ذلك بواو العطف على غير مذكور ، مخاطبا لأعظم ١٠ عباده[15] فطنة و أقربهم إليه رتبة ، تهييجا لغيره إلى تدقيق النظر و اتباع الدليل من غير أدنى وقوف[16] مع المألوف فقال تعالى : ﴿ و اذ ﴾ أى اذكر[17] ما يصدق ذلك من أحوالكم[18] الماضية حين صبرتم و اتقيتم[19]

(١) فى ظ : ذى (٢) فى ظ : تعملون - كما قرأ الحسن و أبو حاتم بالتاء الفوقانية . (٣) من ظ ، و فى الأصل : يعلمكم ، و فى مد : يعفكم (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاختلا (٧) فى ظ : صورة (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : شهدت (٩) فى ظ : اقوالهم (١٠) من مد ، و فى الأصل : النصير ، و فى ظ : النضر (١١) زيد من ظ و مد (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : السرر (١٣) فى ظ : المسا (١٤ - ١٤) سقط من ظ (١٥) فى ظ : عبادة (١٦) فى ظ : وقوفا (١٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكر (١٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : احوالهم (١٩) فى ظ : و اتقيتم .

فنصرتم . و حين ساءهم نصركم[1] فى كل ذلك فى سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة ، [ثم -[2]] فى بدر ، ثم فى غزوة بنى قينقاع و نحو[3] ذلك ، و اذكر إذ لم يصبر[4] أصحابك فأصيبوا ، و إذ سرتهم[5] مصيبتكم فى وقعة أحد [إذ -[6]] ﴿ غدوت ﴾ أى يا خاتم الأنبياء و أكرم المرسلين ! ﴿ من

٥ اهلك ﴾ أى بالمدينة الشريفة صبيحة يوم الجمعة إلى أصحابك فى مسجدك لتستشيرهم[7] فى أمر المشركين . و قد [8]نزلوا بأحد[8] فى أواخر يوم الأربعاء ، أو فى يوم الخميس لقتالكم[9] . و بنى من "غدوت" حالا إعلاما بأن الشروع فى السبب شروع فى مسببه فقال : ﴿ تبوئ ﴾ أى تنزل ﴿ المؤمنين ﴾ أى صبيحة / يوم السبت ، و عبر بقوله : ﴿ مقاعد ﴾ إشارة

١٠ إلى أنه صلى الله عليه و سلم تقدم[10] إلى كل[11] أحد بالثبات[12] فى مركزه ، و أوعز[13] إليه فى أن لا يفعل شيئا إلا بأمره لا سيما الرماة ، ثم ذكر علة ذلك فقال : ﴿ للقتال ط ﴾ .

و لما كان التقدير : و تتقدم[14] إليهم بأبلغ مقال فى تشديد الأقوال و الأفعال ، أشار تعالى إلى أنه وقع فى غضون[15] ذلك منه و منهم كلام

(١) فى ظ : يضركم (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى مد : غير (٤) فى ظ : لم يصيبو .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : سرهم (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يستشيرهم (٨-٨) فى ظ : بدلوا اباحة - كذا (٩) فى ظ : انقا - كذا (١٠) فى ظ : يقدم (١١) سقط من ظ (١٢) زيد بعده فى ظ : و عبر .
(١٣) أى أشار . و فى ظ : اوعر - كذا بالراء المهملة (١٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يتقدم (١٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : عصون .

كثير [خفى - [1]] و جلى بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الملك الأعظم الذى أنتم فى طاعته ﴿ سميع ﴾ أى لأقوالكم [2] ﴿ عليم ﴾ أى بنياتكم فى ذلك و غيره فاحذروه ، و لعله خص النبى صلى الله عليه و سلم بلذيذ الخطاب فى التذكير [3] تحريضا [لهم - [4]] مع ما تقدمت الإشارة إليه [5] على المراقبة تعريضا لهم [6] بأنهم خفوا [7] مع الذين ذكرهم أمر بعاث [8] حتى تواثبو [9] حين تغاضبوا إلى السلاح - كما ذكر فى سبب نزول قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتب [10] " - الآية ، فوقفوا عن نافذ الفهم و صافى الفكر خفة إلى ما أراد بهم عدوهم فاقتضى هذا التحذير كله ، و يؤيد ذلك إقباله فى الخطاب عليهم عند نسبة الفشل إليهم - كما يأتى قريبا ، و لعله إنما خص هذه الغزوة بالذكر [دون - [4]] ما ذكرت [11] أن واو عطفها دلت عليه مما [12] أيدوا فيه بالنصر لأن الشماتة بالمصيبة [13] أدل على البغضاء و العداوة من الحزن بما يسر ، و دل ذكرها على المحذوف لأن المدعى فيما قبلها شيئان [14] : المساءة بالحسنة [15] .

(١) زيد من مد (٢) فى ظ : لا اقولكم - كذا (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : التذكر (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) سقط من مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : خصوا (٨) فى ظ : نبات (٩) من مد ، و فى الأصل : تواثنوا ، و فى ظ : توانتوا - كذا (١٠) سورة ٣ آية ١٠٠ (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكر (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : بما (١٣) فى ظ : بالمصينة - كذا بالنون (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بيان - كذا (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالحسية .

[و الفرح - [١]] و المسرة بالمصيبة ، فاذا برهن المتكلم على الثانى علم و لا بد أنه حذف برهان الأول ، و أنه إنما حذفه - و هو حكيم - لنكتة ، و هى [٢] هنا عدم الاحتياج إلى ذكره لوضوحه بدلالة السياق مع واو العطف عليه ، و ما تقدم من كونه غير [٣] صريح الدلالة فى أمر البغض على أنه تعالى قد ذكر بدرا - كما ترى - بعد محكمة [٤] ستذكر ، و أطلق [٥] سبحانه و تعالى - كما عن الطبرى و غيره - التبوء على ابتداء القتال بالاستشارة ، فان الكفار لما نزلوا [٦] يوم الأربعاء ثانى عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة فى سفح أحد مكث رسول الله صلى الله عليه و سلم ينتظر [٧] فيهم ما يأتيه من الوحى بقية يوم [٨] الأربعاء و يوم الخميس و ليلة الجمعة [و باتت وجوه الأنصار فى المسجد بباب النبي صلى الله عليه و سلم يحرسونه صلى الله عليه و سلم - [٩]] و حرست [١٠] المدينة الشريفة ، ثم دعا الناس صبيحة يوم الجمعة فاستشارهم فى أمرهم و أخبرهم برؤياه تلك الليلة : البقر [١١] المذبوحة ، و الثلم فى سيفه ، و إدخال يده فى الدرع الحصينة [١٢] ، و كان رأيه مع رأى كثير من الصحابة المكث فى المدينة ، فان قاتلوهم فيها قاتلهم [١٣] الرجال مواجهة و [٣] النساء و الصبيان من فوق الأسطحة ، وكان عبد الله بن أبى المنافق على هذا الرأى ، فلم يزل ناس ممن [١٤] أكرمهم الله

(١) زيد من مد (٢) فى ظ : و هو (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : محكمه (٥) فى ظ : و الحق - كذا (٦) فى ظ : نزل (٧) فى ظ : ينظر (٨) سقط من مد (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (١٠) من مد ، و فى الأصل : حرسه ، و فى ظ : حرسة (١١) فى ظ : البقرة (١٢) فى مد : الحصبة - كذا (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : قاتلوهم (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : من .

بالشهادة - منهم أسد الله و أسد رسوله عمه[1] حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه - يلحون عليه صلى الله عليه و سلم فى الخروج إليهم حتى أجاب فدخل بيته و لبس لأمته بعد أن صلى الجمعة فندموا[2] على استكراههم[3] له صلى الله عليه و سلم و هو يأتيه الوحى، فلما خرج إليهم أخبروه و سألوه فى الإقامة إن شاء فقال «ما كان ينبغى لنبى إذا لبس لأمته أن ٥ يضعها حتى يحكم الله بينه و بين عدوه»، و فى رواية: حتى يلاقى، فأتى الشيخين - و هما أطمان - فعرض[4] بهما[5] عسكره ففرغ[5] مع غياب الشمس، و رآه المشركون حين نزل بهما، و استعمل تلك الليلة على حرسه محمد ابن مسلمة، و استعمل المشركون على حرسهم[6] عكرمة بن أبى جهل، ثم أدلج من سحر ليلة السبت، و ندب الأدلاء[7] ليسيروا أمامه، و حانت[8] صلاة الصبح ١٠ فى الشوط[9] و هم بحيث يرون المشركين، فأمر بلالا رضى الله عنه فأذن و أقام[10]، و صلى بأصحابه صلى الله عليه و سلم الصبح صفوفا، فانخزل[11] عبد الله بن أبى بثلث العسكر فرجع و قال: أطاع الولدان و من لا رأى له و عصانى، و ما ندرى علام نقتل أنفسنا[12]! و تبعهم عبد الله بن عمرو

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: فقدموا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: استلزامهم (٤) فى ظ: بعرض (٥-٥) من مد، و فى الأصل: صكرة ففرح، و فى ظ: ففرح (٦) فى الأصل و مد: حرصهم، و فى ظ: حرستهم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الاول - كذا (٨) فى ظ: وكانت (٩) اسم بستان فى المدينة - راجع معجم البلدان (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: و قام (١١) فى ظ: فانخزل ابى - كذا (١٢) من ظ ومد، و فى الأصل: الضعفا.

ابن حرام[١] أبو جابر بن عبد الله - أحد بنى سلمة و أحد من استشهد فى ذلك اليوم و كلمه الله قبلا - يناشدهم[٢] الله فى الرجوع، فلم يرجعوا فقال: أبعدكم الله[٣]! سيغنى الله نبيه صلى الله عليه و سلم[٤] عنكم، و رجع فوافق النبى صلى الله عليه و سلم[٤] يصف[٥] أصحابه، و كادت طائفتان من الباقين -

٤١٠/ ٥ و هما[٦] بنو سلمة عشيرة[٧] عبد الله بن عمرو و بنو حارثة[٨] - / أن تفشلا[٩] لرجوع المنافقين[١٠]، ثم ثبتهم الله تعالى؛ و نزل صلى الله عليه و سلم الشعب من أحد، فجعل ظهره[١١] و عسكره إلى أحد و عبأ أصحابه و قال: لا يقاتلن أحد حتى نأمره! و عين طائفة من الرماة و أنزلهم بعينين - جبيل[١٢] [هناك -[١٣]] من ورائهم[١٤] - و أوعز إليهم فى أن

١٠ [١٥]لا يتغيروا منه[١٥] حتى يأمرهم إن كانت له أو عليه، حتى قال لهم: إن رأيتمونا تخطفنا[١٦] الطير فلا تعينونا، و إن رأيتمونا هزمناهم فلا تشركونا فى الغنيمة، و انضحوا[١٧] الخيل[١٨] عنا إذا أتت من ورائنا؛ و برز

(١) من الإصابة، و فى الأصول: حزام (٢) من ظ و مد. و فى الأصل: يباشدهم.
(٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: لصيف (٦) فى ظ: وهم.
(٧) من مد، و فى الأصل: غبيرة. و فى ظ: عسيرة (٨) من ظ و مد. و فى الأصل: بنو حارسة - كذا بالسين (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: يفشلا.
(١٠) زيد بعده فى الأصل: و هما بنو اسلمة عشيرة، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١١) فى ظ: طهر (١٢) من مد، و فى الأصل: حيين، و فى ظ: حنين - كذا (١٣) زيد من مد (١٤) فى ظ: و فدايهم - كذا (١٥-١٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يتغروا عنه (١٦) فى مد: تخطفتنا (١٧) فى الأصول: انصحوا - كذا بالصاد المهملة (١٨) من مد، و فى الأصل و ظ: الجبل.

صاحب لواء المشركين و طلب المبارزة ، فبرز إليه رجل من المسلمين فقتله المسلم فحمله آخر و برز فقتل ، و فعلوا ذلك واحدا بعد واحد حتى تموا عشرة كلهم يقتل[1] ، فلما انكسرت قلوب المشركين بتوالى القتل فى أصحاب اللواء أمر النبى صلى الله عليه و سلم أصحابه فشدوا[2] فهزموا المشركين و خلوا عسكرهم و نساءهم ، و كانت الخيل كلما أتت ٥ من وراء[3] المسلمين نضحهم[4] الرماة بالنبل فرجعوا ، فلما وقع الصحابة رضى الله عنهم فى نهب العسكر خلى الرماة ثغرهم[5] ، فنهاهم أميرهم و حذرهم مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم يطعه منهم إلا نحو العشرة ، فأتى أصحاب الخيل فقتلوا من بقى من الرماة ، ثم أتوا الصحابة رضى الله عنهم من ورائهم و هم ينتهبون ، فأسرعوا فيهم القتل و نادى إبليس : إن ١٠ محمدا قد قتل ، فانهزم[6] الصحابة رضوان الله عليهم ، و لم يثبت مع النبى صلى الله عليه و سلم منهم إلا قليل ما بين العشرة إلى الثلاثين - على اختلاف الأقوال ، فاستمر يحاول بهم العدو ، و الله تعالى يحفظه و يدافع عنه حتى دنت الشمس للغرب ، و صرف الله العدو ، فدفن النبى صلى الله عليه و سلم الشهداء و صف أصحابه رضى الله عنهم فأثنى على الله عز و جل ١٥ ثناء عظيما ، ذكر فيه فضله سبحانه و عدله ، و أن الملك ملكه يتصرف فيه كيف يشاء ، و رجع إلى[6] المدينة الشريفة و قد أصابته الجراحة فى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقتل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسدوا.
(٣) فى ظ : وا (٤) فى الأصل و مد : نصحهم ، و فى ظ : فصبحهم - كذا .
(٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : يعرهم - كذا (٦) سقط من ظ .

مواضع من وجهه بنفسي[١] هو [و -[٢]] أبي و أمي و وجهي و عيني .

و لما كان [رجوع عبد الله بن أبي المنافق - كما يأتي في صريح الذكر آخر القصة - من الأدلة على أن المنافقين فضلا عن المصارحين بالمصارمة متصفون [٣]بما أخبر[٣] الله تعالى عنهم من العداوة و البغضاء مع أنه كان -[٤]] سببا في هم الطائفتين من الأنصار بالفشل[٥] كان إيلاء هذه القصة للنهي عن اتخاذ بطانة السوء الذين لا يقصرون عن فساد في غاية المناسبة ، و لذلك افتتحها سبحانه و تعالى بقوله - مبدلا من "اذ غدوت" دليلا على ما قبله من أن بطانة السوء لا تألوهم[٦] خبالا و غير ذلك - : ﴿ اذ همت طآئفتن ﴾ و[٧] كانا جناحي العسكر ﴿ منكم ﴾ أي بنو سلمة من الخزرج و بنو حارثة[٨] من الأوس ﴿ ان تفشلا ﴾ أي تكسلا و تراخيا و تضعفا و تجبنا[٩] لرجوع المنافقين عن نصرهم و ولايتهم فترجعا[١٠] كما رجع المنافقون ﴿ و الله ﴾ أي و الحال أن ذا الجلال و الإكرام ﴿ وليهما ﴾ و ناصرهما [لأنهما -[٤]] مؤمنتان[١١] فلا يتأتى وقوع الفشل[١٢] و تحققه منهما لذلك[١٣] ، فليتوكلا عليه وحده لإيمانهما ،

(١) من مد ، و في الأصل و ظ : بنفس (٢) زيدت الواو من مد (٣-٣) من مد ، و في ظ : باخبار (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من مد ، و في الأصل : بالفسل ، و في ظ : الفشل (٦) في ظ : لا يالوهم (٧) سقطت الواو من مد (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : بنوا حارسة - كذا بالسين . (٩) في ظ : تحبنا (١٠) من مد ، و في الأصل و ظ : فرجعا (١١) في ظ : مومنان (١٢) من ظ و مد ، و في الأصل : الفسل (١٣) في ظ : كذلك .

أو يكون التقدير : فالعجب منهما كيف تعتمدان[١] على غيره سبحانه و تعالى لتضعفا بخذلانه[٢] ﴿ و ﴾ الحال أنه ﴿ على الله ﴾ أى الذى له الكمال كله وحده ﴿ فليتوكل المؤمنون ٥ ﴾ أى الذين[٣] صار الإيمان صفة [لهم - [٤]] ثابتة[٥]، [٦] أجمعون لينصرهم[٦]، لا على كثرة عدد و لا قوة جلد، و الأحسن تنزيل الآية على الاحتباك و يكون[٧] أصل نظمها: و الله وليهما لتوكلهما[٨] و إيمانهما [٩] فلم يمكن الفشل[٩] منهما، فتولوا الله و توكلوا عليه ليصونكم[١٠] من الوهن، و على الله فليتوكل المؤمنون كلهم ليفعل[١١] بهم ذلك، فالأمر بالتوكل ثانيا دال[١٢] على وجوده أولا، و إثبات الولاية أولا دال[١٣] على الأمر بها[١٤] ثانيا، و فى البخارى فى التفسير عن جابر رضى الله عنه قال: فينا نزلت "اذ همت طا ئفتن منكم ان تفشلا" قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة و بنو سلمة، و ما نحب أنها لم تنزل لقول الله عز و جل " و الله وليهما".

(١) من مد، و فى الأصل: يعقدان، و فى ظ: يعتمدان (٢) فى الأصل: يحتلانه، و فى ظ و مد: يخذلانه (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: الذى. (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: ثانية، و زيد بعده فى الأصل: ما لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦-٦) فى ظ: اجمعوا لينصروهم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لتكون (٨) سقط من ظ. (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فلم يكن الفسل (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: لنصرتكم (١١) من مد، و فى الأصل: ليتفعل، و فى ظ: ليفعلوا. (١٢) من مد، و فى الأصل و ظ: دالا (١٣) فى ظ: دالا (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل: به.

و لما كان ظاهر الحال فيما أصاب الكفار من المسلمين فى هذه الغزوة ربما كان سببا [1]فى شك[1] من لم يحقق بواطن الأمور و لا له أهلية النفوذ[2] فى الدقائق من عجائب المقدور فى قوله تعالى "ان الذين كفروا / لن تغنى عنهم اموالهم و لا اولادهم [من الله شيئا ـ[3]]"، ٥ "قل للذين كفروا ستغلبون[4]" ذكرهم الله تعالى نصره [لهم ـ[5]] فى غزوة بدر، و هم فى القلة دون ما هم الآن بكثير، مشيرا لهم[6] إلى ما أثمره توكلهم من النصر، و حالهم إذ ذاك حال الآئس منه، و لذلك كانوا فى غاية الكراهة للّقاء بخلاف ما كانوا عليه فى هذه الكرة[7]، حثا على ملازمة التوكل، منبها على أنه لا يزال يريهم مثل ذلك النصر ١٠ و يذيق الكفار أضعاف ذلك الهوان حتى يحق الحق و يبطل الباطل و يظهر دينه[8] الإسلام على الدين كله فقال ـ عاطفا على ما تقديره: فمن توكل عليه نصره و كفاه و إن كان قليلا، فلقد نصركم الله أول[7] النهار[9] فى هذه الغزوة حيث[10] صبرتم و اتقيتم بطاعتكم للرسول صلى الله عليه وسلم [فى ملازمة التعب[11] و الإقبال على الحرب و غير ذلك بما أمركم ١٥ به صلى الله عليه و سلم ـ[5]] و[12] لم تضركم قلتكم[12] و لا ضعفكم بمن رجع

(١-١) فى مد: لشك (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: النفود (٣) زيد من ظ والقرآن المجيد سورة ٣ آية ١٠ و ١١٦ (٤) سورة ٣ آية ١٢، و فى ظ و مد: سيغلبون (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) فى ظ: اليهم (٧) سقط من ظ (٨) فى مد: دين (٩) فى ظ: والنهار (١٠) فى مد: و حيث (١١) من مد، و فى ظ: التعز ـ كذا (١٢-١٢) من مد، و فى الأصل: لم يضركم قلتكم، و فى ظ: لن يضركم فيتكم.

عنكم[1] شيئا -: ﴿ و لقد نصركم الله ﴾ بما له من صفات الجلال و الجمال ﴿ ببدر ﴾ المشار إليها أول السورة بقوله تعالى " قد كان لكم آية فى فئتين التقتا[2] " لما صبرتم و اتقيتم .

و لما كانوا فى عدد يسير[3] [أشار-[4]] إليه بجمع القلة فقال: ﴿ و انتم اذلة ج ﴾ أى فاذكروا ذلك و اجعلوه نصب أعينكم لينفعكم . و كان الإتيان بأمر بدر بعد آية الفشل المختتمة بالحث على التوكل فى الغاية من حسن النظم، و هو دليل أيضا على منطوق قوله تعالى " و ان تصبروا و تتقوا لا يضركم كيدهم شيئا " - كما[5] كان أمر أحد[6] دليلا على منطوقها و مفهومها معا : دل على منطوقها بنصرهم أول النهار[7] عند صبرهم ، و على مفهومها بادالة العدو عليهم عند فشلهم آخره - و الله الموفق ؛ [على أنك إذا أنعمت التأمل فى قصة أحد من السير و كتب الأخبار علمت أن الظفر فيها ما كان -[8]] إلا للنبى صلى الله عليه و سلم كما سيأتى الخبر به فى قوله تعالى " و لقد صدقكم[9] الله وعده اذ تحسونهم باذنه[10] " - الآية، فإن الصحابة رضى الله عنهم هزموهم - كما مضى - فى أول النهار حتى لم يبق فى عسكرهم أحد ، و لا بقى عند نسائهم حام ، فلما خالف الرماة أمره

(١) فى ظ : منكم (٢) آية ١٣ (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه - كذا (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .
(٨) زيد ما بين الحاجزين من مد (٩) من مد و القرآن المجيد ، و فى الأصل و ظ : نصركم (١٠) سورة ٣ آية ٥٢ .

صلى الله عليه و سلم و أقبلوا على الغنيمة أراد الله تأديبهم و تعريفهم أن نصرته لنبيه صلى الله عليه و سلم غير محتاجة فى الحقيقة إليهم [١] حين انهزموا [١] حتى لم يبق مع النبى صلى الله عليه و سلم منهم غير نفر يسير ما يبلغون الخمسين ، و الكفار ثلاثة آلاف و خيلهم مائتان ، فاستمر عليه الصلاة و السلام فى نحورهم يحاولهم و يصاولهم ، يرامونه مرة و يطاعنون أخرى ، و يجتمعون عليه كرة و يفترقون [٢] عنه أخرى ، و الله تعالى يمنعه [٣] منهم بأيده و يحفظه [٤] بقوته حتى تدلت الشمس للغروب ، و قتل بيده صلى الله عليه و سلم أبى بن خلف مبارزة ، تصديقا لما كان أوعده به قبل الهجرة ، و خالطوه غير مرة و لم يمكنهم الله منه و لا أقدرهم على أسر أحد من أصحابه ، ثم ردهم خائبين بعد أن تراجع إليه أصحابه فى أثناء النهار ، و لم يرجع صلى الله عليه و سلم من أحد إلا بعد انصرافهم و دفن من استشهد من أصحابه ، و أما هم فاستمروا راجعين و لم يلووا [٥] على أحد ممن قتل منهم ، و هم اثنان [٦] و عشرون [رجلا - [٧]] من سرواتهم و حمال راياتهم . و قال الجلال الخجندى [٨] فى كتابه فردوس [٩] المجاهدين : إنه صح النقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ما نصر

(١-١) فى مد : فانهزموا (٢) من مد ، و فى الأصل وظ : يخترقون (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يمنعه - كذا (٤) فى ظ و مد : يحوطه (٥) فى ظ : لم يكدرا - كذا (٦) فى ظ : اثنا (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل : الحجندى ، و فى ظ : الجحيدى (٩) من كشف الظنون ، و وقع فى الأصول : فى دوس - كذا مصحفا .

النبي صلى الله عليه و سلم فى موطن[1] من المواطن نصرته [فى -[2]] يوم أحد - انتهى . و كفى على ذلك دليلا ما نقل موسى بن عقبة - و سيرته أصح السير فى غزوة الفتح - عن قائد الجيش بأحد[3] أبى سفيان بن حرب أنه قال عند ما عرض عليه النبي صلى الله عليه و سلم الإسلام[4] : يا محمد ! قد استنصرت إلهى و استنصرت إلهك ، فوالله ما لقيتك من مرة إلا ظهرت على ، فلو كان إلهى محقا و إلهك مبطلا لقد ظهرت عليك[5] . و إنما كانت الهزيمة و قتل من قتل لحكم و مصالح [لا تخفى -[2]] على من له رسوخ فى الشريعة و ثبات قدم فى السنن ، و يمكن أن تكون هذه القصة مندرجة فى حكم النهى فى القصة التى قبلها عن طاعة فريق من أهل الكتاب عطفا على قوله تعالى " نعمت " فى قوله " و اذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم[6] " لتشابه / القصتين فى الإصغاء إلى الكفار قولا أو[7] فعلا ، المقتضى لهدم[8] الدين [من -[2]] أصله ، لأن همّ الطائفتين بالفشل إنما كان من أجل رجوع عبد الله بن أبى المنافق حليف أهل الكتاب و مواليهم و مصادقهم و مصافيهم ، و يؤيد ذلك نهيه تعالى فى أثناء هذه عن مثل ذلك بقوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خسرين " و يكون

/ ٤١٢

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مواطن (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى الأصول : ناخذ - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اليك . (٦) سورة ٣ آية ١٠٣ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٨) من مد ، و فى الأصل : ابدم ، و فى ظ : الدم .

إسناد الفعل فى " غدوت " و أمثاله إلى النبى صلى الله عليه و سلم ، و [المراد - [١]] الإسناد إلى الجمع ، لأنه الرئيس فخطابه[٢] خطابهم ، و لشرف هذا الفعل ، فكان الأليق إفراده به صلى الله عليه و سلم ، و أما الفشل و نحوه فأسند إليهم و قصر - كما هو الواقع - عليهم .

٥ و لما امتن[٣] الله[٤] سبحانه عليهم [بالنصرة - [٥]] فى تلك الكرة سبب عن ذلك أمرهم بالتقوى إشارة إلى أنها السبب لدوام النعمة فقال : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى فى جميع أوامره و نواهيه مراقبين[٦] له بذكر جميع جلاله و عظمته و كماله ﴿ لعلكم تشكرون ٥ ﴾ و قد استشكل هذا بأن التقوى التنزه عن المعاصى ، و الشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم ، و شكر

١٠ الله صرف جميع ما أنعم به فى طاعاته ، فحينئذ التقوى من الشكر ، فان أريد العموم [انحل - [١]] الكلام إلى : اشكروا لعلكم تشكرون ، و لا يتحرر الجواب إلا بعد معرفة حقيقة التقوى لغة ؛ قال الإمام عبد الحق[٧] فى كتابه الواعى : الواقية[٨] ما وقاك الشر ، و كل شىء وقيت به شيئا[٩] فهو [وقاء له و - [٥]] وقاية ، و قوله سبحانه و تعالى " لعلكم تتقون " - قال ابن عرفة -

١٥ أى لعلكم أن تجعلوا بقبول ما أمركم به وقاية بينكم و بين النار - انتهى . فاتضح أن[٩] حقيقة " و اتقوا " : اجعلوا بينكم و بين عذابه وقاية ، و أن

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : فخاطبه ، و فى ظ : مخاطبة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : امتن - كذا (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مراقبتين - كذا (٧) فى مد : عبد الله (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : الواهية (٩) سقط من ظ .

سبب اتخاذ[1] الوقاية الخوف من ضار. فالظاهر - و الله أعلم - أن 'اتقوا' بمعنى: خافوا - مجازا مرسلا من إطلاق اسم المسبب على السبب، فالمعنى: خافوا الله لتكونوا على رجاء من أن يحملكم خوفه[2] على طاعته على سبيل التجديد[3] و الاستمرار. و لئن سلمنا أن التقوى من الشكر فالمعنى: اشكروا هذا الشكر الخاص ليحملكم على جميع الشكر، و غايته أنه نبه على [أن -[4]] ٥ هذا الفرد من الشكر هو أصل الباب الذى يثمر باقيه، و هو المراد بقول[5] ابن هشام فى السيرة: إن المعنى: فاتقونى[6]، فانه شكر[7] نعمتى، و يجوز أن يكون: لعلكم تزدادون[8] نعما فتشكرون[9] عليها[10] - إقامة للسبب مقام السبب - و الله أعلم.

و لما اشتملت هذه القصة على المصيبة التى سيقص الله كثيرا منها، ١٠ و[11] هى مستوفاة[11] فى السير[12] كان أنسب[12] من قصها و بيان ما اتفق لها - لوعظ من يأتى - البداءةُ بتذكير من باشرها بما وعدهم الله به[13] على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم قبل وقوع القتال من النصر[14] المشروط بالصبر

(١) فى ظ: اتحاد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: خوفكم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: التحديد (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: بقوله (٦) من السيرة ٢/٩٥، و فى الأصول: فاتقون (٧) من السيرة، و فى الأصول: يشكر (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ترداد و - كذا (٩) فى مد: تشكرون (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: عليه (١١-١١) فى ظ: هو مستوفا (١٢-١٢) من مد، و فى الأصل و ظ: و كان السبب (١٣) سقط من ظ (١٤) زيد بعده فى الأصل و ظ: و الأمر، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.

و التقوى تنبيها لهم على أن الخلل من جهتهم أتى ، ثم وعظهم بالنهى عما منعهم النصر ، و الأمر بما يحصله لهم كما سيحثهم على ذلك بما يقص عليهم من نبأ من قاتل مع الأنبياء قبلهم[1] بأنهم لما أصابهم[2] القتل لم يهنوا و علموا أن الخلل من أنفسهم ، فبادروا إلى إصلاحه[3] بأفعال المتقين
٥ من الصبر[4] و التضرع و الإقرار بالذنب ، فقال - مبدلا من "اذ غدوت" عودا على بدء[5] تعظيما للأمر حثا على النظر فى موارده[6] و مصادره و التدبر لأوائله و أواخره - : ﴿ اذ تقول للمؤمنين ﴾ أى الذين شاورتهم فى أمر أحد - و فى غمارهم المنافقون - لما زلزلوا برجوع أكثر المنافقين ، حتى كاد بعض الثابتين أن يرجع ضعفا و جبنا ، مع ما كان النبى صلى الله
١٠ عليه و سلم أخبرهم به من تلك الرؤيا [التى -[7]] أولها بذبح يكون فى أصحابه ، ليكون إقدامهم على بصيرة ، أو يصدهم ذلك عن الخروج[8] إلى العدو ، كما كان ميل[9] النبى صلى الله عليه و سلم فى أكثر أصحابه و إعلامهم إلى المكث فى المدينة قال منكرا آتيا بأداة التأكيد للنفى : ﴿ الن يكفيكم ﴾ أى أيها المؤمنون ﴿ ان يمدكم ﴾ إمدادا خفيا - بما أشار إليه
٤١٣ / ١٥ الإدغام ﴿ ربكم ﴾ أى المتولى لتربيتكم و نصر / دينكم ﴿ بثلثة آلف ﴾

(١) فى ظ : قتلهم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اصابوا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اصاحبه - كذا (٤) فى ظ : لصبر (٥) فى ظ : ندى (٦) من مد ، و فى الأصل : بوادره ، و فى ظ : نوادره (٧) زيد من مد (٨) زيد بعده فى الأصل : الرويا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : مثل .

ثم عظم أمرهم[1] بقوله: ﴿ من الملٰئكة ﴾ ثم زاد فى إعظامهم بأنهم من السماء بقوله: ﴿ منزلين ﴾ ثم تولى سبحانه و تعالى هو الجواب عنهم تحقيقا للكفاية فقال: ﴿ بلىٰ ﴾ أى يكفيكم ذلك، ثم استأنف قوله[2]: ﴿ ان تصبروا و تتقوا ﴾ أى توقعوا الصبر و التقوى لله ربكم، فتفعلوا ما يرضيه و تنتهوا عما يسخطه ﴿ و يأتوكم ﴾ أى الكفار ﴿ من فورهم[3] ﴾ ٥ أى وقتهم، استعير للسرعة التى لا تردد فيها، من: فارت القدر - إذا غلت ﴿ هذا ﴾ أى فى هذه الكرة ﴿ يمددكم ﴾ أى إمدادا جليا - بما أشار إليه إشارة لفظية[4]: الفك[5]، و إشارة معنوية: التسويم ﴿ ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بأكثر من ذلك ﴿ بخمسة الف من الملٰئكة ﴾ ثم بين أنهم من أعيان الملائكة بقوله: ﴿ مسومين ﴾ أى معلمين بما يعرف ١٠ به مقامهم فى الحرب، و الظاهر من التعبير بالتسويم إفهام القتال، و من[6] الاقتصار على الإنزال عدمه، و يكون فائدة نزولهم البركة بهم و إرهاب الكفار بمن يرونه منهم. قال البغوى: قال ابن عباس و مجاهد: لم يقاتل الملائكة فى المعركة إلا يوم بدر، و فيما سوى ذلك يشهدون[7] القتال و لا يقاتلون، إنما يكونون[8] عددا و مددا. ١٥

و لما كان التقدير: و ليس الإمداد بهم موجبا للنصر، و كان قد قدم فى أول السورة قوله "و الله يؤيد بنصره من يشاء[9]" قال هنا

(١) فى ظ: امنهم (٢) فى مد: بقوله (٣) زيد بعده فى ظ: هذا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: لفظة (٥) فى ظ: الفلك - كذا (٦) فى ظ: زمن (٧) فى ظ: يشهد ولنا (٨) من ظ، و فى الأصل و مد: يكون (٩) آية ١٣.

قاصرا للأمر عليه : ﴿ و ما جعله الله ﴾ أى الإمداد المذكور و[1] ذكره لكم على ما له[2] من الإحاطة بصفات الكمال التى لا يحتاج مراقبها[3] إلى شىء[4] أصلا ﴿ الا بشرى ﴾ .

و لما كانت الهزيمة عليهم فى هذه الكرة ، و كان المقتول منهم أكثر قال : ﴿ لكم ﴾ لئلا يتوهم أن ذلك بشرى لضدهم ، و لمثل هذا قدم القلوب فقال : ﴿ و لتطمئن ﴾ و علم أن التقدير - لتكون[5] الآية من الاحتباك : لتستبشر[6] نفوسكم به و طمأنينة لكم لتطمئن ﴿ قلوبكم به[7] ﴾ أى الإمداد ، فحكم هنا بأنه بشرى مقيدا بلكم ، فكانت العناية بضمير[7] أشد حتى كأنه قيل[8] : إلا و[9]بشرى لكم[9] و طمأنينتكم ، فوجب تأخير ضميره عنهم ، و المعنى أنهم كانوا أولا خائفين ، فلما وردت البشرى اطمأنوا بها رجاء أن يفعل بهم مثل ما فعل فى بدر ، فلما اطمأنوا بها وقع النصر كما وقع به الوعد ثم [لما - [10]] اطمأنت قلوبهم إلى شىء ألزّ قوتها[11] لأنه قد سبق لها نصر و سرور [12]بضرب و طعن[12] فى بدر

(١) سقطت الواو من مد (٢) من مد، وفى الأصل وظ : لكم (٣) من مد، وفى الأصل وظ : مراقبتها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشىء ، و زيد بعده فى مد : علمه - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليكون (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتبشر (٧) من مد ، و فى الأصل : يضمر ، و فى ظ : تضمر . (٨) من مد ، وفى الأصل و ظ : قال (٩-٩) فى ظ و مد : بشراكم (١٠) زيد من ظ و مد (١١) أى شدّها ، و فى الأصل : الن ، و فى مد : من ، و فى ظ : الربا - كذا (١٢-١٢) فى مد : بطعن و ضرب .

و غيرها

و غيرها فلمحت نحو شيء من ذلك؛ حصلت الهزيمة[1] ليصيروا إلى حق اليقين بأنه[2] لا حول لهم و لا قوة، و لذلك قال تعالى: ﴿ و ما النصر ﴾ أي في ذلك و غيره ﴿ إلا من عند الله ﴾ أي المستجمع لصفات الكمال، لا بمدد [و لا غيره -[3]] فلا تجدوا في أنفسكم من رجوع [من رجع -[4]] و لا تأخر[5] من تأخر و لا هزيمة من انهزم. ٥

و لما قدم أمر بدر هنا و أول السورة، و تحقق بذلك ما له من العزة و الحكمة قال: ﴿ العزيز ﴾ الذي لا يغالب، فلا يحتاج إلى قتال أحد و لا يحتاج في نصره - إن قاتل - إلى معونة أحد ﴿ الحكيم ﴾ الذي يضع الأشياء في أتقن[6] محالها[7] من غير تأكيد، أي الذي نصركم قبل هذه الغزوة و في أول النهار فيها، ليس لكم و لا لغيركم ناصر غيره، ١٠ فمتى[8] التفت أحد إلى سواه وكله إليه فخذل، فاحذروه لتطيعوه[9] طاعة أولي الإحسان في كل أوان، و هذا بخلاف ما في قصة بدر في الأنفال [و سيأتي إن شاء الله ما يتعلق بها من المقال مما اقتضاه هناك الحال، و الحكيم رأس آية باجماع أهل العلم - كما في الأنفال -[10]]، و لما قرر الوعد ذكر ثمرته فقال معلقا الجار بيمددكم: ﴿ ليقطع ﴾ أي بالقتل ١٥ ﴿ طرفا ﴾ أي طائفة من كرامهم، يهنون[11] بهم ﴿ من الذين كفروا ﴾ أي و يهزم الباقين ﴿ او يكبتهم ﴾ [أي يكسرهم و يردهم بغيظهم مع الخزي

(١) في ظ: العزيمة (٢) في ظ: بانهم (٣) زيد من مد، و موضعه في ظ: ولا عدد.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ: تاخير (٦) زيد بعده في ظ: مواضع.
(٧) في مد: و مالها (٨) في ظ: فمت (٩) سقط من ظ (١٠) زيد ما بين الحاجزين من مد (١١) من مد، و في الأصل: يلعنون، و في ظ: تهنون.

أذلاء، و أصل الكبت صرع الشيء على وجهه ﴿ فينقلبوا ﴾ -[١]] أى كلهم مهزومين ﴿ خآئبين ﴾ و ذلك فى كلتا الحالتين بقوتكم عليهم بالمد و ضعفهم[٢] عنكم به، و يجوز تعليق "ليقطع" بفعل التوكل، أى فليتوكلوا عليه ليفعل بأعدائهم ما يشاءه من نصرهم عليهم، فيقبل[٣] بهم إلى الإسلام رغبة أو[٤] رهبة، أو يميتهم على كفرهم فيديم عذابهم مع عافيتهم منهم؛ و رأيت فى سير الإمام محمد بن عمر الواقدى ما يدل على تعليقه بجعل[٥] من قوله "و ما جعله الله الا بشرى" أو بقوله "و لتطمئن"، و هو حسن أيضا.

/٤١٤/ و لما كان صلى الله عليه و سلم / حريصا على طلب الإدالة[٦] عليهم[٧] ليمثل بهم كما مثلوا بعمه حمزة و عدة من أصحابه رضى الله عنهم قال تعالى: ﴿ ليس لك من الأمر ﴾ أى فيهم و لا غيرهم ﴿ شيء ﴾ موسطا له بين المتعاطفات، يعنى من الإدالة[٦] عليهم بقتل أو هزيمة تدرك بهما[٨] ما تريد، بل الأمر له كله، إن أراد فعل بهم ما تريد، و إن أراد منعك منه بالتوبة عليهم أو إماتتهم[٩] على الكفر حتف الأنف فيتولى هو عذابهم، و ذلك معنى قوله: ﴿ او يتوب عليهم ﴾ [أى كلهم بما يكشف عن قلوبهم من حجاب الغفلة فيرجعوا عما هم عليه من الظلم -[١٠]] ﴿او يعذبهم﴾ كلهم بأيديكم[١١] بأن تستأصلوهم فلا يفلت منهم أحد، أو يعذبهم هو من

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى مد: ضعفكم (٣) فى ظ: فليقبل.
(٤) من مد، و فى الأصل و ظ «و» (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: الادلة.
(٧) من مد، و فى الأصل و ظ: عليه (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: بهم.
(٩) من مد، و فى الأصل و ظ: اماتهم (١٠) زيد ما بين الحاجزين من مد.
(١١) من مد، و فى الأصل و ظ: بايديهم.

غير واسطتكم بما يستدرجهم به مما يوجب إصرارهم[1] حتى يموتوا على الكفر مع النصر عليكم[2] و غيره[2] مما هو لهم فى صورة النعم الموجب لزيادة عقابهم . ثم علل الأقسام الأربعة بقوله: ﴿ فانهم ظلمون ﴾ و فى المغازى من صحيح البخارى معلقا[3] عن حنظلة بن أبى [سفيان قال: سمعت سالم بن عبد الله قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يدعو على صفوان بن -[4]] أمية و سهيل بن عمرو و[5] الحارث بن هشام فنزلت "ليس لك من الامر شىء - إلى قوله: ظلمون"، و رواه[6] موصولا فى المغازى و التفسير[7] و الاعتصام عن سالم عن أبيه بغير هذا اللفظ، و فيه «اللهم العن فلانا و فلانا».

و لما كان التقدير: بل الأمر له سبحانه وحده عطف عليه قوله - مبينا لقدرته على ما قدم[8] من فعله بهم على وجه أعم -: ﴿ و لله ﴾ أى الملك الأعظم وحده ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ أى كلها على عظمها من عاقل و غيره، و عبر بـ"ما" لأن غير العاقل أكثر و هى به أجدر ﴿ و ما فى الارض ط ﴾ كذلك مِلكا و مُلكا فهو يفعل فى مِلكه[2] و مُلكه[2] ما يشاء، [و فى -[4]] التعبير بـ"ما" أيضا إشارة إلى أن الكفرة الذين السياق لهم فى عداد ما لا يعقل.

(١) فى الأصل: اصراهم، وفى ظ ومد: اضرارهم (٢-٢) سقط من ظ.
(٣) من مد، و فى الأصل و ظ: مطلقا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) سقطت الواو من ظ (٦) فى ظ: راوه - كذا (٧) سقط من مد.
(٨) فى ظ: تقدم.

و لما كانت الأقسام كلها[1] راجعة إلى قسمين: عافيـة و عذاب، قال - مترجما[2] لذلك مقررا لقوله "ليس لك من الامر شيء" -: ﴿ يغفر لمن يشآء ﴾ أى منهم و من غيرهم فيعطيه[3] ما يشاء[4] [من -[5]] خيرى[6] الدنيا و الآخرة، و يغنيه[7] عن الربا[8] و غيره ﴿ و يعذب من يشآء ط ﴾ بالمنع عما يريد من خيرى الدارين، [9]لا اعتراض[9] عليـه، فلو عذب الطائع و نعّم العاصى لحسن[10] منـه ذلك، و لا يقبح منه شيء، و لا اعتراض بوجه عليه، هذا مدلول الآيـة و هو لا يقتضى أنه يفعل أو[11] لا يفعل.

و لما كان صلى الله عليه و سلم لشدة غيظه[12] عليهم فى[13] الله جديرا[14] بالانتقام منهم بدعاء أو غيره أشار له[15] سبحانه إلى العفو للحث[16] على التخلق بأخلاق الله الذى سبقت رحمته غضبه بقوله: ﴿ و الله ﴾ أى المختص بالجلال و الإكرام ﴿ غفور رحيم ٥ ﴾ أى محاء للذنوب عينا و أثرا، مكرم بعد ذلك بأنواع الإكرام، فانطبق ذلك على إيضاح[17] "ليس لك" و إفهامه الموجب لاعتقاد أن يكون له سبحانه و تعالى الأمر

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مترحما - كذا (٣) فى ظ: فعطيه - كذا (٤) فى مد: شاء (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ و مد: خير. (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: بعينه (٨) فى ظ: الرياء (٩-٩) فى ظ: الاعتراض. (١٠) سقط من مد (١١) فى ظ «و» (١٢) من مد، و فى الأصل و ظ: غيظهم (١٣) من مد، و فى الأصل و ظ: من (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل: جدير (١٥) فى ظ: اليه (١٦) فى مد: بانث - كذا (١٧) فى ظ: فصاح - كذا.

وحده . و لما أنزل[1] عليه ذلك و ما فى آخر النحل مما[2] للصابرين و العافين حرم المثلة و اشتد نهيه صلى الله عليه و سلم عنها ، فكان لا يخطب خطبة إلا منع منها .

و لما كان الختم بهاتين الصفتين ربما أطمع فى انتهاك الحرمات لاتباع الشهوات[3] ، فكان مبعدا لمتعاطيه من الرحمة مدنيا من النقمة ، ٥ و كان أعظم المقتضيات للخذلان تضييعهم للثغر[4] الذى أمرهم النبى صلى الله عليه و سلم بحفظه بسبب[3] إقبالهم[5] قبل[6] إتمام هزيمة[6] العدو على الغنائم[7] للزيادة فى الأعراض الدنيوية التى هى [معنى - [8]] الربا فى اللغة إذ هو [9] مطلق الزيادة[9] أقبل تعالى عليهم بقوله : ﴿ يآيها الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان صدقوا إيمانكم بأن ﴿ لا تاكلوا الربوآ ﴾ ١٠ أى المقبح[10] فيما تقدم أمره غاية التقبيح ، و هو كما ترى إقبال متلطف[11] مناد لهم باسم الإيمان الناظر إلى الإنفاق المعرض عن التحصيل " و مما رزقنهم ينفقون[12] " ، " و المنفقين و المستغفرين بالاسحار[13] " ، " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون[14] " ناه عن الالتفات إلى الدنيا بالإقبال على غنيمة أو غيرها

(١) فى ظ : انزلت (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : للسفر - كذا (٥) فى ظ : لقتالهم (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : تمام عزيمة ، و فى ظ : اتمام عريمة - كذا (٧) فى مد : العظائم.
(٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : معلق لزيادة (١٠) فى مد : المتقبح (١١) فى مد : متطلفا (١٢) سورة ٢ آية ٣ (١٣) سورة ٣ آية ١٧ .
(١٤) سورة ٣ آية ٩٢ .

بطريق الإشارة بدلالة التضمن ، إذ المطلق جزء المقيد ، فنى هذه العبارة التى صريحها ناه عن الإقبال على الدنيا إقبالا[1] يوجب الإعراض عن الآخرة باستباحة أكل / الربا المتقدم فى البقرة من النهى عنه من المبالغة ما يردع من له أدنى تقوى ، و يوجب لمن لم يتركه[2] و ما يقاربه الضمان بالخذلان فى كل زمان " فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله و رسوله[3] " ، " اولئك[4] الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب و لا هم ينصرون " .

/٤١٥

و لما كان فى تركه الإثخان فى العدو بعد زوال المانع منه بالهزيمة مع أن فيه من حلاوة الظفر ما يجل عن الوصف لأجل الغنيمة التى هى لمن[5] [غلب -[6]] ، و ليس فى المبادرة إلى حوزها كبير فائدة ، دلالة على تناهى الحب للتكاثر ، ناسب المقام ربا التضعيف فقال : - أو يقال : لما كان سبب الهزيمة طلبهم الزيادة بالغنيمة ، و كان حب الزيادة حلالا قد يجر إلى حبها حراما ، فيجر إلى الربا المضاعف ، لأن من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه قال - : ﴿ اضعافا مضعفة ص ﴾ أى لا تتهيأوا[7] لذلك باقبالكم على مطلق الزيادة ، فان المطلوب منكم بذل المال فضلا عن الإعراض عنه فضلا عن الإقبال عليه ، فالحاصل أنها دلت على الربا بمطابقتها ،

(١) زيد بعده فى الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم ينزله (٣) سورة ٢ آية ٢٧٨ (٤) من القرآن المجيد سورة ٢ آية ٨٦ ، و فى الأصول : اوليكم - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لها (٦) زيد من مد (٧) من ظ ، و فى الأصل و مد : لا يتهيوا .

و على

و على مطلق الزيادة بتضمنها ، و هى من وادى[1] قوله صلى الله عليه و سلم «من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه» ، وختام الآية بقوله : ﴿و اتقوا الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿لعلكم تفلحون ع﴾ مشير إلى ذلك ، أى [و ـ[2]] اجعلوا بينكم و بين مخالفة نهيه عن الربا[3] وقاية بالإعراض عن[4] مطلق محبة الدنيا و الإقبال عليها ، لتكونوا على رجاء من الفوز بالمطالب ، فمن له ملك الوجود و ملكه فانه جدير بأن يعطيكم من ملكه إن اتقيتم ، و يمنعكم[5] إن تساهلتم ، فهو[6] نهى عن الربا بصريح العبارة ، و تحذير من أن يعودوا إلى ما صدر منهم من الإقبال على الغنائم قبل انفصال الحرب فعلا[7] و قوة بطريق الإشارة ، و هى من أدلة إمامنا الشافعى على استعمال اللفظ فى حقيقته و مجازه ، و الذى دلنا[8] على إرادة المعنى التضمنى[9] المجازى نظمها ، و الناظم حكيم فى سلك هذه القصة[10] و وضعها فى هذا الموضع ، فلا يقدح فى ذلك أنه قد كان فى هذه القصة أمر يصلح أن يكون سببا لنزول هذه الآية و وضعها هنا ، لأن ذلك غير لازم و لا مطرد ، فقد كان حلفه[11] صلى الله عليه و سلم أنه يمثل بسبعين منهم كما مثلوا بعمه

(١) فى ظ : زادى (٢) زيد من مد (٣) فى مد : الزيادة (٤) فى ظ : من . (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : و منعكم ، و العبارة من بعده إلى «ما صدر» ساقطة من ظ (٦) فى مد : فهى (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : فعال (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ادلنا (٩) من مد ، و فى الأصل : المتضمن ، و فى ظ : التضمين (١٠) العبارة من هنا إلى «هذه القصة» متكررة فى ظ (١١) فى الأصل : خلقه ، و فى ظ و مد : خلفه ـ كذا .

حمزة رضى الله عنه سببا لنزول آخر سورة النحل "و ان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به[١]" - إلى آخرها، و لم توضع هنا، و الأمر الصالح لأن يكون سببا لها ما روى أبو داود فى سننه بسند رجاله رجال الصحيح عن أبى هريرة أن عمرو بن أقيش[٢] رضى الله عنه كان له ربا فى الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه، فجاء يوم أحد فقال: أين بنو عمى؟ قالوا: بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا: بأحد[٣]، [٤]قال: فأين[٤] [فلان - [٥]]؟ قالوا: بأحد؛ فلبس لأمته وركب فرسه ثم توجه قبلهم، فلما رآه[٦] المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو! قال: إنى قد آمنت، فقاتل [حتى -[٧]] جرح، فحمل إلى أهله جريحا، فجاءه سعد بن معاذ رضى الله عنه فقال لأخته: سليه: حمية لقومك أو غضبا [لهم، أم غضبا - [٥]] لله عز و جل؟ فقال: بل غضبا لله عز و جل و رسوله صلى الله عليه و سلم، فمات فدخل الجنة و ما صلى لله[٨] عز و جل صلاة. و القصة فى جزء[٩] عبيد الله بن محمد بن حفص العيشى[١٠] - بالمهملة ثم التحتانية ثم المعجمة - تخريج أبى القاسم

(١) سورة ١٦ آية ١٢٦ (٢) من سنن أبى داود - باب فيمن يسلم ويقتل مكانه فى سبيل الله عز و جل، و فى الأصل و مد: اقيس، و فى ظ: قيس (٣) العبارة من بعده إلى «قالوا باحد» سقطت من ظ و مد (٤ - ٤) من السنن، و فى الأصول: قالوا اين (٥) زيد من السنن (٦) من السنن، و فى الأصول: راوه. (٧) زيد من مد و السنن (٨) من السنن، وفى النسخ: الله (٩) فى الأصل: جزء، و فى ظ: جزى، و فى مد: جزا - كذا (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: العيسى - كذا بالسين المهملة، و قد ضبطه المفسر رحمه الله.

عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوى ، و الجزء السابع عشر من المجالسة للدينورى من طريق حماد بن سلمة شيخ[1] أبى داود ، و لفظ العيشى[2]: إن عمرو بن وقش - و قال الدينورى : أقيش - كان له ربا فى الجاهلية ، و كان يمنعه [ذلك -[3]] الربا من الإسلام حتى يأخذه ثم يسلم ، فجاء ذات يوم و رسول الله صلى الله عليه و سلم - زاد الدينورى : و أصحابه - ٥ بأحد فقال : أين سعد بن معاذ ؟ و قال العيشى[4] : فقال لقومه : أين سعد ابن معاذ ؟ قالوا : هو بأحد ، قال الدينورى : فقال : أين بنو أخيه ؟ قالوا : بأحد ، فسأل/ عن قومه ، فقالوا : بأحد ، فأخذ سيفه و رمحه و لبس لأمته ، /٤١٦ ثم أتى أحدا ؛ و قال الدينورى : ثم ذهب إلى أحد ، فلما رآه المسلمون قالوا : إليك عنا يا عمرو ! قال : إنى قد آمنت ! فقاتل فحمل إلى أهله جريحا ، ١٠ فدخل عليه[5] سعد بن معاذ فقال - يعنى لأمراته - : سليه ! و قال العيشى : فقال لأخته : ناديه ، فقولى ؛ و قال الدينورى : فقالت : أجئت غضبا لله و رسوله أم حمية و غضبا لقومك ؟ فنادته ، فقال : جئت غضبا لله و رسوله ! فمات فدخل الجنة و لم يصل لله قط ؛ و قال الدينورى : قال أبو هريرة : [و دخل الجنة و ما صلى لله صلاة . و رواها ابن إسحاق و الواقدى عن ١٥ أبى هريرة رضى الله عنهم -[6]] أنه كان يقول : حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصل قط ؛ و قال الواقدى : أخبرونى برجل يدخل الجنة

(١) سقط من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : العيسى (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : العيسى (٥) سقط من مد (٦) زيد ما بين الحاجزين من مد .

لم يسجد[١] لله سجدة قط، فيسكت الناس، فيقول أبو هريرة رضى الله عنه: هو أخو بنى عبد الأشهل؛ و قال ابن إسحاق: فاذا لم يعرفه الناس سألوا: من هو؟ فيقول: أصيرم بنى عبد الأشهل عمرو بن ثابت [بن - [٢]] وقش[٣] رضى الله تعالى عنه؛ زاد ابن إسحاق: قال الحصين[٤] - يعنى شيخه -: فقلت لمحمود بن لبيد: كيف كان شأن الأصيرم؟ قال: كان يأبى الإسلام على قومه، فلما كان يوم[٥] خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد بدا له فى الإسلام فأسلم، ثم أخذ سيفه فغدا[٦] حتى دخل فى عرض الناس، فقاتل حتى أثبتته[٧] الجراحة، فبينما[٨] رجال من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم[٩] فى المعركة إذا هم به، فقالوا: و الله إن هذا للأصيرم[١٠]! ما جاء به؟ لقد تركناه و إنه لمنكر بذا[١١] الحديث! فسألوه ما جاء به، فقالوا: ما جاء بك يا عمرو؟ أحدب[١٢] على قومك أم رغبة فى الإسلام؟ فقال: بل رغبة فى الإسلام، آمنت بالله و برسوله [و أسلمت - [٢]]، ثم أخذت سيفى فغدوت[١٣] مع رسول الله صلى الله عليه و سلم، [ثم - [١٤]] قاتلت حتى أصابنى ما أصابنى - ثم لم يلبث أن

(١) فى ظ و مد: لم يصل (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: وقس (٤) فى ظ: الحصنى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بينهم (٦) فى ظ: فغذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اثبت (٨) فى مد: فبينا - كذا (٩) فى ظ: قتالهم - كذا (١٠) فى ظ: الاصيرم (١١) فى مد: بهذا، و فى سيرة ابن هشام ٢ / ٨٨: لهذا (١٢) أى تعطف، و فى ظ: احدث - كذا (١٣) فى ظ: و عدوت (١٤) زيد من ظ و مد.

مات فى أيديهم. فذكروه[1] لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: إنه لمن أهل الجنة - و المعنى على هذا: يا أيها الذين[2] يريدون الإيمان! لا تفعلوا مثل فعل الأصيرم فى تأخير إيمانه لأجل الربا، بل سابقوا الموت لئلا يأتيكم بغتة فتهلكوا. أو يا أيها الذين أخبروا عن أنفسهم بالإيمان و رسوخ[3] الإذعان فى أنفسهم و الإيقان[4] بمر الزمان! افعلوا[5] مثل فعله[6] ساعة أسلم[7] فى صدق الإيمان و إسلام نفسه إلى ربه بركوب الأهوال فى غمرات القتال من غير خوف و لا توقف و لا التفات إلى أمر دنيوى و إن عظم؛ فقد بان أنه نبه بالإشارة إلى قصة بدر ثم بهذه الآية على أن من أعرض عن الدنيا حصلت له بعز و إن كان قليلا، و من أقبل عليها فاتته بذل و إن كان كثيرا[8] جليلا، لأن من له ملك السماوات و الأرض يفعل ما[9] يشاء و لا تفيد[10] الآية إباحة مطلق الفضل فى الربا ما لم ينته إلى[9] الأضعاف المضاعفة، لأن إفهامها لذلك معارض لمنطوق[11] آيات البقرة الناهية عن مطلق الربا، و المفهوم لا يعمل به إذا عارض منطوق نص آخر، و هذا من مزيد الاعتناء بشأن الربا إذا حرم كل نوع منه فى آية تخصه، فحرم ربا الفضل فى آيات البقرة،

(١) فى ظ: فذكره (٢) زيد بعده فى ظ: امنوا (٣) فى ظ: رجوع (٤) فى ظ: الإيمان (٥) فى ظ: فعل (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: فعل. (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: يسلم (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: كبيرا. (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: لا تقييد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: المنطوق.

و يلزم من تحريمه تحريم ربا الأضعاف، ثم نص عليه فى هذه الآية، فصار محرما مرتين: مفهوما و منطوقا، مع ما أفاد ذكره من النكت[١] التى[٢] تقدم التنبيه عليها.

و لما كان الفائز بالمطالب قد لا يوقى المعاطب قال تعالى: ﴿ و اتقوا النار ﴾ أى إن لم تكونوا ممن[٣] يتقيه سبحانه لذاته ﴿ التى اعدت ﴾ أى هيئت ﴿ للكٰفرين ﴾ أى بالله باستحلال الربا و غيره بالذات، و للكافرين بالنعمة عصيانا بالعرض. و لما كان الفائز السالم قد لا يكون مقربا قال اتباعا للوعيد بالوعد: ﴿ و اطيعوا الله ﴾ ذا[٤] الجلال و الإكرام ﴿ و الرسول ﴾ أى الكامل فى الرسلية [كالا -[٥]] ليس لأحد مثله، أى[٦] فى امتثال الأوامر / و اجتناب النواهى بالإخلاص ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أى لتكونوا على رجاء[٧] و طمع فى أن يفعل بكم فعل المرحوم بالتقريب و المحبة و إنجاز كل ما وعد على الطاعة من نصره[٨] و غيره. /٤١٧

و لما نهى عما منع النصر بالنهى عن الربا، المراد بالنهى عنه الصرف عن مطلق الإقبال على الدنيا، المشار إلى ذمها فى قوله تعالى "زين للناس حب الشهوٰت من النساء و البنين[٩]" - الآية، و أمر بما تضمن الفوز و النجاة و القرب، و كان ذلك قد يكون مع التوانى أمر بالمسارعة فيه

(١) فى ظ: النكث (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: الذى (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: من (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: ذوا (٥) زيد من مد (٦) سقط من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بطا - كذا (٨) فى ظ و مد: نصر (٩) سورة ٣ آية ١٤.

توصلا إلى ما أعد للذين اتقو الموعودين بالنصر المشروط بتقواهم و صبرهم في قوله "بلى ان تصبروا و تتقوا و ياتوكم من فورهم هذا يمددكم[١]"، "و ان تصبروا [٢]و تتقوا[٢] لا يضركم كيدهم شيئا" الموصوفين بما تقدم في قوله تعالى في المقصد الثالث من[٣] دعائم هذه السورة "قل ا انبئكم بخير من ذلكم للذين [اتقوا - [٤]] " - الآيات، على وجه أبلغ من ذلك بالمسارعة إلى ما يوجب المغفرة من الرب اللطيف بعباده، و إلى ما يبيح الجنة الموصوفة بالاجتهاد[٥] [في الجهاد - [٦]] على [ما - [٧]] يجد[٨] رسول الله صلى الله عليه و سلم من التقوى، فان هذه الجنة أعدت للمتقين الذين تقدمت الإشارة إليهم في قوله تعالى "و اتقوا الله لعلكم تفلحون[٩]" الذين يتخلون عن الأموال و جميع مصانع[١٠] الدنيا فلا تمتد[١١] أعينهم إلى الازدياد من شيء منها، و يتحلون بالزهد فيها و الإنفاق لها في سبيل الله في مرضاة رسول الله صلى الله عليه و سلم من الجهاد و غيره في السراء و الضراء، لا بالإقبال على الدنيا من غنيمة أو غيرها إقبالا يخل ببعض الأوامر، و[١٢] بالصبر بكظم الغيظ عمن أصيب منهم بقتل أو جراحة، و العفو عمن

(١) زيد بعده في ظ : ربكم بخمسة (٢ - ٢) سقط من ظ (٣) من مد، و في الأصل و ظ : في (٤) زيد من ظ و مد و القرآن المجيد (٥) من مد، و في الأصل : باجتهاد، و سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد من مد. (٨) من مد، و في الأصل و ظ : يجد - كذا (٩) سورة ٢ آية ٣ (١٠) في ظ : مضايع (١١) من ظ و مد، و في الأصل : فلا تهتدو (١٢) سقطت الواو من ظ.

يحسن العفو عنه فى التمثيل بالقتل فى أحد أو غير ذلك إرشادا إلى أن لا يكون جهادهم إلا غضبا لله تعالى ، لا مدخل فيه لحظ من حظوظ النفس أصلا ، و بالصبر أيضا على حمل النفس على الإحسان إلى من أساء بذلك أو غيره كما فعل صلى الله عليه و سلم فى فتح مكة بعد أن كان حلف ٥ ليمثلن بسبعين منهم مكان تمثيلهم بسيد[1] الشهداء أسد الله و أسد رسوله عمه حمزة ابن ساقى الحجيج عبد المطلب ، فانه وقف صلى الله عليه و سلم فى ذلك اليوم الذى كان أعظم أيام الدنيا الذى أثبت فيه نور الإسلام على مشرق الأرض[2] و مغربها ، فهزم[3] ظلام الكفر و ضرب أوتاده فى كل قطر على درج الكعبة و هم فى قبضته فقال : ما تظنون أنى فاعل ١٠ بكم يا معشر قريش ؟ قالوا : خيرا ! أخ كريم و ابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء ! و بالاستغفار عن[4] عمل الفاحشة من خذلان المؤمنين أو أكل الربا أو التولى عن[5] قتال الأعداء ، و عن ظلم النفس من محبة الدنيا الموجب للاقبال على الغنائم التى كانت سبب الانهزام أو غير ذلك مما[6] أراد الله تعالى فقال تعالى : ﴿ و سارعوآ ﴾ أى بأن تفعلوا فى ١٥ الطاعات فعل من يسابق خصما ﴿ الى مغفرة من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بارسال الرسل و إنزال الكتب بعمل ما يوجبها[7] من التوبة و الإخلاص و كل ما يزيل العقاب ﴿ و جنة ﴾ أى عظيمة جدا [8] بعمل كل ما يحصل

(١) فى ظ : بسند ـ كذا (٢) فى ظ : الدنيا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : نهرم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٦) من مد . و فى الأصل و ظ : ما (٧) فى ظ توجها (٨) العبارة من هنا إلى « الثواب » ساقطة من مد .

الثواب ، ثم بين عظمها بقوله : ﴿ عرضها السمٰوٰت و الارض ﴾ أى كعرضهما ، فكيف بطولها[1] ، و يحتمل أن يكون كطولها ، فهى أبلغ من آية الحديد - كما يأتى لما[2] يأتى ، و على قراءة "سارعوا" - بحذف الواو يكون التقدير : سارعوا بفعل ما تقدم ، فهو فى معناه ، لا مغائر له .

و لما وصف الجنة بين أهلها بقوله : ﴿ اعدت ﴾ أى الآن و فرغ ٥ منها ﴿ للمتقين ﴾ و هم الذين صارت التقوى شعارهم ، فاستقاموا و استمروا على الاستقامة . ثم وصف المتقين بما تضمن تفصيل الطاعة المأمور بها قبل إجمالا ، على وجه معرف بأسباب النصر إلى آخر ما قص من خبر الأنبياء الماضين[3] و من معهم من المؤمنين[4] بادئا / بما هو أشق الأشياء ٤١٨ / و لا سيما فى ذلك الزمان من التبر و من المال الذى هو عديل الروح ١٠ فقال : ﴿ [5]الذين ينفقون[5] ﴾ [أى مما[6] آتاهم الله ، و هو تعريض بمن أقبل على الغنيمة -[7]] ﴿ [8]فى السرآء و الضرآء[8] ﴾ [أى فى مرضات الله فى حال الشدة و الرخاء . و لما ذكر[9] أشق ما يترك و يبذل أتبعه أشق[10] ما يحبس فقال -[7]] : ﴿ و الكٰظمين ﴾ أى الحابسين ﴿ الغيظ ﴾ عن[11]

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : بطولها (٢) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) فى ظ : الماضيين (٤) فى ظ : الرمين ، و فى مد : الربيين - كذا (٥ - ٥) تأخر فى الأصل عن « فى ذلك الزمان » . (٦) من مد ، و فى ظ : بما (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد . (٨-٨) تقدم فى الأصل على « من التبر » (٩) من مد ، و فى ظ : كان ذلك . (١٠) من مد ، و فى ظ : يشتق (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : من .

أن ينفذوه بعد أن امتلأوا منه .

و لما كان الكاظم غيظه عن أن يتجاوز فى العقوبة قد لا يعفو حثه على العفو بقوله : ﴿و العافين﴾ و عمم فى الحكم بقوله : ﴿عن الناس ط﴾ أى ظلمهم لهم و لو كانوا قد قتلوا منهم أو[1] جرحوهم . و لما كان التقدير: فان الله يحبهم لإحسانهم[2] عطف عليه تنويها بدرجة الإحسان قوله : ﴿و الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿يحب المحسنين ج﴾ أى يكرمهم بأنواع الإكرام على سبيل التجديد و الاستمرار .

و لما أخبر أنها [للمحسنين إلى الغير و من قاربهم أخبر أنها -[3]] لمن دونهم فى الرتبة من التائبين [المحسنين -[3]] إلى أنفسهم استجلابا لمن رجع[4] عن أحد من المنافقين و لغيرهم من العاصين فقال: ﴿و الذين اذا فعلوا﴾ أى باشروا عن علم أو جهل فعله ﴿فاحشة﴾ أى من السيئات الكبار ﴿او ظلموآ انفسهم﴾ أى بأى نوع كان من الذنوب ، لتصير[5] الفاحشة موعودا[6] بغفرانها بالخصوص [و -[3]] بالعموم ﴿ذكروا الله﴾ أى بما له من كمال العظمة فاستحيوه[7] و خافوه ﴿فاستغفروا﴾ [الله -[8]] ، أى[9] فطلبوا منه المغفرة بالتوبة بشرطها ﴿لذنوبهم ص﴾ أى فانه يغفر لهم

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : «و» (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : باحسانهم (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) فى ظ : رفع (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : ليصير (٦) من مد ، و فى الأصل وظ : موعدا (٧) فى مد : فاستحينوا (٨) زيد من ظ (٩) زيد بعده فى ظ : لذنوبكم .

لأنه غفار لمن تاب .

و لما كان هذا مفهما لأنه [تعالى - [1]] يغفر كل ذنب أتبعه تحقيق ذلك و نفى القدرة عليه عن غيره ، لأن المخلوق لا يمضى غفرانه لذنب إلا إذا كان مما شرع الله غفرانه ، فكان لا غافر فى الحقيقة إلا الله قال مرغبا فى الإقبال عليه [2] بالاعتراض بين المتعاطفين : ﴿ و من يغفر الذنوب ﴾ ٥ أى يمحو آثارها حتى لا تذكر [3] و لا يجازى عليها ﴿ الا الله ﴾ أى الملك الأعلى . و لما كان سبحانه و تعالى قد تفضل برفع القلم عن الغافل قال : ﴿ و لم يصروا على ما فعلوا و هم يعلمون ﴾ أى أنهم على ذنب .

و لما أتم وصف السابقين و هم المتقون و اللاحقين و هم التائبون قال - معلما بجزائهم الذى سارعوا إليه من المغفرة و الجنة مشيرا إليهم بأداة البعد [4] ١٠ تعظيما لشأنهم على وجه معلم بأن أحدا لا يقدر أن يقدر الله حق قدره - : ﴿ اولـئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ جزآؤهم مغفرة ﴾ أى لتقصيرهم أو لهفواتهم أو لذنوبهم ، و عظمها بقوله : ﴿ من ربهم ﴾ أى المحسن إليهم بكل إحسان ، و أتبع ذلك للاكرام فقال : ﴿ و جنت ﴾ أى جنات ، ثم بين عظمها بقوله : ﴿ تجرى من تحتها الانهر ﴾ حال كونكم ﴿ خلدين فيها ﴾ ١٥ هى أجرهم على عملهم ﴿ و نعم اجر العملين ﴾ هى ، هذا على تقدير أن تكون الإشارة لجميع الموصوفين ، و إن كانت للمستغفرين خاصة فالأمر واضح فى نزول رتبتهم عمن قبلهم .

(١) زيد من مد (٢) نسخة مد مطموسة من هنا إلى « ٧٨ » من صفحة الكتاب (٣) فى ظ : لا يذكر (٤) زيد بعده فى ظ : ظلما .

و لما فرغ من بيان الزلل الذى وقع لهم به الخلل، و الترهيب مما يوقع فيه، و الترغيب فيما ينجى منه فى تلك الأساليب التى هى أحلى من رائق الزلال و لذيذ الوصال بعد طول المطال أخذ يشجعهم[1] على الجهاد لذوى الفساد[2]، فبدأ بالسبب الأقوى، و هو الأمر بمشاهدة مصارع من مضى من المكذبين برؤية ديارهم و تتبع آثارهم مع أنهم كانوا أشد خلقا و أقوى همما و أكثر عددا و أحكم عددا، فقال تعالى معللا للأمر بالمسارعة إلى المغفرة: ﴿ قد خلت ﴾ و لما كان العلم بالقريبة فى الزمان و المكان أتم، و كان الذين وقعت فيهم السنن جميع أهل الأرض، ولا فى جميع الزمان؛ أثبت الجار فقال: ﴿ من قبلكم ﴾ أى فلا تظنوا بما أملى لهم بهذه الإدالة[3] أن نعمته انقطعت عنهم ﴿ سنن ﴾ أى وقائع سنها الله فى القرون الماضية و الأمم الخالية فى المؤمنين و المكذبين، و أحوال و طرائق كانت للفريقين، فتأسوا بالمؤمنين و توقعوا لأعدائكم مثل[4] ما للمكذبين، فانظروا و أنعموا[5] التأمل فى أحوال الفريقين و إن لم يحصل ذلك إلا بالسير[6] فى الكد و التعب الشديد ﴿ فسيروا فى الارض ﴾ أى للاتعاظ بأحوال تلك الأمم برؤية آثارهم لتضموا[7] الخير إلى الخير، و تعتبروا[8] /٤١٩/ من العين بالأثر، و تقرنوا بين النقل و النظر. و لما كان الرجوع عن الهفوة واجبا على الفور عقب بالفاء قوله: ﴿ فانظروا ﴾ أى نظر[9] اعتبار، و نبه على

(١) فى ظ: بسجهم (٢) فى ظ: العناد (٣) فى ظ: الادلة (٤) سقط من ظ.
(٥) فى ظ: امعنوا (٦) من ظ، و فى الأصل: بالبسير (٧) فى ظ: اضمنوا.
(٨) فى ظ: يعتبروا (٩) زيد بعده فى ظ: اى.

عظمة المنظور فيه بأنه أهل لأن يستفهم عنه لأنه خرج عن العوائد فتعاظم إشكاله فقال: ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ المكذبين ۝ ﴾.

و لما تكفلت هذه الجمل بالهداية إلى سعادة الدارين نبه على ذلك سبحانه و تعالى بقوله[1] على طريق الاستفتاح: ﴿ هذا بيان ﴾ أى يفيد إزالة الشبه ﴿ للناس ﴾ أى المصدقين و المكذبين ﴿ و هدى ﴾ أى ٥ إرشاد بالفعل [﴿ و موعظة ﴾ أى ترقيق -[2]] ﴿ للمتقين ۝ ﴾.

و لما أمرهم بالمسارعة و أتبعها علتها و نتيجتها نهاهم[3] عما يعوق[4] عنها من قبل الوهن الذى عرض لهم عند رؤيتهم الموت فقال - و يجوز أن يعطف على ما تقديره: فتبينوا[5] و اهتدوا و اتعظوا إن كنتم متقين، و انظروا أخذنا لمن كان قبلكم من أهل الباطل و إن كان[6] لهم دول ١٠ و صولات و مكر و حيل -: ﴿ و لا تهنوا ﴾ أى فى جهاد أعدائكم الذين[7] هم أعداء الله، فالله معكم عليهم، و إن ظهروا يوم أحد[8] نوع ظهور فسترون إلى من يؤول الأمر ﴿ و لا تحزنوا ﴾ أى على ما أصابكم منهم و لا [على -[9]] غيره مما عساه ينوبكم ﴿ و ﴾ الحال أنكم ﴿ انتم الاعلون ﴾ أى فى الدارين ﴿ ان كنتم مؤمنين ۝ ﴾ أى إن كان الإيمان - و هو ١٥ التصديق بكل ما يأتى[10] عن الله - لكم صفة راسخة، فانهم لا يهنون؛

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ، و قد ثبت "و موعظة" فى القرآن المجيد أيضا (٣) من ظ، و فى الأصل: نهاها (٤) من ظ، و فى الأصل: يفرق (٥) فى ظ: فتثبوا (٦) فى ظ: كانت (٧) من ظ، و فى الأصل: الذى (٨) من ظ، و فى الأصل: واحد (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ، و فى الأصل: سياتى.

لأنكم بين إحدى الحسنيين - كما لم يهن من سيقص عليكم نبأهم ممن كانوا مع الأنبياء قبلكم لعلوكم عدوكم، أما فى الدنيا فلأن دينكم حق و دينهم باطل، و مولاكم العزيز الحكيم الذى قد وعدكم الحق[1] الملك الكبير لمن قتل[2]، و النصر و[1] التوزر لمن بقى، و هو[3] حى قيوم، لا يخفى عليه
٥ شىء من أحوالكم، فهو ناصركم و خاذلكم؛ و أما فى الآخرة فلأنكم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر، و هم فى النار عند ملائكة العذاب الغلاظ الشداد[4] أبدا.

و لما نهاهم[5] عما تقدم[6] و بشرهم[7] سلاهم و بصرهم[8] بقوله: ﴿ ان يمسسكم قرح ﴾ أى مصيبة بادالتهم عليكم اليوم ﴿ فقد مس القوم ﴾
١٠ أى الذين لهم من قوة[9] المحاولة ما قد علمتم، أى[10] فى يوم أحد نفسه و فى يوم بدر ﴿ قرح مثله ﴾ أى فى مطلق كونه قرحا و إن كان أقل من قرحكم فى يوم أحد و أكثر [منه - [11]] فى يوم بدر، على أنه كما أنه ظفرهم[12] - بعد ما أصابهم و أنكأهم يوم بدر بالزهد الذى ليس بعده وهن - بقتل مثل من قتل منكم و أسر مثلكم، و[12] يوم أحد بالقتل

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : قبل (٣) من ظ، و فى الأصل: هى (٤) و إلى هنا انتهى الانطماس من نسخة مد (٥) فى ظ : نهم (٦) فى ظ : يقدم، و فى مد : تقدم - كذا (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها من ظ و مد، و فى الأصل : بصره (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : ١) سقط من مد (١١) زيد من مد (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل : ١٠ : فى .

و الهزيمة

و الهزيمة أول النهار و هم أعداؤه ، فهو جدير بأن يظفركم بعد وهنكم و أنتم أولياؤه ، فكما لم يضعفهم وهنهم و هم على الباطل فلا تضعفوا أنتم و أنتم على الحق ، ترجون من الله ما لا يرجون ، فقد أدلناكم عليهم يوما و أدلناهم عليكم آخر[1] ﴿ و تلك الايام ﴾ و لما نبه على تعظيمها بأداة البعد ، و كانت إنما تعظم بعظم[2] أحوالها ذكر الحال المنبه[3] عليها بقوله : ﴿ نداولها بين الناس[4] ﴾ أى بأن نرفع من نشاء تارة و نرفع عليه أخرى .

و لما كان التقدير : ليدال على من كانت له الدولة ، فيعلم كل أحد أن الأمر لنا بلا شريك و لا منازع عطف عليه قوله : ﴿ و ليعلم الله ﴾ أى المحيط بجميع الكمال ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى بتصديق دعوى الإيمان بنية الجهاد فيكرمهم ، و معنى "ليعلم" أنه[4] يفعل فعل من يريد علم ذلك بأن يبرز[5] ما يعلمه غيبا[6] إلى عالم الشهادة ليقيم الحجة على الفاعلين على ما يتعارفه الناس بينهم[7] ﴿ و يتخذ منكم شهداء ط ﴾ [أى -[8]] بأن يجعل[9] قتلهم عين الحياة التى هى الشهادة ، لا غيبة[10] فيها ، فهو سبحانه و تعالى يزيد فى إكرامهم[11] بما صدقوا فى إيمانهم بأن لا يكونوا[12] مشهودا[13] عليهم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : احد (٢) فى مد : بعظمة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المثبه - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٥) فى ظ : بين (٦) فى ظ : عينا (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : بينكم (٨) زيد من مد . (٩) فى ظ : يحل (١٠) من ظ ، و فى الأصل : عينه ، و فى مد : غنية (١١) من مد ، و فى الأصل : الكرامة ، و فى ظ : اكرامه (١٢) فى ظ : لا تكونوا . (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : شهودا .

أصلا [بفتنة فى ـ [1]] قبورهم و لا غيرها و لا يغفلوا[2] بخوف و لا صعق[3] و لا غيره، فان الله يحب المؤمنين، و ليعلم[4] الذين ظلموا و يمحق منهم أهل الجحد و الاعتداء ﴿و الله﴾ أى الملك الأعلى ﴿لا يحب الظلمين ۝﴾ أى الذين يخالف فعلهم قولهم، فهو لا يستشهدهم[5]، و إنما يجعل قتلهم أول خيبتهم و عذابهم، و [فيه ـ [6]] بشارة[7] فى ترغيب بأنه لا يفعل مع الكفرة فعل المحب، لئلا يحزنوا على ما أصابهم، و نذارة فى تأديب بأنهم ما خذلوا إلا بتضييعهم الثغر الذى أمرهم به من التزموا طاعته / و أمر الله بها فى المنشط و المكره[8] بحفظه، و أقبلوا على الغنائم قبل أن يفرغوا من العدو، و الآية من الاحتباك: إثبات[9] الاتخاذ أولا دال على نفيه ثانيا، و إثبات الكراهة ثانيا دال على المحبة أولا. /٤٢٠

و لما قدم التنفير من الظلم دلالة على الاهتمام به أكمل ثمرات المداولة بقوله: ﴿و[10] ليمحص﴾ أى و ليطهر[11] ﴿الله﴾ أى ذو الجلال و الإكرام ﴿الذين امنوا﴾ أى إن أصيبوا، و يجعل مصيبتهم سببا لقوتهم ﴿و يمحق الكفرين ۝﴾ أى شيئا فشيئا فى تلك الحالتين بما يلحقهم من

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: لا تفعلوا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ضعف (٤) من ظ، و فى الأصل و مد: و يعلم (٥) فى ظ: لا استشهدهم (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بشارهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الكرة (٩) فى ظ: ثبات. (١٠) زيدت الواو من ظ و مد و القرآن المجيد (١١) من مد، و فى الأصل و ظ: ليظهر.

الرجس، أما إذا كانت لهم فبالنقص [بالقوة - [1]] بالبطر الموجب للعكس، و أما إذا كانت عليهم فبالنقص بالفعل الموجب للقطع بالنار.

[2]و لما[2] كان السياق يرشد إلى أن المعنى: أحسبتم أنه[3] لا يفعل ذلك، عادله بقوله: ﴿ ام حسبتم ﴾ أى [يا - [4]] من استكره نبينا[5] على الخروج فى هذا الوجه ﴿ ان تدخلوا الجنة ﴾ أى التى أعدت للمتقين ٥ ﴿ و لما يعلم الله ﴾ أى يفعل المحيط [6] علما و قدرة[6] بالامتحان فعل من يريد أن يعلم ﴿ الذين جهدوا منكم ﴾ أى أوقعوا الجهاد بصدق العزيمة، ثم أمضوه بالفعل تصديقا للدعوى ﴿ و يعلم الصّٰبرين ﴾ أى الذين شأنهم الصبر عند الهزاهز[7] و الثبات عند جلائل المصائب تصديقا لظاهر الغرائز، فان ذلك أعظم دليل على الوثوق بالله [و - [8]] وعده الذى هو صريح ١٠ الإيمان.

و لما أرشد السياق إلى أن التقدير: فلقد كنتم تقولون: لئن خرجت بنا ليبتلين[9] الله بلاء حسنا، عطف عليه قوله: ﴿ و لقد ﴾ و يجوز أن يكون حالا من فاعل "حسبتم" ﴿ كنتم تمنون الموت ﴾ أى الحرب، عبر عنها به لأنها سببه[10]، و لقد تمنى بعضهم الموت نفسه بتمنى الشهادة ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) فى ظ: فلما (٣) فى ظ: لأنه (٤) زيد من مد. (٥) من ظ، و فى الأصل و مد: بنبينا (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: و قدرة علما (٧) الهزاهز: الشدائد، و لا واحد لها (٨) زيدت الواو من مد (٩) من ظ، و فى الأصل و مد: لنبلين - كذا (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: شبه.

﴿ من قبل ان تلقوه ص ﴾ أى رغبة فيما أعد[1] الله للشهداء ﴿ فقد رايتموه ﴾ أى برؤية قتل[2] إخوانكم ، و الضمير يصلح أن يكون للموت المعبر بـه عن الحرب ، و للموت نفسه برؤية أسبابه القريبة[3] ، و قوله : ﴿ [4]و انتم تنظرون ه[4] ﴾ بمعنى رؤية العين ، فهو تحقيق لإرادة[5] الحقيقة .

٥ و لما كان التقدير : فانهزمتم عند ما[6] صرخ الشيطان كذبا[7] : ألا إن محمدا قد قتل ! و لم يكن لكم ذلك فانكم إنما تعبدون رب محمد الحى القيوم و تقاتلون[8] له ، و أما محمد فما هو بخالد لكم فى الدنيا قال : ﴿ و ما محمد الا رسول ﴾ أى من شأنه الموت ، لا إله ، ثم قرر المراد من السياق بقوله : ﴿ قد خلت ﴾ أى بمفارقة أممهم ، إما بالموت أو الرفع ١٠ إلى السماء . و لما كان المراد أن الخلو منهم إنما كان فى بعض الزمان الماضى لما مضى أثبت الجار فقال : ﴿ من قبله الرسل ﴾ أى فيسلك[9] سبيلهم ، فاسلكوا أنتم سبيل من نصح نفسه من أتباعهم فاستمسك بنورهم[10] .

[11]و لما سبب عن ذلك إنكار انهزامهم و دعتهم على تقدير فقده ١٥ أنكر عليهم بقوله : ﴿ افائن ﴾[11] و لما كان الملك القادر على ما يريد

(١) فى مد : عند (٢) فى ظ : قبل (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : العادلة .
(٤-٤) فى ظ : فقد رايتموه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الارادة (٦) فى ظ : لما (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : كذا (٨) فى ظ : تقادون (٩) فى ظ : يسلك (١٠) فى ظ : بعذرهم (١١-١١) سقطت من ظ .

لا يقول[1] شيئا و إن كان فرضا إلا فعله و لو على أقل وجوهه ، [وكان ـ[2]] فى علمه سبحانه أنه صلى الله عليه و سلم يموت موتا ـ لكونه على فراشه ، و قتلا ـ لكونه بالسم ، قال :[3] ﴿ مات ﴾ أى موتا على الفراش ﴿ او قتل ﴾ أى قتلا ﴿ انقلبتم ﴾ أى عن الحال التى فارقكم عليها فأضعتم[4] مشاعر الدين و تركتم مشارع المرسلين ! ثم قرر[5] المعنى بقوله : ﴿ على اعقابكم[6] ﴾ لئلا يظن أن المراد مطلق الانتقال و إن كان على الاستواء و الانتقال إلى أحسن ﴿ و من ﴾ أى انتقلتم و الحال أنه من ﴿ ينقلب على عقبيه ﴾ أى بترك ما شرعه له نبيه أو التقصير فيه ﴿ فلن يضر الله ﴾ أى المحيط بجميع العظمة ﴿ شيئا[7] ﴾ لأنه متعال عن ذلك بأن الخلق كلهم طوع أمره ، لا يتحركون حركة إلا على وفق مراده ، فلو أراد لهداهم أجمعين ، و لو أراد أضلهم أجمعين ، و إنما يضر ذلك المنقلب نفسه لكفره بالله ، و سيجزى الله الشاكرين ، و من سار[6] ثابتا على المنهج السوى فانما ينفع نفسه[7] لشكره لله[8] ﴿ و سيجزى الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ الشكرين ٥ ﴾ أى كلهم ، فالآية من الاحتباك : أثبت الانقلاب و عدم الضر أولا دليلا[9] على حذف ضده ثانيا ، و الجزاء ثانيا[10] دليلا على حذف مثله أولا .

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تقول (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى ظ و مد : افان (٤) فى ظ : فاصبحتم (٥) فى ظ : قرن (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : صار (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : لنفسه (٨) فى ظ : بالله (٩) فى ظ : دليل (١٠) زيد بعده فى ظ : على .

و لما كان موت الرأس من أنصار الدين لا يصلح أن يكون سببا للفرار إلا إذا كان موته بغير إذن صاحب الدين ، و كان الفرار لا يصلح إلا إذا كان يمكن أن يكون سببا [للنجاة ، و أما إذا كان موته لا يكون إلا بارادة رب الدين ، و الفرار لا يكون سببا - [1]] فى زيادة الأجل و لا نقصه ؛ أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ و ما كان لنفس ﴾ أى من الأنفس كائنة من كانت ﴿ ان تموت ﴾ أى بشىء من الأشياء ﴿ الا باذن الله ﴾ أى بعلم الملك الأعلى الذى له الإحاطة التامة و إرادته و تمكينه من قبضها ، ﴿ كتبا مؤجلا [1] ﴾ أى أجلا لا يتقدم عنه بثبات ، و لا يتأخر عنه بفرار أصلا . /٤٢١/

و لما كان المعنى : فمن أقدم شكرته [2] و لم يضره الإقدام ، و من أحجم ذممته [3] و لم ينفعه الإحجام ، و كان الحامل على الإقدام إيثار ما عند الله ، و الحامل على الإحجام إيثار الدنيا ؛ عطف على ذلك قوله : ﴿ و من يرد ثواب الدنيا ﴾ أى بعمله - كما أفهمه التعبير بالثواب ، و هم المقبلون على الغنائم بالنهب و الفارون كفرا لنعمة الله ﴿ نؤته منها [4] ﴾ أى ما أراد ، و ختام الآية يدل على أن [4] التقدير هنا : و سنردى الكافرين ، و لكنه طواه رفقا بهم ﴿ و من يرد ثواب الآخرة ﴾ أى و هم الثابتون شكرا على إحسانه إليهم من غير أن يشغلهم شاغل عن الجهاد . و لما كان قصد الجزاء غير قادح [5] فى الإخلاص منه من الله تعالى علينا قال :

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : سكرته .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ديمته (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فادرج .

﴿ ثوابه ﴾ و نبه على أن[1] العمل لذات الله من غير نظر إلى ثواب و لا عقاب أعلى فقال: ﴿ منها ﴾ أى و سنجزيه اشكره، و هو معنى قوله: ﴿ و سنجزى الشكرين ﴾ لكنه أظهر لتعليق الحكم بالوصف و عمم.

و لما ذكر سبحانه و تعالى هذه الجمل على هذا الوجه الذى بين فيه العلل، و أوضح بحال الزلل، و كان التقدير بعد انقضائها: [فكأين -[2]] من قوم[3] أمرناهم بالجهاد، فكانوا على هذين القسمين، فأثبنا الطائع و عذبنا العاصى، و لم يضرنا ذلك شيئا، و لا جرى شىء منه على غير مرادنا؛ عطف عليه يؤسيهم[4] بطريق[5] الصالحين من قبلهم و يسليهم[6] بأحوالهم[7] قوله: ﴿ و كاين ﴾ و هى[8] بمعنى ' كم ' و فيها لغات كثيرة، قرئ منها فى العشر[9] بثنتين: الجمهور[10] بفتح الهمزة بعد الكاف و تشديد الياء المكسورة، و ابن كثير و أبو جعفر بألف ممدودة بعد الكاف و همزة مكسورة، و لعلها أبلغ - لأنه عوض عن الحرف المحذوف - [من -[11]] المشهورة بالمد، و المد أوقع فى النفس و أوقر فى القلب؛ و فيها كلام كثير - فى لغاتها و معناها و قراآتها[12] المتواترة و الشاذة وصلا و وقفا، و رسمها فى مصحف الإمام عثمان بن عفان رضى الله عنه

(١) تأخر فى الأصل عن « العمل » (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: قوام.
(٤) من مد، و فى الأصل: يوميهم، و فى ظ: توسهم (٥) فى مد: بطرائق.
(٦) فى ظ: تسليهم (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: باموالهم (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: هو (٩) فى مد: العشرة (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: المجهول (١١) زيد من مد (١٢) فى ظ: قراتها.

الذى وقع إجماع الصحابة عليه ليكون المرجع عند الاختلاف إليه، و هل هى بسيطة أو مركبة و مشتقة أو جامدة و فى كيفية التصرف فى لغاتها ـ استوعبته[1] فى كتابى الجامع المبين لما قيل[2] فى "كاين"، و قال سبحانه: ﴿من نبى﴾ لتكون التسلية أعظم بذكر ما هو طبق ما وقع

٥ فى هذه الغزوة من قتل[3] أصحابه، و احتمال العبارة لقتله نفسه بقوله: ﴿قتل[4] لا﴾ أى ذلك النبى حال كونه ﴿معه﴾ لكن الأرجح إسناد "قتل" إلى "ربيون" لموافقته قراءة الجماعة ـ سوى الحرمين[5] وأبى عمرو ـ: [6] قاتل معه ﴿ربيون﴾ أى علماؤهم ورثة الأنبياء، و على منهاجهم ﴿كثير[4] فما﴾ [أى فما ـ[7]] تسبب عن [قتل نبيهم وهنهم، أو يكون المعنى ـ

١٠ و يؤيده[8] الوصف بالكثرة ـ: قتل الربيون، فما تسبب عن ـ[7]] [9] قتلهم أن الباقين بعدهم ﴿وهنوا﴾ أى ضعفوا عن[10] عملهم ﴿لما اصابهم فى سبيل الله﴾ أى الملك الأعظم من القتل لنبيهم الذى هو عمادهم، أو لإخوانهم الذين هم أعضادهم لكونه من[10] الله ﴿و ما ضعفوا﴾ أى

(١) فى ظ: استوعبتها (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٣) فى ظ: قبل (٤) فى الأصول: قاتل، و هى القراءة الشائعة ببلادنا، و لكن لا ارتباط لها بالتفسير الآتى المتعلق بقراءة نافع و ابن كثير و أبى عمرو و يعقوب: قُتِل ـ بالبناء للمفعول، و قرئ: قتّل ـ بالتشديد. (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الحرمين (٦) زيد فى مد «و» (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) من مد، و فى ظ: فيويده (٩) زيد قبله فى ظ فقط: نبيهم وهنهم أو يكون المعنى ـ كذا (١٠) فى مد: فى.

مطلقا

مطلقا فى العمل و لا فى غـيره ﴿ و ما استكانوا ط ﴾ أى و ما خضعوا لأعدائهم فطلبوا أن يكونوا تحت أيديهم - تعريضا بمن قال[1] : اذهبوا إلى أبى عامر[2] الراهب ليأخذ[3] لنا أمانـا من أبى سفيان ، بل صبروا ، فأحبهم الله لصبرهم ﴿ و الله ﴾ أى[4] الذى له صفات الكمال ﴿ يحب الصٰبرين ۝ ﴾ أى فليفعلن بهم من النصر و إعلاء القدر و جميع أنواع الإكرام فعل من يحبه[5] .

و لما أثنى سبحانه و تعالى على فعلهم أتبعه قولهم فقال: ﴿ و ما كان ﴾ أى شىء من القول ﴿ قولـهم ﴾ أى بسبب ذلك[6] الأمر الذى دهمهم ﴿ الآ ان قالوا ﴾ أى و هم يجتهدون فى نصر دين الله ناسبين الخذلان إلى أنفسهم بتعاطى [أسبابه -[6]] ﴿ ربنا اغفر لنا ذنوبنا ﴾ أى التى[7] استوجبنا بها الخذلان ﴿ و اسرافنا فى امرنـا ﴾ هضما لأنفسهم ، فمع[8] كونهم ربانيين مجتهدين نسبوا ما أصابهم إلى ذنوبهم ، فافعلوا أنتم فعلهم لتنالوا من الكرامة ما نالوا[9] ، كما أشار[10] لكم سبحانه و تعالى إلى ذلك قبل الأخذ فى قص القصة عند ما وصف به المتقين من قوله "او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم[11]" .

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قالوا (٢) فى ظ : ابن عامر (٣) من مد ، و فى الأصل : لناخذ ، و فى ظ : فاخذ (٤) سقط من مد (٥) فى ظ و مد : تحبه. (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : مع (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : تسالوا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : اسناد - كذا (١١) سورة ٣ آية ١٣٥ .

و لما دعوا بمحو ما أوجب الخذلان دعوا بثمرة المحو فقالوا: ﴿و ثبت اقدامنا﴾ إشارة إلى أن الرعب من نتائج الذنب، والثبات من ثمرات[٢] الطاعة «إنما تقاتلون[٣] الناس بأعمالكم[٤]» ثم أشاروا إلى أن قتالهم لهم إنما هو لله، لا لحظ من حظوظ النفس أصلا بقوله: ﴿و انصرنا / على القوم الكفرين ۝﴾. ٤٢٢ /

فلما تم الثناء على فعلهم و قولهم ذكر ما سببه لهم ذلك من الجزاء [فقال -[٥]]: ﴿فآتهم الله﴾ المحيط علما و قدرة ﴿ثواب الدنيا﴾ أي بأن قبل دعاءهم بالنصر [و الغنى -[٥]] بالغنائم[٦] و غيرها و حسن الذكر و انشراح الصدر و زوال شبهات الشر.

و لما كان ثواب الدنيا كيف ما كان لا بد أن يكون بالكدر مشوبا[٧] و بالبلاء مصحوبا[٨]، لأنها دار الأكدار؛ أعراه[٩] من وصف الحسن، و خص الآخرة به فقال: ﴿و حسن ثواب الآخرة ط﴾ أي مجازا بتوفيقهم إلى الأسباب في الدنيا، و حقيقة في الآخرة، فانهم أحسنوا في هذا الفعال و المقال[١٠]، لكونهم لم يطلبوا بعبادتهم[١١] غير وجه الله، فأحبهم

(١) من مد، و في الأصل و ظ: فثمره (٢) من ظ و مد، و في الأصل: فوات - كذا (٣) في ظ: تقابلون (٤) في ظ: باعمالهم (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و في الأصل: و الغنايم (٧) من ظ و مد، و في الأصل: شوبا (٨) في ظ: لصحوابا - كذا (٩) في مد: عراه (١٠ - ١٠) من ظ و مد، و في الأصل: القتال و القتال - كذا (١١) من مد، و في الأصل و ظ: بعنادهم.

لإحسانهم ﴿ و الله ﴾ المحيط بصفات الكمال ﴿ يحب المحسنين ﴾ كلهم، فهو جدير بأن يفعل بهم كل جميل و لذلك[1] رفع منزلتهم و لم يجعل ثوابهم بعضا، كما فعل بمن عبد[2] لإرادة الثواب فقال "نؤته منها" فقد بان أن[3] هذه الآية منعطفة على ما أمر به الصحابة رضى الله عنهم على طريقة اللف و النشر المشوش، فنفى الوهن تعريض بمن أشير إليه فى آية "و لقد كنتم تمنون الموت" و محبة الصابرين تعريض بمن لم يصبر، و قوله "و يعلم الصبرين" و نحو ذلك و الثناء على قولهم حث على [مثل -[4]] ما ندبهم إليه فى قوله[5] "ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم" و ثبات الإقدام إشارة إلى "و انتم الاعلون ان كنتم مؤمنين" و إلى[6] أن ثبات القدم للنصر على أعداء الله كان شاغلا لهم عن الالتفات إلى غيره، و تعريض بمن[7] أقبل على الغنائم و ترك طلب العدو[8] لتمام النصر المشار إليهم بآية "و من يرد[9] ثواب الدنيا نؤته منها" و إيتاء الثواب ناظر إلى النهى عن الربا و ما انتظم فى سلكه و داناه[10]، و إلى الأمر بالمسارعة إلى الجنة و ما والاه، و إيماء إلى أن من فعل فعلهم نال ما نالوا، و من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه، لأن علمه[11] محيط، و كرمه لا يحد، و خزائنه لا تنفد، بل

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: كذلك (٢) فى ظ: عبده (٣) سقط من ظ (٤) زيد من مد (٥) زيد بعده فى مد: او (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بمن - كذا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الهدو (٩) سقط من مد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: اوداناه - كذا (١١) فى ظ: عمله.

لا تنقص[1]، ثم ختمها بما ختم به للحث على التخلق بأوصاف المتقين؛ فقد اتضح بغير لبس أن المراد بهذه الآية - و هى الإخبار عن إيتائهم الثواب - التنبيه على أن أهم الأمور و أحقها بالبداءة التخلق بما وعظوا به قبل[2] قص القصة، و لا ريب أن فى مدح من سواهم[3] تهييجا زائدا لانبعاث[4] نفوسهم و تحرك هممهم و تنبيه نشاطهم و ثوران عزائمهم غيرة[5] منهم أن يكون أحد - و هم خير أمة أخرجت للناس - أعلى همة و أقوى عزيمة و أشد شكيمة و أصلب عودا و أثبت عمودا و أربط جأشا[6] و أذكر لله[7] و أرغب فيما عنده و أزهد فيما أعرض[8] عنه[9] منهم.

و لما أمر سبحانه و تعالى بطاعته الموجبة للنصر و الأجر و ختم [10]بمحبته للمحسنين[10]، حذر من طاعة الكافرين المقتضية للخذلان رغبة فى موالاتهم[11] و مناصرتهم فقال تعالى واصلا بالنداء فى آية الربا[12]: ﴿ يآيها الذين آمنوآ ﴾ أى أقروا بالإيمان ﴿ ان تطيعوا ﴾ بخضوع و استكان أو غيره ﴿ الذين كفروا ﴾ أى هذا الفريق منهم أو غيره ﴿ يردوكم على اعقابكم ﴾ بتعكيس[13] أحوالكم إلى أن تصيروا مثلهم ظالمين كافرين

(١) فى ظ: لا ينقص (٢) فى ظ: فقيل (٣) فى ظ: سواهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لالتفاف (٥) فى الأصول: غيره (٦) فى الأصل و مد: حاشا، و فى ظ: حاسا - كذا (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الله (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عرض (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: عنهم (١٠-١٠) فى مد: بمحبة المحسنين (١١) فى ظ: مواتهم - كذا (١٢) سقط من ظ (١٣) فى ظ: بتعكس.

فتنقلبوا

﴿ فتنقلبوا خسرين ﴾ فى جميع أموركم فى الدارين ، فتكونوا فى غاية البعد من أحوال المحسنين ، فتكونوا بمحل السخط من الله صغرة تحت أيدى الأعداء فى الدنيا خالدين فى العذاب فى الأخرى ، و ذلك ناظر إلى قوله تعالى أول ما حذر من مكر الكفار " يايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتب[1] " - الآية ، و موضح أن جميع هذه الآيات ٥ شديد[2] اتصال[3] بعضها ببعض - و الله الموفق .

و لما كان التقدير : فلا تطيعوهم ، إنهم ليسوا[4] صالحين للولاية مطلقا ما دمتم مؤمنين ، عطف عليه قوله : ﴿ بل الله ﴾ [أى -[5]] الملك الأعظم ﴿ مولىكم ﴾ مخبرا[6] بأنه ناصرهم و أن نصره لا يساويه نصر أحد سواه بقوله : ﴿ و هو خير الناصرين ﴾ أى لأن[4] من نصره ١٠ سبب له جميع أسباب النصر و أزال عنه كل أسباب الخذلان ، فمنع غيره - كائنا من كان - من إذلاله ، ثم قرر ذلك بقوله محققا[7] للوعد : ﴿ سنلقى ﴾ أى بعظمتنا ﴿ فى قلوب الذين كفروا الرعب ﴾ أى[4] المقتضى لامتثال ما أمر به من الجرأة عليهم و عدم الوهن فى أمرهم ، كما افتتح القصة بالإيماء إلى ذلك بالأمر بالسير[8] فى الأرض و النظر فى عاقبة ١٥ المكذبين ، ثم بين سبب / ذلك[9] فقال : ﴿ بما أشركوا بالله ﴾ أى ليعلموا / ٤٢٣

(١) سورة ٣ آية ١٠٠ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : شديدة (٣) فى ظ : الاتصال (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : بخيرا (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : تحققا (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : باليسير (٩) زيد بعده فى ظ : بقوله .

قطعا أنه لا ولى لعدوه لأنه [لا - [1]] كفوء [له - [1]] ، و بين بقوله : ﴿ما لم ينزل﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿ به سلطانا ج ﴾ أنه[2] لا حجة لهم فى الإشراك ، و ما لم ينزل به سُلطانا فلا سلطان له ، و مادة[3] "سلط" ترجع إلى القوة ، و لما كان التقدير : فعليهم الذل فى الدنيا لاتباعهم ما لا قوة به ، عطف عليه : ﴿ و ماوٰىهم النار ط ﴾ ثم هوّل أمرها[4] بقوله : ﴿ و بئس مثوى الظٰلمين ه ﴾ أى هى ، و أظهر فى موضع الإضمار للتعميم و تعليق الحكم بالوصف .

و لما كانت السين فى "سنلقى" مفهمة للاستقبال كان ذلك ربما أوهم أنه لم يرغبهم فيما مضى ، فنفى هذا الوهم محققا لهم ذلك بتذكيرهم بما أنجز لهم من وعده فى أول هذه الوقعة[5] مدة تلبسهم بما شرط عليهم من الصبر و التقوى بقوله تعالى - عطفا على قوله : "بلى ان تصبروا و تتقوا" - الآية - مصرحا بما لوح إليه تقديرا قبل "و لقد نصركم الله ببدر" - [كما مضى - [1]] - : ﴿ و لقد صدقكم الله وعدهٓ ﴾ أى[6] فى قوله "و ان تصبروا و تتقوا لا يضركم كيدهم" ﴿ اذ تحسونهم ﴾ أى تقتلونهم بعضهم بالفعل و الباقين بالقوة التى هيأها لكم ﴿ باذنه ٤ ﴾ فان الحس بالفتح[7] : القتل و الاستئصال - قاله فى القاموس . ثم بين لهم سبب هزيمتهم بعد تمكينه منهم ليكون[8]

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : اى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : باد .
(٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : امره (٥) فى مد : الواقعة (٦) سقط من مد .
(٧) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليكونوا .

رادعا لهم عن المعاودة إلى مثله فقال مبينا لغاية الحس : ﴿ حتى إذا فشلتم ﴾ أى ضعفتم و تراخيتم بالميل إلى الغنيمة خلاف ما تدعو إليه الهمم العوالى، فكيف[1] بهم إذا كانوا من حزب مولى الموالى ! فلو كانت العرب على حال جاهليتها تتفاخر بالإقبال على الطعن و الضرب فى مواطن الحرب و الإعراض عن الغنائم[2] - كما قال عنترة بن شداد العبسى يفتخر : ٥

هلا سألت الخيل[3] يا ابنة مالك[4] إن كنت جاهلة بما لم تعلمى

إذ[5] لا أزال على رحالة[6] سابح نهد تعاوره[7] الكماة مكلم[8]

طورا يعرض للطعان و تارة يأوى إلى حصد القسى عرمرم

يخبرك من شهد الوقيعة أننى أغشى[9] الوغى و أعف عند المغنم

و قال يفاخر[10] بقومه كلهم : ١٠

إنا[11] إذا حمس[12] الوغى نروى القنا و نعف[13] عند مقاسم الأنفال

و لما ذكر الفشل عطف عليه ما هو سببه فى الغالب فقال : ﴿ و تنازعتم ﴾ أى بالاختلاف ، و أصله من نزع بعض[14] شيئا من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيكف (٢) فى مد : المغانم (٣) من ظ و مد وديوانه ، و فى الأصل : الخليل (٤) من مد و ديوانه ، و فى الأصل و ظ : بنت مالك (٥) من مد وديوانه ، و فى الأصل و ظ : اذا (٦) فى ظ : راحاله - كذا . (٧) فى ظ : يعاوره (٨) من ظ و مد و ديوانه . و فى الأصل : تتكلم . (٩) من مد و ديوانه ، و فى الأصل : اغشى ، و فى ظ : اعنى - كذا (١٠) فى ظ : تفاخر (١١) فى ظ : الا (١٢) فى الأصول : خمس (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : نغمر (١٤) سقط من ظ .

يد بعض ﴿ فى الامر ﴾ أى أمر الثغر المأمور بحفظه ﴿ و عصيتم ﴾ أى وقع العصيان بينكم بتضييع الثغر . و أثبت الجار تصويرا للمخالفة بأنها كانت عقب رؤية النصر سواء ، و تبشيرا[1] بزوالها[2] فقال : ﴿ من بعد ما أراكم ما تحبون ط ﴾ أى من حسهم بالسيوف و هزيمتهم .

٥ و لما كان ذلك ربما أفهم أن الجميع عصوا نفى ذلك معللا للعصيان بقوله : ﴿ منكم من يريد الدنيا ﴾ أى قد أغضى[3] عن معايبها[4] التى أجلاها[5] فناؤها . و لما كان حكم الباقين غير معين للفهم[6] من هذه الجملة قال : ﴿ و منكم من يريد الآخرة ج ﴾ و هم الثابتون[7] فى مراكزهم ، لم يعرجوا على الدنيا .

١٠ و لما كان التقدير جوابا لإذا : سلطهم عليكم ، عطف عليه قوله : ﴿ ثم صرفكم عنهم ﴾ أى لاندهاشكم[8] لإتيانهم إليكم [من ورائكم -[9]] ، و عطفه بثم لاستبعادهم للهزيمة بعد ما رأوا[10] من النصرة ﴿ ليبتليكم ج ﴾ أى يفعل فى ذلك فعل من[11] يريد الاختبار فى ثباتكم على الدين فى حالى السراء و الضراء . و لما كان اختباره تعالى بعصيانهم[12] شديد الإزعاج

(١) من مد . و فى الأصل و ظ : تيسيرا (٢) فى ظ : بزولها (٣) فى ظ : اعصى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : معايبها - كذا (٥) زيد بعده فى ظ : عضوا نفى ذلك معللا للعصيان بقوله (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الفهم . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : التايبون (٨) من مد ، و لعله مطاوعة : أدهش ، و فى الأصل : لاندهالكم ، و فى ظ : لاندهامكم (٩) زيد من مد . (١٠) فى ظ : اراد (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : ما (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعصيانكم .

للقلوب عطف على قوله "صرفكم": ﴿ و لقد عفا عنكم ط ﴾ أى تفضلا عليكم لإيمانكم ﴿ و الله ﴾ الذى له الكمال كله ﴿ ذو فضل على المؤمنين ٥ ﴾ أى كافة، و هو من الإظهار فى موضع الإضمار للتعميم[1] و تعليق الحكم بالوصف.

و لما ذكر علة الصرف و العفو عنه صوّره[2] فقال: ﴿ اذ ﴾ ٥ [أى -[3]] صرفكم و عفا عنكم حين ﴿ تصعدون ﴾ أى تزيلون[4] الصعود فتنحدرون[5] نحو المدينة، أو[6] تذهبون فى الأرض لتبعدوا عن محل الوقعة خوفا من القتل[7] ﴿ و لا تلوون ﴾ أى تعطفون ﴿ على احد ﴾ أى من قريب و لا بعيد / ﴿ و الرسول ﴾ أى الذى أرسل إليكم لتجيبوه[8] إلى ٤٢٤ / كل ما يدعوكم إليه و هو الكامل فى الرسلية ﴿ يدعوكم فى اخرٰكم ﴾ أى ١٠ ساقتكم[9] و جماعتكم الأخرى، و أنتم مدبرون و هو ثابت فى مكانه فى نحر العدو فى نفر يسير لا يبلغون أربعين نفسا - على اختلاف الروايات - وثوقا بوعد الله و مراقبة له، يقول كلما[10] مرت[11] عليه جماعة[12] منهزمة[13]: إلىّ عباد الله! أنا رسول الله! [11] إلىّ إلىّ[14] عباد الله! كما هو اللائق بمنصبه الشريف من الاعتماد على الله و الوثوق بما عنده و عد من دونه من ولى ١٥

(١) فى ظ: للتعظيم (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: صورة (٣) زيد من مد (٤) فى ظ: تزيدون (٥) فى ظ: فينحدون (٦) فى ظ «و» (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الفعل (٨) فى ظ: فتجيبوه (٩) فى ظ: ساقيكم (١٠) فى ظ: فلما (١١) فى مد: مر (١٢) سقط من ظ (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: منهزمين (١٤-١٤) فى ظ: الى اى، و فى مد: اين اى.

و عدو عدما ؛ و إنما قلت : إن[1] معنى ذلك الانهزام ، لأن الدعاء يراد منه الإقبال على الداعى بعد الانصراف عما يريده ليأمر و ينهى ، فعلم بذلك أنهم مولون عن المقصود و هو القتال ، و فى التفسير من البخارى عن البراء رضى الله تعالى عنه قال : جعل النبى صلى الله عليه و سلم على الرجالة يوم أحد عبد الله بن جبير رضى الله تعالى عنه و أقبلوا منهزمين ، فذاك إذ يدعوهم[2] الرسول فى أخراهم ، و لم يبق مع النبى صلى الله عليه و سلم غير اثنى عشر رجلا .

و لما تسبب[3] عن العفو ردهم عن الهزيمة إلى القتال قال تعالى : ﴿ فاثابكم ﴾ أى جعل لكم ربكم ثوابا ﴿ غما ﴾ أى باعتقادكم قتل[4] الرسول صلى الله عليه و سلم . و كان اعتقادا كاذبا مُلئتم به رعبا ﴿ بغم ﴾ أى كان حصل لكم من القتل[5] و الجراح و الهزيمة ، و سماه - و إن كان فى صورة العقاب - باسم الثواب لأنه كان سببا للسرور[6] حين تبين[6] أنه خبر كاذب ، و أن النبى صلى الله عليه و سلم سالم[7] حتى كأنهم - كما قال بعضهم - لم تصبهم[8] مصيبة ، فهو[9] من الدواء بالداء ، ثم علله بقوله : ﴿ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ﴾ أى من النصر و الغنيمة ﴿ و لا ما اصابكم ﴾ أى [10]من القتل[10] و الجراح و الهزيمة لاشتغالكم عن ذلك

(١) فى مد : انما (٢) فى ظ : تدعوهم (٣) فى ظ : نسب (٤) فى ظ : قبل .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : القتال (٦-٦) فى ظ : حتى يتبين (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : سالما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم تصبه (٩) سقط من ظ (١٠-١٠) فى ظ : بالقتل .

بالسرور بحياة الرسول صلى الله عليه و سلم .

و لما قص[1] سبحانه و تعالى عليهم ما فعلوه ظاهرا و ما قصدوه باطنا و ما داواهم به قال - عاطفا على ما تقديره : فالله سبحانه و تعالى خبير بما يصلح أعمالكم و يبرئ أدواءكم - : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ خبير بما تعملون ه ﴾ أى من خير و شر فى هذه الحال و غيرها ، و بما[2] يصلح من جزائه و دوائه ، فتارة يداوى الداء[3] بالداء و تارة بالدواء ، لأنه الفاعل القادر المختار .

و لما كان أمانهم بعد انخلاع قلوبهم بعيدا ، و لا سيما بكونه بالنعاس[4] الذى هو أبعد شيء عن ذلك المقام الوعر و المحل الضنك عطف بأداة البعد فى قوله : ﴿ ثم انزل عليكم ﴾ و لما أفاد[5] بأداة[6] الاستعلاء عظمة الأمن ، و كان[7] متصلا بالغم و لم يستغرق زمن ما[8] بعده أثبت الجار فقال : ﴿ من بعد الغم ﴾ أى المذكور و أنتم فى نحر العدو ﴿ امنة ﴾ أى أمنا عظيما ، ثم أبدل منها تنبيها على ما فيها من الغرابة قوله : ﴿ نعاسا ﴾ [9]دليلا قطعيا ، فانه لا يكون إلا من أمن[9] ؛ روى البخارى فى التفسير عن أنس رضى الله عنه أن أبا طلحة رضى الله عنه

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قصد (٢) فى ظ : ما (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الد - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالناس (٥) فى ظ : افاده (٦) سقط من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « الجار فقال » تكررت فى الأصل بعد « و المحل الضنك » (٨) فى ظ : من (٩ - ٩) أخرت فى ظ عن « و هم المؤمنون » و زيد فيها « عن الأمن » قبل « فانه » .

قال: غشينا النعاس[1] و نحن فى مصافنا يوم أحد، فجعل سيفى يسقط من يدى و آخذه[2] و يسقط و آخذه[2]. و لما كان لبعضهم فقط استأنف وصفه بقوله: ﴿ يغشى طآئفة منكم ﴾ و هم المؤمنون، و ابتدأ الإخبار عن الباقين بقوله: ﴿ و طآئفة ﴾ أى أخرى من المنافقين ﴿ قد اهمتهم

٥ انفسهم ﴾ لا المدافعة عن الدين فهم[3] إنما يطلبون خلاصها، و لا يجدون إلى ذلك فيما يظنون سبيلا لاتصال رعبهم و شدة جزعهم، فعوقبوا على ذلك بأنه لم يحصل لهم[4] الأمن المذكور، ثم فسر همهم فقال: ﴿ يظنون بالله ﴾ المحيط بصفات الكمال ﴿ غير الحق ﴾ أى من أن نصره بعد هذا لا يمكن، أو أنهم لو[4] قعدوا فى المدينة لم يقتل أحد. و نحو ذلك من

١٠ سفساف الكلام[4] و فاسد الظنون التى فتحتها 'لو' و الأوهام ﴿ ظن الجاهلية ﴾ أى الذين لا يعلمون - من عظمة الله سبحانه و تعالى بأن ما أراده[5] كان و لا يكون غيره - ما يعلم[6] أتباع الرسل. ثم فسر الظن بقوله: ﴿ يقولون ﴾ أى منكرين لأنه لم يجعل الرأى رأيهم و يعمل بمقتضاه غضبا و تأسفا على خروجهم فى هذا الوجه و عدم رجوعهم

١٥ مع ابن أبى بعد أن خرجوا ﴿ هل لنا من الامر ﴾ أى المسموع، و لكون الاستفهام بمعنى النفى ثبتت[7] / أداة الاستغراق فى قوله: ﴿ من شىء ﴾ /٤٢٥ فكأنه قيل: فما ذا يقال لهم؟ فقيل: ﴿ قل ﴾ أى لهم ردا عليهم احتقارا

(١) فى ظ: الناس (٢-٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فانهم (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اراد (٦) فى ظ: تعليم - كذا (٧) فى ظ: ثبت.

بهم ﴿ ان الامر ﴾ أي الحكم الذى لا يكون سواه ﴿ كله لله ط ﴾ أى الذى لا كفوء له ، ليس لكم و لا لغيركم منه شيء ، شئتم [أو أبيتم -[1]] ، غزوتم أو قعدتم ، ثبتم أو فررتم .

و لما قص سبحانه و تعالى عليهم بعض أمرهم فى هذه الحرب[2] ، و بين لهم شيئا من فوائد ما فعل بهم بقوله "ان يمسسكم قرح" - الآيات ، ٥ و كان من جملة ذلك ما أظهر من أسرار المنافقين بهذه الوقعة[3] فى اتهامهم[4] الله و رسوله ، حتى وصل إلى هنا ، و كان[5] قولهم هذا غير صريح[6] فى الاتهام[6] لإمكان حمله[7] على مساق[8] الاستفهام أخبر سبحانه و تعالى بتدليسهم بقوله : ﴿ يخفون ﴾ أى يقولون ذلك مخفين[9] ﴿ فى انفسهم ما لا يبدون لك ط ﴾ [لكونه لا يرضاه الله . ثم بين ذلك بعد ١٠ إجماله فقال : ﴿ يقولون لو كان لنا من الامر ﴾ -[1]] أى المسموع ﴿ شيء ما قتلنا ههنا ط ﴾ لأنا كنا نمكث فى المدينة و لا نخرج إلى العدو .

و لما أخبر سبحانه و تعالى [عنهم -[10]] بما أخفوه جهلا منهم ظنا أن الحذر يغنى من القدر أمره سبحانه و تعالى بالرد عليهم بقوله : ﴿ قل ١٥ لو كنتم فى بيوتكم ﴾ أى بعد[3] أن أجمع[11] رأيكم على أن لا يخرج منكم

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى ظ : الحروب (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : ابهامهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : صحيح (٦) فى ظ : الابهام .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : جملة (٨) فى ظ : حذف - كذا (٩) فى ظ : مخفسين (١٠) زيد من مد (١١) فى ظ : جمع .

أحد[١] ﴿ لبرز الذين كتب عليهم القتل ﴾ أى فى هذه الغزوة ﴿ الى مضاجعهم[٤] ﴾ أى التى هى مضاجعهم بالحقيقة و هى التى قتلوا بها ، لأن ما قدرناه لا يمكن أحدا دفعه بوجه من الوجوه ، ثم عطف على ما علم[١] تقديره و دل عليه السياق قوله : "ليبتلى" ، أى لبرز المذكورون

٥ لينفذ[٢] قضاؤه و يصدق قوله لكم فى غزوة بدر : إن فاديتم الأسارى[٣] و لم تقتلوهم قتل منكم فى العام المقبل[٤] مثلهم ﴿ و ليبتلى الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال بهذا[٥] الأمر التقديرى ﴿ ما فى صدوركم ﴾ [أى -[٦]] من الإيمان و النفاق بأن يفعل فى إظهاره من عالم الغيب إلى عالم الشهادة فعل المختبر كما فعل بما وجد فى هذه الغزوة من الأمور التحقيقية[٧]

١٠ ﴿ و ليمحص ما فى قلوبكم ط ﴾ أى يطهره و يصفيه من جميع الوساوس الصارفة عن المراقبة من محبة الدنيا من الغنائم التى كانت [٨]سبب الهزيمة[٨] و غيرها . و ختم بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿ عليم بذات الصدور ه ﴾ مرغبا و مرهبا و دافعا لما قد يتوهم من ذكر الابتلاء من عدم العلم بالخفايا[٩] .

١٥ و لما كانوا فى هذه الغزوة[١٠] قد حصل لهم ضرر عظيم ، لكنه كان بما وقع من بعضهم من الخلل الظاهر فأدبهم بذلك ، عفا عنهم سبحانه

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لنفد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاسرى .
(٤) فى ظ : القابل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه (٦) زيد من ظ و مد .
(٧) فى ظ : الحقيقة (٨-٨) فى ظ : سببا لهزيمة (٩) فى ظ : بالخلفايا (١٠) فى ظ : الفوقية .

و تعالى بعد ذلك التأديب و رحمهم و طيب قلوبهم بهذه الآية بما فيها من التأمين[1] صريحا ، و بما فيها من الإشارة بجمع[2] جميع[3] حروف المعجم فيها تلويحا إلى أن أمرهم لا بد أن يتم كما تمت[4] الحروف فى هذه الآية ، لكنه افتتحها بأداة التراخى إشارة إلى أنه لا يكون إلا بعد مدة مديدة حتى[5] تصقل مرائى[5] الصدور التى ختمها بها بخلاف ما فى الآية الأخرى الجامعة [للحروف -[6]] فى آخر سورة الفتح التى نزلت فى الحديبية التى ساءهم[7] رجوعهم منها دون وصولهم إلى قصدهم - كما يأتى إن شاء الله سبحانه و تعالى .

و لما كان فيه مع[8] ذلك معنى التعليل و التنبيه على أنه غنى عن[2] الاختبار ، خبير بدقائق الأسرار أتبعه قوله مستأنفا لبيان ما هو من ثمرات العلم : ﴿ ان الذين تولوا منكم ﴾ أى عن القتال و مقارعة الأبطال ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ أى من المؤمنين و الكفار ﴿ انما استزلهم ﴾ أى طلب زللهم عن ذلك المقام العالى ﴿ الشيطن ﴾ أى عدوهم البعيد من الرحمة المحترق باللعنة ﴿ ببعض ما كسبوا ﴾ أى من الذنوب التى[9] لا تليق[10] بمن طلب الدنو إلى حضرات القدس و مواطن الأنس من ترك المركز و الإقبال على الغنيمة و غير ذلك ، فان القتال فى الجهاد إنما هو بالأعمال ،

(١) فى الأصل و مد : التامن ، و فى ظ : التامل (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لجميع . (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتم (٥-٥) من مد ، و فى الأصل : تنصقل راى ، و فى ظ : بنفصل مرى - كذا (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ساير (٨) فى ظ : معنى (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى . (١٠) فى ظ : لا يليق .

فمن كان أصبر فى أعمال[1] الطاعة كان أجلد على قتال الكفار ، و لم يكن توليهم [2]عن ضعف[2] فى نفس الأمر .

و لما كان ذلك مفهما أن الذين تولوا صاروا من حزب الشيطان[3] فاستحقوا ما استحق الصق به قوله : ﴿ و لقد عفا الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ عنهم ط ﴾ لئلا تطير[4] أفئدة المؤمنين [5]منهم ، و ختم ذلك ببيان علته مما هو أهله من الغفران و الحلم فقال معيدا للاسم الأعظم تنبيها على أن الذنب عظيم و الخطر بسببه جسيم ، فلولا الاشتمال / على جميع صفات الكمال لعوجلوا بأعظم النكال : ﴿ ان الله غفور ﴾ أى محاء للذنوب عينا و أثرا . و لما كان الغفر[6] قد يكون مع تحمل نفاه بقوله : ﴿ حليم ﴾ أى حيث لم يعامل[7] المتولين حذر الموت معاملة الذين خرجوا من ديارهم - كما تقدم - حذر الموت ، فقال لهم الله : موتوا .

/ ٤٢٦

و لما كان قولهم : إنا لو ثبتنا فى المدينة الممثلة بالدرع الحصينة - كما كان رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم و الأكابر من أصحابه - لسلمنا ، إلى غير ذلك مما[8] أشار سبحانه و تعالى إليه قولا موجبا لغيظ رسول الله صلى الله عليه و سلم ، لما فيه من الاتهام[9] و سوء العقيدة ، وكان مع ذلك مظنة لأن يخدع كثيرا[10] من أهل الطاعة لشدة حبهم لمن قتل منهم

(١) فى ظ : الاعمال (٢-٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الشياطين (٤) فى ظ : يطير .
(٥) العبارة من هنا إلى « بقوله "حليم" » سقطت من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : القصد (٧) فى ظ : العامل (٨) فى ظ : بما (٩) فى ظ : الابهام (١٠) من ظ . و فى الأصل : كثير ، و فى مد : اكثر .

و تعاظم أسفهم عليهم . كان أنسب الأشياء المبادرة إلى الوعظ بما يزيل هذا الأثر ، و لما كان الرسول صلى الله عليه و سلم مؤيدا بأعظم الثبات لما طبع عليه من الشيم[1] الطاهرة [و المحاسن الظاهرة -[2]] كان الأنسب[3] البداءة بغيره ؛ فنهى الذين آمنوا عن الانخداع بأقوالهم فقال تعالى : ﴿ يآيها الذين آمنوا ﴾ أى أظهروا [4] الإقرار بالإيمان[4] ! صدقوا قولكم[5] بأن ﴿ لا تكونوا كالذين كفروا ﴾ أى بقلوبهم على وجه الستر ﴿ و قالوا ﴾ أى ما فضحهم ﴿ لاخوانهم ﴾ أى لأجل إخوانهم الأعزة[6] عليهم نسبا أو مذهبا ﴿ اذا ضربوا ﴾ أى سافروا مطلق سفر ﴿ فى الارض ﴾ أى لمتجر أو غيره ﴿ او كانوا غزّى ﴾ أى غـــزاة مبالغين فى الغزو فى سبيل الله بسفر أو غيره ، جمع[7] غاز . فماتوا أو قتلوا ﴿ لو كانوا عندنا ﴾ أى لم يفارقونا ﴿ ما ماتوا و ما قتلوا ج ﴾ و هذا فى غاية التهكم[8] بهم ، لأن إطلاق هذا القول منهم - لا سيما على هذا التأكيد - يلزم منه ادعاء أنه لا يموت أحد فى المدينة ، و هو لا يقوله عاقل .

و لما كان هذا القول محزنا اعتقاده و كتمانه علق سبحانه و تعالى بقوله " قالوا " و بانتفاء الكون كالذين قالوا قوله[9] : ﴿ ليجعل الله ﴾ أى الذى لا كفوء له ﴿ ذلك ﴾ أى القول أو[10] الانفراد به عن مشارك

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : شيم (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : انسب. (٤-٤) فى ظ : الايمان بالاقرار (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : قولهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاعزه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : جميع (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : الهتكم (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل «و».

﴿ حسرة فى قلوبهم [١] ﴾ أى باعتقاده و عدم المواسى فيه ، و على تقدير التعليق بـ" قالوا " يكون[١] من باب التهكم بهم ، لأنهم لو لم يقولوه لهذا الغرض الذى لا يقصده[٢] عاقل لكانوا[٣] قد قالوه لا لغرض أصلا ، و ذلك أعرق[٤] فى كونه ليس من أفعال العقلاء ﴿ و الله ﴾ أى لا تكونوا مثلهم[٥] و الحال - أو قالوا ذلك و الحال - أن الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ يحيى ﴾ [أى من أراد فى الوقت الذى يريد -[٦]] ﴿ و يميت ط ﴾ [أى[٣] من أراد إذا أراد ، لا يغنى حذره من قدره -[٦]] ﴿ و الله ﴾ [أى المحيط بكل شىء قدرة و علما -[٦]] ﴿ بما تعملون ﴾ أى بعملكم[٧] و بكل شىء منه ﴿ بصير ه ﴾ و على كل شىء منه قدير ، لا يكون [٨]شىء منه[٨] بغير إذنه ، و متى كان على خلاف أمره عاقب عليه .

و لما نهاهم عن قول المنافقين الدائر على تمنى المحال من دوام البقاء و كراهة الموت بين لهم[٣] ثمرة فوات أنفسهم فى الجهاد بالموت أو القتل ليكون ذلك مبعدا لهم مما[٩] قال المنافقون ، موجبا لتسليم الأمر للخالق ، بل محببا[١٠] فيه و داعيا إليه فقال : ﴿ و لئن ﴾ و هو حال أخرى من " لا تكونوا " ﴿ قتلتم[١١] ﴾ [أى من أى قاتل كان -[٦]] ﴿ فى سبيل الله ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بكونه (٢) ورد بعده فى الأصل : و الله يحيى و يميت ، فرتبناه حسبما ترتب فى ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : اغرق . (٥) فى الأصل : لهم . و فى ظ و مد : كهم - كذا (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : بعلمكم (٨ - ٨) فى ظ : منه شىء (٩) فى ظ : كما (١٠) فى ظ : مجيبا (١١) تقدم فى الأصل : على « و هو حال » .

أى الملك الأعظم قتلا[1] ﴿ او متم ﴾ أى فيه موتا [2]على أى حالة كانت .
و لما كان للنفوس غاية الجموح[3] عن الموت زاد فى التأكيد فقال :
﴿ لمغفرة ﴾ أى لذنوبكم تنالكم ، فهذا تعبد بالخوف من العقاب ﴿ من الله ﴾
أى الذى له نهاية الكمال بما كنتم عليه من طاعة[4] ﴿ و رحمة ﴾ أى لأجل
ذلك ، [5]و هو تعبد لطلب الثواب[5] ﴿ خير مما يجمعون ﴾ أى مما[6] ٥
[7]هو ثمرة[7] البقاء فى الدنيا عند أهل الشقاء ، مع أنه ما فاتكم شىء من
أعماركم .

و لما ذكر أشرف الموت بادئا بأشرفه[8] ذكر ما دونه بادئا بأدناه
فقال : ﴿ و لئن متم او قتلتم ﴾ أى فى أى وجه كان على حسب ما قدر
عليكم فى الأزل ﴿ لإلى الله ﴾ أى الذى هو متوفيكم لا غيره ، و هو ١٠
ذو الجلال و الإكرام الذى ينبغى أن يعبد لذاته . و دل على عظمته بعد
الدلالة بالاسم الأعظم بالبناء للمجهول فقال : ﴿ تحشرون ﴾ فان كان
ذلك الموت أو القتل على طاعته أثابكم و إلا عاقبكم ، و الحاصل أنه لا حيلة
فى دفع الموت على حالة من الحالات : قتل أو غيره ، و لا فى الحشر إليه
سبحانه و تعالى ، و أما الخلاص من هول ذلك اليوم ففيه حيلة بالطاعة - ١٥
و الله سبحانه و تعالى الموفق . و ما أحسن ما قال عنترة فى نحوه و هو

(١) سقط من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « التأكيد فقال » تأخرت فى الأصل فقط عن « لأجل ذلك » (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : الجموع (٤) فى ظ : طاعته (٥-٥) تقدم فى الأصل على « لمغفرة » (٦) من مد ، و فى الأصل : ما ، و فى ظ : مع (٧-٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : شرفه .

جاهلى ، فالمؤمن أولى منه بمثل ذلك :

بكرت تخوفنى الحتوف كأننى أصبحت عن غرض[1] الحتوف بمعزل

/ فأجبتها إن المنية منهل لا بد أن أسقى بكأس[2] المنهل / ٤٢٧

فاقنى حياءك لا أبا لك و اعلمى أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل

لما فرغ من وعظ الصحابة رضى الله تعالى عنهم أتبعه تحبيب النبى صلى الله عليه و سلم فيما فعل بهم من الرفق[3] و اللين مع ما سبب الغضب الموجب للعنف و السطوة من[4] اعتراض [5]من اعترض[5] على ما أشار به ، ثم مخالفتهم لأمره فى حفظ المركز و الصبر و التقوى ، ثم خذلانهم له و تقديم أنفسهم على نفسه الشريفة ، ثم[6] عدم[7] العطف عليه و هو يدعوهم إليه و يأمر[8] باقبالهم عليه ، ثم اتهام من اتهمه - إلى غير ذلك من الأمور التى توجب لرؤساء الجيوش و قادة الجنود اتهام أتباعهم و سوء الظن بهم الموجب للغضب و الإيقاع ببعضهم ليكون ذلك زاجرا[9] لهم عن العود إلى مثله فقال تعالى : ﴿ فبما رحمة من الله ﴾ أى[10] الذى له الكمال كله ﴿ لنت لهم ج ﴾ أى ما لنت[11] لهم هذا اللين الخارق للعادة[12] و رفقت بهم هذا الرفق بعد ما فعلوا بك إلا بسبب رحمة عظيمة من

(١) من ديوانه ، و فى الأصول : عرض (٢) من ديوانه ، و فى الأصول : بذاك .
(٣) فى ظ : الرزق (٤) فى ظ : مع (٥ - ٥) سقط من مد (٦) سقط من ظ .
(٧) فى ظ : اعدم (٨) فى ظ : ما امر (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : زجرا .
(١٠) سقط من ظ و مد (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما كنت (١٢) فى ظ : بالعادة .

الحائز لجميع الكمال ، فقابلتهم بالجميل و لم تعنفهم بانهزامهم عنك بعد إذ خالفوا رأيك ، و هم كانوا سببا لاستخراجك ؛ و الذى اقتضى هذا الحصر هو ['ما'-[1]] لأنها نافية فى سياق الإثبات فلم يمكن[2] أن توجه إلا[3] إلى ضد ما أثبته[4] السياق ، و دلت زيادتها على أن تنوين[5] "رحمة" للتعظيم ، أى فبالرحمة[6] العظيمة لا بغيرها انت . ٥

و لما بين سبحانه و تعالى سبب هذا اللين المتين بين ثمرته[7] ببيان ما فى ضده من الضرر فقال : ﴿ و لو كنت فظا ﴾ أى سيئ الخلق جافيا فى القول ﴿ غليظ القلب ﴾ أى قاسيه لا تتأثر بشىء[8] ، تعاملهم بالعنف و الجفاء ﴿ لانفضّوا ﴾ أى تفرقوا تفرقا[9] قبيحا [10]لا اجتماع[10] معه ﴿ من حولك ص ﴾ أى ففات المقصود من البعثة . ١٠

و لما أخبره[11] سبحانه و تعالى أنه هو[3] عفا عنهم ما فرطوا فى حقه أمره بالعفو عنهم فيما يتعلق به صلى الله عليه و سلم ، و بالاستمرار على مشاورتهم عند النوائب لئلا يكون خطأهم فى الرأى - أولا فى الخروج من المدينة ، و ثانيا فى تضييع المركز ، و ثالثا فى إعراضهم عن الإثخان فى العدو [12]بعد الهزيمة الذى ما شرع القتال إلا لأجله باقبالهم على النهب ، و رابعا[12] ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : فلم تكن (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اثبت (٥) فى ظ : ينوين (٦) فى ظ : قابلة لرحمته - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثمرة (٨) من مد ، و فى الأصل : الشىء ، و قد سقط من ظ . (٩) من ظ ، و فى الأصل و مد : تفريقا (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاجتماع (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اخبر (١٢-١٢) سقطت من ظ .

[1]في وهنهم عند كر العدو[1] إلى غير ذلك ـ موجبا لترك مشاورتهم ، فيفوت ما فيها من المنافع فى نفسها و فيما تثمره[2] من التألف و التسنن[3] و غير ذلك فقال سبحانه و تعالى : ﴿ فاعف عنهم ﴾ أى ما فرطوا فى هذه الكرة فى حقك ﴿ و استغفر لهم ﴾ أى الله سبحانه و تعالى لما فرطوا فى حقه ٥ ﴿ و شاورهم ﴾ أى استخرج[4] آراءهم ﴿ فى الامر ج ﴾ أى الذى تريده من أمور الحرب تألفا لهم و تطييبا لنفوسهم ليستن[5] بك من بعدك ﴿ فاذا عزمت ﴾ أى بعد ذلك على أمر فمضيت فيه ، و قراءة من ضم التاء للتكلم بمعناها ، أى فاذا فعلت أنت أمرا بعد المشاورة لأنى فعلت فيه - بأنى[6] أردته ـ فعل العازم .

١٠ و لما أمر بالمشاورة التى هى النظر فى الأسباب أمر بالاعتصام بمسببها من غير التفات إليها ليكمل جهاد الإنسان بالملابسة ثم التجرد فقال : ﴿ فتوكل ﴾ أى فيه ﴿ على الله[7] ﴾ أى الذى له الأمر كله ، و لا يردك عنه خوف عاقبة ـ كما فعلت بتوفيق [الله فى هذه الغزوة ، ثم علل ذلك بقوله -[8]] : ﴿ ان الله ﴾ [أى الذى لا كفوء له -[8]] ١٥ ﴿ يحب المتوكلين ٥ ﴾ [أى فلا يفعل بهم إلا ما فيه -[8]] إكرامهم

(١ - ١) سقطت من ظ (٢) فى ظ : تثمر (٣) فى ظ : السن (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : استخراج (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ولسس ـ كذا . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بادنى (٧) و رد بعده فى الأصل " ان الله يحب المتوكلين " ، فرتبناه حسبما ترتب فى ظ و مد (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

و إن رُئى غير ذلك .

و لما كان التقدير : فاذا فعلوا ما يحبه أعطاهم مُناهم مما عزموا عليه لأجله ؛ استأنف الإخبار بما يقبل بقلوبهم إليه[1] و يقصر هممهم عليه ، بأن من نصره هو المنصور ، و من خذله هو المخذول ، فقال تعالى : ﴿ ان ينصركم الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ فلا غالب لكم ج ﴾ ٥ أى إن كان نبيكم صلى الله عليه و سلم بينكم أو لا ، فما بالكم[2] وهنتم لما صاح[3] إبليس أن محمدا قد قتل ! و هلا فعلتم كما فعل سعد بن الربيع رضى الله تعالى عنه و كما فعل أنس بن النضر رضى الله تعالى عنه حين قال : موتوا على ما مات عليه نبيكم صلى الله عليه و سلم ! فهو أعذر لكم عند ربكم ﴿ و ان يخذلكم ﴾ أى بامكان العدو منكم ﴿ فمن ذا الذى ١٠ ينصركم من بعده ط ﴾ أى من نبى أو[4] غيره ، ولما / كان التقدير : فعلى ٤٢٨/ الله[5] فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ، عطف عليه قوله : ﴿ و على الله ﴾ أى الملك الأعظم وحده ، لا على نبى و لا على قوة بعدد و لا بمال من غنيمة و لا غيرها ﴿ فليتوكل المؤمنون ه ﴾ أى كلهم فيكون [ذلك -[6]] أمارة صحة إيمانهم . ١٥

و لما كان الغلول من أعظم موجبات الخذلان أو أعظمها ، و النزاهة عنه من أعظم موجبات النصر ، كان أنسب الأشياء تعقيب هذه الآية

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد : لكم (٣) فى ظ : صرح ، و زيد بعده فيه : ان (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٦) زيد من ظ .

بآية الغلول بيانا، لأنه كان سبب هزيمتهم فى هذه الغزوة، فانه لا يخذل إلا بالذنوب، ومن أعظم الذنوب الموجبة للخذلان الغلول. فيكون المراد بتنزيهه صلى الله عليه وسلم عنه - والله أعلم - أن إقبالهم على نهب الغنائم قبل وقته إما أن يكون لقصد أن يغلوا باخفاء ما انتهبوه أو بعضه، وإما أن يكون للخوف [1] من أن يغل رئيسهم وحاشاه! وإما أن يكون للخوف [1] من مطلق الخيانة [2] بأن لا يقسمه صلى الله عليه وسلم بينهم على السواء، وحاشاه من كل من ذلك! وأما المبادرة إلى النهب لغير هذا القصد فخفة وطيش [1] وعبث [1]، لا يصوب [3] عاقل إليه؛ إذا تقرر هذا فيمكن أن يكون التقدير: فليتوكلوا فى كبت [4] العدو وتحصيل ما معه من الغنائم، فلا يقبلوا على ذلك إقبالا يتطرق منه احتمال لظن السوء بهاديهم [5] فى أن يغل، وهو الذى أخبرهم بتحريم الغلول وبأنه سبب للخذلان، وما نهى صلى الله عليه وسلم قط عن شىء إلا كان أول تارك له وبعيد منه، [و - [6]] ما كان ينبغى [7] لهم أن يفتحوا طريقا إلى هذا الاحتمال فعبر [8] عن ذلك بقوله عطفا [8] [على - [6]] "وكان [1] من نبى [1]": ﴿ وما كان ﴾ أى ما تأتى [9] وما صح فى وقت من الأوقات

(١ - ١) سقطت من ظ (٢) فى ظ: الخايه - كذا (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: لا يضرب (٤) من مد، وفى الأصل وظ: كتب (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: لهادينهم (٦) زيد من ظ ومد (٧) سقط من ظ. (٨-٨) من ظ ومد، وفى الأصل: بذلك عن قوله عاطفا (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: ما يأتى.

ولا

و لا على حالة من الحالات ﴿ لنبي ﴾ أى [أىّ -[1]] نبي كان فضلا عن سيد الأنبياء و إمام الرسل ﴿ ان يغل ط ﴾ تبشيعا لفعل[2] ما يؤدى إلى هذا الاحتمال زجرا من معاودة مثل ذلك الفعل المؤدى إلى تجويز شيء مما ذكر، و على قراءة الجماعة غير ابن كثير و أبى عمرو[3] - بضم الياء و فتح العين مجهولا من: أغل[4] - المعنى: و ما كان له و ما صح أن يوجد غالا، أو ينسب إلى الغلول، أو يظن به ما يؤدى إلى ذلك؛ و يجوز أن يكون التقدير بعد الأمر بالتوكل على الله سبحانه و تعالى وحده: فلا تأتوا إن كنتم مؤمنين بما يقدح فى التوكل كالغلول و ما يدانيه فتخذلوا، فانه ما كان لكم أن تغلوا[5]، و ما كان أى ما حل لنبي أى من الأنبياء قط أن يغل، أى لم أخصكم بهذه الشريعة بل ما كان فى شرع نبي قط إباحة الغلول، فلا تفعلوه و لا تقاربوه بنحو الاستباق إلى النهب، فان ذلك يسلب[6] كمال التوكل، فانه من[7] يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه، فيوجب له الخذلان، روى الطبرانى فى الكبير - قال الهيثمى: و رجاله ثقات - عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال: بعث النبي صلى الله عليه و سلم جيشا فردت رايته[8]، ثم بعث فردت، [9]ثم بعث فردت[9] بغلول رأس غزال[10] من ذهب، فنزلت "و ما كان لنبي ان يغل".

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: يفعل (٣) فى ظ: ابن عمرو (٤) فى ظ: اعلى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يغلوا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يسلبه (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: صرنيته - كذا. (٩-٩) سقطت من ظ (١٠) فى ظ: عوال.

و لما كان فعلهم ذلك محتملا لقصدهم الغلول و لخوفهم من غلول غيرهم عمم فى التهديد بقوله : ﴿ و من يغلل ﴾ أى يقع منه ذلك كائنا من كان ﴿ يات بما غل يوم القيمة ج ﴾ و من عرف كلام أهل اللغة فى الغلول عرف صحة قولى : إنه لمطلق[1] الخيانة ، و إنه يجوز أن يكون التقدير :

٥ و ما كان لأحد[2] أن يفعل ما يؤدى - و لو[3] على بُعد - إلى نسبة نبى إلى غلول ، قال صاحب القاموس : أغل فلانا : نسبه إلى الغلول و الخيانة ، و غل غلولا : خان - كأغل[4] ، أو خاص بالفىء ، و قال الإمام عبد الحق الإشبيلى فى كتابه الواعى : أغل الرجل إغلالا - إذا خان ، فهو مغل ، و غل فى المغنم يغل غلولا ، و قرئ : أن يَغُل ، و أن يُغَل ، فمن قرأ : يَغُل -

١٠ أراد : يخون[5] ، و من قرأ : يُغَل - أراد : يخان ، و يجوز أن يريد[6] : لا ينسب إلى الخيانة ، و كل من خان شيئا فى خفاء فقد غل يغل غلولا ، و يسمى[7] الخائن غالا ، و فى الحديث « لا إغلال و لا إسلال » الإغلال : الخيانة فى كل شىء ، و غللت الشىء [8]أغله غلا - إذا سترته ، قالوا : و منه الغلول فى المغنم ، إنما أصله أن الرجل كان إذا أخذ منه شيئا ستره فى

١٥ متاعه ، فقيل للخائن : غال / و مغل ، و يقال : غللت الشىء[8] فى الشىء - ٤٢٩/
إذا أدخلته[9] فيه ، و قد انغل - إذا دخل فى الشىء ، و قد انغل فى الشجر[10] :

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المطلق (٢) فى ظ : لاجل (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : كان على - كذا (٥) فى ظ : يحون - كذا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يزيد (٧) فى ظ : تسمى (٨-٨) تكرر فى الأصل و مد (٩) فى ظ : دخلته (١٠) فى ظ : السحر - كذا .

دخل - انتهى . فهذه الآية نهى للمؤمنين عن الاستباق إلى المغنم على طريق الإشارة[1] ، فتم بها الوعظ الذى[2] فى أواخر القصة ، كما أن آية الربا نهى عنه على طريق الإشارة ، فتم بها الوعظ الذى فى أوائل القصة ، فقد اكتنف التنفير من الغلول - الذى هو سبب الخذلان فى هذه الغزوة بخصوصها لمباشرة ما هو مظنة له و فى الغزو مطلقا - طرفى الوعظ فيها ، ليكون من ٥ أوائل ما يقرع السمع و أواخره .

و لما كان ثمرة الإتيان به الجزاء عليه عمم الحكم تنبيها على أن ذلك اليوم يوم الدين ، فلا بد من الجزاء فيه و تصويرا له تبشيعا[3] [4] للفضيحة فيه بحضرة الخلق[4] أجمعين ، و زاد فى تعظيمه و تعظيم الجزاء فيه بأداة التراخى و تضعيف الفعل فقال معمما الحكم[5] ليدخل الغلول من باب ١٠ الأولى : ﴿ ثم توفى ﴾ أى فى ذلك اليوم العظيم ، و بناه للمجهول إظهارا لعظمته على طريق كلام القادرين ﴿ كل نفس ﴾ أى [6]غالة و غير غالة[6] ﴿ ما كسبت ﴾ أى ما لها فيه فعل ما من خير أو شر وافيا مبالغا فى تحريز وفائه ﴿ و هم لا يظلمون ﴾ أى لا يقع عليهم ظلم فى[7] شىء منه بزيادة و لا نقص . ١٥

و لما أخبر تعالى أنه لا يقع فى ذلك اليوم ظلم أصلا تسبب عنه

(١) زيد بعده فى الأصل : فتح بها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتسما - كذا (٤-٤) تكرر فى ظ (٥) فى ظ : للحكم (٦-٦) فى ظ : عاله و غير عالة - كذا (٧) سقط من ظ .

الإنكار على من[1] حدثته[2] نفسه بالأمانى الكاذبة ، فظن غير ذلك من استواء حال المحسن و غيره ، أو فعل فعلا و قال قولا[1] يؤدى إلى ذلك كالمنافقين و كالمقبلين على الغنيمة فقال تعالى : ﴿ افمن اتبع ﴾ أى طلب بجد و اجتهاد ﴿ رضوان الله ﴾ أى ذى الجلال و الإكرام بالإقبال على ما أمر به الصادق ، فصار إلى الجنة و نعم الصبر ﴿ كمن بآء ﴾ أى رجع من تصرفه[3] الذى يريد به[4] الربح ، أو حل[5] و أقام ﴿ بسخط من الله ﴾ أى الملك الأعظم بأن فعل ما يقتضى السخط بالمخالفة ثم الإدبار لولا العفو ﴿ و ماوٰىه جهنم ط ﴾ أى جزاء بما جعل أسباب السخط مأواه ﴿ و بئس المصير ه ﴾ أى هى .

و لما أفهم الإنكار على من سوّى بين الناس أنهم متمايزون صرح بذلك فى قوله : ﴿ هم درٰجت ﴾ أى متباينون تباين الدرجات . و لما كان اعتبار التفاوت[6] ليس بما عند الخلق قال : ﴿ عند الله ط ﴾ أى الملك الأعلى فى حكمه و علمه و إن خفى ذلك عليكم ، لأن الله سبحانه و تعالى خلقهم فهو عالم بهم حين خلقهم ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع[7] صفات الكمال ﴿ بصير ﴾ [8]أى بالبصر و العلم[8] ﴿ بما يعملون ه ﴾ أى بعد إيجادهم[9] ، لأن ذلك أيضا خلقه و تقديره ، و ليس لهم فيه إلا نسبته

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : حديثه (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تصرفة.
(٤) من ظ و مد، وفى الأصل : مع (٥) فى ظ : محل - كذا (٦) فى ظ : التفات.
(٧) تأخر فى الأصل عن « صفات » (٨-٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : اسجادهم .

إليهم

إليهم بالكسب ، فهو يجازيهم بحسب تلك الأعمال ، فكيف يتخيل[1] أنه يساوى بينهم فى المآل و قد فاوت بينهم فى الحال و هو الحكم العدل ! فعلم بما فى هذا الختام من إحاطته بتفاصيل الأعمال صحة ما ابتدئ بـه الكلام[2] من التوفية .

و لما أرشدهم إلى هذه[3] المراشد ، و بين لهم بعض ما اشتملت عليه ٥ من الفوائد ، و بان بهذه القصة قدر من أسدى إليهم ذلك على لسانه صلى الله عليه و سلم بما له من الفضائل التى[4] من أعظمها كونه من جنسهم ، يميل إليهم و يرحمهم و يعطف عليهم ، فيألفونه فيعلمهم ؛ نبه على ذلك سبحانه و تعالى ليستمسكوا بغرزه[5] و لا يلتفتوا لحظة عن لزوم هديه فقال سبحانه و تعالى - مؤكدا لما اقتضاه الحال من فعل[6] يلزم منه النسبة ١٠ إلى الغلول - : ﴿ لقد من الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام ﴿ على المؤمنين ﴾ [خصهم -[7]] لأنهم المجتبون[8] لهذه النعمة[9] ﴿ اذ بعث فيهم ﴾ أى فيما بينهم[10] أو بسببهم[10] ﴿ رسولا ﴾ و زادهم رغبة فيه بقوله[11] : ﴿ من انفسهم ﴾ أى نوعا و صنفا ، يعلمون أمانته و[12] صيانته و شرفه[12] و معاليه

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الكمال (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذا . (٤) زيد بعده فى الأصل : هى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من مد - أى أمره و نهيه ، و فى الأصل : بصوره ، و فى ظ : بعرزه (٦) زيد بعده فى ظ : من (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل : المجتنبون ، و فى ظ : مجتبون (٩) فى ظ : الأمة (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : و بينهم . (١١) فى ظ : بقولهم (١٢-١٢) فى ظ و مد : شرفه و صيانته .

و طهارته قبل النبوة و بعدها[1] ﴿ يتلوا عليهم آيته ﴾ أى فيمحو ببركة نفس التلاوة كبيرا من شر الجان و غيرها مما ورد فى منافع القرآن مما عرفناه ، و ما لم نعرفه أكثر ﴿ و يزكيهم ﴾ أى يطهرهم من أوضار الدنيا و الأوزار بما يفهمه[2] بفهمه الثاقب من دقائق الإشارات و بواطن العبارات ، و قدم التزكية لاقتضاء مقام المعاتبة على الإقبال على الغنيمة ذلك ، كما مضى فى سورة البقرة ﴿ و يعلمهم الكتب ﴾ أى [تلاوة -[3]] بكونه من نوعهم[4] يلذ لهم[4] التلقى منه / ﴿ و الحكمة[6] ﴾ تفسيرا و إبانة و تحريرا ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ كانوا ﴾ و لما كانوا قد مرت لهم أزمان و هم على دين أبيهم إسماعيل عليه الصلاة و السلام [نبه على ذلك بادخال الجار فقال -[3]] : ﴿ *من قبل* ﴾ [أى من قبل ذلك -[3]] ﴿ *لفى ضلل مبين* ﴾ [أى ظاهر ، و هو من شدة ظهوره كالذى ينادى[6] على نفسه بايضاح لبسه ، و فى ذلك إشارة إلى أنه عليه السلام -[3]] عليهم من الحكمة فى هذه الوقعه ما أوجب نصرتهم[7] فى أول النهار ، فلما خالفوه[8] حصل الخذلان . و لما أزال شبهة النسبة إلى الغلول بحذافيرها ، و أثبت ما له من أضدادها من معالى[9] الشيم و شمائل الكرم صوب[10] إلى شبهة قولهم : لو كان رسولا ما انهزم أصحابه عنه ، فقال

/٤٣٠

(١) فى ظ : بعده (٢) زيد بعده فى ظ : من فهمه (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤ - ٤) فى ظ : يكذبهم - كذا (٥ - ٥) تأخر فى الأصل عن « فقال تعالى » (٦) فى ظ : يوادى (٧) فى ظ : نصرهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : خالفوا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : حل (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضربه .

تعالى: ﴿ او لما ﴾ أى أتركتم ما أرشدكم إليه الرسول الكريم [1] الحليم العليم [1] الحكيم و لما ﴿ اصابتكم ﴾ [أى - [2]] فى هذا اليوم ﴿ مصيبة ﴾ لمخالفتكم لأمره [3] و إعراضكم عن إرشاده ﴿ قد اصبتم مثليها [1] ﴾ أى فى بدر و أنتم فى لقاء العدو [4] و كأنما تساقون إلى الموت على الضد مما كنتم فيه فى هذه الغزوة، و ما كان ذلك إلا بامتثالكم لأمره [5] و قبولكم لنصحه ﴿ قلتم انّى ﴾ من أين و كيف أصابنا ﴿ هذا [6] ﴾ أى [6] بعد وعدنا النصر ﴿ قل هو من عند انفسكم [6] ﴾ أى لأن الوعد كان مقيدا بالصبر و التقوى، و قد تركتم المركز و أقبلتم على الغنائم قبل الأمر [به - [2]]، و عن على رضى الله تعالى عنه أن ذلك باختيارهم الفداء يوم بدر الذى نزل فيه "لو لا كتب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم [7] " و أباح لهم سبحانه و تعالى [8] الفداء بعد أن عاتبهم و شرط عليهم [إن اختاروه [9] أن يقتل منهم فى العام المقبل بعدّ الأسرى، فرضوا و قالوا: نستعين بما نأخذه منهم عليهم - [2]] ثم نرزق الشهادة، ثم علل ذلك بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى [10] الذى لا كفوء له ﴿ على كل شىء [11] ﴾ أى من النصر و الخذلان و نصب أسباب كل منهما ﴿ قدير ﴾

(١-١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الامر (٤) من مد، و فى الأصل: الله، و فى ظ: ابعد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الأمر (٦) سقط من ظ (٧) سورة ٨ آية ٦٨. (٨) زيد بعده فى الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) من مد، و فى ظ: اختياره (١٠) سقط من ظ و مد (١١) زيد بعده فى الأصل: قدير، و لم تكن الزيادة هنا فى ظ و مد فحذفناها من هنا. و سيأتى. ع ٨٠٤

و قد وعدكم بذلك سبحانه و تعالى فى العام الماضى حين خيركم فاخترتم الفداء، و خالف من خالف منكم الآن، فكان ذكر المصيبة التى كان سببها مخالفة ما رتبه صلى الله عليه و سلم بعد ختم الآية التى قبلها بالتذكير بما كانوا عليه من الضلال على ما ترى[1] من البلاغة .

٥ و لما كانت نسبة المصيبة إليهم ربما أوهمت من لم ترسخ قدمه فى المعارف الإلهية أن بعض الأفعال خارج[2] عما مراده تعالى قال[3]: ﴿ و ما أصابكم ﴾ و لما استغرقت الحرب ذلك اليوم نزع الجار فقال: ﴿ يوم التقى الجمعان ﴾ أى [حزب الله -[4]] و حزب الشيطان فى أحد ﴿ فباذن الله ﴾ أى بتمكين من له العظمة الكاملة و قضائه، و إثبات ١٠ أن ذلك باذنه نحو ما ذكر عند التولية يوم التقى الجمعان من نسبة الإحياء و الإماتة إليه .

و لما كان التقدير: ليؤدبكم به، عطف عليه قوله: ﴿ و ليعلم المؤمنين ﴾ أى الصادقين فى إيمانهم . و لما كان تعليق العلم بالشىء على حدته أتم و آكد من تعليقه به مع غيره أعاد العامل[5] لذلك، و إشعارا[6] ١٥ بأن أهل النفاق أسفل رتبة من[7] أن يجتمعوا مع المؤمنين فى شىء فقال: ﴿ و ليعلم الذين نافقوا ﴾ أى علما تقوم[8] به الحجة فى مجارى عاداتكم، و هذا مثل قوله هناك " و ليبتلى الله ما فى صدوركم " - الآية . و عطف

(١) فى ظ : نرى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : خارجا (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : التائل (٦) فى ظ : اشعار (٧) فى ظ : مع .
(٨) فى ظ : يقوم .

على قوله "نافقوا" ما أظهر نفاقهم، أو يكون حالا من فاعل "نافقوا" فقال: ﴿ و قيل لهم تعالوا قاتلوا ﴾ أى أوجدوا[1] القتال ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الذى له الكمال كله بسبب تسهيل طريق الرب الذى شرعه ﴿ او ادفعوا[1] ﴾ أى عن أنفسكم و أحبائكم على عادة الناس لا سيما العرب ﴿ قالوا لو نعلم ﴾ أى نتيقن ﴿ قتالا ﴾ أى أنه يقع قتال ﴿ لا اتبعنكم[1] ﴾ أى لكنه لا[2] يقع فيما نظن[3] قتال و رجعوا.

و لما كان هذا الفعل المسند إلى هذا القول ظاهرا فى نفاقهم ترجمه[3] بقوله: ﴿ هم للكفر يومئذ ﴾ أى يوم إذ كان هذا حالهم ﴿ اقرب منهم للايمان ج ﴾ عند كل من سمع قولهم أو رأى فعلهم، ثم علل ذلك أو استأنف بقوله - معبرا بالأفواه التى منها ما[5] هو أبعد من اللسان لكونهم منافقين، فقولهم إلى أصوات الحيوان[6] أقرب منه إلى كلام الإنسان ذى العقل و اللسان لأنهم -: ﴿ يقولون بافواههم ﴾ و لما أفهم هذا أنه[7] لا يجاوز[8] ألسنتهم فلا حقيقة له و لا ثبات عندهم؛ صرح به فى قوله: ﴿ ما ليس فى قلوبهم[1] ﴾ بل لا شك عندهم فى وقوع القتال، علم الله هذا منهم كما علموه من أنفسهم ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ أعلم ﴾ أى منهم ﴿ بما يكتمون ج ﴾ أى كله لأنه يعلمه قبل كونه و هم لا يعلمونه إلا بعد كونه، و إذا كان نسوه بتطاول[9] / الزمان / ٤٣١

(١) فى ظ: جددوا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: يظن (٤) فى ظ: برحمه. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لما (٦) تكرر فى الأصل (٧) من ظ، و فى الأصل و مد: انهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يجاوزوا (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: تتطاول - كذا.

والله[١] سبحانه وتعالى لا ينساه .

ولما حكى عنهم ما لا يقوله ذو إيمان أتبعه ما لا يتخيله ذو مروة ولا عرفان فقال مبينا للذين نافقوا : ﴿ الذين قالوا لاخوانهم ﴾ أى لأجل إخوانهم والحال أنهم قد أسلموهم ﴿ وقعدوا ﴾ أى عنهم خذلانا لهم ﴿ لو اطاعونا ﴾ أى فى الرجوع ﴿ ما قتلوا ﴾ ولما[٢] كان هذا موجبا للغضب أشار[٣] إليه باعراضه فى قوله : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء الأجانب الذين هم بمنزلة الغيبة عن حضرتى[٤] لما تسبب عن قولهم هذا من ادعاء القدرة على دفع[٥] الموت ﴿ فادرءوا ﴾ أى ادفعوا بعز ومنعة[٦] وميّلوا ﴿ عن انفسكم الموت ﴾ أى حتى لا يصل إليكم أصلا ﴿ ان كنتم صدقين ﴾ أى[٧] فى أن الموت يغنى منه حذر . فقد انتظم الكلام بما قبل الجملة الواعظة أتم انتظام على[٧] أنه قد لاح لك أن ملاءمة[٨] الجمل الواعظة لما قبلها وما بعدها[٩] ليس بدون ملاءمة ما قبلها من صلب القصة لما بعدها[٩] منه .

ولما أزاح سبحانه وتعالى العلل[٩] وشفى الغلل[٩] وختم بأنه لا مفر من القدر ، فلم يبق عند أهل الإيمان إلا ما طبع عليه الإنسان من الأسف على فقد الإخوان ، وكان سرور المفقود يبرد غلة الموجود بشرهم بحياتهم وما نالوه من لذاتهم ؛ ولما كان العرب[١٠] بعيدين[١١] قبل الإسلام

(١) فى ظ و مد : هو (٢) فى ظ : لو (٣) فى ظ : اشارة (٤) فى ظ : حضرو - كذا (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : وقع (٦) فى ظ و مد : بمنعه. (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : اللامة (٩ - ٩) سقطت من ظ (١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : العبد (١١) فى ظ : يعتدين - كذا .

من اعتقاد الحياة بعد الموت خاطب الذى[1] لا ريب فى علمه بذلك إشارة إلى أنه لا يفهمه حق فهمه[2] سواه ، كما أشار إليه قوله فى البقرة " و لكن لا تشعرون[3] " فقال تعالى عاطفا على " قل " محببا فى الجهاد ، إزالة لما بغضه به المنافقون من أنه سبب الموت : ﴿ و لا تحسبن الذين قتلوا ﴾ أى وقع لهم القتل فى هذه الغزوة أو غيرها ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الملك الأعظم ، و الله أعلم ٥ بمن يقتل فى سبيله ﴿ امواتا ط ﴾ [4] أى الآن ﴿ بل ﴾ هم ﴿ احياء ﴾ و بين زيادة شرفهم معبرا عن تقربهم بقوله : ﴿ عند ربهم ﴾ [أى المحسن إليهم فى كل حال ، فكيف فى حال قتلهم فيه حياة ليست كالحياة الدنيوية ! فحقق حياتهم بقوله - [5]] : ﴿ يرزقون لا ﴾ أى رزقا يليق[6] بحياتهم ﴿ فرحين بما اتٰهم الله ﴾ أى الحاوى لجميع الكمال من ذلك ١٠ الفوز الكبير ﴿ من فضله لا ﴾ لأنه لو حاسبهم على أقل نعمة من نعمه لم توف[7] جميع أعمالهم [بها - [5]] لأن أعمالهم من نعمه[8] ، فأعلمنا سبحانه و تعالى بهذا تسلية[9] و حسن تعزية أن لم يفت منهم إلا حياة الكدر التى لا مطمع[10] لأحد فى بقائها و إن طال المدى ، و بقيت لهم

(١) فى ظ : الذين (٢) سقط من ظ (٣) آية ١٥٢ (٤) و نسخة مد من هنا إلى ص ١٢٤ فى غاية الانطماس فلم نقدر على المعارضة بها (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : يقوم (٧) فى ظ : لم يوف (٨) من ظ ، و فى الأصل : نعمة (٩) فى الأصل و ظ : تسيلة - كذا (١٠) من ظ ، و فى الأصل : يطمع .

حياة الصفاء التى لا انفكاك لها و لا آخر لنعيمها بغم يلحقهم و لا فتنة تنالهم و لا حزن يعتريهم و لا دهش يلم بهم فى وقت الحشر و لا غيره، فلا غفلة[1] لهم. فكان ذلك مذهبا لحزن من خلفوه و مرغبا لهم فى الأسباب الموصلة إلى مثل حالهم، و هذا - و الله سبحانه وتعالى أعلم - معنى الشهادة،
٥ أى أنهم ليست لهم حال غيبة، لأن دائم الحياة بلا كدر أصلا كذلك.

و لما ذكر سرورهم بما نالوه ذكر سرورهم بما علموه لمن هو على دينهم فقال: ﴿ و يستبشرون ﴾ أى توجد[2] لهم البشرى وجودا عظيم الثبات حتى كأنهم يوجدونها كلما[3] أرادوا ﴿ بالذين لم يلحقوا بهم ﴾ أى فى الشهادة فى هذه الغزوة. ثم بين ذلك بقوله: ﴿ من خلفهم ﴾ أى فى الدنيا.
١٠ ثم بين المبشر به فقال: ﴿ الاّ خوف عليهم ﴾ أى على إخوانهم فى آخرتهم ﴿ و لا هم يحزنون ﴾ أى أصلا، لأنه لا يفقد منه شىء، بل هم كل لحظة فى زيادة، و هذا أعظم البشرى لمن تركوا على مثل حالهم من المؤمنين، لأنهم يلحقونهم[4] فى مثل ذلك، لأن السبب واحد، و هو منحة[5] الله [لهم -[6]] بالقتل فيه، أو مطلق الإيمان لمطلق ما هم فيه من السعادة بغير
١٥ قيد الشهادة.

و لما ذكر سرورهم لأنفسهم تارة و لإخوانهم أخرى كرره تعظيما له و إعلاما بأنه فى الحقيقة عن غير استحقاق، و إنما هو مجرد مَنّ فقال: ﴿ يستبشرون بنعمة من الله ﴾ أى ذى الجلال و الإكرام، كبيرة

(١) من ظ، و فى الأصل: عقل (٢) من ظ، و فى الأصل: توخذ (٣) فى ظ: فلما (٤) فى ظ: يلحقونه (٥) فى ظ: متجه (٦) زيد من ظ.

﴿ و فضل ﴾ أى منه عظيم ﴿ و ان الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا يقدره[1] أحد حق قدره ﴿ لا يضيع اجر المؤمنين ﴾ أى منهم و من غيرهم[2]، بل يوفيهم أجرهم على أعمالهم و يفضل عليهم، و لو شاء لحاسبهم على سبيل العدل، و لو فعل ذلك لم يكن لهم شيء.

و لما ذم المنافقين برجوعهم من غير أن يصيبهم قرح، و مدح أحوال الشهداء ترغيبا / فى الشهادة، و أحوال من كان على مثل حالهم ترغيبا فى النسج على منوالهم[3]، و ختم بتعليق السعادة بوصف الإيمان[4]؛ أخذ يذكر ما أثمر لهم إيمانهم من المبادرة إلى الإجابة إلى ما يهديهم[5] إليه صلى الله عليه و سلم إشارة إلى أنه لم يحمل على التخلف عن أمره من غير عذر إلا صريح النفاق فقال: ﴿ الذين استجابوا ﴾ أى أوجدوا[6] الإجابة فى الجهاد إيجادا مؤكدا محققا ثابتا بما عندهم من خالص الإيمان ﴿ لله و الرسول ﴾ أى لا لغرض مغنم و لا غيره، ثم عظم صدقهم بقوله - مثبتا الجار لإرادة ما يأتى من إحدى الغزوتين، لا استغراق ما بعد الزمان -: ﴿ من بعد ما اصابهم القرح ﴾.

و لما كان تعليق الأحكام بالأوصاف[7] حاملا على التحلى بها عند المدح قال سبحانه و تعالى: ﴿ للذين احسنوا[8] ﴾ و عبر بما يصلح للبيان

(١) من ظ، و فى الأصل: لا يقدر (٢) فى ظ: غيره (٣) من ظ، و فى الأصل: سوالهم (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: بيديهم (٦) فى ظ: وجدوا. (٧) من ظ، و فى الأصل: بالاذعان (٨) زيد فى الأصل بعده: منهم. و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

و البعض ليدوم رغبهم و رهبهم فقال : ﴿ منهم و اتقوا اجر عظيم ﴾
و هذه الآيات من تتمة هذه القصة سواء قلنا : إنها إشارة إلى غزوة حمراء
الأسد ، أو[1] غزوة بدر الموعد ، فان الوعد كان يوم أحد ـ و الله الهادى ؛
و مما يجب التنبيه له أن البيضاوى قال تبعا للزمخشرى : إن النبى صلى الله
٥ عليه و سلم خرج إلى بدر الموعد فى سبعين راكبا ، و فى تفسير البغوى
أن ذلك كان فى حمراء الأسد . فان حمل على أن الركبان من الجيش كان
ذلك عددهم [و ـ[2]] أن الباقين كانوا مشاة فلعله ، و إلا فليس كذلك ،
و[3] أما فى حمراء الأسد فان النبى صلى الله عليه و سلم بلغه أن المشركين
هموا بعد انفصالهم من أحد بالرجوع ، فأراد[3] أن يرهبهم[4] و أن[3] يريهم
١٠ من نفسه و أصحابه قوة ، فنادى مناديه يوم الأحد ـ الغد[5] من يوم أحد[6] ـ
بطلب العدو ، و أن لا يخرج معه إلا من كان حاضرا معه بالأمس ،
فأجابوا بالسمع و الطاعة ، فخرج فى[7] أثرهم و استعمل على المدينة
ابن أم مكتوم ، و لا يشك[8] فى أنهم أجابوا كلهم ، و لم يتخلف[9] منهم أحد ،
و قد كانوا فى أحد نحو سبعمائة و لم يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٥ فى الخروج معه لأحد [لم ـ[2]] يشهد القتال يوم أحد ، و استأذنه[10]
رجال لم يشهدوها فمنعهم إلا ما كان من جابر بن عبد الله رضى الله عنهما

(١) فى ظ « و » (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : يزلهم ـ كذا (٥) فى ظ : الغزو (٦) فى ظ : الاحد (٧) من ظ ، و فى الأصل : عن (٨) فى ظ : لا يسهل (٩) من ظ ، و فى الأصل : لم يخالف (١٠) من ظ ، و فى الأصل : استاذن .

فانه أذن له لعلة[1] ذكرها فى التخلف عن أحد محمودة[2] . قال الواقدى : و دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم بلوائه و هو معقود لم يحل من الأمس ، فدفعه إلى على رضى الله عنه ، و يقال : [إلى -[3]] أبى بكر رضى الله عنه ، و خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و رأسه مشجوج[4] و هو مجروح[5] ، فى وجهه أثر الحلقتين ، و مشجوج فى جبهته فى أصول الشعر ، و رباعيته قد سقطت[6] ، و شفته قد كلمت من باطنها و هو متوهن[7] منكبه الأيمن بضربة[8] ابن قميئة ، و ركبتاه[9] مجحوشتان - بأبى هو[10] و أمى و وجهى و عينى ! فدخل رسول الله صلى الله عليه و سلم المسجد فركع ركعتين و الناس قد حشدوا ، و نزل أهل العوالى حيث جاءهم الصريخ ، ثم ركع رسول الله صلى الله عليه و سلم ركعتين ، فدعا بفرسه على باب المسجد ، و تلقاه طلحة رضى الله عنه و قد سمع المنادى فخرج ينظر متى[11] يسير ، فاذا رسول الله صلى الله عليه و سلم عليه الدرع و المغفر و ما يرى منه إلا عيناه فقال : يا طلحة سلاحك ! قال : قلت : قريب ، قال[12] : [فأخرج -[3]] ، أعد و فألبس[13] درعى [14] و لأنا أهم[14] بجراح رسول الله صلى الله عليه و سلم

(١) إلى هنا انتهى الانطماس من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : محموده .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) فى مد : مسحوح - كذا (٥) فى ظ : بمجروح .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : شطبت (٧) فى ظ : متمكن (٨) سقط من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : ركبتاها (١٠) سقط من ظ .
(١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اين (١٢) زيد فى المغازى : طلحة (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : البس (١٤-١٤) فى ظ : ولا اتاهم .

منى بجراحى ، ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم على طلحة فقال : أين ترى القوم الآن ؟ قال : هم بالسيالة[١] ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [٢]ذلك الذى ظننت ! أما إنهم يا طلحة لن ينالوا منا مثل أمس حتى يفتح الله مكة علينا ! و مضى رسول الله صلى الله عليه و سلم[٢] فى أصحابه حتى عسكر بحمراء الأسد ، قال جابر رضى الله عنه : و كان عامة زادنا التمر ، و حمل سعد[٣] بن عبادة رضى الله عنه ثلاثين بعيرا حتى وافت الحمراء ، و ساق جزورا فنحروا فى يوم اثنين[٤] و فى يوم ثلاثاء ، و كان / رسول الله صلى الله عليه و سلم يأمرهم [٥]فى النهار[٥] [٦]بجمع الحطب[٦] ، فاذا أمسوا أمر أن توقد النيران ، فيوقد كل رجل نارا ، فلقد كنا تلك الليالى نوقد خمسمائة نار حتى نرى[٧] من المكان البعيد ، و ذهب ذكر معسكرنا و نيراننا فى كل وجه حتى كان ما كبت الله به عدونا . فهذا ظاهر فى أنهم كانوا خمسمائة رجل - و الله أعلم - و يؤيد ذلك ما نقل من أخبار المثقلين[٨] بالجراح - قال الواقدى : جاء سعد بن معاذ رضى الله عنه و الجراح فى الناس فاشية ، عامة بنى عبد الأشهل[٩] جريح ، بل كلهم[١٠] - رضى الله عنهم ! فقال : إن رسول الله صلى الله عليه و سلم

/٤٣٣

(١) قيل : هى أول مرحلة لأهل المدينة إذا أرادوا مكة ، كما فى معجم البلدان .
(٢-٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : سعيد (٤) من المغازى ١/٣٣٨ ، و فى الأصول : ثنتين (٥-٥) من ظ و مد و المغازى ، و فى الأصل : بالنهار (٦-٦) فى ظ : بالحطب (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يرى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المتعلمين - كذا (٩) فى ظ : الاسهل (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : علمهم .

يأمركم

يأمركم أن تطلبوا عدوكم ، قال : يقول أسيد بن حضير[1] رضى الله عنه و به سبع جراحات و هو يريد أن يداويها : سمعا و طاعة لله و لرسوله ! [2] فأخذ سلاحه و لم يعرج على دواء[3] جراحه و لحق برسول الله صلى الله عليه و سلم ؛ و جاء سعد بن عبادة رضى الله عنه قومه بنى ساعدة فأمرهم بالمسير ، فلبسوا و لحقوا ؛ و جاء أبو قتادة رضى الله عنه أهل خربى ٥ و هم يداوون الجراح فقال : هذا منادى[4] رسول الله صلى الله عليه و سلم يأمركم بطلب العدو ، فوثبوا إلى سلاحهم و ما عرجوا على جراحاتهم - رضى الله عنهم ! فخرج من بنى سلمة رضى الله عنهم أربعون جريحا ، و بالطفيل بن النعمان رضى الله عنه ثلاثة عشر جرحا ، و بقطبة[5] بن عامر بن حديدة رضى الله عنه تسع جراحات حتى وافوا[6] النبى صلى الله ١٠ عليه و سلم ببئر[7] أبى عتبة[8] إلى رأس الثنية[9] عليهم السلاح ، قد صفوا[10] لرسول الله صلى الله عليه و سلم ، فلما نظر إليهم و الجراح فيهم فاشية قال : اللهم ارحم بنى سلمة ! و حدث[11] ابن إسحاق و الواقدى أن عبد الله ابن سهل و رافع بن سهل رضى الله عنهما كان بهما[12] جراح كثيرة[13] ،

(١) فى ظ : جبير (٢) العبارة من هنا إلى « عليه و سلم » الآتى سقطت من مد .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : داء (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينادى .
(٥) من الإصابة ٥/٢٤٢ ، و فى الأصل : يقطبة ، و فى ظ و مد : بعتبة (٦) فى ظ : واخوا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بير (٨) فى ظ و مد : ابى عيينة .
(٩) فى ظ : النبه (١٠) فى ظ : صبوا (١١) فى ظ : حديث (١٢) فى ظ : بهم (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : كبيرة .

فلما بلغهما النداء قال أحدهما لصاحبه : و الله[١] إن تركنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه و سلم لغَبَنٌ[٢] و الله ما عندنا دابة نركبها[٣] و ما ندرى كيف نصنع[٤] ! قال عبد الله : انطلق بنا ، قال رافع : لا و الله[٥] ما بى مشى[٥] ! قال أخوه : انطلق بنا[٦] نتجارّ[٧] ، فخرجا يزحفان[٨] ، فضعف رافع فكان عبد الله يحمله على ظهره عقبة و يمشى الآخر عقبة حتى أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم عند العشاء و هم يوقدون النيران ، فأتى[٩] بهما رسول الله صلى الله عليه و سلم و على حرسه تلك الليلة عباد ابن [١٠]بشر فقال[١٠] : ما حبسكما ؟ فأخبراه بعلتهما ، فدعا لهما بخير[١١] و قال : إن طالت بكم مدة كانت لكم مراكب من خيل [و بغال -[١٢]] و إبل ، و ليس ذلك بخير لكم . و أما غزوة بدر الموعد[١٣] فروى الواقدى - و[١٤]من طريقه[١٥] الحاكم فى الإكليل - كما حكاه ابن سيد الناس قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد خرج فى هذه الغزوة فى ألف و خمسمائة من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل اية (٢) من ظ و مد و المغازى ١/ ٣٣٥ ، و فى الأصل : لعين - كذا (٣) من مد ، و فى الأصل : تركتها ، و فى ظ : تركها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يصنع (٥-٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : يا بنى - كذا . (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد - أى يجر أحدنا الآخر ، و فى الأصل : بتجار (٨) فى ظ و مد : يرجفان (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : قال . (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بشير قال (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بحيرة (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) فى ظ : الموعود (١٤) سقطت الواو من ظ (١٥) من مد ، و فى الأصل : طريقة ، و فى ظ : طريق .

أصحابه رضى الله عنهم ، و كانت لخيل عشرة ، قال[1] الواقدى : و أقبل رجل من بنى ضمرة يقال له مخشى[2] بن عمرو فقال و الناس مجتمعون فى سوقهم و أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم[3] أكثر أهل الموسم : يا محمد ! لقد أخبرنا أنه لم يبق منكم [أحد -[4]] ، فما أعلمكم إلا أهل الموسم ! فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم - ليرفع ذلك إلى عدوه : ما أخرجنا ٥ إلا موعد أبى سفيان و قتال عدونا ، و إن شئت مع ذلك نبذنا إليك و إلى قومك العهد ثم جالدناكم قبل أن نبرح[5] من منزلنا هذا ، فقال الضمرى : بل نكف[6] أيدينا عنكم و نتمسك بحلفك[7] .

و لما كان قول نعيم بن مسعود أو ركب عبد القيس عند الصحابة رضى الله عنهم صدقا لا شك فيه لما قام عندهم من القرائن ، فكان بمنزلة ١٠ المتواتر الذى تمالأ عليه الخلائق ، و كانت قريش أعلى الناس شجاعة و أوفاهم قوة و أعرقهم[8] إصالة فكانوا كأنهم جميع الناس ، كان التعبير - بصيغة العموم فى قوله : ﴿ الذين قال لهم الناس ﴾ أى نعيم أو ركب عبد القيس ﴿ ان الناس ﴾ يعنى قريشا ﴿ قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ - أمدحَ للصحابة رضى الله عنهم من التعبير عمن أخبرهم و من جمع لهم ١٥ بخاص اسمه / أو وصفه . / ٤٣٤

(١) فى ظ : و قال (٢) فى ظ : بخشى (٣) العبارة من هنا إلى « عليه وسلم » سقطت من ظ (٤) زيد من مد و كتاب المغازى للواقدى ١ / ٣٨٨ (٥) من ظ و مد و المغازى ، و فى الأصل : يبرح (٦) من مد و المغازى ، و فى الأصل و ظ : يكف . (٧) من ظ و مد و المغازى ، و فى الأصل : بخلقك (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : اعرفهم .

و لما كان الموجب لإقدامهم على اللقاء بعد هذا القول الذى لم يشكوا فى صدقه ثبات الإيمان و قوة الإيقان قال تعالى : ﴿ فزادهم ﴾ أى هذا القول ﴿ ايمانا ﴾ [1]لأنه ما ثناهم[1] عن طاعة الله و رسوله ﴿و قالوا ﴾ ازدراء بالخلائق اعتمادا[2] على الخالق ﴿ حسبنا ﴾[3] أى كافينا[3] ﴿ الله ﴾ [أى الملك الأعلى -[4]] فى القيام بمصالحنا . و لما كان ذلك هو شأن الوكيل و كان فى الوكلاء[5] من يـذم قال : ﴿ و نعم الوكيل ﴾ [أى الموكول[6] إليه المفوض إليه جميع الأمور ؛ روى البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : هذه الكلمة قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار ، و قالها[7] محمد صلى الله عليه و سلم حين قالوا : إن الناس قد جمعوا لكم . و[8] قال : كان آخر كلمة قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار : حسبى الله و نعم الوكيل[8] .

و لما كان اعتمادهم على الله سببا لفلاحهم[9] قال -[4]] ﴿ فانقلبوا ﴾ أى فكان ذلك سببا لأنهم انقلبوا ، أى من الوجه[10] الذى ذهبوا فيه مع النبى صلى الله عليه و سلم ﴿ بنعمة ﴾ و عظمها باضافتها إلى الاسم الأعظم فقال : ﴿ من الله ﴾ [أى الذى له الكمال كله -[4]] ﴿و فضل ﴾

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى ما تباهم (٢) فى ظ و مد : بالاعتماد .
(٣-٣) سقط من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) فى ظ : الكلام.
(٦) من مد ، و فى ظ : الموكل (٧) من مد ، و فى ظ و قال (٨) سقط من ظ (٩) من مد ، و فى ظ : لعلاجهم - كذا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : الوقة .

أى من الدنيا[1] ما طاب لهم من طيب الثناء بصدق الوعد و مضاء العزم و عظيم[2] الفناء و الجرأة إلى ما نالوه عند ربهم حال كونهم ﴿لم يمسسهم سوء[3] ﴾ أى من العدو الذى خوفوه[3] و لا غيره ﴿واتبعوا﴾ أى مع ذلك بطاعتهم لرسول الله صلى الله عليه و سلم بغاية[4] جهدهم ﴿رضوان الله ط﴾ [أى الذى له الجلال و الجمال - [5]] فحازوا أعظم فضله ٥ ﴿و الله﴾ [أى الذى لا كفوء له - [5]] ﴿ذو فضل عظيم[5]﴾ أى فى الدارين على من يرضيه، فستنظرون[6] فوق ما تؤملون[7]، فليبشر المجيب و يغتم[8] و يحزن المختلف، و لعظم الأمر كرر الاسم الأعظم كثيرا.

و لما جزاهم سبحانه على أمثال[9] ذلك بما وقع لهم من فوزهم بالسلامة و الغنيمة بفضل من حاز أوصاف الكمال و تنزه عن كل نقص بما له من ١٠ رداء الكبرياء و الجلال، و رغبهم فيما لديه لتوليهم إياه، أتبع ذلك بما يزيدهم بصيرة من[10] أن المخوف لهم مَنْ كيده[11] ضعيف و أمره هين خفيف وإن سخيف و هو الشيطان، و ساق ذلك مساق التعليل[12] لما قبله من حيازتهم[13] للفضل و بعدهم عن السوء بأن وليهم الله و عدوهم

(١) زيد بعده فى الأصل: مع، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: و عظم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: حرفوه (٤) فى ظ: لغاية (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) من مد، و فى الأصل: فسينظرون، و فى ظ: فسيظهرون (٧) فى ظ: يوملون (٨) سقط من ظ. (٩) فى ظ: امتثال (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: مع (١١) فى ظ: كيدهم (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: العلل (١٣) فى ظ: حازتهم.

الشيطان فقال [التفاتا إليهم بزيادة فى تنشيطهم أو تشجيعهم و تثبيتهم -[1]] : ﴿ انما ذلكم ﴾ أى القائل الذى تقدم أنه الناس ﴿ الشيطن ﴾ أى الطريد[2] البعيد المحترق .

و لما نسب القول إليه[3] لأنه الذى زينه لهم حتى أشربته القلوب[4] و امتلأت به الصدور ، كان كأنه قيل : فما ذا عساه يصنع ؟ فقال : ﴿ يخوف ﴾ أى يخوفكم ﴿ اولياءه ص ﴾ لكنه أسقط المفعول الأول إشارة إلى أن تخويفه يؤول إلى خوف أوليائه ، لأن أولياء الرحمن إذا ثبتوا لأجله أنجز لهم ما وعدهم من النصرة على أولياء الشيطان ، و إلى أن من خاف من تخويفه و عمل بموجب خوفه ففيه ولاية له[3] تصحح[5] إضافته إليه قلت أو كثرت .

و لما كان المعنى أنه يشوش[6] بالخوف من أوليائه ، تسبب عنه[7] النهى عن خوفهم فقال : ﴿ فلا تخافوهم ﴾ أى لأن وليهم الشيطان ﴿ و خافون ﴾ أى فلا تعصوا[7] أمرى و لا تتخلفوا أبدا عن رسولى ﴿ ان كنتم مؤمنين ه ﴾ أى مباعدين[8] لأولياء الشيطان بوصف الإيمان .

و لما مدح سبحانه و تعالى المسارعين فى طاعته و طاعة رسوله صلى الله عليه و سلم و ختم ذلك بالنهى عن الخوف من أولياء الشيطان ،

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى ظ : المطريق (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد بعده فى الأصل : و جعلته النفوس ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) فى ظ : يصحح (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يومن (٧) فى ظ و مد : عن (٧) فى ظ : فلا تفضوا (٨) فى ظ : متباعدين .

أعقبه بذم المسارعين [١]فى الكفر[١] و النهى عن الحزن من أجلهم .

و لما كان[٢] أكثر الناس - كالمنافقين الراجعين عن أحد ، ثم المقاتلين القائلين : هل لنا من الأمر من شيء - أرجفوا[٣] إلى[٤] أبى عامر و عبد الله ابن أبى لأخذ الأمان من أبى سفيان ، ثم ركب عبد القيس أو نعيم بن مسعود ، ثم من استجاب من أهل المدينة و أرجف بما قالوا [٥]فى ثبط[٥] المؤمنين ، و كان ذلك مما يخطر بالبال تمادىَ أيام الكفر و أهله غالِبَين ، و يقدح فى رجاء قصر مدته ، و يوجب الحزن على ذلك ؛ قال تعالى قاصرا الخطاب على أعظم الخلق و أشفقهم[٦] و أحبهم فى صلاحهم : ﴿ و لا يحزنك الذين يسارعون ﴾ أى يسرعون إسراع من يسابق خصما ﴿ فى الكفر ج ﴾ ثم[٤] علل ذلك بقوله : ﴿ انهم لن يضروا الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ شيئا ط ﴾ أى دينه باذلال أنصاره و القائمين به ، و حذف المضاف تفخيما له و ترغيبا فيه[٧] حيث جعله هو المضاف إليه .

و لما نفى ما خيف من أمرهم كان مظنة السؤال عن الحامل لهم على[٨] المسارعة فقيل / جوابا : ﴿ يريد الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ الاّ يجعل لهم حظا ﴾ أى نصيبا ﴿ فى الآخرة ج ﴾ و لما كانت المسارعة فى ذلك عظيمة ختمت الآية بقوله : ﴿ و لهم عذاب عظيم ه ﴾ قد عم[٩]

/ ٤٣٥

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالكفر (٢) فى الأصول : كانوا .
(٣) من ظ ، و فى الأصل و مد : ارجعوا (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل : و نتط ، و فى ظ : و ببظ - كذا (٦) فى ظ : اسفقهم .
(٧) فى ظ : عنه (٨) فى ظ : من (٩) فى ظ : هم .

جميع ذواتهم ، لأن المسارعة دلت على أن الكفر قد ملأ[١] أبدانهم و نفوسهم و أرواحهم .

و لما كان قبول نعيم و ركب عبد القيس لذلك الجعل الذى هو من أسباب الكفر شرى الكفر[٢] بالإيمان عقب[٣] بقوله : ﴿ ان الذين اشتروا الكفر ﴾ أى فأخذوه ﴿ بالايمان ﴾ أى فتركوه ، و أكد نفى[٤] الضرر و أبده[٥] فقال : ﴿ لن يضروا الله ﴾ أى الذى لا كفوء له ﴿ شيئا ج ﴾ لما يريد سبحانه و تعالى من الإعلاء للاسلام[٦] و أهله ، و ختمها بقوله : ﴿ و لهم عذاب اليم ه ﴾ لما نالوه من لذة العوض فى ذلك الشرى كما هى[٧] العادة فى كل متجدد من الأرباح[٨] و الفوائد .

و لما كان مما اشترى به[٩] الكفر رجوع المنافقين عن أحد الذى كان سببا للاملاء لهم قال سبحانه و تعالى : ﴿ و لا يحسبن[١٠] الذين كفروآ ﴾ أى بالله و رسوله ﴿ آنما نملى ﴾ أى أن إملاءنا أى إمهالنا و إطالتنا ﴿ لهم خير لانفسهم ط ﴾ و لما نفى عنهم الخير بهذا النهى تشوفت النفس إلى ما لهم فقال : ﴿ انما نملى لهم ﴾ أى استدراجا ﴿ ليزدادوآ اثما ج ﴾ و هو جميع ما سبق العلم الأزلى بأنهم يفعلونه ، فاذا بلغ النهاية أوجب

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مال (٢) من ظ ، و فى الأصل و مد : للكفر (٣) من مد ، و فى الأصل : عقيب ، و فى ظ : عقبت (٤) فى ظ : نفس (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابده (٦) فى ظ : الى الاسلام . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٨) فى ظ : الارباح (٩) سقط من ظ . (١٠) فى ظ : لا تحسبن .

الأخذ . و لما كان [1] الرجوع المسفر عن السلامة مظنة لعزمهم فى هذه الدار الفانية عند من ظن حسن ذلك الرأى؛ عوضوا عنه الإهانة الدائمة فقال سبحانه و تعالى: ﴿ و لهم عذاب مهين ﴾ .

و لما كان مطلق المسارعة أعم مما [2] بالعوض ، و هو [3] أعم مما بالرجوع ، جاء نظم الآيات على ذاك ؛ و لما كشفت هذه الوقعة [4] جملة من المغيبات [5] من أعظمها [6] تمييز المخلص [6] فعلا أو قولا من غيره ، أخبر تعالى أن ذلك من أسرارها على وجه يشير إلى النعى على المنافقين بتأخيرهم أنفسهم [7] بالرجوع و غيره فقال مشيرا بخطاب الأتباع إلى مزيد علمه صلى الله عليه و سلم و علو درجته لديه و عظيم قربه [8] منه سبحانه و تعالى: ﴿ ما كان الله ﴾ أى مع ما له من صفات الكمال .

و لما [كان - [9]] ترك التمييز غير محمود ، عبر بفعل الوذر [10] ، و أظهر موضع الإضمار لإظهار [11] شرف الوصف تعظيما لأهله فقال: ﴿ ليذر المؤمنين ﴾ أى الثابتين فى وصف الإيمان ﴿ على ما أنتم عليه ﴾ من الاختلاط بالمنافقين [12] و من قاربهم من الذين آمنوا على حال الإشكال

(١) العبارة من هنا إلى "عذاب مهين" سقطت من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الواقعة (٥) فى ظ : المعينات (٦ - ٦) فى ظ : تصير الخلص . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : انصبهم (٨) فى ظ : قربته (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : الورد (١١) سقط من ظ و مد . (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المنافقين .

للاقتناع بدعوى اللسان دليلا على[1] الإيمان ﴿حتى يميز الخبيث من الطيب ط﴾ بأن يفضح المبطل و[2]إن طال[2] ستره بتكاليف شاقة و أحوال شديدة، لا يصبر عليها إلا الخلص[3] من العباد، المخلصون فى الاعتقاد ﴿و ما كان الله﴾ لاختصاصه بعلم الغيب ﴿ليطلعكم على الغيب﴾ ٥ [أى -[4]] و هو الذى لم يبرز إلى عالم الشهادة [بوجه -[4]] لتعلموا به[5] الذى فى قلوبهم مع احتمال أن يكون الرجوع للعلة التى ذكروها فى الظاهر و القول لشدة الأسف على إخوانهم[6] ﴿و لكن الله﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿يجتبى﴾ أى يختار اختيارا بليغا ﴿من رسله من يشآء ص﴾ أى فيخبر على ألسنتهم بما يريد من المغيبات كما أخبر أنهم برجوعهم[7] ١٠ للكفر أقرب منهم للايمان، و أنهم يقولون بأفواههم[8] ما ليس فى قلوبهم[8]. و لما تسبب عن هذا وجوب الإيمان به قال: ﴿فآمنوا بالله﴾ أى فى أنه عالم الغيب و الشهادة، له الأسماء الحسنى ﴿و رسله ج﴾ فى أنه أرسلهم و فى أنهم صادقون فى كل ما يخبرون[9] به عنه.

و لما كان التقدير: فانكم إن لم تؤمنوا كان لكم ما تقدم من العذاب ١٥ [10]العظيم الأليم[10] المهين، عطف عليه قوله: ﴿و ان تؤمنوا﴾ أى بالله

(١) زيد بعده فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لما كان (٣) فى ظ: الخالص (٤) زيد من ظ و مد. (٥) فى ظ: انه (٦) فى ظ: احوالهم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يرجوا عنهم (٨ - ٨) سقط من ظ و مد (٩) فى ظ: تخبرون (١٠-١٠) فى ظ: الاليم العظيم.

و رسله ﴿ و تتقوا ﴾ أى بالمداومة على الإيمان و ما يقتضيه من العمل الصالح ﴿ فلكم اجر عظيم ﴾ أى منه أنه لا يضركم كيد أعدائكم شيئا كما تقدم وعدكم به .

و لما كان من جملة مبانى[1] السورة الإنفاق[2]، و تقدم فى غير آية مدح المتقين به و حثهم[3] عليه، و تقدم[4] أن الكفار سارعوا فى الكفر: أبو سفيان بالإنفاق / فى سبيل الشيطان على من يخذل الصحابة، و نعيم أو عبد القيس بالسعى فى ذلك. و كان المبادرون إلى الجهاد قد تضمن فعلهم السماح بما آتاهم الله من الأنفس و الأموال، و كان الله سبحانه و تعالى قد أخبر بما لهم عنده من الحياة التى هى خير من حياتهم التى أذهبوها فى حبه، و الرزق الذى هو أفضل مما أنفقوا فى سبيله؛ ذم الله سبحانه و تعالى الباخلين بالأنفس و الأموال فى سبيل الله فقال رادا[5] الخطاب إليه صلى الله عليه و سلم لأنه أمكن لسروره و أوثق فى إنجاز الوعد: ﴿ و لا تحسبن ﴾ أى أنت يا خير البرية - هذا على قراءة حمزة، و عند الباقين[6] الفاعل الموصول فى قوله: ﴿ الذين يبخلون ﴾ أى عن الحقوق الشرعية ﴿ بما[7] اتهم الله ﴾ أى بجلاله و عز كماله[8] ﴿ من فضله ﴾ أى لا لاستحقاقهم له ببخلهم[9] ﴿ هو خيرا لهم ط ﴾ أى لتثمير[10] المال بذلك

٤٣٦ /

(١) فى ظ: مثانى (٢) فى ظ: بالاتفاق (٣) فى ظ: حثم (٤) زيد بعده فى الأصل: و عدكم به، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من مد، و فى الأصل: راد، و فى ظ: ولادا - كذا (٦) بالياء التحتية: و لا يحسبن - كما فى مصاحفنا المتداولة (٧) فى ظ. ما (٨) فى ظ: جلاله (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: بخلهم (١٠) من مد، و فى الأصل: ليتميزهم، و فى ظ: ليتميزوا.

﴿ بل هو ﴾ أى البخل ﴿ شر لهم ط ﴾ لأنهم مع جعل الله البخل مَتلفة لأموالهم ﴿ سيطوقون ﴾ أى بفعل من يأمره بذلك كائنا من كان بغاية السهولة عليه ﴿ ما بخلوا به ﴾ أى يجعل لهم بوعد صادق لا خلف فيه بعد الإملاء لهم طوقا بأن يجعله[1] شجاعا أى حية[2] عظيمة مهولة[3]، تلزم الإنسان منهم، محيطة بعنقه. تضربه فى جانبى وجهه ﴿ يوم القيٰمة ط ﴾ لأن الله سبحانه و تعالى يرثه منهم بعد أن كان خوّلهم فيه، فيجعله بسبب ذلك التخويل[4] عذابا عليهم[5]، روى البخارى رضى الله تعالى عنه فى التفسير عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله[6] شجاعا أقرع، له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه - يعنى بشدقيه[7] - يقول: أنا مالك! أنا كنزك!» - ثم تلا هذه الآية.

و لما كان هذا طلبا منهم للانفاق، و كان الطالب منا محتاجا إلى ما يطلبه، و كان ذو المال إذا علم أنه ذاهب و أن ماله موروث عنه تصرف فيه؛ أخبر تعالى بغناه على وجه يحرّضهم على الإنفاق فقال عاطفا على ما تقديره: لأنه ثمرة كونه من فضله فلله كل ما فى أيديهم: ﴿ و لله ﴾ أى الذى له[8] الكمال كله ﴿ ميراث السمٰوٰت و الارض ط ﴾ أى اللذين[9] هذا مما فيهما، بأن يعيد سبحانه و تعالى جميع الأحياء و إن

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: يجعل (٢) فى ظ: حنه (٣) فى ظ: مهوله.
(٤) فى ظ و مد: التحويل، و زيد فى ظ بعده: بل (٥) فى ظ: اليما (٦) فى ظ: مالا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: شدقيه (٨) سقط من ظ (٩) من مد، و فى الأصل: الذين، و فى ظ: الذى.

أملى لهم ، و يفنى سائر ما وهبهم من الأعراض ، و يكون هو الوارث لذلك كله .

و لما كانت هذه الجمل فى الإخبار عن المغيبات دنيا و أخرى ، و كان البخل من الأفعال الباطنة التى يستطاع[1] إخفاؤها و دعوى الاتصاف بضدها كان الختم بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى الملك الأعظم . و لما كان منصب النبى صلى الله عليه و سلم الشريف فى غاية النزاهة صرف الخطاب إلى الأتباع فى قراءة غير ابن كثير و أبى عمرو[2] ، و هو أبلغ فى الوعيد من تركه على مقتضى السياق من الغيبة فى قراءتهما ، و قدم الجار إشارة إلى أن علمه بأعمالهم بالغ إلى حد لا تدرك[3] عظمته لأن ذلك أبلغ فى الوعيد الذى اقتضاه السياق : ﴿ بما تعملون خبير ﴾

و لما كان العمل شاملا لتصرفات الجوارح كلها من القلب و اللسان و سائر الأركان قال[4] - دالا على خبره بسماع[5] ما قالوه متجاوزين وهدة البخل[6] إلى حضيض القبح[7] مريدين التشكيك لأهل الإسلام بما يوردونه من الشبه قياسا على ما يعرفونه من أنفسهم من أنه - كما تقدم - [8] لا يطلب[8] إلا محتاج - : ﴿ لقد سمع الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال ﴿ قول الذين قالوآ ﴾ [أى -[9]] من اليهود ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ فقير ﴾

(١) فى ظ : تستطاع (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : ابى عمر (٣) فى ظ : لا يدرك (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : السماع (٦) فى ظ : سحل - كذا . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : القبيح (٨-٨) فى ظ : يطالب (٩) زيد من ظ و مد .

أى لطلبه القرض[١] ﴿ و نحن اغنياء[٢] ﴾ لكونه يطلب منا ، و هذا رجوع منه سبحانه و تعالى إلى [٢]إتمام ما نبه[٢] عليه قبل هذه القصة من بغض أهل الكتاب لأهل هذا الدين و حسدهم لهم و إرادة تشكيكهم فيه للرجوع عنه على أسنى المناهج[٣] و أعلى الأساليب .

٥ و لما تشوفت النفوس إلى جزائهم على هذه العظيمة ، و كانت الملوك إذا علمت انتقاص أحدها و هى قادرة عاجلته لما عندها من نقص الأذى بالغيظ قال سبحانه و تعالى / مهددا لهم مشيرا إلى أنه على غير ذلك : ٤٣٧/
﴿ سنكتب ﴾ أى على عظمتنا لإقامة الحجة عليهم على ما يتعارفونه فى الدنيا ﴿ ما قالوا ﴾ أى من هذا الكفر و أمثاله ، و السين للتأكيد ، و يجوز
١٠ أن تكون[٤] على بابها من المهلة للحث على التوبة [٥]قبل ختم[٥] رتب الشهادة ، و سيأتى فى الزخرف له مزيد بيان .

و لما كان هذا اجتراء على الخالق أتبعه اجتراءهم على أشرف الخلائق فقال - مشيرا باضافة[٦] المصدر إلى ضميرهم ، و بجمع التكسير الدال على الكثير إلى أنهم أشد[٧] الناس تمردا و تمرنا[٨] على ارتكاب العظائم ، و أن
١٥ الاجتراء على أعظم أنواع الكفر[١] قد صار لهم خلقا - : ﴿ و قتلهم الانبياء ﴾

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ : تمام منانسبة - كذا (٣) فى ظ و مد : المناهيج ، و فى الأصل : المناجيح (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يكون (٥-٥) سقط من ظ ، و زيد بعده فى الأصل : الأمر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٦) فى ظ : باضافته (٧) سقط من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تمريا .

أى الذين أقناهم فيهم لتجديد ما أوهوه من بنيان دينهم، و لما لم يكن فى[1] قتلهم شبهة أصلا قال: ﴿ بغير حق[1] ﴾ فهو[2] أعظم ذما مما قبله من التعبير بالفعل المضارع فى قوله "و يقتلون الانبياء بغير حق[3]". ثم عطف على قوله «سنكتب» قوله: ﴿و نقول﴾ أى بما لنا من الجلال ﴿ذوقوا﴾ أى بما نمسكم[4] به من المصائب فى الدنيا و العقاب[5] فى الأخرى كما كنتم ٥ تذوقون الأطعمة التى كنتم تبخلون بها[1] فلا تؤدون حقوقها ﴿عذاب الحريق ۝﴾[6] جزاء على ما أحرقتم به[7] قلوب عبادنا، ثم بين السبب فيه بقوله: ﴿ذلك﴾ أى العذاب العظيم ﴿بما قدمت ايديكم﴾ أى من الكفر[7] بقتلهم و بغيره ﴿و ان﴾ أى و بسبب أن[1] ﴿الله﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ليس بظلام﴾ أى بذى ظلم ١٠ ﴿للعبيد ۝﴾ و لو لم يعذبكم لكان تركك على صورة الظلم لمن عاديكم فيه و اشتد أذاكم لهم.

و لما كان القربان من جنس النفقات و مما يتبين به سماح النفوس و شحها حسن[8] نظم آية القربان هنا بقوله - [رادا شبهة لهم أخرى و مبينا قتلهم الأنبياء -[9]] -: ﴿الذين قالوآ﴾ تقاعدا عما يجب عليهم من ١٥ المسارعة بالإيمان ﴿ان الله﴾ [أى الذى لا أمر لأحد معه -[9]] ﴿عهد الينآ﴾ و قد كذبوا فى ذلك ﴿الا نؤمن لرسول﴾ أى[10] كائنا من كان

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: و هو (٣) سورة ٣ آية ١١٢ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يمسكم (٥) فى ظ: العذاب (٦) زيد بعده فى ظ: الآية. (٧-٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: حنس (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد. (١٠) سقط من ظ و مد.

﴿ حتى يأتينا بقربان ﴾ أى [عظيم - [١]] نقربه لله[٢] تعالى، فيكون متصفا بأن[٣] ﴿ تأكله النار ط ﴾ عند تقريبه له[٤] و فى ذلك أعظم بيان لأنهم ما أرادوا - بقولهم "ان الله فقير" حيث طلب الصدقة - إلا التشكيك حيث كان التقرب إلى الله بالمال من دينهم[٥] الذى يتقربون إلى الله به، بل و ادعوا أنه لا يصح دين بغيره.

و لما افتروا[٦] هذا التشكيك أمر سبحانه بنقضه بقوله: ﴿ قل قد جآءكم رسل ﴾ فضلا عن رسول[٧]. [و لما كانت مدتهم لم تستغرق الزمان الماضى أثبت الجار فقال - [١]]: ﴿ من قبلى ﴾[٨] كزكريا [و ابنه - [١]] يحيى و عيسى عليهم السلام ﴿ بالبينت ﴾ [أى من المعجزات - [١]] ﴿ و بالذى قلتم ﴾ أى [من القربان - [١]] فان الغنائم لم تحل - كما فى الصحيح - لأحد كان قبلنا، فلم تحل[٩] [لعيسى عليه السلام فلم تكن - [١]] [١٠]مما نسخه من[١٠] أحكام التوراة، و قد كانت تجمع فتنزل نار من السماء [فتأكلها - [١]] إلا[١١] أن وقع فيها غلول ﴿ فلم قتلتموهم ﴾ [[١] - أى

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الى الله. (٣) فى ظ و مد: بانه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: به (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: قربهم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اقروا (٧) زيد بعده فى الأصل: الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) العبارة من هنا إلى «عليهم السلام» تأخرت فى الأصل عن « من القربان » (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فلم يحل (١٠-١٠) من مد، و فى الأصل: لنا لنسخة فى، و فى ظ: ناسخة من - كذا (١١) فى ظ: الى.

قتلهم

قتلتهم[1] أسلافكم و رضيتم أنتم بذلك فشاركتموهم[2] فيه] ﴿ ان كنتم صدقين ﴾ أى فى [3]أنكم تؤمنون[3] لمن أتاكم على الوجه الذى [ذكرتموه ، و - [4]] فى ذلك رد[5] على الفريقين : اليهود المدعين[6] أنهم قتلوه الزاعمين [أنه عهد إليهم - [4]] فى الإيمان بمن[7] أتاهم بذلك[8] ، و النصارى[9] المسلمين لما ادعى اليهود [من قتله - [10]] المستلزم لكونه ليس بالله .

و لما كانت هذه السورة متضمنة لكثير من الدقائق التى أخفوها من كتابهم الذى جعلوه قراطيس ، يبدونها[11] و يخفون كثيرا ، و فى هذه الآية بخصوصها من ذلك ما يقتضى تصديقه صلى الله عليه و سلم ، و كان سبحانه عالما بأن أكثرهم يعاندون سبب[12] عن ذلك أن سلاه فى تكذيب المكذبين منهم بقوله : ﴿ فان كذبوك ﴾ فكان كأنه قيل : هذا الذى أعلمتك بـه يوجب تصديقك ، فان لم يفعلوا[13] بل كذبوا[13] ﴿ فقد ﴾ و لما كان السياق لإثبات مبالغتهم فى الغلظة[14] و الجفاء

(١) من مد ، و فى ظ : قتلتم (٢) من مد ، و فى ظ : فشاركتموه (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : انهم يومنون (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ردا (٦) فى ظ : المدعنين (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٩) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) زيد من مد ، و موضعه فى ظ : لعله (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تبدونها (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسلب (١٣-١٣) سقط من ظ (١٤) فى ظ : العظمة .

[1] و الكفر[1] و عدم الوفاء. [و كانت السورة سورة التوحيد -[2]]، [و الرسل متفقون عليه، و قد أتى كل منهم فيه بأنهى البيان و أزال كل لبس -[3]] أسقط تاء التأنيث لأنها ربما دلت على نوع[4] ضعف فقال: ﴿ كذب رسل ﴾ [و لما كانت تسلية الإنسان بمن قاربه فى الزمان أشد أثبت الجار فقال -[2]]: ﴿ من قبلك ﴾ أى فلك فيهم مسلاة[5] و بهم أسوة ﴿ جآءو بالبينت ﴾ أى من[6] المعجزات ﴿ و الزبر ﴾ أى من الصحف المضمنة للمواعظ و الحكم الزواجر و الرقائق التى يزبر العالم بها عن المساوى ﴿ و الكتب[7] المنير ﴾ أى الجامع للأحكام و غيرها. الموضح لأنه الصراط المستقيم.

و لما تقدم فى قصة أحد رجوع المنافقين و هزيمة بعض المؤمنين مما[8] كان / سبب ظفر الكافرين، و عاب سبحانه ذلك[9] عليهم بأنهم هربوا من موجبات[10] السعادة و الحياة الأبدية إلى ما لا بد منه، و إلى ذلك أشار بقوله[11] "قل لو كنتم فى بيوتكم"، "و لئن قتلتم فى سبيل الله"، "قل فادرءوا عن انفسكم الموت"، "و لا تحسبن الذين قتلو فى سبيل الله" - و غير ذلك مما[12] /٤٣٨

(١ - ١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: نوعه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: سلاة (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد و القرآن المجيد، و فى الأصل: البيان (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بما (٩) سقط من ظ. (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: موخمات - كذا (١١) فى ظ و مد: قوله (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ما.

بكتهم بـه فى رجوعهم حذر الموت و طلب امتداد العمر، مع ما افتتح به من أن موت هذا النبي الكريم و قتله[1] ممكن كما كان من قبله من إخوانه من الرسل [على جميعهم أفضل الصلاة و السلام و التحية و الإكرام! و ختم بالإخبار بأنه وقع قتل كثير من الرسل -[2]]، فكان ذلك محققا لأنه لا يصان من الموت خاص و لا عام، مضموما إلى ما نشاهد من ذلك فى كل لحظة؛ صوّر ذلك الموت بعد أن صار مستحضرا للعيان تصويرا أوجب[3] التصريح به إشارة إلى أن حالهم فى هربهم و رجوعهم و ما تبع[4] ذلك من قولهم حال من هو فى شك منه فقال تعالى: ﴿ كل نفس ﴾ أى منفوسة[5] من عيسى و غيره من أهل الجنة و النار ﴿ ذآئقة الموت ط ﴾ أى و هو المعنى الذى يبطل[6] معه تصرف [الروح فى البدن، و تكون هى باقية بعد موته لأن الذائق لا بد أن يكون حال ذوقه حيا حساسا -[2]]، و من يجوز عليه ذوق الموت يجوز عليه ذوق النار، و هو عبد محتاج، فالعاقل من سعى[7] فى النجاة منها و الإنجاء[8] كما فعل الخلص الذين منهم عيسى و محمد عليهما أفضل الصلاة و أزكى السلام، و كان نظمها بعد الآيات المقتضية لتوفية الأجور [-[2] بالإثابة[9] عليها و أنه ليس بظلام للعبيد شديد الحسن، و ذلك مناسب أيضا لختم الآية بالتصريح

(١) فى ظ: فعله (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) فى ظ: وجب (٤) فى ظ: يتبع (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: نفوسة (٦) فى ظ: يدخل، و فى مد: ينحل (٧) فى ظ: يبقى (٨) فى مد: الجاء - كذا (٩) من مد، و فى ظ: فى الاثابة.

لتوفية الأجور] يوم الدين ، [و أن الزحزحة عن النار و دخول[1] الجنة لهو[2] الفوز ، لا الشح فى الدنيا بالنفس و المال الذى - [3]] ربما كان سببا لامتداد العمر و سعة المال بقوله : ﴿ و انما توفون ﴾ أى تعطون ﴿ اجوركم ﴾ على[4] التمام جزاء على[5] ما عملتموه من خير و شر ﴿ يوم القيمة ط ﴾ و أما ما يكون قبل ذلك من نعيم القبر و نحوه فبعض لا وفاء ﴿ فمن زحزح ﴾ أى أبعد فى ذلك اليوم إبعادا عظيما سريعا ﴿ عن النار و ادخل الجنة فقد فاز ط ﴾ أى بالحياة الدائمة و النعيم الباقى ، و المعنى أن كل نفس توفى ما عملت ، فتوفى أنت أجرك على صبرك على أذاهم ، و كذا من أطاعك ، و[6] يجازون هم[6] على ما فرطوا فى حقك فيقذفون فى غمرة النار ، و كان الحصر إشارة إلى تقبيح إقبالهم على الغنيمة و غيرها من التوسع العاجل ، أى إنما مقتضى الدين الذى دخلتم فيه هذا ، و ذلك ترهيبا من الالتفات إلى تعجل شىء من الأجر فى الدنيا - كما قال أبوبكر رضى الله تعالى عنه فى أول إسلامه : وجدت بضاعة بنسيئة ، ما وقعت[7] على بضاعة قط أنفس منها ، و هى لا إله إلا الله . فالحاصل أن[8] " كل نفس " أى حذرة من الموت و مستسلمة " ذائقة الموت " أى فعلام الاحتراس منه بقعود عن الغزو أو هرب من العدو ! " و انما توفون اجوركم " أى يا أهل الإسلام - التى[9] وعدتموها على الأعمال الصالحة

(١) من مد ، و فى ظ : بدخول (٢) من مد ، و فى ظ : هو (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) سقط من مد (٦ - ٦) فى الأصل : يجازونهم ، و فى ظ : مجازواهم ، و فى مد : يجازواهم - كذا (٧) فى ظ : وضعت . (٨) فى ظ و مد : انه (٩) فى الأصول : الذى .

" يوم القيمة " أى فما لكم تريدون تعجلها باسراعكم إلى الغنائم أو[1] غيرها مما يزيد فى أعراض الدنيا فتكونوا ممن تعجل طيباته[2] فى الحياة الدنيا " فمن " أى فحيث علم أنه لا فوز فى الدنيا إلا بما يقرب إلى الله سبحانه و تعالى تسبب عن ذلك أنه من " زحزح عن النار " أى بكونه وفى أجره و لم يتعجل طيباته[2] " و ادخل الجنة " أى بما عمل من الصالحات ٥ فحاز الحياة الدائمة مع الطيبات الباقية " فقد فاز " أى كل الفوز ، و لما صح أنه لا فوز إلا ذلك صح قوله : ﴿ و ما الحيوة الدنيآ ﴾ أى التى أملى لهم فيها و أزيلت عن الشهداء ﴿ الا متاع الغرور ﴾ أى المتاع الذى يدلس الشيطان أمره على الناس حتى يغتروا به فيغبنوا[3] بترك الباقى و أخذ الأشياء الزائلة بانقضاء[4] لذاتها و الندم على شهواتها بالخوف ١٠ من تبعاتها .

و فى ذلك أيضا مناسبة من وجه آخر ، و هو أنه لما سلاه سبحانه و تعالى بالرسل - الذين لازموا الصبر و الاجتهاد فى الطاعة حتى ماتوا - و أممهم ، و تركوا ما كان بأيديهم عاجزين عن المدافعة ، و لم يبق إلا ملكه سبحانه و تعالى ، و أن الفريقين ينتظرون الجزاء ، فالرسل لتمام الفوز ، ١٥ و الكفار لتمام الهلاك ؛ أخبر أن كل نفس كذلك ، ليجتهد الطائع و يقتصر العاصى ، و فى ذلك تعريض بالمنافقين الذين رجعوا عن أحد خوفَ القتل و قالوا عن الشهداء : لو أطاعونا ما قتلوا ، أى إن الذى فررتم

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ " و " (٢ - ٢) سقط من ظ (٣) فى مد : فيغضبوا (٤) فى ظ : فى انقضاء .

٤٣٩ / منه / لا بد منه ، و الحياة التى آثرتموها متاع يندم عليه من[1] محضه للتمتع كما يندم المغرور بالمتاع[2] الذى غر به ، فالسعيد من سعى فى أن يكون موته فى رضى مولاه الذى لا محيص له عن الرجوع إليه و الوقوف بين يديه .

٥ و لما سلى الله سبحانه و تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم عن تكذيبهم له بما لقى إخوانه من الرسل و بأنه لا بد من الانقلاب إليه ، فيفوز من كان من أهل حزبه ، و يشقى من والى أعداءه و ذوى حزبه ؛ أعاد التسلية على وجه يشمل المؤمنين ، و ساقها مساق الإخبار بحلول المصائب الكبار التى هى من شعائر[3] الأخيار فى دار الأكدار المعلية لهم فى دار القرار ١٠ فقال - مؤكدا لأن الواقف فى الخدمة ينكر أن يصيبه معبوده بسوء ، هذا طبع البشر و إن تطبّع[4] بخلافه ، و أفاد ذكره[5] قبل وقوعه تهوينه بتوطين النفس عليه[6] ، و أفاد بناؤه للمفعول أن المنكى البلاء ، لا كونه من جهة معينة - : ﴿ لتبلون ﴾ أى تعاملون معاملة المختبر لتبيين المؤمن من المنافق ﴿ فى اموالكم ﴾[7] أى بأنواع الإنفاق ﴿ و انفسكم قف ﴾ أى بالإصابة ١٥ فى الجهاد و غيره ، فكما نالكم ما نالكم من الأذى باذنى ليلحقنكم بعده من الأذى ما أمضيت به سنتى فى خلص عبادى و ذوى محبتى ، و كان إيلاء ذلك للآية التى فيها الإشارة إلى أن توفية الأجور للأعمال الصالحة مما ينيل

(١) فى ظ : ممن (٢) ليس فى ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : شعار.
(٤) فى ظ : يطمع - كذا (٥) سقط من ظ (٦) زيد بعده فى الأصل : اد - كذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) زيد فى ظ : و انفسكم .

الفوز مناسبا من حيث الترغيب فى كل ما يكون سببا لذلك من الصبر على ما يبتلى به سبحانه و تعالى من كل ما يأمر به من التكاليف، أو يأذن فيه من المصائب، و قدم المال لأنه - كما قيل - عديل الروح، و ربما هان على الإنسان الموت دون الفقر المؤدى إلى الذل بالشماتة و العار بما تقصر[1] عنه يده بفقده من أفعال المكارم، و ما أحسن ذكر هذه الآية ٥ إثر قصة أحد التى وقع فيها القتل بسبب الإقبال على المال، و كان ذكرها[2] تعليلا لبَغضة أهل الكتاب و غيرهم من الكفار.

و لما كان يومها[3] يوم بلاء و تمحيص، و كان ربما أطمع فى العافية بعده، فتوطنت النفس على ذلك فاشتد انزعاجها بما يأتى من أمثاله[4]، و ليس ذلك من أخلاق المشمرين[5] أراد سبحانه و تعالى توطين النفوس ١٠ على ما طبعت عليه[6] الدار من[6] الأثقال و الآصار[7]، فأخبر أن البلاء لم ينقص به، بل لا بد بعده من بلايا و سماع أذى من سائر الكفار، و رغب[8] فى شعار[9] المتقين: الصبر الذى قدمه فى أول السورة ثم قبل قصة أحد، و بناها عليه معلما أنه مما يستحق أن يعزم عليه و لا يتردد فيه فقال: ﴿ و لتسمعن ﴾ أى بعد هذا اليوم ﴿ من الذين ﴾ و لما كان ١٥ المراد تسوية العالم بالجاهل فى الذم نزه[10] المعلم عن الذكر فبنى للمفعول

(١) فى ظ: يقصر (٢) فى ظ: ذكر، و زيد بعده فيه: هذه الآية (٣) فى ظ: يومنا (٤) فى ظ: امثالها (٥) فى ظ: المشمون (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الدارين (٧) فى ظ: الاخبار (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: رهب (٩) فى ظ و مد: شعائر (١٠) فى مد: نز - كذا.

قوله : ﴿ اوتوا الكتب ﴾ و لما كان إيتاؤهم له لم يستغرق الزمن الماضى أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ أى من اليهود و النصارى ﴿ و من الذين اشركوآ ﴾ أى من الأميين ﴿ اذى كثيرا ط ﴾ أى[1] من الطعن فى الدين و غيره بسبب هذه الوقعة أو[2] غيرها ﴿ و ان تصبروا ﴾ أى ٥ تتخلقوا[3] بالصبر على ذلك و غيره ﴿ و تتقوا ﴾ أى و تجعلوا بينكم و بين ما يسخط الله سبحانه و تعالى وقاية بأن تغضوا عن كثير من أجوبتهم اعتمادا على ردهم بالسيوف و إنزال الحتوف ﴿ فان ذلك ﴾ أى الأمر[1] العالى الرتبة ﴿ من عزم الامور ﴾ أى الأشياء التى هى أهل لأن يعزم على فعلها ، و لا يتردد فيه ، و لا يعوق عنه عائق ، فقد ختمت قصة ١٠ أحد بمثل ما سبقت دليلا عليه من قوله " قد بدت البغضاء من افواههم " - إلى أن ختم بقوله "و ان تصبروا و تتقوا لا يضركم كيدهم شيئا" هذا ما أخبر به هنا بأنه من عزم الأمور .

و لما قدم سبحانه و تعالى فى أوائل قصص اليهود أنه أخذ على النبيين الميثاق بما أخذ ، و أخبرهم[4] أنه من تولى بعد ذلك فهو الفاسق ، ١٥ ثم أخبر بقوله " قد جاءكم رسل من قبلى" ، " و ان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك " أن النبيين وفوا بالعهد ، و أن كثيرا من أتباعهم خان ؛ ثنى هنا بالتذكير بذلك العهد على / وجه يشمل جميع العلماء بعد الإخبار بسماع الأذى المتضمن لنقضهم للعهد ، فكان التذكير بهذا الميثاق كالدليل على /٤٤٠

(١) سقط من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ " و " (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتخلقوا (٤) فى ظ : خيرهم .

مضمون

مضمون الآية التى قبلها . و كأنه قيل : فاذكروا قولى لكم "لتبلون" و اجعلوه[1] نصب أعينكم لتوطنوا أنفسكم عليه . فلا يشتد جزعكم بحلول ما يحل منه ﴿ و ﴾ اذكروا[2] ﴿ اذ اخذ الله ﴾ الذى لا عظيم إلا هو ﴿ ميثاق الذين ﴾ .

و لما كانت الخيانة[3] من العالم أشنع ، و كان ذكر العلم[4] دون تعيين المعلم كافيا فى ذلك بنى للمجهول قوله : ﴿ اوتوا الكتب ﴾ [أى - [5]] فى البيان ، فخافوا فما آذوا[3] إلا أنفسهم ، [و إذا آذوا أنفسهم - [5]] بخيانة عهد الله سبحانه و تعالى كانوا فى أذاكم أشد و إليه أسرع ، أو يكون التقدير : و اذكروا[7] ما أخبرتكم به عند ما أنزله بكم ، و اصبروا[8] لتفوزوا ، و اذكروا إذ أخذ الله ميثاق من قبلكم فضيعوه كيلا تفعلوا فعلهم . فيحل بكم ما حل بهم من الذل و الصغار فى الدنيا مع ما يدخر فى الآخرة من عذاب النار .

هذا ما كان ظهر لى أولا ، ثم بان أن الذى لا معدل عنه أنه لما انقضت قصة أحد و ما تبعها[9] إلى أن ختمت بعد الوعظ بتحتم[10] الموت الذى فر[11] من فر منهم منه و خوّف الباقين أمره بمثل ما تقدم أنه جعلها

(١) فى ظ : اجعلوا (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الجناية (٤) فى ظ : العالم (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ : اذ - كذا . (٧) العبارة من هنا إلى "و اذكروا" ساقطة من ظ (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٩) فى ظ : يتبعها (١٠) فى ظ : تختم . (١١) زيد بعده فى ظ : منه .

دليلا عليه من بغض[1] أهل الكتاب و ما تبعه؛ عطف على " اذ " المقدرة - لعطف " و اذ غدوت " عليها - قوله " و اذ اخذ الله " أى اذكروا ذلك يدلكم على عداوتهم[2] ، و اذكروا ما صح عندكم من إخبار الله تعالى المشاهد[3] باخبار من أسلم من الأحبار و القسيسين أن الله أخذ " ميثاق الذين اوتوا الكتب " أى من اليهود و النصارى بما أكد فى كتبه و على ألسنة رسله : ﴿ ليبينه[4] ﴾ أى الكتاب ﴿ للناس و لا يكتمونه ز ﴾ أى نصيحة منهم لله سبحانه و تعالى و لرسوله صلى الله عليه و سلم و لأئمة المؤمنين و عامتهم ليؤمنوا بالنبى المبشر به ﴿ فنبذوه ﴾ أى الميثاق بنبذ الكتاب ﴿ ورآء ظهورهم ﴾ حسدا لكم و بغضا ، و هو تمثيل لتركهم العمل به ، لأن من ترك شيئا وراءه نسيه ﴿ و اشتروا به ﴾ و لما كان الثمن الذى اشتروه[5] خسارة لا ربح فيه أصلا على العكس مما بذلوه على أنه ثمن ، و كان الثمن إذا نض[6] زالت مظنة الربح منه عبر عنه بقوله : ﴿ ثمنا ﴾ و زاد فى بيان سفههم بقوله : ﴿ قليلا ط ﴾ أى بالاستكثار من المال و الاستئثار للرئاسة ، فكتموا ما عندهم من العلم بهذا النبى الكريم ﴿ فبئس ما يشترون ه ﴾ أى لأنه مع فنائه أورثهم العار الدائم و النار

(١) فى ظ و مد : بعض (٢) فى مد : عدوانهم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشاهدة (٤) من ظ و مد - كما قرأ ابن كثير و أبو عمرو و عاصم فى رواية ابن عباس بياء الغيبة ، و فى الأصل : لتبيننه - بالخطاب كما هو الثابت فى مصاحف بلادنا ، ولكن التفسير الآتى بلفظ « نصيحة منهم » لا يناسبه (٥) فى ظ : اشتراه . (٦) من ظ و مد ، أى تيسر ، و فى الأصل : نص .

الباقية، و عبر عن هذا الأخذ[1] بالشراء إعلاما بلجاجهم فيه، و نبه بصيغة الافتعال على مبالغتهم فى اللجاج.

و لما أخبر سبحانه و تعالى بأنهم احتووا على المال و الجاه بما كتموا[2] من العلم و أظهروا من خلافه المتضمن لمحبة أهل دينهم فيهم و ثنائهم عليهم بأنهم على[3] الدين الصحيح و أنهم أهل العلم، فهم أهل الاقتداء بهم؛ قال سبحانه و تعالى مخبرا عن مآلهم تحذيرا[4] من مثل حالهم على وجه يعم كل امرئ[5]: ﴿لا تحسبن﴾ على قراءة الجماعة بالغيب ﴿الذين يفرحون بما آتوا﴾ أى مما يخالف ظاهره باطنه. و توصلوا به إلى الأغراض الدنيوية من الأموال و الرئاسة و غير ذلك، أى لا يحسبن أنفسهم، و فى قراءة الكوفيين و يعقوب بالخطاب المعنى: لا تحسبنهم أيها الناظر لمكرهم و رواجهم بسببه فى الدنيا واصلين إلى خير ﴿و يحبون ان يحمدوا﴾ أى يوجد الثناء بالوصف الجميل عليهم ﴿بما لم يفعلوا﴾ أى بذلك الباطن الذى لم يفعلوه، قال ابن هشام فى السيرة: أن يقول الناس[6]: علماء، و ليسوا بأهل علم، لم يتحملوهم على هدى و لا حق.

و لما تسبب عن ذلك العلمُ بهلاكهم قال: ﴿فلا تحسبنهم﴾ أى تحسبن أنفسهم، على قراءة ابن كثير و أبى عمرو بالغيب[7] و ضم الباء[8]،

(١) سقط من مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: كتموه (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: علم (٤) فى ظ: نخبر، و فى مد: تحيرا (٥) فى ظ و مد: مرا - كذا (٦) زيد فى تفسير الطبرى نسبة إلى سيرة ابن هشام: لهم، و لكن ما وجدنا هذه الزيادة فى النسختين منها (٧) زيد بعده فى الأصول: و على، فحذفناها لكى ينتسق الكلام (٨) أى على الجمع - كما فى نثر المرجان ١/٥٣٣.

و على قراءة الجماعة المعنى : لا تحسبنهم أيها الناظر[١] ﴿ بمفازة من العذاب ج ﴾ بل هم بمهلكة منه ﴿ و لهم عذاب اليم ٥ ﴾ .

و لما أخبر بهلاكهم دل عليه بحال من فاعل «يحسب» فقال تعالى :

٤٤١/ ﴿ و لله ﴾ أى / الذى له جميع صفات الكمال وحده ﴿ ملك السموت

٥ و الارض[٢] ﴾ أى لا يقع فى فكرهم ذلك و الحال أن ملكه محيط بهم ، و له جميع ما يمكنهم الانحياز[٣] إليه ، و له ما لا تبلغه قُدَرُهم من ملك الخافِقين فهو بكل شىء محيط ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ على كل شىء قدير ٥ ﴾ و هو شامل القدرة ، فمن كان فى ملكه كان فى قبضته ، [٣]و من كان فى قبضته كان[٣] عاجزا عن التفصى[٤] عما يريد به ،

١٠ لأنه الحى القيوم الذى لا إله إلا هو - كما افتتح به السورة .

و لما ذكر هذا الملك العظيم و ختم بشمول القدرة دل على ذلك بالتنبيه على التفكر فيه الموجب للتوحيد الذى [٣]هو المقصد الأعظم من هذه السورة الداعى إلى الإيمان الموجب للفازة من العذاب ، لأن[٣] المقصود[٥] الأعظم من إنزال القرآن تنوير القلوب بالمعرفة ، و ذلك

١٥ لا يكون إلا بغاية التسليم ، و ذلك هو اتباع الملة الحنيفية ، و هو متوقف على صدق النبى صلى الله عليه و سلم ، فبدأ سبحانه و تعالى السورة بدلائل صدقه بإعجاز القرآن بكشفه[٦] - مع الإعجاز بنظمه على لسان النبى الأمى -

(١) زيد بعده فى الأصل و ظ : لهم . و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الانحياز (٣ - ٣) سقطت من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : التفص - كذا (٥) فى ظ : المقصد (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : كشفه .

للشبهات[1] و بيانه للخفيات ، و أظهر مكابرة أهل الكتاب ، و فضحهم أتم فضيحة ، فلما تم ذلك على أحسن وجه منظما ببدائع[2] الحكم من الترغيب و الترهيب شرع فى بث أنوار[3] المعرفة بنصب دلائلها القريبة وكشف أستارها العجيبة فقال : ﴿ ان فى خلق السمٰوٰت و الارض ﴾ أى على كبرهما و ما فيهما من المنافع ، و نبه على التغير الدال على المغير ٥ بقوله : ﴿ و اختلاف الّيل و النهار ﴾ أى اختلافا هو - كما ترون - على غاية الإحكام بكونه على منهاج قويم و سير لا يكون إلا بتقدير العزيز العليم[4] ﴿ لأيٰت ﴾ أى على جميع ما جاءت به الرسل عن الخالق ، و زاد الحث على التفكر و التهييج إليه و الإلهاب من أجله بقوله : ﴿ لاولى الالباب[5] ﴾ و ذكر سبحانه و تعالى فى أخت[6] هذه الآية فى ١٠ سورة البقرة ثمانية أنواع من الأدلة و اقتصر هنا على ثلاثة ، لأن السالك يفتقر فى ابتداء السلوك إلى كثرة الأدلة ، فاذا استنار قلت[6] حاجته إلى ذلك ، و كان الإكثار من الأدلة كالحجاب الشاغل له عن استغراق القلب فى لجج المعرفة ، و اقتصر هنا من آثار الخلق على السماوية لأنها أقهر و أبهر و العجائب فيها أكثر ، و انتقال القلب منها إلى عظمته ١٥ سبحانه و تعالى و كبريائه أشد و أسرع ، و ختم تلك بما هو لأول السلوك : العقل[7] ، و ختم هذه بلبه لأنها لمن تخلص من وساوس الشيطان و شوائب هواجس الوهم المانعة[8] من الوصول إلى حق اليقين بل علم اليقين .

(١) فى ظ : المشتبهات (٢) فى ظ : ببديع (٣) فى ظ : ايقاع (٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اخر (٦) فى ظ : تلب (٧) سورة ٢ آية ١٦٤ .
(٨) فى ظ و مد : البالغة .

و لما كان كل مميز يدعى أنه فى الذروة من الرشاد نعتهم بما بين من يعتد بعقله فقال: ﴿ الذين يذكرون الله ﴾ أى الذى ليس فى خلقه لهما و لا لغيرهما شك، و له جميع أوصاف الكمال. و لما كان المقصود الدوام و كان قد يتجوز بـه عن الأكثر، عبر عنه لهذا التفصيل نفيا لاحتمال التجوز و دفعا لدعوى العذر فقال: ﴿ قيما و قعودا ﴾ و لما كان أكثر الاضطجاع على الجنب قال: ﴿ و على جنوبهم ﴾ أى فى اشتغالهم بأشغالهم و فى وقت استراحتهم و عند منامهم، فهم فى غاية المراقبة.

و لما بدأ من أوصافهم بما يجلو أصداء القلوب و يسكنها و ينفى عنها الوساوس حتى استعدت[1] لتجليات الحق و قبول الفيض[2] بالفكر لانتفاء قوة الشهوة و سورة الغضب[3] و قهرهما[3] و ضعف داعية الهوى، فزالت نزغات الشيطان و وساوسه و خطرات النفس و مغالطات الوهم قال: ﴿ و يتفكرون ﴾ أى على الأحوال.

و لما كانت آيات المعرفة إما فى الآفاق و إما فى الأنفس، و كانت آيات الآفاق أعظم "لخلق السموٰت و الارض اكبر من خلق الناس[4]" قال: ﴿ فى خلق السموٰت و الارض[5] ﴾ على كبرهما و اتساعهما و قوة[6] ما فيهما[6] من المنافع لحصر الخلائق فيعلمون - بما فى ذلك من الأحكام

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: استجلت (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: القبض.
(٣-٣) فى مد: فهرهما - كذا (٤) سورة ٤٠ آية ٥٧ (٥) من ظ، و فى الأصل و مد: قوت (٦) العبارة من هنا إلى «مع جرى» سقطت من ظ.

مع جرى ما فيهما من الحيوان الذى خلقا لأجله على غير / انتظام - أن ٤٤٢/
وراء هذه الدار [1] دارا يثبت [1] فيها الحق و ينفى الباطل و يظهر العدل
و يضمحل الجور ، فيقولون تضرعا إليه و إقبالا عليه : ﴿ ربنا ﴾ أى
أيها المحسن إلينا ﴿ ما خلقت هذا ﴾ أى الخلق العظيم المحكم ﴿ باطلا ج ﴾
أى لأجل هذه الدار التى لا تفصل [2] فيها على ما شرعت القضايا ، ٥
و لا تنصف فيها الرعاة الرعايا ، بل إنما خلقته لأجل دار أخرى ، يكون
فيها محض العدل ، و يظهر فيها الفصل .

و لما كان الاقتصار على هذه الدار مع ما يشاهده من ظهور
الأشرار نقصا ظاهرا و خللا بينا نزهوه [3] عنه فقالوا : ﴿ سبحنك ﴾ و فى
ذلك تعليم العباد أدب [4] الدعاء بتقديم [5] [الثناء قبله ، و تنبيه على ١٠
أن العبد كلما غزرت معرفته زاد خوفه فزاد تضرعه ، فانه يحسن منه
كل شىء من تعذيب الطائع و [6] غيره ، و لو لا أن ذلك كذلك لكان
الدعاء بدفعه عبثا - [7]] ، و ما أحسن ختمها حين تسبب عما مضى تيقنهم [8]
أن أمامنا دارا يظهر فيها العدل مما هو شأن كل أحد فى عبيده [6] ، فيعذب
فيها العاصى و ينعم فيها الطائع ، كما هو دأب كل ملك فى رعيته بقولهم ١٥

(١-١) من مد ، وفى الأصل : دار يتنبه ، و فى ظ : دارا ثبت - كذا (٢) فى ظ : لا تفضل (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : نزهون (٤) سقط من ظ و مد . (٥) زيد بعده فى الأصل : عبيده ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) سقط من ظ (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) من مد ، و فى الأصل : تمقنهم ، و فى ظ : تبعينهم - كذا .

رغبة فى الخلاص فى تلك الدار : ﴿ فقنا عذاب النار ﴾ على وجه جمع بين ذكر العذاب المختتم به آية محبّى[1] المحمدة بالباطل ، و النار المحذر منها فى "فمن زحزح عن النار" . ثم تعقبها[2] [بقولهم - [3]] معظمين ما سألوا دفعه[4] من العذاب ليكون[5] موضع السؤال أعظم ، فيدل على أن الداعية فى ذلك الدعاء أكمل و إخلاصه أتم ، مكررين الوصف المقتضى للاحسان مبالغة فى إظهار الرغبة استمطارا للاجابة : ﴿ ربنآ ﴾ و أكدوا مع علمهم بإحاطة علم المخاطب إعلاما بأن [حالهم فى - [3]] تقصيرهم حال[6] من أمن النار حثا لأنفسهم على الاجتهاد فى العمل فقالوا : ﴿ انك من تدخل النار ﴾ أى للعذاب ﴿ فقد اخزيته[7] ﴾ أى أذللته و أهنته إهانة عظيمة بكونه ظالما ، و ختمها بقوله[7] : ﴿ و ما للظلمين من انصار ﴾ الحاسم لطمع من يظن منهم أنه بمفازة من العذاب ، و أظهر موضع الإضمار لتعليق الحكم بالوصف و التعميم .

و لما ابتهلوا[8] بهاتين الآيتين فى الإنجاء من النار توسلوا بذكر مسارعتهم إلى إجابة الداعى بقولهم[8] : ﴿ ربنآ ﴾ و لما كانت حالهم - لمعرفتهم بأنهم لا ينفكون[9] عن تقصير و إن بالغوا فى الاجتهاد ، لأنه لا يستطيع أحد أن يقدر الله حق قدره - شبيهة[10] بحال من لم يؤمن ؛ اقتضى

(١) من مد ، و فى الأصل : بحى ، و فى ظ : مجى - كذا (٢) فى ظ : تعقيبها .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : دفعة (٥) فى ظ : فيكون (٦) سقط من مد .
(٧) سقط من ظ (٨ - ٨) سقطت من ظ (٩) فى ظ : لا يتفكرون .
(١٠) فى ظ : شبهه .

المقام التأكيد إشارة إلى هضم أنفسهم بالاعتراف بذنوبهم فقالوا مع علمهم بأن المخاطب عالم بكل شيء : ﴿ انا ﴾ فأظهروا النون إبلاغا فى التأكيد ﴿ سمعنا مناديا ﴾ أى من قبلك ، و زاد فى تفخيمه بذكر ما منه النداء مقيدا[1] بعد الإطلاق بقوله : ﴿ ينادى ﴾ [2] قال محمد بن كعب القرظى : هو القرآن ، ليس كلهم رأى النبي صلى الله عليه و سلم[2] . ٥

و لما كانت اللام تصلح للتعليل و معنى 'إلى' عبر بها فقيل : ﴿ للايمان ﴾ ثم فسروه تفخيما له بقولهم : ﴿ ان امنوا بربكم ﴾ ثم أخبر بمسارعتهم إلى الإجابة بقولهم : ﴿ فامنا ﴾ أى عقب السماع . ثم أزالوا ما[3] ربما يظن من ميلهم إلى ربوة الإعجاب بقولهم تصريحا بما أفهمه التأكيد لمن علمه محيط : ﴿ ربنا فاغفر لنا ذنوبنا ﴾ أى التى أسلفناها قبل الإيمان ١٠ بأن تقبل منا الإيمان فلا تزيغ قلوبنا ، فيكون جابّا لما قبله عندك كما كان جابا له فى ظاهر الشرع ، و كذا ما فرط منا بعد الإيمان و لو كان بغير توبة ، و إليه الإشارة بقولهم : ﴿ وكفر عنا سيئاتنا ﴾ أى[4] بأن توفقنا بعد تشريفك لنا بالإيمان لاجتناب الكبائر بفعل الطاعات المكفرة[5] للصغائر ﴿ و توفنا مع الابرار ﴾ أى ليس لنا سيئات . ١٥

و لما كان الله سبحانه و تعالى هو المالك التام الملك ، فهو ذو التصرف المطلق الذى لا يجب عليه شيء ، و لا يقبح منه شيء ؛ أشار إلى ذلك بقوله ملقنا لهم مكررا صفة الإحسان تنبيها على مزيد الابتهال و التضرع

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : معدا (٢-٢) سقطت من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ : المكفر .

و التخضع و التخشع : ﴿ ربنا و آتنا ما وعدتنا ﴾[1] ثم أشار إلى صدق هذا الوعد بحرف الاستعلاء الدال على الالتزام و الوجوب فقال[1] : ﴿على رسلك ﴾ أى من إظهار الدين و النصر على الأعداء و حسن العاقبة و إيراث الجنة فى مثل قوله تعالى "و بشر الذين آمنوا و عملوا الصلحت ان لهم جنت[2]" و فى الدعاء بذلك إشارة إلى أنه لا يجب[3] على الله سبحانه و تعالى شيء ولو تقدم به وعده[4] / الصادق و إن كنا نعتقد أنه لا يبدل القول لديه ﴿ و لا تخزنا يوم القيمة[4] ﴾ أى بالمؤاخذة بالسيئات ، ثم أرشدهم إلى الإلهاب و التهييج مع التنبيه على ما نبه عليه أولا من أنه لا يجب عليه شيء بقوله باسطا لهم بلذة المنادمة بالمخاطبة[5] : ﴿ انك لا تخلف الميعاد ﴾ .

٤٤٣ /

و لما تسبب عن هذا الدعاء الإجابة[6] لتكمل شروطه و هى استحضار عظمته [تعالى بعد معرفته بالدليل و إدامة ذكره و التفكر فى بدائع صنعه و افتتاحه بالثناء عليه سبحانه و تنزيهه و الإخلاص فى سؤاله -[7]] قال : ﴿ فاستجاب ﴾ أى فأوجد الإجابة حتما ﴿ لهم ﴾ قال الأصفهانى: و عن جعفر الصادق : من حزبه أمر فقال خمس مرات "ربنا" أنجاه الله مما يخاف ، و أعطاه ما أراد - و قرأ هذه الآية . و أشار إلى أنها من[8]

(١-١) سقطت من مد (٢) سورة ٢ آية ٢٥ ، و زيد بعده فى ظ "تجرى من تحتها" (٣) فى مد : لا تجب (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : المخاطبة (٦) وقع فى ظ : الا - كذا مقطوعا (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) سقط من ظ و مد .

منّه و فضله بقوله[1] : ﴿ ربهم ﴾ أى المحسن إليهم المتفضل عليهم ﴿ انى لآ اضيع عمل عامل منكم ﴾ كائنا من كان ﴿ من ذكر او انثى[2] ﴾ و قولـه معللا : ﴿ بعضكم من بعض[3] ﴾ التفات[2] إلى قوله [3]سبحانـه "ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم" الناظر إلى قوله[3] "ذرية بعضها من بعض" المفتتح بأن الله سبحانه و تعالى "اصطفى ادم و نوحا" ٥ المنادى بأن البشر كلهم فى العبودية للواحد - الذى ليس كمثله شىء الحى القيوم - سواء من غير تفاوت فى ذلك أصلا ، و المراد أنهم إذا كانوا مثلهم فى النسب فهم مثلهم فى الأجر على العمل .

و لما أقر أعينهم بالإجابة ، و كان قد تقدم ذكر الأنصار[4] عموما فى قوله "و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - و ان الله ١٠ لا يضيع اجر المؤمنين[5]" خص المهاجرين بيانا لفضلهم و زيادة شرفهم بتحقيقهم لكونهم معه ، لم يأنسوا بغيره و لم يركنوا لسواه من أهل و لا مال بقوله مسببا عن الوعد المذكور و مفصلا و معظما و مبجلا[6] : ﴿ فالذين هاجروا ﴾ أى صدقوا إيمانهم بمفارقة أحب الناس إليهم [فى الدين المؤدى إلى المقاطعة -[7]] و أعز البلاد عليهم . ١٥

و لما كان للوطن من القلب منزل[8] ليس لغيره نبه عليه بقوله : ﴿ و اخرجوا من ديارهم ﴾ أى[9] و هى آثر المواطن عندهم بعد أن

(١) فى ظ : بقولهم (٢) فى ظ : التفاوت (٣ - ٣) سقطت من ظ (٤) فى ظ : الانضار - كذا (٥) سورة ٣ آية ١٧٠ و ١٧١ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مجبلا (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) فى ظ : لمنزل (٩) سقط من ظ .

باعدوا أهلهم وهم أقرب الخلائق إليهم، ولما كان الأذى مكروها لنفسه لا بالنسبة إلى معين بنى للمفعول قوله: ﴿ وأوذوا ﴾ أى بغير ذلك من أنواع الأذى ﴿ فى سبيلى ﴾ أى بسبب دينى الذى نهجته[1] ليسلك إلىّ فيه، وحكمت أنه لا وصول إلى رضائى بدونه[2] ﴿ وقتلوا ﴾ أى فى سبيلى.

ولما كان القتل نفسه هو المكروه[3]، لا بالنسبة إلى معين؛ كان المدح على اقتحام موجباته، فبنى للفعول قوله: ﴿ وقتلوا ﴾ أى فيه، فخرجوا بذلك عن مساكن أرواحهم بعد النزوح[4] عن منازل أشباحهم، وقراءة حمزة والكسائى بتقديم المبنى للفعول أبلغ معنى، لأنها أشد ترغيبا فى الإقدام على الأخصام، لأن من استقتل[5] أقدم على الغمرات إقدام الأسد فقتل[6] أخص منه[7] ولم يقف أحد أمامه، فكأنه قيل[8]: وأرادوا[9] القتل، هذا[9] بالنظر إلى الإنسان نفسه، ويجوز أن يكون الخطاب للجموع[10] فيكون المعنى: وقاتلوا بعد أن رأوا كثيرا من أصحابهم قد قتل ﴿ لأكفرن عنهم سيئاتهم ﴾ كما تقدم سؤالهم إياى فى ذلك علما منهم بأن أحدا لن يقدر على أن يقدر الله حق قدره

(١) من مد، وفى الأصل وظ: بهجته (٢) زيد بعده فى الأصل: معللا، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٣) زيدت الواو بعده فى ظ ومد.
(٤) من مد، وفى الأصل: النزول، وفى ظ: البروح (٥) فى الأصول: استقل.
(٦) فى ظ: فقيل (٧) سقط من مد (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: قتل (٩-٩) من ظ ومد، وفى الأصل: بالقتل بدا (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: لمجموع.

وإن

و إن اجتهد ﴿و لادخلنهم﴾ أى بفضلى ﴿جنت تجرى من تحتها الانهر ج﴾ كما سبق به[1] الوعد ﴿ثوابا﴾ و هو و إن كان على أعمالهم فهو فضل منه، و عظمه بقوله: ﴿من عند الله ط﴾ أى المنعوت بالأسماء الحسنى التى منها الكرم و الرحمة لأن أعمالهم لا توازى أقل نعمه ﴿و الله﴾ أى الذى له[2] الجلال و الإكرام[3]، و نبه على عظمة المحدث عنه بالعندية فقال: ﴿عنده﴾ أى فى خزائن ملكوته التى هى فى غاية العظمة ﴿حسن الثواب ه﴾ أى و هو ما لا شائبة كدر فيه، لأنه شامل القدرة بخلاف غيره.

و لما كانت هذه المواعدة[4] آجلة، و كان نظرهم إلى ما فيه الكفار من عاجل السعة ربما أثر فى بعض النفوس أثرا يقدح فى الإيمان بالغيب الذى هو شرط قبول الإيمان؛ داواه[5] سبحانه بأن تلا[6] تبشير[7] المجاهدين بانذار الكفار المنافقين و المصارحين الذين أملى لهم بخذلانهم المؤمنين بالرجوع عن قتال أحد و غيره من أسباب الإملاء على / وجه يصدق ما تقدم أول السورة من الوعد بأنهم سيغلبون، و أن أموالهم إنما هى صورة، [لا -[8]] حقائق لها، عطفا لآخرها على أولها، و تأكيدا لاستجابة دعاء أوليائه آخرَ التى قبلها بقوله - مخاطبا لأشرف عباده، و المراد من

/ ٤٤٤

(١) فى ظ: فيه (٢) زيد بعده فى الأصل: ذو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) فى ظ و مد: الجمال (٤) فى مد: المواعيد (٥) فى ظ: داوه، و فى مد: دواه - كذا (٦) سقط من ظ (٧) من مد، و فى الأصل: بتبشير، و فى ظ: تيسير (٨) زيد من ظ و مد.

يمكن[1] ذلك عادة فيه، لأن خطاب الرئيس أمكن فى خطاب الأتباع - : ﴿ لا يغرنك تقلب ﴾ أى لا تغترر بتصرف ﴿ الذين كفروا ﴾ تصرف من يقلب الأمور بالنظر فى عواقبها لسلامتهم[2] فى تصرفهم و فوائدهم و جودة ما يقصدونه[3] فى الظاهر لجودة القلب فى البدن ﴿ فى البلاد ط ﴾ ٥ فان تقلبهم ﴿ متاع قليل قف ﴾ أى لا يعبأ به ذو همة علية، و عبر بأداة التراخى إشارة إلى أن تمتيعهم - و إن فرض أنه طال زمانه و علا شأنه - تافه[4] لزواله ثم عاقبته. و إلى هول تلك العاقبة و تناهى عظمتها، فقال: ﴿ ثم ماوٰهم ﴾ أى بعد التراخى إن قدر[5] ﴿ جهنم ط ﴾ أى الكريهة المنظر. الشديدة الأهوال، العظيمة الأوجال، لا مهاد لهم غيرها ﴿ و بئس[6] ١٠ المهاد ﴾ أى الفراش الذى يوطأ و يسهل للراحة و الهدوء.

و لما بين بآية المهاجرين أن النافع من الإيمان هو الموجب للثبات عند الامتحان. و كانت تلك الشروط قد لا توجد، ذكر وصف التقوى العام للأفراد الموجب للاسعاد، فعقب تهديد الكافرين بما لأضدادهم المتقين الفائزين بما تقدم الدعاء إليه بقوله تعالى "قل أ انبئكم بخير من ١٥ ذلكم" فقال تعالى: ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم ﴾ أى أوقعوا الاتصاف بالتقوى بالائتمار بما أمرهم به[5] المحسن إليهم و[5] الانتهاء عما نهاهم شكرا

(١) فى ظ : تمكن (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : بسلامتهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : يصدقونه (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : تافة (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد و القرآن المجيد، و فى الأصل : لبئس.

لإحسانه[1] و خوفا من عظم شأنه ﴿ لهم جنت ﴾ و ألى[2] جنات ، ثم وصفها بقوله : ﴿ تجرى من تحتها الانهر ﴾ تعريفا بدوام تنوعها[3] و زهرتها و عظيم بهجتها .

و لما وصفها بضد ما عليه النار وصف تقلبهم فيها بضد ما عليه الكفار من كونهم فى ضيافة الكريم الغفار فقال : ﴿ خلدين فيها ﴾ و لما كان النزل ما يعد للضيف عند نزوله قال معظما ما لمن يرضيه : ﴿ نزلا ﴾ و لما كان الشيء يشرف بشرف[4] من هو من عنده نبه على عظمته بقوله : ﴿ من عند الله[5] ﴾ مضيفا إلى الاسم الأعظم ، و أشار بجعل الجنات كلها نزلا إلى التعريف بعظيم ما لهم بعد ذلك عنده سبحانه من النعيم الذى لا يمكن الآدميين [وجه -[6]] الاطلاع على حقيقة وصفه ، و لهذا قال معظما - لأنه لو أضمر لظن الاختصاص بالنزل - : ﴿ و ما عند الله ﴾ أى الملك الأعظم من النزل و غيره ﴿ خير للابرار ﴾ مما فيه الكفار و من كل ما يمكن أن يخطر بالبال من النعيم .

و لما كان للمؤمنين من أهل الكتابين - مع التشرف بما كانوا عليه من الدين [الذى -[6]] أصله حق - حظ من الهجرة ، فكانوا قسما ثانيا من المهاجرين ، و كان إنزال كثير من هذه السورة فى مقاولة أهل الكتاب و مجادلتهم و التحذير من مخاتلتهم[7] و مخادعتهم و الإخبار - بأنهم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاحسانهم (٢) من ظ و مد ، أى النعمة ، و فى الأصل : أى (٣) من ظ ، و فى الأصل : نوعها ، و فى مد : ينوعها - كذا (٤) سقط من ظ (٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : مخايلتهم .

يبغضون[1] المؤمنين مع محبتهم لهم ، و أنهم لا يؤمنون بكتابهم ، و أنهم سيسمعون منهم أذى كثيرا إلى أن وقع الختم فى أوصافهم بأنهم اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا - ربما أيأس من إيمانهم ؛ أتبع ذلك مدح مؤمنيهم[2] ، و غير الأسلوب عن أن يقال مثلا : و الذين آمنوا من أهل الكتاب - إطماعا فى موالاتهم بعد التدريب بالتحذير منهم على مناواتهم [و ملاواتهم -[3]] فقال : ﴿ و ان من اهل الكتب ﴾ أى اليهود و النصارى ﴿ لمن يؤمن بالله ﴾ أى[4] [الذى -[5]] حاز صفات الكمال ، و أشار إلى الشرط المصحح[6] لهذا الإيمان بقوله : ﴿ و ما انزل اليكم ﴾ [أى -[5]] من هذا القرآن ﴿ و ما انزل اليهم ﴾ أى كله ، فيذعن لما يأمر منه باتباع هـذا النبى العربى ، و إليه الإشارة بقوله جامعا للنظر إلى معنى 'من' تعظيما لوصف الخشوع بالنسبة إلى مطلق الإيمان[7] : ﴿ خشعين لله ﴾ أى لأنـه الملك الذى لا كفوء له ، غير مستنكفين عن نزل المألوف ﴿ لا يشترون بايت الله ﴾ أى التى متى تأملوها علموا أنه لا يقدر عليها إلا من أحاط بالجلال / و الجمال ، الآمرة لهم بذلك ﴿ ثمنا قليلا ﴾ /٤٤٥ [8]بما هم[8] عليه من الرئاسة و نفوذ الكلمة - كما تقدم قريبا فى وصف معظمهم ، فهم يبينونها[9] و يرشدون إليها و لا يحرفونها .

(١) فى ظ و مد : ينقصون (٢) فى ظ و مد : مومنهم (٣) زيد من مد ، و موضعه فى ظ : و ملاقاتهم (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الصحيح (٧) سقط من ظ (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : عما لهم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسبونها .

ولما

و لما أخبر تعالى عن حسن ترحمهم إليه أخبر عن جزائهم عنده بما يسر النفوس و يبعث الهمم فقال: ﴿ اولٓئك ﴾ أى العظيمو الرتبة ﴿ لهم اجرهم ﴾ أى الذى يؤملونه، ثم زادهم فيه رغبة تشريفه بقوله: ﴿ عند ربهم[1] ﴾ أى الذى رباهم و لم يقطع إحسانه[1] لحظة عنهم، كل ذلك تعظيما له من حيث أن لهم الأجر مرتين. ٥

و لما اقتضت هذه التأكيدات المبشرات إنجاز الأجر و إتمامه و إحسانه، و كان قد تقدم أنه تعالى يؤتى كل أحد[2] من ذكر و أنثى أجره، و لا يضيع شيئا، و يجازى المسيء و المحسن، و كانت[3] العادة قاضية بأن كثرة الخلق سبب لطول زمن الحساب، و ذلك[4] سبب لطول الانتظار، و ذلك سبب لتعطيل[5] الإنسان عن مهماته و لضيق ١٠ صدره بتفرق عزمه و شتاته[6] كان ذلك محل عجب يورث توهم ما لاينبغى. فأزال هذا التوهم بان أمره تعالى على غير ذلك لأنه لا يشغله شأن عن شأن بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى بما له من الجلال و العظمة و الكمال ﴿ سريع الحساب ﴾.

و لما كثر فى هذه الآيات الأمر بمقاساة الشدائد و تجرع مرارات[7] ١٥ الأذى و اقتحام الحروب و استهانة عظائم الكروب، و الحث على المعارف الإلهية و الآداب الشرعية من الأصول و الفروع انخلاعا من المألوفات

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: احسانهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل: لما، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٤) فى ظ: سبلك (٥) فى ظ: لتفضيل (٦) فى الأصل و مد: شناته، و فى ظ: سناته (٧) فى ظ: مراوت.

إلى ما يأمر به سبحانه من الطاعات، و ختم بتجرع فرقة من أهل الكتاب لتلك المرارات كانت نتيجة ذلك لا محالة قوله تعالى منبها على عظمة ما يدعو[1] إليه لأنه شامل لجميع الآداب[2] : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أى بكل ما ذكرنا فى هذه السورة ﴿ اصبروا ﴾ أى أوقعوا الصبر تصديقا لإيمانكم على كل ما ينبغى الصبر عليه مما تكرهه النفوس مما[3] دعتكم إليه الزهراوان ﴿ و صابروا ﴾ أى أوجدوا المصابرة للأعداء من الكفار و المنافقين و سائر العصاة، فلا يكونن[4] على باطلهم أصبر منكم على حقكم ﴿ و رابطوا ﴾ أى بأن تربطوا فى الثغور خيلا تكون بازاء ما لهم من الخيول إرهابا لهم و حذرا منهم - هذا أصله، ثم صار الرباط[5] يطلق على المكث فى الثغور لأجل الذب عن الدين و لو لم تكن[6] خيول، بل [و -[7]] تطلق على المحافظة على الطاعات، ثم أمر بملاك ذلك كله فقال : ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى فى جميع ذلك بأن تكونوا مراقبين له، مستحضرين لجميع ما يمكنكم أن تعلموه من عظمته بنعمته و نقمته ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أى ليكون [حالكم -[8]] حال من يرجى فلاحه و ظفره بما يريد من النصر على الأعداء و الفوز بعيش الشهداء[9]، و هذه الآية - كما ترى - معلمة بشرط استجابة الدعاء[10] بالنصرة على الكافرين،

---

(١) فى ظ : يدعون (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : الادات (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : ما (٤) فى ظ : فلا تكونن (٥) فى ظ : الرابط (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : لم يكن (٧) زيدت الواو من ظ و مد (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : السعداء (١٠) سقط من ظ .

المختتم به البقرة " فانى قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى و ليؤمنوا بى لعلهم يرشدون[١] " داعية إلى تذكير أولى الألباب بالمراقبة للواحد الحى القيوم الذى لا يخفى عليه شىء فى الأرض و لا فى السماء فى اتباع آياته و معاداة أعدائه، كما أن التى قبلها فيمن آمن بجميع الكتب: هذا القرآن المصدق[٢] [لما -[٣]] بين يديه و التوراة و الإنجيل، ٥ كل ذلك للفوز بالفرقان بالنصر و تعذيب أهل الكفر بأيديهم تمكينا[٤] من الله - و الله عزيز[٥] ذو انتقام - ردا[٦] للقطع على المطلع على أحسن وجه[٧] - و الله أعلم بالصواب [٨]و عنده حسن المآب[٨]:

سورة النساء[٩]

مقصودها الاجتماع على التوحيد الذى هدت إليه آل عمران، ١٠ و الكتاب الذى حدّت عليه البقرة لأجل الدين الذى جمعته الفاتحة تحذيرا مما أراده شأس[١٠] بن قيس و أنظاره من الفرقة، و هذه / السورة ٤٤٦ / من أواخر[١١] ما نزل، روى البخارى فى فضائل القرآن عن يوسف بن ماهك أن عراقيا سأل أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها أن تريه مصحفها، فقالت: لم؟ قال: لعلى أؤلف[١٢] القرآن عليه، فانه يقرأ ١٥

(١) آية ١٨٦ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: تمكننا - كذا. (٥) سقط من مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: وذا (٧) زيد فى الأصل و مد: و ابدع، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨-٨) سقط من ظ و مد (٩) مدنية، و عدة آياتها عند الشاميين مائة و سبع و سبعون، و عند الكوفيين ست و سبعون، و عند الباقين خمس و سبعون (١٠) فى مد: ساس - كذا (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: الاواخر (١٢) من ظ و مد و صحيح البخارى، و فى الأصل: اواف.

غير مؤلف[١]، قالت: و ما يضرك أيّه قرأت[٢] قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها[٣] ذكر الجنة و النار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال و الحرام. و لو نزل أول شيء 'لا تشربوا[٤] الخمر' لقالوا: لا ندع الخمر[٥] أبدا، و لو نزل 'لا تزنوا' لقالوا: لا ندع الزنا أبدا، لقد نزل بمكة[٦] على محمد [٧]و إني لجارية ألعب 'بل الساعة موعدهم و الساعة أدهى و أمر'[٧] و ما نزلت[٨] سورة البقرة و النساء إلا و أنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف فأملت عليه آي السور[٩] - انتهى. و قد عنت بهذا رضي الله عنها أن القرآن حاز أعلى[١٠] البلاغة في إنزاله مطابقا لما تقتضيه[١١] الأحوال بحسب الأزمان، ثم رتب على أعلى وجوه البلاغة بحسب ما تقتضيه[١٢] المفاهيم من المقال[١٣] - كما نشاهده من هذا الكتاب البديع المثال البعيد المنال.

و لما كان مقصودها الاجتماع على ما دعت[١٤] إليه السورتان قبلها

---

(١) من ظ و مد و الصحيح، و في الأصل: موالفة (٢) من مد و الصحيح، و في الأصل و ظ: قريب (٣) من ظ و مد و الصحيح، و في الأصل: منها. (٤) في ظ: لا يشربوا (٥) في ظ: خمرا (٦) سقط من ظ (٧) و من هنا إلى ص ١٧٢ أسسنا المتن على ظ لكون الأصل في غاية الانطماس (٨-٨) من مد و الصحيح، و في ظ: و قد انزلتا (٩) من مد و الصحيح، و في ظ و هامش الصحيح: السورة (١٠) من مد، و في ظ: على (١١) من مد، و في ظ: يقتضيه، و زيد فيه بعده: في، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها (١٢) من مد. و في ظ: يقتضيه. (١٣) في مد: الحال (١٤) من مد، و في ظ: دلت.

من

من التوحيد ، و كان السبب الأعظم فى الاجتماع [و - ١] التواصل عادةً الأرحام العاطفة التى مدارها النساء سميت "النساء" لذلك ، و لأن بالاتقاء فيهن تتحقق العفة و العدل الذى لبابه التوحيد ﴿ بسم الله ﴾ الجامع لشتات الأمور باحسان التزاوج[٢] فى لطائف المقدور ﴿ الرحمٰن ﴾ الذى جعل الأرحام رحمة عامة ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الذى خص من أراد بالتواصل على ما دعا إليه دينه الذى جعله[٣] نعمة تامة .

لما تقرر أمر[٤] الكتاب الجامع الذى هو الطريق ، و ثبت الأساس الحامل الذى هو التوحيد احتيج إلى الاجتماع على ذلك ، فجاءت هذه السورة داعية إلى الاجتماع و التواصل و التعاطف و التراحم فابتدأت[٥] بالنداء العام لكل الناس ، و ذلك أنه لما كانت أمهات الفضائل - كما تبين فى علم الأخلاق - أربعا : العلم و الشجاعة و العدل و العفة ، كما يأتى شرح ذلك فى سورة لقمٰن عليه السلام ، و كانت[٦] آل عمرٰن داعية مع ما ذكر من مقاصدها إلى اثنتين[٧] منها ، و هما العلم و الشجاعة - كما أشير إلى ذلك فى غير آية "نزل عليك الكتٰب بالحق" ، "و ما يعلم تاويلهٗ الا الله و الرٰسخون فى العلم" ، "شهد الله انه لآ اله الا هو و الملٰئكة و اولو العلم" ، "و لا تهنوا و لا تحزنوا و انتم الاعلون ان كنتم مؤمنين" ، "فما وهنوا لمآ اصابهم فى سبيل الله" ، ["فاذا عزمت فتوكل على الله" ،

(١) زيدت الواو من مد (٢) من مد ، و فى ظ : التجاوز (٣) زيد فى ظ : تامة ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى ظ : من (٥) فى مد : فابتديت (٦) من مد ، و فى ظ : كما نزلت (٧) من مد ، و فى ظ : اثنين .

" و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله -[١]] امواتا " - الآية ، " الذين استجابوا لله و الرسول من بعد ما اصابهم القرح" ، " يا ايها الذين امنوا اصبروا و صابروا " - الآية ، و كانت قصة أحد قد أسفرت عن أيتام استشهد مورثوهم فى حب الله ، و كان من أمرهم فى الجاهلية منع أمثالهم من الإرث جورا عن سواء السبيل و ضلالا عن أقوم الدليل ؛ جاءت هذه السورة داعية إلى الفضيلتين الباقيتين ، و هما العفة و العدل مع تأكيد الخصلتين الأخريين[٢] حسبما تدعو إليه المناسبة ، و ذلك مثمر[٣] للتواصل بالإحسان ، التعاطف باصلاح الشأن للاجتماع على طاعة الديان ، فمقصودها الأعظم الاجتماع على الدين بالاقتداء بالكتاب المبين ، و ما أحسن ابتداؤها بعموم[٤] : ﴿ يا ايها الناس ﴾ بعد اختتام تلك بخصوص " يا ايها الذين امنوا اصبروا [و صابروا -[٥]] - الآية .

و لما اشتملت هذه السورة على أنواع كثيرة[٦] من التكاليف ، منها التعطف على الضعاف بأمور كانوا قد مرنوا على خلافها ، فكانت فى غاية[٧] المشقة على النفوس ، و أذن بشدة الاهتمام بها بافتتاح السورة و اختتامها بالحث عليها قال: ﴿ اتقوا ربكم ﴾ أى سيدكم و مولاكم المحسن إليكم بالتربية بعد الإيجاد ، بأن تجعلوا بينكم و بين سخطه وقاية ، لئلا يعاقبكم بترك إحسانه إليكم / فينزل بكم كل بؤس . ابتدأ هذه ببيان /٤٤٧

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد و القرآن المجيد (٢) من مد ، و فى ظ : الاخرتين (٣) من مد ، و فى ظ : مستمر (٤) و إلى هنا انتهى تأسيس ظ متنا (٥) زيد من مد و القرآن المجيد (٦) فى مد : كبيرة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل: غايته - كذا .

كيفية ابتداء الخلق حثا على أساس[1] التقوى من العفة و العدل فقال: ﴿ الذى ﴾ جعل بينكم غاية الوصلة لتراعوها و لا تضيعوها[2]، و ذلك أنه ﴿ خلقكم من نفس واحدة ﴾ هى أبوكم آدم عليه الصلاة و السلام مذكرا[3] بعظيم قدرته ترهيبا للعاصى و ترغيبا للطائع توطئة للأمر بالإرث، و قد جعل سبحانه الأمر بالتقوى مطلعا لسورتين: هذه و هى رابعة النصف الأول، و الحج و هى رابعة النصف الثانى، و علل الأمر بالتقوى فى هذه بما[4] دل على كمال قدرته و شمول علمه و تمام حكمته من أمر المبدإ، و علل ذلك فى الحج بما صور المعاد[5] تصويرا لا مزيد عليه، فدل [فيها -[6]] على المبدإ و المعاد تنبيها على أنه محط الحكمة، ما خلق الوجود [إلا -[6]] لأجله، لتظهر[7] الأسماء الحسنى و الصفات العلى أتم[8] ظهور يمكن البشر الاطلاع عليه، و رتب ذلك على الترتيب الأحكم، فقدم سورة المبدإ على سورة المعاد لتكون الآيات المتلوة طبق الآيات المرئية، و أبدع من ذلك كله و أدق أنه لما كان أعظم مقاصد السورة الماضية المجادلة فى أمر عيسى، و أن مثله كمثل آدم عليهما الصلاة و السلام، و كانت حقيقة حاله أنه ذكرٌ تولّد من أنثى فقط بلا واسطة ذكر؛

(١) فى ظ: اثاث - كذا (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: لا يضيعوها.
(٣) من مد، و فى الأصل و ظ: مذكر (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: لما (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد، و فى الأصل: لتظهير، و فى ظ: ليظهر (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ثم.

بين فى هذه السورة بقوله - عطفا على ما تقديره جوابا لمن كأنه قال: كيف كان ذلك؟ - إنشاء تلك النفس، أو تكون[١] الجملة حالية -: ﴿و خلق منها زوجها﴾ أى مَثله فى ذلك أيضا كمثل حواء: أمه، فانها أنثى تولدت من ذكر بلا واسطة أنثى، فصار مثله كمثل[٢] كل من أبيه ٥ و أمه: آدم و حواء معا عليهما الصلاة و السلام، و صار الإعلام بخلق آدم و زوجه و عيسى عليهم الصلاة و السلام - المندرج تحت آية[٣] "بعضكم من بعض[٤]" مع آية البث التى بعد هذه - حاصرا[٥] للقسمة الرباعية العقلية التى لا مزيد عليها، و هى بشر لا من ذكر و لا أنثى، بشر منهما، [بشر -[٦]] من ذكر فقط، بشر من أنثى فقط؛ و لذلك عبر فى هذه ١٠ السورة بالخلق، و عبر فى غيرها بالجعل، لخلو السياق عن هذا الغرض، و يؤيد هذا أنه قال تعالى فى أمر يحيى عليه الصلاة و السلام "كذلك الله يفعل ما يشاء[٧]" و فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام "يخلق ما يشاء[٨]" و أيضا فالسياق هنا للترهيب الموجب للتقوى، فكان بالخلق الذى هو أعظم فى إظهار الاقتدار - لأنه اختراع الأسباب و ترتيب المسببات عليها - ١٥ أحق من الجعل الذى هو ترتيب المسببات على أسبابها و إن لم يكن اختراع - فسبحان العزيز العليم العظيم الحكيم!

و لما ذكر تعالى الإنشاء عبر بلفظ الرب الذى هو من التربية، و لما

(١) فى ظ: يكون (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: مثل (٣) سقط من ظ.
(٤) سورة ٣ آية ١٩٥ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: حاضرا (٦) زيد من ظ و مد (٧) سورة ٣ آية ٤٠ (٨) سورة ٣ آية ٤٧.

كان الكل - المشار إليه بقوله تعالى عطفا على ما تقديره : و بث لكم منه إليها : ﴿ و بث منهما ﴾ أى فرق و نشر [1]من التوالد[1] ، و لما كان المبثوث قبل ذلك عدما و هو الذى أوجده من العدم نكر[2] لإفهام ذلك قوله : ﴿رجالا كثيرا و نسآء ج ﴾ - من نفس واحدة ؛ كان إحسان[3] كل من الناس إلى كل منهم من صلة[4] الرحم ، و[5] وصف الرجال دونهن ٥ مع أنهن أكثر منهم إشارة إلى أن لهم عليهن درجة ، فهم أقوى و أظهر و أطيب و أظهر فى رأى العين لما لهم من الانتشار و للنساء من الاختفاء و الاستتار .

و لما كان قد أمر سبحانه و تعالى أول الآية بتقواه مشيرا إلى أنه [6]جدير بذلك منهم لكونه ربهم ، عطف على ذلك الأمر أمرا آخر مشيرا ١٠ إلى أنه[6] يستحق ذلك لذاته لكونه الحاوى لجميع الكمال المنزه عن كل شائبة نقص فقال : ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى عموما لما له من إحاطة الأوصاف كما اتقيتموه خصوصا لما له إليكم من الإحسان و التربية ، و احذروه و راقبوه فى أن تقطعوا أرحامكم التى جعلها سببا لتربيتكم .

و لما كان المقصود من هذه السورة المواصلة وصف[7] نفسه المقدسة ١٥ بما يشير إلى ذلك فقال : ﴿ الذى تسآءلون ﴾ أى يسأل / بعضكم بعضا ٤٤٨ / ﴿ به ﴾ فانه لا يسأل باسمه الشريف المقدس إلا الرحمة و البر و العطف ،

(١-١) فى مد : بالتوالد (٢) فى ظ : يكن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : احصان .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اصلة (٥) سقطت الواو من ظ (٦-٦) سقطت من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : وصل .

ثم زاد المقصود إيضاحا فقال: ﴿ و الارحام[1] ﴾ أى [و - [1]] اتقوا قطيعة الأرحام التى تساءلون بها، فانكم تقولون: ناشدتك بالله و الرحم! و علل هذا الأمر بتخويفهم عواقب بطشه، لأنـــه مطلع على سرهم و علنهم مع ما له من القدرة الشاملة. فقال مؤكدا لأن أفعال النـاس

٥ فى ترك التقوى و قطيعة الأرحام أفعال[2] من يشك فى أنه بعين الله سبحانه: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ كان عليكم ﴾ و فى أداة الاستعلاء ضرب من التهديد ﴿ رقيبا ﴾ و خفض حمزة "الارحام" المقسم بهـا تعظيما لها و تأكيـدا للتنبيه على أنهم قد نسوا الله فى الوفاء بحقوقها - كما أقسم[3] بالنجم و التين[4] و غيرهما، [و القراءتان - [5]] مؤذنتان[6] بأن

١٠ صلة الأرحام من الله بمكان عظيم، حيث قرنها باسمه سواء كان عطفا - كما شرحته آية "و قضى ربك ان لا تعبدوآ الآ اياه[7]" و غيرها - أو كان قسما، و اتفق المسلمون على أن صلة الرحم واجبـــة، و أحقهم بالصلة الولد، و أول صلته أن يختار له الموضع[8] الحلال.

و لما بان من هذا تعظيمه لصلة الرحم بجعلها فى سياق ذكره سبحانه

١٥ و تعالى المعبر عنه باسمه الأعظم - كما فعل نحو ذلك فى غير[9] آية، وكان

(١) زيدت الواو من مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: نقـال - كذا. (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: قسم (٤) من مـد، و فى الأصل: البر، و قد سقط من ظ (٥) زيد من مد (٦) من ظ ومد، و فى الأصل: مودبيان - كذا (٧) سورة ١٧ آية ٢٣ (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: الوضع (٩) زيد بعده فى الأصل و مد: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

قد تقدم فى السورة الماضية ذكر قصة أحد التى انكشفت عن أيتام[١]، ثم ذكر فى قوله تعالى " كل نفس ذائقة الموت" أن الموت مشرع[٢] لا بد لكل نفس من وروده؛ علم أنه لا بد من وجود الأيتام فى كل وقت، فدعا إلى العفة و العدل فيهم لأنهم بعد الأرحام أولى من يتقى الله فيه[٣] و يخشى مراقبته بسببه فقال: ﴿ و اٰتوا اليتٰمىٰٓ ﴾ أى الضعفاء الذين انفردوا عن آبائهم، و أصل اليتم[٤] الانفراد ﴿ اموالهم ﴾ أى هيئوها بحسن التصرف فيها لأن تؤتوهم إياها بعد البلوغ - كما يأتى، أو يكون الإيتاء[٥] حقيقة و اليتم باعتبار ما كان، أو باعتبار الاسم اللغوى و هو مطلق الانفراد، و ما أبدع إيلاءها للآية الآمرة بعد عموم تقوى الله بخصوصها[٦] فى صلة الرحم المختتمة بصفة الرقيب! لما لا يخفى من أنه لا حامل على العدل فى الأيتام إلا المراقبة، لأنه لا[٧] ناصر لهم، و قد يكونون ذوى رحم.

و لما أمر بالعفة فى أموالهم أتبعه تقبيح[٨] الشره[٩] الحامل للغافل[١٠] على لزوم المأمور به فقال: ﴿ و لا تتبدلوا ﴾ أى تكلفوا أنفسكم أن تأخذوا على وجه البدلية ﴿ الخبيث ﴾ أى من الخباثة التى لا أخبث منها،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الايتام (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مشروع.
(٣) فى مد: فيهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اليتيم (٥) فى ظ: الاتيان.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لخصوصها (٧) سقط من ظ (٨) من مد، و فى الأصل: بقبيح، و فى ظ: بفتتح - كذا (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: العشرة (١٠) فى مد: للعاقل.

لأنها تذهب بالمقصود من الإنسان ، فتهدم جميع أمره ﴿ بالطيب ص ﴾ أى الذى هو [كل - ١] أمر يحمل على معالى الأخلاق الصائنة[٢] للعرض ، المعلية لقدر الإنسان ؛ ثم بعد هذا النهى العام نوّه بالنهى عن نوع منه خاص ، فقال معبرا بالأكل[٣] الذى[٤] كانت العرب تذم بالإكثار منه ٥ و لو أنه حلال طيب ، فكيف إذا كان حراما و من مال ضعيف مع الغنى عنه : ﴿ و لا تاكلوآ اموالهم ﴾ أى تنتفعوا بها أىّ انتفاع كان ، مجموعة ﴿ الىٓ اموالكم ط ﴾ شرها و حرصا و حبا فى الزيادة من الدنيا التى[٥] علمتم شؤمها و ما أثرت من الخذلان فى آل عمرٰن ، و عبر بالى إشارة إلى تضمين الأكل معنى الضم تنبيها على أنها متى ضمت إلى مال ١٠ الولى أكل منها فوقع فى النهى ، فحض بذلك على تركها محفوظة على حيالها[٦] ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انه ﴾ أى الأكل ﴿ كان حوبا ﴾ أى إثما و هلاكا ﴿ كبيرا ه ﴾ .

و لما كان تعالى [قد - ١] أجرى سنة الإلٰهية فى أنه لا بد فى التناسل من توسط[٤] النكاح إلا ما كان من آدم و حواء و عيسى عليهم ١٥ الصلاة و السلام ، و كانوا قد أمروا بالعدل فى أموال اليتامى ، و كانوا يلون[٨] أمور يتاماهم ، و كانوا ربما نكحوا من فى حجورهم منهن ، فكان ربما أوقفهم هذا التحذير من أموالهم عن النكاح خوفا من التقصير فى

(١) زيد من مد (٢) فى ظ : الصائبة (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالاهل .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى (٥) فى ظ : الذى (٦) أى انفرادها ، و فى الأصل ومد : حبالها ، و فى ظ : مثالها (٧) فى ظ : توسطه (٨) فى ظ : يولون .

حق من حقوقهن أتبعه تعالى عطفا على ما تقديره: فان وثقتم من أنفسكم[1] بالعدل فخالطوهم بالنكاح و غيره: ﴿ و ان خفتم ﴾ فعبر بأداة الشك حثا على الورع ﴿ الا تقسطوا ﴾ أى تعدلوا ﴿ فى اليتمى ﴾ و وثقتم من أنفسكم بالعدل فى غيرهن ﴿ فانكحوا ﴾ .

و لما كانت النساء ناقصات عقلا و دينا، عبر عنهن بأداة ما لا يعقل ٥ إشارة إلى الرفق بهن و التجاوز / عنهن فقال: ﴿ ما ﴾ و لما أفاد[2] انكحوا[2] / ٤٤٩ الإذن المتضمن للحل، حمل الطيب على اللذيذ المنفك عن النهى السابق ليكون الكلام عاما مخصوصا بما يأتى من آية المحرمات من النساء، و لا يحمل الطيب على الحل لئلا يؤدى - مع كونه تكرارا - إلى أن يكون الكلام مجملا - لأن الحل لم يتقدم علمه، و الحمل على العام المخصوص ١٠ أولى، لأنه حجة فى غير محل التخصيص، و المجمل[2] ليس بحجة أصلا - أفاده[3] الإمام الرازى؛ فقال تعالى: ﴿ طاب ﴾ أى زال عنه حرج النهى السابق و لذ، و أتبعه قيدا لا بد منه بقوله: ﴿ لكم ﴾ و صرح بما علم[4] التزاما فقال: ﴿ من النسآء ﴾ أى من غيرهن ﴿ مثنى و ثلث و ربع ج ﴾ أى حال كون هذا المأذون فى نكاحه[5] موزعا هكذا: ثنتين ثنتين و ثلاثا ١٥ ثلاثا و أربعا أربعا لكل واحد، و هذا الحكم عرف من العطف بالواو، و لو كان بأو لما أفاد التزوج إلا على أحد هذه الوجوه الثلاثة[6]،

(١) فى ظ: انفسهم (٢) فى ظ: الحمل (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: افادة.
(٤) تكرر فى الأصل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: غيره (٦) فى مد: الثلاث.

و لم يفد التخيير المفيد للجمع بينها على سبيل التوزيع ، و هذا دليل واضح على أن النساء أضعاف الرجال ؛ و روى البخارى فى التفسير عن عروة ابن الزبير أنه سأل عائشة رضى الله عنها عن قوله[1] تعالى "و ان خفتم الا تقسطوا فى اليتمى" فقالت : يا ابن أختى ! هذه اليتيمة تكون فى حجر
٥ وليها ، تشركه فى ماله ، و يعجبه مالها و جمالها ، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط[2] فى صداقها فيعطيها [مثل ما يعطيها -[3]] غيره ، فنهوا عن ذلك أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن و يبلغوا لهن أعلى[4] سنتهن فى الصداق ، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ؛ قال عروة : قالت عائشة : و إن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم
١٠ بعد هذه الآية ، فأنزل الله عزوجل "[و -[5]] يستفتونك فى النساء" قالت عائشة : و قول الله عز و جل فى آية أخرى "و ترغبون ان تنكحوهن" رغبة[6] أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال و الجمال ، قالت[7] : فنهوا أن ينكحوا من رغبوا فى ماله و جماله فى يتامى النساء إلا بالقسط ، من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات [-[8] المال و الجمال ، و فى رواية

(١) فى ظ : قول (٢) من ظ و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : يسقط - كذا (٣) زيد من ظ و مد و صحيح البخارى (٤) من صحيح البخارى ، و فى الأصل و مد : على ، و قد سقط من ظ (٥) زيد من صحيح البخارى و القرآن المجيد (٦) من صحيح البخارى ، و فى الأصول : رغب (٧) فى ظ : قال (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد ، و لفظ « المال و الجمال » ثبت فى صحيح البخارى أيضا .

" فى النكاح "، فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا] فيها[1] إلا أن يقسطوا لها و يعطوها حقها الأوفى فى الصداق ؛ و هذا الخطاب للأحرار دون العبيد ، لأن العبد لا يستقل[2] [بنكاح -[3]] ما طاب له ، بل لا بد من إذن السيد .

و لما كان النساء كاليتامى فى الضعف قال مسببا عن الإذن فى النكاح : ﴿ فان خفتم الا تعدلوا ﴾ أى فى الجمع[4] ﴿ فواحدة ﴾ أى فانكحوها ، لأن الاقتصار عليها أقرب إلى العدل ، لأنه ليس معها من يقسم له فيجب العدل بينها و بينه ، و لما كان حسن العشرة المؤدى إلى العدل دائرا على إطراح النفس ، وكان الإماء - لكسرهن بالغربة و عدم الأهل - أقرب إلى حسن العشرة سوّى بين العدد منهن إلى غير نهاية و بين الواحدة من الحرائر فقيل : ﴿ او ما ﴾ أى انكحوا ما ﴿ ملكت ايمانكم ط ﴾ فانه لا قسم بينهن ، و ذكر ملك اليمين يدل أيضا على أن الخطاب من أوله خاص بالأحرار ﴿ ذلك ﴾ أى نكاح غير اليتامى و التقلل من الحرائر و الاقتصار على الإماء ﴿ ادنى ﴾ أى أقرب[5] إلى ﴿ الا تعولوا ط ﴾ أى[1] تميلوا[6] بالجور عن[7] منهاج القسط و هو الوزن المستقيم ، أو تكثر[8] عيالكم ، أما عند الواحدة فواضح ، و أما

(١) سقط من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : لا يشتغل ، و فى ظ : لا يشغل.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : الجميع (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : الاقرب (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : يميلوا (٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : على (٨) فى ظ : يكثر .

عند الإماء فبالعزل[1]، و عدم احتياج الرجل معهن لخادم له أو لهن، و البيع لمن أراد منهن، و أمرهن بالاكتساب، أو تحتاجوا فتظلموا بعض النساء، أو تأكلوا أموال اليتامى؛ و كل معنى من هذه راجع إلى لازم لمعنى[2] المادة الذى مدارها عليه، لأن مادة ُعلا[3]ُ - واوية بجميع تقاليبها الست: علو، عول، لوع، لعو، [4]وعل، ولع[4]؛ و يائية بتركيبيها: ليع[5]، عيل - تدور على الارتفاع، و يلزمه الزيادة و الميل، فمن[6] الارتفاع: العلو و الوعل و الولع، و من الميل و الزيادة: العول، و بقية المادة يائيةً و[2] واويةً إما للازالة، و إما لأحد هذه المعانى - على ما يأتى بيانه؛ فعلا يعلو: ارتفع، و العالية: [7]الفتاة القويمة - لأنها تكون أرفع مما[8] ساواها و هو معوج، و العالية من محال الحجاز - لإشرافها على ما حولها، و كذا العوالى - لقرى[9] بظاهر المدينة الشريفة[10] / - لأنها فى المكان العالى الذى يجرى ماؤه إلى غيره، و المَعلاة: كسب الشرف، و مقبرة[11] مكة بالحجون - لأنها فى أعلى مكة و ماؤها يصوب إلى ما دونه، و فلان من علية الناس، أى أشرافهم، و العلية بالتشديد: الغرفة، و ُعلى ُ

/٤٥٠

(١) من مد، و فى الأصل: فبالعزا - كذا، و فى ظ: بالعدل (٢) فى ظ: المعنى.
(٣) سقط من ظ (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: و ولع على - كذا.
(٥) فى ظ: بيع (٦) زيد بعده فى ظ: الزيادة (٧) العبارة من هنا إلى «و العالية» الآتى سقطت من ظ (٨) من مد، و فى الأصل: ماما - كذا.
(٩) من مد، و فى الأصل و ظ: القرى (١٠) فى مد: المشرفة (١١) فى مد: لمقبرة.

حرف الاستعلاء[1]، و تعلت المرأة من نفاسها، أى طهرت و شفيت ـ لأنها كانت فى سفول من الحال، و العلاوة: رأس الجبل و عنقه، و ما يحمل على البعير بين العدلين، و من كل شىء: ما زاد عليه، و المعلى: القدح السابع[2] من[3] الميسر ـ لأنه الغاية فى القداح الفائزة، لأن القداح عشرة: السبعة الأولى منها فائزة، و الثلاثة الأخيرة مهملة لا أنصباء[4] لها، و علوان الكتاب: عنوانه، و ارتفاعه على بقية الكتاب واضح، و العليان: الطويل و الضخم، و الناقة المشرفة، و من الأصوات: الجهيرة، و العلاة: السندان، و العلياء: رأس كل جبل مشرف، و السماء، و المكان العالى، و كل ما علا من شىء، و عليك زيدا: الزمه ـ لأنه يلزم من ملازمته له العلوُ على أمره، و علا النهار: ارتفع، و علا الدابة: ركبها، و أعلى عنها: نزل ـ كأنه من الإزالة، و كذا علَّى المتاع عن الدابة تعلية: أنزله، و أعليت عن الوسادة [و عاليت ـ[6]]: ارتفعت و تنحيت[7]، و رجل عالى[8] الكعب: شريف، و علَّى الكتاب[9] تعلية: عنونه[9] كعلونه[10]، و عالوا نعيه[11]: أظهروه، و العلى: الشديد[12] القوى، و عليون فى السماء

(١) فى مد: استعلا (٢) فى ظ: السابغ (٣) فى مد: فى (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: انصاء (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ترحلت (٨) فى ظ: على (٩-٩) فى ظ: تقليبه بنونه ـ كذا. (١٠) تقدم فى ظ على «شريف» غير أنه وقع فيه "كعلويه" ـ كذا (١١) من لسان العرب، و فى الأصل: لغيه، و فى ظ: نعه، و فى مد: بغيه ـ كذا. (١٢) من مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: الشريف.

السابعة، و أخذه علوا: عنوة، و التعالى[١]: الارتفاع، إذا أمرت[٢] منه[٣] قلت[٤]: تعال - بفتح اللام، و لها: تعالى - و لو كنت فى موضع أسفل من موضع المأمور، لأنه يحتاج إلى تطاول مهما[٥] كان[٦] بينك و بينه مسافة، و لأن[٧] الآمر أعلى من المأمور رتبة فوضعه كذلك،

٥ و تعلى[٨]: علا فى مهلة[٩]، و المعتلى[١٠]: الأسد؛ و اللعو: السيئ الخلق، و[١١] الفسل، و الشره[١١] الحريص، و اللاعى: الذى يفزعه أدنى شىء، إما[١٢] لأنه وصل إلى الغاية فى السفول فتسنم أعلاها حتى رضى لنفسه هذه الأخلاق[١٣]، و إما لأنه من باب الإزالة، أو[١٤] التسمية بالضد، و[١٥] ذئبة لعوة[١٥] و امرأة لعوة[١٦]، أى حريصة، و اللعوة: السواد بين

١٠ حلمتى الثدى، إما لأن ذلك أعلاه، و إما لعلو[١٧] لون السواد على لون الثدى، و الألعاء: السلاميات، و السلامى عظم يكون فى فرسن البعير،

(١) فى ظ و مد: العنانى (٢) سقط من ظ و مد (٣) فى ظ: سنة (٤) من ظ و مد. و فى الأصل: قال (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: منها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: كانك (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٨) من ظ و اللسان. و فى الأصل و مد: تعالى، و الواو التى قبله ساقطة من ظ (٩) من ظ و اللسان، و فى الأصل و مد: مهملة (١٠) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: المعتل (١١-١١) من اللسان، و فى الأصل و مد: العل و السر، و فى ظ: العل و الشر - كذا (١٢) فى ظ: لاما (١٣) فى ظ: الاخلاص. (١٤) فى ظ «و» (١٥-١٥) من اللسان، و فى الأصل: د لقوة، و فى ظ: ديته لغوه، و فى مد: ديته لعزه - كذا (١٦) من مد و اللسان، و فى الأصل: لقوة، و فى ظ: لغوه - كذا (١٧) من ظ و مد، و فى الأصل: العلو.

و عظام[1] صغار فى اليد و الرجل . و ذلك لأن العظام أعلى ما فى الجسد فى القوة و الشدة و الصلابة ، و هى أعظم قوامه ؛ و اللاعية : شجيرة[2] فى سفح الجبل ، لها نور أصفر ، و لها لبن ، و إذا[3] ألقى منه شىء فى غدير[4] السمك أطفاها ، أى جعلها طافية أى عالية[5] على وجه الماء ، سميت بذلك إما من باب الإزالة نظرا[6] إلى محل بيتها[7] ، و إما لأن ريحها يعلو كل ما خالطه و يكسبه طعمها . و إما[8] لفعلها هذا فى السمك ، و تلعّى[9] العسل : تعقّد وزنا و معنى[10] - إما من اللاعية لأنها كثيرة العقد ، و إما من لازم العلو : القوة و الشدة ، و لعا لك - يقال عند العثرة ، أى أنعشك[11] الله ؛ و العول : ارتفاع الحساب فى الفرائض ، و العول : [الميل ، و قد تقدم أنه لازم للعلو ، و العول -[12]] : كل أمر غلبك[13] ، كأنه علا عنك فلم تقدر[14] على نيله ، و المستعان به - لأنه لا يتوصل به إلى المقصود إلا و فيه علو ، و قوت العيال - لأنه سبب علوهم ، و عوّل[15] عليه معولا[16] : اتكل

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : سحيرة (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : اذ .
(٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : غذير - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عاليها (٦) فى ظ : نظر (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بينها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٩) من القاموس ، و فى الأصول : تاقى (١٠) زيد فى مد « و » (١١) من مد ، و فى الأصل : انفسك ، و فى ظ : انعيثك - كذا .
(١٢) زيد ما بين الحاجزين من مد (١٣) فى ظ : عليك (١٤) فى ظ : فلم يقدر .
(١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عال (١٦) و لا يقال : تعويلا - كما فى أقرب الموارد .

و اعتمد ، و الاسم كعنب ، و عيّل ككيس[1] ، و عال : جار[2] ، و الميزانُ : نقص أو زاد ، فالزيادة من الارتفاع ، و النقص من لازم الميل ، و عالت الفريضة : ارتفعت أى زادت[3] سهامها فدخل النقصان على أهل الفرائض ، قال أبو عبيد[4] : أظنه مأخوذا[5] من الميل ، و عال أمرهم : اشتد و تفاقم ، و عال فلان عولا و عيالا : كثر[6] عياله ، كأعوّل و أعيل ، و رجل مُعيل [و معيّل - [7]] : ذو عيال ، و أعال الرجل و أعول - إذا حرص ، إما مما تقدم تخريجه ، و إما لأنه لازم لذى العيال ، و عال عليه : حمل ، أى رفع عليه الحمول كعَول ، و فلان : حرص ، و الفرس : صوتت ، و أعولت المرأة : رفعت صوتها بالبكاء ، و عيل عوله[8] : ثكلته أمه - لما يقع من صياحها ، و عِيل ما هو عائله : غلب[9] ما هو غالبه ، يضرب لمن يعجب من كلامه و نحوه [لأنه - [7]] لا يكون كذلك إلا و قد خرج عن أمثاله علوا ، و قد يكون بسفول ، فيكون من التسمية بالضد ، و العالة[10] : النعامة - لأنها أطول الطير ، و ما له عال و لا مال : شيء - لأن ذلك غاية فى السفول إن كان عجزا ، و فى العلو إن كان زهدا ، و يقال للعاثر : عالك عاليا / ، كقولهم : لعا لك ، و المِعول : حديدة تنقر[11] بها الجبال - من القوة اللازمة للعلو[12] ، و العالة : شبه الظلة[13] يستر بها

٤٥١/

(١) فى ظ : كلبس (٢) فى ظ : الجار (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : زاد .
(٤) فى ظ : ابو عبيدة (٥) من تاج العروس ٨/٣٨ ، و فى الأصول : ماخوذ .
(٦) من مد ، و فى الأصل : كبر ، و فى ظ : كثير (٧) زيد من ظ و مد .
(٨) فى ظ : عولته ، و فى مد : عولة (٩) فى ظ : علت (١٠) فى ظ : افعاله - كذا .
(١١) فى ظ : تقر (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : للعول (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الظلمة .

من المطر[1] ؛ و اللوعة : [حرقة -[2]] توجد من الحزن أو[3] الحب أو[3] المرض أو الهم - لأنها تعلو الإنسان ، و لاعه الحب : أمرضه ، و أتان لاعة الفؤاد إلى جحشها - كأنها ولهى[4] فزعا ، و لاع يَلاع : جزع أو مرض ، و رجل هاع[5] لاع : جبان جزوع ، أو حريص ، أو سيء الخلق - لما علاه من هذه[6] الأخلاق المنافية للعقل و غلبه[7] منها ، و لاعته[8] الشمس : غيرت لونه ، و اللاعة أيضا : الحديدة[9] الفؤاد الشهمة[10] - [11]لأنه يعلو غيره[11] ، و امرأة لاعة : التي[12] تغازلك و لا تمكنك[13] - لما لها في ذلك من الغلبة و العلو على القلوب ؛ و الوعل : تيس الجبل[14] ، و الشريف ، و الملجأ ، و الوعلة : الموضع المنيع من الجبل ، أو صخرة مشرقة منه ، و هم علينا وعل واحد : مجتمعون ، و ما لك عن ذلك وعل ، أي بد - فانه[15] لو لا علوه عليك ما اضطررت إليه ، و الوعل : اسم شوال[16] - كأنه لما له من العلو بالعيد و الحج ، و الوعل ككتف[17] : اسم شعبان - لما له من العلو بتوسطه بين رجب و شوال ، و الوعلة[18] أيضا : عروة القميص

(١) في ظ : المظهر (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ « و » (٤) في ظ : و لهن . (٥) من اللسان ، و في الأصول : صاع - كذا (٦) من مد ، و في الأصل و ظ : هذا (٧) في ظ : عليه (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : لاعية (٩) من القاموس ، و في الأصول : الحديد (١٠) من القاموس ، و في الأصول : الشبهة (١١-١١) كذا ، و السياق يقتضي : لأنها تعلو غيرها (١٢) من القاموس ، و في الأصول : اى . (١٣) من ظ و مد ، و في الأصل : لا يكفك (١٤) من اللسان ، و في الأصول : الخيل (١٥) من مد ، و في الأصل : فانه ، و في ظ : فانة - كذا (١٦) في ظ : سوال (١٧) في ظ : الكتف (١٨) و من هنا نسخة مد في غاية الانطماس ، و إذا اتضح شيء ذكرناه .

[و الزير زره - [١]] و القدح و الإبريق الذى يعلق بها فيعلو ، و وعال كغراب : حصن باليمن ، و المستوعل - بفتح العين : حرز الوعل ، و وعل كوعد : أشرف ، و توعلت الجبل[٢] : علوته : و أولع فلان بكذا ، أو[٣] ولع - بالكسر : استخف[٤] ، أى صار[٥] عاليا[٦] عليه غالبا له لإطاقته حمله ، و ولع بحقه : ذهب ، و ولع بالفتح - إذا كذب ، إما للازالة و إما لأنه استخفه الكذب فحمله ، و ولع والع - مبالغة ، أى كذب عظيم ، و المولع : الذى فيه لمع من ألوان - كأنه علا على تلك الألوان ، أو غلب تلك الألوان أصلَ لونه ، و عبارة القاموس : و التوليع : استطالة البلق ، [يقال -[٧]] : برذون و ثور مولع - كمعظم ، و الوليع : الطلع ما دام فى قيقائه ، أى وعائه[٨] . و هو قشرة الطلع لعلوه[٩] ، و ما أدرى ما ولعه - بالفتح ، أى حبسه ، إما للازالة ، لأنه لما منعه كان[١٠] كأنه أزال علوه ، و إما لأنه علا عليه ، و أولعه به[١٠] ، أى أغراه ، أى حمله عليه ؛ و العيلة[١١] : الحاجة ، و عال يعيل - إذا افتقر ، و ذلك إما من الإزالة ، أو لأن الحاجة عَلَته ، أو لأنها ميل ، و عالنى الشىء : أعجزنى ، و عيل صبرى : قل و ضعف[١٢] ، أى علاه من الأمر ما أضعفه ، و عِلتُ الضالة : لم أدر أين أبغيها ، و المُعيل[١٣] :

(١) زيد من مد و تاج العروس (٢) فى ظ : الخيل (٣) فى ظ « و » (٤) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : استحق (٥) فى ظ : فصار (٦) من ظ ، و فى الأصل : عالما - كذا (٧) زيد من القاموس (٨) فى الأصل : وعاية ، و فى ظ : وقاية - كذا (٩) فى ظ : بعلوه ، و زيد بعده : و رى - كذا (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ : العيل (١٢) من ظ ، و فى الأصل : ضعه (١٣) من القاموس ، و فى الأصل و ظ : العيل .

الأسد و النمر و الذئب - لأنه يعيل صيدا أى يلتمس ، فهو يرجع إلى العلو و القدرة على الطلب ، و عالنى الشيء : أعوزنى - إما أزال علوى ، أو علا عنى ، و عال فى [[1] - مشيه [2] : تمايل [3] و اختال و تبختر [3] - لأنه لا يفعله إلا عال فى نفسه مع أنه كله من الميل ، و عال فى] الأرض : ذهب ، أى علا عليها مشيا ، و الذكر من الضباع [4] عيلان ، و العيل ٥ محركة : عرضك حديثك و كلامك على من لا يريده [5] و ليس من شأنه - كأنه لم يهتد لمن يريده فعرضه على من لا يريده [5] ، فهو يرجع إلى الحاجة المزيلة للعلو ؛ و ليعة [6] الجوع - بالفتح : حرقته - كما تقدم فى اللوعة ، و لعت - بالكسر : ضجرت ، كأنه من الإزالة ، أو أن العلو للأمر المتضجر منه ، و الملياع [7] - بالكسر : السريعة العطش - لأنها تعلو الإبل ١٠ حينئذ سبقا [8] إلى الماء ، أو لأن العطش علاها ، و الملياع : التى تقدم الإبل سابقة ثم ترجع إليها ، و ريح لياع [9] - بالكسر : شديدة ، و قد وضح بذلك صحة ما [10] فسر به [10] إمامنا الشافعى صريحا و مطابقة - كما تقدم ، و شهد له العول فى الحساب و السهام ، و هو كثرتها ، و ظهر تحامل من

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من القاموس ، و فى ظ : مسبه (٣-٣) من القاموس ، و فى ظ : و اجتاله و منحير - كذا (٤) من اللسان ، و فى الأصل : الضفادع ، و فى ظ : الضعفادع - كذا (٥-٥) سقطت من ظ (٦) من القاموس ، و فى الأصل : ليعه ، و فى ظ : لعيه - كذا (٧) من القاموس ، و فى الأصل : الملباع ، و فى ظ : اللباع - كذا (٨) فى ظ : سابقا (٩) من القاموس ، و فى الأصل و ظ : لباع (١٠-١٠) من ظ ، و فى الأصل : فسرته .

رد ذلك و قال : إنه لا يقال فى كثرة العيال إلا : عال[1] يعيل ، و كم من عائب[2] قولا صحيحا ! و كيف لا و هو من الأئمة المحتج بأقوالهم فى اللغة ، و قد وافقه غيره و شهد لقوله الحديث الصحيح ؛ قال الإمام يحيى ابن أبى الخير العمرانى الشافعى فى كتابه البيان : "الا تعولوا[3]" قال الشافعى : معناه أن لا تكثر[4] عيالكم[5] و من تمونونه[5] ، و قيل : إن أكثر السلف قالوا : المعنى أن لا تجوروا[6] ، يقال : عال يعول - إذا جاروا ، عال يعيل - إذا كثر عياله ؛ إلا زيد بن أسلم فانه قال : معناه أن لا تكثر عيالكم ، و قول النبى صلى الله عليه و سلم يشهد لذلك ، قال « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول » انتهى .

و هذا الحديث أخرجه الشيخان و غيرهما عن حكيم بن حزام عن / أبى هريرة رضى الله عنهما بلفظ « أفضل الصدقة ما كان عن[7] ظهر غنى ، و اليد العليا خير من اليد السفلى ، و ابدأ بمن تعول » و فى الباب أيضا عن عمران بن حصين و أبى رمية العلوى[8] و أبى أمامة رضى الله عنهم ، و أثر زيد بن أسلم رواه الدارقطنى و البيهقى من طريق سعيد بن أبى هلال عنه ، قال : ذلك أدنى أن لا يكثر من يعولونه - أفاده[9] شيخنا ابن حجر

/ ٤٥٢

(١) فى ظ : اعال (٢) فى ظ : غائب (٣) فى ظ : لا يقولوا (٤) فى ظ : لا يكثر . (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لمن تمرنونه - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : لا تجوزوا (٧) فى ظ : على (٨) كذا فى الأصول ، و لم نفز بتحقيقه فيما عندنا من المراجع ، فلعله : أبى رمثة البلوى (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : افادة .

فى

فى تخريج أحاديث الرافعى و قال الإمام : إن تفسير الشافعى هو تفسير الجماعة ، عبر عنه بالكناية[1] و هى ذكر الكثرة ، و أراد[2] الميل لكون الكثرة لا تنفك عنه ، و قال ابن الزبير : لما تضمنت سورة البقرة ابتداء الخلق و إيجاد آدم عليه الصلاة و السلام من غير أب و لا أم ، و أعقبت بسورة آل عمران لتضمنها - مع [3]ما ذكر[3] فى صدرها - أمر عيسى عليه الصلاة ٥ و السلام ، و أنه كمثل آدم عليه الصلاة و السلام فى عدم[4] الافتقار إلى أب ، و علم الموقنون من ذلك أنه تعالى لو شاء لكانت سنة فيمن بعد آدم عليه الصلاة و السلام ، [فكأن سائر الحيوان -[5]] لا يتوقف إلا على أم فقط ؛ أعلم سبحانه أن من عدا المذكورين عليهما الصلاة و السلام من ذرية آدم سبيلهم[6] سبيل الأبوين فقال تعالى " يآيها الناس اتقوا ١٠ ربكم - إلى قوله : و بث منهما[7] رجالا كثيرا و نسآء " ثم أعلم تعالى كيفية[8] النكاح المجعول سببا[9] فى التناسل و ما يتعلق بـه ، و بين حكم الأرحام و[10] المواريث فتضمنت السورة ابتداء الأمر و انتهاءه[11] ، فأعلمنا بكيفية التناكح و صورة الاعتصام و احترام بعضنا[12] لبعض و كيفية تناول الإصلاح فيما بين الزوجين عند التشاجر و الشقاق ، و بين لنا ما ينكح ١٥

(١) فى الأصول : بالكتابة - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : افراد (٣-٣) فى ظ : ذكر ما (٤) من ظ ، و فى الأصل : ذلك (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) من ظ ، و فى الأصل : بسبيلهم (٧) و إلى هنا انتهى الانطماس من نسخة مد (٨) فى ظ : الكيفية ، و فى مد : بكيفية (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (١٠) سقط من ظ (١١) فى مد : انتهاه (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعضها .

وما أبيح من العدد و حكم من لم يجد الطول وما يتعلق بهذا إلى المواريث ، فصل ذلك كله إلا[1] الطلاق ، لأن[2] أحكامه تقدمت ، و لأن بناء [هذه السورة على التواصل و الائتلاف و رعى حقوق ذوى الأرحام و حفظ ذلك كله إلى حالة -[3]] الموت المكتوب علينا ، و ناسب هذا المقصود [من -[4]] التواصل و الألفة ما افتتحت به السورة من قوله تعالى " الذى خلقكم من نفس واحدة " - الآية ، فافتتحها بالالتئام و الوصلة [[5]و لهذا خصت[5] من حكم تشاجر الزوجين بالإعلام بصورة الإصلاح و المعدلة[6] إبقاء لذلك التواصل -[3]] فلم يكن الطلاق ليناسب هذا ، فلم يقع له هنا[7] ذكر[8] إلا إيماء[8] " و ان يتفرقا يغن الله كلا من سعته " ، و لكثرة[9] ما يعرض من رعى حظوظ النفوس عند الزوجية و مع القرابة - و يدق ذلك و يغمض[10] - تكرر كثيرا فى هذه السورة الأمرُ بالاتقاء ، و به افتتحت " اتقوا ربكم " ، " و اتقوا الله الذى تساءلون به و الارحام " ، " و لقد وصينا الذين اوتوا الكتب من قبلكم و اياكم ان اتقو الله " ، ثم حذروا من حال من صمم على[11] الكفر و حال اليهود و النصارى و المنافقين و ذوى التقلب فى الأديان بعد أذن اليقين ، و كل ذلك تأكيد لما أمروا به من الاتقاء ، و التحمت الآيات إلى الختم

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الى - كذا (٢) فى ظ : لانه (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) زيد من مد (٥ - ٥) من مد ، و فى ظ : و انه اخصبت - كذا (٦) من مد ، و فى ظ : المعدله (٧) سقط من ظ (٨ - ٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : الايمان - كذا (٩) فى ظ : الكثرة (١٠) زيد بعده فى الأصول : لذلك ما ، فحذفنا تلك الزيادة لكى ينتسق الكلام (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعلى .

بالكلالة من المواريث المتقدمة - انتهى .

و لما حذروا من القول الذى من مدلوله[1] المحاجة عن كثرة النساء ؛ كان ربما تعلق به من يبخل عن بعض الحقوق ، لا سيما ما[2] يستكثره من الصداق ، فأتبعه ما[3] ينفى ذلك ، فقال - مخاطبا للأزواج ، لأن السياق لهم ، معبرا بما يصلح للدفع و الالتزام المهيئ له - : ﴿و آتوا النسآء﴾ أى عامة من اليتامى و غيرهن[4] ﴿صدقـتهن﴾ ، و قولـه مؤكدا للايتاء بمصدر من معناه : ﴿نحلة ط﴾ مؤيدٌ لذلك ، لأن معناها : عطية عن طيب نفس ؛ [قال الإمام أبو عبد الله القزاز فى ديوانه : و أصله - أى النحل : إعطاء الشيء لا يراد به عوض -[5]] و كذا إن قلنا : معنى النحلة الديانة و الملة و الشرعة و المذهب ، أى آتوهن ذلك ديانة .

و لما وقع الأمر بذلك كان ربما أبى المتخلق[6] بالإسلام قبول ما تسمح به المرأة منه بـابراء[7] أو رد على سبيل الهبة - لظنه أن ذلك لا يجوز أو غير ذلك فقال : ﴿فان طبن لكم﴾ أى متجاوزات ﴿عن شيء﴾ و وحّد الضمير ليرجع إلى الصداق المفهوم من الصدقات ، و لم يقل : منها ، لئلا يظن أن الموهوب لا يجوز إلا إن كان صداقا كاملا فقال[8] : ﴿منه﴾ أى الصداق ﴿نفسا﴾ أى عن شهوة صادقة من غير إكراه[9]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مدلولة (٢) فى ظ : من (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ممـا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهـم (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) فى ظ : المستخلق (٧) من مد ، و فى الأصل : اترا ، و فى ظ : من ابراء - كذا (٨) فى ظ : قال (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : اكراة - كذا .

٤٥٣ / و لا خـــديعة ﴿ فكلوه ﴾ أى تصرفوا / فيه بكل تصرف يخصكم[١] ﴿ هنيئًا ﴾ أى سائغـا صالحا لذيذا فى عافية بـــلا مشقة و لا مضرة ﴿ مريئًا ٥ ﴾ أى جيـد المغبة[٢] بهجا سارًا، لا تنغيص[٣] [فيه -[٤]]، و ربما كان التبعيض[٥] ندبا إلى التعفف عن قبول الكل، لأنه فى الغالب لا يكون إلا عن خداع أو ضجر فربمـا أعقب الندم، و هذا الكلام يدل أيضا على تخصيص الأحرار دون العبيد، لأنهم لا يملكون ما جعلته النساء لهم ليأكلوه هنيئـا. قال الأصبهانى: فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم أنها لم تطب[٦] نفسها، و عن الشعبى أن رجلا أتى مع امرأته شريحا فى عطية أعطتها إياه و هى تطلب أن ترجع، فقال شريح: رد عليها، [فقال الرجل -[٧]]: أليس قد قال الله تعالى " فان طبن لكم[٨] " - الآية، [قال -[٩]]: لو طابت نفسها[١٠] لما رجعت فيه؛ و عنه قال[١١]: أقيلها[١٢] فيما وهبت و لا أقيله، لأنهن[١٣] يخدعن.

(١) فى مد: تخصكم (٢) من مد - أى العاقبة، و فى الأصل: الاعنه، و فى ظ: العيه - كذا، و فى القاموس: و قد مرأ الطعام مراءة فهو مرىء: هنىء حميد المغبة (٣) فى الأصل و مد: تنقيص، و فى ظ: تنصيص - كذا، و فى تاج العروس على رواية الكشاف: الهنىء و المرىء صفتان من: هنأ الطعام و مرأ - إذا كان سائغا لا تنغيص فيه (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: التنغيص (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لم تطلب (٧) زيد من روح المعانى ٢/٢٠ (٨) سقط من ظ و مد (٩) زيد من ظ و مد (١٠) زيد فى روح المعانى: عنه (١١) سقط من مد (١٢) فى ظ: اقبلها (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لأنه.

و لما

و لما أمر بدفع أموال اليتامى و النساء إليهم ، و نهى عن أكل شيء منها تزهيدا فى المال و استهانة به ، و كان فى النساء و المحاجير[1] من الأيتام و غيرهم سفهاء ، و أمر بالاقتصاد فى المعيشة حذرا من الظلم و الحاجة نهى عن التبذير ، و قد حث سبحانه على حسن رعاية المال فى غير آية من كتابه لأنه « نعم المال الصالح[2] للرجل الصالح » ـ رواه أحمد ٥ و ابن منيع عن عمرو بن العاص رفعه ؛ لأن الإنسان ما لم يكن فارغ البال [3]لا يمكنه القيام بتحصيل ما يهمه من الدنيا ، و ما لم يتمكن من تحصيل ما يهمه من الدنيا لا يمكنه أمر الآخرة ، و لا يكون فارغ البال[3] إلا بواسطة ما يكفيه من المال ـ لأنه لا يتمكن فى هذه الدار التى مبناها على الأسباب من جلب المنافع و دفع المضار إلا به ، فمن أراده[4] لهذا ١٠ الغرض كان من أعظم الأسباب المعينة له على اكتساب سعادة الآخرة ، [5]و من أراد لنفسه كان من أعظم المعوقات[6] عن سعادة الآخرة فقال تعالى : ﴿ و لا تؤتوا ﴾ أيها الأزواج [و الأولياء ـ[7]] ﴿ السفهآء ﴾ أى من محاجيركم و نسائكم و غيرهم ﴿ اموالكم ﴾ أى الأموال التى خلقها الله لعباده سواء كانت مختصة بكم أو بهم ، و لكم بها علقة بولاية ١٥ أو غيرها ، فانه يجب عليكم[8] حفظها ﴿ التى جعل الله ﴾ أى الذى له

(١) فى ظ : المحاضر (٢) سقط من ظ (٣ ـ ٣) سقطت من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : اراد (٥) العبارة من هنا إلى « سعادة الآخرة » سقطت من ظ . (٦) من مد ، و فى الأصل : المعرقات ـ كذا (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ : عليهم .

الإحاطة بالعلم الشامل و القدرة التامة ﴿ لكم قيٰما ﴾ أى ملاكا و عمادا تقوم[1] بها أحوالكم[2] ، فيكون ذلك سببا لضياعها ، فضياعها سبب لضياعكم ، فهو من تسمية السبب باسم المسبب للمبالغة فى سببيته ﴿ و ارزقوهم ﴾ متجرين[3] ﴿ فيها ﴾ و عبر بالظرف[4] إشارة إلى الاقتصاد و استثمار الأموال حتى لا تزال[5] موضعا للفضل ، حتى تكون النفقة و الكسوة من الربح لا من رأس المال ﴿ و اكسوهم ﴾ أى فان ذلك ليس من المنهى عنه ، بل هو من معالى الأخلاق[6] و محاسن الأعمال ﴿ و قولوا لهم ﴾ [أى - [7]] مع ذلك ﴿ قولا معروفا ﴾ أى فى الشرع و العقل كالعِدّة الحسنة و نحوها ، و كلّ ما[8] سكنت إليه النفس[9] و أحبته[9] من قول أو عمل و ليس مخالفا للشرع فهو معروف ، فان ذلك ربما كان أنفع من كثير من الإعطاء و أقطع للشر[10] ؛ و الحجر[9] على السفيه مندرج فى هذه الآية ، لأن ترك الحجر عليه من الإيتاء المنهى عنه .

و لما نهى عن ذلك البذل للسفهاء أيتاما كانوا أو[11] غيرهم ، بين[6] أنه ليس دائما بل ما[12] دام السفه [قائما - [7]] ، فمست الحاجة إلى التعريف بمن يعطى و من يمنع و كيفَ يفعل عند الدفع ، و لما كان السفه أمرا

(١) فى ظ : يقوم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اموالكم (٣) من مد ، و فى الأصل : متحيرين ، و فى ظ : متحير - كذا (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالظفر (٥) فى ظ : لا يزال (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ : لما (٩ - ٩) فى ظ : الواجبة - كذا (١٠) فى ظ : للشرع (١١) فى ظ « و » . (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : لما .

باطنا لا يعرف إلا بالتصرف و لا سيما فى المال؛ بدأ[1] سبحانه بتعليم ما يتوصلون به إلى معرفته فقال مصرحا بالأيتام اهتماما بأمرهم: ﴿ و ابتلوا اليتمىٰ ﴾ أى اختبروهم فى أمر الرشد فى الدين و المال فى مدة مراهقتهم و اجعلوا ذلك دأبكم ﴿ حتّى اذا بلغوا النكاح ج ﴾ أى وقت الحاجة إليه بالاحتلام أو[2] السن ﴿ فان انستم ﴾ أى علمتم [علما -[3]] أنتم فى عظيم ٥ تيقنه كأنكم تبصرونه[4] على وجه تحبونه و تطيب أنفسكم به ﴿ منهم ﴾ أى عندِ بلوغه ﴿ رشدا ﴾ أى بذلك التصرف، و نكّره لأن وجود كمال الرشد فى أحد يعز وقوعه ﴿ فادفعوآ / اليهم اموالهم ج ﴾ أى لزوال الحاجة / ٤٥٤ إلى الحجر بخوف التبذير، و أضافها إليهم بعد إضافتها أولا إلى المعطين إشارة إلى أنه لا يستحقها إلا من يحسن[5] التصرف فيها. ١٠

و لما كان الإنسان مجبولا على نقائص منها الطمع و عدم الشبع لا سيما إذا خالط، لا سيما إن حصل له إذن ما[6]؛ أدبه سبحانه بقوله: ﴿ و لا تاكلوهآ ﴾ أى بعلة استحقاقكم لذلك بالعمل فيها ﴿ اسرافا ﴾ أى مسرفين بالخروج عن القصد فى التصرف و وضع الشىء فى غير موضعه و إغفال العدل و الشفقة ﴿ و بدارا ﴾ أى مبادرين ﴿ ان يكبروا[1] ﴾ ١٥ أى فيأخذوها منكم عند[7] كبرهم فيفوتكم[7] الانتفاع بها، و كأنه عطف

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: ابدا (٢) فى ظ «و» (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) فى ظ: تتغيرونه (٥) من مد، و فى الأصل: حسن، و فى ظ: احسن.
(٦) فى ظ: بما (٧-٧) من مد، و فى الأصل: كبركم فيوفونكم، و فى ظ: كبركم فيوفوكم.

بالواو الدالة على تمكن الوصف و تمامه إشارة إلى عدم المؤاخذة بما يعجز عنه الإنسان المجبول على النقصان مما يجرى فى الأفعال مجرى الوسوسة فى الأقوال «و لن يشادّ الدين أحد إلا غلبه».

و لما أشعر النهى عن أكل الكل بأن لهم فى الأكل فى الجملة علة مقبولة، أفصح به فى قوله: ﴿و من كان﴾ أى منكم[1] أيها الأولياء ﴿غنيا فليستعفف ج﴾ أى يطلب العفة و يوجدها[2] و يظهرها عن الأكل منها جملة، فيعف[3] عنه بما بسط الله له[1] [4]من رزقه[4] ﴿و من كان فقيرا﴾ و هو يتعهد مال اليتيم لإصلاحه[5]، و لما كان يخشى من امتناعه من الأكل منه التفريط فيه بالاشتغال بما يهمه فى نفسه، أخرج الكلام فى صيغة الأمر فقال معبرا بالأكل لأنه معظم المقصود: ﴿فلياكل بالمعروف[6]﴾ أى بقدر[6] أجرة[7] سعيه.

و لما كان ذلك ربما أفهم[8] الأمان[9] إلى الرشد[10] بكل اعتبار، أمر بالحزم - كما فى الطبرانى[11] الأوسط عن أنس «احترسوا من الناس[12] بسوء الظن» - فقال: ﴿فاذا دفعتم اليهم﴾ أى اليتامى ﴿اموالهم﴾ أى التى كانت تحت أيديكم لعجزهم[13] عن حفظها ﴿فاشهدوا عليهم[6]﴾

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: يوجد (٣) من مد، و فى الأصل وظ: فيعفا - كذا (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: رزقه من (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لاخلاصه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يقد - كذا (٧) فى ظ: اجر. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فهم (٩) فى ظ: الايمان (١٠) فى ظ و مد: الرشيد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: الطرفى - كذا (١٢) فى ظ: التباس. (١٣) فى ظ: لعجزكم.

أى احتياطا[1] لأن الأحوال تتبدل ، و الرشد يتفاوت ، فالإشهاد أقطع للشر[2] ، و أنفع فى كل أمر ، و الأمر بالإشهاد أزجر للولى عن الخيانة ، لأن من عرف أنه لا يقبل عنـــد الخصام إلا ببينة[3] عف غاية العفة ، و احترز غاية الاحتراز .

و لما كانت الأموال مظنة لميل النفوس ، و كان [الحب - [4]] للشىء[5] يعمى و يصم ؛ ختم الآية بقوله : ﴿ و كفى بالله ﴾ أى الذى له الحكمة البالغة و القدرة الباهرة و العظمة التى لا مثل لهـا ، و الباء فى مثل هذا تأكيد لأن ما قرنت بـــه هو الفاعل حقيقة لا مجازا - كما إذا أمرنا[6] بالفعل مثلا ﴿ حسيبا ﴾ أى محاسبا بليغا فى الحساب ، فهو أبلغ تحذيرا[7] لهم و للأيتام من الخيانة و التعدى و مدّ العين إلى حق الغير .

و لما ذكر أموال اليتامى على حسب ما دعت إليه الحاجة و اقتضاه التناسب إلى أن ختم بهذه الآية ، [كان - [8]] كأن سائلا [سأل - [4]] : من أين تكون[9] أموالهم ؛ فبين ذلك بطريق الإجمال بقوله تعالى : ﴿ للرجال ﴾ أى الذكور من أولاد الميت و أقربائه[10] ، و لعله[11] عبر بذلك دون الذكور لأنهم كانوا لا يورثون الصغار ، و يخصون الإرث بمن عمر الديار ، فنبه

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : احتياجا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : للسر (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بينة (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشى (٦) فى ظ و مد : امر (٧) فى ظ : تحذير (٨) زيد من مد (٩) فى ظ : يكون (١٠) فى ظ : بائه - كذا (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لعل .

سبحانه على أن العلة النطفة[1] ﴿ نصيب ﴾ [أى منهم معلوم -[2]] ﴿ مما ترك الوالدان و الاقربون ص ﴾ .

و لما كانوا لا يورثون[3] النساء قال: ﴿ و للنسآء نصيب ﴾ و لقصد التصريح للتأكيد قال موضع 'مما تركوا': ﴿ مما ترك الوالدان ٥ و الاقربون ﴾ مشيرا إلى أنه لا فرق بينهن و بين الرجال فى[4] القرب الذى هو سبب الإرث، ثم زاد الأمر تأكيدا و تصريحا بقوله إبدالا مما قبله بتكرير العامل: ﴿ مما قل منه او كثر[5] ﴾ ثم عرف بأن ذلك على وجه الحتم[6] الذى لا بد منه، فقال مبينا للاعتناء به بقطعه عن الأول بالنصب[6] على الاختصاص بتقدير 'أعنى': ﴿ نصيبا[7] مفروضا ﴾ أى ١٠ مقدرا واجبا مبينا، و هذه الآية بجملة بينتها[8] آية المواريث، و بالآية علم أنها[9] خاصة بالعصبات من التعبير بالفرض، لأن الإجماع - كما[10] نقله الأصبهانى عن الرازى - على أنه ليس لذوى الأرحام نصيب مقدر .

و لما بين المفروض أتبعه المندوب فقال تعالى: ﴿ و إذا حضر القسمة اولوا القربى ﴾ أى ممن لا يرث / صغارا أو كبارا ﴿ و اليتمى ١٥ و المسكين ﴾ أى قرباء أو غرباء[11] ﴿ فارزقوهم منه ﴾ أى المتروك، /٤٥٥

(١) فى الأصول: الظنة - كذا (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يورثون (٤) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الختم (٦) فى ظ: بالنصيب (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مبينا (٩) فى ظ: بانها (١٠) فى ظ: بما (١١) فى ظ: قربانا .

و هو أمر ندب لتطييب[1] قلوبهم ، و قرينة صرفه عن الوجوب ترك التحديد[2] ﴿ و قولوا لهم ﴾ أى مع الإعطاء ﴿ قولا معروفا ه ﴾ أى حسنا سائغا فى الشرع مقبولا تطيب به نفوسهم .

و لما أعاد الوصية [3]باليتامى مرة بعد أخرى ، و ختم بالأمر بالانة[4] القول ، و كان للتصوير فى التأثير فى النفس ما ليس لغيره ؛ أعاد الوصية بهم لضعفهم مصورا لحالهم مبينا أن[5] القول المعروف هو الصواب الذى لا خلل فيه فقال : ﴿ و ليخش ﴾ أى يوقع الخشية على ذرية غيرهم ﴿ الذين ﴾ و ذكر لهم حالا هو جدير[6] بإيقاع الخشية فى قلوبهم فقال : ﴿ لو تركوا ﴾ أى شارفوا الترك بموت أو هرم ، و صوّر حالهم و حققه بقوله : ﴿ من خلفهم ﴾ أى بعد موتهم أو عجزهم العجزَ الذى هو كموتهم ﴿ ذرية ﴾ أى أولادا من ذكور أو[7] إناث ﴿ ضعفا ﴾ أى لصغر أو غيره ﴿ خافوا عليهم ص ﴾ أى جور الجائرين .

و لما تسبب عن ذلك التصور فى أنفسهم خوفُهم[8] على ذرية غيرهم كما يخافون على ذريتهم ، سواء كانوا أوصياء أو أولياء أو أجانب ، و كان هذا الخوف ربما أداهم[9] فى قصد نفعهم إلى جور على غيرهم ؛ أمر بما

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتطيب (٢) فى الأصل و مد : التهديد ، و فى ظ : التجديد (٣) العبارة من هنا إلى " أعاد الوصية " سقطت من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : بالاية - كذا (٥) فى ظ : اى (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جديرا (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٨) من مد ، و فى الأصل : خافوهم ، و قد سقط من ظ (٩) من مد ، و فى الأصل : ادهم ، و فى ظ : اذاهم .

يحفظهم على الصراط السوى بقوله : ﴿ فليتقوا ﴾ و عبر بالاسم[1] الأعظم إرشادا[2] إلى استحضار جميع عظمته فقال : ﴿ الله ﴾ أى فليعدلوا فى أمرهم ليقيّض[3] الله لهم من يعدل فى ذريتهم ، و إلا أوشك أن يسلط على ذريتهم من يجور عليهم ﴿ و ليقولوا ﴾ أى فى ذلك و غيره ﴿ قولا سديدا ﴾ أى عدلا قاصدا صوابا[4] ، ليدل هـذا الظاهر على صلاح ما أثمره من الباطن .

و لما طال التحذير [[5] ـ و الزجر[6] و التهويل فى شأن اليتامى ، و كان ذلك ربما أوجب النفرة من مخالطتهم رأسا فتضيع مصالحهم[7] ؛ وصل بذلك[8] ما بين أن ذلك خاص بالظالم فى سياق موجب لزيادة التحذير] فقال مؤكدا[9] لما كان[9] قد رسخ فى نفوسهم من الاستهانة بأموالهم : ﴿ ان الذين ﴾ و لما كان الأكل أعظم مقاصد الإنسان عبر به عن جميع الأغراض فقال : ﴿ يأكلون اموال اليتمى ظلما ﴾ أى أكلا هو فى غير موضعه بغير دليل يدل[10] عليه ، فهو كفعل من يمشى فى الظلام ، ثم أتبعه ما زاده تأكيدا بالتحذير فى سياق الحصر فقال : ﴿ انما يأكلون ﴾ أى فى الحال ، و صوّر الأكل وحققه بقوله : ﴿ فى بطونهم نارا ط ﴾ أى

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاسم (٢) فى ظ : اشار (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليقضى (٤) فى الأصول : ثوابا ـ كذا بالثاء (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) من مد ، و فى ظ : الجزو (٧) من مد ، و فى ظ : مصلحتهم (٨) فى ظ : بذ ـ كذا مقطوعا (٩ ـ ٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكان ـ كذا (١٠) فى ظ : تبدل .

تحرق المعانى الباطنية[1] التى تكون بها قوام الإنسانية ، و بين أنها على حقيقتها فى الدنيا ، و لكنا[2] لا نحسها الآن لأنها غير النار المعهودة فى الظاهر بقوله - مكررا التحذير مبينا بقراءة الجماعة بالبناء[3] للفاعل أنهم يلجأون إليها إلجاءً يصيّرهم كأنهم يدخلونها بأنفسهم[4] - : ﴿ و سيصلون ﴾ أى فى الآخرة - بوعيد حتم لا خلف فيه ﴿ سعيرا ﴾ أى عظيما هو نهاية فى العظمة ، و ذلك هو معنى قراءة[5] ابن عامر و عاصم بالبناء للمجهول ، أى يلجئهم إلى صليها[6] ملجئ قاهر لا يقدرون [7]على نوع[7] دفاع له .

و لما تم ذلك تشوفت النفوس إلى بيان مقادير الاستحقاق بالإرث لكل واحد ، و كان قد تقدم ذكر استحقاق الرجال و النساء من غير تقييد بيتم ، فاقتضت البلاغة بيانَ [8]أصول جميع[8] المواريث ، و شفاءَ العليل[9] بإيضاح أمرها ، فقال - مستأنفا فى جواب من كأنه سأل عن ذلك مؤكدا لما أمر به منها غاية التأكيد مشيرا إلى عظمة هذا العلم بالتقدم[10] فى الإيصاء فى أول آياته ، و التحذير من الضلال فى آخرها ، و رغب فيه النبىُّ صلى الله عليه و سلم بأنه نصف العلم ، و حذر من إضاعته بأنه أول علم ينزع من الأمة - : ﴿ يوصيكم الله ﴾ أى بما له من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الباطنة (٢) فى ظ : لكنها (٣) من ظ ومد ، و فى الأصل : بالياء (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انفسهم (٥) فى ظ : قرا . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جبلها (٧ - ٧) سقط من ظ (٨ - ٨) فى مد : جميع اصول (٩) فى مد : الغليل (١٠) فى ظ : بالقدم .

العظمة الكاملة و الحكمة البالغة ، و بدأ بالأولاد لأن تعلق الإنسان بهم أشد فقال : ﴿ فى اولادكم ﴾ أى إذا مات مورثهم .

و لما كان هذا مجملا كان بحيث يطلب تفسيره ، فقال جوابا لذلك بادئا بالأشرف[1] بيانا لفضله بالتقديم[2] و جَعْلِه أصلا [و -[3]] التفضيل : ﴿ للذكر ﴾ أى منهم إذا كان معه شىء من الإناث ، و لم يمنعه مانع من قتل[4] و لا مخالفة دين و نحوه ﴿ مثل حظ الانثيين[5] ﴾ أى نصيب من شأنه أن يغنى[6] و يسعد ، و هو / الثلثان ، إذا انفردتا[6] فللواحدة معه الثلث ، فأثبت سبحانه للاناث حظا[7] تغليظا [لهم -[8]] فى منعهن[9] مطلقا ، و نقصهن عن نصيب الرجال تعريضا بأنهم أصابوا فى نفس الحكم بانزالهن[10] عن درجة الرجال .

/٤٥٦

و لما بان سهم الذكر مع الأنثى بعبارة النص ، و أشعر ذلك بأن لهن[11] إرثا فى الجملة و عند الاجتماع مع الذكر ، و فُهِم بحسب إشارة النص - و هى ما ثبت بنظمه ، لكنه غير مقصود ، و لا سبق له النص - حكم الأنثيين إذا لم يكن [معهن -[8]] ذكر ، و هو أن لهما الثلثين ، و كان ذلك أيضا مفهما لأن الواحدة إذا كان لها مع الأخ الثلث كان لها ذلك مع الأخت إذا لم يكن ثَمَّ ذكر من باب الأولى ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاشرف (٢) فى مد : بالتقدم (٣) زيدت الواو من ظ و مد (٤) فى ظ : قبل ، و فى مد : قبل - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعين (٦) فى ظ : انفرد (٧) سقط من ظ (٨) زيد من مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهن (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : بانزاله . (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم .

فاقتضى ذلك أنهن إذا كن ثلاثا أو أكثر ليس معهن ذكر[1] استغرقن[2] التركة، و إن كانت واحدة ليس معها ذكر لم تزد على الثلث؛ بين [أن - [3]] الأمر ليس كذلك - كما تقدم - بقوله مبينا إرثهن حال الانفراد: ﴿ فان كن ﴾ أى الوارثات[4] ﴿ نسآء ﴾ أى إناثا.

و لما كان[5] ذلك قد يحمل على أقل الجمع، و هو اثنتان حقيقة أو مجازا حقق و نفى هذا الاحتمال بقوله: ﴿ فوق اثنتين ﴾ أى لا ذكر معهن ﴿ فلهن ثلثا ما ترك[6] ﴾ أى الميت، لا أزيد من الثلثين ﴿ و ان كانت ﴾ أى الوارثة ﴿ واحدة ﴾ أى منفردة، ليس معها غيرها[6] ﴿ فلها النصف[6] ﴾ أى فقط.

و لما قدم الإيصاء بالأولاد لضعفهم إذا كانوا صغارا، و كان الوالد[7] أقرب الناس إلى الولد[8] و أحقهم بصلته و أشدهم[9] اتصالا به أتبعه حكمه فقال: ﴿ و لابويه ﴾ أى الميت، ثم فصل بعد أن أجمل ليكون الكلام آكد، و يكون سامعه إليه أشوق[10] بقوله مبدلا[11] بتكرير العامل: ﴿ لكل واحد منهما ﴾ أى أبيه و أمه اللذين ثنيا[12] بأبوين

(١) من ظ ومد، و فى الأصل: ذكرا (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: استغرق. (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الورثات (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: كانت (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: غيرهما (٧) فى ظ: الولد (٨) فى ظ: الوالد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: اسدهم (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: اسوق (١١) زيد بعده فى الأصل و ظ: لا، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (١٢) فى ظ: سمينا - كذا.

﴿ السدس مما ترك ﴾ ثم بين شرط ذلك فقال: ﴿ ان كان له ﴾ أى الميت ﴿ولد ع ﴾ أى ذكر، فان كانت أنثى أخذ الأب السدس فرضا، و الباقى بعد الفروض حق عصوبة .

و لما بين حكمهما مع الأولاد تلاه بحالة فقدهم فقال: ﴿ فان لم يكن له ولد ﴾ أى ذكر و لا أنثى ﴿ و ورثه ابوه ﴾ [أى - [1]] فقط ﴿ [2] فلامه الثلث ج [2] ﴾ أى و للأب الباقى لأن الفرض أنه لا وارث له غيرهما، و لما كان التقدير: هذا مع فقد الإخوة أيضا، بنى عليه قوله: ﴿فان كان له اخوة ﴾ أى اثنان فصاعدا ذكورا أو [3] لا، مع فقد الأولاد ﴿ فلامه السدس ﴾ أى لأن الإخوة ينقصونها [4] عن الثلث إليه، و الباقى للأب، و لا شىء لهم، و أما الأخت الواحدة فانها لا تنقصها إلى السدس سواء كانت وارثة أو لا، و كذا الأخ إذا كان واحدا، ثم بين أن هذا كله بعد إخراج الوصية و الدين لأن ذلك سبق فيه حق الميت الذى جمع المال فقال: ﴿ من بعد وصية يوصى بها ﴾ أى كما مندوب لكل ميت، و قدمها فى الوضع على ما هو مقدم عليها فى الشرع بعثا [5] على أدائها، لأن أنفس الورثة تشح بها، لكونها [6] مثل مشاركتهم فى الإرث لأنها بلا عوض ﴿ او دين [1] ﴾ [أى - [1]] إن كان

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) تأخر مابين الرقمين فى ظ عن « بنى عليه قوله » .
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل « و » (٤) من ظ، و فى الأصل: نقضوا ما، و فى مد: نقصوها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بعنا - كذا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لكونه .

عليه دين .

و لما كان الإنسان قد يرى أن بعض أقربائه من أصوله أو فصوله أو غيرهم أنفع له[1] ، فأحب تفضيله فتعدى هذه الحدود لما رآه، و كان ما رآه خلاف الحق فى الحال أو فى المآل، و كان الله تعالى هو المستأثر[2] بعلم ذلك ، و لهذا قال صلى الله عليه وسلم : أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما [ما -[3]] - الحديث، لأن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ، يقلبها كيف شاء؛ قال تعالى حاثا على لزوم ما حده مؤكدا[4] بالجملة الاعتراضية - كما هو الشأن فى كل اعتراض - لأن هذه القسمة مخالفة لما كانت العرب تفعله ، و هى على وجوه لا تدرك عللها: ﴿ آباؤكم و ابناؤكم ﴾ أى الذين[5] فضلنا لكم إرثهم[6] على ما ذكرنا ﴿ لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا[1] ﴾ أى من غيره ، لأنه لا إحاطة / لكم فى علم و لا قدرة ، فلو وكل الأمر فى القسمة إليكم لما وضعتم الأمور فى أحكم[7] مواضعها . /٤٥٧

و لما بين أن الإرث على ما حده سبحانه و تعالى مؤكدا له بلفظ الوصية ، و زاده تأكيدا بما جعله اعتراضا بين الإيصاء[8] و بين "فريضة" بين أنه على سبيل الحتم[9] الذى من تركه عصى ، فقال ذاكرا مصدرا

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : لهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المتاثر .
(٣) زيد من مد و جامع الترمذى - أبواب البر و الصلة (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : موكد (٥) فى ظ : الذى (٦) فى ظ : ارثهن (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : انهم - كذا (٨) فى ظ و مد : الانصباء (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الختم .

مأخوذا من معنى الكلام : ﴿ فريضة من الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ، ثم زادهم حثا على ذلك و رغبة فيه بقوله تعليلا لفريضته عليهم مطلقا و على هذا الوجه : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ كان ﴾ و لم يزل و لا يزال[1] لأن وجوده لا يتفاوت فى وقت من الأوقات ، لأنه لا يجرى عليه زمان ، و لا يحويه مكان ، لأنه خالقهما ﴿ عليما ﴾ أى بالعواقب ﴿ حكيما ﴾ أى فوضع لكم هذه الأحكام على غاية الإحكام فى جلب المنافع لكم و دفع الضر عنكم ، و رتبها سبحانه و تعالى أحسن ترتيب ، فان الوارث يتصل بالميت تارة بواسطة و هو الكلالة ، و أخرى بلا واسطة ، و هذا [2]تارة يكون[2] بنسب ، و تارة بصهر[3] و نسب[4] ، فقدم ما هو[5] بلا واسطة لشدة قربه ، و بدأ منه بالنسب لقوته ، و بدأ منهم بالولد لمزيد الاعتناء به .

و لما كان الإرث بالمصاهرة أضعف من الإرث بالقرابة ذكره بعده ، و قدمه على الإرث بقرابة الأخوة تعريفا بالاهتمام به و لأنه بلا واسطة ، و قدم منه الرجل لأنه أفضل فقال : ﴿ و لكم نصف ما ترك ازواجكم ﴾ و بين شرط هذا بقوله : ﴿ ان لم يكن لهن ولد ج ﴾ أى منكم أو من غيركم ، ثم بين الحكم على التقدير الآخر فقال : ﴿ فان كان لهن ولد ﴾ أى وارث و إن سفل سواء كان ابنا أو بنتا ﴿ فلكم الربع مما تركن ﴾ أى

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : لم يزال (٢-٢) فى مد : يكون تارة (٣) فى ظ : يضيره - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : نصب - كذا بالصاد (٥) سقط من مد .

تركت كل واحدة منهن، و يغسلها الزوج[1] لأن الله أضافها إليه باسم الزوجية، و الأصل الحقيقة، و لا يضر حرمة جماعها بعد الموت و حل نكاح أختها و أربع سواها، لأن ذلك لفقد المقتضى أو المانع و هو الحياة، و ذلك لا يمنع علقة[2] النكاح المبيح للغسل - كما لم يمنعها لأجل[3] العدة لو كان الفراق بالطلاق، ثم كرر حكم الوصية اهتماما بشأنها فقال: ﴿ من بعد وصية يوصين[4] بها ﴾ أى الأزواج أو بعضهن، و لعله جمع إشارة إلى أن الوصية أمر عظيم ينبغى أن يكون مستحضرا فى الذهن غير مغفول عنه عند أحد من الناس ﴿ او دين[5] ﴾.

[و لما بين إرث الرجل أتبعه إرثها فقال معلما أنه على النصف مما للزوج - كما مضى فى الأولاد - [5]]: ﴿ و لهن ﴾ أى عددا كن أو لا ﴿ الربع مما تركتم ﴾ أى يشتركن فيه على السواء إن كن عددا، و تنفرد[6] به الواحدة إن لم [يكن - [7]] غيرها، ثم بين شرطه بقوله: ﴿ ان لم يكن لكم ولد ﴾ ثم بين حكم القسم الآخر بقوله: ﴿ فان كان لكم ولد ﴾ أى

(١) و فى الدر المختار: و يمنع زوجها من غسلها و مسها لا من النظر إليها على الأصح - منيه، و قالت الأئمة الثلاثة: يجوز لأن عليا رضى الله عنه غسل فاطمة رضى الله عنها، قلنا: هذا محمول على بقاء الزوجية لقوله عليه السلام: كل سبب و نسب ينقطع بالموت إلا سببى و نسبى، مع أن بعض الصحابة رضى الله عنه أنكر عليه؛ شرح المجمع للعينى - اه (٢) فى ظ: علقه - كذا (٣) من مد، و فى الأصل: الأجل، و فى ظ: الا اجل - كذا (٤) من مد و القرآن المجيد، و فى الأصل و ظ: يوصى (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) من مد، و فى الأصل: ينفر: و فى ظ: يفرد (٧) زيد من ظ و مد.

وارث ﴿ فلهن الثمن مما تركتم ﴾ كما تقدم فى الربع ، ثم كرر الخروج عن حق المورث فقال : ﴿ من بعد وصية توصون بها او دين ﴾ .

و لما فرغ من قسمى ما اتصل بالميت بلا واسطة أتبعه الثالث و هو ما اتصل بواسطة ، و [لما -[1]] كان قسمين ، لأنه تارة يتصل من جهة الأم فقط و هم الأخياف ، أمهم واحدة و آباؤهم[2] شتى ، و تارة من جهة الأب [فقط -[1]] و هم العلات ، أبوهم واحد و أمهاتهم شتى ، و تارة من جهة الأبوين و هم الأعيان ، و كانت قرابة الأخوة أضعف من قرابة البنوة ؛ أكدها بما يقتضيه[3] حالها ، فجعلها[4] فى قصتين ، ذكر إحداهما هنا [5]إدخالا لها[5] فى حكم الوصية المفروضة ، و ختم بالأخرى السورة لأن الختام من مظنات الاهتمام .

و لما كانت قرابة الأم أضعف من قرابة الأب قدمها هنا دلالة على الاهتمام[6] بشأنها ، و أن [ما -[1]] كانوا يفعلونه من حرمان الإناث خطأ و جور عن منهاج العدل ، فقال تعالى : ﴿ و ان كان ﴾ أى وجد ﴿ رجل يورث ﴾ أى مَنْ ورث حال كونه ﴿ كلالة ﴾ أى ذا حالة لا ولد له[7] فيها و لا والد[8] ، أو[9] يكون "يورث" من : أورث - بمعنى أن إرث الوارث بواسطة / من مات كذلك : لا[10] هو ولد للميت و لا والد ، /٤٥٨

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اباهم (٣) فى ظ : تقتضيه (٤) سقط من ظ (٥-٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ادخالها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهتمام (٧) سقط من مد (٨) فى ظ : ولد (٩) فى مد " و " (١٠) فى ظ : الا .

و[1] وارثه أيضا كلالة[2] لأنـــه ليس بوالد و لا ولد ، فالمورث كلالة وارثـه ، و الوارث[3] كلالة مورثـــه ؛ قال الأصبهاني : رجل كلالة ، و[4] امرأة كلالة ، و قوم كلالة ، لا يثنى و لا يجمع ، لأنـه مصدر كالدلالة و الوكالة ، و هو بمعنى الكلال ، و هو ذهاب القوة[5] من الإعياء ، و قد تطلق الكلالة على القرابة من غير جهة الولد و الوالد ، و منه قولهم : ما ورث المجد عن كلالة [- [6] ﴿ او[7] ﴾ وجدت[8] ﴿ امراة[7] ﴾ أى تورث كذلك ، و يجوز أن يكون " يورث " صفة ، و " كلالة " خبر " كان "] ﴿ و لة ﴾ أى للذكور و هو الموروث[9] على أى الحالتين كان .

و لما كان الإدلاء[10] بمحض الأنوثة[11] يستوى[12] بين الذكر و الأنثى لضعفها قال : ﴿ اخ او اخت ﴾ أى من الأم - باجماع[13] المفسرين ، و هى قراءة أبى و سعد بن مالك رضى الله عنهما ﴿ فلكل واحد منهما السدس ج ﴾ أى من تركته ، من غير فضل للذكر على الأنثى .

و لما أفهم ذلك - أى بتحويل العبارة المذكورة من أن يقال : فله السدس - أنهما إن كانا[14] معا كان لهما الثلث ، و كان ذلك قد يفهم أنه

(١) فى ظ : له (٢) العبارة من هنا إلى « و الوارث كلالة » سقطت من ظ .
(٣) من مد ، و فى الأصل : الوارثة (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : او .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : القوم (٦) زيـد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٧) ليس فى مد (٨) من مد ، وفى ظ : جد - كذا (٩) فى ظ : المورث .
(١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : الا دالا - كذا (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاتركة (١٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : ليسوى (١٣) من ظ ومد ، و فى الأصل : بالاجماع (١٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : كان .

إن زاد وارثه[1] زاد الإرث عن الثلث نفاه بقوله : ﴿ فان كانوآ ﴾ أى ما أفهمه " اخ او اختَ " من الوراث[2] منهم ﴿ اكثر من ذلك ﴾ أى واحد ، كيف كانوا ﴿ فهم شركآء ﴾ أى بالسوية[3] ﴿ فى الثلث ﴾ أى المجتمع من[4] السدسين اللذين تقدم أنهما بينهما ، لا يزادون على ذلك ٥ شيئا ، ثم كرر الحث على مصلحة الميت بيانا للاهتمام بها[5] فقال : ﴿ من بعد وصية يوصى بهآ اودين لا ﴾ .

و لما كان الميت قد يضار ورثته ، أو بعضهم بشىء يخرجه عنهم ظاهرا أو[6] باطنا كأن يقر بماله لأجنبي ، أو بدين لا حقيقة له ، [7]أو بدين كان له[7] بأنه[8] استوفاه ؛ ختم الآية بالزجر عن ذلك بقوله : ﴿غير مضآرّ ﴾ ١٠ مع ما تقدم من الإشارة إلى ذلك أول القصة بقوله " لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا " ؛ قال الأصبهانى : و الإضرار فى الوصية من الكبائر . ثم أكد ذلك بقوله مصدرا ليوصيكم : ﴿وصية من الله[1] ﴾ أى[9] الذى له الأمر كله مع تأكيده بجميع ما فى الآيات تعظيما للأمر باكتناف الوصية بأولها و آخرها ، و هو دون الفريضة فى حق الأولاد ، لأن ١٥ حقهم آكد .

و لما بين سبحانه الأصول و فصل النزاع ، و كان ذلك خلاف مألوفهم

(١) فى ظ : ارثه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الوارث (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالوصية (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ " و " (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : بان. (٩) سقط من مد .

و كان الفطام عن المألوف فى الذروة من المشقة ؛ اقتضى الحال الوعظ بالترغيب و الترهيب ، فختم القصة بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال من الجلال و الجمال ، و للاشارة إلى عظيم الوصية كرر هذا [الاسم -[1]] الأعظم فى جميع القصة ، ثم قال : ﴿ عليم ﴾ أى فلا يخفى عليه أمر من خالف بقول أو فعل ، نية أو غيرها ﴿ حليم ﴾ فهو من شأنه أن لا يعاجل بالعقوبة ، فلا يغتر[2] بامهاله ، فانه إذا أخذ بعد طول الأناة لم يفلت[3] فاحذروا غضب الحليم ! و فى الوصفين مع التهديد استجلاب للتوبة .

و لما كان فطم أنفسهم عن منع الأطفال و النساء شديدا عليهم لمرونهم[4] عليه بمرور الدهور الطويلة على إطباقهم على فعله و استحسانهم له أتبعه سبحانه الترغيب [و الترهيب -[5]] لئلا يغتر بوصف الحليم[6] ، فقال معظما للأمر بأداة البعد و مشيرا إلى جميع ما تقدم من أمر المواريث و النساء و اليتامى و غيره : ﴿ تلك ﴾ أى هذه الحدود الجليلة النفع العظيمة الجدوى المذكورة من[7] أول هذه السورة ، بل من أول القرآن ﴿ حدود الله ﴾ أى الملك الأعظم ، فمن [8]راعاها - و لو[8] لم يقصد

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : فلا يضر - كذا .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يفلب - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمروحهم (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل وظ : الحكيم.
(٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى (٨ - ٨) من مد ، و فى الأصل : راعها و ، و فى ظ : راها و - كذا .

طاعته، بل رفعا لنفسه عن دناءة الإخلاد[١] إلى الفانى و معرة[٢] الاستئثار على الضعيف المنبئ عن البخل و سفول الهمة - نال خيرا كبيرا، فانه يوشك[٣] أن يجره[٣] ذلك إلى أن يكون ممن يطيع الله ﴿و من يطع الله﴾ الحائز اصفى الجلال و الإكرام ﴿و رسوله﴾ أى فى جميع طاعاته[٤] هذه و غيرها، بالإقبال عليها و ترك ما سواها لأجله سبحانه؛ قال الأصبهانى: 'من' عام و وقوعه عقيب هذه التكاليف الخاصة لا يخصصه.

/ و لما تشوف السامع بكليته إلى الخبر[٥] التفت إليه تعظيما للأمر - على قراءة نافع و ابن عامر بالنون - فقال: ﴿ندخله[٦] جنت﴾ أى بساتين، و قراءة الجماعة بالياء عظيمة[٧] أيضا لبنائها على الاسم الأعظم و إن كانت هذه أشد تنشيطا بلذة الالتفات ﴿تجرى من تحتها الانهر﴾ أى لأن أرضها معدن[٨] المياه، فنى أى موضع أردت جرى نهر، فهى لا تزال يانعة[٩] غضة[١٠]، و جمع الفائزين بدخول الجنة فى قوله: ﴿خلدين فيها﴾ تبشيرا بكثرة الواقف عند هذه الحدود، [و -[١١]] لأن منادمة الإخوان من أعلى نعيم الجنان.

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الاخلاق (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بعدة - كذا (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: السا محره - كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: طاعته (٥) فى ظ: الخير (٦) ورد فى الأصول: يدخله - كذا بالغيبة على قراءة الجماعة و هى الشائعة فى مصاحف بلادنا، ولكن أرجعناها إلى التكلم حسبما اختاره المفسر (٧) فى ظ: التحتانية (٨) فى مد: معادن (٩) فى ظ: نابعه، (١٠) فى ظ: عضه - كذا (١١) زيد من مد.

و لما كان اختصاصهم بالإرث عن النساء و الأطفال من الفوز عندهم ، بل لم يكن الفوز [العظيم -[1]] عندهم إلا الاحتواء على الأموال و بلوغ ما فى البال منها من الآمال قال تعالى معظما بأداة البعد : ﴿ و ذلك ﴾ أى الأمر العالى المرتبة[2] من الطاعة المندوب إليها ﴿ الفوز العظيم ۞ ﴾ أى لا غيره من الاحتواء على ما لم يأذن به الله[2]، و هذا أنسب ٥ شيء لتقديم الترغيب لتسمح[3] نفوسهم بترك ما كانوا فيه مع ما فيه من التلطف بهذه الأمة و التبشير له صلى الله عليه و سلم بأنها مطيعة[4] راشدة .

و لما أشربت القلوب الصافية ذوات الهمم العالية حب نيل[5] هذا الفوز أتبعه الترهيب فطما لها عن تلك الفوائد بالكلية فقال : ﴿ و من يعص الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها ﴿ و رسوله ﴾ أى فى ذلك و غيره ١٠ ﴿ و يتعد حدوده ﴾ أى التى حدها فى هذه الأحكام و غيرها ، و أفرد العاصى فى النيران[6] فى قوله[6] : ﴿ يدخله نارا خالدا فيها ص ﴾ لأن الانفراد[7] المقتضى للوحشة من العذاب و الهوان . و لما كان منعهم للنساء و الأطفال من الإرث استهانة بهم ختم الآية بقوله : ﴿ و له عذاب مهين ۞ ﴾ .

و لما تقدم سبحانه فى الإيصاء بالنساء ، و كان الإحسان فى الدنيا ١٥ تارة يكون بالثواب ، و تارة يكون بالزجر و العتاب[8] ، لأن مدار الشرائع على العدل و الإنصاف ، و الاحتراز فى كل باب عن طرفى الإفراط

(١) زيد من مد (٢) سقط من ظ (٣) من مـد ، و فى الأصل : لتسمع ، و فى ظ : ليسمع (٤) فى ظ : وطيئة (٥) فى ظ : نقل (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقال (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الافراد (٨) فى مد : العقاب .

و التفريط ، و ختم سبحانه باهانة العاصى إحسانا إليه بكفه عن الفساد ، لئلا يلقيه ذلك إلى الهلاك أبد الآباد ، و كان من أفحش العصيان الزنا ، و كان الفساد فى النساء أكثر ، و الفتنة بهن أكبر ، و الضرر منهن أخطر ، و قد يُدخلن على الرجال من يرث منهم من غير أولادهم ؛ قدمهن فيه اهتماما بزجرهن فقال : ﴿ و اللّٰتى ﴾ و هو جمع ' التى ' و لعله عبر فيهن بالجمع إشارة إلى كثرتهن - كما أشار إلى ذلك " مثنى و ثلاث و رباع " و إلى كثرة الفساد منهن ﴿ ياتين ﴾ أى يفعلن - من[1] إطلاق السبب على المسبب ، و التعبير به أبلغ ﴿ الفاحشة ﴾ أى الفعلة الشديدة الشناعة ، و فى الآية - لأن من أعظم المرادات بنظمها عقب[2] [آيات -[3]] الإرث و ما[4] تقدمها الاحتياط للنسب - إشارة بذكر عقوبة الزانية من غير تعرض لإرث الولد الآتى منها إلى أن الولد للفراش ، و أنه لا ينفى[5] بالمظنة ، بل بعد التحقق على ما فى سورة النور ، لأنه لا يلزم من وجود الزنا نفيه ، و كونه من الزنى ، قال أبو حيان فى النهر : و الفاحشة هنا الزنا باجماع المفسرين إلا ما ذهب إليه مجاهد و تبعه أبو مسلم الأصفهانى[6] من أنها المساحقة[7] ، و من الرجال اللواط ، ثم بين الموصول بقوله :

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ممن (٢) فى ظ عقيب (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) فى ظ : لما (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا ينبغى (٦) من ظ و مد و معجم المصنفين ٩/٩٧ ، و فى الأصل : الاصبهانى (٧) و هى ما يجرى فى النساء مجرى اللواط فى الرجال ، و فى تاج العروس : و قال الأزهرى : مساحقة النساء لفظة مولدة .

﴿ من نسآئكم ﴾ أى الحرائر ﴿ فاستشهدوا ﴾ أى فاطلبوا أن تشهدوا ﴿ عليهن اربعة ﴾ من الرجال .

و لما كان تعالى قد جعل هـذه الأمة وسطا يقبلون على غيرهم و لا يقبل [1]غيرهم عليهم[1] قال : ﴿ منكم ج ﴾ أى من عدول المسلمين بأنهن فعلنها ﴿ فان شهدوا ﴾ أى بذلك ﴿ فامسكوهن ﴾ أى فاحبسوهن ٥ ﴿ فى البيوت ﴾ أى و امنعوهن من الخروج ، فان ذلك أصوّن لهن ، و ليستمر هذا المنع ﴿ حتى يتوفهن الموت ﴾ أى يأتيهن و هن وافيات[2] / ٤٦٠ / الأعراض[3] ﴿ او يجعل الله[4] ﴾ المحيط علمه و حكمته ﴿ لهن سبيلا ه ﴾ أى للخروج قبل الموت بتبين الحد أو بالنكاح ، و إن لم يشهد[5] الأربعة لم يفعل بهن ذلك و إن تحقق الفعل . ١٠

و لما ذكر أمر النساء أتبعه حكم الرجال على وجه يعم النساء أيضا فقال : ﴿ و الّذن ﴾ و هو تثنية 'الذى' و شدد نونه ابن كثير تقوية له[6] ليقرب من الأسماء المتمكنـة ﴿ ياتينها منكم ﴾ أى من بكر أوثيب ، أو رجل أو امرأة ، و يثبت ذلك بشهادة الأربعة - كما تقدم ﴿ فـاذوهما ج ﴾ و قد بين بمجمل الأذى الصادق باللسان و غيره آية الجلد و سنة الرجم ١٥ ﴿ فان تابا ﴾ أى بالندم و الإقلاع و العزم على عدم العود[7] ﴿ و اصلحا ﴾

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليهم غيره (٢) من مد : ، و فى الأصل : وافياض ، و فى ظ : باقيات - كذا (٣) فى ظ : الاغراض (٤) زيد فى ظ : اى (٥) فى مد : لم تشهد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفرد - كذا .

أى بالاستمرار على ما عزما عليه[١]، و مضت مدة علم فيها الصدق فى ذلك ﴿ فاعرضوا عنهما ﴾ أى عن أذاهما، و هو يدل على أن الأذى باللسان يستمر حتى[٢] يحصل الاستبراء، ثم علل ذلك بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ كان توابا ﴾ أى رجاعا بمن رجع عن عصيانه إلى ما كان فيه من المنزلة ﴿ رحيما ﴾ أى يخص من يشاء من عباده بالتوفيق لما يرضاه له، فتخلقوا[٣] بفعله [سبحانه و ارحموا -[٤]] المذنبين[٥] إذا تابوا، و لا يكن[٦] أذاكم لهم[٧] إلا لله[٨] ليرجعوا، و ليكن أكثر كلامكم لهم الوعظ بما يقبل بقلوبهم[٩] إلى ما[٩] ترضاه الإلهية، و يؤيد أن المراد بهذا البكر و الثيب من الرجال و النساء تفسيرُ النبى صلى الله عليه و سلم بقوله فيما رواه مسلم و الأربعة و الدارمى عن عبادة ابن الصامت رضى الله عنه «قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة و تغريب عام و الثيب [بالثيب -[١٠]] [جلد مائة و -[١١]] الرجم» فالحديث مبين لما أجمل فى الآية من ذكر السبيل.

و لما ختم ذلك[١٢] بذكر توبة الزناة، و كان الحامل على الزنا - على ما يقتضيه الطبع البشرى[١٠] - شدة الشبق و قلة النظر فى العواقب، و كان

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: حين (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فتحلفوا. (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) فى ظ: المومنين (٦) فى ظ: لم يكن (٧) فى ظ: له (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الله (٩ - ٩) فى ظ: بما. (١٠) زيد من ظ و مد و الصحيح لمسلم - كتاب الحدود (١١) زيد من الصحيح لمسلم (١٢) زيد بعده فى ظ: بقوله (١٣) من مد، و فى الأصل و ظ: البشر.

ذلك إنما هو فى الشباب[1]؛ وصل بذلك قوله تعالى معرفا بوقت التوبة و شرطها مرغبا فى تعجيلها مرهبا من تأخيرها: ﴿ انما التوبة ﴾ و هى رجوع العبد عن المعصية اعتذارا إلى الله تعالى، و المراد هنا قبولها، سماه باسمها[2] لأنها بدون القبول لا نفع لها، فكأنه لا حقيقة لها.

و لما شبه قبوله لها بالواجب من حيث أنه أخبر بها، لأنه لا يبدل القول لديه؛ عبر بحرف الاستعلاء المؤذن بالوجوب حثا عليها و ترغيبا فيها فقال: ﴿ على الله ﴾ أى الجامع بصفات الكمال ﴿ للذين يعملون السوء ﴾ أىّ سوء كان من فسق أو كفر، و قال: ﴿ بجهالة ﴾ إشارة إلى شدة قبح العصيان، لا سيما الزنا من المشايخ، لإشعار السياق ترهيبا بأن[3] الأمر فيهم ليس كذلك - كما صرح به النبى صلى الله عليه و سلم فيما رواه البزار باسناد جيد عن سلمان رضى الله عنه «ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزانى، و الإمام الكذاب، و العائل المزهو[4]» و هو فى مسلم و غيره عن أبى هريرة رضى الله عنه «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة [و لا ينظر إليهم -[5]] و لا يزكيهم و لهم عذاب أليم: شيخ زان، و ملك كذاب، و عائل مستكبر» و هو عن كثير من الصحابة من طرق كثيرة، و ذلك لأن حضور الموت بالقوة القريبة من الفعل

(١) فى مد: الشاب (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: باسماها (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: لان (٤) من مد - بمعنى المتكبر، و فى الأصل و ظ: الزهو (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد و الصحيح لمسلم - كتاب الإيمان.

و إضعافَ القوى[١] الموهنة لداعية الشهوة[٢] قريبٌ من حضوره بالفعل ، و ذلك ينبغى أن يكون مذهبا لداعية الجهل ، ماحقا لعرامة[٣] الشباب ، سواء قلنا : إن المراد بالجهالة [٤]ضد الحلم[٤] ، أو ضد العلم ؛ قال الإمام عبد الحق فى كتابه الواعى : قال أبو عبد الله - يعنى القزاز[٥] : و الجاهلية الجهلاء اسم وقع على[٦] أهل الشرك يكون مأخوذا من الجهل الذى هو ضد العلم و الذى هو ضد الحلم ، قال : و أصل الجهل من قولهم : استجهلت الريح الغصن - إذا حركته ، فكأن الجهل إنما هو حركة تخرج عن الحق و العلم - انتهى . فالمعنى حينئذ : يعملون السوء ملتبسين بسفه أو بحركة و خفة أخرجتهم[٧] / عن الحق و العلم ، فكانوا كأنهم لا يعلمون - / ٤٦١ بعملهم عملَ أهل الجاهلية الذين لا يعلمون ، و زاد فى التنفير من مواقعة السوء و التحذير بقوله : ﴿ ثم يتوبون ﴾ [أى يجددون التوبة - [٨]] .

و لما كان المراد الترغيب فيها و لو قصر زمنها بمعاودة الذنب أثبت الجار فقال : ﴿ من ﴾ أى[٩] من[١٠] بعض زمان ﴿ قريب ﴾ أى من زمن المعصية و هم فى فسحة من الأجل ، و ذلك كناية عن

(١) فى ظ : القوة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشهرة (٣) من ظ و مد - بمعنى : الشدة و الشراسة ، و فى الأصل : لقوامة - كذا (٤ - ٤) فى ظ : ضيد الحكم - كذا (٥) فى ظ : الفزاز (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : قال . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجرحتهم - كذا (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد ، غير أن « أى » ليس فى ظ (٩) سقط من ظ (١٠) سقط من مد .

عدم الإصرار[1] إلى الموت ، و لعله عبر بثم إشارة إلى بُعد التوبة و لا سيما مع القرب ممن واقع المعصية ، لأن الغالب أن الإنسان إذا ارتبك فى حبائلها[2] لا يخلص إلا بعد عسر ، و لذلك أشار إلى تعظيمهم بأداة البعد فى قوله - مسببا عن توبتهم واعدا أنه فاعل ما أوجبه على نفسه لا محالة من غير خلف و إن كان لا يجب عليه شيء ، و لا يقبح منه شيء - : ٥ ﴿ فاولئك ﴾ أى العظيمو الرتبة الصادقو الإيمان ﴿ يتوب الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ عليهم ط ﴾ أى يردهم إلى ما كانوا فيه عندهم من مكانة القرب قبل مواقعة الذنب ﴿ وكان الله ﴾ أى المحيط [3]علما و قدرة[3] ﴿ عليما ﴾ [4]أى بالصادقين فى التوبة و الكاذبين و بنياتهم[5] ، فهو يعاملهم بحسب ما يقتضيه حالهم ﴿ حكيما ﴾ فهو يضع الأشياء فى ١٠ أحكم محل لها ، فهما فعله لم يمكن نقضه .

و لما بين سبحانه المقبول أتبعه المطرود فقال : ﴿ و ليست التوبة ﴾ أى قبولها ﴿ للذين يعملون السيئات ج ﴾ أى واحدة بعد أخرى مصرين عليها ، فسقة[6] كانوا أو كفرة ، غير راجعين من قريب ، بل يمهلون ﴿ حتى اذا حضر ﴾ و لما كان تقديم المفعول - على وجه يجوّز كل ١٥ سامع وقوعه عليه - أهول ، لكونه يصير مرتقبا حال فاعله ، خائفا من عاقبته قال : ﴿ احدهم الموت ﴾ أى بأن وصل إلى حد الغرغرة ، و هى

(١) من مد ، و فى الأصل وظ : الاضرار (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : حبايلها . (٣-٣) فى ظ : قدرة وعلما (٤) العبارة من هنا إلى « يقتضيه حالهم » سقطت من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : بنيايهم - كذا (٦) من مد ، و فى الأصل وظ : فسقه .

حالة المعاينة ﴿ قال ﴾ أى بلسانه كفرعون، أو قلبه[1] ﴿ انى تبت الئن ﴾ فبين أن[2] ما قبل الاحتضار قريب مع الترغيب فى المسارعة جدا[3] بالتعبير بقريب ﴿ و لا الذين ﴾ أى و ليست التوبة للذين ﴿ يموتون و هم كفار ط ﴾ حقيقة أو مجازا، من غير أن يتوبوا، و لا عند الغرغرة، فسوى بين الفسق و الكفر تنفيرا من الفسق لصعوبة النزع عنه بعد مواقعته، [4]و لذلك جمعهما[4] فى العذاب بقوله - جوابا لمن كأنه قال: فما جزاء هذين الصنفين -: ﴿ اولٓئك ﴾ أى البعداء من الرحمة، الذين لم يتوبوا إلا حال الغرغرة، و الذين[5] ماتوا مصرين ﴿ اعتدنا ﴾ أى هيأنا و أحضرنا ﴿ لهم عذابا ﴾ و لما كان تأخير التوبة لذة نفسانية ختم بقوله[6]: ﴿ اليما ه ﴾ أى نعذب به الكافرين و من شئنا من عصاة المؤمنين، لأن توبتهم فى تلك الحالة عدم[7]، و الميت من غير توبة من المؤمنين فى المشيئة.

و لما انقضى ما تخلل ذكرَ النساء الوالدات للوراث[8]، و ختمه بهذا التهديد الهائل لمن فعل ما لا يحل له؛ وصل الكلام فيهن بأمر من فعله، فهو زان مصر على الزنا إلى الموت إن اعتقد [حرمته، أو كافر

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: قبله (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ و مد: حدا. (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: و كذلك جمعها (٥) زيد بعده فى الأصل: صاروا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد بعده فى الأصل: لهم عذابا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: مهدم (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: الوارث.

إن اعتقد - [1] حله ، فقال مشيرا بتخصيص المؤمنين عقب[2] " و لا الذين يموتون و هم كفار" إلى أنه لايرث كافر من مسلم ، و إلا لقال : يـآيها الناس[3] - مثلا ، منفرا من ذلك بالتقييد[4] بما هو لأدنى الإيمان: ﴿ يـآيها الذين آمنوا ﴾ أى فوقف بهم الإيمان عند[5] زواجرنا ﴿ لا يحل لكم ان ترثوا النسآء ﴾ أى مالهن ﴿ كرها[1] ﴾ أى كارهين لهن ، لا حامل لكم على ٥ نكاحهن إلا رجاء الإرث ، و ذلك أنهم كانوا ينكحون اليتامى لمالهن ، و ليس لهم فيهن رغبة إلا تربص الموت لأخذ مالهن ميراثا - كما سيأتى فى تفسير " و يستفتونك فى النسآء[6] " - الآية ، أو يكون الفعل و اقعا على نفس النساء ، و يكون " كرها " على هذا حالا مؤكدة ، أى كارهات ، أو[7] ذوات كره ، و ذلك لأن الرجل كان إذا مات و له امرأة جاء ابنه[8] ١٠ من غيرها أو قريبه[9] من عصبته فيلقى ثوبه عليها ، فيصير أحق بها من نفسها و من غيرها ، فان شاء تزوجها بغير صداق إلا الصداق/ الأول ٤٦٢ / الذى أصدقها الميت ، و إن شاء زوجها غيره و أخذ صداقها ، و إن شاء عضلها و منعها من الأزواج ، يضارها لتفتدى منه بما ورثت من الميت ، أو تموت هى فيرثها ، وكان أهل المدينة على هذا حتى توفى ١٥

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) فى ظ : اعقب (٣) زيد بعده فى الأصل : ضرب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالتعييد - كذا (٥) فى ظ : عن (٦) سورة ٤ آية ١٢٧ (٧) سقط من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : ابنة (٩) فى مد : قريبة .

[أبو - [١]] قيس بن الأسلت ، ففعل ابنه[٢] حصن هذا مع زوجة له ، فشكت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأنزل الله هذه الآية ، روى البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانوا [إذا -[٣]] مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ، إن شاء بعضهم تزوجها ، و إن شاؤا زوجوها ، و إن شاؤا لم يزوجوها ، و هم أحق بها من أهلها ، فنزلت هذه الآية فى ذلك " لايحل لكم ان ترثوا النسآء كرها " و لهذا أتبعه سبحانه قوله : ﴿ و لا تعضلوهن ﴾ أى تمنعوهن من التزوج بعد طلاقكم لهن أو بعد موت أزواجهن ، أو تشددوا عليهن بالمضارة و هن [فى -[٤]] حبائلكم ؛ قال البيضاوى : و أصل العضل : التضييق ، يقال : عضلت الدجاجة بيضها - انتهى . و الظاهر أن مدار مادته إنما هو على الاشتداد ، من[٥] عضلة الساق ، و هى اللحمة التى فى باطنه ، و نقل عبد الحق أنها كل لحم اجتمع ، قال : و قال الخليل : كل لحمة اشتملت على عصبة - انتهى . و تارة يكون الاشتداد[٦] ناظرا إلى المنع ، و تارة إلى الغلبة و الضيق ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ لتذهبوا ببعض مآ آتيتموهن ﴾ أى أنتم إن كن[٧] أزواجا لكم[٧] ، أو مورثوكم إن كن أزواجا لهم[٨] وعضلتموهن[٩] بعدهم ، ليذهب ذلك بسبب إنفاقهن له على أنفسهن فى زمن العضل ،

(١) زيد من الإصابة ٧ / ١٥٨ ، و قد سقط من الأصول (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابنة (٣) زيد من مد و الصحيح للبخارى (٤) زيد من مد . (٥) سقط من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاسداد - كذا (٧-٧) فى ظ : ازواجكم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهن (٩) فى ظ : عضلتموهم .

أو بسبب افتدائهن لأنفسهن به منكم، ثم استثنى من تحريم العضل فى[1] جميع الحالات فقال: ﴿الآ ان﴾ أى لاتفعلوا ذلك لعلة من العلل إلا لعلة [أن -[2]] ﴿ياتين بفاحشة﴾ أى[3] فعلة زائدة القبح ﴿مبينة ج﴾ أى بالشهود الأربعة إن كانت [زنا -[2]] ، فاعضلوهن بالإمساك فى البيوت - كما مضى[4] - لأن من تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه، أو بمن يقبل من الشهود إن كانت نشوزا و سوء عشرة، فلكم العضل حينئذ إلى الصلاح أو الافتداء بما تطيب[5] به النفس، و الأنسب لسياق الأمر فى ﴿و عاشروهن﴾ أن[6] يكون "تعضلوهن" منهيا، لا معطوفا على "ان ترثوا" ﴿بالمعروف ج﴾ أى من القول و الفعل بالمبيت و النفقة و الموادة[7] قبل الإتيان بالفاحشة ﴿فان﴾ أى إن[8] كنتم لا تكرهونهن[9] فالأمر واضح، و إن ﴿كرهتموهن﴾ فلا تبادروا إلى المضاجرة أو المفارقة، و اصبروا عليهن نظرا لما هو الأصلح، لا لمجرد الميل النفسى، فان الهوى شأنه أن لا يدعو إلى خير، ثم دل على هذه العلة بقوله: ﴿فعسى﴾ و لوضوح دلالتها على ذلك صح جعلها جوابا للشرط ﴿ان تكرهوا شيئا﴾ أى من الأزواج أو غيرها، لم يقيده سبحانه تعميما تتميما للفائدة ﴿و يجعل الله﴾ أى المحيط علما و قدرة، و غيّب بحكمته علمكم العواقبَ

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: من (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٤) زيد بعده فى ظ: من (٥) فى ظ: يطيب (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٧) من ظ، و فى الأصل و مد: الموادة (٨) سقط من ظ. (٩) من مد، و فى الأصل: لا تكرهوهن، و فى ظ: لا تكرهن - كذا.

لئلا تسكنوا [١]إلى مألوف[١] ، أو تنفروا من مكروه ﴿ فيه خيرا كثيرا ﴾

و لما نهى عن العضل تسببا إلى إذهاب [٢]بعض ما[٢] أعطيته المرأة أتبعه التصريح بالنهى عن أخذ شيء[٣] منه فى غير الحالة التى أذن فيها فى المضارة فقال : ﴿ و ان ﴾ أى إن[٤] لم تعضلوا المرأة ، بل ﴿ اردتم استبدال زوج ﴾ أى تنكحونها ﴿ مكان زوج ﴾ [أى -[٥]] فارقتموها أو لا ، و لم يكن من قبلنا ما يبيح الضرار[٦] .

و لما كان المراد بزوج[٧] الجنس جمع فى قوله : ﴿ و اٰتيتم احدٰهن ﴾ أى إحدى النساء اللاتى [وقع -[٨]] الإذن لكم فى جمعهن فى النكاح سواء كانت بدلا [٩]أو مستبدلا بها[٩] ﴿ قنطارا ﴾ أى مالا جما ﴿ فلا تاخذوا منه شيئا ط ﴾ أى بالمضارة عن غير طيب نفس منها ، و لا سبب مباح ، ثم عظم أخذه باستفهام إنكار و توبيخ فقال : ﴿ ا تاخذونه ﴾ أى على ذلك الوجه ، و لما تقدم أن من صور الغصب على الافتداء حال[١٠] الإتيان بالفاحشة شبه الأخذ فى هذه الحالة التى لا سبب[١١] لها بالأخذ فى تلك الحالة ، فجعل الأخذ على هذه الصورة قائما[١٢]

(١ - ١) فى ظ : بمالوف (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعضها .
(٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : شيئا (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد من مد .
(٦) فى مد : الضرر (٧) فى ظ : تزوج (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : و يستبدلانها - كذا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : مال (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : سبيل (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : قايم .

/ مقام القذف بما لا حقيقة له فلذلك[1] قال: ﴿ بهتانا و اثما مبينا ﴾ أى كذوى بهتان فى أخذه و إثم مبين - لكونه لا سبب له - يورث شبهة فيه، ثم غلظ ذلك باستفهام آخر كذلك[2] فقال: ﴿ و كيف تاخذونه و قد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ افضى ﴾ أى بالملامسة[3] ﴿ بعضكم الى بعض ﴾ أى فكدتم أن تصيروا[4] جسدا واحد ﴿ و اخذن ﴾ أى النساء ﴿ منكم ﴾ أى بالإفضاء و الاتحاد ﴿ ميثاقا غليظا ﴾ قويا عظيما، أى بتقوى الله فى المعاشرة بالإحسان و عدم الإساءة، لأن مبنى النكاح على ذلك و إن لم يصرح به فيه.

و لما كرر ذكر الإذن فى نكاحهن و ما تضمنه منطوقا مفهوما، و كان قد تقدم الإذن فى نكاح ما طاب من النساء، و كان الطيب شرعا قد يحمل على الحل؛ مست الحاجة إلى ما يحل منهن [لذلك -[5]] و ما يحرم فقال: ﴿ و لا تنكحوا ﴾ أى تتزوجوا [و تجامعوا -[5]] ﴿ ما نكح ﴾ أى بمجرد العقد فى الحرة، و بالوطء فى ملك اليمين ﴿ اٰبآؤكم ﴾ و بين "ما" بقوله: ﴿ من النساء ﴾ أى سواء كانت إماء أو لا، بنكاح أو ملك يمين، و عبر بما دون 'من' لما فى النساء غالبا من السفه المدنى لما [لا -[6]] يعقل.

و لما نهى عن ذلك فنزعت[7] النفوس عما[8] كان قد[9] أُلِفَ[10] بهاؤه[11]،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فكذلك (٢) فى ظ: لذلك (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بالملابسة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يصيروا (٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فنزعته (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بما (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: هذا (١٠) فى ظ: الفت - كذا (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: لهانه، و فى ظ: بها، و فى مد: بهانه - كذا.

فلاح أنه فى غاية القباحة و أن الميل[١] إليه[٢] إنما هو[٢] شهوة بهيمية[٣]، لا شيء فيها من عقل و لا مروة، و كانت عادتهم فى مثل ذلك مع التأسف على ارتكابه السؤال عما مضى منه - كما وقع فى استقبال بيت المقدس و شرب الخمر؛ أتبعه الاستثناء من لازم الحكم و هو: فانه موجب لمقت[٤] من ارتكبه و عقابه فقال: ﴿ الا ما قد سلف ﴾ أى لكم من فعل ذلك فى أيام الجاهلية[٥] كما قال الشافعى رحمه[٦] الله فى الأم، قال السهيلى فى روضه[٧]: و كان ذلك مباحا فى الجاهلية لشرع[٨] متقدم، و لم يكن من الحرمات التى انتهكوها. ثم علل النهى بقوله: ﴿ انه ﴾ أى هذا النكاح ﴿ كان ﴾ أى الآن و ما بعده كونا راسخا ﴿ فاحشة ﴾ أى و الفاحشة لا يقدم عليها تام العقل ﴿ و مقتا ﴾ أى أشر[٩] ما يكون بينكم و بين ذوى الهمم لما انتهكتم من حرمة آبائكم ﴿ و ساء سبيلا ﴾ أى قبح طريقا طريقه.

و لما ابتدأ بتعظيم الآباء و احترامهم فى أن ينكح الأبناء أزواجهم[١٠] على العموم ثنى بخصوص الأم بقوله: ﴿ حرمت عليكم ﴾ و لما كان أعظم مقصود من النساء النكاح، فكان إضافة التحريم إلى أعيانهن لإفادة التأكيد غير قادح فى فهمه، و كان مع ذلك قد تقدم ما يدل

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: المثل (٢-٢) من مد، و فى الأصل و ظ: انه كان (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بهيمة (٤) فى مد: لمقته (٥) العبارة من هنا إلى « فى الجاهلية » سقطت من ظ (٦) سقط من مد (٧) من مد، و فى الأصل: روضة (٨) من مد، و فى الأصل: لنزع، و فى ظ: شرع - كذا. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: اسر - كذا (١٠) فى ظ: ازواجهن.

على أن المراد النكاح ؛ أسند[1] التحريم إلى الذات تأكيدا للتحريم فقال: ﴿ امهٰتكم ﴾ أى التمتع بهن بنكاح أو[2] ملك يمين ، فكان تحريمها مذكورا مرتين تأكيدا له و تغليظا[3] لأمره فى نفسه و احتراما للأب و تعظيما لقدره ﴿ و بنٰتكم ﴾ أى و إن سفلن[4] لما فى ذلك من ضرار[5] أمهاتهن ، و هذان الصنفان لم يحللن فى دين من الأديان ﴿ و اخوٰتكم ﴾ أى أشقاء ٥ أو لا ﴿ و عمّٰتكم ﴾ كذلك ﴿ و خٰلٰتكم ﴾ أيضا ، و الضابط لهما[6] أن كل ذكر رجع نسبك إليه فأخته عمتك ، و قد تكون[7] من جهة الأم و هى أخت أبى أمك ؛ و كل أنثى رجع نسبك إليها بالولادة فأختها خالتك ، و قد تكون الخالة من جهة الأب و هى أخت أم أبيك ﴿ و بنٰت الاخ ﴾ شقيقا كان أو لا ﴿ و بنٰت الاخت ﴾ أى كذلك[8] ، و فروعهن ١٠ و إن سفلن .

و لما انقضى أمر النسب و هو سبعة أصناف أتبعه أمر السبب و هو ثمانية : أوله أزواج الآباء ، أفردها و قدمها تعظيما لحرمتها ، لما كانوا استهانوا من ذلك ، و آخره المحصنات ، و بدأ من هذا القسم بالأم من الرضاع كما بدأ النسب بالأم فقال : ﴿ و امهٰتكم الّٰتى ارضعنكم ﴾ ١٥ تنزيلا له منزلة النسب ، و لذلك سماها أما ، فكل أنثى انتسبت[9] باللبن

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ « و » .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعظيما (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : سلفت ـ كذا (٥) فى ظ : ضرر (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : له (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : يكون (٨) فى ظ : لذلك (٩) فى ظ : انتسب .

إليها فهى أمك، و هى من أرضعتك، أو أرضعت امرأة أرضعتك، أو رجلا أرضعك [بلبانه من زوجته أو أم ولده، و كل امرأة ولدت امرأة أرضعتك أو رجلا أرضعك -[1]] فهى أمك من الرضاعة، و المراضَعَة[2] أختك، و زوج المرضعة الذى أرضعت هى بلبانه أبوك و أبواه جداك، و أخته[2] عمتك، و كل ولد[3] ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع و بعده إخوة الأب، و أم المرضعة جدتك/، و أختها خالتك، و كل من ولد لها من هذا الزوج إخوة لأب[4] و أم، [و -[1]] من ولد لها من غيره فهم إخوته و أخواته لأم، فعلى ذلك ينزل قوله: ﴿ و اخوتكم من الرضاعة ﴾ كما فى النسب بشرط أن يكون[5] خمس رضعات و فى الحولين؛ و بتسمية[6] المرضعة أما و المشاركة فى الرضاع[7] أختا عُلِم أن الرضاع كالنسب - كما بينه النبى صلى الله عليه و سلم بقوله «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» فالصورتان منبهتان[8] على بقية[9] السبع؛ الأم منبهة[10] على البنت بجامع الولادة، و الأخوات على العمات و الخالات و بنات الأخ[11] و بنات الأخت بجامع الأخوة.

٤٦٤/

و لما انقضى ما هو كلحمة النسب أتبعه أمر ما بالمصاهرة فقال:

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢ - ٢) سقطت من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: له - كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اب (٥) فى ظ: تكون. (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بتيمية (٧) فى ظ: الرضاعة (٨) فى الأصول: منبهان - كذا (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بقيته (١٠) من مد، و فى الأصل: منه، و فى ظ: مسه - كذا (١١) سقط من مد.

﴿ و امهٰت نسآئكم ﴾ أى دخلتم بهن أو لا - لما فى ذلك من إفساد ذات البين غالبا ﴿ و ربآئبكم ﴾ و ذكر سبب الحرمة فقال: ﴿ الّٰتى فى حجوركم ﴾ أى بالفعل أو[1] بالقوة - لما فيهن من شبه[2] الأولاد ﴿ من نسآئكم ﴾ و لما كانت الإضافة تسوغ فى اللغة بأدنى ملابسة بين سبحانه أنه لا بد من الجماع الذى كنى عنه بالدخول لأنه ممكن لحكم الأزواج[3] الذى يصير به أولادها كأولاده فقال: ﴿ الّٰتى دخلتم بهن ز ﴾ قيد بالدخول لأن غيرة الأم من ابنتها دون غيرة البنت من أمها.

و لما أشعر هذا القيد بحل بنت من عقد عليها و لم يدخل بها أفصح به تنبيها على عظيم حرمة الإرضاع فقال: ﴿ فان لم تكونوا دخلتم بهن ﴾ أى الأمهات ﴿ فلا جناح عليكم ز ﴾ أى فى نكاحهن؛ و لما افتتح المحرمات على التأبيد بزوجة الأب ختمها بزوجة الولد فقال: ﴿ و حلآئل ابنآئكم ﴾ أي زوجة كانت أو موطوءة بملك يمين؛ و لما لم يكن المتبنى[4] مرادا قيد بقوله: ﴿ الذين من اصلابكم لا ﴾ أى و إن سفلوا، و[5] دخل ما[5] بالرضاع لأنه كلحمة[6] النسب فلم يخرجه القيد.

و لما انقضى التحريم المؤبد أتبعه الموقت فقال: ﴿ و آن ﴾ أى و حرم عليكم أن ﴿ تجمعوا ﴾ بعقد[7] نكاح لأن مقصوده الوطئ،

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: نسبة. (٣) فى مد: الزواج (٤) فى ظ: لتبنى (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: دخلها (٦) فى ظ: كلمحة - كذا بتقديم الميم على الحاء (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: العقد.

أو بوطىء فى ملك يمين ﴿ بين الاختين[١] ﴾ فان كانت إحداهما[٢] منكوحة و الأخرى[٣] مملوكة حلت المنكوحة و حرمت المملوكة ما دام الحل ، لأن النكاح أقوى ، فاذا زال الحل حلت الأخرى و[٤]لو فى[٤] عدة التى كانت حلالا .

٥ و لما كان الجمع بين الأختين شرعا قديما قال : ﴿ الا ما قد سلف ط ﴾ أى فانه لا إثم عليكم فيه رحمةً من الله لكم ، ثم علل رفع حرجه فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ كان غفورا ﴾ أى ساترا لما يريد من أعيان الزلل و آثاره ﴿ رحيما ﴾ أى معاملا بغاية الإكرام الذى ترضاه الإلهية .

١٠ و لما ذكر مضارة الجمع أتبعه مضارة الإغارة على الحق ، و الأول جمع بين [المنكوحَيْن و هذا جمع بين -[٥]] الناكحين[٦] فقال - عاطفا على النائب عن فاعل "حرمت" - :

(١) و المراد جمعهما فى النكاح ، لا فى ملك اليمين ، ولا فرق بين كونهما أختين من النسب أو الرضاعة حتى قالوا : لو كان له زوجتان رضيعتان أرضعتهما أجنبية فسد نكاحهما ، و حكى عن الشافعى أنه يفسد نكاح الثانية فقط ، و لا يحرم الجمع بين الأختين فى ملك اليمين ، نعم جمعهما فى الوطء بملك اليمين ملحق به بطريق الدلالة لاتحادهما فى المدار فيحرم عند الجمهور ، وعليه ابن مسعود وابن عمر وعمار ابن ياسر رضى الله تعالى عنهم ، و اختلفت الرواية عن على كرم الله تعالى وجهه فأخرج البيهقى وابن أبى شيبة عنه أنه سئل عن رجل له أمتان أختان وطىء إحداهما ، ثم أراد أن يطأ الأخرى ! قال : لا حتى يخرجها من ملكه ، و أخرجا من طريق أبى صالح عنه أنه قال فى الأختين المملوكتين : أحلتهما آية و حرمتهما آية ولا آمر و لا أنهى و لا أحلل و لا أحرم ولا أفعله أنا و لا أهل بيتى - روح المعانى ٢/٦٠ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : احدهما (٣) فى ظ : الاخر . (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لوطى فى - كذا (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) فى ظ : المنكوحين .

﴿ و المحصنٰت ﴾ أى الحرائر المزوجات لأنهن مُنِعَتْ فروجهن بالنكاح عن غير الأزواج ﴿ من النسآء الا ما ملكت ايمانكم ج ﴾ أى من أزواج أهل الحرب، فان الملك بالأسر يقطع النكاح .

و لما أتم ذلك قال مؤكدا له و مبينا عظمته : ﴿ كتٰب الله ﴾ أى خذوا فرض الملك الأعظم الذى أوجبه عليكم إيجاب ما هو موصول ٥ فى الشيء بقطعه منه، و ألزموه غير ملتفتين إلى غيره، و زاد فى تأكيده[1] بأداة الوجوب فقال : ﴿ عليكم ج ﴾ و لما أفهم ذلك حل ما سواه أفصح به احتياطا للايضاح[2] و تعظيما لحرمتها فى قوله : ﴿ و احل لكم ﴾ و بين عظمة هذا التحريم[3] بأداة البعد فقال : ﴿ ما ورآء ذٰلكم ﴾ أى الذى ذكر لكم من المحرمات العظيمة . ١٠

و لما كان الكلام فى المنع لم يصرح بالفاعل بل قال "حرمت"- ترفقا[4] فى الخطاب حثا على الآداب[5]، فلما وصل الأمر إلى الحل أظهره تطييبا للقلوب و تأنيسا[6] للنفوس فى قراءة ابن كثير و نافع و ابن عمرو و ابن عامر بفتح الهمزة و الحاء[7]، و أبهمه فى قراءة الباقين على نسق "حرمت" لأن فاعل الحل و الحرمة عند أهل [هذا -[8]] الكتاب ١٥ معروف أنه الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه أصلا، ثم أتبع التحليل[9] علته فقال : ﴿ ان ﴾ أى إرادة أن ﴿ تبتغوا ﴾ أى تطلبوا متبعين[10] من شئتم مما أحل لكم ﴿ باموالكم ﴾ اللاتى / تدفعونها[11] مهورا ٤٦٥ /

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : تا كيد (٢) فى الأصول : للايضاع - كذا . (٣) فى ظ : التحذير (٤) من ظ ومد، و فى الأصل : ترفعا (٥) من ظ ومد، وفى الأصل : الاداة (٦) فى ظ : تاسبا - كذا (٧) من مد، و فى الأصل وظ : الهاء (٨) زيد من ظ و مد (٩) فى مد : التحلل (١٠) فى ظ : منثنين، و لا يتضح فى مد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : تدفعوها .

حال كونكم ﴿محصنين﴾ أى قاصدين بذلك العفة لأنفسكم و لهن ﴿غير مسفحين[1]﴾ أى قاصدين قضاء الشهوة و صب الماء الدافق لذلك فقط، و هو على هذا الوجه لا يكون إلا زنا سرا و جهرا، فيكون فيه حينئذ إضاعة المال و إهلاك الدين، و لا مفسدة أعظم مما يجمع هذين الخسرانين.

٥ و لما تقدم أول السورة و أثناءها الأمر بدفع الصداق و النهى عن أخذ شىء مما دفع إلى المرأة[1]، و كان ذلك أعم من أن يكون بعد الدخول أو قبله، مسمى[2] [أو لا -[3]] قال هنا مسببا عن الابتغاء المذكور: ﴿فما استمتعتم﴾ أى أوجدتم المتاع و هو الانتفاع ﴿به منهن﴾ بالبناء بها، متطلبين لذلك[4] من وجوهه الصحيحة راغبين فيه ﴿فآتوهن اجورهن﴾

١٠ أى عليه[5] كاملة، و هى المهور ﴿فريضة[1]﴾ أى حال كونها واجبة من الله و مسماة مقدرة قدرتموها على أنفسكم[6]؛ و يجوز كونه تأكيدا لأتوا بمصدر من معناه ﴿و لا جناح﴾ أى حرج و ميل ﴿عليكم فيما تراضيتم به[7]﴾ أى[8] أنتم و الأزواج ﴿من بعد الفريضة[1]﴾ أى من طلاق أو فراق أو زيادة أو نقص إن كانت موجودة مقدرة، أو من مهر المثل من بعد

١٥ تقديره إن لم تكن مسماة فيمن عقد عليها من غير تسمية صداق.

و لما ذكر فى هذه الآيات أنواعا من التكاليف هى[9] فى غاية الحكمة، و التعبير عنها فى الذروة العليا من العظمة، و ختمها باسقاط الجناح عند الرضى و كان الرضى أمرا باطنا لا يطلع عليه حقيقة إلا الله تعالى،

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: البراة - كذا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: سمى (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: كذلك (٥) فى ظ: عيلة - كذا (٦) فى ظ: نفسكم (٧) سقط من ظ (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٩) فى ظ: هن.

حث على الورع فى شأنــه بنوط الحكم بغلبة الظن فقــال مرغبا فى امتثال أوامره و نواهيه: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة التامة علما و قدرة ﴿ كان عليما ﴾ أى بمن يقدم[1] متحريا لرضى صاحبه أو غير متحر لذلك ﴿ حكيما ٥ ﴾ أى يضع الأشياء فى أمكن مواضعها من الجزاء على الذنوب و غيره . ٥

و لما مضى ذلك على هذا الوجه الجليل عرف أنه كله فى الحرائر لأنــه الوجه الأحكم فى النكاح، و أتبعه تعليم الحكمة فى نكاح الإماء؛ فقال - عاطفا على ما تقديره: هذا حكم من استطاع نكاح حرة -: ﴿ و من لم يستطع منكم ﴾ أى أيها المؤمنون ﴿ طولا ﴾ أى سعة و زيادة، عبر فيما قبله بالمال تهوينا لبذله بأنه ميال[2]، لا ثبات له، و هنا بالطول ١٠ الذى معناه: التى قل من يجدها ﴿ ان ﴾ أى لأن[3] ﴿ ينكح المحصنت ﴾ أى الحرائر، فان الحرة مظنة [العفة - [4]] الجاعلة[5] لها فيما هو كالحصن على مريد الفساد، لأن العرب كانوا يصونهن و هن[6] يصنّ[7] أنفسهن عن أن يكن كالإماء ﴿ المؤمنت ﴾ بسبب كــثرة المؤنة و غلاء المهر ﴿ فمن ﴾ أى فلينكح إن أراد من[8] ﴿ ما ملكت ايمانكم ﴾ أى مما ملك ١٥ غيركم من المؤمنين ﴿ من فــتيتكم ﴾ أى إمائكم، و أطلقت الفتوة

(١) فى ظ: تقدم (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: مثال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الان (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الجاهلة (٦) من ظ، و فى الأصل و مد: هم (٧) من مد، و فى الأصل: يصنن، و فى ظ: يضعن - كذا (٨) زيد بعده فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

- و هي الشباب - على الرقيق لأنه يفعل ما يفعل الشاب لتكليف السيد له إلى الخدمة و عدم توقيره و إن كان شيخا[1]، ثم وضح المراد بالإضافة فقال: ﴿ المؤمنت[2] ﴾ أي لا من الحرائر الكافرات و لا مما[2] ملكتم من الإماء الكافرات[2] و لا مما ملك الكفار حذرا من مخالطة كافرة[3] خوفا من الفتنة - كما مضى في البقرة، و[4] لئلا يكون الولد المسلم بحكم تبعية أمه في الرق ملكا[4] لكافر، هذا ما تفهمه العبارة و لكنهم قالوا: إن تقييد المحصنات بالمؤمنات لا مفهوم له، و إلا لصار نكاح الحرة الكتابية المباح بآية المائدة مشروطا بعقد[5] مسلمة، حرة كانت أو أمة، و لم يشترط ذلك؛ و مذهب الشافعي أنه لا يجوز نكاح الأمة مع القدرة على حرة كتابية، و الظاهر أن فائدة التقييد الندب إلى مباعدة الكفار، فلا ينكح منهن إلا لضرورة[6]، فكأن هذه سورة[7] المواصلة، أسقط فيها أهل المباعدة، و المائدة سورة تمام الدين، فذكر فيها ما يجوز [لأهله -[8]] فلا ضرر في القيد، لأن المفهوم لا يقوى لمعارضة المنطوق مع ما فيه من فائدة الندب إلى الترك، و هذا كما أن قيد الإحصان[9] هنا للندب إلى عدم نكاح الزواني مع جوازه بآية النور[10] "و انكحوا الايامى منكم[11]" - كما يأتي بيانه هناك إن شاء الله / تعالى . /٤٦٦

(١) في ظ : شيخنا - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) في ظ : الكافرة (٤) سقط من ظ (٥) من مد، و في الأصل : بفقد، و في ظ : بعقد - كذا (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: الضرورة (٧) في الأصول: صورة (٨) زيد من ظ ومد (٩) من مد، وفي الأصل وظ: الامكان (١٠) سورة ٢٤ (١١) آية ٣٢.

و لما شرط فى هذا النكاح الإيمان، و عبر فيه بالوصف، و كان أمرا قلبيا، لا يطلع على حقيقته إلا الله؛ أعقبه ببيان أنه يكتفى فيه بالظاهر فقال: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة التامة بالمعلومات و المقدورات ﴿ اعلم بايمانكم[1] ﴾ فربما ظهر ضعف إيمان أحد و الباطن بخلافه، لكن فى التعبير به و بالوصف لا بالفعل إرشاد إلى مزيد التحرى ٥ من جهة الدين «فاظفر بذات الدين، تربت يداك!». و لما اشترط الدين كان[1] كأنه قيل: فالنسب؟ فأشير إلى عدم اشتراطه بقوله: ﴿ بعضكم من بعض[2] ﴾ أى كلكم من آدم و إن تشعبتم بعده ﴿فانكحوهن﴾ أى بشرط العجز[2] ﴿ باذن اهلهن ﴾ أى من[3] مواليهن[4]، و لا يجوز نكاحهن من غير إذنهم[5]. ١٠

و لما كان مما لا يخفى أن السيد المالك للرقبة[6] مالك للمنفعة[6] من باب الأولى[7] كان الأمر[7] بدفع المهور إليهن[8] مفيدا لندب السيد إلى جبرها به من غير أن يوهم أنها تملكه و هى لا تملك نفسها، فلذلك قال تعالى: ﴿ و اتوهن اجورهن ﴾ و هى المهور ﴿ بالمعروف ﴾ أى من غير ضرار[9]، لا عليكم و لا عليهن و لا على أهلهن، حال كونهن ١٥ ﴿ محصنت ﴾ أى عفائف بأنفسهن أو بصون الموالى لهن ﴿غير مسفحت﴾

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: المهر (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: موالهن (٥) فى ظ: اذنهن (٦-٦) من مد، و فى الأصل و ظ: ملك للتعة (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اليمين (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: اضرار.

أى مجاهرات بالزنا لمن أراد ، لا لشخص معين ﴿ و لا متخذت اخدان ﴾ أى أخلاء[1] فى السر للزنا معينين ، [2]لا تعدو ذات[2] الخدن خدنها إلى غيره ؛ قال الأصبهانى : و هو[3] - أى الخدن[4] - الذى يكون معك[5] فى كل ظاهر و باطن .

٥ و لما لم يتقدم بيان حد الإماء قال مبينا له[6] : ﴿ فاذآ احصن ﴾ مبنيا للفاعل فى قراءة حمزة و الكسائى و أبى بكر عن عاصم ، و المفعول فى قراءة الباقين ، أى انتقلن من حيز التعريض للزنا بالإكراه إلى حيز الحرائر بأن حفظن فروجهن بكراهتهن للزنا ، أو حفظهن[7] الموالى بالرضى لهن بالعفة ؛ و قال الشافعى فى أوائل الرسالة فى آخر الناسخ

١٠ و المنسوخ الذى يدل الكتاب على بعضه و السنة على بعضه : إن[8] معنى "احصن" هنا : أسلمن ، لا نكحن فأصبن بالنكاح ، و لا أعتقن و إن لم يصبن ، و قال : فان قال قائل : أراك[9] توقع الإحصان[10] على معان مختلفة ؟ قيل : نعم ، جماع الإحصان أن يكون دون التحصين مانع [من تناول المحرم ، فالإسلام مانع ، و كذلك الحرية مانعة ،

١٥ و كذلك التزوج و الإصابة[11] مانع -[12]] و كذلك الحبس فى البيوت

(١) فى ظ : اجلاء (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : لا تعدو ذوات ، و فى ظ : لا تعد ذات (٣) فى ظ : هى (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الخذلان - كذا . (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : معه (٦) سقط من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : حفظن (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذ (٩) فى ظ : وان - كذا (١٠) زيد بعده فى ظ : لا (١١) ليس فى مد (١٢) زيد ما بين الحاجزين من مد و الرسالة ٢١ .

مانع ، و كل [1]ما منع[1] أحصن ، و قد قال الله عز و جل "و علمنه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم[2]" و قال "لا يقاتلونكم جميعا الا فى قرى محصنة[3]" يعنى ممنوعة ، قال : و آخر الكلام و أوله يدلان على أن معنى الإحصان المذكور عام[4] فى موضع دون غيره ، إذ[5] الإحصان ههنا الإسلام دون النكاح و الحرية و التحصين بالحبس و العفاف ، و هذه ٥ الأسماء التى يجمعها اسم الإحصان - انتهى . ﴿ فان اتين بفاحشة ﴾ و لا تكون[6] حينئذ إلا عن رضى من غير إكراه .

و لما كان من شأن النكاح تغليظ الحد ، فغلظ[7] فى الحرائر بالرجم ؛ بين تعالى أنه لا تغليظ على الإماء ، بل حدهن بعده هو حدهن قبله ، فقال : ﴿ فعليهن نصف ما على المحصنت ﴾ أى الحرائر لأنهن فى مظنة ١٠ العفة و إن كن بغير أزواج ﴿ من العذاب[4] ﴾ أى الحد - كما كان ذلك عذابهن قبل الإحصان ، و هذا يفهمه بطريق الأولى ، و المراد هنا الجلد ، لأن الرجم لا ينتصف .

و لما كان كأنه قيل : هل هذا لكل[8] عاجز عن الحرة ؟ استؤنف جواب هذا السؤال بقوله تعالى مشيرا بأداة البعد إلى أنه مما لا يحسن ١٥ قربه : ﴿ ذلك ﴾ أى حل نكاح الإماء الذى ينبغى البعد منه ﴿ لمن خشى العنت ﴾ أى [9]الوقوع فى[9] الزنا الموجب للاثم المقتضى للهلاك

(١-١) فى ظ : مانع (٢) سورة ٢١ آية ٨٠ (٣) سورة ٥٩ آية ٤١ (٤) من الرسالة، و فى الأصول : عاما (٥) من الرسالة ، و فى الأصول : ان (٦) فى ظ : لا يكون. (٧) فى مد: فقط (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: الكل (٩-٩) فى ظ: فى وقوع.

بالعذاب فى الدنيا و الآخرة بما عنده من عظيم الداعيـة إلى[1] النكاح و مشقة الصبر عنه ؛ قالوا : و أصل العنت انكسار العظم بعد الجبر ، فاستعير لكل مشقة و ضرر ؛ قال الأصبهانى : و قيل : إن الشبق الشديد و الغلمة العظيمة قد يؤدى بالإنسان[2] إلى الأمراض الشديدة ، أما فى حق النساء فقد يؤدى إلى اختناق الرحم ، و أما فى حق الرجال / فقد يؤدى إلى أوجاع[3] الوركين و الظهر . ٤٦٧ / ٥

و لما كان هذا التخفيف و التيسير خاصا بالمؤمنين [منا -[4]] قيد بقوله : ﴿ منكم ﴾ .

و لما بين إباحته و أشار إلى البعد عنه لما فيه من استرقاق الولد صرح بالندب إلى حبس النفس عنه فقال : ﴿ و ان تصبروا ﴾ أى عن نكاحهن متعففين ﴿ خير لكم ﴾ أى لئلا تعيروا بهن ، أو تسترق أولادكم منهن ، ثم أتبع ذلك بتأكيده[5] لذوى البصائر و الهمم فى سياق دال على رفع الحرج[6] فقال : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ غفور ﴾ أى لمن [7]لم يصبر[7] ، و المغفرة [8]تشير إلى نوع تقصير ﴿ رحيم ﴾ أى فاعل بـه فعل الراحم منكم بالإذن فى قضاء وطره و اللطف فيما[8] يتبع ذلك من المحذور .

و لما أتم سبحانه بيان الحلال و الحرام من هذه الحدود و الأحكام ،

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : بالاسناد (٣) فى ظ : اجماع (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتاكيـد (٦) من مـد ، و فى الأصل و ظ : الجرح (٧-٧) فى ظ و مد : يصبر (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و ختمها بصفة الرحمة بين ما أراد بها من موجبات الرحمة تذكيرا بالنعمة لتشكر، و تحذيرا من أن تنسى فتكفر[1] فقال تعالى: ﴿ يريد الله ﴾ أى الملك الأعظم إنزال هذه الأحكام على هذا النظام ﴿ ليبين لكم ﴾ أى ليوقع لكم البيان الشافى فيما لكم و عليكم من شرائع الدين ﴿و يهديكم﴾ أى يعرفكم ﴿ سنن ﴾ أى طرق ﴿ الذين ﴾ و لما كان المراد بعض الماضين ٥ قال: ﴿ من قبلكم ﴾ أى من أهل [الكتاب -[2]]: الأنبياء و أتباعهم ﴿ و يتوب عليكم[3] ﴾ أى يرجع بكم عن كل ما لا يرضيه، لا سيما ما يجر إلى المقاطعة[3] - مثل منع[4] النساء و الأطفال الإرث، و مثل نكاح ما يحرم نكاحه و غير ذلك، فأعلمهم بهذا أنهم لم يخصهم[5] بهذه التكاليف، بل يسلك بهم فيها صراط الذين أنعم[6] عليهم ليكون ذلك أدعى لهم إلى ١٠ القبول و أعون على الامتثال، و ليتحققوا أن إلقاء أهل الكتاب الشبه إليهم و تذكيرهم بالأضغان[7] لإرادة إلقاء العداوة محض حسد لمشاركتهم لهم فى منتهم [إذ -[8]] هدوا[9] لسنتهم[10]، و ما أحسن ختم ذلك بقوله: ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بأوصاف الكمال ﴿ عليم حكيم ٥ ﴾ فلا يشرع لكم [شيئا -[8]] إلا و هو فى غاية الإحكام، فاعملوا به يوصلكم إلى ١٥ دار السلام[11].

بيان ذلك أن ما فى هذه السورة الأمر بالتقوى و الحث عليها،

(١) فى ظ: نتفكر (٢) زيد من مد (٣) فى ظ: العاطفة (٤) سقط من ظ (٥) فى مد: لم يختصهم (٦) فى مد: انعمت (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بالاحصان. (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: و ا، كذا (١٠) من مد، و فى الأصل: لسنتهم، و فى ظ: السنتهم (١١) فى ظ: الاسلام.

و بيان الفرائض و أمر الزناة، و ما يحل و يحرم من النساء، و التحرى فى الأموال، و الإحسان إلى الناس، لا سيما الأيتام و الوالدين، و الإذعان للأحكام، و تحريم القتل، و الأمر بالعدل فى الشهادة و غيرها، و كل ذلك مبين أصوله فى التوراة كما هو مبثوث[1] فى هذا الديوان عن نصوصها فى المواضع اللائقة به، لكن القرآن أحسن بيانا و أبلغ تبيانا و أبدع شأنا و ألطف عبارة و أدق إشارة، و أعجب[2] ذلك أن سبب إنزال فرائض الميراث فى شريعتنا النساء، ففى الصحيحين و غيرهما عن جابر رضى الله عنه قال: مرضت فعادنى [3]رسول الله[3] صلى الله عليه و سلم، فأتانى و قد أغمى علىّ، و فى رواية البخارى فى التفسير: عادنى النبى صلى الله عليه و سلم و أبو بكر فى بنى سلمة ماشيين، فوجدنى النبى صلى الله عليه و سلم لا أعقل، فدعا بماء فتوضأ فصب علىّ وضوءه فأفقت، فقلت: يا رسول الله! كيف أصنع فى مالى؟ - و فى رواية لمسلم: إنما يرثنى كلالة - فلم يجبنى بشىء، و فى رواية الترمذى: و كانت لى[4] تسع أخوات حتى نزلت آية الميراث، و فى رواية للبخارى[5]: فنزلت، و فى رواية للترمذى: حتى نزلت "يوصيكم الله فى اولادكم" و فى رواية للترمذى: حتى نزلت آية الميراث "يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة" - الآية، و قال: حديث صحيح. و لأبى داود و الترمذى و ابن ماجه و الدارقطنى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: جاءت

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مثبوت (٢) فى ظ: اعب - كذا (٣-٣) فى ظ: النبى (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: فى (٥) فى ظ: البخارى.

امرأة

امرأة سعد بن ربيع بابنتيها من سعد رضى الله عنهم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت[١]: يا رسول الله! هاتان ابنتا سعد بن الربيع، قتل أبوهما معك يوم أحد شهيدا، و إن عمهما أخذ مالهما فلم يدع[٢] لهما مالا، و لا تنكحان[٣] إلا و لهما مال، قال: يقضى[٤] الله عز و جل فى ذلك، فنزلت آية الميراث - و فى رواية أبى داود: و نزلت الآية فى سورة النساء ٥ "يوصيكم الله فى / [٥]اولادكم" و فى رواية الدارقطنى: فنزلت سورة النساء، / ٤٦٨ و فيها "يوصيكم الله فى اولادكم[٥]" - إلى آخر الآية - فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى عمهما فقال: أعط[٦] ابنتى سعد الثلثين، و أعط أمهما الثمن، و ما بقى فهو لك؛ و فى رواية للدارقطنى[٧]: إن امرأة سعد ابن الربيع قالت: يا رسول الله! إن سعدا هلك و ترك ابنتين و أخاه، ١٠ فعمد أخوه[٨] فقبض ما ترك سعد، و إنما تنكح النساء على أموالهن، فلم يجبها رسول الله صلى الله عليه و سلم فى مجلسه[٩] ذلك، ثم جاءته[١٠] فقالت: يا رسول الله! ابنتا سعد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ادعى لى أخاه! فجاء[١١] فقال: ادفع إلى ابنتيه الثلثين، و إلى امرأته الثمن،

(١) من مد و الترمذى - الفرائض، و فى الأصل و ظ: فقال - كذا (٢) من مد و الترمذى، و فى الأصل و ظ: و لم يدع (٣) فى ظ: لاينكحان (٤) من ظ و مد و الترمذى، و وقع فى الأصل: يعنى - كذا مصحفا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ومد والترمذى، و فى الأصل: اعطى (٧) فى مد: الدارقطنى (٨) فى مد: عمها (٩) من سنن الدارقطنى - الفرائض، و فى الأصول: مجلسها (١٠) من ظ ومد والسنن، و فى الأصل: جاءت (١١) فى مد: فجاءه.

و لك ما بقى . و قال شيخنا حافظ عصره أبو الفضل أحمد بن على بن حجر فى الإصابة فى أسماء الصحابة : روى أبو الشيخ فى تفسيره من طريق عبد الله بن الأجلح الكندى عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان أهل الجاهلية [1] لا يورثون [1] البنات و لا الأولاد [2] الصغار حتى يدركوا ، فمات رجل من الأنصار يقال له أوس بن ثابت ، و ترك بنتين و ابنا صغيرا ، فجاء ابنا عمه خالد و عرفطة فأخذا ميراثه ، فقالت امرأته للنبى صلى الله عليه و سلم [ذلك - [3]] ، فأنزل الله تعالى " للرجال نصيب مما ترك الوالدان و الاقربون " فأرسل إلى خالد و عرفطة فقال : لا تحركا [4] من الميراث شيئا [5] . و رواه أبو الشيخ من وجه آخر فقال : قتادة و عرفطة ، و رواه الثعلبى فى تفسيره [6] فقال : سويد و عرفطة ، [7] و وقع [7] عنده أنهما أخوا [8] أوس [9] ، و رواه مقاتل فى تفسيره فقال : إن أوس بن مالك توفى يوم [5] أحد و ترك امرأته أم كجة [10] و بنتين -

(١-١) من ظ و مد و الإصابة ١/٨١ ، و فى الأصل : يورثون (٢) من الإصابة ، و فى الأصول : الموالى (٣) زيد من الإصابة (٤) العبارة من هنا إلى « قتادة و عرفطة » سقطت من مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد و الإصابة ، و فى الأصل : تفسير (٧-٧) فى ظ : فوقع (٨) فى ظ : اجزا - كذا (٩) من الإصابة ، و فى الأصول : و ين - كذا ، و زيد بعده فى الإصابة : و ذكر ابن منده فى ترجمته أنه أوس بن ثابت أخو حسان ، و هو خطأ لأن أوسا ليس له أحد من إخوته و لا من أعمامه يسمى عرفطة و لا خالدا (١٠) فى الأصل و مد : ام كحة ، و فى ظ : ام لحه - كذا ، و التصحيح من ترجمتها فى الإصابة ٨/٢٧٠ ، و أما هنا فقد ثبت فى الإصابة أيضا : أم كحة .

فذكر القصة . و ذكر شيخنا فى تخريج أحاديث الكشاف أن الثعلبى و البغوى ساقا بلا سند أن أوس بن الصامت الأنصارى ترك امرأته أم كجة[1] و ثلاث بنات ، فزوى[2] ابنا عمه سويد و عرفطة أو قتادة و عرفجة ميراثه عنهن ، و كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء و لا الأطفال و يقولون : لا يرث إلا من طاعن بالرماح ، و ذاد عن الحوزة ، و حاز ٥ الغنيمة ، فجاءت أم كجة[1] إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى مسجد الفضيخ ، فشكت إليه ، فقال : ارجعى حتى أنظر ما يحدث الله ، فنزلت "للرجال نصيب مما ترك الوالدان و الاقربون" فبعث إليهما : لا تفرقا من مال أوس شيئا ، فان الله قد جعل لهن نصيبا ، و لم يبين حتى نزلت "يوصيكم الله فى اولادكم[3]" ـ الآية ، فأعطى أم كجة[1] الثمن و البنات ١٠ الثلثين و الباقى لابنى[4] العم . و رواه الطبرانى من طريق ابن جريج عن عكرمة على غير هذا السياق ، و لفظه : نزلت فى أم كجة[1] و[5] ابنة أم كجة[5] و ثعلبة و أوس بن سويد ، و هم من الأنصار ، كان أحدهما زوجها و الآخر عم ولدها ، فقالت : يا رسول الله ! توفى زوجى و تركنى و ابنته فلم نورث[6] ، فقال عم ولدها : إن ولدها لا يركب فرسا و لا يحمل كلا ١٥

(١) من الإصابة ، و فى الأصل و مد : ام كحه ، و فى ظ : ام لحه ـ كذا .
(٢) زوى الشيء عنه : منعه ، و فى الأصول : فروى ، و التصحيح من الكشاف ١/١٩٢ (٣) زيد بعده فى ظ : للذكر (٤) فى الكشاف : ابنى (٥-٥) فى الأصول : ابنه كحه ، و التصحيح من الإصابة ٨/٢٧١ ، حيث سيقت هذه الرواية إحالة على الطبرى بفرق يسير (٦) من مد و الإصابة ، و فى الأصل : فلم ترث ، و فى ظ : فلم نرث .

و لا ينكأ عدوا ، فنزلت " للرجال نصيب " - الآية ، و روى من طريق السدى ، قال فى قوله " يوصيكم الله فى اولادكم " - الآية : كان[1] أهل الجاهلية لا يورثون الجوارى و لا الضعفاء من الغلمان ، و لا يورثون إلا من أطاق القتال ، فمات عبد الرحمن أخو حسان الشاعر و ترك امرأة يقال لها أم كجة[2] ، و ترك خمس أخوات ، فجاءت الورثة فأخذوا ماله ، فشكت أم كجة[2] [ذلك -[3]] إلى النبى صلى الله عليه و سلم ، فأنزل الله " فان كن نسآء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك " ثم قال فى أم كجة[2] " و لهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد " - الآية .

فجميع هذه الروايات - كما ترى - ناطقة بأن سبب نزول آيات الميراث النساء ، و يمكن أن يكون المجموع سببا - و الله أعلم ؛ و ذلك كما أن سبب إنزال الفرائض فى التوراة كان النساء أيضا ، و ذلك أنه[4] جل[5] أمره و عز اسمه و تعالى جده لما أمات من نكص عن أمره من بنى إسرائيل و منّ آلافهم فى التيه[6] /و أخرج أبناءهم منه ؛ أمر موسى عليه الصلاة و السلام بقسمة أرض الكنعانيين بين بنيهم[7] بعد معرفة عددهم على منهاج ذكره[8] ، و لم يذكر البنات ، و كان فيهم بنات[9] لا أب[9]

/٤٦٩

(١) من مد و الإصابة ، و فى الأصل و ظ : قال (٢) من الإصابة ، و فى الأصول : ام كة (٣) زيد من الإصابة ، و العبارة من بعده إلى « عليه و سلم » ساقطة من مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : اية (٥) فى ظ : حلى (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : النية - كذا (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : بينهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكرهم (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاب .

[لهن - [1]] فسألن ميراث أبيهن ، فأنزل الله حكمهن ؛ قال فى السفر الرابع من التوراة ما نصه : و لما كان بعد[2] الموت[3] الفاشى[4] قال الرب لموسى و لليعازر[5] بن هارون الحبر : احفظا[6] عدد جماعة بنى إسرائيل من ابن عشرين سنة إلى فوق ، كل من خرج للحاربة من بين بنى إسرائيل ، فكلما[7] الجماعة فى [8]عربات مؤاب[8] التى عند أردن أريحا ، و أخبراهم بقول الرب ، ثم أحصياهم ، فكان عددهم[9] ستمائة ألف و سبعمائة و ثلاثين رجلا غير اللاويين[10] سبط موسى فانهم[11] كانوا لحفظ قبة الزمان و خدمتها ، و كانوا ثلاث[12] قبائل : أحدهم فغث[13] فولد له عمران[14] ، وكان اسم امرأة عمران[14] حنة[15] ابنة لوى ، ولدت له بأرض مصر هارون

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد . و فى الأصل: بعض (٣) سقط من ظ . (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفاسنى - كذا (٥) من مد و تاريخ اليعقوبى ١ / ٤١ ، و فى الأصل: للعادر ، و فى ظ : للعازر (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : احفظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فكما (٨-٨) فى الأصل : عربية مواب ، و فى ظ : عربته مرات ، و فى مد : عزنية مواب ، و التصحيح من كتاب أسفار موسى الخمسة المطبوعة ببيروت سنة ١٨٦٢ م - الإصحاح الثانى والعشرون من السفر الرابع (٩) زيد فى الأصل و مد : احدى و ، و فى ظ : احدا و - كذا (١٠) من مد ، و فى الأصل : الاوبين ، و فى ظ : اثنين - كذا (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : بانهم (١٢) فى الأصول : ثلاثة (١٣) من تاريخ اليعقوبى ١ / ٣٣ ، و فى الأصل : نافات ، و فى ظ و مد : فاهات (١٤) من التاريخ ، و فى الأصل و مد : عمرم ، و فى ظ : عموم - كذا (١٥) من التاريخ ١ / ٦٨ ، و فى الأصل و ظ : يوحان ، و فى مد : يوحانا .

و موسى و مريم ، و كان عددهم فى هذا الوقت ثلاثة و عشرين ألفا ، كل ذكر منهم ابن شهر فما فوق ، و لم يكن فى هؤلاء ممن أحصاه موسى و هارون حيث عدا[1] بنى إسرائيل فى برية سيناء ، لأن الرب قال لهم : يقتلون[2] فى هذه المفازة ، و لا يبقى منهم رجل ما خلا [3] كلاب بن يوفنا[3] و يوشع[4] بن نون ، و دنا بنات[5] صلفحد[6] من قبيلة منشى[7] ابن يوسف و قلن : أبونا توفى فى البرية و لم يخلف ابنا ، أعطنا[8] ميراثنا ، فرفع موسى أمرهن إلى الرب ، فقال الرب لموسى : الحق قلن[9] ! [10]أعطهن ميراثا[10] مع أعمامهن ليتبين ميراث أبيهن ، و قل لبنى إسرائيل : أى رجل مات و لم يخلف [ابنا - [11]] يعطى ميراثه ابنته ، و إن لم يكن له[9] ابنة[12] يعطى ميراثه إخوته ، و من لم يكن له إخوة يعطى ميراثه أعمامه و من لم يكن له أعمام يعطى[13] ميراثه لمن كان قرابته من أهل عشيرته ، و تكون هذه سنة لبنى إسرائيل فى أحكامهم كما أمر الرب موسى ؛ و قال فى السفر الثالث منها ما نصه « سنة الخطايا[14] التى[15] إذا ارتكبها إنسان

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقتلون . (٣-٣) من تاريخ الطبرى ١/٢٢٦ ، و فى الأصل و مد : كالاب بن يونفا ، و فى ظ : كالاب بن يوفشا (٤) من تاريخ الطبرى ، و فى الأصل و ظ : يسوع ، و فى مد : يشوع (٥) فى ظ : بنات - كذا (٦) فى مد : صلفد (٧) من ظ و مد و تاريخ اليعقوبى ١/٣١ ، و فى الأصل : سنا (٨) فى ظ : منشا - كذا (٩) سقط من ظ (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعظمهن ميراث (١١) زيد من ظ و مد (١٢) فى ظ : ابنه ، و فى مد : بنت (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيعطى (١٤) فى ظ : الخطا (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى .

عوقب بالموت»: وكلم الرب موسى وقال له: كلم بنى إسرائيل، وقل لهم: أنا الله ربكم! لا تعملوا مثل أعمال أهل مصر التى سكنتموها، ولا تعملوا مثل أعمال أهل كنعان التى أدخلكم إليها ولا تسيروا سنتهم[1] ولكن اعملوا بأحكامى، واحفظوا وصاياى، وسيروا بها، أنا الله ربكم! احفظوا شرائعى وأحكامى. لأن الذى يعمل بها يعيش، أنا الرب ٥ وليس إله غيرى! ولا يجسرن[2] الرجل منكم أن يكشف عورة[3] قرابته، أنا الرب وليس إله[4] غيرى! ولا تكشفن[5] عورة أبيك [[6]- ولا عورة أمك، لأنها أمك، ولا تفضح امرأة ابنك ولا تكشف عورتها، لأن عورتها عورة ابنك[7]]، ولا تفضح أختك من أبيك ومن أمك التى ولدت من أبيك، أو أختك من أمك لا من أبيك، لا تكشف ١٠ عورتها، لأن فضيحتها فضيحتك، ولا تكشف عورة بنت امرأة أبيك التى ولدت من أبيك، لأنها أختك، ولا تكشف عورة عمتك، لأنها أخت أبيك، ولا تكشف[8] عورة خالتك، لأنها أخت أمك، ولا تكشف[8] عورة امرأة عمك ولا تدن من امرأته، لأنها امرأة عمك، ولا تكشف عورة كنتك[9]، لأنها [10]امرأة ابنك[10]، ولا تكشف ١٥

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: بينتهم - كذا (٢) فى ظ ومد: لا يخسرن.
(٣) فى ظ: عورته (٤) سقط من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: لا تكشف (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٧) فى ظ ومد: ابيك - كذا.
(٨) فى مد: لا تكشفن (٩) فى ظ: ابنتك (١٠-١٠) فى ظ: ابنتك، والعبارة من بعده إلى «لا تتزوج بهما» ساقطة من ظ.

عورة امرأة أخيك، لأن فضيحتها فضيحة أخيك، ولا تكشف عورة امرأة وبنتها، أى لا تتزوج بهما، ولا تكشف عورة بنت الابن ولا بنت البنت، لأن فضيحتهما فضيحتك، ولا تكشف عورتهما، هن[1] قرابتك وارتكابهن إثم، ولا تتزوج أخت امرأتك فى حياتها فتحزنها[2]، ولا تكشف عورتهما جميعا فى حياة امرأتك، والمرأة إذا حاضت وطمثت[3] لا تدن لتكشف عورتها، ولا تسفح بامرأة صاحبك ولا تَنْجَسْ[4]، ولا تُنَجِّسْ[5] اسم[6] إلهك، أنا الله ربكم! لا تضاجعن[7] الذكر[8]، ولا ترتكب من الذكر ما ترتكب من المرأة، لأنه فعل [نجس، ولا بهيمة، ولا تلق زرعك فيها فتنجس بها، والمرأة أيضا لا تقوم بين يدى بهيمة تطأها، لأنه فعل -[9]] نجس، لا تنجسوا منها بشىء، فبهذه كلها تنجست[10] الشعوب التى أهلكتها من بين أيديكم، وتنجست أرضهم بفعلهم، وعاقبتها بأثمها[11]، وتعطلت الأرض من سكانها لحال[12] خطاياهم؛ احفظوا / عهودى وأحكامى، ولا ترتكبوا شيئا من هذه الخطايا [لأن أهل البلاد التى ترثونها فعلوا هذه الأفاعيل كلها

(١) من مد، وفى الأصل وظ: من (٢) من مد، وفى الأصل: فتحريمها، وفى ظ: تحرمها (٣) فى ظ: طمت (٤) من مد، وفى الأصل: لا تتحسن، وفى ظ: لا تحسن - كذا (٥) فى ظ: لا تنحس - كذا (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: ام (٧) فى ظ: لا يضاجعن (٨) فى مد: الذكور (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: تنجس (١١) من مد، وفى الأصل وظ: باسمها (١٢) فى ظ: بحال.

و تنجست الأرض بهم، و لا تنجسوا الأرض لئلا تعطل منكم كما تعطلت من[1] الشعوب التى كانوا فيها قبلكم، لأن كل من يفعل هذه الخطايا -[2]] يهلك[3]؛ احفظوا شرائعى و لا ترتكبوا[4] شيئا من سير[5] الخطايا التى فعلها من كان قبلكم، و لا تنجسوا بها، أنا الله ربكم!

ثم كلم الرب موسى و قال له: كلم جميع بنى إسرائيل و قل لهم: ٥ تقدسوا، لأنى قدوس[6]، أنا الله ربكم! يهاب كل امرئ منكم والديه و يكرمهما، و احفظوا وصاياى، لأنى أنا الله ربكم! لا تقبلوا إلى الشيطان و لا تتخذوا آلهة مسبوكة، أنا الله ربكم. و قال فى السفر الثانى[7]: و لا تصدقن الخبر الكاذب، لا توالِ الخبيث لتكون له شاهد زور، و[8] لا تتبعن هوى الكبير فتنسى، و لا تشايعن الكبراء[9] الذين يحيفون ١٠ فى القضاء فتحيف[10] معهم، و لا تعن المسكين على الظلم، لا تحيفن[11] فى قضاء المسكين و تباعد عن القول الكاذب. و قال فى السفر الخامس: و دعا موسى بجميع بنى إسرائيل و قال لهم: اسمعوا يا بنى إسرائيل السنن و الأحكام التى أتلو عليكم لتعلموها و تحفظوها و تعملوا بها، و تعلمون

(١) ليس فى ظ (٢) زيد مابين الحاجزين من ظ ومد (٣) من مد، و فى الأصل وظ: يملك (٤) فى مد: لا تركبوا (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: مسير (٦) فى الأصول: قدس، و التصحيح من كتاب أسفار موسى الخمسة - الإصحاح التاسع عشر من السفر الثالث (٧) فى ظ: الرابع (٨) سقطت الواو من مد. (٩) من مد، و فى الأصل: الكبير، و فى ظ: الكثير (١٠) من مد، و فى الأصل: فيحيف، و فى ظ: فنحيف - كذا (١١) فى ظ: لا تحفين.

أن الله ربنا عاهدنا عهدا[1] بأرض حوريب، و لم يعاهد الله آباءنا[2] بهذا العهد، بل إنما عاهدنا[3]، نحن الذين ههنا أحيانا سالمين، وجها قبل وجه كلمنا الرب فى النار عن الجبل، فأنا كنت قائما بين يدى الرب و بينكم لأظهر لكم ذلك الزمان أقوال الله ربكم، حيث فرقتم من النار و لم تصعدوا إلى الجبل، و قال الرب: أنا الله ربكم الذى أخرجتكم[4] من أرض مصر و خلصتكم من العبودية! لا يكون لكم إله غيرى، و لا تتخذوا أصناما و لا أشباها، و لا تقسم باسم ربك كذبا، لأن الرب لا يزكى من "يحلف باسمه" كذبا، احفظوا يوم السبت و طهروه[6] - إلى أن قال: لا تعملوا فيه عملا ليستريح عبيدكم و إماؤكم معكم، و اذكروا أنكم كنتم عبيدا بأرض مصر فأخرجكم الله ربكم من هناك بيد[7] منيعة و ذراع عظيمة، لذلك أمركم ربكم أن تحفظوا يوم السبت، فيكرم كل امرئ منكم والديه كما أمركم[8] الله ربكم لتطول[9] أعماركم، و ينعم عليكم فى الأرض التى يعطيكم، لا تقتلوا، لا تزنوا، لا تسرقوا، لا يشتهين الرجل منكم امرأة صاحبه - إلى أن قال: و لا شيئا[10] مما لصاحبك - هذه الآيات

(١) زيد بعده فى الأصل: رض - كذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٢) من ظ و مد، وفى الأصل: امانا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يعاهدنا.
(٤) فى مد: اخرجكم (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: حلف بأحد - كذا.
(٦) فى ظ: ظهوره - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بيد - كذا (٨) فى ظ: امر (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: ليطول (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: سببا.

التى أمر بها الرب بنى إسرائيل ، و كلمهم بها فى الجبل من النار بالسحاب و الضباب بصوت عظيم لا يوصف و لا يحد[١]، و هى التى كتبها على لوحى الحجارة و دفعها إلى موسى النبى - فلما سمعتم صوتا من الظلمة و رأيتم نارا تشتعل[٢] فى الجبل تقدم إلىّ رؤساؤكم[٣]، و قالوا : قد أرانا[٤] الله ربنا مجده و كرامته و عظمته، اليوم رأينا أن كلم الله الناس و عاشوا ، إن ٥ عدنا نسمع صوت الله ربنا متنا ، تقدم أنت و اسمع ما يقول الله ربنا و قص علينا ، [فسمع الرب صوت كلامكم حين كلمتمونى - [٥]] و قال لى[٦] الرب : قد سمعت صوت الشعب و ما قالوا لك[٧]، نعم ما تكلموا به ! و[٨] يا ليت تكون لهم قلوب هكذا[٨]، فتكون تسمع و تطيع و تتقوى ، و يفزعون[٩] من قولى ، و يحفظون جميع وصاياى ، كلها ١٠ احفظوا ، و اعملوا بما[١٠] أمركم الله ربكم و لا تحيدوا يمنة و لا يسرة ، بل سيروا فى كل الطريق الذى[١١] أمركم ربكم لتعيشوا ، و ينعم عليكم ، و تطول

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : لا يجحد (٢) فى ظ : تشعل (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : روساوه (٤) فى ظ : رانا (٥) زيد ما بين الحاجزين من كتاب أسفار موسى الخمسة لتستقيم العبارة - الإصحاح الخامس من السفر الخامس .
(٦) فى ظ : فى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٨-٨) فى الأصول: انت تكون لهم - كذا ، و مبنى التصحيح ما ورد فى أسفار موسى : يا ليت قلبهم كان هكذا فيهم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يفزعن ، و فى مد : نفزعون - كذا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذين .

مدتكم فى الأرض التى ترثون - هذه السنن و الوصايا و الأحكام التى أمرنى[١] الله ربكم أن أعلمكم لتعلموا و تتقوا الله ربكم [أنتم و بنوكم كل [٢]أيام حياتكم[٢] فتطول أعماركم، اسمعوا يا بنى إسرائيل! الله ربنا واحد، أحبوا الله ربكم -[٣]] فى كل قلوبكم، و لتكن هذه الآيات التى أمركم

٤٧١/ ٥ فى قلوبكم أبدا، و علموها/ بنيكم، و تكلموا[٤] بها إذا حضرتم فى منازلكم، و إذا سافرتم، و إذا رقدتم، و إذا قمتم، و [٥]شدوها علامة[٥] على أيديكم، و يكون ميسما بين أعينكم، و اكتبوها على قوائم[٦] بيوتكم و على أبوابكم، لا تنسوا الله ربكم، و إياه فاعبدوا، [و -[٣]] باسمه فأقسموا[٧]، و لا تتبعوا الآلهة الأخرى التى تعبدها[٨] الشعوب التى حولكم، لأن الله ربكم الحالّ

١٠ فيكم هو إله غيور فاتقوه، لا يشتد[٩] غضبه عليكم، و يهلككم عن حديد الأرض، و لا تجربوا الله ربكم كما جربتموه بالبلايا، و لكن احفظوا وصية الله ربكم و شهادته[١٠] و سنته التى أمركم بها، فاعملوا الحسنات، و أنصفوا و اعدلوا لينعم عليكم، و تدخلوا و ترثوا[١١] الأرض المخصبة

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : امركم (٢ - ٢) فى ظ : يوم جاتكم (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) فى ظ : تعلموا (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل : سدوها طلامة - كذا (٦) من أسفار موسى - الإصحاح السادس من السفر الخامس، و فى الأصول : معاقم - كذا (٧) فى ظ : اقتسموا (٨) فى ظ : يعبدها (٩) فى مد : لا تشتد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : شهادة. (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : تزلوا - كذا.

التى

التى أقسم الله لآبائكم، و يكسر[1] جميع أعدائكم و يهزمهم قدامكم[2] كما قال الرب، فاذا سألكم بنوكم غدا و قالوا: ما الشهادة و السنة و الحكومة التى أمركم الله بها؟ قولوا لبنيكم: إنا كنا عبيدا لفرعون بأرض مصر، و أخرجنا الرب من أرض مصر [يد منيعة، و أنزل بأهل مصر بلاء شديدا، و فعل ذلك بفرعون و جميع أهل بيته تجاهنا -[3]]، و أخرجنا ٥ الرب من هناك ليدخلنا و يعطينا الأرض التى أقسم لآبائنا، و أمرنا الرب أن نعمل هذه السنن كلها، و أن نتقى الله ربنا لينعم كل أيامنا[4]، و يحيينا بالخير[5] و النعم، و يكون ربنا [6]بنا برا[6] إذا حفظنا هذه الوصية كلها، و علمناها[7] أمام الله ربنا كما أمرنا. و قال فى السفر الخامس[8]: و لا تكف[9] يدك عن العطاء و الصدقة على[10] أخيك المسكين، و لكن ١٠ يصدق بعضكم على بعض، و يعطى بعضكم بعضا، و لا يضيق قلبك، و لا تحزن[11] إذا صدقت على أخيك، لأنك إذا فعلت هذا القول و أوسعت على أخيك يبارك الله[12] الك[13] فى جميع أعمالك، و فى كل ما تمد يدك إليه، من أجل أن الأرض لا تعدم[14] المساكين، فلذلك

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تكسر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اقدامكم (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: ابانا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بخير - كذا (٦-٦) فى ظ: تنا برا - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: عملناها (٨) فى ظ: السادس (٩) فى ظ: لانطلت - كذا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (١١) فى ظ: لا يحزن (١٢) فى ظ: اللهم (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لكم (١٤) من مد، و فى الأصل و ظ: لا تقدم.

آمرك - و العزم[1] إليك - أن تمد يدك[2] إلى أخيك المسكين، و تصدق على الفقير فى الأرض. و قال فيه: أنصفوا بين إخوتكم و احكموا بالحق و لا تحيفوا فى القضاء، و اسمعوا من الصغير كما تسمعون من الكبير، و لا تهابوا الرجل و لو عظم شأنه و كثرت أمواله، لأن القضاء لله. و قال فيه: صيروا لكم قضاة[3] و كتابا فى جميع قراكم، و تقضون للشعب قضاء العدل و البر[4]، و لا تحيفن[5] فى القضاء، و لا تجابوا و لا ترتشوا، لأن الرشوة تعمى[6] أعين الحكام فى القضاء، و لكن أقضى بالحق لتعيشوا و تبقوا[7] و ترثوا الأرض التى يعطيكم الله ربكم - فقد علم من هذا أصول غالب ما ذكره تعالى فى هذه السورة مع ما تقدم من إشكاله فى البقرة عند قوله تعالى "و اذ اخذنا ميثاق بنى اسراءيل لا تعبدون الا الله[8]" و غيرها من الآيات، و فى آل عمران أيضا، و أما حد الزانى و أمر القتل و الجراح فسيذكر إن شاء الله تعالى فى المائدة.

و لما قرر سبحانه و تعالى إرادته لصلاحهم و رغب فى اتباع الهدى بعلمه و حكمته عطف على ذلك قوله: ﴿و الله﴾ بلطف[9] منه و عظم[10] سلطانه ﴿يريد﴾ أى بانزاله هذا الكتاب العظيم و إرساله هذا الرسول

(١) فى ظ: انقدم (٢) فى ظ: يديك (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: قضاه (٤) فى ظ: الامير - كذا (٥) من مد، و فى الأصل: لا تخيفن، و فى ظ: لا يحفن - كذا (٦) فى ظ: يعمى (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: تتبعوا. (٨) آية ٨٣ (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: بلطيف (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: عظيم.

الكريم ﴿ان يتوب عليكم﴾ أى[1] يرجع لكم بالبيان الشافى عما كنتم عليه من طرق الضلال لما كنتم فيه من العمى بالجهل ، و زادهم فى ذلك رغبة بقوله : ﴿ و يريد الذين يتبعون ﴾ أى على سبيل المبالغة و الاستمرار ﴿ الشهوٰت ﴾ أى من أهل الكتابين و غيرهم كشاش[2] بن قيس و غيره من الأعداء[3] ﴿ ان تميلوا ﴾ أى عن سبيل الرشاد ﴿ ميلا عظيما ﴾ ٥ أى إلى أن تصيروا إلى ما كنتم فيه من الشرك و الضلال ، فقد أبلغ سبحانه فى الحمل على الهدى بموافقة الولى المنعم[4] الجليل الذى لا تلحقه[5] شائبة نقص ، و مخالفة العدو[6] الحسود الجاهل النازل من أوج العقل إلى حضيض طباع البهائم .

و لما كان الميل / متعبا لمرتكبه أخبرهم أن علة بيانه للهداية و إرادته ١٠ / ٤٧٢ التوبة الرفق بهم فقال[7] : ﴿ يريد الله ﴾ أى [و -[8]] هو الذى له الجلال و الجمال و جميع العظمة و الكمال ﴿ ان يخفف عنكم ﴾ أى يفعل[9] فى هذا البيان و هذه الأحكام فعل من يريد ذلك ، فيضع عنكم الآصار التى كانت على من كان قبلكم الحاملة [10]على الميل[10] ، و يرخص لكم فى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كساس (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاعداد (٤) سقط من ظ ، و زيد بعده فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) فى ظ : لا يلحقه. (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٧) سقط من ظ (٨) زيدت الواو من ظ و مد (٩) زيد بعده فى ظ : هنا (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بعض الأشياء كنكاح الأمة - على ما تقدم ، و دل على علة[1] ذلك بالواو العاطفة ؛ لأنكم خلقتم ضعفاء يشق عليكم الثقل ﴿ و خلق الانسان ﴾ أى الذى أنتم بعضه ﴿ ضعيفا ٥ ﴾ مبناه الحاجة ، فهو لا يصبر عن[2] النكاح و لا غيره من الشهوات ، و لا يقوى على فعل[3] شىء إلا بتأييد منه سبحانه .

و لما كان غالب ما مضى مبنيا[4] على الأموال تارة بالإرث ، و تارة بالجعل فى النكاح ، حلالا[5] أو حراما ؛ قال تعالى - إنتاجا مما مضى بعد أن بين الحق من الباطل ، و بين ضعف هذا النوع كله ، فبطل تعليلهم لمنع النساء و الصغار من الإرث بالضعف ، و بعد أن بين كيفية التصرف فى [أمر -[6]] النكاح بالأموال و غيرها حفظا للأنساب[7] ، ذاكرا كيفية[8] التصرف فى الأموال ، تطهيرا للانسان[9] ، مخاطبا لأدنى الأسنان فى الإيمان ، ترفيعا[10] لغيرهم عن مثل هذا الشأن[11] - : ﴿ يـٰأيها الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان و التزام الأحكام .

و لما كان الأكل أعظم المقاصد بالمال ، و كان العرب يرون التهافت على الأكل أعظم العار و إن كان حلالا ؛ كنى به التناول

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : على (٣) زيد بعده فى الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل : مثبتا ، و فى ظ : مبينا . (٥) فى ظ : حالا (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : للانسان . (٨) فى ظ : لفية (٩) فى مد : للاسباب ، و فى ظ : الأسباب (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : ترفيقا (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : النبيان - كذا .

فقال: ﴿ لا تاكلوآ ﴾ أى تتناولوا ﴿ اموالكم ﴾ أى الأموال التى جعلها[1] الله قياما للناس ﴿ بينكم بالباطل ﴾ أى من التسبب فيها بأخذ نصيب النساء و الصغار من الإرث، و بعضل [بعض -[2]] النساء و غير ذلك مما تقدم النهى عنه و غيره.

و لما نهى عن[3] الأكل بالباطل، استدرك ما ليس كذلك[4] فقال: ﴿ الآ ان تكون ﴾ أى المعاملة المدارة المتداولة بينكم ﴿ تجارة ﴾ هذا فى قراءة الكوفيين بالنصب، و على قراءة غيرهم: إلا أن توجد تجارة كائنة ﴿ عن تراض منكم قف ﴾ أى غير منهى عنه من الشارع، و لعل الإتيان بأداة الاستثناء المتصل - و المعنى على المنقطع - للاشارة إلى أن تصرفات الدنيا كلها جديرة بأن يجرى[5] عليها اسم الباطل و لو لم يكن إلا [6]معنيا بها[6] تزهيدا فيها و صدا عن الاستكثار[7] منها، و ترغيبا فيما يدوم نفعه ببقائه، [و -[8]] هكذا كل[9] استثناء منقطع فى القرآن، من[10] تأمله حق التأمل وجد للعدول عن الحرف الموضوع له - و هو 'لكن' - إلى صورة الاستثناء حكمة بالغة - و الله الموفق.

و لما كان المال عديل الروح و نهى عن إتلافه بالباطل، نهى عن

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: جعل (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عنه (٤) فى ظ: لذلك (٥) فى الأصل: مجرى، و فى ظ و مد: مجرى - كذا (٦-٦) فى الأصل و مد: بفنيها، و فى ظ: معنابها - كذا (٧) فى مد: الاستكبار (٨) زيدت الواو من ظ و مد (٩) زيد بعده فى ظ: من (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: منه.

إتلاف النفس ، لكون أكثر إتلافهم لها بالغارات لنهب الأموال و ما كان بسببها[١] و تسببها[٢] على أن من أكل ماله ثارت نفسه فأدى ذلك إلى الفتن التى ربما كان آخرها القتل ، فكان النهى عن ذلك أنسب شيء لما بنيت[٣] عليه السورة من التعاطف و التواصل فقال تعالى :

٥ ﴿ و لا تقتلوآ انفسكم[٤] ﴾ أى حقيقة بأن يباشر الإنسان قتل نفسه ، أو مجازا بأن يقتل بعضكم بعضا ، فان الأنفس[٤] واحدة ، و ذلك أيضا يؤدى إلى قتل نفس القاتل ، فلا تغفلوا[٥] عن حظ أنفسكم من الشكر ، فمن غفل عن حظها فكأنما[٦] قتلها ، [ثم علله -[٧]] بما يلين أقسى الناس فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى مع ما له من صفات العظمة التى لا تدانيها

١٠ عظمة ﴿ كان بكم ﴾ أى خاصة حيث خفف عليكم ما شدده[٨] على من كان قبلكم ﴿ رحيما ٥ ﴾ أى بليغ الرحمة حيث يسر لكم الطاعة و وفقكم لها فأبلغ[٩] سبحانه الترغيب فى الامتثال ؛ ثم قال ترهيبا من مواقعة الضلال : ﴿ و من يفعل ذلك ﴾ أى المنهى عنه من القتل و غيره العظيم الإبعاد عن حضرات الإله ﴿ عدوانا و ظلما ﴾ أى بغير حق ،

١٥ و عطفه للوصف بالواو يدل على تناهى كل منهما ، هذا مع ما أفهمه صفة الفعلان[١٠] من المبالغة ، فكان المراد العدو الشديد المفرط المتجاوز

---

(١) فى ظ : سببها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تشبيها (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ينبت (٤) فى ظ : الانسان (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلا تقتلوا (٦) من ظ ، و فى الأصل و مد : نطانها (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : شدد (٩) فى ظ : فاذا بلغ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفعلات - كذا .

للحدود الناشئ عن العهد و تناهى / الظلم الذى لا شائبة فيه للحق ٤٧٣ /
﴿ فسوف نصليه نارا[1] ﴾ أى ندخله إياها بوعيد لا خلف فيه و إن
طال إمهاله[1] ﴿ و كان ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى توعد[2] به
﴿ على الله ﴾ أى الذى له الجلال و الجمال ﴿ يسيرا ﴾ أى لأنه لا ينقصه
من ملكه شيئا، و لا يمنع منه مانع . ٥

و لما بين تعالى ما لفاعل[3] ذلك تحذيرا، و كان قد تقدم جملة[4]
من الكبائر؛ أتبعه ما للمنتهى تبشيرا[5] جوابا لمن كأنه قال: هذا للفاعل
فما للمجتنب؟ فقال على وجه عام: ﴿ ان تجتنبوا ﴾ أى تجهدوا أنفسكم
بالقصد الصالح فى أن تتركوا تركا عظيما و تباعدوا ﴿ كبآئر ما تنهون
عنه ﴾ أى من أكل المال و القتل بالباطل و الزنا و غير ذلك مما تقدم، ١٠
روى البزار - قال الهيثمى: و رجاله رجال الصحيح - عن عبد الله
- يعنى ابن مسعود - أنه سئل عن الكبائر فقال: ما بين أول سورة النساء
إلى رأس ثلاثين. قال الأصبهانى: و كل ذنب عظم الشرع[6] الوعيد
عليه بالعذاب و شدده[7]، أو عظم ضرره فى الخمس الضرورية: حفظ
الدين و النفس و النسب و العقل و المال، فهو كبيرة، و ما عداه صغيرة ١٥
﴿ نكفرعنكم سيئاتكم ﴾ أى التى هى دون الكبائر كلها، فان ارتكبتم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اهماله (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: يوعد.
(٣) فى ظ: لفعل - كذا (٤) فى ظ: حمله، و فى مد: حملة (٥) من ظ و مد،
و فى الأصل: بشيرا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: السرع (٧) من ظ و مد،
و فى الأصل: سدده.

شيئا من الكبائر و أتيتم بالمكفرات من الصلوات الخمس و الجمعة و صوم رمضان و الحج، أو فرطتم فى شىء منها فمنّ الله عليكم بأن أتاكم بالمرض؛ كفر ذلك المأتى به الصغائر، و لم يقاوم تلك الكبيرة فلم يكفر جميع السيئات، لعدم إتيانه على تلك الكبيرة ﴿ و ندخلكم مدخلا كريما ﴾ أى يجمع الشرف و العمل و الجود و كل معنى حسن، و من فاته جميع ذلك لم يكفر عنه سيئاته، و لم يدخله هذا المدخل، و يكفى فى انتفائه[1] حصول القصاص فى وقت ما؛ و قال الإمام أحمد: المسلمون كلهم فى الجنة - لهذه[2] الآية و قول النبى صلى الله عليه و سلم «ادخرت شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى» فالله تعالى يغفر ما دون الكبائر، فالنبى صلى الله عليه و سلم يشفع فى الكبائر، فأى ذنب على المسلمين! ذكره عنه الأصبهانى، و هذا الحديث أخرجه أبو داود و الترمذى و غيرهما عن أنس رضى الله عنه.

و لما نهى عن القتل [و -[3]] عن الأكل بالباطل بالفعل و هما من أعمال الجوارح، ليصير الظاهر طاهرا[4] عن المعاصى الوخيمة؛ نهى عن التمنى [5]الذى هو[5] مقدمة الأكل، ليكون نهيا عن الأكل بطريق الأولى، فان التمنى قد يكون حسدا، و هو المنهى عنه هنا كما هو ظاهر الآية، [و هو -[6]] حرام و الرضى بالحرام حرام، و التمنى[7] على[8] هذا

(١) فى ظ: ابتغايه (٢) فى ظ: بهذه (٣) زيدت الواو من ظ و مد (٤) من مد، وفى الأصل و ظ: ظاهرا - كذا بالظاء المعجمة (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: النهى - كذا. (٨) فى ظ: عن.

الوجه يجر إلى الأكل، و الأكل يعود إلى القتل، فان من يرتع حول الحمى يوشك أن يواقعه، و النهى هنا للتحريم عند أكثر العلماء فقال: ﴿ و لا تتمنوا ﴾ أى تابعوا أنفسكم فى ذلك ﴿ ما فضل الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها، فلا ينقصه شىء ﴿ به ﴾ أى [1]من المال[1] و غيره ﴿ بعضكم على بعض[1] ﴾ أى فى الإرث[2] و غـــيره من جميع الفضائل النفسانية ٥ المتعلقة[3] بالقوة النظرية كالذكاء التام و الحدس الكامل و زيادة المعارف بالكمية و الكيفية، أو بالقوة العمليـة كالعفة التى هى وسط بين الجمود و الفجور، و الشجاعـة التى هى[4] وسط بين التهور و الجبن، و السخاء / الذى هو[5] وسط بين الإسراف و البخل، و كاستعمال هذه[6] القوى على ٤٧٤ / الوجه الذى ينبغى و هو العدالة، أو[7] الفضائل البدنية كالصحة و الجمال ١٠ و العمر الطويل مع اللذة و البهجة، أو[8] الفضائل الخارجية مثل كثرة الأولاد الصلحاء، و كثرة العشائر و الأصدقاء و الأعوان، و الرئاســة التامة و نفاذ القول، و كونــه محبوبا للناس حسن الذكر فيهم؛ فهذه مجامع السعادات، و بعضها نظريـة لا مدخل للكسب فيها، و بعضهـا كسبية، و متى[9] تأمل العاقل فى ذلك وجده[10] محض عطاء من الله، فمن ١٥

(١ - ١) من مد، و فى الأصل و ظ: بالمال (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الادب (٣) زيد بعده فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: هو (٥) فى ظ: هى (٦) فى ظ: هـذا.
(٧) فى ظ و مد «و» (٨) فى ظ «و» (٩) فى ظ: من (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: وحده.

شاهد غيره أرفع منه [فى - ١] شيء من هذه الأحوال تألم قلبه و كانت [له - ١] حالتان : إحداهما أن يتمنى حصول مثل تلك السعادة [له - ٢] ، و الأخرى أن يتمنى زوالها عن صاحبها ، و هذا هو الحسد المذموم ، لأنه كالاعتراض على الله الذى قسم هذه القسمة ، فان اعتقد أنه أحق منه فقد فتح على نفسه باب الكفر ، و استجلب ظلمات البدعة ، و محا نور الإيمان ، فان الله فعال لما يريد ، لا يسئل عما يفعل فلا اعتراض عليه ، [و - ٣] كما أن الحسد سبب الفساد فى الدين فهو سبب الفساد فى الدنيا ؛ فعلى[٤] كل أحد أن يرضى بما قسم له علما بأن ذلك[٥] مصلحة ، و لو كان غير ذلك فسد ، فان ذلك كله قسمة من الله صادرة عن حكمه[٦] و تدبيره و علمه بأحوال العباد فيما يصلحهم و يفسدهم . و أما تمنى المثل فان كان دينيا[٧] كان حسنا[٨] ، كما قال صلى الله عليه و سلم « لا حسد إلا فى اثنتين[٩] » ، و إن كان دنيويا فمن الناس من جوز ذلك ، و منهم من قال - و هم المحققون : لا يجوز ذلك ، لأن تلك[١٠] النعمة ربما كانت مفسدة فى حقه فى الدين و مضرة فى الدنيا كقصة[١١] قارون - قال معنى ذلك الإمام الرازى .

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) زيدت الواو من ظ و مد .
(٤) فى الأصول : فعل (٥) فى ظ : صالحه - كذا (٦) فى مد : حكمة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مبينا - كذا (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : حسدا .
(٩) من مسند الإمام أحمد ٢/٩ ، و فى الأصول : اثنين (١٠) سقط من ظ .
(١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : لقصة - كذا .

و لما نهى سبحانه عن ذلك علله بما ينبه على السعى فى الاسترزاق و الإجمال فى الطلب ، كما قال صلى الله عليه و سلم فيما رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه عن شداد بن أوس رضى الله عنه « الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت ، و العاجز من[1] أتبع نفسه هواها و تمنى على الله » ، و كما قال صلى الله عليه و سلم [فيما رواه مسلم -[2]] و النسائى ٥ و ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه « المؤمن القوى خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، و فى كل خير احرص على ما ينفعك[3] ، و استعن بالله [و لا تعجز -[4]] ، و إن أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت [كان -[5]] كذا و كذا ، و لكن قل[6] : قدر الله ، و ما شاء فعل ، فان[7] ' لو ' تفتح عمل الشيطان » فقال مشيرا إلى أنه لا ينال أحد جميع ١٠ ما يؤمل[8] : ﴿ للرجال نصيب ﴾ أى قد فرغ من تقديره فهو بحيث لا يزيد و لا ينقص ، و بين سبحانه أنه ينبغى الطلب و العمل ، كما أشار إليه الحديث [فقال -[2]] : ﴿ مما اكتسبوا[4] ﴾ أى كلفوا أنفسهم و أتعبوها[9] فى كسبه من أمور الدارين من الثواب و أسبابه من الطاعات و من الميراث و[10] السعى فى المكاسب و الأرباح « جعل رزقى تحت ١٥

(١) من ظ ومد و مسند الإمام أحمد ٤/١٢٤ ، و فى الأصل : و ان (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من ظ و مد و الصحيح لمسلم - كتاب القدر ، و فى الأصل : يتعدى - كذا (٤) زيد من ظ و مد و الصحيح لمسلم (٥) زيد من الصحيح لمسلم (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : ان (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يرسل (٩) من ظ ، و فى الأصل و مد : اتبعوها (١٠) سقطت الواو من ظ .

ظل رمحى[1] »، « لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصا و تروح بطانا »
﴿ و للنسآء نصيب مما اكتسبن ﴾ [2] أى و كذلك[2]، فالتمنى حينئذ
غير نافع[3]، فالاشتغال[4] به مجرد عناء .

و لما أشار بالتبعيض إلى أن الحصول بتقديره، لا بالكسب الذى
٥ جعله سببا، فانه تارة ينجحه و تارة يخيبه[5]، فكان التقدير: فاكتسبوا
و لا تعجزوا فتطلبوا[6] بالتمنى ؛ / أمر بالإقبال - فى الغنى وكل[7] شىء - عليه ٤٧٥ /
إشارة إلى تحريك السبب مع الإجمال فى الطلب فقال: ﴿ و سئلوا الله ﴾
أى[8] الذى له جميع صفات الكمال .

و لما كان سبحانه و تعالى عظمته لا ينقصه شىء و إن جل قال:
١٠ ﴿ من فضله ﴾ أى من خزائنه التى[9] لا تنفد و لا يقضيها[10] شىء، و فى
ذلك تنبيه على عدم التعيين[11]، لأنه ربما كان سبب الفساد، بل يكون
الطلب لما هو له[8] صلاح، و أحسن الدعاء المأثورُ، و أحسنه " ربنا آتنا
فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار[12] " ثم علل ذلك

(١) فى ظ : رمى (٢ - ٢) فى ظ و مد : لذلك (٣) فى مد : منافع (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : فالانتقال - كذا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : يعجبه - كذا (٦) فى ظ : و اطلبوا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : فى . (٨) سقط من مد (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : الذى - كذا (١٠) فى الأصل : لا يفيضها، و فى ظ : لا يقتضيها، و فى مد : لا يقيضها - كذا . (١١) من مد، و فى الأصل : التعبير، و فى ظ : اليقين - كذا (١٢) سورة ٢ آية ٢٠١ .

بقوله

بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى بيده مقاليد كل شىء ﴿ كان بكل شىء عليما ﴾ أى فكان على كل شىء قديرا، فان كمال العلم يستلزم شمول القدرة - كما سيبين إن شاء الله تعالى فى سورة طٰهٰ، و المعنى أنه قد فعل بعلمه ما يصلحكم فاسألوه[1] بعلمه و قدرته ما ينفعكم، فانه يعلم ما يصلح كل عبد و ما يفسده. و عطف على ذلك ما هو من جملة العلة فقال: ﴿ و لكل ﴾ أى من القبيلتين صغارا كانوا أو كبارا ﴿ جعلنا ﴾ بعظمتنا التى لا تضاهى ﴿ موالى ﴾ أى حكمنا بأنهم هم الأولياء، أى الأنصار و الأقرباء لأجل الإرث، هم الذين يلون المال و يرثونه، سواء كانوا عصبة خاصة و هم الوراث[2]، أو[3] عصبة عامة و هم المسلمون.

و لما كان الاهتمام بتوريث الصغار أكثر قال: ﴿ مما ﴾ أى من أجل ما ﴿ ترك ﴾ أى خلفه ﴿ الوالدٰن ﴾ أى لكم، ثم أتبع ذلك ما يشمل حق الأصل [و الفرع فقال -[4]]: ﴿ و الاقربون[5] ﴾ أى إليكم، ثم [عطف -[5]] على ذلك قوله: ﴿ و الذين ﴾ أى و ما ترك[6] الذين ﴿ عقدت[7] ايمانكم ﴾ أى مما تركه[8] من تدلون إليه بنسب أو سبب بالحلف[9] أو[3] الولاء أو الصهر[10]، و ذكر اليمين لأن العهد يكون مع

(١) فى الأصول: فسالوه (٢) فى مد: الوارث (٣) فى ظ «و» (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى مد: تركه (٧) قرأ الكوفيون "عقدت" بغير ألف، و الباقون "عاقدت" بالألف، و قرأ بالتشديد أيضا - راجع روح المعانى ٢/٨٣ (٨) فى ظ ومد: ترك (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: و الحلف. (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: الضمير.

المصافحة بها ، ثم سبب عن ذلك قوله : ﴿ فآتوهم ﴾ أى الموالى و إن كانوا صغارا أو[1] إناثا على ما بينت[2] لكم فى آية المواريث السابقة ، و اتركوا كل ما خالف[3] ذلك فقد نسخ بها ﴿ نصيبهم[4] ﴾ أى الذى فرضناه لهم من الإرث موفرا غير منقوص ، و لا تظنوا[4] أن غيرهم أولى منهم أو مساوٍ لهم ، ثم رهب من المخالفة ، و أكد الأمر وعـــدا و وعيدا بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ كان على كل شىء شهيدا[5] ﴾ أى فهو يعلم الولى من غيره و الخائن من غيره و إن اجتهد فى الإخفاء ، لأنه لا يخفى عليه شىء ، لأنـه لا يغيب عن شىء و لا يغيب عنه شىء ، فالمعنى[5] : إنا[6] لم نفعل سوى ما قصدتم من إعطاء المال لمن يحمى الذمار و يـذب عن الحوزة ، و أنتم كنتم غير منزليـه حق منازله لغيبتكم[7] عن حقائق الأمور و غيبتها[8] عنكم ، فانا لم نخرج شيئا منه لغير الموالى - أى الأنصار - إما بالقرابة أو بالمعاقدة بالولاء أو المصاهرة ، فالحاصل أنه لمن[9] يحمى بالفعل ، أو بالقوة القريبة منه ، أو البعيدة الآئلة إلى القرب ، و أما التفضيل[10] فى الأنصباء فأمر استأثرنا[11] بعلم مستحقيه ، و فى البخارى فى التفسير عن ابن عباس : موالى : ورثة و الذين عاقدت [ايمانكم -[12]] ،

(١) فى ظ « و » (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يثبت (٣) من ظ ، و فى الأصل : حالف ، و فى مد : جالف (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تظلموا . (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : ليغتكم - كذا (٨) فى ظ : عينها (٩) فى ظ : لم (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : التفصيل (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : استاثرنا - كذا (١٢) زيد من صحيح البخارى .

كان[1] المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجرى الأنصارى[2] دون ذوى رحمه[3] للأخوة التى آخى النبى صلى الله عليه و سلم بينهم ، فلما نزلت "و لكل جعلنا [موالى - [4]] " نسخت ، ثم قال "و الذين عاقدت [ايمانكم - [4]] " من النصر و الرفادة[5] و النصيحة[6] ، و قد ذهب الميراث ، و يوصى له .

ثم بين سبحانه وجه استحقاق بعض المفضلين ، فقال - جوابا ٥ لسؤال من كأنه قال : ما للرجال فضلوا ؟ - : ﴿ الرجال قوٰمون ﴾ أى قيام الولاة ﴿ على النسآء ﴾ فى التأديب و التعليم و كل أمر و نهى ، و بين سبى ذلك بقوله : ﴿ بما فضل الله ﴾ أى [الذى - [7]] له الحكمة البالغة و الكمال الذى لا يدانى ، هبة منه و فضلا من غير تكسب ﴿ بعضهم ﴾ و هم الرجال ، فى العقل و القوة و الشجاعة ، و لهذا كان فيهم الأنبياء ١٠ و الولاة و الإمامة[8] الكبرى و الولاية فى النكاح و نحو ذلك من كل أمر يحتاج إلى فضل قوة فى البدن / و العقل و الدين ﴿ على بعض ﴾ /٤٧٦ يعنى النساء ، فقال للرجال "انفروا خفافا و ثقالا[9] " و قال للنساء "و[10] قرن فى بيوتكن[11] " .

(١) من ظ و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : فان (٢) من ظ و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : الأنصار (٣) من ظ و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : رحمة (٤) زيد من صحيح البخارى (٥) فى ظ و مد : الزيادة - كذا (٦) فى ظ : النصحة (٧) زيد من ظ و مد (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاقامة (٩) سورة ٩ آية ٤١ (١٠) سقطت الواو من ظ (١١) سورة ٣٣ آية ٣٣ .

و لما ذكر السبب الموهبي أتبعه الكسبي فقال: ﴿ و بما انفقوا ﴾ أى من المهور و الكسى[1] و غيرها ﴿ من اموالهم[2] ﴾ أى عليهن ، فصارت الزيادة فى أحد[3] الجانبين مقابلة بالزيادة من الجانب الآخر .

و لما بان بذلك[3] فضلهم ، [4] فأذعنت النفس[4] لما فضلوا به فى[5] الإرث و غيره ، وكان قد تقدم ذكر نكاحهم للنساء و الحث على العدل فيهن ؛ حسن بيان ما يلزم الزوجات من حقوقهم و تأديب من جحدت الحق ، فقال مسببا لما يلزمهن من حقوقهم عما ذكر من فضلهم: ﴿ فالصالحت قنتت ﴾ أى مخلصات فى طاعة الأزواج ، و لذلك ترتب عليه ﴿ حفظت للغيب ﴾ أى لحقوق الأزواج من الأنفس و البيوت و الأموال فى غيبتهم عنهن ﴿ بما ﴾ أى بالأمر الذى ﴿ حفظ الله[6] ﴾ أى المحيط علما و قدرة به غيبتهم بفعله فيه فعلَ من يحفظ من الترغيب فى طاعتهم فيما[6] يرضى الله ، و الترهيب[7] من عصيانهم بما يسخطه ، و رعى الحدود التى أشار إليها سبحانه فى البقرة ، و شرحتها سنة[8] [9] رسول الله[9] صلى الله عليه و سلم .

و لما عرف[10] بالصالحات لاستحقاق الإنفاق فى اللوازم أتبعه حكم غيرهن فقال: ﴿ و الّتى تخافون نشوزهن ﴾ أى ترفعهن[11] عليكم عن

(١) جمع كُسوة و كِسوة ، و فى الأصول : الكساوى - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : احدى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٤ - ٤) فى ظ و مد : فادعت الانفس (٥) فى ظ : من (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فما (٧) فى ظ : الترغيب (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : منه (٩-٩) فى مد : نبيه (١٠) فى ظ : عرق (١١) فى ظ : ترفعن .

الرتبة التى أقامهن الله بها ، و عصيانهن لكم فيما جعل الله لكم من الحق ، و أصل النشوز : الانزعاج فى ارتفاع ، قال الشافعى : دلالات النشوز قد تكون[1] قولا ، و قد تكون[1] فعلا ، فالقول مثل أن كانت تلبيه إذا دعاها ، و تخضع له بالقول إذا خاطبها ، ثم تغيرت ؛ و الفعل مثل[2] أن كانت تقوم له إذا دخل إليها ، أو[3] كانت تسارع إلى أمره ، و تبادر إلى فراشه باستبشار إذا التمسها[4] ، ثم إذا[5] تغيرت فحينئذ ظن نشوزها ؛ و مقدمات هذه الأحوال توجب خوف النشوز ﴿ فعظوهن ﴾ أى ذكروهن من أمر الله بما يصدع قلوبهن و [6]يرققها و يخيفهن[6] من جلال الله .

و لما كان الوعظ موجبا لتحقق الطاعة أو[3] المعصية قال : ﴿ و اهجروهن ﴾ أى إن لم يرجعن بالوعظ ﴿ فى المضاجع ﴾ أى التى كنتم تبيتون معهن فيها من البيت ، و فى ضمن الهجر امتناعه من كلامها ؛ قال الشافعى : و لا يزيد فى هجرة الكلام على ثلاث ﴿ و[1]اضربوهن ﴾ أى إن أصررن[7] ضرب تأديب غير مبرح ، و هو ما لا يكسر عظما و لا يشين عضوا ، و يكون مفرقا على بدنها[8] و لا يوالى به فى موضع واحد ، و يتقى الوجه لأنه مجمع[9] المحاسن ، و يكون دون الأربعين ؛ قال الشافعى : الضرب مباح و تركه أفضل ﴿ فان اطعنكم ﴾ أى بشىء من الوعظ ،

(١) فى ظ : يكون (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ « و » (٤) فى ظ : لمسها .
(٥) فى مد : انها (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : يرققها و يحيفهن ، و فى ظ : يرققنها و يخيفن - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اصررت (٨) فى ظ : ثديها (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بجمع - كذا .

و الهجر فى موضع المبيت من البيت، أو الضرب ﴿ فلا تبغوا ﴾ أى تطلبوا ﴿ عليهن سبيلا[1] ﴾ أى طريقا إلى الأذى على ما سلف من العصيان من توبيخ على ما سلف و نحوه، بما لكم عليهن من العلو، بل اغفروا[1] لهن ما سلف، و لا يحملنكم ما منحكم الله من العلو على المناقشة، ثم علل ٥ ذلك بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى و قد علمتم ما له من الكمال ﴿ كان ﴾ و لم يزل ﴿ عليا كبيرا ٥ ﴾ أى له العلو و الكبر على الإطلاق بكمال القدرة و نفوذ المشيئة، فهو[2] لا يحب الباغى و لا يقره على بغيه، و قدرته عليكم أعظم من قدرتكم عليهن، و هو مع ذلك يعفو عمن[3] عصاه - و إن ملأ الأرض خطايا - إذا أطاعه، و لا يؤاخذه بشىء مما فرط فى ١٠ حقه، بل يبدل سيئاته حسنات، فلو أخذكم بذنوبكم أهلككم؛ فتخلقوا بما قدرتم عليه من صفاته لتنالوا[4] جليل هباتـــه، و خافوا سطواته، و احذروا عقوبته، بما له من العلو و الكبر.

/٤٧٧/ و لما بين حال الوفاق و ما خالطه من شىء من الأخلاق التى يقوم باصلاحها الزوج، أتبعه حال المباينـــة و الشقاق المحوج إلى من ينصف ١٥ أحدهما[5] من الآخر فقال: ﴿ و ان خفتم ﴾ أى أيها المتقون القادرون على الإصلاح من الولاة و غيرهم ﴿ شقاق بينهما ﴾ أى الزوجين المفهومين من السياق، يكون كل واحد منهما فى شق[6] غير الشق[6] الذى فيه الآخر،

(١) فى ظ: انفروا (٢) فى ظ: فانه (٣) من مد، و فى الأصل: عن، و فى ظ: من (٤) فى ظ: لتعالوا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: احدهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و لا يكون ذلك إلا و أحدهما على باطل، و أضاف الشقاق إلى البين ليفيد أن هذا العمل إنما يكون عند الخوف من شقاق خاص، و هو أن يكون البَيْنُ [1] المضاف إليهما - و هو الذى يميز كل واحد منهما من الآخر - لا تمكن فى العادة [1] إزالته ليكونا [2] شيئا واحدا كما كانا [3] لا بين لهما، و ذلك بظن [4] أنه لا صلاح فى اجتماعهما ﴿ فابعثوا ﴾ أى إليهما للاصلاح ٥ بينهما بانصاف المظلوم من الظالم ﴿ حكما من اهله ﴾ أى الزوج ﴿ و حكما من اهلها ج ﴾ أى الزوجة، هذا أكمل لأن أهلهما [5] أقرب إلى إزالة أسباب الشقاق من بينهما، لأنهم أجدر [6] بالاطلاع على بواطن أمورهما و على حقائق أحوالهما، و الزوجان [7] أقرب إلى اطلاعهما إن كانا قريبين على ضمائرهما، و أقرب إلى إخفاء ذلك عن الأجانب؛ و فائدة الحكمين أن ١٠ يخلو كل منهما بصاحبه و يستكشف حقيقة الحال ليعرف [8] وجه الصلاح.

ثم أجاب من كأنه قال: و ما ذا عسى أن يضيفا؟ بقوله: ﴿ ان [9] يريدآ ﴾ أى الحكمان ﴿ اصلاحا ﴾ أى بينهما، و كأنه نكره لأن الإخلاص و [10] وجود الكمال قليل ﴿ يوفق الله ﴾ الذى له الإحاطة بعلم الغيب و الشهادة ﴿ بينهما [1] ﴾ أى الزوجين لأن [11] صلاح النية أكبر معين ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ليكون.
(٣) من مد، و فى الأصل و ظ: كان (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: يظن.
(٥) فى ظ: اهلها (٦) فى ظ: احذر (٧) فى ظ: الزوجات (٨) فى ظ و مد: لتعرف (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: من (١١) فى ظ: لا.

على بلوغ المقاصد ، و هذا دال على أنه لا يكون شيء إلا بالله ، و أن الأسباب إنما هي محنة من الله ، يسعد بها[١] من يباشرها و يعتمد على الله دونها ، و يشقى[٢] بها من يجعلها محط قصده[٣] ، فيعتمد عليها .

و لما كان المصلح قد يظن مفسدا [لصدعه - [٤]] بمر الحق من غير مداراة[٥] ، و المفسد قد يعد مصلحا لما[٦] يرى منه من المداهنة و المراءاة[٧] و المكر ، فيظن من يخلف الوعد بالتوفيق غير ما في نفس الأمر ؛ قال تعالى مزيلا لهذا الوهم مرغبا و مرهبا : ﴿ ان الله ﴾ أي المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ كان عليما ﴾ أي مطلقا على ما يمكن الاطلاع عليه و إن غاب عن غيره ﴿ خبيرا ﴾ أي لا يخفى عليه من ذلك خفي ، و لا يغيب عنه خبيء ، فصارت هذه الآيات كفيلة بغالب أحوال النكاح ، و لم يذكر سبحانه و تعالى الطلاق عند ما[٨] ذكر الشقاق لتقدمه في البقرة ، و لأن مبنى هذه السورة على التواصل[٩] و التواد دون التفاصل و التراد - كما قال ابن الزبير ، و لهذا - أي لبناء السورة على التواصل[٩] و الائتلاف دون[١٠] التفاصل و الاختلاف - خصت من حكم تشاجر الزوجين بالإعلام بصورة الإصلاح و العدالة[١١] إبقاء لذلك التواصل ، فلم يكن الطلاق

(١) زيد بعده في الأصل : منه ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢) في ظ : يسقى (٣) في ظ : فاصده - كذا (٤) زيد من ظ و مد (٥) في ظ : مدارة (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : ما (٧) في الأصول : المراياه - كذا . (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : نا - كذا (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من مد . (١٠) سقط من ظ (١١) في ظ و مد : المعدلة .

ليناسب

ليناسب هذا، فلم يقع له هنا[1] ذكر و لا إيماء إلا قوله "و ان يتفرقا يغن الله كلا من سعته" - انتهى .

و لما كثرت فى هذه السورة الوصايا من أولها إلى هنا بنتيجة التقوى: العدل و الفضل[2]، و الترغيب فى نواله، و الترهيب من[3] نكاله - إلى أن ختم ذلك بارشاد الزوجين إلى المعاملة بالحسنى، و ختم الآية بما هو فى الذروة من حسن الختام من صفتى العلم و الخبر، و كان ذلك فى معنى ما ختم[4] به الآية الآمرة بالتقوى من الوصف بالرقيب، اقتضى ذلك تكرير التذكير بالتقوى التى افتتحت السورة بالأمر بها، فكان التقدير حتما: فاتقوه؛ عطف عليه، أو على نحو "و سئلوا الله من فضله"، أو[5] على "اتقوا ربكم" الخُلقَ المقصود[6] من الخَلق المبثوثين على تلك الصفة، و هو العبادة الخالصة التى هى الإحسان فى معاملة الخالق، و أتبعها الإحسان فى معاملة الخلائق فقال: ﴿ و اعبدوا الله ﴾ أى أطيعوا - الذى له الكمال كله فلا يشبهه / شىء - طاعة محضة من غير شائبة خلاف مع الذل و الانكسار، لأن ملاك ذلك كله التعبد بامتثال[7] الأوامر و اجتناب الزواجر .

/ ٤٧٨

و لما كان سبحانه غنيا لم يقبل إلا الخالص، فقال مؤكدا لما أفهمه

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: هناك (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: الفصل (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فى (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: تختم (٥) فى ظ «و» (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٧) فى ظ: بالامتثال .

ما قبله : ﴿ و لا تشركوا به شيئا ﴾ .

و لما أمر للواحد الحقيق بما ينبغى له ، و كان لذلك درجتان : أولاهما[1] الإيمان ، و أعلاهما الإحسان ، فصار المأمور بذلك مخلصا ن عبادته ؛ أمره بالإحسان فى خلافته ، و بدأ بأولى الناس بذلك ، و هو من جعله سببا لإيجاده ، فقال - مشيرا إلى أنه لا يرضى له من[2] ذلك إلا ٥ درجة الإحسان ، و إلى أن من أخلص له أغناه عن كل ما سواه ، فلا يزال منعما على من عداه - : ﴿ و بالوالدين ﴾ أى و أحسنوا بهما ﴿ احسانا ﴾ و كفى دلالة على تعظيم أمرهما جعل برهما قرينَ الأمر بتوحيده سبحانه .

و لما كان مبنى السورة على الصلة لا سيما[3] لذى الرحم ، قال مفصلا لما ذكر أول السورة تأكيدا له[4] : ﴿ و بذى القربىٰ ﴾ لتأكد حقهم بمزيد ١٠ قربهم[5] ، و لاقتضاء هذه السورة مزيدَ الحث على التعاطف أعاد الجار ، ثم أتبع ذلك من تجب مراعاته لله ، أو لمعنى تفسد[6] بالإخلال به ذاتُ البين ، و بدأ بما [لله -[7]] لأنه إذا صح تبعه غيره فقال : ﴿ و اليتمىٰ و المسٰكين ﴾ أى و إن لم تكن[8] رحمهم معروفة ، و خصهم لضعفهم ، و قدم اليتيم لأنه أضعف ، لأنه[9] لصغره يضعف عن دفع حاجته و رفعها ١٥ إلى غيره ﴿ و الجار ذى القربى ﴾ أى لأن له حقين[10] ﴿ و الجار الجنب ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اولا وهما - كذا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منه (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : لا - كذا (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ : قرنهم (٦) فى ظ : يفسد (٧) زيد من ظ ومد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يكن (٩) سقط من مد (١٠) فى ظ : معنى - كذا .

أى الذى لا قرابة له، للبلوى بعشرته[1] خوفا من بالغ مضرته «اللهم! إنى أعوذ بك من جار[2] السوء فى دار المقامة، فان جار البادية يتحول» ﴿ و الصاحب بالجنب ﴾ أى الملاصق المخالط فى أمر من الأمور الموجبة لامتداد العشرة ﴿ و ابن السبيل ﴾ أى المسافر لغربتـه و قلة ناصره و وحشته ﴿ و ما ملكت ايمانكم[3] ﴾ أى من العبيد و الإماء كذلك، فان الإحسان إليهم طاعة عظيمة «آخر ما تكلم به النبى صلى الله عليه و سلم الصلاة و ما ملكت أيمانكم».

و لما ذكر الإحسان الذى عماده التواضع و الكرم، ختم الآية ترغيبا فيه و تحذيرا من[3] منعه معللا للأمر [به -[4]] بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى بما له من الأسماء الحسنى و الصفات العلى[5] ﴿ لا يحب ﴾ أى لا يفعل فعل المحب مع[6] ﴿ من كان مختالا ﴾ أى متكبرا معجبا بنفسه متزينا[7] بحليته مرائيا بما آتاه الله تعالى من فضله على وجه العظمة و إحتقار الغير، يأنف من أن ينسب إليه أقاربه الفقراء، و يقذر[8] جيرانه إذا كانوا ضعفاء، فلا يحسن إليهم لئلا يلمّوا به فيعيّر بهم.

و لما كان المختال ربما أحسن رياء، قال معلما أنه لا يقبل إلا الخالص: ﴿ فخوراه ﴾ مبالغا[9] فى التمدح بالخصال، يأنف من عشرة الفقراء،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بعثرته (٢) فى ظ: الجار (٣) فى ظ: ممن.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: العليا (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: مرشا - كذا (٨) من مد، و فى الأصل: يقدم، و فى ظ: يعذر - كذا (٩) فى ظ: بالا - كذا.

و فى ذلك أتم[1] ترهيب من الخلق المانع من الإحسان ، و هو الاختيال على عباد الله و الافتخار عليهم ازدراء بهم ، فانه لا مقتضى لذلك[2] لأن الكل من نفس واحدة ، و الفضل نعمة منه سبحانه ، يجب شكرها بالتواضع لتدوم ، و يحذر[3] كفرها بالفخار خوفا من أن تزول .

٥ و لما كان الاختيال و الفخر[4] على الفرح بالأعراض الفانية و الركون إليها و الاعتماد عليها ، فكانا حاملين[5] على البخل خوفا من زوالها ؛ قال واصفا لهم بجملة من الأخلاق الرديئة الجلية[6] ، ذلك منشأها : ﴿ الذين يبخلون ﴾ أى[7] يوقعون البخل بما حملهم من المتاع الفانى على الفخار ، و قصره ليعم[8] كتم العلم و نحوه ؛ ثم تلا ذلك بأسوء منه فقال :

١٠ ﴿ و يامرون الناس بالبخل ﴾ مقتا للسخاء ، و فى التعبير بما هو من النوس إشارة إلى أنهم لا يعلقون[9] أطماعهم بذلك إلا بذوى الهمم السافلة و الرتب القاصرة ، و يحتمل أن يكون الأمر كناية عن حملهم غيرهم على البخل بما يرى من اختيالهم و افتخارهم عليهم ؛ ثم أتبع ذلك أخبث[10] منه ، و هو الشح بالكلام الذى لا يخشى نقصه و جحد النعمة و إظهار

١٥ الافتقار فقال / : ﴿ و يكتمون ما آتاهم الله ﴾ أى[11] الذى له الجلال /٤٧٩

(١) فى ظ : ثم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كذلك (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : يجدر (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفخرة التى - كذا ، و العبارة من بعده إلى « عليها فكانا » ساقطة من ظ (٥) فى ظ : حالين (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحلية (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : لتعم (٩) فى ظ : لا يعقلون (١٠) فى ظ : احتب - كذا (١١) سقط من ظ و مد .

و الإكرام ﴿ من فضله [1] ﴾ أى من العلم جاحدين أن يكون لهم شىء يجودون به . قال الأصبهانى : ثم إن هذا الكتمان قد يقع على وجه يوجب الكفر ، مثل أن يظهر الشكاية لله [1]سبحانه و تعالى[1] و لا يرضى بالقضاء . ثم عطف على " ان الله لا يحب " ملتفتا إلى مقام التكلم ، دلالة على تناهى الغضب و تعيينا للتوعد ، مصرحا بمظهر العظمة الذى دل عليه هناك ٥ بالاسم الأعظم قوله : ﴿ و اعتدنا ﴾ أى أحضرنا و هيأنا ، و كان الأصل : لهم ، و لكنه قال - تعميما[2] و تعليقا للحكم بالوصف ، و إعلاما بأن ذلك حامل على الكفر - : ﴿ للكٰفرين ﴾ أى بفعل هذه الخصال[3] كفرا حقيقيا بما أوصلهم إليه لزوم الأخلاق الدنية ، أو مجازيا[4] بكتمان النعمة ﴿ عذابا مهينا ﴾ أى بما اغتروا بالمال الحامل على الفخر و الكبر ١٠ و الاختيال « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر » .

و لما ذم المقترين ، أتبعه ذم المسرفين المبذرين فقال - عطفا على " الكٰفرين " أو " الذين يبخلون " معرفا[5] أن الذين لا يحسنون على الوجه المأمور به فيمن تقدم الأمر بالإحسان إليهم[6] فرقتان : فرقة يمنعون النفقة أصلا ، و فرقة يمنعون وصفها و يفعلونها[7] رياء ، فيعدمون[8] بذلك ١٥ روحها - : ﴿ و الذين ينفقون ﴾ و أشار إلى عظيم رغبتهم فى نفقتهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الحصا - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : مجازا (٥) فى ظ : متعرفا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اليه (٧) فى ظ : يفعلون كما - كذا (٨) فى ظ : فيقدمون .

بقوله: ﴿ اموالهم ﴾ و دل على خسة[1] مقاصدهم و سفول[2] هممهم بقوله: ﴿ رئآء الناس ﴾ أى لقصور نظرهم و تقيده بالمحسوسات كالبهائم التى لا تدرك إلا الجزئيات المشاهدات .

و لما ذكر إخراج المال على وجه لا يرضاه ذو عقل، ذكر الحامل عليه[3] مشيرا إلى أنهم حقروا أنفسهم بما عظموها به، و ذلك أنهم تعبدوا للعبيد، و تكبروا على خالقهم العزيز المجيد فقال: ﴿ و لا يؤمنون بالله ﴾ و هو الملك الأعظم . و لما كان المأمور بالإحسان إليهم هنا من الوالدين و من ذكر معهم أخص ممن[4] أشير إليهم فى البقرة، أكد بزيادة النافى فقال: ﴿ و لا باليوم الأخر[5] ﴾ الحامل على كل خير[5]، و النازع عن كل شر[6] .

و لما كان التقدير: فكان[7] الشيطان قرينهم، لكفره باعجابه و كبره؛ عطف [عليه -[8]] قوله: ﴿ و من يكن الشيطن ﴾ أى[9] و هو عدوه البعيد من كل خير، المحترق بكل ضير[10] ﴿ له قرينا ﴾ فانه يحمله[11] على كل شر، و يبعده عن كل خير؛ و إلى ذلك أشار بقوله[12]: ﴿ فسآء قرينا ﴾ .

و لما كان التقدير: فما ذا لهم فى الكفر و الإنفاق رياء لمن لا ضر[13]

(١) فى ظ: حسية (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: صقول - كذا (٣) تأخر فى الأصل عن «مشيرا» و الترتيب من ظ و مد (٤) فى ظ: من (٥) فى ظ: حبر (٦) فى ظ: شيء (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: و كان (٨) زيد من ظ و مد (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ: ضر (١١) فى مد: تحمله (١٢) فى ظ و مد: قوله (١٣) فى ظ: ضرر .

و لا نفع بيده؟ عطف عليه قوله تعنيفا لهم [١]و إنكارا عليهم[١]: ﴿ و ما ذا عليهم ﴾ أى من حقير الأشياء و جليلها ﴿ لو آمنوا بالله ﴾ أى الذى له كل كمال، و بيده كل شىء ﴿ و اليوم الآخر ﴾ الحامل على كل صلاح ﴿ و انفقوا ﴾ .

و لما وصفهم بانفاق جميع أموالهم للعدو الحقير أشار إلى شحهم[٢] فيما هو لله[٣] العلى الكبير بشىء يسير يحصل[٤] لهم به خير كثير، فقال: ﴿ مما رزقهم الله[٤] ﴾ الذى له الغنى المطلق و الجود الباهر . و لما كان التقدير: فقد كان الله عليهم لما بذروا أموالهم قديرا[٥]، عطف عليه قوله: ﴿ و كان الله ﴾ أى[٦] المحيط [٧]بصفات الكمال[٧] ﴿ بهم ﴾ أى فى كلتا الحالتين ﴿ عليما ﴾ أى بليغ العلم، و للاعلام[٨] بعظمة العلم بهم[٩] قدم الجار المقيد للاختصاص فى غير هذا الموضع .

و لما فرغ من توبيخهم قال معللا: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له كل كمال، فهو[١٠] الغنى المطلق ﴿ لا يظلم ﴾ أى لا يتصور أن يقع منه ظلم ما[٣] ﴿ مثقال ذرة ج ﴾ أى فما دونها، و إنما ذكرها لأنها كناية عن العدم، لأنها مثل فى الصغر، أى فلا ينقص أحدا شيئا مما عمله، و لا يثيب[١١] عليه شيئا لم يعمله، فما ذا على من آمن به و هو

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: شحيم - كذا (٣) سقط من ظ.
(٤) فى مد: تحصل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: قدرا (٦) سقط من مد.
(٧-٧) فى ظ و مد: بالكمال (٨) فى ظ: الاعلام (٩) زيدت الواو بعده فى ظ (١٠) من مد، و فى الأصل: فهى، و فى ظ: و هو (١١) فى ظ: لا يثبت.

بهذه الصفة العظمى .

و لما ذكر التخلى من الظلم ، أتبعه التحلى بالفضل فقال عاطفا على ما تقديره : فان تك الذرة سيئة لم يزد عليها ، و لا يجزى بها[1] إلا مثلها : ﴿ و ان ﴾ و لما كان تشوف السامع / إلى ذلك عظيما ، حذف منه النون ٤٨٠/ بعد حذف المعطوف عليه تقريبا لمرامه[2] فقال : ﴿ تك ﴾ أى مثقال الذرة ، و أنثه لإضافته إلى مؤنث ، و تحقيرا له ، ليفهم تضعيف ما فوقه من باب الأولى[3] ، و هذا يطرد فى قراءة الحرميين برفع[4] ﴿ حسنة ﴾ [أى -[5]] و إن صغرت ﴿ يضعفها ﴾ أى من جنسها بعشرة أمثالها إلى سبعين إلى سبعمائة [ضعف -[6]] إلى أزيد من ذلك بحسب ما يعلم من حسن العمل بحسن النية ﴿ و يؤت من لدنه ﴾ أى من غريب ما عنده فضلا من غير عمل لمن يريد . قال الإمام : و بالجملة فذلك التضعيف إشارة إلى السعادات الجسمانية ، و هذا الأجر إلى السعادات الروحانية ﴿ اجرا عظيما ﴾ و سماه أجرا - و هو من غير جنس تلك الحسنة - لابتنائه[7] على الإيمان ، أى فمن كان هذا شأنه لا يسوغ لعاقل توجيه[8] الهمة إلا إليه[9] ، و لا الاعتماد أصلا بانفاق و غيره إلا عليه .

و لما تم تحذيره من اليوم الآخر و ما ذكره من إظهار العدل

(١) فى ظ : لها (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : لمرامها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اولى (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : لاسانه - كذا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : توجب . (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهية - كذا .

و استقصائه فيه كان سببا للسؤال عن حال المبكتين فى هذه الآيات [1]إذ ذاك[1]، فقال[2]: ﴿ فكيف ﴾ أى يكون حالهم و قد حملوا أمثال الجبال من مساوى الأعمال ! ﴿ اذا جئنا ﴾ على عظمتنا ﴿ من كل امة بشهيد ﴾ أى يشهد[3] عليهم ﴿ و جئنا بك ﴾ و أنت أشرف خلقنا ﴿ على هؤلاء ﴾ أى الذين أرسلناك إليهم و جعلناك شهيدا عليهم ٥ ﴿ شهيدا ﴾ و فى التفسير من البخارى عن عبد الله[4] رضى الله تعالى عنه قال: قال [لى -[5]] رسول الله صلى الله عليه و سلم « اقرأ علىّ » قلت : أقرأ عليك و عليك أنزل ؟ قال « إنى أحب أن أسمعه من غيرى » فقرأت عليه سورة النساء حتى بلغت " فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد و جئنا بك على هؤلاء شهيدا " قال « أمسك » فاذا عيناه ١٠ تذرفان . ثم استأنف الجواب عن ذلك بقوله : ﴿ يومئذ ﴾ أى تقوم[6] الأشهاد ﴿ يود الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما تهدى إليه العقول من آياته ، و بين أنهم مخاطبون بالفروع فى قوله : ﴿ و عصوا الرسول ﴾ بعد ستر ما أظهر من بيناته ﴿ لو تسوى بهم الارض ﴾ أى تكون مستوية معتدلة بهم ، و لا تكون كذلك إلا و قد غيبتهم[7] و استوت بهم ، ١٥

(١ - ١) فى ظ : ارذال - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : شهيد (٤) زيد بعده فى الأصل : بن عمر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و صحيح البخارى فحذفناها ، لأنه : ابن مسعود ، كما صرح به المحشى بين سطرى الصحيح معزيا إلى « قس » أى شرح البخارى للخطيب القسطلانى رحمه الله (٥) زيد من الصحيح (٦) فى ظ : يقوم (٧) فى ظ : عيتهم .

ولم يبق[1] فيها شيء من عوج ولا تو[2] بسبب[3] أحد منهم ولا شيء من أجسامهم ؛ وإنما ودوا ذلك خوفا مما يستقبلهم من الفضيحة بعتابهم [4]ثم الإهانة بعقابهم[4] .

ولما كان التقدير : فلا تسوى[5] بهم ، عطف عليه قوله :
٥ ﴿ ولا يكتمون الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ حديثا ﴾ أى شيئا أحدثوه بل يفتضحون بسيء أخبارهم ، ويحملون جميع أوزارهم ، جزاء لما[6] كانوا يكتمون من آياته وما نصب للناس من بيناته[7] .

ولما وصف الوقوف بين يديه فى يوم العرض والأهوال الذى أدت فيه سطوة الكبرياء والجلال إلى تمنى[8] العدم ، ومنعت قوة يد
١٠ القهر والجبر[9] أن يكتم حديثا ، وتضمن وصفه أنه لا ينجو فيه إلا من كان طاهر القلب والجوارح بالإيمان به والطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وصف الوقوف بين يديه فى الدنيا فى مقام الأنس وحضرة القدس المنجى من هول الوقوف فى ذلك اليوم ، والذى خطرت معانى اللطف والجمال فيه الالتفاتُ إلى غيره ، وأمر بالطهارة
١٥ فى حال التزين به عن الخبائث فقال : ﴿ يآيها الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالتصديق بالرسل وما أتوا به عن الله ، وأوله [4]وأولاه[4]

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : لا يبق (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : سو - كذا (٣) فى الأصل : تسبب ، وفى ظ ومد : سبب - كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : فلا يسوى (٦) فى ظ : بما (٧) فى ظ : تبيانه (٨) فى ظ : يمين - كذا (٩) من ظ ، وفى الأصل : الخير ، وفى مد : لخير .

أن لا تشركوا به شيئا من الإشراك ﴿لا تقربوا الصلوٰة﴾ أى بأن لا تكونوا
فى موضعها فضلا عن أن تفعلوها ﴿و انتم﴾ أى و الحال أنكم
﴿سكٰرى﴾ أى غائبو العقل [1]من الخمر أو نحوها، فانه يوشك أن
يسبق اللسان - بتمكن الشيطان بزوال العقل[1] - إلى شىء من الإشراك،
فيكون شركا لسانيا و إن كان القلب / مطمئنا بالإيمان، فيوشك أن ٥ / ٤٨١
يعرض ذلك[2] عليه يوم الوقوف الأكبر، فان من أنتم[3] بين يديه
لا يكتم حديثا، فيود[4] من نطق لسانه بذلك - لما يحصل له من الألم -
لو كان من أهل العدم! و أصل السكر فى اللغة: سد الطريق؛ و سبب
نزولها ما رواه مسدد باسناد - قال شيخنا البوصيرى: رجاله ثقات - عن
على رضى الله تعالى عنه أن رجلا من الأنصار دعاه و عبد الرحمٰن بن ١٠
عوف رضى الله تعالى عنه فسقاهما قبل أن تحرم[5] الخمر، فأمهم على
رضى الله تعالى عنه فى المغرب و قرأ "قل يٰأيها الكٰفرون[6]" فنزلت،
هكذا رواه، و قد رواه أصحاب السنن الثلاثة و أحمد و عبد بن حميد
و البزار و الحاكم و الطبرى، فبينوا المراد، و هو أن الذى صلى بهم
قرأ: أعبد ما تعبدون، [و فى رواية الترمذى: و نحن نعبد ١٥
ما تعبدون -[7]].

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من مد، و فى الأصل: ابيتم، و فى ظ: اسم - كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فيودى.
(٥) فى ظ: تخمر (٦) سورة ١٠٩ آية ١ (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد.

و لما أفهم النهى عن قربانها فى هذا الحال زواله بانقضائه ، صرح به فى قوله : ﴿ حتى ﴾ أى و لا يزال هـذا النهى قائما حتى ﴿ تعلموا ﴾ بزوال السكر ﴿ ما تقولون ﴾ فلا يقع منكم حينئذ تبديل ؛ و عند الشافعى رضى الله تعالى عنه أن المراد بالصلاة نفسها و موضعها و هو المسجد ، و ذلك من أدلته على استعمال الشىء فى حقيقته و مجازه ؛ نهى السكران أن يصلى إلى أن [1]يفهم ، أى[1] يصحو ، و نهى[2] كل واحد[3] أن يكون فى المسجد و هو جنب بقوله عطفا على محل "و انتم سكرى" : ﴿ و لا ﴾ أى و لا تقربوا الصلاة بالكون فى محالها[4] فضلا عنها ﴿ جنبا ﴾ أى ممنين بالفعل أو القوة القريبة منه بالتقاء الختانين ، لأن الجنابة المنى[5] سواء كان عن جماع أو لا فى حال من أحوال الجنابة ﴿ الا عابرى سبيل ﴾ أى مارين مرورا من غير مكث و لا صلاة ؛ و لما غيّا منع الجنابة بقوله : ﴿ حتى تغتسلوا[6] ﴾ أى تغسلوا البدن عمدا ، و [لما -[6]] كان للإنسان حالات يتعسر أو يتعذر فيها[7] عليه[8] استعمال الماء ؛ ذكرها فقال مرتبا لها على الأحوج إلى الرخصة فالأحوج : ﴿ و ان كنتم مرضى ﴾ أى بجراحة أو غيرها مرضا يمنع من طلب الماء أو استعماله ﴿ او على سفر ﴾ كذلك[9] سواء كان السفر طويلا أو قصيرا ﴿ او جآء احد منكم ﴾ أى

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : احد .
(٤) فى ظ : مكانها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى (٦) زيد من ظ .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيها (٨) فى ظ و مد : غلبة (٩) فى ظ و مد : لذلك .

أيها

أيها المؤمنون ! و لو كان حاضرا صحيحا ﴿ من الغآئط ﴾ أى المكان المطمئن من الأرض الواسع الذى يقصد للتخلى [١] ، [أى : أو جاء من التخلى - [٢]] فقضى حاجته التى لا بد له منها ، فهو بها أحوج إلى التخفيف مما بعده .

و لما تقدم أمر الجنابة التى هى المنى أعم من أن تكون [٣] بجماع ٥ أو غيره ، ذكر هنا ما يعمها و غيرها من وجه فقال : ﴿ او لمستم النسآء ﴾ أى [٤] بمجرد التقاء البشرتين أو بالجماع سواء حصل إنزال أو لا ، و أخر [٥] هذا لأنه [٥] مما منه بد ، و [٦] لا يتكرر [تكرر - [٢]] قضاء [٧] الحاجة ﴿ فلم تجدوا مآء ﴾ أى إما بفقده أو بالعجز عن استعماله ﴿ فتيمموا ﴾ أى اقصدوا قصدا صادقا بأن تلابسوا ناوين [٨] ﴿ صعيدا ﴾ أى ترابا ١٠ ﴿ طيبا ﴾ أى طهورا خالصا فهو بحيث ينبت " و البلد الطيب يخرج نباته باذن ربه [٩] " ﴿ فامسحوا ﴾ و هذه عبادة خاصة بنا .

و لما كان التراب لا يتمكن من جميع العضو و إن اجتهد الإنسان فى ذلك أدخل الباء قاصرا للفعل فى قوله : ﴿ بوجوهكم ﴾ أى أوقعوا المسح بها سواء عم [١٠] التراب منبت الشعر أم لا ﴿ و ايديكم [٤] ﴾ أى منه ، ١٥

(١) فى ظ : المتخلى (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) فى ظ : يكون .
(٤) زيد بعده فى ظ : اعم (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه الأمة - كذا (٦) سقطت الواو من ظ (٧) فى ظ : القضا (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : ماوين (٩) سورة ٧ آية ٥٨ (١٠) من ظ ، و فى الأصل و مد : هم .

كما صرح به فى المائدة ، لا فيه و لا عليه مثلا ، ليفهم التمعك ، أو أن الحجر[1] مثلا يكفى ، و الملامسة جوز الشافعى رضى الله تعالى عنه أيضا أن يراد بها المس - أى ملاقاة البشرتين - الذى هو حقيقة اللمس و الجماع الذى هو مسبب[2] عن المس ، أو[3] هو مماسة خاصة ، فهو من تسمية الكل باسم البعض حينئذ .

و لما نهى عما يدنى من[4] وقوع صورة الذنب الذى هو جرى اللسان بما لا يليق به سبحانه و تعالى ، و خفف ما كان شديدا بالتيمم ؛ ختم الآية بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى[4] الذى اختص بالكمال ﴿ كان عفوا ﴾ أى بترك العقاب / [5]على الذنب ، و كأن هذا راجع إلى ما وقع حالة السكر / ٤٨٢ ﴿ غفورا ه ﴾ أى بترك العقاب[5] و بمحو الذنب حتى لا يذكر بعد ذلك أصلا ، و كأن هذا راجع إلى التيمم ، فان الصلاة معه حسنة ، و لو لاه كانت سيئة مذكورة و معاقبا عليها ، إما على تركها لمشقة[6] استعمال الماء عند التساهل ، أو على فعلها بغير طهارة فى بعض وجوه[7] التنطع ، و ذلك معنى قوله سبحانه و تعالى فى المائدة " ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج[8] " و من كانت عادته العفو و المغفرة كان ميسرا غير معسر .

و لما أفهم ختام هذه الآية أن التشديد فى الأحكام تكون سببا للأجرام ، فيكون سببا فى الانتقام ؛ قرر ذلك بحال اليهود الذين أوجبت

(١) فى ظ : الحر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : سبب (٣) فى ظ « و » .
(٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : المشقة .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : وجوده (٨) آية ٦ .

لهم الآصار عذاب النار[١] فقال - ليكون ذلك مرغبا فى تقبل ما مر من التكاليف ليسره[٢] و لرجاء الثواب، و مرهبا من تركها خوفا من العقاب، و ليصير الكلام حلوا رائقا بهجا بتفصيل نظمه تارة بأحكام، و تارة بأقاصيص عظام، فينشط الخاطر و تقوى القريحة -: ﴿ الم تر ﴾ أو يقال: إنه لما حذر[٣] سبحانه و تعالى فيما مضى من أهل الكتاب بقوله سبحانه و تعالى ٥ "و يريد الذين يتبعون الشهوٰت ان تميلوا ميلا عظيما" و مر إلى أن أنزل[٤] هذه فيمن[٥] حرف فى الصلاة لسانُه فقط لا عن عمد[٦] الكلمَ[٧] عن مواضعه؛ أتبعها التصريح بالتعجيب[٨] من حال المحرفين بالقلب و اللسان عمدا و عدوانا اجتراء على الله سبحانه و تعالى، الملوح إليهم بالآية السابقة أنهم [٩]يريدون لنا[٩] الضلال عما هدينا إليه من سننهم، فقال: "الم تر". ١٠

و لما كانوا بمحل البعد[١٠] - بما لهم من اللعن - عن حضرته الشريفة، عبر بأداة الانتهاء، بصرية كانت الرؤية[١١] أو[١] قلبية، فقال: ﴿ الى الذين اوتوا ﴾ و حقر أمرهم بالبناء للمفعول و[١] بقوله: ﴿ نصيبا من الكتٰب ﴾ أى[١] كشاس[١٢] بن قيس الذى أراد الخلف بين الأنصار، و فى ذلك أن أقل شىء من الكتاب يكفى فى ذم الضلال، لأنه كافٍ فى الهداية ١٥

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لبسره - كذا (٣) فى ظ: قدر (٤) فى ظ: نزل (٥) فى ظ: من (٦) فى ظ: عهد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الكلام (٨) فى ظ: بالتعجب (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يريه و المقاذ - كذا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: التعمد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: الرويا (١٢) فى ظ: كساس.

﴿ يشترون ﴾ أى يتكلفون و يلحون[1] - بما هم فيه من رئاسة الدنيا من المال و الجاه - أن يأخذوا ﴿ الضلٰلة ﴾ معرضين عن الهدى[2] غير ذاكريه[2] بوجه ، و سبب كثير من ذلك ما فى دينهم من الآصار و الأثقال ، كما أشار إليه [قوله -[3]] سبحانه و تعالى "فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوٰة[4]" أى[5] بسبب ما شدد عليهم فيها بأنها لا تفعل إلا فى الموضع المبنى لها ، و بغير ذلك من أنواع الشدة ، و كذا غيرها[6] المشار إليه بقوله سبحانه و تعالى "فبما نقضهم ميثاقهم[7]" و غير ذلك ، و من أعظمه ما يخفون من صفة النبى صلى الله عليه و سلم ، ليتقربوا بذلك إلى أهل دينهم ، و يأخذوا منهم الرشى على ذلك ، و يجعلوهم عليهم رؤساء .

و لما ذكر ضلالهم المتضمن لإضلالهم ، أتبعه ما يدل على إعراقهم فيه ، فقال مخاطبا لمن يمكن توجيه هممهم باضلال إليه : ﴿ و يريدون [8]ان تضلوا[8] ﴾ أى يٰايها الذين آمنوا ﴿ السبيل ﴾ حتى تساووهم ، فلذلك يذكرونكم بالأحقاد و الأضغان و الأنكاد - كما فعل شاس - لا محبة فيكم ، و يلقون[9] إليكم الشبهة[10] ، فالله سبحانه و تعالى [أعلم -[3]] بهم حيث

(١) فى ظ : يلحقون (٢-٢) فى ظ : عن ذاكرته - كذا (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) سورة ١٩ آية ٥٩ (٥) سقط من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و زيد « هذا » فى ظ ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) سورة ٤ آية ١٥٥ .
(٨-٨) تأخر فى ظ عن « الذين آمنوا » (٩) فى ظ : يلقوا (١٠) من ظ ، و فى الأصل و مد : السنة - كذا .

حذركم

حذركم[1] منه بقوله "لا يألونكم خبالا[2]" و ما بعده[3] إلى هنا ﴿ و الله ﴾ أى المحيط علمه و قدرته ﴿ اعلم ﴾ أى من كل أحد ﴿ باعدآئكم[4] ﴾ أى كلهم هؤلاء و غيرهم، بما يعلم من البواطن، فمن حذركم منه كائنا من كان فاحذروه.

و لما كان [4]كل من[4] قبيلتى الأنصار قد [5]والوا ناسا[5] من اليهود ليعتزوا بهم و ليستنصروهم، قال تعالى فاطما[6] لهم عن موالاتهم: ﴿ و كفى ﴾ أى و الحال أنه كفى به - هكذا كان الأصل، و لكنه أظهر الاسم [الأعظم -[7]] لتستحضر[8] عظمته، فيستهان أمر الأعداء فقال: ﴿ بالله وليا ﴾ أى قريبا بعمل جميع[9] ما يفعله القريب الشفيق.

و لما كان الولى قد/ تكون[10] فيه قوة النصرة[11]، و النصير قد لا يكون له شفقة الولى، و كانت النصرة أعظم ما يحتاج إلى[12] الولى فيه؛ أفردها بالذكر إعلاما باجتماع الوصفين مكررا الفعل و الاسم الأعظم اهتماما بأمرها فقال: ﴿ و كفى بالله ﴾ أى[12] الذى له العظمة كلها ﴿ نصيرا ﴾ أى لمن والاه فلا يضره عداوة أحد، فثقوا بولايته و نصرته دونهم، و لا تبالوا[13] بأحد منهم و لا من غيرهم، فهو يكفيكم الجميع.

٤٨٣ / ١٠ ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: حذرهم (٢) سورة ٣ آية ١١٨ (٣) فى ظ: بعد (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: من كل (٥-٥) فى ظ: اولو مناسبا - كذا (٦) فى ظ: ناظما (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ: ليستحضر (٩) فى ظ: بجميع (١٠) فى ظ: يكون (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: النصر. (١٢) سقط من ظ (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لا ينالوا.

و لما وفرت هذه الآيات الدواعى على تعيين[1] هؤلاء الذين يريدون الإضلال ، قال بعد الاعتراض بما بين المبين و المبيَن من الجمل لمزيد الاهتمام به : ﴿ من الذين هادوا ﴾ ثم بين ما يضلون به و يضلون بقوله - و يجوز أن يكون استئنافا بمعنى : بعضهم ، أو منهم من[2] - : ﴿ يحرفون الكلم ﴾ [3]أى الذى[3] أتى به شرعهم من صفة النبى الأمى[2] صلى الله عليه و سلم و صفة دينه و أمته و غير ذلك مما يريدون[4] تحريفه لغرض ، فيتألفون فى[5] إمالته و تغييره عن حده و طرفه إلى حد[6] آخر مجاوزين به ﴿ عن ﴾ و لما كانت الكلمة [7]إذا غيرت[7] تبعها الكلام و هو المقصود بالذات ، نبه على ذلك بتذكير الضمير فقال : ﴿ مواضعه ﴾ أى التى هى به[8] أليق ، فيتم ضلالهم و إضلالهم ، و هو يشمل ما إذا كان المعنى المغير إليه بعيدا عن المغير أو[9] قريبا ، فالذى فى المائدة أخص .

و لما كان سبحانه و تعالى عالما بجميع تحريفهم ، أشار إليه بالعطف على ما تقديره : فيقولون كذا [7]و يقولون كذا[7] : ﴿ و يقولون سمعنا ﴾ أى ما تقول[10] ﴿ و عصينا ﴾ موهمين أنهم يريدون أن ذلك حكاية ما وقع لأسلافهم قديما ، و إنما يريدون أنهم هم سمعوا [11]ما تقول[11] و خالفوه عمدا ليظن من سمع ذلك أنهم على بصيرة فى المخالفة بسبب ما عندهم

(١) من ظ ومد ، و فى الأصل : تغيير (٢) سقط من ظ (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فالذى (٤) فى مد : يرون (٥) فى ظ : من (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : احد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : بها (٩) فى ظ : ام (١٠) من مد ، و فى الأصل : يقولون ، و فى ظ : يقول (١١-١١) فى ظ : لما يقول .

من العلم الربانى ليورثه ذلك شكا فى أمره و حيرة فى شأنه ﴿ و اسمع ﴾ حال كونك ﴿ غير مسمع ﴾ موهمين عدم إسماعه ما يكره[1] من قولهم: فلان أسمع فلانا[2] الكلام، و إنما يريدون الدعاء، كما يقال: اسمع لا سمعت! ﴿ و راعنا ﴾ موهمين إرادة المراعاة لهم و الإقبال عليهم، و إنما يريدون الشتم بالرعونة؛ و قال الأصفهانى: و يحتمل شبه كلمة عبرانية كانوا يتسابون[3] بها و هى: راعينا، فكانوا - سخرية بالدين و هزءا برسول الله صلى الله عليه و سلم - يكلمونه بكلام محتمل، ينوون به الشتيمة[4] و الإهانة و يظهرون التوقير و الإكرام، و لذلك قال: ﴿ ليا بالسنتهم ﴾ أى صرفا لها عن مخارج الحروف التى تحق[5] لها فى العربية إلى ما يفعله[6] العبرانيون من تغليظ بعض الحروف و شوب[7] بعضها بغيره، لإرادة معانٍ عندهم قبيحة[8] مع احتمالها لإرادة معانٍ غير تلك يقصدها العرب مليحة ﴿ و طعنا فى الدين[9] ﴾ أى بما يفسرونها به لمن يطمعون[9] فيه من تلك المعانى الخبيثة.

و لما ذكر هذه الكلمات الموجهة[10]، بين ما كان عليهم لو وقفوا[11]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يكون (٢) من ظ، و فى الأصل و مد: فلان. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يتسامون (٤) فى ظ: الشتمة (٥) فى الأصل: تحى، و فى ظ: يحق، و فى مد: بحق (٦) من مد، و فى الأصل: يفعلها، و فى ظ: يفعل (٧) فى ظ: صوب (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ: يطعمون - كذا بتقديم العين على الميم (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: المرجهة (١١) من ظ، و فى الأصل: وقفوا، و فى مد: وقعوا - كذا.

فقال قاطعا جدالهم[1]: ﴿ و لو انهم قالوا ﴾ أى[2] فى الجواب له صلى الله عليه و سلم ﴿ سمعنا و اطعنا ﴾ أى بـــدل الكلمة الأولى ﴿ و اسمع و انظرنا ﴾ بدل ما بعدها ﴿ لكان ﴾ أى هذا القول ﴿ خيرا لهم ﴾ أى من ذلك، لعدم[3] استيجابهم الإثم ﴿ و اقوم لا ﴾ أى لعدم الاحتمال[4]

٥ الذم[5] ﴿ و لكن لعنهم الله ﴾ أى طردهم الذى له جميع صفات العظمة و الكمال، و أبعدهم عن الخير ﴿ بكفرهم ﴾ أى بدناءتهم بما يغطون من أنوار الحق و دلائل الخير، فلم يقولوا ذلك.

و لما سبب عن طردهم استمرار كفرهم قال: ﴿ فلا يؤمنون ﴾ أى يتجدد لهم إيمان ﴿ الا قليلا ﴾ أى منهم؛ استثناء من الواو، فانهم

١٠ يؤمنون، أو[6] هو استثناء مفرغ من مصدر 'يؤمن' أى[7] من إيمانهم

٤٨٤/ بعض الآيات[8] الذى / لا ينفعها[8] لكفرهم بغيره.

و لما بكتهم على[9] فعلهم و قولهم[9] و صرح بلعنهم، خوّفهم إظهار ذلك فى الصور المحسوسة فقال مقبلا عليهم إقبال الغضب: ﴿ يآيها الذين ﴾ مناديا لهم من محل البعد ﴿ اوتوا الكتب ﴾ و لم يسند

١٥ الإيتاء إليه تحقيرا لهم، و لم يكتف بنصيب[10] منه لأنه لا يكفى[11] فى العلم

(١) فى ظ: بجدالهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: العدم.
(٤) فى ظ: احتمال (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الخدم (٦) فى ظ «و».
(٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٨-٨) فى ظ: التى لا تنفعهم (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: قولهم و فعلهم (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: نصيب (١١) فى ظ: لا يلقى.

بالمصادفة

بالمصادقة إلا الجميع ﴿ آمنوا بما نزلنا ﴾ أى تدريجا كما[1] نزلنا التوراة كذلك، على ما لنا من العظمة التى ظهرت فى إعجازه و إخباره بالمغيبات و دقائق العلوم مما عندكم و غيره على رشاقته و إيجازه؛ و أعلم بعنادهم و حسدهم بقوله: ﴿ مصدقا لما معكم ﴾ من حيث أنهم له مستحضرون، و به [فى -[2]] حد ذاته مُقِرّون. ٥

و لما أمرهم و قطع حجتهم، حذرهم فقال - مخففا عنهم بالإشارة بحرف الجر إلى أنه متى وقع منهم إيمان فى زمن مما قبل الطمس أخره عنهم -: ﴿ من قبل ان نطمس ﴾ أى نمحو ﴿ وجوها ﴾ فان الطمس فى اللغة: المحو؛ و هو يصدق بتغيير بعض الكيفيات، ثم سبب عن ذلك قوله: ﴿ فنردها ﴾ فالتقدير: من قبل أن نمحو أثر وجوه[3] بأن نردها ١٠ ﴿ على ادبارها ﴾ أى بأن نجعل ما إلى جهة القبل [4]من الرأس إلى جهة الدبر، و ما إلى الدبر إلى جهة القبل[4] مع إبقاء صورة الوجه على ما هى عليه، أو[5] يكون المراد بالرد على الدبر النقل[6] من حال إلى ما دونها من ضدها بجعلها على حال القفا، ليس فيها معلم من فم و لا غيره، ليكون المعنى بالطمس مسح ما فى الوجه من المعانى؛ قال ابن هشام: نطمس: ١٥ نمسحها[7] فنسويها، فلا يرى فيها عين و لا أنف و لا فم و لا شىء مما يرى فى الوجه، و كذلك "فطمسنا اعينهم[8]"، المطموس العين: الذى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لما (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: وجوده (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ «و». (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: القبل (٧) سقط من ظ (٨) سورة ٥٤ آية ٣٧.

ليس بين جفنيه شق[1]، و يقال: طمست الكتاب و الأثر[2] فلا يرى منه شيء. و يكون الوجه فى هذا التقدير على حقيقته؛ ثم خوفهم نوعا آخر من الطمس فقال عاطفا على "نردها": ﴿ او نلعنهم ﴾ أى نبعدهم جدا عن صورة البشر بأن نقلب وجوههم أو جميع ذواتهم على صورة القردة[3] ﴿ كما لعنآ اصحٰب السبت[4] ﴾ إذ قلنا لهم "كونوا قردة خٰسئين[4]" و يكون الوجه فى هذا التقدير الأخير عبارة عن الجملة، فهو إذن مما استعمل فى حقيقته و مجازه، و يجوز أن يكون واحد الوجهاء[5]، فيكون عود الضمير إليه استخداما، و يكون المراد بالرد على الأدبار[6] جعلهم أدنياء صغرة[7] من الأسافل - و الله سبحانه و تعالى أعلم.

و لما كان ذلك أمرا غريبا و مقدورا عجيبا، و كان التقدير: فقد كان أمر الله فيهم بذلك - كما علمتم - نافذا؛ أتبعه الإعلام بأن قدرته شاملة، و أن وجوه مقدوراته لا تنحصر، فقال عاطفا على ما قدرته: ﴿ و كان امر الله ﴾ أى حكمه[8] و قضاؤه و مراده فى كل شيء شاء منهم و من غيره بذلك و بغيره، لأن له العظمة التى لا حد لها و الكبرياء التى تعيي الأوصاف[9] دونها ﴿ مفعولا ۝ ﴾ أى كائنا حتما، لا تخلف[10]

(١) من ظ و سيرة ابن هشام ١/٢٠٣، و فى الأصل و مد: شيء - كذا.
(٢) فى ظ: الاثرى (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: القرد (٤) سورة ٢ آية ٦٥.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اوجها - كذا (٦) زيدت الواو بعده فى ظ.
(٧) من ظ و مد، و فى الأصل: صغيرة (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: حكمة (٩) زيد بعده فى ظ: فى (١٠) فى ظ: لا يخلف.

له أصلا ، فلا بد من وقوع أحد الأمرين إن لم يؤمنوا ، و قد آمن بعضهم فلم يصح أنهم لم يؤمنوا ، لأنه قد وقع منهم إيمان .

و لما كانوا[1] مع ارتكابهم العظائم[2] يقولون : سيغفر لنا ، و كان امتثالهم لتحريف أحبارهم و رهبانهم شركا بالله - كما قال سبحانه و تعالى " اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله[3] " ؛ قال - معللا لتحقيق وعيدهم ، معلما أن ما أشير إليه من تحريفهم أداهم إلى الشرك - : ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لصفات العظمة ﴿ لا يغفر ان يشرك به ﴾ أى على سبيل التجديد المستمر إلى الموت سواء كان المشرك من أهل الكتاب أم لا ، و زاد ذلك حسنا أنه فى سياق " و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا[4] " .

و لما أخبر بعدله أخبر بفضله فقال : ﴿ و يغفر ما دون ذلك ﴾ الأمر الكبير العظيم من كل معصيته سواء كانت[5] / صغيرة أو كبيرة ، سواء تاب[6] فاعلها أو لا ، و رهب بقوله - إعلاما بأنه مختار ، لا يجب عليه شيء - : ﴿ لمن يشآء ج ﴾ . / ٤٨٥

و لما كان التقدير : فان من أشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ، عطف عليه قوله : ﴿ و من يشرك ﴾ أى يوجد منه شرك فى الحال[7] أو[8] المآل ، و أما الماضى فجبته التوبة ﴿ بالله ﴾ أى الذى كل شيء

(١) من ظ ، و فى الأصل و مد : كان (٢) فى ظ : العظيم (٣) سورة ٩ آية ٣١ .
(٤) سورة ٤ آية ٣٦ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان (٦) فى ظ : يات - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحالة (٨) فى ظ « و » .

دونه ﴿ فقد افترى ﴾ أى تعمد كذبا ﴿ اثما عظيما ﴾ أى ظاهرا فى نفسه من جهة عظمه[1] أنه قد ملأ أقطار نفسه و قلبه و روحه و بدنه مظهرا للغير أنه إثم، فهو فى نفسه منادٍ بأنه باطل مصر، فلم يدع للصلح موضعا، فلم تقتض[2] الحكمة العفو عنه، لأنه قادح فى الملك، و إنما طوى مقدمة [3]الضلال و ذكر مقدمة[3] الافتراء - لكون السياق لأهل الكتاب الذين ضلالهم على علم منهم و تعمد و عناد، بخلاف ما يأتى عن العرب، و فى التعبير بالمضارع استكفاف مع استعطاف و استجلاب فى استرهاب.

و لما كان فى ذلك إشارة إلى أن المرادين[4] بهذه الآيات من أهل الكتاب أضل الناس، و كانوا يقولون: إنهم أهدى الناس؛ عجب منهم منكرا عليهم بعد افترائهم تزكية أنفسهم فقال: ﴿ الم تر ﴾ و أبعدهم بقوله: ﴿ الى الذين يزكون انفسهم[5] ﴾ أى بما[5] ليس لهم من قولهم "لن تمسنا النار الا اياما معدودة[6]" و قولهم "لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصرى[7]" و قوله[8] "[و -[9]] يحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا"، "و يريد الذين يتبعون الشهوٰت ان تميلوا ميلا عظيما[10]" فان إبعاد[11] غيرهم

(١) من مد، و فى الأصل: عظمة، و فى ظ: عظيمة (٢) فى ظ: فلم يقتض.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ: المراد (٥) فى ظ: لما.
(٦) سورة ٢ آية ٨٠ (٧) سورة ٢ آية ١١١ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: قولهم (٩) زيدت الواو من ظ و مد و القرآن المجيد - سورة ٣ آية ١٨٨.
(١٠) سورة ٤ آية ٢٧ (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: العباد.

فى

فى الميل مصحح لتزكيتهم أنفسهم بالباطل و نحو ذلك مما تقدم و غيره.

و لما كان معنى الإنكار: ليس لهم ذلك لأنهم كذبوا فيه و ظلموا، أشار[1] إليه بقوله: ﴿ بل الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يزكى من يشآء ﴾ أى بما له من العلم التام و القدرة الشاملة و الحكمة البالغة و العدل السوى بالثناء عليه و بخلق معانى الخير الظاهرة فيه [2]لتنشأ عنها[2] الأعمال الصالحة، فاذا زكى أحدا[3] من أصفيائه بشىء[4] كالنبوة، [5]كان له أن يزكى نفسه بذلك حملا على ما ينفع الناس به عن الله ﴿ و لا ﴾ أى و الحال أن الذين[6] يزكيهم أو يدسيهم[7] [لا -[8]] ﴿ يظلمون فتيلا ٥ ﴾ أى مقدار ما فى شق النواة من ذلك الشىء المفتول، أى قليلا و لا كثيرا، لأنه عالم بما يستحقون و هو الحكم العدل الغنى عن الظلم، لأن له صفات الكمال.

و لما أخبر تعالى أن التزكية إنما هى إليه[4] بما له من [العظمة -[9]] و العلم الشامل، و كان ذلك أمرا لا نزاع فيه، و شهد عليهم بالضلال، و ثبت أن ذلك كلامه بما له من الإعجاز فى حالتى الإطناب و الإيجاز؛ ثبت[10] كذبهم فزاد فى توبيخهم فقال - معجبا لرسوله صلى الله عليه و سلم

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: اشارة (٢-٢) فى ظ: لاتساعها (٣) فى ظ: احد (٤) سقط من ظ (٥) زيدت الواو هنا فى الأصل و مد، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٦) فى الأصول: الذى (٧) دسايدسو و دسى يدسى: نقيض نما و زكا، و دسّى الرجل: أفسده و أغواه (٨) زدناه و بد منه (٩) زيد من ظ. (١٠) من ظ، و فى الأصل و مد: نثبت.

من وقاحتهم و اجترائهم على من يعلم كذبهم ، و يقدر على معاجلتهم بالعذاب ، مبينا أنه صلى الله عليه و سلم فى الحضرة بعد بيان بُعدهم - : ﴿ انظر كيف يفترون ﴾ أى يتعمدون ﴿ على الله ﴾ أى[1] الذى لا يخفى عليه شىء و لا يعجزه شىء ﴿ الكذب[1] ﴾ أى من غير خوف منهم لذلك عاقبة[2] ﴿ و كفى ﴾ أى و الحال أنه كفى ﴿ بـه ﴾ أى بهذا الكذب ﴿ اثما مبينا ﴾ أى واضحا فى نفسه و مناديا عليها بالبطلان .

و لما عجب من كذبهم دل عليه بقوله : ﴿ الم تر ﴾ و كان الأصل : إليهم ، و لكنه قال - لزيادة التقريع و التوبيخ و الإعلام بأن كفرهم عناد لكونه عن علم - : ﴿ الى الذين ﴾ و عبر بـالى دلالة على بعدهم عن الحضرات الشريفـــة ﴿ اوتوا نصيبا من الكتب ﴾ أى الذى هو الكتاب فى الحقيقة لكونـه من الله ﴿ يؤمنون بالجبت ﴾ و هو الصنم و الكاهن و الساحر[3] و الذى لا خير [فيه -[4]] و كل ما عبد من دون الله ﴿ و الطاغوت ﴾ و هو اللات و العزى و الكاهن و الشيطان و كل رأس ضلال و الأصنام و كل ما عبد من دون الله ؛ و كل هذه المعانى تصح إرادتها هنا ، و هى مما نهى عنه فى كتابهم - و أصله و مداره مجاوزة الحد عدوانا ، و هو واحد / و قد يكون جمعا ، قال سبحانه و تعالى ”اولئهم الطاغوت يخرجونهم[5]“ - و الحال أن أقل نصيب من الكتاب كافٍ فى النهى عن ذلك و تكفير فاعله . /٤٨٦

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عافية (٣) فى ظ : السامر - كذا (٤) زيد من ظ (٥) سورة ٢ آية ٢٥٧ .

و لما دل على ضلالهم دل على إضلالهم بقوله ـ معبرا بصيغة المضارع دلالة على عدم توبتهم ـ : ﴿ و يقولون للذين كفروا ﴾ و دل بالتعبير بالإشارة دون الخطاب على أنهم يقولون ذلك فيهم حتى فى غيبتهم، حيث لا حامل لهم على القول إلا محض الكفر فقال : ﴿ هؤلاء ﴾ أى[1] الكفرة العابدون للأصنام ﴿ اهدى ﴾ أى أقوم[2] فى الهداية ﴿ من الذين ٥ امنوا ﴾ أى أوقعوا هذه الحقيقة، فيفهم ذمهم بالتفضيل[3] على الذين يؤمنون و من فوقهم من باب الأولى[4] ﴿ سبيلا ﴾ مع أن فى كتابهم من إبطال الشرك و هدمه و عيب مدانيه و ذمه فى غير موضع تأكيدا[5] [أكيدا ـ[6]] و[7] أمرا عظيما شديدا .

و لما أنتج ذلك خزيهم قال : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء عن الحضرات[8] ١٠ الربانية ﴿ الذين لعنهم الله ﴾ أى طردهم بجميع ما له من صفات الكمال طردا هم جديرون بأن يختصوا به . و لما كان قصدهم بهذا القول مناصرة المشركين لهم، و كان التقدير : فنالوا[9] بذلك اللعن الذل و الصغار، عطف عليه قوله : ﴿ و من يلعن الله ﴾ أى الملك الذى له الأمر كله منهم و من غيرهم ﴿ فلن تجد له نصيرا ﴾ أى فى وقت من الأوقات أصلا، ١٥ و كرر التعبير بالاسم الأعظم لأن المقام يقتضيه إشعارا لتناهى الكفر

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : اقوام (٣) من ظ، و فى الأصل و مد : بالتفصيل .
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل : اولى (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : تاكيد .
(٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : او (٨) فى ظ : حضرات (٩) من ظ ومد، و فى الأصل : فسالوا .

الذى هو أعظم المعاصى بتناهى الغضب .

و لما كان التقدير : كذلك[١] كان[٢] من إلزامهم الذل و الصغار، [عطف عليه قوله -[٣]] : ﴿ ام ﴾ [٤]أى ليس[٤] ﴿ لهم نصيب ﴾ [أى -[٣]] واحد من الأنصباء ﴿ من الملك فاذًا ﴾ أى فيتسبب عن ذلك أنهم إذا كان لهم أدنى نصيب منه ﴿ لا يؤتون الناس ﴾ [أى الذين آمنوا -[٣]] ﴿ نقيرا ﴾ أى شيئا من [٥]الدنيا و لا الآخرة[٥] من هدى و لا من غيره ، و النقير : النقرة فى ظهر[٦] النواة ، [٤]قيل : غاية فى القلة[٤] ؛ [فهو كناية عن العدم ، فهو بيان لأنهم لإفراط بخلهم لا يصلحون إلا لما هم فيه من الذل -[٣]] [٧]فكيف بدرجة الملك لأن الملك و البخل لا يجتمعان[٧] ﴿ ام ﴾ [أى -[٨]] ليس لهم نصيب ما من الملك، [٩]بل ذلهم لازم و صغارهم أبدا كائن دائم ، فهم[٩] ﴿ [١٠]يحسدون الناس ﴾ أى[١١] محمدا صلى الله عليه و سلم الذى جمع فضائل الناس كلهم [من -[١٢]] الأولين و الآخرين و زاد عليهم ما شاء الله ، أو العرب[١٣] الذين لا ناس

(١) فى ظ : الذى (٢) سقط من مد (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥-٥) فى ظ و مد : دنيا و لا آخرة.
(٦) فى ظ و مد : ظاهر (٧ - ٧) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « ﴿ام﴾ أى ليس » (٨) زيد من مد (٩ - ٩) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « اى واحد » (١٠) زيد فى الأصل : ام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (١٢) زيد من ظ (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : القرب .

الآن غيرهم ، لأنا فضلناهم على العالمين - بأن يتمنوا دوام ذلهم كما دام لهم هم[1] ، و دل على نهاية حسدهم بأداة الاستعلاء فى قوله : ﴿ على ما آتاهم الله ﴾ أى بما له من صفات الكمال ﴿ من فضله ج ﴾ حسدوهم لما رأوا من إقبال جدهم و ظهور سعدهم و أنهم سادة الناس و قادة أهل الندى[2] و البأس : ٥

إن العرانين[3] تلقاها محسدة و لن ترى[4] للئام الناس حسادا

و قد آتاهم الله سبحانه و تعالى جميع أنواع الملك ، فانه[5] على ثلاثة أقسام : ملك على الظواهر و البواطن معا ، و هو للأنبياء عليهم الصلاة و السلام بما لهم من غاية الجود و الكرم و الرحمة و الشفقة و الشفاعة[6] و البر و اللطف التى كل منها سبب للانقياد ، و ذلك مع ما لهم بالله سبحانه ١٠ و تعالى من تمام الوصلة ؛ و ملك على الظواهر فقط ، و هو ملك الملوك ؛ و ملك على البواطن فقط ، و هو ملك العلماء .

و لما ذمهم سبحانه و تعالى أولا بالجهل و مدح النفس تشبعا بما لم يعطوا ، و ذلك سبب لجميع[7] النقائص ، و ثانيا بأعظم منه : منع الحق [8]من أهله[8] بخلا ، و ثالثا بأعظم منهما : تمنى ألا يصل إلى أحد نعمة ١٥ و إن كانت لا تنقصهم ، فجازوا[9] بذلك أعلى[10] خلال الذم ، و كانت

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : هر - كذا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الندم (٣) من عيون الأخبار للدينورى ٢/٩ ، و فى الأصول : العرابين - كذا. (٤) فى عيون الأخبار : لا ترى (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشجاعة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لجمع (٨-٨) فى ظ : منه . (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : بجازوا (١٠) فى ظ : على .

المساوى تضع و المحاسن ترفع، تسبب عن هذا توقع السامع [1]لإعلاء العرب[1] و إدامة ذل اليهود و موتهم بحسدهم فقال[2]: ﴿ فقد ﴾ أى فتسبب عن هذا و تعقبه أنا قد آتيناهم - هكذا كان الأصل، و لكنه أظهر للتنبيه على التوصيف الذى شاركوهم به فى استحقاق الفضائل فقال:

٤٨٧/ ٥ ﴿ اٰتينآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ اٰل ابرٰهيم ﴾ أى / الذى[3] أعلمناكم فى كتابكم أنا أقسمنا له أنا نعز[4] ذريته و نهديهم و نجعل ابنه إسماعيل حالاً[5] على جميع حدود إخوته، و يده[6] فى جميع الناس و يده على كل [7]أحد و يد كل[7] به ﴿ الكتٰب ﴾ أى الذى لا كتاب إلا هو لما له من الحفظ و الفضل بالإعجاز و الفصل ﴿ و الحكمة ﴾ أى النبوة التى ثمرتها العمل

١٠ المتقن بالعلم[8] المحرر المحكم ﴿ و اٰتينٰهم ﴾ مع ذلك ﴿ ملكا عظيما ﴾ أى[9] ضخما واسعا باقيا إلى أن تقوم الساعة ﴿ فمنهم ﴾ أى من آل إبراهيم ﴿ من اٰمن به ﴾ و هم أغلب العرب ﴿ و منهم من صد عنه[10] ﴾ أى أعرض بنفسه، و صد غيره كبنى إسرائيل و بعض العرب .

و لما كان قد علم من السياق أن الطاعن فيه ميت بحسده من غير

١٥ أن يضره بأمر دنيوى، و كان التقدير لبيان أمرهم فى الآخرة: فحكمنا أن تسعر بهم النار[10] بعد الذل فى هذه الدار و الهوان و الصغار، عطف

(١-١) فى ظ: لاعلى القرب - كذا (٢) فى الأصول: قال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الذين (٤) فى ظ: نعز - كذا (٥) فى ظ: كمالا (٦) من نص التوراة الوارد فى نظم الدرر ٢/١٧٤، و فى الأصول: يد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ: بالعمل (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: الناس .

عليه قوله: ﴿ و كفى بجهنم سعيرا ﴾ أى توقدا و التهابا فى غاية الإحراق و العسر و الإسراع إلى الأذى، و فى آية الطاغوت أنهم سمحوا ببدل الدين - و هو لا أعز منه عند الإنسان - فى شهادتهم للكفرة بالهداية، و فى آية الملك الإيماء إلى أنهم فى الحضيض من الشح بالخسيس الفانى، و فى آية الحسد أنه[1] لم يكفهم التوطن فى حضيض الشح بما أوتوا مع الغنى حتى سفلوا[2] عنه إلى أدنى من ذلك بالحسد لمن آتاه الله ما لا ينقصهم.

و لما أثبت لمن صد عنه النار علله بقوله: ﴿ ان الذين كفروا بآيتنا ﴾ أى ستروا ما[3] أظهرته عقولهم بسببها ﴿ سوف نصليهم ﴾ أى [4]بوعيد ثابت و إن طال معه الإمهال[4] ﴿ نارا[4] ﴾ و لما كانت النار - على ما نعهده[5] - مفنية[6] ماحقة، استأنف قوله ردا لذلك[7]: ﴿ كلما نضجت جلودهم ﴾ [8]أى صارت[8] بحرّها[9] إلى حالة اللحم النضيج الذى [8]أدرك أن يؤكل، فصارت كاللحم الميت الذى[8] يكون فى الجرح، فلا يحس[10] بالألم ﴿ بدلنهم ﴾ أى [11]جعلنا لهم[11] ﴿ جلودا غيرها ﴾ أى غير النضيجة بدلا منها بأن أعدناها إلى ما كانت عليه قبل تسليط النار عليها،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: سلفوا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لما.
(٤-٤) موضع ما بين الرقمين فى ظ «معنيه مامقه استانف قوله ردا لذلك» كذا، و سيأتى بعد «ما نعهده» (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يعهده (٦) فى ظ: خفيه - كذا (٧) زيد بعده فى الأصل: نارا، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٨-٨) سقط مابين الرقمين من ظ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: نحوها - كذا.
(١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: فلا يجبر - كذا (١١-١١) من ظ و مد، و فى الأصل: جعلناهم.

[كما إذا صُغتَ من خاتم خاتما على غير هيئته ، فانه[1] هو الأول لأن الفضة واحدة ، و هو غيره لأن الهيئة متغايرة ، و هكذا الجلد الثانى مغاير للنضيج فى الهيئة - [2]] ﴿ ليذوقوا ﴾ [أى أصحاب الجلود المقصودون بالعذاب - [2]] ﴿ العذاب [1] ﴾ أى ليدوم لهم تجدد ذوقه ، فتجدد[3] لهم مشاهده الإعادة بعد البلى[4] كل وقت ، كما كانوا يجددون التكذيب بذلك كل وقت ، ليكون الجزاء من جنس العمل ، [فانه لو لم يُعِدْ منهم ما وَهِيَ لأداه وهيُه إلى البلى[5] ، و لو بلى منهم شىء لبلوا كلهم فانقطع عذابهم - [2]] .

و لما كان هذا أمرا[5] لم يعهد مثله ، دل على قدرته عليه[6] بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ كان ﴾ و لم يزل ﴿ عزيزا ﴾ أى يغلب كل [شىء - [2]] و لا يغلبه شىء ﴿ حكيما ﴾ أى يتقن صنعه ، فجعل عذابهم على قدر ذنوبهم ، لأن عزائمهم[7] كانت على دوامهم على ما استحقوا به ذلك ما بقوا .

و لما ذكر الترهيب بعقاب الكافرين أتبعه الترغيب بثواب المؤمنين فقال : ﴿ و الذين امنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان ﴿ و عملوا ﴾ بيانا لصدقهم فيه ﴿ الصلحت سندخلهم ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ، و ربما أفهم التنفيس[8] لهم بالسين دون سوف - كما فى الكافرين - أنهم أقصر الأمم

(١) فى ظ و مد : فان (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) فى ظ و مد : فيتجدد (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها . (٥) سقط من ظ (٦) زيد بعده فى ظ : بقدرته (٧) فى ظ : عذابهم (٨) من ظ و مد - أى الإمهال ، و فى الأصل : التعيس .

مدة ، أو[1] أنهم أقصرهم أعمارا إراحة[2] لهم من دار الكدر إلى محل الصفاء ، [و أنهم يدخلون الجنة قبل جميع الفرق الناجية من أهل الموقف ـ[3]] ﴿ جنت ﴾ أى بساتين ، و وصفها بما يديم بهجتها و يعظم نضرتها و زهرتها فقال : ﴿ تجرى من تحتها الانهر ﴾ أى ان أرضها فى غاية الرىّ ، كل موضع منها صالح لأن تجرى منه نهر . ٥

و لما ذكر قيامها و ما به دوامها ، أتبعه ما تهواه النفوس من استمرار الإقامة بها فقال[4] : ﴿ خلدين فيها ابدا[5] ﴾ .

و لما وصف حسن الدار ذكر حسن الجار فقال : ﴿ لهم فيها ازواج ﴾ [و المطرد فى وصف جمع[6] القلة لمن يفضل الألف و التاء[6] ، فعدل هنا[7] عن ذلك إلى الوحدة لإفهام أنهن لشدة الموافقة فى الطهر ١٠ كذات واحد[8] فقيل ـ ٣] : ﴿ مطهرة[9] ﴾ أى متكرر طهرها ، لا توجد وقتا ما على غير ذلك . و لما كانت الجنان فى الدنيا لا تحسن[9] إلا بتمكن الشمس[10] منها ، و كانت الشمس تنسخ الظل فتخرج[11] إلى التحول إلى مكان آخر ، و ربما آذى حرها ، أمّن من ذلك فيها بقوله : ﴿ و ندخلهم ﴾ أى فيها / ﴿ ظلا ﴾ [أى عظيما ، و أكده[12] بقوله ـ[3]] : ﴿ ظليلا ﴾ ١٥ / ٤٨٨

(١) فى ظ « و » (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : رادة ـ كذا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٤) فى ظ : قال (٥) فى ظ : جميع (٦) فى ظ : الباء . (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : واحدة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يحسن . (١٠) فى ظ : الشىء (١١) فى ظ : فيخرج (١٢) من مد ، و فى ظ : اكدها .

أى [متصلا لا فرج[1] فيه ، منبسطا لا ضيق معه دائما -[2]] لا تصيبه[3] الشمس يوما [ما -[4]] ، و [لا حر فيه و لا برد ، بل هو فى غاية الاعتدال[5] .

و لما -[2]] تقدم فى هذه السورة الأمر بالإحسان و العدل فى النساء و[6] اليتامى فى الإرث و غيره ، و فى غير ذلك من الدماء و الأموال و الأقوال و الأفعال ، و ذكر خيانة[7] أهل الكتاب و ما أحل بهم لذلك من العقاب ، و ذكر أنه آتى هذه الأمة الملك المقتضى للحكم ، و آتاهم الحكمة بعد جهلهم و ضعفهم ؛ أقبل عليهم بلذيذ[8] خطابه بعد ما وعدهم على امتثال أمره من كريم ثوابه[9] بما ختمه بالظل الموعود على العدل [فى حديث « سبعة يظلهم الله فى ظله » -[2]] فقال : ﴿ ان الله ﴾ [أى الذى له صفات الكمال -[2]] ﴿ يامركم ﴾ أى أيتها[10] الأمة ! ﴿ ان تؤدوا الامٰنٰت الىٰٓ اهلها ﴾ أى من غير خيانة[11] ما ، كما فعل أهل الكتاب [فى كتمان ما عندهم و الإخبار بغيره ، و الأمانة : كل ما وجب لغيرك عليك .

و لما أمر بما يحق للانسان فى نفسه ، أمر بما يحق له فى معاملة غيره -[2]] ،

---

(١) فى ظ : فرخ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تقلبه (٤) زيد من مد (٥) فى ظ : الاعتداد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : جناية (٨) فى ظ : بلين (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقراية - كذا (١٠) فى ظ : ايها (١١) فى مد : جناية -

و حقق لهم[1] ما لم يكونوا يرومونه[2] من أمر الملك بقوله بأداة القطع [عاطفا شيئين على شيئين -[3]] : ﴿ و اذا حكمتم ﴾ و بين عموم ملكهم لسائر[4] الأمم بقوله : ﴿ بين الناس ﴾ [و بين المأمور به بقوله -[5]] : ﴿ ان تحكموا بالعدل[5] ﴾ أى [السواء بأن تأمروا من وجب عليه حق بأدائه إلى من هو له -[5]] ، فان ذلك من أعظم الصالحات الموجبة ٥ لحسن المقيل فى الظل[6] الظليل ، أخرج الشيخان و غيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال « سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل » الحديث .

و لما أخبرهم بأمره[7] زادهم رغبة[8] بقوله : ﴿ ان الله ﴾ [9] معبرا أيضا بالاسم الأعظم ﴿ نعما ﴾ [أى نعم شيئا عظيما -[10]] ﴿ يعظكم به[5] ﴾ . ١٠ و حثهم على المبادرة إلى حسن الامتثال بقوله : ﴿ ان الله ﴾ مكررا لهذا الاسم الشريف [ليجتهدوا فى الترقى فى طهارة الأخلاق إلى حد لم يبلغه غيرهم . و لما كان الرقيب فى الأمانات لا بد له من[11] أن يكون له من يد سمع و علم قال -[5]] : ﴿ كان ﴾ [أى و لم يزل[12] و لا يزال -[5]]

(١) فى ظ : له (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يرمونه (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد ، و موضعه فى ظ : سين على سين - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ساير (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بامرهم (٨) سقط من ظ . (٩) العبارة من هنا إلى "ان الله" سقطت من ظ (١٠) زيد ما بين الحاجزين من مد (١١) سقط من مد (١٢) فى ظ : لم تزل .

﴿ سميعا ﴾ أى بالغ السمع لكل ما يقولونه جوابا لأمره و غير ذلك ﴿ بصيرا ﴾ أى بالغ البصر و العلم بكل ما يفعلونه فى ذلك و غيره من امتثال و غيره .

و لما أمر سبحانه بالعدل و رغب فيه[1]، و رهب من تركه[2]، أمر بطاعة المنتصبين لذلك[3] الحاملة لهم على الرفق بهم و الشفقة عليهم فقال: ﴿ يآيها الذين آمنوآ ﴾ أى أقروا بالإيمان ، و بدأ بما هو العمدة فى الحمل على ذلك فقال: ﴿ اطيعوا ﴾ أى [بموافقة الأمر - [4]] تصديقا لدعواكم الإيمان[5] ﴿ الله ﴾ أى [فيما أمركم به فى كتابه - [4]] مستحضرين ما له من الأسماء الحسنى ، و عظم رتبة نبيه صلى الله عليه و سلم باعادة العامل فقال: ﴿ و اطيعوا الرسول ﴾ [فيما حده لكم فى سنته عن الله و[6] بينه من[6] كتابه - [4]] لأن منصب[7] الرسالة مقتض[8] لذلك ، و لهذا[9] عبر به دون النبى ﴿ و اولى الامر منكم ج ﴾ أى الحكام ، فان طاعتهم [فيما لم يكن معصية - كما أشير إلى ذلك بعدم إعادة العامل - [4]] من طاعة رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و طاعته من طاعة الله عز و جل ؛ [و العلماء من أولى الأمر أيضا ، و هم العاملون فانهم يأمرون بأمر الله و رسوله

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تركه . (٣) فى ظ : كذلك (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) زيد بعده فى الأصل : ايكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦-٦) فى ظ : نبيه و - كذا (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : تنصيب (٨) من مد ، و فى الأصل : مقض ، و فى ظ : مقتضى (٩) فى ظ : كذا ، و فى مد : لذا .

صلى

صلى الله عليه و سلم .

و لما أبان هذا الحكم[1] الأصول الثلاثة أتبعها القياس ، فسبب عما تقديره : هذا - [2]] فى الأمور البينة [من الكتاب و السنة و التى وقع الإجماع[3] عليها ، قوله - [2]] : ﴿ فان تنازعتم فى شىء ﴾ أى لإلباسه [فاختلفت فيه آراؤكم - [2]] ﴿ فردوه الى الله ﴾ [أى المحيط علما و قدرة بالتضرع بين يديه بما شرعه لكم من الدعاء و العبادة ، ليفتح لكم ما أغلق منه و يهديكم إلى الحق منه - [2]] ﴿ و الرسول ﴾ أى [الكامل الرسالة - [2]] بالبحث عن آثار رسالته من نص [فى ذلك بعينه - [2]] أو[4] أولى قياس ، [و دلت الآية على ترتيب الأصول الأربعة على ما هو فيها و على إبطال ما سواها ، و علم من إفراده تعالى و جمع النبى صلى الله عليه و سلم مع أعلام أمته أن الأدب توحيد الله حتى فى مجرد ذكره - [2]] ، و أكد البيان لدعوى الطاعة بقوله : ﴿ ان كنتم تؤمنون ﴾ أى دائمين على الإيمان بتجديده[5] فى كل أوان ﴿ بالله ﴾ [أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له - [2]] ﴿ و اليوم الآخر[6] ﴾ الحامل على الطاعة الحاجز عن المعصية ، ثم دل على عظمة هذا الأمر[6] و عميم نفعه بقوله [مخصصا رسوله صلى الله عليه و سلم - [2]] : ﴿ ذلك ﴾ [أى الأمر العالى الرتبة - [2]] ﴿ خير ﴾ أى و غيره[7] شر ﴿ و احسن تاويلا ﴾ أى [عاقبة أو - [2]]

(١) ليس فى ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) فى ظ : الا - كذا (٤) فى ظ « و » (٥) فى ظ : بتجديد (٦) زيد بعده فى ظ : العظيم . (٧) فى ظ : غير .

ترجيعا [و ردا - [1]] من ردكم إلى ما يقتضيه قويم العقل من غير ملاحظة لآثار[2] الرسالة من الكتاب و السنة[3]، فان فى[3] الأحكام ما لا يستقل العقل بادراكه[4] إلا بمعونة الشرع ، [روى البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : نزلت هذه الآية "اطيعو الله" فى عبد الله ابن حذافة[5] بن قيس بن عدى [6]إذ بعثه[6] النبى صلى الله عليه و سلم فى سرية - يعنى فأمرهم أن يدخلوا فى النار - [1]] .

و لما كان التقدير - كما أفهمه آخر الآية [و - [1]] أشعر به أولها [بعد أن جمع الخلق على طاعته بالطريق الذى ذكره - [1]] : فمن أبى ذلك فليس بمؤمن ، دل عليه بقوله[3] معجبا[7] مخاطبا لأكمل الخلق الذى عرفه الله المنافقين فى لحن القول : ﴿ الم تر ﴾ و أشار إلى بعدهم عن على حضرته[8] بقوله : ﴿ الى الذين ﴾ و إلى كذبهم و دوام نفاقهم بقوله : ﴿ يزعمون انهم امنوا ﴾ [أى أوجدوا هذه الحقيقة و أوقعوها فى أنفسهم - [1]] ﴿ بما انزل اليك ﴾ [و دل على أن هذا الزاعم المنافق كان من أهل الكتاب قبل ادعاء الإسلام بقوله - [1]] : ﴿ و ما ﴾ أى و يزعمون أنهم آمنوا بما ﴿ انزل من قبلك ﴾ أى من التوراة و الإنجيل ، [قال الأصبهانى : و لا يستعمل - أى[3] الزعم - فى الأكثر

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الآثار (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بادراك (٥) فى ظ : حوابه - كذا (٦ - ٦) فى ظ : اذا بعثهم (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعجبا (٨) زيد فى ظ و مد : السماء .

إلا فى القول الذى لا يتحقق ، يقال : زعم فلان - إذا شك فيه فلم يعرف كذبه أو صدقه ، و المراد أن هؤلاء قالوا قولا هو عند من لا يعلم البواطن أهل لأن يشك فيه بدليل أنهم -[1]] ﴿ يريدون ان يتحاكموآ ﴾ أى هم و غرماؤكم ﴿ الى الطاغوت ﴾ أى إلى[2] الباطل المعرق فى البطلان ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنهم قد ﴿ امروآ ﴾ ممن له الأمر[3] ﴿ ان يكفروا به[4] ﴾ فى كل ما أنزل من كتابك و ما قبله ، [و متى تحاكموا إليه كانوا مؤمنين به كافرين بالله ، و هو معنى قوله -[1]] : ﴿ و يريد الشيطن ﴾ بارادتهم ذلك التحاكم ﴿ ان يضلهم ﴾ [أى بالتحاكم إليه -[1]] ﴿ ضلٰلا بعيدا ﴾ بحيث لا يمكنهم معه الرجوع إلى الهدى[4] . [و هذه الآية سبب تسمية عمر رضى الله عنه بالفاروق لضربه عنق منافق لم يرض بحكم رسول الله صلى الله عليه و سلم فى قصة ذكرها الثعلبى من رواية الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما -[1]] .

/ ٤٨٩

و لما ذكر ضلالهم[5] بالإرادة و رغبتهم فى التحاكم إلى الطاغوت ، ذكر فعلهم فيه فى نفرتهم عن[6] التحاكم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : ﴿ و اذا قيل لهم ﴾ أى من أى قائل كان ﴿ تعالوا ﴾ أى أقبلوا رافعين أنفسكم من وهاد الجهل إلى شرف العلم ﴿ الى مآ انزل الله ﴾

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) فى ظ : الاوامر (٤) زيد بعده فى الأصل : الهدى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اضلالهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من.

أى الذى عنده كل شىء ﴿ و الى الرسول ﴾ أى الذى تجب[1] طاعته لأجل مرسله مع أنه أكمل الرسل الذين هم أكمل الخلق رسالة، رأيتهم - هكذا[1] كان الأصل، و لكنه أظهر الوصف الذى دل على كذبهم فيما زعموه من الإيمان فقال: ﴿ رايت المنفقين يصدون ﴾ أى ٥ يعرضون ﴿ عنك ﴾ و أكد ذلك بقوله: ﴿ صدودا ج ﴾ أى هو فى أعلى طبقات الصدود.

و لما تسبب عن هذا تهديدهم، قال - مهولا لوعيدهم بالإبهام و التعجيب منه بالاستفهام، معلما بأنهم سيندمون حين لا ينفعهم الندم، و لا يغنى عنهم الاعتذار -: ﴿ فكيف ﴾ أى يكون حالهم ﴿ اذآ ١٠ اصابتهم[1] مصيبة ﴾ أى عقوبة هائلة ﴿ بما قدمت ايديهم ﴾ مما ذكرنا و من غيره[2]. و لما كان الذى ينبغى أن يكون تناقضهم بعيدا[3]، لأن الكذب عند العرب كان شديدا[4]؛ قال: ﴿ ثم جآءوك ﴾ أى خاضعين بما لينت[5] منهم تلك المصيبة حال كونهم ﴿ يحلفون صلى ق بالله ﴾ أى الحاوى لصفات الكمال من الجلال و الجمال غير مستحضرين لصفة من صفاته ١٥ ﴿ ان ﴾ أى [ما -[6]] ﴿ اردنآ ﴾ أى فى جميع أحوالنا و بسائر[7] أفعالنا ﴿ الآ احسانا و توفيقا ه ﴾ أى أن تكون[8] الأمور على الوجه الأحسن و الأوفق لما رأينا فى ذلك مما خفى على غيرنا - و قد كذبوا فى جميع ذلك.

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: غيرهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بعيد (٤) فى ظ: شديد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: لنت. (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ: سائرنا - كذا (٨) فى ظ: يكون.

و لما

و لما ذكر سبحانه و تعالى بعض ما يصدر منهم من التناقضات و هم غير محتشمين و لا هائبين، قال معلما بشأنهم معلما لما [1]يصنع بهم[1]: ﴿ اولٓئك ﴾ أى البعداء عن الخير ﴿ الذين يعلم الله ﴾ أى الحاوى لنعوت العظمة ﴿ ما فى قلوبهم ق ﴾ أى من شدة البغض للاسلام و أهله و إن اجتهدوا فى إخفائه عنه[2]، [ثم سبب -[3]] تعليما لما يصنع بهم ٥ و إعلاما بأنهم لا يضرون إلا أنفسهم قوله: ﴿ فاعرض عنهم ﴾ أى عن عقابهم و عن الخشية منهم و عن عتابهم، لأنهم أقل من أن يحسب[4] لهم حساب ﴿ و عظهم ﴾ أى و إن ظننت أن ذلك لا يؤثر، لأن القلوب بيد الله سبحانه و تعالى يصطنعها لما أراد متى أراد ﴿ و قل لهم فى انفسهم ﴾ أى بسببها و ما يشرح أحوالها و يبين[5] نقائصها من نفائسها، ١٠ أو خاليا معهم، فان ذلك أقرب إلى ترقيقهم ﴿ قولا بليغا ه ﴾ أى يكون فى غاية البلاغة فى حد ذاته.

و لما أمر بطاعة الرسول صلى الله عليه و سلم، و ذم من حاكم إلى غيره و هدده، و ختم تهديده بأمر النبى صلى الله عليه و سلم بالإعراض عنه و الوعظ له، فكان التقدير: فما أرسلناك و غيرك من الرسل إلا ١٥ للرفق بالأمة و الصفح عنهم و الدعاء لهم على غاية الجهد و النصيحة، عطف عليه قوله: ﴿ و مآ ارسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة، و دل على الإعراق فى الاستغراق بقوله: ﴿ من رسول ﴾ . و لما كان ما يؤتيهم

(١-١) فى ظ: يضع لهم - كذا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد، و وقع فى الأصل: يحب - كذا مصحفا (٥) فى ظ: يتبين.

سبحانه و تعالى من الآيات و يمنحهم به من المعجزات حاملا فى ذاته على الطاعة، شبهه بالحامل على إرساله فقال: ﴿ الا ليطاع ﴾ أى لأن[1] منصبه[2] الشريف مقتضٍ لذلك آمر به داعٍ إليه ﴿ باذن الله[1] ﴾ أى بعلم الملك الأعظم الذى له الإحاطة بكل شىء فى تمكينه من أن يطاع، لما جعلنا له من المزية بالصفات العظيمة[3] و المناصب الجليلة و الأخلاق الشريفة كما قال صلى الله عليه و سلم «ما من الأنبياء نبى إلا و[4] قد أوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر» أخرجه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه.

و لما كان التقدير: فلو أطاعوك / لكان خيرا لهم، عطف عليه /٤٩٠ قوله: ﴿ و لو انهم اذ ﴾ أى [حين ﴿ ظلموآ انفسهم ﴾ أى بالتحاكم إلى الطاغوت أو غيره ﴿ جآءوك ﴾ أى مبادرين ﴿ فاستغفروا الله ﴾ أى -[5]] عقبوا [6]مجيئهم بطلب المغفرة من الملك الأكرم[7] لما استحضروه له من الجلال ﴿ و استغفر لهم الرسول ﴾ أى ما فرطوا بعصيانه فيما استحقه عليهم من الطاعة ﴿ لوجدوا الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ توابا رحيما ﴾ أى بليغ التوبة على عبيده[8] و الرحمة، لإحاطته بجميع صفات الكمال، فقبل توبتهم و محا ذنوبهم و أكرمهم.

---

(١) زيد بعده فى ظ: من (٢) من ظ، و فى الأصل و مد: منصب (٣) فى ظ: العلية (٤) سقطت الواو من ظ و مد (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى «من الجلال» سقطت من ظ (٧) من مد، و فى الأصل: الاكرام (٨) فى ظ: غيره.

و لما أفهم ذلك أن إباءهم لقبول حكمه و الاعتراف بالذنب لديه سبب مانع لهم من الإيمان ، قال - مؤكدا للكلام غاية التأكيد بالقسم المؤكد لإثبات مضمونه و 'لا' النافية لنقيضه - : ﴿ فلا و ربك ﴾ أى المحسن إليك ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى يوجدون هذا الوصف و يجددونه ﴿ حتى يحكموك ﴾ أى يجعلوك حكما ﴿ فيما شجر ﴾ أى اختلط و اختلف ٥ ﴿ بينهم ﴾ من كلام بعضهم لبعض للتنازع حتى كانوا كأغصان الشجر فى التداخل و التضايق .

و لما كان الإذعان للحكم بما[1] يخالف الهوى فى غاية الشدة على النفس ، أشار[2] إليه بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا ﴾ أى نوعا من الضيق ﴿ مما قضيت ﴾ أى عليهم به ، و أكد ١٠ إسلامهم[3] لأنفسهم بصيغة التفعيل فقال : ﴿ و يسلموا ﴾ أى يوقعوا التسليم البليغ لكل ما[4] هو لهم من أنفسهم و غيرها لله و رسوله صلى الله عليه و سلم خالصا عن شوب كره ؛ ثم زاده تأكيدا بقوله : ﴿ تسليما ﴾ و فى الصحيح أن الآية نزلت فى الزبير و خصم له من الأنصار ، فلا التفات إلى من قال : إنه حاطب رضى الله تعالى عنه . ١٥

و لما كان التقدير : فقد كتبنا عليهم طاعتك و التسليم لك فى هذه الحنيفية السمحة التى دعوتهم إليها و حملتهم عليها ، عطف عليه قوله : ﴿ و لو انا كتبنا عليهم ﴾ أى هذا المخاصم للزبير رضى الله تعالى عنه

(١) فى ظ : كما (٢) فى ظ : اشارة (٣) فى ظ : سلامهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما .

و أشباه هذا المخاصم ممن ضعف إيمانه كتابة[1] مفروضة ﴿ ان اقتلوآ انفسكم ﴾ أى كما كان فى التوراة فى كفارة بعض الذنوب مباشرة حقيقة[2]، و كما فعل المهاجرون بتعريض أنفسهم لذلك ثلاث عشرة سنة ، [هم -[3]] فيها عند أعداء الله مضغة لحم بين يدى نسور يتخاطفونها ﴿ او اخرجوا ﴾ كما فعل المهاجرون - [4] رضى الله تعالى عنهم[4] - الذين الزبير من رؤوسهم ﴿ من دياركم ﴾ أى التى هى لأشباحكم كأشباحكم لأرواحكم - توبة لربكم ﴿ ما فعلوه ﴾ أى لقصور إيمانهم و ضعف إيقانهم ، و لو كتبناه عليهم و لم يرضوا به كفروا ، فاستحقوا [القتل -[3]] .

و لما كان كل كدر لا يخلو عن خلاصه، قال : ﴿ الا قليل منهم[5] ﴾ أى و هم [5] العالمون بأن الله سبحانه و تعالى خير[5] لهم من أنفسهم ، و أن حياتهم إنما هى فى طاعته[6] ؛ روى أن من هؤلاء ثابت بن قيس بن شماس[7] رضى الله تعالى عنه ، قال : أما و الله ! إن الله ليعلم منى الصدق. لو أمرنى محمد أن أقتل نفسى لقتلتها ! و كذا قال ابن مسعود و عمار بن ياسر رضى الله تعالى عنهما ، و روى عن[8] عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال : و الله لو أمرنا ربنا لفعلنا ! و الحمد لله الذى لم يفعل بنا ذلك . و لا ريب فى أن التقدير : و لكنا لم نكتب عليهم فليشكروا لنا و يستمسكوا[9]

(١) فى ظ : باية - كذا (٢) فى ظ : حقيقية (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥-٥) فى ظ : العاملون بالله تعالى خيرا - كذا . (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) من ظ و مد و تهذيب التهذيب ، و وقع فى الأصل : شهاب - مصحفا (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : تستمسكوا .

بهذه الحنيفية السمحة .

و لما كان مبنى السورة على الائتلاف و كان السياق للاستعطاف[1]، قال مرغبا: ﴿ و لو انهم ﴾ أى هؤلاء المنافقين ﴿ فعلوا ما يوعظون ﴾ أى يجدد لهم الوعظ فى كل حين ﴿ به لكان ﴾ أى[2] فعلهم ذلك ﴿ خيرا لهم ﴾ أى مما اختاروه لأنفسهم ﴿ و اشد تثبيتا ﴾ أى مما ثبتوا[3] به أنفسهم بالأيمان الحانثة[4] ﴿ و اذا لاتيناهم ﴾ أى و إذا فعلوا ما يوعظون به[1] آتيناهم بما لنا من العظمة إيتاء مؤكدا لا مرية فيه . و أشار بقوله: ﴿ من لدنا ﴾ إلى أنه من غرائب ما[5] عنده من خوارق خوارق[1] العادات و نواقض نواقض[1] المطردات[6] ﴿ اجرا عظيما ﴾ و لهديناهم ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ صراطا مستقيما ﴾ أى يوصلهم / إلى مرادهم، ١٠ / ٤٩١ و قد عظم سبحانه و تعالى هذا الأجر ترغيبا فى الطاعة أنواعا من العظمة[7]، منها التنبيه بـ 'اذا' و الإتيان بصيغة العظمة و 'لدن' مع العظمة و الوصف بالعظيم .

و لما رغب فى العمل بمواعظه، و كان الوعد[8] قد يكون لغلظ فى الموعوظ[9]، و كان ما[1] قدمه فى وعظه أمرا مجملا، رغب بعد ترقيقه بالوعظ[10] فى مطلق الطاعة التى المقام كله لها، مفصلا [11]إجمال ما وعد[11]

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : يجدد (٣) فى ظ : اثبتوا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : الجائية (٥) فى ظ : كما (٦) فى ظ : المطرودات (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : العظيمة (٨) فى ظ : الوعظ (٩) فى ظ : الواعظ . (١٠) زيد بعده فى الأصول: رغب (١١ - ١١) فى ظ : اجمالا ما وعى .

عليها فقال: ﴿ و من يطع الله ﴾ أى فى امتثال أوامره و الوقوف عند زواجره مستحضرا عظمته - طاعة هى على سبيل التجدد و الاستمرار ﴿ و الرسول ﴾ أى فى كل ما أراده[1] ، فان منصب الرسالة يقتضى ذلك ، لا سيما من بلغ نهايتها ﴿ فاولئك ﴾ [أى -[2]] العالو[3] الرتبة العظيمو الشرف ﴿ مع الذين انعم الله[3] ﴾ أى بما له من صفات الجلال و الجمال ﴿ عليهم ﴾ أى معدود من حزبهم[4] ، فهو بحيث إذا أراد زيارتهم أو رؤيتهم وصل إليها بسهولة ، لا أنه يلزم أن يكون فى درجاتهم و إن كانت أعماله قاصرة . ثم بينهم بقوله: ﴿ من النبيّن ﴾ أى الذين أنبأهم الله بدقائق الحكم ، و أنبأوا[5] الناس بجلائل الكلم ، بما لهم من طهارة الشيم و العلو و العظم ﴿ و الصديقين ﴾ أى الذين صدقوا أول الناس ملا[6] أتاهم عن الله و صدقوا هم فى أقوالهم و أفعالهم ، فكانوا قدوة لمن بعدهم ﴿ و الشهدآء ﴾ أى الذين لم يغيبوا أصلا[7] عن حضرات القدس و مواطن الأنس طرفة عين ، بل هم مع الناس بجسومهم و مع الله سبحانه و تعالى بحلومهم [و علومهم -[8]] سواء شهدوا لدين الله بالحق ، و لسواه بالبطلان بالحجة أو[9] بالسيف ، ثم قتلوا فى سبيل[10] الله ﴿ والصلحين ﴾ أى الذين لا يعتريهم فى ظاهر و لا باطن بحول الله فساد أصلا ، و إلى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ارادة (٢) زيد من مد (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : حزنهم - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : انبساط - كذا .
(٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٧) فى ظ : ابدا (٨) زيد من ظ و مد .
(٩) من ظ ، و فى الأصل و مد : لو (١٠) سقط من ظ و مد .

هذا يشير كلام العارف الشيخ رسلان[1] [حيث -[2]] قال : ما صلحت ما دامت فيك بقية لسواه . و قد تجتمع[3] الصفات الأربع فى شخص و قد لا تجتمع ، و أبو بكر رضى الله تعالى عنه أحق الأمة بالصديقية و إن قلنا : إن عليا و زيدا رضى الله تعالى عنهما أسلما قبله ، لأنه - [4] لكبره و كونه[4] لم يكن قبل الإسلام تابعا للنبى صلى الله عليه و سلم - كان قدوة ٥ لغيره ، و لذلك كان سببا [لإسلام -[2]] ناس[5] كثير و أولئك كانوا سببا لإسلام غيرهم ، فكان له مثل أجر الكل ، و كان فيه حين إسلامه قوة الجهاد فى الله سبحانه و تعالى بالمدافعة عن النبى صلى الله عليه و سلم - و غير ذلك من الأفعال الدالة على صدقه ، و لملاحظة هذه الأمور كانت رتبتها تلى رتبة النبوة ، و لرفع[6] الواسطة بينهما وفق[7] الله سبحانه ١٠ و تعالى هذه الأمة التى اختارها بتولية الصديق رضى الله تعالى عنه بعد نبيهم صلى الله عليه و سلم و دفنه إلى جانبه ، و من عظيم رتبتهم تنويه[8] النبى صلى الله عليه و سلم فى آخر عمره بهم فقال « مع الرفيق الأعلى » ، روى البخارى فى التفسير عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت : سمعت النبى صلى الله عليه و سلم يقول « ما من نبى يمرض إلا خير بين الدنيا ١٥

(١) من مد و الأعلام للزركلى ، و فى الأصل : مرسلان ، و فى ظ : زسلان - كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجتمع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكونه و كبره (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لناس (٦) فى ظ : رفع (٧) فى ظ : قوة (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثبوته .

و الآخرة » ، و كان فى شكواه الذى قبض فيه أخذته بحة[1] شديدة ، فسمعته يقول " مع الذين انعم الله عليهم من النبيّن و الصديقين و الشهداء و الصلحين " فعلمت أنه خُيّر .

و لما أخبر أن المطيع مع هؤلاء ، لم يكتف[2] بما أفهم ذكرهم من جلالهم و جلال من معهم ، بل زاد فى بيان علو مقامهم و مقام كل من معهم بقوله : ﴿ و حسن ﴾ أى و ما أحسن ﴿ اولٓئك ﴾ أى العالو الأخلاق السابقون يوم السباق ﴿ رفيقا ﴾ من الرفق ، و هو لغة : لين الجانب و لطافة الفعل ، و هو مما يستوى واحده[3] و جمعه . ثم أشار إلى تعظيم ما منحهم به مرغبا فى العمل بما[4] يؤدى إليه بأداة البعد فقال : ﴿ ذلك الفضل ﴾ و زاد فى الترغيب فيه بالإخبار عن هذا الابتداء [بالاسم - [5]] الأعظم فقال : ﴿ من الله ﴾ .

و لما كان مدار التفضيل على العلم ، قال - بانيا[6] / على ما تقديره : لما يعلم من صحة بواطنهم اللازم منها شرف ظواهرهم - : ﴿ و كفى بالله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ عليما ﴾ يعلم من [7] الظواهر و الضمائر[7] ما يستحق به التفضيل[8] مَنْ فضله على غيره . /٤٩٢

و لما دل على درجة الشهادة بعد ما ذكر من ثواب من قبل موعظته

(١) أى خشونة و غلظ فى الصوت ، و فى ظ : بعد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يكن (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : واحدة (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ : ثانيا (٧-٧) فى ظ و مد : الضماير و الظواهر (٨) فى ظ : التفضل .

و لو

و لو فى قتل نفسه ، و ذم من أبى ذلك بعد ما حذر من الأعداء من أهل الكتاب و المشركين و المنافقين المخادعين ، فتوفرت دواعى الراغبين فى المكارم على ارتقابها[1] ؛ التفت إلى المؤمنين ملتذا لهم بحسن[2] خطابه[3] نادبا إلى الجهاد مع الإرشاد إلى الاستعداد له[4] مما يروع[4] الأضداد ، فقال سبحانه و تعالى - منبها بأداة البعد و صيغة المضى إلى أن الراسخ لا ينبغى ٥ له أن يحتاج إلى تنبيه على مثل هذا - : ﴿ يآيها الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان .

و لما كان سبحانه و تعالى قد خلق للانسان عقلا يحمله على التيقظ و التحرز[5] من الخوف ، فكان[6] كالآلة له[6] ، و كان - لما عنده من السهو و النسيان فى غالب الأوقات - مهملا له ، فكان كأنه قد ترك آلة[7] ١٠ كانت منه ؛ قال سبحانه و تعالى : ﴿ خذوا حذركم ﴾ أى من الأعداء الذين[8] ذكرتهم لكم و حذرتكم منهم : المشاقين[9] منهم و المنافقين[10] ﴿ فانفروا ﴾ أى اخرجوا تصديقا لما ادعيتم إلى جهادهم مسرعين ﴿ ثبات ﴾ أى جماعات متفرقين سرية فى إثر سرية ، لا تملوا ذلك أصلا[10] ﴿ او انفروا جميعا ﴾ أى عسكرا واحدا ، و لا تخاذلوا[11] تهلكوا ، فكأنه قال : خففت ١٥

(١) فى ظ : ارتهابها (٢) فى ظ : حسن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : خطابة .
(٤-٤) فى ظ : من يردع (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : التحرر (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كالادلة - كذا (٧) فى ظ : اله (٨) فى ظ : الذى .
(٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : المسافقين (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ : لا تجادلوا .

عنكم قتل الأنفس على الصفة التى كتبتها عـــلى من قبلكم ، و لم آمركم [إلا -[1]] بما تألفونه [و تتمادحون به -[2]] فيما بينكم و تذمون تاركه ، من موارد القتال ، الذى[3] هو مناهج الأبطال ، و مشارع فحول الرجال ، و جعلت للباقى منكم المحبوبين من الظفر و حل[4] المغنم ، و للماضى أحب المحبوب ، و هو الدرجة التى ما بعدها إلا درجة النبوة ، مع أنه لم ينقص من أجله شيء ، و لو لم يقتل فى ذلك السبيل المرضى لقتل[5] فى غيره فى ذلك الوقت .

و لما كان التقدير : فان منكم الخارج إلى الجهاد عن غير حزم و لا حذر ، عطف عليه قوله - مبينا لما هو من أجلّ مقاصد هذه الآيات من تبكيت[6] المنافقين للتحذير منهم ، و وصفهم ببعض ما يخفون ، مؤكدا لأن كل من ادعى الإيمان ينكر أن يكون كذلك - : ﴿ و ان منكم ﴾ أى يا أيها الذين آمنوا و عزتنا[7] ﴿ لمن ليبطئن ج ﴾ [8]أى يتثاقل[8] فى نفسه عن الجهاد لضعفه فى الإيمان أو نفاقه ، و يأمر غيره بذلك أمرا مؤكدا إظهارا للشفقة عليكم و هو عين الغش[9] فانـــه يثمر الضعف المؤدى إلى جرأة العدو المفضى إلى التلاشى .

و لما كان لمن يتثاقل عنهم حالتا نصر و كسر[10] ، سبب عن تثاقله[11]

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : التى (٤) فى ظ : على .
(٥) فى ظ : للقتل (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تنكيب (٧) فى ظ : غربت - كذا (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : النفس (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : كب - كذا (١١) فى ظ : تشاقله .

مقسما لقوله[1] فيهما: ﴿ فان اصابتكم مصيبة ﴾ أى فى وجهكم الذى قعدوا عنه ﴿ قال ﴾ ذلك القاعد جهلا منه و غلظة ﴿ قد انعم الله ﴾ أى الملك الأعظم، ذاكرا لهذا الاسم غيرَ عارف بمعناه ﴿ علىّ اذ ﴾ أى حين، أو لأنى[2] ﴿ لم اكن معهم شهيدا ٥ ﴾ أى حاضرا، و يجوز أن يريد الشهيد الشرعى، و يكون إطلاقه من باب التنزل، فكأنه يقول: هـذا الذى ٥ هو أعلى ما عندهم أعدُّ فواته منى نعمة عظيمة ﴿ و لئن اصابكم فضل ﴾ أى فتح[2] و ظفر و غنيمة ﴿ من الله ﴾ أى الملك الأعـلى الذى كل شىء بيده.

و لما كان تحسره إنما هو على فوات الأغراض الدنيويـة أكد قوله: ﴿ ليقولن ﴾ أى فى غيبتكم، و اعـترض بين القول و مقوله[3] ١٠ تأكيدا لذمهم بقوله: ﴿ كان ﴾ أى كأنه ﴿ لم ﴾ أى مشبها حاله حال من [لم ـ[4]] ﴿ يكن[5] بينكم و بينه مودة ﴾ أى بسبب قوله: ﴿ يٰليتنى كنت معهم فافوز ﴾ أى بمشاركتهم فى ذلك ﴿ فوزا عظيما ٥ ﴾ و ذلك لأنه لو كان ذا مودة لقال حال المصيبة: يا ليتها لم تصبهم[6]! و لو كنت معهم لدافعت عنهم! و حال الظفر: لقد سرنى عزهم، و لكنه لم يجعل ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لقول (٢) سقط من ظ (٣) من مد، و فى الأصل: مقولة، و فى ظ: مقولهم (٤) زيد من ظ و مد (٥) قرأ ابن كثير و حفص عن عاصم و رويس عن يعقوب بالتاء الفوقانية لتأنيث لفظ المودة ـ كما هى فى مصاحفنا المتداولة؛ و قرأ الباقون بالياء للفصل و لأنها بمعنى الود. (٦) من مد، و فى الأصل: لم نصبهم، و فى ظ: لم نصيم ـ كذا.

محط همه فى كلتا الحالتين غير المطلوب الدنيوى ، و لعله خص الحالة الثانية بالتشبيه لأن ما نسب إليه فيها / لا يقتصر عليه محب ، و أما الحالة الأولى فربما اقتصر المحب فيها على ذلك قصدا للبقاء لأخذ الثأر[1] و نكال الكفار ، و ذكر المودة لأن المنافقين كانوا يبالغون فى إظهار الود ٥ و الشفقة و النصيحة للمؤمنين . /٤٩٣

و لما بين أن محط حال القاعد عن الجهاد الدنيا ، علم أن قصد المجاهد الآخرة ، فسبب عن ذلك قوله : ﴿ فليقاتل فى سبيل الله ﴾ أى بسبب تسهيل طريق الملك الذى له الأمر كله و حفظ الناس عليه ﴿ الذين يشرون ﴾ أى يبيعون[2] برغبة و لجاجة و هم المؤمنون ، أو يأخذون ١٠ و هم المنافقون - استعمالا للمشترك[3] فى مدلوليه[4] ﴿ الحيوة الدنيا ﴾ فيتركونها ﴿ بالأخرة[5] ﴾ .

و لما كان التقدير : فانه من قعد عن الجهاد فقد رضى فى الآخرة بالدنيا ، عطف عليه قوله : ﴿ و من يقاتل فى سبيل الله ﴾ أى فيريد إعلاء كلمة الملك المحيط بصفات *الجمال و الجلال* ﴿ فيقتل ﴾ أى ١٥ فى ذلك الوجه و هو على تلك النية بعد أن يغلب القضاء و القدر على نفسه ﴿ او يغلب ﴾ أى الكفار فيسلم ﴿ فسوف نؤتيه[6] ﴾ أى بوعد لا خلف فيه بما لنا من العظمة المحيطة بالخير و الشر ، و الآية من الاحتباك :

(١) فى الأصول : النار (٢) فى ظ : يبغون (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : للمشترى (٤) من ظ ، و فى الأصل و مد : مدلوله (٥-٥) فى ظ و مد : الجلال و الجمال (٦) فى ظ : يؤتيه .

ذكرُ القتل أولا دليل على السلامة ثانيا، و ذكر الغالبية ثانيا دليل على المغلوبية أولا ؛ و ربما دل التعبير بسوف على طول عمر المجاهد غالبا - خلافا لما يتوهمه كثير من الناس - إعلاما بأن المدار على فعل الفاعل المختار، لا على الأسباب ﴿ اجرا عظيما ﴾ أى فى الدارين على اجتهاده[1] فى إعزاز[2] دين الله سبحانه و تعالى، و اقتصاره على هذين القسمين حث على الثبات و لو كان العدو أكثر من الضعف " فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة[3] " " و الله يؤيد بنصره من يشاء[4] " " و الله مع الصبرين[3] ".

و لما كان التقدير: فما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله لهذا الأجر الكثير ممن لا يخلف الميعاد، و كانوا يقولون[5]: إنا لا نعطى الميراث إلا لمن يحمى الذمار، و يذب عن الجار، و يمنع الحوزة؛ قال عاطفا على هذا المقدر[6] ملهبا لهم و [7]مهيجا، و مبكتا[7] للقاعدين و موبخا: ﴿ و ما ﴾ أى و أى شىء ﴿ لكم ﴾ من دنيا أو آخرة حال كونكم ﴿ لا تقاتلون ﴾ أى تجددون القتال فى كل وقت، لا تملونه ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى بسبب تسهيل طريق الملك الذى له العظمة الكاملة و الغنى المطلق و بسبب خلاص ﴿ و[8] المستضعفين ﴾ أى[9] المطلوب من الكفار ضعفهم حتى صار موجودا، و يجوز - و هو أقعد - أن يكون منصوبا

(١) فى ظ: اجهاده (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اعذار (٣) اقتباس من سورة ٢ آية ٢٤٩ (٤) سورة ٣ آية ١٣ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يقولون (٦) من مد، و فى الأصل: المقدار، و فى ظ: مقدرِ (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يهيجا و بكيا - كذا (٨) سقط من مد (٩) سقط من ظ.

على الاختصاص تنبيها على أنه من أجلّ ما فى[1] سبيل الله .

و لما [كان -[2]] الإنكاء من هذا ما لمن كان رجاء نفعه أعظم[3] ، ثم ما لمن يكون العار به أقوى و أحكم ؛ رتبهم هذا الترتيب فقال : ﴿ من الرجال و النسآء و الولدان ﴾ أى المسلمين الذين[4] حبسهم الكفار عن الهجرة ، و كانوا[5] يعذبونهم و يفتنونهم عن دينهم[6] ، و كل منهما كافٍ فى بعث ذوى الهمم العالية و المكارم على القتال . ثم وصفهم بما يهيج إلى نصرهم و يحث[7] على غيائهم فقال : ﴿ الذين يقولون ﴾ أى لا يفترون ﴿ ربنآ ﴾ أى أيها المحسن إلينا باخراجنا من الظلمات إلى النور ﴿ اخرجنا من هذه القرية ﴾ ثم وصفوها بالحامل على هذا الدعاء فقالوا : ﴿ الظالم اهلها ج ﴾ أى بما تيسره لنا من الأسباب ﴿ و اجعل لنا من لدنك ﴾ أى من أمورك العجيبة فى الأمور الخارقة للعادات ﴿ وليا ج ﴾ يتولى مصالحنا .

و لما كان الولى قد لا يكون فيه قوة النصر قالوا : ﴿ و اجعل لنا ﴾ و لما كانوا يريدون[8] أن يأتيهم خوارق [كرروا قولهم[8] : ﴿ من لدنك نصيرا ﴾] أى بليغ النصر إلى حد تعجب منه المعتادون -[9]] للخوارق ، [10]فكان بهذا الكلام[10] كأنه سبحانه و تعالى [قال -[9]] : قد جعلت لكم

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل و مد : عظم - كذا (٤) فى ظ و مد : فكانوا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : دينه (٦) فى ظ : يجب - كذا (٧) فى ظ : يريد (٨) فى ظ : قوله (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ ، مد (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

الحظ الأوفر من الميراث، فما لكم لا تقاتلون فى سبيلى[1] شكرا لنعمتى!
و أين ما تدّعون من الحمية و الحماية! ما لكم لا تقاتلون[2] / فى نصر هؤلاء ٤٩٤ /
الضعفاء لتحقق[3] حمايتكم للذمار[4] و منعكم للحوزة و ذبكم عن الجار!

و لما أخبر عن افتقارهم إلى الأنصار و تظلمهم[5] من الكفار، استأنف[6] الإخبار عن الفريقين فقال مؤكدا للترغيب فى الجهاد: ﴿ الذين ٥
امنوا ﴾ أى صدقوا فى دعواهم الإيمان ﴿ يقاتلون ﴾ أى تصديقا لدعواهم من غير فترة أصلا ﴿ فى سبيل الله ج ﴾ أى الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال قاصدين وجهه [7]بحماية الذمار[7] و غيره، و أما من لم يصدق دعواه بهذا فما[8] آمن ﴿ و الذين كفروا يقاتلون ﴾ أى كذلك ﴿ فى سبيل الطاغوت ﴾ فلا ولى لهم و لا ناصر. ١٠

و لما كان الطاغوت الشيطان أو من زينه[9] الشيطان، و كان كل من عصى الله منه و[10] ممن أغواه حقيرا؛ سبب عن ذلك قوله: ﴿ فقاتلوآ اولياء الشيطن ج ﴾ ثم علل الجرأة عليهم بقوله: ﴿ ان كيد الشيطن ﴾ أى الذى هو رأس العصاة ﴿ كان ﴾ جبلة و طبعا ﴿ ضعيفا ع ﴾.

و لما عرفهم هذه المفاوز الأخروية و المفاخر الدنيوية، و ختم بما ١٥

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: سبيل الله (٢) زيد بعده فى ظ: فى سبيل الله.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ليتحقق (٤) فى ظ: للدما - كذا (٥) فى ظ: يظلمهم (٦) زيدت الواو قبله فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها.
(٧-٧) فى ظ: لحماية الدما - كذا (٨) فى ظ: فهل (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: رينة (١٠) فى ظ: او.

ينهض الجبان[١]، و يقوى الجنان، و رغبهم بما شوق إليه من نعيم الجنان؛ عجب من حال من توانى بعد ذلك و استكان، فقال تعالى مقبلا بالخطاب على [٢]أعبد خلقه[٢] له[٣] و أطوعهم لأمره: ﴿ الم تر ﴾ و أشار إلى أنهم بمحل بعد عن[٣] حضرته تنهيضا[٤] لهم بقوله: ﴿ الى الذين قيل لهم ﴾ أى جوابا لقولهم: إنا نريد أن نبسط[٥] أيدينا إلى الكفار بالقتال لأن امتحاننا[٦] بهم قد طال ﴿ كفوآ ايديكم ﴾ أى و لا تبسطوها إليهم[٧] فانا لم نأمر بهذا ﴿ و اقيموا الصلوٰة ﴾ أى صلة بالخالق[٨] و[٣] استنصارا[٩] على المشاقق[١٠] ﴿ و اٰتوا الزكوٰة ج ﴾ منماة للمال و طهرة للأخلاق و صلة للخلائق ﴿ فلما كتب عليهم القتال ﴾ أى الذى طلبوه و هم يؤمرون بالصفح، كتابة[٣] لا تنفك[١١] إلى آخر الدهر ﴿ اذا فريق منهم ﴾ أى ناس تلزم[١٢] عن فعلهم الفرقة، فأحبوا[١٣] هذا الكتب بأنهم ﴿ يخشون الناس ﴾ أى الذين هم مثلهم، أن يضروهم[١٤]، و الحال أنه يقبح عليهم أن يكونوا أجرأ منهم و هم ناس مثلهم ﴿ كخشية الله ﴾ أى مثل ما يخشون الله الذى هو القادر لا غيره.

---

(١) من مد، و فى الأصل: الحنان، و فى ظ: الجنان (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عبد خليفة (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: سنعما - كذا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يبسط (٦) فى الأصول: امتحانا - كذا (٧) زيد بعده الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) فى ظ: للخالق (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: استبصارا (١٠) فى ظ: التشاقق (١١) فى ظ: لا تفعل (١٢) فى ظ و مد: يلزم (١٣) فى مد: فاحثوا (١٤) فى مد: لا يضروهم، و فى ظ: لا يضرهم.

و لما

و لما كان كفهم عن القتال شديدا يوجب لمن يراه منهم[1] أن يظن بهم من الجبن ما يتردد به فى الموازنة بين[2] خوفهم من الناس و خوفهم من الله ، عبر بأداة الشك فقال: ﴿ او اشد خشية ج ﴾ أى أو كانت خشيتهم لهم عند الناظر لهم أشد من خشيتهم من الله ، فقد أفاد هذا أن خوفهم من الناس ليس بأقل من خوفهم من الله جزما بل إما مثله أو أشد منه؛ و قد يكون الإبهام للتفاوت[3] بالنسبة إلى وقتين ، فيكون خوفهم منه[4] فى وقت متساويا ، و فى آخر أزيد[5] ، فهو متردد بين هذين الحالين ؛ و يجوز أن يكون ذلك كناية عن كراهتهم القتال فى ذلك الوقت و تمنيهم لتأخيره إلى وقت ما . و أيد ما تقدم من الظن بقوله ما هو كالتعليل للكراهة : ﴿ و قالوا ﴾ جزعا من الموت أو المتاعب[6] - إن كانوا مؤمنين ، أو اعتراضا - إن كانوا منافقين ، على تقدير صحة ما يقول الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا القريب منا ﴿ لِمَ[7] كتبت علينا القتال ج ﴾ أى و نحن الضعفاء[8] ﴿ لو لآ ﴾ أى [هلا -[9]] ﴿ اخرتنآ ﴾ أى عن الأمر بالقتال ﴿ الىٓ اجل قريب[1] ﴾ أى لنأخذ راحة مما كنا فيه[10] من الجهد من الكفار بمكة ، و سبب نزولها أن عبد الرحمن بن عوف و المقداد بن الأسود الكندى و قدامة بن مظعون و سعد بن

(١) من ظ ، و فى الأصل و مد : منه (٢) فى ظ : تبين (٣) من مد ، و فى الأصل : بالتفاوت ، و فى ظ : للتفاوب - كذا (٤) فى ظ : منهم (٥) فى ظ : ايد (٦) فى ظ : الباعث (٧) تقدم فى الأصل على « اى ايها » (٨) من ظ ، و فى الأصل : الاضعفاء ، و فى مد : ضعفاء (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ : منه .

أبي وقاص و جماعة رضى الله عنهم كانوا يلقون من المشركين بمكة أذى كثيرا[1] قبل أن يهاجروا، و يقولون: يا رسول الله! ائذن لنا فى قتالهم فانهم قد آذونا، / فيقول [لهم -[2]] رسول الله صلى الله عليه و سلم «كفوا أيديكم، فانى لم أومر بقتالهم، و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة» فلما هاجروا إلى المدينة و أمرهم الله سبحانه و تعالى بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم - حكاه البغوى عن الكلبي، و حكاه الواحدى عنه بنحوه، و روى بسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن عبد الرحمن بن عوف و أصحابه رضى الله تعالى عنهم أتوا النبي صلى الله عليه و سلم بمكة فقالوا: يا رسول الله! كنا فى عز و نحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة، فقال «إنى أمرت بالعفو، فلا تقاتلوا القوم» فلما حوله الله تعالى إلى المدينة أمره بالقتال فكفوا، فأنزل الله عز و جل "ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم" - الآية. و هذا يفهم أن نسبة القول إليهم إنما هى لأن حالهم فى التأخر عن المبادرة إلى القتال حال من يقول ذلك، فالمراد من الآية إلهابهم إلى القتال و تهييجهم[3]، ليس غير.

و لما عجب[4] عليه الصلاة و السلام منهم إنكارا عليهم كان كأنه قال: فما أقول لهم؟ أمره[5] بوعظهم و تضليل عقولهم و تفييل[6] آرائهم[7]

(١) فى الأصول: كثير (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد: تهيجهم. (٤) فى الأصل و مد: يعجبه، و فى ظ: تمجنه - كذا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فامر (٦) فيل رأيه: خطأه و قبحه، و فى الأصل: تصيل، و فى ظ: تفبيل، و فى مد: تفيل - كذا (٧) فى ظ: اكرامهم.

بقوله: ﴿ قل متاع الدنيا قليل ج ﴾ أى و لو فرض أنه مدّ فى آجالكم إلى أن تملوا الحياة، فان كل منقطع قليل، مع أن نعيمها غير محقق الحصول، و إن حصل كان منغصا بالكدورات ﴿ و الآخرة خير لمن اتقى قف ﴾ أى لأنها لا يفنى نعيمها مع أنه محقق و لا كدر فيه، و هى شر من الدنيا لمن لم يتق[1]، لأن عذابها طويل[2] لا يزول ﴿ و لا تظلمون فتيلا ﴾ أى لا فى دنياكم بأن تنقص آجالكم بقتالكم، و لا أرزاقكم باشتغالكم[3]، و لا فى آخرتكم بأن يضيع[4] شىء من ثوابكم على ما تنالونه[5] من المشقة، لأنه سبحانه و تعالى حكيم لا يضع شيئا فى غير موضعه[6]، و لا يفعل شيئا إلا على قانون الحكمة، فما لكم تقولون قول المتهم: لم فعلت؟ أ تخشون [الظلم فى إيجاب ما لم يجب عليكم و فى نقص الرزق و العمر؟ تعالى الله عن ذلك! بل هو - مع أن سنته -[7]] العدل و له أن يفعل ما[8] شاء، "لا يسئل عما يفعل" - يحسن[9] و يعطى من تقبل[10] إحسانه أتم الفضل.

و لما زهدهم فى دار المتاعب و الأكدار[11] على تقدير طول البقاء،

(١) زيد بعده فى ظ: عذابها (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: باشغالكم (٤) فى ظ: يطيع (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تنالوه (٦) فى ظ: محله (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٨) زيد فى ظ: لا. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بحسن (١٠) فى ظ: يقبل (١١) فى ظ: الاقدار.

و كانوا كأنهم يرجون بترك القتال الخلود ، أو تأخير موت يسببه[1] القتال ؛ نبههم على ما يتحققون من أن المنية منهل لا بد من وروده فى الوقت الذى قدر له [و -[2]] إن امتنع[3] الإنسان منه فى الحصون[4] ، أو رمى نفسه فى المتالف ، فقال تعالى - مبكتا من قال ذلك ، مؤكدا بما النافية لنقيض ما تضمنه الكلام لأن حالهم حال من ينكر الموت بغير القتال ، مجيبا[5] بحاق[6] الجواب بعد ما أورد الجواب [الأول -[7]] على سبيل التنزل - : ﴿ اين ما تكونوا ﴾ أيها الناس كلكم مطيعكم و عاصيكم ﴿ يدرككم الموت ﴾ أى فانه طالب ، لا يفوته هارب ﴿ و لو كنتم فى بروج ﴾ أى حصون برج داخل برج ، أو كل واحد [8]منكم فى برج .

و لما كان ذلك جمعا ناسب التشديد المراد به الكثرة فى ﴿مشيّدة[1] ﴾ أى مطولة ، كل واحد[8] منها شاهق فى الهواء منيع ، و هو مع ذلك [9]مطلى بالشيد[9] أى بالجص ، فلا خلل فيه أصلا ، و يجوز أن يراد بالتشيد مجرد الإتقان[10] ، يعنى أنها مبالغ فى تحصينها - لأن السياق أيضا يقتضيه ، فاذا كان لا بد من الموت فلأن يكون فى الجهاد الذى يستعقب السعادة الأبدية أولى من أن يكون فى غيره .

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسبب (٢) زيدت الواو من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لامتنع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحصول .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : محيبا - كذا (٦) فى ظ : بخلق . و الحاق : الكامل فى الشيء (٧) زيد من ظ و مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٩-٩) فى ظ : بطل بالسيد - كذا (١٠) فى ظ : بالاتقاق - كذا .

ثم عطف ما بقى من أقوالهم على ما سلف منها فى قوله "ربنا لم كتبت" - إلى آخره و إن كان هذا الناس منهم غير الأولين، و يجوز أن يقال: إنه لما أخبر أن الحذر لا يغنى من القدر أتبع ذلك حالا لهم [1]مبكتا به لمن[1] توانى فى أمره، مؤذنا بالالتفات إلى الغيبة إعراضا عن خطابهم ببعض غضب، لأنهم جمعوا إلى الإخلال بتعظيمهم لله تعالى الإخلالَ[2] بالأدب مع الرسول صلى الله عليه و سلم الذى أرسله ليطاع باذن الله فقال: ﴿ و ان ﴾ أى قالوا ذلك و الحال أنه إن ﴿ تصبهم ﴾ [أى -[3]] بعض المدعوّين من الأمة، و هم من كان فى قلبه مرض ﴿ حسنة ﴾ أى شىء [4]يعجبهم، و يحسن[4] وقعه عندهم من أى شىء كان ﴿ يقولوا هذه من عند الله ج ﴾ أى الذى له الأمر كله، لا دخل لك فيها ﴿ و ان تصبهم سيئة ﴾ أى حالة تسوءهم [5]من أى[5] جهة كانت ﴿ يقولوا هذه من عندك[6] ﴾ أى من جهة حلولك فى هذا البلد تطيرا بك.

و لما كان هذا أمرا فادحا، و للفؤاد محرقا و قادحا، سهل عليه بقوله: ﴿ قل كل ﴾ أى[6] من السيئة و الحسنة فى الحقيقة دنيوية كانت أو أخروية ﴿ من عند الله[6] ﴾ أى الذى له كل شىء، و لا شىء لغيره، و ذلك كما قالوا لما مات أبو أمامة أسعد بن زرارة نقيب بنى النجار رضى الله تعالى عنه[7] عند ما هاجر النبى صلى الله عليه و سلم،

(١-١) فى ظ: مسكتا به من (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الاجلال (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) فى ظ: تعجبهم و تحسن (٥-٥) فى ظ: اى من (٦) سقط من ظ (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: عنهم.

[1] فقال النبي صلى الله عليه و سلم[1] - كما فى السيرة - : بئس الميت أبو أمامة ليهود[2] و منافق العرب ! يقولون : لو كان نبيا لم يمت صاحبه، و لا أملك [لنفسى و لا لصاحبى من الله شيئا - [3]] .

[و لما تسبب عن هذا معرفة أنهم أخطأوا فى ذلك - [4]] ، فاستحقوا الإنكار قال منكرا عليهم : ﴿ فما ﴾ و حقرهم بقوله : ﴿ لهؤلاء ﴾ و كأنه قال[5] : ﴿ القوم ﴾ الذى هو دال على القيام و الكفاية ، إما تهكما بهم ، و إما نسبة لهم إلى قوة الأبدان[6] و ضعف المكان ﴿ لا يكادون يفقهون ﴾ لا يقربون من أن يفهموا ﴿ حديثا ﴾ أى يلقى إليهم أصلا فهما جيدا .

و لما أجابهم بما هو الحق إيجادا عليهم ما هو الأدب لملاحظة السبب فقال مستأنفا : ﴿ ما اصابك من حسنة ﴾ أي نعمة دنيوية أو أخروية ﴿ فمن الله ذ ﴾ أى إيجادا و فضلا ، و الإيمان أحسن الحسنات، قال الإمام : إنهم يقولون[5] : [إنهم - [7]] اتفقوا على أن قوله " و من احسن قولا ممن دعا الى الله[8] " المراد به كلمة الشهادة ﴿ و ما اصابك ﴾ و أنت خير الخلق ﴿ من سيئة ﴾ أى بلاء ﴿ فمن نفسك ذ ﴾ أى بسببها[9] فغيرك بطريق الأولى .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : اليهود (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد و سيرة ابن هشام ١ / ١٨٠ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: الايذان - كذا (٧) زيد من ظ (٨) سورة ٤١ آية ٣٣ (٩) فى ظ : ليمها - كذا .

و لما اقتضى قولهم إنكار رسالته[1] صلى الله عليه و سلم إلا إن فعل كل خارقة، و أخبر سبحانه و تعالى بأنه مستو مع الخلق فى القدرة قال سبحانه و تعالى مخبرا بما اختصه به عنهم: ﴿ و ارسلنك ﴾ أى مختصين لك بعظمتنا ﴿ للناس ﴾ أى كافـــة ﴿ رسولا[4] ﴾ أى تفعل[2] ما على الرسل من البلاغ و نحوه، و قد اجتهدت فى البلاغ و النصيحة. و لم نجعلك ٥ إلها تأتى[3] [بما -[4]] يطلب منك من خير و شر. فان أنكروا رسالتك فالله يشهد بنصب المعجزات و الآيات البينات[3] ﴿ و كفى بالله ﴾ المحيط علما و قدرة ﴿ شهيدا ﴾ لك بالرسالة [و البلاغ. و لما نفى علمهم فى التخلف عن طاعته إلى أن ختم بالشهادة برسالته؛ قال مرغبا -[5]] مرهبا على وجه عام يسكن قلبه، و يخفف من دوام عصيانهم له، [6] دالا على[6] ١٠ عصمته فى جميع حركاته و سكناته: ﴿ من يطع الرسول ﴾ أى كما هو مقتضى حاله ﴿ فقد اطاع الله ج ﴾ الملك الأعظم الذى لا كفوء له، لأنه داع إليه، و هو لا ينطق عن الهوى، إنما يخبر بما يوحيه إليه ﴿ و من تولى ﴾ أى عن[7] طاعته.

و لما كان التقدير: فانما عصى الله، و الله سبحانه و تعالى عالم به ١٥ و قادر عليه، فلو أراد[8] لرده و لو شاء لأهلكه بطغيانه، فاتركه و ذاك[3]!

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: برسالته (٢) من مد. و فى الأصل و ظ: نفعل (٣) سقط من ظ (٤) زيد من مد (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد. (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل (٧) فى ظ: على (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: اراده.

عبر عن ذلك كله بقوله : ﴿ فما أرسلناك ﴾ أى بعظمتنا ﴿ عليهم حفيظا ﴾ إنما أرسلناك داعيا .

و لما كان من شأن الرسول صلى الله عليه و سلم أن يحفظ من أطاعه و من عصاه ليبلغ ذلك من أرسله ، و كان سبحانه و تعالى قد أشار له إلى الإعراض عن ذلك ، لكونه لا يحيط بذلك علما و إن اجتهد ؛ شرع يخبره ببعض ما يخفونه فقال حاكيا لبعض أقوالهم مبينا لنفاقهم فيه و خداعهم : ﴿ و يقولون ﴾ أى إذا أمرتهم بشىء من أمرنا و هم بحضرتك ﴿ طاعة ﴾ أى كل[1] طاعة منا لك دائما ، نحن ثابتون على ذلك ، و التنكير للتعظيم بالتعميم[2] ﴿ فاذا / برزوا ﴾ أى خرجوا ﴿ من عندك ﴾ بيت طائفة ﴾ هم فى غاية التمرد ﴿ منهم ﴾ أى قدرت و زورت على غاية من التقدير و التحرير[3] مع الاستدارة و التقابل كفعل من يدبر الأمور و يحكمها و يتقنها ليلا ﴿ غير الذى تقول ﴾ أى تجدد قوله لك فى كل حين من الطاعة التى أظهروها [أو غير قولك الذى بلغته لهم ، و أدغم أبو عمرو[4] و حمزة[5] التاء بعد تسكينها استثقالا لتوالى الحركات -[6]] فى الطاء لقرب المخرجين ، و الطاء تزيد بالإطباق ، فحسن إدغام الأنقص فى الأزيد ؛ و أظهر الباقون ، و الإدغام أوفق لحالهم ، و الإظهار أوفق[7] لما[8]

/ ٤٩٧

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ومد، وفى الأصل : بالعميم (٣) فى ظ : التحذير.
(٤) من نثر المرجان ١/٦٢٩ ، و فى ظ : المومر، و فى مد : المومروا - كذا .
(٥) من مد و نثر المرجان ، و فى ظ : همزة - كذا بالهاء (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٧) فى ظ : اظهر (٨) زيد بعده فى الأصل: صلح، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

فصح من محالّهم.

و لما كان الإنسان من عادته إثبات الأمور التى يريد تخليدها بالكتابة أجرى الأمر على ذلك فقال: ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الملك المستجمع لصفات الكمال ﴿ يكتب ما يبيتون ج ﴾ أى يجددون تبييته[1] كلما فعلوه، و هو غنى عنه و لكن ذلك ليقربهم[2] إياه يوم يقوم الأشهاد، ٥ و يقيم به الحجة عليهم على ما جرت به عاداتهم، أو يوحى بـه[3] إليك فيفضحهم[4] بكتابتـه و تلاوته[5] مدى الدهر، فلا يظنوا أن تبييتهم[6] يغنيهم[7] شيئا.

و لما تسبب عن ذلك كفايته صلى الله عليه و سلم هذا المهم قال: ﴿ فاعرض عنهم ﴾ أى فانهم بذلك لا يضرون إلا أنفسهم ﴿ و توكل ﴾ ١٠ أى فى شأنهم و غيره ﴿ على الله[1] ﴾ أى الذى لا يخرج شىء عن مراده ﴿ و كفى بالله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ وكيلا ۝ ﴾ فستنظر كيف تكون[3] العاقبة فى أمرك و أمرهم.

و لما كان سبب إبطانهم خلاف ما يظهرونه[8] اعتقاد أنه صلى الله عليه و سلم رئيس، لا يعلم إلا ما أظهروه، [9]لا رسول[9] من الله الذى ١٥ يعلم السر و أخفى؛ [سبب - [10]] عن ذلك على وجه الإنكار إرشادهم

(١) فى ظ: تبعيته، و فى مد: بتبعيته - كذا (٢) فى ظ: لقولهم (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: ليفضحهم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تلاوة (٦) فى ظ: تبعيتهم (٧) من مد، و فى الأصل: بيتهم. و فى ظ: بغيهم - كذا (٨) فى مد: يظهرون (٩-٩) فى ظ: لرسول (١٠) زيد من ظ و مد.

إلى الاستدلال على رسالته بما يزيح الشك و يوضح الأمر، و هو تدبر[1] هذا القرآن المتناسب المعانى، المعجز المبانى، الفائت لقوى المخاليق، المظهر لخفاياهم[2] على اجتهادهم فى إخفائها، فقال سبحانه و تعالى دالا على وجوب النظر فى القرآن و الاستخراج للمعانى منه: ﴿ أفلا يتدبرون ﴾ أى يتأملون، يقال: تدبرت الشيء - إذا تفكرت فى[3] عاقبته و آخر أمره ﴿ القرآن[4] ﴾ أى الجامع لكل ما يراد علمه من تمييز الحق من الباطل على نظام لا يختل و نهج لا يمل؛ قال المهدوى[5]: و هذا دليل على وجوب تعلم معانى القرآن و فساد قول من قال: لا يجوز أن يؤخذ منه إلا ما ثبت عن النبى صلى الله عليه و سلم، و منع أن يتأول على ما يسوغه لسان العرب، و فيه دليل على النظر و الاستدلال.

و لما كان التقدير: فلو كان من عند غير الله لم يخبر بأسرارهم، عطف عليه قوله: ﴿ و لو كان من عند غير الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة - كما زعم الكفار ﴿ لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ أى فى المعنى بالتناقض و التخلف عن الصدق فى الإخبار بالمغيبات أو بعضها، و فى النظم بالتفاوت فى الإعجاز؛ فاذا علموا أنه من عند الله بهذا الدليل القطعى حفظوا سرائرهم كما يحفظون علانياتهم، لأن الأمر بالطاعة مستو عند السر و العلن؛ و التقييد بالكثير يفيد أن المخلوق عاجز عن

(١) فى ظ: يدبر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لخفايهم (٣) فى ظ: على.
(٥) و هو أحمد بن عمار بن أبى العباس المغربى أبو العباس، نحوى لغوى مقرئ مفسر - كما فى معجم المؤلفين ٢/٢٧.

التحرز من النقص العظيم بنفسه[1]، و إفهامُه - عند استثناء[2] نقيض التالى - وجود الاختلاف اليسير فيه تدفعه الصرائح .

و لما أمر سبحانه و تعالى بالنفر إلى الجهاد على الحزم و الحذر ، و أولاه الإخبار بأن من الناس المغرر [و المخذل - [3]] تصريحا بالثانى و تلويحا إلى الأول ، و حذر منهما و من غيرهما إلى أن ختم بأمر ٥ الماكرين ، و بأن القرآن قيم لا عوج فيه[2] ؛ ذكر أيضا المخذلين و المغررين على وجه أصرح من الأول مبينا ما كان عليهم فقال : ﴿ و اذا جآءهم ﴾ أى هؤلاء المزلزلين ﴿ امر من الامن ﴾ من غير / ثبت ﴿ او الخوف ﴾ ٤٩٨ / كذلك ﴿ اذاعوا ﴾ أى أوقعوا الإذاعة لما يقدرون عليه من المفاسد ﴿ به[4] ﴾ أى بسببه من غير علم منهم بصدقه من كذبه ، و حقه من ١٠ باطله ، و متفقه من مختلفه ، فيحصل[4] الضرر البالغ لأهل الإسلام ، أقله قلب الحقائق ؛ قال فى القاموس : أذاعه و به : أفشاه و نادى به فى الناس. و ذلك كما قالوا فى أمر الأمن حين انهزم أهل الشرك بأحد ، فتركوا المركز الذى وضعهم[5] به[6] رسول الله[6] صلى الله عليه و سلم ، و خالفوا أمره و أمر أميرهم ، فكان سبب كرة المشركين و هزيمة المؤمنين ، ١٥ و فى أمر الخوف حين صاح الشيطان : إن محمدا قد قتل ، فصدقوه و أذاعه بعضهم لبعض ، و انهزموا و أرادوا الاستجارة بالكفار من أبى سفيان

(١) من مد و فى الأصل : نفسه ، و فى ظ : بنقصه (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : ليحصل (٥) فى ظ : وصفهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و أبي عامر ، و كذا ما أشاعوه[1] عند الخروج إلى [2]بدر الموعد من أن أبا[2] سفيان قد جمع لهم ما لا يحصى كثرة ، و أنهم إن لقوه لم يبق منهم أحد - إلى غير ذلك من الإرجاف إلى أن صارت المدينة تفور بالشر فوران المرجل ، حتى أحجموا[3] كلهم - أو إلا أقلهم - حتى[4] قال النبي صلى الله عليه و سلم : و الله لأخرجن و لو لم يخرج معي أحد ! فاستجابوا حينئذ ، و أكسبهم هذا القول شجاعة و أنالهم طمأنينة ، فرجعوا بنعمة من الله و فضل لم يمسسهم سوء كما وعدهم الله سبحانه و تعالى و رسوله صلى الله عليه و سلم إن صبروا و اتقوا ، فكذب[5] ظنهم و صدق الله و رسوله ، و في هذا إرشاد إلى الاستدلال على كون القرآن من عنده سبحانه و تعالى بما يكذب من أخبارهم هذه[6] التي يشيعونها[7] و يختلف ، و أن [ما - [8]] كان من غيره تعالى فمختلف - و إن تحرى فيه متشبه[9] - و إن جل عقله و تناهى نبله إلا إن استند[10] عقله إلى ما ورد عن العالم بالعواقب ، المحيط بالكوائن على لسان الرسل عليهم الصلاة و السلام و التحية و الإكرام ، و إلى أن القياس حجة ، و أن تقليد القاصر للعالم واجب ، و أن الاستنباط واجب على العلماء ، و النبي صلى الله عليه و سلم

(١) من مد ، و في الأصل و ظ : شياعوه (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين في الأصل بعد « احد الى » (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : احججوا - كذا (٤) في ظ : من (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : فكذبوا (٦) من مد ، و في الأصل : هذا ، و قد سقط من ظ (٧) في ظ : تشيعونها (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : منسيه - كذا (١٠) في ظ : اشتد .

رأس العلماء، و إلى ذلك يومى قوله تعالى: ﴿ و لو ردوه ﴾ أى ذلك الأمر الذى لا نص فيه من قبل أن يتكلموا بـه ﴿ الى الرسول ﴾ أى نفسه إن كان موجودا، و أخباره[1] إن كان مفقودا ﴿ و الى اولى الامر منهم ﴾ أى المتأهلين لأن يأمروا و ينهوا من الأمراء بالفعل[2] أو بالقوة من العلماء و غيرهم ﴿ لعلمه ﴾ أى ذلك الأمر على حقيقته و هل هو مما يذاع أو لا ﴿ الذين يستنبطونه ﴾ أى يستخرجونه بفطنتهم و تجربتهم كما يستخرج الإنباط المياه و منافع الأرض ﴿ منهم ﴾ أى من الرسول و أولى الأمر.

و لما كان التقدير: فلو لا فضل الله عليكم و رحمته بالرسول و وراث[3] علمه لاستبيحت باشاعاتهم[4] هذه بيضة الدين و اضمحلت أمور المسلمين؛ عطف عليه قوله: ﴿ و لو لا فضل الله عليكم ﴾ أى أيها المتسمون بالإسلام بانزال الكتاب و تقويم العقول ﴿ و رحمته ﴾ بارسال الرسول ﴿ لاتبعتم الشيطن ﴾ أى المطرود[5] المحترق ﴿ الا قليلا ﴾ أى منكم فانهم لا يتبعونه[6] حفظا من الله سبحانه و تعالى بما وهبهم من صحيح العقل من غير واسطة رسول؛ و هذه الآية من المواضع المستصعبة[7] على الأفهام بدون توقيف على المراد بالفضل إلا عند من آتاه الله سبحانه و تعالى علما بالمناسبات، و فهما ثاقبا بالمراد بالسياقات، و فطنة بالأحوال و المقامات

(١) فى ظ: اختاره (٢) فى ظ: با - كذا (٣) فى ظ: وارث (٤ - ٤) فى ظ: لاستبحيت باشاعتهم (٥) فى ظ: المطر - كذا (٦) زيد بعده فى الأصل: بهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) فى ظ و مد: المستعصية.

تقرب من الكشف ، و ذلك ان من المقرر أنه لا بد من مخالفة[1] حكم المستثنى[2] لحكم المستثنى[2] منه ، و هو هنا من وجد عليهم الفضل و الرحمة فاهتدوا ، و مخالفة المستثنى لهم تكون بأحد أمور ثلاثة كل / منها[3] ٤٩٩ / فاسد ، إما بأن يعدموا الفضل فيتبعوه[4] ، و يلزم عليه أن يكون الضال أقل من المهتدى، و هو خلاف المشاهد ؛ أو[5] بأن يعدموه[5] فلا يتبعوه ، فيكونوا مهتدين من غير فضل ؛ أو بأن يوجد عليهم الفضل فيتبعوه ، فيكونوا ضالين مع الفضل و الرحمة اللذين كانا سببا فى امتناع الضلال عن المخاطبين . فيكونان تارة مانعين ، و تارة غير مانعين ، فلم يفيدا إذن مع أنه أيضا يلزم عليه أن يكون الضال أقل من المهتدى ؛ فاذا حمل الكلام على أن المراد بالفضل الإرسال وضح المعنى و يكون التقدير : و لو لا إرسال الرسول لاتبعتم الشيطان إلا قليلا منكم ، [6] فانهم لا يتبعونه[6] من غير إرشاد الرسول ، بل بهداية من الله سبحانه و تعالى و فضل بلا واسطة كقس[7] بن ساعدة و زيد بن عمرو بن نفيل و ورقة بن نوفل ؛ و الدليل[8] على هذا المقدر[8] أن السياق لرد الأشياء كلها إلى الرسول صلى الله عليه و سلم ، و المنع من الاستقلال بشىء دونه .

و لما بين سبحانه و تعالى نفاقهم المقتضى لتقاعدهم عن الجهاد بأنفسهم

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يخالفة - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهما (٤) فى ظ : فيتبعونه (٥-٥) من مد ، و فى الأصل : بان يعدموا ، و فى ظ : فلا يعدموه (٦-٦) فى ظ : فانكم لا تتبعونه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كقيس (٨) سقط من ظ .

و تنشيطهم لغيرهم، كان ذلك سببا لأن يمضى صلى الله عليه و سلم لأمره سبحانه و تعالى[1] من غير التفات إليهم وافقوا أو نافقوا، فقال سبحانه و تعالى بعد الأمر بالنفر ثبات و جميعا، و بيان أن منهم المبطئ، مشيرا إلى أن الأمر باق و إن بطّأ الكل: ﴿فقاتل فى سبيل الله ج﴾ أى الذى له الأمر كله و لو كنت وحدك.

و لما كان كأنه قيل: فما أفعل فيمن أرسلت إليهم إن لم يخرجوا؟ قال - معلما بأنه [2]قد جعله[2] أشجع الناس و أعلمهم بالحروب و تدبيرها، و هو مع تأييده بذلك قد تكفل بنصرته و لم يكله إلى أحد -: ﴿لا تكلف الا نفسك﴾ [أى ليس عليك -[3]] إثم أتباعك لو تخلفوا عنك، و قد أعاذهم الله سبحانه و تعالى من ذلك، و لا ضرر عليك فى الدنيا أيضا من تخليهم، فان الله سبحانه و تعالى ناصرك وحده[4]، و ليس النصر إلا بيده سبحانه و تعالى، و ما[5] كان سبحانه و تعالى ليأمره بشىء إلا و هو كفوء له، فهو ملىء بمقاتلة الكفار كلهم[6] وحده و إن كانوا أهل الأرض كلهم، و لقد عزم فى غزوة بدر الموعد - التى قيل: إنها سبب نزول هذه الآية - على الخروج إلى الكفار و لو لم يخرج معه أحد؛ و قد اقتدى به صاحبه الصديق[6] رضى الله تعالى عنه فى قتال أهل الردة فقال للصحابة رضى الله تعالى عنهم: و الله لو لم أجد إلا هاتين - يعنى ابنتيه:

(١) زيد بعده فى ظ: فقال (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و مد، غير أن «أى» غير موجود فى ظ (٤) فى ظ: وحدك (٥) من ظ ومد، و فى الأصل: لما (٦) سقط من ظ.

عائشة و أسماء رضى الله تعالى عنهما - لقاتلتهم[1] بهما .

و لما كان ذلك قد يفتر عن الدعاء قال[2] : ﴿ و حرض المؤمنين ج ﴾ أى مُرهم بالجهاد و انههم عن تركه و عن مواصلة كل من يثبطهم عنه [و عظهم -[3]] و اجتهد فى أمرهم حتى يكونوا مستعدين للنفر متى ندبوا حتى كأنهم لشدة [4]استعدادهم حاضرون[4] فى الصف دائما . ثم استأنف الذكر لثمرة ذلك فقال : ﴿ عسى الله ﴾ أى الذى استجمع صفات الكمال ﴿ ان يكف ﴾ بما له من العظمة ﴿ باس الذين كفروا[5] ﴾ أى عن أن[5] يمنعوك من إظهار الدين بقتالك و قتال من تحرضه[6] ، و لقد فعل سبحانه و تعالى ذلك ، فصدق وعده ، و نصر عبده ، و هزم الأحزاب وحده ، حتى ظهر الدين ، و لا يزال ظاهرا حتى يكون آخر ذلك على يد عيسى عليه الصلاة و السلام .

و لما كان السامع ربما فهم أنه لا يتأتى [كفهم -[7]] إلا بذلك ، قال ترغيبا و ترهيبا و احتراسا : ﴿ و الله ﴾ أى الذى لا مثل له ﴿ اشد باسا ﴾ أى عذابا و شدة من المقاتِلين و المقاتَلين[8] ﴿ و اشد تنكيلا ه ﴾ أى تعذيبا بأعظم العذاب ، ليكون ذلك مهلكا للعذب و مانعا لغيره عن مثل فعله ؛ قال الإمام أبو عبد الله القزاز : [يقال -[7]] : نكلته تنكيلا - إذا عملت به عملا يكون نكالا لغيره ، أى عبرة فيرجع عن المراد من

(١) فى ظ : لقاتلهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤-٤) فى ظ : استعداده حاضرين (٥) سقط من مد (٦) فى ظ : تحرصه - كذا غير منقوط (٧) زيد من ظ ومد (٨) فى ظ : المقابلين .

أجله

أجله ، و هو أن الناظر إليه و الذى يبلغه ذلك يخاف[1] أن يحل به مثله ، أى فيكون له ذلك قيدا عن الإقدام ؛ و النكل - بالكسر : القيد .

و لما كان / ذلك موجبا للرغبة فى طاعة النبى صلى الله عليه و سلم / ٥٠٠
لا سيما فى الجهاد ، و للرغبة فيمن كان بصفة المؤمنين من الإقبال على الطاعة ، و الإعراض عن كل من كان بصفة المنافقين ، و الإدامة لطردهم و إبعادهم ٥ و الغلظة[2] عليهم ، و الحذر من مجالستهم حتى يتبين إخلاصهم ، و كان بين كثير[3] من خلص الصحابة رضى الله تعالى عنهم و بينهم قرابات توجب العطف المقتضى للشفقة عليهم ، الحاملة للشفاعه فيهم ، إما بالإذن فى التخلف عن الجهاد لما يزخرفون القول[4] من الأعذار الكاذبة ، [أو - [5]] فى العفو عنهم عند العثور على نقائصهم ، أو فى إعانتهم أو إعانة ١٠ غيرهم بالمال و النفس فى أمر الجهاد عند ادعاء أن المانع له عنه[6] العجز - و فى غير ذلك ، و كانت التوبة معروضة[7] لهم و لغيرهم ، و كان البر ما سكن إليه [8] القلب ، و الإثم ما حاك فى الصدر ، و الإنسان على نفسه بصيرة ، و كانت[8] البواطن لا يعلمها إلا الله سبحانه و تعالى ، و كان الإنسان ربما أظهر[9] شرا[10] فى صورة[11] خير ؛ رغب سبحانه و تعالى فى البر ، ١٥ و حذر[12] من الإثم بقوله - معمما مستأنفا فى جواب من كأنه قال :

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يخالف (٢) فى ظ : الغاظ (٣) فى ظ : بكثير . (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : عند (٧) فى ظ : مفروضة (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : سرا (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : سورة (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : حذرا .

أما تقبل فيهم شفاعة - : ﴿ من يشفع ﴾ أى يوجد و يجدد[1] ، كائنا من كان ، فى أى وقت كان ﴿ شفاعة حسنة ﴾ أى يقيم بها عذر المسلم فى كل ما يجوز[2] فى الدين ليوصل إليه خيرا ، أو[3] يدفع عنه ضيرا[4] ﴿ يكن له نصيب منها ج ﴾ بأجر تسببه فى الخير ﴿ و من يشفع ﴾ كائنا من كان ، ٥ فى أى زمان كان ﴿ شفاعة سيئة ﴾ أى بالذب عن مجرم فى أمر لا يجوز ، و التسبب فى إعلائه و جبر[5] دائه ؛ و عظّم الشفاعة السيئة لأن درء[6] المفاسد أولى من جلب المصالح ، فقال - معبرا بما يفهم النصيب و يفهم أكثر منه تغليظا فى الزجر[7] - : ﴿ يكن له كفل منها[8] ﴾ و هذا بيان لأن الشفاعة فيهم سيئة إن تحقق إجرامهم ، حسنة إن علمت توبتهم ١٠ و إسلامهم .

و لما كان كل من تحريض المؤمنين على الجهاد و الشفاعة الحسنة من وادى « من سن سنة حسنة كان له أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامة » حَسُنَ[8] اقترانهما جدا ، و النصيب قدر متميز[9] من الشىء[10] يخص من هو له ، و كذا الكفل إلا أن الاستعمال يدل على أنه أعظم من النصيب ، ١٥ و يؤيده ما قالوا من أنه قد يراد به الضعف ، فكأنه نصيب متكفل بما هو له

(١) من ظ ، و فى الأصل : يجد ، و فى مد : تحد - كذا (٢) فى ظ : تجوز .
(٣) فى ظ « و » (٤) فى ظ : ضير (٥) فى ظ : حنو ، و فى مد : حر - كذا .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : وزر - كذا (٧) فى ظ : الرر - كذا .
(٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : حسنة (٩) فى ظ : مميز (١٠) زيد بعده فى ظ : ممن هو له .

من إسعاد و إبعاد؛ قال أهل اللغة: النصيب: الحظ، والكفل - بالكسر[١]: الضعف و النصيب و الحظ، و مادة 'نصب[٢]' يدور على العلم المنصوب، و يلزمه الرفع و الوضع و التميز[٣] و الأصل و المرجع و التعب، فيلزمه الوجع، و من لوازمه أيضا الحد و الغاية و الجد[٤] و الوقوف؛ و مادة 'كفل' تدور على الكفل - بالتحريك و هو العجز أو ردفه، و يلزمه ٥ الصحابة و اللين و الرفق و التأخر؛ و قال الإمام: الكفل هو النصيب الذى عليه يعتمد الإنسان فى تحصيل المصالح لنفسه و دفع المفاسد عن نفسه، و المقصود هنا حصول ضد ذلك كقوله "فبشرهم بعذاب اليم" و الغرض منه التنبيه على أن الشفاعة المؤدية[٥] إلى سقوط الحق و قوة الباطل تكون عظيمة العقاب[٦] عند الله سبحانه و تعالى - انتهى. و ما غلظ ١٠ هذا[٧] الزجر إلا للعلم بأن أكثر النفوس ميالة بأصحابها للشفاعة بالباطل.

و لما كان الأليق بالرغبة أن لا يقطع فى موجبها [و إن عظم -[٨]] بالحقية[٩]، ليكون[١٠] ذلك زاجرا عن مقارفة[١١] شيء منها و إن صغر؛ عبر [١٢]فى الحسنة[١٢] بالنصيب، و[١٣] فى السيئة بالكفل[١٤]؛ و يؤيد إرادة هذا أنه

(١) فى ظ: و الكسر (٢) فى ظ: نصيب (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: التميز (٤) فى الأصول: الحد، و مبنى التصحيح ما ورد فى القاموس: نصبه الهم: أتعبه، و الرجل: جد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: المودى (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لعقاب (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بهذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ: بالفوز - كذا (١٠) فى ظ: لئلا يكون (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: مفارقة (١٢-١٢) فى ظ: بالحسنة (١٣) سقطت الواو من ظ. (١٤) فى الأصول: بالكفيل.

تعالى لما ذكر ما يوجب الجنة من الإيمان و التقوى ، و كان فى سياق الوعظ لأهل الكتاب الذين هم على شرع أصله حق بتشريع[1] رسول من عند الله ، فتركهم لذلك بعيد يحتاج إلى زيادة ترغيب ؛ عبر بالكفل فقال تعالى " يآيها الذين آمنوا / اتقوا الله و آمنوا برسوله يؤتكم كفلين ٥٠١/
٥ من رحمته[2] " - إلى آخرها .

و لما كان النصيب مبهما[3] بالنسبة [إلى علمنا لتفاوته بالنسبة -[4]] إلى قصور الشافعين ، و إقدامهم على الشفاعة على علم أو جهل و غير ذلك مما لا يمكن الإحاطة به إلا الله سبحانه و تعالى علما و قدرة ؛ قال تعالى مرغبا و[5] مرهبا : ﴿ و كان الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام[6] ﴿ على
١٠ كل شىء ﴾ من الشافعين و غيرهم و جزاء الشفاعة ﴿ مقيتا ٥ ﴾ أى حفيظا و شهيدا و قديرا على إعطاء ما يقوت من أخلاق النفوس و أحوال القلوب و أرزاق الأبدان و جميع ما به القوام جزاء و ابتداء من جميع الجهات ، و على تقدير ما يستحق كل أحد[7] من الجزاء على الشفاعة و كل خير و شر .

١٥ و لما كان ذلك موجبا للاعراض عنهم[8] رأسا و منابذتهم قولا و فعلا ، بين سبحانه و تعالى أن التحية ليست من وادى الشفاعة ، و أن الشفاعة تابعة للعلم ، و التحية تابعة للظاهر ، فقال سبحانه و تعالى عاطفا

(١) فى ظ : تشريع (٢) سورة ٥٧ آية ٢٨ (٣) فى ظ : منهما (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد ، غير أن « إلى » ليس فى ظ (٥) سقطت الواو من ظ و مد (٦) فى مد : الجمال (٧) فى ظ : واحد (٨) زيدت الواو بعده فى ظ .

على ما تقديره : فلا تشفعوا فيهم و أنتم تعلمون سوء مقاصدهم، فقال معبرا بأداة التحقق بشارة لهم بأنهم يصيرون - بعد ما هم فيه الآن من النكد - ملوكا، و فى حكم الملوك، يحيون و يشفع عندهم، و حثا على التواضع: ﴿ و اذا حييتم بتحية ﴾ أى [أىّ تحية كانت - [1]] إذا كانت مشروعة، و أصل التحية الملك، و اشتقاقها من الحياة، فكأن ٥ حياة الملك هى الحياه، و ما عداها عدم[2]، ثم أطلقت على كل دعاء يبدأ به عند اللقاء؛ و قال الأصبهانى: لفظ التحية صار كناية عن الإكرام، فجميع أنواع الإكرام تدخل[3] تحت لفظ التحية ﴿ فحيوا باحسن منها ﴾ كأن تزيدوا[4] عليها ﴿ او ردوها[5] ﴾ أى من غير زيادة و لا نقص، و ذلك دال[6] على وجوب رد السلام - من الأمر، و على الفور - من الفاء[6]، ١٠ و الإجماع موافق لذلك، و ترك الجواب إهانة، و الإهانة ضرر، و الضرر حرام؛ قال الأصبهانى: و المبتدئ يقول: السلام عليكم، و المجيب يقول[7]: و عليكم السلام، ليكون الافتتاح و الاختتام بذكر الله سبحانه و تعالى. و ما أحسن جعلها تالية لآية الجهاد إشارة إلى أن من بذل السلام وجب الكف عنه و لو كان فى الحرب، على أن من مقتضيات ١٥ هاتين الآيتين [أن مبنى هذه السورة على الندب إلى الإحسان و التعاطف

(١) زيد من ظ و مد، غير أن «اى» ليس فى ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عدمهم (٣) فى ظ: يدخل (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: يزيدوا. (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: الالفاء - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بقوله.

و التواصل، و سبب ذلك إما المال و قد تقدم الأمر به فى قوله تعالى "و اذا حضر القسمة" - الآية ، و إما غيره و من أعظمه القول، لأنه[1] ترجمان القلب الذى به العطف ، و من أعظم ذلك الشفاعة و التحية ، قال عليه الصلاة و السلام فيما أخرجه مسلم و الأربعة عن أبى هريرة رضى الله عنه «و الذى نفسى بيده[2] ! لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، و لا تؤمنوا حتى تحابوا ، أ فلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ، أفشوا السلام بينكم» فناسب ذكر هاتين الآيتين -[3]] بعد ذكر آية الجهاد المختتمة بالبأس و التنكيل .

و لما كانت الشفاعة أعظمها فى الإحسان قدمت و لا سيما و[4] موجبها الإعراض ، و مقصد السورة التواصل ، فشأنها أهم و النظر إليها آكد ، ثم رغب فى الإحسان فى الرد ، و رهب من تركه بقوله معللا : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى [له -[3]] الإحاطة علما و قدرة ﴿ كان ﴾ أى أزلا و أبدا ﴿ على كل شىء حسيبا ﴾ أى محصيا لجميع المتعددات دقيقها و جليلها، كافيا[5] لها فى أقواتها و مثوباتها ، محاسبا بها ، مجازيا عليها، و ذلك كله شأن المقيت ؛ ثم علل ذلك بقوله دالا على تلازم التوحيد و العدل : ﴿ الله ﴾ أى الذى لا مثل له ﴿ لآ الـه الا هو[1] ﴾ أى و قد أمركم بالعدل فى الشفاعه و السلام ، فان لم تفعلوه[6] - لما لكم من النقائص

(١) فى ظ: لان (٢) من مد و مسند الإمام أحمد ١/١٦٧ ، و فى ظ : به (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) فى مد: كاينا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يفعلوه .

التى منها عدم الوحدانية - فهو فاعله و لا بد ، فاحذروه لأنه واحد ، فلا معارض له فى شىء من الحساب و لا غيره ، و لا يخفى عليه شىء ، فالحكم على البواطن إنما هو له تعالى ، و أما أنتم فلم تكلفوا إلا بالظاهر .

و لما تبين أنه لا معارض له أنتج قوله مبينا[1] لوقت الحساب الأعظم : ﴿ ليجمعنكم ﴾ و أكده باللام و النون دلالة على تقدير القسم لإنكار المنكرين له ، و لما كان التدريج بالإماتة شيئا فشيئا ، عبر بحرف الغاية فقال : ﴿ الى يوم القيٰمة ﴾ و الهاء للمبالغة ، ثم أكده بقوله : ﴿ لا ريب فيه[1] ﴾ أى فيفصل بينكم و بين من أخبركم بهم من المنافقين و نقد أحوالهم و بين محالهم ، فيجازى كلا بما يستحق .

و لما كان التقدير : فمن أعظم من الله قدرة ! عطف عليه قوله : ﴿ و من اصدق من الله ﴾ أى الذى له الكمال كله فلا شوب[2] نقص[3] يلحقه ﴿ حديثا ﴾ و هو قد وعد بذلك لأنه عين الحكمة ، و أقسم / عليه ، فلا بد من وقوعه ، و إذ قد تحرر بما مضى أن المنافقين كفرة ، / ٥٠٢ لا لبس فى أمرهم ، و كشف سبحانه و تعالى الحكم فى باطن أمرهم بالشفاعة و ظاهره بالتحية ، و حذر من خالف ذلك بما أوجبته على نفسه حكمته من الجمع ليوم الفصل للحكم بالعدل ، و ختم بأن الخبر عنهم و عن جميع ذلك صدق[4] ؛ كان ذلك سببا[5] لجزم القول بشقاوتهم و الإعراض

(١) زيد بعده فى الأصول : و الهاء للمبالغة ، و ستأتى الزيادة بعد قوله تعالى " الى يوم القيامة " و هو محلها فحذفناها من ههنا (٢) فى ظ : سوب - كذا (٣) سقط من ظ (٤) زيد بعده فى ظ : لا يدانيه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : سبب.

عنهم و البعد عن الشفاعة فيهم ، و الإجماع على ذلك من كل مؤمن و إن كان مبنى السورة على التواصل ، لأن ذلك إنما هو حيث لا يؤدى إلى مقاطعة أمر الله ، فقال تعالى مبكتا لمن توقف عن الجزم بابعادهم : ﴿ فما لكم ﴾ [أيها المؤمنون - [1]] ﴿ فى المنفقين ﴾ أى [أىّ - [2]] شىء لكم من أمور الدنيا أو [3] الآخرة فى افتراقكم فيهم ﴿ فئتين ﴾ بعضكم يشتد عليهم و بعضكم يرفق بهم .

و لما كان هذا ظاهرا فى بروز الأمر المطاع بيت [4] القول بكفرهم وضحه [5] بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الملك الذى لا أمر لأحد معه ﴿ اركسهم ﴾ أى ردهم منكوسين مقلوبين ﴿ بما كسبوا [6] ﴾ أى بعد إقرارهم بالإيمان من مثل هذه العظائم ، فاحذروا ذلك و لا تختلفوا فى أمرهم بعد هذا البيان ؛ و فى غزوة أحد و التفسير من البخارى عن زيد ابن ثابت رضى الله تعالى عنه قال : لما خرج النبى صلى الله عليه و سلم إلى أحد رجع ناس ممن خرج [6] معه ، و كان أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم [فرقتين - [7]] : فرقة تقول : نقاتلهم [8] ، و فرقة تقول : لا نقاتلهم ، فنزلت : "فما لكم فى المنفقين" - الآية ، و قال : إنها طيبة تنفى [9] الذنوب - و فى رواية : الخبيث - كما تنفى النار خبث الفضة - انتهى . فالمعنى حينئذ : اتفقوا على أن تسيروا [10] فيهم بما ينزل عليكم فى هذه الآيات .

(١) زيد من ظ (٢) زيد من مد (٣) فى ظ « و » (٤) فى ظ : ثبت (٥) فى ظ : اوضحه (٦) سقط من ظ (٧) زيد من صحيح البخارى - باب غزوة أحد (٨) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : يقاتلهم (٩) فى ظ : تبقى (١٠) من مد ، و فى الأصل : تصيروا ، و فى ظ : يسيروا .

و لما

و لما كان[1] حال من يرفق بهم حال من يريد هدايتهم، أنكر سبحانه و تعالى ذلك عليهم صريحا لبتّ الأمر فى كفرهم فقال: ﴿ اتريدون ﴾ أى أيها المؤمنون ﴿ ان تهدوا[2] ﴾ أى توجدوا الهداية فى قلب ﴿ من اضل الله[3] ﴾ أى و هو الملك الأعظم الذى لا يرد له أمر، و هو معنى قوله: ﴿ و من ﴾ أى و الحال أنه من[1] ﴿ يضلل الله ﴾ ٥ أى بمجامع أسمائه و صفاته ﴿ فلن تجد ﴾ أى أصلا أيها المخاطب كائنا من كان ﴿ له سبيلا ٥ ﴾ أى إلى ما أضله عنه أصلا، و المعنى: إن كان رفقكم[3] بهم رجاء هدايتهم فذلك أمر ليس إلا لله[4]، و إنما عليكم أنتم الدعاء، فمن أجاب صار أهلا للواصلة، و من أبى صارت مقاطعته دينا، و قتله[5] قربة، و الإغلاظ عليه واجبا. ١٠

و لما أخبر بضلالهم و ثباتهم عليه، أعلم باعراقهم فيه فقال: ﴿ ودوا ﴾ أى أحبوا و تمنوا تمنيا واسعا ﴿ لو تكفرون ﴾ أى توجدون الكفر و تجددونه و تستمرون عليه دائما ﴿ كما كفروا ﴾ و لما لم يكن بين ودهم لكفرهم و كونهم مساوين لهم تلازم، عطف [على -[6]] الفعل المودود[7] - و لم يسبب - قوله: ﴿ فتكونون ﴾ أى [و -[6]] ودوا ١٥

(١) سقط من ظ (٢) من القرآن المجيد، و فى الأصول: تهتدوا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: رفكم - كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الله. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: قتلته (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: المودوه - كذا.

أن[1] يتسبب عن ذلك و يتعقبه أن تكونوا أنتم و هم ﴿ سوآء ﴾ أى فى الضلال ، أى توجدون الكفر و تجددونه و تستمرون عليه دائما ، فأنتم ترجون فى زمان الرفق بهم[2] هدايتهم و هم يودون فيه كفركم[3] و ضلالكم ، فقد تباعدتم فى المذاهب و تبايتم فى المقاصد .

٥ و لما أخبر بهذه[4] الودادة ، سبب عنه أمرهم بالبراءة منهم حتى يصلحوا ، بيانا لأن قولهم فى الإيمان لا يقبل ما لم يصدقوه بفعل فقال : ﴿ فلا تتخذوا ﴾ أى [5]أيها المؤمنون[5] ﴿ منهم اولياء ﴾ أى أقرباء منكم ﴿ حتى يهاجروا[6] ﴾ أى يوقعوا[7] المهاجرة ﴿ فى سبيل الله[4] ﴾ أى يهجروا[8] من خالفهم فى ذات من لا شبه[9] له ، و يتسببوا فى

١٠ هجرانه لهم إن كانوا فى دار الحرب فبتركها ، و إن كانوا عندكم فبترك موادة الكفرة و الموافقة[10] لهم فى أقوالهم و أفعالهم و إن كانوا أقرب أقربائهم ، و هجرتهم فى جميع ذلك بمواصلتكم[11] فى جميع أقوالكم و أفعالكم ؛ و الهجرة العامة هى[12] ترك ما نهى الله سبحانه و تعالى و رسوله صلى الله عليه / و سلم عنه . /٥٠٣

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (٢) فى ظ : فهم (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : كفرهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن هذه (٥-٥) من ظ و مد ، و وقع فى الأصل : يهجروا من ـ كذا مصحفا (٦) فى ظ : تهاجروا (٧) فى ظ : توقعوا (٨) فى ظ : تهجروا (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : يشبه (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : الموادة (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بواصلتهم . (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى .

و لما نهى عن موالاتهم و [غيّ - [1]] النهى بالهجرة ، سبب عنه قوله : ﴿ فان تولوا ﴾ أى عن الهجرة المذكورة ﴿ فخذوهم ﴾ أى اقهروهم بالأسر و غيره ﴿ و اقتلوهم حيث وجدتموهم ﴾ أى فى حل أو حرم . و لما كانوا فى هذه الحالة لا يوالون المؤمنين إلا تكلفا قال : ﴿ و لا تتخذوا ﴾ أى تتكلفوا أن تأخذوا ﴿ منهم وليا ﴾ أى من تفعلون[2] معه فعل المقارب المصافى ﴿ و لا نصيرا ﴾ اى [على - [1]] أحد من أعدائكم[3] ، بل جانبوهم مجانبة كلية .

و لما كان سبحانه و تعالى قد أمر فيهم على تقدير توليهم بما أمر ، استثنى منه فقال : ﴿ الا الذين يصلون ﴾ فرارا منكم ، و هم من الكفار عند الجمهور ﴿ الى قوم بينكم و بينهم ميثاق ﴾ أى عهد وثيق بأن لا تقاتلوهم و لا تقاتلوا من لجأ[4] إليهم أو دخل فيما دخلوا فيه ، فكفوا حينئذ عن أخذهم و قتلهم ﴿ او ﴾ الذين ﴿ جآءوكم ﴾ حال كونهم[5] ﴿ حصرت ﴾ أى ضاقت و هابت و أحجمت[6] ﴿ صدورهم ان[7] ﴾ أى عن أن ﴿ يقاتلوكم ﴾ أى لأجل دينهم و قومهم ﴿ او يقاتلوا قومهم[1] ﴾ أى لأجلكم فرارا أن[8] يكفوا عن قتالكم و قتال قومهم فلا تأخذوهم و لا تقاتلوهم ، لأنهم كالمسالمين[9] بترك القتال ، و لعله عبر بالماضى فى "جاء"

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : يفعلون (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : اعدايهم (٤) فى ظ : الجأ (٥) فى الأصل : كونها ، و فى ظ و مد : كونكم - كذا . (٦) فى الأصل : احمحت ، و فى ظ و مد : اجمحت - كذا (٧) سقط من ظ . (٨) من ظ ، و فى الأصل : او ، و فى مد : اى (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : كالمساكين .

إشارة إلى أن شرط مساواتهم للواصلين إلى المعاهدين عدم التكرر، فان[1] تكرر ذلك منهم فهم الآخرون الآتى حكمهم.

[2]و لما كان[2] التقدير: فلو شاء الله لجعلهم مع قومهم إلبا[3] واحدا [عليكم-[4]]، عطف عليه قوله: ﴿ و لو ﴾ أى[5] يكون المعنى: و الحال أنه لو ﴿ شآء الله ﴾ أى و هو المتصف بكل كمال ﴿ لسلطهم ﴾ أى هؤلاء الواصلين و الجائين[6] على تلك[7] الحال من الكفار ﴿ عليكم ﴾ بنوع من أنواع التسليط، تسليطا جاريا على الأسباب و مقتضى العوائد، لأن بهم[8] قوة على قتالكم ﴿ فلقتلوكم ج ﴾ أى فتسبب عن هذا التسليط أنهم قاتلوكم منفردين أو مع[9] غيرهم من أعدائكم، و اللام فيه جواب 'لو' على التكرير، أو البدل من 'سلط'[10].

و لما كان المغيى على النهى عن قتالهم[11] حينئذ، صرح به فى قوله: ﴿ فان اعتزلوكم ﴾ أى هؤلاء الذين أمرتكم بالكف عنهم من المنافقين، فكفوا عنكم ﴿ فلم يقاتلوكم ﴾ منفردين و لا مجتمعين مع غيرهم ﴿ و القوا اليكم السلم لا ﴾ أى الانقياد ﴿ فما جعل الله ﴾ أى الذى

(١) فى ظ: فانه (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: و لو كانوا ان - كذا. (٣) الإلب: القوم تجمعهم عداوة واحد، يقال: هم علىّ إلب واحد (٤) زيد من مد (٥) فى ظ: او، و زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٦) فى ظ: الخائين - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك (٨) فى ظ: لهم (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: سمع - كذا (١٠) فى ظ: سلطوا (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: قتالكم.

[لا -[1]] أمر لأحد معه بجهة من الجهات ﴿ لكم عليهم سبيلا ﴾ أى إلى شيء من أخذهم و لا قتلهم .

و لما كان كأنه قيل : هل بقى من أقسام المنافقين شيء ؟ قيل : نعم ! ﴿ ستجدون ﴾ أى عن قرب بوعد لا شك فيه ﴿ اٰخرين ﴾ أى من المنافقين ﴿ يريدون ان يامنوكم ﴾ أى فلا يحصل لكم منهم ضرر ﴿ و يامنوا قومهم[1] ﴾ كذلك[2] ، لضعفهم عن كل منكم ، فهم يظهرون لكم الإيمان إذا لقوكم ، و لهم الكفر إذا لقوهم ، و هو معنى ﴿ كلما ردوآ الى الفتنة ﴾ أى الابتلاء[3] بالخوف عند المخالطة ﴿ اركسوا ﴾ أى قلبوا منكوسين ﴿ فيها ج ﴾ .

و لما كان هؤلاء أعرق[4] فى النفاق و أردى و أدنى من الذين قبلهم و أعدى ، صرح بمفهوم ما صرح به فى أولئك ، لأنه أغلظ و هم أجدر[5] من الأولين بالإغلاظ ، و طوى ما صرح به ، [6]ثم قال[6] : ﴿ فان لم يعتزلوكم ﴾ و لما كان الاعتزال خضوعا لا كبرا ، صرح به فى قوله : ﴿ و يلقوآ اليكم السلم ﴾ [أى -[1]] الانقياد . و لما كان الإلقاء[7] لا بد له من قرائن يعرف بها قال : ﴿ و يكفوآ ايديهم ﴾ أى عن قتالكم و أذاكم ﴿ فخذوهم ﴾ أى اقهروهم بكل نوع من أنواع القهر تقدرون عليه ﴿ و اقتلوهم ﴾ .

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : لذلك (٣) فى ظ : بالابتلاء (٤) فى ظ : اعرف (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : احذر (٦-٦) فى ظ : نقال (٧) سقط من ظ .

و لما كان نفاقهم - كما تقدم - فى غاية الرداءة ، و أخلاقهم فى نهاية الدناءة ، أشار [١] إلى الوعد بتيسير التمكين [٢] منهم فقال : ﴿ حيث ثقفتموهم ﴾ فان معناه : صادفتموهم و أدركتموهم و أنتم ظافرون بهم ، / حاذقون فى قتالهم ، فطنون [٣] به ، خفيفون فيه ، فان الثقف : الحاذق الخفيف الفطن ، ٥٠٤/

٥ و لذلك [٤] أشار إليهم بأداة البعد فقال : ﴿ و اولئكم ﴾ أى البعداء عن منال [٥] الرحمة من النصر و النجاة و كل خير ﴿ جعلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ لكم عليهم سلطانا ﴾ أى تسلطا ﴿ مبينا ﴾ أى ظاهرا قوته و تسلطه . و هذه الآيات منسوخة بآية براءة ، فانها متأخرة النزول فانها بعد تبوك .

١٠ و لما بين أقسامهم بيانا ظهر منه أن أحوالهم ملبسة ، و أمر بقتالهم مع الاجتهاد فى تعرف [٦] أحوالهم ، و ختم بالتسلط عليهم ، و كان ربما قتل [٧] من لا يستحق القتل بسبب الإلباس ؛ أتبع ذلك بقوله المراد [٨] به التحريم [٨] ، مخرجا له فى صورة النفى المؤكد بالكون لتغليظ الزجر عنه لما للنفوس عند الحظوظ من الدواعى إلى القتل : ﴿ و ما كان لمؤمن ﴾ ١٥ أى يحرم عليه ﴿ ان يقتل مؤمنا ﴾ أى فى حال من الحالات ﴿ الا خطأ ج ﴾ أى فى حالة الخطأ بأن لا يقصد [٩] القتل ، أو لا يقصد الشخص ، أو يقصده

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشارة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : التمكن . (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : فظنون - كذا (٤) فى ظ : كذلك (٥) من مد ، و فى الأصل : و ظ : مثال (٦) فى ظ : تفرق (٧) فى ظ : قيل (٨-٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالتحريم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تقصد .

بما لا يقصد به زهوق الروح، أو[1] لا يقصد ما هو ممنوع منه كمن يرمى إلى صف الكفار و فيهم مسلم، أو بأن يكون غير مكلف، فان القتل على هذا الوجه ليس بحرام، و هذا الذى ذكره فى أقسام المنافقين إشارة إلى أنه ينبغى التثبت[2] و التحرى فى جميع أمر القتل متى احتمل أن يكون القاتل مؤمنا احتمالا لا تقضى العادة بقربه، فلزم من ذلك بيان حكم الخطأ، و لام الاختصاص قد تطلق على ما لا مانع منه «فانما[3] هى لك أو لأخيك أو للذئب» و كأنه عبر به ليفيد بايجاب الكفارة و الدية غايةَ الزجر عن قتل المؤمن، لأنه إذا كان هذا جزاء ما هو له فما الظن بما ليس له! فقال تعالى: ﴿و من قتل مؤمنا﴾ صغيرا كان أو كبيرا، ذكرا كان أو أنثى، و لعله عبر سبحانه و تعالى بالوصف تنبيها على [أنه -[4]] إن لم يكن كذلك[5] فى نفس الأمر[6] لم يكن عليه شىء فى نفس الأمر[6] و إن ألزم به فى الظاهر ﴿خطأ﴾.

و لما كان الخطأ مرفوعا عن هذه الأمة، فكان لذلك[7] يظن أنه لا شىء على المخطئ؛ بين أن الأمر[6] فى القتل ليس كذلك حفظا[6] للنفوس، لأن الأمر فيها خطر جدا، فقال - مغلظا عليه حثا على زيادة النظر و التحرى عند فعل ما قد يُقْتَل -: ﴿فتحرير﴾ أى فالواجب عليه تحرير ﴿رقبة﴾ أى نفس، عبر بها عنها لأنها لا تعيش بدونها

(١) من مد، و فى الأصل و ظ «و» (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: التعبت - كذا (٣) فى ظ: فانسا - كذا (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: لذلك. (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: كذلك.

كاملة الرق ﴿ مؤمنة ﴾ و لو بيع[1] الدار أو البساتين[2]، سليمة عما يخل بالعمل، و قدم التحرير هنا حثا على رتق ما خرق من حجاب العبد، و إيجاب ذلك فى الخطأ إيجاب له فى العمد بطريق الأولى[3]، و كأنه لم يذكره فى العمد لأنه تخفيف فى الجملة و السياق للتغليظ ﴿ و دية مسلّمة ﴾ ٥ أى مؤداة بيسر و سهولة ﴿ الىٰ اهله ﴾ أى ورثته[4] يقتسمونها كما يقسم الميراث ﴿ الّا ان يصّدّقوا[5] ﴾ أى يجب ذلك عليه فى كل حال إلا فى حال تصدقهم بالعفو عن القاتل بإبرائه من الدية، فلا شىء عليه حينئذ، و عبر بالصدقة ترغيبا ﴿ فان كان ﴾ أى المقتول ﴿ من قوم ﴾ أى فيهم منعة[6] ﴿ عدو لكم ﴾ أى محاربين ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ مؤمن ١٠ فتحرير ﴾ أى فالواجب على القاتل تحرير ﴿ رقبة مؤمنة[5] ﴾ و كأنه عبر بذلك إشارة إلى التحرى فى جودة إسلامها، و قد أسقط هذا حرمة نفسه بغير الكفارة بسكناه فى دار الحرب التى هى دار الإباحة أو وقوعه فى صفهم، و لعده[6] فى عدادهم، قال: "من" و معناه[7] - كما قال[8] الشافعى و غيره تبعا لابن عباس رضى الله تعالى عنهما -: 'فى' ﴿ و ان ١٥ كان ﴾ أى[9] المقتول ﴿ من قوم ﴾ أى كفرة أيضا عدو لكم ﴿ بينكم و بينهم ميثاق ﴾ و هو كافر مثلهم ﴿ فدية ﴾ أى فالواجب فيه كالواجب

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: تبيع (٢) من ظ، و فى الأصل: السابى - كذا، و لا يتضح فى مد (٣) فى ظ: الاول (٤) زيدت الواو بعده فى ظ.
(٥) من مد، و فى الأصل و ظ: منعه (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لعدة.
(٧) فى ظ و مد: معناها (٨) فى ظ: قاله (٩) سقط من ظ.

فى

/ في المؤمن المذكور قبله دية ﴿مسلّمة ا[٣] اهله﴾ على حسب دينه، إن ٥٠٥ /
كان كتابيا فثلث دية المسلم، و إن كان مجوسيا فثلثا عشرها[١] ﴿و تحرير
رقبة مؤمنة ج﴾ و كأنه قدم الدية هنا إشارة إلى[٢] المبادرة بها حفظا
للعهد، و لتأكيد أمر التحرير بكونه ختاما كما كان افتتاحا حثا[٣] على الوفاء
به، لأنه أمانة[٤] لا طالب له[٤] إلا الله؛ و قال الأصبهاني: إن سر ذلك ٥
أن إيجابه[٥] في المؤمن أولى من الدية، و بالعكس ههنا - انتهى. و كان
سره[٦] النظر إلى خير الدين[٧] في المؤمن، [٨]و إلى[٨] حفظ العهد في الكافر
﴿فمن لم يجد﴾ أي الرقبة و لا[٣] ما يتوصل به إليها ﴿فصيام﴾ أي
فالواجب عليه صيام ﴿شهرين متتابعين ز﴾ حتى لو أفطر يوما [واحدا-[٩]]
بغير حيض أو[١٠] نفاس وجب الاستئناف، و علل ذلك بقوله عادا ١٠
للخطأ - بعد التعبير عنه باللام[١١] المقتضية أنه مباح - ذنبا[١٢] تغليظا للحث
على مزيد الاحتياط: ﴿توبة﴾ أي أوجب ذلك عليكم لأجل قبول
التوبة ﴿من الله[٤]﴾ أي الملك الأعظم الذي كل شيء في قبضته.

و لما كان الكفارات من المشقة على النفس بمكان، رغب فيها[١٣]
سبحانه و تعالى بختم الآية بقوله: ﴿و كان الله﴾ أي المحيط بصفات الكمال ١٥

(١) في مد: عشره (٢) زيد في ظ: ان (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) في ظ: لا يطالب به (٥) في ظ: امحاه - كذا (٦) في ظ: سيرة - كذا (٧) من مد، و في الأصل و ظ: الدنيا (٨-٨) في ظ: اولى (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و مد، و في الأصل «و» (١١) أي في قوله "وما كان لمؤمن" (١٢) في ظ و مد: دينا (١٣) من ظ و مد، و في الأصل: فيه.

﴿ عليما ﴾ أى بما يصلحكم فى الدنيا و الآخرة ، و بما يقع خطأ فى نفس الأمر أو عمدا ، فلا يغتر أحد بنصب الأحكام بحسب الظاهر ﴿ حكيما ﴾ فى[1] نصبه[2] الزواجر بالكفارات و غيرها ، فالزموا أوامره و باعدوا زواجره لتفوزوا بالعلم و الحكمة .

٥ و لما ساق تعالى[3] الخطأ[4] مساق ما هو للفاعل منفرا عنه هذا التنفير ، ناسب كل المناسبة أن يذكر ما ليس له من ذلك ، إذ[5] كان ضبط النفس بعد إرسالها شديدا ، فربما سهلت قتل من تحقق إسلامه إحنة ، و جرت إليه[6] ضغينة و قوت[6] الشبه فيه شدة شكيمة[7] ، و لعمرى إن الحمل على الكف بعد الإرسال أصعب من الحمل على الإقدام ! و إنما ١٠ يعرف ذلك من جرب النفوس حال الإشراف على[8] الظفر و اللذاذة بالانتقام مع القوى و القدرة فقال : ﴿ و من يقتل مؤمنا ﴾ و لعله أشار بصيغة المضارع إلى دوام العزم على ذلك لأجل الإيمان ، و هو لا يكون إلا كفرا ، و ترك الكلام محتملا زيادة تنفير من قتل المسلم ﴿ متعمّدا ﴾ أى و أما الخطأ فقد تقدم حكمه فى المؤمن و غيره ﴿ فجزآؤه ﴾ أى ١٥ على ذلك ﴿ جهنم ﴾ أى[9] تتلقاه بحالة كريهة جدا كما تجهم[10] المقتول

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى (٢) من مد ، و فى الأصل : بصعبة ، ولا يتضح فى ظ (٣) زيد فى ظ : الى (٤) زيد فى ظ : ما هو (٥) فى ظ : اذا. (٦-٦) فى ظ : ضيعته و قويت ـ كذا (٧) فى ظ : سليمة (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكى (١٠) جهَمه و جهِمه و تجهّمه و تجهّم له : استقبله بوجه عبوس كريه .

﴿ خلدا[1] فيها ﴾ أى ما كثا إلى ما لا آخر له ﴿ و غضب الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له مع ذلك ﴿ عليه و لعنه ﴾ أى و أبعده من رحمته ﴿ و اعد له عذابا عظيما ﴾ أى لا تبلغ معرفته عقولكم، و إن عمم القول فى هذه الآية كان الذى خصها ما قبلها[2] و ما بعدها من قوله تعالى "و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء[3]" لا[4] آية الفرقان[5] فانها مكية و هذه مدنية.

[6] و لما تبين[6] بهذا المنعُ الشديد من قتل العمد، و ما فى قتل الخطأ من المؤاخذة الموجبة للتثبت، و كان الأمر قد برز[7] بالقتال و القتل فى الجهاد مؤكدا بأنواع التأكيد، و كان ربما التبس الحال؛ أتبع ذلك التصريح بالأمر بالتثبت جوابا لمن كأنه قال: ماذا نفعل بين أمرى الإقدام و الإحجام؟ فقال: ﴿ يـٰأيها الذين امنوآ ﴾ مشيرا بأداة البعد و التعبير بالماضى الذى هو لأدنى الأسنان إلى أن الراسخين غير محتاجين إلى مزيد التأكيد فى التأديب، و ما أحسن التفاته إلى قوله تعالى "و حرض المؤمنين" / إشارة منه تعالى إلى أنهم يتأثرون[8] من تحريضه صلى الله ٥٠٦ /

(١) من ظ و مد و القرآن المجيد، و فى الأصل: خالدين (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: خصها (٣) سورة ٤ آية ٤٨ و ١١٦ (٤) فى الأصول: الا - كذا (٥) أى قوله تعالى "و لا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق و لا يزنون و من يفعل ذلك يلق اثاما * يضعف له العذاب يوم القيمة و يخلد فيه مهانا * الا من تاب" - الآيات ٦٨ - ٧٠ (٦-٦) من مد، و فى الأصل: و كانت من، و قد سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: يراد، و فى مد: يذب - كذا. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: يتالون - كذا.

عليه و سلم و ينقادون لأمره ، بما دلت عليه كلمة " إذا " فى قوله تعالى[1]: ﴿ اذا ضربتم ﴾ أى سافرتم و سرتم فى الأرض ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ، لأجل وجهه خالصا ﴿ فتبينوا ﴾ أى اطلبوا [2] بالتأنى و التثبت[2] بيان الأمور و الثبات فى تلبسها[3] و التوقف الشديد عند ٥ منالها[4] ، و ذلك بتميز بعضها من بعض و انكشاف لبسها غاية الانكشاف ؛ و لا تقدموا إلا على ما بان لكم ﴿ و لا تقولوا ﴾ قولا فضلا عما هو أعلى[5] منه ﴿ لمن ألقى ﴾ أى كائنا من كان ﴿ اليكم السلم ﴾ أى بادر بأن حياكم بتحية الإسلام ملقيا قياده[6] ﴿ لست مؤمنا ﴾ أى بل متعوذ[7] - لتقتلوه .

١٠ و لما كان اتباع الشهوات عند العرب فى غاية الذم قال موبخا منفرا عن مثل هذا فى موضع الحال من فاعل " تقولوا ": ﴿ تبتغون ﴾ أى حال كونكم تطلبون طلبا حثيثا[8] بقتله ﴿ عرض الحيوة الدنيا ﴾ أى بأخذ ما معه من الحطام الفانى و العرض الزائل ، أو بادراك ثأر كان لكم قبله[9] ؛ روى البخارى[10] فى التفسير[10] و مسلم فى آخر كتابه عن ١٥ ابن عباس رضى الله تعالى عنهما " و لا تقولوا لمن القى اليكم السلم " قال:

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى مد و القرآن المجيد فحذفناها.
(٢-٢) من مد ، و فى الأصل : بالنافى و انقلبت ، و فى ظ : ثانيا لثانى و التثليث - كذا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : نفسها (٤) من مد ، و فى الأصل : مسالما ، و فى ظ : منزالها - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذعلى (٦) من مد ، و فى الأصل : قاده ، و فى ظ : قادة - كذا (٧) فى ظ : متوعد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : خبيثا (٩) فى ظ : قبلهم (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

كان

كان رجل [١] فى غنيمة له [١]، فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم، فقتلوه و أخذوا غنيمته، فأنزل الله سبحانه و تعالى [فى - [٢]] ذلك - إلى قوله "عرض الحيوٰة الدنيا [٣]". و رواه الحارث بن أبى أسامة عن سعيد بن جبير و زاد: "كذلك كنتم من قبل" تخفون إيمانكم و أنتم مع المشركين، "فمن الله عليكم" و أظهر الإسلام "فتبينوا" ثم علل النهى عن هذه الحالة بقوله: ﴿ فعند الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ مغانم كثيرة [٤] ﴾ أى يغنيكم بها عما تطلبون من العرض مع طيبها؛ ثم علل النهى من أصله بقوله: ﴿ كذلك ﴾ أى [٤] مثل هذا الذى قتلتموه بجعلكم [٥] إياه بعيدا عن [٦] الإسلام ﴿ كنتم [٧] ﴾ [و بعض زمان القتل - كما هو الواقع - بقوله - [٨]]: [٩] ﴿ من قبل ﴾ أى [٩] [قبل ما نطقتم بكلمة الإسلام - [٨]] ﴿ فمنّ الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ عليكم ﴾ أى بأن ألقى فى قلوب المؤمنين قبول ما أظهرتم امتثالا لأمره سبحانه و تعالى بذلك، فقوى أمر الإيمان [١٠] فى قلوبكم قليلا قليلا

(١-١) من صحيح البخارى، و فى الأصل: لخل، و فى ظ و مد: فى عتبة - كذا.
(٢) زيد من صحيح البخارى (٣) سقط من ظ (٤) تقدم فى الأصل على «كذلك» و الترتيب من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: يجعلكم (٦) فى ظ و مد: من (٧) تقدم فى الأصل على «كذلك اى»، و الترتيب من ظ و مد.
(٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٩ - ٩) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على «"كذلك" أى مثل»، و الترتيب من ظ و مد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: المومنين.

حتى صرتم إلى ما أنتم عليه فى الرسوخ فى الدين و الشهرة بـــه و العز، و لو شاء لقسى قلوبكم و سلطهم عليكم فقتلوكم، فاذا كان الأمر كذلك فعليكم[1] أن تفعلوا بالداخلين فى الدين من القبول ما فعل [بكم - [2]]، و هو معنى ما سبب عن الوعظ من قوله تأكيدا لما مضى إعلاما بفظاعة[3]

٥ أمر القتل: ﴿ فتبينوا[4] ﴾ أى الأمور و تثبتوا فيها حتى تنجلى؛ ثم علل هذا الأمر بقوله مرغبا مرهبا: ﴿ ان الله ﴾ أى المختص بأنه عالم الغيب و الشهادة ﴿ كان بما تعملون خبيرا ٥ ﴾ أى يعلم ما أقدمتم عليه عن[4] تبين [و - [2]] غيره فاحذروه بحفظ بواطنكم و ظواهركم.

و لما ناسبت هذه الآية ما قبلها من آية القتل العمد، و التفتت إلى

١٠ "و حرض المؤمنين" و إلى آية التحية، فاشتد[5] اعتناقها لهما، و علم بها أن فى الضرب فى سبيل الله هذا الخطر، فكان ربما فتر عنه؛ بين فضله لمن كأنه قال: فحينئذ نقعد عن الجهاد لنسلم، بقوله: ﴿ لا يستوى القعدون ﴾ أى عن الجهاد حال كونهم[6] ﴿ من المؤمنين ﴾ أى الغريقين فى الإيمان، ليفيد التصريح بتفضيل المؤمن[7] المجاهد على المؤمن[8]

١٥ القاعد لئلا يخصه أحد بالكافر الجاحد.

و لما كان من الناس من عذره سبحانه و تعالى برحمته استثناهم[9]،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: عليكم (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: مقاصعة - كذا (٤) فى ظ: من (٥) فى ظ: فاسند (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: كونكم (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: المومنين من - كذا (٨) من ظ، و فى الأصل و مد: المومنين (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: استلناهم.

فقال واصفا للقاعدين[1] أو مستثنيا منهم: ﴿ غير اولى الضرر ﴾ أى[2] المانع أو العائق عن الجهاد فى سبيل الله من عوج أو مرض أو عمى ونحوه، و بهذا بان [أن -[3]] الكلام فى المهاجرين؛ / و فى البخارى ٥٠٧/
فى التفسير عن زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أملى عليه "لا يستوى القعدون من المؤمنين و المجهدون فى سبيل الله" فجاءه ابن أم مكتوم و هو يملها [علىّ -[4]] فقال: يا رسول الله! و الله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى؛ فأنزل الله عز و جل على رسوله و فخذه على فخذى فثقلت علىّ حتى خفت أن ترض فخذى، ثم سرى عنه فأنزل الله "غير اولى الضرر" و أخرجه فى فضائل القرآن عن البراء رضى الله تعالى عنه قال: لما نزلت "لا يستوى القعدون" - الآية، قال النبى صلى الله عليه و سلم: ادع [لى -[5]] زيدا و ليجئ باللوح[6] و الدواة [و الكتف -[4]]؛ ثم قال: اكتب - فذكره، و حديث زيد أخرجه أيضا أبو داود و الترمذى و النسائى، و فى رواية أبى داود: قال: كنت إلى جنب رسول الله صلى الله عليه و سلم فغشيته السكينة فوقعت [فخذ -[7]] رسول الله صلى الله عليه و سلم على فخذى[8]، فما وجدت شيئا[9] أثقل من فخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم سرى عنه فقال لى[10]: اكتب،

(١) فى مد: للقاعدون (٢) فى ظ: او (٣) زيد من مد (٤) زيد من صحيح البخارى (٥) زيد من ظ و صحيح البخارى (٦) زيد فى ظ: و القلم (٧) زيد من ظ و مد و سنن أبى داود - كتاب الجهاد (٨) فى ظ: فخذه (٩) فى السنن: ثقل شىء (١٠) ليس فى السنن.

فكتبت فى كتف " لا يستوى القعدون " - إلى آخرها ؛ فقام ابن أم مكتوم - وكان رجلا أعمى - لما سمع فضيلة المجاهدين فقال : يا رسول الله صلى الله عليه و سلم ! فكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين ؟ فلما قضى كلامه غشيت رسول الله صلى الله عليه و سلم السكينة ، فوقعت فخذه على ٥ فخذى ، و وجدت من ثقلها فى المرة الثانية كما وجدت فى المرة الأولى ، فسرى[1] عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : اقرأ يا زيد ! فقرأت " لا يستوى القعدون من المؤمنين " فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم " غير اولى الضرر " - الآية كلها ، قال زيد : أنزلها[2] الله وحدها فألحقتها[3] و الذى نفسى بيده لكأنى أنظر إلى ملحقها عند صدع [فى -[4]] كتف . و رواه ١٠ أبو بكر بن أبى شيبة و أبو يعلى الموصلى و فيه : إن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا نزل عليه دام بصره مفتوحة عيناه ، و فرغ[5] سمعه و قلبه لما يأتيه من الله عز و جل .

و لما ذكر القاعد أتبعه قسيمه المجاهد بقوله[6] : ﴿ و المجهدون فى سبيل الله ﴾ أى دين الملك الأعظم الذى [من -[7]] سلكه ١٥ وصل إلى رحمته ﴿ باموالهم و انفسهم[8] ﴾ و لما كان نفى المساواة[8] سببا لترقب كل من الحزبين الأفضلية[9] ، لأن القاعد و إن فاته الجهاد فقد تخلف الغازى فى أهله ، إذ يحيى الدين بالاشتغال[10] بالعلم و نحوه ؛ قال

(١) فى السنن : ثم سرى (٢) فى السنن : فانزلها (٣) من مد و السنن ، و فى الأصل : فلحقتها ، و فى ظ : فالحقها (٤) زيد من السنن (٥) فى ظ : فرع (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ : المناواة (٩) فى ظ : الافضل له - كذا . (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاشغال .

مستأنفا : ﴿ فضل الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ المجهدين ﴾ و لما كان المال فى أول الأمر ضيقا قال مقدما للمال : ﴿ بأموالهم و انفسهم ﴾ أى جهادا كائنا بالفعل ﴿ على القعدين ﴾ أى عن ذلك و هم متمكنون منه بكونهم فى دار الهجرة ﴿ درجة[1] ﴾ أى واحدة كاملة لأنهم لم يفوقوهم[1] بغيرها ، و[2] فى البخارى[2] فى المغازى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : لا يستوى القاعدون من المؤمنين عن بدر و الخارجون إلى بدر .

و لما شرك[3] بين المجاهدين و القاعدين بقوله : ﴿ و كلا ﴾ أى من الصنفين ﴿ وعد الله ﴾ أى المحيط بالجلال و الإكرام أجرا على إيمانهم ﴿ الحسنى[1] ﴾ بين أن القاعد المشارك إنما هو الذى فيه قوة الجهاد القريبة من الفعل ، و هو التمكن[4] من تنفيذ الأمر بسبب هجرته لأرض[5] الحرب و كونه بين أهل الإيمان ، و أما القاعد عن[6] الهجرة مع التمكن[4] فليس بمشارك فى ذلك ، بل هو ظالم لنفسه فانه ليس متمكنا من تنفيذ / الأوامر ٥٠٨/ فلا هو مجاهد بالفعل و لا بالقوة القريبة منه ، فقال : ﴿ و فضل الله ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له فلا يجبر عليه ﴿ المجهدين ﴾ أى بالفعل مطلقا بالنفس أو المال ﴿ على القعدين ﴾ أى عن الأسباب الممكنة من الجهاد و من[7] الهجرة ﴿ اجرا عظيما[1] ﴾ ثم بينه بقوله : ﴿ درجت ﴾

(١) من مد ، و فى الأصل : لم تعوقوهم ، و فى ظ : لم يفوقوا - كذا .
(٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) كذا فى الأصول ، و لعله : أشرك .
(٤) فى ظ : المتمكن (٥) بين سطرى ظ : دار (٦) فى ظ : من (٧) فى ظ : فى .

و عظمها بقوله : ﴿ منه ﴾ و هى درجة الهجرة ، و درجة التمكن[1] من الجهاد بعد الهجرة [و -[2]] درجة مباشرة الجهاد بالفعل .

و لما كان الإنسان لا يخلو عن زلل و إن اجتهد فى العمل قال : ﴿ و مغفرة ﴾ أى محوا لذنوبهم بحيث أنها لا تذكر و لا يجازى عليها ٥ ﴿ و رحمة[4] ﴾ أى كرامة و رفعة ﴿ و كان الله ﴾ أى المحيط بالأسماء الحسنى و الصفات العلى ﴿ غفورا رحيما ﴾ أزلا و أبدا ، لم يتجدد له ما لم يكن ؛ ثم علل ذلك بأبلغ حث على الهجرة[3] فقال : ﴿ ان الذين توفهم الملئكة[4] ﴾ أى تقبض أرواحهم كاملة على ما عندهم من نقص بعض المعانى بما تركوا من ركن الهجرة بما أشار إليه حذف التاء[5] ، و فى ١٠ الحذف إرشاد إلى أنه إذا ترك[6] من يسعى فى جبره بصدقة أو حج و نحوه من أفعال البر جُبر ، لأن الأساس الذى تبنى عليه الأعمال الصالحة موجود و هو الإيمان[7] ﴿ ظالمى انفسهم ﴾ أى بالقعود عن الجهاد بترك الهجرة و الإقامة فى بلاد الحرب حيث لا يتمكنون من إقامة شعائر[8] الدين كلها ﴿ قالوا ﴾ أى الملائكة موبخين لهم ﴿ فيم كنتم[4] ﴾ أى فى ١٥ أىّ شىء من الأعمال و الأحوال كانت إقامتكم فى بلاد الحرب .

و لما كان المراد من هذا السؤال التوبيخ لأجل ترك الهجرة

(١) زيد بعده فى الأصل : و لما كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) زيدت الواو من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «ركن الهجرة» سقطت من ظ .
(٤) سقط من مد (٥) فى ظ : الباء (٦) فى الأصول : تركه (٧) زيد بعده فى ظ : الذين تتوفاهم الملائكة ، و زيد فى مد : الملائكة (٨) فى ظ : شرايع .

﴿ قالوا ﴾ معتذرين[1] ﴿ كنا مستضعفين فى الارض[1] ﴾ أى أرض[2] الكفار، [لا تتمكن من إقامة الدين، و كأنهم أطلقوها إشارة إلى أنها عندهم لاتساعها لكثرة الكفار - [3]] هى[4] الأرض كلها، فكأنه قيل: هل[5] قنع منهم بذلك؟ فقيل: لا، لأنهم لم يكونوا ضعفاء عن الهجرة، [فكأنه قال: فما قيل لهم؟ فقيل - [6]]: ﴿ قالوا[7] ﴾ [أى الملائكة بيانا لأنهم لم يكونوا ضعفاء عن الهجرة - [6]] إلى موضع يأمنون فيه على دينهم ﴿ الم تكن ارض الله ﴾ أى المحيط بكل شىء، الذى له كل شىء ﴿ واسعة فتهاجروا ﴾ أى بسبب اتساعها كلٌّ من يعاديكم فى الدين ضاربين[8] ﴿ فيها[1] ﴾ أى[5] إلى حيث يزول عنكم المانع، فالآية من الاحتباك: ذكر الجهاد أولا فى[5] "و فضل الله المجهدين" دليل على حذفه ثانيا بعد "ظالمى انفسهم"، و ذكر الهجرة ثانيا دليل على حذفها أولا بالقعود عنها، و لذلك خص الطائفة الأولى بوعد الحسنى.

و لما وبخوا[9] على تركهم الهجرة، سبب عنه جزاؤهم فقيل: ﴿ فاولئك ﴾ أى البعداء من اجتهادهم[10] لأنفسهم ﴿ ماوٰهم جهنم[1] ﴾ [أى - [3]] لتركهم الواجب و تكثيرهم سواد الكفار و انبساطهم فى

(١) فى ظ: متعذرين (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الارض (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) زيد بعده فى ظ: من (٥) سقط من ظ (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٧) تأخر فى الأصل عن «على دينهم» و سقط من مد. (٨) فى ظ و مد: صارمين (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: وبحو- كذا. (١٠) فى ظ: اجهادهم.

وجوه أهـل النـار ﴿ و سآءت مصيرا ﴾ روى البخارى فى التفسير و الفتن عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن ناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، يأتى السهم[1] يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله ، أو يضرب فيقتل ، فأنزل الله تعالى " ان الذين توفهم[2] " - الآية .

و لما توعد على ترك الهجرة ، أتبع ذلك بما زاد القاعد عنها تخويفا بذكر من لم يدخل فى المحكوم عليه بالقدرة على صورة الاستثناء تنبيهـا على أنهم [3]جديرون بالتسوية[3] فى الحكم لو لا فضل الله عليهم[4] ، فقال بيانا لأن المستثنى منهم[5] كاذبون فى ادعائهم الاستضعاف : ﴿ الا المستضعفين ﴾ أى الذين وجد ضعفهم فى نفس الأمر و عُدُّوا ضعفـاء و تقوى عليهم غيرهم ﴿ من الرجال و النسآء و الولدان ﴾ ثم بين ضعفهم بقوله : ﴿ لا يستطيعون حيلة ﴾ أى فى إيقاع الهجرة ﴿ و لا يهتدون سبيلا ﴾ أى إلى ذلك .

و لما كانت الهجرة شديـدة ، و كان ربمـا تركها بعض الأقوياء و اعتل بالضعف ، و ربما ظن القادر مع[6] المشقة أنه ليس بقادر ؛ نـفر من ذلك بالإشارة إليهم بأداة البعد [فقال -[7]] : ﴿ فاولئك ﴾ و لما كان لله[8] سبحانه و تعالى [أن -[7]] يفعل ما يشاء ، لا يجب عليه شيء

(١) فى ظ : اليهم (٢) فى ظ : تتوفـاهم (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : جدير بالتوبة (٤) فى ظ : عليكم (٥) فى ظ : فيهم (٦) فى ظ : على (٧) زيـد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : الله .

و لا

ولا يقبح منه شيء، بل / له أن يعذب الطائع و ينعم العاصي، و يفعل ٥٠٩/
و يقول[1] ما يشاء، "لا يسئل عما يفعل"؛ أحل هؤلاء المعذورين محل
الرجاء إيذانا بأن ترك الهجرة فى غايــة الخطر فقال: ﴿عسى الله﴾
أى المرجو و الخليق و الجدير من الملك المحيط بأوصاف الكمال ﴿ان
يعفو عنهم[1]﴾ أى و لو آخذهم[2] لكان له ذلك، و كل ما جاء فى القرآن ٥
من نحو هذا فهو للاشارة إلى هذا المعنى، و قول ابن عباس رضى الله تعالى
عنهما: إن 'عسى' من الله واجبة، معناه أنه مع أن له أن يفعل ما يشاء
لا يفعل إلا ما يقتضيه الحكمة على ما يستصوبــه منهاج العقل السليم
﴿و كان الله﴾ أى الملك الذى له كل شيء فلا اعتراض عليــه أزلا
و أبدا ﴿عفوا﴾ أى يمحو الذنب إذا أراد فلا يعاقب عليه و قد يعاتب ١٠
عليه ﴿غفورا*﴾ أى يزيل أثره أصلا و رأسا بحيث لا يعاقب عليه
و لا يعاتب و لا يكون بحيث يــذكر أصلا، و لعل العفو راجع إلى
الرجال، و الغفران إلى النساء و الولدان.

و لما رهب من ترك الهجرة، رغب فيها بما يسلى[3] عما قد يوسوس
به الشيطان من أنه لو فارق رفاهية الوطن وقع فى شدة الغربة، و أنه[4] ١٥
ربما تجشم المشقة فاخترم[5] قبل بلوغ القصد، فقال تعالى: ﴿و من
يهاجر﴾ أى يوقع الهجرة لكل ما أمر الله سبحانه و تعالى و رسوله
صلى الله عليه و سلم بهجرتــه ﴿فى سبيل الله﴾ أى الذى لا أعظم من

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بقوله (٢) فى النسخ: واخذهم - كذا.
(٣) من مد، و فى الأصل و ظ: يسمى - كذا (٤) فى ظ: انما (٥) فى ظ: واحترم.

ملكه و لا أوضح من سبيله و لا أوسع ﴿ يجد فى الارض ﴾ أى فى[1] ذات الطول و العرض ﴿ مراغما ﴾ أى مهربا و مذهبا و مضطربا[2] يكون موضعا للمراغمة ، يغضب الأعداء به و يرغم أنوفهم بسبب ما يحصل له من الرفق و حسن الحال ، فيخجل [3]مما جروه[3] من سوء معاملتهم له ؛ من الرغم و هو الذل و الهوان ، و أصله : لصوق الأنف بالرغام و هو التراب ، تقول : راغمت[4] فلانا ، أى هجرته و هو يكره مفارقتك لذلة تلحقه بذلك . و لما كان ذلك الموضع و إن كان واحدا فانه لكبره ذو أجزاء عديدة ، وصف بما يقتضى العدد فقال : ﴿ كثيرا ﴾ .

و لما كانت المراغمة لذة الروح ، فكانت أعز من لذة البدن فقدمها ؛ أتبعها قوله : ﴿ و سعة[5] ﴾ أى فى الرزق ، كما[5] قال صلى الله عليه و سلم « صوموا تصحوا[6] ، و سافروا تغنموا[7] » ، أخرجه الطبرانى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه و لفظه « و اغزوا تغنموا ، و هاجروا تفلحوا » .

و لما كان ربما مات المهاجر قبل وصوله إلى النبى صلى الله عليه و سلم فظن أنه لم يدرك الهجرة مع تجشمه لفراق[8] بلده قال : ﴿ و من يخرج من بيته ﴾ أى فضلا عن بلده ﴿ مهاجرا الى الله ﴾ أى رضى الملك

(١) ليس فى مد (٢) فى ظ : مطربا - كذا (٣ - ٣) من مد ، و فى الأصل : مهاجرون ، و فى ظ : مهاجروه - كذا (٤) من مد ، و فى الأصل وظ : راغب. (٥) سقط من ظ (٦) رواه الإمام أحمد فى مسند أبى هريرة رضى الله عنه ٢/٣٨٠ بما نصه « سافروا تصحوا و اغزوا تستغنوا » (٧) فى ظ : نفضوا - كذا ، و العبارة من هنا إلى « و اغزوا تغنموا » ساقطة منه (٨) فى ظ : بفراق .

الذى له الكمال كله ﴿ و رسوله ﴾ أى ليكون عنده ﴿ ثم يدركه الموت ﴾ أى بعد خروجه من بيته و لو قبل الفصول[1] من بلده ﴿ فقد وقع اجره ﴾ أى فى هجرته بحسب الوعد فضلا ، لا بحسب الاستحقاق عدلا ﴿ على الله[ط] ﴾ أى الذى له تمام الإحاطة فلا ينقصه شيء ، و كذا كل من نوى خيرا و لم يدركه « لا حسد إلا فى اثنتين » فهو موفيه إياه توفية ما يلتزمه الكريم منكم . ٥

و لما كان بعضهم[2] ربما قصر به عن البلوغ توانيه فى سيره أو عن خروجه من بلده فظن أن هجرته هذه لم تَجبُر تقصيرَه قال : ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ غفورا ﴾ أى لتقصير إن كان ﴿ رحيما[ع] ﴾ يكرم[3] بعد المغفرة بأنواع الكرامات . ١٠

و لما أوجب السفر للجهاد و الهجرة ، و[4] كان مطلق السفر مظنة المشقة فكيف بسفرهما مع ما ينضم إلى المشقة فيهما من خوف الأعداء؛ ذكر تخفيف الصلاة بالقصر بقوله سبحانه و تعالى : ﴿ و اذا ضربتم ﴾ أى بالسفر ﴿ فى الارض ﴾ أىّ سفر كان لغير معصية . و لما كان القصر رخصة غير عزيمة ، بينه بقوله : ﴿ فليس عليكم جناح ﴾ أى إثم و ميل[5] فى ﴿ ان تقصروا ﴾ و لما كان القصر خاصا ببعض / الصلوات ، أتى بالجار لذلك[6] و لإفادة[7] أنه فى [8]الكم لا فى[8] الكيف فقال : ﴿ من ١٥ / ٥١٠

(١) فى ظ : الوصول (٢) فى ظ : بعضكم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تكرم (٤) سقطت الواو من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مثل (٦) فى ظ : كذلك (٧) من مد ، و فى الأصل : الافادة ، و فى ظ : لا فائدة - كذا . (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

الصلوٰة صلى ﴾ أى فاقصروا إن أردتم و أتموا إن أردتم ، و بينت السنة أعيان الصلوات المقصورات ، و كم يقصر منها من ركعة ، و أن[1] القصر من الكمية [2]لا من الكيفية[2] بالإيماء[3] مثلا فى صلاة الخوف بقول عمر رضى الله تعالى عنه ليعلى بن أمية - حين قال له : كيف تقصر و قد أمنا - :

٥ عجبت مما عجبت منه [فسألت رسول الله صلى الله عليه و سلم عن ذلك - [4]] ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم « صدقة تصدق الله بها عليكم ، فاقبلوا صدقته » و هذا هو حقيقة القصر و الذى دلت عليه " من " ، و أما الإيماء[5] و نحوه من كيفيات صلاة الخوف فابدال لا قصر ، و السياق كما ترى مشير إلى شدة الاهتمام بشأنها ، و أنه لا يسقطها عن[6] المكلف شىء ،

١٠ و قاض بأن المخاطرة بالنفس و المال لا تسقط الجهاد و لا الهجرة إذ الخوف و الخطر مبنى أمرهما و محط قصدهما ، فهذا سر قوله : ﴿ ان خفتم ان يفتنكم ﴾ أى يخالطكم مخالطة مزعجة ﴿ الذين كفروا[7] ﴾ لا[7] أنه شرط فى القصر ، كما بينت[8] نفى شرطيته السنة ، و الحاصل أن هذا الشرط ذكر لهذا المقصد[9] ، لا لمخالفة المفهوم للمنطوق[10] بشهادة السنة ؛

١٥ و قد كانت الصلاة قبل الهجرة ركعتين [ركعتين - [11]] ، فأتمت بعد الهجرة إشارة[12] إلى أن المدينة دار الإقامة و ما قبلها كان محل سفر و نقلة ؛

---

(١) زيد بعده فى ظ : كان (٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل: للايماء (٤) زيد من الصحيح لمسلم - المسافرين (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الايمان (٦) فى ظ: على (٧) فى ظ: الا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بين . (٩) فى ظ : القصد (١٠) فى ظ : المنطوق (١١) زيد من ظ و مد (١٢) فى ظ : باشارة .

روى الشيخان و أحمد - و هذا لفظه - عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت: فرضت الصلاة[1] ركعتين ركعتين، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة[2] أقرت صلاة السفر و زيد فى صلاة الحضر[2].

ولما ذكر الخوف منهم، علله مشيرا بالإظهار موضع الإضمار، و باسم الفاعل إلى أن من تلبس بالكفر ساعة ما، أعرق فيه، أو إلى[3] أن المجبول[3] على العداوة المشار إليه بلفظ الكون إنما هو الراسخ فى الكفر المحكوم بموته عليه فقال[4]: ﴿ان الكٰفرين﴾ أى الراسخين منهم فى الكفر ﴿كانوا﴾ أى جبلة و طبعا. و لعله أشار إلى أنهم مغلوبون بقوله: ﴿لكم﴾ دون 'عليكم' ﴿عدوا﴾ و لما كان العدو مما يستوى فيه الواحد و الجمع قال: ﴿مبينا ۝﴾ أى ظاهر العداوة، يعدون عليكم لقصد الأذى مهما وجدوا لذلك سبيلا، فربما وجدوا الفرصة فى ذلك عند طول الصلاة فلذلك قصرتها، و لو لا أنها لا رخصة[5] فيها بوجه لوضعتها عنكم فى مثل هذه الحالة، أو جعلت التخفيف فى الوقت فأمرت بالتأخير، و لكنه لا زكاء للنفوس بدون فعلها على ما حددت[6] من الوقت و غيره.

(١) زيد بعده فى ظ: قبل الهجرة (٢ - ٢) ما بين الرقمين لفظ الشيخين فى صحيحيهما، و لفظ أحمد فى مسنده ٦ / ٢٤١: زاد مع كل ركعتين ركعتين إلا المغرب فانها وتر النهار و صلاة الفجر لطول قراءتها، قال: و كان إذا سافر صلى الصلاة الأولى (٣-٣) فى ظ: المحبول (٤) فى ظ: قال (٥) فى ظ: خطة. (٦) فى ظ: جددت.

و لما أتم سبحانه و تعالى بيان القصر فى الكمية مقرونا بالخوف لما ذكر، و كان حضور النبي صلى الله عليه و سلم مظنة الأمن بالتأييد بالملائكة و وعد العصمة من الناس، و ما شهر به من الشجاعة و نصر به من[1] الرعب و غير ذلك من الأمور القاضية بأن له العاقبة؛ بين سبحانه و تعالى حال الصلاة فى الكيفية عند الخوف، و أن صلاة الخوف تفعل عند الأنس بحضرته كما تفعل عند الاستيحاش[2] بغيبته صلى الله عليه و سلم، فجوازها لقوم ليس هو صلى الله عليه و سلم فيهم مفهوم موافقة، فقال سبحانه و تعالى: ﴿ و اذا كنت ﴾ حال الخوف الذى تقدم فرضه ﴿ فيهم ﴾ أى فى أصحابك سواء كان ذلك فى السفر أو فى الحضر ﴿ فاقمت ﴾ أى ابتدأت و أوجدت ﴿ لهم الصلوٰة ﴾ أى الكاملة و هى المفروضة ﴿ فلتقم طآئفة منهم معك ﴾ أى فى الصلاة و لتقم الطائفة الأخرى وجاه العدو، و يطوفون فى كل موضع يمكن أن يأتى منه العدو ﴿ و ليأخذوآ ﴾ أى المصلون لأنهم المحتاجون إلى هذا الأمر لدخولهم فى حالة هى بترك السلاح أجدر[3] ﴿ اسلحتهم قف ﴾ كما يأخذها من هو خارج الصلاة، و سبب الأمر بصلاة الخوف - كما فى صحيح مسلم و غيره عن جابر رضى الله تعالى عنه - أنهم غزوا مع النبي صلى الله عليه و سلم فقاتلوا قوما من جهينة فقاتلوا / قتالا شديدا، قال جابر رضى الله تعالى عنه[4]: فلما صلينا الظهر قال المشركون: لو ملنا عليهم ميلة لاقتطعناهم[5]، /٥١١

(١) زيد بعده فى ظ: الحرب (٢) فى ظ و مد: الاستيجاش (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اجدل (٤) زيد بعده فى ظ: انهم غزوا مع النبي صلى الله عليه و سلم (٥) من ظ و مد و الصحيح لمسلم - صلاة الخوف، و فى الأصل: لا اقتطعناهم - كذا.

فأخبر جبرئيل عليه الصلاة و السلام رسول الله صلى الله عليه و سلم ذلك ، فذكر ذلك لنا رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قال : و قالوا[1] : إنه[2] ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من الأولاد[3] . فلما حضرت العصر صفنا صفين و المشركون بيننا و بين القبلة - الحديث . ﴿ فاذا سجدوا ﴾ يمكن أن يكون المراد بالسجود ظاهره ، فيكون الضمير فى ﴿ فليكونوا ﴾ للجمع ٥ - الذين[4] منهم هذه الطائفة - المذكورين بطريق الإضمار فى قوله " و اذا كنت فيهم " و فى " فلتقم منهم[5] " أى فاذا سجد[6] الذين قاموا معك فى الصلاة فليكن المحدث عنهم و هم الباقون الذين أنت فيهم و هذه الطائفة منهم ﴿ من ورآئكم ص ﴾ فاذا أتمت هذه الطائفة صلاتها فلتذهب إلى الحراسة ﴿ و لتات طآئفة اخرى ﴾ أى من الجماعة ﴿ لم يصلوا فليصلوا ١٠ معك ﴾ كما صلت الطائفة الأولى ، فان كانت الصلاة ثنائية و لم تصل بكل طائفة جميع الصلاة فلتسلم بالطائفة الثانية ، و إن كانت رباعية و لم تصل بكل فرقة جميع الصلاة فلتتم[7] صلاتها ، و لتذهب إلى وجاه العدو و لتأت طائفة أخرى - و هكذا حتى تتم الصلاة ؛ و يمكن أن يكون المراد بالسجود[8] الصلاة - من إطلاق اسم الجزء على الكل ، فكأنه قال : فاذا ١٥ صلوا ، أى أتموا صلاتهم - على ما مضت الإشارة إليه ، و الضمير حينئذ

(١) فى ظ : قال (٢) من الصحيح ، و فى الأصول : انها (٣) من الصحيح ، و فى الأصل و مد : الاول ، و فى ظ : الاولى (٤) فى ظ : الذى (٥) زيد بعده فى ظ " طائفة " (٦) فى ظ : سجدوا (٧) من مد ، و فى الأصل : فليتم ، و فى ظ : فلتقم. (٨) زيدت الواو بعده فى ظ .

فى " فليكونوا " للطائفة الساجدة ، و قوله ﴿ و ليأخذوا ﴾ يمكن أن يكون[1] ضميره للكل ، لئلا يتوهم أن الأمر بذلك يختص بالمصلى ، لأن غيره لا عائق له عن الأخذ متى شاء ، أى و لتأخذ جميع الطوائف الحارسون و المصلون ﴿ حذرهم و اسلحتهم ج ﴾ فى حال صلاتهم وحراستهم و إتيانهم إلى الصلاة و انصرافهم منها ، فجعل الحذر الذى هو التيقظ[2] و التحرز باقبال الفكر على ما يمنع كيد العدو كالآلة المحسوسة ، و خص فى استعماله فى الصلاة [3]فى شأن العدو و خص آخر الصلاة[3] بزيادة الحذر إشارة إلى أن العدو فى أول الصلاة قلما يفطنون لكونهم فى الصلاة بخلاف الآخر ، فلهذا خص بمزيد الحذر ، و هذا الكلام على [4]وجازته محتمل[4] - كما ترى - لجميع الكيفيات [المذكورة -[5]] فى الفقه لصلاة الخوف إذا لم يكن العدو فى وجه[6] القبلة على أنها تحتمل التنزيل على ما إذا كان فى وجه القبلة بأن يحمل الوراء على ما واراه[6] السجود عنكم و إتيان الطائفة الأخرى على الإقبال على المتابعة للامام فى الأفعال " و لم يصلوا " أى بقيد المتابعة له فيها - و الله سبحانه و تعالى الهادى . و ما أحسن اتصال ذلك بأول آيات الجهاد فى هذه السورة " يا ايها الذين امنوا خذوا حذركم " فهو[8] من رد المقطع على المطلع ، ثم علل أمره بهذه الكيفية على هذا الاحتياط و الحزم بقوله مقويا لترغيبهم فى ذلك باقبال الخطاب

(١) فى ظ : تكون (٢) فى ظ : القبط - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) فى ظ : وجاز به يحتمل (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ . (٧) فى ظ : وراه (٨) فى ظ : فهى .

عليهم

عليهم: ﴿ود﴾ أى تمنى تمنيا عظيما ﴿الذين كفروا﴾ أى باشروا الكفر وقتا ما، فكيف بمن هو غريق فيه ﴿لو تغفلون﴾ أى [1]تقع لكم[1] غفلة فى وقت ما ﴿عن اسلحتكم﴾.

و لما كانت القوة بالآلات[2] مرهبة للعدو و منكبة قال: ﴿و امتعتكم﴾ و لما كانت الغفلة ضعفا ظاهرا، تسبب[3] عنها قوله: ﴿فيميلون﴾ و أشار ٥ إلى العلو و الغلبة بقوله: ﴿عليكم﴾ و أشار إلى سرعة الأخذ بقوله: ﴿ميلة﴾ [و أكده بقوله-[4]]: ﴿واحدة[5]﴾.

و لما كان الله - و له المن - قد رفع عن هذه الأمة الحرج، و كان[6] المطر و المرض شاقين قال: ﴿و لا جناح﴾ أى حرج ﴿عليكم ان كان بكم اذى﴾ أى و إن كان يسيرا ﴿من مطر﴾ أى لأن حمل ١٠ السلاح حينئذ يكون سببا لبله ﴿او كنتم مرضى﴾ أى متصفين بالمرض، و كأن التعبير بالوصف إشارة إلى أن أدنى شىء منه لا يرخص ﴿ان تضعوآ اسلحتكم﴾ أى لأن حملها يزيد المريض وهنا. /٥١٢

و لما خفف ما أوجبه أولا من أخذ السلاح برفع الجناح فى حال العذر، فكان التقدير: فضعوه إن شئتم؛ عطف عليه بصيغة الأمر ١٥ إشارة إلى وجوب الحذر منهم فى كل حال قوله: ﴿و خذوا حذركم[5]﴾ أى فى كل حالة، فان ذلك نفع لا يتوقع منه ضرر؛ ثم علل ذلك بما بشر فيه بالنصر تشجيعا للمؤمنين، و إعلاما بأن الأمر بالحزم[6] إنما هو

(١-١) فى ظ: يقع له (٢) فى ظ: بالات (٣) فى ظ: فتسبب (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: بالجزم.

للجرى[1] على ما رسمه من الحكمة فى قوله - ربط المسببات بالأسباب ، فهو من باب[2] «اعقلها و توكل[3]» فقال : ﴿ ان الله ﴾ المحيط علما و قدرة ﴿ اعد ﴾ أى فى الأزل[4] ﴿ للكٰفرين ﴾ أى الدائمين[5] على الكفر ، لا من اتصف به وقتا ما و تاب منه ﴿عذابا مهينا ۝ ﴾ أى يهينهم[6] به ، من أعظمه حذركم الذى لا يدع لهم عليكم مقدما ، و لا تمكنهم[7] معه منكم فرصة .

و لما علمهم بما[8] يفعلون فى الصلاة حال الخوف ، أتبع ذلك ما يفعلون بعدها لئلا يظن أنها تغنى عن مجرد الذكر ، فقال مشيرا إلى تعقيبه [به -[9]] : ﴿ فاذا قضيتم الصلوٰة ﴾ أى فرغتم من فعلها و أديتموها على حالة الخوف أو غيرها ﴿ فاذكروا الله ﴾ أى بغير الصلاة لأنه لإحاطته بكل شىء يستحق أن يراقب فلا ينسى ﴿ قيٰما و قعودا و على جنوبكم ج ﴾ أى فى كل حالة ، فان ذكره حصنكم فى كل حالة من كل عدو ظاهر أو باطن .

و لما كان الذكر أعظم حفيظ للعبد[10] ، و حارس من[2] شياطين الإنس و الجن ، و مسكن للقلوب " الا بذكر الله تطمئن القلوب[11] " ، أشار[12]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : للحرى (٢) سقط من ظ (٣) راجع جامع الترمذى - ابواب الزهد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاول (٥) فى ظ : القائمين (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تهينهم (٧) فى ظ : لا يمكنهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ : للعبيد . (١١) سورة ١٣ آية ٢٨ (١٢) فى ظ : اشارة .

إلى ذلك بالأمر بالصلاة[1] حال الطمأنينة ، تنبيها على عظم قدرها[2] ، و بيانا لأنها أوثق عرى الدين و أقوى دعائمه و أفضل مجليات القلوب و مهذبات النفوس ، لأنها مشتملة على مجامع الذكر "ان الصلوٰة تنهى عن الفحشآء و المنكر و لذكر الله اكبر[3]" فقال : ﴿ فاذا اطمانننتم ﴾ أى عما كنتم فيه من الخوف ﴿ فاقيموا الصلوٰة ج ﴾ أى ٥ فافعلوها قائمة المعالم[4] كلها على الحالة التى كنتم تفعلونها قبل الخوف ؛ ثم علل الأمر بها فى الأمن و الخوف[5] و السعة و الضيق سفرا أو حضرا بقوله : ﴿ ان الصلوٰة ﴾ مظهرا لما كان الأصل فيه الإضمار[6] تنبيها على عظيم قدرها بما للعبد فيها من الوصلة بمعبوده ﴿ كانت على المؤمنين كتٰبا ﴾ [7] أى هى - مع كونها فرضا - جامعة على الله جمعا لا يقارنها فيه غيره[7] ١٠ ﴿موقوتا ه ﴾ أى و هى - مع كونها محدودة - مضبوطة بأوقات مشهورة ، فلا يجوز إخراجها عنها فى أمن و لا خوف فوت - بما أشارت إليه مادة 'وقت' للأبدان[8] بما تسبب من الأرزاق . و للقلوب بما تجلب[9] من المعارف و الأنوار[10] .

و لما عرف من ذلك أن آيات الجهاد فى هذه السورة معلمة[11] ١٥ للحذر خوف الضرر ، مرشدة إلى إتقان المكائد للتخلص من الخطر ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالصلاح (٢) فى ظ : قدرتها (٣) سورة ٢٩ آية ٤٨ (٤) فى ظ : المعلم (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : الا اضمار (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : للايذان (٩) فى ظ : تجلت (١٠) فى ظ : الاقدار (١١) فى ظ : معللة .

و كان ذلك مظنة لمتابعة النفس و المبالغة فيه، و هو مظنة للتوانى فى أمر الجهاد؛ أتبع ذلك قوله تعالى منبها على الجد فى أمره، و أنه لم يدع فى الصلاة و لا غيرها ما يشغل عنه، عاطفا على نحو: فافعلوا ما أمرتكم به، أو على "فاقيموا الصلوٰة": ﴿ و لا تهنوا ﴾ أى [1] تضعفوا و تتوانوا [1] بالاشتغال
٥ بذكر و لا صلاة، فقد يسرت [2] ذلك لكم تيسيرا لا يعوق عن [3] شىء من [3] أمر الجهاد ﴿ فى ابتغآء القوم [4] ﴾ أى طلبهم بالاجتهاد و إن كانوا فى غاية القوة و القيام بالأمور؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ ان تكونوا تالمون ﴾ أى يحصل لكم ألم و مشقة بالجهاد من القتل [4] و ما دونه ﴿ فانهم يالمون كما تالمون ج ﴾ أى [5] [لأنهم -[6]] يحصل [لهم من ذلك
١٠ ما يحصل -[6]] لكم، فلا يكونن على باطلهم أصبر منكم على حقكم.

و لما بين ما يكون مانعا [7] لهم من الوهن دونهم، لأنه مشترك بينهم [8]؛ بيّن ما يحملهم على الإقدام لاختصاصه به فقال: ﴿ و ترجون ﴾ أى أنتم ﴿ من الله ﴾ أى الذى له جميع الأسماء الحسنى و الصفات العلى ﴿ ما لا يرجون [4] ﴾ أى من النصر و العزم و الكرم / و اللطف، لأنكم ٥١٣ /
١٥ تقاتلون فيه و هم يقاتلون [فى الشيطان -[6]]، و هـذا لكل من يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر سواء كان ذلك [9] فى جهاد الكفار أو لا.

(١ - ١) فى ظ: يضعفوا و يتوانوا (٢) زيد بعده فى ظ: لكم (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: القتيل (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٧) فى ظ: من نعا - كذا. (٨) زيدت الواو بعده فى الأصول، فحذفناها لكى ينتسق الكلام (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: كان.

و لما

و لما كان العلم مبنى كل خير، و كانت الحكمة التى هى نهاية العلم و غاية القدرة مجمع[1] الصفات العلى قال تعالى: ﴿ و كان الله ﴾ أى الآمر لكم بهذه الأوامر و هو المحيط بكل شىء ﴿ عليما ﴾ أى بالغ العلم فهو لا يأمر إلا بما يكون بالغ الحسن مصلحا للدين و الدنيا ﴿ حكيما ﴾ فهو يتقن لمن يأمره الأحوال، و يسدده[2] فى المقال و الفعال، فمن علم منه خيرا أراده و رقاه فى درج[3] السعادة، و من علم منه شرا كاده فنكس مبدأه[4] و معاده[4].

و لما كان أول هذه القصص[5] التعجيب من حال الذين أوتوا نصيبا من الكتاب فى ضلالهم و إضلالهم، ثم التعجيب من إيمانهم بالجبت و الطاغوت، ثم التعجيب من حال من ادعى الإيمان بهذا الكتاب مع الكتب السالفة، ثم رضى بحكم غيره، و ساق سبحانه و تعالى أصول ذلك و فروعه، و نصب الأدلة حتى علت على الفرقدين، و انتشر ضياؤها على جميع الخافقين، و ختم ذلك بمجاهدة المبطلين بالحجة و السيف، و سوّر ذلك بصفتى العلم و الحكمة؛ ناسب أتم مناسبة الإخبار بأنه أنزل هذا[6] الكتاب بالحق، و بين فائدته التى عدل عنها المنافقون فى استحكام غيره فقال: ﴿ انآ انزلنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة التى تتقاصر دونها كل عظمة ﴿ اليك ﴾ أى خاصة و أنت أكمل الخلق ﴿ الكتٰب ﴾ أى الكامل الجامع لكل خير ﴿ بالحق ﴾ أى ملتبسا بما يطابقه الواقع

(١) فى ظ: لجميع (٢) فى ظ: يسده (٣) فى ظ: درجة (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: القصة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: هذه.

﴿لتحكم بين الناس﴾ أى عامة ، لأن دعوتك عامة فلا أضل ممن عدل عن [1]حكمك و ابتغى[1] خيرا من غير كتابك ، و أشار إلى أنه لا ينطق عن الهوى بقوله : ﴿ بما أراك الله [1] ﴾ أى عرفكه الذى له القدرة الشاملة و العلم الكامل ، فان كان قد بين لك شيئا غاية البيان فافعله ، و إلا فانتظر منه البيان ؛ ثم شرع سبحانه و تعالى فى إتمام ما بقى من أخبارهم ، و كشف ما بطن من أسرارهم ، و بيان علاماتهم ليعرفوا ، و يجتنبها المؤمنون لئلا يوسموا بميسمهم .

و لما كان سبحانه و تعالى قد خفف عليه صلى الله عليه و سلم [2]- بأن شرع له القناعة فى الحكم بالظاهر و عدم التكليف بالنقب عن[3] سرائرهم -[4]] بالدفع عن طعمة بن أبيرق ، لأن أمره كان مشكلا ، فانه سرق درعا و أودعها[5] عند يهودى ، فوجدت عنده فادعى أن طعمة أودعها عنده ، و لم يثبت ذلك على طعمة حتى أنزل الله سبحانه و تعالى الآية ، فأراد تعالى إنزاله فى هذه النازلة و غيرها مما يريده سبحانه و تعالى فى المقام الخضرى من الحكم بما فى نفس الأمر مما[6] لا يعلمه إلا الله سبحانه و تعالى إذ كان الصحيح الذى عليه الجمهور - كما نقله شيخنا قاضى الشافعية بمصر أبو الفضل[7] أحمد بن على بن حجر رحمه الله تعالى

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : حلمك و يبغى (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : على (٤) زيد بعده فى ظ أيضا : صلى الله عليه و سلم (٥) فى ظ : اودعه ، و الدرع مؤنث و قد يذكر (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : بما .
(٧) فى ظ : أبو بكر - كذا ، و هو إمام الحفاظ قاضى القضاة شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على الكنانى العسقلانى المعروف بابن حجر المتوفى سنة ٨٥٢ هـ .

فى الإصابة فى أسماء[1] الصحابة - أن الخضر عليه الصلاة و السلام نبى ، و كان نبينا[2] صلى الله عليه و سلم قد أعطى مثل جميع معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم مع ما اختص به دونهم - على جميعهم أفضل الصلاة و أتم التسليم و البركات ، فقال تعالى عاطفا على ما علم[3] تقديره من نحو : فاحكم[4] بما نريك[5] من بحار العلوم التى أودعناها هذا الكتاب : ﴿ و لا تكن للخآئنين ﴾ أى [لأجلهم -[6]] ، من طعمة و غيره ﴿ خصيما ﴾ أى مخاصما لمن يخاصمهم ، و أتبع ذلك قوله : ﴿ و استغفر الله[1] ﴾ أى اطلب مغفرة من له الكمال كله من الهم بالذب عنه . ثم علل بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة التامة و الغنى المطلق ﴿ كان ﴾ أى أزلا و أبدا ﴿ غفورا رحيما ﴾ و هذا الاستغفار لا عن ذنب إذ هو منزه[7] عن ذلك ، معصوم[8] منه ، و لكن عن مقام عال تام للارتقاء إلى أعلى منه و أتم ؛ و قد روى الترمذى سبب نزول هذه الآيات إلى قوله تعالى " فقد ضل ضلالا بعيدا " من / وجه مستقص[9] مبين بيانا شافيا ، / ٥١٤ و سمى[10] بنى أبيرق[10] بشرا[11] و بشيرا[12] و مبشرا ، و لم يذكر طعمة - و الله

(١) كذا ، و اسم الكتاب كما هو الصواب « الإصابة فى تمييز الصحابة » - راجع كشف الظنون ١/١١٠ (٢) فى ظ : نبيا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فالحكم (٥) فى ظ : يرك - كذا (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : منزله (٨) فى ظ : مفهوم (٩) فى ظ : مستثنى - كذا . (١٠ - ١٠) فى ظ : بين العرب - كذا (١١) من ظ و مد و جامع الترمذى - أبواب التفسير ، و فى الأصل : مشبرا - كذا (١٢) فى ظ : مبشيرا - كذا .

سبحانه و تعالى أعلم ، قال : عن قتادة[١] بن النعمان قال : كان أهل بيت منا يقال لهم بنو أبيرق : بشر و بشير و مبشر ، فكان[٢] بشير رجلا منافقا يقول الشعر[٣] يهجو به أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، [[٤]- ثم ينحله بعض العرب ، [٥]ثم يقول : قال فلان كذا و كذا[٥] ، فاذا سمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم] ذلك الشعر قالوا : و الله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الخبيث ! [قال : -[٦]] و كانوا أهل بيت حاجة و فاقة فى الجاهلية و الإسلام[٧] ، فقدمت ضافطة[٨] من الشام ، فابتاع عمى رفاعة بن زيد حملا من الدرمك[٩] فجعله فى مشربة[١٠] له ، و فى المشربة سلاح درع و سيف ، فعدى عليه [من تحت البيت -[٦]] فنقبت المشربة ، و أخذ الطعام و السلاح ، فلما أصبح أتانى[١١] [عمى رفاعة -[٦]] فقال : يا ابن أخى ! إنه قد عدى[١٢] علينا فى ليلتنا هذه فنقبت مشربتنا ، و ذهب بطعامنا و سلاحنا ، [قال : -[٦]] فتحسسنا فى الدار ، فقيل لنا : قد رأينا [بنى -[٤]] أبيرق

(١) فى ظ : هناذلة - كذا (٢) من الجامع ، و فى الأصول : و كان (٣) فى ظ : السفر (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد و الجامع (٥ - ٥) ليس ما بين الرقمين فى ظ و مد (٦) زيد ما بين الحاجزين من الجامع (٧) زيد فى الجامع : و كان الناس إنما طعامهم بالمدينة التمر و الشعير ، وكان الرجل إذا كان له يسار فقدمت ضافطة من الشام من الدرمك ابتاع الرجل منها فخص بها نفسه ، و أما العيال فانما طعامهم التمر و الشعير (٨) فى ظ : طائفة ، و الضافطة : الإبل الحمولة. (٩) الدرمك و الدرمق : الدقيق الأبيض (١٠) فى ظ : مشربك (١١) فى ظ : اتى بى - كذا (١٢) من ظ و مد و الجامع ، و فى الأصل : اعدا .

استوقدوا فى هـذه الليلة ، و لا نرى [فيما نرى -[1]] إلا على بعض طعامكم ، [قال : -[1]] وكان[2] بنو أبيرق قالوا - و نحن نسأل[3] فى الدار - : و الله ما نرى صاحبكم إلا لبيد بن سهل - رجل[4] منا[5] له صلاح و إسلام ، فلما سمع لبيد اخترط سيفه و قال[6] : أنا أسرق ! فوالله ليخالطنكم هذا السيف أو لتبينن هذه السرقة ! قالوا : [7] إليك عنا أيها[7] الرجل ! فما أنت بصاحبها ، فسألنا فى الدار حتى لم نشك[8] أنهم أصحابها ، فقال لى عمى : يا ابن أخى ! لو أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكرت[9] ذلك له ! [قال قتادة : -[1]] فأتيته[10] ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم : سآمر [فى -[11]] ذلك ، فلما سمع بنو أبيرق أتوا رجلا منهم يقال[12] له أسير ابن عروة ، فكلموه فى ذلك ، فاجتمع فى ذلك أناس من أهل الدار فقالوا : يا رسول الله ! إن قتادة بن النعمان و عمه عمدا إلى أهل بيت منا[13] أهل إسلام[14] و صلاح[15] ، يرمونهم بالسرقة من غير بينة و لا ثبت ! قال

(١) زيد ما بين الحاجزين من الجامع (٢) فى ظ : كانوا (٣) زيد بعده فى ظ : الله (٤) من الجامع ، و فى الأصول : رجلا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد والجامع ، و فى الأصل : قالوا (٧-٧) فى ظ : اولئك عنى بها - كذا (٨) من ظ و مد و الجامع ، و فى الأصل : لم يشك (٩) فى ظ : فذكر (١٠) زيد فى الجامع : فقلت : إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمى رفاعة بن زيد ، فنقبوا مشربة له ، وأخذوا سلاحه وطعامه ، فليردوا علينا سلاحنا ، فأما الطعام فلاحاجة لنا فيه . (١١) زيد من ظ و مد والجامع (١٢) من ظ و مد والجامع ، و فى الأصل : فقال (١٣) فى ظ : منها (١٤) من ظ و مد و الجامع ، و فى الأصل : الاسلام . (١٥) فى ظ : اصلاح .

قتادة : فأتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم [فكلمته - [١]] ، فقال : عمدت إلى أهل بيت ذكر منهم إسلام و صلاح [٢] ! ترميهم بالسرقة على غير ثبت و بينـــة ! قال [٣] : فقال [لى - [٤]] عمى : [يـا ابن أخى ! ما صنعت ؟ - [١]] فأخبرته بما [٥] قال لى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فقال : الله المستعان ! فلم يلبث [٦] أن نزل القرآن " انا انزلنا اليك الكتب بالحق - إلى - خصيما " بنى [٧] أبيرق ، " و استغفر الله " مما قلت لقتادة ، " ان الله كان غفورا رحيما - إلى قوله : فسوف نؤتيه اجرا عظيما " ؛ فلما نزل القرآن أتى رسول الله صلى الله عليه و سلم بالسلاح فرده إلى رفاعة [٨] ، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين ، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية ، فأنزل الله سبحانه و تعالى " و من يشاقق الرسول - إلى قوله : ضلالا بعيدا " . و روى الحديث ابن إسحاق فى السيرة و زاد : إن حسانا قال فى نزوله عندها أبياتا فطردته ، فلحق بالطائف فدخل بيتا ليسرق منه ، فوقع عليه فمات ، فقالت قريش : و الله ما يفارق محمدا من أصحابه أحد فيه خير .

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من الجامع (٢) فى ظ : اصلاح (٣) زيد فى الجامع : فرجعت و لوددت أنى خرجت من بعض مـالى و لم أكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم (٤) زيد من ظ و مد (٥) من الجامع ، و فى الأصول : ما (٦) فى ظ : فلم نثبت (٧) من ظ و مد و الجامع ، و فى الأصل : بين (٨) زيد فى الجامع : فقال قتادة : لمـا أتيت بالسلاح و كان شيخا قد عشى فى الجاهلية و كنت أرى إسلامه مدخولا ، فلما أتيته بالسلاح قال : يا ابن أخى ! هى فى سبيل الله ، فعرفت أن إسلامه كان صحيحا .

و لما نهاه عن الخصام[1] لمطلق الخائن[2]، و هو من وقعت منه خيانة ما؛ أتبعه النهى عن المجادلة عمن تعمد الخيانة فقال سبحانه و تعالى: ﴿ و لا تجادل ﴾ أى فى وقت ما ﴿ عن الذين يختانون ﴾ أى يتجدد منهم تعمد أن يخونوا ﴿ انفسهم[3] ﴾ بأن يوقعوها فى[3] الهلكة[4] بالعصيان فيما اؤتمنوا[5] عليه من الأمور الخفية، و التعبير بالجمع - مع أن الذى نزلت فيه الآية واحد - للتعميم و تهديد من أعانه من قومه، و يجوز أن يكون أشار بصيغة الافتعال إلى[6] أن الخيانة لا تقع[7] إلا مكررة[8]، فانه يعزم عليها أولا ثم يفعلها، / فأدنى ذلك أن يكون قد خان من[3] نفسه مرتين، / ٥١٥ قال الإمام ما[3] معناه أن التهديد فى هذه الآية عظيم جدا، و ذلك أنه سبحانه و تعالى عاتب خير الخلق عنده و أكرمهم لديه هذه المعاتبة و ما فعل [9]إلا الحق[9] فى الظاهر، فكيف بمن يعلم الباطن و يساعد[10] أهل الباطل؟ فكيف إن كان بغيرهم[11]؟ ثم أشار سبحانه و تعالى إلى أن[12] من خان غيره كان مبالغا فى الخيانة بالعزم و خيانة الغير المستلزمة لخيانة النفس[13] فلذا[14] ختمت بالتعليل بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى الجليل العظيم ذا[15] الجلال و الإكرام ﴿ لا يحب ﴾ أى لا يكرم ﴿ من كان

(١) فى ظ: الخطام - كذا بالطاء (٢) فى ظ: الجائزة - كذا (٣) سقط من ظ.
(٤) فى ظ: لملكه - كذا (٥) فى ظ: اثبتوا (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: الا (٧) فى ظ: لا يقع (٨) فى ظ: مكوره، و فى مد: متكررة (٩-٩) فى ظ: بالحق (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: يساعده (١١) فى ظ: بقربهم (١٢) فى ظ: انه (١٣) فى ظ: النقص (١٤) من مد، و فى الأصل و ظ: فكذا.
(١٥) من مد، و فى الأصل و ظ: ذو.

خوانا اثيما ﴾ بصيغتى[1] المبالغة - على أن مراتب المبالغين فى الخيانة متفاوتة، و فيه مع هذا استعطاف لمن وقعت منه الخيانة مرة واحدة، و قدم سبحانه و تعالى ذلك، لأن فيه دفعا للضر[2] عن البرىء و جلبا للنفع إليه؛ ثم أتبعه بعيب هذا الخائن و قلة تأمله و الإعلام بأن المجادلة عنه قليلة الجدوى، فقال سبحانه و تعالى معجبا منهم بما هو كالتعليل لما قبله: ﴿ يستخفون ﴾ أى هؤلاء الخونة[3]: طعمة و من مالأه و هو يعلم باطن أمره[4] ﴿ من الناس ﴾ حياء منهم و خوفا من أن يضروهم[5] لمشاهدتهم لهم[6] وقوفا مع الوهم كالبهائم ﴿ و لا يستخفون ﴾ أى يطلبون و يوجدون الخفية بعدم الخيانة ﴿ من الله ﴾ أى الذى لا شىء أظهر منه لما له من صفات الكمال ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ معهم ﴾ لا يغيب عنه شىء من أحوالهم، و لا يعجزه شىء من نكالهم، فالاستخفاء منه لا يكون إلا بترك الخيانة و محض الإخلاص، فوا سوأتاه من أغلب الأفعال و الأقوال و الأحوال! ﴿ اذ ﴾ أى[6] حين ﴿ يبيتون ﴾ أى يرتبون ليلا على طريق الإمعان فى الفكر و الإتقان للرأى ﴿ ما لا يرضى من القول[1] ﴾ أى من البهت و الحلف عليه، فلا يستحيون[7] منه و لا يخافون، لاستيلاء الجهل و الغفلة على قلوبهم و عدم إيمانهم بالغيب.

---

(١) فى ظ: بصيغة (٢) فى ظ: للضرر (٣) فى ظ: الخزينة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: سره (٥) فى ظ: يضرهم (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: فلا يستحفون.

و لما

و لما أثبت[1] علمه سبحانه و تعالى بهذا من حالهم عمم فقال: ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى كل شىء فى قبضته لأنه الواحد الذى لا كفوء له[2] ﴿ بما يعملون[3] ﴾ أى من هذا و غيره ﴿ محيطا ﴾ أى علما و قدرة .

و لما وبخهم سبحانه و تعالى على جهلهم، حذرمن مناصرتهم فقال - مبينا أنها لا تجديهم[4] شيئا، مخوفا لهم جدا بالمواجهة بمثل هذا التنبيه و الخطاب ثم الإشارة بعده -: ﴿ هآنتم هؤلآء ﴾ و زاد فى الترهيب للتعيين[5] بما هو من الجدل الذى هو أشد الخصومة - من جدل الحبل[6] الذى هو شدة فتله[7] - و إظهاره فى صيغة المفاعلة، فقال مبينا لأن المراد من الجملة السابقة [التهديد -[8]] : ﴿ جدلتم عنهم ﴾ فى هذه الواقعة أو غيرها ﴿ فى الحيوة الدنيا قف ﴾ أى بما جعل لكم من الأسباب .

و لما حذرهم وبخهم على قلة فطنتهم و زيادة فى التحذير بأن مجادلتهم هذه سبب لوقوع الحكومة بين يديه سبحانه و تعالى فقال: ﴿ فمن يجادل الله ﴾ أى الذى له الجلال كله ﴿ عنهم ﴾ أى حين تنقطع[9] الأسباب ﴿ يوم القيمة ﴾ و لا يفترق الحال فى هذا بين أن تكون "ها" من "هانتم" للتنبيه أو بدلا عن همزة استفهام - على ما تقدم، فان معنى الإنكار هنا واضح على كلا الأمرين .

(١) فى ظ : ثبت (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : تعملون (٤) من مد، و فى الأصل : لا تجزيهم، و فى ظ : لا تجد لهم (٥) فى ظ : للتعبير (٦) فى ظ : الحل (٧) فى ظ : قبله (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد، و فى الأصل : تقطيع، و فى ظ : ينقطع .

و لما كان من أعظم المحاسن كف الإنسان عما لا علم له به، عطف على الجملة من أولها من غير تقييد بيوم القيامة منبها على قبح المجادلة عنهم بقصور علم الخلائق قوله: ﴿ام من يكون﴾ أى فيما يأتى من الزمان ﴿عليهم وكيلا ۝﴾ أى يعلم منهم ما يعلم الله سبحانه و تعالى بأن ٥ يحصى[1] أعمالهم فلا يغيب عنه منها شيء ليجادل الله عنهم، فيثبت[2] لهم ما قارفوه[3]، و ينفى عنهم[4] ما لم يلابسوه / ويرعاهم[5] ويحفظهم مما يأتيهم به القدر من الضرر و الكدر. /٥١٦

و لما نهى عن نصرة الخائن و حذر منها، ندب[5] إلى التوبة من كل سوء فقال - عاطفا على ما تقديره: فمن يصر على مثل هذه المجادلة يجد الله ١٠ [6]عليما حكيما[6] -: ﴿و من يعمل سوءا﴾ أى قبيحا متعديا يسوء[7] غيره[8] شرعا، عمدا[8] - كما فعل طعمة - أو غير[9] عمد ﴿او يظلم نفسه﴾ بما لا يتعداه إلى غيره شركا كان أو غيره، أو بالرضى لها بما غيره أعلى منه، و لم يسمه بالسوء لأنه لا يقصد نفسه بما يضرها فى[10] الحاضر ﴿ثم يستغفر الله﴾ أى يطلب من الملك الأعظم غفرانه بالتوبة بشروطها ١٥ ﴿يجد الله﴾ أى الجامع[11] لكل كمال ﴿غفورا﴾ [أى ممحيا للزلات -[12]]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يخص (٢) فى ظ: فثبت (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: فارقوه - كذا (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل: غفورا رحيما (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: بسوء (٨ - ٨) فى ظ: سرعا مدا - كذا (٩) فى ظ: غيره. (١٠) فى ظ: من (١١) زيد بعده فى الأصل: فى الحاضر، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٢) زيد من ظ.

﴿رحيما﴾ أى مبالغا فى إكرام من يقبل إليه «من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا، و من تقرب منى ذراعا تقربت منه باعا، و من أتانى يمشى أتيته هرولة». روى إسحاق بن راهويه عن عمر رضى الله تعالى عنه و أبو يعلى الموصلى عن أبى الدرداء رضى الله تعالى عنه أن هذه الآية نسخت "من يعمل سوءا يجز به[1]" و أنها نزلت بعدها. ٥

و لما ندب إلى التوبة و رغب فيها، بين أن ضرر إثمه[2] لا يتعدى نفسه، حثا على التوبة و تهييجا إليها لما جبل عليه[3] كل أحد من محبة نفع نفسه و دفع الضر عنها فقال: ﴿و من يكسب اثما﴾ أى إثم كان ﴿فانما يكسبه على نفسه[4]﴾ لأن وباله راجع عليه إذ الله له بالمرصاد، فهو مجازيه على ذلك لا محالة غير حامل لشىء[4] من إثمه على غيره كما ١٠ أنه غير حامل لشىء[4] من إثم غيره عليه، و الكسب: فعل[5] ما يجر نفعا أو يدفع ضرا[6].

و لما كان هذا لا يكون إلا مع العلم و الحكمة قال تعالى: ﴿و كان الله﴾ أى الذى له كمال الإحاطة أزلا و أبدا ﴿عليما﴾ أى بالغ العلم بدقيق ذلك و جليله، فلا يترك شيئا منه ﴿حكيما﴾ فلا يجازيه ١٥ إلا بمقدار[7] ذنبه، و إذا أراد شيئا وضعه فى أحكم مواضعه فلا يمكن غيره شىء من نقضه.

---

(١) سورة ٤ آية ١٢٣ (٢) فى ظ: ابه - كذا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اليه (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: فعال (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ضر (٧) فى ظ و مد: مقدار.

و لما ذكر ما يخص الإنسان من إثمه أتبعه ما يعديه إلى غيره فقال: ﴿ و من يكسب خطيئة ﴾ أى ذنبا غير متعمد له ﴿ او اثما ﴾ أى ذنبا تعمده . و لما كان البهتان شديدا جدا قل من يجترئ عليه ، أشار[1] إليه بأداة التراخى فقال : ﴿ثم يرم به بريئا[2] ﴾ أى ينسبه إلى من لم يعمله - كما فعل طعمة باليهودى ، و ابن أبى بالصديقة[3] رضى الله تعالى عنها[4] . و عظم جرم فاعل ذلك [بصيغة -[5]] الافتعال[6] فى قوله[6]: ﴿ فقد احتمل ﴾ [و -[7]] بقوله : ﴿ بهتانا ﴾ أى خطر كذب[8] يبهت المرمى به لعظمه ، و كأنه إشارة إلى ما يلحق الرامى فى الدنيا من الذم ﴿ و اثما ﴾ أى ذنبا كبيرا ﴿ مبينا ﴾ يعاقب به فى الآخرة ، و إنما كان مبينا لمعرفته بخيانة[9] نفسه و براءة المرمى به ، و لأن الله سبحانه و تعالى أجرى عادته الجميلة أن يظهر براءة المقذوف [بـه -[10]] يوما ما بطريق من الطرق و لو لبعض الناس .

و لما وعظ سبحانه و تعالى فى هذه النازلة و حذر و نهى و أمر ، بين نعمته على نبيه صلى الله عليه و سلم فى عصمته عما[11] أرادوه من مجادلته عن الخائن بقوله تعالى : ﴿ و لو لا فضل الله ﴾ أى الملك الأعلى

(١) فى ظ : اشارة (٢) من ظ و مد و القرآن المجيد ، و فى الأصل : برى .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل ، بالصديق (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنهما .
(٥) زيد من ظ (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل و مد : بقوله (٧) زيدت الواو من ظ و مد (٨) فى ظ : لذنب (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : بجناية (١٠) زيد من ظ و مد (١١) فى ظ : ما .

﴿ عليك ﴾ أى بانزال الكتاب ﴿ و رحمته ﴾ أى باعلاء أمرك و عصمتك من كل ذى كيد و حفظك فى أصحابك الذين أتوا يجادلون عن ابن عمهم سارق الدرع فى التمسك بالظاهر و عدم قصد العناد ﴿ لهمت طآئفة منهم ﴾ أى فرقة فيها أهلية الاستدارة و التخلق ، لا تزال تتخلق فتفيل[1] الآراء و تقلب الأمور[2] و تدير[3] الأفكار فى ترتيب ما تريد ﴿ ان يضلوك[4] ﴾ أى يوقعوك[4] فى ذلك بالحكم ببراءة طعمة ، و لكن الله حفظك فى أصحابك فما هموا بذلك ، و إنما قصدوا المدافعة عن صاحبهم بما لم / يتحققوه ، و لو هموا لما أضلوك ﴿ و ما يضلون ﴾ أى على حالة / ٥١٧ من حالات هذا الهم ﴿ الآ انفسهم ﴾ إذ وبال ذلك عليهم ﴿ و ما يضرونك ﴾ أى يجددون[5] فى ضرك[6] حالا و لا[1] مآلا باضلال و لا غيره ﴿ من شىء[1] ﴾ و هو وعد بدوام العصمة فى الظاهر و الباطن كآية[7] المائدة[8] أيضا و إن كانت هذه بسياقها ظاهرة فى الباطن و تلك ظاهرة فى الظاهر ﴿ و انزل الله ﴾ أى[1] الذى له جميع العظمة ﴿ عليك ﴾ و أنت أعظم الخلق عصمة لأمتك ﴿ الكتب ﴾ أى[1] الذى تقدم أول[9] القصة الإشارة إلى كماله و جمعه لخيرى[10] الدارين ﴿ و الحكمة ﴾

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : القلوب (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تكرير.
(٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يوقعون (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتحددون (٦) فى ظ : خيوك (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاية - كذا .
(٨) أى قوله تعالى " و ان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا " رقم الآية ٤٢ .
(٩) فى ظ : او - كذا (١٠) فى ظ : لخير .

أى الفهم لجميع مقاصد الكتاب فتكون أفعالك و أفعال من تابعك فيه على أتم الأحوال، فتظفروا بتحقيق العلم و إتقان العمل[١]، و عمم بقوله: ﴿ و علمك ما لم تكن تعلم[٢] ﴾ أى من المشكلات و غيرها غيبا و شهادة من أحوال الدين و الدنيا ﴿ و كان فضل الله ﴾ أى المتوحد بكل كمال ٥ ﴿ عليك عظيما ﴾ أى بغير ذلك من أمور لا تدخل تحت الحصر، و هذا من أعظم الأدلة على أن العلم أشرف الفضائل.

و لما كان قوم طعمة قد ناجوا النبى صلى الله عليه و سلم فى الدفع عنه[٢]، نبههم سبحانه و غيرهم على ما ينبغى[٣] أن يقع به التناجى، و يحسن فيه التفاؤل و التجاذب على وجه ناه عن غيره أشد نهى بقوله سبحانه ١٠ و تعالى: ﴿ لا خير فى كثير من نجوٰهم ﴾ أى نجوى جميع المناجين ﴿ الا من[٤] ﴾ أى نجوى من[٥] ﴿ امر بصدقة ﴾ و لما خص الصدقة لعزة المال فى ذلك الحال، عمم[٦] بقوله: ﴿ او معروف ﴾ أىّ معروف كان مما يبيحه الشرع من صدقة و غيرها.

و لما كان إصلاح ذات البين أمرا جليلا، نبه على عظمه بتخصيصه[٧] ١٥ بقوله: ﴿ او اصلاح بين الناس[٢] ﴾ أى عامة، فقد بين سبحانه و تعالى أن غير المستثنى من التناجى لا خير فيه، و كل ما انتفى عنه الخير كان مجتنبا - كما روى أحمد و الطبرانى فى الكبير بسند لا بأس به و هذا لفظه

(١) فى ظ: العلم (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: عنهم (٣) فى ظ: لا ينبغى.
(٤) زيد من ظ و مد و القرآن المجيد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تم (٧) فى ظ: تخصيصه.

عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما عن النبى صلى الله عليه و سلم أن عيسى عليه الصلاة و السلام قال: إنما الأمور ثلاثة: أمر تبين لك رشده فاتبعه، و أمر تبين لك غيّه فاجتنبه، و أمر اختلف فيه فرده إلى عالمه.

و لما كان التقدير: فمن أمر بشىء من ذلك فنجواه خير، و له ٥ عليها أجر؛ عطف عليه قوله: ﴿ و من يفعل ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى أمر به من هذه الأشياء ﴿ ابتغآء مرضات الله ﴾ الذى له صفات الكمال، لأن العمل لا يكون له روح إلا بالنية ﴿ فسوف نؤتيه ﴾ أى فى الآخرة بوعد لا خلف فيه ﴿ اجرا عظيما ﴾ و هذه الآية من أعظم الدلائل على أن المطلوب من أعمال الظاهر رعاية أحوال القلب فى ١٠ إخلاص النية، و تصفية الداعية عن [1]الالتفات إلى[1] غرض دنيوى، فان كان رياء انقلبت فصارت من أعظم المفاسد.

و لما رتب سبحانه و تعالى الثواب العظيم على الموافقة، رتب العقاب الشديد على المخالفة و المشاققة، [و -[2]] وكل المخالف إلى نفسه بقوله تعالى: ﴿ و من يشاقق الرسول ﴾ أى الكامل فى الرسلية، فيكون بقلبه ١٥ أو شىء من فعله فى جهة غير جهته على وجه المقاهرة، و عبر بالمضارع رحمة منه سبحانه بتقييد الوعيد بالاستمرار، و أظهر القاف إشارة إلى تعليقه بالمجاهرة، و لأن السياق لأهل الأوثان و هم مجاهرون، و قد جاهر سارق الدرعين الذى كان سببا لنزول الآية فى آخر قصته[3] - كما مضى.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيدت الواو من مد (٣) فى ظ: قصة.

و لما كان فى سياق تعليم الشريعة التى لم تكن معلومة قبل الإيحاء بها، لا فى سياق الملة المعلومة بالعقل، [١]أتى بـ" من "[١] تقييدا للتهديد[٢] / بما بعد الإعلام بذلك فقال: ﴿ من بعد ما ﴾ و لو حذفت لفهم اختصاص الوعيد بمن استغرق زمان البعد بالمشاقة . و لما كان ما جاء بـه النبى صلى الله عليه و سلم فى غاية الظهور قال: ﴿ تبين له الهدى ﴾ أى الدليل الذى هو سببه .

/٥١٨

و لما كان المخالف للاجماع لا يكفر[٣] إلا بمنابذة المعلوم بالضرورة، عبر بعد التبين[٤] بالاتباع فقال: ﴿ و يتبع غير سبيل ﴾ أى طريق ﴿ المؤمنين ﴾ أى الذين[٥] صار الإيمان لهم صفة راسخة، و المراد الطريق المعنوى، وجه الشبه الحركة البدنية الموصلة إلى المطلوب فى الحسى، و النفسانيةُ فى مقدمات الدليل الموصل إلى المطلوب فى المعنوى ﴿ نوله ﴾ أى بعظمتنا فى الدنيا و الآخرة ﴿ ما تولى ﴾ أى نكله[٦] إلى ما اختار لنفسه و عالج فيه فطرته الأولى خذلانا منا له ﴿ و نصله ﴾ أى فى الآخرة ﴿ جهنم[٦] ﴾ أى نلقاه بالكراهة و الغلظة و العبوسة كما تجهم أولياءنا و شاققهم .

و لما كان التقدير: فهو صائر إليها لا محالة، بين حالها فى ذلك فقال: ﴿ و ساءت مصيرا ﴾ و هذه الآية دالة على أن الإجماع حجة لأنه لا يتوعد إلا على مخالفة الحق، و كذا حديث «لا تزال طائفة من أمتى

(١-١) فى ظ: أتى من (٢) فى ظ: لتهديد (٣) فى ظ: لا يكفر - كذا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: التبيين (٥) فى ظ: الذى (٦) فى ظ: بكلمة - كذا.

قائمة

قائمة بأمر الله - و فى رواية : ظاهرين على الحق - حتى يأتى أمر الله ، رواه عن النبى صلى الله عليه و سلم من الصحابة رضى الله تعالى عنهم ثوبان و المغيرة و جابر بن سمرة و جابر بن عبد الله و معاوية و أنس و أبو هريرة ، بعض أحاديثهم فى الصحيحين ، و بعضها فى السنن ، و بعضها فى المسانيد ، و بعضها فى المعاجيم و غير ذلك ؛ و وجه الدلالة أن الطائفة[1] التى شهد لها النبى صلى الله عليه و سلم بالحق فى جملة أهل[2] الإجماع - و الله سبحانه و تعالى الموفق .

و لما كان فاعل ذلك بعد بيان الهدى هم أهل الكتاب و من أضلوه من المنافقين بما ألقوه إليهم من الشبه ، فردوهم إلى ظلام الشرك و الشك بعد أن بهرت[3] أبصارهم أشعةُ التوحيد ؛ حسن إيلاؤه قولَه سبحانه و تعالى - معللا تعظيما لأهل الإسلام ، و حثا على لزوم هديهم ، و ذما لمن نابذهم و توعدا له ، إشارة إلى أن من خرق إجماع[4] المسلمين صار حكمه حكم المشركين ، فكيف بمن نابذ المرسلين[5] - : ﴿ ان الله ﴾ أى الأحد المطلق فلا كفوء له ﴿ لا يغفر ان يشرك به ﴾ أى وقوع الشرك به ، من أى شخص كان ، و بأى شىء كان ، لأن من قدح فى الملك استحق البوار و الهلك ، و سارق الدرع أحق الناس بذلك ﴿ و يغفر ما[6] ﴾ أى كل شىء هو ﴿ دون ذلك ﴾ أى الأمر الذى لم يدع للشناعة

(١) فى ظ : المطابقة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعلى (٣) فى ظ : بهزت - كذا (٤) فى ظ : الاجماع (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المشركين (٦) تأخر فى الأصل عن « شىء هو » و الترتيب من ظ و مد .

موضعا - كما هو شأن من ألقى السلم و دخل فى ربقة العبودية، ثم غلبته الشهوة فقصر[1] فى بعض أنواع الخدمة. ثم دل[2] على نفوذ أمره بقوله: ﴿لمن يشآء[1]﴾.

و لما كان التقدير: فان من أشرك به فقد افترى إثما مبينا[3]، عطف عليه قوله: ﴿و من يشرك﴾ أى يوقع هذا الفعل القذر جدا فى أى وقت كان من ماض أو حال أو استقبال مداوما على تجديده ﴿بالله﴾ أى الملك الذى لا نزاع فى تفرده بالعظمة لأنه لا خفاء فى ذلك عند أحد ﴿فقد ضل﴾ أى ذهب عن السنن الموصل ﴿ضلالا بعيدا﴾ لا تمكن سلامة مرتكبه، و طوى مقدمة الافتراء الذى هو تعمد الكذب، و ذكر مقدمة الضلال، لأن معظم السياق للعرب أهل الأوثان و الجهل فيهم فاش، بخلاف ما مضى لأهل الكتاب فان كفرهم عن علم، فهو تعمد للكذب.

و لما كان المنافقون هم المقصودين بالذات بهذه الآيات، و كان أكثرهم أهل أوثان، ناسب كل المناسبة قوله[4] معللا لأن الشرك ضلال: ٥١٩/ ١٥ ﴿ان﴾ أى ما ﴿يدعون﴾ و ما/ أنسب[5] التعبير لعباد[6] الأوثان عن العبادة بالدعاء إشارة إلى أن كل معبود لا يدعى فى الضرورات[7] فيسمع، فعابده[8] أجهل الجهلة. و لما كان كل شىء [دونه -[9]] سبحانه

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: فقصير (٢) فى ظ: ادل (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عظيما (٤) فى ظ: بقوله (٥) فى ظ: السبب (٦) من مد، و فى الأصل: لعبادة، و فى ظ: بعبادة (٧) فى ظ: الضروريات (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فعابداه (٩) زيد من ظ و مد.

و تعالى ، لأنه تحت قهره ؛ قال محتقرا لما عبدوه : ﴿ من دونه ﴾ أى و هو الرحمن .

و لما كانت معبوداتهم أوثانا متكثرة ، و كل كثرة تلزمها الفرقة و الحاجة و الضعف مع أنهم كانوا يسمون بعضها بأسماء الإناث من اللات و العزى ، و يقولون فى الكل : إنها بنات الله ، و يقولون عن كل ٥ صنم : أنثى بنى فلان ؛ قال : ﴿ الآ انثاج ﴾ أى فجعلوا أنفسهم للاناث عبادا و هم يأنفون من أن يكون لهم أولادا ، و فى التفسير من البخارى : " اناثا " يعنى الموات حجرا أو مدرا - أو ما أشبه ذلك ؛ هذا مع أن[1] مادة ' أنث ' و ' وثن ' يلزمها فى نفسها الكثرة و الرخاوة و الفرقة ، و كل ذلك فى غاية البعد عن رتبة الإلهية ، و سيأتى إن شاء الله تعالى ١٠ بسط ذلك فى سورة العنكبوت و أن هذا القصر[2] قلب قصر[2] لاعتقادهم أنها آلهة ، و معنى الحصر : ما هى إلا غير آلهة لما لها من النقص ﴿ و ان يدعون ﴾ أى يعبدون فى الحقيقة ﴿ الا شيطنا ﴾ أى لأنه هو الآمر لهم بذلك ، المزين لهم[3] ﴿ مريدا ﴾ أى عاتيا صلبا عاصيا ملازما للعصيان ، مجردا[4] من كل خير ، محترقا بأفعال الشر ، بعيدا من كل أمن ، ١٥ من[1] : شاط و شطن ؛ و مرد - بفتح عينه و ضمها ، و عبر بصيغة فعيل التى هى للمبالغة فى سياق ذمهم تنبيها على أنهم تعبدوا لما لا إلباس فى شرارته ، لأنه شر كله ، بخلاف ما فى سورة الصّٰفّٰت ، فان سياقه يقتضى

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ : تصير قلب (٣) فى ظ : له (٤) فى ظ : محودا - كذا .

عدم المبالغة - كما سيأتي إن شاء الله تعالى ؛ ثم بين ذلك بقوله : ﴿ لعنه الله ﴾ أي أبعده[١] الملك الأعلى من كل خير فبعد فاحترق .

و لما كان التقدير : فقال إصرارا على العداوة بالحسد : و عزتك لأجتهدن في إبعاد غيري كما أبعدتني ! عطف عليه قوله : ﴿ و قال لأتخذن ﴾ أي و الله لأجتهدن في أن آخذ ﴿ من عبادك ﴾ الذين هم[٢] تحت قهرك ، و لا يخرجون عن[٣] مرادك ﴿ نصيبا مفروضا ﴾ أي جزءا أنت قدرته لي ﴿ و لاضلنهم ﴾ أي عن طريقك السوي بما سلطتني[٤] به من الوساوس و تزيين الأباطيل ﴿ و لامنينهم ﴾ أي كل ما أقدر عليه من الباطل من عدم البعث و غيره من طول الأعمار و بلوغ الآمال من الدنيا و الآخرة بالرحمة و العفو و الإحسان و نحوه مما هو سبب للتسويف بالتوبة ﴿ و لآمرنهم ﴾ .

و لما كان قد علم مما طبعوا[٥] عليه من الشهوات و الحظوظ التي هيأتهم لطاعته ، وكانت طاعته في الفساد عند كل عاقل في غاية الاستبعاد ؛ أكد قوله : ﴿ فليبتكن ﴾ أي يقطعن تقطيعا كثيرا ﴿ آذان الانعام ﴾ [٦]و يشققونها علامة على ما حرموه على أنفسهم ﴿ و لآمرنهم فليغيرن خلق الله[٦] ﴾ أي الذي له الحكمة الكاملة فلا كفوء له ، بأنواع التغيير[٧] من تغيير الفطرة الأولى السليمة إلى ما دون ذلك من فقء[٨] عين الحامي[٩] ،

(١) في ظ : ابعد (٢) في ظ : من (٣) في ظ : غير - كذا (٤) من مد ، و في الأصل و ظ : سلطني (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : طبعوه (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من مد ، و في الأصل و ظ : التعبير (٨) في الأصل و ظ : نمى ، و في مد : نقى - كذا (٩) هو فحل الإبل إذا طال مكثه حتى بلغ نتاج نتاجه .

و نحو ذلك ، و هو إشارة إلى ما حرم أهل الجاهلية على أنفسهم بالتقريب للأصنام من السائبة و ما معها ، المشار إلى إبطاله فى أول المائدة بقوله "احلت لكم بهيمة الانعام الا ما يتلى عليكم" المصرح به فى آخرها بقوله "ما جعل الله من بحيرة" - الآية ، و يكون التغيير بالوشم و الوشر[1] ، و يدخل فيه كل ما خالف الدين ، فان الفطرة الأولى داعية إلى خلاف ذلك ٥ حتى أدخلوا فيه تشبيه الرجال بالنساء فى التخنث و ما يتفرع عنه فى تشبيه النساء بالرجال فى السحق و ما نحا فيه[2] نحوه .

/ و لما كان التقدير : فقد خسر[3] من تابعه فى ذلك[4] ، لأنه صار للشيطان وليا[3] ؛ عطف عليه معمما قوله : ﴿ و من يتخذ ﴾ أى يتكلف منهم و من غيرهم تغيير الفطرة الأولى فيأخذ ﴿ الشيطن وليا ﴾ و لما كان ١٠ ذلك ملزوما لمحادة الله سبحانه و تعالى ، و كان ما هو أدنى من رتبته فى غاية الكثرة ؛ [بعض - [5]] ليفهم الاستغراق من باب الأولى[6] فقال : ﴿ من دون الله ﴾ أى المستجمع لكل وصف جميل ﴿ فقد خسر ﴾ باتخاذه ذلك و لو على أدنى وجوه الشرك ﴿ خسرانا مبينا ﴾ أى فى غاية الظهور و الرداءة بما تعطيه[7] صيغة الفعلان[8] ، لأنه تولى من لا خير ١٥ عنده ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ يعدهم ﴾ أى بأن يخيل إليهم بما يصل إلى قلوبهم بالوسوسة فى شىء من الأباطيل أنه قريب الحصول ، و[9] أنه

(١) فى ظ : الشر (٢) سقط من مد (٣) سقط من ظ (٤) العبارة من هنا إلى " و من يتخذ " متكررة فى الأصل بعد « الى خلاف ذلك » (٥) زيد من ظ .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اولى (٧) فى ظ : يعطيه (٨) فى ظ : بالفعلان.
(٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : او .

لا درك فى تحصيله[1] ، و أنه إن لم يحصل كان فى فواته ضرر ، فيسعون فى تحصيله ، فيضيع عليهم فى ذلك الزمانُ ، و يرتكبون فيه ما لا يحل من الأهوال و الهوان ﴿ و يمنيهم[1] ﴾ أى يزين لهم تعليق الآمال بما لا يتأتى[2] حصوله ؛ ثم بين ذلك بقوله : ﴿ و ما ﴾ أى و الحالة[3] أنه ما ﴿ يعدهم ﴾ و أظهر فى موضع الإضمار تنبيها على مزيد النفرة فقال : ﴿ الشيطٰن ﴾ [4]أى المحترق البعيد عن الخير[4] ﴿ الا غرورا ۝ ﴾ أى تزيينا بالباطل خداعا و مكرا و تلبيسا ، إظهارا - لما لا حقيقة له أو له حقيقة سيئة[5] - فى أبهى الحقائق و أشرفها و ألذها إلى النفس و أشهاها إلى الطبع ، فان مادة 'غر' و 'رغ' تدور على الشرف و الحسن و رفاهة[6] العيش ، فالغرور إزالة ذلك .

و لما أثبت لهم ذلك أنتج بلا شك قوله : ﴿ اولٰئك ﴾ أى البعداء من كل خير ﴿ ماوٰهم جهنم ز ﴾ أى[7] تتجهمهم و تتقد[7] عليهم بما اتخذوا من خلق منها وليا ﴿ و لا يجدون عنها محيصا ۝ ﴾ أى موضعا ما يميلون إليه شيئا من الميل .

و لما ذكر ما للكافرين ترهيبا أتبعه ما لغيرهم ترغيبا فقال : ﴿ و الذين امنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا لإقرارهم ﴿ الصلحت سندخلهم ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿ جنت تجرى ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تحصيل (٢) فى ظ : لا ياتى (٣) فى ظ : الحال .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : نسية ، ولا يتضح فى مد (٦) فى ظ : رفاهية (٧-٧) فى ظ : بجهنم و تعد - كذا .

و قرب و بعض بقوله: ﴿ من تحتها الانهر ﴾ أى لرىّ أرضها، فحيث ما أجرى منها نهر جرى .

و لما كان الإزعاج عن مطلق الوطن - و لو لحاجة تعرض[1] - شديدا، فكيف بهذا! قال: ﴿ خلدين فيها ﴾ و لما كان الخلود يطلق على مجرد المكث الطويل، دل على أنه لا إلى آخر بقوله: ﴿ ابدا[2] ﴾ ثم أكد ذلك ٥ بأن الواقع يطابقه، و هو يطابق الواقع فقال: ﴿ وعد الله حقا[2] ﴾ أى يطابقه الواقع، لأنه[3] الملك الأعظم و قد برز وعده بذلك، و من أحق من الله وعدا، و[3] أخبر به[3] خبرا صادقا يطابق الواقع ﴿ و من اصدق من الله ﴾ [أى -[4]] المختص بصفات الكمال ﴿ قيلا ٥ ﴾ و أكثر من التأكيد هنا لأنه فى مقابلة وعد الشيطان، و وعد الشيطان موافق ١٠ للهوى الذى طبعت عليه النفوس فلا تنصرف[5] عنه إلا بعسر شديد .

و لما أخبر تعالى عما أعد لهم و لمن أضلهم من العقاب و عما أعد للمؤمنين من الثواب، و كانوا يمنون أنفسهم الأمانى الفارغة من أنه لا تبعة عليهم فى التلاعب بالدين، لا فى الدنيا و لا فى الآخرة، و يشجعهم على ذلك أهل الكتاب و يدعون أنهم أبناء الله و أحباؤه، لا يؤاخذهم ١٥ بشىء، و لا يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى أو من شفعوا فيه؛ و نحو هذه التكاذيب مما يطمعون به من والاهم[6] بأنهم ينجونه، و كان

(١) فى ظ: بعوض (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: لان (٣-٣) فى ظ: اخبرته (٤) زيد من ظ (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: فلا يتصرف (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ولاهم .

المشركون يقولون : "نحن اكثر اموالا و اولادا و ما نحن بمعذبين[١]" ، و نحو ذلك - كما قال[٢] العاصى بن[٢] وائل لخباب بن الأرت و قد تقاضاه دينا كان له عليه : دعنى إلى تلك الدار فأقضيك مما لى فيها ، فو الله / لا تكون أنت و صاحبك فيها آثر[٣] عند الله منى و لا أعظم حظا ، فأنزل الله فى ذلك "افرءيت الذى كفر بايٰتنا[٤]" - الآيات من آخر مريم ، و يقول لهم أهل الكتاب : أنتم أهدى سبيلا ، لما كان ذلك قال تعالى رادا على الفريقين : ﴿ ليس ﴾ [أى - ٥] ما وعده[٦] الله و أوعده ﴿ بامانيكم ﴾ أى أيها العرب ﴿ و لآ امانى اهل الكتب[٤] ﴾ أى التى يمنيكم [جميعا بها - ٥] الشيطان .

و لما كانت أمانيهم أنهم لا يجازون[٧] بأعمالهم الخبيثة ، أنتج ذلك لا محالة قوله[٨] : ﴿ من يعمل سوٓءا يجز به ﴾ أى بالمصائب[٩] من الأمراض و غيرها ، عاجلا إن أريد به الخير ، و آجلا إن أريد به الشر ، و ما أحسن إيلاؤها لتمنية الشيطان المذكورة فى قوله "يعدهم و يمنيهم" ! فيكون الكلام وافيا بكشف عوار شياطين الجن ثم الإنس فى غرورهم لمن خف معهم مؤيسا[١٠] لمن قبل منهم ، و ما أبدع ختامها بقوله : ﴿ و لا

(١) سورة ٣٤ آية ٣٥ (٢-٢) من روح المعانى ٥/٢٠٤ ، و فى الأصل و مد : القاضى ، و فى ظ : القاصرون - كذا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : آمن . (٤) سورة ١٩ آية ٧٧ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : وعد (٧) فى ظ : لا يجاوزون (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : من المصائب . (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : مونسا .

يجد له ﴾ و لما كان كل أحد قاصرا عن مولاه، عبر بقوله: ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى حاز[1] جميع العظمة ﴿ وليا ﴾ أى قريبا يفعل معه ما يفعل القريب ﴿ و لا نصيرا ﴾ أى ينصره فى وقت ما! و ما أشد التئامها بختام أول الآيات المحذرة منهم "الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتب يشترون الضلالة - إلى قوله: وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا"! ٥ إشارة إلى أن مقصود المنافقين من مشايعة[2] أهل الكتاب و متابعتهم إنما هو الولاية و النصرة، و أنهم قد ضيعوا منيتهم فاستنصروا بمن لا نصرة له، و تركوا من ليست النصرة إلا له.

و لما أبدى جزاء المسيء تحذيرا، أولاه أجر المحسن تبشيرا فقال: ﴿ و من يعمل ﴾ و خفف تعالى عن عباده بقوله: ﴿ من الصلحت ﴾ ١٠ و لما عمم[3] بذكر "من"، صرح بما اقتضته فى قوله: ﴿ من ذكر او انثى ﴾ و قيد ذلك بقوله: ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ مؤمن ﴾ ليكون بناؤه الأعمال على أساس الإيمان ﴿ فاولئك ﴾ أى العالو الرتبة، و بنى فعل الدخول للمفعول فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و أبى جعفر و أبى بكر عن عاصم و روح عن يعقوب، و للفاعل فى قراءة غيرهم، ١٥ لأن المقصود نفس الفعل، لا كونه من فاعل معين؛ و إن كانت قراءة الأولين أكثر فائدة ﴿ يدخلون ﴾ أى يدخلهم الله ﴿ الجنة ﴾ أى الموصوفة ﴿ و لا يظلمون ﴾ و بنى الفعل للمجهول، لأن المقصود الخلاص

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: مسايعة - كذا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عم.

منه لا بقيد فاعل معين ﴿ نقيرا ٥ ﴾ أى لا يظلم الله المطيع منهم بنقص شيء ما، ولا العاصى بزيادة شيء ما، و النقير: ما فى ظهر النواة من تلك الوقبة الصغيرة جدا، كنى بها عن العدم، و هذا [على -[1]] ما [2]يتعارفه النـاس[2] و إلا فالله تعالى له أن يفعل ما يشاء، فان مِلكه تام و مُلكه
٥ عام، لا يتصور منه ظلم كيف ما فعل.

و لما كشف سبحانه زورهم و بين فجورهم، أنكر أن يكون أحد أحسن دينا ممن اتبع ملة إبراهيم الذى[3] يزعمون أنه كان على دينهم زعما تقدم كشف عواره و هتك أستاره فى آل عمران، فقال عاطفا على ما تقديره: فمن أحسن دائنا و مجازيا و حاكما منه سبحانه و تعالى:
١٠ ﴿ و من احسن دينا ﴾ أو يكون التقدير: لأنهم[4] أحسنوا فى دينهم و من أحسن دينا منهم! لكنه أظهر الوصف تعميما و تعليقا للحكم به و تعليما لما[5] يفعل المؤمن و حثا عليه فقال: ﴿ ممن اسلم ﴾ أى أعطى.

و لما كان المراد الإخلاص الذى هو أشرف الأشياء، عبر عنه بالوجه الذى هو أشرف الأعضاء فقال: ﴿ وجهه ﴾ أى قياده[6]، أى
١٥ الجهة التى يتوجه إليها بوجهه، أى قصده كله الملازم للاسلام نفسه كلها ﴿ لله ﴾ فلا حركة له و لا سكنة إلا فيما يرضاه، لكونه الواحد الذى لا مثل له، فهو حصر بغير صيغة الحصر، فأفاد فساد طريق[7] من

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: يتعارفونه الله - كذا.
(٣) فى ظ: الذين (٤) فى ظ: لهم (٥) فى ظ: بما (٦) فى ظ: قاده - كذا.
(٧) سقط من ظ.

لفت وجهه نحو سواه[1] باستعانة أو غيرها و لا سيما المعتزلة / الذين ٥٢٢ / يرون[2] الطاعة من أنفسهم ، و يرون أنها موجبة لثوابهم ، و المعصية كذلك و أنها موجبة[3] لعقابهم ، فهم فى الحقيقة لا يرجون إلا أنفسهم ، و لا يخافون غيرها ؛ و أهل السنة فوّضوا التدبير و التكوين و الخلق إلى الحق ، فهم المسلمون . ٥

و لما عبر تعالى عن كمال الاعتقاد بالماضى ، شرط فيه الدوام و الأعمال الظاهرة بقوله : ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ محسن ﴾ أى مؤمن مراقب ، لا غفلة عنده أصلا ، بل الإحسان صفة له[4] راسخة ، لأنه يعبد الله كأنه يراه ، فقد اشتملت هذه الكلمات العشر على الدين كله أصلا و فرعا مع الترغيب بالمدح الكامل لمتبعه و إفهام الذم[5] ١٠ الكامل لغيره .

و لما كان هذا[4] ينتظم مَنْ كان على دين أى نبى كان قبل[4] نسخه ، قيده بقوله : ﴿ و اتبع ﴾ أى بجهد منه ﴿ ملة ابرٰهيم ﴾ الذى اشتهر عند جميع الطوائف أنه ما دعا إلا إلى الله سبحانه و تعالى وحده ، و تبرأ مما سواه من فلك و كوكب و صنم و طبيعة و غيرها حال كون ذلك ١٥ المتبع ﴿ حنيفا[4] ﴾ أى لينا سهلا ميّالا مع[6] الدليل ، و الملة : ما دعت إليه الفطرة الأولى بمساعدة العقل السليم من كمال الإسلام بالتوحيد .

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : سوا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يريدون.
(٣) فى ظ : موجبهم (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذل.
(٦) فى ظ : عن .

و لما كان التقدير ترغيبا فى هذا الاتباع: فقد جعل الله سبحانه و تعالى ملة إبراهيم أحسن الملل، و خلقه يوم خلقه حنيفا، عطف عليه قوله: ﴿ و اتخذ الله ﴾ أى الملك الأعظم أخذ من هو معين بذلك مجتهد فيه ﴿ ابرٰهيم خليلا ٥ ﴾ لكونه كان حنيفا، و ذلك عبارة عن اختصاصه بكرامة تشبه[1] كرامة الخليل عند خليله من ترديد[2] الرسل بالوحى[3] بينه و بينه، و إجابة الدعوة، و إظهار الخوارق عليه و على آله، و النصرة على الأعداء و غير ذلك من الألطاف، و أظهر اسمه فى موضع الإضمار تصريحا بالمقصود احتراسا من الإبهام و إعلاءً لقدره تنويها بذكره.

و لما أخبر[4] بمن يحبه و من يبغضه و بما[5] يرضيه و ما يغضبه، و كان ربما توهم عدم القدرة على أخذه لغير[6] ما أخذ، و جعله لغير ما جعل، أو تعنت بذلك متعنت فظن[7] أن فى الكلام دخلا[8] بنوع [احتياج إلى - [9]] المحالة[10] أو غيرها قال: ﴿ و لله ﴾ أى و الحال [أن - [9]] المختص بالوحدانية - فلا كفوء له - ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾.

و لما كان السياق للمنافقين و المشركين أكد فقال: ﴿ و ما فى الارض[1] ﴾ من إبراهيم عليه الصلاة و السلام و[11] من غيره إشارة إلى أنه التام المُلك العظيم [المِلك - [9]]، فلا يعطى إلا من تابع أولياءه و جانب أعداءه، و لا يختار إلا من علمه خيارا

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تشبيه (٢) فى ظ: يريد - كذا (٣) فى ظ: بالوجه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اخذ (٥) فى ظ: ما (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لغيره (٧) فى ظ: يظن (٨) فى ظ: دخولا (٩) زيد من ظ و مد. (١٠) فى ظ: المجادلة (١١) سقطت الواو من ظ.

و هو

و[1] هو مع ذلك قادر على ما يريد من [2]إقرار و تبديل[2]، و لذلك قال: ﴿ و كان الله ﴾ أى الملك الذى له الكمال كله ﴿ بكل شىء ﴾ أى منهما و من غيرهما ﴿ محيطا ﴾ أعلما و قدرة، فهما[3] راد كان فى وعده و وعيده للطيع و العاصى، لا يخفى عليه أحد منهم، و لا يعجزه شىء. ٥

و لما كان سبحانه و تعالى قد رتب هذا الكتاب على أنه يذكر أحكاما من الأصول و الفروع، ثم يفصلها بوعد و وعيد و ترغيب و ترهيب، و ينظمها[4] بدلائل كبريائه و جلاله و عظيم بره و كماله، ثم يعود إلى بيان الأحكام على أبدع نظام [5]لأن إلقاء المراد فى ذلك القالب أقرب إلى القبول، و النظم كذلك أجدر[5] بالتأثير[6] فى القلوب، ١٠ لأن التكليف بالأعمال الشاقة لا تنقاد له النفوس إلا إذا كان مقرونا ببشارة و نذارة، و ذلك لا يؤثر إلا عند القطع بغاية الكمال لمن صدر عنه ذلك المقال، و لا ينتقل مع ذلك من أسلوب إلى آخر إلا على غاية ما يكون من المناسبة بين آخر كل نوع و أول ما بعده بكمال التعلق لفظا و معنى، و فعل سبحانه و تعالى فى هذه السورة فى أحكام ١٥ العدل الذى بدأ السورة به فى المواصلة التى مبناها النكاح و الإرث و غير ذلك مما اتصل به - كما بين - إلى أن ختم هنا بالإسلام المثمر لقبول ذلك

(١) فى ظ «م» (٢-٢) فى ظ: افراد و تبد - كذا (٣) من مد، وفى الأصل: فهما. وفى ظ: فيهما (٤) من مد، وفى الأصل: ينظها، وفى ظ: سطها - كذا. (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: لتاثير.

٥٢٣/ كله/ و عظمة الملك الموجبة لتمام الإسلام ، و قامت[١] البراهين و سطعت الحجج ، و كان من أعظم مقاصد السورة العدل فى الضعفاء من الأيتام و غيرهم فى[٢] الميراث [٣]و غيره[٣] ، وكان توريث النساء و الأطفال - ذكورا كانوا أو إناثا - مما أبته نفوسهم ، و أشربت بغضه قلوبهم ، و كان التفريق ٥ فى إثبات ما هذا سبيله أنجع ، و إلقاؤه شيئا فشيئا فى قوالب البلاغة أنفع ؛ وصل بذلك قوله تعالى: ﴿ و يستفتونك ﴾ فى [٤]جملة حالية[٤] من اسم الجلالة[٥] التى قبلها ، أى له ما ذكر فلا مساغ[٦] للاعتراض عليه و الحال أنهم يسئلونك طلبا لأن تتفق عليهم بالجواب فى بعض ما أعطى من ملكه لبعض[٧] مخلوقاته ﴿ فى النسآء[٤] ﴾ طمعا فى الاستئثار[٨] عليهن ١٠ بالمال و غيره محتجين بأنه لا ينبغى أن يكون المال إلا لمن يحمى الذمار و الحال أنهم قد عبدوا من دونه إناثا ، [و جعلوا لها مما خولهم فيه من الرزق الذى ملكهم له بضعف[٩] من الحرث و الأنعام نصيبا ، فلا تعجب من حال من كرر الاستفتاء - الذى لا يكون فى العرف غالبا إلا فيما فيه اعتراض - فى إناث أحياء و أطفال ذكور و أعطاهم الملك التام المُلك ١٥ العظيم الملك بعض[١٠] ما يريد ، و لم يعترض على نفسه حيث أعطى إناثا -[١١]]

(١) فى ظ : اقامة (٢) فى ظ : من (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) فى ظ : حمله خالية (٥) فى ظ : الحالة - كذا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : امتناع - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعض (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاستثنا (٩) من مد ، و فى ظ : ضعيف - كذا (١٠) من مد ، و فى ظ: ببعض (١١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

لا حياة لها و لا منفعة مما فى يده، و ملكه فى الحقيقة لغيره، و لم يأذن فيه المالك ما لا ينتفع به المعطى.

و لما كان المقام بكثرة الاستفتاء محتاجا إلى زيادة الاعتناء قال: ﴿ قل الله ﴾ آمرا معبرا بالاسم الأعظم منبها على استحضار ما ذكر أول السورة ﴿ يفتيكم ﴾ أى يبين لكم حكمه ﴿ فيهن ﴾ أى [1]الآن ٥ لأن تقوموا لهن[1] بالقسط ﴿ و ما ﴾ أى مع ما ﴿ يتلى عليكم ﴾ أى تجدد فيكم تلاوته[2] إلى آخر الدهر سيفا قاطعا و حكما ماضيا جامعا ﴿ فى الكتب ﴾ أى فيما سبق أول السورة فى قوله "و ان خفتم الا تقسطوا فى [3]اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء" و غير ذلك[3] ﴿ فى يتمى النسآء ﴾ أى فى شأن اليتامى من هذا الصنف ﴿ التى ١٠ لا تؤتونهن ﴾ أى بسبب التوقف فى ذلك و [4]تكرير الاستفتاء[4] عنه ﴿ ما كتب لهن ﴾ أى ما فرض من الميراث و سائر الحقوق فرضا هو فى غاية اللزوم ﴿ و ترغبون ان ﴾ أى فى أن أو عن أن ﴿ تنكحوهن ﴾ لجمالهن أو لدمامتهن[5] ﴿ و ﴾ يفتيكم فى[6] ﴿ المستضعفين ﴾ أى الموجود ضعفهم و المطلوب إضعافهم، يمنعهم حقوقهم ﴿ من الولدان ﴾. ١٥

و لما كان التقدير: فى أن تقوموا لهم بالقسط، [7]أى فى[7] ميراثهم و سائر حقوقهم، و لا تحقروهم لصغرهم[8]؛ عطف عليه قوله: ﴿ و ان تقوموا ﴾ أى تفعلوا فيه من القوة و المبادرة فعل القائم المنشط ﴿ لليتمى ﴾

(١-١) فى ظ: بان لا [illegible] لهم - كذا (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: تلاوة.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) من ظ ومد، و فى الأصل: تكرار استفتا (٥) فى ظ: لزمامتهن (٦) فى ظ «و» (٧-٧) فى ظ: من، و فى مد: اى من.
(٨) من ظ ومد، و فى الأصل: اضعفهم.

من الذكور و الإناث ﴿ بالقسط[1] ﴾ أى[1] بالعدل من الميراث و غيره .

و لما كان التقدير : فما تفعلوا فى ذلك من شر فان الله كان به عليما و عليكم قديرا ؛ عطف عليه قوله ترغيبا : ﴿ و ما تفعلوا من خير ﴾ أى فى ذلك أو[2] غيره ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ كان به عليما ﴾ أى فهو جدير - و هو أكرم الأكرمين و أحكم الحاكمين - بأن يعطى فاعله على حسب كرمه و علو قدره ، فطيبوا نفسا و تقروا عينا ؛ روى البخارى فى الشركة و النكاح و مسلم فى آخر الكتاب و أبو داود و النسائى فى النكاح عن عروة أنه سأل عائشة رضى الله تعالى عنها عن قول الله عز و جل " فان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى - إلى - رباع " قالت : يا ابن أختى[3] ! هى اليتيمة تكون فى حجر وليها تشاركه[4] فى ماله ، فيعجبه مالها و جمالها ، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط[5] فى[6] صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ، فنهوا أن ينكحوهن[7] إلا أن يقسطوا لهن و يبلغوا[8] بهن أعلى سنتهن[9] من الصداق و أمروا[10] أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ؛ [قال عروة - [11]] : قالت عائشة رضى الله عنها : ثم إن الناس استفتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فى (٣) من صحيحى البخارى و مسلم و سنن أبى داود و النسائى ، و فى الأصول : اخى (٤) فى سنن أبى داود و النسائى : فتشاركه (٥) فى ظ : يقصد - كذا (٦) من ظ و المراجع الأربعة ، و فى الأصل و مد : من (٧) فى ظ : تنكحوهن (٨) فى ظ : تبالغوا (٩) من المراجع الأربعة ، و فى الأصل : سنيهم ، و فى ظ و مد : سنتهم (١٠) من ظ و المراجع الأربعة ، و فى الأصل و مد : امر (١١) زيد من المراجع الأربعة .

بعد

[بعد هذه الآية فيهن -[1]] [فأنزل الله عز و جل -[2]] " و يستفتونك - إلى - و ترغبون ان تنكحوهن" [[2] - و الذى ذكر الله[3] أنه يتلى[4] عليكم فى الكتاب[4] : الآية الأولى[5] التى قال[6] فيها " [7] و ان[7] خفتم الا تقسطوا فى اليتامى[8] فانكحوا ما طاب لكم من النساء[8] " قالت عائشة رضى الله عنها : و قول الله تعالى فى الآية الأخرى " و ترغبون أن تنكحوهن "] ٥ هى[9] رغبة أحدكم[10] يتيمته - و قال مسلم[11] : عن يتيمته - التى تكون فى حجره حين تكون قليلة المال و الجمال ، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا فى مالها و جمالها من / يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهم عنهن ، ٥٢٤ / زاد مسلم : إذا كن قليلات المال و الجمال ، و قال البخارى فى النكاح : فكما يتركونها حين يرغبون عنها فليس لهم أن ينكحوها إذا رغبوا ١٠ فيها إلا أن يقسطوا لها و يعطوها[12] حقها الأوفى فى الصداق ؛ و فى البخارى

(١) زيد من المراجع الأربعة ، إلا أن لفظة « فيهن » ليست فى البخارى ، و « هذه الآية » ليست فى النسائى (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد و المراجع الأربعة.
(٣) من المراجع الأربعة ، و ليس فى ظ و مد (٤-٤) من الصحيحين ، و فى سنن أبى داود : عليهم فى الكتاب ، و فى سنن النسائى : فى الكتاب ، و ليس فى ظ و مد.
(٥) من مد و المراجع الأربعة ، و فى ظ : الاوالى (٦) ليس فى النسائى ، و زيد بعده فى الصحيحين و أبى داود : الله (٧-٧) من المراجع الأربعة و القرآن الكريم ، و فى ظ و مد : فان (٨-٨) من المراجع الأربعة ، و ليس فى ظ و مد (٩) من البخارى و أبى داود ، و فى الأصل و ظ و مد : و من ، و ليس فى مسلم و النسائى.
(١٠) من المراجع الأربعة ، و فى الأصل و ظ و مد : احدهم (١١) و أيضا أبو داود و النسائى (١٢) من ظ و مد و البخارى ، و فى الأصل : يعطونها .

و مسلم فى التفسير عن عروة أيضا " يستفتونك فى النساء " - الآية قالت[١] : هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها و وارثها فأشركته - و قال مسلم : لعلها أن تكون قد شركته - فى ماله حتى فى العذق فيرغب أن ينكحها و يكره أن يزوجها رجلا فيشركه فى ماله بما شركته فيعضلها[٢]

٥ فنزلت هذه الآية ؛ و فى رواية مسلم[٣] : نزلت[٤] فى الرجل تكون[٥] له اليتيمة و[٦] هو وليها و وارثها و لها مال و ليس لها أحد يخاصم دونها فلاينكحها[٧] لمالها فيضر بها و يسىء صحبتها فقال " [و -[٨]] ان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب [لكم من النساء -[٩]] " يقول : ما حللت[١٠] لكم ، و دع هذه التى تضر[١١] بها ؛ و فى رواية له

١٠ و للبخارى فى النكاح : فيرغب عنها أن يتزوجها[١٢] و يكره أن يزوجها[١٢] غيره فيشركه فى ماله - و قال البخارى : فيدخل عليه فى ماله - فيعضلها و لا يتزوجها و لا [يزوجها -[١٣]] ، زاد البخارى : فنهاهم الله سبحانه وتعالى عن ذلك ، و حاصل ذلك ما[١٤] نقله الأصبهانى أنه كان الرجل فى الجاهلية

(١) فى الأصل وظ : قال ، والتصحيح من مد و البخارى و مسلم ، وزيد بعده فيها : عائشة (٢) فى ظ : فعضلها (٣) فى ظ : لمسلم (٤) فى مسلم : انزلت (٥) من مسلم ، وفى الأصل وظ : يكون ، وفى مد بلا نقط (٦) سقطت الواو من مسلم. (٧) زيد بعده فى الأصل : الا ، و لم تكن الزياده فى ظ ومد و مسلم فحذفناها. (٨) زيدت الواو من القرآن الكريم ومد و مسلم (٩) زيد من مسلم (١٠) فى ظ : حلت ، و فى مسلم: احللت (١١) فى ظ : يضر (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٣) زيد من مد و مسلم ، و موضعه فى ظ : يتزوجها ، و زيد بعده فى مسلم : غيره (١٤) فى ظ : مما .

تكون عنده اليتيمة فيلقى عليها ثوبه ، فاذا فعل بها ذلك لم يقدر أحد[1] أن يتزوجها أبدا، فان كانت جميلة و هواها تزوجها[2] و أكل مالها ، و إن كانت دميمة منعها الرجال حتى تموت ، فاذا ماتت ورثها .

و ما أنسب ذكر هذا الحكم الذى كثرت فيه المراجعة على وجه يؤذن بعدم إذعان بعض النفوس له عقب آية الإسلام الذى معناه ٥ الانقياد والخضوع و الإحسان الذى صار فى العرف أكثر استعماله للاعطاء و التألف[3] و العطف[4] لاسيما للضعيف[5] ، و ذكر إبراهيم عليه الصلاة و السلام الذى تقدم أنه أتم ما ابتلاه الله تعالى به من الكلمات و و فى بها من غير مراجعة و لا تلعثم ، و أنه كان حنيفا ميالا مع الدليل ، تعنيفا لمن قام عليه دليل العقل و أتاه[6] صريح النقل و هو يراجع ! و إذا ١٠ تأملت قوله تعالى "من يعمل سوءا يجز به" مع قوله فيما قبل " و ليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم " لاحت[7] لك أيضا مناسبة بديعة .

و لما صاروا يعطون اليتامى أموالهم ، و صاروا يتزوجون ذوات الأموال منهن و يضاجرون بعضهن ؛ عقب ذلك تعالى بالإفتاء فى أحوال ١٥ المشاققة بين الأزواج فقال : ﴿ و ان امراة ﴾ أى[8] واحدة أو على ضرائر .

و لما كان ظن المكروه مخوفا قال[9] : ﴿ خافت ﴾ أى توقعت

(١) فى ظ : احدا (٢) فى ظ : يتزوجها (٣) فى ظ : التاليف (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاعطا - كذا ، و زيدت الواو بعده فى ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل و مد : للضيف (٦) فى ظ : اياه (٧) فى ظ : لا اخت - كذا (٨) سقط من ظ (٩) من مد ، و فى الأصل : قالت ، و فى ظ : قاله - كذا .

وظنت بما يظهر لها من القرائن ﴿ من بعلها نشوزا ﴾ أى ترفعا بما ترى من استهانته لها بمنع حقوقها أو إساءة صحبتها ﴿ او اعراضا ﴾ عنها بقلبه بأن لا ترى من محادثته و مؤانسته و مجامعته ما كانت ترى قبل ذلك، تخشى أن يجر إلى الفراق و إن كان متكلفا لملاطفتها[1] بقوله و فعله ٥ ﴿ فلا جناح ﴾ أى حرج و ميل ﴿ عليهما ان يصالحا[2] ﴾ أى يوقع الزوجان ﴿ بينهما ﴾ تصالحا و مصالحة. هذا على قراءة الجماعة[3]، و على قراءة الكوفيين بضم الياء و إسكان الصاد وكسر اللام التقدير: إصلاحا. لكنه لما كان المأمور به يحصل بأقل ما يقع عليه اسم الصلح بنى[4] المصدر على غير هذين الفعلين فقال مجردا له: ﴿ صلحا[4] ﴾ بأن تلين هى بترك بعض ١٠ المهر أو بعض القسم أو نحو ذلك، و أن يلين لها[5] هو باحسان العشرة فى مقابلة ذلك.

و لما كان التقدير: و لا جناح عليهما أن يتفارقا على وجه العدل، عطف عليه قوله: ﴿ و الصلح ﴾ أى بترك كل منهما حقه أو بعض حقه ﴿ خير[4] ﴾ أى من المفارقة التى أشارت إليها الجملة المطوية لأن الصلح ٥٢٥/ ١٥ مبناه الإحسان الكامل بالرضى / من الجانبين، و المفارقة مبناها العدل الذى يلزمه فى الأغلب غيظ أحدهما و إن كانت مشاركة للصلح فى الخير. لكنها مفضولة[6]، و تخصيص المفارقة بالطى[7] لأن مبنى السورة على المواصلة.

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لملاطفته (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: يصلحها - كذا، و فى مصاحفنا: يصلحا (٣) أى بفتح الياء و تشديد الصاد. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بين (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: له (٦) فى ظ: مفصوله (٧) فى ظ: بالظن - كذا.

و لما

و لما كان منشأ التشاجر المانع من الصلح شكاسة[1] فى الطباع، صوّر سبحانه و تعالى ذلك[2] تنفيرا عنه، فقال اعتراضا بين هذه الجمل للحث [على -[3]] الجود بانيا الفعل للمجهول إشارة إلى أن هذا المُحضِر لا يرضى أحد نسبته إليه: ﴿ واحضرت الانفس ﴾ أى الناظرة[4] إلى نفاستها عجبا[5] ﴿ الشح[6] ﴾ أى الحرص و سوء الخلق و قلة الخير و النكد و البخل بالموجود، وكله يرجع إلى سوء الخلق و الطبع الردىء و اعوجاج الفطرة الأولى الذى كنى عنه بالإحضار الملازم الذى لا انفكاك له إلا بجهاد كبير ينال به الأجر الكثير.

و لما كان هذا خلقا رديئا لم يذكر فاعله، و المعنى: أحضرها إياه مُحضِر[6]. فصار ملازما لها، لا تنفك[7] عنه إلا بتوفيق من الله سبحانه و تعالى فى قهرها عليه بتذكير ما عنده سبحانه و تعالى من حسن الجزاء، و لما كان التقدير: فان شححتم فانه أعلم بها فى الشح من موجبات الذم، عطف عليه قوله: ﴿ و ان تحسنوا ﴾ أى توقعوا الإحسان بالإقامة على نكاحكم و ما ندبتم إليه من حسن العشرة و إن كنتم كارهين ﴿ و تتقوا ﴾ أى توقعوا التقوى بمجانبة كل ما يؤذى نوع أذى إشارة إلى أن الشحيح لا محسن و لا متق ﴿ فان الله ﴾ أى [و هو -[8]] الجامع لصفات الكمال

(١) فى ظ: سكانته - كذا (٢) تقدم فى الأصل على « سبحانه و تعالى »، والترتيب من ظ و مد (٣) زيد من ظ (٤) من مد، وفى الأصل و ظ: الناضرة.
(٥) فى ظ: عجب (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: محضرا (٧) فى ظ: لا يفك.
(٨) زيد من ظ و مد.

﴿ كان ﴾ أزلا و أبدا ﴿ بما تعملون ﴾ أى فى كل شح و إحسان ﴿ خبيرا ﴾ أى بالغ العلم به و أنتم تعلمون أنه أكرم الأكرمين ، فهو مجازيكم عليه أحسن جزاء .

و لما ذكر سبحانه و تعالى أن الوقوف على الحق فضلا عن الإحسان - و إن كانت المرأة واحدة - متعسر ، أتبعه[1] أن[2] ذلك عند[3] الجمع أعسر ، فقال تعالى معبرا بأداة التأكيد : ﴿ و لن تستطيعوآ ﴾ أى توجدوا من أنفسكم طواعية بالغة دائمة ﴿ ان تعدلوا ﴾ أى من غير حيف أصلا ﴿ بين النسآء ﴾ فى جميع ما يجب لكل واحدة منهن عليكم من الحقوق ﴿ و لو حرصتم ﴾ أى على فعل ذلك ، و هذا مع قوله تعالى " فان[4] خفتم الا تعدلوا فواحدة " كالمختم للاختصار على واحدة .

و لما أخبر سبحانه و تعالى بأنه لا يخلو نكاح العدد عن ميل ، سبب عنه قوله : ﴿ فلا[5] ﴾ أى فان كان لا بد لكم من العدد ، أو فان وقع الميل و الزوجة واحدة فلا ﴿ تميلوا ﴾ و لما كان مطلق الميل غير مقدور[6] على تركه فلم يكلف به ، بين المراد بقوله : ﴿ كل الميل ﴾ ثم سبب عنه قوله[7] : ﴿ فتذروها ﴾ أى المرأة ﴿ كالمعلقة[8] ﴾ أى بين النكاح و العزوبة و الزواج و الانفراد .

و لما كان الميل الكثير مقدورا على تركه ، فكان التقدير : فان

---

(١) فى ظ : تتبعه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عند - كذا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنده (٤) من ظ و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : وان (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : مقدر (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : بقوله .

ملتم كل الميل مع إبقاء العصمة فان الله كان منتقما حسيبا ، عطف عليه قوله : ﴿ و ان تصلحوا و تتقوا ﴾ [أى - [1]] بأن توجدوا الإصلاح بالعدل فى القسم[2] و التقوى فى ترك الجور على تجدد الأوقات ﴿ فان الله ﴾ [أى - [1]] الذى له الكمال كله ﴿ كان غفورا رحيما ﴾ أى محّاء للذنوب بليغ الإكرام فهو جدير بأن يغفر لكم مطاق الميل ، و يسبغ عليكم ٥ ملابس الإنعام .

و لما كان من الإصلاح المعاشرة بالمعروف ، ذكر قسيمه[3] فقال : ﴿ و ان يتفرقا ﴾ أى يفترق كل من الزوجين من صاحبه ﴿ يغن الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال [4] ﴿ كلا ﴾ أى منهما ، أى بجعله غنيا هذه برجل و هذا بامرأة أو بغير ذلك من لطفه ، و بين منشأ هذا الغنى ١٠ فقال[5] : ﴿ من سعته ﴾ أى من شمول قدرته و غير ذلك من كل صفة كمال . و لمزيد الاعتناء بتقرير هذه المعانى فى النفوس لإحضارها[6] الشح ، كرر اسمه الأعظم الجامع فقال : ﴿ و كان الله ﴾ أى ذو[7] الجلال و الإكرام أزلا و أبدا ﴿ واسعا ﴾ أى محيطا[8] بكل شىء ﴿ حكيما ﴾ أى يضع الأشياء فى أقوم محالها[9] . ١٥

و لما كان مبنى هذه السورة على التعاطف / و التراحم و التواصل ، ٥٢٦/

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى ظ : الأول (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : قسمه (٤) العبارة من هنا إلى « صفة كمال » سقطت من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : قال (٦) فى ظ : لاحضار (٧) فى ظ : ذى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : محيط (٩) فى ظ : محلها .

لم يذكر فيها الطلاق إلا على وجه الإيماء فى هذه الآية على وجه البيان لرأفته و سعة رحمته و عموم تربيته ، و فى ذلك معنى الوصلة و العطف ، قال ابن الزبير : و لكثرة ما يعرض من رعى حظوظ النفوس[1] عند الزوجية و مع[2] القرابة - و يدق [ذلك -[3]] و يغمض - لذلك ما تكرر كثيرا فى هذه السورة الأمرُ بالاتقاء ، و به افتتحت " اتقوا ربكم " ، " [و -[4]] اتقوا الله الذى تساءلون به و الارحام " ، " و لقد وصينا الذين اوتوا الكتب من قبلكم " - الآية .

و لما ذكر تعالى آية[5] التفرق و ختمها بصفتى السعة و الحكمة دل على الأول ترغيبا فى سؤاله بقوله : ﴿ و لله ﴾ أى الذى له العظمة كلها ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ و لما كان فى السياق بيان ضعف[6] النفوس و جبلها على النقائص ، فكانت محتاجة إلى تقوية الكلام المخرج لها عما ألفت من الباطل قال : ﴿ و ما فى الارض[4] ﴾ و على الثانية بالوصية بالتقوى لأنه كرر الحث على التقوى فى هذه الجمل فى سياق الشرط بقوله " و ان تحسنوا و تتقوا " ، " [7] و ان تصلحوا و تتقوا [7] " فأخبر تعالى بعد اللطف بذلك السياق أن وصيته[8] بها مؤكدة ، لم تزل قديما و حديثا ، لأن العلم بالمشاركة فى الأمر يكون أدعى للقبول ، و أهون على النفس ، فقال تعالى : ﴿ و لقد وصينا ﴾ أى على ما لنا من العظمة .

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : النفس (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيدت الواو من القرآن الكريم سورة ٤ آية ١ (٥) سقط من مد (٦) زيد بعده فى الأصل : القلوب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : وصية .

و لما

و لما كان الاشتراك فى الأحكام موجبا للرغبة فيها و التخفيف لثقلها، و كانت الوصية للعالم[1] أجدر بالقبول قال: ﴿ الذين اوتوا الكتب ﴾ أى التوراة و الإنجيل و غيرهما، و بنى الفعل للمجهول [لأن القصد بيان كونهم أهل علم ليرغب فيما أوصوا بـه، و دلالة على أن العلم فى نفسه مهيء للقبول -[2]]، و لإفادة أن وصيتهم أعم من أن تكون فى الكتاب، ٥
أو على لسان[3] الرسول من غير كتاب، و لما كان إيتاؤهم الكتاب غير مستغرق للماضى و كذا الإيصاء قال: ﴿ من قبلكم ﴾ أى من بنى إسرائيل و غيرهم ﴿ و اياكم ﴾ أى و وصينا كم مثل ما وصيناهم؛ و لما كانت[4] التوصية بمعنى القول فسرها بقوله: ﴿ ان اتقوا الله[5] ﴾ أى الذى لا يطاق انتقامه لأنه لا كفوء له. ١٠

و لما كان التقدير: فان تتقوا فهو حظكم و سعادتكم فى الدارين، عطف عليه قوله: ﴿ و ان تكفروا ﴾ أى بترك التقوى ﴿ فان لله ﴾ أى الذى له الكمال المطلق ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ و لما كان السياق لفرض الكفر حسن التأكيد فى قوله: ﴿ و ما فى الارض[5] ﴾ منكم و من غيركم من حيوان و جماد أجسادا و أرواحا و[5] أحوالا. ١٥

و لما كان المعنى: لا يخرج[6] شيء عن ملكه و لا إرادته، و لا يلحقه ضرر بكفركم، و لم تضروا إن فعلتم إلا أنفسكم، لأنه غنى عنكم،

(١) فى ظ: للعلم (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من مد، و فى الأصل: امان، و فى ظ: حسان - كذا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: كان. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٦) فى ظ: لا تحرج.

لا يزداد جلاله بالطاعات[1]، و لا ينقص بالمعاصى[2] و السيئات؛ أكده بقوله دالا على غناه و استحقاقه للحامد: ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة كلها ﴿ غنيا ﴾ [أى - [3]] عن كل شىء [الغنى المطلق لذاته - [4]] ﴿ حميدا ﴾ أى محمودا بكل لسان قالى و حالى، كفرتم أو شكرتم.

٥ فكان ذلك غاية فى بيان حكمته.

و لما كان الملك قد لا يمنع الاعتراض على المالك بين أن ذلك إنما هو فى الملك الناقص و أنه ملكه تام: ﴿ و لله ﴾ أى الذى له العلم الكامل و القدرة الشاملة ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ و أكد لمثل ما[5] مضى فقال: ﴿ و ما فى الارض ﴾ أى هو قائم بمصالح ذلك كله، يستقل بجميع أمره،

١٠ لا معترض عليه، بل هما و كل من[6] فيهما مظهر العجز عن أمره، معلق[7] مقاليد نفسه و أحواله إليه[8] طوعا أو كرها، فهو وكيل على كل ذلك، فاعل به ما يفعل الوكيل من الأخذ و القبض و البسط، و لمثل ذلك كرر الاسم الأعظم فقال: ﴿ و كفى بالله ﴾ أى الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه ﴿ وكيلا ﴾ أى قائما بالمصالح قاهرا متفردا بجميع

١٥ الأمور، قادرا على جميع المقدور، و قد بان - كما ترى - أن جملة "لله" المكررة ثلاث مرات ذكرت كل مرة دليلا على شىء غير الذى قبله و كررت، لأن الدليل الواحد إذا كان دالا على مدلولات كثيرة يحسن

(١) فى ظ: بالطاعة (٢) فى ظ: بالمعصية (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ ومد.
(٥) فى ظ: بما (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ما (٧) فى ظ: ملق - كذا.
(٨) سقط من ظ.

أن يستدل به على كل واحد منها . و إعادته[1] مع كل واحد أولى من الاكتفاء بذكره مرة واحدة ، / لأن عند إعادته[2] يحضر فى الذهن ما يوجب العلم بالمدلول ، فيكون العلم الحاصل بذلك المدلول أقوى و أجل ؛ و فى ختم[3] كل جملة بصفة من الصفات الحسنى تنبيه الذهن بها إلى أن هذا الدليل دال على أسرار شريفة و مطالب جليلة لا تنحصر ، فيجتهد السامع فى التفكر لإظهار الأسرار و الاستدلال على صفات الكمال ، لأن الغرض الكلى من هذا الكتاب صرف العقول و الأفهام عن الاشتغال بغير الله تعالى إلى الاستغراق فى معرفته سبحانه ، و هذا التكرير مما يفيد حصول هذا المطلوب و يؤكده ، فكان فى غاية الحسن و الكمال .

/ ٥٢٧

و لما تقرر بهذا شمول علم من هذا من شأنه و تمام قدرته أنتج قوله مهددا متوعدا مخوفا مرهبا : ﴿ ان يشا يذهبكم ﴾ و صرح بالعموم إشارة إلى عموم الإرسال بقوله : ﴿ ايها الناس ﴾ أى المتفرعون من تلك النفس الواحدة كافة لغناه عنكم[3] و قدرته على ما يريد منكم ﴿ و يات بآخرين[4] ﴾ أى من غيركم يوالونه ﴿ و كان الله ﴾ أى الواحد الذى [4]لا شريك[4] له أزلا و أبدا ﴿ على ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من الإيجاد والإعدام ﴿ قديرا ٥ ﴾ أى بالغ القدرة ، و هذا غاية البيان لغناه[5] و كونه حميدا و قاهرا شديدا ، و إذا تأملت ختام قوله تعالى فى قصة عيسى عليه

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : اعادت (؟) زيد فى ظ : مع كل واحد .
(٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : كغناه .

الصلاة و السلام فى آخر هذه السورة " سبحانه ان يكون له ولد " زاد ذلك هذا السر - و هو كونه لا اعتراض عليه - وضوحا .

و لما كان فى هذا تهديد بليغ و تعريف بسعة الملك و كمال التصرف، و كان مدار أحوال المتشاحين فى الإرث و حقوق الأزواج و غيرها الأمرَ الدنيوى، و كان سبحانه و تعالى قد بين فيما مضى أن مبنى أحوال المنافقين على طلب العرض[1] الفانى خصوصا قصة طعمة بن أبيرق الراضى لنفسه بالفضيحة فى نيل شىء تافه؛ قال تعالى تفييلا لآرائهم و تخسيسا[2] لهممهم حيث نزلوا [3]إلى الأدنى[3] مع القوة على طلب الأعلى مع طلب الأدنى أيضا منه تعالى، فلا يفوتهم شىء من معوّلهم مع إحراز الأنفس: ﴿من كان يريد ثواب الدنيا﴾ لقصور نظره على المحسوس الحاضر مع خسته كالبهائم ﴿فعند﴾ أى فليقبل إلى الله فانه عند ﴿الله﴾ أى الذى له الكمال المطلق ﴿ثواب الدنيا﴾ الخسيسة الفانية ﴿و الآخرة[4]﴾ أى[4] النفيسة الباقية فليطلبها منه، فانه يعطى من أراد ما شاء، و من علت همته عن ذلك فأقبل بقلبه إليه و قصر همه عليه فلم يطلب إلا الباقى جمع سبحانه و تعالى له بينهما، كمن[5] يجاهد لله خالصا، فانه يجمع له بين الأجر و المغنم، و ما [6]أشد التئامها[6] مع ذلك بما قبلها، لأن من كان تام القدرة واسع الملك كان كذلك[7] .

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : الغرض (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : تحسينا (٣ - ٣) فى ظ : بالادنى - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : لمن (٦ - ٦) فى ظ : اشتد التامها - كذا (٧) فى ظ : لذلك .

و لما كان الناشىء عن الإرادة إما قولا أو فعلا، و كان الفعل قد يكون قلبيا قال: ﴿ و كان الله ﴾ أى المختص بجميع صفات الكمال ﴿سميعا ﴾ أى بالغ السمع لكل[1] قول و إن خفى، نفسيا كان أو لسانيا ﴿ بصيرا ﴾ أى بالغ البصر لكل ما يمكن أن يبصر من الأفعال، و العلم بكل ما يبصر و ما لا يبصر منها و من غيرها، فيكون من البصر و من ٥ البصيرة، فليراقبه العبد قولا و فعلا.

و لما كان ذلك من أحسن المواعظ لقوم طعمة الذين اعتصبوا له، التفت إليهم مستعطفا بصيغة الإيمان، جائيا[2] بصيغة الأمر على وجه يعم غيرهم، قائلا ما هو كالنتيجة لما مضى من الأمر بالقسط من أول السورة إلى هنا على وجه أكده و حث عليه: ﴿ يآيها الذين ءامنوا ﴾ أى ١٠ أقروا بالإيمان بألسنتهم ﴿ كونوا قوٰمين ﴾ أى قائمين قياما بليغا مواظبا عليه مجتهدا فيه.

و لما كان أعظم مبانى هذه السورة العدل قدمه فقال: ﴿بالقسط﴾ بخلاف ما يأتى فى المائدة[3] فان النظر فيها إلى الوفاء الذى إنما يكون بالنظر إلى الموفى له ﴿ شهدآء ﴾ أى حاضرين متيقظين حضور المحاسب / لكل ١٥ / ٥٢٨ شىء أردتم الدخول فيه[4] ﴿ لله ﴾ أى لوجه الذى كل شىء بيده لا لشىء غيره ﴿ و لو ﴾ كان ذلك القسط ﴿ علىٰ انفسكم ﴾ أى فانى لا أزيدكم بذلك إلا عزا، و[4]إلا تفعلوا[4] ذلك قهرتكم على الشهادة على أنفسكم على

(١) فى ظ: بكل (٢) من مد. وفى الأصل وظ: حاما ـ كذا (٣) انظر آية ٨.
(٤) سقط من ظ (٤ ـ ٤) من ظ و مد، وفى الأصل: لا تقطوا ـ كذا.

رؤس الأشهاد، ففضحتم فى يوم يجتمع[1] فيه الأولون و الآخرون من جميع العباد .

و لما كان ذكر أعز[2] ما عند الإنسان، أتبعه ما يليه[3] و بدأ منه بمن جمع[4] إلى ذلك الهيبة فقال: ﴿ او ﴾ أى أو كان ذلك القسط على ﴿ الوالدين ﴾ و أتبعه ما يعمهما و غيرهما فقال: ﴿ و الاقربين ج ﴾ أى من الأولاد و غيرهم، ثم علل ذلك بقوله: ﴿ ان يكن ﴾ أى المشهود له أو عليه ﴿ غنيا ﴾ أى ترون الشهادة له بشىء[5] باطل دافعة ضرا منه للغير من المشهود عليه أو غيره، أو مانعة[6] فسادا أكبر[7] منها، أو عليه بما[8] لم يكن [صلاحا - [9]] طمعا فى نفع الفقير بما لا يضره و نحو ذلك ﴿ او فقيرا ﴾ فيخيل[10] إليكم أن الشهادة له بما ليس له نفعه رحمة له أو بما ليس عليه لمن هو أقوى منه تسكن فتنه ﴿ فالله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام ﴿ اولى بهما قف ﴾ أى بنوعى الغنى و الفقير المندرج فيهما هذان المشهود بسببهما منكم، فهو المرجو لجلب النفع و دفع الضر بغير ما ظننتموه، فالضمير من الاستخدام، و لو عاد للذكور لوحد[11] الضمير لأن المحدث عنه واحد مبهم[12] .

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: نجمع (٢) فى ظ : اغبر (٣) فى ظ : بلمه - كذا. (٤) زيد بعده فى الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٥) فى ظ : لشىء (٦) فى ظ : ما معه (٧) فى ظ : لكبر (٨) فى ظ : لما (٩) زيد من ظ ، وزيد فى مد موضعه : صلا - فقط (١٠) من مد ، و فى الأصل : فيخيلى ، و فى ظ : فمحل - كذا (١١) فى ظ : لوجد (١٢) فى ظ : منهم .

و لما كان هذا، تسبب عنه قوله: ﴿ فلا تتبعوا ﴾ أى تتكلفوا تبع ﴿ الهوىٰ ﴾ و تنهمكوا[1] فيه انهماك المجتهد[2] فى المحب له ﴿ ان ﴾ أى إرادة أن ﴿ تعدلوا ج ﴾ فقد بان لكم أنه لا عدل فى ذلك .

و لما كان التقدير: فان تتبعوه لذلك أو لغيره فان[3] الله كان عليكم قديرا، عطف عليه قوله: ﴿ و ان تلوّا ﴾ أى ألسنتكم لتحرفوا الشهادة ٥ نوعا من التحريف أو تديروا[4] ألسنتكم أى تنطقوا بالشهادة باطلا، و قرأ ابن عامر و حمزة بضم اللام - من الولاية أى تؤدوا الشهادة على وجه من العدل، أو اللى ﴿ او تعرضوا ﴾ أى عنها و هى[5] حق فلا تؤدوها لأمر ما ﴿ فان الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ كان ﴾ أى [6]لم يزل و لا يزال[6] ﴿ بما تعملون خبيرا ٥ ﴾ أى بالغ العلم باطنا و ظاهرا، فهو يجازيكم على ذلك ١٠ بما تستحقونه، فاحذروه إن ختم[7]، و ارجوه إن وفيتم، و ذلك بعد ما [8]مضى من[8] تأديبهم على وجه الإشارة و الإيماء من غير أمر، و ما أنسبها لختام التى قبلها و أشد التئام الختامين: ختام هذه بصفة[9] الخبر، و تلك بصفتى[10] السمع و البصر .

(١) فى ظ : تتهكموا (٢) فى ظ : المجهد (٣) فى ظ : فاتاه - كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : تدبر (٥) فى ظ : بقى (٦ - ٦) من مد، و فى الأصل : لم يزل و لم يزال، و فى ظ : لم تزل ولا تزال (٧) من مد، و فى الأصل و ظ : خفتم. (٨ - ٨) فى ظ : امضى (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : بصيغة (١٠) فى ظ : بصيغة .

و لما أمر بالعدل على هذا الوجه أمر بالحامل على ذلك ، و هو الإيمان بالشارع و المبلغ و الكتاب الناهج لشرائعه المبين لسرائره الذى[1] افتتح القصة بحقيته[2] و بيان فائدته فقال : ﴿ يآيها الذين آمنو ﴾ أى [3]أقروا بالإيمان ؛ و لما ناداهم بوصف الإيمان أمرهم بما لا يحصل إلا به فقال[3] مفصلا له : ﴿ آمنوا بالله ﴾ أى لأنه أهل لذلك لذاته المستجمع لجميع[4] صفات الكمال [كلها -[5]] .

و لما كان الإيمان بالله لا يصح إلا بالإيمان بالوسائط ، و كان أقرب الوسائط إلى الإنسان الرسول قال : ﴿ و رسوله ﴾ أى[4] لأنه[6] المبلغ عنه سواء كان من الملك أو البشر ﴿ و الكتب الذى [7]نزل ﴾ أى مفرقا بحسب المصالح تدريجا تثبيتا و تفهيما ﴿ على رسوله[7] ﴾ أى لأنه المفصل لشريعتكم المتكفل بما[8] تحتاجون إليه من الأحكام و المواعظ و جميع ما يصلحكم ، و هو القرآن الواصل إليكم بواسطة أشرف الخلق ﴿ [9]و الكتب الذى انزل[9] ﴾ أى أوجد إنزاله و مضى ؛ و لما لم يكن أنزاله مستغرقا للزمان الماضى بين المراد[10] بقوله : ﴿ من قبل[4] ﴾ من[11] الإنجيل و الزبور

(١) فى ظ : التى (٢) فى ظ : بحقيقة (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « أى لانه » سقطت من ظ (٧-٧) تأخر ما بين الرقمين فى ظ عن «الذى انزل» إلا أن هناك «تنبيها» موضع « تثبيتا » (٨) فى ظ : لما (٩-٩) تكرر ما بين الرقمين فى ظ بعد « المراد بقوله » (١٠) فى ظ : المرأة - كذا (١١-١١) فى ظ : من الزبور و الانجيل .

و التوراة

و التوراة و غيرها لأن رسولكم بلغكم[1] ذلك فلا يحصل الإيمان إلا بتصديقه في كل ما يقوله .

و لما كان المؤمن الذى الخطاب معه عالما بأن التنزيل و الإنزال لا يكون إلا من الله بنيا للمفعول فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و ابن عامر للعلم بالفاعل ، و صرحت قراءة الباقين به . ٥

و لما كان التقدير : فمن آمن بذلك / فقد اهتدى و آمن[2] قطعا ٥٢٩ / بالملائكة و اليوم الآخر و غير ذلك من كل ما دعا إليه الكتاب و الرسول ، عطف عليه قوله : ﴿ و من يكفر ﴾ أى يوجد الكفر و يجدده وقتا من الأوقات ﴿ بالله و ملئكته و كتبه ﴾ أى [3]التى أنزلها على أنبيائه بواسطة ملائكته أو بغير واسطة[3] ﴿ و رسله ﴾ أى من الملائكة و البشر ، ١٠ فكان الإيمان بالترقى للاحتياج إليه ، و كان الكفر بالتدلى للاجتراء عليه .

و لما كان الإيمان بالبعث - و إن كان أظهر شىء - مما لا تستقل[4] به العقول فلا تصل[5] إليه[6] إلا بالرسل ، ذكره بعدهم فقال : ﴿ و اليوم الآخر ﴾ أى الذى أخبرت به رسله ، و قضت به العقول الصحيحة و إن كانت لا تستقل[7] بادراكه قبل تنبيه الرسل لها عليه ، و هو روح ١٥ الوجود و سره و قوامه و عماده ، فيه تكشف[8] الحقائق و تجمع الخلائق ،

(١) فى ظ : يبعكم (٢) فى ظ : من (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : لا يستقل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلا يصل . (٦) سقط من ظ (٧) زيد بعده فى ظ : الا - خطأ (٨) من مد ، و فى الأصل : بكشف ، و فى ظ : يكشف .

و يظهر شمول العلم و تمام القدرة و [١]يبسط ظل[١] العدل و تجتنى[٢] ثمرات الفضل ﴿فقد ضل﴾ و أبلغ فى التأكيد لكثرة المكذبين فقال: ﴿ضلالا بعيدا﴾ أى لا حيلة فى رجوعه معه .

و لما كان التمادى بعد نزول هذا الهدى موجدا للكفر[٣] مجددا له ، [نبه - ٤] على إغراقه فى البعد بغضبه سبحانه و تعالى لتماديه معلما أن الثبات على الكفر عظيم جدا ، و صوّره بأقبح صورة ، و فى ذلك ألطف استعطاف إلى النزوع عن الخلاف فقال: ﴿ان الذين امنوا﴾ أى بما كانوا مهيئين له من الإيمان بالفطرة الأولى ﴿ثم كفروا﴾ أى أوقعوا الكفر فعوّجوا ما أقامه الله[٥] من فطرهم ﴿ثم امنوا﴾ أى حقيقة أو بالقوة بعد مجىء الرسول بما هيأهم له باظهار الأدلة و إقامة الحجج ﴿ثم كفروا﴾ أى بذلك الرسول [أو برسول[٦]] آخر بتجديد الكفر أو التمادى فيه ﴿ثم ازدادوا﴾ أى باصرارهم على الكفر إلى الموت ﴿كفرا[٧] لم يكن الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ليغفر لهم﴾ أى ما داموا على هذا الحال لأنه لا يغفر أن يشرك به ﴿و لا ليهديهم سبيلا﴾ أى من السبل [الموصلة - ٦] إلى المقصود .

و لما كانت جميع صور الآية منطبقة على النفاق ، بعضها حقيقة

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : سبط ظن - كذا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تجتبى (٣) فى ظ : للكفور - كذا (٤) زيد و لا بد منه (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) تقدم فى ظ على « اى باصرارهم » .

و بعضها مجازا ، قال جوابا لمن كأنه سأل عن جزائهم متهكما بهم : ﴿ بشر المنفقين ﴾ فأظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف ﴿ بان لهم عذابا اليما ﴾ ثم وصفهم بما يدل على أنهم المساترون بالكفر بقوله تعالى : ﴿ الذين يتخذون الكفرين ﴾ أى المجاهرين[1] بالكفر ﴿ اولياء ﴾ أى يتعززون بهم[2] تنفيرا من مقاربة[3] صفتهم ليتميز المخلص من المنافق ، و بيانا لأن مرادهم بولايتهم إنما هو التعزز بهم فان محط أمرهم على العرض الدنيوى ، و نبه على دناءة أمرهم و على أن الغريق فى الإيمان أعلى الناس بقوله : ﴿ من دون المؤمنين ﴾ أى الغريقين فى الإيمان ، ثم أنكر عليهم هذا المراد بقوله : ﴿ ايبتغون ﴾ أى المنافقون يتطلبون ، تطلبا عظيما ﴿ عندهم ﴾ أى الكافرين ﴿ العزة ﴾ فكأنه قال : طلبهم العزة بهم سفه[4] من الرأى و بُعد من الصواب ، لأنه لا شىء من العزة عندهم .

و لما أنكر عليهم هذا الابتغاء علله بقوله : ﴿ فان العزة لله ﴾ أى[5] الذى لا كفوء له ﴿ جميعا ﴾ أى و هم أعداء الله فانما يترقب لهم ضرب الذلة و المسكنة ، و ما أحسن التفات هذه الآية إلى أول الآيات المحذرة من أهل الكتاب "الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتب" المختتمة بقوله "و كفى بالله وليا[6] و كفى بالله نصيرا" ﴿ و قد ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المحاجرين - كذا (٢) فى ظ : لهم (٣) فى ظ : مقارنة (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : سنة (٥) سقط من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أى يتخذونهم[1] و الحال أنه قد ﴿ نزل عليكم ﴾ أى أيتها الأمة ، الصادقين منكم و المنافقين ﴿ فى الكتب ﴾ أى فى سورة الأنعام[2] النازلة بمكة المشرفة النهى[3] عن مجالستهم فضلا عن ولايتهم ، أفلا تخافون عزة من نهاكم عن ذلك أن [4]يضربكم بذل[4] لا تخلصون منه أبدا ، لأنهم[5] لا ينفكون عن الكفر بآيات الله ، / فانه لا تباح ولايتهم فى حال من الأحوال إلا عند الإعراض عن الكفر ، و ذلك هو المراد من قوله : ﴿ ان ﴾ أى أنه ﴿ اذا سمعتم آيات الله ﴾ أى ذى الجلال و الإكرام .

٥٣٠/ ٥

و لما كان السماع مجملا بين المراد بقوله : ﴿ يكفر بها ﴾ أى يستر ما أظهرت من الأدلة من أى كافر كان من اليهود و غيرهم ﴿ و يستهزأ بها ﴾ أى يطلب طلبا شديدا أن تكون[6] مما يهزأ[7] به ﴿ فلا تقعدوا معهم ﴾ أى الذين يفعلون ذلك[8] بها ﴿ حتى يخوضوا ﴾ و عبر عن الشروع بالخوض إيماء إلى أن كلامهم لا يخلو عن شىء فى غير موضعه ، رمزا إلى عدم مجالستهم على كل حال ﴿ فى حديث غيره ﴾ فهذا نهى من مجرد مجالستهم فكيف بولايتهم .

١٠

و لما كانت آية الأنعام مكية اقتصر فيها على مجرد الإعراض و قطع المجالسة لعدم التمكن من الإنكار بغير القلب ، و أما[9] هذه الآية فمدنية فالتغيير[10] عند إنزالها باللسان و اليد ممكن لكل مسلم ، فالمجالس من

١٥

---

(١) فى ظ : يتخذوهم (٢) انظر آية ٦٨ (٣) فى ظ : التى (٤-٤) فى ظ : نصرتكم بذلة (٥) فى ظ : لا انهم (٦) فى الأصل : يكونوا ، و فى ظ و مد : يكون - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهدى (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : لما (١٠) من مد . و فى الأصل و ظ : فالتعبير .

غير نكير راض ، فلهذا[1] علل بقوله : ﴿ انكم اذًا ﴾ أى إذا قعدتم معهم و هم يفعلون ذلك ﴿ مثلهم ﴾ أى فى الكفر لأن مجالسة المظهر للايمان المصرحَ بالكفران دالة على أن إظهاره لما أظهر نفاق ، و أنه راض بما يصرح به هذا الكافر و الرضى بالكفر كفر ، فاشتد حسن ختم الآية بجمع[2] الفريقين فى جهنم بقوله مستأنفا لجواب السؤال عما تكون به المماثلة : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى أحاط علمه فتمت قدرته ﴿ جامع ﴾ .

و لما كان حال الأخفى أهم قدم قوله : ﴿ المنفقين ﴾ أى الذين يظهرون الإيمان و يبطنون الكفر فيقعدون مع من يسمعونه[3] بكفر ﴿ و الكٰفرين ﴾ أى الذين يجاهرون بكفرهم لرسوخهم فيه ﴿ فى جهنم ﴾ التى هى سجن الملك ﴿ جميعا ﴾ كما جمعهم معهم مجلسُ الكفر الذى هو طعن فى ملك الملك ، و التسوية بينهم فى الكفر بالقعود معهم[4] دالة على التسوية بين العاصى و مجالسه بالخلطة من غير إنكار ؛ ثم وصفهم سبحانه و تعالى بما يعرف بهم فقال : ﴿ الذين يتربصون بكم ج ﴾ أى يثبتون على حالهم انتظارا لوقوع ما يغيظكم[5] ﴿ فان كان لكم فتح ﴾ أى ظهور و عز وظفر ، و[4] قال : ـ ﴿ من الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها ـ تذكيرا للمؤمنين بما يديم اعتمادهم عليه و افتقارهم إليه ﴿ قالوآ ﴾ أى الذين آمنوا نفاقا[6] لكم[7] أيها المؤمنون ﴿ الم نكن معكم ز ﴾ أى ظاهرا بأبداننا بما تسمعون[8] من

(١) فى ظ : فلذا (٢) من مد ، و فى الأصل : بجميع ، و فى ظ : مجمع (٣) فى ظ : يستمعونه (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : يغيضكم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اتفاقا ـ كذا (٧) فى ظ : بكم (٨) فى ظ : يستمعون .

أقوالنا فأشركونا فى فتحكم ﴿ و ان كان للكفرين ﴾ أى المجاهرين، و قال: ﴿ نصيب[1] ﴾ تحقيرا لظفرهم و أنه لا يضر بما حصل للمؤمنين من الفتح ﴿ قالوآ ﴾ للكافرين ليشركوهم فى نصيبهم ﴿ الم[1] نستحوذ عليكم ﴾ أى نطلب حياطتكم و المحافظة على مودتكم حتى غلبنا على جميع أسراركم[2] و استولينا عليها، و خالطناكم مخالطة الدم للبدن، من قولهم: حاذه[3]، أى حاطه و حافظ عليه ﴿ و نمنعكم من المؤمنين[1] ﴾ أى من تسلطهم عليكم بما كنا نخادعهم به، و نشيع فيهم من الإرجافات[4] و الأمور المرغبات الصارفة لهم عن كثير من المقاصد، لتصديقهم لنا لإظهارنا الإيمان، و رضانا من مداهنة[5] من نكره[6] بما لا يرضاه إنسان.

و لما كان هذا لأهل[7] الله سبحانه و تعالى أمرا غائظا مقلقا موجعا؛ سبب عنه قوله: ﴿ فالله ﴾ أى بما له من جميع [صفات - [8]] العظمة ﴿ يحكم بينكم ﴾ أى أيها المؤمنون [و - [9]] الكافرون المساترون و المجاهرون.

و لما كان الحكم له فى الدارين بين[10] أنه فى الدار التى لا يظهر فيها لأحد غيره[11] أمرٌ ظاهرا و لا باطنا، و تظهر فيها جميع المخبئات فقال: ﴿ يوم القيمة[1] ﴾ و لما كان هذا ربما أيأسهم من الدنيا قال: ﴿ و لن يجعل الله ﴾ عبر بأداة التأكيد و بالاسم الأعظم لاستبعاد[12] الغلبة

(١) تكرر فى ظ بعد « قالوا » (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : اشراركم. (٣) فى ظ : حازه (٤) فى ظ : الاوجافات (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : مداهنته (٦) من مد، و فى الأصل : نكره، وفى ظ : يكره (٧) من مد، و فى الأصل و ظ : الامر - كذا (٨) زيد من ظ (٩) زيدت الواو من ظ و مد. (١٠) سقط من ظ (١١) من مد، وفى الأصل وظ : غير (١٢) من ظ و مد، وفى الأصل : الاستبعاد.

على الكفرة[1] لما لهم فى ذلك الزمان من القوة و الكثرة ﴿ للكفرين ﴾ أى سواء كانوا مساترين أو مجاهرين ﴿ على المؤمنين ﴾ أى كلهم ﴿ سبيلا ع ﴾ أى بوجه فى دنيا ولا آخرة ، و هذا تسفيه لآرائهم و استخفاف بعقولهم[2] فكأنه يقول : يا أيها المتربصون بأحباب الله الدوائر ، المتمنون لأعدائه النصر ـ و قد قامت الأدلة على أن العزة جميعا لله ـ ! ما أضلكم فى ظنكم أنه يخذل أولياءه ! و ما أغلظ أكبادكم[3] ! و يدخل فى عمومها أنه لا يقتل مسلم بذمى ، و لا يملك كافر مال مسلم قهرا ؛ ثم بين أن صورتهم فى ضربهم الشقة بالوجهين صورة المخادع ، و ما أضلهم حيث خادعوا من لا يجوز عليه الخداع لعلمه بالخفايا ، فقال معللا لمنعهم السبيل : ﴿ ان المنفقين ﴾ لإظهارهم[4] لكل من غلب أنهم منه ﴿ يخدعون الله ﴾ أى يفعلون باظهار ما يسر و إبطان ما يضر فعل المخادع مع من له الإحاطة الكاملة بكل شيء لأنه سبحانه و تعالى يستدرجهم من حيث لا يشعرون ، و هم يخدعون المؤمنين باظهار الإيمان و إبطان الكفر ﴿ و هو ﴾ الذى أمر المؤمنين بما أمرهم فكأنهم يفعلون ذلك معه و هو ﴿ خادعهم ع ﴾ باستدراجهم من حيث لا يعلمون ، لأنه قادر على أخذهم من مأمنهم[5] و هم ليسوا قادرين على خدعه بوجه ﴿ و اذا ﴾ أى يخادعونه[6] و الحال أنهم قد فضحوا أنفسهم بما أظهر مكرهم للمستبصرين و هو أنهم[6] إذا ﴿ قاموآ الى الصلوٰة ﴾ أى المكتوبة ﴿ قاموا كسالى ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكفر (٢) فى ظ : بعقولهم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اكبادهم (٤) فى ظ : باظهارهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما معهم ـ كذا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

متقاعسين[1] متثاقلين عادة ، لا ينفكون عنها ، بحيث يعرف ذلك منهم كلُّ من تأملهم ، لأنهم يرون أنها تعب من غير أرب ، فالداعى إلى تركها - و هو الراحة - أقوى من الداعى إلى فعلها و هو خوف الناس ؛ ثم استأنف فى جواب من كأنه قال : ما لهم يفعلون ذلك ؟ فقال : ﴿ يرآءون الناس ﴾ أى يفعلون ذلك[2] ليراهم الناس ، ليس إلا ليظنوهم مؤمنين ، و يريهم[3] الناسُ لأجل ذلك ما يسرهم من عدهم[4] فى عداد المؤمنين لما [5]يُرَوْن هم[5] المؤمنين حين يصلون ﴿ و لا يذكرون الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال فى الصلاة و غيرها ﴿ الا قليلا ﴾ أى حيث يتعين ذلك طريقا[6] لمخادعتهم ، يفعلون ذلك حال كونهم ﴿ مذبذبين ﴾ أى مضطربين كما يضطرب الشىء الخفيف المعلق فى الهواء ، و حقيقة : الذى يُذَب[7] عن كلا الجانبين ذبا عظيما .

و لما كان ما تقدم يدل على إيمانهم تارة و كفرهم أخرى قال : ﴿ بين ذلك ﴾ أى الإيمان و الكفر ؛ و لما كان الإيمان يدل على أهله و الكفر كذلك قال : ﴿ لآ الى ﴾ أى لا يجدون[8] سبيلا مفر+ إلى ﴿ هٰؤلآء ﴾ أى المؤمنين ﴿ و لآ الى هٰؤلآء ﴾ أى الكافرين ؛ و لما كان التقدير ! لأن الله أضلهم ، بنى عليه قوله : ﴿ و من يضلل الله ﴾ أى

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) زيد فى ظ : حال كونهم (٣) من مد ، فى الأصل : فيربهم ، و فى ظ : عبربهم - كذا (٤) فى ظ : عدم (٥ - ٥) فى ظ : يرونهم - كذا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : طريق (٧) فى ظ : يدث . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجدون .

الشامل[1] القدرة الكامل العلم ﴿ فلن تجد ﴾ أى أصلا ﴿ له سبيلا ﴾ أى طريقا إلى شىء يريده .

و لما انقضى ما أراد من الإنكار على من ادعى الإيمان فى اتخاذ الكافرين أولياء، المستلزم للنهى عن ذلك الاتخاذ، صرح به مخاطبا للمؤمنين فقال: ﴿ يآ يها الذين امنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان بألسنتهم صدقا ٥ أو كذبا ﴿ لا تتخذوا ﴾ أى تكلفوا أنفسكم غير ما تدعو إليه الفطرة الأولى السليمة فتأخذوا[2] ﴿ الكٰفرين ﴾ أى المجاهرين بالكفر الغريقين فيه ﴿ اولياء ﴾ أى أقرباء[3]، تفعلون معهم من الود و النصرة ما يفعل القريب مع قريبه .

ولما كان الغريق[4] فى الإيمان أعلى الناس، وكان تحت رتبته رتب متكاثرة، ١٠ نبه على ذلك و على دناءة مقصدهم بالجار فقال: ﴿ من دون المؤمنين[5] ﴾ أى الغريقين فى الإيمان، و هذا إشارة إلى أنه[6] لا يصح لمن يواليهم[6] دعوى الإيمان، و لذلك قال منكرا: ﴿ اتريدون ﴾ أى / بموالاتهم ٥٣٢ / ﴿ ان تجعلوا لله ﴾ أى الذى لا تطاق سطوته لأن له الكمال كله ﴿ عليكم ﴾ أى فى النسبة إلى النفاق ﴿ سلطٰنا ﴾ أى دليلا واضحا على كفركم[7] ١٥ باتباعكم غير سبيل المؤمنين ﴿ مبينا ﴾ واضحا مسوّغا لعقابكم و خزيكم[8]

(١) فى ظ : الحامل - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تاخذوا (٣) فى ظ : اقروا بما - كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : التفريق (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٦) فى ظ : تواليهم (٧) فى ظ : كفرهم (٨) من مد ، و فى الأصل : حربكم ، و فى ظ : خزلكم - كذا .

و جعلكم فى زمرة المنافقين .

و لما نهاهم عن فعل المنافقين استأنف بيان جزائهم عنده فقال : ﴿ ان المنفقين فى الدرك ﴾ أى البطن و المنزل ﴿ الاسفل من النار ﴾ لأن ذلك أخفى ما فى النار و أستره و أدناه و أوضعه كما أن كفرهم أخفى الكفر و أدناه ، و هو أيضا أخبث طبقات النار كما أن كفرهم أخبث أنواع الكفر ، و فيه أن من السلطان وضعُ فاعل ذلك فى دار المنافقين لفعله مثل[1] فعلهم[2] ، و من تشبه بقوم فهو منهم ، و سميت طبقات النار أدراكا لأنها متداركة متتابعة إلى أسفل كما أن الدرج[3] متراقية إلى فوق .

و لما أخبر أنهم من هذا المحل الضنك ، أخبر بدوامه لهم على وجه مؤلم جدا فقال : ﴿ و لن تجد ﴾ أى أبدا ﴿ لهم نصيرا ﴾ و أشار بالنهى[4] عن موالاتهم و عدم نصرهم[5] إلى ختام أول الآيات المحذرة من الكافرين "و كفى بالله وليا و كفى بالله نصيرا" .

و لما كان فيما تقدم أن الغفران للكافر - أعم من أن يكون منافقا أو لا - متعذر[6] ، و أتبعه [7]ما لاءمه[7] إلى أن[8] ختم بما دل على أن النفاق أغلظ أنواع الكفر استثنى منه دلالة على أن غيره من الكفرة فى هذا الاستثناء أولى ، تنبيها على أن ذلك النفى المبالغ فيه إنما هو لمن

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مثله (٢) فى مد : مثلهم - كذا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المدرج (٤) فى ظ : بالمجنى - كذا (٥) فى ظ : نصرتهم . (٦) فى الأصول : متعذرا - كذا (٧ - ٧) فى ظ : ملايمة - كذا (٨) سقط من ظ .

مات على ذلك ، و لكنه سيق على ذلك الوجه تهويلا لما ذكره في حيزه و تنفيرا منه فقال تعالى : ﴿ الا الذين تابوا ﴾ أى رجعوا عما كانوا عليه من النفاق بالندم و الإقلاع ﴿ و اصلحوا ﴾ [1] أى أعمالهم الظاهرة من الصلاة التى [كانوا - [2]] يراءون فيها و غيرها بالإقلاع عن النفاق ﴿ و اعتصموا بالله ﴾ أى اجتهدوا فى أن تكون عصمتهم - أى ارتباطهم - بالملك الأعظم فى عدم العود إلى ما كانوا عليه .

و لما كان الإقلاع عن النفاق الذى من أنواعه الرياء - أصلا و رأسا فى غاية العسر قال حثا على مجاهدة النفس فيه : ﴿ و اخلصوا دينهم ﴾ أى كله [3] ﴿ لله ﴾ أى الذى له الكمال كله ، فلم يريدوا بشىء من عبادتهم [4] غير وجهه لا رياء و لا غيره ﴿ فاولئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ مع المؤمنين [5] ﴾ أى الذين صار الإيمان لهم وصفا راسخا فى الجنة ، و إن عذبوا على معاصيهم ففى الطبقة العليا من النار ﴿ وسوف يؤت الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ المؤمنين ﴾ أى بوعد لا خلف فيه و إن أصابهم قبل ذلك ما أصابهم و إن طال عذابهم ، تهذيبا لهم من المعاصى بما أشار إليه لفظ 'سوف' ﴿ اجرا عظيما ﴾ أى بالخلود فى الجنة التى لا ينقضى [6] نعيمها ، و لا يتكدر يوما نزيلها ، فيشاركهم من كان معهم ، لأنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم .

---

(١) العبارة من هنا إلى « بالاقلاع عن » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : كلهم (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : عبادته (٥) فى ظ : لا ينقض .

و لما كان معنى الاستثناء أنه لا يعذبهم، و أنهم يجدون الشفيع باذنه ؛ قال مؤكدا لذلك[1] على وجه الاستنتاج منكرا على من ظن أنه لا يقبلهم بعد الإغراق فى المهالك: ﴿ ما يفعل الله ﴾ أى [2]و هو[2] المتصف بصفات الكمال التى منها الغنى المطلق ﴿ بعذابكم ﴾ أى أيها الناس، فانه لا يجلب ٥ له نفعا و لا يدفع عنه ضرا .

و لما كان الخطاب مع الذين آمنوا قال: ﴿ ان شكرتم ﴾ أى نعمه التى من أعظمها إنزال الكتاب الهادى إلى الرشاد، المنقذ من كل ضلال، المبين لجميع[3] ما يحتاج إليه العباد، فأداكم التفكر فى حالها إلى معرفة مسديها، فأذعنتم له و هرعتم[4] إلى طاعته بالإخلاص فى عبادته و أبعدتم[5] عن معصيته .

١٠ و لما كان الشكر هو الحامل على الإيمان قدمه عليه، و لما كان لا يقبل إلا به / قال: ﴿ و آمنتم ﴾ أى به إيمانا خالصا موافقا فيه القلب ما أظهره اللسان؛ و لما كان معنى الإنكار أنه لا يعذبكم، بل يشكر ذلك قال عاطفا عليه: ﴿ و كان الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام أزلا و أبدا ﴿ شاكرا ﴾ لمن شكره باثابته[6] على طاعته فوق ما يستحقه ﴿ عليما ﴾ بمن عمل له ١٥ شيئا و إن دق، لا يجوز عليه سهو و لا غلط و لا اشتباه[7] .

/٥٣٣

و لما أتم سبحانه و تعالى ما أراد من تقبيح حال المجالسين الخائضين فى آياته بما هى منزهة عنه، و مما يتبعه من وصفهم و بيان قصدهم

(١) فى ظ : كذلك (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : بجميع .
(٤) فى ظ : دعاكم - كذا (٥) فى ظ : ابعدكم (٦) فى ظ : باثباته (٧) فى ظ : اشباه .

بتلك المجالسة من النهى عن مثل حالهم، و من جزاء من فعل مثل فعلهم - إلى أن ختم بأشد عذاب المنافقين، و حث[1] على التوبة بما ختمه بصفتى الشكر و العلم؛ أخبر أنه يبغض[2] خوض الكافرين الذين قبح مجالستهم حال التلبس[3] به، و[4] كذا كل[4] جهر بسوء إلا ما استثناه، فمن أقدم على ما لا يحبه لم يقم [بحق -[5]] عبوديته، فقال معللا ما مضى قبل افتتاح[6] أمر المنافقين من ٥ الأمر باحسان التحية: ﴿لا يحب الله﴾ أى المختص بصفات الكمال ﴿الجهر﴾ أى ما يظهر فيصير فى عداد الجهر ﴿بالسوء﴾ [أى -[7]] الذى يسوء و يؤذى ﴿من القول﴾ أى لأحد كائنا من كان، فان ذلك ليس من شكر الله تعالى فى الإحسان إلى عباده و عياله، و لا من شكر الناس فى شىء، و لا يشكر الله من لا يشكر الناس ﴿الا من﴾ أى ١٠ جهر من ﴿ظلم﴾ أى[8] كان من أحد من الناس ظلم إليه كائنا من كان فانه يجوز له الجهر بشكواه و التظلم منه و الدعاء عليه و ان ساءه ذلك بحيث لا يعتدى.

و لما كان القول مما يسمع، و كان من الظلم ما قد يخفى، قال مرغبا مرهبا: ﴿و كان الله﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿سميعا﴾ أى لكل ١٥ ما يمكن سماعه من جهر و غيره ﴿عليما﴾ أى بكل ما يمكن أن يعلم،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: حثه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بنغض - كذا (٣) فى ظ: التليس (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: كل كذا. (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) زيد من مد (٨) فى ظ: ان.

فاحذروه لئلا يفعل بكم فعل الساخط ، و جهر و من ظلم - و إن كان داخلا فيما يحبه الله تعالى على تقدير كون الاستثناء متصلا - لكن جعله [1]من جملة[1] السوء و إن كان من باب المشاكلة فان فيه لطيفة ، و هى نهى[2] الفطن عن تعاطيه و حثه على العفو ، لأن من علم أن فعله بحيث ينطلق اسم السوء - على أى وجه كان إطلاقه - كف عنه إن كان موفقا .

و لما كانت معاقد الخيرات على كثرتها منحصرة فى قسمين : إيصال النفع إبداء و إخفاء ، و دفع الضرر ، فكان[3] قد[4] أشار سبحانه و تعالى إلى العفو ، و ختم بصفتى السمع و العلم ؛ قال مصرحا بالندب إلى العفو و الإحسان ، فكان نادبا إليه مرتين : الأولى بطريق الإشارة [5]لأولى البصارة[5] ، و الثانية بطريق العبارة للراغبين فى التجارة ، حثا على الأحب اليه سبحانه و الأفضل عنده و الأدخل فى باب الكرم : ﴿ ان تبدوا خيرا ﴾ أى من قول أو غيره ﴿ او تخفوه ﴾ أى تفعلوه خفية ابتداء أو فى مقابلة سوء فعل إليكم ؛ و لما ذكر فعل الخير[6] أتبعه نوعا[4] منه[7] هو أفضله[8] فقال : ﴿ او تعفوا عن سوء ﴾ أى فعل بكم .

و لما كان التقدير : يعلمه بما له من صفتى السمع [9]و العلم[9] فيجازى عليه بخير أفضل منه و عفو أعظم من عفوكم ؛ سبب عنه قوله : ﴿ فان ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : منهى (٣) من ظ ، و فى الأصل و مد : كان (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ : الأولى بطريق النضارة (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الخيرات (٧) فى ظ : من (٨) فى ظ : افضل (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : العليم - كذا .

أى فأنتم جديرون بالعفو بسبب[1] علمكم بأن ﴿ الله كان[2] ﴾ أى دائما أزلا و أبدا ﴿ عفوا[3] ﴾ و لما كان ترك العقاب لا يسمى عفوا إلا إذا كان [4]من قادر[4] و كان الكف - عند القدرة عن الانتقام، ممن أثر فى القلوب الآثار العظام - بعيدا، شاقا على النفس شديدا[5]؛ قال تعالى مذكرا للعباد بذنوبهم إليه[5] و قدرته عليهم: ﴿ قديرا ٥ ﴾ أى ٥ بالغ العفو عن كل ما يريد العفو عنه من أفعال الجانين[6] و القدرة على كل ما يريد و من يريد، فالذى لا ينفك عن ذنب و عجز أولى بالعفو طمعا فى[7] عفو القادر عنه و خوفا من انتقامه منه و [8]تخلقا بخلقه[8] العظيم و اقتداء/ بسنته. / ٥٣٤

و لما انقضى ذلك على أتم وجه و أحسن سياق و نحو، و ختم ١٠ بصفتى العفو و القدرة؛ شرع[9] فى بيان أحوال من لا يعفى عنه من أهل الكتاب، و بيان أنهم هم الذين أضلوا المنافقين بما يلقون إليهم من الشبه التى وَسَّع عقولَهم لها ما أنعم به عليهم سبحانه و تعالى من العلم، فأبدوا الشر و كتموا الخير، فوضعوا نعمته حيث يكره، ثم كشف سبحانه و تعالى بعض شبههم، فقال مبينا لما افتتح به قصصهم من أنهم ١٥ اشتروا الضلالة بالهدى، و يريدون ضلال غيرهم، بعد أن كان ختم هناك

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تسبب (٢) تأخر فى ظ عن «ازلا و ابدا». (٣) من ظ و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: عفو (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: قادرا (٥) سقط من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: الجاين، و فى ظ: المجانبين (٧) فى ظ: الى (٨-٨) من ظ و مد، و فى الأصل: تخلف بخلقه (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يشرع.

ما قبل قصصهم بقوله عفوا قديرا[١] : ﴿ ان الذين يكفرون ﴾ أى[٢] يسترون ما عندهم من العلم ﴿ بالله ﴾ أى الذى له الاختصاص بالجلال و الجمال[٣] ﴿ و رسله ﴾ .

و لما ذكر آخر أمرهم ذكر السبب الموقع فيه [فقال -[٤]] :

٥ ﴿ و يريدون ان يفرقوا بين الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ، و لا أمر لأحد معه ﴿ و رسله ﴾ أى فيصدقون بالله و يكذبون ببعض الرسل فينفون رسالاتهم ، المستلزم لنسبتهم[٥] إلى الكذب على الله[٦] المقتضى لكون الله سبحانه و تعالى[٦] بريئا منهم .

و لما ذكر الإرادة ذكر ما نشأ عنها فقال : ﴿ و يقولون نؤمن ببعض ﴾

١٠ أى من الله و رسله كاليهود الذين آمنوا بموسى عليه الصلاة و السلام و غيره إلا عيسى و محمدا صلى الله عليهما و سلم فكفروا بهما ﴿ و نكفر ببعض[٧] ﴾ أى من ذلك و هم[٧] الرسل كمحمد[٨] صلى الله عليه و سلم ﴿ و يريدون ان يتخذوا ﴾ أى يتكلفوا أن يأخذوا ﴿ بين ذلك ﴾ أى الإيمان و الكفر ﴿ سبيلا ﴾ أى طريقا يكفرون به ، و عطف الجمل بالواو - و إن كان

١٥ بعضها سببا لبعض - إشارة إلى أنهم جديرون بالوصف بكل منها[٩] على انفراده ، و أن كل خصلة كافية فى[١٠] نسبة الكفر إليهم ، و قدم نتيجتها ،

---

(١) من ظ ، وفى الأصل و مد : غفورا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الاكرام.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : فينبهم (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٧) فى ظ : هو (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : لمحمد (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : منهما (١٠) فى ظ : من .

و ختم

و ختم بالحكم بها على وجه أضخم ، تفظيعا لحالهم ، و أصل الكلام : أرادوا سبيلا بين سبيلين ، فقالوا[1] : نكفر ببعض ، فأرادوا التفرقة ، فكفروا كفرا هو فى غاية الشناعة على علم منهم ، فأنتج ذلك : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء[2] البغضاء ﴿ هم الكفرون ﴾ أى الغريقون فى الكفر ﴿ حقا ج[2] ﴾ و لزمهم الكفر بالجميع لأن الدليل على نبوة البعض لزم منه القطع بنبوة كل من حصل منه مثل ذلك الدليل ، و حيث جوز حصول الدليل بدون المدلول تعذر الاستدلال [به -[3]] على شيء كالمعجزة ، فلزم حينئذ الكفر بالجميع ، فثبت أن من كذب بنبوة أحد من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام [لزمه الكفر بجميع الأنبياء -[3]] ، و من لزمه الكفر بهم لزمه الكفر بالله و كل ما جاء به .

و لما كان التقدير : فلا جرم انا أعتدنا - أى هيأنا - لهم عذابا مهينا ، عطف عليه تعميما[4] : ﴿ و اعتدنا للكفرين ﴾ أى جميعا ﴿ عذابا مهينا ﴾ أى[5] كما استهانوا ببعض الرسل و هم الجديرون بالحب و الكرامة ، و الآية شاملة لهم و لغيرهم ممن كان حاله كحالهم ، و إيلاء ذلك لبيان أحوال[6] المنافقين أنسب شيء و أحسنه[7] للتعريف بأنهم منافقون ، من حيث أنهم يظهرون شيئا من أمر النبي صلى الله عليه و سلم و يبطنون[8] غيره و إن كان ما[9] يظهرونه على الضد مما يظهره[10] المنافقون ، و بأنهم هم الذين أضلوا

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : و قالوا (٢) زيد بعده فى ظ : اى (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل: نعيما (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : حال (٧) فى ظ : الحسنة (٨) فى ظ : يعلنون (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما (١٠) فى ظ : يظهر .

المنافقين، و للتحذير من أقوالهم و تزييف ما حرفوا من محالهم، و فى ذلك التفات إلى أول هذه القصة "يآيها الذين ءامنوآ ءامنوا بالله و رسوله" - الآية .

و لما بين سبحانه و تعالى ما أعد[1] لهم بيّن ما أعد لأضدادهم من أهل طاعته بقوله: ﴿ و الذين ءامنوا بالله ﴾ أى [الذى -[2]] له الكمال و الجمال ﴿ و رسله ﴾ و لما جمعوهم فى الإيمان ضد ما فعل أهل الكفران، صرح بما أفهمه فقال: ﴿ و لم يفرقوا ﴾ أى فى اعتقادهم ﴿ بين احد منهم ﴾ أى لم يجعلوا أحدا منهم على صفة الفرقة البليغة من صاحبه بأن كفروا ببعض و آمنوا ببعض - كما فعل الأشقياء، و التفرقة تقتضى شيئين فصاعدا، و "أحد[3]" عام فى الواحد المذكر و المؤنث و تثنيتها و جمعها[4]، / فلذلك صح التعبير به بمعنى: بين اثنين أو جماعة، و كأنه اختير[5] للمبالغة بأن لو أن الواحد يمكن فيه التفرقة فكان الإيمان[6] بالبعض دون البعض كفرا[7] ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الرتبة فى رتب[8] السعادة[9] . /٥٣٥

و لما كان المراد تأكيد وعدهم، وكان المشاهد فيه غالباً التأخر قال: ﴿ سوف نؤتيهم[10] ﴾ أى بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه و إن تأخر، فالمراد تحقيقه، لا تحقيق تأخره، و لكنه أتى بالأداة التى هى أكثر حروفا و أشد تنفيسا، لأن هذا السياق لأهل الإيمان المجرد، الشامل

(١) فى ظ : عد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : احدا (٤) فى ظ : فاجمعها .
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل : اختبر (٦) فى ظ : الامان (٧) سقط من ظ .
(٨) فى ظ : رتبة (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : الشهادة (١٠) و قرأه حفص عن عاصم و قالون عن يعقوب بالياء التحتانية على الغيب - و هى القراءة المشهورة.

لمن لم يكن له عمل ، و لذا [1] أضاف الأجور إليهم ، و ختم بالمغفرة لئلا يحصل لهم بأس و إن طال المدى ﴿اجورهم﴾ أى كاملة بحسب نياتهم و أعمالهم .

و لما كان الإنسان محل النقصان قال : ﴿و كان الله﴾ أى الذى لا يبلغ الواصفون كنه [2] ما له من صفات الكمال ﴿غفورا﴾ لما يريد من الزلات ﴿رحيما﴾ أى بمن يريد إسعاده بالجنات .

و لما أخبر تعالى بما على [3] المفرقين بين الله و رسله و ما لأضدادهم أتبعه بعض ما أرادوا به الفرقة ، و ذلك أن كعب بن الأشرف و فنحاص [4] ابن عازورا من اليهود قالا كذبا : إن كنت نبيا فأتنا بكتاب [5] جملة من السماء نعاينه حين ينزل - كما أتى موسى عليه الصلاة و السلام بكتابه كذلك [6] ، فأنزل الله تعالى مؤنبا لهم على هذا الكذب مشيرا إلى كذبهم فيه موهيا لسؤالهم محذرا من غوائله مبينا لكفرهم بالله و رسله : ﴿يسئلك﴾ .

و لما كانت هذه من أعظم شبههم التى أضلوا بها من أراد الله [7] ، و ذلك أنهم رأوا أن هذا الكتاب المبين أعظم المعجزات ، و أن العرب لم يمكنهم [8] الطعن فيه على وجه يمكن قبوله ، فوجهوا مكايدهم نحوه

(١) فى ظ : كذا (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : كن (٣) فى ظ : علل (٤) من مد و الكشاف ٢٣٦ ، و فى الأصل : فنحاص ، و فى ظ : نخاص - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكتاب (٦) فى ظ : لذلك (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يتمكنهم .

بهذه الشبهة و نحوها، زيفها سبحانه و تعالى أتم تزييف، و فضحهم بسببها غاية الفضيحة، و زاد سبحانه و تعالى فى تبكيتهم بقوله: ﴿ اهل الكتب ﴾ إشارة إلى أن العالم ينبغى له أن يكون أبعد الناس من التمويه فضلا عن الكذب الصريح ﴿ ان تنزل عليهم ﴾ أى خاصا بهم باثبات أسمائهم ٥ ﴿ كتبا من السمآء ﴾؛ و ما أوهموا به فى قولهم هذا من أن موسى عليه الصلاة و السلام أتى بالتوراة جملة كذبة تلقفها[1] منهم من أراد الله تعالى [2]من أهل الإسلام[2]، ظنا منهم أن الله تبارك و تعالى أقرهم عليها و ليس كذلك - كما يفهمه السياق كله[3]، و يأتى ما هو كالصريح فيه فى قوله "انا اوحينا اليك" - الآية كما سيأتى بيانه، و اليهود الآن معترفون ١٠ بأنها لم تنزل[4] جملة، و قال الكلبى فى قصة البقرة التى ذبحوها لأجل القتيل الذى تداروا فيه: و ذلك قبل نزول القسامة فى التوراة.

و لما كان هذا مما يستعظمه النبى صلى الله عليه و سلم أشار إلى ذلك مبينا تسلية له صلى الله عليه و سلم أن عادتهم التعنت، و ديدنهم [5]الكفر، و أنهم أغرق الناس فى غلظ الأكباد و جلافة الطبائع، و أن أوائلهم ١٥ تعنتوا على من يدعون الإيمان به الآن، و أنهم على شريعته، [2]و أحب شىء فيه ما أراهم من تلك الآيات العظام التى منها استنقاذهم[2] من العبودية بل من الذبح، و أن ذلك تكرر منهم مع ما يشاهدونه[6] من القوارع و العفو

(١) أى تناولها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لم ينزل (٥) و سقطت من هنا صفحتان من مد (٦) فى ظ: يشاهدون.

فقال

فقال : ﴿ فقد ﴾ أى إن تستعظم[1] ذلك فقد ﴿ سالوا ﴾ [أى -[2]] آباؤهم ، [2]أى و هم[3] على [نهجم -[2]] فى التعنت فهم شركاؤهم ﴿ موسى[4] ﴾ لغير داع سوى التعنت ﴿ اكبر ﴾ أى أعظم ﴿من ذلك﴾ أى الأمر العظيم الذى واجهوك به بعد ما أظهرت من المعجزات ما أوجبنا على كل من[4] علمها الإيمان بك و التأديب معك ، ثم بينه بقوله : ﴿ فقالوا ارنا الله ﴾ ٥ أى الملك الأعلى الذى لا شبيه[5] له ، و تقصر العقول عن الإحاطة بعظمته ﴿ جهرة ﴾ أى عيانا من غير ستر و لا حجاب و لا نوع من خفاء بل تحيط به أبصارنا كما يحيط السمع بالقول الجهر ، و هذا يدل على أن كلا من السؤالين ممنوع لكونه ظلما ، لأدائه إلى الاستخفاف بما نقدمه من المعجزات ، وعده غير كاف مع أن إنزال الكتاب / جملة غير مناسب ١٠ / ٥٣٦ للحكمة التى بنيت عليها هذه الدار من ربط المسببات[6] بالأسباب و بنائها عليها ، لأن من المعلوم أن تفريق الأوامر سبب لخفة حملها ، و ذلك أدعى لامتثالها و أيسر لحفظها و أعون على فهمها ، و أعظم تثبيتا[7] للنزل عليه و أشرح لصدره و أقوى لقلبه و أبعث لشوقه ، و الرؤية على هذا الوجه الذى طلبوه[8] - و هو الإحاطة - محال، فسؤالهم لذلك استخفاف مع أنه تعنت ، ١٥ و لذلك سبب عن سؤالهم قوله : ﴿ فاخذتهم ﴾ أى عقب هذا السؤال و بسببه من غير إمهال أخذ قهر و غلبة ﴿ الصٰعقة ﴾ أى نار نزلت من

(١) فى ظ : استعظم (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : شىء - كذا (٥) فى الأصل : سبب ، و فى ظ : سببه - كذا . (٦) فى ظ : المسباب - كذا (٧) فى ظ : تثبتا (٨) من ظ : و فى الأصل : طلبوها .

السماء بصوت عظيم هو جدير بأن لا يسمى غيره - إذا نسب[1] إليه - صاعقة ، فأهلكتهم ﴿ بظلمهم ج ﴾ أى بسبب ظلمهم بهذا السؤال و غيره ، لكونه تعنتا من غير مقتض له أصلا ، و بطلب الرؤية على وجه محال و هو طلب الإحاطة ﴿ ثم ﴾ بعد العفو عنهم و إحيائهم من إماتة هذه الصاعقة ٥ ﴿ اتخذوا العجل ﴾ أى تكلفوا أخذه و عتوا أنفسهم باصطناعه .

و لما كان الضال بعد فرط البيان أجدر بالتبكيت قال : ﴿ من بعد ﴾ و أدخل الجار إعلاما بأن اتخاذهم لم يستغرق زمان [2]البعد ، بل تابوا[2] عنه ﴿ ما جآءتهم البينت ﴾ أى بهذا الإحياء و غيره من المعجزات ﴿ فعفونا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ عن ذلك ج ﴾ أى الذنب العظيم بتوبتنا عليهم من ١٠ غير استئصال لهم[3] ﴿ و اتينا ﴾ أى بعظمتنا التى لا تدانيها عظمة ﴿ موسى سلطنا ﴾ أى تسلطا[4] و استيلاء قاهرا ﴿ مبينا ه ﴾ أى ظاهرا فانه أمرهم بقتل أنفسهم فبادروا الامتثال بعد ما ارتكبوا من عظيم هذا الضلال ، و فيه رمز ظاهر إلى أنه سبحانه و تعالى يسلط محمدا صلى الله عليه و سلم على كل من يعانده أعظم من هذا التسليط .

١٥ و لما بين هذا من عظمته أتبعه أمرا[5] آخر أعظم منه فقال : ﴿ و رفعنا ﴾ أى بعظمتنا ؛ و لما كان قد ملأ جهة الفوق[6] بأن وارى[7] جميع أبدانهم و لم يسلم[8] أحد منهم من ذلك ؛ نزع الجار فقال : ﴿ فوقهم الطور ﴾ أى الجبل العظيم ، ثم ذكر سبب رفعه فقال : ﴿ بميثاقهم ﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل : انسب (٢ - ٢) فى ظ : التعديل تابوا - كذا .
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : تسليطا (٥) من ظ ، و فى الأصل : امر (٦) فى ظ : فوق (٧) فى ظ : وازى (٨) من ظ ، و فى الأصل : لم يعلم .

أى حتى التزموه[1] و أذعنوا له و قبلوه .

و لما ذكر الميثاق على هذا الوجه[2] العجيب[3] [أتبعه - [4]] ما نقضوا فيه على سهولته دليـــلا على سوء طباعهم فقال : ﴿ و قلنا لهم ﴾ أى [بما - [4]] تكرر لهم[5] من رؤية عظمتنا ﴿ ادخلوا الباب ﴾ أى الذى لبيت المقدس ﴿ سجدا ﴾ أى فنقضوا[6] ذلك العهد الوثيق و بدلوا ﴿ و قلنا لهم ﴾ أى على لسان موسى عليه الصلاة و السلام فى كثير من التوراة ﴿ لا تعدوا ﴾ أى [لا - [4]] تتجاوزوا[7] ما حددناه لكم ﴿ فى السبت ﴾ أى لا تعملوا فيه عملا من الأعمال - تسمية للشىء باسم سببه سمى عدوا لأن العامل[8] للشىء يكون لشدة إقباله عليه كأنه يعدو ﴿ و اخذنا منهم ﴾ أى فى جميع ذلك ﴿ ميثاقا غليظا ﴾ و إنما جزمت بأن المراد بهذا - و الله تعالى أعلم - على لسان موسى عليه الصلاة و السلام ، لأنه تعالى كرر التأكيد عليهم فى التوراة فى حفظ السبت ، و أوصاهم به[9] ، و عهد إليهم فيه ما قل[10] أن عهده[11] فى شىء من الفروع غيره ، قال بعض المترجمين للتوراة فى السفر الثانى فى العشر الآيات[12] التى أولها " أنا إلهك الذى أصعدتك من أرض مصر من العبودية و الرق ، لا يكون لك[2] إله[13] غيرى[14] " ما[15]

(١) فى ظ : الزموه (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : العجب (٤) زيد من ظ .
(٥) فى ظ : منهم (٦) فى الأصل : فيقضوا ، وفى ظ : فنقسوا - كذا (٧) فى ظ : تجاوزوا (٨) فى ظ : القائل (٩) فى ظ : بهم (١٠) فى ظ : كل - خطأ .
(١١) فى الأصلين : عهدة (١٢) من ظ ، وفى الأصل : ايات (١٣) فى ظ : الهة .
(١٤) من ظ ، وفى الأصل : غيره (١٥) فى ظ : بما .

نصه اذكر حفظ يوم السبت و طهره ستة أيام، كد فيها[1] و اصنع جميع ما ينبغى لك أن تصنعه، و اليوم السابع سبت[2] الله ربك، لا تعملن فيه[3] شيئا من الأعمال أنت و ابنك[4] و ابنتك و عبدك و أمتك و دوابك و الساكن فى قراك، لأن الرب خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام و البحور و جميع ما فيها، و استراح فى اليوم السابع، و لذلك بارك الله اليوم السابع و قدسه، أكرم أباك - إلى آخر ما مر فى سورة البقرة؛ ثم عاد العشر الآيات فى أوائل السفر[5] الخامس / و قال فى السبت: احفظوا يوم السبت[6] و ظهوره كما أمركم الله ربكم، و اعملوا الأعمال فى ستة أيام كما أمركم الله ربكم، و اعملوا الأعمال فى ستة أيام، فاصنعوا ما أردتم أن تصنعوا فيها، فأما يوم السبت[6] فأسبوع ربكم[7]، لا تعملوا فيه عملا أنتم و بنوكم و عبيدكم[6] و إماؤكم و ثيرانكم و حميركم و كل بهائمكم و الساكن الذى فى قراكم ليستريح عبيدكم[6] - إلى آخر ما فى أوائل هذه السورة عند "و يهديكم سنن الذين من قبلكم" و قال فى الثانى بعد ذلك: و قال الرب لموسى: [8] و أنت [8] فأمر بنى إسرائيل أن تحفظوا[9] السبوت، لأنها أمارة العهد و علامة فيما بينى و بينكم لأحقابكم، فتعلموا أنى أنا الرب إلهكم مقدسكم، احفظوا يوم السبت

/٥٣٧

(١) فى ظ: فيها (٢) فى ظ: سبب (٣) من ظ، و فى الأصل: فيها (٤) فى الأصل: ابك، و فى ظ: ابيك - كذا (٥) زيد فى ظ: اخر (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: لربكم. (٨ - ٨) فى ظ: فانت (٩) فى ظ: يحفظوا.

فانه

فانه مطهر مخصوص لكم ، و من نقضه و أخذ العمل فيه فليقتل ، و من عمل عملا فليهلك ذلك الإنسان من شعبه ، اعملوا أعمالكم ستة أيام ، و اليوم السابع فهو يوم سبت قدس للرب ، لأن الرب خلق السماوات و الأرض فى ستة أيام و البحور و ما فيها ، و هذا فى اليوم السابع [1] و دفع إلى موسى عليه الصلاة و السلام لما فرغ كلامه له فى طور سيناء لوحى [2] الشهادة ، و أبلغ فى تأكيد حفظه عليهم فى غير ذلك من المواضع ، حتى أنه شرع لهم أسباب الأرض و نحوها ، فقال فى السفر الثانى أيضا : ازرع أرضك ست سنين ، و احمل أثقالها ، و فى السنة السابعة ابذرها [3] و دعها ، فيأكل مسكين شعبك [4] ، و ما يبقى بعد ذلك يأكله حيوان البر ، و كذلك فافعل بكرومك [5] و زيتونك ، اعمل عملك فى ستة أيام و فى اليوم السابع تستريح لكى يستريح ثورك و حمارك ، و تستريح أمتك و ابن أمتك و الساكن فى قراك ، ثم ذكر الأعياد فى السفر الثالث ، و حرم العمل فيها ؛ و قال فى بعضها : و كل نفس يعمل عملا فى هذا اليوم تهلك تلك [6] النفس من شعبها ، فلا تعملوا فيه عملا ، لأنه سنة جارية لكم إلى الأبد فى جميع مساكنكم ، فليكن هذا اليوم سبت السبوت ؛ ثم أمرهم بعيد المظال [7] سبعة أيام و قال : ليعلم أحقابكم أنى

(١) العبارة من هنا إلى « و فى اليوم السابع » تكررت فى الأصل فقط مع نقص شيء و زيادته (٢) فى ظ : او من - كذا (٣) فى ظ : ابذرعها (٤) فى ظ : سعيك (٥) فى ظ : بكرمك (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : المطال - كذا خطأ ، و هو عيد لليهود ينصبون فيه خياما من ورق الشجر يقيمون فيها عدة أيام تذكارا لخروجهم من عبودية مصر .

أجلست بنى إسرائيل فى المظال حيث أخرجتهم من أرض مصر ؛ ثم ذكر بعض القرابين و قال : و يصف[1] هارون الخبز صفين فى اليوم السادس وهو يوم الجمعة، و يكون ذلك من عيد بنى إسرائيل ؛ و كلم الرب موسى و قال له فى طور سيناء : كلم بنى إسرائيل و قل لهم : إذا دخلتم
٥ الأرض التى أعطيكم ميراثا تسبت[2] الأرض سبتا[3] للرب ، ازرعوا مزارعكم ست سنين و اكسحوا كرومكم ست سنين ، و استغلوا غلاتكم[4] ست سنين ، فأما السنة السابعة فلتكن *سبت الراحة للأرض*[5] ، لا تزرعوا مزارعكم ، و لا تكسحوا كرومكم ، و لا تحصدوا ما ينبت فى أرضكم فى تلك السنة من غير أن يزرع ، و لا تقطعوا عنب كرومكم ، بل يكون
١٠ سبت الراحة للأرض لكم و لبنيكم و لعبيدكم و لإمائكم و لإخوانكم و للسكان الذين يسكنون معكم ، و أحصوا سبع مرات سبعا سبعا : تسعا[6] و أربعين سنة ، و قدسوا[7] سنة خمسين ، و ليكن رد الأشياء إلى أربابها ، و لا تزرعوا أرضكم فى تلك السنة ، و لا تحصدوا ما نبت فيها ، و لا تقطعوا عشبها لأنها سنة الرد ، و اتقوا الله لأنى أنا الله ربكم ، احفظوا وصاياى و اعملوا
١٥ [بها-[8]] ، و احفظوا أحكامى و اعملوا بها ، / و اسكنوا أرضكم بالسكون ٥٣٨ / و الطمأنينة لتغل لكم الأرض غلاتها ، و تأكلوا و تشبعوا و تسكنوها مطمئنين ، و إن قلتم : من أين نأكل فى السنة السابعة التى لا نزرع فيها

(١) فى ظ : تصف (٢) فى ظ : نسيت (٣) فى ظ : سبيا (٤) من ظ ، و فى الأصل فلاتكم (٥-٥) فى ظ : سبتا لراحة الارض (٦) تكرر فى الأصل ، و سقط من ظ (٧) فى ظ : سد سوا - كذا (٨) زيد من ظ .

فلا تهتموا ! أنا منزل لكم بركاتى فى السادسة ، و تغل[1] لكم أرضكم فى تلك السنة غلة ثلاث سنين، حتى اذا زرعتم فى السنة الثامنة لم تحتاجوا إلى غلتها ، لأنكم تأكلون من السنة السادسة إلى السنة التاسعة ، و أما الأرض فلا تباع بيعا صحيحا أبدا ، لأن الأرض لى ، و إنما أنتم سكان ، و حيث ما بيعت الأرض فى ميراثكم فلتخلص[2] و ترد فى سنة الرد ؛ و فيه مما لا يجوز إطلاقه فى شرعنا نسبة الاستراحة إليه سبحانه ، هذا مع أنه أكد سبحانه العهود عليهم فى التوحيد و حفظ جميع الأحكام فى جميع التوراة على نحو ما تراه فيما أنقله منها فى هذا الكتاب .

فلما بين سبحانه أنه أكد عليهم الميثاق[3] ، و أكثر من التقدم فى حفظ العهد ؛ بين أنهم نقضوا ، فأعقبهم بسبب ذلك ما هددوا به فى التوراة من الخزى و ضرب الذلة مع ما ادخر لهم فى الآخرة فقال : ﴿ فبما ﴾ مؤكدا بادخال ' ما ' ﴿ نقضهم ميثاقهم ﴾ أى فعلنا بهم[4] بسبب ذلك جميع ما ذكرنا فى التوراة من الخزى ، و قد تقدم كثير منه فى القرآن ، و لا يبعد عندى تعليقه بقوله الآتى " حرمنا عليهم طيبات - و اعتدنا " و يكون من الطيبات العز و رغد العيش ، و ذلك جامع لنكد الدارين ، و عطف على هذا الأمر العام ما اشتدت به العناية من إفراده عطف الخاص على العام فقال : ﴿ و كفرهم بآيات الله ﴾ مما جاءهم على لسان محمد صلى الله عليه و سلم و اقتضت حكمته سبحانه أن يكون عظمتها مناسبة لعظمة اسمه

(١) فى ظ : يغل (٢) فى ظ : ملحص - كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : هم (٥) و استأنفت من هنا نسخة مد .

الأعظم الذى هو مسمى جميع الأسماء، فاستلزم كفرُهم به كفرَهم بما أنزل على موسى عليه الصلاة و السلام لأنه[1] أعظم ما نقضوا فيه و أخص من مطلق النقض ﴿ و قتلهم الانبيآء ﴾ و هو أعظم من مطلق كفرهم، لأن ذلك سد لباب الإيمان عنهم و عن غيرهم، لأن الأنبياء سبب الإيمان و فى محو[2] السبب [3]محو المسبب[3] .

و لما كان الأنبياء معصومين من كل نقيصة، و مبرئين من كل دنية، لا يتوجه عليهم حق لا يؤدونه ؛ قال[4] : ﴿ بغير حق ﴾ أى كبير و لا صغير أصلا . و هذا الحرف - لكونه فى سياق طعنهم فى القرآن الذى هو أعظم الآيات - وقع التعبير فيه بأبلغ مما فى آل عمران الذى هو أبلغ مما سبق[5] عليه، لأن هذا مع جمع[6] الكثرة و تنكير الحق عبر فيه بالمصدر المفهم لأن الاجتراء على القتل صار لهم خلقا و صفة راسخة، بخلاف ما مضى، فانه بالمضارع الذى ربما دل على العروض ؛ ثم ذكر أعظم من ذلك كله و هو إسنادهم عظائمهم إلى الله تعالى فقال: ﴿ و قولهم قلوبنا غلف[4] ﴾ أى لا ذنب لنا لأن قلوبنا خلقت من أصل الفهم بعيدةً عن فهم مثل ما يقول الأنبياء، لكونها فى أغشية، فهى شديدة الصلابة، و ذلك سبب قتلهم و رد قولهم، و هذا بعد أن كانوا يقرون بهذا النبى الكريم، و يشهدون له بالرسالة و بأنه خاتم الأنبياء، و يصفونه

(١) فى ظ : لانهم (٢) فى ظ : لمحو - كذا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) فى مد : فقال (٥) زيد بعده فى الأصل : مما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جميع .

بأشهر

بأشهر صفاته ؛ و يترقبون إتيانه ، لا جرم رد الله عليهم بقوله عطفا على ما تقديره : و قد كذبوا لأنهم ولدوا على الفطرة كسائر الولدان ، فلم تكن[1] قلوبهم فى الأصل غلفا : ﴿ بل طبع الله ﴾ أى الذى له معاقد العز و مجامع العظمة ﴿ عليها ﴾ طبعا عارضا[2] ﴿ بكفرهم ﴾ بل[3] إنه خلقها أولا على الفطرة متمكنة من اختيار الخير و الشر ، فلما أعرضوا ٥ - بما هيأ قلوبهم له من قبول النقض - عن الخير ، و اختاروا[4] الشر باتباع[4] شهواتهم الناشئة من نفوسهم ، و ترك[5] ما تدعو إليه عقولهم ، طبع سبحانه و تعالى عليها . فجعلها قاسية محجوبة عن رحمته ، و لذا[6] سبب عنه قوله : ﴿ فلا يؤمنون ﴾ أى يجددون الإيمان / فى وقت من الأوقات الآتية ، / ٥٣٩ و يجوز أن يتعلق بما تقديره تتمة لكلامهم : طبع الله عليها فهى لا تعى[7] ، ١٠ و تكون "بل" استدراكا للطبع بالكفر[8] وحده ، لأنه ربما انضم إليه ، و أن يكون أضرب عن قولهم : إنها فى غلف ، لكون ما فى الغلاف قد يكون مهيئا لإخراجه من الغلاف[9] إلى الطبع الذى من شأنه الدوام ﴿ الا قليلا ﴾ من الإيمان بأن يؤمنوا وقتا يسيرا[10] كوجه النهار[11] و يكفروا[12] فى غيره ، و يؤمنوا[13] ببعض و يكفروا[12] ببعض ، أو إلا ١٥ أناسا قليلا منهم - كما كان[14] أسلافهم يؤمنون بما يأتى به موسى عليه

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلم تمكن (٢) فى ظ : عارضى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بلى (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : أكثر بالتباع - كذا (٥) فى ظ : تركوا (٦) فى ظ : كذا (٧) فى ظ : لا تعمى (٨) سقط من ظ (٩) من مد ، و فى الأصل : الطلاق ، و فى ظ : الخلاف (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : كثيرا (١١) فى ظ : بالنهار (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تكفروا . (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تومنوا (١٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : كانوا .

الصلاة و السلام من الآيات . ثم لم يكن بأسرع من كفرهم و تعنتهم بطلب آية أخرى كما[١] هو مذكور في توراتهم[٢] التي بين أظهرهم ، و نقلت كثيرا منه في هذا الكتاب ، فقامت الحجة عليهم بأنهم يفرقون بين قدرتهم على الإيمان و قدرتهم على الطيران .

٥ و لما بين كفرانهم بقتل الأنبياء بين كفرهم بالبهتان الذي هو سبب القتل ، و الفتنة أكبر من القتل[٣] ، فقال معظما له باعادة العامل : ﴿ و بكفرهم ﴾ أي المطلق الذي هو سبب اجترائهم على الكفر بنبي[٤] معين[٥] كموسى عليه الصلاة و السلام ، و على القذف ، ليكون بعض كفرهم معطوفا على بعض آخر ، و لذلك قال : ﴿ و قولهم على مريم ﴾ أي

١٠ بعد علمهم بما ظهر على يديها من الكرامات الدالة على براءتها [و أنها[٦]] ملازمة للعبادة بأنواع الطاعات[٧] ﴿ بهتانا عظيما ﴾ ثم علمهم[٨] بما لم ينالوا من[٩] قتل أعظم من جاء من أنبيائهم بأعظم ما رأوا من الآيات من بعد موسى و هو[١٠] عيسى عليهما الصلاة و السلام ، ثم بادعائهم لقتله و صلبه افتخارا به مع شكهم فيه فقال : ﴿ و قولهم انا قتلنا المسيح ﴾

١٥ ثم بينه بقوله : ﴿ عيسى ابن مريم ﴾ ثم تهكموا به بقولهم[١١] : ﴿ رسول الله ج ﴾

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : مما (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : توارتهم (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : بين (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : بين (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : الطاعة (٨) في ظ : نهمهم ، و في مد : فهمهم (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : منه (١٠) في ظ : هم (١١) من ظ و مد ، و في الأصل : قوله .

أى الذى له أنهى العظمة ، فجمعوا بين [1]أنواع من[1] القبائح ، منها التشيع[2] بما لم يعطوا ، و منها أنه على تقدير صدقهم جامع لأكبر الكبائر مطلقا ، و هو الكفر بقتل النبى لكونه نبيا ، و أكبر الكبائر بعده و هو مطلق القتل ، و لم يكفهم ذلك حتى كانوا يصفونه بالرسالة مضافة إلى الاسم الأعظم استهزاء به و بمن أرسله عز اسمه و جلت[3] عظمته و تعالى كبرياؤه و تمت كلماته و نفذت أوامره ، لكونه لم يمنعه منهم على زعمهم ﴿ و ما ﴾ أى و الحالة أنهم ما[4] ﴿ قتلوه و ما صلبوه ﴾ و إن كثر قائلو ذلك منهم ، و سلمه[5] لهم النصارى ﴿ و لكن ﴾ لما كان المقصود وقوع اللبس عليهم الضار لهم ، لا كونه من معين [قال -[6]] : ﴿ شبه لهم[4] ﴾ أى فكانوا[7] فى عزمهم بذلك متشيعين بما لم يعطوا .

و لما أفهم التشبيه[8] الاختلاف ، فكان التقدير : فاختلفوا بسبب التشبيه فى قتله ، فمنهم من قال : قتلناه جازما ، و منهم من قال : ليس هو المقتول ، و منهم من قال : الظاهر أنه هو ، عطف عليه قوله دالا على شكهم باختلافهم : ﴿ و ان الذين اختلفوا فيه ﴾ أى فى قتله ﴿ لفى شك منه[4] ﴾ أى تردد مستوى الطرفين ، كلهم و إن جزم بعضهم ، ثم أكد هذا المعنى بقوله : ﴿ ما لهم به ﴾ و أغرق فى النفى بقوله : ﴿ من علم ﴾ .

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢) فى ظ : التسبع (٣) فى ظ : جلب .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مسلمة (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : و كانوا .
(٨) فى ظ : المتشبه .

و لما كانوا يكلفون أنفسهم اعتقاد ذلك بالنظر فى شهادته، فربما قويت عندهم[1] شبهة فصارت أمارة أوجبت لهم[1] - لشغفهم[2] بآمالها - ظنا، ثم اضمحلت فى الحال لكونها لا حقيقة لها، فعاد الشك وكان أبلغ فى التحير[3]؛ قال: ﴿ الا ﴾ أى لكن ﴿ اتباع الظن[4] ﴾ أى يكلفون أنفسهم الارتقاء من درك[4] الشك إلى رتبة الظن، و عبر بأداة الاستثناء دون 'لكن' الموضوعة للانقطاع إشارة إلى أن إدراكهم لما زعموه[5] من قتله[6] مع كونه فى الحقيقة شكا يكلفون/ أنفسهم جعله ظنا، ثم يجزمون به، ثم صار عندهم متواترا قطعيا، فلا أجهل منهم. /٥٤٠

و لما[7] أخبر بشكهم فيه بعد الإخبار بنفيه أعاد ذلك على وجه أبلغ فقال: ﴿ و ما قتلوه ﴾ أى انتفى قتلهم له انتفاء ﴿ يقينا[8] ﴾ أى انتفاؤه على سبيل القطع، و يجوز أن يكون حالا من "قتلوه" أى ما فعلوا[8] القتل متيقنين أنه[9] عيسى عليه الصلاة و السلام، بل فعلوه شاكين فيه و الحق أنهم لم يقتلوا[10] إلا الرجل الذى ألقى شبهه عليه، و الوجه الأول أولى لقوله: ﴿ بل رفعه الله ﴾ بما له من العظمة البالغة و الحكمة الباهرة، رفع عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ اليه[11] ﴾ أى

(١) سقط من ظ (٢) فى مد: لشغلهم (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: السحر.
(٤) من ظ ومد، وفى الأصل: درج (٥) فى ظ: زعموا (٦) فى ظ: قبله.
(٧) من ظ ومد، وفى الأصل: لا (٨) فى ظ: ما نقلوا (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: ان. (١٠) فى ظ: لم يعقلوا.

إلى مكان لا يصل إليه حكم آدمى ، و عن وهب أنه أوحى إليه [ابن -[1]] ثلاثين ، و رفع ابن ثلاث و ثلاثين فكانت رسالته [2]ثلاثا و ثلاثين[2] سنة ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى له جميع[3] صفات الكمال فى كل حال عند قصدهم له و قبله و بعده ﴿ عزيزا ﴾ أى يغلب و لا يغلب ﴿ حكيما ﴾ أى إذا فعل[4] شيئا أتقنه[3] بحيث لا يطمع أحد فى نقض شىء منه ؛ و ختمُ الآية بما بين الصفتين يدل على أن المراد ما قررته من استهزائهم ، و أنه قصد الرد عليهم ، أى أنه قد فعل ما يمنع من استهزائكم ، فرفعه إليه بعزته و [5]حفظه بحكمته[5] ، و سوف ينزله ببالغ قدرته ، فيردكم عن أهوائكم ، و يسفك دماءكم ، و يبيد خضراءكم ، و له فى رفعه و إدخاله الشبهة عليكم حكمة تدق عن أفكار أمثالكم .

قصة رفعه عليه الصلاة و السلام من الإنجيل الموجود اليوم بين أظهر النصارى ، و هى تتضمن الإنذار بالدجال و الإخبار بنزوله صعيد ، و البشارة بنبينا محمد صلى الله عليه و سلم الذى وصفه بالفارقليط و بالأركون ، و أن إخبارهم بقتله و صلبه ليس مستندا [إلا -[1]] إلى[6] شك - كما قال الله تعالى ، و أحسن ما رد على الإنسان بما يعتقده[7] ، قال مترجمهم فى إنجيل متى : إنه عليه الصلاة و السلام دخل إلى الهيكل فى يروشليم

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى الأصل و ظ : ثلاث و ثلاثين ، و فى مد : ثلاث.
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : نقل (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : حفظة بحكمة (٦) زيد بعده فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعتقد .

- و هى القدس - و جرت بينه و بين الأحبار محاورات كان آخرها[1] أن قال لهم : إنى أقول لكم : إنكم لا ترونى الآن حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب ، ثم خرج من الهيكل ، فجاء إليه تلاميذه كى يُروه بناء الهيكل ، فأجاب و قال لهم : انظروا هذا كله ، الحق أقول لكم : إنه لايترك هنا
٥ حجر [2]على حجر[2] إلا نقض ، ثم جلس على جبل الزيتون - قال مرقس : قدام[3] الهيكل - فجاء إليه تلاميذه قائلين : قل لنا : متى هذا و ما علامة مجيئك و انقضاء [الزمان -[4]] ؟ فقال لهم : انظروا لايضلنكم أحد - قال مرقس[5] و لوقا : فان كثيرا يأتون باسمى قائلين : إنما[6] هو المسيح ، و يضلون كثيرا - فاذا سمعتم بالحروب و أخبار الحروب انظروا لا تقلقوا ،
١٠ فلا بد أن يكون هذا كله[7] ، تقوم أمة على أمة و مملكة على مملكة ، و يكون خوف عظيم و اضطراب و جوع و وباء - قال لوقا : و علامات عظيمة من السماء - و زلازل فى أماكن ، وكل هذا أول المخاض - و قال مرقس[5] : و هذه بداية الطلق[8] ، انظروا أنتم ! إنهم يسلمونكم إلى المجامع و المحافل و تضربون - و قال لوقا : و قبل هذا كله يضعون[9] أيديهم عليكم ،
١٥ و يطردونكم[10] إلى المجامع و السجون و تقامون أمام الملوك و القواد

(١) زيد بعده فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد بعده فى ظ : اهل (٤) زيد من مد .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مرقش (٦) فى ظ : انا (٧) سقط من ظ .
(٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المطلق - خطأ (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : نضعون (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطردوكم .

شهادة عليهم و على كل الأمم ، ينبغى أولا أن يكرز بالإنجيل ، فاذا قدّموكم و أسلموكم[1] فلا تهتموا بما تقولون[2] و لا ماذا تجيبون ، فانكم تعطون[3] فى تلك الساعة الذى تتكلمون[4] به و لستم المتكلمين ، لكن روح القدس ؛ قال لوقا: فانى معطيكم فما و حكمة لا يقدر[5] الذين يناصبونكم[6] يقاومونها[7] و لا[8] الجواب/عنها ، و يسلم[9] الأخ أخاه للموت ، و الأب ابنه ، ٥ / ٥٤١
و يثب[10] الأبناء على آبائهم؛ قال متى: حينئذ[11] يسلمونكم إلى الضيق و يقتلونكم ، و تكونون مبغوضين من كل الأمم . و حينئذ يشك كثير[12] ، و يسلم بعضكم بعضا ، و يبغض بعضكم بعضا ، و يقوم كثير من الأنبياء الكذبة و يضلون كثيرا ، و بكثرة الأمم تقل المحبة من كثير . و الذى يصبر إلى المنتهى يخلص ، و يكرز بهذه البشارة فى الملكوت فى جميع المسكونة بشهادة لكل ١٠ الأمم ؛ قال مرقس: فاذا رأيتم فساد الخراب[13] المذكور فى دانيال النبى قائما حيث لا ينبغى - فليفهم القارئ - حينئذ الذين تهودوا[14] يهربون إلى

(١) فى ظ: اسروكم (٢) فى ظ و مد: يقولون (٣) فى ظ: تقطعون (٤) من مد ، وفى الأصل و ظ: يتكلمون (٥) من مد ، و فى الأصل: لا نقدر ، و فى ظ: لا نقدر (٦) من مد ، و فى الأصل: بناصرتكم ، وفى ظ: بياسونكم - كذا .
(٧) فى الأصل: يناتونها ، وفى ظ و مد: يقاموها - كذا (٨) سقط من ظ .
(٩) فى ظ: يستلزم (١٠) من مد ، و فى الأصل: يثبت ، وفى ظ: ثبت .
(١١) فى النسخ: صعيد - كذا (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل: كثيرا ، و زيد بعده فى الأصل: الامم تقل المحبة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(١٣) فى ظ: الحروب (١٤) من مد ، وفى الأصل و ظ: تهودا .

الجليل، و الذى فوق السطح لا يقدر أن ينزل[١] إلى بيته ليأخذ شيئا، و الويل للحبالى و المرضعات فى تلك الأيام؛ و قال لوقا: و حينئذ الذين فى اليهودية يهربون إلى الجبال، و الذين فى وسطها يفرون خارجا، و الذين فى الكورة لا يدخلونها، لأن هذه هى أيام الانتقام لكى[٢] يتم كل ما هو
٥ مكتوب، يكون على الأرض ضر و شدة عظيمة، و سخط على هذا الشعب، و يقعون فى فم السيف، و يسبون[٣] فى كل الأمم. و يكون يروشليم موطئ الأمم حتى يكمل الزمان، و تكون[٤] علامات فى الشمس و القمر و النجوم، و تخرج[٥] نفوس أناس من الخوف؛ و قال متى: و حينئذ يأتى الانفصال، ثم قال: سيكون ضيق عظيم - قال مرقس: تلك الأيام - لم يكن مثله
١٠ فى أول العالم حتى الآن و لا يكون، و لو لا أن تلك الأيام [قصرت لم يخلص ذو جسد - و قال مرقس: فلولا أن الرب أقصر تلك الأيام -[٦]] لم يحى ذو جسد - لكن لأجل المتحبين قصرت[٧] تلك الأيام، فان قال لكم أحد: إن المسيح ههنا فلا تصدقوا، فسيقوم مسيحو كذب و أنبياء كذبة، و يعطون علامات عظاما و آيات، و يضلون المختارين إن قدروا[٨]،
١٥ هو ذا قد تقدمت و أخبرتكم، فان قالوا لكم: إنه فى البرية، فلا تخرجوا، أو فى المخادع، فلا تصدقوا، و كما أن البرق يخرج من المشرق فيظهر فى المغرب، كذلك يكون حضور ابن البشر، لأنه حيث تكون[٩] الجثة

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: يترك (٢) من مد، و فى الأصل وظ: لكن. (٣) فى ظ: يسنون (٤) فى ظ: يكون (٥) فى الأصول: يخرج (٦) زيد ما بين الحاجزين من مد (٧) فى ظ: تصرب (٨) فى ظ ومد: قد مروا (٩) من مد، وفى الأصل وظ: يكون.

تجتمع

تجتمع النسور و تلوف[1] . بعد ضيق تلك[2] الأيام تظلم الشمس ، و القمر لا يعطى[3] ضوءه ، و الكواكب تتساقط من السماء ، و قوات ترتج . و حينئذ تظهر علامات ابن الإنسان فى السماء ، و تنوح كل قبائل الأرض ، و ترون ابن الإنسان آتيا[4] فى سحاب السماء مع قوات و مجد كثير ، و يرسل الملائكة مع صوت الناقور[5] العظيم ، و يجمع مختاريه من الأربعة ٥ الأزياج من أقصى السماوات - و قال مرقس : من أطراف الأرض إلى أطراف السماء - فمن شجرة التينة[6] - و قال لوقا : و من كل الأشجار - تعلمون[7] المثل ، إذا لانت أغصانها و فرعت أوراقها[8] علمتم أن الصيف قد دنا . كذلك[9] أنتم إذا رأيتم هذا كله علمتم أنه قد قرب على الأبواب ، الحق أقول لكم ! إن هذا الجيل لا يزول حتى يتم هذا كله ، و[10] الأرض ١٠ و السماء[10] تزولان و كلامى[11] لا يزول ، لأجل ذلك اليوم و تلك الساعة لا يعرفها أحد و لا ملائكة السماوات - و قال مرقس : و لا الابن - إلا الأب[12] وحده ؛ و قال لوقا : سأله الفريسيون : متى يأتى ملكوت الله ؟ [13] فقال : ليس يأتى ملكوت الله[13] برصد و لا يقولون : هو ذا[14] ههنا

(١) فى الأصول : للوف - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : ذلك (٣) فى ظ : لا يعطن (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ايا - كذا (٥) فى الأصل : الساقور ، ، و فى ظ و مد : الشاقور - كذا ، و مبنى التصحيح نص الإنجيل . (٦) فى ظ : التنبيه ، و فى مد : العنب - كذا (٧) من مد ، و فى الأصل : يعلمون ، و فى ظ : يعلمون (٨) فى الأصول : ورقها (٩) فى ظ : لذلك (١٠-١٠) فى ظ : السماء و الارض (١١) فى الأصول : كل من ، و مبنى التصحيح نص الإنجيل . (١٢) فى ظ : الرب (١٣-١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٤) زيد بعده فى الأصول : هى .

أو هناك ! ها هو ذا ملكوت الله ؛ ثم قال لتلاميذه : ستأتى أيام تشتهون[١] أن تروا يوما واحدا من أيام ابن الإنسان و لا ترون ، فان قالوا لكم : هو ذا ههنا أو هناك ، فلا تذهبوا و لا تسرعوا ، لأنه كمثل البرق الذى يضىء فى السماء فيضىء تحت السماء ، كذلك تكون أيام ابن البشر - انتهى ، و كما كان فى أيام نوح عليه الصلاة / و السلام كذلك يكون ٥٤٢ / ٥ استعلاء ابن الإنسان ، لأنه كما كانوا قبل أيام الطوفان يأكلون و يشربون و يتزوجون إلى اليوم الذى دخل فيه نوح إلى السفينة ، و لم يعلموا حتى جاء الطوفان فأدرك جميعهم ، كذلك يكون حضور ابن الإنسان ؛ و قال لوقا : و مثل ما كان فى أيام لوط يأكلون و يشربون و يبيعون ١٠ و يشترون و يغرسون[٢] و يبنون إلى اليوم الذى خرج فيه لوط من سدوم ، و أمطر من السماء نارا و كبريتا ، و أهلك جميعهم ، كذلك[٣] فى اليوم الذى يظهر[٤] فيه ابن الإنسان ، و فى ذلك اليوم من كان فى السطح و آلته فى البيت لا ينزل [كى -[٥]] يأخذها ، و من كان فى الحقل أيضا لا يرجع هكذا إلى ورائه . انظروا إلى امرأة لوط ، من أراد أن يحيى ١٥ نفسها فليهلكها ، [و من أهلكها -[٦]] أحياها ، أقول لكم : إن فى هذه الليلة - و قال متى : حينئذ - يكون اثنان فى الحقل ، يؤخذ واحد ، و يترك الآخر[٧] ، و اثنتان تطحنان على رحى واحدة ، تؤخذ الواحدة ، و تترك

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يشتهون (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لذلك (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تظهر (٥) زدناه و لا بد منه (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : الاخرى ، و العبارة من بعده إلى « تترك الاخرى » ساقطة منه .

الأخرى، و قال مرقس: فانظرو و اسهروا و صلوا، لأنكم لا تعلمون متى يكون الزمان! اسهروا فانكم[١] لا تعلمون متى[٢] يأتى رب البيت ليلا! يأتى بغتة فيجدكم نياما، و الذى أقول[٣] لكم أقوله للجميع، اسهروا[٤]! قال لوقا: فى كل حين، و تضرعوا لكى تقووا على[٥] الهرب[٦] فى هذه الأمور الكائنة كلها، و تقفوا قدام ابن الإنسان، و قال متى: فاسهروا ٥ لأنكم لا تعلمون فى أى ساعة يأتى ربكم، و أعلموا أنه لو علم رب البيت فى أى هجعة يأتى السارق لسهر و لم يدع بيته ينقب، كذلك كونوا[٧] مستعدين لأن ابن الإنسان يأتى ساعة لا تظنونها، من ترى هو العبد الأمين الحليم الذى يقيمه سيده على بيته ليعطيهم[٨] الطعام فى حينه[٩]! طوبى لذلك العبد، يأتى سيده فيجده يعمل هكذا، الحق أقول لكم! ١٠ إنه يقيمه على جميع ماله، فان قال ذلك العبد الردىء فى قلبه: إن سيدى يبطئ[١٠]، فيبدأ يأكل و يشرب مع المسكرين، فيأتى سيده فى يوم لا يظنه و ساعة لا يعرفها، فيجعل نصيبه مع المرائين[١١]، هناك يكون [البكاء-[١٢]] [١٣]و صرير[١٣] الأسنان[١٤]. يشبه ملكوت السماوات عشرةَ عذارى أخذن

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فما لكم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: من.
(٣) فى ظ: اقوله (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: استهروا - كذا (٥) فى مد: من.
(٦) فى ظ: المقرب (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: كانوا (٨) فى ظ: ليطعمهم.
(٩) فى ظ: حبه (١٠) فى ظ: يبطن - كذا (١١) من مد، و فى الأصل: المراهين، و فى ظ: المرادين - كذا (١٢) زدناه من نص الإنجيل (١٣-١٣) فى ظ: تصوير (١٤) فى الأصول: الإنسان، و مبنى التصحيح نص الإنجيل.

مصابيحهن و خرجن للقاء العريس ، خمس منهن جاهلات ، و خمس حليمات ، فأما الجاهلات فأخذن مصابيحهن و لم يأخذن زيتا ، و أما الحليمات فأخذن زيتا فى إناء مع مصابيحهن ، فلما أبطأ العريس نعسن كلهن و نمن ، و انتصف الليل فصُرِخ : هذا العريس قد أقبل[1] ، اخرجن للقائه ! حينئذ قام جميع العذارى و زين مصابيحهن ، فقال الجاهلات للحليمات : أعطينّا من زيتكن[2] ، فان مصابيحنا قد طفئت ! فقلن : ليس معنا ما يكفينا و إياكن ، فاذهبن إلى الباعة و ابتعن لكنّ ، فلما ذهبن ليبتعن جاء العريس ، فالمستعدات ذهبن معه و أُغلِق ، فجاء بقية العذارى قائلات : يا رب ! افتح لنا ، فأجاب و قال : الحق أقول لكنّ ! إنى لا أعرفكن ؛ اسهروا الآن فانكم لا تعرفون ذلك اليوم و لا تلك الساعة ، كمثل إنسان أراد السفر ، فدعا[3] عبيدا له فأعطاهم ماله ، فأعطى خمس وزنات لواحد[4] ، و وزنتين للآخر ، و واحدا وزنة ، كل منهم على قدر قوته ، و سافر للوقت ، فمضى الذى أخذ الخمس فاتجر فيها ، فربح خمس وزنات أخرى [و هكذا الذى أخذ الوزنتين ربح فيها وزنتين أخريين ، و أما الذى أخذ الوزنة فمضى و حفر فى الأرض و دفن حصة سيده ، و بعد زمان كثير جاء سيد هؤلاء فحاسبهم ، فجاء الذى أخذ الخمس وزنات فأعطى خمس[5] وزنات أخرى -[6]] قائلا : [يا -[6]] رب ! خمس وزنات أعطيتنى ، و هذه خمس وزنات أخرى ربحتها ، قال له سيده - قال لوقا : -:

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اقبلن (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : زينتكن (٣) فى ظ : فاراد (٤) فى ظ : بواحد (٥) من مد ، و فى ظ : بخمس . (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

حبذا

حبذا[1] أيها العبد الصالح! ألفيت أمينا على القليل، وقال متى: نعم يا عبد صالح أمين! وجدت فى القليل أمينا، أنا أقيمك على الكثير أمينا، ادخل إلى فرح سيدك، وجاء الذى أخذ الوزنتين فقال[2]: يا سيد! وزنتين دفعت إلىّ، وهذان وزنتان / أخريان ربحتها، فقال [له -[3]] سيده: ٥٤٣ /
نعم يا عبد صالح أمين! وجدت فى القليل [أمينا -[4]]، أنا أقيمك على ٥
الكثير، ادخل إلى فرح سيدك، فجاء الغير مصيب الذى أخذ الوزنة فقال: يا سيد! عرفت أنك إنسان شديد، تحصد ما لم تزرع، وتجمع من حيث لا تبذر، فخفت ومضيت فدفنت مالك فى الأرض، هذا مالك، فأجاب سيده وقال: أيها العبد الشرير[5] الكسلان! علمت أنى أحصد من حيث لا أزرع[6]، وأجمع من حيث لا أبذر[7]، كان ينبغى لك ١٠
أن تجعل حصتى[8] على مائدة، فأنا[9] آتى وآخذه إلىّ مع[10] أرباحه، خذوا منه الوزنة، وأعطوها للذى له عشر وزنات، لأن من له[11] يعطى ويزاد، والذى ليس له يؤخذ منه ما معه، والعبد الشرير الغير نافع ألقوه فى الظلمة القصياء، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان[12]؛ إذا جاء ابن الإنسان فى مجده، وجميع الملائكة المقدسين معه، حينئذ يجلس على ١٥

(١) فى الأصل: حمد، وفى ظ: حسد، ولا يتضح فى مد (٢) فى ظ: وقال. (٣) زيد من ظ ومد (٤) زيد من الإنجيل (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: الشديد (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: لا زرع (٧) من مد، وفى الأصل وظ: لا بذر (٨) من ظ، وفى الأصل: قصتى، وفى مد: تضيتى (٩) فى ظ: وانما (١٠) من ظ ومد. وفى الأصل: ما (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ: الانسان.

كرسى مجده، و يجمع إليه كل الأمم، فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء، و يقيم الخراف عن يمينه و الجداء عن شماله، حينئذ يقول الملك للذين[١] عن يمينه: تعالوا[٢] يا مباركى أبى! رِثوا[٣] الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم، جعت فأطعمتمونى[٤]، و عطشت فسقيتمونى، و غريبا كنت فآويتمونى، و عريانا فكسوتمونى[٥]، و مريضا فعدتمونى، و محبوسا فأتيتم إلىّ، حينئذ يجيب الصديقون و يقولون: يا رب! متى رأيناك جائعا فأطعمناك؟ أو عطشانا فسقيناك؟ و متى رأيناك[٦] [٧]غريبا فآويناك؟[٧] أو عريانا فكسوناك؟ [أو مريضا -[٨]] أو محبوسا فأتينا إليك؟ [٩]فيجيب الملك[٩] و يقول: الحق أقول لكم! الذى فعلتموه بأحد هؤلاء الحقيرين فبى[١٠] فعلتم، حينئذ يقول للذين عن يساره: اذهبوا[١١] عنى يا ملاعين إلى النار المؤبدة المعدة لإبليس و جنوده، جعت فلم تطعمونى - إلى آخره، فيذهب[١٢] هؤلاء إلى العذاب الدائم، و الصديقون إلى الحياة الأبدية.

و لما أكمل يسوع هذا الكلام كله قال لتلاميذه: علمتم أن بعد يومين يكون الفسح - و قال مرقس: وكان الفسح و الفطير [بعد -[١٣]] يومين - و اجتمع رؤساء الكيسر و الكهنة و مشايخ الشعب فى دار رئيس الكهنة الذى يقال له قيافا، فتشاوروا على يسوع ليمسكوه - قال

(١) فى ظ: الذى (٢) فى ظ: تعالى (٣) فى ظ: رفيق - كذا (٤) فى ظ: فاطعمونى (٥) من مد. وفى الأصل و ظ: فكسيتمونى (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: اويناك (٧ - ٧) تأخر ما بين الرقمين فى ظ عن «فكسوناك» (٨) زيد من ظ، و زيد بعده أيضا: فعدتمونى (٩ - ٩) سقط مابين الرقمين من ظ. (١٠) فى ظ: فيما (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ: فذهب (١٣) زيد من ظ و مد.

مرقس: بمكر - و يقتلوه، و قالوا: ليس فى العيد لئلا يكون[1] شجن؛ و قال مرقس: شغب[2] فى الشعب؛ و قال يوحنا: فجمع عظماء[3] الكهنة و الفريسيين[4] محفلا و قالوا: ما ذا نصنع إذا كان هذا الرجل يعمل آيات كثيرة، و إن تركناه هكذا فسيؤمن[5] به جميع الناس، و تأتى[6] الروم فتغلب[7] على أمتنا، و إن واحدا منهم اسمه قيافا[8] كان رئيس الكهنة فقال: إنه خير لنا أن يموت رجل واحد عن الشعب من أن تهلك الأمة كلها، لأن يسوع كان مزمعا أن يجمع أبناء الله المتفرقين[9] إلى واحد؛ و فى تلك الساعة تشاوروا على قتله، فأما يسوع فلم يكن يمشى بين اليهود علانية، و لكنه انطلق من هناك إلى البرية إلى كورة تسمى مدينة أفريم، و كان يتردد هناك مع تلاميذه، و كان عيد فسح اليهود قد قرب، فصعد كثير من القرى إلى يروشليم قبل الفسح ليطهروا أنفسهم، فطلب[10] اليهود يسوع، وكانوا أمروا إن علم إنسان مكانه أن يدلهم عليه، و إن يسوع قبل ستة أيام من الفسح قصد[11] إلى بيت عنيا حيث كان لعازر[12] الميت الذى أقامه يسوع[13]، فصنعوا له هناك وليمة، و جعلت

(١) سقط من ظ (٢) من مد، و فى الأصل وظ: يشعب - كذا (٣) فى ظ: عطا - كذا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الفريقين (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: سيومن (٦) فى ظ: ياتى (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فيعلت - كذا (٨) من مد، و فى الأصل: قنافا، و فى ظ: قافا (٩) فى ظ: المتقدمين. (١٠) فى ظ: فيطلب (١١) فى ظ: صعد (١٢) فى الأصول: العازر، والتصحيح من الإنجيل (١٣) أى من بين الأموات - كما فى الإنجيل.

مرتا[١] تخدم[٢]، و علم [جمع - ٣] كثير[٤] من اليهود فجاؤا إليه، و[٥] لينظروا إلى لعازر[٦] الذى أقامه من بين الأموات، و تشاور عظماء الكهنة أن يقتلوا لعازر[٦]، لأن / كثيرا من اليهود من أجله كانوا يؤمنون بيسوع، /٥٤٤
و كان الجمع الذين معه يشهد له أنه دعا لعازر[٦] من القبر و أقامه،
٥ و من الغد سمعوا أن يسوع يأتى إلى يروشليم، فخرجوا للقائه[٧] يصرخون: مبارك الآتى باسم الرب ملك إسرائيل! و وجد يسوع حمارا فركبه - كما هو مكتوب: لا تخافى يا بنت صيون[٨]![٩] هو ذا[٩] ملكك يأتيك راكبا على جحش - ابن أتان - ثم قال: و قال يسوع: قد قربت الساعة التى يمجد[١٠] فيها ابن البشر، الحق الحق[٧] أقول لكم! إن حبة الحنطة
١٠ إن لم تقع[١١] فى الأرض و تَمُتْ بقيت وحدها، و إن هى ماتت [أتت ٣] بثمار كثيرة، من أحب نفسه[١٢] فليهلكها، و من أبغض نفسه فى هذا العالم فانه يحفظها لحياة الأبد، و قال: يا رباه! مجد[١٣] اسمك، فجاء صوت من السماء: قد مجدتُ و أيضا أمجد، فسمع الجمع الذى كان واقفا فقال بعضهم: إنما[١٤] كان رعدا، و قال آخرون: إن ملاكا كلمه،
١٥ قال يسوع: ليس من أجلى كان هذا الصوت، و لكن من أجلكم،

(١) من الإنجيل، و فى الأصل و مد: مريا، و فى ظ: مزما - كذا (٢) فى ظ: يخدمهم (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ و مد: كبير (٥) سقطت الواو من ظ (٦) من الإنجيل، و فى الأصول: العازر (٧) سقط من ظ (٨) من الإنجيل، و فى الأصول: مهيون (٩ - ٩) فى ظ: هذا (١٠) فى ظ: يحمد. (١١) فى الأصول: لم تقطع، ومبنى التصحيح نص الإنجيل (١٢) فى ظ: نفسها. (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مجد (١٤) فى ظ: انه.

قد حضر الآن دينونة هذا العالم، الآن[1] يلقى رئيس هذا العالم إلى خارج، و أنا إذا ارتفعت من الأرض جبيت[2] إلىّ كل واحد، فأجاب الجمع: نحن سمعنا فى الناموس أن المسيح يدوم إلى الأبد، فكيف تقول أنت: يرتفع[3] ابن البشر، فقال لهم يسوع: إن النور معكم زمانا يسيرا، فسيروا ما دام لكم النور[4] لئلا يدركم الظلام، إن الذى يمشى فى الظلام ليس يدرى أين يتوجه، فما دام لكم النور آمنوا بالنور لتكونوا أبناء النور؛ تكلم يسوع بهذا ثم مضى و توارى عنهم، و قال: يا بنى! أنا معكم زمانا قليلا، و تطلبونى فلا تجدونى، و كما قلت لليهود: إن الموضع الذى أمضى إليه أنا، لستم تقدرون على المضى إليه، قال يوحنا فى محاورته لليهود فى الهيكل: قال يسوع: أنا أمضى و تطلبونى و تموتون بخطاياكم، و حيث[5] أنا أذهب لستم تقدرون على إتيانه، فقال اليهود: لعله يريد أن يقتل نفسه، فقال لهم: أنتم[6] من أسفل، و أنا من فوق، أنتم من هذا العالم، و أما أنا فلست من هذا العالم، قد أخبرتكم أنكم تموتون بخطاياكم، فقالوا له: أنت من أنت؟ ثم قال: و قالوا له: إن أبانا هو إبراهيم، قال: لو كنتم بنى إبراهيم كنتم تعملون أعمال إبراهيم، لكنكم[7] تريدون قتل إنسان كلمكم بالحق الذى سمعه من الله تعالى، و لم يفعل إبراهيم هذا، أنتم تعملون أعمال أبيكم؟ فقالوا[8]: أما نحن فلسنا مولودين من زنا؛

(١) فى ظ: لان (٢) من مد، أى جمعت، و فى الأصل و ظ: جيت - كذا.
(٣) فى ظ: ترتفع (٤) فى ظ: اليوم (٥) فى ظ: احب (٦) فى ظ: انت (٧) فى ظ: لكن (٨) سقط من ظ.

فقال لهم: أنتم من أبيكم إبليس، و شهوة أبيكم تهوون إن لم تعملوا ذلك، الذى هو من البدء[1] قتّال الناس و لم يلبث[2] على الحق لأنه ليس فيه حق، و إذا ما تكلم بالكذب فانما يتكلم بما هو له، [3]و أما أنا [3]فأتكلم بالحق و لستم تؤمنون بى، من منكم يوبخنى[4] على خطيئة - انتهى، و أقول لكم الآن أن يحب بعضكم بعضا كما أحببتكم، فبهذا[5] يعرف كل أحد أنكم تلاميذى[6]، وقال يسوع: من يؤمن بى ليس من يؤمن بى فقط، بل و بالذى أرسلنى، و من رآنى فقد رأى الذى أرسلنى، أنا جئت نور العالم لكى ينجو كل من يؤمن بى [من الظلام، و من يسمع كلامى و لا يؤمن بى -[7]] أنا لا أدينه، لأنى[8] لم آت لأدين العالم، بل[9] لأحيي العالم، من جحدنى و لم يقبل كلامى فان له من يدينه[10]، الكلمة التى نطقت بها هى[11] تدينه فى اليوم الآخر، لأنى[8] لم أتكلم من نفسى، لأن الرب الذى أرسلنى هو أعطانى الوصية، ثم قال: الحق الحق أقول لكم! من يؤمن بى يعمل الأعمال التى أعملها، و أفضل منها يصنع، إن كنتم تحبونى فاحفظوا وصاياى، و أنا أطلب من الأب يعطيكم فارقليط[12] آخر ليثبت[13] معكم إلى الأبد - روح الحق الذى لم يطق العالم أن يقبلوه، لأنهم لم يروه و لم يعرفوه، و أنتم تعرفونه، لأنه مقيم عندكم و هو فيكم، لست أدعكم يتامى[14] لأنى سوف[15] أجيئكم عن قليل، من يحبّنى يحفظ كلمتى، و من لا يحبنى ليس يحفظ كلامى، الكلمة التى تسمعونها

(١) فى ظ: البدة (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لم نبب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ: يريحنى (٥) فى ظ: بهذا (٦) فى ظ: تلاميذه (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) فى ظ: انى (٩) فى ظ: بان (١٠) فى ظ: يزينه (١١) فى ظ: من (١٢) وقع فى ظ: فاد غليظ - خطأ (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يثبت (١٤) فى ظ: مالى - كذا (١٥) فى ظ: يعوق.

٥٤٥/ ليست لى، بل للرب الذى أرسلنى، / كلمتكم بهذا لأنى عندكم مقيم، و الفارقليط
روح القدس الذى يرسله ربى باسمى هو يعلمكم كل شىء، و هو يذكركم
كل ما قلت لكم، السلام استودعتكم، سلامى خاصة[1] أعطيكم، لا تقلق
قلوبكم و لا تجزع، قد سمعتم[2] أنى قلت لكم: إنى منطلق و عائد إليكم،
لو كنتم تحبونى لكنتم تفرحون بمضيّى إلى الرب، لأن الرب أعظم منى، ٥
و ها قد قلت لكم قبل أن يكون[3] حتى إذا كان[4] تؤمنون، و لست
أكلمكم كثيرا لأن أركون العالم يأتى و ليس له فىّ شىء، و لكن ليعلم العالم
أنى أحب الرب، و كما أوصانى الرب كذلك أفعل، أنا هو الكرمة[5]
الحقيقية[6] و ربى الغارس، كل غصن لا يأتى بثمار ينزعه، و الذى يأتى
بثمار ينقيه[7] ليأتى بثمار كثيرة، أنتم لتيامن هذا الكلام الذى كلمتكم به اثبتوا ١٠
فىّ و أنا فيكم، كما أن الغصن لا يطيق أن يأتى بالثمار من عنده إن
لم يثبت فى الكرمة[8]، كذلك أنتم [9]إن لم تثبتوا[9] فىّ، أنا هو الكرمة و أنتم
الأغصان، من ثبت فىّ و أنا فيه يأتى بثمار كثيرة، و بغيرى لستم[10]
تقدرون تعملون شيئا، فان لم يثبت أحد فىّ طرح خارجا مثل الغصن
الذى يجنى فيأخذونه و يطرحونه فى النار فيحترق، و إن[11] أنتم ثبتم فىّ ١٥
و ثبت كلامى[12] فيكم كان لكم كل ما تريدونه، و بهذا يمجد ربى بأن تأتوا

(١) فى ظ: خاصته (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: سمعت (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تكون (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: خان (٥) فى ظ: الكرامة. (٦) فى الأصول: الحقيقة (٧) فى ظ: دعيه - كذا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الكرامة (٩ - ٩) فى ظ: تنبتوا - كذا (١٠) فى ظ: لم (١١) سقط من ظ. (١٢) فى ظ: كلاهم - كذا.

بثمار كثيرة ، و أنتم أحبابى إن عملتم كل ما وصيتكم به ، إنما وصيتكم بهذا لكى يحب بعضكم بعضا ، فان كان[1] العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى[2] قبلكم ، لو كنتم من العالم كان العالم يحب من هو منه ، لكنكم لستم من العالم ، بل اخترتكم من العالم ، من أجل هذا يبغضكم العالم ، لو لم آت و أكلمهم[3] ٥ لم يكن لهم خطيئة[4] ، و الآن ليس لهم حجة فى خطيئتهم ، لو لم أعمل أعمالا لم يعملها أحد[5] لم يكن لهم خطيئة ، لتتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم أنهم أبغضونى باطلا ، إذا جاء[6] الفارقليط الذى أرسله إليكم ـ روح[7] الحق الذى من الرب بسق[8] ـ هو يشهد و أنتم تشهدون ، لأنكم معى صفوة ، كلمتكم بهذا لكيلا تشكوا ، فانهم سوف يخرجونكم[9] من مجامعهم ، و لم أخبركم ١٠ بهذا من قبل لأنى [كنت ـ[10]] معكم ، و الآن فانى منطلق إلى من أرسلنى ، أقول لكم الحق ! إنه خير لكم أن أنطلق ، لأنى [إن ـ[11]] لم أنطلق لم يأتكم الفارقليط ، فاذا انطلقت أرسلته إليكم ، فاذا جاء ذاك فهو موبخ العالم على الخطيئة ، و إن لى كلاما كثيرا أريد أن أقوله لكم ، و[12] لكنكم لستم تطيقون حمله الآن ، و إذا جاء روح الحق ذاك فهو يرشدكم إلى جميع الحق ، ١٥ لأنه ليس ينطق من عنده ، بل يتكلم بكل ما يسمع ، و يخبركم بما يأتى ، و هو

(١) ـ سقط من ظ (٢) فى ظ : بغضنى (٣) من نص الإنجيل ، و فى الأصول : اكلمكم (٤) من مد ، و فى الأصل : احطيته ، و فى ظ : خطبه ـ كذا (٥) من نص الإنجيل . و فى الأصل : و لو ، و فى ظ و مد : لو ـ كذا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جاءهم (٧) زيد فى ظ : القدس (٨) فى ظ : سق ـ كذا (٩) فى ظ : يخرجنكم (١٠) زيد من نص الإنجيل (١١) زيد من ظ و مد (١٢) ـ سقطت الواو من ظ .

مجدنى لأنه يأخذ مما هو لى و يخبركم. قليلا ولا ترونى[1]، و قليلا و ترونى، قالوا: ما هذا القليل[2] الذى يقول؟ فقال لهم: أفى هذا يراطن[3] بعضكم بعضا، الحق أقول لكم! إنكم تبكون و تنوحون و العالم يفرح، و أنتم تحزنون لكن حزنكم يؤل إلى فرح[4]. كالمرأة إذا حضر ولادها تحزن لأن قد جاءت ساعتها، فاذا ولدت ابنا لم تذكر الشدة من أجل الفرح، لأنها ولدت ٥ إنسانا فى العالم؛ تكلم يسوع بهذا و رفع عينيه إلى السماء و قال: يا رب! قد حضرت الساعة فمجد عبدك ليمجدك[5] عبدك، كما أعطيته السلطان على كل ذى جسد، ليعطى كل من أعطيته حياة الأبد، و هذه هى حياة الأبد أن يعرفوك[6] أنك [أنت - [7]] إله الحق وحدك[8]، و الذى أرسلته يسوع المسيح، أنا قد مجدتك على الأرض، ذلك العمل الذى أعطيتنى لأصنعه ١٠ قد أكملت، و الآن مجدنى أنت يا رباه بالمجد الذى عندك، قد أظهرت اسمك للناس، الآن علموا أن كل ما أعطيتنى هو من عندك، و علموا حقا أنى[9] من عندك أتيت، و آمنوا أنك أرسلتنى، و أنا أجىء إليك أيها الرب القدوس! احفظهم باسمك الذى أعطيتنى كى يكونوا واحدا كما نحن، إذ كنت معهم فى العالم أنا كنت أحفظهم باسمك، ليس أسئل أن تنزعهم من العالم، ١٥ بل أن تحفظهم من الشرير، لأنهم ليسوا من العالم، كما أنى لست من العالم، قدسهم بحقك فان[10] كلمتك خاصة هى[11] الحق، كما أرسلتنى إلى العالم

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: لا ترونى (٢) فى ظ: القيل (٣) أى يكلم بالأعجمية، وفى ظ: تراطن - كذا (٤) فى ظ: الفرح (٥) فى ظ: لمجدك (٦) فى ظ: يعرفونك. (٧) زيد من ظ ومد (٨) فى ظ: وحده (٩) فى ظ: انى (١٠) من ظ ومد، و وقع فى الأصل: فا - كذا مقطوعا (١١) فى ظ: من.

أرسلتهم أنا أيضا إلى العالم، و لست أسئل فى هؤلاء فقط، بل و فى الذين يؤمنون [١] بى بقولهم، ليكونوا بأجمعهم واحدا، كما أنك يا رباه فىّ و أنا فيك ليكونوا أيضا فينا واحدا، ليؤمن العالم أنك أرسلتنى؛ قال يسوع هذا و خرج مع تلاميذه إلى عين عمرة [٢] وادى الأرز، وكان هناك بستان، دخله هو و تلاميذه، وكان يهودا [٣] الذى أسلمه [٤] يعرف ذلك المكان، لأن يسوع كان [٥] يجتمع هناك مع تلاميذه كثيرا [٦]، و قبل عيد الفسح كان يسوع يعلم أن قد حضرت الساعة التى [٧] ينتقل فيها من هذا العالم. فلما حضر العشاء خامر الشيطانُ قلبَ يهودا شمعون [٨] الإسخريطى لكى يسلمه، فقام يسوع عن العشاء و ترك ثيابه [و ائتزر- [٩]] وسطه بمنديل، و بدأ يغسل أقدام التلامذة و ينشفها بمنديل كان مؤتزرا به، فلما انتهى إلى شمعون الصفا قال له: أنت يا سيدى تغسل لى قدمى؟ فقال يسوع: [إن الذى أصنعه لست تعرفه الآن، و لكنك ستعرفه فيما بعده، قال له شمعون الصفا: إنك لست [١٠] غاسلا لى قدمى الآن، قال له يسوع - [١١]]: إن أنا لم أغسلهما فليس لك معى نصيب، قال شمعون: يا سيدى! ليس تغسل لى قدمى فقط، بل و يدى و رأسى، قال له يسوع:

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يومنون (٢) فى ظ: عمره (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يهود (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: ارسله (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: كما (٦) من ظ، و فى الأصل و مد: كثير (٧) فى ظ: الذى. (٨) فى النسخ: سمعان، و التصحيح من الإنجيل (٩) زيد من نص الإنجيل. (١٠) من مد، وليس فى ظ (١١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد.

إن الذى يطهر لا[1] يحتاج إلا إلى غسل قدميه؛ فلما غسل أرجلهم تناول ثيابه و اتكأ و قال لهم: تعلمون ما صنعت بكم؟ أنتم تدعوننى معلما و ربا، و ما أحسن ما تقولون[2]! فاذا كنت أنا معلمكم و ربكم قد غسلت أقدامكم فأنتم[3] أحرى أن يغسل بعضكم أرجل بعض، و الحق أقول لكم! ليس عبد أعظم [4]من سيده، و لا رسول أعظم[4] ممن أرسله، ٥ و قال: الحق الحق أقول لكم! إن واحدا منكم يسلمنى؛ و قال متى: و لما كان يسوع فى بيت عنيا[5] فى بيت شمعون[6] الأبرص جاءت امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن، فأفاضته على رأسه و هو متكئ[7]، حينئذ مضى أحد الاثنى عشر - أى الحواريين الذين سيذكرون فى المائدة و الأنعام بأسمائهم - و هو الذى يقال له يهودا [[2]- الإسخريطى إلى رؤساء الكهنة ١٠ و قال لهم: ما ذا تعطونى حتى أسلمه إليكم؟ فأقاموا له ثلاثين من الفضة، و من ذلك الوقت جعل يطلب فرصة ليسلمه، و فى أول يوم الفطير - قال مرقس: لما ذبحوا الفسح - قال له تلاميذه: أين تريد حتى نستعد لتأكل الفسح؟ فقال: اذهبوا إلى المدينة إلى فلان و قولوا له: المعلم يقول: زمانى قد اقترب، و عندك أصنع الفسح مع تلاميذى، ففعل التلاميذ كما أمرهم ١٥ يسوع و أعدوا الفسح، و قال لوقا: و كان فى النهار يعلم فى الهيكل، و يخرج فى الليل ليستريح فى الجبل الذى يدعى جبل الزيتون، و كان جميع الشعب يدلجون إليه ليسمعوا منه، و كان لما قرب عيد الفطير المسمى بالفسح

(١) فى ظ: ليس (٢) فى ظ: يقولون (٣) فى ظ: فكنتم انتم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: عبدها (٦) من الإنجيل، و فى النسخ: شمعان. (٧) زيد مابين الحاجزين من ظ و مد.

تطلّب الكهنة كيف يهلكونه، وكانوا يخافون من الشعب، فدخل الشيطان
في يهودا] الذى يدعى الإسخريطى الذى كان من الاثنى عشر، فمضى
وكلم رؤساء الكهنة ليسلمه إليهم، ففرحوا ووعدوه، وكان يطلب فرصة
ليسلمه إليهم مفردا عن الجمع، فجاء يوم الفطير الذى يذبح فيه الفسح، فأرسل
٥ بطرس ويوحنا وقال: امضيا وأعدا لنا الفسح، [ثم قال: فانطلقا وأعدا
الفسح -[1]]، ولما كان المساء اتكأ مع الاثنى عشر تلميذا، قال: فقال لهم:
شهوة اشتهيت أن آكل معكم الفسح، [2]فانى أقول لكم: إنى أيضا
لا آكل منه حتى يتم فى ملكوت الله؛ وقال متى[2]: وفيما هم يأكلون قال: الحق
أقول لكم! إن واحدا منكم يسلمنى، فحزنوا جدا، وشرع كل واحد منهم
١٠ يقول: لعلى أنا هو؛ وقال يوحنا: [3]وقال[3]: الحق الحق أقول لكم! إن واحدا
منكم يسلمنى، فنظر التلاميذ بعضهم [إلى بعض -[1]]، وكان واحد[4] من
تلاميذه متكئا فى حضن يسوع، وهو الذى كان يسوع يحبه، فأومأ
شمعون[5] الصفا إليه أن يعلمه مَن الذى قال لأجله؛ فوقع ذلك التلميذ على
صدر يسوع وقال له: يا سيدى! من هذا؟ فقال يسوع: هو الذى أبلّ خبزا
١٥ وأناوله، فبلّ خبزا ودفعه إلى شمعون[5] الإسخريوطى؛ وقال متى: فقال:
الذى يجعل يده معى فى الصحفة هو يسلمنى، وابن الإنسان ماض كما كتب

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل قبل « ولما كان المساء اتكأ » (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: واحدا (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: سمعون.

من

من أجله ، الويل لذلك[1] الإنسان الذى يسلم[2] ابن الإنسان ، حبذا[3] له لو لم يولد ، أجابه يهودا مسلمه وقال : لعلى أنا هو يا معلم ! قال : أنت ، قال : فسبحوا و خرجوا[4] إلى جبل الزيتون ؛ و قال لوقا : فقال لهم : إن ملوك الأمم هم[5] ساداتهم ، و المسلطون عليهم يدعون المحسنين إليهم ، فأما أنتم فليس كذلك ، لكن الكبير منكم يكون كالصغير والمقدم كالخادم ، من أكبر ؟ المتكئ / أم الذى ٥ / ٥٤٧ يخدم ؟ أليس المتكئ فأما أنا فى وسطكم فمثل الخادم ، و أنتم الذى صبرتم معى فى تجاربى[6] ، و أنا[7] أعد لكم[7] كما وعدنى ربى الملكوت ، لتأكلوا و تشربوا على مائدتى فى ملكوتى ، و تجلسوا[8] على كرسيّ ، و تدينوا[9] اثنى عشر سبط إسرائيل - إلى أن قال : ثم خرج كالعادة و مضى إلى جبل الزيتون ، و معه أيضا تلاميذه ، فلما انتهى إلى المكان قال لهم : صلوا لئلا تدخلوا التجربة ، و انفرد ١٠ عنهم كرمية[10] حجر و خر[11] على ركبتيه فصلى ؛ و قال متى : حينئذ قال لهم يسوع : كلكم تشكون فى هذه [الليلة -[12]] ، لأنه مكتوب : أضرب الراعى ، تفرق خراف[13] الرعية ، فأجاب بطرس و قال له : لو شك جميعهم لم أشك أنا ، قال[14] له يسوع : الحق[15] أقول لك ! فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك [تنكرنى ثلاث مرات ؛ و قال يوحنا : الحق الحق أقول لكم ! لا يصيح ١٥ الديك حتى -[16]] تنكرنى[17] ثلاثا ، لا تضطرب[18] قلوبكم ، آمنوا بالله و آمنوا بى ؛

(١) فى ظ كذلك (٢) فى النسخ : يسلمه (٣) فى ظ : جيد (٤) فى ظ : خرج.
(٥) فى ظ : هو (٦) فى ظ : تجارتى (٧ - ٧) فى ظ : اعد كم (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : يجلسوا (٩) فى ظ : تزينوا (١٠) فى ظ : كرمة (١١) فى ظ : جثى .
(١٢) زيد من ظ (١٣) فى ظ : حرف (١٤) فى ظ : قاله (١٥) سقط من ظ
(١٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (١٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينكرنى (١٨) فى ظ : لا يضرب - كذا .

و قال متى : قال له بطرس: لو ألجئت إلى أن أموت معك ما أنكرت ؛ و قال مرقس: فتمادى بطرس و قال: يا أبت! و إن اضطررت إلى أن أموت معك ليس أنكرك، و هكذا قال جميع التلاميذ، حينئذ جاء معهم إلى قرية تدعى جسمانية، فقال للتلاميذ: اجلسوا ههنا لأمضى أصلى
٥ هناك، امكثوا و اسهروا معى، و بعد ذلك خر على وجهه يصلى، و جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياما، قال مرقس: فقال البطرس: يا شمعون[1]! أنت نائم؟ ما قدرت تسهر معى ساعة واحدة؟ اسهروا و صلوا لئلا تدخلوا[2] التجارب، أما الروح فمستبشرة، و قال مرقس: فمستعدة[3]، و أما الجسد فضعيف، و مضى أيضا و صلى، و جاء أيضا فوجدهم نياما، لأن عيونهم
١٠ كانت ثقيلة، فتركهم، [4]و مضى أيضا يصلى؛ قال لوقا: و ظهر[5] له ملاك من السماء ليقويه[6]، وكان يصلى تواترا، وكان عرقه كعبيط[7] الدم نازلا على الأرض! و قال متى: حينئذ جاء إلى التلاميذ و قال لهم: ناموا الآن و استريحوا! قد اقتربت الساعة، و فيما هو يتكلم إذ جاء يهودا الإسخريوطى أحد الاثنى عشر، معه جمع كثير بسيوف و عصى من عند رؤساء
١٥ الكهنة و مشايخ الشعب، و الذى أسلمه[8] أعطاهم علامة و قال: الذى أقبّله هو هو[9] فأمسكوه، [10]و جاء[10] إلى يسوع و قال له: السلام يا معلم!

(١) فى النسخ : سمعان (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : لئلا تدخل (٣) فى ظ فسبقوه - كذا (٤) فى ظ : فذكرهم (٥) فى ظ : فنظر (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : لتقويه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : كعيظ - كذا - (٨) فى ظ : استلمه (٩) سقط من ظ (١٠ - ١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : رجال - كذا.

و قبّله، فقال له يسوع: يا هذا! ألهذا جئت؟ حينئذ جاؤا[1] فوضعوا أيديهم على يسوع و قبضوا عليه، ثم قال: فى تلك الساعة قال يسوع للجموع: كأنكم قد خرجتم إلى لص[2] بالسيوف و العصىّ لتأخذونى، فى كل يوم كنت أجلس عندكم أعلّم فى الهيكل فما قبضتم علىّ، و هذا كله كان لتكميل[3] كتب الأنبياء عليهم الصلاة و السلام؛ و قال يوحنا: إن يهودا أخذ جندا من [عند -[4]] عظماء الكهنة و الفريسيين و شرطا، و جاء إلى هناك بسرج و مصابيح و سلاح، و يسوع كان عارفا بكل شىء يأتى عليه، فخرج و قال لهم: من تطلبون[5]؟ قالوا[6]: يسوع الناصرى، قال: أنا[7] هو، و كان يهودا واقفا معهم، فلما قال: أنا هو، رجعوا[8] إلى ورائهم و سقطوا على الأرض، فقال يسوع: [9]إن كنتم[9] تطلبونى فدعوا هؤلاء يذهبوا، لتتم الكلمة التى قالها[10]: إن الذى أعطيتنى لن يهلك منهم أحد؛ و قال متى: حينئذ تركه تلاميذه كلهم و هربوا، و الذين أخذوا يسوع اقتادوه إلى دار قيافا رئيس الكهنة، و أما بطرس فأتبعه على بُعد منه إلى دار [11]رئيس الكهنة، و دخل إلى[11] داخلها و جلس مع الخدام لينظر التمام؛ و قال مرقس: و جلس مع الخدام عند النار

(١) فى ظ: كانوا (٢) فى ظ: تصربونى - كذا (٣) فى ظ: تسهيل (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: يطلبون (٦) فى ظ: قال (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: انما (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: راجعوا (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ، و فى الأصل و مد: قال (١١-١١) تكرر ما بين الرقمين فى ظ.

/٥٤٨ يصطلى؛ و قال / يوحنا: و إن شمعون[١] الصفا و التلميذ الآخر - يعنى الذى تقدم أن عيسى كان يحبه - تبعا يسوع، و كان عظيم الكهنة يعرف ذلك التلميذ، فدخل يسوع إلى دار عظيم الكهنة، فأما شمعون[١] فكان واقفا خارج الباب، فخرج التلميذ الآخر الذى كان معارف رئيس ٥ الكهنة، فقال للبوابة و أدخل شمعون بطرس، فقالت الجارية البوابة لشمعون[٢]: أما أنت من تلاميذ هذا الرجل؟ فقال لها: لا! و كان العبيد و الشرط قياما يوقدون نارا ليصطلوا، لأنها كانت ليلة باردة، و قام شمعون[١] معهم أيضا يصطلى[٣]؛ قال متى: فقال رئيس [الكهنة -[٤]]: أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا إن كنت أنت[٥] هو المسيح! قال له يسوع: ١٠ أنت قلت؛ ثم ذكر أنهم أفتوا بقتله و قال: عند ذلك بصقوا فى وجهه و ستروا وجهه بثوب و لطموا وجهه فوقه قائلين: أيها المسيح! بين لنا مَنْ هو الذى ضربك؟ قال مرقس: و بينما بطرس فى أسفل الدار[٦] جاءت فتاة من جوارى رئيس الكهنة فقالت له: و أنت أيضا قد كنت مع يسوع الناصرى؛ و قال متى: مع يسوع الجليلى[٧]؛ و قال لوقا: فلما رأته ١٥ جارية جالسا عند الضوء ميزته[٨] فقالت[٩]: هذا [أيضا - [١٠]] كان معه، فأنكر و قال: ما أعرفه؛ و قال متى: فجحد بين أيديهم أجمعين، و عند خروجه إلى الباب أبصرته جارية أخرى فقالت: و هذا أيضا كان مع

(١) من الإنجيل، و فى النسخ: سمعان (٢) فى النسخ: لسمعان (٣) فى ظ: يصلى.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: الدر- كذا (٧) فى ظ: الخليلى (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مزية (٩) زيدت الواو بعده فى ظ.
(١٠) زيد من ظ.

يسوع الناصرى ، فجحد أيضا بيمين[1]: إنى لست أعرف الرجل ، و بعد قليل تقدم الوقوف فقالوا لبطرس: بالحقيقة إنك منهم أنت! لأن كلامك يدل عليك؛ و قال مرقس: و أنت جليلى و كلامك يشبه كلامهم ، و قال: حينئذ أقبل بطرس يلعن[2] و يحلف: إنى لست أعرف الإنسان ، و فى الحال صاح الديك ، فذكر بطرس كلمة يسوع: قبل أن يصيح الديك تجحدنى ثلاثا ، فخرج إلى خارج و بكى بكاء مرّا .

و لما كان الصبح عملوا كلهم مؤامرة على يسوع حتى يميتوه[3] فربطوه و ساقوه إلى بيلاطيس النبطى[4] ، و لما أبصر يودس - يعنى يهودا الإسخريوطى - أنه قد حكم عليه تندم[5] و رد الثلاثين[6] الفضة على رؤساء الكهنة [قائلا : قد أخطأت إذ أسلمت دما زكيا ، فقالوا : ما علينا! فطرح الفضة فى الهيكل و مضى فخنق نفسه ، فأخذ رؤساء الكهنة - [7]] الفضة و قالوا : لن يجوز لنا [أن -[8]] نلقيها[9] فى داخل الزكاة ، لأنها ثمن دم ، فتشاوروا و ابتاعوا حقل الفاخورى[10] لدفن الغرباء ، لذلك دعى ذلك الحقل حقل الدم إلى اليوم ، حينئذ [تم -[11]] قول إرميا النبى القائل: و أخذوا الثلاثين من الفضة ثمن الدم[12] الذى ثمنه بنو إسرائيل ، و جعلوها فى حقل الفاخورى على ما رسم لى ؛ و أما يسوع فوقف أمام الوالى ،

(١) فى ظ : يمين (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : ولعن (٣) فى ظ : يمسوه - كذا.
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : يندم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اثنتين - كذا (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) زيد ولا بد منه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعقبها (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : الفاخورية .
(١١) زيد من نص الإنجيل (١٢) فى النسخ : الكرم - كذا .

ثم ذكر أن الوالى كان كارها[1] لقتله، و أن امرأتـه أرسلت إليه تقول: إياك و دم ذاك الصديق، فانى توجعت فى هـذا اليوم كثيرا من أجله فى الحلم، و أنه اجتهد بهم ليطلقوه فأبوا إلا صلبه، و صاحوا عليه، و أنه قال لهم: أى شر[2] عمل؟ فازدادوا صياحا و قالوا: يصلب؛ ٥ فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا أخذ ماء و غسل يديه قدام الجمع و قال: إننى برىء من [دم -[3]] هذا الصديق، فقالوا: دمه علينا و على أولادنا؛ و قال لوقا: و إن بيلاطس قال لرؤساء الكهنة: أنا لم [أجد -[4]] على هذا الإنسان علة - حتى قال: فلما علم أنه من سلطان هيرودس - يعنى من الجليل[5] - أرسله إلى هيرودس، لأنه كان فى تلك الأيام بيروشليم، ١٠ و أن هيرودس لما رأى يسوع فرح جدا، لأنه كان يشتهى أن يراه من زمان طويل لما كان يسمع [عنه -[3]] من الأمور الكثيرة، و كان يرجو أن يعاين آية يعملها، و سأله عن كلام كثير ذكره، و ذكر أنه لم يجبه، فاحتقره هيرودس و جنده و استهزؤا به و[6] ألبسه ثيابا حمراء، و أرسله إلى / بيلاطس [و صار بيلاطس و هيرودس صديقين فى /٥٤٩ ١٥ ذلك اليوم، لأنه كان بينهما عداوة، ثم ذكر أن بيلاطس -[3]] قال لهم: لم أجد عليه علة آخذه بها، و لا هيرودس أيضا، و أنهم لم يقبلوا منه ذلك و صاروا يصيحون: اصلبه اصلبه؛ و قال يوحنا: ثم جلس

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: ـكارها ـ كذا (٢) من ظ، و فى الأصل و مد: سر (٣) زيد من ظ ومد (٤) زيد من نص الإنجيل (٥) فى ظ: الخليل. (٦) فى النسخ: او.

- يعنى بيلاطس - على كرسى فى موضع يعرف برصيف[1] الحجارة، و بالعبرانية يسمى جاحلة[2]؛ ثم ذكر جميع نقلة أناجيلهم أنهم صلبوه بين لِصّين[3]، و أنهم كانوا يستهزؤن به حتى اللصان المصلوبان؛ قال مرقس: فلما كانت الساعة السادسة تفشّت الأرضَ كلها ظلمة إلى الساعة التاسعة، و أنه صاح بصوت عظيم [منه -[4]]: إلهى! إلهى! لِمَ تركتنى! فانشق ٥ ستر حجاب الهيكل باثنين من فوق إلى أسفل، و الأرض تزلزلت، و تشققت الصخور، و تفتحت القبور[5]، و كثير من أجساد القدسيين النيام قاموا من قبورهم، و دخلوا المدينة فظهروا لكثير[6]، وكان هناك نسوة كثير ينظرن[7] من بعيد، و من اللاتى تبعن عيسى من الجليل منهن مريم المجدلانية، و مريم أم يعقوب الصغير، و أم يوسا، و أم ابن زبدى؛ ١٠ و قال يوحنا: [وكان -[4]] واقفا عند صلبه أمّه و أخت أمه مريم ابنة إكلاوبا[8] و مريم المجدلية، ثم ذكروا أنه دفن؛ و ذكر مرقس أنه كان يوم جمعة؛ و قال[9] يوحنا: و أما اليهود - فلأنه يوم الجمعة[10] - قالوا: هذه الأجساد لا تثبت[11] على صلبها، لأن السبت[12] كان عظيما، ثم ذكر أنهم أنزلوهم، و أن عيسى دفن؛ و قال متى: إن الملك جاء ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: برصف (٢) فى ظ: خاصله (٣) من ظ ومد، و فى الأصل: لصتين (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: العيون (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: الكبير (٧) فى الأصل و مد: ينظرون، و فى ظ: ينتظرون - كذا (٨) فى ظ: اقلاوبا (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: كان.
(١٠) فى ظ: جمعة (١١) من مد، و فى الأصل: لاست، و فى ظ: لا يثبت.
(١٢) فى ظ: البيت.

بعد ثلاث و أقامه، و قال للنسوة: إنه قد قام فأسرعن فقلن لتلاميذه: هو ذا سبقكم[١] إلى الجليل، و إن رؤساء اليهود [٢]رشوا الجند[٢] الذين كانوا يحرسون قبره ليقولوا: إن تلاميذه سرقوه من القبر، فقالوا و شاع ذلك عند اليهود إلى اليوم، فأما الأحد[٣] عشر تلميذا فمضوا إلى الجليل[٤] الذى

٥ أمروا[٥] به، فلما رأوه سجدوا له، و بعضهم شك؛ و قال لوقا: و فيما هم يتكلمون وقف عيسى إلى وسطهم، و قال لهم: السلام عليكم يا هؤلاء! لا تخافوا! فاضطربوا و خافوا و ظنوا أنهم ينظرون روحا[٦]، فقال لهم: ما بالكم تضطربون[٧]؟ و لِمَ يأتى[٨] الإنكار فى قلوبكم؟ انظروا يدى و رجلى فانى أنا هو[٩]، جسّونى و انظروا إلىّ! الروح ليس له لحم و لا عظم،

١٠ كما ترون أنه لى، و لما قال هذا أراهم يديه و رجليه، و إذا هم غير مصدقين من الفرح و التعجب، و قال لهم: أعندكم ههنا ما يؤكل؟ فأعطوه جزءا من حوت[١٠] مشوى و من شهد عسل، فأخذ[١١] قدامهم و أكل، [و-[١٢]] أخذ الباقى و أعطاهم؛ ثم قال: ثم أخرجهم خارجا إلى بيت عنيا فرفع يديه و باركهم، وكان فيما هو يباركهم انفرد عنهم، و صعد إلى السماء؛

١٥ [و - [١٣]] قال يوحنا: إنه قال لمريم: امضى إلى إخوتى و قولى لهم: إنى صاعد إلى أبى و أبيكم و إلهى و إلهكم؛ [و - [١٣]] قال متى: فجاء

(١) فى ظ: سعيكم (٢-٢) فى ظ: رسوا الجهد (٣) فى ظ: الاحدى (٤) فى ظ: الجبل (٥) من مد، و فى الأصل: آمنوا، و فى ظ: ارموا - كذا (٦) فى ظ: رجا (٧) فى ظ: تطربون (٨) فى النسخ: تاتى (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ: خروف (١١) فى ظ: فاخذوا (١٢) زيدت الواو من مد (١٣) زيدت الواو من ظ و مد.

يسوع فكلمهم فقال: أعطيت كل سلطان فى السماء و على الأرض فاذهبوا الآن و تلمذوا[1] كل الأمم.

انتهى ما أردته هنا من الأناجيل من هذه القصة، فقد بان لك أن أناجيلهم كلها اتفقت على أن علمهم فى أمره انتهى إلى واحد، و هو الإسخريوطى، و أما غيره من الأعداء فلم يكن يعرفه، [و انه -[2]] ٥ إنما وضع يده عليه، و لم يقل بلسانه: إنه هو، و أن الوقت كان ليلا، و أن عيسى نفسه قال لأصحابه: كلكم تشكون فى هذه الليلة، و أن تلاميذه كلهم هربوا، فلم يكن لهم علم بعد ذلك بما اتفق [فى -[2]] أمره، و أن بطرس [إنما -[2]] تبعه من بعيد، و أن الذى دل عليه خنق نفسه، و أن الناقل لأن الملك قال: إنه قام من الأموات، إنما هو نسوة كن ١٠ عند القبر فى مدى بعيد[3]، و ما يدرى النسوة الملك من غيره - و نحو ذلك من الأمور التى لاتفيد غير الظن بالجهد، و أما الآيات التى وقعت فعلى تقدير تسليمها / لا يضرنا التصديق بها، و تكون[4] لجرأتهم على / ٥٥٠ الله بصلب من يظنونه المسيح، و من أحسن ما فى ذلك قوله بعد اجتماعهم به[5] بعد رفعه: أعطيت كل سلطان، فأثبت أن المعطى غيره، ١٥ و هذا كله يصادق[6] القرآن فى[7] أنهم فى شك منه، و يدل [على -[2]] أن المصلوب - إن صح أنهم صلبوا من ظنوه إياه[8] - هو الذى دل عليه، كما

(١) فى ظ: تسلموا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بعينه - كذا (٤) فى ظ: يكون (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: تصادق (٧) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اياهم.

قال بعض العلماء: إنه ألقى شبهه [1]عليه، و يؤيد[1] ذلك قولهم: إنه خنق نفسه، فالظاهر أنهم لما لم يروه بعد ذلك ظنوا أنه خنق نفسه، فجزموا به - و الله أعلم، و قوله: إنك يا رباه فيّ[2] و أنا فيك، ليكونوا - أى التلاميذ - فينا، و نحوه مما يوهم حلولا المراد به الاتحاد فى المراد بحيث[3] أن واحدا منهم لا يريد إلا ما يريده الآخر، و لا يرضى إلا ما يرضاه، فهو من وادى ما فى الحديث القدسى[4] «كنت سمعه الذى يسمع به» - إلى آخره، و كذا إطلاق الابن و الأب معناه أنه[5] يعاملهم فى لطفه معاملة الأب ابنه، فالمراد الغاية، كما يؤل ذلك فى إطلاق الغضب و المحبة و نحو ذلك فى حق الله تعالى فى شرعنا، و قد مضى كثير من رد المتشابه فى مثل ذلك إلى المحكم فى آل[6] عمران، و مضى فى ذلك الموضع و غيره أن كل ما أوهم نقصا لا يجوز فى شرعنا إطلاقه على الله تعالى - و الله الموفق.

و لما أنجز الكلام إلى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام على هذا المنهاج البديع بما ذكر فى نصائح اليهود و قبائح أفعالهم، و أنهم قصدوا[7] [قتله - [8]] عليه الصلاة و السلام، فخاب قصدهم، و[9] أصلد زندهم[9]،

(١-١) فى ظ: عليهم و يويده (٢) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: بحسب (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: القدس (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٦) فى ظ: اول (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: قتلوا (٨) زيد من ظ و مد (٩ - ٩) من مد، أى صوته و لم يور، وفى الأصل: اصله مزيدهم، و فى ظ: اصله زيدهم - كذا.

و قال رأيهم[1]، و رد عليهم بغيهم، و حصل له بذلك أعلى المناصب و أولى المراتب؛ قال محققا لما أثبته فى الآية قبلها من القطع بكذبهم، مثبتا أنهم فى مبالغتهم فى عداوته سيكونون من أتباعه المصدقين بجميع أمره[2] الذى منه التصديق بمحمد صلى الله عليه و سلم، مؤكدا له أشد تأكيد لما عندهم من الإنكار [له -[3]]: ﴿و ان﴾ أى و الحال أنه ما ﴿من اهل الكتب﴾ ٥ أى أحد يدرك نزوله فى آخر الزمان ﴿الا﴾ و عزتى ﴿ليؤمنن به﴾ أى بعيسى عليه الصلاة و السلام ﴿قبل موته﴾ أى موت عيسى عليه الصلاة و السلام، أى إنه لا يموت حتى ينزل فى آخر الزمان، يؤيد الله به دين الإسلام، حتى يدخل فيه جميع أهل الملل، إشارة إلى أن موسى عليه الصلاة و السلام إن كان قد أيده الله تعالى بأنبياء كانوا يجددون[4] ١٠ دينه زمانا طويلا، فالنبى الذى نسخ شريعة[5] موسى - و هو عيسى عليهما الصلاة و السلام - هو الذى يؤيد الله به هذا [النبى -[3]] العربى فى تجديد شريعته و تمهيد أمره و الذب[6] عن دينه، و يكون من أمته بعد أن كان صاحب شريعة مستقلة و أتباع مستكثرة، أمر قضاه الله فى الأزل فأمضاه، فأطيلوا أيها اليهود أو[7] أقصروا فمعنى الآية إذن - و الله أعلم - ١٥ أنه ما من أحد من أهل الكتاب المختلفين فى عيسى عليه الصلاة و السلام على شك إلا و هو يوقن بعيسى عليه الصلاة و السلام قبل موته بعد نزوله

(١) قال الرأى: أخطأ و ضعف (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يجدون (٥) فى ظ: شريعته (٦) فى ظ: الدره (٧) من مد، و فى الأصل و ظ «و».

من السماء نه ما قتل و ما صلب، و يؤمن به عند زوال[1] الشبهة - [2]و الله أعلم[2]؛ روى الشيخان و أحمد و أبو بكر بن مردويه و غيرهم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: و الذى نفسى بيده! ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا و إماما عادلا، فليكسرن الصليب

٥ و ليقتلن الخنزير و ليضعن الجزية، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا[3] من الدنيا و ما فيها؛ و فى رواية: و تكون السجدة واحدة لله رب العالمين؛ و فى رواية: حتى يهلك الله الملل كلها غير الإسلام، فيهلك[4] الله فى زمانه الملل كلها إلا الإسلام؛ يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم «و ان من

/٥٥١ اهل الكتب الا ليؤمنن به قبل/ موته» - الآية: موت عيسى عليه الصلاة

١٠ و السلام - [ثم - [5]] يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات[6] - و لتذهبن الشحناء و التباغض و التحاسد، و ليدعون[7] إلى المال فلا يقبله أحد؛ و فى رواية: و يفيض المال حتى لا يقبله أحد؛ و لمسلم [8]عنه رضى الله عنه: كيف بكم إذا نزل ابن مريم فيكم و إمامكم منكم؛ و فى رواية: فأمكم منكم، قال الوليد ابن مسلم - أحد رواة الحديث: قال ابن أبى ذئب: تدرى ما أمكم[9] منكم؟ قلت:

١٥ تخبرنى! قال: فأمكم بكتاب[10] ربكم تبارك و تعالى و سنة نبيكم صلى الله عليه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: نزول (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) فى ظ: خير (٤) فى ظ: فاهلك (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ: مرار.
(٧) من ظ ومد، وفى الأصل: ليدعوك (٨) ومن هنا سقطت صفحتان من مد.
(٩) من صحيح مسلم - كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم، و فى النسختين: امامكم (١٠) زيد بعده فى ظ: الله.

و سلم

و سلم؛ [و لمسلم - [1]] أيضا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: سمعت النبى صلى الله عليه و سلم يقول: لا تزال[2] طائفة من أمتى يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة ، فينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة و السلام فيقول أميرهم: تعال صل لنا! فيقول: [لا - [3]]! إن بعضكم على بعض أمراء[4] تكرمة[5] الله هذه الأمة؛ و روى عن ابن عباس و محمد ٥ ابن على المشهور بابن الحنفية رضى الله عنهم أن المعنى: ألا ليؤمنن بعيسى عليه الصلاة و السلام قبل موت ذلك الكتابى عند الغرغرة حين لا ينفعه الإيمان، ليكون ذلك زيادة فى حسرته[6] ، قال الأصبهانى: و تدل[7] على صحة هذا التأويل قراءة أبىّ: ليؤمنن قبل موتهم - بضم النون .

و لما أخبر تعالى عن حالهم معه فى هذه الدار أتبعه فعله بهم فى ١٠ تلك فقال: ﴿ و يوم القيٰمة ﴾ أى الذى يقطع ذكره القلوب، و يحمل التفكر فيه على كل خير و يقطع عن كل شر ﴿يكون﴾ و أذن بشقائهم بقوله: ﴿ عليهم شهيدا[8] ﴾ أى بما عملوا؛ و لما أذن حرف الاستعلاء فى الشهادة بأنه[8] لا خير لهم فى واحد من الدارين، و بأن التقدير: فبظلمهم، سبب[9] عنه قوله دلالة على أن[10] التوراة نزلت منجمة: ﴿ فبظلم ﴾ أى ١٥ عظيم جدا راسخ ثابت، و هو جامع لتفصيل نقض الميثاق و ما عطف

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: لا يزال (٣) زيد من صحيح مسلم (٤) من ظ وصحيح مسلم، و فى الأصل: اميرا - كذا (٥) فى ظ: فلزمه - كذا (٦) فى ظ: جزيه (٧) فى ظ: يدل (٨) فى ظ: انه (٩) من ظ، و فى الأصل: ثبت. (١٠) سقط من ظ.

عليه مما استحلوه بعد أن حرمته التوراة، و قال مشيرا إلى زيادة تبكيتهم: ﴿ من الذين هادوا ﴾ أى تلبسوا باليهودية فى الماضى ادعاء أنهم من أهل التوراة و الرجوع إلى الحق، و لم يضمر تعيينا لهم زيادة[1] فى تقريعهم ﴿ حرمنا عليهم طيّبٰت احلت ﴾ أى كان وقع إحلالها[2] فى التوراة ٥ ﴿ لهم ﴾ كالشحوم التى ذكرها الله تعالى فى الأنعام.

و لما ذكر ظلمهم ذكر مجامع من جزئياته، و بدأها باعراضهم عن الدين الحق، فقال معيدا للعامل تأكيدا له: ﴿ و بصدهم عن سبيل الله ﴾ أى الذى لا أوضح منه و لا أسهل و لا أعظم، لكون[3] الذى نهجه له من العظمة و الحكمة ما لا يدرك، و "صد" يجوز أن يكون قاصرا ١٠ فيكون ﴿ كثيرا ﴾ صفة مصدر محذوف، و أن يكون متعديا فيكون مفعولا به، أى و صدهم كثيرا من الناس بالإضلال عن الطريق، فمُنِعوا مستلذات تلك المآكل بما مَنَعوا أنفسهم و غيرهم من لذاذة الإيمان.

و لما[4] ذكر امتناعهم و[4] منعهم من المحاسن[5] التى لا أطيب منها و لا أشرف، أتبعه إقدامهم على قبائح دنية[6] فيها ظلمهم للخلق [فقال -[7]]: ١٥ ﴿ و اخذهم الربوٰا ﴾ أى و هو قبيح فى نفسه مُزرٍ بصاحبه ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنهم قد[1] ﴿ نهوا عنه ﴾ فضموا إلى مخالفة الطبع السليم الاجتراء[8] على انتهاك حرمة الله العظيم.

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى ظ: لهم (٣) فى ظ: يكون (٤ - ٤) فى ظ: ذكروا - كذا (٥) العبارة من «و منعهم» إلى هنا متكررة فى الأصل (٦) فى ظ: دينهم (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، و فى الأصل: الاخيرا - كذا.

و لما ذكر الربا أتبعه ما[1] هو أعم منه فقال: ﴿ و اكلهم اموال الناس بالباطل ﴾ أى سواء كانت ربا أو رشوة أو غيرهما[2]؛ و لما ذكر بعض ما عذبهم به فى الدنيا أتبعه جزاءهم فى الآخرة، فقال عاطفا على قوله "حرمنا": ﴿ و اعتدنا للكفرين ﴾ أى الذين[3] صار الكفر لهم صفة راسخة فماتوا عليه؛ و لما علم أن منهم من يؤمن فيدخل الجنة فقال: ٥ ﴿ منهم ﴾ و لما كان الجزاء من جنس / العمل قال: ﴿ عذابا اليما ﴾ ٥٥٢ / أى بسبب ما آلموا الناس بأكل أموالهم و تغطيتهم[4] على حقوقهم من الفضائل و الفواضل.

ذكرُ تحريم المال بالربا و غيره من أنواع الباطل بنص التوراة، قال فى السفر الثانى بعد ما قدمتُه فى البقرة من الأمر بالإحسان إلى الناس ١٠ و النهى عن أذاهم: و إن أسلفت ورقك للمسكين الذى معك من شعبى فلا تكونن له كالغريم و لا تأخذن[5] منه ربا[6]؛ و قال فى الثالث: و إن افتقر أخوك و استعان بك فلا تتركه بمنزلة الغريب الساكن معك، بل وسع عليه، و إياك أن تأخذ منه ربا أو عينة، لا تقرضه بالعينة؛ وقال فى الخامس: و لا تطعموا بيت الله ربكم أجر زانية[7] و لا ثمن[8] كلب، و لا تأخذوا[9] ١٥ من إخوتكم ربا فى فضة و لا فى طعام و لا فى [شىء -[10]] بما تعانونه[11]،

(١) من ظ، و فى الأصل: بما (٢) من ظ، و فى الأصل: غيرها (٣) من ظ، و فى الأصل: الذى (٤) من ظ، و فى الأصل: بعطيتهم (٥) فى ظ: لا ياخذن. (٦) سقط من ظ (٧) من نص التوارة، وفى الأصل: زايه، و فى ظ: اخرانيه- كذا (٨) فى ظ: يمره - كذا (٩) من ظ، و فى الأصل: لا تاخذ (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ: تعاملوا به - كذا.

و أما الغريب فخذوا منه إن أحببتم ؛ فقد ثبت من توراتهم[١] النهيُ عن الربا ، و أما تخصيصه بالغريب فتبديل منهم بلا ريب ، بدليل ما قدمتُه عنها فى البقرة عند قوله تعالى[٢] " ان الذين آمنوا و الذين هادوا " من النهى عن غدر العدو ، و عند قوله تعالى[٢] « لا تعبدون[٣] الا الله » من الإحسان إلى عامة الناس لا سيما الغريب - والله الموفق .

و لما بين تعالى ما للطبوع على قلوبهم الغريقين فى الكفر من العقاب ، بين ما لنيّرى البصائر بالرسوخ فى العلم و الإيمان من الثواب فقال[٤] : ﴿ لكن الراسخون فى العلم منهم ﴾ أى [٥]الذين هيئت[٥] قلوبهم فى أصل الخلقة لقبول [العلم -[٦]] فأبعد عنها الطبع ، و جلت[٧] بالحكمة ، و رسخت[٨] بالرحمة ، فامتلأت من نور العلم[٩] ، و تمكنت بأنس الإيمان .

و لما ذكر نعت العلم المفيد لجميع الفضائل أتبعه ما نشأ عنه فقال : ﴿ و المؤمنون ﴾ [أى -[٦]] الذين هيئوا للايمان[١٠] و دخلوا فيه ، فصار لهم خلقا لازما ، منهم و من غيرهم ﴿ يؤمنون ﴾ أى يجددون ا يمان فى[١١] كل لحظة ﴿ بما انزل اليك ﴾ لأنهم أعرف الناس بأنه حق ﴿ و ما انزل من

(١) زيد بعده فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و القرآن الكريم آية ٨٣ ، و فى الأصل : لا تعبدوا (٤) من ظ ، و فى الأصل : قال (٥ - ٥) فى ظ : الذى مذبت - كذا .
(٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : جلبت (٨) فى ظ : سرحت .
(٩) زيد بعده فى ظ : فابعد عنها الطبع (١٠) من ظ ، و فى الأصل : الإيمان .
(١١) سقط من ظ .

قبلك ﴾ أى على موسى عليه الصلاة و السلام، و بسبب إيمانهم الخالص آمنوا بما أنزل على عيسى عليه الصلاة و السلام، ثم بما أنزل إليك .

و لما كانت الصلاة أعظم دعائم[1] الدين، و لذلك كانت ناهية عن الفحشاء و المنكر، نصبت على المدح من بين هذه المرفوعات إظهارا لفضلها[2] فقال تعالى: ﴿ و المقيمين الصلوٰة ﴾ أى بفعلها بجميع حدودها، و يجوز على بُعد أن يكون المقتضى لنصبها[3] جعل "لكن" بالنسبة إليها بمعنى "إلا" و تضمينها[4] لفظها، لما بينهما من التآخى، فيكون المعنى أنهم مستثنون ممن[5] أعد لهم[6] العذاب الأليم على معنى أن الله سبحانه و تعالى - [و-[7]]هو الفاعل المختار - سبق علمه بأن مقيم الصلاة بجميع حدودها لا يموت [8]كما يموت[8] كافر[9]، بل تناله بركتها فيسلم، و هذا أعظم مدح لها، و الحاصل أن "لكن" استعيرت لمعنى "إلا" بجامع أن ما بعد كل منهما مخالف فى الحكم لما قبله، كما استعيرت "إلا" لمعنى "لكن" فى الاستثناء المنقطع .

و لما كان الرجوع بما بعدها إلى الأسلوب الماضى أبين فى مدحها قال[10]: ﴿ و المؤتون الزكوٰة ﴾ و لما ذكر أنهم جمعوا إلى صلة[11] الخالق

(١) زيد بعده فى الأصل: الاسلام، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من ظ، و فى الأصل: لفظلها (٣) من ظ، و فى الأصل: لبعضها (٤) فى ظ: نصبها . (٥) فى ظ: مما (٦) فى ظ: له (٧) زيدت الواو من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من ظ، و فى الأصل: كافرا (١٠) من ظ، و فى الأصل: فقال (١١) من ظ، و فى الأصل: اصله .

الإحسانَ إلى الخلائق [1]ذكر الإيمان بانيا على عظمته مفصلا له بعض التفصيل و مشيرا إلى أن نفعه[1] كما [2]يشترط أن يكون فاتحا[2] يشترط أن يكون خاتما فقال: ﴿ و المؤمنون بالله ﴾ أى مستحضرين ما له من صفات الكمال، و ضم إليه الحاملَ[3] على كل خير و المقعد عن[4] كل شر ترغيبا و ترهيبا فقال: ﴿ و اليوم الأخر[4] ﴾ فصار الإيمان مذكورا خمس مرات، فان هذه الأوصاف لموصوف واحد عطفت بالواو[5] تفخيما لها و إشارة إلى أن وصف الرسوخ فى العلم مقتض لأنهم فى الذروة من كل وصف منها، و الاتصافُ بكل منها يتضمن الإيمان بيوم / الدين، فانه لا يمدح أحد اتصف بشىء منها عريا عن الإيمان به، ٥٥٣/ لا جرم نبه على فخامة أمرهم و علو شأنهم بأداة البعد فقال: ﴿ اولـٰئك ﴾ أى العالو [الرتبة و-[6]] الهمم، و لكون[7] السياق فى الراسخين العاملين أنهى[8] فى التأكيد بالسين لأن المكر[9] هنا أقل منه فى الأولى، و لم يعرف الأجر، و وصفه بالعظم فقال: ﴿ سنؤتيهم[4] ﴾ أى [1]بعظمتنا الباهرة بوعد لا خلف[10] فيه ﴿ اجرا عظيما ٤ ﴾.

و لما كانت هذه الأوصاف منطبقة على الأنبياء عليهم[11] الصلاة و السلام، و كان من أحوالهم الوحى، قال تعالى إبطالا لشبهتهم القائلة[12]:

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢ - ٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل. (٣) من ظ، و فى الأصل: الحاصل (٤) من ظ، و فى الأصل: على (٥) زيدت الواو بعده فى ظ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: لسكن (٨) فى الأصل: اسمى، و فى ظ: انبعى - كذا (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ: يختلف (١١) فى ظ: عليه (١٢) فى ظ: الباطلة.

لو كان نبيا أتى بكتابه جملة من السماء كما أتى موسى عليه الصلاة والسلام بالتوراة كذلك، باقرارهم بنبوة هؤلاء الأنبياء عليهم السلام مع كونهم ليس لهم تلك الصفة، و لم يكن ذلك قادحا فى نبوة أحد منهم و لا رسالته: ﴿انآ﴾ و يصح أن يكون هذا تعليلا ليؤمنون، أى إنهم آمنوا بما أنزل إليك [لأنا - ١] ﴿اوحينآ اليك كمآ﴾ أى مثل ما ﴿اوحينآ الى نوح﴾ و قد آمنوا بما[٢] به لما أتى به من المعجز الموجب للايمان من غير توقف على معجز آخر و لا غيره، لأن إثبات المدلول إنما يتوقف على ثبوت الدليل، فاذا تم الدليل كانت المطالبة بدليل آخر طلبا للزيادة و إظهارا للتعنت و اللجاج - و الله سبحانه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد.

و لما كان مقام الإيحاء - و هو الأنبياء - من قِبَل الله تعالى قال: ﴿و النبيّين من بعده﴾ أى فهم يعلمون ذلك بما لهم من الرسوخ فى العلم و طهارة الأوصاف، و لا يشكون فى أن الكل من مشكاة واحدة، مع أن هذا الكتاب أبلغ، و التعبير فيه عن المقاصد أجلى و أجمع، فهم إليه أميل، و له أقبل، و أما المطبوع على قلوبهم، الممنوعون من رسوخ العلم فيها بكثافة[٣] الحجاب، حتى أنها لا تنظر إلى أسراره إلا من وراء غشاء[٤]، فهم غير قابلين لنور العلم المتهيئ للايمان، فأسرعوا إلى الكفر، و بادروا إلى كل[٥] جرم، فهم لا يضرون إلا أنفسهم بما ينالهم من العذاب فى الدنيا بالذل و الصغار، و فى الآخرة بالسخط و النار.

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: بشانه (٤) فى ظ: غير (٥) فى ظ: حرم.

و لما أجمل تعالى ذكر النبيين فصّل فقال منبها على شرف من ذكرهم و شهرتهم: ﴿ و اوحينآ الىٓ ابرٰهيم ﴾ أى أبيكم و أبيهم كذلك ﴿ و اسمٰعيل ﴾ أى ابنه الأكبر الذى هو أبوكم دونهم ﴿ و اسحٰق ﴾ و هو ابنه الثانى و أبوهم ﴿ و يعقوب ﴾ أى ابن إسحاق ﴿ و الاسباط ﴾ أى أولاد يعقوب .

و لما أجمل بذكر الأسباط بعد تفصيل مَنْ قبلهم فصّل من بعدهم فقال: ﴿ و عيسى ﴾ أى الذى هو[1] آخرهم من ذرية يعقوب ﴿ و ايوب ﴾ و هو من ذرية عيصو بن إسحاق على ما ذكروا ﴿ و يونس و هٰرون و سليمٰن ﴾ و لما كان المقام للتعظيم بالوحى ، [2]و كان داود عليه الصلاة و السلام من أهل الكتاب قال: ﴿ و اٰتينا داود زبورا ﴾ أى و هم يدعون الإيمان به مع اعترافهم بأنه لم ينزل جملة ولا مكتوبا من السماء .

و لما تم ما اقتضاه مقام النبوة ، و كان فيهم رسل ، و كان ربما قال متعنت : إن شأن الرسل غير شأن الأنبياء فى الوحى ، قال عاطفا على ما تقديره من معنى "اوحينا": أرسلنا من شئنا[3] من هؤلاء الذين قصصناهم عليك هنا إلى من شئنا[3] من الناس: ﴿ و رسلا ﴾ أى غير هؤلاء ﴿ قد قصصنٰهم ﴾ أى تلونا ذكرهم ﴿ عليك ﴾ و لما كان القص عليه غير مستغرق للزمان الماضى قال: ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل إنزال هذه الآية ﴿ و رسلا لم نقصصهم عليك[4] ﴾ أى[4] إلى الآن .

(١) فى ظ : نفو - كذا (٢) و استأنفت من هنا نسخة مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : شا (٤) سقط من ظ .

و لما كان المراد أنه لا فرق بين النبي و الرسول فى الوحى، نبه على ذلك بقوله: ﴿ و كلم الله ﴾ أى الذى له الكمال كله، فهو يفعل ما يريد، لا أمر لأحد معه ﴿ موسى تكليما ﴾ أى [على -[1]] التدريج شيئا فشيئا بحسب المصالح من غير واسطة ملك، فلا فرق فى الوحى بين ما كان بواسطة و بين ما كان بلا واسطة، و المعنى أنكم ٥ لو كنتم إنما تتوقفون[2] عن الإيمان ببعض الأنبياء [تثبتا -[1]] لتعلموا أنه فعل به ما فعل بموسى عليه الصلاة و السلام من / الكرامة، لم تؤمنوا ٥٥٤/ بابراهيم و إسحاق و يعقوب و الأسباط و هارون[3] و غيرهم، فانه خص بالتكليم دونهم، فلِمَ جعلتم الإتيان بمثل ما أتى به موسى عليه الصلاة و السلام شرطا فى الإيمان ببعض الأنبياء دون بعض؟ و إن جعلتم الشرط الإتيان ١٠ بالكتاب جملة [و -[1]] من السماء مدعين أنه[4] كان له ذلك دون التكليم و غيره مما جعل له، كان "ذلك - على" تقدير التسليم تنزلا - تحكما و ترجيحا من غير مرجح، على أن التوراة أيضا - كما تقدم بيانه - كهذا القرآن فى إنزالها منجمة على حسب الوقائع على ما أشار إليه قوله " تكليما "، و لم يكتب منها جملة إلا اللوحان اللذان[6] وضعا فى تابوت[7] ١٥ الشهادة كما أنزل بعض سور القرآن جملة كسورة الأنعام، و ليس فى نزول موسى عليه الصلاة و السلام بهما من جبل الطور مكتوبَين دليل

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تتوفون (٣) سقط من ظ (٤) زيد بعده فى ظ: لو (٥-٥) فى ظ: على ذلك (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الذين.

على نزولها من السماء ، و يدل على ذلك كثير من نصوصها[1] أصرحها أنه تعالى حرم عليهم العمل فى السبت عقب إخراجهم من البحر عند إنزال المن - كما بين فى السفر الثانى منها - و لم يبين كيف يفعل بالعاصى فيه إلا بعد ذلك بدهر ، بدليل ما فى السفر الرابع منها فى قصة التيه :

٥ و مكث بنو إسرائيل فى البرية [و -[2]] وجدوا رجلا يحتطب حطبا يوم السبت ، فقدمه الذين وجدوه يحتطب إلى موسى و هارون و إلى الجماعة كلها ، و حبسوه فى السجن ، لأنه لم يكن أوحى إلى موسى كيف يصنع به؟ فقال الرب لموسى : يقتل هذا الرجل ، يرجم بالحجارة خارجا من العسكر ، و رجمه الجماعة كلها بالحجارة و مات - كما أمر الرب موسى ؛ و منها أنه أمرهم - كما بين

١٠ فى السفر الثانى - بنصب قبة الزمان التى كانوا يصلون إليها ، و يسمع موسى الكلام منها ، ثم بعد ذلك بمدة أمرهم - كما بين فى السفر الرابع - بالزيادة فيها ؛ و منها أنه كتب له الألواح[3] فى الطور : اللوحين اللذين[4] كسرهما غضبا من اتخاذهم العجل ، ثم لوحين عوضا عنهما ، ثم لما نصبت قبة الزمان صار سبحانه و تعالى يكلمه منها ، و غالب أحكامهم[5] إنما شرعت بالكلام

١٥ الذى كان فى قبة الزمان - كما هو فى غاية الوضوح فى التوراة ؛ و منها ما قال فى أواخر السفر الخامس و هو آخرها : فلما أكمل موسى كتاب آيات هذه التوراة فى السفر و فرغ منها ، أمر موسى الأحبار الذين يحملون تابوت عهد الرب و قال لهم : خذوا سفر هذه السنن[6] و اجعلوه

(١) فى ظ : خصوصها (٢) زيدت الواو من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الالوح (٤) فى ظ : الذين (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : احكامها . (٦) فى ظ : السين .

فى جوف تابوت عهد الله ربكم فى جانب من جوانبه، ليكون هناك شاهدا، لأنى[1] قد عرفت جفاءكم و قساوة قلوبكم و ما تصيرون[2] إليه، و كيف لا يكون[3] ذلك و قد أغضبتم الرب و أنا حى معكم؟ فمن بعد موتى أحرى أن تفعلوا ذلك، فليجتمع إلىّ أشياخ أسباطكم و كتّابكم فأتلو عليهم هذه الأقوال، و لأشهد[4] عليهم السماء و الأرض، لأنكم مفسدون[5] من بعد وفاتى، تحيدون[6] عن الطريق الذى آمركم به، شر شديد فى آخر الأيام [7]إذا عملتم[7] السيئات[8] بين يدى الرب، و أغضبتموه بأعمال أيديكم؛ و قال موسى بين يدى جماعة بنى إسرائيل: أنصتى أيتها السماء فأتكلم، و لتسمع الأرض النطق من فىّ - و قال كلاما كثيرا فى ذمهم أذكره إن شاء الله تعالى فى المائدة عند "من لعنه الله و غضب عليه[9]"، [10]ثم قال[10]: يقول الله: أسخطونى مع الغرباء بأوثانهم، و أغضبونى حين ذبحوا للشياطين[11] - و مضى يتكلم من كلام الله الذى هو من أحسن التوراة إلى أن قال: فلما أكمل موسى هذه الآيات كلها لبنى إسرائيل قال لهم: أقبلوا[12] بقلوبكم إلى هذه الأقوال؛ ثم قال: و كلم الرب موسى ذلك اليوم و قال:

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الى - كذا (٢) فى ظ: تضرون (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لا تكون (٤) فى ظ: لاسهل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: مقيدون (٦) من مد، و فى الأصل: محيدون، و فى ظ: عذرون - كذا (٧-٧) من مد، و فى الأصل: اذا علمتم، و سقط من ظ (٨) فى ظ: للساب. (٩) آية ٦٠ (١٠-١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: قال ثم (١١) من مد، و فى الأصل: للشيطان، و فى ظ: الشياطين (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اقتلوا.

اصعد إلى جبل العبرانيين ، هذا جبل نابو[1] الذى فى أرض مواب[2] حيال إيريحا ، و انظر[3] إلى أرض كنعان التى أعطى بنى إسرائيل ميراثا - و ذكر بعد / ذلك كلاما طويلا فيها كلها[4] لمن يتأملها كثير مما هو ظاهر فى ذلك ، بل صريح ، و فى قصة نوح و إبراهيم عليهما الصلاة و السلام ما هو صريح فى أن الإيحاء إليهما كان منجما - كما مضى عنهما فى قصة [إبراهيم عليه السلام فى البقرة ، و يأتى إن شاء الله تعالى فى ذكر الأخبار فى الأعراف و فى قصة -[5]] نوح عليه الصلاة و السلام فى سورة هود - و الله الموفق ، و قد ابتدأ سبحانه فى هذه الآية بنوح عليه الصلاة و السلام أول أولى العزم [و - [5]] أصحاب الشرائع وجودا ، و هو من أوائل[6] الأنبياء ، و زمانه فى القدم بحيث لا يعلم مقداره على الحقيقة إلا الله تعالى ، ثم ثنى بثانيهم فى الوجود و هو[7] إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، ثم ذكر أولاده على ترتيبهم ، و الأسباط يحتمل أن يراد بهم أولاد يعقوب عليه الصلاة و السلام أنفسهم و قبائلهم ، و يكون المعنى حينئذ : و أنبياء الأسباط ، و يكون مما استعمل فى حقيقته و مجازه ، و يكون شاملا لجميع[8] أنبياء بنى إسرائيل ، ثم صرح ببعض من دخل منهم فى العموم فبدأهم[9] بآخرهم بعثا

/٥٥٥

(١) من التوراة ، و فى الأصل : بانوا ، و فى ظ : ، مانو ، و لا يتضح فى مد .
(٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : موات (٣) فى ظ : انظروا (٤) سقط من ظ .
(٥) زيد مابين الحاجزين من ظ و مد (٦) فى ظ و مد : اول (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجمع - كذا (٩) فى ظ : فبدا بهم .

و هو عيسى عليه الصلاة و السلام الذى هو أحد نبى أهل الكتابين ، و ختم الآية بأحد[1] أصحاب الكتب منهم ، و هو جده المشهور بالنسبة إليه ، فان اليهود يقولون لعيسى عليه الصلاة و السلام: يا ابن داود[2]! لأن أمه من ذريته، و ختم الآية بأول نبى أهل الكتابين موسى عليه الصلاة و السلام الذى [3]آخر آجرّ تبنى[3] على الإسلام ، فانتقله[4] المنتمون إلى أتباعه ، و وسّط أخاه ٥ هارون عليه الصلاة و السلام بين اثنين من أهل البلاء : أيوب و يونس ، و اثنين من أهل الملك - و أحدهم[5] صاحب كتاب - و هما[6] سليمان و داود ؛ و كل ذلك إشارة إلى أنه لا فرق فى كيفية الإيحاء بحوما إلى الأنبياء بين متقدمهم و متأخرهم ، سواء كان من بنى إسرائيل أو من غيرهم ، و سواء منهم من أوتى الملك و من لم يؤته ، و من أتى[7] بكتاب و من لم يأت ؛ ١٠ و من لطائف هذا الترتيب أن المخصوصين بالذكر فى الآية الأولى بعد دخولهم فى العموم أحد عشر أسماء . الأسباط أحدها ، و المشهور بالكتب و الصحف منهم ثلاثة : إبراهيم و عيسى و داود ، و قد وقع كل منهم سادسا لصاحبه ، و هو العد[8] الذى كان فيه الخلق ، فلعل ذلك إشارة إلى أن الله لا يحب العجلة ، فكما أنه لم يعجل فى إنشاء الخلق ، فكذلك[9] ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بحسب - كذا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل: ادم (٣ - ٣) من ظ ، و فى الأصل : به تبنى ، و فى مد : آخر تبنى - كذا . (٤) من ظ ، و فى الأصل : وانظر ، و لا يتضح فى مد (٥) فى ظ : آخرهم . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم (٧) فى ظ : اوتى (٨) فى ظ : الغد . (٩) فى ظ : فلذلك .

لم يعجل بانزال الكتب التى بها قوامهم[1] و بقاؤهم دفعة ، بل أنزلها منجمة تبعا لمصالحهم و تثبيتا لدعائمهم ، و من لطائفه أنه تعالى بدأ المذكورين ، و ختمهم باثنين من أولى العزم اشتركا فى أن كلا منهما أهلك من عانده كنفس واحدة بالإغراء ، ترهيبا لهؤلاء الملبسين على أهل الإسلام بالباطل المدعين[2] أنهم أتباع ، و وسّط بينهم و بين بقية المسمين[3] عموم النبيين و المرسلين ، و لعله آخر الرسل ليفهم [4]أن كل[4] من عطفوا عليه مرسل ، و لأن رتبة النبوة قبل رتبة الرسالة ، بمعنى أنها أعم منها .

و لما سرد[5] أسماء من دخل فى العموم بدأهم بأشرفهم ثم بالأقرب إلى هذا النبي الكريم فالأقرب من المرتبين[6] على حسب ترتيب الوجود ، إشارة إلى أنه سن به فى الوحى سنة آبائه[7] و إخوانهم و ذرياتهم - والله أعلم .

و لما كان معظم رسالة نبينا صلى الله عليه و سلم بشارة و نذارة ، قال مبينا أنهم مثله فى ذلك كما كانوا قبله فى الوحى ، لأن المقصود من الإرسال لجميع الرسل جمع الخلق بالبشارة و النذارة : ﴿ رسلا ﴾ أى جعلناهم رسلا ، و يجوز أن يكون بدلا من "رسلا" الماضى ، و أن يكون حالا ، حال كونهم ﴿ مبشرين و منذرين ﴾ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ لئلا يكون ﴾ أى لينتفى[8] أن يوجد ﴿ للناس ﴾ أى نوع مَنْ فيه قوة النوس[9] .

(١) فى ظ : اقوالهم (٢) فى ظ : المدعنين (٣) فى ظ : الملتبسين (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه كلا (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : سره (٦) من مد ، و فى الأصل : المرسلين ، و فى ظ : المرتبتين - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : آبايهم (٨) فى ظ : لينبغى (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : البوس .

و لما كانت الحجة قد تطلق على مطلق العذر[1] و لو كان مردودا، عبّر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿ على الله حجة ﴾ أى واجبة القبول على الملك الذى اختص / بجميع صفات الكمال فى أن لا يعذب عصاتهم؛ /٥٥٦ و لما كان المراد استغراق النفى لجميع الزمان المتعقب للارسال أسقط الجار[2] فقال: ﴿ بعد ﴾ أى انتفى ذلك انتفاء مستغرقا لجميع الزمان الذى ٥ يوجد بعد إرسال ﴿الرسل[3]﴾ و تبليغهم للناس، و ذلك على [3]أن وجوب[3] معرفته تعالى إنما يثبت[4] بالسمع، و أما نفس المعرفة و النظر و التوحيد فطريقها العقل، [5]فالمعرفة متلقاة[5] من العقل، و الوجوب[6] متلقى[7] من الشرع و النقل.

و لما كان ذلك ربما أوهم أنه ربما امتنع عليه قبل ذلك سبحانه[8] ١٠ أخذٌ بحجة أو غيرها، قال مزيلا لذلك: ﴿ و كان الله ﴾ أى المستجمع لصفات العظمة ﴿ عزيزا ﴾ أى يغلب كل شىء و لا يغلبه شىء، فهو قادر على ما طلبوه، و لكنه لا يجب عليه[9] [شىء-[10]]، لأنه على سبيل اللجاج و هم[11] غير معجزين ﴿ حكيما ﴾ أى يضع الأشياء فى أتقن مواضعها، فلذلك رتب أمورا لا يكون[12]معها لأحد حجة[12] و من حكمته ١٥ أنه لا يجيب المتعنت.

---

(١) فى ظ: القدر (٢) من مد، وفى الأصل وظ: الجارة (٣-٣) من ظ ومد، و فى الأصل: الوجوب (٤) من مد، و فى الأصل: تثبت، و فى ظ: نثبت. (٥-٥) فى ظ: بالمعرفة ملقاه (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: الوجود (٧) فى ظ: يتلقى (٨) زيد فى ظ: أنه (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: اليه (١٠) زيد من ظ ومد (١١) فى ظ: هو (١٢-١٢) فى ظ: لاحد معها.

و لما لم يبق سبحانه لهم شبهة، و استمروا على عنادهم، أشار تعالى إلى ما تقديره: إنهم لا يشهدون لك[1] عند اتضاح الأمر، فقال: ﴿لكن﴾ [2]أى و مع ما قام من البراهين على صدقك و كون كتابك من عند الله فهم لا يشهدون بذلك[2] [لكن -[3]] ﴿الله﴾ أى الذى له الأمر كله ٥ فلا كفوء له ﴿يشهد﴾ أى لك ﴿بما انزل اليك﴾ [2]أى من[2] هذا الكتاب المعجز الذى قد[4] أخرس الفصحاء و أبكم البلغاء، و فيه هذه الأحكام الصادقة لما عندهم و هم يريدون الإضلال عنها، فشهادته[5] ببلاغته و حكمته بصدق الآتى به هى شهادة الله لأنه قائله، و لذلك علل بقوله: ﴿انزله بعلمه﴾ أى عالما بانزاله على الوجه المعجز مع كثرة المعارض ١٠ فلم يقدر [أحد و لا يقدر -[6]] على إحداث شىء فيه من تغيير[7] و لا تبديل و لا زيادة و لا نقصان و لا معارضة ﴿و الملئكة﴾ أيضا ﴿يشهدون[1]﴾ بذلك لأنهم كانوا [8]حضورا لإنزاله[8] و أمناء على من كان منهم على يده ليبلغه[9] - كما قال تعالى "فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالت ربهم[10]" و هذا خطاب ١٥ للعباد على حسب ما يعرفون.

(١) فى ظ: ذلك (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لشهادته (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ: مغير (٨ - ٨) فى ظ: حضور كذلك (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لتبليغه (١٠) سورة ٧٢ آية ٢٧ و ٢٨.

و لما

و لما كان ربما أفهم نقصا نفاه بقوله: ﴿ و كفى بالله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ شهيدا ﴾ أى و كفى بشهادته[1] فى ذلك شهادة عن شهادة غيره، و ذلك لأنه أنزله سبحانه شاهدا بشهادته ناطقا بها لإعجازه بنظمه و بما[2] فيه من علمه من الحِكَم و الأحكام و موافقة كتب أهل الكتاب، فشهادته[3] بذلك هى[4] شهادة الله، و هى لعمرى لا تحتاج إلى شهادة أحد غيره.

و لما بين سبحانه أنه أقام الأدلة على صحته بالمعجزات، فصار كأنه شهد بحقيقته، كان أنفع الأشياء اتباع ذلك بوصف من جحده[5] فى نفسه و صد عنه غيره زجرا عن مثل حاله و تقبيحا لما أبدى من ضلاله فقال: ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما عندهم من العلم بصدقه بما دل عليه [6]من شاهد[6] العقل و قاطع النقل، من اليهود و غيرهم ﴿ و صدوا عن سبيل الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى[7] لا أمر[7] لأحد معه بأنفسهم و باضلال غيرهم بما يلقونه[8] من الشبه من مثل هذه و قولهم كذبا: إن فى التوراة أن شريعة موسى عليه الصلاة و السلام لا تنسخ، و قولهم: إن الأنبياء لا يكونون إلا من أبناء هارون و داود عليهما الصلاة و السلام ﴿ قد ضلوا ﴾ أى عن الطريق الموصل إلى مقصودهم فى حسده و منع

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: بشهادة (٢) فى ظ: ما (٣) فى ظ: بشهادته.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: جحد.
(٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل: شاهد من (٧ - ٧) فى ظ: لامر (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: تلقونه.

ما يراد من إعلائه ﴿ ضلالا بعيدا ﴾ أى لأن أشد الناس ضلالا مبطل يعتقد أنه محق ، ثم يحمل غيره على مثل باطله ، فصاروا بحيث لا يرجى لهم الرجوع إلى الطريق النافع ، لا سيما إن ضم[1] إلى ذلك الحسد ، لأن داء الحسد أدوأ داء ؛ ثم علل إغراقهم فى الضلال باضلاله لهم[2] لتماديهم فيما تدعو إليه نقيصة النفس من الظلم بقوله وعيدا لهم : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما عندهم من نور العقل ﴿ و ظلموا ﴾ أى فعلوا /الحسدهم[3] فعلَ الماشي فى الظلام باعراضهم و إضلالهم غيرهم ﴿ لم يكن الله ﴾ /٥٥٧ أى بجلاله ﴿ ليغفر لهم ﴾ أى لظلمهم ﴿ و لا ليهديهم طريقا ﴾ أى لتضييعهم ما أتاهم من نور العقل و منابذتهم ؛ [ثم -[4]] تهكم بهم بقوله : ﴿ الا طريق جهنم ﴾ أى بما تجهموا مَنْ[5] ظلموه[6] .

و لما كان المعنى : فانه يسكنهم[7] إياها ، قال : ﴿ خلدين فيها ﴾ أى لأن الله لا يغفر[8] الشرك ، و أكد ذلك بقوله : ﴿ ابدا ﴾ و لما كان ذلك مع ما لهم من العقول أمرا عجيبا قال تعالى : ﴿ و كان ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من كفرهم و ضلالهم و عذابهم ﴿ على الله يسيرا ﴾ [أي -[9]] لأنه قادر على كل شىء .

و لما وضح بالحجاج معهم الحق ، و استبان بمحو شبههم كلها من[2] وجوه كثيرة الرشدُ ، و أوضح فساد طرقهم ، و أبلغ فى وعيدهم ؛ أنتج

(١) فى ظ : حكم (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : بحسدهم (٤) زيد من ظ و مد .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمن (٦) فى ظ : ظلموا (٧) فى ظ : يسئلهم .
(٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا يغفرك (٩) زيد من ظ .

ذلك صدق الرسول و حقيقة ما يقول، فأذعنت النفوس. فكان أنسب الأشياء أن عمم[1] سبحانه فى الخطاب لما وجب من اتباعه على وجه العموم عند بيان السبيل و نهوض الدليل، فقال مرغبا [مرهبا -[2]]: ﴿ يآيها الناس ﴾ أى كافة ﴿ قد جآءكم الرسول ﴾ أى الكامل فى الرسلية[3] الذى كان ينتظره أهل الكتاب لرفع الارتياب[4] ملتبسا ٥ ﴿ بالحق ﴾ أى الذى يطابقه[5] الواقع، و ستنظرون الوقائع فتطبقونها على ما سبق فيها من الأخبار، كائنا ذلك الحق ﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم، فان اتبعتم رسوله قبلتم إحسانه، فتمت نعمته عليكم، و لهذا سبب عن ذلك قوله: ﴿ فآمنوا ﴾.

و لما كان التقدير بما أرشد إليه السياق توعدا لهم: إن تؤمنوا ١٠ يكن الإيمان ﴿ خيرا لكم[1] ﴾، عطف عليه قوله: ﴿ و ان تكفروا ﴾ أى تستمروا على كفرانكم، أو تجددوا كفرا، يكن الكفران شرا لكم، أى خاصا ذلك الشر[6] بكم، و لا يضره من ذلك شىء، و لا ينقصه من ملكه شيئا، كما أن الإيمان لم ينفعه شيئا و لا زاد فى ملكه شيئا، لأن له الغنى المطلق، و هذا معنى قوله: ﴿ فان لله ﴾ أى الكامل العظمة ١٥ ﴿ ما فى السمٰوٰت و الارض[1] ﴾ فانه من إقامة العلة مقام المعلول، و لم يؤكد بتكرير "ما" و إن كان الخطاب مع المضطربين[7]، لأن

(١) فى الأصول: عم (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: الرسالة (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: الارتباط (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: لا يطابقه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الشيخ (٧) فى ظ: المضطرين.

قيام الأدلة أوصل [١]إلى حد[١] من الوضوح[٢] بشهادة الله [ما - [٣]] لا مزيد عليه، فصار المدلول به[٤] كالمحسوس.

و لما كان التقدير: فهو[٥] غنى عنكم، و [له -[٦]] عبيد غيركم لا يعصونه[٧]، و هو قادر على تعذيبكم باسقاط ما أراد من السماء، و خسف ما أراد من الأرض و غير ذلك، وكان تنعيم المؤالف و تعذيب المخالف و تلقى النصيحة بالقبول دائرا على العلم و على الحكمة التى هى نتيجة العلم و القدرة قال: ﴿و كان الله﴾ أى [الذى -[٦]] له الاختصاص التام بجميع صفات الكمال أزلا و أبدا مع أن له جميع الملك ﴿عليما﴾ أى فلا يسع ذا لب أن يعدل عما أخبر به من أن أمر هذا الرسول حق إذ[٨] هو[٩] لم يخبر به إلا عن تمام العلم، و لا يخفى عليه عاص و لا مطيع[٩] ﴿حكيما﴾ فلا ينبغى لعاقل أن يضيع شيئا من أوامره لأنه لم يضعها إلا على كمال الإحكام، فهو جدير بأن يحل[١٠] بمخالفه[١١] أى انتقام[١٢]، و يثيب[١٣] من أطاعه بكل إنعام.

و لما اقتضى السياق الأكمل فيما سبق إتمام أمر عيسى عليه الصلاة

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: الوضوع (٣) زيد كى تستقيم العبارة (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: وهو (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يعصون (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: اذا. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يطيع (١٠) زيد بعده فى ظ: اى (١١) من مد، و فى الأصل: بمخالفته، و فى ظ: لمخالفة (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الانتقام (١٣) من مد، و فى الأصل: ينبت، و فى ظ: تتيب.

و السلام

و السلام إذ كان الكلام فى بيان عظيم جرأتهم و جفاءهم، و كان[1] ما فعلوا معه أدل دليل على ذلك، و كان كل من أعدائه و أحبابه قد ضل فى أمره، و غلا فى شأنه اليهود بخفضه، و النصارى برفعه؛ اقتضى قانون العلم و الحكمة المشار إليهما بختام الآية السالفة بيان ما هو الحق من شأنه و دعاء الفريقين [إليه -[2]] فقال: ﴿ يآهل الكتب ﴾ [أى -[2]] عامة ٥ ﴿ لا تغلوا فى دينكم ﴾ أى لا تفرطوا فى أمره، فتجاوزوا بسببه حدود[3] الشرع و قوانين العقل ﴿ و لا تقولوا على الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له شيئا من القول ﴿ الا الحق[4] ﴾ أى الذى يطابقه الواقع، فمن قال عن عيسى عليه الصلاة و السلام أنه لغير رشدة، فقد أغرق فى الباطل، فانه لو كان كذلك ما وقفت أمه للدوام على الطاعات، و لا ظهرت ١٠ عليها عجائب الكرامات، و لا تكلم هو فى المهد، و لا ظهرت على لسانه / ينابيع الحكمة، و لا قدر على إحياء الموتى، و ذلك متضمن لأن الله تعالى / ٥٥٨ العليم الحكيم أظهر[4] المعجزات على يد من لا يحبه، و ذلك مناف للحكمة، فهو كذب على الله بعيد عن تنزيهه، و من قال: إنه الله أو ابن الله، فهو أبطل و أبطل، فانه لو كان كذلك لما كان حادثا و لما احتاج إلى الطعام ١٥ و الشراب و ما ينشأ عنهما، و لا قدر أحد على أذاه و لثبتت الحاجة إلى الصاحبة للإلٰهة، فلم يصلح للإلٰهية، و ذلك أبطل الباطل.

و لما ادعى اليهود أنه غير رسول، و النصارى أنه إلٰه، حسن تعقيبه بقوله: ﴿ انما المسيح ﴾ أى المبارك الذى هو أهل لأن يمسحه[5] الإمام

(١) فى ظ: كانوا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اعظم (٥) من ظ و مد؛ و فى الأصل: يمحسه.

بدهن القدس ، لما فيه من صلاحية الإمامة ، و هو أهل [أيضا - [١]] لأن يمسح الناس و يطهرهم . لما له من الكرامة ؛ و لما ابتدأ سبحانه بوصفه الأشهر ، و كان [قد - [١]] يوصف به غيره بينه بقوله : ﴿ عيسى ﴾ ثم أخبر عنه بقوله : ﴿ ابن مريم ﴾ اتصل بها اتصال[٢] الأولاد بأمهاتهم ، لا يصح نسبته للبنوة[٣] إلى غيرها ، و ليس هو الله و لا ابن الله - كما زعم النصارى ﴿ رسول الله ﴾ لا أنه لغير رشدة - كما كذب[٤] اليهود .

و لما كان تكوّنه بكلمة الله من غير واسطة ذكر ، جعل نفس[٥] الكلمة فقال : ﴿ و كلمته ج ﴾ لأنه كان بها من غير تسبب عن أب بل ، كونا خارقا للعوائد ﴿ ألقها ﴾ أى أوصلها على [علو - [١]] أمره و عظيم قدرته إيصالا سريعا ﴿ الى مريم ﴾ و حصلها[٦] فيها ، و زاده[٧] تشريفا بقوله : ﴿ و روح ﴾ أى عظيمة نفخها فيما تكوّن[٨] فى مريم من الجسد الذى قام بالكلمة ، لا بمادة من ذكر ، و الروح هو[٩] النفخ فى لسان العرب ، و هو كالريح[١٠] إلا أنه أقوى ، بما له من الواو و الحركة المجانسة لها ، و لغلبة الروح عليه كان يحيي الموتى إذا أراد ، و أكمل شرفه بقوله : ﴿ منه ذ ﴾ أى[١١] و إن كان جبرئيل هو النافخ ، و إذا وصف شيء بغاية الطهارة قيل[١٢]: روح ، لا سيما إن كان به حياة فى دين أو بدن .

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : اتصالا (٣) فى ظ : بالنبوة (٤) فى ظ ومد: كذبت (٥) زيد بعده فى ظ : كل (٦) فى ظ : حصل (٧) فى ظ : ازده - كذا (٨) فى ظ : يكون (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (١٠) فى ظ : كالقريح (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ : قتل - كذا .

و لما أفصح بهذا الحق سبب عنه قوله : ﴿ فآمنوا بالله ﴾ أى الذى لا يعجزه شىء، و لا يحتاج إلى شىء ﴿ و رسله ج ﴾ أى عيسى عليه الصلاة و السلام و غيره عامة ، من غير إفراط و لا تفريط ، و لا تؤمنوا ببعض و لا تكفروا ببعض ، فان ذلك حقا هو الكفر الكامل - كما مر .

و لما أمرهم باثبات الحق [نهاهم - ١] عن التلبس بالباطل فقال : ٥ ﴿ و لا تقولوا ﴾ أى فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ ثلثة ٤ ﴾ أى استمروا أيها ٢ اليهود على التكذيب بما يقول فيه النصارى ، و لا تقولوا ٣ : إنه متولد من أب و أم لغير رشدة - المقتضى للتثليث ، و ارجعوا أيها النصارى عن التثليث الذى تريدون به أن الإله بثلاثة و إن ضممتم ٤ إليه أنه إله واحد ، لأن ذلك بديهى البطلان ، فالحاصل أنه نهى كلا ١٠ عن التثليث و إن كان المرادان به مختلفين ، و إنما العدل فيه أنه ابن مريم ، فهما اثنان لا غير ، و هو عبد الله و رسوله و كلمته و روح منه .

و لما نهاهم عن ذلك بصيغة النهى صرح به فى مادته مرغبا [مرهبا - ١] فى صيغة الأمر بقوله : ﴿ انتهوا ﴾ أى عن التثليث الذى نسبتموه ٥ إلى الله بسببه ، و عن كل كفر ، و قد أرشد سياق التهديد إلى أن التقدير : ١٥ إن تنتهوا يكن الانتهاء ﴿ خيرا ٦ لكم ٤ ﴾ .

و لما نفى أن يكون هو الله ٧ ، كما تضمن قولهم ، حصر القول فيه سبحانه فى ضد ذلك ، كما فعل فى عيسى عليه الصلاة و السلام فقال :

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لا يقولوا (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : ضمتهم (٥) فى ظ : نهيتموه (٦) فى ظ : خير (٧) زيدت الواو بعده فى ظ .

﴿ انما الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ؛ و لما كان النزاع إنما هو فى الوحدانية من حيث الإلهية ، لا من حيث الذات قال : ﴿ اله واحد[١] ﴾ أى لا تعدد فيه بوجه .

و لما كان المقام عظيما زاد فى تقريره ، فنزهه[١] عما قالوه فقال :

٥ ﴿ سبحنه ﴾ أى تنزه و[٢]بعد بعدا[٢] عظيما و علا علوا كبيرا[٣] ﴿ ان ﴾ أى عن أن ﴿ يكون[٤] له ولد ﴾ أى كما قلتم أيها النصارى ! فان ذلك يقتضى الحاجة ، و يقتضى[٥] التركيب و المجانسة ، فلا يكون واحدا ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ له ﴾ أى لأنه إله واحد لا شريك له [له -[٦]]

/٥٥٩ ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ / و أكد لأن المقام له فقال : ﴿ و ما فى الارض[٦] ﴾

١٠ أى خلقا و مِلكا [و مُلكا -[٦]] ، فلا يتصور أن يحتاج إلى شىء منهما[٧] و لا إلى شىء متحيّز فيهما ، و لا يصح بوجه أن يكون بعض ما يملكه المالك جزءا منه و ولدا له ، و عيسى و أمه عليهما الصلاة و السلام من ذلك ، و كل منهما محتاج إلى ما فى الوجود .

و لما كان معنى ذلك أنه الذى دبّرهما[٨] و ما فيهما ، لأن الأرض

١٥ فى السماء ، و كل سماء فى التى فوقها ، و السابعة فى الكرسى ، و الكرسى فى العرش ، و هو ذو العرش العظيم لا نزاع فى ذلك ، و ذلك هو وظيفة الوكيل

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : متنزهة - كذا (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : بعده فدا ، وفى ظ : بعده حدا - كذا - (٣) من مد ، وفى الأصل وظ : كثيرا . (٤) تقدم فى الأصل على « اى عن » و الترتيب من ظ و مد (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : تقتضى (٦) زيد من مد (٧) زيد بعده فى ظ : الى (٨) فى ظ : دبر ما .

بالحقيقة

[1] بالحقيقة ليكفى[1] من وكله كل[2] ما يهمه؛ كان[2] كأنه قيل: و هو الوكيل فيهما و فى كل ما فيهما فى[3] تدبير مصالحكم، فبنى عليه قوله: ﴿ وكفى بالله ﴾ أى الذى أحاط بكل شىء علما و قدرة ﴿ وكيلا ﴾ أى يحتاج إليه كل شىء، و لا يحتاج هو[2] إلى شىء، و إلا لما كان كافيا.

و لما كان الوكيل من يقوم مقام الموكل، و يفعل ما يعجز عنه الموكل، و كان الله[2] تعالى لا يعجزه شىء، و لا يحتاج إلى شىء، و كان عيسى عليه الصلاة و السلام لا يدّعى القدرة على شىء إلا بالله، و كان يحتاج إلى النوم و إلى الأكل و الشرب و إلى[4] ما يستلزمانه، صح أنه عبد الله فقال سبحانه دالا على ذلك: ﴿ لن يستنكف ﴾ أى يطلب و يريد أن يمتنع و يأبى[5] و يستحيى[6] و يأنف و يستكبر ﴿ المسيح ﴾ أى الذى [ادعوا -[7]] فيه الإلهية، و أنفوا له من العبودية لكونه خلق من غير ذكر، و لكونه أيضا يخبر ببعض[8] المغيبات، و يحيى بعض الأموات، و يأتى بخوارق العادات ﴿ ان ﴾ أى من أن ﴿ يكون عبدا لله ﴾ أى الملك الأعظم الذى عيسى عليه الصلاة و السلام من جملة مخلوقاته، فانه من جنس البشر فى الجملة و إن كان خلقه خارقا لعادة البشر ﴿ ولا الملئكة ﴾ أى الذين[9] هم أعجب خلقا [منه فى كونهم ليسوا من ذكر و لا أنثى

(١-١) فى ظ: الحقيقة لتكفى (٢) سقط من ظ (٣) من مد، وفى الأصل و ظ: من (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ياتى (٦) فى مد: يتنحى (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) فى ظ: بعض (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى.

و لا ما يجانس عنصر البشر، فكانوا لذلك أعجب خلقا - [1]] من آدم عليه الصلاة و السلام أيضا، و هم لا يستنكفون بذلك عن أن يكونوا عبادا لله .

و لما كان التقريب مقتضيا فى الأغلب للاستحقاق، و كان صفة عامة للملائكة[2] قال: ﴿ المقربون[1] ﴾ أى الذين هم فى حضرة القدس[3]، فهم أجدر بعلم المغيبات و إظهار الكرامات، و جبرئيل الذى هو أحدهم كان سببا فى حياة عيسى عليه الصلاة و السلام، و قد ادعى بعض الناس فيهم الإلهية أيضا، و بهذا طاح استدلال المعتزلة بهذه الآية على أفضلية الملك على البشر بأن العادة فى مثل هذا السياق[4] الترقى من الأدنى إلى الأعلى بعد تسليم مدعاهم، لكن فى الخلق لا فى المخلوق .

و لما أخبر تعالى عن خلص عباده بالتشرف بعبوديته أخبر عمن يأبى ذلك، فقال مهددا محذرا موعدا: ﴿ و من يستنكف ﴾ أى من الموجودات كلهم ﴿ عن عبادته ﴾ و لما كان الاستنكاف قد يكون بمعنى[5] مجرد الامتناع لا كبرا، قال مبينا للمراد من معناه هنا: ﴿ و يستكبر ﴾ أى يطلب الكبر عن ذلك و يوجده[6]، لأن مجرد الامتناع لا يستلزمه.

و لما كان الحشر عاما للمستكبر و غيره كان الضمير فى ﴿ فسيحشرهم ﴾ عائدا على العباد المشار إليهم بعبداً و عبادته[7]، و لا يستحسن[8] عوده على «مَنْ»، لأن التفصيل يأباه، و التقدير حينئذ: فسيذلهم لأنه سيحشر العباد

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الملائكة (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) فى ظ: لمعنى (٦) فى ظ: توجد (٧) من ظ، و فى الأصل و مد: عبادة (٨) فى ظ: لا تحسن .

﴿ اليه جميعا ﴾ أى المستكبرين و غيرهم بوعد لا خلف فيه لأن الكل يموتون، و من مات كان مخلوقا محدثا قطعا، و من كان مقدورا على ابتدائه و إفنائه كانت القدرة على إعادته أولى، و الحشر: الجمع بكره.

و لما [1]عم بالحشر[1] المستكبرين و غيرهم جاء التفصيل إلى القسمين فقال: ﴿فاما الذين امنوا﴾ أى أذعنوا لله تعالى و خضعوا له ﴿و عملوا الصلحت﴾ تصديقا لإقرارهم بالإيمان ﴿فيوفيهم اجورهم﴾ أى التى جرت العادات[2] بينكم أن يُعطَوها و إن كانوا فى الحقيقة لا يستحقونها، لأن الله تعالى هو الذى وفقهم لها، [فهى -[3]] فضل منه عليهم ﴿و يزيدهم﴾ أى بعد ما قضيت به العادات ﴿من فضله[4]﴾ أى شيئا لا يدخل تحت الحصر لأنه ذو الفضل العظيم ﴿ واما الذين استنكفوا / و استكبروا﴾ أى طلبوا كلا من الإباء و الكبر ﴿فيعذبهم عذابا اليما﴾ / ٥٦٠ أى بما وجدوا من لذاذة الترفع[4] و الكبر، وآلموا بذلك أولياء الله ﴿ و لا يجدون لهم ﴾ أى حالا و لا مآلا ﴿ من دون الله ﴾ الذى لا أمر لأحد معه ﴿ وليا ﴾ أى قريبا يصنع معهم ما يصنع القريب ﴿ و لا نصيرا ﴾ أى و إن كان بعيدا، و فى هذا أتم زاجر[5] عما قصده المنافقون من موالاة أهل الكتاب، و أعظم نافٍ لما منّوهم[6] إياه بما لهم[7] [و -[8]] زعموا من المنزلة عند الله، المقتضية لأن يقربوا

(١-١) فى ظ: اعم بالخبر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: العادة (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الترافع (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: زاجرا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يمنوهم (٧) فى ظ: لم (٨) زيدت الواو كى تستقيم العبارة.

من شاؤا ، و يبعدوا من شاؤا ، و هو من أنسب الأشياء لختام أول الآيات المحذرة منهم " [١]و كفى بالله وليا[١] و كفى بالله نصيرا " .

و لما أزاح شبه جميع المخالفين من سائر الفرق: اليهود و النصارى و المنافقين[٢]، و أقام الحجة عليهم[٣]، و أقام الأدلة القاطعة على حشر[٤] جميع المخلوقات ، فثبت أنهم كلهم عبيده ؛ عمّ فى الإرشاد لطفا منه بهم فقال: ﴿ يـٰأيها الناس ﴾ أى[٣] كافة أهل الكتاب و غيرهم .

و لما كان السامع جديرا بأن يكون قد شرح صدرا بقواطع[٥] الأدلة بكلام وجيز جامع قال: ﴿قد جآءكم برهان ﴾ أى حجة نيّرة واضحة مفيدة لليقين التام ، و هو رسول مؤيد بالأدلة القاطعة من المعجزات و غيرها ﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بارساله[٦] الذى لم تروا قط إحسانا إلا منه .

و [لما -[٧]] كان القرآن صفة الرحمن[٨] أتى بمظهر العظمة فقال: ﴿و انزلنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة و القدرة و العلم و الحكمة على الرسول الموصوف ، منتهيا ﴿ اليكم نورا مبينا ه ﴾ أى واضحاً فى نفسه موضحا لغيره ، و هو هذا القرآن الجامع باعجازه و حسن بيانه بين تحقيق النقل و تبصير العقل ، فلم يبق لأحد من المدعوّين به نوع عذر ، و الحاصل أنه سبحانه لما خلق[٩] للآدمى عقلا[٩] و أسكنه نورا لا يضل و لا يميل مهما جرد ،

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المنافقون.
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : خير (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقواطع .
(٦) فى ظ : بإحسان (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الرحمة (٩ - ٩) من ظ و مد ، و فى الأصل: الادمى عقل .

و لكنه

و لكنه سبحانه حقّه بالشهوات و الحظوظ و الملل و الفتور ، فكان فى أغلب أحواله قاصرا إلا الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و من ألحقه سبحانه بهم ؛ أنزل كتبه بذلك العقل مجردا عن كل عائق ، و أمرهم أن يجعلوا عقولهم تابعة [له -[1]] منقادة به ، لأنها مشوبة[2] ، و هو مجرد لا شوب فيه بوجه . ٥

و لما أشار فى هذه الآيـة إلى الرسول الأصفى و النبى الأهدى ، المجبول على هذا العقل الأقوم الأجلى ، و الكتاب الأتم الأوفى ، الجارى على هذا القانون الأعلى ، الوافى تعبيره الوجيز بأحكام الأولى و الأخرى ، الكفيل سياقه و ترتيب آياته بوضوح الأدلة و ظهور[3] الحجج ؛ أخذ يقسم[4] المنذرين فقال تعالى : ﴿ فاما الذين آمنوا بالله ﴾ أى الذى اتضح ١٠ أنه [5]لا أمر[5] لأحد معه فى ذاته و صفاته و أفعاله و أحكامه و أسمائه بما دل عليه قاطع البرهان ﴿ و اعتصموا به ﴾ أى جعلوه عصاما لهم فى الفرائض التى هى من أعظم مقاصد هذه السورة ، يربطهم[6] و يضبطهم عن أن يضلوا بعد الهدى ، و يرجعوا من الاستبصار إلى العمى ، لأن العصام هو الرابط للوعاء أن يخرج شىء مما فيه ، و صيغة الافتعال تدل ١٥ على الاجتهاد فى ذلك ، لأن النفس داعية إلى الإهمال المنتج للضلال ﴿ فسيدخلهم ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ، و لعل السين ذكرت[7] لتفيد[8]

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : متوبة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ظهر (٤) فى ظ : تقسيم (٥-٥) فى ظ : لا من (٦) فى ظ : نربطهم (٧) من ظ ، و فى الأصل و مد : ذكر (٨) فى ظ : مفيدا .

مع تحقيق الوعد الحثّ على المثابرة و المداومة على العمل إشارة إلى عزة ما عنده سبحانه ﴿ فى رحمة منه ﴾ أى ثواب عظيم هو برحمته لهم، لا بشيء استوجبوه، و أشار إلى البر على ما تقتضيه[1] أعمالهم لو كانت لهم بقوله: ﴿ و فضل[2] ﴾ أى عظيم يعلمون[2] أنه زيادة، لا سبب لهم فيها ﴿ و يهديهم ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة ﴿ اليه صراطا ﴾[3] أى عظيما واضحا جدا[3] ﴿ مستقيما ﴾ أى هو مرشد قومه، كأنه[4] طالب لتقويم نفسه، فهو يوصلهم لا محالة إلى وعده بما يحفظهم فى سرهم و علنهم، يستجلى أنوار عالم القدس فى أرواحهم و توفيقهم لاتباع[5] ما هدت إليه من أمر الفرائض و غيرها، فقد أتى - كما ترى - بأما المقتضية[6] للتقسيم لا محالة، و أتى / بأحد القسمين المذكورين فى الآية التى قبلها، و وصفهم بالاعتصام بالله فى النصرة و قبول جميع أحكامه فى الفرائض وغيرها، وافقت أهويتهم أو خالفتها[7]، تعريضا بالمنافقين الذين [3]والوا غيرهم[3]، و بالكافرين الذين آمنوا ببعض و كفروا ببعض، و ترك القسم الآخر و هو قسم المستنكفين و المستكبرين، و وضع موضعه حكما من أحكام الفرائض المفتتح بها السورة[8] التى هى من أعظم مقاصدها من غير حرف عطف، بل بكمال الاتصال، فقال منكرا عليهم تكرير السؤال

/٥٦١

(١) فى ظ: يقتضيه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تعلمون (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لانه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الاتباع (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: خالقها - كذا (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: الصورة - كذا.

عن النساء و الأطفال بعد شافى المقال، مبينا أنه قد هدى فى ذلك كله[1] أقوم طريق: ﴿يستفتونك[2]﴾ أى يسألونك أن تفتيهم، أى[1] أن تبين لهم بما[3] عندك من الكرم و الجود و السخاء ما انغلق عليهم أمره و انبهم[3] لديهم سره من حكم الكلالة، و للاعتناء بأمر المواريث قال إشارة إلى أن الله لم يكل أمرها إلى غيره: ﴿قل الله﴾ أى الملك الأعظم ٥ ﴿يفتيكم فى الكلٰلة[4]﴾ و هو من لا ولد له و لا والد؛ روى البخارى فى التفسير عن البراء رضى الله عنه قال: آخر سورة نزلت براءة و[4] آخر آية نزلت "يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلٰلة"؛ [5]و قال الأصبهانى عن الشعبى: اختلف أبو بكر و عمر رضى الله عنهما فى الكلالة[5]، فقال أبو بكر: هو ما عدا الوالد، و قال عمر: ما عدا الوالد[6] و الولد[6]، ثم قال عمر: إنى لأستحيى ١٠ من الله أن أخالف[7] أبا بكر رضى الله عنه؛ ثم استأنف قوله: ﴿ان امرؤا هلك﴾ أى و هو موصوف بأنه، أو حال كونه ﴿ليس له ولد﴾ أى و إن سفل سواء كان ذكرا أو أنثى عند إرث النصف، و ليس له أيضا والد، فان كان له أحدهما لم يسم كلالة[5] و قد بينت ذلك السنة؛ قال الأصبهانى: و ليسا بأول حكمين بُيِّنَ أحدهما ١٥ بالكتاب و الآخر بالسنة، و هو قوله عليه الصلاة و السلام: ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقى فلأولى عصبة ذكر، و الأب أولى من الأخ،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: ما (٣) كذا، ولا يطرد الانفعال من هذه المادة.
(٤) فى ظ: فى (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: والد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: خالف.

﴿ و ﴾ الحال أنه[1] ﴿ له أخت ﴾ أى واحدة من أب[2] شقيقة كانت أو لا، لأنه سيأتى أن أخاها يعصبها، فلو كان [3]ولد أم[3] لم يعصب ﴿ فلها نصف ما ترك[4] و هو ﴾ أى و هذا الأخ الميت ﴿ يرثها ﴾ أى إن ماتت هى و بقى هو، جميعَ مالها ﴿ ان لم يكن لها ولد[5] ﴾ أى ذكرا كان أو أنثى - كما مر فى عكسه، هذا إن أريد بالإرث جميع المال، و إلا فهو يرث مع الأنثى كما أنها هى أيضا ترث[6] مع الأنثى - كما يرشد[7] إليه السياق أيضا - دون النصف .

و لما بين الأمر عند الانفراد أتبعه بيانه عند الاجتماع، و قدم أقله فقال: ﴿ فان كانتا ﴾ أى الوارثتان ببيان السياق لهما و إرشاده إليهما؛ و لما أضمر ما دل عليه السياق، و كان الخبر صالحا لأن يكون: صالحتين، أو صغيرتين، أو غير ذلك؛ بين أن المراد - كما يرشد إليه السياق أيضا - مطلق العدد على أى وصف اتفق فقال: ﴿ اثنتين ﴾ أى من الأخوات للأب شقيقتين كانتا أو لا ﴿ فلهما الثلثان مما ترك[5] ﴾ فان كانتا شقيقتين كان لكل[6] منهما ثلث، و إن اختلفتا[7] كان للشقيقة النصف و للتى للأب فقط[8] السدس تكملة الثلثين .

و لما بين أقل الاجتماع أتبعه ما فوقه فقال: ﴿ و ان كانوا ﴾ أى

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ ومد فحذفناها (٢) فى ظ: ان. (٣-٣) من ظ ومد، وفى الأصل: والدا - كذا (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: ترك (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: يريد (٦) زيد فى ظ: واحد (٧) من مد، وفى الأصل و ظ: اختلفا (٨) سقط من ظ .

الوراث[1] ﴿ اخوة ﴾ أى مختلطين ﴿ رجالا و نسآء فللذكر ﴾ أى منهم ﴿ مثل حظ الانثيين[4] ﴾ و قد أنهى سبحانه ما أراد من بيان إرث الإخوة لأب ، فتم بذلك جميع أحوال ما أراد من الإرث ، و هو على وجازته كما ترى - يحتمل[2] مجلدات - و الله الهادى ، و وضع هذه الآية هنا[3] - كما تقدم - إشارة منه [إلى -[4]] أن من أبى توريث النساء و الصغار الذى[5] تكرر[6] الاستفتاء عنه فقد استنكف عن عبادته و استكبر و إن آمن[7] بجميع ما عداه من الأحكام، و من استنكف عن حكم من/ الأحكام ٥٦٢/ فذاك هو الكافر حقا ، كما أن من آمن ببعض الأنبياء و كفر ببعض فهو الكافر حقا ، و هذا مراد شياطين أهل الكتاب العارفين بصحة هذه الأحكام ، الحاسدين لكم عليها ، المريدين لضلالكم[8] عنها لتشاركوهم فى الشقاء[9] الذى وقع لهم لما بدلوا الأحكام المشار إليهم بعد ذكر آيات الميراث و ما تبعها من أحوال النكاح بقوله " يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم " و قوله " و يريد الذين يتبعون الشهوٰت ان تميلوا ميلا عظيما " ثم المصرح بهم فى قوله " الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتٰب يشترون الضلٰلة و يريدون ان تضلوا السبيل و الله اعلم باعدائكم " و لذلك - و الله أعلم - ختم هذه الآية بقوله : ﴿ يبين الله ﴾ أى الذى

(١) من مد ، و فى الأصل و فى ظ : الوارث (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتحمل (٣) فى ظ : هناك (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتكرر (٧) زيد فى ظ : من ، و العبارة من بعده إلى "من آمن" ساقطة منه (٨) فى ظ : لصلاتكم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشق.

أحاط بكل شيء قدرة و علما ﴿لكم﴾ أى [1]و لم يكلكم فى هذا البيان إلى بيان غيره ، و قال مرغبا مرهبا: ﴿ان﴾ أى كراهة[1] أن ﴿تضلوا[1] و الله﴾ [2]أى الذى له الكمال كله[2] ﴿بكل شيء عليم﴾ أى فقد بين لكم بعلمه ما يصلحكم بيانه محيا و مماتا دنيا و أخرى ، حتى جعلكم على المحجة البيضاء فى مثل ضوء النهار ، لا يزيغ عنها منكم إلا هالك ، و الحاصل أن تأخير هذه الآية إلى هنا لما[3] تقدم من أن تفريق القول فيما تأباه[4] النفوس و إلقاءه شيئا فشيئا باللطف و التدريج أدعى لقبوله ، وللاشارة إلى شدة الاهتمام بأمر الفرائض بجعل الكلام فيها فى جميع السورة أولها و أثنائها و آخرها[5] ، و التخويف من أن يكون حالهم كحال المنافقين فى إضلال أهل الكتاب لهم بالقاء الشبهة[6] و أخذهم من الموضع[7] الذى تهواه نفوسهم ، و مضت عليه[8] أوائلهم ، و أشربته قلوبهم ، و الترهيب من أن يكونوا مثلهم فى الإيمان ببعض و[9] الكفر ببعض ، فيؤديهم ذلك إلى إكمال الكفر ، لأن الدين لا يتجزأ ، بل من كفر بشيء منه كفر به جميعه ، و من هنا ظهرت مناسبة آخر هذه السورة لأولها ، لأن أولها مشير إلى أن الناس كلهم كشيء[10] واحد ، و ذلك يقتضى عدم الفرق[11] بينهم إلا فيما شرعه الله ، و آخرها مشير إلى ذلك بالتسوية بين النساء

(١-١) موضع الرقمين فى ظ : الذى له الكمال (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : كما (٤) فى ظ : ياباه (٥) فى ظ : اخرتها (٦) فى ظ : بالشبه . (٧) من ظ ومد . و فى الأصل : المواضع (٨) من ظ ومد ، و فى الأصل : عليهم . (٩) سقطت الواو من ظ (١٠) فى ظ : شيء (١١) فى ظ : العرف - كذا .

و الرجال فى مطلق التوريث بقرب الأرحام[1] و إن اختلفت الأنصباء ، فكأنه قيل : يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، و خلق منها زوجها ، و بث منهما رجالا كثيرا و نساء ، و سوى بينهم فيما أراد من الأحكام فانه من استكبر - و لو عن حكم من أحكامه - فسيجازيه[2] يوم الحشر ، و لا يجد له من[3] دون الله[3] ناصرا ، و لا يخفى ٥ عليه شيء من حاله ، و ما أشد مناسبة ختامها باحاطة العلم لما[4] دل عليه أولها من تمام القدرة ، فكان آخرها دليلا على أولها لأن[5] تمام العلم مستلزم[6] لشمول القدرة ؛ قال الإمام : و هذان الوصفان هما اللذان بها ثبتت الربوبية و الإلهية و الجلال و العزة ، و بهما يجب على العبد أن يكون مطيعا للأوامر و النواهى منقادا لكل التكاليف - انتهى . و لختام[7] أول ١٠ آية[7] فيها بقوله " ان الله كان عليكم رقيبا " أى و هو بكل شيء من أحوالكم و غيرها عليم ، فلا تظنوا أنه يخفى عليه شيء و إن دق ، فليشتد حذركم منه و مراقبتكم له[8] ، و ذلك أشد شيء مناسبة لأول المائدة - و الله الموفق بالصواب ، و إليه المرجع و المآب[9] .

---

(١) فى ظ : الارجا (٢) فى ظ : متجاربه - كذا (٣-٣) فى ظ و مد : دونه . (٤) فى ظ : بما (٥) فى ظ : لانها (٦) فى ظ : تستلزم (٧-٧) فى ظ : او انه - كذا (٨) سقط من ظ (٩) و إلى هنا ينتهى الجزء الأول من الأصل و مد ، فقد زيد بعده فى الأصل : « تم الجزء الأول من تناسق الدرر فى تناسب الآى و السور - لعلامة الإسلام الشيخ برهان الدين إبراهيم البقاعى » ، و زيد فى مد : « تم الجزء الأول من كتاب الدرر فى مناسبة الآى و السور - تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة منبع الغرائب و مظهر العجائب إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط =

= ابن على بن أبى بكر البقاعى الشافعى - طيب الله ثراه و جعل الجنة مقره و مأواه ... (و بعد ذلك وردت أسطر من الناسخ لم نقدر على قراءتها لعدم اتضاحها) وكان الفراغ من ذلك النقل بعد العصر من يوم الثلاثاء سادس عشر شوال سنة سبعين و ستمائة ، وحسبنا الله و نعم الوكيل و لاحول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم ، و صلى الله على أشرف المرسلين سيدنا محمد و آله وصحبه و سلم تسليما كثيرا دائما ! يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثانى من أول سورة المائدة » .

٥ ٥ ٥ ٥ ٥

٥ ٥ ٥ ٥

٥ ٥ ٥

٥ ٥

٥

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الخامس من تفسير " نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور " للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله يوم الاثنين السادس عشر من شهر ذى الحجة سنة ١٣٩٢ هـ = ٢٢ يناير سنة ١٩٧٣ م .

و قد اعتنى بتصحيحه و التعليق عليه مصحح دائرة المعارف العثمانية الأخ الفاضل السيد محمد عمران الأعظمى العمرى (الحامل شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس) و عنى بتنقيحه السيد حبيب الله القادرى صدر المصححين ثم راقم هذه الخاتمة تحت إشراف الأديب الفاضل الفضيلة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف و عميدها - أبقاه الله لخدمة العلم و الدين ! و يتلوه الجزء السادس إن شاء الله تعالى من أول سورة المائدة .

و فى الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و أصحابه أجمعين ، و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العلمين .

محمد عظيم الدين غفر له
(كامل الجامعة النظامية)
نائب صدر المصححين بدائرة المعارف

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

/ [2] اللهم يسر يا كريم يا حليم! قال الشيخ الإمام العالم العامل العلامة، /٢
الحبر البحر الفهامة، المتقن الحافظ الضابط، المجاهد فى سبيل الله المرابط،
برهان الدين لسان المتكلمين حجة المناظرين سيبويه هذا الحين أبو الحسن
إبراهيم البقاعى الشافعى ـ بلّغه الله من الأولى و الأخرى مايتمناه، و جعل ٥
الفردوس مقره و مأواه بمحمد و آله [2] !.

سورة المائدة [3]

[و تسمى سورة العقود و سورة الأحبار ـ [4]]

مقصودها الوفاء بما هدى إليه الكتاب، و دل عليه ميثاق العقل
من توحيد [5] الخالق و رحمة الخلائق شكرا لنعمه [6] و استدفاعا لنقمه [7]، ١٠
و قصة المائدة [8] أدل ما فيها على ذلك، فان مضمونها أن من زاغ عن

(١) كتب فوقه فى الأصل « الجزء الثانى من المناسبات فى التفسير »، و من هنا إلى آخر سورة الأنعام لم تتيسر لنا نسخة مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) و هى مدنية فى قول ابن عباس و مجاهد و قتادة، و قال أبو جعفر بن بشر و الشعبى: إنها مدنية إلا قوله تعالى «اليوم اكملت لكم دينكم» فانه نزل بمكة، و عدة آيها مائة وعشرون عند الكوفيين، وثلاث وعشرون عند البصريين و اثنان وعشرون عند غيرهم ـ راجع روح المعانى ٢ / ٢٣٩ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) فى ظ: توجيه (٦) فى ظ: للنعمة (٧) فى ظ: للنقمة.
(٨) سقط من ظ.

الطمأنينة بعد الكشف الشافى و الإنعام الوافى نوقش الحساب فأخذه العذاب ، و تسميتها بالعقود أوضح دليل على ما ذكرتُ من مقصودها و كذا الأحبار .

﴿ بسم الله ﴾ [أى -[1]] الذى تمت كلماته فصدقت وعوده[2] و عمت مكرماته ﴿ الرحمٰن ﴾ الذى عم بالدعاء إلى الوفاء فى حقوقه و حقوق مخلوقاته ﴿ الرحيم ﴾ الذى نظر إلى القلوب فثبت منها على الصدق ما جبّله على التخلق بصفاته .

لما أخبر تعالى فى آخر [سورة - [1]] النساء أن اليهود لما نقضوا المواثيق التى[3] أخذها عليهم ، حرم عليهم طيبات أحلت لهم من[4] كثير من بهيمة الأنعام المشار إليها بقوله " و على الذين هادوا حرمنا كل [ذى - [5]] ظفر "- الآية ، و استمر تعالى فى هتك أستارهم و بيان عوارهم[6] إلى أن ختم بآية فى الإرث الذى افتتح آياته بالإيصاء و ختمها بأنه شامل العلم ، ناسب افتتاح هذه بأمر المؤمنين الذين اشتد تحذيره لهم منهم[7] بالوفاء الذى جُلُّ مبناه[8] القلب الذى هو عيب ، فقال مشيرا إلى أن الناس الذين خوطبوا أول تلك تأهلوا[9] لأول أسنان الإيمان و وصفوا بما هم محتاجون إليه ، و تخصيصُهم مشير إلى أن مَنْ فوقهم من الأسنان عنده من الرسوخ ما يغنيه عن الحمل بالأمر ، و ذلك أبعث له على التدبر و الامتثال[10] :

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : دعوته (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ ، و فى الأصل : منها (٥) زيد من ظ والقرآن الكريم سورة ٦ آية ١٤٦ .
(٦) فى ظ : اعوارهم (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : مثناه - كذا (٩) فى ظ : باهل .
(١٠) فى ظ : الامثال .

﴿ يٰأيها الذين اٰمنوآ ﴾ أى ادعوا ذلك بألسنتهم ﴿ اوفوا ﴾ أى صدقوا ذلك بأن توفوا ﴿ بالعقود ﴾ أى العهود الموثقة المحكمة، و هى تعم جميع أحكامه سبحانه فيما أحل أو حرم[1] أو ندب على سبيل الفرض أو غيره[2]، التى من جملتها الفرائض التى افتتحها بلفظ الإيصاء الذى هو من أعظم العهود، و تعم سائر ما بين الناس من ذلك، حتى ما كان فى الجاهلية من عقد ٥ يدعو إلى بر[3]، و أما غير ذلك فليس بعقد، بل حل بيد الشرع القوية، تذكيرا[4] بما أشار إليه قوله تعالى فى حق أولئك "اذكروا نعمتى - و اوفوا بعهدى اوف بعهدكم و اياى فارهبون[5]" و إخبارا لهم[6] بأنه أحل لهم ما حرم على أولئك، فقال على سبيل التعليل مشيرا إلى أن المقصود من النعمة كونها، لا بقيد فاعل مخصوص، و إلى أن المخاطبين يعلمون[7] ١٠ أنه لا منعم غيره سبحانه: ﴿ احلت لكم ﴾ و الإحلال من أجل العقود ﴿ بهيمة ﴾ [و بينها بقوله - [8]]: ﴿ الانعام ﴾ أى أوفوا لأنه أحل لكم بشامل علمه و كامل قدرته لطفا بكم و رحمة لكم ما حرم على من قبلكم من الإبل و البقر و الغنم باحلال أكلها و الانتفاع بجلودها و أصوافها و أوبارها و أشعارها و غير ذلك من شأنها، فاحذروا أن تنقضوا كما ١٥ نقضوا، فيحرم عليكم ما حرم عليهم، و يعد لكم من العقاب ما أعد لهم، و لا تعترضوا على نبيكم، و لا تتعنتوا[9] كما اعترضوا و تعنتوا[9]، فان ربكم

(١) فى ظ: جزم (٢) من ظ، و فى الأصل: غيرها (٣) فى ظ: ما ير - كذا.
(٤) من ظ، و فى الأصل: تذكير (٥) سورة ٢ آية ٤٠ (٦) من ظ، و فى الأصل: اليهم (٧) فى ظ: لا يعلمونه (٨) زيد من ظ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ.

٣/ لا يسئل عما يفعل ،[١]و سيأتى[١] فى قوله / " لا تسئلوا عن أشياء[٢] " ما يؤيد هذا.

و لما كانوا ربما فهموا[٣] من هذا الإحلال ما ألفوا من الميتات و نحوها قال مستثنيا من نفس البهيمة ، و هى فى الأصل كل حى لا يميز[٤] ، مخبرا أن من أعظم العقود ما قدم تحريمه من ذلك فى البقرة : ﴿الا ما يتلى عليكم﴾ أى فى[٥] بهيمة الأنعام أنه محرم ، فانه لم يحل لكم ، و نصبُ[٦] ﴿ غير محلى الصيد ﴾ على الحال أدل[٧] دليل على أن هذا السياق - و إن كان صريحه مذكرا[٨] بالنعمة لتشكر[٩] - فهو مشار به إلى التهديد إن كُفِرَتْ ، أى أحل لكم ذلك فى هذه الحال ، فان تركتموها انتفى الإحلال ، و هذه مشيرة إلى تكذيب من حرم من ذلك ما أشير إليه بقوله تعالى فى التى قبلها حكاية عن الشيطان " و لآمرنهم فليبتكن اذان الانعام و لآمرنهم فليغيرن خلق الله[١٠] " من[٤] السائبة و ما معها مما كانوا اتخذوه دينا ، و فصّلوا فيه تفاصيل - كما سيأتى صريحا فى آخر هذه السورة[٤] بقوله تعالى " ما جعل الله من بحيرة و لا سائبة[١١] " - الآية ، وكذا فى آخر الأنعام ، و فى الأمر بالوفاء بالعقود بعد الإخبار بأنه بكل شىء عليم غاية التحذير من تعمد الإخلال بشىء من ذلك و إن دق ، و[٤] فى افتتاح هذه المسماة بالمائدة بذكر الأطعمة عقب[١٢] سورة النساء - التى من أعظم مقاصدها النكاح و الإرث ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) آية ١٠١ (٣) فى ظ : افهموا (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : من (٦) فى ظ : تصيب - كذا (٧) فى ظ : ام - كذا . (٨) من ظ ، و فى الأصل : مذكر (٩) فى ظ : ليشكر (١٠) آية ١١٩ (١١) آية ١٠٣ (١٢) فى ظ : عقيب .

المتضمن للموت المشروع فيهما الولائم و المآتم[1] - أتم مناسبة ، [و -[2]] قال ابن الزبير : لما بين تعالى حال أهل الصراط المستقيم ، و من[3] تنكب عن[3] نهجهم ، و مآل الفريقين من المغضوب عليهم و الضالين ، و بين لعباده[4] المتقين ما فيه هداهم و به[5] خلاصهم أخذا و تركا[6] ، و جعل طى[7] ذلك الأسهم الثمانية الواردة فى حديث حذيفة رضى الله عنه من قوله : الإسلام ثمانية أسهم : [الإسلام سهم ، و -[8]] الشهادة سهم ، و الصلاة سهم ، و الزكاة سهم ، و الصوم سهم ، و الحج سهم ، و الأمر بالمعروف سهم ، و النهى عن المنكر سهم ، و قد خاب من لا سهم له . قلت : و هذا الحديث أخرجه البزار عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال : الإسلام ثمانية أسهم : الإسلام سهم ، و الصلاة سهم - فذكره ، و صحح الدارقطنى وقفه ، و رواه أبو يعلى الموصلى عن على رضى الله عنه مرفوعا و الطبرانى فى الأوسط عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : الإسلام عشرة أسهم ، و قد خاب من لا سهم له : شهادة أن لا إله إلا الله سهم و هى الملة ، و الثانية : الصلاة و هى الفطرة ، و الثالثة : الزكاة و هى الطهور ، و الرابعة : الصوم و هى الجنة ، و الخامسة : الحج و هى الشريعة ، و السادسة : الجهاد و هى الغزوة[9] ، و السابعة : الأمر بالمعروف

(١) فى ظ : المسايم - كذا (٢) زيدت الواو من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : العباد (٥) فى ظ : فيه (٦) من ظ ، و فى الأصل : ترا - كذا.
(٧) فى ظ : ظن (٨) زيد من مجمع الزوائد ١/٣٨ ، إلا أن هناك تقديما و تأخيرا.
(٩) من مجمع الزوائد ١/٣٧ ، و فى الأصل و ظ : العروة .

و [هو الوفاء ، و الثامنة - [1]] : النهى عن المنكر و هى الحجة ، و التاسعة : الجماعة و هى الألفة ، و العاشرة : الطاعة و هى العصمة ؛ و فى سنده من[2] ينظر فى حاله ؛ قال ابن الزبير : و قال [النبى - [3]] صلى الله عليه و سلم : بنى الإسلام على خمس ، أى فى الحديث الذى أخرجه الشيخان و غيرهما عن ابن عمر و غير واحد من الصحابة رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، و أن محمدا رسول الله ، و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة و الحج و صوم رمضان . قال ابن الزبير : و قد تحصلت - أى الأسهم الثمانية و الدعائم الخمس - فيما مضى ، و تحصل مما تقدم[4] أن [5] أسوأ حال[5] المخالفين حال من غضب الله عليه و لعنه ، [6] و أن ذلك[6] ببغيهم و عداوتهم و نقضهم العهود

٤ / " فبما / نقضهم ميثاقهم لعناهم " وكان النقض كل مخالفة ، قال الله تعالى لعباده المؤمنين " يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود " لأن اليهود و النصارى إنما أتى عليهم من عدم الوفاء و نقض العهود ، فحذر المؤمنين - انتهى . و المراد بالأنعام الأزواج الثمانية المذكورة فى الأنعام و ما شابهها من حيوان البر ، و[7] لكون الصيد مراد الدخول فى بهيمة الأنعام[8] استثنى بعض أحواله فقال : ﴿ و انتم حرم[4] ﴾ أى أحلت البهيمة مطلقا إلا ما يتلى عليكم

(١) زيد من المجمع (٢) فى ظ : ممن (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ . (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : استوا حالة - كذا (٦ - ٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل (٧) سقطت الواو من ظ (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، فحذفناها كى تستقيم العبارة .

من ميتاتها و غيرها فى غير حال الدخول فى الإحرام [١]بالحج أو العمرة[١] أو دخول الحرم، و أما فى حال الإحرام فلا يحل الصيد أكلا و لا فعلا .

و لما كان مدار هـذه السورة على الزجر و الإحجام عن أشياء اشتد ألفهم لها و التفاتهم إليها، و عظمت فيها رغباتهم من الميتات[٢] و ما معها، و الأزلام و الذبح على النصب، و أخذ الإنسان بجريمة الغير، و الفساد فى الأرض، و السرقة و الخمر و السوائب و البحائر - إلى غير ذلك ؛ ذكّر فى أولها بالعهود التى عقدوها على أنفسهم ليلة العقبة حين تواثقوا على الإسلام من السمع و الطاعة فى المنشط و المكره و العسر و اليسر فيما أحبوا و كرهوا، و ختم الآية بقوله معللا : ﴿ ان الله ﴾ أى ملك الملوك ﴿ يحكم ما يريد ٥ ﴾ أى من تحليل و تحريم و غيرهما على سبيل الإطلاق كالأنعام، و فى حال دون حال كما شابهها[٣] من الصيد، فلا يسئل عن تخصيص و لا عن[٤] تفضيل و لا غيره، [٥]فما فهمتم[٥] حكمته فذاك، [٦]و ما لا فكلوه إليه، و ارغبوا فى أن يلهمكم حكمته[٦] ؛ قال الإمام - و هذا هو الذى يقوله أصحابنا - : إن علة حسن التكليف هو الربوبية و العبودية، [٧]لا ما[٧] يقوله المعتزلة من رعاية المصلحة .

و لما استثنى بعض ما أحل على سبيل الإبهام شرع فى بيانه، و لما كان منه ما نهى عن التعرض له لا مطلقا، بل ما يبلغ محله، بدأ به

(١-١) فى ظ : حجج او عمرة (٢) فى ظ : الميتة (٣) من ظ، و فى الأصل : شابهها (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ : لما فهمتهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧-٧) فى ظ : لما .

لكونه فى ذلك كالصيد ، و قدم على ذلك عموم النهى عن انتهاك معالم الحج المنبه عليه بالإحرام ، أو عن كل محرم فى كل مكان و زمان ، فقال مكررا[1] لندائهم تنويها بشأنهم و تنبيها لعزائمهم و تذكيرا لهم بما ألزموه أنفسهم : ﴿ يآيها الذين آمنوا ﴾ أى دخلوا فى هذا الدين طائعين ٥ ﴿ لا تحلوا شعآئر الله ﴾ أى معالم حج بيت الملك الأعظم الحرام ، أو حدوده فى جميع الدين ، و شعائر الحج أدخل فى ذلك ، و الاصطياد أولاها .

و لما ذكر ما عممه فى الحرم أو مطلقا ، أتبعه [2] ما عممه[2] فى الزمان فقال : ﴿ و لا الشهر الحرام ﴾ أى فان ذلك لم يزل معاقدا على احترامه ١٠ فى الجاهلية و الإسلام ، و لعله وحده و المراد الجمع[3] إشارة إلى أن الأشهر الحرم كلها فى [الحرمة -[4]] سواء .

و لما ذكر الحرم و الأشهر الحرم ذكر ما يهدى للحرم فقال : ﴿ و لا الهدى ﴾ و خص منه أشرفه فقال : ﴿ و لا القلآئد ﴾ أى صاحب القلائد من الهدى ، و عبر بها مبالغة فى تحريمه ؛ و لما أكد فى ١٥ احترام ما قصد به الحرم من البهائم رقّى[5] الخطاب إلى من قصده من العقلاء ، فانه مماثل لما تقدمه فى أن قصد البيت الحرام حرام له و زاجر عنه ، مع[6] ما زاد به من شرف العقل فقال : ﴿ و لآ آمّين ﴾ أى و لا تحلوا التعرض لناس قاصدين ﴿ البيت الحرام ﴾ لأن من قصد بيت الملك كان محترما باحترام ما قصده .

---

(١) فى ظ : مكرا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : الجميع .
(٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : ق - كذا (٦) سقط من ظ .

و لما كان المراد القصد بالزيارة بينه بقوله: ﴿ يبتغون ﴾ أى حال كونهم يطلبون على سبيل الاجتهاد ﴿ فضلا من ربهم ﴾ أى المحسن إليهم شكرا لإحسانه، / بأن يثيبهم على ذلك، لأن ثوابه لا يكون [على -[1]] وجه الاستحقاق الحقيق أصلا؛ و لما كان الثواب قد يكون مع السخط قال: ﴿ و رضوانا[2] ﴾ و هذا ظاهر فى المسلم، و يجوز أن يراد به أيضا الكافر، لأن قصده البيت [الحرام -[1]] على هذا الوجه يرق قلبه[2] فيهيئه للإسلام، و على هذا فهى منسوخة. ٥/

و لما كان التقدير: فان لم يكونوا كذلك[3] - أى فى أصل[4] القصد [5]و لا فى وصفه - فهم حل لكم و إن لم تكونوا أنتم حرما، و الصيد حلال لكم، عطف عليه التصريح بما أفهمه التقييد فيما سبق بالإحرام فقال[5]: ﴿ و اذا حللتم ﴾ أى من الإحرام بقضاء المناسك و الإحصار ﴿ فاصطادوا[6] ﴾ و ترك الشهر [الحرام -[1]] إذ[6] كان الحرام فيه حراما فى غيره، و إنما صرح به تنويها بقدره و تعظيما لحرمته، ثم أكد تحريم[7] قاصد المسجد الحرام و إن كان كافرا، و إن كان على سبيل المجازات بقوله: ﴿ و لا يجرمنكم ﴾ أى يحملنكم ﴿ شنآن قوم ﴾ أى شدة بغضهم.

و لما ذكر البغض أتبعه سببه فقال: ﴿ ان ﴾ على سبيل الاشتراط الذى يفهم تعبير الحكم[8] به أنه سيقع، هذا فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو[9]،

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: القلب (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: الاصل (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ: اذا.
(٧) فى ظ: تحريمه (٨) فى ظ: الحكيم (٩) فى الأصل و ظ: ابى عمر - كذا.

و التقدير فى قراءة الباقين بالفتح : لأجل أن ﴿ صدوكم ﴾ أى فى عام الحديبية أو غيره ﴿ عن المسجد الحرام ﴾ أى على ﴿ ان تعتدوا ﴾ أى يشتد عدوكم عليهم بأن تصدوهم عنه[1] أو بغير ذلك ، فان المسلم من لم يزده تعدىُ عدوه فيه حدودَ الشرع إلا وقوفا عند حدوده، و هذا قبل نزول ٥ " انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام[2] " سنة تسع .

و لما نهاهم عن ذلك ، و كان الانتهاء عن الحظوظ[3] شديدا على النفوس ، و كان لذلك لا بد فى الغالب من منتهٍ و آبٍ ، أمر بالتعاون فى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فقال : ﴿ و تعاونوا على البر ﴾ و هو ما اتسع و طاب من حلال الخير ﴿ و التقوى ص ﴾ و هى كل ما يحمل على الخوف من الله ، فانه ١٠ الحامل على البر ، فان كان[4] منكم من اعتدى فتعاونوا على رده ، و إلا فازدادوا بالمعاونة خيرا .

و لما كان المعين على الخير قد يعين على الشر قال تنبيها على [الملازمة فى - [5]] المعاونة على الخير ، ناهيا أن يغضب الإنسان لغضب أحد من صديق أو قريب إلا إذا كان الغضب له داعيا إلى بر و تقوى : ١٥ ﴿ ولا تعاونوا على الاثم ﴾ أى الذنب الذى[6] يستلزم الضيق ﴿ و العدوان ص ﴾ أى المبالغة فى مجاوزة الحدود و الانتقام و التشفى و غير ذلك ، و كرر[7] الأمر بالتقوى إشارة إلى أنها الحاملة على كل خير فقال : ﴿ و اتقوا الله ط ﴾ أى الذى له صفات الكمال لذاته فلا تتعدوا[8] شيئا من حدوده ؛ و لما كان

(١) من ظ ، و فى الأصل : منه (٢) سورة ٩ آية ٢٨ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الحدود (٤) زيد بعده فى ظ : كل (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : كر (٨) فى ظ : لا يعتدوا .

كف النفس عن الانتقام و زجرها عن شفاء داء الغيظ و تبريد غلة الأحن في غاية العسر ، ختم الآية بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أي الملك الأعظم ﴿ شديد العقاب ﴾ .

و لما أتم الكلام على احترام أعظم المكان و أكرم الزمان و ما لابسهما ، فهذب[1] النفوس بالنهى عن حظوظها ، و أمر [2]بعد تخليتها عن كل شر[2] بتحليتها بكل خير ، عدّد على سبيل الاستئناف ما وعد بتلاوته عليهم مما حرم مطلقا إلا في حال الضرورة فقال : ﴿ حرمت ﴾ بانيا الفعل للمفعول لأن الخطاب لمن يعلم أنه لا محرم إلا الله ، و إشعارا بأن هذه الأشياء لشدة قذارتها[3] كأنها محرمة بنفسها ﴿ عليكم الميتة ﴾ و هي ما فقد الروح / بغير ذكاة شرعية ، فان دم كل ما مات حتف أنفه يحبس ٦/ في عروقه و يتعفن و يفسد ، فيضر أكله البدن بهذا الضرر الظاهر ، و الدين بما يعلمه أهل البصائر ﴿ و الدم ﴾ أي المسفوح ، و هو المتبادر إلى الذهن عند الإطلاق ﴿ و لحم الخنزير ﴾ خصه بعد دخوله في الميتة لاتخاذ النصارى أكله[4] كالدين ﴿ و ما أهل ﴾ و لما كان القصد في هذه السورة إلى حفظ محكم العهود المذكر بجلاله الباهر[5] ، قدم المفعول له فقال : ﴿ لغير الله ﴾ أي الملك الأعلى ﴿ به ﴾ أي ذبح على اسم غيره من صنم أو غيره على وجه التقرب عبادة لذلك الشيء ، و الإهلال : رفع الصوت .

و لما كان من الميتات ما لا تعافه النفوس عيافتها لغيره ، نص عليه

(١) في ظ : و هذب (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) في ظ : تذراتها .
(٤) سقط من ظ (٥) في ظ : الفاهر - كذا .

فقال: ﴿ والمنخنقة ﴾ أى بحبل ونحوه، سواء خنقها خانق أو لا ﴿ والموقوذة ﴾ أى المضروبة بمثقل، من[1]: وقذه - إذا ضربه ﴿ والمتردية ﴾ أى الساقطة من عال، المضطربة غالبا فى سقوطها ﴿ والنطيحة ﴾ أى التى نطحها شىء فماتت ﴿ وما أكل السبع ﴾ أى[2] كالذئب والنسر ونحوهما.

٥ ولما كان كل واحدة من هذه قد تدرك حية فتذكى، استثنى فقال: ﴿ إلا ما ذكيتم ﴾ أى من ذلك كله بأن أدركتموه وفيه حياة مستقرة، بأن اشتد اضطرابه وانفجر منه الدم؛ ولما حرم الميتات وعد فى جملتها ما ذكر عليه اسم غير الله عبادة، ذكر ما ذبح على الحجارة التى كانوا ينصبونها للذبح عندها[3] تدينا وإن لم يذكر[3] اسم شىء عليها

١٠ [فقال -[4]]: ﴿ وما ذبح على النصب ﴾ وهو واحد الأنصاب، وهى حجارة كانت حول الكعبة تنصب، فيهل عليها ويذبح عندها تقربا إليها وتعظيما لها ﴿ وأن تستقسموا ﴾ أى تطلبوا على ما قسم لكم ﴿ بالأزلام[5] ﴾ أى القداح التى لا ريش لها ولا نصل، واحدها بوزن قلم [وعمر -[4]] وكانت ثلاثة، على واحد: أمرنى ربى، وعلى آخر:

١٥ نهانى ربى، والآخر[5] غفل، فان خرج الآمر فعل، أو الناهى ترك، أو الغفل أجيلت ثانية، فهو دخول[6] فى علم الغيب وافتراء على الله بادعاء أمره ونهيه، وإن أراد[7] المنسوب إلى الصنم فهو الكفر الصريح[8]، وقال

(١) فى ظ: ما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: لم تدرك (٤) زيد من ظ، إلا أن فيه: عمرو (٥) من ظ، وفى الأصل: لاخر - كذا (٦) فى ظ: ذاقول - كذا (٧) فى الأصل: الافراد - كذا، وسقط هذا اللفظ من ظ مع اللفظين بعده (٨) فى ظ: الصراح.

صاحب كتاب الزينة : يقال : إنه كانت عندهم سبعة قداح مستوية من شوحط[1] ، و كانت بيد السادن ، مكتوب عليها « نعم » « لا » « منكم » « من غيركم » « ملصق » « العقل » « فضل العقل » ، فكانوا إذا اختلفوا فى نسب الرجل جاءوا إلى[2] السادن بمائة درهم ، ثم قالوا للصنم : يا إلهنا ! قد تمارينا فى نسب فلان ، فأخرج علينا الحق فيه ، فتجال[3] القداح [4]فان خرج القدح[4] الذى عليه « منكم » كان أوسطهم نسبا ، و إن خرج[5] الذى عليه « من غيركم » كان حليفا ، و إن خرج « ملصق » كان على منزلته لا[5] نسب له و لا حلف ، و إذا أرادوا سفرا أو حاجة جاءوا بمائة فقالوا : يا إلهنا ! أردنا كذا ، فان خرج « نعم » فعلوا ، و إن خرج « لا » لم يفعلوا ، و إن[6] جنى أحدهم جناية ، فاختلفوا فيمن يحمل العقل جاءوا بمائة فقالوا : يا إلهنا ! فلان جنى[7] عليه ، [أخرج الحق -[8]] ، فان خرج القدح الذى عليه « العقل » لزم من ضرب عليه و برئ الآخرون ، و إن خرج غيره كان على الآخرين العقل ، و كانوا إذا عقلوا[9] العقل ففضل الشىء منه تداروا فيمن يحمله ، فضربوا عليه ؛ فان خرج القدح الذى عليه « فضل العقل » للذى ضرب عليه لزمه ، و إلا كان على الآخرين الذين لم يضرب عليهم ، فهذا الاستقسام الذى حرمه[10] الله لأنه يكون عند الأصنام و يطلبون /٧

(١) و هو شجر تتخذ منه القسى ، و فى ظ : سواحط - كذا (٢) زيد بعده فى ظ : سارق (٣) فى ظ : لتحال (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : اذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : مجنى - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : عقل (١٠) من ظ ، و فى الأصل : حرم .

ذلك منها، و يظنون[1] أن الذى أخرج لهم ذلك هو الصنم، و أما إجالة[2] السهام لا على هذا الوجه فهو جائز، هو و تساهم[3] و اقتراع [4]لا استقسام[4].

و[5] قال أبو عبيدة: واحد الأزلام زلم - بفتح الزاء، و قال بعضهم بالضم[6]، و هو القدح لا ريش له و لا نصل، فاذا كان مريشا فهو السهم - و الله أعلم؛ و يجوز أن يراد مع هذا ما كانوا يفعلونه فى الميسر - على ما مضى فى البقرة، فانه طلب معرفة ما قسم من الجزور، و يلتحق بالأول كل كهانة و تنجيم[7]، و كل طيرة يتطيرها الناس الآن[6] من التشاؤم ببعض الأيام و بعض الأماكن و الأحوال، فاياك أن تعرج على شىء من الطيرة، فتكون على شعبة جاهلية، ثم إياك!

و لما كانت هذه الأشياء شديدة الخبث أشار إلى تعظيم النهى عنها بأداة البعد و ميم الجمع فقال: ﴿ ذلكم ﴾ أى الذى ذكرت لكم تحريمه ﴿ فسق[8] ﴾ أى فعله خروج من الدين.

و لما كانت هذه المنهيات معظم دين أهل الجاهلية، و كان سبحانه قد نهاهم قبلها عن[8] إحلال شعائر الله و الشهر الحرام و قاصدى المسجد الحرام [9]بعد أن كان أباح لهم ذلك فى بعض الأحوال و الأوقات بقوله "و اخرجوهم من حيث اخرجوكم - و لا تقتلوهم عند المسجد الحرام[9] حتى يقتلوكم فيه[10]"، "الشهر الحرام بالشهر الحرام[11]"، "و اقتلوهم حيث

(١) فى ظ: يطلبون (٢) فى ظ: احاله (٣) فى ظ: تسليم (٤ - ٤) فى ظ: الاستقسام (٥) من ظ، و فى الأصل: قال (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: منجم (٨) من ظ، و فى الاصل: من (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(١٠) سورة ٢ آية ١٩١ (١١) سورة ٢ آية ١٩٣.

ثقفتموهم

ثقفتموهم[1] " علم[2] أن الأمر بالكف عن انتهاز الفرص إنما هو للأمن[3] من الفوت، و ذلك لا يكون إلا[4] من[5] تمام القدرة، و هو لا يكون إلا بعد كمال الدين و إظهاره على كل دين - كما حصل به الوعد الصادق، و كذا الانتهاء عن جميع هذه المحارم إنما يكون لمن رسخ فى الدين قدمه، و تمكنت فيه عزائمه و همه، فلا التفات له إلى غيره و لا همه إلى سواه، و لا مطمع ٥ لمخالفه فيه، فعقب[6] سبحانه النهى عن هذه المناهى كلها بقوله على سبيل النتيجة و التعليل: ﴿ اليوم ﴾ أى وقت[7] نزول هذه الآية ﴿ يئس الذين كفروا ﴾ أى لابسوا الكفر سواء كانوا راسخين فيه أو لا ﴿ من دينكم ﴾ أى لم يبق لكم و لا لأحد منكم عذر فى شىء من إظهار الموافقة لهم[4] أو التستر من أحد منهم، كما فعل حاطب بن أبى بلتعة رضى الله ١٠ عنه حين[4] كاتبهم ليحمى بذلك ذوى رحمه، لأن الله تعالى قد كثركم بعد القلة، و أعزكم بعد الذلة، و أحيى بكم منار الشرع، و طمس معالم [شرع - [8]] الجهل، و هدّ منار الضلال، فأنا أخبركم - و أنتم عالمون بسعة علمى - أن الكفار قد اضمحلت قواهم، و ماتت[9] هممهم، و ذلت نخوتهم، و ضعفت عزائمهم، فانقطع رجاؤهم عن أن يغلبوكم[10] أو يستميلوكم ١٥ إلى دينهم بنوع استمالة، فانهم رأوا دينكم قد قامت منائره، و علت فى المجامع منابره، و ضرب محرابه، و برّك[11] بقواعده و أركانه، و لهذا سبب

(١) سورة ٢ آية ١٩١ (٢) فى ظ : اعلم (٣) فى ظ : للابن (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ : عن (٦) فى ظ : فعقبه (٧) من ظ ، و فى الأصل « و » (٨) زيد من ظ (٩) من ظ، و فى الأصل : مات (١٠) فى ظ : يعلنوكم (١١) فى ظ : ترك .

عما مضى قوله: ﴿فلا تخشوهم﴾ أى أصلا ﴿واخشون[1]﴾ أى و امحضوا الخشية لى وحدى، فان دينكم قد أكمل بدره، و جل عن المحاق محله و قدره، و رضى به الآمر، و مكنه على رغم أنف الأعداء. وهو قادر

/٨ /[1]على ذلك[1]، [و ذلك -[2]] قوله تعالى مسوقا[3] مساق التعليل: ﴿اليوم

٥ اكملت لكم دينكم﴾ أى الذى أرسلت[4] إليكم به أكمل[5] خلق لتدينوا به و تدانوا، و إكماله بانزال كل ما يحتاج إليه من أصل و فرع، نصا على[6] البعض، و بيانا لطريق القياس فى الباقى، و ذلك بيان لجميع الأحكام، و أما قبل ذلك اليوم فهو و إن كان كاملا لكنه بغير هذا المعنى، بل إلى حين، ثم يزيد فيه سبحانه ما يشاء، فيكون به كاملا أيضا و أكمل مما مضى،

١٠ و هكذا إلى هذه النهاية، و كان هذا[7] هو المراد من قوله: ﴿و اتممت عليكم نعمتى﴾ أى التى قسمتها فى القدم من هذا الدين على لسان هذا الرسول، بأن جمعت عليه كلمة العرب الذين قضيت فى القدم باظهارهم على من ناواهم من جميع أهل الملل، ليظهر بهم الدين، و تنكسر شوكة المفسدين، من غير حاجة فى ذلك إلى غيرهم و إن كانوا بالنسبة إلى المخالفين كالشعرة

١٥ البيضاء فى جلد الثور[8] الأسود ﴿و رضيت لكم الاسلام﴾ أى الذى هو الشهادة لله بما شهد به لنفسه من الوحدانية التى لمن[7] يتبع الإذعان لها[9] الإذعان لكل طاعة ﴿دينا[1]﴾ تتجازون[10] به فيما بينكم، و يجازيكم به ربكم؛

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: لسوق - كذا (٤) من ظ، و فى الأصل: ارسلنا (٥) فى ظ: كمل (٦) فى ظ: عن (٧) سقط من ظ (٨) من ظ، وفى الأصل: النور (٩) فى ظ: بها. (١٠) فى ظ: يتجاوزون.

روى البخارى فى المغازى وغيره، ومسلم فى آخر الكتاب، والترمذى فى التفسير، والنسائى فى الحج عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين! آية فى كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود [نزلت -[1]] لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، قال: [2]أى آية؟ قال[2]: "اليوم اكملت لكم دينكم" فقال عمر رضى الله عنه: قد[3] عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبى صلى الله عليه وسلم، نزلت وهو قائم بعرفة يوم جمعة؛ وفى التفسير من البخارى عن طارق بن شهاب، قالت اليهود لعمر: إنكم تقرؤن آية لو نزلت فينا لاتخذناها[4] عيدا، فقال عمر: إنى لأعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم حين[5] أنزلت، وقال البغوى: قال ابن عباس رضى الله عنهما: كان ذلك اليوم خمسة أعياد[6]: جمعة وعرفة وعيد اليهود وعيد النصارى والمجوس، ولم تجتمع[7] أعياد أهل الملل فى يوم قبله ولا بعده، قلت: ويوم الجمعة هو اليوم الذى أتم الله فيه خلق هذه الموجودات بخلق آدم عليه السلام بعد عصره، وهو حين نزول هذه الآية إن شاء الله تعالى، فكانت تلك الساعة من[8] ذلك اليوم تماما ابتداء، وروى هارون بن[9] عنترة عن أبيه قال: لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضى الله عنه فقال له[3] النبى صلى الله عليه وسلم: ما يبكيك يا عمر؟ فقال: أبكانى أنا كنا فى زيادة من ديننا، فاذا كمل

(١) زيد من ظ والمراجع الأربعة (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) سقط من ظ (٤) من صحيح البخارى، وفى الأصل: لاتخذنا، وفى ظ: لا تخذها (٥) فى ظ ونسخة من الصحيح: حيث (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) فى ظ: لم تجمع (٨) فى ظ: فى (٩) وقع فى ظ: عن - خطأ.

فانه لم يكمل شيء إلا نقص، قال: صدقت! فكانت هذه الآية نعى رسول الله صلى الله عليه و سلم، عاش بعدها إحدى و ثمانين يوما، و قد روى أنه كان هجّيرى[1] النبي صلى الله عليه و سلم يوم عرفة من العصر إلى الغروب "شهد الله انه لا اله الا هو[2]" - الآية، و كأن ذلك كان جوابا[3] منه صلى الله عليه و سلم لهذه الآية، لفهمه صلى الله عليه و سلم أن إنزال [آية -[4]] عمران سر الإسلام و أعظمه و أكمله، و هذه الآية من المعجزات، لأنها إخبار بمغيب صدقها فيه الواقع.

و لما تمت هذه الجمل[5] الاعتراضية التى صار [ما -[4]] بينها و بين / ما قبلها و[6] ما بعدها باحكام الرصف و إتقان[7] الربط من الامتزاج أشد مما بين الروح و الجسد، المشيرة إلى أن هذه المحرمات هى التى تحقق بها أهل الكفر كمال المخالفة، فأيسوا معها من المواصلة و المؤالفة؛ رجع [إلى -[4]] تتمات لتلك المحظورات، فقال مسببا عن الرضى بالإسلام الذى هو الحنيفية السمحة المحرمة لهذه الخبائث لإضرارها بالبدن و الدين: ﴿فمن اضطر﴾ أى ألجئ إلجاء عظيما - من أى شيء كان - إلى تناول شيء مما مضى أنه حرم، بحيث[8] لا يمكنه [معه -[4]] الكف عنه ﴿فى مخمصة﴾ أى مجاعة [عظيمة -[4]] ﴿غير متجانف﴾ أى متعمد ميلا ﴿لاثم﴾ أى بالأكل على غير[3] سد الرمق، أو بالبغى على مضطر آخر بنوع مكر أو العدو عليه

(١) من ظ، أى دأبه و شأنه صلى الله عليه و سلم، و فى الأصل: يتحرى - كذا.
(٢) سورة ٣ آية ١٨ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: الجملة (٦) زيد بعده فى ظ: بين (٧) فى ظ: ايثاق (٨) من ظ، و فى الأصل: اى.

بضرب قهر ، و زاد بعد هذا التقييد [1] تخويفا بقوله : ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله [2] ﴿ غفور رحيم ﴾ أى يمحو عنه إثم ارتكابه للنهى و لايعاقبه عليه [و لا يعاتبه - [3]] و يكرمه ، بأن يوسع عليه من فضله ، و [4] لا يضطره مرة [4] أخرى - إلى غير ذلك من الإكرام و ضروب الإنعام .

و لما تقدم إحلال الصيد و تحريم الميتة ، و ختم ذلك بهذه الرخصة ، ٥ و كان النبى [5] صلى الله عليه و سلم قد أمر بقتل الكلاب ، و كان الصيد ربما مات فى يد الجارح قبل إدراك ذكاته ، سأل بعضهم عما يحل من الكلاب ، و بعضهم عما يحل من ميتة الصيد إحلالا مطلقا لا بقيد الرخصة ، إذ [6] كان الحال يقتضى هذا السؤال ؛ روى الواحدى فى أسباب النزول بسنده عن أبى رافع رضى الله عنه قال : أمرنى رسول الله صلى الله عليه و سلم ١٠ بقتل الكلاب ، فقال الناس : يا رسول الله ! ما أحل لنا من هذه الأمة التى أمرت بقتلها؟ فأنزل الله تعالى : ﴿ يسئلونك ﴾ .

و لما كان هذا إخبارا [7] عن غائب قال : ﴿ ما ذآ احل لهم [8] ﴾ دون « لنا » ، قال الواحدى : [8] أى من إمساك الكلاب و أكل الصيود و غيرها [8] ، أى من المطاعم ، ثم قال الواحدى : رواه الحاكم أبو عبد الله ١٥ فى صحيحه ، و ذكر المفسرون شرح هذه القصة ، قال : قال أبو رافع رضى الله عنه : جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه و سلم فاستأذن عليه ، فأذن له فلم يدخل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : قد أذنا

(١) فى ظ : القيد (٢) من ظ ، و فى الأصل : لملكه (٣) زيد من ظ .
(٤ - ٤) فى ظ : يضر من (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : اذا (٧) فى ظ : اخبار.
(٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

لك ! قال : أجل يا رسول الله ! و لكنا لا ندخل بيتا فيه صورة و لا كلب ، فنظر فاذا فى بعض بيوتهم جرو[١] ، قال أبو رافع : فأمرنى أن لا أدع بالمدينة كلبا إلا قتلته ، حتى بلغت العوالى فاذا امرأة عندها كلب يحرسها فرحمتها فتركته ، فأتيت النبى صلى الله عليه و سلم فأمرنى بقتله ، فرجعت إلى الكلب فقتلته ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بأمر الكلاب جاء أناس[٢] فقالوا : يا رسول الله ! ما ذا يحل لنا من هذه الأمة التى أمرت بقتلها ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه و سلم فأنزل الله هذه الآية ، فلما نزلت أذن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى اقتناء الكلاب التى ينتفع[٣] بها ، و نهى عن إمساك ما لا نفع فيه ، و أمر بقتل الكلاب [٤]الكلِب و[٤] العقور و ما يضر و يؤذى ، و رفع القتل عما سواها مما لا ضرر فيه ، و قال سعيد ابن جبير : نزلت هذه الآية فى عدى[٥] بن حاتم و زيد بن المهلهل الطائيين رضى الله عنهما ، و هو زيد الخيل الذى سماه / رسول الله صلى الله عليه و سلم زيد الخير ، و ذلك أنهما جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالا[٦] : يا رسول الله ! إنا قوم نصيد بالكلاب و البزاة ، و إن كلاب [٧]آل درع[٧] و آل أبى حورية[٨] تأخذ البقر و الحمر و الظباء و الضب ، فمنه [٩]ما ندرك[٩] ذكاته ، و منه ما[١٠] [يقتل -[١١]] فلا ندرك[١٢] ذكاته ، و قد حرم الله

/ ١٠

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) فى ظ : الناس (٣) فى ظ : تنتفع (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : فقالوا (٧-٧) فى ظ : الزرع • (٨) من البحر المحيط ٣ / ٤٢٨ ، و فى الأصل و ظ : ابى جويرية (٩-٩) فى ظ : من يدرك (١٠) فى ظ : من (١١) زيد من ظ و البحر المحيط (١٢) من ظ و البحر ، و فى الأصل : لاندرك .

الميتة ، فما ذا يحل لنا منها ؟ فنزلت : " يسئلونك " ـ الآية " الطيبات " يعنى الذبائح ، و " الجوارح " الكواسب من الكلاب و سباع الطير - انتهى . فاذا أريد كون الكلام[1] على وجه يعم قيل : ﴿ قل ﴾ لهم فى جواب من سأل ﴿احل﴾ [و بناه للمفعول طبق سؤالهم و لأن المقصود لا كونه من معين -[2]] ﴿لكم الطيبٰت[3] ﴾ أى الكاملة الطيب، فلا خبث ٥ فيها بنوع تحريم و لا تقذر[3]، من ذوى الطباع السليمة[4] مما لم يرد[5] به نص و لا صح فيه قياس ، و هذا يشمل كل ما ذبح و هو مأذون فى ذبحه مما كانوا يحرمونه على أنفسهم من السائبة و ما معها ، و كل ما أذن فيه من غير ذبح كحيوان البحر[6] و ما أذن [7]فيه من[7] غير المطاعم[8] ﴿ و ما ﴾ و هو على حذف مضاف للعلم به، فالمعنى : و صيد[9] ما ﴿علمتم ١٠ من الجوارح﴾ أى[6] التى من شأنها أن تجرح ، أو تكون[10] سببا للجرح و هو الذبح ، أو من الجرح بمعنى الكسب " و يعلم ما جرحتم بالنهار[11] " و هو كواسب الصيد من[12] السباع و الطير ، فأحل إمساكها للقنية و صيدها و شرط فيه التعليم ، قال الشافعى : و الكلب لا يصير معلما إلا عند أمور : إذا أشلى استشلى ، و إذا زجر انزجر و حبس و لم يأكل ، و إذا دعى أجاب، ١٥ و إذا أراده لم يفر منه ، فاذا فعل ذلك مرات فهو معلم ، و لم يذكر حدا

(١) فى ظ : الكلاب ـ كذا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بقدر (٤) فى ظ : السليم (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يرد (٦) سقط من ظ (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : الطامع (٩) زيدت الواو بعده فى ظ (١٠) فى ظ : يكون (١١) سورة ٦ آية ٦٠ (١٢) من ظ ، و فى الأصل « و » .

لأن الاسم إذا لم يكن معلوما من نص و لا إجماع وجب الرجوع فيه إلى العرف[١] ، و بنى الحال من الكلاب و إن كان المراد العموم ، لأن التأديب فيها أكثر فقال : ﴿ مكلبين ﴾ أى حال كونكم متكلفين تعليم [هذه -[٢]] الكواسب و مبالغين فى ذلك ، قالوا : و فائدة هذه الحال

٥ [٣]أن يكون المعلم[٣] نحريرا فى علمه[٤] موصوفا به ، و أكد ذلك بحال أخرى أو استئناف فقال : ﴿ تعلمونهن ﴾ وحوشا كنّ أو طيورا ﴿ مما علمكم الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال من علم التكليب ، فأفاد ذلك أنّ[٥] على كل طالب لشىء أن [٦]لا يأخذه[٦] إلا من أجلّ العلماء به و أشدهم دراية له و أغوصهم على لطائفه و حقائقه و إن احتاج إلى أن يضرب إليه[٥] أكباد الإبل ، فكم

١٠ من آخذ من غير متقن قد ضيع أيامه ، و عض عند لقاء النجارين إبهامه ! [ثم -[٢]] سبب عن ذلك قوله : ﴿ فكلوا[٢] ﴾ .

و لما كان فى الصيد من العظم و غيره ما لا يؤكل قال : ﴿ مما امسكن ﴾ أى الجوارح مستقرا[٨] إمساكها ﴿ عليكم ﴾ أى على تعليمكم ، لا على جبلتها و طبيعتها دون تعليمكم ، و ذلك هو الذى لم يأكلن منه

١٥ و إن مات قبل إدراك ذكاته ، و أما ما أمسك الجارح على أىّ مستقرا[٨] على جبلته و طبعه ، ناظرا فيه إلى نفاسة نفسه[٥] فلا يحل ﴿ و اذكروا اسم الله ﴾ أى الذى له كل شىء و لا كفوء له ﴿ عليه[ص] ﴾ أى [على -[٢]] ما أمسكن عند إرسال الجارح أو عند الذبح إن أدركت ذكاته ، لتخالفوا سنة الجاهلية

---

(١) فى ظ : الخوف (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : مسله - كذا (٥) سقط من ظ (٦-٦) من ظ ، وفى الأصل : ياخذه (٧) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : كلوا (٨) فى ظ : مستقر .

و تأخذوه من مالكه ، و قد صارت نسبة هذه الجملة - كما ترى - إلى "حرمت عليكم الميتة" نسبة[1] المستثنى إلى المستثنى منه، و إلى مفهوم "غير محلى الصيد و انتم حرم" نسبة الشرح .

و لما كان تعليم الجوارح أمرا خارجا عن العادة [2]فى نفسه و إن كان قد كثر ، حتى صار / مألوفا ، وكان الصيد بها أمرا تُعجب شرعتُه ٥ /١١ و تهز النفوس كيفيتُه ، ختم الآية بما هو خارج عن عادة البشر[2] و طرقها[3] من سرعة الحساب و لطف العلم بمقدار الاستحقاق من الثواب و العقاب ، فقال محذرا من إهمال شيء مما رسمه : ﴿ و اتقوا ﴾ أى حاسبوا أنفسكم و اتقوا ﴿ الله[1] ﴾ أى عالم الغيب و الشهادة القادر على كل شيء فيما أدركتم ذكاته و ما لم تدركوها ، و ما أمسكه الجارح عليكم و ما أمسكه ١٠ على نفسه - إلى غير ذلك من أمور الصيد التى لا يقف عندها إلا من غلبت عليه مهابة الله و استشعر خوفه ، فاتقاه فيما أحل و ما حرم ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لمجامع العظمة ﴿ سريع الحساب ۝ ﴾ أى عالم بكل شيء و قادر عليه فى كل وقت ، فهو قادر على كل جزاء[4] يريده ، لا يشغله أحد عن أحد و لا شأن عن شأن . ١٥

و لما كان قد تقدم النهى عن نكاح المشركات ، و المنافرة لجميع أصناف[5] الكفار ، و بيان بغضهم و عداوتهم ، و الحث على طردهم و منابذتهم "هاأنتم اولاء[5] تحبونهم[6]" و نحوها لضعف[7] الأمر إذ ذاك و شدة الحاجة إلى

(١) من ظ ، و فى الأصل : نسبته (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : طروقها (٤) فى ظ : خيرا (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٣ آية ١١٩ (٧) فى ظ : الضعف .

إظهار الفظاظة[1] و الغلظة لهم لتعظيم دين الله، حتى كانت خلطتهم من أمارات النفاق - كما سيأتى فى كثير من آيات هذه السورة، و كان [الدين -[2]] وصل عند نزولها من العظمة إلى حد لا يحتاج فيه إلى تعظيم معظم، وكانت مخالطة أهل الكتاب لا بد منها عند فتوح البلاد التى وعد الصادق بها، و سبق فى الأزل علمها، فكانت[3] الفتنة فى مخالطتهم قد صارت فى حد الأمن[4]؛ وسّع الأمر بحل طعامهم و نسائهم، فقال تعالى مكررا ذكر الوقت الذى أنزل فيه هذه الآيات، تنبيها على عظم النعمة فيه بتذكر ما هم فيه من الكثرة و الأمن و الجمع و الألفة، و تذكر ما كانوا فيه قبل ذلك من القلة و الخوف و الفرقة، فقال معيدا لصدر الآية التى قبلها إعلاما بعظم النعمة فيه[5]، و مفيدا بذكر وقت الإحلال أنه إحلال مقصود به الثبات، لكونه يوم إتمام النعمة فهو غير الأول: ﴿ اليوم ﴾.

و لما كان القصد إنما هو الحل، لا كونه من محل[6] معين، مع أن المخاطبين بهذه الآيات يعلمون أنه لا محل إلا الله، بنى الفعل[7] للمجهول [فقال -[2]]: ﴿ احل ﴾ أى ثبت الإحلال فلا ينسخ أبدا ﴿ لكم ﴾ أى أيها المؤمنون ﴿ الطيبٰت[4] ﴾ أى التى تقدم فى البقرة وصفها بالحل لزوال الإثم و ملاءمة الطبع، فهى الكاملة فى الطيب.

(١) فى ظ : الفاظه - كذا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل : و كانت.
(٤) زيد بعده فى الأصل : من، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : حل (٧) من ظ، و فى الأصل : المفعول.

و لما كانت الطيبات أعم من المآكل قال : ﴿ و طعام الذين ﴾ و لما كان سبب الحل الكتاب ، و لم يتعلق بذكر مؤتيه غرض ، بنى الفعل للمجهول فقال : ﴿ اوتوا الكتب ﴾ [أى - [1]] مما يصنعونه أو يذبحونه ، و عبر بالطعام الشامل لما ذبح و غيره و إن كان المقصود المذبوح ، [2]لا غيره[2] ، و لا يختلف حاله من كتابى و لا غيره تصريحا بالمقصود ٥ ﴿ حل لكم [3]ص ﴾ أى تناوله لحاجتكم ، أى مخالطتهم للإذن فى إقرارهم على دينهم بالجزية ؛ و لما كان هذا مشعرا بابقائهم[4] على ما اختاروا لأنفسهم زاده تأكيدا بقوله : ﴿ و طعامكم حل لهم ذ ﴾ أى فلا عليكم فى بذله لهم و لا عليهم فى تناوله .

و لما كانت الطيبات أعم من المطاعم[5] و غيرها ، و كانت الحاجة ١٠ إلى المناكح بعد الحاجة إلى المطاعم ، و كانت المطاعم حلالا من الجانبين و المناكح من جانب واحد/ قال : ﴿ و المحصنت ﴾ أى[6] الحرائر ﴿ من المؤمنت ﴾ ثم أكد الإشارة إلى إقرار أهل الكتاب فقال : ﴿ و المحصنت ﴾ أى الحرائر ﴿ من الذين اوتوا الكتب ﴾ و بنى الفعل للمفعول للعلم بمؤتيه مع أنه لم يتعلق بالتصريح به غرض[7] . ١٥ /١٢

و لما كان إيتاؤهم الكتاب لم يستغرق[8] الزمن الماضى ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ أى و هم اليهود و النصارى ، و عبر عن العقد بالصداق

---

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) فى ظ : لأن (٣) زيد من ظ و القرآن الكريم .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : باتقائهم (٥) زيد بعده فى ظ : و كانت المطاعم .
(٦) زيد بعده فى ظ : من (٧) فى ظ : عوض (٨) فى ظ : يستغرق .

للملابسة فقال مخرجا للأمة لأنها لاتعطى الأجر و هو الصداق[١]، لأنها لاتملكه بل يعطاه[٢] سيدها : ﴿ اذ آ اتيتموهن اجورهن ﴾ أى عقدتم لهن[٣]، و دل مساق الشرط على تأكد وجوب الصداق ، و أن من تزوج و عزم على عدم الإعطاء ، كان فى صورة الزانى ، و ورد فيه حديث ، و تسميته ٥ بالأجر تدل[٤] على أنه لا حد لأقله .

و لما كان المراد بالأجر المهر ، و كان فى اللغة يطلق على ما يعطاه[٥] الزانية أيضا ، بينه بقوله : ﴿ محصنين ﴾ أى قاصدين الإعفاف و العفاف ﴿ غير مسفحين ﴾ أى قاصدين صب الماء لمجرد الشهوة جهارا ﴿ و لا متخذى اخدان[٤] ﴾ أى صدائق لذلك فى السر ، جمع خدن ، ١٠ و هو يقع على الذكر و الأنثى ، فكانت هذه الآية مخصصة لقوله تعالى " و لا تنكحوا المشركت حتى يومن[٦] " فبقى على التحريم مما تضمنته تلك ماعدا الكتابيات من الوثنيات و غيرهن من جميع المشركات حتى المنتقلة من الكتابيات من دينها إلى غير دين الإسلام ، و صرح هنا[٧] بالمؤمنات المقتضى لهن قوله تعالى فى النساء " و احل لكم ما وراء ذلكم[٨] " و قوله ١٥ " [٩] و من[٩] لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنت المؤمنت " ، و لعل

(١) العبارة من هنا إلى « يعطاه سيدها » تكررت فى ظ بعد « وجوب الصداق » (٢) فى ظ : يعطاها (٣) فى ظ : بهن (٤) فى ظ : يدل (٥) من ظ ، و فى الأصل : تعطاه (٦) سورة ٢ آية ٢٢١ (٧) فى ظ : هناك (٨) من ظ و القرآن الكريم - آية ٢٤ ، و فى الأصل : ذلك (٩-٩) من القرآن الكريم - آية ٢٥ . و فى الأصل وظ : فن .

ذكر وصف الإحصان الواقع على العفة للتنبيه على أنه لا يقصد المتصفة بغيره لمجرد الشهوة إلا من سلب[1] الصفات البشرية، و أخلد إلى مجرد الحيوانية، فصار فى عداد البهائم، بل أدنى، مع أن التعليق بذلك الوصف لا يفهم الحرمة عند فقده، بل الحل من باب الأولى، لأن من حكم مشروعية النكاح الإعفاف، فاذا شرع إعفاف العفائف كان شرع إعفاف غيرهن ٥ أولى، لأن زناها إما لشهوة أو حاجة[2]، وكلاهما للنكاح مدخل عظيم فى نفيه - و الله أعلم.

و لما كان السر فى النهى عن نكاح المشركات فى الأصل ما يخشى من الفتنة، وكانت الفتنة - و إن علا الدين و رسخ الإيمان و التمين - لم تنزل عن درجة الإمكان، وكانت الصلاة تسمى إيمانا لأنها من أعظم ١٠ شرائعه "و ما كان الله ليضيع ايمانكم[3]" أى صلاتكم، و روى الطبرانى فى الأوسط عن عبد الله بن قرط رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، فان صلحت صلح سائر عمله، و إن فسدت فسد سائر عمله، و له فى الأوسط أيضا بسند ضعيف عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله ١٥ عليه و سلم: أول ما يحاسب به العبد[4] يوم القيامة ينظر فى صلاته، فان صلحت فقد أفلح، و إن فسدت فقد خاب و خسر. و كانت مخالطة الأزواج مظنة للتكاسل عنها، و لهذا أنزلت آية/ "حفظوا على الصلوت[5]" ١٣ /

(١) فى ظ: سبب (٢) من ظ، و فى الأصل: اباحة (٣) سورة ٢ آية ١٤٣.
(٤) سقط من ظ (٥) سورة ٢ آية ٢٣٨.

كما[1] مضى بالمحل الذى هى[2] به ؛ لما كان ذلك كذلك ختمت هذه الآية بقوله تعالى منفرا من نكاحهن بعد إحلاله ، إشارة إلى أن الورع ابتعد[3] عنه ، امتثالا للآيات الناهية عن موادة الحاد لئلا يحصل ميل فيدعو إلى المتابعة ، أو يحصل ولد ، فتستميله[4] لدينها : ﴿ و من ﴾ أى أحل لكم ذلك و الحال أنه من ﴿ يكفر ﴾ أى يوجد و يجدد الكفر على وجه طمأنينة القلب به[2] و الاستمرار عليه إلى الموت ﴿ بالايمان ﴾ أى بسبب التصديق القلبى بكل ما جاءت به الرسل و أنزلت به الكتب ، الذى منه حل الكتابيات ، [5]فيدعوه ذلك[5] إلى نكاحهن ، فتحمله الخلطة على اتباع دينهن ، فيكفر بسبب ذلك التصديق فيكفر[6] بالصلاة التى يلزم[7] من[8] الكفر بها الكفر[9] به ، فاطلاقه عليها[10] تعظيم لها " و ما كان الله ليضيع ايمانكم[11] " أى صلاتكم ﴿ فقد حبط ﴾ أى فسد ﴿ عمله ﴾ أى إذا اتصل ذلك بالموت بدليل قوله : ﴿ و هو فى الآخرة من الخسرين ﴾ و الآية من أدلة إمامنا الشافعى على استعمال اللفظ الواحد فى حقيقته و مجازه ، فحيث قصد التحذير من الكفر حقيقة [فالإيمان حقيقة - [12]] ، و حيث أريد الترهيب من إضاعة الصلاة فهو مجاز ، و مما يؤيد[13] ذلك أن فى السفر الثانى من التوراة : لا تعاهدن[14] سكان الأرض لكيلا تضلوا

(١) من ظ ، و فى الأصل : لما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : اسدع (٤) فى ظ : فتستمليه (٥-٥) فى ظ : فيدعوا بذلك (٦) فى ظ : و يكفر (٧) فى ظ : لم يلزم . (٨) من ظ ، و فى الأصل : فى (٩) تكرر فى ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : عليه (١١) سورة ٢ آية ١٤٣ (١٢) زيد من ظ (١٣) فى ظ : يوكد (١٤) من نص التوراة ، و فى الأصل و ظ : لا تعاهدون .

بأوثانهم، و تذبحوا لآلهتهم، أو يدعوك فتأكل من ذبائحهم، و تزوج بنيك[1] من بناتهم و بناتك من بنيهم، فتضل[2] بناتك خلف آلهتهم[3] و يضل بنوك بآلهتهم؛ و قال فى الخامس منها: و إذا أدخلكم الله ربنا الأرض التى تدخلونها لترثوها، و أهلك[4] شعوبا كثيرة من بين أيديكم: حتانيين و جرجسانيين[5] و أمورانيين و كنعانيين [و فرزانيين -[6]] و حاوانيين ٥ و يابسانيين - سبعة[7] شعوب أكثر و أقوى منكم، و يدفعهم الله ربكم فى أيديكم فاضربوهم واقتلوهم وانفوهم وحرموهم، ولا تعاهدوهم عهدا[8] و لا ترحموهم، و تحاشوهم[9] و لا تزوجوا بناتكم من بنيهم، [و لا تزوجوا بنيكم من بناتهم -[10]] لئلا يغوين بنيكم عن عبادتى، و يخدعنهم فيعبدوا آلهة أخرى، و يشتد غضب الرب عليكم و يهلككم سريعا، و لكن اصنعوا بهم ١٠ هذا الصنيع: استأصلوا مذابحهم، و[11] كسروا أنصابهم[11]، و حطموا أصنامهم المصبوغة، و أحرقوا أوثانهم المنحوتة، لأنكم شعب طاهر لله ربكم - انتهى. و إذا تأملت [جميع -[12]] ذلك، و أمعنت[13] فيه النظر لاح لك سرّ تعقيبها بقوله تعالى فى سياق مشير إلى البشارة بأن هذه الأمة تطيع و لا تعصى فتؤمن و لا تكفر، لما خص به كتابها من البيان الأتم فى النظم المعجز ١٥

---

(١) فى ظ: ابنك (٢) فى ظ: فيضل (٣) فى ظ: الهم (٤) من ظ، و فى الأصل: اهل (٥) من ظ و التوراة، و فى الأصل: جرسنانيين (٦) زيد من نص التوراة (٧) من ظ و التوراة، و فى الأصل: شعبة (٨) فى ظ: عبدا (٩) فى ظ: تحاسوهم (١٠) زيد من ظ و التوراة (١١-١١) فى ظ: نشروا الصبائهم- كذا (١٢) زيد من ظ (١٣) من ظ، و فى الأصل: معنت

مع[1] شرف التذكير بما أفاضه من [شرف-[2]] جليل الأيادى ، فافتتح هذه السورة بالأمر بالوفاء بحق الربوبية ، و أتبعه التذكير بما وفى به سبحانه من حق الربوبية من نوع المنافع فى لذة المطعم و توابعه و لذة المنكح و توابعه ، و قدم المطعم لأن الحاجة إليه فوق الحاجة إلى ٥ المنكح ، فلما أتم ما ألزمه نفسه الأقدس من عهد الربوبية فضلا منه ، أتبعه الأمر بالوفاء بعهد العبودية ، و قدم منه[3] الصلاة لأنها أشرفه بعد الإيمان ، و قدم الوضوء لأنه شرطها فقال: ﴿ يآيها الذين ءامنوآ ﴾ أى أقروا به[3] صدقوه [بأنكم-[2]] ﴿ اذا ﴾ عبر بأداة التحقيق [بشارة-[2]] بأن الأمة مطيعة ﴿ قمتم ﴾ / أى بالقوة ، و هى العزم الثابت على القيام ١٤ / ١٠ الذى هو سبب القيام ﴿ الى الصلوٰة ﴾ أى جنسها محدثين ، لما بينه النبى صلى الله عليه و سلم بجمعه[5] بعده [صلوات بوضوء واحد و إن كان التجديد أكمل ، و خصت الصلاة و مس المصحف من بين الأعمال بالأمر بالوضوء تشريفا لهما-[2]] و يزيد حمل[3] الإيمان على الصلاة حسنا تقدمُ قوله تعالى "اليوم اكملت لكم دينكم" الثابت أنها نزلت على النبى ١٥ صلى الله عليه و سلم بعد عصر يوم عرفة و النبى صلى الله عليه و سلم على ناقته يخطب ، و كان من خطبته فى ذلك الوقت أو[4] فى يوم النحر أو[4] فى كليهما: ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون فى جزيرة العرب[3] ، و لكن فى التحريش بينهم - رواه أحمد و مسلم فى صفة القيامة

---

(١) فى ظ : من (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : بجميعه (٥) من ظ ، و فى الأصل « و » .

و الترمذى عن جابر رضى الله عنه ، فقوله « المصلون » إشارة إلى أن الماحى للشرك هو الصلاة ، فما دامت قائمة فهو زائل ، و متى زالت - و العياذ بالله - رجع ، و إلى ذلك يشير ما رواه مسلم فى صحيحه و أصحاب السنن الأربعة عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: بين العبد و الكفر ترك الصلاة ، و للأربعة و ابن حبان فى صحيحه و الحاكم عن بريدة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : الذى[1] بيننا و بينهم الصلاة ، فمن تركها فقد[1] كفر[2] ، و لأبى يعلى بسند ضعيف عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن أول ما افترض الله على الناس من دينهم الصلاة ، و آخر ما يبقى الصلاة .

و لما كان الوضوء فى سورة النساء إنما هو على سبيل الإشارة إجمالا ، صرح به هنا على سبيل الأمر و فصله ، فقال مجيبا للشرط إعلاما بان الأمر بالوضوء تبع للأمر بالصلاة ، لأن[3] المعلق على الشىء بحرف الشرط يعدم عند عدم الشرط : ﴿ فاغسلوا ﴾ أى لأجل إرادة الصلاة ، و من هنا يعلم[4] وجوب النية ، لأن فعل العاقل لا يكون إلا مقصودا ، و فعل المأمور به لأجل الأمر هو النية ﴿ وجوهكم ﴾ [5] و حدّ الوجه منابت شعر الرأس و منتهى الذقن طولا و ما بين الأذنين عرضا ، و ليس منه داخل العين و إن كان مأخوذا من المواجهة ، لأنه من الحرج ،

(١) سقط من ظ (٢) تكرر بعده فى ظ : فمن تركها فقد كفر (٣) من ظ ، و فى الأصل : لا (٤) من ظ ، و فى الأصل : تعلم (٥) العبارة من هنا إلى « الخفيف فيجب » تأخرت فى الأصل عن « ملتقى العظمين » .

و كذا إيصال الماء إلى البشرة إذا كثفت اللحية خفف للحرج و اكتفى عنه[1] بظاهر اللحية ، و أما العنفقة و نحوها من الشعر الخفيف فيجب ﴿و ايديكم﴾.

و لما كانت اليد تطلق على ما بين المنكب و رؤس الأصابع ، قال مبينا أن ابتداء الغسل يكون من الكفين ، لأنهما لعظم النفع أولى بالاسم : ﴿ الى المرافق﴾ أى آخرها ، أخذا من بيان النبى صلى الله عليه و سلم بفعله ، فانه كان يدير الماء على مرفقيه ، و إنما كان[2] الاعتماد على[2] البيان لأن الغاية تارة تدخل كقوله[3] تعالى "من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى[4]" و تارة لا تدخل كقوله[3] تعالى "ثم اتموا الصيام الى الّيل[5]" و المرفق ملتقى العظمين ، و عفى عما فوق ذلك تخفيفا ﴿ و امسحوا ﴾ و لما عدل عن تعدية الفعل إلى الرأس ، فلم يفعل كما فعل فى الغسل مع الوجه ، بل أتى بالباء فقال : ﴿ برءوسكم ﴾ علم أن المراد إيجاد ما يسمى مسحا فى أى موضع كان من الرأس ، دون خصوص التعميم و هو معنى قول الكشاف : المراد إلصاق المسح بالرأس ، و ماسح بعضه و مستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح .

و لما كان غسل الرجل مظنة الإسراف فكان مأمورا بالاقتصاد فيه ، و كان المسح على الخف سائغا كافيا ، قرئ : ﴿ و ارجلكم ﴾ بالجر على المجاورة[6] إشارة إلى ذلك [أو لأن الغاسل يدلك فى الأغلب ،

---

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) فى ظ : على اعتماد (٣) فى ظ : لقوله (٤) سورة ١٧ آية ١ (٥) سورة ٢ آية ١٨٧ (٦) فى ظ : المجاوزة .

قال فى القاموس : المسح كالمنع : إمرار اليد على الشىء السائل . فيكون فى ذلك إشارة أيضا إلى استحباب الدلك ، و القرينة الدالة على استعمال هذا المشترك فى أحد المعنيين قراءة النصب و بيان النبي صلى الله عليه و سلم ، و مر استعماله فيه - [1] و [فيه الإشارة إلى الرفق - [1]] بالنصب على الأصل . ٥

/ و لما كانت الرجل من موضع الانشعاب[2] من الأسفل إلى آخرها، /١٥ خص بقوله دالا بالغاية على أن المراد الغسل - كما مضى فى المرافق ، لأن المسح[3] لم يرد فيه غاية فى الشريعة ، و[4] على [أن - [1]] ابتداء الغسل يكون من رؤس الأصابع ، لأن القدم بعظم[5] نفعه أولى باسم الرجل: ﴿ الى[6] الكعبين[1] ﴾ و هما العظمان الناتيان عند مفصل الساق و القدم ، ١٠ و ثنى إشارة إلى أن لكل رجل كعبين ، و لو قيل : إلى الكعاب ، لفهم أن الواجب كعب واحد من كل رجل - كما ذكره الزركشى فى مقابلة الجمع بالجمع من حرف الميم من قواعده، و الفصل بالمسح بين[4] المغسولات معلم بوجوب الترتيب ، لأن عادة العرب - كما نقله الشيخ محي الدين النووى فى شرح المهذب عن الأصحاب - أنها لا تفعل ذلك إلا للاعلام بالترتيب ، و قال ١٥ غيره معللا لما ألزمته العرب : ترك التميز بين النوعين بذكر كل منهما على حدته مستهجن[7] فى الكلام البليغ لغير فائدة ، فوجب تنزيه كلام الله

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : اشعاب (٣) فى ظ : المراد .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : العظم (٦) زيد من ظ و القرآن الكريم (٧) فى ظ : مهجين - كذا .

عنه أيضا ، فدلالة الآية على وجوب البداءة بالوجه مما لا مدفع له لترتيبها له[1] بالحراسة على الشرط بالفاء ، و ذلك مقتضٍ لوجوب الترتيب فى الباقى إذ لا قائل بالوجوب بالبعض دون البعض ، و لعل تكرير الأمر بالغسل و التيمم للاهتمام بهما ، و للتذكير[2] بالنعمة فى التوسعة بالتيمم ، و أن حكمه باقٍ عند أمنهم و سعتهم كراهة أن يظن[3] أنه إنما كان عند خوفهم و قلتهم و ضيق التبسط[4] فى الأرض ، لظهور الكفار و غلبتهم ، كما كانت المتعة تباح تارة و تمنع أخرى نظرا إلى الحاجة و فقدها ، و للاشارة إلى أنه من خصائص هذه الأمة ، و الإعلام بأنه لم يُرِد به و لا بشىء من المأمورات و المنهيات قبله الحرجَ ، و إنما أراد طهارة الباطن و الظاهر من أدناس الذنوب و أوضار الخلائق السالفة[5] ، فقال تعالى معبرا بأداة الشك إشارة إلى أنه قد يقع و[6] قد لا يقع[6] و هو نادر[7] على تقدير[8] وقوعه ، عاطفا على ما تقديره : هذا إن كنتم محدثين حدثا أصغر : ﴿ و ان كنتم ﴾ [9]أى حال القصد للصلاة ﴿ جنبا ﴾ أى ممنين باحتلام أو غيره ﴿ فاطهروا ﴾ أى بالغسل إن كنتم خالين عن عذر لجميع البدن ، لأنه أطلق و لم يخص ببعض الأعضاء كما فى الوضوء .

و لما أتم أمر الطهارة عزيمة بالماء من الغسل و الوضوء ، و بدأ بالوضوء لعمومه ، ذكر الطهارة رخصة بالتراب ، فقال معبرا بأداة الشك إشارة إلى أن الرخاء أكثر من الشدة : ﴿ و ان كنتم[9] مرضى ﴾ أى

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : التذكير (٣) فى ظ : تظن (٤) فى ظ : البسط .
(٥) فى ظ : السافلة (٦-٦) فى ظ : قد يقع (٧) فى ظ : قادر (٨) فى ظ : تقديره ، و العبارة من بعده إلى «ما تقديره» ساقطة منه (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بجراح

بجراح أو غيره ، فلم تجدوا ماء حسا أو[1] معنى بعدم القدرة على استعماله وأنتم جنب[2] ﴿ او على سفر ﴾ طويل أو قصير كذلك ، [و لما ذكر الأكبر أتبعه الأصغر فقال - [3]] : ﴿ او جآء احد منكم ﴾ و هو غير جنب ﴿ من الغآئط ﴾ أى الموضع المطمئن من الأرض و هو [أىّ - [3]] مكان التخلى ، أى قضيتم حاجة الإنسان التى لا بد له[4] منها ، و ينزه الكتاب عن التصريح بها لأنها من النقائص المذكّرة[5] له بشديد عجزه و عظيم ضرورته[6] و فقره[7] ليكف من إعجابه وكبره و ترفعه و فجره - كما ورد أن بعض الأمراء لقى[8] بعض البله فى طريق[9] فلم يفسح له ، فغضب / و قال : كأنك ما تعرفنى ؟ فقال : بلى و الله ! إنى لأعرفك ، أولك[10] نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة ، و أنت فيما بين[4] ذلك تحمل العذِرة[11] . ١٦/

و لما ذكر ما يخص الأصغر ذكر ما[12] يعم الأكبر فقال : ﴿ او لمستم النسآء ﴾ أى بالذكر أو غيره أمنيتم أو لا ﴿ فلم تجدوا مآء ﴾ أى حسا أو معنى بالعجز عن[13] استعماله للمرض[14] بجرح أو غيره ﴿ فتيمموا ﴾ أى اقصدوا[4] قصدا متعمدا ﴿ صعيدا ﴾ أى ترابا ﴿ طيبا ﴾ أى طهورا خالصا ﴿ فامسحوا ﴾ .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل « و » (٢) فى ظ : جنبا (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل و ظ : المذكورة (٦) فى ظ : سورته (٧) من ظ ، و فى الأصل : فقر (٨) فى ظ : القى (٩) فى ظ : الطريق (١٠) فى ظ : تلك . (١١) هى الغائط و أردأ ما يخرج من الطعام (١٢) فى ظ : بما (١٣) من ظ ، و فى الأصل : من (١٤) فى ظ : للريض .

و لما كان التراب لكثافته لا يصل إلى ما يصل إليه الماء بلطافته، قصّر الفعل و عدّاه بالحرف إشارة إلى الاكتفاء بمرة و العفو عن المبالغة، و بينت السنة[1] أن المراد جميع العضو، فقال: ﴿ بوجوهكم و ايديكم منه[2] ﴾ أى حال النية التى هى القصد الذى هو التيمم، ثم أشار لهم إلى حكمته سبحانه فى هذه الرخصة فقال مستأنفا: ﴿ ما يريد الله ﴾ أى الغنى الغنى[2] المطلق ﴿ ليجعل عليكم ﴾ [3]و أغرق[3] فى النفى بقوله: ﴿ من حرج ﴾ أى ضيق علما منه بضعفكم، فسهل عليكم ما كان عسره على من [كان -[4]] قبلكم، و إكراما لكم لأجل نبيكم صلى الله عليه وسلم، فلم يأمركم إلا بما يسهل عليكم ليقل عاصيكم ﴿ و لكن يريد ليطهركم ﴾ أى ظاهرا و باطنا بالماء و التراب و بامتثال الأمر على [ما -[4]] شرعه سبحانه، عقلتم معناه أو لا، مع تسهيل الأوامر و النواهى [5]لكيلا يوقعكم التشديد[5] فى المعصية التى هى رجس الباطن ﴿ و ليتم نعمته ﴾ أى فى التخفيف فى[6] العزائم ثم فى الرخص، و فى وعدكم بالأجور على ما شرع لكم من الأفعال ﴿ عليكم ﴾ لأجل تسهيلها، ليكون فعلكم لها و استحقاقكم لما رتب عليها من الأجر مقطوعا به، إلا لمن لج طبعه فى العوج، و تمادى فى الغواية و الجهل و البطر ﴿ لعلكم[7] تشكرون ٥ ﴾ أى و[2] فعل ذلك كله - هذا[8] التسهيل و غيره - ليكون حالكم لما سهل

(١) من ظ، و فى الأصل: بالسنة (٢) سقط من ظ (٣-٣) فى ظ: اوعرف.
(٤) زيد من ظ (٥-٥) فى ظ: ليلا يوقعكم الشديد (٦) فى ظ «و» (٧) فى الأصل و ظ: و لعلكم، و التصحيح من القرآن الكريم (٨) فى ظ: فى.

عليكم حال من يرجى صرفه لنعم ربه عليه[1] فى طاعته [2]المسهلة له[2] المحببة إليه؛ روى البخارى فى التفسير و غيره عن عائشة رضى الله عنها قالت: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم [3]فى بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لى، فأقام رسول الله صلى الله عليه و سلم[3] على التماسه، و أقام الناس معه، و ليسوا على ماء ٥ و ليس معهم ماء - و فى رواية: سقطت قلادة لى بالبيداء و نحن داخلون[4] المدينة، فأناخ النبى صلى الله عليه وسلم و نزل، فثنى رأسه فى حجرى راقدا - فأتى الناس إلى أبى بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ فجاء أبو بكر[5] فلكزنى لكزة شديدة و قال: حبست النبى صلى الله عليه و سلم فى قلادة، فبى[6] الموت لمكان رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد ١٠ أوجعنى، ثم إن النبى صلى الله عليه و سلم استيقظ و حضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد، فنزلت "يايها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلوٰة" - الآية، و فى رواية: فأنزل الله آية التيمم "فتيمموا" فقال أسيد بن حضير[7]: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبى بكر! [3]ما أنتم إلا بركة لهم، و فى رواية: ما هى بأول بركتكم يا آل أبى بكر[3]، قالت: فبعثنا[8] البعير الذى ١٥

(١) فى ظ: عليكم (٢ - ٢) فى ظ: يشتمله - كذا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد فى ظ: فى (٥) من ظ، و فى الأصل: ابا بكر (٦) من صحيح البخارى، و فى الأصل: فهى، و فى ظ: فتى (٧) من الصحيح، و فى الأصل و ظ: الحضير (٨) فى ظ: فبعث.

١٧ / كنت عليه فاذا العقد تحته[1]، و فى رواية له / عنها فى النكاح أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم ناسا[2] من أصحابه فى طلبها ، فأدركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء ، فلما أتوا النبى صلى الله عليه و سلم شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم ، فقال أسيد ٥ ابن حضير : جزاك الله خيرا ! فوالله ما نزل بك أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجا ، و جعل للمسلمين[3] فيه بركة . و هذا الحديث يدل على أن هذه الآية نزلت قبل آية النساء ، فكانت تلك نزلت بعد ذلك لتأكيد هذا الحكم و مزيد الامتنان به ، لما فيه من عظيم اليسر و ليحصل فى التيمم من الجنابة نص خاص ، فيكون ذلك أفخم لشأنها و أدل على ١٠ الاهتمام [بها -[4]] .

و لما كان فى هذه المأمورات و المنهيات خروج عن المألوفات ، و كانت الصلاة أوثق عرى الدين ، و كان قد عبر عنها بالإيمان الذى هو أصل الدين و أساس الأعمال ، عطف عليها قوله تذكيرا[5] بما يوجب القبول و الانقياد : ﴿ و اذكروا ﴾ أى ذكر اتعاظ و تأمل و اعتبار .

١٥ و لما كان المقصود من الإنعام غايته قال : ﴿ نعمة الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ عليكم ﴾ أى فى هدايته لكم إلى الإسلام بعد أن كنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، و فى غير ذلك من جميع النعم ، و إنما

(١) من الصحيح ، و فى الأصل : بحجته ، و فى ظ : بمنه - كذا (٢) من ظ والصحيح، وفى الأصل : ناس (٣) من ظ والصحيح ، وفى الأصل : للمسكين .
(٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : تذكير .

لم تجمع[1] لئلا يظن أن المقصود تعداد النعم، لا الندب إلى الشكر بتأمل أن هذا الجنس لا يقدر عليه غيره سبحانه، و عظّم رسول الله صلى الله عليه و سلم كما يستحقه بجعل فعله سبحانه فعله صلى الله عليه و سلم فقال: ﴿و ميثاقه﴾ أى عقده الوثيق ﴿الذى واثقكم به[2]﴾ أى بواسطة رسوله صلى الله عليه و سلم حين بايعكم ليلة العقبة على السمع و الطاعة فى العسر و اليسر و المنشط و المكره ﴿اذ﴾ أى حين ﴿قلتم سمعنا و اطعنا[3]﴾ و فى ذلك تحذير من مثل ما أراد بهم[2] شاس بن قيس، و تذكير[3] بما أوجب له صلى الله عليه و سلم عليهم من الشكر بهدايته لهم إلى الإسلام المثمر لالتزام تلك العهود ليلة العقبة الموجبة للوفاء الموعود عليه الجنة، و التفات[4] إلى قوله أول السورة "اوفوا بالعقود" و حديث إسباغ الوضوء على المكاره مبيّنٌ لحسن هذا التناسب.

و لما كان أمر الوفاء بالعهد صعبا، لا يقوم به إلا من صدقت عريقته[5] و صلحت سريرته، و إنما يحمل عليه مخافة الله قال: ﴿واتقوا الله[4]﴾ أى اجعلوا بينكم و بين ما يغضب الملك الأعظم - الذى يفعل ما يشاء - من نقض العهد وقاية من حسن القيام، لتكونوا فى أعلى[6] درجات وعيه[6]، ثم علل ذلك مرغبا مرهبا بقوله: ﴿ان الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿عليم﴾ أى بالغ العلم ﴿بذات الصدور[5]﴾ أى أحوالها من سرائرها[7]

(١) فى ظ: لم يجمع (٢) فى ظ: به (٣) من ظ، و فى الأصل: تذكيرا (٤) فى الأصل و ظ: التفاتا (٥) فى ظ: عزيمته (٦ - ٦) فى ظ: الدرجات رعيه (٧) فى ظ: سائرها.

و إن كان صاحبها لم يعلمها لكونها لم تبرز[1] إلى الوجود ، و علانيتها و إن كان صاحبها قد نسيها[2] .

و لما تقدم القيام إلى الصلاة ، و تقدم ذكر الأزواج المأمور فيهن بالعدل فى أول النساء و أثنائها ، و كان فى الأزواج المذكورات هنا الكافرات ، ناسب تعقيب ذلك بعد الأمر بالتقوى بقوله تعالى : ﴿ يآيها الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان ، و لما كان العدل فى غاية الصعوبة على الإنسان ، فكان لذلك يحتاج المتخلق به إلى تدريب / كبير ليصير صفة راسخة ، عبر بالكون فقال تعالى : ﴿ كونوا قوّامين ﴾ أى مجتهدين فى القيام على النساء اللاتى أخذتموهن بعهد الله ، و استحللتم فروجهن بكلمة الله ، و على غيرهن فى الصلاة و غيرها من جميع الطاعات التى[3] عاهدتم على الوفاء بها .

١٨ /

و لما كان مبنى السورة على الوفاء بالعهد الوثيق ، و كان الوفاء بذلك إنما يخف[4] على النفوس ، و يصح النشاط فيه ، و يعظم العزم عليه بالتذكر[5] بجلالة موثقه و عدم انتهاك حرمته ، لأن[6] المعاهد إنما يكون باسمه و لحفظ حده و رسمه ، قدم قوله : ﴿ لله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء - بخلاف ما مضى فى النساء .

و لما كان من جملة المعاقد[7] عليه ليلة العقبة - ليلة تواثقوا على الإسلام - أن يقولوا بالحق حيث ما كانوا ، لا يخافون فى الله لومة لائم ،

(١) من ظ ، و فى الأصل : لم تبرزه (٢) فى ظ : كسبها (٣) فى ظ : اللاتى (٤) فى ظ : يخفى (٥) فى ظ : بالتذكير (٦) من ظ ، و فى الأصل : إنما (٧) فى ظ : المعاقدين .

قال : ﴿ شهدآء ﴾ أى متيقظين محضرين أفهامكم غاية الإحضار[1] بحيث لا يسد عنها شيء مما تريدون[2] الشهادة به ﴿ بالقسط د ﴾ أى العدل ، و قال الإمام أبو حيان فى نهره : إن التى [جاءت - ٣] فى سورة النساء جاءت فى معرض الاعتراف على نفسه و على الوالدين و الأقربين ، فبدأ[4] فيها بالقسط الذى هو العدل [5]و السواء[5] من غير محاباة نفس و لا والد[6] و لا قرابة ، و هنا جاءت فى معرض ترك العداوات و الأحن ، فبدئ[7] فيها بالقيام لله إذ كان الأمر بالقيام لله أولا أردع للمؤمنين[8] ، ثم أردف بالشهادة بالعدل ، فالتى فى معرض المحبة و المحاباة بدئ فيها بما هو آكد و هو القسط ، و[1] التى فى معرض العداوة والشنآن بدئ[9] فيها بالقيام لله ، فناسب كل معرض ما جيء به إليه ، و أيضا فتقدم هناك حديث النشوز و الإعراض و قوله "و لن تستطيعوا ان تعدلوا[10] " و قوله " فلا جناح عليهما ان يصالحا[11] " فناسب [ذكر - ٣] تقديم القسط ، و هنا تأخر ذكر العداوة فناسب أن يجاورها ذكر القسط - انتهى .

و لما كان[1] أمر بهذا الخبر ، نهى مما يحجب[12] عنه فقال : ﴿ ولا يجرمنكم ﴾

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تريدوان - كذا (٣) زيد من النهر - راجع البحر المحيط ٣/٤٤٠ (٤) من النهر ، و فى الأصل وظ : فبدى (٥-٥) فى ظ : السواء ، و فى النهر : والسوال - كذا (٦) فى ظ : ولد (٧) من ظ و النهر ، و فى الأصل : فبدا (٨) من النهر ، و فى الأصل وظ : للومن (٩) من النهر ، و فى الأصل وظ : بدا (١٠) سورة ٤ آية ١٢٩ (١١) فى النهر : يصلحا - راجع سورة ٤ آية ١٢٨ . (١٢) فى ظ : يجب .

أى يحملنكم ﴿ شنآن قوم ﴾ [أى - [1]] شدة عداوة مَنْ لهم قوة على القيام فى الأمور من المشركين ، بحيث يخشى من إهمالهم ازدياد قوتهم ﴿ علّى الا تعدلوا[1] ﴾ أى [أن - [1]] تتركوا قصد العدل ، و هو يمكن أن يدخل فيه بغض أهل الزوجة الكافرة أو ازدراؤها[2] فى شىء من حقوقها لأجل خسة دينها ، فأمروا بالعدل حتى بين [هذه - [1]] المرأة الكافرة و ضرّاتها المسلمات ، و إذا[3] كان هذا شأن الأمر به فى الكافر فما الظن به فى المسلم ؟ ثم استأنف قوله آمرا بعد النهى تأكيدا[4] لأمر العدل : ﴿ اعدلوا قف ﴾ أى تحروا العدل و اقصدوه فى كل شىء حتى فى هذه الزوجات و فيمن يجاوز[5] فيكم الحدود ، فكلما عصوا الله فيكم أطيعوه[6] فيهم ، فان الذى منعكم من التجاوز خوفه يريكم من النصرة و صلاح الحال ما يسركم .

و لما كان ترك [7]قصد العدل[7] قد يقع لصاحبه[8] العدل اتفاقا ، فيكون قريبا من التقوى ، قال مستأنفا و[9] معللا : ﴿ هو ﴾ أى قصد العدل ﴿ اقرب ﴾ أى من ترك قصده ﴿ للتقوى ز ﴾ و الإحسان الذى يتضمنه الصلح أقرب من العدل إليها ، و تعدية " اقرب " باللام دون ' إلى ' المقتضية لنوع بُعد زيادة فى الترغيب - كما مر[10] /فى البقرة ؛ [و لما كان الشىء لا يكون إلا بمقدماته ، و كان قد علم من هذا أن العدل مقدمة التقوى ، قال عاطفا

/١٩

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل و ظ : هى (٣) فى ظ : ان (٤) من ظ ، و فى الأصل : بتاكيدا (٥) فى ظ : تجاوز (٦) فى ظ : اطيعوا الله (٧-٧) فى ظ : القول - كذا (٨) فى ظ :لمصاحبة (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : مضى .

على النهى أو على نحو: فاعدلوا - [1]]: ﴿ و اتقوا الله [4] ﴾ [2] أى اجعلوا [2] بينكم و بين غضب الملك الأعظم وقاية بالاحسان [3] فضلا عن العدل، و يؤيد كون الآية ناظرة إلى النكاح مع ما ذكر [4] ختامُ آية الشقاق التى فى أول النساء بقوله "[5] ان الله [5] كان عليما خبيرا [6]"، و ختام قوله تعالى فى أواخرها "و ان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا" بقوله ٥ "فان [7] الله كان بما تعملون خبيرا" و ختام هذه بقوله معللا [8] لما قبله [8]: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ خبير بما تعملون ﴾ لأن ما بين الزوجين ربما دق علمه عن إدراك غير العليم الخبير؛ و قال أبو حيان: لما كان الشنآن محله القلب، و هو الحامل على ترك العدل، أمر بالتقوى و أتى بصفة "خبير" و معناها "عليم" و لكنها مما تختص [9] بما لطف إدراكه - ١٠ انتهى. "و شهداء" يمكن أن يكون من الشهادة [10] التى هى حضور القلب - كما تقدم من قوله "او القى السمع و هو شهيد [11]" و أن يكون من الشهادة المتعارفة، و يوضح المناسبة فيها مع تأييد إرادتها كونها بعد قوله "ان الله عليم بذات الصدور" و مع قوله تعالى "و من يكتمها

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) فى ظ: الذى جعل (٣) من ظ، و فى الأصل: الانسان - كذا (٤) فى ظ: ذكرنا (٥ - ٥) فى ظ: انه (٦) آية ٣٥.
(٧) من القرآن الكريم آية ١٢٨، وفى الأصل و ظ: ان (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من ظ و البحر المحيط ٣ / ٤٤١، و فى الأصل: يختص.
(١٠) العبارة من هنا إلى «من الشهادة» سقطت من ظ (١١) سورة ٥٠ آية ٣٧.

فانه اٰثم قلبه[١] ،، و ختام آية النساء التى فى الشهادة بقوله[٢] ،، و ان تلوّا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا[٣] ،، كما ختمت هذه بمثل ذلك .

و لما أمر سبحانه و نهى[٤]، بشر و حذر فقال: ﴿ وعد الله ﴾ أى الملك الذى له الكمال المطلق فله كل شىء ﴿ الذين اٰمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان بألسنتهم ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لهذا الإقرار ﴿ الصٰلحٰت[٥] ﴾ و ترك المفعول الثانى[٢] أقعد فى باب البشارة[٥]، فانه يحتمل كل خير، و تذهب النفس فى تحريزه[٦] كل مذهب .

و لما كان الموعود شيئين : فضلا و إسقاط حق، قدم الإسقاط تأمينا للخوف، فقال واضعا له موضع الموعود فى صيغة دالة على الثبات و الاختصاص: ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى لما فرط منهم لما طبع الإنسان عليه من النقص نسيانا أو عمدا، بعمل الواجبات إن كان صغيرة، و بالتوبة إن كان كبيرة، و فيه إشارة إلى أنه لا يقدر [٧]أحد أن يقدر[٧] الله حق قدره؛ و لما أمنهم بالتجاوز أتبعه الجود بالعطاء فقال: ﴿ و اجر ﴾ أى على قدر درجاتهم من حسن العمل ﴿ عظيم ﴾ أى لا يدخل تفاوت درجاته تحت الحصر .

و لما قدم الوعد لأنه فى سورة الذين آمنوا أتبعه الوعيد لأضدادهم، و هو أعظم وعد لأحبابه المؤمنين أيضا فقال: ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى غطوا ما اتضح لعقولهم من أدلة الوحدانية ﴿ و كذبوا ﴾ أى زيادة

---

(١) سورة ٢ آية ٢٨٣ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٤ آية ١٣٥ (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: الابشارة - كذا (٦) فى ظ: تجويزه (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

على الستر بالعناد: ﴿ بآيٰتنا ﴾ على ما لها من العظمة فى أنفسها و باضافتها إلينا ﴿ اولٰئك ﴾ أى البغضاء البعداء من الرحمة خاصة ﴿ اصحٰب الجحيم ۝ ﴾ أى النار التى اشتد توقدها فاشتد احمرارها، فلا يراها شىء إلا أجحم عنها، فهم يلقون[1] فيها بما أقدموا على ما هو أهل للاجحام عنه من التكذيب بما لا ينبغى[2] لأحد التكذيب به، ثم يلازمونها فلا ينفكون ٥ عنها كما هو شأن الصاحب.

و لما كان من الأجر ما يحصل من أسباب السعادة فى الدنيا، قال تعالى ذاكرا لهم بعض ذلك مذكرا ببعض ما خاطبهم به[3] ليقدموا على مباينة الكفرة و يقفوا / عند حدوده كائنة ما كانت: ﴿ يٰأيها الذين اٰمنوآ ﴾ / ٢٠ أى صدقوا بالله و رسوله و كتابه ﴿ اذكروا نعمت الله ﴾ أى الذى ١٠ أحاط بكل شىء قدرة و علما ﴿ عليكم ﴾ عظمها بابهامها، ثم زادها تعظيما بالتذكير بوقتها فقال: ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ همّ قوم ﴾ أى لهم قوة و منعة و قدرة على ما يقومون فيه ﴿ ان يبسطوآ اليكم ايديهم ﴾ أى بالقتال و القتل، و هو شامل - مع ذكر من أسباب نزوله - لما[4] اتفق صيحة ليلة العقبة من أن قريشا تنطست[5] الخبر عن البيعة، فلما صح عندهم طلبوا ١٥ أهل البيعة ففاتوهم إلا أنهم أدركوا سعد بن عبادة بأذاخر، و المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة، و كلاهما كان نقيبا، فأما المنذر فأعجزهم، و أما سعد فأخذوه[6] فربطوه و أقبلوا يضربونه، حتى خلصه الله منهم بجبير بن مطعم

(١) فى ظ: يقولون (٢) فى ظ: ينبغى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: بما (٥) أى تجسست و بحثت، و فى ظ: تنسطت - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل: فاخذوا.

و الحارث بن حرب بن أمية بما كان بينه و بينهما من الجوار ، فكان فى سوق الآية بعد آية الميثاق الذى أعظمه ما كان ليلة العقبة أعظم مذكر بذلك ﴿ فكف ايديهم عنكم ج ﴾ أى مع قلتكم و كثرتهم[1] و ضعفكم و قوتهم ، و لم يكن لكم[2] ناصر[3] إلا الذى[4] آمنتم به تلك الليلة و توكلتم عليه و بايعتم رسوله ، فكف ببعض[5] الأعداء عنكم أيدى بعض ، و لو شاء لسلطهم عليكم كما سلط ابن آدم على أخيه ؛ و ينبغى [6]أن يعلم[6] أن القصة التى عُزيت فى بعض التفاسير هنا إلى بنى قريظة فى الاستعانة فى دية القتيلين إنما هى لبنى النضير ، و هى كانت سبب إجلائهم .

و لما أمرهم بذكر النعمة ، عطف على ذلك الأمر الأمر[7] بالخوف من المنعم أن[7] يبدل نعمته بنقمة فقال : ﴿ و اتقوا الله[8] ﴾ أى الملك الذى لا يطاق انتقامه لأنه لا كفوء له ، حذرا من أن يسلط عليكم أعداءكم و[7] من غير ذلك من سطواته .

و لما كان التقدير : على[8] الله وحده فى كل حالة فتوكلوا ، فانه جدير بنصر من انقطع إليه و لم يعتمد إلا عليه ، عطف على ذلك قوله تعميما و تعليقا للحكم بالوصف : ﴿ و على الله ﴾ أى وحده لكونه لا مثل له ﴿ فليتوكل المؤمنون ﴾ أى فى كل وقت فانه يمنعهم إذا شاء كهذا المنع و إن اشتد الخطب و تعاظم الأمر . فتوكلوا و لا تنكلوا عن[9] أعدائكم الذين وعدكم الله أرضهم و ديارهم و أبناءهم و تهابوا جموعهم كما هاب[10]

(١) فى ظ : كثرتكم (٢) فى ظ : لهم (٣) فى الأصل و ظ : ناصرا (٤) فى ظ : الذين.
(٥) فى ظ : بعض (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : فعلى (٩) فى ظ : على (١٠) فى ظ : هابوا .

بنو إسرائيل - كما سيقص عليكم، و قوله هنا " المؤمنون "، و[1] فى قصة بنى إسرائيل " ان كنتم مؤمنين[2] " شديد التآخى[3]، معلم بمقامى الفريقين، و حينئذ حسن كل الحسن تعقيبها مع ما تقدم من أمر العقبة و أمر بنى النضير فى نقضهم عهدهم و غدرهم، بما هموا به من قتل النبى صلى الله عليه و سلم بالقاء الرحى عليه من سطح البيت الذى أجلسوه إلى جانبه، بقوله ٥ إشارة إلى أن اليهود ما زالوا على النقض قديما، تحذيرا للمؤمنين من أن يكونوا مثلهم فى النقض لئلا يحل بهم ما حل بهم من الصغار، و إعلاما بأن عادته سبحانه فى الإلزام بالتكاليف قديمة غير مخصوصة بهم، بل هى عامة لعباده و قد كلف أهل الكتاب، تشريفا لهم بمثل ما كلفهم به، و رغبهم و رهبهم ليسابقوهم فى الطاعة، فان الأمر إذا عم هان[4]، ١٠ و الإنسان إذا سابق اجتهد فى أخذ الرهان[5]، و أكد الخبر بذلك لئلا يظن لشدة انهماكهم فى النفس[6] أنه لم يسبق لهم عهد [7]قبل ذلك[7] فقال تعالى/ : ﴿ و لقد اخذ الله ﴾ أى بما له من جميع الجلال و العظمة و الكمال /٢١ ﴿ ميثاق بنى اسرآءيل ج ﴾ أى العهد الموثق بما أخذ عليكم من السمع و الطاعة ﴿ و بعثنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ منهم اثنى عشر نقيبا[8] ﴾ ١٥ أى شاهدا، على كل سبط نقيب يكفلهم[8] بالوفاء بما عليهم من[1] الوفاء به - كما بعثنا منكم ليلة العقبة [9]اثنى عشر نقيبا[9] و أخذنا منكم الميثاق على

(١) سقط من ظ (٢) آية ٢٢ (٣) فى ظ : الناجى (٤) فى ظ : هناك - كذا (٥) من ظ ، وفى الأصل : البراهين (٦) فى ظ : الفسق (٧-٧) سقط مابين الرقمين من ظ . (٨) فى ظ : يكلفهم (٩-٩) تكرر فى ظ بعد « منكم الميثاق » .

ما أحاله[1] الإسلام - كما قال كعب بن مالك رضى الله عنه فى تخلفه عن تبوك : و لقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، و أما تفصيله فمذكور فى السير ، و النقيب : الذى ينقب عن أحوال القوم كما قيل : عريف ، لأنه يتعرفها ، و من ذلك المناقب

٥ و هى الفضائل ، لأنها لا تظهر إلا بالتنقيب عنها ﴿ و قال الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما لبنى إسرائيل ، و أكد[2] لتكرر[3] جزعهم و تقلبهم فقال : ﴿ انى معكم[4] ﴾ و هو كناية عن الكفاية لأن القادر إذا كان مع أحد كان كذلك[4] إذا لم يغضبه .

و لما أنهى[5] الترغيب بالمعية استأنف[6] بيان [شرط - [7]] ذلك بقوله

١٠ مؤكدا لمثل ما مضى : ﴿ لئن اقمتم ﴾ أى أنشأتم[8] ﴿ الصلوٰة ﴾ أى التى هى صلة ما بين العبد و الخالق ، بجميع شروطها و أركانها ؛ [و لما كان -[7]] المقصود من الإنفاق المؤاساة بالإيتاء قال : ﴿ و اٰتيتم الزكوٰة ﴾ أى التى هى بين [9]الحق و الخلائق[9] .

و لما كان الخطاب مع من آمن بموسى عليه السلام ، و كانوا [فى -[7]]

١٥ كل قليل يتردعون عن اتباعه أو كمال اتباعه ، و كان سبحانه عالما بأن ميلهم بعده يكون أكثر ، فرتب فى الأزل أنه تواتر إليهم بعده الرسل يحفظونهم عن الزيغ و يقوّمون منهم الميل قال[10] : ﴿ و اٰمنتم برسلى ﴾ أى

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : اعاله (٢) من ظ ، و فى الأصل : ذاكرا - كذا (٣) فى ظ : ليكرر (٤) فى ظ : لذلك (٥) فى ظ : انتهى (٦) تقدم فى الأصل على «انهى الترغيب» ، و زيد بعده فى الأصل : شرطا ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : استام - كذا (٩-٩) فى ظ : الخلق و الخالق (١٠) سقط من ظ .

أدمتم الإيمان بموسى عليه السلام، و جددتم الإيمان بمن يأتى بعده، فصدقتموهم[1] فى جميع ما يأمرونكم به[2] ﴿ و عزرتموهم ﴾ أى ذببتم عنهم و نصرتموهم و منعتموهم أشد المنع، و التعزير و التأزير من باب واحد.

و لما كان من أعظم المصدق للإيمان و نصر الرسل بذل المال فهو البرهان قال: ﴿ و اقرضتم الله ﴾ أى الجامع لكل وصف جميل ٥ ﴿ قرضا حسنا ﴾ أى بالإنفاق فى جميع سبل الخير، و أعظمها الجهاد و الإعانة فيه للضعفاء.

و لما كان الإنسان محل النقصان، فهو لا ينفك عن زلل أو تقصير و إن اجتهد فى صالح العمل، قال سادًّا - بجواب القسم الذى وطّأت له اللام الداخلة على الشرط - مسدّ جواب الشرط: ﴿ لاكفرن ﴾ أى ١٠ لأسترن ﴿ عنكم سيآتكم ﴾ أى فعلكم لما من شأنه أن يسوء ﴿ و لادخلنكم ﴾ أى فضلا منى ﴿ جنت تجرى ﴾ و لما كان الماء لا يحسن إلا بقربه و انكشافه عن بعض الأرض قال: ﴿ من تحتها الانهر[4] ﴾ أى [من -[3]] شدة الرىّ ﴿ فمن كفر ﴾ [و لما -[3]] كان الله[2] سبحانه لا يعذب حتى يبعث رسولا، وكان المهلك من المعاصى بعد الإرسال ما اتصل بالموت فأحبط ١٥ ماقبله، نزع الجار فقال: ﴿ بعد ذلك ﴾ أى [الشرط المؤكد -[3]] بالأمر[4] العظيم الشأن ﴿ منكم ﴾ [أى بعد ما رأى من الآيات و أقرّ به من المواثيق -[3]] ﴿ فقد ضل ﴾ أى ترك و ضيّع، يُستعمل قاصرا بمعنى: حارّ[5]، و متعديا كما هنا ﴿ سوآء ﴾ أى وسط و عدل[6] ﴿ السبيل ٥ ﴾

---

(١) فى ظ: فصدقتموه (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: الامر (٥) فى ظ: جار (٦) فى ظ: عده.

أى[1] لأن ذلك كفر بعد البيان العظيم فهو أعظم من غيره ، و فى هذا تحذير شديد لهذه الأمة ، لأن المعنى : فان نقضتم[2] الميثاق - كما نقضوا - بمثل استدراج شاس بن قيس و غيره[3] ، صنعنا / بكم ما صنعنا بهم حين نقضوا ، من إلزامهم الذلة و المسكنة و [غير -[4]] ذلك من آثار الغضب ، و إن وفيتم بالعقود آتيناكم أعظم مما آتيناهم من فتح البلاد و الظهور[5] على سائر العباد ؛ قال ابن الزبير : و لهذا الغرض و الله أعلم - أى غرض[3] التحذير من نقض العهد - ذكر هنا العهد المشار إليه فى قوله تعالى " و اوفوا بعهدى[6] " فقال تعالى " و لقد اخذ الله[1] ميثاق بنى اسراءيل - إلى قوله - فقد ضل سواء السبيل " ثم بين نقضهم و بنى[7] اللعنة و كل محنة ابتلوا بها عليه فقال " فبما نقضهم ميثاقهم " و ذكر تعالى عهد الآخرين فقال " و من الذين قالوا انا نصرى اخذنا ميثاقهم " - الآية ، ثم فصل تعالى للمؤمنين أفعال الفريقين ليتبين [8]لهم ما نقضوا فيه من ادعائهم فى المسيح ما ادعوا ، و قولهم[8] نحن أبناء الله و أحباؤه ، و كفهم عن فتح الأرض المقدسة ، و إسرافهم فى القتل و غيره ، و تغييرهم أحكام التوراة - إلى غير ذلك مما ذكره فى هذه السورة ، ثم بين تفاوتهم فى البعد عن الاستجابة فقال تعالى " لتجدن اشد الناس عداوة [8]للذين امنوا[8] " - الآية - انتهى . و ينبغى ذكر النقباء من هذه الفرق الثلاث بأسمائهم و ما دعى إلى ذلك تحقيقا

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : نقضهم (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٦) سورة ٢ آية ٤٠ (٧) فى ظ : بين (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

للأمر و زيادة تبصرة[١]، أما اليهود فكان [٢]فيهم ذلك[٢] مرتين: الأولى: قال فى السفر الرابع من التوراة: إن الرب تبارك اسمه كلم موسى النبى فى جبل سينا و فى قبة الأمد فى أول يوم من الشهر الثانى فى السنة الثانية لخروج بنى إسرائيل من مصر و قال الله: أحص عدد جماعة بنى إسرائيل كلها فى قبائلهم. كل ذكر من أبناء عشرين سنة إلى فوق، كل من يخرج فى الحرب، و أحصهم أنت [٣]و أخوك هارون[٣]، و ليكن معكما من كل سبط[٤] رجل، و يكون الرجل رئيسا فى[٥] بيته، ثم بين بعد ذلك أن كل رجل منهم يكون قائد جماعته، ينزلون بنزوله[٦] حول قبة الزمان و يرحلون برحيله، و يطيعونه فيما يأمر به، ففعل[٧] موسى و هارون ما أمرهما الله به و انتدبوا اثنى عشر رجلا كما أمر الله، فمن سبط روبيل: إليصور بن شداور، و من سبط شمعون: [٨]سلوميل بن صوريشدى[٨]، و من سبط يهودا: نحسون[٩] ابن عميناذاب، و من سبط إيشاخار: نتنائيل بن ضوغر[١٠]، و من سبط زابلون: أليب بن حيلون[١١]، و من سبط يوسف من آل[١٢] إفرائيم: إليسمع ابن عميهوذ، و من سبط منشا: جمليال بن فداهصور[١٣] - قلت: و منشا هو

(١) فى ظ: لنصرة (٢ - ٢) فى ظ: ذلك فيهم (٣ - ٣) فى ظ: و هارون اخوك.
(٤) زيد بعده فى ظ: من (٥) فى ظ: من (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: بفعل.
(٨ - ٨) من ظ و التوراة، وفى الأصل: شلوميل بن صوشدى - كذا (٩) من التوراة، و فى الأصل و ظ: نخشون (١٠) من التوراة، و فى الأصل: صوعر، و فى ظ: ضوعر - كذا (١١) من ظ و التوراة، وفى الأصل: علون (١٢) فى ظ: اول (١٣) من التوراة، وفى الأصل: يصور، و فى ظ: برصور - كذا.

ابن يوسف وهو أخو إفرائيم - ومن سبط بنيامين: أبيذان بن جدعونى، ومن سبط دان[١]: [٢]أخيعزر بن عميشدى[٢]، ومن سبط آشير: فجعائيل بن عخرن[٣]، ومن سبط جاد: إليساف[٤] بن دعوائيل[٥]، ومن سبط نفتالى[٦]: أخيراع ابن عينان[٧]؛ وسبط لاوى هم سبط موسى وهارون عليهما السلام [لم يذكروا لأنهم - [٨]] كانوا لحفظ قبة الزمان، فموسى وهارون عليهم كما كان النبى صلى الله عليه وسلم على قومه - كما سيأتى، والمرة الثانية كانت ليجسّوا[٩] أمر بيت المقدس، قال فى أثناء هذا السفر: وكلم الرب موسى و[١٠] قال له: أرسل قوما[١١] يجسون الأرض التى أعطى بنى إسرائيل، وليكون[١٢] الذين ترسل[١٣] رجلا من [كل - [٨]] سبط من رؤساء آبائهم، فأرسلهم موسى من برية فاران عن قول الرب، رجالا[١٤] من رؤساء بنى إسرائيل، / وهذه أسماءهم من سبط روبيل: ساموع بن ذكور، ومن سبط شمعون: سافاط بن حورى، ومن سبط يهودا: كالاب بن يوفنا[١٥]، ومن سبط إيشاخار: إجال[١٦] بن يوسف، ومن سبط إفرائيم[١٧]: هوساع بن نون، /٢٣

(١) فى ظ: ذان (٢ - ٢) فى ظ: هيغون ابن واما عميصهرى - كذا (٣) فى ظ: عجرن (٤) فى ظ: البساق - كذا (٥) من التوراة، وفى الأصل: رعوايل، وفى ظ: زعوايل - كذا (٦) من التوراة، وفى الأصل وظ: نفتال (٧) من التوراة، وفى الأصل: عير، وفى ظ: عين - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ: ليحسو - كذا (١٠) سقطت الواو من ظ (١١) فى ظ: قومك (١٢) فى ظ: يكون. (١٣) فى ظ: يرسل (١٤) فى ظ: رجلا (١٥) فى ظ: موقنا (١٦) من التوراة، وفى الأصل وظ: بغائل - كذا (١٧) من التوراة، وفى الأصل وظ: افرام - كذا.

و من سبط بنيامين: فلطى[1] بن رافو، و من سبط زابلون: جدى إيل[2] ابن سودى، و من سبط [3]يوسف من سبط منشا: جدى بن سوسى، و من سبط دان[3]: عميال بن جملى، و من سبط آشير: ساتور[4] بن ميخائيل، و من سبط [5]نفتالى: نجى بن وفسى[5]، و من سبط جاد[6]: جوائل[7] بن ماخى؛ هؤلاء الذين أرسلهم[6] و تقدم إليهم بالوصية. و أما النصارى[6] ففى إنجيل متى ما نصه: و دعا - يعنى عيسى عليه السلام - تلاميذه الاثنى عشر، و أعطاهم سلطانا على جميع الأرواح النجسة لكى يخرجوها و يشفوا كل الأمراض؛ و فى إنجيل مرقس: و صعد إلى الجبل و دعا الذين أحبهم فأتوا إليه. و انتخب اثنى عشر ليكونوا معه، و لكى يرسلهم ليكرزوا[8]، و أعطاهم سلطانا على شفاء الأمراض و إخراج الشياطين؛ و فى إنجيل لوقا: و دعا الاثنى عشر الرسل و أعطاهم قوة و سلطانا على جميع الشياطين و إشفاء المرضى[9]. و أرسلهم يكرزون بملكوت الله و يشفون الأوجاع، و هذه أسماؤهم: شمعون[10] المسمى بطرس، و أندراوس أخوه، و يعقوب بن زبدى[11]، و يوحنا أخوه - و قال فى إنجيل[12] مرقس: وسماهما

(١) من التوراة، و فى الأصل: باطى. و فى ظ: ممطر - كذا (٢) من ظ و التوراة، و فى الأصل: جدى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و التوراة، و فى الأصل: سابور (٥ - ٥) من التوراة، و فى الأصل: نفتال نجى بن وقيسى، و فى ظ: بقتال يحيى بن وقس - كذا (٦) سقط من ظ. (٧) فى ظ: عوائل - كذا (٨) من ظ، و فى الأصل: ليركزوا (٩) زيد بعده فى الأصل: و اعطاهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و الإنجيل فحذفناها (١٠) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ: سمعان (١١) فى ظ: زندى (١٢) من ظ. و فى الأصل: الانجيل.

باسم[١] بوانرجس[٢] اللذين هما ابنا الرعد - و فيلبس[٣]، و برتولوماوى، [و توما - [٤]] ، و متى العشّار ، و يعقوب بن حلفا ، و ليا الذى يدعى بداوس، و قد اختلفت الأناجيل فى هذا، فنى إنجيل مرقس بدله : تدى ، و فى إنجيل لوقا : يهودا بن يعقوب ، ثم اتفقوا : و شمعون[٥] القانانى - و فى إنجيل لوقا[٦] : المدعو الغيور[٧] - و يهودا الإسخريوطى الذى أسلمه . و أما نقباء الإسلام فكانوا ليلة العقبة الأخيرة حين بايع النبى صلى الله عليه و سلم الأنصار رضى الله عنهم على الحرب و أن يمنعوه إذا وصل إلى بلدهم ، و قال لهم صلى الله عليه و سلم : أخرجوا إلىّ منكم[٨] اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم كما اختار موسى من قومه ، و أخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا : تسعة من الخزرج و ثلاثة من الأوس ، فقال لهم : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم ، و أنا كفيل على قومى ، قالوا : نعم ، و هذه أسماؤهم من الخزرج : أبو أمامة أسعد بن زرارة ، و سعد بن الربيع ، و سعد بن عبادة ، و عبد الله بن رواحة ، و رافع بن مالك بن العجلان ، و البراء بن معرور[٩] ، و عبد الله بن عمرو بن حرام[١٠] أبو جابر ، و عبادة بن الصامت ، و المنذر بن عمرو ؛ و من[٨] الأوس : أسيد بن حضير[١١] ، و سعد بن خيثمة ، و رفاعة بن عبد المنذر ، و أبو الهيثم بن[٨] التيهان ، قال

(١) من ظ ، و فى الأصل : باسماء (٢) من الإنجيل ، و فى الأصل : يوابرجس ، و فى ظ : يوابرجس - كذا (٣) من ظ و الإنجيل . و فى الأصل : فسيليس - كذا.
(٤) زيد من ظ و الإنجيل (٥) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : سمعان .
(٦) زيد بعده فى ظ : يهودا (٧) فى ظ : لغيور (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : معاور (١٠) من سيرة ابن هشام ١/١٥٥ و التهذيب ، و فى الأصل و ظ : حزام.
(١١) من السيرة ١/١٥٦ ، و فى الأصل و ظ : الحضير .

ابن

ابن هشام : وقال كعب بن مالك يذكرهم فيما أنشدنى أبو زيد الأنصارى وذكر أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة فقال :

أبلغ أبيّا أنه قال[1] رأيه ... وحان غداة الشعب والحين واقع
أبى الله[2] ما منّتك[3] نفسك إنه ... بمرصاد[4] أمر الناس راءٍ وسامع
وأبلغ أبا سفيان أن قد بدا لنا ... بأحمد نور من هدى[5] الله ساطع ٥
/ فلا ترغبنّ فى حشد أمر تريده ... وألب وجمع كل ما أنت جامع / ٢٤
ودونك فاعلم أن نقض عهودنا ... أباه عليك الرهط حين تبايعوا[6]
أباه البراء [و - [7]] ابن عمرو كلاهما ... وأسعد يأباه عليك ورافع
وسعد أباه الساعدى ومنذر ... لأنفك إن حاولت ذلك[7] جادع[9]
وما ابن ربيع إن تناولت عهده ... بمسلمه[10] لا يطمعنْ ثَمَّ طامع ١٠
وأيضا فلا يعطيكه ابن رواحة ... وإخفاره[11] من دونه السم ناقع[12]
وفاء به والقوقلىّ بن صامت ... [13]بمندوحة عما تحاول[13] يافع[14]
أبو هيثم أيضا وفىّ بمثلها ... وفاء بما أعطى من العهد خانع
وما ابن حضير إن أردت بمطمع ... فهل أنت عن[15] أحموقة الغى نازع[16]

(١) من نسخة من السيرة ، وفى الأصل وظ والسيرة : قال (٢) من السيرة ، وفى الأصل وظ : لله (٣) فى ظ : فيك (٤) فى ظ : مرصاد (٥) من ظ والسيرة ، وفى الأصل : يدى (٦) من ظ والسيرة ، وفى الأصل : تتابعوا . (٧) زيدت الواو من السيرة (٨) فى ظ : ذاك (٩) من السيرة ، وفى الأصل : خادع ، وفى ظ : جازع - كذا (١٠) من السيرة ، وفى الأصل : بمسلمة ، وفى ظ : بسلمة (١١) من السيرة ، وفى الأصل وظ : اخفاوه (١٢) فى ظ : نامع . (١٣ - ١٣) فى ظ : بمندرج عما تحتاول - كذا (١٤) من السيرة ، وفى الأصل وظ : نافع (١٥) سقط من ظ (١٦) فى ظ : منازع .

و سعد أخو عمرو بن عوف فانه ضروح لما حاولت ملأمر[1] مانع
أولاك[2] نجوم لا يغبّك[3] منهم عليك بنحس فى دجى الليل طالع

فأما نقباء اليهود فى[4] جسّ[5] الأرض فلم يوف منهم إلا اثنان - كما سيأتى قريبا عن بعض التوراة التى[6] بين أيديهم ، و أما نقباء النصارى[7] فنقض منهم واحد - كما مضى عند قوله تعالى " و ما قتلوه و ما صلبوه[8] " و سيأتى إن شاء الله تعالى فى الأنعام عند قوله تعالى " لانذركم به و من بلغ[9] "، و أما نقباؤنا فكلهم وفى و برّ بتوفيق الله و عونه فله[10] أتم الحمد .

و لما ذكر سبحانه ما أخذ على اليهود من الميثاق و وعيده لهم إن كفروا بعد ذلك ، ذكر[11] أنهم نقضوا مرة بعد مرة - كما تقدم فى سورة البقرة و غيرها كثير[12] منه عن[13] نص ما عندهم من التوراة - فاستحقوا ما هم فيه من الخزى ، فقال تعالى مسببا عما مضى[14] مؤكدا بما النافية لضد ما أثبته الكلام[15]: ﴿ فبما نقضهم ميثاقهم ﴾ [أى - [16]] بتكذيب الرسل الآتين من بعد موسى عليه السلام ، و قتلهم الأنبياء ، و نبذهم كتاب الله وراء ظهورهم فى كتمانهم أمر محمد صلى الله عليه و سلم و غير ذلك ،

(١) من ظ و السيرة ، أى من الأمر ، و فى الأصل : ما الامر - كذا (٢) فى ظ : اولا - كذا (٣) من السيرة ، و فى الأصل : لا يغتبك ، و فى ظ : لا ينفك .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : ففى (٥) فى ظ : خميس - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : بالتى (٧) فى ظ : الانصار (٨) سورة ٤ آية ١٥٧ (٩) آية ١٩ .
(١٠) فى ظ : كلمة - كذا (١١) من ظ ، و فى الأصل : اذكر (١٢) من ظ ، و فى الأصل : كثيرة (١٣) فى ظ : على (١٤) زيد بعده فى ظ : مسببا (١٥) فى ظ : بالكلام (١٦) زيد من ظ .

[لا بغير ذلك -[1]] كما نقض بنو النضير[2] فسلطكم الله عليهم بما أشار إليهم في سورة الحشر ﴿ لعلّهم ﴾ أي أبعدناهم بعد أنا وعدناهم القرب بالكون معهم إن وفوا .

و لما كان البعيد قد يكون رقيق القلب ، متأسفا[3] على بعده ، ساعيا في أسباب قربه ، باقيا[4] على عافية ربه ، فيرجى بذلك له[5] [6] الغفران لذنبه[6] ، أخبر أنهم على غير ذلك بقوله : ﴿ و جعلنا ﴾ أي بعظمتنا ﴿ قلوبهم قسية ج ﴾ أي صلبة عاسية[7] بالغش[8] فهي غير قابلة للنصيحة ، لأن الذهب الخالص يكون لينا ، و المغشوش يكون فيه يبس و صلابة ، و كل لين قابل للصلاح بسهولة ، ثم بين قساوتها بما دل على نقضهم بقوله : ﴿ يحرفون الكلم ﴾ أي يجددون[9] كل وقت تحريفه ﴿ عن مواضعه لا ﴾ فانهم كلما وجدوا شيئا من كلام الله يشهد بضلالهم حرفوه إلى شهواتهم ، و أولوه التأويل الباطل بأهوائهم ، فهم يحرفون الكلم و معانيها .

و لما كانوا قد تركوا أصلا و رأسا ما لا يقدرون لصراحته على تحريفه ، قال معبرا بالماضي إعلاما بحرمهم بالبراءة من ذلك : ﴿ و نسوا حظا ﴾ أي نصيبا نافعا / معليا لهم ﴿ مما ذكروا به ج ﴾ أي من التوراة على ألسنة أنبيائهم عيسى و من قبله عليهم السلام ، تركوه ترك الناسي للشيء لقلة مبالاته

١٥ / ٢٥

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : بني النضير (٣) في ظ : متشفا (٤) من ظ ، و في الأصل : باكيا (٥) تقدم في ظ على «بذلك» (٦-٦) في ظ : غفران ذنبه (٧) في ظ: عاسية (٨) من ظ ، و في الأصل : بالغشى (٩) في ظ : متجددون .

به[1] بحيث لم يكن لهم رجوع إليه[2]، وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه[1] قال: قد[1] ينسى المرء بعض العلم [بالمعصية - [3]] - وتلا هذه الآية .

ولما ذكر سبحانه ما يفعلونه فى حقه فى كلامه الذى هو صفته، أتبعه ما يعم حقه وحق نبيه صلى الله عليه وسلم على وجه معلم أن الخيانة ديدنهم[4]، تسلية له صلى الله عليه وسلم فقال[1]: ﴿ ولا تزال ﴾ أى بما نطلعك[5] عليه يا أكرم الخلق! ﴿ تطلع ﴾ أى تظهر ظهورا بليغا ﴿ على خآئنة ﴾ أى خيانة عظيمة تستحق أن تسمى [6]فاعلها الخؤن[6] لشدتها ﴿ منهم ﴾ أى فى حقك بقصد الأذى، وفى حق الله تعالى بإخفاء بعض ما شرعه لهم[7] ﴿ الا قليلا منهم ﴾ فانهم يكونون على نهج الاستقامة إما بالإيمان، وإما بالوفاء وهم متمسكون بالكفر. ثم سبب عن هذا الذى فى حقه صلى الله عليه وسلم قوله: ﴿ فاعف عنهم ﴾ أى امح ذنبهم ذلك الذى اجترحوه، وهو دون النقض والتحريف، فلا تعاقبهم عليه.

ولما كان العفو لا يمنع المعاتبة قال[1]: ﴿ واصفح[8] ﴾ أى وأعرض عن ذلك أصلا ورأسا، فلا تعاتبهم عليه كما لم تعاقبهم، فان ذلك إحسان منك، وإذا أحسنت أحبك[8] الله ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ يحب المحسنين ۝ ﴾ وذلك - كما روى الشيخان وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها - أن النبى صلى الله عليه وسلم سحره رجل من

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : عليه (٣) زيد من ظ (٤) من ظ . وفى الأصل : دينهم (٥) فى ظ : يطلعك (٦-٦) فى ظ : فاعله للخوف - كذا (٧) فى ظ : بهم. (٨) فى ظ : احب .

اليهود يقال له لبيد بن الأعصم - و فى رواية للبخارى : انه[1] رجل من بنى زريق حليف ليهود[2] و كان منافقا - حتى كان[3] يخيل إليه أنه يأتى النساء و لا يأتيهن ، و ذلك أشد السحر ، ثم إن الله تعالى شفاه و أعلمه أن السحر فى بئر ذروان ، فقالت له[3] عائشة رضى الله عنها : أفلا أخرجته ؟ فقال : لا ، أما أنا فقد عافانى الله و كرهت أن أثير[4] [5]على الناس[5] شرا ، فأمر[6] بها فدفنت ، و هو فى معجم الطبرانى الكبير - و هذا لفظه - و مسند أبى يعلى الموصلى و سنن النسائى الكبرى[7] و مسند عبد بن حميد و أبى بكر ابن أبى شيبة و أحمد بن منيع عن زيد بن أرقم رضى الله عنه قال : كان رجل[8] يدخل على النبى صلى الله عليه و سلم . فعقد له عقدا فجعله فى بئر رجل من الأنصار ، فأتاه ملكان يعودانه فقعد أحدهما عند رأسه و الآخر عند رجليه ، فقال أحدهما : أتدرى ما وجعه ؟ قال : فلان الذى[9] يدخل عليه عقد له عقدا فألقاه فى بئر فلان الأنصارى ، فلو أرسل [إليه -[10]] رجلا[9] لوجد الماء أصفر ، فبعث رجلا فأخذ العقد فحلّها[11] فبرأ ، فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبى صلى الله عليه و سلم فلم يذكر [له -[12]] شيئا منه و لم يعاتبه[13] . و للشيخين عن أنس رضى الله عنه أن

(١) فى ظ : ان (٢) فى ظ : اليهود (٣) سقط من ظ (٤) من صحيح البخارى - كتاب الطب ، و فى الأصل : اشير ، و فى ظ : اسير (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من الصحيح ، و فى الأصل و ظ : فامرت (٧) فى ظ : الكبير.
(٨) فى ظ : برجل (٩) سقط من مجمع الزوائد ٦/٢٨٠ (١٠) زيد من المجمع .
(١١) فى ظ : فجعلها (١٢) زيد من ظ و المجمع (١٣) فى ظ : لا يعاتبه .

امرأة يهودية أتت النبي صلى الله عليه و سلم بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فسألها عن ذلك فقالت : أردت لأقتلك، قال: ما كان الله ليسلطك[1] على ذلك - أو قال : عليّ - قالوا : فلا تقتلها ؟ قال : لا ، قال : فما زلت أعرفها فى لهوات النبي صلى الله عليه و سلم . و فى رواية : إنها كانت سبب موت النبى صلى الله عليه و سلم بانقطاع أبهره الشريف منها [بعد -[2]] سنين[3]، و فى سنن أبى داود من وجه مرسل أنه قتل اليهودية ، و الأول هو الصحيح ، و سيأتى لهذا الحديث / ذكر[4] فى هذه السورة عند " و الله يعصمك من الناس "، فهذا غاية العفو و الإحسان امتثالا [5]لأمر الله[5] سبحانه . /٢٦

و لما دخل النصارى فيما مضى لأنهم من بنى إسرائيل، خصهم بالذكر لأن كفرهم أشد و أسمج فقال: ﴿ و من الذين قالوآ ﴾ أى مسمين أنفسهم ملزمين لها النصرة لله، مؤكدين قولهم ردا على من يرتاب فيه: ﴿ انا نصٰرىٰ ﴾ أى مبالغون فى [نصرة -[2]] الحق ، فالتعبير بذلك دون 'و من النصارى' تنبيه على أنهم تسموا بما لم يفوا به ﴿ اخذنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ ميثاقهم ﴾ أى كما أخذ على [الذين -[2]] من قبلهم .

و لما كان كفرهم فى غاية الظهور [و الجلاء -[2]] ، لم ينسبهم إلى غير[6] الترك فقال: ﴿ فنسوا ﴾ أى تركوا ترك الناسى ﴿ حظا ﴾ أى

---

(١) زيد بعده فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من ظ ، و موضعه فى الأصل بياض (٣) من ظ ، و فى الأصل : سنيان - كذا (٤) فى ظ : ذكره (٥-٥) فى ظ : لامره (٦) فى ظ : غيرك .

نصيبا [عظيما -[1]] يتنافس[2] فى مثله ﴿ مما ذكروا به ص ﴾ أى فى الإنجيل مما سبق لهم ذكره فى التوراة من أوصاف[3] نبيه[4] صلى الله عليه و سلم و غير ذلك من الحق .

و لما أدى ذلك إلى تشعبهم فرقا، فأنتج تشاحنهم و تقاطعهم و تدابرهم، سبب عنه قوله : ﴿ فاغرينا ﴾ أى ألصقنا بعظمتنا إلصاق ما هو بالغراء[5] لا ينفك بل يصير كجزء الشيء ﴿ بينهم ﴾ أى النصارى بعد أن جعلناهم فرقا متباينين [بتفريق -[1]] الدين ، وكذا بينهم و بين اليهود ﴿ العداوة ﴾ و لما كانت العداوة[6] قد تكون[6] عن بغى [و نحوه ، إذا -[1]] زال[7] زالت أو خفّت ، قال معلما أنها لأمر باطنى نشأ من تزيين الهوى ، فهو ثابت [غير منفك -[1]] : ﴿ و البغضآء ﴾ بالأهواء المختلفة ﴿ الى يوم القيٰمة[8] ﴾

و لما أخبر بنكدهم[8] فى الدنيا، أعقبه[9] ما [لهم فى -[1]] [6]الأخرى فقال : ﴿ و سوف ينبئهم ﴾ أى يخبرهم ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعلى المحيط بكل شيء قدرة و علما إخبارا بعظيم الشأن بما فيه من عظم التقريع و التوبيخ فى[6] الآخرة بوعيد لا خلف فيه ؛ و لما كانت خيانتهم قد صارت لهم [[10] فيها ملكات بما لازموا منها حتى ضربوا بها و تدربوا[11] عليها ، حتى

(١) من ظ ، وموضعه فى الأصل بياض (٢) من ظ ، و فى الأصل : تنافس .
(٣) فى ظ : اوف - كذا (٤) فى ظ : محمد (٥) فى الأصل : بالعسا ، وفى ظ : بالغر - كذا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : زالت (٨) فى ظ : بتكذيبهم (٩) فى ظ : اتبعه (١٠) زيد ما بين الحاجزين من ظ (١١) فى ظ : تدبوا - كذا .

صارت لهم] أحوالا لأنفسهم و أخلاقا[1] لقلوبهم[2]، سماها [صنائع -[3]] فقال: ﴿ بما كانوا يصنعون ﴾ أى دربوا أنفسهم [عليه -[4]] حتى صار كالصنعة[5]، فيجازيهم عليه بما يقيم عليهم من الحجة .

و لما علم بذلك كله أحوال الفريقين، أقبل عليهم واعظا مناديا[6] متلطفا[7] [مستعطفا -[3]] مرغبا مرهبا فقال: ﴿ يآهل الكتٰب ﴾ أى عامة ﴿ قد جآءكم رسولنا ﴾ أى الذى أرسلناه بما لنا [8]من العظمة[8]، فليظهرن بذلك على من [ناواه -[4]] ﴿ يبين[9] لكم ﴾ أى يوضح إيضاحا شافيا ﴿ كثيرا مما كنتم ﴾ أى بما لكم من جبلة الشر و الكذب و الخيانة ﴿ تخفون من الكتٰب ﴾ أى العظيم المنزل عليكم، من صفة محمد صلى الله عليه وسلم و حكم الزنا و غيرهما، لإحياء سنة و إماتة[10] بدعة - كما مضى منه ما شاء الله فى سورة البقرة، و ذلك دال بلا شبهة على صحة رسالته ﴿ و يعفوا عن كثير ط ﴾ أى فلا يفضحكم بإظهاره امتثالا لأمرنا له بذلك - كما تقدم أنه إحسان [منه -[4]] صلى الله عليه و سلم إليكم، لأنه لا فائدة فى إظهاره إلا فضيحتكم .

و لما أخبر عن فصله للخفايا، و كان التفصيل لا يكون إلا بالنور، اقتضى الحال توقع الإخبار بأنه نور. فقال مفتتحا بحرف التوقع و التحقيق:

---

(١) من ظ ، و فى الأصل: اختلافا (٢) فى ظ : لقوتهم (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) من ظ ، و موضعه فى الأصل بياض (٥) فى ظ : كالضيعة (٦) فى الأصل: منا ، و فى ظ : مادا - كذا (٧) سقط من ظ (٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ : تبين (.) من ظ ، و فى الأصل: اقامة .

قد

﴿ قد جآءكم ﴾ و عظمه بقوله معبرا بالاسم الأعظم : ﴿ من الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ نور ﴾ أى واضح النورية ، و هو محمد صلى الله عليه و سلم الذى كشف ظلمات الشك [1]و الشرك[1] ، و دل على جمعه مع فرقه[2] بقوله : ﴿ و كتٰب ﴾ أى جامع ﴿ مبين ﴾ أى بين فى نفسه ، مبين لما كان خافيا على الناس من / الحق . ٢٧ /

و لما كانت هدايته مشروطة بشرط صلاح الجبلة ، بين ذلك بقوله واصفا له : ﴿ يهدى به ﴾ أى الكتاب ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم القادر على التصرف فى البواطن و الظواهر ﴿ من اتبع ﴾ أى كلف نفسه و أجهدها فى الخلاص من أسر الهوى[1] بأن تبع[1] ﴿ رضوانه ﴾ أى غاية ما يرضيه من الإيمان و العمل الصالح ، و معلوم أن ذلك لا يكون إلا بتوفيقه ، ثم ذكر مفعول " يهدى " فقال : ﴿ سبل ﴾ أى طرق[3] ﴿ السلٰم ﴾ أى الله ، باتباع شرائع دينه و العافية و السلامة من كل مكروه ﴿ و يخرجهم من الظلمٰت ﴾ أى كدورات النفوس و الأهواء و الوساوس الشيطانية ﴿ الى النور ﴾ أى الذى دعا إليه العقل[4] . فيصيروا عاملين بأحسن الأعمال كما يقتضيه اختيارُ من هو فى النور ﴿ باذنه ﴾ أى بتمكينه .

و لما كان من[4] فى النور قد يغيب عنه غرضه الأعظم فلا ينظره[5] لغيبته عنه ببعده منه ، و تكثر[6] عليه الأسباب فلا يدرى أيها يوصل أو يقرب إيصاله و يسهل أمره ، قال كافلا لهم بالنور مريحا من تعب

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : قربه (٣) من ظ ، و فى الأصل : طريق (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : فلا ينظر (٦) فى ظ : يكثر .

السير : ﴿ و يهديهم ﴾ أى بما له من إحاطة العلم و القدرة ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ أى طريق موصل إلى الغرض من غير عوج أصلا ، و هو الدين الحق ، و ذلك مقتض للتقرب[1] المستلزم لسرعة الوصول .

و لما تم ذلك موضحا لأن من لم يتبع الكتاب الموصوف كان كافرا ، و عن الطريق[2] الأمم جائرا[3] حائرا ، وكان محصل حال اليهود - كما رأيت فيما تقدم و يأتى من نصوص التوراة - أنهم لا يعتقدون على كثرة ما يرون[4] من الآيات أن الله مع نبيهم دائما ، و كان أنسب الأشياء بعد الوعظ أن يذكر حال النصارى فى نبيهم ، فانه مباين لحال اليهود من كل وجه ، فأولئك على شك فى أنه معه ، و هؤلاء اعتقدوا أنه هو ، فقال تعالى مبينا أنهم فى أظلم الظلام و أعمى العمى : ﴿ لقد ﴾ أو يقال : إن اليهود لما فرطوا فكفروا ، أفهم ذلك أن النصارى لما أفرطوا كفروا ، فصار حالهم كالنتيجة لما مضى فقال : لقد ﴿ كفر الذين قالوا ﴾ مؤكدين لبعد ما قالوه من العقل فهو فى غاية الإنكار ﴿ ان الله ﴾ أى على ما له من جميع صفات الكمال التى لا يجهلها من له أدنى تأمل إذا ترجى الهدى و انخلع من أسر الهوى ﴿ هو المسيح ﴾ أى عينه ، و هو أقطع الكفر و أبينه بطلانا ، و وصفه بما هو فى غاية الوضوح فى بطلان قولهم لبعده عن رتبة الألوهية فى الحاجة إلى امرأة فقال : ﴿ ابن مريم ﴾ فهو محتاج إلى كفالتها بما لها من الأمومة .

و لما بطل مدعاهم على أتقن منهاج و أخصره ، وكان ربما دق

(١) فى ظ : للقرب (٢) فى ظ : طريق (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : يريدون .

على بعض الأفهام ، أوضحه بقوله : ﴿ قل ﴾ دالا[1] على أن المسيح عليه السلام عبد مملوك لله ، مسببا عن كفرهم ﴿ فمن يملك من الله ﴾ أى الملك الذى له الأمر كله ﴿ شيئا ﴾ أى من الأشياء التى يتوهم أنها قد تمنعه مما[2] يريد ، بحيث يصير ذلك[3] المملوك أحق به منه و لا ينفذ له[4] فيه تصرف ﴿ ان اراد ﴾ أى الله سبحانه ﴿ ان يهلك المسيح ﴾ و كرر ٥ وصفه بالبنوة إيضاحا للمراد فقال : ﴿ ابن مريم ﴾ و أزال الشبهة جدا بقوله : ﴿ و امه ﴾ و لما خصهما دليلا على ضعفهما المستلزم [للمراد ، عم دلالة على عموم القدرة المستلزم -[5]] لتمام القهر لكل من يماثلهما[6] المستلزم لعجز الكل المبعد / من رتبة الإلهية ، فقال موضحا[7] للدليل بتسويتهما ببقية ٢٨/ المخلوقات : ﴿ و من فى الارض جميعا[8] ﴾ أى فمن يملك[8] منعه من ذلك . ١٠

و لما كان التقدير : فان ذلك كله لله ، يهلكه كيف شاء [9]متى شاء[9] ، عطف عليه ما هو أعم منه ، فقال معلما بأنه - مع كونه مالكا مَلِكا[10] - له تمام التصرف : ﴿ و لله ﴾ أى الملك الأعلى الذى [لا شريك -[5]] له ﴿ ملك السمٰوٰت ﴾ أى التى بها قيام الأرض ﴿ و الارض و ما بينهما[8] ﴾ أى ما[4] بين النوعين و بين أفرادهما ، بما[11] به تمام أمرهما ؛ ثم استأنف قوله ١٥ دليلا على ما قبله و نتيجة له : ﴿ يخلق ما يشآء[8] ﴾ على أى كيفية أراد

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : دال (٢) من ظ ، و فى الأصل : بما (٣) من ظ ، و فى الأصل : بذلك (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : لصايلها - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : يوضحا - كذا (٨) فى ظ : يملكه (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) فى ظ : ملك (١١) من ظ : و فى الأصل : ما .

ـ كما تقدم أن له أن يعدم ما يشاء كذلك، فلا عجب فى خلقه بشرا من أنثى فقط، لا بواسطة[1] ذكر، حتى يكون سببا[2] فى ضلال من ضل به[3]؛ و لما دل ذلك على تمام القدرة على المذكور عم[3] فقال: ﴿و الله﴾ أى ذو الجلال و الإكرام ﴿على كل شىء﴾ أى من ذلك و غيره ﴿قدير﴾.

٥ و لما عم سبحانه فى ذكر فضائح بنى إسرائيل تارة[3]، و خص أخرى، عم بذكر طامة من طوامهم[4]، حملهم عليها العجب و البطر بما أنعم الله به عليهم، فقال: ﴿و قالت اليهود و النصرى﴾ أى كل طائفة قالت ذلك على حدتها خاصة لنفسها دون الخلق أجمعين ﴿نحن ابنؤا الله﴾ أى بما هو ناظر إلينا به من جميع صفات الكمال ﴿و احباؤه[5]﴾ أى غريقون

١٠ فى كل من الوصفين ـ كما يدل عليه العطف بالواو، ثم شرع ينقض هذه الدعوى نقضا بعد نقض على تقدير كون البنوة على حقيقتها أو مجازها، و[3] الذى أورثهم هذه الشبهة[5] ـ إن لم يكونوا قالوا ذلك عنادا ـ أن[3] فى موضع من التوراة عن قول الله تعالى لموسى عليه السلام: شعبى بكرى[6]، و قال [7]فى أول[7] نبوة موسى عليه السلام[8] ـ كما ذكرته [فى

١٥ الأعراف ـ[9]]: و قل لفرعون: هكذا[10] يقول الرب: ابنى بكرى[6] إسرائيل أرسل[3] ليعبدنى، فان أبيت أن ترسل ابنى فانى أقتل ابنك بكرك ـ و نحو هذا؛ و فى كثير مما بين أيديهم من الإنجيل عن قول عيسى عليه السلام:

---

(١) من ظ، و فى الأصل: بواسط (٢) فى ظ: سبيلا (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: طوابهم (٥) فى ظ: الشبة ـ كذا (٦) من ظ، و فى الأصل: بكر (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ: هذا.

افعلوا

افعلوا كذا لتكونوا بنى أبيكم الذى فى السماء - و نحو ذلك ، و قد بينت معناه على تقدير صحته بما يوجب رده إلى المحكم بلا شبهة فى أول سورة آل عمران ؛ قال البيضاوى فى أول سورة الكهف : إنهم كانوا يطلقون الأب و الابن فى تلك الأديان بمعنى المؤثر و الأثر ، و قال فى البقرة فى تفسير" بديع السمٰوٰت[1]" أنهم كانوا يطلقون الأب[2] على الله باعتبار أنه السبب الأصلى ، ثم ظنت الجهلة منهم أن المراد به معنى الولادة ، فلذاك[3] كفر قائله و منع منه منعا مطلقا [انتهى -[4]] . فأول نقض نقض به سبحانه و تعالى هذه الدعوى بيان أنه يعذبهم فقال : ﴿ قل فلم يعذبكم ﴾ أى إن كنتم جامعين بين كونكم أبناء و أحباء [5]بين عطف البنوة و حنو المحبة[5] ﴿ بذنوبكم[6] ﴾ و عذابُهم مذكور فى نص توراتهم فى غير مواطن[6] و مشهور فى تواريخهم بجعلهم قردة و خنازير و غير ذلك ، أى فان كان المراد بالبنوة الحقيقة[7] فان[8] الإله لا يكون له [ذنب -[9]] فضلا عن أن يعذب به ، لأن الابن لا يكون إلا من جنس الأب[10] - تعالى الله عن النوعية و الجنسية و الصاحبة و الولد علوا كبيرا ! و إن [كان -[9]] المراد المجاز ، أى بكونه يكرمكم إكرام الولد و الحبيب ، كان ذلك مانعا من التعذيب .

و لما كان معنى ذلك أنه يعذبكم [11]لأنكم لستم[11] أبناء و لا[12] أحباء ،

(١) آية ١١٧ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الابن (٣) فى ظ : و لذلك (٤) زيد من ظ ، و زيد بعده أيضا : قال (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : موطن (٧) فى الأصل : الحقيقية ، وفى ظ : والحقيقية (٨) من ظ، وفى الأصل : فان (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ : الابن - كذا (١١-١١) فى ظ : انكم لست . (١٢) سقط من ظ .

٢٩ / عطف عليه نقضا آخر أوضح من الأول / فقال : ﴿ بل انتم بشر ممن خلق ﴾ و ذلك أمر مشاهد ، و المشاهدات من أوضح الدلائل ، فأنتم مساوون لغيركم فى البشرية و الحدوث ، لا مزية لأحد منكم على غيره فى الخلق و البشرية ، و هما يمنعان البنوة ، فان القديم لا يلد بشرا ، و الأب لا يخلق ابنه ، فامتنع بهذين الوصفين البنوة ، و امتنع بتعذيبهم أن يكونوا أحباء الله ؛ فبطل الوصفان اللذان ادعوهما[1] .

و لما كان التقدير : يفعل بكم ما يفعل بسائر خلقه ، وصل به قوله جوابا لمن يقول : و[2] ما هو فاعل بمن خلق ؟ : ﴿ يغفر لمن يشآء ﴾ أى من خلقه منكم و من غيركم فضلا منه تعالى ﴿ و يعذب من يشآء ﴾ عدلا كما تشاهدونه[3] يكرم ناسا منكم فى هذه الدار و يهين آخرين .

و لما كان التقدير : لأنه مالك خلقه و ملكهم لا اعتراض عليه فى شىء من أمره[4] ، عطف عليه قوله نقضا[5] ثالثا بما هو أعم مما قبله فقال : ﴿ و لله ﴾ أى الذى له الأمر كله ، فلا كفوء له ﴿ ملك السمٰوٰت ﴾ و قدمها لشرفها دلالة على ملك غيرها من باب أولى ، و صرح بقوله : ﴿ و الارض و ما بينهما ﴾ أى و أنتم مما بينهما ، و قد اجتمع بذلك مع المُلكِ و الإبداعِ المِلْكُ و التصريف و[2] التصرف التام ، و ذلك هو الغنى المطلق ، و من كان كذلك لم يكن محتاجا إلى شىء من ولد و لا غيره ، و لا يكون لأحد عليه حق ، و لا يسوغ عليه اعتراض .

و لما كان التقدير : فمنه وحده[2] الابتداء ، عطف عليه قوله :

---

(١) فى ظ : ادعاهما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : يشاهدونه ـ كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : امرهم (٥) فى ظ : بقضا ـ كذا .

﴿ و اليه ﴾ أى وحده ﴿ المصير ﴾ أى الصيرورة و الرجوع و زمان ذلك و مكانه معنى فى الدنيا بأنه لا يخرج شيء عن مراده، و حسّا فى الآخرة، فيحكم بين مصنوعاته على غاية العدل - كما هو مقتضى الحكمة و شأن كل ملك فى إقامة ملكه بانصاف بعض عبيده من بعض، لا يجوز عنده فى موجب السياسة إطلاق قويّهم على ضعيفهم، فان ذلك يؤدى إلى خراب الملك [و ضعف الملك -[1]]، فاذا كان هذا شأن الملوك فى[2] العبيد الناقصين فما ظنك[3] بأحكم الحاكمين! فاذا[4] عاملهم كلهم بالعدل أسبغ على من يريد ملابس[5] الفضل .

و لما دحضت حجتهم،[6]و وضحت أكذوبتهم[6]، اقتضى ذلك الالتفات إلى وعظهم على وجه الامتنان عليهم و إبطال ما عساهم يظنونه[8] حجة، فقال تعالى: ﴿ يآهل الكتب ﴾ أى من الفريقين؛ و لما كان ما حصل لهم من الضلال بتضييع ما عندهم من البينات و تغييرها ما[8] لا يتوقع معه الإرسال، قال معبرا بحرف التوقع: ﴿قد جآءكم رسولنا ﴾ أى الذى عظمته من عظمتنا، فاعظامه و إجلاله واجب لذلك، ثم بين حاله مقدما له على متعلق "جاء" بيانا لأنه أهم ما إلى الرسل إليهم إرشادا إلى قبول كل ما جاء به بقوله: ﴿ يبين لكم ﴾ أى يوقع لكم البيان فى كل ما ينفعكم بيانا شافيا لما تقدم و غيره .

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : من (٣) فى ظ : ظنكم (٤) فى ظ : و اذا (٥) فى ظ : تلابس (٦ - ٦) فى ظ : و الدر و بتهم - كذا (٧) فى ظ : يظنون (٨) من ظ ، و فى الأصل : كما .

و لما [كان - [١]] مجيئه ملتبسا ببيانه و ظرفا[٢] له غير منفك عنه ، و كان بيانا مستعليا على وقت مجيئه و ما مضى قبله و[٣] ما يأتى بعده ببقاء كتابه ، محفوظا لعموم[٤] دعوته و ختامه و تفرده ، فلا نبى بعده ، قال معلقا بجاء : ﴿على فترة﴾ أى طويلة بالنسبة إلى ما كان يكون بين النبيّين من بنى إسرائيل ، مبتدئة تلك الفترة ﴿من الرسل﴾ أى انقطاع من مجيئهم ، شُبّه[٥] فقدهم و بُعد العهد بهم و نسيان أخبارهم ، و بلاء رسومهم و آثارهم ، و انطماس معالمهم و أنوارهم بشىء [٦] كان يفنى ففتر[٦] ، لم يبق من وصفه المقصود منه إلا [٧] أثر خاف[٧] و رسم دارس ، يقال : فتر الشىء - إذا سكنت[٨] /حدته و صار أقل مما كان عليه ، [و - [٩]] ذلك لأنه كان بين عيسى و بين النبى صلى الله عليه و سلم ستمائة سنة فسد فيها أمر الناس ، و لعله عبر بالمضارع فى " يبين " إشارة إلى أن دينه و بيانه لا ينقطع أصلا بحفظ[١٠] كتابه ، فكلما درست سنة منح الله بعالم يرد الناس إليها بالكتاب المعجز القائم أبدا ، فلذلك لا يحتاج الأمر إلى نبى مجدد إلا عند الفتنة التى لا يطيقها العلماء ، و هى فتنة الدجال و يأجوج و مأجوج ، ثم[١١] علل ذلك بقوله : ﴿ان﴾ أى كراهة[١٢] أن ﴿تقولوا﴾ أى إذا حشرتم[١٣] و سئلتم عن

/٣٠

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : طرحا - كذا (٣) فى ظ : قد . (٤) من ظ ، و فى الأصل : عمومه (٥) من ظ . و فى الأصل : سببه - كذا (٦-٦) فى ظ : كما يعلى فقير - كذا (٧ - ٧) فى ظ : امر حان - كذا (٨) من ظ ، و فى الأصل : سكت (٩) زيدت الواو من ظ (١٠) فى ظ : لحفظ (١١) من ظ ، و فى الأصل « و » (١٢) زيد بعده فى ظ : يقولوا (١٣) فى ظ : حسرتم .

أعمالكم ﴿ ما جآءنا ﴾ و لتأكيد النفي قيل: ﴿ من بشير ﴾ أي يبشرنا لنرغب فنعمل بما يسعدنا فنفوز ﴿ و لا نذير ﴾ أي [1]يحذرنا لنرهب[1] فنترك ما يشقينا فنسلم، لأن الإنسان موزَّع النقصان بين الرغبة و الرهبة، و قد كان اختلط في تلك الفترة الحق بالباطل فالتبس الأمر و جهل الحال، لكنه لم يجهل[2] جهلا يحصل به عذر في الشرك، و سأبينه في أول ص ٥٠

و لما كان المعنى: فلا تقولوا [ذلك -[3]]، سبب عنه قوله: ﴿ [4]فقد جآءكم[4] ﴾ [أي من هو متصف بالوصفين[5] معا فهو - [3]] ﴿ بشير و نذير[6] ﴾ أي كامل[6] في كل من الوصفين و إن تباينا؛ و لما كان ربما كان[7] توهم أحد من ترك الإرسال زمن[8] الفترة، و من ترك التعذيب بغير حجة الإرسال، و بالعدول[9] عن بني إسرائيل [10]إلى بني إسماعيل[10] شيئا في القدرة، قال كاشفا لتلك الغمة[11]: ﴿ و الله ﴾ أي جاءكم و الحال أن الملك الذي له الكمال كله ﴿ على كل شيء ﴾ أي من أن يرسل في كل وقت و أن يترك ذلك، و أن يهدي بالبيان و أن يضل، و من أن يعذب و لا يقبل عذرا و أن يغفر كل شيء و غير ذلك ﴿ قدير ﴾ و في الختم بوصف القدرة و إتباعه تذكيرهم ما صاروا إليه من العز بالنبوة و الملك بعد ما كانوا فيه من الذل بالعبودية و الجهل إشارةٌ إلى أن إنكارهم

(١-١) من ظ، و في الأصل: ليحذرنا فنرهب (٢) في الأصل: لم يجعل، و في ظ: لم يحصل - كذا (٣) زيد من ظ (٤ - ٤) من ظ و القرآن الكريم، و قد سقط من الأصل (٥) في ظ: بالوصف - كذا (٦) من ظ، و في الأصل: الكامل (٧) سقط من ظ (٨) في ظ: من (٩) في ظ: بالعدل (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) في ظ: النعمة.

لأن يكون من ولد إسماعيل عليه السلام نبي يلزم منه إنكارهم[1] للقدرة .

و لما ذكر سعة مملكته و تمام علمه و شمول قدرته أتبع ذلك الدلالة عليه بقصة[2] بنى إسرائيل فى[3] استنقاذهم من أسر العبودية و الرق و إعلاء شأنهم و إيراثهم أرض الجبارين[4] بعد إهلاك فرعون و جنوده

٥ و غير ذلك مما تضمنته القصة ، إظهارا[5] - بعدم ردهم إلى مصر التى باد أهلها - لتمام القدرة و سعة الملك و نفوذ الأمر ، و هى مع ذلك دالة على نقضهم الميثاق و قساوتهم و نقض ما ادعوه[6] من بنوتهم و محبتهم ، و ذلك أنها ناطقة بتعذيبهم و تفسيقهم و تبرئهم من الله ، و لا شيء من ذلك فعل حبيب و لا ولد ، فقال عاطفا[7] على " نعمة " فى " و اذكروا

١٠ نعمة الله عليكم " تذكيرا لهذه الأمة بنعمة التوثيق للسمع و الطاعة التى أباها بنو إسرائيل بعد ما رأوا من الآيات ، و بما كف عنهم على ضعفهم و شجع به قلوبهم ، و ألزمهم الطاعة و كره إليهم المعصية بضد ما فعل ببنى إسرائيل - و غير ذلك مما يرشد إليه إنعام النظر فى القصة : ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكروا[7] حين ﴿ قال موسى لقومه ﴾ أى من اليهود

١٥ ﴿ يقوم اذكروا[7] ﴾ أى بالقلب و اللسان ، أى[7] ذكر اعتبار و اتعاظ بما لكم من [قوة - [8]] القيام بما تحاولونه ، ليقع منكم الشكر ﴿ نعمة الله ﴾ أى إنعام الملك الأعظم الذى له الإحاطة بالجلال و الإكرام ، و عبر عن

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : انذارهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل: من (٤) فى ظ : الجبابرة (٥) من ظ ، و فى الأصل : اظهار (٦) فى ظ : ادعوا . (٧) من ظ ، و فى الأصل : عطفا (٨) زيد من ظ .

الإنعام بالغاية لأنها المقصود ﴿عليكم﴾ وعظم ذلك التذكير بالاسم الأعظم،
/ و نبه بذكر ظرفها على أجل النعم ، و هى النبوة المنقذة لهم من النار فقال: / ٣١
﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ جعل فيكم ﴾ و بشرهم بمن يأتى بعده من الأنبياء
من بنى إسرائيل فجمع جمع الكثرة فى قوله : ﴿ انبيآء ﴾ أى يحفظونكم
من المهالك الدائمة ، ففعل معكم - بذلك و غيره من النعم التى فضلكم ٥
بها على العالمين فى تلك الأزمان - فعل المحب مع حبيبه و الوالد مع
ولده ، و مع ذلك عاقبكم حين عصيتم ، و غضب عليكم إذ أبيتم ، فعلم أن
الإكرام و[1] الإهانة دائران بعد[1] مشيئته[2] على الطاعة و المعصية .

و لما نقلهم من الحيثية التى كانوا فيها عبيدا لفرعون ، لا يصلحون
معها لملك[3] ، و لا تحدثهم أنفسهم به ، إلى حيثية الحرية القابلة[4] لأن يكون ١٠
[5]كل منهم[5] معها ملكا[1] بعد أن أرسل فيهم رسولا و بشر بأنه[6] يتبعه
من الأنبياء ما لم يكن فى أمة من الأمم غيرهم ، قال : ﴿و جعلكم ملوكا ۝﴾
أى فكما[7] جعلكم كذلك بعد ما كنتم غير طامعين فى شىء منه ، فقد نقله
منكم و جعله فى غيركم بتلك القدرة التى أنعم عليكم بها ، و ذلك لكفركم
بالنعم و إيثاركم الجهل على العلم ، فانكاركم لذلك[8] و تخصيص[9] النعم بكم ١٥
تحكم و ترجيح بلا مرجح ، و يوضح ذلك أن كفر النعمة سبب لزوالها[10] ،
و قد كانوا يهددون فى التوراة و غيرها بما هم فيه الآن من ضرب الذلة

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : سننه - كذا (٣) فى ظ : الملك (٤) فى ظ : القائلة .
(٥ - ٥) فى ظ : كلهم (٦) من ظ ، و فى الأصل : نابه - كذا (٧) فى ظ : فما .
(٨) فى ظ : كذلك (٩) زيد بعده فى ظ : و غيرها (١٠) فى ظ : زوالها .

و المسكنة التى لا يصلحون معها لملك إن هم كفروا - كما سيأتى بعض ذلك فى هذه السورة .

و لما ذكرهم تعالى بما[1] ذكرهم به[2] من النعم العامة ، أتبعه التذكير بنعمة خاصة فقال : ﴿ و آتاكم ما لم يؤت ﴾ أى فى زمانكم و لا فيما قبله من سالف الزمان - كما اقتضاه التعبير [بلم -[3]] ﴿ احدا من العٰلمين ﴾ من الآيات التى أظهرها على يد موسى عليه السلام ، فأخرجكم بها من الظلمات إلى النور ، و الكتاب الذى جعله تبيانا لكل شىء ؛ [ثم -[4]] أتبعه ما يقيد به هذه النعم من الشكر بامتثال الأمر فى جهاد الأعداء فى سياق مؤذن بالنصر معلم بأنه نعمة أخرى يجب شكرها ، فلذلك[5] وصله بما قبله وصل[6] المعلول بالعلة[6] فقال : ﴿ يٰقوم ادخلوا ﴾ [عن أمر الله الذى أعلمكم بما صنع من الآيات أنه غالب على جميع أمره -[3]] ﴿ الارض المقدسة ﴾ أى المطهرة المباركة التى حكم الله أن يطهرها بأنبيائه و رسله من نجس الشرك و وضر المعاصى و الإفك ، و يبارك فيها ، [ثم -[3]] وصفها بما يوجب للمؤمن الإقدام لتحققه النصر فقال : ﴿ التى كتب الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا مانع لما أعطى ﴿ لكم ﴾ أى بأن تجاهدوا أعداءه فترثوا أرضهم التى لا مثل لها ، فتحوزوا سعادة الدارين ، و هى بيت المقدس التى وعد[7]

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : ما (٢) فى ظ : آية - كذا (٣) زيد من ظ (٤) زيد كى تستقيم العبارة ، والعبارة من بعده إلى « معلم بأنه » سقطت من ظ (٥) فى ظ : ولذلك (٦ - ٦) من ظ ، و فى الأصل : المفعول بالصلة (٧) من ظ ، و فى الأصل : وعدا .

أباكم

أباكم إبراهيم عليه السلام أن تكون[1] ميراثا لولده بعد أن جعلها مهاجرة .

و لما أمرهم بذلك نهاهم عن التقاعد عنه ، فقال مشيرا إلى أن مخالفة أمر الله لا تكون إلا[2] بمعالجة للفطرة الأولى : ﴿ و لا ترتدوا ﴾ [3]أى تكلفوا أنفسكم الرجوع عن أخذها ، و صوّر لهم الفتور عن أخذها بما يستحيي من له همة من ذكره فقال[3] : ﴿ علّى ادباركم ﴾ و لما جمع بين الأمر و النهى ، خوفهم عواقب العصيان معلما بأن ارتدادهم سبب لهلاكهم بغير شك ، فقال [معبرا بصيغة الانفعال - [4]] : ﴿ فتنقلبوا ﴾ أى من عند أنفسكم من غير قالب يسلط عليكم ﴿ خسرين ۝ ﴾ أى بخزى المعصية عند الله و عار الجبن عند / الناس و خيبة السعى من خيرى الدارين . / ٣٢

و لما كان هذا السياق محركا للنفس إلى معرفة جوابهم عنه ، أورده على تقدير سؤال من كأنه قال : إن هذا لترغيب[5] مشوق و ترهيب مقلق، فما قالوا فى جوابه[6] ؟ فقال: ﴿ قالوا ﴾ معرضين عن ذلك كله بهمم سافلة و أحوال نازلة، مخاطبين له باسمه جفاء و جلافة و قلة أدب ﴿ يٰموسىٰ ﴾ و أكدوا قولهم تأكيد من هو محيط العلم ، فقالوا مخاطبين بجرأة و قلة حياء لأعلم أهل زمانه : ﴿ ان فيها ﴾ أى دون غيرها ﴿ قوما جبارين ﷺ ﴾ أى عتاة قاهرين لغيرهم[7] مكرهين له على ما يريدون ﴿ و انا لن ندخلها ﴾ خوفا منهم ﴿ حتى يخرجوا منها ﴾ ثم صرحوا بالإتيان بالجملة الاسمية المؤكدة

(١) فى الأصل : تكونوا ، و فى ظ : يكون (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ (٥) فى الأصل و ظ : الترغيب (٦) من ظ ، و فى الأصل : جوابهم (٧) فى ظ : لغيركم .

بتهالكهم على الدخول وأنه لا مانع لهم[1] إلا الجبن فقالوا: ﴿فان يخرجوا منها﴾ أى بأى وجه كان، وعبروا بأداة الشك مع إعلام الله لهم باهلاكهم على أيديهم جلافة منهم و عراقة طبع فى التكذيب ﴿فانا دٰخلون ٥﴾ فكأنه قيل[2]: إن هذه لسقطة ما مثلها، فما اتفق لهم بعدها؟ فقيل: ﴿قال رجلٰن﴾ و أشار إلى كونهما من بنى إسرائيل بقوله ذما لمن تقاعس عن الأمر منهم: ﴿من الذين يخافون﴾ أى يوجد منهم الخوف من الجبارين، و مع ذلك فلم يخافا وثوقا منهما بوعد الله، و لما كان بنو إسرائيل أهلا لأن يخافهم من يقصدونهم[3] بالحرب لأن الله معهم بعونه و نصره، قرئ: يخافون - مبنيا للمفعول ﴿انعم الله﴾ أى بما له من صفات الكمال ﴿عليهما﴾ أى بالتثبيت على العمل بحق النقابة، و هما يوشع بن نون و كالاب بن يوفنا ـ كما أنعم عليكم أيها العرب و خصوصا النقباء بالثبات فى كل موطن ﴿ادخلوا عليهم الباب[4]﴾ أى باب قريتهم امتثالا لأمر الله و إيقانا بوعده.

و لما كانا يعلمان أنه لا بد من دخولهم عليهم و إن تقاعسوا[4] و إن طال المدى، لأن الله وعد بنصرهم عليهم و وعده حق، عبرا[5] بأداة التحقيق خلاف ما مضى لجماهيرهم فقالا[6]: ﴿فاذا دخلتموه﴾ ثم أكدا[7] خبرهما إيقانا بوعد الله فقالا[6]: ﴿فانكم غٰلبون﴾ أى لأن الملك معكم دونهم ﴿و على الله﴾ أى الملك الأعظم الذى وعدكم بارثها وحده ﴿فتوكلوا﴾ أى لا على عُدة منكم و لا عِدة و لا حول و لا قوة.

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: قل (٣) فى الأصل وظ: يقصدونه.
(٤) فى ظ: تقاسعوا ـ كذا (٥) فى ظ: عبر (٦) فى ظ: فقال (٧) فى الأصل: اكدوا، و فى ظ: اكد.

و لما كان الإخلاص يلزمه التوكل و عدم الخوف من غير الله ، ألهمهم بقوله : ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ مؤمنين ٥ ﴾ أى عريقين فى الإيمان بنبيكم صلى الله عليه و سلم و التصديق بجميع ما أتى به ، فكأنه قيل : لقد نصحا لهم و برّا ، و اجتهدا[1] فى إصلاح الدين و الدنيا فما خدعا و لا غرّا ، فما قالوا ؟ فقيل : لم يزدهم ذلك ٥ [إلا - [2]] نفارا و استضعافا لأنفسهم لإعراضهم عن الله و استصغارا لأنهم ﴿ قالوا ﴾ معرضين عمن خاطباهم غير عادين[3] لهما[4] ﴿ يٰموسىٰ ﴾ و أكدوا نفيهم للاقدام عليهم بقولهم : ﴿ انا ﴾ و عظموا تأكيدهم بقولهم[5] : ﴿ لن ندخلها ﴾ و زادوه تأكيدا بقولهم : ﴿ ابدا ﴾ و قيدوا ذلك بقولهم : ﴿ ما داموا ﴾ أى الجبابرة ﴿ فيها ﴾ أى لهم اليد عليها ، ثم اتبعوه بما يدل على أنهم[6] فى ١٠ غاية الجهل بالله الفعال لما يريد ، / الغنى عن جميع العبيد ، فقالوا مسببين ٣٣/ عن نفيهم ذلك قولهم : ﴿ فاذهب انت و ربك ﴾ أى المحسن إليك ، فلم يذكروا أنه احسن إليهم كثافة[7] طباع و غلظ أكباد ، بل[8] خصوه بالإحسان ، و هذا القول [إن - [2]] لم يكن قائلوه يعتقدون التجسيم [9] فهم مشارفون له ، و كذلك [10] أمثاله ، و[10] كان اليهود الآن عريقين فى التجسيم ، ١٥ ثم[11] سببوا عن الذهاب قولهم : ﴿ فقاتلا ﴾ ثم استأنفوا قولهم مؤكدين لأن من له طبع سليم و عقل مستقيم لا يصدق أن أحدا يتخلف عن

(١) فى ظ : اجتهد (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : عادلين (٤) فى الأصل و ظ : لهم (٥) فى ظ : بقوله (٦) فى ظ : انه (٧) فى ظ : كافة - كذا (٨) سقط من ظ . (٩) العبارة من هنا إلى « فى التجسيم » سقطت من ظ (١٠ - ١٠) فى الأصل : و امثاله - كذا (١١) من ظ ، و فى الأصل « و » .

أمر الله لا سيما إن كان بمشافهة الرسول : ﴿ انا ههنا ﴾ أى خاصة ﴿ قعدون ٥ ﴾ أى لا نذهب معكما ، فكان فعلهم فعل من يريد السعادة بمجرد ادعاء الإيمان من غير تصديق له بامتحان بفعل [ما -[1]] يدل على الإيقان ؛ روى البخارى فى المغازى و التفسير عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : قال المقداد بن عمرو يوم بدر : يا رسول الله ! لا نقول كما قال قوم[2] موسى " اذهب انت و ربك فقاتلا انا ههنا قعدون " و لكن[3] امض [4]و نحن[4] معك ، نقاتل عن يمينك و عن شمالك [و بين يديك -[5]] و خلفك ، فرأيت النبى صلى الله عليه و سلم أشرق وجهه و سرّه . فكأنه قيل : فما قال موسى عليه السلام ؟ فقيل[6] : ﴿ قال ﴾ لما أيس منهم معرضا عنهم شاكيا إلى الله تعالى[6] ﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ .

و لما كان من حق الرسول أن يقيه كل أحد بنفسه و ولده فكيف بما دون ذلك ، فكان لا يصدق أحد[7] أن أتباعه لا يطيعونه ، جرى على طبع البشر و إن كان يخاطب علام الغيوب فقال مؤكدا : ﴿ انى ﴾ و لما فهم من أمر الرجلين لهم بالدخول أنهما قيّدا دخولهما بدخول الجماعة ، خص فى قوله : ﴿ لآ أملك الا نفسى و اخى ﴾ أى و نحن مطيعان لما تأمر به ﴿ فافرق بيننا ﴾ أى [8]أنا و أخى[8] ﴿ و بين القوم الفسقين ٥ ﴾ أى الخارجين

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و صحيح البخارى، وفى الأصل : لكنا، و زيد بعده فيه : نقول ، و لم تكن الزيادة فى ظ و الصحيح فحذفناها .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و الصحيح (٦) زيد بعده فى ظ : قال (٧) فى ظ : احدا (٨-٨) فى ظ : مع اى اخ لنا - كذا .

عن الطاعة قولا و فعلا ، و لا تجمعنا معهم فى بين[1] واحد ، فى فعل و لا جزاء ﴿ قال فانها ﴾ أى الأرض المقدسة ﴿ محرمة عليهم ﴾ أى بسبب أقوالهم هذه و أفعالهم ، لا يدخلها ممن قال هذه المقالة أو رضيها أحد ، بل يمكثون ﴿ اربعين سنة ع ﴾ ثم استأنف جوابا لمن تشعب[2] فكره فى تعرف حالهم فى هذه الأربعين و محلهم من الأرض قوله : ﴿ يتيهون ﴾ أى يسيرون ٥ متحيرين[3] ﴿ فى الارض[4] ﴾ حتى يهلكوا كلهم ، و التيه : المفازة التى يحير سالكها فيضل عن وجه مقصده ، روى أنهم أقاموا[4] هذه المدة فى ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين ، ثم يمشون فى الموضع[5] الذى ساروا منه ، ثم سبب عن إخباره بعقوبتهم قوله : ﴿ فلا تاس ﴾ أى تحزن حزنا مؤيسا[6] ﴿ على القوم ﴾ أى الأقوياء الأبدان الضعفاء القلوب ١٠ ﴿ الفسقين ع ﴾ أى الخارجين من قيد الطاعات ، ثم بعد هلاكهم أدخلها بنيهم الذين نشأوا فى التيه لسلامتهم من اعوجاج[7] طباعهم التى ألبستهم إياها بلاد الفراعنة ، فانى كتبتها لبنى إسرائيل ، و لم أخبر بتعيينهم - و إن كانوا معينين فى علمى - كما اقتضت ذلك حكمتى ؛ و فى هذه القصة أوضح دليل على [8]نقضهم للعهود[8] التى بنيت السورة على طلب الوفاء بها و افتتحت ١٥ بها ، و صرح بأخذها عليهم فى قوله "و لقد اخذ الله ميثاق بنى اسراءيل -

(١) من ظ ، و فى الأصل : نفر - كذا (٢) فى ظ : يتشعب (٣) زيد بعده فى الأصل : فى الأرض ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : قاموا . (٥) فى ظ : المواضع (٦) من ظ ، و فى الأصل : موتسا - كذا (٧) فى ظ : الاعوجاج (٨-٨) فى ظ : بعضهم للعهد .

/٣٤ إلى أن قال: و آمنتم / برسلى و عزرتموهم" و فى ذلك تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم فيما يفعلونه [1]معه، و تذكير[1] له بالنعمة على قومه بالتوفيق، و ترغيب لمن أطاع منهم و ترهيب لمن عصى، و مات فى تلك الأربعين كل من قال ذلك القول أو رضيه حتى النقباء العشرة، و كان ٥ الغمام يظلهم من حر الشمس، و يكون لهم عمود من نور بالليل يضىء [2]ههنا[2] عليهم - و غير هذا من النعم، لأن المنع[3] بالتيه كان تأديبا لهم لا غضبا فانهم تابوا.

شرح هذه القصة مما بين أيديهم من التوراة و ذكر بعض ما عذبهم[4] فيه بذنوبهم، قال فى السفر الرابع منها: و كلم الرب موسى و قال له[3]: ١٠ أرسل قوما يجسّون الأرض التى أعطى بنى إسرائيل، فأرسلهم موسى من برية فاران رجالا[5] من رؤساء بنى إسرائيل - اثنى عشر رجلا - فيهم كالاب بن يوفنا و هوساع بن نون، و دعا موسى هوساع بن نون يوشع، و أرسلهم[3] ليستخبروا أرض كنعان و قال لهم: اعرفوا خبر الشعب الذى بها، أقوى هو أم ضعيف؟ أكثير هو أم قليل؟ و ما خبر الأرض التى ١٥ هم فيها، أمخصبة أم لا؟ أفيها شجر أم لا؟ و فى نسخة: و ما المدن التى يسكنونها؟ و أن كانت محوّطا عليها أم لا؟ و تقووا[6] و خذوا من ثمار الأرض؛ فصعدوا فاستخبروا الأرض، و أخذوا من برية[7] صين حتى

(١-١) فى ظ: معهم و تذكيرا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: النعم. (٤) فى ظ: عدتهم (٥) فى ظ: رجلا (٦) فى ظ: يقووا (٧) فى ظ: تربه - كذا.

انتهوا إلى راحوب[١] التى فى مدخل حمات[٢]، و صعدوا إلى التيمن فأتوا حبران - و فى نسخة: حبرون[٣] - و كان بها بنو الجبابرة، ثم أتوا[٤] وادى العنقود و قطعوا[٥] قضيبا من الكرم فيه عنقود عنب، فحمله رجلان بأسطار[٦]، و دعوا اسم ذلك الموضع وادى العنقود من أجل ذلك، و أخذوا من الرمان و التين أيضا، و رجعوا إلى موسى بعد أربعين ليلة إلى برية ٥ فاران إلى رقيم، و أخبروا موسى و الجماعة كلها خبر الأرض و قالوا: انطلقنا فاذا الأرض تغل[٧] اللبن[٨] و العسل و هذه ثمارها، و لكن الشعب الذى فى الأرض عزيز قوى، و قراهم كبار مشيدة، و رأينا ثمّ بنى الجبابرة، [ثم - [٩]] ذكر أن الكنعانيين[١٠] على ساحل البحر إلى نهر الأردن، قالوا: و كنا عندهم مثل الجراد، كذلك[١١] رأينا أنفسنا، فضجت الجماعة ١٠ كلها و رفعوا أصواتهم بالبكاء، و بكوا فى تلك الليلة بكاء شديدا، و تذمر جميع بنى إسرائيل على موسى و هارون فى ذلك اليوم و ضجوا عليهما، و قال لهما محافل بنى إسرائيل كلها: يا ليتنا! متنا بأرض مصر على يدى الرب، و ليتنا متنا فى هذه البرية و لا يدخلنا الرب إلى الأرض التى نصرع[١٢] فيها قتلا! و تنتهب مواشينا و أهلونا! كان المنون[١٣] بأرض مصر خيرا لنا، و قال كل ١٥ امرئ منهم لأخيه: اجتمعوا حتى نصيّر[١٤] علينا رئيسا، و نرجع إلى أرض مصر،

---

(١) فى ظ: خرب (٢) من التوراة، و فى الأصل و ظ: حماد (٣) من التوراة، و فى الأصل: خبرون. و فى ظ: خيرون - كذا (٤) فى ظ: ادوا (٥) فى ظ: قطفوا (٦) فى ظ: بانتظار (٧) فى ظ: نعسل - كذا (٨) من ظ و التوراة، و فى الأصل: التين (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ: النعاميين - كذا. (١١) فى ظ: لذلك (١٢) فى ظ: تضوع - كذا (١٣) فى ظ: المنوى. (٤) فى ظ: يصير.

فخر موسى و هارون على وجوههما ساجدين بين [يدى - [1]] جماعة
بنى إسرائيل كلها ، فأما يشوع بن نون و كالاب بن يوفنا اللذان[2]
كانا من الجواسيس فقالا : الأرض مخصبة جدا ، فان شاء الرب دفعها
إلينا ، فهى أرض [تغل - [1]] السمن و العسل ، فلا تعصوا[3] الرب
٥ ولا تفتنوا[4] و لا تخافوا شعب هذه[5] الأرض ، لأن أهلها مبذولون لنا مثل
الطعام للآكل ، واعلموا أن قويهم سيضعف و تزول عنهم شدتهم ،
٣٥/ و نحن الغالبون لأن/الرب معنا ، فلا تفرقوا منهم ، و ظهر مجد الرب
بالسحابة فى قبة الزمان تجاه بنى إسرائيل ، وقال الرب لموسى : إلى متى
يسخطنى[6] هذا الشعب ؟ و كم إلى كم لا يصدقوننى ؟ ألم يروا جميع الآيات
١٠ التى أتيتهم بها ؟ سأضربهم بالموت و أهلكهم ، و أصيرك الشعب[7] أعظم
من هذا و أعزّ منهم ، فقال موسى[5] أمام الرب : يسمع أهل مصر الذين
أخرجت [هذا الشعب من بينهم بقوتك ، و يقول لسكان هذه الأرض أيضا
الذين سمعوا أنك رب - [1]] هذا الشعب ، فان أنت قتلت هذا الشعب
[8]جميعا كرجل واحد تقول الشعوب التى بلغها خبرك : إن الرب لم يقدر
١٥ أن يدخل هذا الشعب[8] الأرض التى كان[5] وعد إياهم ، فلذلك قتلهم فى
البرية ، فلتعظم قوتك الآن يا رب [كما وعدت[9] و قلت ! يا رب - [1]]

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: اللذين (٣) فى ظ : تغضبوا (٤) فى ظ : لا تفتنوا .
(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : تسخطنى (٧) من ظ والتوراة ، وفى الأصل : لشعب (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ : وجدت - كذا .

أنت

أنت ذو المودة و النعمة، تغفر الإثم[1] و الخطايا، و تزكى من ليس بمزكى، اغفر يا رب كما غفرت لهم مذ خرجوا من أرض مصر إلى الآن! فقال الرب لموسى: قد غفرت لهم لقولك[2] و لكنى حى قيوم، أقسم بذلك و بمجدى الذى امتلأت الأرض كلها منه أن جميع الرجال الذين عاينوا مجدى و الآيات التى أظهرت لهم بمصر و الفضاء، و جربونى عشر مرات و لم يطيعونى[3] ٥ و لم يقبلوا قولى، لا يعاينون الأرض التى أقسمت لآبائهم أنى أعطيهم، و لا يدخلها أحد من الذين أغضبونى[4]، فأقبلوا غدا و ارتحلوا إلى طريق بحر سوف؛ و قال الرب: إلى متى تغفر[5] هذه الجماعة الرديئة بين يدى؟ فبى أقسم أنكم[5] تصيرون إلى ما قلتم، و كما فكرتم[6] ذلك يصيبكم[6] فى هذه البرية، فتسقط جثثكم فيها و تبلى أجسادكم و يهلك كل عددكم و حسابكم ١٠ من ابن عشرين سنة إلى فوق، لأنكم تشوشتم و تذمرتم علىّ، لا تدخلوا الأرض التى رفعت يدى لأنزلكم فيها، و لا يدخلها إلا كالاب بن يوفنا و يوشع بن نون، و أما مواشيكم التى قلتم: إنها تنتهب، و بنوكم الذين لا يعلمون الخير من الشر فهم يدخلون الأرض و أصيّرهم إليها و أورثهم الأرض، فأما جيفكم فتسقط و تبلى فى هذه البرية. و تمكث بنوكم يترددون ١٥ فى هذه المفازة أربعين سنة، يعاقبون حتى تهلك جثثكم فى هذه البرية على عدد الأيام التى اجتس الجواسيس الأرض فيها، لكل يوم سنة،

(١) فى ظ: الذنب (٢) من نص التوراة، و فى الأصل و ظ: كقولك (٣) فى ظ: لم يطيعوا (٤) فى ظ: تنبيو - كذا، و العبارة من بعده إلى «متى تغفر» ساقطة منه (٥) سقط من ظ (٦-٦) فى ظ: لكم نصيبكم.

و تعاقبون بأثمكم[1]، لكل يوم سنة[2]، أربعين سنة لأربعين يوما، فتعلمون أنى إنما فعلت ذلك لتذمركم[3] بين يدى، أنا الرب قلت: كذلك أصنع بهذه الجماعة الرديئة التى اجتمعت بين يدى، تهلك فى هذه البرية، يموتون كلهم، و القوم الذين أرسلهم موسى أن يجتسوا الأرض له فانقلبوا و شغبوا عليه
٥ و أفسدوا الجماعة كلها، و ذلك أنهم أخبروا الشعب فى أمر الأرض خبرا رديئا، و مات القوم الذين أخبروا الخبر السوء موت الفجاءة أمام الرب، فأما يشوع و كالاب فنجوا من الموت، و لم يهلكا مع الذين استخبروا الأرض، فأخبر موسى بنى إسرائيل هذه الأقوال، و جلسوا[4] فى حزن شديد و قالوا: نحن صاعدون إلى الموضع الذى أمر الرب و نقر بخطايانا، قال لهم موسى:
١٠ اعلموا أنكم لا تنجحون[5] و لا يتم أمركم، لا تصعدوا لأن الرب ليس معكم لئلا يهزمكم أعداؤكم، فان صعدتم هزمتم و قتلتم، لأنكم أغضبتم الرب
/٣٦ و رجعتم عن / قوله، فلذلك لا يكون الرب معكم، فصعد القوم إلى رأس الجبل، فأما تابوت عهد الرب و موسى النبى فلم يبرحا من العسكر، و نزل العملقانيون الذين يسكنون ذلك الجبل و حاربوهم و هزموهم، و قتلوا منهم
١٥ مقتلة عظيمة و طردوهم إلى حرما؛ و كان ذكر قبل ذلك فى السفر الثانى و قبل معصيتهم فى أمر الجواسيس قتالهم فى رفيدين و رقيم لعماليق فقال ما نصه: و إن عماليق جاء ليقاتل بنى إسرائيل برفيدين[6] فقال موسى ليشوع[7]:

(١) فى ظ: بايمانكم (٢) زيد بعده فى ظ: و تعاتبون باسمكم لكل يوم - كذا.
(٣) من ظ، و فى الأصل: لتسوءكم - كذا (٤) من نص التوراة، و فى الأصل و ظ: جلس (٥) فى ظ: لا تحوابين - كذا (٦) زيد بعده فى ظ: و رقيم.
(٧) فى ظ: اليسوع.

اختر رجلا من أهل الجلد و الشدة و اخرج بنا نقاتل [1]عماليق غدا[1] و أنا واقف عل رأس الأكمة، و قضيب[2] الله فى يدى، فصنع يشوع كما قال له[3] موسى فخرج إلى حرب عماليق، و صعد موسى و هارون و حور إلى رأس الجبل، و كان موسى إذا رفع يده قوى بنو إسرائيل، و إذا خفض يده قوى عماليق، فأعيت يدُ موسى فأخذ حجارة فوضعها تحته، ٥ ثم استوى عليها جالسا، و كان هارون و حور [4]يدعمان يديه[4]، أحدهما يمينا و الآخر شمالا حتى غربت الشمس، فهزم يشوع عماليق و من معه و قتلوهم بحد السيف، فقال الرب لموسى: اكتب[5] هذا الأمر فى سفر الكتاب و ضعه أمام يشوع بن نون، لأنى أمحق و أبيد ذكر عماليق من تحت[6] السماء، فبنى للرب مذبحا، [7]و دعا اسمه[7] " [8]الله علمى[8] "، ثم قال: ١٠ و أرسل رسلا من رقيم إلى ملك أدوم[9] بأنهم نازلون فى رقيم - القرية التى فى حد بلاده - و استأذنه فى الجواز فى بلاده، فهددهم بالمقاتلة فقالوا: لا نشرب لك ماء إلا بثمن، فقال: لا تجوزوا فى[10] حدى، و خرج إليهم بجيش عظيم و سلاح شاك فصغا بنو إسرائيل عنه و ظعنوا

(١ - ١) ن، ظ: عد - كذا (٢) فى ظ: قضيت (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) فى ظ: يدعمادتين بيديه - كذا (٥) فى ظ كيت (٦) زيد بعده فى ظ: اعداء. (٧ - ٧) فى ظ: اسم (٨ - ٨) من ترجمة التوراة المقدسة لأبى سعيد بن أبى الحسين السامرى، و أسفار التوراة المقدسة المخطوطة سنة ٩٣٠ من الهجرة بقرية من يروشليم، و فى الأصل و ظ: الله حرب، و وقع فى تراجمها الأخرى: يهوواه نسّى - غير مترجم إلى العربية (٩) من التوراة، و فى الأصل و ظ: ازوم. (١٠) فى ظ: الى.

من رقيم، و أتى جميع بنى إسرائيل إلى هور[1] الجبل حيث توفى هارون، ثم قال: و نزل موسى و إليعازر من الجبل، فرأت محافل بنى إسرائيل كلها أن هارون قد توفى، و بكى على هارون[2] جميع بنى إسرائيل ثلاثين يوما، و سمع الكنعانى ملك عراد[3] الذى كان يسكن التيمن[4] أن
٥ بنى إسرائيل قد نزلوا فى طريق الجواسيس فحاربهم[5] و سبى منهم قوما، فنذر بنو إسرائيل نذرا للرب و قالوا: إن أنت دفعت إلينا هذا الشعب يا رب و قويتنا عليه جعلنا قراهم حريمة للرب[6]، فسمع الرب أصوات بنى إسرائيل و دفع إليهم الكنعانيين و قوّاهم عليهم، و هزموهم و قتلوهم و جعلوا قراهم حريمة للرب و دعوا[7] اسم تلك البلاد حريمة، فظعن الشعب
١٠ من هور الجبل فى طريق بحرسوف ليدوروا حول[8] أرض أدوم، ففزعت[9] أنفس الشعب من شدة الطريق وكلّت، و تذمر[10] الشعب على الله و على موسى و قالوا: لِمَ أصعدتنا من مصر؟ لتميتنا فى موضع ليس فيه خبز و لا ماء، قد ضاقت أنفسنا من قلة الطعام، فسلط الله عليهم حيات فنهشت قوما من الشعب و مات منهم كثير، فاجتمعوا إلى موسى و قالوا:
١٥ قد[11] أخطأنا إذ تذمرنا على الله و عليك، صل أمام الرب لتنصرف عنا الحيات، فصلى موسى فقال الرب له: اتخذ حية من نحاس مثال الحية و ارفعها/ على خشبة علامة، و من نهشته حية ينظر إلى الحية المعلقة[11] /٣٧

(١) فى ظ: هو (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) من التوراة، و فى الأصل و ظ: حدر ـ كذا (٤) فى ظ: التمس ـ كذا (٥) فى ظ: فحاربوهم (٦) زيد بعده فى ظ: و قالوا (٧) فى ظ: دنوا الى ـ كذا (٨) فى ظ: حوال (٩) فى ظ: فغرمت (١٠) فى ظ: تدير (١١) سقط من ظ.

فيرأ

فيرأ ، ففعل ذلك ، فظعن[1] بنو إسرائيل فنزلوا أبوت[2]، ثم ارتحلوا من أبوت[3] و نزلوا على عين العبرانيين التى فى البرية أمام أرض موآب فى الجانب الشرقى و حيث[4] مشارق الشمس ، ثم ظعنوا من هناك و نزلوا وادى زرود ، و ارتحلوا من هناك و نزلوا عبر أرنون فى البرية [أمام أرض موآب فى الجانبين - [5]] التى[6] تخرج من [حد - [5]] الأمورانيين[7] ٥ و هى فى حد الموآبيين ، و لذلك يقال فى كتاب حروب[8] الرب : [9]واهب فى سوفة و[9] وادى أرنون و مصب[10] الأوديه المائلة إلى سكان عار[11] التى تنتهى إلى [12]حد الموآبيين[12] ؛ ثم أرسل بنو إسرائيل رسلا إلى سيحون ملك الأمورانيين[7] [و -[5]] قالوا له: نجوز فى أرضك من غير أن نطأ[13] لك حقلا و لا كرما ، و لا نشرب[14] من ماء جناتك[15]، و لكن نلزم الطريق ١٠ الأعظم حتى نجوز[16] أرضك ، فأبى سيحون و جمع جميع أجناده و خرج إلى البرية و حارب بنى إسرائيل ، فقتل بنو إسرائيل سيحون و أصحابه و ورثوا أرضه ، و صعدوا إلى أرض متنين، [وخرج عوج ملك متنين - [5]]

(١) فى ظ : فظن (٢) فى ظ : العرب - كذا (٣) فى ظ : ابواب - كذا (٤) فى ظ : جنب (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : الامرانيين (٨) من نص التوراة ، و فى الأصل : حروف ، و فى ظ : حدود (٩-٩) من ترجمة التوراة التى طبعت بلندن سنة ١٨٧٢ م ، و فى الأصل و ظ : اللهب تعاصف فى - كذا . (١٠) من ترجمة التوراة ، و فى الأصل و ظ : اصلحت - كذا (١١) من ظ والتوراة ، وفى الأصل : عمار (١٢-١٢) فى ظ : احد الموانين - كذا (١٣) فى ظ : يطا (١٤) فى ظ : لايشرب (١٥) فى ظ : جنابك (١٦) فى ظ : لا نجوز .

إليهم هو و أجناده ليحاربهم فى أدرعى[١] ، و قال الرب لموسى : لا تخفه لأنى[٢] دافعه فى يدك و أصيّر جميع شعبه و أرضه فى يدك ، فاصنع[٣] به كما صنعت بسيحون ملك الأمورانيين ، فلما حاربوه قتل هو و بنوه و جميع شعبه و لم يبق منهم أحد ، فظعن بنو إسرائيل و نزلوا عربات[٤]
٥ موآب[٥] التى عند أردن إريحا ؛ ثم ذكر قصة بلعام بن باعور[٦] و غيرها و[٢] قال : ثم قال الرب لموسى : اصعد إلى هذا الجبل جبل العبرانيين ، و انظر[٧] إلى أرض كنعان[٨] التى أعطى بنى إسرائيل ، فاذا نظرت إليها اجتمع معك[٩] شعبك ، و صر إلى ماصار إليه آباؤك كما صار [إليه - [١٠]] هارون أخوك ، فتكلم موسى أمام الرب و قال : يأمر الله رجلا يريد
١٠ الجماعة و يدخل و يخرج أمامهم ، و يدخلهم و يخرجهم لكيلا تكون[١١] جماعة الرب كالغنم التى ليس لها راع ، فقال الرب لموسى : اعمد إلى يشوع[١٢] ابن نون - رجل عليه من الروح نعمة - فضع يدك عليه ، و أقمه بين يدى إليعازر الحبر أمام الجماعة كلها و من تجاههم قبلا ، و أعطه من المجد الذى عليك ، فتطيعه جماعة بنى إسرائيل كلها ، و يقوم[١٣] بين يدى إليعازر
١٥ الحبر ليكون يسأل الرب عن حوائجه و سننه ، و يحفظ بنو إسرائيل[١٤] قوله ،

(١) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : اردعى (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : و اصنع (٤) من ترجمة التوراة ، و فى الأصل و ظ : عربى (٥) من ظ و التوراة ، و فى الأصل : موات (٦) فى ظ : بعور (٧) فى ظ : ارض (٨) فى ظ : الغان . (٩) من ظ ، و فى الأصل : مع (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : يكون (١٢) فى ظ : يسوع (١٣) فى ظ : تقوم (١٤) فى ظ : بنى اسرائيل .

و عن قوله يخرجون و عن قوله يدخلون ، و فعل موسى كالذى أمره الله
فى يوشع و غيره - ثم ذكر أشياء[1] من القرابين[2] و الأعياد و فتح مدين
و بقية قصة بلعام و غير ذلك [ثم - [3]] قال : و كثرت مواشى
بنى روبيل[4] و بنى جاد جدا ، و نظروا [إلى - [3]] يعزير و أرض جلعاد[5] أنه
موضع يصلح للمواشى فقالوا لموسى : إن نحن ظفرنا منك برحمة و رأفة ٥
تعطى هذه الأرض لعبيدك ميراثا و لا تجزنا نهر الأردن ، فقال موسى :
إخوتكم يخرجون إلى الحرب و أنتم تستقرون ههنا ؟ لِمَ تكسرون[6] قلوب
إخوتكم أن لا يجوزوا[7] إلى الأرض التى يعطيهم[8] الرب ميراثا ! هكذا
صنع أيضا آباؤكم فاشتد غضب الرب عليهم ، و أقسم أنه لا يعاين أحد
منهم الأرض التى وعدت بها آباءهم ، لأنهم لم يتموا[9] قولى و لم يتبعوا ١٠
وصيتى ما خلا كالاب بن يوفنا / [10] القنزانى و يشوع[10] بن نون ، إنهما أتما ٣٨/
قول الرب ، فاشتد غضب الرب على بنى إسرائيل و تَوَّهَهُمْ فى البرية أربعين
سنة حتى هلك حقب الرجال الذين أسخطوا الرب ، و أنتم اليوم أيضا
تريدون أن ينزل غضب الرب ببنى إسرائيل ، و إن[11] أنتم انقلبتم عن
أمر الرب أيضا يعود أن يُتَوِّهَكم فى التيه ، فتفسدون[12] على جميع هذا الشعب، ١٥

(١) فى ظ : شيئا (٢) فى ظ : القرانين - كذا (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : بنى اسرائيل (٥) فى ظ : خلعاد (٦) فى ظ : يسكرون (٧) فى ظ : لا تجوزوا . (٨) من نص التوراة ، و فى الأصل : يعطيكم ، و فى ظ : تعطيهم (٩) فى ظ : يتموا (١٠-١٠) فى ظ : العبرانى و يسوع (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ : فيفسدون .

فدنا منه القوم و قالوا : نبنى ههنا[1] قرى[2] لعيالاتنا[3] و حظائر لأنعامنا، و نحن نتسلح أمام بنى إسرائيل حتى ندخلهم[4] إلى مواضعهم، و لا نرجع إلى بيوتنا حتى يرث بنو إسرائيل كل إنسان ميراثه، و لا نرث معهم من عبر الأردن و ما خلف ذلك، لأنا قد قبضنا ميراثنا

٥ فى مجاز الأردن فى مشارق الشمس، فقال لهم موسى: إذا أنتم فعلتم هذا الفعل و تسلحتم[5] أمام ربكم، حينئذ ترجعون و تستجلبون[6] أرضكم و يرضى[7] بنو إسرائيل عنكم، و تصير هذه الأرض لكم[8] ميراثا، و إن لم تفعلوا [هذا -[9]] تصيروا[10] أمام الرب خطأة[11]، و اعلموا أن خطاياكم تدركم؛ ثم قال: و هذه خطأ عن بنى إسرائيل حيث

١٠ خرجوا من أرض مصر - فذكر ما تقدم فى البقرة، ثم قال[12]: و ارتحلوا من مقبرة الشهوة و نزلوا حضروت، [و ظعنوا من حضروت -[13]] و نزلوا رثما، و ارتحلوا من رثما و نزلوا رمون[14] فرص، و ظعنوا[15] من رمون[16] فرص و نزلوا لبنا - و فى نسخة: [17]لبونا -

(١) من ظ، و فى الأصل: هنا (٢) فى ظ: قريتنا (٣) فى الأصل: اعيالاينا، و فى ظ: لاننا - كذا (٤) فى ظ: يدخلهم (٥) فى ظ: سلحتم (٦) فى ظ: يستخلفون (٧) فى ظ: ترضى (٨) سقط من ظ (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ: يصيرو (١١) من ظ، و فى الأصل: خطاطا - كذا (١٢) فى ظ: قالوا (١٣) زيد من ظ، إلا أن لفظة « من » ساقطة منه (١٤) من ظ و التوراة، و فى الأصل: رمتون (١٥) فى ظ: فظعنوا (١٦) من التوراة، و فى الأصل: رمتن، و فى ظ: زمن - كذا (١٧) سقطت العبارة من هنا إلى « قهاث و فى نسخة » من ظ.

و ارتحلوا

و ارتحلوا من لبنا و نزلوا أراسيا - و فى نسخة : رسا - و ظعنوا من أراسيا أو رسا و نزلوا قهاث - و فى نسخة : بقهالاث[1] - و ارتحلوا من قهاث و نزلوا جبل شافار - [2]و فى نسخة[2] : شافر - و ارتحلوا من جبل شافار[3] و نزلوا حرادة[4] - و فى نسخة : حرذا - و ارتحلوا من حرادة[5] - و فى نسخة : حارذا - و نزلوا مقهلوث[6] - و فى نسخة : مهقلوث[7] - و ظعنوا من مقهلوث[6] [8]و نزلوا تحاث ، و ارتحلوا من تحاث و نزلوا ترح ، و ارتحلوا من ترح و نزلوا مثقا ، و ارتحلوا من مثقا و نزلوا حشمونا ، و ظعنوا من حشمونا و نزلوا مسروت . و ارتحلوا من مسروت[8] و نزلوا بحىّ بنى يعقان[9] ، [و ظعنوا من حىّ بنى يعقان -[10]] و نزلوا جبل جدجاد ، و ارتحلوا من جبل جدجاد و نزلوا يطبث[11] - و فى نسخة : يطباثا[12] - و ظعنوا من يطبث و نزلوا عجرونا - و فى نسخة : عبرونا - و ارتحلوا من عجرونا و نزلوا [13]عصيون جابر[13] وهى قلزم ، و رحلوا من [14]عصيون جابر[14] و نزلوا برّ صين - و فى نسخة : برية صين المعروفة بقداش[15] - و هى رقيم ، و ظعنوا من قداش[16] و نزلوا هور الجبل الذى فى أقاصى

(١) فى ظ : تفهلات - كذا (٢-٢) تكرر فى الأصل و ظ (٣) فى ظ : شافر .
(٤) من التوراة ، و فى الأصل : حدر ، و فى ظ : حدرو - كذا (٥) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : حدر (٦) فى ظ : مهلوث (٧) فى ظ : حعلوث .
(٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى نسخة من التوراة : بنى يلعقان .
(١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : بطعث (١٢) فى ظ : بطشا (١٣-١٣) من التوراة ، و فى الأصل : عضينعبار ، و فى ظ : عضعار - كذا (١٤ - ١٤) من التوراة ، و فى الأصل : عضيعبار ، و فى ظ : عصنبغار - كذا (١٥) فى ظ : بقداس (١٦) فى ظ : قداس .

أرض أدوم - و فى نسخة : و ظعنوا من برية صين فنزلوا فى قفر[1] فاران و هى القدس، و ارتحلوا من القدس فنزلوا فى جبل هور بحذاء أرض أدوم و هى[2] الروم - و صعد هارون الحبر[3] عن قول الله إلى هور الجبل ، و توفى هناك فى سنة أربعين بخروج بنى إسرائيل من أرض مصر فى الشهر الأول

٥ أول يوم منه ، وقد كان أتى على هارون[4] يوم توفى مائة و ثلاث و عشرون سنة ، و بلغ الكنعانى ملك حديا الساكن بالتيمن فى أرض كنعان - و فى نسخة : عراد[5] الساكن فى الداروم فى بلد ماءب[6] - أن بنى إسرائيل [7]أتوا حده[7]، و ظعنوا من هور الجبل و نزلوا صلمونا ، و ارتحلوا / من صلمونا و نزلوا فينون ، و ظعنوا من فينون و نزلوا ٣٩ /

١٠ أبوث[8] - و فى نسخة : أباث[9] - و ارتحلوا من أبوث[8] و نزلوا العين المعروفة بالعبرانيين على حد موآب - و فى نسخة : و نزلوا عايا فى العين على تخوم موآب[10] - و ارتحلوا من [11]عايا فنزلوا جاد - و فى نسخة : و رحلوا من عين العبرانيين و نزلوا ديبون[11] قرية جاد - و ارتحلوا من قرية جاد[12] و نزلوا علمون التى[13] دبلثيم - و فى نسخة : دبلاثيم[14] - و ظعنوا من

(١) زيد بعده فى ظ : فى (٢) فى ظ : هو (٣) فى ظ : الرب (٤) زيد فى ظ : اول (٥) من التوراة ، وفى الأصل : عبراد . وفى ظ : عبراذ - كذا (٦) فى ظ : مات (٧-٧) فى الأصل : اتوحده ، وفى ظ : بومن - كذا (٨) فى ظ : ايوب . (٩) فى ظ : ابات (١٠) فى ظ : مورب (١١ - ١١) سقط مابين الرقمين من ظ . (١٢) من ظ ، وفى الأصل : جازه (١٣) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١٤) فى ظ : ديلاثهم - كذا .

علمون التى دبلثيم - و فى نسخة: دبلاثيم - فنزلوا جبل العبرانيين الذى أمام نابو، و ارتحلوا من جبل العبرانيين و نزلوا عربة موآب التى بأردن يريحا - و فى نسخة: و نزلوا مغارب موآب على الأردن [1]قبالة يريحا - و نزلوا على شاطئ الأردن[1] من عند أشيموث[2] إلى آبل[3] شاطيم التى عند عربة موآب - [1]و فى نسخة: قبالة مغارب موآب. ٥

و كلم الرب موسى على مغارب موآب[1] عند الأردن قبالة يريحا فقال: كلم بنى إسرائيل و قل لهم: أنتم جائزون الأردن إلى أرض كنعان لتهلكوا[4] جميع سكان الأرض، و تحرقوا بيوت أصنامهم المسبوكة، و تقلعوا[5] مذابحهم كلها، و تصير الأرض إليكم و ترثونها[6]، فاقسموها لعشائركم سهاما[7]، و صيروا الكثير على قدر [كثرتهم، و القليل على ١٠ قدر -[8]] قلتهم، و كل قبيلة على ما يرتفع السهم بها[9] و تصيبها[10] القرعة، و إن لم تهلكوا[11] سكان الأرض من بين أيديكم فالذين[12] يبقون منهم يكونون[13] أسنة فى أعينكم و سهاما فى [14]أصداغكم، و يضيّقون[14] عليكم فى الأرض التى [1]تسكنونها، و[1] كما رأيت أن أصنع بهم كذلك أصنع بكم، فهكذا اقسموا الأرض فى مواريثكم: أرض[9] كنعان بحدودها، ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: اشموت (٣) من التوراة، و فى الأصل وظ: ائل - كذا (٤) فى ظ: تتسلكو - كذا (٥) فى ظ: تفعلو (٦) فى ظ: ترثوها (٧) فى ظ: منهاما - كذا (٨) زيد من ظ (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ: يصيبها (١١) فى ظ: لم يهلكوا (١٢) فى ظ: فان (١٣) فى ظ: يسكون. (١٤-١٤) فى ظ: اصداعكم و يضيقوا.

فأما حد التيمن فيكون لكم من ساحل البحر الملح من ناحية المشرق ، و يدور حدكم من التيمن إلى عقبة عقربيم[١] و يجوز إلى صين ، و تكون[٢] مخارجه من التيمن إلى رقيم الجانى[٣] ، و يخرج من هناك إلى حصر إدار - [٤]و فى نسخة : إلى رفح[٤] - و يجوز إلى عصمون إلى وادى مصر ، و تكون[٢]
٥ مخارجه إلى ناحية البحر [٤]و يكون حد[٤] البحر حدكم و البحر الأعظم بحدوده ، هذا حدكم من ناحية البحر ، و أما حدكم مما يلى الجربيا - و فى نسخة : الشمال - فيكون من البحر الأعظم إلى هور الجبل ، و حدود ذلك من الجبل إلى مدخل حماة ، و تكون[٢] مخارج الجبل إلى صدد[٥] ، و يخرج الحد إلى زفرون ، و تكون[٢] مخارجه إلى حصر عينن ، هذه حدودكم من ناحية الجربيا[٦] ،
١٠ و أما حدودكم من ناحية المشرق فحدوده من [حصر-[٧]] عينن إلى شافم ، و ينزل الحد من شافم إلى ربلة[٨] إلى مشارق غاب[٩] ، حتى ينتهى[١٠] إلى بحر كنرت - و فى نسخة : البحيرة الميتة[١١] - من مشارقه ، و يدور حتى ينزل إلى حد الأردن ، و تكون مخارجه إلى بحر الملح ، هذه حدود الأرض التى ترثونها كما تدور ؛ ثم ذكر القسمة و شيئا من الأحكام ، ثم قال فى أول[١٢] السفر
١٥ الخامس : هذه الآيات و الأقوال التى قال موسى لبنى إسرائيل عند مجاز الأردن فى البرية فى عرابا - و فى نسخة . البيداء و هو الجانب الغربى -

(١) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : سفرديم (٢) فى ظ : يكون (٣) فى ظ : الجاوى (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : صدره (٦) فى ظ : الحربيا (٧) زيد من ظ و التوراة (٨) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : دفلت - كذا (٩) فى ظ : عاب (١٠) فى ظ : تنتهى (١١) فى ظ : المسقية (١٢) سقط من ظ .

حيال

حيال سوف بين فاران و بين تفال[1] و لبان و حضروت و[2]ذى ذهب[2]
- و فى نسخة : و دار[3] الذهب و هو [4]إشارة إلى[4] الموضع الذى عبدوا
فيه العجل - / مسير أحد عشر يوما من حوريب إلى ساعير و إلى رقام / ٤٠
الجائى . لما كان فى سنة أربعين من خروج بنى إسرائيل من مصر فى
الشهر الحادى عشر فى أول يوم منه كلم موسى بنى إسرائيل و أمرهم ٥
بعد قتلهم سيحون ملك الأمورانيين و عوج[5] ملك متنين[6] فى مجاز
الأردن فى أرض موآب[7] ، قال: إن الله قال لنا فى حوريب : قد طال مكثكم
[فى - [8]] هذا الجبل ، انهضوا[4] فارتحلوا من[4] ههنا و ادخلوا جبل الأمورانيين[9]
و كل ما حوله إلى القرى و الجبل و[10] إلى ساحل[11] البحر أسفل الجبال[12] ،
و التيمن أرض الكنعانيين ، و لبنان إلى النهر الكبير الذى هو الفرات ، ١٠
ادخلوا و رثوا الأرض التى وعد الله آباءكم إبراهيم و إسحاق و يعقوب أن
يعطيهم[13] ، و يورثها نسلهم من بعدهم ؛ ثم قال : و أمرتكم فى ذلك الزمان
بما [ينبغى أن - [14]] تصنعوا[15] ، و ارتحلنا من حوريب و سرنا[16] فى البرية
العظيمة المرهوبة كما أمرنا[17] الله ربنا ، و انتهينا [18]إلى رقيم الجائى ، و قلت لكم:

(١) من ظ ، و فى الأصل : تفال (٢-٢) من التوراة ، و فى الأصل : فدهاب ، و فى ظ : ذرلهرابى - كذا (٣) فى ظ : ردا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : جوج (٦) فى ظ : مسين - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : موارب (٨) زيد من ظ والتوراة (٩) زيد فى ظ : و لبنان . (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ : سواحل (١٢) فى ظ : الجبل (١٣) فى ظ : يعطوهم (١٤) زيد من ظ (١٥) فى الأصل : يصنعوا ، وفى ظ : يصفوا - كذا . (١٦) فى ظ : امرنه - كذا (١٧) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : امرنى . (١٨) سقطت العبارة من هنا إلى « الله ربنا » من ظ .

قد انتهيتم إلى جبل الأمورانيين الذى أعطانا الله ربنا، اصعدوا و رثوا الأرض
كما قال لكم الله[1] رب آبائكم، لا تخافوا و لا تفزعوا، و تقدمتم إلىّ
بأجمعكم و قلتم: نرسل بين أيدينا رجالا يتجسسون[2] لنا الأرض و يخبرونّا
بخبرها و يدلّونّا[3] على الطريق الذى نسير[4] فيه و القرى التى ندخلها؛
٥ فكان قولكم عندى حسنا، و عمدت إلى اثنى عشر رجلا منكم، من كل
سبط [منكم -[5]] رجل، و أرسلتهم[6]، و صعدوا إلى الجبل حتى انتهوا
إلى وادى العنقود، و استخبروا الأرض و أخذوا[7] من ثمار الأرض
و أتوا به و أخبرونا و قالوا لنا: ما أخصب الأرض التى يعطينا الله ربنا[8]!
و لم يعجبكم أن تصعدوا، [و -[5]] لكن اجتنبتم قول الله ربكم و أغضبتموه
١٠ و توشوشتم[9] فى خيمتكم[10] و قلتم: لبغض[11] الرب أخرجنا من أرض مصر
ليدفعنا فى أيدى الأمورانيين ليهلكونا، إلى أين نصعد! إخوتنا كسروا
قلوبنا و قالوا: الشعب أعظم و أعزّ منا و أقوى، و قراهم عظيمة مشيدة[12]
إلى السماء، و رأينا هناك[13] أبناء جبابرة، و قلت لكم[1]: لا تخافوا و لا تفزعوا
منهم. من أجل أن الله ربكم هو يسير أمامكم، و هو يجاهد عنكم كما
١٥ صنع بكم فى أرض مصر و فى البرية، كما رأيتم أنه فداكم كما يفدى
الوالد ولده فى كل الأرض التى سلكتموها[14] حتى انتهيتم إلى هذه البلاد.

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: يختسو - كذا! (٣) فى ظ: تدلونا (٤) فى ظ: يسير (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: ارسلتم (٧) من ظ، و فى الأصل: اخذا (٨) فى ظ: ربكم (٩) فى ظ: شوشتم (١٠) فى ظ: خيمكم (١١) من ظ، و فى الأصل: بغضكم (١٢) فى ظ: مسيدة (١٣) من ظ، و فى الأصل: هنا (١٤) من التوراة، و فى الأصل و ظ: اسكنتموها.

و بهذا[1] القول لم تصدقوا أن الله ربكم يكمل لديكم[2] أنه يسير أمامكم فى الطريق ليهيئ لكم موضعا تسكنون فيه، أليس هو الذى أراكم[3] طريقا تسلكون فيه بالليل بالنار، و ستركم بالنهار من حر الشمس بالغمام، و سمع الرب كلامكم و أصواتكم و غضب و أقسم و قال: لا يعاين أحد من هؤلاء القوم - أهل هذا الحقب الردىء - الأرض المخصبة التى أقسمت ٥ أن أعطى آباءهم غير كالاب بن يوفنا، إنى أدفع إليه الأرض التى مشى فيها[4] و أورثها ولده، لأنه أتم قول الرب و أكمل سننه[5]، و قال لى: و أنت أيضا لا تدخلها، و لكن يشوع بن نون الذى يخدمك هو يدخل هناك، إياه[6] قوّ و أيد[6]، لأنه هو الذى يورث بنى إسرائيل الأرض المخصبة التى وعدت بها آباءهم أن أعطيهم، و أما مواشيكم التى قلتم: إنها تنتهب، و بنوكم الذين ١٠ لا يعلمون الخير من الشر، فهم يدخلون هناك، و إليهم أدفعها و هم يرثونها، فأما أنتم فاقبلوا و ارتحلوا / إلى البرية فى طريق بحر سوف، فرددتم علىّ ٤١ / و قلتم: أسأنا و أجرمنا بين يدى الله ربنا، نحن صاعدون و مجاهدون كما قال لنا، و تسلح كل امرئ منكم بسلاحه، و تهيأتم[7] للصعود إلى الجبل، و قال الرب [لى -[8]]: أنذرهم و قل لهم: لا تصعدوا و لا تجاهدوا، لأنى ١٥ لست بينكم، لئلا يهزمكم أعداؤكم، و قلت و لم تقبلوا[9]، اجتنبتم قول الرب و أغضبتموه و جسرتم و طلعتم[10] إلى الجبل، [فخرج الأموريون الساكنون

(١) فى ظ: لهذا (٢) فى ظ: لكم لدينكم (٣) فى ظ: اركم (٤) من ظ، و فى الأصل: فينا (٥) فى ظ: سننه (٦ - ٦) من نص التوراة، و فى الأصل و ظ: اقوى و اويد (٧) فى ظ: بهاتم - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ: لم يقبلوا. (١٠) فى ظ: صعدتم.

فى ذلك الجبل للقائكم - [1]] و طردوكم كما تطرد[2] الزنابير بالدخان، و دفعوكم [3]من ساعير[3] إلى [4]حرما، و جلستم[4] و بكيتم و لم يسمع الرب أصواتكم، فبكيتم أمام الرب فى رقام أياما[5] كثيرة ما مكثتم فيها، فأقبلنا[6] فارتحلنا فى البرية فى طريق بحر سوف كما قال الرب، و ترددنا[7] حول جبل ساعير أياما كثيرة، و قال لى الرب: قد طال ترددكم حول هذا الجبل، أقبلوا إلى الجانب الجربى[8]، فتقدم إلى الشعب و قل لهم: أنتم تجوزون[9] فى حد إخوتكم بنى عاسو[10] - و فى نسخة: عيصو - الذين يسكنون ساعير، فاحفظوا أن [11]لا تولعوا بهم[11]. لأنى لست أعطيكم من أرضهم ميراثا و لا موضع قدم، ابتاعوا منهم طعاما لمأكلكم[12] و امتاروا منهم[13] ماء بفضة لمشربكم، ليبارك الله ربكم عليكم و يبارك[14] لكم فى كل ما عملت[15] أيديكم، كما علم أن يسوسكم فى هذه البرية أربعين سنة، الله[16] ربكم ما دام معكم لا يعوز بكم شىء، و جزنا[17] طريق العربة[18] - و فى نسخة: البيداء - و أيلة، و أقبلنا و جزنا فى البرية إلى طريق موآب، و قال لى[13] الرب: لا تضيق على الموآبيين و لا تحاربهم[19]، لأنى لست أعطيك[20] من أرضهم ميراثا. بل قد[13] جعلت هذه

(١) زيد من التوراة (٢) فى ظ: طردوا (٣ - ٣) فى ظ: الى شاعير (٤ - ٤) فى ظ: حرمان و حبستم (٥) فى ظ: ايام (٦) فى ظ: لما قبلنا (٧) فى ظ: ردنا. (٨) فى ظ: الغربى (٩) من ظ، و فى الأصل: يجوزون (١٠) فى ظ: عاشو. (١١ - ١١) فى ظ: لا تركعوا (١٢) فى ظ: كلم - كذا (١٣) سقط من ظ. (١٤) فى ظ: تبارك (١٥) من ظ، و فى الأصل: حملت (١٦) فى ظ: فالله (١٧) فى ظ: جوزنا (١٨) من التوراة، و فى الأصل: الغربى، و فى ظ: العربى. (١٩) فى ظ: لاتجازيهم (٢٠) فى ظ: اعطيكم.

الأرض ميراثا لبنى لوط هذه التى سكنها إمتى أولا ، شعبا كان عظيما ، كان الموآبيون يسمونهم إمتى ، فأما ساعير فكان سكانها الحورانيين[١] أولا و ورثها بنوعاسو[٢] ، فقوموا الآن فجوزوا وادى زرد ، [٣]فجزنا وادى زرد[٣] حينئذ ، و كان عدد الأيام التى[٤] سرنا من رقيم إلى أن جزنا وادى زرد ثمانى و ثلاثين سنة ، حتى هلك[٥] جميع الرجال الأبطال أهل ذلك الحقب[٦] من عسكر بنى إسرائيل كما أقسم عليهم الرب ، لأن يد الرب كانت عليهم حتى هلكوا ، فلما ماتوا من الشعب كلمنى[٧] الرب و قال [لى -[٨]] : أنت جائز اليوم إلى[٥] حد موآب ، و تدنو من حد بنى عمون فلا تتعرض[٩] لهم ، لست أعطيك ميراثا من أرض بنى عمون ، لأنى قد جعلتها ميراثا لبنى لوط ، فقم و ارتحل و جز وادى أرنون ، إنى قد دفعت إليك سيحون ملك الأمورانيين فحاربه و[٥] أهلك أصحابه ، فانى أبدأ فألقى خوفك و فزعك على الناس منذ يومك هذا ، و على جميع الشعوب التى تحت السماء ، حتى إذا سمعوا بخبرك فرقوا و فزعوا منك ، و أرسلت رسلا من برية قدموت إلى سيحون ملك حجبون بكلام طيب و بالسلام ، و قلت له : نجوز فى أرضك و نسير[١٠] فى الطريق الأعظم ، لا نميل[١١] يمنة[١٢] و لا يسرة نمتار ، منكم طعاما بفضة [١٣]لنأكلنا ، و كذلك[١٣] نبتاع ماء لنشربنا بثمن[٥] ، فدعونا نجز[١٤]

(١) فى ظ : الحواريين (٢) فى ظ : بنى عاسو (٣ - ٣) موضع الرقمين فى ظ : « و » (٤) فى ظ : الذى (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : الاحقب (٧) فى ظ : مملين - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : فلا يتعرض (١٠) فى ظ : يسير (١١) فى ظ : لا يميل (١٢) من ظ ، و فى الأصل : يسرة (١٣-١٣) فى ظ : كلنا و لذلك . (١٤) من ظ ، و فى الأصل : نجوز .

سائرين فى الطريق كما صنع بنا بنو عاسو الذين فى ساعير ، و الموآبيون الذين فى عار[١] ، حتى يجوز فى الأردن إلى الأرض التى يعطينا الله ربنا ، و لم يسرّ سيحون ملك حجبون أن نجوز فى حده ، لأن الله ربكم قسّى قلبه و عظم روحه[٢] ليدفعه فى أيديكم ، و خرج إلينا هو و جميع أجناده ليحاربونا[٣] فى ياهاص[٤] ، فدفعه الرب إلينا و قتلناه هو و جميع أجناده ، و فتحنا قراه و أهلكنا كل من كان فى قراه ، و لم يبق منهم أحد ، و أهلكنا نساءهم و عيالاتهم ، و لم يبق منهم أحد من حد عروعير التى[٥] على حد وادى أرنون ، و القرية التى فى الوادى و إلى جلعاد لم تفتنا[٦] قرية ، / بل دفعها الله ربنا فى /٤٢ أيدينا جميعا ، فأما أرض بنى عمون فلم نقربها[٧] . و كل ما كان على وادى يبوق[٨] و قرى الجبال أيضا ، و كل ما أمرنا الله ربنا به . ثم أقبلنا و صعدنا إلى أرض متنين[٩] ، و خرج إلينا عوج [١٠]ملك متنين[١٠] هو و كل شيعته ليحاربنا فى أدرعى[١١] ، و قال لى الرب : لا تفرق فانى قد دفعته فى[١٢] يديك ، و أسلمت إليك كل أجناده و أرضه ، و قتلناهم و لم يبق منهم أحد[١٣] ، و ظفرنا بكل قراه[١٤] فى ذلك الزمان ، و لم تفتنا قرية إلا[١٢] أخذناها[١٥] منهم ستين قرية ، كل جبل أرجوب ، كل القرى التى كانت أسوارها[١٦]

(١) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : عارة (٢) فى ظ : وجهه (٣) من ظ ، و فى الأصل : ليحاربنا (٤) فى ظ : باهاض (٥) فى ظ : الذى (٦) فى ظ : لم يفتنا (٧) فى ظ : فلم يقربها (٨) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : الق - كذا . (٩) فى ظ : مسين - كذا (١٠ - ١٠) فى ظ : مالك مبين (١١) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : اردعى (١٢) سقط من ظ (١٣) من ظ : و فى الأصل : احدا (١٤) فى ظ : قرية (١٥) فى ظ : اخذنا (١٦) من ظ ، و فى الأصل : سوراتها .

مشيدة محصنة بالأبواب الشديدة الموثقة ، و أحرمناهن[١] كما صنعنا بسيحون و أخذنا الأرض فى ذلك الزمان من ملكى الأمورانيين اللذين كانا عند مجاز الأردن من وادى أرنون إلى جبل حرمون ، فأما الصيدانيون فكانوا يدعون حرمون سريون ، و أما الأمورانيون[٢] فكانوا يسمونها سنير[٣] ، و أخذنا كل القرى التى[٤] كانت فى الصحراء وكل جلعاد وكل متنين[٥] إلى[٦] سلكة و أدرعى[٦] ، جميع قرى ملك عوج ، لأن عوجا كان الجبار الذى بقى وحده من الجبابرة ، وكان سريره من حديد ، و فى[٧] مدينة بنى عمون[٧] التى تسمى ربة ، طوله تسع أذرع و عرضه أربع[٨] أذرع بذراع الجبابرة[٩] ، و ورثنا هذه الأرض فى ذلك الزمان ؛ ثم قال : [أمرت -[١٠]] يشوع[١١] فى ذلك الزمان و قلت : قد رأيت بعينيك[١٢] ما صنع الله ربكم [١٣] بملكى الأمورانيين ، كذلك يصنع الرب بجميع المملكات التى تجوز[١٤] إليها ، لأن الله ربكم هو يجاهد عنكم ، و تضرعت إلى الرب فى ذلك الزمان و قلت : أطلب إليك يا ربى و إلهى أن تظهر لعبدك عظمتك بيدك المنيعة و بذراعك العظيمة ، أىّ إله فى السماء أو فى الأرض يعمل مثل أعمالك وجرائحك ؟ أتأذن

(١) من نص التوراة ، و فى الأصل : اخرجناهن ، وفى ظ : اخرناهن (٢) من ظ ، و فى الأصل : الامرانيون (٣) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : ساعير . (٤) فى ظ : الذى (٥) فى ظ : مبين - كذ (٦-٦) من التوراة ، وفى الأصل و ظ : ملكى و اردعى (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : مدينته بنوا عيون - كذا (٨) سقط من ظ (٩) فى التوراة : رجل (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : يسوع (١٢) فى ظ : بعينك (١٣) العبارة من هنا إلى « الله ربكم » ساقطة من ظ (١٤) من نص التوراة ، وفى الأصل و ظ : يجوزون .

لى الآن فأعبر و أعاين الأرض المخصبة التى فى مجاز الأردن ، هذا الجبل المخصب ولبنان ، و لم يستجب لى و قال لى الرب : حسبك ! لا تعد أن تقول هذا القول بين يدى ، اصعد رأس الأكمة و ارفع عينيك إلى المغرب و المشرق و إلى الجربى و التيمن ، و انظر إليها نظرا[1] و لا تجز هذا الأردن ، و مر يشوع[2] و تقدم إليه و قوّه و أيده ، لأنه هو الذى يجوز أمام هذا الشعب و هو الذى[3] يورثهم[4] الأرض التى تراها ، و نزلنا[5] الوادى حيال بيت فغور[6] : ثم قال : و أقسم - أى الرب - أنى لا أجوز هذا الأردن و لا أدخل إلى الأرض التى[3] أعطاكم الله ربكم ميراثا ، فأنا الآن[3] متوف فى هذه الأرض ، و لا أجوز هذا[7] الأردن ، فأما أنتم فتجوزون و ترثون هذه الأرض المخصبة ، احفظوا لا تنسوا عهد الله ربكم الذى عاهدكم ، و لا تفسدوا و تتخذوا أصناما و أشباها ، [8]من أجل أن الله ربكم هو نار محرقة و هو إله غيور ، و إذا ولد لكم بنون و بنو بنين و عتقتم فى الأرض ، و اتخذتم أصناما و أشباها[8] و ارتكبتم الشر[9] أمام الله ربكم و أغضبتموه قد أشهد[10] عليكم السماء و الأرض أنكم تهلكون سريعا من الأرض التى تجوزون لترثوها ، و لا تكثر أيامكم[11] فيها ، و يبددكم الرب من بين الشعوب و يبقى منكم[3] عدد قليل بين الشعوب

(١) فى ظ : نظر (٢) فى ظ : يسوع (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : يرثهم (٥) من نص التوراة ، و فى الأصل : نزلت ، و فى ظ : نزلوا. (٦) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : بعود (٧) من ظ ، و فى الأصل : هذه . (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ : الشهر (١٠) من ظ ، و فى الأصل : اشهدت (١١) من ظ ، و فى الأصل : اياوكم - كذا .

التى

التى يفرقكم الرب فيها ، سلوا عن الأيام الأولى التى مضت قبلكم منذ
يوم خلق الله الناس على الأرض من أقصى السماء إلى أقطارها ، / هل كان ٤٣ /
مثل هذا الأمر العظيم أو سمع بمثله قط ؟ هل سمع شعب آخر صوت الله
يكلمه من النار كما سمعتم أنتم ، و جربوا الله الذى اتخذهم شعبا من الشعوب
بالبلايا و الآيات و الأعاجيب و الحروب و اليد المنيعة و الذراع العظيمة ٥
و بالمناظر العظيمة ، كما صنع الله بأهل مصر تجاهكم أنتم و عاينتم و علمتم أن
الله هو رب كل شىء و ليس إله غيره ، أسمعكم صوته من السماء ليعلمكم
و أراكم ناره العظيمة ، و سمعتم أقاويله من النار ، و لحبه لآبائكم اختار نسلهم
من بعدهم ، و أخرجكم[1] بوجهه من مصر بقوته العظيمة ، ليهلك من بين
أيديكم شعوبا أعظم و أعزّ منكم ليدخلكم و يعطيكم[2] أرضهم ميراثا ، ١٠
لتعلموا يومكم هذا و تقبلوا بقلوبكم لأن الرب هو إله فى السماء فوق و فى
الأرض أسفل ، و ليس إله سواه . احفظوا سننه و وصاياه التى أمركم
بها يومكم هذا لينعم عليكم و على أبنائكم من بعدكم ، و يطول مكثكم[3]
فى الأرض التى يعطيكم الله ربكم طول الأيام . هذه الشهادات و الأحكام[4]
التى قص موسى على بنى إسرائيل حيث خرجوا من أرض مصر ، فانتهوا ١٥
إلى مجاز الأردن فى الوادى فى مشارق الشمس ، و إلى بحر العربة[5] إلى
سدود الفسجة[6] ؛ ثم قال بعد ذلك فى أواخر هذا السفر بعد أن قص عليهم

(١) فى ظ : اجدكم (٢) فى ظ : بعضكم (٣) فى ظ : ملتكم (٤) زيد بعده فى ظ : السنن (٥) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : العربي (٦) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : و فرجا .

أحكاما كثيرة و حِكَما عزيزة[١] : الرب يقبل بكم إلى الخير و يفرحكم كما فرح آبائكم ، و ذلك إن أنتم سمعتم قول الله ربكم و حفظتم سننه و وصاياه المكتوبة فى هذا الكتاب من كل قلوبكم و أنفسكم ، من أجل [أن -[٢]] هذه الوصية لم تخف عليكم و لم تغب[٣] ، و ليس هو بمستور فى السماء

٥ فتقولوا[٤] : من يصعد لنا إلى السماء و يأتينا بـه [٥] فنسمعه و نعمل[٥] به ! و ليس بغائب عنكم فى أقصى البحر فتقولوا[٤] : من ينزل لنا إلى البحر و يأتينا به فنسمعه و نعمل به ! و لكن القول قريب من فمك[٦] و قلبك فاعمل به ، و انظر أنى قد صيّرت بين يديك اليوم الحياة و الخير ، فأخبرتك[٧] بالموت و الشر ، و أنا آمرك اليـوم أن تحب الله ربك و تسلك[٨] فى

١٠ طرقه[٩] و تحفظ سننه و وصاياه و أحكامه ، لتحيي و تكـثر جدا ، و يبارك الله ربك عليك ، و ينميك فى الأرض [١٠] التى تدخلها[١٠] لترثها ، و إن مال قلبك و زاغ و لم تسمع و ضللت و تبعت الآلهة الأخرى و سجدت لها فقد بينت لكم اليوم أنكم تهلكون هلاكا ، و لا يطول مكثكم فى الأرض التى تجوزون الأردن لترثوها ، و أوعزت إليكم و ناشدتكم

١٥ السماء و الأرض و الحياة و الموت ـ و فى نسخة : [و -[١١]] أشهدت عليكم [١٢] السماء و[١٢] الأرض و جعلت بين يديكم الحياة و الموت ـ و تلوت

---

(١) فى ظ : عزيز (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : لم يغب (٤) فى ظ : فيقولوا .
(٥ ـ ٥) فى ظ : فيسمعه و يعمل (٦) فى ظ : فيك (٧) فى ظ : نسرك (٨) فى ظ : يملك ـ كذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : طريقـه (١٠ - ١٠) فى ظ : الذى يدخلها (١١) زيدت الواو من ظ (١٢ - ١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

عليكم اللعن و الدعاء[1]، فاختر[2] الحياة لتحيي أنت و نسلك إذا أحببت الله ربك و سمعت قوله و لحقت بعبادته ، لأنه حياتك و طول عمرك ، و تسكن فى الأرض التى أقسم الرب لآبائك و وعد إبراهيم و إسحاق و يعقوب أن يعطيك ؛ ثم انطلق موسى و كلم بنى إسرائيل و قص عليهم هذه الأقوال كلها

[3]و قال لهم[3]: اليوم مائة وعشرون سنة، و لست أقدر على الدخول والخروج ٥ أيضا ، و الرب قال : إنك لا تجوز هـذا الأردن ، فالله ربكم هو يجوز أمامكم، و هو يهلك هذه الشعوب من بين أيديكم و ترثونهم[4] ، [5]و يشوع هو يجوز أمامكم كما قال الرب ، و سيصنع بهم الرب كما صنع بسيحون[5] و عوج ملكى الأمورانيين[6] اللذين / أهلكهما ، و يهزمهم الله ربكم من بين أيديكم، / ٤٤ فاصنعوا بهم حينئذ ما أمرتكم به ، فتقوّوا و اعتزوا و لا تخافوا و لا تفزعوا ، ١٠ و لا ترعب قلوبكم منهم ، لأن الله ربكم سائر أمامكم ، لا يخذلكم و لا يرفضكم ؛ و دعا موسى يشوع[7] بن نون و قال له بين يدى جماعة بنى إسرائيل : تقو واعتز ، لأنك أنت الذى تدخل هذا الشعب الأرض التى أقسم[8] الله لآبائهم أن يعطيهم ، و أنت تورثها[9] أبناءهم ، و الرب هو يسير أمامكم و هو يكون معك و لا يخذلك و لا يرفضك ، فلا تخف و لا تفزع و لا يرعب قلبك ؛ و كتب موسى هذه[1] ١٥ التوراة و سنها[10] و دفعها إلى الأحبار بنى لاوى الذين[11] يحملون[12]

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فاخترت (٣-٣) فى ظ : فى (٤) فى ظ : ترثوهم .
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : الامرانيين (٧) فى ظ : يسوع .
(٨) فى ظ : انعم (٩) من ظ ، و فى الأصل : ترثها (١٠) فى ظ : سينها .
(١١) فى من ظ ، وفى الأصل : الذى (١٢) زيد بعده فى ظ : موسى .

تابوت عهد الرب و[١] إلى جميع أشياخ بنى إسرائيل ؛ ثم قال : وكلم الرب موسى فى ذلك اليوم وقال له : اصعد إلى جبل العبرانيين هذا جبل نابو[٢] الذى فى أرض موآب حيال يريحا[٣]، وانظر إلى أرض كنعان التى أعطى بنى إسرائيل ميراثا ، ولتتوفّ هناك فى الجبل الذى تصعد[٤] إليه واجتمع إلى آبائك ، كما توفى أخوك هارون فى الجبل وصار إلى قومه ، [٥]ثم قال فى آخر هذا[١] السفر وهو آخر التوراة : فطلع موسى من غربوب[٦] - وفى نسخة : من بيداء موآب - إلى جبل نبو إلى رأس الأكمة التى قبالة[٧] وجه إريحا ، وأراه[٨] الله جميع [٩]جلعد إلى دان[٩] وجميع أرض نفتالى وجميع أرض إفرائيم[١٠] ومنشا ، وجميع أرض يهودا إلى آخر البحر والبرية وما حول بقعة بلد إريحا مدينة [١١]النخل إلى صاغر[١١]، فقال الرب لموسى : إن هذه هى[١] الأرض التى أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وقلت : إنى لنسلكم أعطيها ، قد أريتكها بعينيك[١٢] ، فأما أنت فما تدخلها ، وقضى عبد الله موسى بأرض [موآب - [١٣]] بأمر الرب، فدفن - يعنى فى أرض موآب - حذاء بيت فاغور[١٤]، ولم يعرف

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : بابوا - كذا (٣) فى ظ : تريحا .
(٤) من ظ والتوراة ، وفى الأصل : تعصد (٥) كتب هنا بهامش الأصل : وفاة موسى عليه السلام (٦) فى ظ : عزبوب (٧) من ظ ، وفى الأصل : قباله.
(٨) فى ظ : اراد (٩-٩) فى ظ : ماجعله الى ذلك - كذا (١٠) من التوراة ، وفى الأصل وظ :قرام (١١ - ١١) فى ظ : البحر الى ساعرا (١٢) فى ظ : بعينك .
(١٣) زيد من ظ والتوراة (١٤) فى ظ : فاغوذ .

أحد أين قضى إلى يومنا هذا، وكان موسى وقت قضى[1] ابن مائة و عشرين سنة، لم يضعف بصره ولم يشخ جدا؛ فناح بنو إسرائيل على موسى بعربوب - وفى نسخة: فى بيداء موآب - ثلاثين يوما، وتمت أيام بكاء مأتم موسى؛ و امتلأ يشوع[2] بن نون روح الحكمة، لأن موسى وضع عليه يده، و أطاع له بنو إسرائيل و امتثلوا ما أمر الرب به موسى - ٥ انتهى ما أردته من أخبار التيه و ما يتصل بذلك من مساواتهم لجميع الناس فى العذاب بالمعاصى و الإلطاف بالطاعات، الهادم لكونهم أبناء و أحباء.

و فيه مما يحتاج إلى تفسير: الجربى، و هو نسبة إلى الجربياء[3] - بكسر الجيم و الموحدة[4]، بينهما مهملة ساكنة ثم تحتانية ممدودة، و هى جهة الشمال، و التيمنُ - بفتح الفوقانية و إسكان التحتانية وضم الميم، و هو أفق اليمن ١٠ الذى يقابل[5] الشمال فالمراد الجنوب[6]، و فيه قاصمة[7] لهم من[8] إنكار النسخ فى أمرهم بنص التوراة بالدخول إلى بيت المقدس ثم نهيهم[9] عن ذلك لما عصوا، فانه قال: اصعدوا و رثوا الأرض[1] كما قال لكم الله رب[10] آبائكم، لا تخافوا و لا تفزعوا، و لما عصوا هذا الأمر و أعلمهم موسى عليه السلام بغضب[11] الله عليهم و عقوبته[12] بالتيه أرادوا امتثال الأمر فى الصعود توبة، فقال لهم ١٥ موسى عليه السلام: وقال لى[1] الرب: أنذرهم و قل لهم: لا تصعدوا

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: يسوع (٣) من ظ، و فى الأصل: الجربا.
(٤) فى ظ: بالموحدة (٥) من ظ، و فى الأصل: قابل (٦) فى ظ: الحبوب.
(٧) فى ظ: قاصمه (٨) فى ظ: فى (٩) فى ظ: بينهم (١٠) فى ظ: ربه (١١) من ظ، و فى الأصل: فغضب (١٢) فى ظ: عقوبتهم.

و لا تجاهدوا لأنى لست بينكم، لئلا يهزمكم أعداؤكم - هذا نصه فراجعه .
و أما دخول أبنائهم إلى بلاد القدس و غلبتهم على أهلها و تبسطهم فى
٤٥/ أرضها / تصديقا لمواعد الله على [يد -[1]] يشوع[2] بن نون عليه السلام
فسيذكر إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى فى سورة يونس عليه السلام
٥ "و لقد بوانا بنى اسراءيل مبوآ صدق[3]"، و لكن أقدم هنا من أمر يوشع
بعد موسى عليهما السلام - و المعونة بالله - ما يبنى[4] عليه بعض مناسبات
الآية التى بعدها، قال البغوى: فتوجه - يعنى يوشع - ببنى إسرائيل إلى
إريحا و معه تابوت الميثاق، فأحاط بها ستة أشهر، ثم نفخوا فى القرون
و ضج الشعب ضجة واحدة، فسقط سور المدينة و دخلوا، فقاتلوا الجبارين
١٠ فقتلوهم، و كان القتال [فى - [1]] يوم الجمعة، فبقيت[5] منهم بقية و كادت
الشمس تغرب و تدخل ليلة السبت فقال: اللهم اردد الشمس علىّ! فردت
[عليه -[1]] و زيد فى النهار ساعة، ثم قتلهم أجمعين، و تبع ملوك الشام
و استباح منهم واحدا[6] و ثلاثين ملكا حتى غلب[7] على جميع أرض الشام
و فرق عماله فى نواحيها، و جمع الغنائم فلم تنزل النار، فأوحى الله إلى يوشع
١٥ أن فيها غلولا فرهم فليبايعوك، فبايعوه فالتصقت يد رجل منهم بيده[8]، فقال:
هلمّ ما عندك! فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل باليواقيت و الجواهر، فجعله
فى القربان و جعل الرجل معه، فجاءت النار فأكلت الرجل و القربان - انتهى.

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : يوشع (٣) آية ٩٣ (٤) من ظ، و فى الأصل : ينبغى (٥) فى ظ : فيثبت (٦) فى ظ : واحد (٧) فى ظ : علت (٨) من ظ، و فى الأصل : بيدك .

و رأيت أنا فى تاريخ نبوة يوشع بعد موت[1] موسى عليهما السلام ما ربما يخالف هذا فى الأشهر و البلد، أما الأشهر فجعلها سبعة أيام، و أما البلدة التى وقفت عندها[2] الشمس فجبعون لا إريحا، فانه قال ما نصه: قال الرب ليشوع[3]: انظر، إنى قد دفعت فى يدك إريحا و ملكها و كل أجنادها[4]، فليُحِطْ بالمدينة جميع الرجال المقاتلة، و دوروا حول المدينة فى اليوم مرة[5]، و افعلوا ٥ ذلك ستة أيام، و يحمل سبعة من[6] الكهنة سبعة أبواق و يهتفون أمام التابوت، حتى إذا كان اليوم السابع دوروا حول المدينة سبع مرات، و يهتف الكهنة بالقرون، و إذا هتفت الأبواق و سمعتم أصواتها يهتف جميع الشعب بأعلى أصواتهم صوتا شديدا، فيقع سور المدينة مكانه، و يصعد الشعب كل إنسان حياله - انتهى. ثم ذكر امتثالهم لأمر الله ١٠ و فتحهم لإريحا على ما قال الله. و أما[7] البلدة التى[7] ردَّت فيها الشمس فهى[8] جبعون، و ذلك أنه ذكر بعد فتح إريحا هذه أن سكان جبعون و هم الحاوانيون صالحوا يوشع بحيلة فعلوها، ثم قال: و هذه أسماء قراهم: جبعون و[9] الكفيرة و بيروت و يعاريم[9]، فلما سمع بذلك أدونصداق[10] ملك أورشليم فرق فرقا شديدا، لأن جبعون كانت مدينة عظيمة كمثل مدن ١٥ الملك، و كان أهلها رجالا جبابرة، فأرسل إلى هوهم[11] ملك حبران

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: عند (٣) فى ظ: ليوشع (٤) فى ظ: اخبارها.
(٥) تقدم فى ظ على «فى اليوم» (٦) فى ظ: فى (٧-٧) فى الأصل: البلد التى، و فى ظ: البلد الذى (٨) فى ظ: و هو (٩ - ٩) من تاريخ نبوة يشوع، و فى الأصل: احصرا وعيروث و بعران، و فى ظ: احتيرا وعيروث و بعوان - كذا.
(١٠) فى ظ: ادنصداق (١١) من ظ، و فى الأصل: هزمهم.

- و فى موضع آخر : حبرون - و إلى فرآم[1] ملك يرموث ، و إلى يافع ملك لخيس ، و إلى دابير[2] ملك عقلون - و قال لى بعض اليهود : إن المراد بهذه عجلون - و قال لهم : اصعدوا لتعينونى على محاربة أهل جبعون ، لأنهم قد صالحوا يشوع ، فاجتمع الخمسة من ملوك الأمورانيين[3] و جميع عساكرهم
٥ فنزلوا على جبعون ، فأرسل أهل جبعون إلى يشوع[4] فصعد يشوع[4] من الجلجال هو و جميع أبطال الشعب ، فأوحى الرب إلى يشوع[4] : لا تخف و لا تفزع منهم ، لأنى قد أسلمتهم فى يدك ، فأتاهم بغتة ، لأنه صعد من الجلجال الليل أجمع ، فهزمهم الرب بين يدى آل إسرائيل و جرحوا
٤٦ / منهم / جرحى كثيرة فى جبعون التى بحوران[5] ، و هربوا فى طريق عقبة
١٠ حوران و لم يزالوا يقتلون[6] منهم إلى [7]عزيقة و مقيدة[7] ، فلما هرب الذين بقوا[8] منهم و نزلوا عقبة حوران أمطر[9] الرب عليهم حجارة برد كبار من السماء إلى عزيقة[10] و ماتوا كلهم[11] ، فكان الذين ماتوا بحجارة البرد أكثر من الذين قتلوا ، ثم قام يشوع أمام الرب مصليا فى اليوم الذى دفع الرب الأمورانيين فى يدى بنى[11] إسرائيل و قال : أيتها الشمس !
١٥ امكثى[12] فى جبعون و لا تسيرى ، و أنت أيها القمر ! لا تبرح قاعَ أيلون ،

---

(١) من يشوع ، و فى الأصل : بزا ان ، و فى ظ : بزان - كذا (٢) زيد بعده فى ظ : ملك دانير (٣) فى ظ : الامرانيين (٤) فى ظ : يسوع (٥) من ظ ، و فى الأصل : بحران (٦) فى ظ : يقاتلون (٧ - ٧) من يشوع ، و فى الأصل وَ ظ : عاقار و مقار (٨) فى ظ : نعوا (٩) فى ظ : مطر (١٠) من يشوع . و فى الأصل و ظ : عاقار - كذا (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ : امكثوا .

فثبتت الشمس و قام القمر حتى انتقم الشعب من أعدائهم ؛ فكتبت[1] هذه الأعجوبة فى سفر التسابيح ، لأن الشمس وقفت فى وسط السماء و لم تزل إلى الغروب ، و صار[2] النهار يوما تاما ، و لم يكن مثل ذلك اليوم قبله و لا بعده - انتهى . و قد ذكر النبي صلى الله عليه و سلم هذه القصة ، روى الشيخان : البخارى فى الخمس و النكاح ، و مسلم فى المغازى ٥ عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال[3] النبي صلى الله عليه و سلم : غزا[4] نبي من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعنى رجل ملك بضع امرأة و هو يريد أن يبنى بها و لمّا يبن[5] بها ، و لا أحد[6] بنى بيوتا و لم يرفع سقوفها ، و لا أحد[6] اشترى غنما أو خلفات و هو ينتظر ولادها[7]، فغزا فدنا[8] من القرية صلاةَ العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس : إنك مأمورة و أنا ١٠ مأمور ، اللهم احبسها علينا ! فحبست حتى فتح الله عليه فجمع الغنائم ، فجاءت - يعنى النار - لتأكلها فلم تطعمها ، فقال : إن فيكم غلولا ، فليبايعنى من كل قبيلة رجل ، فلزقت يد رجل بيده ، فقال : فيكم الغلول فلتبايعنى[9] قبيلتك ، فلزقت يد رجلين أو ثلاثة بيده ، فقال : فيكم الغلول ، فجاءوا برأس مثل رأس بقرة من الذهب[10] فوضعوها ، فجاءت النار فأكلتها ، ١٥ ثم أحل الله لنا الغنائم ، رأى بعض[11] ضعفنا و عجزنا فأحلها لنا . و فى

(١) فى ظ : فكتب (٢) فى ظ : صلى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : عن (٥) من ظ و صحيح البخارى - الخمس ، و فى الأصل : لم يبن (٦) فى ظ : احدا (٧) من الصحيح ، و فى الأصل و ظ : اولادها (٨) فى ظ : ودنا (٩) فى ظ : فتبايعنى . (١٠) العبارة من هنا إلى « لنا و فى » ساقطة من ظ (١١) ليس فى الصحيح .

رواية المسند للحافظ نور الدين الهيثمي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن الشمس لم يحبس على بشر إلا ليوشع ليالي[1] سار إلى بيت المقدس، قال: و هو في الصحيح و لم أر فيه حصرا[2] كما هنا؛ و في سيرة ابن إسحاق ما ينقضه، قال: حدثنا[3] يونس عن الأسباط ابن[4] نصر الهمداني عن إسماعيل بن عبد الرحمن القرشي قال: لما أسرى برسول الله صلى الله عليه و سلم و أخبر قومه بالرفعة و العلامة عما في العير قالوا: فمتى تجيء[5]؟ قال: يوم الأربعاء، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون[6] و قد ولى النهار و لم تجئ، فدعا النبي صلى الله عليه و سلم فزيد له في النهار ساعة و حبست عليه الشمس، و لم ترد الشمس على أحد إلا على رسول الله صلى الله عليه و سلم و على يوشع بن نون حين قاتل الجبارين يوم الجمعة.

و لما كانت قصتهم هذه - في أمرهم بالدخول إلى الأرض المقدسة لما فيها من نقض العهود[4] و التبرئ من الله و الحكم عليهم بالفسق و التعذيب - ناقضة لما ادعاه اليهود من البنوة، كان ذلك كافيا في إبطال مدعى النصارى لذلك، لأنهم أبناء اليهود، و إذا[7] بطل كون أبيك ابنا لأحد بطل أن تكون[8] أنت ابنه، لما كان ذلك كذلك[9] ناسب أن تعقب بقصة ابني آدم لما يذكر، فقال تعالى عاطفا على قوله "و اذ قال موسى": ﴿و اتل عليهم﴾

(١) في ظ: ليال (٢) في ظ: حضر (٣) زيد بعده في الأصل: احمد، و لم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٤) سقط من ظ (٥) في ظ: نحن (٦) في ظ: ينظرون. (٧) في ظ: اذ (٨) في ظ: يكون (٩) في ظ: لذلك.

أى على المدعوّين الذين من جملتهم اليهود تلاوة ، [و - [1]] هى من أعظم / الأدلة على نبوتك ، لأن ذلك لا علم لك[2] و لا لقومك بـه[3] / ٤٧
إلا من جهة الوحى ﴿ نبأ[4] ابنى آدم ﴾ أى خبرهما الجليل العظيم ، تلاوة ملتبسة ﴿ بالحق[5] ﴾ أى الخبر الذى يطابقه الواقع إذا تُعُرِّفَ من كتب الأولين و أخبار الماضين كائنا ذلك النبأ ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قربا ﴾ ٥
أى ابنا آدم ؛ و لما لم يتعلق الغرض فى هذا المقام ببيان أىّ نوع قربا منه ، قال : ﴿ قربانا ﴾ أى بأن قرب [6]كل واحد منهما شيئا[6] من شأنه أن يقرِّبَ إلى المطلوب مقاربتُه[5] غاية القرب .

و لما كان المؤثر للحسد إنما هو عدم التقبل ، [لا - [1]] بالنسبة إلى متقبل خاص ، بناه للمفعول فقال : ﴿ فتُقبِّل ﴾ أى [قبل - [1]] قبولا ١٠
عظيما ظاهرا لكل أحد ﴿ [6]من احدهما[6] ﴾ أبهمه [7]أيضا لعدم الاحتياج فى هذا السياق إلى تعيينه[7] ﴿ و لم يتقبل من الأخر ط ﴾ عَلِمَا ذلك[8] بعلامة كانت لهم فى ذلك ، إما أكل النار للمقبول كما[9] قالوه أو[10] غير ذلك ؛ و مناسبتها لما قبلها من حيث أنها أيضا ناقضة لدعواهم البنوة ، لأن قابيل ممن ولد فى الجنة على[2] ما قيل ، و مع ذلك فقد عذب لما نقض العهد ، ١٥
فانتفى أن يكون ابنا ، و كان هو و غيره شرعا واحدا دائرا[11] أمرهم فى

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) تقدم فى ظ على « أى على » (٤-٤) تقدم ما بين الرقمين فى ظ على « به إلا » (٥) فى ظ : مقاربة (٦ - ٦) تقدم ما بين الرقمين فى ظ على « أى قبل » (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : بذلك (٩) فى ظ : لما (١٠) فى ظ « و » (١١) فى ظ : دائر .

العذاب و الثواب على الوفاء و النقض ، من وفى كان حبيبا وليا ، و من نقض كان بغيضا عدوا ، و إذا انتفت البنوة عن ولد لآدم صفى الله مع كونه لصلبه [لا -[1]] واسطة بينهما و مع كونه وُلِدَ فى الجنة دار الكرامة ، فانتفاؤها[2] عمن هو أسفل منه من باب الأولى ، وكذا المحبة ؛ و من المناسبات أيضا أن كفر بنى إسرائيل بمحمد صلى الله عليه و سلم إنما هو للحسد ، فنبهوا بقصة ابنى آدم على أن الحسد يجر[3] إلى ما لا يرضى الله[3] و إلى ما لا يرضاه عاقل و يكب[4] فى النار ؛ و منها أن فى قصة بنى إسرائيل إحجامهم عن قتال أعداء الله البعداء منهم المأمورين بقتالهم الموعودين عليه بخيرى الدارين ، و أن الله معهم فيه ، و فى قصة ابنى آدم إقبال[5] قابيل على قتل أخيه حبيب الله المنهى عن قتله المتوعد بأن الله يتبرأ منه إن قتله ، ففى ذلك تأديب لهذه[6] الأمة عند كل إقدام و إحجام ، و تذكير بالنعمة فى حفظهم من مثل ذلك ، و[6] أن فيها أن موسى و هارون عليهما السلام أخوان فى غاية الطواعية فى أنفسهما و رحمة كل منهما للآخر و الطاعة لله ، و قصة ابنى آدم بخلاف ذلك ، و فى ذلك تحذير مما جر إليه و هو الحسد ، و أن فى قصة بنى إسرائيل أنهم لما[8] قدموا الغنائم للنار فلم تأكلها ، عَلِمَ نبيهم صلى الله عليه و سلم أنها لم تقبل لغلول غَلّوه ، فاستخرجه و وضعه فيها فأكلتها ، ففى ذلك الاستدلال بعدم أكل النار على عدم القبول - كما

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : انتفوهما (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) فى الأصل : يكبر ، وفى ظ : نكب - كذا (٥) فى ظ : اقدام (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : هذه (٨) فى ظ : كما .

فى قصة[1] ابنى آدم ، و أن بنى إسرائيل عذبوا بالمنع من بيت المقدس بالتيه ، و قابيل نفى من الأرض التى كان فيها مقتل[1] أخيه ، و أن بنى إسرائيل تاهوا أربعين سنة[2] على عدد[3] الأيام التى غاب فيها نقباؤهم[4] فى جسّ أخبار الجبابرة ، و أن قابيل حمل هابيل بعد أن قتله أربعين يوما - ذكره البغوى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : و قصده[5] السباع فحمله على ظهره ٥ أربعين يوما ، و كل هذه محسنات ، و العمدة هو الوجه الأول ، و أحسن منه أن يكون الأمر لموسى عليه السلام عطفا على النهى فى " لا تاس[6] " ، و المعنى أن الأرض المقدسة مكتوبة لهم كما قدمته أنت أول القصة فى قولك " التى كتب[الله -[7]] لكم " فأنا مورثها لا محالة لأبنائهم و أنت متوفٍ قبل دخولها ، و قد أجريت سنتى فى بنى آدم بأنهم إذا / [8]توطنوا ١٠ / ٤٨ و استراحوا[8] تحاسدوا ، و إذا تحاسدوا تدابروا فقتل بعضهم بعضا ، فاتل عليهم هذه القصة لتكون زاجرة لهم من أن يفعلوا ذلك إذا فرغوا من الجبابرة و أبادوهم و صفت لهم البلاد فتوطنوها ، و أخرجت[9] لهم بركاتها فأبطرتهم النعم ، و نسوا غوائل النقم ؛ و يكون ذلك وعظا لهذه الأمة و مانعا من فعل مثل ذلك بعد إكمال دينهم و وفاة نبيهم و إظهارهم على الدين ١٥ كله ، كما تقدم به الوعد لهم فقهروا العباد و فتحوا البلاد و انتثلوا كنوزها

(١) فى ظ : يقتل (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عدم (٤) فى ظ : لعناوهم - كذا (٥) فى ظ : قصيدة (٦) من ظ ، و فى الأصل : تاس . (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم (٨-٨) فى ظ : تواطنوا و استرحوا (٩) فى ظ : خرجت .

و تحكموا فى أموالها ، فنسوا ما كانوا فيه من القلة و الحاجة[1] و الذلة فأبطرتهم النعم ، و ارتكبوا أفعال الأمم ، و أعرضوا عن غوائل النقم - كما قال النبي صلى الله عليه و سلم : دب إليكم داء الأمم قبلكم : الحسد و البغضاء ، ألا و البغضاء[2] هى الحالقة ، لا أقول[2] : تحلق الشعر ، و لكن تحلق الدين - أخرجه الترمذى و الإمام أحمد و أبو داود الطيالسى فى مسنديهما و البزار[3] - قال المنذرى : باسناد جيد - و البيهقى و قال : لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا - رواه الطبرانى و رواته ثقات ، و ذكر الحافظ أبو الربيع ابن سالم الكلاعى فى القسم الثانى من سيرته فى فتح جلولاء[4] من بلاد فارس أن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه لما أرسل الغنيمة إلى عمر رضى الله عنه أقسم عمر رضى الله عنه : لا يخبأها[5] سقف بيت حتى [6]تقسم! فوضعت[6] فى صحن المسجد ، فبات[7] عبد الرحمن بن عوف و عبد الله بن أرقم رضى الله عنهما يحرسانه ، فلما جاء الناس كشف عنه فنظر عمر رضى الله عنه [8]إلى ياقوتة و زبرجدة و جوهرة فبكى ، فقال عبد الرحمن رضى الله عنه[8] : ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ فوالله إن هذا إلا موطن شكر! فقال عمر : و الله ما ذاك يبكينى ، و تالله ما أعطى الله هذا قوما إلا تحاسدوا و تباغضوا ، و لا تحاسدوا إلا ألقى بأسهم بينهم .

شرح قصة ابنى[9] آدم من التوراة ، قال المترجم فى أولها بعد قصة أكل آدم

---

(١) فى ظ : الحجة (٢ - ٢) فى ظ : هل لمخالفة الاقوال - كذا (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى ظ : حلولا (٥) فى ظ : لا يحتها (٦-٦) فى ظ : يقسم فوقعت (٧) فى ظ : فبك (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ : بنى .

عليه

عليه السلام من الشجرة ما نصه : فدعا آدم اسم امرأته حواء من أجل أنها كانت أم كل حيّ، و صنع الرب لآدم و امرأته سرابيل من الجلود و ألبسهما، فأرسله الله من جنة عدن ليحرث[1] الأرض التى منها أخذ، فأخرجه الله ربنا، فجامع [آدم -[2]] امرأته حواء فحبلت[3] و ولدت قايين[4] و قالت : لقد استفدت لله رجلا، و عادت فولدت أخاه هابيل، *فكان هابيل* ٥ راعى غنم، و كان قايين[4] يحرث الأرض. فلما كان بعد أيام جاء قايين[4] من ثمر أرضه بقربان لله، و جاء هابيل أيضا من أبكار غنمه بقربان، فسر الله بهابيل و قربانه و لم يسر بقايين[6] و قربانه، فساء ذلك قايين[4] جدا[7] و همّ أن يسوءه و عبس وجهه، فقال الرب لقايين[8] : ما ساءك؟ و لِمَ كسف[9] وجهك؟ إن أحسنت تقبلت منك، و إن لم تحسن فان الخطيئة رابضة على ١٠ الباب و أنت تقبل إليها و هى تتسلط عليك، فقال قايين[4] لهابيل أخيه : تتمشى بنا فى البقعة، فبينما هما يتمشيان فى الحرث وثب قايين[4] على أخيه هابيل فقتله، فقال الله لقايين[8] : أين هابيل أخوك؟ فقال : لا أدرى، أرقيب أنا على أخى؟ قال الله : *ما ذا*[10] فعلت! فان دم أخيك[11] ينادى لى من الأرض، من الآن ملعون أنت من[12] الأرض التى فتحت[13] فاها ١٥

(١) فى ظ : ليخرب (٢) زيد من ظ و التوراة (٣) فى ظ : فحملت (٤) فى ظ : قابيل، وما أثبتناه من الأصل هو ثابت فى تراجم التوراة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : بقابيل (٧) فى ظ : حسد (٨) فى ظ : لقابيل. (٩) فى ظ : كشف (١٠-١٠) فى ظ : ما (١١) زيدت الواو بعده فى ظ (١٢) من التوراة، و فى الأصل و ظ : ثم (١٣) العبارة من هنا إلى « فى الأرض » ساقطة من ظ.

فقبلت دم أخيك من يدك، فاذا أنت عملت فى الأرض فانها لا تعود تعطيك حراثها، و تكون فزعا تائها فى الأرض، فقال قابين[1] للرب: عظمت / خطيئتى من أن تغفرها، و قد أخرجتنى اليوم عن وجه الأرض، و أتوارى من قدامك و أكون فزعا تائها فى الأرض، و كل من وجدنى يقتلنى، فقال[2] الله ربنا: كلا! و لكن كذلك[3] كل قاتل، و أما قابين[1] [4]فانه يجزى[4] بدل الواحد سبعة، فخرج قابين[1] من قدام الله فجلس فى أرض نود[5] شرقى عدن - انتهى. قال البغوى عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول: إن آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل أن يصيب الخطيئة فحملت فيها بقابيل و توأمته[6] - فذكر قصته فى النكاح و قتله لأخيه و شرب الأرض لدمه [4]و قول قابيل لله - حين قال له: إنه قتله -: إن كنت قتلته فأين دمه[4]؟ فحرم الله على الأرض يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا - انتهى.

/ ٤٩

و لما أخبر الله[7] تعالى بأن أحدهما فعل معه من عدم القبول ما غاظه، كان كأنه قيل: فما فعل حين غضب؟ فقيل: ﴿ قال ﴾ أى لأخيه الذى قبل قربانه حسدا له[7] ﴿ لاقتلنك[1] ﴾ [8]فكأنه قيل: بما[8] أجابه؟

---

(١) فى ظ: قابيل (٢) زيد بعده فى الأصل: الرب، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) فى ظ: لذلك (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ والتوراة، وفى الأصل: بود (٦) وقع فى ظ: توأميه - خطأ، و ذكر ابن حيان أن حواء كانت تلد فى كل بطن ذكرا و أنثى، و كان آدم يزوج ذكر هذا البطن أنثى ذلك البطن، و أنثى هذا ذكر ذلك، و لا يحل للذكر نكاح توأمته - راجع البحر المحيط ٣ / ٤٦١ (٧) سقط من ظ (٨ - ٨) فى ظ: وكانه قتل ثم - كذا.

فقيل

فقيل: نبهه أولا على ما يصل به إلى رتبته ليزول حسده بأن ﴿ قال انما يتقبل الله ﴾ أي يقبل قبولا عظيما المحيط لكل شيء قدرة و علما الملك الذى له الكمال كله، فليس هو محتاجا[1] إلى شيء، و كل شيء محتاج[2] إليه ﴿ من المتقين ٥ ﴾ أى العريقين[3] فى وصف التقوى، فلا معصية لهم يصرون عليها بشرك ولا غيره، فعدمُ[4] تقبل قربانك من نفسك لا منى، فلم تقتلنى؟ ٥ فقتلك[5] لى مبعد[6] لك عما حسدتنى عليه.

و لما وعظه بما يمنعه من قتله و يقبل به[7] على خلاص نفسه، أعلمه ثانيا أن الخوف من الله مَنَعَه من أن يمانعه عن نفسه ملينا[8] لقلبه بما هو جدير أن يرده عنه خشية أن تجره الممانعة إلى تعدى الحد المأذون فيه، لأن أخاه كان عاصيا لا مشركا، فقال مؤكدا بالقسم لأن مثل ما يخبر به عظيم ١٠ لا يكاد يصدق: ﴿ لئن بسطت الىّ ﴾ أى خاصة ﴿ يدك لتقتلنى ﴾ أى لتوجد ذلك بأىّ وجه كان، ثم بالغ فى إعلامه بامتناعه من الممانعة فقال: ﴿ ما انا ﴾ و أغرق فى النفى[9] فقال[10]: ﴿ بباسط ﴾ أى أصلا، و قدم المفعول به تعميما، ثم خص المتعلق لمناسبة الحال فقال: ﴿ يدى اليك لاقتلك ج ﴾ أى فى أىّ[10] وقت من الأوقات، و لعله[11] [أتى -[12]] بالجملة[13] ١٥ الاسمية[14] المفيدة لنفى الثبات و الدوام أدبا مع الله فى عدم الحكم على

(١) فى ظ: محتاج (٢) فى ظ: يحتاج (٣) فى ظ: الغريقين (٤) فى ظ: فتقدم.
(٥) فى ظ: و قتلك (٦) من ظ، و فى الأصل: بعد (٧) فى ظ: هو (٨) فى ظ: مبينا (٩) فى ظ: السبي - كذا (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ، و فى الأصل: لعل (١٢) زيد من ظ، أى بالجملة الفعلية (لاقتلك) (١٣) أى فى ضمن الجملة الاسمية، و فى الأصل: الجملة، و قد سقط من ظ (١٤) فى ظ: بالاسمية.

المستقبل، ثم علله بقوله: ﴿ انى اخاف الله ﴾ أى أستحضر جميع ما أقدر على استحضاره من كماله، ثم وصفه بالإحسان إلى خلقه ليكون ذلك مانعا له من الإساءة إلى أحد منهم فقال: ﴿ رب العٰلمين ﴾ أى الذى أنعم عليهم بنعمة الإيجاد ثم التربية، فأنا لا أريد أن أخرب ما بنى، و هذا كما فعل عثمان رضى الله عنه.

و لما كان من النهايات للواصلين إلى حضرات القدس و مواطن الأنس بالله، المتمكنين فى درجة الغناء عن غير الفاعل المختار أن لا يراد إلا ما يريد سبحانه، فان كان[1] طاعة أراده[2] العبد و رضيه، و إن كان معصية اراده[2] من حيث أنه مراد الله و لم يرضه[3] لكونه معصية، فيرضى بالقضاء دون المقضى، و كأنه[4] من[5] الممكن القريب أن يكون هابيل قد كشف له عن أنه سبق فى علم الله أن أخاه يقتله، قال مرهبا له معللا بتعليل آخر صاد[6] له أيضا عن الإقدام على القتل: ﴿ انى اريد ﴾ أى بعدم[7] الممانعة لك ﴿ ان تبوآ ﴾ أى ترجع من قتلى إن قتلتنى ﴿ باثمى ﴾ أى الإثم الذى ينالك[8] من أجل قتلك لى، و بعقوبته / الذى من جملته أنه[9] يطرح عليك /٥٠ من سيئاتى بمقدار ما عليك من حق إذا لم تجد ما ترضينى به من الحسنات ﴿ و اثمك ﴾ أى الذى [10]لا سبب لى فيه، و هو الذى كان سببا لرد قربانك و اجترائك علىّ و عدوانك، و أفوز أنا بأجرى و أجرك، أى

(١) فى ظ: كانت (٢) فى ظ: ارادة (٣) من ظ، وفى الأصل: لم يرضيه (٤) من ظ، وفى الأصل: كان (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: صادر (٧) فى ظ: بعد. (٨) من ظ، وفى الأصل: ينال (٩) فى ظ: ان (١٠) العبارة من هنا إلى «أجرى الذى» سقطت من ظ.

أجرى الذى لا سبب لك فيه و الأجر الذى أثمره[1] استسلامى لك و كفُّ يدى عنك ﴿فتكون﴾ أى أنت بسبب ذلك ﴿ من اصحب النار[٤] ﴾ أى الخالدين فيها جزاء لك لظلمك[2] بوضعك القتل فى غير[3] موضعه ، ثم بين أن هذا يعم[4] كل من فعل هذا الفعل فقال : ﴿ و ذلك جزؤا الظلمين ج ﴾ أى الراسخين فى وصف الظلم كلهم ، و أكون أنا من أصحاب الجنة جزاء لى باحسانى فى إيثار حياتك على حياتى ، و ذلك جزاء المحسنين ، و هذا - مثل تمنى الشهادة سوءا - ليس بمستلزم لإرادة المعصية من حيث كونها معصية بارادة ظهور الكفار ، لما علم من[3] أن النصر بيد الله ، فهو قادر على نصر الباقى بعد استشهاد الشهيد .

و لما كان هذا الوعظ جديرا[5] بأن يكون سببا لطاعته و زاجرا له عن معصيته ، بين تعالى أنه قسا قلبه فجعله سببا لإقدامه ، فقال - مبينا بصيغة التفعيل ، إذ القتل لما جعل[6] الله له من الحرمة و كساه من الهيبة لا يقدم عليه إلا بمعالجة كبيرة من النفس - : ﴿فطوعت له﴾ أى الذى لم يتقبل[7] منه ﴿ نفسه قتل اخيه ﴾ أى فعالجته[8] معالجة كبيرة و شجعته ، و سهلت له بما عندها من النفاسة على زعمها حتى غلبت على عقله فانطاع لها و انقاد فأقدم عليه ؛ و تحقيق المعنى أن من تصور النهى[9] عن الذنب و العقاب عليه امتنع منه فكان فعله كالعاصى عليه ، و من استولت عليه نفسه بأنواع الشبه فى تزيينه صار فعله له[3] و إقدامه عليه كالمطيع له

(١) زيد بعده فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) فى ظ : بظلمك (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : نعم (٥) فى ظ : جدير (٦) فى ظ : جعله . (٧) فى ظ : لم يقتل (٨) فى ظ : فعالجه (٩) من ظ ، و فى الأصل : المنهى .

الممكن من نفسه بعد أن كان عاصيا عليه نافرا عنه ، ثم سبب عن هذا التطويع قولَه : ﴿ فقتله ﴾ و سبب عن القتل قوله : ﴿ فاصبح ﴾ أى فكان فى كل زمن ﴿ من الخسرين ٥ ﴾ أى العريقين[1] فى صفة الخسران بغضب الله عليه لاجترائه على إفساده[2] مصنوعَه ، و غضب أبناء جنسه عليه[3] لاجترائه على أحدهم ، و عبر بالإصباح و المراد جميع الأوقات ، لأن الصباح محل توقع الارتياح[4] ، قيل : إنه لم يدر كيف يقتله ، [5]فتصور له إبليس فى يده[6] طائر فشدخ رأسه بحجر فقتله ، فاقتدى به قابيل ، فأتى هابيل و هو نائم فشدخ رأسه بحجر .

و لما كان التقدير : ثم إنه[3] لم يدر ما[7] يصنع به ، إذ[8] كان أول ميت فلم يكن الدفن معروفا ، سبب عنه قولَه : ﴿ فبعث الله ﴾ [أى -[9]] الذى له كمال القدرة و العظمة و الحكمة ؛ و لما كان المعنى يحصل بالغراب الباحث فقط قال : ﴿ غرابا يبحث ﴾ أى يوجد البحث ، و هو التفتيش [10]فى التراب[10] بتليين ماتراصّ منه و إزاحته من مكانه ليبقى[11] مكانه حوزة[12] خالية .

---

(١) فى ظ : الغريقين (٢) فى ظ : افساد (٣) سقط من ظ (٤) فى الأصل : الارباح ، و فى ظ : الارساح - كذا ، و فى البحر المحيط ٣/٤٦٥ : قال ابن عطية : أقيم بعض الزمان مقام كله ، و خص الصباح بذلك لأنه بدء النهار و الانبعاث إلى الأمور و مظنة النشاط (٥) العبارة من هنا إلى « كان التقدير » ساقطة من ظ (٦) فى الأصل : يد - كذا (٧) فى ظ : لم (٨) فى ظ : اذا (٩) زيد من ظ . (١٠-١٠) من ظ ، و فى الأصل : بالتراب (١١) من ظ ، و فى الأصل : ليبتغى - كذا (١٢) فى ظ : جودة .

و لما كان البحث مطلق التفتيش، دل على ماذكرته بقوله: ﴿ فى الارض ﴾ ليوارى غرابا آخر مات؛ و لما كان الغراب سبب علم ابن آدم القاتل للدفن، كان كأنه بحث لأجل تعليمه فقال تعالى: ﴿ ليريه ﴾ أى الغراب يُرى[1] ابن آدم، و يجوز أن يكون الضمير المستتر لله تعالى، و الأول أولى[1] لتوقيفه على عجزه و جهله بأن الغراب أعلم منه و أقرب إلى الخير ٥ ﴿ كيف يوارى ﴾.

[2] و لما كانت[2] السوءة واجبة الستر، وكان الميت يصير بعد موته كله سوءة، قال منبها على ذلك و على أنها / السبب فى الدفن بالقصد الأول: ٥١ / ﴿ سوءة ﴾ أى فضيحة ﴿ اخيه[4] ﴾ أى أخى قابيل و هو هابيل المقتول، و صيغة المفاعلة تفيد أن الجثة تريد أن يكون القاتل[3] وراءها، و القاتل[3] ١٠ يريد كون الجثة وراءه[4]، فيكونان بحيث لا يرى واحد منهما الآخر، و لعل بعث[5] الغراب إشارة إلى غربة القاتل[3] باستيحاش[6] الناس منه و جعله مما ينفر عنه و يقتله كل من يقدر عليه، و من ثَمَّ سمى الغراب البين، و تشاءم به من يراه.

و لما كان كأنه قيل: إن هذا لعجب[7]، فما قال؟ قيل: ﴿ قال ﴾ ١٥ الكلمة التى تستعمل عند الداهية العظيمة لما نبهه ذلك، متعجبا[8] متحيرا متلهفا عالما أن الغراب أعلم منه و أشفق، منكرا على نفسه ﴿ يٰويلتىٰٓ ﴾

(١) ـ سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ: القايل (٤) فى ظ: وراءها (٥) فى ظ: بحث (٦) فى ظ: باستيجاص ـ كذا (٧) فى ظ: العجب (٨) فى ظ: متفجعا.

أى أحضُرنى [١]يا ويل ! هذا[١] أوانك أن [٢]لا يكون لى[٢] نديم غيرك ؛ و لما تفجع غاية الفجيعة و تأسف كل الأسف، أنكر على نفسه فقال : ﴿ أعجزت ﴾ أى مع ما جعل لى من القوة القاطعة ﴿ ان اكون ﴾ مع ما لى من الجوارح الصالحة[٣] لأعظم من ذلك ﴿ مثل هذا الغراب ﴾ و قولُه مسببا عن ذلك : ﴿ فاوارى سوءة ﴾ أى عورة و فضيحة ﴿ اخى ج ﴾ نَصِبَ عطفا على "اكون" لا على جواب الاستفهام، لأنه إنكارى[٤] فمعناه النفى، لأنه لم تكن[٥] وقعت منه مواراة لينكر على[٦] نفسه و يوبخها بسببها، و لو كانت وقعت لم يصح إنكارها على تقدير عدم العجز الذى أفادته الهمزة ﴿ فاصبح ﴾ بسبب قتله ﴿ من النٰدمين ﴾ أى على ما فعل، لأنه فقد أخاه و أغضب ربه و أباه، و لم يفده ذلك ما[٦] كان سبب غيظه[٧]، بل زاده بعدا، و ذكر أن آدم عليه السلام لما علم قتله رثاه بشعر، و عن ابن عباس رضى الله عنهما ردُّ ذلك، و أن الأنبياء عليهم السلام كلهم فى النهى عن الشعر سواء، و قال صاحب الكشاف: و قد صح أن الأنبياء معصومون من الشعر، « و لا تقتل[٨] نفس ظلما إلا كان على ابن آدم هذا كفل من دمها بما سن » رواه مسلم و غيره عن عبد الله، و كذا « كل من سن سنة سيئة » و لهذا قال عليه السلام « إن أخوف ما أخاف على أمتى الأئمة المضلون »، و هذا لأن الآدمى

(١-١) فى ظ : تاويل فهذا (٢-٢) فى ظ : لا تكون الى (٣) من ظ ، و فى الأصل : الصالحين (٤) من ظ ، و فى الأصل : انكار (٥) فى ظ : لم يكن (٦) سقط من ظ . (٧) فى ظ : عطيه (٨) فى ظ : لا يقتل .

لنقصانه أسرع شيء إلى الاقتداء فى النقائص، و هذا ما لم يتب[1] الفاعل، فاذا تاب أو كان غير متعمد للفعل كآدم عليه السلام لم يكن سانّا لذلك، فلا شيء عليه ممن عمل بذلك .

[و لما علم بهذا -[2]] أن[3] الإنسان موضع العجلة و الإقدام على الموبقات من غير تأمل، فكان أحوج شيء إلى نصب الزواجر، أتبعه تعالى قوله : ٥ ﴿ من اجل ذلك ج ﴾ أى من غاية الأمر الفاحش جدا [و -[2]] مدته و عظم الأمر و شدة قبحه فى نفسه و عند الله و صغره عند القاتل و حبسه و منعه و [4]جنايته و إثارته[4] و تهييجه و جرأة الإنسان على العظائم بغير تأمل ﴿ كتبنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ليفيد ذلك عظمة المكتوب و التنبيه على ما فيه من العجز[5] ليفيد الانزجار ﴿ على بنى اسرآءيل ﴾ أى أعلمناهم ١٠ بما لنا من العناية بهم فى التوراة التى كتبناها لهم، و يفهم ذلك أيضا أنهم أشد الناس جرأة على القتل، و لذلك[6] كانوا يقتلون الأنبياء، فأعلمهم الله بما فيهم من التشديد، و لِمَا علم من الآدميين - لا سيما هم - من الجرأة عليه، ليقيم عليهم بذلك الحجة على ما يتعارفونه بينهم، و يكف عن القتل من سبقت [7]له منه[7] العناية بما يتصور من فظاعة القتل، / و قبح صورته و فحش ١٥ / ٥٢ أمره، و عبر بأداة الاستعلاء التى هى للحتم من الوجوب[8] و الحرمة، لأن السياق للزجر[9]، فهى تفهم المنع عن الإقدام على القتل فى هذا المقام

(١) فى ظ : لم يبت - كذا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل : لأن .
(٤ - ٤) فى ظ : اجابته و إشارته (٥) فى ظ : الفحش (٦) فى ظ : كذلك .
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : الجواب (٩) فى ظ : المزجر .

﴿ انه من قتل نفسا ﴾ أى من بنى آدم ، وكأنه أطلق تعظيما لهم إشارة إلى أن غيرهم جماد ﴿ بغير نفس ﴾ أى بغير أن تكون[1] قتلت نفسا تستحق أن تقاد بها فاستباح قتلها لتلك النفس التى قتلتها[2] ﴿ او ﴾ قتلها [بغير -[3]] ﴿ فساد ﴾ وقع منها .

٥ ولما كانت الأرض - مع أنها فراشنا فهى[4] محل التوليد و التربية و التنمية - دار الكدر ، وكان فساد من أفسد فراشه الموصوف - لا سيما و هو فى[5] كدر - دالاً على[5] سوء[6] جبلته ، وكان سوء الجبلة موجبا للقتل ، قال : ﴿ فى الارض ﴾ أى يبيح ذلك الفسادُ دمها كالشرك و الزنا بعد الإحصان وكل ما يبيح إراقة الدم ، و قد علم بهذا أن [7] قصة ابنى[7] آدم

١٠ مع شدة التحامها بما قبل توطئة لما بعد ، و تغليظُ أمر القتل تقدم عن التوراة فى سورة البقرة ، و قوله : ﴿ فكانما قتل الناس جميعا[8] ﴾ من جملة الأدلة المبطلة لما ادعوا من البنوة ، إذ معناه أن الناس شرع واحد من جهة نفوسهم متساوون فيها ، كلهم أولاد آدم ، لا فضل لأحد منهم على آخر فى أصل تحريم القتل بغير ما ذكر من الموجب من قصاص أو فساد[8] لا من

١٥ بنى إسرائيل و لا من[9] غيرهم ، و ذلك كما قال تعالى فى ثانى[10] النقوض " بل انتم بشر ممن خلق " فصار من قتل نفسا[11] واحدة بغير ما ذكر

---

(١) فى ظ : يكون (٢) فى ظ : قبلها (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : و هى .
(٥ - ٥) فى ظ : كدرة الا (٦) فى الأصل : السوء ، و فى ظ : لسوء - كذا .
(٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : قصتى بنى (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) سقط من ظ (١٠) فى الأصل و ظ : فانى - كذا (١١) فى ظ : نفس .

فكأنما حمل إثم من قتل الناس جميعا ، لأن اجتراءه على ذلك أوجب اجتراء غيره ، و من سن سنة كان كفاعلها[1] ﴿ و من احياها ﴾ أى بسبب من الأسباب [2]كعفو ، أو إنقاذ من هلكة كغرق[2] ، أو مدافعة لمن يريد أن يقتلها ظلما ﴿ فكأنما احيا ﴾ أى بذلك[3] الفعل الذى كان سببا للاحياء ﴿ الناس جميعا[4] ﴾ أى بمثل ما تقدم فى القتل ، و الآية دالة على تعليمه ٥ سبحانه لعباده الحكمة ، لما يعلم من طباعهم التى خلقهم عليها و من[4] عواقب الأمور - لا على أنه يجب عليه - رعاية المصلحة ، و مما يحسن إيراده هُهنا[5] ما ينسب إلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه ، و رأيت من ينسبه للشافعى [6]رحمه الله تعالى[6] :

الناس من جهة التمثال[7] أكفاء ... أبوهُمُ آدم و الأم حواء ١٠
نفس كنفس و أرواح[8] مشاكلة ... و أعظمٌ خلقت فيهم و أعضاء
فان يكن لهمُ فى أصلهم حسب ... يفاخرون به فالطين و الماء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... على الهدى لمن استهدى[9] أدلّاء
و قدر كل امرئ ما كان يحسنه ... و للرجال على الأفعال أسماء
و ضد كل امرئ ما كان يجهله ... و الجاهلون لأهل العلم أعداء ١٥
ففز [10]بعلم تعش حيا[10] به أبدا ... فالناس موتى و أهل العلم أحياء

(١) فى ظ : لفاعلها (٢ - ٢) فى ظ - و انقاد هلكه اوغرق - كذا (٣) فى ظ : ذلك (٤) فى ظ : لمن (٥) فى ظ : هنا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : التمثيل (٨) فى ظ : الارواح (٩) فى ظ : استشهدا (١٠ - ١٠) فى ظ : نفسى جنا - كذا .

و لما أخبر سبحانه أنه كتب عليهم ذلك ، أتبعه حالا منهم دالة[1] على أنهم بعيدون من أن[2] يكونوا أبناء و أحباء فقال: ﴿ و لقد ﴾ أى و الحال أنهم قد[2] ﴿ جآءتهم رسلنا ﴾ أى على ما لهم من العظمة باضافتهم إلينا و اختيارنا لهم لأن يأتوا عنا ، فهم لذلك أنصح الناس و أبعدهم عن الغرض و أجلّهم و أجمعهم للكمالات[3] و أرفعهم عن النقائص ، لأن كل رسول دال على مرسله / ﴿ بالبيّنت ﴾ أى الآيات الواضحة للعقل أنها من عندنا ، آمرة[4] لهم بكل خير ، زاجرة عن كل [5]ضير ، لم نقتصر[5] فى التغليظ فى ذلك على الكتاب بل و أرسلنا[6] الرسل إليهم[2] متواترة .

/٥٣

و لما كان وقوع[7] الإسراف - و هو الإبعاد عن حد الا عتدال[8] فى الأمر منهم بعد ذلك - بعيدا[9] ، عبر بأداة التراخى مؤكدا بأنواع التأكيد فقال: ﴿ ثم ان كثيرا منهم ﴾ أى بنى إسرائيل ، و بيّن شدة عتوّهم باصرارهم خلفا بعد سلف فلم يثبت الجار فقال: ﴿ بعد ذلك ﴾ أى البيان العظيم و الزجر البليغ بالرسل و الكتاب ﴿ فى الارض ﴾ أى التى هى[2] مع كونها فراشا لهم - و يقبح على الإنسان أن يفسد فراشه - شاغلة[10] - لما فيها من عظائم الكدورات و ترادف القاذورات - عن الكفاف فضلا عن الإسراف ﴿ لمسرفون ﴾ أى عريقون[11] فى الإسراف بالقتل و غيره .

(١) فى ظ : دالا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : للكلمات (٤) فى ظ : امرت .
(٥-٥) فى ظ : شر لم يقتصر - كذا (٦) فى ظ : انزلنا (٧) فى ظ : وقوف .
(٨) فى ظ : الاعتزال (٩) من ظ ، و فى الأصل : بعيد (١٠) فى ظ : شاعله - كذا .
(١١) فى ظ : غريقون .

و لما كان هذا الإسراف بعد هذه الموانع محاربة[1] للناهى عنه ، وكان تارة يكون بالقتل و تارة بغيره ، و كان ربما ظن أن عذاب القاتل يكون بأكثر من القتل لكونه كمن قتل الناس جميعا ، وصل به سبحانه قوله على طريق الحصر : ﴿ انما جزآؤا ﴾ وكان الأصل : جزاؤهم ، و لكن أريد تعليق الحكم بالوصف و التعميم فقال : ﴿ الذين يحاربون الله ﴾ أى ٥ الملك الأعظم الذى لا كفوء له ﴿ و رسوله ﴾ أى بمحاربة[2] من نَهَيَا عن محاربته بقطع الطريق و هم مسلمون ، و لهم منعة ممن[3] أرادهم ، و يقصدون المسلمين فى دمائهم و أموالهم سواء كانوا فى البلد أو خارجها .

و لما كان عباد الرحمن يمشون على الأرض هونا ، أعلم أن هؤلاء عباد الشيطان بقوله : ﴿ و يسعون فى الارض ﴾ و لما كان هذا ظاهرا[4] ١٠ فى الفساد ، صرح به فى قوله : ﴿ فسادا ﴾ أى حال كونهم ذوى فساد ، أو للفساد ، و يجوز أن يكون مصدرا ليسعون - على المعنى ؛ و لما كانت أفعالهم مختلفة ، قسم عقوبتهم بحسبها فقال : ﴿ ان يقتلوآ ﴾ أى إن كانت جريمتهم القتل [فقط ، لأن القتل جزاؤه القتل - [5]] ، و زاد - لكونه[6] فى قطع الطريق - صيرورته حتما لا يصح العفو عنه ﴿ او يصلبوآ ﴾ أى ١٥ مع القتل إن ضموا[7] إلى القتل أخذ المال ، بأن يرفع المصلوب على جذع ، و منهم من قال : يكون ذلك و هو حىّ ، فحينئذ [8]تمد يداه[8] مع الجذع ، و الأصح عند الشافعية أنه يقتل و يصلى عليه ثم يرفع على الجذع زمنا يشيع خبره فيه لينزجر غيره ، و لا يزاد على ثلاثة أيام ﴿ او تقطع ايديهم ﴾

(١) فى ظ : محاربه (٢) فى ظ : محاربة (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ : ظاهر (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : بكونه (٧) فى ظ : ضمنوا (٨-٨) فى ظ : بمرتده - كذا .

أى اليمنى بأخذهم المال من غير قتل ﴿ و ارجلهم ﴾ أى اليسرى لإخافة السبيل . و هذا معنى قوله : ﴿ من خلاف ﴾ أى إن كانت الجريمة أخذ المال فقط ﴿ او ينفوا من الارض ﴾ أى بالإخافة و الإزعاج إن لم يقعوا[1] فى قبضة الإمام ليكونوا منتقلين من بلد إلى آخر[2] ذعرا و خوفا ، و بالحبس إن وقعوا فى القبضة ، وكانوا[3] قد كثروا سواد المحاربين و ما قتلوا[4] و لا أخذوا مالا ﴿ ذلك ﴾ أى النكل الشديد المفصّل إلى ما ذكر ﴿ لهم ﴾ أى خاصا بهم ﴿ خزى ﴾ أى إهانة و ذل[5] بايقاعه بهم ﴿ فى الدنيا ﴾ أى ليرتدع بهم غيرهم ﴿ و لهم ﴾ أى[6] إن لم يتوبوا ﴿ فى الأخرة ﴾ أى التى هى موطن الفصل[7] باظهار العدل ﴿ عذاب عظيم ﴾ أى هو بحيث لا يدخل تحت مَعارِفِكم أكثر من وصفه بالعظم .

و لما كان التعبير بـ " انما " يدل بختم[8] الجزاء على هذا الوجه ، استثنى من المعاقبين هذه العقوبة بقوله : ﴿ الا الذين / تابوا ﴾ أى رجعوا عما كانوا عليه من المحاربة خوفا من الله تعالى ، و لذا قال : ﴿ من قبل ﴾ و أثبت الجار إشارة إلى[9] القبول و إن طال زمن المعصية و قصر زمن التوبة ﴿ ان تقدروا عليهم ﴾ أى فان[10] تختم[11] الجزاء المذكور يسقط ، فلا يجازون[12] على ما يتعلق بحقوق الآدمى إلا إذا طلب صاحب الحق ،

/٥٤

(١) فى ظ : لم ينفوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : اخرى (٣) من ظ ، و فى الأصل : كان (٤) فى ظ : لا قتلوا (٥) فى ظ : ذلك (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : الفضل (٨) فى ظ : تختم (٩) زيد بعده فى ظ : ان (١٠) فى ظ : بان . (١١) من ظ ، و فى الأصل : يختم (١٢) فى ظ : فلايجاوزون .

فان

فان عفا كان له ذلك ، و أما حق الله تعالى فانه يسقط ، و [1]إلى هذا[1] الإشارة أيضا بقوله تعالى: ﴿ فاعلموآ ان الله ﴾ أى على ما له من صفات العظمة ﴿غفور رحيم﴾ أى صفته[2] ذلك أزلا و أبدا، فهو يفعل منه ما يشاء لمن يشاء ، و أفهمت الآية أن التوبة بعد[3] القدرة لا تسقط شيئا من الحدود .

و لما ذكر تعالى حكمهم[4] عند التوبة ، و ختم الآية بما يناسب من الغفران ٥ و الرحمة ، و كان ذلك ربما كان[5] جزاء[6] من لم يرسخ قدمه فى الدين على جنابه المتعالى ، أتبع ذلك الأمر بالتقوى و جهاد كل من أفسد بقطع الطريق أو الكفر أو غيره فقال على وجه الاستنتاج مما قبله : ﴿ يآيها الذين أمنوا ﴾ أى وجد منهم الإقرار بالإيمان ﴿ اتقوا الله ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين ما سمعتم من وعيده للمفسدين وقاية تصديقا لما أقررتم[7] به ، لما له سبحانه من العظمة ١٠ التى هى جديرة بأن تخشى و ترجى لجمعها الجلال و الإكرام .

و لما كانت مجامع التكليف منحصرة فى تخلٍّ[8] من فضائح المنهيات و تحلٍّ بملابس المأمورات ، و قدم الأول لأنه[9] من درء المفاسد ، أتبعه الثانى فقال : ﴿ و ابتغوآ ﴾ أى اطلبوا طلبا شديدا ﴿ اليه ﴾ أى خاصة[9] ﴿ الوسيلة ﴾ أى التقريب بكل ما يوصل إليه من طاعته ، و لا تيأسوا ١٥ و إن عظمت ذنوبكم لأنه[10] غفور رحيم .

و لما كان سبحانه قد قدم أوامر و نواهى ، و كان الاستقراء

(١ - ١) فى ظ : بهذا (٢) فى ظ : صفة (٣) فى ظ : حد (٤) فى ظ : حملهم .
(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : حرى ـ كذا (٧) فى ظ : قررتم (٨) فى ظ : مجلى ـ كذا (٩) تكرر فى الأصل (١٠) فى ظ : لانى .

قد أبان[1] الناس عند الأمر و النهى بين[2] مقبل و معرض ، و كان قد أمر المقبل بجهاد المعرض ، و كان للجهاد[3] - بما له من عظيم النفع و فيه من المشقة - مزيدُ خصوصية ، أفرد بالذكر تأكيدا لما مضى منه و إعلاما بأنه للعاصى مطلقا سواء كان بالكفر أو بغيره فقال : ﴿ و جاهدوا فى سبيله ﴾ أى لتكون كلمته هى العليا ﴿ لعلكم تفلحون ٥ ﴾ أى لتكون[4] حالكم حال من يرجى نيله لكل ما يطلبه ، و هذا شامل[5] لكل أمر بمعروف و نهى [6]عن منكر[6] فى أعلى درجاته و أدناها .

[و لما -[7]] كان ترك هذه الأوصاف الثلاثة : التقوى و طلب الوسيلة و الجهاد مزيلا للوصف الأول و هو الإيمان ، ناسب كل المناسبة تحذيرا من تركها ذكرُ حال الكفار و أنه لا تنفعهم[8] وسيلة فى تلك الدار فقال معللا لما قبله : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى بترك ما فى الآية السابقة ، و رتب الجزاء على الماضى زيادة فى التحذير ﴿ لو ان لهم ما فى الارض ﴾ و أكد ما أفهمه الكلام من استغراق الظرف و المظروف فقال : ﴿ جميعا ﴾ أى مما كان يطلب منهم شىء يسير جدا منه ، و هو الإذعان بتصديق الجنان و إنفاق الفضل من المال ، و زاد الأمر هولاً بقوله : ﴿ و مثله ﴾ و لما كان لدفع الفداء جملة ما ليس له مفرّقا قال : ﴿ معه ﴾ .

و لما كان المقصود تحقير ذلك بالنسبة إلى عظمة يوم التغابن و إن كان

(١) فى ظ : ان (٢) تكرر فى الأصل (٣) من ظ ، و فى الأصل : الجهاد (٤) فى ظ : ليكون (٥) فى ظ : شاربل - كذا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : لا ينفعهم .

عند[1] الكفار الذين جعلوا غاية أمرهم الحياة الدنيا أعظم ما يكون، و الإفهام بأن المراد بالمثل / الجنس ليشمل ما عساه[2] أن يفرض من الأمثال، / ٥٥ أعاد الضمير على هذين الشيئين على كثرتهما و عظمتهما مفردا[3]، فقال معبرا بالمضارع الدال على تجديد الرغبة فى المسألة على سبيل الاستمرار و[4] لأن السياق[5] للتصفين بالكفر و المحاربة لله و لرسوله صلى الله عليه و سلم ٥ و السعى فى الأرض بالفساد، و لذلك صرح بنفى القبول على الهيئة الآتية: ﴿ ليفتدوا به ﴾ أى يجددوا الافتداء فى كل لحظة، أى[4] بما ذكر ﴿ من عذاب يوم القيٰمة ﴾ .

و لما كان المراد تهويل الأمر بردّه، و كان ذلك يحصل بغير تعيين الرادّ، قال: ﴿ ما تقبل منهم[6] ﴾ بالبناء للمفعول، أى على حالة من ١٠ [6] الحالات و على يد من[6] كان، لأن المدفوع إليه ذلك تام القدرة و له الغنى المطلق .

و لما كان من النفوس ما[7] هو سافل[8] لاينكّبه الرد[8]، و كان الرد[9] لأجل إمضاء المُعَدّ من العذاب، قال مصرحا بالمقصود: ﴿ و لهم ﴾ أى بعد ذلك ﴿ عذاب اليم ٥ ﴾ أى بالغ الإيجاع بما أوجعوا أولياء الله بسترهم[10] ١٥ لما أظهروا من شموس[11] البيان، و انتهكوا من حرمات الملك الديان . ثم علل

(١) فى ظ : غير (٢) من ظ، و فى الأصل : سسناه - كذا (٣) فى ظ : منفردا . (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : المساق (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : من (٨ - ٨) فى ظ : لايعليه الراد (٩) فى ظ : الراد (١٠) من ظ، و فى الأصل : بستر لهم (١١) من ظ، و فى الأصل : شمول .

شدة إيلامه بدوامه فقال: ﴿ يريدون ان يخرجوا ﴾ أى يكون لهم خروج فى وقت ما إذا رفعهم اللهب[1] إلى أن يكاد أن يلقيهم خارجا ﴿من النار﴾ ثم نفى خروجهم على وجه التأكيد الشديد فقال: ﴿وما هم﴾ وأغرق فى النفى [2]بالجار واسم الفاعل فقال[2]: ﴿ [3]بخرجين منها[3] ﴾ أى ما يثبت لهم خروج أصلا، ولعله عبر فى النفى بالاسمية إشارة إلى أنه يتجدد لهم الخروج[4] من الحرور إلى الزمهرير، فان سمى أحد ذلك خروجا فهو غير مرادهم[5].

ولما كان المعذبون فى دار ربما دام لهم المكث فيها وانقطع عنهم[6] العذاب قال: ﴿ [2]ولهم[7] ﴾ أى خاصة دون عصاة المؤمنين ﴿ عذاب ﴾ أى تارة بالحر وتارة بالبرد وتارة بغيرهما، دائم الإقامة لا يبرح ولا يتغير ﴿ مقيم ﴾.

ولما كانت السرقة من جملة المحاربة والسعى بالفساد، وكان فاعلها غير متق ولا متوسل، عقب بها فقال: ﴿والسارق﴾ الآخذ لما هو فى حرز خفيةً لكونه لا يستحقه ﴿والسارقة﴾ أى كذلك[8]؛ ولما كان التقدير: وهما [9]مفسدان، أو[9] حكمهما فيما يتلى عليكم، سبب عنه قوله: ﴿ فاقطعوآ ﴾ و"ال[10]" - قال المبرد - للتعريف[11] بمعنى: الذى، والفاء[12] للسبب كقولك[12]:

---

(١) فى ظ: الكذب (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣ - ٣) تأخر فى ظ عن « العذاب قال » (٤) زيد بعده فى ظ: من الخروج (٥) من ظ، وفى الأصل: مراد (٦) فى ظ: عندهم (٧-٧) تأخر فى ظ عن « عصاة المؤمنين ». (٨) فى ظ: لذلك (٩ - ٩) فى ظ: مفسدون و (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ: التعريف (١٢ - ١٢) فى ظ: سبب كقوله.

الذى [1]يأتينى فله كذا كذا درهم[1] ﴿ ايديهما ﴾ أى [2]الأيامن من[2] الكوع إذا كان[3] المأخوذ ربع دينار فصاعدا من حرز مثله من غير شبهة له فيه - كما بين جميع ذلك النبى[4] صلى الله عليه و سلم - و يرد مع[5] القطع ما سرقه؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ جزآء بما كسبا ﴾ أى فعلا من ذلك، و إدالته[6] على أدنى وجوه السرقة وقاية للمال و هوانا لها للخيانة، و ديتها إذا قطعت فى غير حقها خمسمائة دينار وقاية للنفس من غير أن ترخصها الخيانة، ثم علل هذا الجزاء بقوله: ﴿ نكالا ﴾ أى منعا لها كما يمنع القيد ﴿ من الله[7] ﴾ أى الذى له جميع العظمة فهو المرهوب لكل مربوب، و أعاد الاسم الأعظم تعظيما للأمر فقال: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ عزيز ﴾ أى[3] فى انتقامه فلا يغالبه شىء ﴿ حكيم ﴾ أى بالغ الحكم و الحكمة فى شرائعه، فلا يستطاع الامتناع من سطوته و لا نقض شىء يفعله، لأنه يضعه فى أتقن مواضعه.

و لما ختم بوصفى [7]العزة و الحكمة[7]، سبب عنهما / قوله: ﴿ فمن تاب ﴾ أى ندم و أقلع، و دل على كرمه بالقبول فى أىّ وقت وقعت التوبة فيه و لو طال زمن المعصية باثبات الجار فقال: ﴿ من بعد ﴾ و عدل عن أن يقول "سرقته" إلى ﴿ ظلمه ﴾ تعميما للحكم فى كل ظلم، فشمل[8] ذلك فعل طعمة و ما ذكر بعده مما تقدم فى النساء و غير ذلك

/ ٥٦

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢ - ٢) فى ظ: الايامين مظن (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: بالنبى (٥) من ظ، و فى الأصل: ما (٦) فى الأصل: لذلته، و فى ظ: اوالوليمة - كذا (٧ - ٧) فى ظ: الحكمة و العزة (٧) فى ظ: شمل.

من كل ما يسمى ظلما ﴿ و اصلح ﴾ أى أوجد الإصلاح و أوقعه بردّ الظلامة و الثبات على الإقلاع ﴿ فان الله ﴾ أى بما له من كمال العظمة ﴿ يتوب عليه[1] ﴾ أى يقبل توبته و يرجع[1] به إلى أتم [2]ما كان[2] عليه قبل الظلم من سقوط عذاب[3] الآخرة دون عقاب الدنيا ، رحمة من الله له و رفقا به و بمن ظلمه و عدلا بينهما ، لا يقدر أحد أن يمنعه من ذلك و[4]لا يحول بينه و بينه لحظة ما ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله أزلا و أبدا ﴿ غفور رحيم ﴾ أى بالغ المغفرة و الرحمة ، لا مانع له من ذلك و لا من شىء منه [5]و لا من شىء[5] يريد فعله ، بل هو فعال لما يريد ، و الآية معطوفة على آية المحاربين ، و إنما فصل بينهما بما تقدم[6] لما ذكر من العلة الطالبة لمزيد العناية به[4] .

و لما كان معنى ذلك أنه لا اعتراض عليه سبحانه فى شىء من ذلك و لا مانع ، لأن قدرته تامة ، ليس هو كمن يشاهد من الملوك الذين ربما يعجزون من اعتراض أتباعهم و رعاياهم عن تقريب بعض ما لم يباشر إساءة ، و إبعاد بعض من لم يباشر إحسانا ، فكيف بغير ذلك ! قال تعالى مقررا لذلك بتفرده فى الملك : ﴿ الم تعلم ان الله ﴾ [أى -[7]] الذى له جميع العز ﴿ له ملك السمٰوٰت ﴾ أى على علوها [5]و ارتفاع سمكها[5] و انقطاع أسباب ما دونها منها ﴿ و الارض[1] ﴾ أى أن[4] الملك خالص له عن جميع الشوائب .

---

(١) فى ظ : ترجع (٢ـ٢) فى ظ : مكان (٣) فى ظ : عقاب (٤) سقط من ظ .
(٥ ـ ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) زيد من ظ .

و لما كان إيقاع النقمة أدل على القدرة ، وكان السياق لها لما تقدم من خيانة أهل الكتاب و كفرهم و قصة ابنى آدم و السرقة و المحاربة وغير ذلك ، قدم قوله [معللا لفعل ما يشاء بتمام الملك لا بغيره من رعاية لمصالح أو غيرها - [1]] : ﴿ يعذب من يشآء ﴾ أى من بنى إسرائيل الذين ادعوا البنوة و المحبة و غيرهم[2] و إن كان مطيعا ، أى له فعل [3]ذلك ، لأنه لا يقبح ٥ منه شيء ﴿ و يغفر لمن يشآء [4] ﴾ أى و إن كان عمله موبقا ، لأنه لا يتصور منه ظلم و لا يسوغ[3] عليه اعتراض .

و لما كان التقدير : لأنه قادر على ذلك ، عطف عليه قوله[4] : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل كمال ﴿ على كل شيء ﴾ [أىّ شيء - [1]] ﴿ قدير ٥ ﴾ أى ليس هو كغيره من الملوك الذين قد يعجز أحدهم عن ١٠ تقريب ابنه و تبعيد أعدى عدوه ، و هذه القضية الضرورية ختم بها ما دعت المناسبة إلى ذكره من الأحكام ، وكرّ بها على أتم انتظام إلى أوائل نقوض دعواهم [3]فى قوله[3] " بل انتم بشر ممن خلق " - الآية .

و لما تقرر ذلك ، كان من غير شك علةً لعدم الحزن على شيء من أمرهم و لا من أمر غيرهم ممن عصى شيئا من هذه الأحكام ، كما قال ١٥ تعالى " ما اصاب من مصيبة فى الارض و لا فى انفسكم الا فى كتب من قبل ان نبراها - إلى أن قال : لكيلا تاسوا على ما فاتكم[5] " ، فقوله : - ﴿ يآيها الرسول ﴾ أى المبلغ لما أرسل به - معلول لما قبله ، و أدل دليل

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : اى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : بقوله (٥) سورة ٥٧ آية ٢٢ و ٢٣ .

على ذلك قوله تعالى " و من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا "
﴿ لا يحزنك ﴾ أى لا يوقع عندك شيئا من الحزن صنعُ
/٥٧ ﴿ الذين يسارعون فى الكفر ﴾ / أى يفعلون فى إسراعهم فى الوقوع فيه غاية
الإسراع فعلَ من يسابق غيره ، و فى تبيينهم بالمنافقين و أهل الكتاب
٥ بشارة بإتمام[1] النعمة على العرب بدوام إسلامهم و نصرهم عليهم ، و قدم
أسوأ القسمين فقال : ﴿ من الذين قالوآ ءامنا ﴾ .

و لما كان الكلام هو النفسى ، أخرجه بتقييده بقوله : ﴿ بافواههم ﴾
معبرا لكونهم منافقين بما منه ما هو أبعد عن[2] القلب من اللسان ، فهم
إلى الحيوان أقرب منهم إلى الإنسان ، و زاد ذلك بيانا بقوله :
١٠ ﴿ و لم تؤمن قلوبهم ج ﴾ .

و لما بين المسارعين بالمنافقين ، عطف عليهم قسما آخر هم[3] أشد الناس
مؤاخاة لهم فقال : ﴿ و من الذين هادوا ج ﴾ أى [4]الذين عرفت[4] قلوبهم
و كفرت ألسنتهم تبعا لمخالفة قلوبهم لما تعرف عنادا و طغيانا ، ثم أخبر
عنهم بقوله : ﴿ سمّٰعون ﴾ أى متقبلون[5] غاية التقبل[6] بغاية الرغبة
١٥ ﴿ للكذب ﴾ أى من قوم من المنافقين يأتونك فينقلون عنك الكذب
﴿ سمّٰعون لقوم ءاخرين لا ﴾ أى الصدق ، ثم وصفهم بقوله : ﴿ لم ياتوك ط ﴾
أى لعلة[7] ، و ذكر الضمير لإرادة الكلام ، لأن[8] المقصود البغض على

---

(١) فى ظ : فاتمام (٢) من ظ ، و فى الأصل : على (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) فى ظ : الذين عرفنا (٥) فى ظ : متقلبون (٦) فى ظ : التقلب (٧) فى الأصل : لعلية ـ كذا (٨) فى الأصل : لانه ـ كذا .

نفاقهم[1] ﴿ يحرفون الكلم ﴾ أى الذى[2] يسمعونه عنك على وجهه[3] فيبالغون فى تغييره و إمالته بعد أن يقيسوا[4] المعنيين: المغير و المغير إليه، و اللفظين فلا يبعدوا به، بل يأخذون بالكلم عن حده و طرفه إلى حد آخر قريب منه جدا، و لذلك أثبت الجار فقال: ﴿ من بعد ﴾ أى يثبتون الإمالة من مكان قريب من[5] ﴿مواضعه ج﴾ أى[5] النازلة عن رتبته بأن[6] يتأولوه على غير تأويله، أو يثبتوا[7] ألفاظا غير ألفاظه قريبة منها، فلا يبعد[8] منها المعنى جدا، و هذا أدق [1]مكرا مما[9] فى النساء، و هو من الحرف و هو الحد و الطرف، و انحرف عن الشيء: مال عنه، قال الصغانى: و تحريف الكلام عن مواضعه: تغييره، و قال أبو عبد الله القزاز: و التحريف التفعيل، من: انحرف عن الشيء - إذا مال، فمعنى[10] حرفت الكلام: أزلته عن حقيقة ما كان عليه فى المعنى، و أبقيت[11] له شبه اللفظ، و منه قوله تعالى "يحرفون [الكلم" -[12]]، و ذلك أن اليهود كانت تغير معانى التوراة بالأشباه، و فى الحديث «يسلط[13] عليهم طاعون يحرف القلوب» أى يغيرها عن التوكل و يدعوهم[14] إلى الانتقال عن تلك البلاد، و حكى: حرفته عن جهته - أى بالتخفيف - مثل: حرّفته، و المحارفة: المقايسة، من المحراف و هو

(١) العبارة من «لعلة» إلى هنا ساقطة من ظ (٢) فى ظ: الذين (٣) فى ظ: وجهة (٤) فى ظ: تغتسوا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: بل (٧) فى ظ: تثبتوا.
(٨) من ظ، و فى الأصل: فلا تبعد (٩-٩) فى ظ: مكرها (١٠) من ظ، و فى الأصل: بمعنى (١١) فى ظ: ايقنت (١٢) زيد من ظ (١٣) فى ظ: تسلط.
(١٤) من ظ، و فى الأصل: يدعوها.

الميل الذى يقاس به الجراح - انتهى . فالآية من الاحتباك : حذف منها أولا الإتيان و أثبت عدمه ثانيا[1] للدلالة عليه، و حذف منها ثانيا الصدق و دل عليه باثبات ضده - الكذب - فى الأولى .

و لما كان كأنه قيل : ما غرضهم باثبات الكذب و تحريف الصدق ؟ قال : ﴿ يقولون ﴾ أى لمن يوافقهم ﴿ ان اوتيتم ﴾ أى من أىّ مؤت كان ﴿ هذا ﴾ أى المكذوب و المحرف ﴿ فخذوه ﴾ أى اعملوا به ﴿ و ان لم تؤتوه ﴾ أى بأن أوتيتم غيره أو سكت عنكم ﴿ فاحذروا[1] ﴾ أى بأن[2] تؤتوا غيره فتقبلوه .

و لما كان التقدير : فأولئك الذين أراد الله فتنتهم ، عطف عليه قوله : ﴿ و من يرد / الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ فتنته ﴾ أى أن يحل به ما يميله عن وجه سعادته بالكفر حقيقة أو مجازا ﴿ فلن تملك له من الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿ شيئا ﴾ أى من الإسعاد ، و إذا لم تملك ذلك[3] أنت و أنت أقرب الخلق[4] إلى الله فمن يملكه[5] !

٥٨ / ١٠

و لما كان هذا ، أنتج لا محالة قوله : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء من الهدى ﴿ الذين لم يرد الله ﴾ أى و هو الذى لا راد لما يريده و لا فاعل لما يرده[6] ، فهذه أشد الآيات على المعتزلة ﴿ ان يطهر قلوبهم[1] ﴾ أى بالإيمان[3] ، و الجملة كالعلة لقوله " فلن تملك له من الله شيئا " ؛ و لما ثبت[7]

(١) فى ظ : بايتا - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : الحق (٥) فى ظ : يملك (٦) فى الأصل و ظ : يريده .
(٧) فى ظ : اثبت .

أن قلوبهم نجسة ، أنتج ذلك قوله : ﴿ لهم فى الدنيا خزى ﴾ أى بالذل و الهوان، أما المنافقون فباظهار الأسرار و الفضائح الكبار و خوفهم من الدمار[1] ، و أما اليهود فبيان أنهم حرفوا و بدلوا و ضرب الجزية عليهم و غير ذلك من الصغار ﴿ و لهم فى الأخرة ﴾ التى من خسرها[2] فلا ربح له بوجه ما[3] ﴿عذاب عظيم ﴾ أى لعظيم ما ارتكبوه من هذه المعاصى المتضاعفة[4] .

و لما ذكر التحريف ، ذكر أثره و هو الحكم به فقال مكررا لوصفهم زيادة فى توبيخهم[5] و تقبيح شأنهم : ﴿ سمّعون ﴾ أى هم فى غاية الشهوة و الانهماك فى سماعهم[3] [ذلك -[6]] ﴿ للكذب اكلون ﴾ أى على وجه المبالغة ﴿ للسحت[4] ﴾ أى الحرام الذى يسحت البركة أى يستأصلها ، و هو كل ما لا يحل كسبه ، و ذلك أخذهم الرشى[7] ليحكموا بالباطل على نحو ما حرفوه وغيره من كلام الله ، قال الشيخ أبو العباس المرسى : و من آثر من الفقراء السماع لهواه ، و أكل ما حرمه مولاه ، فقد استهوته[3] نزغة يهودية ، فان القوال[8] يذكر[9] العشق و [10]المحبة و الوجد[10] و ما عنده منها شىء .

و لما كانوا قد يأخذون الرشوة و لا يقدرون على إبرام الحكم بما أرادوه ، فيطمعون فى أن يفعلوا ذلك بواسطة ترافعهم إلى النبى صلى الله عليه و سلم فيترافعون إليه ، فان حكم بينهم بما أرادوا قبلوه و احتجوا به على

(١) فى ظ : الدما - كذا (٢) فى ظ : خسر فيها (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : المتعاصفة (٥) فى ظ : توضيحهم (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : الربا (٨) فى ظ : القول (٩) تكرر فى الأصل (١٠ - ١٠) فى ظ : الوجد و المحبة .

مَنْ لعله يخالفهم ، و إن حكم بما لم يريدوه قالوا : ليس هذا فى ديننا - طمعا فى أن يخليهم فلا يلزمهم بما حكم ؛ أعلمه الله تعالى بما يفعل فى أمرهم ، و حذره غوائل مكرهم ، فقال مفوضا الخيرة إليه فى أمر المعاهدين إلى مدة - و أما أهل الجزية فيجب الحكم بينهم إذا ترافعوا إلى حاكمنا - مسببا عن أكلهم الحرام و سماعهم الكذب : ﴿ [1]فان جآءوك[1] ﴾ أى [2]طمعا فى أن تؤتيهم ما حرفوا إليه الكلم[2] ﴿ فاحكم بينهم ﴾ أى إن شئت بما أنزل الله عليك[3] من الحق ﴿ او اعرض عنهم ج ﴾ أى كذلك[4] .

و لما كان قوله : ﴿ و ان ﴾ دالا بعطفه على غير معطوف عليه أن التقدير : فان حكمت بينهم[5] لم ينفعوك شيئا لإقبالك عليهم ، قال : و إن ﴿ تعرض عنهم ﴾ أى الكفرة [كلهم -[6]] من المصارحين و المنافقين ﴿ فلن يضروك شيئا[7] ﴾ أى لإعراضك عنهم و استهانتك[7] بهم .

و لما كان هذا التخيير[8] غير مراد الظاهر فى جواز الحكم بينهم عند الترافع إلينا و عدمه ، بل معناه عدم المبالاة بهم ، أعرض عنهم أولا ، لحقيقته بيان العاقبة على تقديرى الفعل و الترك ، علّمه[9] كيف يحكم بينهم ، فقال عاطفا على ما قدرته : ﴿ و ان حكمت ﴾ أى فيهم ﴿ فاحكم ﴾ / أى أوقع الحكم[3] ﴿ بينهم بالقسط[7] ﴾ أى العدل الذى أراكه الله - على أن /٥٩

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢ - ٢) تأخر فى ظ عن « فاحكم بينهم » .
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : لذلك (٥) زيدت الواو بعده فى ظ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : استهانة (٨) فى ظ : التحذير (٩) من ظ ، و فى الأصل : علم .

الآية ليست فى أهل الذمة، و الحكم فى ترافع الكفار إلينا أنه إن كان منهم أو من أحدهم التزام لأحكامنا أم[1] منا التزام للذب[2] عنهم وجب، لقوله تعالى " فاحكم بينهم بما انزل الله و لا تتبع اهواءهم " و إلا لم يجب؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يحب المقسطين ﴾ أى الفاعلين للعدل السوى من غير حيف أصلا. ٥

و لما كان التقدير: فكيف يحكمونك[3] و هم يكذبونك و يدعون أنك مبطل، عطف عليه قوله معجبا منهم موبخا لهم: ﴿ و كيف يحكمونك ﴾ أى فى شىء من الأشياء ﴿ و عندهم ﴾ أى و الحال أنه عندهم ﴿ التورٰة ﴾ ثم استأنف قوله: ﴿ فيها حكم الله ﴾ أى الذى لا يدانى عظمته عظمةٌ، و هو الذى كان مقررا فى شرعهم أنه لا يسوغ خلافه، فان كانوا يعتقدون ذلك ١٠ إلى الآن لم يجز لهم العدول إليك على زعمهم، و إن كانوا لا يعتقدونه و يعتقدون أن حكمك هو الحق و لم يؤمنوا بك كانوا قد[4] آمنوا ببعض و كفروا ببعض.

و لما كان الإعراض عن حكمه سبحانه عظيما، [5]و كان وقوعه ممن يدعى أنه مؤمن به بعيدا عظيما[5] شديدا، قال: ﴿ ثم يتولون ﴾ أى ١٥ يكلفون أنفسهم الإعراض عنه سواء تأيد بحكمك به أو لا لأجل الأعراض الدنيوية؛ و لما كان المراد بالحكم الجنس، و كانوا يفعلون[6] بعض أحكامها[7]

---

(١) فى ظ: او (٢) فى ظ: للكذب (٣) فى ظ: يحكمون - كذا (٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ: يفعلونه (٧) من ظ، و فى الأصل: احكام.

فلم يستغرق زمانُ توليهم زمانَ البعد ، أدخل الجار لذلك فقال : ﴿من بعد ذلك﴾ أى الأمر العالى و هو الحكم الذى يعلمون[1] أنه حكم الله ، فلم يبق تحكيمهم لك من غير إيمان بك إلا تلاعبا .

و لما كان التقدير : فما أولئك بالمريدين للحق فى ترافعهم إليك ، عطف عليه قوله : ﴿ و ما اولئك ﴾ أى البعداء من الله ﴿ بالمؤمنين ﴾ أى العريقين[2] فى صفة الإيمان بكتابهم[3] و لا بغيره مما يستحق الإيمان [به -[4]] ، لأنهم لو كانوا عريقين[5] فى ذلك لآمنوا بك لأن كتابهم دعا إليك .

و لما تضمن هذا مدح التوراة ، صرح به فقال تأكيدا لذمهم فى الإعراض عما دعت إليه من أصل و فرع ، و تحذيرا من مثل حالهم : ﴿ انا انزلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ التورٰة ﴾ ثم استأنف قوله معظما لها : ﴿ فيها هدى ﴾ أى كلام يهدى بما يدعو إليه إلى[6] طريق الجنة ﴿ و نور ﴾ أى بيان لا يدع لبسا ، ثم استأنف المدح للعاملين بها فقال : ﴿ يحكم بها النبيون ﴾ و وصفهم بأعلى الصفات و ذلك الغنى المحض ، فقال مادحا لا مقيدا : ﴿ الذين اسلموا ﴾ أى أعطوا قيادهم لربهم سبحانه حتى لم يبق لهم اختيار أصلا ، و فيه تعريض بأن اليهود بعداء من الإسلام و إلا لاتبعوا أنبياءهم فيه ، فكانوا يؤمنون بكل من قام الدليل على نبوته .

و لما كان من المعلوم أن حكمهم بأمر الله لهم باتباع التوراة و مراعاتها ، عُلِمَ[7] أن التقدير : بما استحفظوا من كتاب الله ، فحذف لدلالة ما يأتى عليه

(١) من ظ ، و فى الأصل : تعلمون (٢) فى ظ : الفريقين (٣) فى ظ : لكتابهم .
(٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : غريقين (٦) فى ظ : من (٧) فى ظ : على .

و إشعار الإسلام به ، ثم بين المحكوم له تقييدا به إشارة إلى أنها ستنسخ فقال : ﴿ للذين هادوا ﴾ أى لمن التزم اليهودية ﴿ و الربّٰنيون ﴾ أى أهل الحقيقة ، منهم الذين انسلخوا من الدنيا و بالغوا فيما يوجب النسبة إلى الرب ﴿ و الاحبار ﴾ أى العلماء الذين أسلموا ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما . ٥

و لما كان سبب إسلام أمرهم[1] بالحفظ ، لا كونه من الله بلا واسطة ، بنى للمفعول قوله[2] : ﴿ استُحفظوا ﴾ أى[3] الأنبياء و من بعدهم ﴿ من كتٰب الله ﴾ أى بسبب ما طلبوا[4] منهم / و أمروا به من الحفظ لكتاب[5] الذى له جميع ٦٠ / صفات الكمال الذى هو صفته ، فعظمته من عظمته ، و حفظه : دراسته و العمل بما فيه ﴿ وكانوا ﴾ أى و بما كانوا ﴿ عليه شهدآء ﴾ أى رقباء حاضرين ١٠ لا يغيبون عنه و لا يتركون مراعاته أصلا ، فالآية[6] - كما ترى - من فن الاحتباك : ترك أولا « بما استحفظوا » لدلالة ما ذكر هنا عليه ، و ترك ذكر الإسلام هنا لدلالة ذكره أولا عليه ، و إنما[7] خص الأول بذكر الإسلام لأن الأنبياء أحق به ، و هو داع إلى الحفظ قطعا ، و خص الثانى بالاستحفاظ لأن الأتباع أولى به ، و هو دال على الإسلام . ١٥

و لما كان هذا كله ذما لليهود بما تركوا من كتابهم ، و مدحا لمن[8] راعاه[9] منهم ، وكان ذلك الترك إما لرجاء أو خوف ، قال مخاطبا لهذه الأمة

---

(١) فى ظ : اعزهم (٢) زيد بعده فى ظ : بما (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ : طلب .
(٥) فى ظ : للكتاب (٦) زيد بعده فى ظ : من الاحتباك (٧) فى ظ : ان (٨) فى ظ : لهم (٩) من ظ ، و فى الأصل : راعاهم .

كلها طائعها و عاصيها، محذرا لها من مثل حالهم و مرغبا فى مثل حال الأنبياء و التابعين لهم باحسان، مسببا عن ذلك: ﴿ فلا تخشوا الناس ﴾ أى فى العمل بحكم من أحكام الله ﴿ و اخشون ﴾ أى فان ذلك حامل لكم على العدل و الإحسان، فمن كان [منكم - [1]] مسلما طائعا فليزدد طاعة، و من لم يكن كذلك[2] فليبادر بالانقياد و الطاعة، و هذا شامل لليهود و غيرهم.

و لما قدم الخوف لأنه أقوى تأثيرا أتبعه الطمع فقال: ﴿ و لا تشتروا ﴾ و لما كان الاشتراء معناه اللجاجة فى أخذ شيء بثمن، و كان المثمن [3]أشرف من الثمن[3] من حيث أنه المرغوب فيه، جعل الآيات مثمنا و إن اقترنت[4] بالباء، حتى يفيد الكلامُ التعجبَ[5] من الرغبة عنها، و أنها لا يصح[6] كونها ثمنا فقال: ﴿ بآيتى ثمنا قليلا [1] ﴾ أى من الرشى و غيرها لتبدلوها[7] كما بدل أهل الكتاب.

و لما نهى عن الأمرين، و كان ترك الحكم[8] بالكتاب إما لاستهانة أو لخوف أو رجاء أو شهوة، رتب ختام الآيات على الكفر [3]و الظلم[3] و الفسق؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما: من جحد حكم الله كفر، و من لم يحكم به و هو مقر فهو ظالم فاسق. فلما كان التقدير: فمن حكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون، عطف عليه ما أفهمه من قوله:

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: لذلك (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) فى ظ: اقتربت (٥) فى ظ: التعجيب (٦) فى ظ: لا تصح (٧) فى ظ: لتبدلونها (٨) فى ظ: المحكم.

و من

﴿ و من لم يحكم ﴾ أى[1] يوجد الحكم و يوقعه على وجه الاستمرار ﴿ بما انزل الله ﴾ أى الذى له الكمال كله فلا أمر لأحد معه تدينا بالإعراض عنه ، أعم من أن يكون تركه [له -[2]] حكما[3] بغيره أو لا ﴿ فاولئك ﴾ أى البعداء من كل خير ﴿ هم الكفرون ٥ ﴾ أى المختصون بالعراقة فى الكفر ، وهذه الآيات من قوله تعالى " يأيها الرسول لا يحزنك [الذين يسارعون فى الكفر " -[2]] إلى هنا نزلت فى الزنا ، و لكن لما كان السياق للمحاربة ، و كان كل من القتل و قطع الطريق و السرقة محاربة ظاهرة مع كونه فسادا ، صرح به ؛ و لما كان الزنا محاربة خفية بالنظر إلى فحشه و حرمته و جرّه فى بعض الصور إلى المحاربة ، و غير محاربة بالنظر إلى كونه فى الغالب عن تراض ، و صاحبه غير متزىّ بزىّ المحاربين ، لم يصرح فى هذه الآيات باسمه و إن كانت نزلت فيه ؛ روى البيهقى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن عمر رضى الله عنه أنه قال فى خطبته : إن الله بعث محمدا و أنزل عليه كتابا[4] ، وكان فيما أنزل عليه آية الرجم فتلوناها و وعيناها " الشيخ و الشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله و الله عزيز حكيم " و قد رجم رسول الله صلى الله عليه و سلم و رجمنا بعده - الحديث . و فى آخره : و لولا أنى[1] أخشى أن يقول الناس : زاد فى كتاب / الله ، لأثبته فى حاشية المصحف . و أصله فى الصحيحين و غيرهما ، و للحاكم و الطبرانى عن أبى أمامة بن سهل عن خالته العجماء رضى الله عنها بلفظ : الشيخ و الشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا[6] من اللذة . و فى صحيح ابن حبان عن أبى بن كعب

/ ٦١

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : حكمها (٤) فى ظ : كتاب (٥) فى ظ : قضيتا (٦) زيد بعده فى ظ : و الشهوة ، و ليست الزيادة فى الحاكم ولا الطبرانى.

رضى الله عنه أنه قال لزرّ بن حبيش: كم تعدون سورة الأحزاب من آية[1]؟ قال: قلت: ثلاثا و سبعين، قال: و الذى يحلف به! كانت سورة الأحزاب توازى سورة البقرة، و كان فيها آية الرجم: الشيخ و الشيخة ـ الحديث. و للشيخين: البخارى فى مواضع، و مسلم و أحمد و أبى داود - [2]و هذا لفظه ـ و الدارمى[2] و الترمذى فى الحدود و النسائى فى [الرجم - [3]] عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: إن اليهود جاؤا إلى النبى صلى الله عليه و سلم فذكروا[4] [له - [5]] أن رجلا منهم و امرأة زنيا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم: ما تجدون فى التوراة فى شأن الزنا؟ فقالوا: نفضحهم و يجلدون ـ و فى رواية: فقال[6]: لا تجدون فى التوراة الرجم؟ فقالوا: لا نجد فيها شيئا ـ فقال عبد الله بن سلام رضى الله عنه: كذبتم، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فأتوا بالتوراة، فنشروها فجعل أحدهم ـ و فى رواية: مدراسُها[7] الذى يدرسها منهم - يَدَه[6] على آية الرجم فجعل يقرأ ما قبلها و ما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفعها فقال: ما هذه؟ فاذا فيها آية الرجم، فقالوا: صدق يا محمد! فيها آية الرجم، [8]فأمر بهما[8] رسول الله صلى الله عليه و سلم فرجما، قال عبد الله

(١) فى ظ: انه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: و ذكروا (٥) زيد من سنن أبى داود ـ كتاب الحدود (٦) سقط من ظ (٧) من صحيح البخارى ـ التفسير، و فى الأصل و ظ: مدارسها ـ كذا (٨ - ٨) فى ظ: فامرهما.

ابن عمر رضى الله عنهما : فرأيت الرجل يحنأ[1] على المرأة يقيها الحجارة . و فى لفظ للبخارى فى التفسير أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : لا تجدون فى التوراة الرجم ؟ فقالوا : لا نجد فيها شيئا ، فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتم ! فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . و فى لفظ له فى التوحيد - و هو رواية أحمد - أن النبى صلى الله عليه وسلم هو الذى قال : فأتوا[2] بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين . و لأبى داود عن ابن عمر أيضا رضى الله عنهما قال : أتى نفر من اليهود فدعوا رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى القف ، فأتاهم فى بيت[3] المدراس فقالوا[3] : يا أبا القاسم ! إن رجلا منا زنى بامرأة فاحكم ، فوضعوا لرسول الله صلى الله عليه و سلم وسادة فجلس عليها ثم قال : ائتونى[4] بالتوراة ، فأتى بها فنزع الوسادة من تحته [5]و وضع[5] التوراة عليها ثم قال : آمنت بك و بمن أنزلك ، ثم قال : ائتونى بأعلمكم ، فأتى بفتى شاب - فذكر قصة الرجم نحو الذى قبله ، و سكت عليه أبو داود

---

(١) أى يكب و يميل عليها ليقيها من الحجارة ، و روى : يجنى و يجانئ و يحنى ؛ جنأ و أجنأ و جانى بمعنى ، و فى النهاية : فان كانت بالحاء فهى من حنى ظهره - إذا عطفه ، وإن كانت بالجيم فهى من جنا الرجل على الشىء إذا أكب عليه و هما متقاربان ، و الذى قرأناه فى كتاب مسلم بالجيم و فى كتاب الحميدى بالحاء . قال الخطابى : الذى جاء فى كتاب السنن يجنى يعنى بالجيم ، والمحفوظ إنما هو يحنى بالحاء ، أى يكب عليها يقال : حنا يحنو حنوًا (٢) من صحيح البخارى ، و فى الأصل و ظ : فايتوا (٣ - ٣) من سنن أبى داود - كتاب الحدود ، و فى الأصل و ظ : المدارس فقال (٤) من ظ و السنن ، و فى الأصل : ايتوا (٥ - ٥) فى السنن : فوضع .

والحافظ المنذرى فى مختصره[1] و سنده حسن ، و لمسلم و أبى داود[2] - و هذا لفظه - و النسائى و ابن ماجه عن[3] البراء بن عازب رضى الله عنهما قال : مر [4]رسول الله صلى الله عليه و سلم بيهودى[4] محمم[5] . فدعاهم فقال : هكذا تجدون حد الزانى ؟ فقالوا : نعم ، فدعا رجلا من علمائهم فقال : نشدتك ٥ بالله الذى أنزل التوراة على موسى أهكذا[6] تجدون حد الزانى فى كتابكم ؟ فقال : اللهم ! لا ، و لو لا أنك نشدتنى[7] بهذا لم أخبرك ، نجد حد الزانى فى كتابنا الرجم ، و لكنه كثر فى أشرافنا فكنا إذا أخذنا الرجل الشريف تركناه ، و إذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه / الحد ، فقلنا : تعالوا فنجتمع ٦٢/ على شىء نقيمه على الشريف و الوضيع ، فاجتمعنا على التحميم و الجلد ١٠ و تركنا الرجم ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اللهم[6] إنى أول من أحيى أمرك إذ أماتوه[8] ، فأمر به فرجم ، فأنزل الله عز و جل "يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر - إلى قوله : يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه و ان لم تؤتوه فاحذروا[9] - إلى قوله : و من لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكفرون" فى اليهود - إلى قوله : "و من لم يحكم بما انزل الله ١٥ فاولئك هم الظلمون" فى اليهود - إلى قوله : و من لم يحكم بما انزل الله

(١) فى ظ : المختصر (٢) من ظ ، و فى الأصل : ابوداود (٣) من ظ ، و فى الأصل « و » (٤ - ٤) فى السنن : على رسول الله صلى الله عليه و سلم يهودى .
(٥) أى مسود الوجه ، من الحممة : الفحمة ، و فى ظ : محم (٦) سقط من ظ .
(٧) فى ظ : تنشدنى (٨) من ظ و السنن ، و فى الأصل : اماتوا (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و السنن فحذفناها .

فاولئك هم الفسقون "[قال : هى - [1]] فى الكفار كلها - يعنى هذه الآية . و روى الدارقطنى فى آخر[2] النذور من السنن عن جابر رضى الله عنه قال: أتى النبى صلى الله عليه و سلم بيهودى[3] و يهودية قد زنيا ، فقال لليهود : ما يمنعكم أن تقيموا[4] عليهما الحد ؟ فقالوا : كنا نفعل[5] إذا كان الملك لنا[5] ، فلما أن[6] ذهب ملكنا[7] [8]فلا نجترى[8] على الفعل ، فقال لهم : ائتونى بأعلم رجلين فيكم ، فأتوه بابنى صوريا ، فقال لهما : أنتما[9] أعلم من ورائكما[10]؟ قالا : يقولون ، قال : فأنشدكما بالله الذى أنزل التوراة على موسى كيف تجدون حدهما فى التوراة ؟ فقالا[11]: الرجل مع المرأة زنية[12] و فيه عقوبة ، و الرجل على بطن المرأة زنية[12] و فيه عقوبة ، فاذا شهد أربعة أنهم رأوه [يدخله فيها كما - [13]] يدخل الميل فى المكحلة رُجِمَ ؛ قال : ائتونى بالشهود ، فشهد[14] أربعة ، فرجمهما النبى صلى الله عليه و سلم - انتهى . و هذه الآية ملتفتة إلى آية "يايها الذين آمنوا اتقوا الله و ابتغوا اليه الوسيلة" - الآية و التى بعدها أىّ التفات ، و ذلك أن هؤلاء لما تركوا هذا الحكم ، جرّهم إلى الكفر ، و ليس فى هذه الروايات - كما ترى - تقييد الرجم بالإحصان ،

(١) زيد من ظ و السنن (٢) سقط من ظ (٣) من سنن الدارقطنى ، و فى الأصل و ظ : يهودى (٤) من ظ والسنن ، و فى الأصل : تقيما (٥-٥) فى السنن : اذ كان ذلك فينا (٦) ليس فى ظ والسنن (٧) فى ظ : الملك عنا (٨-٨) من السنن ، و فى الأصل : فلا يجترش ، و فى ظ : قد نجترى (٩) فى السنن : أنتم (١٠) زيد بعده فى ظ : كما (١١) من السنن ، و فى الأصل و ظ : فقال (١٢) من ظ و السنن ، و فى الأصل : ربيبة - كذا (١٣) زيد من السنن (١٤) فى ظ : فشهدوا .

وكذا هو فيما هو موجود عندهم فى[1] التوراة ، قال فى السفر الثالث وغيره : ثم كلم الله موسى وقال له : قل لبنى إسرائيل: [أىُّ رجل من بنى إسرائيل-[2]] ومن الذين يقبلون إلى [أىّ - [2]] ويسكنون بين بنى إسرائيل ألقى زرعه فى أمراة غريبة يقتل ذلك الرجل ، فليرجمه[3] جميع الشعب بالحجارة ، وأنا أيضا أنزل غضبى بذلك الرجل وأهلكه من شعبه ، لأنه ألقى زرعه فى غريبة وأراد أن ينجس مقدسى وأن ينجس اسم قدسى ، فان غفل شعب الأرض[4] عن الرجل الذى ألقى زرعه فى غريبة ولم يوجبوا عليه القتل أنزل غضبى بذلك الرجل وبقبيلته وأهلكه وأهلك من يضل به ، لأنهم ضلوا بنساء غريبات لسن[5] لهم بحلال ، ثم قال : الرجل الذى يأتى امرأة صاحبه وامرأة رجل غريب يقتلان جميعا ، والرجل الذى يرتكب ذكرا مثله فيرتكب منه ما يرتكب من النساء فقد ارتكبا[6] نجاسة ، يقتلان ودمهما فى أعناقهما ، والرجل الذى يتزوج امرأة وأمها فقد ارتكب خطيئة ، يحرق بالنار هو[7] وهما ، والرجل الذى يرتكب من البهيمة ما يرتكب من النساء يقتل قتلا ، والبهيمة ترجم أيضا ، والمرأة التى ترقد[7] بين يدى البهيمة لترتكب منها البلاء تقتل المرأة والبهيمة جميعا ، يقتلان ودمهما فى أعناقهما ، والرجل الذى يأتى امرأة طامثا ويكشف عورتها ، قد كشف عن ينبوعها وهى أيضا كشفت عن ينبوع دمها ،

(١) فى ظ : من (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فلا ترجمه (٤) من ظ والتوراة ، وفى الأصل : الآن (٥) من ظ ، وفى الأصل : ليس (٦) فى ظ : اكتسبا . (٧) سقط من ظ .

/ يهلكان جميعا من شعبهما[1]، وقال: والرجل الذى يأتى امرأة أبيه ٦٣/
قد كشف[2] هذا عورة أبيه، يقتلان جميعا ودمهما فى أعناقهما، والرجل
الذى يأتى كنّته[3] يقتلان[4] كلاهما، لأنهما ارتكبا خطيئة، ودمهما
فى أعناقهما، والرجل الذى[5] يتزوج أخته من أمه أو من أبيه ويرى
عورتها وترى عورته، هذا عار شديد، يقتلان قدام شعبهم، وذلك ٥
لأنه كشف عورة أخته، يكون إثمهما فى رؤسهما، لا تكشفن عورة
عمتك ولا خالتك! لأنهما قرابتك، ومن فعل ذلك يعاقب بأثم فضيحته[6]،
والرجل الذى يأتى امرأة عمه قد كشف عورة عمه يعاقبان بخطيئتهما
ويموتان[7]، والرجل الذى يتزوج امرأة أخيه قد ارتكب إثما، لأنه
كشف عورة أخيه يموتان، بل وصرح برجم البكر فقال فى السفر ١٠
الخامس فيمن تزوج بكرا فادعى أنه وجدها ثيبا: فان[8] كان قذفه إياها حقا
ولم يجدها عذراء تخرج الجارية إلى بيت أبيها، ويرجمها أهل القرية بالحجارة
وتموت[9]، لأنها ارتكبت حوبا بين يدى[5] بنى إسرائيل وزنت فى بيت أبيها،
نحوّا الشر عنكم، وإن وجد رجل[10] يسفح بامرأة رجل يقتلان[11] كلاهما:
الرجل والمرأة[4]؛ بل صرح برجم البكر المكرهة فقال عقب ما تقدم: وإن ١٥
كان لرجل[12] خطيبة بكر لم يبتن[13] بها بعد، فخرجت خارجا فظفر بها

(١) فى ظ: شعبها (٢) زيد بعده فى ظ: عن (٣) فى ظ: لبنته (٤) زيد بعده فى ظ: جميعا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: فضيحة (٧) فى ظ: يلومان (٨) من ظ، وفى الأصل: وان (٩) فى ظ: يموت (١٠) فى ظ: رجلا (١١) فى ظ: تقتلان (١٢) فى ظ: الرجل (١٣) فى ظ: لم يبين.

رجل و قهرها و ضاجعها، يخرجان جميعا و يرجمان حتى يموتا، و إنما تقتل الجارية مع الرجل لأنها لم تصرخ و لم تستغث[1] - انتهى. فالأحاديث المفيدة بالإحصان فى هذه القصة ينبغى أن تكون مرجوحة، لأن رواتها ظنوا أن الجادة[2] الإسلامية شرع لهم.

٥ و لما كان ختامُ هذه[3] الآيات فى ترهيب المُعرِض عن الحكم بما أنزل الله مطابقا لقوله فى أول سياق المحاربة "ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون" رجع إلى القتل مبينا أنهم بدلوا فى القتل كما بدلوا فى الزنا، ففضلوا بنى النضير على بنى قريظة، فقال: ﴿ و كتبنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿عليهم فيها﴾ أى [فى -[4]] التوراة، [5]عطفا على

١٠ قوله "كتبنا على بنى اسراءيل انه[3] من قتل نفسا بغير نفس"، [6]و إذا أنعمت[6] النظر وجدت ما بينهما لشدة اتصاله و قوة الداعية إليه كأنه اعتراض ﴿ ان النفس ﴾ أى مقتولة قصاصا مثلا بمثل ﴿ بالنفس[7] ﴾ أى بقتل النفس بغير وجه مما تقدم ﴿ و العين ﴾ أى تقلع ﴿ بالعين ﴾ أى قلعت بغير شبهة ﴿ و الانف ﴾ يجدع ﴿ بالانف ﴾ كذلك[7]

١٥ ﴿ و الاذن ﴾ تصلم ﴿ بالاذن ﴾ على ما تقدم ﴿ و السن ﴾ تقلع ﴿بالسن[7] ﴾ إذا قلعت عمدا بغير حق ﴿و الجروح﴾ أى[3] التى تنضبط كلها ﴿ قصاص[8] ﴾ مثلا بمثل سواء بسواء.

و لما أوجب سبحانه هذا، رخص[8] لهم فى النزول عنه، فسبب عن

---

(١) من ظ : و فى الأصل : لم تستغيث (٢) فى ظ : الحادة (٣) سقط من ظ.
(٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى ظ (٦-٦) فى ظ : فاذا امعنت (٧) فى ظ : لذلك (٨) من ظ، و فى الأصل : ارخص.

ذلك قولـه: ﴿ فمن تصدق به ﴾ أى عفا عن القصاص ممن يستحقه سواء كان هو المجروح إن كان باقيا أو وارثه إن كان هالكا ﴿ فهو ﴾ أى التصدق بالقصاص ﴿ كفارة له[4] ﴾ أى ستارة لذنوب[1] هذا العافى[2] و لم يجعل لهم دية، إنما هو القصاص أو[3] العفو، فمن حكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون لانقيادهم فى هذا الأمر الصعب لأمر الله ﴿ و من لم يحكم ﴾ ٥ أى على وجه الاستمرار ﴿ بما انزل الله ﴾ أى الذى لا كفوء له فلا أمر لأحد معه لخوف أو رجاء، [4]أو تدينا[4] بالإعراض عنه سواء حكم بغيره[5] أو لا ﴿ فاولئك ﴾ اى البعداء عن طريق الاستقامة، البغضاء إلى أهل الكرامة ﴿ هم الظلمون ﴾ أى الذين تركوا العدل فضلّوا، فصاروا كمن يمشى فى الظلام، فان كان تدينا بالترك / كان[6] نهاية الظلم و هو ١٠ / ٦٤ الكفر، و إلا كان عصيانا، لأن الله أحق أن يخشى و يرجى؛ روى ابن إسحاق فى السيرة فى تحاكمهم فى الزنا نحو ما تقدم ثم قال: و حدثنى داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الآيات من المائدة التى قال الله[7] فيها " فاحكم بينهم او اعرض عنهم - إلى: المقسطين " إنما نزلت فى الدية بين بنى النضير و بنى قريظة، و ذلك أن ١٥ قتلى بنى النضير - [و -[8]] كان لهم شرف - يؤدون[9] الدية كاملة، و أن

(١) من ظ، و فى الأصل: لذنوبه (٢) فى ظ: المعافى (٣) فى ظ «و» (٤-٤) فى ظ: بدنيا (٥) فى ظ: لغيره (٦) فى ظ: فان (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ و تفسير الطبرى حيث سيقت هذه الرواية (٩) زيد بعده فى الأصل: الى، ولم تكن الزيادة فى ظ و سنن النسائى ٧١٣ و الطبرى فحذفناها.

بنى قريظة [كانوا -[1]] يؤدون نصف الدية ، فتحاكموا [فى ذلك -[2]] إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأنزل الله ذلك فيهم ، فحملهم رسول الله صلى الله عليه و سلم على الحق فى ذلك فجعل الدية[3] سواء . قال ابن إسحاق : فالله أعلم أىّ ذلك كان ! و أخرجه النسائى فى سننه من طريق ابن إسحاق ،

٥ و روى من طريق آخر عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا[4] ، قال : كان قريظة و النضير ، و كان النضير أشرف من قريظة ، [5]و كان إذا قتل رجل من قريظة رجلا من النضير قُتِل به ، و إذا قتل رجل من النضير رجلا من قريظة[5] أدى مائة وسق [من -[6]] تمر ، فلما بعث النبى صلى الله عليه و سلم قتل رجل من النضير رجلا من قريظة فقالوا : ادفعوه[7]

١٠ إلينا نقتله ، فقالوا : بيننا و بينكم [النبى صلى الله عليه و سلم -[8]] ، فأتوه فنزلت " وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط " ، [و القسط -[9]] : النفس بالنفس ، ثم نزلت " افحكم الجاهلية يبغون " - انتهى .

و هذا نص ما عندهم من التوراة فى القصاص ، قال فى السفر الثانى : وكل من ضرب رجلا فمات فليقتل قتلا ، و إذا تشاجر رجلان فأصابا[10] امرأة

١٥ حبلى فأخرجا[11] جنينها و لم تكن الروح حلت فى السقط بعد ، فليغرم على قدر ما يلزمه زوج المرأة ، و ليؤد ما حكم عليه الحاكم ، فان كانت الروح حلت فى السقط فالنفس بالنفس و العين بالعين و السن بالسن و اليد باليد و الرجل بالرجل

---

(١) زيد من ظ و السنن و الطبرى (٢) زيد من السنن و الطبرى (٣) زيد فى الطبرى فقط : فى ذلك (٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٦) زيد من ظ و السنن (٧) فى ظ : ادفعوا (٨) زيد من ظ و السنن ، إلا أن « صلى الله عليه وسلم » ليس فى ظ (٩) زيد من السنن (١٠) فى ظ : فاصاب (١١) فى ظ : و اخرجا .

و الجراحة بالجراحة و اللطمة باللطمة ؛ و قال فى السفر الثالث بعد ذكر الأعياد فى الأصحاح السابع عشر[١] : و من قتل إنسانا يقتل ، و من قتل بهيمة يدفع إلى صاحبها مثلها ، و الرجل يضرب صاحبه و يؤثر فيه أثرا يعاب به يصنع به كما صنع ، و الجروح قصاص : الكسر بالكسر و العين بالعين و السن بالسن ، كما يصنع الإنسان بصاحبه كذلك يصنع به ، ٥ القضاء واحد لكم و للذين يقبلون إلىّ ؛ و قال فى الثانى : إذا ضرب الرجل عين عبده أو أمته ففقأها فليعتقه بدل عينه ، و إذا قلع[٢] سن عبده أو أمته فليعتقه بدل سنه - و ذكر أحكاما كثيرة ، ثم قال : و من ذبح للأوثان فيهلك ، بل لله وحده ؛ و[٣] قال فى الرابع : و من يقتل نفسا لا يقتل إلا ببينة عادلة ، و لا تقبل[٤] شهادة شاهد[٥] واحد على قتل النفس ، و لا تقبلوا[٦] رشوة ١٠ فى إنسان يجب عليه القتل بل يقتل ، و لا تأخذوا منه رشوة ليهرب إلى قرية [إلى -[٧]] الملجأ ليسكنها إلى وفاة الحبر العظيم ، و لا تنجسوا الأرض التى تسكنونها ، لأن الدم ينجس الأرض ، و الأرض التى يسفك فيها الدم [٨]لا يغفر[٨] لتلك الأرض حتى يقتل القاتل الذى قتل ؛ و قال فى الخامس : و لا يقتل من قد وجب عليه القتل إلا[٩] بشهادة رجلين ، ١٥

(١) فى الأصل و ظ : العشر ، و الأحكام الآتية إنما هى فى الأصحاح الرابع و العشرين فيما عندنا من نسخ التوراة (٢) فى ظ : بلغ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ثم (٤) فى ظ : لا يقبل (٥) سقط من ظ (٦) زيد بعده فى ظ : شهادة شاهد واحد على قتل النفس و لا تفعلوا (٧) زيد من ظ (٨ - ٨) فى ظ : ليغفر . (٩) من ظ ، و فى الأصل : لا .

لا يقتل بشهادة رجل واحد ، و إذا رجمتم فالذى يُشهَدُ عليه فليبدأ برجمه الشهود أولا ثم يبدأ به جميع الشعوب ، و أهلكوا الذين يعملون الشر و استأصلوهم من بينكم ، و إن شهد رجل على صاحبه شهادة زور / يقوم الرجلان قدام الحبر و القاضى فيفحصون[1] عن أمرهما فحصا شديدا ، فان وجدوا رجلا شهد شهادة زور يصنعوا[2] به مثل ما أراد أن يصنع باخيه ، و نحوّا الشر من بينكم ، و عاقبوا بالحق ليسمع الذين يتقون فيفزعوا و لا يعودوا أن يفعلوا مثل هذا الفعل القبيح بينكم ، و[3] لا تشفق أعينكم[3] على الظالم ، بل يكون قضاؤكم نفسا بنفس و عينا بعين و سنا بسن و يدا بيد و رجلا برجل .

٦٥ /

و لما كانت هذه الآيات كلها - مع ما فيها من الأسرار - ناقضة أيضا لما ادعوا من البنوة بما ارتكبوه من الذنوب من تحريف كلام الله و سماع الكذب و أكل السحت و الإعراض عن أحكام التوراة و الحكم بغير حكم الله ، أتبعها ما[4] أتى به عيسى عليه السلام الذى ادعى فيه النصارى البنوة الحقيقية و الشركة فى الإلهية ، و قد أتى بتصديق التوراة فى الشهادة على من خالفها من اليهود بالتبرئ[5] من الله ، مؤكدا لما فيها من التوحيد الذى هو عماد الدين و أعظم آياتها التى أخذت عليهم بها العهود و وضعت فى تابوت الشهادة[6] الذى كانوا يقدمونه أمامهم فى الحروب ، فان كانوا باقين على ما فيه من الميثاق نصروا و إلا خذلوا ، و ناسخا لشريعتهم مجازاة لهم

(١) فى ظ : فيخصبون - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : يصنعون (٣-٣) فى ظ : لا سفق لى عينكم - كذا (٤) فى ظ : بما (٥) فى ظ : من التبر - كذا .
(٦) سقط من ظ .

من

من جنس ما كانوا يعملون من التحريف ، و شاهدا[1] على[2] من أطراه بالضلال فقال : ﴿ و قفينا ﴾ إلى آخرها ، و كذا [كل - [3]] ما بعدها من آياتهم إلى آخر السورة ، لا تخلو آية منها من التعرض[4] إلى نقض[4] دعواهم لها بذكر ذنب ، أو ذكر عقوبة عليه ، أو ذكر تكذيب لهم من كتابهم أو نبيهم ، و المعنى : أوجدنا[5] التقفية ، و هى اتباع شىء [بشىء - [3]] تقدّمه[6] ، فيكون أتيا فى قفاه لكونه وراءه ، و إلقاؤه فى مظهر العظمة لتعظيم شأن عيسى عليه السلام ﴿ على آثارهم ﴾ أى النبيين الذين يحكمون بالتوراة ، و ذكرُ الأثر يدل على أنهم كانوا قد تركوا دينهم ، لم يبق منه إلا رسم خفى ﴿ بعيسى ﴾ و نسبه إلى أمه إشارة إلى أنه لا[7] و الد له تكذيبا لليهود ، و إلى أنه عبد مربوب تكذيبا للنصارى ، فقال : ﴿ ابن مريم مصدقا ﴾ أى عيسى عليه السلام فى الأصول و كثير من[8] الفروع ﴿ لما بين يديه ﴾ أى مما أتى به موسى عليه السلام قبله ﴿ من التورٰىة ص ﴾ و أشار إلى أنه ناسخ لكثير من أحكامها بقوله : ﴿ و اٰتينٰه الانجيل ﴾ أى أنزلناه بعظمتنا عليه كما أنزلنا التوراة على موسى عليه السلام .

و [لما - [3]] كان فى الإنجيل المحكم الذى يفهمه كل أحد ، و المتشابه الذى لا يفهمه إلا الأفراد من خلص العباد ، و لا يقف بَعْدَ فهمه عند حدوده إلا المتقون ، قال مبينا لحاله : ﴿ فيه ﴾ أى آتيناه[9] إياه بحكمتنا و عظمتنا كائنا[9]

(١) فى ظ : شاهدوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : عن (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : اوجبنا (٦) فى ظ : يقدمه (٧) سقط من ظ . (٨) من ظ ، و فى الأصل : فى (٩-٩) فى ظ : بعظمتنا الايتا - كذا .

فيه ﴿ هدى ﴾ أى و هو المحكم، يهتدى به كل أحد[1] سمعه إلى صراط مستقيم ﴿ و نور[2] ﴾ أى حسن بيان كاشف للمشكلات[2]، لا يدع بذلك الصراط لبسا .

و لما كان الناسخ للشيء بتغيير حكمه قد يكون مكذبا له، أعلم أنه ليس كذلك، بل هو مع[3] النسخ للتوراة مصدق لها فقال - أى[3] مبينا لحال الإنجيل عطفا على محل "فيه هدى" - : ﴿ و مصدقا[4] ﴾ أى الإنجيل بكماله ﴿ لما بين يديه ﴾ و لما كان الذى نزل قبله كثيرا، عين[5] المراد بقوله : ﴿ من التورٰة ﴾ فالأول صفة لعيسى عليه السلام، و الثانى صفة لكتابه، بمعنى أنه هو[3] و التوراة و الإنجيل متصادقون، فكل من الكتابين يصدق الآخر و هو يصدقهما، لم يتخالفوا فى شيء، بل هو متخلق[6] بجميع ما أتى به .

و لما كان المتقون خلاصة الخلق، فهم الذين يُنزِلون كل ما فى كتب الله من محكم و متشابه على ما يتحقق به أنه هدى و يتطابق / به المتشابه و المحكم، وكان قد بين أن فيه من الهدى ما يسهل به رد المتشابه إليه فصار بعد البيان كله هدى، قال معمما بعد ذلك التخصيص[7] : ﴿ و هدى و موعظة للمتقين ﴾ أى كل ما فيه يهتدون به[3] و يتعظون فترق قلوبهم و يعتبرون به و ينتقلون مترقين من حال عالية إلى حال أعلى منها .

٦٦ /

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : للشك (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و القرآن المجيد، و فى الأصل : مصدق (٥) فى ظ : عنى (٦) من ظ، و فى الأصل : متخلف . (٧) فى ظ : بالتخصيص .

ذكرُ بعض[1] ما يدل على ذلك من الإنجيل الذى بين ظهرانى النصارى الآن و قد مزجتُ فيه [2]كلام بعض[2] الأناجيل ببعض و أغلب السياق لمتى، و عينتُ بعض ما خالفه، قال لوقا: و جاء إليه قوم و أخبروه خبر الجليليين الذين خلط بيلاطس دماءهم مع دماء ذبائحهم[3]، فأجاب يسوع و قال لهم: لا تظنوا أن أولئك الجليليين [4]أشد خطأ من كل الجليليين[4] إذا أصابتهم هذه الأوجاع، لا أقول لكم، إن لم تتوبوا كلكم أنتم تهلكون مثلهم، و هؤلائك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج فى سيلوخا و قتلهم أتظنون أنهم أكبر جرما من جميع سكان يروشليم، كلا أقول لكم، إن لم تتوبوا فجميعكم يهلك؛ و قال لهم: شجرة تين كانت لواحد مغروسة[5] فى كرمه، جاء يطلب فيها ثمرة فلم يجد، فقال للكرام: هذه ثلاث سنين آتى و أطلب فيها[6] ثمرة فلا أجد، اقطعها لئلا تبطل الأرض، فقال له: يا رب! دعها فى هذه السنة[1] لأنكحها و أصلحها، لعلها تثمر فى السنة الآتية، فان هى أثمرت و إلا اقطعها. قال متى: و لما نزل من الجبل تبعه[7] جمع كبير و إذا أبرص قد جاء فسجد[8] له و قال: إن شئت فأنت قادر أن تطهرنى، فمد يده و لمسه و قال [له -[9]]: قد شئتُ فاطهر، و للوقت طهر برصه، و قال له يسوع: لا تقل لأحد و لكن امض فأرِ نفسك

(١) سقط من ظ (٢-٢) من ظ و فى الأصل: بعض كلام (٣) فى ظ: دمائهم - كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: مفروشه (٦) فى ظ: منها. (٧) فى الأصل و ظ: و تبعه، و التصحيح من نص الإنجيل (٨) فى ظ: سجد. (٩) زيد من ظ.

للكاهن و قدم قربانا كما أمر موسى للشهادة عليهم ـ و قال مرقس: بشهادتهم ـ قال لوقا: فذاع عنه الكلام و زاد، و اجتمع جمع كثير ليسمعوا منه و يستشفوا[1] من أمراضهم، و أما هو فكان يمضى إلى البرية و يصلى هناك. و قال متى: و لما دخل كفرناحوم جاء إليه قائد مائة فطلب إليه قائلا: يا رب! فتاى ملقى فى البيت مخلع و سقيم جدا، فقال له: إنى آتى و أبرئه، فأجاب قائد المائة و قال: يا رب! لست مستحقا أن تدخل تحت سقف بيتى، و لكن قل كلمة فقط فيبرأ فتاى لأنى تحت سلطان، و لى[2] جند، إن قلت لهذا: اذهب، ذهب[2]، و لآخر: ائت، أتى[2]، و لعبدى: اعمل هذا، عمل[3]، فلما سمع يسوع تعجب و قال للذين يتبعونه: الحق أقول لكم! إنى[4] لم أجد مثل هذه الأمانة فى إسرائيل، أقول لكم: إن كثيرا يأتون من المشرق و المغرب ـ و قال لوقا: و الشمال و اليمين[5] ـ يتكئون[6] مع إبراهيم[7] و إسحاق و يعقوب[7]؛ قال لوقا: و كل الأنبياء فى ملكوت الله و أنتم خارجا، و يكون الأولون[8] آخرين و الآخرون أولين؛ و قال متى: فى[9] ملكوت السماوات، و بنو الملكوت يلقون فى الظلمة البرانية، الموضع الذى يكون فيه البكاء و صرير الأسنان، و قال يسوع[10] لقائد[11] المائة: اذهب كأمانتك

(١) فى ظ: ليستشفوا (٢) سقط من ظ (٣) زيد بعده فى ظ: هذا (٤) فى ظ: انى (٥) من ظ، و فى الأصل: التيمن (٦) فى ظ: يتكئون (٧) زيد بعده فى ظ: و اسماعيل، و لم ترد هذه الزيادة فى الإنجيل (٨) من ظ، و فى الأصل: الاولين (٩) من ظ، و فى الأصل «و» (١٠) من ظ و الإنجيل و فى الأصل: يشوع (١١) فى ظ: القائد.

يكن لك ، فبرأ الفتى فى تلك الساعة . و قال لوقا : و لما أكمل جميع كلامه و دخل كفرناحوم ، و كان عبد[1] لقائد المائة قد قارب الموت و كان كريما عنده ، فلما سمع يسوع أرسل إليه[2] شيوخ[3] اليهود يسألونه المجىء ليخلص عبده ، فلما جاءوا إلى يسوع طلبوا منه باجتهاد و قالوا : إنه مستحق / أن يفعل[4] معه هذا ، لأنه محب لأمتنا و هو بنى لنا[5] كنيسة ، ٥ / ٦٧
فمضى [6]يسوع معهم[6] ، و فيما هو قريب من البيت أرسل إليه قائد المائة أصدقاءه قائلا : يا رب ! لا تتعب[7] فانى لا أستحق أن تدخل[8] تحت سقف بيتى ، من أجل ذلك لم أستحق أن أجىء أنا إليك ، لكن قل كلمة فيبرأ ، لأنى رجل ذو[9] سلطان و تحت يدى جند[10] فأقول لهذا : امض ، فيمضى ، و لآخر : ائت ، فيأتى ، فلما سمع يسوع هذا تعجب منه[5] و التفت ١٠ إلى الجمع الذى يتبعه و قال : الحق أقول لكم ! إنى لم أجد فى [بنى -[11]] إسرائيل [مثل -[11]] هذه الأمانة ، فرجع المرسلون[12] إلى البيت فوجدوا المريض قد برأ ، و فى غد كان يسوع ماضيا إلى مدينة اسمها نايين[13] و تبعه تلاميذه أجمع و جمع كبير ، فلما قرب من باب المدينة إذا محمول قد مات وحيدا لأمه و كانت أرملة ، و جمع كبير من أهل المدينة معها ، فلما رآها ١٥

(١) من ظ ، و فى الأصل : عبدا (٢) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : الى .
(٣) فى ظ : يسوخ (٤) من ظ والإنجيل ، وفى الأصل: تفعل (٥) سقط من ظ .
(٦ - ٦) فى ظ : معهم يسوع (٧) من الإنجيل ، و فى الأصل : لا تتعن ، و فى ظ : لا تعد ـ كذ (٨) فى ظ : يدخل (٩) فى ظ « و » (١٠) فى ظ : جندى .
(١١) زيد من ظ (١٢) فى ظ : المسلمون (١٣) فى ظ : نابس ـ كذا .

الرب تحنن[1] عليها و قال لها: لا تبكى، و تقدم و لمس النعش فوقف الحاملون له، و قال له[2]: أيها الشاب! لك أقول: قم و اجلس! فجلس الميت و بدأ يتكلم، و دفعه لأمه، و لحقهم خوف[3] و مجدوا الله قائلين: لقد قام فينا نبي عظيم، و تعاهد الله شعبه بصلاح، فذاع هذا الكلام فى كل اليهودية و كل الكور التى[4] حولها. قال متى: و جاء يسوع إلى بيت بطرس[5] فنظر إلى حماته[6] ملقاة تحمى؛ و قال[7] مرقس: و جاء إلى بيت سمعان و أندراوس مع يعقوب و يوحنا فرأى[8] حماة سمعون فى حمى شديدة فقالوا له من أجلها، فقدم[9] و أمسك بيدها و أقامها؛ و قال[2] متى: فمس يدها فتركتها[10] الحمى و قامت تخدمهم؛ و قال لوقا: و نهضت للوقت تخدمهم[11]، فلما كان المساء - قال مرقس: عند غروب الشمس - قدموا إليه مجانين كثيرا، قال مرقس: و وقف جميع أهل المدينة على الباب، و أبرأ كثيرا ممن به علة رديئة، و أخرج شياطين كثيرة[12]؛ و قال متى: [13]و كان[13] يخرج الأرواح بكلمة، و أبرأ كل سقيم لكى يتم ما قيل فى أشعياء[14] النبى القائل: إنه أخذ أمراضنا[15] و حمل أوجاعنا. [16]و سحرا جدا قام و خرج إلى البرية ليصلى

(١) فى ظ: يحزن (٢) فى ظ: لها (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: اتى (٥) زيد بعده فى الأصل: فنزل، و لم تكن الزيادة فى ظ و الإنجيل فحذفناها. (٦) فى ظ: حماه (٧) فى ظ: كان (٨) فى ظ: فراو (٩) فى ظ: لقدم (١٠) فى ظ: فتركها (١١) فى ظ: يخدمها (٢) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ: كثيرا. (١٣-١٣) فى ظ: فكان (١٤) فى ظ: اشعب (١٥) فى ظ: مراضنا (١٦) و من هنا يبتدئ نص مرقس.

هناك و سمعون و من معه يطلبونه ، فلما وجدوه قالوا له : إن الجمع يطلبك ، فقال لهم : سيروا بنا إلى القرى و المدن القريبة لنكرز ، فانى لهذا وافيتُ ، فأقبل يبشر فى مجمعهم فى كل الجليل و يخرج الشياطين ؛ و قال لوقا : و فى غد اليوم خرج و ذهب إلى موضع قفر و الجمع يطلبونه ، و جاءوا إليه [1]و أمسكوه[1] لئلا يمضى من عندهم ، فقال لهم : إنه ينبغى[2] أن أبشر[3] ٥ فى المدن الأخر بملكوت الله ، لأنى لهذا أرسلت ، و كان يكرز فى مجامع[4] الجليل ، و كان لما اجتمع إليه جمع ليسمعوا كلام الله كان هو واقفا على بحيرة سماناسر[5] ، فرأى سفينتين موقفتين على شاطىء البحيرة و الصيادون قد صعدوا عليها ليغسلوا شباكهم ، فصعد إلى إحداهما[6] التى لسمعان ، و أمر أن يبعدها عن الشط قليلا ، و جلس يعلم فى الجمع[7] من السفينة ؛ ١٠ و لما أكمل كلامه قال لسمعان : تقدم إلى اللج[8] و ألقوا شباككم ! فقال : يا معلم ! قد تعبنا الليل أجمع و لم نأخذ شيئا ، و بكلمتك نحن نلقى شباكنا ، [9]و لما[9] فعلوا ذلك أخذوا سمكا كثيرا ، و كادت شباكهم تتخرق ، فأشاروا إلى شركائهم فى السفينة الأخرى[10] ليأتوا يعينوهم[11] ، فلما جاءوا ملأوا السفينتين حتى كادتا أن تغرقا ، فلما رأى سمعان ذلك خر عند قدمى ١٥ يسوع / و قال له : ابعد عنى يا سيدى ! لأنى رجل خاطئ ، لأن الخوف اعتراه / ٦٨

(١ - ١) فى ظ : فامسكوه (٢) زيد فى الإنجيل : لى (٣) فى ظ : السر - كذا . (٤) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : المجامع (٥) من ظ ، و فى الأصل : جاناشر ، و فى الإنجيل : جنيسارت (٦) فى الأصل و ظ : احدها ، و مبنى التصحيح نص الإنجيل (٧) فى ظ : الجميع (٨) فى ظ : البحير (٩ - ٩) فى ظ : كما (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ ، و فى الأصل : يعينونهم .

و كل من معه لأجل صيد الحيتان التى اصطادوا، و كذلك يعقوب و يوحنا
[1]ابنا زبدى[1] اللذان[2] كانا صديقى سمعان، فقال يسوع لسمعان: لا تخف،
من الآن تكون[3] صيادا تصيد الناس، و قربوا السفن إلى الشط و تركوا
كل شيء و تبعوه؛ وقال متى: فلما نظر يسوع إلى الجمع الذى حوله
٥ أمر أن يذهبوا إلى العبر، فجاء إليه كاتب[4] و قال له[5]: يا معلم! أتبعك إلى
حيث تمضى، فقال له يسوع: إن للثعالب أجحارا، و لطير[6] السماء أوكارا،
فأما ابن الإنسان فليس له موضع يسند رأسه؛ و[7] قال لوقا: و قال لآخر:
اتبعنى، فقال: يا رب! ائذن لى أن أمضى أولا و أدفن أبى، فقال له
يسوع: اتبعنى و دع الموتى يدفنوا موتاهم، و قال الآخر[8] أيضا[9]: بل تأذن
١٠ لى أولا أن أرتب أهل بيتى، فقال: ما من أحد يضع يده على سكة[10]
الفدان و ينظر إلى ورائه يستحق ملكوت الله؛ و قال متى: فلما صعد السفينة
[11]تبعه تلاميذه - و قال لوقا: صعد السفينة[11] هو وتلاميذه و قال لهم: امضوا
بنا إلى عبر[12] البحيرة، فساروا و[7] فيما هم سائرون نام - و إذا اضطراب عظيم
كان فى البحر حتى كادت الأمواج تغطى السفينة - لأن الريح كانت
١٥ مضادة[13] لهم - و هو نائم، فتقدم إليه تلاميذه و قالوا: يا رب! - و قال

(١ - ١) فى ظ: ابنى ريدى (٢) من ظ و الإنجيل، و فى الأصل: اللذين (٣) فى ظ: يكون (٤) فى ظ: كانت (٥) فى ظ: لى (٦) فى ظ: طير (٧) سقط من ظ (٨) من ظ، وفى الأصل: لاخر (٩) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ: فقال.
(١٠) فى ظ: شبكة (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) فى ظ: غير.
(١٣) فى ظ: مصادة.

مرقس: و كانت رياح عواصف عظيمة ، و كانت الأمواج تضرب السفينة و تدخلها المياه حتى كادت تمتلئ ، و هو نائم فى مؤخرها على وسادة - فأيقظوه و قالوا له: يا معلم! نجّنا فقد هلكنا! فقال لهم: ما أخافكم[1] يا قليلى الأمانة؟ حينئذ[2] قام و انتهر الرياح و البحر ، فصار هدوءا عظيما ؛ ثم قال متى: فلما صعد السفينة و جاء إلى العبر و دخل مدينته قدم إليه مخلع ملقى على سرير ٥ - و فى إنجيل مرقس و لوقا: إنهم أرادوا الدخول به إليه فلم يقدروا لكثرة الجمع ، فصعدوا إلى السطح و دلوه بسريره إليه - حينئذ[3] قال للمخلع: قم! احمل سريرك[4] و اذهب إلى بيتك! فقام و مضى إلى بيته ، فنظر الجمع و تعجبوا و مجدوا الله الذى أعطى هذا السلطان كذا[5] للناس ؛ و قال يوحنا فى إنجيله: و بعد هذا كان عيد اليهود فصعد يسوع إلى يروشليم ، و كان هناك بيروشليم ١٠ مكان يسمى بالعبرانية بيت الرحمة ، و كان فيه خمسة أروقة ، و كان خلق كثير من المرضى مطروحين[6] فيها و عمى و مقعدون و جافون[7] ، فكانوا يتوقعون تحريك الماء ، لأن ملاكا[8] كان ينزل[9] إلى الصبغة فى حين بعد حين ، و كان يحرك[10] الماء ، و الذى كان ينزل فيه أولا من بعد حركة الماء يبرأ من كل الوجع الذى به ، و كان هنا رجل مقيم منذ ثمان[11] و ثلاثين ١٥

(١) فى ظ: نعامكم - كذا (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) فى ظ: فحينئذ (٤) فى ظ: سريرتك (٥) فى ظ: هكذا (٦) فى ظ: مطرحين (٧) من ظ ، و فى الإنجيل: عسم ، و فى الأصل: خافون - كذا (٨) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ: ملا - كذا (٩) فى ظ: بمنزلة (١٠) فى ظ: حرك (١١) من ظ والإنجيل ، و فى الأصل: ثلاث .

سنة ، فنظر إليه يسوع ملقى فقال له: [1]أتحب[1] أن تبرأ؟ فقال: نعم يا سيدى! ولكن ليس لى إنسان إذا تحرك الماء يلقينى فى البركة أولا[2]، فالى أن أجىء أنا ينزل قدامى آخر ، فقال له : قم ، احمل سريرك و امض ، فمن ساعته برأ و[3] نهض حاملا سريره ، وكان ذلك اليوم[3] يوم سبت ، فقال له اليهود : إنه يوم سبت ، و لا يحل [لك - [4]] أن تحمل[5] سريرك ، فأجابهم : الذى أبرأنى هو قال لى: احمل سريرك و امش ، فسألوه : من هو؟ فلم يكن يعلم من هو ، لأن يسوع كان قد استتر فى الجمع[3] الكبير[6] الذى كان فى[3] ذلك الموضع ، ثم قال: و قال لهم يسوع /: لقد عملت عملا واحدا[7] فعجبتم بأجمعكم، أعطاكم موسى الختان و ليس هو من موسى و لكنه من الآباء ، و قد تختنون الإنسان يوم السبت لئلا تنقضوا[8] سنة موسى ، فلِمَ تتذمرون[9] علىّ لإبرائى[10] الإنسان يوم السبت ، لا تحكموا بالمحاباة و[3] لكن احكموا حكما عدلا ، ثم قال : فبينما هو مار رأى رجلا ولد أعمى فقال تلاميذه : يا معلم! من أخطأ؟ هذا[3] أم أبواه[11] حتى أنه ولد أعمى ، فقال: لا هو و لا أبواه[11] ، و لكن لتظهر[12] أعمال الله فيه ، ينبغى أن أعمل أعمال من أرسلنى ما دام النهار ، سيأتى الليل الذى لا يستطيع أحد أن يعمل فيه عملا[3] ، ما دمت فى العالم أنا نور العالم - قال هذا و تفل على التراب

٦٩ /

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : فانى (٣) سقط من ظ.
(٤) زيد من ظ (٥) زيد بعده فى ظ : من (٦) فى ظ : الكثير (٧) فى ظ : واحد (٨) فى ظ : لئلا ينقضوا (٩) فى ظ : يتدمرون (١٠) فى ظ : الابرا - كذا.
(١١) من الإنجيل، وفى الأصل وظ : ابوه (١٢) فى ظ : يظهر .

و صنع مَن تفله طينا و طلى به عينى ذلك الأعمى و قال له: امض و اغتسل فى عين سيلوخا[1] التى تأويلها[2] المبعوثة[3]، فمضى و غسلها فعاد ينظر، فأما جيرانه و الذين كانوا يرونه يتسول فقالوا: ليس هو هذا الذى كان يجلس و يتسول، و آخرون قالوا: [4]إنه هو، و آخرون قالوا[4]: إنه يشبهه، فأما هو فكان يقول: [إنى -[5]] أنا هو، فقالوا له: كيف انفتحت عيناك؟ ٥ فقص عليهم القصة[2]، فقالوا: أين هو ذاك؟ فقال: ما أدرى، فأتوا به إلى الفريسيين، لأن يسوع صنع الطين يوم السبت، فسأله الفريسيون [4]فأخبرهم، فقال قوم منهم: ليس هذا الرجل من الله إذ لا يحفظ السبت، و آخرون[4] قالوا: كيف يقدر رجل خاطئ أن يعمل هذه الآيات! فوقع بينهم لذلك شقاق، فقالوا للأعمى: ما تقول أنت من أجله؟ قال لهم: إنه[6] ١٠ نبى، و لم يصدق اليهود أنه كان أعمى حتى دعوا أبويه و سألوهما، فقالا[7]: نحن نعلم أن هذا ولدنا و أنه وُلِدَ أعمى، و[7] وقعت بين الأعمى و بينهم محاورة، كان آخر ما [8]قالوا له[8]: أنت ولدت بالخطايا و أنت تعلمنا! و أخرجوه. و قال متى: و اجتاز[9] يسوع هناك فرأى إنسانا جالسا على التعشير اسمه متى فقال له[2]: اتبعنى، [10]فترك كل شىء[10] [11]و قام[11] و تبعه. ١٥ [و قال لوقا: و بعد هذا خرج فنظر إلى عشار اسمه لاوى جالسا على المكس،

---

(١) فى ظ: سلوحا (٢) سقط من ظ (٣) من نص الإنجيل، وفى الأصل وظ: المتعوبة (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: انى. (٧) فى ظ: فقالوا (٨-٨) فى ظ: قالوه (٩) فى ظ: اختار (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و الإنجيل (١١-١١) فى ظ و الإنجيل: فقام.

فقال له: اتبعني، فترك كل شيء و قام و تبعه -[١]]، و صنع له لاوى فى بيته وليمة عظيمة، و كان جمع كثير[٢] من العشارين و[٣] آخرين متكئين[٣] معه. و قال مرقس: ثم خرج إلى شاطئ البحر و اجتمع إليه جمع كبير[٤] و علمهم، و عند مضيه رأى [لاوى -[١]] ابن[٢] حلفى[٥] جالسا على العشارين[٦] فقال له[٦]: اتبعني، فقام و تبعه، و بينما[٧] هو متكئ فى بيته - و قال متى: و بينما[٨] هو متكئ فى[٩] بيت سمعان[٩] - جاء عشارون[١٠] [١١]و خطأة كثيرون[١١]، فاتكأوا مع يسوع و تلاميذه، فلما نظر الفريسيون [١١]قالوا لتلاميذه[١١]: لماذا معلمكم يأكل مع العشارين و الخطأة[١٢]؟ فلما سمع يسوع قال لهم: الأصحاء لا يحتاجون إلى طبيب، لكن ذوو الأسقام، اذهبوا فاعلموا ما هو، إنى أريد رحمة لا ذبيحة، لم آت لأدعو الصديقين لكن الخطأة[١٢] للتوبة. و قال لوقا: و طلب إليه واحد من الفريسيين أن يأكل معه، فدخل بيت ذلك الفريسى و جلس، و كان فى تلك المدينة امرأة خاطئة، فلما علمت أنه متكئ فى بيت ذلك الفريسى أخذت قارورة طيب و وقفت[١٣] من ورائه عند رجليه باكية، و بدأت[١٤] تبل قدميه بدموعها و تمسحها بشعر رأسها،

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) فى الأصل: آخرين متكئون، و فى ظ: آخرون مسلمون - كذا (٤) فى ظ: كثير (٥) من الإنجيل، و فى الأصل: خلفا، و فى ظ: حلقا - كذا (٦ - ٦) فى ظ: فقالوا (٧) فى ظ: بينهما (٨) فى ظ: فيما. (٩ - ٩) فى إنجيل متى: البيت - فقط (١٠) من ظ و الإنجيل، و فى الأصل: مشاون - كذا (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) فى ظ: الخطأ. (١٣) فى ظ: قعدت (١٤) فى ظ: بدت.

و كانت

و كانت تقبل قدميه و تدهنهما[1] بالطيب، فلما رأى ذلك الفريسى الذى دعاه فكر فى نفسه قائلا : لو كان هذا نبيا علم ما هذه و أنها خاطئة[2]. فأجاب يسوع و قال له : يا سمعان! غريمان عليهما لإنسان[3] دين، على أحدهما خمسمائة[4] دينار و على[4] الآخر خمسون، و ليس[5] لهما ما يوفيان فوهب لهما، / فأيهما ٧٠ / أكثر حبا له؟ فقال : أظن الذى وهب له الأكثر، فقال له : بالحق حكمت؛ ٥ ثم التفت إلى المرأة و قال : [يا -[6]] سمعان! دخلت بيتك فلم تسكب على رجلى ماء و هذه بلت رجلى بالدموع و مسحتهما بشعر رأسها، أنت [لم -[6]] تقبلنى و هذه منذ دخلت لم تكف[7] عن تقبيل قدمى، أنت لم تدهن رأسى بزيت و هذه دهنت بالطيب قدمى، لأجل ذلك أقول لك : إن خطاياها مغفورة لها، لأنها أحبت[8] كثيرا، ثم قال لها : اذهبى بسلام! ١٠ إيمانك[9] خلصك؛ و كان بعد ذلك يسير إلى كل مدينة و يكرز و يبشر بملكوت الله و[10] معه الاثنا عشر[11] و نسوة كن أبرأهن من الأمراض و الأرواح الخبيثة : مريم التى تدعى المجدلانية التى أخرج منها سبعة شياطين، و يونا امرأة خوزى خازن هيرودس[12]، و أخر كثيرات . و قال متى : حينئذ جاء إليه تلاميذ[13] يوحنا قائلين : لماذا نحن و الفريسيون نصوم كثيرا و تلاميذك ١٥

---

(١) فى ظ : يدهنها (٢) فى ظ : خطيئة (٣) فى ظ : الانسان (٤ - ٤) فى ظ «و».
(٥) فى ظ : لم يكن (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : فلم تكف (٨) من ظ، و فى الأصل : اجب (٩) فى ظ : ابائك (١٠) زيد بعده فى ظ : من (١١) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ : الاثنى عشر (١٢) زيد بعده فى الإنجيل : و سوسنة (١٣) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ : تلاميذه .

لا يصومون؟ فقال لهم يسوع: [1]لا يستطيع بنو العرس[2] أن ينوحوا ما دام العريس معهم، و ستأتى أيام إذا ارتفع العريس عنهم حينئذ يصومون؛ ليس أحد يأخذ خرقة جديدة يجعلها فى[3] ثوب بال، لأنها تأخذ[3] ملأها من الثوب فيصير[4] الخرق أكبر، و قال مرقس: إنه لا يرقع[5] إنسان ثوبا باليا بخرقة جديدة إلا مد الجديد البالى فيخرقه؛ و قال متى: و لا تُجعَلُ خمر جديدة فى زقاق عتق[3] فتنشق الزقاق و تهلك و تهراق[6] الخمر، لكن تجعل خمر[7] جديدة فى زقاق جدد فيتحفظان جميعا؛ و[3] قال لوقا: و ما من أحد يشرب قديما فيحب[8] الجديد للوقت لأنه يقول: إن القديم أطيب. و قال متى: و فيما هو يكلمهم[9] إذا رئيس قد جاء إليه ساجدا قائلا: إن ابنتى ماتت[3] الآن، تأتى فتضع يدك عليها فتحيى[3]! فقام يسوع و تبعه تلاميذه، فاذا[10] امرأة بها نزيف دم منذ اثنتى عشرة[11] سنة؛ قال مرقس: أعيت من الأطباء، أنفقت كل مالها، لم تجد راحة بل تزداد وجعا، فلما سمعت بيسوع - قال متى: جاءت من خلفه و مست طرف ثوبه - فالتفت يسوع فرآها فقال لها: ثقى[12] يا ابنة! إيمانك خلصك، فبرئت المرأة من[13] تلك الساعة، و جاء يسوع إلى بيت الرئيس؛ [و -[14]] قال مرقس: و لم يدع أحدا يتبعه إلا[15] بطرس

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ: العريس. (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: فتصير (٥) فى ظ: لا يرق (٦) فى ظ: تراق (٧) من ظ: و فى الأصل: خمرة (٨) فى ظ: سحت - كذا (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ: و لم تكن فى الإنجيل فحذفناها (١٠) فى ظ: و اذا (١١) من الإنجيل، و فى الأصل: اثنى عشر، و فى ظ: اثنى عشرة (١٢) فى ظ: بقى (١٣) فى ظ: فى (١٤) زيدت الواو من ظ (١٥) تكرر فى الأصل.

و يعقوب و يوحنا أخا يعقوب - انتهى . فنظر إلى الجمع مضطربين، فقال لهم: اخرجوا ، لم تمت الجارية لكنها نائمة، فضحكوا منه، فلما خرج الجمع دخل و أمسك يدها[1] فقامت الجارية ؛ و قال مرقس: و أخرج جميعهم و أخذ معه أبا الصبية و أمها و الذين معه، ثم دخل إلى الموضع الذى فيه الصبية موضوعة ، و أخذ يدها و قال لها : طليثا[2]! قومى ، الذى تأويله: يا صبيـــة! لك أقول: قومى ، فللوقت قامت الصبية و مشت، و كان لها [3]اثنتا عشرة[3] سنة ، فبهتوا و عجبوا عجبا عظيما ، فأمرهم كثيرا أن لا يُعْلِموا أحدا بهذا ، و قال: أطعموهـا تأكل ؛ و قال متى: و خرج خبرها[4] فى جميع تلك الأرض .

و لما كان التقدير : آتيناه ذلك لينتهى[5] أهل التوراة عما نسخه منها، عطف عليه قوله : ﴿ و ليحكم ﴾ فى قراءة [6]حمزة بكسر اللام و النصب ، و التقدير على قول الجماعة بالإسكان/ و الجمع و الجزم : فلينته أهل[6] التوراة عما نسخ منها و ليحكم ﴿ اهل الانجيل ﴾ و هم أتباع عيسى عليه السلام ﴿بمآ انزل الله﴾ أى الواحد الأحد الذى له جميع صفات الكمال ﴿فيه[1] ﴾ من الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و من غير ذلك مما أودعناه إياه من الأحكام و المواعظ الجسام .

/ ٧١

و لما كان التقدير: فمن انتهى فأولئك هم المسلمون، و من حكم بما

---

(١) فى ظ : بيدها (٢) من الإنجيل ، وفى الأصل : طليبى ، وفى ظ : طليثى - كذا .
(٣ - ٣) فى ظ : اثنى عشر (٤) فى ظ: خبرها (٥) فى ظ : لتنتهى (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أنزل الله فيه فأولئك هم المفلحون ، عطف عليه قوله : ﴿ و من لم يحكم بما انزل الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه ، فله كل شىء و ليس لأحد معه شىء ، و كل شىء إليه مفتقر ، و لا افتقار له إلى شىء فيه أو فى غيره ؛ و هو غير منسوخ ، تدينا بتركه أو [1]الشهوة دعت[1] ﴿ فاولئك ﴾ أى البعداء عن كل خير البغضاء ﴿ هم الفسقون ٥ ﴾ [أى - [2]] المختصون بكمال الفسق ، فان كان تدينا كان كفرا ، و إن كان لاتباع الشهوات كان مجرد معصية ، لأن الحظوظ و الشهوات تحمل على الخروج عن[3] دائرة الشرع مرة بعد أخرى ، فمن ترك الحكم تكذيبا فقد جمع الدركات الثلاث : ستر[4] الدلائل فتنقل[5] من درجة النور إلى دركة الظلام ، فانكب فى مهواة الخروج من المحاسن . فانحط إلى أقبح المساوى ؛ و التعبير بالوصف المؤذن بالعراقة فى مأخذ الاشتقاق معلم بأن المراد بكل واحد منها الكفر ، فحقق أن المراد منه الشرعى لا مطلق الستر غاية التحقيق ، فبين بوصفه بالظلم أنه ستر لما ينبغى إظهاره ، و بالفسق أنه بلغ فى كونه فى غير موضعه النهاية حتى خرق جميع دائرة المأذون فيه فخرج منها ، و هذا[6] إشارة إلى ذنوب أهل الإنجيل لينتج نقض دعواهم النبوة و المحبة ، لأن المعنى : و من الواضح بكتابك الذى جعل مهيمنا على جميع الكتب أنهم خالفوا أحكامه[7] فهم فاسقون ، أى خارجون عما من شأنه الاستقرار فيه لنفعه . فواقعون فى الظلمة الموجبة لوضع الشىء فى غير موضعه المقتضية للتغطية و الستر ، وقدم الوصف بالكفر لأن السياق لمن حرف الكلم عن[8] موضعه ، و غير

(١-١) فى ظ : الشهوة (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ : ثم (٥) فى ظ : فسقط (٦) فى ظ : هذه (٧) فى ظ : لا حكامه (٨) من ظ ، و فى الأصل : من .

ما كتب من محكم أحكام التوراة من الحدود، و ذلك هو التغطية التى هى معنى الكفر، لأنه من الظلام، كما أن الفسق سبب الظلم لأنه الخروج عما من شأنه النفع، فكان الآخر أولاً فى المعنى و الأول نهاية فى الحقيقة، و الآية دالة على أن فيه أحكاما، و كذا قوله تعالى فى آل عمران "و لاحل لكم بعض الذى حرم عليكم[1]" و هذا هو الحق، [2]و أعظم[2] ما غيّر تحريم السبت الذى كان أعظم شعائرهم فأحله، و غيّر أيضا غير ذلك من أحكامهم؛ قال فيما رأيته من[3] ترجمة إنجيل متى: سمعتم ما قيل للأولين: لا تقتل[4]، فان من قتل[5] وجبت عليه لائمة الجماعة، و من قال لأخيه: أحمق، فقد وجبت عليه نار جهنم، إن أنت قدمت قربانك على المذبح و ذكرت[6] هناك أن أخاك واجد عليك فدع قربانك هناك قدام المذبح، و امض أولا و صالح أخاك، و حينئذ فائت و قدم قربانك[7]، كن متفهما[8] من خصمك سريعا ما دمت معه فى الطريق، لئلا يسلمك الخصم إلى الحاكم، و الحاكم إلى المستخرج و تلقى فى السجن؛ و فى إنجيل لوقا: إذا رأيتم سحابة تطلع من المغرب قلتم: إن المطر يأتى؛ فيكون كذلك، و اذا هبت ريح الجنوب قلتم: سيكون حر، يا مراؤن[10]! تحسنون تميز وجه السماء و الأرض و هذا الزمان كيف [11]لاتميزونه[11]، و لا تحكمون بالصدق من قبل نفوسكم!

(١) آية ٥ (٢ - ٢) من ظ، و فى الأصل: فاعظم (٣) من ظ، و فى الأصل: فى (٤) فى ظ: لا يقبل (٥) فى ظ: قبل (٦) فى ظ: ذكر (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و الإنجيل فحذفناها (٨) من ظ، و فى الأصل: متفمما - كذا (٩) فى ظ: ذهبت (١٠) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ: مروان. (١١ - ١١) من الإنجيل، و فى الأصل: تميزونه، و فى ظ: يميزونه.

لأنك إذا ذهبت مع خصمك إلى الرئيس فأعطه ما يجب[1] عليك فى
الطريق تتخلص / منه، لئلا يذهب بك إلى الحاكم فيدفعك الحاكم إلى ٧٢/
المستخرج و يلقيك المستخرج فى السجن؛ و قال متى: الحق الحق أقول
لك! إنك لا تخرج من هناك حتى تؤدى آخر فلس عليك، سمعتم ما قيل
٥ للأولين: لا تزن[2]، و أنا أقول لكم: إن كل من نظر إلى امرأة
[و -[3]] اشتهاها فقد زنى بها فى قلبه، إن شككتك عينك اليمنى فاقلعها
و ألقها، لأنه خير لك أن تهلك أحد[4] أعضائك و لا تلقى جسدك
كله فى جهنم، [5]قيل: إن من طلق امرأته فيدفع لها[6] كتاب الطلاق، و أنا
أقول لكم: إن من طلق [امرأته -[7]] من غير كلمة زنا فقد جعلها
١٠ زانية، و من تزوج مطلقة فقد زنى، و أيضا سمعتم ما قيل للأولين:
لا تحنث فى يمينك، و أوف للرب قسمك، و أنا أقول لكم: لا تحلفوا
البتة لا بالسماء فانها[8] كرسى الله، و لا[9] بالأرض لأنها موطئ[10] قدميه،
و لا بيروشليم فانها مدينة[11] الملك[12] العظيم، و لا برأسك لأنك لا تقدر تصنع
شعرة بيضاء أو سوداء، و لتكن كلمتكم: نعم نعم و لا[13] لا، و ما زاد على ذلك
١٥ فهو من الشر، سمعتم ما قيل: العين بالعين و السن بالسن، و أنا أقول لكم:
لا تقاوموا الشر، و لكن من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر،

---

(١) فى ظ: تجب (٢) فى ظ: لا يزن (٣) زيدت الواو من ظ (٤) فى ظ: واحد من (٥) زيدت الواو فى الإنجيل (٦) فى ظ: له (٧) زيد من ظ و الإنجيل (٨) من ظ، وفى الأصل: فانى (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ: توطى (١١) فى ظ: تدمنه - كذا (١٢) من ظ و الإنجيل، وفى الأصل: للاعظم - كذا (١٣) زيدت الواو فى ظ.

و من أراد خصومتك و أخذ ثوبك فدع له رداءك، و من سخّرك ميلا فامض معه اثنين؛ قال لوقا: و كل من سألك فأعطه، و من أراد أن يقترض منك فلا ترده، و لا تطلب من الذى يأخذ مالك، و كما تحبون أن يصنع الناس بكم كذلك فاصنعوا أنتم بهم؛ و قال متى: سمعتم ما قيل[1]: أحبب قريبك و أبغض عدوك، و أنا أقول لكم: حبوا أعداءكم و باركوا ٥ لاعنيكم، و أحسنوا إلى من أبغضكم - و قال لوقا: يبغضكم - و صلوا [على -[2]] من يطردكم و يحزنكم، لكيما تكونوا بنى أبيكم الذى فى السماوات، لأنه المشرق شمسه على الأخيار و الأشرار، و الممطر[3] على الصديقين و الظالمين، و إذا أحببتم من يحبكم فأى أجر لكم! أليس العشارون[4] يفعلون مثل ذلك! و إن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل عملتم! أليس كذلك[5] يفعل العشارون! ١٠ و قال لوقا: إن كنتم إنما تحبون[6] من يحبكم فأى أجر لكم! إن الخطأة يحبون من يحبهم، و إن صنعتم الخير مع من يحسن إليكم فأىّ فضل لكم! إن الخطأة هكذا يصنعون، و إن كنتم إنما تقرضون من تظنون أنكم تأخذون العوض منه فأى فضل لكم! إن[1] الخطأة أيضا يقرضون الخطأة[7] لكى يأخذوا[7] منهم العوض، لكن حبوا أعداءكم و أحسنوا إليهم، و كونوا رحماء ١٥ مثل أبيكم فهو رؤوف؛ و قال متى: كونوا أنتم كاملين مثل أبيكم السمائى فهو كامل. ثم قال فى الفصل الثالث و الثلاثين[8]: و فى ذلك الزمان

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: المطر (٤) فى ظ: العاشرون (٥) فى ظ: ذلك (٦) فى ظ: يجمعون - كذا (٧ - ٧) فى ظ: لكن تاخذوا (٨) فى ظ: الثانى، و أما فيما عندنا من الأناجيل فهنا الفصل الثانى عشر.

مر يسوع فى سبت بالزروع و جاع تلاميذه ، فبدأوا[1] يفركون سنبلا و يأكلون - و فى لوقا : كان تلاميذه يقطعون السنبل و يفركون بأيديهم و يأكلون - فلما أبصرهم الفريسيون قالوا له : ها هو ذا تلاميذك يعملون ما لا يحل فى السبت - و فى لوقا : لما ذا تفعلون ما لا يحل أن يفعل فى السبوت - فقال [لهم -[2]] : أما قرأتم ما صنع داود[3] لما جاع هو و الذين معه ! كيف دخل إلى بيت الله و أكل خبز التقدمة[4] الذى لا يحل أكله إلا للكهنة ! قال مرقس : و أعطى الذين كانوا معه ، ثم قال لهم : السبت من أجل الإنسان كان[5] و لم يخلق الإنسان من أجل السبت ؛ قال متى : أو[6] ما[7] قرأتم فى الناموس أن الكهنة فى السبت فى الهيكل ينجسون السبت و ليس عليهم جناح ! و[8] أقول لكم : إن ههنا[9] أعظم من الهيكل لو كنتم تعلمون ما هو مكتوب ، إنى أريد الرحمة لا[10] الذبيحة ، لِمَ تحكمون على من لا ذنب له ! و قال لوقا : و دخل بيت[8] أحد الرؤساء/الفريسيين فى يوم[8] سبت ليأكل خبزا و هم كانوا يرصدونه[11] فاذا إنسان به استسقاء ، فقال يسوع للكهنة و الفريسيين : هل يحل أن يبرأ[12] فى السبت ؟ فسكتوا فأخذه و أبرأه ثم قال لهم : من منكم يقع ابنه فى بئر يوم السبت و لا يصعده فى الوقت ؟ فلم يقدروا أن يجيبوه عن هذا ؛ ثم قال متى : فجاء[13] الفريسيون ليجربوه[13]

/ ٧٣

(١) فى ظ : فبدا (٢) زيد من ظ و الإنجيل (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى ظ : اليقدمه (٥) فى ظ : كانه (٦) من ظ ، و فى الأصل « و » (٧) فى ظ : فاما .
(٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : هنا (١٠) فى ظ : الا (١١) فى ظ : يرضونه .
(١٢) فى ظ : يبروا (١٣ - ١٣) فى ظ : الفريسين ليحزنوه - كذا .

قائلين: هل يحل[1] للانسان أن يطلق امرأته لأجل [كل -[2]] كلمة؟ أجاب: [3]أما قرأتم[3] أن الذى خلق فى البدء خلقهما ذكرا و أنثى، من أجل ذلك يترك الإنسان أباه و أمه و يلصق بامرأته، و يكونان كلاهما جسدا واحدا، و ليس هما اثنين لكن جسد واحد، و ما زوجه الله لا يفرقه الإنسان - و قال مرقس: لا يقدر إنسان يفرقه - قالوا له: لما ذا أمر موسى ٥ أن يعطى[4] كتاب الطلاق و تخلى[5]؟ قال لهم: موسى من أجل قسوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم - و فى مرقس[1]: إنهم[6] سألوه فقال[7] لهم: بما ذا[8] أوصاكم موسى[1]؟ قالوا[7]: أمر أن يكتب كتاب الطلاق و تخلى[9]، قال لهم يسوع: من أجل قسوة قلوبكم كتب لكم[1] موسى هذه الوصية، من البدء لم يكن هكذا، و أقول لكم: من طلق امرأته من غير[10] زنا ١٠ فقد ألجأها إلى الزنا، و من تزوج مطلقة فقد زنى؛ و فى إنجيل مرقس: و فى البيت أيضا سأله التلاميذ عن هذا فقال لهم: من طلق امرأته و تزوج أخرى فقد زنى عليها، و إن هى خلت زوجها و تزوجت آخر فهى زانية؛ و فى لوقا: كل من يطلق امرأته و يتزوج أخرى فهو يزنى، و كل من تزوج مطلقة من زوجها فهو يزنى؛ قال متى: فقال له التلاميذ: إن ١٥ كان هكذا علة الرجل مع امرأته فخير[11] له أن لا يتزوج، فقال لهم: ما كل أحد يستطيع هذا الكلام إلا الذين قد أعطوا، الآن خصيانٌ ولدوا

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) تأخر فى ظ عن «ان الذى» (٤) من ظ و الإنجيل، و فى الأصل: تعطى (٥) فى ظ: يحل (٦) زيد بعده فى الأصل: لما، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) فى ظ: قال (٨) من ظ، و فى الأصل: بما (٩) فى ظ: يحلى - كذا (١٠) فى ظ: اجل (١١) فى ظ: فهو خير.

من بطون أمهاتهم، و خصيان أخصاهم[1] الناس، و خصيان أخصوا نفوسهم من أجل ملكوت السماوات، و من استطاع أن يحتمل فليحتمل .

و لما[2] ذكر سبحانه الكتابين، ذكر ختامهما[3] و تمامهما، و هو ما أنزل إلى هذا النبي الأمي من الفرقان الشاهد على جميع الكتب التي قبله، فقال تعالى: ﴿ و انزلنآ ﴾ أي بعظمتنا ﴿ اليك ﴾ أي خاصة ﴿الكتٰب﴾ أي الكامل في جمعه[4] لكل ما يطلب منه و هو القرآن ﴿ بالحق ﴾ أي الكامل الذي لا يحتاج إلى شيء يتمه، ثم مدحه بمدح الأنبياء الذين تقدموه[5] فقال: ﴿ مصدقا لما بين يديه ﴾ أي تقدمه[6] .

و لما كانت الكتب السماوية من شدة تصادقها كالشيء الواحد، عبر بالمفرد لإفادته ما يفيد الجمع و زيادة دلالة[7] على ذلك فقال: ﴿من الكتٰب﴾ أي الذي جاء به الأنبياء من قبل ﴿و مهيمنا ﴾ أي شاهدا حفيظا مصدقا و أمينا رقيبا ﴿ عليه ﴾ أي على كل كتاب تقدمه - كما قاله البخاري في أول الفضائل من الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، و في هذه الصفة[7] بشارة لحفظه سبحانه لكتابنا حتى لا يزال بصفة الشهادة، فان الله تعالى استحفظهم[8] كتبهم فعجزوا عنها، فحرفها محرفوهم [9]و أسقطوا منها[9] و أسقط مسرفوهم، فتكفل هو سبحانه بحفظ كتابنا فكان قيما عليها، فما كان فيها موافقا [له - [10]] فهو حق، و ما كان فيها مخالفا فهو إما[7] منسوخ

(١) في ظ : احصاهم (٢) في ظ : لمن (٣) في ظ : ختامهم (٤) في ظ : جميعه .
(٥) في ظ : تقدموا (٦) في ظ : يقدمه (٧) سقط من ظ (٨) في ظ : سيحفظهم .
(٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) زيد من ظ .

أو مبدل فلا يعتبر ، بل يحكم بما فى كتابنا لأنه ناسخ لجميع الكتب ، و الآتى به مرسل إلى جميع العالمين ، / فملته ناسخة لجميع الملل ، فأنتج هذا /٧٤ وجوب الحكم بما فيه على[1] المؤالف و المخالف بشرطه[2] ؛ فلذا قال مسببا عما قبله : ﴿ فاحكم بينهم ﴾ أى بين جميع أهل الكتب ، فغيرهم من باب الأولى ﴿ بما أنزل الله ﴾ أى [3]الملك الذى له الأمر كله[3] إليك فى هذا ٥ الكتاب[4] الناسخ لكتبهم المهيمن عليها فى إثبات ما أسقطوه منها من أمرهم باتباعك و نحو ذلك من أوصافك ﴿ و لا تتبع اهواءهم ﴾ فيما خالفه منحرفين ﴿ عما جاءك ﴾ و بينه بقوله : ﴿ من الحق[4] ﴾ .

و لما كان كل من كتابيهم[5] من عند الله ، كان كأنه قيل : كيف يكون الحكم بكتابهم الذى يصدقه كتابنا انحرافا عن الحق ؟ علل ذلك ١٠ دالا على النسخ بقوله : ﴿ لكل ﴾ أى لكل واحد ﴿ جعلنا ﴾ أى بعظمتنا التى نفعل بها[4] ما نشاء من نسخ و غيره ، ثم خصص الإبهام بقوله : ﴿ منكم ﴾ أى[4] يا أهل الكتب ﴿ شرعة ﴾ أى دينا [موصلا -[6]] إلى الحياة الأبدية ، كما أن الشرعة موصلة إلى الماء الذى به الحياة الدنيوية ﴿ و منهاجا[4] ﴾ أى طريقا واضحا مستنيرا ناسخا لما قبله ، و قد جعلنا شرعتك ١٥ ناسخة لجميع الشرائع ، و هذا و أمثاله - مما يدل على أن كل متشرع[7] مختص بشرع و غير متعبد بشرع من قبله - محمول على الفروع ، و ما دل

(١) فى ظ : عن (٢) من ظ ، و فى الأصل : فشرطه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : كتابهم - كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : مشرع .

على[1] الاجتماع كأنه شرع لكم من الدين محمول على الأصول ﴿ولو شآء الله﴾ أى الملك الأعظم المالك[2] المطلق الذى له التصرف التام و الأمر الشامل العام أن يجمعكم على شىء واحد ﴿لجعلكم امة﴾ أى جماعة متفقة يؤمّ بعضها بعضا ، و حقق المراد بقوله : ﴿واحدة﴾ أى على دين واحد ، و لم يجعل شيئا من الكتب ناسخا لشىء[3] من الشرائع ، لأن الكل بمشيئته ، و لا مشيئة[4] لأحد سواه إلا بمشيئته ﴿و لكن﴾ لم يشأ ذلك ، بل شاء أن تكونوا على شرائع مختلفة ﴿ليبلوكم﴾ أى ليعاملكم معاملة المبتلى المختبر ﴿فيما آتـكم﴾ أى أعطاكم و قسم بينكم من الشرائع المختلفة ليبرز[5] إلى الوجود ما تعملون[6] فى ذلك من اتباع و إذعان اعتقادا أن ذلك مقتضى الحكمة الإلهية ؛ فترجعون عنه إذا قامت البراهين بالمعجزات على صدق ناسخه ، و نهضت الأدلة البينات على صحة دعواه بعد طول الإلف له و إخلاد النفوس إليه و استحكامه بمرور الأعصار و تقلب الأدوار ؛ أو زيغ و ميل اتهاما و تجويزا كما فعل أول المتكبرين إبليس ، فتؤثرون الركون إليه و العكوف عليه لمتابعة الهوى و الوقوف عند مجرد الشهوة .

و لما كان فى الاختبار أعظم تهديد ، سبب عنه قوله : ﴿فاستبقوا الخيرٰت﴾ أى افعلوا فى المبادرة إليها بغاية الجهد فعل من يسابق شخصا يخشى العار بسبقه له ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿الى الله﴾ أى الشارع لذلك ، لا إلى غيره ، لأنه الملك الأعلى ﴿مرجعكم جميعا﴾ و إن اختلفت

---

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : الملك (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : سمه - كذا (٥) فى ظ : ليبر - كذا (٦) فى ظ : يعلمون .

شرائعكم ، حسا فى القيامة ، و معنى فى جميع أموركم فى الدارين ﴿ فينبئكم ﴾ أى يخبركم إخبارا[1] عظيما ﴿ بما كنتم ﴾ أى بحسب اختلاف[2] الجبلات ؛ و لما كان فى تقديم الظرف إبهام ، [و - [3]] كان الإفهام بعد الإبهام أوقع فى النفس ، قال ﴿ فيه تختلفون ﴾ أى تجددون الخلاف مستمرين عليه ، و يعطى كلاما يستحقه ، و يظهر سر الاختلاف و فائدة الوفاق[4] و الائتلاف .

و لما كان الأمر بالحكم فيما مضى لكونه مسببا عما قبله من إنزال الكتاب على الأحوال المذكورة ، أعاد الأمر به[2] سبحانه مصرحا بذلك لذاته لا لشىء آخر ، ليكون الأمر به[2] مؤكدا غاية / التأكيد بالأمر به / ٧٥ مرتين : مرة لأن الله أمر به ، و أخرى لأنه على وفق الحكمة ، فقال تأكيدا له و تنويها بعظيم شأنه و محذرا من الأعداء فيما يلقونه[5] من الشبه للصد عنه : ﴿ و ان ﴾ أى احكم بينهم بذلك لما قلنا من السبب[6] و ما ذكرنا من[7] العلة فى جعلنا لكل دينا ، و لأنا قلنا آمرين لك أن ﴿ احكم بينهم ﴾ أى أهل الكتب و غيرهم ﴿ بما انزل الله ﴾ أى المختص بصفات الكمال ، لأنه يستحق أن يتبع أمره لذاته ، و بين أن مخالفتهم له و إعراضهم عنه إنما هو مجرد هوى ، لأن كتابهم داع إليه ، فقال : ﴿ و لا تتبع اهوآءهم ﴾ أى فى عدم التقيد[8] به ﴿ و احذرهم ان يفتنوك ﴾ أى يخالطوك بكذبهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : خبرا (٢) سقط من ظ (٣) زيدت الواو لتستقيم العبارة (٤) زيد بعده فى الأصل : و الاختلاف ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها . (٥) من ظ ، و فى الأصل : يتبعونه (٦) فى ظ : السبت (٧) فى ظ : فى (٨) فى ظ : التقييد .

على الله و افترائهم و تحريفهم الكلم و مراءاتهم مخالطة تميلك ﴿ عن بعض ما انزل الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه ، فلا وجه أصلا للعدول عن أمره ﴿ اليك ۖ فان تولوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم الإعراض عما حكمت به بينهم مضادين لما دعت إليه الفطرة الأولى من اتباع الحق و دعت ٥ إليه كتبهم من اتباعك ﴿ فاعلم انما يريد الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ ان يصيبهم ﴾ لأنه لو أراد بهم الخير لهداهم إلى القبول الذى يطابق عليه شاهد العقل بما تدعو إليه الفطرة الأولى و النقل بما فى كتبهم ، إما من الأمر بذلك الحكم بعينه ، و إما من الأمر باتباعك ﴿ ببعض ذنوبهم ۗ ﴾ أى التى هذا منها ، و أبهمه زيادة فى استدراجهم و إضلالهم و تحذيرا لهم ١٠ من جميع مساوى أعمالهم ، لئلا يعلموا عين الذنب الذى أصيبوا به ، فيحملهم ذلك على الرجوع عنه ، و يصير ذلك كالإلجاء ، أو يكون إبهامه للتعظيم كما أن التنكير يفيد التعظيم ، فيؤذن السياق بتعظيم هذا التولى[1] و بكثرة ذنوبهم و اجترائهم على مواقعتها .

و لما كان التقدير : فانهم بالتولى فاسقون ، عطف عليه : ﴿ و ان كثيرا ١٥ من الناس ﴾ أى هم و غيرهم ﴿ لفسقون ٥ ﴾ أى خارجون[2] عن دائرة الطاعات و معادن السعادات ، متكلفون لأنفسهم إظهار ما فى بواطنهم من خفى الحيلة بقوة ؛ و لما كان من المعلوم أن من أعرض عن حكم الله أقبل و لا بد على حكم الشيطان الذى هو عين الهوى الذى هو دين أهل الجهل الذين لا كتاب لهم هاد و لا شرع ضابط ، سبب عن إعراضهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : التوالى (٢) فى ظ : خارجين .

الإنكار عليهم بقوله : ﴿ الحكم الجاهلية ﴾ أى خاصة مع أن أحكامها لا يرضى بها عاقل ، لكونها لم يدع إليها كتاب ، بل إنما هى مجرد أهواء وهم أهل كتاب ﴿ يبغون ﴾ أى يريدون باعراضهم عن حكمك مع ما دعا إليه كتابهم من اتباعك[1] ، و شهد به[2] كتابك بالعجز عن معارضته من وجوب رسالتك إلى جميع الخلائق ، و قراءة[3] ابن عامر بالالتفات إلى الخطاب أدل[4] على الغضب[5] .

و لما كان حسن الحكم تابعا لإتقانه ، وكان إتقانه دائرا على صفات الكمال من تمام العلم و شمول القدرة و غير ذلك ، قال - معلما أن حكمه أحسن الحكم [6]عاطفا على ما تقديره[6] : فمن أضل منهم -: ﴿ و من ﴾ و يجوز أن تكون الجملة حالا من واو[7] يبغون ، أى[7] يريدون ذلك و الحال أنه يقال[8] : من[2] ﴿ احسن من الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿ حكما ﴾ ثم زاد فى تقريعهم بكثافة الطباع و جمود الأذهان و وقوف الأفهام بقوله معبرا بلام البيان إشارة إلى[9] المعنى بهذا الخطاب : ﴿ لقوم ﴾ أى فيهم نهضة و قوة محاولة لما يريدونه ﴿ يوقنون ﴾ / أى يوجد منهم اليقين يوما ما[2] / ٧٦ و أما غيرهم فليس بأهل للخطاب فكيف بالعتاب ! إنما عتابه شديد العقاب ، و فى ذلك أيضا غاية التبكيت لهم و التقبيح عليهم من حيث أنهم لم يزالوا يصفون أهل الجاهلية بالضلال ، و أن دينهم لم ينزل الله به

(١) من ظ ، و فى الأصل : ادعايك (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : قرا (٤) من ظ ، و فى الأصل : دل (٥) فى ظ : العطب (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : او (٨) فى ظ : نقاد - كذا (٩) زيد بعده فى ظ : ان .

من سلطان ، و قد عدلوا فى [هذه -[1]] الأحكام إليه تاركين جميع ما أنزل[2] الله من كتابهم و الكتاب الناسخ له ، فقد ارتكبوا الضلال بلا شبهة على علم ، و تركوا الحق المجمع عليه .

و لما بين عنادهم و أن عداوتهم لأهل هذا الدين التى[3] حملتهم على هذا الأمر العظيم ليس بعدها عداوة ، نهى من اتسم بالإيمان عن موالاتهم ، لأنه[4] لا يفعلها بعد هذا البيان مؤمن و لا عاقل ، فقال : ﴿ يآ ايها الذين امنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان ؛ و لما كان الإنسان لا يوالى غير قومه إلا باجتهاد فى مقدمات[5] يعملها و أشياء يتحبب بها إلى أولئك الذين يريد[6] أن يواليهم ، أشار إلى ذلك بصيغة الافتعال فقال : ﴿ لا تتخذوا ﴾ أى إن ذلك لو كان يتأتى بسهولة لما كان ينبغى لكم أن تفعلوه ، فكيف وهو لا يكون إلا ببذل الجهد ! ﴿ اليهود و النصٰرى اوليآء ﴾ أى أقرباء تفعلون معهم ما يفعل القريب مع قريبه ، و ترجون منهم مثل ذلك ، و هم أكثر الناس استخفافا بكم و ازدراء لكم ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ بعضهم اوليآء بعض[1] ﴾ أى كل فريق منهم يوالى بعضهم بعضا ، و هم جميعا متفقون - بجامع[7] الكفر و إن اختلفوا فى الدين - على عداوتكم يا أهل[8] هذا الدين الحنيفى ! ﴿ و من يتولهم منكم ﴾ أى يعالج فطرته الأولى[4] حتى يعاملهم معاملة الأقرباء ﴿ فانه منهم[1] ﴾ لأن الله غنى عن العالمين ، فمن والى أعداءه تبرأ منه و وكله إليهم ؛ ثم علل ذلك

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.
(٣) فى ظ : الذى (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مقدماته (٦) فى ظ : يريدون.
(٧) فى ظ : بمجامع (٨) فى ظ : هل .

[1]تزهيدا فيهم و ترهيبا[1] لمتوليهم بقوله : ﴿ان الله﴾ أى الذى له الغنى المطلق و الحكمة البالغة ، وكان الأصل : لا يهديهم ، أو لا يهديه ، و لكنه أظهر تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال : ﴿ لا يهدى القوم الظلمين ٥ ﴾ أى الذين يضعون الأشياء فى غير مواضعها ، فهم يمشون فى الظلام ، فلذلك اختاروا غير دين الله و والوا من لا تصلح موالاته ، و من لم يرد الله ٥ هدايته لم يقدر أحد أن يهديه ، و نفى الهداية عنهم دليل على أن العبرة فى الإيمان القلب ، إذ معناه أن هذا الذى يظهر من الإقرار[2] ممن يواليهم ليس بشىء ، لأن[3] الموالى لهم[3] ظالم بموالاته لهم ، و الظالم لا يهديه الله ، [4]فالموالى لهم لا يهديه الله[4] فهو كافر ، و هكذا كل[3] من كان يقول أو يفعل ما يدل[5] دلالة ظاهرة على كفره و إن كان يصرح[6] بالإيمان - و الله ١٠ الهادى ، و هذا تغليظ من الله و تشديد فى وجوب مجانبة المخالف فى الدين و اعتزاله - كما قال صلى الله عليه و سلم « [7]لا ترا آى ناراهما[7] » ، و منه[3] قول عمر لأبى موسى رضى الله عنهما حين اتخذ كاتبا نصرانيا : لا تكرموهم إذ أهانهم الله ، و لا تأمنوهم إذ خونهم الله ، و لا تدنوهم إذ أقصاهم الله[3] ، و روى أن أبا موسى رضى الله عنه[8] قال : لا قوام للبصرة إلا به ، ١٥

(١-١) فى ظ : ترهيبا فيهم و ترغيبا (٢) من ظ ، و فى الأصل : قرار (٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : دل ، وزيد بعده فى الأصل: على ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) من ظ ، و فى الأصل : يقرح . (٧-٧) فى ظ : لا ترى نارهما - كذا ، و الرواية مذكورة فى سنن أبى داود - الجهاد ، و سنن النسائى - القسامة (٨) فى ظ : عنهم .

فقال عمر رضى الله عنه : مات النصرانى - و السلام ، يعنى هب أنه مات فما كنت صانعا حينئذ فاصنعه الساعة .

و لما علل بذلك ، كان سببا لتميز الخالص الصحيح من المغشوش المريض ، فقال : ﴿فترى﴾ أى[1] فتسبب عن أن الله لا يهدى متوليهم أنك ٧٧/ ٥ ترى ﴿الذين فى قلوبهم مرض﴾ أى فساد / فى الدين كابن أبى و أصحابه - أخزاهم الله تعالى ﴿ يسارعون ﴾ أى [2]بسبب الاعتماد عليهم دون الله[2] ﴿ فيهم ﴾ أى فى موالاة أهل الكتاب حتى [2]يكونوا من شدة ملا بستهم كأنهم مظروفون لهم[2] كأن هذا الكلام الناهى لهم كان إغراء، و يعتلون[3] بما لا يعتل به إلا مريض الدين من النظر إلى مجرد السبب فى ١٠ النصرة عند خشية الدائرة ﴿ يقولون ﴾ أى قائلين اعتمادا عليهم و هم أعداء الله إعتذارا عن موالاتهم ﴿ نخشى ﴾ أى نخاف خوفا بالغا ﴿ ان تصيبنا دآئرة[4] ﴾ أى مصيبة محيطة[5] بنا ، و الداوئر : التى تخشى[6] ، و الدوائل : التى ترجى .

و لما نصب سبحانه هذا الدليل الذى يعرف الخالص من المغشوش، ١٥ كان فعلهم هذا للخالص[6] سببا فى ترجى أمر من عند الله ينصر به دينه ، إما الفتح أو غيره مما أحاط به علمه و كوّنته[7] قدرته يكون سببا [8]لندمهم ، فلذا[8] قال : ﴿ فعسى الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه فلا يطلب النصر إلا منه ﴿ان يأتى بالفتح﴾ أى باظهار[9] الدين على الأعداء ﴿او امر من عنده﴾

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : يعلنون (٤) فى ظ : تحيط (٥) فى ظ : يخشى (٦) فى ظ : الخالص (٧) فى ظ : لو يته (٨-٨) فى الأصل : الذمهم فلذا ، و فى ظ : لسديهم فكذا - كذا (٩) فى ظ : اظهار .

بأخذهم قتلا بأيديكم أو باخراج اليهود من أرض العرب أو بغير ذلك فينكشف لهم الغطاء .

ولما كانت المصيبة عند الإصباح أعظم، عبر به وإن كان المراد التعميم [فقال: -[1]] ﴿ فيصبحوا ﴾ أى فيسبب[2] عن كشف غطائهم أن يصبحوا ، والأحسن فى نصبه ما ذكره[3] أبو طالب العبدي فى شرح الإيضاح للفارسى من أنه جواب "عسى" إلحاقا لها بالتمنى لكونها للطمع وهو قريب منه ، ويحسنه أن الفتح[4] وندامتهم المترتبة عليه عندهم من قبيل المحال ، فيكون النصب إشارة إلى ما يخفون من ذلك ، وهو مثل ما يأتى إن شاء الله تعالى فى توجيه قراءة حفص عن عاصم فى غافر "فاطلع[5]" - بالنصب ﴿ على ما أسروا ﴾ .

ولما كان الإسرار لا يكون إلا لما يخشى من إظهاره فساد ، وكان يطلق على ما دار بين جماعة [خاصة -[1]] على وجه الكتمان عن غيرهم ، بين أنه أدق[6] من ذلك وأنه على الحقيقة مَنَعَهم خوفهم من غائلته[7] وغرته عندهم أن يبرزوه إلى الخارج فقال: ﴿ فى أنفسهم ﴾ أى من تجويز محو هذا الدين وإظهار غيره عليه ﴿ نادمين ﴾ أى ثابت لهم غاية الندم فى الصباح وغيره ﴿ ويقول الذين آمنوا ﴾ من[8] رفعه عطفه على[8] معنى "نادمين[9]" فإن أصله: يندمون ، ولكنه عبر بالاسم إعلاما بدوام ندمهم

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : فتسبب (٣) فى ظ : ذكر (٤) فى ظ : بالفتح.
(٥) آية ٣٧ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : عائلته - كذا (٨-٨) من ظ ، وفى الأصل: عطف عليه (٩) فى ظ : النادمين .

بشارة بدوام الظهور لهذا الدين[1] على كل دين ، أو على " يقولون نخشى "، و من أسقط الواو جعله حالا ، و من نصبه جاز أن يعطفه على " يصبحوا " أى يكون ذلك سببا لتحقق المؤمنين أمر المنافقين بالمسارعة فى أهل الكتاب عند قيامهم سرورا بهم و الندم عند خذلانهم و محقهم ،
٥ فيقول بعض المؤمنين لبعض تعجبا من حالهم و اغتباطا بما منّ الله عليهم به من التوفيق فى الإخلاص مشيرين إلى المنافقين تنبيها و إنكارا : ﴿ أَهَٰؤُلَاءِ ﴾ أى الحقيرون ﴿ الذين اقسموا بالله ﴾ أى و هو الملك الأعظم ﴿ جهد ايمانهم ﴾ أى مبالغين فى ذلك اجتراء على عظمته ﴿ انهم لمعكم ﴾ أيها المؤمنون ! و يجوز أن يكون هذا القول من المؤمنين لليهود فى
١٠ حق المنافقين [2] حيث قاسموهم [2] على النصرة ؛ ثم ابتدأ جوابا من بقية
/٧٨ كلام المؤمنين أو من كلام الله لمن كأنه قال : / فما ذا يكون حالهم ؟ فقال : ﴿ حبطت ﴾ أى [3] فسدت فسقطت ﴿ اعمالهم فاصبحوا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنهم صاروا ﴿ خسرين ﴾ أى دائمى الخسارة بتعبهم فى الدنيا بالأعمال و خيبة الآمال ، و جنايتهم فى الآخرة الوبال ، و عبر
١٥ بالإصباح لأنه لا أقبح من مصابحة السوء لما فى ذلك من البغتة [4] بخلاف ما ينتظر و يؤمل .

و لما نهى [5] عن موالاتهم و أخبر أن فاعلها منهم ، نفى المجاز مصرحا بالمقصود فقال مظهرا لنتيجة ما سبق : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الداعى (٢ - ٢) فى ظ : بحيث سموهم - كذا .
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : البعث (٥) فى ظ : انهى .

أى أقروا بالإيمان ! من يوالهم[1] منكم - هكذا كان الأصل ، و لكنه صرح [2]بأن ذلك[2] ترك الدين فقال : ﴿ من يرتد ﴾ و لو على وجه خفى - بما أشار إليه الإدغام فى قراءة من سوى المدنيين و ابن عامر ﴿منكم عن دينه﴾ أى[3] الذى معناه موالاة أولياء الله و معاداة[4] أعداء الله ، فيوالون أعداءه و يتركون أولياءه ، فيبغضهم الله و يبغضونه ، و يكونون أعزة على ٥ المؤمنين أذلة على الكافرين ، فالله غنى عنهم ﴿ فسوف يأتى الله ﴾ أى الذى له الغنى المطلق و العظمة البالغة مكانهم و إن طال المدى بوعد صادق لا خلف فيه ﴿ بقوم[5] ﴾ أى[3] يكون حالهم ضد حالهم ، يثبتون على دينهم[6] ، و هم أبو بكر و التابعون له باحسان - رضى الله عنهم .

[7]و لما كانت محبته أصل كل سعادة قدمها فقال: ﴿يحبهم﴾ فيثبتهم ١٠ عليه و يثيبهم بكرمه أحسن الثواب ﴿و يحبونه[6] ﴾ فيثبتون عليه ، ثم وصفهم بما يبين ذلك فقال : ﴿ اذلة ﴾ و هو جمع ذليل[7] ؛ و لما كان ذلهم هذا إنما هو الرفق و لين الجانب لا الهوان ، كان فى الحقيقة عزا ، فأشار[8] إليه بحرف الاستعلاء مضمنا له معنى الشفقة ، فقال[7]مبينا أن تواضعهم عن علو منصب و شرف[7]: ﴿ على[9] المؤمنين ﴾ أى لعلمهم أن الله يحبهم ١٥ ﴿اعزة على الكفرين[6] ﴾ أى يظهرون[10] الغلظة و الشدة عليهم لعلمهم أن الله خاذلهم و مهلكهم و إن اشتد أمرهم و ظهر علوهم و قهرهم ، فالآية

(١) من ظ ، و فى الأصل : يواليهم (٢ - ٢) فى ظ : بذلك (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : معادة (٥) زيد بعده فى ظ : يحبهم و يحبونه (٦) من ظ ، و فى الأصل : دينه (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : اشار (٩) زيد قبله فى ظ : اذلة (١٠) من ظ ، و فى الأصل : يظهر كل - كذا .

من الاحتباك : حذف أولا البغض و ما يثمره لدلالة الحب عليه ، و حذف ثانيا الثبات لدلالة الردة عليه ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ يجاهدون ﴾ أى يوقعون الجهاد على الاستمرار لمن يستحقه من غير ملال و لا تكلف كالمنافقين ، و حذف المفعول تعميما و دل عليه مؤذنا بأن الطاعة محيطة بهم فقال : ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى طريق الملك الأعظم الواسع المستقيم الواضح ، لا لشيء غير ذلك كالمنافقين .

و لما كان المنافقون يخرجون فى الجهاد[1] ، فصلهم منهم بقوله : ﴿ و لا ﴾ أي و الحال أنهم لا ﴿ يخافون لومة ﴾ أى واحدة من لوم ﴿ لآئم ﴾ و إن كانت عظيمة وكان هو عظيما ، فبسبب[2] ذلك هم صلاب فى دينهم ، إذا شرعوا فى أمر من أمور الدين[3] - أمر بمعروف أو نهى عن منكر - كانوا كالمسامير[4] المحماة ، لا يروّعهم قول قائل و لا اعتراض معترض ، و يفعلون فى الجهاد فى *ذلك جميع* ما تصل[6] قدرتهم و تبلغ قوتهم إليه من إنكال[7] الأعداء و إهانتهم و مناصرة الأولياء و معاضدتهم ، و ليسوا كالمنافقين يخافون لومة[8] أوليائهم من اليهود فلا يفعلون و إن كانوا مع[9] المؤمنين شيئا ينكيهم .

و لما كانت هذه الأوصاف من العلو فى رتب المدح بمكان لا يلحق ، قال مشيرا إليها / بأداة البعد و اسم المذكر : ﴿ ذلك ﴾ أى الذى تقدم من /٧٩

(١) زيد بعده فى ظ : به (٢) فى ظ : فسبب (٣) فى ظ : النهى (٤) فى ظ : كالمنامير.
(٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : جميع ذلك (٦) فى ظ : يصل (٧) فى ظ : انكا.
(٨) فى ظ : لوم (٩) فى ظ : من .

أوصافهم العالية ﴿ فضل الله ﴾ أى الحاوى لكل كمال ﴿ يؤتيه ﴾ أى الله لأنه خالق لجميع أفعال العباد ﴿ من يشآء[1] ﴾ أى فليبذل الإنسان كل الجهد فى طاعته لينظر إليه [هذا النظر -] برحمته ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ واسع ﴾ أى محيط بجميع أوصاف الكمال، فهو يعطى من سعة ليس لها حد ولا يلحقها أصلا نقص[2] ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم بمن يستحق الخير ومن يستوجب غيره، وبكل ما يمكن علمه[3].

ولما نفى سبحانه ولايتهم بمعنى المحبة [4]وبمعنى النصرة[4] وبمعنى القرب بكل اعتبار، أنتج ذلك حصر ولاية كل من يدعى الإيمان فيه وفى أوليائه فقال: ﴿ انما وليكم الله ﴾ أى لأنه القادر[5] على ما يلزم الولى، ولا يقدر غيره على شىء من ذلك إلا به سبحانه؛ ولما ذكر الحقيق باخلاص الولاية له معلما بافراد المبتدإ أنه[6] الأصل فى [ذلك -[1]] وما عداه تبع، أتبعه من تعرف[7] ولايته سبحانه بولايتهم بادئا بأحقهم فقال: ﴿ ورسوله ﴾ وأضافه إليه إظهارا لرفعته ﴿ والذين امنوا ﴾ أى أوجدوا الإيمان وأقروا به، ثم وصفهم بما يصدق دعواهم الإيمان فقال: ﴿ الذين يقيمون الصلوٰة ﴾ أى تمكينا لوصلتهم بالخالق ﴿ ويؤتون الزكوٰة ﴾ إحسانا إلى الخلائق، وقوله: ﴿ وهم رٰكعون ﴾ يمكن أن يكون معطوفا على "يقيمون" أى [8]ويكونون[8] من أهل الركوع، فيكون فضلا مخصصا

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: بعض (٣) فى ظ: حكمه (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: قادر (٦) من ظ، وفى الأصل: لانه (٧) فى ظ: يعرف. (٨-٨) فى ظ: يكون.

[1]بالمؤمنين المسلمين[1] ، و ذلك لأن[2] اليهود و النصارى لا ركوع فى صلاتهم - كما يمضى بيانه فى آل عمران ، و يمكن أن يكون حالا من فاعل الإيتاء؛ و فى أسباب النزول أنها نزلت فى على رضى الله عنه ، سأله سائل و هو راكع فطرح له خاتمه . و جمع و إن كان السبب واحدا ترغيبا فى مثل فعله من فعل الخير و التعجيل به لئلا يظن أن ذلك خاص به .

و لما كان التقدير : فمن يتول غيرهم فأولئك حزب الشيطان ، و حزب الشيطان هم الخاسرون ، عطف عليه : ﴿و من يتول الله﴾ أى يجتهد فى ولاية الذى له مجامع العز ﴿و رسوله﴾ الذى خُلقه القرآن ﴿و الذين آمنوا﴾ و أعاد[3] ذكر من خص الولاية بهم تبركا بأسمائهم و تصريحا بالمقصود ، فانهم الغالبون[4] - هكذا كان الأصل ، و لكنه أظهر ما شرفهم به ترغيبا لهم فى ولايته فقال : ﴿فان حزب الله﴾ أى القوم الذين[5] يجمعهم على ما يرضى الملك الأعلى ما حزبهم أى اشتد عليهم فيه ﴿هم الغلبون ع﴾ أى لا غيرهم، بل غيرهم مغلوبون ، ثم إلى النار محشورون ، لأنهم حزب الشيطان .

و لما نبه سبحانه على العلل المانعة من ولاية الكفار و حصر الولاية فيه سبحانه ، أنتج ذلك قطعا قوله منبها على علل أخرى موجها للبراءة منهم: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أى أقروا بالإيمان ، و نبه بصيغة الافتعال على أن من

(١ - ١) فى ظ : بالمسلمين (٢) فى ظ : ان (٣) فى ظ : عاد (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) فى ظ : الذى .

يوالهم[1] يجاهد عقله على ذلك اتباعا لهواه فقال : ﴿ لا تتخذوا الذين اتخذوا ﴾ أى بغاية الجد و الاجتهاد منهم ﴿ دينكم ﴾ أى الذى شرفكم الله به ﴿ هزوا و لعبا ﴾ ثم بين المنهى عن موالاتهم بقوله : ﴿ من الذين ﴾ .

[و لما كان المقصود بهم منح العلم ، و هو كاف من غير حاجة إلى تعيين المؤتى ، بنى للمجهول قوله -[2]] : ﴿ اوتوا الكتب ﴾ [3]و لما كان تطاول الزمان له تأثير فيما عليه الإنسان من طاعة أو عصيان[3] ، [و -[2]] كان الإيتاء المذكور لم يستغرق [4]زمان القبل[4] قال : ﴿ من قبلكم ﴾ يعنى أنهم فعلوا الهزو عنادا بعد تحققهم صحة الدين .

و لما خص عم فقال : ﴿ و الكفار ﴾ أى / [من -[3]] عبدة الأوثان الذين لا علم لهم نُقِلَ عن الأنبياء ، و إنما ستروا ما وضح لعقولهم من الأدلة فكانوا ضالين ، و كذا غيرهم ، سواء علم أنهم يستهزؤن أو لا ، كما أرشدت إليه [غير -[2]] قراءة البصريين و الكسائى بالنصب ﴿ اولياء ج ﴾ أى فان الفريقين اجتمعوا على حسدكم و ازدرائكم ، فلا تصح لكم موالاتهم أصلا .

و لما كان المستحق لموالاة[5] شخص - إذا تركه و والى غيره - يسعى فى إهانته ، حذرهم وقوعهم بموالاتهم[6] على ضد[7] مقصودهم فقال :

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يواليهم (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : الزمان القليل .
(٥) فى ظ : لمولاة (٦) زيد بعده فى ظ : تركهم (٧) سقط من ظ .

﴿ [١] و اتقوا الله ﴾ من له الإحاطة الكاملة ، فان من والى غيره عاداه ، و من عاداه هلك هلا كا لا يضار معه ﴿ ان كنتم مؤمنين ٥ ﴾ أى راسخين فى الإيمان بحيث صار لكم جبلة و طبعا ، فان لم تخافوه بأن تتركوا ما نهاكم عنه فلا إيمان .

٥ و لما عم فى بيان استهزائهم جميع الدين ، خص روحه و خالصته و سره فقال[١] : ﴿ و اذا ناديتم ﴾ أى دعا بعضكم الباقين إلى الإقبال إلى الندى و هو المجتمع ، فأجابه الباقون بغاية الرغبة ، و منه دار[٢] الندوة ، أو يكون المعنى أن[٣] المؤذن كلم[٣] المسلمين برفع صوته كلام من هو معهم[٤] فى الندى بالقول فأجابوه بالفعل ، فكان ذلك مناداة - هذا أصله ،

١٠ فعبر بالغاية التى يكون الاجتماع بها[٥] فقال مضمنا له الانتهاء : ﴿ الى الصلوٰة ﴾ [أى -[٦]] التى هى أعظم دعائم الدين ، و موصل إلى الملك العظيم ، و عاصم [٧]بحبله المتين[٧] ﴿ اتخذوها ﴾ على ما لها من العظمة و الجد و البعد من الهزء بغاية هممهم[٨] و عزائمهم ﴿ هزوا و لعبا[١] ﴾ فيتعمدون[٩] الضحك و السخرية و يقولون : صاحوا كصياح العير - و نحو هذا ، و بين

١٥ سبحانه أن سبب ذلك عدم انتفاعهم بعقولهم فكأنهم[٣] لا عقول لهم ، و ذلك لأن تأملها - فى التطهر لها و حسن حال فاعلها عند التلبس بها من التخلى[١٠] عن الدنيا جملة و الإقبال على الحضرة الإلهية ، و التحلى[١١]

(١-١) سقط مابين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : د (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) من ظ . و فى الاصل : لها (٦) زيد من ظ .
(٧-٧) فى ظ : تنه المتن - كذا (٨) فى ظ : عملهم (٩) فى ظ : فيعتمدون .
(١٠) من ظ . و فى الأصل : المصلى (١١) فى ظ : بالتحلى .

بالقراءة[1] لأعظم الكلام، و التخشع و التخضع لملك الملوك الذى لم تخف[2] عظمتُه على أحد، و لا نازع قط فى كبريائه و قدرته منازع - بمجرده كافٍ فى اعتقاد حسنها و جلالها و هيبتها و كمالها فقال: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الشناعة ﴿ بانهم قوم ﴾ و إن كانوا أقوياء لهم قدرة على القيام فى الأمور ﴿ لا يعقلون ٥ ﴾ أى ليست لهم هذه الحقيقة، ٥ و لو كان لهم شىء من عقل لعلموا أن النداء بالفم أحسن من التبويق[3] و ضرب الناقوس بشىء لا يقاس، و أن التذلل بين يدى الله بالصلاة أمر لا شىء أحسن منه بوجه، و للأذان من الأسرار ما تعجز عنه الأفكار، منه أنه جعل تسع عشرة كلمة، ليكف الله به عن قائله خزنة النار التسعة عشر[4]، و جعلت الإقامة إحدى عشرة كلمة رجاء أن يكون ١٠ معتقدها رفيقا لأحد عشر: العشرة المشهود لهم بالجنة. و قطبهم و قطب الوجود كله النبى صلى الله عليه و سلم، و ناهيك أن من أسراره أنه جمع الدين كله أصولا و فروعا - كما بينت ذلك فى كتابى «الإيذان بفتح أسرار التشهد و الأذان».

و لما كانت النفوس نزاعة إلى الهوى، عمية عن المصالح، جامحة[5] ١٥ عن الدواء بما وقفت عنده من النظر إلى [زينة - [6]] الحياة الدنيا، وكان الدليل على سلب العقل عن أهل الكتاب دليلا على العرب بطريق الأولى، وكان أهل الكتاب لكونهم أهل علم لا ينهض بمحاجتهم

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) فى ظ: لم يخف (٣) من ظ، أى النفخ فى البوق، وفى الأصل: الصوين - كذا (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: حامحه - كذا. (٦) زيد من ظ.

إلا[1] الأفراد من خلص العباد ، قال تعالى دالاً على ما ختم به الآية من عدم عقلهم آمراً لأعظم خلقه بتبكيتهم[2] و توبيخهم و تقريعهم : ﴿ قل ﴾ و أنزلهم بمحل البعد فقال مبكتاً لهم بكون العلم لم يمنعهم / عن الباطل : ﴿ يآهل الكتب ﴾ أى من اليهود و النصارى ﴿ هل تنقمون ﴾ أى تنكرون و تكرهون و تعيبون ﴿ منآ الآ ان امنا ﴾ أى أوجدنا الإيمان[3] ﴿ بالله ﴾ أى لما له من صفات الكمال التى ملأت الأقطار و جاوزت حد الإكثار ﴿ و مآ انزل الينا ﴾ أى لما له من الإعجاز فى حالات الإطناب و التوسط و الإيجاز ﴿ و مآ انزل ﴾

٨١

و لما كان إنزال الكتب و الصحف لم يستغرق زمان المضى ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبل ﴾ [أى -[4]] لما شهد له كتابنا ، و هذه الأشياء التى آمنا بها لا يحيد فيها عاقل ، لما لها من الأدلة التى وضوحها يفوق الشمس ، فحسنها لا شك فيه و لا لبس ﴿ و ان ﴾ أى آمنا كلنا مع أن [أو و -[4]] الحال أن ﴿ اكثركم ﴾ قيد به إخراجاً لمن يؤمن منهم بما دل عليه التعبير بالوصف ﴿ فسقون ﴾ أى عريقون[5] فى الفسق ، و هو الخروج عن دار السعادة بحيث لا يمكن منهم رجوع إلى المرضى من العبادة ، فبين أنهم لا ينقمون من المؤمنين إلا المخالفة[6] ، و المخالفة إنما هى بإيمان المسلمين بالله و ما أمر به ، و كفر أهل الكتاب بجميع ذلك مع علمهم بما تقدم لهم أن من آمن [بالله -[4]] كان الله معه ،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تبكيتهم (٣) فى ظ : لايمان (٤) زيد من ظ .
(٥) فى ظ : غريقون (٦) فى ظ : المخالفين .

فنصره على كل[1] من يناويه، و جعل مآله إلى الفوز الدائم، و أن من كفر تبرأ منه فأهلكه فى الدنيا، و جعل مآله إلى عذاب لا ينقضى[2] سعيره، و لا ينصرم أنينه و زفيره، و من ركب ما[3] يؤديه إلى ذلك على علم منه و اختيار لم يكن أصلا أحد أضل منه و لا أعدم عقلا، و تخصيص النقم بما صدر من المؤمنين يمنع عطف "و ان" على "ان[1] امنا". ٥

و لما أنزلهم[4] سبحانه إلى عداد البهائم بكونهم[5] ينسبونهم إلى الشر، بجعلهم إياهم موضع الهزء و اللعب[6] و بكونهم ينظرون إلى أى من خالفهم، فيبعدون منه و ينفرون عنه من غير أن يستعملوا ما امتازوا به عن[7] البهائم فى أن المخالف ربما كان فيه الدواء، و المكروه قد يؤول إلى الشفاء، و المحبوب[8] يجر إلى العطب و التوى، بين لهم أن تلك رتبة سنية و منزلة ١٠ علية بالنسبة إلى ما هم فيه، فقال على سبيل التنزل و إرخاء العنان: ﴿قل﴾ أى يا من لا ينهض بمحاجتهم لعلمهم و لددهم غيره لما جبلت[9] عليه من قوة الفهم ثم لما أنزل عليك[10] من العلم ﴿هل انبئكم﴾ أى أخبركم إخبارا متقنا معظما جليلا[11] ﴿بشر من ذلك﴾ أى الأمر الذى نقمتموه علينا مع كونه قيما و إن تعاميتم [عنه ـ[12]]، و وحد حرف الخطاب إشارة ١٥ إلى عمى قلوبهم و أن هذه المقايسة لا يفهمها[13] حق الفهم إلا المؤيد بروح

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا تنقضى (٣) فى ظ : بما (٤) من ظ ، و فى الأصل : الزمهم (٥) فى ظ : لكونه (٦) من ظ ، و فى الأصل : العجب. (٧) من ظ ، و فى الأصل : من (٨) فى ظ : الجنون (٩) من ظ ، و فى الأصل : دالت ـ كذا (١٠) فى ظ : اليك (١١) فى ظ : جليا (١٢) زيد من ظ (١٣) فى ظ : لا يقيمها .

من الله ﴿ مثوبة ﴾ أى جزاء صالحا يرجع إليه، فان المثوبة للخير كما أن العقوبة للشر، و هى مصدر ميمى كالميسور و المعقول؛ ثم نوه بشرفه بقوله : ﴿ عند الله[٤] ﴾ أى المحيط بصفات الجلال و الإكرام، ثم رده أسفل سافلين بيانا لأنه استعارة تهكمية[١] على طريق : تحية[٢] بينهم ضرب وجيع . بقوله - جوابا لمن كأنه قال : نعم - : ﴿ من[٣] ﴾ أى مثوبة من ﴿ لعنه الله ﴾ أى أبعده [الملك الأعظم - [٤]] و طرده ﴿ و غضب عليه ﴾ أى أهلكه ، و دل على اللعن و الغضب بأمر محسوس فقال : ﴿ و جعل ﴾ و دل على كثرة المعلونين بجمع الضمير فقال : ﴿ منهم ﴾ أى بالمسخ على معاصيهم ﴿ القردة ﴾ تارة ﴿ و الخنازير ﴾ أخرى ، و التعريف للجنس ، و قال ابن قتيبة : إن التعريف يفيد ظن أنهم لم ينقرضوا بل توالدوا حتى كان منهم أعيان ما تعرفه من النوعين ، فما أبعد من كان منهم هذا من أن يكونوا أبناء الله و أحباءه! ثم عطف - على قراءة الجماعة - [على - [٤]] قوله " لعنه الله[٣] " سبب ذلك بعد أن قدم المسبب اهتماما به لصراحته[٥] فى[٣] المقصود ، مع ان اللعن و الغضب سبب حقيقى ، و العبادة سبب ظاهرى ، / فقال : ﴿ و عبد الطاغوت[٤] ﴾ و قرأه حمزة بضم الباء على أنه جمع ، و الإضافة عطف على القردة ، فهو - كما قال فى القاموس - اللات و العزى و الكاهن و الشيطان و كل رأس ضلال و الأصنام و كل ما عبد من دون الله و مردة أهل الكتاب ، للواحد و الجمع ، فلعوت[٦] من :

٨٢ /

(١) فى ظ : تهكيمية (٢) فى ظ : من (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ .
(٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فحذفناها (٦) من القاموس ، وفى الأصل و ظ : فعاوت، وفى اللسان : وأصل وزن طاغوت طغيوت على=

طغوت[1]، و كل هذه المعانى تصلح ههنا. أما اللات و العزى و غيرهما مما لم يعبدوه صريحا فلتحسينهم[2] دين أهله حسدا للإسلام[3]، و قد عبدوا الأوثان فى كل زمان حتى فى زمان موسى عليه السلام كما فى[4] نص التوراة: ثم بالغوا فى النجوم لاستعمال السحر فشاركوا الصابئين فى ذلك. فمعنى الآية: تنزلنا إلى أن نسبتكم لنا إلى الشر [5]صحيحة، و[5] لكن لم يأت كتاب بلعننا و لا بالغضب علينا و لا مسخنا قردة و لا خنازير، و لا عبدنا غير الله منذ أقبلنا عليه، و أنتم قد وقع بكم جميع[4] ذلك، لا تقدرون أن تتبرؤا من شىء منه، فلا يشك عاقل أنكم شر منا و أضل، و العاقل من إذا [6]دار أمره[6] بين شرين لم يختر إلا أقلهما شرا، فثبت كالشمس صحة دعوى أنهم قوم لا يعقلون، و لذلك ختم الآية بقوله: ﴿ اولـٰئك ﴾ أى البعداء البغضاء الموصوفون باللعن و ما معه ﴿شر مكانا ﴾ و إذا كان ذلك لمكانهم فما ظنك بأنفسهم، فهو كناية عن نسبتهم إلى العراقة فى الشر ﴿ و اضل ﴾ أى ممن نسبوهم إلى الشر و الضلال، و سلم لهم ذلك فيهم[7] إرخاء للعنان قصدا للإبلاغ فى البيان ﴿ عن سوآء ﴾ أى قصد و عدل ﴿ السبيل ٥ ﴾ أى الطريق، و يجوز أن تكون الإشارة فى ذلك إلى ما دل عليه الدليل الأول من عدم عقلهم و لا تنزل حينئذ، و إنما[8] قلت: إنهم لا يقدرون على إنكار شىء

=فعلوت، ثم قدمت الياء قبل الغين محافظة على بقائها فصار طيغوت و وزنه فلعوت.

(١) من القاموس، و فى الأصل: طغوا، و فى ظ: صعود - كذا (٢) من ظ، و فى الأصل: فلتحسين (٣) من ظ، و فى الأصل: لاسلام (٤) سقط من ظ.

(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) فى ظ: او امرة (٧) فى ظ: فهم.

(٨) فى ظ: لما.

من ذلك، لأن فى نص التوراة التى بين أظهرهم فى السفر الخامس: فالرب يقول لكم و يأمركم أن تكونوا له شعبا حبيبا، و تحفظوا[1] جميع وصاياه و تعملوا بها، فانه يرفعكم فوق جميع الشعوب، و إذا جزتم الأردن انصبوا الحجارة التى آمركم بها اليوم على جبل[2] عبل[3] و كلسوها بالكلس، و ابنوا هناك مذبحا من حجارة لم يقع عليها حديد، و لكن ابنوا الحجارة كاملة لم تقطع، و قربوا / عليها ذبائح كاملة أمام الله ربكم، و كلوا هناك و افرحوا أمام الله ربكم، و اكتبوا على تلك الحجارة جميع آيات هذه السنة. ثم عين موسى رجالا يقومون على جبل إذا جازوا[4] الأردن و يهتفون بصوت عال و يقولون لبنى إسرائيل: ملعونا يكون الذى[5] يتخذ أصناما مسبوكة و أوثانا منحوتة أمام الرب. و الشعب كلهم يقولون: آمين! ملعونا يكون من ينقل حد صاحبه و يظلمه فى أرضه، و يقول الشعب كلهم: آمين! ملعونا يكون من يضل الأعمى عن الطريق[6] و يقول الشعب كلهم: آمين! [6]ملعونا يكون من يحيف على المسكين و اليتيم و الأرملة فى القضاء، و يقول الشعب كلهم: آمين[6] - إلى أن قال: ملعونا يكون[7] كل من لا يثبت على عهد آيات هذه التوراة و يعمل بها، و يقول الشعب[7] كلهم: آمين! ثم قال: و إن أنتم لم تسمعوا قول الله ربكم و لم تحفظوا[8] و لم تعملوا بجميع سننه و وصاياه التى آمركم بها اليوم، ينزل بكم هذا اللعن الذى أقص

/ ٨٢

(١) من ظ، و فى الأصل: تحفظون (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: حبل، و فى التوراة: عيبال، و هو قريب مما أثبتناه من ظ (٤) فى ظ: جاوزوا (٥) فى ظ: التى (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: يقول من - كذا (٨) فى الأصل و ظ: لا تحفظوا - كذا.

عليكم

عليكم كله و يدرككم العقاب ، و تكونوا ملعونين فى القرية ، ملعونين[1]
فى الحرب ، و يلعن/ نسلكم و ثمار أرضكم ، و تكونون ملعونين إذا دخلتم ٨٣ /
و ملعونين إذا خرجتم ، ينزل بكم الرب البلاء و الحشرات ، و ينزل بكم
الضربات الشديدة ، و بكل شىء تمدون أيديكم إليه لتعملوه حتى يهلككم
و يتلفكم سريعا من أجل سوء أعمالكم و تركككم لعبادتى[2] ، و يسلط عليكم ٥
هذه الشعوب حتى تهلكوا ، و[3] تكون السماء التى فوقكم عليكم [4]شبه النحاس ،
و الأرض تحتكم[4] شبه الحديد ، و يكسركم الرب بين يدى أعدائكم ،
تخرجون إليهم فى طريق واحدة و تهربون فى سبعة طرق ، و تكونون مثلا
و قرعا لجميع مملكات الأرض ، و [5]تكون جيفكم مأكلا[5] لجميع السباع
و طيور السماء و لا يذب أحد عنكم ، تكونون[6] مقهورين مظلومين مغصوبين ١٠
كل أيام[7] حياتكم ، يسبى بنيك و بناتك شعب آخر و تنظر[8] إليهم و لا تقدر
لهم على خلاص ، و تكون[6] مضطهدا مظلوما طول عمرك يسوقك الرب ،
و يسوق[9] ملكك الذى ملكه عليك إلى شعب لم يعرفه أبوك ، و تعبد هناك
آلهة أخرى عملت من خشب و حجارة ، و تكون مثلا و عجبا ، و يفكر
فيك كل من يسمع خبرك فى جميع الشعوب التى يفرقكم الله فيها ، تزرع[10] ١٥
كثيرا و تحصد قليلا ، و يتعظم عليك سكانك و يصيرون فوقك ، هذا اللعن

(١) فى ظ : مغلوبين (٢) فى ظ : لعبادى (٣) من ظ ، و فى الأصل : او .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥ - ٥) فى ظ : يكون جيلكم كاملا - كذا .
(٦) فى ظ : يكونون (٧) زيدت الواو بعده فى ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل :
تنتظر (٩) من ظ ، و فى الأصل : يسوقك (١٠) فى ظ : يزرع .

كله يلزمك و ينزل بك و يدركك حتى تهلك ، لأنك لم تقبل قول الله ربك ، و لم تحفظ سننه و وصاياه التى أمرك بها ، و تظهر فيك آيات و عجائب و فى نسلك إلى الأبد ، لأنك لم تعبد الله ربك و لم تعمل بوصاياه ، و يصير أعداؤك دق الحديد على عنقك ، و يسلط الله عليك شعبا يأتيك و أنت

٥ جائع ظمآن عريان فقير ، قد أعوزك كل شيء يحتاج إليه ، و تخدم[1] أعداءك ، و يسرع إليك مثل طيران النسر شعب لا تعرف نعتهم ، شعب وجوههم صفيقة[2] ، لا تستحيي من الشيوخ و لا ترحم الصبيان ، و يضيق عليك فى جميع قراك حتى يظفر[3] بسوراتك المشيدة التى تتوكل[4] عليها و تثق بها فى كل أرضك ، و تضطر حتى تأكل لحم ولدك ، و الرجل المدلل منكم المفنق[5] تنظر عيناه

١٠ إلى أخيه و خليله و إلى من بقى من ولده جائعا ، لا يعطيهم من لحم[6] ابنه الذى يأكله[7] لأنه لا يبقى عنده شيء من الاضطهاد[8] و الضيق الذى يضيق عليك عدوك ، و إن لم تحفظ و تعمل بجميع الوصايا و السنن التى كتبت فى هذا الكتاب و تتقى الله ربك و تهب[9] اسمه[10] المحمود المرهوب يخصك[11] الرب بضربات موجعة ، و يبتليك بها و يبتلى نسلك من بعدك ، و يبقى

١٥ من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التى كانت قد صارت مثل نجوم السماء ،

(١) فى ظ : يخدم (٢) فى ظ : ضعيف (٣) من ظ ، و فى الأصل : تظفر (٤) من ظ ، و فى الأصل : توكل (٥) أى المنعم المرفه ، و فى الأصل و ظ : المفيق .
(٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٧) من التوراة - الأصحاح الثامن و العشرين ، و فى الأصل و ظ : ياكل (٨) فى ظ : الاطهاد .
(٩) فى الأصل و ظ : تهاب (١٠) من ظ ، و فى الأصل : اسمك (١١) فى ظ : شخطك .

لأنك لم تسمع قول الله ، كما فرّحكم الرب و أنعم عليكم [و كثركم -[1]]
[كذلك يفرح الرب لكم -[2]] ليستأصلكم بالعقاب و النكال ، و يدمر عليكم
و يتلفكم ، و تجلون عن الأرض التى تدخلونها لترثوها[3] ، و يفرقكم
الرب بين جميع الشعوب - هذه أقوال العهد التى أمر الله بها موسى[4] أن
يعاهد[3] بنى إسرائيل فى أرض موآب سوى العهد الذى عاهدهم[5] بحوريب ، ٥
فان قالوا[6] : نحن لم ننقض بعد موسى عليه السلام حتى يلزمنا هذا اللعن
المشروط بنقض العهد ! قيل : قد شهد عليكم بذلك ما بين أيديكم من كتابكم ،
فانه قال فى آخر أسفاره ما نصه : و قال الرب لموسى : قد دنت أيام وفاتك
[7]فادع يشوع و[7] قوما فى قبة الزمان لآمره بما أريد ، و انطلق يشوع[8]
و موسى و قاما فى قبة الزمان ، و ظهر الرب فى قبة الزمان بعمود من ١٠
سحاب ، و قام عمود من سحاب فى باب[3] قبة الزمان ، و قال / الرب لموسى : ٨٤ /
أنت مضطجع منقلب إلى آبائك ، فيقوم هذا الشعب فيضل و يتبع آلهة
أخرى آلهة الشعوب التى تدخل و ترى و تسكن بينها ، و يخالفنى و يبطل
عهدى[9] الذى عهدته ، و يشتعل غضبى عليه فى ذلك اليوم ، و أخذلهم
و أدير وجهى عنهم ، و يصيرون مأكلا لأعدائهم ، و يصيبهم شر شديد ١٥
و غم طويل ، لأنهم تبعوا الآلهة الأخرى ، فاكتب لهم الآن هذا[3] التسبيح
و علمه بنى إسرائيل و صيره فى أفواههم ، ليكون هذا التسبيح شهادة على

(١) زيد من ظ (٢) زيد من التوراة (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى التوراة فحذفناها (٥) فى الأصل و ظ : عاهدكم (٦) فى ظ : قال (٧ - ٧) فى ظ : واع يسوع - كذا (٨) فى ظ : يسوع (٩) زيدت الواو بعده فى ظ .

بنى إسرائيل، لأنى مدخلهم الأرض التى أقسمت لآبائهم، الأرض التى تفل السمن و العسل، و يأكلون و يشبعون و يتلذذون، و يتبعون الآلهة الأخرى و يعبدونها، و يغضبونى و يبطلون[1] عهدى، فاذا نزل بهم هذا الشر الشديد و الغموم يتلى عليهم هذا التسبيح للشهادة، و لا تعدمه أفواه ٥ ذريتهم، لأنى عالم بأهوائهم وكل ما يصنعونه ههنا اليوم قبل أن أدخلهم الأرض التى أقسمت لآبائهم، وكتب موسى هذا التسبيح ذلك اليوم و علمه بنى إسرائيل - و ذكر بعد هذا كله ما ذكرته عند "انا اوحينا اليك كما اوحينا إلى نوح [2]و النبين[2] " فى النساء فراجعه؛ ثم قال: أنصتى أيتها السماء فأتكلم، و لتسمع الأرض النطق من فىّ لأنها ترجو كلامى عطشانة، ١٠ و كمثل[3] الندى ينزل قولى و كالمطر على النخيل و شبه الضباب على العشب[4]، لأنى دعوت باسم الرب أبدا و بالتعظيم لله الرب العدل و ليس عنده ظلم، الرب البار الصادق، أخطأ أولاد الأنجاس، الجيل المتعوج المنقلب، و بهذا[5] كافأوا الرب، لأنه شعب جاهل و ليس بحليم، أليس الرب استخلصك و خلقك! اذكروا أيام[6] الدهر و تفهموا ما مضى من سنى ١٥ جيلا بعد جيل، استخبر أباك فيخبرك، و شيوخك فيفهموك[7]، حين قسم[8] العلى للأمم[9] بنى آدم الذين فرقهم[10]، أقام حدود الأمم على عدد الملائكة[11]،

(١) فى ظ: يطلبون (٢) سقط ما بين الرقمين من ظ، و رقم هذه الآية ١٦٣.
(٣) من ظ، و فى الأصل: كل (٤) من ظ و التوراة، و فى الأصل: الشعب.
(٥) من ظ، و فى الأصل: هذا (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: يفهموك (٨) فى ظ: القسم (٩) من التوراة، و فى الأصل و ظ: الامم (١٠) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، و لم تكن فى التوراة فحذفناها (١١) فى التوراة: بنى إسرائيل - راجع الأصحاح الثانى و الثلاثين منها.

و صار[1] جزء الرب شعبه[2]، يعقوب[3] حبل ميراثه، إسرائيل فأرواه فى البرية من عطش الحر حيث لم يكن ماء، و حاطه و أدبه و حفظه مثل حدقة العين، و كنسر النسر حيث نقل[4] عشه و إلى فراخه اشتاق، فنشر أجنحته و قبلهم و حملهم على صلبه، الرب وحده ساقهم و لم يكن معهم إله[5] آخر، و أصعدهم إلى علو الأرض و أطعمهم من ثمر الشجر و غذاهم عسلا من حجر، من الصخرة أخرج لهم الزيت، و من سمن البقر و لبن الغنم و شحم الخراف و الكباش و الثيران و الجداء و لب[6] القمح، أكل يعقوب المخصوص، حين شحم و غلظ[7] و عرض، ترك الإله الذى خلقه و بعد من الله مخلصه، يقول الله: أسخطونى مع الغرباء بأوثانهم و أغضبونى حين ذبحوا للشياطين[8] و لم يقربوا لإله الآلهة و لم يعرفه الجيل[9] الجديد الذين[9] أتوا و نسوا[10] آباءهم.

هذا ما أردت ذكره من التوراة فى الشهادة على لزوم اللعن و الغضب لهم بعبادتهم[11] الطواغيت، و قد صدق الله قوله فيها و أتم كلماته - و هو أصدق القائلين - بما وقع لهم بعد وفاة موسى عليه السلام ثم بعد يوشع[12] عليه السلام مع ما تقدم لهم فى أيام يوشع[13] عليه السلام من عبادة بعليون[14]

(١) من ظ، و فى الأصل: صاروا (٢) فى ظ: شعبة (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، ولم تكن فى التوراة فحذفناها (٤) فى الأصل و ظ: يضل - كذا. (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و التوراة، و فى الأصل «ل» كذا (٧) من ظ، و فى الأصل: خلط (٨) فى ظ: الشياطين (٩) من ظ، و فى الأصل: الذى (١٠) فى ظ: نسبوا (١١) من ظ، و فى الأصل: لعبادة (١٢) فى ظ: موسى (١٣) من ظ، و فى الأصل: موسى (١٤) فى ظ: يعبدون، و فى التوراة: بعل فغور - راجع الأصحاح الخامس و العشرين من السفر الرابع.

الصنم كما مضى[1] عند قوله تعالى "و اشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم[2]"
ذكر ما يصدق ذلك من سفر يوشع ، قال : / و دعا يوشع جميع ٨٥ /
بنى إسرائيل [3]و قال[3] لهم : أنا قد شخت و طعنت فى السن ، و أنتم قد رأيتم
ما صنع الله بهذه الشعوب ، إنه أهلكهم من بين أيديكم ، و إن الله ربكم
٥ هو تولى حروبكم و ظفركم ، قد علمتم أنى قسمت[4] لكم الشعوب التى بقيت ،
فأما عند النهر الأعظم فى مغارب الشمس فقد قسمتها لكم ، و الله ربكم
يهزمهم[5] و يهلكهم من أمامكم و ترثون أرضهم كما قال الله ربكم ، و لكن
تقووا[6] جدا و اعملوا بجميع ما كتب فى سفر موسى عند الرب ، أهلك الرب
من أمامكم شعوبا عظيمة و لم يثبت لكم إنسان إلى اليوم ، الرجل منكم
١٠ يهزم ألف رجل ، لأن الله[1] ربكم[7] معكم و هو يجاهد عنكم [8]كما قال لكم ،
فاحترسوا لأنفسكم[8] ، إن أنتم خالطتم الشعوب الذين[9] بقوا بينكم و صرتم لهم
أختانا[10] صاروا لكم فخاخا و عثرات و أسنة فى أصدافكم و صنارات فى
أعينكم حتى تهلكوا من الأرض الصالحة التى أعطاكم الله ربكم ، و أما[11]
أنا فسائر فى طريق أهل الأرض كلهم ، و قد تعلمون يقينا من كل قلوبكم
١٥ و أنفسكم أنه ما سقطت كلمة واحدة من الكلام الذى وعدكم الله ربكم ،

(١) سقط من ظ (٢) سورة ٢ آية ٩٣ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) من سفر يوشع ، و فى الأصل و ظ : لم اقسم (٥) فى ظ : يكرمكم (٦) فى
ظ : اتقوا و - كذا (٧) فى ظ : الرب (٨ - ٨) تكرر ما بين الرقمين فى ظ بعد
« بقوا بينكم » (٩) من ظ . و فى الأصل : الذى (١٠) فى ظ : احيانا (١١) من ظ ،
و فى الأصل : انما .

و كما تم كل الكلام الصالح الذى وعدكم الله به كذلك ينزل بكم كل اللعن حتى تهلكوا و تبيدوا إن أنتم عصيتم و تعديتم على ميثاق الله ربكم و الوصايا التى أوصاكم بها ؛ و جمع جميع بنى إسرائيل إلى سجام و أقامهم أمام الرب فى قبة الزمان و قال : اسمعوا قول الله إله إسرائيل : كان آباؤكم سكانا[1] فى مجاز النهر فى الدهر الأول ، ترح أبو إبراهيم و ناحور[2] ، وكانوا يعبدون ٥ هناك آلهة أخرى ، و عهدت إلى إبراهيم أبيكم و أخرجته من مجاز النهر و سيّرته فى أرض كنعان كلها ، و أكثرت ذريته و رزقته إسحاق ابنا ، و رزقت إسحاق يعقوب و عيسو ، و أعطيت عيسو جبل ساعير ميراثا ، فأما يعقوب و بنوه فنزلوا إلى مصر ، و أرسلت موسى و هارون و عاقبت أهل مصر و أكثرت فى أرضهم من الآيات و الأعاجيب[1] ، و من بعد ١٠ ذلك أخرجتهم منها ، و شق لهم الرب بحر سوف و أجاز إياكم فيه مشيا ، فلما أراد المصريون أن يجوزوا أقلب[3] البحر عليهم و[4] غرقهم ، و رأت أعينكم[5] ما صنعت بأهل مصر ، ثم أتيت بكم المفازة و سكنتموها أياما كثيرة ، و أتيت بكم أرض الأمورانيين الذين[6] يسكنون عند مجاز الأردن ، و حاربوكم و دفعتهم إليكم ، و وثب عليكم بالاق بن صفور ملك الموآبيين[6] ، ١٥ و حارب[7] إسرائيل [فأرسل -[8]] فدعا بلعام[9] بن بعور[9] ليلعنكم ، و لم يسرنى أن أسمع قول بلعام ، و لكن باركت عليكم و نجيتكم من يديه ،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : ما خورق - كذا (٣) فى ظ : اقبلت (٤-٤) فى ظ : عرقتم و رايت عينكم - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : الذى (٦) فى ظ : المورانيين.
(٧) زيد بعده فى ظ : الى (٨) زيد من ظ (٩-٩) فى ظ : فيعاروا - كذا .

ثم جزتم[١] نهر الأردن و أتيتم أهل أريحا فحاربكم أهلها و الأمورانيون - ثم عد بقية الطوائف[٢] السبع[٣] - فدفعتهم إليكم أجمعين ، و أعطيتكم أرضا لم تتعبوا[٤] فيها ، فاتقوا الرب و اعبدوه بالبر و العدل ، و اصرفوا عن قلوبكم الفكر فى عبادة الآلهة الأخرى التى عبدها آباؤكم عند مجاز النهر و[١] فى أرض مصر ، و اعبدوا الرب وحده ، و إن كان يشق عليكم أن تعبدوا الرب اختاروا لأنفسكم يومنا هذا من تعبدون[٥] ، أ تحبون أن تعبدوا الآلهة[٦] التى[٧] عبدها[٨] آباؤكم عند مجاز نهر الفرات أم آلهة الأمورانيين الذين سكنتم بينهم ! أما أنا و أهل بيتى فانا[٩] عبد الله الرب ، فأجاب الشعب و قالوا : حاشا لله أن نجتنب عبادة الرب و نعبد الآلهة / الأخرى ! لأن الله /٨٦ ربنا هو الذى أخرجنا من أرض[١٠] مصر و خلصنا من العبودية ، و أكمل الآيات و الأعاجيب أمامنا ، و حفظنا فى[١١] كل الطرق التى سلكناها ، وقوانا على جميع الشعوب التى حاربناها.لذلك نعبد الرب لأنه هو الإله وحده و هو إلهنا ، فقال : انظروا ! لعلكم[١٢] تجتنبون عبادة [الله - [١٣]] و تعبدون الآلهة الغريبة ، فيغضب الرب عليكم و ينزل بكم البلاء و يهلككم من بعد إنعامه عليكم ، فقال الشعب : لا يكون لنا عبادة أخرى غير عبادة الله ، ربنا ، [١٤]قال يشوع[١٤] : أ شهدتم على أنفسكم : أ تم الذين اخترتم عبادة الرب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الطائفة (٣) فى الأصل و ظ : السبعة (٤) فى ظ : لم تعبوا. (٥) فى ظ : يعبدون (٦) من ظ ، و فى الأصل : الاله (٧) فى الأصل و ظ : الذى (٨) من ظ ، و فى الأصل : عبد (٩) فى ظ : فانما (١٠) من ظ ، و فى الأصل : اهل (١١) من ظ ، و فى الأصل : به (١٢) فى ظ : لكم (١٣) زيد من ظ (١٤-١٤) فى ظ : و يقول يسوع .

قالوا

قالوا له[1] : نشهد ! فأول ما[2] دخل عليهم الدخيل أنهم لم يستأصلوا الكفرة و خالطوهم فى أيام يوشع ؛ قال فى سفره[3] : فصعد رسول الرب من الجلجال إلى سجين و قال لبنى إسرائيل : هكذا يقول الرب : أنا الذى أصعدتكم من أرض مصر و أتيت بكم الأرض التى أقسمت لآبائكم [4] و قلت[4] : إنى [5] لا أبطل[5] عهدى إلى الأبد ، و أمرتكم أن لا تعاهدوا أهل هذه الأرض ، و لكن استأصلوا مذابحهم ، و لم تقبلوا و لم تطيعونى ، و أنا أيضا قد قلت : إنى لا أهلكهم من أمامكم ، و لكن تكون لكم آلهتهم عشرة ، فلما قال رسول الرب لبنى إسرائيل هذا القول رفع القوم أصواتهم بالبكاء و دعوا اسم ذلك الموضع تحناد[6] أى موضع البكاء ، و ذبحوا هناك ذبائح للرب ؛ و توفى يشوع بن نون عند الرب ابن مائة و عشرين سنة ، و دفن فى حد ميراثه بسرح[7] التى فى جبل إفرائيم عن يسار جبل جعس[8] ، و كل ذلك الحقب أيضا قبضوا ، و نشأ من بعدهم حقب لم يعرف الرب [4] و لم يعرف[4] أعماله التى عملها ، و ارتكب بنو إسرائيل السيئات أمام الرب و اجتنبوا عبادة الله إله آبائهم الذى أخرجهم من أرض مصر ، و تبعوا آلهة الشعوب التى حولهم و سجدوا لها وعبدوا بعلا و أشتراثا[9] الصنمين ، و غضب الرب على بنى إسرائيل ، و سلط عليهم المنتهبين ، و دفعهم إلى أعدائهم ، و لم يقدروا

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : بما (٣) فى ظ : سفر (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) فى ظ : لا بطل (٦) فى سفر القضاة : بوكيم (٧) من سفر يوشع ، و فى الأصل و ظ : بمسرح - كذا (٨) من سفر يوشع ، و فى الأصل : مصاس ، و فى ظ : عقاص - كذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : استمالا ، و فى سفر القضاة : عشتاروث .

أن[1] يثبتوا لأعدائهم ، وكلما كانوا يخرجون إلى الحرب كانت يد[2] الرب عليهم بالعقاب و البلاء كما قال لهم الرب وكما أقسم لآبائهم ، و اضطروا و ضاق بهم جدا ، فصير[3] الرب عليهم قضاة ، و أعان قضاتهم و خلصوهم من أيدى أعدائهم ، وكان الرب يسمع أنينهم و ما يشكون من المضيقين
٥ عليهم و المزعجين لهم ، فلما توفيت قضاتهم رجعوا إلى الفساد كآبائهم ، و عبدوا الأصنام و سجدوا لها ، و لم ينقصوا من سوء أعمالهم الأولى و طرقهم الرديئة ، فاشتد غضب الرب على بنى إسرائيل و قال : لأن الشعب اعتدوا الوصية التى أوصيت آباءهم ، و لم يسمعوا قولى ، لا أعود أن أهلك إنسانا بين أيديهم من الشعوب التى خلف يشوع بعد وفاته ،
١٠ ليجرب الرب بها بنى إسرائيل هل يحفظون طرق الرب كما حفظ آباؤهم أو لا ! فلذلك ترك الرب هذه الشعوب و لم يهلكهم[4] سريعا ، و لم يسلمها فى يدى يشوع ، و الذين تركوا خمسة رؤساء أهل فلسطين و جميع الكنعانيين و الصيدانيين و الحاوانيين و الذين يسكنون جبل لبنان و من جبل بنى حرمون إلى مدخل حماة[5] ليجرب بهم بنى إسرائيل ، و [6]جلس
١٥ بنو إسرايل[6] بين يدى الأمورانيين و بقية القبائل ، و زوجوا بنيهم من بناتهم و [7]زوجوا بناتهم[7] من بنيهم و عبدوا آلهتهم ، و ارتكب بنو إسرائيل السيئات أمام الرب و نسوا صنيع/ الرب إلههم[8] و عبدوا بعلا و أشتراثا[9] ، /٨٧

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : ايد (٣) فى ظ : فيصيروا (٤) فى ظ : لم يهلكوا.
(٥) فى ظ : حمله (٦-٦) فى ظ : جلسوا بنى إسرائيل (٧-٧) سقط ما بين الرقين من ظ (٨) من سفر القضاة ، و فى الأصل و ظ : اليهم (٩) فى ظ : اشتراتا .

و اشتد غضب الرب على بنى إسرائيل و دفعهم إلى كوشان الأتيم[1] ملك[2] حران ، فاستعبدهم ثمانى[3] سنين ، و دعا بنو إسرائيل الرب[4] متضرعين ، و صيّر الرب لهم مخلصا ، و خلصهم عثنايال[5] بن قنز أخو كالاب الأصغر ، فأعانه الرب و صار حكما لبنى إسرائيل فخرج إلى الحرب ، و أسلم الرب فى يده كوشان الأتيم ، و استراحت الأرض من الحرب أربعين سنة ، ٥ و توفى عثنايال[6] بن قنز ، و عاد بنو إسرائيل فى سوء أعمالهم أمام الرب ، فقوى الرب عليهم ملك موآب ، و استمروا هكذا فى كل حين ينقضون ، و سنة[7] الرب كل قليل يرفضون ، و لا يستقيمون إلا بقدر ما ينسون حرارة النقم و يذوقون لذاذة النعم - و لو لا خوف الإطالة الموجبة للسآمة[8] و الملالة لذكرتُ من ذلك كثيرا من الكتب التى بين أيديهم ، لا يقدرون ١٠ على إنكار ما يلزمهم بها من الفضيحة و العار - و الله الموفق .

و لما تم ذلك عطف سبحانه على[4] " و اذا ناديتم الى الصلوٰة " قوله دالا على استحقاقهم للعن و على ما أخبر به من شرهم و ضلالهم بما فضحهم به من سوء أعمالهم دلالة على صحة[9] دين الإسلام باطلاع شارعه عليه أفضل الصلاة و السلام على خفايا الأسرار : ﴿ و اذا جآءوكم ﴾ أى أيها ١٥ المؤمنون ! هؤلاء المنافقون من الفريقين ، و إعادة ضمير الفريقين عليهم لأنهم فى الحقيقة منهم ، ما أفادتهم دعوى[10] الإيمان شيئا عند الله ، و العدول إلى

(١) فى سفر القضاة : رشعتايم (٢) من ظ ، و فى الأصل : بملك (٣) فى ظ : ثلاث (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : عيساقال (٦) فى ظ : عسا بال (٧) فى ظ : لسنة (٨) فى ظ : الاسامة - كذا (٩) فى ظ : سو - كذا (١٠) فى ظ : دعوة .

خطاب المؤمنين دال على عطفه على ما ذكرت ، و فيه إشارة إلى أن النبي صلى الله عليه و سلم يعرفهم فى لحن القول ، فلا يغتر بخداعهم و لا يسكن إلى مكرهم بما أعطى من صدق الفراسة و صحة التوسم ﴿ قالوآ أمنا ﴾ أى لا تغتروا بمجرد قولهم الحسن الخالى عن البيان بما يناسبه من الأفعال ٥ فكيف بالمقترن بما ينفيه منها ، وقد علم أن الفصل بين المتعاطفين بالآيتين السالفتين لا يضر ، لكونهما علة للمعطوف عليه ، فهما[1] كالجزء منه .

و لما ادعوا الإيمان كذّبهم[2] سبحانه فى دعواهم بقوله مقربا لماضيهم من الحال رجاء لهم غيرَ الدخول[3] ، لأنها تكاد تظهر ما هم[3] مخفوه ، [4]فوجب التوقع[4] للتصريح بها : ﴿ و قد ﴾ أى قالوا ذلك و الحال أنهم قد ١٠ ﴿ دخلوا ﴾ أى إليكم ﴿ بالكفر ﴾ مصاحبين له متلبسين به[5] .

و لما كان المقام يقتضى لهم بعد الدخول حسنَ الحال ، لما يرون من سمت رسول الله صلى الله عليه و سلم الجليل و كلامه العذب و دينه العدل و هديه الحسن ، فلم يتأثروا[6] لما عندهم من الحسد الموجب للعناد ، أخبر عن ذلك بأبلغ من الجملة التى أخبرت بكفرهم تأكيدا[7] للاخبار ١٥ عن ثباتهم على الكفر ، لأنه أمر ينكره العاقل فقال : ﴿ و هم ﴾ أى من عند أنفسهم لسوء ضمائرهم و جبلاتهم من غير سبب من أحد منكم ، لا منك و لا من أتباعك ﴿ قد[8] خرجوا به[5] ﴾ أى الكفر بعد دخولهم و رؤية ما

(١) فى ظ : و هما (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : هو (٤-٤) فى ظ : يوجب الرفع (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : فلم يتاثر (٧) من ظ ، و فى الأصل : كيدا .

رأوا

رأوا من الخير ، دالا على قوة عنادهم[1] بالجملة الاسمية المفيدة للثبات ، و ذكر المسند إليه مرتين ، و هم بما أظهروا يظنون أنه يخفى ما أضمروا .

[2] و لما كان فى قلوبهم من الفساد و المكر بالإسلام و أهله ما يطول شرحه ، نبه عليه بقوله[2] : ﴿و الله﴾ أى المحيط [بجميع -[3]] صفات[4] الكمال و بكل شىء علما و قدرة ﴿اعلم﴾ أى منهم و ممن توسم فيهم النفاق ٥ ﴿بما كانوا﴾ [5] أى بما فى جبلاتهم من الدواعى العظيمة للفساد[5] ﴿يكتمون ه﴾ أى من هذا و غيره فى جميع أحوالهم من أقوالهم[6] / و أفعالهم . /٨٨

و لما كذبهم فى دعوى الإيمان ، أقام سبحانه الدليل على كفرهم ، فقال[7] مخاطبا لمن[8] له الصبر[9] التام ، مفيدا أنه أطلعه صلى الله عليه و سلم [5] على ما يعلم منهم[5] مما يكتمونه من ذلك تصديقا لقوله تعالى "و لتعرفنهم فى لحن ١٠ القول[10] " إطلاعا هو كالرؤية ، عاطفا[11] على ما تقديره : و قد أخبرنا غيرك من المؤمنين بما نعلم منهم من ذلك ، و أما أنت فترى ما فى قلوبهم بما آتيناك من الكشف : ﴿و ترى﴾ أى لا تزال[12] يتجدد لك ذلك ﴿كثيرا منهم﴾ أى اليهود و الكفار منافقهم و مصارحهم .

و لما كان التعبير بالعجلة لا يصح هنا ، لأنها لا تكون إلا فى شىء ١٥ له وقتان : وقت لائق ، و وقت غير لائق ، و الإثم لا يتأتى[13] فيه ذلك ،

---

(١) فى ظ : عندهم (٢-٢) تأخر ما بين الرقمين فى ظ عن « بما كانوا » (٣) زيد من ظ (٤) من ظ . و فى الأصل : بصفات (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) فى ظ : احوالهم (٧) فى ظ : بقوله (٨) من ظ ، و فى الأصل : من (٩) فى ظ : النصر (١٠) سورة ٤٧ آية ٣٠ (١١) فى ظ : عطفا (١٢) فى ظ : لا يزال .
(١٣) فى ظ : لا ينافى .

قال: ﴿يسارعون﴾ أى يفعلون فى تهالكهم على ذلك فعل من يناظر خصما فى السرعة فيما [1]هو فيه[1] محق[2] وعالم بأنه فى غاية الخير، وكان الموضع [3]لأن يعبر[3] بالضمير فيقال: فيه - أى الكفر، فعبر عنه تعميما و تعليقا للحكم بالوصف [إفادة -[4]] لأن كفرهم عن حيلة هى فى غاية الرداءة

٥ بقوله: ﴿فى الاثم﴾ أى كل ما يوجب إثما من الذنوب، و خص منه أعظمه فقال: ﴿و العدوان﴾ أى مجاوزة الحد فى ذلك الذى أعظمه الشرك، ثم حقق الأمر و صوّره بما يكون لوضوحه دليلا على ما قبله من إقدامهم[5] على الحرام الذى لا تمكن[6] معه صحة القلب أصلا و لا يمكنهم إنكاره فقال: ﴿و اكلهم السحت[1]﴾ أى الحرام الذى يستأصل البركة من

١٠ أصلها[7] فيمحقها، و منه الرشوة، و كان هذا دليلا على كفرهم لأنهم لو كانوا مؤمنين ما أصروا على شىء من ذلك، فكيف بجميعه! فكيف بالمسارعة فيه! و لذلك استحقوا غاية الذم بقوله: ﴿لبئس ما كانوا﴾ و لما كانوا [يزعمون -[4]] العلم، عبر عن فعلهم بالعمل فقال: ﴿يعملون ٥﴾.

و لما كان المنافقون من الأميين و أهل الكتاب قد صاروا شيئا واحدا

١٥ فى الانحياز إلى المصارحين من أهل الكتاب، فأنزل فيهم سبحانه هذه الآيات على وجه يعم غيرهم، حتى تبينت أحوالهم و انكشف زيغهم و محالهم، أنكر - على من يودعونهم أسرارهم و يمنحونهم مودتهم و أخبارهم من علمائهم و زهادهم - عدمَ أمرهم بالمعروف و نهيهم عن المنكر، لكونهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: بحق (٣-٣) فى ظ: لا يغير (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: لاقرانهم (٦) فى ظ: لا يمكن (٧) زيد بعده فى ظ: ليستاصلها.

جديرين بذلك لما يزعمونه من اتباع كتابهم فقال: ﴿ لو لا ﴾ أى هلا و [1]لم لا[1] ﴿ ينهٰهم ﴾ أى يجدد لهم النهى ﴿ الربّٰنيون ﴾ أى المدعون للتخلى من الدنيا إلى سبيل الرب ﴿ و الاحبار ﴾ أى العلماء ﴿ عن قولهم الاثم ﴾ أى الكذب الذى يوجبه[2] و هو مجمع له ﴿ و اكلهم السحت[3] ﴾ و ذلك لأن[3] قولهم للمؤمنين " امنا " و قولهم لهم[4] " انا معكم انما نحن مستهزءون " لا يخلو عن كذب ، و هو محرم فى توراتهم و كذا أكلهم الحرام ، فما سكوتهم عنهم فى ذلك إلا لتمرنهم على المعاصى و تمردهم فى الكفر و استهانتهم بالجرأة على من لا تخفى[5] عليه خافية ، و لا يبقى لمن عاداه باقية .

و لما كان من طبع الإنسان الإنكار[4] على من خالفه[6]، و كانت الفطرة الأولى مطابقة لما أتت به الرسل من قباحة الكذب و ما يتبعه من الفسوق ، و كان الإنسان لا ينزل عن تلك الرتبة العالية إلى السكوت عن الفاسقين فضلا عن تحسين أحوالهم إلا بتدرب[7] طويل و تمرن عظيم، حتى يصير له ذلك كالصفة التى صارت بالتدريب صنعة يألفها و ملكة[8] لا / يتكلفها ، فجعل ذنب المرتكب للمعصية غير راسخ ، لأن الشهوة تدعوه ٨٩ / إليها ، و ذنب التارك[9] للنهى راسخا لأنه لا شهوة له تدعوه إلى الترك ، بل معه

(١-١) فى ظ : الا (٢) فى ظ : توجبه (٣) من ظ ، و فى الأصل : ان (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : لايخفى (٦) من ظ ، و فى الأصل : خافه (٧) فى ظ : بتدريب (٨) من ظ ، و فى الأصل : ملة (٩) فى ظ : النار ـ كذا .

حامل من الفطرة السليمة تحثه على النهى، فكان أشد حالا ؛ قال: ﴿ لبئس ما ﴾ و لما كان ذلك فى جبلاتهم، عبر بالكون فقال: ﴿ كانوا يصنعون ٥ ﴾ أى فى سكوتهم عنهم و سماعهم منهم .

و لما لم تزل الدلائل على[1] إبطال دعوى أهل الكتاب فى البنوة و المحبة تقوم[2]، و جيوش البراهين تنجد[3]، حتى انتشبت[4] فيهم سهام الكلام أىّ انتشاب، قال تعالى معجبا من عامتهم بعد تعيين خاصتهم، معلما بأنهم لم يقنعوا بالسكوت عن المنكر حتى تكلموا بأنكره، مشيرا إلى سفول رتبتهم و دناءة منزلتهم[5] بأداة التأنيث: ﴿ و قالت اليهود ﴾ معبرين عن[6] البخل و العجز جرأة و جهلا بأن قالوا ذا كرين اليد لأنها موضع القدرة و إفاضة الجود و النصرة: ﴿ يد الله ﴾ أى الذى يعلم كل عاقل أن له صفات الكمال ﴿ مغلولة[7] ﴾ أى فهو لا يبسط الرزق غاية [البسط - [7]]، و هذا كناية عن البخل و العجز من غير نظر إلى مدلول كل من ألفاظه [8]على حياله[8] أصلا، كما قال تعالى "و لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك و لا تبسطها كل البسط[9] "و لم يقصد من ذلك غير الجود و ضده، لا غل و لا عنق و لا بسط أصلا، بل صار هذا الكلام عبارة عما وقع مجازا عنه، كأنهما متعقبان[10] على معنى واحد، حتى لو جاد[11]

(١) زيد بعده فى ظ : دعوى (٢) فى ظ : يقوم (٣) فى ظ : تنحر (٤) فى ظ : تشبهت (٥) فى ظ : منزلهم (٦) فى ظ : على (٧) زيد من ظ (٨ - ٨) أى على انفراده (٩) سورة ١٧ آية ٢٩ (١٠) من ظ . و فى الأصل : معتقبان (١١) فى ظ : حاز .

الأقطعُ إلى المنكب لقيل[1] [له - [2]] ذالك ، و مثل هذا كثير فى الكتاب و السنة ، منه الاستواء ، و قالت : فى السماء[3] ، المراد منه - كما قاله[4] العلماء - أنه ليس مما يعبده المشركون من الأوثان ، قال فى الكشاف: و من لم ينظر فى علم البيان عمى عن تبصر محجة[5] الصواب فى تأويل أمثال هذه الآية ، و[6] لم يتخلص عن يد الطاعن إذا عبثت به . ٥

و لما نطقوا بهذه الكلمة[7] الشنعاء ، و فاهوا بتلك الداهية الدهياء ، أخبر عما جازاهم به سبحانه على صورة ما كان العرب يقابلون به من يستحق الهلاك من الدعاء ، فقال معبرا بالمبنى للمفعول إفادة لتحتم الوقوع و تعليما لنا كيف ندعو عليهم ، و لم يسببه عما قبله بالفاء تقوية[8] له على تقدير سؤال سائل : ﴿ غلت ايديهم ﴾ دعاء مقبولا و خبرا صادقا ، عن كل خير ، ١٠ فلا تكاد[9] تجد فيهم كريما و لا شجاعا و لا حاذقا فى فن ، و إن كان ذلك لم تظهر[10] له

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : ليقل (٢) زيد من ظ (٣) إشارة إلى ما ورد عن معاوية السلمى فى حديث طويل قال فيه : و بينما جارية لى ترعى غنيمات لى فى قبل أحد والجوانية فاطلعت عليها اطلاعة فاذا الذئب قد ذهب منها بشاة ، و أنا رجل من بنى آدم يأسف - و فى رواية : آسف - كما يأسفون ، لكنى صككتها صكة ، قال : فعظم ذلك على رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قلت : ألا أعتقها ؟ قال : ابعث إليها ؛ قال : فأرسل إليها فجاء بها فقال : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، قال : فمن أنا ؟ قالت : أنت رسول الله . قال : أعتقها فانها مؤمنة - راجع مسند الإمام أحمد ٥ / ٤٤٨ و ٤٤٩ (٤) زيد بعده فى ظ : له (٥) فى ظ : بحجة (٦) سقط من ظ (٧) من ظ . و فى الأصل : الكلمات (٨) فى ظ : مقويه (٩) فى ظ : فلا يكاد . (١٠) فى ظ : لم يظهر .

ثمرة ﴿ و لعنوا ﴾ أى أبعدوا مطرودين عن الجناب الكريم ﴿ بما قالوا م ﴾ و المعنى أنهم كما رأوا أحوال المنافقين المقضىّ فى التوراة بأنها إثم و أقروا عليها، فكذلك نطق بعضهم بكلمة الكفر التى لا أفظع منها، و سكت عليه الباقون فشاركوه، و لما كان الغل كناية عن البخل و عدم الإنفاق، و كان الدعاء [1]بغلهم و لعنهم[1] متضمنا[2] أن الأمر ليس كما قالوا، ترجمه سبحانه بقوله[3]: ﴿ بل يداه ﴾ [4]و هو منزه عن الجارحة و عن كل ما يدخل تحت الوهم[4] ﴿ مبسوطتان ﴾ مشيرا بالتثنية إلى غاية الجود، ليكون رد قولهم و إنكاره[5] بأبلغ ما يكون فى قطع تعنتهم و تكذيب قولهم.

و لما كان معنى هذا إثبات ما نفوه على أبلغ الأحوال، قال مصرحا بالمقصود معرفا أنه فى إنفاقه مختار فلا غرو أن يبسط لبعض دون بعض: ﴿ ينفق ﴾ و لما كان إنفاقه سبحانه تحقيقا للاختيار على أحوال متباينة بحيث أنها تفوت الحصر، أشار إلى التعجيب[6] / من ذلك بالتعبير بأداة الاستفهام و إن قالوا: إنها فى هذا الموطن شرط، فقال: ﴿ كيف ﴾ أى كما ﴿ يشآء[1] ﴾ أى على أىّ حالة أراد دائما من تقتير و بسط و غير ذلك.

و لما كان قولهم هذا غاية فى العجب لأن كتابهم كاف فى تقبيحه بل تقبيح ما هو دونه فى الفحش، فكيف و قد انضم إلى ذلك ما أنزل فى القرآن من واضح البيان، قال سبحانه عاطفا على "و ترى كثيرا منهم"

(١-١) فى ظ: بلعنهم وغلهم (٢) من ظ، و فى الأصل: مضمنا (٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: ابلاغه (٦) فى ظ: التعجب.

مؤكدا لمضمون ما سبق من قوله "و من يرد الله فتنته فلن تملك [له -[1]] من الله شيئا" بأنه جعل سبب هذا القول منهم ما أتاهم من الهدى الأكمل فى هذا الكتاب المعجز على لسان هذا النبى الذى[2] هم[3] به أعرف منهم بأبنائهم: ﴿ و ليزيدن كثيرا منهم ﴾ أى[4] ممن أراد الله فتنته، ثم ذكر فاعل الزيادة [فقال -[5]]: ﴿ ما أنزل اليك ﴾ أى على ما له من النور و ما يدعو إليه من الخير ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك بكل ما ينفعك دنيا و أخرى ﴿ طغيانا ﴾ أى تجاوزا عظيما عن[6] الحد تمتلئ منه الأكوان فى كل إثم و شنأ[7]، و[8] ذلك بما جره إليهم داء الحسد، لأنهم كلما رأوه سبحانه قد[4] زاد إحسانه إليك طعنوا فى ذلك الإحسان، و هو - لما له من الكمال و علو الشأن - يكون الطعن فيه من أعظم الدليل عليه و البرهان، فيكون أعدى العدوان ﴿ و كفرا[1] ﴾ أى سترا لما ظهر لعقولهم من النور، و دعت إليه كتبهم من الخير، و هذا كما يؤذى الخفاش ضياء الصباح، و كلما قوى[9] الضياء زاد أذاه، و فى هذا إياس من توبتهم و تأكيد[10] لعداوتهم و زجر عن موالاتهم و مودتهم، أى إنهم لا يزدادون بحسن وعظك و جميل تلاوتك عليهم الآيات إلا شقاقا ما وجدوا قوة، فان ضعفوا فنفاقا.

---

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢) فى ظ: الذين (٣) من ظ، و فى الأصل: هو (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) زيد بعده فى ظ: هذا (٧) فى ظ: شان (٨) زيد بعده فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.
(٩) فى ظ: ترقو (١٠) فى ظ: تاكيدا.

و لما كان الإخبار باجتماع كلمتهم على شقاوة الكفر ربما أحدث خوفا من كيدهم، نفى ذلك بقوله: ﴿ و القينا ﴾ أى بما لنا من العظمة الباهرة ﴿ بينهم ﴾ أى اليهود ﴿ العداوة ﴾ و لما كانت العداوة[1] - و هى أن يعدو بعضهم إلى أذى بعض - ربما زالت بزوال السبب، أفاد أنها لازمة لا تنفك بقوله: ﴿ و البغضآء ﴾ أى لأمور[2] باطنية وقعت فى قلوبهم وقوع الحجر الملقى من علو ﴿ الى يوم القيمة[3] ﴾.

و لما كان ذلك مفيدا لوهنهم ترجمه بقوله: ﴿ كلما اوقدوا ﴾ على سبيل التكرار لأحد من الناس ﴿ نارا للحرب ﴾ أى باحكام أسبابها و تفتيح جميع أبوابها ﴿ اطفآها ﴾ أى خيّب قصدهم فى ذلك ﴿ الله[4] ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال. فلا تجدهم فى بلد من البلاد إلا فى الذل و تحت القهر، وأصلُ[5] استعارة النار لها ما فى كل منهما من التسلط و الغلبة و الحرارة فى الظاهر و الباطن، مع أن المحارب يوقد[4] النار فى موضع عال ليجتمع إليه[6] أنصاره، و لقد قام لعمرى دليل المشاهدة على صدق ذلك بغزوة قينقاع ثم النضير ثم قريظة، و القبائل الثلاث بالمدينة لم يتناصروا[6] و لم ينصروا[6]، ثم غزوة[7] خيبر و أهل فدك و[8] وادى القرى و هم متقاربون و لم يتناصروا و لم ينصروا[8]، هذا فيما فى خاصتهم،

(١) زيد بعده فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) فى ظ: الامور (٣) من ظ، و فى الأصل: اصله (٤) فى ظ: موقد (٥) فى ظ: عليه. (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: غزوا - كذا (٨) سقط من ظ.

و أما

و أما فى غير ذلك فقد ألبوّا الأحزاب و جمعوا القبائل و أتقنوا[1] فى أمرهم على زعمهم المكايد، ثم أطفأ الله نارهم حسا و معنى بالريح و الملائكة، و ألزمهم[2] خزيهم و عارهم و جعل الدائرة عليهم، و ساق جيش المنون على أيدى المؤمنين إليهم، و إلى ذلك و أمثاله من أذاهم الإشارة بقوله: ﴿ و يسعون ﴾ أى يوجدون مجتهدين / اجتهاد الساعى على سبيل ٩١/ الاستمرار بما يوجدون من المعاصى من كتمان ما عندهم من الدليل على صحة الإسلام و غير ذلك من أنواع الأجرام ﴿ فى الارض ﴾ أى كل[3] ما قدروا عليه بالفعل و الباقى بالقوة[4].

و لما كان الإنسان لكونه[2] محل النقصان لا ينبغى أن يتحرك فضلا عن أن يمشى فضلا عن أن يسعى إلا بما يرضى الله، و حينئذ لا ينسب الفعل إلا إلى الله لكونه آمرا به خالقا له، فكانت نسبة السعى إلى الإنسان دالة[5] على الفساد، صرح به فى قوله: ﴿ فسادا[4] ﴾ أى للفساد أو ذوى فساد ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الذى له الكمال كله ﴿ لا يحب المفسدين ﴾ أى لا يفعل معهم فعل المحب، فلا ينصرلهم جيشا، و لا يعلى لهم كعبا[6]، ولا يصلح لهم شأنا، و بذلك توعدهم سبحانه فى التوراة أنهم إذا خالفوا أمره سلط عليهم من عذابه بواسطة عباده و بغير واسطتهم ما يفوت الحصر - كما مضى ذلك قريبا[7] عما بين أيديهم من التوراة بنصه.

---

(١) فى ظ: ايقنوا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: كلها (٤) فى ظ: بالقوة - كذا (٥) من ظ، و فى الأصل: دالا (٦) فى ظ: كلمة (٧) فى ظ: تعريبا.

و لما أثبت بقوله "و ليزيدن" أنهم كانوا كفرة[1] قبل إتيان هذا الرسول عليه السلام، و كرر ما أعده[2] لهم من الخزى الدائم على[3] نحو ما أخبرهم به كتابهم، وعظهم و رجّاهم سبحانه استعطافا لهم لئلا ييأسوا من روح الله على عادة منه فى رحمتـــه لعباده و رأفته بهم بقوله تعالى عاطفا على ٥ ما تقديره: فلو أنهم كفوا عن هذه الجرائم العظائم لاضمحلت صغائرهم فلم تكن[4] لهم سيئات: ﴿و لو ان﴾ و لما كان الضلال من العالم أقبح، قال: ﴿أهل الكتٰب﴾ أى[5] الفريقين منهم.

و لما كان الإيمان أساس جميع الأعمال، قدمه إعلاما بأنه لا نجاة[6] لأحد إلا بتصديق محمد صلى الله عليه و سلم، هذا مع أنه حقيق باشتداد العناية ١٠ به[5] لمبالغتهم فى كتمان ما عندهم منه صلى الله عليه و سلم فقال: ﴿امنوا﴾ أى بهذا النبى الكريم و ما أنزل إليه من هذا الهدى ﴿و اتقوا﴾ أى ما هددوا به فى كتابهم على ترك الإيمان به على حسب ما دعاهم إليه كتابهم كما فى قصة إسماعيل و غيرها إلى أن كان آخر ما فارقهم عليه موسى عليه السلام [7]فى آخر كتابهم التصريح بنبوته عليه السلام[7] و الإشارة إلى أن ١٥ اتباعه أحق من اتباعه فقال: جاء ربنا من سيناء، و شرق[8] من ساعير، و تبدّى من جبال فاران، فأضاف الرب إليهم، و جعل الإتيان من جبال فاران ـ التى هى مكة، لا نزاع لهم فى ذلك ـ تبديا و ظهورا أى لا خفاء

(١) فى ظ: كفيره (٢) فى ظ: اعد (٣) زيد بعده فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ: فلم يكن (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: يخلو ـ كذا (٧ ـ ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ: سرق.

به بوجه ، ولا ظهور أتم منه ﴿ لكفرنا ﴾ و أشار إلى [1]عظيم جرأتهم[1] بمظهر العظمة ﴿ عنهم سيئاتهم ﴾ أى التى ارتكبوها قبل مجيئه و هى[2] مما يسوء ، أى يشتد تنكر النفس [له -[3]] أو تكرّهها ، و أشار إلى سعة رحمته و أنها لا تضيق عن شىء أراده بمظهر العظمة فقال : ﴿ ولادخلنهم ﴾ أى بعد الموت ﴿ جنت النعيم ﴾ أى بدل ما هم فيه من هذا الشقاء الذى لا يدانيه شقاء .

و لما كان المعنى : ما فعلوا ذلك ، فألزمناهم الخزى فى الدنيا و العذاب الدائم فى الآخرة ، و كان هذا إجمالا لحالتهم الدنيوية و الأخروية ، وكان محط نظرهم الأمر الدنيوى ، رجع - بعد إرشادهم إلى إصلاح الحالة الأخروية لأنها أهم فى نفسها - الى سبب قولهم تلك الكلمة الشنعاء[4] و الداهية[5] القبيحة الصلعاء ، و هو تقتير[6] الرزق عليهم ، و بين أن السبب إنما هو من / أنفسهم فقال : ﴿ و لو انهم اقاموا التورٰة ﴾ أى [4]قبل إنزال الإنجيل بالعمل بجميع ما دعت إليه من أصل و فرع و ثبات عليها و انتقال عنها ﴿ و الانجيل ﴾ أى بعد إنزاله كذلك ، و فى إقامته أقامة التوراة الداعية إليه ﴿ و ما انزل اليهم من ربهم ﴾ أى المحسن إليهم من أسفار الأنبياء المبشرة بعيسى و محمد عليهما الصلاة و السلام ، و من القرآن بعد إنزاله ، و فى إقامته إقامة جميع ذلك ، لأنه مبشر به و داع إليه ﴿ لاكلوا ﴾ أى لتيسر[7] لهم الرزق ، و عبر ب "من" لأن المراد بيان جهة المأكول

/ ٩٢

(١ - ١) فى ظ : جميع جرائمهم (٢) فى ظ : هو (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الشنيعة (٥) زيد بعده فى ظ : الصلعاء (٦) فى ظ : تعبير (٧) من ظ ، و فى الأصل : ليسر .

لا الأكل ﴿ من فوقهم ﴾ .

و لما كان [ذلك -[1]] كناية عن عظم التوسعة ، قال موضحا له معبرا بالأحسن ليفهم غيره[2] بطريق الأولى : ﴿ و من تحت ارجلهم[3] ﴾ أى تيسرا واسعا جدا متصلا[3] لا يحصر ، أو يكون كناية عن بركات السماء و الأرض ، فبين ذلك أنه ما ضربهم بالذل و المسكنة إلا تصديقا[3] لما تقدم إليهم به فى التوراة ، قال مترجمها فى السفر الخامس - الدعاء و البركات : و إن أنتم سمعتم قول الله ربكم و حفظتم و عملتم بجميع الوصايا التى آمركم بها اليوم[4] ، يصيركم الرب فوق جميع الشعوب ، فتصيرون إلى هذا الدعاء ، يبارك لكل امرئ منكم فى القرية و الحقل ، يبارك[3] فى أولادكم و أرضكم ، يبارك[3] لكم فى بهائمكم و ما يضع[5] فى أقطاع[6] بقركم و أحزاب[6] غنمكم ، و يبارك فيكم إذا دخلتم و يبارك فيكم إذا خرجتم ، و يدفع إليكم الله[4] أعداءكم أسارى ، يخرجون إليكم فى طريق واحد و يهربون منكم فى سبعة طرق ، يأمر الله ببركاته فى أهرائكم و فى جميع الأشياء التى تمدون أيديكم إليها ، و ينظر إليكم جميع شعوب الأرض و يعلمون أن اسم الرب عليكم و قد وسمتم[7] به فيخافونكم ، و يزيدكم الرب خيرا و يبارك فى ثمار أرضكم ، يفتح الله ربكم أهراء السماء و يهبط المطر على أهله فى زمانه ، و تتسلطون على شعوب كثيرة و لا يتسلط عليكم أحد ، و يصيركم الرب رأسا و لا يصيركم ذنبا ، و تصيرون فوق و لا تصيرون

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : غير (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : يطلع (٦ - ٦) فى ظ : بعدكم و اعراب .
(٧) فى ظ : وشمتم .

أسفل إذا عملتم[1] بجميع وصايا الله ربكم و لم تروغوا عنها يمنة و لا يسرة، و لا تتبعوا الشعوب و لا تعبدوا آلهتها، و إن أنتم لم تسمعوا قول الله ربكم و لم تحفظوا و لم تعملوا بجميع سننه و وصاياه التى آمركم[2] بها اليوم، ينزل بكم هذا اللعن الذى أقص[3] عليكم كله، و يدرككم العقاب، و تكونون ملعونين[4] فى القرية - إلى آخر اللعن الذى تقدم قريبا، و قال فى الثالث: إذا سلكتم بسنتى[5] و حفظتم وصاياى و عملتم[6] بها، أديم أمطاركم فى وقتها، و تبذل [7]الأرض لكم[7] غلاتها، و تبذل لكم الشجر ثمارها، و يدرك الدراس القطاف، [و القطاف - [8]] يدرك الزرع، و تأكلون خبزا و تشبعون و تسكنون أرضكم مطمئنين، و لا يكون من يخرجكم، و أصرف عن أرضكم السباع الضارية، و تطردون أعداءكم، الخمسة منكم يهزمون[9] مائة، و المائة منكم يهزمون عشرة آلاف، وتقع أعداؤكم قتلى بين أيديكم فى الحرب، و أقبل إليكم و أكثركم و أديم مقدسى بينكم و لا أدبرعنكم، بل أكون [معكم - [10]] و أسير بينكم، و إن [لم - [10]] تطيعونى و تسمعوا قولى و لم تعملوا بهذه الوصايا و أبطلتم عهودى، أنا أيضا أصنع بكم مثل صنيعكم، و آمر بكم البلايا و البرص و البهق المقشر الذى لا يبرأ، و السل[11] الذى يطفئ البصر و يهلك النفس، و يكون تعبكم فى الزرع باطلا، و ذلك لأن أعداءكم يأكلون ما تزرعون، و أنزل بكم غضبى، و يهزمكم أعداؤكم، و يتسلط

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: امر (٣) فى ظ: افصل (٤) فى ظ: ملعونون (٥) فى ظ: سبيلى (٦) فى ظ: علمتم (٧-٧) فى ظ: لكم الارض (٨) زيد من التوراة. (٩) من ظ، و فى الأصل: يهزمه (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ: السبيل.

٩٣ / عليكم / شناؤكم[1]، و تنهزمون[2] من غير أن يهزمكم أحد، و أصيّر السماء فوقكم مثل الحديد، و الأرض تحتكم مثل النحاس، و لا تغل لكم أرضكم غلاتها، و لا تثمر الشجر ثمارها، و أرسل عليكم السباع الضارية فتهلككم و تهلك بهائمكم، و يستوحش الطرق منكم، و أسلط عليكم الموت و أدفعكم إلى ٥ أعدائكم، و تأكلون و لا تشبعون، و تصيرون إلى ضيق حتى تأكلوا لحوم بناتكم، و أخرب[3] منازلكم، و أفرقكم بين الأمم، و تخرب قراكم، فحينئذ تهوى الأرض أسباتها، و تسبت[4] كل أيام وحشتها ما لم تسبت[4] حيث[5] كنتم فيها عصاة لا تسبتون، و الذين يبقون منكم ألقى فى قلوبهم فزعة، و يطردهم[6] صوت ورقة تحرك، و يهربون[7] من صوت الورقة كما ١٠ يهربون من السيف، و يعنفون بآثمهم و يعاقبون[7] بآثم آبائهم، و من بعد ذلك تنكسر قلوبهم الغلف.

و لما كان ما مضى من ذمهم ربما أفهم أنه لكلهم، قال مستأنفا جوابا لمن يسأل عن ذلك: ﴿ منهم ﴾ أى أهل الكتاب ﴿ امة ﴾ أى جماعة هى جديرة بأن تقصد ﴿ مقتصدة[1] ﴾ أى مجتهدة فى العدل لا غلو ١٥ و لا تقصير، و هم الذين هداهم الله للاسلام بحسن تحريهم و اجتهادهم ﴿ و كثير منهم ﴾ أى بنى إسرائيل ﴿ سآء ما يعملون ﴾ أى ما أسوأ[8]

(١) جمع شانئ و فى الأصل: شناتكم، و فى ظ: سياتكم - كذا (٢) فى ظ: تهزمون (٣) فى ظ: الحرب (٤) فى ظ: تسيب (٥) من ظ، و فى الأصل: كنت (٦) فى ظ: يطرهم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ، و فى الأصل: البسوا - كذا.

فعلهم الذى هم [فيه - [1]] مستمرون على تجديده، ففيه معنى التعجيب، و التعبيرُ بالعمل لأنهم يزعمون أنه لا يصدر منهم إلا عن علم، و هم الذين حرفوا الكلم عن مواضعه، و ارتكبوا العظائم فى عداوة الله و رسوله .

و لما أتم ذلك سبحانه و علم منه أن من أريدت[2] سعادته يؤمن ولا بد، و من أريدت شقاوته لا يؤمن أصلا، و من أقام ما أنزل عليه[3] سعد، و من كفر بشىء منه شقى، و كان ذلك ربما فتر عن الإبلاغ، قرن بقوله تعالى " يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر " قولَه حاثا على الإبلاغ لإسعاد من أريد[4] للسعادة، وهم الأمة المقتصدة منهم و إن كانوا قليلا، و كذا إبلاغ [جميع - [1]] من[5] عداهم : ﴿ يآ يها الرسول ﴾ أى [الذى - [1]] موضوع أمره البلاغ ﴿ بلغ ﴾ أى أوصل إلى من أرسلت إليهم ﴿ مآ انزل اليك[6] ﴾ أى كله ﴿ من ربك[6] ﴾ أى المحسن إليك بانزاله غير مراقب أحدا، و لا خائف شيئا، لتعلم ما لم تكن تعلم، و يهدى[7] على يدك من أراد الله هدايته، فيكون لك[8] مثل أجره .

و لما كان إبلاغ ما يخالف الأهواء من الشدة على النفوس بمكان لا يعلمه إلا ذوو الهمم العالية و الأخلاق الزاكية، كان المقام شديد الاقتضاء لتأكيد الحث على الإبلاغ، فدل على ذلك بالاعتراض بين الحال و العامل[9] فيها،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : اريد (٣) فى ظ : إليه (٤) فى ظ : يريد (٥) فى ظ : ما (٦) من ظ و القرآن الكريم، وفى الأصل : اليكم (٧) فى ظ : تهدى (٨) فى ظ : ذلك (٩) فى ظ : الحاصل .

بالتعبير بالفعل الدال على داعية "هي الردع" بأن قال: ﴿وإن لم تفعل﴾ أي وإن لم تبلغ جميع ذلك، أو إن لم تعمل به ﴿فما بلغت رسالته﴾ لأن [من -] المعلوم أن "ما" تقع على كل جزء مما أنزل، فلو ترك منه حرف واحد صدق نفي البلاغ لما أنزل، ولأن بعضها ليس بأولى بالإبلاغ من بعض، فمن أغفل شيئا منها فكأنه أغفل الكل، كما أن من لم يؤمن [ببعضها لم يؤمن -] بكلها، لإدلاء كل "منها بما" يدليه الآخر، فكانت لذلك في حكم شيء واحد، والمعنى: فلنجازينك، ولكنه كنى بالسبب عن المسبب إجلالا له صلى الله عليه وسلم وإفادة لأن المؤاخذة تقع على الكل، لأنه ينتفي بانتفاء الجزء.

ولما تقدم أنهم يسعرون الحروب، ويسعون في إيقاع أشد الكروب، وكان ذلك - وإن وعد سبحانه بإخماده عند إيقاده - لا يمنع من تجويز أنه لا يخمد إلا بعد قتل ناس وجراح آخرين، وكان /كأنه قيل: إذا بلغ ذلك وهو ينقص أديانهم خيف عليه، قال: ﴿والله﴾ أي بلغ أنت والحال أن الذي أمرك بذلك وهو الملك الأعلى الذي لا كفوء له ﴿يعصمك﴾ أي يمنعك منعا تاما ﴿من الناس﴾ أي من أن يقتلوك قبل إتمام البلاغ وظهور الدين، فلا مانع من إبلاغ شيء منها لأحد من الناس كائنا من كان.

/٩٤

(١-١) في ظ: من الموقع (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: يقع (٤) في ظ: الادلاء.
(٥-٥) في ظ: منه انما (٦) من ظ، وفي الأصل: يليه (٧) من ظ، وفي الأصل: للنجازينكم (٨) من ظ، وفي الأصل: اجلا - كذا (٩) سقط من ظ.
(١٠-١٠) من ظ، وفي الأصل: لابلاغ.

ولما

و لما آذن ضمان العصمة بالمخالفة المؤذنة بأن فيهم من لا ينفعه البلاغ فهو لا يؤمن ، فلا يزال يبغى الغوائل ، أقر على هذا الفهم بتعليل عدم الإيمان بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى لا أمر لغيره ﴿ لا يهدى القوم الكٰفرين ﴾ أى المطبوع على قلوبهم فى علم الله مطابقة لقوله " و من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا " و يهدى المؤمنين فى علمه[1] المشار إليهم[2] فى قوله[2] " و يغفر لمن يشاء " و الحاصل أنه تبين[3] من الآية الإرشاد إلى أن لترك[4] البلاغ سببين : أحدهما خوف فوات النفس ، و الآخر خوف فوات ثمرة الدعاء ، فنفى الأول بضمان العصمة ، و الثانى بختام الآية ، أى ليس عليك إلا البلاغ ، فلا يحزنك من لا يقبل ، فليس إعراضه لقصور فى إبلاغك و لا حظك ، بل لقصور[5] إدراكه و حظه ، لأن الله حتم بكفره و ختم على قلبه لما علم من فساد طبعه ، و الله لا يهدى مثله ، و تلخيصه : بلغ ، فمن [أجابك ممن - [6]] أشير إليه - فيما سلف من غير الكثير الذين يزيدهم ما أنزل إليك عمى على عماهم و من الأمة المقتصدة و غيرهم - فهو حظه فى الدنيا و الآخرة ، و من أبى فلا يحزنك أمره ، لأن الله هو الذى أراد ضلاله ، فالتقدير : بلغ ، فليس عليك إلا البلاغ ، و إلى الله الهدى و الضلال ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين و يهدى القوم المؤمنين ، أو[2] فاذا بلغت هدى بك[7] ربك من أراد إيمانه ، ليكتب لك مثل أجرهم ، و أضل من شاء كفرانه ، و لا يكون عليك[7] شىء من

(١) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٢-٢) فى ظ : بقوله (٣) من ظ ، و فى الأصل : بين (٤) فى ظ : الترك (٥) فى ظ : القصور (٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ .

وزرهم[١] ، إن الله لا يهدى القوم الكافرين ، و المعنى كما تقدم : يعصمك[٢] من أن ينالوك بما يمنعك من الإبلاغ حتى يتم دينك و يظهر[٣] على الدين كله كما وعدتك ، و على مثل هذا دل كلام إمامنا الشافعى رحمه الله ، قال فى الجزء الثالث من الأم : و يقال - والله أعلم : إن أول ما أنزل عليه صلى الله عليه و سلم "اقرأ باسم ربك الذى خلق" ثم أنزل[٢] عليه بعدها ما لم يؤمر[٢] فيه بأن يدعو إليه المشركين ، فمرت لذلك مدة ، ثم يقال : أتاه جبريل عليه السلام عن الله عز و جل بأن يعلمهم نزول الوحى عليه [٤]و يدعوهم إلى الإيمان . فكبر ذلك عليه و خاف التكذيب و أن يُتناول ، فنزل عليه[٤] " يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس" : من قبلهم[٥] أن[٦] يقتلوك حتى تبلغ[٦] ما أنزل إليك - انتهى[٢] . و لقد وفى سبحانه بما ضمن و من أوفى منه وعدا و أصدق قيلا ! فلما أتم الدين و أرغم أنوف المشركين ، أنفذ فيه السم الذى تناوله[٢] بخيبر قبل سنين فتوفاه[٨] شهيدا كما أحياه سعيدا[٩] ؛ روى الشيخان : البخارى فى الهبة ، و مسلم فى الطب ، و أبو داود فى الديات عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه و سلم بشاة مسمومة فأكل منها ، فجىء بها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فسألها عن ذلك فقالت : أردت لأقتلك ، فقال : ما كان الله

(١) فى ظ : و دهم (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : تظهر (٤-٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ ، وفى الأصل : قتلهم ، و زيد قبله فى ظ : فقال يعصمك (٦-٦) فى ظ : يقبلون حتى يبلغ (٧) فى ظ : تناله (٨) من ظ ، و فى الأصل : فتوفا (٩) فى ظ : سعيد .

ليسلطك[1] على ذلك - أو قال: علىّ - [2]فقالوا: ألا تقتلها[2]؟ / قال: لا[3]، فما زلت ٩٥ /
أعرفها فى لهوات رسول الله صلى الله عليه و سلم . قال أبو داود: هى أخت
مرحب اليهودى، قال الحافظ عبد العظيم المنذرى فى مختصر سنن أبى داود:
و ذكر غيره أنها بنت أخى مرحب . أن اسمها زينب بنت الحارث، و ذكر
الزهرى أنها أسلمت، و لأبى داود و الدارمى - و هذا لفظه - عن أبى سلمة ٥
- و هو ابن عبد الرحمن بن عوف - قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يأكل الهدية و لا يقبل الصدقة، فأهدت [له -[4]] امرأة من يهود خيبر
شاة مصلية فتناول منها، و تناول [منها -[5]] بشر بن البراء، ثم رفع
النبى صلى الله عليه و سلم يده ثم قال: إن هذه تخبرنى أنها مسمومة، فمات
بشر بن البراء رضى الله عنه، فأرسل إليها النبى صلى الله عليه و سلم فقال[6]: ١٠
ما حملك على ما صنعت؟ فقالت: إن كنت نبيا لم يضرك [شىء -[5]]،
و إن [كنت -[4]] ملكا أرحت الناس منك، قال أبو داود: فأمر بها
رسول الله صلى الله عليه و سلم فقتلت[7] . زاد الدارمى: فقال فى مرضه:
ما زلت[8] من الأكلة التى أكلت بخيبر، فهذا أوان[3] انقطاع أبهرى -
و هذا مرسل . قال البيهقى: و رويناه عن حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو[9] ١٥

(١) من ظ و سنن أبى داود و صحيح مسلم، و فى الأصل: ليسلط (٢ - ٢) فى ظ: قال لا تقتلها (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و سنن الدارمى - باب ما أكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من كلام الموتى (٥) زيد من السنن .
(٦) ليس فى السنن (٧) من سنن أبى داود - كتاب الديات، و فى الأصل و ظ: فقلت (٨) فى ظ: ما زالت (٩) فى الأصل: عمر، و التصحيح من ظ و التهذيب: و هو محمد بن عمرو بن علقمة بن وقاص الليثى .

عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضى الله عنه ، قال البيهقي : [و -[1]] يحتمل أنه لم يقتلها فى[2] الابتداء ، ثم لما مات بشر أمر[3] بقتلها . و قصة هذه الشاة عن أبي هريرة رواها البخارى فى الجزية و المغازى و الطب ، و الدارمى فى أول المسند بغير هذا السياق - كما مضى فى البقرة فى قوله تعالى " و قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة[4] " و قد مضى فى أول هذه السورة عند قوله " فاعف عنهم و اصفح ان الله يحب المحسنين " شيء منه . و لأبي داود[5] و الدارمى عن ابن شهاب قال : كان جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله صلى الله عليه و سلم ، [6] فأخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم الذراع فأكل منها ، و أكل رهط من أصحابه معه ، ثم قال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم[6] : ارفعوا أيديكم ، و أرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى اليهودية فدعاها ، فقال لها[3] : أ سممت هذه الشاة ؟ قالت اليهودية : من أخبرك ؟ قال : أخبرتني هذه فى يدى - للذراع ، قالت : نعم ، قال : فما أردت ؟ قالت : قلت : إن كان نبيا فلن يضره ، و إن لم يكن نبيا استرحنا منه ، فعفا عنها[7] رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يعاقبها ، و توفى بعض أصحابه الذين أكلوا من الشاة ، و احتجم رسول الله صلى الله عليه و سلم على كاهله من أجل الذى أكل من الشاة ، حجمه أبو هند

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : فمن (٣) سقط من ظ (٤) آية ٨٠ (٥) و اللفظ له .
(٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من سنن أبي داود - كتاب الديات ، و فى الأصل و ظ : عنه .

بالقرن و الشفرة[1] ، و هو مولى لبنى بياضة من الأنصار . قال الدارمى : و هو من بنى ثمامة - [و هم - [2]] حى من الأنصار ، قال المنذرى : و هذا منقطع ، الزهرى لم يسمع من جابر بن عبد الله ، و فى غزوة خيبر من تهذيب السيرة لابن هشام : فلما اطمأن[3] رسول الله صلى الله عليه و سلم أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية و قد ٥ سألت : أىّ عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها ، فلما / وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه و سلم تناول الذراع / ٩٦ فلاك منها مضغة فلم يسغها[4] ، و معه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأما بشر فأساغها ، و أما ١٠ رسول الله صلى الله عليه و سلم فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ، ثم دعاها[5] فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغت من قومى ما لم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكا استرحت منه ، و إن كان نبيا فسيخبر[6] ، فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و مات بشر من أكلته التى أكل ، و ذكر موسى بن عقبة أن بشرا[7] رضى الله عنه ١٥ لم يسغ[8] لقمته [9]حتى أساغ النبى صلى الله عليه و سلم لقمته[9] و قال بعد

---

(١) فى ظ : السفرة (٢) زيد من مقدمة سنن الدارمى ، و زيد موضعه فى ظ : و هى (٣) من ظ و السيرة ٢ / ١٨٩ ، و فى الأصل : اطال - كذا (٤) فى ظ : فلم تسعها (٥) فى السيرة : دعا بها (٦) فى ظ : فيستخبر (٧) فى ظ : بشر (٨) من ظ ، وفى الأصل : لم يسوغ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أن أخبرهم النبي صلى الله عليه و سلم : و الذى أكرمك ! لقد وجدت ذلك فى أكلتى [التى - [1]] أكلت ، فما منعنى أن ألفظها إلا أنى أعظمت أن أنغصك طعامك ، فلما أسغت ما فى فيك لم أكن لأرغب بنفسى[2] عن نفسك . و نقلتُ من خط شيخنا حافظ عصره أبى الفضل أحمد بن على بن حجر الكنانى الشافعى[3] ما نصه : و أخرج الحافظ أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار فى مسنده المشهور ، و أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانى فى معجمه الكبير من حديث عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يأكل من هدية حتى يأمر صاحبها أن يأكل منها للشاة التى أهديت له بخيبر . قال شيخنا الحافظ أبو الحسن الهيثمى : رجاله ثقات ، قلت : و ذكر محمد بن إسحاق فى السيرة الكبرى و كذلك الواقدى فى المغازى - انتهى . و قال ابن إسحاق : و حدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى قال : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم قد قال فى مرضه الذى توفى[4] فيه و دخلت عليه أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده : يا أم بشر ! إن هذا الأوان[5] وجدت انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت[3] مع أخيك بخيبر ، قال : فان كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه و سلم مات شهيدا مع ما أكرمه الله به من النبوة . و لابن ماجه فى الطب عن أم سلمة رضى الله عنها قالت : لا يزال[6] ، يصيبك [فى - [7]] كل عام وجع من الشاة المسمومة التى أكلت ، قال : ما أصابنى

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : نفسى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : مات .
(٥) من ظ و سيرة ابن هشام ٢/١٨٩ ، و فى الأصل : لاوان (٦) من ظ و سنن ابن ماجه ، و فى الأصل : لا يزل (٧) زيد من السنن .

شيء منها إلا و هو مكتوب عليّ و آدم فى طينته . و للبخارى فى آخر المغازى عن عائشة رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقول فى مرضه الذى مات فيه : يا عائشة ! ما أزال أجد ألم الطعام الذى أكلت بخيبر ، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهرى من ذلك السم . قال ابن فارس فى المجمل : الأبهر عرق مستبطن الصلب ، و القلب متصل به ، و هو قوله صلى الله عليه و سلم : هذا أوان قطعت أبهرى ، و عبارة المحكم : عرق فى الظهر ، يقال : هو الوريد فى العنق ، و بعضهم يجعله عرقا مستبطن الصلب و قال ثابت بن عبد العزيز[1] فى كتاب خلق الإنسان : و فى الصلب الوتين ، و هو عرق أبيض غليظ كأنه قصبة ، و فى الصلب الأبهر و الأبيض و هما عرقان ، / و قال الزبيدى[2] فى مختصر العين : و الأبهران عرقان مكتنفا الصلب ، ٩٧/ و قيل : هما الأكحلان . و قال الفيروزابادى فى قاموسه : و الأبهر : الظهر و عرق فيه و وريد العنق و الأكحل و الكلية ، و الوتين : عرق فى القلب إذا انقطع مات صاحبه . و قال ابن الفرات فى الوفاة من السيرة من تاريخه : قال الحربى : العرق[3] فى الظهر يسمى الأبهر ، و فى اليد الأكحل ، و فى العنق الوريد ، و فى الفخذ النسا ، و فى الساق الأبجل ، و فى العين الشأن .

(١) و هو المشهور بثابت بن أبى ثابت أبى محمد اللغوى ، و اختلف فى اسم أبيه فذكر فى إنباه الرواة ١/ ٢٦٠ : و اسم أبيه أبى ثابت سعيد ، و قيل : محمد ؛ و قال فى التعليق عليه : زاد فى إشارة التعيين « و قيل : عبد العزيز ، و هو الصحيح » (٢) هو أبو بكر محمد بن الحسن بن مذحج الأندلسى ، و اسم مختصره : الاستدراك على كتاب العين .
(٣) سقط من ظ .

و هو عرق واحد ، كله يسمى الجدول . و قال ابن كيسان أيضا : هو الوتين في القلب و الصافن . و قال الإمام أبو غالب ابن التياني[1] الأندلسي في كتابه الموعب : إسماعيل أبو حاتم : الأبهر عرق[2] في الظهر ، يقال : هو الوريد في العنق ، ثم[3] قال : و الأبهر عرق[2] مستبطن المتن[4] ؛ الأصمعي :
٥ و في الصلب الأبهر و هو عرق ؛ صاحب العين : الأبهران الأكحلان ، و يقال : هما عرقان مكتنفا الصلب من جانبيه[5] . و[3] قال صلى الله عليه و سلم : ما زالت أكلة خيبر تعادّني[6] كل عام فالآن حين قطعت أبهري - يعني عرقي ، و يقال : الأبهر عرق مستبطن الصلب ، و إذا انقطع فلا حياة بعده . و[3] هذا اللفظ الذي ذكره رواه البخاري و الطبراني
١٠ عن عائشة رضي الله عنها . و معنى تعادّني[6] : تناظرني و تخالفني ، من العديد بمعنى الند الذي هو المثل المضاد و المنافر ، أي إني كلما زدت في جسمي صحة[3] ، نقصته بما لها من الضر و الأذى .

و لما أمر سبحانه بالتبليغ [العام - [7]] ، أمره بنوع منه على وجه يؤكد ما ختمت به آية التبليغ من عدم الهداية لمن حتم بكفره[3] ،
١٥ و يبطل[8] - مع تأكيده - هذه الدعوى : قولهم : نحن أبناء الله[3] و أحباءه[9] ، فقال مرهبا لهم بعد ما تقدم من الترغيب في إقامته : ﴿قل يآ هل الكتب﴾

---

(١) من إنباه الرواة ١/٢٥٩ . و في الأصل : التيالي ، و في ظ : البيالي - كذا ، و هو تمام بن غالب اللغوي (٢) في ظ : عناق (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : المتين (٥) في ظ : جانبه (٦) في ظ : تعادلني ، و في لسان العرب : تعاودني . (٧) زيد من ظ (٨) في ظ : تبطل (٩) في ظ : احبا .

أي

أى من اليهود و النصارى ﴿ لستم على شىء ﴾ أى [1]سار أو[1] يعتد به من دنيا و لا آخرة ، لأنه لعدم نفعه لبطلانه لا يسمى شيئا أصلا ﴿ حتى تقيموا ﴾ أى بالعمل بالقلب و القالب ﴿ التورٰة و الانجيل ﴾ و ما[2] فيهما من[3] الإيمان بعيسى ثم بمحمد عليهما الصلاة و السلام بالإشارة إلى كل منهما بالخصوص بنحو ما تقدم فى [4]الإشراق من[4] ساعير و الظهور من فاران ، و[3] بالإشارة بالعموم إلى تصديق كل من أتى بالمعجز ، و صدق ما قبله من منهاج الرسل ﴿ و مآ انزل ﴾ .

و لما كان ما عندهم إنما أوتى إليهم بواسطة الأنبياء ، عداه بحرف الغاية فقال : ﴿ اليكم من ربكم[5] ﴾ أى المحسن إليكم بانزاله على ألسنة أنبيائكم من البشارة بهما ، و على لسان هذا النبى العربى[3] الكريم مما يصدق ما قبله ، فانهم يعلمون ذلك و لكنهم يجحدونه .

و لما كان السياق لأن أكثرهم هالك ، صرح به دالا بالعطف على غير معطوف عليه أن التقدير : فليؤمنن به من أراد الله منهم ، فقال : ﴿ و ليزيدن كثيرا منهم ﴾ أى ما عندهم من الكفر بما فى كتابهم ﴿ مآ انزل اليك من ربك ﴾ المحسن إليك بانزاله ﴿ طغيانا ﴾ تجاوزا شديدا للحد ﴿ و كفرا ج ﴾ أى سترا لما دل عليه العقل .

و لما كان صلى الله عليه و سلم شديد الشفقة على خلق الله ، سلّاه فى ذلك بقوله : ﴿ فلا ﴾ أى فتسبب عن إعلام الله لك بذلك / قبل وقوعه [ثم عن وقوعه[5]] كما أخبر أن تعلم أنه[3] بارادته و قدرته ، فقال[6] لك : / ٩٨

(١ - ١) فى ظ : ساو - كذا (٢) فى ظ : مما (٣) سقط من ظ (٤-٤) فى ظ : الاسراق ما (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : فيقال .

لا ﴿ تاس ﴾ أى تحزن ﴿ على القوم الكفرين ٥ ﴾ أى على فوات العريقين فى الكفر لأنهم لم يضروا إلا أنفسهم لأن ربك العليم القدير لو علم فيهم خيرا لأقبل بهم إليك ، و الحاصل أنه ختم هذه الآية بمعلول الآية التى قبلها ، [1]فكأنه قيل : بلغ[1] ، فان الله هو الهادى المضل ، فلا تحزن على من أدبر .

و لما كان ما مضى فى هذه السورة غالبا فى فضائح أهل الكتاب لا سيما اليهود و[2] بيان أنهم عضوا[3] على الكفر ، و مردوا على الجحد ، و تمرنوا على البهت ، و عتوا عن أوامر الله ، كان ذلك موجبا لأنه ربما حدث فى الخاطر أنه إن آمن منهم أحد ما يقبل[4] ، أو لأن يقولوا هم : ليس فى دعائنا حينئذ فائدة فلا تدعنا ، أخبر أن الباب مفتوح[5] لهم و لغيرهم من جميع أهل الملل ، و أنه ليس بين الإنسان و بين أن يكون من أهله إلا عدم الإخلاص ، فاذا أخلص أذن فى دخوله [و - [6]] نودى بقبوله[7] ، أو يقال - و هو أحسن : لما أخبر عن كثير منهم بالزيادة فى الكفر ، رغب القسم الآخر على وجه يعم غيرهم ، أو يقال : إنه لما طال الكلام معهم . [كان . [6]] ربما ظن أن الأمر ترغيبا و ترهيبا و أمرا و نهيا خاص بهم ، فوقع الإعلام بأنهم و غيرهم من جميع الفرق فى ذلك سواء ، تشريفا لمقدار هذا النبى الكريم بعموم الدعوة و إحاطة الرسالة

(١- ١) تكرر ما بين الرقمين فى ظ غير أن فى التكرار « كانه » مكان « فكانه »
(٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل : عسوا ، و فى ظ : عضبوا - كذا (٤) فى ظ : لم يقبل (٥) من ظ . و فى الأصل : مفتوحا - كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : بقوله .

فقال سبحانه: ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ أى قالوا: آمنا ﴿ و الذين هادوا ﴾ أى اليهود ﴿ و الصٰبئون ﴾ أى القائلون بالأوثان السماوية و الأصنام الأرضية ﴿ و النصٰرٰى ﴾ أى الذين يدعون اتباع المسيح عليه السلام .

و لما كان اليهود قد عبدوا الأصنام متقربين بها إلى النجوم فى استنزال الروحانيات انهماكا فى السحر الذى جاء نبيهم موسى عليه السلام ٥ بابطاله ، و كان ذلك هو معنى دين الصابئة ، فرّق بين فريق بنى إسرائيل بهم مكتفيا بهم عن ذكر بقية المشركين لما مضى فى البقرة ؛ و لما سبق فى هذه السورة من ذم اليهود بالنقض للميثاق و الكفر و اللعن و القسوة و تكرر الخيانة و إخفاء الكتاب و المسارعة فى الكفر و النفاق و التخصيص بالكفر و الظلم و الفسق و غير ذلك من الطامات ما يسد[1] الأسماع ، كان ١٠ قبول توبتهم جديرا بالإنكار ، و كانوا هم ينكرون عنادا فلاحَ العرب من آمن منهم و من لم يؤمن ، فاقتضى الحال كون الفريقين فى حيز التأكيد ، و لم يتقدم للصابئة ذكر هنا أصلا فأخرجوا منه تنبيها على أن المقام لا يقتضيه لهم ، فابتدئ بذكرهم اعتراضا و دل على الخبر [عنهم بخبر -[2]] " إن[3] " ، أو أنه لما كان المقام للترغيب فى التوبة ، و جعل هؤلاء مع شناعة حالهم ١٥ بظهور ضلالهم كمن لا إنكار لقبول توبته ، كان غيرهم أولى بذلك ، و لما كان حال النصارى مشتبها ، جعلوا فى حيز الاحتمال للعطف على اليهود[4] لما

(١) فى ظ : سد (٢) زيد من ظ (٣) وأطال الكلام فى توجيهه الآلوسى فراجع روح المعانى ٢/٣٥٥ ، و ساق ابن حيان فيه ثلاثة أوجه فراجع البحر المحيط ٣/٥٣١ .
(٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فحذفناها .

تقدم من ذمهم ، و على الصابئة لخفة حالهم بأنهم مع أن أصل دينهم صحيح لم يبلغ ذمهم السابق فى هذه السورة مبلغ ذم اليهود ﴿ من آمن ﴾ أى منهم مخلصا من قلبه[1] ، و لعله ترك الجار إعراقا فى التعميم ﴿ بالله ﴾ أى الذى / له جميع الجلال و الإكرام ﴿ و اليوم الآخر ﴾ أى الذى يبعث ٩٩ / فيه العباد بأرواحهم و أشباحهم ، و يبعث [من - [2]] ذكره على الزهادة[3] و ألحد فى العبادة ، و [4]بالإيمان به يحصل كمال المعرفة بالله تعالى باعتقاد كمال قدرته[4] ﴿ و عمل صالحا ﴾ أى صدق إيمانه القلبى بالعمل بما [5]أمر به[5] ، ليجمع بين فضيلتى العلم و العمل ، و يتطابق الجنان مع الأركان ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ يعتد به فى دنيا و لا فى آخرة ﴿ و لا هم ﴾ أى خاصة ﴿ يحزنون ﴾ أى على[6] شىء فات ، لأنه لا يفوتهم شىء يؤسف عليه أصلا ، و أما غيرهم فهم فى الحزن أبدا ، و[7] فى الآية تكذيب لهم فى قولهم " ليس علينا فى الأميين سبيل[8] " المشار إليه فى هذه السورة بنسبتهم إلى أكل السحت فى غير موضع ، و فى نصوص التوراة الموجودة بين أظهرهم الآن أعظم ناصح[9] لهم فى ذلك كما سبق فى أوائل البقرة ، و قال فى السفر الرابع منها عند ذكر التيه[10] و وصاياهم إذ أدخلهم[11] الأرض المقدسة ، و مكنهم فيها بأشياء

(١) فى ظ : قبله (٢) زيد و لا بد منه (٣) فى ظ : الزهاد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) فى ظ : امرته (٦) زيد بعده فى الأصل : كل ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) سقط من ظ (٨) سورة ٣ آية ٨٥ (٩) فى ظ : واضح (١٠) فى ظ : اليتهم - كذا (١١) فى ظ : دخلتم ، و زيد بعده فيه : إلى .

منها القربان : و إن سكن بينكم رجل غريب يقبل إلىّ أو بين أولادكم لأحقابكم و يقرب قربانا[1] لريح قتار الذبيحة للرب يفعل كما فعلتم أنتم ، و لتكن السنة واحدة لكم و للذين يقبلون إلىّ و يسكنون بينكم سنة جارية لأحقابكم إلى الأبد ، و الذين يقبلون إلىّ من الغرباء يكونون أمام الرب مثلكم ، و لتكن[2] لكم سنة واحدة و حكومة واحدة لكم و للذين[3] يقبلون إلىّ ٥ و يسكنون معكم .

و لما كانت هذه البشارة - [الصادقة -[4]] من العزيز العليم الذى أهل الكتاب أعرف الناس به لمن آمن كائنا من كان - موجبة[5] للدخول فى الإيمان و التعجب ممن لم يسارع إليه ، و كان أكثر أهل الكتاب إنما يسارعون فى الكفر ، كان الحال مقتضيا لتذكر ما مضى من قوله تعالى ١٠ " و لقد اخذ الله ميثاق بنى اسراءيل و بعثنا منهم[6] اثنى عشر نقيبا " و زيادة العجب منهم مع ذلك ، فأعاد سبحانه الإخبار به مؤكدا له تحقيقا لأمره و تفخيما لشأنه ، و ساقه على وجه يرد دعوى البنوة و المحبة ، ملتفتا مع التذكير بأول قصصهم[7] فى هذه السورة إلى أول السورة " اوفوا بالعقود " و عبر فى موضع الجلالة بنون العظمة ، و جعل بدل النقباء الرسل فقال ١٥ مستأنفا : ﴿ لقد اخذنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ ميثاق بنىّ اسرآءيل ﴾ أى على الإيمان بالله ثم بمن يأتى بالمعجز مصدقا لما عنده[8] بحيث يقوم

(١) فى ظ : قربا - كذا (٢) فى ظ : لكن (٣) زيد بعده فى ظ : من (٤) زيد من ظ (٥) فى الأصل و ظ : موجب - كذا (٦) من ظ و القرآن الكريم سورة ٥ آية ١٢ ، و فى الأصل : منكم (٧) فى ظ : قصصه (٨) فى ظ : عندهم .

الدليل على أنه من رسل[1] الله الذين تقدم أخذ العهد عليهم بالإيمان بهم[2]، و دل على عظمة الرسل بقوله فى مظهر العظمة: ﴿و ارسلنآ اليهم رسلا[3]﴾ أى لم نكتف[3] بهذا العهد، بـل[2] لم نخلهم من بعد موسى من الرسل الذين يُرونهم الآيات و يجددون لهم أوامر الرب إلى زمن عيسى عليه السلام؛

٥ روى الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه - البخارى فى بنى إسرائيل[4] و مسلم فى المغازى - أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: كانت بنو إسرائيل تسوسهم[5] الأنبياء، كلما هلك نبى خلفه نبى، و إنه لا نبى بعدى، و سيكون خلفاء فيكثرون، قالوا: فما تأمرنا؟[6] قال: فوا[6] ببيعة الأول فالأول و أعطوهم حقهم، فان الله سائلهم عما استرعاهم - انتهى.

١٠ و مع ذلك فلم يخل لهم زمان طويل من الكفر [لا -[7]] فى زمن موسى ولا فى زمن من بعده من الأنبياء عليهم السلام، حتى قتلوا كثيرا من الرسل[8] و هو معنى قوله[8] - جوابا لمن كأنه قال: ما فعلوا بالرسل -: ﴿كلما جآءهم رسول﴾ أى من أولئك الرسل أىّ رسول كان

١٠٠ / ﴿بما لا تهوى انفسهم[1]﴾ أى بشىء لا تحبه نفوسهم محبة تتساقط بها إليه،

١٥ خالفوه، فكأنه قيل: أىّ مخالفة؟ فقيل: ﴿فريقا﴾ أى من الرسل ﴿كذبوا﴾ أى كذبهم بنو إسرائيل من غير قتل، و دل على شدة بشاعة القتل و عظيم شناعته بالتعبير بالمضارع تصويرا للحال الماضية و تنبيها على أن هذا ديدنهم

---

(١) فى ظ: رسول (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: لم يكتف (٤) راجع كتاب الأنبياء (٥) فى ظ: برسوسهم (٦ - ٦) من ظ و صحيح البخارى، و فى الأصل: قافرا - كذا (٧) زيد من ظ (٨ - ٨) تكرر ما بين الرقمين فى ظ بعد «ما فعلوا بالرسل».

و هو أشد من التكذيب فقال: ﴿ و فريقا يقتلون ﴾ أى مع التكذيب و ليدل على ما وقع منهم [1] فى سم [1] النبى صلى الله عليه و سلم ، و قدم المفعول للدلالة على انحصار أمرهم فى حال التكذيب و القتل ، فلا حظ لهم فى تصديق مخالف [2] لأهويتهم ﴿ و حسبوا ﴾ أى لقلة [3] عقولهم مع مباشرتهم لهذه العظائم التى ليس بعدها شىء ﴿ ألا تكون ﴾ أى توجد ﴿ فتنة ﴾ أى أنه [4] لا يصيبهم بها عذاب فى الدنيا و لا خزى فى الأخرى ، بل استحقوا بأمرها . فلا تعجب أنت من جرأتهم فى ادعائهم أنهم أبناء الله [5] و أحباؤه ؛ و قرئ : تكون - بالرفع تنزيلا للحسبان منزلة [6] العلم فتكون مخففة من الثقيلة [7] التى للتحقيق [7] ، و بالنصب كان الحسبان على بابه ، و أن ، على بابها خفيفة ناصبة [8] للفعل ، لأن القاعدة - كما ذكر الواحدى - أن [9] الأفعال على ثلاثة أضرب : فعل للثبات و الاستقرار كالعلم و التيقن و البيان [10] ، تقع بعده الثقيلة دون الخفيفة ؛ و فعل للزلزلة و الاضطراب [11] كالطمع و الخوف و الرجاء ، فلا يكون بعده إلا الخفيفة الناصبة للمضارع ؛ و فعل يقع على وجهين كحسب : تارة تكون بمعنى

(١-١) فى ظ : من سهم (٢) فى ظ : تحليف - كذا (٣) فى ظ : لخفة (٤) فى ظ : انهم (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : بمنزلة (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : فا نصبته ، و فى روح المعانى ٢ / ٣٥٨ : و قرأ أبو عمرو و حمزة و الكسائى و يعقوب « ان لا تكون » بالرفع على أن ' ان ' هى المخففة من الثقيلة ، و أصله : أنه لا تكون ، فخفف ' أن ' و حذف ضمير الشأن (٩) فى ظ : لان (١٠) فى ظ : الثبات (١١) من ظ ، و فى الأصل : الاضراب .

طمع فتنصب[1]، و تارة بمعنى علم فترفع[2]؛ فان رفع هنا كان الحسبان بمعنى العلم عندهم لقوة عنادهم، و إن نصب كان بمعنى الطمع لأنهم عالمون بأن قتلهم لهم خطأ؛ فتنزل القراءتان على فريقين - والله أعلم، و أيضا فقراءة الرفع تفيد تأكيد حسبانهم المفيد لعدم خوفهم بزيادة عماهم ٥ ﴿ فعموا ﴾ أى فتسبب عن إدلالهم إدلال الولد و المحبوب جهلا منهم و حماقة بظنهم أنهم لا تنالهم فتنة أنهم وُجِد[3] عماهم العمى الذى لا عمى فى الحقيقة سواه، و هو انطماس البصائر، فانها لا تعمى الابصار و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور، حتى فى زمن موسى عليه السلام ﴿ و صموا ﴾ أى بعده[4] و بعد يوشع عليهما السلام، لأن الصمم أضر من العمى، فصاروا ١٠ كمن لا يهتدى إلى سبيل أصلا، لأنه لا بصر له بعين و لا قلب و لا سمع ﴿ ثم تاب الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال ﴿ عليهم ﴾ أى فرجعوا إلى الحق و تكرر لهم ذلك ﴿ ثم عموا ﴾ أى فى زمن المسيح عليه السلام ﴿ و صموا ﴾ أى بعده[4].

و لما كان الإتيان بالضمير مفهما لأن ذلك عمهم كلهم، أعلم سبحانه ١٥ أن ذلك ليس كذلك بقوله: ﴿ كثير منهم[5] ﴾ إلا أن سوقه للعبارة هذا المساق يدل على أن من لم يكفر منهم كان مزلزلا[5] غير راسخ القدم فى الهدى - و الله أعلم، و ربما دل عليه قوله: ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ بصير بما يعملون ٥ ﴾ أى و إن دق و إن كانوا

(١) فى ظ: فينصب (٢) فى ظ: فرفع (٣) فى ظ: وجدوا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: متزلزلا.

يظنون

يظنون أنهم أسسوا[1] عملهم على علم، و قد مضى فى قوله "من لعنه الله و غضب عليه" ما يشهد لهذا من عبادتهم بعلا الصنم و غيره من الأصنام مرة بعد مرة .

/ و لما أخبر تعالى بفساد أعمالهم، دل على ذلك بقوله مستفتحا[2] مبينا من حال النصارى ما بين من حال اليهود، و مؤكدا لختم آية التبليغ بما ينقض دعواهم فى البنوة و المحبة: ﴿ لقد كفر ﴾ أى ستر ما دل عليه النقل و هدى إليه العقل ﴿ الذين قالوا ان الله ﴾ أى على ما له من نعوت الجلال و الجمال ﴿ هو المسيح ﴾ فبين بصيغة فعيل - التى لا مانع من أن تكون للمفعول - بُعْدَه عما ادعوه فيه، ثم أوضح ذلك بقوله: ﴿ ابن مريم[3] ﴾ إيضاحا لا خفاء معه . /١٠١

و لما كانت دعوى الاتحاد الذى هو قول اليعقوبية أشد فى الكفر و أنفى للاله من دعوى التثليث الذى هو قول النسطورية و الملكية القائلين بالأقانيم، قدمها و بين تعالى أنهم خالفوا فيها أمر المسيح الذى ادعوا أنه[3] الإله فقال: ﴿ و قال ﴾ أى قالوا هذا الذى كفروا به و الحال أنه قال لهم ﴿ المسيح ﴾ [ضغطة عليهم و دعاء إلى ما هو الحق -[4]] ﴿ يٰبنى اسرآءيل ﴾ أى الذى كان يتشرف بعبادة الله و تسميته بأنه عبده ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الملك الأعظم [الذى -[4]] كل شىء تحت قهره، فأمرهم بأداء الحق لأهله مذكرا لهم بعظمته، ثم ذكرهم بأحسانه و أنه و إياهم فى ذلك شرع

(١) من ظ، و فى الأصل: اسسوا - كذا (٢) من ظ، و فى الأصل: مستنتجا - كذا (٣) فى ظ: انفتح - كذا (٤) زيد من ظ .

وأحد ، فقال مقدما لما يتعلق به لأنه أهم لإنكارهم له ﴿ ربى و ربكم ﴾ فلم يطيعوا الإله الحق [1]و لا[1] الذى ادعوه إلها ؛ فلا أضل منهم و لا أسفه ؛ قال أبو حيان فى النهر : و هذا الذى ذكره الله تعالى عنه هو[2] مذكور فى إنجيلهم يقرؤنه و لا يعملون بـه ، و هو قول المسيح : يا معشر بنى المعمودية - و فى رواية : يا معشر الشعوب - قوموا بنا إلى أبى و أبيكم و إلى[3] إلهى و إلهكم و مخلصى و مخلصكم - انتهى . و قد أسلفت أنا فى آل عمران و غيرها عن الإنجيل كثيرا[4] من شواهد ذلك ، و يأتى فى هذه السورة و غيرها كثير منه .

و لما[5] أمرهم بما يفهم منه الإخلاص لله تعالى فى العبادة لما ذكر من جلاله و أن ما سواه مربوب ، و لأنه أغنى الأغنياء ، فمن أشرك به شيئا لم يعتد[6] له [7]بعبادة ، علل[7] ذلك بقوله : ﴿ انه من يشرك ﴾ أى الآن أو[8] بعد الآن فى زمن من الأزمان ﴿ بالله ﴾ أى الذى تفرد بالجلال فى عبادة أو فيما هو مختص به من صفة أو فعل[9] ﴿فقد حرم الله﴾ أى الذى له الأمر كله فلا أمر لأحد معه ﴿ عليه الجنة ﴾ أى منعه من دخولها[10] منعا عظيما متحتما .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : الحق ، و لم تكن الزيادة فى ظ و النهر فحذفناها - راجع البحر المحيط ٣/٥٣٤ (٣) سقط من النهر . (٤) فى ظ : كثير (٥) من ظ ، و فى الأصل : ما (٦) فى ظ : لم يعقد (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : بعباد عد (٨) فى ظ : اى (٩) فى ظ : فعله (١٠) من ظ ، و فى الأصل : دخول الجنة .

و لما كان المنع من دار السعداء [1]مفهما لكونه[1] فى دار الأشقياء، صرح به فقال: ﴿ و ماوٰنه ﴾ أى محل سكناه ﴿ النار[1] ﴾ و لما جرت عادة الدنيا بأن[2] من نزل به ضيم يسعى فى الخلاص منه بأنصاره و أعوانه، نفى ذلك سبحانه مظهرا للوصف المقتضى لشقائهم تعليلا و تعميما فقال: ﴿ وما للظلمين ﴾ أى لهم لظلمهم ﴿ من انصار ﴾ لا بفداء و لا بشفاعة و لا مقاهرة بمجاهرة و لا مساترة، لأن من وضع عمله فى غير موضعه فكان ماشيا فى الظلام، لا تمكنه[3] أصلا مقاومة[4] مَنْ هو فى أتم ضياء، و هذا على التهديد على الكفر فلا يصح أن يكون على مطلق المعصية و لو كانت كبيرة، فبطل قول المعتزلة.

و لما انقضى هذا النقض، و قدمه لأنه كما مضى أشد، أتبعه إبطال دعوى التثليث بقوله مبدلا من تلك النتيجة نتيجة أخرى: ﴿ لقد كفر الذين قالوآ ﴾ بجرأة على الكلام المتناقض و عدم حياء / ﴿ ان الله ﴾ أى على ما له من العظمة التى منها الغنى المطلق ﴿ ثالث ﴾ أى واحد ﴿ ثلثة ﴾ أى كلهم آلهة[5]، و أما القائل بأنه ثالث بالعلم فلا يكفر. / ١٠٢

و لما أعلم بكفرهم، أشار إلى إبطاله كما أشار إلى إبطال الأول كما سلف بما لا يخفى على أحد، تحقيقا لتلبسهم بمعنى الكفر الذى هو ستر ما هو ظاهر فقال: ﴿ و ما ﴾ و أغرق فى النفى كما هو الحق و اقتضاه المقام فقال: ﴿ من الـه الآ الـه واحد[5] ﴾ أى قالوا ذلك و الحال أنه لا يصح

(١-١) فى ظ: مغنما للكون (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: لا يمكنه (٤) فى ظ: مقامه (٥) من ظ، و فى الأصل: اله.

و لا يتصور فى العقل أن يكون الإله متعددا لا تحقيقا و لا تقديرا بوجه من الوجوه، لا يكون إلا واحدا بكل اعتبار، و هو الله تعالى لا غيره، و قد بين عيسى عليه السلام فى الإنجيل الذى بين أظهرهم أنه[1] لا يصح أن يكون الإله إلا واحدا - بالمعتمد من أدلة ذلك عند محقق أهل الأصول و هو برهان التمانع المشار إليه فى كتابنا بقوله تعالى " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا[2] " فقال مترجمهم فى إنجيل متى : حينئذ أتى إليه - أى عيسى عليه السلام - بأعمى أخرس[3] به شيطان ، فأبرأه حتى أنه تكلم و أبصر ، فبهت الجمع كلهم و قالوا : لعل هذا هو ابن داود ! فسمع الفريسيون فقالوا : هذا لا يخرج الشياطين إلا بباعل زبول رئيس الشياطين ، فلما علم مكرهم قال لهم : كل مملكة تنقسم على ذاتها تخرب ، و كل مدينة أو بيت ينقسم لا يثبت[4] ، فان كان الشيطان يخرج الشيطان *فقد انقسم فكيف يقوم ملكه ؟ فان كنت أنا أخرج الشياطين * بباعل زبول فأبناؤكم بما[6] تخرجونهم ! من أجل هذا هم يكونون[7] عليكم ، و إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد قربت منكم ملكوت الله ، و كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى و يخطف متاعه إلا أن يربط القوى[8] أولا ، حينئذ ينهب بيته . و قال مرقس[9] : و أما[10] الكتبة الذين[10] أتوا من يروشليم فقالوا : إن بعل زبول معه ، و باركون[11] الشياطين يخرج الشياطين ؛ فدعاهم و قال لهم : كيف

(١) فى ظ : لانه (٢) سورة ٢١ آية ٢٢ (٣) من ظ ، و فى الأصل : اخر - كذا . (٤) فى ظ : لا تثبت (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : بماذا (٧) فى ظ : يحكمون (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : قش (١٠-١٠) فى ظ : الكهنة الذى (١١) بمعنى الرئيس و الكبير ، و قد يأتى تفسيره بعد .

يقدر شيطان أن يخرج شيطانا ! و كل مملكة تنقسم لا تثبت تلك المملكة ، فاذا اختلف أهل البيت لا يثبت ذلك البيت ، و إن كان الشيطان الذى يقاوم بقيته و ينقسم فلن يقدر أن يثبت ، لكن له انقضاء ، لا يقدر أحد أن يدخل بيت[1] القوى و ينتهب بيته إلا أن يربطه[2] أولا ، و ينتهب متاعه ، الحق أقول لكم ! [3]إن كل[3] شيء يغفر[4] لبنى الناس من الخطايا ٥ و التجديف الذى يجدفونه[5] ، و المجدفين على روح القدس ليس يغفر لهم إلى الأبد ، بل يحل بهم العقاب الدائم ، لأنهم يقولون : إن معه روحا نجسا . قال متى : من ليس معى فهو [3]علىّ ، و من لا يجمع معى فهو[3] يفرق ، من أجل هذا أقول لكم : إن كل خطيئة و تجديف يترك للناس ، و التجديف على روح[6] القدس لا يترك ، و[1] من يقل كلمة على ابن الإنسان ١٠ يترك[7] له ، و الذى يقول على روح القدس لا يترك له فى هذا الدهر و لا فى الآتى ، إما[8] أن تصيروا الشجرة الجيدة و ثمرتها جيدة ، و إما أن تصيروا الشجرة الرديئة و ثمرتها رديئة ، لأن من الثمرة تعرف الشجرة ، يا أولاد الأفاعى ! كيف[9] تقدرون أن تتكلموا[9] بالصلاح و أنتم أشرار ! إنما يتكلم الفم من فضل ما فى القلب ، الرجل الصالح من كنزه الصالح[1] يخرج ١٥ الصلاح ، و الرجل الشرير من كنزه الشرير يخرج / الشر ، أقول لكم[1] : إن / ١٠٣ [كل - [10]] كلمة يتكلم بها الناس بطالة يعطون عنها جوابا فى يوم

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تربطه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) زيد بعده فى ظ: لكم (٥) من ظ ، و فى الأصل : تجدفونه (٦) فى ظ: الروح .
(٧) فى الأصل و ظ : لا يترك ، و مبنى التصحيح نص الإنجيل (٨) فى ظ : الا .
(٩-٩) فى ظ : يقدرون أن يتكلموا (١٠) زيد من ظ .

الدين ، لأنك من كلامك تبرّر ، و من كلامك يحكم عليك . و فى إنجيل لوقا : و فيما هو يتكلم إذ[1] رفعت امرأة من الجمع صوتها و قالت : طوبى لبطن التى حملتك ، و لثدى التى أرضعتك ، فقال [لها - [2]] : مهلا ! طوبى لمن يسمع كلام الله و يحفظه - انتهى . حينئذ[3] أجابه قوم من الكتبة

٥ و الفريسيين قائلين : نريد يا معلم أن ترينا آية ، أجابهم و قال لهم : الجيل الشرير الفاسق يطلب آية فلا يعطى آية إلا آية يونان النبى ؛ قال لوقا : فكما[4] كان فى يونان آية لأهل نينوى ، كذلك يكون ابن الإنسان لهذا الجيل آية - انتهى . رجال نينوى يقومون فى الحكم و يحاكمون هذا الجيل ، لأنهم تابوا بكريزة يونان - و قال لوقا : بانذار يونان - و ههنا أفضل من

١٠ يونان ، ملكة التيمن تقوم[5] فى الحكم مع هذا الجيل و تحاكمه ، لأنها أتت من أقصى الأرض لتسمع من حكمة سليمان ، [6] و ههنا أفضل من سليمان[6] ، إن الروح النجس إذا خرج من الإنسان يأتى أمكنة ليس [فيها - [2]] ماء ، يطلب راحة فلا يجد . فيقول حينئذ : أرجع إلى بيتى الذى خرجت منه ، فيأتى فيجد المكان فارغا مكنوسا مزينا ، فيذهب

١٥ حينئذ و يأخذ معه سبعة أرواح أخر شرا منه و يأتى و يسكن هناك ، فتصير آخرة ذلك الإنسان شرا[7] من أوليته[8] ، و هكذا يكون لهذا[9] [الجيل - [2]] الشرير - انتهى . و التجديف هو الكفر بالنعم ، و يونان :

---

(١) فى الأصل : إذا ، و سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : صعيد - كذا.
(٤) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : فلما (٥) فى ظ : يقوم (٦ - ٦) سقط من ظ (٧) زيد بعده فى ظ : منه (٨) فى الأصل و ظ : اوليته - كذا (٩) فى ظ : هذا .

يونس عليه السلام ، و الكريزة - بينها لوقا بأنها الإنذار ، و التيمن : اليمن ، و الأركون - بضم الهمزة و الكاف بينهما راء مهملة ساكنة : الكبير ، و يروشليم - بفتح التحتانية و ضم[1] المهملة ثم شين معجمة : بيت المقدس ، و باعل زبول[2] - بموحدة و عين مهملة و زاى و موحدة .

هذا الدليل على التوحيد و أن الشركة فى الإلهية لا تصح أصلا ، و أما الدليل على عدم شركة كل من عيسى و أمه عليهما السلام بخصوصهما فسيأتى تقريره بقوله تعالى "كانا يأكلان الطعام" و المراد من ذلك كله أنه متى دخلت الشركة أتى النقص فعلا أو إمكانا[3] ، و من اعترته شائبة نقص لم يصح كونه إلها .

و لما أخبر أنهم كفروا ، و أشار إلى نقض قولهم ، كان أنسب الأشياء بعده[4] أن يعطف عليه ترهيبهم ثم ترغيبهم فقال تعالى : ﴿ و ان لم ينتهوا ﴾ أى الكفرة بجميع أصنافهم[5] ﴿ عما يقولون ﴾ أى من هاتين المقالتين و ما داناهما[6] ﴿ ليمسن ﴾ أى مباشرة من غير حائل ﴿ الذين كفروا ﴾ أى داموا على الكفر ، و بشر سبحانه بأنه يتوب على بعضهم بقوله : ﴿ منهم عذاب اليم ﴾ .

و لما كان من شأن العاقل أنه لا يقدم على باطل ، فان وقع ذلك منه و شعر[7] بنوع ضرر يأتى بسببه بادر إلى الإقلاع عنه ، تسبب عن هذا الإنذار - بعد بيان العوار - الإنكارُ عليهم فى عدم المبادرة إلى التوبة إيضاحا

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : بضم (٢) فى ظ : ذيلول (٣) فى ظ : مكانا (٤) من ظ ، و فى الأصل : بعد (٥) فى ظ : اوضاعهم (٦) فى ظ : دناهما (٧) فى ظ : شغف .

لأن معنى كفروا: داموا[1] عليه ، فقال : ﴿ افلا يتوبون ﴾ أى يرجعون بعد هذا الكفر الذى لا أوضح من بطلانه و لا أبين من فساده و الوعيد الشديد ﴿ الى الله ﴾ أى المتصف بكل وصف جميل ﴿ و يستغفرونه[2] ﴾ أى يطلبون منه غفران ما أقدموا عليه من العار البين العوار ؛ و لما كان التقدير : فالله تواب حكيم ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾[2] و يجوز أن يكون التقدير : و الحال أن المستجمع لصفات الكمال أزلا و أبدا ﴿ غفور ﴾ أى بليغ المغفرة ، يمحو الذنوب فلا يعاقب عليها و لا يعاتب ﴿ رحيم ٥ ﴾ أى[3] بالغ الإكرام لمن أقبل إليه . /١٠٤/

و لما أبطل الكفر كله باثبات أفعاله من إرساله و إنزاله و غير ذلك من كماله ، و أثبت التوحيد على وجه عام ، أتبع ذلك تخصيص ما كفر به المخاطبون بالإبطال ، فكان ذلك دليلا خاصا بعد دليل عام ، فقال تعالى على وجه الحصر فى الرسلية ردا على من يعتقد[4] فيه الإلهية واصفا له بصفتين لا يكونان إلا لمصنوع[5] مربوب : ﴿ ما المسيح ﴾ أى الممسوح بدهن القدس المطهر المولود لأمه[6] ﴿ ابن مريم الا رسول ﴾ و بين أنه ما كان بدعا ممن كان قبله من إخوانه بقوله : ﴿ قد خلت من قبله الرسل[7] ﴾ أى فما من خارقة له ، و[3] إلا و قد كان مثلها أو أعجب منها لمن قبله كآدم عليه السلام [7]فى خلقه من تراب ، و موسى عليه السلام[7] فى قلب العصى

(١) من ظ ، و فى الأصل : اداموا (٢) زيد بعده فى ظ : أى (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : افتعل - كذا (٥) فى ظ : المصنوع (٦) فى الأصل و ظ : لانه .
(٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى ظ .

حية تسعى - و نحو ذلك .

و لما كفروا بأمه أيضا عليهما السلام بين ما هو الحق فى أمرها فقال: ﴿ و امه صديقة ﴾ أى بليغة الصدق فى نفسها و التصديق لما ينبغى أن يصدق ، فرتبتها تلى رتبة الأنبياء ، و لذلك تكون من أزواج نبينا صلى الله عليه و سلم فى الجنة . و هذه الآية من أدلة من قال : إن مريم ٥ عليها السلام لم تكن نبية ، فانه تعالى ذكر أشرف صفاتها فى معرض الرد على من قال بالهيتهما إشارة إلى بيان ما هو الحق فى اعتقاد ما لهما من أعلى الصفات ، و أنه من رفع واحدا منهما فوق ذلك فقد أطراه ، و من نقصه عنه فقد ازدراه ، فالقصد العدل[1] بين الإفراط و التفريط باعتقاد أن أعظم صفات عيسى عليه السلام الرسالة ، و أكمل صفات ١٠ أمه الصديقية .

و لما كان المقام مقام البيان عن نزولهما عن رتبة الإلهية ، ذكر أبعد[2] الأوصاف منها فقال: ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ و خص الأكل لأنه مع كونه ضعفا لازما ظاهرا هو أصل الحاجات المعترية للانسان ، فهو تنبيه على غيره ، و[3] من الأمر الجلى أن الإله لا ينبغى أن يدنو إلى جنابه عجز ١٥ أصلا ، و قد اشتمل قوله تعالى " و قال المسيح " و قوله " كانا يأكلان [الطعام -[4]] " على أشرف أحوال الإنسان و أخسها ، فأشرفها عبادة الله ، و أخسها الاشتغال عنها بالأكل الذى هو[5] مبدأ الحاجات .

---

(١) فى ظ : العد (٢) فى ظ : بعد (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و القرآن الكريم (٥) فى ظ : تبدا - كذا.

و لما أوضح ما هو الحق فى أمرهما حتى ظهر كالشمس بُعْدُهما عما ادعوه فيهما، أتبعه التعجب[1] من تمام قدرته على إظهار الآيات و على الإضلال بعد ذلك البيان فقال: ﴿ انظر كيف نبين لهم الآيٰت ﴾ أى نوضح أيضاحا شافيا العلاماتِ التى من شأنها الهداية إلى الحق و المنع من الضلال؛ و لما كان[2] العمى عن هذا البيان فى غاية البعد، أشار إليه بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم انظر انّٰى ﴾ أى كيف و من أين؛ و لما كان العجب قبولهم[3] للصرف و تأثرهم به، لا كونه من صارف معين، بنى للمفعول قوله: ﴿ يؤفكون ٥ ﴾ أى يصرفون عن الحق و بيان الطريق صرفَ من لا نور له أصلا من[2] أىّ صارف كان، فصرفهم[4] فى غاية السفول، [5]و بيان الآيات فى غاية العلو[5]، فبينهما بون عظيم.

و لما نفى عنهما الصلاحية لرتبة الإلهية للذات، أتبعها نفى ذلك من حيث الصفات، فقال منكرا مصرحا بالإعراض عنهم إشارة إلى أنهم ليسوا أهلا للاقبال عليهم: ﴿ قل ﴾ أى للنصارى أيها الرسول[6] الأعظم ﴿ اتعبدون ﴾ [7]و نبه على أن كل شىء دونه، و أنهم اتخذوهم وسيلة إليه بقوله: ﴿من دون الله[7]﴾ / و نبه باثبات الاسم الأعظم[2] على أن له جميع الكمال، و عبر عما عبدوه بأداة[8] ما لا يعقل تنبيها على أنه سبحانه هو[9] الذى

١٠٥ /

---

(١) فى ظ: التعجيب (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: قولهم (٤) فى ظ: يصرفهم.
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ: الرسل (٧ - ٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل. و سقط "من دون الله" من ظ، و زيد بعده فى الأصل: اى، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨) فى ظ: مناداة (٩) تقدم فى ظ على «سبحانه».

أفاض عليه[1] ما رفعه عن ذلك الحيز[2]، ولو شاء لسلبه عنه فقال: ﴿ما لا يملك لكم ضرا﴾ أى من نفسه فتخشوه ﴿ولا نفعا[4]﴾ أى فترجوه، ليكون لكم نوع عذر أو شبهة، ولا هو سميع يسمع كل ما يمكن سمعه بحيث[3] يغيث المضطر إذا استغاث به فى [أىّ - [4]] مكان كان، ولا عليم يعلم كل ما يمكن علمه بحيث يعطى على حسب ذلك، وكل ما يملك من ذلك فبتمليك الله[5] له كما ملككم من ذلك ما شاء.

ولما نفى عنه ما ذكر تصريحا وتلويحا، أثبته لنفسه المقدسة كذلك فقال: ﴿والله﴾ أى والحال أن الملك الذى له الأسماء الحسنى والصفات العلى والكمال كله ﴿هو﴾ أى خاصة ﴿السميع العليم﴾ وهو وحده الضار النافع، يسمع منكم هذا القول ويعلم هذا المعقد[6] السيئ، وإنما قرن بالسميع العليم، دون البصير لإرادة التهديد لمن عبد غيره، لأن العبادة قول أو فعل، [7]ومن الفعل[7] ما محله القلب وهو الاعتقاد، ولا يدرك بالبصر بل بالعلم، والآية - كما ترى - من الاحتباك: دل بما أثبته لنفسه [على سبيل القصر - [4]] على نفيه فى الجملة الأولى عن غيره، وبما نفاه فى الجملة الأولى عن غيره على إثباته له - والله الموفق.

ولما قامت الأدلة على بطلان قول اليهود ثم [على - [4]] بطلان مدعى النصارى، ولم يبق لأحد علة، أمره صلى الله عليه وسلم أن ينهى الفريقين عن الغلو بالباطل فى أمر عيسى عليه السلام: اليهود

---

(١) فى ظ: اليه (٢) فى ظ: الخبر (٣) من ظ، وفى الأصل: بعيشه (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: العقد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

بانزاله عن[1] رتبته ، و النصارى برفعه عنها بقوله تعالى: ﴿قل يآهل الكتب﴾ أى عامة ﴿لا تغلوا﴾ أى تجاوزوا الحد علوا و لا نزولا ﴿فى دينكم﴾ .

و لما كان الغلو ربما أطلق على شدة الفحص عن الحقائق و استنباط الخفى من الأحكام و الدقائق من خبايا النصوص ، نفى ذلك بقوله : ﴿غير الحق﴾ و عرّفه ليفيد أن المبالغة فى الحق غير منهى عنها ، و إنما المنهى عنه تجاوز دائرة الحق بكمالها ، و لو نكر لكان من جاوز حقا إلى غيره واقعا فى النهى ، كمن جاوز الاجتهاد فى الصلاة النافلة إلى الجد فى العلم النافع ، و لو قيل : باطلا ، لأوهم أن المنهى عنه[2] المبالغة فى الباطل ، لا أصله و مطلقه .

و لما نهاهم أن يضلوا بأنفسهم ، نهاهم أن يقلدوا فى ذلك غيرهم فقال: ﴿ولا تتبعوا﴾ أى فاعلين فعل من يجتهد فى ذلك ﴿اهوآء قوم﴾ أى هَوَوا مع ما لهم من القوة ، فكانوا أسفل سافلين ، و الهوى لا يستعمل إلا فى الشر ﴿قد ضلوا﴾ و لما كان ضلالهم غير مستغرق للزمان الماضى . أدخل الجار فقال: ﴿من قبل﴾ أى من قبل زمانكم[3] هذا عن منهاج العقل فصبروا على ضلالهم و أنسوا بما تمادوا عليه فى[4] محالهم ﴿و اضلوا﴾ أى لم يكفهم ضلالهم فى أنفسهم حتى أضلوا غيرهم ﴿كثيرا﴾ أى من الناس بتماديهم فى الباطل من التثليث و غيره حتى

(١) فى ظ : على (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : زمانهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : من .

ظن

ظن حقا ﴿ و ضلوا ﴾ أى بعد بعث النبى صلى الله عليه و سلم بمنابذة الشرع ﴿ عن سوآء ﴾ أى عدل ﴿ السبيل ﴾ أى الذى لا سبيل فى الحقيقة غيره، لأن الشرع هو الميزان[1] القسط و الحكم العدل، و هذا إشارة إلى أنهم [إن -[2]] لم ينتهوا كانوا على محض التقليد لأسلافهم الذين هم فى غاية البعد / عن النهج[3] و ترك الاهتداء بنور العلم[4]، و هذا ٥ /١٠٦ غاية فى التبكيت، فان تقليدهم لو كان فيما يشبه[5] الحق كان جهلا، فكيف و إنما هو تقليد فى هوى.

و لما نهاهم[6] عن ذلك و قبحه عليهم. علله محذرا منه بقوله تعالى بانيا[7] للمفعول، لأن الفاعل معروف بقرينة[8] من هو على لسانهما: ﴿ لعن ﴾ و وصفهم بما نبه على علة لعنهم بقوله: ﴿ الذين كفروا ﴾ و صرح بنسبتهم ١٠ تعيينا لهم و تبكيتا[9] و تقريعا فقال: ﴿ من بنى اسرآءيل ﴾ و أكد هذا اللعن و فخمه بقوله: ﴿ على لسان داود ﴾ أى [10]الذى كان على شريعة موسى عليه السلام، و ذلك باعتدائهم فى السبت فصاروا قردة ﴿ و عيسى ابن مريم ﴾ أى الذى نسخ شرع موسى عليه السلام، بكفرهم بعد المائدة فمسخوا خنازير، لأنهم[10] خالفوا النبيين معا. فلا هم تعبدوا بما دعاهم إليه ١٥ داود عليه السلام من شرعهم الذى هم مدعون التمسك به، و عارفون

(١) زيد بعده فى ظ: ان (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: المنهج (٤) من ظ، و فى الأصل: المعلم (٥) من ظ. و فى الأصل: يشبهه (٦) من ظ، و فى الأصل: تهواهم (٧) فى ظ: بيانا له (٨) من ظ، و فى الأصل: لقريه - كذا (٩) سقط من ظ (١٠ - ١٠) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «كما مضى».

بأن ما دعاهم إليه منه[1] حقا ، و لا هم خرجوا عنه إلى ما أمروا بالخروج إليه على لسان موسى عليه السلام فى بشارته به[1] متقيدين بطاعته ، فلم تبق[2] لهم علة من التقيد به و لا التقيد[3] بحق دعاهم إليه غيره ، فعلم قطعا أنهم مع الهوى كما مضى ، [و - [4]] لم ينفعهم مع نسبتهم إلى [5]واحدة من[5] الشريعتين نسبتُهم إلى إسرائيل عليه السلام ، فانه لا نسب لأحد عند الله دون التقوى لا سيما فى يوم الفصل إذ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين .

و لما أخبر بلعنهم[6] و أشار إلى تعليله بكفرهم ، صرح بتعليله بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى اللعن التام ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما[1] ﴿ عصوا ﴾ أى فعلوا فى ترك أحكام الله فعل العاصى على الله ﴿ و كانوا يعتدون ه ﴾ أى كانت مجاوزة الحدود التى حدها الله لهم خلقا .

ذكر الإشارة إلى لعنهم فى الزبور و الإنجيل ، قال فى المزمور السابع و السبعين[7] من الزبور : أنصت[8] يا شعبى لوصاياى[9] ، قربوا أسماعكم إلى قول فمى ، فانى أفتح بالأمثال فمى ، و أنطق بالسرائر الأزلية التى سمعناها و عرفناها و أخبرنا آباؤنا بها و لم يخفوها عن أبنائهم ليعرفوا الجيل الآتى تسابيح[10] الرب و قوته و عجائبه التى صنعها ، أقام شهادته فى يعقوب

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فلم يبق (٣) فى ظ : التعبد (٤) زيدت الواو من ظ (٥-٥) من ظ ، وفى الأصل : اسرال ـ كذا (٦) فى ظ : تلعنهم (٧) و النص الآتى إنما هو فى المزمور الثامن و السبعين فيما عندنا من نسخ الزبور (٨) من ظ ، و فى الأصل : انصب (٩) من ظ ، وفى الأصل : لوصاى (١٠) فى ظ : بتسابيح .

وجعل ناموسا فى إسرائيل كالذى أوصى آباءنا ليعلموا أبناءهم ، لكيما يخبر الجيل الآخر البنين الذين يولدون و يقومون ، و يعلمون أيضا بنيهم أن يجعلوا توكلهم على الله و لا ينسوا أعمال الرب، و يتبعوا [1]وصاياه لئلا يكونوا كآبائهم[1] الجيل المنحرف المخالف الخلف الذى لم يثق قلبه و لم يؤمن بالله المفرج عنه ، بنو إفرام الذين أوتروا و رفعوا[2] عن قسيهم و انهزموا فى يوم القتال ٥ لأنهم لم يحفظوا عهد الرب و لم يشاؤا أن يسيروا فى سبله ، و نسوا حسن[3] أعماله و صنائعه التى أظهرها[4] قدام آبائهم ، العجائب التى صنعها بأرض مصر فى[5] مزارع صاعان ، فلق البحر و أجازهم و أقام المياه كالزقاق ، هداهم[6] بالنهار فى الغمام و فى الليل أجمع بمصابيح [النار -[7]] ، فلق صخرة فى البرية و سقاهم منها كاللجج[8] العظيمة ، أخرج الماء من الحجر فجرت المياه كجرى ١٠ الأنهار ، و عاد الشعب أيضا فى الخطيئة ، و أسخطوا / العلى حيث لم يكن ١٠٧ / ماء[5] ، جربوا الله فى قلوبهم بمسألة الطعام لنفوسهم ، و قذفوا[9] على الله و قالوا : هل يقدر أن يصنع لنا مائدة فى البرية ، لأنه[10] ضرب الصخرة فجرت المياه و فاضت الأودية ، هل يستطيع أن يعطينا خبزا أو يعد مائدة لشعبه ، سمع الرب فغضب و اشتعلت النار فى يعقوب ، و صعد الرجزُ على إسرائيل ١٥ لأنهم لم يؤمنوا بالله و لا رجوا خلاصه ؛ فأمر السحاب من فوق

(١-١) فى ظ : وصاياهم ليكون - كذا (٢) فى ظ : ذحرا (٣) فى ظ : احسن .
(٤) زيد بعده فى ظ: الرب (٥) سقط من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: عراهم .
(٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : كالحج - كذا (٩) فى الأصل : مدحوا ، و فى ظ : قدموا - كذا (١٠) فى ظ : لان .

و انفتحت أبواب السماء و أنزل لهم المن ليأكلوا، أعطاهم خبز السماء، أكله الإنسان، أرسل اليهم صيدا ليشبعوا، أهاج ريح التيمن[1] من السماء و أتى بقوة العاصف[2]، و أنزل اللحم مثل التراب و طير السماء ذات الأجنحة مثل رمل البحار، يسقطن فى محالهم حول خيامهم، فأكلوا و شبعوا جدا، أعطاهم شهوتهم و لم يحرمهم إرادتهم. فبينما الطعام فى أفواههم إذ غضب الله نزل عليهم فقتل فى كثرتهم و صرع[3] فى مختارى إسرائيل، و مع هذا كله أخطأوا[4] إليه أيضا و لم يؤمنوا بعجائبه. فنيت[5] بالباطل أيامهم، و تصرمت عاجلا سنوهم، فحين قتلهم رغبوا إلى الله و عادوا و ابتكروا إليه و ذكروا أن الله معينهم و أن الله العلى مخلصهم. أحبوه بأفواههم و كذبوه[6] بألسنتهم، و لم تخلص له قلوبهم و لم يؤمنوا بعهده، و هو رحيم رؤف، يغفر ذنوبهم و لا يهلكهم، و يرد كثرة سخطه عنهم و لا يبعث كل رجزه، و ذكر أنهم لحم و روح يذهب و لا يعود. مرارا كثيرة أسخطوه فى البرية و أغضبوه فى أرض ظامئة[7]. و عادوا [و -[8]] جربوا[9] الله و أسخطوا قدوس إسرائيل، و لم يذكروا يده فى يوم نجاهم[10] من المضطهدين[11] - انتهى.

هذا بعض ما فى الزبور، و أما الإنجيل فطافح بذلك؛ منه ما فى

(١) فى ظ : اليمن (٢) فى ظ : العاطف (٣) من ظ و الزبور. و فى الأصل : صرح (٤) فى ظ : خطأوا (٥) فى ظ : فيلت (٦) من ظ، و فى الأصل : كذبوهم. (٧) من ظ، و فى الأصل: ظابئة (٨) زيدت الواو من ظ (٩) فى ظ : احربوا. (١٠) فى ظ : نجاهم (١١) فى ظ : المضطرين.

إنجيل متى ، قال : و انتقل يسوع من هناك و جاء إلى عبر[1] الجليل ، و صعد إلى الجبل و جلس هناك ، و جاء إليه جمع كبير معهم[2] خرس و عمى و عرج وعسم و آخرون كثيرون[3] ، فخروا عند رجليه فأبرأهم ، و تعجب الجمع لأنهم نظروا الخرس يتكلمون و [4]الصم يسمعون[4] و العرج يمشون[5] و العمى يبصرون ، و مجدوا إله إسرائيل ، و إن يسوع دعا تلاميذه و قال لهم : إني أتحنن[6] على هذا الجمع ، لأن لهم معي[7] ثلاثة أيام[7] ههنا ، و ليس عندهم ما يأكلون ، و لا أريد أطلقهم صياما لئلا يضيعوا في الطريق ؛ قال مرقس : لأن منهم من جاء من بعيد - انتهى . قال له التلاميذ : من أين نجد[7] من خبز القمح في البرية ما يشبع هـذا الجمع ؟ فقال لهم يسوع : كم عندكم من الخبز ؟ فقالوا : سبعة أرغفة و يسير من السمك[8] ، فأمر الجمع أن يجلس على الأرض و أخذ السبع خبزات و السمك[8] و بارك و كسر و أعطى تلاميذه ، و ناول[9] التلاميذ الجمع ، فأكل جميعهم و شبعوا و رفعوا فضلات الكسر سبع قفاف مملوءة ؛ و كان الذين[10] أكلوا نحو أربعة آلاف رجل [11]سوى النساء[11] و الصبيان ، و أطلق الجمع و صعد[12] السفينة [13]و جاء إلى تخوم مجدل - و قال مرقس : إلى نواحي مابونا[14] - و جاء الفريسيون

(١) في ظ : غير (٢) سقط من ظ (٣) من الإنجيل ، وفي الأصل و ظ : كثير .
(٤-٤) في الإنجيل : العسم يصحون (٥) في ظ : يسعون (٦) في ظ : انحف - كذا .
(٧) في ظ : مع (٨) من ظ ، و في الأصل : سمك (٩) في ظ : تناول (١٠) في ظ : الذى (١١ - ١١) في ظ : يسوى النسوان - كذا (١٢) في ظ : صعدوا .
(١٣) العبارة من هنا إلى « والزنادقة يجربونه » سقطت من ظ (١٤) في الإنجيل : دلمانوثا .

و الزنادقة يجربونه و يسألونه أن يريهم آية من السماء ، فأجابهم يسوع
١٠٨ / قائلا : إذا كان المساء قلتم : / إن السماء صاحية - لاحمرارها ، و بالغداة
تقولون[1] : اليوم شتاء - لاحمرار جو السماء العبوس ، أيها المراؤن ! تعلمون
آية هذا الزمان ، الجيل الشرير الفاسق يطلب آية ، و لا يعطى إلا آية
٥ يونان النبي - و تركهم و مضى ؛ ثم جاء التلاميذ إلى العبر و نسوا أن يأخذوا
خبزا - قال مرقس : و لم يكن فى السفينة إلا رغيف واحد - و إن
يسوع قال لهم : انظروا و تحرزوا من خمير الفريسيين و الزنادقة - و قال
مرقس : و خمير هيرودس[2] - ففكروا قائلين : إنا[3] لم نجد خبزا ، فعلم يسوع
فقال لهم : لما ذا[4] تفكرون فى نفوسكم يا قليلى الأمانة ؟ إنكم ليس معكم
١٠ خبز ، أما تفهمون و[5] لا تذكرون الخمس خبزات لخمسة آلاف و كم سلا[6]
أخذتم ؟[7] و السبع خبزات لأربعة آلاف ، و كم قفة أخذتم[7] ؟ لما ذا لا تفهمون ؟
لأنى لم أقل لكم من أجل الخبز ، حينئذ فهموا أنه[8] لم يقل لهم أن
يتحرزوا من خمير الخبز ، لكن من تعليم الزنادقة و الفريسيين ، و[6] قال
لوقا : تحرزوا[9] لأنفسكم من خمير الفريسيين الذى هو الرياء[10] ، لأنه ليس
١٥ خفى إلا سيظهر ، و لا مكتوم إلا سيعلم ، الذى تقولونه[11] فى الظلام سيسمع
فى النور ، و الذى وعيتموه فى الآذان سوف ينادى به على السطوح ،

(١) فى ظ : يقولون (٢) من ظ ، و فى الأصل : هيروس - كذا (٣) فى ظ : إنما (٤) فى ظ : فما ذا (٥) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : او (٦) سقط من ظ . (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : انهم (٩) فى ظ : تحزوا (١٠) فى ظ : الزنا (١١) فى ظ : يقولونه .

أقول لكم: يا أحبائي لا تخافوا ممن يقتل الجسد، و بعد ذلك ليس له أن يفعل أكثر، خافوا ممن[1] إذا قتل[2] له سلطان أن يلقي في نار جهنم - و سيأتي بقية الإشارة إلى لعنهم[3] في سورة الصف إن شاء الله تعالى، و العسم[4] جمع أعسم[5] - بمهملتين، و هو من[6] في يده أو قدمه اعوجاج، أو يده يابسة. ٥

و لما علل تعالى لعنهم بعصيانهم و غلوهم[7] في الباطل، بينه مخصصا[8] للعلماء منهم بزيادة تهديد، لأنهم مع كونهم على المنكر لا ينهون غيرهم عنه، مع أنهم أجدر[9] من غيرهم بالنهي، فصاروا على منكرين شديدي[10] الشناعة، و سكوتهم عن النهي مغو[11] لأهل الفساد و مغر لهم و لغيرهم على الدخول فيه[6] و الاستكبار منه فقال تعالى: ﴿ كانوا لا يتناهون ﴾ أي لا ينهى بعضهم بعضا، و بين ١٠ إغراقهم في عدم المبالاة بالتنكير في سياق النفي فقال: ﴿ عن منكر ﴾.

[و لما كان الفعل ما كان من الأعمال عن داهية من الفاعل سواء كان عن علم أو لا، عبر به إشارة إلى أن لهم في المناكر غرام مَنْ غلبته الشهوة، و لم يبق لهم نوع علم، فقال: ﴿ فعلوه[1] ﴾ -[12]]؛ و لما كان من طبع الإنسان النهي عن كل ما خالفه طبعا أو اعتقادا، لا سيما إن تأيد ١٥ بالشرع، فكان لا يكف[13] عن ذلك إلا بتدريب النفس[14] عليه لغرض[15]

---

(١) في ظ: من (٢) في ظ: قيل (٣) في ظ: الفهم (٤) في ظ: القسيم (٥) في ظ: قسم (٦) سقط من ظ (٧) في ظ: علوتهم (٨) في ظ: مخلصا (٩) في ظ: احذر (١٠) من ظ، و في الأصل: شدى - كذا (١١) في ظ: مغلو (١٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (١٣) في ظ: لا يكلف (١٤) في ظ: التنفس (١٥) في ظ: بعض.

فاسد أداه إليه، أكد مقسما[1] معبرا بالفعل الذى يعبر به عما قد لا يصحبه علم و لا يكون إلا عن داهية عظيمة فقال: ﴿ لبئس ما كانوا ﴾ أى[2] جبلة و طبعا ﴿ يفعلون ﴾ إشارة إلى أنهم لما تكررت فضائحهم [و تواترت قبائحهم -[3]] صاروا إلى حيز ما لا يتأتى منه العلم.

٥ و لما أخبر باقرارهم على المناكر، دل[4] على ذلك بأمر ظاهر منهم لازم ثابت دائم مقوض لبنيان[5] دينهم، فقال موجها بالخطاب[6] لأصدق الناس فراسة و أوفرهم علما و أثبتهم توسما و فهما: ﴿ ترى كثيرا منهم ﴾ أى [من -[3]] أهل الكتاب؛ و لما كان الإنسان لا ينحاز إلى حزب الشيطان إلا بمنازعة الفطرة[7] الأولى السليمة، أشار إلى ذلك بالتفعل فقال:

١٠٩ / ١٠٠ / ﴿ يتولون ﴾ أى يتبعون بغاية جهدهم ﴿ الذين كفروا[4] ﴾ أى المشركين مجتهدين فى ذلك مواظبين عليه، و ليس أحد منهم ينهاهم عن ذلك و لا يقبحه عليهم، مع شهادتهم عليهم بالضلال هم و أسلافهم[8] إلى أن جاء هذا النبى الذى كانوا له فى غاية الانتظار و به فى نهاية الاستبشار، و كانوا يدعون الإيمان به[2] ثم خالفوه، فمنهم من استمر على المخالفة ظاهرا و باطنا،

١٥ و منهم من ادعى أنه تابع و استمر على المخالفة باطنا، فكانت[9] موالاته للمشركين دليلا على كذب دعواه و مظهرة[10] لما أضمره من المخالفة و أخفاه.

و لما كان ذلك منهم ميلا مع الهوى بغير دليل أصلا قال:

---

(١) فى ظ: مقتسما (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: المناكرة.
(٥) فى ظ: ليلتان (٦) فى ظ: الخطاب (٧) من ظ، و فى الأصل: الفطر.
(٨) من ظ، و فى الأصل: اسافلهم (٩) فى ظ: فكأنه (١٠) فى ظ: مظهر.

﴿ لبئس ما قدمت ﴾ أى تقديم[1] النزل للضيف ﴿ لهم لانفسهم ﴾ أى التى من شأنها الميل مع الهوى، ثم بين المخصوص بالذم - وهو ما قدمتُ - بقوله : ﴿ ان سخط الله ﴾ أى وقع سخطه بجميع ما له من العظمة ﴿ عليهم ﴾ ولما كان من وقع السخط عليه يمكن أن يزول [عنه ـ[2]]، قال مبينا أن مجرد وقوعه جدير بكل هلاك : ﴿ وفى العذاب ﴾ أى الكامل من الإدنى فى الدنيا والأكبر فى الآخرة ﴿ هم خلدون ﴾ .

ولما كان هذا دليلا على كفرهم، دل عليه بقوله : ﴿ ولو ﴾ أى فعلوا ذلك مع دعواهم الإيمان والحال أنهم لو ﴿ كانوا ﴾ أى كلهم ﴿ يؤمنون ﴾ أى يوجد منهم إيمان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿ والنبى ﴾ أى الذى له الوصلة التامة بالله، ولذا أتبعه قوله : ﴿ وما انزل اليه ﴾ أى من عند الله أعم من القرآن وغيره إيمانا خالصا من غير نفاق ﴿ ما اتخذوهم ﴾ أى المشركين مجتهدين فى ذلك ﴿ اولياء ﴾ لأن مخالفة الاعتقاد تمنع الوداد ؛ [3]فمن كان منهم[3] باقيا على يهوديته ظاهرا وباطنا، فالألف فى «النبى» لكشف سريرته للعهد، أي النبي الذي ينتظرونه ويقولون : إنه غير محمد صلى الله عليه وسلم، أو[4] للحقيقة، أى لو كانوا يؤمنون بهذه الحقيقة - أى حقيقة النبوة - ما والوهم، فانه لم يأت نبى إلا بتكفير المشركين - كما أشار إلى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله «الأنبياء أولاد[5] علات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد»

(١) فى ظ : تقدم (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) فى ظ : فمنهم من كان (٤) فى ظ : اى (٥) من ظ، وفى الأصل : اولات - كذا.

كما سيأتي قريبا في حديث أبي هريرة، يعني - والله أعلم - أن شرائعهم وإن اختلفت في الفروع فهي متفقة في الأصل وهو التوحيد؛ و[1] من كان منهم قد أظهر الإيمان فالمراد بالنبي في إظهار زيغه وميله وحيفه محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه نهى عن موالاة المشركين، بل عن متاركتهم، ٥ ولم يرض إلا بمقارعتهم ومعاركتهم.

ولما[2] أفهمت الشرطية عدم إيمانهم، استثنى منها منبها بوضع الفسق[3] موضع عدم الإيمان [4]على أنه[4] الحامل عليه فقال: ﴿ولكن كثيرا منهم فسقون[5]﴾ أي متمكنون في خلق المروق من دوائر الطاعات.

ولما دل كالشمس ميلهم إلى المشركين دون المؤمنين على أنهم في ١١٠/ ١٠ غاية العداوة لهم، صرح تعالى/ بذلك على طريق الاستنتاج[5]، فقال دالا على رسوخهم في الفسق: ﴿لتجدن اشد الناس[6]﴾ أي كلهم ﴿عداوة للذين امنوا﴾ أي أظهروا الإقرار بالإيمان فكيف بالراسخين فيه ﴿اليهود﴾ قدمهم لأنهم أشد الفريقين لأنه لا أقبح من ضال على علم ﴿والذين اشركوا[4]﴾ لما جمعهم من الاستهانة بالأنبياء[7] هؤلاء جهلا وأولئك عنادا ١٥ وبغيا، فعرف أن من صدق في إيمانه لا يواليهم بقلبه ولا بلسانه، وأنهم ما اجتمعوا على الموالاة إلا لاجتماعهم في أشدية[8] العداوة لمن

(١) زيد بعده في ظ: منهم (٢) زيد بعده في الأصل: افهم ذلك، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٣) في ظ: بالفسق (٤ - ٤) في ظ: عليه (٥) في ظ: الاستفتاح. (٦) زيد بعده في الأصل: عداوة، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٧) في ظ: بالانبيا - كذا (٨) في ظ: ابتدائه.

آمن ، فهذه الآية تعليل لما قبلها ، كأنه قيل : هب أنهم لا يؤمنون بالله و النبي ، و ذلك لا يقتضى موادة المشركين فلِمَ[1] والوهم حينئذ ؟ فقيل : لأن الفريقين اجتمعوا فى أشدية العداوة للذين آمنوا .

و لما أخبر تعالى بأبعد الناس مودة لهم ، أخبر بضدهم فقال[2] : ﴿ و لتجدن اقربهم ﴾ أى الناس ﴿ مودة للذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا[3] الإيمان بالقلب و اللسان ﴿ الذين قالوا ﴾ [و - [4]] فى التوريك[5] على قولهم إشارة إلى أنهم ما كانوا على حقيقة النصرانية ﴿ انا نصرٰى[6] ﴾ أى لقلة اهتمامهم بالدنيا بمجرد قولهم ذلك و لو لم يكونوا عريقين[6] فى الدين و إقبالهم على علم الباطن ، و لذلك علله بقوله : ﴿ ذلك بان منهم قسيسين ﴾ أى مقبلين على العلم ، من القس ، و هو ملا مة الشيء و تتبعه ﴿ و رهبانا ﴾ أى فى غاية التخلى من الدنيا ؛ و لما كان التخلى منها موجبا للبعد من الحسد ، و هو سبب لمجانبة التكبر[7] قال : ﴿ و انهم لا يستكبرون ﴾ أى لا يطلبون الرفعة على غيرهم و[2] لا يوجدونها .

و لما كان ذلك علة فى الظاهر و معلولا فى الباطن لرقة[8] القلب قال :

---

(١) فى ظ : فلما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : وجدوا (٤) زيدت الواو من ظ : (٥) من ظ - بمعنى الحمل ، و فى الأصل : التورية ، و فى البحر المحيط ٤ / ٤ : و فى قوله تعالى « الذين قالوا انا نصرٰى » إشارة إلى أنهم ليسوا متمسكين بحقيقة النصرانية بل ذلك قول منهم و زعم (٦) فى ظ : غريقين (٧) فى ظ : الكفر . (٨) فى ظ : لوقد .

﴿ و اذا سمعوا ﴾ أى أتباع[1] النصرانية ﴿ ما انزل الى الرسول ﴾ أى الذى ثبتت رسالته بالمعجز ، فكان من شأنه أن يبلغ ما أنزل إليه للناس ﴿ ترى اعينهم ﴾ و لما كان البكاء سببا لامتلاء العين بالدمع و كان الامتلاء سببا للفيض الذى حقيقته السيلان بعد الامتلاء ، عبر بالمسبب عن السبب فقال : ﴿ تفيض من الدمع ﴾ أصله : يفيض دمعها ثم تفيض هى دمعا[2] ، فهو من أنواع التميز ، ثم علل الفيض بقوله : ﴿ مما عرفوا من الحق[3] ﴾ أى و ليس لهم غرض دنيوى يمنعهم عن قبوله ، ثم بين حالهم فى مقالهم بقوله : ﴿ يقولون ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا ﴿ امنا ﴾ أى بما سمعنا ﴿ فاكتبنا ﴾ .

و لما كان من شأن الشاهد إحضار القلب و إلقاء [السمع - ٣] و القيام التام بما يتلى عليه و يندب إليه قال : ﴿ مع الشهدين ﴾ أى أمة محمد صلى الله عليه و سلم الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة ، فان تقويتنا على ذلك ليست إلا إليك ﴿ و ما ﴾ أى و يقولون : ما ، أى أىّ[4] شىء حصل أو يحصل ﴿ لنا ﴾ حال كوننا ﴿ لا نؤمن[5] بالله ﴾ أى الذى لا كفوء له و لا خير إلا منه ﴿ و ما ﴾ أى و بما ﴿ جاءنا من الحق[6] ﴾ أى الأمر الثابت الذى مهما عرض على الواقع / طابقه الواقع سواء كان حالا أو ماضيا أو آتيا . ١١١ /

و لما كانوا يهضمون أنفسهم ، عبروا بالطمع الذى لا نظر معه لعمل

(١) فى ظ : اتبعوا (٢) فى ظ : دمعها (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : الانومن .

فقالوا: ﴿ ونطمع ان يدخلنا ربنا ﴾ أى بمجرد إحسانه، لا بعمل منا، ولجريهم فى هذا المضمار عبروا بمع[1] دون "فى"[2] فى قولهم: ﴿ مع القوم الصلحين ﴾ هضما لأنفسهم وتعظيما لرتبة الصلاح.

ولما ذكر قولهم الدال على حسن اعتقادهم وجميل استعدادهم، ذكر جزاءهم عليه فقال: ﴿ فاثابهم الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ بما قالوا ﴾ أى جعل ثوابهم على هذا القول المستند إلى خلوص النية الناشئ عن[3] حسن الطوية ﴿ جنت تجرى ﴾ ولما كان[4] الماء لو[5] استغرق المكان[5] أفسد، أثبت الجار فقال: ﴿ من تحتها الانهر ﴾ ولما كانت اللذة لا تكمل[6] إلا بالدوام قال: ﴿ خلدين فيها[6] ﴾.

ولما كان التقدير: لإحسانهم، طرد الأمر فى غيرهم فقال: ﴿ وذلك ﴾ أى الجزاء العظيم ﴿ جزآء المحسنين ﴾ أى كلهم، واختلفوا فى هذه الواقعة بعد اتفاقهم على أنها فى النجاشى وأصحابه، وذلك مبسوط فى شرحى لنظمى للسيرة النبوية، فمن ذلك أنه لما قدم جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه [7]من مهاجرة الحبشة مع أصحابه رضى الله عنهم قدم معهم سبعون رجلا بعثهم النجاشى رضى الله عنه[7] وعن الجميع وفدا[8] إلى رسول الله

(١) من ظ، وفى الأصل: مع (٢) فى النسختين: من - كذا، وفى البحر ٤/٨: و"مع" على بابها من المعية، وقيل: بمعنى فى (٣) من ظ، وفى الأصل: على ٤) العبارة من هنا إلى "تحتها الانهر" ساقطة من ظ (٥ - ٥) فى الأصل: استعرف كان - كذا (٦) من ظ، وفى الأصل: لاتعمل (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ: وفد.

صلى الله عليه و سلم، [عليهم -[1]] ثياب الصوف، اثنان و ستون من الحبشة، و ثمانية من أهل الشام، و هم بحيرا الراهب و أبرهة و إدريس و أشرف و ثمامة[2] و قثم[3] و دريد و أيمن، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم سورة يس إلى آخرها، فبكوا[4] حين سمعوا القرآن و آمنوا و قالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى! فأنزل الله فيهم هذه الآية[5] "[6] لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا[6] اليهود و الذين اشركوا و لتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا" - إلى آخرها، ذكر ذلك[6] الواحدى فى أسباب النزول بغير سند، ثم أسند عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى[6] " ذلك بان منهم قسيسين و رهبانا" قال[7]: بعث النجاشى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من خيار[8] أصحابه ثلاثين[9] رجلا، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم يس فبكوا، فنزلت فيهم هذه الآية.[6] و إذا نظرت مكاتبات النبى صلى الله عليه و سلم للملوك ازددت بصيرة فى صدق هذه الآية[6]، فانه ما كاتب[10] نصرانيا إلا آمن، أو كان لينا و لو لم يسلم كهرقل[11] و المقوقس و هوذة[12] ابن على و غيرهم، و غايتهم أنهم ضنوا[13] بملكهم، و أما غير النصارى فانهم كانو على غاية الفظاظة ككسرى فانه مزق كتابه صلى الله عليه و سلم و لم يجز رسوله بشىء، و أما اليهود فكانوا جيران الأنصار و مواليهم

(١) زيد من ظ و البحر المحيط ٤ / ٣ (٢) من البحر، و فى الأصل و ظ: تمام (٣) فى ظ: قيم (٤) فى ظ: فيكون (٥) فى ظ: الآيات (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: قاله (٨) فى ظ: اخبار (٩) من ظ، و فى الأصل: ثلاثون (١٠) فى ظ: كانت (١١) فى ظ: كبرقل - كذا (١٢) من تاج العروس، و فى الأصل: هودة (١٣) فى ظ: حهسوا.

و أحبابهم[1]، و مع ذلك فأحوالهم [2] فى العداوة[2] غاية، كما هو واضح فى السير، مبين جدا فى شرحى لنظمى للسيرة، وكان السر فى ذلك - مع ما تقدم من باعث الزهد - أنه لما كان عيسى عليه السلام أقرب الأنبياء زمنا من زمن النبي صلى الله عليه و سلم / كان المنتمون إليه و لو كانوا كفرة / ١١٢ أقرب الأمم مودة لاتباع النبي صلى الله عليه و سلم، [3]و إلى ذلك يشير ٥ ما رواه الشيخان فى الفضائل عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم[3] قال: أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم فى الدنيا و الآخرة، الأنبياء أولاد[4] علات - و فى رواية: أبناء، و فى رواية[5]: إخوة لعلات[6] - أمهاتهم شتى و دينهم واحد، و ليس بينى و بينه - و فى رواية: و ليس بينى و بين عيسى - نبى. و فى رواية لمسلم: أنا أولى الناس بعيسى ابن ١٠ مريم فى الأولى و الآخرة، قالوا: كيف يا رسول الله! قال: الأنبياء إخوة من علات[7]، أمهاتهم شتى و دينهم واحد، فليس بيننا نبى.

و لما ذكر سبحانه تعالى جزاء المطيعين المبادرين إلى الإذعان ترغيبا، ذكر جزاء من[8] لم يفعل فعلهم ترهيبا فقال: ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما أوضحته له عقولهم من الدلالة على صحة ما دعتهم إليه الرسل ١٥ ﴿ و كذبوا ﴾ أى عنادا ﴿ بآيٰتنا ﴾ أى بالعلامات المضافة لعظمها إلينا ﴿ اولٰئك ﴾ أى البعداء من الرحمة ﴿ اصحٰب الجحيم ﴾ أى الذين لا ينفكون[9]

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ: بالعداوة (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) فى ظ: اولات (٥) زيد بعده فى ظ: ابناء (٦) فى ظ: العلات (٧) زيدت الواو بعده فى صحيح مسلم (٨) فى ظ: لمن (٩) فى ظ: لا يتفكرون.

عنها ، لا غيرهم من العصاة المؤمنين و إن كثرت كبائرهم .

و لما مدح سبحانه الرهبان ، و كان ذلك داعيا إلى الترهب[1] ، و كانت الرهبانية حسنة[2] بالذات قبيحة بالعرض ، شريفة فى [3]المبدأ دنية[3] فى المآل ، فانها مبنية على الشدة و الاجتهاد فى الطاعات و التورع عن أكثر المباحات ، و الإنسان مبنى على الضعف مطبوع على النقائص ، فيدعوه طبعه و يساعده ضعفه إلى عدم الوفاء بما عاقد عليه ، و يسرع بما له من صفة العجلة إليه ، فيقع فى الخيانة كما قال تعالى " فما رعوها حق رعايتها[4] " عقب ذلك بالنهى عنها فى هذا الدين و الإخبار [عنه[5] -] بأنه بناه على التوسط رحمة منه لأهله و لطفا بهم تشريفا لنبيهم صلى الله عليه و سلم ، و نهاهم عن الإفراط فيه و التفريط فقال تعالى : ﴿ يآيها الذين امنوا ﴾ أى وجد منهم الإقرار بذلك ﴿ لا تحرموا ﴾ أى تمنعوا أنفسكم بنذر أو يمين أو غيرهما تصديقا لما أقررتم به ، و رغبهم فى امتثال أمره بأن جعله موافقا لطباعهم ملائما لشهواتهم فقال : ﴿ طيبت ما ﴾ أى المطيبات و هى اللذائذ التى[6] ﴿ احل الله ﴾ و ذكرُ هذا الاسم الأعظم مرغبٌ فى ذلك ، فان الإقبال على المنحة يكون على مقدار المعطى ، و أكد ذلك بقوله : ﴿ لكم ﴾ أى و أما هو سبحانه فهو منزه عن الأغراض ، لا ضر[7] يلحقه و لا نفع ، لأن له الغنى المطلق[6] .

و لما أطلق لهم ذلك ، حثهم على الاقتصاد . و حذرهم من مجاوزة الحد

(١) فى ظ : الترغيب (٢) فى ظ : حسنت (٣ - ٣) فى ظ : الدانية - كذا .
(٤) سورة ٥٧ آية ٢٧ (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : ضرر .

إفراطا و تفريطا فقال: ﴿ و لا تعتدوا[1] ﴾ فدل بصيغة الافتعال على أن الفطرة الأولى مبنية على العدل، فعدولها عنه لا يكون إلا[1] بتكلف، ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لاستبعاد[2] أن ينهى عن الإمعان فى العبادة: ﴿ ان الله ﴾ أى و هو الملك / الأعظم ﴿ لا يحب المعتدين ﴾ أى / ١١٣ لا يفعل فعل المحب من الإكرام للفرطين فى الورع بحيث يحرمون ما أحللت، و لا للفرطين فيه الذين يحللون ما حرمت، أى يفعلون فعل المحرم من المنع و فعل المحلل من التناول، و ما ذكر من سبب نزول الآية واضح فى ذلك؛ روى الواحدى فى أسباب النزول بسنده[3] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا أتى[4] رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال[5]: [يا رسول الله -[6]]! إنى إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت إلى النساء[7] و إنى حرمت علىّ اللحم، فنزلت "لا تحرموا طيبت ما احل الله لكم" و نزلت "وكلوا مما رزقكم الله" - الآية. و أخرجه الترمذى فى التفسير من جامعه و قال: حسن غريب، و رواه [8]خالد الحذاء[8] عن عكرمة مرسلا. و قال الواحدى: و تبعه عليه البغوى: قال المفسرون: جلس رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر الناس و وصف القيامة و لم يزدهم على التخويف فرقّ الناس و بكوا، فاجتمع عشرة من الصحابة رضى الله عنهم فى بيت عثمان بن مظعون

(١) فى ظ: لا (٢) فى الأصل: للاستبعاد، و فى ظ: الاستبعاد (٣) إمن ظ، و فى الأصل: بسند (٤) زيد فى ظ: الى، و ليست الزيادة فى رواية الترمذى (٥) سقط من ظ (٦) زيد من جامع الترمذى (٧) زيد بعده فى الجامع: و أخذتنى شهوتى. (٨ - ٨) فى ظ: لخالد الحذاعى - كذا.

الجمحى ، و هم أبو بكر الصديق و على بن أبى طالب و عبد الله بن مسعود و عبد الله بن عمرو[1] و أبو ذر الغفارى و سالم مولى أبى حذيفة و المقداد ابن الأسود و سلمان الفارسى و معقل بن مقرن ، و اتفقوا على أن يصوموا النهار و يقوموا الليل و لا يناموا على الفرش و لا يأكلوا اللحم و لا الودك[2] و لا يقربوا النساء و الطيب [3]و يلبسوا المسوح و يرفضوا[3] الدنيا [4]و يسيحوا فى الأرض[4] و يترهبوا و يجبّوا[5] المذاكير ؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال لهم : ألم أنبأ[6] أنكم اتفقتم على كذا و كذا؟ قالوا : بلى يا رسول الله ! و ما أردنا[7] إلا الخير ، فقال : إنى لم أومر[8] بذلك ، إن لأنفسكم عليكم حقا ، فصوموا و أفطروا . [4]و قوموا و ناموا ، فانى أقوم و أنام ، و أصوم و أفطر[4] ، و آكل[9] اللحم و الدسم ، و من رغب عن سنتى فليس منى ؛ ثم جمع الناس فخطبهم فقال : ما بال أقوام حرموا النساء و الطعام و الطيب و النوم و شهوات الدنيا ! أما[10] ! إنى لست آمركم أن تكونوا قسيسين و رهبانا ، فانه ليس فى دينى ترك اللحم[11] و النساء و لا اتخاذ الصوامع ، و إن سياحة أمتى الصوم ، و رهبانيتهم[12] الجهاد ، و[11] اعبدوا الله

(١) فى ظ : عمر ، وما فى الأصل هو الصواب كما ورد فى بعض الأحاديث : أراد رجال منهم عثمان بن مظعون و عبد الله بن عمرو أن يتبتّلوا (٢) هو الدسم من اللحم والشحم (٣ - ٣) فى ظ : لبس المنسوج و ترفضوا - كذا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) أى يقطعوا (٦) من ظ ، و فى الأصل : الم انباه (٧) فى ظ : ما اردت (٨) من ظ ، و فى الأصل : لم آمر (٩) فى ظ : كلوا (١٠) فى ظ : اوما (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ : رهبانيتها .

و لا تشركوا به شيئا و حجوا و اعتمروا و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و صوموا رمضان ، فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شددوا فشدد الله عليهم ، فأولئك بقاياهم فى الديارات و الصوامع ، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] ، فقالوا : يا رسول الله ! فكيف نصنع بأيماننا التى [2]حلفنا عليها[2] ؟ و كانوا حلفوا على ما عليه اتفقوا ، فأنزل الله عز و جل قوله تعالى ٥ "لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم" - الآية[1] ، و لا تعارض بين الخبرين لإمكان الجمع بأن يكون الرجل [لما -[3]] سمع تذكير النبى صلى الله عليه و سلم سأل[4] ، و لو لم يجمع صح أن يكون كل منهما سببا ، فالشىء الواحد / قد يكون له أسباب جمة ، بعضها أقرب من بعض ، فمن الأحاديث الواردة / ١١٤ فى ذلك ما روى البغوى بسنده من طريق ابن المبارك فى كتاب الزهد ١٠ عن سعد بن مسعود أن عثمان بن مظعون رضى الله عنه أتى النبى صلى الله عليه و سلم فقال : ائذن [لنا -[5]] [6]فى الاختصاء[6] ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ليس منا من خصى و لا اختصى ، إن خصاء[7] أمتى الصيام ، فقال : يا رسول الله ! ائذن لنا فى السياحة ، فقال : إن سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله . فقال : يا رسول الله ! ائذن لنا فى ١٥ الترهب[8] ، فقال : إن ترهب أمتى الجلوس فى المساجد انتظارا لصلاة .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الآيات (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و كتاب الزهد - رقم الحديث ٨٤٥ . (٦-٦) فى كتاب الزهد : بالاختصاء (٧) فى ظ : خصى ، و فى كتاب الزهد : إخصاء (٨) فى ظ : الرهب .

و للشيخين و الترمذى و النسائى و الدارمى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه [1]أيضا قال: أراد عثمان بن مظعون[1] [أن -[2]] يتبتل فنهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، و لو أذن له - و فى رواية: و لو أجاز له - التبتل لاختصينا[3]. و للدارمى عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه [1]أيضا
٥ قال: لما كان من أمر عثمان بن مظعون رضى الله عنه[1] الذى كان ممن[4] ترك النساء بعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا عثمان! إنى لم أومر بالرهبانية، أرغبت عن سنتى؟ قال: لا يا رسول الله! قال: إن من سنتى أن أصلى و أنام[5] و أصوم و أطعم و أنكح و أطلق، فمن رغب عن سنتى فليس منى، يا عثمان! إن لأهلك عليك حقا، و لعينك عليك
١٠ حقا، قال سعد: فوالله لقد كان أجمع رجال من المؤمنين[6] على أن[7] رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هو أقر عثمان على ما هو عليه [أن -[8]] نختصى فنتبتل. و قال شيخنا [1]ابن حجر[1] فى تخريج أحاديث الكشاف: و روى الطبرانى من طريق ابن جريج عن مجاهد قال: أراد رجال منهم عثمان بن مظعون و عبد الله بن عمرو أن يتبتلوا و يخصوا أنفسهم و يلبسوا
١٥ المسوح[9]. و من طريق ابن جريج عن عكرمة أن عثمان بن مظعون و على

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من صحيح مسلم - النكاح (٣) من ظ و الصحيح. و فى الأصل: اختصينا (٤) من مسند الدارمى - كتاب النكاح، و فى الأصل و ظ: من (٥) زيد بعده فى ظ: و اصلى. و ليست الزيادة فى الدارمى (٦) فى الدارمى: المسلمين (٧) سقط من ظ (٨) زيد من الدارمى. (٩) سيقت هذه الرواية فى الدر المنثور للسيوطى و زيد فيه: فنزلت: "يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبت ما احل الله لكم" - و الآية التى بعدها.

ابن أبي طالب و ابن مسعود و المقداد بن الأسود و سالما[1] مولى أبي حذيفة[2] في [3]جماعة رضي الله عنهم[3] تبتلوا فجلسوا في البيوت، [و اعتزلوا النساء -[4]] و لبسوا المسوح، و حرموا طيبات الطعام و اللباس[5]، و هموا بالاختصاء، و أجمعوا[6] لقيام الليل و صيام النهار، فنزلت " يآيها الذين امنوا لا تحرموا طيبت ما احل الله لكم " - الآية، فبعث إليهم رسول الله صلى الله عليه ٥ و سلم فقال: إن لأنفسكم عليكم حقا[7]، فصوموا و أفطروا و صلوا و ناموا، فليس منا من ترك سنتنا[8]. و للترمذي عن سمرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم نهى عن التبتل[9]. و قرأ قتادة "و لقد ارسلنا رسلا من قبلك و جعلنا لهم ازواجا و ذرية[10]". و للنسائي عن عائشة رضي الله عنها نحوه و أشار إليه الترمذي، و للطبراني في الأوسط عن أنس بن مالك ١٠ رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم / يأمر بالباءة ١١٥ / و ينهى عن التبتل نهيا شديدا [11]و يقول[11]: تزوجوا الودود الولود، فاني مكاثر بكم الأمم[12] يوم القيامة. و منها ما روى الشيخان عن عبد الله

(١) في ظ: سالم (٢) في ظ: حديجة - كذا (٣ - ٣) موضعه في الدر المنثور: و قدامة (٤) زيد من ظ و الدر المنثور (٥) زيد في الدر المنثور: إلا ما يأكل و يلبس السياحة من بني إسرائيل (٦) من الدر المنثور، و في الأصل و ظ: اجتمعوا. (٧) زيد في الدر المنثور: ولأعينكم حقا و إن لأهلكم حقا (٨) زيد في الدر المنثور: فقالوا! اللهم صدقنا و اتبعنا ما أنزلت مع الرسول (٩) زيد في الجامع بعده: و زاد زيد بن أخزم في حديثه (١٠) سورة ١٣ آية ٣٨ (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) من ظ، و في الأصل: الانبياء.

رضى الله عنه أنه قال: كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و ليس لنا شيء - و فى رواية: نساء، و فى رواية: كنا [١] و نحن [١] شباب - فقلنا: يا رسول الله! ألا نستخصى [٢]؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب، ثم قرأ علينا عبد الله [٣]: "يا ايها الذين امنوا لاتحرموا طيبت ما احل الله لكم" - الآية. و منها ما روى البخارى و غيره عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! إنى رجل شاب [٤]، و إنى أخاف على نفسى العنت و لا أجد ما أتزوج به النساء - قال النسائى [٥]: [٦] أ فأختصى [٦] - فسكت عنى، ثم قلت مثل ذلك [١] فسكت عنى، ثم قلت مثل ذلك [١] [فسكت عنى، ثم قلت مثل ذلك - [٧]] فقال النبى صلى الله عليه و سلم: يا أبا هريرة! جف القلم بما أنت لاق، فاختص [٨] على ذلك أو ذر - و قال النسائى: أو دع. و منها ما روى الشيخان و غيرهما عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: جاء [٥] ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه و سلم و رضى الله عنهن يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه و سلم - [١] و فى رواية مسلم و النسائى أن نفرا من أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم [١] سألوا أزواج النبى صلى الله عليه و سلم عن عمله

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: الانختصى (٣) سقط من صحيح البخارى و ثبت فى صحيح مسلم (٤) من ظ و صحيح البخارى، و فى الأصل: شباب (٥) سقط من ظ (٦-٦) من سنن النسائى، و فى الأصل وظ: فاختصى، و ليست هذه الزيادة فى صحيح البخارى (٧) زيد من صحيح البخارى (٨) فى ظ: فاختصى.

فى السر - فلما أخبروا كأنهم تقالّوها[1] فقالوا : و أين نحن من النبى صلى الله عليه و سلم ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر ، فقال أحدهم : أما أنا فانى أصلى الليل أبدا ، و قال آخر : أنا أصوم الدهر[2] و لا أفطر ، و قال آخر : و أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ؛ و فى رواية : و قال بعضهم لا آكل اللحم ، و قال بعضهم : لا أنام على فراش ؛ فبلغ ٥ ذلك النبى صلى الله عليه و سلم فحمد الله و أثنى عليه و قال : ما بال أقوام قالوا كذا و كذا ! و[3] فى رواية : فجاء رسول الله صلى الله عليه و سلم إليهم فقال : أنتم الذين قلتم كذا و كذا ! أما[3] و الله إنى[2] لأخشاكم لله و أتقاكم له ! لكنى أصوم و أفطر و أصلى[4] و أرقد و أتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى . و المبهمون[5] فى الحديث - قال شيخنا فى مقدمة ١٠ شرحه للبخارى - هم ابن مسعود و أبو هريرة و عثمان بن مظعون ، و سيأتى مفرّقا ما يشير إلى ذلك ، يعنى ما قدمته أنا ، قال : و قيل : هم[6] سعد[2] ابن أبى وقاص و عثمان بن [3]مظعون و على بن أبى طالب ، و فى مصنف عبد الرزاق من طريق سعيد بن[3] المسيب أن منهم عليا و عبد الله بن عمرو ابن العاص رضى الله عنهم ، و قال شيخنا فى تخريج أحاديث الكشاف : ١٥ إن [هذا -[7]] أصلُ ما رواه الواحدى عن المفسرين ، و للشيخين و الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، و ما أمرتكم به[2] فافعلوا منه ما استطعتم ، فانما

---

(١) أى عدوها قليلة (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) تقدم فى ظ على « أصوم و أفطر » (٥) فى ظ : الفهمون (٦) فى ظ : انهم .
(٧) زيد من ظ .

/١١٦ أهلك الذين[١] من قبلكم كثرة[٢] / سؤالهم و اختلافهم على[٣] أنبيائهم، [٤]و فى رواية: ذرونى ما تركتكم، فانما أهلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم و اختلافهم على أنبيائهم[٤]، و لأبى داود عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم.

٥ و للامام أحمد فى المسند عن أنس[٥] رضى الله عنه و الحاكم فى علوم الحديث فى [فن - [٦]] الغريب - و هذا لفظه - عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق، و لا تبغض[٧] عبادة [الله - [٦]] إليك، فان المنبتّ لا أرضا قطع [٨]و لا ظهرا أبقى[٨]. المتين[٩]: الصلب الشديد، و الإيغال: المبالغة، و المنبتّ -

١٠ بنون و موحدة و فوقانية مشددة هو الذى [١٠]انقطع ظهره[١٠]، و روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال إن الدين يسر[١١]، و لن يشادّ[١٢] الدين [أحد -[١٣]] إلا غلبه، فسددوا و قاربوا و أبشروا؛ و فى بعض الروايات: و[١٤] القصد القصد تبلغوا. و لمسلم و ابن ماجه - و هذا لفظه - عن حنظلة الكاتب التميمى الأسيدى[١٥] رضى الله عنه قال: كنا

---

(١) فى ظ: الذى (٢) تكرر فى الأصل (٣) فى ظ «و» (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) وقع فى ظ: ابن عباس - خطأ (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: لا ينقص - كذا (٨ - ٨) فى ظ: و لا اظهر لا نفى - كذا (٩) زيد بعده فى ظ: الشديد (١٠-١٠) فى ظ: يقطع ظهر (١١) من صحيح البخارى - كتاب الإيمان، و فى الأصل: يسير، و فى ظ: يشرون - كذا (١٢) فى ظ: لم يشادد (١٣) زيد من الصحيح (١٤) سقط من ظ (١٥) وقع فى ظ: الاسدى.

عند

عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكرنا الجنة و النار حتى كانا رأى العين[١]، فقمت إلى أهلى [و ولدى -[٢]] فضحكت و لعبت[٣]، [قال -[٣]] : فذكرت الذى كنا[٤] فيه، فخرجت فلقيت *أبا بكر رضى الله عنه فقلت*: نافقت نافقت ! فقال أبو بكر : إنا لنفعله ، فذهب حنظلة فذكره للنبى صلى الله عليه و سلم فقال : يا حنظلة ! لو كنتم كما تكونون عندى لصافحتكم الملائكة على فرشكم أو على طرقكم ، يا حنظلة ! ساعة و ساعة . و لفظ مسلم من طرق [٦]جمعت متفرقها[٦] عن حنظلة - و كان من كتاب النبى صلى الله عليه و سلم - قال : لقينى أبو بكر رضى الله عنه فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة ! قال: سبحان الله ! ما تقول[٧]؟ قلت : نكون[٨] عند رسول الله صلى الله عليه و سلم *يذكرنا بالنار و الجنة كانا رأى عين ، فاذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه و سلم*عافسنا*[٩] الأزواج و الأولاد و الضيعات ، نسينا كثيرا ، قال أبو بكر رضى الله عنه : [فو الله -[١٠]] إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقت أنا و أبو بكر حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه و سلم ، *قلت : نافق حنظلة يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم*: و ما ذاك ؟ قلت : *يا رسول الله* ! نكون عندك تذكرنا بالنار و الجنة كانا رأى[١١]

(١) من ظ وسنن ابن ماجه - كتاب الزهد، و فى الأصل: عين (٢) زيد من السنن.
(٣) فى ظ : لعنت - كذا (٤) من ظ و السنن ، و فى الأصل : كان (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦ - ٦) فى ظ : جمعة متفرقة (٧) فى ظ : يقول (٨) فى ظ : يكون (٩) أى حاولنا و مارسنا و اشتغلنا (١٠) زيد من ظ و الصحيح لمسلم - كتاب التوبة (١١) تكرر فى الأصل .

عين ، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج و الأولاد و الضيعات ، نسينا كثيرا ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و الذى نفسى بيده ! [أن - [1]] لو تدومون على ما تكونون عندى [2] و فى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم و فى طرقكم ، ولكن [يا حنظلة - [3]] ساعة و ساعة و ساعة - ثلاث مرات . و فى رواية : قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فوعظنا فذكرنا النار - و فى رواية : الجنة و النار - ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان و لاعبت المرأة ، فخرجت فلقيت [أبا بكر فذكرت ذلك له فقال : و أنا قد فعلت مثل ما تذكر ، فلقينا - [3]] رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فقلت : يا رسول الله ! / نافق حنظلة ! فقال : مه ؟ فحدثته بالحديث ، فقال / ١١٧ أبو بكر : و أنا قد فعلت مثل ما فعل . فقال : يا حنظلة ! ساعة و ساعة [4] ، فلو كانت تكون [5] قلوبكم كما تكون [5] عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم فى الطرق . و من هنا تبين لك مناسبة أول المجادلة لآخر الحديد التى كاع [6] فى معرفتها الأفاضل ، و كع [7] عن تطلبها [8] لغموضها الأكابر [9] الأماثل ، و سيأتى إن شاء الله تعالى بيان ذلك و إيضاح ما فيه من لطيف المسالك ، و من هذه الآية وقع الالتفات إلى قوله تعالى " احلت لكم بهيمة الانعام " و قوله تعالى " قل احل لكم الطيبت " و ما [10] أحسن تصديرها

(١) زيد من ظ و الصحيح لمسلم - كتاب التوبة (٢) العبارة من هنا إلى « ثلاث مرات » ساقطة من ظ (٣) زيد من الصحيح (٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) أى هاب و جبن (٧) أى ضعف (٨) فى ظ : طلبها (٩) فى ظ : اكابر (١٠) فى ظ : من .

يايها الذين آمنوا - كما صدر أول السورة به ، و قد مضى بيان[1] جميع ما مضى فى الوفاء بالعقود ، فكان كأنه تعالى قال : أوفوا بالعقود ، فلا تتهاونوا بها فتنقضوها ، و لا تبالغوا فيها فتكونوا معتدين فتضعفوا ، فانه لن يشادّ الدين أحد إلا غلبه ؛ بل سددوا و قاربوا ، و القصد القصد تبلغوا ، و قال ابن الزبير بعد قوله " و من الذين قالوا انا نصٰرى اخذنا ميثاقهم " : ثم فصل للمؤمنين أفعال الفريقين - أى اليهود و النصارى - ليتبين[2] لهم فيما نقضوا ، ثم بين تفاوتهم فى البعد عن الاستجابة فقال تعالى " لتجدن اشد الناس عداوة[3] " - الآية . ثم نصح عباده و بين لهم أبوابا منها دخول الامتحان ، و هى سبب فى كل الابتلاء ، فقال " لا تحرموا طيبٰت ما احل الله لكم و لا تعتدوا " فانكم إن فعلتم ذلك كنتم شارعين لأنفسكم و[3] ظالمين - انتهى . و " ما احل " شامل لكل ما كانوا أرادوا أن يتورعوا عنه من المآكل و الملابس و المناكح و النوم و غير ذلك .

و لما كان الحال لما ألزموا به أنفسهم مقتضيا للتأكيد ، أمر بالأكل بعد أن نهى عن الترك ليجتمع[4] على إباحة ذلك الأمرُ و النهىُ فقال : ﴿ و كلوا ﴾ و رغبهم فيه بقوله : ﴿ مما رزقكم الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا يرد عطاؤه :

و لما كان الرزق يقع على الحرام ، قيده *بعد القيد بالتبعيض* بقوله : ﴿ حلٰلا ﴾ و لما كان سبحانه قد جعل الرزق شهيا ، وصفه

---

(١) زيد بعده فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) فى ظ : ليبين - كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : ليحتم (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

امتنانا[1] و ترغيبا فقال: ﴿ طيبا ﴾ و يجوز أن يكون قيدا محذرا[2] مما فيه شبهة تنبيها على الورع، و يكون معنى طيبه تيقن حله، فيكون بحيث تتوفر الدواعي على تناوله [دينا توفرها على تناول - [3]] ما هو نهاية في اللذة شهوة و طبعا، و أن يكون مخرجا لما تعافه النفس مما أخذ في الفساد من الأطعمة لئلا يضر، قال ابن المبارك: الحلال ما أخذ من جهته، و الطيب ما غذّى و نمّى، فأما الطين و الجوامد و ما لا يغذى فكروه إلا على جهة التداوي، و أن يكون مخرجا لما فوق سد الرمق في حالة الضرورة، و لهذا و أمثاله قال: ﴿ و اتقوا الله ﴾ أي الملك[4] الذي له الجلال و الإكرام من أن تحلوا حراما أو تحرموا حلالا، ثم وصفه بما يوجب رعي عهوده و الوقوف عند حدوده فقال/: ﴿ الذي انتم به مؤمنون ﴾ أي ثابتون على الإيمان به، فان هذا الوصف يقتضي رعي العهود، و خص سبحانه الأكل، و المراد جميع ما نهى عن تحريمه من الطيبات، لأنه سبب لغيره من المتمتعات[5]، فلما نزلت - كما نقل البغوي و غيره عن ابن عباس رضي الله عنهما - [هذه الآية - [3]] قالوا: يا رسول الله! و كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ و كانوا حلفوا على ما اتفقوا عليه - كما تقدم، فأنزل الله تعالى: ﴿ لا يؤاخذكم الله ﴾ أي على ما له من تمام الجلال ﴿ باللغو ﴾ و هو ما يسبق إليه اللفظ من غير قصد[6] ﴿ في ايمانكم ﴾ على أني لم أعتمد على

/ ١١٨

(١) من ظ، و في الأصل: امتنا (٢) في ظ: محذر - كذا (٣) زيد من ظ.
(٤) سقط من ظ (٥) في ظ: الممتنعات - كذا (٦) هو عند الشافعي، و هو المروي عن أبي جعفر و أبي عبد الله و عائشة رضي الله تعالى عنهم - كما في روح المعاني ٢ / ٣٧٠.

سبب النزول فى المناسبة إلا لدخوله فى المعنى ، لا لكونه سببا ، فانه ليس كل سبب يدخل فى المناسبة - كما بينته فى أول غزوة أحد فى آل عمران ، و إنما كان السبب هنا داخلا فى مناسبة النظم ، لأن تحريم ما أحل يكون تارة بنذر و تارة بيمين ، و النذر فى المباح - و هو مسألتنا - لا ينعقد و كفارته[1] كفارة [يمين -[2]] ، فحينئذ لم تدع الحاجة إلا إلى التعريف بالأيمان و أحكامها ، فقسمها سبحانه إلى قسمين : مقصود [3]و غير مقصود[3] ، [فأما غير المقصود - ٢] فلا اعتبار به ، و أما المقصود فقسمان : حلف على ماض ، و حلف على آت ، فأما الحلف على الماضى فهو اليمين الغموس التى لا كفارة لها عند بعض العلماء ، و سيأتى فى آية الوصية ، و أما الحلف على[4] الآتى - و هو الذى يمكن التحريم به - فذكر حكمه هنا بقوله تعالى : ﴿ و لكن يؤاخذكم ﴾ .

و لما كان مطلق الحلف الذى منه اللغو يطلق عليه عقد لليمين ، أعلم أن المؤاخذة إنما هى بتعمد القلب ، و هو المراد بالكسب فى الآية الأخرى ، فعبر بالتفعيل فى قراءة الجماعة ، و المفاعلة على قراءة ابن عامر[5] تنبيها على أن ذلك هو المراد من قراءة حمزة و الكسائى[6] بالتخفيف [فقال -[2]] ﴿ بما عقدتم الايمان[4] ﴾ أى بسبب توثيقها و توكيدها و إحكامها بالجمع

(١) و فى روح المعانى : و تعقيد الأيمان شامل للغموس عند الشافعية و فيه كفارة عندهم (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ .
(٥) من روح المعانى ١ / ٣٧١ ، و فى الأصل : ابن عمر - كذا ، و العبارة من « و المفاعلة » إلى هنا ساقطة من ظ (٦) زيد فى روح المعانى : و ابن عياش عن عاصم .

بين اللسان و القلب ، سواء كان على [1]أدنى الوجوه[1] كما تشير[2] إليه قراءة التخفيف ، أو على أعلاها كما تشير إليه قراءة التشديد ، فلا يحل لكم الحنث فيها إلا بالكفارة بخلاف اللغو فانه باللسان فقط ، فلا عقد فيه فضلا عن تعقيد ، و 'ما' مصدرية .

٥ و لما أثبت المؤاخذة سبب عنها قوله : ﴿ فكفارته ﴾ أى الأمر الذى يستر[3] النكث[4] والحنث عن هذا التعقيد ، و يزيل أثره بحيث تصيرون[5] كأنكم ما حلفتم ﴿ اطعام عشرة مسكين ﴾ أى[6] أحرار[7] مساكين ، لكل مسكين ربع صاع ، و هو مدمن طعام ، و هو رطل و ثلث ﴿ من اوسط ما[8] ﴾ كان عادة لكم أنكم ﴿ تطعمون اهليكم ﴾ أى[6] من أعدله فى الجودة و القدر

١٠ كمية[9] و كيفية ، فهو مد جيد من غالب القوت ، سواء كان من الحنطة أو من[6] التمر أو غيرهما .

و لما بدأ بأقل ما يكفى تخفيفا و رحمة ، عطف على الإطعام ترقيا قوله : ﴿ او كسوتهم ﴾ أى بثوب[10] يغطى العورة من قميص أو إزار أو غيرهما مما يطلق[11] عليه اسم الكسوة ﴿ او تحرير ﴾ أى إعتاق ﴿ رقبة[4] ﴾

١١٩/ ١٥ أى مؤمنة سليمة عما يخل بالعمل - كما تقدم / فى كفارة القتل - حملا لمطلق الكفارات على ذلك المقيد ، و لأن النبى صلى الله عليه و سلم ما استأذنه أحد فى إعتاق رقبة فى كفارة إلا اختبر إيمانها ، هذا ما على المكلف على

(١ - ١) فى ظ : دنى الوجه - كذا (٢) فى ظ : اشير (٣) من ظ ، و فى الأصل : يشير (٤) فى ظ : العنت كذا (٥) فى ظ : يصيرون (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : حرام (٨) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها . (٩) فى ظ : و الكمية (١٠) فى ظ : ثوب (١١) فى ظ : ينطق .

سبيل التخيير من غير تعيين، و التعيين إليه إذا كان واجدا للثلاثة أو لأحدها[1]، و الإتيان بأحدها[2] مبرئ من العهدة، لأن كل واحد من الثلاثة بعينه أخص من أحدها[3] على الإبهام، و الإتيان بالخاص يستلزم الإتيان بالعام ﴿ فمن لم يجد ﴾ أي واحدا منها فاضلا عن قوته و قوت[4] من تلزمه[5] مؤنته ﴿ فصيام ﴾ أي فالكفارة صيام ﴿ ثلثة ايام[6] ﴾ و لو متفرقة . ٥

و لما تم ذلك، أكده في النفوس و قرره بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أي الأمر العدل الحسن [الذي -[6]] ذكر ﴿ كفارة ايمانكم ﴾ أي المعقدة ﴿ اذا حلفتم[7] ﴾ و أردتم نكثها[7] سواء كان ذلك قبل الحنث أو بعده .

و لما كان التقدير: فافعلوا ما قدرتم عليه [منه، عطف عليه -[8]] لئلا تمتهن[9] الأيمان لسهولة الكفارة قوله: ﴿ و احفظوا ايمانكم[7] ﴾ أي ١٠ فلا تحلفوا ما وجدتم إلى ذلك سبيلا، و لا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم، فانه سبحانه عظيم، و من أكثر الحلف وقع في المحذور و لا بد، و إذا حلفتم فلا تحنثوا دون تكفير، و يجوز للكفر الجمع بين هذه الخصال كلها و استشكل، و حله بما قال الشيخ سعد الدين التفتازاني في التلويح في بحث ' أو ': و المشهور في الفرق بين التخيير و الإباحة أنه يمتنع في التخيير ١٥ الجمع[2] و لا يمتنع في الإباحة، لكن الفرق ههنا أنه لا يجب في الإباحة الإتيان بواحد و في التخيير يجب، و حينئذ إن كان الأصل فيه الحظر و ثبت

---

(١) في ظ: لاحدهما (٢) في ظ: باحدهما (٣) في ظ: احدهما (٤) زيد بعده في ظ: عياله (٥) في ظ: تلتزمه (٦) من ظ، و موضعه في الأصل بياض (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ (٩) في ظ: لئلا يمتهن .

الجواز بعارض الأمر - كما إذا قال : بع من عبيدى هذا أو ذاك - يمتنع الجمع و يجب الاقتصار على الواحد ، لأنه المأمور به ، و إن كان الأصل [فيه - [1]] الإباحة و وجب بالأمر واحد - كما فى خصال الكفارة - يجوز الجمع بحكم الإباحة الأصلية ، و هذا يسمى التخيير على سبيل الإباحة - انتهى .

و لما اشتملت هذه الآيات من البيان على ما يدهش الإنسان كان كأنه قيل : هل يبين كل ما يحتاج إليه هكذا ؟ فنبه من هذه الغفلة بقوله : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا البيان العظيم الشأن ﴿ يبين الله ﴾ [أى -[2]] على ما له من العظمة ﴿ لكم آياته ﴾ أى أعلام[3] شريعته و أحكامه[4] على ما لها من العلو باضافتها إليه[5] .

و لما اشتمل ما تقدم من الأحكام و الحِكَم و التنبيه و الإرشاد و الإخبار بما فيها من الاعتبار على نِعَم جسيمة و سنن جليلة عظيمة ، [ناسب -[2]] ختمُها بالشكر المُرْبى لها فى قوله على سبيل التعليل المؤذن بقطعها إن لم توجد العلة : ﴿ لعلكم تشكرون ٥ ﴾ أى يحصل منكم الشكر بحفظ جميع الحدود الآمرة و الناهية .

و لما تم بيان حال المأكل و[5] كان داعية إلى المشرب ، احتيج إلى بيانه ، [6]فبين تعالى[6] المحرم منه . فعلم أن ما عداه مأذون فى التمتع به ،

---

(١) زيد من ظ و التلويح - مبحث « أو » (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : اعلا - كذا (٤) فى ظ : ايمانه (٥) سقط من ظ (٦-٦) فى ظ : فتبين تعليل - كذا .

و ذلك

و ذلك محاذٍ فى تحريم شىء مقترن باللازم[1] بعد [2]إحلال آخر لما فى أول السورة من تحريم الميتة و ما ذكر معها بعد[2] إحلال بهيمة الأنعام و ما معها، فقال تعالى مذكرا لهم بما أقروا به من الإيمان الذى معناه الإذعان: ﴿ يَآيها الذين اٰمنوٓا ﴾ أى أقرو به . و نبههم / على ما يريد العدو بهم من الشر بقوله تعالى: ﴿ انما الخمر ﴾ وهى[3] كل ما أسكر سواء فيه قليله و كثيره[4]، و أضاف إليها ما واخاها فى الضرر دينا و دنيا و فى كونه سببا للخصام و كثرة اللغط المقتضى للحلف و الإقسام تأكيدا لتحريم الخمر بالتنبيه على أن الكل من أفعال الجاهلية ، فلا فرق بين شاربها و الذابح على النصب و المعتمد على الأزلام فقال: ﴿ و الميسر ﴾ أى الذى تقدم ذكره فى البقرة ﴿ و الانصاب و الازلام ﴾ المتقدم[5] أيضا[4] ذكرُهما أولَ السورة، و الزلم: القدح لا ريش له - قاله البخارى ؛ وحكمة ترتيبها [هكذا -[6]] أنه لما كانت الخمر غاية فى الحمل على إتلاف المال ، قرن بها ما يليها فى ذلك و هو[7] القمار ، و لما كان الميسر مفسدة المال ، قرن به[4] مفسدة الدين و هى الأنصاب ، و لما كان تعظيم الأنصاب شركا جليا إن عبدت ، و خفيا إن ذبح عليها دون عبادة ، قرن بها نوعا من الشرك الخفى و[4] هو الاستقسام بالأزلام ؛ ثم أمر باجتناب الكل إشارة و عبارة على أتم وجه فقال: ﴿ رجس ﴾ أى قذر أهل لأن يبعد عنه بكل اعتبار حتى عن ذكره سواء كان عينا أو معنى ، و سواء كانت الرجسية فى الحس أو[8] المعنى،

/ ١٢٠

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالالزام (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : هو (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : المعتمد (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : هى . (٨) فى ظ « و » .

و وحد الخبر للنص على الخمر و الإعلام بأن أخبار الثلاثة حذفت و قدرت ، لأنها[1] [2]أهل لأن[2] يقال فى كل واحد منها على حدتها كذلك ، و لا يكفى [عنها - [3]] خبر واحد على سبيل الجمع ؛ ثم زاد فى التنفير عنها تأكيدا لرجسيتها بقوله : ﴿ من عمل الشيطن ﴾ أى المحترق البعيد ، ثم صرح بما ٥ اقتضاه السياق من الاجتناب فقال : ﴿فاجتنبوه﴾ أى تعمدوا أن تكونوا عنه فى جانب آخر غير جانبه ، و أفرد[4] لما تقدم من الحكم ، ثم علل بما يفهم أنه لا فوز بشىء من المطالب مع مباشرتها فقال : ﴿لعلكم تفلحون ٥﴾ أى تظفرون بجميع مطالبكم ، روى البخارى فى التفسير عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لقد حرمت الخمر و ما بالمدينة منها شىء ، و فى رواية : نزل ١٠ تحريم الخمر و إن بالمدينة يومئذ لخمسة أشربة ما فيها شراب العنب ، و فى رواية عنه : سمعت عمر على منبر النبى صلى الله عليه و سلم يقول : أما بعد أيها الناس إنه نزل تحريم الخمر و هى من خمسة : من العنب - و فى رواية : من الزبيب - و التمر و العسل و الحنطة و الشعير ، و الخمر ما خامر[5] العقل . و عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : ما كان لنا خمر غير فضيخكم[6] ١٥ هذا[7] ، [8]و إنى[8] لقائم أسقى أبا طلحة و فلانا و فلانا إذ[9] جاء رجل فقال[10] :

---

(١) فى ظ : لان (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : اسئل ان - كذا (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : افر (٥) فى ظ : جامن - كذا (٦) فى ظ : تضحكم - كذا ، والفضيخ شراب يتخذ من البسر وحده (٧) زيد بعده فى صحيح البخارى : الذى تسمونه الفضيخ (٨-٨) فى الصحيح : فانى (٩) فى ظ : اذا (١٠) زيد بعده فى الصحيح : وهل بلغكم الخبر ؟ فقالوا : و ما ذاك ؟ قال .

حرمت الخمر ، قالوا : أهرق هـــذه القلال يا أنس ! فما سألوا عنها ولا راجعوها بعد خبر الرجل ؛ و[1] فى رواية عنه : حرمت علينا الخمر حين حرمت و ما نجد خمر الأعناب إلا قليلا ، و عامة [2]خمرنا البسر[2] و التمر . قال الأصبهانى : و ذلك بعد غزوة الأحزاب بأيام .

و لما كانت حكمة النهى عن الأنصاب و الأزلام قد تقدمت فى ٥ أول السورة ، و هى أنها فسق ، اقتصر على بيان علة النهى عن الخمر و الميسر إعلاما بأنهما المقصودان بالذات ، و إن كان الآخِرَين ما ضما[3] إلا لتأكيد تحريم هذين ـ كما تقدم ، لأن المخاطب أهل الإيمان ، و قد كانوا مجتنبين لذينك ، فقال مؤكدا لأن الإقلاع عما حصل التمادى فى المرون عليه يحتاج[4] إلى مثل ذلك : ﴿ انما يريد الشيطن ﴾ أى بتزيين الشرب و القمار لكم ١٠ ﴿ ان يوقع بينكم العداوة ﴾ .

و لما كانت العداوة قد / تزول أسبابها ، ذكر ما ينشأ عنها مما إذا[1] استحكم تعسر[5] أو تعذر زواله ، فقال : ﴿ و البغضاء فى الخمر و الميسر ﴾ أى تعاطيهما [لأن الخمر تزيل العقل ، فيزول المانع من إظهار الكامن من الضغائن و المناقشة و المحاسدة ، فربما أدى ذلك إلى حروب طويلة ١٥ و أمور مهولة ، و الميسر يذهب المال فيوجب ذلك الإحنة على من سلبه ماله و نغص عليه أحواله -[6]] . / ١٢١

و لما ذكر ضررهما فى الدنيا ، ذكر ضررهما فى الدين فقال :

---

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) فى ظ : خمر بالبسر ـ كذا (٣) فى ظ : هما (٤) فى ظ : محتاج (٥) فى ظ : بعسر (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

﴿ و يصدكم عن ذكر الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا إله [لكم -[1]] غيره و لا كفوء له ، و كرر الجار تأكيدا [2] للأمر و تغليظا [2] فى التحذير فقال : ﴿ و عن الصلوة ﴾ أما فى الخمر فواضح ، و أما فى الميسر فلأن الفائز [3] ينسى ببطر [3] الغلبة ، و الخائب [4] مغمور بهمه ، و أعظم التهديد بالاستفهام و الجملة الاسمية الدالة على الثبات بعد التأكيد بالحصر و الضم إلى فعل الجاهلية و بيان الحكم الداعية إلى الترك و الشرور [5] المنفرة عن الفعل فقال : ﴿ فهل انتم منتهون ﴾ أى قبل أن يقع بكم ما لا تطيقون .

و لما كان ذلك مألوفا لهم محبوبا عندهم ، و كان ترك المألوف أمر من ضرب السيوف ، أكد دعوتهم إلى اجتنابه محذرا من المخالفة بقوله عاطفا على ما تقديره : فانتهوا [6] : ﴿ و اطيعوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا شريك له و لا أمر لأحد سواه ، أى [6] فيما أمركم [7] به من اجتناب ذلك ، و أكد الأمر باعادة العامل فقال : ﴿ و اطيعوا الرسول ﴾ أى الكامل فى الرسلية فى ذلك ، و زاد فى التخويف بقوله : ﴿ و احذروا ﴾ أى من المخالفة ، ثم بلغ الغاية [فى ذلك -[1]] بقوله [8] : ﴿ فان توليتم ﴾ أى بالإقبال على شىء من ذلك ، و أشار بصيغة التفعل إلى أن ذلك إنما يعمل بمعالجة من النفس للفطرة الأولى ، و عظم الشأن فى ابتداء الجزاء [9] بالتنبيه

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) فى ظ : لامر و تعظيما (٣ - ٣) فى الأصل : نفس سطر ، و فى ظ : ينسى سظر - كذا (٤) فى الأصل : الجانب ، و فى ظ : الجانت - كذا (٥) فى ظ : النشرو - كذا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : امرهم (٨) فى ظ : لقولك - كذا (٩) فى ظ : الخبر .

بالأمر بالعلم فقال: ﴿ فاعلموا ﴾ أنكم لم تضروا إلا أنفسكم، لأن الحجة قد قامت عليكم، و لم يبق على الرسول شيء[1] لأنكم علمتم ﴿ انما على رسولنا ﴾ أى البالغ فى العظمة مقدارا يجل عن الوصف باضافته إلينا ﴿ البلٰغ المبين ﴾ أى البين فى نفسه الموضح لكل من سمعه ما يراد منه لا غيره، فمن خالف فلينظر ما يأتيه من البلاء من قِبَلنا، و هذا ناظر إلى قوله " بلغ ما انزل اليك من ربك "، فكأنه قيل: ما عليه إلا ما تقدم من إلزامنا له به[2] من البلاغ، فمن[3] اختار لنفسه المخالفة كفر، و الله لا يهدى[4] من كان مختارا لنفسه الكفر.

و لما كانوا قد سألوا عند نزول الآية عما من شأن الأنفس الصالحة الناظرة للورع المتحرك[5] للسؤال عنه، و هو من مات منهم و هو يفعلها، قال جوابا لذلك السؤال: ﴿ ليس على الذين امنوا و عملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿ الصٰلحت جناح ﴾ فبين سبحانه أن هذا السؤال غير وارد لأنهم لم يكونوا منعوا منها، و كانوا مؤمنين عاملين للصالحات متقين[6] لما يسخط الرب من المحرمات، و قد بين ذلك النبى صلى الله عليه و سلم فيما رواه الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: حرمت الخمر ثلاث مرات: قدم[1] رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة و هم يشربون الخمر و يأكلون الميسر، فسألوا رسول الله صلى الله عليه و سلم [7]عن ذلك[7]،

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ: فما (٤) فى ظ: لا يحب (٥) فى ظ: للتحرك (٦) فى ظ: معينين (٧-٧) فى المسند ٢/٣٥١: عنها.

فأنزل الله تعالى [على نبيه صلى الله عليه و سلم - [١]] " يسئلونك عن الخمر و الميسر " - الآية ، فقال الناس : لم يحرم[٢] علينا ، إنما قال : [٣]إن فيهما إثما[٣] ، و كانوا يشربون الخمر حتى [إذا - [١]] كان يوم[٤] من الأيام صلى رجل من المهاجرين المغرب فخلط فى قراءته ، فأنزل الله تعالى " يآيها الذين امنوا
٥ لا تقربوا الصلوٰة و انتم سكارى " فكانوا يشربونها حتى يأتى أحدهم الصلاة و هو مفيق ، فنزلت " يآيها الذين امنوا انما الخمر و الميسر[٥] و الانصاب
١٢٢ / و الازلام[٥] " - الآية ، فقالوا : انتهينا يا رب ! / و قال الناس : يا رسول الله ! ناس قتلوا فى سبيل الله أو[٦] ماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر و يأكلون الميسر و قد جعله الله رجسا من عمل الشيطان ! فأنزل الله " ليس على الذين
١٠ امنوا و عملوا الصلحت جناح " - الآية ، فقال النبي صلى الله عليه و سلم : لو حرمت عليهم لتركوها كما تركتم[٧] . و لا يضر كونه من رواية أبى معشر و هو ضعيف لأنه موافق لقواعد الدين ، و روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه قال : كنت ساقى[٨] القوم يوم حرمت الخمر فى بيت أبى طلحة رضى الله عنه و ما شرابهم إلا الفضيخ :[٩] البسر و التمر ، و إذا منادٍ ينادى : ألا ! إن
١٥ الخمر قد حرمت[١٠] ، فقال [لى - [١١]] أبو طلحة رضى الله عنه : اخرج فاهرقها ،

(١) زيد من المسند (٢) فى ظ : لم تحرم ، و فى المسند : ما حرم (٣ - ٣) فى المسند : فيهما اثم كبير (٤) من ظ و المسند ، و فى الأصل : يوما (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من المسند ، و فى الأصل و ظ « و » (٧) و سيقت هذه الرواية فيما عندنا من نسخة المسند باختلاف ألفاظ و زيادة شيء على ما هنا . (٨) من ظ و صحيح مسلم - الأشربة ، و اللفظ له (٩) من ظ و الصحيح ، و فى الأصل : الفضخ - كذا (١٠) زيد فى الصحيح قال : فجرت فى سكك المدينة . (١١) زيد من الصحيح .

فهرقتها[1]، فقال بعض القوم: قد قتل [2]فلان و فلان[2] و هى فى بطونهم؟ فأنزل الله تعالى "ليس على الذين اٰمنوا و عملوا الصٰلحت جناح" - الآية، على أنه لو لم يرد هذا السببُ كانت المناسبة حاصلة، و ذلك أنه تعالى لما أباح الطيب من المأكل و حرم الخبيث من المشرب، نفى الجناح عمن يأكل ما أذن فيه أو يشرب[3] عدا ما حرمه. فأتى بعبارة تعم المأكل و المشرب ٥ فقال: ﴿ فيما طعموٓا ﴾ أى مأكلا كان أو مشربا، و شرط ذلك عليهم بالتقوى ليخرج المحرمات فقال: ﴿ اذا ما اتقوا ﴾ أى أوقعوا جميع التقوى التى تطلب منهم فلم يطعموا محرما.

و لما بدأ بالتقوى و هى خوف الله الحامل على البعد عن المحرمات، ذكر أساسها الذى لا تقبل[4] الا به فقال: ﴿ و اٰمنوا ﴾ و لما ذكر الإقرار ١٠ باللسان[5]، ذكر مصداقه فقال: ﴿ و عملوا ﴾ أى بما أداهم إليه اجتهادهم بالعلم [6]لا اتفاقا[6] ﴿الصٰلحت ثم اتقوا﴾ أى فاجتنبوا ما جدد عليهم تحريمه ﴿و اٰمنوا ﴾ أى بأنه من عند الله، و أن الله له أن يمحو ما يشاء و يثبت ما يشاء، و هكذا كلما تكرر تحريم شىء كانوا يلابسونه.

و لما كان قد نفى الجناح أصلا و رأسا[7]، شرط الإحسان فقال: ١٥ ﴿ ثم اتقوا و احسنوا[8] ﴾ أى لازموا التقوى إلى أن أوصلتهم[8] إلى مقام المراقبة، و هى الغنى عن رؤية غير الله، فأفهم ذلك أن [9]من لم يبلغ[9]

---

(١) فى ظ: فوقها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى ظ: ما.
(٤) فى ظ: لا يقبل (٥) فى ظ: بالإيمان - كذا (٦ - ٦) فى ظ: لا تفاق.
(٧) فى ظ: لها - كذا (٨) من ظ، و فى الأصل: وصلتم (٩ - ٩) فى ظ: لم تبلغ.

[رتبة - [1]] الإحسان لا يمتنع أن يكون عليه جناح مع التقوى و الإيمان، يكفر عنه بالبلايا و المصائب حتى ينال ما قدر له مما لم يبلغه عمله من درجات الجنان ، و مما يدل[2] على نفاسة التقوى و عزتها أنه سبحانه لما[3] شرطها فى هذا العموم ، حث عليها عند ذكر المآكل بالخصوص - كما مضى فقال " و اتقوا الله الذى انتم به مؤمنون "، و هذا فى غاية الحث على التورع فى المأكل و المشرب و إشارة إلى أنه لا يوصل إلى مقام الإحسان إلا [4]به - و الله[4] الموفق ؛ و لما كان التقدير : فان الله يحب المتقين المؤمنين، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يحب المحسنين ﴾ .

و لما ذكر ما حرم من الطعام فى كل حال ، و كان الصيد ممن حرم فى بعض الأوقات ، و كان من أمثل مطعوماتهم ، و كان قد ذكر لهم بعض أحكامه عقب قوله " احلت لكم بهيمة الانعام "، "و احل[5] لكم الطيبت" أخذ هنا فى ذكر شىء[6] من أحكامه ، و ابتدأها - لأنهم خافوا على من مات منهم على شرب[7] الخمر قبل تحريمها[8] بأنه يبتليهم لتميز الورع منهم من غيره - بالصيد فى الحال التى حرمه عليهم فيها كما ابتلى[9] إسرائيل فى السبت ، فكان ذلك سببا لجعلهم[10] قردة ، و منّ سبحانه على الصحابة من هذه الأمة بالعصمة عند بلواهم بيانا لفضلهم على من سواهم ، / فقال تعالى مناديا لهم ١٢٣ /

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : يدلك (٣) فى ظ : كما (٤-٤) فى ظ : بالله (٥) فى ظ : احلت (٦) فى ظ : شيئا (٧) فى ظ : شراب (٨) من ظ ، و فى الأصل: تحريمه. (٩) فى ظ : بنى (١٠) تكرر فى الأصل .

بما

بما يكفّهم[1] ذكره[2] عن المخالفة: ﴿ يَآيها الذين آمنوا ﴾ أى أوقعوا الإيمان ولو على أدنى وجوهه، فعم بذلك العالى والدانى ﴿ ليبلونكم الله ﴾ أى يعاملكم معاملة المختبر فى قبولكم تحريم الخمر وغيره المحيط بكل شىء قدرة وعلما، وذكر الاسم الأعظم إشارة بالتذكير بما له من الجلال إلى أن له أن يفعل ما يشاء، وأشار إلى تحقير البلوى تسكينا للنفوس بقوله[3]: ﴿ بشىء من الصيد ﴾ أى الصيد فى البر فى[4] الإحرام، وهو ملتفت إلى قوله "هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله" [وشارح لما ذكر أول السورة فى قوله "غير محلى الصيد وانتم حرم -[5]] الآية، وما[6] ذكر بعد المحرمات من قوله "فكلوا مما امسكن عليكم"، ووصف المبتلى به بوصف هو من أعلام النبوة فقال: ﴿ تناله ايديكم ﴾ أى إن[3] أردتم أخذه سالما ﴿ ورماحكم ﴾ إن أردتم قتله، ثم ذكر المراد من ذلك وهو إقامة الحجة على ما يتعارفه العباد بينهم فقال: ﴿ ليعلم الله ﴾ أى وهو الغنى عن ذلك بما له من صفات الكمال التى لا خفاء بها عند أحد يعلم هذا الاسم الأعظم ﴿ من يخافه بالغيب[4] ﴾ أى بما حجب به من[3] هذه الحياة الدنيا التى حجبتهم عن أن يعرفوه حق معرفته سبحانه، والمعنى أنه يخرج بالامتحان ما كان من أفعال العباد فى عالم الغيب إلى عالم الشهادة، فيصير تعلق العلم بـــه تعلقا شهوديا كما[7] كان تعلقا غيبيا [لتقوم -[5]] بذلك [8]الحجة على الفاعل[8] فى مجارى عاداتهم[9]، ويزداد من

(١) فى ظ: يكفيهم (٢) من ظ، وفى الأصل: ذكر (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ «و» (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: مما (٧) من ظ، وفى الأصل: لما (٨-٨) فى ظ: على الفاعل الحجة (٩) فى ظ: عاداتكم.

له اطلاع على اللوح المحفوظ من الملائكة إيمانا و يقينا و عرفانا ، و قد حقق سبحانه معنى هذه الآية فابتلاهم بذلك عام الحديبية حتى كان يغشاهم الصيد فى رحالهم و يمكنهم أخذه بأيديهم .

و لما كان هذا زاجرا فى العادة [1]عن التعرض[1] لما وقعت البلوى به و حاسما للطمع فيه بمن[2] اتسم بما جعل محط النداء من الإيمان ، سبب عنه قوله : ﴿ فمن اعتدى ﴾ أى كلف نفسه مجاوزة[3] الحد فى التعرض له ؛ و لما كان سبحانه يقبل التوبة عن عباده ، خص الوعيد بمن استغرق الزمان بالاعتداء فأسقط الجار لذلك فقال : ﴿ بعد ذلك ﴾ أى الزجر العظيم ﴿ فله عذاب اليم ﴾ بما التذّ من تعرضه إليه لما عرف بالميل[4] إلى هذا أنه [إلى ما -[5]] هو أشهى منه كالخمر و ما معها أميل .

و لما أخبرهم بالابتلاء صرح لهم بما لوح إليه بذكر المخافة من تحريم التعرض لما ابتلاهم به[6] ، فقال منوِّها بالوصف الناهى عن الاعتداء : ﴿ يآيها الذين امنوا ﴾ و ذكر القتل الذى هو أعم من الذبح إشارة إلى أن الصيد - لما عنده من النفرة المانعة من التمكن من ذبحه - يحبس بأى وجه كان من أنواع القتل فقال : ﴿ لا تقتلوا الصيد ﴾ أى لا تصطادوا[7] ما يحل أكله من الوحش ، و أما غير المأكول فيحل قتله ، فانه لاحظ للنفس فى قتله إلا الإراحة من أذاه المراد بالفسق فى قوله صلى الله عليه و سلم : خمس فى الدواب فواسق ، لاجناح على من قتلها فى حل و لا حرم - و ذكر منهن السبع العادى ، فدل الحكم برفع الجناح عقب الوصف بالفسق

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : ممن (٣) فى ظ : مجاوز (٤) فى ظ : بالمثل (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : لا تصادوا .

على أنه علة الإباحة، و لا معنى لفسقها إلا أذاها ﴿ و انتم حرم [1] ﴾ أى محرمون أو[1] فى الحرم.

و لما كان سبحانه [عالما - [2]] بأنه لا بد أن يوافق موافق[3] تبعا لأمره و يخالف مخالف موافقة لمراده، شرع لمن خالف كفارة تخفيفا منه على هذه الأمة و رفعا لما كان على من [4] كان من قبلها[4] من الآصار، فقال عاطفا على ما تقديره: فمن انتهى فله عند ربه أجرعظيم: / ﴿ و من قتله منكم متعمدا ﴾ أى قاصدا للصيد ذاكرا للاحرام إن كان محرما، و الحرم إن كان فيه عالما بالتحريم. / ١٢٤

و لما كان هذا الفعل العمد موجبا للاثم و الجزاء، و متى اختل وصف منه كان خطأ موجبا للجزاء فقط، و كان سبحانه قد عفا عن الصحابة رضى الله عنهم العمد الذى كان سببا لنزول الآية كما فى آخرها، [5] لم يذكره[5] و اقتصر على ذكر الجزاء فقال: ﴿ فجزآء ﴾ أى فمكافأة ﴿ مثل ما قتل ﴾ أى أقرب الأشياء به شبها فى الصورة [6] لا النوع [6]، و وصف الجزاء بقوله: ﴿ من النعم ﴾ لما قتله[7] عليه، [8] أى عليه[8] أن يكافئ ما قتله بمثله، و هو من إضافة المصدر إلى الفاعل، هذا على قراءة الجماعة باضافة « جزاء » إلى « مثل »، و أما على قراءة الكوفيين و يعقوب بتنوين « جزاء » و رفع « مثل » فالأمر واضح.

---

(١) من ظ، و فى الأصل: أى (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤-٤) فى ظ: قتلها (٥-٥) فى ظ: لو بذكره (٦-٦) من ظ، و فى الأصل: كالنوع (٧) من ظ، و فى الأصل: قتل (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و لما كان كأنه قيل : بما[1] تعرف المماثلة ؟ قال : ﴿ يحكم به ﴾ أى بالجزاء ، و لما كانت وجوه المشابهة بين الصيد و بين النعم كثيرة ، احتاج ذلك إلى زيادة التأمل فقال : ﴿ ذوا عدل منكم[2] ﴾ أى المسلمين ، و عن الشافعى أن الذى له[3] مثل ضربان : ما حكمت فيه الصحابة ، و ما لم تحكم[4] فيه ، فما حكمت فيه لا يعدل إلى غيره لأنه قد حكم به عدلان فدخل تحت الآية ، و هم أولى من غيرهم لأنهم شاهدوا التنزيل و حضروا التأويل ؛ و ما لم يحكموا به يرجع فيه إلى اجتهاد عدلين ، فينظر إلى الأجناس الثلاثة من الأنعام ، [6]فكل ما[6] كان أقرب شبها به يوجبانه ؛ فان كان القتل خطأ جاز أن يكون [الفاعل - [7]] أحد الحكمين ، و إن كان عمدا فلا ، لأنه يفسق به .

و لما كان هذا المثل يساق إلى مكة المشرفة على وجه الإكرام و النسك [8]رفقا بمساكينها ، قال[8] مبينا لحاله من الضمير فى "به" : ﴿ هديا ﴾ و لما كان الهدى هو ما تقدم تفسيره ، صرح به فقال : ﴿ بالغ الكعبة ﴾ أى الحرم المنسوب إليها ، و إنما صرح بها زيادة فى التعظيم و إعلاما بأنها هى المقصودة بالذات بالزيارة و العمارة لقيام ما يأتى ذكره ، تذبح الهدى بمكة المشرفة و يتصدق به على مساكين الحرم[3] ، و الإضافة لفظية لأن الوصف

(١) فى ظ : بم (٢) تأخر فى ظ عن « الضمير فى به » (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : لم يحكم (٥) من ظ و البحر المحيط ٤/٢ ، و فى الأصل : الثلاث (٦-٦) من ظ و البحر ، و فى الأصل : فما (٧) زيد من ظ (٨-٨) فى ظ : فقال بمساكنها - كذا .

بشبه « يبلغ » فلذا وصف بها النكرة .

و لما كان سبحانه رحيما بهذه الأمة ، خيرها بين ذلك و بين ما بعد فقال[1] : ﴿ او ﴾ عليه ﴿ كفارة ﴾ هى ﴿ طعام مسكين ﴾ فى الحرم بمقدار قيمة الهدى ، لكل مسكين مد ﴿ او عدل ذلك ﴾ أى قيمة المثل ﴿ صياما ﴾ فى أىّ موضع تيسر له ، عن[1] كل مد يوم ، فأو للتخيير لأنه الأصل فيها ، و القول بأنها للترتيب يحتاج إلى دليل . ٥

و لما كان الأمر مفروضا فى المتعمد قال معلقا بالجزاء ، أى فعليه أن يجازى بما ينقص المال أو يؤلم الجسم ﴿ ليذوق وبال ﴾ أى ثقل[2] ﴿ امره[4] ﴾ و سوء عاقبته ليحترز[3] عن مثل ما وقع فيه ؛ و لما كان هذا الجزاء محكوما به فى دار العمل التى لا يطلع أهلها بمجرد عقولهم فيها على غيب ، و لا يعرفون عاقبة أمر إلا تخرصا ، طرد الحكم فى غير المتعمد[4] لئلا يدعى المتعمد أنه مخطئ ، كل ذلك حمى لحرمة الدين و صونا لحرمة الشرع و حفظا لجانبه / و رعاية لشأنه ، و لما كان قد مضى منهم قبل نزولها من هذا النوع أشياء ، كانوا كأنهم قالوا : فكيف نصنع بما أسلفنا ؟ قال جوابا : ﴿ عفا الله ﴾ أى الغنى عن كل شىء الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ﴿ عما سلف[4] ﴾ [5]أى تعمده[5] ، أى لكم من ذلك ، فمن ١٠ ١٥ / ١٢٥

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يقل ـ كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : ليحرز.
(٤) فى ظ : المعتمد ، و العبارة من بعده الى « المتعمد » الآتى ساقطة منه .
(٥ ـ ٥) من ظ ، و فى الأصل : الى تعمدها ، و هو متخلل فى الأصل بين « عما » و « سلف »

حفظ نفسه بعد هذا فاز ﴿ و من عاد ﴾ إلى تعمد شيء من ذلك و لو قل ؛ و لما كان المبتدأ متضمنا معنى الشرط ، قرن الخبر بالفاء إعلاما بالسببية[1] فقال : ﴿ فينتقم الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ منه[1] ﴾ أى بسبب عوده بما يستحقه من الانتقام .

٥ و لما كان فاعل ذلك منتهكا لحرمة الإحرام و الحرم[2] ، و كان التقدير : فالله قادر عليه ، عطف على ذلك ما اقتضاه المقام من الإتيان بالاسم الأعظم و وصف العزة فقال : ﴿ و الله ﴾ أى الملك [الأعلى -[3]] الذى لا تدانى[4] عظمتَه عظمةٌ ﴿ عزيز ﴾ لا يغلب[5] ﴿ ذو انتقام ٥ ﴾ ممن خالف أمره .

١٠ و لما كان هذا عاما فى كل صيد ، بين أنه خاص بصيد البر فقال : ﴿ احل لكم صيد البحر ﴾ أى اصطياده ، أى[2] الذى مبناه غالبا على الحاجة ، و المراد [به -[3]] جميع المياه من الأنهار و البرك و غيرها ﴿ و طعامه ﴾ أى مصيده[6] طريا و قديدا و لو كان طافيا قذفه البحر ، و هو الحيتان بأنواعها و كل ما لا يعيش فى البر ، [7]و ما أكل مثله فى البر[7] .

١٥ و لما أحل ذلك ذكر علته فقال : ﴿ متاعا لكم ﴾ أى إذا كنتم مسافرين أو مقيمين ﴿ و للسيارة[4] ﴾ أى يتزودونه إلى حيث أرادوا من البر أو البحر ، و فى تحليل صيد البحر حالَ الابتلاء من النعمة على هذه الأمة ما يبين فضلها على من كان قبلها ممن جعل صيد البحر له محنة يوم الابتلاء -

(١) فى ظ : بالسنة - كذا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : لا يدانى.
(٥) فى ظ : لا يغالب (٦) فى ظ : مصيدته (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و لله الحمد ، و الظاهر أن المراد بصيد البحر الفعل ، لأن ثَمَّ أمرين : الاصطياد و الأكل ، و المراد بيان حكمها ، فكأنه[1] أحل اصطياد حيوان البحر ، و أحل طعام البحر مطلقا ما اصطادوه و ما لم يصطادوه[2] ، سواء كانوا مسافرين أو مقيمين ، و ذلك لأنه لما[3] قدّم تحريم اصطياد ما فى البر بقوله " لا تقتلوا الصيد و انتم حرم " أتبعه بيان [إحلال اصطياد مصيد البحر فى حال تحريم ذلك ، ثم أتبعه بيان -[4]] حرمة مصيد البر بقوله : ﴿ و حرم عليكم صيد البر ﴾ أى اصطياده و أكل[5] ما صيد منه لكم ، و هو ما لا عيش[6] له[3] إلا فيه ، و ما يعيش فيه [7]و فى البحر[7] ، [8]فان صِيدَ للحلال[8] حل للمحرم أكله ، فانه غير منسوب إليه اصطياده بالفعل و لا بالقوة ﴿ ما دمتم حرما[4] ﴾ لأن مبنى أمره غالبا فى الاصطياد و الأكل مما صيد على الترف و الرفاهية ، و قد تقدم أيضا حرمة اصطياد مصيد البر و حرمة الأكل مما صيد منه ، و تكرر ذلك بتكرر الإحرام فى آية " غير محلى [7]الصيد " ، و آية " لا تقتلوا الصيد[7] و انتم حرم " فلا يعارضه مفهوم " ما دمتم حرما[3] " ، و عبر بذلك ليكون نصا فى الحرمة فى كل جزء من أجزاء وقتِ الإحرام إلى تمام التحلل - و الله أعلم ، و لا يسقط الجزاء بالخطأ و الجهل كسائر محظورات الإحرام .

و لما كان الاصطياد بحشر المصيد إلى حيث يعجز عن الخلاص

---

(١) فى ظ : فكانها (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : كل (٦) فى ظ : لا يعش (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٨-٨) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل .

منه، و كانت حالة الإحرام أشبه شيء بحالة الحشر فى التجرد عن المخيط
١٢٦ / و الإعراض عن الدنيا و تمتعاتها، ختم / الآية بقوله عطفا على ما تقديره:
فلا تأكلوا [1]شيئا منه[1] فى حال إحرامكم: ﴿و اتقوا الله﴾ أى الذى له الأمر
كله فى ذلك و فى غيره[2] من الاصطياد و غيره ﴿الذىّ اليه تحشرون ٥﴾
٥ ليكون العرض عليه نصبَ أعينكم فتكونوا مواظبين على طاعته محترزين
عن معصيته.

و لما كان الإحرام و تحريم الصيد فيه إنما هو لقصد تعظيم الكعبة،
بين تعالى حكمة ذلك و[3] أنه كما جعل الحرم و الإحرام سببا لأمن الوحش
و الطير جعله سببا لأمن الناس و سببا لحصول السعادة دنيا و أخرى، فقال
١٠ مستأنفا بيانا لحكمة المنع فى أول السورة من استحلال[4] من يقصدها
للزيارة: ﴿جعل الله﴾ أى بما له من العظمة و كمال الحكمة و نفوذ الكلمة
﴿الكعبة﴾ و عبر عنها بذلك لأنها مأخوذة من الكعب الذى به قيام
الإنسان و قوامه، و بيّنها مادحا بقوله: ﴿البيت الحرام﴾ أى الممنوع من
كل جبار دائما الذى تقدم فى أول السورة أنى منعتكم من استحلال من
١٥ يؤمّه ﴿قيما للناس﴾ أى فى أمر معاشهم و معادهم لأنها لهم كالعماد
الذى يقوم به البيت، فيأمن به الخائف و يقوى فيه الضعيف و يقصده
التجار و الحجاج[2] و العمّار فهو عماد الدين و الدنيا.

و لما ذكر ما به القوام من المكان، أتبعه ذلك من الزمان فقال:
﴿و الشهر الحرام﴾ أى الذى يفعل[2] فيه الحج و غيره [5]يأمن فيه الخائف[5].

(١ - ١) فى ظ: منه شيئا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: كما (٤) فى ظ: استخلاص (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

ولما ذكر ما به القوام[1] من المكان والزمان، أتبعه[2] [3]ما به[3] قوام الفقراء من شعائره فقال: ﴿والهدى﴾ ثم أتبعه أعزّه وأخصه فقال: ﴿والقلائد[4]﴾ أي والهدى العزيز الذي يقلد فيذبح ويقسم على الفقراء، وفي الآية التفات إلى [3]ما في[3] أول السورة من قوله "يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله [3]ولا الشهر الحرام[3]" - الآية، فقوانينها أن من قصدها في شهر الحرام لم يتعرض له أحد ولو كان قتل ابنه[4]، ومن قصدها في غيره ومعه هدى قلده أو لم يقلده أو لم يكن معه هدى وقلد نفسه من لحاء[5] شجر الحرم[6] لم يعرض له أحد [3]حتى أن بعضهم يلقى الهدى وهو مضطر فلا يعرض له[3] ولو مات جوعا، وسواء في ذلك صاحبه وغيره لأن[7] الله تعالى أوقع في قلوبهم تعظيمها، لأنه تعالى جبل العرب على الشجاعة ليفتح بهم البلاد شرقا وغربا ليظهر عموم رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم، فلزم من ذلك شدة حرصهم على القتل والغارات، وعلم أن ذلك إن دام بهم شغلهم عن تحصيل ما يحتاجون إليه لعيشهم، فأدى إلى فنائهم، فجعل بيته المكرم وما كان من أسبابه أمانا يكون به قوام معاشهم [3]ومعايشهم[3]، فكان ذلك برهانا ظاهرا على أن الإله عالم بجميع المعلومات وأن له الحكمة البالغة.

---

(١) تكرر في الأصل (٢) العبارة من «أتبعه ذلك» إلى هنا تكررت في ظ مع سقوط الألفاظ التي نبهنا عليها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) في ظ: ابيه (٥) من ظ، وفي الأصل: لها - كذا (٦) من ظ، وفي الأصل: الحرام؛ وزيدت الواو بعده في ظ (٧) من ظ، وفي الأصل: ان.

و لما أخبر بعلة التعظيم لما أمر بتعظيمه من نظم أمور الناس ، ذكر علة[1] ذلك الجعل فقال: ﴿ ذلك ﴾ أى الجعل العظيم الذى تم[2] أمره على ما أراد جاعله[3] سبحانه ﴿ لتعلموا ﴾ أى بهذا التدبير المحكم[4] ﴿ ان الله ﴾ أى[2] الذى له الكمال كله الذى جعل ذلك ﴿ يعلم ما فى السمٰوٰت ﴾ فلذلك رتبها ترتيبا فصلت به الأيام و الليالى ، فكانت من ذلك الشهور و الأعوام ، و فصّل من ذلك ما فصل للقيام / المذكور ﴿ و ما فى الارض ﴾ ١٢٧ / فلذلك جعل فيها ما قامت به مصالح الناس و كف فيه أشدهم و أفتكهم عن أضعفهم و آمن فيه الطير و الوحش ، فيؤدى ذلك من له عقل رصين و فكر متين إلى أن يعلم أن فاعل ذلك من العظمة و نفوذ الكلمة بحيث يستحق الإخلاص فى العبادة و أن يمتثل أمره فى إحلال ما أحل من الطعام و تحريم ما حرم من الشراب و غير ذلك .

و لما ذكر هذا العلم العظيم ، ذكر ما هو أعم منه فقال : ﴿ و ان ﴾ أى و لتعلموا[5] أن ﴿ الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما الذى فعل ذلك قم له ﴿ بكل شىء عليم ﴾ و إلا لما أثبت جميع مقتضيات ذلك و نفى جميع موانعه حتى كان ، و لقد اتخذ العرب - كما فى السيرة الهشامية[6] و غيرها - طواغيت ، و هى بيوت [7]جعل لها[7] سدنة و حجابا و هدايا أكثروا منها ، و عظمت كل قبيلة ما عندها أشد تعظيم[8] و طافوا به فلم يبلغ

(١) من ظ ، و فى الأصل : علمه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : عاجله (٤) من ظ ، و فى الأصل : الحكمة - كذا (٥) فى ظ : ليعلموا (٦) فى ظ : الهاشمية (٧ - ٧) فى ظ : جعلها بها - كذا (٨) فى ظ : تعظيما .

شيء[1] منها ما بلغ أمر الكعبة المشرفة و لا قارب ، ليحصل العلم بأنه سبحانه لا شيء مثله و لا شريك له .

و لما أنتج هذا كله أنه على كل شيء قدير لأنه بكل شيء عليم ، وكانت هذه الآية - كما تقدم - ناظرةً إلى أول السورة من آية " لا تحلوا شعائر الله " و ما بعدها أتم نظر ، ذكر[2] سبحانه ما اكتنف آية " حرمت عليكم الميتة "[3] من الوعيد الذى ختم به ما قبلها و الوعد الذى ختمت هى به فى هذه الآية على ترتيبه ، سائقا له مساق النتيجة و الثمرة لما قبله ، بيانا لأن من ارتكب شيئا من هذه المنهيات كان حظه ، فقال محذرا و مبشرا لأن الإيمان لا يتم إلا بهما : ﴿ اعلموا ان الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها الذى نهاه عنها ﴿ شديد العقاب ﴾ فليكن عباده على حذر منه ، و أن من أوقعه فى شيء منها القدر ، ثم فتح له التوفيقُ بابَ الحذر ، فكفر فيما فيه كفارة و تاب ، كان مخاطبا بقوله : ﴿ و ان ﴾ أى و اعلموا أن ﴿ الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام مع كونه شديد العقاب ﴿ غفور رحيم[5] ﴾ يقبل عليه و يمحو زلله و يكرمه ، فكان اكتناف أسباب الرجاء سابقا للانذار و لاحقا معلما بأن رحمته سبقت[4] غضبه و أن العقاب إنما هو لإتمام رحمته ، قال ابن الزبير : ثم قال : "جعل الله الكعبة" - الآية[6] ، فنبه على سوء العاقبة فى منع البحث على التعليل و طلب الوقوف على ما لعله مما استأثر الله بعلمه ، و من هذا الباب أتى على بنى إسرائيل فى[7]

(١) ف ظ : شيئا (٢) ف ظ : ذلك (٣) ف ظ : الآية (٤) ف ظ : غلبت (٥) زيد بعده فى ظ : البيت الحرام (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : من .

[أمر - [1]] البقرة و غير ذلك ؛ و جعل هذا التنبيه إيماء ، ثم أعقبه بما يفسره " يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء " - الآية ، و وعظهم[2] بحال غيرهم في هذا ، و أنهم سألوا فأعطوا ثم امتحنوا ، و قد كان التسليم أولى لهم ، فقال تعالى " قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين " ثم عرّف
٥ عباده أنهم إذا استقاموا فلن يضرهم خذلان غيرهم " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم " - انتهى .

و لما رغب سبحانه و رهب ، علم أنه المجازي وحده ، فأنتج ذلك أنه ليس إلى غيره إلا ما كلفه به ، فأنتج ذلك و لا بد قوله : ﴿ ما على الرسول ﴾ أي الذي من شأنه الإبلاغ ؛ ﴿ إلا البلاغ [4] ﴾ أي بأنه يحل لكم الطعام و غيره / ١٢٨
١٠ و يحرم عليكم الخمر و غيرها ، و ليس عليه أن يعلم ما تضمرون و ما تظهرون ليحاسبكم عليه[3] ﴿ و الله ﴾ أي المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿ يعلم ما تبدون ﴾ أي تجددون إبداءه على الاستمرار ﴿ و ما تكتمون ﴾ من إيمان و كفر و عصيان و طاعة و تعمد لقتل الصيد و غيره و محبة للخمر و غيرها و تعمق في الدين بتحريم الحلال من الطعام و الشراب و غيره إفراطا و تفريطا ،
١٥ لأنه الذي خلقكم و قدّر ذلك فيكم في أوقاته ؛ فيجازيكم على ما في نفس الأمر ؛ من عصى أخذه بشديد العقاب ، و من أطاعه منحه حسن الثواب ؛ و أما الرسول صلى الله عليه و سلم فلا يحكم إلا بما يعلمه مما تبدونه مما لم أكشف له الباطن و آمره فيه بأمري[4] ، و هذه أيضا ناظرة إلى قوله تعالى

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : وعظ (٣) سقط من ظ (٤) في ظ : بأمر .

" بلغ ما انزل اليك من ربك " :

و لما سلب سبحانه العلم عن كل أحد و أثبته لنفسه الشريفة، أنتج ذلك أنه[1] لا أمر لغيره و لا نهى ولا إثبات و لا نفى ، فأخذ سبحانه يبين حكمة ما مضى من الأوامر فى إحلال الطعام و غيره من الاصطياد و الأكل من الصيد و غيره و الزواجر عن الخمر و غيرها بأن الأشياء منها طيب و خبيث ، و أن الطيب و إن قل خير من الخبيث و إن كثر ، و لا يميز هذا من ذاك إلا[2] الخلاق العليم ، فربما ارتكب الإنسان طريقة شرعها لنفسه ظانًا أنها حسنة فجرته إلى السيئة و هو لا يشعر فيهلك ، كالرهبانية التى كانوا عزموا عليها و الخمر التى دعا شغفهم[3] بها إلى الإنزال فيها مرة بعد أخرى إلى أن أكد فيها هنا أشد تأكيد ، و حذر فيها أبلغ تحذير ، فقال تعالى صارفا الخطاب إلى أشرف الورى صلى الله عليه و سلم إشارة إلى أنه لا ينهض بمعرفة هذا من الخلق غيره : ﴿ قل لا يستوى الخبيث ﴾ أى من المطعومات و الطاعمين ﴿ و الطيب ﴾ أى كذلك ، فان ما يتوهمونه فى الكثرة من الفضل لا يوازى النقصان من جهة الخبيث .

و لما كان الخبيث من الذوات و المعانى أكثر فى الظاهر و أيسر قال : ﴿ و لو اعجبك كثرة الخبيث[4] ﴾ و الخبيث و الطيب منه جسمانى و منه روحانى ، و أخبثهما الروحانى و أخبثه الشرك ، و أطيب[4] الطيب الروحانى و أطيبه معرفة الله و طاعته ، و ما يكون للجسم من طيب أو خبث[5]

(١) فى ظ : لانه (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : شغفهم (٤) فى ظ : اطيبه (٥) من ظ ، و فى الأصل : خبيث .

ظاهرٌ لكل أحد ، فما خالطه نجاسة صار مستقذرا لأرباب الطباع السليمة ، و ما خالط الأرواحَ من الجهل صار مستقذرا عند الأرواح الكاملة المقدسة ، و ما خالطه من الأرواح معرفةُ الله فواظب على خدمته أشرق بأنوار المعارف الإلهية و ابتهج بالقرب من الأرواح المقدسة الطاهرة ، و كما أن الخبيث و الطيب[1] لا يستويان فى العالم الروحانى [كذلك لا يستويان فى العالم الجسمانى -[2]] ، و التفاوت بينهما فى العالم الروحانى أشد ، لأن مضرة خبث الجسمانى [3]قليلة ، و منفعة[3] طيبه يسيرة ، و أما خبث[4] الروحانى فمضرته عظيمة دائمة ، و طيب الروحانى منفعته جليلة [دائمة -[5]] ، و هى القرب من الله و الانخراط فى زمرة السعداء ، و أدلّ دليل على إرادة العصاة و المطيعين قوله : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين ما يسخط الملك الأعظم الذى له صفات الكمال من الحرام وقايةً من الحلال / لتكونوا[6] من قسم الطيب ، فانه لا مقرب إلى الله مثلُ الانتهاء عما حرم - / ١٢٩ / كما تقدم الإشارة بقوله " ثم اتقوا و احسنوا " و يزيد المعنى[7] وضوحا قولُه : ﴿ يآولى الالباب ﴾ أى العقول الخالصة من شوائب النفس فتؤثروا الطيب و إن قل فى الحس لكثرته فى المعنى على الخبيث و إن كثر فى الحس لنقصه فى المعنى ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أى لتكونوا على رجاء من أن تفوزوا بجميع المطالب ، و حينئذ ظهر كالشمس مناسبة[7] تعقيبها

(١) من ظ ، و فى الأصل : الطيب و الخبيث (٢) زيد كى تستقيم العبارة . (٣ - ٣) من ظ ، و فى الأصل : فى قلبه و منافعه (٤) من ظ ، و فى الأصل : خبيث (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : ليكونوا (٧) سقط من ظ .

بقوله على طريق الاستئناف و الاستئناج : ﴿ يٰأيها الذين آمنوا ﴾ أى أعطوا من أنفسهم[1] العهد على الإيمان الذى معناه قبول جميع ما جاء به مَنْ وقع به الإيمان ﴿ لا تسئلوا عن اشيآء ﴾ و ذلك لأنهم إذا كانوا على خطر فيما يسرعون و فيما به ينتفعون من المآكل و المشارب و غيرها من الأقوال و الأفعال فهم مثله فيما عنه يسألون سواء سألوا شرعه أو لا ، ٥ لأنه ربما أجابهم من لا يضره شيء إلى ما فيه ضررهم عما سألوه ، فانهم لا يحسنون[2] التفرقة بين الخبيث و الطيب كما فعل بأهل السبت حيث أبوا الجمعة[3] و سألوه ، فاشتد اعتناقها حينئذ بقوله " ان الله يحكم ما يريد " و بقوله " ما على الرسول الا البلٰغ " فكان كأنه قيل : فما بلغكم ياه فخذوه بقبول و حسن انقياد ، و ما لا فلا تسألوا عنه ، و سببُ نزولها ـ كما[4] فى الصحيحين ١٠ عن أنس رضى الله عنه ـ أنهم سألوا النبى صلى الله عليه و سلم حتى أحفوه[5] بالمسألة[6] ، فغضب فصعد المنبر فقال[4] : لا تسألونى اليوم عن شيء إلا بينته لكم ـ و شرع يكرر ذلك ، و إذ [جاء ـ[7]] رجل كان إذا لاحى[8] الرجال يدعى لغير أبيه فقال : يا رسول الله ! من أبى ؟ قال : [أبوك ـ[9]] حذافة ، ثم أنشأ عمر رضى الله عنه فقال : رضينا بالله ربا و بالإسلام دينا و بمحمد ١٥

(١) من ظ ، و فى الأصل : نفوسهم (٢) فى ظ : لا يحسبون (٣) فى ظ : بالجماعة.
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ و صحيح البخارى ـ كتاب الفتن و صحيح مسلم ـ الفضائل (٦) من الصحيحين ، و فى الأصل و ظ : المسألة (٧) زيد من ظ ، و فى الصحيحين : فأنشأ ـ مكان : و إذ جاء (٨) من الصحيحين ، و فى الأصل : لابى ، و فى ظ : لاح ـ كذا (٩) زيد من الصحيحين .

رسولا ، نعوذ بالله من [سوء - ١] الفتن . و فى آخره : فنزلت "يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم" و للبخارى فى التفسير عن أنس أيضا قال : خطب رسول الله صلى الله عليه و سلم خطبة ما سمعت مثلها قط ، قال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا ، فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم وجوههم ، لهم حنين ، فقال رجل : من أبى ؟ قال : فلان ، فنزلت " لا تسئلوا عن اشياء " - الآية . و للبخارى أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان قوم يسألون رسول الله صلى الله عليه و سلم استهزاء فيقول الرجل : من أبى ؟ و يقول الرجل تضل ناقته : أين ناقتى ؟ فأنزل الله فيهم هذه الآية "يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء" حتى فرغ من الآية كلها ، و لابن ماجه مختصرا و ٢للحافظ أبى٢ القاسم ابن عساكر فى الموافقات فيما أفاده المحب الطبرى ٣ فى مناقب العشرة و أبى يعلى فى مسنده مطولا عن أنس رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو غضبان و نحن نرى أن معه جبرئيل عليه السلام حتى صعد المنبر - و فى رواية : فخطب الناس - [فقال - ٤] : سلونى ! فوالله لا تسألونى عن شىء اليوم إلا أخبرتكم - و فى رواية : أنبأتكم به - فما رأيت يوما كان أكثر باكيا منه ، فقال رجل : يا رسول الله - و فى رواية : فقام إليه رجل فقال : يا رسول الله - إنا كنا

(١) زيد من الصحيحين (٢-٢) فى ظ : الحافظ و ابو (٣) هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبى بكر محب الدين الطبرى ، من مؤلفاته : الرياض النضرة فى فضائل العشرة (٤) زيد من ظ .

حديث عهد بجاهلية ، من أبي ؟ قال : أبوك حذافة - لأبيه / الذى كان / ١٣٠
يدعى له - و فى رواية : أبوك حذافة الذى تدعى له - فقام إليه آخر فقال :
يا رسول [الله - ١] ! أفى الجنة أنا أم فى النار ؟ ٢ فقال : فى النار ٢ ، فقام إليه
آخر فقال : يا رسول الله ! أعلينا الحج كل عام ؟ - و فى رواية : فى كل عام -
فقال : لو قلت : نعم ، لوجبت ، و لو وجبت لم تقوموا بها ، و لو لم تقوموا بها ٥
عذبتم ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : رضينا ٣ بالله ربا و بالإسلام
دينا و بمحمد صلى الله عليه و سلم نبيا - و فى رواية : رسولا - لا تفضحنا ٤
بسرائرنا - و فى رواية : فقام إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال :
يا رسول الله ! إنا كنا حديث عهد بجاهلية فلا تبد علينا سرائرنا ، ٥ أ تفضحنا ٥
بسرائرنا - اعف عنا عفا الله عنك ٦ ، فسرى عنه ، ثم التفت إلى الحائط ١٠
فذكر بمثل الجنة و النار ٧ . و للامام أحمد و مسلم و النسائى و الدارقطنى
و الطبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : ٢ خطب - و فى رواية ٢ :
خطبنا - رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : يا أيها الناس ! إن الله
[قد - ٨] فرض عليكم الحج حجوا ، فقال رجل - و فى رواية النسائى :
فقال الأقرع بن ٩ حابس التميمى - : أ ١٠ كل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى ١٥
قالها ثلاثا ، فقال : من السائل ؟ فقال : فلان ، فقال رسول الله صلى الله عليه
و سلم : و الذى نفسى بيده ! لو قلت : نعم ، لوجبت ، ١١ ثم إذا ١١ لا تسمعون
و لا تطيعون ، و لكن حجة واحدة - و فى رواية الدارقطنى و الطبرى :

---

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : رضيت (٤) فى ظ : فلا تفضحنا (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : تفضحنا (٦) فى ظ : عنه (٧) زيد بعده فى ظ : فيه (٨) زيد من ظ و سنن النسائى - المناسك ، و مسند الإمام أحمد ٢/٥٠٨ (٩) فى ظ « و » (١٠) سقط من ط (١١ - ١١) فى ظ : اذن

و لو وجبت ما أطقتموها ، و لو لم تطيقوها - و فى رواية الطبرى : و لو تركتموه - لكفرتم ، فأنزل الله تعالى " يايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم[1] " ثم قال : ذرونى ما تركتكم[2] ، فانما هلك من كان قبلكم بكثرة[3] سؤالهم و اختلافهم على أنبيائهم ، فاذا أمرتكم بشىء فأتوا[4] منه ما استطعتم ، و إذا نهيتكم عن شىء فدعوه - و [4]فى رواية[4] : فاجتنبوه . و هذا الحديث له ألفاظ كثيرة من طرق شتى استوفيتها فى كتابى « الاطلاع على حجة الوداع » و لا تعارض بين هذه الأخبار و لو تعذر ردها إلى شىء واحد لما تقدم عند قوله تعالى " لا تحرموا طيبت ما احل الله لكم " من أن الأمر الواحد قد تعدد أسبابه ، بل و كل ما ذكر من أسباب تلك و ما أشبهه كقوله تعالى " الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم و اقيموا الصلوة و اتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال " - الآية ، يصلح أن يكون سببا لهذه ، و روى الدارقطنى فى آخر الرضاع من سننه عن أبى ثعلبة الخشنى و فى آخر الصيد عن أبى الدرداء رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، و حرم حرمات فلا تنتهكوها ، و حد[1] حدودا فلا تعتدوها ، و سكت عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ؛ و قال أبو الدرداء : فلا تكلفوها[5] ، رحمة من ربكم فاقبلوها . و أخرج حديث أبى الدرداء أيضا[6] الطبرانى .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تركتم (٣) من المسند ، و فى الأصل و ظ : فايتوا - كذا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : فلا تتكلفوها . (٦) زيدت الواو بعده فى ظ .

و لما كان الإنسان[1] قاصرا عن[2] علم ما غاب، فكان زجره عن الكشف عما يسوءه زجرا[3] له عن كل ما يتوقع أن يسوءه، قال تعالى: ﴿ ان تبد ﴾ أى تظهر[4] ﴿ لكم ﴾ باظهار عالم الغيب لها ﴿ تسؤكم ج ﴾ و لما كان ربما وقع فى وهم متعنت أن هذا الزجر إنما هو لقصد راحة المسؤل عن السؤال[5] خوفا من عواقبه. قال: ﴿ و ان تسئلوا عنها ﴾ أى تلك الأشياء ٥ التى تتوقع[6] مساءتكم عند إبدائها ﴿ حين ينزل القرآن ﴾ أى / و الملك / ١٣١ حاضر ﴿ تبد لكم ﴾ و لما كان ربما قال: فما له لا يبديها سئل عنها أم لا ؟ قال: ﴿ عفا الله ﴾ بما له من الغنى المطلق و العظمة الباهرة و جميع صفات الكمال ﴿ عنها ﴾ أى سترها فلم يبدها لكم رحمة منه لكم و إراحة عما يسوءكم و يثقل عليكم فى دين أو دنيا؛ و لما كانت صفاته سبحانه أزلية، ١٠ لا تتوقف[7] لواحدة منها على غيرها، وضع الظاهر موضع المضمر لئلا يختص بما قبله فقال [8]نادبا من[8] وقع منه ذنب إلى التوبة: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له [9]مع صفة الكمال[9] صفة الإكرام ﴿ غفور ﴾ أزلا و أبدا يمحو الزلات عينا و أثرا و يعقبها بالإكرام على عادة الحكماء ﴿ حليم ٥ ﴾ أى لا يعجل على العاصى بالعقوبة. ١٥

و لما نهى عن السؤال عنها ليتعرف حالها، علل ذلك بأن غيرهم عرف أشياء و طلب أن يعطاها، إما بأن سأل غيره ذلك، و إما بأن شرعها

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: على (٣) فى ظ: زاجرا (٤) فى ظ: يظهر (٥) من ظ، و فى الأصل: السول (٦) من ظ، و فى الأصل: يتوقع (٧) فى ظ: لا توقف. (٨ - ٨) فى ظ: باديا قبل - كذا (٩ - ٩) فى ظ: موضع.

و سأل غيره أن يوافقه عليها و هو قاطع بأنها غاية فى الحسن فكانت سبب شقائه فقال : ﴿ قد سألها ﴾ يعنى أمثالها ، و لم يقل : سأل عنها ، إشارة إلى ما أبديته ﴿ قوم ﴾ أى [1] أولوا عزم و بأس و قيام فى الأمور .

و لما كان وجود القوم فضلا عن سؤالهم لم يستغرق زمان القبل ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ و لما كان الشىء إذا جاء عن مسألة جديرا [2] بالقبول لا سيما إذا كان من ملك فكيف إذا كان من ملك الملوك ، فكان رده فى غاية البعد ، [3] عبر عن استبعاده بأداة البعد [3] فى قوله : ﴿ ثم اصبحوا بها ﴾ أى عقب إتيانهم [4] إياها سواء من غير مهلة ﴿ كٰفرين ﴾ أى ثابتين فى الكفر ، و هذا زجر بليغ لأن يعودوا لمثل ما أرادوا من تحريم ما أحل لهم ميلا إلى الرهبانية و التعمق فى الدين المنهى عنه بقوله "لا تحرموا طيبٰت ما احل الله لكم" .

و لما فرغ من زجرهم عن أن يشرعوا لأنفسهم أو يسألوه عن أن يشرع لهم و أن يسألوا مَنْ رحمهم بابتدائهم بهذا الشرع عن شىء من الأشياء اعتمادا على أنه ما ابتدأ بذلك إلا و هو غير مخف عنهم شيئا [1] ينفعهم و لا [1] مبد لهم شيئا [1] يضرهم لأنه بكل شىء عليم - كما تقدم التنبيه على ذلك ، قال معللا [بختام - [5]] الآية التى قبلها : ﴿ ما جعل الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال فلا يشرع شيئا إلا و هو على [6] غاية الحكمة ، و أعرق [7]

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : جدير (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : انبيائهم - كذا (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : فى (٧) زيدت الواو بعده فى ظ .

فى

فى النفى بقوله : ﴿ من بحيرة ﴾ و أكد النفى بإعادة النافى فقال : ﴿ و لا سائبة و لا وصيلة و لا حام [١] ﴾ دالا بذلك على [أن -[٢]] الإنسان قد يقع فى شرعه لنفسه [٣]على الخبيث[٣] دون الطيب ، و ذلك لأن الكفار شرعوا لأنفسهم هذا و ظنوا أنه من محاسن الأعمال ، فاذا هو مما [٤]لا يحبه[٤] الله بل و مما يعذب عليه ، لكونه أوقعهم فيما كانوا معترفين بأنه أقبح القبائح و هو الكذب ، بل فى أقبح أنواعه و هو الكذب على ملك الملوك ، [ثم -[٢]] صار لهم دينا[٥] ، و صاروا أرسخ الناس فيه و هو عين الكفر ، و هم معترفون بأنه ما شرعه إلا عمرو بن لحى [٣]و هو[٣] أول من غير دين إبراهيم - كما رواه الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : إن عمرا أول من غير دين إسماعيل فنصب الأوثان و بحر البحيرة و سيب السوائب و وصل الوصيلة و حمى الحامى . و رواه عبد بن حميد فى مسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه / و فى آخره : و كان عمرو بن لحى أول من حمل العرب على عبادة الأصنام[٦] ، و رواه البخارى فى المناقب من صحيحه و مسلم فى صفة النار[٧] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه[٨] فى النار ، و كان أول من سيّب السوائب . قال ابن هشام فى السيرة : / ١٣٢

(١) زيد بعده فى ظ : الآية (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤ - ٤) فى ظ : يبعث (٥) من ظ ، و فى الأصل : دنيا (٦) فى ظ : الاوثان .
(٧) فى ظ : الكفار (٨) من صحيحى البخارى و مسلم - بمعنى الأمعاء ، و فى الأصل و ظ : قضيبه - كذا .

و البحيرة عندهم الناقة تشق أذنها فلا يركب ظهرها و لا يجزّ وبرها و لا يشرب لبنها إلا ضيف أو[1] يتصدق به و تهمل[2] لآلهتهم . و روى البخارى فى المناقب و مسلم فى صفة النار عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة التى يمنع درها للطواغيت و لا يحلبها أحد من الناس ، و السائبة التى كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شىء ، و كذا رواه البخارى أيضا فى التفسير و قال: و الوصيلة الناقة البكر تبكر فى أول نتاج الإبل ثم تثنى بعد بأنثى ، و كانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما[3] بالأخرى ليس بينهما ذكر . و قال البرهان السفاقسى[4] فى إعرابه : قال أبو عبيد[5] : و هى الناقة إذا نتجت خمسة أبطن ، فى الآخر[6] ذكر ، شقوا[7] أذنها و خلوا سبيلها لا تركب و لا تحلب - و قيل غير ذلك ، و قال أبو حيان فى النهر : قال ابن عباس: السائبة هى التى تسيب للأصنام أى تعتق ، و كان الرجل يسيب من ماله شيئا فيجىء به إلى [8]السدنة و هم[8] خدم آلهتهم فيطعمون من لبنها للسبيل ، و الوصيلة - قال ابن عباس - إنها الشاة تنتج سبعة أبطن ، فان كان السابع أنثى لم تنتفع[9] النساء منها بشىء إلا أن تموت فيأكلها الرجال و النساء ، و إن كان ذكرا[10] ذبحوه و أكلوه [جميعا -[11]] ،

---

(١) من السيرة . و فى الأصل و ظ « و » (٢) فى ظ : يهمك (٣) من صحيح البخارى ، و فى الأصل و ظ : احدهما - كذا (٤) هو إبراهيم بن محمد بن إبراهيم المالكى برهان الدين ، من مؤلفاته : إعراب القرآن (٥) و نسب هذا القول فى البحر المحيط ٤/٢٨ إلى أبى عبيدة (٦) فى البحر: آخرها (٧) من ظ و البحر ، و فى الأصل : شققوا (٨-٨) فى ظ : سرية وهى - كذا (٩) من النهر - راجع البحر المحيط ٤/٣٣ ، و فى الأصل و ظ : لم ينتفع (١٠) فى ظ : ذكر (١١) زيد من النهر .

وإن كان ذكرا وأنثى قالوا[1]: وصلت أخاها[2]، فتترك مع أخيها [فلا تذبح - [3]]، ومنافعها للرجال دون النساء، فإذا[4] ماتت اشترك[5] الرجال والنساء فيها. وقال ابن هشام[6]: والحامى الفحل إذا نتج له[7] عشر إناث[8] متتابعات ليس بينهن ذكر، حمى ظهره فلم يركب [ظهره - [9]] ولم يجزّ وبره وخلى فى إبله يضرب فيها لا ينتفع منه[7] بغير ذلك. ٥

وقال السفاقسى: قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم - واختاره أبو عبيدة والزجاج -: هو الفحل ينتج من صلبه[10] عشرة أبطن[7] فيقولون: [قد - [11]] حمى ظهره، فيسيبونه لأصنامهم فلا يحمل عليه شىء.

ولما كانوا قد حرموا هذه الأشياء، وكان التحريم والتحليل من خواص الإله، وكان لا إله إلا الله، كان حكمهم عليها بالحرمة نسبة لذلك ١٠ إلى الله سبحانه كذبا، فقال تعالى بعد أن نفى أن يكون جعل[7] شيئا من ذلك: ﴿ ولكن الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دل عليه[12] عقلهم من أن الله ما جعل هذا، لأنهم لا وصول لهم إليه سبحانه وعز شأنه، فلذلك قال: ﴿ يفترون ﴾ أى يتعمدون بجعل هذه الأشياء من تحريم وتحليل ﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ الكذب[1] ﴾ فيحرمون ما لم يحرمه[13] ١٥

(١) فى ظ: قال (٢) من ظ والنهر، وفى الأصل: اخا (٣) زيد من ظ والنهر. (٤) فى النهر: فمتى (٥) من ظ والنهر، وفى الأصل: اشتر - كذا (٦) ونسب ابن هشام هذا القول إلى ابن إسحاق (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: ناقة (٩) زيد من السيرة (١٠) من البحر ٤/٢٩ حيث سيق هذا القول، وفى الأصل وظ: صلبة (١١) زيد من ظ والبحر (١٢) من ظ، وفى الأصل: عليهم (١٣) زيد بعده فى ظ: الله.

و يحللون ما لم يحلله[1] ﴿ و اكثرهم ﴾ أى هؤلاء الذين جعلوا هذه الأشياء ﴿ لا يعقلون ﴾ أى لا يتجدد لهم عقل، و هم الذين ماتوا على كفرهم .

/١٣٣ [ثم - [2]] لما حرموا هذه الأشياء اضطروا إلى تحليل / الميتة فحرموا الطيب و أحلوا الخبيث، و لما اتخذوه دينا و اعتقدوه شرعا و مضى عليه أسلافهم، دعتهم الحظوظ و الأنفة من نسبة آبائهم إلى الضلال و الشهادة عليهم بالسفه إلى الإصرار عليه و عدم الرجوع عنه بعد انكشاف قباحته و بيان شناعته[3] حتى أفنى أكثرهم السيف و وطأتهم[4] الدواهى، فوطأت أكتافهم و ذللت[5] أعناقهم و أكنافهم، فقال تعالى دالا على ختام الآية التى قبله[6] من عدم عقلهم: ﴿ و اذا قيل لهم[7] ﴾ أى من أىّ قائل كان و لو أنه ربهم، بما ثبت من كلامهم[8] بالعجز عنه أنه كلامه[9] ﴿ تعالوا ﴾ أى ارفعوا أنفسكم عن هذا الحضيض السافل ﴿ الى ما انزل الله[7] ﴾ أى الذى لا أعظم منه، و قد ثبت أنه أنزله بعجزكم عنه ﴿ و الى الرسول ﴾ أى الذى من شأنه لكونه سبحانه أرسله أن يبلغكم[10] ما يحبه لكم و يرضاه ﴿ قالوا حسبنا ﴾ أى يكفينا ﴿ ما وجدنا عليه آباءنا[1] ﴾ .

و لما كانوا عالمين بأنه ليس فى[11] آبائهم عالم، و أنه من تأمل أدنى تأمل عرف أن الجاهل لا يهتدى إلى شىء، قال منكرا عليهم موبخا لهم[7] :

---

(١) فى ظ : لم يحرمه (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بشاعته (٤) فى ظ : وطنهم. (٥) فى ظ : ذلت (٦) من ظ، و فى الأصل : قبل (٧) سقط من ظ (٨) من ظ، و فى الأصل : كلامه (٩) فى ظ : كلامهم - كذا (١٠) فى ظ : يبلغه (١١) من ظ، و فى الأصل : من .

او لو

﴿ اولو ﴾ أى[1] يكفيهم ذلك [2]إذا قالوا ذلك[2] ولو ﴿ كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ﴾ أى من الأشياء حق علمه لكونهم لم يأخذوه عن الله بطريق من الطرق الواصلة[4] إليه ، و لما كان من لا يعلم قد يشعر بجهله فيتعلم فيهتدى فيصير أهلا للاقتداء به ، و قد لا يشعر لكونه جهله مركبا فلا يجوز الاقتداء به ، بين أنهم من أهل هذا القسم فقال : ﴿ و لا يهتدون ۝ ﴾ أى لا يطلبون الهداية فلا توجد هدايتهم إلى صواب ، لأن من لا يعلم لا[4] صواب له ، لأنه ليس للهدى آلة سوى العلم ، و أدل دليل على عدم هدايتهم أنهم ضيعوا الطيب من أموالهم فاضطرهم ذلك إلى أكل الخبيث من الميتة ، و أغضبوا بذلك خالقهم فدخلوا النار ، فلا أقبح مما يختاره لنفسه المطبوع على الكدر ، و لا أحسن مما يشرعه له رب البشر ، و هذه الآية ناظرة إلى قوله تعالى فى سورة النساء " ان يدعون من دونه الا اناثا و ان يدعون الا شيطانا مريدا - إلى قوله : و لآمرنهم فليبتكن آذان الانعام[5] " فالتفت حينئذ إلى قوله " رجس من عمل الشيطن " أىّ التفات .

و لما كان المانع لهم من قبول الهدى كون ذلك تسفيها لآبائهم ، فيعود ضررا عليهم يُسبّون[6] به على زعمهم ، أعلم الله المؤمنين أن مخالفة الغير فى قبول[7] الهدى لا تضرهم أصلا ، بأن عقب آية الإنكار عليهم فى التقيد بآبائهم لمتابعتهم لهم فى الكفر بقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أى عاهدوا ربهم و رسوله[8] على الإيمان ﴿ عليكم أنفسكم ۝ ﴾ أى الزموا هدايتها

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : الوصية (٤) فى ظ: الا (٥) آية ١١٩ (٦) فى ظ : يسنون (٧) فى ظ : مقابلة (٨) فى ظ : رسولهم .

و إصلاحها ؛ و لما كان كأنه قيل : إنا ننسب[1] بآبائنا و ننسب إليهم ، فربما ضرتنا[2] نسبتنا إليهم عند الله كما جوز أكثم بن الجون الخزاعى أن يضره شبه عمرو بن لحى به[3] حتى سأل النبى صلى الله عليه و سلم عن ذلك فقال : [4] لا ، إنك[4] مؤمن و هو كافر - كما فى أوائل السيرة[5] الهشامية[6] عن أبى هريرة رضى الله عنه ، وكان ذلك ربما وقف بأحد منهم عن الإسلام قال : ﴿ لا يضركم [7]من ضل[7] ﴾ [أى - [8]] من المخالفين بكفر أو غيره بنسبتكم إليه و لا بقول الكفار : إنكم سفهتم آباءكم ، و لا بغير ذلك من وجوه الضرر ، و حقق هدايتهم بشارة لهم بأداة التحقيق فقال مفهما لوجود الضرر عند فقد الهداية[9] : ﴿ اذا اهتديتم [9] ﴾ أى بالإقبال على ما أنزل الله و على الرسول [حتى - [8]] تصيروا علماء و تعملوا[10] بعلمكم فتخالفوا من ضل ، فان كان موجودا فبالاجتهاد فى أمره بالمعروف و نهيه عن المنكر بحسب الطاقة ، فان لم يستطع رده انتظر به يوم الجمع الأكبر و الهول الأعظم ، و إن كان مفقودا فبمخالفته فى ذلك الضلال و إن كان أقرب الأقرباء و أولى الأحباء ، و إلا كان الباقى[11] أسفه من الماضى ، و قد كان لعمرى أحدهم لا يتبع أباه[12] إذا كان سفيها فى أمر دنياه عاجزا عن

/ ١٣٤ /

(١) فى ظ : نسب (٢) فى ظ : ضربتنا (٣) سقط من ظ (٤-٤) فى ظ : لانك . (٥) من ظ ، و فى الأصل : السورة (٦) فى ظ : الهاشمية (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد من ظ (٩) زيد بعده فى ظ : فقال (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تعلموا (١١) زيد بعده فى ظ : فى (١٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها .

تحصيلها و لا يتحاشى عن مخالفته فى طريقته بل يعد الكدح فى تحصيلها و التعمق فى اقتناصها و حسن السعى فى تثميرها[1] و لطف الحيلة فى توسيعها من معالى الأخلاق و إصالة الرأى و جودة النظر على أن ذلك ظل زائل و عرض تافه ، فكيف لا يخالفه [2]فيما به[2] سعادته الأبدية و حياته الباقية و يأخذ بالحزم فى ذلك و يشمر ذيله فى أمره و يسهر ليله فى إعمال الفكر ٥ و ترتيب النظر فيما أمره الله بالنظر فيه حتى يظهر له الحق فيتبعه ، و ينهتك لديه الباطل فيجتنبه ، ما ذاك[3] إلا لمجرد الهوى ، و قد كان الحزم العمل[4] بالحكمة التى كشفها النبى صلى الله عليه و سلم بقوله فيما رواه أحمد و الترمذى و ابن ماجه عن شداد بن أوس رضى الله عنه « الكيس من دان نفسه و عمل لما بعد الموت ، و العاجز من أتبع نفسه هواها و تمنى على الله الأمانى[5] » ١٠ و روى مسلم و النسائى و ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : المؤمن القوى خير و أحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، و فى كل خير احرص على ما ينفعك ، و استعن بالله و لا تعجز ، و إن أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت كان كذا و كذا - و قال ابن ماجه : و لا تقل : لو أنى فعلت كذا و كذا - فان ' لو ' تفتح عمل ١٥ الشيطان ، و فى بعض طرق الحديث : و لكن قل : قدر الله و ما شاء فعل يعنى : و الله ! اعمل عمل الحزمة فأوسع النظر حتى لا تترك أمرا يحتمل[6] أن[5] ينفعك و لا يضرك إلا[7] أخذت به ، و لا تدع أمرا يحتمل أن يضرك

(١) فى ظ : غير - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : دل (٤) فى ظ : للعمل (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : يتحمل (٧) فى ظ : إذا .

ولا ينفعك إلا تجتنبه، فانك إن فعلت ذلك وغلبك القضاء والقدر لم تجد فى وسعك أمرا تقول[1]: لو أنى فعلته أو[2] تركته، ولكنك تقول: قدر الله وما شاء[3] فعل، بخلاف ما إذا لم تنعم[4] النظر وعملت عمل العجزة فانك حتما[5] تقول: لو أنى فعلت كذا وكذا، لأن الشيطان يفتح لك تلك الأبواب التى[6] نظر فيها الحازم، فيكثر لك من "لو" لأنها مفتاح عمله، وليس فى الآية ما يتعلق به من يتهاون[7] فى الأمر بالمعروف كما يفعله كثير من البطلة؛ روى أحمد فى المسند عن [أبى - [8]] عامر الأشعرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له فى أمر رآه: يا أبا عامر! ألا[9] غيرت؟ فتلا هذه الآية "يا أيها الذين آمنوا عليكم انفسكم [10]لا يضركم من ضل اذا اهتديتم[10]"، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أين ذهبتم؟ إنما هى لا يضركم من ضل من الكفار / اذا اهتديتم، ١٣٥ / وروى أحمد وأصحاب السنن الأربعة والحارث[11] وأحمد بن منيع وأبو يعلى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه قال: يا أيها الناس! إنكم[12] تقرؤن هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها[13]، وإنى[12] سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن الناس إذا رأوا منكرا[14] فلم يغيروه يوشك أن

(١) فى ظ: يقول (٢) فى ظ: ان (٣) زيد فى ظ: الله (٤) فى ظ: تمعن - وهو مرادف لما فى الأصل (٥) فى ظ: حيثما (٦) فى ظ: الذى (٧) فى ظ: تهاون. (٨) زيد من ظ والتهذيب، واسم أبى عامر عبد الله بن هانئ، وقيل: ابن وهب (٩) فى ظ: لا (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) هو ابن أبى أسامة محدث له مسند - راجع تذكرة الحفاظ ومعجم المؤلفين (١٢) فى ظ: انما (١٣) وفى رواية أحمد: ما وضعها الله. وفى رواية له: موضعها (١٤) فى ظ: منكر.

يعمهم [1]الله بعقابه[1]. قال البغوى: و فى رواية: لتأمرن بالمعروف و لتنهون[2] عن المنكر أو ليستعملن[3] الله عليكم شراركم فليسومونكم[4] سوء العذاب، ثم ليدعون الله خياركم فلا يستجاب لكم - و الله الموفق.

و لما حكم [الله -[5]] تعالى - و هو الحكم العدل - أنه لا ضرر عليهم من غيرهم بشرط هداهم، و كان الكفار يعيرونهم[6]، قال مؤكدا لما أخبر به ٥ و مقررا[7] لمعناه: ﴿ الى الله ﴾ أى[8] الملك الأعظم الذى لا شريك له، لا إلى غيره ﴿ مرجعكم ﴾ أى[8] أنتم و من يعيركم[9] و يهددكم و غيرهم من جميع الخلائق ﴿ جميعا فينبئكم ﴾ أى يخبركم إخبارا عظيما مستوفى مستقصى ﴿ بما كنتم تعملون ٥ ﴾ أى تعمدا جبلة و طبعا، و يجازى كل أحد [10]بما عمل[10] على حسب ما عمل، و لا يؤاخذ أحدا بما عمل غيره و لا بما أخطأ ١٠ فيه أو تاب منه، و ليس المرجع و لا شىء منه إلى الكفار و لا معبوداتهم و لا غيرهم حتى تخشوا شيئا من غائلتهم[11] فى شىء من الضرر.

و لما خاطب سبحانه أهل ذلك الزمان بأنه نصب المصالح العامة كالبيت الحرام و الشهر الحرام، و أشار بآية البحيرة و ما بعدها إلى أن أسلافهم لا وفروا عليهم مالهم و لا نصحوا لهم فى دينهم، و ختم ذلك ١٥ بقهره للعباد بالموت و كشف الأسرار يوم العرض بالحساب على النقير و القطمير و الجليل و الحقير؛ عقب ذلك بآية الوصية إرشادا منه سبحانه

(١-١) فى ظ: بعذابه (٢) من ظ، و فى الأصل: لتنهن (٣) فى ظ: لتستعملن. (٤) فى ظ: فيسومونكم (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: يغيرونهم (٧) فى ظ: مقررا (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ: يغيركم (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) فى ظ: قائلتهم.

إلى ما يكشف سريرة[1] مَنْ خان فيها علما منه سبحانه أن الوفاء فى مثل ذلك يقل و حثا لهم على أن يفعلوا ما أمر سبحانه به[2] لينصحوا لمن خلفوه بتوفير المال و يقتدى بهم فيما ختم به الآية من التقوى و السماع و البعد من الفسق و النزاع، فقال تعالى مناديا لهم بما عقدوا به العهد بينهم و بينه من الإقرار بالإيمان: ﴿ يَآيها الذين آمنوا ﴾ أى أخبروا عن أنفسهم بذلك ﴿ شهادة بينكم ﴾[3] هو كناية عن التنازع و التشاجر لأن الشهود إنما يحتاج[4] إليهم[5] عند ذلك، و سبب نزول الآية قد ذكره المفسرون و ذكره الشافعى فى الأم فقال: أخبرنى أبو سعيد[6] معاذ بن موسى الجعفرى عن [بكير -[7]] بن معروف عن مقاتل [بن حيان -[7]] قال[8]: أخذت هذا [التفسير -[9]] عن مجاهد و الحسن و الضحاك[10] أن رجلين نصرانيين من أهل دارين أحدهما تميمى و الآخر يمانى، صحبهما[11] مولى لقريش فى تجارة فركبوا البحر، و مع القرشى مال معلوم[12] قد علمه أولياؤه من بين آنية[13] و بز [و رِقَةٍ -[9]] فمرض القرشى فجعل وصيته إلى الدارين

(١) فى ظ: ستره (٢) سقط من ظ (٣) زيد فى ظ: اى (٤) فى ظ: نحتاج.
(٥) من ظ، وفى الأصل: الفهم (٦) من تفسير الطبرى ١١/١٩١ و سنن البيهقى ١٠/١٦٥ حيث سيقت هذه الرواية، وفى الأصل وظ: أبو سعد، وترجم له فى تعجيل المنفعة فقط و لم يصرح بكنيته ولا نسبته (٧) زيد من ظ والطبرى و السنن (٨) زيد فى الطبرى و السنن: بكير قال مقاتل (٩) زيد من الطبرى والسنن (١٠) زيد فى الطبرى والسنن: فى قول الله "اثنان ذوا عدل منكم".
(١١) من ظ و السنن، وفى الأصل: صحبها، و فى الطبرى: صاحبهما (١٢) ومن هنا أحال البيهقى لفظ هذه الرواية على التى قبلها من طريق إسماعيل بن قتيبة عن أبى خالد يزيد بن صالح عن بكير بن معروف عن مقاتل بن حيان (١٣) فى ظ: ابية - كذا.

فمات ، و قبض الداريان المال[1] فدفعاه[2] إلى أولياء الميت[3] ، فأنكر القوم قلة المال فقالوا للداريين : إن صاحبنا قد خرج معه[4] بمال[5] أكثر مما أتيتمونا به ، فهل باع شيئاً أو اشترى شيئا فوضع فيه ؟ أو هل طال مرضه فأنفق على نفسه ؟ قالا[6] : لا ، قالوا : "فانكما ختمانا[7] ، فقبضوا / المال ، / ١٣٦
و رفعوا أمرهما إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم . فأنزل الله عز وجل ٥
" يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم " فلما نزلت[8] أمر النبي صلى الله عليه و سلم ، فقاما بعد الصلاة ، فحلفا بالله رب السماوات : ما ترك مولاكم[9] من المال إلا ما[10] أتيناكم به ، فلما حلفا خلى سبيلهما ، ثم إنهم وجدوا بعد ذلك إناء من آنية الميت فأخذوا الداريين فقالا : اشتريناه منه فى حياته ، فكُذِّبا وكُلِّفا البينة فلم يقدرا عليها ، فرفعوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ١٠
فأنزل الله عز و جل " فان عثر " - يعنى إلى آخرها ؛ ثم ذكر وقت الشهادة و سببها فقال : ﴿ اذا حضر ﴾ و قدم المفعول تهويلا[11] - كما ذكر فى النساء - لأن الآية نزلت لحفظ ماله فكان أهم ، فقال : ﴿ احدكم الموت ﴾ أى أخذته أسبابه الموجبة لظنه .

---

(١) زيد فى الطبرى : و الوصية (٢) من ظ و الطبرى و السنن ؛ و فى الأصل : فدفعوه (٣) زيد فى الطبرى و السنن : و جاءا ببعض ماله (٤) سقط من ظ .
(٥) من الطبرى و السنن ، و فى الأصل : مال ، و فى ظ : بماله (٦) فى ظ : قالوا .
(٧-٧) من الطبرى ، و فى الأصل : فانكم ختمانا ، و فى ظ : فانكم ختمونا ، و فى السنن : انكما قد ختما لنا (٨) زيد فى الطبرى و السنن : ان يحبسا من بعد الصلاة .
(٩) من ظ و الطبرى و السنن ، و فى الأصل : مولى (١٠) فى ظ : بما (١١) فى ظ : تهولا .

و لما كان الإيصاء إذ ذاك أمرا متعارفا، عرف فقال معلقا بشهادة كما علق به "اذا" أو مبدلا من "اذا" لأن الزمنين[1] واحد: ﴿حين الوصية﴾ [أى ـ[2]] إن أوصى، ثم أخبر عن المبتدأ فقال: ﴿اثنـن﴾ أى شهادة بينكم فى ذلك الحين شهادة اثنين ﴿ذوا عدل منكم﴾ أى من قبيلتكم العارفين بأحوالكم ﴿او اخرٰن﴾ أى ذوا عدل ﴿من غيركم﴾ أى إن لم تجدوا قريبين يضبطان أمر الوصية من كل ما للوصى و عليه، و قيل: بل هما الوصيان أنفسهما احتياطا بجعل الوصى اثنين، و قيل: آخران من غير أهل دينكم، و هو خاص بهذا الأمر الواقع فى السفر للضرورة لا فى غيره و لا فى غير السفر؛ ثم شرط هذه الشهادة بقوله[3]: ﴿ان انتم ضربتم﴾ أى بالأرجل ﴿فى الارض﴾ أى بالسفر، كأن الضرب بالأرجل لا يسمى ضربا إلا فيه لأنه موضع الجد و الاجتهاد ﴿فاصابتكم﴾ و أشار إلى أن الإنسان هدف لسهام الحدثان بتخصيصه بقوله: ﴿مصيبة الموت[4]﴾ أى أصابت الموصى المصيبةُ التى لا مفرّ[4] منها و لا مندوحة عنها.

و لما كان قد استشعر من التفصيل فى أمر الشهود[5] مخالفة لبقية الشهادات، فكان فى معرض السؤال عن الشهود: ما ذا يفعل بهم؟ قال مستأنفا: ﴿تحبسونهما﴾ أى تدعونهما إليكم و تمنعونهما من التصرف لأنفسهما لإقامة ما تحملاه من هذه الواقعة و أدائه؛ و لما كان المراد إقامة اليمين

(١) فى ظ: الذميين (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: لا مفرعا.
(٥) من ظ، و فى الأصل: الشهودة.

و لو

و لو فى أيسر زمن ، لا استغراق زمن البعد بالحبس ، أدخل الجار فقال : ﴿ من بعد الصلوٰة ﴾ أى التى هى أعظم الصلوات ؛ فكانت بحيث إذا أطلقت معرفة انصرفت إليها و هى الوسطى و هى العصر ، ثم ذكر الغرض من حبسهما فقال : ﴿ فيقسمن بالله ﴾ أى الملك الذى له تمام القدرة و كمال العلم ، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن اليمين إنما تكون[1] إذا كانا من غيرنا ، فان كانا مسلمين فلا يمين ، و عن غيره : إن كان الشاهدان على حقيقتهما فقد نسخ تحليفهما ، و إن كان الوصيين فلا ؛ / ثم شرط لهذا الحلف شرطا فقال اعتراضا بين القسم و المقسم عليه : ﴿ ان ارتبتم ﴾ أى وقع بكم شك فيما أخبرا به عن الواقعة ؛ ثم ذكر المقسم عليه [بقوله -[2]] : ﴿ لا نشترى بـه ﴾ أى هذا الذى ذكرناه ﴿ ثمنا ﴾ أى لم نذكره ليحصل لنا به[3] عرض دنيوى و إن كان فى نهاية الجلالة ، و ليس قصدنا به[3] إلا إقامة الحق ﴿ و لو كان ﴾ أى الوصى الذى أقسمنا لأجله تبرئة له ﴿ ذا قربى[4] ﴾ أى لنا ، أى إن هذا[3] الذى فعلناه من التحرى عادتنا التى أطعنا فيها " كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله " - الآية ، لا أنه فعلنا فى هذه الواقعة فقط ﴿ و لا نكتم شهادة الله ﴾ أى هذا الذى ذكرناه[4] لم نبدل فيه لما[3] أمر الله [به -[3]] من حفظ الشهادة و تعظيمها ، و لم نكتم شيئا وقع به الإشهاد ، و لا نكتم فيما يستقبل شيئا نشهد به لأجل الملك الأعظم المطلع على السرائر كما هو مطلع على الظواهر ؛ ثم علل ذلك بما لقنهم إياه ليكون آخر كلامهم ، كل ذلك تغليظا[5] و تنبيها

/ ١٣٧

(١) فى ظ : يكون (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : ذكرنا (٥) فى ظ : تعظيما .

على أن ذلك ليس كغيره من الأيمان ، فقال تذكيرا لهم و تحذيرا من التغيير : ﴿ انا اذاً ﴾ أى إذا فعلنا شيئا من التبديل أو الكتم ﴿ لمن الأثمين ﴾ فان ﴾ و لما كان المراد مجرد الاطلاع بنى للمفعول قوله : ﴿ عثر ﴾ أى اطلع مطلع بقصد أو بغير قصد ؛ قال البغوى : و أصله الوقوع على الشىء أى من عثرة الرجل ﴿ علىٓ انهما ﴾ أى الشاهدين إن أريد بهما الحقيقة أو الوصيين[1] ﴿ استحقآ اثما ﴾ أى بسبب شىء خانا فيه من أمر الشهادة ﴿ فاخرٰن ﴾ أى من الرجال الأقرباء للميت ﴿ يقومٰن مقامهما ﴾ أى ليفعلا حيث اشتدت الريبة من الإقسام عند مطلق الريبة ما فعلا ﴿ من الذين استحق ﴾ أى طلب وقوع الحق بشهادة من شهد ﴿ عليهم ﴾ هذا [2]على قراءة الجماعة ، و[2] على قراءة حفص بالبناء للفاعل ، المعنى[3] : وجد وقوع الحق عليهم ، و هم أهل الميت و عشيرته .

و لما كان كأنه قيل : ما منزلة هذين الآخرين من الميت ؟ فقيل[4] : هما ﴿ الاولٰين ﴾ أى الأحقان بالشهادة الأقربان إليه العارفان بتواطن أمره ، و على قراءة أبى بكر و حمزة بالجمع ، كأنه قيل : هما من الأولين أى فى الذكر و هم أهل الميت ، فهو نعت للذين استحق ﴿ فيقسمٰن ﴾ أى هذان الآخران ﴿ بالله ﴾ أى [الملك - ٥] الذى لا يقسم إلا به لما له من كمال العلم و شمول القدرة ﴿ لشهادتنا ﴾ أى بما يخالف شهادة الحاضرين للواقعة ﴿ احق من شهادتهما ﴾ أى أثبت ، فان تلك إنما ثباتها فى الظاهر ، و شهادتنا ثابتة فى نفس الأمر و ساعدها الظاهر بما عثر عليه من الريبة

(١) من ظ ، و فى الأصل : الوصية . (٢-٢) تكرر فى الأصل (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : فقال (٥) زيد من ظ .

﴿ و ما اعتدينآ ﴾ أى تعمدنا فى يميننا مجاوزةَ الحق ﴿ انآ اذاً ﴾ أى إذا وقع منا اعتداء ﴿ لمن الظلمين ﴾ أى الواضعين الشىء[1] فى غير موضعه كمن يمشى فى الظلام، و هذا إشارة إلى أنهم على بصيرة و نور مما شهدوا به، و ذلك أنه لما وجد الإناء الذى فقده[2] أهل الميت و حلف الداريان بسببه أنهما ما خانا طالبوهما، فقالا: كنا اشتريناه منه، فقالوا: ٥ ألم نقل لكما: هل باع صاحبنا شيئا؟ فقلتما: لا، / فقالا: لم يكن / ١٣٨ عندنا بينة فكرهنا أن نقر [لكم-[3]]، فرفعوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأمر فقام اثنان من أقارب الميت فحلفا على الإناء، فدفعه النبى صلى الله عليه و سلم إليهما، لأن الوصيين ادعيا على الميت البيع فصار اليمين فى جانب الورثة لأنهم أنكروا، و سمى أيمان الفريقين شهادة كما ١٠ سميت أيمان المتلاعنين شهادة - نبه على ذلك الشافعى، و كان [ذلك-[3]] لما[4] فى البابين من مزيد التأكيد.

١ و لما تم هذا [على هذا-[3]] الوجه الغريب، بين[5] سبحانه سرّه فقال: ﴿ذلك﴾ أى الأمر المحكم المرتب هذا[6] الترتيب بالأيمان و غيرها ﴿ادنىٓ﴾ أى أقرب ﴿ ان ﴾ أى إلى أن ﴿ ياتوا ﴾ أى الذين شهدوا أولا ١٥ ﴿ بالشهادة ﴾ أى الواقعة فى نفس الأمر ﴿ على وجهها ﴾ من غير أدنى ميل بسبب أن يخافوا من الحنث عند الله بعد هذا التغليظ ﴿ او يخافوٓا ﴾ إن لم يمنعهم الخوف من الله ﴿ ان ترد ﴾ أى تثنى و تعاد

(١) فى ظ: للشىء (٢) من ظ، و فى الأصل: فقد (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: كما (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: على.

﴿ ايمان ﴾ أى من الورثة ﴿ بعد ايمانهم[1] ﴾ للعثور على ريبة فيصيروا بافتضاحهم مثلا للناس ، قال الشافعى : و ليس فى[1] هذا رد اليمين ، فما كانت يمين الداريين على ما ادعى الورثة من الخيانة ، و يمين ورثة الميت على ما[1] ادعى الداريان مما وجد فى أيديهما و أقرا أنه مال الميت و أنه صار لهما من قِبَله ، فلم تقبل دعواهما بلا بينة ، فأُحلف وارثاه ، قال : و إذا كان هذا كما وصفت فليست الآية ناسخة و لامنسوخة لأمر الله باشهاد ذوى عدل و من نرضى[2] من الشهداء ، هذا ما اقتضى إيلاؤها لما قبلها ، و قد نزعها إلى مجموع هذه السورة مَنازِع منها ما تقدم من ذكر القتل الذى هو من أنواع الموت عند قصة بنى آدم و ما بعدها ، ثم تعقيب ذلك بالجهاد الذى هو من أسباب الموت ، و قوله تعالى " و كتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس " - الآية ، ثم ذكره[3] أيضا فى قوله تعالى " يجاهدون فى سبيل الله و لا يخافون لومة لائم " و قد جرت السنة الإلهية بذكر الوصية عقب مثل ذلك فى البقرة ، و لم يذكر عقب واحدةٍ من الآيات المذكورة لزيادتها على آية البقرة بمنازع منها الحلف ، فناسب كونها بعد آية الأيمان ، و منها تغليظ الحلف و الخروج به عما يشاكله من القسم على المال بكونه فى زمان مخصوص بعد عبادة مخصوصة ، فناسب ذكرها بعد تغليظ أمر الصيد فى حال مخصوص[4] و هو الإحرام و الخروج به عن أشكاله من الأحوال و بعد تغليظ جزائه و الخروج به عن أشكاله من الكفارات و تغليظ أمر المكان المخصوص و هو الكعبة و الخروج

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يرضى (٣) فى ظ : ذكر (٤) فى ظ : مخصوصة .

بها

بها عن أشكالها من البيوت ، وكذا تغليظ الزمان المخصوص و هو الشهر الحرام و الخروج به عن أشكاله من الأزمنة ، وكل ذلك لقيام أمر الناس و إصلاح أحوالهم ، و هكذا آية الوصية و ما خرج من أحكامها عن أشكاله كله[1] لقيام الأمور / على السداد و إصلاح المعاش و المعاد ، و هى ١٣٩ / ملتفتة إلى أول السورة إذ هى من أعظم العهود ، و الوفاءُ بها من أصعب ٥ الوفاء ، و[1] إلى قوله تعالى "و تعاونوا على البر و التقوى" و إلى قولُه تعالى[1] "كونوا قوّمين لله شهداء بالقسط" انظر إلى ختمها بقوله "ان[2] الله خبير بما تعملون" و إلى كون[3] هذه فى سياق الإعلام بأن الله عالم بالخفيات ، و قوله - عطفا على ما تقديره : فالزموا ما أمرتكم به و أرشدتكم إليه تفلحوا : ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى ذا[4] الجلال "و الإكرام" إلى آخرها - ملتفت إلى ١٠ قوله "و ميثاقه الذى واثقكم به" - الآية ، أى خافوا الله[1] خوفا عظيما يحملكم على أن تجعلوا بينكم و بين سخطه وقاية لئلا تحلفوا كاذبين أو تخونوا أدنى خيانة ﴿ و اسمعوا[5] ﴾ أى الموعظة[6] سمع إجابة و قبول [7]ذاكرين لقولكم[7] "سمعنا و اطعنا" فان الله يهدى المتمسكين بالميثاق ﴿ و الله ﴾ أى الذى له [الكمال كله و - [8]] تمام الحكمة و كمال العزة و السطوة ١٥ ﴿ لا يهدى القوم ﴾ أى لا يخلق[9] الهداية فى قلوب الذين لهم قدرة على

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و القرآن الكريم سورة ٥ آية ٨ ، و فى الأصل « و » (٣) من ظ ، و فى الأصل : كونه (٤) فى ظ : ذى (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : المواعظ (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : ذاكر لقوله. (٨) زيد من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : لا يخلفوا .

ما يحاولونه ﴿ الفسقين ﴾ أى الذين هم خارجون، أى من عادتهم ذلك على وجه الرسوخ، فهم أبدا غير متقيدين بقيد ولا منضبطين بدائرة عقد ولا عهد .

ولما كان فيها إقامة الشهود و[1] حبسهم عن مقاصدهم حتى يفرغوا من هذه الواقعة المبحوث فيها عن خفايا متعلقة بالموت والتغليظ بالتحليف بعد صلاة العصر ، وكانت ساعة يجتمع فيها الناس وفريقا الملائكة المتعاقبين فينا ليلا ونهارا [مع -[2]] أنها ساعة الأصيل المؤذنة[3] بهجوم الليل وتقوّض النهار حتى كأنه لم يكن ورجوع الناس إلى منازلهم وتركهم لمعايشهم ، وكانت عادته سبحانه بأنه يذكر أنواعا من الشرائع والتكاليف ، ثم يتبعها إما بالإلهيات وإما بشرح أحوال الأنبياء وإما بشرح أحوال القيامة ، ليصير ذلك[4] مؤكدا لما تقدم من التكاليف ، ولا ينتقل من فن إلى آخر إلا بغاية الإحكام فى الربط ، عقبها تعالى بقوله : ﴿ يوم يجمع الله[5] ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ الرسل ﴾ أى الذين أرسلهم إلى عباده بأوامره ونواهيه إشارة إلى تذكر انصرام هذه الدار وسرعة هجوم ذلك بمشاهدة هذه الأحوال المؤذنة به وبأنه يومٌ يقوم فيه الأشهاد ، ويجتمع فيه العباد ، ويفتضح فيه[4] أهل الفساد - إلى غير ذلك من الإشارات لأرباب البصائر والقلوب ، والظاهر أن " يوم " ظرف للمضاف المحذوف الدال عليه الكلام ، فان من المعلوم أنك إذا قلت : خف من

(١) من ظ ، وفى الأصل : او (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : المودية (٤) سقط من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل : الرسل ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

فلان ، فان[1] المعنى : خَفْ من عقابه و نحو ذلك ، فيكون المراد هنا : و اتقوا غضب الله الواقع فى ذلك اليوم ، أى اجعلوا بينكم و بين سطواته فى ذلك اليوم وقايةً ، أو يكون المعنى : اذكروا / هذه الواقعة و هذا الوقت الذى يجمع فيه الشهود و يحبس المعترف و الجحود يوم الجمع الأكبر بين يدى الله تعالى[1] ليسألهم عن العباد و يسأل العباد عنهم ٥ ﴿ فيقول ﴾ أى للرسل تشريعا لهم و بيانا لفضلهم و تشريفا للمحق من أممهم و تبكيتا للمبطل و توبيخا للمُفْرط منهم و المفرّط . / ١٤٠

و لما كان مما لا يخفى أصلا أنهم أجيبوا ، و لا يقع فيه نزاع و لا يتعلق بالسؤال عنه غرض ، تجاوز السؤال إلى الاستفهام من نوع الإجابة فقال : ﴿ ما ذآ اجبتم[1] ﴾ أى أىّ إجابة أجابكم من أرسلتم[2] إليهم ؟ إجابة طاعة ١٠ أو[3] إجابة معصية .

و لما كان المقصود من قولهم بيان الناجى من غيره ، و كانت الشهادة فى تلك الدار لا تنفع إلا فيما وافق فيه الإضمارُ[4] الإظهارَ ، فكانت شهادتهم لا تنفع المشهود له بحسن الإجابة إلا أن يطابق[5] ما قاله بلسانه اعتقادَه بقلبه ﴿ قالوا ﴾ نافين لعلمهم أصلا و رأسا إذا كان موقوفا ١٥ على شرط هو من[6] علم ما غاب و لا علم لهم به ﴿ لا علم لنا[1] ﴾ أى على الحقيقة لأنا لا نعلم إلا ما شهدناه ، و ما غاب عنا أكثر ، و إذا كان الغائب قد يكون مخالفا للمشهود ، فما شهد [ليس -[7]] بعلم ، لأنه غير مطابق

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : ارسلتكم (٣) فى ظ « و » (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) فى ظ : طابق (٦) من ظ ، و فى الأصل : فى (٧) زيد من ظ .

للواقع ، و لهذا عللوا بقولهم : ﴿انك انت﴾ أي وحدك ﴿علام الغيوب ٥﴾ أي كلها ، تعلمها علما تاما فكيف بما[1] غاب عنا من أحوال قومنا ! فكيف بالشهادة ! فكيف بما شهدنا من ذلك ! و هذا في موضع قولهم : [2]أنت أعلم[2] ، لكن هذا أحسن أدبا ، فانهم محوا أنفسهم من ديوان العلم بالكلية ، لأن كل علم يتلاشى إذا نسب إلى علمه و يضمحل مهما[3] قرن بصفته أو اسمه .

و لما كان سؤاله سبحانه للرسل [2]عن الإجابة متضمنا لتبكيت المبطلين و توبيخهم ، و كان أشد الأمم افتقارا[2] إلى التو بيخ أهل الكتاب ، لأن تمردهم تعدى[4] إلى رتبة الجلال بما وصفوه سبحانه به[5] من اتخاذ الصاحبة و الولد ، و من ادعاء[6] الإلهية لعيسى عليه السلام لما أظهر من الخوارق التي دعا[7] بها إلى الله مع اقترانها بما يدل على عبوديته و رسالته لئلا يهتضم حقه أو يُغلى[8] فيه ، مع مشاركتهم لغيرهم في أذى الرسل عليهم السلام بالتكذيب و غيره ، و كان في الآية السالفة ذكر الآباء و ما آثروا للأبناء[9] ، ذكر أمر عيسى عليه السلام بقوله مبدلا من قوله " يوم يجمع [الله -[10]] " معبرا بالماضي تذكيرا بما[11] لذلك اليوم من تحتم[12] الوقوع ، و تصويرا لعظيم تحققه ، و تنبيها على أنه لقوة قربه كأنه

(١) في ظ : مما (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) في الأصل : منهما ، و في ظ : منها (٤) في ظ : توديه - كذا (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : ادعى .
(٧) في ظ : دعوا (٨) في ظ : يعلى (٩) في ظ : للانبياء (١٠) زيد من ظ و القرآن الكريم (١١) من ظ ، و في الأصل : لما (١٢) في ظ : تحتم .

قد وقع و مضى: ﴿ اذ قال الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿ يٰعيسى ﴾ ثم بينه بما هو الحق من نسبه فقال[1]: ﴿ ابن مريم ﴾ .

و لما كان ذلك يوم الجمع الأكبر و الإحاطة بجميع الخلائق و أحوالهم فى[2] حركاتهم و سكناتهم ، و كان الحمد هو الإحاطة بأوصاف الكمال ، / أمره بذكر حمده سبحانه على نعمته عنده فقال : ﴿ اذكر نعمتى عليك ﴾ ٥ / ١٤١ أى فى خاصة نفسك ، و ذكر ما يدل للعاقل على أنه عبد مربوب فقال : ﴿ و على والدتك[3] ﴾ إلى آخره مشيرا إلى أنه أوجده من غير أب فأراحه مما يجب للآباء من الحقوق و ما[3] يورثون أبناءهم من اقتداء أو اهتداء و إقامة بحقوق أمه ، فأقدره - و هو فى المهد - على الشهادة لها بالبراءة و الحصانة و العفاف[4] ، وكل نعمة أنعمها سبحانه عليه صلى الله عليه و سلم ١٠ فهى نعمة على أمه دينا و دنيا .

و لما ذكّر سبحانه هذه الأمة المدعوة من العرب و أهل الكتاب و غيرهم بنعمه عليهم فى أول السورة بقوله "اذكروا نعمة الله عليكم و ميثاقه[5]"، "و اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم[6]"، وكانت هذه الآيات من عند "لا تحرموا طيبت ما احل الله لكم" كلها فى النعم ، أخبرهم ١٥ أنه يذكّر عيسى عليه السلام بنعمه فى يوم الجمع إشارة إلى أنهم إن لم يذكروا نعمه فى هذه الدار دار العمل بالشكر ، ذكروها حين يذكّرهم بها فى ذلك اليوم قسرا[7] بالكفر ، و[8] يا لها[8] فضيحةً فى ذلك الجمع

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) فى ظ : مما (٤) فى ظ : العفافة (٥) آية ٧ (٦) آية ١١ (٧) فى ظ : قرا - كذا (٨ - ٨) فى ظ : بانها .

الأكبر و الموقف الأهول ! و ليتبصّر أهل الكتاب فيرجعوا عن كفرهم[١] بعيسى عليه السلام : اليهودُ بالتقصير فى أمره ، و النصارى بالغلو فى شأنه و قدره .

و لما كان أعظم الأمور التنزيه ، بدأ به كما فعل بنفسه الشريفة فى كلمة الدخول إلى الإسلام ، و لما كان أعظم ذلك تنزيهه أمّه عليها السلام و تصحيح ما خرق لها من العادة فى ولادته ، وكان أحكم ما يكون ذلك بتقوية روحه حتى يكون كلامه طفلا ككلامه كهلا ، قدمه فقال معلقا باذكر قارنا بكل نعمة ما يدل على عبوديته و رسالته ، ليخزى من غلا [فى أمره - ٢] أو قصّر فى وصفه و قدره[٣] : ﴿ اذ ايدتك ﴾ أى قويتك تقوية عظيمة ﴿ بروح القدس قف ﴾ أى الطهر الذى يحيي القلوب و يطهرها من أوضار الآثام ، و منه جبرئيل عليه السلام ، فكان[٤] له منه[٥] فى الصغر حظ لم يكن لغيره ؛ قال الحرالى : و هو يد بسط لروح الله فى القلوب بما يحييها الله به من روح أمره إرجاعا إليه فى هذه الدار قبل إرجاع روح الحياة بيد القبض من عزرائيل عليه السلام ، [ثم - ٢] استأنف تفسير[٥] هذا التأييد فقال : ﴿ تكلم الناس ﴾ أى من أردت من عاليهم و سافلهم ﴿ فى المهد ﴾ أى[٥] بما[٦] برأ الله به أمك[٧] و أظهر به كرامتك و فضلك .

و لما ذكر هذا الفضل العظيم ، أتبعه خارقا آخر ، و هو إحياؤه

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : كفر (٢) زيد من ظ (٣) من ظ . و فى الأصل : قدرته (٤) فى ظ : و كان (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : عما (٧) من ظ ، و فى الأصل : امه .

نفسه و حفظه جسده أكثر من ألف سنة لم يدركه الهرم ، فانه رفع شابا و ينزل على ما رفع عليه و يبقى حتى يصير كهلا ، و تسويغ كلامه فى المهد بكلامه فى حال[1] بلوغ الأشد و كمال العقل خرقا لما جرت به العوائد فقال : ﴿ و كهلا ﴾ و لما ذكر هذه الخارقة ، أتبعها روح العلم الربانى فقال : ﴿ و اذ علمتك الكتب ﴾ أى الخط الذى هو مبدأ العلم و تلقيح لروح الفهم ﴿ و الحكمة ﴾ أى الفهم لحقائق[2] الأشياء و العمل بما يدعو إليه العلم ﴿ و التورٰة ﴾ أى المنزلة على موسى[3] عليه السلام ﴿ و الانجيل ﴾ أى المنزل عليك .

و لما ذكر تأييده بروح/ الروح . أتبعه تأييده بافاضة الروح على جسد[4] لا أصل له فيها فقال : ﴿ و اذ تخلق من الطين ﴾ أى هذا الجنس ﴿ كهيئة الطير باذنى ﴾ ثم سبب عن ذلك قوله[5] : ﴿ فتنفخ فيها ﴾ أى فى الصورة المهيأة ﴿ فتكون ﴾ أى تلك الصورة التى هيأتها[6] ﴿ طيرا باذنى ﴾ ثم بافاضة روح ما على بعض جسد ، إما ابتداء فى الأكمه[7] كما فى الذى قبله ، و إما إعادة[7] كما فى الحادث العمى و البرص بقوله : ﴿ و تبرئ الاكمه و الابرص ﴾ .

و لما كان من أعظم ما يراد بالسياق توبيخ من كفر [به - [8]] كرر قوله : ﴿ باذنى ﴾ ثم برد روح كامل إلى جسدها بقوله :

(١) فى ظ : حالة (٢) من ظ ، و فى الأصل : لحاق (٣) من ظ ، و فى الأصل : عيسى (٤) من ظ ، و فى الأصل : جسده (٥) فى ظ : بقوله (٦) من ظ ، و فى الأصل : هياها (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل (٨) زيد من ظ .

﴿ و اذ تخرج الموتى ﴾ أى[1] من القبور فعلا أو قوة حتى يكونوا كما كانوا من سكان البيوت ﴿ باذنى ع ﴾ ثم بعصمة روحه[2] ممن أراد قتله بقوله : ﴿ و اذ كففت بنى اسرآءيل عنك ﴾ أى اليهود لما هموا بقتالك ؛ و لما كان ذلك ربما أوهم نقصا استحلوا قصده به ، بين أنه[1] قصد[3] ٥ ذلك كعادة الناس مع الرسل و الأكابر من أتباعهم تسلية لهذا النبى الكريم و التابعين له باحسان فقال : ﴿ اذ جئتهم بالبينت ﴾ أى كلها ، بعضها بالفعل و الباقى بالقوة لدلالة ما وجد عليه من الآيات الدالة على رسالتك الموجبة لتعظيمك ﴿ فقال الذين كفروا ﴾ أى غطوا تلك البينات عنادا ﴿ منهم ان ﴾ أى ما[4] ﴿ هذآ الا سحر مبين ه ﴾ ثم بتأييده ١٠ بالأنصار الذين أحيى[5] أرواحهم بالإيمان و أجسادهم باختراع[6] المأكل الذى من شأنه فى العادة حفظ الروح ، و ذلك فى قصة المائدة و غيرها فقال : ﴿ و اذ اوحيت ﴾ أى بالهام باطنا و بايصال[7] الأوامر على لسانك ظاهرا ﴿ الى الحوارّيين ﴾ أى الأنصار ﴿ ان امنوا بى و برسولى ع ﴾ أى الذى أمرته بالإبلاغ [8]يعنى إبلاغ[8] الناس ما آمرهم به ، ثم استأنف ١٥ مبينا لسرعة إجابتهم لجعله محببا[9] إليهم مطاعا فيهم بقوله : ﴿ قالوآ امنا ﴾ .

و لما كان الإيمان باطنا فلا بد فى إثباته من دليل ظاهر ، و كان

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

(٣) من ظ ، و فى الأصل : بصد ـ كذا (٤) فى ظ : عما (٥) فى ظ : اخفى .

(٦) من ظ ، و فى الأصل : بالاختراع (٧) فى ظ : ايصال (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ : محببا .

فى

فى سياق عـدّ النعم و الطواعية لوحى الملك الأعظم دلوا عليه بتمام الانقياد ، ناسب المقام زيادة التأكيد باثبات النون الثالثة فى قولهم : ﴿و اشهد باننا﴾ بخلاف آل عمران ﴿مسلمون ه﴾ أى منقادون أتم انقياد ، فلا اختيار لنا إلا ما تأمرنا به ، و انظر ما أنسب إعادة "اذ" عند التذكير بروح كامل حسا أو معنى و حذفها عند الناقص ، فأثبتها عند ٥ التأييد بها فى أصل الخلق و فى الكمال الموجب للحياة الأبدية و فى تعليم الكتاب و ما بعده المفيض لحياة الأبد على كل من تخلّق بأخلاقه و فى خلق الطير و هو ظاهر و هكذا إلى الآخر .

ذكرُ شيء مما عزى إليه من الحكمة فى الإنجيل : قال متى : و كان يسوع يطوف المدن و القرى و يعلم فى مجامعهم و يكرز ببشارة الملكوت ١٠ و يشفى كل الأمراض و الأوجاع ، ثم قال : فلما سمع / يوحنا فى السجن ١٤٣ / بأعمال المسيح أرسل إليه اثنين من تلاميذه قائلا : أنت هو الآتى أم نترجى[1] آخر ؟ قال لوقا : و فى تلك الساعة أبرأ كثيرا من الأمراض و الأوجاع و الأرواح الشريرة و وهب النظر لعميان كثيرين[2] ، فأجاب يسوع و قال لهما[3] : إذهبا و أعلما يوحنا بما رأيتما و سمعتما ، العميان ١٥ يبصرون و العرج يمشون [و البرص - [4]] يتطهرون و الصم يسمعون

(١) من ظ ، و فى الأصل : نترعى - كذا (٢) من إنجيل لوقا ، و فى الأصل : كثير ، و العبارة من هنا مع هذا اللفظ إلى « أعلما يوحنا » ساقطة من ظ .
(٣) زيد بعده فى الأصل : و قال ، و لم تكن الزيادة فى الإنجيل فحذفناها (٤) زيد من ظ و الإنجيل .

و الموتى يقومون و المساكين يبشرون[1]. فطوبى لمن لا يشك فيّ! فلما ذهب تلميذا[2] يوحنا بدأ يسوع يقول للجمع من أجل يوحنا: لما ذا خرجتم إلى البرية تنظرون - قال لوقا: قصبة تحركها[3] [4]الريح - أم[4] لما ذا خرجتم تنظرون؟ إنسانا لابسا لباسا ناعما؟ إن[5] اللباس الناعم يكون في بيوت الملوك[6]. و قال لوقا: فان[6] الذين عليهم لباس المجد و التنعم[7] هم في بيوت الملوك - انتهى. لكن لما ذا خرجتم تنظرون؟ نبيا؟ نعم، أقول لكم: إنه أفضل من هذا الذي كتب من أجله: هو ذا أنا مرسل ملكي أمام وجهك ليسهل طريقك قدامك، الحق أقول لكم! إنه لم يقم في[8] مواليد النساء أعظم من يوحنا المعمد[9]، و الصغير في ملكوت السماء أعظم منه، و جميع الشعب الذي سمع و العشارون شكروا الله حيث اعتمدوا من معمودية يوحنا، فأما[10] الفريسيون و الكتاب فعلموا أنهم رفضوا[11] أمر الله لهم إذ لم يعتمدوا منه؛ قال متى: ثم قال: من له أذنان سامعتان فليسمع! بماذا أشبه هذا الجيل؟ يشبه صبيانا جلوسا في الأسواق، يصيحون إلى أصحابهم قائلين: زمّرنا لكم فلم ترقصوا، و نحنا لكم فلم تبكوا، جاء يوحنا لا يأكل و لا يشرب، فقالوا: معه جنون، جاء ابن الإنسان

(١) من الإنجيل، و في الأصل: يوسرون، و في ظ: يوثرون - كذا (٢) في ظ: تلميذ (٣) من ظ، و في الأصل: يحركها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) في ظ: فان (٦) في ظ: إن (٧) من الإنجيل، و في الأصل: النعم، و في ظ: نعيم (٨) سقط من ظ (٩) في ظ: العهد، و في الإنجيل: المعمدان، و سيأتي تفسيره (١٠) من ظ، و في الأصل: قال (١١) في ظ: فرضوا.

يأكل و يشرب ، فقالوا : هذا إنسان أكول شرّيب خليل العشارين و[1] الخطأة ، فتبررت[1] الحكمة من بنيها ، حينئذ بدأ يعيّر المدن التى كان فيها أكثر قواته ، لأنهم لم يتوبوا ، و يقول[2] : الويل لك يا كورزين ! و الويل لك يا بيت صيدا ! لأن[3] القوات اللاتى [4]كنّ فيكما[4] قديما لو كنّ فى صور و صيدا لتابوا بالمسوح و الرماد ، لكن أقول لكم : إن لصور و صيدا ٥ راحة فى يوم الدين أكثر منكن ، و أنت يا كفرنا حوم لو ارتفعت إلى السماء ستهبطين إلى الجحيم ، لأنه لو كان فى سدوم هذه[5] القوات التى كانت فيك إذن لثبتت إلى اليوم ، و أقول لكم أيضا : إن أرض سدوم تجد راحة يوم الدين أكثر منك . ثم قال : و انتقل يسوع من هناك و دخل إلى مجمعهم و إذا رجل هناك يده يابسة - و قال لوقا : يده ١٠ اليمنى يابسة - فسألوه قائلين : هل يحل أن يشفى فى السبت ؟ فقال لهم : أىّ إنسان منكم يكون له خروف ، يسقط فى حفرة فى السبت ، و لا يمسكه و يقيمه ؟ فبكم أحرى الإنسان أفضل من الخروف ، فاذن جيد هو فعل الخير فى السبت ؛ و قال لوقا : فقال للرجل / اليابس[6] اليد : ١٤٤ / قف فى الوسط ، فقام ، و قال لهم يسوع : أسألكم[7] : ما ذا[8] يحل أن ١٥ يعمل فى السبت ؟ خير أم شر ؟ نفس تخلص أم تهلك ؟ فسكتوا ؛ قال متى : [حينئذ - [9]] قال للانسان : امدد يدك ، فمدها فصحت

(١-١) فى ظ : الخطاب فبرب - كذا (٢) فى ظ : يقولوا (٣) فى ظ : لا ان . (٤-٤) فى ظ : فينا (٥) فى ظ : هذا (٦) تكرر فى الأصل (٧) من ظ ، و فى الأصل : يسئلكم (٨) فى ظ : ما (٩) تزيد من ظ

مثل الأخرى ، فخرج الفريسيون - قال مرقس : مع أصحاب هيرودس - متوامرين فى إهلاكه ، فعلم يسوع و انتقل من هناك و تبعه جمع كثير ، فشفى جميعهم ، و أمرهم أن لا يظهروا ذلك لكى يتم ما قيل فى أشعيا النبى القائل : ها هو ذا[1] فتاى الذى هويت ، و حبيبى الذى به سررت ، أضع روحى عليه و يخبر الأمم بالحكم ، لا يمارى و لا يصيح و لا يسمع أحد[2] صوته فى الشوارع ، [3]قصبة مرضوضة[3] لا تكسر ، و سراج [4]مطفطف لا يطفأ[4] حتى يخرج الحكم [5]فى الغلبة[5] ، و على اسمه تتكل الأمم ؛ ثم قال : و فى ذلك اليوم خرج يسوع من البيت و جلس جانب البحر ، فاجتمع إليه جمع كبير حتى أنه صعد إلى السفينة و جلس ، و كان الجمع كله قياما على الشطّ ، و كلمهم بأمثال كثيرة قائلا : ها هو ذا خرج الزارع ليزرع ، و فيما هو يزرع سقط البعض على[6] الطريق ، فأتى الطير و أكله - و قال لوقا : فديس و أكله طائر السماء - و بعض سقط على الصخرة حيث لم يكن له أرض كثيرة ، و للوقت شرق إذ ليس له عمق أرض ، و لما أشرقت الشمس احترق ، [7]و حيث[7] لم يكن له أصل يبس ، و بعض سقط فى الشوك [8]فطلع الشوك[8] و خنقه ؛ و قال [مرقس -[9]] : فخنقه بعلوه عليه فلم يأت بثمرة[10] ؛

(١) فى ظ : هوذا (٢) فى ظ : احدا (٣-٣) فى ظ : قصيبه مرصوصه - كذا .
(٤-٤) فى ظ : متعلق لا يطفى ، و تفسير « مطفطف » سيأتى (٥-٥) فى ظ : بالغلبة (٦) فى ظ : عن (٧-٧) فى ظ : فحيث (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ : ثمره .

و قال

و قال متى: و بعض سقط فى الأرض الجيدة فأعطى ثمره، للواحد مائة و للآخر ستين و للآخر[1] ثلاثين - قال لوقا: فلما قال هذا نادى: من له أذنان سامعتان فليسمع - فتقدم إليه تلاميذه و قالوا له: لماذا تكلمهم بالأمثال؟ فأجابهم و قال: أنتم أعطيتم معرفة سرائر ملكوت السماوات - و قال لوقا: فقال لهم[2]: لكم أعطى علم سرائر ملكوت الله - و أولئك لم يعطوا، و من كان له يعطى و يزاد، و من ليس له فالذى له يؤخذ منه - و قال لوقا: و الذى ليس له ينزع منه الذى يظن أنه له - فلهذا أكلمهم بالأمثال، لأنهم[3] يبصرون فلا يبصرون، و يسمعون فلا يسمعون و لا يفهمون، لكى تتم فيهم نبوة أشعيا القائل: سمعا يسمعون فلا يفهمون، و نظرا ينظرون فلا يبصرون، لقد غلظ قلب هذا الشعب، و ثقلت آذانهم عن السماع، و غمضوا أعينهم لكيلا يبصروا بعيونهم و لا يسمعوا بآذانهم و يفهموا بقلوبهم و يرجعوا فأشفيهم، فأما أنتم فطوبى لعيونكم! لأنها تنظر، و لآذانكم! لأنها تسمع[4]؛ و قال [لوقا -[5]]: و مثل الزرع هذا هو كلام الله؛ و قال متى: كل من يسمع كلام الملكوت و لا يفهم يأتى الشرير فيخطف ما يزرع فى قلبه، هذا الذى زرع على الطريق، و الذى زرع على الصخرة هو الذى يسمع الكلام و للوقت يقبله[6] بفرح، و ليس له[4] فيه أصل، لكن فى زمان / يسير، إذا حدث[7] ضيق أو طرد فللوقت يشك[4] - / ١٤٥

(١) فى ظ: و الآخر (٢) فى ظ: له (٣) فى ظ: لانه (٤) سقط من ظ.
(٥) زدناه بناء على أن الجملة الآتية هى فى إنجيل لوقا فقط (٦) فى ظ: تقبله.
(٧) فى ظ: حصل.

و قال مرقس : بسبب[1] الكلمة فيشكون للوقت ؛ و قال لوقا : و هم إنما يؤمنون إلى زمان التجربة ، و فى زمان التجربة يشكون - و الذى يزرع فى الشوك فهو الذى يسمع الكلام فيخنق الكلام فيه ؛ و قال لوقا[2] : فتغلب[3] عليهم هموم هذا الدهر و طلب الغنى ؛ و قال مرقس : و محبة الغنى و سائر الشهوات التى يسلكونها ، فتخنق الكلمة فلا تثمر[4] فيهم ؛ و قال متى : فيكون بغير ثمرة ، و الذى زرع فى الأرض الجيدة هو الذى يسمع الكلام و يتفهم و يعطى ثمره ؛ و قال لوقا : و أما الذى وقع فى الأرض الصالحة فهم الذين يسمعون الكلمة بقلب جيد فيحفظونها[5] و يثمرون بالصبر ؛ قال متى : للواحد مائة و للآخر ستين و للآخر ثلاثين . وضرب لهم مثلا آخر قائلا : يشبه ملكوت السماوات إنسانا زرع زرعا جيدا فى حقله[6] ، فلما نام الناس جاء عدوه فزرع زوانا فى وسط القمح و مضى ، فلما نبت القمح ظهر الزوان ، فجاء [7]عبيد رب[7] البيت[8] فقالوا له : يا سيد ! أليس زرعا جيدا زرعت فى حقلك[9] ! فمن أين صار فيه زوان ؟ فقال لهم : عدو فعل هذا ، فقال عبيده : تريد[10] أن نذهب فنجمعه ؟ فقال لهم : لا ، لئلا تنقلع معه الحنطة ، دعوهما ينبتان جميعا إلى زمان الحصاد ،

(١) و قع فى الأصل و ظ : نسيت - كذا . و مبنى التصحيح نص الإنجيل (٢) و قع فى الأصل و ظ : مرقس ، و التصحيح نظرا إلى نص الإنجيل (٣) فى ظ : فيغلب . (٤) فى ظ : فلا يسمر - كذا (٥) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : فيخطفونها . (٦) فى ظ : خلقه (٧ - ٧) فى ظ : عبد ربه - كذا (٨) من الإنجيل ، و فى الأصل : النبت ، و فى ظ : الرب (٩) فى ظ : خلقك (١٠) فى ظ : يريد .

[و - ١] أقول للحصادين: أولا اجمعوا الزوان فشدوه حزما ليحرق، فأما القمح فاجمعوه إلى أهرائى . و ضرب لهم مثلا آخر قائلا: يشبه ملكوت السماوات حبة خردل أخذها إنسان و زرعها فى حقله، لأنها أصغر الزراريع كلها - و قال مرقس : و هى أصغر الحبوب التى على الأرض - فاذا طالت صارت أكبر من جميع [٢]البقول و تصير[٢] شجرة ٥ - و قال مرقس : و صنعت أغصانا عظاما ؛ و قال لوقا : فنمت و صارت شجرة عظيمة - حتى أن طائر السماء[٣] يستظل تحت أغصانها. وكلمهم بمثل آخر و قال لهم : يشبه ملكوت السماوات خميرا أخذته امرأة و عجنته فى ثلاثة أكيال دقيق فاختمر الجميع ؛ و قال مرقس : وكان يقول لهم : هل يوقد سراج فيوضع تحت مكيال أو سرير ، لكن على منارة ؛ و قال لوقا: ١٠ ليس أحد يوقد سراجا فيغطيه ، و لا يجعله تحت سرير ، لكن يضعه على منارة فيرى نوره كل من يدخل ؛ قال مرقس : كذلك ليس خفى إلا سيظهر ، و لا مكتوم إلا سيعلن ؛ و قال لوقا : سراج الجسد العين ، فاذا كانت عينك بسيطة فجسدك كله [٤]نير ، و إن كانت عينك شريرة فجسدك كله[٤] يكون مظلما ، احرص أن لا يكون النور الذى فيك ظلاما ، فان كان ١٥ جسدك كله نيرا و ليس فيه جزء مظلم فانه يكون كاملا نيرا ، كما أن السراج ينير لك[٥] بلمع ضيائه ؛ و قال مرقس: من له أذنان سامعتان [٤]فليسمع ، و قال لهم: انظروا ما ذا تسمعون ، فبالكيل الذى / تكيلون ١٤٦ / يكال لكم - و تزادون أيها السامعون[٤] لأن الذى له يعطى[٥] و من ليس

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ : القبول و يصير (٣) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : الزمان - كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ .

عنده فالذى عنده يؤخذ منه ، و قال : يشبه ملكوت الله إنسانا يلقى زرعه على الأرض و ينام ، و يقوم ليلا و نهارا و الزرع ينمو و يطول و هو لا يعلم ، أولا أعشب و بعد ذلك سَنْبَلَ ، ثم يمتلئ السنبل حتى إذا انتهت الثمرة حينئذ يضع المنجل[1] إذ قد دنا الحصاد ؛ قال متى : هذا كله قاله يسوع للجموع ليتم ما قيل فى النبى القائل : أفتح فاى بالأمثال و أنطق[2] بالخفيات من قبل أساس العالم . حينئذ ترك الجمع و جاء إلى البيت فجاء إليه تلاميذه و قالوا : فسر لنا مثل زوال الحقل ، أجاب : الذى زرع الزرع الجيد هو ابن الإنسان ، و الحقل هو العالم ، و الزرع الجيد هو بنو الملكوت ، و الزوان هو[3] بنو[4] الشر ، و العدو الذى زرعه[5] هو الشيطان ، و الحصاد هو منتهى الدهر ، و الحصادون هم الملائكة ، فكما أنهم يجمعون الزوان أولا ، و بالنار يحرق ، هكذا يكون منتهى هذا الدهر ، يرسل ملائكته و يجمعون من مملكته كل الشوك و فاعلى الإثم ، فيلقونهم فى أتون النار ، هناك يكون البكاء و صرير الأسنان ، حينئذ يضىء الصديقون مثل الشمس فى ملكوت أبيهم ، من له أذنان سامعتان فليسمع . و يشبه ملكوت السماوات كنزا مُخفىً فى حقل وجده إنسان[6] فخبأه ، و من فرحه مضى و باع كل شىء و اشترى ذلك الحقل . و أيضا يشبه ملكوت السماوات إنسانا تاجرا بطلب الجوهر الفاخر الحسن . فوجد درة [7]كثيرة الثمن[7] فمضى و باع

(١) فى ظ : النخل (٢) فى ظ : انطلق (٣) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : هم.
(٤) فى ظ : ابن (٥) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : زرعهم (٦) فى ظ : انسانا .
(٧-٧) فى ظ : كبيرة .

كل ماله و اشتراها ، و أيضا يشبه ملكوت السماوات شبكة[1] ألقيت فى البحر فجمعت من كل جنس ، فلما امتلأت أطلعوها إلى الشطّ فجلسوا و جمعوا الخيار فى الأوعية ، و الردىء رموه خارجا ، هكذا يكون فى انقضاء هذا الزمان ، تخرج الملائكة و يميزون الأشرار من وسط الصديقين ، و يلقونهم فى أتون النار ، هناك يكون البكاء و صرير الأسنان[2] . فلما أكمل يسوع هذه الأمثال انتقل من هناك و جاء إلى بلدته و كان[3] يُعلّم فى مجامعهم حتى أنهم بهتوا و قالوا : من أين له هذه الحكمة و القوة ! و قال مرقس : من أين له هذا التعليم و هذه الحكمة التى أعطيها و القوات التى تكون على يديه ـ انتهى . أليس هذا ابن[4] النجار ؟ و قال لوقا : و كان جميعهم يشهدون له و يتعجبون من[5] كلام النعمة[5] الذى كان يخرج من فمه ، و كانوا يقولون : أليس هذا ابن يوسف ؟ انتهى . أليس أمه تسمى مريم و إخوته يعقوب و يوسا و سمعان و يهودا ؟ أليس هو و أخواته[6] عندنا جميعا ؟ فمن أين له هذا كله ؟ و كانوا يشكون فيه ، فان يسوع قال لهم : لا يهان نبى إلا فى بلدته و بيته ؛ و قال مرقس : ليس[7] يهان نبى إلا فى بلدته و عند أنسابه و بيته ؛ و قال لوقا : فقال لهم : لعلكم[8] تقولون لى هذا المثل : أيها الطبيب[9] ! اشف نفسك ، / و الذى سمعنا / ١٤٧

(١) فى ظ : سمكة (٢) فى ظ : الانسان (٣) فى ظ : يكون (٤) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : من (٥-٥) فى ظ : كلامه ـ كذا (٦) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : اخوته (٧) فى ظ : اليس (٨) من ظ ، و فى الأصل : لعسكم ، و فى الإنجيل : على كل حال (٩) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : المتطبب .

أنك صنعته[١] فى كفرناحوم افعله[٢] أيضا ههنا فى مدينتك ، فقال لهم : الحق أقول لكم ، [إنه لا يقبل نبى فى مدينته ، الحق أقول لكم - [٣]] ، إن الأرامل كثيرة كنّ فى[٤] إسرائيل فى أيام إليا إذ أغلقت السماء ثلاث سنين و ستة أشهر ، و صار جوع عظيم فى الأرض كلها ، و لم يرسل إليا إلى واحدة منهن إلا أرملة فى[٥] صارفة[٦] صيدا ، و برص كثيرون[٧] كانوا فى إسرائيل على عهد اليشع النبى و لم يطهر واحد منهم إلا نعمان الشامى ، فامتلأ جميعهم غضبا عند ما سمعوا هـذا و أخرجوه خارج المدينة ، و جاءوا به[٥] إلى أعلى الجبل الذى كانت مدينتهم مبنية عليه ليطرحوه إلى أسفل ، فأما هو فجاز وسطهم و مضى ، و نزل إلى كفرناحوم[٨] مدينة فى الجليل[٩] ، و كان يعلمهم فى السبت و بهتوا من تعليمه لأن كلامه كان بسلطان . و[٥] قال فى موضع آخر : و جاء إليه ناس من الفريسيين و قالوا له : اخرج فاذهب من ههنا فان هيرودس يريد ليقتلك[١٠] ، فقال لهم : امضوا[٥] و قولوا لهذا الثعلب : إنى هو ذا[١١] أخرج الشياطين و أتم الشفاء اليوم و غدا و فى اليوم الثالث أكمل ، و ينبغى أن أقيم

(١) من ظ ، و فى الأصل : ضيعته (٢) فى ظ : فعله (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) زيد فى ظ : بنى (٥) سقط من ظ (٦) من الإنجيل ، و فى الأصل : صار فيه ، و فى ظ : فيه - كذا (٧) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : كثير . (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى الإنجيل فحذفناها (٩) فى ظ : الجبل (١٠) من ظ ، و فى الأصل : بقتلك (١١) فى ظ : هواذ - كذا .

اليوم و غدا ، و فى اليوم الآتى[1] أذهب ، لأنه ليس يهلك نبى[2] خارجا عن يروشليم . أيا يروشليم![3] أيا يروشليم[3]! يا قاتلة الأنبياء و راجمة المرسلين إليها! كم من مرة أردت أن أجمع بنيك مثل الدجاجة التى تجمع فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا[4]، هو ذا أترك بيتكم خرابا ، فسمع هيرودس رئيس الربع بجميع ما كان فتحير ، لأن كثيرا كانوا يقولون : إن يوحنا ٥ قام من الأموات ، و آخرون يقولون : إن إليا ظهر ، و آخرون يقولون : نبى من الأولين [قام - [5]] ، فقال هيرودس : أنا قطعت رأس يوحنا ، فمن هو الذى نسمع عنه هذا ، و طلب أن يبصره ؟ و فى إنجيل متى : و فى ذلك الزمان سمع هيرودس رئيس الربع خبر يسوع فقال لغلمانه : هذا هو يوحنا المعمدان ، و هو قام من الأموات من أجل هذه القوات التى ١٠ يعمل بها . قوله : المعمد ، من أعمده - إذا غسله فى ماء المعمودية ، قوله : تبررت ، أى صارت برية بالنسبة إليهم ، قوله : يعيّر[6] المدن ، أى يذكر ما أوجب لها العار ، قوله : القوات جمع قوة و هى المعجزات هنا ، قوله : الذى هويت ، يعنى أحببت حبا شديدا ، و لفظ الهوى الظاهر أنه يفهم نقصا فلا يحل فى شرعنا إطلاقه على الله تعالى[7]، قوله : مطفطف ، أى مملوء إلى ١٥ رأسه ، لا يزال كذلك ، قوله : شرق - و زن : فرح ، أى ضعف ، من :

(١) من ظ ، و فى الأصل : الأولى - كذا (٢) فى ظ : ابن (٣-٣) فى ظ : انما يروح و سيلمة - كذا (٤) من الإنجيل ، و فى الأصل : فلم يردوا ، و فى ظ : فلم يريدوا (٥) زيد من الإنجيل (٦) فى ظ : اليعير - كذا (٧) زيد بعده فى ظ : الى .

شرق بريقه ، و شرقت الشمس - إذا ضعف ضوؤها ، قوله : أتون [و - [1]] هو وزن تنور و قد يخفف : أخدود [2]الجيار و الجصاص[2] ، قوله : بسيطة ، أى على الفطرة الأولى ، قوله : يروشليم - بتحتانية و مهملة و شين معجمة : بيت المقدس ، قوله : ملكوت أبيهم ، تقدم ما فيه غير مرة .

٥ و لما كان من المقصود بذكر معجزات عيسى عليه السلام تنبيه الكافر ليؤمن ، و المؤمن ليزداد إيمانا ، و تسلية النبى صلى الله عليه و سلم وتوبيخ اليهود المدعين[3] أنهم أبناء و أحباء - إلى غير ذلك مما[4] أراد الله ، قرعت به / الأسماع[5] ، و لم يتعلق بما يجيب به يوم القيامة عند أمره بذلك غرض فطوى ؛ و لما كان أجلّ المقاصد تأديب هذه الأمة لنبيها عليه السلام لتجلّه ١٠ عن أن تبدأه[6] بسؤال أو تقترح عليه شيئا فى حال من الأحوال ، ذكّرهم شأن الحواريين فى اقتراحهم بعد ما تقدم من امتداحهم بعدّهم فى عداد أولى الوحى و مبادرتهم[7] إلى الإيمان امتثالا للأمر ثم إلى الإشهاد على سبيل التأكيد بتمام الانقياد و سلب الاختيار ، فقال معلقا بـ " قالوا آمنا " مقربا لزمن تعنتهم من زمن إيمانهم ، مذكرا لهذه الأمة بحفظها على الطاعة ، و مبكتا ١٥ لبنى إسرائيل بكثرة تقلبهم و عدم تماسكهم إبعادا لهم عن درجة المحبة فضلا عن البنوة ، و هذه القصة قبل قصة الإيحاء إليهم فتكون[8] " اذ " هذه

/١٤٨

(١) زيدت الواو من ظ (٢-٢) من القاموس ، و فى الأصل : الحار و الحصاد ، و فى ظ : الخيار و الحصاد - كذا (٣) فى ظ : المدعنين - كذا (٤) فى ظ : ما .
(٥) فى ظ : الاسماء (٦) فى ظ : يبدوه (٧) من ظ ، و فى الأصل : مبادرته (٨) من ظ ، و فى الأصل : فيكون .

ظرفا

ظرفا لتلك، فيكون الإيحاء إليهم بالأمر[1] بالإيمان في وقت سؤالهم هذه بعد ابتدائه[2]، و يكون فائدته حفظهم من أن يسألوا آية أخرى كما سألوا هذه بعد ما رأوا[3] منه صلى الله عليه و سلم من الآيات: ﴿اذ قال﴾ و أعاد وصفهم و لم يضمره تنصيصا عليهم لبُعد ما يذكر من حالهم هذا من حالهم[4] الأول فقال: ﴿الحواريون﴾ و ذكر أنهم نادوه باسمه و اسم أمه ٥ فقالوا[5]: ﴿يٰعيسى ابن مريم﴾ و لم يقولوا: يا رسول الله و لا يا روح الله، و نحو هذا من التبجيل[6] أو التعظيم[6] ﴿هل يستطيع ربك﴾ بالياء مسندا إلى الرب[6] و بالتاء الفوقانية مسندا إلى عيسى عليه السلام و نصب الرب[6]، و معناهما واحد يرجع إلى التهييج و الإلهاب[7] بسبب الاجتهاد في الدعاء بحيث تحصل الإجابة، و تكون هذه[8] العبارة أيضا للتلطف ١٠ كما يقول الإنسان لمن يعظمه: هل تقدر أن تذهب معي إلى كذا؟ و هو يعلم أنه قادر، و لكنه يكنى بذلك عن أن السائل يحب ذلك و لا يريد المشقة على[9] المسؤل ﴿ان ينزل﴾ أي الرب المحسن إليك ﴿علينا مآئدة﴾ و هي الطعام، و يقال أيضا: الخوان إذا كان عليه الطعام[10]، و الخوان شيء يوضع عليه الطعام للأكل، هو في العموم ١٥ بمنزلة السفرة لما يوضع فيه طعام المسافر بالخصوص، و هي من ماده -

(١) من ظ، و في الاصل: الأمر (٢) من ظ، و في الأصل: بطيه - كذا.
(٣) في ظ: اراد (٤) في ظ: حاله (٥) من ظ، و في الأصل: فقال.
(٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) في ظ: الاهاب (٨) في ظ: بهذه.
(٩) في ظ: الى (١٠) سقط من ظ.

إذا [١]أعطاه و أطعمه[١] .

و لما كان هذا ظاهرا فى أنها سماوية ، صرحوا به احترازا عما عوّدهم به صلى الله عليه و سلم من أنه يدعو بالقليل [٢]من الطعام[٢] فيبارك فيه فيمده الله فيكفى [فيه -[٣]] القيامَ[٤] من الناس فقالوا : ﴿ من السمآء[٥] ﴾

٥ أى لا صنع للآدميين فيها لنختص بها عمن تقدمنا من الأمم .

و لما كان المقصود من هذا وعظنا و إرشادنا إلى أن لا نسأل نبينا صلى الله عليه و سلم شيئا[٥] ، اكتفاء بما يرحمنا به ربنا[٥] الذى رحمنا بابتدائنا بارساله إلينا لإيصالنا إليه سبحانه ، و تخويفا من أن نكون مثل من[٦]

١٤٩ / / مضى من المقترحين الذين كان اقتراحهم سببَ هلاكهم ؛ دل على ذلك

١٠ بالنزوع من أسلوب الخطاب إلى الغيبة فقال مستأنفا إرشادا إلى السؤال من جوابهم[٧] : ﴿ قال ﴾ و لم يقل : فقلت ﴿ اتقوا الله ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين غضب الملك الأعظم الذى له الكمال وقاية تمنعكم عن الاجتراء[٨] على الاقتراح ﴿ ان كنتم مؤمنين ٥ ﴾ أى بأنه قادر و أنى رسوله ، فلا تفعلوا فعل من وقف إيمانه على رؤية ما[٩] يقترح

١٥ من الآيات .

و لما كانت المعجزات إنما تطلب لإيمان من لم يكن آمن ، و كان فى هذا الجواب أتم زجر لهم ، تشوف السامع إلى جوابهم فقيل :

(١ ـ ١) فى ظ : اطعمه و اعطاه (٢ ـ ٢) فى ظ : بالطعام (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ : السام ـ كذا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : ما (٧) فى ظ : جوابه.
(٨) فى ظ : الاخيراء ـ كذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : من .

لم ينتهوا بل ﴿ قالوا[1] ﴾ إنا لا نريدها لأجل إزالة شك عندنا بل ﴿ نريد ﴾ مجموع أمور : ﴿ ان ناكل منها ﴾ فانا جياع ؛ و لما كان التقدير : فتحصل[1] لنا بركتها ، عطف عليه : ﴿ و تطمئن قلوبنا ﴾ أى بضم ما رأينا منها إلى ما سبق من معجزاتك من غير سؤالنا فيه ﴿ و نعلم ﴾ أى بعين اليقين و حقه ﴿ ان قد صدقتنا ﴾ أى فى كل ما أخبرتنا به ﴿ و نكون عليها ﴾ ٥ و أشاروا[2] إلى عمومها بالتبعيض فقالوا : ﴿ من الشهدين ٥ ﴾ أى شهادة رؤية مستعلية عليها بأنها وقعت ، لا شهادة إيمان بأنها جائزة الوقوع ﴿ قال عيسى ﴾ و نسبه زيادة فى التصريح به تحقيقا لأنه لا أب له و تسفيها[3] لمن أطراه أو وضع من قدره فقال : ﴿ ابن مريم اللهم ﴾ فافتتح دعاءه بالاسم الأعظم ثم بوصف الإحسان فقال : ﴿ ربنآ ﴾ أى أيها المحسن ١٠ إلينا ﴿ انزل علينا ﴾ و قدم المقصود فقال : ﴿ مآئدة ﴾ و حقق موضع الإنزال بقوله : ﴿ من السمآء ﴾ ثم[4] وصفها بما تكون[5] به بالغة العجب عالية الرتب[6] فقال : ﴿ تكون ﴾ أى هى أو يوم نزولها ﴿ لنا عيدا ﴾ و أصل العيد كل يوم فيه جمع ، ثم قيد بالسرور ، فالمعنى : نعود[7] إليها مرة بعد مرة سرورا[8] بها ، و لعل منها ما[9] يأتى من البركات حين ترد له ١٥ عليه السلام - كما فى الأحاديث الصادقة ، و يؤيد ذلك قوله مبدلا من "لنا" : ﴿ لاولنا و اخرنا ﴾ .

(١) فى ظ : فيحصل (٢) فى ظ : اشار (٣) فى ظ : تسفيه (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ : يكون (٦) فى ظ : الترتيب (٧) فى ظ : يعود (٨) فى ظ : سرور .
(٩) فى ظ : كما .

ولما ذكر الأمر الدنيوى، أتبعه الأمر الدينى فقال: ﴿وآية منك﴾ أى علامة على صدقى ﴿وارزقنا﴾ أى رزقا مطلقا غير مقيد بها[1]؛ ولما كان التقدير: فأنت خير المسؤلين، عطف عليه قوله: ﴿وانت خير الرّزقين﴾ أى فانك تغنى من تعطيه وتزيده[2] عما يؤمله ويرتجيه بما لا ينقص شيئا مما عندك، ولا تطلب منه شيئا غير أن ينفع نفسه بما قويته عليه من طاعتك بذلك الرزق ﴿قال الله﴾ أى الملك المحيط علما وقدرة.

ولما كان ظاهر سؤالهم من[3] الاستفهام عن الاستطاعة للاضطراب[4] وإن كان للالهاب، أكد[5] الجواب فقال: ﴿انى منزلها عليكم﴾ أى الآن بقدرتى الخاصة بى ﴿فمن يكفر بعد﴾ أى بعد إنزالها ﴿منكم﴾ وهذا السياق مشعر بأنه يحصل[6] / منهم كفر، وقد وجد ذلك حتى فى الحواريين على ما يقال فى يهودا الإسخريوطى أحدهم الذى دل على عيسى عليه السلام، فألقى شبهه عليه، ولهذا[6] خصه بهذا العذاب فقال: ﴿فانى اعذبه﴾ أى على سبيل البتّ والقطع ﴿عذابا لآ اعذبه﴾ أى مثله أبدا فيما يأتى من الزمان ﴿احدا من العٰلمين﴾ وفى هذا أتم زاجر لهذه الأمة عن اقتراح الآيات، وفى ذكر قصة المائدة فى هذه السورة التى افتتحت باحلال المآكل واختتمت بها أعظم تناسب، وفى ذلك كله إشارة إلى تذكير هذه الأمة بما أنعم عليها بما أعطى نبيها من المعجزات ومنّ عليها به[7] من حسن الاتباع، وتحذير من كفران هذه النعم

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: تزيد (٣) فى ظ: فى (٤) من ظ، وفى الأصل: الاضطراب (٥) تكرر فى الأصل (٦) فى ظ: لذلك (٧) فى ظ: بها.

المعددة[1] عليهم ، و قد اختلف المفسرون فى حقيقة هذه المائدة و فى أحوالها ؛ قال أبو حيان : و أحسن ما يقال فيه ما خرجه[2] الترمذى فى أبواب التفسير عن عمار بن ياسر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : أنزلت المائدة من السماء خبزا و لحما ، و أمروا أن لا يدخروا لغد و لا يخونوا ، فخانوا و ادخروا [3]و رفعوا[3] لغد ، فمسخوا[4] قردة و خنازير - انتهى . قلت : ثم[5] صحح الترمذى وقفه على عمار و قال : لا نعلم[6] للحديث المرفوع أصلا ، غير أن ذلك لا يضره لكونه لا يقال من قِبَل الرأى ، و لا أعلم[6] أحدا ذكر عمارا فيمن أخذ عن أهل الكتاب ، فهو مرفوع حكما ، و هذا الخبر يؤكد[7] أن الخبر فى الآية على بابه ، فيدفع قول من قال : إنها لم تنزل ، لأنهم لما سمعوا الشرط قالوا : لا حاجة لنا بها ، لأن خبره تعالى لا يخلف و لا يبدل القول لديه ، و هذا الرزق الذى من السماء قد وقع مثله لآحاد الأمة ؛ روى البيهقى فى أواخر الدلائل عن أبى هريرة قال : كانت امرأة من دوس يقال لها أم شريك أسلمت فى رمضان ، فأقبلت تطلب[8] من يصحبها إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فلقيت رجلا من اليهود فقال : ما لك يا أم شريك ؟ قالت[9] : أطلب رجلا يصحبنى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قال :

---

(١) فى ظ : المعدودة (٢) فى ظ : اخرجه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) من ظ و جامع الترمذى - أبواب التفسير ، و فى الأصل : مسخوا .
(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لا يعلم (٧) فى ظ : موكد (٨) من ظ والدلائل ، و فى الأصل : تطلب (٩) فى ظ : فقالت .

فتعالى فأنا[1] أصحبك ، قالت : فانتظرنى حتى أملأ سقائى ماءً ، قال : معى ماء[2] [3]ما لا تريدين[3] ماءً ، فانطلقت معهم فساروا يومهم حتى أمسوا ، فنزل اليهودى و وضع سفرته فتعشى و قال : يا أم شريك ! تعالى إلى العشاء ! فقالت : اسقنى من الماء فانى عطشى ، و لا أستطيع أن[4] آكل حتى أشرب ، فقال لها : لا أسقيك حتى تهودى[5] ! فقالت : لا جزاك الله خيرا ! غربتنى و منعتنى [أن ـ[6]] أحمل ماء ، فقال : لا و الله لا[4] أسقيك منه قطرة حتى تهودى ، فقالت : لا و الله لا أتهود أبدا بعد إذ هدانى الله للاسلام ؛ فأقبلت إلى بعيرها فعقلته[7] و وضعت رأسها على ركبته فنامت ، قالت : فما أيقظنى إلا برد دلو[8] قد وقع [9]على جبينى[9] ، فرفعت / رأسى فنظرت إلى ماء أشد بياضا من اللبن و أحلى من العسل ، فشربت حتى رويت ، ثم نضحت على سقائى حتى ابتل ثم ملأته ، ثم رفع بين يدىّ و أنا أنظر حتى توارى عنى فى السماء ، فلما أصبحت جاء اليهودى فقال : يا أم شريك ! قلت : و الله قد سقانى الله ، قال : من أين أنزل عليك ؟ من السماء ؟ قلت : نعم ، و الله لقد أنزل الله علىّ من السماء ثم رفع

/ ١٥١

(١) فى ظ : و أنا ، و فى الدلائل : انا ـ راجع « باب فيما ظهر من الكرامات على أم شريك » (٢) ليس فى ظ و الدلائل ، و موجود فى رواية البيهقى فى الخصائص الكبرى (٣ ـ ٣) فى الدلائل : لا ترددين ، و فى الأصل : مالا نريد من ، و فى ظ : لا نريد من ـ كذا (٤) سقط من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل : معى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و الدلائل فحذفناها (٦) زيد من الدلائل (٧) فى ظ : فعلقته (٨) زيدت الواو بعده فى الدلائل (٩ ـ ٩) من الدلائل ، و فى الأصل و ظ : فى جنبى .

بين يدى حتى توارى عنى فى السماء ، ثم أقبلت حتى دخلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقصت عليه القصة ، فخطب رسول الله صلى الله عليه و سلم إليها نفسها فقالت : يا رسول الله ! لست أرضى نفسى لك و لكن بضعى لك فزوجنى من شئت ، فزوجها زيدا و أمر لها بثلاثين صاعا و قال : كلوا و لا تكيلوا ، وكان معها عكة سمن هدية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لجارية لها : بلغى[1] هذه العكة رسول[2] الله صلى الله عليه وسلم ، قولى : أم شريك تقرئك السلام ، و قولى : هذه عكة سمن أهديناها لك ، فانطلقت بها الجارية [إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم - [3]] فأخذوها ففرغوها ، و قال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم : علقوها و لا توكوها ، فعلقوها فى مكانها ، فدخلت أم شريك فنظرت إليها مملوءة سمنا ، فقالت : يا فلانة[4] ! أليس أمرتك أن[5] تنطلقى بهذه العكة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ! فقالت : قد و الله انطلقت بها كما قلت ، ثم أقبلت بها أضربها[6] ما يقطر منها شىء و لكنه قال : علقوها و لا توكوها ، فعلقتها فى مكانها ، و قد [7] أوكتها أم شريك حين رأتها[7] مملوءة فأكلوا منها حتى فنيت ، ثم كالوا الشعير فوجدوه ثلاثين صاعا لم ينقص منه شىء ، قال : و روى

(١) من الدلائل ، و فى الأصل : تاتى ، و فى ظ : بلغى - كذا (٢) من ظ والدلائل ، و فى الأصل : لرسول (٣) زيد من الدلائل (٤) من ظ و الدلائل ، و فى الأصل : فلانل - كذا (٥) سقط من ظ (٦) فى الخصائص ٢ / ٥٣ : اصوبها (٧ - ٧) من الدلائل ، و فى الأصل و ظ : اوكاها شريك حين رآها - كذا .

ذلك من وجه آخر ، و لحديثه[1] شاهد صحيح عن جابر رضى الله عنه .
و روى باسناده عن أبى عمران الجونى أن أم أيمن هاجرت من مكة إلى
المدينة و ليس معها زاد ، فلما كانت عند الروحاء و ذلك عند غيبوبة الشمس
عطشت عطشا شديدا ، قالت : فسمعت هفيفا[2] شديدا فوق رأسى ، فرفعت
٥ رأسى فاذا دلو مدلى من السماء برشاء أبيض ، فتناولته بيدى حتى استمسكت
به[3] ، قالت : فشربت منه حتى رويت ، قالت : فلقد أصوم [بعد تلك
الشربة - [4]] فى اليوم الحار الشديد الحر ثم أطوف فى الشمس كى أظمأ
فما ظمئت بعد تلك الشربة . قال[3] : و فى الجهاد عن البخارى عن أبى هريرة
قال : بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم عشرة رهـــط سرية عينا ،
١٠ و أمّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصارى جد عاصم[5] بن عمر بن الخطاب
رضى الله عنهم - فذكر الحديث حتى قال : فابتاع خبيبا - يعنى ابن عدى
الأنصارى - بنو الحارث[6] بن عامر / [7] بن نوفل بن عبد مناف ، و كان خبيب ١٥٢ /
قد قتل الحارث بن عامر[7] يوم بدر ، فلبث خبيب عندهم أسيرا ، فأخبرنى[8]
عبيد الله بن عياض[9] أن ابنة الحارث[10] قالت : و الله ما رأيت أسيرا قط

(١) فى ظ : لحديث فى (٢) فى الدلائل : حفيفا - و المعنى واحد (٣) سقط من ظ (٤) زيد من الدلائل (٥) زيد فى ظ : ابن ثابت الأنصارى (٦) العبارة من هنا إلى « ابنة الحارث » ساقطة من ظ (٧-٧) تكرر فى الأصل ، و ما ورد التكرار فى صحيح البخارى (٨) بين سطرى الصحيح : قائله الزهرى (٩) من الصحيح ، و فى الأصل : عاص - كذا (١٠) وقع هنا اختصار ، و راجع لمزيد التفصيل صحيح البخارى - باب « هل يستأسر الرجل » من كتاب الجهاد .

خيرا من خبيب ، و الله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب فى يده و إنه لموثق فى الحديد و ما بمكة من ثمر[1] ، وكانت تقول : انه لرزق[2] من الله[3] رزق خبيبا - الحديث . و من الأمر الجلى أن عيسى عليه السلام بعد أمر الله تعالى له بذكر هذه النعم يقوم فى ذلك الجمع فيذكرها و يذكر المقصود من التذكير بها ، و هو الثناء على المنعم بها بما يليق بجلاله ، ٥ فيحمد ربه تعالى بمحامد تليق بذلك المقام فى ذلك الجمع ، فمن أنسب الأمور حينئذ سؤاله - و هو المحيط علما بمكنونات الضمائر و خفيات السرائر إثر[4] التهديد لمن يكفر - عما كفر به النصارى ، فلذلك قال تعالى عاطفا على قوله "اذ قال الله يٰعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك[4]" : ﴿و اذ قال الله﴾ [5]أى بما له من صفات الجلال و الجمال مشيرا إلى ما له ١٠ من علو الرتبة بأداة النداء[5] : ﴿يٰعيسى ابن مريم﴾ و ذلك تحقيقا لأنه عمل بمقتضى النعمة [5]و تبكيتا[5] لمن ضل فيه من النصارى و إنكارا عليهم ﴿[5]ءانت قلت للناس﴾ أى الذين أرسلت إليهم من بنى إسرائيل ، و كأنه عبر بذلك لزيادة التوبيخ لهم[4] ، لكونهم[6] اعتقدوا ذلك و فيهم الكتاب ، فكأنه لا ناس[7] غيرهم ﴿اتخذونى﴾ أى كلفوا أنفسكم خلاف ١٥ ما تعتقدونه[8] بالفطرة الأولى [9]فى الله بأن[9] تأخذونى ﴿و امى الهين﴾ .

---

(١) من الصحيح ، و فى الأصل و ظ : تمر (٢) من الصحيح ، و فى الأصل و ظ : رزق (٣) زيد بعده فى ظ : ما (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : بكونهم (٧) فى ظ : ياس - كذا (٨) فى الأصل و ظ : تعتقده - كذا (٩ - ٩) فى ظ : بالله ان .

و لما كانت عبادة غير الله ـ و لو كانت على سبيل الشرك ـ مبطلة لعبادة الله ، لأنه سبحانه أغنى الأغنياء ، و لا يرضى الشرك إلا فقير ، قال : ﴿ من دون الله[1] ﴾ أي الملك الأعلى الذي لا كفوء له ، فيكون المعنى : اتخذوا[1] تألهنا سلما تتوصلون[2] به إلى الله ، و يجوز أن يكون المعنى[3] على المغايرة ، و لا دخل حينئذ للمشاركة .

و لما كان من المعلوم لنا في غير موضع أنه لم يقل ذلك ، صرح به هنا توبيخا لمن أطراه ، و تأكيدا لما عندنا من العلم ، و تبجيلا له صلى الله عليه و سلم بما يبدى من الجواب ، و تفضيلا[4] بالإعلام بأنه لم يحد[5] عن طريق الصواب ، بل بذل الجهد في الوفاء بالعهد ، و تقريعا لمن قال ذلك عنه و هو يدعى حبه و اتباعه عليه السلام و تخجيلا لهم ، فلما تشوفت لجوابه الأسماع و أصغت له الآذان ، و كان في ذكره من[3] الحكم ما تقدمت الإشارة إليه ، ذكره سبحانه قائلا : ﴿ قال ﴾ مفتتحا بالتنزيه ﴿ سبحنك ﴾ أي لك التنزه الأعظم عن كل شائبة نقص ، و دل[6] بالمضارع على أن هذا القول لا يزال ممنوعا منه فقال : ﴿ ما يكون لي ﴾ أي ما ينبغي و لا يصح أصلا ﴿ ان أقول ﴾ أي في وقت من الأوقات ﴿ ما ليس لي ﴾ و أغرق في النفي كما هو حق المقام فقال : ﴿ بحق[1] ﴾ .

و لما بادر عليه السلام إعظاما للمقام إلى الإشارة إلى نفي ما سئل

(١) من ظ ، و في الأصل : اتخذو (٢) في ظ : يتوسلون (٣) سقط من ظ .
(٤) في ظ : تفصيلا (٥) من ظ ، و في الأصل : لم يحده (٦) من ظ ، و في الأصل : ذكر .

عنه ، أتبعه [1]ما يدل[1] على أنه كان يكفى فى الجواب عنه : أنت أعلم ، و إنما أجاب بما تقدم إشارة إلى أن هذا القول تكاد السماوات يتفطرن منه و مبادرة[2] إلى تبكيت من ادّعاه له ، فقال دالا على أنه لم يقنع بما[3] تضمن أعظم المدح لأن المقام للخضوع : ﴿ ان كنت قلته ﴾ أى مطلقا للناس أو حدثت به نفسى ﴿ فقد علمته ﴾ و هو مبالغة فى الأدب ٥ و إظهار الذلة و تفويض الأمر كله إلى رب العزة ؛ ثم علل الإخبار بعلمه بما هو من خواص الإله فقال : ﴿ تعلم[4] ﴾ و لما كانت النفس يعبر بها عن الذات ، و كان القول يطلق على النفس ، فاذا انتفى انتفى[5] اللسانى ، قال : ﴿ ما فى نفسى ﴾ أى و إن اجتهدت فى إخفائه ، فانه خلقك ، و ما أنا له إلا آلة و وعاء ، فكيف به إن كنت أظهرته . ١٠

و لما[6] أثبت له سبحانه ذلك ، نفاه عن نفسه توبيخا لمن ادعى له الإلهية فقال مشاكلة : ﴿ و لآ اعلم ما فى نفسك[4] ﴾ أى ما أخفيته عنى من الأشياء ؛ ثم علل الأمرين كليهما بقوله : ﴿ انك انت ﴾ أى وحدك [1]لا شريك لك[1] ﴿ علام الغيوب ٥ ﴾ .

و لما نفى عن نفسه ما يستحق النفى و دل عليه ، أثبت ما قاله لهم ١٥ على وجه مصرح بنفى غيره ليكون ما نسب إليه من دعوى الإلهية منفيا مرتين : إشارة و عبارة ، فقال معبرا عن الأمر بالقول مطابقة للسؤال ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : مبادر (٣) فى ظ : ما (٤) زيد بعده فى الأصل : ما فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها . (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : ما .

وفسر بالأمر بيانا لأن كل ما قاله من مباح أو غيره دائر على الأمر من[1] حيث الاعتقاد بمعنى أن المخاطب بما قاله الرسول مأمور بأن يعتقد فيه [2]أنه بتلك المنزلة، لا يجوز أن يعتقد فيه[2] أنه فوقها ولا دونها، يعبد[3] الله تعالى بذلك: ﴿ما قلت لهم﴾ أى ما أمرتهم بشىء[4] من الأشياء ٥ ﴿الا ما امرتنى به﴾ ثم فسره دالا بشأن المراد بالقول الأمر بالتعبير فى تفسيره بحرف التفسير بقوله: ﴿ان اعبدوا﴾ أى ما أمرتهم إلا بعبادة[5] ﴿الله﴾ أى الذى لم يستجمع نعوت الجلال والجمال أحد غيره؛ ثم أشار إلى أنه كما يستحق العبادة لذاته يستحقها لنعمه[6] فقال: ﴿ربى وربكم﴾ أى أنا وأنتم فى عبوديته سواء، وهذا الحصر يصح ١٠ أن يكون للقلب على أن 'دون' بمعنى 'غير'، وللافراد على أنها بمعنى سفول المنزلة، وهو من بدائع الأمثلة.

ولما فهم صلى الله عليه وسلم من هذا السؤال أن أتباعه غلوا فى شأنه، فنزه الله سبحانه وعز شأنه من ذلك وأخبره بما أمر الناس به فى حقه سبحانه من الحق، اعتذر عن نفسه بما يؤكد ما مضى نفيا وإثباتا ١٥ فقال: ﴿وكنت عليهم﴾ أى خاصة / لا على غيرهم. /١٥٤

ولما كان سبحانه قد أرسله شاهدا، زاد فى الطاعة فى ذلك إلى أن بلغ جهده كاخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقال معبرا

(١) سقط من ظ. (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ: فعبد.
(٤) فى ظ: شيئا (٥) من ظ، وفى الأصل: بالعبادة (٦) فى ظ: النعمة.

بصيغة

بصيغة المبالغة: ﴿شهيدا﴾ أى بالغ الشهادة، لا أرى فيهم منكرا إلا اجتهدت فى إزالته ﴿ما دمت فيهم ج﴾ و أشار إلى الثناء على الله بقوله: ﴿فلما توفيتنى﴾ أى رفعتنى إلى السماء كامل الذات و المعنى مع بذلهم جهدهم فى قتلى ﴿كنت انت﴾ أى وحدك ﴿الرقيب﴾ أى الحفيظ القدير[1] ﴿عليهم ط﴾ لا يغيب عليك شىء من أحوالهم، و قد منعتهم [أنت -[2]] أن يقولوا شيئا غير ما أمرتهم أنا به من عبادتك بما نصبت لهم من الأدلة و أنزلت[3] عليهم على لسانى من البينات ﴿و انت على كل شىء﴾ أى منهم و من غيرهم حيوان و جماد ﴿شهيد ط﴾ أى مطلع غاية الاطلاع، لا يغيب عنك شىء منه سواء كان فى عالم الغيب أو[4] الشهادة، فان[5] كانوا قالوا ذلك فأنت تعلمه دونى، لأنى لما بعدت عنهم فى المسافة انقطع علمى عن أحوالهم.

و لما كان هذا الذى[6] سلف كله سؤالا و جوابا و إخبارا حمد[7] الله تعالى و ثناء عليه بما [هو -[2]] أهله بالتنزيه له و الاعتراف بحقه و الشهادة له بعلم الخفايا و القدرة و الحكمة و غير ذلك من صفات الجلال و الجمال، و كان هذا السؤال يفهم إرادة التعذيب للسؤل عنهم مشيرا إلى الشفاعة فيهم على وجه الحمد لله سبحانه و تعالى و الثناء الجميل عليه[6] لأن العذاب و لو للمطيع عدل، و العفو عن المعاصى بأىّ ذنب كان فضل

(١) فى ظ: الرقيب (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: انت (٤) فى ظ «و» (٥) فى ظ: قال ان - كذا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: جد - كذا.

مطلقا، و غفران الشرك ليس ممتنعا بالذات، قال[1] : ﴿ ان تعذبهم ﴾ أى القائلين بهذا[2] القول ﴿ فانهم عبادك ﴾ أى فأنت جدير بأن ترحمهم ولا اعتراض عليك فى عذابهم لأن كل حكمك[3] عدل ﴿ و ان تغفر لهم ﴾ أى تمح ذنوبهم عينا و أثرا ﴿ فانك انت ﴾ أى خاصة أنت[1] ﴿ العزيز ﴾ فلا أحد يعترض عليك ، لا ينسبك إلى وهن ﴿ الحكيم ٥ ﴾ فلا تفعل شيئا إلا فى أعلى درج الإحكام ، لا قدرة لأحد على تعقيبه و لا الاعتراض على شىء منه .

و لما انقضى جوابه عليه الصلاة و السلام على هذا الوجه الجليل ، تشوف السامع إلى جواب الله له[1] ، فقال تعالى مشيرا إلى كون جوابه حقا و مضمونه صدقا ، منبها على مدحه حاثا على ما بنيت عليه السورة من الوفاء بالعقود : ﴿ قال الله ﴾ أى الملك المحيط بالجلال و الإكرام جوابا لكلامه ﴿ هذا ﴾ أى مجموع يوم القيامة ؛ و لما كان ظهور الجزاء النافع هو المقصود قال : ﴿ يوم ﴾ هذا على قراءة الجماعة بالرفع ، و قراءة[4] نافع / بالنصب غير منون أيضا لإضافته إلى متمكن بمعنى : هـذا الذى [5]ذكر واقع[5] ؛ أو قال الله هذا الذى تقدم يوم ﴿ ينفع الصٰدقين ﴾ أى العريقين فى هذا الوصف نفعا لا يضرهم معه شىء ﴿ صدقهم[6] ﴾ أى الذى كان لهم فى الدنيا وصفا ثابتا ، فحداهم على الوفاء بما عاهدوا عليه ، فكأنه قيل : ينفعهم بأىّ شىء ؟ فقال : ﴿ لهم جنٰت ﴾ أى هى من رىّ الأرض الذى يستلزم زكاء الشجر و طيب الثمر بحيث ﴿ تجرى ﴾ و لما كان تفرق المياه فى

/ ١٥٥

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لهذا (٣) فى ظ : حكمة (٤) فى ظ : قرأ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

الأراضى أبهج ، بعّض فقال : ﴿ من تحتها الانهر ﴾ و لما كان مثل هذا لا يريح إلا إذا دام قال : ﴿ خلدين فيها ﴾ و أكد معنى ذلك بقوله : ﴿ ابدا ﴾ .

و لما كان ذلك لا يتم إلا برضى المالك قال : ﴿ رضى الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ عنهم ﴾ أى بجميع ما له من الصفات ، و هو كناية عن أنه أثابهم بما يكون من الراضى ثوابا متنوعا بتنوع ما له من جميع صفات الكمال و الجمال[1] ، و لما كان ذلك لا يكمل[2] و يبسط و يجمل إلا برضاهم قال : ﴿ و رضوا عنه ﴾ يعنى أنه لم يدع لهم شهوة إلا أنالهم إياها ، و قال ابن الزبير بعد ما أسلفته عنه : فلما طلب تعالى المؤمنين بالوفاء فيما نقض به غيرهم ، و ذكّرهم ببعض ما وقع فيه النقض و ما أعقب ذلك فاعله ، و أعلمهم بثمرة التزام التسليم و الامتثال ، أراهم جل و تعالى ثمرة الوفاء و عاقبته ، فقال تعالى " و اذ قال الله يٰعيسى ابن مريم ءانت قلت للناس - إلى قوله - هذا يوم ينفع الصٰدقين " - إلى آخرها . فيحصل من جملتها الأمر بالوفاء فيما تقدمها و حالُ من حاد و نقض ، و عاقبة من وفى ، و أنهم الصادقون ، و قد أمرنا أن نكون معهم " يٰايها الذين ءامنوا اتقوا الله و كونوا مع الصٰدقين[3] " - انتهى .

و لما كان سبحانه قد أمرهم أول السورة بالوفاء شكرا على ما أحل لهم فى دنياهم ، ثم أخبر أنه زادِ الشاكرين منهم و رقاهم إلى أن أباحهم[4] أجلّ

(١) من ظ ، و فى الأصل : الجلال (٢) فى ظ : لا يمهل (٣) سورة ٩ آية ١١٩ .
(٤) فى ظ : اباهم .

النفائس فى أخراهم ، و وصف سبحانه هذا الذى أباحه لهم الى أن بلغ فى وصفه ما لا مزيد عليه ، أخذ يغبطهم بـــه فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى لا غيره ﴿ الفوز العظيم ۝ ﴾ .

و لما كان هذا الذى[1] أباحه لهم و أباحهم إياه لا يكون إلا بأسباب لا تسعها العقول ، و لا تكتنه[2] بفروع[3] و لا أصول ، علل[4] إعطاءه إياه و سهولته لديه بقوله مشيرا إلى أن كل ما ادعيت فيه الإلهية مما تقدم فى هذه السورة و غيرها بعيد عن ذلك ، لأنه ملكه و فى ملكه و تحت قهره : ﴿ لله ﴾ أى الملك الذى لا تكتنه[5] عظمته و لا تضعف قدرته ، لا لغيره ﴿ ملك السمٰوٰت ﴾ بدأ بها لأنها[6] أشرف و أكبر[7] ، و آياتها أدل و أكثر ﴿ و الارض ﴾ [على اتساعها و عظمها - [8]] و تباعد ما بينهما ﴿ و ما فيهن[9] ﴾ أى من جوهر و عرض .

و لما كان ذلك أنهى ما نعلمه[9] ، عمم بقوله : ﴿ و هو على كل شىء ﴾ أى من ذلك و غيره من كل ما يريد ﴿ قدير ۝ ﴾ فلذلك هو يحكم ما يريد لأنه هو الإله وحده ، و هو قادر على إسعاد من شاء و إشقاء من شاء ، و إحلال ما شاء و تحريم ما شاء ، و الحكم بما يريد و نفع الصادقين الموفين[10] بالعقود الثابتين على العهود ، لأن له ملك هذه العوالم و ما فيها مما ادعى فيـــه الإلهية من عيسى و غيره ، و الكل بالنسبة إليه أموات ،

(١) سقط من ظ (٢) أى لا يبلغ كنهها ، و فى ظ : لا تكسبه - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : فروع (٤) فى ظ : عنى - كذا (٥) فى ظ : لا يثنه (٦) فى ظ : لأنه . (٧) فى ظ : اكثر (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : يعلم (١٠) فى ظ : بالموتين - كذا .

بل

بل موات جديرون بأن يعبر عنهم بـ "ما" لا بـ 'من'، فمن يستحق معه شيئا و من يملك معه ضرا أو نفعا ! و قد انطبق[1] آخر السورة على[2] أولها - كما ترى - [أيّ - [3]] انطباق، و اتسقت جميع آياتها أخذا بعضها بحجز بعض أيّ اتساق ؛ فسبحان من أنزل هذا القرآن على أعظم البيان ! مخجلا لمن أباه من الأمم، معجزا لأصحاب السيف[4] و القلم، و الله [سبحانه و تعالى - [3]] أعلم[5] .

/١٥٦

(١) في ظ : اطبق (٢) تكرر في الأصل (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : السبت (٥) زيد في ظ : بالصواب .

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء السادس من تفسير « نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور » للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله يوم الجمعة السابع و العشرين من شهر جمادى الأولى سنة ١٣٩٣ هـ = ٢٩ / يونيو سنة ١٩٧٣ م تحت مراقبة الأديب الأريب و الحسيب اللبيب صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد المعيد خان مدير الدائرة و عميدها - أبقاه الله لخدمة العلم و الدين !

و قد عنى بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة رفيق الفاضل محمد عمران الأعظمى العمرى (الحامل شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس) حفظه الله !

و اعتنى بتنقيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه !

و يليه الجزء السابع إن شاء الله تعالى أوله « سورة الانعام » .

و فى الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه !

و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد

السيد محمد حبيب الله القادرى الرشيد

(كامل الجامعة النظامية)

صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنعام[1]

مقصودها الاستدلال على ما دعا إليه الكتابُ فى السورة الماضية من التوحيد بأنه الحاوِى[2] لجميع الكمالات من الإيجاد و الإعدام و القدرة على البعث و غيره ، و أنسب الأشياء المذكورة فيها لهذا المقصد الأنعام ، لأن الإذن فيها – كما يأتى – مسبب عما ثبت له من الفلق[3] و التفرد بالخلق ، و تضمن باقى ذكرها إبطالَ ما اتخذوه من أمرها دينا ، لأنه لم يأذن فيه و لا إذن لأحد معه ، لأنه المتوحد بالإلهية ، لا شريك له ، و حصر المحرمات من المطاعم التى هى جُلُّها فى هذا الدين و غيره ، فدل ذلك على إحاطة علمه ، و سيأتى فى سورة طٰهٰ البرهان الظاهر[4] على أن إحاطة العلم[4] ملزومة لشمول القدرة و سائر الكمالات ، و ذلك عين مقصود السورة ، و قد ورد من عدة طرق – كما بينتُ[5] ذلك فى كتابى « مصاعد النظر[6] »

---

(١) مكية إلا آيتان عند البعض ، و إلا ثلاث آيات أو ست آيات عند الآخرين ، و عدة آياتها عند الكوفيين مائة و خمس و ستون ، و عند البصريين و الشاميين ست و ستون ، و عند الحجازيين سبع و ستون – راجع روح المعانى ٢/٤١٩ (٢) فى ظ : الحائز (٣) فى ظ : العلو – كذا (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : ثبت (٦) فى ظ : المنظر ، و اسمه التام : مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور .

أنها نزلت جملة واحدة يشيعها سبعون ألف ملك، لهم زجل بالتسبيح، و فى رواية: إن نزولها كان ليلا، و إن الأرض كانت ترتج لنزولها. و هى كلها فى حجاج المشركين و غيرهم من المبتدعة[1] و القدرية و أهل الملل الزائغة، و عليها مبنى أصول الدين لاشتمالها على التوحيد و العدل و النبوة و المعاد و إبطال مذاهب الملحدين. و إنزالها على الصورة المذكورة يدل على أن أصول الدين فى غاية الجلالة، و أن تعلّمه واجب على الفور لنزولها جملة، بخلاف الأحكام فانها تفرق بحسب المصالح. و لنزولها ليلا دليلٌ على غاية البركة لأنه محل الأنس بنزوله تعالى إلى سماء الدنيا، و على[2] أن هذا العلم لا يقف على أسراره إلا البصراء الأيقاظ من سنة الغفلات، أولو الألباب أهل الخلوات و الأرواح الغالبة على الأبدان و هم قليل. ﴿بسم الله﴾ الذى بين دلائل توحيده بأنه الجامع لصفات الكمال ﴿الرحمٰن﴾ الذى أفاض على سائر الموجودات من رحمته بالإيجاد و الإعدام ما حيّر لعمومه[3] الأفهام. فضاقت به[2] الأوهام ﴿الرحيم﴾ الذى حبا أهل الإيمان بنور البصائر حتى كان الوجود ناطقا لهم، بالإعلام بأنه الحى القيوم السلام. ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة[4] بأوصاف الكمال[4] ﴿لله﴾.

لما ختم سبحانه تلك بتحميد عيسى عليه السلام لجلاله[5] فى ذلك

---

(١) فى ظ: المبتدعين (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: لعموم (٤-٤) فى ظ: بالاوصاف الكاملة (٥) فى ظ: الجلاله.

اليوم فى ذلك الجمع ، ثم تحميد نفسه[1] المقدسة بشمول الملك والقدرة ، إذ الحمد هو الوصف بالجميل ؛ افتتح سبحانه و تعالى هذه السورة[2] بالإخبار[3] بأن ذلك الحمد و غيره من المحامد مستحق له استحقاقا ثابتا دائما قبل إيجاد الخلق و بعد إيجاده سواء شكره العباد أو كفروه ، لما له سبحانه و تعالى من صفات[4] الجلال و[4] الكمال - على ما تقدمت الإشارة إليه فى الفاتحة - ٥ فأتى بهذه الجملة الاسمية المفتتحة باسم الحمد الكلى الجامع لجميع أنواعه الدالة على الاستغراق ، / إما بأن اللام له عند الجمهور ، أو بأنها للجنس - / ١٥٧ كما هو مذهب الزمخشرى ، و يؤل[5] إلى مذهب الجمهور ، فان الجنس إذا كان مختصا به لم يكن[6] فردٌ منه لغيره ، إذ الجنس لا يوجد إلا ضمن أفراده ، فمتى وجد فرد منه لغيره[2] كان الجنس موجودا فيه فلم يكن ١٠ الجنس مختصا به و قد قلنا : إنه مختص ، و هذا التحميد صار[7] بوصفه فردا[8] من أفراد تحميد الفاتحة تحقيقا لكونها[9] أمّا ، و عقبها سبحانه بالدليل الشهودى على ما ختم به تلك من الوصف بشمول القدرة بوصفه بقوله : ﴿ الذى خلق ﴾ .

و لما كان تعدد السماوات ظاهرا بالكواكب فى سيرها و حركاتها ١٥ فى السرعة و البطوء واستتار[10] بعضها ببعض عند الخسوف و غيره و غير[2] ذلك

---

(١) زيد فى الأصل : ثم تحمده لنفسه ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الاخبار (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : موول - كذا (٦) فى ظ : فلم يكن (٧) فى ظ : سا - كذا (٨) فى ظ : فرد (٩) فى ظ : لكونه (١٠) من ظ ، و فى الأصل : استار .

مما هو محرر عند أهله : جمعها فقال : ﴿ السمٰوٰت ﴾ أى على علوها و إحكامها ، [قدمها لما تقدم قريبا -[1]] ﴿ و الارض ﴾ أى على تحليها[2] بالمنافع و انتظامها .

و لما كان فى الجعل معنى التضمن[3] فلا يقوم المجعول بنفسه قال : ﴿ و جعل ﴾ أى أحدث و أنشأ لمصالحكم ﴿ الظلمٰت ﴾ أى الأجرام المتكاثفة كما تقدم[4] ﴿ و النور ﴾[5] و جمع الأول تنبيها على أن طرق الشر و الهلاك كثيرة تدور على الهوى ، و قد تقرر بهذا ما افتتح به السورة ، لأن من تفرد باختراع الأشياء كان هو المختص بجميع المحامد ، و من اختص بجميع المحامد لم يكن إله سواه و لم يكن له شريك ، لا ثانى اثنين و لا ثالث ثلاثة و لا غير ذلك ، و ما أحسن ختمها - بعد الإشارة إلى هذه المقاصد المبعدة لأن يكفر به أو يعدل به شىء - بقوله : ﴿ ثم الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من أدلة وحدانيته التى لا خفاء بها عن أحد جرّد نفسه من الهوى ، و عالج أدواءه بأنفع دواء ، لإحاطته بجميع صفات الكمال ، و زاد الأمر تقبيحا عليهم بابدال[6] ما كان الأصل فى الكلام من الضمير[7] بقوله : ﴿ بربهم ﴾ أى المحسن إليهم الذى لم يروا إحسانا إلا منه ﴿ يعدلون ﴾ أى يجعلون غيره ممن لا يقدر على شىء معادلا له مع[8] معرفتهم به[8] بأنه الذى أبدع الأشياء ،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : تخللها (٣) فى ظ : التضمين (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ . و فى الأصل : جعل (٦) فى ظ : بدل (٧) من ظ ، و فى الأصل : الضم (٨) سقط من ظ .

كفرا لنعمته و بُعدا من رحمته ، فبعضهم عدل به بعض الجواهر من خلقه من السماء كالنجوم ، أو من الأرض كالأصنام ، أو بعض ما ينشأ عن بعض خلقه من الأعراض و هو خلقه كالنور و الظلمة ، و الحال أن تقلباتهما[1] تدل بأدنى[2] النظر على أمرين : الأول بُعدهما عن الصلاحية للالهية لتغيرهما " قال[3] لا احب الأفلين " ، و الثانى قدرة خالقهما ٥ و مغيرهما على البعث[4] لإيجاد كل منهما بعد إعدامه كما هو شأن البعث - إلى غير ذلك من الأسرار التى تدق عن[5] الأفكار ، و تقديمُ الظلمة مناسب لسياق العادلين ، و التعبير بثم للتنبيه[6] على ما[6] كان ينبغى لكل راءٍ[7] لهذا الخلق من الإبعاد عن الكفر لبعده عن الصواب ، فقد لاح أن[8] مقصد السورة الاستدلال على ما دعا إليه الكتاب الذى تبين ١٠ أنه الهدى من توحيد الله و الاجتماع عليه و الوفاء بعهوده بأنه سبحانه وحده الخالق الحائز لجميع الكمالات من القدرة على البعث و غيره ، و ما أنسب ذلك بختم المائدة بذكر يوم الجمع و أن لِمَلِكِه[9] جميع الملك ، و هو على كل شىء قدير ، و هذه السورة أول السور الأربع[10] المشيرة إلى جميع النعم المندرجة تحت "النعم الأربع[11]" التى اشتملت عليها الفاتحة ، ١٥ و كل سورة منها [8]مشيرة إلى نعمة من النعم الأربع[8] ، فقولُه[12] "خلق السمٰوٰت و الارض "- الآية ثم "خلقكم / من طين" ثم[8] "و ما من ١٥٨ /

(١) من ظ . و فى الأصل : تقلباتها (٢) من ظ ، و فى الأصل : بادانى (٣) من القرآن الكريم آية ٧٦ ، و فى الأصل و ظ : انى (٤) من ظ ، و فى الأصل : البعض (٥) فى ظ : على (٦ - ٦) من ظ ، و فى الأصل : عليها (٧) فى ظ : واحد . (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : الملكة - كذا (١٠) من ظ ، و فى الأصل : الاربعة (١١ - ١١) فى ظ : الأربع النعم (١٢) فى ظ : بقوله .

دابة فى الارض" - الآية ، متكفل[1] بتفصيل نعمة الإيجاد الأول لجميع العالمين من السماوات و الأرض و ما بينهما و ما فيهما من آدمى و غيره المشار إليه فى الفاتحة برب العالمين كما تقدم .

و لما تكفلت السور[2] المتقدمة بالرد على مشركى[3] العرب و اليهود ٥ و النصارى مع الإشارة إلى إبطال جميع أنواع الشرك ، سيق مقصود هذه السورة فى أساليب متكفلة بالرد على بقية الفرق ، و هم الثنوية[4] من المجوس القائلون[5] بالهين اثنين و بأصلين : [6] النور و الظلمة ، و يقرون بنبوة إبراهيم عليه الصلاة و السلام فقط ، و الصابئة القائلون بالأوثان السماوية و الأصنام الأرضية متوسطين إلى رب الأرباب ، و ينكرون ١٠ الرسالة فى الصورة البشرية ، و أصحاب الروحانيات ، أعنى مدبرات الكواكب و الأفلاك ، و ينتسبون[7] إلى ملة إبراهيم عليه السلام ، و يدعون أنه منهم - و قد أعاذه الله من ذلك ، و السمنية[8] القائلون بالهية الشمس ، مع تأكيد الرد على الفرق المتقدمة على أن جميع فرقهم يجتمعون فى اعتبار النجوم ، يتبين ذلك لمن نظر فى كتب فتوح بلاد الفرس فى أيام ١٥ الصديق و الفاروق رضى الله عنهما ، و قال تنكلوشا[9] البابلى فى أول كتابه

---

(١) فى ظ تنكفل (٢) فى ظ : السورة (٣) من ظ ، و فى الأصل : مشرك .
(٤) وقع فى الأصل : الثريه ، و فى ظ : بالثوية - كذا ، و التصحيح من كتاب البدء و التاريخ ٤ / ٢٤ حيث ذكر أديان من قال باثنين أو بأكثر (٥) فى ظ : القائلين (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها .
(٧) فى ظ : ينسبون (٨) فى ظ : الشمسية ، و الصواب ما فى الأصل - راجع البدء و التاريخ (٩) فى ظ : تنكلوما - كذا .

فى

فى أحكام الدرج[1] الفلكية أن القدماء من الكسدانيين استنبطوا غوامض أسرار الفلك، و كان عندهم أجل العلوم و لم يكونوا يظهرون علم الفلك لكل الناس، بل كانوا يخفون أكثره عن عامتهم، و يعطونهم منه[2] بمقدار ما يصلح، و يتدارسون الباقى بينهم مطويا[3] بين علمائهم [4]و حكمائهم[4]، ثم ذكر تقسيمهم درج الفلك على ثلاثمائة و ستين، ثم قال: وقسموا الدرج ٥ أقساما كثيرة حتى قالوا: إن بعضها ذكور[5] و بعضها إناث، و بعضها مسعدة و بعضها منحسة، ثم قال: كل ذلك يريدون فيه الدلالة منها على ما تدل عليه فى عالمنا و على أحوالنا حتى جعلوا لكل درجة عالما و خلقا [6]منفردا بمدته[6]، و أن ذلك العالم و الخلق يندرسون و ينشأ بعدهم غيرهم - إلى غير ذلك من الكلام الذى يرجع إلى اعتقاد تأثير النجوم بنفسها - ١٠ تعالى الله عن أن يكون له شريك أو يكون له[2] كفوا أحد.

و لما قرر سبحانه أنه[2] هو الذى خلق السماوات و الأرض اللتين منها و فيهما الأصنام و الكواكب و الأجرام التى عنها النور و الظلمة، فثبت وجوده على ما هو عليه من الإحاطة بأوصاف الكمال التى أثبتها الحمد، فبطلت جميع مذاهبهم، فعجب منهم بكونهم يعدلون به غيره، أتبع ذلك ١٥ اختصاصه بخلق هذا النوع البشرى، و هو - مع ما فيه من الشواهد له

(١) من ظ، و فى الأصل: المدارج، وسمى هذا الكتاب فى كشف الظنون ١/٧٤٠: درج الفلك - فى الأحكام (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: مطلوبا. (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: ذكورا (٦ - ٦) من ظ، و فى الأصل: فتفرد بعدته.

بالاختصاص بالحمد و الرد على المُطرِين لعيسى عليه السلام المخلوق من الطين بخلق أبيهم آدم عليه السلام - مؤكـدٌ[1] لإبطال مذهب الثنوية، و ذلك أنهم يقولون: إن النار خالق الخير، و الظلمة خالقة[2] الشر، فاذا ثبت أنه الخالق[3] لنوع الآدميين الذين منهم الخير و الشر من شيء واحد، و هو الطين الذى ولد منه المنى الذى جعل منه الأعضاء المختلفة فى اللون و الصورة و الشكل من القلب و غيره من الأعضاء البسيطة[4] كالعظام و الغضاريف[4] و الرباطات و الأوتار، ثبت أن خالق أوصافهم من الخير و الشر واحد قدير عليم، لأن توليد الصفات المختلفة من المادة المتشابهة[5] لا يكون إلا و مبدعه واحد مختار، لا اثنان، / و هو الذى خلق الأرض ١٥٩ / التى منها أصلهم، و هو الله الذى اختص بالحمد فقال: ﴿ هو الذى خلقكم ﴾ و لما كانوا يستبعدون البعث لصيرورة الأموات ترابا و اختلاط تراب الكل بعضه ببعض و[6] بتراب الأرض، فيتعذر التمييز[7]، و كان تمييز[8] الطين لشدة اختلاط أجزائه بالماء أعسر من تمييز التراب قال: ﴿ من طين ﴾ أى فميز طينة كل[9] منكم - مع أن منكم الأسود و الأبيض و غير[10] ذلك و الشديد و غيره - من طينة الآخر بعد أن جعلها ماء ثخينا له قوة الدفق و نماها إلى حيث شاء من الكبر.

(١) فى ظ: موكدا (٢) فى ظ: خالق (٣) من ظ، و فى الأصل: خالق. (٤-٤) فى ظ: كالطعام و العطاريف - و هو خطأ، و الغضاريف جمع غضروف و هو كل عظم رخص، و يقال أيضا: الغرضوف (٥) من ظ، و فى الأصل: المتشابه (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: التميز (٨) من ظ، و فى الأصل: تميز (٩) من ظ، و فى الأصل: كلا (١٠) من ظ، و فى الأصل: ثم.

و لما كان من المعلوم أن ما كانا[1] من شيء واحد كانت مدة بقائهما واحدة ، نبه بأداة التراخي على كمال قدرته و اختياره من[2] المفاوتة بين الآجال فقال : ﴿ ثم قضى ﴾ أي حكم حكما تاما و بتّ و أوجد ﴿ اجلا ﴾ أي وقتا مضروبا لانقضاء العمر و قطع التأخر لكل واحد منكم خيرا كان [3]أو شريرا ، قويا كان[3] أو ضعيفا ، من أجل يأجل أجولا - إذا تأخر ، وجعل تلك الآجال - مع كونها متفاوتة[4] - متقاربة لا مزية لأحد منكم بصفة على آخر بصفة مغائرة لها ، وفاعل ذلك لا يكون إلا واحدا فاعلا بالاختيار .

و لما ذكر الأجل الأول الذي هو الإبداع من الطين إشارة إلى ما فرع منه من الآجال المتفاوتة ، ذكر الأجل الآخر الجامع للكل ، لأن ذكر البداية يستدعي ذكر النهاية ، فقال مشيرا إلى تعظيمه بالاستئناف و التنكير : ﴿ و اجل ﴾ أي عظيم ﴿ مسمى ﴾ أي لكم أجمعين لانقضاء البرزخ للاعادة التي هي في مجاري عاداتكم أهون من الابتداء لمجازاتكم[5] و الحكم بينكم الذي هو محط حكمته و مظهر نعمته و نقمته في وقت واحد ، يتساوى فيه الكل ، و ستر علمه عن الكل كما أشار إليه بالتنكير ، و هذا لا يصح أن يكون إلا لواحد ، لا متعدد ، و إلا لتباينت المقادير و الإرادات و انشق كل مقدور في صنف[6] لا يتعداه ، و إلا لعلا بعضهم على بعض و انهتكت[7] أسرار البعض بالبعض - سبحان الله و تعالى عما يصفون ، و غير السياق إلى الاسمية إشارة إلى اختصاصه بعلمه و أنه ثابت لا شك فيه ! و يؤكده[8] إثبات قوله : ﴿ عنده ﴾ في هذه الجملة و حذفها

(١) من ظ ، و في الأصل : كان (٢) في ظ : في (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) في ظ : لمجازتكم (٦) في ظ : صنعه (٧) من ظ ، و في الأصل : انتهكت (٨) في ظ : موكدة .

من الأولى[1] هنا[2] و فى قوله "ثم يبعثكم[3] فيه ليقضى اجل مسمى" و قدم المبتدأ مع تنكيره - و الأصل تأخيره - إفادة[4] لتعظيمه .

و لما كان فى هذا من البيان لوحدانيته[5] و تمام قدرته[6] لا سيما على البعث الذى هو مقصود حكمته ما يبعد معه الشك فى الإعادة ، أشار إليه بأداة التراخى و صيغة الافتعال فقال : ﴿ ثم انتم تمترون ۝ ﴾ أى تكلفون أنفسكم الشك فى كل من الوحدانية و الإعادة التى هى أهون على مجارى عاداتكم من الابتداء ، بتقليد الآباء و الركون إلى مجرد الهوى و الإعراض عن الأدلة [التى -[7]] هى أظهر من ساطع الضياء ، و هذه الآية نظير آية الروم" او لم يتفكروا فى انفسهم[8]" أى كيف خلقهم الله من طين ، و سلط بعضهم[9] على بعض بالظلم و العدوان ، و جعل لهم آجالا فاوت بينها[10] و ساوى فى ذلك بين الأصل و الفرع ، فأنتج هذا أنه ما خلق الله السماوات و الأرض "و ما بينهما" إلا بالحق ، أى[2] بسبب إقامة العدل فى جميع ما وقع بينكم من الاختلاف كما هو شأن كل مالك فى عبيده "و اجل مسمى" - الآية . و قال الإمام أبو جعفر[12] بن الزبير : لما بين سبحانه / و تعالى حال[2] المتقدمين[13] ١٦٠/ و هو الصراط المستقيم ، و أوضح ما [14]يظهر الحذر[14] [من -[7]] جانبى الأخذ و الترك ، و بين[15] حال من تنكب عنه ممن كان قد يلمحه[16] ، و هم

(١) من ظ ، و فى الأصل : الاول (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل و ظ : نبعثكم - كذا . و التصحيح من القرآن الكريم آية ٦٠ ، و الآية بالغيبة بلا خلاف . (٤) من ظ ، و فى الاصل : لافادة (٥) فى ظ : الوحدانية (٦) فى ظ : القدرة (٧) زيد من ظ (٨) آية ٨ (٩) فى ظ : بعض (١٠) فى ظ : منها (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) فى الأصل : جعفر ، و الصواب ما فى الأصل ، و هو أحمد ابن إبراهيم بن الزبير - راجع معجم المؤلفين ١ / ١٣٨ (١٣) فى ظ : المتقين . (١٤-١٤) فى ظ : يحذر - كذا (١٥) فى ظ : من (١٦) فى ظ : تلمحه .

اليهود و النصارى، و كونهم لم يلتزموا الوفاء به[1] و حادوا عما أنهج[2] لهم، و انقضى أمر الفريقين، ذما لحالهم و بيانا لنقضهم و تحذيرا للمتقين أن يصيبهم ما أصابهم، و ختم ذلك ببيان حال المؤقنين فى القيامة يوم ينفع الصادقين صدقهم، و قد كان انجرّ مع ذلك ذكر مشركى العرب و صممهم عن الداعى و عماهم عن الآيات. فكانوا أشبه بالبهائم منهم بالأناسى، أعقب ٥ ذلك تعالى بالإشارة إلى طائفة مالت[3] إلى النظر و الاعتبار، فلم توفق لإصابة الحق و قصرت عن الاستضاءة بأنوار الهدى. و ليسوا ممن يرجع إلى شريعة قد حرفت و غيرت، بل هم فى صورة [4]من هَمّ[4] أن يهتدى[5] بهدى الفطرة و يستدل بما بسط الله تعالى فى المخلوقات فلم يمعن النظر و لم يوفق فضلّ و هم المجوس و سائر الثنوية ممن كان قصارى[6] أمره نسبة ١٠ الفعل إلى النور و الإظلام، و لم يكن تقدم لهؤلاء ذكر و لا إخبار بحال فقال تعالى "الحمد لله الذى خلق السمٰوٰت و الارض و جعل الظلمٰت و النور" فبدأ تعالى بذكر خلق السماوات و الأرض التى عنها وجد النور و الظلمة، إذ الظلمة ظلال هذه الأجرام، و النور عن أجرام نيرة محمولة فيها [و هى الشمس - [7]] و القمر و النجوم، فكان الكلام: الحمد لله الذى ١٥ أوضح الأمر لمن اعتبر و استبصر، فعلم أن وجود النور و الظلمة متوقف بحكم السببية التى شاءها تعالى على وجود أجرام السماوات و الأرض

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: انعج (٣) من ظ، و فى الأصل: اومات - كذا (٤ - ٤) من ظ، و فى الأصل: منهم - كذا متصلا (٥) من ظ، و فى الأصل: يهدى (٦) من ظ، أى غاية أمره، و فى الأصل: قصارين (٧) زيد من ظ.

و ما أودع فيها، و مع بيان الأمر فى ذلك حاد [عنه -[1]] من عمى عن الاستبصار "ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" و قوله تعالى "هو الذى خلقكم من طين" مما يزيد هذا المعنى وضوحا ، فانه تعالى ذكر أصلنا و المادة التى عنها أوجدنا ، كما ذكر للنور و الظلمة ما هو كالمادة ، و هو وجود السماوات و الأرض ، و أشعر لفظ 'جعل' بتوقف الوجود بحسب المشيئة على ما ذكر ، و كان قد قيل : أىّ فرق [بين -[1]] وجود النور و الظلمة عن وجود السماوات و الأرض و بين وجودكم عن الطين حتى يقع امتراء فيه[2] عن نسبة الإيجاد إلى النور و الظلمة ، و هما لم يوجدا إلا بعد مادة أو سبب كما طرأ فى إيجادكم ؟ فالأمر فى ذلك أوضح شىء "ثم انتم تمترون" ، ثم مرت السورة من أولها إلى آخرها منبهة على بسط الدلالات فى الموجودات مع التنبيه على أن ذلك لا يصل إلى استثمار فائدته[3] إلا من هيئ[4] بحسب السابقة فقال تعالى "انما يستجيب الذين يسمعون" ثم قال تعالى "و الموتى يبعثهم الله" . و هو - و الله أعلم - من نمط "او من كان ميتا فاحييناه" ، أجمل هنا ثم فسر بعد فى السورة بعينها ، و المراد أن من الخلق من جعله الله سامعا مطيعا متيقظا معتبرا بأول وهلة ، و قد أرى المثال سبحانه و تعالى فى ذلك فى قصة إبراهيم عليه السلام فى قوله "و كذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات و الارض" فكأنه[5] يقول لعباده المتقين : تعالوا فانهجوا طريق الاعتبار ملة أبيكم

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : فتدعى (٣) فى ظ : زايدة (٤) فى ظ : هيأ (٥) من ظ ، و فى الأصل : كأنه .

إبراهيم [1]كيف نظر[1] عليه السلام نظر السامع المتيقظ! فلم يعرج فى أول نظره على ما سبب وجوده بيّن فيحتاج فيه إلى غرض فى الكواكب و القمر و الشمس، بل نظر فيما عنه[2] صدر النور، لا فى النور، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا، فتأمل كونه عليه السلام لم يطول النظر بالتفات النور، ثم كان يرجع إلى اعتبار الجرم / الذى عنه[2] النور، بل لما رأى ٥ /١٦١ النور عن أجرام سماوية تأمل تلك الأجرام و ما قام بها من الصفات، فرأى الأفول و الطلوع و الانتقال و التقلب فقال: هذا لا يليق بالربوبية لأنها صفات حدوث، ثم رقى[3] النظر إلى القمر و الشمس فرأى ذلك الحكم جاريا فيهما فحكم بأن وراءها مدبرا لها يتنزه عن الانتقال و الغيبة و الأفول فقال: "انى وجهت وجهى للذى فطر السمٰوٰت و الارض"، ١٠ و خص عليه السلام ذكر هذين لحملهما أجرام [4]النور و سببيتهما[4] فى وجود الظلمة[5]. ثم تأمل هذا النظر منه عليه السلام و كيف خص بالاعتبار أشرف الموجودين[6] و أعلاهما، فكان فى ذلك وجهان من الحكمة: أحدهما علو النظر و نفوذ البصيرة فى اعتبار الأشرف الذى إذا بان منه الأمر فهو فيما سواه أبين، فجمع بين قرب التناول و علو التهدى[7]، ١٥ و الوجه الثانى التناسب بين حال الناظر و المنظور فيه و التناول و الجرى على الفطرة العلية، و هو من قبيل أخذ نبينا صلى الله عليه و سلم اللبن حين عرض عليه اللبن و الخمر فاختار اللبن، فقيل له: اخترت الفطرة!

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: عنه (٣) من ظ، وفى الأصل: رمى (٤-٤) فى ظ: النورية وسببها (٥) من ظ، وفى الأصل: الوجودين (٦) أى الاسترشاد، و فى ظ: الهدى.

فكان قد قيل : هذا النظر و الاعتبار بالهام، لا نظر من أخلد إلى الأرض فعمد الضياء و الظلام، و ينبغى أن يعتمد فى قصة إبراهيم عليه السلام فى هذا الاعتبار أنه صلى الله عليه و سلم فى قوله : « هذا ربى » إنما [قصد - [1]] قطع حجة من عبد شيئا من ذلك [2]إذ كان[2] دين قومه، فبسط لهم الاعتبار و الدلالة، و أخذ يعرض ما قد تنزه[3] قدرُه عن الميل إليه، فهو كما يقول المناظر لمن يناظره : هب أن هذا على ما تقول[4]، يريد بذلك إذعان خصمه و استدعاءه[5] للاعتبار حتى يكون غير [6]مناظر له[6] ما لا يعتقده، ليبنى على ذلك مقصوده ليقلع[7] خصمه و هو على يقين من أمره، فهذا ما ينبغى أن يعتمد هنا لقول يوسف عليه السلام " ما كان لنا ان نشرك بالله من شىء[8] " فالعصمة قد اكتنفتهم عما يتوهمه[9] المبطلون و يتقوله المفترون، و يشهد لما قلناه قوله تعالى " و تلك حجتنا آتينها ابرٰهيم على قومه[10] " فهذه حال من علت درجته من الذين يسمعون، فمن الخلق من جعله الله سامعا بأول وهلة و هذا مثال شاف فى ذلك. ومنهم الميت، و الموتى على ضربين[11] : منهم من يزاح[12] [عن - [1]] جهله و عمهه، و منهم من يبقى فى ظلماته ميتا لا حراك به، يبين ذلك قوله تعالى " او من كان ميتا فاحيينه و جعلنا له

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ : فكان (٣) من ظ، و فى الأصل : نزه (٤) فى ظ : يقول (٥) فى ظ : استدناه (٦-٦) فى ظ : منا قوله (٧) فى ظ : ليقع. (٨) سورة ١٢ آية ٣٨ (٩) فى ظ : يتوهمونه (١٠) من القرآن الكريم - راجع آية ٨٣ من الأنعام، و فى الأصل و ظ : قوله (١١) من ظ، و فى الأصل : جزئين - كذا (١٢) فى ظ : يرح - كذا.

نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمت ليس بخارج منها "؛
و لما كانت السورة متضمنة[1] جهات الاعتبار و محركة إلى النظر و معلنة
من مجموع آيها أن المعتبر و المتأمل - و إن [2]لم يكن[2] متيقظا بأول
وهلة ، و لا سامعا أول محرك ، و لا مستجيبا[3] لأول سامع - قد ينتقل
حاله عن جموده[4] و غفلته إلى أن يسمع و يلحق بمن كان يتيقظ[5] فى ٥
أول وهلة ؛ ناسب تحريكُ العباد و أمرهم بالنظر أن تقع الإشارة فى
صدر السورة إلى حالتين : حالة السامعين لأول وهلة ، و حالة السامعين
فى ثانى حال ، فقيل : / " انما يستجيب الذين يسمعون و الموتى ١٦٢/
يبعثهم الله " و لم تقع هنا إشارة إلى القسم الثالث مع العلم به ، و هو
الباقى على همود و موته ممن[6] لم يحركه زاجر و لا واعظ و لا اعتبار ، و لأن ١٠
هذا الضرب لو ذكر هنا لكان فيه ما يكسل من ضعفت همته ، رجعت حالةُ
ابتدائه ، فقيل : " و الموتى يبعثهم الله " و أطلق ليعمل الكل على هذا
البعث من الجهل و التيقظ من سنة الغفلة كما دعا الكل إلى الله دعاء
واحدا فقيل : " يايها الناس اعبدوا ربكم " ثم اختلفوا فى إجابة الداعى
بحسب السوابق هكذا ، و ردّ هذا " و الموتى يبعثهم الله " إسماعا للكل ، ١٥
و فى صورة التساوى مناسبة للدعاء لتقوم الحجة على العباد ، حتى إذا[6]
انبسطت الدلائل و انشرحت الصدور لتلقيها[6] و تشبثت[7] النفوس

(١) من ظ ، و فى الأصل : مضمنة (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : يكن .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : مسحيا - كذا (٤) فى ظ : خموده (٥) فى ظ : يتعظ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : تسبب - كذا .

و تعلقت بحسب ما قدر، و فاز بالخير أهله، قال تعالى بعد آى: "او من كان ميتا فاحييٰنه و جعلنا له نورا يمشى به فى الناس" و كان قد قيل [لمن -[1]] انتقل عن حالة الموت فرأى قدر نعمة الله عليه باحيائه: هل يشبه الآن حالك النيرة[2] - بما منحت حين اعتبرت - بحالك الجمادية؟ فاشكر ربك

٥ و اضرع إليه فى طلب الزيادة، و اتعظ[3] بحال من لزم حال موته فلم تغن عنه الآيات، و هو المشار إليه [بقوله -[1]] "كمن مثله فى الظلمٰت ليس بخارج منها"، "انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه"، "و لو اننا نزلنا اليهم الملٰئكة وكلمهم الموتى و حشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله"، "سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم [لا يؤمنون -[4]]"

١٠ و كان القسم المتقدم الذى سمع لأول وهلة لم يكن ليقع ذكره هنا من جهة قصد أن أراه قدر هذه النعمة و إنقاذ[5] المتصف بها من حيرة شك[6] موقعها فيما تقدم من قوله "انما يستجيب الذين يسمعون" فذكر هنا ما هو واقع فى إراءة[7] قدر نعمة الإنقاذ و التخليص[8] من عمى الجهل، هذا حال من انتقل بتوفيق الله و حال من بقى على موته، أو يكون الضربان[9] قد

١٥ شملهما قوله "او من كان ميتا فاحييٰنه" و أما الثانى و هو الذى ثبتت[10] فيه صورة النقل فأمره صريح من الآية وأما الضرب الأول و هو السامع لأول[11]

---

(١) زيد من ظ (٢) فى الأصل: التنزه - كذا، و فى ظ: البره (٣) من ظ. وفى الأصل: و النقص - كذا (٤) زيد من ظ والقرآن الكريم سورة ٢ آية ٦ (٥) فى ظ: ابعاد (٦) من ظ، وفى الأصل: شكه (٧) من ظ، وفى الأصل: اراه - كذا (٨) من ظ، وفى الأصل: التخلص (٩) وقع فى ظ: ضر - كذا مقطوعا (١٠) من ظ، وفى الأصل: يسبب (١١) فى ظ: الأول.

وهلة المكنى المؤنة لواقى العصمة من طوارق الجهل و الشكوك ، فدخوله [تحت - [1]] مقتضى هذا اللفظ من حيث أن وقايته تلك أو سماعه بأول وهلة ليس من جهته و لا بما سبق أو تكلف ، بل باسداء[2] الرحمة و تقديم النعمة ، و لو[3] أبقاه لنفسه أو وكله إليها لم يكن كذلك " و ما بكم من نعمة فمن الله[4] " فبهذا النظر قد تكون الآية قد شملت الضروب الثلاثة و هو أولى ، أما سقوط الضرب الثالث من[5] قوله " انما يستجيب الذين يسمعون " فلما تقدم - و الله أعلم بما أراد ؛ و لما تضمنت هذه السورة الكريمة من بسط الاعتبار و إبداء جهات النظر ما إذا تأمله المتأمل علم أن حجة الله قائمة على العباد ، و أن إرسال الرسل رحمة و نعمة و فضل و إحسان ، و إذا كانت الدلالات[6] مبسوطة و الموجودات مشاهدة مفصحة . و دلالة النظر من سمع و أبصار / و أفئدة موجودة ، فكيف يتوقف عاقل فى عظيم رحمته تعالى بارسال الرسل ! فتأكدت الحجة و تعاضدت البراهين ، فلما عرف الخلق لقيام الحجة عليهم بطريق الإصغاء إلى الداعى [7] و الاعتبار[7] بالصنعة ؛ قال تعالى " قل فلله الحجة البالغة "، " فقد جاءكم بينة من ربكم و هدى و رحمة " فبما[8] عذر المعتذر بعد هذا ؟ أتريدون كشف الغطاء و رؤية الأمر عيانا ! لو استبصرتم لحصل لكم ما منحتم ، " هل ينظرون الا ان تاتيهم الملئكة او ياتى ربك أو ياتى بعض ايت ربك " - الآية ، ثم ختمت السورة من التسليم و التفويض

/ ١٦٣

(١) زيد من ظ (٢) فى الأصل و ظ : باسد - كذا (٣) سقط من ظ .
(٤) سورة ١٦ آية ٥٣ (٥) فى ظ : فى (٦) فى ظ : الدلائل (٧ - ٧) فى ظ : فالاعتبار (٨) فى ظ : فما .

بما يجدى مع قوله " فلو شاء لهديكم اجمعين " و حصل من السور الأربع بيان أهل الصراط المستقيم و طبقاتهم[1] فى سلوكهم و ما ينبغى لهم التزامه[2] أو تركه ، و بيان حال المتنكبين عن سلوكه من اليهود و النصارى و عبدة الأوثان و المجوس - انتهى .

٥ و لما كان علم جميع أحوال المخلوق دالا على أن العالم بها هو خالقه ، و[3] أن من ادعى أن خالقه عاجز عن ضبط مملكته : عن كشف غيره لعوراتها و علم ما لا يعلمه هو[4] منها ، [5]فلم يكن[5] إلها ، و كان الإله هو العالم وحده ، و كان المحيط العلم لا يعسر عليه تمييز التراب من التراب ، و كان صلى الله عليه و سلم يخبرهم عن الله من مغيبات أسرارهم و خفايا أخبارهم

١٠ مما يقصون منه العجب و يعلمون منه إحاطة العلم حتى قال أبو سفيان ابن حرب يوم الفتح : لو تكلمت لأخبرت عن هذه الحصباء[6] ، قال تعالى عاطفا على " هو الذى " دالا على الوحدانية بشمول العلم بعد قيام الدليل على تمام[7] القدرة و الاختيار ، لأن إنكارهم المعاد لأمرين : أحدهما ظن أن المؤثر فى الأبدان امتزاج الطبائع و إنكار أن المؤثر هو[4] قادر

١٥ مختار ، و الثانى أنه - على تقدير تسليم الاختيار - غير عالم بالجزئيات ، فلا يمكنه تمييز بدن[8] زيد عن أجزاء[4] بدن عمرو ، فاذا قام الدليل على

---

(١) فى ظ : تلقيايهم - كذا (٢) فى ظ : التزامهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : او (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ : و كان (٦) و فى سيرة ابن هشام ٢/٢١٩ : الحصى - و كلاهما واحد (٧) زيد بعده فى الأصل : علم ، و لم تكن الزيادة فى فى ظ فحذفناها (٨) فى ظ : بدون .

كمال قدرته سبحانه و اختياره و شمول علمه لجميع المعلومات : الكليات و الجزئيات[1] ، زالت جميع الشبهات : ﴿ و هو الله ﴾ أى الذى له هذا[1] الاسم المستجمع لجميع الأسماء الحسنى و الصفات العلى المدعو به تألها له و خضوعا و تعبدا ، و علق بهذا المعنى قوله : ﴿ فى السمٰوٰت ﴾ [لأن من فى الشىء يكون متصرفا فيه - [2]] . ٥

و لما كان الخطاب لمنكرى البعث أكد فقال : ﴿ و فى الارض[1] ﴾ أى هذه صفته دائما [[2] - على هذا المراد من أنه سبحانه ثابت له هذا[3] الاسم الذى تفرد به على وجه التأله و التعبد فى كل من جهتى[4] العلو و السفل ، و لا يفهم ذو عقل صحيح ما يقتضيه الظاهر من أنه محوى ، فان كل محوى منحصر محتاج إلى حاويه و حاصره ، ضعيف التصرف ١٠ فيما وراءه ، و من كان محتاجا نوع احتياج لا يصلح للألوهية و المشيئة لحديث الجارية : أين الله ؟ قالت : فى السماء ، و محجوج بحديث " أنت الأول فليس قبلك شىء ، و أنت الآخر فليس بعدك شىء ، و أنت الظاهر فليس فوقك شىء ، و أنت الباطن فليس دونك شىء " فان ظاهره منافٍ لظاهر الأول ، و ظاهر هذا مؤيد بقاطع النقل من أنه غير محتاج ، ١٥ و مؤيد بصحيح النقل " ليس كمثله شىء " أى لا فى ذاته و لا صفاته و لا شىء من شؤنه ، و " قد كان الله و لا شىء معه " ، و حديث « ليس فوقك شىء » - رواه مسلم و الترمذى و ابن ماجه فى الدعوات و أبو داود فى الأدب عن أبى هريرة رضى الله عنه - و الله الموفق] .

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : بهذا (٤) زيدت الواو بعده فى ظ فحذفناها لاستقامة العبارة .

و لما كان المراد إثبات أن علمه تعالى محيط ، نسبةُ كل من الخفى و الجلى إليه على السواء[1] ، و كان السياق هنا للخفى فانه فى بيان خلق الإنسان و عجيب صنعه فيه بما خلق[2] فيه من إدراك المعانى و هيأه له من قبل أن يقدر على التعبير عنه ، ثم أقدره على ذلك ؛ قدم الخفى فقال شارحا لكونه لا يغيب عنه شىء : ﴿ يعلم سركم ﴾ .

و لما كان لا ملازمة بين علم السر و الجهر لأنه قد يكون فى الجهر لفظ شديد يمنع اختلاط الأصوات فيه من علمه ، صرح به فقال : ﴿ و جهركم ﴾ و نسبة كل منها إليه على حد سواء[3] ، و لا توصف واحدة منها بقرب فى المسافة إليه و لا بعد ؛ و لما كان السر و الجهر شائعين فى الأقوال ، و كانت الأقوال تتعلق بالسمع ، ذكرما يعمهما و هو شائع فى الأفعال المتعلقة بالبصر فقال : ﴿ و يعلم ما تكسبون * ﴾ فأفاد ذلك صفتى[4] السمع و البصر مع إثبات العلم . فلما تظاهرت الأدلة و تظافرت[5] الحجج و هم عنها ناكبون ، وصل بذلك فى جملة حالية قولَه ، معرضا عنهم إيذانا باستحقاقهم شديد الغضب : ﴿ و ما تأتيهم ﴾ أى هؤلاء الذين هم أهل للاعراض عنهم ، و أعرق فى النفى بقوله : ﴿ من آية ﴾ أى علامة على صحة ما دعاهم إليه رسولهم صلى الله عليه و سلم . و بعض بقوله : ﴿ من آيات ربهم ﴾ أى المحسن إليهم بنصب الأدلة و إفاضة العقول و بعث الرسول ﴿ الا كانوا عنها معرضين ٥ ﴾ أى هذه صفتهم دائما قصدا للعناد لئلا[6] يلزمهم الحجة ، و يجوز أن يكون

/ ١٦٤ /

(١) من ظ ، و فى الأصل : استواء (٢) فى ظ : تعلق (٣) فى ظ : السواء (٤) فى ظ : صفة (٥) من ظ ، و فى الأصل : تنافرة - كذا (٦) فى ظ : دليلا - كذا .

ذلك معطوفا على " يعدلون " .

و لما كان إعراضهم عن النظر سببا لتكذيبهم ، و هو سبب لتعذيبهم قال[1] : ﴿ فقد كذبوا ﴾ أى أوقعوا تكذيب الصادق ﴿ بالحق ﴾ أى بسبب الأمر الثابت الكامل فى الثبات كله . لأن الآيات كلها متساوية فى الدلالة على ما تدل عليه الواحدة منها ﴿ لما جآءهم ﴾[2] أى لم يتأخروا عند المجىء أصلا لنظر و لا لغيره ، و ذلك أدل ما يكون على العناد[3] .

و لما كان الإعراض عن الشىء هكذا فعل المكذب المستهزئ الذى بلغ بتكذيبه[3] الغايةَ القصوى ، و هى الاستهزاء ، قال : ﴿ فسوف ياتيهم ﴾ أى بوعد صادق لا خلف فيه عند نزول العذاب بهم و إن تأخر إتيانه ﴿ انبـٰؤا ما كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ به يستهزءون ٥ ﴾ أى يجددون الهزء به بغاية الرغبة فى طلبه ، و هو أبعد شىء عن الهزء ، و النبأ : الخبر العظيم ، و هو الذى يكون معه الجزاء ، و أفاد تقديم الظرف أنهم لم يكونوا يهزؤن بغير الحق الكامل - كما ترى كثيرا من المترفين لا يعجب[4] من العجب و يعجب[5] من غير العجب ، أو أنه عد[6] استهزاءهم بغيره بالنسبة إلى الاستهزاء به عدما .

و لما أخبر بتكذيبهم على هذا الوجه و توعدهم [7]بتحتم تعذيبهم[7] ، أتبعه ما يجرى مجرى الموعظة و النصيحة ، فعجب من تماديهم مع ما علموا

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٢ - ٢) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « الاستهزاء قال » و الترتيب من ظ (٣) فى ظ : تكذيبه (٤) فى ظ : فلا تعجب.
(٥) فى ظ : تعجب (٦) فى ظ : قد (٧-٧) فى ظ : بتحيتهم .

من إهلاك من كان أشد منهم قوة و أكثر جمعا و جنى[1] من سوابغ النعم بما لم[2] يعتبروه فيه مع ما ضموه إلى تحقق[3] أخبارهم من مشاهدة آثارهم و عجيب اصطناعهم فى أبنيتهم و ديارهم مستدلا بذلك على تحقيق ما قبله من التهديد على الاستهزاء ، فقال مقررا منكرا موبخا معجبا : ﴿ الم يروا ﴾ و دل على كثرة المخبر عنهم تهويلا للخبر بقوله : ﴿ كم اهلكنا ﴾ .

و لما كان المراد ناسا معينين لم يستغرقوا زمن القبل ، و هم أهل المكنة الزائـــدة كقوم نوح و هود و صالح ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ و بيّن "كم" بقوله : ﴿ من قرن ﴾ أى جماعة مقترنين فى[4] زمان واحد ، و [هم -[5]] أهل كل مائة سنة - كما صححه القاموس - لقول النبى صلى الله عليه وسلم لغلام[6] : عش قرنا ، فعاش مائة . [7]هذا نهاية القرن ، و الأقرب[7] أنه لا يتقدر ، بل إذا انقضى أكثر أهل عصر قيل : انقضى القرن ، و دل على ما شاهدوا من آثارهم بقوله : ﴿ مكنّهم ﴾ أى ثبتناهم بتقوية الأسباب[8] من البسطة[9] فى الأجسام و القوة فى الأبدان و السعة [7]فى الأموال ﴿ فى الارض ﴾ أى بالقوة و الصحة و الفراغ ما لم نمكنكم ، و مكنا لهم بالخصب و البسطة و السعة[7] ﴿ ما لم نمكن ﴾ أى تمكينا لم نجعله ﴿ لكم ﴾ أى نخصكم به ، فالآية من الاحتباك أو شبهه ، و الالتفات من

(١) من ظ ، و فى الأصل : حى - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : له (٣) من ظ ، و فى الأصل : نعق (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) و هو عبد الله بن بشر - كما فى البحر المحيط ٤ / ٦٥ (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : الاشياء (٩) فى ظ : البسط .

الغيبة إلى الخطاب لئلا يلتبس[1] الحال، لأن ضمير الغائب يصلح لكل من المفضول و[2] الفاضل، و لا يُبقِى اللبس التعبيرُ بالماضى[3] فى قوله: ﴿و ارسلنا السمآء﴾ / أى المطر تسمية للشىء باسم سببه أو السحاب ﴿عليهم﴾. / ١٦٥

و لما كان المراد المطر، كان التقدير: حال كونه ﴿مدرارا ص﴾ أى ذا سيلان غزير[4] متتابع. لأنه صفة مبالغة من الدر، قالوا: و يستوى فيه المذكر و المؤنث. ٥

و لما ذكر نفعهم بماء السماء، و كان غير دائم، أتبعه ماء الأرض لدوامه و ملازمته للبساتين و الرياض فقال: ﴿و جعلنا الانهر تجرى﴾ و لما كان عموم الماء بالأرض[5] و بُعْده مانعا من تمام الانتفاع بها، أشار إلى قربه و عدم عموم الأرض به بالجار فقال: ﴿من تحتهم﴾ أى على ١٠ وجه الأرض و أسكناه فى أعماقها فصارت بحيث إذا حفرت نَبَعَ منها [من -[6]] الماء ما يجرى منه نهر.

و لما كان من المعلوم أنه من الماء كل شىء حى، فكان من أظهر الأشياء أنه غزر نباتهم و اخضرت سهولهم و جبالهم، فكثرت زروعهم و ثمارهم، فاتسعت أحوالهم و كثرت أموالهم فتيسرت آمالهم، أعلم ١٥ سبحانه أن ذلك ما كان إلا لهوانهم استدراجا لهم بقوله مسببا عن ذلك: ﴿فاهلكنهم﴾ أى بعظمتنا ﴿بذنوبهم﴾ أى التى كانت عن بطرهم[7] النعمةَ

(١) من ظ، و فى الاصل: لئلا يلبس (٢) فى ظ: من (٣) فى الأصل: بالماض، و فى ظ: لما مضى (٤) فى ظ: عظيم (٥) من ظ، و فى الأصل: للارض. (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: بطونهم.

و لم نبال بهم و [1]لا أغنت[1] عنهم نعمهم .

و لما كان الإنسان ربما أبقى على عبده أو صاحبه خوفا من الاحتياج إلى مثله ، بين أنه سبحانه غير محتاج إلى شيء فقال : ﴿و انشانا﴾ و لما كان سبحانه لم يجعل لأحد الخلد ، أدخل الجار فقال : ﴿من بعدهم﴾ أى فيما كانوا فيه ﴿قرنا﴾ و دل على أنه لم يُبق من المهلكين أحدا ، و أن هذا القرن الثانى لا يرجع[2] إليهم بنسب[3] بقوله : ﴿أخرين ۝﴾ و لم ينقص ملكُنا شيئا ، فاحذروا أن نفعل بكم كما فعلنا بهم ، و هذه الآية مثل آية الروم " او لم يسيروا فى الارض[4] " - الآية ، فتمكينهم[5] هو المراد بالشدة هناك ، و التمكين لهم هو المراد بالعمارة ، و الإهلاكُ بالذنوب هو المراد بقوله " فما كان الله ليظلمهم " - إلى آخر الآيتين .

و لما كانت ترجمة ما مضى : ثم هم[6] يعدلون بربهم[6] غيرَه و يكذبونك فيما جئت به من الحق مع ما أوضحت عليه من الحجج و نصبت من الدلائل ، و كان صلى الله عليه و سلم شديد الحرص على إيمانهم ، كان المقام يقتضى أن يقول لسان الحال : أنزل عليهم يا رب ما ينتقلون به من النظر بالفكر إلى العيان كما اقترحوا علىّ ، فأخبره أنهم لا يؤمنون بذلك ، بقوله عطفا على "و ما تاتيهم من اٰية" تحقيقا[7] له و تصويرا فى جريته[7] : ﴿و لو نزلنا﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿عليك كتبا﴾ أى مكتوبا من السماء

(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : اعتب - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل: مسبب (٤) آية ٩ (٥) من ظ . و فى الأصل: فتمكنهم (٦-٦) فى ظ : بربهم يعد لون (٧) فى الأصل : جرسه ، و فى ظ : خرقه - كذا .

﴿ فى قرطاس ﴾ أى ورق ، إجابة لما أشار عليهم اليهود باقتراحه ، ثم حقق أنه واضح الأمر ، ليس بخيال و لا فيه نوع لبس بقوله : ﴿ فلمسوه ﴾ أى زيادة على الرؤية ، و زاد فى التحقيق و التصوير و دفع التجوز بقوله : ﴿ بايديهم لقال[1] ﴾ و أظهر و لم يضمر تعليقا للحكم بالوصف و تنبيها على أن من الموجودين من يسكت و يؤمن و لو بعد[2] ذلك فقال : ﴿ الذين كفروا ﴾ أى حكما[3] بتأبد[4] كفرهم سترا للآيات عنادا و مكابرة ، و لعله أسقط "منهم" إشارة إلى عموم دعوته ، أى من العرب و من غيرهم من أمة دعوتك و لا سيما اليهود المشار إلى تعنتهم[5] و كذبهم بقوله " يسئلك اهل الكتب ان تنزل[6] عليهم كتبا من السماء " ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هذآ الا سحر ﴾ أى تمويه و خيال لا حقيقة له ، و زادوا في الوقاحة فقالوا : ﴿ مبين ﴾ أى واضح ظاهر ، قال صاحب كتاب الزينة : معنى السحر فى كلام العرب التعليل[7] بالشيء و المدافعة به و التعزير بشيء لا محصول له ، يقال : سحره - إذا علله و عزره و شبه عليه حتى لا يدرى من أين يتوجه و يقلب عن وجهه / ، فكأن السحرة يعللون الناس بالباطل و يشبهون الباطل فى صورة الحق و يقلبونه عن جهته . / ١٦٦

و لما بين ما يترتب على الإجابة إلى ما أشار إلى أن اليهود اقترحوه من إنزال الكتاب ، أخبر أنهم اقترحوا ظهور الملك [لهم -[8]] ، و بين لوازمه ، فانهم قالوا : لو بعث الله رسولا لوجب كونه ملكا ليكون أكثر

(١) تأخر فى الأصل عن « ذلك فقال » (٢) فى ظ : تعدد (٣) من ظ ، و فى الأصل : حكمنا (٤) فى ظ : بسائر (٥) من ظ ، و فى الأصل : بغيهم (٦) من ظ و القرآن الكريم آية ١٥٣ من سورة النساء ، و فى الأصل : ينزل (٧) من ظ ، و فى الأصل : التعلل (٨) زيد من ظ .

علما و أقوى قدرة و أظهر امتيازا عن البشر ، فتكون[1] الشبهة فى رسالته أقل ، و الحكيم[2] إذا أراد تحصيل مهمّ[3] كان الأولى تحصيله بما هو أسرع إيصالا إليه ، فقال : ﴿ و قالوا لو لآ ﴾ أى هلا و لِمَ لا ﴿ انزل عليه ملك[4] ﴾ أى من السماء ظاهرا لنا يكلمنا و نكلمه و لا يحتجب عنا .

٥ و لما ذكر قولهم مشيرا إلى شبهتهم ، نقضه بقوله : ﴿ و لو ﴾ أى و الحال أنا لو ﴿ انزلنا ﴾ و أسقط أداة الاستعلاء لعدم الاحتياج فى رد كلامهم إلى ذكرها ، و[4] لئلا يكون فيه تسليهم لما لوحوا إليه من إنكارهم نزول الملك عليه بالوحى ﴿ ملكا ﴾ أى كما اقترحوه[5] ، فلا يخلو إما أن يكون على صورته[6] أو لا ، فان كان على صورته[6] التى خلق عليها لم يثبتوا ١٠ لرؤيته ، و لو كان كذلك ﴿ لقضى الامر ﴾ أى بهلاكهم ، و بناه[7] للمفعول إشارة على[8] طريق كلام القادرين إلى غاية السرعة لسهولة الأمر و خفة مؤنته ، فانه لا ينظره أحد منهم إلا صعق ، و لئن أعطيناهم قوة يثبتون بها لنظره ليكونن[9] قضاء الأمر و انفصال النزاع من وجه آخر ، و هو أن ذلك كشف للغطاء و فوات للايمان بالغيب ، و قد جرت عادتنا ١٥ بالإهلاك عند ذلك ، فاذا هم هالكون على كل من هذين التقديرين ، و هو معنى قوله مهولا لرتبته بحرف التراخى : ﴿ ثم لا ينظرون ﴾ أى على حالة من هاتين ، و أما إن جعلناه على صورة يستطيعون نظرها فانا نجعله

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فيكون (٢) فى ظ : الحكم (٣) فى ظ : همهم .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : اقتروه (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل .
(٧) فى ظ : بناوه (٨) من ظ ، و فى الأصل : الى (٩) فى ظ : ليكون .

على

على صورة رجل ، فانها أكمل الصور ؛ و حينئذ يقع لهم[1] اللبس الذى وقع لهم بدعائك ، و هو معنى ﴿ و لو جعلنه ﴾ أى مطلوبهم ﴿ ملكا ﴾ أى يمكن فى مجارى العادات فى هذه الدار رؤيتهم[2] له و بقاؤهم بعد رؤيته ﴿ لجعلنه رجلا ﴾ أى فى صورة رجل ، و لكنه عبر بذلك إشارة إلى تمام اللبس حتى [أنه -[3]] لا يشك أحد يراه فى كونه رجلا ، كما كان جبريل عليه السلام ينزل فى بعض الأوقات على النبى صلى الله عليه و سلم فى صورة دحية الكلبى ، فاذا رآه بعض الصحابة رضى الله عنهم لم يشك أنه دحية رضى الله عنه ﴿ و ﴾ لو جعلناه رجلا ﴿ للبسنا عليهم ما يلبسون ه ﴾ أى لخلطنا عليهم بجعلنا إياه رجلا ما يخلطونه[4] على أنفسهم و على غيرهم فى قولهم : إن الرسالة لا تصح من البشر ، فلو كان هذا [الذى يقول : إنه رسول -[3]] رسولا لكان ملكا ، فوقع اللبس عليهم بأنه لما كان [هذا -[3]] الذى[5] يقول : إنه رسول ، ملكا كان رجلا ، و يجوز أن يقرر ذلك على وجه آخر ، و هو أن يكون " و لو نزلنا " فى حيز " كانوا عنها معرضين " ، أى أعرضوا عنها لو نزلناها عليك فى غير قرطاس ، و لو نزلنا عليك من السماء كتابا فى قرطاس فجعلنا[6] لهم فى ذلك بين حس[7] البصر و اللمس لأعرضوا ، و قال الذين أبدنا كفرهم عنادا

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : رويته (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : ما يخطونه.
(٥) زيد بعده فى الأصل : يقول رسولهم الذى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.
(٦) فى ظ : لجعلنا (٧) فى ظ : حيز - كذا.

و مكابرة: ما هذا إلا سحر ظاهر، و يكون "و قالوا" معطوفا على "لقال الذين كفروا" و يكون ذلك قبل اقتراحهم لذلك بما حكاه الله تعالى عنهم فى سورة الإسراء بقوله "و قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا[1]" - إلى آخرها، فيكون إخبارا بمغيب .

٥ و لما قطع الرجاء لهداية من حكم بشقاوته، و كان طلبهم لإنزال الملك و نحوه إنما هو على سبيل [2]التعنت و[2] الاستهزاء، و كان ذلك يشق على رسول الله صلى الله عليه و سلم و المؤمنين رضى الله عنهم غاية المشقة / ، التفتت النفس إلى الإراحة منهم و توقعته لما تقدم من مظاهر العظمة، فأخبره أنه فاعل ذلك فى سياق متكفل بتسليته، و أن [3]ذلك ١٠ لم يزل[3] سنته[4] فيمن فعل فعلهم، فقال - عاطفا على قوله "فسوف يأتيهم انبؤا" - : ﴿ و لقد ﴾ أى هذا منهم إنما هو استهزاء بك و لقد ﴿ استهزئ ﴾ أى أوقع الهزء و أوجد من الأمم، و بنى للمفعول لأن المنكى الاستهزاء، لا كونه من معين، و إشارة إلى أنه كان يقع لهم ذلك من الأعلى و الأدنى ﴿ برسل ﴾ .

١٦٧ /

١٥ و لما كان القرب فى الزمن فى مثل هذا مما يسلى، و كان كل[5] من [6]الاستهزاء و الإرسال[6] لم يستغرق الزمن[7]، أدخل الجار فقال: ﴿ من قبلك ﴾ فأهلكنا من هزأ بهم، و هو معنى ﴿ فحاق ﴾ أى فأحاط

(١) آية ٩٠ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣ - ٣) فى ظ : تلك لم تزل . (٤) من ظ، و فى الأصل : سنة (٥) من ظ، و فى الأصل : ذاك (٦ - ٦) فى ظ : الارسال و الاستهزاء (٧) فى ظ : الزمان .

﴿ بالذين سخروا منهم ﴾ أى من أولئك الرسل ﴿ ما كانوا به يستهزءون ﴾ أى من العذاب الذى[1] كانوا يتوعدون به[2]، و كان سببا لهزئهم .

و لما [علم الله تعالى أنهم يقولون فى جواب هذا : إن هذا إلا أساطير الأولين -[3]] ، أمره صلى الله عليه و سلم بعد ما مضى من التعجيب من كونهم لم ينظروا بقلوبهم أو أبصارهم مصارع الماضين فى قوله "الم[4] يروا كم اهلكنا" أن يأمرهم بأن يشاهدوا مصارع من تمكن فى قلوبهم علم أنهم أهلكوا بمثل تكذيبهم من قوم صالح و لوط و شعيب و غيرهم ليغنيهم[5] ذلك عن مشاهدة ما اقترحوا فقال تعالى : ﴿ قل سيروا ﴾ أى أوقعوا السير للاعتبار و لا[6] تغتروا بامهالكم و تمكينكم ﴿ فى الارض ﴾ - [7]الآية ، و هى[7] كالدليل على قوله تعالى "لقال[8] الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين" .

و لما كان السياق للتهديد بالتحذير من مثل أخذ الأمم الماضية ، و كان قد سلف[9] أنه لا تقدمهم[10] عن آجالهم ، أمهلهم فى النظر فانه أقوى فى التهديد ، و أدل على القدرة ، و أدعى إلى النصفة[11] و لا سيما و السورة من أوائل القرآن نزولا[12] و أوائله ترتيبا فقال : ﴿ ثم انظروا ﴾ و أشار إلى أن هذا أهل لأن يسأل عنه بقوله : ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر

(١) فى ظ : الذين (٢) سقط من ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ : او لم (٥) فى الأصل : لتعنتهم ، و فى ظ : ليعينهم - كذا (٦) فى ظ : فلا .
(٧-٧) فى ظ : و هو (٨) فى ظ : لقاله (٩) فى الأصل و ظ : اسلف - كذا .
(١٠) فى ظ : يقدمهم (١١) من ظ ، و فى الأصل : النص - كذا (١٢) من ظ ، و فى الأصل : و لا - كذا .

﴿ المكذبين ﴾ أى أنعموا النظر و بالغوا فى التفكر و أطيلوا[1] التدبر إذا رأيتم آثار المعذبين لأجل تكذيب الرسل، فانكم إذا شاهدتم تلك الآثار كمل لكم الاعتبار و قوى الاستبصار، و ذلك إشارة إلى أن الأمر فى غاية الانكشاف، فكلما طال الفكر فيه ازداد ظهورا.

٥ و لما أمرهم سبحانه بالسير، سألهم هل يرون فى مسيرهم[2] و تطوافهم و جولانهم و اعتسافهم شيئا لغير الله؟ تذكيرا لهم بما[3] رحمهم به من ذلك فى إيجاده[4] لهم أولا و تيسير منافعه و دفع مضاره ثانيا، استعطافا لهم إلى الإقبال عليه و الإعراض عن الخضوع لما هو مثلهم أو أقل منهم، و هو ملكه سبحانه و فى قبضته، و تقبيحا لأن يأكلوا خيره و يعبدوا ١٠ غيره. فقال مقررا لهم على إثبات الصانع و النبوة و المعاد، و مبكتا بسفههم و شدة جهلهم و عمههم: ﴿قل لمن﴾ و نبه بتقديم المعمول على الاهتمام بالمعبود[5] ﴿ما فى السموٰت و الارض[6]﴾.

و لما كانوا فى مقام العناد حيث لم يبادروا إلى الإذعان بعد نهوض[6] الأدلة و إزاحة كل علة، أشار إلى ذلك بقوله معرضا عن انتظار جوابهم ١٥ توبيخا لهم بعدم[7] النصفة التى يدعونها: ﴿قل لله[6]﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة قدرة و علما و لا كفوء له، لا لغيره، و هم و إن كانوا معاندين فانهم لا يمكنهم رد قولك، لا سيما و جواب الإنسان عما سأله إنما يحسن

(١) فى ظ: اطلبوا (٢) فى ظ: سيرهم (٣) فى ظ: مما (٤) فى ظ: ايجاد (٥) فى ظ: بالعمود (٦) فى ظ: شهود (٧) من ظ، و فى الأصل: بعد.

أن

أن يتعاطاه هو بنفسه / إذا كان قد بلغ فى الظهور إلى حد لا يقدر على ١٦٨ /
إنكاره منكر ، و هو هنا كذلك لأن آثار الحدوث و الإمكان[1] ظاهرة
على صفحات الأكوان ، فكان الإقرار به ضرورى ، لا خلاف فيه[2] .

و لما كان أكثر ما فى هذا الكون منافع مع كونها حسنة لذيذة
طيبة شهية ، و ما كان فيها[3] من مضار فهى محجوبة ممنوعة عنهم[4] ، يقل ٥
وصولها إليهم [5]إلا بتسببهم[5] فيها ، و الكل مع ذلك دلائل ظاهرة على
وحدانيته و تمام علمه و قدرته ، وكان ذلك أهلا لأن يتعجب منه لعموم
هذا الإحسان ، مع ما هم عليه من الإثم و العدوان ، و تأخير العذاب
عنهم مع العناد و الطغيان ، قال دالا على أن رحمته سبقت غضبه مستأنفا :
﴿ كتب ﴾ أى وعد وعدا هو كالمكتوب الذى ختم ، و أكد غاية التأكيد ، ١٠
أو كتب حيث أراد سبحانه .

و لما كانت النفس يعبر بها[6] عن الذات على ما هى عليه قال :
﴿ على نفسه الرحمة[1] ﴾ أى فلذلك أكرمكم هذا الإكرام بوجوه الإنعام ،
و أخر عنكم الانتقام بالاستئصال . و لو شاء [هو -[7]] لسلط[8] عليكم المضار ،
و جعل عيشكم من غير اللذيذ كالتراب و بعض القاذورات التى يعيش بها ١٥
بعض الحيوانات .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الانكار (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : فيه (٤) فى ظ : منهم (٥ - ٥) فى ظ : لانفسهم (٦) فى ظ : عنها (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : لسلطهم .

و لما كان ذلك [1]مطمعا للظالم البطر[1] ، و معجبا محيرا مؤسفا[2] للمظلوم[3] المنكسر ، قال محذرا مرجيا مبشرا ملتفتا إلى مقام الخطاب لأنه أبلغ و أنص على المقصود دالا على البعث بما مضى من إثبات أن الأكوان لله ، لأن كل ما فيها[4] موصوف بصفات يجوز اتصافه بأضدادها ، فاختصاص كل جسم بصفته المعينة إنما يكون بتخصيص الفاعل المختار ، فيكون قادرا على الإعادة ، لأن التركيب الأول إنما كان لأن صانعه قادر على جميع الممكنات لكونه عالما بجميع المعلومات ، و الاتصافُ بذلك لا يجوز انفكاكه عنه فهو ملك مطاع آمر ناه مرسل من يبلغ عنه أوامره و نواهيه لإظهار ثمرة الملك من الثواب و العقاب فى يوم الجمع : ﴿ ليجمعنكم ﴾ أى و الله محشورين شيئا فشيئا ﴿ الى يوم القيٰمة[5] ﴾ للعدل بين جميع العباد كائنا ﴿ لا ريب فيه[5] ﴾ أى بوجه من الوجوه ، و ذلك الجمع لتخصيص الرحمة فى ذلك اليوم بأوليائه و المقت و النقمة[6] بأعدائه بعد أن كان عم بالرحمة الفريقين فى يوم الدنيا ، و جُعل الرحمة أظهر فى حق الأعداء ، [و بهذا الجمع تمت الرحمة من كثير من الخلق ، و لولاه ارتفع الضبط و كثر الخبط كما كان فى الجاهلية - [7]] .

و لما كان ذلك كذلك فى عدم الريب لإخبار الله به على ألسنة رسله و لما عليه من الأدلة لما فى هذا الخلق من بدائع الحكم مع خروج أكثر أفعال الحيوان عن العدل ، فصار من المعلوم

(١-١) فى ظ : مطعما (٢) فى ظ : مؤسعا (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى الأصل وظ : فيه - كذا (٥) زيد من ظ و القرآن الكريم (٦) فى الأصل وظ : النعمة - كذ (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

لكل ذى وهى أن البعث محط الحكمة لإظهار التحلى بالصفات العُلى لجميع الخلق : الشقى و السعيد القريب و البعيد ، كان كأنه قيل : فما لنا نرى[1] أكثر الناس كافرا به ، فقال جوابا : ﴿ الذين خسروا انفسهم ﴾ أى باهلاكهم إياها بتكذيبهم به لمخالفة[2] الفطرة الأولى التى[3] تهدى الأخرس ، و ستر العقل[4] السليم ﴿ فهم ﴾ أى بسبب خسارتهم لأنفسهم باهمال العقل[5] و إعمال الحواس و التقيد بالتقليد ﴿ لا يؤمنون ﴾ فصاروا كمن يلقى نفسه من شاهق ليموت لغرض من الأغراض الفاسدة ، لا بسبب خفاء فى أمر القيامة و لا لبس بوقع ربنا ، و صار المعنى : إن الذين لا يؤمنون فى هذا اليوم هم[6] المقضى بخسارتهم فى ذلك اليوم .

و لما استنارت الأدلة / استنارة الشمس و انتصبت البراهين حتى لم يبق أصلا نوع لبس ، عم بالخبر عما تقدم مما يشاهدونه و غيره ، فقال ذاكرا [7]الزمان بعد المكان[7] . و قدمه لأنه أظهر ، و المعلم الكامل هو الذى يبدأ بالأظهر فالأظهر مترقيا إلى الأخفى فالأخفى ، فتم بذلك الخبر عن الزمان و الزمانيات و المكان و المكانيات : ﴿ و له ﴾ أى وحده ﴿ ما سكن ﴾ أى حل و تحيز[8] و حصل ﴿ فى اليل و النهار[8] ﴾ أى ما من شأنه أن يسكن فيهما و إن كان متحركا ، و لكنه عبر بذلك دون التحرك لأنهما دار الموت ، و دخل فى ذلك النور و الظلمة اللذان أشرك بهما من أشرك .

و لما دل ما[5] مضى على القدرة التامة ، و انقسم إلى متحرك و ساكن ،

(١) فى ظ : لا نرى (٢) فى ظ : بمخالفة (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ ، و فى الأصل : العقلا (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : هو (٧-٧) فى ظ : الزمان (٨) من ظ ، و فى الأصل : تحتر .

وكانت القدرة لا تتم إلا بالعلم، دل عليه بقوله: ﴿ وهو ﴾ أى لا غيره ﴿ السميع ﴾ أى البالغ السمع لكل متحرك ﴿ العليم ٥ ﴾ أى العام[1] العلم بالبصر والسمع وغيرهما بكل متحرك وبكل ساكن من أقوالكم وأفعالكم وغيرهما، فلا تطمعوا[2] فى أن يترك شىء من مجازاتكم، والعليم هنا أبلغ من البصير، وذلك مثل ما تقدم فى قوله "قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم" وهو ترجمة قوله "يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون".

ولما نهض من الحجج ما لم يبق معه لذى بصيرة شك، كان لسان الحال مقتضيا لأن ينادى [بالإنكار عليهم فى الالتفات عن جنابه والإعراض عن بابه فأبرز -[3]] تعالى ذلك فى قالب الأمر له صلى الله عليه وسلم بالإنكار على نفسه، ليكون أدعى لهم وأرفق بهم، ولأن ما تقدم منبئ عن غاية المخالفة، منذر بما أنذر من سوء عاقبة المشاققة، فكأنهم قالوا: فهل من سبيل إلى الموافقة؟ فقيل: لا إلا باتخاذكم [4]إلهى وليا[4]، وذلك لعمرى سعادتكم فى الدارين، وبتطمعكم[5] فى اتخاذى أندادكم أولياء، وهذا ما لا يكون أبدا، وهو معنى قوله تعالى: ﴿ قل ﴾ أى مصرحا لهم بانكار أن تميل[6] إلى أندادهم بوجه.

ولما كان الإنكار منصبا إلى كون الغير متخذا، لا إلى اتخاذ الولى،

---

(١) فى ظ: التام (٢) من ظ، وفى الأصل: فلا تطعموا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤-٤) فى ظ: الى اوليا - كذا (٥) فى ظ: بتطعمكم (٦) فى الأصل وظ: يميل.

أولى "غير[1]" الهمزة [فقال -[2]] : ﴿ اغير الله ﴾ أى الذى لا شىء يدانيه فى العظمة ﴿ اتخذ ﴾ [أى -[3]] أكلف نفسى إلى خلاف ما تدعو إليه الفطرة الأولى و العقل المجرد عن الهوى كما فعلتم أنتم و آخذ ﴿ وليا ﴾ أى أعبده لكونه يلى جميع أمورى، ثم وصفه بما يحقق ولايته و يصرف عن ولاية غيره فقال : ﴿ فاطر السمٰوٰت و الارض ﴾ أى خالقهما ابتداء على غير مثال سبق ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أن الله ﴿ يطعم ﴾ أى يرزق كل من سواه مما فيه روح .

و لما كان المنفى كونه[4] سبحانه مفعولا من الطعم، لا كون ذلك من مطعم معين، بنى للمفعول قوله : ﴿ و لا يطعم[5] ﴾ [أى -[3]] و لا يبلغ أحد بوجه من الوجوه أن يطعمه، و المعنى أن المنافع من عنده، و لا يجوز عليه الانتفاع، فامتنع فى العقل اتخاذ غيره وليا، لأن غيره محتاج فى ذاته و [فى -[3]] جميع صفاته إليه، و هو سبحانه الغنى على الإطلاق، و هذا التفات[5] إلى قوله تعالى "ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل و أمه صديقة كانا يأكلن الطعام[6]" و تعريض بكل من عبد من دون الله و لا سيما الأصنام، فانهم كانوا يهدون لها الأطعمة فتأكلها[7] الدواب و الطيور، فمعلوم أنها لا[4] تطعِم و لا تطعَم، روى الدارمى فى[1]

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : عن (٢) زيد من ظ ، غير أن فيه « قال » (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : الالتفات (٦) سورة ٥ آية ٧٥ (٧) من ظ ، و فى الأصل : فياكلها .

/ ١٧٠ أول / مسنده بسند حسن عن الأعمش عن مجاهد قال: حدثني مولاي أن أهله بعثوا معه بقدح فيه زبد و لبن إلى آلهتهم، قال: فنعني أن آكل الزبد مخافتها[1]، فجاء كلب فأكل الزبد و شرب اللبن ثم بال على الصنم. و مولاه كان شريك النبي صلى الله عليه و سلم قبل الإسلام،

٥ و اختلف فيه فقيل: هو قيس بن السائب بن عويمر بن عائذ بن عمران[2] ابن مخزوم، و قيل: قريبه السائب بن أبي السائب صيفي بن عائذ بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم، و قيل: ابنه عبد الله بن السائب - و الله أعلم؛ و له عن أبي رجاء - هو[3] العطاردي و هو مخضرم - قال: كنا في الجاهلية إذا[4] أصبنا حجرا حسنا عبدناه، و إن لم نصب حجرا جمعنا كثبة[5] من

١٠ رمل، ثم جئنا بالناقة الصفي[6] فنفاج[7] [8]عليها فنحلبها[8] على الكثبة حتى نرويها، ثم نعبد تلك الكثبة ما أقمنا بذلك المكان. و فيه أيضا إيماء إلى أنه كما[9] خلقكم كلكم من طين على اختلافكم في المقادير و الألوان و الأخلاق و هو غني عنكم، فكذلك خلق المطعومات على اختلاف أشكالها و طعومها و منافعها و ألوانها من طين، و جعلها منافع لكم

١٥ و هو غني[9] عنها، و سيأتي التصريح بذلك في قوله "و هو الذي انزل

(١) في ظ: مخافة (٢) و في الإصابة: و قيل في نسبه: عبد الله بن عمر - بدل عمران (٣) في ظ: عن (٤) في ظ: اذ (٥) في ظ: كثيبة (٦) من الدارمي، و في الأصل: الصيفي، و في ظ: العيفا - كذا، و في الدارمي: قال أبو محمد: الصفي: الكثيرة الألبان (٧) أي نفرج بين رجليها - راجع أول الدارمي. (٨-٨) من الدارمي، و في الأصل: عليه فيحلبها، و في ظ: عليه فيجعلها. (٩) سقط من ظ.

من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شيء" المستوفى[1] فى مضماره " فكلوا مما ذكر اسم الله عليه" و فى الآية كلها التفات إلى قوله أول السورة "ثم الذين كفروا بربهم يعدلون" و قوله فى التى قبلها "و لو كانوا يؤمنون بالله و النبي[2] و ما انزل عليه[2] ما اتخذوهم اولياء" فى أمثالها مما فيه تولى الكفار لغير خالقهم سبحانه و تعالى، هذا لو لم يرد أمر[3] من قِبَل الخالق كان ٥ [4]النظر السديد[4] كافيا فى التنزه عنه، كما كنتُ[5] قبل النبوة لا ألتفت إلى أصنامكم و لا أعتبر للعبادة شيئا من أنصابكم، فكيف و قد أمرت بذلك! و هو معنى ﴿قل انى امرت﴾ أى من جهة من له الأمر، و لا أمر إلا له، و هو من تقدم[6] أن له كل شيء، و هو الله وحده ﴿ان اكون﴾ أى[7] بقلبي و قالبي ﴿اول من اسلم﴾ فى الرتبة مطلقا، و فى الزمان بالنسبة ١٠ إلى الأمة.

و لما كان الأمر بالإسلام نهيا[8] عن الشرك، لم يكتف به، بل صرح به جمعا بين الأمر و النهى من هذا الرب الكريم الذى يدعو إحسانه و كرمه إلى ولايته، و ينهى تمام ملكه و جبروته عن شيء من عداوته، فى قوله عطفا على "قل" على[7] وجه التأكيد: ﴿و لا تكونن﴾ أى بوجه ١٥ من الوجوه فى وقت من الأوقات أصلا[7] ﴿من المشركين﴾ أى فى

---

(١) فى الأصل: المسرف، و فى ظ: المستوف (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ، و راجع آية ٨١ (٣) من ظ، و فى الأصل: امرا (٤-٤) فى ظ: البطر الشديد (٥) من ظ، و فى الأصل: كتب (٦) من ظ. و فى الأصل: عدم. (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: نفيا.

عدادهم باتباعهم فى شىء من أغراضهم ، و هذا التأكيد لقطع أطماعهم عنه صلى الله عليه و سلم فى سؤالهم أن يطرد بعض أتباعه ليوالوه . و نحو ذلك مما كانوا يرجون مقاربته[1] منهم به ، إعلاما بأن فعل شىء مما يريدون مصحح للنسبة[2] إليهم و الكون فى عدادهم «من تشبه بقوم فهو منهم» .

٥ و لما كان فعل المنهى قد لا يعذب عليه ، قال معلما بأن المخالفة فى هذا من أبلغ المخالفات ، فصاحبها مستحق لأعظم الانتقام ، و كل ذلك فطما[3] لهم عن الطمع فيه ، و أكده لذلك و لإنكارهم مضمونه : ﴿ قل انى ﴾ و لما كان المقام للخوف ، قدمه فقال : ﴿ اخاف ان عصيت ﴾ أى شىء مما تريدون منى[4] أن أوافقكم فيه بما[5] أمرت به أو نهيت عنه ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلىّ

١٠ ﴿ عذاب يوم ﴾ و[6] لما كان عظم[6] الظرف بعظم مظروفه قال : ﴿ عظيم ﴾ .

/ ١٧١ / و لما كان قد قدّم من عموم رحمته ما أطمع الفاجر ثم أيأسه من ذلك بما أشير[7] إليه من الخسارة ، صرح هنا بما اقتضاه ذلك المتقدم ، فقال واصفا لذلك العذاب مبينا أن الرحمة فى ذلك اليوم على غير المعهود الآن ، فانها خاصة لا عامة دائمة السبوغ على من نالته ، لا زائلة ،

١٥ و كذا النعمة ، هكذا شأن ذلك اليوم ﴿ من يصرف عنه ﴾ أى ذلك العذاب ؛ و لما كان المراد دوام الصرف فى جميع اليوم ، قال : ﴿ يومئذ ﴾ أى يوم إذ يكون عذاب ذلك اليوم به[8] ﴿ فقد رحمه ﴾ أى فعل به بالإنعام عليه فعل المرحوم[8] ﴿ و ذلك ﴾ أى لا غيره ﴿ الفوز ﴾ أى

(١) فى ظ: مقارنته (٢) من ظ ، وفى الأصل : للتثنية (٣) من ظ ، وفى الأصل: معلما (٤) من ظ ، وفى الأصل : من (٥) فى ظ : مما (٦-٦) من ظ ، وفى الأصل: المكان عظيم (٧) فى ظ : اشار (٨) سقط من ظ .

الظفر بالمطلوب ﴿ المبين ﴾ أى الظاهر جداً ، و من لم يصرف عنه فقد أهانه ، و ذلك هو العذاب العظيم ،

و لما كان التقدير : فان يصرف عنك ذلك العذاب فقد قرت عينك ، عطف عليه دليلا آخر لأنه[1] لا يجوز فى العقل أن يتخذ غيره وليا ، فقال معمما للحكم فى ذلك العذاب وغيره مبينا أنه لا مخلص[2] لمن أوقع ٥ به : ﴿ و ان يمسسك الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له ؛ و لما كان المقام للترهيب[3] ، قدم قوله : ﴿ بضر ﴾ أى هنا أو هناك ﴿ فلا كاشف له ﴾ أصلا بوجه من الوجوه ﴿ الا هو[4] ﴾ أى[4] لأنه لا كفوء له ، فهو قادر على إيقاعه ، و لا يقدر غيره على دفاعه ، لأنه على كل شىء قدير ﴿ و ان يمسسك بخير ﴾ أى فى أى وقت أراد . ١٠

و لما كان القياس على الأول موجبا لأن يكون الجزاء : فلا مانع له ، كان وصفه "من صفة" قوله : ﴿ فهو على كل شىء ﴾ أى من ذلك و غيره ﴿ قدير ﴾ و لا يقدر غيره على منعه ، منبها على أن رحمته سبحانه سبقت غضبه .

و لما كانت الجملتان من الاحتباك ، فأفادتا[6] بما ذكر و ما دل عليه المذكور مما حذف أنه تعالى غالب على أمره ، قال مصرحا بذلك : ١٥ ﴿ و هو القاهر ﴾ أى الذى يعمل[7] مراده كله و يمنع غيره[8] مراده إن شاء ، و صور قهره و حققه [لتمكن الغلبة -[9]] بقوله : ﴿ فوق عباده[4] ﴾ وكل ما سواه عبد ؛ و لما كان فى القهر ما يكون مذموما ، نفاه بقوله : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الحكيم ﴾ فلا يوصل[10] أثر القهر بايقاع المكروه

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : انه (٢) فى ظ : لا يخلص (٣) فى ظ : للترتيب (٤) سقط من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : فافا (٧) زيد فى ظ : بقوله . (٨) من ظ ، و لا يتضح فى الأصل (٩) زيد من ظ (١٠) فى ظ : فلا توصل .

إلا لمستحق، وأتم المعنى بقوله: ﴿الخبير﴾ أى بما يستحق كل شىء، فتمت[1] الأدلة على عظيم سلطانه و أنه لا فاعل غيره.

و لما [ختم - [2]] بصفتى الحكمة و الخبرة، كان كأنه قيل: فَلِمَ لم يعلم [3]أنا نكذبك[3] بخبرته فيرسل معك بحكمته من يشهد لك - على ما يقول من أنه أمرك أن[4] تكون أول من أسلم، و نهاك عن الشرك لنصدقك - من ملك كما تقدم سؤالنا لك[5] فيه[6] أو كتاب فى قرطاس أو غيرهما؟ فقال: قد فعل، و لم يرض لى[5] إلا بشهادته المقدسة فقال - أو يقال: إنه لما أقام الأدلة على الوحدانية و القدرة و وصل إلى صفة القهر المؤذن بالانتقام، لم يبق إلا الإشهاد عليهم إيذانا بما يستحقونه من سوء العذاب و إنذارا به لئلا يقولوا إذا حل[7] بهم: إنه لم يأتنا نذير، فقال -: ﴿قل﴾ أى يا أيها الرسول لهم ﴿اىّ شىء اكبر﴾ أى [8]أعظم و أجل[8] ﴿شهادة[1]﴾ فان أنصفوا و قالوا: الله! فقل: هو الذى يشهد[9] لى، كما قال فى النساء "لكن الله يشهد بما انزل اليك[10]" و لكنه قطع الكلام هنا إشارة إلى عنادهم أو سكوتهم، أو إلى تنزيلهم منزلة المعاند، أو العالم بالشىء العامل عمل الجاهل، فقال آمرا له صلى الله عليه و سلم: ﴿قل الله قف﴾ أى الملك الأعظم المحيط علما و قدرة أكبر شهادة.

---

(١) فى ظ: فدلت (٢) زيد من ظ (٣-٣) فى ظ: لانا فلذلك (٤) فى ظ: بان. (٥) سقط من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: منه (٧) من ظ، و فى الأصل: كل (٨-٨) فى ظ: اجل واعظم (٩) فى ظ: شهد (١٠) من ظ والقرآن الكريم - آية ١٦٦، و فى الأصل: اليه.

و لما / كانوا بمعرض أن يسلموا ذلك و يقولوا : إنه لكذلك . و لكن / ١٧٢
هلم شهادته ! قال: ﴿شهيد﴾ أى هو أبلغ شاهد يشهد ﴿بينى و بينكم قف﴾
أى بهذا القرآن الذى ثبت بعجزكم عنه[1] أنه كلامه ، و بغيره من الآيات
التى عجزتم عن معارضتها ؛ و لما قرر أنه أعظم شهيد[2] ، و أشار إلى شهادته
بالآيات كلها ، نبه على أعظمها ، لأن إظهاره تعالى للقرآن على لسانه صلى ٥
الله عليه و سلم على وفق دعواه شهادة من الله له[1] بالصدق ، فقال ذاكرا
لفائدته فى سياق تهديد متكفل باثبات الرسالة و إثبات الوحدانية ، و قدم
الأول لأنه المقرر للثانى و المفهم[3] له بغايته[4] ، عاطفا على جملة[5] 'شهيد' بانيا للمفعول ،
تنبيها على أن الفاعل معروف للاعجاز ، و بنى للفاعل فى السواد : ﴿و اوحى الى﴾
[6]و حقق الموحى به و شخصه بقوله[6] : ﴿هذا القرآن﴾ و لما كان فى سياق ١٠
التهديد قال مقتصرا على ما[1] يلائمه[7] : ﴿لانذركم﴾ أى أخوفكم و أحذركم
من اعتقاد شائبة نقص فى الإله لا سيما الشرك[8] ﴿به و من﴾ أى و أنذر به
كل من ﴿بلغ[1]﴾ أى بلغه ، [9]قال الفراء[9] : و العرب تضمر الهاء فى صلات
'الذى' و 'من' و 'ما'. و قال البخارى فى آخر الصحيح : "لانذركم به"

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : شهيدا (٣) فى ظ : الفهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : فانقه ـ كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : متعلق (٦ - ٦) تداخل ما بين الرقمين فى ظ بين « سياق التهديد » و « قال مقتصرا » (٧) فى الأصل : يدائمه ، و فى ظ : ملائمة ـ كذا (٨) زيد بعده فى الأصل : الذى و من و ما و قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٩ - ٩) فى الأصل : للفرا ، و العبارة من هنا إلى « من و ما » تقدمت فى الأصل على « و حقق الموحى » .

يعنى أهل مكة ، و من بلغ هذا القرآن فهو له نذير . علقه بصيغة الجزم عن ابن عباس و وصله إليه ابن أبى حاتم كما أفاده شيخنا فى شرحه[١] .

و قال عبد الرزاق فى تفسيره : أخبرنا معمر عن قتادة أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : بلغوا عن الله ، فمن بلغته[٢] آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله . و قال الإمام تقى الدين على بن عبد الكافى السبكى[٣] فى جواب سؤال ورد عليه سنة ثمان و ثلاثين و سبعمائة فى أن النبى صلى الله عليه و سلم هل بعث إلى الجن - و من خطه نقلتُ - : الكتاب[٤] و السنة ناطقان[٥] بذلك ، و الإجماع قائم عليه ، لا خلاف بين المسلمين فيه ؛ ثم أسند الإجماع إلى أبى طالب القضاعى و أبى عمر بن عبد البر فى التمهيد و أبى محمد بن حزم فى كتاب الفصل[٦] و غيرهم ثم قال : أما الكتاب فآيات إحداها "لانذركم به و من بلغ" قال محمد بن كعب القرظى[٧] : من بلغه القرآن فكأنما رأى النبى صلى الله عليه و سلم ، و قال ابن عباس - فذكره ، و قال

---

(١) راجع فتح البارى - كتاب الرد على الجهمية ، باب قوله تعالى "بل هو قرآن مجيد" ، و رواه الطبرى أيضا بسنده و أوصله إلى ابن عباس - راجع تفسير هذه الآية فى جامع البيان (٢) و فى تفسير الطبرى : بلغه ، و رواه هناك من عبد الرزاق بالسند المذكور (٣) هو عالم مشارك فى الفقه و التفسير و الأصلين و المنطق و القراءات و الحديث و الخلاف و الأدب و النحو و اللغة و الحكمة ، و كان قاضى الشام - راجع معجم المؤلفين ٧ / ١٢٧ (٤) فى ظ : بالكتاب . (٥) من ظ ، و فى الأصل : ناطقا (٦) فى ظ : الفضل ، و الصواب ما فى الأصل - راجع معجم المؤلفين ٧ / ١٦ (٧) فى ظ : القرطى .

السدى : من بلغ[1] القرآن فهو له نذير ، و قال ابن زيد : من بلغه هذا القرآن فأنا نذيره . و هذه كلها أقوال متفقة المعنى ، و قد أمر نبيه صلى الله عليه و سلم أن يقول هذا الكلام و أن[2] ينذر بالقرآن كل من بلغه ، و لم يخص إنسا ، لا جنا من أهل التكليف ، و لا خلاف أن الجن مكلفون - انتهى[3] . و سيأتى مما[4] ذكر من الآيات و غيرها ما يليق بالاستدلال على ٥ الإرسال إلى الملائكة عليهم السلام ، فالمعنى : فمن صدق هذا القرآن فقد أفلح ، و من كذب فليأت بسورة من مثله ، ثم عجزه شاهد على نفسه بالكذب ، و هو شهادة الله لى بالصدق . و لأجل أن الله هو الشاهد لم تنقض الشهادة بموت النبى صلى الله عليه و سلم ، بل استمرت على مرّ الأيام[5] و كرّ الأعوام لبقاء الشاهد و تعاليه عن شوائب النقص و سمات ١٠ الحدث[6] ، و إلى ذلك الإشارة بقول النبى صلى الله عليه و سلم « ما من الأنبياء نبى إلا قد أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، و إنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة » - أخرجه الشيخان عن أبى هريرة / رضى الله عنه . و لعل الاقتصار ١٧٣ / على الإنذار مع ما تقدم إشارة إلى أن أكثر الخلق هالك . و قد ذكر ١٥ فى نزول هذه الآية أن أهل مكة أتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا : أما وجد الله رسولا غيرك ؟ ما نرى أحدا يصدقك بما تقول ،

(١) و فى تفسير الطبرى حيث أخرج هذا الحديث : بلغه - راجع فيه آية ١٩ من الأنعام (٢) من ظ ، و فى الأصل : انه (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : ما . (٥) من ظ ، و فى الأصل : الآثار (٦) من ظ ، و فى الأصل : الحديث .

و لقد سألنا عنك[1] اليهود و النصارى[2] فزعموا أنه ليس عندهم منك ذكر، فأرنا من يشهد أنك رسول الله كما تزعم ، فأنزلها الله .

و لما لم يبق لمتعنت شبهة ، ساق[3] فذلكة ذلك و قطب دائرته - و هو لزوم التوحيد الذى جعلت الرسالة مُرَقًّى إليه ، فاذا ثبت فى قلب فاضت أنواره بحسب[4] ثباته حتى أنها ربما ملأت الأكوان و علت على كيوان[5] - مساق استفهام على طريقة الإنكار و التعجيب تعظيما لشأنه و تفخيما لمقامه[6] و تنبيها لهم على أن يبعدوا عن الشرك فقال : ﴿ائنكم لتشهدون ان مع الله﴾ أى الذى حاز جميع العظمة ﴿الهة﴾ .

و لما كانوا لكثرة تعنتهم ربما أطلقوا على أسمائه سبحانه إلـه[7] كما قالوا حين سمعوه صلى الله عليه و سلم يقول : يا الله يا رحمٰن - كما سيأتى إن شاء الله تعالى آخر الحجر و آخر سبحان ، صرح بالمقصود على وجه[8] لا يحتمل النزاع فقال : ﴿اخرى[1]﴾ و لما كان كأنه قيل : إنهم[2] ليقولون ذلك ، فما ذا يقال لهم ؟ قال : ﴿قل لآ اشهد[3]﴾ أى معكم بشىء مما تقولونه لأنه باطل ، و لو كان حقا لشهدت[9] به .

و لما كان هذا غير قاطع لطمعهم فيه ، اجتثه من أصله و برمته بقوله : ﴿قل انما هو﴾ أى الإله ﴿اله واحد﴾ و هو الله[2] الذى

---

(١) فى ظ : عن (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : مساق (٤) من ظ ، و فى الأصل : بخبر - كذا (٥) بفتح اوله : اسم زحل بالفارسية (٦) من ظ ، و فى الأصل : لشانه (٧) من ظ ، و فى الأصل : آلهة (٨) من ظ ، و فى الأصل : بصه - كذا (٩) من ظ . و فى الأصل : شهدت .

لا يعجزه شيء و هو يعجز كل شيء، لأنه واحد لا كفوء له، فانكم عجزتم عن الإتيان بسورة من مثل كلامه و أنتم أفصح الناس .

و لما كان معنى هذا البراءةَ من إنذارهم، صرح به فى قوله مؤكدا فى جملة اسمية: ﴿و انى برىء مما تشركون﴾ أى الآن و فى مستقبل الزمان إبعادا من تطمعهم أن تكون[1] الموافقة بينه و بينهم باتخاذه الأنداد أو شيئا منها وليا، فثبت التوحيد بهذه الآية بأعظم طرق البيان[2] و أبلغ وجوه التأكيد[3]، و لقد امتثل[4] صلى الله عليه و سلم الأمر بانذار من يمكن إبلاغه القرآن. فلما استراح [5]عن حرب[5] قريش و كثير ممن حوله من العرب فى عام الحديبية، و هو سنة ست[6] من الهجرة، و أعلمه[7] الله تعالى أن ذلك فتح مبين، أرسل إلى من يليه من ملوك الأمصار فى ذلك العام و ما بعده، و كان أكثر[8] عند منصرفه من [ذلك -[9]] الاعتمار يدعوهم إلى جنات و أنهار فى دار القرار، و ينذرهم دار البوار؛ قال أهل السير: خرج صلى الله عليه و سلم - بعد رجوعه من عمرة الحديبية التى صد عنها - على أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين فقال: أيها الناس! إن الله بعثنى رحمة و كافة، و إنى أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك الأعاجم - و قال ابن عبد الحكم فى [10]فتوح مصر عن عبد الرحمن بن عبد القادر أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قام ذات يوم على المنبر فحمد الله و أثنى عليه و تشهد

(١) من ظ . و فى الأصل : يكون (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : التوكيد . (٤) من ظ ، وفى الأصل : امتثله (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : ستة (٧) من ظ ، وفى الأصل : اعلم ان (٨) من ظ ، و فى الأصل : اكثرهم (٩) زيد من ظ (١٠) و العبارة من هنا إلى « و قال ابن عبد الحكم » الآخر . ساقطة من ظ .

ثم قال : أما بعد فانى أريد أن أبعث بعضكم إلى ملوك العجم ، فأدوا عنى يرحمكم الله ، و لا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون - و قال ابن عبد الحكم : بنو إسرائيل - على عيسى ابن مريم عليهما السلام ، فقال المهاجرون : يا رسول الله ! و الله لا نختلف عليك فى شىء أبدا ، فمرنا و ابعثنا . فسألوه : كيف اختلف الحواريون على عيسى عليه السلام ؟ قال : دعاهم إلى الذى - [1]و فى رواية[1] : لمثل الذى - دعوتكم / إليه . و قال ابن عبد الحكم : إن الله تبارك و تعالى أوحى إلى عيسى عليه السلام أن ابعث إلى مقدس الأرض ، فبعث الحواريون - فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى و سلم ، و أما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه و تثاقل - قال ابن عبد الحكم : و قال : لا أحسن كلام من تبعثنى إليه - فشكا ذلك عيسى عليه السلام إلى الله عز و جل ، فأصبح كل رجل - و قال ابن عبد الحكم : فأوحى الله تعالى إليه أنى سأكفيك ، فأصبح المتثاقلون و كل واحد منهم - يتكلم بلغة الأمة[2] التى بعث إليها . فقال عيسى عليه السلام : هذا أمر قد عزم الله عليه[3] فامضوا له[4] . و قال الشيخ مجد الدين الفيروزابادى فى القاموس : إن المكان الذى جمع فيه[5] عيسى عليه السلام الحواريين و أنفذهم إلى النواحى [6]قرية بناحية[6] طبرية تسمى الكرسى[7] . و قال ابن إسحاق : و حدثنى يزيد بن أبى حبيب

/١٧٤

(١-١) فى الأصل : فا روايته - كذا (٢) من ظ و سيرة ابن هشام ٣ / ٧٧ ، و فى الأصل : الاية - كذا (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : اليه (٥) من ظ ، و فى الأصل : به (٦ - ٦) فى ظ : قريب ناحية (٧) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : الكريين - كذا .

المصرى أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى البلدان و ملوك [العرب و - [1]] العجم و ما قال لأصحابه حين بعثهم، قال : فبعث به إلى محمد بن شهاب الزهرى فعرفه - فذكر نحو ما تقدم إلى أن قال : قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى ابن مريم صلى الله عليه و سلم من الحواريين ، الأتباع الذين كانوا بعدهم[2] فى الأرض بطرس الحوارى و معه بولس - وكان [بولس - [1]] من الأتباع و لم يكن من الحواريين - إلى رومية[3] ، و أندرائس[4] و منتا[5] إلى الأرض التى يأكل أهلها الناس ، و توماس إلى أرض بابل من أرض المشرق و قيبليس[6] إلى قرطاجنة[7] ، و هى إفريقية ، و يحنس[8] إلى أفسوس[9] قرية [الفتية - [1]] أصحاب الكهف ، و يعقوبس إلى أوراشلم و هى إيلياء قرية بيت المقدس ، و ابن ثلما[10] إلى الأعرابية ، و هى أرض الحجاز ، و سيمن[11] إلى أرض البربر ، و يهودا و لم يكن من الحواريين ، جُعل مكان يودس[12] - انتهى . كذا رأيت فى

(١) زيد من سيرة ابن هشام ٣ / ٧٨ (٢) فى ظ : كانوا بعثهم - كذا (٣) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : رومة (٤) فى ظ : اندراس (٥) فى ظ : مينا ، و بهامش السيرة : قوله : و منتا ، فى نسخة : و مثنا - بالمثلثة (٦) من السيرة ، و فى الأصل : فيلس ، و فى ظ : فيلس - كذا ، و الصحيح أنه فيلبس - كما يأتى من نص الإنجيل (٧) فى ظ : قرطاحيه (٨) من السيرة ، و فى الأصل : محس ، و فى ظ : بيجيس - كذا (٩) فى ظ : اقيوس (١٠) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : سلما (١١) من السيرة ، و فى الأصل : سيمين ، و فى ظ : سنين . (١٢) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : يورس - كذا .

نسخة معتمدة مقابلة من تهذيب السيرة لابن هشام ، و كذا فى مختصرها للامام جمال الدين محمد بن [المكرم -[1]] الأنصارى عدد رسله و أسمائهم ، و فى آخرهم : قوله : مكان يودس ، و لم يتقدم ليودس ذكر ، و الذى حررته أنا من الأناجيل التى بأيدى النصارى غير هذا ، و لعله أصح ،

٥ و قد جمعت ما تفرق[2] من ألفاظها ، [قال -[3]] فى إنجيل متى ما[4] نصه - و معظم السياق له : و دعا - يعنى عيسى عليه السلام - تلاميذه الاثنى عشر و أعطاهم سلطانا على جميع الأرواح [النجسة -[5]] لكى يخرجوها و يشفوا كل الأمراض ؛ و فى إنجيل مرقس : و صعد إلى الجبل و دعا الذين أحبهم فأتوا إليه ، و انتخب اثنى عشر ليكونوا معه و لكى يرسلهم

١٠ ليكرزوا ، و أعطاهم سلطانا على شفاء الأمراض و إخراج الشياطين ؛ و فى إنجيل لوقا : و كان فى تلك الأيام خرج إلى الجبل يصلى ، و كان ساهرا فى صلاة الله[6] ، فلما كان النهار دعا تلاميذه و اختار منهم اثنى عشر ؛ و قال فى موضع آخر : و دعا الاثنى عشر الرسل و أعطاهم قوة و سلطانا على جميع الشياطين و شفاء المرضى ، و أرسلهم يكرزون

١٥ بملكوت الله و يشفون[7] الأوجاع ؛ و هذه أسماء[8] الاثنى عشر الرسل : سمعان المسمى بطرس - و نسبه فى موضع[9] من إنجيل [متى -[3]] : ابن يونا - و أندراوس أخوه[4] ، و يعقوب بن زبدى[10] و يوحنا أخوه -

(١) زيد من معجم المؤلفين ١٢/٤٦ ، و موضعه فى ظ : المكر - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : تعرف - كذا (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) زيد من الإنجيل (٦) فى ظ : الليل (٧) فى ظ : يبغون - كذا (٨) من ظ ، و فى الأصل: الاسماء (٩) راجع الأصحاح السادس عشر - آية ١٧ (١٠) فى ظ : زيدا - كذا .

قال فى إنجيل مرقس : و سماهما باسمى بوانرجس[1] اللذين[2] ابنا[3] الرعد - / و فيلبس[4] و برثولوماوس ، و توما و متى العشار ، و يعقوب بن حلفى ، /١٧٥
و لباوس[5] الذى يدعى تداوس[6]. و جعل فى إنجيل مرقس بدل هـذا: تدى ، و فى إنجيل لوقا بدلهما : يهوذا بن يعقوب ، ثم اتفقوا : و سمعان القانانى ، و قال فى إنجيل لوقا : المدعو الغيور ، و يهوذا الإسخريوطى ٥
الذى أسلمه - أى دل عليه فى الليلة التى ادعى اليهود القبض عليه فيها - [7]هؤلاء الاثنا عشر[7] الرسل الذين أرسلهم يسوع - و فى إنجيل مرقس : و دعا الاثنى عشر[8] و جعل يرسلهم اثنين اثنين[9] ، و أعطاهم السلطان على الأرواح النجسة - قائلا : لا تسلكوا طريق الأمم ، و لا تدخلوا مدينة السامرة ، و انطلقوا خاصة إلى[10] الخراف التى ضلت من بيت ١٠
إسرائيل ، و إذا ذهبتم فاكرزوا و قولوا : قد اقتربت ملكوت السماوات ، اشفوا المرضى ، أقيموا الموتى ، طهروا البرص ، أخرجوا الشياطين ، مجانا أخذتم مجانا أعطوا ، لا تكنزوا[11] ذهبا و لا فضة و لا نحاسا فى مناطقكم و لا هميانا[12] فى الطريق و لا ثوبين و لا حذاء و لا عصى ، و الفاعل

(١) من إنجيل مرقس ، وفى الأصل : توابرحجس ، و فى ظ : نزا برجس - كذا.
(٢) فى ظ : الذين هم (٣) من ظ ، و فى الأصل : ابن (٤) فى ظ : قبلس - كذا.
(٥) من إنجيل متى ، و فى الأصل و ظ : لبا - كذا (٦) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : بذاوس - كذا (٧-٧) فى ظ : هو الاثنى عشر - كذا (٨) من ظ والإنجيل ، و فى الأصل: الاثنا عشر (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : فى (١١) من ظ ، و فى الأصل : لا تنكروا - كذا (١٢) فى ظ : هيانا.

مستحق طعامه ؛ و فى إنجيل مرقس : و أمرهم أن لا يأخذوا[١] فى الطريق غير عصى فقط و لا هميانا[٢] و لا خبزا[٣] و لا فضة[٤] و لا نحاسا فى مناطقهم إلا نعالا فى أرجلهم و لا يلبسوا[٥] قميصين ؛ و فى إنجيل لوقا : و قال لهم[٥] : لا تحملوا فى الطريق[٦] شيئا ، لا عصى و لا هميانا[٢] و لا خبزا و لا فضة ، و لا يكون لكم[٧] ثوبان[٨] ، و أى مدينة أو قرية دخلتموها فحصوا[٩] فيها عمن يستحقكم ، و كونوا هناك حتى تخرجوا[١٠] ، فاذا دخلتم إلى البيت فسلموا عليه ، فان كان البيت مستحقا لسلامكم[١١] فهو يحل عليه ، و إن كان لا يستحق فسلامكم راجع إليكم ، و من لا يقبلكم و لا يسمع كلامكم فاذا خرجتم من ذلك البيت و تلك القرية أو تلك المدينة انفضوا غبار أرجلكم ؛ و فى إنجيل مرقس : و قال لهم : أى بيت دخلتموه أقيموا فيه إلى أن تخرجوا[١٢] منه ، و أى موضع لم يقبلكم و لم يسمع منكم فاذا خرجتم من هناك فانفضوا الغبار الذى تحت أرجلكم للشهادة عليهم ، الحق أقول[١٣] لكم ! إن لأرض[١٤] سدوم و[١٣] عامورا[١٥] راحة فى يوم الدين أكثر من تلك

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا يوخذوا (٢) فى ظ : هيمانا (٣-٣) ليس ما بين الرقمين فى إنجيل مرقس (٤) من ظ . و فى الأصل : لا تلبسوا (٥) زيدت الواو بعده فى ظ (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى إنجيل لوقا فحذفناها (٧) فى ظ : لهم (٨) من ظ و إنجيل لوقا . و فى الأصل : ثوبا (٩) من ظ ، و فى الأصل : الحصوا (١٠) من ظ و إنجيل متى ، و فى الأصل : يخرجوا . (١١) فى ظ : لاسلامكم (١٢) من ظ و إنجيل مرقس ، و فى الأصل : يخرجوا . (١٣) سقط من ظ (١٤) من إنجيل متى ، و فى الأصل و ظ : الأرض (١٥) من ظ ، و فى الأصل : عامور ، و فى الإنجيل : عمورة .

المدينة[1]، هو ذا أنا مرسلكم كالخراف بين الذئاب، كونوا حكماء كالحية و ودعاء[2] كالحمام[3]، أحذروا من الناس، فإنهم يسلمونكم إلى المحافل، و فى مجامعهم[4] يضربونكم، و يقدمونكم إلى القواد و الملوك من أجلى شهادة لهم[5] و للأمم - و فى إنجيل مرقس[6]: شهادة عليهم و على كل الأمم، ينبغى أولا أن يكرزوا بالإنجيل - فاذا أسلموكم فلا تهتموا بما تقولون[7] - و فى ٥ إنجيل مرقس: و لا ما ذا تجيبون - فانكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به، و لستم أنتم المتكلمين لكن روح أبيكم - و فى إنجيل[8] مرقس: لكن روح القدس يتكلم فيكم - و سيسلم الأخ أخاه إلى الموت و الأب ابنه، و يقوم الأبناء على آبائهم فيقتلونهم، و تكونون[9] مبغوضين من الكل من أجل اسمى، و الذى يصبر إلى المنتهى يخلص، فاذا طردوكم[10] من ١٠ هذه المدينة اهربوا إلى أخرى، الحق الحق[8] أقول لكم! إنكم لا تكلمون مدائن إسرائيل حتى يأتى ابن الإنسان، ليس تلميذ أفضل من معلمه، و لا عبد أفضل من سيده، و حسب التلميذ أن يكون مثل معلمه و العبد مثل سيده، إن كانوا سموا رب البيت باعل زبول فكم بالحرى أهل بيته! فلا تخافوهم، فليس خفى إلا سيظهر و لا مكتوم إلا سيعلم، الذى أقول لكم ١٥

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) جمع وديع: هادئ ساكن، و فى الإنجيل: بسطاء (٣) من ظ و الإنجيل، و فى الأصل: الحما - كذا (٤) فى ظ: محافلهم.
(٥) من الإنجيل، و فى الأصل و ظ: لكم (٦) العبارة من هنا إلى «إنجيل مرقس» - الآتى، ساقطة من ظ (٧) فى الأصل: يقولون، و مبنى التصحيح نص الإنجيل.
(٨) سقط من ظ (٩) فى ظ: يكونون (١٠) من ظ و الإنجيل، و فى الأصل: طردوهم.

/١٧٦ فى الظلمة قولوه أنتم فى النور . و ما سمعتموه بآذانكم فاكرزوا / به على السطوح ، و[١] لا تخافوا ممن[٢] يقتل الجسد و لا يستطيع أن يقتل النفس[١] ، خافوا ممن يقدر أن يهلك النفس و الجسد جميعا فى جهنم ، [أ ليس[٣]] عصفوران يباعان بفلس ، و واحد منهما لا يسقط على الأرض دون إرادة أبيكم . و أنتم فشعور[٤] رؤسكم كلها محصاة . فلا تخافوا ، فانكم أفضل من عصافير كثيرة . لا تظنوا أنى جئت لألقى على الأرض سلامة ، لكن سيفا[٥] ، أتيت لأفرق الإنسان من أبيه و الابنة[٦] من أمها ، و العروس من حماتها[٧] . و أعداء الإنسان[٨] أهل بيته ، من أحب أبا أو[٩] أما أكثر منى فما يستحقنى ، و من وجد نفسه فليهلكها ، و من أهلك نفسه من أجلى وجدها . و من قبلكم فقد قبلى ، و من قبلى فهو يقبل الذى أرسلنى ، و من يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى[١٠] يأخذ ، و من يأخذ صديقا باسم صديق فأجر[١١] صديق ياخذ ، ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ[١٢] ـ الحق أقول لكم[١٣] ـ إن أجره لا يضيع . و لما أكمل يسوع أمره لتلاميذه[١٤] الاثنى عشر ، انتقل من هناك ليعلم و يكرز

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : من (٣) زيد من ظ و الإنجيل (٤) من ظ . و فى الأصل : شعور (٥) فى ظ : سيف (٦) من ظ ، و فى الأصل : الأمة . (٧) من ظ ، و فى الأصل : حمايتها (٨) زيد بعده فى ظ : من (٩) من إنجيل متى ، و فى الأصل « و » (١٠) من ظ ، و فى الاصل : نى ـ كذا (١١) من ظ ، و فى الأصل : فاخبر (١٢) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : التلميذ . (١٣) زيد بعده فى ظ : ان اجرة تلميذ الحق اقول لكم (١٤) فى ظ : تلاميذه .

فى مدنهم[١] ؛ و فى إنجيل مرقس : فلما خرجوا - يعنى الرسل - كرزوا بالتوبة و أخرجوا شياطين كثيرة و مرضى عديدة[٢] يدهنونهم بالزيت فيشفون ؛ و فى إنجيل لوقا : و من بعد هذا أيضا ميز الرب سبعين آخرين[٣] و أرسلهم اثنين اثنين قدام وجهه إلى كل مدينة و موضع أزمع أن يأتيه ، و قال لهم : إن الحصاد كثير و الفعلة قليلون[٤] ، أطلبوا [من [٥]] رب الحصاد ليخرج فعلة لحصاده ؛ و فى إنجيل متى ما ظاهره أن هذا الكلام كان[٦] للاثنى عشر ، فانه[٧] قال قبل ذكر عددهم : فلما رأى الجمع تحنن عليهم لأنهم كانوا ضالين و مطرحين كالخراف التى ليس لها راع ، حينئذ قال لتلاميذه الاثنى عشر - إلى آخر ما ذكرته عنه أولا ، فيجمع بأنه قاله للفريقين[٨] - رجع إلى السياق الأول : اذهبوا ، هو ذا أرسلكم كالخراف بين الذئاب ، لا تحملوا هميانا و لا حذاء و لا مزودا و[٩] لا تقبلوا أحدا[٩] فى الطريق ، و أىّ بيت دخلتموه فقولوا[١٠] أولا : سلام لأهل هذا البيت ، فان كان هناك ابن سلامكم [١١]فان سلامكم يحل[١١]

(١) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : مدينتهم (٢) فى الأصل : عدة ، و فى ظ : عدهم ، و فى الإنجيل : كثيرين (٣) من إنجيل لوقا ، و فى الأصل و ظ : آخر . (٤) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : قليل (٥) زيد من الإنجيل (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : و انه (٨) فى ظ : للفقير من - كذا (٩-٩) و فى إنجيل لوقا: لا تسلموا على أحد (١٠) فى ظ : فسلموا (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ .

عليه ، و إلا فسلامكم راجع إليكم ، و كونوا فى ذلك [البيت -[١]] . كلوا
و اشربوا من عندهم[٢] . فان الفاعل مستحق أجرته . و لا تنتقلوا من بيت
إلى بيت ، و أىّ مدينة دخلتموها و يقبلكم أهلها فكلوا مما يقدم لكم[٣] ،
و اشفوا المرضى الذين فيها . و قولوا لهم : قد قربت ملكوت الله . و أىّ
٥ مدينة دخلتموها و لا يقبلكم أهلها فاخرجوا[٤] من[٥] شوارعها و قولوا
[لهم -[٦]] : نحن ننفض لكم الغبار الذى لصق بأرجلنا من مدينتكم . لكن
اعلموا أن ملكوت الله قد قربت ، أقول لكم : إن سدوم[٧] فى ذلك
اليوم لها راحة أكثر من تلك المدينة[٣] ، الويل لك يا كورزين[٨] ! و الويل
لك يا بيت صيدا ! لأنه لو كان فى صور و صيدا القوات التى كنّ فيكما[٩]
١٠ جلسوا و تابوا بالمسوح و الرماد ، و أما صور و صيدا فلهما راحة فى
الدينونة أكثر منكم ، و أنت يا كفرنا حوم لو أنك ارتفعت إلى السماء
سوف تهبطين[١٠] إلى الجحيم . من سمع منكم فقد سمع منى ، و من جحدكم
فقد جحدنى ، [و من جحدنى -[٦]] فقد شتم الذى أرسلنى ؛ فرجع
السبعون بفرح قائلين[١١] : يا رب ! الشياطين باسمك تخضع لنا[١٢] يا رب[١١] ! فقال
١٥ لهم : قد رأيت الشيطان[١٣] سقط من السماء مثل البرق ، و هو ذا قد أعطيتكم

(١) زيد من الإنجيل (٢) فى ظ : عندكم (٣) سقط من ظ (٤) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : اخرجوا (٥) فى الإنجيل : إلى (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : سدومة (٨) فى ظ : كوزن (٩) من الإنجيل ، و فى الأصل : فيكون ، و فى ظ : فيك (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تهبطن (١١) فى ظ : قائلون (١٢-١٢) ليس ما بين الرقمين فى الإنجيل (١٣) من ظ و الإنجيل ، و فى الأصل : الشياطين .

سلطانا / لتدوسوا[1] الحيات و العقارب وكل قوة العدو ، و لا يضركم شيء ، / ١٧٧
و لكن [2]لا تفرحوا[2] بهذا أن الأرواح تخضع لكم ، افرحوا لأن أسماءكم
مكتوبة فى السماوات ، و فى تلك الساعة تهلل يسوع بالروح ، و التفت
إلى تلاميذه خاصة و قال : طوبى للأعين التى ترى ما رأيتم ! أقول لكم :
إن أنبياء كثيرين[3] و[4] ملوكا اشتهوا أن ينظروا ما نظرتم فلم ينظروا ، ٥
و يسمعوا ما سمعتم فلم يسمعوا ؛ و فى إنجيل متى - بعد ما ادعى اليهود صلبه -
أنه ظهر لتلاميذه الأحد عشر - و هم من تقدم غير يهوذا الإسخريوطى
الذى أسلمه - فى الجليل فى الجبل الذى أمرهم به يسوع ، و كلمهم قائلا :
أعطيت كل سلطان فى السماء و على الأرض ، فاذهبوا الآن و تلمذوا كل
الأمم ؛ و فى آخر إنجيل مرقس أنه ظهر لهم و هم مجتمعون ، و كانوا ١٠
فى تلك الأيام يبكون و ينوحون فبكتهم لقلة[5] إيمانهم و قسوة قلوبهم
و قال لهم : امضوا إلى العالم أجمع[6] ، و اكرزوا بالإنجيل فى الخليقة
كلها ، فمن آمن و اعتمد خلص ، و من لم يؤمن يدان ، و هذه الآيات
تتبع[7] المؤمنين ، يخرجون الشياطين [باسمى - [8]] و يتكلمون بألسنة
جديدة ، و يحملون بأيديهم الحيات و لا تؤذيهم ، و يشربون السم القاتل ١٥
فلا يضرهم ، و يضعون أيديهم على المرضى فيبرأون ؛ و من بعد ما كلمهم

(١) من الإنجيل ، و فى الأصل وظ : لتدسوا (٢ - ٢) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : تفرحون (٣) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : كثيرا (٤) من ظ . و فى الأصل : او (٥) من ظ ، و فى الأصل : لغة - كذا (٦) فى ظ : اجتمعوا . (٧) من الإنجيل ، و فى الأصل : يتبعون ، و فى ظ : يتبع (٨) زيد من الإنجيل .

يسوع ارتفع[1] إلى السماء ، فخرج أولئك يكرزون فى كل مكان ؛ و فى إنجيل لوقا : فلما خرجوا كانوا يطوفون فى القرى و يبشرون و يشفون فى كل موضع - و فى آخره بعد أن ذكر تلامذته الأحد عشر[2] و كلاماً كانوا يخوضون فيه بعد ادعاء اليهود لصلبه : و فيما هم يتكلمون وقف يسوع فى وسطهم و قال لهم : السلام لكم[3] ، أنا هو ! لا تخافوا ، فاضطربوا و ظنوا أنهم ينظرون روحا فقال : ما بالكم تضطربون ؟ و لِمَ تأتى الأفكار فى قلوبكم ؟ انظروا يدى و رجلى فانى أنا هو ! جسّونى و انظروا ، إن الروح ليس له لحم و لا عظم كما ترون أنه لى ؛ و لما قال هذا أراهم[4] يديه و رجليه ، و إذا هم غير مصدقين من الفرح ، قال لهم : أعندكم ههنا ما يؤكل ؟ فأعطوه[5] جزءا من حوت مشوي و من شهد عسل ، فأخذ قدامهم و أكل ، و أخذ الباقى و أعطاهم ، و قال لهم : هذا الكلام الذى كلمتكم به إذ[6] كنت معكم ، و أنه سوف يكمل كل شىء هو[1] مكتوب فى ناموس موسى و الأنبياء و المزامير لأجلى ، و حينئذ فتح أذهانهم ليفهموا ، و قال لهم : اجلسوا أنتم فى المدينة يروشليم حتى تتذرعوا[7] لقوة من العلى ، ثم أخرجهم خارجا إلى بيت عنيا ، فرفع يديه و باركهم ، و كان فيما هو يباركهم انفرد عنهم[8] و صعد إلى السماء أمامهم ، فرجعوا إلى يروشليم بفرح عظيم ، و كانوا فى كل حين يسبحون

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الاحدى عشر (٣) فى ظ : عليكم (٤) من ظ ، و فى الأصل : ارايتم (٥) فى ظ : فاعطوهم (٦) فى ظ : اذا (٧) فى ظ : تمدعوا - كذا (٨) فى ظ : عليهم .

و يباركون الله ـ انتهى ما نقلته من الأناجيل . و ما[1] كان فيه من لفظ يوهم نقصا [ما -[2]] فقد تقدم فى أول[3] آل عمران أنه لا يجوز فى شرعنا إطلاقه على الله تعالى و إن كان صح إطلاقه فى شرعهم ، فهو مؤول و قد نسخ ؛ و قال الإمام محيي السنة البغوى فى تفسير آل عمران فيما نقله عن وهب : فلما كان بعد سبعة أيام ـ أى من ادعاء اليهود لصلبه - قال الله ٥ تعالى لعيسى عليه السلام : اهبط على مريم المجدلانية فى جبلها ، فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ، و لم يحزن [عليك -[4]] أحد حزنها ، ثم لتجمع لك الحواريين فتبثهم[5] فى الأرض دعاة إلى الله تعالى ، فأهبطه[6] الله تعالى عليها فاشتعل[7] الجبل حين هبط نورا ، / فجمعت له الحواريين فبثهم[8] فى الأرض / ١٧٨ دعاة ، ثم رفعه الله إليه ، و تلك الليلة هى التى تدخن[9] فيها النصارى ، فلما ١٠ أصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من أرسله عيسى عليه السلام إليهم ، فذلك قوله تعالى "و مكروا و مكر الله و الله خير الماكرين[10]" هذا ما ذكر[11] من شأن رسل عيسى عليه السلام أنهم كانوا دعاة ، و أما رسل[12] النبى صلى الله عليه وسلم فانهم[13] كانوا مبلغين لكتبه صلى الله عليه وسلم ،

---

(١) فى ظ : مما (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من معالم التنزيل ـ راجع الخازن ١/٢٩٩ (٥) فى ظ : فهم (٦) من المعالم ، و فى الأصل و ظ : فاهبط . (٧) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : فاسعد ـ كذا (٨) فى ظ : لبثهم (٩) من المعالم ، و فى الأصل : يدخل ، و فى ظ : يدخر ـ كذا (١٠) راجع آية ٥٤ من آل عمران ، و زيد الواو بعده فى ظ (١١) فى ظ : ذكره (١٢) زيد بعده فى الأصل : عيسى عليه السلام ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١٣) فى ظ : فانما .

فمن قبل ذلك كان حظه من الله ، و من أبى كان جوابه السيف الماحق لدولته - كما ذكرته مستوفى فى شرحى لنظمى للسيرة[1] و هو مذكور فى فتوح البلاد ؛ و لما بعث صلى الله عليه و سلم رسله اتخذ لأجل مكاتبة الملوك الخاتم ، أخرج أبو يعلى فى مسنده عن أنس رضى الله عنه أن

٥ رسول الله صلى الله عليه و سلم كتب إلى كسرى و قيصر - و فى رواية : و أكيدر دومة و[2] إلى كل جبار - يدعوهم إلى الله ؛ و أخرج الشيخان فى صحيحهما - و هذا لفظ مسلم - عن أنس بن مالك أيضا رضى الله عنه قال : [لما -[3]] أراد النبى صلى الله عليه و سلم أن يكتب إلى الروم - و فى رواية : إلى العجم - قالوا : إنهم لا يقرؤن كتابا إلا مختوما ، فاتخذ رسول الله صلى

١٠ الله عليه و سلم خاتما من فضة كأنى أنظر إلى بياضه فى يد رسول الله صلى الله عليه و سلم ، نقشه « محمد رسول الله » . فبعث دحية بن خليفة الكلبى رضى الله عنه إلى قيصر ملك الروم و أمره أن يوصل الكتاب إلى عظيم بصرى ليوصله إليه ، فعظم كتاب النبى صلى الله عليه و سلم و قبله و قرأه و وضعه على وسادة و علم صدقه صلى الله عليه و سلم [و -[4]] أنه

١٥ سيغلب على ملكه ، فجمع الروم و أمرهم بالإسلام فأبوا ، فخافهم فقال : إنما أردت أن أجربكم ، ثم لم يقدر الله له الإسلام ، فأزال الله حكمه عن الشام و كثير من الروم على يدى أبى بكر و عمر و عثمان رضى الله عنهم ، [ثم -[4]] عن كثير من الروم أيضا على يد من بعدهم ، و مكن بها

(١) فى ظ : السيرة (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و صحيح مسلم - كتاب اللباس (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : لخالهم .

الإسلام، لكن أثابه[1] الله على تعظيم كتاب النبي صلى الله عليه و سلم بأن أبقى ملكه فى أطراف بلاده إلى الآن ، و بلغنى أن الكتاب محفوظ عندهم إلى هذا الزمان ؛ و بعث شجاع بن وهب الأسدى رضى الله عنه إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى - و قال القضاعى: المنذر بن أبى شمر عامل قيصر على تخوم الشام - [ثم -[2]] إلى جبلة بن الأيهم[3] الغسانى ، فأما الحارث أو المنذر فغضب من الكتاب و همّ[4] بالمسير إلى النبى صلى الله عليه و سلم ليقاتله ، زعم فنهاه[5] عن ذلك قيصر ، فأكرم شجاعا و رده و أسلم[6] حاجبه مرى الرومى[7] بما عرف من صفة النبى صلى الله عليه و سلم[8] فى الإنجيل ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم[8] : باد ملك الحارث ، و فاز مرى ، فقلّ ما لبث الحارث حتى مات ، و ولى بعده [فى مكانه -[2]] جبلة بن الأيهم[3] الغسانى ، و هو آخر ملوك غسان على نواحى الشام ، فرد[9] إليه النبى صلى الله عليه و سلم شجاع بن وهب رضى الله عنه ، فرد[10] على النبى صلى الله و سلم ردا جميلا و لم يسلم ، و استمر يتربص حتى أسلم فى خلافة عمر رضى الله عنه لما رأى من ظهور نور الإسلام و خمود نار الشرك ، ثم إنه

(١) من ظ ، و فى الأصل : اثاره - كذا (٢) زيد من ظ (٣) من سيرة ابن هشام ٣ / ٧٨ ، و فى الأصل : الا انهم ، و فى ظ : الا نهم - كذا (٤) فى ظ : هو . (٥) من ظ ، و فى الأصل : فنها (٦) من ظ ، و فى الأصل : فاسلمه (٧) ذكر قصته فى السيرة الحلبية مبسوطا من غير تعرض لاسمه - راجع ٣/٣٥٣ منها ، ولكن ذكره فى السيرة التى بهامش الحلبية فقال : وكان هذا الحاجب روميا اسمه مرى - راجع ٣ / ٨٥ منها ، و ذكر اسمه أيضا فى الخصائص الكبرى ٢ /١٣٠ . (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ : فيرد (١٠) فى ظ : فردم .

ارتد - و لحق ببلاد الروم - فى لطمة أريد أن يقتص منه فيها[1]، فسبحان الفاعل لما يشاء! و بعث عبد الله بن حذافة السهمى رضى الله عنه إلى كسرى ملك الفرس، و أمره أن يدفع الكتاب / إلى عظيم البحرين ليوصله إليه، ١٧٩ / فلما رأى أن النبى صلى الله عليه وسلم بدأ[2] باسمه الشريف مزق الكتاب قبل أن يعلم ما فيه، فرجع عبد الله، فلما سكن غضب الخبيث التمسه فلم يجده فأرسل فى طلبه فسبق الطلب، فلما أخبر النبى صلى الله عليه و سلم عن تمزيق الكتاب، دعا على كسرى أن يمزق كل ممزق، فأجاب الله دعوته فشتت شملهم و قطع وصلهم على يد أبى بكر و عمر رضى الله عنهما، ثم قتل يزدجرد آخر ملوكهم فى خلافة عثمان رضى الله عنه، فأصبح ملك الأكاسرة كأمس الدابر[3]، وعم بلادهم الإسلام، و ظهرت بها كلمة الإيمان، بل تجاوز الإسلام ملكهم[4] إلى ما وراء النهر و إلى بلاد الخطا. و بعث حاطب ابن أبى بلتعة[5] رضى الله عنه إلى المقوقس صاحب مصر و الإسكندرية، فعلم من صدق النبى صلى الله عليه و سلم ما علمه قيصر من الإنجيل، فأكرم الرسول و أهدى للنبى صلى الله عليه و سلم و رد ردا جميلا و لم يسلم، فأباد الله ملكه على يد عمرو بن العاص أمير لعمر رضى الله عنهما. و بعث عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه إلى النجاشى فآمن رضى الله عنه و قال: أشهد أنه النبى صلى الله عليه و سلم الأمى الذى ينتظره أهل الكتاب، و أن بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل عليهم السلام،

(١) و فى الروض الأنف ٢ / ٣٥٧: و هو الذى أسلم ثم تنصر من أجل لطمة حاكم فيها إلى أبى عبيدة بن الجراح (٢) من ظ، و فى الأصل: بارا - كذا. (٣) فى ظ: الداير (٤) سقط من ظ (٥) من ظ والسيرة، و فى الأصل: ابى ثعلبة.

و أن العيان ليس بأشفى من الخبر[1]، و أهدى للنبى صلى الله عليه و سلم هدايا[2] كثيرة، و أرسل ابنه باسلامه فى سبعين من الحبشة، و قال فى كتابه: و إنى لا أملك إلا نفسى و من آمن بك من قومى، و إن أحببت أن آتيك يا رسول الله فعلتُ؛ فصلى رسول الله صلى الله عليه و سلم على النجاشى و استغفر له؛ و بعث العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه إلى المنذر ٥ ابن ساوى العبدى ملك البحرين و إلى أسيحت[3] مرزبان هجر بكتاب يدعوهما[4] فيه إلى الإسلام أو الجزية. و أرض البحرين من بلاد العرب، لكن كان الفرس قد غلبوا عليها، و بها خلق كثير من عبد القيس و بكر ابن وائل و تميم فأسلم المنذر و أسيحت[3] و جميع من هناك من العرب و بعض العجم، فأقره النبى صلى الله عليه و سلم على عمله؛ و بعث سليط ١٠ ابن عمرو العامرى رضى الله عنه إلى هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة، و كان عاملا لقيصر على قومه، فقرأ كتاب النبى صلى الله عليه و سلم و رد ردا دون رد؛ فصادف أن قدم عليه راهب من دمشق، فأخبره أنه لم يجب إلى الإسلام، فقال: لم؟ قال: ضننت بملكى[5]. قال الراهب: لو تبعته لأقرك و الخير لك فى اتباعه، فانه النبى صلى الله عليه و سلم. بشر به ١٥

(١) كذا وقع فى المصباح المضىء، و زيد بعده فيه: عنه، و كذا ذكره فى السيرة الحلبية ٣/٣٤٥، و فى السيرة بهامش الحلبية: و انه ليس الخبر كالعيان - راجع السيرة الحلبية ٣/٧٣، و هو الصواب (٢) فى ظ: بهدايا (٣) من المصباح المضىء، و فى الأصل: سبخت. و فى ظ: سحت - كذا، و نُسِبَ هو هناك إلى ابن عبد الله.
(٤) فى ظ: يدعوهما (٥) من ظ، و فى الأصل: تملكى.

عيسى عليه السلام ، قال هوذة للراهب : فما لك[1] لا تتبعه ؟ فقال : أجدنى[2] أحسده ، وأحب الخمر ، فكتب هوذة كتابا [وبعث - [3]] إلى النبى صلى الله عليه وسلم بهدية مكانه ذلك . وشعر به قومه [فأتوه - [3]] فهددوه[4] ، فرد الرسول ، واستمر[5] على نصرانيته ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع إليه سليط : باد هوذة ، باد ما فى يده ! فلما انصرف النبى صلى الله عليه وسلم من فتح [مكة - [3]] جاءه[6] جبرئيل عليه السلام بأن هوذة مات ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما إن اليمامة سيخرج بها كذاب[6] يتنبأ ، يقتل بعدى . فكان[7] كذلك كما هو مشهور من أمر مسيلمة الكذاب ؛ وبعث المهاجر بن أبى أمية المخزومى رضى الله عنه إلى الحارث بن عبد / كلال الحميرى ملك اليمن ، فلما بلغه رسالة النبى صلى الله عليه وسلم قال الحارث : قد كان هذا النبى عرض نفسه علىّ فخطئت[8] عنه ، وكان ذخرا لمن صار إليه ، وسأنظر ، وتباطأ به الحال إلى أن أسلم عند رجوع النبى صلى الله عليه وسلم من تبوك سنة الوفود ، وكاتب النبى صلى الله عليه وسلم بذلك ؛ وبعث عمرو بن العاص رضى الله عنه إلى جيفر[9] وعبد[10] ابنى الجلندى[11] الأزديين ملكى عمان ، فتوقفا واضطرب[12]

/ ١٨٠

(١) فى ظ : بالك (٢) فى ظ : اخذه (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : وهددوه .
(٥) من ظ ، وفى الأصل : استمرت (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : وكان (٨) من ظ والروض الأنف ٢ / ٣٠٨ ، وفى الأصل : فخطيته - كذا .
(٩) من السيرة ٣ / ٧٧ ، وفى الأصل وظ : حنيفة - كذا (١٠) فى نسخة من السيرة : عياذ (١١) فى ظ : الحامدى - كذا (١٢) فى ظ : اضرب .

رأيهما ، ثم عزم الله لهما على الرشد فقال جيفر : إنه و الله قد دلنى على هذا النبى صلى الله عليه و سلم الأمى أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به ، و [لا -[1]] ينهى عن شر إلا كان أول تارك له ، و أنه يغلب فلا يبطر[2] ، و يغلب فلا يفجر[3] . و أنه يوفى بالعهد و ينجز الوعد ، و لا يزال يطلع على سر قوم يساوى فيه أهله ، و إنى أشهد أنه رسول الله ، و أسلم أخوه أيضا ، و كتبا[4] إلى النبى صلى الله عليه و سلم باسلامهما ، فقال خيرا و أتى خيرا ، و كان فى سير هؤلاء الرسل لعمرى غير ما ذكر أحاديث عجائب و أقاصيص غرائب من دلائل النبوة و أعلام الرسالة ، خشيت من ذكرها الإطالة و أن تمل و إن لم يكن فيها ما يقتضى[5] ملاله . و قد شفيت فى شرحى لنظمى للسيرة باستيفائها القليل فى ترتيب جميل و نظم أسلوبه لعمرى جليل ؛ هؤلاء رسل البشر ، و أما الرسل من الجن فقد روى الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى "و اذ صرفنا اليك نفرا من الجن[6] يستمعون القرآن[6]" قال : كانوا[7] تسعة نفر من أهل نصيبين ، فجعلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم رسلا إلى قومهم . قال الهيثمى : و فى سنده النضر أبو عمر و هو متروك ، و يؤيد عمومَ هذه الآية فى تناولها الملائكة عليهم السلام قوله تعالى "ليكون للعلمين نذيرا[8]" و إذا

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : فلا ينظر (٣) فى ظ : فلا يضجر ، و فى الخصائص الكبرى ٢/ ١٤ : فلا يهجر (٤) فى ظ : كتب (٥) من ظ ، و فى الأصل : يقص (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و راجع سورة ٤٦ آية ٢٩ .
(٧) فى ظ : كنا - كذا (٨) سورة ٢٥ آية ١ .

تأملت سياق الآيات التى بعدها مع آخر السورة التى قبلها قطعتَ بذلك "لينذر من كان حيا"، "انما تنذر من اتبع الذكر" إذ هم من جملة العالمين و ممن بلغه القرآن و ممن هُوحى و ممن[1] اتبع الذكر[2]، و الخطاب بالإنذار وارد مورد التغليب، إذ الإنس و الجن أهل له، فانتفى ما يقال: إن الملائكة فى غاية الخوف من الله تعالى مع عصمتهم فليسوا[3] ممن يخوف، و يزيد ذلك وضوحا قوله تعالى "و من يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظلمين[4]" و لا إنذار أعظم من ذلك، و إن عيسى عليه السلام من هذه الأمة و ممن شملته الآيات الدالة على عموم الرسالة بغير شك، و أن النبى صلى الله عليه و سلم قال «و الذى نفسى بيده! لو كان موسى حيا لما وسعه إلا اتباعى» أخرجه الإمام أحمد و الدارمى و البيهقى فى الشعب عن جابر رضى الله عنه، و مذهب أهل السنة أن رسل البشر أفضل من رسل الملائكة، و قد ثبتت[5] رسالته إلى الأفضل المعصوم بالفعل لعيسى، و بالتعليق بالحياة لموسى عليه السلام، و قد أخذ الله سبحانه ميثاق النبيين كلهم عليهم السلام إن أدركوه ليؤمنن به، و قد خوطب النبى صلى الله عليه و سلم - و هو أشرف الخلق و أكملهم - بالإنذار فى غير آية، فهما أول به ذلك فى حقه صلى الله عليه و سلم / قيل مثله فى حقهم عليهم السلام، /١٨١

(١) زيد بعده فى ظ: هو (٢) زيد بعده فى ظ: اذهم من جملة العالمين (٣) فى ظ: فليس (٤) سورة ٢١ آية ٢٩ (٥) من ظ، و فى الأصل: ثبث.

وبما يرفع[1] النزاع ويدفع[2] تعلل المتعلل بالإنذار قوله تعالى "لتنذر به وذكرى للمؤمنين[3]" فحذف مفعول 'تنذر' دال على عموم رسالته، وتعليق الذكرى[4] بالمؤمنين مدخل لهم بلا ريب لأنهم من رؤسهم - عليهم السلام، وقوله تعالى "لتبشر به المتقين[5]" - إلى غيرها من الآيات، فيكون عموم رسالته لهم زيادة شرف له، وهو واضح[6]، وزيادة شرف لهم بحمل ٥ أنفسهم على طاعته والتقيد بما حده لهم من أعمال ملته طاعة لله[7] تعالى زيادة في أجورهم ورفعة درجاتهم، وذلك مثل ما قال أبو حيان [8]في قوله تعالى[8] "فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين[9]": إن في[10] الأمر له بذلك مزيد تأكيد وحصول أجر بالامتثال؛ وقال القاضي عياض[11] في الفصل السابع من الباب الأول من القسم الأول من الشفا في قوله ١٠ تعالى[12] "وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب [8]وحكمة[8]" - الآية: قال المفسرون: أخذ الله الميثاق بالوحي، فلم يبعث نبيا إلا ذكر له محمدا ونعته[13] وأخذ عليه ميثاقه إن أدركه ليؤمنن به، ويعضد ذلك ما قال في أول الباب الأول: وحكى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبرئيل عليه السلام:

---

(١) في ظ يقع: - كذا (٢) في ظ: يمنع (٣) سورة ٧ آية ٢ (٤) من ظ، وفي الأصل: الذكر (٥) سورة ١٩ آية ٩٧ (٦) زيد بعده في ظ: لهم (٧) في ظ: الله (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) سورة ٧ آية ١٤٤ (١٠) سقط من ظ (١١) هو ابن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي المالكي، محدث حافظ مؤرخ ناقد مفسر فقيه أصولي، واسم كتابه هذا: الشفا بتعريف حقوق المصطفى - راجع معجم المؤلفين وكشف الظنون (١٢) سورة ٣ آية ٨١ (١٣) في ظ: بعثه - كذا.

هل أصابك من هذه الرحمة المذكورة فى قوله تعالى "وما ارسلنك الا رحمة للعلمين[1]" شىء؟ قال: نعم! كنت أخشى العاقبة[2] فأمنت لثناء الله عز وجل علىّ بقوله "ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم امين[3]" وروى مسلم فى كتاب الصلاة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن
٥ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لى الغنائم، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بى النبيون. وحمل من حمل الخلق على الناس - للرواية التى فيها «إلى الناس» تحكم، [4]بل العكس أولى لمطابقة الآيات[4]، وقد خرج من هذا العموم من لا يعقل
١٠ بالدليل العقلى، فبقى غيرهم داخلا فى اللفظ، لا يحل لأحد أن يخرج منه أحدا منهم إلا بنص صريح ودلالة قاطعة ترفع النزاع، وقال عياض فى الباب الثالث من القسم الأول: وذكر البزار عن على بن أبى طالب رضى الله عنه: لما أراد الله تعالى أن يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم [4]الأذان - فذكر المعراج وسماع الأذان من وراء الحجاب ثم قال:
١٥ ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم[4] فقدمه، فأمّ بأهل السماء فيهم آدم ونوح - انتهى. وروى عبد الرزاق عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان الرجل بأرض قىّ[5]

---

(١) سورة ٢١ آية ١٠٧ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٨١ آية ٢٠ و ٢١ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: لى - كذا، وفى اللسان: أبدلوا الواو ياء طلبا للخفة، وكسروا القاف لمجاورتها الياء - راجع (قوا).

فخانت

فحانت الصلاة فليتوضأ ، فان لم يجد الماء فليتيمم ، فان أقام صلى معه ملكاه ، و إن[1] أذن و أقام صلى خلفه من جنود الله مالا يرى طرفاه . قال المنذري : القِّ - بكسر القاف و تشديد الياء ، و هي الأرض[2] القفر . و روى مالك و الستة إلا الترمذي و أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال[1] : إذا قال الإمام "غير المغضوب ٥ عليهم و لا الضالين ، فقولوا" آمين - و في رواية : إذا أمن الإمام فأمنوا - فانه من وافق [تأمينه -[3]] تأمين الملائكة - و في رواية : من وافق قوله قول الملائكة - غفر له ما تقدم من ذنبه . و في رواية[4] في الصحيح : إذا قال أحدكم في الصلاة : / آمين ، و قالت الملائكة في السماء : / ١٨٢ آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم له من ذنبه . و في ١٠ رواية[4] لأبي يعلى : إذا قال الإمام "غير المغضوب عليهم و لا الضالين" قال الذين[5] خلفه : آمين ، التقت[6] من أهل السماء و أهل الأرض [آمين -[7]] ، غفر للعبد ما تقدم من ذنبه . و للشيخين عن أبي هريرة أيضا رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إذا قال الإمام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : اللهم ربنا[8] لك الحمد ، فانه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ١٥ ما تقدم من ذنبه ؛ و في رواية : فاذا وافق قول أهل السماء قول[1] أهل

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : ارض (٣) زيد من الخمسة . (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) في ظ : الذى (٦) من مجمع الزوائد ٢/١١٣ حيث سيق هذا الحديث ، و في الأصل و ظ : التفت - كذا (٧) زيد من المجمع (٨) زيدت الواو بعده في ظ و نسخة من صحيح البخارى .

الأرض غفر له ما تقدم من ذنبه ؛ فى أشكال ذلك مما يؤذن باتمام الملائكة بأئمتنا ، و ذلك ظاهر فى التقيد[1] بشرعنا ؛ و روى أحمد و أبو داود و النسائى و ابن خزيمة و ابن حبان فى صحيحهما و الحاكم - و جزم ابن معين و الذهلى بصحته - عن أبى بن كعب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : و إن الصف الأول على مثل صف الملائكة . و أدل من جميع ما مضى ما روى مالك و الشيخان و أبو داود و ابن خزيمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، و من راح فى الساعة[2] الثانية فكأنما قرب بقرة ، و من راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ، و من راح فى الساعة[2] الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، و من راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون[3] الذكر ؛ و فى رواية : فاذا قعد الإمام طويت الصحف ، [و فى رواية لأحمد عن أبى سعيد : فاذا أذن المؤذن و جلس الإمام على المنبر طويت الصحف -[4]] و دخلوا المسجد يستمعون الذكر . فان تركهم لكتابة الناس و إقبالهم على الاستماع دليل واضح على الائتمام ، بما رواه الشيخان و غيرهما عن أبى هريرة أيضا رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : إذا قلت لصاحبك

(١) فى ظ : التقييد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : يسمعون. (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ ، و « على المنبر » كان ساقطة من ظ فأثبتناه من مسند الإمام أحمد ٣/٨١ .

يوم الجمعة : أنصت ، و الإمام يخطب[1] فقد لغوت[2] ؛ قال الحليمى فى الرابع من شعب الإيمان فى الجواب عما أورد على قوله "لئن اجتمعت الانس و الجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله[3]" من أن التخصيص بالإنس و الجن لا يمنع قدرة الملائكة على المعارضة ما نصه : و أما الملائكة فلم يتحدوا على[4] ذلك لأن الرسالة إذا لم تكن إليهم ٥ لم يكن القرآن حجة عليهم ، فسواء كانوا قادرين على مثله أو عاجزين ، و هم عندنا عاجزون ؛ و قال فى الخامس عشر فى أن من أنواع تعظيمه[5] الصلاة عليه فأمر الله عباده أن يصلوا عليه و يسلموا ، و قدم قبل ذلك إخبارهم بأن ملائكته يصلون عليه ، [6]فأمر الله عباده[6] لنبيهم بذلك على ما فى الصلاة عليه من الفضل إذا كانت الملائكة مع انفكاكهم عن شريعته تتقرب[7] ١٠ إلى الله تعالى بالصلاة و التسليم عليه[8] ، ليعلموا أنهم بالصلاة و التسليم عليه أول و أحق - هذا نصه فى الموضعين ، و لم يذكر لذلك دليلا ، و نسب الجلال المحلى فى شرحه لجمع الجوامع مثل ذلك إلى البيهقى فى الشعب فانه قال : و صرح الحليمى و البيهقى فى الباب الرابع من شعب الإيمان بأنه عليه الصلاة و السلام لم يرسل إلى الملائكة ، و فى الباب الخامس عشر ١٥ بانفكاكهم من شرعه ، قال : و فى[8] تفسير الإمام الرازى و البرهان النسفى[9]

---

(١) زيد فى ظ : يوم الجمعة (٢) زيد بعده فى ظ : لكن (٣) سورة ١٧ آية ٨٨ .
(٤) فى الأصل و ظ : عن (٥) من ظ ، و فى الأصل : تعظيم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى الأصل و ظ : يتقرب (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : المسمى ، و هو برهان الدين محمد بن محمد النسفى الحنفى ملخص تفسير الرازى - راجع معجم المؤلفين ١١/٢٩٥ .

حكاية الإجماع[1] فى تفسير الآية[2] الثانية - أى "ليكون للعٰلمين نذيرا" أنه لم يكن رسولا إليهم - انتهى . و هو شهادة نفى كما ترى ، لا ينهض بما ذكرته من النصوص على أن الحليمى لم يقل بذلك إلا لقوله بأن الملائكة أفضل من الأنبياء - كما نقله عنه الإمام فخر الدين فى كتاب الأربعين و الشيخ سعد الدين التفتازانى فى شرح المقاصد و غيرهما ، و لم يوافقه على ذلك أحد من أهل السنة إلا القاضى أبو بكر الباقلانى ، فكما لم يوافق على الأصل لا يوافق على الفرع ، و أما البيهقى فانما نقله عن الحليمى و سكوته عليه لا يوجب القطع برضاه[3] ، قال الزركشى فى شرح جمع الجوامع : و هى مسألة وقع النزاع فيها بين فقهاء مصر مع فاضل درس عندهم و قال لهم : الملائكة ما دخلت[4] فى دعوته ، فقاموا عليه ، و قد ذكر الإمام فخر الدين فى تفسير سورة الفرقان[5] الدخول محتجا بقوله تعالى "ليكون[2] للعٰلمين نذيرا" : و الملائكة داخلون فى هذا العموم - انتهى . و هذا يقدح فيما نقل عنه من نقل الإجماع ، و على تقدير صحته ففيه أمور ، أما أولا فالإجماع لا يرجع إلا[6] إلى أهل الاطلاع على المنقولات من حفاظ الآثار و أقاويل السلف فيه[2] ، و أما ثانيا فانه نقل[7] يحتمل التصحيح و التضعيف ، لأنه بطرقه احتمال أن يكون نقل[7] عمن لا يعتد به ، أو يكون

/ ١٨٣ /

(١) فى ظ : بالاجماع (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لرضاه (٤) فى ظ : خلت . (٥) من ظ ، و فى الأصل : القرآن (٦) من ظ ، و فى الأصل : اليه (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أخذه عن أحد مذاكره[1] و أحسن الظن به، أو حصل له[2] سهو، و نحو ذلك، فلا وثوق إلا بعد معرفة المنقول عنه و سند النقل و الاعتضاد بما يوجب الثقة ليقاوم هذه الظواهر[2] الكثيرة، [3]و أما ثالثا[3] فانه سيأتى عن الإمام تقى الدين السبكى أن بعض المفسرين قال بالإرسال إلى الملائكة، و قال الإمام ولى الدين أبو زرعة أحمد بن الحافظ زين الدين العراقى ٥ فى شرحه لجمع الجوامع: و أما كونه مبعوثا إلى الخلق أجمعين فالمراد المكلف منهم، و هذا يتناول الإنس و الجن و الملائكة. فأما الأولان[4] فبالإجماع، و أما الملائكة فمحل الخلاف فأين الإجماع! هذا على تقدير صحة هذا النقل و أنى لمدعى ذلك به! فانى راجعت تفسير الإمام للآية المذكورة فلم أجد فيه نقل الإجماع، و إنما قال: ثم قالوا: هذه الآية تدل على أحكام: ١٠ الأول أن العالم كل ما سوى الله، فيتناول جميع المكلفين من الجن و الإنس و الملائكة، لكنا نبئنا أنه عليه السلام لم يكن رسولا إلى الملائكة، فوجب أن ينفى كونه رسولا إلى الجن [3]و الإنس[3] جميعا، و بطل قول من قال: إنه كان رسولا إلى البعض دون البعض، الثانى أن لفظ "العٰلمين" يتناول جميع المخلوقات، فتدل الآية على أنه رسول إلى المكلفين إلى ١٥ يوم القيامة، فوجب أن يكون خاتم الأنبياء و الرسل - هذا لفظه فى أكثر النسخ، و فى بعضها: لكنا[5] أجمعنا - بدل: نبئنا - و هى غير صريحة فى إجماع الأمة كما ترى، و لم يعين الموضع الذى أحال عليه فى النسخ

(١) فى ظ: مذاكرة (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) من ظ، و فى الأصل: الإيمان (٥) من ظ، و فى الأصل: لكن.

الأخرى - فليطلب من مظانه و يتأمل[1]، و أما النسفى فمختصر له - و الله الموفق؛ ثم رأيت فى خطبة كتاب[2] الإصابة فى أسماء الصحابة لشيخنا حافظ عصره أبى الفضل ابن حجر فى تعريف الصحابى: و قد نقل الإمام فخر الدين فى أسرار التنزيل الإجماع على أنه صلى الله عليه و سلم لم يكن مرسلا إلى الملائكة، و نوزع[3] فى هذا النقل، بل رجح الشيخ تقى الدين السبكى أنه كان مرسلا إليهم و احتج بأشياء يطول شرحها - انتهى. و العجب من الرازى فى نقل هذا الذى لا يوجد لغيره مع أنه قال فى أسرار التنزيل فى أواخر الفصل الثانى من الباب الثالث فى الاستدلال بخلق الآدمى على وجود الخالق: الوجه الرابع - أى فى تكريم بنى آدم - أنه جعل أباهم / رسولا إلى الملائكة حيث قال " انبئهم باسمائهم[4] " و قد تقرر أن كل كرامة كانت لنبى من الأنبياء فلنبينا صلى الله عليه و سلم [مثلها أو أعظم - [5]] منها، [و قال فى تفسيره الكبير فى " و علم آدم الاسماء[4] ": و لا يبعد أيضا أن يكون مبعوثا إلى من يوجه التحذير إليهم من الملائكة، لأن جميعهم و إن كانوا رسلا فقد يجوز الإرسال إلى الرسول لبعثة إبراهيم إلى لوط عليهما السلام - انتهى. و أنت خبير بأمر عيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء - [5]]، و الحاصل أن رسالته صلى الله عليه و سلم إليهم - صلوات الله عليهم - رتبة فاضلة و درجة عالية

١٨٤ /

(١) من ظ، و فى الأصل: تعامل - كذا (٢) فى ظ: كتابه (٣) من خطبة كتاب الإصابة ١/٤، و فى الأصل: من راع، و فى ظ: يوزع - كذا. (٤) سورة ٢ آية ٣١ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ.

كاملة جائزة له[1]، لائقة بمنصبه، مطابقة لما ورد من القواطع لعموم[2] رسالته و شمول دعوته. و قد دلت على حيازته لها ظواهرُ الكتاب و السنة مع أنه لا يلزم من إثباتها[3] له إشكال فى الدين و لا محذور فى الاعتقاد، فليس لنا التجرئ[4] على نفيها إلا بقاطع كما قال إمامنا الشافعى رحمه الله فى كتاب الرسالة فى آيـة الأنعام "قل لا اجد فيما اوحى الى محرما"- ٥ الآية، قال: فاحتملت معنيين[5]: أحدهما أن[6] لا يحرم على طاعم يطعمه[7] أبدا إلا ما استثنى الله عز و جل، و هذا المعنى الذى إذا وُجه[8] رجل مخاطبا به كان الذى يسبق إليه أنه لايحرم [عليه -[9]] غير [10]ما سمى الله[10] عز و جل محرما، و ما كان هكذا فهو الذى يقال[11] له أظهر المعانى و أعمها و أغلبها [و الذى -[9]] - لو احتملت الآية معانى سواه - كان ١٠ هو المعنى الذى يلزم أهل العلم القول به إلا أن تأتى سنة للنبى صلى الله عليه و سـلم - بأبى هو و أمى - تدل على معنى غيره مما[12] تحتمله الآية، فنقول[13]: هذا معنى ما أراد الله عز و جل، و لا يقال بخاص فى كتاب الله و لا سنـة إلا بـدلالة فيهمـا أو فى واحد [منهما -[9]]، و لا يقال

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: بعموم (٣) فى ظ: اتيانها (٤) فى ظ: التحرى.
(٥) فى ظ: تعيين (٦) فى ظ: انه (٧) سقط من الرسالة ٢٩ (٨) فى ظ: وجه، و فى الرسالة: واجـه، و ما فى الأصل أقرب صوابـا (٩) زيد من الرسالة.
(١٠-١٠) فى ظ: المعنى - كذا (١١) من الرسالة، و فى الأصل و ظ: يقول.
(١٢) من ظ و الرسالة، و فى الأصل: فما (١٣) من الرسالة، و فى الأصل: فقول، و فى ظ: فيقول - كذا.

بخاص حتى تكونِ الآية [1]تحتمل أن تكون[1] أريد بها ذلك الخاص ، فأما ما لم تكن محتملة له فلا يقال فيها بما لا تحتمل[2] الآية - انتهى .

وشرحه الإمام أبو محمد ابن حزم فى المحلى فقال: ولا يحل لأحد أن يقول فى آية أو [فى -[3]] خبر : هذا منسوخ[4] أو[5] مخصوص فى بعض ما يقتضيه ظاهر لفظه ، ولا أن لهذا النص تأويلا غير مقتضى ظاهر لفظه ، ولا أن هذا الحكم غير واجب علينا من حين وروده[6] إلا بنص آخر وارد بأن هذا النص كما ذكر ، أو باجماع متيقن بأنه كما ذكر ، أو بضرورة حس[7] موجبة أنه كما ذكر[8] ، برهانه : " وما ارسلنا من رسول[9] الا ليطاع باذن الله[10] " ، " وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم[11] " ، وقال " فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم[12] فتنة " ، ومن ادعى أن المراد بالنص بعض ما يقتضيه [فى اللغة العربية ، لا كل ما يقتضيه -[13]] فقد أسقط بيان النص ، [14]وأسقط[14] وجوب الطاعة له بدعواه الكاذبة ، وليس بعض ما يقتضيه النص بأولى بالاقتصار عليه

(١-١) من الرسالة ، وفى الأصل : يحتمل أن يكون ، وفى ظ : تحتمل او يكون - كذا (٢) من الرسالة ، وفى الأصل وظ : يحتمل (٣) زيد من المحلى ١/٤٩ . (٤) من المحلى ، وفى الأصل وظ : منصوص (٥) فى المحلى : وهذا (٦) من المحلى ، وفى الأصل وظ : وردوه - كذا (٧) فى ظ : خبر (٨) زيد فى المحلى : وإلا فهو كاذب (٩) العبارة من هنا إلى « من رسول » ساقطة من ظ (١٠) سورة ٤ آية ٦٤ (١١) سورة ١٤ آية ٤ (١٢) من ظ والمحلى والقرآن الكريم سورة ٢٤ آية ٦٣ ، وفى الأصل : يصيبهم (١٣) زيد من ظ والمحلى ١/٥٠ (١٤-١٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

من

من سائر ما يقتضيه - انتهى . و قال أهل الأصول : إن الظاهر [ما -[1]] دل على المعنى دلالة ظنية أى راجحة ، و التأويل حمل الظاهر على المحتمل المرجوح ، [2]فان حمل عليه لدليل فصيح[2] - أو لِما نظن دليلا و ليس فى الواقع بدليل - فتفاسد[3] ، أو لا لشىء فلعب لا تأويل ، [قال الإمام الغزالى فى كتاب المحبة من الإحياء فى الكلام على أن رؤية الله تعالى فى الآخرة هل هى بالعين أو بالقلب : و الحق ما ظهر لأهل السنة و الجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق فى العين ، ليكون لفظ الرؤية و النظر و سائر الألفاظ الواردة فى الشرع مجرًى على ظاهره إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا لضرورة - انتهى -[1]] ، و قال الإمام تقى الدين السبكى فى جواب السؤال عن الرسالة إلى الجن الذى تقدم فى أول الكلام على هذه الآية أنى رأيته بخطه[4] : الآية العاشرة : " ليكون للعٰلمين نذيرا[5] " قال المفسرون كلهم فى تفسيرها : للجن و الإنس ، و قال بعضهم : و الملائكة . [6]الثانية عشرة[6] " و ما ارسلنٰك الا كافة للناس[7] " قال المفسرون : معناهـا[8] : إلا إرسالا عاما شاملا لجميـــع الناس ، أى ليس بخاص ببعض الناس ، فمقصود الآية نفى [9]الخصوص و إثبات العموم ، و لا مفهوم لها فيما وراء الناس ، بل قوتها فى العموم يقتضى عدم[9] الخصوصية فيهم و حينئذ يشمل

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) فى ظ : قال احمل الدليل بصحيح (٣) فى ظ : تفاسد .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : بخط (٥) سورة ٢٥ آية ١ (٦-٦) فى ظ : الثانية .
(٧) سورة ٣٤ آية ٢٨ (٨) من ظ ، و فى الأصل : معناه (٩-٩) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل ، و ثبتت صفحة ١٨٥ من الأصل فى العبارة المتكررة بعد « إثبات العموم » .

الجن ، و لو كان مقصود الآية حصر[1] رسالته فى الناس لقال : و ما أرسلناك إلا إلى الناس ، فان كلمة ' إلا ' تدخل على ما يقصد الحصر فيه ، فلما أدخلها على " كافة " دل على أنه المقصود بالحصر ، و يبقى قوله " للناس " لا مفهوم له ، أما أولا فلأنه مفهوم قلب[2] ، و أما ثانيا فلأنه لا يقصد بالكلام ، و أما ثالثا فلأنه[3] قد قيل : إن " الناس " يشمل الإنس و الجن ، أى على القول بأنه مشتق من النوس ، و هو التحرك ، و هو على هذا شامل للملائكة أيضا ، و ممن صرح من أهل اللغة بأن " الناس " يكون[4] من الإنس و من الجن[5] الإمام أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم الفارابى فى كتابه ديوان الأدب[7] ، قال السبكى : السابعة عشرة[6] " ان هو الا ذكر للعلمين[7] " الثامنة عشرة[6] " انما تنذر من اتبع الذكر و خشى الرحمن بالغيب[8] " و نحوهما كقوله[9] " لتنذر من كان حيا[10] " و كذا قوله " هدى للمتقين " ، و أما السنة فأحاديث : الأول حديث مسلم[11] عن أبى هريرة رضى الله عنه « و أرسلت إلى الخلق كافة » ، « إلى الخلق » عام يشمل الجن بلا شك ، و لا يرد على هذا أنه ورد فى روايات هذا الحديث من طرق أخرى فى صحيح البخارى و غيره « الناس » موضع « الخلق » لأنا نقول : ذلك من رواية جابر ، و هذا من رواية أبى هريرة ؛ فلعلهما حديثان ، و فى رواية الخلق زيادة معنى على الناس ، فيجب

(١) فى ظ : حضور (٢) فى الأصل و ظ : لقب ـ كذا (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : يكونون (٥) زيد بعده فى ظ : قال (٦) فى ظ : عشر (٧) سورة ٣٨ آية ٨٧ (٨) سورة ٣٦ آية ١١ (٩) فى ظ : لقوله (١٠) سورة ٣٦ آية ٧٠ .
(١١) من ظ ، و فى الأصل : سلمة .

الأخذ به[1] إذ لا تعارض[2] بينهما ، ثم جوز أن يكون من روى «الناس» روى بالمعنى فلم يوف به ، قال : و هذا الحديث يؤيد قول من قال : إنه مرسل إلى الملائكة و لا يستنكر هذا . فقد يكون ليلة الإسراء يسمع[3] من الله كلاما فبلغه لهم فى السماء أو لبعضهم ، و بذلك يصح أنه مرسل إليهم ، و لا يلزم من كونه مرسلا إليهم من حيث الجملة أن يلزمهم جميعُ الفروع التى تضمنتها ٥ شريعته ، فقد يكون مرسلا إليهم فى بعض الأحكام أو فى بعض الأشياء التى ليست بأحكام ، أو يكون يحصل لهم بسماع القرآن زيادةُ إيمان ، و لهذا جاء فيمن قرأ سورة الكهف : فنزلت عليه مثل الظلة ، ثم قال فى أثناء كلام : بخلاف[4] الملائكة ، لا يلتزم أن هذه التكاليف كلها ثابتة فى حقهم إذا قيل بعموم الرسالة لهم ، بل يحتمل ذلك و يحتمل فى شىء ١٠ خاص كما أشرنا إليه فيما قبل - انتهى . قلت : و لا ينكر اختصاص الأحكام ببعض المرسل إليهم دون بعض فى شرع واحد فى الأحرار و العبيد و النساء و الرجال و الحطّابين و الرعاء بالنسبة إلى بعض أعمال الحج و غير ذلك مما يكثر تعداده - و الله الموفق ؛ و من تجرأ[5] على نفى الرسالة إليهم من أهل زماننا بغير نص صريح يضطره إليه ، كان ضعيف العقل[6] ١٥ مضطرب الإيمان مزلزل اليقين سقيم[7] الدين ، و لو كان حاكيا لما قيل

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يعارضه - كذا (٣) فى ظ : سمع (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٥) من ظ ، و فى الأصل : يجره (٦) فى ظ : القلب (٧) من ظ ، و فى الأصل : سيعصم .

على وجه الرضى به ، [1] فما كل[1] ما يُعلّم يقال ، وكفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع ، ولعمرى ! إن الأمر لعلى ما قال صاحب البردة و تلقته[2] الأمة بالقبول ، و طرب عليه فى المحافل و الجموع :

دع ما ادعته النصارى فى نبيهم و احكم بما شئت مدحا فيه و احتكم

٥ و لما أثبت شهادة الله تعالى له[3] بالتصديق بأنه محق ، وكان ذلك ربما[4] أوهم أن غير الله تعالى لا يعرف ذلك ، لا سيما و قد ادعى كفار قريش أنهم سألوا أهل الكتابين فادعوا[5] أنهم لا يعرفونه ، أتبعه بقوله على طريق الاستئناف : ﴿ الذين آتيناهم ﴾ أى بما لنا من العظمة / من /١٨٦ اليهود و النصارى ﴿ الكتب ﴾ أى الجامع لخيرى الدنيا و الآخرة ،

١٠ و هو التوراة و الإنجيل ﴿ يعرفونه ﴾ أى الحق الذى كذبتم به لما جاءكم و حصل النزاع بينى و بينكم فيه لما عندهم فى كتابهم من وصفى الذى لا يشكون فيه ، و لما هم بمثله آنسون مما أثبت به من المعجزات ، و لما فى هذا القرآن من التصديق لكتابهم و الكشف لما أخفوا من أخبارهم ، و لأساليبه[6] التى لا يرتابون فى أنها خارجة من مشكاة كتابهم مع زيادتها

١٥ بالإعجاز[7] ، فهم يعرفون هذا الحق ﴿ كما يعرفون أبناءهم ﴾ أى من بين الصبيان بحُلاهم و نعوتهم معرفة لا يشكون[8] فيها ، و قد وضعتموهم موضع

(١-١) فى ظ : فكل (٢) فى ظ : تلقيه (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : بما (٥) فى ظ : و ادعوا (٦) فى الأصل : لاسالته ، و فى ظ : لا سالبه - كذا (٧) فى ظ : لاعجاز (٨) من ظ ، و فى الأصل : لا سكون .

الوثوق ، و أنزلتموهم منزلة الحكم بسؤالكم لهم عنى غير مرة ، و قد آمن بى جماعة منهم و شهدوا لى ، فما لكم لا تتابعونهم ! لقد بان الهوى و انكشف عن ضلالكم الغطاء .

و لما كان أكثرهم يخفون[1] ذلك و لا يشهدون به ، قال جوابا لمن يسأل عنهم : ﴿ الذين خسروا ﴾ أى منهم ، و لكنه حذفها للتعميم ٥ ﴿ انفسهم فهم ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى لما سبق لهم من القضاء بالشقاء الذى[2] خسروا به أنفسهم بالعدول عما دعت إليه الفطرة السليمة و الفكرة المستقيمة ، و من خسر نفسه فهو لا يؤمن فكيف يشهد ! فقد بينت[3] هذه الجملة أن من لا يشهد منهم فهو فى الحقيقة ميت أو موات ، لأن من ماتت نفسه كذلك ، بل هم أشقى[4] منه ، فلقد أداهم[5] ذلك[6] ١٠ الشقاء إلى أن حرفوا كتابهم و أخفوا كثيرا مما يشهد لى بالنبوة ، فكانوا أظلم الخلق بالكذب فى كتاب الله للتكذيب لرسل الله .

و لما كان التقدير : خسروا فماتهم الإيمان ، لأنهم ظلموا بكتمان الشهادة ، فكان الظلم سبب خسرانهم ، فمن أظلم منهم[7] ! عطف عليه ما يؤذن [8]بأنهم بدلوا كتابهم ، أو نسبوا إليه ما ليس فيه ، فقال واضعا ١٥ للظاهر موضع[8] ضميرهم لذلك : ﴿ و من اظلم ممن افترى ﴾ أى تعمد

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الذين (٣) فى ظ : ثبتت (٤) من ظ ، و فى الأصل : اسر - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : هداهم (٦) زيد بعده فى الأصل: الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) فى ظ : ممن (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿ على الله كذبا ﴾ كهؤلاء الذين حرفوا كتابهم و نسبوا إلى الله ما لم يقله، زيادة كتبوها بأيديهم لا أصل لها[1]، إضلالا منهم[2] لعباده ﴿ اوكذب بآيٰته[3] ﴾ أى الآتى بها الرسل كالقرآن و غيره من المعجزات كالمشركين، لا أحد أظلم منهم فهم لا يفلحون ﴿ انه لا يفلح الظٰلمون ٥ ﴾ أى[2] فكيف بالأظلمين!

٥ و لما كان معنى هذا أنهم أكذب الناس، دل عليه بكذبهم يوم الحشر بعد انكشاف الغطاء فقال: ﴿ و يوم ﴾ أى اذكر كذبهم على الله[3] و تكذيبهم فى هذه الدار، و اذكر أعجب من ذلك، و هو كذبهم فى عالم الشهادة عند كشف الغطاء و ارتفاع الحجب يوم ﴿ نحشرهم ﴾ أى نجمعهم بما لنا من العظمة و هم كارهون صاغرون ﴿ جميعا ﴾ [أى -[4]]

١٠ أهل الكتاب و المشركين و غيرهم و معبوداتهم، و أشار إلى عظمة ذلك اليوم و طوله و مشقته و هوله بقوله بأداة التراخى: ﴿ ثم نقول ﴾ أى بما لنا من العظمة التى انكشفت لهم أستارها و تبدت لهم [5]بحورها وأغوارها[5] توبيخا و تنديما ﴿ للذين اشركوا ﴾ أى سموا شيئا من دوننا[6] إلها و عبدوه[7] بالفعل من الأصنام أو عزير أو المسيح أو الظلمة أو النور أو غير ذلك،

١٥ [أو -[4]] بالرضى بالشرك، فان الرضى بالشىء فعل له لا سيما إن انضم إليه تكذيب المحق و الشهادة للمبطل بأن دينه خير[8] ﴿ اين شركآؤكم ﴾ أضافهم إلى ضميرهم لتسميتهم[8] لهم بذلك ﴿ الذين كنتم تزعمون ٥ ﴾ أى

---

(١) فى ظ: لهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: انه (٤) زيد من ظ (٥-٥) فى ظ: بحورها و اعوارها (٦) فى ظ: دونها (٧) من ظ، و فى الأصل: عبدوها (٨) فى ظ: خيرا (٩) فى ظ: لتشميتهم.

أنهم شركاؤنا بالعبادة أو الشهادة بما يؤدى إليها، ادعوهم اليوم لينقصوكم[1] مما نريد من ضركم، / أو يرفعوكم مما نريد من وضعكم، و سؤالهم هذا يجوز /١٨٧ أن يكون مع غيبة الشركاء عنهم و أن يكون عند[2] إحضارهم لهم، فيكون الاستفهام عما كانوا يظنون من نفعهم، فكأن غيبته[3] غيبتهم.

و لما كان إخبارهم بغير الواقع فى ذلك اليوم مستبعدا بعد رفع الحجاب ٥ عن الأهوال و إظهار الزلازل و الأوجال[4]، أشار إليه بأداة البعد فقال: ﴿ ثم لم تكن فتنتهم ﴾ أى عاقبة مخالطتنا لهم بهذا السؤال و أمثاله من البلايا التى من شأنها أن يميل[5] ما خالطته فتحيله - [و -[6]] لو أنه جبل - عن حاله بما ناله من[7] قوارعه و زلزاله إلا كذبهم فى ذلك الجمع، و هو معنى قوله: ﴿ الآ ان قالوا ﴾ ثباتا منهم فيما هم عريقون فيه من وصف ١٠ الكذب: ﴿ و الله ﴾ فذكروا الاسم الأعظم الذى تندكّ لعظمته الجبال الشم، و تنطق بأمره الأحجار الصم، الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى التى ظهر لهم كثير منها فى ذلك اليوم، و أكدوا ذلك بذكر الوصف المذكر بتربيتهم و دوام الإحسان إليهم فقالوا: ﴿ ربنا ﴾ فلم يقنعوا[8] بمجرد الكذب حتى أقسموا، و لا بمجرد القسم حتى ذكروا الاسم الجامع ١٥ و الوصف المحسن ﴿ ما كنا مشركين ﴾ أى إن تكذيبهم لك أوصلهم إلى حد يكذبون[9] فيه فى ذلك اليوم بعد كشف الغطاء تطمعا بما لا ينفعهم،

(١) فى ظ: لينفعوكم (٢) فى ظ: عنده (٣) فى ظ: عليه (٤) من ظ، و فى الأصل: الآجال (٥) فى ظ: تميل (٦) زيدت الواو كى تستقيم العبارة (٧) فى ظ: عن. (٨) من ظ، و فى الأصل: نعموا - كذا (٩) فى ظ: يكونون.

كما ترى الحائر المدهوش فى الدنيا يفعل مثل ذلك فهو إيئاس[1] من فلاح الجميع : المشركين و أهل الكتاب ، أو يكون المعنى تنديما لهم و تأسيفا : أنه لم يكن عاقبة كفرهم الذى اقتتنوا به فى لزومه و الافتخار به و القتال عليه - لكونه دين الآباء - إلا جحوده و البراءة منه و الحلف على الانتفاء من التدين به ، و المعنى على قراءتى النصب و الرفع فى ' فتنة ' على جعلها خبرا أو اسما واحدٌ . فمعنى قراءة النصب : لم يكن شىء إلا قولهم - أى غير قولهم الكذب - فتنتهم ، أى لم يكن شىء فتنتهم إلا هذا القول ، فهذا القول وحده فتنتهم ، فنفى عن فتنتهم و سلب عنها كل شىء غير قولهم هذا ، فالفتنة مقصورة على قولهم الكذب ، و الكذب[2] قد يكون ثابتا لغيرها ، أى إنهم يكذبون من غير فتنة ، بل فى حال الرخاء[3] ، و هذا بعينه معنى قراءة ابن كثير و ابن عامر و حفص برفع ' فتنة ' ، أى لم تكن فتنتهم شيئا غير كذبهم ، فقد نفيت[4] فتنتهم عن كل شىء غير الكذب ، فانحصرت فيه ، و يجوز أن يكون ثابتا فى حال[5] غيرها - على ما مر ، و هذا التقدير نفيس عزيز الوجود دقيق المسلك - يأتى إن شاء الله تعالى عند "و ما كان صلاتهم عند البيت[6] " فى الأنفال ما ينفع هنا فراجعه .

و لما كان هذا من أعجب العجب ، أشار إليه بقوله : ﴿ انظر ﴾ و بالاستفهام فى قوله : ﴿ كيف كذبوا ﴾ و بالإشارة إلى أنهم فعلوه

(١) من ظ ، و فى الأصل : بائس - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) فى ظ : الرجاء (٤) فى ظ : بقيت (٥) سقط من ظ (٦) راجع آية ٣٥ .

مع علمهم بما انكشف لهم من الغطاء أنه لا يجديهم بقوله : ﴿على انفسهم﴾ و هو نحو قوله "فيحلفون له كما يحلفون لكم[1]" - الآية .

و لما كان قولهم هذا مرشدا إلى أن شركاءهم غابوا عنهم ، فلم ينفعوهم[2] بنافعة ، و كان الإعلام بفوات ما أنهم مقبلٌ عليه فرحٌ به ، سارا[3] لخصمه[4] جالبا لغمه ، صرح به فى قوله : ﴿ و ضل ﴾ أى غاب ﴿عنهم﴾ ٥ إما حقيقة أو مجازا ، أو هما بالنظر إلى وقتين ، ليكون إنكار ﴿ما كانوا يفترون ۝﴾ أى يتعمدون الكذب فى ادعاء شركته[5] عنادا لما على ضده من الدلائل الواضحة .

و لما علم أن هـذه الآيات قد ترابطت / حتى كانت آية واحدة ، ١٨٨ / و ختم بأن مضمون قوله "فقد كذبوا بالحق لما جاءهم" - الآية ، قد صار ١٠ وصفا لهم ثابتا حتى ظهر فى يوم الجمع ، [6]قسم الموسومين[6] بما كانت [تلك -[7]] الآية سببا له ، و هو الإعراض عن الآيات المذكور فى قوله "الا كانوا عنها معرضين" ، فكان كأنه قيل : فمنهم من أعرض بكليته ، فعطف عليه قوله : ﴿ و منهم من يستمع اليك ج ﴾ أى يصغى بجهده كما فى السيرة عن أبى جهل بن هشام و أبى سفيان بن حرب و الأخنس ١٥ ابن شريق أن كلا منهم جلس عند بيت النبى صلى الله عليه و سلم فى الليل يستمع القرآن . لا يعلم أحد منهم بمجلس صاحبه ، فلما طلع الفجر

(١) سورة ٥٨ آية ١٨ (٢) فى الأصل : فلم ينفعهم و هم ، و فى ظ : فلم ينفعهم - كذا (٣) فى الأصل : سا ا ، و فى ظ : سار - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : لهنة - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : شتر - كذا (٦-٦) فى ظ : قتم المؤمنين . (٧) زيد من ظ .

انصرفوا فضمهم الطريق فتلاوموا و قالوا : لو رآكم ضعفاؤكم لسرعوا إليه ، و تعاهدوا على أن لا يعودوا ، ثم عادوا تمام ثلاث ليال . ثم سأل الأخنس أبا سفيان عما سمع فقال : سمعت أشياء عرفتها و عرفت المراد منها ، و أشياء لم أعرفها و لم أعرف المراد منها ، فقال : و أنا كذلك ، ثم سأل أبا جهل فأجاب بما يعرف منه أنه علم صدقه و ترك تصديقه حسدا و عنادا ، و ذلك هو المراد من قوله : ﴿ و جعلنا ﴾ أى و الحال أنا قد جعلنا ﴿ على قلوبهم اكنة ﴾ أى أغطية ، جمع كنان أى غطاء ﴿ ان ﴾ أى كراهة أن ﴿ يفقهوه ﴾ أى القرآن ﴿ و فى اذانهم وقرا ﴾ أى ثقلا يمنع من سمعه حق السمع ، لأنه يمنع من وعيه الذى هو غاية السماع ، فهم لا يؤمنون بما يسمع[1] منك لذلك[2] .

و لما ذكر ما يتعلق بالسمع ، ذكر ما يظهر للعين ، معبرا بما يعم السمع و غيره من أسباب العلم فقال : ﴿ و ان يروا ﴾ أى بالبصر أو البصيرة ﴿ كل اية ﴾ أى من آياتنا سواه ﴿ لا يؤمنوا بها ﴾ لما عندهم من العناد و النخوة فى تقليد الآباء و الأجداد ﴿ حتى ﴾ كانت غايتهم فى هذا الطبع على قلوبهم أنهم مع عدم فقههم ﴿ اذا جاءوك يجادلونك ﴾ أى بالفعل أو بالقوه ، و الغاية داخلة ، و كأنه[3] قيل تعجبا : ما ذا يقولون فى جدالهم ؟ فقال مظهرا للوصف الذى أداهم إلى ذلك : ﴿ يقول الذين كفروا ﴾ أى غطوا لما هو ظاهر لعقولهم و هو معنى الطبع ﴿ ان ﴾ أى ما

(١) من ظ ، و فى الأصل : سمع (٢) من ظ ، و فى الأصل : كذلك (٣) فى ظ : فكأنه .

﴿ هذآ ﴾ أى الذى وصل إلينا ﴿ الآ اساطير ﴾ جمع سطور و أسطر جمع سطر و هى أيضا جمع إسطار و إسطير بكسرهما و أسطور ، و بالهاء فى الكل ﴿ الاولين ٥ ﴾ و قد قال ذلك النضر بن الحارث ، فصدق قوله إخبار هذه الآية ﴿ و هم ﴾ حال من فاعل "يستمع" أى يستمعون إليك و الحال أنهم ﴿ ينهون عنه ﴾ أى عن الاستماع أو عن اتباع القرآن ٥ ﴿ و ينؤن ﴾ أى يبعدون ﴿ عنه ٤ ﴾ أى كما وقع لأبى جهل و صاحبيه فى المعاهدة على ترك[1] المعاودة للسماع و ما يتبعه ﴿ و ان ﴾ أى و ما ﴿ يهلكون ﴾ أى بعبادتهم و مكابدتهم ﴿ الآ انفسهم ﴾ أى و ما هم [2]بضاريك و لا بضارى[2] أحد من أتباعك فيما يقدح فى المقصود من إرسالك من إظهار الدين و محو الشرك و إذلال[3] المفسدين ﴿ و ما يشعرون ٥ ﴾ ١٠ أى و ما لهم نوع شعور بما يؤديهم إليه الحال ، بل هم كالبهائم ، بل هى أصلح حالا منهم .

و لما جعل عدم إيمانهم [4]فى هذه[4] بشىء من الآيات موصلا لهم إلى غاية من الجهل عظيمة موئسة من أدعائهم فى هذه الدار ، و هى مجادلتهم له صلى الله عليه و سلم ، و ختم الآية بما رأيت من عظيم التهديد استشرفت ١٥ النفس / إلى معرفة حالهم عند ردهم إلى الله تعالى و الكشف لهم [عما -[5]] ١٨٩ / هددوا[6] به ، فأعلم[7] نبيهم صلى الله عليه و سلم أن حالهم إذ ذاك الإيمان ،

(١) فى ظ : تلك (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : بضائريك ولا بضائرى (٣) من ظ ، و فى الأصل : الادلال - كذا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ .
(٦) فى ظ : عاهدوا (٧) فى ظ : و اعلم .

حيث يسر غاية السرور تصديقهم له ، و تمنيهم متابعته[1] لما يركبهم[2] من الذل و يحيط بهم من الصغار ، و لا يزيدهم ذلك إلا ضررا و عمى و ندما و حسرة ، فكأنه قيل : فلو رأيت حالهم عند كشف الغطاء - و هو المطلع - لرأيتهم يؤمنون : ﴿ و لو ترى اذ ﴾ أى حين ﴿ وقفوا ﴾ ٥ فى الحشر ، [و -] بنى للمجهول لأن المنكى[4] الإيقاف ، لا كونه من معين ﴿ على النار ﴾ أى عندها ليدخلوها[5] مشرفين[6] على كل ما فيها من أنواع النكال ، و ذلك أعظم فى النكاية . أو على الجسر و هو [على -] الصراط و هى تحتهم ، أو عرفوا حقيقتها و مقدار عذابها من قولك : أوقفته على كذا - إذا عرفته أياه ﴿ فقالوا ﴾ تمنيا للحال[7] ﴿ يٰليتنا نرد ﴾ ١٠ أى إلى الدنيا .

و لما كان التقدير بشهادة قراءة من نصب الفعلين - جوابا للتمنى - أو[8] أحدهما : فنطيع ، عطف على الجملة قوله : ﴿ و لا ﴾ أى و الحال أنا لا ، أو و نحن لا ﴿ نكذب ﴾ إن[9] رددنا ﴿ بايٰت ربنا ﴾ أى المحسن إلينا[10] ﴿ و نكون من المؤمنين ٥ ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ، و التقدير ١٥ عند ابن عامر فى نصب الثالث : ليتنا نرد ، و ليتنا لا نكذب فنسعد[11] و أن نكون[12] ، و على قراءة حمزة و الكسائى و حفص بنصب الفعلين :

---

(١) فى ظ : فبايعته (٢) فى ظ : نزلتهم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : المبكى .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : ليدخلها (٦) فى ظ : مردين (٧) فى ظ : للحال .
(٨) من ظ ، و فى الأصل « و » (٩) فى ظ : اى (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ : فنشهد (١٢) فى ظ : يكون .

ليتنا نرد فنسعد ، و أن لا نكذب و أن نكون[1] ، و المعنى : لو رأيت إيقافهم[2] و وقوفهم فى ذلك الذل و الانكسار و الخزى و العار و سؤالهم و جوابهم لرأيت أمرا هائلا فظيعا و منظرا[3] كريها شنيعا ، و لكنه حذف تفخيما له لتذهب[4] النفس فيه كل مذهب[5] ، و جاز حذفه للعلم به فى الجملة .

و لما أخبروا - [6] فى قراءة الرفع[6] - عن أنفسهم بما تمنوا لأجله الرد ، و تضمنت قراءة النصب الوعد ، فانه كما لو قال قائل : ليت الله يرزقنى مالا فأكافئك على صنيعك ، فانه ينجر[7] إلى : إن رزقنى الله مالا كافأتك ، فصار لذلك مما يقبل التكذيب ، أضرب عنه سبحانه تكذيبا لهم بقوله : ﴿ بل ﴾ أى ليس الأمر كما قالوا ، لأن هذا التمنى ليس عن حقيقة ثابتة فى أنفسهم من محبة مضمونه و ثمرته ، بل ﴿ بدا ﴾ أى ظهر ﴿ لهم ﴾ من العذاب الذى لا طاقة لهم به ﴿ ما كانوا يخفون ﴾ أى [من - [8]] أحوال الآخرة و مرائهم[9] على باطل ! و لما كان إخفاؤهم ذلك فى بعض الزمان قال : ﴿ من قبل[4] ﴾ أى يدعون أنه خفى ، بل لا حقيقة له ، [6] و يسترون[6] ما تبديه الرسل من دلائله [عنادا منهم مع أنه أوضح من شمس النهار - [8]] [6] بما يلبسون من الهيبة فلذلك تمنوا ما ذكروا[6] ﴿ و لو ردوا ﴾ أى إلى الدنيا ﴿ لعادوا لما نهوا عنه ﴾ أى من الكفر

---

(١) فى الأصل و ظ : نكون - كذا (٢) فى ظ : انقاذهم (٣) فى ظ : منكرا (٤) فى ظ : انهذب (٥) فى ظ : مهذب (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى الأصل : تتحد ، و فى ظ : ينحل - كذا (٨) زيد من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : زانهم - كذا .

و الفضائح التى كانوا عليها و ستر ما اتضح لعقولهم من الدلائل ﴿و انهم لكٰذبون ٥﴾ أى فيما أخبروا به عن[1] أنفسهم من مضمون تمنيهم أنهم يفعلونه لو ردوا، و أكد طبعهم على الكفر بقوله عطفا على قوله "لعادوا": ﴿و قالوٓا﴾ أى بعد الرد ما كانوا يقولونه قبل الموت

٥ فى إنكار البعث ﴿ان هى﴾ أى ما هذه الحياة التى نحن ملابسوها ﴿الا حياتنا الدنيا﴾ أى التى كنا عليها قبل ذلك ﴿و ما نحن﴾ و أغرقوا فى النفى فقالوا: ﴿بمبعوثين ٥﴾ أى بعد[2] أن نموت، و ما رؤيتنا لما رأينا قبل هذا من البعث إلا سحر لا حقيقة له، و لم ينفعهم مشاهدة البعث بل ضرتهم[3]، هذا / محتمل و ظاهر، و لكن الأنسب لسياق الآيات / ١٩٠

١٠ قبل و بعد أن يكون هذا حكاية لقولهم له صلى الله عليه و سلم فى هذه الدار عطفا على قوله "و قالوا لو لا أنزل عليه ملك" على الوجه الأول، و قوله: ﴿و لو ترىٰٓ﴾ متصل بذلك، أى قالوا هذا القول لما أخبرتهم بالبعث، فساءك ذلك من قولهم و الحال أنك لو رأيت اعترافهم به إذا سألهم خالقهم لسرك ذلك من ذلهم و ما يؤل إليه أمرهم، و عبر بالمضارع

١٥ تصويرا[4] لحالهم ذلك، و قوله: ﴿اذ وقفوا [5]على ربهم[5] ط﴾ مجازا[6] عن الحبس[7] فى مقام من مقامات الجلال بما اقتضاه إضافة الرب إليهم، أى الذى طال إحسانه إليهم[8] و حلمه عنهم، فأظهر لهم ما أظهر فى ذلك

---

(١) من ظ، و فى الأصل: على (٢) زيد بعده فى ظ: الموت (٣) من ظ، و فى الأصل: ضرهم (٤) من ظ، و فى الأصل: تصورا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: مجاز (٧) فى ظ: الجنس (٨) من ظ، و فى الأصل: عليهم.

المقام من[1] تبكيتهم و توبيخهم و تقريعهم ، و أطلعهم بما[2] يقتضيه أداة الاستعلاء - على ما له سبحانه من صفات العظمة من الكبرياء و الانتقام من[3] التربية إذ[4] لم يشكروا إحسانه فى تربيتهم ، و سياق الآية يقتضى أن يكون الجواب : لرأيتهم قد منعتهم الهيبة و عدم الناصر و شدة الوجل من الكلام ، فكأن سائلا قال : المقام يرشد إلى ذلك حتى كأنه مشاهد ، فهل يكلمهم الله لما يشعر[5] به التعبير بوصف الربوبية ؟ قيل : نعم ، لكن كلام إنكار و إخزاء و إذلال ﴿ قال اليس هذا ﴾ أى الذى أتاكم به رسولى من أمر البعث و غيره مما ترونه الآن من دلائل كبريائى ﴿ بالحق[6] ﴾ أى الأمر الثابت الكامل فى الحقيقة[6] الذى لا خيال فيه و لا سحر ﴿ قالوا ﴾ أى حين إيقافهم عليه ، فكان ما أراد : ﴿ بلى ﴾ ، و زادوا على ما أمروا به فى الدنيا القسم فقالوا[7] : ﴿ و ربنا[8] ﴾ أى الذى أحسن إلينا بأنواع الإحسان ، و كأن كلامهم هذا منزل على حالات تنكشف لهم فيها أمور بعد أخرى ، كل أمر أهول مما قبله ، و يوم القيامة - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما - ذو[8] ألوان[9] : تارة لا يكلمهم[10] الله ، و تارة يكلمهم[11] فيكذبون ، و تارة يسألهم عن شىء فينكرون ، فتشهد

(١) فى ظ : عن (٢) فى ظ : مما (٣) فى ظ : فى (٤) فى ظ : اذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : يسعر (٦) فى ظ : الحقيقة (٧) فى ظ : الاول - كذا (٨) من ظ ، و فى الأصل : دل - كذا (٩) فى ظ : الران - كذا (١٠) فى ظ : فلا يكلمهم . (١١) زيد فى ظ : الله .

جوارحهم ، و تارة يصدقون كهذا[1] الموقف و يحلفون على الصدق .

و لما أقروا[2] قهرا بعد كشف الغطاء و فوات الإيمان بالغيب[2] بما كانوا به يكذبون ، تسبب عنه إهانتهم ، فلذا قال مستأنفا : ﴿ قال ﴾ أى الله مسببا عن اعترافهم حيث لا ينفع ، و تركهم فى الدنيا حيث كان ينفع ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ أى الذى كنتم به توعدون ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ أى بسبب دوامكم على ستر ما دلتكم عليه عقولكم من صدق رسولكم ، و لا شك أن الكلام ـ [2]و إن[2] كان على هذه الصورة ـ فيه نوع إحسان ، لأنه أهون من التعذيب مع الإعراض فى مقام "اخسؤا فيها ولا تكلمون[3]" و لذلك[4] [كان ذلك ـ[5]] آخر المقامات .

و لما أنتج هذا ما تقدم الإخبار به عن خسرانهم لأنفسهم فى القيامة توقع السامع ذكره ، فقال تحقيقا لذلك ، و زاده الحمل فانه من ذوق العذاب[6] : ﴿ قد خسر ﴾ و أظهر موضع الإضمار تعميما و تنبيها على ما أوجب لهم ذلك فقال : ﴿ الذين كذبوا بلقآء الله[4] ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله ، و لا أمر لأحد معه ، [قد ـ[5]] خسروا كل شىء يمكن إحرازه من الثواب العظيم و استمر تكذيبهم ﴿ حتى اذا جاءتهم الساعة ﴾ أى الحقيقية ، و كذا الموت الذى هو مبدأها فان [من ـ[5]] مات جاءت ساعته ، و حذرهم منها بقوله : ﴿ بغتة ﴾ أى باغتة ، أو ذات / بغتة ، أو بغتتهم[7] باتيانها على حين غفلة ، لا يمكن أن يشعروا بعين الوقت الذى

/ ١٩١

(١) فى ظ : لهذا (٢ـ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سورة ٢٣ آية ١٠٨ (٤) فى ظ : لذا (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : العباد (٧) من ظ ، و فى الأصل : بغيتهم .

تجىء

تجيء فيه نوعا من الشعور ﴿ قالوا يحسرتنا ﴾ أى تعالى احضرينا[1] أيها الحسرة اللائقه بنا فى هذا المقام ! فانه لا نديم لنا سواك ، و هو كناية عن عظمة[2] الحسرة و تنبيه عليه ، لينتهى الإنسان عن أسبابها ﴿ على ما فرطنا ﴾ أى قصرنا ﴿ فيها[3] ﴾ أى بسبب الساعة ، ففاتنا ما يسعد فيها من تهذيب الأخلاق المهيئة[4] للسباق[5] بترك اتباع الرسل[6] ، و ذلك أن الله خلق المكلف و بعث[6] له النفس الناطقة القدسية منزلا لها إلى العالم السفلى ، و أفاض عليه نعما ظاهرة و هى[7] الحواس الظاهرة المدركة و الأعضاء و الآلات الجثمانية ، و نعما باطنة و هى العقل و الفكر و غيرهما ، ليتوسل باستعمال هذه[8] القوى و الآلات إلى تحصيل المعارف الحقيقية[9] و الأخلاق الفاضلة التى تعظم منافعها بعد الموت ، و بعث الأنبياء عليهم السلام للهداية و أظهر عليهم المعجزات ليصدقوا ، فأعرضوا عما دعوا إليه من تزكية النفس ، و أقبلوا على استعمال الآلات و القوى فى اللذات[10] و الشهوات الفانية ففاتت الآلات البدنية التى هى رأس المال[11] ، و ما ظنوه من اللذات[10] التى عدوها أرباحا فات ففقدوا الزاد[10] ، و لم يهيئوا النفوس للاهتداء ، فلا رأس مال و لا ربح ، فصاروا فى غاية الانقطاع و الغربة ، و لا خسران أعظم من هذا .

(١) فى ظ : احضرنا (٢) فى ظ : عدم (٣) فى ظ : الممتهنة (٤) من ظ ، و فى الأصل : السابق (٥) فى ظ : المرسل (٦) من ظ ، و فى الأصل : مقت (٧) فى ظ : هو (٨) من ظ ، و فى الأصل : هذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : الحقيقة . (١٠) فى ظ : الذات (١١) سقط من ظ .

و لما كان هذا أمرا مفظعا ، زاد فى تفظيعه بالإخبار فى جملة حالية بشدة تعبهم فى ذلك الموقف و وهن ظهورهم بذنوبهم ، حتى كأن عليهم أحمالا ثقالا فقال: ﴿ و هم ﴾ أى و[1] قالوا ذلك و الحال أنهم ﴿ يحملون اوزارهم ﴾ أى أحمال ذنوبهم التى من شأنها أن يثقل ، و حقق الأمر و صوره بقوله : ﴿ على ظهورهم[2] ﴾ لاعتقاد الحمل عليه ، كما يقال : ثقل عليك كلام فلان ، و يجوز أن يجسد أعمالهم أجسادا ثقالا ، فيكلفو احملها ؛ و لما كان ذلك[1] الحمل أمرا لا يبلغ الوصف الذى يحتمله عقولنا كل حقيقة ما هو عليه من البشاعة و الثقل ، أشار[2] إلى[3] ذلك بقوله جامعا للذام : ﴿ الا ساء ما يزرون ﴾ .

فلما تأكد أمر البعث غاية التأكد[4] ، و لم يبق فيه لذى لب وقفة ، صرح بما اقتضاه الحال من أمر هذه الدار ، فقال منبها على خساستها[5] معجبا منهم فى قوة رغبتهم فى إيثار لذاذتها ، معلما بأنه قد كشف الحال عن أن ما ركنوا إليه خيال ، و ما كذبو به حقيقة ثابتة ليس لها زوال ، عكس ما كانوا يقولون : ﴿ و ما الحيوة الدنيآ ﴾ .

و لما كان السياق للخسارة[1] ، و كانت أكثر ما تكون[6] من اللعب - و هو فعل ما يزيد سرور النفس على وجه غير مشروع ، و يسرع[7] انقضاؤه -

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : اشارة (٣) زيده بعده فى الأصل: ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : التاكيد (٥) فى ظ : حساتها - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٧) فى الأصل : شرع ، و فى ظ : تشرع .

قدمه فقال : ﴿ الا لعب و لهو[1] ﴾ [أى - [1]] للأشقياء، و للحياة الدنيا شر للذين يلعبون ، و اللهو ما من شأنه أن يعجب النفس كالغناء و الزينة من المال و النساء على وجه لم يؤذن فيه ، فيكون سببا للغفلة عما ينفع ، [فتأخيره إشارة إلى أن الجهلة كلما فتروا فى اللعب و هو اشتغال بالأمور السافلة و الشواغل الباطلة بعلو النفوس[2] أثاروا الشهوات بالملاهى - [1]] ، ٥ و المعنى أنه تحقق من هذه الآيات زوال الدنيا ، فتحققت سرعته ، لأن كل آتٍ قريب ، فحينئذ [3]ما هى[3] إلا ساعة لعب ، يندم الإنسان على ما فرط فيها ، كما يندم اللاعب - إن كان له عقل - على تفويت[4] الأرباح إذا رأى ما حصل أولو الجد و أرباب العزائم .

و لما كان التقدير / بما أرشد إليه المعنى : [5]و ما[5] الدار الآخرة إلا جد ١٠ / ١٩٢ و حضور و بقاء للأتقياء ، أتبعه قوله مؤكدا : ﴿ و للدار الآخرة خير ﴾ و لما كان الكل مآلهم[6] إلى الآخرة ، خصص[7] فقال : ﴿للذين يتقون[1] ﴾ أى يوجدون التقوى ، و هى الخوف من الله الذى يحمل على فعل الطاعات و ترك المعاصى ، ليكون ذلك وقاية لهم من غضب الله ، فذكر حال الدنيا و حذف نتيجتها لأهلها لدلالة ثمرة الآخرة عليه ، ١٥ و حذف ذكر حال الآخرة لدلالة ذكر حال الدنيا عليه ، فهو احتباك ؛ و لما كان من شأن العقلاء الإقبال على الخير و ترك غيره ، تسبب عن

---

(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده فى ظ فأسقطناها لاستقامة العبارة ، و يمكن أن يكون جواب « كلما فتروا » سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : تقوية (٥-٥) فى ظ : فاما (٦) فى ظ : لهم - كذا . (٧) فى ظ : خصوص .

إقبالهم على الفانى و تركهم الباقى قوله منكرا : ﴿ افلا يعقلون[1] ﴾ .

و لما كرر فى هذه السورة أمره بمقاولتهم[2] ، و أطال فى الحث على مجادلتهم ، و ختم بما يقتضى سلبهم العقل مع تكرير الإخبار بأن المقضىّ[3] بخسارته منهم لا يؤمنون لآية[4] من الآيات ، و كان من المعلوم أنهم حال إسماعهم ما أمر به لا يسكتون لما عندهم من عظيم النخوة و شماخة الكبر و قوة الجرأة . و أنه لا جواب لهم إلا التبعة[5] و البذاءة كما هو دأب المعاند المغلوب ، وأن ذلك يحزنه[6] صلى الله عليه و سلم لما جبل عليه من الحياء و الشهامة و الصيانة و النزاهة[7] ، كان الحال محتاجا إلى التسلية فقال تعالى : ﴿ قد نعلم ﴾ و المراد بالمضارع وجود العلم من غير نظر إلى زمان ، و عدل عن الماضى لئلا يظن الاختصاص به ، فالمراد تحقق التجدد لتعلق العلم بتجدد الأقوال ﴿ انه ليحزنك ﴾ أى يوقع على سبيل التجديد و الاستمرار لك الحزن على ما فاتك من حالات الصفاء التى كدرها ﴿ الذى[8] يقولون ﴾ أى من تكذيبك ، فقد علمنا امتثالك لأوامرنا فى إسماعهم ما يكرهون[9] من تنزيهنا ، و علمنا ردهم عليك بما لا يرضيك ، و علمنا أنه يبلغ منك ، فلا تحزن [10]لأن من علم[10] أن ربه يرضى المطيع له

(١) هذا على قراءة ابن كثير ، و أما فى مصاحفنا فعلى الخطاب (٢) من ظ ، و فى الأصل : بمعاولتهم (٣) فى ظ : المقتضى (٤) فى ظ : الآية (٥) فى الأصل : السعه ، و فى ظ : السعة - كذا (٦) فى ظ : يحزنه - كذا (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فحذفناها (٨) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : الذين (٩) فى ظ : يكون (١٠ - ١٠) فى ظ : لمن .

و يجزى

و يجزى عاصيه ، و هو عالم بما ينال[1] المطيع فى طاعته لا ينبغى أن يحزن بل يسر ، و هو كقوله تعالى فى سورة يٰسٓ " فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون و ما يعلنون[2] " و لا شك أن الحزن عند وقوع ما يسوء[3] من طبع البشر الذى لا يقدر على الانفكاك عنه ، فالنهى عنه إنما [هو -[4]] نهى عما ينشأ عنه من الاسترسال المؤدى إلى الجزع المؤدى إلى عدم الصبر ٥ و نسيان ما يعزى ، فهو من النهى عن السبب للمبالغة فى النهى عن المسبب ، و ما أنسب ذكر ما يحزن بعد تقرير[5] أن الدنيا لأهلها لعب و لهو و أن الآخرة خير للمتقين ، و من المعلوم أنهما ضدان ، [6] فلا تنال إحداهما[6] إلا بضد ما[7] للأخرى ، فلا تنال[8] الآخرة إلا بضد ما لأهل الدنيا من اللعب و اللهو ، و ذلك هو الحزن الناشئ عن التقوى الحامل عليها الخوف ١٠ كما روى فى حديث قدسى " أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى[9] " .

و لما أخبره سبحانه بعلمه بذلك ، سبب عنه قوله : ﴿ فانهم ﴾ أى فلا يحزنك ذلك فانهم ﴿ لا يكذبونك ﴾ بل أنت عندهم الأمين ، و ليكن علمنا بما تلقى منهم سببا لزوال حزنك ، و كذا إخبارنا لك بعدم تكذيبهم لك ، بل أنت عندهم فى نفس الأمر أمين [10]غير متهم[10] و لكنهم لشدة عنادهم[11] ١٥ و وقوفهم مع الحظوظ و عجزهم عن جواب يبرد غللهم [12]و يشفى عللهم[12]

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يقال (٢) راجع آية ٧٦ (٣) فى ظ : يسر (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : تقدم - كذا (٦ - ٦) من ظ ، و فى الأصل : فلا يقال احد هى - كذا (٧) سقط من ظ (٨) فى الأصل : فلاما ، و فى ظ : فلا ينال - كذا . (٩) من ظ ، و فى الأصل : اجل (١٠ - ١٠) من ظ ، و فى الأصل : لم نعهم - كذا . (١١) من ظ ، و فى الأصل : فساده (١٢ - ١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ينكرون آيات الله مع علمهم بحقيتها[١]، فليخفف[٢] حزنك لنفسك ما انتهكوه من حرمة من أرسلك، و الآية من الاحتباك : حذف من الجملة الأولى - إظهارا لشرف النبي صلى الله عليه و سلم و أدبا معه - سببَ الحزن، / و هو التكذيب لدلالة الثانية عليه، و من الثانى النهى عن المسبب لدلالة الأولى عليه ؛ روى الطبرى[٣] فى تفسيره عن السدى أنه لما[٤] كان يوم بدر[٥] قال الأخنس بن شريق لبنى زهرة[٦] : إن محمدا ابن أختكم، و أنتم أحق من كف عنه، فانه إن[٤] كان نبيا لم تقاتلوه[٧] [اليوم - [٨]]، و إن كان كاذبا [كنتم - [٩]] أحق من كف عن[١٠] ابن أخته، قفوا ههنا حتى ألقى أبا الحكم، فان غُلِب محمد[٤] رجعتم سالمين، و إن غَلَب محمد[٤] فان قومكم[١١] لن يصنعوا[١١] بكم شيئا، فيومئذ سمى «الأخنس[١٢]»، و كان اسمه «أبى»، فالتقى[١٣] الأخنس و أبو جهل، فخلا الأخنس به فقال : يا أبا الحكم ! أخبرنى عن محمد أ صادق هو أم كاذب، فانه ليس ههنا من قريش أحد غيرى و غيرك[١١] يسمع كلامنا، فقال أبو جهل : ويحك ! و الله إن محمدا لصادق، و ما كذب محمد قط، و لكن

١٩٣ /

---

(١) فى ظ : بحقيقتها (٢) من ظ، و فى الأصل : فليخفن - كذا (٣) فى ظ : الطبرانى (٤) سقط من ظ (٥) زيد بعده فى ظ : كان (٦) زيد بعده فى الطبرى : يا بنى زهرة (٧) فى ظ : لم يقاتلوه (٨) زيد من الطبرى (٩) زيد من ظ و الطبرى (١٠) فى ظ : عنه (١١-١١) فى ظ : لا يصنعون (١٢) من الخنوس، و هو الانقباض عن الشيء و التأخر عنه (١٣) فى ظ : فما التقى (١٤) من ظ و الطبرى، و فى الأصل : غيرى.

إذا [1] ذهب بنو قصى [1] باللواء و الحجابة و السقاية و النبوة فما ذا يكون لسائر قريش ! و عن ناجية قال قال أبو جهل للنبى صلى الله عليه و سلم : ما نتهمك [2] و لكن نتهم [3] الذى جئت به ، فأنزل الله الآية . و على ذلك يدل قوله تعالى : ﴿ و لكن ﴾ ، و قال : ﴿ الظلمين ﴾ فى موضع الضمير تعميما و تعليقا للحكم بالوصف ، أى الذين كانوا فى مثل الظلام ﴿ بايٰت ﴾ أى ٥ بسبب آيات ﴿ الله ﴾ أى الملك الأكبر الذى له الكمال كله ﴿ يجحدون ٥ ﴾ قال أبو على الفارسى فى أول كتاب الحجة : أى يجحدون ما عرفوه من صدقك و أمانتك ، و علق باء الجر [1] بالظالمين كما هى فى قوله " و [1] اتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها [5] " و نحوها ، و قال ابن القطاع [6] فى كتاب الأفعال : جحد الشىء جحدا و جحودا : أنكره و هو عالم به . هذا قصدهم ١٠ غير أنه لا طريق لهم إلى إنكار [7] الآيات إلا [7] بالتكذيب ، أو ما يؤل إليه ، و أنت تعلم أن الذى أرسلك على كل شىء قدير ، و هو القاهر فوق عباده و هو الحكيم الخبير ، فاقتضت قدرته و قهره و انتصاره لأهل ولايته و جبره أن يحل بأعدائهم سطوة تجل عن الوصف ، و اقتضت حكمته عدم المعاجلة بها تشريفا لك و تكثيرا لأمتك . ١٥

و لما سلاه [8] بوعده النصرة المسببة عن علم المرسل القادر ، و بأن

(١ - ١) من ظ و الطبرى ، و فى الأصل : ذهبت بنواقص - كذا (٢) من ظ و الطبرى ، و فى الأصل : ما يتهمك (٣) من ظ و الطبرى ، و فى الأصل : يتهم. (٤) فى ظ : الجزاء (٥) سورة ١٧ آية ٥٩ (٦) و هو على بن جعفر بن على السعدى - راجع معجم المؤلفين ٧/٥٢ (٧-٧) فى ظ : لا (٨) فى ظ : تلاه .

تكذيبهم إنما هو له سبحانه ، و هو مع ذلك يصبر عليهم و يحلم[1] عنهم ، بل و يحسن إليهم بالرزق و المنافع ، زاده أن ذلك سنة فى إخوانه من الرسل فقال : ﴿ و لقد ﴾ و لما كان المنكى هو التكذيب لا كونه من معين ، بنى للمفعول قوله : ﴿ كذبت رسل ﴾ .

٥ و لما كان تكذيبهم لم يستغرق الزمان ، [و كان الاشتراك فى شىء يهوّنه ، و كلما قرب الزمان كان أجدر بذلك - [2]] أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلك ﴾ بأن جحد قومهم ما يعرفون من صدقهم و أمانتهم كما فعل بك ﴿ فصبروا ﴾ أى فتسبب عن تكذيب قومهم لهم أنهم صبروا[3] ﴿ على ما كذبوا و اوذوا ﴾ أى فصبروا أيضا على ما أوذوا ، ثم أشار

١٠ إلى الوعد بالنصر بشرط الصبر فقال : ﴿ حتىٰ ﴾ أى و امتد صبرهم حتى ﴿ اتٰهم نصرنا[4] ﴾ أى فليكن لك بهم أسوة ، و فيهم مسلاة ، فاصبر حتى يأتيك النصر كما أتاهم ، فقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون[4] فى قولنا " فان حزب الله هم الغٰلبون[5] " ﴿ ولا مبدل لكلمٰت الله[6] ﴾ أى لأن له جميع العظمة فلا كفوء له ، و دل سبحانه على صعوبة مقام

١٥ الصبر جدا بالتأكيد فقال : ﴿ و لقد جآءك ﴾ و دل على عظيم ما تحملوا بقوله : ﴿ من نباى المرسلين[5] ﴾ أى خبرهم العظيم فى صبرهم و احتمالهم و طاعتهم و امتثالهم و رفقهم بمن أرسلوا إليهم و نصرنا / لهم على من بغى[6] عليهم ، و مجىء نبأهم[7] تقدم إجمالا و تفصيلا . أما إجمالا ففى مثل قوله ١٩٤ /

(١) من ظ : و فى الأصل : يحله (٢) زيد من ظ (٣) فى الأصل : صبر ، و سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) سورة ٥ آية ٥٦ (٦) فى ظ : بقى .
(٧) من ظ ، و فى الأصل : بيانهم .

و كاين

"وكاين من نبي قتل معه ربيون كثير[1]"، "افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم[2]" وأما تفصيلا ففي ذكر موسى [3]و عيسى[3] و غيرهما؛ و في قوله "فصبروا" أدل[4] دليل على ما تقدم من أن النهي عن[5] الحزن نهي عن تابعه المؤدي إلى عدم الصبر، و التعبير بمن التبعيضية تهويل لما لقوا، فهو أبلغ في التعزية. ٥

و لما سلاه بما هو في غاية الكفاية في التسلية، أخبره بأنه لا حيلة له غير الصبر، فقال عاطفا على ما تقديره: فتسلّ[6] و اصبر كما صبروا، و ليصغر عندك ما تلاقي منهم في جنب الله: ﴿و ان كان كبر﴾ أي عظم جدا ﴿عليك اعراضهم﴾ أي عما يأتيهم[7] به من الآيات الذي قدمنا الإخبار عنه بقولنا "و ما تاتيهم من اية من ايٰت ربهم الا كانوا عنها معرضين" ١٠ و أردت أن تنتقل - في إخبارنا لك بأنه لا ينفعهم الآيات المقترحات - من علم اليقين إلى عين اليقين ﴿فان استطعت ان تبتغي﴾ أي تطلب بجهدك و غاية طاقتك ﴿نفقا﴾ أي منفذا ﴿في الارض﴾ تنفذ[8] فيه إلى ما عساك تقدر على[9] الانتهاء إليه ﴿او سلما في السمآء﴾ أي جهة[10] العلو لترتقي فيه إلى ما تقدر عليه ﴿فتاتيهم باية[1]﴾ أي مما اقترحوا عليك ١٥ فافعل لتشاهد أنهم لا يزدادون عند إتيانك[11] بها إلا إعراضا كما[12] أخبرناك،

(١) سورة ٣ آية ١٤٦ (٢) سورة ٢ آية ٨٧ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) في ظ: على (٦) في ظ: فليسل (٧) في الأصل: ياتهم، و في ظ: تاتيهم (٨) من ظ، و في الأصل: ينفذ (٩) في ظ: الى (١٠) من ظ، و في الأصل: بهذا - كذا (١١) من ظ، و في الأصل: ثباتك (١٢) في ظ: عما.

لأن الله قد شاء ضلال بعضهم ، و المراد بهذا بيان[1] شدة حرصه صلى الله عليه و سلم على هدايتهم بأنه لو قدر على[1] أن يتكلف النزول إلى تحت الأرض أو فوق السماء فيأتيهم بما يؤمنون به لفعل .

و لما كان هذا السياق ربما أوهم شيئا[2] فى القدرة ، نفاه إرشادا إلى تقدير ما قدرته فقال : ﴿ و لو شآء الله ﴾ أى الذى له العظمة الباهرة و القدرة الكاملة القاهرة ﴿ لجمعهم على الهدى ﴾ أى لأن قدرته شاملة ، و إيمانهم فى حد ذاته ممكن ، و لكنه قد شاء افتراقهم باضلال بعضهم ؛ و لما كان[1] صلى الله عليه و سلم - بعد إعلام الله له بما أعلم من حكمه بأن الآيات لا تنفع من حتم[3] بكفره - حريصا على إجابتهم إلى ما يقترحونه رجاء جمعهم[4] على الهدى لما طبع عليه [من - [5]] مزيد الشفقة[6] على الغريب[6] فضلا عن القريب ، مع ما أوصاه الله به ليلة الإسراء من غير واسطة - كما أفاده الحرالى - من[7] إدامة الشفقة على عباده و الرحمة لهم و الإحسان إليهم و اللين لهم و إدخال السرور عليهم ، فتظافر على ذلك الطبع و الإيصاء حتى كان[2] لا يكف عنه إلا [8]لأمر جازم[8] أو[9] نهى مؤكد صارم ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فلا تكونن ﴾ فأكد الكلام سبحانه ليعلم صلى الله عليه و سلم أنه قد حتم بافتراقهم ، فيسكن إلى ذلك

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : سببا (٣) فى ظ : ختم (٤) فى ظ : جميعهم (٥) زيد من ظ (٦ - ٦) فى ظ : عن القرب (٧) من ظ ، و فى الأصل : كانا (٨ - ٨) من ظ ، و فى الأصل : مرجاز - كذا (٩) فى ظ « و » .

و يخالف ما جبل عليه[1] من شدة الشفقة عليهم ﴿ من الجهلين ٥ ﴾ أى إنك أعلم الناس مطلقا و لك الفراسة التامة و البصر النافذ و الفكرة[2] الصافية بمن لم تعاشره ، فكيف بمن بلوتهم [3]ناشئا و كهلا و يافعا[3]! فلا تعمل بحجة ما أوصاك[4] الله به من الصبر و الصفح[5] ، و جبلك[6] عليه من الأناة و الحلم[7] فى ابتغاء إيمانهم بخلاف[8] ما يعلم من خسرانهم ، فلا تطمع ٥ نفسك فيما لا مطمع فيه ، فان ما شاءه لا يكون [غيره - [9]] ، فهذه الآية و أمثالها - مما فى ظاهره غلظة - من الدلالة / على عظيم رتبته صلى الله عليه و سلم و من لطيف أمداح القرآن له - كما يبين[10] إن شاء الله تعالى فى سورة التوبة عند قوله تعالى " عفا الله عنك[11] " . / ١٩٥

و لما أفهم هذا القضاء الحتم أنه قد صار حالهم [حال - [9]] من ١٠ حتم بالموت ، فلا يمكن إسماعه إلا الله[12] ، و لا يمكن أن يستجيب عادة ، قال : ﴿ انما يستجيب ﴾ أى فى مجارى عاداتكم ﴿ الذين يسمعون[4] ﴾ أى فيهم قابلية السمع لأنهم أحياء فيتدبرون حينئذ ما يلقى إليهم فينتفعون به ، و هؤلاء قد ساووا[13] الموتى فى عدم قابلية السماع للختم على مشاعرهم ﴿ و الموتى ﴾ أى كلهم حسا و معنى ﴿ يبعثهم الله ﴾ أى ١٥

(١) فى الأصل : على ، و سقط من ظ (٢) فى ظ : الفكر (٣-٣) فى ظ : باشيا وكيلا و نافعا - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : اوصلك (٥) فى ظ : الصلح . (٦) من ظ ، و فى الأصل : حملك (٧) من ظ ، و فى الأصل : الحكم (٨) من ظ ، و فى الأصل : بخلا - كذا (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تبين . (١١) آية ٤٣ (١٢) من ظ ، و فى الأصل : فله (١٣) من ظ ، و فى الأصل : ساروا .

الملك المحيط علما و قدرة ، فهو[1] قادر على بعثهم بافاضة الإيمان على الكافر و إعادة الروح إلى الهالك[2] فيسمعون حينئذ ، فالآية من الاحتباك : حذف من الأول الحياة لدلالة "الموتى" عليها ، و من الثانى السماع لدلالة "يسمعون" عليه .

٥ و لما قرر أن [من -[3]] لا يؤمن كالميت ، حثا[4] على الإيمان و ترغيبا فيه ، و قدر[5] قدرته على البعث ، خوّفَ من سطواته بقوله : ﴿ثم اليه﴾ أى وحده ﴿يرجعون[6] ٥﴾ أى معنى فى الدنيا فانه قادر على كل ما يشاء منهم ، لا يخرج شيء من أحوالهم عن[7] مراده أصلا و حسا بعد الموت ، فيساقون قهرا إلى موقف يفصل فيه بين كل مظلوم و ظالمه .

١٠ و لما سلاه صلى الله عليه و سلم فيما أخبرته من أقوالهم بما شرح صدره و سرّ خاطره ، و أعلمه تخفيفا عليه أن أمرهم إنما هو بيده ، ذكّره[8] بعضَ كلامهم الآئل إلى التكذيب عقب إخباره بالحشر الذى يجازى فيه كلا بما يفعل ، فقال عطفا على قوله "و قالوا ان هى الاحياتنا الدنيا" و قوله "و قالوا لو لا انزل عليه ملك" يعجب[9] منه تعجيبا[10] آخر : ١٥ ﴿و قالوا﴾ أى مغالطة أو عنادا أو مكابرة ﴿لو لا﴾ أى هلا ﴿نزل[11]﴾

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فهذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : الهلاك (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : حقا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : ترجعون - كذا ، ولا خلاف فى أنه على الغيبة ، و الخلاف فى أنه بالبناء للفاعل أو المفعول (٧) فى ظ : على (٨) فى ظ : ذكر (٩) فى ظ : لعجب - كذا (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تعجبا (١١) من ظ و القرآن ، و فى الأصل : انزل - كذا ، و الفعل بالتشديد بلا خلاف .

أى بالتدريج ﴿ عليه ﴾ أى خاصة ﴿ آية ﴾ أى واحدة تكون[1] ثابتة بالتدريج لا تنقطع ، و هذا منهم إشارة إلى أنهم لا يعدون[2] القرآن آية و[3]لا شيئا مما[3] رأوه[4] منه صلى الله عليه و سلم من غير[5] ذلك نحو انشقاق القمر ﴿ من ربه[6] ﴾ أى المحسن إليه على حسب ما يدعيه لنستدل بها على ما يقول[6] من التوحيد و البعث . ٥

و لما كان فى هذا - كما تقدم - إشارة منهم إلى أنه لم يأت بآية على هذه الصفة إما مكابرة و إما مغالطة ، أمره بالجواب بقوله[7]: ﴿ قل ان الله ﴾ أى الذى له جميع الأمر[8] ﴿ قادر علىّ ان ﴾ و أشار بتشديد الفعل إلى آية القرآن المتكررة عليهم كل حين تدعوهم[9] إلى المبارزة[10] و تتحداهم[11] بالمبالغة و المعاجزة فقال: ﴿ ينزل ﴾ و قراءة ابن كثير بالتخفيف مشيرة ١٠ إلى أنهم بلغوا فى الوقاحة الغاية ، و أنهم لو قالوا : لو لا أنزل ، أى مرة واحدة ، لكان أخف فى الوقاحة ، [أو إلى أنه أنزل عليهم أىّ آية ، كانت تلجئهم و تضطرهم إليه فى آن واحد كما قال تعالى ﴿"ان نشا ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين[12]" و لكنه لا يسأل ذلك إلا بالتدريج كما يشير إليه -[13]] صيغة التفعيل فى قراءة [14]غيره المذكرة[14] ١٥

(١) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٢) من ظ ، و فى الأصل : يعدلون .
(٣-٣) فى ظ : لا سيما ما - كذا (٤) فى الأصل و ظ : رواه - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : غر - كذا (٦) فى ظ : نقول (٧) من ظ ، و فى الأصل: لقوله .
(٨) زيد بعده فى ظ : كله (٩) من ظ ، و فى الأصل : يدعوهم (١٠) فى ظ : المبادرة (١١) من ظ ، و فى الأصل : يتحداهم (١٢) سورة ٢٦ آية ٤ (١٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ ، و زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (١٤ - ١٤) فى الأصل : غيره مذكرة ، و فى ظ : غير المذكورة .

بأن آية القرآن لا تنقضى[1]، بل كلما سمعها أحد منهم أو من غيرهم طول الدهر كانت منزلة عليه لكونها واصلة إليه، فهو أبلغ من مطلوبهم آية[2] ينزل عليه[3] وحده، والحاصل أنهم طلبوا آية باقية محضة. فلوح لهم إلى آية هى - مع كونها خاصة به فيما حصل له من الشرف - عامة لكل من بلغته، باقية طول المدى ﴿ آية ﴾ أى مما اقترحوه ومن غيره، لا يعجزه شىء، وفى كل شىء له من الآيات ما يعجز الوصف، وكفى بالقرآن العظيم مثالا لذلك ﴿ ولكن اكثرهم لا يعلمون * ﴾ أى ليس فيهم قابلية العلم، فهم لا يتفكرون فى شىء من ذلك الذى يحدثه من مصنوعاته ليدلهم على[4] أنه على كل شىء قدير، فلا فائدة[5] لهم فى إنزال ما طلبوه، وأما غير[6] الأكثر فهو[7] سبحانه يردهم بآية القرآن[8] أو غيرها[8] مما لم يقترحوه[9].

ولما عجب منهم[10] فى قولهم هذا[11] الذى يقتضى أنهم لم يروا [له -[11]] آية قط[12] بعد ما جاءهم من الآيات الخاصة به ما ملأ الأقطار، ورد إلى الصم الأسماع، وأنار من العمى الأبصار؛ ذكرهم بآية غير آية القرآن تشتمل[13] على آيات مستكثرة كافية لصلاحهم، رتبها[14] سبحانه

(١) من ظ، وفى الأصل: لا تنقص (٢) فى ظ: انه (٣) من ظ، وفى الأصل: عليهم (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل: فايد، وفى ظ: يدة - كذا (٦) من ظ، وفى الأصل: عن (٧) من ظ، وفى الأصل: فهذا (٨ - ٨) من ظ، وفى الأصل: لوغرها - كذا (٩) من ظ، وفى الأصل: لم يفرحوه (١٠ - ١٠) فى ظ: هو (١١) زيد من ظ (١٢) من ظ، وفى الأصل: فقط (١٣) فى الأصل: يشتمل، وفى ظ: نشتمل (١٤) من ظ، وفى الأصل: وبها.

قبل سؤالهم / تفضلا منه عليهم دالة على باهر قدرته على البعث و غيره ١٩٦/
من الآيات التى طلبوها و غيرها و على تفرده بجميع الأمر، إذا تأملوها
حق تأملها كفتهم[1] فى جميع ما يراد منهم فقال تعالى: ﴿ و ما ﴾ أى
قالوا ذلك و الحال أنه ما، و هى ناظرة[2] أتم نظر إلى قوله "هو الذى
خلقكم من طين" أى فعل ذلك بكم [3]و ما[3] ﴿من دآبة فى الارض﴾ ٥
أى تدب أى تنتقل برجل و غير رجل ﴿و لا طٰئر يطير﴾ و قرر الحقيقة
بقوله[4]: ﴿ بجناحيه ﴾ و شمل ذلك جميع الحيوان حتى ما فى البحر، لأن
سيرها فى الماء إما أن يكون دبيبا أو طيرانا مجازا.

و لما كان المراد بالدابة و الطائر الاستغراق قال: ﴿ الآ امم ﴾ [3]أى
يقصد كل منها فى نفسه، و يقصد هو نوعه و ينضم إلى شكله ﴿ امثالكم[3] ﴾ ١٠
أى فى ذلك و فى أنا خلقناهم و لم يكونوا شيئا و حفظنا جميع أحوالهم،
و قدرنا كل أرزاقهم و آجالهم، و[5]جعلنا لكم[5] فيهم أحكاما جددناها لكم،
و جعلنا لكل منهم أجلا للموت لا يتعداه بعد أن فاوتنا بينهم فى الحياة،
و للكل أجل فى علمنا فى البرزخ مثبت قبل أن نخلقهم، لا ينقص ذرة
و لا يزيد خردلة، و جعلنا فى هذه الحيوانات ما[6] هو أقوى منكم و ما هو ١٥
أضعف، و جعلناكم أقوى من الجميع بالعقل، و لو شئنا لجعلنا له بين قوة
البدن و العقل، و ربما سلطنا الأضعف[7] عليكم كالجراد و الفأر و الدود
بما تعجز عنه عقولكم، و لو شئنا لسلطنا عليكم من أضعفها خلقا - البعوض -

(١) فى ظ: كثر (٢) زيد بعده فى ظ: الى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) سقط من ظ (٥ - ٥) فى ظ: جعلناكم (٦) فى ظ: مما (٧) تكرر فى ظ.

ما أخذ بأنفاسكم[1] و منعكم القرار و أخرجكم[2] عن حركات الاختيار إلى أن أهلككم جميعا هلاك نفس واحدة - إلى غير ذلك من أمور تكل عنها العقول[3] و تقف دونها نوافذ الفكر، و هذا كله معنى قوله: ﴿ما فرطنا﴾ أى تركنا و أغفلنا لما لنا من السقدوة الكاملة[4] و العلم الشامل ﴿فى الكتب﴾ أى اللوح المحفوظ و القرآن، و أعرق فى النفى بقوله: ﴿من شىء﴾ أى ليذهب ذكره كما يذهب العقد الذى ينقطع سلكه فيتفرط، بل ذكرنا جميع أحوال خلقنا من الجن و الإنس و الملائكة و غيرهم من كل ناطق و صامت، فصارت فى غاية الضبط حتى أن الحفظة يعرضون ما يحدث من عمل المكلفين و غيره آخر النهار[5] على ما كان مثبتا فى أم الكتاب فيجدونه كما هو، لا يزيد شيئا و لا ينقص، فيزدادون إيمانا، و أثبتنا فى هذا القرآن مجامع الأمور، فهو تبيان لكل شىء من الأحكام الأصلية و الفرعية [و - ٦] الدلالات على كل ذلك و أخبار الأولين و الآخرين و كل علم يمكن أن يحتاجه المخلوق، فمن أراد الهداية هداه بدقيق[7] أسراره، و من أعرض أوقعه فى الردى، و عمى حتى عن[4] واضح[8] أنواره، و الآية كما قال تعالى "ان فى خلق السمٰوٰت و الارض - إلى أن قال: و بث فيها[9] من كل دابة - لأيٰت لقوم يعقلون[10]"

(١) من ظ، و فى الأصل: نانفايسكم - كذا (٢) فى ظ: اخركم (٣) من ظ، و فى الأصل: القول (٤) سقط من ظ (٥-٥) من ظ، و فى الأصل: حر البها - كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: بتوفيق (٨) من ظ، و فى الأصل: واضع. (٩) فى ظ: فيها (١٠) سورة ٢ آية ١٦٤.

و فى

و فى كل شىء له آية تدل على أنه واحد

أفلا يكون لكم فى ذلك آيات تغنيكم[1] عن إرسال الرسل فضلا عن أن تتوقفوا[2] بعد إرسالهم و لا ترضوا[3] منهم من خوارق العادات إلا بما تقترحونه[4] .

و لما أشار إلى ما شارك فيه سائر الحيوان للآدميين[5] من أحوال الحياة و غيرها ، نص على الحشر الذى هو محط الحكمة فقال : ﴿ ثم ﴾ أى بعد طول الحياة و الإقامة فى البرزخ ﴿ الى ربهم ﴾ أى خاصة ، [و بنى[6] للمفعول على طريق كلام القادرين قوله - [7]] : ﴿ يحشرون ﴾ [أى يجمعون كرها[7] -] بعد أن يعيدهم كلهم كما بدأهم ، و ينصف كل مظلوم منهم من ظالمه ، كل ذلك [عليه - [7]] هيّن[8] " ما خلقكم و لا بعثكم الا كنفس واحدة[9] " و الكل محفوظون فى كتاب مبين[10] على اختلاف أنواعهم[11] و تباين حقائقهم و أشخاصهم و زيادتهم فى الجد على أن يوجه[12] نحوهم العد - سبحان من أحاط بكل شىء علما ، و أحصى كل شىء عددا ، إن ذلك على الله يسير ، و هو على كل شىء قدير .

و لما كان التقدير بعد التذكير بهذه الآية التى تنوعت[13] فيها الآيات ١٥ / ١٩٧

(١) من ظ ، و فى الأصل : تعينكم (٢) فى الأصل و ظ : يتوقفوا (٣) من ظ ، و فى الأصل : لا تعرضوا (٤) فى الأصل : يفرحونه ، و فى ظ : يقترحونه - كذا. (٥) فى ظ : الآدميين (٦) فى ظ : بناه - كذا (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : حين (٩) سورة ٣١ آية ٢٨ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : بين (١١) من ظ ، و فى الأصل : انواعكم (١٢) من ظ ، و فى الأصل : يوجد (١٣) فى ظ : يتوعب - كذا .

و تكررت وتكثرت فيها الدلالات : فالذين آمنوا أحياء سامعون لأقوالنا ، ناطقون بمحامدنا راؤن[1] لأفعالنا ، عطف عليه قوله : ﴿ و الذين كذبوا ﴾ أى أوقعوا التكذيب ﴿ بآيٰتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة المقتضية لإضافتها إلينا ، مرئية كانت أو[2] مسموعة ، تكذيبا متكررا على عدد الآيات بالفعل أو بالقوة و لو[3] بالإعراض عنها ﴿ صم ﴾ أى أموات فهم[4] لا يسمعون ﴿ و بكم ﴾ لا ينطقون ﴿ فى الظلٰمٰت[5] ﴾ أى عمى لا[2] يبصرون ، فلذلك[6] لا يزالون خابطين[6] خبط العشواء[6] ساعين غاية السعى إلى الردى[7] ، لأن ذلك شأن من فى الظلمة ، فكيف بمن هو فى جميع الظلمات ! و[2] لعله جمعها إشارة إلى أن المكذب لا ينتفع ببصر و لا ببصيرة ، و ذلك أنهم لما لم ينتفعوا بحياتهم و لا بأسماعهم و لا نطقهم و لا أبصارهم و لا عقولهم كان كل ذلك منهم عدما .

و لما بين أن الأصم الأبكم الأعمى لا تمكن[8] هدايته ، بين[2] أن ذلك إنما هو بالنسبة لغيره سبحانه فطما عن طلب إجابتهم إلى ما يقترحون من الآيات ، و أما هو سبحانه ففعال[9] لما يريد ، فقال فى[2] جواب من كأنه قال : إنما تمكن هدايتهم : ﴿ من يشا الله ﴾ أى[10] الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه[10] إضلاله ﴿ يضلله ﴾ و ﴿ من يشا ﴾ هدايته

(١) فى ظ : راوينا - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : لا .
(٤) زيد بعده فى الأصل : صم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) فى ظ : فذلك (٦-٦) فى ظ : العشو - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : المراد (٨) فى ظ : لا يمكن (٩) فى ظ : فعال (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿يجعله﴾ [1]و أشار إلى تمكينه بأداة الاستعلاء فقال[1]: ﴿على صراط مستقيم﴾ بأن يخلق الهداية فى قلبه - و من يهد[2] الله فما له من مضل و من يضلل الله[3] فما له من هاد، مع أن الكل عباده و خلقه، متقلبون فى نعمه، غادون رائحون فى بره و كرمه - إن فى ذلك على وحدانيته و تمام قدرته لآيات بينات لقوم يعقلون. ٥

و لما كانت هذه الآية - بما فيها من التصريح بالتكذيب - شديدة الاعتناق لقوله "و من اظلم ممن افترى على الله كذبا" و قوله "كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم انبؤا" - الآيتين، رجع[4] بالذى بعدها إلى فذلكة[5] التفاصيل الماضية و واسطة عقدها و فريدة درها[6]، و هو التوحيد الذى أباته الأدلة قبل الآيتين، فقال دالا على اعتقادهم القدرة التى استلزم ١٠ نعتُهم بطلب الآية نفيها[7]، و اعتقادهم للتوحيد فى الجملة و هم يكذبون به[3]، بيانا لأنهم فى الظلمات مقهورون بيد المشيئة لعدم تحاشيهم من التناقض معجبا منهم: ﴿قل ا رءيتكم﴾ أى أخبرونى يا من كذب بالآيات و القدرة[8] عنادا و شهد[9] أن مع الله آلهة أخرى، و عدل[10] بالله الذى يعلم السر و الجهر، و هو مع من يدعوه فى كل سماء و كل أرض بعنايته[11] و نصره. ١٥

و لما كانت حقيقة "ا رءيتكم": هل رأيتم أنفسكم، و كان هذا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: يهدى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: وجع (٥) فى ظ: تلك (٦) فى الأصل و ظ: ردها - كذا (٧) فى ظ: معها (٨) من ظ، و فى الأصل: العقدة (٩) فى ظ: اشهد. (١٠) من ظ، و فى الأصل: غدر - كذا (١١) فى الأصل: بغنايه، و فى ظ: بعنايته - كذا.

لكونه سؤالا عن معلوم لا يجهله أحد - مشيرا[1] إلى أن السؤال عن غيره مما قد يخفى من أحوال النفس، كان كأنه قيل: عن أيّ أحوال نفوسنا نُسأل؟ فقيل تنبيها لهم على حالة تلزمهم بالتوحيد أو العناد الذى يصير فى العلم به كالسؤال عن رؤية النفس سواء: ﴿ان اتىكم﴾ أى قبل مجىء الساعة كما أتى مَن قبلكم ﴿عذاب الله﴾ أى المستجمع لمجامع العظمة، فلا يقدر أحد على كشف ما يأتى به ﴿او اتتكم الساعة﴾ أى القيامة بما فيها من الأهوال.

و لما عجب منهم بما مضى - كما مضى، قال مجيبا للشرط موبخا لهم منكرا عليهم عدم استمرارهم على دعائه[2] و لزوم سؤاله و ندائه، [و يجوز أن يكون جواب الشرط محذوفا تقديره: من تدعون؟ ثم زادهم توبيخا و تبكيتا بقوله -[3]]: ﴿اغـــير الله﴾ أى الملك الذى له العظمة كلها ﴿تدعون﴾ أى لشدة من تلك الشدائد، و لا تدعون الله مع ذلك الغير ﴿ان كنتم صدقين﴾ أى فى أن غير الله يغنى شيئا حتى يستحق الإلهية، و جواب الشرط محذوف تقديره: فادعوا ذلك الغير / ، و هذه حجة / ١٩٨ لا يسعهم[4] معها غيرُ التسليم، فان عادتهم[5] كانت مستمرة أنهم إذا اشتد الأمر و ضاق الخناق لا يدعون غير الله و لا يوجهون الهمم إلا إليه، فان سلكوا سبيل الصدق الذى له ينتحلون و به يتفاخرون فقالوا: لا ندعو غيره، فقد لزمتهم الحجة فى أنه لا يعدل به شىء و لا شريك له،

(١) من ظ، و فى الأصل: مشير (٢) فى ظ: دعايهم (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ: لا يستفهم - كذا (٥) فى ظ: عداتهم - كذا.

و إن

و إن عاندوا نطق[1] لسان الحال أنهم على محض الضلال، و إن سكتوا أثبت عليك الخطاب[2]. و هى مع ذلك - كما ترى - دليل على ما أخبرت به الآية[3] قبلها من أن الأمر كله لله، أى إنكم كلكم مشتركون فى وضوح الأمر فى أنه [4]لا منصرف إلا إليه[4] و قد افترقتم[5] فصدق بعض[6] و كذب آخرون، فلو أن الأمر موقوف على وضوح الدلالة فقط كان الكل على نهج واحد، هذا و نقل أبو حيان عن الفراء أنه قال: للعرب فى 'أرأيت' لغتان و معنيان: أحدهما أن تسأل[7] الرجل: أرأيت زيدا[8]، أى بعينك، فهذه مهموزة، و ثانيهما أن تقول[9]: أرأيت، وأنت تريد[10]: أخبرنى، فههنا[11] تترك الهمزة إن شئت، و هو أكثر[12] كلام العرب، و تؤمى[13] إلى ترك الهمزة للفرق بين المعنيين؛ ثم قال أبو حيان: و كون 'أرأيت[1]' و 'أرأيتك' بمعنى 'أخبرنى'[14] نص عليه سيبويه و غيره من أئمة العرب، و هو تفسير معنى' لا تفسير إعراب، لأن 'أخبرنى[14]' يتعدى بعن، و [15]'أرأيت' متعد[15] لمفعول به صريح و إلى جملة استفهامية هى فى موضع المفعول الثانى؛ و قال

(١) سقط من ظ (٢) فى الأصل: الحقاب، و فى ظ: الحقايب - كذا (٣) فى ظ: العادة (٤ - ٤) فى ظ: لا يتصرف الا الله (٥) من ظ، و فى الأصل: احترقتم - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل: بعضهم (٧) من البحر المحيط ٤/١٢٥، و فى الأصل: يسئل، و فى ظ: اما ان قيل - كذا (٨) فى ظ: زيد (٩) من البحر، و فى الأصل و ظ: يقول (١٠) فى البحر: تقول - كذا (١١) فى ظ: و ههنا. (١٢) فى ظ: الاكثر (١٣) من ظ و البحر، و فى الأصل: و قرى (١٤-١٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٥-١٥) فى ظ: رايت يتعدى - كذا.

فى سورة يونس عليه السلام: تقدم فى سورة الأنعام أن العرب تضمن 'أرأيت' معنى 'أخبرنى' و أنها تتعدى[1] إذ ذاك إلى مفعولين، و[2] أن المفعول الثانى أكثر ما يكون جملة استفهام، ينعقد منها و مما قبلها مبتدأ و خبر، يقول العرب: أرأيت زيدا ما صنع؟ المعنى: أخبرنى[3] عن زيد ما صنع! و قبل دخول[4] 'أرأيت' كان الكلام: زيد ما صنع - انتهى. قلت: و حقيقة المعنى كما مر: هل رأيت زيدا؟ فلما استفهم عن رؤيته - و المراد الخبر لا البصر - عُلم أن السؤال عن بعض أحواله، فكأنه قيل: ما له؟ فقيل: ما صنع؟

و لما كان استفهام الإنكار بمعنى النفى، كان كأنه قيل: لا تدعون[4] غيره، فعطف عليه قوله: ﴿ بل اياه ﴾ أى خاصة ﴿ تدعون ﴾ أى حينئذ؛ و لما كان يتسبب[5] عن دعائهم تارة الإجابة و أخرى[6] غيرها قال: ﴿ فيكشف ﴾ أى الله فى الدنيا أو[7] فى الآخرة، فانه لا يجب عليه[8] شىء، و لا يقبح منه شىء ﴿ما تدعون اليه﴾ أى إلى كشفه ﴿ ان شآء ﴾ أى ذلك تفضلا عليكم كما هى عادته معكم فى وقت شدائدكم، و لكنه لا يشاء كشفه فى الآخرة، لأنه لا يبدل القول لديه و إن كان له أن يفعل ما يشاء، و لو كان يجيبكم دائما و أنتم لا تدعون غيره، لكان ذلك كافيا فى الدلالة على اعتقادكم أنه لا قادر إلا هو، فكيف و هو يجيبكم فى الدنيا

(١) من ظ، و فى الأصل: متعدى (٢) سقط من ظ (٣) تكرر فى ظ (٤) فى ظ: لا يدعون (٥) من ظ، و فى الأصل: تسبب (٦) من ظ، و فى الأصل: الاحرى (٧) فى ظ «و» (٨) من ظ، و فى الأصل: على.

إذا دعوتموه[1] تارة و يجيبكم أخرى ، و[2] مع ذلك[3] فلا يردكم عدم إجابته عن اعتقاد قدرته و دوام الإقبال عليه فى مثل تلك الحال لما ركز فى العقول[3] السليمة و الفطر[4] الأولى من أنه الفاعل المختار ، و على ذلك دل قوله عطفا على " تدعون " : ﴿ و تنسون ﴾ أى تتركون فى تلك الأوقات دائما ﴿ ما تشركون ﴾ أى من معبوداتكم الباطلة لعلمكم أنها لا تغنى ٥ شيئا ، كما هى عادتكم دائما فى أوقات الشدائد رجوعا إلى حال الاستقامة . أفلا يكون لكم هذا زاجرا عن الشرك فى وقت الرخاء خوفا من إعادة الضراء !

و لما أقام لهم بهذه الآية على توحيده الدليل حتى استنارت[5] السبل[6] فى تذكيرهم أن التضرع قد يكشف به البلاء ، أخبرهم أن تركه[7] يوجب ١٠ / الشقاء ، ترغيبا فى إدامته و ترهيبا من[8] مجانبته فقال : ﴿ و لقد ارسلنآ ﴾ ١٩٩ / أى بما لنا من العظمة ﴿ الىٰٓ امم ﴾ أى أناس يؤم بعضهم بعضا ، و هم أهل لأن يقصدهم الناس ، لما لهم من الكثرة و العظمة .

و لما كان المراد بعض الأمم ، و هم الذين أراد الله إشهادهم[9] و قص[9] أخبارهم ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلك ﴾ أى رسلا فخالفوهم ، و حسّن ١٥ هذا الحذف[10] كونه مفهوما ﴿ فاخذنٰهم ﴾ أى فكان إرسالنا[11] إليهم سببا

---

(١) فى ظ : دعوتكم (٢-٢) فى ظ : فى ذلكم (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : الفكر .
(٥) فى ظ : استنار (٦) من ظ ، و فى الأصل : السبيل (٧) فى ظ : تركهم (٨) فى ظ : فى (٩-٩) فى ظ : شهادتهم و خص (١٠) من ظ ، و فى الأصل : الحديث .
(١١) من ظ ، و فى الأصل : ارسلنا .

لأن أخذناهم بعظمتنا، ليرجعوا عما زين لهم الشيطان إلى ما تدعوهم[1] إليه الرسل ﴿ بالباساء ﴾ من تسليط القتل عليهم ﴿ و الضراء ﴾ بتسليط الفقر و الأوجاع ﴿ لعلهم يتضرعون ﴾ أى ليكون حالهم حال من يرجى خضوعه و تذلله على وجه بليغ[2]، بما يرشد إليه - [3]مع صيغة التفعل[3] - الإظهار، و لأن مقصودها الاستدلال على التوحيد، و عند الكشف للأصول ينبغى الإبلاغ فى العبادة، بخلاف ما يأتى فى الأعراف[4].

و لما لم يقع منهم ما أوجبت الحال رجاءه، تسبب عنه الإنكار عليهم، فقال معبرا بأداة التخصيص ليفيد مع النفى أنهم ما كان لهم عذر فى ترك التضرع: ﴿ فلو لآ ﴾ أى فهلا ﴿ اذ جآءهم باسنا تضرعوا ﴾ [و لما -[5]] كان معنى الإنكار أنهم [ما -[5]] تضرعوا قال: ﴿ و لكن قست قلوبهم ﴾ أى فلم يذكروا ربهم أصلا ﴿ و زين لهم الشيطن ﴾ أى بما دخل عليهم به[2] من باب الشهوات ﴿ ما كانوا يعملون ﴾ من العظائم و المناكر الى أوجبها النكس بالرد أسفل سافلين ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ أى فتسبب[6] - عن تركهم التذكير[7] و الأخذ بفائدته التى هى التخشع و التسكن[8]، كما هو اللائق بهم لا سيما فى تلك الحالة - أنا ﴿ فتحنا ﴾ أى بما يليق بعظمتنا ﴿ عليهم ابواب كل شىء ﴾ أى من الخيرات و الأرزاق و الملاذ التى كانت مغلقة عنهم و نقلناهم من

(١) فى ظ : يدعوهم (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) راجع آية ٩٤ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : فسبب .
(٧) فى ظ : التذكر (٨) فى ظ : التمسكن ، و هو مرادف لما فى الأصل .

الشدة إلى الرخاء، و ذلك استدراجا لهم، و مددنا زمانه و طوّلنا أيامه ﴿ حتىٰ اذا فرحوا ﴾ أى تناهى بهم الفرح ﴿ بمآ اوتوٓا ﴾ أى معرضين عمن آتاهم هذا الرخاء بعد أن كان ابتلاهم بذلك، فعلم أنهم [فى - ١] غاية من الغباوة، لا يرتدعون بالتأديب بسياط ٢ البلاء، و لا ينتفعون ببساط ٢ المنة و الرخاء، بل ظنوا أن البلاء عادة الزمان، و الرخاء باستحقاقهم الامتنان، فعلم أن قلوبهم لا يرجى لها انتباه بحار و لا بارد و لا رطب و لا يابس ﴿ اخذنٰهم ﴾ بعظمتنا، و إنما أخذناهم فى حال الرخاء ليكون أشد لتحسرهم ﴿ بغتة ﴾ فلم نمكنهم ٣ من التضرع عند خفوق الأمر، و لا أمهلناهم أصلا بل نزل عليهم من أثقال العذاب، و أباح بهم من أحمال الشدائد و صروف البلايا ما أذهلهم و شغلهم عن كل شىء حتى بهتوا ﴿ فاذا ٤ هم مبلسون ٥ ﴾ أى تسبب عن ذلك البغت أن فاجأوا ٥ السكوتَ على ما فى أنفسهم و اليأس تحسرا و تحيرا ٦، و استمروا بعد أن سكتوا إلى أن همدوا و خفتوا ٧، ففى نفى ٨ التضرع عن المتقدمين بعد أن أثبته لمشركى ٩ هذه الأمة استعطاف لطيف، و ٨ فى ذكر استدراج أولئك بالنعم عند نسيان ما ذكروا به إلى ما أخذهم بغتة من قواصم ١٠ النقم غاية التحذير.

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : فلم يمكنهم. (٤) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل : فاذ (٥) زيد فى ظ : او (٦) فى ظ : تحسيرا (٧) فى ظ : احقنوا - كذا (٨) سقط من ظ (٩) من ظ، و فى الأصل : لمشرك (١٠) فى ظ : قواسم.

و لما كان من عادة الغالب من[1] أهل الدنيا أن يفوته آخر الجيوش و شُدّابهم[2] لملل أصحابه من الطلب و ضجرهم[3] من النصب و التعب و قصورهم عن الإحاطة بجميع الأرب ، أخبر تعالى أن أخذه على غير[4] ذلك ، و أن نيله للآخر[4] كنيله للأول على حد سواء ، فقال مسببا عن الأخذ الموصوف مشيرا بالبناء[5] للمفعول إلى تمام القدرة ، و بالدابر إلى الاستئصال : ﴿ فقطع دابر ﴾ أى آخر ﴿ القوم الذين ظلموا[6] ﴾ أى بوضع الشىء فى غير موضعه دأب[8] الماشى فى الظلام ، [9]وضعوا لقسوة موضع الرقة/ التى تدعو إليها الشدة ، و وضعوا الفرح بالنعمة موضع الخشية من الرد إلى الشدة ، كما ظلمتم أنتم بدعاء الأصنام وقت الرخاء و كان[6] ذلك[7] موضع دعاء من أفاض تلك النعم ، و دعوتم الله وقت الشدة و كان ذلك موضع دعاء[8] من عبدتموه وقت الرخاء ، لئلا تقعوا[9] فيما جرت عادتكم بالذم به .

/٢٠٠

و إذا [10]تكون كريهة[10] أدعى لها و إذا يحاس الحيس[11] يدعى جندب

و لما كان استئصالهم من أجل النعم على من عادوهم فيه من الرسل عليهم السلام و أتباعهم رضى الله عنهم ، نبه على ذلك بالجملة[12] مع ما يشير

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : سداتهم - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : صخرهم (٤) فى ظ : البناء (٥) فى ظ : ذات (٦) فى ظ : كل (٧) من ظ ، و فى الأصل : ذكر (٨) زيد بعده فى الأصل : افاض ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٩) من ظ ، و فى الأصل : لئلا تقعوا (١٠ - ١٠) من اللسان ، و فى الأصل : يكون كريهته ، و فى ظ : يكون كرتبة - كذا ، و البيت لهنىّ بن أحمر الكنانى ، و قيل : هو لزرافة الباهلى (١١) من ظ و اللسان ، و فى الأصل : الحسين - كذا (١٢) من ظ ، و فى الأصل : بالحد .

إليه من ظهور الاستغناء المطلق فقال: ﴿ و الحمد ﴾ أى قطع أمرهم كله و الحال أن الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله ﴾ المتفرد[1] بنعوت الجلال و الجمال ﴿ رب العلمين ۝ ﴾ الموجد لهم أجمعين ، أى له[2] ذلك كله[1] بعد فناء الخلق على أىّ صفة كانوا من إيمان أو كفر ، كما كان له ذلك قبل وجودهم و عند خلقهم على كل من حالتيهم - كما أشير إليه بأول السورة ، فكأنه قيل : الكمال لله الذى خلق السماوات و الأرض و جعل الظلمات و النور ، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، فقطع دابرهم ، و الكمال له لم يتغير ، لأنه لا يزيده وجود موجود ، و لا ينقصه فقد مفقود ، فهو محمود حال الإعدام و المحق كما كان محمودا حال الإيجاد و الخلق ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، فانه لا يخرج [3]شىء عن[3] إيمانهم[3] و لا كفرانهم عن إرادته سبحانه ، فلا عليك منهم اقترحوا[4] الآيات أو لا . فانه ليس عليك إلا البلاغ .

و لما قدم التنبيه باتيان مطلق العذاب فى مطلق الأحوال ، و كان الإتيان بالكاف ثَمَّ مشيرا مع إفادة التأكيد إلى أن ثَمَّ نوع مهلة ، و أتبعه أن أخذ الأمم كان بغتة ، أعقبه التنبيه بعذاب خاص تصورُ شناعته يهدأ[5] الأركان و يقطع الكبود و يملأ الجنان ، فانه لا أشنع حالا من أصم أعمى مجنون ، فقال مشيرا - باسقاط كاف الخطاب مع التعبير بالأخذ الذى عهد أنه للبغت بالسطوة و القهر - إلى غاية التحذير من سرعة أىّ[1]

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لهم (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : بين من (٤) فى ظ : اجترحوا (٥) أى يقطع قطعا سريرا .

الأخذ[1] : ﴿قل ارءيتم﴾ فكانت حقيقة المقترن بالكاف : هل رأيتم أنفسكم ، و هذا هل رأيتم مطلق رؤية ، لما تقدمت الإشارة إليه من الإيماء إلى طلب الإسراع بالجواب خوف المفاجأة بالعذاب و إن كان المراد فى الموضعين : أخبرونى ﴿ ان اخذ الله ﴾ أى القادر على كل شىء العالم بكل شىء ﴿ سمعكم ﴾ و أفرده[2] لقلة المفاوتة [3]فيه ، لأنه[3] أعظم الطرق لإدراك القلب الذى لا أعظم من المفاوتة فيه حتى للانسان الواحد بالنسبة إلى الأحوال المختلفة ، ليكون ذلك أدل على الفعل بالاختيار ﴿و ابصاركم﴾ أى فأصمكم و أعماكم عمى و صمما ظاهرين و باطنين بسلب المنفعة ﴿و ختم على قلوبكم﴾ فجعلها لا تعى أصلا أو لا ينتفع بالوعى ﴿ من اله ﴾ أى معبود بحق ، لأن له[4] إحاطة العلم و القدرة ؛ ثم وصف هذا الخبر بقوله : ﴿ غير الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ ياتيكم به[5] ﴾ أى بذلك الذى هو أشرف معانى أشرف أعضائكم ، أو بشىء منه .

و لما بلغت هذه الآيات - من الإبلاغ فى البيان فى[5] وحدانيته و بطلان كل معبود سواه - أعلى المقامات ، نبه على أنه[4] على ذلك ، بالأمر بالنظر فيها و فى حالهم بعدها ، دالا على[6] ما تقدم[7] من أن المقترحات لا تنفع[8] من أراد سبحانه شقاوته فقال : ﴿ انظر كيف نصرف ﴾ [أى -[9]] بما لنا من العظمة ﴿ الأيٰت ﴾ أى نوحيها لهم و لغيرهم فى كل وجه

(١) من ظ ، و فى الأصل : للاخذ (٢) من ظ ، و فى الأصل : افرد .
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ « و » .
(٦) تكرر فى ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل: قدم (٨) فى ظ : لا ينفع (٩) زيد من ظ .

من

من وجوه البيان بالغ من الإحسان ما يأخذ بالعقول و يدهش الألباب ، و يكون كافيا فى الإيصال إلى المطلوب ؛ و لما كان / الإعراض عن مثل هذا فى غاية البعد ، عبر بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم هم ﴾ أى بعد هذا البيان بصميم[1] ضمائرهم ﴿ يصدفون ﴾ أى يعرضون إعراضا لازما لهم لزوم الصفة[2]. / ٢٠١

و لما قرن الأخذ بالبغت تارة صريحا و تارة إشارة باسقاط الكاف ؛ كان ربما وقع فى وهم السؤالُ عن حالة الجهر ، أتبع ذلك ذكره مفصلا لما أجمل من الأحوال فى الآيتين قبل فقال : ﴿ قل ارءيتكم ﴾ و لما كان المعنى : أخبرونى ، و كان كأنه قيل : عما ذا ؟ قيل : ﴿ ان اتىكم عذاب الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال فلا يعجزه شىء ﴿ بغتة ﴾ [3]أى بحيث لا يرى إلا ملتبسا بكم من غير أن يشعر به و يظهر شىء من أماراته[3] ، ﴿ [4]او جهرة[4] ﴾ أى بحيث ترونه مقبلا إليكم مقدما عليكم ﴿ هل ﴾ .

و لما كان المخوف بالذات هو الهلاك من غير نظر إلى تعيين الفاعل ، بنى للمفعول قوله : ﴿ يهلك ﴾ أى فى واحدة من الحالتين هلاكا هو الهلاك ، [3]و هو هلاك السخط[3] ﴿ الا القوم ﴾ أى الذين لهم قوة المدافعة و شدة المقاتلة فى زعمكم و المقاومة ﴿ الظلمون ﴾ أى بوضع الأشياء فى غير مواضعها من إعطاء الشىء[5] لمن لا يستحقه و منع المستحق ما له ، و أما المصلح فانه ناج[6] إما فى الدارين و إما فى الآخرة التى من [7]فاز فيها[7] فلا توى

(١) من ظ ، و فى الأصل : تصميم (٢) فى ظ : الصعد ـ كذا (٣ ـ ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤ـ٤) تأخر ما بين الرقمين فى ظ عن « مقدما عليكم » .
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : بـاح ـ كذا (٧ ـ ٧) فى ظ : فاوتها ـ كذا .

عليه ؛ و ذكر أبو حيان [أنه -[1]] لما كان مطلق العذاب صالحا لكل ما يعلم من تفاصيل أهواله و ما لا يعلم ، كان التوعد به أهول[2] ، فلذلك أكد فيه فى الآيتين الخطاب بالضمير بحرف الخطاب ، و التوعد بأخذ السمع و ما معه من جملة الأنواع التى اشتمل عليها ذلك المطلق[3] فأعرى من حرف الخطاب .

و لما كان ذلك كله فى مناضلة من كذب الرسل ، و أعرض عما أرسلهم به ربهم من الآيات التى ما[3] منها إلا[3] ما آمن على مثله البشر ، و طلبه منهم[4] ما لا يقدر عليه إلا مرسلهم من الإتيان بغير ما أتوا به من الآيات ؛ بين لهم حقيقة الرسالة إشارة إلى ظلمهم فى طلبهم من الرسل ما لا يطلب إلا من الإله ، فقال عاطفا على "و لقد ارسلنا الى امم من قبلك" : ﴿ و ما نرسل ﴾ أى[3] بما لنا من العظمة ﴿ المرسلين ﴾ أى نوجد هذا الأمر فى هذا الزمان و كل زمان [5]من الماضى[5] و غيره ﴿ الا مبشرين ﴾ لمن أطاع ﴿ و منذرين[4] ﴾ لمن عصى ، عريقين فى كل من الوصفين ، لا مجيبين[6] إلى ما يقترح الأمم ، و لا معذبين لمن يعاندهم ؛ ثم سبب عن ذلك غاية الرسالة من [7]النفع و الضر[7] فقال : ﴿ فمن امن و اصلح ﴾ أى تصديقا لإيمانه ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ أى فى الدنيا و لا فى الآخرة ، أما فى الآخرة فواضح ، و أما فى الدنيا

(١) زيد من ظ (٢) من ظ . و فى الأصل : اهون (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : منه (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : محسنين . (٧ - ٧) من ظ ، و فى الأصل : الضر و النفع .

الفانية فلأن خوفهم فيها[1] يزيد أمنهم فى الآخرة الباقية ، فهو إلى فناء ثم إلى سرور دائم، فهو عدم ﴿ ولا هم يحزنون ﴾ أى حزنا يضر[2] بحياتهم[3] الأبدية .

ولما بين حال المصلحين ، أتبعه حال المفسدين فقال : ﴿والذين كذبوا بآيتنا﴾ أى على[1] ما لها بنسبتها إلينا من العظمة ﴿يمسهم العذاب﴾ أى الدائم ٥ المتجدد[4] ، وكنى عن قربه[5] بأن جعل له قوة المس ، كأنه[6] حي مريد[6] فقال : ﴿ بما كانوا ﴾ أى[1] جبلة وطبعا ﴿ يفسقون ﴾ أى يديمون الخروج مما ينبغى الاستقرار فيه من الإيمان وما يقتضيه ، وأما الفسق العارض فان صاحبه يصدر التوبة منه فيعفى عنه .

ولما بين وظيفة الرسل ، وقسم المرسل إليهم ، أمره بنفى ما يتسبب[7] ١٠ عنه قولهم من أن البشر لا يكون رسولا ، واقتراحهم عليه الآيات من ظن قدرته على ما يريد ، [8]أو أن كل ما يقدر عليه يبديه لهم[8]، أو إلزامه بذلك[9] ، منبها لهم على وجه ظلمهم بغلظهم أو عنادهم فقال : ﴿ قل ﴾ [أى -[10]] فى جواب قولهم "لو لا أنزل عليه آية" ونحوه .

ولما [لم -[10]] يكن لهم عهد بأن بشرا يكون عنده الخزائن ، ١٥ يتصرف فيها بما يريد ، وكان يأتيهم من الآيات من انشقاق / القمر / ٢٠٢

(١) سقط من ظ (٢) من ظ . وفى الأصل : يصير (٣) فى ظ : بحيايتهم - كذا .
(٤) فى ظ : المتجرد (٥) من ظ ، وفى الأصل : قوته (٦ - ٦) من ظ ، وفى الأصل: مريد حى (٧) فى ظ : ينسب (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد بعده فى ظ : منها (١٠) زيد من ظ .

و مشى الشجر و كلام الضب و الحجر و نبع الماء و الحراسة بشواظ النار و فحل الجمال و نحو ذلك مما هو معلوم فى دلائل النبوة بما ربما أوقع[1] فى ظنهم أن لازمه دعواه لأنه يملك الخزائن، فكانوا يقترحون عليه الآيات الدالة [إلزاما له -[2]] بذلك[3] لقصد التكذيب. نفى ما ظنوا أنه يلزمه دعواه فقال: ﴿ لآ[3] اقول لكم ﴾ أى الآن و لا فيما يستقبل من الزمان، و لما كان تعالى قد أعطاه مفاتيح خزائن الأرض، فأباها[4] تواضعا لله سبحانه، قيد بقوله "لكم" إفهاما لما يخبر به المؤمنين من ذلك ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم، و أما الكفرة فان إخبارهم بذلك مما يغريهم على الاقتراحات استهزاء فلا فائدة له ﴿ عندى خزآئن الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الغنى المطلق و العزة البالغة، فلا كفوء له أى[3] فآتيكم ما تقترحون[5] من الآيات و ما تشتهونه[6] من الكنوز و ما[7] تستهزؤن به[7] من العذاب، و إنما الخزائن بيده، يفعل فيها ما يشاء.

و لما كانوا يعهدون أن بعض البشر من الكهان يخبرون بشىء من المغيبات، و كان الكهان يخلطون الصدق بالكذب، و كان النبى صلى الله عليه و سلم يخبرهم بمغيبات كثيرة فيكون كما قال دائما لا خلف فى شىء منها و لا زيادة و لا نقص، فصاروا يظنون أنه يعلم الغيب، و لكنهم

(١) فى ظ: وقع (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: واباها (٥) فى ظ: يقترحون (٦) فى ظ: يشتهونه (٧-٧) فى الأصل: يشتهون به، و فى ظ: يستهزونه - كذا.

يظنونه من آيات[1] الكهان حتى أطلقوا عليه أنه كاهن، فكانوا يسألونه عن وقت العذاب الذي يتوعدهم به وعن غيره، لعلهم [2]يظفرون عليه[2] بشيء مما يقوله الكهان ولا يكون، فيعدونه عليه؛ نفى ما ظنوه غيره على هذا المقام أن ينسب[3] إلى غير مالكه الذى لا يجوز أن يكون لغيره، فقال نافيا له من أصله، لا للقول فقط كما فى سابقه ولاحقه، عاطفا على "لا[4] اقول" لا على "عندى": ﴿ ولآ اعلم الغيب ﴾ أى فأخبركم بوقت الفصل بينى وبينكم من مطلق العذاب أو[5] قيام الساعة، فان هاتين الحالتين - ملك الخزائن وعلم الغيب - ليستا[6] إلا لمرتبة[7] الألوهية، وإنما لم أدّع الأول كما ألزمتمونى به، ولا اتصفت بالثانى بما ظننتم.

ولما كانوا يظنون أن الرسول لا يكون إلا ملكا، فكانوا يلزمونه بدعواه الرسالة دعوى الملائكة ليلزموه بذلك ادعاء ما[4] هو ظاهر البطلان، قال: ﴿ ولآ اقول ﴾ أى بدعوى الرسالة؛ ولما كان صلى الله عليه وسلم أعلى[8] الأنبياء صفاء وأنورهم قلبا وأشدهم[9] فى كل هدى إضاءة وأنقاهم من نقائص البشر، وكان هذا أمرا من الله له[4]، قيد بقوله: ﴿ لكم ﴾ إفهاما لأنه "لا يمتنع[10]" عليه أن يقول ذلك، بل لو قاله كان صادقا،

(١) فى الأصل: بابه، وفى ظ: آياته - كذا (٢ - ٢) من ظ، وفى الأصل: يظفرن عليهم (٣) من ظ، وفى الأصل: يسمب - كذا (٤) سقط من ظ. (٥) فى ظ «و» (٦) فى ظ: ليسا (٧) فى ظ: لرتبة (٨) فى ظ: على (٩) من ظ، وفى الأصل: اسدهم (١٠ - ١٠) فى ظ: يمنع.

و مثله كثير فى مجازاتهم و مجارى عاداتهم[1] [فى محاوراتهم - [2]] ، و أما إسقاط " لكم " فى قصة نوح من[3] سورة هود[4] عليهما السلام فتواضعا منه لكونه من قوله ، من غير تصريح بأسناد الأمر فيه إلى الله تعالى ﴿ انى ملك[4] ﴾ فأقوى على الأفعال التى تقوى[5] عليها الملائكة من التحرز[6] عن المآكل و المشرب و غيرهما من أفعال الملائكة .

فلما انتفى عنه ما ألزموه به و [ما - [7]] ظنوه فيه من كونه إلها أو ملكا ، انحصر الأمر فى أنه رسول واقف عند ما حده له مرسله ، فقال على وجه النتيجة : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ اتبع ﴾ أى بغاية جهدى ﴿ الا ما يوحى الى[8] ﴾ أى ما رتبتى إلا امتثال ما يأمرنى به ربى فى هذا القرآن الذى هو - بعجزكم عن معارضته - أعظم شاهد لى ، و لم يوح إلى فيه أن أقول شيئا مما تقدم نفيه ، و أوحى إلى لأنذركم به خصوصا ، و أنذر به كل من بلغه عموما ، و ذلك / غير منكر فى[8] العقل و لا مستبعد[9] بل قد وقع الإرسال لكثير من البشر ، و قد قام على ثبوته لى[10] واضح الدلائل و ثابت الحجج و قاطع البراهين ، فان كان فيه الإذن لى[8] بابراز خارق أبرزته ، و ان كان فيه الإعلام بمغيب أبديته . و إلا اقتصرت على الإبلاغ

/ ٢٠٣

(١) من ظ ، و فى الأصل : عادتهم (٢) زيد من ظ غير أن فيه : مجاوزاتهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : فى (٤) راجع آية ٣١ (٥) من ظ ، و فى الأصل : تعول (٦) فى ظ : التجرد (٧) زيد من ظ (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : مستبعدا (١٠) فى ظ : الى .

مع التحدى ، و هو مخبر بأن الله - الذى [1]ثبت بعجزكم عن معارضته أنه قوله - شاهد لى بصحة الرسالة و صدق المقالة .

و لما[1] ثبت بهذا أنهم عمى الأبصار و البصائر ، لا يهتدون إلى ما ينفعهم ، و لا يقدرون على إفحام خصم و لا التقصى عن وهم و لا وصم ، بل هم كالسالك بين المهالك ، يتبين بادئ بدئه فى دعواه الحكمة زوره و كذبه و فجوره لاتباع الهوى الذى هو أدواء [أدواء [2]] ، [3]و أنه[3] صلى الله عليه و سلم أبصر البصراء و أحكم الحكماء لاتباعه علام الغيوب ، و كان موضع أن يقال : ما يوحى إليك فى هذا المقام؟ قال على وجه التبكيت لهم : ﴿ قل ﴾ أى لكل من يسمع[4] قولك بعد هذا البيان الفائت لقوى الإنسان ﴿ هل يستوى ﴾ أى يكون سواء من غير مرية ﴿ الاعمى و البصير[5] ﴾ فان قالوا : نعم ، كابروا الحس ، و إن قالوا : لا ، قيل : فمن تبع هذه الآيات الجليات فهو البصير ، و من أعرض عنها فهو العمى ، و من سوى بين الخالق و بين شىء من خلقه فهو أعمى العمى ؛ ثم أمره بعد الإنكار للتسوية بينهما بأن ينكر عليهم فساد نظرهم و عمى فكرهم بقوله : ﴿ افلا تتفكرون ﴾ أى فيردكم فكركم[4] عن هذه الضلالات[5] .

و لما أمره[6] بتوبيخهم ، أمره - عاطفا على قوله " قل " - بالإنذار[7] على وجه مخز لهم أيضا فقال : ﴿ و انذر به ﴾ أى بما يوحى إليك ، و ليس المراد تخصيص الإنذار بالخائف ، بل الإشارة إلى جلافتهم و عظيم بلادتهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) فى ظ : به (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : الضلالة (٦) فى ظ : امرهم (٧) فى ظ : بالانكار .

و كثافتهم فى عدم تجويز الجائز الذى هو أهل لأن يخافه كل واحد[1] بقوله : ﴿ الذين يخافون ﴾ أى تجويزا للجائز عقلا و عادة .

و لما كان المرهوب الحشر نفسه ، لا بقيد كونه من[2] معين ؛ بنى للمفعول قوله : ﴿ ان يحشروا ﴾ أى يجمعوا و هم كارهون ﴿ الى ربهم ﴾ أى[2] المحسن إليهم بالإيجاد و التربية مع التقصير فى الشكر ، حال كونهم ﴿ ليس لهم ﴾ و أشار إلى تحقير ما سواه و سفوله بالجار فقال : ﴿ من دونه ﴾ أى من المنزلة التى هى تحت منزلته ، و من المعلوم أن كل شىء تحت[2] قهر عظمته و متضائل[3] عن رتبته ، ليس لهم[4] ذلك ، أى[2] على وجه الانفراد أو[5] التوسل ﴿ ولى ﴾ يتولى أمورهم فينقذهم قهرا مما يخافون ﴿ و لا شفيع ﴾ ينقذهم بحسن سفارته[6] و عظيم رتبته و ترتيبه ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أى ليكون حالهم حال من يرجى أن يجعل بينه و بين عذاب الله وقاية .

و لما أمره بدعاء من أعرض عنه و مجاهرته ، أمره بحفظ من تبعه و ملاطفته ، فقال : ﴿ و لا تطرد الذين يدعون ﴾ و هم الفقراء من المسلمين ﴿ ربهم ﴾ أى المحسن إليهم عكس ما عليه الكفار فى دعاء من لا يملك لهم ضرا و لا نفعا ؛ ثم بين من حالهم من الملازمة ما يقتضى الإخلاص فقال : ﴿ بالغداوة و العشى ﴾ أى فى طرفى النهار مطلقا

(١) فى ظ : احد (٢) سقط من ظ (٣) أى متقاصر ، و فى الأصل : متصايل ، و فى ظ : مصال ـ كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : بهم (٥) فى ظ : « و » .
(٦) فى الأصل : سفار به ، و فى ظ : شعاوته ـ كذا .

أو

أو بصلاتيهما أو يكون كناية عن الدوام ؛ ثم أتبع ذلك نتيجته[1] فقال معبرا عن الذات بالوجه ، لأنه أشرف - على ما تتعارفه[2] - و تذكره يوجب التعظيم و يورث الخجل من التقصير : ﴿ يريدون وجهه[3] ﴾ أى[4] لأنه لو كان رياء[4] لاضمحل على طول الزمان و تناوب الحدثان باختلاف الشأن . ٥

و لما كان[4] أكابر المشركين و أغنياؤهم قد وعدوه صلى الله عليه و سلم الاتباع إن طرد من تبعه ممن يأنفون[5] من مجالستهم[6] ، و زهدوه فيهم بفقرهم و بأنهم غير مخلصين فى اتباعه ، إنما دعاهم إلى ذلك الحاجة ؛ بين له تعالى أنه لا حظ له فى طردهم و لا فى اتباع أولئك بهذا الطريق / إلا من جهة الدنيا التى هو[7] مبعوث للتنفير عنها ، فقال معللا لما مضى ١٠ / ٢٠٤ أو مستأنفا : ﴿ ما عليك ﴾ قدم الأهم عنده و هو تحمله ﴿ من حسابهم ﴾ و أغرق فى النفى فقال[8] : ﴿ من شىء ﴾ أى ليس لك إلا ظاهرهم ، و ليس عليك شىء من حسابهم ، حتى تعاملهم بما يستحقون فى الباطن من الطرد إن كانوا غير مخلصين ﴿ و ما من حسابك ﴾ قدم أهم ما إليه أيضا ﴿ عليهم من شىء ﴾ أى و ليس عليهم شىء من حسابك فتخشى ١٥ أن يحيفوا[9] عليك فيه على[3] تقدير غشهم[10] ، أو ليس عليك[11] من رزقهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : ملجية - كذا (٢) فى ظ : يتعارفه (٣) - سقط من ظ .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : مانعون - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : لستهم - كذا (٧) فى ظ : هى (٨) من ظ ، و فى الأصل : صار .
(٩) من ظ ، و فى الأصل : يخففوا (١٠) من ظ ، و فى الأصل : عتهم - كذا .
(١١) من ظ ، و فى الأصل : لك .

شيء فيثقلوا به عليك ، وما من رزقك عليهم من شيء فيضعفوا عنه لفقرهم ، بل الرازق لك[1] ولهم الله ؛ ثم أجاب النفي مسببا عنه فقال : ﴿ فتطردهم ﴾ أي فتسبب عن أحد الشيئين[2] طردك لهم ليقبل عليك الأغنياء فلا يكلفوك ما كان أولئك يكلفونك[3] ، وإن كلفتهم ما كان أولئك عاجزين عنه أطاقوه ؛ والحاصل أنه يجوز أن يكون معنى جملتي "ما عليك من حسابهم" - إلى آخرهما راجعا إلى آية الكهف "ولا تعد عينك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا[4]" فيكون المعنى ناظرا إلى الرزق ، يعني أن دعاءك إلى الله إنما مداره الأمر الأخروي ، فليس شيء من رزق هؤلاء عليك حتى تستنفر[5] بهم وترغب في الأغنياء ، ولا شيء من رزقك عليهم فيعجزوا[6] عنه ، وفي اللفظ من كلام أهل اللغة ما يقبل هذا المعنى ؛ قال [صاحب -[7]] القاموس وغيره : الحساب : الكافي ، ومنه "عطاء حسابا" ، وحسّب فلان فلانا : أطعمه وسقاه حتى شبع وروي : ،[8] قال أبو عبيد الهروي : يقال : أعطيته فأحسبته ، أي أعطيته الكفاية حتى قال : حسبي[9] ، وقوله "[10]يرزق من يشاء[10] بغير حساب" أي بغير [11]تقتير وتضييق[11] ، وفي حديث سماك : ما حسبوا ضيفهم ،

(١) من ظ ، وفي الأصل : ذلك (٢) من ظ ، وفي الأصل : السين - كذا .
(٣) في ظ : يكلفونكه (٤) آية ٢٨ (٥) في ظ : يستثقل - كذا (٦) من ظ ، وفي الأصل : فتعجزوا (٧) زيد من ظ (٨) سقط من ظ (٩) في ظ : حسبني .
(١٠-١٠) من ظ . وفي الأصل : نرزق من نشاء ، وقد ورد في عدة مواضع من القرآن بالغيبة (١١-١١) من ظ ، وفي الأصل : تعبر ولصق - كذا .

أى ما أكرموه ، و قال ابن فارس فى المجمل : و أحسبته : أعطيته ما يرضيه ، و حسّبته أيضا ، و أحسبنى الشىء : كفانى .

و لما نهاه عن طردهم مبينا أنه ضرر لغير[1] فائدة ، سبب عن هذا النهى قوله : ﴿فتكون من الظلمين﴾ أى بوضعك الشىء فى غير محله ، فان طردك هؤلاء ليس سببا لإيمان أولئك ، و ليس هدايتهم إلا إلينا ، و قد طلبوا منا فيك لما فتناهم بتخصيصك بالرسالة ما لم يخف عليك من قولهم "لو لا انزل عليه ملك" و نحوه مما أرادوا به الصرف عنك ، فكما لم نقبلهم[2] فيك فلا تقبلهم أنت فى أوليائنا ، فانا فتناهم بك حتى سألوا [فيك ما سألوا -[3]] و تمنوا [ما تمنوا -[3]] ﴿و كذلك﴾ أى و مثل ما فتناهم بارسالك ﴿ فتنا ﴾ أى فعلنا فعل المختبر قسرا بما لنا من العظمة ﴿ بعضهم ببعض ﴾ بالتخصيص بالإيمان و الغنى و الفقر و نحو ذلك ﴿ليقولوا﴾ أى إنكارا[4] لأن تفضل غيرهم عليهم احتقارا لهم و استصغارا ﴿ أهؤلاء ﴾ أى الذين[5] لا يساوننا بل لا يقاربوننا فى خصلة[6] من خصال الدنيا ﴿ منّ الله ﴾ أى على جلاله[7] و عظمه ﴿ عليهم ﴾ أى وفقهم لإصابة الحق و ما يسعدهم عنده و هم فيما نرى من الحقارة ﴿ من بيننا[8] ﴾ فالآية[8] ناظرة إلى ما يأتى فى هذه السورة من قوله تعالى "حتى نؤتى مثل ما اوتى رسل الله" .

---

(١) فى ظ : بغير (٢) فى ظ : لم يقبلهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : انكار (٥) فى الأصل : الذ ، و فى ظ : الذى - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : حصة (٧) فى ظ : جلا - كذا (٨) سقط من ظ .

و لما كان الإنكار لا يسوغ إلا مع نهاية العلم بمراتب المفضلين[1]، و أن المفضل لا يستحق التفضيل من الوجه المفضل به، أنكر إنكارهم بقوله: ﴿ اليس الله ﴾ أى الذى له جميع الأمر، فلا اعتراض عليه ﴿ باعلم بالشكرين ٥ ﴾ أى الذين يستحقون أن يفضلوا لشكرهم على غيرهم لكفرهم.

و لما نهاه صلى الله عليه و سلم عن طردهم، علمه كيف يلاطفهم فقال [عاطفا على ما تقديره: و إذا جاءك الذين يحتقرون الضعفاء من عبادى فلا تحفل[2] بهم - [3]]: ﴿ و اذا جآءك ﴾ و أظهر موضع الإضمار دلالة على الوصف الموجب لإكرامهم / و تعميما لغيرهم فقال: ﴿ الذين يؤمنون ﴾ ٢٠٥/ أى[4] هم أو غيرهم أغنياء كانوا أو فقراء، و أشار بمظهر العظمة إلى أنهم آمنوا بما هو جدير بالإيمان به فقال: ﴿ بايٰتنا ﴾ على ما لها[4] من العظمة بالنسبة إلينا ﴿ فقل ﴾ أى لهم[4] بادئا بالسلام إكراما لهم و تطييبا لخواطرهم[4] ﴿ سلٰم عليكم ﴾ أى سلامة منى و من الله، [6]و نكره لما يلحقهم فى الدنيا من المصائب[6]؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ كتب ربكم ﴾ أى المحسن إليكم ﴿ على نفسه الرحمة ٥ ﴾ ثم علل ذلك [بقوله - [3]] و[7] استأنف بما حاصله أنه علم من الإنسان النقصان، لأنه طبعه على طبائع الخسران إلا من جعله موضع الامتنان[8] فقال: ﴿ انه من عمل منكم سوٓءا ﴾ أى أىّ[4] سوء كان

(١) فى ظ: الفصلين - كذا (٢) فى ظ: فلا تجعل - كذا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: لنا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: او (٨) فى ظ: الامتهان.

ملتبسا ﴿ بجهالة ﴾ أى بسفه أو بخفة و حركة أخرجته عن الحق و العلم حتى كان كأنه لا يعلم شيئا ﴿ ثم تاب ﴾ أى رجع بالندم و الإقلاع و إن طال الزمان ، و لذا[1] أدخل الجار فقال[2]: ﴿ من بعده ﴾ أى بعد ذلك العمل ﴿ و اصلح ﴾ بالاستمرار على الخير ﴿ فانه ﴾ أى ربكم بسبب هذه التوبة يغفر له لأنه دائما ﴿ غفور ﴾ أى بالغ الستر و المحو لما كان ٥ من ذلك ﴿رحيم ۝[3] ﴾ يكرم من تاب هذه التوبة[4] بأن يجعله كمن أحسن بعد أن جعله بالغفر كمن لم يذنب ، و من أصر و أفسد فانه يعاقبه ، لأنه عزيز حكيم ، و ربما كانت الآية ناظرة[5] إلى [ما - ٦] قذفهم به المشركون من عدم الإخلاص ، و يكون حينئذ مرشحا لأن المراد بالحساب المحاسبة على الذنوب . ١٠

و لما أتى فى هذه السورة و ما قبلها بما أتى من عجائب التفاصيل لجميع الأحوال متضمنة واضح الدلالات و باهر الآيات البينات ، قال عاطفا على "و كذلك فتنا" عطفا[4] للضد على ضده ، فان فى الاختبار نوع خفاء : ﴿ و كذلك ﴾ أى [7]و مثل[7] ذلك الفتن بايراد بعض ما فيه دقة و خفاء من بعض الوجوه لنضل[8] من نشاء ، فيتميز الضال من المهتدى ١٥ ﴿نفصل الأيٰت ﴾ التى نريد بيانها ليتضح سبيل المصلحين فيتبع ﴿ولتستبين ﴾ أى تظهر ظهورا بينا ﴿ سبيل المجرمين ۝ ﴾ فتجتنب ، و خص هذا بالذكر و إن كان يلزم منه[4] بيان الأول ، لأن دفع المفاسد أهم .

---

(١) فى ظ : كذلك (٢) فى ظ : فى قوله (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : ظاهرة (٦) زيد من ظ (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٨) فى ظ : نفضل .

و لما كان محط حالهم فى السؤال طرد الضعفاء قصد اتباع أهوائهم، أمره تعالى بأن يخبرهم أنه مباين لهم - لما[1] بين له بالبيان الواضح من سوء عاقبة سبيلهم - مباينة لا يمكن معها[2] اتباع أهوائهم، و هى المباينة فى الدين فقال[2]: ﴿ قل انى نهيت ﴾ أى ممن له الأمر كله ﴿ ان اعبد الذين تدعون ﴾ أى تعبدون بناء منكم على[3] محض الهوى و التقليد فى أعظم أصول الدين، و [حقر أمرهم و -[4]] [5]بين سفول[5] رتبتهم بقوله[6]: ﴿ من دون الله[6] ﴾ أى الذى لا أعظم منه، فقد وقعتم فى ترك الأعظم و لزوم الدون[7] الذى هو دونكم فى[7] أعظم الجهل المؤذن بعمى القلب مع الكفر بالمحسن، فمباينتى مبناها على المقاطعة[8]، فكيف تطمع[9] فىّ متابعة! ثم أكد ذلك بأمر آخر دال على أنه لا شبهة لهم فى عبادتهم فقال: ﴿ قل لآ اتبع اهوآءكم[10] ﴾ أى عوضا عما أنا عليه من الحكمة البالغة المؤيدة[10] بالبراهين الساطعة و الأدلة القاطعة.

و لما كان من المعلوم أن الهوى لا يدعو إلى هدى، بل إلى غاية الردى، حقق ما أفهمته هذه الجملة بقوله: ﴿ قد ضللت اذا ﴾ أى إذا اتبعت أهواءكم؛ و لما كان الضال قد يرجع[11]، بين أن هذا ليس كذلك، لعراقتهم فى الضلال، فقال معبرا بالجملة الاسمية[12] الدالة على الثبات:

---

(١) فى ظ: ما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: من (٤) زيد من ظ (٥-٥) فى ظ: بسفول (٦) فى ظ: فقال (٧) فى ظ: الدين (٨) من ظ، و فى الأصل: المعاطفة. (٩) من ظ، و فى الأصل: لطمع (١٠) فى ظ: المودية - كذا (١١) فى ظ: رجع (١٢) زيد بعده فى ظ: ضالة.

﴿ و ما انا ﴾ أى إذ ذاك على شىء من الهداية لأعد ﴿ من المهتدين * ﴾ .

و لما كان طلبهم للآيات - أى / العلامات[1] الدالة على الصدق تارة ٢٠٦ /
بالرحمة فى إنزال الأنهار و الكنوز و[2] إراحة الحياة[3] ، و تارة بالعذاب
من إيقاع السماء عليهم كسفا و نحو ذلك - ليس فى يده و لا عنده
تعين وقت نزوله ، و أمره هنا أن يصرح لهم بالمباينة[3] و يؤيسهم من ٥
الملاينة ما داموا على المداهنة ، أمره[4] بأن يخبرهم[5] بما هو متمكن فيه من
النور و ما هم فيه من العمى بقوله : ﴿ قل انى ﴾ و أشار إلى تمكنه
فى الأدلة الظاهرة و الحجج القاهرة بحرف الاستعلاء فقال : ﴿ على بينة ﴾
أى إن[6] العدو إنما يصانع عدوه إما لعدم الثقة بالنصرة عليه و تعذيبه
بعداوته ، [و -[7]] إما لعدم وثوقه بأنه على الحق ، و أما أنا فواثق بكلا ١٠
الأمرين ﴿ من ربى ﴾ أى المحسن إلىّ بارسالى بعد الكشف التام لى عن
سر[8] الملك و الملكوت ﴿ و ﴾ الحال أنكم ﴿ كذبتم به[4] ﴾ أى ربى
حيث رددتم رسالته فهو منتقم منكم لا محالة .

و لما قيل ذلك ، فرض أن لسان حالهم قال : فائتنا بهذه البينة !
فقال : إن ربى تام القدرة ، فلا يخاف الفوت فلا يعجل ، و أما أنا ١٥
فعبد ﴿ ما عندى ﴾ أى [فى -[7]] قدرتى و إمكانى ﴿ ما تستعجلون به[4] ﴾
أى فى قولكم "امطر علينا حجارة من السماء" و نحوه حتى أحكم فيكم[6] بما يقتضيه

(١) فى ظ : العاملات (٢-٢) فى ظ : ازاحة الجبال - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : المباينة (٤) فى ظ : امرهم (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : بانا نخبرهم . (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : شرك .

طبع البشر من العجلة[١] ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ الحكم ﴾ فى شىء من الأشياء هذا و غيره ﴿ الا لله[٤] ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا كفوء له ، ثم استأنف قوله مبينا أنه سبحانه يأتى بالأمر فى الوقت الذى حده[٢] له على ما هو الأليق به من غير قدرة لأحد غيره على تقديم و لا تأخير

٥ فقال : ﴿ يقض[٣] ﴾ أى يفصل و ينفذ بالتقديم و التأخير ، و هو معنى قراءة الحرميين و عاصم "يقص" أى يقطع القضاء أو القصص ﴿ الحق ﴾ و يظهره فيفصله من الباطل و يوضحه ، ليتبعه من قضى بسعادته ، و يتنكب عنه من حكم بشقاوته ﴿ و هو خير الفٰصلين ﴾ لأنه إذا أراد ذلك لم يدع لبسا لمن يريد هدايته ، و جعل فى ذلك الظاهر سببا[٤] لمن

١٠ يريد ضلالته ؛ ثم أكد ذلك لمن زاد قلبه فى الجلافة مبينا ما فى غيره من[٥] وخيم العاقبة فقال : ﴿ قل لو ان عندى ﴾ أى على سبيل الفرض[٥] ﴿ ما تستعجلون به ﴾ أى من العذاب ﴿ لقضى ﴾ و بناه للمفعول لأن المخوف إنما هو الإهلاك[٦] ، لا كونه من معين ﴿ الامر بينى و بينكم[٦] ﴾ أى فكنت أهلك [من -[٧]] خالفنى[٨] غضبا لربى بما[٨] ظهر لى منه من التكبر

١٥ عليه ، و قد يكون فيهم مَنْ كُتِبَ فى ديوان السعداء ، لكنه لم يكن الأمر

(١) زيد بعده فى الأصل : ما عندى ما تستعجلون به اى حتى احكم فيكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) فى ظ : حد (٣) فى ظ : يقضى ـ كذا باثبات الياء و الصواب ما فى الأصل ، و قال فى روح المعانى ٢ / ٤٨٩ : و حذفت الياء فى الخط تبعا لحذفها فى اللفظ لالتقاء الساكنين (٤) فى ظ : شبها (٥) سقط من ظ . (٦) فى ظ : الهلاك (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : خالفين . (٩) فى ظ : لما .

إلىّ لأنى لا أعلم الظالم عند الله من غيره ، فليس الأمر إلا إلى الله ، لأنه أعلم بالمنصفين فينجيهم ﴿ والله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ اعلم بالظلمين ٥ ﴾ أى المكتوبين فى ديوان الظلمة فيهلكهم .

ولما كانت هذه الآيات مثبتة لجزئيات من علمه تعالى وقدرته ، وكان ختامها العلم بالظالم وغيره ، أتبعها الاختصاص بما هو أعم من ذلك ، وهو علم مفاتح الغيب الذى لا يصل إليه إلا من حازها ، إذ لا يطلع على الخزائن إلا من فتحها ، ولا يفتحها إلا من حاز مفاتيحها وعلم كيف يفتح بها ، فاثبات ذلك فى هذا الأسلوب من باب الترقية فى مراقى الاعتقاد من درجة كاملة إلى أكمل منها ، فقال عاطفا على معنى ما سبق ، وهو : فعنده خاصة[1] جميع ذلك : ﴿ وعنده ﴾ أى وحده ﴿ مفاتح الغيب ﴾ [أى -[2]] التى[3] لا يدرك الغيب إلا من علمها .

ولما كان معنى ذلك الاختصاص ، صرح به فى قوله : ﴿ لا يعلمها الا هو[4] ﴾ وتخصيصها بالنفى دون الخزائن دال على ما فهمته من أن التقييد [فيها -[2]] بـ "لكم" يفهم أنه يجوز / أن نقول[4] ذلك للمؤمنين[5] . / ٢٠٧

ولما ذكر علم الغيب ، أتبعه علم الشهادة ، لأن القضايا العقلية المحضة يصعب تحصيل العلم[6] بها على سبيل التمام إلا للكُمَّل من الأنام

(١) فى ظ : حاصله (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : الذى (٤) فى ظ : يقول (٥) زيد بعده فى الأصل : ما يعم الثابت والمنتقل ، خص المنتقل تنصيصا على الجزئيات وتعظيما للعلم بتعظيم المعلومات ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها ، وستأتى فى موضعها الأليق بها (٦) سقط من ظ .

الذين[1] تجردوا فتعودوا[2] استحضار المعقولات المجردة ، و القرآن إنما أنزل لنفع[3] جميع الخلق : الذكى منهم و الغبى[4] ، فكان ذكر المحسوسات الداخلة تحت القضية العقلية الكلية معينا على تصور ذلك المعقول و رسوخه فى القلب ، فقال مؤكدا لهذا المعقول الكلى المجرد بمثال[5] داخل تحته[6] يجرى مجرى المحسوس ، و عطفه بالواو عطف الخاص على العام إشارة إلى تعظيمه فقال : ﴿ و يعلم ما فى البر ﴾ و قدمه لأن الإنسان أكثر ملابسة له بما فيه من القرى و المدن و المفاوز و الجبال و التلال و كثرة ما بها من الحيوان [7]و النبات[7] النجم[8] و ذى الساق و المعادن ﴿ و البحر[9] ﴾ و أخره لأن إحاطة العقل بأحواله أقل و إن كان الحس يدل على أن عجائبها أكثر ، و طولها و عرضها أعظم ، و ما فيها من الحيوانات و أجناس المخلوقات أعجب ، فكان هذا الأمر المحسوس مقويا لعظمة ذلك الأمر المعقول .

و لما ذكر ما يعم الثابت و المنتقل ، خص المنتقل تنصيصا على الجزئيات و تعظيما للعلم بتعظيم المعلومات فقال : ﴿ و ما تسقط ﴾ و أغرق فى النفى بقوله : ﴿ من ورقة ﴾ و نكرها إتماما للتعميم ﴿ الا يعلمها ﴾ و لما كان هذا مع عظمه ظاهرا ، ذكر ما هو أدق منه فقال : ﴿ و لا ﴾ أى

(١) فى ظ : الذى (٢) فى الأصل : فيعودوا ، و فى ظ : فتعود (٣) من ظ ، و فى الأصل : النفع (٤) فى ظ : الغنى (٥) من ظ ، و فى الأصل : لمثال (٦) فى ظ : تحت (٧ = ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : الجم ، و النجم من النبات ما لا ساق له .

و ما[1] من ﴿ حبة ﴾ و دل على أن الأرض ليس لها من نفسها نور تنبيها على ما أودع هذا الآدمى المكوّن منها من الغرائب بقوله: ﴿ فى ظلمٰت الارض ﴾ أى و لو كان فى أقصى بطنها، فكيف بما هو فى النور و هو أكبر[2] من الحبة.

و لما خص، رجع إلى التعميم ردا للآخر على الأول فقال: ٥ ﴿ و لا رطب و لا يابس ﴾ أى وجد أو لم يوجد أو[3] سيوجد ﴿ الا فى كتٰب مبين ۝ ﴾ أى موضح لأحواله و أعيانه و كل أموره و أحيانه[4]، فثبت أنه فاعل لجميع العالم بجواهره و أعراضه على سبيل الإحكام و الإتقان، لأنه وحده عالم بجميع المعلومات، و من اختص بعلم جميع المعلومات كان مختصا بصنع جميع المصنوعات و قادرا على ١٠ جميع المقدورات.

و لما كان من مفاتح الغيب الموت و البعث الذى ينكرونه، و كان من أدلته العظيمة النوم و الإيقاظ منه مع ما فيه من الإحسان المتكرر، و كان فيه مع ذلك تقرير لكمال[5] القدرة بعد تقريره لكمال العلم، أتبع ذلك قوله: ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى يتوفىٰكم ﴾ أى يقبض أرواحكم ١٥ كاملة بحيث لا يبقى عندكم شعور أصلا، فيمنعكم التصرف بالنوم كما يمنعكم بالموت، و ذكر الأصل فى ذلك فقال: ﴿ باليّل و يعلم ﴾ أى و الحال أنه يعلم ﴿ ما جرحتم ﴾ أى كسبتم ﴿ بالنهار ﴾ أى الذى

(١) فى ظ: لا (٢) من ظ، و فى الأصل: اكرم (٣) فى الأصل و ظ «و».
(٤) فى ظ: اختانه (٥) فى ظ: الكال.

تعقبه[1] النوم، من الذنوب الموجبة للاهلاك، و يعاملكم فيها بالحلم بعد العلم و لا يعجل عليكم، و هو معنى ﴿ثم يبعثكم﴾ أى يوقظكم بعد ذلك النوم المستغرق، فيصرفكم فيما يشاء ﴿فيه﴾ أى فى النهار الذى تعقب[2] ذلك النوم[3] بعد استحقاقكم للانتقام ﴿ليقضى﴾ أى يتم ﴿اجل مسمى[4]﴾

٥ كتبه للموتة الكبرى.

[4] و لما تمهد بهذا النشر بعد ذاك الطى فى الموتة الصغرى القدرة على مثل ذلك فى الموتة الكبرى[4]، و كان فيه تقريب عظيم [له -[5]] قال: ﴿ثم﴾ [6] يبعثكم من تلك الموتة كما بعثكم من هذه، و يكون[6] ﴿اليه﴾ [4] أى وحده[4] ﴿مرجعكم﴾ أى حسا[7] بالحشر إلى دار الجزاء،

١٠ و معنى / بانقطاع الأسباب على ما عهد فى الدنيا ﴿ثم﴾ بعد تلك[8] المواقف الطوال و الزلازل و الأهوال، [و يمكن أن تشير أداة التراخى إلى عظمة العلم بذلك، و إليه يرشد أكثر ما قبله من السياق -[5]] ﴿ينبئكم﴾ أى يخبركم إخبارا عظيما جليلا مستقصى ﴿بما كنتم تعملون﴾ أى فيجازيكم عليه، و لعله عبر بالعمل لأن الحساب يكون على المكلفين

١٥ الذين لهم أهلية العلم، فتقرر - مع كمال قدرته سبحانه على اختراع هذه الأشياء و العلم بها- استقلاله[9] بحفظها فى[10] كل حال و تدبيرها[11] على

(١) فى ظ: يعقبه (٢) فى ظ: يعقب (٣) فى ظ: اليوم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ (٦ - ٦) تأخر ما بين الرقمين فى ظ عن «اليه» (٧) فى ظ: حسيا (٨) فى ظ: ذلك (٩) من ظ، و فى الأصل: استقلالا له - كذا (١٠) من ظ، و فى الأصل: من (١١) من ظ، و فى الأصل: يديرها.

أحسن وجه .

و لما أخبر بتمام العلم و القدرة ، أخبر بغالب سلطنته و عظيم جبروته و أن أفعاله هذه على سبيل القهر لا يستطاع مخالفتها ، فلو بالغ أحد فى الاجتهاد فى أن ينام فى غير وقته ما قدر ، أو أن يقوم وقت النوم لعجز ، أو أن يحيي وقت الموت لم يستطع إلى غير ذلك فقال : ٥ ﴿ و هو ﴾ أى يفعل ذلك و الحال أنه وحده بما له من غيب الغيب و حجب الكبرياء[1] ﴿ القاهر ﴾ و صور ذلك بقوله : ﴿ فوق عباده ﴾ أى فى الإحاطة بالعلم و الفعل ، أما قهره للعدم[2] فبالتكوين[3] و الإيجاد ، و أما قهره للوجود[4] فبالإفناء و الإفساد بنقل الممكن من العدم إلى الوجود تارة و[5] من الوجود إلى العدم أخرى ، فيقهر النور بالظلمة و الظلمة ١٠ بالنور ، و النهار بالليل و الليل بالنهار - إلى غير ذلك من ضروب الكائنات و صروف[6] الممكنات ﴿ و يرسل ﴾ و رجع إلى الخطاب لأنه أصرح فقال : ﴿ عليكم ﴾ من ملائكته ﴿ حفظة[8] ﴾ أى يحفظون عليكم كل حركة و سكون لتستحيوا منهم و تخافوا[7] عاقبة كتابتهم . و يقوم عليكم بشهادتهم الحجة على مجارى عاداتكم ، و إلا فهو سبحانه غني عنهم ، لأنه العالم القادر ١٥ فيحفظونكم على حسب مراده فيكم ﴿ حتى اذا جاء ﴾ .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الكبر (٢) فى ظ : بالعدم (٣) من ظ ، و فى الأصل : فبالسكون (٤) من ظ ، و فى الأصل : بموجود (٥) تقدمت فى ظ على « تارة » .
(٦) فى ظ : صنوف (٧) من ظ ، و فى الأصل : يخافوا .

و لما كان تقديم المفعول أخوف قال : ﴿ احدكم الموت ﴾ أى الذى لا محيد له عنه و لا محيص ﴿ توفته ﴾ أى أخذت روحه كاملة ﴿ رسلنا ﴾ من ملك الموت و أعوانه على ما لهم من العظمة بالإضافة إلينا ﴿ و هم لا يفرطون ه ﴾ فى نفس واحد و لا ما دونه و لا ما فوقه بالتوانى عنه[1] ليتقدم ذلك عن وقته أو يتأخر ؛ و لما أشار سبحانه إلى قوته بالجنود التى تفوت الحصر - و إن كان عنهم غنيا بصفة [القهر[2]] - نبه[3] بصيغة المجهول إلى استحضار عظمته و شامل جبروته و قدرته فقال : ﴿ ثم ﴾ أى بعد حبسهم فى قيد البرزخ ﴿ ردوا ﴾ أى ردهم راد[4] منه لا يستطيعون دفاعه أصلا ﴿ الى الله ﴾ أى الذى لا تحد عظمته و لا تعد جنوده و خدمته ﴿ مولٰهم ﴾ أى مبدعهم و مدبر أمورهم[5] كلها ﴿ الحق[6] ﴾ أى الثابت الولاية ، و كل ولاية غير ولايته من الحفظة و غيرهم عدم ، لأن الحفظة لا يعلمون إلا ما ظهر لهم ، و هو سبحانه يعلم السر و أخفى .

و لما استحضر المخاطب عزته و قهره ، و تصور جبروته و كبره ، فتأهل[6] قلبه و سمعه لما يلقى إليه و يتلى عليه ، قال : ﴿ الا له ﴾ أى وحده [حقا -[2]] ﴿ الحكم قف ﴾ و لما كان الانفراد بالحكم بين جميع الخلق أمرا يحير الفكر ، و لا يكاد يدخل تحت الوهم ، قال محقرا فى جنب قدرته :

---

(١) فى ظ : منه (٢) زيد من ظ (٣) فى الأصل و ظ : منه - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : رادا (٥) من ظ ، و فى الأصل : امرهم (٦) فى ظ : فتامل .

﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ اسرع الحسبين ﴾ يفصل بين الخلائق كلهم فى أسرع من اللمح كما أنه يقسم أرزاقهم فى الدنيا فى مثل[1] ذلك ، لا يقدر أحد[2] أن ينفك عن عقابه بمطاولة[3] فى الحساب و لا مغالطة[4] فى ثواب و لا عقاب ، لأنه سبحانه لا يحتاج إلى فكر و روية و لا عقد و [لا -[5]] كتابة ، فلا يشغله حساب[6] عن حساب[6] و لا شىء عن شىء . ٥

و لما تعرف بأفعاله و شؤنه حتى اتضحت وحدانيته و ثبتت فردانيته ، ذكرهم أحوالهم فى [7]إقرار توحيده[7] وقت الشدائد و الرجوع عن ذلك عند الإنجاء منها ، فكانوا كمن طلب من شخص شيئا و أكد له الميثاق / على الشكر ، فلما أحسن إليه باعطائه سؤله نقض عهده و بالغ فى الكفر[8] ، / ٢٠٩ و ذلك عندهم فى غاية من القبائح لا توصف[9] فقال : ﴿ قل ﴾ أى ١٠ لهؤلاء الذين يدعون محاسن الأعمال ﴿ من ينجيكم ﴾ أى كثيرا و عظيما ﴿ من ظلمت البر و البحر ﴾ أى حيث لا هداية لكم بنجم و لا جبل و لا غيرهما ، أو عبر بالظلمات عن الكروب[10] التى بلغت شدتها [إلى أن صاحبها يكون كأنه فى أشد ظلام ، فهو بحيث -[5]] أنه لا يهتدى فيها إلى وجه حيلة بنوع وسيلة ﴿ تدعونه ﴾ أى على وجه الإخلاص له و التوحيد ١٥ و الإعراض عن كل شرك[11] و شريك لزوال الحظوظ عند إحاطة الرعب

(١) من ظ ، و فى الأصل : نقل (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : مطاولة (٤) من ظ ، و فى الأصل : مغاطة (٥) زيد من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٧-٧) فى ظ : الافراد بتوحيده (٨) فى ظ : الفكر (٩) فى ظ : لا يوصف (١٠) من ظ ، و فى الأصل : الكرب (١١) من ظ ، و فى الأصل : شريك .

واستيلائه على مجامع القلب ، فلا يبقى إلا الفطرة السليمة ؛ قال الإمام عبد الحق الإشبيلي في كتابه الواعي : ﴿ تضرعا ﴾ أي مظهرين الضراعة ، وهي شدة الفقر ، وحقيقته[1] الخشوع ﴿و﴾ قوله : ﴿خفية[4]﴾ أي تخفون في أنفسكم مثل ما تظهرون ؛ قال شمر[2] : يقال : ضرع له وضرع وتضرع أي تخشع[3] وذل ؛ ثم قال : وضرع الرجل يضرع ضرعا - إذا استكان وذل ، وهو ضارع بيّن الضراعة ، وهؤلاء قوم ضرع ، أي إذلاء ، وهم ضرعة أي متضرعون ، والتضرع إلى الله : التخشع إليه والتذلل ، وإذا كان الرجل مختل الجسم قلت : إنه لضارع الجسم بيّن الضروع ، وفي الذل بيّن الضراعة - انتهى .

ولما بين وصفهم[4] وقت الدعاء ، بين قولهم إذ ذاك فقال[5] : ﴿ لئن انجيتنا[6] من هذه ﴾ فأكدوا وخصوا وبينوا[5] غاية البيان ﴿ لنكونن من الشكرين ٥ ﴾ أي العريقين في الشكر ؛ ولما كانوا مقرين بأن فاعل ذلك هو الله ، ولكنهم يكفرون نعمته ، عدوا منكرين ، فأمره بالجواب غير منتظر لجوابهم بقوله : ﴿ قل الله ﴾ أي الذي له جميع العظمة ﴿ ينجيكم منها ﴾ أي [من -[7]] تلك الشدة ﴿ومن كل كرب﴾

(١) في ظ : حقيقة (٢) في ظ : سمر - كذا ، والصواب ما في الأصل ، وهو شمر بن حمدويه الهروي - راجع معجم المؤلفين ٤ / ٣٠٦ (٣) من ظ ، وفي الأصل : يخشع (٤) في ظ : صفتهم (٥) سقط من ظ (٦) وقرأ أهل الكوفة : أنجانا - بلفظ الغيبة مراعاة لتدعونه دون حكاية خطابهم في حالة الدعاء - راجع روح المعاني ٢ / ٤٩٦ (٧) زيد من ظ .

أي

أى وقعتم فيه ، و ما أعظم موقع قولُه : ﴿ ثم انتم ﴾ مع التزام الإخلاص فى وقت الكرب و مع التزام الشكر ﴿ تشركون[1] ﴾ مشيرا إلى استبعاد نقضهم بأداة التراخى مع ما فيه من الجناس لما كان ينبغى لهم من أنهم يشكرون[2] .

و لما كانوا باشراكهم[3] كأنهم[4] يظنون أن الشدة زالت عنهم زوالا لا يعود ، و كان اللائق بهم دوام التذلل إما وفاء و إما خوفا ، أخبرهم ترهيبا لهم من سطوته و تحذيرا من بالغ قدرته أن[5] شدتهم تلك التى[6] أذلتهم لم تزل فى الحقيقة ، فان قدرة الملك عليها حالة[7] الرخاء كقدرته عليها فى وقتها سواء ، فانه[8] خالق الحالتين و أسبابهما و ما فيهما ، و لكنهم عمى الأبصار[9] أجلاف الطبائع فقال : ﴿ قل هو ﴾ أى وحده ﴿ القادر ﴾ [و لم يصغه صيغة مبالغة لأنهم لم يكونوا ينكرون قدرته إنما كانوا يدعون المشاركة [10] التى نفاها[10] بالتخصيص ، على أن التعريف يفيد به المبالغة -[11]] ﴿ علىٰ ان يبعث ﴾ أى فى أىّ[12] وقت يريده[13] ﴿ عليكم ﴾ أى فى كل حالة ﴿ عذابا من فوقكم ﴾ باسقاط السماء قطعا أو شىء منها كالحجارة التى حصب[14] بها قوم لوط و أصحاب الفيل أو[15] بتسليط أكابركم

(١) من ظ و القرآن الكريم . و فى الأصل : تشكرون (٢) فى ظ : يشركون.
(٣) فى ظ : باشرافهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : كانوا (٥) فى ظ : الى .
(٦) فى ظ الذى (٧) فى ظ : حال (٨) من ظ ، و فى الأصل : فان (٩) فى الأصل : الابصارر ، و فى ظ : البصاير (١٠ - ١٠) فى ظ : الذى نفاه (١١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (١٢) فى ظ : كل (١٣) من ظ ، و فى الأصل : يريد (١٤) فى ظ : خصت (١٥) من ظ ، و فى الأصل « و » .

﴿ او من تحت ارجلكم ﴾ أى بالخسف أو إثارة[1] الحيات أو غيرها[2] من الأرض كما وقع لبعض من سلف ، أو بتسليط سفلتكم و عبيدكم [عليكم -[3]] ﴿ او يلبسكم ﴾ أى يخلط بينكم حال كونكم ﴿ شيعا ﴾ أى متفرقين ، كل شيعة على هوى ، فيكون ذلك سببا للسيف ﴿ و يذيق بعضكم ﴾ أى بعض تلك الشيع ﴿ باس بعض[4] ﴾ فيساوى فى ذلك بين الحرم و غيره ، و يصير التخطف بالنهب و الغارات عاما ، و سوق هذا الكلام هكذا يفهم إيقاعه فى وقت ما لناس ما ، لأن كلام الملوك يصان عن أن لا يكون له صورة توجد و إن كان على سبيل الشرط و نحوه ، فكيف بملك الملوك علام الغيوب ! و للتدريب على مثل هذا الفهم فى كلام الله تعالى قال النبى صلى الله عليه و سلم فيما رواه الترمذى فى التفسير عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه : أما إنها كائنة . و لم يأت تأويلها بعد . و قال : حسن غريب ، / و سيأتى لهذا مزيد بسط و تحقيق فى قوله تعالى فى الفرقان / ٢١٠ " تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك[4] " - الآية .

و لما كان هذا بيانا عظيما ، أشار إلى عظمه بقوله : ﴿ انظر ﴾ و عظمه تعظيما آخر بالاستفهام فقال ﴿ كيف نصرف[5] الأيٰت ﴾ أى أى نكررها[6] موجهة فى جميع [الوجوه -[3]] البديعة النافعة البليغة ﴿ لعلهم يفقهون ﴾ أى ليكون حالهم حال من يرجى فهمه و انتفاعه به ، كان هذا ﴿ و ﴾ الحال أنه ﴿ كذب به ﴾ أى هذا العذاب

(١) فى ظ : اشارة (٢) من ظ ، و فى الأصل : غيرهما (٣) زيد من ظ (٤) آية ١٠٣ (٥) فى ظ : يصرف (٦) فى ظ : يكررها .

أو القرآن المشتمل على الوعد و الوعيد و الأسباب المبينة للخلق جميع ما ينفعهم ليلزموه[1] و ما يضرهم ليحذروه[2] ﴿ قومك ﴾ أى الذين من حقهم أن يقوموا بجميع أمرك و يسروا بسيادتك ، فان القبيلة إذا ساد أحدها عزت به ، فان عزه عزها و شرفه شرفها ، و لا سيما إذا كان[3] من بيت الشرف و معدن السيادة ، و إذا سفل أحدها اهتمت به غاية الاهتمام و سترت عيوبه مهما أمكنها[4] فان عاره لاحق بها ، فهو من عظيم التوبيخ لهم[5] و دقيق التقريع ، و زاد ذلك بقوله : ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ الحق[6] ﴾ أى الثابت الذى لا يضره التكذيب به و لا يمكن زواله .

و لما كان الإنسان ربما حصل له اللوم بسبب قومه ، كان صلى الله عليه و سلم فى هذا المقام بمعرض أن يخاف عاقبة ذلك و يقول: فما ذا[6] أصنع بهم ؟ فقال تعالى معلما أنه ليس عليه بأس من تكذيبهم : ﴿ قل لست ﴾ و قدم الجار و المجرور للاهتمام به معبرا بالأداة الدالة على القهر و الغلبة فقال[7] : ﴿ عليكم بوكيل[8] ﴾ أى حفيظ و رقيب لأقهركم على الرد عما أنتم فيه .

و لما كانوا بصدد أن يقولوا تهكما : كن كذلك ، فلا علينا[8] منك ! قال مهددا : ﴿ لكل ﴾ و أشار إلى جلالة خبره بقوله : ﴿ نبأ ﴾ [أى خبر أخبرتكم به من هذه الأخبار العظيمة -[9]] ، و معنى ﴿ مستقر ﴾

(١) فى ظ : فيلزموه (٢) من ظ ، و فى الأصل : ليحذرون (٣) فى ظ : كانت - كذا (٤) فى ظ : امهلها (٥) فى ظ : بهم (٦) فى ظ : فما (٧) سقط من ظ .
(٨) فى ظ : عليك (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

موضع [1] و وقت [1] قرار من صدق أو كذب ، أى لا بد أن [يحط - [2]] الخبر على واحد منهما [2] ، لا ينفك خبر من الأخبار عن ذلك ﴿ و سوف تعلمون ﴾ أى محط خبره العظيم بوعد صادق [4] لا خلف فيه و إن تأخر وقوعه .

٥ و لما أمره بما يقول جوابا لتكذيبهم ، تقدم إليه فيما يفعل وقت خوضهم فى التكذيب فقال : ﴿ و اذا رايت ﴾ خاطب النبى صلى الله عليه و سلم و المراد غيره ليكون أردع ﴿ الذين يخوضون ﴾ أى يتكلمون ﴿ فى ايتنا ﴾ أى بغير تأمل و لا بصيرة بل طوع الهوى ، كما يفعل خائض الماء فى وضعه لرجله على غير بصيرة لستر [5] مواضع الخطا

١٠ و بغير [6] تمام الاختيار لغلبة [7] الماء ﴿ فاعرض عنهم ﴾ بترك المجالسة أو ما يقوم مقامها ؛ و لما كان الخوض فى الآيات دالا على قلة العقل قال : ﴿ حتى يخوضوا فى حديث غيره [5] ﴾ فحكم على حديثهم فيما سوى ذلك أيضا بالخوض ، لأن فيه العبث و السمين ، لأنه غير مقيد بنظام الشرع .

١٥ و لما كان الله تعالى - و له الحمد - قد رفع حكم النسيان عن هذه الأمة [4] ، قال مؤكدا : ﴿ و اما ينسينك الشيطن ﴾ أى إنساء عظيما إشارة إلى أن مثل هذا الأمر جدير بأن لا ينسى ﴿ فلا تقعد بعد الذكرى ﴾ أى

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : منها (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لسند .
(٦) فى ظ : تغير (٧) من ظ ، و فى الأصل : اغسله - كذا .

التذكر لهذا النهى ﴿ مع القوم الظلمين ﴾ أظهر موضع الإضمار تعميما و دلالة على الوصف الذى هو سبب الخوض ، و هو الكون فى الظلام .

و لما كانت هذه الآية [1] مكية ، و كانوا إذ ذاك عاجزين عن [2] الإنكار بغير القلب ، قال : ﴿ و ما على الذين يتقون ﴾ أى يخافون الله فلا يكذبون بآياته [فى مجالسة الكفرة - [3]] ﴿ من حسابهم ﴾ أى الخائضين إذا كانوا ٥ أقوى منهم ﴿ من شىء ﴾ و ما نهينا عن المجالسة لأن عليهم فيها - و الحالة هذه - إنما ﴿ و لكن ﴾ نهينا لتكون المفارقة إظهارا للكراهة [4] ﴿ ذكرى ﴾ للخائضين لاستحيائهم من أذى الجليس [5] ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أى ليكون حالهم بذلك حال من يرجى منه التقوى ، فيجتنب الخوض فى الآيات / إكراما للجليس . ١٠ /٢١١

و لما أبرز هذا الأمر فى صيغة النهى ، أعاده بصيغة الأمر اهتماما به [1] و تأكيدا له ، و أظهر لهم وصفا آخر هو غاية الوصف الأول مع ما ضم إليه من الإرشاد إلى الإنقاذ من المعاطب [6] فقال : ﴿ و ذر ﴾ أى اترك [7] أى ترك كان [7] و لو كان على أدنى الوجوه ﴿ الذين اتخذوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم فى اتباع الهوى بمخالفة العقل المستقيم و الطبع الفطرى ١٥ السليم بأن أخذوا ﴿ دينهم ﴾ على نمط الأسخف من دنياهم ؛ [و لما كان

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : الكراهة (٥) من ظ ، و فى الأصل : الحس (٦) فى ظ : المخاطب (٧ - ٧) موضعه فى ظ : و ما يتبعه من البحاير و السوايب و نحو ذلك فلا تبال بهم و لا يشغل قلبك أمرهم - كذا ، و هذه العبارة ستأتى بفرق يسير .

الدين ملكة راسخة فى النفس ، [1] و لا شىء [1] من كيفيات النفس أرسخ منها و لا أثبت ، و هو أشرف ما عند الإنسان ، و كان اللعب ضده لا شىء أسرع من انقضائه و لا أوهى من بنائه ، قال ذامًّا [2] لهم بأنهم بدلوا مقصود هذه السورة - الذى هو من الاستدلال على التوحيد الذى لا أشرف منه مطلقا و لا أعلى و لا أنفس بوجه و لا أحلى - بما لا أدنى منه و لا أوهى و لا أحق للمروءة و لا أدهى -[3]] : ﴿ لعبا ﴾ [و لما كان ربما قيل : إنهم إذا انقضى اللعب عادوا إلى الاشتغال بالدين ، أتبعه الباعث عليه إشارة إلى أنه كلما ملوا اللعب بعثوا النفوس إليه باللهو كما ترى الراقص كلما فتر فى رقصه بعثوه عليه بتقوية اللهو أو الانتقال من فن إلى آخر من فنونه و شأن بديع من شؤنه [4] فقال -[3]] : ﴿ و لهوا ﴾ [أى -[3]] فى الاستهزاء بالدين الحق [5] بالمكاء و التصدية و بالبحائر و السوائب و غير ذلك ، فلا تبال بهم و لا يشغل قلبك بهم [5] ﴿ و غرتهم ﴾ أى خدعتهم ﴿ الحيوة الدنيا ﴾ التى هم من أعرف الناس بزوالها ، و أن كل من بها هالك ، فمنّيهم النعم التى منّ عليهم سبحانه بها فيما لا ينالونه من السعادة إلا باتباع أوامره و اجتناب نواهيه .

و لما كان ربما أفهم ذلك تركهم فى كل حالة ، نفاه بقوله : ﴿ و ذكر به ﴾ أى تحديث [6] الآيات ، و هى القرآن المتجدد إنزاله ،

(١ - ١) فى ظ : الاسى - كذا (٢) فى ظ : اذا ما - كذا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ : شانه (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) من ظ ، و فى الأصل : تحذير .

و الضمير فى الحقيقة للآيات ، أى دعهم[1] يفعلوا ما أرادوا ، لا تبال بشىء[2] من ذلك ، و لا تترك[3] وعظهم بهذا القرآن ، أى ما عليك إلا البلاغ ، لم نكلفك[4] فى هذه الحالة أكثر[5] منه ﴿ ان تبسل ﴾ قال فى المجمل : البسل : النخل[6] ، و أبسلته : أسلمته للهلكة[7] ، فالمعنى : كراهة أن تخلى و تسلم ﴿نفس بما﴾ أى بسبب ما ﴿كسبت ق﴾ فى دنياها كائنة ﴿ليس لها من دون الله﴾ أى المنفرد بالعظمة ﴿ولى﴾ أى يتولى[8] نصرها ﴿و لا شفيع ج﴾ ينقذها بشفاعته .

و لما كان الفداء من أسباب الخلاص قال : ﴿ و ان تعدل ﴾ أى تلك النفس لأجل التوصل إلى الفكاك ﴿ كل عدل ﴾ أى كل شىء يظن أنه يعدلها و لو[9] كان أنفس[10] شىء ؛ [11]و لما[11] كان الضار عدم الأخذ ، لا كونه من معين ، بنى للمفعول قوله : ﴿ لا يؤخذ منها ط ﴾ و لما أنتج[12] ذلك قطعا أن من هذا حاله هالك ، قال : ﴿ اولئك ﴾ أى الذين عملوا[13] هذه الأعمال البعيدة عن الخير ﴿الذين ابسلوا﴾ أى أسلموا ﴿ بما كسبوا ع ﴾ ثم استأنف قوله[14] : ﴿لهم شراب من حميم﴾ أى هو فى غاية الحر يصهر به

(١) من ظ ، و فى الأصل : دعاهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : شىء (٣) فى الأصل و ظ : لا يترك (٤) فى ظ : لم تكلف (٥) من ظ ، و فى الأصل : لاكثر (٦) فى ظ : المحل (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : متول (٩) فى ظ : لما (١٠) فى ظ : الشىء (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) زيد بعده فى ظ : من (١٣) من ظ ، و فى الأصل : عهدوا (١٤) من ظ ، و فى الأصل : بقوله .

ما فى بطونهم ، بما اعتقدوا فى الآيات ما ظهر على ألسنتهم ﴿ و عذاب اليم ﴾ أى يعم دائما ظواهرهم و بواطنهم بما ظهر عليهم من ذلك بعد ما بطن ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كانوا يكفرون ﴾ أى يجددون[1] من تغطية الآيات.

و لما تقرر أن غير الله لا يمنع من الله بنوع[2] ، لا آلهتهم التى زعموا أنها[3] شفعاؤهم و لا غيرها ، ثبت أنهم على غاية البينة من أن كل ما سواه لا ينفع شيئا و لا يضر ، فكان فى غاية التبكيت لهم[4] قوله : ﴿ قل ﴾ أى بعد ما أقمت[5] من الأدلة على أنه ليس لأحد مع الله أمر ، منكرا عليهم موبخا لهم ﴿ أندعوا ﴾ أى دعاء عبادة ، و بين حقارة معبوداتهم فقال : ﴿ من دون الله ﴾ أى[4] المنفرد بجميع الأمر .

و لما كان السياق لتعداد النعم " الذى خلق السموت و الارض " " خلقكم من طين " ، " يطعم و لا يطعم " ، " و يرسل عليكم حفظة " ، " من ينجيكم من ظلمت البر و البحر " ، " الله ينجيكم منها و من كل كرب " قدم النفع فى قوله : ﴿ ما لا ينفعنا و لا يضرنا ﴾ أى لا يقدر على شىء من ذلك ، ليكونوا على غاية اليأس من[6] [7] اتباع حزب[7] الله لهم ، و هذا كالتعليل لقوله " انى نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله " :

و لما ذكر عدم المنفعة فى دعائهم ، أشار إلى وجود الخسارة فى

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يجدون (٢) زيد بعده فى ظ : منهم (٣) زيد بعده فى ظ : زعموا (٤) سقط من ظ (٥) فى ط : افهمت (٦) من ظ ، و فى الأصل : عن (٧-٧) فى ظ : ايقاع الحرب .

رجائهم فقال: ﴿ ونرد ﴾ أي برجوعنا[1] إلى الشرك، [وبناه للمفعول لأن المنكر الرد نفسه من أي راد كان -[2]] ﴿ على اعقابنا ﴾ أي فنأخذ[3] في الوجه المخالف لقصدنا فنصير كل وقت في خسارة بالبعد عن المقصود ﴿ بعد اذ هدانا الله ﴾ أي الذي لا خير إلا وهو عنده ولا ضر[4] إلا وهو قادر عليه، إلى التوجه[5] نحو المقصد، ووفقنا له وأنقذنا من الشرك. ٥

ولما صور حالهم، مثّله فقال: ﴿ كالذي ﴾ أي نرد من علو القرب[7] إلى المقصود إلى سفول البعد / عنه ردا كرد الذي ﴿ استهوته ﴾ أي طلبت نزوله [عن درجته -[8]] ﴿ الشياطين ﴾ فأنزلته عن أفق مقصده إلى حضيض معطبه، شبه حاله بحال من سقط من عال في[9] مهواة مظلمة[9] فهو في حال هوية[10] في غاية الاضطراب وتحقق التلف والعمى عن ١٠ الخلاص ﴿ في الارض ﴾ حال[11] كونه ﴿ حيران ﴾ تائها ضالا، لا يهتدي لوجهه ولا يدري كيف يسلك، ثم استأنف قوله: ﴿ له ﴾ أي هذا الذي هوى[12] ﴿ اصحب ﴾ أي عدة، ولكنه لتمكن الحيرة منه لا يقبل ﴿ يدعونه الى الهدى ﴾ وبين دعاءهم بقوله: ﴿ ائتنا[13] ﴾ وهو قد اعتسف المهمة تابعا للشياطين، لا يجيبهم ولا يأتيهم لأنه قد غلب على نفسه، ١٥ وحيل[13] بينه و[13] بين العبر والنزوان.

(١) من ظ، وفي الأصل: رجوعنا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: فياخذ (٤) من ظ، وفي الأصل: امر (٥) من ظ، وفي الأصل: التوجيه. (٧) في ظ: القرآن (٨) زيد من ظ (٩ - ٩) من ظ، وفي الأصل: مهول مظلمه (١٠) في ظ: مهوية - كذا (١١) في ظ: حالة (١٢) في ظ: هو. (١٣ - ١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و لما كان هذا مما يعرفونه و شاهدوه مرارا ، و كانوا عالمين بأن دعاء أصحابه له [1] فى غاية النصيحة و الخير ، و أنه إن تبعهم نجا ، و إلا هلك هلاكا لا تدارك له ، فكان جوابهم : إن دعاء أصحابه له [1] لهدى ، بين أنه مضمحل تافه جدا بحيث [2] أنه يجوز أن يقال : ليس هدى بالنسبة إلى ٥ هذا الذى يدعوهم إليه ، بقوله : ﴿ قل ان هدى الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿ هو ﴾ أى خاصة ﴿ الهدى [1] ﴾ أى لا غيره كدعاء أصحاب المستهوى ، بل ذاك الهدى مع إنقاذه من الهلاك [إلى - [3]] جنب هذا الهدى كلا شيء ، لأن الشيء هو الموصل إلى سعادة الأبد .

و لما كان التقدير : فقد أمرنا أن نلزمه و نترك كل [4] ما عداه ، ١٠ عطف عليه أمرا عاما فقال : ﴿ و امرنا لنسلم ﴾ أى ورد علينا الأمر ممن لا أمر لغيره بكل ما يرضيه لأن نسلم بأن نوقع الإسلام و هو الانقياد التام فنتخلى عن كل هوى ، و أن نقيم الصلاة بأن نوقعها بجميع حدودها الظاهرة و الباطنة فنتحلى [5] بفعلها أشرف حلى ﴿ لرب العلمين ﴾ أى لإحسانه إلى كل أحد بكل شيء خلقه ؛ ثم فسر المأمور به ، فكأنه ١٥ قال : أن أسلموا ﴿ و ان اقيموا الصلوة ﴾ لوجهه ﴿ و اتقوه [1] ﴾ مع ذلك ، أى افعلوها لا على وجه الهزء و اللعب ، بل على وجه التقوى و المراقبة ليدل [6] ما ظهر منها على ما بطن من الإسلام للحسن .

و لما كان التقدير : فهو الذى ابتدأ خلقكم من طين فاذا أنتم بشر مصورون [7] ، و جعلكم أحياء فبقدرته على مدى الأيام تنتشرون [8] ، عطف

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تحسب - كذا .
(٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل : فيحلى ، و فى ظ : فيتحلى .
(٦) زيد بعده فى ظ : على (٧) فى ظ : تنشرون (٨) من ظ ، و فى الأصل : تنشرون .

عليه قوله: ﴿ و هو الذى اليه ﴾ أى لا إلى غيره بعد بعثكم من الموت ﴿ تحشرون ه ﴾ فأتى بالبعث الذى هم له منكرون لكثرة ما أقام من الأدلة على تمام القدرة فى سياق دال على أنه مما لا مجال للخلاف [فيه -[1]] ، و أن النظر إنما هو فيما وراء ذلك ، و هو أن عملهم للباطل سوّغ تنزيلهم منزلة من [2]يعتقد أنه يحشر إلى غيره سبحانه ممن لا قدرة ٥ له على جزائهم ، فأخبرهم أن الحشر إليه لا إلى غيره ، لأنه[2] لا كلام هناك لسواه ، فلا علق بين المحشورين و لا تناصر كما فى الدنيا ، و الجملة مع ذلك كالتعليل للأمر بالتقوى ، و قد بان أن الآية من الاحتباك ، فانه حذف الصلاة أولا لدلالة ذكرها ثانيا ، و الإسلام ثانيا لدلالة ذكره أولا .

و لما كانوا بعبادة غيره تعالى - مع إقرارهم بأنه [هو -[1]] خالق ١٠ السماوات و الأرض - فى حال من يعتقد أن ذلك الذى يعبدونه من دونه هو الذى خلقهما ، او شاركا فيهما . فلا قدرة لغيره على حشر من فى مملكته ، قال تعالى منبها لهم من غفلتهم و موقظا من رقدتهم معيدا الدليل الذى ذكره[3] أول السورة على وجه آخر : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى خلق ﴾ أى أوجد و اخترع و قدر ﴿ السمٰوٰت و الارض ﴾ ١٥ [أى -[1]] على[4] عظمهما و فوت ما فيهما من الحكم و المنافع الحصر ﴿ بالحق ﴾ أى بسبب إقامة الحق ، و أنتم ترون أنه غير قائم فى هذه الدار و لا هو قريب من القيام ، فوجب على كل من يعلم أن الله حكيم

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل: ذكر (٤) سقط من ظ .

خبير أن يعتقد أنه لا بد من بعثة العباد [بعد -[1]] موتهم - كما وعد بذلك - ليظهر العدل بينهم ، فيبطل كل باطل[2] ويحق كل حق ، ويظهر الحكم[3] لجميع[4] الخلق .

٢١٣/ ولما قرر أن / إقامة الحق هي المراد ، قرر قدرته عليها بقوله : ﴿ ويوم يقول ﴾ أي للخلق[5] ولكل[6] شيء يريده في هذه الدار وتلك الدار ﴿ كن فيكون ﴾ أي فهو[7] يكون لا يتخلف[8] أصلا .

ولما قرر أنه لا يتخلف شيء عن أمره ، علله فقال : ﴿ قوله الحق ﴾ أي لا[9] قول غيره[9] ، لأن أكثر قول غيره باطل ، لأنه يقول شيئا فلا يكون ما أراد ؛ ولما كان في مقام الترهيب من سطوته ، قال مكررا لقوله " وهو الذي إليه تحشرون " : ﴿ وله ﴾ أي وحده بحسب الظاهر والباطن ﴿ الملك يوم ﴾ ولما كان المقصود تعظيم النفخة ، بنى للمفعول قوله : ﴿ ينفخ في الصور ﴾ لانقطاع العلائق بين الخلائق ، لا كما ترون في هذه الدار من تواصل الأسباب ، وقوله - : ﴿ عالم الغيب ﴾ وهو ما غاب عن كل ما سواه سبحانه ﴿ والشهادة ﴾ وهو ما[10] صار بحيث يطلع عليه[11] الخلق - مع كونه علة لما قبله من تمام القدرة كما سيأتي إن شاء الله تعالى [في طه -[1]] من تمام الترهيب ، أي أنه لا يخفى عليه شيء

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : بما بطل (٣) في ظ : الحكمة (٤) من ظ ، وفي الأصل : الجميع (٥) من ظ ، وفي الأصل : للحق (٦) في ظ : كل (٧) سقط من ظ . (٨) في ظ : فلا يتخلف (٩-٩) من ظ ، وفي الأصل : غير قوله (١٠) في ظ : العلائق (١١) من ظ ، وفي الأصل : على .

من

من أحوالكم، فاحذروا جزاءه يوم تنقطع[1] الأسباب، و يذهب التعاضد و التعاون، و هو على عادته سبحانه فى أنه [ما - [2]] ذكر أحوال البعث إلا قرر فيه أصلين: القدرة على جميع الممكنات، و العلم بجميع المعلومات الكليات و الجزئيات، لأنه لا يقدر على البعث إلا من جمع الوصفين ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الحكيم ﴾ أى التام الحكمة، فلا يضع شيئا فى ٥ غير محله و لا على غير إحكام، فلا معقب لأمره، فلا بد من البعث ﴿ الخبير ﴾ بجميع الموارد و المصادر، فلا خفاء لشىء[3] من أفعال أحد من الخلق عليه فى ظاهر و لا باطن ليهملهم عن الحساب.

و لما كان مضمون هذه الآيات [مضمون الآيات - [2]] الثلاث المفتتح بها السورة الهادمة[4] لمذهب الثنوية، و هم أهل فارس قوم إبراهيم ١٠ عليه السلام، و كان إبراهيم عليه السلام يعرف بفضله جميع الطوائف، لأن أكثرهم من نسله كاليهود و النصارى و المشركين من العرب، و المسلمون لما يعلمون من إخلاصه لله تعالى و انتصابه لحاجة من أشرك به و احتمال الأذى فيه سبحانه، تلاها بمحاجته [5]لهم بما[5] أبطل مذهبهم و أدحض حججهم[6] فقال: ﴿ و اذ ﴾ أى اذكر ذلك المتقدم كله لهم ١٥ فى الدلائل على اختصاصنا بالخلق و تمام القدرة، ما أعظمه و ما أجله و أضخمه! و تفكر فى عجائبه و تدبر فى دقائقه[7] و غرائبه[7] تجد ما لا يقدر على مثله إلا الله، و اذكر إذ ﴿ قال ابرٰهيم ﴾ أى اذكر قوله، و حكمة

(١) من ظ، و فى الأصل: ينقطع (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: شىء (٤) من ظ، و فى الأصل: الهادية - كذا (٥ - ٥) فى ظ: مما (٦) فى ظ: حجته (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

التذكير بوقته التنبيهُ على أن هذا لم يزل ثابتا مقررا على ألسنة جميع[١] الأنبياء فى جميع الدهور ، و كان فى هذه المحاجة التصريح بما لوح إليه [أول - [٢]] هذه[١] السورة من إبطال هذا المذهب ، و انعطف هذا على ذاك أىّ انعطاف ! و صار كأنه قيل : ثم الذين كفروا بربهم يعدلون الأصنام و النجوم و النور و الظلمة ، فنبههم يا رسول الله على ذلك بأنه لا متصرف غيرنا ، اذكر لهم أنى أنا الذى خلقتهم[٤] و خلقت جميع ما يشاهدون من الجواهر و الأعراض ، فان تنبهوا فهو حظهم ، و إلا فاذكر[٥] لهم محاجة خليلنا إبراهيم عليه السلام [إذ قال - [٢]] ﴿ لابيه ﴾ ثم بينه فى قراءة الجر[٦] بقوله : ﴿ ازر ﴾ و ناداه فى قراءة يعقوب بالضم ؛ قال البخارى فى تاريخه الكبير : إبراهيم [بن - [٢]] آزر ، و هو فى التوراة : تارح[٨] - انتهى . و قد مضى ذلك عن التوراة فى البقرة ، فلعل أحدهما لقب ، و كان أهل تلك البلاد و هم الكلدانيون ، و يقال لهم أيضا الكسدانيون - بالمهملة موضع اللام - يعتقدون إلهية النجوم فى السماء و الأصنام فى الأرض و يجعلون لكل نجم صنما ، إذا أرادوا التقرب إلى ذلك النجم عبدوا ذلك الصنم ليشفع لهم - [كما - [٢]] زعموا - إلى النجم ، فقال عليه السلام لأبيه منكرا عليه منبها له على ظهور فساد ما هو مرتكبه : / ﴿ أ تتخذ ﴾ أى أ تكلف نفسك /٢١٤

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : خلقهم (٥) من ظ ، و فى الأصل : قادر (٦) من ظ ، و فى الأصل : الخبز (٧) زيد من ظ و التاريخ الكبير ٥/١/١ (٨) و فى تاريخ اليعقوبى ١/٢٣ : تارخ .

إلى خلاف ما تدعو إليه الفطرة الأولى بأن تجعل[1] ﴿ اصناما الهة ﴾ أى تعبدها و تخضع لها و لا نفع فيها و لا ضر ، فنبهه[2] بهذا الإنكار على أن معرفة بطلان ما هو متدين به لا يحتاج إلى كثير[3] تأمل ، بل هو أمر بديهى[4] أو قريب منه ، فانهم يباشرون أمرها بجميع جوانبهم[5] و يعلمون أنها مصنوعة و ليست بصانعة ، و كثرتها تدل على بطلان إلهيتها بما أشار إليه قوله تعالى "لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا[6]" .

و لما خص بالنصيحة أقرب الخلق إليه ، عم بقية أقاربه فقال : ﴿ انى ارىك و قومك ﴾ أى فى اتفاقكم على هذا ﴿ فى ضلل ﴾ أى بُعد عن الطريق[7] المستقيم ﴿ مبين ﴾ أى ظاهر جدا ببديهة العقل مع مخالفته لكل نبى نبأه الله تعالى من آدم عليه السلام فمن بعده ، فهو مع ظهوره فى نفسه مظهر للحق من أن الإله لا يكون إلا كافيا لمن يعبده ، و إلا كان فقيرا إلى تأله من يكفيه .

و لما كان كأنه قيل : بصرنا[8] إبراهيم عليه السلام هذا التبصير[9] فى هذا الأمر الجرىء من بطلان الأصنام ، قال عاطفا عليه : ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل هذا التبصير[10] العظيم الشأن ، وحكى الحال الماضية بقوله : ﴿ نرى ﴾ أى بالبصر و البصيرة على مر الزمان و كر الشهور و الأعوام إلى ما لا

(١) من ظ ، و فى الأصل : يجعل (٢) من ظ ، و فى الأصل : فدل (٣) فى ظ : كبير (٤) فى ظ : بديه (٥) من ظ ، و فى الأصل : حواسهم - كذا (٦) سورة ٢١ آية ٢٢ (٧) فى ظ : الصراط (٨) فى ظ : نصرنا (٩) فى ظ : التنصير (١٠) فى ظ : التقصير - كذا .

آخر له [بنفسه و الصلحاء من أولاده - [1]] ﴿ ابرٰهيم ملكوت ﴾ أى باطن ملك ﴿ السمٰوٰت[2] و الارض ﴾ أى ملكهما العظيم أجمع و ما فيه من الحكم ، ليرسخ فى أمر التوحيد فيعلم[3] أن كل من عبد غير الله من صنم و[4] غيره من قومه و غيرهم فى ضلال ، كما علم ذلك فى قومه فى الأصنام ﴿ و ليكون من الموقنين ٥ ﴾ أى الراسخين فى وصف الإيقان فى أمر التوحيد كله بالنسبة إلى جميع الجزئيات لما أريناه ببصره و بصيرته ، فتأمل فيه حتى وقع [فيه - [1]] بعد علم اليقين على عين[5] اليقين بل حق اليقين .

و لما كانت الأمور السماوية مشاهدة لجميع الخلق : دانيهم و قاصيهم ، و هى أشرف من الأرضية ، فاذا بطلت صلاحيتها للالهية بطلت الأرضية من باب الأولى ؛ نصب لهم الحجاج فى أمرها ، فقال مسببا عن الإراءة المذكورة : ﴿ فلما جن ﴾ [أى - [1]] ستر و أظلم ، و قصره[6] - و إن كان متعديا - دلالة على شدة ظلام تلك الليلة ، و لذلك عداه بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليه[7] الّيل ﴾ أى وقع[8] الستر عليه ، فحجب ملكوت الأرض فشرع ينظر فى ملكوت السماء ﴿ رأٰ كوكبا ٤ ﴾ أى[7] قد بزغ ، فكأنه قيل : فما ذا[9]

(١) زيد من ظ (٢) تقدم فى الأصل على « أى باطن » و الترتيب من ظ .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : فنعلم (٤) فى ظ : او (٥) فى الأصل و ظ : غير - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : قصر (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : اوقع .
(٩) من ظ ، و فى الأصل : بما ذا .

فعل

فعل؟ فقيل: ﴿ قال هذا ربى ﴾ فكأنه[1] مِنْ بَصِره[2] أن أتى بهذا الكلام الصالح لأن يكون خبرا و استفهاما، ليوهمهم[3] أنه مخبر، فيكون ذلك أنفى[4] للغرض و أنجى من الشعب، فيكون أشد استجلابا لهم إلى إنعام النظر و تنبيها على موضع الغلط و قبول الحجة، و لمثل ذلك ختم الآية بقوله: ﴿ فلما افل ﴾ أى غاب بعد ذلك الظهور الذى كان آية[5] سلطان ﴿قال لآ احب الأفلين ﴾ [لأن -[6]] الأفول حركة، و الحركة تدل على حدوث المتحرك و إمكانه، [و لا نظن أن يظن به أنه قال ما قاله أولا عن اعتقاد ربوبية الكواكب، لأن الله تعالى قد دل على بطلان هذا التوهم بالإخبار بأنه أراه ملكوت الخافقين و جعله موقنا -[6]]، فأسند الأمر إلى نفسه تنبيها لهم، و استدل بالأفول[7] لأن دلالته لزوال سلطانه و حقارة[8] شأنه أتم، و لم يستدل[9] بالطلوع لأنه - و إن كان حركة دالة على الحدوث[10] و النقصان - شرف فى الجملة و سلطان، فالخواص يفهمون من الأفول الإمكان، و الممكن لا بد له من موجد واجب الوجود، يكون منتهى الآمال و محط الرحال[11] "و ان الى ربك المنتهى" و الأوساط يفهمون منه الحدوث للحركة، فلابد من الاستناد إلى قديم،

(١) فى ظ: وكان (٢) من ظ، و فى الأصل: نصره (٣) فى ظ: ليفهم (٤) من ظ، و فى الأصل: النفى (٥) فى ظ: لـه به - كذا (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: بالاقوال (٨) من ظ، و فى الأصل: خفا - كذا (٩) فى ظ: لما استدل (١٠) من ظ، و فى الأصل: الحدث (١١) من ظ، و فى الأصل: الرجال.

و العوام يفهمون أن الغارب كالمعزول لزوال نوره و سلطانه ، و أن ما كان كذلك لا يصلح للالهية ، و خص الأفول أيضا لأن قومه الفرس كانوا منجمين ، و مذهبهم أن الكوكب إذا كان صاعدا من المشرق[1] إلى وسط السماء كان قويا عظيم التأثير ، فاذا كان نازلا إلى المغرب[2] كان ضعيف الأثر ، و الإله / هو من لا يتغير ، و هذا الاستدلال برهان فى [أن -[3]] أصل الدين مبنى على الحجة دون التقليد[4] . ٢١٥ / ٥

و لما بصرهم قصور صغير الكواكب ، رقى النظر إلى أكبر منه ، فسبب عن الإعراض عن الكواكب لقصوره قوله : ﴿ فلما رأى القمر بازغا ﴾ أى طالعا أول طلوعه ؛ قال الأزهرى : كأنه مأخوذ من البزغ الذى هو الشق ، كأنه بنوره يشق الظلمة شقا ﴿ قال هذا ربى[5] ﴾ دأبه فى الأولى . ١٠

و لما كان تأمل أن الكوكب محل الحوادث[6] بالأفول قد طرق أسماعهم فخالج صدورهم ، قال : ﴿ فلما أفل قال ﴾ مؤكدا غاية التأكيد ﴿ لئن لم يهدنى ربى[7] ﴾ أى الذى قدر على الإحسان إلىّ بالإيجاد و التربية لكونه لا يتغير و لا شريك له بخلق الهداية فى قلبى ، فدل ذلك على أن الهداية ليست إلى غيره ، و لا تحمل[8] على نصب الأدلة ، لأنها منصوبة قبل ذلك ، و لا على معرفة[8] الاستدلال فانه عارف [به -[3]] ١٥

(١) فى ظ ، الشرق (٢) فى ظ : الغرب (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٤) زيد بعده فى الأصل : فاسند الأمر ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) فى ظ : للحوادث (٦) فى ظ : قال (٧) من ظ ، و فى الأصل : لا يحمل (٨) سقط من ظ .

﴿ لاكونن ﴾ أى بعبادة غيره ﴿ من القوم الضآلين ٥ ﴾ فكانت هذه أشد من الأولى و أقرب إلى التصريح بنفى الربوبية عن الكواكب و إثبات أن الرب غيرها ، مع الملاطفة و إبعاد الخصم عما يوجب عناده.

و لما كان قد نفى عن الأجرام السماوية ما ربما يضل[1] به الخصم قال: ﴿ فلما رأ ﴾ أى بعينه ﴿ الشمس بازغة ﴾ أى عند طلوع النهار و إشراق النور الذى ادعوا فيه ما ادعوا ﴿ قال ﴾ مبينا لقصور ما هو أكبر من النور و هو ما عنه النور[2] ﴿ هذا ﴾ مذكرا إشارته لوجود المسوغ ، و هو تذكير الخبر إظهارا لتعظيمها[3] إبعادا عن التهمة ، و تنبيها من أول الأمر على أن المؤنث[4] لا يصلح للربوبية [﴿ ربى ﴾ - [5]] كما قال فيما مضى ؛ ثم علل ذلك بيانا للوجه الذى فارق فيه ما مضى فأورث شبهة ، فقال : ﴿ هذآ اكبر ج ﴾ أى مما[6] تقدم ﴿ فلمآ افلت ﴾ أى غربت فخفى ظهورها و غلب نورها و هزمه جيش الظلام بقدرة الملك العلام ﴿ قال يٰقوم ﴾ فصرح بأن الكلام لهم أجمعين ، و نادى على رؤس الأشهاد .

و لما كانت القلوب قد فرغت بما ألقى من هذا الكلام المعجب للحجة ، و تهيأت لقبول الحق ، ختم الآية بقوله : ﴿ انى برىء مما تشركون ٥ ﴾ أى من هذا و غيره من باب الأولى ، فصرح بالمقصود لأنه لم يبق فى المحسوس من العالم العلوى كوكب أكبر من الشمس و لا أنور . فلما أبطل

(١) فى ظ : نفتل ـ كذا (٢) زيد بعده فى ظ : قال (٣) من ظ ، و فى الأصل: لتعظيم بها (٤) من ظ ، و فى الأصل : المرتب (٥) زيد من ظ و القرآن الكريم . (٦) من ظ ، و فى الأصل : بما .

بذلك جميع مذهبهم أظهر التوجه[1] إلى الإله الحق ، و أنه قد انكشف له الصواب بهذا النظر ، و المراد هم ، و لكن[2] سوقه على هذا الوجه أدعى لقبولهم إياه ، فقال مستنتجا عما دل عليه الدليل العقلى فى الملكوت[3] : ﴿ انى وجهت وجهى ﴾ أى أخلصت قصدى غير معرج على شىء أصلا ، فعبر بذلك [عن - [4]] الانقياد التام ، لأن من انقاد لشىء أقبل عليه[5] بوجهه ، و دل على كماله و تفرده بالكمال مبدعاته[6] ، و عبر باللام دون ' إلى ' لئلا يوهم الحيز ، فقال : ﴿ للذى فطر ﴾ أى لأجل عبودية [من - [4]] شق و أخرج ﴿ السمٰوٰت و الارض ﴾ فختم الدليل بما افتتحت به السورة من قوله " الذى خلق السمٰوٰت و الارض " و أدل دليل على ما تقدم - أنى فسرت الحنف به من أنه الميل مع الدليل سهولة و لطافة[7] على ما هو دأب الفطرة الأولى التى فطر الله الناس عليها - قولُه بعد نصب هذا الدليل : ﴿ حنيفا ﴾ أى سهلا هينا لينا لطيفا ميالا[8] مع الدليل غير كزّ جاف جامد على التقليد دأب الغليظ[9] البليد ، و أكد البراءة منهم بقوله : ﴿ و ما انا من المشركين ﴾ أى منكم ، و لكنه أظهر الوصف المقتضى للبراءة و التعميم ، أى لا أعد فى عدادكم بشىء أقاربكم به[10] .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : التوحيد (٢) فى ظ : لان (٣) من ظ ، و فى الأصل : المكتوب (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : على (٦) فى فى ظ : بمبدعاته (٧) من ظ ، و فى الأصل : اطاقة (٨) من ظ ، و فى الأصل : مثالا (٩) من ظ ، و فى الأصل : الغلط (١٠) سقط من ظ ،

و لما

و لما أبدى هذه الأدلة فى إبطال الضلال بالكواكب[1] و الشمس [2]التى هى[2] أوضح من الشمس، عطف عليها الإخبار بأنهم لم يرجعوا / إليه[3] بل حاجوه، فقال: ﴿ و حآجه قومه[4] ﴾ بأنهم لا ينفكون عن / ٢١٦ عبادتها لأنهم[4] وجدوا آباءهم كذلك، و أنه [إن - [5]] لم يرجع عن الكلام فيها أصابته ببعض النوازل، و ذلك من أعظم التسلية لهذا النبى ٥ العربى الكريم عليه أفضل الصلاة و التسليم.

و لما كان من المعلوم أن محاجتهم - بعد هذه الأدلة الواضحة فى غاية من السقوط - سفلت عن الحضيض، نزه المقام عن ذكرها، إشارة إلى أنها بحيث لا يستحق الذكر، و بين جوابه لما فيه من الفوائد الجمة[6] بقوله: ﴿ قال ﴾ أى بقول[3] منكرا عليهم موبخا لهم: ﴿ اتحآجوّنى ﴾ و صرح ١٠ باسم الرب العلم الأعظم فى قوله: ﴿ فى الله ﴾ أى شىء[3] مما يختص به المستجمع لصفات الكمال لا سيما التوحيد ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ هدىٰن[4] ﴾ [أى - [5]] أرشدنى بالدليل القطعى إلى معرفة كل ما يثبت[7] له و ينفى عنه، أى لأنه قادر، فبين أنه تعالى قد أحسن إليه، فهو يرجوه لمثل ذلك الإحسان، و يخافه من[8] عواقب العصيان، لأن ١٥ من رُجى خيره خيف ضيره، و من كان بيده [9]النفع و الضر[9] و الهداية و الإضلال فهو من وضوح الأمر و ظهور الشأن بحيث لا توجه نحوه

(١) فى ظ: الكواكب (٢-٢) فى ظ: الذى هو (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: لا (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: الجملة (٧) فى ظ: ينسب (٨) من ظ، و فى الأصل: عن (٩-٩) فى ظ: الضر و النفع.

المحاجة ، و أتبعه بيان أن معبوداتهم مسلوب عنها ما يوجه إليه الهمم ، فقال عاطفا على ما تقديره : فأنا أرجوه و أخافه لأنه قادر : ﴿ و لآ اخاف ما تشركون بـه ﴾ و لا أرجوه لهداية و لا إضلال [و لا غيرهما لأنه عاجز ، فأثبت لله القدرة بالهداية لأنها أشرف ، و طوى الإضلال - [1]] لدلالتها و دلالة ما نفى فى جانب الشركاء عليه ، و أثبت لآلهتهم العجز بنفى الخوف المستلزم لنفى القدرة على الضر . و ذلك دال على أن الله تعالى أهل لأن يخاف منه . كل ذلك تلويحا لهم بأن العاقل لا ينبغى له أن يخالف إلا من [يأمن - [1]] ضره ، فهم فى مخالفتهم لله فى غاية من الخطر ، لا يرتكبها عاقل ، و الآية من الاحتباك .

و لما نفى عن نفسه خوف آلهتهم أبدا فى الحال و الاستقبال ، و كان من الأمر البين فى الدين الحق أنه لا يصح الإيمان إلا مع الإقرار بخفاء العواقب [2] على العباد و إثبات العلم بها لله [3] تسليما لمفاتيح الغيب إليه ، و قصرها عليه ؛ قال مستثنيا من سبب [4] النفى ، و هو أنها لا تقدر [5] على شىء : ﴿ الآ ان يشآء ربى ﴾ المحسن إلىّ فى حال الضر كما هو محسن فى حال النفع ﴿ شيئا [6] ﴾ أى من تسليطها بأنفسها أو باتباعها ، لأنه قادر على ما يريد ، فان أراد أنطق [6] الجماد و أقدره ، و أخرس الناطق الفصيح و أعجزه ، فأنا لا أخاف فى الحقيقة غيره .

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : العرابق ، و زيد بعده فى ظ : على العواقب - كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : مسبب (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يقدر (٦) فى ظ : نطق .

و لما كان هذا فى صورة التعليق ، [و كان التعليق - [1]] و ما شابهه من شأنه أن لا يصدر إلا من متردد[2] ، فيكون موضع إطماع للخصم فيه ، علله بما أزال هذا الخيال فقال : ﴿ وسع ربى كل شىء علما[3] ﴾ أى فأحاط بكل شىء قدرة ، فهو إذا أراد إقدار العاجز أزال عنه كل مانع من القدرة ، و[3] أثبت[3] له كل مقتض لها ، و ذلك ثمرة شمول العلم - كما ٥ سيأتى برهانه إن شاء الله تعالى فى سورة طه ، فالمراد أنى ما تركت الجزم لشك عندى ، و إنما تركته لعدم علمى بالعواقب إعلاما بأن تلك رتبة لا تصلح إلا لله الذى وسع علمه كل شىء ، و أدل دليل على هذا اتباعه له بانكاره عليهم عدمَ [الإبلاغ فى - [2]] التذكر[4] بقوله مظهرا تاء التفعل إشارة إلى أن فى جبلاتهم أصل التذكر[5] الصاد[6] عن الشرك : ﴿ افلا تتذكرون ه[7] ﴾ ١٠ أى يقع منكم تـذكر ، فتميزوا بين الحق و الباطل بأن تذكروا مآلكم من أنفسكم [8]بأن من[8] غاب عن مربوبه فسد أو كاد ، [9]و أن هذه[9] الجمادات لا تنفع و لا تضر ، و أنها مصنوعكم ، و تعجب[10] منهم فى ظنهم خوفه[11] من/ معبوداتهم بقوله[12] منكرا : ﴿ و كيف اخاف مآ اشركتم ﴾ ٢١٧/ أى من دون الله من الأصنام و غيرهـا مع أنها لا تقدر[13] على شىء ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : مردد (٣-٣) فى ظ : فاثبت . (٤) من ظ ، و فى الأصل : التذكير (٥) فى ظ : الذكر (٦) فى ظ : الصادد (٧) من القرآن الكريم ، و فى الأصل و ظ : افلا تذكرون ، و الآية باظهار التاءين بلا خلاف (٨-٨) من ظ ، و فى الأصل : من ان (٩-٩) من ظ ، و فى الأصل : او هداه - كذا (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تعجيبه (١١) فى ظ : عرفه (١٢) فى ظ : فقال (١٣) من ظ ، و فى الأصل : لا يقدر .

﴿ ولا ﴾ أى والحال أنكم أنتم لا ﴿ تخافون انكم اشركتم بالله ﴾ أى [المستجمع - [1]] لصفات العظمة والقدرة على العذاب والنقمة[2] .

ولما كان له سبحانه أن يفعل ما يشاء قال : ﴿ ما لم ينزل به ﴾ أى باشراكه ؛ ولما كان المقام صعبا لأنه أصل الدين ، أثبت الجار والمجرور وقدمه فقال : ﴿ عليكم سلطنا [4] ﴾ أى حجة تكون مانعة من إنزاله الغضبَ بكم[3] ، والحاصل أنه عليه السلام أوقع الأمن فى موضعه وهم أوقعوه فى موضع الخوف ، فعجب منهم لذلك [4] فبان أن هذا ، قول شعيب عليه السلام فى الأعراف " وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا[5] " - الآية ، وقوله تعالى فى الكهف " ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله[6] " من مشكاة واحدة ؛ ولما كان المحذور المنفى هنا إنما هو خوف الضرر من آلهتهم ، وكان حصول الضرر لمخالفها بواسطة أتباعها أو غيرهم من سنن الله الجارية فى عباده ، اقتصر الخليل عليه السلام على صفة الربوبية المقتضية للرأفة والرحمة والكفاية والحماية ، وقد وقع فى قصته الأمران : إمكانهم من أسباب [7] ضرره بايقاد النار [7] وإلقائهم له فيها ، ورحمته بجعلها عليه بردا وسلاما ؛ ولما كان المحذور فى قصة شعيب عليه السلام العود فى ملتهم ، زاد الإتيان بالاسم الأعظم الجامع لجميع الكمالات المنزه عن جميع النقائص المقتضى لاستحضار الجلال والعظمة والتفرد والكبر المانع من [8] دنو ساحات الكفر[8]

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : النعمة (٣) فى ظ : عليكم (٤) العبارة من هنا إلى « فى الكهف » سقطت من ظ (٥) آية ٨٩ (٦) آية ٢٤ (٧-٧) فى ظ : ضررهم بانقاد - كذا (٨-٨) فى ظ : دنوسات الله - كذا .

والله

ـ و الله الموفق .

و لما بان كالشمس بما أقام من الدليل أنه أحق بالأمن منهم ، قال مسببا عما مضى تقريرا لهم : ﴿ فأىّ الفريقين ﴾ أى حزب الله و حزب ما أشركتم به ، و لم يقل : فأيّنا[1] ، تعميما للمعنى ﴿ احق بالامن ﴾ و ألزمهم بالجواب حتما بقوله : ﴿ ان كنتم تعلمون ﴾ أى إن كان لكم علم[2] فأخبرونى عما سألتكم[3] عنه ؛ ثم وصل بذلك دلالة على أنه لا علم لهم أصلا ليخبروا عما سئلوا عنه [قوله ـ[4]] مستأنفا : ﴿ الذين امنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الفعل ﴿ و لم ﴾ أى و صدقوا دعواهم بأنهم لم ﴿ يلبسوا ايمانهم ﴾ أى يخالطوه و يشوبوه ﴿ بظلم ﴾ .

و لما كان المعنى : أحق بالأمن ، عدل عنه إلى قوله مشيرا إليهم بأداة البعد تنبيها على [علو ـ[4]] رتبتهم : ﴿ اولئك لهم ﴾ أى خاصة ﴿ الامن ﴾ أى لما تقدم من وصفهم ﴿ و هم مهتدون ﴾ أى و أنتم ضالون ، فأنتم هالكون لإشرافكم على المهالك ، و تفسيرُ النبى صلى الله عليه و سلم فيما أخرجه الشيخان[5] و الترمذى و النسائى عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه لهذا الظلم المطلق فى قوله تعالى " بظلم " بالشرك الذى هو ظلم موصوف بالعظم فى قوله تعالى " ان الشرك لظلم[6] عظيم " تنبيه للصحابة رضوان الله عليهم على أن هذا التنوين للتعظيم ، و لأنهم أهل اللسان المطبوعون فيه صفوا بذلك و اطمأنوا إليه ، و لا شك أن السياق كله فى التنفير عن الشرك . و أنه دال على [7] الحث على التبرئ[7]

(١) فى ظ : فانتما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : سالتم (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : البخارى (٦) سورة ٣١ آية ١٣ (٧-٧) من ظ . و فى الأصل : النهى عن التنزه ـ كذا .

عن قليل الشرك و كثيره ، فآل الأمر إلى أن المراد : و لم يلبسوا إيمانهم بشيء من الشرك ، فالتنوين حينئذ للتحقير كما هو للتعظيم ، فهو من استعمال الشيء فى حقيقته و مجازه أو فى معنيه المشترك فيهما لفظه معا - و الله أعلم .

٥ و لما كان إبراهيم عليه السلام قد انتصب لإظهار حجة[1] الله فى التوحيد و الذب عنها ، و كان التقدير تنبيها للسامع على حسن ما مضى ندبا لتدبره : هذه مقاولة[2] إبراهيم عليه السلام لأبيه و قومه ، عطف عليه قوله معددا وجوه نعمه عليه و إحسانه[3] إليه ، دالا على إثبات النبوة بعد إثبات الوحدانية : ﴿ و تلك ﴾ أى و[4] هذه الحجة العظيمة / الشأن ٢١٨ /
١٠ التى تلوناها عليكم ، و هى ما حاج إبراهيم عليه السلام[5] به قومه ، [و -][5] عظمه بتعظيمها فقال[5] : ﴿ حجتنآ ﴾ أى التى يحق[6] لها بما فيها من الجلالة أن تضاف إلينا ، لأنها من أشرف النعم و أجل العطايا ﴿ ءاتينٰهآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ ابرٰهيم ﴾ و أوقفناه على حقيقتها و بصرناه بها ، و نبه على ارتفاع شأنها بأداة الاستعلاء مضمنا لأتينا
١٥ أقمنا ، فقال : ﴿ على قومه[5] ﴾ أى مستعليا[7] عليهم غالبا[8] لهم قائمة عليهم الحجة التى نصبها ، ثم زاد فى الإعلام بفضله بقوله مستأنفا : ﴿ نرفع ﴾ أى بعظمتنا ﴿ درجٰت من نشآء[5] ﴾ بما لنا من القدرة على ذلك كما رفعنا

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : صحة (٢) فى ظ : مقالة (٣) فى ظ : احسانا .
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : يحقها (٧) من ظ ، و فى الأصل : مستغلبا (٨) فى ظ عاليا .

درجة إبراهيم عليه السلام على جميع أهل ذلك العصر .

ولما كانت محاجته لهم على قانون الحكمة بالعالم العلوى الذى نسبوا الخلق و التدبير بالنور و الظلمة إليه، وكان فى ختام[1] محاجته لهم أن الجارى على قانون الحكمة أن الملك الحق لا يهين جنده[2] فلا خوف عليهم، وكان قبل ذلك فى الاستدلال على البعث الذى هو محط الحكمة ؛ كان الأنسب أن يقدم[3] فى ختم الآية وصف الحكمة فقال : ﴿ ان ربك ﴾ [أى - [4]] خاصا لنبيه صلى الله عليه و سلم بالمخاطبة باسم الإحسان تنبيها على أن حَجْبَه[5] الدليل عمن يشاء لِحِكَم أرادها سبحانه، ففيه تسلية له صلى الله عليه و سلم ﴿ حكيم ﴾ أى فلا يفعل[6] بحزبه إلا ما ظنه به خليله صلى الله عليه و سلم مما يقر أعينهم[7] . إما فى الدنيا و إما فى الآخرة و إما فيهما ﴿ عليم ٥ ﴾ فلا يلتبس عليه أحد من غيرهم ، فيفعل به ما يحل بالحكمة .

ولما أشار إلى رفعته بأنه بصّره بالحجة[8] حتى كان على بصيرة من أمره، و أنه علا[9] على المخالفين برفع الدرجات ، أتبع ذلك ما دل عليها و على حكمته بعلمه بالعواقب ، فقال معلما بأنه جعله عزيزا فى الدنيا لأن[10]

(١) من ظ ، و فى الأصل : ختامه (٢) فى ظ : عبده (٣) من ظ ، و فى الأصل : تقدم (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : حجته (٦) زيد بعده فى ظ : به (٧) فى ظ : عينهم (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : علاه (١٠) من ظ ، و فى الأصل : لأنه .

أشرف الناس الأنبياء و الرسل ، و هم من نسله و ذريته ، و رفع ذكره أبدا لأجل[1] قيامه بالذب عن توحيده : ﴿ و وهبنا لهُ ﴾ أى لخليلنا[2] عليه السلام بما لنا من العظمة ﴿ اسحق ﴾ ولداً[3] له على الكبر حيث لا يولد لمثله و لا لمثل زوجته ﴿ و يعقوب[4] ﴾ أى ولد ولد ، و ابتدأ سبحانه بهما لأن السياق للامتنان على الخليل عليه السلام ، و هو أشد سرورا بابنه[4] الذى متع[5] به و لم يؤمر[6] بفراقه و ابن ابنه[7] الذى أكثر[8] الأنبياء الداعين إلى الله من نسله و من خواصه ، و هو الموجب الأعظم للبداءة أن أبناءه طهروا الأرض المقدسة التى هى مهاجر إبراهيم عليه السلام و مختاره للسكنى بنفسه و نسله ، بل مختار الله له و لهم بعده بمدد طهورها [9]من الشرك و عبادة الأوثان ، و دعوا إلى الله و نوروا الأرض بعبادته[9] .

و لما كانت النعمة لا تتم إلا بالهداية ، قال مستأنفا مقدما للمفعول ليشمل الكلام إياهما[10] : ﴿ كلا ﴾ أى منهما و من أبيهما[11] ﴿هدينا ج ﴾ ثم أتبع ذلك المهتدين قديما و حديثا تأكيدا لأن هذا المذهب لم يزل[12] خلص العباد[13] دعاة إليه فى قديم الزمان و جديده ، فكأنه يقول : إن كنتم تلزمون دينكم لأنه

(١) من ظ ، و فى الأصل : لاجله (٢) فى ظ : خليلنا (٣) من ظ ، و فى الأصل: اولدا (٤) فى ظ : ياتيه (٥) فى ظ : يقع (٦) فى ظ : لم ياص (٧) فى ظ : ابيه . (٨) من ظ ، و فى الأصل : الاكثر (٩-٩) سقط مابين الرقمين من ظ (١٠) فى ظ : اباهما (١١) من ظ ، و فى الأصل : انهما (١٢) فى ظ : لم تزل (١٣) فى ظ : العبادة .

عندكم

عندكم حق ، فقد تبين [لكم -[1]] بطلانه ، و أن الحق إنما هو التوحيد ، و إن كنتم تلزمونه لِقِدَمِه فهذا الدين - [الذى -[1]] دعاكم إليه رسولى مع وضوح الدلالة على حقيته - هو القديم الذى دعاكم إليه نوح و من تلاه من خلص ذريته إلى إبراهيم[2] أبيكم الأعظم [و -[1]] من بعده من خلص ذريته إلى عيسى ، ثم إلى هـذا الرسول الذى هو دعوة إبراهيم ٥ و بشارة عيسى - على الكل أبلغ الصلاة و أتم التسليم ، فهو أحق بالاتباع من جهة الحقية[3] و الأقدمية ، و إن كنتم تلزمونه لمجرد اتباع الآباء فليس فى آبائكم / مثل إبراهيم عليه السلام ، و قد تلوت عليكم فى كلامى الذى ٢١٩ / أقمت الدليل القطعى بعجزكم عنه على صحة نسبته إلى ما حاج به أباه و قومه فى إبطال الأوثان التى أضلتكم ، فهو أولى آبائكم أن تعتدوا[4] به - ١٠ و الله الموفق .

و لما كان ربما وقع فى وهم أن هداية كل من إسحاق و ابنه بتربية [أبيه -[1]] ، ذكر العاشر من آباء الخليل و هو نوح عليهما السلام لدفع ذلك ، و لأن السياق لإنكار الأوثان ، و هو أول من نهى عن عبادتها ، و هو أجلّ آباء الخليل عليه السلام فقال : ﴿ و نوحا هدينا ﴾ أى بما لنا ١٥ من العظمة من بين ذلك الجيل الأعوج .

و لما كانت لم تتجاوز منه ، و كان زمنه بعض الزمن المتقدم ، أثبت الجار و قطعه عن الإضافة لتراخى زمانهم كثيرا عن زمانه فقال :

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : هو (٣) فى ظ : الحقيقة (٤) من ظ ، و فى الأصل : يعتدوا .

﴿ من قبل ﴾ أى و لم تكن هدايته إلا بنا فى زمان كان أهله من شدة الضلال و لزوم الظلم فى مثل استقبال الليل ، كلما امتد احلولك ظلامه و اشتد ، و طالما دعاهم إلى الله و ربّاهم فلم يرجع منهم كثيرا[1] [أحد -[2]] حتى لقد خالفه زوجه و بعض ولده ، و[3] لمثل ذلك[3] فصل بين إسماعيل و أبيه و يوسف و أبيه عليهم السلام إشارة إلى فراق كل منهما لأبيه فى الحياة ، و أنه ما[4] حفظ كلا منهما على سنن الهدى طول المدى إلا الله[5] ؛ ثم ابتدأ المذكورين[6] بعدُ بمن بنى على يده و يد ابنه مسجدا هو بعد المسجد الذى بناه إبراهيم و ولده إسماعيل عليهما السلام فقال : ﴿ و من ذريته ﴾ .

و لما كان السياق كله لمدح الخليل ، و كان المذكورون - إلا لوطا - من نسله ، و كان التغليب مستعملا[7] شائعا فى لسان العرب ، لا سيما و لوط ابن أخيه و مثل ولده ؛ حكم بأن الضمير لإبراهيم عليه السلام ، و قولُ من قال : إن يونس عليه السلام ليس من نسله ، غير صحيح ، بل هو من بنى إسرائيل ، و هو أحد من ذكر فى سفر الأنبياء ، و سيأتى خبره من[8] السفر المذكور فى سورة " و[7] الصّٰفّٰت " إن شاء الله تعالى ، و قد صرح أبو الحسن محمد بن عبد الله الكسائى فى قصص الأنبياء أنه من ذرية إبراهيم ، و اقتضى[9] كلامه أنه من بنى إسرائيل ، كما اقتضى ذلك

(١) فى ظ : كثير (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) فى ظ : لذلك (٤) من ظ ، و فى الأصل : لا (٥) من ظ ، و فى الأصل : ابيه - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : المذكورون (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : فى (٩) من ظ ، و فى الأصل : اقتص .

كلام البغوى فى سورة الأنبياء عليهم السلام ، و أما أيوب فروى[1]: من نسل [عيص بن -[2]] إسحاق عليهم السلام ﴿ داود ﴾ أى هديناه ﴿ و سليمن ﴾ أى اللذين بنيا بيت المقدس بأمر الله[3]: داود بخطه و تأسيسه ، و سليمان باكماله و تشييده .

و لما كانا[4] مع ذلك ملكين ، تلاهما بمن شابههما فى الملك أو الحكم على الملوك فقال: ﴿ و ايوب ﴾ و قدمه لمناسبة ما بينه و بين سليمان [5]فى أن[5] كلا منهما ابتلى بأخذ كل ما فى يده ثم ردّ[6] الله إليه ﴿ و يوسف ﴾ و كل من هؤلاء الأربعة ابتلى فصبر ، و اغتنى[7] فشكر ، و أيوب إن لم يكن ملكا فقد كانت ثروته غير مقصرة[8] [عن -[2]] ثروة الملوك ، على أن بعض بعض الطلبة أخبرنى عن تفسير الهكارى[9]- فيما أظن - أنه صرح بأنه ملك ، [10]و أيضا[10] فالاثنان[11] الأولان كانا سبب إصلاح بنى إسرائيل بعد الفساد و استنقاذهم من ذل[12] الفلسطين ، و الاثنان[13] الباقيان كل منهما[14] ابتلى بفراق أهله ثم ردوا عليه: أيوب بعد أن ماتوا ، و يوسف قبل الموت ،

(١) من ظ ، و فى الأصل : فرد (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : اله .
(٤) فى ظ : كان (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل: بان (٦) كذا فى الأصل، و فى ظ : رده (٧) من ظ ، و فى الأصل : اغنى - كذا (٨) من ظ و فى الأصل : مقصورة.
(٩) من ظ ، و فى الأصل : المكارى ، و المنسوب إلى هذه النسبة ثلاثة - راجع معجم المؤلفين (١٠-١٠) سقط مابين الرقمين من ظ (١١) من ظ، و فى الأصل : الاثنان (١٢) من ظ ، و فى الأصل : ذى - كذا (١٣) من ظ ، و فى الأصل : الامان.
(١٤) فى ظ : منهم .

و أيضا فداود عليه السلام شارك إبراهيم عليه السلام فى أنه كان سببَ سلامته من ملك زمانه الاختفاءُ فى غار ، و ذلك أن نمرود بن الكنعان كان ادعى الإلٰهية و أطمع فيها ، و قال له منجموه: يولد فى بلدك هذا العام غلام يغير دين أهل الأرض ، و يكون هلاكك على يده ، فأمر ٥ بذبح كل غلام فى[1] ناحيته فى تلك السنة ، و أمر بعزل الرجال عن النساء ، و حملت أم إبراهيم عليه السلام به[2] فى تلك السنة ، فلما وجدت الطلق خرجت ليلا إلى غار قريب منها فولدت فيه إبراهيم / و أصلحت ٢٢٠ / من شأنه[3] ، ثم سدت فم الغار و رجعت ، ثم كانت تطالعه فتجده يمتص[4] إبهامه ، و كان يشب فى اليوم كالشهر و فى[2] الشهر كالسنة ؛ و أما داود ١٠ عليه السلام فانه لما قتل جالوت [5]و زوّجه طالوتُ ابنته ، و ناصفه ملكه - على ما كان شرط لمن قتل جالوت[5] - مال إليه الناس و أحبوه ، فحسده فأراد قتله ، فطلبه فهرب منه ، فدخل غارا فنسجت[6] عليه العنكبوت ، فقال طالوت: لو دخل هنا لخرق بناء العنكبوت ، فأنجاه الله منه ؛ و تلاه بسليمان[7] لأنه مع كونه من أهل الملك و البلاء شارك إبراهيم عليهما السلام ١٥ فى إبطال عبادة الشمس فى قصة بلقيس رضى الله عنها ؛ و قصة يوسف عليه السلام فى إبطال عبادة الأوثان شهيرة فى قوله تعالى " يٰصاحبى السجن ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار[8] " .

---

(١) فى ظ : من (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : شانها (٤) فى ظ : يمص (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : نسجت (٧) من ظ ، و فى الأصل : سليمان (٨) سورة ١٢ آية ٣٩ .

و لما كان يوسف عليه السلام ممن أعلى الله كلمته [على كلمة -[1]] ملك مصر و أعز [ملكها و -[1]] أهلها[2] و أحياهم به، أتبعه من أعلى الله كلمتهما على كلمة ملك مصر و أهلها و أهلكهم بهما، فكأن [3]بعض قصصهم[3] وفاق، و بعضها تقابل و طباق، فقال: ﴿ وموسى و هرون[4] ﴾ و لما كان التقدير: هديناهم جزاء لإحسانهم باهتدائهم فى أنفسهم و دعائهم لغيرهم إلى الهدى، لم يشغل[4] أحدا منهم منحةُ السراء و لا محنة[5] الضراء، عطف عليه قوله: ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ما جزيناهم ﴿ نجزى المحسنين ﴾ أى كلهم، فى ذلك إشارة إلى علو مقامهم من هذه الجهة، و هى أنهم من أهل السراء[6] المطفئة[7] و الضراء المسنية[8]، و مع ذلك فقد أحسنوا و لم يفتروا[9] و لم ينوا.

و لما كان المذكوران قبله ممن سلطهما على الملوك، أتبعهما من سلط الملوك عليهما بالقتل فقال: ﴿ و زكريا و يحيى ﴾ ثم أتبعهما من عاندهما الملوك و لم يسلطوا عليهما، و أدام الله سبحانه حياتهما إلى أن يريد سبحانه فقال: ﴿ و عيسى و الياس[4] ﴾ و لما كان هؤلاء الأربعة من الصابرين، قال مادحا لهم على وجه يعم من قبلهم: ﴿ كل ﴾ أى من المذكورين ﴿ من الصلحين ﴾ ثم أتبعهم[10] من لم يكن بينهما و بين الملوك

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: اهلكهم، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها، والعبارة من هنا إلى «أهلكهم بها» ساقطة منه (٣-٣) من ظ، و فى الأصل: بين قصتهم (٤) فى ظ: لم يشتغل (٥) فى ظ: منحة (٦) من ظ، و فى الأصل: السر (٧) فى ظ: المطيعة (٨) فى ظ: المهبه - كذا (٩) من ظ، و فى الأصل: لم يقروا (١٠) فى ظ: اتبعهما.

أمر ، و هدى بهما من كان بين ظهرانيه فقال : ﴿ و اسمٰعيل و اليسع ﴾ هذا إن كان اليسع هو ابن أخطوب[1] بن العجوز خليفة إلياس ، كما ذكر البغوى [2]فى سورة الصٰفٰت[2] أن الله تعالى أرسل إلى إلياس - و هو من سبط لاوى من نسل هارون عليه السلام - فرسا من نار فركبه فرفعه الله[3] و قطع عنه[4] لذة المطعم و المشرب ، و كساه الريش ، فكان إنسيا ملكيا أرضيا سماويا[5] ، و سلط الله[3] على آجب[6] - يعنى الملك الذى سلط على إلياس - عدوا فقتله و نبأ[7] الله اليسع و بعثه رسولا إلى بنى إسرائيل ، و أيده فآمنت به بنو إسرائيل و كانوا يعظمونه و إن كان اليسع هو يوشع بن نون - كما قال زيد بن أسلم - فالمناسبة بينه و بين إسماعيل عليهما السلام أن كلا منهما كان صادق الوعد ، لأن يوشع أحد النقيبين اللذين وفيا لموسى عليه السلام حين بعثهم يجسون بلاد بيت المقدس [كما أشير إليه فى قوله تعالى "و لقد اخذ الله ميثاق بنى اسراءيل -[8]] و بعثنا منهم اثنى عشر نقيبا[9]" [2]و قوله[2] " و قال رجلٰن من الذين يخافون انعم الله عليهما " - الآية ، و أيضا فكل منهما كان سبب عمارة بلد الله الأعظم بالتوحيد ، فاسماعيل سبب عمارة مكة المشرفة ، و يوشع سبب عمارة البلدة المقدسة - كما سيأتى[12]

(١) من معالم التنزيل للبغوى ٦/٢٩ ، و فى الأصل : احطوب ، و فى ظ : حطوب .
(٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : ابنه .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : سحابيا - كذا (٦) من المعالم ، و فى الأصل و ظ : احب (٧) فى ظ : نباه (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٩) سورة ٥ آية ١٢ .
(١١) سورة ٥ آية ٢٣ (١٢) من ظ ، و فى الأصل : ياتى .

فى سورة يونس إن شاء الله تعالى .

و لما كان إسماعيل و اليسع ممن هدى الله بهما قومهما من غير عذاب ، أتبعهما مَنْ هدى الله قومه بالعذاب و أنجاهم بعد [1]إتيان مخايله[1] فقال : ﴿ و يونس ﴾ أى هديناه ؛ و لما انقضت / ذرية إبراهيم عليه السلام ، ختم ٢٢١ / بابن أخيه الذى ضل قومه فهلكوا بغتة ، فبين قصتى هذين الآخرين طباق من جهة الهلاك و النجاة ، و وفاق من حيث أن كلا منهما أرسل إلى غير قومه فقال : ﴿ و لوطا [4] ﴾ ثم وصفهم بما يعم من قبلهم فقال : ﴿ و كلا ﴾ أى ممن ذكرنا ﴿ فضلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة بتمام العلم[2] و شمول القدرة ﴿ على العٰلمين ﴾ فكل هؤلاء الأنبياء ممن هداه الله بهداه و جاهد فى الله حق جهاده ، و بدأهم تعالى بابراهيم عليه السلام و ختمهم بابن أخيه لوط عليه السلام على هذه المناسبة الحسنة ؛ و قيل : إن الله تعالى أهلك قوم إبراهيم - نمرود و جنوده - بعد هجرته ، فان صح ذلك تمت المناسبة فى هلاك كل من قومه و قوم [ابن أخيه -[3]] لوط بعد خروج نبيهم عنهم ، فيكون بينهما وفاق كما[4] كان بين [5]قصته و[5] قصة يونس عليه السلام طباق . [6]و من[6] لطائف ترتيبهم هكذا أيضا أن إسماعيل عليه السلام يوازى نوحا عليه السلام ، [5]فانه رابع فى العدّ لهذا العقد إذا عددته من آخره ، كما أن نوحا عليه السلام[5] رابعه إذا عددته من أوله ، و المناسبة بينهما أن

(١-١) فى ظ : بيان مخايله - كذا (٢) زيد بعده فى الأصل : من قبلهم، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : ثم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) فى ظ : سر - كذا .

نوحا عليه السلام نشر[1] الله منه الآدميين حتى كان منهم إبراهيم عليه السلام [2]الذى جعله الله أبا للأنبياء و المرسلين، و إسماعيل عليه السلام[2] نشر[1] الله منه العرب الذين هم خلاصة الخلق[3] حتى كان منهم محمد[4] صلى الله عليه و سلم الذى جعله الله خاتم الأنبياء و المرسلين، فهذا[5] كان بداية و هذا[6] كان نهاية،

٥ وأن المذكورين قبل ذرية إبراهيم عليه السلام و بعدها - و هما نوح و لوط عليهما السلام - أهلك الله قوم كل منهما عامة، و غيب هؤلاء فى جامد الأرض كما أغرق أولئك فى مائع الماء، و أشقى[7] بكل منهما زوجته، بيانا لأن الرسل كما يكونون لناس رحمة يكونون على قوم نقمة، و أنه لا نجاة بهم و لا انتفاع إلا بحسن الاتباع، و أن ابن عمران اشترك[8] مع إبراهيم عليهم السلام فى

١٠ أن كلا من ملكى زمانهم أمر بقتل الغلمان خوفا ممن يغير دينه و يسلبه ملكه[9]، و كما أن الله تعالى أنجى إبراهيم عليه السلام و ابن أخيه لوطا[10] عليه السلام من ملك زمانهما المدعى للالهية [11]فكذلك أنجى موسى و أخاه هارون عليهما السلام من ملك زمانهما المدعى للالهة[11]، و أنجى ذرية إبراهيم بهما، فاذا جعلت إبراهيم و ابن أخيه لوطا - لكونه تابعا [له -[12]] - واحدا،

١٥ و موسى و أخاه هارون واحدا لمثل ذلك، و نظمت أسماء جميع هذه

---

(١) من ظ، و فى الأصل : بشر (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٣) فى ظ: الحق (٤) فى ظ : محمدا (٥) فى ظ : هذا (٦) من ظ، و فى الأصل : لهذا (٧) فى ظ : انتفى (٨) فى الأصل وظ : اشتركا (٩) من ظ، وفى الأصل: ملك (١٠) فى الأصل وظ : لوط (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) زيد من ظ .

الأنبياء فى سلك النق[1]: لوط مع إبراهيم كموسى مع هارون، و كان الأربعة واسطة عقدة[2]، فبين إبراهيم و موسى حينئذ سبعة كما أن بين هارون و لوط سبعة، و إذا ضممت إليهم المقصود بالذات المخاطب بهذه الآيات المأمور بقوله "فبهدٰهم اقتده" كان منزله فى السلك بين ابن عمه لوط و أبيه إبراهيم، و[3] يكون من بين يديه تسعة، و من خلفه تسعة، فمن[4] إبراهيم إلى موسى تسعة، و من لوط إلى هارون كذلك، فكان [رسول الله -[5]] صلى الله عليه و سلم واسط العقد و مكمل العقد، فانه العاشر من كل جانب، فبه تكمل الهدى و إيجاب[6] الردى، و ذلك طبق قوله صلى الله عليه و سلم فيما رواه الشيخان و غيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه: مثلى و مثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه و أجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به و يعجبون له و يقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، [7]فأنا اللبنة[7] و أنا خاتم النبيين. و للبخارى نحوه عن جابر، هذا مع اقترانه بأقرب أولى العزم رتبة و نسبا صاحب القصة إبراهيم عليه السلام، و إن / جعلت[8] موسى / ٢٢٢ و هارون عليهما السلام كشىء واحد كانا واسطة من الجانب الآخر، فان عددت من جهة إبراهيم عليه السلام كان بينه و بينهما ثمانية، و إن عددت

(١) فى الأصل و ظ: النفى - كذا بالفاء (٢) من ظ، و فى الأصل: عقده (٣) فى ظ: فمن (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: انجاب.
(٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ، و فى الأصل: جعل.

من جهة لوط عليه السلام كان كذلك .

و لما نص سبحانه على هؤلاء ، و ختم بتفضيل كل على العالمين ، أتبعه على سبيل الإجمال أن غيرهم كان مهديا ، و أن فضل هؤلاء علة[1] النص لهم[2] على أسمائهم ، فقال ترغيبا فى سلوك هذا السبيل بكثرة سالكيه و حثا على منافستهم فى حسن الاستقامة عليه و السلوك فيه : ﴿ و من ﴾ أى و هدينا أو و فضلنا من ﴿ ابآئهم ﴾ أى أصولهم ﴿ و ذريتهم ﴾ أى من فروعهم[3] [من -[4]] الرجال [5]و النساء[5] ﴿ و اخوانهم ﴾ [5]أى فروع أصولهم[5] ، و عطف على العامل المقدر قوله[2] : ﴿ و اجتبيتهم ﴾ أى و اخترناهم[6] ، ثم[7] عطف عليه بيان[2] ما هدوا إليه حثا لنا[2] على شكره على ما زادنا من فضله فقال : ﴿ و هديتهم ﴾ أى بما تقدم من الهداية ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ و أما الصراط المستقيم فخصصناكم به و أقمناكم عليه ، فاعرفوا نعمتنا عليكم و اذكروا[8] تفضيلنا لكم .

و لما كان ربما أوهم تنكيره نقصا فيه ، قال مستأنفا بيانا لكماله و تعظيما لفضله و افضاله : ﴿ ذلك ﴾ أى الهدى العظيم الرتبة ﴿ هدى الله ﴾ أى[9] المستجمع لصفات الكمال ﴿ يهدى ﴾ أى يخلق الهداية ﴿ به ﴾ أى بواسطة الإقامة عليه ﴿ من يشآء من عباده ﴾ أى سواء كان له أب

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : علية (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل : فرعهم ، و فى ظ : فروع اصولهم (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) من ظ ، و فى الأصل : اخبرناهم (٧ - ٧) فى ظ : عقبه ببيان (٨) من ظ ، و فى الأصل : اذكر (٩) من ظ ، و فى الأصل : انما .

يعلمه أو كان له من يحمله على الضلال أو لا ؛ [و لما -[1]] بين فضل الهدى و نص على رؤس أهله ، تهدد من تركه كائنا من كان ، فقال مظهرا لعز[2] الإلهية بالغنى المطلق منزها نفسه عما لوحظ فيه غيره و لو بأدنى لحظ : ﴿ و لو اشركوا ﴾ - أى هؤلاء الذين ذكرنا من مدحهم ما سمعتَ و [بيّنا -[1]] من اختصاصنا لهم ما علمت - شيئا من شرك و قد أعاذهم الله من ذلك ، و أقام بهم معوج المسالك ، و أنار بهم ظلام الأرض بطولها و العرض ﴿ لحبط عنهم ﴾ أى فسد و سقط ﴿ ما كانوا يعملون ٥ ﴾ أى و إن كان[3] فى غاية الإتقان[4] بقوانين العلم ، و زاد فى الترهيب من التوانى فى السير و الزيغ عن سوء القصد بقوله : ﴿ اولٰئك ﴾ أى العالو الرتبة الذين[5] قدمنا ذكرهم و أخبرنا أنهم لو أشركوا سقطت أعمالهم ﴿ الذين اٰتينٰهم ﴾ أى بعظمتنا ﴿ الكتٰب ﴾ أى الجامع لكل خير ، فمن ملك ما فيه من العلوم و المعارف حكم على البواطن ، و ذلك لأن[6] الناس يحبونه فينقادون له[7] ببواطنهم ﴿ و الحكم ﴾ أى العمل المتقن بالعلم ، و منه نفوذ الكلمة على الظواهر بالسلطنة و إن كرهت البواطن ﴿ و النبوة ٤ ﴾ أى العلم المزين بالحكم[8] و هى[9] وضع [10] كل شىء[10] فى أحق مواضعه ، فهى جامعة للرتبتين الماضيتين ، فلذلك كان الأنبياء يحكمون على البواطن بما عندهم

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : لغير (٣) فى ظ : كانا (٤) من ظ ، و فى الأصل : الاتفاق (٥) من ظ ، و فى الأصل : الذى (٦) فى ظ : ان (٧) فى ظ : اليه. (٨) فى ظ : الحكمة (٩) زيد بعده فى الأصل : كل ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١٠-١٠) فى ظ : الشىء .

من العلم ، و على الظواهر بما يظهر[1] من المعجزات؛ ثم سبب عن تعظيمها [بذلك تعظيمَها - [2]] بأنها لا تبور ، فقال تسلية عن المصيبة بطعن[3] الطاعنين فيها و إعراض الجاهلين عنها و ترجيةً عند ما يوجب اليأس من نفرة أكثر المدعوين : ﴿ فان يكفر بها ﴾ أى هذه الأشياء العظيمة ٥ ﴿ هؤلاء ﴾ أى أهل مكة الذين أنت بين أظهرهم ، و قد حبوناهم بها على أتم وجه و أكمله و أعلاه و أجمله ، و أنت[4] تدعوهم إلى أن يكونوا سعداء بما اشتملت عليه من الهدى و هم عنه معرضون ، و لعل الإشارة[5] على هذا الوجه لتحقيرهم ﴿ فقد وكلنا ﴾ [6] أى لما لنا من العظمة فى الماضى و الحال و الاستقبال ﴿ بها قوما[1] ﴾ أى ذوى قوة على القيام بالأمور ١٠ [بالإيمان بها و الحفظ لحقوقها - [2]] ﴿ ليسوا[7] ﴾ و قدم الجار اهتماما فقال : ﴿ بها[7] بكفرين ﴾ أى بساترين الشىء مما ظهر من شموس أدلتها ، و هم الأنبياء / [و من - [2]] تبعهم ، و قد صدق الله - و من أصدق من الله حديثا ! فقد جاء فى هذه الأمة من العلماء الأخيار و الراسخين الأحبار من[8] لا يحصيهم إلا الله . /٢٢٣

١٥ و لما كان المراد بسوقهم هكذا - و الله أعلم - أن كلا منهم بادر بعد الهداية إلى الدعاء إلى الله و الغيرة على جلاله من الإشراك ، لم يُشْغِل

(١) فى ظ : يظهرون (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بمطعن (٤) فى ظ : ان.
(٥) زيد بعده فى الأصل : و قدم الجار اهتماما فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ لحولناها إلى موضعها اللائق بها (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم (٨) فى ظ : ممن .

أحدا منهم عن ذلك سراء و لا ضراء بمُلك و لا غيره من ملك أو غيره بل لازموا الهدى[1] و الدعاء إليه على كل حال؛ قال مستأنفا لتكرار[2] أمداحهم بما يحمل على التحلى بأوصافهم، مؤكدا لإثبات[3] الرسالة: ﴿ اولٰئك ﴾ أى العالو المراتب ﴿ الذين هدى الله ﴾ أى الملك الحائز لرتب الكمال، الهدى الكامل، و لذلك سبب عن مدحهم قوله: ﴿ فبهدٰهم ﴾ أى خاصة فى ٥ واجبات الإرسال و غيرها ﴿ اقتده[4] ﴾ و أشار بهاء السكت التى هى أمارة الوقوف - و هى ثابتة فى جميع المصاحف - إلى أن الاقتداء بهم كان غير محتاج إلى شىء؛ ثم فسر الهدى بمعظم أسبابه فقال: ﴿ قل ﴾ أى لمن تدعوهم كما كانوا يقولون مما ينفى التهمة و يمحص النصيحة فيوجب الاتباع إلا من شق ﴿ لآ اسئلكم ﴾ أى أيها المدعوون ﴿ عليه ﴾ أى على ١٠ الدعاء ﴿ اجرا[5] ﴾ فان الدواعى تتوفر بسبب ذلك على الإقبال إلى الداعى[4] و الاستجابة للرشد؛ ثم استأنف قوله: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هو ﴾ أى هذا الدعاء الذى أدعوكم به ﴿ الا ذكرىٰ ﴾ أى تذكير بليغ من كل[5] ما يحتاج إليه فى المعاش و المعاد ﴿ للعٰلمين ﴾ أى الجن و الإنس و الملائكة دائما، [لا - [6]] ينقضى دعاؤه و لا ينقطع نداؤه، و فى التعبير بالاقتداء ١٥ إيماء إلى تبكيت كفار العرب حيث اقتدوا بمن لا يصلح للقدوة من آبائهم، و تركوا من يجب الاقتداء به. و لما حصر[7] الدعاء فى الذكرى، و كان ذلك نفعا[8] لهم و رفقا بهم، لا تزيد[9] طاعتهم فى ملك الله شيئا و لا ينقص

(١) من ظ، و فى الأصل: الهداية (٢) فى ظ: لتكرير (٣) فى ظ: باثبات.
(٤) فى ظ: الداعين (٥) فى ظ: قل - كذا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: خص.
(٨) فى ظ: تبعا (٩) من ظ، و فى الأصل: لا يزيد.

إعراضهم من عظمته شيئا، لأن كل ذلك بإرادته؛ بنى حالا منهم، فقال تأكيدا لأمر الرسالة بالإنكار على من جحدها و إلزاما لهم[1] بما هم معترفون به، أما أهل الكتاب فعلما قطعيا، و أما العرب فتقليدا لهم و لأنهم سلموا لهم العلمَ و جعلوهم محط سؤالهم عن محمد صلى الله عليه و سلم: ﴿و ما﴾ أى

٥ فقلنا ذلك لهم خاصة و الحال أنهم ما ﴿قدروا﴾ أى عظموا ﴿الله﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿حق قدرة﴾ أى تعظيمه فى جحدهم لذكراهم و صدهم عن بشراهم و مقابلتهم للشكر عليه بالكفر له؛ قال الواحدى: يقال قدر[2] الشيء - إذا سبره و حزره و أراد أن يعلم مقداره - يقدره - بالضم - قدرا، و منه قوله صلى الله عليه و سلم: فان غم عليكم فاقدروا

١٠ [له -[3]]، أى فاطلبوا[4] أن تعرفوه - هذا أصله فى اللغة، ثم قيل لمن عرف شيئا: هو يقدر قدره، و إذا لم يعرفه بصفاته[5]: إنه [لا -[3]] يقدر قدره ﴿اذ﴾ أى حين ﴿قالوا﴾ أى اليهود، و الآية مدنية و قريش[6] فى قبولهم لقولهم، و يمكن أن تكون مكية، و يكون قولهم هذا حين أرسلت إليهم قريش تسألهم عنه صلى الله عليه و سلم فى أمر رسالته و احتجاجه

١٥ عليهم بارسال موسى عليه السلام و إنزال التوراة عليه ﴿ما انزل الله﴾ أى [7]ناسين ما[7] له من صفات الكمال[8] ﴿على بشر من شيء[1]﴾ لأن[9]

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ وروح المعانى ٢/٥٢٥ حيث نقل قول الواحدى، فحذفناها (٣) زيد من ظ والروح (٤) من الروح، و فى الأصل و ظ: فاطلبوه (٥) من ظ و الروح، و فى الأصل: لصفاته (٦) من ظ، و فى الأصل: قدس - كذا (٧-٧) من ظ، و فى الأصل: ناسين مما (٨) زيد بعده فى الأصل: الذين هم، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٩) فى ظ: لا - كذا.

من نسب[1] مَلِكا تام الملك إلى أنه لم يُثبِتْ أوامره فى[2] رعيته بما يرضيه ليفعلوه و ما يسخطه ليجتنبوه، فقد نسبه إلى نقص عظيم، فكيف إذا كانت تلك النسبة كذبا! و هذا و إن كان ما قاله إلا بعض العالمين بل بعض أهل الكتاب الذين هم بعض العالمين، أسند إلى الكل، لأنهم لم يردوا على قائله و لم يعاجلوه بالأخذ تفظيعا[3] للشأن و تهويلا للأمر، و بيانا ٥ لأنه يجب على كل من سمع بآية من آيات الله أن يسعى إليها و يتعرف أمرها، فاذا[4] تحققه فمن طعن فيها أخذ على يده بما يصل[5] إليه قدرته، / كما أنه كذلك كان يفعل لو كان ذلك ناشئا عن أبيه أو أحد ممن يكون / ٢٢٤ فخره[6] به من أبناء الدنيا، و فى ذلك أتم إشارة إلى أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر عماد الأمور كلها، من فرّط فيه هلك و أهلك؛ ١٠ روى الواحدى فى أسباب النزول بغير سند عن ابن عباس رضى الله عنهما و محمد بن كعب القرظى أن اليهود قالوا: ما أنزل الله على بشر من شىء، فأنزل الله تعالى - يعنى هذه الآية، فقال مشيرا إلى أن اليهود قائلو ذلك، و ملزما بالاعتراف بالكذب أو المساواة للأميين فى التمسك بالهوى دون كتاب، موبخا لهم ناعيا عليهم سوء جهلهم[7] و عظيم بهتهم و شدة ١٥ وقاحتهم و عدم حيائهم: ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء السفهاء الذين تجرؤا على هذه المقالة غير ناظرين فى عاقبتها و ما يلزم منها توبيخا لهم و توقيفا على

---

(١) من ظ، و فى الأصل: تسبب (٢) من ظ، و فى الأصل: من (٣) فى ظ: فى ظ: تعطيلا (٤) و اذا (٥) فى ظ: تصل (٦) فى ظ: نحوه (٧) من ظ، و فى الأصل: جهتهم.

موضع جهلهم ﴿ من انزل الكتب ﴾ أى الجامع للأحكام و المواعظ و خيرى الدنيا و الآخرة ﴿ الذي جآء به موسى ﴾ أى الذى أنتم تزعمون التمسك بشرعه ، حال كون ذلك الكتاب ﴿ نورا ﴾ أى ذا نور يمكن الأخذ به من وضع الشيء[1] فى حاقّ موضعه ﴿ و هدى للناس ﴾ أى ذا هدى لهم كلهم ، أما فى [ذلك -[2]] الزمان فبالتقيد به ، و أما عند إنزال الإنجيل فبالأخذ بما أرشد إليه من اتباعه ، و كذا عند إنزال القرآن ، فقد بان أنه هدى فى كل زمان تارة بالدعاء إلى ما فيه و تارة بالدعاء إلى غيره ؛ ثم بين أنهم أخفوا منه ما هو نص و صريح فى الدعاء إلى غيره[3] اتباعا منهم للهوى و لزوما للعمى فقال : ﴿ تجعلونه ﴾ أى أيها اليهود ﴿ قراطيس ﴾ أى أوراقا مفرقة[4] لتتمكنوا[5] بها من إخفاء ما أردتم ﴿ تبدونها ﴾ أى تظهرونها للناس ﴿ و تخفون كثيرا ج ﴾ أى منها ما تريدون به تبديل الدين - هذا على قراءة الجماعة بالفوقانية ، و على قراءة ابن كثير و أبى عمرو بالغيبة هو التفات مؤذن بشدة الغضب مشير[6] إلى أن ما قالوه حقيق بأن يستحيي من ذكره فكيف بفعله ! ثم التفت إليهم للزيادة فى تبكيتهم إعلاما بأنهم متساوون لبقية الإنسان فى أصل الفطرة ، بل العرب أزكى منهم و أصح أفهاما ، فلولا ما أتاهم به موسى عليه السلام ما فاقوهم بفهم ، و لا زادوا عليهم فى علم ، فقال : ﴿ و علمتم ﴾ أى أيها اليهود بالكتاب الذى أنزل على موسى ﴿ ما لم تعلموا انتم ﴾ [أى -[2]]

(١) فى ظ : كل شيء (٢) زيد من ظ (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : معرفة (٥) فى الأصل و ظ : ليتمكنوا (٦) فى ظ : مشيرا .

أيها اليهود من أهل هذا الزمان ﴿و[لآ -[1]] ءابآؤكم[1] ﴾ أى الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم .

و لما كانوا قد وصلوا فى هذه المقالة إلى حد من الجهل عظيم، قال مشيرا إلى عنادهم : ﴿ قل ﴾ أى أنت فى الجواب عن هذا السؤال [2]غير منتظر[2] لجوابهم فانهم أجلف الناس و أعتاهم ﴿ الله [1] ﴾ أى الذى أنزل ذلك الكتاب ﴿ ثم ﴾ بعد [3]أن تقول[3] ذلك لا تسمع لهم شيئا بل ﴿ ذرهم فى خوضهم ﴾ أى قولهم و فعلهم المثبتين[4] على الجهل المبنيين على أنهم[5] فى ظلام الضلال كالخائض فى الماء يعملون ما لا يعلمون ﴿ يلعبون * ﴾ أى يفعلون [فعل -[6]] اللاعب، و هو ما لا يجر لهم نفعا و لا يدفع عنهم ضرا مع تضييع الزمان .

و لما أثبت سبحانه أنه الذى أنزل التوراة [و الإنجيل -[6]] تكميلا لإثبات الرسالة بدليل علم اليهود دون من لا كتاب لهم، عطف على ذلك قوله تأكيدا لإثباتها و تقريرا : ﴿ و هذا ﴾ أى القرآن الذى هو حاضر الآن فى جميع الأذهان ﴿ كتب ﴾ أى جامع لخيرى[7] الدارين، وكان السياق لأن يقال : أنزل الله، و لكنه أتى بنون العظمة، لأنها أدل على تعظيمه فقال : ﴿ انزلنه ﴾ أى و[8] ليس من عند محمد صلى الله

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢ - ٢) فى ظ : منتظرا (٣ - ٣) من ظ، و فى الأصل : انه يقول (٤) من ظ، و فى الأصل : المتبين (٥) من ظ، و فى الأصل : انتم (٦) زيد من ظ (٧) من ظ . و فى الأصل : لخير (٨) سقطت الواو من ظ .

عليه و سلم من نفسه ، و إنما هو بانزالنا إياه إليه و إرسالنا [له -[1]] به ﴿ مبرك ﴾ أى كثير الخير ثابت الأمر ، لا يقدر أحد من الخلق على إنكاره لإعجازه ، لتعلم أهل الكتاب خصوصا حقيقته بتصديقه لكتابهم لأنه ﴿ مصدق الذى بين يديه ﴾ أى كله من كتبهم و غيرها ، فيكون أجدر لإيمانهم به ، / و تعلم جميع أهل الأرض عموما ذلك بذلك ٢٢٥ / ٥
و باعجازه ﴿ و لتنذر ﴾ أى به ﴿ ام القرىٰ ﴾ أى مكة لأنها أعظم المدن بما لها من الفضائل ﴿ و من حولها[1] ﴾ ممن [2]لا يؤمن[2] بالآخرة فهو لا يؤمن به من أهل الأرض كلها من جميع[3] البلدان و القرى ، لأنها أم الكل ، و هم فى ضلالتهم[4] مفرطون ﴿ و الذين يؤمنون بالأخرة ﴾ ١٠ أى فيهم قابلية الإيمان بها على ما هى عليه ، من أهل أم القرى و من حولها [5]بكل خير ينشرون[5] ﴿ يؤمنون به ﴾ أى بالكتاب بالفعل لأن الإيمان بها داع إلى كل خير بالخوف و الرجاء ، و الكفر بها حامل على كل بشر .

و لما تكرر وصف المنافقين بالتكاسل عن الصلاة جعل المحافظة ١٥ عليها علما على الإيمان فقال : ﴿ و هم على صلاتهم يحافظون ٥ ﴾ أى يحفظونها غاية الحفظ ، فالآية من عجيب فن الاحتباك : ذكر الإنذار و الأم أولا دالا[6] على حذفهما ثانيا[7] ، و إثبات الإيمان و الصلاة ثانيا دليل على نفيهما[8] أولا .

---

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) فى ظ : يومن (٣) فى ظ : حيث (٤) فى ظ : ضلالهم .
(٥ - ٥) فى ظ : مبشرون (٦) من ظ ، و فى الأصل : داله (٧) فى الأصل : باقيا ، و فى ظ : ثابتا - كذا (٨) من ظ ، و فى الأصل : نعتهما .

و لما كان فى قولهم " ما انزل الله على بشر من شىء " صريح[1] الكذب و تضمن[2] تكذيبه - و حاشاه صلى الله عليه و سلم ! أما من اليهود فبالفعل ، و أما من قريش فبالرضى ، و كان بعض الكفرة قد ادعى الإيحاء إلى نفسه إرادة للطعن فى القرآن ؛ قال تعالى مهولا لأمر[3] الكذب لا سيما عليه لا سيما فى أمر الوحى ، عاطفا على مقول " قل[4] من انزل " مبطلا للتنبؤ بعد تصحيح أمر الرسالة و إثباتها إثباتا لا مرية فيه ، فكانت براهين إثباتها أدلة على إبطال التنبؤ و كذب مدعيه : ﴿ و من اظلم ممن افترى ﴾ أى بالفعل كاليهود و الرضى كقريش[5] ﴿ على الله كذبا ﴾ أى أىّ كذب كان ، فضلا عن إنكار الإنزال على البشر[5] ﴿ او قال اوحى الىّ و لم ﴾ أى و الحال أنه لم ﴿ يوح اليه شىء ﴾ فهذا[6] تهديد على سبيل الإجمال كعادة القرآن المجيد[7] ، يدخل فيه كل من اتصف بشىء من ذلك كمسيلمة و الأسود[8] العنسى و غيرهما ، ثم رأيت فى كتاب ' غاية المقصود فى الرد على النصارى و اليهود ' للسموءل[9] بن يحيى المغربى الذى كان من أجل علمائهم فى حدود سنة ستين و خمسمائة ، ثم هداه الله للاسلام ، و كانت له يد طولى فى الحساب [5]و الهندسة[5] و الطب و غير ذلك من العلوم ، فأظهر

(١) فى ظ : صرح (٢) من ظ ، و فى الأصل : يضمن (٣) من ظ ، وفى الأصل : لا - كذا (٤) زيد بعده فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : بهذا - كذا .

(٧) فى ظ : الجميل (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) من طبقات الأطباء ٢/٣٠ ، و فى الأصل : للسول ، و فى ظ : للسمول - كذا .

بعد إسلامه فضائحهم أن الربانيين منهم زعموا أن الله كان يوحى إلى جميعهم في كل يوم مرات، ثم قال [بعد -[1]] أن قسمهم إلى قرّائين و ربانيين[2]: إن الربانيين أكثرهم عددا، و قال: و هم الذين يزعمون أن الله كان يخاطبهم في كل مسألة بالصواب، قال: و هذه الطائفة أشد اليهود عداوة لغيرهم من الأمم ﴿ و من قال سانزل ﴾ أى بوعد [3]لا خلف فيه[3] ﴿ مثل ما انزل الله[4] ﴾ كالنضر بن الحارث و نحوه.

و لما كان الجواب قطعا من كل منصف: لا أحد[4] أظلم منه، بل هم أظلم الظالمين، كان كأنه قيل: فلو رأيتهم و قد حاق بهم جزاء هذا الظلم كرد[5] وجوههم مسودة و هم يسحبون في السلاسل على وجوههم، [و جهنم -[1]] تكاد تتميز عليهم غيظا، وهم قد هدّهم[6] الندم و الحسرة، و قطع بهم الأسف و الحيرة لرأيت أمرا يهول منظره[7]، فكيف يكون مذاقه [و -[1]] مخبره[8]! فعطف عليه ما هو أقرب منه، فقال كالمفصل لإجمال ذلك التهديد مبرزا بدل ضميرهم الوصف الذى أداهم إلى ذلك: ﴿ و لو ترى ﴾ أى يكون منك رؤية فيما هو دون ذلك ﴿ اذ الظلمون ﴾ أى لأجل مطلق الظلم فكيف بما ذكر منه! و اللام للجنس الداخل فيه هؤلاء دخولا أوليا ﴿ فى غمرٰت الموت ﴾ أى شدائده التى قد غمرتهم كما يغمر البحر الخضم[9] من يغرق[10] فيه، فهو يرفعه و يخفضه[11] و يبتلعه و يلفظه، لا بد له

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل: ثم قال، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.
(٣-٣) من ظ، وفى الأصل: لا بد منه (٤) من ظ، و فى الأصل: حد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: هددهم (٧) من ظ، و فى الأصل: بنظره (٨) زيد بعده فى ظ: فكيف (٩) أى العظيم، وفى ظ: الخضر (١٠) فى ظ: يعرف (١١) من ظ، و فى الأصل: يحفظه - كذا.

منه

منه ﴿ والملئكة ﴾ أى الذين طلبوا جهلا منهم إنزال بعضهم على وجه الظهور لهم ، و أخبرناهم [أنهم -[1]] لا ينزلون إلا لفصل الأمور و إنجاز المقدور[2] / ﴿ باسطوا ايديهم ج ﴾ أى إليهم بالمكروه لنزع أرواحهم و سلّها / ٢٢٦ وافية من أشباحهم كما يسل السفود[3] المشعب[4] من الحديد من الصوف المشتبك المبلول[5] ، لا يعسر عليهم تمييزها من الجسد ، و لا يخفى عليهم شيء منها فى شيء منه ، قائلين[6] ترويعا لهم و تصويرا للعنف و الشدة فى السياق و الإلحاح و التشديد فى الإزهاق من غير تنفيس و إمهال ، و أنهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط الملازم ﴿ اخرجوا انفسكم ط ﴾ فكأنهم قالوا: لما ذا يا رسل ربنا؟ فقالوا: ﴿ اليوم ﴾ أى هذه الساعة ، و كأنهم عبروا به لتصوير طول العذاب ﴿ تجزون عذاب الهون ﴾ أى العذاب الجامع بين الإيلام العظيم و الهوان الشديد و الخزى المديد بالنزع و سكرات الموت و ما بعده فى البرزخ - إلى ما لا نهاية له ﴿ بما كنتم تقولون ﴾ أى تجددون[7] القول دائما ﴿ على الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ غير الحق ﴾ أى غير القول المتمكن غاية التمكن فى درجات الثبات ، و لو قال بدله : باطلا ، لم يؤد هذا المعنى ، و لو قال : الباطل ، لقصر عن المعنى أكثر ، و قد مضى فى المائدة ما ينفع هنا ، و إذا نظرت إلى أن[8] السياق لأصول الدين ازداد المراد وضوحا ﴿ و كنتم ﴾ أى و بما كنتم ﴿ عن ايته تستكبرون ٥ ﴾

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : القدور (٣) من ظ ، و فى الأصل : النفود - كذا.
(٤) فى ظ : المتشعب (٥-٥) فى ظ : المتشبك المعلول (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : تجدون (٨) سقط من ظ .

أى تطلبون الكبر للمجاوزة عنها، و من استكبر عن آية واحدة كان مستكبرا عن الكل، أى لو رأيت ذلك لرأيت أمرا فظيعا[1] و حالا هائلا شنيعا، و عبر بالمضارع تصويرا لحالهم .

و لما كانوا ينكرون أن يحس الميت شيئا بعد [الموت -[2]] أو يفهم كلاما ، وكان التقدير كما دل عليه السياق : فتتوفاهم الملائكة ، لا يقدر أحد على منعهم ، فيقول لهم : قد رأيتم ملائكتنا الذين أخبرناكم أول السورة أنهم إذا أبصروا كان القضاء الفصل و الأمر البت الحتم الذى ليس[3] فيه مهل ، عطف عليه قوله مشيرا إلى ما كان سبب استكبارهم من الاجتماع على الضلال و التقوّى بالأموال : ﴿ و لقد جئتمونا ﴾ أى لما لنا من العظمة بالموت الذى هو دال على شمول علمنا و تمام قدرتنا قطعا ، و دل على تمام العظمة و أن المراد مجيئهم بالموت[4] قوله[5] : ﴿ فرادى ﴾ أى متفرقين ، [ليس -[2]] أحد منكم مع أحد ، و منفردين[6] على كل شىء صدكم عن اتباع رسلنا ﴿ كما خلقنكم ﴾ أى بتلك العظمة التى[7] أمتناكم بها بعينها ﴿ اول مرة ﴾ فى الانفراد و الضعف و الفقر ، فأين جمعكم الذى كنتم به تستكبرون ! ﴿ و تركتم ما خولنكم ﴾ أى ملكناكم[8] من المال و مكناكم[9] من إصلاحه نعمة عليكم لتتوصلوا[10] به إلى رضانا ، فظننتم أنه لكم بالأصالة ، و أعرضتم عنا [و -[2]] بدلتم ما دل

(١) فى ظ : قطعيا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل: الموت (٥) فى ظ : بقوله (٦) فى ظ : متفرقين (٧) فى ظ : الذى (٨) من ظ ، و فى الأصل : مكناكم (٩) فى ظ : ملكناكم (١٠) من ظ ، و فى الأصل : ليتوصلوا .

عليه من عظمتنا بضد ذلك من الاستهانة بأوامرنا[1] ﴿ ورآء ظهوركم ﴾ فما أغنى عنكم ما كنتم منه تستكبرون .

و لما كانوا يعدون الأصنام آلهة ، و يرجون شفاعتها ، إما استهزاء ، و إما فى الدنيا ، و إما فى الآخرة - على تقدير التسليم لصحة البعث ، قال تهكما بهم و استهزاء بشأنهم[2] : ﴿ و ما نرى معكم شفعآءكم ﴾ أى التى كنتم تقولون فيها ما تقولون ﴿ الذين زعمتم ﴾ أى كذبا و جراءة[3] و فجورا ﴿ انهم فيكم شركٰؤا ﴾ أى أن لهم فيكم نصيبا مع الله حتى كنتم تعبدونهم فى وقت الرخاء و تدعونه فى وقت الشدة ، أرُوناهم لعلهم سترهم عنا ساتر أو حجبنا عنهم حاجب ؛ ثم دل على بهتهم فى جواب هذا الكلام الهائل المرعب[4] حيرة و عجزا و دهشا و ذلا بقوله : ﴿ لقد تقطع ﴾ أى تقطعا كثيرا .

و لما كان ذكر البين فى شىء يدل على قربه[5] فى الجملة و حضوره و لو فى الذهن ، لأنه يقال : بينى و بين كذا كذا ، و كان فلان بيننا ، و نحو ذلك مما يدل على الحضور ؛ قال منبها على زوال ذلك حتى بالمرور بالبال و الخطور[6] فى الذهن[7] لشدة الاشتغال ﴿ بينكم ﴾ فأسند القطع المبالغ فيه[8] إلى البين ، و إذا / انقطع البين تقطّع ما كان فيه من الأسباب التى كانت تسبب[9] الاتصال ، فلم يبق لأحد منهم اتصال /٢٢٧

(١) فى ظ : ما فيه امرنا - كذا (٢) فى ظ : لشانكم (٣) من ظ ، و فى الأصل : جراه (٤) فى ظ : الموعب (٥) من ظ ، و فى الأصل: قوته (٦) فى ظ: الحضور. (٧) من ظ ، و فى الأصل : النصر (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : سبب.

بالآخر[١]، لأن ما بينهما صار كالخندق بانقطاع نفس البين، فلا يتأتى معه الوصول، هذا على قراءة الجماعة بالرفع، و هذا المثال[٢] معنى قراءة نافع و الكسائي و حفص عن عاصم بالنصب على الظرفية؛ و لما رجع المعنى إلى[٣] تقطع الوصل، بين سبب ذلك، و هو زوال المستند الذى كانوا يستندون إليه فقال: ﴿ و ضل عنكم ﴾ أى ذهب و بطل ﴿ ما كنتم تزعمون ﴾ أى من تلك الأباطيل كلها.

و لما ثبتت[٤] الوحدانية و النبوة و الرسالة و تقاريع من تقاريعها، و انتهى الكلام هنا إلى ما تجلى[٥] به مقام العظمة، و انكشف له قناع الحكمة [و -[٦]] تمثل نفوذ الكلمة، فتهيأ السامع لتأمله، و تفرغ فهمه لتدبره؛ قال دالا عليه مشيرا إليه، معلما أن ما مضى أنتجه و أظهره لا بد و أبرزه، مذكرا بآياته[٧] "و الذين يؤمنون بالآخرة" و بمحاجة إبراهيم عليه السلام، مصرفا ما مضى أول السورة من دلائل الوحدانية على أوجه[٨] أخرى، إعلاما بأن دلائل الجلال تفوق عدد الرمال، و تنبيها على أن القصد بالذات معرفة الله تعالى بذاته و صفاته: ﴿ان الله﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال، فهو[٩] قادر على كل ما يريد ﴿فالق الحب﴾ أى فاطره و شاقه عن الزروع[١٠] و النبات، و عبر بذلك لأن الشيء قبل وجوده كان معدوما، و العقل يتوهم و يتخيل من العدم ظلمة متصلة.

---

(١) من ظ، و فى الأصل: بالاخرى (٢) من ظ، و فى الأصل: المساك - كذا.
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: ثبت (٥) من ظ، و فى الأصل: بجلى - كذا.
(٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: ياته (٨) فى ظ: وجه (٩) فى ظ: و هو (١٠) فى ظ: الزرع.

فلذا

فاذا خرج من العدم المحض و الفناء الصرف فكأنه بحسب التخيل و التوهم شق[1] ذلك العدم ﴿ و النوى[2] ﴾ أى و هو ما يكون داخل الثمار المأكولة كالتمر، و لا يكون مقصودا لذاته بفلقها عن الأشجار ، و فى ذلك حكم و أسرار تدق عن[3] الأفكار ، و تدل على كمال الواحد المختار[3] ؛ قال الإمام الرازى ما حاصله : إن النواة و الحبة تكون فى الأرض الرطبة مدة ، فيظهر الله فيها شقا فى أعلاها و آخر فى أسفلها ، و تخرج الشجرة من الأعلى فتعلو و تهبط من الأسفل شجرة أخرى فى أعماق الأرض ، هى العروق ، و تلك الحبة أو[4] النواة سبب [و - [5]] أصل بين الشجرتين : الصاعدة والهابطة . فيشهد[6] الحس و العقل بأنّ طبع الصاعدة و الهابطة متعاكس ، و ليس ذلك قطعا بمقتضى الطبع و الخاصية . بل بالإيجاد و الاختراع و التكوين[7] و الإبداع ، و لا شك أن العروق الهابطة فى غاية اللطافة و الرقة[8] بحيث لو دلكت باليد بأدنى قوة صارت كالماء ، و هى مع ذلك تقوى على النفوذ فى الأرض الصلبة التى لا ينفذ فيها المسلّة و السكين الحادة إلا باكراه عظيم ، فحصول هذا النفوذ لهذه[9] الأجرام اللطيفة لا يكون قطعا إلا لقوة[10] الفاعل المختار ، لا سيما إذا تأملت ظهور[11] شجرة من نواة صغيرة ، [ثم -[5]] تجمع الشجرة طبائع مختلفة فى قشرها ثم فيما تحته من جرم الخشبة ، و فى وسط تدوير الخشبة جرم ضعيف كالعهن المنفوش ، ثم يتولد من ساقها أغصانها ، و من الأغصان أوراقها

(١) فى ظ : الشق (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : انقهار (٤) فى ظ « و » (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) فى ظ : يشهد (٧) من ظ ، و فى الأصل : السكون. (٨) فى ظ : الدقة (٩) من ظ ، و فى الأصل : لهذا (١٠) فى ظ : بقوة (١١) من ظ ، و فى الأصل : ظهوره .

أولا ثم أنوارها و أزهارها ثانيا، ثم [الفاكهة ثالثا، ثم قد يحصل - [1]] للفاكهة أربعة أنواع من القشور، مثل الجوز و اللوز قشره الأعلى ذلك الجرم الأخضر، و تحته القشر الذى كالخشب، و تحته القشر الذى كالغطاء الرقيق المحيط باللبة، و تحته اللب المشتمل على جرم[2] كثيف هو أيضا كالقشرة، و على جرم[3] لطيف هو الزهر[4]. و هو المقصود بالذات، فتولدُ هذه الأجسام المختلفة طبعا و صفة و لونا و شكلا و طعما[5] مع تساوى تأثيرات الطبائع و النجوم و العناصر و الفصول الأربعة دالٌ على القادر المختار بتلوه فى الفرحة، و قد تجتمع [[1] - الطبائع الأربعة فى الفاكهة الواحدة كالأترج قشره حار يابس و نوره حار يابس، و كذلك العنب قشره و عجمه يابس حار رطب مع أنك تجد أحوالها مختلفة، بعضها لبه فى داخله و قشره فى خارجه كالجوز و اللوز، و بعضها[6] يكون المطلوب منه فى الخارج و خشبه فى الداخل كالخوخ و المشمش، و بعضه لا لب لنواه كالتمر، و بعضه يكون كله مطلوبا كالتين، و اختلاف هذه الطبائع و الأحوال المتضادة و الخواص المتنافرة حتى فى الحبة الواحدة لا يكون عن طبيعة، بل عن الواحد المختار، و الحبوب مختلفة الألوان و الأشكال و الصور، فشكل الحنطة كأنه[7] نصف مخروط، و شكل الشعير كأنه مخروطان اتصلا بقاعدتيهما و شكل الحمص على وجه آخر، و أودع سبحانه فى كل نوع منها خاصية و منفعة غير ما فى الآخر، و قد تكون الثمرة غذاء[8] لحيوان

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل : حزم (٣) فى ظ : تبرم - كذا (٤) من ظ، و فى الأصل : الدهن (٥) فى ظ : طمعا (٦) فى ظ : بعضه (٧) فى ظ : فانه (٨) فى ظ : عد - كذا.

و سمّا لحيوان آخر ، فهذا الاختلاف مع اتحاد الطبائع و تأثيرات الكواكب دالّ على أنها إنما حصلت بالفاعل المختار ، ثم إنك تجد فى ورقة الشجرة خطا فى وسطها مستقيما نسبته لتلك الورقة نسبة النخاع إلى بدن الإنسان ، ينفصل عنه خيوط مختلفة ، و عن كل واحد منها خيوط أخرى أدق من الأولى ، و لا يزال على هذا النهج حتى تخرج الخيوط عن الحس ٥ و البصر ، كما أن النخاع ينفصل منه أعصاب كثيرة يمنة و يسرة فى البدن ، ثم لا يزال ينفصل عن كل شعبة شعب أخرى ، و لا يزال يستدق حتى تلطف عن الحس ، فعل سبحانه ذلك فى الورقة لتقوى القوى المذكورة فى جرم تلك الورقة على جذب الأجزاء اللطيفة الأرضية فى تلك المجارى الضيقة ، فهذا يعلمك أن عنايته سبحانه فى اتخاذ[1] جملة تلك الشجرة أكمل ، ١٠ فعنايته فى تكوين جملة النبات أكمل ، و هو إنما خلق جملة النبات لمصلحة الحيوان فعنايته فى تخليق الحيوان أكمل ، و المقصود من تخليق جملة الحيوان هو الإنسان فعنايته فى تخليقه أكمل ، و هو سبحانه إنما خلق الحيوان و النبات فى هذا العالم ليكون غذاء و دواء للانسان بحسب جسده ، و المقصود من جسده حفظ تركيبه لأجل المعرفة و المحبة و العبودية ، ١٥ فسبيلك أن تنظر فى ورقة الشجرة و تتأمل فى تلك الأوتار ثم تترقى منها إلى أوج تخليق الشجرة ثم إلى ما فوقها رتبة رتبة لتعلم أن المقصود الأخير منها حصول المعرفة و المحبة فى الأرواح البشرية ، و حينئذ ينفتح[2] لك باب من المكاشفات لا آخر له ، و يظهر لك أن نعم الله فى خلقك غير متناهية " و ان تعدوا نعمت الله لا تحصوها[3] " ـ و الله الهادى . ٢٠

(١) فى ظ : اتحاد (٢) فى ظ : ينفع (٣) سورة ١٤ آية ٣٤ .

و لما كان فلقهما[1] عن النبات من جنس الإحياء لما فيه من النمو] فسر معنى الفلق و بينه إشارة إلى الاعتناء به وقتا بعد وقت بقوله: ﴿ يخرج ﴾ أى على سبيل التجدد و الاستمرار / تثبيتا لأمر البعث ﴿ الحى ﴾ أى كالنجم و الشجر و الطير و الدواب ﴿ من الميت ﴾ من الحب و النوى و البيض [2]و النطف[2] فكيف تنكرون[3] قدرته على البعث؛ و لما انكشف معناه و بان مغزاه باخراج الأشياء من أضدادها لئلا يتوهم - لو كان [لا -[4]] يخرج عن شىء إلا مثله - أن الفاعل[5] الطبيعة و الخاصية، عطف على "فالق" زيادة فى البيان قوله معبرا باسم الفاعل الدال على الثبات لأنه لا منازعة لهم فيه، فلم تدع حاجة إلى التعبير بالفعل الدال على التجدد: ﴿ و مخرج الميت ﴾ أى من الحب و ما معه ﴿ من الحى[4] ﴾ أى من النجم و ما معه.

/ ٢٢٨

و لما تقررت له سبحانه هذه الأوصاف التى لا قدرة أصلا لأحد غيره على شىء منها، قال منبها لهم على غلطهم فى إشراكهم، إعلاما بأن كل شريك ينبغى أن يساوى شريكه فى شىء ما من الأمر المشرك[6] فيه، و لا مكافئ له سبحانه [و تعالى -[4]] فى شىء من الأشياء فلا شريك له بوجه: ﴿ ذلكم ﴾ أى العالى المراتب المنيع المراقى هو[7] ﴿ الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال وحده فلا يحق الإلهية إلا له؛ و لما[8] كان هذا[8]

(١) فى ظ: قلعهما (٢-٢) من ظ، و فى الأصل: من الفطرة - كذا (٣) فى ظ: ينكر (٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٦) فى ظ: المشترك (٧) سقط من ظ (٨-٨) من ظ، و فى الأصل: هذا كان.

معنى الكلام، سبب عنه قوله: ﴿فأنّى﴾ أى فكيف و من أىّ وجه ﴿تؤفكون ه﴾ أى تصرفون و تقلبون عما ينبغى اعتقاده.

و لما وصف سبحانه [و تعالى - [1]] نفسه المقدسة من فلق الجواهر بما اقتضى حتما اتصافه بصفات الكمال، و قدمه لكونه من أظهر أدلة القدرة على البعث الذى هذا أسلوبه، مع الإلف له بقربه و معالجته، أتبعه ما هو مثله فى الدلالة على الإحياء لكنه فى المعانى و هو سماوى، شارحا[2] لما أشار إليه الخليل عليه السلام فى محاجة قومه من إبطال إلهية كل من النور و الظلمة و الكواكب التى هى منشأ[3] ذلك، فقال ترقية من العالم السفلى إلى [العالم - [1]] العلوى: ﴿فالق الاصباح ج﴾ أى موجده، وحقيقته: فالق ظلمة الليل عن الصباح، لكنه لما كثر استعماله و أمن اللبس فيه أسند الفعل إلى الصبح، كما يقال: انفجر الصبح، و انفجر عنه الليل، و يمكن أن يراد بالفلق الكشف، لأنه يكشف من المفلوق[4] ما كان خفيا، فعبر عن المسبب الذى هو الإظهار بالسبب الذى هو الفلق، و عبر عن الصباح بهذه الصيغة التى يقال للدخول فى الصبح لتصلح لإرادة فلق السكون بالنور[5] أو غيره عن التصرف بالحركة المترتبة على الدخول فى الصبح، فدلنا ذلك على و جاعل الإصباح حركة و سادل الليل ﴿و جاعل[6] الّيل﴾ بما يكون من إظلامه ﴿سكنا﴾ يسكن الناس فيه و إليه و يستريحون فيه، فالآية من الاحتباك: حذف من الأول الحركة و دل

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: شارح (٣) من ظ، و فى الأصل: منشاة (٤) من ظ، و فى الأصل: المفلق (٥) فى ظ: بالندم (٦) و قراءة حفص: جعل - كما فى مصاحفنا.

عليها بالسكن ، و حذف من الثانى السدل و دل عليه بالفلق ، و هذا الفلق من أعظم الدلائل على قدرته سبحانه ، و فيه دلالتان لأن[1] الإصباح يشمل[2] الفجر الكاذب و الصادق ، و الأول أقوى دلالة لأن مركز الشمس إذا وصل إلى دائرة نصف الليل فالموضع - الذى تكون[3] تلك الدائرة أفقا له - تطلع الشمس من مشرقه ، فيضىء فى ذلك الموضع نصف كرة الأرض ، فيحصل الضوء فى الربع الشرقى من بلدتك ، و يكون ذلك الضوء منتشرا مستطيرا فى جميع الجو ، و يجب أن يقوى [4]لحظة فلحظة[4]، فلو كان الأول[5] من قرص الشمس لامتنع أن يكون خطا مستطيلا ، بل كان يجب أن يكون مستطيرا فى الأفق منتشرا متزايدا لحظة فلحظة ، لكن ليس هو كذلك ، فانه يبدو كالخيط الأبيض الصاعد حتى شبهته العرب بذنب السرحان ثم يحصل عقبه ظلمة خالصة ، ثم يكون الثانى الصادق المستطير فكان[5] الأول أدل على القدرة ، لأنه بتخليق الله ابتداء تنبيها على أن الأنوار ليس لها وجود إلا بابداعه ، و الظلمات ليس لها ثبات[6] إلا بتقديره .

و لما ذكر الضياء و الظلمة ، ذكر منشأهما و ضم إليه قرينه فقال عاطفا على محل "الليل" / لأن 'جاعلا' ليس بمعنى المضىء فقط لتكون[7] الإضافة حقيقية ، بل المراد استمراره فى الأزمنة كلها : ﴿ و الشمس ﴾ أى التى ينشأ[8] عنها كل منهما ، هذا عن غروبها و هذا عن شروقها

٢٢٩ /

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لشمس (٣) من ظ ، و فى الأصل : يكون .
(٤ - ٤) من ظ ، و فى الأصل : محط فلحط - كذا (٥) فى ظ : لكان (٦) فى ظ : اثبات (٧) من ظ ، و فى الأصل : ليكون (٨) من ظ ، و فى الأصل : نشا .

﴿ و القمر ﴾ أى الذى هو آية الليل ﴿ حسبانا[1] ﴾ أى ذوى حسبان وعلمين[1] عليه، لأن[2] الحساب يعلم بدورهما [3]و سيرهما[3]، و بسبب ذلك نظم سبحانه مصالح العالم فى الفصول الأربعة، فيكون عن ذلك ما يحتاج إليه من نضج الثمار و حصول الغلات، و عبر عنهما بالمصدر المبنى على هذه الصيغة البليغة إشارة إلى أن الحساب بهما أمر عظيم كبير[4] النفع كثير الدخول، مع ما له من[5] الدنيا فى أبواب الدين[6] فهو جل نفعهما الذى وقع التكليف به، فكأنه لما كان الأمر كذلك، كان حقيقتهما التى يعبر عنهما بها[7]، و أما غير ذلك من منافعهما فلا مدخل للعباد فيه.

و لما كان هذا أمرا باهرا و[8] وصفا قاهرا، أشار إليه بأداة البعد فقال: ﴿ ذلك ﴾ أى التقدير العظيم الذى تقدم من الفلق و ما بعده ﴿ تقدير العزيز ﴾ أى الذى لا يغالب فهو الذى قهرهما[9] على ما سيّرهما[10] فيه، و غلب العباد على ما دبر من أمرهم بهما، فلو أراد أحد أن يجعل ما جعله من النوم يقظة و[11] اليقظة نوما، أو يجعل محل السكن للحركة أو بالعكس أو غير ذلك مما أشارت إليه الآية لأعياه ذلك ﴿ العليم ﴾ أى الذى جعل ذلك بعلمه على منهاج لا يتغير و ميزان قويم[12] لا يزيغ.

و لما ذكر ذلك، أتبعه منفعة أخرى تعمهما مع غيرهما مبينا ما أذن

---

(١) فى ظ: علما (٢-٢) من ظ، وفى الأصل: على ان (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: كثير (٥) فى ظ: فى (٦) من ظ، وفى الأصل: الدنيا (٧) فى ظ: بهما (٨) سقط من ظ (٩) من ظ، وفى الأصل: قهره (١٠) من ظ، وفى الأصل: يشيرهما - كذا (١١) من ظ، وفى الأصل: او. (١٢) فى ظ: لقريم - كذا.

فيه من علم النجوم و منافعها فقال : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذى جعل ﴾ و لما كانت العناية [بنا - [1]] أعظم ، قدم قوله : ﴿ لكم النجوم ﴾ أى كلها سائرها و ثابتها و إن كان علمكم يقصر عنها كلها كما يقصر عن الرسوخ و البلوغ فى علم السير[2] للسيارة منها ﴿ لتهتدوا ﴾ أى لتكلفوا أنفسكم علم الهداية ﴿ بها ﴾ لتعلموا القبلة و أوقات الصلوات[3] و الصيام و غير ذلك من منافعكم دنيا و دينا .

و لما كانت الأرض و الماء ليس لهما من نفسهما إلا الظلمة ، و انضمت إلى ذلك ظلمة الليل ، قال : ﴿ فى ظلمت البر ﴾ أى الذى لا عَلَم فيه ، و إن كانت له أعلام فانها قد تخفى ﴿ و البحر[4] ﴾ فانه لا عَلَم به ، و الإضافة إليهما للملابسة أو تشبيه الملتبس من الطرق و غيرها بالظلمة ؛ روى الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى فى جزء جمعه فى النجوم من طريق أحمد بن سهل الأشنانى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : تعلموا من النجوم ما تهتدون[5] فى البر و البحر ثم انتهوا ، و تعلموا من الأنساب[6] ما تصلون به[7] أرحامكم و تعرفون ما يحل لكم و يحرم عليكم من النساء ثم انتهوا .

و فيه من طريق عبد الله بن الإمام أحمد فى زياداته على المسند عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا على ! أسبغ الوضوء و إن شق عليك ، و لا تأكل الصدقة و لا تنز[8] الحمير على

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التسير (٣) من ظ . و فى الأصل : الصلاة (٤) من ظ و روح المعانى ٢ / ٥٣٧ ، و فى الأصل : يهتدون (٥) فى ظ : الاسباب . (٦) فى ظ : اليه (٧) سقط من ظ (٨) من مسند الإمام أحمد ١ / ٧٨ ، و فى الأصل : لا تثر ، و فى ظ : لا سر - كذا .

الخيل[1]، و لا تجالس أصحاب النجوم . و فيه عن أبي ذر رضى الله عنه عن عمر رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : لا تسألوا عن النجوم ، و لا تفسروا القرآن برأيكم ، و لا تسبوا أصحابي ، فان ذلك الإيمان المحض . و عن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم نهى عن النظر فى النجوم - رواه من طرق كثيرة ؛ و[2] عن عائشة رضى الله تعالى عنها مثله سواء ، و عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، و إذا ذكر القدر فأمسكوا ، و إذا ذكرت النجوم فأمسكوا - رواه من طرق و أسند عن قتادة قوله تعالى "و أنهرا و سبلا[3]" قال : طرقا "و علمت[4]" قال : هى النجوم ، قال : ان الله عز و جل إنما خلق هذه النجوم لثلاث خصال : جعلها زينة للسماء ، و جعلها يهتدى بها ، و جعلها / رجوما للشياطين ، فمن تعاطى فيها [شيئا -[5]] غير ذلك فقد أخطأ حظه و قال رأيه و أضاع نصيبه و تكلف ما لا علم له[6] به - فى كلام طويل حسن ، [و هذا الأثر الذى عن قتادة أخرجه عنه البخارى[7] فى صحيحه -[5]] ، و قال[8] صاحب كنز اليواقيت فى استيعاب[9] المواقيت فى مقدمة الكتاب : و اعلم أن العلم منه محمود ، و منه مذموم لا يذم لعينه ، إنما يذم فى حق العباد لأسباب ثلاثة : أولها أن يكون مؤديا إلى ضرر كعلم السحر

/ ٢٣٠

(١) من ظ و المسند ، و فى الأصل : الخليل (٢) سقط من ظ (٣) سورة ١٦ آية ١٥ . (٤) سورة ١٦ آية ١٦ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من ظ و صحيح البخارى - بدء الخلق ، و فى الأصل : لنا (٧) زيد بعده فى ظ : عنه ، و لا يناسب السياق فحذفناه . (٨-٨) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٩) من ظ ، و فى الأصل : التبعات - كذا .

و الطلسمات و هو حق[1] إذ شهد القرآن به و أنه سبب للتفرقة بين الزوجين ، و سحر النبي صلى الله عليه وسلم و مرض بسببه ، حتى أخبره[2] جبرئيل عليه السلام و أخرج السحر من تحت حجر فى قعر بئر ـ كما ورد فى الحديث الصحيح ؛ و معرفة ذلك من حيث أنه معرفة ليس مذموما ،
٥ [3]أو من حيث أنه لا يصلح إلا لإضرار بالخلق يكون مذموما[3]. و الوسيلة إلى الشر شر ؛ الثانى أن يكون مضرا بصاحبه فى غالب الأمر كالقسم الثانى من علم النجوم الأحكامى المستدل [به ـ[4]] على الحوادث بالأسباب كاستدلال الطبيب بالنبض على ما يحدث من المرض ، و هو معرفة مجارى سنة الله و عادته فى خلقه ، و لكنه ذمه الشرع و زجر عنه لثلاثة
١٠ أوجه : أحدها أنه[5] يضر بأكثر الناس فانه إذا قيل : هذا الأمر لسبب سير الكواكب ، [6]وقر فى نفس الضعيف[6] العقل أنه مؤثر ، فينمحى ذكر الله عن قلبه ، فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط بخلاف العالم الراسخ ، فانه يطلع على [أن ـ[4]] الشمس و القمر و النجوم مسخرات ، و فرق كبير بين من يقف مع الأسباب و بين من يترقى إلى مسبب
١٥ الأسباب ، ثم [7]ذكر ما[7] حاصله أن السبب الثانى فى النهى عنه أنه تخمين[8] لا يصل إلى القطع ؛ و الثالث أنه لا فائدة فيه . فهو خوض فى

(١) فى ظ : احق (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : ان (٦ - ٦) فى ظ : وقع الضعف ـ كذا (٧ - ٧) من ظ ، و فى الأصل : ذكره (٨) من ظ ، و فى الأصل : تحميق ـ كذا .

فضول ، و أن السبب الثالث مما يذم [1]به ما يذم[1] من العلوم أنه مما لا تبلغه[2] عقول أكثر الناس و لا يستقل به ، و لا ينكر كون العلم ضارا لبعض الأشخاص كما يضر لحم الطير بالرضيع - انتهى . و روى أبو داود و ابن ماجه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر ٥ زاد ما زاد . [3]- و قال صاحب كتاب الزينة فى آخر كتابه بعد أن ذكر العيافة و الزجر و نحوهما ، و يأتى أكثره عنه فى سورة الصّٰفّٰت : و روى عنه صلى الله عليه و سلم أنه قال : إياكم و النجوم ! فانه تدعو إلى الكهانة ، قال : هذه الأشياء كلها لها أصل صحيح ، فمنها ما كانت من علوم الأنبياء مثل النجوم و الخط و غير ذلك ، و لو لا الأنبياء الذين ١٠ أدركوا علم النجوم و عرفوا مجارى الكواكب فى البروج[4] و ما لها من السير فى استقامتها و رجوعها ، و ما قد ثبت و صح من الحساب فى ذلك بما لا ارتياب فيه ، لما قدر الناس على إدراكه ، و ذلك كله بوحى من الله عز و جل إلى أنبيائهم عليهم السلام ، و قد روى أن إدريس عليه السلام أول من علم النجوم ، و روى فى الخط أنه كان علم نبى من الأنبياء ، ١٥ و لو لا ذلك لما أدرك الناس هذه اللطائف و لا عرفوها] .

و لما كانت هذه الآيات قد بلغت فى البيان حدا[5] علا عن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يتلفه - كذا .
(٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ : البرزخ - كذا (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها .

طوق الإنسان و الملائكة و الجان لكونها صفة الرحمن ، فكانت فخرا يتوقع فيه التنبيه عليه [فقال -[1]] : ﴿ قد فصلنا ﴾ أى بينا بيانا شافيا على ما لنا من العظمة ﴿ الأيٰت ﴾ واحدة فى إثر واحدة على هذا الأسلوب المنيع و المثال الرفيع ؛ و لما كانت من الوضوح فى حد لا يحتاج إلى كثير[2] تأمل قال : ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى لهم قيام فيما إليهم ، و لهم قابلية العلم ليستدلوا بها بالشاهد على الغائب .

و لما ذكر سبحانه بعض هذا الملكوت الأرضى و السماوى ، أتبعه - كما مضى فى أول السورة - الخلق المفرد الجامع لجميع الملكوت ، و هو الإنسان ، دالا على كمال القدرة على كل ما يريد ، مبطلا بمفاوتة أول الإبداع و آخر الآجال ما اعتقدوا فى النور و الظلمة و الشمس و القمر و غيرهما ، لأن واحدا[3] منها لا اختيار له فى شىء يصدر[4] عنه ، بل هو مسخر و مقهور كما هو محسوس و مشهور ، فقال : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذىٓ انشاكم ﴾ أى و أنتم فى غاية التفاوت فى الطول و القد و اللون و الشكل و غير ذلك من الأعراض التى دبرها سبحانه على ما اقتضته حكمته ﴿ من نفس واحدة ﴾ ثم اقتطع منها زوجها ثم فرّعكم منهما .

و لما كان أغلب الناس فى الحياة [الدنيا -[1]] يعمل عمل من لا يحول و لا يزول ، لا يكون على شرف الزوال ما دامت[5] فيه بقية

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : كبير (٣) من ظ ، و فى الأصل : احد (٤) فى ظ : يصد (٥) فى ظ : ما دام .

من

[من - ١] حياة ، [قال - ١] : ﴿ فمستقر ﴾ أى فسبب عن ذلك أنه منكم / مستقر على الأرض - هذا على قراءة ابن كثير و ابن عمرو بكسر القاف اسم فاعل ، و المعنى فى قراءة الباقين[٢] بفتحه اسم مكان "و لكم فى الارض مستقر و متاع الى حين[٣]" . ٢٣١ /

و لما كان من فى البرزخ قد كشف [عنهم - ١] الغطاء فهم موقنون بالساعة غير[٤] عاملين على ضد ذلك ، و كذا من فى الصلب و الرحم ، عبر بما[٥] يدل على عدم الاستقرار فقال : ﴿ و مستودع[٤] ﴾ أى فى الأصلاب أو الأرحام أو فى بطن الأرض ، [فدلت المفاوتة من كل منهما - مع أن الكل من نفس واحدة - على القادر المختار - ١] ، لا يقدر غيره أن[٦] يعكس شيئا من ذلك ، وكل ذلك مضمون الآيتين فى أول السورة ؛ و قدم الإصباح و الليل و متعلقهما لتقدمهما فى الخلق ، ثم تلاه بخلق الإنسان على حسب ما مرّ أول السورة ، و ذكر [هنا أنه جعل ذلك الطين نفسا واحدة فرّع الإنس كلهم منها مع تفاوتهم فيما - ١] هناك و فى غيره .

و لما ذكر هذا المفرد[٧] الجامع ، و فصّله على هذه الوجوه المعجبة ، كان محلا لتوقع التنبيه عليه فقال: ﴿ قد فصلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ الآيٰت ﴾ أى أكثرنا بيانها فى هذا المفرد[٧] الجامع فى أطوار الخلقة و أدوار الصنعة[٨] ، تارة بأن يكون من التراب بشر ، و أخرى بأن يخرج الأنثى من الذكر ،

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل: الباقى (٣) سورة ٢ آية ٣٦ (٤) من ظ ، و فى الأصل : ثم (٥) من ظ ، و فى الأصل : لما (٦) فى ظ : لان (٧) فى ظ : الفرد (٨) فى ظ : الصنيعة .

و تارة بأن يفرّع من الذكر و الأنثى ما لا يحيط به العد[1] و لا يجمعه الخبر من النطفة إلى الولادة إلى الكبر .

و لما كان إنشاء الناس من نفس واحدة و تصريفهم على تلك الوجوه المختلفة جدا ألطف و أدق صنعة[2]، فكان ذلك محتاجا[3] إلى تدبر و استعمال فطنة و تدقيق نظر[4]، قال: ﴿ لقوم يفقهون ﴾ أى لهم أهلية الفقه و الفطنة .

و لما ذكر وجوه الإبداع التفريعى[5] من هذين الكونين و أسباب البقاء له بما ينشأ [عنه - [6]] الفصول[7] و غيرها ، أتبعه سببه القريب ، و هو الماء الذى جعل منه كل شىء حى ، فقال مفصلا ما أجمله فى الحب و النوى ، سائقا له مساق الإحسان لما[7] قبله من الدلائل ، فان الدليل إذا كان على وجه الإحسان و مذكرا بالإنعام كان تأثيره فى القلب عظيما ، فينبغى للمشتغل بدعوة الخلق أن يسلك هذا المسلك [ليكون للقلوب أملك - [6]] : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذى انزل ﴾ أى بقدرته و علمه و حكمته ﴿ من السمآء ﴾ أى الحقيقية التى تعرفونها كما دل عليه صريح[8] العبارة و ما أشبهها من ذكور الحيوان المنبه عليه بطريق الإشارة ﴿ مآء ج ﴾ أى منهمرا و دافقا .

و لما كان تفريع الخلق من الماء بمكان من العظمة لا يوصل إليه ، نبه عليه بالانتقال إلى التكلم فى[9] مظهر العظمة فقال: ﴿ فاخرجنا ﴾ أى على

(١) فى ظ : العدد (٢) فى ظ : صنيعة (٣) من ظ ، و فى الأصل : محتاج (٤) فى ظ : خبر (٥) فى ظ : التقريعى (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : كما . (٨) من ظ ، و فى الأصل : صرح (٩) فى ظ « و » .

ما لنا من العظمة التى لا يدانيها أحد ﴿ به ﴾ أى الماء ﴿ نبات كل شىء ﴾ مختلفة[1] طعومه و ألوانه و روائحه و طبائعه و منافعه و هو بماء واحد ، فالسبب واحد و المسببات كثيرة منفتة[2] ، سواء كان ذلك النبات حقيقيا من النجم و الشجر ، أو مجازيا من الأنثى و الذكر ؛ ثم سبب عن الحقيق لظهوره قوله دالا على العظمة : ﴿ فاخرجنا منه ﴾ أى النبات ﴿ خضرا ﴾ أى ٥ شيئا أخضر غضا طريا ، و هو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة ؛ ثم زاد فى بيان عظمته بقوله : ﴿ نخرج ﴾ أى حال كوننا مقدرين أن نخرج ﴿ منه ﴾ أى من ذلك الخضر ﴿ حبا متراكبا ج ﴾ أى فى السنبل يركب بعضه بعضا [و يحرسه من أن يلتقطه الطير بعد ستره بالقشر بحسك طويل لطيف جدا كالإبر خشن -[3]] ، بعد أن كان أصله حبة واحدة ١٠ على صورتها ، أو منفتة فى التراب بعد أن طوّره سبحانه فى عدة أطوار ، إن فاعل ذلك لقادر مختار .

و لما كان نسبة الإخراج و الإبداع إليه سبحانه وحده فى مظهر العظمة خصوصا و عموما ، فعلم أن الكل منه ، و صار الحال فى حد من الوضوح جدير بأن يؤمن من نسبة شىء إلى غيره لا سيما الذى هم ١٥ له معالجون ، و بالعجز عن إبداعه عالمون ، و بدأ بما بدأ به أولا فى آية الفلق من الحب ؛ ثنى بما من النوى ، فقال معبرا لذلك الأسلوب : ﴿ و من النخل ﴾ و تقديم الحب عليه هنا و فيما قبل يدل على أن الزرع أفضل منه ، فانه قوت فى أكثر البلاد و لأغلب الحيوانات [و الغذاء

(١) من ظ ، و فى الأصل : مختلفا (٢) فى ظ : متفتة (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

مقدم على الفاكهة - [١] ؛ [٢]فانها خلقت من طينة آدم[٢]؛ ثم أبدل مما أجمل
من ذلك / قوله مبينا : ﴿ من طلعها ﴾ أى النخل ، و هو أول ما يخرج منها ٢/٣٢
[فى - [١]] أكمامه ﴿قنوان﴾ جمع قنو ، و هو العذق بالكسر للشمراخ و هو
الكباسة ، و العرجون عوده الذى يكون فيه البسر ﴿ دانية ﴾ أى قريبة
٥ التناول و إن طال أصلها بما عليكم و سهل لكم من صنعة[٣] الوصول إليها .

و لما لم يكن لهم من معالجة الأعناب و غيرها ما لهم من معالجة النخيل ، عطف على " نبات " منبها لهم على أنها - كالنخيل - هو سبحانه المتفرد بابداعها [كما تقدم - فقال : ﴿ و جنت ﴾ أى بساتين ﴿ من اعناب ﴾ و جمعها لكثرة أنواعها - [١]] ، و بدأ بهاتين الشجرتين لفضلهما[٢] كما تقدم
١٠ على غيرهما ، لأن ثمرهما فاكهة و قوت ، و قدم الأول لأنهم له أكثر ملابسة[٣] ، [٤]و إن كان العنب أشرف أنواع الفواكه ، فانه ينتفع به من أول ظهوره لأنه [أولا - [١]] يكون له خيوط [خضر - [٢]] دقيقة حامضة لذيذة ، ثم تكون الحصرم ، و هو طعام شريف للأصحاء و المرضى ، و قد يتخذ[٥] منه رُبّ الحصرم و أشربة لطيفة المذاق نافعة
١٥ لأصحاب الصفراء ، و يطبخ منه ألذ الأطعمة الحامضة ، و هو عنبا ألذ الفواكه و أشهاها ، و يدخر عنبا قريبا من سنة ، و يكون زبيبه غذاء ، و يكون منه الدِبس و الخل و غير ذلك ، و أحسن ما فيه عجمه ، و هو يتخذ منه جوارشات عظيمة النفع للعدة[٦] الضعيفة الرطبة

---

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : صنيعة .
(٤) العبارة من هنا « الضعيفة الرطبة » تأخرت فى ظ عن « والرمان » .
(٥) فى ظ : يتحذر (٦) من ظ ، و فى الأصل : للعة .

[و قدم النخيل لأنها قوت للعرب ، و بينها و بين الإنسان مشابهة فى خواص كثيرة لا توجد فى النبات ، و لذا جاء فى الحديث « أكرموا عمتكم النخلة ، فانها خلقت من طينة آدم عليه السلام ، و ليس من الشجر يلقح غيرها » - رواه أبو يعلى و أبو نعيم فى الحلية و أبو الشيخ عن على رضى الله عنه - [1]] ؛ و أتبعها ما يليها فى الفضيلة فقال : ﴿ و الزيتون ﴾ [و - [1]] قدمه لكثرة نفعه ، و ينفصل منه دهن عظيم النفع فى الأكل و الضياء و سائر وجوه الاستعمال ﴿ و الرمان ﴾ [2] ختم به لحسنه و عظيم نفعه ، و هو مركب من أربعة أشياء : قشره و شحمه و عجمه و مائه ، فالثلاثة الأول باردة يابسة أرضية كثيفة عفصية قابضة جدا ، و الماء بضدها و هو ألذ الأشربة و ألطفها و أقربها إلى الاعتدال و أشدها مناسبة للطبع المعتدل ، و فى ذلك تقوية للمزاج الضعيف ، و هو غذاء من وجه و دواء [3] من وجه .

و لما ذكر الأقوات من الثمار و الحبوب و الأدهان و أشرف الفواكه و أعمها ، و كانت أشبه شيء بالآدمى فى نشئه و بعثه و اتفاقه و اختلافه ، و كان اشتباه بعضها و اختلاف بعضها - مع كونها تسقى [4] بماء واحد و فى أرض واحدة - دالا على القدرة و الاختيار ، و كان السياق لإثبات الوحدانية و نفى الشريك باثبات كمال القدرة التى هى منفية عن غيره ، فلا يصح أن يكون له شريك ، لأنه لا يكون إلا مشابها

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « من وجه » ساقطة من ظ (٣) فى الأصل و ظ : داء - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : يسقى .

لشريكه كمال المشابهة فيما وقعت الشركة فيه، و للبعث فكان المراد التفكر
فى ظواهرها و تقلباتها من العدم إلى الوجود و بعد الوجود ، و لمحاجة[1]
أهل الكتاب [2]الموسومين بالعلم[2] المنسوبين إلى حدة الأذهان و غيرهم
من الفرق ، و كان افتعل يأتى للتعريف[3] ، و هو المبالغة فى إثبات أصل
٥ الفعل و الاجتهاد فى تحصيله و الاعتمال ، فكان[4] حصوله إذا حصل
أكمل[5] ، قال[6] بانيا حالا[7] من كل ما تقدم : ﴿ مشتبها ﴾ أى فى غاية
الشبه بعضه لبعض حتى لا يكاد يتميز ، فلو قطع ثمرتا شجرتين منه
لم يتميز ثمرة هذه [8]من ثمرة هذه[8] ، فلا يقابله حينئذ نفى التفاعل ، فانه
لمجرد مشاركة أمرين أو أكثر فى أصل الفعل ، فعلم أن التقدير : و غير
١٠ مشتبه و متشابها ، ثم لما كان ربما تمسك القائل بالطبائع بهذه العبارة ،
نفى ما ربما ظن من أن لهذه الأشياء عملا فى اشتباه بعضها ببعض
فقال : ﴿ و غير متشابه[9] ﴾ أى غير طالب للاشتباه مع أنه لا بد من
شبه [ما -[9]] ، فالآية من الاحتباك : أثبت الاشتباه دلالة على نفى
ضده ، و [هو -[9]] عدم التشابه[10] ، و[11] لأجل أن الاشتباه أبلغ من
١٥ التشابه ، علق الأمر بالنظر الذى هو أثبت الحواس ، و دلالة على أن

(١) فى ظ : بمحاجة (٢-٢) فى ظ : المومنين (٣) فى ظ : للتعرف (٤) من ظ ،
و فى الأصل : فيه كان (٥) من ظ ، و فى الأصل : المكر - كذا (٦) فى ظ :
حال (٧) سقط من ظ (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد من ظ .
(١٠) زدناه لاستقامة العبارة (١١) و العبارة من « فالآية » إلى هنا ساقطة من
ظ (١٢) فى ظ : او .

المراد إنما هو ظاهر ذلك ، لأنه كان فى الدلالة على البعث و التوحيد الذى هذا سياقه فقال : ﴿ انظروا الى ثمره ﴾ و هذا بخلاف الحرف الثانى ، فانه فى [1] سياق الرد على العرب فيما يجعلون من خلقه لأصنامهم التى لا قدرة لها على شىء أصلا ، و لذلك ختم الآية [2] بالإذن لهم فى الأكل منه للانتهاء عما كانوا يحرمونه [3] منه على أنفسهم ، و بالأمر بالتصدق على من أمر بالصدقة عليه ، و أما الباطن الذى هو الأكل فسيأتى ؛ ثم نبه على تعميم النظر / فى جميع حالاته بقوله : ﴿ اذا أثمر ﴾ أى حين يبدو من كمامه ضعيفا قليل النفع أو [1] عديمه ﴿ و ينعه [4] ﴾ أى و انظروا إلى إدراكه إذ أدرك و حان قطافه ، و يعلم من ذلك النظر فيما بين ذلك ، لأنه يلزم من مراقبة الأول و الآخر ، فيعلم [4] استحالة ألوانه و مقاديره و طعومه و أشكاله و غير ذلك من شؤنه و أحواله ، و يلزم من ذلك أيضا [النظر - [5]] إلى أشجاره ليعلم تفاوت بعضها و اشتباه البعض الآخر فى الطول و القصر و الصغر و الكبر و غير ذلك من سائر الأحوال ، كما أن ذلك موجود فى الثمر ، فاستناد هذه التبدلات و التغيرات ليس إلا إلى الفاعل المختار ، لأن نسبته إلى الطبائع و الفصول على حد [6] سواء ، فلو استندت إليها لم تتغير .

/ ٢٣٣

و لما كان اتخاذ هذه المذكورات أولا و المخالفة بين أشكالها و مقاديرها و ألوانها ثانيا دالا على كمال القدرة المستلزم للوحدانية ، دل على عظمته بقوله [7] مستأنفا مشيرا [7] بأداة البعد و ميم الجمع : ﴿ ان فى ذلكم ﴾

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : بقوله (٣) من ظ ، و فى الأصل : يحرمون .
(٤) زيد بعده فى الأصل : من ذلك النظر فيما بين ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) زيد من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : مشيرا مستانفا .

أى الأمر العظيم الشأن العالى الرتبة ﴿ لآيات ﴾ أى علامات على قدرة الصانع واختياره .

ولما كانت الآيات لا تغنى[1] عمن أريدت شقاوته قال: ﴿لقوم يؤمنون﴾ أى حكم بأنهم - بحذقهم ونشاطهم وقوتهم[2] على ما يحاولونه - يجددون الإيمان كلما تأملوا فى مصنوعات الله [سبحانه وتعالى -[3]] الدالة عليه المشيرة بكل لسان إليه .

ولما كان المشركون على أصناف : منهم عبدة أصنام ، شركوا فى[4] العبودية لا فى الخلق ، ومنهم آزر [الذى حاجه إبراهيم عليه السلام -[3]] ومنهم عبدة الكواكب وهم فريقان : منهم من قال : هى[5] واجبة الوجود ، ومنهم من قال : ممكنة ، خلقها الله وفوض إليها تدبير هذا العالم الأسفل ، وهم الذين حاجهم الخليل عليه السلام بالأفول ، ومنهم من قال : لهذا العالم كله إلهان : فاعل خير ، وفاعل شر ، وقالوا : إن الله وإبليس أخوان ، فالله خالق الناس[6] والدواب والأنعام[6] ، وإبليس خالق السباع والحيات والعقارب والشرور ، ويلقبون الزنادقة وهم المجوس ، لأن الكتاب الذى زعم زردشت[7] أنه نزل من عند الله سمى بالزند[8] ، فالمنسوب إليه زندى[9] ، ثم عرب فقيل[10] : زنديق ، وكان هذا كله فى[11] قوله

(١) من ظ ، وفى الأصل : لا يغنى (٢) من ظ ، وفى الأصل : قولهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : من (٥) سقط من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ والبدء والتاريخ ٣/٧ ، وفى الأصل : رادشت - كذا (٨) فى ظ : بالزيد (٩) فى ظ : زيدى (١٠) فى ظ : فالمنسوب اليه - كذا. (١١) من ظ ، وفى الأصل : من .

فالق

"فالق الاصباح" شرحا لآية "ان الله فالق الحب [و النوى - ١]" دلالة على تمام القدرة الدالة ٢ على الوحدانية للدلالة على البعث ؛ حسن ١ كل الحسن ٣ العود إلى تقبيح حال المشركين ٣ بالتعجيب منهم فى جملة حالية من الضمير فى "فالق" أو ٤ غيره مما تقدم ، فقال تعالى شاهدا أمر هذا الصنف ، لأن أمر غيرهم تقدم ؛ و قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن هذه الآية [نزلت - ٥] فى الزنادقة : ﴿ ٦ و جعلوا ٦ ﴾ أى هو سبحانه فعل هذا الذى لا يدع لبسا فى تمام علمه و قدرته و كمال حكمته و وحدانيته و الحال أن الذى فعل ذلك لأجلهم قد جعلوا ٦ و عبر بالاسم الأعظم و قدمه استعظاما لأن يعدل به شيئا ﴿ لله ﴾ أى الذى له جميع الأمر .

و لما كان الشرك فى غاية الفظاعة و الشناعة . قدمه فقال : ﴿ شركاء ﴾ [يعنى و ما كان ينبغى أن يكون له شريك مطلقا ، لأن الصفة إذا ذكرت مجردة غير مجراة على شىء كان ما يتعلق بها من النفى عاما فى كل ما يجوز أن يكون له الصفة ، و حكم الإنكار حكم النفى . و لما اهتز السامع من هذا التقديم لزيادة المعنى من غير زيادة اللفظ ، تشوف إلى معرفة النوع الذى كان منه الشركاء - ١] فبينهم ٧ بقوله : ﴿ الجن ﴾ أى الذين هم [أجرأ - ١]

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الدال (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل (٤) فى ظ « و » (٥) زيد من روح المعانى ٢/٥٤١ .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : ثم بينهم .

الموجودات عليهم و أعداهم[1] لهم ، فأطاعوهم كما [2]يطاع الإله[2] فكان عبادة لهم و تشريكا . [و قد رأيت ما للبيان بعد الانتهاء مما يحسن للناظرين - [3]] ﴿ و خلقهم ﴾ [4]أى و الحال أنهم قد علموا أن الله خلقهم[4] [أى قدرهم بعلم و تدبير ، فلذلك كان خلقه لهم محكما - [3]] ﴿ و خرقوا ﴾ أى العابدون ﴿ له بنين ﴾ أى كعزير و المسيح ﴿ و بنت ﴾ أى من الملائكة ، فجمعوا لذلك جهالات هى غاية فى الضلالات : وصف الملائكة بالأنوثة و الاجتراء[5] على مقام الربوبية بالحاجة ، و تخصيصه بعد ذلك بما لا يرضونه لأنفسهم بوجه ؛ و مادة ' خرق ' تدور على النفوذ و الاتساع و الإطلاق [و التقدير بغير علم و لا معرفة ليحدث عنه الفساد ، و لذلك قيل لمن لا يحسن العمل : خرق ؛ و للمرأة : خرقاء - [3]] ، يعنى أنهم كذبوا و اختلفوا و اتسعوا فى هذا / القول الكذب ، [6]و أبعدوا[6] به فى هذه[7] المجاوزة عن حقيقته ، اتساع من سار فى خرق أى برية واسعة بهماء و سوقة جوفاء[7] متباعدة الأرجاء إلى حيث لم يسبقه إليه بشر ، فضل عن الجادة ضلالا لا ترجى معه هدايته إلا على بعد شديد ، فصار جديرا بالهلاك . و إلى ذلك يرجع معنى ما قرئ فى الشاذ : و حرفوا - بالمهملة و الفاء .

/ ٢٣٤

و لما لم يكن لقولهم أصلا حقيقة و لا شبهة[8] ، [و كان الخرق التقدير

---

(١) فى ظ : اعدهم (٢ - ٢) فى ظ : يطيعوا الالهة (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤-٤) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : الاختيارات . (٦-٦) فى ظ : فابعدوا (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : شهد - كذا .

بغير علم -[1]] ، دل على ذلك [مصرحا بما أفهمه محققا له -[1]] تنبيها على الدليل القطعى فى اجتياح[2] قولهم من أصله[3] ، و ذلك أنه قول لا حجة له ، و مسائل أصول الدين لا يصار إلى شىء منها إلا بقاطع[4] ، و ذلك بنكرة فى سياق النفى فقال : ﴿ بغير علم[1] ﴾ ثم نزه نفسه المقدسة تنبيها على ما يجب قوله على كل من سمع ذلك ، فقال : ﴿سبحنه﴾ أى أسبحه سبحانا يليق بجلاله[5] أن يضاف إليه ؛ و لما كان معنى التسبيح الإبعاد عن النقص ، و كان المقام يقتضى كونه فى العلو[6] ، صرح به فقال : ﴿ و تعلى ﴾ أى تباعد أمر علوه إلى حد لا حد له و لا انتهاء ﴿ عما يصفون ع ﴾ .

و لما ختم بالتنزيه عما قالوا من الشريك و الولد ، استدل على ذلك التنزيه بأن الكل خلقه ، محيط بهم علمه ، و لن يكون المصنوع كالصانع ، فقال : ﴿ بديع السمٰوٰت و الارض[1] ﴾ أى مبدعهما ، و له صفة الإبداع ، أى القدرة على الاختراع ثابتة ، و من كان كذلك فهو غنى عن التوليد ، فلذا حسن التعجب فى قوله : ﴿ انّى ﴾ أى كيف و من أىّ وجه ﴿ يكون له ولد ﴾ و زاد فى التعجيب بقوله : ﴿ و لم ﴾ أى و الحال أنه لم ﴿ يكن[7] له صاحبة[1] و ﴾ الحال أنه ﴿خلق كل شىء ج ﴾ أى مقدور ممكن من كل صاحبة تفرض[8] ، و كل ولد يتوهم ، و كل شريك يدعى فكيف يكون المبدع محتاجا إلى شىء من ذلك على وجه التوليد[9] أو غيره .

(١) زيد من ظ (٢) فى الأصل و ظ : احتياج (٣) فى ظ : اضله (٤) من ظ ، و فى الأصل : بقطع (٥) فى ظ : بحاله (٦) فى ظ : العلوم (٧) هذه قراءة إبراهيم النخعى ، و قرأ الباقون بالتأنيث ، و فى ظ : لم يكن - كذا (٨) فى الأصل : تعريض ، و فى ظ : يفرض (٩) فى ظ : التولد .

و لما كانت القدرة لا تتم إلا بشمول العلم قال : ﴿و هو﴾ و لم يضمر تنبيها على أن [1]عموم العلم[1] لا تخصيص فيه كالخلق فقال : ﴿بكل شيء عليم ٥﴾ أى فهو على كل شيء قدير ، لأن شمول العلم يلزمه تمام القدرة ـ كما يأتى برهانه إن شاء الله فى طه ، و من كان له ولد لم يكن محيط العلم و لا القدرة ، بل يكون محتاجا إلى التوليد .

و لما ثبت أنه لا كفوء له بما ذكر من صفاته و أفعاله ، و بين فساد أقوال المشركين ، و فصل مذاهبهم على أحسن الوجوه ، و بين فساد كل واحد منها بأمتن الحجج ، فثبت بذلك ما افتتح السورة به من إحاطته بصفات الكمال ، قال مشيرا إلى ذلك كله بمبتدأ خبر[2] بعده[3] أخبار : ﴿ ذلكم ﴾ أى العالى الأوصاف جدا الذى لا حاجة له إلى شيء ، وكل شيء محتاج إليه ﴿ الله ﴾ أى الذى له كل كمال ﴿ ربكم ج ﴾ أى الموجد لكم و المحسن بجميع أنواع الإحسان ، فهى فذلكة ما قبلها و ممرته ، لأن من اتصف بذلك كان هو رب الكل وحده [و الخالق للجميع و استحق العبادة وحده ـ[4]] فلذا أتبع ذلك قوله : ﴿ لا اله الا هو ج ﴾ لأن المقام للتوحيد اللازم للاحاطة بأوصاف الكمال التى هى معنى الحمد المفتتح به السورة ، و ساق قوله : ﴿ خالق كل شيء ﴾ الذى هو مطلع ما بعده مساق التعليل دليلا على ذلك ،

(١ـ١) من ظ ، وفى الأصل : العموم (٢) من ظ ، و فى الأصل : اخبر ، وزيد فيه بعده : عنه ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ ، وفى الأصل : بعد . (٤) زيد من ظ .

فلما أقام الدليل سبب عنه الأمر بالعبادة[1] فقال: ﴿ فاعبدوه ج ﴾ أي وحده، لأن من أشرك به لم يعبده، لأنه الغني المطلق، [2]و من كان له الغني المطلق[2] لا يحسن أن يقبل مشركا[3]، و ختم الآية بقوله: ﴿ و هو ﴾ و لما كان المقام لنفي احتياجه إلى شيء، قدم قوله: ﴿ على[4] كل شيء وكيل[5] ﴾ إشارة إلى أن الولد أو الشريك إنما يحتاجه العاجز المفتقر، و أما هو فهو القادر، و من سواه عاجز، و هو الغني و من سواه فقير، فكيف يحتاج[6] القدير [الغني -[7]] إلى العاجز الفقير، هذا ما لا يكون، و لا ينبغي أن يتخيله الظنون، و فيه إشارة إلى أن[8] العابد ينبغي أن يتفرغ / لعبادته و يقطع أموره عن غير[9] وكالته، فانه يكفيه بفضله عمن سواه. / ٢٣٥

و لما كان كل والد وكل شريك لا بد أن يكون مجانسا لولده و شريكه بوجه، وصل بذلك من وصفه ما اقتضاه المقام من تنزيهه[10]، فقال: ﴿ لا تدركه ﴾ أي حق الإدراك بالإحاطة ﴿ الابصار ﴾ أي أن[8] من جعلتموه ولده أو شريكه هو مدرك بأبصاركم كعيسى و عزير عليهما السلام و الأوثان و النجوم و الظلمة و النور، و أما الملائكة و الجن فان كان حكمكم عليهم بذلك عن مشاهدة فهم كمن تقدمهم[11]، و إن كان

(١) في ظ: لعبادة (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) في ظ: مشتركا.
(٤) تقدم في الأصل على «و لما كان» والترتيب من ظ (٥) زيد بعده في الأصل: الذي هو مطلع ما بعده مساق التعليل دليلا، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها.
(٦) زيد بعده في الأصل: الفقراء، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٧) زيد من ظ (٨) سقط من ظ (٩) من ظ، و في الأصل: غيره (١٠) في ظ: سرتهيه - كذا (١١) من ظ، و في الأصل: نفرضهم.

عن إخبار فهو عن الأنبياء ليس غير ، و كل منهم مخبر بأنهم عباد الله كغيرهم ، و أنه منزه عن شريك و ولد ، و هذه كتبهم و صحاح أخبارهم شاهدة بذلك ، [و - ١] وراء ذلك كله أنهم بحيث يدركون بالأبصار فى الجملة ، ليس إدراكهم مستحيلا ، و أما هـذا الإله العزيز فهو غير مدرك لكم بالبصر كما يدرك غيره إدراكا تاما ، فيتأمله ناظره فيزنه[٢] و ينقده بالخبرة بما فيه من رضى و غضب و غيرهما ، بما أبدته الفراسة و أوضحه التوسم ، لأنه سبحانه متعال عن أن يحاط بـه ، هذا على أنه من عموم السلب ، و إن كان من سلب العموم فالمعنى أنه عزيز لا يراه كل أحد ، بل يراه الخواص إذا أراد فكشف لهم الحجاب و أوجد لهم الأسباب ﴿ و هو ﴾ مع ذلك يدرككم ، بل و ﴿ يدرك ﴾ ما لا تدركونه من أنفسكم ﴿ الابصار ﴾ و هى القوى المودعة فى عصبة العين لتدرك بها المبصرات ﴿ و هو اللطيف ﴾ عن أن يحيط[٣] بـه الأبصار ، لأنه يمنع الأسباب عن أن ينشأ[٤] عنها مسبباتها ، و يوجد أدق الأسباب و أغربها ، فلا يستغرب عليه إدراك المعانى لأنه الذى أوجدها " ألا يعلم من خلق[٥] " و أصل اللطف دقة النظر فى الأشياء ﴿ الخبير ﴾ أى المحيط بالأبصار ، فاحاطته بأصحابهـا أجدر ، و يتحقق[٦] معنى الاسمين لتحقق[٧] المعنى ؛ قال الحرالى فى شرح الأسماء : اللطف إخفاء التوسل إلى الشىء باظهار ما يضاده ، و لا يتم إلا بخبرة ، و لذلك نظم باسمه " الخبير "

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : فيرمه (٣) فى ظ : تحيط (٤) فى ظ : تنشأ .
(٥) سورة ٦٧ آية ١٤ (٦) من ظ ، و فى الأصل : بتحقيقه (٧) فى ظ : بتحقيق .

لأنه أخفى حكمتـــه[1] فى ظاهر يضادها، فاللطف مخبرة[2] فى حكمة[1]، و باسمه تعالى اللطيف أقام[3] أمر حكمته[1] ما بين الدنيا و الآخرة، و بذلك[4] أقام أمر أهل ولايته فى الدنيا لما جمع لهم من أمره فيها، فيبدو عزهم من وراء ذل، و يتراءى ذلهم و من دونه [عز - *]، فيسبق عزهم إلى القلوب مع تذللهم فى الحواس، و يؤل محسوسهم إلى عز فى عقبى الدنيا، ٥ و مبادرة الآخرة مع تأنس القلوب بهم، "ان ربى لطيف لما يشاء[6]" لما أراد أن يملكه مصر [و - *] جعل وسيلة ذلك استبعاده بها، و بحصول معناه بتمام الخبرة و الحكمة - و تلك إبداء الشىء فى ضـــده - يتضح اختصاصه بالحق، فهو الذى أطعم من جوع و آمن من خوف، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا، فهو تعالى اللطيف الذى لا لطيف إلا هو، ١٠ ثم قال: الخبرة إدراك خبايا الأشياء و خفاياها بحيث لا يبدو منه خبيئة أمر[7] إلا كان إدراك الخبير سابقا[8] لبدوها، و ذلك لا يتم إلا لمبديها[9] الذى هو يخرج خبأها[10]، و هو الذى يخرج الخبء فى السماوات و الأرض، و مخبرة الخلق لا بد فيها[2] من إظهار باد ينبئ[11] عن الخبء بمقتضى التجربة[12]، و إلا لم يصح لهم الخبرة، كما قيل: مخبرة المرء فيما يبدو ١٥

(١) فى ظ: حكمه (٢) فى ظ: مخبر (٣) فى الأصل و ظ: العام - كذا (٤) فى ظ: كذلك (٥) زيد من ظ (٦) سورة ١٢ آية ١٠٠ (٧) سقط من ظ و (٨) فى ظ: سائغا (٩) من ظ، و فى الأصل: بمبديها (١٠) فى ظ: خبيئها (١١) فى ظ: تنبى (١٢) من ظ. و فى الأصل: التجريد.

من نطقه و ما يظهره اليوم و الليلة من عمله ، و الخبير الحق خبير بالشيء دون باد[1] يرى الظاهر خبيئة أمره ، [فهو - [2]] بالحقيقة الذى لا خبير إلا هو - [انتهى - [2]] .

و لما أكثر لهم[3] من إقامة الأدلة على وحدانيته ، و ختمها بهذا الدليل المحسوس الذى معناه أن [كل شريك ، كل ان يدرك شريكه و أباه ، وهو متناه عن أن يدركه ، أى يحيط به - [2]] أحد . ناسب أن يعظهم و يمدح الأدلة حثا[4] على تدبرها[5] ، و جعل ذلك على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم إشارة إلى أنه - لنور قلبه و كمال عقله و صفاء لبه و غزارة علمه و شريف أخلاقه و استقامة غرائزه و بُعد مدى همته عن أن ينسب إلى [6]جور أو[6] يرمى[7] بعناد - حقيق بأن يقول بعد إقامتها من غير تلعثم[8] تقريرا لأمر دعوته بعد تقرير المطالب العالية الإلهية : ﴿ قد جآءكم ﴾ .

٢٣٦ / ١٠ /

و لما كانت الآيات - لقوتها[9] و جلالتها التى أشار إليها تذكير الفعل - توجب المعرفة فتكون سببا لانكشاف الحقائق الذى هو كالنور فى جلاء المحسوسات ، قال : ﴿ بصآئر ﴾ أى أنوار هى لقلوبكم بمنزلة الضياء المحسوس لعيونكم ﴿ من ربكم ج ﴾ أى المحسن إليكم بكل إحسان ، فلا إحسان أصلا لغيره عندكم ، فاصعدوا عن النظر بالأبصار إلى الاعتبار

---

(١) فى ظ : جاد (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : حقا (٥) من ظ ، و فى الاصل : تدبيرها (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل : جوار و - كذا (٧) فى ظ : يرضى (٨) من ظ ، و فى الأصل : تلعثم - كذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : لقدرتها .

بالبصائر ، و لا تهبطوا فى حضيض التقليد إلى أن تصلوا إلى حد لا تفهمون[1] معه إلا ما يحس بالأبصار بل ترقوا فى أوج المعرفة إلى سماوات الاجتهاد و جرّدوا لقطاع الطريق صوارم البصائر ، فانكم إن رضيتم بالدون[2] لم تضروا إلا أنفسكم . و إن نافستم فى المعالى فاياها نفعتم . و لذلك سبب عن هذا النور الباهر و السرّ الظاهر قوله : ﴿ فمن ابصر ﴾ أى عمل بالأدلة ٥ ﴿ فلنفسه ج ﴾ أى خاصة إبصاره لأنه خلصها من الضلال المؤدى إلى الهلاك ﴿ و من عمى ﴾ أى لم يهتد بالأدلة ﴿ فعليها[3] ﴾ أى خاصة عماه لأنه يضل فيعطب .

و لما كان المعنى أنه ليس لى و لا لغيرى من إبصاره شىء ينقصه شيئا ، و لا علىّ و لا غيرى شىء من عماه ، كان التقدير : فانما أنا بشير ١٠ و نذير ، عطف عليه قوله ﴿ و ما انا ﴾ و أشار إلى أن حق الآدمى التواضع و إسلام الجبروت و القهر لله بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليكم ﴾ و أغرق فى النفى بقوله : ﴿ بحفيظ ٥ ﴾ أى أقودكم[4] قسرا إلى ما ينجيكم ، و أمنعكم قهرا مما يرديكم .

و لما كان التقدير التفاتا إلى مقام العظمة إعلاما بأن المحفظ كله ١٥ بيده لئلا يظن نقص فى نفوذ الكلمة : فانظروا ما صرفنا لكم فى هذه السورة من الآيات و أوضحنا بها من شريف الدلالات ، لقد أتينا فيها بعجائب التصاريف و كشفنا عن غرائب التعاريف ، عطف عليه قوله :

---

(١) فى الأصل : لا يفهمون ، و فى ظ : لا تقومون (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : افردكم .

﴿ وكذلك ﴾ أى ومثل هذا التصريف العظيم ﴿ نصرف ﴾ أى ننقل جميع ﴿ الآيت ﴾ من حال إلى حال فى المعانى المتنوعة سالكين من وجوه البراهين ما يفوت القوى ويعجز القُدَر لتحير ألباب [1] المارقين وتطلس[1] أفكار المانعين، علما منهم بأنهم عجزة عن الإتيان بما يدانيها

٥ [فتلزمهم الحجة -[2]] ﴿ وليقولوا ﴾ اعتداء لا عن ظهور عجزهم ﴿ دارست[3] ﴾ أى غيرك من أهل الكتاب أو غيرهم فى هذا حتى انتظم لك هذا الانتظام وتم لك هذا التمام، فيأتوا ببهتان بيّن عواره ظاهرة أسراره، مهتوكة أستاره، فيكونوا كأنهم قالوا: إنك أتيت به عن علم ونحن جاهلون لا نعلم شيئا، فيعلم كل موفق أنهم ما رضوه لأنفسهم مع ادعاء الصدق

١٠ والمنافسة فى البعد عن أوصاف الكذب إلا لفرط الحيرة وتناهى الدهشة وإعواز القادح[4]، [و -[2]] الحاصل أنه أتى به على هذا المنهاج الغريب والأسلوب العجيب ليعمى ناس[5] عن بينة[6] ويبصر آخرون، وهم المرادون بقوله: ﴿ ولنبينه ﴾ أى القرآن لأنه المراد بالآيات المسموعة ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى أن المراد من[7] الإبلاغ فى البيان أن يزداد الجهلة به جهلا، ويهتدى

١٥ من كان للعلم أهلا، فلا يقولون: "دارست" بل يقولون: إنه من عند الله، فالآية من الاحتباك: إثبات ادعاء المدارسة أولا يدل على نفيها

(١-١) من ظ، وفى الأصل: المارين وينطلس (٢) زيد من ظ (٣) هذا على قراءة ابن كثير وأبى عمرو، وأما فى مصاحف بلادنا فثبت «درست» (٤) فى ظ: القادح (٥) من ظ، وفى الأصل: الناس (٦) فى ظ: بيعه - كذا (٧) فى ظ: فى.

ثانيا، و إثبات العلم ثانيا يدل على عدمه أولا، و هى من معنى "يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا[1]".

و لما انكشف بهذا فى أثناء الأدلة و تضاعيف البراهين أن القرآن كنز لا يلقى مثله كنز، و عز لا يدانيه عز، و أنه فى الذروة التى تضاءلت دونها سوابح الأفكار، و كلت عن التماعها نوافذ الأبصار، و ختم بأن المراد بالبيان العلماء، ناسب [له -[2]] أن ينبه على ذلك لئلا يفتر عنه طعنهم / بقولهم "دارست" و نحوه، فقال مخصصا له صلى الله عليه و سلم بالخطاب إعلاما بأنه العالم على الحقيقة: ﴿ اتبع ﴾ أى أنت و من تبعك ﴿ ما اوحى اليك ﴾ أى[3] فالزم العمل به؛ ثم أكد مدحه بقوله: ﴿ من ربك ج ﴾ أى المحسن إليك بهذا البيان؛ ثم[3] علل ذلك بقوله: ﴿ لآ اله الا هو ﴾ أى فلا يستحق غيره أن يتبع له أمر، و لا يلتفت إليه فى نفع و لا ضر ﴿ و اعرض عن المشركين ه ﴾ أى بغير التبليغ، فانه ما عليك غيره، و مزيد حرصك على إيمانهم لا يزيد من أريدت[4] شقوته إلا تماديا فى إشراكه و ارتباكا[5] فى قيود أشراكه.

و لما كان الحبيب أسر شىء بما يزيده حبيبه، قال مسليا[6] له[7] صلى الله عليه و سلم عن استهزائهم به و ردهم لقوله، عاطفا[8] على

/ ٢٣٧

(١) سورة ٢ آية ٢٦ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: ارتدت (٥) من ظ، و فى الأصل: اساكا - كذا (٦) فى ط: ساليا.
(٧) يذز بعده فى ظ: رسول الله (٨) فى ظ: عطفا.

ما تقديره : فلو شاء الله ما خالفوك و لا [تكلموا فيك -[1]] بينت شفة[2] : ﴿ و لو شآء الله مآ اشركوا ﴾ أى ما وقع منهم إشراك أصلا ، فقد أراد لك من الوقوع فيك ما أراده لنفسه ، فليكن لك فى ذلك مسلاة .

٥ و لما كان التقدير : فانه سبحانه حفيظ عليهم ، عطف عليه قوله : ﴿ و ما جعلنك ﴾ أى بعظمتنا ، و أشار إلى أن العلو ليس بغير الله سبحانه فقال : ﴿ عليهم حفيظا ج ﴾ أى تحفظ[3] أعمالهم لئلا يكون منها ما لا يرضينا فتردهم[4] عنه قسرا ﴿ و مآ انت ﴾ [5]و قدم[5] ما هو أعم من نفى التحقق[6] بالعلو المحيط القاهر الذى هو خاص بالإله[7] فقال : ١٠ ﴿ عليهم بوكيل ٥ ﴾ أى[8] فتأخذ[9] الحق منهم قهرا ، و تعاملهم بما يستحقونه خيرا أو شرا ، إنما أنت مبلغ عنا ، ثم الأمر فى هدايتهم و إضلالهم إلينا .

و لما طال التنفير عما اتخذ من دونه من الأنداد و البنات[10] ، لأنها أقل من ذلك و أحقر ، كان ذلك ربما كان داعية إلى سبها ، فنهى عنه لمفسدة يجرها السب كبيرة جدا ، فقال عاطفا على قوله " و اعرض ١٥ عن المشركين " غير مواجه له وحده صلى الله عليه و سلم إكراما له : ﴿ و لا تسبوا ﴾ و لما كانت الأصنام لا تعقل ، و[8] كان[11] المشركون

---

(١) زيد من ظ (٢) يقال : ما كلمته بنت شفة ، أى بكلمة ، و العبارة من هنا إلى « أراده لنفسه » سقطت من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : يحفظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : فيردهم (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : التحقيق (٧) من ظ ، و فى الأصل : بالا - كذا (٨) سقط من ظ (٩) فى الأصل : فياخذ ، و فى ظ : لياخذ (١٠) فى ظ : البيان (١١) من ظ ، و فى الأصل : من .

يزعمون

يزعمون بها العقل و العلم ، و يسندون إليها الأفعال[1] ، أجرى الكلام على زعمهم لأنه فى الكف عنها فقال : ﴿ الذين يدعون ﴾ أى دعاء عبادة من الأصنام أو غيرهم بذكر ما فيهم من النقص[2] ، ثم بين دفعا لتوهم إكرامهم أنهم فى سفول بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له عدلا ، بعلم[3] منكم بما لهم [4]من المعايب[4] ، بل أعرضوا عن غير دعائهم إلى الله حتى [عن -[5]] سب[6] آلهتهم بما تستحقه[7] ، فانا زينا لهم أعمالهم فغرقوا[8] مع غزارة عقولهم فيما لا[9] يرتضيه عاقل ، وكذبوا بجميع الآيات الموجبة للايمان ، فربما جرهم سبكم لها - لما عندهم من حمية الجاهلية - إلى ما لا يليق ﴿ فيسبوا ﴾ أى فيتسبب عن ذلك أن يسبوا ﴿ الله ﴾ أى الذى تدعونه و له الإحاطة بصفات الكمال ، و أظهر تصريحا بالمقصود و إعظاما لهذا الأمر و تهويلا له و تنفيرا[10] منه .

و لما كان الخنو يوجب الإسراع ، أشار إليه سبحانه بقوله : ﴿ عدوا ﴾ أى جريا إلى السب ؛ و لما كان العدو قد يكون مع علم ، قال مبينا لأنه يراد به مع الإسراع أنه مجاوز للحد : ﴿ بغير علم[4] ﴾ لأنا زينا لهم عملهم ، فالطاعة إذا استلزمت وجود منكر عظيم احترز منه و لو أدى الحال إلى تركها وقتا ما ، لتحصل القوة على دفع ذلك المنكر ، فحكم الآية باق و ليس بمنسوخ .

---

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) فى ظ : البغض (٣) فى ظ : يعلم (٤ - ٤) فى ظ : له من الغايب (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : سبب (٧) فى ظ : يستحقه (٨) فى الأصل : فعرفقوا ، و فى ظ : فرغموا (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : تنفير !

و لما كان ذلك شديدا على النفس ضائقا به[١] الصدر ، اقتضى الحال أن يقال : هل هذا التزيين [٢]مختص بهؤلاء[٢] المجرمين أم كان لغيرهم من الأمم مثله ؟ فقيل : ﴿ كذلك ﴾ أى بل[٣] كان لغيرهم ، فانا مثل ذلك التزيين الذى زينا لهؤلاء ﴿ زينا لكل امة ﴾ أى طائفة عظيمة مقصودة ﴿ عملهم ص ﴾ أى القبيح الذى أقدموا عليه بغير علم بما تخلقه[٤] فى قلوبهم من المحبة[٥] له ، ردا منا لهم بعد العقل الرصين أسفل سافلين ، حتى رأوا حسنا ما ليس بالحسن لتبين قدرتنا ؛ فكان فى ذلك أعظم تسلية و تأسية و تعزية ، و الآية من الاحتباك : إثبات " بغير علم " / أولا دال على حذفه ثانيا ، و إثبات التزيين ثانيا دليل على حذفه أولا . ٢٣٨ /

و لما كان سبحانه طويل الأناة عظيم الحلم ، وكان الإمهال ربما كان من[٦] جهل بعمل العاصى ، نفى ذلك بقوله : ﴿ ثم ﴾ أى بعد طول الإمهال ﴿ الى ربهم ﴾ أى المحسن إليهم بالحلم عنهم و هم يتقوون بنعمه على معاصيه ، لا إلى غيره ﴿ مرجعهم ﴾ أى بالحشر الأعظم ﴿ فينبئهم ﴾ أى يخبرهم إخبارا عظيما بليغا ﴿ بما ﴾ أى بجميع [ما-[٧]] ﴿ كانوا يعملون ه ﴾ أى على سبيل [٨]التجدد و[٦] الاستمرار بما فى جبلاتهم من الداعية إليه [و إن ادعوا أنهم عاملون على مقتضى العلم -[٩]] .

(١) من ظ ، وفى الأصل : بداء (٢-٢) فى ظ : الذى زينا لهولاء - كذا (٣) زيد بعده فى الأصل : لقبيح ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : يخلقه . (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : عن (٧) زيد لاستقامة العبارة (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد من ظ .

و لما نصب سبحانه هذه الدلالات فى هذه الآيات البينات حتى ختمها بما علم منهم من الإسراع إلى سب من أحسن إليهم بأن أوجدهم و أوجد لهم كل ما فى الكون، و ما من[1] نعمة عليهم إلا و هى منه، عجب منهم فى الوعد بالإيمان على وجه التأكيد بما يأتيهم من مقترحاتهم إعلاما بأن ذلك مما زين لهم من عملهم، و هى أمنية[2] كاذبة و يمين حانثة ٥ فقال عاطفا على "و جعلوا لله شركاء الجن": ﴿ و اقسموا ﴾ أى المشركون ﴿ بالله ﴾ أى الذى لا أعظم منه ﴿ جهد ايمانهم ﴾ أى باذلين فيها جهدهم حتى كأنها هى جاهدة، و وطأ للقسم فقال: ﴿ لئن جآءتهم اٰية ﴾ أى من مقترحاتهم، و تلقى القسم بقوله: ﴿ ليؤمنن بها ﴾.

و لما كانوا بهذا ظالمين من[3] أجل أنهم طلبوا من الرسول ما ليس ١٠ إليه بعد إتيانه من المعجزات بما أزال معاذيرهم، و أوجب[4] عليهم الاتباع، نبه على ذلك بقوله مستأنفا: ﴿ قل ﴾ [أى ردا لتعنتهم -[5]] ﴿ انما الأيٰت ﴾ أى هذا الجنس ﴿ عند الله ﴾ أى الحائز لجميع صفات الكمال، و ليس إلىّ و لا إلى غيرى شىء من هذا الجنس ليفيد الاقتراح [6]شيئا غير إغضابه[6].

و لما كان العبد لعجزه لا قدرة له على شىء أصلا، فلا يصح له ١٥ أن يحكم [على -[5]] آت أصلا لا من [7]أفعاله و لا من[7] أفعال غيره، قال منكرا عليهم ملتفتا إلى خطابهم إشارة إلى أنهم حقيقون بالمواجهة بالتبكيت: ﴿ و ما ﴾ أى و أىّ شىء ﴿ يشعركم[8] ﴾ أى أدنى شعور بما

---

(١) سقط من ظ (٢) فى الأصل: امنه، و فى ظ: امنعة (٣) من ظ، و فى الأصل: منه (٤) من ظ، و فى الأصل: واجب (٥) زيد من ظ (٦ - ٦) من ظ، و فى الأصل: سبا عن اعقابه - كذا (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

أقسمتم عليه من الإيمان عند مجيئها حتى يتوهموه أدنى توهم فضلا عن الظن فكيف بالجزم و لا سيما على هذا الوجه ! ثم علل الاستفهام بقوله مبينا أنه لا فائدة فى الإتيان بالآية المقترحة : ﴿ انها ﴾ بالفتح فى قراءة نافع و ابن عامر و شعبة فى رواية عنه و حفص و حمزة و الكسائى ، فكان ٥ كأنه قيل : أنكرت عليكم[1] لأنها ﴿ اذا جآءت لا تؤمنون[2] ه ﴾ بالخطاب فى قراءة ابن عامر و حمزة ، و الالتفات إلى الغيبة فى قراءة غيرهم للاعلام بأنهم بعيدون من الإيمان فهم أهل للاعراض عنهم لما استحقوا من الغضب ، و التعليل عند من كسر " انها " واضح .

و لما كان التقدير : فانا نطبع على قلوبهم ، و نزين لهم سوء أعمالهم ، ١٠ عطف عليه[3] قوله : ﴿ و نقلب ﴾ [أى بما لنا من العظمة - [4]] ﴿ افئدتهم ﴾ أى قلوبهم حتى لا يهتدوا بها ﴿ و ابصارهم ﴾ حتى لا ينفعهم [5]الإبصار بها[5] ، فلا يعتبرون فلا يؤمنون ﴿ كما لم يؤمنوا بـه ﴾ أى بمثل ذلك ﴿ اول مرة ﴾ أى عند إتيان الآيات التى قبل تلك [﴿ و ندرهم ﴾ أى نتركهم - [4]] ﴿ فى طغيانهم ﴾ أى تجاوزهم للحدود ﴿ يعمهون ع ﴾ أى يديمون التحير ١٥ على أن الحال لما فيه من الدلالة [6]لا يقتضى حيرة بوجه . و لما أخبر أنهم لا يؤمنون عند آية مقترحة عمم[6] على وجه مفصل لإجمال ماقبله فقال :

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٢) فى الأصل و ظ : لا يومنون ، و ما أثبتناه أولى (٣) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٥) زيد من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « ما قبله » و الترتيب من ظ .

و لو

﴿ ولو اننا ﴾ أى على عظمتنا البالغة بما أشار إليه جمع النونات ﴿ نزلنآ[1] ﴾ أى على وجه يليق بعظمتنا ﴿ اليهم[2] الملٰئكة ﴾ أى كلهم فرأوهم عيانا ﴿ وكلمهم الموتى[3] ﴾ أى كذلك ﴿ وحشرنا عليهم ﴾ أى [بما -[4]] لنا من العظمة ﴿ كل شىء قبلا ﴾ جمع قبيل جمع قبيلة [فى قراءة من ضم القاف والباء كرغيف ورغف -[4]]، أى جاءهم ذلك المحشور كله قبيلة [قبيلة -[4]] تترى ومواجهة ﴿ ما كانوا ليؤمنوٓا ﴾ أى على حال من الأحوال ﴿ الآ ان يشآء الله ﴾ أى إلا حال مشيئته لإيمانهم لأنه الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه، فاذن لاعبرة إلا بمشيئته، فالآية دامغة لأهل[5] / القدر[6]، ولا مدخل لآية ولا غيرها فى ذلك، فلا يطمع أحد فى إيمانهم بغير ذلك، ويقرب عندى - وإن بَعُد المدى - أن يكون "واقسموا" معطوفا على قوله تعالى "وقالوا لو لا انزل عليه اٰية من ربه" وهذا من المتعارف فى كلام البلغاء أن يحكى الإنسان جملة من كلام خصمه، ثم يشرع فى توهينها، أو يخرج إلى أمور - يجرّها المقام - كثيرة الأنواع طويلة الذيول جدا، ثم يحكى جملة أخرى فيقول معجبا منه: وقال كذا وكذا، ثم يشرع فيما يتعلق بذلك من النقد[7] والرد، ومما يؤيد ذلك توحيد ختمهما، فختم الأولى "ولكن اكثرهم لا يعلمون[8]" وختم هذه ﴿ ولكن اكثرهم يجهلون ﴾ أى أهل جهل

/ ٢٣٩

(١) فى ظ: اليهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ والقرآن الكريم، وموضعه فى الأصل بياض (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: بجميع (٦) من ظ، وفى الأصل: القدرة. (٧) من ظ، وفى الأصل: البعد (٨) راجع آية ٣٧.

مطبوعون فيه ، يقسمون على الإيمان عند مجيء آية مقترحة و لا يشعرون أن المانع لهم من الإيمان إنما هو المشيئة و إلا لآمنوا بما جاءهم من الآيات ، فانه كفاية فى المبادرة إلى الإيمان ، و الآيات كلها متساوية الأقدام فى الدلالة على صدق الداعى بخرق العادة[1] و العجز عن الإتيان بمثلها .

٥ و لما كان مضمون ما تقدم إثبات عداوة الكفار للنبى صلى الله عليه و سلم ، كان كأنه قيل تسلية له و تثبيتا لفؤاده : فقد جعلناهم[2] أعداء لك لأنك عالم ، و الجاهلون لأهل العلم أعداء ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ما جعلنا لك أعداء من كفار الإنس و الجن ﴿ جعلنا لكل نبى ﴾ أى ممن كان قبلك ، و عبر عن الجمع بالمفرد - و[3] المراد به الجنس - إشارة إلى أنهم يد واحدة

١٠ فى العداوة فقال : ﴿ عدوا ﴾ و بين أن المراد به الجنس ، و أنهم أهل الشر فقال مبدلا : ﴿ شيطين ﴾ أى أشرار[4] ﴿ الانس و الجن ﴾ المتمردين منهم ، و ربما استعان شيطان الجن شيطان الإنس لقرب قلبه منه ، أم[5] يكون نوعه إليه أميل ، و أشار إلى هوان أمرهم و سوء عاقبتهم بقوله : ﴿ يوحى بعضهم ﴾ أى الشياطين من النوعين ﴿ الى بعض ﴾ أى يكلمه

١٥ فى خفاء ﴿ زخرف القول ﴾ أى مزينه و منمقه .

و لما كان هذا يدل على أنه - لكونه لا حقيقة له - لو لا الزخرفة ما قيل ، زاده بيانا بقوله : ﴿ غرورا ﴾ أى لأجل أن يغروهم بذلك ، أى يخدعوهم فيصيروا لقبولهم كلامهم كالغافلين الذين شأنهم عدم التحفظ ،

---

(١) فى ظ : الآية (٢) فى ظ : جعلنا (٣) سقطت الواو من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : شرار (٥) فى ظ : ثم .

و الغرور هو الذى يعتقد[1] فيه النفع و ليس بنافع .

و لما كان أول الآية معلما أن هذا كان[2] بمشيئة الله و جعله ، أيد ذلك و مكنه فى آخرها بأنه لو شاء ما كان ، و كل ذلك غيرة[3] على مقام الإلهية و تنزيها لصفة الربوبية أن يخرج شىء عنها فيدل على الوهن ، و يجر قطعا إلى اعتقاد العجز ، فقال : ﴿ و لو شآء ﴾ و لما كان فى بيان أعدائه صلى الله عليه و سلم و المسلطين عليه ، أشار[4] إلى أن ذلك لإكرامه و اعزازه ، لا لهوانه ، فقال : ﴿ربك﴾ أى بما له إليك من حسن التربية و غزير الإحسان مع ما له من تمام العلم و شمول القدرة ، أن لا يفعلوه ﴿ ما فعلوه ﴾ أى هذا الذى أنبأتك به من عداوتهم و ما تفرع عليها[5] .

و لما قرر أن هذا من باب التربية فعاقبته إلى خير ، سبب[6] عنه قطعا قوله : ﴿فذرهم﴾ أى اتركهم على أىّ حالة اتفقت ﴿و ما يفترون ۝﴾ أى يتعمدون[7] كذبه و اختلاقه ، و اذكر ما لربك عليك من العاطفة لتعلم أن الذى سلطهم على هذا فى غاية الرأفة بك و الرحمة لك و حسن التربية كما [لا - [8]] يخفى عليك ، فثق به و اعلم أن له فى هذا لطيف سريرة تدق عن الأفكار ، بخلاف الآيات الآتية التى عبر فيها باسم الجلالة ، فانها[9] فى عظيم تجرؤهم على مقام الإلهية .

و لما كان التقدير : ذرهم لتعرض عنهم قلوب الذين يؤمنون بالآخرة

---

(١) فى ظ : يتفنه (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عبرة (٤) من ظ ، و فى الأصل: اشارة (٥) فى ظ : عليهم (٦) فى ظ : تسبب (٧) فى ظ : يتعمد (٨) زيد من ظ .
(٩) فى ظ : فانه .

و ليسخطوه ، و ليعلموا ما هم له مبصرون [و - [1]] به عارفون ، فترفع بذلك درجاتهم ، عطف عليه قوله : ﴿ و لتصغى ﴾ أى تميل ميلا قويا تعرض[2] به ﴿ اليه ﴾ أى كذبهم و ما فى حيزه ﴿ افئدة ﴾ أى قلوب ﴿ الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ أى ليس فى طبعهم الإيمان بها لأنها غيب ، و هم لبلادتهم واقفون مع الوهم ، / و لذلك استولت عليهم الدنيا التى هى أصل الغرور ﴿ و ليرضوه ﴾ أى بما تمكن من ميلهم إليه ﴿ و ليقترفوا ﴾ أى يفعلوا بجهدهم ﴿ ما هم مقترفون ٥ ﴾ و هذه الجمل[3] - كما نبه عليه أبو حيان - على غاية الفصاحة . لأنه أولا يكون الخداع[4] فيكون الميل فيكون الرضى فيكون فعل الاقتراف[5] ، فكأن كل واحد مسبب[6] عما قبله .

٢/

و لما كان فيما تقدم الإخبار عن مغيب ، و هو أنهم لا يؤمنون عند مجىء الآيات المقترحة ، و كانت عادة العرب دعاء الأعداء و المخالفين إلى حاكم يفصل بينهم ، و كانوا إنما يفزعون فى الأمور المغيبة إلى الكهان لما كانوا يكشفون لهم بما يقذف اليهم إخوانهم من الجان مما يسترقونه من السمع ، فيزيدونه كذبا كثيرا ، ثم لا يضرهم ذلك عندهم لذلك القليل الذى يصدقون فيه - كما ابتلينا به فى هذا الزمان من الافتتان بمن يفعل مثل ذلك من المجانين و المتشبهين[7] بهم ، و كانت الآيات التى فرغ منها

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تعوص (٣) من ظ ، و فى الأصل الجملة (٤) من البحر المحيط ٤/ ٢٠٨ ، و فى الأصل و ظ : الخدع (٥) فى ظ : الافتراق (٦) من البحر ، و فى الأصل : مسببا ، و فى ظ : سببا - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : المشبهين .

قد[1] أثبتت أن اتخاذهم غرور، سبب[2] عن ذلك وجوب نفى اتخاذهم[3] غيرَ الله لما اتصف به من إيحاء ما خالف إيحاءهم، ففات القوى[4] فى إخباره[5] عن حقائق الأمور مفصلة أحسن تفصيل فى أساليب قصرت دونها سوابق الأفكار، وكعّت عنها نوافذ الأفهام، فثبتت به[1] نبوته ووضحت رسالته، فكان اقتراحهم ظاهرا فى كونه تعنتا لأنهم كذبوا بأعظم الآيات: القرآن، ولم يؤمنوا به، وطعنوا فيه بما[6] زادهم فضائح، فثبت أنه لا فائدة فى إجابتهم [7]إلى مقترحاتهم[7]، فكان الجواب - عما اقتضاه لسان حالهم من طلب التحاكم إلى أوليائهم ببليغ[8] الإنكار عليهم [بقوله -[9]]: ﴿ا فغير الله﴾ أى الملك الأعظم - على غاية من البلاغة لا تدرك، [10]و الفاء فيه[10] للسبب، وإنما تقدمت عليها همزة الإنكار لاقتضائها الصدر ﴿ابتغى﴾ أى أطلب حال كون ذلك الغير ﴿حكما﴾ أى يحكم بينى وبينكم ويفصل نزاعنا؛ ثم استدل على هذا الإنكار بتفصيل الكتاب هذا التفصيل المعجز فقال: ﴿وهو﴾ [7]أى والحال أنه لا غيره ﴿الذىّ انزل اليكم[7]﴾ أى خاصة نعمة على[11] بالقصد الأول [وعليكم بالقصد الثانى -[9]] ﴿الكتب﴾ أى الأكمل المعجز[12]، وهو هذا القرآن الذى هو[1] تبيان لكل شىء

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: تسبب (٣) فى ظ: اتخاذ (٤) من ظ، وفى الأصل: العرى (٥) فى ظ: احفاوه - كذا (٦) من ظ، وفى الأصل: لما.
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ: بتبليغ (٩) زيد من ظ.
(١٠ - ١٠) فى ظ: والعاقبة (١١) من ظ، وفى الأصل: إلى (١٢) فى ظ: العجب.

﴿مفصلاً﴾ أى مميزا فيه الحلال و الحرام، و غير ذلك من جميع الأحكام، مع ما تفيده فواصل الآيات من اللطائف و المعارف الكاشفة لحقائق البدايات و النهايات. و لقد اشتد[1] الاعتناء فى هذه السورة بالتنبيه[2] على التفصيل لوقوع العلم من أرباب البصائر فى الصنائع بأن من لا يحسن التفصيل لا يتقن التركيب.

و لما كان التقدير: فأنتم و جميع أرباب البلاغة تعلمون[3] حقيقته بتفصيله و العجز عن مثله[4]، عطف عليه قوله: ﴿و الذين﴾ و يجوز أن يكون جملة حالية ﴿آتيناهم﴾ أى بعظمتنا التى يعرفونها و يعرفون بها الحق من الباطل ﴿الكتب﴾ أى المعهود إنزاله [من -[5]] التوراة و الإنجيل و الزبور ﴿يعلمون﴾ أى لما لهم من سوابق الأنس بالكتب الإلهية ﴿انه منزل﴾.

و لما تقدم ذكر الجلالة الشريفة فى حاق موضعه فى سياق الحكم الذى لا يكون الا مع التفرد بالكمال، و كان هذا المقام بسياق الإنزال[6] يقتضى الإحسان، لم يضمر بل قال: ﴿من ربك﴾ أى المحسن إليك بما خصك به فى هذا الكتاب من أنواع الفضائل ﴿بالحق﴾ أى الأكمل لما عندهم به من البشائر فى كتبهم و لما له[7] من موافقتها[8] فى ذكر الأحكام المحكمة و المواعظ الحسنة و كثرة ذكر الله على وجوه ترقق القلوب

(١) من ظ، و فى الأصل: استدل (٢) من ظ، و فى الأصل: بالبينة (٣) فى ظ: يعلمون (٤) من ظ، و فى الأصل: مثله (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: الازل (٧) فى ظ: لهم (٨) فى ظ: موافقها.

و تفيض الدموع و تصدع الصدور ، مع ما يزيد به على كتبهم من التفصيل بما يفهم معارف الإلهية و المقامات الصوفية فى ضمن الأحكام السياسية و الإعجاز بكل آية .

و لما كان أهل الكتاب يخفون ما عندهم من العلم ، و يقولون للمشركين : إنهم أهدى سبيلا ، بما قد يوهم أنهم / يعتقدون بطلانه ، أو أن ٥ / ٢٤١ الأمر ملبس[1] عليهم ، سبب عن[2] إخباره سبحانه قوله على طريق التهييج و الإلهاب : ﴿ فلا تكونن ﴾ [أى انف نفيا مؤكدا جدا أن تكون فى وقت ما -٣-] ﴿ من الممترين ﴾ أى العاملين عمل الشاك فيما أخبرناك به و ان زاد إخفاؤهم له و إظهارهم لما يوهم خلافه ؛ و إذا حاربتهم فى ذلك و أنت أفطن الناس و أعرفهم بما يظهره المجاوزات من خفايا الأسرار - ١٠ تحققت ما قلناه و إن اجتهدوا فى الكتمان ، كما كشفت عنه قصة المناشدة فى أمر الزانيين و غيرها ؛ و قال أبو حيان : قال مشركو قريش لرسول الله صلى الله عليه و سلم : اجعل بيننا و بينك حكما من أحبار اليهود ، و إن شئت من أساقفة النصارى ، ليخبرنا عنك بما فى كتابهم من أمرك فنزلت .

و لما دل على كونه حقا من عند الله بعلم أهل الكتاب صريحا ١٥ و أهل اللسان[4] تلويحا ، دل عليه بوجه آخر شهودى ، و هو[5] أنه ما قال شيئا إلا كان على وفق ما قال ، و أنه لم يستطع - و لا يستطيع أحد - منع شىء مما أخبر به و لا تعويقه ساعة من نهار و لا أقل و لا أكثر

(١) فى ظ : ملبس (٢) من ظ . و فى الأصل : على (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : الكسان - كذا (٥) سقط من ظ .

بقوله تعالى مظهرا فى موضع الإضمار ، لتذكيره صلى الله عليه و سلم بما له سبحانه من الإحسان ، و التنبيه على ما يريد به من التشريف و الإكرام : ﴿ و تمت ﴾ أى نفذت و تحققت ﴿ كلمت[1] ربك ﴾ أى المحسن إليك المدبر لأمرك حال كونها ﴿ صدقا ﴾ أى لا[2] يقدر أحد أن يبدى فى شىء منها حديثا[3] بتخلف ما عن مطابقة الواقع .

و لما كان الصدق غير مناف للجور ، قال : ﴿ و عدلا[4] ﴾ و لما كان الصدق العدل قد لا يتم معه مراد القائل ، و لا ينفذ فيه كلام الآمر لمنع من هو[4] أقوى منه ، أخبر أنه لا راد لأمره و لا معقب لحكمه ، تصريحا بما أفهم مطلع الآية من التمام ، و أظهر موضع الإضمار تعميما و تبركا و تلذيذا فقال : ﴿ لا مبدل لكلمته ج ﴾ أى من حيث أنها كلماته مطلقا من غير تخصيص بنوع ما ، بل كل ما أخبرت به فهو كائن لا محالة ، رضى من رضى و سخط من سخط .

و لما كان المغير لشىء إنما يتم له ما يريد من التغيير بكون المغير عليه لا يعلم الأسباب المنجحة لما أراد ليحكمها[5] ، و الموانع العائقة ليبطلها ، قال عاطفا على ما تقديره : فهو العزيز الحكيم : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ السميع ﴾ أى البالغ السمع لجميع ما يمكن سمعه من الأقوال و الأفعال ﴿ العليم ٥ ﴾ أى البالغ العلم لجميع ذلك ، فهو إذن الكامل القدرة النافذ الأمر فى جميع الأسباب و الموانع ، فلا يدع أحدا يغير شيئا منها و إن

(١) و فى مصاحفنا : كلمة (٢) من ظ ، و فى الأصل : الا (٣) فى ظ : خدشا .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : هوى (٥) من ظ ، و فى الأصل : لتحلها - كذا .

دلس أو[1] شبه .

و لما أجاب عن شبهات الكفار ، و بين صحة نبوته[2] عليه السلام ، شرع فى الحث على الإعراض عن جهل الجهال ، و الإقبال على ذى[3] الجلال ، فكان التقدير : فان أطعته فيما أمرك به اهتديت إلى صراط الله الذى يتم[4]لك بسلوكه[4] جميع ما وعدك به ، عطف عليه قوله : ٥ ﴿ و ان تطع ﴾ و لما كانت [5]أكثر الأنفس[5] متقيدة[6] بالأكثر ، أشار إلى أن ذلك لا يفعله إلا جاهل مخلد إلى التقليد فقال : ﴿ اكثر من فى الارض ﴾ أى توجد طاعتك لهم فى شىء من الأوقات بعد أن علمت أن أكثرهم إنما يتبع الهوى ، و أن أكثرهم فاسقون لا يعلمون لا يشكرون ﴿ يضلوك عن سبيل الله[4] ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ؛ ثم علل ذلك بقوله : ١٠ ﴿ ان ﴾ أى لأنهم ما ﴿ يتبعون ﴾ فى أمورهم ﴿ الا الظن ﴾ [أى -[7]] كما يظن هؤلاء جهلا أن آباءهم كانوا على الحق .

و لما كان أكثر كلام من يجزم بالأمور بما دعاه إليه ظنه كذبا ، و كان الخارص يقال على الكاذب و المخمن الحازر ، قال : ﴿ و ان هم ﴾ أى بصميم ضمائرهم ﴿ الا يخرصون ﴾ أى يجزمون بالأمور بحسب ١٥ ما يقدرون ، فيكشف الأمر عن أنها كذب[8] ، فيعرف الفرق بينك و بينهم فى تمام [الكلام -[7]] و نفوذه نفوذ السهام ، أو تخلفه عن التمام ونكوصه

(١) من ظ ، و فى الأصل « و » (٢) من ظ ، و فى الأصل : نبوة (٣) فى ظ : دين (٤ - ٤) فى ظ : سلوكه (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : انفس الاكثر . (٦) فى ظ : مقيدة (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : اكذب .

كالسيف الكهام ، فلا يبقى شبهة فى أمر المحق و المبطل .

/ ٢٤٢ و لما كان المقام للعلم الكاشف للحقائق المبين لما يتبع و ما / يجتنب ، قال معللا لهذا الإخبار : ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزال هذا الكتاب الكاشف للارتياب الهادى إلى الصواب ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ اعلم ﴾ و لكون[2] الحال [3]شديد الاقتضاء[3] للعلم ، قطعه عما بعده ليسبق إلى الفهم أنه أعلم من كل من يتوهم فيه العلم مطلقا ثم قال : ﴿ من[1] ﴾ أى يعلم من ﴿ يضل ﴾ أى يقع منه ضلال يوما ما ﴿ عن سبيله ج ﴾ أى [1]الذى بينه بعلمه ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ أعلم[1] بالمهتدين ٥ ﴾ كما أنه أعلم بالضالين ، فمن أمركم باتباعه فاتبعوه ، و من نهاكم عنه فاجتنبوه ، فمن ضل أرداه[4] ، و من اهتدى أنجاه ، فاستمسكوا بأسبابه حذرا [من [5]] ويل عقابه يوم حسابه .

و لما قدم سبحانه ما مضى من السوائب و ما معها فى المائدة مما يدين به أهل الجاهلية فى أكل الحيوان الذى جر[6] إليه الشرك ، و أتبعه بيان أنه لا ضرر على أهل الإيمان من دين أهل الضلال إذا اهتدوا ، و أتبع ذلك ما لاءمه ، و انتظم فى سلكه و لاحمه ، حتى ظهر أتى ظهور أن الكل[7] مِلْكه و مُلْكه ، و أنه لا شريك له ، فوجب شكره وحده ، و كانوا مع ذلك قد كفروا نعمه تعالى فاتخذوا معه شركاء ، و لم يكفهم ذلك حتى جعلوا لها مما ذرأ من الحرث و الأنعام نصيبا ،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يكون (٣ - ٣) تكرر ما بين الرقمين فى ظ .
(٤) فى ظ : اراده (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : جرى (٧) فى ظ : لكل .

فكانوا [1]بذلك المانعين[1] الحق عن أهـله ، و مانحين ما خولهم فيه مَنْ له الملك لما لا يملك ضرا و لا نفعا ، و تاركين بعض ما أنعم عليهم به صاحب الحق رعاية لمن لا حق له و لا حرمة ، و كانت سنة الله تعالى قد جرت بأنه يذكر نفسه الشريفة بالوحدانية . و يستدل على ذلك بخلق السماوات و الأرض و ما أودع فيهما لنا من المنافع و ما أبدع من المرافق ٥ و المصانع ، ثم يعجب ممن أشرك به . ثم يأمر[2] بالأكل مما خلق تذكيرا بالنعمة ، ليكون ذلك داعية لكل ذى لب إلى شكره ، كما قال[3] تعالى فى البقرة عقب "و الهكم اله واحد" : " ان فى خلق السمٰوٰت و الارض[4] " ثم قال "و من الناس من يتخذ من دون الله اندادا[5] " ثم قال[3] "يٰايها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا[6] "؛ أجرى هذه السنة الجليلة فى هذه السورة ١٠ أيضـا ، فقال : " ان الله فالق الحب و النوى " بعد " انى وجهت وجهى [للذى فطر-[7]] " ثم[8] "و جعلوا لله شركاء الجن" و دل على أنه لا شريك له فى مِلْكه و لا مُلْكه ، و ختم بأنه لا حكم[9] سواه ينازعه فى حكمه أو[10] يباريه فى شىء من أمره ، و بين[11] أن من [آيها -[12]] الهداية التى جعلها شرطا لعدم ضرر يلحق من دين أهل الشرك ؛ فسبب عن جميع ما ذكرت ١٥ قوله : ﴿ فكلوا مما ذكر ﴾ أى وقت الذبح ﴿ اسم الله ﴾ أى الملك الذى له

(١-١) فى ظ : لذلك المانعين (٢) فى ظ : باهم - كذا (٣) سقط من ظ .
(٤) آية ١٦٤ (٥) آية ١٦٥ (٦) آية ١٦٨ (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم (٨) زيد فى ظ بعده : بعد (٩) من ظ ، و فى الأصل : حكيم (١٠) فى ظ « و » .
(١١) من ظ ، و فى الأصل : يبين (١٢) زيد من ظ .

الإحاطة الكاملة فله كل شيء ﴿عليه﴾ أي كأن قائلا لذلك سواء ذكر بالفعل أو لا، و عدل عن التعبير بما جعلته المراد ليفهم أن الذكر بالفعل مندوب إليه، و لا يكونوا ممن بنى دينه على اتباع الأهوية و الظنون الكاذبة، فكأنه قيل: اتبعوا من يعرف[1] الحق لأهله فانه مهتد غير معرجين على غيره فانه ضال، و الله أعلم بالفريقين، فكونوا من المهتدين، فكلوا مما خلق الله لكم حلالا شاكرين لنعمته، و إنما أطال هنا دون البقرة ما بين الجمل الكلامَ تقريرا لمضامينها و ما يستتبعه و احتجاجا على جميع ذلك لأنها سورة التفصيل، و[3] أتى بالذكر[3] و المراد قبول المأكول له، أي كلوا مما يقبل أن يسمى عليه على مقتضى ما شرعه. و ذلك هو الذي أحله من الحيوان و غيره سواء كان مما جعلوه لأوثانهم أو لا. دون ما مات من الحيوان حتف أنفه، أو ذكر عليه اسم غير الله أو كان مما حرم أكله وإن ذبح و ذكر عليه اسم الله، فانه لا يقبل التحليل بالتسمية، فالتسمية في غير موضعها، لورود النصوص بالتحريم، و لا تتبعوا المشركين في منعهم أنفسهم من خير مما خلق الله لهم من الحرث و الأنعام بتسميتهم / إياه لآلهتهم التي لا غناء عندها، و يكون [ذلك - [4]] حثا على التسمية على جميع المأكول الحلال، فتكون الآية كآية البقرة [بزيادة - [4]].

/ ٢٤٣

و لما كان هذا الأمر[5] لا يقبله الا من زال دين الشرك و جميع توابعه من قلبه؛ قال: ﴿ان كنتم﴾ أي بما لكم من الجبلة الصالحة ﴿بآياته﴾

(١) في ظ: ان (٢) في ظ: يصرف - كذا (٣ - ٣) من ظ، و في الأصل: انها يذكر (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و في الأصل: امر.

أى عامة التى منها آيات التحليل و التحريم ﴿ مؤمنين ﴾ أى عريقين
فى وصف الإيمان، وقد لاح بذلك حسن انتظام قوله: ﴿ و ما لكم ﴾
أى أىّ شىء يكون لكم فى ﴿ الا تاكلوا مما ذكر ﴾ أى يقبل أن يذكر
﴿ اسم الله ﴾ اى الذى له كل شىء ﴿ عليه ﴾ فان التسمية قائمة مقام
إذنه ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ فصل لكم ﴾ أى من قبل ذلك ٥
و الخلق خلقه و الأمر أمره ﴿ ما حرم عليكم ﴾ أى مما لم يحرم تفصيلا
واضح البيان ظاهر البرهان ﴿ الاما اضطررتم اليه ﴾ أى فان الضرورة
تزيل التفصيل[1] عنه برده إلى ما كان عليه قبل التفصيل ؛ فيصير الكل حلالا
[لا -[2]] تفصيل فيه ، و المراد فى هذه الآية مختلف باختلاف المخاطبين ،
فأما من خوطب بها وقت الإنزال فالمراد بالتفصيل الذى آتاه الآية الآتية ١٠
أخير هذه فانها نزلت جملة ، و كذا كل ماشاكلها مما أنزل بمكة قبل هذه
السورة، و كذا ما أخبر به صلى الله عليه و سلم فى وحى متلو[3] إذ ذاك ، و لعله
نسخت تلاوته و بقى حكمه . أو وحى غير متلو من جميع الأحاديث التى
تقدمت على هذه السورة ، و أما من خوطب بها بعد ترتيبه على هذا الوجه
فالمراد فى حقه - [كما -[2]] فى البقرة و المائدة و غيرهما من السور الماضية - ١٥
من الحلال و الحرام .

و لما كان التقدير : من عمل بهذه الأوامر اهتدى بما نال[4] من العلم
و هم قليل ، عطف عليه قوله : ﴿ و ان كثيرا ﴾ أى[5] من الناس ﴿ ليضلون ﴾

(١) فى ظ : التفضيل (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : نتلوا (٤) فى ظ: انال .
(٥) سقط من ظ .

أى يقع منهم الضلال فيوقعون[1] غيرهم فيه بنكوبهم[2] عما دعت إليه أوامر الله و هدى إليه بيانه ، فيكونون بمعرض العطب ﴿ باهوآئهم ﴾ أى بسبب اتباعهم للهوى ؛ و لما كان الهوى ـ و هو ميل النفس ـ ربما كان موافقا لما أدى إليه العلم بصحيح الفكر و صريح العقل قال[3] : ﴿ بغير علم ﴾ أى دعا[4] إلى ذلك [ممن له العلم ـ[5]] من شريعة ماضية ممن[6] له الأمر .

و لما كانوا ينكرون هذا ، أثبت لنفسه الشريفة ما هو مسلم عند كل أحد و قال دليلا على صحة ما أخبر به : ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزال هذا الكتاب شاهدا لك باعجازه بالتصديق ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ اعلم ﴾ وكان الموضع للاضمار فأظهر للتعميم و التنبيه على الوصف الذى أوجب لهم ذلك فقال : ﴿ بالمعتدين ﴾ أى الذين يتجاوزون الحدود مجتهدين فى ذلك .

و لما كان مما يقبل فى نفسه فى الجملة أن يذكر اسم الله عليه ما يحرم[7] لكونه ملكا للغير أو فيه شبهة ، نهى عنه على وجه يعم غيره ، فقال عطفا على " فكلوا[8] " : ﴿ و ذروا ﴾ أى اتركوا على أىّ حالة اتفقت و إن كنتم تظنونها غير صالحة ﴿ ظاهر الاثم ﴾ أى المعلوم الحرمة من هذا و غيره ﴿ و باطنه ﴾ من كل ما فيه شبهة من الأقوال و الأفعال و العقائد ، فان[9] الله جعل له فى[3] القلب علامة ، و هو أن يضطرب عنده

(١) فى ظ : فيقعون (٢) فى ظ : بنكولهم (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : ادعاه .
(٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : بمن (٧) من ظ ، وفى الأصل : حرم .
(٨) فى ظ : عملوا ـ كذا (٩) فى ظ : و ان.

و لا يسكن كما قال صلى الله عليه و سلم : و الإثم ما حاك فى القلب و تردد فى الصدر - أخرجه مسلم عن النواس بن سمعان رضى الله عنه ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ان الذين يكسبون الاثم﴾ أى و لو بأخفى[1] أنواع الكسب ، بما دل عليه تجريد الفعل ، و هو الاعتقاد [2] للاسم الشريف[2] .

[و لما كان العاقل من خاف من مطلق الجزاء بنى للمفعول قوله -[3]] : ٥ ﴿ سيجزون ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿ بما ﴾ أى [2]بسبب ما[2] ﴿ كانوا ﴾ بفاسد جبلاتهم ﴿ يقترفون ۝ ﴾ أى يكتسبون اكتسابا يوجب الفرق و هو أشد الخوف و يزيل الرفق ، و صيغة الافتعال للدلالة على أن أفعال الشر إنما تكون[4] بمعالجة من النفس للفطرة الأولى السليمة .

[و لما - [3]] أمرهم بالأكل مما ينفعهم و يعينهم على شكره محذرا ١٠ من أكل[5] ما يعيش[6] مرأى بصائرهم ، أتبعه نهيهم نهيا / جازما خاصا عن ٢٤٤ / الأكل مما يضرهم فى أبدانهم و أخلاقهم ، و هو ما ضاد الأول فى خلوه [عن الاسم الشريف - ٣] فقال : ﴿ و لا تاكلوا مما لم يذكر ﴾ أى مما لا يقبل أن يذكر ﴿ اسم الله ﴾ أى الذى لا يؤخذ شىء[7] إلا منه ، لأن له الكمال كله فله الإحاطة الكاملة ، و أشار بأداة الاستعلاء إلى الإخلاص ١٥ و نفى الإشراك فقال : ﴿ عليه ﴾ أى لكون الله قد حرمه فصار نجس العين أو المعنى ، فصار مخبثا[8] للبدن و النفس مما ذكر عليه غير اسمه سبحانه

---

(١) فى ظ : اخفى (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٥) من ظ ، و فى الأصل : كل . (٦) من ظ ، و فى الأصل : يقبس (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : محبا .

بما دل عليه [من -[1]] تسميته فسقا ، و تفسير الفسق فى آية أخرى بما أهل به لغير الله و[2] كذا ما كان فى معناه مما مات أو كان حراما بغير ذلك ، و اسمه تعالى منزه عن أن يذكر على غير الحلال ، فان ذكر عليه كان ملاعبا فلم يطهره[3] ، و أما ما كان حلالا و لم يذكر عليه [اسم الله و[4] لا غيره -[1]] فهو حلال - كما فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : قالوا : يا رسول الله ! إن هنا أقواما حديث عهد بشرك يأتوننا بلحمان لا ندرى يذكرون اسم الله عليها أم لا ! قال : اذكروا أنتم اسم الله وكلوا . قال البغوى : و لو كانت التسمية شرطا لا باحة لكان[5] الشك فى وجودها مانعا من أكلها كالشك فى أصل الذبح - انتهى .

و لما كان التقدير : فانه خبيث فى نفسه مخبث ، عطف عليه قوله : ﴿ و انه ﴾ أى الأكل منه أو هو نفسه لكونه السبب ﴿ لفسق[6] ﴾ فجعله نفس الفسق - و هو الخروج عما ينبغى إلى ما لا ينبغى - لأنه عريق جدا فى كونه سببه لما تأصل عندهم من أمره[6] و انتشر من شره ، و هذا دليل على ما أولت[7] به لأن النسيان [ليس -[1]] بسبب الفسق ، و الذى تركت التسمية عليه نسيانا ليس بفسق . و الناسى ليس بفاسق - كما قاله البخارى ، و إلى ذلك الإشارة [8]بما رواه عن[8] عائشة رضى الله عنها[9] أن قوما قالوا

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل : فلم يظهر ، و فى ظ : فلم يظهره (٤) فى ظ : او (٥) من معالم التنزيل - راجع هامش الخازن ٢/١٤٧ ، و فى الأصل و ظ : كان - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : امرهم (٧) فى ظ : اوصلت (٨-٨) فى ظ : بحديث (٩) زيد بعده فى ظ : الماضى ، و لعبارة من بعده إلى « انتهى » ساقطة منه .

للنبى

للنبى صلى الله عليه وسلم: إن قوما يأتوننا باللحم، لا ندرى أذكر اسم الله عليه أم لا! فقال: سموا عليه أنتم وكلوه، قالت: وكانوا حديثى عهد بالكفر[1] - انتهى. فهذا كله يدل على أن المراد إنما هو كونه مما يحل ذبيحته، وليس المراد اشتراط التسمية بالفعل.

ولما كانت الشبه ربما زلزلت ثابت العقائد، قال محذرا منها: ﴿وان الشيطين[2]﴾ أى أخابث[3] المردة من الجن والإنس البعيدين من الخير المهيئين[4] للشر المحترقين باللعنة[5] من مردة[6] الجن والإنس[6] ﴿ليوحون﴾ أى يوسوسون وسوسة بالغة سريعة ﴿الى اوليئهم﴾ أى المقاربين لهم فى الطباع المهيئين لقبول كلامهم ﴿ليجادلوكم ج﴾ أى ليفتلوكم عما أمركم[7] به بأن يقولوا لكم: ما قتله[8] الله أحق بالأكل [مما -[9]] قتلتموه أنتم وجوارحكم - ونحو ذلك، وأهل الحرم لا ينبغى أن يقفوا فى غيره، والغريب لا ينبغى أن يساويهم فى الطواف فى ثيابه، والنذر للأصنام كالنذر للكعبة، ونحو هذا من خرافاتهم التى بنوا أمرهم فيها على الهوى الذى هم معترفون بأنه مضل مضر، ومبالغون فى الذم باتباعه والميل إليه، ويكفى فى هدم جميع شبههم إجمالا أن صاحب الدين ومالك الملك منع منها.

---

(١) من صحيح البخارى - الذبائح، وفى الأصل وظ: بكفر (٢) من ظ والقرآن الكريم. وفى الأصل: الشيطان (٣) فى الأصل: احابث، وفى ظ: اجابث - كذا (٤) فى ظ: المعين - كذا (٥) فى ظ: من اللعنة. (٦ - ٦) فى ظ: الانس والجن (٧) فى ظ: امر الله (٨) فى الأصل وظ: قبله. (٩) زيد من ظ.

و لما كان التقدير : فان أطعتموهم تركتم الهدى و تبعتم الهوى ، و كان من المعلوم أن الهوى يعود إلى الشرك ، عطف على هذا قوله : ﴿ و ان اطعتموهم ﴾ أى المشركين تدينا بما يقولونه فى ترك الأكل مما ذكر اسم الله عليه و الأكل مما لم يذكر اسم الله عليه ، أو فى شىء مما جادلوكم فيه ﴿ انكم لمشركون ﴾ أى فأنتم و هم فى الإشراك سواء كما إذا سميتم غير الله [على - ١] ذبائحكم على وجه العبادة ، لأن من اتبع أمر غير الله فقد أشركه ٢ بالله كما قال صلى الله عليه و سلم فى حديث عدى ابن حاتم رضى الله عنه فى قوله تعالى " اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله ٣ " من أن عبادتهم لهم ٤ تحليلهم ٥ ما أحلوا و تحريمهم ما حرموا ، فنبه صلى الله عليه و سلم / بذلك على أن الأسماء تتبع المعانى ؛ قال شيخ الإسلام محيي الدين النووى الشافعى فى باب الضحايا من كتاب الروضة : حكى فى الشامل ٦ و غيره عن نص الشافعى أنه لو كان لأهل الكتاب ذبيحة يذبحونها باسم غير الله كالمسيح لم تحل ؛ و فى كتاب القاضى ابن كج ٧ أن اليهودى لو ذبح لموسى و النصرانى لعيسى عليهما السلام أو ٨ للصليب حرمت ذبيحته ، و أن المسلم لو ذبح للكعبة أو لرسول الله صلى الله عليه و سلم فينبغى أن يقال : تحرم ، لأنه ذبح لغير الله تعالى ، قال :

٢٤٥ /

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : اشرك (٣) سورة ٩ آية ٣١ .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : تحليهم (٦) من ظ ، و هو الشامل فى فروع الشافعية لابن الصباغ ، و فى الأصل : التامل (٧) هو يوسف بن أحمد ابن يوسف بن كج الدينورى الشافعى فقيه من القضاة - راجع معجم المؤلفين ١٣/٢٧٣ (٨) فى ظ « و » .

و خرّج أبو الحسن وجها آخر [أنها -[1]] تحل لأن المسلم يذبح لله و لا يعتقد فى رسول الله صلى الله عليه و سلم ما يعتقده النصرانى فى عيسى عليه السلام . قال : و إذا ذبح للصنم لم تؤكل ذبيحته سواء كان الذابح مسلما أو نصرانيا ، و فى تعليقه للشيخ إبراهيم المروزى أن ما يذبح عند استقبال السلطان تقربا إليه أفتى أهل بخارى بتحريمه لأنه مما أهل به ٥ لغير الله ، و اعلم أن الذبح للمعبود[2] باسمه نازل منزلة السجود له . و كل واحد منهما نوع من أنواع التعظيم . العبادة المخصوصة بالله تعالى الذى هو المستحق للعبادة ، فمن ذبح لغيره من حيوان أو جماد كالصنم على وجه التعظيم و العبادة لم تحل[3] ذبيحته ، و كان فعله كفرا كمن سجد لغيره سجدة عبادة ، و كذا لو ذبح له و لغيره على هذا الوجه ، فأما إذا ذبح لغيره ١٠ لا على هذا الوجه - بأن ضحى أو ذبح للكعبة تعظيما لها لأنها بيت الله تعالى أو لرسول الله صلى الله عليه و سلم - فهذا لا يجوز أن يمنع حل الذبيحة . و إلى هذا المعنى يرجع قول القائل : أهديت للحرم أو للكعبة ، و من هذا القبيل الذبح عند استقبال السلطان ، فانه استبشار بقدومه نازل منزلة ذبح العقيقة لولادة المولود ، و مثل هذا لا يوجب الكفر . و كذا السجود لغير الله ١٥ تذللا و خضوعا ، فعلى هذا إذا قال الذابح[4] : بسم الله و اسم محمد ، و أراد : أذبح باسم الله و أتبرك باسم محمد ، فينبغى أن لا يحرم ، و قول من قال : لا يجوز ذلك ، يمكن أن يحمل على أن اللفظ مكروه ، لأن المكروه يصح نفى الجواز و الإباحة المطلقة عنه ، و حكى الرافعى أنه وقعت فى هذا منازعة بين أهل قزوين أفضت إلى فتنة فى أنه تحل ذبيحته و هل يكفر

(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فحذفناها .
(٣) فى ظ : لا تحل (٤) من ظ . وفى الأصل : الذبح .

بذلك! قال: و الصواب ما بينا؛ قال الشيخ محيي الدين: و مما يؤيد ما قاله - أي الرافعي - ما ذكره الشيخ إبراهيم المروزي في تعليقه: قال: حكى صاحب التقريب عن الشافعي رحمه الله أن النصراني إذا سمى غير الله كالمسيح لم تحل ذبيحته. قال صاحب التقريب: معناه أن يذبحها له. فأما إن ذكر المسيح على معنى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه و سلم فجائز، قال: و[1] قال الحليمي: تحل مطلقا و إن سمى المسيح - والله أعلم. ثم قال في المسائل المنثورة[2]: الثالثة: قال ابن كج: من ذبح شاة و قال: أذبح لرضى فلان، حلت الذبيحة، لأنه لا ينصرف إليه بخلاف من تقرب[3] بالذبح إلى الصنم؛ و قال الروياني: إن من ذبح للجن و قصد به التقرب إلى الله تعالى ليصرف شرهم عنه فهو حلال، و إن قصد الذبح لهم فحرام؛ و مما يوضح لك سر هذا الانتظام و يزيده حسنا أن هذه الآيات كلها من قوله تعالى " ان الله فالق الحب و النوى" - إلى آخر السورة تفصيل لقوله[4] تعالى في أول السورة " قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموٰت و الارض" - الآية، فلما ذكر إبداعه السماوات و الأرض بقوله " ان الله فالق الحب و النوى" و نحوه، و أنكر اتخاذ من دونه بقوله " و جعلوا لله شركاء الجن" و ما نحا نحوه، قال " فكلوا " إشارة إلى " و هو يطعم و لا يطعم" و قوله " او من كان ميتا فاحييناه " و قوله " فمن يرد الله ان يهديه" و نحوهما إشارة إلى قوله " قل اني امرت ان اكون اول من اسلم"؛ و قوله " و يوم نحشرهم جميعا" و نحوه مشير[5] إلى " اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم". /٢٤٦

(١) سقط من ظ (٢) في ظ: المشهورة (٣) في ظ: يتقرب (٤) في ظ: في قوله (٥) في الأصل و ظ: مشيرا.

و لما

و لما انقضى[1] التفصيل عند قوله " فسوف يعلمون " - الآية ، شرع في تفصيلها ثانيا بقوله "و جعلوا لله مما ذرا من الحرث و الانعام نصيبا " - إلى آخرها ، و السر في الإعادة أن الشيء إذا أثبت أو نفى ، و أقيمت الدلائل على إثبات ما ثبت [منه - [2]] و نفى ما نفى ، ثم أعيد ذلك في أسلوب آخر ، كان أثبت في النفس و ألصق[3] بالقلب ، لا سيما إن كان في الأسلوب الثاني - كما هي عادة القرآن - زيادة في البيان و تنبيه على ما لم يتقدم أولا ، و لا سيما إن كانت العبارة فائقة و الألفاظ عذبة رائقة و أنت خبير بان هذا كله دأب القرآن في أساليب الافتنان ؛ قال الغزالي في أوائل كتاب الجواهر في الفصل الذي فيه اشتمال الفاتحة على ثمانية أقسام : و قوله ثانيا " الرحمن الرحيم " إشارة إلى الصفة مرة أخرى ، و لا تظن[4] أنه مكرر ، فلا مكرر[5] في القرآن ، إذ حد المكرر ما لا ينطوي على مزيد فائدة ، و ذكر الرحمة بعد ذكر " العلمين "[6] ، و قبل ذكر " العلمين "[6] ، و قبل ذكر " ملك يوم الدين " ينطوي على فائدتين عظيمتين في تفصيل مجاري الرحمة ثم ذكر[7] ماحاصله أن إحداهما ملتفت إلى خلق[8] كل [عالم -[2]] من العالمين على أكمل أنواعه و أفضلها و إيتائه كل ما احتاج إليه ، و الثانية ملتفت إلى ما بعده بالإشارة إلى الرحمة في[9] المعاد يوم الجزاء عند الإنعام بالملك المؤبد ، قال : و شرح ذلك يطول و المقصود

(١) من ظ ، و في الأصل : ابعض - كذا (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : اعلق .
(٤) في ظ : لا يظن (٥) في ظ : تكرر (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ، و في الأصل : ذكرنا (٨) في ظ : ان (٩) من ظ ، و في الأصل « و » .

أنه [لا - [1]] مكرر فى القرآن . و إن رأيت شيئا[2] مكررا من حيث الظاهر فانظر إلى سوابقه و لواحقه لينكشف لك مزيد الفائدة[3] فى إعادته - انتهى . و فى ذلك نكتة أخرى، و هى أن الرحمن مشير[4] إلى ما قال من جهة[5] الربوبية فى الإيجادين : الأول و الثانى ، و الرحيم مشير بخصوصه بما ترضاه الإلهية إلى الإيجاد الثانى و الإبقاء الثانى بالرحمة الجزائية[6] و إلى ما يفهمه الخصوص من النعمة بمن لم يخصه الرحمة - كما مضت الإشارة إليه فى الفاتحة .

و لما كان معنى التحذير من طاعة المشركين أنكم إن فعلتم كنتم قد رددتم أنفسكم إلى ظلام الضلال بعد أن منحتم نور الهداية ، فكان التقدير : أ[2] فمن كان هكذا[7] [كان - [1]] كمن نصح لنفسه باتباع الأدلة و توقى الشبه ، عطف عليه قوله : ﴿ او من كان ميتا ﴾ أى بالغرق فى أمواج ظلام الكفر . ليس لهم من ذواتهم إلا الجمادية بل العدمية ﴿ فاحييناه ﴾ أى بما لنا من العظمة باشراق أنوار الإيمان على قبله الذى إن صلح صلح الجسد كله ، و إن فسد فسد الجسد كله ﴿ و جعلنا ﴾ أى بعظمتنا على وجه الخصوص ﴿ له نورا ﴾ أى بالهداية إلى كل خير ﴿ يمشى ﴾ مستضيئا ﴿ به فى الناس ﴾ فيعرفون أفعاله و أخلاقه و أقواله ﴿ كمن مثله ﴾ أى الذى يمثل به ، و هو ما ينكشف[8] بوجه الشبه روح لبه و[9] خلاصة حال قلبه ،

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الفاتحة - كذا (٤) فى الأصل و ظ : مشيرا - كذا (٥) فى ظ : جهته (٦) من ظ ، و فى الأصل : الجبرانية . (٧) فى ظ : هذا (٨) فى ظ : يكشف (٩) فى ظ : او .

حال قلبه، أو يكون المعنى: صفته أنه ﴿ فى الظلمت ﴾ أى ما له من نفسه من ظلمة الجهل و ظلمة ما ينشأ عنه من الهوى و ظلمة ما نشأ عن الهوى من الكفر، و إذا كان المثل الذى هو الأعلى من الممثول فى شىء كان الممثول عريقا فيه بطريق الأولى، فلذلك قال: ﴿ ليس بخارج ﴾ أى ذلك المثل ﴿ منها[1] ﴾ أى الظلمات بما زين له من سوء أعماله حتى صارت[1] أحب إليه من نفسه و ماله، و إذا لم يخرج المثل من شىء لم يخرج الممثول منه و إلا لم تكن بينهما مماثلة، و [2]ذلك لأنه[2] زين له عمله، و هى ناظرة إلى قوله أول السورة "انما يستجيب الذين يسمعون و الموتى يبعثهم الله"، و قوله "و الذين كذبوا بآيتنا صم و بكم فى الظلمت".

و لما كان إيحاء الشياطين إلى أوليائهم مما يوجب لزوم العمى ليس إلا تزيينا للقبائح[3]. فكان حالهم مما يشتد العجب منه، كان كأنه قيل: لولا رؤيتنا لحالهم ما صدقنا[4] أن عاقلا / يرضى ما فعلوه[5] بأنفسهم، فهل وقع [6]لأحد قط[6] مثل حالهم؟ فقيل: نعم، ﴿ كذلك ﴾ أى [مثل -[7]] ما زين لهم سوء أعمالهم ﴿ زين للكفرين ﴾ أى كلهم ﴿ ما كانوا ﴾ بما جبلناهم[8] عليه ﴿ يعملون ﴾ فهم أبدا فى الظلمات، فالآية من الاحتباك: أثبت[9] أولا كونه فى الظلمات دليلا على تقديره

/ ٢٤٧

(١) فى ظ: صار (٢-٢) من ظ، و فى الأصل: لذلك انه (٣) سقط من ظ.
(٤) من ظ، و فى الأصل: بما صدقناهم (٥) فى ظ: فعله (٦-٦) من ظ، و فى الأصل: لا حط قد - كذا (٧) زيد من ظ (٨) فى الأصل و ظ: جعلناهم (٩) فى ظ: ثبت.

ثانيا ، و ثانيا التزيين دليلا على تقديره أولا .

و لما كان معلوما أن عداوتهم له صلى الله عليه و سلم المشار إليها بقوله " و كذلك جعلنا لكل نبي عدوا " - الآية ، لا[1] يقوم بها إلا أكابر الناس ، لما كان عليه[1] صلى الله عليه و سلم من جلالة المنصب و شرف العشيرة و كثرة[2] الأقارب و أنه لا يتمادى عليها[3] إلا جاهل مطموس البصيرة مزين له قبيح أعماله ، عطف تعالى على التزيين للكافرين قوله : ﴿ و كذلك ﴾ أى مثل [ما -[4]] زينا للكافرين سوء أعمالهم ، فكان أكابر أهل مكة يمكرون فيتبع غيرهم مكرهم ﴿ جعلنا ﴾ أى[1] بما لنا من العظمة فى إقامة الأسباب لما يعلى كلمة الإنسان أو يجعله حقير الشأن ﴿ فى كل قرية ﴾ أى بلد جامع ، [و لما كان الكبر مختلف الأنواع باختلاف أشخاص المجرمين ، طابق بأفعل التفضيل المقصودين لها فى الجمع على إحدى اللغتين ، و عبر بصيغة منتهى الجمع دلالة على[5] تناهيهم فى الكثرة فقال -[4]] : ﴿ اكبر مجرميها ﴾ أى القاطعين لما ينبغى أن يوصل .

و لما كان من شأن الإنسان استجلاب أسباب الرفعة لنفسه ، و كان لا يصل إلى ذلك فى دار ربط المسببات بحكمة الأسباب إلا بالمكر ، و كان الأكابر أقدر على إنفاذ المكر و ترويج الأباطيل بما لأغلب الناس من السعى فى رضاهم طمعا فيما عندهم ، و كان الإنسان كلما تمكن[6] من ذلك أمعن فيه ، و كان الكبير إنما يصل إلى ما قدر له من ذلك بتقدير الله

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : كثيرة (٣) فى ظ : عليهما .
(٤) زيد من ظ (٥) زيد و لا بد منه (٦) من ظ ، و فى الأصل : يمكن .

له

له ؛ كأن بما قدر له من ذلك كأنه خلقه له، فقال معبرا بالجعل لما فيه من التصيير[1] و التسبيب[2]: ﴿ ليمكروا فيها ﴾ أى يخدعوا أصاغرهم و يغروهم بما يلبسون عليهم من الأمور حتى يتبعوهم فيعادوا[3] لهم حزب الله .

و لما كان ذلك موجعا و غائظا محزنا ، قال تصغيرا لشأنهم و تحقيرا لأمرهم: ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنهم [ما - [4]] ﴿ يمكرون الا بانفسهم ﴾ ٥ لأن عملهم بالمكر وبال عليهم موبق لهم، و لأن مكرهم بأولياء الله إنما هو مكر[5] بالله، و ذلك غير متأت و لا[6] كائن بوجه من الوجوه، و كيف يتأتى مكر من لا يعلم شيئا من الغيب بمن يعلم جميع الغيب ! ﴿ و ما يشعرون ﴾ أى [و - [7]] ما لهم نوع شعور بأن مكرهم عائد على نفوسهم، لأن الله تعالى الذى يعلم سرهم و جهرهم يجعل بما يزين لهم تدميرهم فى تدبيرهم، وإنما ١٠ أجرى[8] سنته[9] الإلهية بذلك لما يشتمل عليه من أعلام النبوة ، فان غلبة شخص واحد - بمفرده أو باتباع كثير منهم ممن لا يوبه لهم مع قلة العدد و ضعف المدد لرؤساء الناس و أقويائهم مع طول مكثه بينهم منابذا لهم مناديا عليهم بأن دينكم يمحى و دينى يظهر و إن كرهتم[10] - من خوارق العادات وبواهر الآيات تصديقا لقوله تعالى "كتب الله لاغلبن انا ورسلى[11]" ١٥ "و ان جندنا لهم الغلبون[12]" - فى أمثال ذلك .

---

(١) فى ظ : التقصير (٢) من ظ ، وفى الأصل : التسبب (٣) فى ظ : فيبادوا .
(٤) زيد ولا بد منه (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : الا - كذا .
(٧) زيد من ظ (٨) زيد فى ظ : تعالى (٩) فى ظ : سنة (١٠) من ظ ، و فى الأصل : كرهتهم (١١) سورة ٥٨ آية ٢١ (١٢) سورة ٣٧ آية ١٧٣ .

و لما قرر هذا، أتبعه بمقالة لهم تدل على تعظيمهم و تكبرهم[1] فقال عاطفا على "و اقسموا بالله جهد ايمانهم" تعجيبا[2] من حالهم فيما زين لهم [3]من ضلالهم[3]، و تصديقا لما تقدم من الإخبار بأنهم لا يؤمنون و لو[4] جاءتهم كل آية إلا أن يشاء الله، و تحقيقا لما فى الآية السالفة[5] من مكرهم لغيرهم و عوده على أنفسهم: ﴿ و اذا جآءتهم ﴾ أى الكافرين من أكابر المجرمين و أتباعهم ﴿ اٰية قالوا ﴾ حسدا لمن خصه الله بالنبوة لكونهم أكابر مؤكدين للنفى[6] [لما لمعجزات الأنبياء عليهم السلام من العبر الموجب لظن الإذعان لأعتى أهل الكفران - [7]] ﴿ لن نؤمن ﴾ أى أبدا ﴿ حتى نؤتى ﴾ لما لنا من العلو[8] و العظمة المقتضية لأن لا يختص أحد عنا بشىء ﴿ مثل مآ ﴾ .

و لما كان نظرهم مقصورا على عالم الحس من غير نظر إلى جانب الله لكونه غيبا بنوا للمفعول قولهم: ﴿ اوتى رسل الله [9] ﴾ يجوز أن يكون المراد: حتى يوحى إلينا لئلا يكونوا أعظم منا كما قال تعالى "بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة[9]" و كما[10] تقدم فى أول السورة عن أبى جهل أنه قال: تنازعنا نحن[10] و بنو عبد مناف الشرف حتى إذا كنا كفرسى رهان[11] قالوا: منا نبى[12] يأتيه الوحى من السماء،

٢٤٨ / ١٥

(١) فى ظ: تنكيرهم (٢) فى ظ: تعجبا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) من ظ، و فى الأصل: لما (٥) فى ظ: السابقة (٦) من ظ: و فى الأصل: بالنفى (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، و فى الأصل: العلوم (٩) سورة ٧٤ آية ٥٢.
(١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ: رهبان (١٢) من ظ و البحر ٤/٢١٦، و فى الأصل: بشىء - كذا.

ويحك! [1]متى ندرك هذا[1] والله لا تؤمن به أبدا. وأن يكون المراد إتيانه صلى الله عليه وسلم بمثل[2] آيات الأولين من شق البحر واليد والعصا وإحياء الموتى ونحوها. [وسموهم تنزلا واستهزاء. وعبروا بالجلالة إشارة إلى القدرة التامة فلا عذر -[3]].

ولما ذكر اسم الجلالة إيذانا بعظيم ما اجترؤا[4] عليه لعماهم - بما طمس على أنوار قلوبهم من ظلمات الهوى - عما للرسل من الجلال الذى يخضع له شوامخ[5] الأنوف. أعادها أيضا تهويلا للأمر وتنبيها على ما هناك من عظيم القدر[6]، فقال ردا عليهم فيما تضمن قولهم [من -[3]] دعوى العلم بالحكمة والاعتراض على الله عز وجل: ﴿الله﴾ أى بما له من صفات الكمال ﴿اعلم﴾ أى من كل من يمكن منه علم ﴿حيث يجعل﴾ أى يصير بما يسبب من الأمور ﴿رسالته[7]﴾ أى كلها بالنسبة الى كل فرد من أفراد الخلق فهو لا يضع[8] شيئا منها بالتشهى.

ولما كشف هذا النظم عن أنهم اجترؤا[9] عليه، وأنهم أصروا على أقبح المعاصى الكفر، لا لطلب الدليل بل لداء الحسد؛ تاقت[10] النفس إلى معرفة ما يحل بهم فقال جوابا: ﴿سيصيب﴾ أى بوعد لا خلف فيه،

(١ - ١) فى الأصل: شىء يدرك هذه، وفى ظ: متى ندرك هذه (٢) من ظ، وفى الأصل: مثل (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى الأصل وظ: اخبروا. (٥) زيد بعده فى ظ: النفوس (٦) من ظ، وفى الأصل: القدرة (٧) كذا قرأ أكثر السبعة بالجمع، وأما مصاحفنا فبالإفراد (٨) من ظ، وفى الأصل: لا يضيع. (٩) من ظ، وفى الأصل: اخبروا (١٠) من ظ، وفى الأصل: ثاقب - كذا.

و أظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال: ﴿الذين اجرموا﴾ أى قطعوا ما ينبغى أن يوصل ﴿صغار﴾ [أى رضى بالذل لعدم الناصر -[1]]؛ و لما كان الشيء تعظم[2] بعظمة محله و من كان منه ذلك الشيء قال[3]: ﴿عند الله﴾ أى الجامع[4] لصفات العظمة ﴿و عذاب﴾ ٥ أى مع الصغار ﴿شديد﴾ أى فى الدنيا بالقتل و الخزى و فى الآخرة بالنار ﴿بما﴾ أى بسبب ما ﴿كانوا يمكرون﴾.

و لما تقدم أنه تعالى أعلم بمن طبع على قلبه فلا ينفك عن الضلال، و من يقبل الهداية فى الحال أو المآل[5]، و أن مكر المجرمين إنما هو بارادته و نافذ قدرته، علم أن الأمر أمره، و القلوب بيده، ١٠ فتسبب عن ذلك قوله: ﴿فمن يرد الله﴾ أى الذى له جميع الجلال و الإكرام ﴿ان يهديه﴾ أى يخلق[6] الهداية فى قلبه من أكابر المجرمين أو غيرهم ﴿يشرح صدره﴾ أى يوسعه بأن يجعله مهيئا قابلا بالنور ﴿للاسلام ج﴾ قال الإمام أبو جعفر النحاس: روى أن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: يا رسول الله! و هل ينشرح الصدر؟ فقال: نعم، ١٥ يدخل القلب نور، فقال: و هل لذلك من علامه؟ فقال صلى الله عليه و سلم: التجافى عن دار الغرور[7] و الإنابة إلى دار الخلود و الاستعداد

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: تعظيم (٣) من ظ، و فى الأصل: فقال (٤) من ظ، و فى الأصل: جامع (٥) فى ظ: المثال - كذا (٦) فى ظ: خلق (٧) زيد بعده فى الأصل: فقال و هل لذلك من علامة، و لم تكن الزيادة فى ظ و لا فى تفسير الطبرى حيث سيقت هذه الرواية فحذفناها.

للموت قبل[1] الموت، و فى روايـــة: الفوت ﴿ و من يرد ﴾ أى الله، ولم يظهر هنا إشارة إلى أن الضلال على مقتضى الطبع ﴿ ان يضله ﴾ أى يخلق الضلال و يديمـــه فى قلبه ﴿ يجعل صدره ﴾ أى الذى هو مسكن[2] قلبه الذى هو معدن الأنوار ﴿ ضيقا حرجا ﴾ أى شديد الضيق فيكون[3] مرتجسا أى مضطربا، روى أن عمر رضى الله عنه أحضر أعرابيا من كنانة من بنى مدلج فقال له: ما الحرجة؟ فقال: شجرة لا تصل إليها[4] وحشية و لا راعية، و ساق البغوى القصة[5] و لفظه: و قال: الحرجة فينا الشجرة تكون[6] بين الأشجار [التى -[6]] لا تصل إليها راعية لا وحشية و لا شىء - ثم اتفقا - فقال عمر رضى الله عنه: كذلك قلب[7] الكافر[8] لا يصل إليـه شىء من الإيمان و الخير؛ و زاد البغوى: قال سيبويه: الحرج - بالفتح المصدر[9]، و معنـاه: [10]ذا حرج[10]، و بالكسر الاسم و هو أشد الضيق، و قال المهدوى: هنا الحرج الشديد الضيق و قد تقدم القول فيه، و قال فى النساء فى قوله تعالى "ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت[11]" أى ضيقا، و إلى هذا المعنى يرجع قول مجاهد: إنه الشك، و قول الضحاك: إنه الإثم، كأنه ضيق شك[12] أو ضيق إثم؛ و قال

(١) زيد فى الطبرى: ان ينزل (٢) فى ظ: سكن (٣) فى ظ: فيصير، و العبارة من هنا إلى «مضطربا» تقدمت فيه على «و فى رواية» (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و معالم التنزيل - راجع الخازن ٢/١٥٠، و فى الأصل: يكون (٦) زيد من المعالم (٧) من ظ و المعالم، و فى الأصل: قليل - كـذا (٨) فى المعالم: المنافق. (٩) زيد فى المعالم: كالطاب (١٠-١٠) من المعالم، و فى الأصل: اخرج. (١١) آية ٦٥ (١٢) فى ظ: يشك.

النحاس[1]: " حرجا مما قضيت " أى شكا و ضيقا ، و أصل الحرج الضيق - انتهى . و تحقيق ذلك أن الآية هنا فيها - بعد التأكيد بالإتيان بصيغة فعيل[2] دون فاعل - تأكيد آخر إما / بالمصدر أو باسم الفاعل ، فأفاد ٢٤٩/ زيادة على أصل الفعل و هى الشدة فيه ، فمعنى الفتح : ضيقا - بكسر الضاد و إسكان [الياء -[3]] ، و معناه - إن كسرت حرجا - ضيقا[4] باعادة اسم الفاعل ، و مادة 'حرج' بخصوص[5] هذا الترتيب تدور على المكان الضيق الكثير[6] الشجر ، و يلزمه الشخوص[7] على وجه الأرض و الارتفاع و الجمع والمنع و الشدة و الحيرة و الحر و البرد . و هى - بأى ترتيب كان و هى خمسة : حرج جحر[8] رجح حجر[9] جرح - تدور على الحجر الذى هو الجسم المعروف ، و يلزمه الثقل[10] و المنع و الحدة و الشخوص و الصلابة التى هى القسوة و يلزمها الضيق ، فيرجع إلى الصلابة الحرُج بمعنى الضيق ، و الحرجة للغيضة ، و الحرج للقلادة من الودع[11] ، و الحرجوج للريح الشديدة الباردة ، و الناقة الحرجوج للوقادة القلب . و يجوز رجوعها إلى الحدة ، و الجرح لسرير الموتى لضيق الصدر من ذكره ، و لضيقه

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : النحاسى (٢) فى ظ : فيعل (٣) زيد من ظ (٤) تكرر فى الأصل (٥) من ظ ، و فى الأصل : بمخصوص من (٦) من ظ ، و فى الأصل : الكبير (٧) فى ظ : الخصوص (٨) فى ظ : حجر (٩) فى ظ : حجر - كذا (١٠) من ظ ، و فى الأصل : النقل (١١) من ظ و تاج العروس . و هو خرز يعلق فى العنق ، و فى الأصل : الردع - كذا .

عن أسرّة الأحياء ، و منـــه أيضا جحر الضب و نحوه للثقب المحتفر فى الأرض ، ويرجع إلى الثقل[1] الحرُج بمعنى الإثم ، و ينشأ[2] عن ذلك البعث[3] المفضى إلى الحيرة ، و منه حرجت عينه ، أى حارت فلا تطرف[4] ، و يلزم الثقل[1] أيضا الجرُح بمعنى الطعن النافذ فى البـدن ، و من ذلك اجترح ـ إذا اكتسب مالا ، لأنه من آثاره ، و منه الرجحان بمعنى الثقل ، ٥ و الحكم[5] الراجح الذى يوجب رزانة صاحبه ، و منه الأرجوحة لأن كلا من طرفيها يرجح بالآخر ، و يرجع إلى المنع[6] الحجرُ بمعنى العقل و بمعنى الحضن[7] و الحرام و الفرس[8] الأنثى لأنها قد تمنع من الركوب للحمل أو الولد ، و الحجر فى المال ، و الحجرة للناحية القريبة لأن الشئ إذا بعد عنك ـ و لو قدر باع ـ امتنع منك ، وكان التأنيث فيه لقربه[9] ، و يرجع ١٠ إلى الشخوص[10] الحرُج للناقة الطويلة ؛ و قال الإمام أبو الفتح ابن جنى[11] رحمه الله فى كتابه "المحتسب فى توجيه القراءات الشواذ" عند قوله تعالى فى هذه السورة "و حرث حرج[12]" فيمن قرأ بتقديم الراء: إن جميع تراكيب هذه المادة الخمسة تلتقى معانيها فى الضيق و الشدة و الاجتماع ، و إذا أنعمت النظر و تركت[13] الملل و الضجر وجدت الأمر[14] كما قال ١٥

(١) من ظ ، و فى الأصل : النقل (٢) من ظ ، و فى الأصل : نشأ (٣) فى ظ : الثقب (٤) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : فلا يطوف (٥) من ظ ، و فى الأصل : الحلم (٦) فى ظ : المنعم (٧) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : الحضين (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) فى ظ : لقرية (١٠) من ظ ، و فى الأصل : النحوص (١١) هو عثمان بن جنى النحوى (١٢) راجع آية ١٣٨ . (١٣) من ظ ، و فى الأصل : تركب (١٤) من ظ ، و فى الأصل : الامام ـ كذا .

ـ والله أعلم ـ نحو الحجر و استحجر الطين و الحجرة [1] و بقيته ، و كله [1] إلى التماسك و الضيق ، و منه الحرج للضيق [2] و الجرح مثله ، و الحرجة ما التف من الشجر فلم يمكن دخوله ، و منه الحجر و بابه لضيقه ، و منه الجرح لمخالطة [3] الحديد للحم و تلاحمه [4] عليه ، و منه رجح الميزان ـ لأنه مال أحد شقيه نحو الأرض فقرب منها و ضاق ما كان واسعا بينه و بينها ، فان قلت : فانه إذا مال أحدهما إلى الأرض [5] فقد بعد الآخر ؟ قيل : كلامنا على الراجح و الراجح هو الذى إلى الأرض . فأما الآخر فلا يقال له : راجح ، و إذا ثبت ذلك ـ و قد ثبت ـ فكذلك قوله تعالى " و حرث حرج [6] " فى معنى حجر ، معناه عندهم أنها ممنوعة محجورة لن يطعمها إلا من يسألون أن يطعموه إياها بزعمهم ـ انتهى .

و لما كان صاحب هذا الصدر لا يكاد [7] الهداية تصل إليه ، و إن وصل اليه شيء منها على لسان واعظ و من طريق مرشد ناصح لم تجد مسلكا فنكصت ، و هكذا لا تزال فى اضطراب و تردد أبدا ؛ كانت ترجمته قوله : ﴿ كأنما يصعد ﴾ أى يتكلف هذا الشخص فى قبول الهداية الصعود ﴿ فى السماء [8] ﴾ فى خفاء حياء من مزاولة ما لا يمكن ، بما أشار [9] إليه قراءة من أدغم التاء فى الصاد ، فكلما أصعدته حركته الاختيارية أهبطته

(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : نفسه و كل ـ كذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لمخاطبة ـ كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : يلاحمه (٧) فى ظ : الاخر وهى ـ كذا (٨) من ظ ، و فى الأصل : حرج (٩) من ظ ، و فى الأصل : لا يزال (١٠) فى ظ : اشارت .

حركته الطبيعية [1] القسرية ، كما نرى بعض الحشرات يحمل شيئا ثقيلا ويصعد به فى جدار أملس ، فيصير يتكاف ذلك فيقع ، ثم يتكلف الصعود أيضا فربما وصل إلى مكانه الأول وسقط ، وربما سقط دونه ، فهو مما [2] يمتنع عادة ، فلا يزال مرتجسا أى مضطربا ومجامع الاضطراب عقبه بما / بعده كما يأتى . ٥ / ٢٥٠

ولما كان ما وصف به صدر الضال مما ينفر منه ، وكان [3] الرجس فى الأصل [3] لما يستقذر ، والمستقذر ينفر منه ، وكان هذا الكلام ربما أثار سؤالا [4] ، وهو أن يقال [5] : هل هذا - وهو جعل الضال على هذه الصفة - خاص بأهل هذا [6] الزمان ، أجيب بما حاصله : لا ، ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ما جعل الله الرجس على [من - [7]] أراد ضلاله من أهل هذا [6] الزمان ١٠ ﴿ يجعل الله ﴾ أى بما له من القدرة التامة والعظمة الباهرة ﴿ الرجس ﴾ أى الاضطراب والقذر ﴿ على الذين لا يؤمنون ﴾ من أهل كل زمان لإرادته سبحانه دوام ضلالهم ، فالآية من الاحتباك : ذكر أولا الضلال دليلا على حذفه ثانيا ، وذكر الرجس ثانيا دليلا على حذفه أولا ، والآية نص فى [6] أن الله يريد هدى المؤمن وضلال الكافر . ١٥

ولما ذكر ما ألزمه لأهل الضلال بلفظ ما يستقذر ، كان فى غاية الحسن تعقيبه بالصراط ، فانه مما يعشق لاستقامته وإضافته إلى الرب الذى

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : الطبعة (٢) فى ظ : فيما (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : سولا (٥) من ظ ، وفى الأصل : تعالى .
(٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ .

له - مع استجماع الكمالات كلها - صفة العطف و الإحسان و اللطف ، و إضافة الرب إلى هذا الرسول الذى[1] يعشق خلقه و خلقه كلُ من يراه أو يسمع به ، و أحسن من ذلك و أمتن أن مادة 'رجس' تدور على الاضطراب الملزوم للعوج الملزوم للضلال المانع من الإيمان ، فلما مثل سبحانه حال الضال بحال المضطرب ، و[1] أخبر أنه ألزم هذا الاضطراب كل من لا يؤمن ، أتبعه وصف سبيله بالاستقامة التى هى أبعد شىء عن الاضطراب الملزوم للعوج ، وكان التقدير : فهذه حال أهل الضلال ، فعطف عليه قوله : ﴿ و هذا ﴾ أى[1] الذى ذكرناه من الشرائع الهادية فى هذا القرآن التى ختمناها بأن الهادى المضل هو الله وحده ، لا الإتيان بالمقترحات و لوجاءت كل آية ﴿صراط﴾ أى طريق ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك حال كون هذا الصراط ﴿ مستقيما[4] ﴾ أى[1] لا عوج فيه أصلا ، بل هو على منهاج الفطرة الأولى التى هى فى أحسن تقويم بالعقل[2] السليم الذى لم يشبه[3] هوى و لم يشبه[3] خلل فى أن الأمر كله [4]بيد الله[4] لكيلا يزال الإنسان خائفا من الله و راجيا له لأنه القادر على كل شىء ، و أما غيره فلا قدرة له إلا بتقديره لأنه خلق[5] القوى و القدر عندنا و عند المعتزلة ، فلتكن الجزئيات كذلك لأن الخلق لا يتصور بغير علم ، و ليس غير الله محيط العلم ؛ قال الإمام : فالآية التى قبلها من المحكمات ، فيجب إجراؤها على ظاهرها ، و يحرم التصرف فيها بالتأويل .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : بالفعل (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم يشبيه .
(٤-٤) فى ظ : لله (٥) فى ظ : الخالق .

و لما كان جميع ما فى هذا الصراط على منهاج العقل ليس شىء [منه -[1]] خارجا عنه[2] و إن كان فيه بما لا يستقل بادراكه العقل ، بل لا بد له فيه من إرشاد الهداة[3] من الرسل الآخذين عن الله ، قال مبينا لمدحه مرشدا إلى انتظامه مع العقل : ﴿ قد فصلنا ﴾ أى غاية التفصيل بما لنا من العظمة ﴿ الآيٰت ﴾ أى كلها فصلا فصلا[4] بحيث تميزت تميزا[5] لا يختلط واحد منها بالآخر ﴿ لقوم يذكرون ﴾ أى يجهدون أنفسهم فى التخلص من شوائب[6] العوائق للعقل من الهوى و غيره - و لو على أدنى وجوه الاجتهاد بما يشير اليه الإدغام - ليذكروا [أنه قال : ما من شىء ذكرناه إلا و قد أودعنا فى عقولهم شاهدا عليه .

و لما كان التذكر -[1]] عند الآيات لا يكون إلا من أهل العنايات فى طرق الهدايات ، قال مرغبا فى التذكر فانه سبب الفيض الإلهى على القلوب المهيأة له : ﴿ لهم ﴾ أى المتذكرين ﴿ دار السلٰم ﴾ أى الجنة ، أضافها سبحانه إليه زيادة فى الترغيب فيها ، و خص هذا الاسم الشريف لأنه لا يلم بها شىء من عطب و لا خوف و لا نصب ؛ ثم زاد الترغيب فيها بقوله : ﴿ عند ربهم ﴾ أى [فى -[1]] ضمان المحسن إليهم و حضرته بما هيأهم له و يسره[7] لهم ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ وليهم ﴾ أى المتكفل[8] بتولى أمورهم ، لا يكلهم إلى أحد سواه ، و هذا يدل على قربه منهم ،

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : منه (٣) فى ظ : الهداية (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : تميزا (٦) فى ظ : شوايق - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : سيره (٨) فى ظ : المتكلف .

٢٥١ / و العندية تدل على قربهم منه لما[1] شرح / من صدورهم بالتوحيد ؛ و لما كان ذلك ربما قصر[2] على التذكر . بين أن المراد منه التأدية إلى الأعمال فانها معيار الصدق[3] و ميزانه فقال : ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كانوا ﴾ [4]أى كما جبلهم عليه ، فما كان ذلك إلا بفضله[4] ﴿ يعملون ٥ ﴾

٥ و لما فصل سبحانه أحوال الفريقين ، و حض على التذكر[5] تنبيها على أن كل ما فى القرآن مما يهدى إليه العقل ، و ذكر مآل[6] المتذكرين فأفهم أن غيرهم إلى عطب ، لأنهم تولوا ما يضرهم لأنهم تبعوا شهواتهم ، و كان من المعلوم أنهم يعبدون[7] غير مالكهم ، و أنه ما من عبد يخدم غير سيده بغير أمر سيده إلا عاتبه أو[8] عاقبه ، هذا مركوز فى كل عقل ؛ ذكر سبحانه

١٠ ما يتقدم ذلك المآل[9] من الأهوال فى[10] الأجل المسمى الذى أخفاه عنده و جعله من أعظم مبانى[11] هذه السورة ، و أبهمه [فى - [12]] أولها ، و بين فى[12] أثنائها بعض [4]أحواله مرارا فى وجوه من أفانين البيان ، و هو يوم الحشر ، فذكر هنا سبحانه بعض[4] أحوال الغافلين [و بعض - [12]] ما يقول لهم فيه و ما يفعله معهم من عتاب و عقاب ، [14]لطفا بهم[14]

١٥ و استعطافا إلى المتاب ، فقال جامعا الفريقين : ﴿ و يوم ﴾ أى اذكر فى

---

(١) فى ظ : بما (٢) فى ظ : تصبر (٣) فى ظ : الصدر (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : التذكير (٦) فى ظ : حال (٧) فى ظ : يعتدون (٨) فى ظ « و » (٩) فى ظ : المثال (١٠) فى ظ : من (١١) فى ظ : معانى (١٢) زيد من ظ (١٣) سقط من ظ (١٤ - ١٤) فى ظ : لطايفهم - كذا .

تذكرك يوم ﴿ نحشرهم[1] ﴾ أى أهل ولايتنا و أهل عداوتنا ﴿ جميعا ج ﴾ لا نذر منهم أحدا ﴿ يا[2] ﴾ أى فنقول على لسان من نشاء من جنودنا لأهل عداوتنا تبكيتا و توبيخا حين لا يكون[3] لهم مدافعة أصلا : ﴿ معشر الجن ﴾ أى [المستترين الموحشين من - [4]] مردة الشياطين المسلطين على الإنس ، و هم يرونهم من حيث لا ترونهم[5] ﴿ قد استكثرتم ﴾ أى [طلبتم - [4]] و أوجدتم[6] الكثرة ﴿ من الانس ج ﴾ أى من إغواء[7] [المؤنسين الظاهرين -[4]] حتى صار أكثرهم أتباعكم ، [فالآية من الاحتباك : عبر بما يدل على الستر أولا دلالة على ضده - و هو الظهور - ثانيا ، و بما معناه الاستئناس و السكون ثانيا دلالة على ضده - و هو الإيحاش و النفرة - أولا -[4]] .

﴿ و قال ﴾ هو عطف على جواب الجن المستتر[8] [عن -[4]] العامل فى " يمعشر " الذى تقديره كما يهدى إليه الآيات [التى -[4]] تأتى[9] فى السورة الآتية فى تفصيل هذه المحاورة : فقالوا : ربنا هم ضلوا ، لأنهم[10] كانوا يستمتعون بنا فى نفوذهم و سماعهم الأخبار الغريبة منا ، فاستوجبوا العذاب بمفردهم ، و ستر جواب الجن لأنه - مع كونه لا يخفى لدلالة المعطوف عليه - مناسب لحالهم فى الاستتار مع شهرتهم ، [و ذكره -[4]] بلفظ الماضى إشارة الى تحقق وقوعه ، لأنه خبر من لا يخلف الميعاد ، و المراد بهذه المحاورة ضرب مما يأتى تفصيله بقوله[11] "قالت اخرىٰهم لاولىٰهم ربنا هؤلاء اضلونا" -

---

(١) و قراءة حفص بالغيبة (٢) تقدم فى الأصل على « معشر الجن » و الترتيب من ظ (٣) فى ظ : لا تكون (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يرونهم . (٦) من ظ ، وفى الأصل : جدتم (٧) من ظ ، و فى الأصل : اغوايهم (٨) فى ظ : المسبب (٩) من ظ ، و فى الأصل : يأتى (١٠) سقط من ظ (١١) سورة ٧ آية ٣٨ .

الآية، و قوله "فقال الضعفؤا [1]للذين استكبروا[1] انا كنا [لكم-[2]] تبعا"-
الآية ﴿ او لئيؤهم ﴾ أى الجن ﴿من الانس﴾ [أى - [3]] الذين تولوهم
بالاتباع و الطاعة فيما دعوهم إليه من الضلال ، معترفين مستعطفين
﴿ربنا﴾ [أيها المربى لنا المحسن إلينا -[3]] ﴿استمتع﴾ أى طلب المتاع
٥ و أوجده ﴿ بعضنا ببعض ﴾ نحن بهم فيما قالوا ، و هم بنا فى طاعتنا لهم
و عياذنا بهم ﴿ و بلغنآ ﴾ أى نحن و هم ﴿ اجلنا ﴾ و أحالوا[4] الأمر على
القدر فقالوا : ﴿ الذىٓ اجلت لنا[5] ﴾ و هو الموت الذى كتبته علينا
و[5] سويت بيننا فى سوط قهره و تجرع كؤس حره[6] و قره ، ثم هذا اليوم
الذى كنا مشتركين فى التكذيب به ، فاستوجبنا العذاب كلنا .

١٠ و لما تم ذلك كان كأنه [قيل : فما - [3]] قال الله لهم بعد هذه
المحاورة الغريبة التى[7] هى ضرب من كلام أهل الباطن فى الدنيا لجلج
مضطرب لا حاصل له ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ أى المخاطب لهم عن[8] الله
﴿ النار مثوىٰكم ﴾ أى منزلكم جميعا من غير أن تنفعكم[9] الإحالة على القدر
﴿ خٰلدين فيهآ ﴾ أى إلى ما لا آخر له ، لأن الأعمال بالنية و قد كنتم
١٥ على عزم ثابت أنكم على هذا الكفر ما بقيتم و لو [إلى - [3]] ما لا آخر له ،
فالجزاء من جنس العمل .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و القرآن الكريم - سورة ١٤ آية ٢١ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : احالة (٥) فى ظ : او (٦) من ظ ، و فى الأصل : من - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : لكن (٨) من ظ ، و فى الأصل : غير (٩) من ظ ، و فى الأصل : ينفعكم .

و لما كان [من - [1]] المقرر أنه لا تمام لملك من يجب عليه شيء و يلزمه بحيث لا يقدر على[2] الانفكاك عنه ، بين سبحانه أن ملكه ليس كذلك ، بل هو[3] على غاية الكمال ، لا يجب عليه شيء بل كل فعله جميل ، و جميع ما يبدو منه حسن ، فعلق دوام عذابهم على[4] المشيئة فقال : ﴿ الا ما شآء ﴾

و لما كان القصد فى هذه السورة إلى إظهار العظمة للغيرة على / مقام ٥ /٢٥٢ الإلهية ، عبر بالاسم الأعظم فقال : ﴿ الله[5] ﴾ أى الذى له رداء الكبر فلا يستطيع أحد أن يعترض عليه و لا أن يهم بذلك ، هيهات هيهات ! انقطعت دون ذلك الآمال ، فظلت[6] ناكسة أعناق الرجال ، و بيده إزار العز ، فمن اختلج فى سره أن يرفع ناكس عنقه ضربه بمقامع الذل ، و أنزله فى مهاوى الخزى ، و قد تقرر أنه سبحانه لا يشاء انقطاع شيء ١٠ من ذلك عنهم فى حال من الأحوال ، و نطق الكتاب بذلك فى صرائح الأقوال ، و فى سوقه معلقا هكذا مع ما تقدم زيادة فى عذابهم بتعليق رجائهم من انقطاع بلائهم بما لا مطمع فيه .

و لما كان فى إظهار الجلال فى هذا الحال من عظيم الأهوال ما لا يسعه المقال ، أتبعه اللطف بالمخاطب[6] به صلى الله عليه و سلم فقال[3] : ١٥ ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك برفع أوليائك و خفض أعدائك .

و لما كان السياق - فى مثل هذه المقاولة فى مجمع الحِكَم - للحكمة و العلم ، و كان النظر إلى الحكمة فى تنزيل كل شيء منزله أعظم ، قدم

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : عن (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : فى (٥) فى ظ : وظلت (٦) من ظ ، و فى الأصل : بالمحاطف - كذا .

وصفها فقال: ﴿ حكيم ﴾ أى فلا يعذب المخلص و يترك المشرك و لا يعذب بعض من أشرك و يترك بعضا ﴿ عليم ﴾ أى بدقائق الأمور و جلائلها من الفريقين، فلا يخفى عليه عمل أحد فيهمله لذلك.

و لما استبان بهذا أنه ولّى الكفرة من ظالمى الجن ظالمىّ الإنس و سلطهم عليهم، أخبر تعالى أن هذا عمله مع كل ظالم من أىّ قبيل كان سواء كان كافرا أو لا فقال: ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل تلك[1] التولية التى سلطنا بها الجن على الإنس بما زاد عذاب الفريقين ﴿ نولى ﴾ أى نتبع فى جميع الأزمان من جميع الخلق ﴿ بعض الظالمين[2] ﴾ أى الفريقين فى الظلم ﴿ بعضا ﴾ أى بأن نجمع[3] بين الأشكال، فى الأوصاف الباطنة و الخصال، و نسلط بعضهم على بعض فى الضلال و الإضلال، و الأوجاع و الأنكال ﴿ بما كانوا ﴾ بجبلاتهم ﴿ يكسبون ﴾ أى بسبب اجتماعهم فى الطباع التى[4] طبعناهم عليها يجتمعون و ينقاد بعضهم لبعض، بحسب ما سببنا من الأسباب الملائمة لذلك الظلم الذى يسرناه لهم، حتى صارت أعمالهم كلها فى غير مواضعها، فيظلم بعضهم بعضا و يهلك بعضهم بعضا، و هم لا يزدادون إلا الالتئام[5] حتى يستحق الكل ما كتبنا لهم من عذاب؛ روى الطبرانى فى الأوسط عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن الله عز و جل يقول: أنتقم ممن[6]

(١) من ظ، و فى الأصل: ذلك (٢) تأخر فى الأصل عن «فى الظلم» و الترتيب من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: يجمع (٤) من ظ، و فى الأصل: الذى. (٥) من ظ، و فى الأصل: التيام (٦) فى ظ: بمن.

أبغض

أبغض بمن أبغضن ثم[1] أصيّر كلا إلى النار . و عن مالك بن دينار[2] قال: رأيت[3] فى بعض كتب الله المنزلة أن الله تعالى يقول: أقى أعدائى بأعدائى ثم أفنيهم[4] بأوليائى. أو[5] يقال: فقد أخبرنا أن الله عز و جل[6] ولى المؤمنين بسبب محاسن أعمالهم، و مثل ما ولاهم ليعزهم يولى بعض الظلمة بعضا ليهينهم بسبب ما كانوا يتعاطونه [من مساوى الأعمال و ردىء الخلال و غث الخصال فيؤديهم إلى مَهلك الأوجاع و الأوجال، أو يقال: فقد بان أن كلا -[7]] من ظالمى الإنس و الجن كان وليا لكل، و كما جعلنا بعضهم أولياء بعض فى الدنيا نفعل إذا حشرناهم فى النار فنجعل بعضهم أولياء - أى أتباع - بعض[8]، ليستمتع بعضهم ببعض و ينصر[9] بعضهم بعضا إن قدروا، و هيهات منهم ذلك هيهات! شغلهم البكاء والعويل و الندم و النحيب .

ولما انقضت هذه المحاورة و ما أنتجته من بغيض الموالاة و المجاورة و كان حاصلها أنها موالاة من ضرت موالاته، أتبعها سبحانه بمحاورة أخرى حاصلها معاداة من ضُرت معاداته، فقال مبدلا من الأولى[9] إتماما للتقريع و التوبيخ و التشنيع: ﴿يمعشر الجن﴾ قدمهم لأن السياق لبيان غلبتهم ﴿و الانس﴾ و بكّتهم بقوله محذرا للسامعين الآن و مستعطفا لهم

(١) من ظ ، و فى الاصل: من (٢ - ٢) من ظ ، و فى الأصل: قرأت (٣) فى ظ: افتنهم (٤) من ظ ، و فى الأصل « و » (٥) زيد بعده فى الأصل: يقول ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل: يبصر (٩) من ظ ، و فى الأصل: الاول .

إلى التوبة : ﴿ ألم يأتكم رسل ﴾ و لما صار القبيلان بتوجيه[1] الخطاب نحوهم دفعة كالشيء الواحد قال : / ﴿ منكم ﴾ و إن كان الرسل من الإنس خاصة . ٢٥٣ /

[و لما كان النظر فى هذه السورة إلى العلم غالبا لإثبات تمام القدرة الذى هو من لوازمه بدليل "يعلم سركم و جهركم"، "أليس الله باعلم بالشكرين"، "و عنده مفاتح الغيب" و غيرها، و لذلك أكثر فيها من ذكر التفصيل الذى لا يكون إلا للعالم، كان القص - الذى هو تتبع الأثر - أنسب لذلك فقال -[2]] : ﴿ يقصون ﴾ بالتلاوة و البيان لمواضع الدلائل ﴿ عليكم آيتى ﴾ أى يتبعون بالعلامات التى يحق لها بما لها من الجلال و العظمة أن تنسب[3] إلى مواضع شبهكم، فيحلونها [حلا -[2]] مقطوعا به ﴿ و ينذرونكم ﴾ أى يخوفونكم ﴿ لقآء يومكم هذا[4] ﴾ أى بما قالوا لكم أنه يطلبكم طلبا حثيثا و أنتم صائرون[5] إليه فى سفن الأيام و مراكب الآثام - و أنتم لا تشعرون - سيرا سريعا ﴿ قالوا ﴾ معذرين من أنفسهم بالذل و الخضوع ﴿ شهدنا ﴾ بما فعلت بنا أنت سبحانك من المحاسن و ما فعلنا نحن من القبائح ﴿ على انفسنا ﴾ أى باتيان الرسل إلينا و نصيحتهم لنا بدليل الآية الأخرى "قالوا بلى و لكن حقت كلمة العذاب على الكفرين[6]" و بين أن ضلالهم كان بأردإ الوجوه و أسخفها الدنيا، بحيث أنهم اغتروا بها مع دناءتها[7] لحصورها عن الآخرة مع شرفها لغيابها فقال[8] : ﴿ و غرتهم ﴾

(١) فى ظ : بتوجه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ينسب (٤) من ظ ، و فى الأصل : سايرون (٥) فى ظ : الانام (٦) سورة ٣٩ آية ٧١ (٧) فى ظ : ردايها (٨) سقط من ظ .

أى شهدوا هذه الشهادة و الحال أنهم قد غرتهم ﴿الحيوة الدنيا﴾ أى الحاضرة عندهم إذ ذاك الدنية[1] فى نفسها لفنائها، عن اتباع الرسل دأب الجاهل فى الرضى بالدون[2] و الدابة فى القناعة بالحاضر، فشهادتهم ضارة بهم، و لكن لم يستطيعوا[3] كتمانها، بل ﴿و شهدوا﴾ أى فى هذا الموطن من مواطن القيامة الطوال ﴿على انفسهم﴾ أيضا بما هو أصرح[4] فى الضرر عليهم من هذا، و هو ﴿انهم كانوا﴾ [5]جبلة و طبعا[5] ﴿كفرين ۝﴾ أى غريقين فى الكفر، و يجوز أن يكون الغرور بأنهم ظنوا[6] أحوال الآخرة تمشى على ما كانوا يألفونه فى الدنيا من أن الاعتراف[7] بالذنب و التكلم بالصدق قد ينفع المذنب و يكف من سورة المغضب[8] حتى يترك العقاب و يصفح عن الجريمة، فلذلك شهدوا باتيان الرسل إليهم و إقامة الحجة عليهم، و شهدوا على أنفسهم بالكفر، فما زادهم ذلك إلا وبالا و حزنا و نكالا.

و لما ذكر سبحانه إقامة الحجة[9] على الكافر فى المعاد بالرسل عليهم السلام، علل إرسالهم ترغيبا و حثا فى اتباعهم فى أيام المهلة بعد ترهيب، و تنبيها و إرشادا فى صادع تخويف و تأديب فقال: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم الجدوى هو أن أرسلنا الرسل ﴿ان﴾ أى لأجل أنه[10] ﴿لم يكن ربك﴾ أى المحسن إليك بتشريف قومك ﴿مهلك﴾ أى ثابتا إهلاكه ﴿القرى بظلم﴾

(١) فى ظ: الدنيا (٢) من ظ، وفى الأصل: بالدور (٣) من ظ، وفى الأصل: لم تستطيعوا (٤) من ظ، وفى الأصل: اصح (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٦) فى ظ: طلبوا (٧) من ظ، وفى الأصل: الاغرار - كذا (٨) فى ظ: الغضب.
(٩) زيد بعده فى ظ: عليهم (١٠) سقط من ظ.

أي بسبب ظلم ارتكبوه ﴿وأهلها غافلون﴾ أي[1] غريقون في الغفلة عما يجب عليهم مما لا تستقل به عقولهم، أي[2] بما ركب فيهم من الشهوات وغلب عليهم من اللذات، فأوقف عقولهم عن نافذ المعرفة بما يراد بهم، فأرسلنا إليهم الرسل حتى [3]أيقظوهم من[3] رقدتهم وأنبهوهم من غفلتهم، فصار تعذيبهم بعد تكذيبهم هو الحق الواجب والعدل الصائب، ويجوز أن يكون المعنى: مهلكهم ظالما، فيكون المنفي من الظلم[4] كالمنفي في قوله تعالى "وما ربك بظلام للعبيد"[5]، [6]وعلى الأول المنفي ظلمهم[6].

ولما بين سبحانه أن لأحد الفريقين دار السلام، والآخر دار الملام، قال جامعا للفريقين عاطفا على قوله «لهم دار السلام عند ربهم»: ﴿ولكل﴾ أي [عامل من -[7]] الفريقين صالح أو[8] طالح [في قبيلي الجن والإنس -[7]] في الدارين ﴿درجات﴾ أي يعليهم الله بها ﴿مما﴾ أي من أجل ما[9] ﴿عملوا[9]﴾ ودركات يهويهم فيها كذلك.

ولما تقدم أنه تعالى[9] لا يهلك المجرمين إلا بعد الإعذار إليهم، وتضمن[10] ذلك إمهالهم، وختم أحوالهم بأنهم موضع لثبوت الغفلة ودوامها، نفى أن يسلم شيء من ذلك بجناب عظمته على وجه أثبت[11] له [ذلك -[7]] إحاطة[12] العلم بجميع أعمالهم فقال: ﴿وما ربك﴾ أي المحسن إليك بإعلاء أوليائك وإسفال أعدائك، وأغرق في النفي لإثبات مزيد العلم فقال:

---

(١) زيد بعده في ظ: اهلها (٢) سقط من ظ (٣-٣) في ظ: ايقظوا (٤) في ظ: الظلم (٥) سورة ٤١ آية ٤٦ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ. (٨) في ظ: وة (٩) زيد بعده في ظ: انه (١٠) من ظ، وفي الأصل: يضمن. (١١) في ظ: ثبت (١٢) في ظ: باحاطة.

﴿ بغافل عما تعملون[1] ﴾ أي عن شيء يعمله أحد من الفريقين ؛ بل هو[2] عالم بكل شيء ! من ذلك و بما يستحقه العامل قادر على جزائه ؛ فلا يقع ٢٥٤/ في وهم أن الإمهال لخفاء الاستحقاق لخفاء الموجب له ، [فالآية من النصوص في كتابة الصالحين من الجن = [3]] .

و لما كان طلب العبادة للائتمار و الانتهاء ربما[4] أوهم الحاجة إليها لنفع في الطاعة أو[5] ضرر يلحقه سبحانه من المعصية ، و[6] كان الإمهال مع المبارزة ربما[7] ظن أنه عن عجز ، قال مرغبا مرهبا : ﴿ و ربك ﴾ أي المحسن إليك و إليهم بارسالك ، و حصر الخبر في المبتدإ بقوله : ﴿ الغني ﴾ أي وحده الغني المطلق عن كل عابد و عبادته[8] ، فليعمل العامل لنفع نفسه أو ضرها ﴿ ذو الرحمة[9] ﴾ أي وحده بالإمهال و الإرسال للتنبيه[8] على ما يستحقه من الأعمال ؛ و لما[9] كان اختصاصه بالغنى أو الرحمة فلا رحمة إلا منه و لا غنى إلا عنه ، و أنه ما رتب الثواب ؛ العقارب إلا رحمة منه و جودا ، استأنف بيان ذلك[9] . [و ـ[10]] أخبر عن هذا المبتدإ بوصفية عند من يجعلها وصفين بقوله مصرحا بما أفاده[11] : ﴿ إن يشأ يذهبكم ﴾ أي جميعا بالإهلاك[12] ، فلا يقع في ظن أحد منكم أن الإهلاك متوقف[2] على شيء

(١) هذا على قراءة ابن عامر ، و قرأ الباقون بالغيبة (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : انما (٥) في ظ « و » (٦) زيد بعده في الأصل : او هم الحاجة اليها و الامهال انما ، و لم تكن الزيادة في ظ (٧) في ظ : عبادة . (٨) من ظ ، و في الاصل : ليتنبه (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيدت الواو لاستقامة العبارة (١٠) من ظ ، و في الأصل : افاده (١١) من ظ ؛ و في الأصل : باهلاك .

غير مشيئته ، و لكنه قضى بامهالكم إلى آجالكم رحمة لكم و إكراما لنبيكم صلى الله عليه و سلم ؛ ثم قال تحقيقا لغناه أيضا : ﴿ و يستخلف ﴾ .

و لما كان لم يجعل لأحد الخلد ، أدخل[1] الجار فقال : ﴿ من بعدكم ﴾ أى بعد هلاككم ﴿ ما يشآء ﴾ أى يبدع غيركم من الخلق من جنسكم [أو غير جنسكم -[2]] كما أبدع أباكم آدم من التراب و التراب من العدم و فرعكم منه ﴿ كمآ انشاكم من ذرية ﴾ أى نسل ﴿ قوم اٰخرين ۝ ﴾ أى بعد أن أهلكهم أجمعين ، و هم أهل السفينة و قد كنتم نطفا فى أصلابهم ، لم يكن[3] فى واحدة[3] منها [حياة -[2]] .

و لما تقرر أن له الوصفين الملزومين للقدرة[4] ، أنتج ذلك قوله جوابا لاستعجالهم بالعذاب استهزاء : ﴿ ان ما توعدون[5] ﴾ أى من البعث و غيره ﴿ لأت ۙ ﴾ أى لا بد من وقوعه لأن المتوعد لا يبدل القول لديه و لا كفوء له يعارضه فيه ﴿ و مآ انتم بمعجزين ۝ ﴾ أى بثابت لكم الإتيان بشىء يعجز[6] عنه الخصم ، فتمهد الأمر من جهته و من جهتكم لوجود المقتضى و انتفاء المانع ، و فى ذلك تقرير لأمر رحمته لأن القادر إذا أراد النقمة أخذ على غرة و لم يهدد ، و إذا أراد الرحمة تقدم[1] بالوعيد ليحذر الفائزون و يستسلم الخاسرون .

و لما تقرر ذلك من التهديد على إنكار البعث و تحرر ، فأنتج

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) فى ظ : لواحدة (٤) فى ظ : بالقدرة .
(٥) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : تدعون - كذا (٦) فى ظ : يعجزكم .

الاجتهاد للعاقل - و لابد - [1] فى العمل ، و كان[2] أكثر الخلق أحق[3] ، أمره سبحانه بالنصيحة بقوله : ﴿قل يقوم﴾ أى يا أقرب الخلق إلىّ و أعزهم علىّ[4] و من لهم قيام فى الأمور و كفاية عند المهمات ﴿ اعملوا ﴾ و أشار إلى مزيد القوة بعد التعبير بالقوم بحرف الاستعلاء فقال : ﴿ على مكانتكم ﴾ أى على ما لكم من القدرة على العمل و المكنة قبل أن ٥ تأتى الدواهى و تسبقكم القواصم بخفوق الأجل ، و فيه مع النصيحة تخويف أشد مما قبله ، لأن تهديد الحاضر على لسان الغير مع الإعراض أشد من مواجهته بالتهديد ، أى أنكم إن لم تقبلوا بذلك التهديد الأول كنتم أهلا للاعراض و البعد .

و لما كان أدل شىء على النصيحة مبادرة الناصح إلى مباشرة ١٠ ما نصح به و دعا إليه ، قال مستأنفا أو معللا : ﴿ انى عامل ج ﴾ أى على مكانتى و بقدر استطاعتى قبل الفوت بحادث الموت ، و يمكن أن يكون متمحضا للتهديد ، فيكون المعنى : اعملوا بما أنتم تعملونه الآن من مخالفتى بغاية ما لكم من القوة ، إنى كذلك أعمل فيما جئت به .

و لما كان وقوع المتوعد به سببا للعلم بالعاقبة ، [و كان السياق ١٥ لعدم تذكرهم و غرورهم و قلة فطنتهم - [5]] ، حسن إثبات الفاء فى قوله : [دون إسقاطها لأن الاستئناف يتعطف للسؤال فقال - [5]] : ﴿ فسوف تعلمون ﴾ أى يقع[4] لكم بوعد لا خلف فيه العلم ، فكأنه قيل : أىّ علم؟ فقيل :

(١-١) فى ظ : للعمل (٢) زيد بعده فى ظ : فى (٣) فى ظ : احمق (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ .

﴿ من تكون له ﴾ كونا كأنه جبل عليه ﴿ عاقبة الدار[1] ﴾ أى بينى[1] و بينكم ، و هذا فى إثبات الفاء بخلاف ما فى قصة شعيب عليه السلام من سورة هود عليه السلام[2] / [فى حذفها -[3]] ؛ و لما كان التقدير جوابا لما تقرر[4] من سؤالهم : عاقبة الدار للعامل العدل ، استأنف قوله : ﴿ انه لا يفلح الظلمون ﴾ أى الغريقون فى الظلم كائنين من كانوا ، فلا يكون لهم عاقبة الدار ، فالآية من الاحتباك : ذكرُ العاقبة أولا دليل على حذفها ثانيا ، و ذكر الظلم ثانيا [دليل -[3]] على حذف العدل أولا .

/٢٥٥

ولما تمت هذه الآيات من[5] قبح طريقتهم فى[6] إنكار البعث و حسن طريقة الإسلام على هذا الأسلوب البديع و المثال البعيد المنال[7] الرفيع و ختمت[8] بحال الظالم ، شرع فى تفصيل قوله " ا فغير الله اتخذ وليا فاطر السمٰوٰت و الارض " على أسلوب آخر ابتدأه ببيان ظلمهم و جهالاتهم[9] و أباطيلهم تنبيها على سخافة عقولهم[10] تنفيرا عنهم بوضعهم الأشياء فى غير مواضعها و إخراجها عمن هى[1] له و نسبتها إلى من لا يملك[11] شيئا و قتل الأولاد و تسييب[12] الأنعام و غير ذلك ، فقال عاطفا على " و جعلوا لله شركاء الجن " : ﴿ و جعلوا ﴾ أى المشركون العادلون بربهم

(١) سقط من ظ (٢) راجع آية ٩٣ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : يقرر (٥) فى ظ : فى (٦) من ظ ، وفى الأصل « و » (٧) من ظ ، وفى الأصل : للنازل - كذا (٨) فى ظ : ختم (٩) من ظ ، و فى الأصل : جهالتهم . (١٠) من ظ ، وفى الأصل : عقوله (١١) فى ظ : لم يملك (١٢) من ظ ، وفى الأصل : سبب - كذا .

الأوثان ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿ مما ذرأ ﴾ أى خلق وأنشأ وبث[1] ولم يشركه فى خلقه أحد ﴿ من الحرث والانعام نصيبا ﴾ أى وجعلوا لشركائهم نصيبا؛ ولما [كان -[2]] الجعل لا يعرف إلا بالقول، سبب عنه قوله: ﴿ فقالوا ﴾ أى[3] بألسنتهم بعد أن قالوا بافئدتهم ﴿ هذا لله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ بزعمهم ﴾ أى ادعائهم الباطل ٥ وتصرفهم بكذب ادعائهم التخصيص بالله، ولذا أسقط الزعم من قوله: ﴿ وهذا لشركآئنا ج ﴾ أى وليس لهم سند فى هذه القسمة إلا أهواؤهم.

ولما كان هذا سفها بتسويتهم من لا يملك شيئا بمن يملك كل شىء، بين من فعلهم ما هو أشد سفها منه بشرح ما لوح إليه التعبير بالزعم فقال مسببا عن ذلك ومفرعا: ﴿ فما كان لشركآئهم ﴾ أى بزعمهم ١٠ أنهم شركاء ﴿ فلا يصل الى الله ج ﴾ أى الذى هو المالك مع اتصافه بصفات الجلال والجمال ﴿ وما كان لله ﴾ أى على ما له من الكبر والعظمة والجلال والعزة ﴿ فهو يصل إلى شركآئهم[4] ﴾ فاذا هلك ما سموا لشركائهم أو أجدب وكثر ما لله قالوا: ليس لآلهتنا بد من نفقة[4]، فأخذوا ما لله فأنفقوه[5] على آلهتهم، وإذا أجدب الذى لله وكثر ما لآلهتهم قالوا: ١٥ لو شاء الله لأزكى الذى له، فلا يردون عليه شيئا مما للآلهة.

ولما بلغ هذا غاية السفه قال: ﴿ ساء ما يحكمون ٥ ﴾ أى حكمهم هذا أسوأ حكم؛ ذكر الإمام أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعى فى سيرته[6] فى

(١) من ظ، وفى الأصل: ثبت (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: نفعه (٥) فى ظ: فانفقوا (٦) واسمها الاكتفاء فى مغازى المصطفى والخلفاء الثلاثة - راجع كشف الظنون.

وفد خولان أنه كان لهم صنم يسمى عم أنس ، و أنهم لما وفدوا على النبي صلى الله عليه و سلم ذكروا له أنهم كانوا يجعلون من أنعامهم و حروثهم جزءا له و جزءا لله بزعمهم ، قالوا : كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه[1] فنسميه له و نسمى زرعا آخر حجرة[2] لله عز و جل ، فاذا مالت الريح بالذى سميناه لله جعلناه لعم أنس ، و إذا مالت الريح بالذى جعلناه لعم أنس لم نجعله لله ، فذكر لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الله عز و جل أنزل عليه فى ذلك "و جعلوا لله" - الآية ، قالوا : و كنا نتحاكم إليه فيتكلم[3] ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : تلك الشياطين تكلمكم ، قالوا : فاصبحنا برسول الله و قلوبنا تعرف أنه كان لا يضر و لا ينفع و لا يدرى من عبده ممن لم يعبده . و قال ابن هشام فى مقدمة السيرة أنهم كانوا يقسمون له ، فما دخل[4] فى حق عم أنس من حق الله الذى سموه له تركوه [له - [5]] ، و ما دخل فى حق الله من حق عم أنس ردوه عليه ، قال : و هم بطن من خولان يقال لهم الأديم ؛ [6]و قال عبد[6] الرزاق فى تفسيره : أخبرنا معمر[7] عن قتادة قال : كانوا[8] يعزلون من أموالهم شيئا فيقولون : هذا لله و هذا لأصنامهم ، فان ذهب شيء مما جعلوا لشركائهم

(١) فى ظ : واسطة (٢) من السيرة الحلبية ٣ / ٣٢٨ ، أى ناحية ، و فى الأصل و ظ : حجره (٣) من السيرة الحلبية ، و فى الأصل و ظ : فتكلم (٤) فى ظ : حصل (٥) زيد من سيرة ابن هشام ١ / ٢٨ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٧) وقع فى ظ : محمد - خطأ (٨) فى ظ : كان .

يخالط شيئا مما جعلوه[1] ردوه ، و إن ذهب شيء مما [جعلوه لله يخالط شيئا مما جعلوه لشركائهم تركوه ، و إن أصابتهم سنة أكلوا مما جعلوا لله و تركوا ما -[2]] جعلوا لشركائهم ، فقال عز و جل " ساء ما يحكمون " و قال / البغوى : كانوا يجعلون لله من حروثهم و أنعامهم و ثمارهم و سائر أموالهم نصيبا [و للأوثان نصيبا -[2]] ، فما جعلوه لله صرفوه للضيفان و المساكين ، و ما جعلوه للأصنام أنفقوه على الأصنام و خدمها[4] ، فان سقط شيء مما جعلوه[5] لله فى نصيب الأوثان تركوه و قالوا : إن الله غنى عن هذا ، و إن سقط شيء من نصيب الأوثان فيما جعلوه لله ردوه إلى الأوثان و قالوا : إنها محتاجة ، و كان إذا هلك أو[6] انتقص شيء مما جعلوه لله لم يبالوا[7] به ، و إذا هلك أو[6] انتقص شيء مما جعلوه للأصنام جبروه بما جعلوه [لله -[8]] .

/ ٢٥٦

و لما كان هذا متضمنا لأنهم نقصوا أموالهم بأنفسهم فى غير طائل فجعلوها لمن لا يستحقها ، نبه تعالى على أن ذلك تزيين[9] من أضلهم من الشياطين من سدنة الأصنام و غيرهم من الإنس و من الجن المتكلمين من أجواف الأصنام و غيرهم ، فقال منبها على أنهم زينوا لهم ما هو أبين منه : ﴿ وكذلك ﴾ أى و مثل ما زين لجميع المشركين تضييع أموالهم و الكفر بربهم شركاؤهم ﴿ زين لكثير من المشركين ﴾ .

(١) من ظ ، و فى الأصل : جعلوا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد من معالم التنزيل - راجع الخازن ٢ / ١٥٤ (٤) فى ظ : حدوها (٥) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : جعلوا (٦) فى ظ « و » (٧) من ظ و المعالم ، و فى الاصل : لم ينالوا . (٨) زيد من ظ و المعالم (٩) فى ظ : بتزيين .

و لما كان المزين لخسته أهل لأن لا يقبل تزيينه و لا يلتفت إليه ، فكان امتثال قوله غريبا ، و كان الإقدام على فعل الأمر المزين أشد غرابة ، قدمه تنبيها على ذلك فقال : ﴿ قتل اولادهم ﴾ أى بالوأد خشية الإملاق و النحر لآلهتهم ، و شتان بين من يوجد لهم الولد و يرزقه و الرزق و يخلقه و بين من لا يكون إلا سببا فى إعدامه ؛ و لما كان فى هذا غاية الغرابة تشوفت النفس إلى فاعل التزيين فقال : ﴿ شركآؤهم ﴾ أى و هم أقل منهم بما يخاطبون به من أجواف الأصنام و بما يحسن لهم السدنة و الأهوية بسبب الأصنام .

و لما كان هذا أمرا معجبا ، كان الأمر فى قراءة ابن عامر المولود[1] فى زمان النبى صلى الله عليه و سلم المشمول[2] ببركة[3] ذلك العصر الآخذ عن جلة من الصحابة الموصوف[4] بغزارة العلم و متانة الدين و قوة الحفظ و الضبط و حجة النقل [فى - [5]] إسناد الفعل إلى الشركاء باضافة المصدر إلى فاعله أعجب ، و فصل بين المضاف و المضاف إليه بالمفعول - و هو الأولاد - لأن وقوع القتل فيهم كما تقدم أعجب .

و لما كان ذلك ربما كان لفائدة استهين لها هذا الفعل العظيم ، ذكر أنه ليس له فائدة إلا الهلاك فى الدنيا و الدين الذى هو هلاك فى الآخرة ليكون ذلك أعجب فقال : ﴿ ليردوهم ﴾ أى ليهلكوهم هلاكا لا فائدة فيه[6] بوجه ﴿ و ليلبسوا ﴾ أى يخلطوا و يشبهوا ﴿ عليهم[7] دينهم[1] ﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل : المولد (٢) من ظ ، و فى الأصل : المشمولة (٣) فى ظ : بنظر - كذا (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : تحته (٧) من ظ و القرآن الكريم ، و سقط من الأصل .

أى و هو دين إبراهيم الذى أمره الله بذبح ولده إسماعيل عليهما السلام فما أقدم عليه إلا بأمر الله ثم إنه فداه و لم يمض ذبحه، فخالف هؤلاء عن أمر الشركاء الأمرين معا فجمعوا لهم بذلك بين إهلاكين: فى النفس و الدين، فان القتل فى نفسه عظيم جدا، و وقوعه تدينا بغير أصل و لا شبهة أعظم، فلا أضل ممن تبع من كان سببا لإهلاك نفسه و دينه. ٥

و لما كان العرب يدعون الأذهان الثاقبة و الأفكار الصافية و الآراء الصائبة و العقول الوافرة النافذة[1]، ذكر لهم ذلك على سبيل التعليل استهزاء بهم، يعنى أنهم فعلوا ذلك لهذه العلة فلم يفطنوا بهم و لم يدركوا ما أرادوا بكم مع أنهم حجارة، فأنتم أسفل منهم؛ و لما أثبت للشركاء فعلا هو التزيين، و كان قد نفى سابقا عنهم و عن سائر أعداء الأنبياء ١٠ الاستقلال به، و أناط[2] الأمر هناك - لأن السياق للأعداء - بصفة الربوبية المقتضية للحياطة و العناية، و كان الكلام هنا فى خصوص الشركاء، علق الأمر باسم الذات الدال على الكمال المقتضى للعظمة و الجبروت و الكبر و سائر الأسماء الحسنى على وجه الإحاطة و الجلال فقال: / ﴿و لو شآء الله﴾ أى بما له من العظمة و الإحاطة بجميع أوصاف الكمال ١٥ / ٢٥٧ المقتضية للعلو عن الأنداد [3]و التنزه[3] عن الشركاء و الأولاد أن لا يفعله المشركون ﴿ما فعلوه﴾ أى ذلك الذى زين[4] لهم، بل ذلك إنما هو بارادته و مشيئته احتراسا من ظن أنهم يقدرون على شىء استقلالا، و تسلية

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: ناط (٣-٣) من ظ، و فى الأصل: النيرة - كذا (٤) فى ظ: زينه.

لرسول الله صلى الله عليه و سلم و تخفيفا ، و أكد التسلية بقوله : ﴿ فذرهم و ما يفترون ﴾ أى يتقولون[1] من الكذب و يتعمدونه .

و لما ذكر إقدامهم على ما قبحه الشرع[2] ، و لامه على تقبيحه العقل من قتل الأولاد ، أتبعه إحجامهم عما حسنه الشرع من ذبح بعض الأنعام لنفعهم ، و ضم إليه جملة مما منعوا[3] أنفسهم منه و دانوا به لمجرد[4] أهوائهم فقال : ﴿ و قالوا ﴾ أى المشركون سفها و جهلا ﴿ هذه ﴾ إشارة إلى قطعة من أموالهم عينوها لآلهتهم ﴿ انعام و حرث حجر ﴾ أى حرام محجور عليه فلا يصل أحد إليه ، و هو وصف يستوى فيه الواحد و الجمع[5] و المذكر و المؤنث ، لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات ﴿ لا يطعمها ﴾ أى يأكل منها ﴿ الا من نشاء ﴾ أى من السدنة و نحوهم ﴿ بزعمهم ﴾ أى بتقولهم بمجرد الهوى من غير سند عن الله الذى له ملكوت السماوات و الأرض ، و هم كاذبون فى هذا الزعم فى أصل التحريم و[6] فى نفوذ المنع ، فلو أراد الله أن تؤكل لأكلت و لم يقدروا على منع ﴿ و انعام ﴾ .

و لما كان ذمهم على مجرد التحريم لا على كونه من معين ، بنى للمجهول قوله : ﴿ حرمت ظهورها ﴾ يعنى البحائر و ما معها فلا تركب[7] ﴿ و انعام لا يذكرون ﴾ أى هؤلاء المتقولون على الله ﴿ اسم الله ﴾ الذى حاز جميع العظمة ﴿ عليها[6] ﴾ أى فى الذبح أو غيره ﴿ افتراء ﴾ أى تعمدا للكذب ﴿ عليه[4] ﴾ .

---

(١) فى ظ : ينقلون (٢) فى ظ : الشر (٣) فى ظ : نفعوا (٤) من ظ ، و فى الأصل : بمجرد (٥) من ظ ، و فى الأصل : الجميع (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : لا يركب .

و لما كان هذا لعظمه من[1] جهة أنه تعمد للكذب على ملك الملوك [موضع-[2]] تشوف السامع إلى ما يكون [3]عنه، استأنف[3] قوله: ﴿سيجزيهم﴾ أى بوعد صادق لاخلف فيه ﴿بما﴾ أى بسبب ما ﴿كانوا﴾ أى جبلة و طبعا ﴿يفترون ٥﴾ أى يتعمدون من الكذب، أما بعد إظهار الحق فواضح، و أما قبله فلكونه فى غاية ما يكون من ظهور[4] الفساد. و لما ذكر من سفههم ٥ ما فيه إقدام محض و ما فيه إحجام خالص محت، أتبعه ما [هو -[2]] مختلط[5] منهما فقال: ﴿و قالوا﴾ أى المشركون أو بعضهم و أقره الباقون ﴿ما فى بطون هذه﴾ [إشارة إلى ما اقتطعوه لآلهتهم، و بينوه بقولهم-[2]]: ﴿الانعام﴾ أى من الأجنة ﴿خالصة﴾ أى خلوصا لا شوب فيه، أنث للحمل على معنى الأجنة، أو تكون التاء للمبالغة[6] أو تكون[6] مصدرا كالعافية[7]، أى ذو خالصة ١٠ ﴿لذكورنا﴾؛ ولما[8] كان المراد العراقة فى كل صفة، أتى بالواو فقال: ﴿و محرم﴾ و حذف الهاء إما حملا على اللفظ أو تحقيقا لأن المراد بـ "خالصة" المبالغة ﴿على ازواجنا﴾ أى إناثنا، و كأنه عبر بالأزواج بيانا لموضع السفه بكونهن شقائق الرجال، هذا إن ولد حيا ﴿و ان يكن﴾ أى ما فى بطونها ﴿ميتة﴾ و كأنه أثبت هاء التأنيث مبالغة، و أنث الفعل أبو جعفر ١٥ و ابن عامر و أبو بكر عن عاصم حملا على معنى "ما"، [9]و رفع[9] الاسم على التمام ابن كثير و أبو جعفر و ابن عامر، و ذكر ابن كثير لأن

---

(١) من ظ، و فى الأصل: فى (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ، و فى الأصل: عن فاستانف - كذا (٤) فى ظ: ظهر (٥) من ظ، و فى الأصل: ختلط - كذا. (٦-٦) من ظ، و فى الأصل: و ان يكون (٧) فى ظ: مصدر كالعاقبة (٨) سقط من ظ (٩-٩) من ظ، و فى الأصل: وقع.

التأنيث غير حقيقي ، و نصب الباقون على جعلها ناقصة مع التذكير حملا على لفظ[1] "ما" ﴿فهم﴾ أي ذكورهم و إناثهم[2] ﴿فيه﴾ [3]أي ذلك الكائن الذي في البطون[3] ﴿شركاء[4]﴾ أي على حد سواء .

و لما كان ذلك كله وصفا منهم للأشياء في غير مواضعها التي يحبها الله قال : ﴿سيجزيهم وصفهم[5]﴾ أي بأن يضع العذاب الأليم في كل موضع يكرهون وصفه فيه ، حتى يكون مثل وصفهم الذي لم يزالوا يتابعون[5] الهوى فيه حتى صار خلقا لهم ثابتا فهو يريهم وخيم أثره ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿انه حكيم﴾ أي لا يجازي على الشيء إلا بمثله و يضعه في أحق مواضعه و أعدلها ﴿عليم﴾ أي بالمماثلة و من يستحقها و على أي وجه / يفعل ، و على أي كيفية يكون أتم و أكمل ، و في ذلك أتم إشارة إلى أن هذه الأشياء في غاية البعد عن الحكمة ، فهو متعال عن أن يكون شرعها و هي سفه[6] محض لا يفعلها إلا[6] ظالم جاهل .

٢٥٨ /

و لما ذكر تعالى تفاصيل سفههم ، و أشار إلى معانيها ، جمعها[7] - و صرح بما أثمرته من الخيبة - في سبع خلال كل واحدة منها سبب تام في حصول الندم[8] فقال[6] : ﴿قد خسر﴾ و أظهر في موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال : ﴿الذين قتلوا﴾ قرأها ابن عامر و ابن كثير بالتشديد لإرادة[9] التكثير و الباقون بالتخفيف ﴿اولادهم سفها﴾ أي خفة إلى

(١) من ظ ، و في الأصل : معنى (٢) في ظ : أنوثتهم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : يتابعوا (٥) في ظ : صفة (٦) سقط من ظ .
(٧) من ظ ، و في الأصل : جميعها (٨) في ظ : الذم (٩) من ظ ، و في الأصل : لان .

الفعل المذموم وَطيشا[1]، تؤزهم الشياطين الذين يتكلمون على ألسنة الأصنام أو سدنتها إلى ذلك أزا .

و لما كان السفه منافيا لرزانة[2] العلم الذى لا يكون الفعل الناشئ عنه إلا عن تأن و تدبر وتفكر و تبصر ، قال مصرحا بما أفهمه : ﴿ بغير علم ﴾ أى و أما من قتل[3] ولده بعلم - كما إذا كان كافرا أو قاتلا أو محصنا زانيا - فليس حكمه كذلك ؛ و لما ذكر عظيم ما أقدموا عليه ، ذكر جليل ما أحجموا عنه فقال : ﴿ و حرموا ما رزقهم الله ﴾ أى الذى لا ملك سواه رحمة لهم ، من تلك الأنعام و الغلات ، بغير شرع و لا نفع بوجه ﴿ افترآء ﴾ أى تعمدا للكذب[4] ﴿ على الله[5] ﴾ أى الذى له جميع العظمة .

و لما كانوا قد خسروا ثلاث خسرات مع ادعائهم غاية البصر بالتجارات : النفس بقتل الأولاد ، و المال بتحريم ما رزقهم الله ، فأفادهم ذلك خسارة الدين ، كانت نتيجته قوله : ﴿ قد ضلوا ﴾ أى جاوزوا[6] و حادوا عن الحق و جاروا ؛ و لما كان الضال[6] [7]قد تكون ضلالته[7] فلتة عارضة [له -[8]] ، و تكون الهداية وصفا أصيلا فيه ، نبه على أن الضلال وصفهم الثابت بقوله : ﴿ و ما كانوا ﴾ أى فى شىء من هذا من[9] خلق من الأخلاق ﴿ مهتدين ﴾ أى لم يكن فى كونهم وصف الهداية ، بل زادوا بذلك ضلالا ؛ قال البخارى فى المناقب من صحيحه : حدثنا

---

(١) فى ظ : طلبا (٢) من ظ ، و فى الأصل : لرواية (٣) من ظ ، و فى الأصل : قبل (٤) من ظ ، و فى الأصل : لكذب (٥) من ظ ، و فى الأصل : خاروا . (٦) من ظ ، و فى الأصل : الضلال (٧ - ٧) فى الأصل : يكون اضلاله ، و فى ظ : يكون ضلالة - كذا (٨) زيد من ظ (٩) فى ظ : فى .

أبو النعمان حدثنا[١] أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إذا سرك أن تعلم جهل[٢] العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين و مائة فى سورة الأنعام "قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها - إلى قوله : و ما كانوا مهتدين" . و له فى وفد بنى حنيفة من المغازى عن مهدى بن ٥ ميمون قال : سمعت أبا رجاء العطاردى يقول : كنا نعبد الحجر فاذا[٣] وجدنا حجرا[٤] أحسن منه ألقيناه فأخذنا الآخر ، و إذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة[٥] من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به ، فاذا دخل شهر رجب قلنا : منصل الأسنة ، فلا ندع رمحا فيه حديدة و لاسهما فيه حديدة إلا نزعناه فألقيناه [شهر رجب - [٦]] .

١٠ و لما كان مدار القرآن على تقرير التوحيد و النبوة و توابعها و المعاد و القضاء و القدر و الفعل بالاختيار[٧] ، و أتقن تقرير هذه الأصول لا سيما فى هذه السورة ، و[٨] انتهى إلى شرح أحوال السعداء[٩] و الأشقياء ، و عجب سبحانه ممن أشرك و أنكر البعث و فعل أفعال المشركين تعجيبا بعد تعجيب ، و هجن[١٠] طريقتهم و وبخهم توبيخا فى إثر توبيخ بتكذيبهم للداعى من ١٥ غير حجة ، و حكى أقوالهم[١١] الباطلة و دعاويهم الفاسدة مع ادعائهم أنهم

(١) من ظ و صحيح البخارى - المناقب ، و فى الأصل : يا - كذا (٢) فى ظ : امر (٣) من ظ و صحيح البخارى - المغازى ، و فى الأصل : فا - كذا (٤) زيد بعده فى ظ : جمعنا جثوة (٥) من ظ و الصحيح ، و فى الأصل : جنوده . (٦) زيد من ظ و الصحيح (٧) من ظ ، و فى الأصل : لاختيار (٨) - سقط من ظ (٩) فى ظ : السعيد (١٠) من ظ ، و فى الأصل : بهر (١١) من ظ ، و فى الأصل : قولهم .

أنصف الناس ، و مخالفتهم للهادى بغير ثبت و لا بينة مع ادعائهم أنهم أبصر الناس ، و بطلبهم للآيات تعنتا[1] مع ادعائهم أنهم [2]أعقل الناس ، و إخلاصهم فى الشدة و إشراكهم فى الرخاء مع ادعائهم أنهم[2] أشكر الناس ، و عبادتهم للجن و تعوذهم بهم مع ادعائهم أنهم أشجع الناس - إلى أن عجب منهم فيما شرعوه لأنفسهم فيما رزقهموه سبحانه من حيوان و جماد و مضوا عليه خلفا عن سلف ، تنبيها على ضعف عقولهم و قلة علومهم تنفيرا للناس عن الالتفات إليهم و الاغترار بأقوالهم[3] ، قال فى موضع الحال من " و جعلوا لله مما ذرا من الحرث [و الانعام "-[4]] الآية ، مبينا عظيم ملكه و شمول قدرته / و باهر اختياره و عظمته ، زيادة فى التعجيب / ٢٥٩ منهم فى تصرفهم فى ملكه بغير إذنه [سبحانه -[5]] و شرعهم ما لم يأذن فيه فى سياق كافل باقامة الحجة على تقرير التوحيد عودا على بدء و عللا بعد نهل ، لأنه المدار الأعظم و الأصل الأقوم : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذى انشأ ﴾ أى من العدم ﴿ جنت ﴾ أى[6] من العنب و غيره ﴿ معروشت ﴾ [أى مرفوعات عن الأرض على الخشب و نحوه -[5]] ، أى لا تصلح إلا معروشة ، و متى لم ترفع [7]عن الأرض تلف ثمرها ﴿ و غير معروشت ﴾ [2]أى غير مرفوعات على الخشب[2] ، أى[8] لا تصلح إلا مطروحة على الأرض مثقلة بما يحكم وصولها إليها ، و متى ارتفعت

(١) فى الأصل : نصسا ، و فى ظ : تعينا - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ
(٣) فى ظ : باحوالهم (٤) زيد من ظ و القرآن الكريم (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : لم يرفع (٨) فى الأصل « ا » و سقط من ظ م

عن الأرض تلفت ، فما ذلك لطبيعة[1] و لا غيرها و إلا لاستوت الجنات كلها لأن نسبتها إلى السماء و الأرض واحدة ، فما اختلف إلا بفاعل مختار واحد لا شريك له ، لا يكون إلا ما يريد .

و لما ذكر الجنات الجامعة ، خص[2] أفضلها [و أدلها على الفعل بالاختيار، و بدأ بأشهرها عند المخاطبين بهذه الآيات - [3]] فقال : ﴿ و النخل ﴾ أى و أنشأ النخل ﴿ و الزرع ﴾ حال كونه ﴿ مختلفا اكله ﴾ أى أكل أحد النوعين ، و هو ثمره الذى يؤكل[4] بالنسبة إلى الآخر ، و أكل كل نوع بالنسبة إلى الأشجار و غيرها فى الحمل و الطعم و غيره ، بل و يوجد فى العذق الواحد الاختلاف ، و أما اختلاف مقداره بكون هذا فى غاية الطول و هذا فى غاية القصر فأمر واضح جدا ﴿ و الزيتون و الرمان ﴾ .

[و لما كان معظم القصد فى هذا السياق نفى الشريك و إثبات الفعل بالاختيار ، لم يدع الحال إلى ذكر كمال الشبه فاكتفى بأصل الفعل فقيل - [3]] : ﴿ متشابها ﴾ أى كذلك ﴿ و غير متشابه[5] ﴾ أى فى اللون و الطعم و الفساد و عدمه و التفكه و الاقتيات و الدهن و الماء - إلى غير ذلك من أحوال و كيفيات لا يحيط بها حق الإحاطة إلا بارئها سبحانه و عز شأنه ، و لعله جمع الأولين لأن كلا منهما يدخر للاقتيات و لا يسرع فساده مع المفارقة[5] فى الشكل ، و الاختلاف فى النوع بالشجر و النجم ، و التفاوت العظيم فى المقدار ، و الأخيرين[6] لأن الأول لا يفسد بوجه ، و الثانى يسرع

(١) من ظ ، و فى الأصل : الطبيعة (٢) فى ظ : حصل (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ : توكل (٥) فى ظ : المقارنة (٦) زيد بعده فى ظ : ملك .

فساده ، و يدخر كل منهما[1] على غير الهيئة التى يدخر عليها[2] الآخر مع كونهما من الأشجار و تقاربهما فى المقدار و تفاوت ثمرتهما فى الشكل و القدر و غير ذلك .

و لما كان قوله "و هو الذى انزل من السماء ماء" فى سياق الاستدلال على أنه لا فاعل إلا الله ، أمر فيه بالنظر إلى الثمر و الينع ليعتبر بحالها ، ٥ وكانت هذه الآية فى سياق التعنيف لمن حرم ما رزقه الله و الأمر بالأكل من حلال ما أنعم بـــه و النهى عن تركه تدينا فقال تعالى هنا : ﴿كلوا﴾ و قدم الأولى[4] المستدل بها على وجود البارئ و تفرده بالأمر لأن اعتقاد ذلك سعادة روحانية أبدية ؛ و قال أبو حيان فى النهر : لما كان مجيء تلك الآية فى معرض الاستدلال بها على الصانع و قدرته ١٠ و الحشر و إعادة الأرواح إلى الأجساد بعد العدم و إبراز الجسد و تكوينه من [العظم -[5]] الرميم و هو عجب الذنب ، قال : "انظروا الى ثمره اذا أثمر و ينعه" إشارة إلى الإيجاد [أولا -[5]] و إلى غايته ، و هنا لما كان فى معرض الامتنان و إظهار الإحسان بما خلق لنا[6] قال : [كلوا -[7]] ، و دل على أن الرزق أكثر من خلقه بقوله - : ﴿[7]من ثمرة[7]﴾ ، ولما كان ١٥ هذا الأمر للاباحة لا للارادة ، قيده لئلا يقتضى إيجاد الثمر فى كل جنة فى كل وقت فقال - : ﴿اذآ أثمر﴾ فحصل بمجموعها الحياة الأبدية و الحياة

(١) زيد بعده فى ظ: بالعلاج (٢) فى ظ : فيها (٣) من ظ ، و فى الأصل: الاول.
(٤) زيد من ظ و النهر - راجع البحر المحيط ٤/٢٣٥ (٥) زيد من النهر (٦) تأخر فى الأصل و ظ عن « قال » و الترتيب من النهر (٧-٧) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « و دل على » ، و الترتيب من ظ .

الدنياوية السريعة الانقضاء و تقدم[1] النظر و هو الفكر على الأكل لهذا السبب . انتهى[2] . و عبر بـ" اذا" دون "إن" تحقيقا لرجاء الناس فى الخصب و تسكينا لآمالهم رحمة لهم و رفقا بهم إعلاما أنه إن وقع جدب كان فى ناحية دون أخرى و فى نوع دون آخر ، و إباحة للأكل فى جميع أحوال الثمرة نضيجة و غير نضيجة .

و لما كان فى الآيات الحاكية مذاهب الكفار تقبيح[3] أن يجعلوا شيئا من[4] أموالهم لأحد بأهوائهم ، أشار هنا إلى أنه فرض فيها حقا و جعل[5] له مصارف بقوله : ﴿ و آتوا حقه ﴾ و لما أباح سبحانه أكله ابتداء / و انتهاء ، بين أنه خفف عنهم الوجوب قبل الانتهاء فقال : ﴿ يوم حصاده ﴾ أى قطعه جذاذا كان أو حصادا ، فكذلك أول وقت نصاب[6] الأمر و هو موسع ، و الحق أعم من الواجب و المندوب ، فان أريد الندب عم الأنواع الخمسة الماضية : العنب المشار إليه بالعرش و ما بعده ، و إن أريد الوجوب فقد أشير بالتعبير بالحصاد إلى أن الأصل فى ذلك الحبوب المقتاتة ، و أما غيرها فتابع علمه ببيان[7] النبى صلى الله عليه و سلم فيطلق عليه الحصاد مجازا .

/٢٦٠

و لما أمر الله بالأكل من ثمره و بإيتاء حقه ، نهى عن مجاوزة الحد فى البسط أو[8] القبض فقال : ﴿ و لا تسرفوا[9] ﴾ و هذا النهى يتضمن أفراد الإسراف ، [فيدخل فيه الإسراف فى أكل الثمرة حتى لا يبقى شىء منها للزكاة ، و الإسراف - [9]] فى الصدقة حتى لا يبقى لنفسه و لا لعياله شيئا ،

(١) فى ظ : يقدم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : يفتتح (٤) من ظ ، و فى الأصل : فى (٥) من ظ ، و فى الأصل : جعله (٦) فى الأصل و ظ : انصاب . (٧) من ظ ، و فى الأصل : بيان (٨) فى ظ «و» (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

و يؤيده "و كلوا و اشربوا [1] و لا تسرفوا [1]"، "و لا تبسطها كل البسط [1]"، ثم علله بقوله : ﴿ انه لا يحب المسرفين [2] ﴾ أى لا يعاملهم معاملة المحب فلا يكرمهم، و قيل لحاتم الطائى : لا خير فى السرف فقال : و لا سرف فى الخير.

و لما كان السياق للآكل [3] من الحرث و الأنعام من حلال و حرام، و فرغ من تقرير أمر الحرث الذى قدم فى الجملة الأولى لأنه مادة الحيوان، قال : ﴿ و من ﴾ أى و أنشأ من ﴿ الانعام حمولة ﴾ أى ما يحمل الأثقال ﴿ و فرشا [4] ﴾ أى و ما يفرش للذبح أو للتوليد، و يعمل من وبره و شعره فرش ؛ و لما استوفى القسمين أمر بالأكل من ذلك كله على وجه يشمل [4] غيره مخالفة للكفار فقال : ﴿ كلوا مما رزقكم الله ﴾ أى لأنه [5] الملك الأعظم الذى [6] لا يسوغ [6] رد عطيته ﴿ و لا تتبعوا ﴾ [و لعله شدد إشارة إلى العفو عن صغيرة إذا ذكّر الإنسان فيها رجع و لم يعتد فى هواه - [7]] ﴿ خطوٰت الشيطٰن [8] ﴾ أى طريقه فى التحليل و التحريم كما قال فى البقرة "كلوا مما فى الارض حلٰلا طيبا و لا تتبعوا خطوٰت الشيطٰن [8]" و عبر بذلك لأنه - مع كونه من مادة الخطيئة - دال على أن شرائعه شريعة الاندراس، لو لا مزيد الاعتناء من الفسقة بالتتبع فى كل خطوة حال تأثيرها لبادر إليها المحو لبطلانها فى نفسها، فلا أمر من الله يحييها و لا كتاب يبقيها، و إنما أسقط هنا "حلالا طيبا" لبيانه سابقا فى قوله "فكلوا [9]

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ، و راجع سورة ٧ آية ٣١ (٢) سورة ١٧ آية ٢٩ (٣) من ظ، و فى الأصل : للا كل (٤) فى ظ : يشتمل (٥) سقط من ظ (٦-٦) من ظ، و فى الأصل : سوع - كذا (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ. (٨) آية ١٦٨ (٩) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل : كلوا.

مما ذكر اسم الله عليه"، "و لا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه"، و لاحقا في قوله" قل لا اجد فيما اوحى الى [محرما -[1]] "؛ ثم علل نهيه عن اتباعه فقال: ﴿انه لكم عدو﴾ أي فهو لذلك لا يأمركم بخير ﴿مبين﴾ أي ظاهر العداوة لأن أمره مع أبيكم شهير .

٥ و لما رد دين المشركين و أثبت دينه، و كانوا قد فصلوا الحرمة بالنسبة إلى ذكور الآدمي و إناثه، ألزمهم تفصيلها بالنسبة إلى ذكور الأنعام و إناثه، ففصل أمرها في أسلوب أبان فيه[2] أن فعلهم رث[3] القوى هلهل النسيج[4] بعيد من قانون الحكمة، فهو موضع للاستهزاء و أهل للتهكم، فقال بيانا لـ"حمولة و فرشا": ﴿ثمنية ازواج[4]﴾ أي أصناف،

١٠ لا يكمل صنف منها إلا بالآخر، أنشأها بزواج[5] كل من الذكر و الأنثى الآخر، و [6]الحق بتسميتهم[6] الفرد بالزوج - بشرط أن يكون آخر من جنسه - تسميتهم الزجاجة كأسا بشرط أن يكون فيها خمر .

و لما كان الزوج يطلق على الاثنين و على ما معه آخر من نوعه، قال مبينا أن هذا هو المراد [7]لا الاثنان[7] مفصلا لهذه الثمانية:

١٥ ﴿من الضان﴾ جمع ضائن و ضائنة كصاحب و صحب ﴿اثنين﴾ أي ذكرا و أنثى كبشا و نعجة ﴿و من المعز﴾ جمع ماعز و ماعزة كخادم و خدم في قراءة ابن كثير و أبي عمرو و ابن عامر، و تاجر و تجر في

---

(١) زيد من ظ والقرآن الكريم (٢) من ظ، وفي الأصل: منها (٣) في ظ: رب - كذا (٤) من ظ، وفي الأصل: الشبح (٥) من ظ، وفي الأصل: يراوح.
(٦-٦) في ظ: نحو تسميتهم (٧-٧) تأخر ما بين الرقمين في ظ عن «ذكرا وأنثى».

قراءة غيرهم[1] ﴿ اثنين[4] ﴾ أى زوجين ذكرا و أنثى تيسا و عنزا .

و لما كان كأنه قيل : ما المراد بهذا التفصيل قبل سؤالهم عن دينهم ، [قال - [2]] : ﴿ قل ﴾ أى لهم مستفهما ؛ و لما كان هذا الاستفهام بمعنى التوبيخ و التهكم و الإنكار ، أتى فيه بـ " ام " التى هى مع الهمزة قبلها بمعنى " أىّ " ليتفهم بها عما يعلم ثبوت بعضه و إنما يطلب تعينه ، فقال ٥ / معترضا بين المعدودات تأكيدا للتوبيخ ، لأن الاعتراضات لاتساق / ٢٦١ إلا للتأكيد : ﴿ آلذكرين ﴾ .

و لما كان المستفهم عنه بنصبه ما بعده لا ما قبله ، قال[3] : ﴿ حرم ﴾ أى [4]الله ، فان كان كذلك لزمكم تحريم جميع الذكور[4] ﴿ ام الانثيين ﴾ ليلزمكم[5] تحريم جميع[3] الإناث ، و استوعب[6] جميع ما يفرض من سائر ١٠ الأقسام فى قوله : ﴿ اما ﴾ أى أم حرم ما ﴿ اشتملت ﴾ أى انضمت ﴿ عليه ﴾ و حملته ﴿ ارحام الانثيين[4] ﴾ أى من الذكور و الإناث ، ومتى كان كذلك لزمكم تحريم الكل فلم تلزموا[7] شيئا مما أوجبه هذا التقسيم فلم تمشوا على نظام .

و لما علم أنه لا نظام لهم فعلم أنهم[8] جديرون بالتوبيخ ، زاد فى توبيخهم ١٥ فقال : ﴿ نبئونى ﴾ أى أخبرونى عما حرم الله من هذا إخبارا جليلا عظيما ؛ و لما كان هذا الإخبار الموصوف لا يكون بشىء فيه[3] شك ، قال : ﴿ بعلم ﴾ أى أمر معلوم من جهة الله لا مطعن فيه ﴿ ان كنتم صدقين ﴾ أى إن كان لكم[3] هذا الوصف .

---

(١) فى ظ : غيره (٢) زيد لاستقامة العبارة (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط مابين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : لتلزمكم (٦) فى ظ : استوجب. (٧) فى ظ : فلم تلتزموا (٨) من ظ ، وفى الأصل : ان.

و لما فصل الغنم إلى ضان و معز ، أغنى ذلك عن تنويع الإبل إلى العراب و البخت و البقر إلى العراب و الجواميس ، [[١] - و لأن هذه يتناتج بعضها من بعض بخلاف الغنم فانها لا يطرق أحد نوعيها الآخر - نقله الشيخ بدر الدين الزركشى فى كتاب الوصايا من شرح المنهاج عن كتاب الأعداد لابن سراقة -[٢]] فقال: ﴿و من الابل اثنين﴾ أى[٣] ذكرا و أنثى ﴿و من البقر اثنين ط﴾ أى كذلك ﴿قل﴾ أى لهؤلاء[٤] الذين اختلقوا جهلا و سفها ما تقدم عنهم ﴿آ الذكرين﴾ أى من هذين النوعين ﴿حرم﴾ أى حرمهما الله ﴿ام الانثيين﴾ [٥]أى حرمهما[٥] ﴿اما﴾ أى الذى ﴿اشتملت عليه﴾ أى ذلك المحرم على زعمكم ﴿ارحام الانثيين ط﴾ أى حرمهما الله .

و لما كان التقدير : أجاءكم هذا عن الله الذى لا حكم لغيره على لسان نبى ؟ عادله توبيخا لهم و إنكارا عليهم بقوله : ﴿ام كنتم شهدآء﴾ أى حاضرين ﴿اذ وصكم الله﴾ أى الذى لا ملك غيره فلا حكم لسواه ﴿بهذا[٤]﴾ أى كما جزمتم عليه به ، أو[٦] جزمتم بالحرمة فيما حرمتموه و الحل فيما أحللتموه ، و لا محرم و لا محلل غير الله ، فكنتم بذلك ناسبين الحكم إليه ؛ و لما كان التقدير كما أنتجه السياق : لقد كذبتم على الله حيث نسبتم إليه ما لم تأخذوه عنه لا بواسطة و لا بغير واسطة ، سبب عنه قوله

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) هو محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصارى الشاطبى - راجع لترجمته معجم المؤلفين ١١ /١٧٦ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : هولاء (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ « و » .

معمما ليعلم[1] أن[2] هذا إذا كان فى التحريم و التحليل كان الكذب فى أصول الدين أشد : ﴿ فمن اظلم ﴾ و وضع موضع «منكم» قوله معمما و[3] معلقا للحكم بالوصف : ﴿ ممن افترى ﴾ أى تعمد ﴿ على الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه لأنه ملك الملوك[4] ﴿ كذبا ﴾ كعمرو بن لحى الذى غير شريعة إبراهيم عليه السلام، و كل من فعل مثل[1] فعله . ٥

و لما كان يلزم من شرعهم لهذه الأمور إضلال من تبعهم فيها عن الصراط السوى، و كانوا يدعون أنهم أفطن الناس و أعرفهم بدقائق الأمور فى بداياتها و نهاياتها و ما يلزم عنها ، جعل غاية فعلهم مقصودا لهم تهكما بهم فقال : ﴿ ليضل الناس ﴾ و لما كان الضلال قد يقع من العالم الهادى خطأ ، قال : ﴿ بغير علم[4] ﴾ . ١٠

و لما كان هـذا محل عجب ممن يفعل هذا ، كشفه سبحانه بقوله استئنافا : ﴿ ان الله ﴾ و هو الذى لا حكم لأحد سواه لا يهديهم ، هكذا كان الأصل ولكنه أظهر تعميما بما هو اعم من وصفهم ليكون الحكم عليهم بطريق الأولى فقال : ﴿ لا يهدى القوم الظلمين ع ﴾ أى الذين يضعون الأشياء فى غير مواضعها فكيف بالأظلمين ! و ما ١٥ أحسن هذا الختم لأحكامهم و أنسبه[5] لما بناها عليه من قوله "انه لا يفلح الظلمون" .

و لما تضمن قوله افتراء عليه افتراء على الله و التعبير فى ذلك كله

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) ظ : او (٤) من ظ ، و فى الأصل : الملك (٥) فى ظ : انسبهم .

بالاسم الأعظم أن كون التحريم ليس إلا من الله أمر معلوم ليس موضعا للشك لأنه الملك الأعظم و لا حكم لغير الملك ، و من حكم عن غير أمره عذب ؛ حسن بعد / إبطال دينهم[1] [و البيان لأن من حرم شيئا بالتشهى مضل و ظالم -[2]] قوله مبينا البيان الصحيح لما يحل و يحرم جوابا لمن يقول: فما الذى حرمه سبحانه و ما الذى أحله : ﴿ قل ﴾ معلما بأن[3] التحريم لا يثبت إلا بوحى [من -[2]] الله ﴿ لآ اجد ﴾ أى الآن و لا فيما يستقبل من الزمان ، فان ' لا ' كلمة لا تدخل على مضارع إلا و هو بمعنى الاستقبال ﴿ فى ما ﴾ .

/٢٦٢

و لما كان ما آتاه صلى الله عليه و سلم قد ثبت بعجزهم عن معارضته أنه من الله ، بنى للمفعول قوله[4] : ﴿ اوحى الىّ ﴾ أى من القرآن و السنة شيئا مما تقدم مما حرمتموه مطلقا أو على حال دون حال و على ناس دون آخرين طعاما ﴿ محرما على طاعم ﴾ أىّ طاعم كان من ذكر أو أنثى ﴿ يطعمه ﴾ أى يتناوله أكلا و[5] شربا أودواء أو غير ذلك ﴿ الآ ان يكون ﴾ أى ذلك الطعام ﴿ ميتة ﴾ أى شرعا ، و الميتة الشرعية هى ما لا يقبل التذكية ، [و هو كل ما زالت حياته بغير ذكاة شرعية -[2]] ﴿ او دما مسفوحا ﴾ أى مراقا من شأنه السيلان لا من شأنه الجمود كالكبد و الطحال .

و لما كان النصارى قد اتخذوا أكل الخنزير دينا ، نص عليه و إن كان داخلا[6] فى قوله "ميتة" على ما قررته فى المراد بها ، و قال:

(١) من ظ ، و فى الأصل : دينه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ان (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : او (٦) زيد فى ظ : عليه .

أو

﴿ او لحم خنزير ﴾ ليفيد تحريمه على كل حال سواء ذبح أم لا ، و لو قيل : أو خنزيرا لاحتمل أن يراد تحريم ما أخذ منه حيا فقط ، و قال : ﴿ فانه ﴾ أى الخنزير[1] ﴿ رجس ﴾ ليفيد نجاسة عينه و هو حى ، فلحمه و كذا سائر أجزائه بطريق الأولى ، [و كل ما وافقه فى هذه العلة كان نجسا ، لا يعاد الضمير على اللحم لأنه قد علمت نجاسته من تحريمه لعينه ، فلو عاد ٥ عليه كان تكرارا -[2]] .

و لما ذكر المحرم لعينه ذكر المحرم لعارض ، فقال مبالغا فى النفى عنه بأن جعله نفس المعنى الذى وقع النهى لأجله : ﴿ او فسقا ﴾ أى أو كان الطعام خروجا مما ينبغى القرار فيه من فسيح جناب الله الذى من توطنه[3] أمن و اهتدى و سلم من[4] ضيق الهوى فى ذكر الغير الذى من خرج إليه ١٠ خاف و ضل و هلك *و توى* ؛ ثم قال مفسرا له [مقدما لما هو داخل فى الفسق من الالتفات إلى الغير -[2]] : ﴿ اهل لغير الله ﴾ أى الذى له كل شىء لأن له الكمال كله[1] ﴿ به[4] ﴾ أى ذكر غير اسمه عليه بأن ذبح له تدينا ؛ ثم ذكر لطفه بهذه الأمة فى إباحته لهم فى حال الضرورة كل محرم رحمة[1] منه لهم و سترا لتقصيرهم فقال : ﴿ فمن اضطر ﴾ أى ١٥ حصل له جوع خشى منه التلف ، و بنى للفعول لأن المعتبر حصول الاضطرار لا كونه من معين ، و من التعبير بذلك تؤخذ حرمة ما زاد

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : تواطنه .
(٤) فى الأصل و ظ : الى (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

على سد الرمق لأنه حينئذ لا يكون مضطرا ﴿ غير باغ ﴾ أى على غيره بمكيده ﴿ و لا عاد ﴾ أى على غيره بقوته و لا متجاوز سد الضرورة ﴿ فان ربك ﴾ أى المحسن إليك بارسالك و إلى أمتك الضعيفة بجعل دينها الحنيفية السمحة[1] ﴿ غفور ﴾ أى يمحو الذنب إذا أراد ﴿ رحيم ٥ ﴾ أى يكرم المذنب بعد الغفران بأنواع الكرامات ، فهو جدير بأن يمحو عن هذا المضطر أثر تلك الحرمة التى كدرها[2] و يكرمه بأن يجعل له - فى حفظه بذلك لنفسه إذا صحت فيه نيته - أجرا عظيما ، و قد تكلفت الآية على وجازتها بجميع المحرمات من المأكولات مع الإشارة بلفظ الرجس و الفسق إلى جميع أصناف المحرمات و إلى أن ارتكابها موجب للخبث و الانسلاخ [3]من الخير[3] ، و ذلك هو سبب تحريمها ؛ قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى كتاب العروة : وجه إنزال هذا الحرف - أى حرف[4] الحرام - طهرة الخلق من مضار أبدانهم و رجاسة نفوسهم و مجهلة قلوبهم ، فما اجتمعت فيه كان أشد تحريما ، و ما وجد فيه شىء منها كان تحريمه بحسب تأكد الضرورة [3]إلى طهرته[3] ، و كما اختلف[5] أحوال بنى آدم بحسب اختلاف طينتهم من بين خبيث و طيب و ما بين ذلك ، اختلف أحوالهم فيما به تجدد خلقهم من رزقهم ، فمن اغتذى بدنه من شىء ظهرت أخلاق نفس ذلك المغتذى به و أوصافه فى نفسه ، و رين على القلب أو صفاء ، لتقويه بما يسمى عليه من ذكر الله أو كفر به

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : قدرها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى الأصل و ظ : حرم (٥) فى ظ : اختلفت .

بذكر غيره ، و جامع منزله على حده / من استثناء قليله من متسع[1] الحلال / ٢٦٣
قوله تعالى " قل لا اجد فيما اوحى الىّ محرما على طاعم يطعمه الا ان
يكون ميتة او دما مسفوحا " هـذا لمضرته بالبدن " او لحم خنزير "
و هذا لتخبيثه للنفس و ترجيسه لها كما قال [تعالى -[2]] " انه رجس
او فسقا اهل لغير الله به " و هذا لرينه على القلب ، و هذه الآية مدنية ٥
و أثبتها تعالى فى سورة مكية إشعارا بأن التحريم كان مستحقا فى أول
الدين و لكن أخر[3] إلى حين اجتماع جمة الإسلام بالمدينة تأليفا لقلوب
المشركين و تيسيرا على ضعفاء [الدين -[2]] الذين آمنوا و اكتفاء للمؤمنين
بتنزههم عن ذلك و عما يشبهه استبصارا منهم حتى أن الصديق رضى الله
عنه كان قد حرم الخمر [على نفسه -[2]] فى زمن الجاهلية لما[4] رأى فيها ١٠
من نزف العقل ، فكيف بأحوالهم بعد الإسلام ! و ألحق بهـا فى سورة
" الذين امنوا " ما كان قتله[5] سطوة من غير ذكر الله عليه من المنخنقة
و الموقوذة و المتردية و النطيحة و ما أكل السبع إلا ما أدرك[6] بالتذكية
المنهرة للدم الموصل فى التحريم لفساد مسفوحه بما هو خارج عن
حد الطعام فى الابتداء و الأعضاء فى الانتهاء المستدركة ببركة التسمية أثر ١٥
ما أصابها من مفاجأة السطوة ، و ألحق بها أيضا[7] فى هذه السورة

(١) من ظ ، و فى الأصل : سعى (٢) زيد من ظ (٣) زيد بعده فى ظ : مطلب - كذا (٤) فى ظ : بما (٥) فى ظ : قبله (٦) فى ظ : تدرك (٧) موضعه فى ظ : قبل التذكية.

تحريم الخمر لرجسها كالخنزير كما ألحقت المقتولة بالميتة ، و كما حرم الله ما فيه جماع الرجس من الخنزير و جماع الإثم من الخمر حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم ما كان فيه[1] حظ من ذلك ، فألحق بالخنزير السباع حماية[2] من سورة غضبها لشدة المضرة فى ظهور الغضب من العبيد لأنه لا يصلح إلا لسيدهم ، و حرم الحمر الأهلية حماية من بلادتها و حرانها الذى هو علم غريزة الخرق فى الخلق ، و ألحق صلى الله عليه و سلم بتحريم الخمر التى سكرها مطبوع[3] تحريمَ المسكر الذى سكره مصنوع ، و كما حرم الله ما يغر العبد فى ظاهره و باطنه حرم عليه فيما بينه و بينه ما يقطعه عنه من أكل الربا ، [و الربا -[4]] بضع و سبعون بابا و الشرك مثل ذلك ، و جامع منزله فى قوله تعالى " الذين يأكلون الربوا - إلى قوله : و احل الله البيع و حرم الربوا[5] - إلى انتهاء ذكره إلى ما ينتظم من ذلك فى قوله : يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا اضعافا مضعفة[6] - الآية ما يلحق بذلك فى قوله : و ما آتيتم من ربا[7] " - الآية ، هكذا قال : إن هذه الآية مدنية ، و هو - مع[8] كونى لم أره لغيره - مشكل بقوله " و قد فصل لكم ما حرم عليكم[9] " - الآية .

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : حتما به (٣) فى ظ : مطبوح - كذا (٤) زيد من ظ (٥) سورة ٢ آية ٢٧٥ (٦) سورة ٣ آية ١١٣ (٧) سورة ٣٠ آية ٣٩ (٨) من ظ ، و فى الأصل : موضع (٩) راجع آية ١١٩ من سورة الأنعام و هى مكية .

و لما كان تحريم الربا لما بين الرب و العبد ، كان فيه[1] الوعيد بالإيذان بحرب من الله و رسوله ، و لذلك حمت الأئمة ذرائعه أشد الحماية ، و كان أشدهم فى ذلك عالم المدينة حتى أنه[2] حمى من صورته[3] من الثقة بسلامة الباطن منه ، و عمل[4] بضد ذلك فى محرمات ما بين العبد و نفسه ، و كما حرم الله الربا فيما بينه و بين عبده من هذا الوجه الأعلى كذلك حرم أكل المال بالباطل فيما بين العبد و بين غيره من الطرف الأدنى ، و جامع منزله فى قوله تعالى "و[5] لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل و تدلوا بها [الى الحكام"-[6]] - الآية إلى ما ينتظم به[7] من قوله تعالى : [يايها الذين امنوا -[8]] لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم - إلى ما ينتظم به من قوله تعالى: و اتوا اليتمى اموالهم[9] "- الآيات فى أموال اليتامى ، فحرمه تعالى من جهة الأعلى و المثيل و الأدنى ، و انتظم التحرير فى ثلاثة أصول : من جهة ما بين الله و بين عبده ، و من جهة ما بين العبد و [بين -[10]] نفسه ، و من جهة ما بين العبد و بين غيره ، مما تستقرأ[11] جملة آيه فى القرآن و أحاديثه فى السنة و مسائله فى فقه الأئمة ؛ و لما كان له متسع ، وقع فيما بين الحلال البين و الحرام / ٢٦٤

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : كانه (٣) فى ظ : سورته (٤) فى ظ : علم (٥) من ظ و القرآن الكريم سورة ٢ آية ١٨٨ ، و فى الأصل موضعه : يا ايها الذين آمنوا (٦) زيد من ظ والقرآن الكريم (٧ فى ز) بذلك (٨) ظ : يد من ظ و القرآن الكريم سورة ٤ آية ٢٩ (٩) سورة ٤ آية ٢ (١٠) زيد من ظ .
(١١) فى الأصل : يستقرا ، و فى ظ : تستقر .

البين أمور متشابهات لا يعلمها كثير من الناس ، لأنها تشبه الحلال من وجه و تشبه الحرام من وجه ، فلوقوعها بينهما يختلف فيها الأمة علما ، و يجتنب جميعها الصالحون عملا ، من اتقى الشبهات استبرأ لدينه فى العقبى و لعرضه فى الأولى ، و عن حماية الله عباده عن وبيل الحرام تحقق لهم اسمه « الطبيب [1] » ، فلم يتطبب بطب الله من لم يحتم عن محرماته و متشابهاتها ، و هو الورع الذى هو ملاك الدين ، و لاحول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم قال فيما تحصل به قراءة [حرف - [2]] الحرام تماما فى العلم و الحال و العمل : اعلم أن الإنسان لما كان خلقا جامعا كانت فيه بزرتان : بزرة للخير و بزرة للشر ، و بحسب تطهره و تخلصه من مزاحمة[3] نبات بزرة الشر تنمو[4] فيه و تزكو بزرة الخير ، و لكل واحدة من البزرتين منبت فى جسمه و نفسه وفؤاده . فأول الحرف فى الترتيب العمل ، و الأساس لما بعده هو قراءة حرف الحرام . لتحصل به طهرة البدن الذى هو السابق فى وجود الإنسان . فمن غذى بالحرام فى طفولته لم يقدر على اجتناب الآثام فى كهولته إلا أن يطهر الله بما شاء من نار الورود فى الدنيا من الأمراض و الضراء ، فهو الأساس الذى ينبنى[5] عليه تطهر النفس من المناهى و تطهر الفؤاد من العمه و المجاهل ، و الذى تحصل به قراءة هذا الحرف هو الورع الحاجز عما يضر بالجسم و يؤذى النفس و ما يكره الخلق

(١) من ظ ، و فى الأصل : الطيب (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : مزاحمات (٤) من ظ ، و فى الأصل : ينمو (٥) فى ظ : ينشا .

و ما يغضب الرب ، فمن أصاب شيئا من ذلك و لم يبادر إليه بالتوبة عذب بكل آية قرأها و هو مخالف لحكمها « من لم يبال من أيّ باب دخل[1] عليه رزقه لم يبال الله من أيّ باب أدخله النار » .

و لما كان الورع كف اليد ظاهرا [2]عن الشيء الضار ، و كانت الجوارح لا تنقاد إلا عن تأثر من النفس ، لم يصح الورع ظاهرا [2] إلا أن يقع فى النفس روعة باطنه من تناول ذلك الشيء ؛ [2]و لما كانت النفس لا تتأثر إلا عن تبصر القلب فى الضار كما لا ينكف اليد إلا عند تقذر النفس[2] لما تدرك العين قذره[3] حتى أن النفس الرضية تأنف من المحرمات كما يأنف المستنظف من المستقذرات ، فأكلة الحرام هم[4] دود جيفة الدنيا يستقذرهم أهل البصائر كما يستقذرون هم دود جيف المزابل .

و لما كان الحرام ما يضر العبد فى نفسه كالميتة ، تيسر على المستبصر كف يده عنها لما يدرى من مضرتها بجسمه ، و كذلك الدم المسفوح لأنه ميتة بانفصاله عن الحى و مفارقته لروح الحياة التى تخالطه فى العروق ، قلت : و سيأتى قريبا تعليله فى التوراة بما يقتضى أنه أكثر فعلا فى النفس و تطبيعا لها [2]بخلق ما هو[2] دمه من اللحم - و الله الموفق ؛ و كذلك ما يضر بنفسه كلحم الخنزير لأنه رجس ، و الرجس هو [5]خبائث الأخلاق[5] التى [هى -[6]] عند العقلاء أقبح من خبائث الأبدان ، و ذلك لأن[7]

(١) فى ظ : فصل (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : قدرة .
(٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : جنات الاخلاط (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : ان .

من اغتذى جسمه بلحم حيوان اغتذت نفسه بنفسانية ذلك الحيوان و بخلق[1] من أخلاقه، و فى نفس الخنزير مجامع رذائل الأخلاق من الإباء و الحران و المكر و الإقدام على ما يعانيه فيه الهلاك و متابعة الفساد، و الانكباب على ما تقبل[2] عليه فى أدنى[3] الأشياء على ما ظهرت ٥ فى خلقته آياته فانه ليس له استشراف كذوات الأعناق، و كذلك ما يضر بهما[4] و بالعقل كالخمر فى نزفها للعقل و تصديعها للرأس و إيقاعها العداوة و البغضاء فى خلق النفس، و لذلك هى جماع الإثم، فالمتبصر فى المحرمات يأنف منها لما يدرى من مضرتها و أذاها فى الوقت الحاضر و فى معيبها[5] فى يوم الدنيا إلى ما أخبر به من سوء عقباها فى يوم الدين، ٢٦٥ / ١٠ و من / شرب الخمر و مات و لم يتب منها كان حقا على الله أن يسقيه من طينة الخبال، و هى عصارة أهل النار، و لو هدد شاربها فى الدنيا من له أمر بأن يسقيه من بوله و رجيعه لوجد من الروع ما تحمله على الورع عنها، و إذا استبصر ذو دراية فيما يضره فى ذاته فأنف منه رعاية نفسه لحق له بذلك التزام رعايتها عما يتطرق له منه درك ١٥ من جهة غيره فيتورع من[6] أكل أموال الناس بالباطل لما يدرى من المؤاخذة عليها فى العاجل و ما أخبر به من المعاقبة عليها فى الآجل، و لها فى ذاته مضرة فى الوقت[7] بتعرفها من موارد القرآن بنور الإيمان

(١) من ظ، و فى الأصل: تخلق (٢) فى ظ: يقبل (٣) من ظ، وفى الأصل: اذى (٤) من ظ، و فى الأصل: هما (٥) فى ظ: مغبتها ـ كذا (٦) فى ظ: عن. (٧) من ظ، و فى الأصل: الوقف.

" الذين يأكلون اموال اليتمى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا[1] " و إن لم يحس بها ، و ليس تأويله الوعد بالنار لأن ذلك إنباء عند قوله تعالى " و سيصلون سعيرا " ، وكذلك إذا أنف مما يضره فى نفسه و خاف مما يتطرق إليه ضره من غيره ، أعظم أن يقرب حمى ما يتطرق إليه السطوة من ربه لأجله ، و ذلك فيما حرم عليه حماية لعظيم ملكه و عدم التفاوت ٥ فى أمر رحمانيته فى محرم الربا ، و لما فيه أيضا من مضرة وقته الحاضر التى يقيدها[2] بالإيمان من تعريف ربه ، فانه تعالى كما[3] عرف أن أكل مال الغير بالباطل نار فى البطن ، عرف أن أكل مال الربا جنون فى العقل و خبال فى النفس " الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطن من المس[4] " و أعظم[5] من ذلك ما حرمه الله لعرائه عن اسمه ١٠ عند إزهاق روحه ، لأنه مأخوذ عن غير الله ، و ما أخذ عن غير الله كان أكله فسقا و كفرا[6] لأنه تناول الروح من يد من لا يملكها ، و لذلك فرضت التسمية فى التذكية و نفلت فيما سوى ذلك ، فلا تصح قراءة هذا الحرف إلا بتبصرة القلب فيه و روعة النفس منه و ورع اليد عنه ، و إلا فهو من الذين يقرأون حروفه و يضيعون حدوده ، الذين قال ١٥ فيهم رسول الله صلى الله عليه و سلم « كثر هؤلاء من القراء ، لا كثرهم الله ! » و من لم تصح له قراءة هذا الحرف لم تصح له قراءة حرف سواه

(١) سورة ٤ آية ١٠ (٢) من ظ ، وفى الأصل : يقبلها (٣) فى ظ : لما (٤) سورة ٢ آية ٢٧٥ (٥) فى ظ : اعلم (٦) من ظ ، و فى الأصل : كفى - كذا .

و لا تصح له عبادة ، و هو الذى لا يزيده صلاته[1] من الله إلا بعدا ، و لا يقبل منه دعاؤه « الرجل يطلب الله مطعمه[2] حرام و مشربه حرام وملبسه حرام و غذى بالحرام ، يقول : يا رب ! يا رب ! فأنى يستجاب لذلك ! » فهذه[3] قراءة هذا الحرف و شرطه ـ و الله ولى التوفيق .

٥ و لما كان قوله " طاعم " نكرة فى سياق النفى ، يعم كل طاعم من أهل شرعنا و غيرهم ، و كان سبحانه قد حرم على اليهود[4] أشياء غير ما تقدم ، اقتضت إحاطة العلم أن قال مبينا لإحاطة علمه و تكذيبا لليهود[4] فى قولهم : لم يحرم الله علينا شيئا ، إنما حرمنا على أنفسنا ما حرم إسرائيل على نفسه : ﴿ و على الذين هادوا ﴾ أى اليهود ﴿ حرمنا ﴾
١٠ بما لنا من العظمة التى لا تدافع ﴿ كل ذى ظفر[5] ﴾ أى على ما هو كالإصبع للآدمى من الإبل و[4] السباع و الطيور التى تتقوى بأظفارها ﴿ و من البقر و الغنم ﴾ أى التى هى ذوات الأظلاف ﴿ حرمنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ عليهم شحومهما ﴾ أى الصنفين ؛ ثم استثنى فقال : ﴿ الا ما حملت ظهورهما ﴾ أى من الشحوم مما علق بالظهر و الجنب
١٥ [من داخل بطونهما - [5]] ﴿ او الحوايا ﴾ و هى الأمعاء التى هى متعاطفة متلوية ، جمع حوية فوزنها فعائل[6] كسفينة و سفائن ، و قيل : جمع حاوية أو حاوياء[7] كقاصعاء ﴿ او ما اختلط ﴾ أى [من - [5]] الشحوم

(١) من ظ ، و فى الأصل : صلوة (٢) من ظ ، و فى الأصل : مطعم (٣) فى ظ : وهذه (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ .
(٧) من ظ ، و فى الأصل : عاريا - كذا .

﴿ بعظم[1] ﴾ مثل شحم الألية فان ذلك لا يحرم ، و هذا السياق بتقدم[1] الجار و بناء الكلام عليه يدل على أن ما عدا المذكور من الصنفين حلال لهم .

و لما كان كأنه قيل : لم حرم عليهم هذه الطيبات ؟ قيل : ﴿ ذلك ﴾ أى التحريم العظيم و الجزاء الكبير [و هو تحريم الطيبات -[2]] ﴿ جزيناهم ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ ببغيهم ﴾ أى فى أمورهم / التى تجاوزوا فيها الحدود ، ٥ / ٢٦٦
[و -[2]] فى إيلاء هذه الآية - التى فيها ما حرم على اليهود - لما قبلها مع الوفاء بالمقصود من حصر محرمات المطاعم على هذه الأمة و غيرها أمران جليلان : أحدهما بيان إطلاعه صلى الله عليه و سلم على تفصيل ما أوحى إلى من تقدمه و لما يشامم أحدا من أتباعهم و لا دارس عالما و لا درس علما قط ، فلا دليل على صدقه على الله أعظم[3] من ذلك ، ١٠ و الثانى تفضيله هذه الأمة بأنه أحل لها الخبائث عند الضرورة رحمة لهم ، و أزال عنها فى تلك الحالة[4] ضرها و لم يفعل بها كما فعل باليهود فى أنه حرم عليهم طائفة من الطيبات و لم يحلها لهم فى حال من الأحوال عقوبة لهم ، و فى ذلك أتم تحذير لهذه الأمة من أن يبغوا فيعاقبوا كما عوقب من قبلهم على ما نبه عليه[5] فى قوله " غير محلى الصيد و انتم حرم " فبان ١٥ الصدق و حصحص الحق و لم يبق لمتعنت كلام . فحسن جدا ختم ذلك بقوله ﴿ و انا لصدقون ﴾ أى ثابت صدقنا أزلا و أبدا كما اقتضاه ما لنا من العظمة ، و تعقيبه بقوله : ﴿ فان ﴾ أى و تسبب عن هذا الإيجاء[6] الجامع الوجيز

(١) فى ظ : بتقديم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم عظم - كذا .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : اليه (٦) فى ظ : الايجاد .

الدال على الصدق الذى لا شبهة فيه أنا نقول ذلك : إن ﴿ كذبوك فقل ﴾ و التعبير بأداة الشك مشير إلى أن الحال يقتضى أن يستبعد أن يقع منهم تكذيب بعد هذا ﴿ ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بالبيان و الإمهال [مع كل امتنان ﴿ذو رحمة واسعة ج﴾ أى فهو مع اقتداره قضى أنه يحلم عنكم
٥ بالإمهال - [1]] إلى أجل يعلمه .

و لما أخبر عن رحمته ، نوه بعظيم سطوته فقال : ﴿ و لا يرد باسه ﴾ أى [2] إذا أراد الانتقام ﴿ عن القوم المجرمين ه ﴾ أى القاطعين لما ينبغى وصله ، فلا يغتر أحد بامهاله فى سوء أعماله و تحقيق [3] ضلاله ، و فى [هذه الآية من شديد التهديد مع لطيف الاستعطاف ما هو مسبوك على
١٠ الحد - [1]] الأقصى من البلاغة .

و لما تم ذلك فعلم أن إقدامهم على الأحكام الدينية بغير حجة أصلا ، اقتضى الحال أن يقال : [قد - [1]] بطل بالعقل و النقل جميع ما قالوه فى التحريم على وجه أبطل شركهم ، فهل بقى لهم مقال ؟ فأخبر سبحانه بشبهة يقولونها اعتذارا عن جهلهم على وجه [هو وحده - [1]]
١٥ كاف فى الدلالة على حقية [4] ما يقوله [5] من الرسالة ، فوقع طبق ما قال عن أهل الضلال ، فقال مخبرا بما سيقولونه قبل وقوعه دلالة على صدق رسله وكذب المشركين فيما يخالفونهم فيه : ﴿سيقول﴾ أى فى المستقبل ، وأظهر موضع الإضمار تنصيصا عليهم و تبكيتا لهم فقال : ﴿ الذين اشركوا ﴾

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) زيد فى ظ : الذى (٣) فى ظ : تحقق .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : حقيقة (٥) من ظ ، وفى الأصل : يقول .

تكذيبا منهم ﴿ لو شآء الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال عدم إشراكنا وتحريمنا ﴿ مآ اشركنـا ﴾ أى بصنم ولا غيره ﴿ ولآ اٰبآؤنا ﴾ أى ما وقع من إشراك ﴿ ولا حرمنا من شىء ﴾ [1] أى ما [1] تقدم من البحائر والسوائب والزروع وغيرها أى [2] ولكنه لم يشأ الترك وشاء الفعل ففعلنا طوع مشيئته، وهو لا يشاء إلا الحق والحكمة لأنه قادر، فلو لم يكن حقا ٥ يرضاه لمنعنا منه، وهو لم يمنعنا منه فهو حق.

ولما كان هذا عنادا منهم ظاهرا بعد وضوح الأمر بما أقام على صدق رسله من البينات، كان كأنه قيل تعجبا منهم: [هل [3] -] فعل أحد غيرهم مثل فعلهم هذا أو [4] قال مثل ما قالوا؟ فقيل: نعم ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك التكذيب البعيد عن الصواب ﴿ كذب الذين ﴾ ولما ١٠ لم يكن التكذيب عاما أدخل الجار فقال: ﴿ من قبلهم ﴾ من الأمم الخالية بما أوقعوا من نحو هذه المجادلة فى قولهم إذا كان الكل بمشيئة الله كان التكليف عبثا، فكانت دعوى الأنبياء باطلة، وهذا القول من المشركين عناد بعد ثبوت الرسالات بالمعجزات وإخبار الرسل بأنه يشاء الشىء ويعاقب عليه لأن مُلكه تام ومِلكه عام، فهو لا يسأل عما يفعل، ١٥ وتمادى بهم غرور التكذيب ﴿ حتى ذاقوا باسنا [5] ﴾ أى عذابنا لما [5] لنا من العظمة، فان من له الأمر كله لا يسأل عما يفعل [6]، فلم ينفعهم عنادهم عند ذوق البأس، / بل [2] انحلت عزائم همهم فخضعوا لنا وآمنوا برسلنا، / ٢٦٧

(١-١) من ظ، وفى الأصل: بما (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل «و» (٥) فى ظ: بما (٦) زيد فى ظ: وتمادى بهم غرور التكذيب.

فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا ، فالآية من الاحتباك : أثبت أولا الإشراك دليلا[1] على حذفه ثانيا ، و ثانيا التكذيب دليلا على حذفه أولا ، و سيأتى توجيه أنه لا بد من تضليل إحدى الطائفتين المتعاندتين[2] و إن كان الكل بمشيئة الله ، لأنه لا مانع من إتيان الأمر على خلاف الإرادة .

٥ و لما كان ما قالوه شبهة بعيدة عن العلم ، أعلى درجاتها أن يكون من أنواع الخطابة فتفيد[3] الظن فى أعظم مسائل علم الأصول الذى لا يحل الاعتماد فيه إلا على القواطع ، أمره أن يقول لهم ما ينبههم على ذلك فقال : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء الذين تلقوا ما يلقيه الشيطان إليهم - كما أشير إليه فى سورة الحج - [تهكما بهم فى بعدهم عن العلم و جدالهم بعد نهوض

١٠ الحجج - [4]] ﴿ *هل عندكم* ﴾ أيها الجهلة ، و أغرق فى السؤال فقال : ﴿ من علم ﴾ أى يصح الاحتجاج به فى مثل هـذا المقام الضنك ﴿ فتخرجوه لنا[5] ﴾ أى لى و لأتباعى و إن كان مما يجب أن يكون مكنونا مضنونا به على غير أهله مخزونا ، فهو تهكم بهم .

و لما كان جوابهم عن هذا السكوت لأنه لا علم عندهم ، قال دالا

١٥ على ذلك : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ تتبعون ﴾ أى فى قولكم هذا و غالب أموركم ﴿ الا الظن ﴾ أى فى أصول دينكم و هى لا يحل فيها[6] قول إلا بقاطع ﴿ و ان ﴾ أى و ما ﴿ انتم الا تخرصون *** ﴾ أى تقولون[7] تارة

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : دليل (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : فيفيد (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥-٥) تأخر فى الأصل عن « السؤال فقال » و الترتيب من ظ (٦) فى ظ : فى (٧) من ظ ، و فى الأصل : يقولون .

بالحزر و التخمين و تارة بالكذب المحض اليقين .

و لما انتفى[1] أن يكون لهم حجة ، و ثبت أن الأمر إنما هو لله ، ثبت أنه المختص بالحجة الواضحة ، فقال مسببا عن ذلك : ﴿قل فلله﴾ أى الإله الأعظم وحده[2] ﴿الحجة البالغة﴾ أى التى[3] بلغت أعلى درجات الحق قوة و متانة وبيانا و وضوحا و رصانة بسبب أنه شامل العلم كامل القدرة كما أقررتم بذلك حين قلتم "و[2] لو شاء الله ما اشركنا" و إن كنتم قلتموه على سبيل الإلزام و العناد لا لأجل التدين و الاعتقاد ﴿فلو شآء﴾ أى الله ﴿لهدىكم﴾ أى أنتم و مخالفيكم ﴿اجمعين﴾ و لكنه لم يشأ ذلك ، بل شاء هداية بعض و ضلال آخرين ، فوقع ذلك على الوجـــه الذى شاءه ، فلزم على قولكم أن يكون الفريقان محقين ، فيكون الشيء الواحد حقا[4] غير حق فى حال واحد ، و هذا لا يقوله عاقل ، و يلزمكم على ذلك أيضا[2] أن توالوا أخصامكم و لا تعادوهم و إن فعلوا ما فعلوا ، لأنه حق رضى الله لأنه[5] بمشيئته و أنتم لا تقولون ذلك ، فبطل قولكم فثبت أنه قد يشاء الباطل لأنه لا يسئل عما يفعل و يرسل الرسل [إليكم -[6]] لإزالته ليقيم بهم الحجة على من[7] يريد عقابه على ما يتعارفه الناس بينهم ، و ورود[8] الأمر على خلاف الإرادة غير ممتنع .

و لما صدق الحق ، [و -[6]] انكسر جند الباطل و اندق بيطلان

(١) من ظ ، و فى الأصل : تنفى - كذا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ ، و فى الأصل : حق (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا .
(٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : ما (٨) من ظ ، و فى الأصل : ورد .

جميع شبههم ، و نطقت الدلائل و ألجم المجادل ، فبان أنه لا شاهد لهم بحق لأنه لا حق لهم ، كان كأنه قيل : قل لهم : ها أنا قد شهد لى بما قلته مَنْ لا ترد شهادته و زكانى الذى لا يقبل إلا تزكيته بهذا[1] الكتاب الذى كان عجزكم عن الإتيان بشىء من مثله شاهدا بأنه قوله ، فهل لكم أنتم من شاهد يقبل ! و لما لم يكن لهم شاهد غير متخرصيهم[2] ، فان المبطل يظهر باطله عند المحاققة سنة من الله مستمرة ، فيظهر للشهود لهم بما يلوح من بهتهم أنهم ليسوا على شىء[3] ، أمره سبحانه أن يأمرهم بدعائهم ليظهر خزيهم و[4] تشتهر فضيحتهم[4] فقال : ﴿قل هلم﴾ أى احضروا ، و هى كلمة دعوة يستوى فيها المذكر و المؤنث و الواحد و الجمع عند[5] الحجازيين ﴿ شهدآءكم ﴾ .

و لما كان كأنه قيل : أىّ شهداء ؟ قال : ﴿ الذين يشهدون ﴾ أى يوقعون الشهادة على ﴿ان الله﴾ أى الذى لا حكم لغيره ﴿حرم هذا﴾ أى الذى ذكرتموه من قبل ، و إضافة الشهداء إليهم و وصفهم بـ « الذين » دليل على [6]أنهم معروفون[6] / موسومون بنصرة مذهبهم بالباطل ، / ٢٦٨ و لو قال : شهداء - من غير إضافة لأفهم أن المطلوب من يشهد بالحق و ليس كذلك ، لأنه أقيم الدليل العقلى على أنه لا حجة لهم و أن الحجة

(١) فى ظ : هذا (٢) فى ظ : محترسيهم (٣) العبارة من هنا إلى «عند الحجازيين» تقدمت فى ظ على « فان المبطل» (٤ - ٤) من ظ ، و فى الأصل : شهر فضحهم - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : عن (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل : انتم معرفون - كذا .

لله على خلاف ما ادعوه ، فبطل قطعا أن يكون أحد يشهد على ذلك بحق .

و لما كان كأنه قيل : فانهم إذا أحضروا[1] لا يقدرون - إن كان لهم عقل أو فيهم حياء[2] - على النطق إذا سمعوا هذا الحق ، بنى عليه قوله : ﴿ فان ﴾ اجترؤا بوقاحة ﴿شهدوا﴾ أى كذبا و زورا بذلك الذى أبطلناه بالأدلة القطعية ﴿فلا تشهد معهم ج﴾ أى فاتركهم [ولا تسلم لهم - [3]] ، فانهم على ضلال و ليست شهادتهم مستندة [إلا - [3]] إلى الهوى ﴿و لا تتبع اهوآء﴾ و أظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف دلالة على أن القائد إلى التكذيب و كل ردىً إنما هو [الهوى - [3]] ، و أن من خالف ظاهر الآيات إنما هو صاحب هوى ، فقال : ﴿الذين كذبوا﴾ أى أوقعوا التكذيب ﴿ بآيٰتنا ﴾ أى على ما لها من الظهور بما لها من العظمة باضافتها إلينا .

و لما وصفهم بالتكذيب ، أتبعه الوصف بعدم الإيمان ، و دل بالنسق بالواو على العراقة فى كل من الوصفين فقال : ﴿ و الذين لا يؤمنون بالأخرة ﴾ أى التى [هى - [3]] دار الجزاء ، فانهم لو جوزوها[4] ما اجترؤا على الفجور ﴿ و هم بربهم ﴾ أى الذى لا نعمة عليهم و لا خير عندهم إلا و هو منه وحده ﴿يعدلون ع﴾ أى يجعلون غيره عديلا له ، و سيعلمون حين يقولون لشركائهم و هم فى جهنم يختصمون " تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العٰلمين[5] " .

---

(١) فى ظ : حضروا (٢) فى ظ : حياة (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : جوزها (٥) سورة ٢٦ آية ٩٧ و ٩٨ .

و لما أبطل دينهم كله أصولا و فروعا فى التحريم و الإشراك ، و بين فساده بالدلائل النيرة ، ناسب أن يخبرهم [بالدين الحق -[1]] مما[2] حرمه الملك الذى له الخلق و الأمر [و من غيره -[1]] ، فليس التحريم لأحد غيره فقال : ﴿ قل تعالوا ﴾ أى أقبلوا إلىّ صاعدين من حضيض الجهل و التقليد و سوء المذهب إلى أوج العلم و محاسن الأعمال ؛ قال صاحب الكشاف : هو من الخاص[3] الذى صار عاما ، يعنى حتى صار يقوله الأسفل للأعلى ﴿ اتل ﴾ أى اقرأ ، من التلاوة و هى إتباع بعض الحروف بعضا . و[4] لما كان[4] القصد عموم كل أحد بالتلاوة [و إنما خص المخاطبين بالذكر لاعتقادهم خلاف ذلك -[1]] ، و[5] كان المحرم أهم ، قدمه فقال : ﴿ ماحرم ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بالتحليل و التحريم ﴿ عليكم ﴾ فسخطه منكم ، و ما وصاكم به إقداما و إحجاما فرضيه[6] لكم من قبيلى[7] الأصول و الفروع ؛ ثم فسر فعل التلاوة ناهيا عن الشرك ، و ما بعده من مضمون الأمر إنما عدى عنها ، فقال : ﴿ الا تشركوا به شيئا ﴾ الآيات مرتبا جملها أحسن ترتيب ، فبدأ بالتوحيد فى صريح البراءة من الشرك إشارة إلى أن التخلى عن الرذائل قبل التحلى بالفضائل ، فان التقية[8] بالحمية قبل الدواء ، و قرن به البر لأنهما من باب شكر المنعم و تعظيما لأمر العقوق ، ثم أولاه القتل الذى هو أكبر الكبائر بعد الشرك ، و بدأه بقتل الولد لأنه أفحشه و أفحش من مطلقه

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : بما (٣) فى ظ «و» (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد بعده فى ظ : لما (٦) من ظ ، و فى الأصل : فرضته (٧) من ظ ، و فى الأصل : قبيل (٨) فى ظ : التنقية .

فعله[1] خوف القلة، فلما وصى بأول واجب للنعم الأول الموجد من العدم به أتبعه ما لأول منعم بعده بالتسبب فى[2] الوجود، فقال ناهيا عن الإساءة فى صورة الأمر بالإحسان على أوكد وجه لما للنفوس من التهاون فى حقهما، و كذا جميع المأمورات ساقها هذا السياق المفهم لأن أضدادها منهى عنها ليكون مأمورا بها منهيا عن أضدادها، فيكون ذلك أوكد لها ٥ و أضخم: ﴿و بالوالدين ج﴾ أى افعلوا بهما ﴿احسانا ج﴾.

و لما أوصى بالسبب فى الوجود، نهى عن التسبب فى الإعدام و بدأ بأشده فقال: ﴿و لا تقتلوا اولادكم﴾ و لما كان النهى عاما، و كان ربما وجب على الولد قتل، خص لبيان[3] الجهة فقال: ﴿من املاق[4]﴾ أى من أجل فقر حاصل بكم، ثم علل ذلك، و لأجل أن الظاهر هو[4] حصول ١٠ الفقر قدم الآباء فقال: ﴿نحن نرزقكم﴾ بالخطاب، / أى أيها الفقراء، ٢٦٩/ ثم عطف عليه الأبناء فقال: ﴿و اياهم ج﴾ و ظاهر قوله فى الإسراء "خشية املاق[5]" أن الآباء موسرون و لكنهم يخشون من إطعام الأبناء الفقر، فبدأ بالأولاد فقال: "[نحن -[6]] نرزقهم" ثم عطف الآباء فقال "و اياكم" - نبه عليه أبو حيان. ١٥

و لما كان قتلهم أفحش الفواحش بعد[7] الشرك، أتبعه النهى عن مطلق الفواحش، و هى ما غلظت[8] قباحته، و عظم أمرها بالنهى عن

---

(١) فى ظ: فلعله - كذا (٢) فى ظ: الى (٣) فى ظ: بيان (٤) سقط من ظ.
(٥) آية ٣١ (٦) زيد من ظ و القرآن الكريم (٧) فى ظ: ثم (٨) من ظ، و فى الأصل: عطفت.

القربان فضلا عن الغشيان فقال : ﴿ و لا تقربوا الفواحش ﴾ ثم أبدل منها تأكيدا للتعميم قوله : ﴿ ما ظهر منها ﴾ أى الفواحش ﴿ و ما بطن ﴾ ثم صرح منها بمطلق القتل تعظيما له بالتخصيص[1] بعد التعميم فقال : ﴿ و لا تقتلوا النفس التى حرم الله ﴾ أى الملك الأعلى عليكم قتلها ﴿ الا بالحق[2] ﴾ أى الكامل ، و لا يكون كاملا إلا و هو كالشمس وضوحا لاشبهة فيه ، فصار قتل الولد منهيا عنه ثلاث مرات ؛ ثم أكد المذكور بقوله : ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم فى هذه المذكورات .

و لما كانت هذه الأشياء شديدة على النفس ، ختمها بما لا يقوله[3] إلا المحب الشفوق ليتقبلها[4] القلب فقال : ﴿ وصّكم به ﴾ أمرا و نهيا ؛ و لما كانت هذه الأشياء لعظيم خطرها و جلالة وقعها فى النفوس لا تحتاج إلى مزيد فكر قال : ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أى لتكونوا[5] على رجاء من المشى على منهاج العقلاء[6] ، فعلم من ذكر الوصية أن هذه المذكورات هى الموصى بها و المحرمات أضدادها ، فصار شأنها مؤكدا من وجهين : التصريح بالتوصية[7] بها ، و النهى عن أضدادها .

و لما كان المال عديل الروح من حيث أنه لا قوام لها إلا به ، ابتدأ الآية التى تليها بالأموال ، و لما كان أعظمها خطرا و حرمة مال اليتيم لضعفه و قلة ناصره ، إبتدأ به فنهى عن قربه فضلا عن أكله أو شربه

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالتخفيف (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا تقوله . (٣) فى ظ : ليقبلها (٤) من ظ ، و فى الأصل : ليكونوا (٥) فى ظ : العقل (٦) من ظ ، و فى الأصل : بالوصية .

فقال

فقال: ﴿و لا تقربوا مال اليتيم﴾ أى بنوع من أنواع القربان عمل فيه أو غيره ﴿الا بالتى هى احسن﴾ من الخصال من السعى فى تنميته و تثميره و ليستمر ذلك ﴿حتى يبلغ اشده﴾ و هو سن يبلغ به أوان حصول عقله عادة و عقل يظهر به رشده[1]؛ ثم ثنى بالمقادير على وجه يعم فقال: ﴿و اوفوا﴾ أى أتموا ﴿الكيل و الميزان﴾ لأنهما الحكم فى أموال الأيتام و غيرهم؛ و لما كان الشىء ربما أطلق على ما قاربه نحو "قد قامت الصلاة" أى قرب قيامها، و هذا وقت كذا - إذا قرب جدا، أزيل هذا الاحتمال بقوله: ﴿بالقسط﴾ أى أيفاء كائنا به من غير إفراط و لا تفريط.

و لما كانت المقادير لا تكاد تتساوى لا سيما الميزان فانه أبعدها من ذلك، و أقربها الذرع و هو داخل فى الكيل، فانه يقال: كال الشىء بالشىء: قاسه، أشار إلى أنه ليس على المكلف المبنى أمره على العجز للضعف إلا الجهد فقال: ﴿لا نكلف﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿نفسا الا وسعها﴾ و ما وراء الوسع معفو عنه؛ ثم ثلث[2] بالعدل فى القول لأنه الحكم على الأموال و غيرها، و قدم عليه الفعل لأنه دال عليه، فصار الفعل موصى به مرتين فقال: ﴿و اذا قلتم﴾ أى فى شهادة أو [فى -[3]] حكم أو توفيق[4] بين اثنين أو غير ذلك ﴿فاعدلوا﴾ أى توفيقا بين القول و الفعل.

و لما كانت النفوس مجبولة على الشفقة على القريب قال[5]:

---

(١) من ظ، و فى الأصل: اشده (٢) فى الأصل و ظ: ثبت (٣) زيد من ظ.
(٤) من ظ، و الأصل: توثيق (٥) سقط من ظ.

﴿ولو كان﴾ أى المقول فى حقه له أو عليه بشهادة أو غيرها ﴿ذا قربى ج﴾ ولا تحابوه طمعا فى مناصرته أو خوفا من مضارته ؛ ثم ختم بالعهد لجمعه الكل فى القول و الفعل / فقال : ﴿و بعهد الله﴾ أى الملك الأعظم خاصة ﴿اوفوا[1]﴾ و هذا يشمل كل ما على الإنسان و له ، فان الله لم يهمل شيئا بغير تقدم فيه؛ ثم أكد تعظيم ذلك بقوله : ﴿ذلكم﴾ أى الأمر المعتنى به ﴿وصّكم به﴾ أى ربكم المحسن إليكم . / ٢٧٠

و لما كانت هذه الأفعال و الأقوال شديدا على النفس العدلُ فيها لكونها[2] شهوات ، تقدم بالترغيب فيها و الترهيب منها بأن كل من يفعل شيئا منها مع غيره يوشك أن يفعل معه مثله ، فلذلك حض على التذكر فى الوصية بها ولأنها خفية[3] تحتاج إلى مزيد تدبر فقال : ﴿لعلكم تذكرون ج﴾ أى لتكونوا بحيث يحصل لكم التذكر - و لو على وجه خفى بما أشار إليه الإدغام - فيما جبلت عليه نفوسكم من محبة مثل ذلك لكم ، فتحكموا لغيركم بما تحكمون به لأنفسكم .

و لما قرر هذه الشرائع ، نبه على تعظيمها بالخصوص على وجه يعم جميع ما ذكر فى السورة بل و فى غيرها ، فقال[4] عاطفا على ما تقديره - عطفا على المنهيات و أضداد المأمورات على وجه يشمل سائر الشريعة - : و لا تزيغوا عن سبيلى[4] : ﴿و ان﴾ أى و لأن - على قراءة الجماعة بالفتح ، أى اتبعوه لذلك ، و على قراءة ابن عامر و يعقوب بالكسر هو ابتداء

(١) من ظ ، وفى الأصل : المعين (٢) فى ظ : بكونها (٣) من ظ ، وفى الأصل : حقيقة (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿هذا﴾ أى الذى شرعته لكم ﴿صراطى﴾ حال كونه ﴿مستقيما فاتبعوه ج﴾ أى بغاية جهدكم لأنه الجامع للعباد على الحق الذى فيه كل خير .

و لما كان الأمر باتباعه متضمنا للنهى [1]عن غيره[1]، صرح به تأكيدا لأمره فقال: ﴿و لا تتبعوا السبل﴾ أى المنشعبة عن الأهوية المفرقة بين العباد، و لذا قال مسببا ﴿فتفرق بكم﴾ أى تلك السبل الباطلة ٥ ﴿عن سبيله﴾[2] و لما مدحه آمرا به ناهيا عن غيره مبينا للعلة فى ذلك، أكد مدحه فقال: ﴿ذلكم﴾ أى الأمر العظيم من اتباعه ﴿وصّكم به﴾ .

و لما كان قد حذر من الزلل عنه، و كان من المعلوم أن من ضل عن الطريق الأقوم وقع فى المهالك، و كان كل من[3] يتخيل أنه يقع فى مهلك يخاف، قال: ﴿لعلكم تتقون ه﴾ أى اتبعوه و اتركوا غيره ليكون ١٠ حالكم حال من يرجى له أن يخاف من أن يزل فيضل فيهلك، و هذا كما مدحه سبحانه سابقا فى قوله "و هذا صراط ربك مستقيما"، "قد فصلنا الآيت لقوم يذكرون"، و فصل ما هنا من الأحكام فى ثلاث آيات، و ختم كل آية لذلك بالوصية ليكون ذلك آكد فى القول فيكون أدعى[4] للقبول، و ختم كل واحدة منها بما ختم لأنه إذا كان العقل دعا ١٥ إلى التذكر فحمل على التقوى .

و لما كانت هذه الآيات الثلاث وافية بالآيات العشر التى كتبها الله

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : على وجه خفى ملبس كما أشار اليه الادغام (٣) من ظ ، وفى الأصل : شىء (٤) فى ظ : أكد .

لموسى عليه السلام على لوحى[1] الشهادة فى أول ما أوحى إليه فى طور سيناء المشار إليها بقوله "و علمتم ما لم تعلموا انتم و لا ابلؤكم" و بنى عليها التوراة و أمره أن يودعها فى تابوت العهد لتكون[2] شهادة عليهم، و على أعقابهم كما هو مذكور فى وسط السفر الثانى من التوراة وقد مضى بيانه فى البقرة

٥ و يأتى فى آخر هذه المقولة و زائدة عليها من الأحكام و المحاسن ما شاء الله؛ حسن أن تذكر بعدها التوراة، فقال مشيرا بأداة التراخى إلى كل من الترتيب[3] و التعظيم: ﴿ثم اتينا﴾ أى بما لنا من العظمة التى [تقتضى -[4]] تعظيم ما كان [من -[4]] عندنا / ﴿موسى الكتب﴾ أى المشار إليه بقوله / ٢٧١

تعالى "قل من انزل الكتب الذى جاء به موسى" - و هى - و الله أعلم -

١٠ معطوفة على قوله "و على الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر" لأنه تعالى بعد أن أعطى موسى العشر الآيات واعده إلى الجبل مواعدة ثانية، فشرع له بعض الأحكام و أمره بنصب قبة الزمان التى[5] يوحى إليه فيها و يصلون إليها، و ببعض ما يتخذ من آلاتها كما مضى فى البقرة، ثم ذكر بعد ذلك بيسير تحريم الشحوم عليهم، فقال فى أوائل السفر الثالث

١٥ و هو سفر الكهنة، و فيه تلخيص[6] أمر القرابين: و دعا الرب موسى و كلمه فى قبة الأمد و قال له: كلم بنى إسرائيل و قل لهم: كل إنسان منكم إذا قرب للرب قربانا من البهائم فلتكن قرابينكم[7] من البقر و من الغنم - إلى

(١) من ظ، و فى الأصل: لوح (٢) من ظ، و فى الأصل: ليكون.
(٣) من ظ، و فى الأصل: الترك (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: الذى (٦) من ظ، و فى الأصل: تخليص (٧) فى ظ: قرابينه.

أن قال[1]: و يقرب قربانا [للرب الحجاب المبسوط على الأحشاء و كل الثوب الذى على الأكشاح و الكليتين -[2]] [3]و الشحم الذى عليها و على الجنب - إلى أن قال: و قال: الشحوم[3] للرب عهد الأبد، و لا تأكلوا دما و لا شحما، ثم قال: و كلم الرب موسى و قال له: كلم[4] بنى إسرائيل و قل لهم: لا تأكلوا شحم البقر و لا شحم الغنم: الضأن و الماعز جميعا، لأن كل من أكل شحم بهيمة و[5] يقرب قربانا للرب، تهلك تلك النفس من شعبها، و لا تأكلوا دما حيث ما سكنتم. لا دم البهائم و لا دم الطير، و أيّة[6] نفس أكلت دما تهلك تلك النفس من شعبها، و قال فى السفر الخامس: فأما الدم فلا تأكلوا و لكن ادفقوه على الأرض مثل الماء، ثم قال بعده بقليل: و كلوا فى قراكم من كل شهوات أنفسكم، و لكن إياكم أن تأكلوا دما، لأن دم البهيمة هو فى نفسها، فلا تأكلوا النفس[7] مع اللحم ليحسن إليكم و إلى أولادكم من بعدكم إذا عملتم الحسنة[8] أمام الله ربكم؛ رجع إلى السفر الثالث ثم قال: و دخل موسى و هارون إلى قبة الزمان و خرجا و دعوا الشعب، فظهر مجد الرب أمام جميع الشعب، و نزلت نار من قبل الرب فأحرقت الشحم و الذبيحة الكاملة لله[5] على المذبح، و عاين ذلك جميع الشعب [3]و حمدوا الله، و خر[3]

(١) من ظ، و فى الأصل: تعالى - كذا (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: كل (٥) سقط من ظ (٦) زيد بعده فى ظ: كل (٧) فى ظ: الدم (٨) فى ظ: الحسنات.

الشعب كله على وجهه؛ ثم ذكر عقب ذلك بيسير[1] محرمات الحيوان، وكذا ذكر[2] فى السفر الخامس و قد جمعت بينهما و معظم السياق للخامس: قال: لا تأكلوا شيئا نجسا، هذا! كلوا من جميع البهائم: الثور: و الحمل و النعجة و المعز و الأيل و الظبى[3] و الجوذر و الرخ و الرئم و الوعل و الثيثل[4] كل بهيمة ذات ظلف مقسوم ظلفها تجتر كلوها، و حرموا من التى لا تجتر، و من التى لها ظلوف مقسومة و لاتجتر [5]الجمل و الأرنب و الوبر التى تجتر و ليس لها أظلاف مقسومة هى نجسة لكم، و فى الثالث: و حرموا من البهائم التى ليست لها أظلاف التى تجتر[5]: الجمل الذى يجتر و ليس له أظلاف هو [نجس -[6]] محرم عليكم، و الأرنب الذى يجتر و ليس [له -[6]] أظلاف منجس محرم عليكم؛ رجع: و الخنزير الذى له أظلاف و لا يجتر هو نجس، لا تأكلوا من لحوم هذه و لا تقربوا إلى أجسادها؛ و قال فى الثالث: و لاتمسوا لحومها لأنها[7] نجسة محرمة عليكم؛ و قال فى الخامس من ترجمة الاثنين و السبعين: و إياكم أن تأكلوا كل نجس، و يكون الذى تأكلونه من الدواب العجل من البقر و الخروف من الغنم و الجدى من المعز أو الأيل و الغزال و العين

(١) من ظ، و فى الأصل: سر (٢) فى ظ: ذكره (٣) من ظ و التوراة، و فى الأصل: الطير (٤) من ظ، و فى الأصل: الفيل، و فى التوراة: الثيتل - وهو صحيح (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ. (٧) من ظ، وفى الأصل: لا.

و الوعل و عنز الجبل و اليحمور و ناقة القمر[1] و الزرافة ، و كل دابة مشقوقة الظلف و هى تنبت أظافير [فى -[2]] كل ظلفها و اجتر من الدواب فاياه فكلوا ، و الذى لا تأكلون منه من الذى يجتر و من المشقوق الظلف الذى ينبت[3] له أظافير الجمل و الأرنب و اليربوع ، فان ذلك يجتر و لكنه غير مشقوق الظلف ، / و هو لا يحل[4] لكم ، و الخنزير أيضا فان ظلفه ٥ / ٢٧٢ مشقوق[5] و ينبت فى ظلفه أظافير غير أنه لا يجتر ، و ما لا يجتر فانه لا يحل لكم فلا تأكلوا من لحومها و لا تقربوا أجسادها ؛ و قال فى الثالث منها : و كلم الرب موسى و هارون و قال لهما : كلما بنى إسرائيل و قولا لهما : إن الذى تأكلونه من المواشى من جميع الأنعام التى على الأرض كل بهيمة قد شق ظلفها و[6] هى تخرج[6] أظفارا فى كلا[6] ظلفيها و تجتر[8] ، فذلك ١٠ الذى تأكلونه من الأنعام ، و الذى لا يحل مما يجتر[9] و لم يشق ظلفه الجمل الذى يجتر و ظلفه غير مشقوق[5] فانه غير طاهر لكم ، و اليربوع - و فى نسخة : السنجاب - الذى يجتر و ظلفه غير مشقوق [فانه غير طاهر لكم لم يطهر لكم ، و الأرنب الذى يجتر و ظلفه غير مشقوق فانه لا يطهر لكم و الخنزير فانه مشقوق -[2]] الظلف و يخرج أظفارا فى ظلفه و هو لا يجتر ١٥ فانه لا يطهر لكم فلا تأكلوا من لحومها و لا تمسوا ما مات منها ، فان

(١) فى ظ : الثمر - كذا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : نبت (٤) من ظ ، و فى الأصل : لا تحل (٥) فى الأصل و ظ : مشقوقة. (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل : هو يخرج (٧) من ظ ، و فى الأصل : كل (٨) فى الأصل و ظ : يجتر (٩) فى ظ : لا يجتر .

ذلك لا يطهر لكم؛ رجع إلى نسختى، ثم ذكر فى الطير و دواب البر قريبا مما فى[1] شرعنا إلى أن قال: و لا تأكلوا أشياء نجسة بل ادفعوها إلى السكان الذين فى قراكم يأكلونها أو يبيعونها[2] من الغرباء، لأنك شعب طاهر لله ربك لا تطبخوا جديا بلبن أمه؛ و قال فى ترجمة الاثنين و السبعين: و لا تطبخ الخروف بلبن أمه؛ و قال فى السفر الخامس: و كلوا من الطير ما كان زكيا و حرموا هذه التى أصف لكم، لا تأكلوا منها شيئا: النسر و الحداء ـ و ذكر نحوا مما عندنا، و قال فى نسختى فى الثالث: فمن مس شيئا من هذه ـ أى المحرمات ـ يكون نجسا إلى المساء، و من حمل منها شيئا فليغسل ثيابه و يكون نجسا إلى الليل ـ انتهى. الظبى ـ بالمعجمة المشاركة[3] ـ معروف، و الجوذر ـ بفتح الجيم و الذال المعجمة [و الراء ـ[4]]: البقرة الوحشية، و الرئم ـ بكسر المهملة: الظبى الخالص البياض، و الثيثل ـ بمثلثتين مفتوحتين بينهما ياء تحتانية ساكنة: بقر الوحش، و الآيل ـ بفتح الهمزة و كسر التحتانية المشددة، الوعل ـ بفتح الواو و كسر المهملة ـ و هو تيس الجبل، و الحمل ـ بفتح المهملة: الرضيع من أولاد الضأن، و قوله: لا تطبخوا جديا بلبن أمه، الظاهر أن معناه النهى عن أكله ما دام يرضع، و ما بعد الذى فى الثالث هو معظم التوراة، و الذى فى الخامس إنما هو إعادة لما فى الثالث، فان الخامس تلخيص لجميع ما تقدمه من القصص و الأحكام مع زيادات، فصدق أن إيتاء الكتاب أتى معظمه بعد

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: يتبعونها (٣) من ظ، و فى الأصل: المشالة ـ كذا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ.

تحريم ما حرم عليهم ، و يجوز - و هو أحسن - أن يكون معطوفا على محذوف تقديره : ذلكم وصاكم به كما وصى بنى إسرائيل فى الفصل الذى نسبته من التوراة كنسبة أم القرآن من القرآن ، و ذلك هى العشر الآيات التى[1] هى أول ما كتبه الله لموسى عليه السلام ، و هى أول التوراة فى الحقيقة لأنها أول الأحكام ، و ما قبلها فهو قصص و[2]حاصل هذه العشر[3] [آيات - [4]] : الرب إلهك الذى أصعدك من أرض مصر من العبودية و الرق ، لا يكونن[5] لك إله غيرى ، لا تقسم باسمى كذبا ، احفظ يوم السبت ، أكرم والديك ، لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تمدن عينيك[6] إلى ما فى أيدى الناس ، فالمعنى : ذلك وصيناكم به كما وصينا بنى إسرائيل به فى العشر الآيات[7] و بعض ما آتينا موسى من التوراة ، و يجوز أن يكون التقدير : لكون هذه الآيات[7] محكمة فى كل الشرائع لم تنسخ فى أمة من الأمم و لا تنسخ[8] ، وصاكم به يا بنى آدم فى الزمن الأقدم ، و لم يزدد الأمر بها فى التوصية إلا شدة "ثم آتينا" أى بما لنا من العظمة "موسى الكتب" أى جميعه و هى فيه ، حال كونه ﴿ تماما ﴾ لم ينقص عما يصلحهم شيئا ﴿ على ﴾ الوجه ﴿ الذى احسن ﴾ أى [أتى - [9]] بالإحسان فأثبت الحسن و جمعه بما بيّن

(١) فى ظ : الذى (٢) زيد بعده فى ظ : سبب - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : العشرة (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يكون (٦) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٨) من ظ ، و فى الأصل : لا ينسخ (٩) زيد من ظ .

/٢٧٣ من الشرع و بما حمى طوائف / أهل الأرض به من الإهلاك[٢] بعامه ، فانه نقل أن الله تعالى لم يهلك قوما هلاكا عاما بعد[٣] إنزال التوراة[٤] ﴿و تفصيلا لكل شيء﴾ من جملة ذلك الفصل المحتوى على الكلمات العشر الحاوية لكل شيء يحتاج إليه من أمر الدين و الدنيا ، كما أن القرآن ٥ تفصيل لكل شيء من الجوامع السبع التى حوتها أم القرآن الحاوية لمصالح الدارين ، و فى هذين الاحتمالين المقتضيين لكون "ثم" على حقيقتها من الترتيب و المهلة علم من أعلام النبوة ، و هو الاطلاع على أن العشر الآيات و تحريم ما حرم عليهم بالبغى فى أوائل ما أوحى إلى موسى عليه السلام بعد إغراق فرعون و أن معظم التوراة[٥] أنزل بعد ذلك ، و هذا لا يعرفه ١٠ إلا أحبارهم ﴿و هدى﴾ أى بيانا ﴿و رحمة﴾ أى إكراما لمن يقبله و يعمل به ﴿لعلهم﴾ أى بنى إسرائيل ﴿بلقآء ربهم﴾ أى[٥] الذى أخرجهم من مصر من العبودية و الرق بقوته العظيمة و كلماته التامة ﴿يؤمنون ع﴾ أى ليكون حالهم بعد إنزال الكتاب - لما يرون من حسن شرائعه[٦] و فخامة كلامه و جلالة أمره - حال من يرجى أن يجدد الإيمان فى كل وقت بلقاء ربه ١٥ لقدرته على البعث الذى الإيمان به نهاية تصديق الأنبياء لأنه [لا -[١]] تستقل به العقول ، و إنما يثبت[٧] بالسمع مع تجويز العقل له ، فيعلموا أنه لا يشبهه شيء كما أن كلامه لا يشبهه كلام فلا يبغوا باتخاذ عجل غاية

(١) من ظ ، و فى الأصل : اهلاك (٢) من ظ ، و فى الأصل : عند (٣) من ظ ، و فى الأصل : السورة (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : سابغه (٦) من ظ ، و فى الأصل : ثبتت .

أمره خوار لا يفهم و مجمجة لا تفيد .

فلما بين[1] أن إنزال الكتب رحمة منه لأن غايتها الدلالة على منزلها فتمتثل[2] أوامره و تتقى[3] مناهيه و زواجره ، بين أنه لم يخص تلك الأمم بذلك ، بل أنزل على هذه الأمة كتابا و لم يرض لها كونه مثل تلك الكتب ، بل جعله أعظمها بركة و أبينها دلالة ، فقال : ﴿ و هذا ﴾ أى القرآن ﴿ كتب ﴾ أى[4] عظيم ﴿ انزلنه ﴾ أى بعظمتنا إليكم بلسانكم حجة عليكم ﴿ مبرك ﴾ أى ثابت كل ما فيه من وعد و وعيد و خير و غيره ثباتا لا تمكن[5] إزالته مع اليمن و الخير .

و لما كان هذا معناه : وكان داعيا إليه محببا فيه ، سبب عنه قوله: ﴿ فاتبعوه ﴾ أى[4] ليكون جميع أموركم ثابتة ميمونة ، و لما أمر باتباعه وكان الإنسان ربما تبعه فى الظاهر ، أمر بايقاع التقوى المصححة للباطن إيقاعا عاما ، و لذلك حذف الضمير فقال : ﴿ و اتقوا ﴾ أى و مع ذلك فأوقعوا التقوى ، و هى إيجاد الوقاية من كل محذور ، فان الخطر[6] الشديد و السلامة[6] على غير القياس ، فلا تزايلوا الخوف من منزله بجهدكم[4] ، فان ذلك أجدر أن يحملكم على تمام الاتباع و إخلاصه ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أى ليكون حالكم حال من يرجى له الإكرام بالعطايا الجسام ، و الآيتان ناظرتان إلى قوله [تعالى " قل من انزل الكتب الذى جاء به موسى - إلى قوله -[7]] : و هم على صلاتهم يحافظون " ، ثم بين المراد من إنزاله

(١) فى ظ : تبين (٢) من ظ ، و فى الأصل : فيمتثل (٣) من ظ ، و فى الأصل : يتقى (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يمكن (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ .

و هو إقامة الحجة البالغة فقال: ﴿ ان ﴾ أى لأن لا ﴿ تقولوآ ﴾ أو[1] كراهة أن تقولوا أيتها الأمة الأمية ﴿ انمآ انزل الكتٰب ﴾ أى الربانى المشهور ﴿ على طآئفتين ﴾ و قرب الزمن و بعّضه بادخال الجار فقال: ﴿ من قبلنا ص ﴾ أى اليهود و النصارى ﴿ و ان ﴾ أى و أنا - أو و أن الشأن - ﴿ كنا عن دراستهم ﴾ أى قراءتهم لكتابهم قراءة مرددة[2].

و لما كانت هى المخففة أتى باللام الفارقة بينها و بين النافية فقال: ﴿ لغفلين لا ﴾ أى لانعرف حقيقتها ولا ثبتت عندنا حقيتها [ولا هى بلساننا -[3]] ﴿ او تقولوا ﴾ أى أيها العرب: لم نكن عن دراستهم غافلين بل كنا عالمين بها، و لكنه لا يجب اتباع الكتاب إلا على المكتوب إليه فلم نتبعه، و ﴿ لو انآ ﴾ أهلنا لما أهلوا له حتى ﴿ انزل علينا الكتٰب ﴾ أى جنسه أو الكتاب الذى أنزل إليهم من عند ربنا ﴿ لكنآ اهدى / منهم ج ﴾ أى لما لنا من الاستعداد بوفور العقل و حدة الأذهان و استقامة الأفكار و اعتدال الأمزجة و الإذعان للحق، و لذلك سبب عن هاتين العلتين قوله: ﴿ فقد جآءكم ﴾ و ذكر الفعل مدحا لهذا القرآن و تفضيلا و تشريفا له على كل ما تقدمه [و تنبيها على أن بيان هذه السورة فى النهاية لأنها سورة أصول الدين -[3]] ﴿ بينة ﴾ أى حجة ظاهرة بلسانكم ﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم على لسان رجل [منكم -[3]] تعرفون أنه أولاكم بذلك ﴿ و هدى ﴾ أى بيان لمن تدبره عظيم[5] ﴿ و رحمة ج ﴾ أى إكرام لمن قبله،

/ ٢٧٤

(١) من ظ، و فى الأصل: اى (٢) فى ظ: مودودة (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى الأصل و ظ: فلم يتبعه (٥) سقط من ظ.

فكذبتم بها .

و لما قامت عليهم الحجة ، حسن وقوع [تحذير - [1]] التقرير بقوله[2] : ﴿فمن﴾ أى فتسبب[3] عن تكذيبكم أنه يقال بيانا لأنكم أظلم الناس : من ﴿اظلم ممن كذب﴾ [أى أوقع التكذيب - [1]] ﴿بآيٰت الله﴾ أى الذى لا أعظم منه فلا أعظم من آياته ، لأن الأثر على قدر[4] المؤثر ﴿وصدف﴾ ٥ أى أعرض [إعراضا صار به كأنه فى صفد أى سد عن سهولة الانقياد للدليل - [1]] ﴿عنها[5]﴾ [بعد ما عرف صحتها - [1]] .

و لما كان الجواب قطعا : لا أحد أظلم منه ، فكان الحال مقتضيا لتوقع ما يجازى به ، قال : ﴿سنجزى﴾ أى بوعد صادق لا خلف فيه ، و أظهر ما أصله الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف [فقال - [1]] : ١٠ ﴿الذين يصدفون﴾ أى يجددون الإعراض و لا يتوبون ﴿عن آيٰتنا﴾ أى على ما لها[6] من العظمة ﴿سوء العذاب﴾ أى الذى يسوء نفسه[6] ﴿بما كانوا يصدفون﴾ أى بسبب إعراضهم الذى كان عادة لهم .

و لما كان أسوء السوء حقوق العذاب[7] ، و كان حقوقه بعدم قبول التوبة ، فيسره بقوله مهونا له[8] و مسهلا بتجريد الفعل : ﴿هل ينظرون﴾ أى ١٥ ما ينتظرون هؤلاء المكذبون أدنى انتظار و أقربه و أيسره ﴿الآ ان تاتيهم﴾ [أى حال تكذيبهم - [1]] ﴿الملٰئكة﴾ أى بالأمر الفيصل من عذابهم

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لقوله (٣) من ظ ، و فى الأصل : تسبب (٤) من ظ ، و فى الأصل : قيد (٥) من ظ ، و فى الأصل : لنا (٦) فى ظ : منه (٧) من ظ ، و فى الأصل : عذاب (٨) سقط من ظ .

كما هى عادتها فى إتيانها المكذبين ﴿او يأتى ربك﴾ أى ظهور أمر المحسن إليك أتم ظهور بجميع الآيات التى تحملها العقول و ذلك يوم الجزاء ﴿او يأتى﴾ و أبهم تهويلا للأمر و تعظيما فقال: ﴿بعض آيٰت ربك[1]﴾ أى أشراط الساعة التى يكون[1] فيها ظهوره التام و إحسانه إليك الأعظم

٥ مثل دابة الأرض التى تميز الكافر من المؤمن و طلوع الشمس من مغربها المؤذن باغلاق باب التوبة؛ روى البخارى فى التفسير و غيره عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فاذا رآها الناس آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، ثم قرأ الآية.

١٠ و لما كان إتيان الملائكة - أى كلهم - أمرا لا يحتمل العقول وصف عظمته، و لا بشرى للمجرمين عند رؤيته، فانه لو وقع على صورتهم لتقطعت أوصالهم و لم يحتمله[2] قواهم فقضى الأمر ثم لا ينظرون، و أما تجلى الرب سبحانه و عز اسمه و جلت عظمته

فالأمر أعظم من مقالة قائل إن رقق البلغاء أو[3] إن فخموا

١٥ ترك ما يترتب عليه و قال: ﴿يوم يأتى﴾ [أى يكشف و يظهر - [4]] ﴿بعض آيٰت ربك﴾ أى المحسن إليك بالإتيان بذلك تصديقا لك و ترويعا و تدميرا لمخالفيك ﴿لا ينفع نفسا﴾ أى كافرة ﴿ايمانها﴾ أى إذ ذاك، و لا نفسا مؤمنة كسبها الخير إذ ذاك فى إيمانها المتقدم على تلك الآية [بالتوبة فما وراءها -[4]]، و لذلك بينه بقوله[5] واصفا نفسا: ﴿لم تكن﴾

(١) من ظ، وفى الأصل: تكون (٢) فى ظ: لم تحتمله (٣) من ظ، وفى الأصل «و» (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) سقط من ظ.

أى الكافرة ﴿ امنت ﴾ و يسر الأمر ببعض زمان[1] القبل ، و لم يكلف [2]باستغراقه بالإيمان[2] فقال : ﴿ من قبل ﴾ أى قبل[1] مجيء الآية فى زمن [3]متصل بمجيئها[3] .

و لما ذكر الكافرة ، أتبعها المؤمنة فقال عاطفا على " امنت " : ﴿ او ﴾ لم تكن المؤمنة العاصية ﴿ كسبت ﴾ [أى من قبل -[4]] ﴿ فى ايمانها ﴾ ٥ أى السابق على مجيء الآية ﴿ خيرا[1] ﴾ أى توبة ، و بعبارة أخرى : نفسا كافرة[1] إيمانها المجدد بعد مجيء الآية ، و هو معنى " لم تكن امنت من قبل " أو نفسا مؤمنة كسبها الخير بعد مجيء الآية ما لم تكن كسبت / فى إيمانها / ٢٧٥ السابق على الآية خيرا ، و الحاصل أنه لا يقبل عند ذلك إيمان كافر و لا توبة فاسق - كما قاله البغوى - لأن المقصود من التصديق و التوبة الإيمان ١٠ بالغيب و قد فات بالآية الملجئة ، فيكون فاعل الفعل المقدر فى " كسبت " محذوفا ، و التقدير : لا ينفع نفسا لم تكن آمنت من قبل ، أو لم تكن كسبت فى إيمانها خيرا إيمانها و كسبها ، فالإيمان راجع إلى من لم يؤمن ، و الكسب راجع إلى من لم يكسب ، و هو ظاهر ، و التهديد بعدم نفع الإيمان عند مجيء الآية أعظم دليل على ما ذكرته من التقدير ، و الآية من الاحتباك : ١٥ ذكر إيمانها أولا دليل على حذف كسبها من الجملة الثانية ، و ذكر جملتى " امنت و كسبت " ثانيا دال على حذف كافرة و مؤمنة أولا .

و لما كان هذا تهديدا - كما ترى - هائلا ، أتبعه ما هو أشد منه للتنبيه

---

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) فى ظ : باستغراق الايمان (٣ - ٣) من ظ ، و فى الأصل : مستقبل مجيئها (٤) زيد من ظ .

على أن أهل الإيمان سالمون من ذلك بقوله: ﴿قل انتظروا﴾ أى بغاية جهدكم أيها المكذبون ﴿[1] انا منتظرون[1] ٥﴾ بجهدنا، و ستعلمون لمن تكون العاقبة .

و لما نهى عن اتباع السبل[2] لأنها سبب التفرق عن الحق، و كان قد كرر[3] فى هذه السورة[4] نصب الحجج و إنارة الأدلة و إزاحة الشكوك و محو آثار الشبه، و أشرفت السورة على الانقضاء . و كان من المعلوم قطعا أن الحق - من حيث هو حق - شديد التأثير فى إزهاق الباطل[4] فكيف إذا كان كلام الملك الذى لا يخالف أمره و لا يخرج عن إرادته؛ اشتد استشراف[4] النبى صلى الله عليه و سلم إلى رؤية ذلك الأثر مع ما عنده من الحرص على إسلام قومه لما طبعه الله عليه من الشفقة على جميع الخلق عموما و عليهم خصوصا، و إنما يكون ذلك الأثر بإيجاد هدايتهم و محو غوايتهم، فلما ختم سبحانه بهذين التهديدين العظيمين الدالين على غشاوتهم، فاته[5] صلى الله عليه و سلم مما كان رجاه من هدايتهم أمر كأنه [كان -[6]] قد حصل، و ذلك مورث للشفوق من الأسف [على -[6]] ما لا يدرى قدره و لا يوصف خبره، فثبته سبحانه و سلاه بقوله: ﴿ان الذين فرقوا﴾ أى بعد إبلاغك إياهم ﴿دينهم﴾ أى بتكذيبهم ببعض آيات الله و صدوفهم[7] عنها و إيمانهم ببعضها ففارقوه، لأن الكفر بعضه كفر بكله، و أضيف الدين إليهم لشدة[8] رغبتهم فيه و مقاتلتهم عليه[4]

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : الرسل (٣) فى ظ : ذكر .
(٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل و ظ : فانه (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : صدفهم (٨) من ظ، و فى الأصل : شدة .

وكانوا

﴿ و كانوا شيعا ﴾ كل فرقة تشايع و تشيع إمامها كالعرب الذين تحزبوا أحزابا بالاستكثار من الأصنام ، فكان فى كل قطر لهم معبود أو اثنان فأكثر ، و كأهل الكتاب الذين ابتدعوا فى دينهم بدعا أوصلتهم إلى تكفير بعضهم بعضا و آمنوا ببعض الأنبياء و كفروا ببعض . و كالمجوس الذين مزقوا دينهم باعتقاد أن الإله اثنان : النور و الظلمة ، و عبدوا الأصنام و النجوم و جعلوا لكل نجم صنما يتوسل به فى زعمهم إليه ﴿ لست منهم ﴾ أى من حسابهم و لا [من -[1]] عقابهم و لا من خلق الهداية فى قلوبهم ﴿ فى شىء[1] ﴾ و فى هذا غاية الحث على الاجتماع و نهاية التوعد على الافتراق .

و لما خفف عنه صلى الله عليه و سلم بتبرئته منهم ، أسند إلى نفسه المقدس ما يحق له فى إحاطة علمه و قدرته ، فقال جوابا لمن يقول : فالى من يكون أمرهم ؟ : ﴿ انما امرهم ﴾ أى فى ذلك كله و فى كل ما يتعلق بهم مما لا يحصره حد و لا يحصيه عد ﴿ الى الله ﴾ أى الملك الذى لا أمر لأحد معه[2] غيره ، فمن شاء هداه و من شاء أعماه ، [3]و من شاء أهلكه و من شاء أبقاه[3] لأن له كمال العظمة .

و لما كان الحشر متراخيا عن ذلك كله فى الرتبة و فى الزمان ، لا تبلغ كنه عظمته العقول ، نبه على ذلك بالتعبير بأداة التراخى و التنبيه

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .

٢٧٦/ [بقوله -[١]] : ﴿ ثم ﴾ بعد استيفاء ما ضرب لهم / من الآجال ﴿ ينبئهم ﴾ أى تنبئة [٢]عظيمة جليلة[٢] مستقصاة بعد أن يحشرهم إليه داخرين ﴿ بما كانوا ﴾ [أى جبلة و طبعا -[١]] ﴿ يفعلون ۝ ﴾ [أى -[١]] من تلك الأشياء[٣] القبيحة التى كان لهم إليها أتم[٤] داعية غير متوقفين فى إصدارها على علم مع ادعاء التدين بها ، [٥]و الآية[٥] - مع ما تقدم من مقتضياتها[٦] - تعليل لقوله "و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله" .

و لما أخبر أن أمرهم ليس إلا إليه ، كان كأنه قيل : فما ذا يفعل بهم حينئذ ؟ فأجيب بقوله : ﴿ من جآء ﴾ أى منهم أو من غيرهم ﴿ بالحسنة ﴾ أى الكاملة بكونها على[٧] أساس الإيمان ﴿ فله ﴾ من الحسنات ﴿ عشر امثالها ج ﴾ كرما و إحسانا و جودا و امتنانا ، يجازيه بذلك فى الدنيا أو فى الآخرة ، و هذا المحقق[٨] لكل أحد و يزداد[٩] البعض[١٠] وضوحا بحسب النيات ، و ذكر العشر ، لأنه بمعنى الحسنة ، و هو مضاف إلى ضميرها . و لما تضمن قوله "و اوفوا الكيل و الميزان بالقسط" مع تعقيبه بقوله "[١١]لا نكلف نفسا[١١] الا وسعها" الإشارة إلى أن المساواة فى الجزاء [١٢]مما ينقطع[١٢] دونه أعناق الخلق ، أخبر أن ذلك عليه هين لأن علمه شامل و قدرته كاملة بقوله :

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : عظيم جليل (٣) فى ظ : الاسباب (٤) من ظ ، و فى الأصل : ثم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) فى ظ : فيضاتها (٧) من ظ ، و فى الأصل : من (٨) من ظ ، و فى الأصل : لتحقق (٩) فى ظ : يزاد (١٠) زيد فى ظ : ببعض (١١-١١) فى ظ : لا تكلف نفس .
(١٢-١٢) من ظ ، و فى الأصل : بما ينقطع .

﴿ و من جآء بالسيئة ﴾ أى أىّ شىء كان من هذا الجنس ﴿ فلا يجزىٓ ﴾ أى فى الدارين ﴿ الا مثلها ﴾ [إذا جوزى، و يعفو عن كثير - [1]] .

و لما كانت المماثلة لا يلزم كونها من كل وجه و إن كانت ظاهرة فى ذلك و لا سيما فى هذه العبارة، صرح بما هو ظاهره لأنه أطيب للنفس و أسكن للروع فقال: ﴿ و هم لا يظلمون ٥ ﴾ أى بكونها مثلها فى الوحدة ٥ و إن كانت أكبر[2] أو من جنس أشد من جنسها و نحو ذلك، بل المماثلة موجودة فى الكم و الكيف[3]، فلا ينقص أحد فى ثواب و لا يزاد [فى - [1]] عقاب .

و لما تضمن ما مضى تصحيح التوحيد بالأدلة القاطعة و تحقيق أمر القضاء و القدر و إبطال جميع أديان الضلال و وصفها بتفرق أهلها الدال ١٠ على بطلانها و اعوجاجها، و ختم بهذا التحذير الذى لا شىء أقوم منه و لا أعدل، أمره صلى الله عليه و سلم بالإعلان بأمره و أن يصف دينه الذى شرعه له[4] و هداه إليه بما فيه من المحاسن تحبيبا فيه و حثا عليه و لأن ذلك من نتيجة هذه السورة فقال: ﴿ قل ﴾ و أكد بالإتيان بالنونين فقال: ﴿ انى هدىٰنى ﴾ أى بيانا و توفيقا ﴿ ربىٓ ﴾ أى المحسن إلىّ بكل ١٥ خير لا سيما هذا الذى أوحاه إلىّ و أنزله علىّ ﴿ الى صراط مستقيم ج ﴾ أى طريق واسع بين، ثم مدحه بقوله: ﴿ دينا قيما ﴾ أى بالغ الاعتدال و الاستقامة ثابتها، هذا على قراءة ابن كثير و نافع و أبى عمرو بفتح

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: اكثر (٣) فى ظ: الكيل (٤) فى ظ: لامته .
(٥) تأخر فى الأصل عن « و اسع بين » و الترتيب من ظ .

القاف و تشديد الياء المكسورة[1] ، و هو[2] فى قراءة الباقين بكسر القاف و فتح الياء الخفيفة مصدر بمعنى القيام وصف به للمبالغة ، و زاده مدحا بقوله مذكرا لهم - لتقليدهم الآباء - بأنه دين أبيهم الأعظم : ﴿ ملة ابرٰهيم ﴾ و الملة ما أظهره نور العقل من الهدى فى ظُلَم ما التزمه الناس من عوائد أمر الدنيا - أفاده الحرالى . و لذلك قال : ﴿ حنيفا ج ﴾ أى لينا هينا سهلا قابلا للاستقامة لكونه[3] ميالا مع الدليل غير جاف و لا كز واقف مع التقليد عمى عن نور الدليل - كما تقدم ذلك فى البقرة ، و هو معنى قوله : ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه ما[4] ﴿ كان من المشركين ه ﴾ أى الجامدين مع أوهامهم فى ادعاء شريك لله مع رؤيتهم له فى كونه لا يضر و لا ينفع و لا يصلح لشركة آدمى فضلا عن غيره بوجه ، لا ينقادون لدليل و لا يصغون إلى قيل ، فكان[4] هذا مدحا لهذا الدين الذى هدى إليه صلى الله عليه و سلم و بيانا لأنه الذى اختاره سبحانه لخليله إبراهيم عليه السلام رجوعا إلى[2] " و اذ قال ابرٰهيم لابيه ازر " الذى بنيت السورة فى الحقيقة عليه ، و ألقيت / أزمة أطرافها إليه ، و ترغيبا فى هذا الدين لأن جميع المخالفين /٢٧٧ يتشبثون بأذيال إبراهيم عليه السلام : العرب و أهل الكتابين بنسبة الأبوة ، و المجوس بنسبة البلد و الأخوة ، و أشار بذلك إلى أن محمدا صلى الله عليه و سلم فهم[2] ما حاج به أبوه إبراهيم عليه السلام قومه و قبله[5] ، فلم ينسب

(١) من ظ ، و فى الأصل : مكسورة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : بكونه (٤) من ظ ، و فى الأصل : و كان (٥) من ظ ، و فى الأصل : قلبه .

كغيره إلى جمود ولا عناد .

ولما كان [كأن -[1]] سائلا قال : و[2] ما هذه الملة التى تكرر مدحها والدعاء إليها ؟ أجاب بقوله ليتأسى به أهل الإيمان ، فليتزموا جميع ما يدعو إليه على وجه[3] الإخلاص : ﴿ قل ان صلاتى ﴾ أى التى هى لباب الدين وصفاوته[3] ﴿ ونسكى ﴾ أى جميع عبادتى من الذبائح وغيرها ٥ ﴿ ومحياى ﴾ أى حياتى وكل ما تجمعه من زمان ومكان وفعل ﴿ ومماتى لله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا يخرج شىء عن أمره ؛ و[لما -[4]] علم بالاسم الأعظم أنه يستحق ذلك لذاته ، أعلم أنه يستحقه من كل أحد لإحسانه إليه وإنعامه عليه فقال : ﴿ رب العلمين ﴾ الموجد والمدبر والموعى[5] لهم .

ولما أعلم أنه يستحقه لذاته ووصفه ، أعلم أنه يستحقه وحده ١٠ فقال : ﴿ لا شريك له ج ﴾ أى[2] ليكون لشريكه [على زعمكم شىء -[4]] من العبادة لما[6] كان له شىء من الربوبية ، فأبان بهذا أن وجهه صلى الله عليه وسلم ووجه من تبعه واحد لا افتراق فيه[7] ، وهو قصد الله وحده على سبيل الإخلاص كما أنه يوحد[8] بالإحياء والإماتة فينبغى أن يوحد بالعبادة .

ولما دل على ذلك ببرهان العقل ، أتبعه بجازم النقل فقال [عاطفا ١٥ على ما تقديره : إلى ذلك أرشدنى دليل العقل -[4]] : ﴿ وبذلك ﴾ أى الأمر العالى من توجيه أمورى[9] إليه على وجه الإخلاص .

---

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ . وفى الأصل : صفاته - كذا (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : المذل - كذا (٦) فى ظ : ان .
(٧) من ظ ، وفى الأصل : منه (٨) فى ظ : توحد (٩) من ظ ، وفى الأصل : امرى .

[و لما كان له سبحانه فى كل شىء آية تدل على أنه واحد ، فكان كل شىء آمرا بالتوحيد بلسان حاله أو ناطق قاله ، بنى للمفعول قوله -[1]] : ﴿ امرت ﴾ [أى -[1]] يعنى أن هذا الدين لو لم يرد به أمر كان ينبغى للعاقل أن يدين به و لا يعدل عنه لشدة ظهوره و انتشار نوره بما قام عليه من الدلائل و درج على اتباعه من الأفاضل و الأماثل ، فكيف إذا برزت به الأوامر الإلهية و دعت إليه الدواعى الربانية ﴿ و انا اول[2] المسلمين ﴾ أى المنقادين لما يدعو إليه داعى الله فى هذا الدين ، لا اختيار لى أصلا ، بل أنا مسلوب الاختيار فيه منقاد أتم انقياد ، و هذه الأولية على سبيل الإطلاق فى الزمان و الرتبة بالنسبة إلى أمته صلى الله عليه و سلم و فى الرتبة بالنسبة إلى من تقدمه من الأنبياء و غيرهم ، و هذا أيضا من باب الإحسان فى الدعاء بالتقدم إلى ما يدعو إليه و أن يحب للمدعو ما [يحب -[1]] لنفسه ليكون أنفى للتهمة و أدل على النصيحة فيكون أدعى للقبول .

و لما حاجوه فى الشرك فى هذه السورة غير مرة كما حاج إبراهيم عليه السلام قومه ، و كان آخر ذلك أن دعاهم صلى الله عليه و سلم إلى تلاوة ما أنزل عليه سبحانه فى تحريم الشرك و شرح دينه القيم ، ثم كرر هنا ذمهم بالتفرق الدال على الضلال و لابد ، و مدح دين الرسل الذى تقدم أنهم لم يختلفوا[3] فيه أصلا ، و أيأس الكفار من موافقته صلى الله عليه و سلم لهم[4] نوعا من الموافقة و ميله معهم شيئا من الميل ، أمره

(١) زيد من ظ (٢) من ظ والقرآن الكريم و فى الأصل: من (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم يخلفوا (٤) من ظ ، و فى الأصل : اليهم .

سبحانه - بعد أن ثبت بأول السورة و أثنائها و آخرها أنه لا رب غيره - بالإنكار على من يريد منه ميلا[1] إلى غير من تفرد بمحياه و مماته ، فكان له التفرد بما بينهما و ما بعد ذلك من غير شبهة ، و التوبيخ الشديد فقال : ﴿قل﴾ أى لهؤلاء الذى يطمعون أن تطرد أصحابك من أجلهم ﴿أغير الله﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿أبغى﴾ أى أطلب و أريد بالإشراك ٥ فان الغنى المطلق لا يقبل[2] ممن أشرك به شيئا ﴿ربا﴾ أى منعما يتولى مصالحى كما بغيتم أنتم ، فهو تعريض بهم و تنبيه لهم ، و الإسناد[3] إليه صلى الله عليه و سلم - و المراد جميع الخلق - من باب الإنصاف فى المناظرة للاستعطاف ﴿و هو﴾ أى و الحال أنه كما ثبت بالقواطع و ركز فى العقول الثوابت و طبع / فى أنوار الأفكار[4] اللوامع ﴿رب كل شىء[5]﴾ ١٠ /٢٧٨ أى موجده و مربيه ، أفينبغى لأحد أن يدين لغير سيده و ذلك الغير مربوب مثله لسيده ، هذا ما لا يرضاه عاقل لنفسه .

و لما أنكر على من يجنح إلى غيره مع عموم بره و خيره ، أتبعه الترويع من قويم عدله فى عظيم ضره فقال : ﴿و لا﴾ أى و الحال أنه [لا - ٥] ﴿تكسب كل نفس﴾ أى ذنبا و إن قل مع التصميم و العزم ١٥ القوى الذى هو بحيث يصدقه العمل - كما مضى فى آية البقرة ﴿الا عليها﴾ أى لا يمكن أن يكون باطلا لا عليها و لا على غيرها ، و إذا كان عليها

(١) من ظ ، و فى الأصل : الميل (٢) فى ظ : لا يقبله (٣) فى ظ : الاستناد
(٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٥) زيد من ظ .

لا يمكن[1] أن يحاسب به سبحانه سواها لأنه عدلٌ حكيم فكيف أدعو غيره دعاء جليا أو خفيا و ذلك أعظم الذنوب ! و للتنفير من الشرك الخفى بالرياء وكل معصية و إن صغرت[2]، جرد الفعل عن الافتعال لئلا يتوهم أنه لا يكون عليها إلا [ما -[3]] بالغت[4] فيه، و السياق هنا واضح فى أن الكسب مقيد بالذنب فانه فى دعاء غير الله و آية البقرة للايماء إلى الذنب [الذى -[5]] [6]لا يقع[6] إلا بشهوة شديدة من النفس له لطبعها على النقائص، فهى لا تنافى هذه لأن ما كسبته من الذنوب قد علم من ثَمَّ أنه اكتساب[7]، و أحسن من هذا أن يقال : و لما كان المعنى أنى إن بغيت ربا غيره وكلنى إلى ما توليته ، و أنا إنسان و الإنسان مطبوع على النقائص فهلكت ، عبر عنه بقوله مجردا للفعل لقصد العموم : " و لا تكسب كل نفس" بما هى نفس ناظرة فى نفاستها معرضة عن ربها موكولة إلى حولها و قوتها " الا عليها " و لا يحمل عنها غيرها شيئا من وزرها ؛ و لما كان ربما حمل أحد عن غيره شيئا من أثقاله مساعدة له ، نفى ذلك بقوله : ﴿ و لا تزر وازرة ﴾ أى تحمل حاملة و لو كانت والدا أو ولدا ﴿وزر﴾ أى إثم ﴿ اخرى ج ﴾ " و ان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء و لو كان ذا قربى[8] " فاذا كان الأمر كذلك فلا يحمل بعاقل أن يعرض نفسه لحمل شىء من غضب هذا الملك الذى لا شريك له و إليه المرجع

(١) فى ظ : لا ينبغى (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فحذفناها.
(٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : بلغت (٥) زيد لاستقامة العبارة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ؛ و فى الأصل : اكتسب (٨) سورة ٣٥ آية ١٨.

وإن طال المدى .

ولما عم فى الكسب وحمل الوزر لئلا يقول متعنت أن خص هذا لك لا لنا، عم فى المرجع أيضا لمثل ذلك ، فقال مهددا لهم بعد كمال الإيضاح عاطفا على ما أرشد إليه الإنكار من النفى فى نحو أن يقال : إنى لا أفعل شيئا من ذلك ، لا أبغى ربا غير ربى أصلا ، وأما أنتم [1]فافعلوا ٥ ما أنتم[1] فاعلون فان ربكم عالم به[2] : ﴿ ثم ﴾ [أى بعد طول الإمهال - [3]] لكم لطفا منه بكم ﴿ إلى ربكم ﴾ أى الذى أحسن إليكم بكل نعمة ، لا إلى غيره ﴿ مرجعكم ﴾ أى بالحشر وإن عمرتم كثيرا أو بقيتم طويلا ﴿ فينبئكم ﴾ أى يخبركم إخبارا جليلا عظيما مستوفى .

ولما كان قد تقدم أنهم فرقوا دينهم ، قال : ﴿ بما كنتم ﴾ أى جبلة ١٠ وطبعا ، ولذلك قدم الجار ليفيد الاهتمام به لقوة داعيتهم إليه من غير إكراه ولا ذهول ولا نسيان فقال : ﴿ فيه تختلفون ﴾ أى مع رسول وغيره ، ويدينكم على جميع ذلك بما تستحقونه[4] ، وحالكم جدير بأن يعظم عقابكم لأنكم كفرتم نعمته ؛ قال أبو حيان : حكى النقاش أنه روى أن الكفار قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم : ارجع يا محمد إلى ديننا واعبد ١٥ آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل لك بكل ما تحتاج إليه فى دنياك وآخرتك ، فنزلت هذه الآية - انتهى .

ولما قدم أنه المحسن إلى كل شىء بالربوبية ، وختم بالتهديد بالحشر ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : استحقوا به - كذا .

أتبعه التذكير بتخصيصهم بالإحسان، فقال عاطفا على "وهو رب كل شيء" مستعطفا لهم إليه بالتذكير بنعمته: ﴿وهو﴾ أي لا غيره ﴿الذي جعلكم﴾ أي أيها الإنس ﴿خلائف الارض﴾ أي تفعلون[1] فيها فعل الخليفة متمكنين من كل ما تريدونه، ويجوز أن يراد بذلك العرب، ويكون ظاهر الكلام أن المراد بالأرض ما هم فيه من جزيرة العرب، وباطنه البشارة / باعلاء دينهم الإسلام على الدين كله وغلبتهم على أكثر أهل الأرض في هذه الأزمان وعلى جميع أهل الأرض في آخر الزمان ﴿ورفع بعضكم﴾ في مراقي العقل والعلم والدين والمال والجاه والقوة الحسية والمعنوية ﴿فوق بعض درجت﴾ أي مع كونكم من نفس واحدة، وربما كان الوضيع أعقل من الرفيع ولم ينفعه عقله فيدل ذلك دلالة واضحة على أن ذلك كله إنما هو فعل الواحد القهار، لا بعجز[2] ولا جهل ولا بخل؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ليبلوكم﴾ أي يفعل معكم فعل المختبر ليقيم[3] الحجة عليكم وهو أعلم بكم منكم ﴿في ما آتاكم[4]﴾ فينظر هل يرحم الجليل الحقير ويرضى الفقير بعطائه اليسير، ويشكر القوي ويصبر الضعيف!

ولما ذكر علو بعضهم على بعض، وكان من طبع الآدمي التجبر، أتبعه التهديد للظالم والاستعطاف للتائب بما يشير - بما له سبحانه من علو الشأن وعظيم القدرة - إلى ضعف العالي منهم وعجزه عن عقاب السافل بمن يحول بينه وبينه من شفيع وناصر وبما يحتاج إليه من

(١) من ظ، وفي الأصل: يفعلون (٢) في ظ: لعجز (٣) من ظ، وفي الأصل: لتقيم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

تمهيد الأسباب ، محذرا من البغى و العصيان فقال موجها الخطاب إلى أكمل الخلق تطييبا لقلبه إعلاما بأنه رباه سبحانه أجمل تربية و أدبه أحسن تأديب: ﴿ان ربك﴾ أى المحسن إليك ﴿سريع العقاب ۝﴾ أى لمن يريد عقابه ممن يكفر نعمته لكونه لا حائل بينه و بين من يريد عقابه و لا يحتاج إلى استحضار آلات العقاب ، بل كل ما يريد حاضر لديه عتيد " انما امره ٥ اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون[1] " و فى ذلك تهديد شديد لمن لا يتعظ .

و لما هدد و خوف ، رجّى من أراد التوبة و استعطف فقال: ﴿و انه لغفور رحيم ۝﴾ معلما بأنه - على تمام قدرته عليهم و انهماكهم فيما يوجب الإهلاك - بليغ المغفرة لهم عظيم الرحمة " و لو يؤاخذ الله الناس ١٠ بظلمهم ما ترك عليها من دابة[2] " حثا على عفو الرفيع من الوضيع، و تأكيده[3] الثانى دون الأول ناظر إلى قوله " كتب على نفسه الرحمة " «ان رحمتى سبقت غضبى» لأنه فى سياق[4] التأديب لهذه الأمة و التذكير بالإنعام عليهم بالاستخلاف[5]، و سيأتى فى الأعراف بتأكيد الاثنين لأنه فى حكاية ما وقع[6] لبنى إسرائيل من إسراعهم فى الكفر و مبادرتهم[7] إليه و استحقاقهم على ذلك ١٥ العقوبة ، و جاء[8] ذلك على طريق الاستئناف على تقدير أن قائلا قال: حينئذ

(١) سورة ٣٦ آية ٨٢ (٢) سورة ١٦ آية ٦١ (٣) فى ظ : تاكيد (٤) زيد بعده فى الأصل : النفى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) من ظ ، و فى الأصل : بالاختلاف (٦) فى ظ : وقعت (٧) من ظ ، و فى الأصل : يبادرهم - كذا . (٨) سقط من ظ .

يسرع العالى[1] إلى عقوبة السافل ! [2]فأجيب بأن الله فوق الكل و هو أسرع عقوبة[2] ، فهو قادر على أن يسلط الوضيع أو أحقر منه على الرفيع فيهلكه ؛ ثم رغب بعد هذا الترهيب فى العفو بأنه على غناه عن الكل أسبل ذيل غفرانه و رحمته بامهاله العصاة و قبوله اليسير من الطاعات بأنه خلق السماوات و الأرض و جعل الظلمات و النور منافع لهم ثم هم به يعدلون ! و لو لا غفرانه و رحمته لأسرع عقابه لمن [3]عدل به[3] غيره فأسقط عليهم السماوات و خسف بهم الأرضين التى أنعم عليهم بالخلافة فيها و أذهب عنهم النور و أدام الظلام ، فقد ختم السورة بما به ابتدأها ، فان قوله " و هو الذى جعلكم خلئف الارض " هو المراد بقوله " هو الذى خلقكم من طين " و قوله " اغير الله ابغى ربا و هو رب كل شىء " هو معنى قوله " خلق السمٰوٰت و الارض و جعل الظلمٰت و النور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون " - و الله الموفق[4] .

° ° ° ° °

(١) من ظ ، و فى الأصل : الحال - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣ - ٣) فى ظ : عبد (٤) زيد بعده فى ظ : تم الجزء الأول و يليه الجزء الثانى من أول سورة الأعراف ، و لله الحمد مباركا طيبا و الصلاة و التسليم على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم .

سورة[1] الأعراف[2]

مقصودها إنذار من أعرض عما دعا إليه الكتاب فى السورة الماضية من التوحيد و الاجتماع على الخير و الوفاء لما قام على وجوبه من الدليل فى الأنعام ، و تحذيره[3] بقوارع الدارين ، و هذا أحسن مما كان ظهر لى و ذكرته عند " و الوزن يومئذ الحق " و أدل ما فيها على هذا المقصد ٥ أمر الأعراف فان اعتقاده يتضمن الإشراف على الجنة / و النار و الوقوف ٢٨٠ / على حقيقة ما فيهما و ما أعد لأهلهما[4] الداعى إلى امتثال كل خير و اجتناب كل شر والاتعاظ بكل مرقق ﴿ بسم الله ﴾ المتردى برداء الكبر و إزار العظمة و الجلال ﴿ الرحمن ﴾ الذى من رحمته انتقامه[5] من أهل الكفر و الضلال ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الهادى لأهل الاصطفاء إلى لزوم ١٠ طريق الوفاء ﴿ المص ٥ ج ﴾ .

لما ذكر سبحانه فى آخر التى قبلها أنه أنزل إليهم كتابا مباركا ، و أمر باتباعه و علل إنزاله و ذكر ما استتبعه ذلك مما لا بد منه فى منهاج البلاغة[6] و ميدان البراعة[6] ، و كان من جملته أن أمر المدعوين به ليس إلا إليه ، إن شاء هداهم و إن شاء أضلهم ، و استمر فيما لا بد منه فى تتميم ١٥ ذلك إلى أن ختم السورة بما انعطف على ما افتتحت به ، فاشتد اعتناقه له

(١) زيد قبله فى ظ : بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم . و من هنا تبتدئ صفحة ظ ١ / الف (٢) مكية ، وهى مائتان وخمس آيات فى البصرى والشامى ، و ست فى المدنى و الكوفى (٣) فى ظ : تحذير (٤) من ظ و فى الأصل: اهلها . (٥) من ظ ، و فى الأصل : انتقام (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

حتى صارا كشيء[1] واحد ؛ أخذ يستدل على ما ختم به تلك من سرعة العقاب و عموم البر و الثواب و ما تقدمه[2] ، فقال مخبرا عن مبتدإ تقديره : [هو -[3]] : ﴿ كتب ﴾ أى عظيم أوضح الطريق المستقيم فلم يدع بها لبسا و لم يذر خيرا إلا أمر به و لا شرا إلا نهى عنه ، فانزاله من عظيم رحمته ؛

٥ ثم وصفه بما أكد ما أشار إليه من رحمته[4] بقوله : ﴿ انزل اليك ﴾ أى و أنت أكرم الناس نفسا و أوسعهم صدرا و أجملهم[5] قلبا و أعرقهم إصالة و أعرفهم باستعطاف المباعد و استجلاب المنافر المباغض ، و هذا شيء قد خصك به فرفعك على جميع الخلق درجات لا تحصى و مراتب لا حد لها فتستقصى[6] .

١٠ و لما كان المقصود من البعثة أولا النذارة للرد عما هم عليه من الضلال ، و كانت مواجهة الناس بالإنذار شديدة على النفوس ، و كان الإقدام عليها من الصعوبة بمكان عظيم ؛ قدم قوله مسببا عن تخصيصه بهذه الرحمة : ﴿ فلا يكن ﴾ [و عبر عن القلب بمسكنه الذى هو أوسع منه مبالغة فى الأمر فقال -[3]] : ﴿ فى صدرك حرج ﴾ أى شيء من ضيق[7] بهم أو خوف

١٥ أو[8] نحو ذلك ﴿ منه ﴾ على ما تعلق بـ "انزل" من قوله[9] :

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : كثر (٢) من ظ . و فى الأصل : تقدم (٣) زيد من ظ (٤) زيد فى ظ : به (٥) فى ظ : احلمهم (٦) من ظ ، و فى الأصل : فينقضى - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : حر - كذا (٨) من ظ ، و فى الأصل « و » .
(٩) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى القرآن العظيم فحذفناها .

﴿ لتنذر به [1] ﴾ أى تنذرىٰ لكل من بلغه أو للخالفين من سرعة العقاب على نحو ما أوقع سبحانه بالقرون الماضية و الأمم السالفة - كما أشار إليه آخر الأنعام، [و -[2]] سيقص من أخبارهم [3] من هذه[3] السورة ﴿و﴾ لتنذر به ﴿ذكرىٰ﴾ أى عظيمة ﴿للمؤمنين ۝﴾ أى بالبشر و المواعظ و الغفران و الرحمة على ما أشار إليه ختام الأنعام، و حذف المفعول يدل على عموم الرسالة لكل من أمكن إنذاره و تذكيره من العقلاء، و يجوز أن تتعلق لام " لتنذر " بمعنى النهى، أى انف الحرج لكذا[4]، فان من كان منشرح الصدر أقدم على ما يريد أو يحرج، أي لا يكن الحرج الواقع[5] لأجل أن تنذر، أى لأجل إنذارك به، و النهى للنبي صلى الله عليه و سلم، حُوّل إلى الحرج مبالغة و أدبا، و يجوز أن يكون التقدير: لتنذر به و تذكر به، فانه تنذرىٰ للكافرين و ذكرىٰ للمؤمنين، و الآية على كل تقدير من الاحتباك: إثباته " لتنذر " أولا دال على حذف ' لتذكر ' ثانيا، و إثبات المؤمنين ثانيا دال على حذف المخالفين أولا، فان النفوس على قسمين: نفوس بليدة جاهلة بعيدة عن عالم الغيب غريقة فى طلب اللذات الجسمانية و الشهوات الحيوانية فبعثة الرسل فى حقهم إنذار و تخويف، و نفوس شريفة مشرقة بالأنوار الإلهية فبعثة الرسل فى حقهم تذكير لأن هذه النفوس بمقتضى جواهرها الأصلية و جبلتها الخلقية مستعدة للانجذاب إلى عالم القدس إلا أنه ربما غشيها غواش من عالم الأجساد[6] فيعرض لها

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم (٢) زيد من ظ (٣-٣) فى ظ: فى آخر.
(٤) من ظ، و فى الأصل: كذا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: الاجال - كذا.

نوع ذهول و غفلة ، فاذا سمعت دعوة الأنبياء و اتصلت بها أنوار أرواح رسل الله تذكرت[1] مركزها و أبصرت منشأها ، فاشتاقت إلى ما حصل هناك من الروح و الريحان فطارت نحوهم كل مطار فتمحضت لديها تلك الأنوار ؛ و قال أبو حيان : و اعتلاق هذه السورة بما قبلها هو أنه لما ذكر تعالى قوله[2] " و هذا كتب انزلنه مبرك فاتبعوه[3] " و استطرد منه / لما بعده[4] إلى قوله فى آخر السورة " و هو الذى جعلكم خلئف الارض[5] " و ذكر ابتلاءهم فيما آتاهم ، و ذلك لا يكون إلا بالتكاليف الشرعية ، ذكر ما يكون[6] به التكاليف ، و هو الكتاب الإلهى ، و ذكر الأمر باتباعه كما أمر فى قوله " و هذا كتب انزلنه مبرك فاتبعوه " - انتهى . و قال شيخه الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما قال تعالى ابتداء بالاعتبار " الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكنهم[7] فى الارض ما لم نمكن لكم و ارسلنا السماء عليهم مدرارا و جعلنا الانهر تجرى من تحتهم فاهلكنهم بذنوبهم و انشانا من بعدهم قرنا اخرين[8] " [ثم قال تعالى - [9]] " و لقد استهزئ برسل من قبلك[10] فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون[11] " ثم قال تعالى " قل سيروا فى الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين[12] " ثم قال تعالى

/ ٢٨١

(١) فى ظ : فتذكرت - كذا (٢) سقط من ظ (٣) آية ١٥٥ (٤) زيدت الواو بعده فى البحر المحيط ٤/٢٦٦ (٥) آية ١٦٥ (٦) فى ظ : تكون (٧) فى ظ : مكنا كم (٨) سورة ٦ آية ٦ (٩) زيد من ظ (١٠) العبارة من هنا إلى «من قبلك» ساقطة من ظ (١١) سورة ٦ آية ١٠ (١٢) سورة ٦ آية ١١ .

و لقد

"و لقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا[1]" - الآية ، و قال تعالى "و لقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء و الضراء[2]" - الآية ، و قال تعالى "يمعشر الجن و الانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آيتى[3]" فوقعت الإحالة فى هذه الآى[4] على الاعتبار بالأمم السالفة و ما كان منهم حين كذبوا أنبياءهم و هلاك تلك القرون بتكذيبهم و عتوهم و تسلية رسول الله صلى الله عليه و سلم بجريان ما جرى له بمن تقدمه[5] من الرسل "قد نعلم انه ليحزنك الذى[6] يقولون" فاستدعت الإحالة و التسلية بسط أخبار الأمم السالفة و[7] القرون الماضية ، و الإعلام بصبر الرسل - عليهم السلام - عليهم و تلطفهم فى دعائهم ، و لم يقع فى السور الأربع قبل سورة الأنعام مثل هذه الإحالة و التسلية و قد تكررت فى سورة الأنعام كما تبين بعد انقضاء ما قصد من بيان طريق المتقين أخذا و تركا و حال من حاد عن سننهم ممن رامه أو قصده فلم يوفق له و لا أتم له أمله من الفرقتين[8] : المستندة للسمع و المعتمدة للنظر ، فحاد الأولون بطارئ التغيير و التبديل ، و تنكب[9] الآخرون بسوء التناول وقصور الأفهام و علة حيد الفريقين السابقة الأزلية ؛ فلما انقضى أمر هؤلاء و صرف الخطاب إلى تسليته عليه السلام و تثبيت فؤاده

(١) سورة ٦ آية ٣٤ (٢) سورة ٦ آية ٤٢ (٣) سورة ٦ آية ١٣٠ (٤) من ظ ، و فى الأصل : الآية (٥) زيد بعده فى الأصل : عن مقدمة ، و لم تكن الزيادة فى ظ فخذناها (٦) من ظ و القرآن الكريم سورة ٦ آية ٣٣ ، و فى الأصل : الذين (٧) زيد فى ظ : تلك (٨) من ظ ، و فى الأصل : الفريقين . (٩) من ظ ، و فى الأصل : ننكث - كذا .

بذكر أحوال الأنبياء مع أممهم و أمر الخلق بالاعتبار بالأمم السالفة ، و قد كان قدّم لرسول الله صلى الله عليه و سلم عند ذكر الأنبياء " اولئك الذين هدى الله فبهدٰهم اقتده[1] " بسط تعالى حال من وقعت الإحالة عليه ، و[2] استوفى الكثير[2] من قصصهم إلى آخر سورة هود إلى قوله سبحانه

٥ " وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك[3] " فتأمل بما افتتحت به السورة المقصود بها قصص الأمم و بما اختتمت يَلُحْ[4] لك ما أشرت إليه - و الله أعلم بمراده ، و تأمل افتتاح سورة الأعراف بقوله " فلنقصن عليهم[5] بعلم و ما كنا غائبين " و ختم القصص فيها بقوله " فاقصص القصص لعلهم يتفكرون " بعد تعقيب قصص بنى إسرائيل بقصة بلعام " و اتل عليهم

١٠ نبا الذى اتيٰنه ايٰتنا " - الآية ، ثم قال " ذلك مثل القوم[6] الذين كذبوا بايٰتنا " فتأمل هذا الإيماء بعد ذكر القصص ، وكيف ألحق مَنْ كذب رسول الله صلى الله عليه و سلم من العرب و غيرهم بمن قص ذكره[7] من المكذبين ، و تأمل افتتاح ذكر الأشقياء بقصة إبليس و ختمها بقصة[8] بلعام و كلاهما[9] ممن كفر على علم ، و فى ذلك أعظم موعظة ، قال الله تعالى إثر ذلك " من يهد الله

١٥ فهو المهتدى " - الآية ، فبدأ[10] الاستجابة بنبيه[10] صلى الله عليه و سلم بذكر ما أنعم عليه و[6] على من استجاب له فقال تعالى " المص كتٰب انزل اليك "

---

(١) سورة ٦ آية ٩٠ (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : استقرى الكبير (٣) آية ١٢٠ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : بذ - كذا (٥) من ظ والقرآن الكريم ، و فى الأصل : عليك (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : ذكر (٨) فى ظ : بذكر .
(٩) من ظ ، و فى الأصل : هلاهما (١٠-١٠) فى ظ : لاستجابة نبيه .

فأشار إلى نعمته بانزال الكتاب الذى جعله هدى للمتقين ، و أشار هنا إلى
ما يحمله [عليه -[1]] من[2] التسلية و شرح الصدور[3] / بما جرى من العجائب ٤٨٢ /
و القصص مع كونه هدى و نورا ، فقال " فلا يكن فى صدرك حرج
منه " أى أنه قد تضمن بما أحلناك عليه[4] ما يرفع الحرج و يسلى النفوس
لتنذر به كما أنذر من قبلك ممن نقص خبره من الرسل ، و لتستن فى إنذارك ٥
و دعائك وصبرك سننهم ، و ليتذكر المؤمنون ؛ ثم أمر عباده بالاتباع
لما أنزله فقال " اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم " فان هلاك من نقص
عليكم خبره من الأمم إنما كان لعدم الاتباع و الركون إلى أوليائهم من
شياطين الجن و الإنس ، ثم أتبع ذلك بقصة آدم عليه السلام ليبين
لعباده ما جرت سنته فيهم من تسلط[5] الشياطين و كيده و أنه عدو لهم ١٠
" يبنى آدم لا يفتننكم الشيطن كما اخرج ابويكم من الجنة " و وقع فى قصة
آدم هنا ما لم يقع فى قصة البقرة من بسط ما أجمل هناك كتصريح
اللعين بالحسد و تصور خيريته بخلقه من النار و طلبه الإنظار[6] و التسلط[7]
على ذرية آدم و الإذن له فى ذلك و وعيده و وعيد متبعيه ثم أخذه فى
الوسوسة إلى آدم عليه السلام و حلفه له " و قاسمهما انى لكما لمن الناصحين " ١٥
و كل هذا مما أجمل فى سورة البقرة و لم تتكرر قصة إلا و هذا شأنها ،
أعنى[7] أنها تفيد مهما تكررت ما لم يكن حصل منها أولا ؛ ثم انجرت

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الصدر (٤) من ظ ، و فى الأصل : عليك (٥) من ظ ، و فى الأصل : سلط (٦) فى ظ : الانتظار (٧) من ظ ، و فى الأصل : السلط .

الآى إلى ابتداء[1] قصة نوح عليه السلام و استمرت القصص إلى قصص بنى إسرائيل ، فبسط هنا من حالهم و أخبارهم شبيه ما بسط فى قصة آدم و ما جرى من محنة[2] إبليس ، و فصل هنا الكثير و ذكر ما لم يذكر[3] فى البقرة حتى لم يتكرر[4] بالحقيقة و لا التعرض لقصص طائفة معينة فقط ، ٥ و من عجيب الحكمة أن الواقع فى السورتين من كلتا[5] القصتين مستقل شاف ، و إذا ضم بعض ذلك إلى بعض ارتفع إجماله و وضح كماله ، فتبارك من هذا كلامه و من جعله حجة قاطعة و آية باهرة . و لما أعقب تعالى قصصهم فى البقرة بأمره نبيه و المؤمنين بالعفو و الصفح فقال تعالى "فاعفوا و اصفحوا[6]" أعقب[7] تعالى أيضا هنا بقوله لنبيه عليه ١٠ الصلاة و السلام "خذ العفو و امر بالعرف و اعرض عن الجهلين" و قد خرجنا عن[8] المقصود فلنرجع إليه - انتهى .

و لما تقدم سبحانه إليه صلى الله عليه و سلم فى أمر الإنذار و الإذكار بالكتاب تقدم إلى اتباعه فأمرهم باتباعه و نهاهم عن اتباع أهل الضلال و ما يوحى إليهم أولياؤهم من زخارفهم بعد أن أخبر بكونه ١٥ ذكرى أنه سبب لعلو شأنهم و عز سلطانهم ، فقال ملتفتا إليهم مقبلا بعز جلاله

---

(١) فى ظ : الابتداء (٢) من ظ ، و فى الأصل : تعجسه - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم تذكر (٤) من ظ ، و فى الأصل : لم تتكرر (٥) فى الأصل : كلا ، و فى ظ : كلام (٦) آية ١٠٩ (٧) فى ظ : عقب (٨) من ظ ، و فى الأصل : على .

عليهم

عليهم ﴿ اتبعوا ﴾ أى حملوا أنفسكم حملا عظيما بجد و نشاط على اتباع ﴿ ما انزل اليكم ﴾ أى قد[1] خصصتم به دون غيركم فاشكروا هذه النعمة ﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم يزل محسنا إليكم ﴿ و لا تتبعوا ﴾ و لعله[2] عبر بالافتعال إيماء إلى أن ما كان دون علاج - بل هفوة و بنوع غفلة - فى محل العفو ﴿ من دونه ﴾ أى دون ربكم ﴿ اولياء ﴾ أى من الذين ٥ نهيناكم عنهم فى الأنعام و بينا ضررهم لكم من شياطين الإنس و الجن و عدم إغنائهم و أن الأمر كله لربكم .

و لما كانوا قد خالفوا فى اتباعهم صريح العقل و سليم الطبع ، و عندهم أمثلة ذلك لو تذكروا ، قال منبها لهم على تذكر ما يعرفون من تصرفاتهم : ﴿ قليلا ﴾ و أكد التقليل [بـ "ما" -[3]] النافى[4] و بادغام ١٠ تاء[5] التفعل فقال : ﴿ ما تذكرون ﴾ أى تعالجون أنفسكم على ذكر ما هو مركوز فى فطركم الأولى فانكم مقرون بأن ربكم رب كل شىء ، فكل من تدعون من دونه مربوب ، و أنتم لا تجدون / فى عقولكم / ٢٨٣ و لا طباعكم و لا استعمالاتكم ما يدل بنوع دلالة على أن مربوبا يكون شريكا لربه . ١٥

و لما كان من أعظم ما يتذكر سار[6] النعم و ضار النقم للاقبال على الله و الإعراض عما سواه و عدم الاغترار بأسباب الأمن و الراحة ، قال : ﴿ و كم ﴾ أى قلّ تذكركم و خوفكم من سطواتنا و الحال أنه[7]

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لقد (٣) زيد من ظ (٤) فى الأصل : بالنافى ، و سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : التاء (٦) من ظ ، و فى الأصل : مفاد - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : ان .

كم[1] ﴿ من قرية ﴾ وإن جلت ؛ و لما كان المراد المبالغة فى الإهلاك ، أسنده إلى القرية و المراد أهلها فقال : ﴿ اهلكنها ﴾ أى بما لنا من العظمة لظلمها باتباع من دون الله ، فلا تغتروا بأوليائكم من دونه و أنتم عالمون بأنهم لم ينفعوا مَنْ ضل من الأمم السالفة وقت إنزالنا[2] بهم السطوة
٥ و إحلالنا بهم النقمة و تحقق المهلكون[3] إذ ذاك - مع أنهم كانوا أشد منكم بطشا و أكثر عددا و أمتن كيدا - عدم إغنائهم فلم يوجهوا آمالهم[4] نحوهم .

و لما كان المعنى : أردنا إهلاكها و حكمنا به ، سبب عنه قوله : ﴿ فجآءها باسنا ﴾ أى عذابنا بما لنا من القوة و العظمة ، أو[5] الإهلاك
١٠ على حقيقته و هذا تفصيل له و تفسير ؛ و لما كان لا فرق فى إتيان عذابه سبحانه بين كونه ليلا أو نهارا ، وكان أخش البأس و أشده ما كان فى وقت الراحة و الدعة و الغفلة قال : ﴿ بياتا ﴾ أى وقت الاستكنان فى البيوت ليلا كما أهلك[6] قوم لوط عليه السلام [7]وقت السحر[7] .

و لما كان المراد بالقرية أهلها ، بينه بقوله [لأنه إذا حذف
١٥ المضاف جاز فيه اعتباران بحسب ما يحسن من المعنى : أن لا يلتفت اليه - كما فى أول الآية ، و أن يلتفت إليه - كما فى هذا الأخير لبيان أن الأهل هم المقصودون بالذات لأنه موضع التهديد -[8]] : ﴿ او هم قآئلون ٥ ﴾ أى

(١) فى الأصل : لكم (٢) من ظ ، و فى الأصل : انزلنا (٣) من ظ ، و فى الأصل : الملكوت - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : مالهم - كذا (٥) فى ظ « و » .
(٦) فى ظ : جاء (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

نائمون وقت القائلة أو مستريحون من غير نوم كما أهلك قوم شعيب عليه السلام ، يعني أنهم كانوا في كل من الوقتين غافلين بسبب أنهم كانوا آمنين ، لم يظنوا أن شيئا من أعمالهم موجب للعذاب و لا كانوا مترقبين لشيء منه ، فالتقدير : بياتا هم فيه[1] بائتون أي نائمون ، أو قائلة هم فيها قائلون أي نائمون ، فالآية من الاحتباك : دل إثبات "بياتا" أولا على حذف "قائلة" ثانيا ، و إثبات "هم قائلون" ثانيا[2] على حذف "هم نائمون[3]" أولا ، و الذي أرشدنا[4] إلى هذا المعنى[2] الحسن سوق "هم" من غير واو ؛ و هذا قريب من قوله تعالى فيما يأتي "أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا [بياتا =[5]] و هم نائمون" فالأقرب[6] أن يكون المحذوف أولا نائمون ، و ثانيا نهارا ، فيكون التقدير : بياتا هم فيه نائمون ، أو نهارا هم فيه قائلون ، و بين عظمة ما جاءهم و هوله بأنهم في كل من الوقتين لم يقع في فكر أحد منهم التصويب[7] إلى مدافعته بما سبب عن ذلك من قوله : ﴿فما كان دعواهم﴾ أي قولهم الذي استدعوه ﴿اذ جاءهم بأسنا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿الا ان قالوا﴾ أي إلا قولهم ﴿انا كنا﴾ أي بما لنا من الجبلة ﴿ظالمين ٥﴾ أي في أنا لم نتبع ما أنزل إلينا من ربنا ، فلم يفدهم[8] ذلك شيئا غير شدة التحسر ؛ ثم سبب عما مضى من أمر الرسول و الأمم

(١) زيد بعده في ظ : لا ، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٢) سقط من ظ .
(٣) من ظ ، وفي الاصل : بائتون (٤) من ظ ، و في الأصل : ارسلنا (٥) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٧ آية ٩٧ (٦) في ظ : فالاول (٧) من ظ ، وفي الأصل : النصب (٨) من ظ ، وفي الأصل : فلم يفد .

قوله دفعا لوهم من يظن أن الأمر انقضى بما عذبوا به فى الدنيا : ﴿ فلنسئلن ﴾ أى بما لنا من العظمة على جهة التوبيخ و التقريع للعصاة و التشريف و التعظيم للطيعين ، [و -[1]] أظهر موضع الإضمار تعميما فقال . ﴿ الذين ﴾ .

و لما كانت الملامة على تكذيب الرسول لا بقيد كونه معينا ، بنى للمفعول قوله : ﴿ ارسل اليهم ﴾ أى و هم الأمم ، هل امتثلوا أوامرنا و أحجموا عند زواجرنا كما أمرتهم الرسل أم لا ﴿ و لنسئلن ﴾ أى بعظمتنا ﴿ المرسلين ۝ ﴾ أى هل كان فى صدورهم حرج بما أرسلناهم به و هل بلغوه أم لا يوم تكونون شهداء على الناس بما علمتم من شهادتى فى هذا القرآن و يكون الرسول عليكم شهيدا . فانا لا بد [أن -[1]] نحييكم بعد الموت ثم نسألكم فى يوم تظهر فيه السرائر و تنكشف[1] - وإن اشتد خفاؤها - الضمائر ، / و لنرين الأفعال و الأقوال ، و لا نترك شيئا من الأحوال . /٢٨٤

و لما كان السؤال يفهم خفاء المسؤل عنه على السائل ، سبب عن ذلك ما يزيل هذا الوهم بقوله مؤذنا بأنه أعلم من المسؤلين عما سألهم عنه : ﴿ فلنقصن ﴾ أى بما لنا من صفات العظمة المستلزمة لكل كمال ﴿ عليهم ﴾ أى المسؤلين من الرسل و أممهم ، جميع أحوالهم و ما يستحقون من جزائها ﴿ بعلم ﴾ أى مقطوع به لا مظنون ، فقد كنا معهم فى جميع تقلباتهم ﴿ و ما كنا ﴾ أى فى وقت من الأوقات[3] كما هو مقتضى ما لنا من العظمة[3] ﴿ غآئبين[4] ۝ ﴾ أى مطلقا و لا عن أحد من الخلق

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ينكشف (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : غافلين - كذا .

بل علمنا شامل لجميع الكليات و الجزئيات لأن ذلك مقتضى العظمة و مقتضى ما لنا من صفات الكمال، [و من لم يكن محيط العلم بأن يميز المطيع من العاصى لا يصح أن يكون إلها -[1]] .

و لما تقدمت الإشارة بقوله تعالى "و اوفوا الكيل و الميزان بالقسط"- الآية إلى أن المساواة الحقيقية فى الميزان معجوز عنها و أنه أبعد المقادير عن التساوى، و النص فى قوله تعالى "و من جاء بالحسنة فلا يجزى الا مثلها" على قدرة القدير[2] على ذلك، و ختم الآية السالفة باحاطة العلم على الوجه الأبلغ المقتضى لذلك على أعلى الوجوه؛ أكد الأمر أيضا و قصره على علمه هنا فقال: ﴿ و الوزن[3] ﴾ بميزان حقيقى لصحف الأعمال أو للأعمال أنفسها بعد تصويرها بما تستحقه من الصور أو بغير ذلك بعد أن يقذف[4] الله فى القلوب العلم به، و لعله حال من نون العظمة فى الآية التى قبلها، أى إنا لا نكتفى بما نقص بل نزنه [فيصير -[1]] بحيث يظهر لكل أحد أنه على غاية ما يكون من التساوى؛ قال أبو حيان و على ابن الحسين النحوى الأصفهانى فى إعرابه: "الوزن" مبتدإ ﴿ يومئذ ﴾ ظرف منصوب به ﴿الحق ج﴾ خبر[5] المتبدإ، زاد[6] الأصفهانى فقال: و استضعف إعمال المصدر و فيه لام التعريف و قد ذكرنا أنه جاء فى التنزيل "لا يحب [الله -[7]] الجهر بالسوء من القول الا من ظلم"- انتهى . أى [و -[1]] الوزن فى ذلك اليوم مقصور على الحق، يطابقه الواقع

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التقدير (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٤) من ظ، و فى الأصل : يعرف (٥) من ظ و البحر المحيط ٤/١٠ ٢٧، و فى الأصل : فيه - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل : اراد (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٤ آية ١٤٨ .

مطابقة حقيقية لا فضل فيها أصلا و لا يتجاوز الوزن فى ذلك اليوم الحق إلى شىء من الباطل بزيادة ذرة [و - [1]] لا نقصها و لا ما دون ذلك ، فتحرر أن مقصود السورة الحث على اتباع الكتاب ، و هو يتضمن الحث على اتباع الرسول و الدلالة على التوحيد و القدرة على البعث[2] ببيان الأفعال الهائلة فى ابتداء الخلق و إهلاك الماضين إشارة إلى أن من لم يتبعه و يوحد - من أنزله[3] على هذا الأسلوب الذى لا يستطاع ، و المنهاج الذى وقفت دونه العقول و الطباع ، لما قام من الأدلة على توحيده بعجز من سواه عن أقواله و أفعاله - أوشك أن يعاجله قبل يوم البعث بعقاب مثل عقاب الأمم السالفة و القرون الخالية مع ما ادخر له فى ذلك اليوم من سوء المنقلب و إظهار أثر الغضب .

و لما أخبر أن العبرة بالميزان على وجه يظهر أنه لا حيف فيه بوجه ، تسبب عنه قوله : ﴿ فمن ثقلت ﴾ أى ذست و رسبت على ما يعهد فى الدنيا ﴿ موازينه ﴾ أى موزونات أعماله ، [أى أعماله - [1]] الموزونة ، و لعله عبر بها عنها إشارة إلى أن كل عمل يوزن على حدة ليسعى فى إصلاحه ﴿ فاولئك ﴾ أى العالو الهمم ﴿ هم ﴾ [أى خاصة - [1]] ﴿ المفلحون ٥ ﴾ أى الظاهرون بجميع مآربهم ﴿ و من خفت ﴾ أى طاشت ﴿ موازينه ﴾ [أى - [1]] التى توزن[4] فيها الأعمال الصالحة ﴿ فاولئك ﴾ المبعدون ﴿ الذين خسروا انفسهم ﴾ أى التى هى رأس مالهم فكيف بما دونها ﴿ بما كانوا بايتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة ﴿ يظلمون ٥ ﴾

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : البحث (٣) فى ظ : انزاله (٤) من ظ ، و فى الأصل : يوزن .

أى باستمرار ما يجددونه من وضعها فى غير المحل الذى يليق بها فعل من هو فى ظلام ؛ قال الحسن : و حق لميزان توضع فيه [الحسنات أن يثقل ، و حق لميزان توضع فيه - [1]] السيئات أن يخف .

و لما أمر الخلق بمتابعة الرسل و حذرهم من مخالفتهم ، فأبلغ / فى / ٣٧٥ تحذيرهم بعذاب الدنيا ثم بعذاب الآخرة ، التفت إلى تذكيرهم ترغيبا فى ٥ ذلك باسباغ نعمه و تحذيرا من سلبها ، لأن المواجهة أردع للخاطب ، فقال فى موضع الحال من "خسروا انفسهم": ﴿ و لقد مكنّٰكم ﴾ أى خسروها و الحال أنا مكناكم[2] من إنجائها بخلق القوى و القدر[3] و إدرار النعم ، و جعلنا مكانا يحصل التمكن فيه ﴿فى الارض ﴾ أى كلها ، ما منها من بقعة إلا و هى صالحة لانتفاعهم بها و لو بالاعتبار ﴿و جعلنا لكم﴾ أى ١٠ بما لنا من العظمة ﴿ فيها معايش[4] ﴾ أى[4] جميع[5] معيشة ، و هى أشياء يحصل بها العيش ، و هو تصرف[6] أيام الحياة بما ينفع ، و الياء أصلية فلذا لا تهمز ، [وكذا ما ولى ألف جمعه حرف علة أصلى و ليس قبل ألفه واو كأوائل و لا ياء كخيائر جمع أول و خير فانه لا يهمز إلا شاذا كمنائر و مصائب جمع منارة و مصيبة - [1]] . ١٥

و لما كان حاصل ما مضى أنه سبحانه أوجدهم و قوّاهم و خلق لهم [ما - [1]] يديم قواهم ، فأكلوا خيره و عبدوا غيره ، أنتج قوله على وجه التأكيد : ﴿ قليلا ما تشكرون ﴾ أى لمن أسبغ عليكم نعمه ظاهرة

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : مكناهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : القدرة (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : جمع (٦) فى ظ : التصرف .

و باطنة بما تنجون به أنفسكم ؛ و قال أبو حيان : إنه راجع للذين[1] خوطبوا بـ" اتبعوا ما انزل اليكم" و ما بينهما أورد مورد الاعتبار و الاتعاظ بذكر ما آل إليه أمرهم فى الدنيا و ما يؤل إليه فى الآخرة - انتهى .

و لما ذكر سبحانه ما منحهم به من التمكين ، ذكّرهم ماكانوا عليه قبل هذه المكنة من العدم تذكيرا بالنعم[2] فى سياق دال على البعث الذى فرغ من تقريره ، و على ما خص به أباهم آدم [عليه السلام -[3]] من التمكين فى الجنة بالخلق و التصوير و إفاضة روح الحياة و روح العلم و أمر أهل سماواته بالسجود له و الغضب على من عاداه و طرده عن محل كرامته و معدن سعادته و إسكانه هو بذلك المحل الأعلى و الموطن الأسنى مأذونا له فى كل ما فيه إلا شجرة واحدة ، فلما خالف الأمر أزاله عنه و أخرجه منه ؛ و فى ذلك تحذير لأهل المكنة من إزالة المنة فى استدرار النعمة و إحلال النقمة فقال : ﴿ و لقد خلقنٰكم ﴾ أى بما لنا من صفات العظمة ﴿ ثم صورنٰكم ﴾ أى قدرنا خلقكم ثم تصويركم بأن جعلنا فيكم قابلية قريبة من ذلك بتخصيص كل جزء من المادة بمقداره المعين بتخمير طينة آدم عليه السلام على حالة تقبل ذلك كما يهيأ[4] التراب بتخميره بانزال المطر لأن يكون [5]منه شجرة ، و قد تكون تلك الشجرة مهيأة لقبول صورة[5] الثمرة[6] و قد لا تكون كما قال تعالى " و لقد خلقنا الانسان من سلٰلة من طين ثم جعلنٰه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة

(١) فى ظ : الى الذين (٢) من ظ ، و فى الأصل : بالنعمة (٣) زيد من ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : تهيا (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل (٦) من ظ ، و فى الأصل : القمر - كذا .

علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظما فكسونا العظم لحما ثم انشأناه خلقا آخر[1]" و قال النبي[2] صلى الله عليه و سلم كما فى الصحيح عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه: إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح. و عنه أيضا رضى الله عنه عند مسلم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: إذا مر بالنطفة اثنتان و أربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها و خلق سمعها و بصرها و جلدها و لحمها و عظامها، ثم قال: يا رب! أذكر أم أنثى؟ فيقضى ربك ما شاء[3] و يكتب الملك - الحديث. فظاهر هذا الحديث مخالف للفظ الذى قبله و للآية، فيحمل على أن معنى صورها: هيأها فى مدة الأربعين الثانية لقبول الصورة تهيئة قريبة من الفعل، و سهل أولها بالتخمير[4] على هيئة مخصوصة بخلاف ما قبل ذلك، فانها كانت نطفة فكانت بعيدة عن قبول الصورة، و لذلك اختلفوا فى احترامها و هل يباح إفسادها و التسبب فى إخراجها، و معنى "خلق": قدر[5] أى جعل لكل شيء من ذلك حدا لا يتجاوزه فى الجملة، و الدليل على هذا المجاز شكه فى كونها ذكرا[6] أو أنثى، و لو كان ذلك على ظاهره لما حصل شك فى كونها / ذكرا أو أنثى إذ آلة الذكر و الأنثى /٢٨٦

(١) سورة ٢٣ آية ١٢-١٤ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ وصحيح مسلم - كتاب القدر، و فى الأصل: يشاء (٤) من ظ، و فى الأصل: بالتخميرة (٥) من ظ، و فى الأصل: فقدر، (٦) فى ظ: ذكر.

من جملة[1] الصورة ، و بهذا تلتئم هـذه الآية مع قوله تعالى[2] " اذ قال ربك للملئكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحى فقعوا له سجدين " فهذا خلق بالفعل ، و الذى فى هذه السورة بايداعه القوة المقربة منه ، و المراد من الآية التذكير بالنعم استعطافا إلى المؤالفة و تفظيعا[3] بحال المخالفة ، أى خسروا أنفسهم و الحال أنا أنعمنا عليهم بنعمة التمكين بعد [أن - [4]] أنشأناهم على الصورة المذكورة بعد أن كانوا عدما ، و أسجدنا ملائكتنا لأبيهم و طردنا[5] من تكبر عليه طردا لا طرد مثله ، و أبعدناه عن محل قدسنا بعدا لاقرب معه ، و أسكنا أباهم الجنه دار رحمتنا و قربنا ، فقال تعالى مترجما عن ذلك : ﴿ ثم قلنا ﴾ أى على ما لنا من الاختصاص بالعظمة ﴿ للملئكة ﴾ أى الموجودين فى ذلك الوقت من أهل السماوات و الأرض كلهم ، بما دلت عليه ' ال ' سواء قلنا : إنها للاستغراق أو الجنس ﴿ اسجدوا لآدم ﴾ أى بعد كونه رجلا قائما سويا ذا روح كما هو معروف من التسمية ؛ ثم سبب عن هذا الأمر قوله : ﴿ فسجدوا ﴾ أى كلهم بما دل عليه الاستثناء فى قوله : ﴿ الا ابليس[6] ﴾ و لما كان معنى ذلك لإخراجه عمن سجد أنه لم يسجد ، صرح به فقال : ﴿ لم يكن من السجدين ﴾ أى لآدم .

و لما كان مخالف[6] الملك فى محل العقاب ، تشوف السامع إلى خبره فأجيب بقوله : ﴿ قال ﴾ أى لإبليس إنكارا عليه و توبيخا له[7] استخراجا لكفره الذى كان يخفيه بما يبدى من جوابه ليعلم الخلق سبب طرده

(١) فى ظ : جهة (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى القرآن الكريم سورة ٣٨ آية ٧١ فحذفناها (٣) من ظ ، و فى الأصل : تغليظا (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : تركنا (٦) من ظ ، و فى الأصل : مخالفا (٧) فى ظ « و » .

﴿ ما منعك ﴾ و لما كانت هذه العبارة قد صرحت بعدم سجوده ، فكان المعنى لا يلبس بادخال ' لا ' فى قوله : ﴿ الا تسجد ﴾ أتى بها لتفيد[1] التأكيد بالدلالة على اللوم على الامتناع من الفعل و الإقدام على الترك ، فيكون كأنه قيل : ما منعك من السجود و حملك على تركه ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ امرتك[1] ﴾ أى حين حضر الوقت الذى يكون فيه أداء المأمور به ٥ ﴿ قال ﴾ أى إبليس ناسبا ربه سبحانه إلى الجور أو عدم العلم بالحق ﴿ انا خير منه ج ﴾ أى فلا يليق لى السجود لمن هو دونى و لا أمرى بذلك لأنه مناف للحكمة ؛ ثم بين وجه الخيرية التى تصورها بسوء فهمه أو بما قاده إليه سوء طبعه بقوله : ﴿ خلقتنى من نار ﴾ أى فهى أغلب أجزائى و هى مشرقة مضيئة عالية [غالبة -[2]] ﴿ و خلقته من طين ه ﴾ أى هو ١٠ أغلب أجزائه و هو كدر مظلم سافل مغلوب ، و قد[3] غلط غلطا فاحشا فان الإيجاد خير من الإعدام بلا نزاع ، و النار سبب الإعدام و المحق لما خالطته ، و الطين سبب النماء و التربية لما خالطه ، هذا لو كان الأمر فى الفضل باعتبار العناصر و المبادئ و ليس كذلك ، بل هو باعتبار الغايات .

و لما كان هذا أمرا ظاهرا ، و كان مجرد التكبر على الله كفرا ١٥ على أىّ وجه كان ، أعرض عن جوابه بغير الطرد [الذى معناه نزوله المنزلة الذى مُوضعُ ما طلب من علوها -[2]] فاستأنف قوله : ﴿ قال ﴾ مسببا عن إبائه قوله : ﴿ فاهبط منها ﴾ مضمرا للدار التى كان فيها و هى

(١) من ظ ، و فى الأصل : ليفيد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : هو .

الجنة . فانها لا تقبل عاصيا ، و عبر بالهبوط الذى يلزم منه سقوط المنزلة دون الخروج ، لأن مقصود هذه السورة الإنذار و هو أدل عليه - [1]] ، و سبب عن أمره بالهبوط [الذى معناه النزول و الحدور و الانحطاط و النقصان و الوقوع فى شيء منه - [1]] قوله[2] : ﴿ فما يكون ﴾ أى يصح و يتوجه بوجه
٥ من الوجوه ﴿ لك ان تتكبر ﴾ أى تتعمد الكبر [و هو الرفعة فى الشرف و العظمة و التجبر - [1]] ، و لا مفهوم لقوله " لك " و لا لقوله : ﴿ فيها ﴾ لوجود الصرائح بالمنع من الكبر مطلقا " انه[3] لا يحب المستكبرين "، " كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر[4] "، " قال الذين استكبروا انا كل فيها[5] "، و إنما قيد بذلك تهويلا للأمر ، فكأنه قيل : لا ينبغى التكبر
١٠ إلا لنا ، [و - [1]] كلما قرب الشخص من محل القدس الذى هو مكان المطيعين المتواضعين جل تحريم الكبر عليه " لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر " - رواه مسلم و غيره عن ابن مسعود رضى الله عنه ، [6]و سبب[6] عن كونها لا تقبل الكبر قوله : ﴿ فاخرج ﴾ أى من الجنة دار الرضوان[7] ، [فانتفى أن يكون الهبوط من موضع عال
١٥ من الجنة إلى موضع منها أحط منه - [1]] ، ثم علل أمره بالهبوط و الخروج بقوله مشيرا إلى / أن كل من أظهر الاستكبار ألبس الصغار : ﴿ انك من الصٰغرين ﴾ أى الذين هم أهل للطرد و البعد و الحقارة و الهوان . /٢٨٧

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لانه ، و راجع سورة ١٦ آية ٢٣ (٤) سورة ٤٠ آية ٣٥ (٥) سورة ٤ آية ٤٨ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : رضوان .

و لما

و لما علم أن الحسد قد أبعده و نزل به عن ساحة الرضى و أقعده، تمادى فيه فسأل ما يتسبب به[1] إلى إنزال المحسودين عن درجاتهم العالية إلى دركته السافلة، و لم يسأل بشقاوته فيما يعليه من دركته السافلة إلى درجاتهم العالية، و ذلك بأن ﴿ قال ﴾ أى إبليس، و هو استئناف؛ [و لما كان السياق - و لا سيما الحكم بالصغار العارى عن تقييد - يأبى لأن يكون سببا لسؤاله الانتظار، ذكره بصيغة الإحسان فقال -[2]] : ﴿ انظرنى ﴾ أى بالإمهال، أى اجعلنى[3] موجودا بحيث أنظر و أتصرف فى زمن ممتد ﴿ إلى يوم يبعثون ﴾ أى من القبور، و هو يوم القيامة، وكان اللعين طلب بهذا أنه لا يموت، فان ذلك الوقت ليس وقتا للموت، إنما هو وقت إفاضة الحياة الأبدية فى شقاوة أو سعادة، فأعلم سبحانه أنه [4]حكم له بالانتظار[4]، لكن لا على ما أراده [و لا على أنه إجابة له، و لكن هكذا سبق فى الأزل فى حكمه فى قديم علمه، و إليه يرشد التعبير -[2]] بقوله: ﴿ قال انك من المنظرين ﴾ أى فى الجملة، و منعه من الحماية عن الموت بقوله كما ذكره فى سورتى الحجر و ص "الى يوم الوقت المعلوم" وهو وقت النفخة الأولى التى يموت فيها الأحياء فيموت هو معهم، وكان ترك هذه الجملة فى[6] هذه السورة لأن هذه السورة للانذار، و إبهام الأمر أشد فى ذلك، و أجابه إلى الإنظار و هو يريد به الفساد، لأنه لا يعدو أمره فيه و تقديره به، و لأنه سبحانه لا يسئل عما يفعل، و لتظهر حكمته تعالى فى الثواب و العقاب.

(١) فى ظ: فيه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: اجعلوه.
(٤-٤) من ظ، و فى الأصل: اجابه إلى الانظار (٥) آية ٣٨ و آية ٨١ (٦) فى ظ: من.

و لما كان قد حكم عليه بالشقاء ، قابل نعمة الإمهال و إطالة العمر بالتمادى فى الكفر ، و أخبر عن نفسه بذلك بأن ﴿ قال ﴾ مسببا عن إيقاعه فى المعصية بسبب نوع الآدميين ﴿ فبمآ اغويتنى ﴾ أى فبسبب إغوائك لى ، و هو إيجاد الغى و[1] اعتقاد الباطل فى قلبى من أجلهم و الله ﴿ لاقعدن لهم ﴾ أى أفعل فى قطعهم عن الخير فعل المتمكن المقبل بكليته [المتأنى الذى لا شغل له غير ما أقبل عليه -[2]] فى مدة إمهالك لى بقطعهم عنك بمنعهم من فعل ما أمرتهم به ، و حملهم[3] على فعل ما نهيتهم عنه ، كما يقعد قاطع الطريق على السابلة للخطف ﴿ صراطك ﴾ أى فى جميع صراطك ، بما دل عليه نزع الخافض ﴿ المستقيم ﴾ و هو الإسلام بجميع شعبه ، و من أسند الإغواء إلى غير الله بسبب اعتقاده أن ذلك مما ينزه الله عنه ، فقد وقع فى شر مما فر منه ، و هو أنه جعل فى الوجود فاعلين يخالف اختيار أحدهما اختيار الآخر .

و لما كان قد أقام نفسه فى ذلك بغاية الجد ، فهو يفعل فيه بالوسوسة بنفسه و من أطاعه من شياطين الجن و الإنس ما يفوت الحد و يعجز القوى ، أشار إليه بحرف التراخى [فقال -[2]] مؤكدا : ﴿ ثم لآتينهم ﴾ أى إتيانا لا بد لى منه كائنا ابتداؤه ﴿ من بين ايديهم ﴾ أى مواجهة ، فأحملهم على أن يفعلوا ما يعلمون[4] أنه خطأ ﴿ و[5] ﴾ كائنا ﴿ من خلفهم ﴾ أى مغافلة ، فيعملون[6] ما هو فاسد فى غاية الفساد و لاشعور لهم بشىء

(١) زيد فى ظ : هى (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : حملتهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : يعملون (٥) تأخر فى الأصل عن « كائنا » والترتيب من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : فيعلمون.

من فساده حين تعاطيه فأدلهم[1] بـذلك على تعاطى مثله و هم [لا -[2]] يشعرون ﴿و عن﴾ أى و مجاوزا للجهة[3] التى عن[4] ﴿ايمانهم﴾ إليهم ﴿و عن﴾ أى و مجاوزا لما عن ﴿شمآئلهم[5]﴾ أى مخايلة، فيفعلونه و هو[6] مشتبه عليهم، و هذه هى الجهات التى يمكن الإتيان منها، و لعل فائدة 'عن[7]' المفهمة للمجاوزة[8] وصل خطى القدام و الخلف ليكون إتيانه مستوعبا لجميع الجهة المحيطة، [و أفهمت الجهات الأربع قدحه و تلبيسه فيما يعلمونه حق علمه و ما يعلمون شيئا منه و ما هو مشتبه عليهم[9] اشتباها قليلا أو كثيرا. و هم من ترك ذكره الأعلى أنه لا قدرة له على الإتيان منه لئلا يلتبس أمره بالملائكة، و قد ذكر ذلك فى بعض الآثار كما ذكره فى ترجمة ورقة بن نوفل رضى الله عنه -[2]] .

و لما عزم اللعين على هذا عزما صادقا، و رأى أسبابه ميسرة[9] من الإنظار[10] و نحوه، ظن أنه[11] بما رأى لهم من الشهوات و الحظوظ[12] يظفر بأكثر[13] حاجته، فقال عاطفا[14] على ما تقديره: فلأغوينهم و ليتبعنى: ﴿و لا تجد اكثرهم﴾ كما هى عادة الأكثر فى الخبث ﴿شكرين﴾ فأريد به الشقاء فأغرق فى الحسد، و لو أريد بالشقى[15] الخير لاستبدل بالحسد الغبطة

(١) و فى ظ: فادريه - كذا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: لجهة (٤) من ظ، و فى الأصل: على (٥) من ظ، و فى الأصل: هم (٦) فى ظ: من (٧) من ظ، و فى الأصل: بالمجاوزة (٨) فى ظ: عليه (٩) فى ظ: متيسرة (١٠) فى ظ: الانتظار (١١) سقط من ظ (١٢) زيد فى ظ: انه. (١٣) من ظ، و فى الأصل: الجنة (١٤) فى ظ: عطفا (١٥) من ظ، و فى الأصل: بالشقا.

/٢٨٨ [فطلب -[1]] أن يرتقى هو إلى درجاتهم / العالية بالبكاء و الندم و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و بذل النصيحة خضوعا لمقام الربوبية و ذلا لعظيم شأنه .

و لما كان كأنه قيل : ما ذا قال له ؟ قيل : ﴿ قال ﴾ فى جواب ما ذكر لنفسه فى هذا السياق من القوة و الاقتدار [2]و أبان[2] عنه من الكبر و الافتخار ما دل على أنه من أهل الصغار ، لا يقدر على شىء إلا باقتدار العزيز الجبار ، [مصرحا بما أريد من الهبوط الذى ربما حمل على النزول من موضع من[3] الجنة عال إلى مكان منها أحط منه -[1]] ﴿ اخرج منها ﴾ أى الجنة ﴿ مذءوما ﴾ أى محقورا مخزيا بما تفعل ، قال ابن القطاع : ذأمت الرجل : خزيته ، و قال ابن فارس : ذأمته ، أى حقرته ﴿ مدحورا[4] ﴾ أى مبعدا مطرودا عن كل ما لا أريده .

و لما علم بعض حاله ، تشوفت النفس إلى حال من تبعه ، فقال مقسما مؤكدا بما يحق له من القدرة التامة و العظمة الكاملة : ﴿ لمن تبعك منهم ﴾ أى بنى آدم ، و أجاب القسم بما أغنى عن جواب الشرط فقال : ﴿ لاملئن جهنم منكم ﴾ أى منك و من قبيلك[4] و منهم ﴿ اجمعين ۝ ﴾ أى لا يفوتنى منكم أحد ، فلم يزل[5] من فعل ذلك منكم على أذى نفسه و لا أبالى أنا بشىء .

و لما أوجب له ما ذكر من الشقاوة تماديه فى الحسد و كثرة كلامه

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢ - ٢) فى ظ : بان (٣) ليس فى ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : قبلك (٥) من ظ ، و فى الأصل : فكم برد - كذا .

فى محسوده، التفت إلى محسوده الذى لم يتكلم فيه كلمة واحدة، بل اشتغل بنفسه فى البكاء على ذنبه، و اكتفى بفعل ربه بما ينجيه من حبائل مكره التى نصبها بما ذكر، ليكون ذلك سبب سعادته[1]، فقال عطفا على "اخرج منها": ﴿و يآدم اسكن﴾ و لما كان المراد بهذا الأمر هو نفسه لا التجوز[2] به عن بعض من يلابسه، أكد ضميره لتصحيح العطف ٥ و رفع التجوز فقيل: ﴿انت و زوجك الجنة﴾.

و لما كان السياق هنا للتعريف بأنه مكن[3] لأبينا فى الجنة أعظم من تمكينه لنا فى الأرض بأن حباه فيها رغد العيش مقارنا لوجوده؛ ثم حسن فى قوله: ﴿فكلا﴾ العطف بالفاء الدال على أن المأكول كان مع الإسكان، لم يتأخر عنه، و لا منافاة بينه و بين التعبير بالواو فى البقرة، ١٠ لأن مفهوم الفاء نوع داخل تحت مفهوم الواو، و لا منافاة بين النوع و الجنس، و[4] قوله: ﴿من حيث شئتما﴾ بمعنى رغدا أى واسعا، فانه يدل على إباحة الأكل من كل شىء فيها غير المنهى عنه، و أما آية البقرة فتدل على إباحة الأكل منها فى أىّ مكان كان، و هذا السياق إلى آخره مشير إلى أن من خالف أمره تعالى ثل عرشه و هدم عزه و إن ١٥ كان فى غاية المكنة و نهاية القوة كما أخرج من أعظم له المكنة باسجاد ملائكته و إسكان جنته و إباحة كل ما فيها غير شجرة واحدة؛ أكد تحريمها بالنهى عن قربانها دون الاكتفاء بالنهى عن غشيانها [فقال-[5]]:

(١) فى ظ: سعادة (٢) من ظ، و فى الأصل: التجويز (٣) سقط من ظ.
(٤) فى ظ: فى (٥) زيد من ظ.

﴿ولا تقربا﴾ أى فضلا عن أن تتناولا ﴿هذه الشجرة﴾ مشيرا إلى شجرة بعينها أو نوعها ؛ ثم سبب عن القربان العصيان ، فان من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه فقال : ﴿فتكونا﴾ أى بسبب قربها ﴿من الظلمين ۝﴾ أى بالأكل منها الذى هو [1] مقصود النهى فتكونا بذلك فاعلين فعل من يمشى فى الظلام [2] ؛ ثم سبب عن ذلك بيان حال الحاسد مع المحسودين فيما سأل الإنظار بسببه ، و أنه وقع على كثير من مراده و استغوى منهم أمما تجاوزوا الحد و قصر عنهم مدى العد ؛ ثم بين أنه أقل من أن يكون له فعل ، و أن الكل بيده سبحانه ، هو الذى جعله آلة لمراده منه و منهم ، و أن [من - [3]] يهد الله فهو المهتدى ، و من يضلل فأولئك هم الخاسرون ، فقال : ﴿فوسوس [4] ﴾ أى ألقى فى خفاء و تزيين [و تكرير - [3]] و اشتهاء ﴿لهما الشيطن﴾ [أى - [3]] بما مكنه الله منه من أنه يجرى من الإنسان مجرى الدم [1] ويلقى له فى خفاء ما يميل به قلبه إلى ما يريد ؛ ثم بين علة الوسوسة بقوله : ﴿ليبدى﴾ أى يظهر ﴿لهما ما وُرى﴾ أى ستر و غطى بأن جعل / كأنه وراءهما لا يلتفتان إليه ﴿عنهما﴾ و البناء للمفعول إشارة إلى أن الستر بشىء لا كلفة عليهما فيه كما يأتى فى قوله " ينزع عنهما لباسهما " ﴿من سوءاتهما﴾ أى المواضع التى يسوءهما انكشافها ، و فى ذلك أن إظهار السوءة موجب للبعد من الجنة و أن بينهما منفية الجمع [5] و كمال التباين .

و لما أخبر بالوسوسة و طوى مضمونها مفهما أنه أمر كبير و خداع

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الضلال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : فسوف - كذا (٥) فى ظ : الجنة .

طويل، عطف عليه قوله: ﴿ و قال ﴾ أى [فى - [1]] وسوسته أيضا، أى زين[2] لهما ما حدث بسببه فى خواطرهما هذا القول: ﴿ ما نهٰكما ﴾ و ذكرهما بوصف الإحسان تذكيرا باكرامه لهما تجرئة لهما على ما يريد منهما فقال: ﴿ ربكما ﴾ أى المحسن إليكما بما تعرفانه من أنواع إحسانه ﴿عن﴾ أى ما جعل نهايتكما فى[3] الإباحة للجنة متجاوزة عن ﴿هذه الشجرة﴾ ٥ جمع بين الإشارة و الاسم زيادة فى الاعتناء بالتنصيص ﴿ الآ ان ﴾ أى كراهية أن ﴿تكونا ملكين﴾ أى فى عدم الشهوة وفى القدرة على الطيران و التشكل و غير ذلك من خواصهم ﴿او تكونا ﴾ أى بما يصير لكما[4] من الجبلة ﴿من الخٰلدين﴾ أى الذين لا يموتون ولا يخرجون من الجنة أصلا.

و لما أوصل إليهما هذا المعنى، أخبر أنه أكده تأكيدا عظيما كما ١٠ يؤكد الحالف ما يحلف عليه فقال: ﴿و قاسمهمآ ﴾ أي أقسم لهما، لكن ذكر المفاعلة ليدل على أنه حصلت بينهما فى ذلك مراوغات و محاولات بذل فيها الجهد، و أكد - لمعرفته[5] أنهما طبعا على النفرة من المعصية[6] - ما أقسم عليه أنواعا من التأكيد فى قوله: ﴿انى لكما﴾ فأفاد تقديم الجار المفهم للاختصاص أنه يقول: إنى خصصتكما بجميع نصيحتى ﴿لمن النٰصحين﴾ ١٥ و فيه تنبيه على الاحتراز من الحالف، و أن الأغلب أن كل حلاف كذاب، فانه لا يحلف إلا عند[7] ظنه أن سامعه لا يصدقه، و لا يظن ذلك إلا و هو معتاد للكذب.

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: عن (٤) من ظ، وفى الأصل: بكما (٥) من ظ، و فى الأصل: لمعرفة (٦) من ظ، و فى الأصل: العطية - كذا. (٧) فى ظ: على.

و لما أخبر ببعض وسوسته لهما ، سبب [1]عنها ترجمتها[1] بأنها إهباط من أوج شرف إلى حضيض أذى و سرف فقال: ﴿فدلّـهما﴾ أى أنزلهما عما كانا فيه من علو الطاعة [مثل ما فعل بنفسه بالمعصية التى أوجبت له الهبوط من دار الكرامة -[2]] ﴿بغرور[4]﴾ أى بخداع و حيلة حتى نسى آدم عهد ربه ، و قوله: ﴿فلما ذاقا﴾ مشير[3] إلى الإسراع فى الجزاء بالفاء و الذوق الذى هو مبدأ الأكل ﴿الشجرة﴾ أى وجدا طعمها ﴿بدت﴾ أى ظهرت ﴿لهما سوآتهما﴾ أى عوراتهما اللاتى يسوءهما ظهورها ، و تهافت عنهما لباسهما فأبصر كل واحد ما كان مستورا عنه من عورة الآخر ، و ذلك قصد الحسود فاستحييا عند ذلك ﴿و طفقا﴾ أى شرعا و أقبلا ﴿يخصفن عليهما﴾ أى يصلان بالخياطة ﴿من ورق الجنة[1]﴾ ورقة إلى أخرى ﴿و نادٰهما ربهما﴾ أى المحسن إليهما بأمرهما و نهيهما ، و لم يفعلا شيئا من ذلك إلا بمرأى منه ، فقال منكرا عليهما ما فعلاه و معاتبا: يا عبدىّ ﴿ الم انهكما﴾ أى أجعل لكما نهاية فيما أذن لكما فيه متجاوزة ﴿عن تلكما الشجرة﴾ أى التى كان حقها البعد منها ، الموجبة [5]للقربة من[5] هذا الموضع الشريف إحسانا إليكما ﴿و اقل لكما ان الشيطٰن﴾ أى الذى تكبر[6] عن السجود[7] حسدا لك يا آدم و نفاسة عليك ، فاحترق

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : عنها ترجمتها (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٣) فى الأصل و ظ : مشيرا (٤) فى ظ : عراتهما (٥ - ٥) فى ظ : للغربة عن .
(٦) من ظ ، و فى الأصل : يكبر (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فحذفناها .

بغضبي فطرد و أبعد عن رحمتي ﴿ لكما ﴾ أي لك و لزوجك و لكل من تفرع[1] منكما و نسب إليكما ﴿ عدو مبين ﴾ ظاهر العداوة يأتيكم من كل موضع يمكنه الإتيان منه مجاهرة و مساترة و مماكرة فهو مع[2] ظهور عداوته دقيق المكر بما أقدرته عليه من إقامة الأسباب ، فاني أعطيته قوة على [الكيد ، و أعطيتكم قوة على الكيد و أعطيتكم قوة على - [3]] الخلاص و قلت لكم : تغالبوا ، فان غلبتموه فأنتم من حزبي ، و إن غلبكم فأنتم من حزبه مع ما له إليكم من العداوة ، فالآية منبهة على أن من غوى فانما هو تابع لأعدى أعدائه تارك لأولى أوليائه .

/و لما كان هذا ، تشوف السامع إلى جوابهما ، فأجيب بقوله : /٢٩٠
﴿ قالا ﴾ أي آدم و حواء - عليهما السلام و أزكى التحية و الإكرام - [قول الخواص باسراعهما في التوبة - [3]] ﴿ ربنا ﴾ أي أيها المحسن إلينا و المنعم علينا ﴿ ظلمنآ انفسنا ﴾ أي ضررناها[4] بأن أخرجناها من نور الطاعة إلى ظلام المعصية ، فان لم ترجع بنا وتتب علينا لنستمر[5] عاصيين ﴿ و ان لم تغفر لنا ﴾ أي تمحو ما عملناه عينا و أثرا ﴿ و ترحمنا ﴾ فتعلي[6] درجاتنا ﴿ لنكونن من الخسرين ﴾ فأعربت الآية عن أنهما فزعا إلى الانتصاب[7] بالاعتراف ، و سميا ذنبهما[8] - و إن كان إنما هو خلاف

(١) من ظ ، و في الأصل : يفرع (٢) في ظ : موضع - كذا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : ضررنا (٥) من ظ ، و في الأصل : كنتم - كذا (٦) من ظ . و في الأصل : فتعالى (٧) من ظ ، و في الأصل : الانصاف (٨) من ظ ، و في الأصل : ذنبهم .

الأولى[1] لأنه بطريق النسيان كما فى طه - [ظلما - [2]] كما هى عادة الأكابر فى استعظام الصغير منهم ، و لم يجادلا كما فعل إبليس ، و فى ذلك إشارة[3] إلى أن المبادرة إلى الإقرار بالذنب من فعال الأشراف لكونه من معالى الأخلاق ، و أنه لا مثيل له فى اقتضاء العفو و إزالة الكدر ، و أن الجدال من فعال الأرذال و من مساوى الأخلاق و موجبات الغضب المقتضى للطرد .

و لما تشوفت النفس الى جواب العلى الكبير سبحانه ، أجيبت[4] بقوله : ﴿ قال اهبطوا ﴾ أى إلى دار المجاهدة و المقارعة و المناكدة حال كونكم ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ أى أنتما و من ولدتماه أعداء أبليس و من ولد ، و بعض أولادكم أعداء لبعض ، و لا خلاص إلا باتباع ما منحتكم من هدى العقل و ما أنزلت اليكم من تأييده[5] بالنقل ، و فى ذلك تهديد صادع لمن له أدنى مسكة بالإشارة إلى قبح مغبة[6] المخالفة و لو مع التوبة ، و حث على دوام المراقبة خوفا من سوء المعاقبة ﴿ و لكم فى الارض ﴾ أى جنسها ﴿ مستقر ﴾ أى موضع استقرار كالسهول[7] و ما شابهها ﴿ و متاع الى حين ﴾ أى انقضاء آجالكم ثم انقضاء أجل الدنيا .

و لما علم بهذا أن للكون فى الأرض آخرا ، [و كان من الفلاسفة

(١) من ظ ، و فى الأصل : للاولى (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : ارشاد (٤) من ظ ، و فى الأصل : اجيب (٥) من ظ ، و فى الأصل : بيده - كذا .
(٦) من ظ ، و فى الأصل : معه (٧) من ظ ، و فى الأصل : بالسهول .

التناسخية و غيرهم ممن يقر بالوحدانية من يقول : إن النفوس مجردة عن الجسمية و علائقها و إنه إذا هلك الجسد اتصلت بالعلويات إما بكوكب أو غيره أو انحطت فى سلك الملائكة و بطل تعلقها بالبدن من كل وجه فلا تتصل به لا بتدبير و لا غيره و لا بالبعث - عند من قال منهم بالبعث -[1] ، كان كأنه قيل : فما ذا يكون بعد ذلك ؟ فأجيب بقوله : ﴿ قال ﴾ [أى الله رادا عليهم ما يعتقدون من بطلان التعلق بالبدن معبرا بالخطاب بالضمير الذى يعبر به عن هذا الهيكل المخصوص روحا و جسدا -] ﴿ فيها ﴾ [أى الأرض لا فى غيرها -] ﴿ تحيون ﴾ أى أولا و[2] ثانيا [على ما أنتم عليه بظواهركم و بواطنكم أبدانا و أرواحا -] ﴿ و فيها ﴾ [أى كذلك ، لا فى غيرها كما أنتم لذلك مشاهدون -] ﴿ تموتون ﴾ أى من الحياة الأولى [بجملتكم ، فيكون للأرواح تعلق بالأبدان بوجه ما حتى يقعد الميت فى القبر و يجيب سؤال الملكين عليهما السلام ، و تلتذ الأجساد بلذتها و تتألم بتألمها -] ، فأشير إلى الحشر مع تفصيل حال الكون فى الأرض ، و ختمت القصة بما ابتدئت به من الإعلام بالبعث بقوله : ﴿ و منها ﴾ [أى لا من غيرها باخبار الصادق -] ﴿ تخرجون ﴾ أى [روحا و بدنا -] بعد موتكم فيها و[2] عودكم إلى ما كنتم عليه أولا ترابا ، للجزاء و إظهار ثمرة الملك بانصاف بعضكم من بعض و التحلى [بصفة -] العدل فيما كان بعضكم يفعل مع بعض من العسف و الجور الذى لا يرضى أقل رؤسائكم أن يقر عليه عبيده ، و علم بهذا أن الدلالة على الحشر فذلكة

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : او .

القصة ، و هذا أبين [من ذكره -[1]] فيما مضى [فى قوله "فلنسئلن الذين ارسل اليهم" - الآيات .

و لما بين فيما مضى أن -[1]] موجب الإخراج من الجنة [2]هو ما أوجب[2] كشف السوءة من المخالفة و فرغ مما استتبعه حتى أخبر بأنه حكم ٥ باسكاننا هذه الدار بعد تلك الدار ، شرع يحذرنا من عدونا كما حذر أبانا عليه السلام[3]، و بدأ بقوله بيانا لأنه أنعم علينا فيها بكل ما يحتاج إليه فى الدين و الدنيا و إيذانا بما فى كشف العورة من الفضيحة و الإبعاد عن كل خير و إشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى: ﴿ يٰبَنِىٓ اٰدم ﴾ .

١٠ و لما كان الكلام فى كشف العورة ، و أن آدم عليه السلام أعوزه الساتر حتى فزع إلى الورق ، كان موضع أن يتوقع[4] ما يكون فى ذلك فقال[5] مفتتحا بحرف التوقع : ﴿ قد انزلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ عليكم ﴾ من آثار بركات السماء ، إما ابتداء بخلقه و إما بانزال أسبابه من المطر و نحوه ﴿ لباسا ﴾ أى لم يقدر عليه أبوكم فى الجنة ﴿ يوارى سوءٰتكم ﴾ إرشادا ١٥ إلى دواء ذلك الداء و إعلاما بأن نفس الكشف نقص لا يصلح لحضرات الكمال ، و قال: ﴿ و ريشا ﴾ إشارة إلى أنه سبحانه زادنا على الساتر ما به

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « آدم عليه السلام » تكررت فى ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : تتوقع (٥) من ظ ، و فى الأصل : قال .

الزينة و الجمال استعارة من ريش الطائر، محببا[1] فيما يبعد من الذنب و يقرب إلى حضرة[2] الرب .

و لما ذكر اللباس / الحسى، [3]و قسمه على ساتر و مزين[3]، أتبعه المعنوى فقال مشيرا - بقطعه فى قراءة الجمهور عما قبله - إلى كمال تعظيمه حثا عليه و ندبا إليه: ﴿و لباس التقوى﴾ فعلم أن ساتر العورات حسى و معنوى، فالحسى لباس الثياب، و المعنوى التحلى بما يبعث على المثاب[4]؛ ثم زاد فى تعظيم المعنوى بقوله: ﴿ذلك خير﴾ أى و لباس التقوى [هو -[5]] خير من لباس الثياب، و لكنه فصل باسم الإشارة المقترن بأداة البعد إيماء إلى علو رتبته وحسن عاقبته لكونه أهم[6] اللباسين لأن نزعه يكون بكشف العورة الحسية و المعنوية، فلو تجمل الإنسان بأحسن الملابس و هو غير متق كان كله سوءات، و لو كان متقيا و ليس عليه إلا خريقة توارى عورته كان فى غاية الجمال و الستر و الكمال، بل و لو كان مكشوف العورة فى بعض الأحوال كما قال صلى الله عليه وسلم «ستر ما بين عوراتكم و أعين الجن أن يقول أحدكم إذا دخل الخلاء: بسم الله اللهم! إنى أعوذ بك من الخبث و الخبائث» رواه الترمذى و ابن ماجه عن على رضى الله عنه، [و الذى يكاد يقطع به أن المعاصى سبب إحلال السوءة الذى منه ضعف البدن و قصر العمر حسا أو معنى بمحق البركة منه لما يفهمه ما تقدم فى البقرة فى بدء الخلق عن التوراة أن الله تعالى قال لآدم عليه السلام: كل من جميع أشجار

/ ٢٩١

(١) فى ظ: تحببا (٢) فى ظ: حضرات (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) من ظ، و فى الأصل: المثاب (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: أهل .

الفردوس ، فأما شجرة علم الخير و الشر فلا تأكل منها لأنك فى اليوم الذى تأكل منها تموت موتا أى تتهيأ للموت حسا ، و يقضى عليك بالاشتغال بأسباب المعيشة فيقصر عمرك معنى بذهاب بركته - و الله أعلم -] .

و لما كان فى شرع اللباس تميز الإنسان عن بقية الحيوان و تهيئة أسبابه التى لم يجدها آدم عليه السلام فى الجنة من الفضل و النعمة و الدلالة على عظمة المنعم و رحمتـــه و قدرته و اختياره ما هو معلوم ، قال : ﴿ ذلك ﴾ أى إنزال اللبـاس ﴿ من آيـت الله ﴾ أى الذى حاز صفات الكمال الدالة على فضله و رحمتـه لعباده ، و لعل الالتفات من الخطاب إلى الغيبة فى ﴿لعلهم يذكرون ٥﴾ - و لو على أدنى وجوه التذكر بما يشير إليه الادغام - لئلا يقول المتعنت : إن الحث على التذكر خاص بالمخاطب و يدعى أنه المسلمون فقط ، أى أنزلنـا ذلك ليكون حالهم[2] حال من يتذكر فيعرف أنه يستقبح منه ما يستقبح من غيره .

و لما كان المقصود من ذكر القصص لا سيما قصص الأنبياء الاعتبار بها ، فكان بيان ما وقع بين آدم عليه السلام و بين الشيطان من شديد العداوة مقتضيا للتحذير من الشيطان ، وكان المقام خطرا و التخلص عسرا ، أشار إلى ذلك بالتأكيد و بيان ما سلط الشيطان به من المكايد الخفية و الأسباب الدقيقة ليعلم الناجى أنه إنما نجا بمحض التوفيق و مجرد اللطف فيقبل على الشكر متبرئا من الحول و القوة ، فقال مناديا لهـم بما يفهم الاستعطاف و التراؤف و التحنن و الترفق و الاستضعاف[3] : ﴿ يٰبَنِىٓ اٰدَمَ ﴾

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : حالكم (٣) فى ظ : الاستعطاف .

أى الذى خلقته بيدى و أسكنته جنتى ثم أنزلته إلى دار محبتى إرادة الإعلاء لكم إلى الذروة من عبادتى و الإسفال[1] إلى الحضيض من معصيتى ﴿ لا يفتننكم ﴾ أى [لا -[2]] يخالطنكم بما يميلكم عن الاعتدال ﴿ الشيطن ﴾ أى البعيد[3] المحترق بالذنوب[4]، يصدكم عما يكون سببا لردكم إلى وطنكم بتزيين ما ينزع عنكم من لباس التقوى المفضى إلى هتك العورات الموجب لخزى الدنيا، ٥ فيمنعكم بذلك من دخول الجنة و يدخلكم النار ﴿ كما اخرج ابويكم من الجنة ﴾ بما فتنهما به بعد أن كانا سكناها و تمكنا فيها و توطناها، وقد علمتم أن الدفع أسهل من الرفع فاياكم ثم إياكم ! فالآية من الاحتباك : ذكر الفتنة أولا دليلا على حذفها ثانيا، و الإخراج ثانيا دليلا على حذف ضده أو نظيره[5] أولا. ١٠

و لما كان الشيطان قد بذل الجهد فى إخراجهما، فسر الإخراج - مشيرا إلى ذلك - باطالة الوسواس و إدامة المكر و الخديعة بالتعبير بالفعل المضارع فقال [فى موضع الحال من ضمير " الشيطن " -[3]] : ﴿ ينزع عنهما ﴾ أى [بالتسبيب -[2]] بادامة التزيين و الأخذ من المأمن ﴿ لباسهما ﴾ [أى الذى كان الله سبحانه قد سترهما به ما داما حافظين لأنفسهما من مواقعة ما نهيا عنه، ١٥ ودل على منافاة الكشف للجنة بالتعليل بقوله : ﴿ ليريهما سواءتهما[1] ﴾ -[2]] فان ذلك مبدأ ترك الحياء و الحياء و الإيمان / فى قرن - كما أخرجه ٢٩٢ / الطبرانى و أبو نعيم فى الحلية عن ابن عمر رضى الله عنهما، و الحياء لا يأتى

(١) فى ظ : الاشتغال (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ ، و فى الأصل : بالذنب . (٥) من ظ ، و فى الأصل : يظهره .

إلا بخير - كما رواه الشيخان عن عمران بن حصين رضى الله عنهما ،

و لما كان نهى الشيطان عن فتنتنا إنما هو فى الحقيقة نهى لنا عن الافتتان به ، فهو فى قوة ليشتد حذركم من فتنته فانه دقيق الكيد بعيد الغور[1] بديع المخاتلة ؛ علل ذلك بقوله : ﴿ انه يرٰىكم ﴾ أى الشيطان ﴿ هو و قبيله ﴾ أى جنوده ﴿ من حيث لا ترونهم ﴾ عن مالك بن دينار أن عدوا يراك و لا تراه لشديد المؤنة إلا من عصمه الله .

و لما كان كأنه قيل : لم سلطوا علينا هذا التسليط العظيم الذى لا يكاد يسلم معه أحد ، قال مخففا لأمرهم موهيا فى الحقيقة لكيدهم : ﴿ انا ﴾ أى فعلنا ذلك لأنا بما لنا من العظمة ﴿ جعلنا الشيٰطين ﴾ أى المحترقين بالغضب البعيدين من الرحمة ﴿ اولياء ﴾ أى قرباء[2] و قرناء ﴿ للذين لا يؤمنون ﴾ أى يجددون الإيمان ، لأن بينهم تناسبا فى الطباع يوجب الاتباع ، و أما أولياؤنا الذين منعناهم بقوتنا منهم أو فتناهم يسيرا بهم ، ثم خلصناهم بلطفنا منهم فليسوا لهم بأولياء ، بل هم لهم أعداء و آيتهم أنهم يؤمنون ، و المعنى أنا مكناهم من مخاتلتكم بسترهم عنكم و إظهاركم لهم ، فسلطناهم بذلك على من حكمنا بأنه لا يؤمن بتزيينهم لهم و تسويلهم و استخفافهم بأن ينصروهم فى بعض المواطن و يوصلوهم[3] إلى شىء من المطالب ، فعلنا ذلك ليتبين الرجل الكامل - الذى يستحق الدرجات العلى و يتردد إليه الملائكة بالسلام و الجنى[4] - من غيره فخذوا حذركم فان الأمر

(١) من ظ ، و فى الأصل : الغور (٢) فى ظ : اقرباء (٣) فى ظ : يوصلهم .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : الحى - كذا .

خطر [1]و الخلاص[1] عسر، و بعبارة أخرى: إنا سلكناكم[2] طريقا و جعلنا بجنبتيها[3] أعداء يرونكم[4] و لا ترونهم، و أقدرناهم[5] على بعضكم، فمن سلك سواء السبيل نجا و من شذ أسره العدو، ومن دنا من الخافات بمرافقة الشبهات قارب العدو و من قاربه استغواه، فكلما دنا منه تمكن[6] من أسره، و كل من تمكن من أسره بعد من الخلاص[7] فاحذروا، و عدم رؤيتنا لهم فى الجملة لا [8]يقتضى امتناع رؤيتهم على أنه قد صح تصورهم فى الأجسام الكثيفة و رؤية بنى آدم لهم فى تلك الأجسام كالشيطان الذى رآه أبو هريرة رضى الله عنه حين أمره رسول الله صلى الله عليه و سلم بحفظ الصدقة، و كذا أبى بن كعب رضى الله عنه، و حديث خالد بن الوليد رضى الله عنه فى شيطان العزى معروف فى السير، وكذا حديث سواد ابن قارب رضى الله عنه فى إرشاد رئيه من الجن له، و كذا خطر ابن مالك رضى الله عنه فى مثل[9] ذلك و غيرهما، و فى شرحى لنظمى للسيرة كثير من ذلك، و كذا حديث العفريت الذى تفلت على رسول الله صلى الله عليه و سلم بشعلة من نار ليقطع عليه صلاته فأخزاه الله و أمكن منه [رسول الله -[10]]، و قال النبى صلى الله عليه و سلم: لو لا دعوة أخى سليمان عليه السلام لأصبح مربوطا بسارية المسجد يتلعب[11] به ولدان أهل

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: سلكناهم (٣) من ظ، و فى الأصل: تحتها (٤) من ظ، وفى الأصل: يركم - كذا (٥) من ظ، وفى الأصل: اقدرناكم (٦) من ظ، وفى الأصل: يمكن (٧) من ظ، وفى الأصل: الاخلاص. (٨) فى الأصل: الا، وفى ظ: كما (٩) سقط من ظ (١٠) زيد من ظ (١١) من ظ، و فى الأصل: يتعلب.

المدينة ؛ قال أبو حيان : إلا أن رؤيتهم فى الصور نادرة كما أن الملائكة عليهم السلام تبدو فى صور كحديث جبريل عليه السلام .

و لما جعل أمارتهم فى ولاية الشيطان عدم الإيمان ، عطف على ذلك أمارة أخرى فقال : ﴿و اذا فعلوا فاحشة﴾ أى أمرا بالغا فى القبح كالشرك و كشف العورة فى الطواف ﴿قالوا﴾ معللين لارتكابهم إياها ﴿وجدنا عليها﴾ أى الفاحشة ﴿اٰبآءنا﴾ و لما كانت هذه العلة ظاهرا عارها بينا عوارها ، ضموا إليها افتراء[1] ما يصلح للعليـــة ، فقالوا معبرين بالاسم الأعظم غير محتشمين من جلاله و عظمته و كماله : ﴿و الله امرنا بها[2]﴾ .

و لما كانت العلة الأولى ملغاة ، و كان العلم ببطلانها بديهيا ، لأن من المعلوم أنهم لو وجدوهم على سفه فى تحصيل المال ما تابعوهم ؛ أعرض / عنها إشارة إلى ذلك ، و أمر بالجواب عن الثانية التى هى افتراء على الملك الأعلى مع ادعائهم أنهم أبعد الناس عن مطلق الكذب و أشدهم تحريا بقوله : ﴿قل ان الله﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿لا يامر بالفحشآء[3]﴾ أى بشىء من هذا الجنس . /٢٩٣

و لما كان الكذب قبيحا فى نفسه و هو عندهم أقبح القبيح مطلقا ، فكيف بـــه على كبير منهم فكيف إذا كان على أعظم العظماء ! قال منكرا عليهم موبخا لهم مهددا : ﴿اتقولون على الله﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ما لا تعلمون ٥﴾ لأنكم لم تسمعوا ذلك عن[2] الله بلا واسطة و لا نقل إليكم بطريق صحيح عن نبى من الأنبياء[3] عليهم السلام ، و فيه

(١) من ظ ، و فى الأصل : افرا - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : من .
(٣) فى ظ : انبيايه .

تهديد شديد على الجهل[1] و القول على الله بالظن .

و لما كان تعليلهم بأمر الله مقتضيا لأنه إذا امر بشيء أتبع ، أمره أن يبلغهم أمره الذى جاء به دليل العقل مؤيدا بجازم النقل فقال: ﴿قل﴾ أى لهؤلاء الذين نابذوا الشرع و العرف ﴿امر ربى﴾ المحسن إلىّ بالتكليف بمحاسن الأعمال، التى تدعو إليها الهمم العوال ﴿ بالقسط قف﴾ و هو الأمر الوسط بين ما فحش فى الإفراط صاعدا عن الحد، و فى التفريط [هابطا منه؛ و لما كان التقدير: فأقسطوا اتباعا لما أمربه ، أو كان القسط -[2]] مصدرا ينحل إلى: أن أقسطوا، عطف عليه ﴿و اقيموا وجوهكم﴾ مخلصين غير مرتكبين لشيء من الجور ﴿عند كل مسجد﴾ أى مكان و وقت و حال يصلح السجود فيه، و لا يتقيدن أحد بمكان و لا زمان [بأن -[2]] يقول و قد أدركته الصلاة : أذهب فأصلى فى مسجدى ﴿و ادعوه﴾ عند ذلك كله دعاء عبادة ﴿مخلصين له الدين﴾ أى لا تشركوا به شيئا .

و لما كان المعنى: فان من لم يفعل ذلك عذبه بعد إعادته له بعد الموت، ترجمه مستدلا عليه بقوله معللا : ﴿كما بداكم﴾ أى فى النشأة الأولى فأنتم تبتدئون نعيدكم بعد الموت فأنتم ﴿ تعودون﴾ حال كونكم فريقين : ﴿ فريقا هدى ﴾ أى خلق الهداية فى قلوبهم فحق لهم ثواب الهداية ﴿و فريقا﴾ أضل، ثم فسر 'أضل' - لأنه واجب التقدير بالنصب - بقوله : ﴿حق﴾ أى ثبت و وجب ﴿عليهم الضلالة﴾ أى لأنه أضلهم فيحشرون على ما كانوا عليه فى الدنيا من الأديان ، و الأيدان ، و قد تبين أن مهنا

(١) من ظ ، و فى الأصل : الجهد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

احتباكين: أثبت فى أولهما 'بدا' دليلا على حذف[1] 'يعيد' و ذكر 'تعودون' دليلا على حذف 'تبتدئون'. و أثبت فى الثانى 'هدى' دليلا على حذف[1] 'أضل' و ذكر حقوق الضلالة دليلا على حذف حقوق الهدى.

و لما كرر سبحانه ذكر البعث كما تدعو إليه الحكمة فى تقرير ما ٥ ينكره المخاطب تأنيسا له به و كسرا لشوكته و إيهانا لقوته و قمعا لسورته إلى أن ختم بما هو أدل عليه مما قبل من قوله 'و منها تخرجون' "و لنسئلن الذين ارسل اليهم" علل ما ختم به هذا الدليل من حقوق الضلالة أى وجوبها أى وجوب وبالها عليهم بقوله: ﴿ انهم اتخذوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم ضد ما دعتهم إليه الفطرة الأولى بأن أخذوا ﴿ الشيطين اولياء ﴾ أى ١٠ أقرباء و أنصارا ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا مثل له[2] ﴿ و يحسبون ﴾ أى و الحال أنهم يظنون بقلة عقولهم ﴿ انهم مهتدون ٥ ﴾ فأشار بذلك إلى أنهم استحقوا النكال لأنهم قنعوا فى الأصول - التى[3] يجب فيها الابتهال[4] إلى القطع - بالظنون.

و لما أمر سبحانه بالقسط و باقامة الوجه عند كل مسجد، أمرهم ١٥ بما ينبغى عند تلك الإقامة من ستر العورة الذى تقدم الحث عليه و بيان فحش الهتك و سوء أثره معبرا عنه بلفظ الزينة ترغيبا فيه و إذنا فى الزينة و بيانا لأنها ليس[2] مما يتورع عنه لقوله صلى الله عليه و سلم «ان الله يحب اذا بسط على عبد رزقه أن يرى أثر نعمته عليه» رواه أحمد و الترمذى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: الذى (٤) فى ظ: الانتهاء.

و ابن

و ابن منيع عن أبي هريرة رضى الله عنه ، و أتبع ذلك أعظم ما ينبغى لابن آدم أن يعتبر فيه القسط من المأكل و المشرب فقال مكررا النداء استعطافا و إظهارا لعظيم الإشفاق / و تذكيرا بقصة أبيهم آدم عليه السلام التى أخرجته من الجنة مع كونه صفى الله ليشتد الحذر : ﴿ يٰبنىٓ اٰدم ﴾ أى الذى زيناه فغره الشيطان ثم وقيناه شره بما أنعمنا عليه به من حسن التوبة و عظيم الرغبة ﴿ خذوا زينتكم ﴾ أى التى تقدم التعبير عنها بالريش لستر العورة و التجمل عند الاجتماع للعبادة ﴿ عند كل مسجد ﴾ [1]و أكد ذلك[1] كونهم كانوا قد شرعوا أن غير الحمس يطوفون عراة .

/ ٢٩٤

و لما أمر [2]بكسوة الظاهر بالثياب لأن صحة الصلاة متوقفة عليها ، أمر بكسوة[2] الباطن بالطعام و الشراب لتوقف القدرة عادة عليها فقال : ﴿ و كلوا و اشربوا ﴾ و حسّن ذلك أن بعضهم كان يتدين فى الحج بالتضييق فى ذلك .

ولما أمر بالملبس و المطعم ، نهى عن الاعتداء فيهما فقال : ﴿ و لا تسرفوا ج ﴾ بوضع شيء من ذلك فيما لا يكون أحق مواضعه و لو بالزيادة على المعاء ، [و من ذلك أن يتبع السنة فى الشرب فيسير لأن العكر يرسب فى الإناء فربما أذى من شربه ، و لذلك نهى عن النفس فى الإناء لأنه ربما أنتن فعافته النفس ، و أما الطعام فيلحسن إناءه و الأصابع لنيل البركة و هو أنظف -[3]] ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انه لا يحب المسرفين ج ﴾

(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : كذلك (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

أى لا يكرمهم ، و لا شك أن من لا يحبه لا يحصل له شيء من الخير فيحيط به كل شر ، و من جملة السرف الأكل فى جميع البطن ، و الاقتصاد الاقتصار على الثلث كما قال النبى صلى الله عليه و سلم « حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لابد فثلث للطعام و ثلث للشراب و ثلث للنفس » و « ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن[1] » و « الكافر يأكل فى [2]سبعة أمعاء[2] و المؤمن يأكل فى معى واحد » أخرجه البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال الأطباء : الأمعاء سبعة ، فالمعنى حينئذ أن الكافر[3] يأكل شبعا فيملأ الأمعاء السبعة ، و المؤمن يأكل تقوتا[4] فيأكل فى معى واحد ، و ذلك سبع بطنه ، و اليه الإشارة بلقيمات ، فان لم يكن فى معاءين و شيء و هو الثلث ـ و الله أعلم ، و سبب الآية أنهم كانوا يطرحون ثيابهم إذا أرادوا الطواف ، يقولون : لا نطوف فى ثياب إذ بتنا فيها ، و نتعرى منها لنتعرى[5] من الذنوب إلا[6] الحمس و هم قريش و من ولده ، وكانوا لا يأكلون من الطعام إلا قوتا و لا يأكلون دسما ، فقال المسلمون : [2] يا رسول[2] الله ! فنحن أحق أن نفعل ذلك ، فأنزلت .

و لما كان من المعلوم أن ما كانوا ألفوه و اتخذوه دينا يستعظمون تركه ، لأن الشيطان يوسوس لهم بأنه توسع [الدنيا ، و التوسع ـ[8]]

(١) فى ظ : بطنه (٢-٢) فى ظ : معى واحد (٣) من ظ ، و فى الأصل : كافر .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : مقوتا (٥) فى ظ : لنقوى (٦) زيد بعده فى الأصل : غير ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : يرـ كذا .
(٨) زيد من ظ .

فيها مما ينبغى الزهد فيه كما دعا إليه كثير من الآيات ، أكد سبحانه الإذن فى ذلك بالإنكار على من حرمه ، فقال منكرا عليهم إعلاما بأن الزهد الممدوح ما كان مع[1] صحة الاعتقاد فى الحلال و الحرام ، و أما ما كان مع تبديل شىء من الدين بتحليل حرام أو عكسه فهو مذموم : ﴿ قل ﴾ منكرا موبخا ﴿ من حرم زينة الله ﴾ أى الملك الذى لا أمر لأحد معه ٥ ﴿ التى اخرج لعباده ﴾ أى ليتمتعوا بها من الثياب و المعادن و غيرها .

و لما ذكر الملابس التى هى شرط فى صحة العبادة على وجه عم غيرها من المراكب و غيرها ، أتبعها المآكل و المشارب فقال : ﴿ و الطيبت ﴾ أى من[2] الحلال المستلذ ﴿ من الرزق[1] ﴾ كالبحائر و السوائب و نحوها : و لما كان معنى الإنكار : لم يحرمها من يعتبر تحريمه بل أحلها ، وكان ربما غلا ١٠ فى الدين غال تمسكا بالآيات المنفرة عن الدنيا المهونة لشأنها مطلقا فضلا عن زينة [و طيبات الرزق ، قال مستأنفا لجواب من يقول : لمن ؟ : ﴿ قل هى ﴾ أى الزينة -[3]] و الطيبات ﴿ للذين امنوا ﴾ و عبر بهذه العبارة و لم يقل : و لغيرهم ، تنبيها على أنها لهم بالإصالة ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ و أما الكفار[4] فهم تابعون لهم فى التمتع بها و إن كانت[5] لهم أكثر ، فهى غير خالصة ١٥ لهم و هى للذين آمنوا ﴿ خالصة ﴾ أى لا يشاركهم [فيها -[3]] أحد ، هذا على قراءة نافع بالرفع ، و التقدير على قراءة غيره : حال كونها خالصة ﴿ يوم القيمة[1] ﴾ و فى هذا تأكيد لما مضى من إحلالها بعد تأكيد و محو الشكوك[6] ، و داعية للتأمل فى الفصل بين المقامين / لبيان أن الزهد المأمور به / ٢٩٥

(١) فى ظ : من (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الكافرون .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : كان (٦) فى ظ : للشكوك .

إنما هو بالقلب بمعنى أنه لا يكون للدنيا عنده[1] قدر و لا له إليها التفات و لا هى أكبرهمه، و أما كونها ينتفع بها فيما أذن الله فيه و هى محقورة غيرمهتم بها فذلك من المحاسن .

و لما كان هذا المعنى من دقائق المعانى و نفائس المبانى، أتبعه تعالى قوله جوابا لمن يقول: إن هذا التفصيل [2]فائق فهل[2] يفصل غيره هكذا ؟ ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا التفصيل البديع ﴿ نفصل الآيٰت ﴾ أى نبين أحكامها و نميز بعض المشتبهات من بعض ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى لهم ملكة و قابلية للعلم ليتوصلوا به إلى الاعتقاد الحق و العمل الصالح .

و لما بين أن ما حرموه ليس بحرام فتقرر[3] ذلك تقررا نزع من النفوس ما كانت ألفته من خلافه[4]، و محا من القلوب ما كانت أشربته من ضده؛ كان كأنه قيل: فما ذا حرم الله الذى ليس التحريم إلا إليه ؟ فأمره تعالى بأن يجيبهم عن ذلك و يزيدهم بأنه لم يحرم غيره فقال: ﴿قل انما حرم ربى﴾ أى المحسن إلىّ بجعل دينى أحسن الأديان ﴿الفواحش﴾ أى كل فرد منها و هى ما زاد قبحه؛ و لما كانت الفاحشة ما يتزايد قبحه فكان ربما ظن أن الإسرار بها غير[5] مراد بالنهى قال: ﴿ما ظهر منها﴾ بين الناس ﴿و ما بطن﴾ .

و لما كان هذا خاصا[6] بما عظمت شناعته قال: ﴿و الاثم﴾ أى

---

(١) فى ظ: عليه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: تقرر (٤) من ظ، و فى الأصل: اخلافه (٥) من ظ، و فى الأصل: ثم (٦) من ظ، و فى الأصل: فرضا .

مطلق الذنب[1] الذى يوجب الجزاء، فان الإثم الذنب و الجزاء؛ و لما كان البغى زائد القبح مخصوصا بأنه من أسرع الذنوب عقوبة، خصه بالذكر فقال: ﴿و البغى﴾ و هو الاستعلاء على الغير ظلما، و[2] لكنه لما كان قد يطلق[3] على مطلق الطلب. حقق معناه العرفى الشرعى فقال: ﴿بغير الحق﴾ أى الكامل الذى ليس فيه شائبة باطل، فمتى كان فيه شائبة باطل كان بغيا، و لعله يخرج العلو بالحق بالانتصار من الباغى فانه حق كامل الحقية، وتكون[4] تسميته بغيا على طريق المشاكلة تنفيرا - بادخاله تحت اسم البغى - من تعاطيه و ندبا إلى العفو كما تقدم مثله فى "لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم[5]" و يمكن أن يكون تقييده تأكيدا لمنعه بأنه لا يتصور إلا موصوفا بأنه بغير الحق كما قال تخصيصا[6] و تنصيصا تنبيها على شدة الشناعة: ﴿و ان تشركوا بالله﴾ أى الذى اختص بصفات الكمال ﴿ما لم ينزل به سلطنا﴾ فانه لا يوجد مايسميه أحد شريكا إلا و هو مما لم ينزل به الله سلطانا بل ولا حجة به فى الواقع و لا برهان، و لعله إنما قيده بذلك إرشادا إلى أن أصول الدين لا يجوز اعتمادها إلا بقاطع فكيف بأعظمها و هو التوحيد! و لذلك عقبه بقوله: ﴿و ان﴾ أى و حرم أن ﴿تقولوا على الله﴾ أى الذى لا أعظم منه و لا كفوء له ﴿ما لا تعلمون ۝﴾ أى ما ليس لكم به[7] علم بخصوصه و لا هو مستند إلى علم أعم من أن يكون من الأصول أو لا.

(١) فى ظ: الكذب (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: نطق (٤) من ظ، وفى الأصل: يكون (٥) سورة ٤ آية ١٤٨ (٦) من ظ، وفى الأصل: مخصصا.

و لما تقدم أن الناس فريقان : مهتد و ضال ، و تكرر ذم الضال باجترائه على الله بفعل ما منعه منه و ترك ما أمره به ، و كانت العادة المستمرة للملوك أنهم لا يمهلون من تكرر مخالفته لهم ؛ كان كأنه قيل : فلم لا يهلك من يخالفه ؟ فقيل وعظا و تحذيرا : إنهم لا يضرون بذلك إلا أنفسهم ، و لا يفعلون شيئا منه إلا بارادته ، فسواء عندهم بقاؤهم و هلاكهم ، إنما يستعجل من يخاف الفوت أو يخشى الضرر ، و لهم أجل لا بد من استيفائه ، و ليس ذلك خاصا بهم بل ﴿ و لكل امة اجل ج ﴾ و[1] هو [عطف - [2]] على "فيها تحيون و فيها تموتون" ﴿ فاذا جآء اجلهم ﴾ .

و لما كان نظرهم إلى الفسحة فى الأجل ، و كان قطع رجائهم منه من جملة عذابهم ، قدمه فقال : ﴿ لا يستاخرون ﴾ أى عن الأجل ﴿ ساعة ﴾ عبر بها و المراد أقل ما يمكن ، لأنها أقل الأوقات فى الاستعمال فى العرف ، ثم عطف على الجملة الشرطية بكمالها لا على جزائها قوله : ﴿ و لا يستقدمون ه ﴾ أى على الأجل المحتوم ، لأن الذى ضربه لهم ما ضربه الا و هو عالم بكل ما يكون / من أمرهم ، لم يتجدد له علم ، لم يكن يتجدد شيء من أحوالهم ، و يجوز أن يكون معطوفا على قوله "و لكم فى الارض مستقر و متاع الى حين" و تكون الآية معلمة بأنهم سيتناسلون فيكثرون حتى يكونوا أمما ، و لا يتعرضون جملة بل يكون لكل أمة وقت .

٢٩٦ / ١٥

(١) فى ظ : اى (٢) زيد من ظ .

و لما كان استشراف النفس[1] إلى السؤال عما يكون بعد حين المستقر و المتاع أشد من استشرافها[2] إلى هذا لكونه أخفى منه، فهو أبعد من خطوره فى البال؛ قدم قوله "قال فيها تحيون"- الآية؛ و لما كان ذكر الدواء لداء هتك السوءة أهم قدم "انزلنا عليكم لباسا" ثم [ما -[3]] بعده حتى كان الأنسب بهذه[4] الآية هذا الموضع فنظمت فيه . ٥

و لما تقدمت الإشارة إلى الحث على اتباع الرسل بآيات المقصد الأول من مقاصد هذه السورة كقوله تعالى "كتب انزل[5] اليك" و "لتنذر" و "اتبعوا ما انزل اليكم" و قوله "فلنسئلن الذين ارسل اليهم"- [الآية -[3]] ، و قوله "قل امر ربى بالقسط"، "انما حرم ربى الفواحش" و التحذير من الشياطين بقوله "و لا تتبعوا من دونه اولياء" ١٠ و بقوله "لاقعدن لهم صراطك المستقيم"، "لا يفتننكم الشيطن" و غيره، فتحرر أنه لا سبيل إلى النجاة إلا بالرسل، و ختم ذلك بالأجل حثا على العمل فى أيام المهلة؛ أتبع ذلك قوله حاثا على التعلق بأسباب النجاة باتباع [الدعاة -[3]] الهداة قبل الفوت بحادث الموت[6] ببيان الجزاء لمن أحسن الاتباع فى الدارين: ﴿ يٰبَنِىٓ اٰدم ﴾ . ١٥

و لما كان له سبحانه أن يعذب من خالف داعى العقل من غير إرسال رسول، و كان إرسال الرسل جائزا له و فضلا منه سبحانه إذ

(١) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : استشراف (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ: لهذه (٥) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : انزلنا (٦) زيدت الواو بعده فى ظ .

لا واجب عليه، أشار إلى ذلك بحرف الشك فقال: ﴿ اما ﴾ هي 'إن' الشرطية وصلت بها 'ما' تأكيدا ﴿ يأتينكم رسل ﴾ و لما كانت زيادة الخبرة[1] بالرسول أقطع للعذر و أقوى فى الحجة قال: ﴿ منكم ﴾ أى من نوعكم من عند ربكم.

٥ [و لما كان الأغلب على مقصد هذه السورة العلم كما تقدم فى " فلنقصن عليهم بعلم و ما كنا غائبين " و يأتى فى " و لقد جئتهم بكتب فصلناه على علم " و غيرها، كان التعبير بالقصى - الذى هو تتبع الأثر كما تقدم فى الأنعام - أليق فقال -[2]]: ﴿ يقصون عليكم آيتى ﴾ أى يتابعون ذكرها لكم على وجه مقطوع به، [و -[2]] يتبع بعضهم بها أثر

١٠ بعض لا يتخالفون فى أصل واحد من الأصول.

و لما كان لقاء الرسل حتما و الهجرة إليهم واجبة لأن العمل لا يقبل إلا بالاستناد[3] إليهم مهما وجد إلى ذلك سبيل، ربط الجزاء بالفاء فقال: ﴿ فمن اتقى ﴾ أى خاف مقامى و خاف وعيدى بسبب التصديق بالرسل و التلقى عنهم ﴿ و اصلح ﴾ أى عمل صالحا باقتفاء آثارهم ﴿ فلا خوف ﴾

١٥ أى غالب ﴿ عليهم ﴾ أى بسبب ذلك من شىء يتوقعونه ﴿ و لا هم ﴾ أى بضمائرهم ﴿ يحزنون ﴾ أى يتجدد لهم [فى -[2]] وقت ما حزن على شىء فاتهم، لأن الله يعطيهم ما يقر[4] به أعينهم، و كأنه[5] غاية فى التعبير لأن إجلالهم لله تعالى و هيبتهم له يمكن أن يطلق عليها[6] خوف.

---

(١) فى ظ: الخير (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ: باستناد (٤) فى ظ: تقر (٥) فى ظ: لانه (٦) فى ظ: عليها.

و لما ذكر المصدق، أتبعه المكذب فقال: ﴿و الذين كذبوا بآيٰتنا﴾ أى على ما لها من العظمة باضافتها إلينا؛ و لما كان التكذيب قد يكون عن شبهة أو نوع من العذر، نفى ذلك بقوله: ﴿و استكبروا عنها﴾ أى أوجدوا الكبر إيجاد من هو طالب له عظيم الرغبة[1] فيه، متجاوزين عنها إلى أضداد ما دعت إليه. ٥

و لما كان ذلك ليس سببا حقيقيا للتعذيب، و إنما هو كاشف عمن ذرأه الله لجهنم لإقامة الحجة عليه، أعرى عن الفاء قوله: ﴿اولٰئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿اصحٰب النار﴾ و لما كان صاحب الشيء هو الملازم له المعروف به، قال مصرحا بذلك: ﴿هم[2]﴾ أى خاصة ليخرج العاصى من غير تكذيب و لا استكبار[3] ﴿فيها[4]﴾ أى النار خاصة، و هى ١٠ تصدق بكل طبقة من طبقاتها ﴿خٰلدون﴾ فقد تبين أن إثبات الفاء[1] أولا للترغيب فى الاتباع، و تركها[1] ثانيا للترهيب من شكاسة الطباع، فالمقام فى الموضعين خطر، و لعل / من فوائده الإشارة إلى أنه إذا بعث ٢٩٧/ رسول وجب على كل [من -[5]] سمع به أن يقصده لتحرير أمره، فاذا بان له صدقه تبعه، و ان تخلف عن ذلك كان مكذبا - و الله الموفق. ١٥

و لما كان تكذيب الرسل تارة يكون بشرع شيء لم يشرعوه،

---

(١) سقط من ظ (٢) تأخر فى الأصل عن «لا استكبار» و الترتيب من ظ.
(٣) هن ظ: وفى الأصل: استكبارا (٤) تأخر فى الأصل عن «من طبقاتها» والترتيب من ظ (٥) زيد من ظ.

و تارة برد ما شرعوه قولا و فعلا ، و أخبر أن المكذبين أهل النار ، علل ذلك بقوله : ﴿ فمن اظلم ﴾ أى أشنع ظلما ﴿ ممن افترى ﴾ أى تعمد ﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ كذبا ﴾ أى كمن شرع فى المطاعم و الملابس غير ما شرع ، أو[1] ادعى أنه يوحى إليه فحكم بوجود[2] ما لم يوجد ٥ ﴿ او كذب بايته[1] ﴾ أى برد ما أخبر به الرسل فحكم بانكار ما وجد[3] .

و لما كان الجواب : لا أحد أظلم من هذا ، بل هو أظلم الناس ، و كان مما علم أن الظالم مستحق للعقوبة فكيف بالأظلم قال : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء من الحضرات الربانية ﴿ ينالهم نصيبهم من الكتب[1] ﴾ أى الذى كتب حين نفخ الروح أو من الآجال التى[4] ضربها سبحانه [لهم -[5]] ١٠ و الأرزاق التى قسمها ، تأكيدا لرد اعتراض من قال : إن كنا خالفنا فما له لا يهلكنا ؟ ثم غيّى نيل النصيب بقوله : ﴿ حتى اذا جاءتهم رسلنا ﴾ أى الذين قسمنا لهم[6] من عظمتنا ما شئنا حال كونهم ﴿ يتوفونهم[1] ﴾ أى يقبضون أرواحهم كاملة من جميع أبدانهم ﴿ قالوا اين ما كنتم ﴾ عنادا كمن هو فى جبلته ﴿ تدعون ﴾ أى دعاء عبادة ﴿ من دون الله[1] ﴾ ١٥ أى تزعمون[7] أنهم واسطة لكم عند الملك الأعظم و[8]تدعونهم حال كونكم معرضين عن الله ، ادعوهم الآن ليمنعوكم من عذاب الهوان[9] الذى نذيقكم ﴿ قالوا ضلوا ﴾ أى غابوا ﴿ عنا ﴾ فلا ناصر لنا .

---

(١) فى ظ « و » (٢) من ظ ، وفى الأصل : بوجد (٣) فى ظ : يوجد (٤) فى ظ : الذى (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : يزعمون . (٨) من ظ ، وفى الأصل : او (٩) فى ظ : الهون .

و لما كان الإله لا يغيب فعلموا ضلالهم بغيبتهم عنهم ، قال مترجما عن ذلك : ﴿و شهدوا علىٰ انفسهم﴾ أى بالغوا فى الاعتراف ﴿ انهم كانوا كٰفرين ۝ ﴾ أى ساترين عنادا لما كشف لهم عنه نور العقل فلا مانع منه إلاحظوظ النفوس و لزوم البؤس .

و لما كان كأنه قيل : لقد اعترفوا ، و الاعتراف - كما قيل - إنصاف ، فهل ينفعهم؟ قيل : هيهات ! فات محله بفوات[1] دار العمل لا جرم ! ﴿قال﴾ أى الذى جعل الله إليه أمرهم ﴿ادخلوا﴾ كائنين ﴿فىٓ امم﴾ أى فى جملة جماعات و فرق أم بعضها بعضا[2] ؛ ثم وصفهم دالا بتاء التأنيث على ضعف عقولهم فقال : ﴿ قد خلت ﴾ و لما كان فى الزمن الماضى من آمن ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ و لما كان الجن الأصل فى الإغواء قدمهم فقال : ﴿ من الجن و الانس ﴾ ثم ذكر محل الدخول فقال : ﴿ فى النار[3] ﴾ .

و لما جرت عادة الرفاق بأنهم يتكالمون و حين الاجتماع يتسالمون تشوف السامع إلى حالهم فى ذلك فقال مجيبا له : ﴿ كلما دخلت امة ﴾ أى منهم فى النار ﴿ لعنت اختها[4] ﴾ أى القريبة منها فى الدين[5] و الملة التى قضيت[6] آثارها و اتبعت منارها ، يلعن اليهود اليهود و النصارى النصارى - و هكذا ، و استمر ذلك منهم ﴿حتىٰٓ اذا اداركوا ﴾ أى تداركوا و تلاحقوا ، يركب بعضهم بعضا - بما يشير إليه الإدغام ﴿ فيها جميعا[7] ﴾ لم يبق منهم أمة و لا واحد[8] من أمة ﴿ قالت اخرٰىهم ﴾ أى فى الزمن

(١) فى ظ : بفوت (٢) فى ظ : بعض (٣) فى ظ : الزمن (٤) من ظ ، و فى الأصل : نعت - كذا (٥) فى ظ : احدا .

و المنزلة ، و هم الأتباع و السفل ﴿ لاولٰئهم ﴾ أى لأجلهم مخاطبين لله خطاب المخلصين ﴿ ربنا ﴾ أى[1] الذى ما قطع إحسانه فى الدنيا عنا على[2] ما كان منا من مقابلة إحسانه بالإساءة ﴿ هٰؤلآء ﴾ أى الأولون ﴿ اضلونا ﴾ أى لكونهم أول من سن الضلال ﴿ فاتهم ﴾ أى أذقهم بسبب ذلك ﴿ عذابا ضعفا ﴾ أى يكون بقدر عذاب غيرهم[3] مرتين لأنهم ضلوا و أضلوا لأنهم سنوا الضلال ، « و من سن سنة [سيئة -[4]] كان عليه وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة » و منه « لا تقتل[5] [نفس ظلما إلا على ابن آدم الأول كفل من دمها » لأنه أول من سن القتل -[4]] ، ثم أكدوا شدة العذاب بقولهم : / ﴿ من النار ۝ ﴾ . / ٢٩٨

و لما كان كأنه قيل : لقد قالوا ما له وجه ، فبم أجيبوا ؟ قيل : ﴿ قال ﴾ أى جوابا لهم ﴿ لكل ﴾ أى من السابق و اللاحق و المتبوع و التابع ﴿ ضعف ﴾ و إن لم يكن الضعفان[6] متساويين لأن[7] المتبوع و إن كان سببا لضلال التابع فالتابع[2] أيضا كان سببا لتمادى المتبوع فى ضلاله و شدة شكيمته [فيه بتقويته -[4]] بالاتباع و تأييده بالمناضلة عنه و الدفاع ؛ و لما كانوا جاهلين باستحقاقهم الضعف لسبب هذه الدقيقة قال : ﴿ و لكن لا تعلمون ۝ ﴾ أى بذلك .

و لما ذكر ملام الآخرين على الأولين ، عطف عليه جواب الأولين فقال : ﴿ و قالت اولٰئهم ﴾ أى أولى الفرق و الأمم ﴿ لاخرٰهم ﴾ مسببين

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : ايها (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : ربهم ربهم - كذا.
(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يقبل (٦) من ظ ، و فى الأصل: الضعفا - كذا (٧) فى ظ : اذ - كذا .

عن

عن[1] تأسيسهم لهم الضلال و دعائهم إليه ﴿ فما كان لكم علينا ﴾ أى بسبب انقيادكم لنا و اتباعكم فى الضلال ﴿ من فضل ﴾ أى لنحمل[2] عنكم بسببه شيئا من العذاب لأنه لم يعد علينا من ضلالكم نفع و قد شاركتمونا فى الكفر ﴿ فذوقوا ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ العذاب ﴾ فى سجين ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كنتم تكسبون[3] ﴾ لا بسبب اتباعكم لنا فى الكفر. ٥

و لما جرت العادة بأن أهل الشدائد يتوقعون الخلاص[4]، أخبر أن هؤلاء ليسوا كذلك، لأنهم أنجاس فليسوا أهلا لمواطن الأقداس، فقال مستأنفا لجواب من كأنه قال: أما لهؤلاء خلاص؟ و أظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف: ﴿ان الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أى و هى المعروفة بالعظمة بالنسبة إلينا ﴿ و استكبروا عنها ﴾ أى و أوجدوا ١٠ الكبر[5] متجاوزين عن اتباعها ﴿ لا تفتح لهم ﴾ أى لصعود أعمالهم و لا دعائهم و لا أرواحهم و لا لنزول البركات عليهم ﴿ابواب السمآء﴾ لأنها طاهرة عن الأرجاس الحسية و المعنوية فاذا صعدت[6] أرواحهم الخبيثة بعد الموت مع ملائكة العذاب أغلقت الأبواب دونها ثم ألقيت من هناك إلى سجين ﴿ و لا يدخلون الجنة ﴾ أى التى هى أطهر المنازل ١٥ و أشرفها ﴿حتى﴾ يكون ما لا يكون بأن ﴿ يلج ﴾ أى يدخل و يجوز[7] ﴿ الجمل ﴾ على كبره ﴿ فى سم ﴾ أى فى[4] خرق ﴿ الخياط[8] ﴾ أى

(١) من ظ، و فى الأصل: على (٢) من ظ، و فى الأصل: ليحمل (٣) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل: تكفرون - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: الكفر (٦) من ظ، و فى الأصل: اصعدت (٧) فى ظ: يخيل - كذا.

الإبرة [١] أى حتى يكون ما لا يكون ، إذاً [١] [فهو تعليق على محال - [٢]] ، فان الجمل مثل فى عظم الجرم عنـــد العرب ، و سم الإبرة مثل فى ضيق المسلك ، يقال : أضيق من خرق الإبرة ، و منه الماهر الخريت للدليل الذى يهتدى فى المضايق المشبهة بأخراق الإبر ؛ و عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه سئل عن الجمل فقال : زوج الناقة - استجهالا للسائل و إشارة إلى أن [٣] طلب معنى آخر غير هذا الظاهر تكلف .

و لما كان هذا للمكذبين المستكبرين أخبر أنه لمطلق القاطعين أيضا فقال : ﴿ وكذلك ﴾ أى [و - [٢]] مثل ذلك الجزاء بهـــذا العذاب [و هو أن دخولهم الجنة محال عادة - [٢]] ﴿ نجزى المجرمين * ﴾ أى القاطعين لما أمر الله به أن يوصل و إن كانوا أذنابا مقلدين للمستكبرين [المكذبين - [٣]] ؛ ثم فسر جزاء الكل فقال : ﴿ لهم من جهنم مهاد ﴾ أى فرش من تحتهم ، جمع مهد ، و لعله لم يذكره لأن المهاد كالصريح فيه ﴿ و من فوقهم غواش [٤] ﴾ أى أغطية - جمع غاشية - تغشيهم من جهنم [٤] ؛ و صرح فى هذا بالفوقية لأن الغاشية ربما كانت عن يمين أو شمال ، أو كانت بمعنى مجرد الوصول و الإدراك ، و لعله إنما حذف الأول لأن الآية من الاحتباك ، فذكر جهنم أولا دليلا على إرادتها ثانيا ، و ذكر الفوق ثانيا دليلا على إرادة التحت أولا .

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيـــد من ظ (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : جهتهم .

و لما كان بعضهم [1]ربما لا تكون[1] له أهلية قطع و لا وصل ، قال عاما لجميع أنواع الضلال : ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ذلك الجزاء ﴿ نجزى الظلمين ﴾ ليعرف أن المدار على الوصف ، و المجرم : المذنب ، و مادته ترجع[2] إلى القطع ، و الظالم : الواضع للشىء فى غير موضعه كفعل من يمشى فى الظلام ، [و يجوز -[3]] أن يكون نبه سبحانه بتغاير الأوصاف[4] على تلازمها ، فمن كان ظالما لزمه الإجرام و التكذيب و الاستكبار / و بالعكس . ٢٩٩ /

و لما أخبر عن أحوالهم ترهيبا ، أتبعه الإخبار عن أحوال المؤمنين ترغيبا فقال : ﴿ و الذين امنوا[5] ﴾ فى مقابلة "الذين كذبوا[6]" .

و لما قال : ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم فى مقابلة "الذين استكبروا" ﴿ الصلحت ﴾ و كان ذلك مظنة لتوهم أن عمل جميع الصالحات - لأنه جمع محلى[7] [بالألف و -[3]] اللام - شرط فى دخول الجنة ؛ خلل ذلك بجملة اعتراضية تدل على التخفيف فقال : ﴿ لا نكلف نفسا الا وسعها[8] ﴾ و ترغيبا فى اكتساب[9] ما لا يوصف من النعيم بما هو فى الوسع ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الرتبة[10] ﴿ اصحب الجنة[4] ﴾ و لما كانت الصحبة تدل على الدوام ، صرح به فقال : ﴿ هم فيها خلدون ﴾ .

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : انما لا يكون (٢) من ظ ، و فى الأصل : يرجع ، (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : الاصواف (٥) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : اتقوا - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : كفروا - كذا. (٧) فى ظ : محكى (٨) من ظ ، و فى الأصل : باللام (٩) من ظ ، و فى الأصل : الكتاب (١٠) من ظ ، و فى الأصل : الدين ،

ولما كانت الدار لا تطيب إلا بحسن الجوار قال: ﴿ ونزعنا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى لا يعجزها شىء ﴿ ما[1] ﴾ كان فى الدنيا ﴿ فى صدورهم من غل ﴾ أى ضغينة وحقد وغش من بعضهم على بعض يغل، أى يدخل بلطف إلى صميم القلب، ومنه الغلول، وهو الوصول بالحيلة إلى الذنوب الدقيقة، ويقال: غل فى الشىء[2] وتغلغل فيه - إذا دخل فيه بلطافة كالحب يدخل فى صميم الفؤاد، حتى أن صاحب الدرجة [السافلة لا يحسد صاحب - [3]] العالية.

ولما كان حسن الجوار لا يلذ إلا بطيب القرار باحكام الدار، وكان الماء[4] سبب العمارة وطيب المنازل، وكان الجارى منه أعم نفعا وأشد استجلابا للسرور[5] قال تعالى: ﴿ تجرى من ﴾ وأشار إلى علوهم بقوله[6]: ﴿ تحتهم الانهر ﴾ فلما تمت لهم النعمة بالماء الذى به حياة كل شىء فعرف أنه يكون[7] عنه الرياض والأشجار[8] وكل ما به حسن الدار، أخبر عن تعاطيهم الشكر لله ولرسوله المستجلب للزيادة بقوله: ﴿ وقالوا الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله ﴾ أى المحيط بكل شىء علما وقدرة لذاته لا لشىء آخر؛ ثم وصفوه بما يقتضى ذلك له لأوصافه أيضا، فقالوا معلمين أنه[9] لا سبب لهم فى الوصول إلى النعيم غير فضله فى الأولى

(١) تأخر فى الأصل عن « فى الدنيا » والترتيب من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: السعى (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: بالسرور (٦) زيد بعده فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) فى ظ: تكون (٨) من ظ، وفى الأصل: الايجاب - كذا (٩) فى ظ: لأنه.

و الأخرى : ﴿ الذى هدٰنا ﴾ أى بالبيان و التوفيق ، [و أوقعوا الهداية على ما وصلوا إليه إطلاقا للسبب على السبب -[1]] ﴿ لهذا ﴾ أى للعمل[2] الذى أوصلنا إليه ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنا ما ﴿ كنا لنهتدى ﴾ أصلا لبناء جبلاتنا على خلاف ذلك ﴿ لو لآ ان هدٰنا الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ، و قراءة[3] ابن عامر بغير واو على أن الجملة موضحة لما قبلها ، و القراءتان دامغتان للقدرية .

و لما كان تصديقهم للرسل فى الدنيا إيمانا بالغيب من باب علم اليقين ، أخبروا فى الآخرة بما وصلوا إليه من عين[4] اليقين سرورا و تبجحا لا تعبدا ، و ثناء على الرسل و من أرسلهم بقولهم[5] مفتتحين بحرف التوقع لأنه محله : ﴿ لقد جآءت رسل ربنا ﴾ أى المحسن إلينا ﴿ بالحق[6] ﴾ أى الثابت الذى يطابقه الواقع الذى لا زوال له .

و لما غبطوا أنفسهم و حقروها و أثبتوا الفضل لأهله ، عطف على قولهم [قوله -[1]] مبانّا عليهم بقبول أعمالهم ، و لما كان السار الإخبار عن الإيراث لا كونه من معين ، بنى للمفعول قوله : ﴿ و نودوآ ﴾ أى إتماما لنعيمهم ﴿ ان ﴾ هى المخففة من الثقيلة أو[6] هى المفسرة ﴿ تلكم الجنة ﴾ العالية ﴿ اورثتموها ﴾ أى صارت إليكم [7]من غير[7] تعب و لا منازع ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كنتم تعملون ﴾[8] لأنه سبحانه جعله سببا

(١) زيد مابين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : العمل (٣) فى ظ : قرا (٤) فى ظ : علم (٥) فى ظ : بقوله (٦) فى ظ « و » (٧ - ٧) فى ظ : بغير .
(٨) زيد بعده فى الأصل : أى إتماما لنعيمهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

[١]ظاهريا بكرمه[١] ، و السبب الحقيقي هو ما ذكروه [هم -[٢]] من توفيقه .

و لما استقرت بهم الدار ، و تودوا بدوام الاستقرار ، أخبر سبحانه أنهم أقبلوا متبجحين على أهل النار شامتين بهم في إحلالهم دار البوار تلذيذا لأنفسهم بالنعيم و تكديرا على الأشقياء في قوله : ﴿ و نادى اصحب ٥ الجنة ﴾ أي بعد دخول[٢] كل من الفريقين إلى داره ﴿ اصحب النار ﴾ يخبرونهم بما أسبغ عليهم من النعم ، و يقررونهم بما كانوا يتوعدونهم به من حلول [٤]النقم ؛ ثم فسر[٤] ما وقع له النداء بقوله : ﴿ ان ﴾ أو هي[٣] مخففة من الثقيلة ، و ذكر حرف التوقع لأنه محله فقال : ﴿ قد وجدنا ﴾ ٣٠٠/ أي / بالعيان كما كنا واجدين له بالإيمان ﴿ ما وعدنا ربنا ﴾ أي المحسن ١٠ إلينا في الدارين من الثواب ﴿ حقا ﴾ أي [وجدنا جميع ما وعدنا ربنا لنا و لغيرنا حقا -[٢]] كما كنا نعتقد ﴿ فهل وجدتم ﴾ أي كذلك ﴿ ما وعد ﴾ و أثبت المفعول الأول تلذيذا ، و حذفه هنا احتقارا للخاطبين ، و ليشمل[٥] ما للفريقين فيكون 'وجد' بمعنى العلم و بمعنى اللقى ، و في التعبير بالوعد دون الوعيد مع ذلك تهكم بهم ﴿ ربكم ﴾ أي الذي ١٥ أحسن إليكم فقابلتم إحسانه بالكفران[٦] من العقاب ﴿ حقا ط ﴾ [لكونكم وجدتم ما توعدكم به ربكم حقا -[٢]] ﴿ قالوا نعم ج ﴾ أي قد وجدنا ذلك

(١-١) من ظ ، و في الأصل : ظاهرا بالكرامة (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ .
(٤-٤) من ظ ، و في الأصل : الغم بهم غير - كذا (٥) من ظ ، و في الأصل : يشتمل (٦) من ظ ، و في الأصل : بالكفر .

كله حقا ؛ قال سيبويه : 'نعم' عِدَة ، أى فى جواب : أ تعطينى كذا ، و تصديق فى مثل قد كان كذا ، [و الآية من الاحتباك : أثبت المفعول الثانى أولا دليلا على حذف مثله ثانيا ، و حذفه ثانيا دليلا على إثبات مثله أولا ـ و الله أعلم ـ[1]] .

و لما حبوا من النعم بما تقدم ، و كان منه الجار الحسن ، و كان العيش مع ذلك لا يهنأ إلا بابعاد جار السوء ، أخبروا ببعده و زيدوا سرورا ٥ باهانته فى قوله : ﴿ فاذن ﴾ أى بسبب ما أقر به أهل النار على أنفسهم ﴿ مؤذن بينهم ﴾ أى بين الفريقين ﴿ ان ﴾ مخففة أو مفسرة فى قراءة نافع و أبى عمرو و عاصم ، و شددها الباقون و نصبوا ﴿ لعنة الله ﴾ أى طرد الملك الأعظم و إبعاده على وجه الغضب ﴿ على الظلمين ۝ ﴾ أى الذين كانوا مع البيان الواضح يضعون الأشياء فى غير مواضعها كحال[2] ١٠ من لم ير نورا أصلا ﴿ الذين يصدون ﴾ أى لهم فعل الصد لمن أراد الإيمان و لمن آمن و لغيرهما بالإضلال بالإرغاب و الإرهاب و المكر و الخداع ﴿ عن[3] سبيل الله ﴾ أى طريق دين الملك الذى لا كفوء له الواضح الواسع ﴿ و يبغونها ﴾ أى يطلبون لها ﴿ عوجا ج ﴾ بالقاء الشكوك و الشبهات ، و قد تقدم ما فيه فى آل عمران ﴿ و هم بالأخرة كفرون ۝ ﴾ ١٥ أى ساترون ما ظهر لعقولهم من دلائلها ؛ فمتى وجدت هذه الصفات الأربع حقت اللعنة ﴿ و بينهما ﴾ أى [و ـ[1]] حال الفريقين عند [هذه ـ[1]] المناداة أنه بينهما [4]أو بين الدارين[4] ﴿ حجاب ج ﴾ أى سور لئلا يجد أهل

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لحال (٣) فى ظ : فى ـ كذا .
(٤ـ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

النعيم فى دارهم ما يكدر نعيمها ﴿و على الاعراف﴾ جمع عرف و هو[1] كل عال مرتفع لأنه يكون أعرف مما انخفض، و هى المشرفات من ذلك الحجاب ﴿رجال﴾ استوت حسناتهم و سيئاتهم فوقفوا هنالك حتى يقضى الله فيهم ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته كما جاء مفسرا فى مسند ابن أبى خيثمة من حديث جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم ﴿يعرفون كلا﴾ أى من أصحاب الجنة و أصحاب النار قبل دخول كل منهم داره ﴿بسيمٰهم ج﴾ أى علامتهم ﴿و نادوا﴾ أى أصحاب الأعراف ﴿اصحٰب الجنة﴾ أى بعد دخولهم إليها و استقرارهم فيها ﴿ان سلٰم عليكم قف﴾ أى سلامة و أمن من كل ضار.

و لما كان هذا السلام ربما أشعر أنه بعد دخول أهل الأعراف الجنة، فكأنه قيل: أ[2] كان نداؤهم بعد مفارقتهم الأعراف و دخولها؟ فقيل: لا، ﴿لم يدخلوها﴾ أى الجنة بعد ﴿و هم﴾ أى و الحال أنهم ﴿يطمعون ه﴾ فى دخولها، و عبر بالطمع لأنه لا سبب للعباد إلى الله من أنفسهم و إن كانت لهم أعمال فضلا عن هؤلاء الذين لا أعمال لهم.

و لما دل ما تقدم على أنهم مقبلون على الجنة و أهلها، قال مرغبا مرهبا: ﴿و اذا صرفت﴾ بناه للمفعول لأن المخيف لهم الصرف لا كونه من معين ﴿ابصارهم﴾ أى صرفها صارف من قبل الله بغير اختيار منهم ﴿تلقآء﴾ أى وجاه ﴿اصحٰب النار ق﴾ أى بعد استقرارهم فيها فرأوا ما فيها من العذاب ﴿قالوا﴾ أى أصحاب الأعراف حال كونهم لم يدخلوها

(١) زيد بعده فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) سقط من ظ.

وهم يخافون [مستعيذين منها -[1]] ﴿ربنا﴾ أى أيها المحسن إلينا فى الدنيا بكل إحسان وفى الآخرة بكونك لم تدخلنا إلى هذا الوقت إلى النار ﴿لا تجعلنا مع القوم الظلمين ع﴾ بأن تدخلنا مدخلهم .

ولما تقدم كلامهم لأهل الجنة بالسلام ، أخبر أنهم يكلمون أهل النار بالتوبيخ والملام فقال : ﴿ونادىٰ﴾ وأظهر الفاعل لئلا يلبس بأهل الجنة فقال[2] : ﴿اصحٰب الاعراف﴾ أى حال صرف وجوههم إلى جهة أهل النار ﴿رجالا﴾ أى من أهل النار ﴿يعرفونهم﴾ أى بأعيانهم ، وأما معرفتهم إجمالا فتقدم ، وإنما قال هنا : ﴿بسيمٰهم﴾ لأن النار قد أكلتهم وغيرت معالمهم مع تغيرهم بالسمن وسواد الوجوه وعظم الجثث[3] ونحوه ﴿قالوا﴾ نفيا أو[4] استفهاما توبيخا وتقريعا ﴿مآ اغنى عنكم جمعكم﴾ أى للمال والرجال ﴿ومآ كنتم تستكبرون ه﴾ أى[3] تجددون بها هذه الصفة وتوجدونها دائما فى الدنيا زاعمين أنه لا غالب لكم ؛ ثم زادوا فى توبيخهم وتقريعهم وتحزينهم وتأسيفهم والإنكار عليهم بقولهم[5] مشيرين إلى ناس كانوا يستضعفونهم من أهل الجنة ويحقرونهم : ﴿اهٰؤلآء﴾ وكأنه يكشف لهم عنهم حتى يروهم[6] زيادة فى عذابهم ﴿الذين اقسمتم﴾ أى فى الدنيا ﴿لا ينالهم الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿برحمة[4]﴾ فكيف بكمال الرحمة .

ولما كان التصريح بأمرهم بدخول الجنة إنكاء لأهل النار لأنه أنفى

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : الجنب (٤) فى ظ « و » (٥) من ظ ، وفى الأصل : بقوله (٦) من ظ ، وفى الأصل : وهم - كذا

لما أقسموا عليه ، قالوا : ﴿ ادخلوا ﴾ أى قال الله لهم أو قائل من قبله : ادخلوا ﴿ الجنة لا خوف عليكم ﴾ أى من شىء يمكن توقع أذاه ﴿ ولآ انتم تحزنون ﴾ أى يتجدد لكم حزن فى وقت من الأوقات على شىء فات لما عندكم من الخيرات التى لا تدخل[1] تحت الوصف .

٥ ولما تقدم نداء أصحاب الجنة عند ما حصل لهم السرور بدخولها لأصحاب النار بما يؤلم و ينكى[2] ، و ختم بهذه الرحمة التى تطمع المحروم فيما يسر و يزكى ، أخبر أن أصحاب النار ينادون أصحاب الجنة عند ما حصل لهم من الغم بدخولها ، لكن بما شأنه أن يرقق و يبكى . فقال ما يدل على أن عندهم كل ما نفى عن أهل الجنة فى ختام الآية السالفة من الخوف و الحزن :

١٠ ﴿ و نادىٰٓ اصحٰب النار ﴾ أى بعد الاستقرار ﴿ اصحٰب الجنة ﴾ بعد أن[3] عرفهم إياهم و أمر الجنة فتزخرفت فكان ذلك زيادة فى عذابهم ؛ ثم فسر المنادى به فقال : ﴿ ان افيضوا علينا من المآء ﴾ أى لأنكم أعلى منا ، فاذا أفضتموه وصل إلينا ، و هذا من فرط ما هم فيه من البلاء ، فان بين[3] النار و الجنة أهوية لا قرار لها و لا يمكن وصول شىء من الدارين

١٥ إلى الأخرى معها .

و لما كانت الإفاضة تتضمن[4] الإنزال قالوا : ﴿ او ﴾ أى[3] أو أنزلوا علينا ﴿ مما رزقكم الله ﴾ أى الذى له الغنى المطلق ، من أىّ شىء هان عليكم إنزاله ﴿ قالوٓا ﴾ أى أصحاب الجنة ﴿ ان الله ﴾ أى الذى حاز

(١) من ظ ، و فى الأصل : لايدخل (٢) فى ظ : يبكى (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : يتضمن .

جميع العظمة ﴿ حرمهما ﴾ أى منعهما بتلك الأهوية و غيرها من الموانع ﴿ على الكفرين ﴾ أى الساترين لما دلهم عليه قويم العقل و صريح النقل ﴿ الذين اتخذوا ﴾ أى تكلفوا غير ما دلهم[1] عليه العقل الفطرى حين نبه بالعقل الشرعى بأن أخذوا ﴿ دينهم ﴾ بعد ما محقوا صورته و حقيقته كما يمحق الطين إذا اتخذته خزفا ، فصار الدين ﴿ لهوا ﴾ أى ٥ اشتغالا بما من شأنه أن يغفل و ينسى عن كل ما ينفع من الأمور المعجبة للنفس من غير نظر فى عاقبة ، فجوزوا من [جنس -[2]] عملهم بأن لم ينظر لهم فى إصلاح العاقبة .

و لما قدم ما هو أدعى إلى الاجتماع على الباطل الذى هو ضد[3] مقصود السورة من الاجتماع على الجد و أدعى إلى الغفلة ، وكان من ١٠ شأن الغفلة [عن الخير -[2]] أن تجر إلى استجلاب الأفراح و الانهماك فى الهوى ، حقق ذلك [بقوله -[2]] : ﴿ و لعبا ﴾ أى إقبالا على ما يجلب السرور و يقطع الوقت الحاضر بالغرور[4] ، و لذلك أتبعه قوله : ﴿ و غرتهم ﴾ أى فى فعل ذلك ﴿ الحيوة الدنيا ج ﴾ أى بما فيها من الأعراض الزائلة من تأميل طول العمر و البسط[5] فى الرزق و رغد العيش حتى صاروا بذلك ١٥ محجوبين عن نظر معانيها و عما دعا إليه تعالى من الإعراض عنها فلم يحسبوا / حساب ما وراءها . [و لما كان تركهم من رحمته سبحانه مؤبدا ، أسقط الجار -[2]] ﴿ فاليوم ﴾ أى فنسبب[6] عن ذلك أنا فى هذا اليوم ﴿ ننسهم ﴾ /٣٠٢

(١) فى ظ : دل (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فيه (٤) فى ظ : بالغرر (٥) فى ظ : البسطة (٦) من ظ ، و فى الأصل : فسبب .

أى نتركهم ترك المنسى ﴿ كما ﴾ فعلوا [هم -[1]] بأنفسهم بأن ﴿ نسوا ﴾ أى تركوا ﴿ لقآء يومهم هذا ﴾ فلم يعدوا له عدته ﴿ وما ﴾ أى وكما ﴿ كانوا ﴾ أى جبلة وطبعا ﴿ بآيٰتنا ﴾ على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا ﴿ يجحدون ﴾ أى ينكرون وهم يعرفون حقيقتها لأنها فى غاية الظهور .

٥ ولما ذكر نسيانهم وجحودهم ، ذكر حالهم عند ذلك فقال : ﴿ ولقد ﴾ أى فعلوا ذلك والحال أنا وعزتنا قد ﴿ جئنٰهم ﴾ أى على عظمتنا باتيان رسولنا إليهم عنا ﴿ بكتٰب ﴾ ليس هو موضعا للجحد أصلا ؛ ثم بين ذلك فى سياق مرغب للمؤالف مرهب للمخالف فقال : ﴿ فصلنٰه ﴾ أى بينا معانيه لم ندع فيها لبسا ، وجعلنا لآياته فواصل حال ١٠ كون ذلك التفصيل ﴿ على علم ﴾ أى عظيم ، فجاء معجزا فى نظمه ومعناه وسائر علمه ومغزاه ، وحال كونه ﴿ هدى ﴾ أى بيانا ﴿ ورحمة ﴾ أى إكراما ، ثم خص المنتفعين به لأن من لا ينتفع بالشىء فهو كالمعدوم فى حقه فقال : ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أى فيهم قابلية ذلك ، وفيه رجوع إلى وصف الكتاب [الذى هو أحد مقاصد السورة على ١٥ أبدع وجه فى أحسن أسلوب .

ولما وصف الكتاب -[1]] وذكر المنتفع به ، تشوفت النفس إلى السؤال عن حال من لا يؤمن به وهم الجاحدون ، فقال مشيرا إلى أن حالهم فى وقوفهم عن[2] المتابعة بعد العلم بصدقه بعجزهم عنه كحال من

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : على .

ينتظر

ينتظر أن يأتى مضمون وعيده: ﴿ هل ينظرون ﴾ أى ينتظرون، و لكنه لما لم يكن لهم قصد فى ذلك بغير ما يفهمه الحال، جرد الفعل و لإفادة أنه بتحقق[1] إتيانه[2] فى غاية القرب حتى كأنه مشاهد لهم ﴿ الا تاويله[3] ﴾ أى تصيير[3] ما فيه من وعد و وعيد إلى مقاره و عواقب أمره التى أخبر أنه يصير إليها. ٥

و لما كان كأنه قيل: ما يكون حالهم [4]حينئذ؟ قال: التحسر و الإذعان حيث لا ينفع، و التصديق و الإيمان حين لا يقبل، و عبر عن ذلك[4] بقوله: ﴿يوم ياتى تاويله﴾ أى بلوغ وعيده إلى مبلغه فى الدنيا أو فى الآخرة؛ و لما قدم اليوم اهتماما به، أتبعه العامل فيه فقال: ﴿يقول الذين نسوه﴾ أى تركوه ترك المنسى، و يجوز أن يكون عد ذلك ١٠ نسيانا لأنه ركز فى [5]الطباع أن كل ملك لا بد له من عرض جنده و محاسبتهم، فلما أعرضوا عن ذلك فيما هو من جانب الله عده نسيانا منهم لما ركز فى[5] طباعهم.

و لما كان نسيانهم فى بعض الزمان السابق، أدخل الجار فقال: ﴿من قبل﴾ أى قبل كشف الغطاء محققين للتصديق ﴿قد جآءت﴾ أى ١٥ فيما سبق من الدنيا ﴿رسل ربنا﴾ أى المحسن إلينا ﴿بالحق ج﴾ أى المطابق لهذا الواقع الذى نراه مما كانوا يتوعدوننا به، فما صدقوا حتى رأوا

---

(١) فى ظ: ليحقق (٢) من ظ، و فى الأصل: اثباته (٣) من ظ، و فى الأصل: يصير (٤-٤) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

فلم يؤمنوا بالغيب [و لا -[1]] أوقعوا الإيمان فى دار العمل فلذا لم ينفعهم .

و لما وصفوه سبحانه بالإحسان لما كشف الحال عنه من حلمه و طول أناته ، سيبوا عن ذلك قولهم : ﴿ فهل لنا من شفعآء ﴾ أى فى هذا اليوم ، ٥ و كأنهم جمعوا الشفعاء لدخولهم فى جملة الناس فى الشفاعة العظمى لفصل القضاء ؛ ثم سيبوا عن ذلك تحقيق كونهم لهم أى بالخصوص فقالوا : ﴿ فيشفعوا لنآ ﴾ أى سواء كانوا من شركائنا الذين كنا نتوهم فيهم النفع أو من غيرهم ليغفر لنا ما قدمنا من الجرائم ﴿ او نرد ﴾ أى إن لم يغفر لنا إلى الدنيا التى هى دار العمل ، و المعنى أنه لا سبيل لنا[2] إلى الخلاص إلا ١٠ أحد هذين السببين[3] ؛ ثم سيبوا عن جواب هذا الاستفهام الثانى قولهم : ﴿ فنعمل ﴾ أى فى الدنيا ﴿ غير الذى كنا ﴾ أى بجبلاتنا من غير نظر عقلى ﴿ نعمل ط ﴾ .

و لما كان من المعلوم عند من صدق القرآن و علم [4]مواقع ما فيه[4] من الأخبار أنه لا يكون لهم شىء من ذلك ، كانت نتيجتـه[5] قوله : ١٥ ﴿ قد خسروآ انفسهم ﴾ أى فلا أحد أخسر منهم ﴿ وضل ﴾ أى غاب و بطل ٣٠١ / ﴿ عنهم ما كانوا ﴾ / أى جبلة و طبعا ، لا يمكنهم الرجوع [6]عنه إلا عند رؤيـة البأس[6] ﴿ يفترون ع ﴾ أى يتعمدون فى الدنيا من الكذب

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الشيئين .
(٤-٤) فى ظ : ما وقع (٥) فى ظ : نتيجة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

فى أمره لقصد العناد للرسل من ادعاء أن الأصنام تشفع لهم [و - [1]] من غير ذلك من أكاذيبهم .

و لما كان مدار القرآن على تقرير الأصول الأربع : التوحيد و النبوة و المعاد و العلم ، و طال الكلام فى إخباره سبحانه عن أوامره و نواهيه و أفعاله بأوليائه و أعدائه الدالة على تمام القدرة و العلم ، و ختم بأن شركاءهم تغنى عنهم ، علل [2]ذلك بأنه[2] الرب لا غيره ، فى سياق دال على الوحدانية التى هى أعظم مقاصد السورة ، كفيل باظهار الحجج عليها ، و على المقصد الثانى - و هو الإعادة التى فرغ من تقرير أحوالها بالإبداء الذى تقرر فى العقول أنه[3] أشد من الإعادة - بأدلة متكفلة[4] بتمام القدرة و العلم فقال : ﴿ان ربكم﴾ أى المحسن إليكم بالإيجاد من العدم و تدبير المصالح هو ﴿ الله ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له وحده لا صنم و لا غيره ؛ ثم وصفه بما حقق ذلك فقال : ﴿ الذى خلق السمٰوٰت و الارض ﴾ أى على اتساعهما و عظمتهما .

و لما كان ربما قال الكفار : ما له إذا كان قادرا و أنت محق فى رسالتك لا يعجل لنا الإتيان بتأويله ، بين أن عادته الأناة و إن كان أمره و أخذه كلمح بالبصر إذا أراده[5] ، فقال : ﴿ فى ستة ايام ﴾ أى فى مقدارها[6] ؛ و لما كان تدبير هذا الخلق أمرا باهرا لا تسعه العقول ، و لهذا كانت قريش تقول : كيف يسع الخلقَ إله واحد ! أشار إلى

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ : بان (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ ، و فى الأصل : متكلفة (٥) من ظ ، و فى الأصل : اراد (٦) من ظ ، و فى الأصل : مقدرها .

عظمته وعلو رتبته بأداة البعد فقال: ﴿ثم استوى على العرش قف﴾ أى أخذ فى التدبير لما أوجده وأحدث خلقه أخذا مستوفى مستقصى مستقلا[1] به لأن هذا شأن من يملك ملكا ويأخذ فى تدبيره وإظهار أنه لا منازع له فى شىء منه وليكون[2] خطاب الناس على ما ألفوه[3] من ملوكهم لتستقر فى عقولهم عظمته سبحانه، وركز فى فطرهم الأولى من نفى التشبيه[4] منه، ويقال: فلان جلس على سرير الملك، وإن لم يكن هناك سرير ولا جلوس، وكما يقال فى ضد ذلك: فلان ثل عرشه، أى ذهب عزه وانتقض ملكه وفسد أمره، فيكون هذا كناية لا يلتفت فيه إلى أجزاء التركيب، والألفاظ على ظواهرها كقولهم للطويل: طويل النجاد، وللكريم: عظيم الرماد.

ولما كان سبحانه لا يشغله شأن عن شأن، ابتدأ من التدبير بما هو آية ذلك بمشاهدته فى تغطية الأرض بظلامه فى آن واحد، فقال دالا على كمال قدرته المراد بالاستواء بأمر يشاهد كل يوم على كثرة منافعه التى جعل سبحانه بها انتظام هذا الوجود: ﴿يغشى﴾ أى استوى حال كونه يغشى ﴿الليل النهار﴾ و[5] قال أبو حيان: وقرأ حميد بن قيس: يغشى الليل - بفتح الياء وسكون الغين وفتح الشين وضم اللام، كذا[6] قال عنه[6] أبو عمرو الدانى، [7]وقال أبو الفتح بن جنى عن حميد بنصب الليل ورفع

(١) من ظ، وفى الأصل: مستقبلا (٢) من ظ، وفى الأصل: فال - كذا.
(٣) من ظ، وفى الأصل: الفق - كذا (٤) من ظ، وفى الأصل: الشبه.
(٥) سقط من ظ (٦ - ٦) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٧) العبارة من هنا إلى «أبى عمرو الدانى» ساقطة من ظ.

النهار ، و قال ابن عطية : و أبو الفتح أثبت ، [و - [1]] هذا الذى قاله[2] - من أن أبا الفتح أثبت - كلام لا يصح ، إذ رتبة أبى عمرو الدانى فى القراءة [و معرفتها - [1]] و ضبط رواياتها و اختصاصه بذلك بالمكان[3] الذى لا يدانيه أحد من أئمة القراءة فضلا عن النحاة الذين ليسوا مقرئين[4] و لا رووا القراءة[5] عن أحد و لا روى عنهم القراءة[5] أحد ، هذا مع ٥ الديانة[6] الزائدة و التثبت[6] فى النقل و عدم التجاسر[7] و وفور الحظ من العربية ، فقد رأيت له كتابا فى 'كلا' وكتابا فى إدغام أبى عمرو الكبير دلا على اطلاعه على ما لا يكاد يطلع عليه أئمة النحاة و لا المقرئين إلى سائر تصانيفه ، و الذى نقله أبو عمرو الدانى عن حميد أمكن من حيث المعنى ، لأن ذلك موافق لقراءة الجماعة إذ "اليل" فى قراءتهم - و إن كان ١٠ منصوبا - هو الفاعل من حيث المعنى إذ همزة / النقل أو[8] التضعيف / ٣٠٤ صيره مفعولا ، و لا يجوز أن يكون مفعولا ثانيا من حيث المعنى ، لأن المنصوبين تعدى إليهما الفعل و أحدهما فاعل من حيث المعنى ، فيلزم أن يكون الأول منهما كما لزم ذلك فى : ملكت زيدا عمرا ، إذ رتبة التقديم هى الموضحة أنه الفاعل من حيث المعنى كما [لزم ذلك -[9]] فى ضرب ١٥ موسى عيسى - انتهى .

---

(١) زيد من البحر المحيط ٤ / ٣٠٩ (٢) من البحر ، و فى الأصل : قال (٣) فى ظ : المكان (٤) فى ظ : معربين (٥) فى البحر: القرآن (٦-٦) من ظ و البحر ، و فى الأصل : الزيادة و التثبيت (٧) من ظ و البحر ، و فى الأصل : النجاسة - كذا (٨) من البحر ، و فى الأصل و ظ « و » (٩) زيد من ظ و البحر .

و لما أخبر سبحانه أن الليل يغطى النهار ، دل على أن النهار كذلك بقوله مبينا لحال الليل: ﴿يطلبه﴾ أى الليل يجر[1] و يطلب[2] النهار دائما طلبا ﴿حثيثا﴾ أى سريعا جدا لتغطية[3] الليل ، و ذلك لأن الشىء لا يكون مطلوبا إلا بعد وجوده ، و إذا وجد النهار كان مغطيا لليل[4] ، لأنهما ضدان ، وجود أحدهما ماح لوجود الآخر ، و ابتدأ سبحانه بذكر الليل لأن إغشاءه أول كائن بعد تكمل الخلق ، و حركتهما بواسطة حركة العرش ، و لذا ربطهما به ، و هى أشد الحركات سرعة و أكملها شدة ، و للشمس نوعان من الحركة : أحدهما بحسب ذاتها تتم بقطع الدرج كلها فى[5] جميع الفلك ، و بسببه تحصل السنة ، و الثانى بحسب حركة الفلك الأعظم تتم[6] فى اليوم بليلته ، و الليل و النهار إنما يحصلان[7] بسبب[8] حركة السماء الأقصى الذى يقال له[9] العرش لا بسبب حركة النيرين ، و أجاز ابن جنى أن يكون " يطلبه " حالا من النهار فى قراءة الجماعة و إن كان مفعولا ، أى حال كون النهار يطلب الليل حثيثا ليغطيه[10] ، و أن يكون حالا منهما معا لأن كلا منهما طالب للآخر ، [11]و بهذا ينتظم ما قاله فى قراءة حميد ، فان كلا منهما يكون غاشيا للآخر[11] ، قال فى كتابه المحتسب فى القراءات الشواذ : و وجه صحة القراءتين

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : طاب (٣) فى ظ : ليغطيه . (٤) من ظ ، و فى الأصل : الليل (٥) من ظ ، و فى الأصل : فمن (٦) فى ظ : يتم (٧) من ظ ، و فى الأصل : يجعلان (٨) فى ظ : بحسب (١٠) من ظ ، و فى الأصل : لتغطيه (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ .

[و - [1]] التقاء معنييهما أن الليل و النهار يتعاقبان ، و كل واحد منهما[2] و إن أزال صاحبه فان صاحبه أيضا مزيل له . و كل واحد منهما على هذا فاعل و إن كان مفعولا و مفعول و إن كان فاعلا ، على[3] أن الظاهر فى الاستحثاث هنا إنما هو النهار لأنه بسفوره و شروقه أظهر أثرا فى الاستحثاث من الليل .

و لما ذكر الملوين ، أتبعهما آية كل فقال : ﴿ و الشمس و القمر و النجوم ﴾ أى [4]خلقها ، أو[4] يغشى كل قبيل منهما[5] ما الآخر آيته حال كون الكل ﴿ مسخرٰت ﴾ أى للسير و غيره ﴿ بامره[6] ﴾ و هو إرادته و كلامه ، تقودها الملائكة كما[3] روى أن لله ملائكة يجرون الشمس و القمر .

و لما صح[6] أن جميع ما نراه[7] من الذوات خلقه ، و ما نعلمه من المعانى أمره ، أنتج قطعا قوله : ﴿ الا له ﴾ أى وحده ، [و قدم المسبب على السبب ترقية - كما هو مقتضى الحكم - من المحسوس إلى المعقول فقال - [1]] : ﴿ الخلق ﴾ و هو ما كان من الإيجاد بتسبيب و تنمية و تطوير ، قال الرازى : فكل ما كان جسما أو جسمانيا كان مخصوصا بمقدار معين فكان من عالم الخلق ، فعالم الخلق بتسخيره ، و عالم الأمر بتدبيره ، و استيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقديره[8] ﴿ و الامر[6] ﴾ و هو ما كان من ذلك إخراجا من العدم من غير تسبب كالروح ، و ما كان حفظا و تدبيرا بالكلام

(١) زيد من ظ (٢-٢) زيد بعده فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.
(٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل: منها (٦) فى ظ : اوضح (٧) من ظ ، و فى الأصل : يراه (٨) من ظ ، و فى الأصل : بتقدير .

كالأديان و كل ما يلاحظ القيومية؛ و قال الرازى : كل ما كان بريئا من الحجم و المقدار كان من عالم الأمر ، و عد الملائكة من عالم الأمر ، فأنتج [1]ذلك قطعا[1] قوله على سبيل المدح الذى ينقطع دونه الأعناق و يتقاصر دون عليائه ذرى الآفاق : ﴿ تبرك﴾ أى ثبت ثبوتا لا ثبوت فى الحقيقة غيره مع اليمن و البركة و كثرة الآثار الفاضلة و النتائج الشريفة ﴿الله﴾ أى ذو الجلال و الإكرام[2] .

و لما دل على أنه يستحق هذا الثناء لذاته ، دل على أنه يستحقه لصفاته فقال : ﴿ رب العٰلمين ۝ ﴾ أى مبدع ذلك كله و مربيه[3] خلقا و تصريفا بأمره ، [و -[4]] فى الجزء السادس من فوائد / المخلص عن سفيان ٣٠٥ / ابن عيينة أنه قال : ما يقول هذه الدويبة - يعنى بشرا المريسى ؟ قالوا : يا أبا محمد ! يزعم أن القرآن مخلوق ، فقال : كذب ، قال الله عز و جل "الا له الخلق و الامر" فالخلق خلق الله ، و الأمر القرآن - انتهى . و هذا الذى فسر به مما تحتمله الآية بأن يكون الأمر هو المراد بقوله "بامره[6]" و هو الإرادة و الكلام مع احتمال ما قدمته .

و لما ذكر تعالى تفرده بالخلق و الأمر المقتضى لتفرده بالعبادة للتوجيه[7] إلى تحصيل المعارف النفسانية و العلوم الحقيقية ، أمر بهذا المقتضى اللائق بتلك المعارف ، و هو الدعاء الذى هو مخ العبادة فقال : ﴿ادعوا ربكم﴾ أى الدائم الإحسان إليكم دعاء عبادة و خضوع ﴿تضرعا﴾ أى تذللا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : الكريم (٣) من ظ ، و فى الأصل: مزينه (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : هو (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : للتوجه .

ظاهرا

ظاهرا ﴿و خفية[1]﴾ أى و تذللا باطنا، و قد أثنى على عبده زكريا عليه السلام فقال "اذ نادى ربه نداء خفيا[1]" أى اجمعوا إلى خضوع الظاهر خضوع الباطن، أى أخلصوا له العبادة، إنه يحب المخلصين لأن تفرده بأن يدعى هو اللائق بمقام عز[2] الربوبية، و التذلل على هذه الصفة هو اللائق بمقام ذل العبودية، و هذا هو المقصود[3] من الدعاء لا تحويل العلم الأزلى، و هو المقصود من جميع العبادات،[4] فان العبد لا يدعو إلا و قد استحضر من نفسه الذل و الصعب و الحاجة، و من ربه العلم و القدرة و الكفاية، و هذا هو المقصود من جميع العبادات[4]، فلهذا[5] كان الدعاء مخ العبادة، و قد جمع هذا الكلام على وجازته كل ما يراد[6] تحقيقه و تحصيله من شرائط الدعاء بحيث أنه لا مزيد عليه، و من فعل خلاف ذلك فقد تجاوز الحد، و إلى ذلك أومأ بتعليله بقوله: ﴿انه لا يحب المعتدين[5]﴾ أى المجاوزين لما أمروا به فى الدعاء و غيره، قالوا: فالمعنى أن من ترك هذا لا يحبه الله، أى لا يثيبه البتة و لا يحسن إليه، فالآية من الاحتباك: آخرها يدل على حذف ضده من صدرها، و صدرها يدل على أنه[7] حذف قبل الآخر: و لا تتركوا الإخلاص تكونوا معتدين.

و لما كان ذلك من الوفاء بحق الربوبية و القيام بحق العبودية مقتضيا للصلاح، أمر بادامته بالنهى عن ضده فى قوله: ﴿و لا تفسدوا﴾ أى[2] لا تدفعوا فسادا ﴿فى الارض﴾ أى بالشرك و الظلم، فهو[8] منع من

---

(١) سورة ١٩ آية ٣ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: المعهود (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: فلذا (٦) من ظ، و فى الأصل: ير - كذا (٧) فى ظ: انها. (٨) من ظ، و فى الأصل: و هو.

إيقاع[1] ماهية الإفساد فى الوجود ، و ذلك يقتضى المنع من جميع أنواعه فيتناول الكليات الخمس التى اتفقت عليها الملل ، و هى الأديان[2] و الأبدان و العقول و الأنساب و الأموال[2] ﴿ بعد اصلاحها ﴾ و الظاهر أن الإضافة بمعنى اللام و هى إضافة [فى -[3]] المفعول ، أى لا تدنسوها بفساد بعد أن أصلحها لكم خلقا بما سوى فيها من المنافع المشار إليها بقوله " يغشى اليل النهار " - الآية[4] ، الدال على الوحدانية الداعى إلى الحق إقامة للأبدان ، و أمر بما أنزل من كتبه على ألسنة رسله عليهم الصلاة و السلام إقامة للأديان فجمع إلى الإيجاد الأول الإبقاء الأول .

و لما كان ذلك ربما اقتضى الاقتصار بكمال التذلل على مقام الخوف ، نفى ذلك بقوله : ﴿ و ادعوه خوفا ﴾ أى من عدله ؛ و لما كان لا سبب للعباد من أنفسهم فى الوصول إليه سبحانه ، عبر بالطمع فقال : ﴿ و طمعا[1] ﴾ أى فى فضله ، فان من جمع بين الخوف و الرجاء كان فى مقام الإحسان و كأنه مشاهد للرحمن ، ما زجره زاجر الجلال بسياط سطوته إلا دعاه داعى الجمال إلى بساط رأفته ، و من حاز مقام الإحسان كان أهلا للرحمة ﴿ ان رحمت الله ﴾ إى إكرام ذى الجلال و الإكرام لمن يدعوه على هذه الصفة ، و فخمها بالتذكير لإضافتها إلى غير مؤنث فيما قال سيبويه ، فقال : ﴿ قريب ﴾ و كان الأصل : منكم ، و لكنه أظهر تعميما و تعليقا للحكم بالوصف / فقال : ﴿ من المحسنين ٥ ﴾ . /٣٠٦

(١) فى ظ : انقطاع (٢ - ٢) فى ظ : فالابدان فالعقول فالانساب فالاموال .
(٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .

و لما كان دوام الصلاح لا يكون إلا بالغيث، و هو من أجلّ أنواع الرحمة، [1]و هو[1] لا يكون إلا بالسحاب، و هو لا يكون إلا بالريح، قال تعالى عاطفا[2] [على -[3]] "ان ربكم الله[4]" تنبيها بعد تحقيق المبدإ على تحقيق المعاد: ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذى يرسل ﴾ أى بالتحريك ﴿ الريح ﴾ هذا فى قراءة الجماعة، و أنواعها خمس: جنوب و شمال و صبا و دبور و نكباء، و هى كل ريح انحرفت فوقعت بين ريحين، و وحد ابن كثير و حمزة و الكسائى على إرادة الجنس ﴿ نشرا[5] ﴾ بضمتين فى قراءة أهل الحجاز و البصرة، أى منتشرة جمع نشور من النشر[6]، و هو بسط ما كان مطويا، [و تفريقه فى كل وجه لا لذات الريح و إلا لدام ذلك منها و لا بقوة فلك أو نجم لأن نسبتها إلى الهواء واحدة -[3]] ﴿ بين يدى ﴾ أى قبل ﴿ رحمته[4] ﴾ أى المطر، و لعله عبر فيه باليدين: اليمنى و اليسرى[7]، لدلالته - مع ما فيه من الفخامة - على أنه تارة يكون رحمة و تارة يكون عذابا كما كان على قوم نوح عليه السلام و إن كانت الرحمة فيه أغلب و هى ذات اليمين، و تارة تكون الرياح جامعة لها لحفظ الماء، و تارة مفرقة مبطلة لها، و تارة تكون مقومة للزروع و الأشجار[8] مكملة لها و هى اللواقح، و تارة تكون منمية لها أو مهلكة كما يكون فى الخريف، و تارة تكون طيبة و تارة مهلكة إما بشدة[9] الحرارة و البرودة؛ ثم غيّ الإرسال بقوله: ﴿ حتى اذا اقلت سحابا ﴾ أى حملتها

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: عطفا (٣) زيد من ظ.
(٤) سقط من ظ (٥) وفى مصاحفنا: بشرا (٦) من ظ، وفى الأصل: النشور.
(٧) فى ظ: الشومى (٨) فى ظ: الاشجاع (٩) من ظ، و فى الأصل: شدة.

لقلتها عندها لخفتها عليها ﴿ثقالا﴾ [1]أى بالماء ؛ و لما دل على العظمة بالجمع و حقق الأمر بالوصف ، أفرد[2] اللفظ دلالة على غاية العظمة بسوقه مجتمعا كأنه قطعة واحدة ، لا يفترق جزء منه عن سائره إذ لو تفرق لاختل أمره ، فقال : ﴿ سقنٰه لبلد ﴾ [3]أى لأجله و إليه[3] ﴿ ميت ﴾ أى بعدم[4] النبات ﴿ فانزلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ به ﴾ أى بالبلد ، أو بسبب ذلك السحاب ﴿ الماء ﴾ أى هذا الجنس ، و أشار إلى عظمة الإنبات بالنون فقال : ﴿ فاخرجنا به ﴾ أى بالماء ﴿ من كل الثمرٰت [5]﴾ أى الحقيقية على الأشجار ، و المجازية من النبات و حبوبه . و لما كان هذا - مع ما فيه من التذكير[6] بالنعمة المقتضية لتوحيده بالدعوة - دليلا ثانيا فى غاية الدلالة على القدرة على البعث ، قال تعالى : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ما أخرجنا هذا النبات من الأرض بعد أن لم يكن ﴿ نخرج الموتى ﴾ أى من الأرض بعد أن صاروا ترابا ﴿ لعلكم تذكرون ٥ ﴾ أى قلنا هذا لتكون حالكم حال من يرجى تذكر هذه الآية المشاهدة القريبة المأخذ و لو على أدنى[6] وجوه التذكر[7] بما أشار إليه الإدغام ، لأنه سبحانه كما قدر على إعادة النبات بجمع الماء له من جوف الأرض بعد أن [8]كان تغيب[8] فى الأرض و صار ترابا ، و أحيي الشجرة بعد أن كانت لا روح لها بايداع الثمرة التى هى روحها ، فهو

(١) العبارة من هنا إلى « أمره فقال » ساقطة من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : على ، فحذفنا الزيادة لأنها لا تناسب السياق (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : بعد (٥) من ظ ، و فى الأصل : التذكر (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : التذكير (٨ - ٨) فى ظ : كانت تنفتت - كذا .

قادر على إعادة الأشباح و إيداعها الأرواح[1] كما كانت أول مرة ، لأنه لا فرق بين الإخراجين .

و لما كانت الموت موتين : حسيا و معنويا ـ كما أشير إليه فى الأنعام فى آية "انما يستجيب الذين يسمعون و الموتى يبعثهم الله[2]" و آية "او من كان ميتا فاحييناه[3]" كان كأنه قيل : لافرق فى ذلك عندنا بين أموات ٥ [4] الإيمان و أموات الأبدان[4] ، فكما أنا فاوتنا بين جواهر الأراضى بخلق بعضها جيدا و بعضها رديئا كذلك فاوتنا بين عناصر الأناسى بجعل بعضها طيبا و بعضها خبيثا ، فالجيد العنصر يسهل إيمانه[5] ، و الخبيث الأصل يعسر إذعانه و تبعد استقامته و إيقانه ﴿و البلد الطيب﴾ [أى -[6]] الذى طابت أرضه فكانت كريمة منبتة ﴿ يخرج نباته ﴾ أى إذا [7]نزل عليه[7] الماء ١٠ خروجا كثيرا حسنا [سهلا - [6]] غزيرا[8] ﴿ باذن ﴾ أى بتمكين ﴿ربه ج ﴾ أى المربى له بما هيأه[9] له ، [و الذى طاب فى الجملة و لم يصل إلى الغاية يخرج له نبات دون ذلك ، و الخبيث لا يخرج له نبات أصلا بمنع ربه له -[6]] ﴿و الذى خبث﴾ أى حصلت له خباثة فى جبلته بكون أرضه / سبخة أو نحوها مما لم يهيئه الله تعالى للانبات ﴿ لا يخرج ﴾ أى نباته ١٥ / ٣٠٧ ﴿الا ﴾ [أى -[6]] حال كونه ﴿ نكدا[4] ﴾ أى قليلا ضعيف المنفعة ، و هو

(١) من ظ ، و فى الأصل : لارواح (٢) آية ٣٦ (٣) آية ١٢٢ (٤ - ٤) فى ظ : الابدان واموات الايمان (٥) من ظ ، و فى الأصل : اتمامه (٦) زيد من ظ .
(٧-٧) فى ظ : انزل عليها (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : هيا .

- مع كونه دالا على أن ذلك ما كان على ما وصف مع استواء الأراضى[1] فى الأصل و استواء المياه و نسبتها إلى الأفلاك و النجوم إلا بالفاعل المختار - مثلٌ ضربه سبحانه للمؤمن و الكافر عند سماعهما للذكر من الكتاب و السنة، [و الآية من الاحتباك -[2]] .

٥ و لما استوت هذه الآيات على الذروة[3] من بدائع الدلالات، كان السامع جديرا بأن يقول: هل تبين جميع هذه[4] الآيات هذا البيان؟ فقيل: ﴿ كذلك ﴾ أى نعم، مثل هذا التصريف، و هو الترديد مع اختلاف الأسماء لاختلاف الدلالات و إبرازها فى قوالب الألفاظ الفائقة و المعانى الرائقة فى النظوم المعجزة على وجوه لا تكاد تدخل تحت الحصر:

١٠ ﴿ نصرف الآيٰت ﴾ أى كلها؛ و لما تم ذلك على هذا المنهاج الغريب و المنوال العجيب المذكر[5] بالنعم فى أسلوب دال على التفرد و تمام القدرة، كان أنسب الأشياء ختمه بقوله مخصصا بها المنتفع لأنها بالنسبة إلى غيرهم كأنها لم توجد: ﴿ لقوم يشكرون ع ﴾ أى يوجد منهم الشكر للنعم وجودا مستمرا فلا يشركون[6] بل ينتفعون بما أنعم عليهم به وحده فى عبادته

١٥ وحده، و ينظرون بعقولهم أنه أقدرهم بنعمه على ما هم عاجزون عنه، فلا يسلبون عنه شيئا من قدرته على بعث و لا غيره فانهم يزعمون أنهم أهل معالى الأخلاق التى منها أنه ما جزاء الإحسان إلا الإحسان .

---

(١) من ظ، و فى الأصل: الارض (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و فى الأصل: الدورة (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل و ظ: المذكور (٦) فى ظ: فلا يشكرون - كذا .

و لما طال[1] تهديده سبحانه لمن أصر[2] على إفساده[3]، و لم يرجع عن غيّه و عناده بمثل مصارع الأولين و مهالك الماضين، و نوّع فى هذه الآيات محاسن الدلالات على التوحيد و المعاد بوجوه ظاهرة و بينات قاهرة و براهين قاطعة و حجج ساطعة، ساق سبحانه تلك القصص دليلا حسيا على أن فى الناس الخبيث و الطيب مع الكفالة - [4]فى الدلالة[4] على تمام ٥ القدرة و الغيرة من الشرك على تلك الحضرة - بتفصيل أحوال من [5]سلفت الإشارة[5] إلى إهلاكهم و بيان مصارعهم و أنه لم تغن عنهم قوتهم شيئا و لا كثرتهم بقوله تعالى "و كم من قرية اهلكناها" - الآية و قوله "فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة" - الآية تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم و تقوية لصالحى أتباعه بالتنبيه على أن الإعراض عن الآيات ليس من خواص ١٠ هذه الأمة[6] بل هى[7] عادة الأمم السالفة، و على أن النعم خاصة بالشاكرين، و لذا كانت النقم مقصورة على الكافرين. فقال تعالى: ﴿لقد ارسلنا﴾ أى بعظمتنا، و افتتحه بحرف التوقع لما للسامع الفطن من التشوف إلى [8]ذكر ما[8] تكرر من الإشارة إليه، و لأن اللام المجاب بها القسم المحذوف لا ينطقون بها غالبا إلا مقترنة بقد، لأن الجملة القسمية لا تساق إلا تأكيدا ١٥ للجملة المقسم عليها التى هى جوابها فكانت مظنة بمعنى التوقع الذى هو معنى 'قد' عند استماع المخاطب كلمة القسم ﴿نوحا﴾ يعنى ابن لمك بن

(١) فى ظ: كان (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: فساده (٤-٤) من ظ، و فى الأصل: بالدلالة (٥-٥) فى ظ: سلف بالاشارة (٦) من ظ، و فى الأصل: الآية (٧) فى ظ: هذه (٨-٨) فى ظ: ذكره لما.

متوشلخ بن خنوخ ، و هو إدريس عليه السلام ، و كان عند الإرسال ابن خمسين سنة .

و لما كان إرساله صلى الله عليه و سلم قبل تفرق القبائل باختلاف اللغات قال : ﴿الى قومه﴾ أى الذين كانوا ملء الأرض كما فى حديث الشفاعة فى الصحيحين و غيرهما عن أنس رضى الله عنه : ائتوا نوحا أول نبى بعثه الله إلى أهل الأرض . و فيهم من القوة[1] على القيام بما يريدون ما لا يخفى على من تأمل آثارهم و عرف أخبارهم ، فان كانت آثارهم فقد حصل المراد ، و إن كانت[2] لمن بعدهم علم[3] ـ بحكم قياس الاستقراء ـ / أنهم أقوى على مثلها و أعلى منها ، و لسوق ذلك دليلا على [ما ـ[3]] ذكر جاء مجردا عن أدوات العطف ، و هو مع ذلك كله منبه على أن جميع الرسل متطابقون على الدعوة إلى ما دل عليه برهان " ان ربكم الله الذى خلق السمٰوٰت و الارض " من التوحيد و الصلاح إلى غير ذلك من بحور الدلائل و الحجاج المتلاطمة الأمواج ـ و الله الهادى إلى سبيل الرشاد ، وكون نوح عليه السلام رسولا إلى جميع أهل الأرض ـ لأنهم قومه لوحدة لسانهم ـ لا يقدح فى تخصيص نبينا صلى الله عليه و سلم بعموم الرسالة ، لأن معنى العموم إرساله إلى جميع الأقوام المختلفة باختلاف الألسن و إلى جميع من ينوس من الإنس و الجن[4] و الملائكة ، و سيأتى إن شاء الله تعالى فى سورة الصٰفٰت لهذا مزيد بيان .

/٣٠٨

و لما كان من المقاصد العظيمة الإعلام بأن الذى دعا إليه هذا

(١) من ظ ، و فى الأصل : القوم (٢) فى ظ : كان (٣) زيد من ظ (٤-٤) فى ظ : الجن و الانس .

الرسول لم تزل[1] الرسل - على جميعهم أفضل الصلاة و السلام و التحية و الإكرام - تدعو إليه ، و كان نوح أول رسول ذكرت رسالته عقب ذكر إرساله بذكر ما أرسل به بالفاء بقوله : ﴿ فقال يٰقوم ﴾ [أى -[2]] فتحبب إليهم بهذه الإضافة ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة من الخلق و الأمر ، فانه مستحق لذلك و قد كلف عباده به . ٥

و لما كان المقصود إفراده بذلك ، علله بقوله مؤكدا له باثبات الجار : ﴿ ما لكم ﴾ و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من اله غيره[5] ﴾ ثم قال معللا أو[3] مستأنفا مخوفا مؤكدا لأجل تكذيبهم : ﴿ انى اخاف عليكم ﴾ فى الدنيا و الآخرة ، و لعله قال هنا : ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ و فى هود " اليم[4] " و قال فى المؤمنون " افلا[5] تتقون " لأن ترتيب السور الثلاث - و إن ١٠ كان الصحيح أنه باجتهاد الصحابة رضى الله عنهم - فلعله جاء على ترتيبها فى النزول ، لأنها مكيات[6] ، و على ترتيب مقال نوح عليه السلام لهم فألان لهم أولا المقال من حيث أنه أوهم أن العظم الموصوف به " اليوم " [لا -[2]] بسبب العذاب بل لأمر آخر ، فيصير العذاب مطلقا يتناول أىّ عذاب كان [و -[2]] لو قل ، فلما تمادى تكذيبهم ١٥ بين لهم أن عظمه[7] إنما هو من جهة إيلام العذاب الواقع فيه ، فلما لجوا فى عتوهم قال لهم قول[8] القادر إذا هدد عند مخالفة غيره له :

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : لم يزل (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) آية ٢٦ .
(٥) من ظ و القرآن الكريم آية ٢٣ ، و فى الأصل : الا (٦) فى ظ : محكيات - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : عظمته (٨) من ظ ، و فى الأصل : قال .

ألا تفعل ما أقول لك ؟ أى متى خالفت بعد هـذا عاجلتك بالعقاب و أنت تعرف قدرتى[١] .

و لما تم ذلك ، و كان الحال مقتضيا - مع ما نصب من الأدلة الواضحة على الوحدانية - لأن يجيبوا بالتصديق ، كان كأنه قيل : فبما ذا كان جوابهم ؟ فقال : ﴿قال الملا﴾ أى الأشراف الذين يملأ العيون مرآهم عظمة ، و تتوجه[٢] العيون فى المحافل إليهم ، و لم يصفهم فى هذه السورة بالكفر لأن ذلك أدخل فى التسلية ، لأنها أول سورة قص فيها مثل هذا فى ترتيب الكتاب ، و لأن من آمن به مطلقا كانوا فى جنب من لم يؤمن فى غاية القلة . فكيف عند تقييدهم بالشرف ! و أكد ذمهم تسلية لهذا النبى الكريم بالتعريف[٣] بقربهم منـه فى النسب بقوله : ﴿من قومه﴾ و قابلوا رقته و أدبه بغلظة مؤكدا[٤] ما تضمنته من البهتان لأن حالهم[٥] مكذب لهم فقالوا : ﴿انا لنرٰىك﴾ أى كل واحد منا يعتقد اعتقادا هو فى الثقة به كالرؤية أنك ﴿فى ضلٰل﴾ أى خطأ و ذهاب عن الصواب ، هو ظرف لك محيط بك ﴿مبين ه﴾ أى ظاهر فى نفسه حتى كأنه يظهر ذلك لغيره .

و لما قذفوه بضلال مقيد بالوضوح ، نفى الضلال المطلق الذى هو الأعم ، و بنفيه ينتفى كل أخصّياته[٦] بل نفى أقل شىء من الضلال ، فقال

---

(١) من ظ ، و فى الاصل : قدرى (٢) من ظ ، و فى الأصل : توجه (٣) من ظ ، و فى الأصل : بالتغريب (٤) فى الأصل وظ : موكد (٥) من ظ ، و فى الأصل : حالة (٦) فى ظ : اخصيتاته .

تعالى مخبرا عنه ﴿ قال يٰقوم ﴾ مجددا / لاستعطافهم ﴿ ليس بى ضلٰلة ﴾ ٣٠٩/
فنفى وحدة غير معينة، ولا يصدق ذلك إلا بنفى لكل فرد، فهو أنص من
نفى المصدر، ولم يصف الملأ من قومه هنا بالذين كفروا ووصفهم بذلك
فى سورة هود، إما لأنها صفة ذم لم يقصد بها التقييد فلا يختل المعنى
باثباتها ولا نفيها، أو لأنهم أجابوه بذلك مرتين: إحداهما[1] قبل أن يسلم ٥
أحد من أشرافهم، والثانية بعد أن أسلم بعضهم.

ولما نفى[2] ما رموه به على هذا الوجه البليغ، أثبت له [ضده -[3]]
بأشرف ما يكون من صفات الخلق، فقال مستدركا - بعد نفى الضلال - إثبات
ملزوم ضده: ﴿ ولكنى رسول ﴾ أى إليكم بما أمرتكم به فأنا على أقوم
طريق ﴿ من رب العٰلمين ۝ ﴾ أى المحسن إليهم بارسال الرسل لهدايتهم ١٠
بانقاذهم من الضلال، فرد الأمر عليهم[4] بألطف إشارة؛ ثم استأنف الإخبار
عن وظيفته بيانا لرسالته فقال: ﴿ ابلغكم ﴾ وكأن أبواب كفرهم[5] كانت
كثيرة فجمع باعتبارها أو باعتبار تعدد معجزاته أو تعدد نوبات الوحى
فى الأزمان المتطاولة والمعانى المختلفة، أو[6] أنه جمع له ما أرسل به من قبله
كادريس جده وهو ثلاثون صحيفة وشيث وهو خمسون صحيفة ١٥
عليهما السلام فقال: ﴿ رسٰلٰت ربى ﴾ أى المحسن إلىّ من الأوامر والنواهى
وجميع أنواع التكاليف من أحوال الآخرة وغيرها، لا أزيد فيها أنقص
منها كما هو شأن كل رسول مطيع.

---

(١) من ظ، وفى الأصل: احدهما (٢) من ظ، وفى الأصل: نفوا (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ اليهم (٥) من ظ، وفى الأصل: كريم (٦) من ظ، وفى الأصل «و».

و لما كان الضلال من صفات[1] الفعل، اكتفى بالجملة الفعلية الدالة على الحدوث فى قوله: ﴿ و انصح ﴾ و قصر الفعل و دل على تخصيص النصح بهم و محضه لهم فقال: ﴿ لكم ﴾ و النصيحة: الإرشاد إلى المصلحة مع خلوص النية من شوائب المكروه، و لما كان الضلال من الجهل قال: ﴿ و اعلم من الله ﴾ أى من صفات الذى له صفات الكمال و سائر شؤنه ﴿ ما لا تعلمون ٥ ﴾ أى من عظيم أخذه لمن يعصيه و غير ذلك مما ليس لكم[2] قابلية لعلمه بغير سفارتى فخذوه عنى تصيروا علماء، و لا تتركوه بنسبتى إلى الضلال تزدادوا ضلالا[3].

و لما كان الحامل لهم على هذا مجرد استبعاد أن يختص عنهم بفضيلة و هو منهم كما سيأتى فى غير هذه السورة، أنكر ذلك عليهم بقوله: ﴿ او عجبتم ﴾ أى أكذبتم و عجبتم ﴿ ان جآءكم ﴾ و ضمن جاء معنى أنزل، فلذلك جعلت صلته ' على ' فقال: ﴿ ذكر ﴾ أى رسالة ﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بالإيجاد و التربية منزلا ﴿ على رجل ﴾ أى كامل فى الرجولية و هو مع ذلك بحيث لا تتهمونه فانه ﴿ منكم ﴾ [اقولكم[4] "ما سمعنا بهذا[5]" أى إرسال البشر "فى آبائنا الاولين" -[6]] ﴿ لينذركم ﴾ لتحذروا[7] ما ينذركموه ﴿ و لتتقوا ﴾ أى تجعلوا بينكم و بين ما تحذرونه وقاية لعلكم تنجون ﴿ و لعلكم ترحمون ٥ ﴾ أى و ليكون حالكم إذا اتقيتم الله حال من ترجى[8]

(١) من ظ، و فى الأصل: صفة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: ضلال (٤) فى ظ: لقوله (٥) سورة ٢٣ آية ٢٤ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: ليحذروا (٨) من ظ، و فى الأصل: يرجى.

رحمته بأن يرفعه[1] الله فى الدارين .

و لما نسبوه أولا إلى الضلال و هو قد يكون خطأ عن ذهول و نحوه ، فأقام لهم الدليل على[2] أنه على الصواب ، أخبر أنه لم يتسبب عن ذلك إلا تصريحهم بما لوحوا إليه أولا بالضلال من التكذيب فقال : ﴿فكذبوه﴾ أى الملأ و تبعهم مَنْ دونهم ؛ و لما ٥ تسبب[3] عن تكذيبهم له تصديق الله له باهلاكهم و إنجائه[4] و من آمن به . قال مقدما لإنجائه اهتماما به : ﴿فانجيناه﴾ بما لنا من العظمة من أهل الأرض كلهم و من عذابنا الذى أخذناهم به[5] ﴿و الذين معه﴾ أى بصحبة الأعمال الدينية ﴿فى الفلك﴾ و هو السفينة التى منّ الله على الناس بتعليمه عملها[6] لتقيه من الطوفان فكانت[7] آية و منفعة عظيمة لمن أتى ١٠ بعدهم ﴿و اغرقنا﴾ أى / بالطوفان ، و هو الماء الذى طبق ظهر الأرض /٣١٠ فلم يبق منها موضعا حتى أحاط به ، و أظهر موضع الإضمار تعليقا للفعل بالوصف إشارة إلى أن من فعل مع الرسول شيئا فانما فعله مع مرسله فهو يجازيه بما يستحقه فقال : ﴿الذين كذبوا بآيتنا[8]﴾ أى و هى من الظهور فى حد لا خفاء به لما لها من العظمة بالنسبة إلينا ، و عدى هنا ١٥ فعل النجاة بالهمزة[8] و هى الأصل فى التعدية ، و قرنت بـ " الذين " لأنه أخلص الموصولات و أصرحها .

---

(١) فى ظ : يرحمه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٤) زيد بعده فى الأصل : بهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) من ظ ، و فى الأصل : فيه .
(٦) فى ظ : علمه - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : وكانت (٨) فى ظ : بالهمز .

و لما أعيدت القصة فى سورة يونس عليه السلام ، كان الأليق بكلام البلغاء و الأشبه بطرائق الفصحاء التفنن فى العبارة ، فعدى [التضعيف مع ما فيه من الأبلغية بافهام مزيد الاعتناء مناسبة لما تقدم -[1]] من مزيد التفويض فى قوله "فاجمعوا امركم و شركاءكم[2]" - الآية ، و تلا بـ"من" ضما للفرع إلى الفرع فان ["من"-[1]] مشترك بين الوصل و الشرط ، و هى أيضا قد تطلق على ما لا يعقل ، فناسب ذلك الحال ، و زيد هناك فى وصف الناجين "و جعلنهم خلئف[3]" نظرا إلى قوله تعالى [فى -[1]] أول السورة "و لقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا[4]" - الآية ، ثم قال "ثم[5] جعلنكم خلئف فى الارض من بعدهم[6] لننظر كيف تعملون" فلوح لهم بالإهلاك إن ظلموا ، ثم أشار لهم - فى قصة نوح عليه السلام بكونه أعلمهم أن الخلائف هم الناجون الباقى ذكرهم و ذريتهم - إلى أنه تفضل عليهم بالتوفيق إلى الإجابة و رحمهم بهذا النبى الكريم - عليه أفضل الصلاة و التسليم - فقضى أنهم غير مهلكين .

و لما افتتحت القصة بنسبتهم له إلى الضلال باطلا ، و هو ناشئ عن عمى البصيرة أو البصر ، ناسب أن يقلب الأمر عليهم على وجه الحق فقال مؤكدا لإنكارهم ذلك : ﴿انهم كانوا﴾ أى لما فى جبلتهم من العوج

---

(١) زيد من ظ (٢) آية ٧١ (٣) زيد بعده فى الأصل : الارض ، و لم تكن الزيادة فى ظ ولا فى القرآن الكريم سورة ١٠ آية ٧٣ فحذفناها (٤) آية ١٣ . (٥) من ظ و القرآن الكريم آية ١٤ ، و فى الأصل « و » (٦) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : بعد كم .

﴿ قوما عمين ﴾ أى مطبوعين فى عمى القلب مع قوتهم فيما يحاولونه، ثابت لهم ذلك، بما أشار إليه فعل دون أن يقال فاعل، و ختمت القصة فى يونس بقوله "فانظر كيف كان عاقبة المنذرين[1]" لقوله أولها "ان كان كبر عليكم مقامى و تذكيرى[2]" أى إنذارى لأنه أعلم أنه كبر[3] عليهم و لو كان تبشيرا[4] لما عز عليهم.

و لما كان عاد بعدهم، و لم يكن هنا ما يقتضى تشويش الترتيب، اتبعهم بهم مقدما المرسل إليه ليفيد تخصيص رسالته بهم و هم بعض أهل الأرض فقال: ﴿و الى عاد﴾ أى خاصة أرسلنا[5] ﴿اخاهم﴾ أى فى النسب لأنهم عنه أفهم و بحاله فى الثقة و الأمانة أعرف؛ و لما عطفه على نوح عليهما[6] السلام بعد تقديم المرسل إليهم، بينه بقوله: ﴿هودا[1]﴾ بخلاف قوم نوح فانهم كانوا جميع أهل الأرض، لأن القبائل لم تكن فرقت الناس و لا الألسنة إذ كان لسان الكل واحدا، و لم تفرق الألسنة إلا بعد الصرح، و لهذا عم[7] الغرق جميع أهل الأرض، فكان المعنى حينئذ لا يختلف فى قصته بتقديم و لا تأخير، فناسب تقديم الرسالة أو[8] المرسل لأنه أهم.

و لما كانت قصة نوح عليه السلام أول قصص الأنبياء مع قومهم[9]، و لم يكن للعرب عهد بمجاورات الأنبياء و من يرسلون إليه، فأتى فيها

(١) آية ٧٣ (٢) آية ٧١ (٣) من ظ، و فى الأصل: اكبر (٤) من ظ، و فى الأصل: بشيرا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: عليه (٧) من ظ، و فى الأصل: اعم (٨) فى ظ «و» (٩) فى الأصل: قوتهم، وفى ظ: قولهم.

بالأصل « أرسلناه » فقال سياقا واحدا إخبارا[1] لمن هو فارغ الذهن من كل جزء من أجزائها ؛ أتت قصة هود عليه السلام بعد علم السامعين بقصة نوح عليه السلام بما[2] وقع من تبليغه لهم و ردهم عليه ، فلما ذكر إرساله تشوف السامع إلى أنه هل قال لهم كما قال نوح و هل ردوا عليه كرد قومه ٥ أو كان الأمر بخلاف ذلك ؟ فأجيب سؤال المتشوف بقوله : ﴿قال﴾ كقول نوح عليه السلام سواء ﴿ يٰقوم ﴾ مذكرا لهم بأنه أحدهم يهمه ما يهمهم ﴿اعبدوا الله﴾ أى لاستحقاقه ذلك لذاته ؛ ثم علل أو استأنف بقوله : ﴿ما لكم﴾ / و أغرق فى النفى فقال : ﴿من اله غيره﴾ و لما كانوا عارفين بما أصاب قوم نوح قال : ﴿افلا تتقون﴾ أى أفلا تجعلون ١٠ بينكم و بين عذاب هذا الواحد الجبار وقاية .

/ ٣١١

و لما تشوف السامع إلى جوابهم بعد هذا الترغيب الممزوج بالترهيب ، أجيب بقوله : ﴿قال الملا﴾ أى الأشراف الذين يملأون العيون بهجة و الصدور هيبة ؛ و لما كانت عاد قليلا بالنسبة إلى قوم نوح عليه السلام ، وكان قد أسلم من أشرافهم من له غنى[3] فى الجملة ، قيد بقوله : ﴿الذين كفروا﴾ ١٥ أى ستروا ما من حقه الظهور من أدلة الوحدانية ، و وصفوا تسلية لهذا النبى الكريم فيما يرى من جفاء قومه بأن مثل ذلك كان لإخوانه من الأنبياء بقوله : ﴿من قومه﴾ و أكدوا ما واجهوه به من الجفاء لأنهم عالمون بأن حاله فى علمه و حكمه يكذبهم بقولهم : ﴿انا لنرٰىك﴾ أى نعلمك علما متيقنا

(١) من ظ ، و فى الأصل : اخبروا (٢) من ظ ، و فى الأصل : بما (٣) من ظ ، و فى الأصل : عنا .

حتى كأنه محسوس ﴿في سفاهة﴾ أي مظروفا لخفة العقل، فهي محيطة بك من جميع الجوانب، لا خلاص لك منها، فلذا أدتك إلى قول لا حقيقة له، فالتنوين للتعظيم، فان قيل: بل للتحقير، كأنهم توقفوا في وصفه بذلك كما توقفوا[1] في الجزم بالكذب فقالوا[2]: ﴿وانا لنظنك من الكذبين ۝﴾ أي المتعمدين للكذب، وذلك[3] لأنه كان عندهم علم من الرسل وما يأتي مخالفهم من العذاب من قصة نوح عليه السلام ولم يكن العهد بعيدا، وأما قوم نوح فجزموا بالضلال وأكدوه بكونه مبينا، لأنه لم يكن عندهم شعور بأحوال الرسل وعذاب الأمم قبل ذلك، ولهذا قالوا "ما[4] سمعنا بهذا في آبائنا الاولين[5]"، قيل: ليس كذلك، فقد ورد في جواب قوم نوح في سورة هود مثل هذا، وهو قوله "بل نظنكم كذبين[6]"؛ فان قيل: إنما كان هذا في ثاني الحال بعد أن نصب لهم الأدلة وأقام البراهين على صحة مدعاه وثارت حظوظ الأنفس بالجدال، فانه يبعد أن يكون قومه أجابوه بذلك أول ما دعاهم، قيل: والأمر كذلك في قصة هود عليه السلام سواء، فانه لم يقل له ذلك إلا الكفار من قومه، فتقييدهم[7] بالوصف يدل على أنه كان فيهم[8] من اتبعه، بل وإن متبعه كان من أشرافهم[9] بالظن، وتعبير في الكذب لإرادتهم أنه يكفي في

(١) زيد بعده في الأصل: في وصفه بذلك كما توقفوا، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٢) من ظ، وفي الأصل: فقال (٣) من ظ، وفي الأصل: لذلك.
(٤) سقط من ظ (٥) سورة ٢٣ آية ٢٤ (٦) آية ٢٧ (٧) من ظ. وفي الأصل: تعقيدهم (٨) في ظ: فيه (٩) في ظ: تعبير.

وصفه بالسفاهة التى زعموها، إقدامه على ما يحتمل معه ظنهم لكذبه، أو يكون قوله غير الحق فى زعمهم مرددا بين أن يكون قاله عن تعمد أو حمله عليه ما رموه به من السفه من غير تأمل. و لما قابلوا لينه[1] لهم و شفقته عليهم بهذه الغلظة، أعرض عن ذلك و عاملهم[2] من الحلم بضد ما سموه[3] به بأن ﴿قال﴾ معلما الأدب فى مخاطبة السفهاء ﴿يقوم﴾ مذكرا بما بينهم من النسب الداعى إلى الود و المناصحة و العطف و الملاطفة ﴿ليس بى سفاهة﴾ فنفى أن يكون به[4] شىء من خفة حلم، فانتفى أن يكون كاذبا لأن الداعى إلى الكذب الخفة و الطيش فلم يحتج إلى تخصيصه بنفى.

و لما نفى السفاهة، أثبت ما يلزم منه ضدها بقوله: ﴿و لكنى رسول﴾ و بين المرسل تعظيما للأمر بقوله: ﴿من رب العلمين﴾ أى المحسن إليهم بعد نعمة الإيجاد و الأرزاق بارسال الرسل إليهم ليكسبوهم معالى الأخلاق التى بها انتظام نعمة الإبقاء ﴿ابلغكم﴾ و جمع الرسالة لما تقدم فى قصة نوح عليه السلام فقال: ﴿رسلت ربى﴾ أى المحسن إلىّ بتعليمى ما لم أكن أعلم و تأهيلى لما لم يكن فى حسابى.

و لما كانوا قد رموه بالسفه الذى هو من غرائز النفس لأنه ضد الحلم و الرزانة، عبر عن مضمون الجملة النافية له بما يقتضى الثبات فقال: ﴿و انا لكم ناصح﴾ أى لم يزل النصح من صفتى، و ليس هو [ما -[5]] تكسبته بل غريزة فىّ، / قد بلوتمونى فيه قبل الرسالة و إظهار هذه المقالة /٣١٣

(١) فى ظ: لينه (٢) من ظ، و فى الأصل: عامهم - كذا (٣) فى ظ: رسموه.
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ.

دهرا دهيرا و[1] زمانا طويلا ؛ و لما قالوا : إنهم يظنون كذبه ، زادهم صفة الأمانة فقال : ﴿ امين ﴾ .

و لما كان يعرف ما يعتقدونه من أمانته و عقله ، و ظن أنه ما حملهم على هذا إلا العجب من أن يطلع على ما لم يطلعوا عليه ، أنكر عليهم ذلك ذاكرا لما ظنه حاملا لهم ملوحا بالعطف إلى التكذيب فقال : ٥ ﴿ او عجبتم ﴾ أى أكذبتم و عجبتم ﴿ ان جآءكم ذكر ﴾ أى شرف و تذكير ﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم يقطع[2] إحسانه عنكم[3] قط ، منزلا ﴿ على رجل منكم ﴾ أى عزه عزكم و شرفه شرفكم فما[4] فاتكم شىء ﴿ لينذركم[5] ﴾ أى يحذركم ما لمن كان على ما أنتم عليه من وخامة العاقبة .

و لما كان التقدير : فاحذروا ، عطف عليه تذكيرهم بالنعمة مشيرا به إلى ١٠ التحذير من عظيم النقمة فى قوله : ﴿ و اذكروآ اذ ﴾ أى حين ﴿ جعلكم خلفآء ﴾ أى فيما أنتم فيه من الأرض ، و لما كان زمنهم متراخيا بعدهم ، أتى بالجار فقال : ﴿ من بعد قوم نوح ﴾ أو يكون المحذوف ما اقتضاه الاستفهام فى قوله " او عجبتم " من طلب الجواب ، أى أجيبوا و اذكروا ، أى و لا تبادروا بالجواب حتى تذكروا ما أنعم به عليكم ، و فيه الإشارة ١٥ الى التحذير مما وقع لقوم نوح ، أو يكون العطف على معنى الاستفهام الإنكارى فى[5] " افلا تتقون " ، " او عجبتم " أى اتقوا و لا تعجبوا و اذكروا ، أو يكون العطف - و هو أحسن - على " اعبدوا الله " و قوله " خلفاء "

(١) من ظ ، و فى الأصل : او (٢) فى ظ : لم يقع (٣) فى الأصل : عليكم ، و فى ظ : عنه (٤) من ظ ، و فى الأصل : فلما (٥) فى ظ : من .

قيل : إنـــه يقتضى أن يكونوا قاموا[1] مقامهم ، و من المعلوم أن قوم نوح كأنوا ملء[2] الأرض ، و أن عادا إنما كانوا فى قطعة منها يسيرة و[3] هى الشجرة[3] من ناحية اليمن ، فقيل : إن ذلك لكون شداد بن عاد ملك جميع الأرض ، فكأنه قيل : جعل جدكم خليفة فى جميع الأرض ، فلو حصل الشكر لتمت النعمة ، فأطيعوا يزدكم من فضله ، [و قيل - [4]] : إن[5] قصة ثمود مثل ذلك ، و لم يكن فيهم من ملك الأرض و لا أرض عاد ، فأجيب[6] بما طرد[7] ، و هو أن عادا لما كانوا أقوى أهل الأرض أبدانا و أعظمهم أجسادا و أشدهم خلقا و أشهرهم قبيلة و ذكرا ، كان سائر[8] الناس لهم تبعا ، و كذا ثمود فيما أعطوه من القدرة على نحت الجبال و نحوها بيوتا ، و عندى أن السؤال من أصله لا يرد ، فان بين قولنا - : [فلان - [4]] خليفة فلان ، و فلان خليفة من بعد فلان - من الفرق ما لا يخفى ، فالمخلوف فى الثانى لم يذكر ، فكأنه قيل : جعلكم خلفاء لمن كان قبلكم فى هذه الأرض التى أنتم بها ، و خص قوم نوح و عاد بالذكر تذكيرا بما حل بهم من العذاب ، و لهذا بعينه خص الله هذه[8] الأمم التى وردت فى القرآن بالذكر ، و إلا فقد كانت الأمم كثيرة العد زائدة على الحد عظيمة الانتشار فى جميع الأقطار ، و معلوم

(١) فى ظ : اقاموا (٢) زيد بعده فى ظ : اهل (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : هو الشجر (٤) زيد من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ ؛ فحذفناها (٦) من ظ ، و فى الأصل : فاجيبت (٧) فى ظ : يطرد . (٨) سقط من ظ .

أن الله تعالى لم يترك واحدة منها بغير رسول " و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا[1] " و فى قصة هود فى سورة الأحقاف " و قد خلت النذر من بين يديه و من خلفه[2] "؛ و له سر آخر و هو[3] أن هذه الأمم كان[4] عند العرب كثير من أخبارهم ففصلت لهم أحوالهم ، و طوى عنهم من[5] لم يكن عندهم شعور بهم فلم يذكروا إلا إجمالا لئلا يسارعوا إلى التكذيب بما ٥ ينزل فيهم من غير دليل شهودى يقام عليهم .

و لما ذكرهم بمطلق الإبقاء بعد ذلك الإغراق العام ، أتبعه التذكير بالزيادة فقال : ﴿و زادكم﴾ أى على من قبلكم أو على من هو موجود فى الأرض فى زمانكم ﴿فى الخلق﴾ أى الخاص بكم ﴿بسطة ج﴾ أى فى الحس بطول الأبدان و المعنى بقوة الأركان ، قيل : كان طول كل واحد منهم ١٠ اثنى عشر ذراعا ، و قيل : أكثر .

و لما عظمت النعمة ، كرر عليهم التذكير فقال مسببا عن ذلك /﴿فاذكروا آلاء الله﴾ أى نعم الذى استجمع صفات العظمة التى أنعم عليكم / ٣١٣ بها من الاستخلاف و القوة و غيرهما ، و اذكروا أنه لا نعمة عندكم لغيره أصلا ، فصار مستحقا لأن تخصوه بالعبادة ﴿لعلكم تفلحون ه﴾ أى ليكون ١٥ حالكم حال من يرجى فلاحه و هو ظفره بجميع مراده ، لأن الذكر موجب[6] للشكر الموجب للزيادة .

---

(١) سورة ١٧ آية ١٥ (٢) آية ٢١ (٣) فى ظ : هى (٤) فى ظ : كانت (٥) فى ظ : ما (٦) فى ظ : يوجب .

و لما كان هذا منه موجبا و لابد لكل سامع منصف [من - [1]] المبادرة إلى الإذعان لهذه الحجة القطعية، و هى استحقاقه للافراد بالعبادة للتفرد بالإنعام، ازداد تشوف المخاطب إلى جوابهم، فأجيب بقوله: ﴿قالوا﴾ منكرين عليه معتمدين على محض التقليد ﴿اجئتنا﴾ أى من عند من ادعيت أنك رسوله ﴿لنعبد الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿وحده﴾ و لما كان هذا منهم فى غاية العجب المستحق للانكار، أتبعوه ما هو كالعلة لإنكارهم عليه ما دعاهم إليه فقالوا: ﴿و ندر﴾ أى نترك على غير صفة حسنة ﴿ما كان يعبد اٰبآؤنا ج﴾ أى مواظبين على عبادته بما دلوا عليه بـ "كان" و صيغة المضارع - مع الإشارة بها إلى تصوير آبائهم فى حالهم ذلك - ليحسن فى زعمهم إنكار مخالفتهم لهم.

و لما كان معنى هذا الإنكار أنا لا نطيعك، و كان قد لوح لهم بالتذكر[2] بقوم نوح و قوله "افلا تتقون" إلى الأخذ إن أصروا، سببوا عن ذلك قولهم: ﴿فاتنا﴾ أى عاجلا ﴿بما تعدنآ﴾ أى من العذاب بما لوح إليه إيماؤهم إلى التكذيب بقولهم: ﴿ان كنت من الصدقين ه﴾ و تسميتهم للانذار بالعذاب وعدا من باب الاستهزاء.

و لما كانوا قد بالغوا فى السفه فى هذا القول، و كان قد علم من محاورته صلى الله عليه و سلم لهم الحلم عنهم، اشتد التطلع إلى ما يكون من جوابه لهذا و التوقع له. فشفى غليل هذا التشوف بقوله:

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: بالذكر (٣) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل: الا.

﴿ قال قد وقع ﴾ أى حق و وجب و قرب أن يقع ﴿ عليكم من ربكم ﴾ أى الذى غركم به تواتر إحسانه عليكم و طول إملائه لكم ﴿ رجس ﴾ أى عذاب شديد الاضطراب فى تتبع أقصاكم و أدناكم موجب لشدة اضطرابكم ﴿ و غضب ﴾ أى شدة فى ذلك العذاب لا تفلتون منها .

و لما أخبرهم بذلك ، بين لهم أن سببه كلامهم هذا فى سياق الإنكار ٥ فقال: ﴿ اتجادلونى ﴾ و لما كانت آلهتهم تلك التى يجادلون[1] فيها لا تزيد[2] على الأسماء لكونها خالية من كل معنى ، قال : ﴿ فى أسماء ﴾ ثم بين أنه لم يسمها آلهة[3] مَنْ يعبد به فقال: ﴿ سميتموها انتم و اٰباؤكم ﴾ و لما كان لله تعالى أن يفعل ما يشاء و أن يأمر بالخضوع لمن يشاء ، قال [نافيا التنزيل فانه يلزم منه نفى الإنزال -[4]] : ﴿ ما نزل الله ﴾ أى الذى ليس الأمر إلا له ﴿ بها ﴾ ١٠ أى بتعبدكم لها أو بتسميتكم إياها ، و أغرق فى النفى فقال: ﴿ من سلطن ﴾ و لعله أتى بصيغة التنزيل لأن التفعيل يأتى بمعنى الفعل المجدد و بمعنى الفعل بالتدريج فقصد - [لأنه فى سياق المجادلة و فى سورة مقصودها إنذار من أعرض عما دعا إليه هذا الكتاب النازل بالتدريج -[4]] - النفى بكل اعتبار ، سواء كان تجديدا أو تدريجا و إشارة إلى أنه لو نزل عليهم فى ١٥ الأمر بعبادتها شىء واحد لتوقفوا فيه لعدم فهمهم لمعناه حتى يكرر[5] عليهم الأمر فيه مرة بعد أخرى، فيعلموا أن ذلك أمر حتم لا بد منه كما فعله بنو إسرائيل فى الأمر بذبح البقرة لأجل القتيل لأجل أنهم لم يعقلوا

(١) من ظ ، وفى الأصل : تجادلون (٢) من ظ ، وفى الأصل : لا يزيد (٣) سقط من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : تكرر .

معناه، دل ذلك قطعا على [أن -[1]] الأمر لهم بعبادتها إنما هو ظلام الهوى لأنه عمى محض من شأن الإنسان ركوبه بلا دليل أصلا.

ولما أخبرهم بوقوع العذاب وسببه، بين لهم أن الوقوع ليس على ظاهره فى الإنجاز، وإنما معناه الوجوب الذى لا بد منه فقال:
٥ ﴿ فانتظروا ﴾ ثم استأنف الإخبار عن حاله بقوله[2]: ﴿ انى ﴾ وأشار بقوله: ﴿ معكم ﴾ إلى أنه لا يفارقهم لخشيته منهم ولا غيرها ﴿ من المنتظرين ﴾

ولما كان هذا ينبغى أن يكون سببا للتصديق الذى هو سبب الرحمة[3]، بين أنه إنما سبب لهم العذاب، وله ولمن تبعه النجاة، / فبدأ بالمؤمنين ٣١٤/ اهتماما بشأنهم [بقوله -[1]]: ﴿ فانجينه ﴾ أى بما لنا من العظمة [إنجاء
١٠ وحيّا سريعا سللناهم به من ذلك العذاب كسل الشعرة من العجين -[1]] والذين معه ﴾ أى فى الطاعة، وأشار إلى أنه لا يجب على الله شىء بقوله: ﴿ برحمة ﴾ أى باكرام وحياطة ﴿ منا ﴾ أى لا بعمل ولا غيره[4].

ولما قدم الإنجاء اهتماما به، أتبعه حالهم فقال معلما بأن أخذه على غير أخذ الملوك الذين يعجزون عن الاستقصاء فى الطلب، فتفوتهم أواخر
١٥ العساكر[5] وشذاب[5] الجنود والأتباع ﴿ وقطعنا ﴾ دابرهم أى آخرهم، هكذا كان الأصل، ولكنه أظهر تصريحا بالمقصود وبيانا لعلة أخذهم فقال: ﴿ دابر ﴾ أى آخر، أى استأصلنا وجعلنا ذلك الاستئصال معجزة لهود عليه السلام ﴿ الذين كذبوا بآيتنا ﴾ أى ولم يراقبوا عظمتها بالنسبة

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ: فقال (٣) زيد بعده فى الأصل: ما، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ: بغيره (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

إلينا

[إلينا - [1]] ، و قوله : ﴿ و ما كانوا ﴾ أى خلقا و جبلة ﴿ مؤمنين ﴾ .
عطف على صلة " الذين " و هى " كذبوا بآيتنا " و هى جارية مجرى
التعليل لأخذهم مؤذنة [بأنه - [1]] لا يحصل منهم صلاح كما ختم قصة نوح
بقوله " انهم كانوا قوما عمين " تعليلا لإغراقهم ، أى أنا قطعنا دابرهم
و هم مستحقون لذلك ، لأنهم غير قابلين للايمان لما فيهم من شدة العناد ٥
و لزوم الإلحاد ، فالمعنى : و ما كان الإيمان من صفتهم ، أى ما آمنوا فى
الماضى و لا يؤمنون فى الآتى ، فيخرج منه من آمن وكان قد كذب
قبل إيمانه و من لم يؤمن فى حال دعائه لهم و فى علم الله أنه سيؤمن ،
و يزيده حسنا أنهم لما افتتحوا كلامهم بأن نسبوه إلى السفاهة كاذبين ؛
ناسب ختم القصة بأن يقلب الأمر عليهم فيوصفوا [2] بمثل ذلك [2] صدقا ١٠
بكلام يبين أن اتصافهم به هو الموجب لما فعل بهم ، لأن الإيمان لا يصدر
إلا عن كمال الثبات و الرزانة و ترك الهوى و قمع رعونات النفس و الانقياد
لواضح الأدلة و ظاهر البراهين ، فمن تركه مع ذلك فهو فى غاية الطيش
و الخفة و عدم العقل ، و أيضا فوصفهم بالتكذيب بالفعل الماضى لا يفهم
دوامهم على تكذيبهم ، فقال سبحانه ذلك لنفى احتمال أنهم آمنوا بعد ١٥
التكذيب و أن أخذهم إنما كان لمطلق صدور التكذيب منهم ، و أنهم
لم يبادروا إلى الإيمان قبل التكذيب ، و يحتمل أن تكون [3] الجملة حالا ،
و المعنى على كل تقدير : قطعنا دابرهم فى حال تكذيبهم و عدم إيمانهم .

و لما أتم [4] سبحانه ما أراد من قصة عاد ، أتبعهم ثمود فقال :

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٤) فى ظ : تم .

﴿ و الى ثمود ﴾ أى خاصة ، [1]منع من[1] الصرف لأن المراد به القبيلة ، و هو مشتق من الثمد و هو الماء القليل ، وكانت مساكنهم الحجر[2] بين الحجاز و الشام إلى وادى القرى ، أرسلنا ﴿ اخاهم صٰلحا[2] ﴾ ثم استأنف الإخبار عن قوله - كما مضى فى هود عليه السلام فقال : ﴿ قال يٰقوم ﴾ مستعطفا لهم بالتذكير بالقرابة و عاطف النسابة ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الذى لا كمال إلا له ﴿ ما لكم ﴾ و أكد النفى بقوله : ﴿ من الٰه غيره[5] ﴾ .

و لما دل على صدقه فى ذلك أنهم دعوا أوثانهم فلم تجبهم ، و دعا هو صلى الله عليه و سلم ربه سبحانه فأخرج لهم الناقة ، علل صحة ما دعا إليه بقوله : ﴿ قد جآءتكم بينة ﴾ أى آية ظاهرة جدا على صدقى فى ادعاء رسالتى و صحة ما أمرتكم به ، و زادهم رغبة بقوله : ﴿ من ربكم[5] ﴾ أى الذى لم يزل محسنا إليكم ؛ ثم استأنف بيانها بقوله : ﴿ هذه ﴾ مشيرا إليها بعد تكوينها تحقيقا [لها - [3]] و تعظيما لشأنها و شأنه فى عظيم خلقها و سرعة تكوينها لأجله .

و لما أشار إليها ، سماها فقال : ﴿ ناقة الله ﴾ شرفها بالإضافة إلى الاسم الأعظم ، و دل على تخصيصها بهم بقوله : ﴿ لكم ﴾ حال كونها ﴿ اٰية ﴾ أى[2] لمن شاهدها و لمن سمع بها و صح عنده أمرها[4] ؛ ثم سبب عن ذلك قوله : ﴿ فذروها ﴾ أى اتركوها و لو على أدنى وجوه[5] الترك ﴿ تاكل ﴾ أى من النبات ﴿ فى ارض الله ﴾ أى مما أنبت الله الذى له كل شىء

(١ - ١) فى ظ : يمنع (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : امره .
(٥) فى ظ : احوال .

و [1]هي ناقته[1] / كما أن الأرض كلها مطلقا أرضه و النبات رزقه، ٣١٥ /
و لذلك أظهر لئلا يختص [أكلها - [2]] بأرض دون أخرى .

و لما أمرهم بتركها لذلك ، أكد الأمر بنهيهم عن أذاها فقال :
﴿ و لا[3] تمسوها بسوء ﴾ فضلا عما بعد المس ﴿ فياخذكم ﴾ أى أخذ قهر
بسبب ذلك المس و عقبه ﴿ عذاب اليم ﴾ أى مؤلم . ٥

و لما أمرهم و نهاهم ، ذكر لهم ترغيبا مشيرا إلى ترهيب فقال :
﴿ و اذكروا ﴾ أى نعمة الله عليكم ﴿ اذ جعلكم خلفاء ﴾ أى فيما أنتم فيه
﴿ من بعد عاد ﴾ أى إهلاكهم ﴿ و بواكم فى الارض ﴾ أى جعل لكم فى
جنسها مساكن تبوؤن أى ترجعون إليها وقت راحتكم ، سهل عليكم من
عملها فى [أىّ - [2]] أرض أردتم ما لم يسهله[4] على غيركم ؛ و لهذا فسر ١٠
المراد بقوله : ﴿ تتخذون ﴾ أى بما لكم من الصنائع ﴿ من سهولها قصورا ﴾
أى أبنية [5]بالطين و اللبن[5] و الآجر واسعة عالية حسنة يقصر[6] أمل الآمل
و نظر الناظر عليها مما فيها من المرافق و المحاسن ﴿ و تنحتون الجبال ﴾
أى أىّ جبل أردتم تقدرونها ﴿ بيوتا ﴾ .

و لما ذكرهم بهذه النعم مرغبا مرهبا ، كرر ذلك إشارة و عبارة ١٥
فقال مسببا عما ذكرهم به : ﴿ فاذكروا ﴾ أى ذكر إذعان و رغبة و رهبة
﴿ الآء ﴾ أى نعم ﴿ الله ﴾ أى الذى [له - [2]] صفات الكمال فلا حاجة

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : هو ناقة (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : فلا (٤) من ظ ، و فى الأصل : لم يسهل (٥-٥) فى ظ : باللبن و الطين (٦) من ظ ، و فى الأصل : تقصر .

به إلى أحد ، فاحسانه هو الإحسان فى الحقيقة ﴿ولا تعثوا فى الارض﴾ من العثى و هو الفساد ، و هو مقلوب عن العيث - قاله ابن القطاع[1] ، و حينئذ يكون قوله : ﴿مفسدين ٥﴾ بمعنى متعمدين[2] للفساد .

و لما حصل الالتفات إلى جوابهم ، قيل : ﴿قال الملا﴾ أى الأشراف ، و بينه بقوله : ﴿الذين استكبروا﴾ أى أوقعوا الكبر و اتصفوا به فصار لهم خلقا فلم يؤمنوا ؛ و نبه على التأسية بقوله : ﴿من قومه﴾ و لما قال : ﴿للذين استضعفوا﴾ كان ربما فهم أنهم آمنوا كلهم ، فنفى ذلك بقوله مبدلا منه : ﴿لمن اٰمن منهم﴾ أى المستضعفين ، فهو أوقع فى النفس و أروع[3] للجنان من البيان فى أول وهلة مع الإشارة [4]إلى أن[4] أتباع الحق هم الضعفاء ، و أنه لم يؤمن إلا بعضهم ، ففيه إيماء إلى أن الضعف أجلّ النعم لملازمته لطرح النفس المؤدى إلى الإذعان للحق ، و بناؤه للمفعول دليل على أنهم فى غاية الضعف بحيث يستضعفهم كل أحد ﴿اتعلمون﴾ أى[5] بدأوهم بالإنكار صدا لهم عن الإيمان ﴿ان صٰلحا﴾ سموه باسمه جفاء و غلظة و إرهابا للمسؤلين ليجيبوهم بما يرضيهم ﴿مرسل من ربه﴾ و كأنهم قالوه ليعلموا حالهم فيبنوا عليه ما يفعلونه ، لأن المستكبرين لا يتم لهم كبرهم إلا بطاعة المستضعفين .

و لما علموا ذلك منهم ، أعلموهم بالمنابذة اعتمادا على الكبير المتعال

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : القطان - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : معتمدين.
(٣) من ظ ، و فى الأصل : اورع (٤ - ٤) فى ظ : لان (٥) زيد بعده فى الأصل : المستضعفين ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها

الذى

الذى يضمحل كل[1] كبر عند كبره و لا يعد لأحد أمر مع أمره، بأن ﴿ قالوآ ﴾ منبهين لهم على غلظتهم و غلطهم فى توسمهم فى حالهم معبرين[2] بما دل على العلم بذلك و الإذعان له ﴿ انا بمآ ارسل به ﴾ و بنى للمفعول إشارة إلى تعميم التصديق و إلى أن كونه من عند الله أمر مقطوع به لا يحتاج إلى تعيين ﴿ مؤمنون ۝ ﴾ أى غريقون[3] فى الإيمان به، و لذلك ٥ ﴿ قال الذين استكبروآ ﴾ أى فى جوابهم معبرين بما يدل على المخالفة لهم و المعاندة ﴿ انا بالذىٓ ﴾ و وضعوا موضع 'أرسل به' - ردا[4] لما جعلوه معلوما و أخذوه مسلما ﴿ آمنتم به ﴾ أى كائنا ما كان ﴿ كٰفرون ۝ ﴾ ثم سبب عن قولهم قوله ﴿فعقروا الناقة﴾ أى التى جعلها الله لهم آية، و عبر بالعقر دون النحر لشموله كل سبب لقتلها لأن ابن إسحاق ذكر أنه اجتمع ١٠ لها ناس منهم فرماها أحدهم بسهم و ضرب آخر قوائمها بالسيف و نحرها آخر فأطلق اسم السبب على المسبب، لكن قوله تعالى "فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر[5]" و قوله " اذ انبعث اشقٰها[6]" و قوله صلى الله عليه و سلم « انبعث لها رجل عزيز عارم منيع فى قومه[7]» قالوا: هو قدار[8] بن سالف، جعلت / له ٣١٦ / امرأة من قومه ابنتها إن عقرها، ففعل فكان أشقى الأولين، و أشقى الآخرين ١٥ عبد الرحمن بن ملجم المرادى قاتل على بن أبى طالب رضى الله عنه،

---

(١) من ظ، و فى الأصل: على - كذا (٢) من ظ، و فى الأصل: معتبرين.
(٣) فى ظ: الغريقين (٤) من ظ، و فى الأصل: فودا (٥) سورة ٥٤ آية ٢٩.
(٦) سورة ٩١ آية ١٢ (٧) من معالم التنزيل - راجع الخازن ٢/٢١٠، و فى الأصل: قوم، و فى ظ: قوله - كذا (٨) فى ظ: قدا.

جعلت له قطام امرأة من بنى عجل جميلة نفسها إن قتله ، فالمناسبة بينهما[1] أن كلا منهما ألقى نفسه فى المعصية العظمى لأجل شهوة فرجه فى زواج امرأة ، و قوله صلى الله عليه و سلم « أشقى الأولين عاقر الناقة » يدل على أن عاقرها رجل واحد ، و حينئذ يكون المراد به قطع القوائم ، [فحيث جمع أراد الحقيقة و المجاز معا ، و حيث أفرد أراد الحقيقة فقط -[2]] ، فالتعبير به لأنه الأصل[3] و السبب الأعظم فى ذبح الإبل ؛ قال البغوى : قال الأزهرى : العقر هو قطع عرقوب البعير ، ثم جعل النحر عقرا لأن ناحر البعير يعقره ثم ينحره - انتهى . و كأن هذا إشارة إلى أن المراد بالعقر فى كلامه النحر ، [و -[2]] لاريب فى أن أصل العقر فى اللغة القطع ، و مادته تدور على ذلك ، عقر النخلة - إذا قطع رأسها فيبست ، و الفرس : ضرب قوائمها بالسيف ، و أكثر ما يستعمل العقر فى الفساد ، و أما النحر فيستعمل غالبا فى الانتفاع بالمنحور لحما و جلدا و غيرهما ، فلعل التعبير به دون[1] النحر إشارة إلى أنهم لم يقصدوا بنحرها إلا إهلاكها[4] عتوا على الله و عنادا و فعلا للسوء مخالفة [5]لنهى صالح[5] عليه السلام ، و لا يشكل ذلك بما ورد من أنهم اقتسموا لحمها ، لأنه لم يدع أن العقر يلزمه[6] عدم الانتفاع بالمنحور ، [و -[2]] على [7] التنزل فهم[7] لم يريدوا بذلك الانتفاع باللحم ، و إنما قصدوا - حيث لم يمكنهم[8] المشاركة جميعا فى العقر - أن يشتركوا

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : اصل (٤) من ظ ، و فى الأصل : هلاكها (٥-٥) فى ظ : لصالح (٦) من ظ ، و فى الأصل : يلزمها . (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : الرى فيهم - كذا (٨) فى ظ : لم تمكنهم .

فيما نشأ عنه تعريضا برضاهم به و مشاركتهم فيه بما يمكنهم ﴿ و عتوا ﴾ أى تجاوزوا الحد فى الغلظة و التكبر ﴿ عن امر ﴾ أى امتثال أمر ﴿ ربهم ﴾ أى المحسن إليهم الذى أتاهم على لسان رسوله من تركها ﴿ و قالوا ﴾ زيادة فى العتو ﴿ يٰصٰلح ائتنا ﴾ .

و لما نزلوا[1] وعيدهم له - حيث لم يؤمنوا به - منزلة الوعد و البشارة ، قالوا : ﴿ بما تعدنآ ﴾ استخفافا منهم و مبالغة فى التكذيب ، [كأنهم يقولون : نحن على القطع بأنك لا تقدر على أن تأتينا بشىء من ذلك ، و إن كنت - [2]] صادقا فافعل و لا تؤخره رفقا بنا و شفقة علينا ، فانا لا نتأذى بذلك ، بل نتلذذ به تلذذ من يلقى الوعد الحسن ، و حاصله التهكم منهم به و الإشارة إلى عدم قدرته ؛ و أكدوا ذلك بقولهم بأداة الشك : ﴿ ان كنت من المرسلين ﴾ أى الذين سمعنا أخبارهم فيما مضى ؛ ثم سبب عن عتوهم[3] قوله : ﴿ فاخذتهم الرجفه ﴾ أى التى كانت عنها أو منها الصيحة ، أخذ من هو فى القبضة على غاية من الصغار و الحقارة ، و لعل توحيد الدار هنا مع الرجفة فى قصة صالح و شعيب عليهما السلام فى قوله تعالى : ﴿ فاصبحوا فى دارهم ﴾ أى مساكنهم ، و جمعها فى القصتين مع الصيحة فى سورة هود عليه السلام للاشارة إلى عظم الزلزلة و الصيحة فى الموضعين ، و ذلك لأن الزلزلة إذا كانت فى شىء واحد كانت أمكن ، فتكون[4] فى المقصود من النكال أعظم ، و الصيحة من شأنها الانتشار ، فاذا عمت الأماكن المتنائية و الديار المتباعدة فأهلكت أهلها و مزقت

(١) فى ظ : تركوا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : عقرهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : فيكون .

جماعتها و فرقت شملها، كانت من القوة المفرطة و الشدة البالغة بحيث تنزعج[1] من تأمل وصفها النفوس و تجب له القلوب، و حاصله أنه حيث عبر بالرجفة وحد الدار إشارة إلى شدة العذاب بعظم الاضطراب، و حيث عبر بالصيحة جمع إيماء إلى عموم الموت بشدة الصوت، و لا مخالفة لأن عذابهم كان بكل منهما، و لعل إحداهما كانت سببا للأخرى[2]، و لعل المراد بالرجفة اضطراب القلوب اضطرابا قطعها، أو أن الدار رجفت فرجفت القلوب و هو أقرب، و خصت[3] الأعراف بما ذكر فيها، لأن مقصودها إنذار المعرضين، و الرجفة أعظم قرعا لعدم الإلف لها - و الله اعلم ﴿جثمين ٥﴾ أي باركين على ركبهم لازمين أماكنهم لا حراك بأحد منهم، و لم يبق منهم في تلك الساعة أحد[4] إلا رجل / واحد كان في الحرم، فلما خرج منه أصابه ما أصاب قومه و هو أبو رغال[5]، و مسافة الحرم عن أرضهم تزيد على مسيرة[6] عشرة أيام، و من الآيات العظيمة أن ذلك الذي [خلع -[7]] قلوبهم و أزال أرواحهم لم يؤثر في صالح عليه السلام و المستضعفين معه شيئا، و ذلك مثل الريح التي[8] زلزلت الأحزاب، و أنالتهم أشد العذاب، و رمتهم بالحجارة و التراب حتى هزمتهم و ما نال النبي[9] صلى الله عليه و سلم و أصحابه منها[4] كبير أذى، و كفها الله عن

/ ٣١٧

(١) من ظ، و في الأصل: ينزع - كذا (٢) من ظ، و في الأصل: للاخر.
(٣) في ظ: مضت (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و المعالم، و في الأصل: ابو رجال (٦) من ظ، و في الأصل: مسير (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، و في الأصل: الذي (٩) في ظ: المصطفى.

حذيفة ، و كذا البرد الذى كان ذلك زمانه لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم ليتعرف[1] له أخبارهم .

و لما أصابهم ذلك ، سبب لهم الهجرة عن ديارهم ديار السوء و الغضب و اللعنة فقال تعالى إعلاما لنا بذلك : ﴿ فتولى ﴾ أى كلف نفسه الإعراض ﴿ عنهم و قال ﴾ أى لما أدركه من أحوال البشر من الرقة على فوات ٥ إيمانهم و هم أصله و عشيرته ﴿ يقوم ﴾ أى الذين يعز علىّ ما يؤذيهم ﴿ لقد ابلغتكم ﴾ و لعله وحد قوله : ﴿ رسالة ربى ﴾ لكون آيته واحدة ﴿ و نصحت ﴾ و[2] قصر الفعل و عداه باللام فقال : ﴿ لكم ﴾ دلالة على أنه خاص [بهم - [3]] ، روى [4] أنه خرج عنهم[4] فى مائة و عشرة من المسلمين و هو يبكى ، وكان قومه ألفا و خمسمائة دار ، و روى أنه رجع ١٠ بمن معه فسكنوا ديارهم[5] .

و لما كان التقدير : ففعلت معكم[6] ما هو مقتض لأن تحبونى لأجله ، عطف عليه قوله : ﴿ و لكن ﴾ لم تحبونى[7] ، هكذا كان الأصل و لكنه عبر بما يفهم أن هذا كان دأبهم و خلقا لهم مع كل ناصح فقال : ﴿ لا تحبون ﴾ [أى - [3]] حاكيا لحالهم الماضية ﴿ النصحين ﴾ أى ١٥ كل من فعل فعلى من النصح التام .

و لما أتم سبحانه ما وفى بمقصد هذه السورة فى هذا السياق من قصتهم ، أتبعه من بعده[8] ممن تعرفه العرب كما فعل فيما قبل فقال :

---

(١) فى ظ : ليعرف (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤-٤) تكرر ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل : بهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) فى ظ : منكم (٧) من ظ ، و فى الأصل : لم يحبونى (٨) من ظ ، و فى الأصل : بعدهم .

﴿ و لوطا اذ قال ﴾ و لما كانت رسالته إلى مدن شتى ، و كأنهم كانوا قبائل شتى ، قيل : كانوا خمسة و هى المؤتفكات ، [و -[1]] قيل : كانوا أربعة آلاف بين الشام و المدينة الشريفة ، قال: ﴿ لقومه ﴾ و قد جوزوا أن يكون العامل فيه ' أرسلنا ' و ' اذكر ' و لا يلزم من تقدير ' ارسلنا ' أن يكون إرساله فى وقت تفوهه لهم بهذا القول غير سابق عليه ، لأنه كما أن ذلك الزمن - المنطبق على أول قوله و آخره - وقت له فكذلك[2] اليوم - الذى وقع فيه هذا القول - وقت له ، بل و ذلك الشهر و تلك السنة و ذلك القرن ، فان من شأن العرب تسمية الأيام المشتركة فى الفعل الواحد يوما ، قالوا: يوم القادسية ، و هو أربعة أيام إن اعتبرنا مدة القتال فقط ، و عدة شهور إن اعتبرنا بالاجتماع[3] له ، و كذا يوم صفين ، و قال تعالى فى قصة بدر " و اذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم - إلى أن قال: اذ تستغيثون ربكم - إلى أن قال: اذ يغشيكم النعاس امنة منه - اذ يوحى ربك الى الملئكة[4] " و كلها إبدال من قوله " و اذ يعدكم الله احدى الطائفتين " و لا ريب فى[5] أن زمان الكل لم يكن متحدا إلا[6] بتاويل جميع الأيام المتعلقة بالوقعة من سير و قتال و غير ذلك - و الله أعلم ، و عبر فى قصة نوح [عليه السلام -[1]] بـ " ارسلنا نوحا الى قومه " ، ثم نسق من بعده عليه فقيل : " و الى عاد اخاهم هودا " " و الى ثمود اخاهم صلحا " " و الى مدين اخاهم شعيبا " و عدل عن هذا الأسلوب فى قصة لوط [فلم يقل :

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : ذلك (٣) فى ظ : الاجتماع (٤) سورة ٨ آية ٧ - ١٢ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لا .

و إلى أهل أدوما[1] أخاهم لوطا، أو إلى أهل سدوم لوطا - [2] أو و أرسلنا لوطا إلى قومه و نحو ذلك كما سيأتى فى قصة موسى عليه السلام. لأن من أعظم المقاصد بسياق هذه القصص تسلية النبى صلى الله عليه و سلم فى مخالفة قومه له و عدم استجابتهم و شدة أذاهم و إنذار[3] قومه أن يحل بهم ما حل بهذه الأمم من العذاب، و قصص من عدا قوم لوط مشابهة لقصة قريش فى ٥ الشرك بالله[4] و الأذى لعباده المؤمنين، و أما قصة قوم لوط فزائدة عن ٣١٨/ ذلك بأمر فظيع عظيم الشناعة شديد العار و الفحش فعدل عن ذلك النسق تنبيها عليه تهويلا للأمر و تبشيعا له، ليكون فى التسلية أشد، و فى استدعاء الحمد و الشكر أتم. و حينئذ يترجح أن يكون العامل "اذكر" "لا "أرسلنا"" أى و اذكر لوطا و ما حصل عليه من قومه زيادة على ١ شركهم من رؤيته فيهم هذا الأمر الذى لم يبق للشناعة موضعا، فالقصة فى الحقيقة تسلية و تذكير[6] بنعمة معافاة العرب من مثل هذا الحال، و إنذار لهم سوء المآل مع ما شاركت[7] فيه أخواتها من الدلالة على سوء جبلة هؤلاء القوم و شرارة جوهرهم المقتضى لتفردهم عن أهل الأرض بذلك الأمر الفاحش، و الدليل على أنه أشنع الشنع[8] بعد الشرك - مع ١٥ ما جعل الله تعالى فى كل طبع سليم من النفرة عنه - اختصاصه بمشاركته للشرك فى أنه لم يحل فى ملة من الملل فى وقت من الأوقات و لا مع

(١) فى تاج العروس: دوما - راجع «افك» (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: انذر (٤) فى ظ: فى الله (٥ - ٥) فى ظ: لارسالنا - كذا (٦) فى ظ: تذكيرا (٧) من ظ، وفى الأصل: شركت (٨) سقط من ظ.

وصف من الأوصاف، و بقيـة[1] المحرمات ليست كذلك، فأما قتل النفوس فقد حل فى [2]القصاص و الجهاد[2] و غير ذلك، و الوطى[3] فى القبل[4] لم يحرم إلا بقيد كونه زنى، و لولا الوصف لحل، و أكل المال الأصل فيه الحل، و ما حرم إلا بقيد كونه بالباطل - وكذا غير ذلك؛

٥ قال أبو حيان: و لما كان هذا الفعل معهودا قبحه و مركوزا فى العقول فحشه، أتى معرفا - أى فى قوله بعد إنكاره عليهم و تقريعه و توبيخه لهم: ﴿اتاتون الفاحشة﴾ أى أتفعلون السيئة المتمادية فى القبح و إن كان بينكم و بينها مسافة بعيدة - أو تكون[5] 'أل' فيه للجنس على سبيل المبالغة، كأنه[6] لشدة قبحه جعل جميع الفواحش و لبعد العرب عن ذلك البعد

١٠ التام، [و ذلك - [7]] بخلاف الزنى فانه قال [فيه - [7]] "و لا تقربوا الزنى انه كان فاحشة[8]".

و لما كان غير مستبعد على صفاقة وجوههم و وقاحتهم أن يقولوا: لم تكون[9] فعلتنا منكرا موبخا عليها؟ قال: ﴿ما سبقكم بها﴾ و أغرق فى النفى بقوله: ﴿من احد﴾ و عظم ذلك بتعميمه فى قوله: ﴿من العٰلمين ٥﴾

١٥ فقد اخترعتم شيئا لا يكون مثل فحشه لتذكروا[10] به أسوأ ذكر، [كما - [11]]

---

(١) فى ظ: قصة (٢-٢) فى ظ: الجهاد و القصاص (٣) من ظ، و فى الأصل: لوط (٤) فى ظ: الدبر (٥) من ظ و البحر المحيط ٤/٣٣٣، و فى الأصل: يكون. (٦) من البحر، و فى الأصل و ظ: فانه (٧) زيد من البحر (٨) سورة ١٧ آية ٣٢. (٩) من ظ، و فى الأصل: يكون (١٠) من ظ، و فى الأصل: ليذكروا (١١) زيد من ظ.

أن

أن ذوى الهمم العوال و الفضل و الكمال يستنبطون من المحاسن و المنافع ما يبقى لهم ذكره و ينفعهم أجره، و فى ذلك أعظم إشارة إلى تقبيح البدع و التشنيع على فاعليها، لأن العقول لا تستقل بمعرفة المحاسن .

و لما أبهم الفاحشة ليحصل التشوف إلى معرفتها، عينها فى استفهام آخر كالأول فى إنكاره و توبيخه ليكون أدل على تناهى الزجر عنها فقال: ٥ ﴿ ائنكم[1] لتاتون الرجال ﴾ أى تغشونهم غشيان النساء؛ و لما أبقى للتشوف مجالا، عين بقوله: ﴿ شهوة ﴾ أى مشتهين، أو لأجل الشهوة، لا حامل لكم على ذلك إلا الشهوة كالبهائم التى لا داعى لها من جهة العقل[2]، و صرح بقوله: ﴿ من دون النساء[3] ﴾ فلما لم يدع لبسا، و كان هذا ربما أوهم إقامة عذر لهم فى عدم وجدان النساء أو عدم كفايتهن لهم، أضرب ١٠ عنه بقوله: ﴿ بل انتم قوم ﴾ .

و لما كان مقصود هذه السورة الإنذار كان الأليق به الإسراف الذى هو غاية الجهل المذكور فى سورة النمل [فقال -[3]] ﴿ مسرفون ٥ ﴾ أى لم يحملكم على ذلك ضرورة لشهوة تدعونها، بل اعتياد المجاوزة للحدود، و لم يسم قوم لوط[4] فى سورة من السور كما سميت عاد و ثمود و غيرهم صونا ١٥ للكلام عن تسميتهم، و أما قوم نوح[4] فانما[5] لم يسموا لعدم تفرق القبائل اذ ذاك، فكانوا لذلك جميع أهل الأرض و لذا عمهم الغرق - و الله أعلم .

و لما كان كأنه قيل : هذا التقريع يوجب غاية الاستحياء، بل أنه

---

(١) و فى مصاحفنا : انكم (٢) سقط من ظ (٣) زيد لاستقامة العبارة (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل : فانه .

/٣١٩/ / يذهب كل من سمعه منهم إلى مكان لا يعرف فيه سترا لحاله[١]، فيا ليت شعرى ماكان حالهم عنده! فقيل: كان كأنهم[٢] أجابوه بوقاحة عظيمة وفجور زائد على الحد، فما كان جوابهم إلا أذى لوط عليه السلام وآله بما[٣] استحقوا منهم به شديد الإنذار الذى هو مقصود السورة، [عطف عليه -[٤]] قوله: ﴿وما كان جواب قومه﴾ أى الذين كانوا [هم -[٤]] أهل قوة شديدة وعزم عظيم وقدرة على القيام بما يحاولونه ﴿الآن قالوا﴾.

ولما كان المقصود بيان أنهم أسرعوا إجابته بما ينكيه أضمر ما لا يشكل بالإضمار، [أو أنه لما كان السياق لبيان الخبيث بين أنه لا أخبث من هؤلاء الذين بلغ من رذالتهم أنهم عدوا الطاهرين المتطهرين مما يصان اللسان عن ذكره -[٤]] فقال [تعالى مشيرا إلى ذلك فى حكاية قولهم -[٤]]: ﴿اخرجوهم﴾ أى المحدث عنهم، وهم لوط ومن انضم إليه ﴿من قريتكم ج﴾ والمراد ببيان الإسراع فى هذا تسلية النبى صلى الله عليه وسلم من[٥] رد قومه لكلامه لئلا يكون فى صدره حرج من إنذارهم؛ ثم عللوا[٦] إخراجهم بقولهم: ﴿انهم اناس﴾ أى ضعفاء ﴿يتطهرون ه﴾ وكأنهم قصدوا بالتفعل نسبتهم إلى [محبة -[٤]] هذا الفعل القبيح، وأن تركهم له إنما هو تصنع وتكليف لنفوسهم بردها عما هى مائلة إليه، وإقبال على الطهر من غير وجهه[٧] وإظهار له رياء بما أشار إليه إظهار تاء

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: انهم (٣) فى ظ: مما (٤) زيد مابين الحاجزين من ظ (٥) فى ظ: فيه (٦) فى ظ: علل (٧) العبارة من هنا إلى «من السخرية» ساقطة من ظ.

التفعل ، و فيه مع ذلك حرف من السخرية ، و حصر[1] جوابهم فى هذا المعنى المؤدى بهذا اللفظ لا ينافى آية العنكبوت القائلة " فما كان جواب قومه الا ان قالوا ائتنا بعذاب الله -[2] " - الآية ، لأن إطلاق الجواب على هذا يجوز ، و المعنى : فما كان قولهم فى جوابه إلا إتيانهم بما لا يصلح جوابا ، و ذلك مضمون هذا القول و غيره مما لا يتعلق بالجواب ، أو أن هذا الجواب لما كان - لما فيه من التكذيب و الإيذان بالإصرار و الإغلاظ لرسول الله صلى الله عليه و سلم - مستلزما للعذاب ، كانوا كأنهم نطقوا به فقالوا " ائتنا بعذاب الله " ، جعل نطقهم بالسبب نطقا بالمسبب ، أو أنهم استعملوا لكل مقام مقالا ، و يؤيده أن المعنى لما اتحد هنا و فى النمل حصر الجواب فى هذا ، أى فما كان جوابهم لهذا القول إلا هذا ؛ و لما زادهم فى العنكبوت فى التقريع فقال " ائنكم لتاتون الرجال و تقطعون السبيل و تاتون فى ناديكم المنكر[2] " أتوه بأبلغ من هذا تكذيبا و استهزاء فقالوا " ائتنا بعذاب الله " - الآية .

و لما تسبب[3] عن عنادهم إهلاكهم و إنجاؤه ، و كان الإعلام بانجائه - مع كونه يفهم إهلاكهم - أهم ، قال : ﴿ فانجيناه و اهله ﴾ أى من أطاعه ﴿ الا امراته ﴾ و لما كان كأنه قيل : ما لها ؟ قال : ﴿ كانت من الغبرين ﴾ أى الباقين الذين لحقتهم بالعذاب العبرة و التذكير إشارة إلى أنها أصابها مثل عذاب الرجال سواء ، لم تنقص[4] عنهم لأنها كانت كافرة مثلهم .

(١) فى ظ : حصرهم (٢) آية ٢٩ (٣) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٤) من ظ ، و فى الأصل : لم ينقص .

و لما أفهم هذا إهلاكهم ، بينه دالا على نوعه بقوله : ﴿ و امطرنا ﴾ أى حجارة السكبريت بعد أن قلعت[1] مدائنهم و رفعت و قلبت حتى رجم بها مسافروهم و شذابهم لأنه[2] عذاب الاستئصال عمن[3] لا يعجزه شيء ؛ و أوضحه بقصره[4] الفعل و تعديته بحرف الاستعلاء فقال : ﴿ عليهم ﴾ و أكد كونه من السماء لا من سطح أو جبل و نحوه بقوله : ﴿ مطرا[5] ﴾ و أشار إلى عظمه مزيلا للبس [أصلا - ٥] بما سبب عنه من قوله : ﴿ فانظر كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ المجرمين ٨٤ ﴾ و أظهر موضع الإضمار تعليقا للحكم بوصف القطع لما حقه الوصل بوصل ما حقه القطع من فاحش المعصية دليلا على أن الرجم جزاء من فعل هذا الفعل بشرطه ، لأن الحكم يدور مع العلة ، و سيأتى فى سورة هود عليه السلام سياق قصتهم من التوراة بعد أن مضى فى البقرة عند[6] " اذ قال له ربه اسلم[7] " أوائل أمرهم ، و هذا كما سومت[8] الحجارة لقريش - لما أجمعوا أن يرجعوا بعد توجههم عن غزوة أحد من الطريق - ليفزعوا من النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه على زعمهم ، كما قال صلى الله عليه و سلم « و الذى نفسى بيده ! لقد سومت لهم الحجارة ، و لو /رجعوا لكانوا كأمس الذاهب » ولكنه صلى الله عليه و سلم لما كان رسول رحمة لم يقض الله برجوعهم فمضوا حتى أسلم بعد ذلك كثير منهم ، و كما أمطر[9] الله الحجارة على أصحاب الفيل سنة مولده صلى الله عليه و سلم حماية لبلده[10] ببركته .

/٣٢٠

(١) من ظ ، و فى الأصل : فعات (٢) فى ظ : لان (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ : بقصر (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : بعد (٧) آية ١٣١ (٨) من ظ ، و فى الأصل : سويت (٩) فى ظ : امر (١٠) فى ظ : لبيته .

و لما انقضت هذه القصة العجيبة فى القصص . أعاد النسق الأول فقال: ﴿و الى مدين﴾ أى أرسلنا ، و هى بلد ، و قيل قبيلة من أولاد مدين [ابن - [1]] إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿ اخاهم ﴾ أى من النسب . و بينه بقوله : ﴿شعيبا [1] ﴾ و هو موصوف بأنه خطيب الأنبياء عليهم السلام لحسن مراجعة قومه ؛ ثم استأنف قوله على ذلك النسق : ﴿ قال يقوم ﴾ دالا على النصيحة و الشفقة بالتذكير بالقرابة ، و بدأ بالأصل المعتبر فى جميع الشرائع المأثورة عن الأنبياء عليهم السلام فقال[2] : ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى[3] الذى يستحق العبادة لذاته بما له من الأسماء الحسنى و الصفات العلى .

و لما كان المراد إفراده بالعبادة لأنه [لا - [1]] يقبل الشرك لأنه غنى . علل ذلك بقوله : ﴿ما لكم ﴾ و أغرق فى النفى بقوله : ﴿ من اله غيره [1] ﴾ ثم استأنف التذكير بما دل على صحة دعواه فى نفسها و صدقه فى دعوى الرسالة بقوله : ﴿ قد جآءتكم ﴾ أى على يدى ﴿ بينة ﴾ و لما كنا عالمين من قول النبى صلى الله عليه و سلم الذى أخرجه الشيخان عن أبى هريرة رضى الله عنه « ما من الأنبياء نبى إلا اوتى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر » أن هذه البينة معجزة ، مثلها كاف فى صحة الدعوى و لم تدع ضرورة إلى ذكرها لنا ، لم تعن ؛ ثم زادهم ترغيبا بقوله : ﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم تروا[4] إحسانا إلا منه .

و لما كان إتيانه بالبينات سببا لوجوب امتثال أمره ، قال مسببا عنه : ﴿ فاوفوا الكيل ﴾ أى و[3] المكيال و الوزن ﴿ و الميزان ﴾ أى ابذلوا ما

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى ظ : ان (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : لم يروا .

تعطون بهما وافيا ، فالآية من الاحتباك ، و كان المحكى عنه هنا من أوائل قوله لهم فترك التأكيد الرافع لمجاز المقاربة بذكر القسط .

و لما كان الأمر بالوفاء يتضمن النهى عن البخس ، صرح به على وجه يعم غيره فقال : ﴿و لا تبخسوا﴾ أى تنقصوا [1]و تفسدوا كما أفسد البخسة[1] ٥ ﴿الناس اشياءهم﴾ أى شيئا من البخس فى كيل [2]و لا[2] وزن و لاغيرهما ، و الناس - قال فى القاموس - يكون من الإنس و من الجن جمع إنس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه 'أل' ، و قال أبو عبد الله القزاز : الناس أصله عند البصريين أناس ، ثم أدخلوا الألف و اللام على ذلك و حذفوا الهمزة[3] و بقى الناس ، وكان أصله فعال من : أنست[4] به ، فكأنه قيل : ١٠ أناس - يعنى على القلب ، قال : لأنه يؤنس إليهم - انتهى . إذا علم هذا علم أن نهيه صلى الله عليه و سلم عن بخس الجمع الذين فيهم قوة المدافعة نهى عن بخس الواحد من باب الأحرى لأن الشرائع إنما جاءت بتقوية الضعيف على حقه .

و لما نهى عن الفساد بالبخس ، عم كل فساد فقال : ﴿و لا تفسدوا﴾ ١٥ أى توقعوا الفساد ﴿فى الارض﴾ بوضع شىء من حق الحق أو[5] الخلق فى غير موضعه ؛ و لما نهاهم عن هذه الرذائل ، ذكر بنعمة الله تأكيدا للنهى بما فى ذلك من التخويف و حثا على التخلق بوصف السيد فقال : ﴿بعد اصلاحها[6]﴾ أى إصلاح الله لها بنعمة الإيجاد الأول بخلقها و خلق منافعها و ما فيها على هذا النظام البديع المحكم[6] ثم بنعمة الإبقاء الأول

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) فى ظ : او (٣) فى ظ : الهمز (٤) من ظ ، و فى الأصل : انسب (٥) من ظ ، و فى الأصل « و » (٦) من ظ ، و فى الأصل : المحكمة .

بانزال الكتب و إرسال الرسل و نصب الشرائع التى بها يحصل النفع و تتم النعمة باصلاح[1] أمر المعاش و المعاد بتعظيم أمر الله و الشفقة على خلق الله ، و يجمع ذلك كله التنزه عن الإساءة .

و لما تقدم إليهم بالأمر و النهى ، أشار إلى عظمة ما تضمنه ذلك حثا لهم على امتثاله فقال : ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم العالى الرتبة مما ذكر ٥ فى هذه القصة ﴿ خير لكم ﴾ و لما كان الكافر ناقص المدارك / كامل ٣٢١ / المهالك ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ ان كنتم مؤمنين ﴾ أى فلا تفسدوا أو فأنتم تعرفون صحة ما قلته[2] . و إذا عرفتم صحته عملتم به ، و إذا عملتم به أفلحتم كل الفلاح ، و يجوز - و هو أحسن - أن يكون التقدير : فهو خير لكم ، لأن المؤمن يثاب على فعله لبنائه له على أساس الإيمان ، ١٠ و الكافر أعماله فاسدة فلا يكون فعله لهذه الأشياء خيرا له من جهة إسعاده فى الآخرة لأنه لا ثواب له .

و لما كان للتعميم بعد التخصيص و التفصيل بعد الإجمال من الموقع فى النفوس ما لا يخفى ، و كان النهى عن الإفساد بالصد عن سبيل الله هو المقصود بالذات لأنه نهى عن كل فساد ، خصه بالذكر إشارة إلى ١٥ أنه زبدة[3] المراد بعد التعميم فقال : ﴿ و لا[4] تقعدوا ﴾ أى تفعلوا فعل المترصد المقبل بكليته ﴿ بكل صراط ﴾ أى طريق من طرق[5] الدنيا و الدين من الحلال و الحرام و الأوامر و النواهى و المحكم و المتشابه و الأمثال

(١) من ظ ، و فى الأصل : باصلاحه (٢) من ظ ، و فى الأصل : قبله (٣) من ظ . و فى الأصل : زايدة (٤) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : فلا (٥) فى ظ : طريق .

﴿ توعدون ﴾ أى تتهددون من يسلكه بكل شر إن لم يوافقكم على ما تريدون .

و لما كان طريق الدين أهم ، خصه بالذكر فقال: ﴿ و تصدون ﴾ أى توقعون الصد على سبيل الاستمرار ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى طريق من له الأمر كله ؛ و لما ذكر الصدود عنه[1] ، ذكر المصدود فقال: ﴿ من آمن به ﴾ أى بالله فسلك سبيله التى لا أقوم منها ؛ و لما كانوا لا يقنعون بمطلق الصد بالتهديد و نحوه ، بل يبدون للصدود شبها توهمه أنه على ضلال ، قال عاطفا : ﴿ و تبغونها[2] عوجا ﴾ أى و تطلبون السبيل حال كونها ذات عوج ، أى تطلبون اعوجاجها بإلقاء الشبهات و الشكوك كما تقول : أريد فلانا ملكا ، أى أريد ملكه ، و قد تقدم فى آل عمران أن نصبه على الحال أرجح ، وأن قوله صلى الله عليه و سلم فى الصحيح « ابغنى أحجارا أستنفض بها » يرجح نصبه على المفعولية - و الله أعلم .

و لما كانت أفعالهم نقص الناس إما فى الأموال بالبخس و إما فى الإيمان و النصرة بالصد ، ذكرهم أن الله تعالى فعل معهم ضد ذلك من التكثير بعد القلة فى سياق منذر باجتثاثهم عن وجه الأرض و خصهم فضلا عن تقليلهم و نقصهم ، فقال عطفا على قوله " اعبدوا الله " و ما بعده من الأوامر و النواهى : ﴿ و اذكروا اذ ﴾ أى حين ﴿ كنتم قليلا ﴾ أى فى العدد و المدد ﴿ فكثركم ﴾ أى كثر عددكم و أموالكم و كل شىء ينسب إليكم ، فلا تقابلوا النعمة بضدها ، فان ذكر النعمة مرغب فى الشكر .

(١) فى ظ : عليه (٢) فى ظ : يبغونها .

و لما

و لما رغبهم بالتذكير بالنعمة، حذرهم بالتذكير بأهل النقمة فقال: ﴿و انظروا كيف كان عاقبة﴾ أى آخر أمر ﴿المفسدين ۝﴾ أى فى عموم الإهلاك بأنواع العذاب لتحذروا من أن يصيبكم مثل ما أصابهم كما صرح به فى سورة هود[1] لكون الحال هناك مقتضيا للبسط كما سيأتى إن شاء الله تعالى. ٥

و لما حذرهم وخامة الفساد الذى نهاهم عنه، و علق انتهاءهم عنه بوصف الإيمان، رجع إلى قسم[2] ما شرط به الانتهاء عن الإفساد فقال: ﴿و ان كان طآئفة منكم﴾ أى جماعة فيهم كثرة بحيث يتحلقون[3] بمن يريدون ﴿امنوا بالذى ارسلت به﴾ و بناء للمفعول إشارة إلى أن الفاعل معروف بما[4] تقدم من السياق، و أنه صار بحيث لا يتطرق إليه شك لما ١٠ نصب من الدلالات ﴿و طائفة﴾ أى منكم ﴿لم يؤمنوا﴾ أى بالذى أرسلى به من أيدنى بما[5] علمتم من البينات. و حذرهم سطوته بقوله: ﴿فاصبروا﴾ أى أيها الفريقان ﴿حتى يحكم الله﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿بيننا ج﴾ أى بين فريقنا باعزاز المصلح و إهلاك المفسد كما أجرى بذلك عادته ﴿و هو﴾ أى و الحال أنه ﴿خير الحكمين ۝﴾ لأنه يفصل ١٥ النزاع على أتم وجه و أحكمه.

---

(١) زيد بعده فى ظ: لا (٢) فى ظ: قسيم (٣) فى ظ: يتخلفون (٤) من ظ، و فى الأصل: كما (٥) فى ظ: ما.

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء السابع من تفسير « نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور » للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله يوم الخميس الخامس من شهر شوال سنة ١٣٩٣ هـ = أول نوفمبر سنة ١٩٧٣ م ، تحت مراقبة مدير الدائرة و عميدها الأديب الأريب صاحب الفضيلة الدكتور محمد عبد المعيد خان - تغمده الله بروح منه و ريحان و مغفرة و رضوان ! إلى تاريخ وفاته ٢٥ سبتمبر ١٩٧٣ ، ثم تحت إدارة الحسيب اللبيب السيد محامد على العباسى - أبقاه الله لخدمة العلم و الدين !

و قد عنى بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة رفيق الفاضل محمد عمران الأعظمى العمرى (الحامل شهادة أفضل العلماء من جامعة مدراس) حفظه الله ! و اعتنى بتنقيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه !

و يليه الجزء الثامن إن شاء الله تعالى و أوله « و لما انتهى كلامه عليه السلام على هذا الوجه البديع - الخ » .

و فى الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و صلى الله تعالى على خير خلقه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد
السيد محمد حبيب الله القادرى الرشيد
(كامل الجامعة النظامية)
صدر المصححين بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

و لما انتهى كلامه عليه السلام على هذا الوجه البديع ، أخبر سبحانه بما أفهم أن قومه لم يجدوا عنه جوابا أصلا لأنهم انتقلوا إلى الدفاع[1] بالفعل ، و هو أمارة / الانقطاع ، فقال مستأنفا : ﴿ قال الملا ﴾ أى الأشراف ﴿ الذين استكبروا ﴾ أى أوجدو الكبر إيجاد من هو طالب له بغاية الرغبة ، و خصهم ليحصل تمام التسلية بقوله : ﴿من قومه لنخرجنك﴾ و بين غلظتهم و جفاءهم بقولهم : ﴿ينشعيب﴾ من غير استعطاف و لا إجلال ﴿ و الذين آمنوا ﴾ و يجوز أن يتعلق قوله : ﴿ معك ﴾ بـ "آمنوا" و بـ "نخرج" ﴿ من قريتنآ ﴾ أى من المكان الجامع لنا لمفارقتكم إيانا ﴿ او لتعودن ﴾ أى إلا[2] أن تعودوا ، أى ليكونن آخر الأمرين : إما الإخرج و إما العود ﴿ فى ملتنا[2] ﴾ أى بالسكوت عنا كما كنتم ، و لم يريدوا منه العود إلى الكفر لأنه صلى الله عليه و سلم كان محفوظا قبل النبوة كاخوانه من الأنبياء عليهم السلام ، بل كانوا يعدون سكوته عليه السلام - قبل إرساله إليهم من[3] دعاتهم و سب آلهتهم و عيب دينهم - كونا فى ملتهم ، و مرادهم الآن رجوعه عليه السلام إلى تلك الحالة

/ ٣٢٢

(١) من ظ ، و فى الأصل : الرقاع (٢) من ظ ، و فى الأصل : الى (٣) فى ظ : عن .

و القناعة ممن اتبعه[1] بذلك ، فيكون مرادهم بالعود حقيقة[2] فى الجميع[3] .

و لما كان كل من الإخراج و الرد مستعظما ، أخبر تعالى أنه أنكره بقوله : ﴿قال اولو﴾ أى أتخرجوننا أو تعيدوننا لو كنا راضين للاخراج و العود و لو ﴿كنا كرهين﴾ .

٥ و لما كان العرب أبعد الناس من مطلق الكذب و أشدهم له تحاميا و منه نفرة فكيف بالكذب على الأكابر فكيف به[4] على الملوك فكيف به على ملك الملوك ! علق الكذب على الله تعالى بالعود إلى ملتهم بقوله مستأنفا الإخبار لمن تشوف إلى علم ما كان منه بعد هذا الكلام اللين و توقع غيره : ﴿قد افترينا﴾ أى تعمدنا الآن بما نقوله[5] لكم ، أى[6] من [أن -[7]]

١٠ الله حرم الكفر و الإقرار عليه ﴿على الله﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿كذبا﴾ و يجوز أن يكون تنوينه للتعظيم ، و يجوز أن يكون للتحقير ، و لكل وجه يدعو إليه المقام لا يخفى ﴿ان عدنا﴾ أى ساعة من الدهر ﴿فى ملتكم﴾ أى بسكوتنا أو بسكوتى و كفر من كان ممن تبعنى كافرا ﴿بعد اذ نجّنا الله﴾ أى الملك الأعلى خارقا للعادة بما كنا جديرين

١٥ بالانغماس فيه متابعة الآباء و الأجداد و العشيرة بما له من القدرة و العظمة ﴿منها[8]﴾ أى إن[8] فعلنا ذلك فقد ارتكبنا أقبح القبائح على بصيرة منا بذلك ، فهو تعليق[9] على محال عادة ، وهو من وادى[10] قول الأشتر النخعى :

---

(١) فى ظ : تبعه (٢) من ظ ، و فى الأصل: حقيقته (٣) فى ظ : الجمع (٤) فى ظ: بالكذب (٥) فى ظ : نقول (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : اى. (٩) من ظ ، و فى الأصل : تعليقا (١٠) فى ظ : واد .

[1]بقّيت وفرى و انحرفت عن العلى و لقيت أضيافى بوجـــه عبوس[1]

إن لم أشن على ابن هند غارة لم تخل[2] يوما من نهاب نفوس

غير أن المعلق فى البيت تقديرى، و فى الآية تحقيق، لأنهم أخبروهم أن الله تعالى نهى عن الكفر و أمرهم بانذار كل كافر، فمتى تركوا ذلك لزمهم الكذب حتما ﴿ و ما يكون لنآ ﴾ أى ما يصح و ما يتفق ٥ ﴿ ان نعود فيهآ ﴾ أى ملتكم.

و لما كان لله[3] سبحانه أن يفعل ما يشاء لا واجب عليه و لا قبيح منه، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ الآ ان يشآء الله ﴾ فذكر اسم الذات إشارة إلى أن له جميع الحمد لذاته؛ ثم ذكر صفة الإحسان عياذا من أن يراد بهم الهوان فقال: ﴿ ربنا[4] ﴾ أى خرق العادة فله ذلك، فهو من ١٠ باب التذكر للخاوف و الإشراف على إمكان سوء العواقب للصدق فى التضرع إلى الله تعالى و الالتجاء إليه و الاستعاذة من مكره، و لذلك أتى باسم الجلالة الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى و صفة الربوبية الملتمس بذكرها فعل ما يفعل المربى الشفيق، فكأنه قال: إن عودنا[4] فى[5] ملتكم غير ممكن عادة، و المحال[6] عادة لا يقدر عليه إلا باقدار من الله، بل و لا توجه الهمم ١٥ إليه، و الله تعالى أكرم من أن يعود فيما وهبه[7] لنا من هذا الأمر الجليل،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و معجم الشعراء ٣٦٢، و فى الأصل: لم يخل (٣) فى ظ: الله (٤) فى ظ: عمنا (٥) من ظ، و فى الأصل: الى. (٦) زيد بعده فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) من ظ، و فى الأصل: وجبه.

و ينزع عنا هذا اللباس الجميل ، و هو صريح فى أن الكفر يكون بمشيئة الله ، بل و لا يكون إلا بمشيئته ، و قوله : ﴿ وسع ربنا ﴾ أى / المحسن ٣٢٣/
إلينا ﴿ كل شىء علما[1] ﴾ زيادة فى حث أمته على الالتجاء[1] و التبرئ من الحول و القوه ، أى لا علم لنا بخواتم الأعمال و العلم لله فهو التام العلم الكامل
٥ القدرة ، فهذه الجملة كالتعليل للتعليق بالمشيئة [قطعا - [2]] لما عساه أن يحدث من طمع المخاطبين فى عودهم ، كأنه قيل : و إنما علقنا العود بالمشيئة لنقص علومنا ، فربما كان فى سعة علمه قسم ثالث ، و هو أن نكون فى القرية على ديننا و تكونون أنتم أو لا ، أو توافقوننا[3] على ما نحن عليه ، و هكذا ينبغى للمربوب ، و لا ينبغى الجزم بأمر[4] يستقبل[5] إلا لله ربنا لإحاطة
١٠ علمه ، و الآية تدل على أنه كان فى الأزل عالما بكل شىء من الكليات و الجزئيات لأن "وسع" ماض ، وقد تقدم فى الأنعام أن قول الخليل عليه السلام و هذا و آية الكهف من مخبر واحد - و الله أعلم .

و لما كان المراد من هذا ما ذكر ، كان مزعجا للقلوب مقلقا للنفوس مزعزعا للخواطر مزلزلا للأفكار بتأمل هذه الأخطار المشفية على غاية
١٥ الخسار ، فكأن المؤمنين قالوا[6] : ما العمل و أين المفر ؟ فقال : ﴿ على الله ﴾ أى الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه ، وحده لا على غيره ﴿ توكلنا[1] ﴾ أى[7] فوضنا جميع أمورنا إليه ، و هو أكرم من أن يختار لنا غير الأرشد

(١) فى ظ : التجاء (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : توافقوا لنا - كذا.
(٤) من ظ ، و فى الأصل : بامره (٥) فى ظ : يستقل (٦) فى الأصل : فقالوا ، و قد سقط من ظ (٧) فى ظ : او .

و قد تبرأنا من حولنا و قوتنا و اعتصمنا بحوله و قوته، و جعلنا جميع أمورنا كلها محمولة على قدرته كما يحمل الوكيل أمر موكلـــه عنه و يريحه من همه و قلقه منه .

و لما جرت العادة بأن الموكل يخبر الوكيل بما يريد ليفعله ، أتبع[1] ذلك الدعاء بالحكم بما يقتضيه ظاهر الحال من نصر المحق و خذل المبطل فقال : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا ﴿ افتح ﴾ أى احكم ﴿ بيننا ﴾ و لما كان يريد استعطافهم لإسعادهم قال : ﴿ و بين قومنا ﴾ و فيه إشارة إلى ميله [2]إلى الدعاء[2] بهدايتهم ، و أدب[3] بعدم التصريح بما[4] لم يؤذن له فيه ﴿ بالحق ﴾ أى بالأمر الفيصل من معاملة كل من المحق و المبطل بما يستحقه شرعا و عرفا بحيث يكون لكل فريق باب يصل به إلى غاية أمره و هذا مقام الإنصاف ، فقد علم من إشارة قوله [5]العناية بقومه ، و من عبارته الإنصاف[5] من نفسه ، و لو أراد ترجيح نفسه و متبعيه لدعا لهم أن يعاملوا بالفضل و أن يعامل ضدهم بالعدل ، و الآية معلمة بأن له تعالى أن يفعل ما يريد من خذلان الظالم و نصر المظلوم و تعذيب العاصى و إثابة الطائع و عكس ذلك ، " لا يسئل عما يفعل " لأنه التام الملك العظيم المُلك الشامل القدرة الحكيم الخبير ، و يجوز أن يكون المراد : لا نعود إلى ما كنا عليه من السكوت عن دعائكم إلى الله و نهيكم عن أفعال الضلال لأنا أمرنا بانذاركم إلا أن يشاء الله سكوتنا بأمر[6] يحدثه إلينا فى ذلك

(١) فى ظ : اتبعه (٢ - ٢) فى ظ : بالدعاء (٣) فى ظ : بادب (٤) من ظ ، و فى الأصل (: مه - ه) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « ولم يجد مخلصا » والترتيب من ظ (٦) فى ظ : باحد .

لمصلحة اقتضاها علمه و قصرت عنها علومنا ، فاذا أراد ذلك و أمرنا به فعلنا ، فله الخلق و الأمر .

و لما أشار إلى الدعاء لقومه ، أشار - بالعطف على[1] غير معطوف[2] عليه ظاهر - إلى أن التقدير : فأنت خير الراحمين : ﴿ و انت خير الفتحين ﴾ أى على من[3] سدت عليه الأبواب و لم يجد مخلصا .

و لما انقضى جواب الفصل المبنى على إبطال الفضل و إظهار العدل ، ذكر سبحانه قولهم بعده عاطفا له[3] على ما مضى من قولهم أو على قوله . و كان الأصل أن يقال : و قالوا ، و لكنه أظهر الوصف بالشرف[2] إشارة الى أنه الذى حملهم على نتيجة الاستكبار و هى الكفر ، ثم لم يرضوا به[3] حتى أضافوا إليه تكفير غيرهم فقال : / ﴿ و قال الملا ﴾ أى الأكابر ﴿ الذين ﴾ يملأون العيون مرأى و القلوب مهابة ، فحملهم التكبر على أنهم ﴿ كفروا ﴾ . /٣٢٤

و لما كان من المستبعد أن يكون أقاربه يتنكبون عما أتاهم به من الخير لحسد[4] أو اتهام أو غيرهما ، فكان ربما ظن أن[3] هؤلاء الذين يعاملونه بهذه الغلظة أجانب عنه ، قال : ﴿ من قومه ﴾ بيانا لأن الفضل بيد الله فقد يؤتيه البغيض البعيد و يمنعه الحبيب القريب "انك لا تهدى من احببت[5]" ، و وطأوا للقسم بقولهم[6] : ﴿ لئن اتبعتم ﴾ أى أيها الأتباع ممن لم يؤمن بعد ﴿ شعيبا ﴾ أو[7] تركتم ما أنتم عليه مما أورثه لكم

(١) فى ظ : الى (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها.
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : الحسد (٥) سورة ٢٨ آية ٥٦ (٦) فى ظ : بقوله.
(٧) فى ظ : اى و .

آباؤكم ؛ و أجاب[1] القسم بما[2] سد عن جواب الشرط بقوله : ﴿انكم اذاً﴾ أى وقت اتباعه ﴿لخسرون ۝﴾ أى لأنكم استبدلتم بدين الآباء غيره[3] و حرمتم فوائد البخس و التطفيف[4] و قطع السبل .

و لما كمل إثمهم بالضلال و الإضلال ، استحقوا الأخذ فقال : ﴿ فاخذتهم ﴾ أى فتسبب عن أقوالهم هذه و أفعالهم أنه أخذتهم ٥ ﴿ الرجفة ﴾ أى[5] الزلزلة العظيمة فى القلوب أو الديار التى كانت سببا للصيحة أو مسببة عنها ﴿ فاصبحوا فى دارهم ﴾ أى مساكنهم ، و تقدم سر توحيدها ﴿ جثمين ۝ ﴾ أى باركين على الركب أو لازمين أمكنتهم لا حراك بهم ، و هذا دون ما كان للنبى صلى الله عليه و سلم لما نزلت الملائكة بحنين ، فكان الكفار يسمعون فى أجوافهم مثل وقع الحصاة ١٠ فى الطست ، و دون ما كان يجد مخالفه من الرعب منه مسيرة شهر من ورائه و شهر من أمامه ، و لكونه كان نبى الرحمة ما اقتضى[6] ذلك الهلاك بل النجاة .

و لما أخبر سبحانه بهلاكهم و ما سببه من أقوالهم و أفعالهم ، و كان للتخليص من العظمة فى القلوب بتصوير المخلص للأذهان [ما -[7]] لا يخفى ، ١٥ لخص ذلك [8]ذاكرا لأنه[8] حل بهم [بالخصوص -[7]] ما نسبوا إلى المؤمنين من الخسارة فقال : ﴿ الذين كذبوا شعيبا ﴾ أى نسبوه إلى الكذب فيما قاله عنا و أيدناه فيه بالبينات ﴿ كان ﴾ أى هم المخصوصون بالهلاك

(١) فى ظ : جواب (٢) فى ظ : هنا (٣) فى ظ : عليه (٤) من ظ ، و فى الأصل: التضعيف - كذا (٥) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها. (٦) من ظ ، و فى الأصل : تقضى (٧) زيد من ظ (٨-٨) فى ظ : ذكرا انه .

حتى كأنهم ﴿ لم يغنوا ﴾ أى ينزلوا و يقيموا ، و بطل مقامهم لاهين بالأفراح و الغناء [1]و الاستغناء من المغانى و هى المنازل و الاستغناء[1] ﴿ فيها ج ﴾ أى الدار بسبب تكذيبهم .

و لما كان تكذيب الصادقين لا سيما الرسل فى غاية الشناعة ، كرره ٥ إشارة إلى ذلك و إعلاما بأنه سبب لهم أعظم من هلاك الأشباح ضد ما سبب التصديق للمؤمنين فقال : ﴿ الذين كذبوا شعيبا ﴾ أى فكان تكذيبه سببا لهلاكهم ﴿ كانوا ﴾ أى بسبب التكذيب أيضا ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الخسرين ۝ ﴾ أى خسروا أرواحهم كما خسروا أشباحهم فهم لما سوى ذلك أخسر ، و أما الذين اتبعوه فما نالهم شىء من الخسار ، و فى هذا[2] الاستئناف ١٠ و الابتداء و التكرير مبالغة فى رد مقالة الملأ[3] لأشياعهم و تسفيه لآرائهم و استهزاء بنصحهم لقومهم و استعظام لما جرى عليهم .

و لما صارت تلك الدار محل الغضب ، سبب ذلك أن هاجر عنها كما كانت عادة من قبله من الأنبياء عليهم السلام ، فقال : ﴿ فتولى عنهم ﴾ بعد نزول العذاب و قبله عند رؤية مخايله ذاهبا إلى مكان غيره[3] ، يعبد ربه ١٥ فيه ﴿ و قال ﴾ متأسفا على ما فاته من هدايتهم ﴿ يقوم ﴾ أى يا عشيرتى و أقرب الناس إلىّ ﴿ لقد ابلغتكم ﴾ و لعله جمع [4]لأجل كثرة[4] ما أتاهم به من المعجزات فقال : ﴿ رسلت ربى ﴾ أى المحسن إلىّ بانجائى و من تبعنى من عذابكم لتوفيقه لنا إلى ما يرضيه ﴿ و نصحت ﴾ أى و[5] أوقعت / النصح ٣٢٥ /

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : هذه (٣) فى ظ : غير - كذا (٤ - ٤) فى ظ : لكثرة (٥) سقط من ظ .

﴿ لكم ج ﴾ أى خاصة .

و لما كان هذا مفهما لما طبع البشر من الأسف على أهله و عشيرته ، سبب عنه[2] منكرا على نفسه قوله: ﴿ فكيف اسى ﴾ أى أحزن[3] حزنا شديدا ﴿ على قوم كفرين ع ﴾ أى عريقين فى الكفر ، فعرف أنه أسف عليهم من أجل قربهم و فوات الإيمان لهم غير آسف عليهم من أجل كفرهم ، و تخصيص تكرير هذه القصص الخمس على هذا الترتيب فى كثير من سور القرآن - دون قصة إبراهيم عليه السلام و هو أعظمهم - لانتظامهم فى أنهم أقرت أعينهم بأن رأوا مصارع من خالفهم ، و أما إبراهيم عليه السلام فانه وقع النص فى قوله " انى ذاهب الى ربى سيهدين[4] " بأنه خرج من بين قومه قبل عذابهم و لم يسلك به سبيلهم فى إقرار عينه باهلاك من كذبه بحضرته ، و هو أفضلهم لأن الكائن فى قصته أعظم فى الأفضلية ، و هو طبق ما اتفق لولده أفضل البشر نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ، و انظر إلى قوله تعالى " وما كان الله ليعذبهم و انت فيهم[5] " تعرف ما فى هذا المقام من الإكرام ، و أن الأمر كما قيل : لعين تجازى ألف عين و تكرم .

و لما قدم سبحانه إجمال الإنذار بما اشتركت فيه الأمم من الإهلاك بقوله تعالى " و كم من قرية اهلكناها " - الآية ، ثم أتبعه - بعد تقديم ما يحتاج إليه على النظم الذى سبق التنبيه عليه - تفصيل ما انفردت[6] به كل أمة من العذاب الحاث على سبيل الصواب ، أتبع ذلك إجمالا آخر أبسط من الأول على نمط غريب[7] دال على عادته المستمرة و سنته المستقرة فى شرح

(١) من ظ ، و فى الأصل : هو - كذا (٢) فى ظ : عنهم ، و زيد بعده فى الأصل : قوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) فى ظ : احسن (٤) سورة ٣٧ آية ٩٩ .
(٥) سورة ٨ آية ٣٣ (٦) فى ظ : انفرت - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : عرف .

حال هؤلاء الأمم الذين ذكرهم وغيرهم، لئلا يظن أن غيرهم كان حاله غير حالهم، فبين أن الكل على نهج واحد و أن[1] السبب فى استئصالهم واحد، و هو التكذيب و الاستكبار على الحق، ليكون الإجمال كالضوابط و القواعد الكلية لتنطبق[2] على الجزئيات. و ذلك الاستبصار[3] بما يكون من نافع

٥ أو ضار و عدم الاغترار بأحوال المستدرجين الأشرار متكفل بالتسلية لنبيه [صلى الله عليه و سلم - [4]] و التأسية، متقدم على قصة موسى و هارون عليهما السلام لطولها و تعجيلا بما فى ذلك من مصارع[5] الإنذار بقوله تعالى: ﴿ و ما ﴾ أى أرسلنا فلانا فكان كذا و[6] فلانا فكان كذا، و ما ﴿ ارسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ فى قرية ﴾ أى من قرى أولئك

١٠ و غيرهم ﴿ من نبى ﴾ أى من الأنبياء الذين تقدموك ﴿ الا ﴾ كان ما نخبر[7] به من ترهيبهم من سطواتنا و هو أنا ﴿ اخذنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ اهلها ﴾ أى أخذ قهر[8] و سطوة، أى لأجل استكبارهم عن الحق ﴿ بالباساء ﴾ أى قهر الرجال ﴿ و الضراء ﴾ أى المرض و الفقر ﴿ لعلهم يضرعون ٥ ﴾ أى ليكون[9] حالهم عند المساءة حال من يرجى

١٥ تضرعه و تذلله و تخضعه لمن لا يكشف ذلك عنه غيره و لو كان التضرع فى أدنى المراتب - على ما أشار إليه الإدغام، لأن[10] ذلك كاف فى

---

(١) فى ظ : انما (٢) من ظ، و فى الأصل : لتطبق (٣) من ظ، و فى الأصل : للاستبصار (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل : صارع (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل : يخبر (٨) فى ظ : فظهر (٩) فى ظ : لتكون . (١٠) من ظ، و فى الأصل : بان .

الإنقاذ[1] من عذاب الإنذار الذى هذه سورته بخلاف ما مضى فى الأنعام .

و لما لم يتضرعوا صادقين من قلوبهم معترفين بالحق لأهله كما يحق له ، استدرجهم[2] بادرار النعم ، فقال مشيرا إلى طول مدة الابتلاء و استبعادهم لكشف ذلك البلاء : ﴿ ثم بدلنا ﴾ و مظهر العظمة يؤيد الاحتمال الثانى ﴿ مكان ﴾ أى جعلنا بدل ﴿ السيئة ﴾ أى النقمة ﴿ الحسنة ﴾ ٥ أى النعمة ، و بين أنه مد النعمة بقوله : ﴿ حتى عفوا ﴾ أى كثروا و كثرت نعمهم فلم يشكروا ﴿ و قالوا ﴾ مسندين الأمر إلى غير أهله ﴿ قد مس آباءنا الضرآء ﴾ أى الشدة ﴿ و السرآء ﴾ أى الرخاء و النعمة ، معتقدين أن هذه عادة الدهر لا فعل الفاعل المختار .

و لما لم يعتبروا و يعلموا أن ذلك ممن / يحب[3] أن لا يعدل عن ١٠ / ٣٢٦ بابه و لا يغفل عن جنابه ، و ظنوا أن ذلك دأب الدهر و فعل الزمان ، و استمروا على فسادهم فى حال الشدة و الرخاء ، سبب عنه قوله : ﴿ فأخذناهم ﴾ أى بعظمتنا أشد الأخذ و أفظعه فى الظاهر و الباطن ﴿ بغتة ﴾[4] أى فجاءة حتى لا ينفعهم[5] التوبة ، و أكد معنى البغت تحقيقا لأمره بقوله : ﴿ و هم لا يشعرون ﴾ فحق من سمع هذا أن يبادر إلى الرجوع عن كل ١٥ مخالفة هو فيها خوفا من الأخذ بغتة .

و لما بين تعالى ما كان قولهم مسببا له من الأخذ بغتة ، بين ما كان يكون ضد قولهم مسببا له من البركات لو وقع بقوله : ﴿ و لو ان اهل القرى ﴾ أى هذه التى قصصنا أخبارها ﴿ آمنوا ﴾ أى بما أتاهم به رسلهم

(١) فى ظ : الانقياد (٢) فى ظ : استدراجهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : تحب .
(٤) فى ظ : لا تنفعهم (٥) فى ظ : سببا .

﴿ و اتقوا ﴾ أى خافوا أمر الله و جعلوا بينهم و بين سخطه وقاية من طاعاته فاستمروا على إيمانهم ﴿ لفتحنا عليهم بركت ﴾ أى خيرات ثابتة لا يقدر أحد على إزالتها ﴿ من السمآء ﴾ أى بالمطر الذى يكون كأفواه القرب و ما شابهه ﴿ و الارض ﴾ بالنبت الغليظ و ما قاربه ، و قراءة ابن عامر بالتشديد يدل على كثرة تلك البركات . و أصل البركة المواظبة على الخير .

و لما كان الكلام بما أفهمته "لو" فى قوة أنهم لم يؤمنوا ، عبر بقوله : ﴿ و لكن كذبوا ﴾ أى كان التكذيب ديدنهم و شأنهم ، فلذلك لم يصدقوا رسلنا فى شىء ، و لما كان التكذيب موضع الجلافة و الجمود الذى هو سبب لعدم النظر فى الدليل ، سبب عنه العذاب فقال : ﴿ فاخذنٰهم ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كانوا يكسبون ۝ ﴾ أى بجبلاتهم الخبيثة من الأعمال المناسبة لها .

و لما كانوا قد ضلوا ضلالا بعيدا فى غلطهم فى جعلهم السراء و الضراء سببا للأمن من مكر الله ، قال منكرا عليهم أمنهم عاطفا له على "كذبوا" لأنه[1] سبب الغلط و هو سبب الأمن فقال : ﴿ افامن اهل القرٰى ﴾ أى كذبوا ناسين أفعالنا المرهبة بالمضار و المرغبة بالمسار فأمنوا ﴿ ان ياتيهم باسنا ﴾ أى الناشىء عما لنا من العظمة التى لا ينساها إلا خاسر ﴿ بياتا ﴾ أى ليلا و هم قد أخذوا الراحة فى بيوتهم ؛ و لما كان النوم[2] شيئا واحدا يغمر الحواس فيقتضى الاستقرار ، عبر بالاسم الدال على الثبات فقال : ﴿ و هم نآئمون ۝ ﴾ أى على غاية الغفلة عنه .

(١) فى ظ : لانهم (٢) فى ظ : اليوم .

و لما كان ربما قال جاهل: لو جاءهم و هم أيقاظ لأمكن أن يدافعوا! قال: ﴿ او امن اهل القرى ﴾ أى مجتمعين أو منفردين فانه لا فرق عندنا فى ذلك ﴿ ان ياتيهم باسنا ضحى ﴾ أى[1] وقت راحتهم و اجتماع قواهم و نشاطهم؛ و لما كانت اليقظة موجبة للحركة، عبر بالمضارع فى قوله: ﴿ و هم يلعبون ٥ ﴾ أى يتجدد لعبهم شيئا فشيئا فى ذلك الوقت، و فيه تقريع لهم بنسبتهم إلى أنهم صبيان العقول، لا التفات لهم إلى غير اللعب.

و لما كان ضلالهم - الذى نسبوا فيه الأمر إلى غير أهله - أشنع ضلال لتضمنه التعطيل و ما يجر إليه من الأباطيل. كرر الإنكار عليهم على وجه أشد من الأول فقال مسببا الإنكار عما أثبت هذا الكلام من العظمة التى لا يتمارى فيها ذو لب: ﴿ افامنوا مكر الله ﴾ أى فعله الذى يشبه المكر بأخذ الإنسان من حيث لا يشعر بالاستدراج بما يريد من النعم و النقم؛ و سبب عن ذلك قوله: ﴿ فلا يامن مكر الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه فلا يرد له أمر ﴿ الا القوم الخسرون ﴾ أى الذين[2] كانت قواهم سببا لعراقتهم فى الأفعال الضارة و الخصال المهلكة.

و لما بان بما مضى حال الكفار مجملا و مفصلا، و كان المقصود من ذلك عبرة السامعين. و كان أخذهم بالبأساء و الضراء مع إبقاء مهجهم و حفظ أرواحهم و أفهامهم بعد إهلاك من قبلهم فى بعض ما لحقهم من ذلك و إيراثهم الأرض من بعدهم / حالا يكونون[3] بها فى حيز من يرجى / ٣٢٧

(١) فى ظ: فى (٢) من ظ، و فى الأصل: الذى (٣) فى ظ: يكون.

منه الخوف المقتضى للتضرع و العلم قطعا بأن الفاعل لذلك هو الله ، و أنه لو شاء لأهلكهم بالذنوب أو غطى أفهامهم بحيث يصيرون كالبهائم لا يسمعون إلا دعاء و نداء ، فسماعهم حيث لا فهم كلا سماع ، فجعلوا ذلك سببا للأمن : أنكر عليهم ذلك بقوله "افامن" إلى آخره ؛ ثم أنكر عليهم عدم الاستدلال على القدرة فقال عاطفا [على -[1]] "افامن" : ﴿ او لم يهد ﴾ أى يبين أخذنا للأمم الماضية بالبأساء والضراء ثم إهلاكهم إذا لم يتعظوا ﴿ للذين يرثون الارض ﴾ و أظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف و إشارة إلى بلادتهم[2] لعدم البحث عن الأخبار ليعلموا منها ما يضر و ما[3] ينفع فلا يكونوا كالبهائم ، فانهم لو تأملوا أحوالهم [4]و أحوال من ورثوا أرضهم و أحوال[4] الأرض لكفاهم ذلك فى الهداية إلى سواء السبيل .

و لما كان إرثهم[5] غير مستغرق للزمان ، أتى بالجار فقال : ﴿ من بعد اهلها ﴾ ثم ذكر مفعول "يهد" بقوله : ﴿ ان ﴾ أى أنا ﴿ لو نشآء ﴾ أى فى أىّ وقت أردنا ﴿ اصبنهم بذنوبهم ج ﴾ أى إصابة نمحقهم بها كما فعلنا بمن ورثوا أرضهم ؛ و لما كان هذا تخويفا للموجودين بعد المهلكين ، و منهم قريش و سائر العرب الذين يخاطبون بهذا القرآن ، فكأن المخوف به لم يقع بعد ، عطف على[6] "اصبنا" قوله : ﴿ و نطبع على قلوبهم ﴾ أى بازالة عقولهم حتى يكونوا كالبهائم ، و لذلك[7] سبب عنه قوله :

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : بلادهم (٣) فى ظ : لا .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : ربهم - كذا .
(٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : كذلك .

﴿ فهم لا يسمعون ﴾ أى سماع فهم ، و عبر عن الإصابة بالماضى إشارة إلى سرعة الإهلاك مع كونه شيئا واحدا غير متجزى ، و عن الطبع بالمضارع[1] إيماء إلى التجدد بحيث لا يمر زمن إلا كانوا فيه فى طبع جديد .

و لما انقضى ذلك على هذا الوجه الأعظم و النظم الأبلغ الأحكم ، و كانت هذه القرى بحيث تعرفها العرب و يرونها ، أشار إليهم حثا على الاعتبار بهم ، و لما كان أهلها جديرين بالبعد عنهم[2] و الهرب منهم ، عبر عنهم بأداة البعد فقال : ﴿ تلك القرى ﴾ أى محال[3] القبائل الخمس ، و يجوز أن يكون البعد لعظمة ما حصل لأهلها من العذاب ، و يؤيده قوله مبينا لحالها : ﴿ نقص عليك ﴾ .

و لما كان العاقل من يكفيه أدنى شىء ، هول الأمر بأن أخبارها تفوت الحصر ، و أن ما قص منها يكفى المعتبر ، فقال : ﴿ من انبآئها ج ﴾ أى أخبارها العظيمة الهائلة المطابقة للواقع شيئا بعد شىء كما يفعل من يتتبع[4] الأثر ، و أنث الضمير لأن لرؤية القرى أنفسها مدخلا فى معرفة أخبار أهلها .

و لما كان المقام مقام العجب من التكذيب بعد ذلك البيان ، كان ربما تخيل متخيل أنهم لم يؤتوا[5] بالبيان الشافى ، فشهد الله تعالى للرسل عليهم السلام تصديقا لمن قال منهم : قد جاءتكم بينة ، بقوله : ﴿ و لقد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ جآءتهم ﴾ أى أهل القرى لأنهم المقصودون بالذات ﴿ رسلهم ﴾ أى الذين أرسلناهم إليهم ﴿ بالبينت ج فما ﴾ أى فلم[6] يتسبب عن

(١) من ظ ، و فى الأصل : المضارع (٢) فى ظ : عنه (٣) فى ظ : محل (٤) من ظ ، و فى الأصل : يتبع (٥) من ظ ، و فى الأصل : لم يومنوا (٦) من ظ ، و فى الأصل : لم .

ذلك بسبب طبعنا على قلوبهم إلا أنهم ما ﴿ كانوا ﴾ موقنين ﴿ ليؤمنوا ﴾ أى عند مجيئها ، و قد أكد منافاة حالهم الإيمان باللام[١] و الكون أتم تأكيد ﴿ بما ﴾ أى بالذى ﴿ كذبوا ﴾ أى به ، [و حذفها أدل على الزجر من مطلق التكذيب و أوفق لمقصود السورة -[٢]] .

٥ و لما كان تكذيبهم غير مستغرق للزمان الماضى ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل[١] ﴾ أى قبل مجىء الرسل إليهم أو بتكذيبهم الواقع [منهم -[٢]] للرسل فيما أتوا به عن الله من قبل الأخذ بغتة ، أو من قبل مجىء الرسل بالآيات ، فانهم أول ماجاؤهم فاجأوهم بالتكذيب ، فجوزوا على تكذيب الحق من غير نظر فى دليل بالطبع [على قلوبهم فأتوهم بالمعجزات فأصروا على ذلك

١٠ التكذيب و وقفوا لذلك الطبع -[٢]] مع حظوظهم ، و منعتهم شماختهم و شدة شكائمهم عن الإيمان[٣] لئلا يقال : إنهم خافوا[٤] أولا فيما وقع منهم من التكذيب فكانوا فيه على / غير بصيرة ، أو إنهم خافوا ثانيا ما قرعتهم ٣٢٨ / به الرسل من الوعيد ، فدخلوا جبنا فيما يعلمون بطلانه ، فكان تزيين[٥] هذا لهم طبعا على قلوبهم . فكأنه قيل : إن هذا العجب هل يقع فى مثل ذلك

١٥ أحد ؟ فقيل : نعم ، مثل ما طبعنا على قلوبهم حتى صارت مع الفهم لا تنتفع[٦] ، فكأنها لا تفهم[٧] فكأنها لا تسمع[٨] ﴿ كذلك يطبع الله ﴾ أى الجامع لصفات الكبر و نعوت الجلال [٩]بما يجعل[٩] من الرين بما له

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الايمن - كذا (٤) فى الأصل : خلفوا ، و فى ظ : خفوا (٥) فى ظ : تزين (٦) من ظ ، وفى الأصل : لا ينتفع (٧) من ظ ، و فى الأصل : لا يفهم (٨) من ظ ، و فى الأصل : لا يسمع (٩ - ٩) فى ظ : انما تجعل .

من العظمة ﴿ على قلوب الكٰفرين ٥ ﴾ أى كل من يغطى ما أعطاه الله من نور العقل بما تدعوه إليه نفسه من الهوى عريقا فى الاتصاف [بذلك - [1]] فيترك آيات الله .

و لما كان نقض العهد أفظع شىء و لا سيما عند العرب ، قال عاطفا على " فما كانوا " : ﴿ و ما وجدنا ﴾ أى فى عالم الشهادة ﴿ لاكثرهم ﴾ ٥ أى الناس ، و أكد الاستغراق فقال : ﴿ من عهد ﴾ طبق ما كان عندنا فى عالم الغيب ، و هذا إما إشارة إلى الميثاق يوم "ألست بربكم" إن كان ذلك على حقيقته ، أو إلى ما يفعلون حال الشدائد من الإقلاع عن[2] المعاصى و المعاهدة[3] على الشكر " لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشٰكرين[4] " أو إلى إقامة الحجج[5] بافاضة العقول و نصب الأدلة ، فصار بنصبها و إيضاحها[6] ١٠ للعقول كأنه أخذ العهد على من عقل أنه يبذل الجهد فى التأمل و لا يتجاوز ما أبداه له صحيح النظر ﴿ و ان ﴾ أى و إنا ﴿ وجدنآ ﴾ أى علمنا فى عالم الشهادة ﴿ اكثرهم لفٰسقين ٥ ﴾ أى خارجين عن دائرة[7] العهد ما رقين مما أوقفهم عند الحد عريقين فى ذلك طبق ما كنا نعلمه منهم فى عالم الغيب ، و ما أبرزناه فى عالم الشهادة إلا لنقيم عليهم به الحجة على ١٥ ما يتعارفونه بينهم فى مجارى عاداتهم و مدارك عقولهم .

و لما انقضى بيان هذا الإجمال الخالع لقلوب الرجال ، أتبعه الكشف

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : على (٣) من ظ ، و فى الأصل : المعاهد.
(٤) سورة ١٠ آية ٢٢ (٥) من ظ ، و فى الأصل : الحج - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : ايضافها (٧) فى ظ : دائر .

عما كان بعد قصة شعيب عليه السلام من قصة صهره موسى عليه السلام [مع -[1]] فرعون و قومه ، و هى كالدليل على آيات الإجمال كما كانت القصص الماضية كالدليل على ما فى أول السورة من الإجمال ، فان قصة فرعون مشتملة على الأخذ بالبأساء و الضراء ، ثم الإنعام بالرخاء و السراء ، ثم الأخذ بغتة بسبب شدة الوقوف مع الضلال بعد الكشف الشافى و البيان لما على قلوبهم من الطبع و ما قادت إليه[2] الحظوظ من الفسق ، و كأنه[3] فصلها عن القصص الماضية[4] تنويها بذكرها و تنبيها على [على -[1]] قدرها ، لأن معجزات صاحبها أعظم من معجزات من كان قبله ، و جهل من عالجهم[5] كان أعظم و أفحش من جهل تلك الأمم ، و لذلك عطفها بأداة البعد مع قرب زمنها من التى قبلها إشارة إلى بعد رتبتها بما فيها من العجائب و ما اشتملت عليه من[6] الرغائب و الغرائب ، و لذلك مد لها الميدان و أطلق فى سياقها للجواد[7] العنان فقال : ﴿ ثم بعثنا ﴾ أى على عظمتنا ﴿ من بعدهم ﴾ أى الرسل المذكورين و الأمم المهلكين ﴿ موسى بآياتنا ﴾ أى التى يحق لها العظمة باضافتها إلينا فتثبت بها النبوة ﴿ الى فرعون ﴾ هو علم جنس لملوك مصر كيكسرى لملوك فارس و قيصر لملوك الروم ، و كان اسم فرعون موسى عليه السلام[8] قابوس ، و قيل : الوليد بن مصعب [بن -[9]] الريان ﴿ و ملائه ﴾ أى عظماء قومه ، و خصهم

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الى (٣) فى ظ : كان (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : عاجلهم (٦) من ظ ، و فى الأصل : بين (٧) زيدت الواو بعده فى ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد من ظ و تاج العروس ـ راجع « تفرعن » .

لأنهم

لأنهم إذا أذعنوا أذعن من دونهم ، فكأنهم المقصودون و الإرسال إليهم إرسال إلى الكل .

و لما سببت[1] لهم الظلم قال: ﴿ فظلموا ﴾ أى وقعوا فى مثل الظلام حتى وضعوا الأشياء فى غير مواضعها فوضعوا الإنكار موضع الإقرار ﴿ بها ﴾ أى بسبب رؤيتها خوفا على رئاستهم و مملكتهم الفانية أن تخرج[2] من أيديهم ؛ و لما كان ذلك من أعجب العجب . و هو أن سبب العدل يكون / سبب الظلم ، و كان هذا الظلم أعظم الفساد ، سبب عنه قوله معجبا : ﴿ فانظر ﴾ أى بعين[3] البصيرة ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ المفسدين ﴾ فلخص فى هذه الآية على وجازتها جميع قصتهم على طولها ، و قدم ذكر الآيات اهتماما بها و لأنها الدليل على صحة دعوى البعث . ٣٢٩ / ١٠

و لما كان التقدير عطفا على " فظلموا بها " : و وضعها موسى مواضعها ، عبر عنه بقوله : ﴿ و قال موسى يـفرعون ﴾ خاطبه بما يعجبه امتثالا لأمر الله تعالى له أن يلين فى خطابه ، و ذلك[4] لأن[5] فرعون لقب مدح لمن ملك مصر .

و لما أتاهم عليه السلام و هم عارفون بأمانته و صدقه و عظم مكانته ١٥ و مكارم أخلاقه و شريف عنصره و عظيم مخبره ، و فرعون أعظمهم معرفة به لأنه ربى فى حجره ، كان هذا حالا مقتضيا لأن يلقى إليهم الكلام غير مؤكد ، لكن لما كان الإرسال من الله أمرا عظيما جدا ، و كان المقصود

(١) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٢) من ظ ، و فى الاصل : يخرج (٣) فى ظ : بعد (٤) فى ظ : لذلك (٥) من ظ ، و فى الأصل : ان .

[به - [1]] تخلية سبيل بنى إسرائيل . و كان فرعون ضنينا بذلك ، أكده بعض التأكيد فقال : ﴿ انى رسول ﴾ ثم بين مرسله بقوله : ﴿ من رب العٰلمين ﴾ أى المحسن إليهم أجمعين - و أنتم منهم - بإيجادهم و تربيتهم . فهو تنبيه[2] لمن سمعه على أن فرعون مربوب مقهور .

٥ و لما خلفه بهذا مما يدعيه من الربوبية دالا على تسويته ببقية العالمين : ناطقهم و صامتهم ، و كان[3] لذلك بعيدا من الإذعان لهذا الكلام ، أتبعه[4] قوله على وجه التأكيد مستأنفا بيان ما يلزم للرسول : ﴿ حقيق[5] ﴾ أى بالغ فى الحقية ، و هى الثبات الذى لا يمكن زواله ﴿ علىٰ ان لآ اقول على الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال . و لا عظمة لسواه و لا جلال ﴿ الا الحق[6] ﴾

١٠ أى الثابت الذى لا تمكن المماراة فيه أصلا لما يصدقه[6] من المعجزات ، و حاصل العبارة و مآلها : حق على قولى[7] الذى أطلقه[8] على الله أن لا يكون إلا الحق أى غير الحق ، و لذلك عبر بالاسم الأعظم الجامع لجميع الصفات ، و قراءة نافع بتشديد ياء الإضافة فى " على " بمعنى هذا سواء ، لأن من حق عليه شىء حق على كلامه .

١٥ و لما كان الحال إذ ذاك يقتضى توقع إقامة موسى عليه السلام البينة على صحة رسالته ، كان كأنه قيل : ما دليل صدقك ؟ فقال مفتتحا بحرف التوقع و التحقيق[9] : ﴿ قد جئتكم ﴾ أى كلكم ، لا أخص أحدا منكم ﴿ ببينة[10] ﴾

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ينبه (٣) فى ظ : فكان (٤) زيد بعده فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : حقيقا (٦) فى ظ : يصدر (٧) من ظ ، و فى الأصل : قول . (٨) فى ظ : اطلقته (٩) من ظ ، و فى الأصل : التخفيف (١٠) تأخر فى الأصل عن « قولى الحق » و الترتيب من ظ .

دليلا على رسالتى و قولى الحق ﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بكل نعمة ترونها لديكم من خلقكم و رزقكم و كف الأمم عن انتزاع هذا الملك منكم و إهلاكم ، و تلك البينة هى المعجزة ، فكرر البيان فى هذا الكلام على أن فرعون ليس كما يدعى لأنه مربوب ، لا فرق بينه و بين بقية العالمين فى ذلك . ٥

و لما كان من المعلوم أن مثله فى تمام عقله و شرف خلائقه لا يدعى فى تلك المجامع إلا حقا مع ما نبه عليه من البيان على تفرد الله بالإلهية كما تفرد بالإحسان ، كان كأنه أظهر البينة التى أقامها كفهم عن إهلاكهم ، فأتبع ذلك طلب النتيجة إعلاما بغاية ما يريد منهم بقوله مسببا عن مجرد هذا الإخبار الذى كان[1] قد أوقع مضمونه : ﴿ فأرسل ﴾ أى يا فرعون ١٠ ﴿ معى بنى إسرآءيل ﴾ أى فسبب[2] عن إقامتى الدليل على صحة ما قلته أن أمرْ بما جئت له - و هو إرسالهم معى - أمر من صار له سلطان بإقامة البينة لنذهب كلنا إلى [بيت - [3]] المقدس موطن[4] آبائنا التى أقسم الله لهم أن يورثها أبناءهم[5] ، و فى جعل ذلك نتيجة الإرسال إليه تنبيه على أن رسالته مقصورة على قومه ، فكأنه قيل : فما ذا قال فرعون فى جواب ١٥ هذا الأمر الواضح ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ معرضا عنه معميا له خوفا من غائلته عند من يعرف موسى عليه السلام حق المعرفة معبرا بأداة / الشك إيقافا لهم : ٣٣٠ / ﴿ ان كنت جئت بآيـة ﴾ أى علامة على صحة رسالتك ﴿ فأت بها ﴾ فأوهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : كانه (٢) فى ظ : فتسبب (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : مواطن (٥) من ظ ، و فى الأصل : ابناءها .

أنه لم يفهم إلا أن المراد أنه[1] سيقيمها من غير أن يكون فى كلامه السابق دلالة على صدقه . و أكد الإبهام و الشك بقوله : ﴿ ان كنت ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ من الصٰدقين ﴾ أى فى عداد[2] أهل الصدق العريقين فيه لتصح دعواك عندى و تثبت[3] .

٥ و لما ساق هذا الطلب[4] مساقا دالا على أنه شاك فى أمره ، أخبر تعالى أنه فاجأه باظهار الآية دالا على ذلك بالفاء المسببة المعقبة من غير مهلة فقال عن[5] فعل موسى عليه السلام : ﴿ فالقى عصاه ﴾ و عن فعله هو سبحانه ﴿ فاذا هى ﴾ أى العصا ﴿ ثعبان مبين ﴾ أى ظاهر فى كبره و سرعة حركته بحيث أنه لشدة ظهوره كأنه[6] ينادى الناس فيظهر لهم

١٠ أمره ، و هو موضح لصدق من تسبب[7] عن فعله فى جميع مقالته ؛ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان ثعبانا أشعر فاغرا فاه ، بين لحييه ثمانون ذراعا ، وضع لحيه الأسفل فى الأرض و لحيه الأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فوثب من سريره هاربا و أحدث ، و حمل على الناس فانهزموا و صاحوا فمات منهم خمسة و عشرون ألفا ، قتل بعضهم

١٥ بعضا ، و صاح فرعون : يا موسى خذه[8] و أنا أومن [بك - [9]] فأخذه[10] فعاد عصا . ثم قال : هل معك[11] آية أخرى ؟ قال : نعم ﴿ و نزع يده ﴾

---

(١) فى ظ : به (٢) من ظ ، و فى الأصل : عدد (٣) من ظ ، و فى الأصل : يثبت .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : الطيب (٥) من ظ ، و فى الأصل : من (٦) فى ظ : كان (٧) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٨) من ظ ، و فى الأصل : خذوه .
(٩) زيد من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : فاخذوه (١١) سقط من ظ .

أى أخرجها من جيبه بعد أن أراه إياها محترقة أدما كما كانت و هو عنده ﴿فاذا هى بيضآء﴾ و نبه على ثبات بياضها و زيادة إعجابه بقوله: ﴿للنظرين﴾ قال أبو حيان: أى للنظارة[1]، و فى [ذكر - [2]] ذلك تنبيه على عظم بياضها لأنه لا يعرض العجب لهم إلا إذا كان بياضها خارجا عن العادة، و قال ابن عباس: صارت نورا ساطعا يضىء ما بين السماء و الأرض، له لمعان مثل لمعان البرق فخروا على وجوههم، و ما[3] أعجب أمر هذين الخارقين العظيمين: أحدهما فى نفسه و ذلك اليد البيضاء، و الآخر فى غير نفسه و هى العصا[4] التى يمسكها بيده[4]، و جمع[5] بذينك تبديل[6] الذوات من الخشبية[7] إلى الحيوانية، و تبديل[6] الأعراض من السمرة إلى البياض الساطع، فكانا دالين على جواز الأمرين - انتهى.

و لما أتى بالبيان و أقام واضح البرهان، اقتضى الحال السؤال عما أبرزوه من المقال فى جوابه فقال: ﴿قال الملا﴾ أى الأكابر ﴿من قوم فرعون﴾ ما تلقفوه من فرعون واحدا بعد واحد، يلقيه أكبرهم إلى أصغرهم ﴿ان هذا لسحر﴾ أى فهذا الذى رأيتموه أيها الناس من تخييله ما لا حقيقة له، فلا تبادروا إلى متابعته.

و لما كان ذلك[8] خارجا عما ألفوه من السحرة قالوا: ﴿عليم﴾

(١) فى النهر: للنظار - راجع البحر المحيط ٣٥٨/٤ (٢) زيد من النهر (٣) من ظ و النهر، و فى الأصل: اما (٤-٤) ليس ما بين الرقمين فى النهر (٥) من ظ و النهر، و فى الأصل: جميع (٦) فى النهر: تبدل (٧) فى النهر: الخشبة (٨) فى ظ: هذا.

أى [1]بما هم[1] فيه، بالغ[2] فى علمه إلى حد عظيم. فلذلك جاء ما رأيتم منه فوق العادة، فكأن فرعون قال ذلك ابتداء - كما فى سورة الشورى - فتلقفوه منه و بادروا إلى قوله. يقوله بعضهم لبعض إعلاما بأنهم على غاية الطواعية له خوفا على رئاستهم تحقيقا لقوله تعالى "فاستخف قومه فاطاعوه[3]" و اختير ٥ هنا إسناده إليهم، لأن السياق للاستدلال على فسق الأكثر، و أما هناك فالسياق لأنه إن أراد سبحانه أنزل[4] آية خضعوا لها كما خضع فرعون عند رؤية ما رأى من موسى عليه السلام حتى رضى لنفسه بأن يخاطب عبيده - على ما يزعم - بما[5] يقتضى أن يكون لهم عليه أمر، فلذا كان إسناد القول إليه أحسن، لأن النصرة فى مقارعة الرأس أظهر، ١٠ و خضوع عنقه أضخم و أكبر.

و لما خيلوهم[6] حتى أوقفوهم عما فهموا عنهم[7] من المبادرة إلى المتابعة بادعاء أنه ساحر[8]؛ نفروهم من ذلك و خوفوهم / بأنه يريد أن يحكم فيهم قومه الذين كانوا عبيدا لهم و يزيحوهم من ديارهم التى هى لأشباحهم مثل أشباحهم لأرواحهم بقولهم[9]: ﴿ يريد ان يخرجكم ﴾ أى أيها القبط ١٥ ﴿ من ارضكم ج ﴾ أى هذه التى أثلها لكم آباؤكم و بها قوامكم؛ و لما كان السياق لبيان فسقهم، أسقط قولهم فى الموضع الآخر "بسحره" إفهاما لعجلتهم فى إبرام الأمر فى ضره [إشارة إلى تغاليهم فى الفسق بعلمهم

/ ٣٣١

(١ - ١) فى ظ : بامرهم (٢) فى ظ : عليم (٣) سورة ٤٣ آية ٥٤ (٤) فى ظ : انزال (٥) فى ظ : بان (٦) فى ظ : خيلهم (٧) فى ظ : عنه (٨) زيدت الواو بعده فى ظ (٩) من ظ، و فى الأصل : بقوله.

أنه محق وليس بساحر - [1]] .

ولما كان المقصود بهذا الكلام استعطاف المخاطبين ، استعطفوهم بعد أن أوقفوهم ، ثم خوفوهم بما سببوا عن الخطاب السابق من قولهم : ﴿ فما ذا تامرون ٥ ﴾ أي تقولون في هذه المشورة أيها السادة ليمتثل .

ولما كان كأنه قيل : فعلى أيّ شيء استقر رأيهم ؟ فقيل : على تأخير الأمر إلى حشر[2] السحرة للمعارضة ، أخبر[3] تعالى - دلالة على أن أصل قول الملأ منه - أنهم أقبلوا[4] عليه مخاطبين له ملفتين[5] من أبلغهم عنه تعظيما له مسندين الأمر إليه بقوله : ﴿ قالوا ﴾ أي [الملأ - [1]] لفرعون [بعد ما استقر في أذهانهم ما نصبوه إليه من الإرادة - [1]] ﴿ أرجه ﴾ أي موسى عليه السلام ﴿ وأخاه ﴾ أي أخرهما[6] تنفيسا لنا من هذا الخناق إلى وقت ما حتى[7] ننظر[8] في أمرهما ﴿ وأرسل في المدآئن ﴾ أي [من [1] -] ملك مصر ﴿ حشرين ٥ ﴾ يحشرون لك[9] السحرة ويجمعونهم من كل فج عميق[10] ، والحشر : الجمع بكره[11] ﴿ يأتوك بكل ﴾ [ولما كانت دلالة السياق على رغب فرعون أقل مما في الشعراء لما اقتضاه الحال في كل منهما ، قرأ الجمهور - [1]] : ﴿ سحر عليم ٥ ﴾ أي بالغ العلم في السحر ، وفي قراءة [حمزة والكسائي - [1]] " سحار " زيادة مبالغة أيضا [لما

(١) زيد من ظ (٢) في ظ : شجر (٣) في الأصل و ظ : فاخبر (٤) في ظ : لاقبلوا (٥) في ظ : ملفين - كذا (٦) في ظ : اخرجهما (٧) من ظ ، وفي الأصل : حين (٨) في ظ : تنظروا - كذا (٩) في ظ : كل (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ . وفي الأصل : بكثرة .

رأوا من قلق فرعون فى الجملة - [١]] ، و هذا يدل على أن السحرة كانوا فى ذلك الزمان عندهم فى غاية الكثرة ، و يدل على[٢] أن فى طبع الناس المعارضة[٣] ، فهما أمكنت بطلت دعوى النبوة ، و إذا تعذرت صحت الدعوى .

و لما كان التقدير : فأخر أمرهما و أرسل كما قالوا ، فجمعوا من وجدوه منهم ، عطف عليه قوله : ﴿ و جآء السحرة فرعون ﴾ و لما تشوف السامع إلى خبرهم ، قال مجيبا له استئنافا : ﴿ قالوآ ﴾ أى[١] لفرعون عند ما حضروا بين يديه متوثقين لنفع أنفسهم مفهمين[٢] له أنهم غالبون ، لا مانع لهم من ذلك إلا عدم إنصافهم ، سائقين للكلام فى قراءة الجماعة مساق الاستفهام أدبا معه فى طلب الإكرام : ﴿ ائن لنا لاجرا ﴾ و أكدوا طلبا لإخراج الوعد على حال التكذيب[٥] ﴿ ان كنا نحن ﴾ أى خاصة ﴿ الغٰلبين ۝ ﴾ و من أخبر أراد الاستفهام و هم[٦] نافع[٧] و ابن كثير[٧] و حفص عن عاصم ﴿ قال ﴾ أى فرعون ﴿ نعم ﴾ أى لكم أجر مؤكد الخبر به ، و زاد بيان التأكيد بما زادهم به رغبة فى قوله : ﴿ و انكم ﴾ أى زيادة على ذلك ﴿ لمن المقربين ۝ ﴾ أى عندى فى الحضرة .

و لما فرغوا من محاورته ، تشوف السامع إلى قولهم لموسى عليه السلام ، فاستأنف قوله جوابا : ﴿ قالوا ﴾ بادئين باسمه ﴿ يٰموسىٰٓ ﴾ مخيرين له أدبا معه كما هى عادة عقلاء الأخصام قبل وقوع الخصام فى سياق مفهم أن قصدهم الإلقاء أولا ، و ذلك قولهم : ﴿ اما ان تلقى ﴾ أى أنت أولا

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الغير منه - كذا (٤) فى ظ : مفهومون (٥) فى ظ : التاكيد (٦) من ظ . و فى الأصل : هو (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ما تريد أن تلقيه للغالبة فى إظهار صحة دعواك ﴿و امآ ان نكون نحن﴾ أى خاصة ﴿ الملقين ٥ ﴾ أى لما معنا أولا .

و لما فهم موسى عليه السلام مرادهم مما عبر هذا النظم عن حقيقة معناه من تأكيد ضميرهم[1] المتصل بالمنفصل و تعريف الخبر و إقحام الفصل، و[2] كان واثقا من الله تعالى بما وعده به جاريا مع مراده، لا فرق بين أن يتقدم أو يتأخر؛ أجابهم إلى سؤالهم[3]. و هو أوقع[4] فى ازدراء شأنهم، فاستأنف سبحانه الخبر عنه بقوله: ﴿قال القواج﴾ أى أنتم أيها السحرة ما تريدون إلقاءه، و هو أمر تعجيز .

و لما أذن لهم بادروا إلى ذلك كما أفهمه العطف بالفاء فى قوله: ﴿ فلمآ القوا ﴾ أى ما أعدوه للسحر[5] ﴿سحروٓا اعين الناس﴾ أى / عن ١٠ / ٣٣٢ صحة إدراكها حتى خيلوا إليها ما لاحقيقة له، و هى أن حبالهم و عصيهم - و كانت كثيرة جدا - صارت تتحرك و يلتوى[6] بعضها على بعض، و بعثوا جماعة ينادون: أيها الناس احذروا ﴿و استرهبوهم﴾ أى و أوجدوا رهبتهم إيجاد راغب فيها طالب لها غاية الطلب .

و لما قيل ذلك، كان ربما ظن أنهم خافوا مما لا يخاف من مثله، ١٥ فقال تعالى مبينا أنهم معذورون[7] فى خوفهم: ﴿و جآءو بسحر عظيم ٥﴾ قال صاحب كتاب الزينة: و السحر على وجوه كثيرة، منه الأخذ بالعين،

---

(١) زيد بعده فى ظ : حقيقيا (٢) فى ظ : لو (٣) من ظ ، و فى الأصل : سولهم. (٤) من ظ ، و فى الأصل : دافع (٥) من ظ ، و فى الأصل : للسحرة (٦) من ظ ، و فى الأصل : تلتوى (٧) من ظ ، و فى الأصل : معذرون .

و منه ما يفرق به بين المرء و زوجه ، و منه غير ذلك . و أصله مأخوذ من التعلل بالباطل و قلب الأمر عن وجهه كما ذكرنا من لغة العرب .

و لما تناهى الأمر و اشتد التشوف [1]إلى ما صنع موسى عليه السلام ، قال معلما عنه عطفا على " و جاءو " : ﴿ و اوحينآ ﴾ أى مظهرين لعظمتنا على رؤس الأشهاد بما لا يقدر أحد أن يضاهيه ﴿ الى موسىٰ ان الق عصاك ج ﴾ أى فالقاها ﴿ فاذا هى ﴾ من حين إلقائه لها ﴿ تلقف ﴾ أى تلتقم التقاما حقيقيا شديدا سريعا جدا بما دل عليه حذف التاء ، و دل على كثرة ما صنعوا بقوله[2] : ﴿ ما يافكون ج ﴾ أى يجددون حين إلقائهم فى تزويره و قلبه عن وجهه ، فابتلعت ما كان ملء الوادى من العصى و الحبال ، ثم أخذها موسى عليه السلام فاذا هى كما كانت لم يزد شىء من مقدارها على ما كانت[3] عليه ، و فى هذا السياق المعلم بتثبت[4] موسى عليه السلام بعد عظيم ما رأى من سحرهم[5] إلى الإيحاء إليه بيان لأدبه عليه السلام فى ذلك المقام الضنك و سكونه[6] تحت المقاربة[7] مع مرسله سبحانه إلى برؤز أوامره الشريفة .

و لما علم أن ما صنعوه إنما هو خيال ، و ما صنعه موسى عليه السلام أثبت من الجبال ، سبب معقبا قوله : ﴿ فوقع الحق ﴾ أى الذى لا شىء أثبت منه ، فالواقع يطابقه لأن باطن الأمر مطابق لما ظهر منه من ابتلاعها[8]

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : اليها (٢) من ظ ، و فى الأصل : به (٣) من ظ ، و فى الأصل : كان (٤) فى ظ : بتثبيت (٥) من ظ ، و فى الأصل : سحر تهم . (٦) فى ظ : سكون (٧) فى ظ : المقادير (٨) من ظ ، و فى الأصل : اتباعها - كذا .

لأمتعتهم فالإخبار عنه صدق، و فيه تنبيه على أن فعلهم إنما هو خيال بالنسبة إلى ظاهر الأمر، و أما في الباطن و الواقع فلا حقيقة له، فالإخبار عن تحرك ما ألقوه كذب .

و لما أخبر عن ثبات الحق، أتبعه زوال الباطل فقال: ﴿ و بطل ﴾ بحيث عدم أصلا و رأسا ﴿ما كانوا يعملون ج﴾ فدل بكان و المضارع على ٥ أنهم - مع بطلان ما عملوا - نسوا علمهم[1] بحيث أنه أسند عليهم باب العمل بعد أن كان لهم به ملكة كملكة ما هو كالجبلة - و الله أعلم ؛ ثم سبب عن هذا قوله: ﴿ فغلبوا هنالك ﴾ أى عند هذا الأمر العظيم العالى الرتبة ﴿ و انقلبوا ﴾ أى جزاء على قلبهم لتلك الحقائق عن وجوهها[2] حال كونهم ﴿ صغرين ج ﴾ أى بعد أن كانوا - عند أنفسهم و من يقول بقولهم و هم ١٠ الأغلب - عالين، و لا ذل و لا صغار أعظم فى حق المبطل من ظهور بطلان قوله على وجه لا يكون فيه حيلة .

و لما كان الأدب و ذل النفس لا يأتى إلا بخير، لأنه اللائق بالعبيد، قاد كثيرا منهم إلى السعادة الأبدية، فلذلك قال: ﴿ و ألقى السحرة ﴾ أى ألقاهم ملقى الخوف من الله و الشوق إلى الخضوع بين يديه و الذل لديه ١٥ حين[3] عرفوا أن ما فعله موسى عليه السلام أمر سماوى، صدق الله تعالى به موسى عليه السلام فى أنه رسوله، و لم يتأخروا بعد ذلك أصلا حتى كأنهم خروا من غير اختيار ﴿ سجدين صلى ﴾ شكرا لله تعالى و انسلاخا عن الكفر و دليلا على أقصى غايات الخضوع، فعل الله ذلك بهم[4] حتى

---

(١) من ظ، و فى الأصل: عملهم (٢) من ظ، و فى الأصل: وجهها (٣) من ظ، و فى الأصل: حتى (٤) سقط من ظ،

تبهر[1] به فرعون و ملاؤه و تحير[2] عقولهم .

و لما كانوا بمعرض التشوف العظيم إلى معرفة قولهم بعد فعلهم ، أخبر عن ذلك سبحانه بقوله : ﴿قالوا﴾ أى / حال إلقائهم للسجود ﴿آمنا﴾ أى كلنا ﴿برب العلمين ۝﴾ أى الذى خلق فرعون و من قبله و ما يعيشون به ؛ ثم خصوا من هداهم الله على أيديهما تصريحا بالمراد و تشريفا لهما[3] فقالوا : ﴿رب موسى﴾ ثم أزالوا الشبهة بحذافيرها - لأن فرعون ربما ادعى بتربية موسى عليه السلام أنه المراد - بقولهم : ﴿و هرون ۝﴾ و فى الآية دليل على أن ظهور الآية موجب للايمان عند من ظهرت له ، و لو أن الرسول غير[4] مرسل إليه .

/٣٣٣

و لما صرحوا بالذى آمنوا به تصريحا منع فرعون أن يدلس معه بما يخيل به على قومه ، شرع فى تهديدهم على وجه يمكر فيه بقومه و يلبس عليهم إيقافا لهم عن المبادرة إلى الإيمان - كما بادر السحرة - إلى وقت ما. فاستأنف الخبر عنه سبحانه بقوله [مصرحا باسمه غير مضمر له كما فى غير هذه السورة لأن مقصود السورة الإنذار ، و هو أحسن الناس بالمناداة عليه فى ذلك المقام . و قصته مسوقة لبيان فسق الأكثر ، و هو أفسق أهل ذلك العصر - [5]] : ﴿قال[6] فرعون﴾ منكرا عليهم [موبخا لهم - [5]] بقوله : ﴿آمنتم﴾ أى صدقتم ﴿به﴾ أى بموسى تصديقا آمنه من رجوعكم

(١) فى ظ : يبهر (٢) فى ظ : يحير (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ . و فى الأصل : عن (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) زيد بعده فى الأصل : الى . و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

عنه

عنه . و من أخبر أراد الاستفهام ، و أوهم فرعون من فهم عنهم من القبط إرادة الإيمان لأجل ما رأوا من دلائل صدق موسى عليه السلام و اقتداء بالسحرة [بقوله : ﴿ قبل ان اذن لكم ﴾ ليوقفهم من خطر المخالفة له بما رجاهم فيه من إذنه ، فلما ظن أنهم وقفوا خيلهم بما يذهب عنهم ذلك الخاطر أصلا و رأسا بقوله مؤكدا نفيا لما على قوله من لواتح الكذب -[1]] : ﴿ ان هذا لمكر ﴾ أى عظيم جدا ، و طول الكلام تبيينا لما [2]أرادوا و تنسية[2] لخاطر الإيمان فقال : ﴿ مكرتموه فى المدينة ﴾ أى على ميعاد بينكم و بين موسى ، و حيلة احتلتموها قبل اجتماعكم ، و ليس إيمانكم[3] لأن صدقه ظهر لكم ؛ ثم علل بما يتعلق[4] به فكرهم و تشوش[5] قلوبهم فقال : ﴿ لتخرجوا ﴾ أى أنتم و موسى عليه السلام ﴿ منها اهلها ﴾ و تسكنوها[6] أنتم و بنو إسرائيل .

و لما استتب له ما أراد من دقيق المكر ، شرع فى تهديدهم بما يمنع غيرهم و ربما ردهم ، فقال مسببا عن ذلك : ﴿ فسوف تعلمون ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ما أفعل بكم[7] من عذاب لا يحتمل ، ثم [8]فسر ما أجمل من هذا الوعيد[8] بقوله : ﴿ لاقطعن ايديكم ﴾ أى اليمنى مثلا ﴿ و ارجلكم ﴾ أى اليسرى ، و لذلك فسره[9] بقوله : ﴿ من خلاف ﴾ أى يخالف[10] الطرفُ

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) فى ظ : اراد و تغشية - كذا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : يعلق (٥) فى ظ : يشوش (٦) فى ظ : تسكنونها (٧) فى ظ : به (٨-٨) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « اليسرى و لذلك » و الترتيب من ظ (٩) تقدم فى الأصل على « فسر ما » و الترتيب من ظ (١٠) فى ظ : بخلاف .

- الذى تقطع[1] منه اليد - الطرفَ الذى تقطع[1] منه[2] الرجل .

و لما كان مقصود هذه السورة الإنذار ، فذكر فيها ما وقع لموسى عليه السلام و السحرة على وجه يهول ذكر ما كان من أمر فرعون على وجه[3] يقرب من ذلك ، فعبر بحرف التراخى لأن فيه - مع الإطناب الذى يكون شاغلا لأصحابه عما أدهشهم مما رأوه - تعظيما لأمر الصلب ، فيكون أرهب للسحرة و لمن تزلزل بهم من قومه فقال : ﴿ ثم[4] لاصلبنكم ﴾ أى أعلقنكم ممدودة أيديكم لتصيروا على هيئة الصليب ، أو حتى يتقاطر[5] صليبكم و هو الدهن الذى فيكم ﴿ اجمعين ۝ ﴾ أى لا أترك منكم أحدا لأجعلكم نكالا لغيركم .

و لما كان حالا يشوق[6] النفوس إلى جوابهم ، استأنفه بقوله : ﴿ قالوا ﴾ أى أجمعون ، لم يرتع منهم إنسان و لا تزلزل عما منحه الله[3] به من رتبة[3] الإيمان ﴿ انا الى ربنا ﴾ أى الذى ما زال يحسن إلينا بنعمه الظاهرة و الباطنة حتى جعل آخر ذلك أعظم النعم ، لا إلى غيره ﴿ منقلبون ۝ ﴾ أى بالموت انقلابا ثابتا لا انفكاك لنا عنه إن صلبتنا أو تركتنا ، لا طمع لنا فى البقاء فى الدنيا ، فنحن لا نبالى - بعد علمنا بأنا على حالة السعداء - بالموت على أىّ حالة كان ، أو المراد أنا ننقلب إذا قتلتنا[7] إلى من يحسن إلينا بما منه الانتقام منك ، و لذلك اتبعوه بقولهم : ﴿ و ما تنقم ﴾ أى تنكر ﴿ منا ﴾ أى فى فعلك ذلك بنا و تعيب علينا[8] ﴿ الا ان امنا ﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل : يقطع (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل « و » (٥) من ظ ، و فى الأصل : يتقاطع (٦) من ظ ، و فى الأصل : تشوف (٧) فى ظ : قتلنا (٨) فى ظ : عنا .

أى إلا ما هو أصل المفاخر كلها و هو الإيمان ﴿ بآيٰت ربنا ﴾ أى التى عظمت بكونها صادرة[1] عنه و لم يزل محسنا إلينا فوجب علينا شكره ﴿ لما ﴾ [أى حين - [2]] ﴿ جاءتنا[3] ﴾ لم نتأخر عن معرفة الصدق [المصدّق - [2]] ، و هذا يوجب الإكرام لا الانتقام ؛/ ثم آذنوه بأنهم ٣٣٤ / مقدمون على كل ما عساه أن يفعل بهم فقالوا : ﴿ ربنآ ﴾ أى أيها المحسن ٥ إلينا القادر على خلاصنا ﴿ افرغ ﴾ أى صب صبا غامرا ﴿ علينا ﴾ أى فيما تهددنا به هذا الذى قويته علينا ﴿ صبرا[4] ﴾ أى كثيرا تغمرنا به كما يغمر الماء من يفرغ عليه حتى لا يروعنا ما يخوفنا به[5] ﴿ وتوفنا ﴾ أى اقبض أرواحنا وافيه حال كوننا ﴿ مسلمين ﴾[6] أى عريقين فى الانقياد بالظاهر و الباطن بدلائل الحق ، و الظاهر أن الله تعالى أجابهم فيما سألوه ١٠ تلويحا بذكر الرب فلم يقدره[5] عليهم لقوله تعالى " انتما و من اتبعكما الغلبون[6] " و لم يأت فى خبر يعتمد أنه قتلهم ، و سيأتى فى آخر الحديد[7] عن تاريخ ابن عبد الحكم ما هو صريح فى خلاصهم .

و لما قنع فرعون فى ذلك الوقت الذى بهرت[8] قومه تلك المعجزة الظاهرة بالانفصال على هذا الوجه الذى لم يدع فيه حيلة إلا[9] خيل بها ، ١٥ و خلص موسى عليه السلام بقومه متمكنا منهم بعض التمكن ، و كان السياق

(١) فى الأصل : صادرها ، و فى ظ : صارت (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : صبرنا .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فلم يقدر (٦) سورة ٢٨ آية ٣٥ .
(٧) فى ظ : الحديث (٨) من ظ ، و فى الأصل : يهرب (٩) فى ظ : الى .

لبيان أن أكثر الخلق فاسق ، أخبر تعالى بما قال قوم فرعون بعد [ما -[1]] رأوا من المعجز القاهر[2] دليلا على ذلك ، فقال عاطفا على " و ألقى السحرة سجدين[3] " و ما بعده ، أو على قول فرعون : ﴿ و قال الملأ ﴾ أى الأشراف ﴿ من قوم فرعون ﴾ أى[4] ظانين أن فرعون متمكن مما يريد بموسى ٥ عليه السلام [من -[2]] الأذى ، منكرين لما وصل إليه الحال من أمر موسى عليه السلام حين فعل ما فعل و آمن به السحرة ، و ما عمل فرعون شيئا ، لا قتله و لا حبسه . لأنه كان لا يقدر على ذلك و لا يعترف به لقومه ﴿ اتذر موسى و قومه ﴾ .

و لما كان ما كان فى أول مجلس من إيمان السحرة جديرا بأن يجر ١٠ إليه أمثاله ، سموه فسادا و جعلوه مقصودا لفرعون إحماء له و استغضابا فقالوا : ﴿ ليفسدوا ﴾ أى يوقعوا الفساد و هو تغيير الدين ﴿ فى الارض ﴾ أى التى هى الأرض كلها ، و هى أرضنا هذه ، أو الأرض كلها ، لكون مثل هذا الفعل جديرا برد أهل الأرض كلهم عن عقائدهم ﴿ و يذرك و الهتك[6] ﴾ قيل : كان أمر قومه أن يعبدوا الأصنام تقربا إليه ، و قال الإمام : ١٥ الأقرب[5] أنه كان دهريا منكرا لوجود الصانع ، و كان يقول : مدبر هذا العالم السفلى هو الكواكب ، و أنه المخدوم فى العالم للخلق أو لتلك الطائفة و المربى لهم ؛ ثم قال : و إذا كان مذهبه ذلك لم يبعد أن يقال : إنه كان قد اتخذ أصناما على صور الكواكب و يعبدها على ما هو دين عبدة الكواكب [انتهى -[1]] . و لذلك قال : " انا ربكم الاعلى " ، - هكذا قيل ،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الباهر (٣) فى ظ : الساجدين (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ : الاقر (٦) فى ظ : صبرنا .

و هو ظاهر عبارة التوراة الآتية فى آية القمل ، و لكن إرادته غير ملائمة لهذه المعادلة ، بل الظاهر أنه كان سمى أمراءه آلهة[1] ، و سمى لكل أمير قوما يتألهونه أى يطيعونه ، فانه نقل عنهم أنهم كانوا يسمون الحاكم بل و الكبير إلها كما سيأتى عن عبارة التوراة ، فحيث وقعت الموازنة بين[2] موسى عليه السلام و قومه[3] و بين فرعون و قومه[3] ، عبر بالآلهة تعظيما لجانبه ٥ بالإشارة إلى أنه إله أى حاكم معبود ، ليس وراءه منتهى و ملأوه كلهم آلهة أى حكام دونه[4] ، و موسى عليه السلام ليس بإله و لا فى قومه إله بل هم محكوم عليهم فهم ضعفاء فكيف يتركون ! و حيث نفى الإلهية عن غيره فبالنظر إلى خطابه للملأ " ما علمت لكم من اله غيري[5] " و حيث حشر الرعية ناداهم بقوله " انا ربكم الاعلى[6] " و كأن ذلك كان[7] يطلق على الحاكم ١٠ / مجازا . فجعلوه حقيقة و صاروا يفعلون ما يختص به الآلهة [- [8]من التحليل / ٣٣٥ و التحريم كما قال تعالى " اتخذوا احبارهم و رهبانهم اربابا من دون الله[9] "] فكفروا بادعاء[10] الربوبية بمعنى العبودية[11] ، و نفى المعبود الحق بدليل آية "ما علمت" ، و الحاصل أنهم عيروه بالرضى بأن يكون رئيسا على القبط و موسى عليه السلام [رئيسا - [8]] على بنى إسرائيل فيكونوا[12] بهذه المتاركة ١٥

(١) من ظ ، و فى الأصل : الهتى (٢) زيد بعده فى ظ : يدى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد بعده فى الأصل : و ملاوه كلهم آلهة ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) سورة ٢٨ آية ٣٨ (٦) سورة ٧٩ آية ٢٤ (٧) سقط من ظ .
(٨) زيد من ظ (٩) سورة ٩ آية ٣١ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : بالدعاء .
(١١) فى ظ : المعبودية (١٢) فى ظ : فيكون .

أكفاء للقبط .

ولما أعجزه الله سبحانه أن يفعل بهم أكثر مما كان يعمل قبل مجيء موسى عليه السلام لما يراد به من الاستدراج إلى الهلاك ، أخبر عنه سبحانه بما يفهم ذلك فقال مستأنفا[1] : ﴿ قال ﴾ أي فرعون ﴿ سنقتل ﴾ أي تقتيلا كثيرا ﴿ ابناءهم ﴾ أي كما كنا نفعل ﴿ ونستحيي نساءهم ج ﴾ أي نبقيهم أحياء إذلالا لهم وأمنا من غائلتهم في المستقبل ﴿ وانا فوقهم ﴾ أي الآن ﴿ قهرون ه ﴾ ولا أثر لغلبة موسى لنا في هذه المناظرة لئلا تتوهم[2] العامة أنه المولود الذي تحدث[3] المنجمون والكهنة بذهاب ملكهم على يده فيثبطهم ذلك عن الطاعـــة ، موهما[4] بهذا أن تركه لأذى موسى عليه السلام لعدم التفاته إليه ، لا يعجزه شيء[5] عنه .

ولما كان هذا أمرا يزيد من قلق بني إسرائيل لما شموا من رائحة الفرج ، استأنف سبحانه الخبر عما ثبتهم به موسى عليه السلام قائلا : ﴿ قال موسى لقومه ﴾ أي بني إسرائيل الذين فيهم قوة وقيام [فيما -[6]] يريدون من الأمور لو اجتمعت قلوبهم ﴿ استعينوا ﴾ أي ألصقوا طلب العون ﴿ بالله ﴾ الذي لا أعظم منه بما يرضيه من العبادة ﴿ واصبروا ج ﴾ ثم علل ذلك بأنه فعال لما يريد ، لا اعتراض عليه ولا مفر من حكمه فقال :

---

(١) زيدت الواو بعده في الأصل ، ولم تكن في ظ ولا في القرآن الكريم فحذفناها (٢) من ظ ، وفي الأصل : يتوهم (٣) في ظ : لا تحدث (٤) من ظ ، وفي الأصل : توهما (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ .

﴿ ان الارض ﴾ أى كلها مصر و غيرها ﴿ لله ﴾ أى الذى لا أمر لأحد معه ، كرره تذكيرا بالعظمة و تصريحا و تبركا ؛ ثم استأنف قوله : ﴿ يورثها من يشآء من عباده[1] ﴾ .

و لما أخبر أن نسبة الكل إليه واحدة ، أخبر بما يرفع بعضهم على بعض فقال : ﴿ و العاقبة ﴾ أى و الحال أن آخر الأمر و إن حصل بلاء ٥ ﴿ للمتقين ٥ ﴾ أى الذين يقون أنفسهم سخط الله بعمل ما يرضيه فلا عبرة بما ترون فى العاجل فانه قد يكون استدراجا .

و لما تشوف السامع إلى ما كان من جوابهم ، أشار تعالى إلى أن[1] قلقهم كان وصل إلى حد لا صبر معه بقوله مستأنفا : ﴿ قالوآ ﴾ و لما كان الموجع هو الأذى ، لا كونه من معين ، بنوا للمفعول قولهم : ﴿ اوذينا ﴾ ١٠ أى بالقتل و الاستعباد .

و لما كان أذاهم[2] غير مستغرق [3]للزمان ، أثبتوا[3] الجار فقالوا : ﴿ من قبل ان تاتينا ﴾ أى كما تعلم ﴿ و من بعد ما جئتنا[1] ﴾ أى فما الذى أفادنا مجيئك ﴿ قال ﴾ مسليا لهم و داعيا و مرجيا[4] بما رمز إليه من قبل ﴿ عسى ربكم ﴾ أى الذى أحسن إلى آبائكم بما تعرفون و إليكم بارسالى ١٥ إليكم ﴿ ان يهلك عدوكم ﴾ فلا يهولنكم ما ترون ﴿ و يستخلفكم ﴾ أى و يوجد خلافتكم لهم متمكنين ، لا يحكم عليكم غيركم ﴿ فى الارض ﴾ أى جنسها إن كنتم متقين ؛ ثم سبب عن الاستخلاف قوله مذكرا لهم محذرا من

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الاذى (٣-٣) فى ظ : ادخل .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : مصرحا .

سطواته سبحانه: ﴿فينظر﴾ أى و أنتم خلفاء متمكنون[1] ﴿كيف تعملون ع﴾ أى يعاملكم معاملة المختبر و هو فى الأزل أعلم بما تعملون منكم بعد إيقاعكم للأعمال، و لكنه يفعل ذلك لتقوم[2] الحجة [عليكم -[3]] على[4] مجارى عاداتكم.

٥ و لما رجاهم موسى[5] عليه السلام بذلك، أخبر سبحانه أنه فعل ما أخبرهم به، فذكر مقدماته فقال: ﴿و لقد[6]﴾ أى قال لهم ما قال و الحال أنا و عزتنا قد ﴿اخذنآ﴾ أى قهرنا ﴿ال فرعون﴾ و لينّا عريكتهم و سهلنا شكيمتهم ﴿بالسنين﴾ أى بالقحط و الجوع، فان السنة يطلق بالغلبة على ذلك كما تطلق على العام؛ و لما كانت السنة تطلق على نقص الحبوب، صرح

١٠ بالثمار فقال: ﴿و نقص من الثمرٰت﴾ أى بالعاهات إن كان الماء كثيرا، أو السنة للبادية و النقص للحاضرة ﴿لعلهم / يذكرون ه﴾ أى ليكون[7] حالهم حال من يرجو ناظره أن[8] يتذكر فى نفسه و لو بأدنى وجوه التذكر - بما[9] أشار إليه الإدغام، فان الضر يزيل الشماخة التى هى مظنة الوقوف مع الحظوظ و يوجب[10] للانسان الرقة فيقول: هذا إنما حصل لى بسبب تكذيبى

١٥ لهذا الرسول و عبادتى من لا يكشف السوء عن نفسه و لا غيره.

/٣٣٦

و لما لم يتذكروا و لا لانوا، سبب عن أخذهم قوله معرفا بغباوتهم

---

(١) فى ظ: متمكنين (٢) من ظ، و فى الأصل: ليقوم (٣) زيد من ظ.
(٤) فى ظ: من (٥) سقط من ظ (٦) من ظ والقرآن الكريم، و فى الأصل: قد (٧) فى ظ: لتكون (٨) فى ظ: او (٩) فى ظ: كما (١٠) من ظ، و فى الأصل: توجب.

معبرا فى الخير بأداة[1] التحقيق إشارة إلى أنه أغلب من الشر[2]، حثا على الشكر: ﴿فاذا﴾ أى فما تسبب عن ذلك إلا أنهم كانوا إذا ﴿جآءتهم الحسنة﴾ أى الحالة الكاملة التى يحبونها من الخصب و غيره، و عرفها بعد تحقيقها إشارة إلى إكمالها ﴿قالوا لنا هذه ج﴾ أى نحن حقيقون بها، و دل على أن الخير أكثر من غيره بقوله بأداة الشك مع التنكير: ﴿و ان تصبهم سيئة﴾ ٥ أى حالة يكرهونها.

[و لما كانت الإصابة بالسيئات تخصهم و لا يلحق بنى إسرائيل منها شىء، فكان إظهارهم للتطير بهم ظاهرا فى ردهم عليهم و تكذيبهم فيه، أشار سبحانه بادغام التاء إلى أنهم كانوا إنما يدسونه إلى من يمكنهم اختداعه من الجهلة و الأغبياء على وجه الحيلة و الخفاء، بخلاف ما فى ١٠ يس فقال - [3]]: ﴿يطيروا﴾ أى يتشاءموا ﴿بموسى و من معه[4]﴾ أى بأن يقولوا: ما حصل لنا هذا السوء إلا بشؤمهم، و هو تفعل من الطير، و هو تعمد قصد الطير لأن يطير للتفاؤل به من خير أو شر، و أصله أن العرب كانوا إذا مر الطائر من ميامنهم إلى جهة مياسرهم قالوا: بارح، أى مشؤم، من البرح و هو الشدة، فاذا طار من جهة اليسار ١٥ إلى جهة اليمين عدوه مباركا، قالوا: من لى بالسانح[4] بعد البارح، أى بالمبارك بعد المشؤم، و عرف أن المراد هنا التشاؤم لاقترانه بالسيئة.

و لما كذبوا فى الموضعين، قال مستأنفا على وجه التأكيد:

---

(١) من ظ، و فى الأصل: بارادة (٢) فى ظ: السوء (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) من روح المعانى ٣/١٠٢، و فى الأصل: بالسايح، و فى ظ: بالمشالح - كذا.

﴿ألا إنما طائرهم﴾ أى قدرهم الذى سبق فى الأزل من الخير و الشر فلا يزداد[1] و لا ينقص ﴿عند الله﴾ أى الملك الذى لا أمر لغيره و قد قدر كل شىء، فلا يقدر على المجىء به غيره أصلا ﴿و لكن اكثرهم لا يعلمون ۝﴾ أى لا علم لهم أصلا فهم لا يهتدون إلى ما ينفعهم و يظنون أن للعباد مدخلا ٥ فى ذلك، فلذلك تراهم يضيفون الأشياء إلى أسباب يتوهمونها.

و لما كان هذا الذى قالوه يدل على سوء المزاج و جلافة الطباع بما[2] لا يقبل العلاج، أتبعه ما هو شر منه، و هو أنهم جزموا بأنه كلما أتاهم شىء فى المستقبل قابلوه بالكفر فقال: ﴿و قالوا مهما﴾ هى مركبة من 'ما' مرتين: الأولى الشرطية و الثانية تأكيد، قلبت ألف الأولى ١٠ هاء[3] استثقالا، و قيل: [مه -[4]] هى الصوت الذى يكون للكف و ما الشرطية، أى كف عنك ما أنت فيه، ثم استأنفوا 'ما': ﴿تأتنا به﴾ أى فى أىّ وقت و على أىّ حالة كان؛ ثم بينوا[5] المأتى به بقولهم: ﴿من آية﴾ أى علامة على صدقك، و هذا على زعمه، و لذلك عللوه بقولهم: ﴿لتسحرنا﴾ أى لتخيل[6] على[7] عقولنا ﴿بها﴾ و تلفتنا عما نحن عليه ١٥ إلى ما تريد فنحن نسميها سحرا و أنت تسميها آية؛ ثم أجابوا الشرط بقولهم: ﴿فما نحن﴾ أى كلنا ﴿لك﴾ أى خاصة ﴿بمؤمنين ۝﴾ أى من أن نكذبك.

و لما بارزوا بهذه العظيمة، استحقوا النكال فسبب عن ذلك قوله:

---

(١) من ظ، و فى الأصل: فلا يزاد (٢) فى ظ: كما (٣) فى ظ: ما (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: يفسر - كذا (٦) من ظ، و فى الأصل: يخيل - كذا (٧) سقط من ظ.

﴿ فارسلنا عليهم ﴾ أى عذابا لهم - لما يفهمه حرف الاستعلاء ﴿ الطوفان ﴾ أى الرعد و البرق و النار مع المطر و البرد الكُبار الذى يقتل البقر فما دونها، و الظلمة و الريح الشديدة التى عمت أرضهم و طافت[1] بها؛ و لما كان ذلك ربما أخصبت به الأرض، أخبر أنه أرسل[2] ما يفسد ذلك فقال: ﴿ و الجراد ﴾ . ٥

و لما كان الجراد ربما طار و قد أبقى شيئا، أخبر بما يستمر لازقا فى الأرض حتى لا يدع بها شيئا فقال: ﴿ و القمل ﴾ قال فى القاموس: القمل كالسكر[3]: صغار الذر و الدبى الذى لا أجنحة له - و هو أصغر الجراد أو شىء صغير[4] بجناح أحمر، و شىء يشبه الحلم خبيث الرائحة أو دواب صغار كالقردان[5] - / يعنى القراد . و قال البخارى فى بنى إسرائيل من ١٠ / ٣٣٧ صحيحه: القمل: الحمنان[6] يشبه صغار الحلم .

و لما كان ربما كان عندهم[7] شىء مخزونا لم يصل إليه ذلك، أخبر بما يسقط نفسه فى الأكل فيفسده أو ينقصه فقال: ﴿ و الضفادع ﴾ فانها عمت جميع أماكنهم، و كانت تتساقط فى أطعمتهم، و ربما وثبت إلى أفواههم حين يفتحونها للأكل . ١٥

و لما تم ما يضر بالمأكل، أتبعه ما أفسد المشرب فقال: ﴿ و الدم ﴾ فان مياههم انقلبت كلها دما منتنا، و عم الدم الشجر و الحجارة و جميع

---

(١) فى ظ: طارت (٢) سقط من ظ (٣) فى القاموس: كسكر (٤) من القاموس، و فى الأصل وظ: صغار (٥) أقحمت صفحة الأصل فى «كالقردان» بعد «كالقرد» (٦) من ظ و صحيح البخارى، و فى الأصل: الحنان - كذا. (٧) فى ظ: عنده .

الأرض فى حق القبط ، و أما بنو إسرائيل فسالمون من[1] جميع ذلك .

و لما ذكر تعالى هذه الآيات العظيمة ، نبه على عظمتها بذكر حالها فقال : ﴿ آيٰت ﴾ أى علامات على صدقه عظيمات ﴿ مفصلٰت قف ﴾ أى[2] يتبع بعضها بعضا ، و بين كل واحدة و أختها[3] حين يختبرون فيه مع[2] ان مغايرة كل واحدة لأختها[4] فى غاية الظهور ، و كذا العلم بأنها من آيات الله[5] التى لا يقدر عليها غيره .

و لما كانت حقيقة بأن يتسبب عنها الإيمان عند سلامة القلب ، سبب عنها قوله : ﴿ فاستكبروا ﴾ مبينا أن الذى منعهم من الإيمان مرض القلب بالكبر و الطغيان ﴿ و كانوا قوما مجرمين ه ﴾ أى فى جبلتهم قطع ما ينبغى وصله مع قوتهم على ما يحاولونه .

و لما كان هذا فى الحقيقة نقضا لما أخذه الله على العباد بعهد العقل ، أتبعه نقضا حقيقيا[6] ، فقال مبينا لحالهم عند كل آية ، و لعله عبر بما يشملها و لم ينص على التكرار لأن ذلك كاف فيما ذكر من النقض و الفسق : ﴿ و لما وقع عليهم الرجز ﴾ يعنى العذاب المفصل الموجب للاضطراب ﴿ قالوا يٰموسى ادع لنا ربك ﴾ أى المحسن إليك ، و لم يسمحوا كبرا و شماخة أن يعرفوا به ليقولوا : ربنا ﴿ بما عهد عندك ج ﴾ أى من النبوة التى منها هذا البر الذى تراه[7] يصنعه بك ؛ ثم أكدوا العهد بقولهم استئنافا

(١) من ظ ، و فى الأصل : فى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : اخيها (٤) من ظ ، و فى الأصل : لاخيها (٥) زيد بعده فى ظ : يختبرون فيه على ان مغايرة الله (٦) من ظ ، و فى الأصل : حقيقا (٧) فى ظ : نراه .

أو

أو تعليلا : ﴿ لئن كشفت عنا الرجز ﴾ أى العذاب الذى اضطربت قلوبنا و جميع أحوالنا له ﴿ لنؤمنن لك ﴾ أى لنجعلنك آمنا من التكذيب بإيقاع التصديق، و يكون ذلك خالصا لأجلك و خاصا بك ﴿ و لنرسلن معك ﴾ أى فى صحبتك، لا نحبس أحدا منكم عن الآخر ﴿ بنى اسرآءيل ج ﴾ أى كما سألت؛ و دل على قرب الإجابة بالفاء فى قوله : ﴿ فلما كشفنا ﴾ أى ٥ بعظمتنا ﴿ عنهم الرجز ﴾ كرره تصريحا و تهويلا، و مددنا الكشف ﴿ الى اجل ﴾ أى حد من الزمان ﴿ هم بٰلغوه ﴾ أى فى علمنا ﴿ اذا هم ﴾ [أى -[1]] بضمائرهم التى تجرى ظواهرهم على حسبها ﴿ ينكثون ه ﴾ .

و لما أخبر أنهم فاجأوا النكث وكرروه، سبب عنه قوله : ﴿ فانتقمنا منهم ﴾ أى انتقاما ليس كذلك الذى كنا نؤذيهم[2] به، بل انتقام إهلاك عبرة ١٠ لوصولهم بعد كشف جميع الشبه إلى محض العناد؛ ثم فسره بقوله : ﴿ فاغرقنهم ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ فى اليم ﴾ أى فى[3] البحر الذى يقصد لمنافعه ﴿ بانهم ﴾ أى بسبب أنهم ﴿ كذبوا بايٰتنا ﴾ أى على ما لها[4] من العظمة بما عرف من صحة نسبتها إلينا، و دل سبحانه على أنهم كذبوا بغير شبهة عرضت لهم بل عنادا بقوله : ﴿ و كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ١٥ ﴿ عنها غٰفلين ه ﴾ أى يكون حالهم بعدها كحالهم قبلها، فكأنها لم تأتهم أصلا فاستحقوا[5] الأخذ لوقوع العلم بأن الآيات لا تفيدهم .

و لما أخبر عن إهلاكهم، عطف عليه ما صنع ببنى إسرائيل فقال :

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : تؤديهم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل : لهم (٥) من ظ، و فى الأصل : فاستحق .

﴿ و اورثنا ﴾ أى بعد إهلاكهم بما لنا من العظمة ﴿ القوم ﴾ و لما أشار بهذه العبارة ـ التى معناها أنه كانت فيهم قوة و كثرة و شدة عزم على ما يحاولونه و يقومون[1] به ـ إلى أنه هو الذى أذلهم لا فرعون ، أتبعه[2] ما يدل عليه / فقال : ﴿ الذين كانوا يستضعفون ﴾ أى يطلب ضعفهم ٣٣٨ /
٥ و يوجد بالشوكة و اجتماع الكلمة بحاكم قد تمكنت عظمته فى القلوب التى الوهم غالب عليها ، و هم بنو إسرائيل ﴿ مشارق الارض ﴾ أى الكاملة لبركاتها ﴿ و مغاربها ﴾ أى أرض الشام من الفرات إلى بحر سوف : الموضع الذى خرجوا منه من البحر و غرق فيه فرعون و آله ـ كما مضى نقله فى المائدة عن التوراة ، يعنى حكمنا بإرثهم ذلك و أنجزناه لأبناء
١٠ الذين خرجوا من مصر بعد إهلاكهم فى التيه ؛ ثم وصفها تغبطا[3] بها بقوله : ﴿ التى [4]بركنا فيها[4] ﴾ أى [4]فى أرضها[4] بالمياه و الأشجار و الثمار و الخصب ، و فى أرزاقها بالكثرة و الطيب ، و فى رجالها بالعلم و النبوة و فى طباعهم بالاستقامة ، و فى عزائمهم بالنجدة و الشجاعة و المكارم ، و فى جميع أحوالهم بأنه لا يبغيهم[5] ظالم إلا عوجل بالنقمة ﴿ و تمت ﴾ أى
١٥ وجدت صحتها لوجود مضمونها فى عالم الشهادة و ظهوره من ستور الغيب[6] ﴿ كلمت ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزال هذه الأنباء على هذه الوجوه المفيدة مع إعجازها لغاية العلم و الحكمة ﴿ الحسنى ﴾ مستعلية ﴿ على بنى اسرآءيل[4] ﴾

(١) فى ظ : يومون ـ كذا (٢) زيد بعده فى ظ : على (٣) فى ظ : تغليظا .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يبقيهم (٦) فى ظ : الغيوب .

أى[1] التى هى أحسن الكلام و هى وعده سبحانه لهم بالخلاص من العبودية و إيراثهم مساكن آبائهم كما كانوا يسمعون من أسلافهم ، و إذا استعلت عليهم منعت أعداءهم من الوصول إليهم ﴿ بما صبروا ﴾ أى بسبب صبرهم على الاستبعاد و ذبح الأولاد و ما حصل بعد ذلك من طويل الانكاد ﴿ و دمرنا ﴾ أى أهلكنا إهلاكا عظيما جعل يدمره كالرماد، ٥ لا خير فيه أصلا ﴿ ما كان يصنع ﴾ أى صنعا بغاية الإقبال عليه حتى كأنهم خلقوا لهم ﴿ فرعون و قومه ﴾ أى من الصنائع الهائلة المعجبة لكل من [2]يراها أو يسمع بها مع[2] أنهم قد مرنوا عليها فصارت أسهل شيء عندهم ﴿ و ما كانوا[3] ﴾ أى بما هو كالجبلة و الطبع ﴿ يعرشون ﴾ أى من الجنان و القصور العالية الأركان، و كفى بهذه[4] الآية حاثة على الصبر ١٠ و ضامنة على كل [5]حائز للأجر[5] بالتفريج عن المظلوم و نصره و إهلاك الظلوم و قهره .

شرح ما يحتاج إلى شرحه هنا من التوراة الموجودة الآن بين أظهر اليهود ، قال مترجمها فى الأصحاح الثالث من السفر الثانى ما نصه: و قال الرب لموسى فى مدين : انطلق[6] راجعا إلى مصر لأن الرجال الذين كانوا ١٥ يطلبون نفسك قد هلكوا جميعا، فانطلق موسى بامرأته و بنيه[7] و حملهم

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ : راها وسمع بها من - كذا (٣) تأخر فى الأصل عن « كالجبلة و الطبع » و الترتيب من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : هذه . (٥-٥) فى ظ : حال الاجل (٦) من ظ ، و فى الأصل: انطلقوا (٧) من التوراة ، و فى الأصل : ابنته ، و فى ظ : ابنيه .

على حماره و أخذ بيده عصا الرب ، و قال الرب لموسى : انظر كل آية أجريتها على يدك فاصنعها أمام فرعون و أنا أقسى قلبه فلا يرسل الشعب و قل لفرعون : هكذا يقول الرب : [١]ابنى بكرى[١] إسرائيل ، أرسل[٢] ليعبدنى ، فان أبيت أن ترسل ابنى فانى أقتل ابنك بكرك[٣] ، فلما صار موسى فى الطريق

٥ فى المبيت لقيه ملاك الرب فأخذت صفورا[٤] حجرا[٥] من حجارة المروة فخشت غرلة ابنها و أخذت[٦] برجليه - و فى نسخة السبعين : و وقعت عند رجليه - و قالت : إن اليوم عرس الدم - تعنى الختان ، فقال الرب لهارون[٧] : اخرج فتلق أخاك فى القفر ، فخرج فلقيه فى جبل الله فى حوريب[٨] فعانقه و قبله ، فأخبر موسى هارون بجميع قول الرب الذى أرسله فيه و ما أمره به

١٠ من الآيات ، و انطلق موسى و هارون ، فجمع أشياخ بنى إسرائيل ، فقص عليهم جميع ما قال [٩]الرب لموسى[٩] ، و جرح جرائح و آيات قدام الشعب - و فى نسخة السبعين : فجمعا مشايخ بنى إسرائيل و تكلم هارون بجميع الكلام الذى كلم الله به موسى و عمل الآيات قدام الشعب - فآمن الشعب و سمعوا / أن الرب قد ذكر بنى إسرائيل و أبصر إلى خضوعهم ، و جثا[١٠] الشعب /٣٣٩

١٥ و سجدوا للرب ، و من بعد هذه الآيات و الخطوب دخل موسى و هارون

(١-١) فى ظ : اله بنى - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : بكرى
(٤) فى ظ : صافورا (٥) من ظ ، و فى الأصل : صخرا (٦) من ظ ، و فى الأصل : اخذ (٧) فى ظ : لمروة (٨) من ظ ، و فى الأصل : حورت - كذا (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : خما - كذا .

و قالا

و قالا لفرعون: هكذا يقول الله رب إسرائيل: أرسل شعبي يحجون إلى القفر - و فى نسخة السبعين: ليعبدونى[1] فى البرية - عوض: يحجون إلى القفر، فقال[2] فرعون: و من هو الرب حتى أطيعه؟ لا أعرف الرب و لا أرسل بنى إسرائيل، و قالا له: الرب إله العبرانيين اعتلن[3] لنا، فنطلق مسيرة[4] ثلاثة أيام فى القفر و نذبح[5] الذبائح لله ربنا لكيلا ينزل بنا الحزن و الوباء - و فى نسخة السبعين: لئلا يفاجئنا موت أو قتل - قال فرعون: ما بالكما تبطلان[6] الشعب من أعمالهم؟ فأمر فرعون ولاة الشعب و كتبتهم و قال لهم: لاتعودوا أن تعطوا الشعب تبنا[7] لضرب اللبن كما كنتم تعطونهم، بل هم ينطلقون فيجمعون لأنفسهم التبن[8]، و خذوهم بحساب اللبن على ما كنتم تأخذونهم به[9] أمس و أول من أمس - و فى نسخة السبعين: فى كل يوم و لا تنقصوهم[10] شيئا من عملهم لأنهم بطروا لذلك يصيحون [11]فيقولون: نتطلق فنذبح[11] للرب إلهنا - فليشتد[12] العمل على الرجال - و فى نسخة السبعين - فليتضاعف عمل هؤلاء القوم - حتى يهتموا به و لا يهتموا بكلام الباطل، فخرج ولاة الشعب و كتبتهم[13] بما قال فرعون،

(١) من ظ، و فى الأصل: ليعبدنى (٢) من ظ، و فى الأصل: و قال (٣) من ظ، و فى الأصل: اعلق - كذا (٤) فى ظ: مسافة (٥) من ظ، و فى الأصل: يذبح (٦) فى ظ: يبطلان (٧) من ظ. و فى الأصل: لبنا (٨) من ظ، و فى الأصل: اللبن (٩) زيد بعده فى ظ: قبل (١٠) من ظ، و فى الأصل: لاينقصوهم. (١١ - ١١) من ظ، و فى الأصل: يقولون ينطلق و يذبح - كذا (١٢) فى ظ: فليشهد (١٣) من ظ، و فى الأصل. كهنتهم.

فتفرق الشعب فى جميع أرض مصر فى جمع[1] التبن، و جعل ولاتهم يلحون عليهم و يقولون: ارفعوا إلينا العمل كما كنتم ترفعون من قبل حيث كنتم تعطون التبن[2]، فزادت كتبة بنى إسرائيل و عوقبوا من الذين ولوهم عليهم و قالوا: لم[3] لم ترفعوا إلينا حساب اللبن كما كنتم ترفعون. فأتى كتبة بنى إسرائيل فشكوا إلى فرعون و قالوا: ما بال عبيدك يصنع بهم هذا الصنيع؟ فقال فرعون: أنتم قوم بطرون، تقولون: ننطلق لنذبح لربنا، فسار ـ أى الكتبة ـ فى بنى إسرائيل و قالوا لهم: لا تنقصوا من لبنكم شيئا، بل ارفعوا إلينا كما كنتم ترفعون كل يوم، فلقوا موسى و هارون و هما واقفان أمامهم ـ و فى نسخة السبعين: و هما يجيئان[4] نحوهم إذ خرجوا من بين يدى فرعون ـ فقالوا لهما[5]: الله يحكم بيننا و بينكما لأنكما حرضتما علينا فرعون و عبيده حتى ضيق علينا بأن يضع السلاح فينا فيقتلنا[6]، فرجع موسى إلى الرب و قال: يا رب! لم أسأت بشعبك و أضررت به؟ لأنى ساعة أن أتيت[7] فرعون فذكرت اسمك أساء بهذا الشعب و شق عليهم و أنت فلم تخلص[8] شعبك، فقال الرب لموسى: الآن[9] ترى ما أصنع بفرعون لأنه سيرسلهم ـ و فى نسخة السبعين: و[10] سوف ترى ما أصنع

(١) من ظ، و فى الأصل: جميع (٢) من ظ، و فى الأصل: اللبن (٣) من ظ، و فى الأصل: لو (٤) من ظ، و فى الأصل: تجيان ـ كذا (٥) من التوراة، و فى الأصل و ظ: لهم (٦) من ظ، و فى الأصل: فيقتلا (٧) من ظ، و فى الأصل: ثبت (٨) من ظ، و فى الأصل: فلم يحصل ـ كذا (٩) من التوراة، و فى الأصل و ظ: الا (١٠) سقط من ظ.

بفرعون و كيف يرسلهم بيد منيعة و بذراع عظيمة يخرجهم من أرض مصر! أنا الرب الذى اعتلنت[1] لإبراهيم و إسحاق و يعقوب و سميت بالٰه المواعيد و لم أعلمهم اسم الرب - و فى نسخة السبعين: و اسمى الرب فلم أظهره لهم - و أثبت عهدى أيضا و وعدتهم أن أعطيهم[2] أرض كنعان أرض غربتهم التى سكنوها؛ و قد سمعت ضجيج بنى إسرائيل من تعبد[3] أهل مصر، ٥ و أنجيكم من أعمالهم[4] و أخلصكم بيد منيعة و ذراع عالية و بأحكام عظيمة، و أختصكم لى شعبا و أكون لكم إلٰها، و تعرفون أنى أنا الرب إلٰهكم الذى أخرجكم[5] من تعبد المصريين و أقبل بكم إلى الأرض التى رفعت يدى لأعطيها آباءكم إبراهيم و إسحاق و يعقوب و أجعلها لكم ميراثا إلى الدهر، أنا الرب! فقال موسى لبنى إسرائيل هذه الأقاويل فلم يسمعوا من موسى ١٠ و لم يطيعوه من شدة حزنهم و استيقاد[6] نفوسهم من الكد الشديد، و كلم الرب [موسى و قال له: انطلق إلى فرعون ملك مصر و قل له فيرسل بنى إسرائيل -[7]] من أرض مصر، فقال موسى للرب: إن بنى إسرائيل لا يسمعونى و لا يطيعونى، و أنا أرتّ المنطق ثقيل اللسان فكيف يطيعنى فرعون و يسمع منى! فقال الرب / لموسى: انظر، إنى ١٥ / ٣٤٠ قد جعلتك[8] إلٰها لفرعون، و هارون أخوك يكون نبيا عليك، أنت تقضى

(١) من ظ، و فى الأصل: اغنيت - كذا (٢) من التوراة، و فى الأصل و ظ: اعطيتهم (٣) من ظ، و فى الأصل: بعيد (٤) فى ظ: اعمالكم (٥) فى ظ: اخرجتكم (٦) فى ظ: استشفاف - كذا (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، و فى الأصل: جعلت لك.

جميع ما آمرك به ، و هارون أخوك يقول لفرعون - و فى نسخة السبعين : و هارون أخوك يكون لك نبيا و أنت تتكلم بجميع ما آمرك[1] به و هارون أخوك يكلم فرعون - ليرسل بنى إسرائيل من أرضه و أنا أقسى قلب فرعون فأكثر آياتى و عجائبى بأرض مصر ، فلا يطيعكما فرعون و لا يسمع منكما فأمديدى على مصر و أخرج جميع جنودى و شعبى بنى إسرائيل من أرض مصر بالأحكام العظام ، فيعرف أهل مصر أنى أنا الرب ، فصنع موسى و هارون كما أمرهما الرب و انتهيا إلى أمره ، وكان قد أتى على موسى ثمانون سنة ، وكان هارون ابن ثلاث و ثمانين سنة إذ كلما فرعون ، فقال الرب لموسى و هارون : إن قال لكما فرعون : أظهرا[2] لى آية و جريحة[3]، قل لهارون : [خذ عصاك و ألقها بين يدى فرعون فتكون تنينا عظيما ، فأتى موسى و هارون - [4]] إلى فرعون فصنعا كما أمرهما الرب ، فألقى عصاه - و فى نسخة السبعين[5] : فألقى هارون عصاه - بين يدى فرعون و أمام أمرائه - و فى نسخة السبعين[5]: و عبيده - فصارت تنينا عظيما ، فدعا فرعون بالحكماء و السحرة[6] ، فصنع سحرة مصر أيضا بسحرهم[7] كذلك ، فألقى كل امرئ منهم عصاه فصارت تنينا ، فابتلعت عصا هارون عصيهم ، فقسا قلب فرعون و أبى أن يرسلهم كما قال الرب ، و قال الرب لموسى : إن قلب فرعون قد قسا و أبى أن يرسل الشعب ، انطلق إلى فرعون بالغداة ، هو ذا يخرج ليغتسل على شاطئ البحر ، و خذ العصا التى تحولت فى يدك ثعبانا

(١) فى ظ : امرتك (٢) من ظ ، و فى الأصل « ا » (٣) من ظ ، و فى الأصل : صريحة (٤) زيد من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : السحرا . (٧) من ظ ، و فى الأصل : سحرهم .

و قل

و قل : إن الرب إله العبرانيين أرسلنى إليك ، يقول لك : أرسل شعبى حتى يعبدنى فى البرية لأنك[1] حتى الآن لا تسمع و لا تطيع ، هكذا يقول الرب[2] : بهذا تعلم[3] أنى أنا الرب ، هأنذا أضرب ماء النهر بعصاى فيصير دما ، و تموت الحيتان التى فى النهر و ينتن - و فى نسخة السبعين : و لا يقدر أهل مصر أن يشربوا الماء من هذا النهر - و قال الرب لموسى : مر هارون ٥ أن يأخذ عصاه ، و ارفع يدك على ماء المصريين على أنهارهم و على غدراتهم[4] و على آجامهم و على دواليب مياههم - و فى نسخة السبعين : و قال الرب لموسى : قل لهارون : خذ عصاك و مد يدك على ماء مصر و على أنهارها و آجامها و نقارها و على كل مائها المستنقع - فيتحول دما ، فيصير الدم فى جميع أهل مصر فى الأرض و الخشب و الحجارة ، فصنع موسى ١٠ و هارون كما أمرهما الرب ، فرفع هارون العصا التى فى يده فضرب بها ماء النهر و فرعون و عبيده ينظرون[5] ، فتحول ماء النهر فصار دما ، و ماتت الحيتان التى بالنهر[6] ، ففسد ماء النهر و أنتن ، و لم يقدر أهل مصر على شرب الماء من الدم ، فصار الدم فى جميع أرض مصر و قسا قلب فرعون فلم يطعهما كالذى قال الرب ، فانصرف فرعون فدخل منزله و لم يفكر ١٥ فى شىء من ذلك و تهاون به ، و كملت[7] سبعة أيام من بعد ما ضرب الرب النهر ، و قال الرب لموسى : انطلق إلى فرعون و قل له : هكذا يقول

(١) من ظ ، و فى الأصل : لانه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : يعلم (٤) من ظ ، و فى الأصل : عدارتهم (٥) فى ظ : ينظران (٦) فى ظ : فى النهر (٧) من ظ ، و فى الأصل : كانت .

الرب: أرسل شعبي حتى يعبدوني[1]، فان أبيت أن ترسله فاني أضرب جميع
حدودك بالضفادع فتدب / الضفادع فتصعد فتدخل إلى بيتك و قيطونك[2] /٣٤١
و في مبيتك و على مضجعك و أسرتك و في بيوت عبيدك و شعبك و مخادعك
و بيوت طعامك ، و تدب الضفادع عليك و على جميع شعبك ، و قال
٥ الرب لموسى: قل لهارون أخيك أن مد يدك بعصاك على الأنهار و على
الدواليب و على الآجام فأصعد الضفادع على أرض مصر ، فرفع هارون
يده على مياه المصريين فأصعد الضفادع[3] فغشيت أرض مصر ، فدعا
فرعون موسى[3] و هارون [و - [4]] قال لهما : صليا بين يدى الرب فتنصرف[5]
الضفادع عنى و عن شعبي حتى أرسل الشعب فيذبحوا بين يدى الرب ،
١٠ فقال موسى لفرعون : سل وقتا أصلى عليك فيه و على عبيدك و شعبك
فتنصرف[5] الضفادع عنك و عن بيتك - و في نسخة السبعين: عنك و عن
قومك و عن بيوتك - فقال له : غدا ، فقال له موسى : سيكون كما[6] سألت
فتعلم أنه لا إله غير إلهنا ، فيصرف[7] الضفادع عنك و عن بيتك - و في نسخة
السبعين : بيوتك و عن عبيدك و عن شعبك ما خلا الضفادع التي في
١٥ النهر - فخرج موسى و هارون من بين يدى فرعون ، فصلى موسى بين يدى
الرب فاستجاب الرب لموسى ، فماتت الضفادع في الدور و البيوت و الرياض

(١) من ظ ، و في الأصل : يعبدني (٢) من ظ ، و في الأصل : مطونك - كذا ، و في اللسان: القيطون: المخدع (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و في الأصل : فينصرف (٦) من ظ ، و في الأصل : لما (٧) في ظ : فينصرف .

فجمعوها أنابير فأصلّت الأرض و أجنت - و فى نسخة السبعين : فجمعوها صيبا صيبا فأنتنت الأرض - فرأى فرعون الفرج و الراحة و جفا قلبه فلم يطعهما كالذى قال الرب ، فقال الرب لموسى[1] : مر هارون فيرفع[2] عصاه ليضرب ثرى الأرض فيكون القمل فى جميع[3] أرض مصر ، ففعل ذلك فدب القمل فى الناس و البهائم و صار جميع ثرى الأرض قملا فى ٥ جميع أرض مصر ، فصنع مثل ذلك السحرة بسحرهم فلم يقدروا أن يصرفوا القمل فى الناس و البهائم ، فقالت السحرة لفرعون : إن هذا فعل رب العالمين ، فقسا قلب فرعون و لم يطعهما كما قال الرب ، فقال الرب لموسى : أدلج باكرا و قف بين يدى فرعون ، و هو ذا يخرج يغتسل - و فى نسخة السبعين : فانه يخرج إلى الماء - فقل[4] [له -[5]] : هكذا يقول الرب : أرسل شعبى ١٠ فيعبدونى[6] ، فان أنت أبيت فهأنذا مرسل - و فى نسخة السبعين : فانى مرسل - عليك و على شعبك و على أهل بيتك هوام و حشرة من كل جنس [7]فتمتلئ - و فى نسخة : ذباب الكلب[7] فتمتلئ - بيوت المصريين من الهوام و الحشرة مثل ثرى الأرض التى هم عليها ، و أميز فى ذلك اليوم أرض جاسان[8] التى يسكنها شعبى ، [7]فلا يكون فيها من الهوام و الحشرة شىء ١٥ لتعلم أنى أنا الرب ، و أميز بين شعبى[7] و شعبك ، و تكون[9] هذه الآية غدا ،

(١) زيد بعده فى الأصل : عليه ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) فى ظ : ليرفع (٣) زيد بعده فى ظ : عمل (٤) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : فيعبدنى (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٨) من التوراة ، و فى الأصل : جعشان ، و فى ظ : جشان (٩) من ظ ، و فى الأصل : يكون .

و فعل الرب كذلك و أنزل الهوام على بيت - و فى نسخة : بيوت - فرعون و عبيده و على جميع أرض مصر ، ففسدت الأرض بالهوام ، فدعا فرعون موسى و هارون و قال لهما : انطلقوا فاذبحوا الذبائح لله ربكم فى هذه الأرض ، فقال موسى : لا يحسن بنا أن نفعل ذلك لأنا إنما نذبح للرب ٥ إلهنا من نجاسة المصريين و بدعهم ، فان نحن ذبحنا أمام آلهة المصريين رجمونا ، بل ننطلق مسيرة ثلاثة أيام فى القفر فنذبح هنالك[1] للرب إلهنا على ما يأمرنا و يقول لنا ، فقال فرعون : أنا أرسلكم فتذبحوا الذبائح للرب إلهكم فى البرية ، و لكن لا تنطلقوا فتتوانوا ، بل صلوا علىّ أيضا - و فى نسخة السبعين : و لكن لا تبعدوا و صلوا / علىّ أيضا إلى ربكم - فقال /٣٤٢ ١٠ موسى لفرعون : هأنذا أخرج من بين يديك فأصلى بين يدى الرب ، فيصرف الهوام و الحشرة عن فرعون و عن عبيده و [عن -[2]] شعبه غدا ، و لكن لا يعود فرعون أن يكذب[3] فى قوله و يأبى أن يرسل الشعب ليذبحوا الذبائح ، فخرج موسى من بين يدى[4] فرعون و صلى بين يدى الرب ، فقبل الرب صلاة موسى و صرف الهوام فلم يوجد منها و لا واحد ، فقسا ١٥ قلب فرعون[5] بعد هذا أيضا و لم يرسل الشعب ، فقال الرب لموسى : انطلق إلى فرعون و قل له : هكذا يقول الرب إله العبرانيين : أرسل شعبى حتى يعبدونى[6] ، فان أبيت أن ترسله - و فى نسخة السبعين[7] : و تمسكت به ، فان

(١) فى ظ : هناك (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : موسى (٦) من ظ ، و فى الأصل : يعبدنى (٧) زيد فى ظ : و تتمسك به حتى الآن فهذه يد الرب و فى نسخة السبعين .

يد الرب تضرب ماشيتك التى فى القفر من الخيول و الحمير و البقر و الغنم، فيقع فيها الوباء العظيم الصعب الشديد، و يميز[1] الرب بين دواب[2] بنى إسرائيل و بين بهائم أهل مصر، فلا يموت[3] من بهائم آل إسرائيل و لا واحد، و وقت الرب وقتا ليكمل فيه هذا القول على الأرض، فأكمل الرب هذا الأمر من غد ذلك اليوم، فماتت جميع بهائم المصريين و لم يمت ٥ من دواب بنى إسرائيل [4]و لا واحد، و أرسل فرعون فاذا أنه لم يمت من دواب بنى إسرائيل[4] و لا دابة، فقسا قلب فرعون [4]بعد هذا أيضا[4] فأبى أن يرسل الشعب، فقال[5] الرب لموسى و هارون: خذا فى حقيبتكما من رماد الأتون فيذره موسى إزاء السماء نحو فرعون، فيكون العجاج فى أرض مصر، فيضرب الناس و البهائم جميعا قروح ناتية رخوة فى أرض مصر ١٠ كلها، فأخذا[6] رماد الأخدود و وقفا بين يدى فرعون فذره موسى نحو السماء أمام فرعون[7] فظهرت قروح ناتية[8] رخوة، فاستعلت فى الناس و البهائم، فلم يقدر السحرة على الوقوف بين يدى موسى من كثرة القروح التى ظهرت فى السحرة و فى جميع أهل مصر، فقسى الرب قلب فرعون فلم يسمع لهما و لم يطعهما كالذى قال الرب لموسى، فقال الرب لموسى: ١٥ أدلج باكرا و قف بين يدى فرعون و قل له: هكذا يقول الرب إله العبرانيين:

(١) من ظ، و فى الأصل: تميز (٢) من ظ. و فى الأصل: ادراب (٣) من ظ، و فى الأصل: فلا تموت (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: و قال. (٦) من التوراة، و فى الأصل: فاخذ، و فى ظ: فاخذوا (٧) سقط من ظ. (٨) زيد بعده فى ظ: فى.

أرسل شعبي فيعبدوني[1] و إلا فأنا مرسل فى هذا الوقت ضربتى على قلبك[2]
و على عبيدك و على شعبك لتعلم أنه لا إله غيرى على الأرض كلها، لأنى
بجمع من الآن أن أمد يدى فأضربك و شعبك بالوباء و تبيد[3] عن جديد
الأرض، و إنما بغيتك بهذا الأمر لأظهر لك[4] عزى و قدرى و لينادى
٥ باسمى فى الأرض كلها، و أنت حتى الآن تتمسك بالشعب و تأبى أن
ترسله، و غدا فى هذا الوقت أهبط البرد العظيم الشديد ما لم يكن - و فى
نسخة السبعين: الذى لم يكن مثله - بمصر منذ اليوم الذى أسست فيه
قواعدها[5] إلى يوم الناس هذا، و الآن أرسل فأدخل جميع دوابك و كل
مالك فى الحقل لأن كل بهيمة أو إنسان يلقى فى الحقل و لا يدخل البيت
١٠ يهبط عليهم البرد فيموتون، و كل من خاف كلمة الله من عبيد فرعون نقل
عبيده و بهائمه إلى البيوت، و الذى لم[6] يفكر فى كلمة الله و تهاون بها
ترك دوابه و عبيده فى الحقل، و قال الرب لموسى: ارفع يدك إلى السماء
يهبط البرد على جميع أرض مصر على الناس و البهائم و جميع الحقول -
و فى نسخة السبعين: على الناس و الدواب و جميع نبات الصحراء - فرفع
١٥ موسى عصاه نحو السماء فأرجفهم الرب بالرعد و البرد[7]، و جعلت النار
تضطرم على الأرض، فأهبط الرب البرد و كان البرد يهبط و النار تضطرم
/ فى البرد، و كان شديدا عظيما، و لم يكن مثله فى جميع أرض مصر /٣٤٣
منذ اليوم الذى سكنها بنو البشر، فضرب البرد جميع أرض مصر لكل من

(١) من ظ، و فى الأصل: فيعبدنى (٢) فى ظ: بيتك (٣) فى ظ: تبيت (٤) فى ظ: بك (٥) فى ظ: قواعده (٦) سقط من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: البرق.

كان فى الحقل من الناس و البهائم ، و أهلك الرب جميع عشب[1] الحقل و حطم جميع أشجار الغياض. فأما أرض جاسان[2] التى كانت[3] آل إسرائيل يسكنونها فلم يهبط عليها البرد ، فأرسل فرعون فدعا موسى و هارون فقال لهما: قد خطئت فى هذه المرة[4] أيضا، و الرب بار و أنا و شعبى منافقون - و فى نسخة السبعين: إنى قد أخطأت و الرب بار و أنا و شعبى فجار - فصليا ٥ بين يدى الرب فانه ذو إمهال و أناة فيصرف عنا الرجفة و[5] الرعد و البرد[5] فأرسلكم فلا تعودوا أن تتأخروا - و فى نسخة السبعين: و أنا أرسلكم و لا أعود أن أوخركم - فقال موسى لفرعون: إذا ما خرجت من القرية أبسط يدى للرب فيصرف عنكم صوت الرعد و الرجفة، و لا يعود البرد يهبط[6] أيضا لكى تعلم[7] أن الأرض و ما عليها لله. و أنا أعلم أنك و عبيدك ١٠ إلى الآن لم ترهبوا الله و لم تخافوا[8] عقابه، و قد هلك الكتان و الشعير - و فى نسخة السبعين: و ضرب البرد الشعير و الكتان - لأن الشعير كان قد بدأ أن يسبل، و الكتان قد بدأ أن يبزر. فأما زرع الحنطة و الكشيب فلم يهلك لأنه كان متأخرا. فلما جاء موسى من القرية من بين يدى فرعون بسط - و فى نسخة السبعين: فأما زرع الحنطة و الذرة فانه لم يضرهما لأنهما ١٥ كانا لقسا، و خرج موسى من عند فرعون خارج المدينة فبسط - يديه بين يدى الله نحو السماء فصرف عنهم الرعد و البرد[9]، و انقطع المطر عن

(١) فى ظ: شعب (٢) من التوراة، وفى الأصل وظ: خشان (٣) فى ظ: كان. (٤) فى ظ: المراة (٥ - ٥) فى ظ: البرد و الرعد (٦) - سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: يعلم (٨) من ظ، وفى الأصل: لم يخافوا (٩) من ظ، و فى الأصل: البرق.

الأرض ، فرأى فرعون أن القطر و البرد و الرعد قد انقطع و سكن فعاد و خطأ و قسا قلب فرعون و عبيده - و فى نسخة السبعين : و قسا قلبه و قلب عبيده و جفا - و لم يرسل بنى إسرائيل كرسالة الرب - و فى نسخة السبعين : على ما تكلم به الرب على يد موسى - فقال الرب لموسى : انطلق
٥ إلى فرعون لأنى أنا الذى أقسى قلبه و قلوب عبيده ، فأظهر هذه الآيات لتجر بنيك و بنى بنيك بما صنعت بأهل[1] مصر من الآيات الكثيرة التى أظهرت ، فيعلموا أنى أنا الرب ، فأتى موسى و هارون إلى فرعون و قالا له : هكذا يقول الرب إله العبرانيين : [حتى -[2]] متى تأبى أن تخافنى و ترهبنى ! أرسل شعبى ليعبدونى[3] ، فان أبيت أن ترسل شعبى فهأنذا محدر[4]
١٠ على جميع تخومك الجراد - [و -[2]] فى نسخة السبعين : فانى أجلب عليك غدا هذا الوقت جرادا عظيما على جميع حدودك - فيغطى عين الأرض فلا يقدر إنسان على النظر إلى الأرض ، فمهما أبقى لكم البرد[5] أكله ، و يأكل جميع الشجر التى تنبت لكم فى الحقل ، و يمتلئ[6] منه بيوتك و بيوت عبيدك و بيوت جميع المصريين ما لم[7] ير مثله آباؤك و أجدادك من
١٥ اليوم الذى أسست الأرض إلى يوم الناس هذا ، و رجعا من بين يدى فرعون فقال لعبيده : حتى متى يكون[8] لنا هذه العثرة ! يرسل القوم فيعبدون - و فى نسخة السبعين : فقال عبيد[9] فرعون لفرعون : حتى متى يكون

(١) فى ظ : بارض (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ليعبدنى (٤) فى الأصل : تمحدوا ، و فى ظ : محدرا (٥) فى ظ : ما (٦) فى ظ : تمتلئ (٧) فى ظ : فلم. (٨) فى ظ : تكون (٩) من ظ ، و فى الأصل : عبيدك .

لنا

لنا[1] هذا البلاء ! أرسل[2] القوم فيعبدوا[3] - الرب إلههم أما تعلم - و فى نسخة السبعين : أو ما علمت - أن مصر قد خربت . فردوا موسى وهارون إلى فرعون فقال لهم : انطلقوا فاعبدوا بين يدى الرب إلهكم ، و لكن من منكم ينطلق ؟ فقال / له موسى : إنا ننطلق بشباننا و شيوخنا و بنينا[1] و بناتنا و بغنمنا و بقرنا ، لأنه عيد لنا للرب . فقال لهما : ليكن كما قلتما ، و الله يصحبكما إذا ما أرسلتكم وحشمكم ، لعله أن يعرض لكم فى الطريق آفة ، و لكن ليس هكذا ، انطلقوا الآن معاشر الرجال ! اعبدوا بين يدى الرب لأنكم إنما تطلبون بذلك الراحة ، فأخرجوهما من بين يدى فرعون ، فقال الرب لموسى : ارفع يدك على أرض مصر فيأتى الجراد فيصعد على أرض مصر فيأكل عشب الحقل و جميع ما نجا من البرد ، فرفع موسى عصاه على أرض مصر ، فأهب الرب على الأرض ريح السموم جميع ذلك اليوم - [4]و فى نسخة السبعين : و الرب جلب ريحا قبلية على الأرض نهار ذلك اليوم[4] - و تلك الليلة . فلما كان بالغداة احتملت ريح السموم الجراد ، فصعد الجراد - و فى نسخة السبعين : أخذت الريح القبلية الجراد و أصعدته - على جميع أرض مصر ، فسقط على جميع تخوم أرض المصريين ، و كان منيعا عظيما جدا . و لم يكن مثل ذلك الجراد فيما خلا و لا يكون مثله فيما بعده ، فغطى جميع عين الأرض فأظلمت الأرض ، و أكل جميع عشب الحقل و جميع الشجر التى نجت من البرد ، و لم يبق فى الشجر غصن و لا ورق و لا فى

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : اترسل (٣) فى ظ : فيعبدون (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

الحقل عشب فى جميع أرض مصر ، فاستعجل فرعون و دعا موسى و هارون و قال لهما : قد خطئت بين يدى الله إلهكما ، و الآن اعفوا عن ذنبى و جهلى هذه المرة ، و صليا بين يدى الرب إلهكم فيصرف عنى هذه الآفة و الموت ، فخرج موسى من بين يدى فرعون و صلى بين يدى الرب ، فعاد الرب بريح السموم عاصفا فاحتملت الجراد فقذفت[1] به فى بحر سوف - و فى نسخة السبعين : فغير الرب تلك الريح بريح من البحر [2]شديدة فأخذت الجراد[2] و ألقته فى البحر الأحمر - و لم يبق فى جميع تخوم المصريين شىء من الجراد ، فقسى الرب قلب فرعون فلم يرسل بنى إسرائيل ، فقال الرب لموسى : ارفع يدك إلى السماء فليكن الدجى و الحنادس على جميع أرض مصر فتذلهم[3] الظلمة ، فرفع موسى يده إلى السماء فكانت الظلمة و الدجى - و فى نسخة السبعين : فصارت ظلمة و زوبعة - على جميع أرض مصر ، و لم ير المرء منهم صاحبه ثلاثة أيام ، فأما جميع بنى إسرائيل فكان لهم الضياء و النور فى مساكنهم ، فدعا فرعون [موسى - ٤] فقال له : انطلقوا فاعبدوا بين يدى[5] الرب إلهكم ، فأما بقركم و غنمكم فدعوها ههنا ، و أما حاشيتكم فانطلقوا بها معكم ، فقال موسى لفرعون : و أنت أيضا تعطينا من الذبائح فنذبح لله ربنا ، و بهائمنا أيضا ننطلق[6] بها معنا ، و لا يبقى منها ههنا ظلف على الأرض لأنا إنما نأخذ من مالنا لنذبح بين يدى الرب إلهنا ، و لسنا نعلم بما ذا نعبد الله إذا بلغنا هناك ، فقسى الرب قلب فرعون و أبى أن يرسلهم ،

(١) فى ظ : فقذف (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٣) فى ظ : فتذللهم - (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : ينطلق ،

فقال فرعون لموسى: اخرج من بين يدىّ و احذر أن تتراءى لى أيضا لأن اليوم الذى تتراءى لى بين يدىّ تموت فيه، قال له موسى: ما أحسن قولك[1]! لست بعائد أن أرى وجهك، قال الرب لموسى: إنى أعود أيضا فانزل بفرعون و المصريين ضربة واحدة، و عند ذلك أرسلكم من ههنا، فاذا أرسلتكم فاخرجوا كلكم، و أمر الشعب و قال لهم: ليستعر ٥ المرء منكم من صاحبه و المرأة من جارتها حلى ذهب و فضة - و فى نسخة السبعين: / انية الفضة و انية الذهب - و الكسوة، و جعل الرب للشعب / ٣٤٥ فى قلوب المصريين محبة و رحمة، و موسى كانت له هيبة و كرامة عظيمة فى جميع أرض مصر - و فى نسخة السبعين: عند المصريين و عند فرعون و عند جميع عبيده - فقال موسى: هكذا يقول الرب: إنى خارج نصف ١٠ الليل فأجوز فى أرض مصر فأتوفى جميع أبكار مصر من بكر[2] فرعون الجالس على منبره إلى بكر الأمة[3] التى فى بيت الرحل، و تموت جميع أبكار البهائم فتسمع الولولة العظيمة و الصراخ و الأنين الفظيع ما لم يسمع مثله أيضا - و فى نسخة السبعين: و لا يعود أيضا أن يكون مثلها - فأما آل إسرائيل فلا يصاب منهم و لا الناس و لا البهائم و لا الكلب بلسانه - ١٥ و فى نسخة السبعين: و لا يعوى من جميع بنى إسرائيل كلب بلسانه - ليعلموا [4]أن الرب[4] ميز بين المصريين[5] و آل إسرائيل، فيهبط جميع عبيدك[6] هؤلاء فيسجدون لى و يقولون[7]: اخرج أنت و جميع الشعب معك، و عند

(١) من ظ، و فى الأصل: قوتك (٢) من ظ، و فى الأصل: تكبر (٣) من ظ، و فى الأصل: الآية (٤-٤) من ظ، و فى الأصل: قرب (٥) فى ظ: مصريين. (٦) من ظ، و فى الأصل: عبيدى (٧) من ظ، و فى الأصل: تقولون.

ذلك أخرج ، فخرج موسى من بين يدى فرعون [1]بغضب شديد ، فقال الرب لموسى : إن فرعون لا يطيعكما ، ذلك أنى مكثر آياتى و عجائبى بأرض مصر ، و إن موسى و هارون جرحا هذه الجرائح و أظهرا هذه الآيات كلها بين يدى فرعون[1] ، فقسى الرب - و فى نسخة السبعين : و أقسى الرب - قلب فرعون فلم يرسل بنى إسرائيل عن أرضه ، و قال الرب لموسى و هارون بأرض مصر : هذا الشهر - أى نيسان - يكون لكم رأس الشهور ، و يكون هذا أول شهور السنة ، قل لجميع جماعة بنى إسرائيل فى عشر من هذا الشهر فليأخذ[2] الرجل منهم حملا - و فى نسخة السبعين : خروفا - لبيته و حملا لآل أبيه ، و إن كان آل البيت قليلا لا يحتاجون إلى حمل فليشترك هو و جاره القريب إلى بيته على عدة الناس ، و عدوا كل امرئ منهم على قدر أكله من الحمل ، حملا بلا عيب فيه ذكرا بينا ، يكون الحمل حويلا من الخراف و الجدى و تأخذونه[3] ، و يكون محفوظا لكم حتى اليوم الرابع عشر من هذا الشهر ، و يذبحه كل جماعة من كنيسة بنى إسرائيل أصيلا ، و يأخذون[4] من دمه [و يضعونه على القائمين و العتبة من البيت الذى تأكلون فيه ، أى علامة -[5]] للملائكة الذين يؤمرون[6] بقتل أبكار المصريين ، و تأكلون اللحم فى هذه الليلة مشويا بفطير ، و لا تأكلوا منه نيئا[7] و لا مطبوخا بالماء ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : فياخذ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ياخذونه (٤) فى ظ : ياخون - كذا (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : يرمون (٧) النيئ و النىّ : اللحم الذى لم تمسه النار أو لم ينضج .

و لا

و لاتبقوا[1] منه شيئا لغد ، و لا تكسروا[2] منه عظما ، و ما فضل منه إلى غد فأحرقوه بالنار ، و كلوه و أنتم قيام و قد شددتم أوساطكم و نعالكم فى أرجلكم و عصيكم فى أيديكم و كلوه بعجلة ، فانه فصح للرب ، و أنا فانى أعبر فى أرض مصر فى هذه الليلة و أضرب كل بكر بأرض مصر من الناس و البهائم ، و أعمل نقمة من جميع آلهة[3] المصريين ، أنا الرب ! ٥ و يكون لكم[4] هذا اليوم ذكرا و تعيدونه عيدا للرب لدهوركم [إلى الأبد -[5]] و تعيدونه سبعة أيام ، و تأكلون فطيرا و تعزلون[6] الخمير من بيوتكم [7]من أول يوم[7] ، و كل من يأكل خميرا[8] فان تلك النفس [9]تبيد من إسرائيل من اليوم الأول إلى اليوم السابع ، و كل عمل يعمل فلا تعملوه فيها ، و احفظوا هذه الوصية ، فى هذا اليوم خرج عسكركم من مصر ، فاجعلوا ١٠ هذا اليوم لدهوركم سنة ، فاذا بدأ اليوم الرابع عشر[10] من الشهر الأول من العشى كلوا فطيرا إلى يوم إحد و عشرين من الشهر إلى العشاء ، و لايوجد خمير فى بيوتكم سبعة أيام ، و كل من يأكل مخمرا فان تلك النفس تبيد من جماعة [بنى -[5]] إسرائيل من الملة و الذمة و من سكان الأرض ، ما كان خميرا فلا تأكلوه و كلوا فطيرا[11] فى جميع مساكنكم ، فدعا موسى ١٥ جميع أشياخ / بنى إسرائيل و قال لهم : عجلوا فخذوا غنما لقبائلكم و اذبحوا الفصح / ٣٤٦

(١) من ظ ، و فى الأصل : لايبقوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يكسروا .
(٣) فى ظ : الهية (٤) سقط من ظ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : تغرمون - كذا (٧-٧) فى ظ : سبعة ايام (٨) فى ظ : مخمرا .
(٩) العبارة من هنا إلى « فان تلك النفس » ساقطة من ظ (١٠) فى الأصل و ظ : يوم الأربعة عشرة (١١) فى ظ : نطير .

و خذوا[1] حزمة من ريحان الأدبان[2] و اغمسوها بدم الحمل و رشوا على معاقم أبوابكم و معاضدها - و فى نسخة السبعين : على العتبة و كلا القائمين - من الدم الذى فى الإناء ، و لا يخرج أحد منكم من باب بيته إلى غدوة - و فى نسخة السبعين : إلى الصباح - فتحفظون هذه السنة و الوصية أنتم و بنوكم
٥ إلى الأبد ، و إذا[3] دخلتم الأرض التى يعطيكم الرب كما وعدكم فاحفظوا هذا العمل ، و إذا سأل بنوكم فقالوا لكم : ما هذا الفعل ؟ فقولوا لهم : هذه ذبيحة فصح الرب إذ أفصح على بيوت بنى إسرائيل بمصر [4]إذ قتل[4] المصريين و خلص بيوتنا ، فركع الشعب كله ساجدا لله و انطلق بنو إسرائيل فصنعوا كما أمر الله موسى و هارون ، و فى بيوت بنى إسرائيل فلما كان عند نصف
١٠ الليل قتل الرب أبكار أرض مصر - و فى نسخة السبعين : كل بكر بأرض مصر - من بكر فرعون الجالس على منبره - و فى نسخة السبعين : على [5]كرسيه - و حتى بكر السبى المحبوس فى السجن و جميع أبكار البهائم فوثب فرعون فى تلك الليلة هو و جميع عبيده و كل أرض مصر - و فى نسخة السبعين[5] : و جميع المصريين - و كانت ولولة عظيمة فى جميع أرض مصر
١٥ لأنه لم يوجد بيت[6] لم يكن فيه ميت ، فدعا فرعون بموسى و هارون فى تلك الليلة و قال لهما : انهضا فاخرجا من بين شعبى أنتما و بنو إسرائيل أيضا و انطلقوا فاعبدوا بين يدى الرب كقولكما ، و سوقوا غنمكم

(١) من ظ ، و فى الأصل : جدا - كذا (٢) كذا ، و لعله : الأربيان ، و فى التوراة : زوفا (٣) فى ظ : ان (٤ - ٤) من ظ ، و فى الأصل : اوقيل - كذا .
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : يثبت .

و بقركم أيضا كما قلتما ، و انطلقوا و صلوا علىّ أيضا و ادعوا لى ، فألح المصريون على الشعب ليخرجوهم عن الأرض مسرعين لأنهم قالوا : إنا جميعا سنموت ، فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر ، و البارد من فطيرهم مشدودا فى عمائمهم ملقى على أعناقهم ، و صنع بنو إسرائيل كما أمرهم موسى ، و استعاروا من المصريين حلى ذهب و فضة و كسوة - و فى نسخة السبعين : آنية الفضة و الذهب و الكسوة - و جعل الرب للشعب فى أعين المصريين محبة و رحمة فأعاروهم ، فخربوا المصريين ، و ظعن بنو إسرائيل من رعمسيس - و على حاشية نسخة السبعين أنها عين شمس - يطلبون ساخوت ستمائة ألف رجل سوى الحشم و العيال ، و صعد[1] معهم من الغرباء أيضا من كل خلط و من البقر و الغنم و الماشية كثير جدا ، فاختبزوا العجين الذى[2] أخرجوه معهم من مصر رغفا - و فى نسخة السبعين : فرانىّ - فطيرا لم يختبزوه - و فى نسخة السبعين : لم يختمر - و ذلك لأن المصريين أخرجوهم فلم يقدروا أن يلبثوا ، و لم يتزودوا زادا للطريق أيضا ، و كان مسكن بنى إسرائيل فى أرض مصر أربعمائة و ثلاثين سنة ، فى هذا اليوم خرج جميع جنود الرب من أرض مصر - و فى نسخة السبعين : ليلا - كان الرب وقت فى سابق علمه حفظ تلك الليلة التى خرجوا فيها من مصر ، و كانت هذه[3] الليلة محفوظة معروفة لدى الرب لهلاك أبكار مصر و لإخراج جميع بنى إسرائيل ليكون ذكر ذلك فى جميع أحقابهم و خلوفهم ، و قال الرب لموسى و هارون : هذه

(١) من ظ ، و فى الأصل : اصعد (٢) من ظ ، و فى الأصل : الذين (٣) فى ظ : تلك .

سنة الفصح، [1]لا يأكل منه غريب، وكل عبد لرجل إشتراه إذا ختنه عند ذلك فأطعمه الفصح[1]، والأجير والساكن فلا يأكل منه، فى بيت واحد [1]فليؤكل - وفى نسخة السبعين: وكل عبد لرجل اشتراه[1] [2]فليختتن ثم يأكل منه، الملجئ والأجير [لا يأكلان منه -[2]]، وليؤكل فى بيت
٣٤٧/ ٥ واحد - ولا تخرجوا[4] من اللحم خارجا / من البيت شيئا ولا تكسروا[5] فيه عظما، وإذا سكن معكم غريب فختن كل ذكر فى بيته عند ذلك فليقترب - وفى نسخة السبعين: وليختتن منهم كل ذكر ثم يدنون - من بعد ذلك إلى أكل[6] الفصح، وليكن عند ذلك بمنزلة أهل الأرض، ولا يأكل منه أغرل، ولتكن[7] سنة واحدة لأهل الأرض والغرباء الذين يسكنون معكم،
١٠ وصنع جميع بنى إسرائيل كما أمر موسى وهارون، وفى هذا اليوم أخرج الرب بنى[8] إسرائيل من أرض مصر وجميع جنودهم[9]، وقال الرب لموسى: طهر لى كل ذكر ويفتح كل رحم من بنى إسرائيل من الناس والبهائم يكونون لى، فقال موسى للشعب: اذكروا هذا اليوم الذى خرجتم فيه من مصر من العبودية والرق[10]، لأن الرب أخرجكم من ههنا بيد منيعة - إلى آخر
١٥ ما مضى فى سورة البقرة؛ ثم ذكر فى الخامس علة الفصح فقال: احفظوا شهر البهار اعملوا فصحا لله ربكم لأنه إنما أخرجكم من أرض مصر فى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « بيت واحد » ساقطة من ظ (٣) زيد من التوراة (٤) من ظ، وفى الأصل: لا يخرجوا (٥) من ظ، وفى الأصل: لا انكسروا (٦) من ظ، وفى الأصل: كل (٧) من ظ، وفى الأصل: ليكن (٨) من ظ، وفى الأصل: لبنى (٩) من ظ، وفى الأصل: جنوده (١٠) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ فحذفناها.

شهر[1] البهار ليلا[2]، فاذبحوا فصحا لله ربكم من البقر و الغنم فى الموضع الذى يختار الله ربكم، فلا تأكلوا فيه خميرا بل كلوا فطيرا سبعة أيام خبزا يدل على التواضع لأنه إنما خرجتم من أرض مصر بعجلة لتذكروا اليوم الذى أخرجتم فيه من مصر كل أيام حياتكم. و لا يرى[3] الخمير فى حدودكم سبعة أيام، ولا يحل لكم أن تأكلوا الفصح[4] فى قرية من القرى التى[5] يعطيكم الله ربكم، و لكن فى الموضع الذى يختار الله ربكم أن يصير فيه اسمه ففيه اذبحوا الفصح، و يذبح عند غروب الشمس فى الوقت الذى خرجتم من أرض مصر، ثم قال: و أحصوا سبعة سوابيع من بعد عيد الفصح، ثم اعملوا[6] عيد السوابيع و ائتوا بخواص غلاتكم للرب، كما بارك لكم الله ربكم فى الموضع الذى يختار الرب أن تصيروا اسمه فيه و اذكروا أنكم كنتم عبيدا بأرض مصر، فاحفظوا هذه السنن كلها[7] و اعملوا بها، و اعملوا[7] عيد المظال سبعة أيام إذا ما دخلتم[8] بيادركم و خزنتم معاصركم ليبارك الله ربكم فى جميع غلاتكم و فى كل عمل أيديكم، و تكونوا[9] فرحين، و يروى[10] ذكركم أمام الله ربكم فى الموضع الذى يختار ثلاث مرات فى السنة: عيد الفطير و عيد السوابيع و عيد المظال - انتهى. و فيه مما لايجوز إطلاقه [فى شرعنا إضافة -[11]] الابن فى قوله:

(١) فى ظ: الارض (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: لاترى.
(٤) من ظ، و فى الأصل: الفصحة (٥) فى ظ: الذى (٦) فى ظ: اعلموا.
(٧-٧) فى ظ: اعلموا بها و اعلموا - كذا (٨) من ظ، و فى الأصل: ادخلتم.
(٩) من ظ، وفى الأصل: يكونوا (١٠) من ظ، و فى الأصل: نرى (١١) زيد من ظ.

ابنى بكرى ، و هو مأول بأنه يكرمه إكرام الولد ، و إطلاق الإله على غير الله سبحانه مراد[1] به الحاكم ، و لا يجوز هذا الإطلاق[2] عندنا .

و لما انقضى ما أراهم سبحانه من الأفعال الهائلة التى استخلصهم بها من ذلك الجبار ، شرع يذكر ما قابلوه[3] [به - [4]] من الجهل به سبحانه و ما قابلهم به من الحلم ، ثم ما أحل بهم بعد طول المهلة من ضرب الذلة و المسخ بصورة القردة ، فقال عاطفا على قوله " فاغرقنهم فى اليم " أو قوله " ثم بعثنا من بعدهم موسى " : ﴿ و جوزنا ﴾ أى قطعنا بما لنا من [العظمة - [4]] ، و ساقه على طريق المفاعلة تعظيما له ، روى أن جوازهم كان يوم[5] عاشوراء ، و أن موسى عليه السلام صامه شكرا لله تعالى على إنجائهم و إهلاك عدوهم ﴿ ببنى اسرآءيل ﴾ بعد الآيات التى شاهدوها[6] ﴿ البحر ﴾ و إنما جعلته معطوفا على أول القصة[7] لأن هذه القصص[8] كلها بيان لأن فى الناس السيئ الجوهر الذى لا يغنيه الآيات كما مضى عند قوله " و البلد الطيب " و بيان لقوله " اخذنا أهلها بالباساء و الضراء " - إلى آخرها ، و يدل على ذلك - مع ما ابتدئت به القصص[8] - ختمها بقوله " ذلك مثل القوم الذين كذبوا بايتنا " و قوله " و لقد ذرانا لجهنم " و حسن موقعها بعد قوله " و تمت كلمت ربك الحسنى "

(١) فى ظ : مرادا (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : قبلوه (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : بعد (٦) من ظ ، و فى الأصل : شاهدناها (٧) زيد بعده فى ظ : لأن هذه القصة (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

لأنـــه لما قيل "بما صبروا" تشوفت النفس إلى فعلهم حال الرخاء هل شكروا؟ فبين أن كثيرا منهم كفروا / تصديقا لقوله "و ما وجدنا لاكثرهم من عهد" و ما شاكله، و ما أحسن تعقيب ذلك - بقوله: ﴿ فاتوا ﴾ أى مروا - بفاء التعقيب ﴿ على قوم ﴾ أى ذوى قوة، قيل: كانوا من لخم ﴿ يعكفون ﴾ أى يدورون و يتحلقون ملازمين مواظبين[1] ﴿على اصنام لهم﴾ أى لا قوة فيها و لا نفع، فهم فى عكوفهم عليها مثل فى الغباوة، و قيل: إنها كانت تماثيل بقر، و كان ذلك أول أمر العجل.

و لما أخبر سبحانه بذلك، علم السامع أنهم بين أمرين[2]: إما شكر و إما كفر، فتشوف إلى ما كان منهم، فأجاب سبحانه سؤاله[3] بقوله: ﴿ قالوا ﴾ أى لم يلبث ذكرهم لما أراهم سبحانـــه من عظمته و شكرهم لما أفاض عليهم من نعمته إلا ريثما أمنوا من عدوهم بمجاوزتهم البحر و إغراقهم[4] فيه حتى طلبوا إلها غيره بقولهم[5]: ﴿ يموسى ﴾ سموه كما ترى باسمه جفاء و غلظة اعتمادا على ما عمهم من بره و حلمه غير متأدبين بما بهرهم[6] من جلالة حظه من الله و قسمه ﴿ اجعل لنآ الها ﴾ أى شيئا نراه و نطوف به تقيدا بالوهم ﴿ كما لهم الهة[4] ﴾ و هذا منهم قول من لا يعد الإله - الذى فعل معهم هذه الأفاعيل - شيئا، و لا يستحضره بوجه.

(١) من ظ، و فى الأصل: مرابطين (٢) فى ظ: امرهم (٣) من ظ، و فى الأصل: سوله (٤) من ظ، و فى الأصل: اغراقه (٥) من ظ، و فى الأصل: بقوله (٦) من ظ، و فى الأصل: يهديهم.

و لما كان هذا منهم عظيما، استأنف جواب من تشوف إلى قول موسى عليه السلام لهم ما هو بقوله: ﴿قال انكم قوم﴾ أى ذوو[1] قيام فى شهوات النفوس، و قال: ﴿تجهلون﴾ مضارعا إشعارا بأن ذلك منهم [2]كالطبع و الغريزة، لا ينتقلون عنه[2] فى ماض و لا مستقبل، و اعلم أنه لا تكرير فى هذه القصص فان كل سياق منها لأمر لم يسبق [مثله [3]]، فالمقصود من قصة موسى عليه السلام و فرعون - عليه اللعنة و الملام - هذا الاستدلال الوجودى على قوله "و ان وجدنا اكثرهم لفسقين" و من هنا تعلم أن سياق قصة بنى إسرائيل بعد الخلاص من عدوهم لبيان إسراعهم فى الكفر و نقضهم للعهود، و استمر سبحانه فى هذا[4] الاستدلال إلى آخر السورة، و ما أنسب "و اذ[4] اخذ ربك من بنى ادم" - الآية، لقوله "و ما وجدنا لاكثرهم من عهد"! و ذكر فى أول التى تليها[6] تنازعهم فى الأنفال تحذيرا لهم من أن يكونوا من الأكثر المذمومين فى هذه، هذا بخلاف المقصود من سياق قصص بنى إسرائيل فى البقرة فانه هناك للاستجلاب[7] للايمان بالتذكير بالنعم، لأن ذلك فى سياق خطابه سبحانه لجميع الناس بقوله: "اعبدوا ربكم الذى خلقكم[8]"، "كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم[9]" و ما شاكله من الاستعطاف بتعداد النعم و دفع النقم - و الله أعلم.

(١) من ظ، وفى الأصل: ذو (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: هذه (٥) فى ظ: اذا (٦) من ظ، وفى الأصل: يليها (٧) فى ظ: الاستجلاب (٨) آية ٢١ (٩) آية ٢٨.

و لما

و لما استفيد من كلامه لهم غاية الإنكار عليهم، علل هذا الإنكار بقوله: ﴿ان هٰؤلآء﴾ أى القوم ﴿متبر ما هم فيه﴾ أى مكسر مفتت مهلك على وجه المبالغة، و إذا فسد الظرف فسد المظروف، و إليه الإشارة بجعل "هؤلاء" اسما لإن، و إيلائه خبر الجملة الواقعة خبرا مقدما على مبتدإه.

و لما كان الشيء قد يهلك فى الدنيا [أو فى الآخرة -[1]] و هو حق، أعلمهم بأن هذا الهلاك[2] إنما هو [الهلاك -[1]] عند الله أعم من كونه فى الدنيا أو فى الآخرة لبطلان ما هم فيه، فقال معبرا بالاسمية إشارة إلى أنه الآن كذلك و إن رئى بخلافه: ﴿ و بٰطل ﴾ أى مضمحل زائل ﴿ما كانوا﴾ أى جبلة وطبعا ﴿يعملون[3]﴾ أى مواظبين عليه من الأصنام و العكوف و جميع أعمالهم لأجله[4]، لا وزن لشيء منها أصلا و لا اعتبار، [و -[1]] فيه إشارة إلى أن العبادة لا تنبغى[5] إلا للباقى الذى لا يجوز عليه التغير، فاذا كان كذلك[6] كان / العمل له أيضا ثابتا باقيا لا يجوز عليه البطلان، و فى تعقيبها لتدمير آل فرعون إشارة إلى موجب ذلك، و أن كل من كان على مثل حالهم من عبادة غير الله كانت عاقبته الدمار. ٣٤٩/

و لما كان [هذا -[1]] استدلالا على أن مثل هذه الأصنام التى مروا عليها لا تصلح لأن تعبد، كان ذلك غير كاف لهم [لما -[1]] تقرر من جهلهم، فربما ظنوا أن غيرها مما سوى الله تجوز[7] عبادته، فكأنه قيل: هذا لا يكفى جوابا لمثل هؤلاء فهل قال لهم غير ذلك؟ فقيل: نعم! ﴿قال﴾ منكرا معجبا

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: الاهلاك (٣) فى ظ: يعلمون (٤) فى ظ الاجلة - كذا (٥) من ظ، و فى الأصل: لا ينبغى (٦) من ظ، و فى الأصل: ذلك. (٧) من ظ، و فى الأصل: يجوز.

﴿ا غير الله﴾ أى الذى له جميع العظمة، فهو المستحق للعبادة ﴿ابغيكم﴾ أى أطلب لكم ﴿الـها﴾ فأنكر أن يتأله غيره، و حصر الأمر فيه ثم بينه[1] بقوله: ﴿و هو﴾ أى و الحال أنه هو وحده ﴿ فضلكم ﴾ دون غيركم ممن هو فى زمانكم أو قبله ﴿ على العٰلمين ٥ ﴾ أى[2] لو لم يكن لوجوب اختصاصهم له بالعبادة سبب سوى اختصاصه لهم بالتفصيل على سائر عباده الذين بلغهم علمهم ممن هو أقوى منهم حالا و أكثر عددا و أموالا لكان كافيا[3].

و لما أثبت أن الإلـهية لا تـصلح لغيره، و أن غيره لم يـكن يقدر على تفضيلهم، و كان المقام للعظمة، و كان كأنه قيل إيذانا بغلظ أكبادهم و قله فطنتهم [4]و سوء مقابلتهم[4] للنعم: اذكروا ذلك، أى تفضيله لـكم باصطفاء آبائكم إبراهيم و إسحاق و يعقوب و ما تقدم له عندهم و عند أولادهم من النعم لا سيما يوسف عليه السلام الذى حكمه فى جميع الأرض التى استذلكم[5] أهلها؛ عطف عليه إشارة إليه قوله التفاتا إلى مظهر العظمة تذكيرا بعظمة مدخوله: ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكروا[6] إذ ﴿ انجيٰكم ﴾ أى على ما نحن عليه من العظمة التى أنتم لها عارفون[7]، و لها [فى -[8]] كل وقت فى تلك الآيات مشاهدون[9] ﴿ من ءال فرعون ﴾ و ما أفضنا عليكم بعد الإنجاء من النعم الجسام و أريناكم من الآيات العظام تعرفوا أنا فضلناكم

(١) من ظ : وفى الأصل : بين (٢) من ظ ، وفى الأصل : انه (٣) فى ظ : وافيا.
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : استذلهم (٦) فى ظ : اذكرا.
(٧) من ظ ، وفى الأصل : عاكفون (٨) زيد من ظ (٩) فى الأصل : يشاهدون، وفى ظ : تشاهدون.

على جميع الأنام ؛ ثم استأنف بيان ما أنجاهم[1] منه بقوله : ﴿ يسومونكم ﴾ أى ينزلون بكم دائما ﴿ سوء العذاب ج ﴾[1] .

[2]و لما كان السياق - كما مضى - لبيان إسراعهم فى الكفر و شدة عاوتهم فى قسوتهم و جلافتهم ، و كان مقصود السورة إنذار المعرضين و تحذيرهم من القوارع التى أحلها بالماضين ؛ بين سوء العذاب عادلا فى بيانه عن التذبيح - لأنه لا يكون عند الانذباح ، و هو فى الأصل لمطلق الشق - إلى التعبير بالقتل لأنه أدل على الإماتة و أهز ، لأنه قد يكون على هيئة شديدة بشعة كالتقطيع و النخس و الخبط و غير ذلك مع أنه لا بد فيه من تفويت ذلك فقال[2] : ﴿ يقتلون ﴾ [أى تقتيلا كثيرا -[3]] ﴿ ابناءكم ﴾ و دل على حقيقة القتل بقوله : ﴿ و يستحيون ﴾ .

و لما كان المعنى أنهم لا يعرضون للاناث صغارا و لا كبارا ، [و كان إنكار ما يكون إبقاء النساء بلا رجال لما يخشى من الضياع و العار ، و كان مظنة العار أكبر -[3]] ، عبر عنهن بقوله : ﴿ نساءكم[4] ﴾ و تنبيها على أن قتل الأبناء إنما هو للخوف من صيرورتهم رجالا لئلا يسلبهم واحد منهم أعلمهم به كهانهم ملكهم ؛ و أشار إلى شدة ذلك بقوله : ﴿ و فى ذلكم ﴾ أى الأمر الصعب المهول ﴿ بلاء ﴾ أى اختبار لكم و لهم ﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم فى حالى الشدة و الرخاء ، فانه أخفى عنهم[4] الذى قصدوا القتل لأجله ، و أنقذكم به بعد أن رباه عند الذى[5] هو مجتهد فى ذبحه ﴿ عظيم ع ﴾ .

---

(١) فى ظ : انجاكم (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : ثم فسر بقوله (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ : عنكم (٥) فى ظ : الله .

و لما ذكرهم بنعمة إنجاء الأبدان، أتبعها التذكير بأكبر منها إذ[1] كانت لحفظ الأديان و صيانة جوهرة الإيمان بما نصب[2] لهم من الشرع في التوراة، فقال معجبا من حالهم إذ كان في الإنعام عليهم بنصب الشرع الهادي لهم من الضلال و اختصاص نبيهم بمزيد القرب بالمناجاة، و هم ٥ في اتخاذ إله سواه، لانفع فيه أصلا، و لا يرضى قلب أو عقل أن يعبده، عاطفا له على ما سبق تعجيبه به منهم في قوله "و جوزنا ببني اسرائيل": ﴿و وعدنا﴾ أي على ما لنا من باهر[3] العظمة ﴿موسى ثلثين﴾ أي مناجاة ثلاثين ﴿ليلة﴾ أي عقبها ﴿و اتممنها﴾ أي المواعدة ﴿بعشر﴾ / أي ليال، و ذلك لأنه[3] لما مضت ثلاثون ليلة، و هو شهر[4] /٣٥٠ ١٠ ذي القعدة فيما قيل، و كان موسى عليه السلام قد صامها ليلها[5] و نهارها، أدرك من فمه خلوفا فاستاك[3]، فأعلمه الله أنه قد أفسد ريح فمه، و أمره بصيام عشرة أيام أخرى [و-[6]] هي عشر ذي الحجة ليرجع ما أزاله من ذلك، و ذلك لأن[7] موسى عليه السلام كان[3] وعد بني إسرائيل - و هو بمصر - أنه إذا أهلك سبحانه عدوهم، أتاهم بكتاب من عنده فيه ١٥ بيان ما يأتون و ما يذرون، فلما أهلك الله عدوهم سأل موسى عليه السلام الكتاب، فأمره بصوم ثلاثين يوما ثم أمره بالعشر.

و لما كان من الممكن أن يكون الثلاثون هي النهاية، و تكون مفصلة إلى عشرين ثم عشر، أزال هذا الاحتمال - بقوله[8]: ﴿فتم ميقات ربه﴾

(١) من ظ، و في الأصل: اذا (٢) سقط من ظ (٣) في ظ: انه (٤) في ظ: عشر (٥) في ظ: ليلتها (٦) زيد من ظ (٧) في ظ: ان (٨) من ظ، و في الأصل: بقولكم.

أي الذى قدره فى الأزل لأن يناجيه بعده - بالفاء ﴿اربعين﴾ و لما كانت[1] العشر غير صريحة فى الليالى، قال: ﴿ليلة﴾ فانتفى أن تكون[2] ساعات مثلا، و عبر بالميقات لأنه ما قدر فيه عمل من الأعمال، و أما الوقت فزمان الشيء سواء كان مقدرا أم لا، و عبر بالرب إشارة إلى اللطف به و العطف عليه و الرحمة له، و الميقات هو الأربعون - قاله الفارسى فى الحجة، و قدر انتصاب أربعين بـ «معدودا هذا العدد» كما تقول[3]: تم القوم عشرين، أى معدودين هذا العدد، و أجمل سبحانه الأربعين فى البقرة لأن المراد بذلك السياق تذكيرهم[4] بالنعم الجسام و المتّ إليهم بالإحسان و الإكرام، ليكون ذلك أدعى إلى رجوعهم[5] إلى الإيمان و أمكن فى نزوعهم عن الكفران بدليل[6] ما سبق قصتهم من قوله "يٰأيها الناس اعبدوا ربكم[7]"، "كيف تكفرون بالله[8]" و ما اكتنفها أولا و آخرا من قوله "يٰبنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم[9]" - الآيتين المبدوء بها و المختوم بها، و فصل هنا الأربعين إلى ثلاثين و عشر، لأن المراد بهذا السياق - كما تقدم - بيان كفرهم و مرودهم على خزيهم و مكرهم و أنه لم ينفعهم سؤال المعجزات، و لا أغنى عنهم شيئا تواتر النعم و الآيات، كما كان ذلك فى قصص الأمم الخالية و القرون الماضية ممن ذكر فى هذه السورة استدلالا - كما تقدم - على أن المفسد أكثر

(١) فى ظ: كان (٢) من ظ، و فى الأصل: يكون (٣) من ظ، و فى الأصل: يقول (٤) من ظ، و فى الأصل: و تذكرهم (٥) من ظ، و فى الأصل: وجوههم. (٦) فى ظ: بذلك (٧) آية ٢١ (٨) آية ٢٨ (٩) آية ٤٠.

من المصلح - إلى غير ذلك مما[1] أجمل فى قوله تعالى "و ما ارسلنا فى قرية من نبى الا اخذنا اهلها" - إلى آخره، و تسلية لهذا النبى الكريم و ترهيبا لقومه لما وقع لهم من العقاب الأليم، و الفصل بين السياقين يدق إلا عن أولى البصائر - و الله أعلم. فيكون[2] المراد بتفصيل الأربعين هنا بيان أن
٥ إبطاء موسى عليه السلام عما[3] علموه من الميعاد إنما كان لعشرة أيام، فارتكبوا فيها هذه الجريمة التى هى أعظم الجرائم، و أشار تعالى إلى عظيم جرأتهم[4] و عراقتهم فى السفه[4] بقوله عاطفا على "وعدنا -[5]": ﴿و قال موسى﴾ أى لما واعدناه ﴿لاخيه﴾ ثم بينه تصريحا باسمه فقال: ﴿هرون اخلفنى﴾ أى كن خليفتى فيهم تفعل ما كنت أفعل، و أكد الارتسام بما يجده له
١٠ بقوله: ﴿فى قومى﴾ و أشار إلى حثه على الاجتهاد بقوله: ﴿و اصلح﴾ أى كن على ما أنت عليه من إيقاع الإصلاح.

و لما كان عالما بأنه[6] صلى الله عليه و سلم مبرأ من السوء غير أن عنده لينا، قال: ﴿و لا تتبع﴾ أى تكلف نفسك غير ما طبعت عليه بأن تتبع ﴿سبيل المفسدين ٥﴾ أى استصلاحا لهم و خوفا من تنفيرهم، فاختلفوا
٣٥١/ ١٥ عن الطريق كما تفرس فيهم موسى عليه السلام و لم يذكروا عاقبة / فلا هم خافوا بطش من بطش بمن كان يسومهم[7] سوء العذاب، و لا هم سمعوا لأخيه فى الصلاح، و لا هم انتظروه عشرة أيام، فلا أخف منهم أحلاما و لا أشد على المعاصى إقداما.

---

(١) فى ظ: بما (٢) زيد بعده فى ظ: ان (٣) فى ظ: مما (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: وعدنا (٦) من ظ. و فى الأصل: بان (٧) فى ظ: يسومونهم.

و لما ذكر سبحانه مواعدته و احتياطه فى إصلاح قومه ، شرح أمره حال المواعدة و حالهم بعد غيبته عنهم فقال : ﴿ و لما جآء موسى لميقاتنا ﴾ أى[1] عند أول الوقت الذى قدرناه للمناجاة ؛ [2]و لما كان مقام الجلال مهولا لايستطاع وعى الكلام معه ، التفت إلى مقام الإكرام فقال[2] : ﴿ وكلمه ﴾ أى[1] من غير واسطة ﴿ ربه[1] ﴾ أى المحسن إليه بأنواع الإحسان المتفضل على قومه بأنواع الامتنان . و الذى سمعه موسى عليه السلام عند أهل السنة من الأشاعرة[3] هو الصفة الأزلية من غير صوت و لاحرف ، و لابعد فى ذلك كما لا بعد فى رؤية ذاته سبحانه و هى ليست بجسم و [4]لاعرض لا جوهر[4] ، و ليس كمثله شىء ، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سبحانه كلمه فى جميع الميقات وكتب له الألواح ، و قيل : إنما كلمه فى أول الأربعين ، و الأول أولى .

و لما كلمه بصفة الربوبية الناظرة إلى العطف و اللطف ، وكانت الرؤية جائزة ، اشتاق إلى الرؤية شوقا لم يتمالك معه لما استحلاه من لذاذة[5] الخطاب فسألها لعلمه أنها جائزة ﴿ قال ﴾ [مسقطا الأداة كعادة أهل القرب -[6]] ﴿ رب ارنى ﴾ أى ذاتك الأقدس[7] بأن ترفع عنى الحجاب فتجعلنى متمكنا من النظر ، و هو معنى قول الحبر ابن عباس : أعطنى ، [و حقق أنها رؤية العين بقوله فى جواب الأمر -[6]] ﴿ انظر ﴾ [أى أصوب تحديق العين -[5]] و أشار إلى عظمته سبحانه و علو شأنه

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : الآيات .
(٤-٤) فى ظ : لا جوهر ولا عرض (٥) فى ظ : لذات (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٧) فى ظ : المقدس .

[علو العظمة لا المسافة -[1]] بالتعدية بحرف النهاية [بعد أن أشار بحذف أداة النداء إلى غايـة القرب بالإحسـان -] فقال[2]: ﴿ اليك ط ﴾ أى فأراك .

و لما كان سبحانه قد قضى أنه عليه السلام لا يراه فى الدنيا ﴿قال﴾ نافيا المقصود ، و هو الرؤية لامقدمتها ، و هو النظر الذى هو التحديق بالعين ﴿ لن ترٰنى ﴾ و دل سبحانه بهذه العبارة على جواز رؤيته حيث لم يقل : لن أرى ، أو لن يرانى أحد ؛ ثم زاد ذلك بيانا بتعليقه بممكن فقال : ﴿و لكن انظر الى الجبل﴾ إشارة إلى جبل بعهده ، و هو أعظم جبل هناك ، [و زاد فى الإشارة إلى إمكان الرؤية بالتعبير بأداة الشك و اتباعها بأمر ممكن فقال -[1]] : ﴿ فان استقر مكانه ﴾ أى وجد قراره وجودا تاما ، و أشار إلى بعد الرؤية أيضا و جلالة المطلوب منها بقوله : ﴿فسوف ترٰنى ج﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿فلما تجلى ربه﴾ أى المحسن إليه[2] بكل عطاء و منع ، [و بين بتعبيره باللام أنه تجلى قربه و خصوصيته ، و لو عبر بعلى مثلا لكان أمر آخر فقال -[1]] : ﴿للجبل ﴾ أى بأن كشف للجبل عما شاء من حجب عظمته ﴿ جعله دكا ﴾ أى مدكوكا ، و الدك و الدق أخوان ﴿و خر﴾ أى وقع ﴿موسى صعقا ج﴾ أى مغشيا عليه مع صوت هائل ، فعلم أن معنى الاستدراك أنك لن تثبت لرؤيتى فى هذه الدار و لا تعرف[4] ذلك الآن ، و لكنك تعرفه بمثال أريكه و هو الجبل ، [فان الفانى - كما نقل عن الإمام مالك - لا ينبغى له أن يرى

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يعرف .

الباقى -[1]] ﴿فلمآ افاق﴾ أى من غشيته ﴿قال سبحٰنك﴾ أى تنزيها لك عن أن أطلب منك ما لم تأذن فيه ﴿تبت اليك﴾ أى من ذلك ﴿و انآ اول المؤمنين ه﴾ أى مبادر غاية المبادرة إلى الإيمان بكل ما[2] أخبرت به كل ما تضمنته هذه الآيات ، ز فتعبيره بالإيمان فى غاية المناسبة لعدم الرؤية لأن شرط الإيمان أن يكون بالغيب ، فقد ورد فى نبينا صلى الله عليه ٥ و سلم آيتان : إحداهما يمكن أن تشير إلى الرؤية بالتعبير بالمسلمين دون المؤمنين فى قوله "و انا اول المسلمين[3]" و الثانية تؤمى إلى عدمها و هى "امن الرسول - إلى قوله - كل امن بالله[4]" - و الله أعلم -[1]] ، و كل هذا تبكيت على قومه و تبكيت لهم فى عبادتهم العجل و ردع لهم عن[5] ذلك ، و تنبيه لهم على أن الإلهية مقرونة بالعظمة و الكبر بعيدة جدا عن ذوى ١٠ الأجسام لما يعلم سبحانه من أنهم سيكررون عبادة الأصنام ، فأثبت للاله الحق الكلام[6] و التردى عن الرؤية بحجاب الكبر و العظمة و اندكاك الجبل عند تجليه و نصب الشرع الهادى إلى أقوم سبيل تعريضا بالعجل ، و إلى ذلك يرشد / قوله تعالى "الم يروا انه لايكلمهم" - الآية . / ٣٥٢

و لما منعه الرؤية بعد طلبه إياها ، و قابل ذلك بمحاسن الأفعال ١٥ و الأقوال ، تشوف السامع إلى ما قوبل به من الإكرام ، فاستأنف سبحانه الإخبار بما منحه به تسلية له عما منعه و أمرا[7] بشكره بقوله : ﴿قال يٰموسىٓ﴾

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٦ آية ١٦٣ . سورة ٢ آية ٢٨٥ (٥) فى ظ : من (٦) فى ظ : الانام (٧) من ظ ، و فى الأصل : امر .

مذكرا له نعمه فى سياق دال على عظيم قدرها و إيجاب شكرها مسقطا عنه مظهر العظمة تأنيسا له و رفقا [به -[1]] ﴿ انى اصطفيتك ﴾ أى اخترتك اختيارا بالغا كما يختار ما يصفى من الشىء عن كل دنس ﴿ على الناس ﴾ أى الذين فى زمانك ﴿ برسٰلٰتى ﴾ أى الآيات المستكثرة التى أظهرتها و أظهرها على يديك[2] [من أسفار التوراة و غيرها -[1]] ﴿ و بكلامى ﴾ أى من غير واسطة ، و كأنه أعاد حرف الجر للتنبيه على ذلك ، كما اصطفى محمدا صلى الله عليه و سلم على الناس عامة فى كل زمان برسالته[3] العامة و بكلامه المعجز و بتكليمه من غير واسطة فى السماء التى قدست دائما و نزهت عن التدنيس بمعصية .

و لما كان ذلك مقتضيا لغاية الإقبال و النشاط ، سبب عنه قوله : ﴿ فخذ مآ اتيتك ﴾ أى مخصصا لك[4] به ﴿ و كن من الشكرين ﴾ أى العريقين فى صفة الشكر المجبولين عليها .

و لما انقضى ما أنسه سبحانه به[5] ، لفت الكلام - فى الإخبار لنا عن عظيم ما آتاه - لى مظهر العظمة ، فقال مفصلا لتلك الرسالة و مبينا بعض ما كان من الكلام : ﴿ و كتبنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ له فى الالواح ﴾ عرفها لعظمتها تنبيها على أنها لجلالة ما اختصت به كأنها المختصة بهذا الاسم ، و أعظم من هذا جعل قلب النبى الأمى لوحا قابلا لما يلقى إليه جامعا لعلوم الأولين و الآخرين ﴿ من كل شىء ﴾ أى يحتاجه بنو إسرائيل ، و ذلك هو العشر الآيات التى نسبتها إلى التوراة نسبة الفاتحة إلى القرآن ، ففيها

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : يدك (٣) زيد بعده فى ظ : اى (٤) فى ظ : له .
(٥) سقط من ظ .

أصول الدين و أصول الأحكام و التذكير بالنعم و الأمر بالزهد و الورع و لزوم محاسن الأعمال و البعد عن مساويها ، و لذا قال مبدلا : ﴿ موعظة و تفصيلا ﴾ أى على وجازتها بما كانت سببا ﴿ لكل شىء ج ﴾ أى لأنها - مع كونها أمهات و جوامع - مفصلة ترجع إليها بحور العلم و تنشق[1] منها ينابيعها . ٥

و لما كان هذا هكذا ، تسبب عنه حتما قوله تعالى التفاتا إلى خطاب موسى عليه السلام بخطاب التأنيس إشارة إلى أن التزام التكاليف صعب : ﴿ فخذها ﴾ أى الألواح ﴿ بقوة ﴾ أى بجد و عزيمة فى العلم[2] و العمل ﴿ و امر قومك ﴾ أى الأقوياء على محاولة ما يراد ﴿ ياخذوا باحسنها[3] ﴾ كأنه سبحانه أطلق لموسى عليه السلام الأخذ بكل ما فيها لما عنده من ١٠ الملكة الحاجزة له [3]عن شىء من المجاوزة[3] ، و لذلك قال له " بقوة " و قيدهم بالأحسن[4] ليكون الحسن جدا مانعا لهم من الوصول إلى القبيح ، و ذلك كالاقتصاص[5] و العفو و الانتصار و الصبر .

و لما كان كأنه قيل : و هل يترك الأحسن أحد ؟ فقيل : نعم ، الفاسق يتركه ، بل و يتجاوز الحسن إلى القبيح ، بل و إلى أقبح القبيح ، ١٥ و من تركه أهلكته و إن جل آله و عظمت جنوده و أمواله ، قال كالتعليل لذلك : ﴿ ساوريكم دار الفسقين ه ﴾ أى الذين يخرجون عن أوامرى إلى ما أنهاهم عنه فأنصركم عليهم و أمكنكم بفسقهم من رقابهم و أموالهم من

(١) من ظ ، و فى الأصل : ينشق (٢) فى ظ : العمل - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : كالاقتصاد .

الكنعانيين و الحاثانيين و غيرهم من سكان الأراضى المقدسة لتعلموا أن من أغضبنى و ترك أمرى أمكنت منه ، و إنما ذكر الدار لئلا تغرهم منعتها إذا استقروا بها فيظنوا أن / لا غالب [لهم -[1]] فيها بوعورة أرضها و شهوق جبالها و إحكام أسوارها ، و إذا تأملت ما سيأتى فى[2] شرح هذه الآيات من التوراة لاح لك هذا المعنى ، و كذا ما ذكر من التوراة عند قوله فى المائدة "قل هل انبئكم بشر من ذلكم مثوبة عند الله[3]" و فى هذه الجملة المختصرة بشارة بإتمام الوعد بنصرتهم عليهم بطاعتهم و نذارة على تقدير معصيتهم ، فكأنه قيل : إن أخذوا بالأحسن أريتهم دار الفاسقين ، [4]و أتممت عليهم النعمة ما داموا على الشكر ، و إن لم يأخذوا أهلكتهم كما أهلك الفاسقين من بين أيديهم[4] ، فحذرهم لئلا يفعلوا أفعالهم إذا استقرت بهم الدار ، و زالت عنهم الأكدار ، و يؤيد كون المراد القدس لا مصر قراءة من قرأ : سأورثكم - من الإرث . لأنها[5] هى المقصودة باخراجهم من مصر و بعث موسى عليه السلام ، و لا ينفى ذلك احتمال مصر أيضا - و الله أعلم .

/ ٣٥٣

و لما انقضى ذلك ، كان كأنه قيل : و كيف يختار عاقل ذلك ؟ فكيف بمن رأى الآيات و شاهد المعجزات ؟ فقال : ﴿سأصرف عن آيتى﴾ أى المسموعة و المرئية على عظمتها بما أشارت إليه الإضافة بالصرف عن فهمها[6] و اتباعها و القدرة على الطعن فيها بما يؤثر فى إبطالها

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : من (٣) آية ٦٠ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) فى ظ : انها (٦) من ظ . و فى الأصل : نصها .

﴿ الذين يتكبرون ﴾ أى يطلبون الكبر بما ليس لهم و يعملون قواهم فيه ﴿ فى الارض ﴾ أى جنسها الذى أمرت بالتواضع فيه .

و لما كان من رفعه الله بصفة فاضلة فوضع نفسه موضعها و لم يهنها نظرا لما أنعم الله به عليه و منحه إياه ربما سمى ذلك[1] كبرا ، و ربما سمى طلبه لتلك الأخلاق التى توجب رفعته تكبرا ، [وليس كذلك و إن وافقه فى الصورة ، لمفارقته له فى المعنى فانه صيانة النفس عن الذل ، و هو إنزال النفس دون منزلتها صنعة لا تواضعا ، و الكبر رد الحق و احتقار الناس ، فى التقييد هنا إشارة خفية لإثبات العزة بالحق و الوقوف على حد التواضع من غير انحراف إلى الصنعة وقوفا على شرط العزم المنصوب على متن نار الكبر ؛ قال الإمام السهروردى : و لا يؤيد فى ذلك و يثبت عليه إلا أقدام العلماء الراسخين -[2]] . قال تعالى احترازا عنه و مدخلا كل كبر [خلا -[2]] عن الحق الكامل : ﴿ بغير الحق[3] ﴾ أى إنما يختار غير الأحسن من يختاره بقضائى الذى لا يرد و أمرى العالى على أمر كل ذى جد فأزين لمن علمت خباثة[3] عنصره و رداءة جوهره ما أريد حتى[4] يرتكبوا[5] كل قبيحة و يتركوا[6] كل مليحة ، فينصرفون عن الآيات و يعمون عن الدلالات الواضحات .

و لما أخبر بتكبرهم فى الحال ، عطف عليه فعلهم فى المآل فقال : ﴿ و ان يروا كل اية ﴾ أى مرئية أو مسموعة ﴿ لا يؤمنوا بها[7] ج ﴾ أى لتكبرهم

(١) زيد فى ظ : منه (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : جناية (٤) فى ظ : على (٥) من ظ ، و فى الأصل : ترتكبوا (٦) من ظ ، و فى الأصل : تتركوا (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم .

عن الحق ﴿ و ان يروا سبيل ﴾ أى طريق ﴿ الرشد ﴾ أى الصلاح و الصواب الذى هو[1] أهل للسلوك ﴿ لا يتخذوه سبيلا ج ﴾ أى فلا يسلكونه بقصد منهم و نظر و تعمد ، بل إن سلكوه فعن غير قصد ﴿ و ان يروا سبيل الغى ﴾ أى الضلال ﴿ يتخذوه سبيلا[1] ﴾ أى بغاية الشهوة و التعمد و الاعتمال لسلوكه.

و لما كان هذا محل عجب ، أجاب من يسأل عنه بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الصرف العظيم [الذى زاد عن مطلق الصرف بالعمى عن الإيمان و اتخاذ الرشاد -[2]] ﴿ بانهم ﴾ أى بسبب أنهم ﴿ كذبوا بايٰتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة ﴿ و كانوا عنها ﴾ [أى -[2]] خاصة جبلة و طبعا ﴿ غٰفلين ه ﴾ أى كان دأبهم و ديدنهم معاملتهم لها بالإعراض عنها حتى كأنها مغفول عنها فهم لذلك يصرون على ما يقع منهم .

و لما ذكر أحوال المتكبرين الذين أداهم كبرهم إلى التكذيب فى الدنيا ، ذكر أحوالهم فى الآخرة فقال : ﴿ و الذين[3] ﴾ أى كذبوا بها و الحال أن الذين ﴿ كذبوا بايٰتنا ﴾ أى فلم يعتبروا عظمتها[4] ﴿ و لقآء الأخرة ﴾ أى و لقائهم إياها أو و لقائهم ما وعدوا به فيها ، اللازم من التكذيب بالآيات الحامل التصديق بها[5] على معالى الأخلاق ﴿ حبطت ﴾ أى فسدت فسقطت ﴿ اعمالهم[1] ﴾ [و الآية من الاحتباك : إثبات الغفلة أولا يدل على إرادتها ثانيا ، و اللقاء ثانيا يدل على إرادته أولا -[2]] .

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل : كذبوا ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : عظمتنا (٥) من ظ ، و فى الأصل : به .

و لما كان كأنه / قيل : لم بطلت ؟ قيل : ﴿ هل يجزون الا ما ﴾ أى ٣٥٤ /
جزاء ما ﴿ كانوا يعملون ع ﴾ أى[1] بابطال أعمالهم و إن عملوا كل حسن
سوى الإيمان بسبب أنهم أبطلوا الآيات و الآخرة بتكذيبهم بها ، أى
عدوها باطلة ، و الجزاء من جنس العمل ، و الحاصل[2] أنهم لما عموا عن
الآيات لأنهم لم[3] ينظروا فيها و لا انقادوا مع ما دلت عقولهم عليه من ٥
أمرها ، بل سدوا باب الفكر فيها ؛ زادهم الله عمى فختم على مداركهم ،
فصارت لا ينتفع بها فصاروا لا يعون ، و هذه الآيات أعظم زاجر[4] عن
التكبر ، فانها بينت أنه يوجب الكفر و الإصرار عليه و الوهن فى جميع
الأمور ؛ و لما كان ذلك[5] كله مما يتعجب الموفق[6] من ارتكابه ، أعقبه
تعالى مبينا[7] و مصورا و محققا لوقوعه و مقررا قوله عطفا على " فاتوا ١٠
على قوم يعكفون " مبينا[7] لإسراعهم فى الكفر : ﴿ و اتخذ ﴾ أى بغاية
الرغبة ﴿ قوم موسى ﴾ أى باتخاذ السامرى و رضاهم ، و لم يعتبروا شيئا
مما أتاهم به من تلك الآيات التى لم ير مثلها ﴿ من بعده ﴾ أى من بعد
إبطائه عنهم بالعشرة[8] الأيام التى أتممنا بها الأربعين ﴿ من حليهم ﴾ أى
التى كانت معهم من مالهم و مما استعاروه من القبط ﴿ عجلا ﴾ و لما ١٥
كان العجل اسما لولد البقر ، بين أنه إنما يشبه صورته فقط ، فقال مبدلا
منه : ﴿ جسدا ﴾ .

و لما كان الإخبار بأنه جسد مفهما لأنه خال مما يشبه الناشىء[9]

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الظاهر (٣) من ظ ، و فى الأصل : لا (٤) فى ظ : زاجرا (٥) فى ظ : هذا (٦) فى ظ : الموقف (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : بالعشر (٩) فى ظ : الناسى .

عن الروح ، قال : ﴿ له خوار[1] ﴾ أى صوت كصوت البقر ، و المعنى أنه لا أضل و لا أعمى من قوم كان معهم حلى أخذوه ممن كانوا يستعبدونهم و يؤذونهم و هم مع ذلك أكفر الكفرة[1] فكان جديرا بالبغض[2] لكونه من آثار[3] الظالمين الأعداء فاعتقدوا أنه بالصوغ صار
٥ إلها و بالغوا فى حبه و العبودية له و هو جسد يرونه و يلمسونه ، و نبيهم الذى هداهم الله به و اصطفاه لكلامه يسأل رؤية الله فلا يصل إليها .

و لما لم يكن فى الكلام نص باتخاذه إلها ، دل على ذلك بالإنكار عليهم[4] فى قوله : ﴿ الم يروا ﴾ أى الذين اتخذوه إلها ﴿ انه لا يكلمهم ﴾ أى كما[5] كلم الله موسى عليه السلام ﴿ و لا يهديهم سبيلا[2] ﴾ كما هداهم الله
١٠ تعالى إلى سبيل النجاة ، منها سلوكهم فى البحر الذى كان[5] سببا لإهلاك عدوهم كما كان سببا لنجاتهم ؛ قال أبو حيان : سلب عنه هذين الوصفين دون باقى أوصاف الإلهية لأن انتفاء التكليم يستلزم انتفاء العلم ، و انتفاء الهداية إلى سبيل [يستلزم -[6]] انتفاء القدرة ، و انتفاء هذين الوصفين يستلزم انتفاء باقى الأوصاف .

١٥ و لما كان هذا أمرا عظيما جدا مستبعد الوقوع و لاسيما من قوم نبيهم [بينهم -[7]] و لاسيما و قد أراهم من النعم و الآيات ما ملأت أنواره الآفاق ، كان جديرا بالتأكيد فقال تعالى : ﴿ اتخذوه ﴾ أى بغاية الجد و النشاط و الشهوة ﴿ و كانوا ﴾ أى جبلة و[8] طبعا مع ما أثبت لهم من الأنوار[9]

---

(١) فى ظ : الكفر (٢) فى ظ : بالغضب (٣) من ظ ، و فى الأصل : اماء ـ كذا .
(٤) فى ظ عليه (٥) سقط من ظ (٦) زيد من البحر المحيط ٤/٣٩٣ (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : او (٩) فى ظ : الأنواع .

﴿ ظالمين ٥ ﴾ أى حالهم حال من يمشى فى الظلام ، أو أن المقصود أن الظلم وصف لهم لازم ، فلا بدع إذا فعلوا أمثال ذلك .

و لما كان هذا فى سياق "ذلك بانهم كذبوا بآيتنا و كانوا عنها غفلين" فأنتج[1] أن من كذب على هذه الصفة أهلك ، فانتظر السامع الإخبار بتعجيل هلاكهم ، أخبر بأنه منعهم من ذلك و حرسهم المبادرة بالتوبة ؛ و لما اشتد ٥ من تشوف / السامع إليه ، قدمه على سببه و هو رجوع موسى عليه السلام / ٣٥٥ إليهم و إنكاره عليهم ، و لأن السياق فى ذكر إسراعهم فى الفسق لم يذكر قبول[2] توبتهم كما فى البقرة ؛ و لما كان من المعلوم أنهم تبين لهم عن قرب سوء مرتكبهم لكون نبيهم فيهم ، عبر بما أفهم أن التقدير : فسقط فى أيديهم ، و عطف عليه [قوله - ٣] سائقا له مساق ما هو معروف : ١٠ ﴿ و لما سقط ﴾ أى سقطت أسنانهم ﴿ فى ايديهم ﴾ بعضها ندما سقوطا[4] كأنه بغير اختيار لما غلب فيه من الوجد و الأسف الذى أزال تأملهم و لذلك بناه للمفعول ﴿ و راوا انهم قد ضلوا[5] ﴾ أى عن الطريق الواضح ﴿ قالوا ﴾ توبة و رجوعا إلى الله كما قال[6] أبوهم آدم[6] عليه السلام ﴿ لئن لم يرحمنا ربنا ﴾ أى الذى لم يقطع قط إحسانه عنا فيكف غضبه ١٥ و يديم إحسانه ﴿ و يغفر لنا ﴾ أى يمحو ذنوبنا عينا و أثرا لئلا ينتقم منا فى المستقبل ﴿ لنكونن من الخسرين ٥ ﴾ أى فينتقم منا بذنوبنا .

و لما أخبر بالسبب[6] فى تأخير الانتقام عنهم مع مساواتهم لمن أوقعت

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : انتج (٢) من ظ ، و فى الأصل : فيقول (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : سقطا (٥-٥) فى ظ : ابراهيم (٦) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

بهم النقمة فى موجب الانتقام. أخبر سبحانه بحال موسى عليه السلام معهم عند رجوعه إليهم من الغضب لله و التبكيت لمن خالفه مع ما اشتمل عليه من الرحمة و التواضع فقال: ﴿ و لما رجع موسى ﴾ أى من المناجاة ﴿ الى قومه غضبان ﴾ أى فى حال رجوعه لما أخبره الله تعالى عنهم من عبادة العجل ﴿ اسفا ﴾ أى شديد الغضب و الحزن ﴿ قال بئسما ﴾ أى خلافة خلافتكم التى ﴿ خلفتمونى ﴾ أى قمتم مقامى و فعلتم خلفى •

و لما كان هذا ربما أوهم أنهم فعلوه من ورائه و هو حاضر فى طرف العسكر ، قال : ﴿ من بعدى ج ﴾ أى حيث عبدتم غير الله [1] أيها العبدة ، و حيث لم تكفوهم [1] أيها الموحدون بعد ذهابى إلى الجبل للمواعدة الإلهية و بعد ما سمعتم منى من التوحيد لله تعالى و إفراده عن خلقه بالعبادة و نفى الشركاء عنه ، و قد رأيتم حين كففتكم و زجرتكم عن عبادة غيره حين قلتم " اجعل لنا الها كما لهم الهة " و من حق الخلفاء أن يسيروا سيرة [2] المستخلف و لا يخالفوه فى شىء •

و لما كان قد أمرهم أن لا يحدثوا حدثا حتى يعود إليهم ، أنكر عليهم عدم انتظاره فقال : ﴿ ا عجلتم ﴾ قال الصغانى [3] فى المجمع : سبقتم ، و قال غيره : عجل عن الأمر - إذا تركه [4] غير تام ، و يضمن معنى سبق ، فالمعنى:

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : سير (٣) هو الحسن بن محمد ابن الحسن القرشى اللاهورى له مجمع البحرين فى اللغة - راجع معجم المؤلفين ٢٧٩/٣ (٤) فى ظ : تركته •

سابقين[1] ﴿ امر ربكم ج ﴾ أى ميعاد الذى ما زال محسنا إليكم، أى فعلتم هذا قبل بلوغ أمر الموعد الذى زاد فيه ربى و هو العشرة الأيام برجوعى إليكم إلى حده، فظننتم أنى مت فغيرتم كما غيرت الأمم بعد موت أنبيائها؛ و قال الإمام أبو عبد الله القزاز أيضا: عجلتم: سبقتم، و منه تقول: عجلت فلانا: سبقته، و أسنده ابن التيانى إلى الأصمعى ﴿ و القى الالواح ﴾ أى التى فيها التوراة غضبا لله و إرهابا لقومه، و دل هذا على أن الغضب بلغ منه حدا لم يتمالك معه، و ذلك فى الله تعالى ﴿ و اخذ براس اخيه ﴾ أى بشعره ﴿ يجره اليه[1] ﴾ أى بناء على أنه قصر و إعلاما لهم بأن الغضب من هذا الفعل قد بلغ منه مبلغا يجل عن الوصف، لأنه اجتثاث[2] للدين من أصله.

و لما كان هارون عليه السلام [3]غير مقصر فى نهيهم، أخذ فى إعلام موسى عليه السلام[3] بذلك [مخصصا الأم و إن كان شقيقه -[4]] تذكيرا اله بالرحم الموجبة للعطف و الرقة و لا سيما و هى مؤمنة و قد قاست فيه المخاوف، فاستأنف سبحانه الإخبار عن ذلك بقوله: ﴿ قال ابن[5] ام ﴾ و حذف أداة النداء و ياء الإضافة لما يقتضيه الحال من الإيجاز، و فتح الجمهور الميم تشبيها [له -[4]] بخمسة عشر و على حذف الألف المبدلة من ياء الإضافة، و كسر الميم ابن عامر و حمزة و الكسائى و أبو بكر عن عاصم بتقدير حذف ياء الإضافة تخفيفا / ﴿ ان القوم ﴾ أى عبدة العجل الذين /٣٥٦

(١) فى ظ: سابق (٢) من ظ، و فى الأصل: اجتياز (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: يابن.

يعرف قيامهم فى الأمور التى يريدونها ﴿ استضعفونى ﴾ أى عدونى ضعيفا و أوجدوا ضعفى بارهابهم لى ﴿ و كادوا يقتلوننى ﴾ أى قاربوا ذلك لإنكارى[1] ما فعلوه [فسقط عنى الوجوب - [2]] .

و لما تسبب عن ذلك إطلاقه ، خاف أن يمنعه الغضب من ثبات ٥ ذلك فى ذهنه و تقرره فى قلبه فقال : ﴿ فلا تشمت بى الاعدآء ﴾ أى لا تسرهم بما تفعل بى فأكون ملوما منهم و منك ؛ و لما استعطفه بالتذكير بالشماتة التى هى شماتة به أيضا ، أتبعه ضررا يخصه فقال : ﴿ و لا تجعلنى ﴾ أى بمؤاخذتك لى ﴿ مع القوم الظلمين ﴾ أى فتقطعنى بعدّك لى معهم و جعلى فى زمرتهم عمن أحبه من الصالحين ، و تصلى[3] بمن أبغضه من ١٠ الفاسدين الذين[4] فعلوا فعل من هو فى الظلام ، فوضعوا العبادة فى غير موضعها من غير شبهة و لا لبس أصلا .

و لما تبين له ما هو اللائق بمنصب أخيه الشريف من أنه لم يقصر[5] فى دعائهم إلى الله و لا ونى فى نهيهم عن الضلال ، و رأى أن ما ظهر له[6] من الغضب مرهب[8] لقومه وازع لهم عما ارتكبوا ، دعاه له و لنفسه ١٥ مع الاعتراف بالعجز و أنه لا يسع أحدا إلا العفو ، و ساق سبحانه ذلك مساق الجواب لسؤال بقوله : ﴿ قال رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ ﴿ اغفر لى ﴾ أى ما حملنى عليه الغضب لك من إيقاعى بأخى ﴿ و لاخى ﴾ أى فى كونه لما يبلغ ما كنت أريده منه من جهادهم .

و لما دعا بمحو التقصير ، أتبعه الإكرام فقال : ﴿ و ادخلنا ﴾ أى

---

(١) فى ظ : لانكار (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : تسرلى (٤) فى ظ : الذى (٥) فى ظ : لم يقتصر (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : موجب .

أنا و أخي و كل من انتظم معنا ﴿ في رحمتك ﴾ لتكون غامرة لنا محيطة بنا ؛ ولما كان التقدير: فأنت خير الغافرين، عطف عليه: ﴿ وانت ارحم الرٰحمين ﴾ أي لأنك تنعم بما لا يحصره الجد و لا يحصيه العد من غير نفع يصل إليك و لا أذى يلحقك بفعل ذلك و لا تركه .

و لما كان السؤال له و لأخيه و هما معصومان من الذنوب ، طوى ما يتعلق بالمغفرة و ذكر متعلق الرحمة بخلاف ما يأتي في السؤال له و للسبعين من قومه فانه عكس فيه ذلك ؛ و لما صحت براءة الخليفة ، و أشير إلى أنه مع ذلك فقير إلى المغفرة ، التفتت[1] النفس إلى حال المفسدين فقال مخبرا عن ذلك : ﴿ ان الذين اتخذوا العجل ﴾ أي رغبوا رغبة تامة في أخذهم إلٰها مع المخالفة لما ركز[2] في الفطرة الأولى و دعاهم إليه الكليم عليه السلام ﴿ سينالهم ﴾ أي بوعد لا خلف فيه ﴿ غضب ﴾ أي عقوبة فيها طرد أو إبعاد ، و لعله ما أمروا به من قتل أنفسهم ، و أشار إلى أنه فيه رفق بهم و حسن تربية لتوبة من يبقى منهم بقوله : ﴿ من ربهم ﴾ أي الذي لا محسن إليهم غيره ، يلحقهم في الدنيا و يتبعهم في الآخرة ﴿ و ذلة في الحيوٰة الدنيا ﴾ أي جزا لهم على افترائهم و كذلك[3] من رضي فعلهم و لا سيما إن كان من أولادهم كقريظة و النضير و أهل خيبر ﴿ و كذلك ﴾ أي و مثل جزائهم ﴿ نجزي المفترين ﴾ أي المتعمدين للكذب ، و هذا نص في أن كل مفتر ذليل - كما هو المشاهد - و إن أظهر الجراءة بعضهم .

(١) من ظ ، و في الأصل : التفت (٢) في ظ : ذكر (٣) في ظ : ذلك .

و لما ذكر المصرين على المعصية، عطف عليه التائبين ترغيبا فى مثل حالهم فقال: ﴿ و الذين عملوا السيئات ﴾ عبر بالعمل إشارة إلى بالعفو و إن أقدموا عليها على علم، و جمع إعلاما بأنه لا يتعاظمه ذنب و إن عظم و كثر و إن طال زمانه، و لذلك عطف بأداة البعد فقال: ﴿ ثم تابوا ﴾ و حقق الأمر و نفى المجاز بقوله: ﴿ من بعدها ﴾ ثم ذكر الأساس الذى لا يقبل عمل لم يبن عليه على وجه يفهم أنه لا فرق بين أن يكون فى السيئات ردة أو لا فقال: ﴿ و آمنوا ﴾ ثم أجاب المبتدأ بقوله: ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بقبول توبة التائبين لما/ سيرك[1] من ذلك لأنك بهم رؤف رحيم ﴿ من بعدها ﴾ أى التوبة ﴿ لغفور ﴾ أى محاء لذنوب التائبين عينا و أثرا و إن عظمت و كثرت ﴿ رحيم ﴾ أى فاعل بهم فعل الرحيم من البر و الإكرام و اللطف و الإنعام، و كأن المصرين هم الذين قتلوا لما أمرهم موسى عليه السلام بقتل أنفسهم، فلما أهلك المصر و تاب الباقى، و صحت براءة أخيه و بقاؤه على رتبته من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الاجتهاد فى أمر الله، زال موجب الغضب فأخبر سبحانه عما يعقبه[2] فقال: ﴿ و لما سكت ﴾ أى كف، شبه الغضب بمتكلم كان يحث موسى عليه السلام و يغريه على ما يوجبه و يقتضيه، فلما[3] شفى غيظه سكن و قطع كلامه فخلفه ضده و هو الرضى ﴿ عن موسى الغضب ﴾ وهو غليان القلب بما يتأذى[4] به النفس ﴿ اخذ الالواح ﴾ أى التى جاء

٣٥٧/

(١) من ظ، و فى الأصل: سرك (٢) فى ظ: تعقبه (٣) من ظ، و فى الأصل: على - كذا (٤) فى ظ: تتاذى.

بها من عند الله بعد ما ألقاها ﴿ و فى ﴾ أى و الحال أنه فى ﴿ نسختها ﴾ أى الأمر المكتوب فيها ، فعلة بمعنى مفعولة ، و عن ابن عباس أنه لما ألقاها صام - [1]مثل ما كان صام[1] للناجاة - أربعين يوما أخرى ، فردت عليه فى لوحين مكان ما تكسر[2] . ﴿ هدى ﴾ أى شىء[3] موضع للقاصد ﴿ و رحمة ﴾ أى سبب الاكرام ﴿ للذين هم لربهم ﴾ أى لا لغيره ٥ ﴿ يرهبون ٥ ﴾ أى هم أهل لأن يخافوا خوفا عظيما مقطعا[4] للقلوب موجبا للهرب و يستمرون على ذلك .

شرح ما فى هذه الآيات من عند قوله "ساوريكم دار الفسقين" من البدائع من التوراة - قال المترجم فى السفر الخامس منها بعد أن بكتهم ببعض ما فعلوه مما أوجب لهم الغضب و العقوبة بالتيه و حثهم على لزوم ١٠ أمر الله لينصرهم : و أما الوصايا التى آمركم بها اليوم فاحفظوها و اعملوا بها لتحيوا و تكثروا و ترثوا الأرض التى أقسم الله لآبائكم فتذكروا كل الطريق الذى سيركم الله ربكم فيه ، و دبركم منذ أربعين سنة فى البرية ليواضعكم و يجربكم و ليعلم[5] ما فى قلوبكم هل تحفظون[6] وصاياه أم لا ، فواضعكم و أجاعكم[7] و أطعمكم منًا لم تعرفوه أنتم و لا آباؤكم ليبين لكم أنه ليس إنما ١٥ يعيش الإنسان بالخبز فقط ، بل إنما يعيش بما يخرج من فم الله ، و لم تبل ثيابكم و لم تجف أقدامكم منذ أربعين سنة ، احفظوا وصايا الله ربكم و سيروا فى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : تسكر - كذا (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : معطما (٥) من ظ ، و فى الأصل : يعلم (٦) من ظ ، و فى الأصل : يحفظون (٧) فى ظ : اجاعلكم - كذا .

طرقه و اتقوه ، لأن الله ربكم هو الذى يدخلكم إلى الأرض المخصبة ،
أرض كثيرة[١] الأودية و الينابيع و العيون التى تجرى فى الصحارى و الجبال ،
أرض الحنطة و الشعير ، فيها الكروم و التين و الرمان و الزيتون و الدهن
و العسل ، أرض لا تحتاجون[٢] فيها و لا تأكلون خبزكم بالفقر ، و لا يعوزكم
٥ فيها شىء ، أرض حجارتها حديد تستخرجون[٣] النحاس من جبالها ، فاحتفظوا[٤] ،
لا تنسوا الله ربكم ، و احفظوا وصاياه و شرائعه التى آمركم بها اليوم ،
لا تبطروا ، فاذا أكلتم و شبعتم و بنيتم بيوتا و سكنتموها و كثر غنمكم
و بقركم و كثرت أموالكم فتعظم قلوبكم و تنسوا الله ربكم الذى أخرجكم
من ارض مصر و أنقذكم من العبودية و دبركم فى البرية المرهوبة العظيمة
١٠ حيث الحيات الحردات و العقارب و فى مواضع العطش و حيث لم يكن
لكم ماء ، أخرج لكم من ماء الظران[٥] ، و أطعمكم منا لم يعرفه[٦] آباؤكم
ليواضعكم و يجربكم و يحسن إليكم آخر ذلك ، و انظروا ، لا تقولوا فى قلوبكم
إنا إنما استفدنا هذه الأموال بقوتنا و عزة قلوبنا ، و لكن اذكروا الله ربكم
الذى قواكم أن تستفيدوا هذه الأموال ليثبت العهد الذى أقسم لآبائكم ،
١٥ و إن أنتم نسيتم الله ربكم و تبعتم آلهة أخرى و عبدتموها و سجدتم لها
أشهدت عليكم / اليوم فأعلمتكم[٧] أنكم تهلكون [٨]هلاك سوء ، كما أهلكت /٣٥٨
الشعوب التى أباد الرب بين أيديكم كذلك تهلكون[٨] ، اسمعوا يا بنى إسرائيل !

(١) من ظ ، و فى الأصل : كثير (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يحتاجون .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : يستخرجون (٤) فى ظ : فاحفظوا (٥) جمع الظر
و الظرر و الظورة : الحجر (٦) فى ظ : لم تعرفه (٧) من ظ ، و فى الأصل :
اعلمتم - كذا (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بل

بل أنتم تجوزون اليوم نهر الأردن و تنطلقون[1] لتمتلكوا[2] الشعوب التى هى أقوى و أعظم منكم و تظفروا[3] بالقرى الكبار المشيدة إلى السماء[4] و بشعب كبير[4] عظيم بنى[5] الجبابرة. و قد علمتم و سمعتم أنه ما يقدر إنسان أن يقوم بين يدى الجبابرة، و تعلمون يومكم هذا أن الله ربكم يجوز أمامكم و هو نار محرقة، و هو يهلكهم و يهزمهم أمامكم. و لا تقولوا فى قلوبكم إنه إنما أدخلنا الرب لنرث هذه الأرض من أجل برنا، لأنه إنما يهلك الرب هذه الشعوب من أجل خطاياهم، و ليثبت الأقوال التى وعد بها آباءكم إبراهيم و إسحاق و يعقوب، فاعلموا أنه ليس من أجل بركم يورثكم الله هذه الأرض المخصبة، لأنكم صلاب الرقاب، اذكروا و لا تنسوا أنكم أسخطتم الله ربكم فى البرية منذ يوم خرجتم من أرض مصر حتى انتهيتم إلى هذه البلاد، و لم تزالوا مسخطين لله ربكم و بحوريب[6] أيضا أغضبتم الرب، و غضب الرب عليكم و أراد هلاككم حيث صعدت إلى الجبل و أخذت لوحى العهد الذى عاهدكم الرب، و مكثت فى الجبل أربعين يوما بلياليها لم أذق خبزا و لم أشرب[7] ماء، و أعطانى الرب لوحين من حجارة مكتوب عليهما باصبع[8] الله، و كانت كل الآيات التى كلمكم الرب بها من الجبل يوم الجماعة و من بعد الأربعين، و أعطانى

(١) فى ظ: تنطقون (٢) من ظ، و فى الأصل: بذلك (٣) من ظ، و فى الأصل: نطقوا - كذا (٤ - ٤) من ظ، و فى الأصل: شعب كثير (٥) من ظ، و فى الأصل: من (٦) من ظ، و فى الأصل: نحورب - كذا (٧) فى ظ: لم اشرف - كذا (٨) فى ظ: اصبع.

لوحى العهد ، قال لى الرب : قم فانزل من[1] هاهنا سريعا ، لأن شعبك الذى أخرجته من أرض مصر قد فسدوا و مالوا عن الطريق الذى أمرتهم[2] عاجلا ، و عملوا لهم إلها مسبوكا . و قال لى الرب : رأيت هذا الشعب [3]فاذا هو شعب قاسى القلب ، فدعنى الآن حتى أهلكهم و أبيد أسماءهم من تحت السماء و أصيرك مدبر الشعب[3] أعظم و أعز منهم ، و أقبلت فنزلت من الجبل و الجبل يشتعل نارا و لوحا العهد بيدى[4] ، و رأيت أنكم أذنبتم أمام الله ربكم سريعا ، و عمدت إلى لوحى الحجارة فرميت[5] بهما من يدى و كسرتهما قدامكم ، و صليت أمام الرب كما صليت أولا أربعين يوما بلياليها ، لم أذق طعاما و لم أشرب شرابا من أجل جميع الخطايا التى[6] ارتكبتم و ما عملتم من الشر بين يدى الرب و أغضبتموه : لأنى[7] فرقت و خفت غضب الله و زجره أنه أراد إهلاككم ، و استجاب الله [لى -[8]] فى ذلك الزمان ، و أما عجل خطاياكم الذى عملتموه[9] فأخذته و أحرقته بالنار و سحقته و طحنته جدا حتى صار مثل التراب و طرحت ترابه فى الوادى الذى ينزل فى الجبل ، و بالحريق و البلايا و بقبور أصحاب الشهوة ، أغضبتم الرب ، و إذ أرسلكم ربكم من رقام الحى و قال لكم : اصعدوا و رثوا الأرض [10]التى أعطيكم[10] ، اجتنبتم

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : امرهم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : يدك (٥) فى ظ : فرمى (٦) فى ظ : الذى .
(٧) فى ظ : كانى (٨) زيد من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : علمتموه .
(١٠-١٠) فى ظ : الذى اعطيتم .

قول الرب و أغضبتموه و لم تؤمنوا به و لم تسمعوا قوله ، و لم تزالوا لله مسخطين منذ يوم عرفتكم . و صليت أمام الرب أربعين يوما بلياليها ، لأن الرب أمر بهلاككم ، و قلت فى صلاتى : يا رب ! لا تهلك شعبك و ميراثك الذى خلصته بعظمتك و أخرجتهم[1] من أرض مصر بيد عزيزة ، و لكن اذكر عبيدك إبراهيم و إسحاق و يعقوب ، و لا تنظر إلى معصية هذا الشعب و إثمه و خطاياه ، لئلا يقول سكان تلك الأرض التى أخرجتهم منها : إن الرب لم يقو أن يدخلهم الأرض التى قال لهم ، و إنما أخرجهم من عندنا لبغضه لهم ليضلهم فى البرية ، و هو شعبك / و ميراثك الذى أخرجتهم بقوتك العظيمة و ذراعك[2] العزيزة ، فقال لى الرب فى ذلك الزمان أن انقر لوحين من حجارة مثل اللوحين الأولين و اصعد[3] إلى الجبل إلىّ و اعمل تابوتا من خشب الشمشاد - و فى نسخة : السنط - و نقرت اللوحين من الحجارة مثل اللوحين [الأولين و صعدت إلى الجبل و اللوحان فى يدى ، و كتب على اللوحين -[4]] الكتاب الأول[5] ، و هى العشر الآيات التى كلمكم الرب بها من الجبل من النار يوم الجماعة ، و دفعها الرب إلىّ فأقبلت نازلا من الجبل و وضعت اللوحين فى التابوت الذى عملت و تركتهما فيه كما أمر الرب ، و ارتحل بنو إسرائيل من ثروات[6] بنى يعقان و موسار ، و توفى هارون هناك ، و صار اليعازر ابنه حبرا مكانه ، و ارتحلوا من هناك إلى جدجد ، و من جدجد إلى يطبت[7] أرض مسايل الماء ، فى ذلك الزمان أفرز الرب سبط لاوى ليحملوا تابوت عهد الرب ، و أن

٣٥٩ /

(١) فى ظ : اخرجهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : ذراعتك (٣) فى ظ : اصعدوا .
(٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) فى ظ : الاولين (٦) فى ظ : برواث .
(٧) من ظ ، و فى الأصل : يطب .

يقوموا أمام الرب و يخدموه و أن يبركوا[1] باسم الرب إلى اليوم ،
و لذلك ليس لبنى لاوى حصة مع بنى إسرائيل فى ميراثهم ، لأن ميراثهم
لله ربهم [كما -[2]] قال لهم ، و أنا قمت بين يدى الرب فى الجبل مثل
الأيام الأولى أربعين يوما بلياليها ، و استجاب لى الرب فى ذلك الزمان
٥ أيضا ، و لم يخذلكم الله ربكم و لم يفسدكم . و قال [لى -[2]] الرب : قم فارتحل
و سر أمام الشعب [3]ليدخلوا و يرثوا[3] الأرض التى أقسمت لآبائهم أن
أعطيهم ، و الآن يا بنى إسرائيل ما الذى يطلب الله ربكم منكم ! ما يطلب
الآن إلا أن تتقوا الله ربكم من كل قلوبكم و تسيروا[4] فى طرقه و تحبوه ،
و أن تعبدوا الله ربكم من كل قلوبكم و أنفسكم ، و أن تحفظوا وصايا الله ربكم
١٠ التى آمركم بها اليوم ليحسن إليكم لأن السماء و سماء السماء هما لله ربكم و الأرض
و جميع ما فيها ، و بآبائكم وحدهم سر الرب و أحبهم و انتخب نسلهم[5]
من بعدهم و فضلهم على جميع الشعوب كاليوم ، اختتنوا غلفة[6] قلوبكم ،
و لا تقسوا رقابكم أيضا[7] ، لأن الله ربكم هو إله الآلهة و رب الأرباب ،
إله عظيم جبار مرهوب لا يحابى و لا يرتشى ، ينصف[8] للأيتام و الأرامل ،
١٥ و يحب الذى يقبل إليه برزقه[9] طعاما و كسوة ، فأحبوا الذين يقبلون إليه
و اذكروا أنكم كنتم سكانا[10] بأرض مصر ، فاتقوا الله ربكم و اتبعوه و اعبدوه[11]

(١) من ظ ، و فى الأصل : يتركوا (٢) زيد من ظ (٣-٣) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : لتدخلوا و ترثوا (٤) من ظ ، و فى الأصل : سيروا (٥) من ظ ، و فى الأصل : سبيلهم (٦) فى ظ : غفلة (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : ينتصف . (٩) فى ظ : يرزقه (١٠) فى ظ : سكنا (١١) فى ظ : اعبدوا .

و أقسموا باسمه ، لأنه إلـهكم و مريحكم ، و هو الذى أكمل لديكم العجائب
[1]التى رأت[1] أعينكم ، و اعلموا أنه إنما أنزل آباءكم إلى مصر سبعين رجلا ،
و الآن فقد كثركم الله ربكم مثل نجوم السماء ، أحبوا الله ربكم و احفظوا سننه
و أحكامه كل الأيام ، و اعلموا يومكم[2] هذا أنه ليس لبنيكم الذين لم يعاينوا
و لم يعلموا ما رب الرب و عظمته [3]و يده[3] المنيعة و ذراعه العظيمة ٥
و آياته و أعماله التى عمل بمصر و بفرعون ملك مصر و كل أرضه و ما صنع
بأجناد[4] ملك مصر و ما فعل بالخيل و المراكب و فرسانها الذين[5] قلب
عليهم ماء بحر سوف حيث خرجوا فى طلبكم و أهلكهم الرب إلى اليوم
و جميع ما صنع بكم فى البرية حيث انتهيتم إلى هذه البلاد و ما صنع بداثان[6]
و أبيرم ابنى أليب بن روبيل اللذين[7] فتحت الأرض فاها و ابتلعتهما و بيتهما ، ١٠
و خيامهم و كل شىء هو لهم إذ[8] كانوا قياما على أرجلهم بين يدى جميع
بنى إسرائيل ، و لكن قد رأت أعينكم جميع أعمال الله العظيمة التى عمل ،
فاحفظوا جميع الوصايا التى أمركم الله بها اليوم لتدخلوا الأرض التى تجوزون
إليها لترثوها و تطول أعماركم فى الأرض التى أقسم الله لآبائكم أن يعطيهم[9]
و يرثها نسلهم - و ستأتى تتمته إن شاء الله تعالى عند " و لقد بوانا بنى اسرائيل ١٥

(١-١) فى ظ : الذى رايت (٢) من ظ ، و فى الأصل : ابو يكم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : باخبار (٥) فى ظ : التى . (٦) من التوراة ، و فى الأصل : بدابان ، و فى ظ : بذابان - كذا (٧) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : الذين (٨) فى ظ : اذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : تعطيهم .

مبوء صدق"، وفيه من المتشابه قوله: فم الله، وإصبع الله، والأول - لكونه[1] لا يجوز إطلاقه فى شرعنا - مأول بالكلام، والثانى بالقدرة.

ولما فرغ سبحانه من ذكر الوعد بالميقات المقصود به سعى الكليم /٣٦٠/ عليه السلام فيما يهديهم إلى صراط الله، وذكر سعيهم هم فيما أضلهم عن الطريق باتخاذهم العجل، وكان ختام ذلك ما بدا من موسى عليه السلام من الشفقة على أخيه ثم على الكافة بأخذ الألواح عند الفراغ مما يجب من الغضب لله، رد الكلام على ذكر شىء فعله فى الميقات مراد به عصمتُهم فى صراط الله بنقلهم - بمشاركته[2] فى سماعهم لكلام الله - من علم اليقين إلى عين اليقين بل حق اليقين شفقة عليهم ورحمة لهم، ليكون إخبارهم عما رأوا مؤيدا لما يخبر به، فيكون ذلك سببا[3] لحفظهم من مثل ما وقعوا فيه من عبادة العجل، ومع ذلك وقع منهم العصيان بطلب ما لا ينبغى لهم من الرؤية على وجه التعنت، فقال: ﴿ واختار ﴾ أى اجتهد فى أخذ الخيار ﴿ موسى قومه ﴾ ثم أبدل منهم قوله: ﴿ سبعين رجلا ﴾ إشارة إلى أن من عداهم عدم، لا يطلق عليهم اسم القوم فى المعنى الذى أراده، وهو نحو ما[4] قال النبى صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما «الناس كالإبل المائة، لا تكاد تجد فيها راحلة» ثم ذكر علة الاختيار فقال: ﴿ لميقاتنا ﴾ أى[5] فما اختار إلا من رأى أنه يصلح لما نريد من عظمتنا فى الوقت الذى حددناه[6] له، ودنا بهم من الحضرة

(١) فى الأصل وظ، كونه (٢) من ظ، وفى الأصل: بمشاركتهم (٣) من ظ، وفى الأصل: مسببا (٤) من ظ، وفى الأصل: مما (٥) سقط من ظ.
(٦) فى ظ: جددناه.

الخطابية فى الجبل[1] هو و هارون عليهما السلام ، و استخلف على بنى إسرائيل يوشع بن نون عليه السلام ، كل ذلك عن أمر الله له ، و [فى -[2]] هذا الكلام عطف على قوله " و وٰعدنا[3] موسى ثلثين ليلة " فيكون الميقات هو الأول و هو ظاهر التوراة كما مر بيانه فى البقرة ، و يجوز أن يكون عطفا على قوله " و اتخذ قوم موسى " أو على قوله " اخذ الالواح " ٥ و حينئذ يكون هذا الميقات غير الميقات الأول ، و يؤيده ما نقل من أن هارون عليه السلام كان معهم ، و كأنهم لما سمعوا كلام الله طلب بعضهم الرؤية جاعليها شرطا لإيمانهم فقالوا " لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة[4] " كما فعل النقباء الاثنا عشر حين أرسلهم لجس أحوال الجبارين فنقض[5] أكثرهم . فأخذتهم الرجفة فماتوا ، فخشى موسى عليه السلام أن يتهمه ١٠ بنو إسرائيل فى موتهم كنفس[6] واحدة ﴿ فلمآ اخذتهم ﴾ أى أخذ قهر و غلبة ﴿ الرجفة ﴾ أى التى سببتها الصاعقة التى تقدمت فى البقرة ، فزلزلت قلوبهم فأماتتهم ، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هؤلاء غير السبعين الذين قالوا " ارنا الله جهرة فاخذتهم الصٰعقة[7] " و أن أولئك كانوا قبل هؤلاء ، فالظاهر أن سبب الرجفة ما رأوا عند سماع الكلام ١٥ من جلال الله و عظيم هيبته من الغمام[8] الذى تغشى الجبل و القتار و البروق و أصوات القرون و غير ذلك بحيث كادت الرجفة - و هى رعدة[9] - تفرق أوصالهم بعضها من بعض ﴿ قال ﴾ أى موسى تملقا لربه سبحانه

(١) فى ظ : الجبلة (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : اوعدنا - كذا (٤) سورة ٢ آية ٥٥ (٥) من ظ ، و فى الأصل : لنقض (٦) فى ظ : كموت (٧) سورة ٤ آية ١٥٣ (٨) فى ظ : العظام (٩) زيد فى ظ: كانت .

﴿ رب ﴾ أى أيها[1] المحسن إلىّ ﴿ لو شئت اهلكتهم ﴾ أى أمتّهم .

و لما لم يكن إهلاكهم مستغرقا للماضى ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل و اياى[2] ﴾ أى قدرتك علىّ و عليهم قبل أن نقترب[3] من هذه الحضرة المقدسة و نحن بحضرة قومنا كقدرتك علينا حين تشرفنا بها ، و قد أسبلت علينا ذيل عفوك و أسبغت علينا نعمتك و نحن فى غير هذه الحضرة فلم تهلكنا ، فانعامك علينا و نحن فى حضرة القدس و بساط القرب و الأنس أولى .

ثم لما كان الحال مقتضيا لأن يقال : ألم تر إلى ما اجترؤا عليه ، وكان كأنه قال : إنما قال ذلك قوم منهم سفهاء ، دل [على -[4]] ذلك بقوله استعطافا : ﴿ اتهلكنا ﴾ و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجفتهم كانت بسبب أنهم لم ينهوا عن عبادة العجل مع أنهم لم يرضوا بذلك . وكأن موسى عليه السلام عبر بهذه العبارة المقتضية لإهلاك الجميع لأنه جوز[5] أنه كما أهلك هؤلاء يهلك غيرهم / لتقصير آخر بسبب ذلك كعدم الجهاد مثلا حتى يعمهم الهلاك ﴿ بما فعل السفهآء منا ج ﴾ فكأنه صلى الله عليه و سلم رضى أنه إن لم يشملهم العفو أن يخص العفو بمن لم يذنب بالفعل و يعفو عمن قصر بالسكوت ، و على تقدير كون الميقات غير الأول يجوز أن يكون بعد اتخاذهم العجل كما تقدم عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فيكون موسى عليه السلام خاف أن يكون إهلاكهم فتنة لبنى إسرائيل و سببا لكفرهم كما كان إبطاؤه عنهم بزيادة عشرة أيام

/٣٦١

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : نقرب (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : جواز (٥) من ظ ، و فى الأصل : يغفر .

على الثلاثين فى الميقات الأول سببا لاتخاذهم العجل ، و يجوز حينئذ أن يراد بفعل السفهاء اتخاذ العجل ، و يؤيده التعبير بالفعل دون القول و قد تقدم [نقله - ١] عن ابن عباس رضى الله عنهما .

و لما كان قوله هذا ربما أفهم رضاه بهلاك المذنبين[٢] ، قال معرضا بالسؤال فى العفو عن الجميع : ﴿ ان هى ﴾ أى الفتنة التى أوقعها[٣] السفهاء ﴿ الا فتنتك[١] ﴾ أى ابتلاؤك و اختبارك ﴿ تضل بها من تشآء ﴾ أى تظهر[٤] فى عالم الشهادة من ضلاله[٥] ما كان معلوما لك فى عالم الغيب ﴿ و تهدى من تشآء[١] ﴾ أى تظهر[٤] ما فى علمك من ذلك .

و لما أثبت أن الكل بيده ، استأنف سؤاله فى أن يفعل لهم الأصلح فقال : ﴿ انت ﴾ [أى وحدك - ١] ﴿ ولينا ﴾ أى نعتقد أنه لا يقدر[٦] على عمل مصالحنا غيرك ، و أنت لا نفع لك فى شىء من الأمرين و لا ضر ، بل الكل بالنسبة إليك على حد سواء ، و نحن على بصيرة[٧] من أن أفعالك لا تعلل بالأغراض ، و عفوك عنا ينفعنا و انتقامك منا يضرنا ، و نحن فى حضرتك قد انقطعنا إليك و حططنا رحال افتقارنا لديك .

و لما أثبت أنه الفعال لما يشاء و أنه لا ولى لهم غيره ، وكان من شأن الولى جلب النفع و دفع الضر ، سبب عن كونه الولى وحده قوله بادئا بدفع الضرر : ﴿ فاغفر لنا ﴾ أى امح ذنوبنا ﴿ و ارحمنا ﴾ أى ارفعنا ؛ و لما كان التقدير : فأنت خير الراحمين ، عطف عليه قوله : ﴿ و انت خير الغٰفرين ﴾

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : المانين - كذا (٣) فى ظ : واقعها .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : يظهر (٥) فى ظ : ضلالة (٦) فى ظ : لا نقدر .
(٧) فى ظ : بصير .

أى لأن غيرك يتجاوز عن الذنب للثناء أو الثواب أو دفعا للصفة الخسيسة و هى صفة الحقد و نحوه ، و أنت منزه عن ذلك ، و كأنه أحسن العفو عنهم فقال عاطفا على سؤاله فيه : ﴿ و اكتب لنا ﴾ أى فى مدة إحيائك لنا ﴿ فى هذه الدنيا ﴾ أى الحاضرة و الدنية ﴿ حسنة ﴾ أى عيشة راضية ٥ و حياة طيبة ﴿ و فى ﴾ الحياة ﴿ الأخرة ﴾ أى كذلك ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انا هدنآ ﴾ أى تبنا ﴿ اليك [1] ﴾ أى عما لا يليق بجنابك كما أمرتنا أن نجبر ما عساه يقع منا بالمبادرة إلى التوبة ، فبدأ بذكر عزة الربوبية و ثنى بذلة [1] العبودية و هما أقوى أسباب السعادة ، و هذا تلقين لهم و تعليم و تحذير [2]من مثل ما[2] وقعوا فيه و حث على التسليم ، و كأنه لما ١٠ كان ذنبهم الجهر بما لا يليق به سبحانه من طلب الرؤية ، عبر بهذا اللفظ أو ما يدل على معناه تنبيها لهم على أن اسمهم يدل على التوبة و الرجوع إلى الحق و الصيرورة إلى الصلاح و اللين و الضعف فى الصوت و الاستكانة فى الكلام و السكوت عما لا يليق ، و أن يهودا[3] الذى أخذ اسمه من ذلك إنما سموا به و نسبوا إليه تفاؤلا لهم ليتبادروا إلى التوبة .

١٥ و لما كان فى كلامه عليه السلام [إنكار - [4]] إهلاك الطائع بذنب العاصى و إن كان ذلك[5] إنما كان على سبيل الاستعطاف منه و التملق مع العلم بأنه عدل منه تعالى و له أن يفعل ما يشاء بدليل قوله " و لو شئت اهلكتهم من قبل و اياى " استأنف سبحانه الإخبار عن الجواب عن كلامه على وجه منبه للجماهير على أن له التصرف المطلق بقوله :

---

(١) فى ظ : بذكر (٢-٢) فى ظ : لما (٣) من ظ ، و فى الأصل : يهود (٤) زيه من ظ (٥) فى ظ : تلك .

﴿ قال عذابي ﴾ أي انتقامي الذي يزيل كل عذوبة عمن وقع به ﴿ اصيب به ﴾ أي في الدنيا و الآخرة ﴿ من اشآء ج ﴾ أي / [1] أذنب أو لم يذنب[1] ٣٦٢ / ﴿ و رحمتي ﴾ أي إنعامي و إكرامي .

و لما كان الإيجاد من الرحمة فانه خير من العدم فهو إكرام في الجملة ، قال : ﴿ وسعت كل شيء [2] ﴾ أي هذا شأنها و صفتها في نفس الأمر و إن بلغ في القبائح ما عساه أن يبلغ[2] ، و هذا هو معنى حديث أبي هريرة في الصحيح « إن رحمتي سبقت - و في رواية : غلبت - غضبي » سواء قلنا : إن السبق بمعنى الغلبة ، أو قلنا : إنه على بابه ، أما الأول فلأن تعلق الرحمة أكثر ، لأن كل من تعلق به الغضب تعلقت به الرحمة بإيجاده و إفاضة الرزق عليه ، و لا عكس كالحيوانات العجم و الجمادات [3] و أهل السعادة من المؤمنين و الملائكة و الحور و غيرهم من جنود الله التي لا تحصى . و لما [3] أعلم أن رحمته واسعة و قدرته شاملة ، وكان ذلك موسعا للطمع ، سبب عن ذلك قوله ذاكرا شرط إتمام تلك الرحمة ترهيبا لمن يتوانى عن تحصيل ذلك الشرط : ﴿ فساكتبها ﴾ أي أخص بدوامها بوعد لاخلف فيه لأجل تمكني [4] بتمام القدرة مما أريد مبتوتا أمرها بالكتابة ﴿ للذين يتقون ﴾ أي يوجد لهم هذا الوصف الحامل على كل خير و لا يخل [5] بوسعها أن أمنع دوامها بعد الإيجاد من غيرهم ، فان الكل لو دخلوا فيها دائما [ما - [6]] ضاقت بهم ، فهي في نفسها واسعة و [7] لكني أفعل ما أشاء .

(١-١) في ظ : اذنبت او لم تذنب (٢) من ظ ، و في الأصل : تبلغ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) في الأصل : يمكن ، و في ظ : تمكين (٥) من ظ ، و في الأصل : لا يخيل (٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ .

و لما ذكر نظرهم إلى الخالق بالانتهاء عما نهى عنه و الائتمار بما أمر به ، أتبعه النظر إلى الخلائق فقال : ﴿ و يؤتون الزكوٰة ﴾ و لعله[1] خصها لأن فرضها كان فى هذا الميقات كما تقدم فى البقرة و لأنها أمانة فيما بين الخلق و الخالق كما أن صفات النبي صلى الله عليه و سلم التى كتبها لهم و شرط قبول أعمالهم باتباعه كذلك ؛ ثم عمم[2] بذكر ثمرة التقوى فقال مخرجا لمن يوجد منه ذانك الوصفان فى الجملة على غير جهة العموم : ﴿ و الذين هم بايٰتنا ﴾ أى كلها ﴿ يؤمنون ﴾ أى يصدقون بالقلب و يقرون باللسان و يعملون تصديقا لذلك بالأركان ، فلا يكفرون ببعض و يؤمنون ببعض .

[و لما كان اليهود ربما ادعوا ذلك مكابرة ، أوضح غاية الإيضاح بقوله -[3]] : ﴿ الذين يتبعون ﴾ أى بغاية جهدهم ﴿ الرسول[4] ﴾ و لما كان هذا الوصف وحده غير مبين للمراد و لا صريح فى الرسالة عن الله و لا فى كونه من البشر ، قال : ﴿ النبي ﴾ أى الذى يأتيه الوحى من الله . فبدأ بالأشرف و ثنى بما خصه برسالة الله و كونه من الآدميين لا من الملائكة .

و لما لم يتم المراد ، قال مبينا لأعظم المعجزات ، و هى أن علمه بغير معلم من البشر : ﴿ الامى ﴾ أى الذى هو[5] مع ذلك العلم المحيط على [صفة -[3]] الأم ، و أمة العرب لا يكتب و لا يقرأ و لا يخالط العلماء للتعليم منهم بل لتعليمهم . فانطبق الوصف على الموصوف مع التنويه

(١) فى ظ : لعلها (٢) من ظ . و فى الأصل : عمهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : الرسل (٥) من ظ ، و فى الأصل : جر - كذا .

بجلالة الأوصاف و التشويق إلى الموصوف ، [و لم يعطف لئلا يوهم تعداد الموصوف - [1]] ؛ و المعنى أنى لا أغفر لأحد من بنى إسرائيل و لا من غيرهم إلا إن اتبع محمدا صلى الله عليه و سلم ، و هذا الاتباع تارة يكون بالقوة فقط لمن تقدم موته على زمانه ، و تارة يخرج من القوة إلى الفعل ممن لحق زمان دعوته ، [2]فمن علم[2] الله منه أنه لا يتبعه إذا أدركه لا يغفر له و لو عمل جميع الطاعات غير ذلك ، و عرفه لهم بجميع خواصه حتى لا يتطرق إليه عند مجيئه ريب و لا يتعلل فى أمره بعلة ، و لذلك أتبعه بقوله : ﴿ الذى[3] يجدونه ﴾ أى علماء بنى إسرائيل ؛ و لما اشتد تشوف السامع بذكر الوجدان ، قال : ﴿ مكتوبا ﴾ ثم قرب الأمر بقوله : ﴿ عندهم ﴾ ثم بين أنه مما لا يدخله شك بقوله : ﴿ فى التورٰة و الانجيل ذ ﴾ أى اللذين يعلمون أنهما من عند الله ، بصفته البينة كما تقدم بيانه عما عللوا[4] عن تبديله منهما فى البقرة عند " و اذ ابتلى ابرٰهيم ربه[5] " و فى ال عمران عند "ان الله اصطفى ادم و نوحا[6] " - الآيات ، و فى النساء عند " و ما قتلوه يقينا[7] " و فى التوراة أيضا من ذلك فى الفصل الحادى عشر من السفر الخامس : و إذا دخلتم الأرض التى يعطيكم الله ربكم فلا تعملوا مثل أعمال تلك الشعوب / و لا يوجد فيكم من يطلب تعليم العرافين ، ثم قال : لأن هذه الشعوب التى ترثونها كانت تطيع العرافين و المنجمين ، فأما أنتم فليس هكذا يعطيكم[8] الله ربكم ، بل يقيم لكم نبيا من إخوتكم مثلى ، / ٣٦٣

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ: فعلم (٣) من ظ و القرآن الكريم و فى الأصل : الذين (٤) فى ظ : غفلوا (٥) آية ١٢٤ (٦) آية ٣٣ (٧) آية ١٥٧ (٨) فى ظ : يطيعكم.

فأطيعوا ذلك النبي كما طلبتم إلى الله ربكم فى حوريب[١] يوم الجماعة[٢] و قلتم : لا تسمع صوت الله ربنا و لا تعاين هذه النار العظيمة لئلا[٣] نموت ، فقال الرب : ما أحسن ما تكلموا ، إنى سأقيم لهم[٤] نبيا من إخوتهم مثلك ، أجعل كلامى فى فيه و يقول لهم ما آمره به ، و الذى لا يقبل قول ذلك النبى الذى يتكلم باسمى أنا أنتقم منه و من[٥] سبطه - انتهى . هكذا رأيته مترجما فى بعض نسخ التوراة ، ثم رأيت السموأل بن يحيى المغربى ترجمه فى كتابه الذى ذكر فيه سبب إسلامه و كان من أكابر علمائهم بل العلماء فقال : نبيا أقيم لهم من وسط إخوتهم مثلك ، به فليؤمنوا - انتهى . و هو يعنى أن يكون هذا النبى محمدا صلى الله عليه و سلم لأنه من بنى إسماعيل أخى إسحاق و قد أتى بشريعة مستقلة لا تعلق لها[٦] بشريعة قبلها و لا توقف[٧] لها عليها ، و ذلك أن فى[٨] العبارة كلمتين : مثل و إخوة ، و حقيقة[٩] الأخ ابن[١٠] أحد الأبوين ، وهو لا يتأتى فى أحد من أنبيائهم ، فأقرب المجاز[١١] إلى حقيقته الحمل على أخى الأب ، و هو إسماعيل عليه السلام ، و الشائع فى الاستعمال فى نحو ذلك على تقدير إرادة أحد منهم أن يقال : من أنفسهم ، لا من إخوتهم ، و حقيقة المثل المشارك فى أخص الصفات ،

(١) من التوراة ، و فى الأصل : تحوريب ، و فى ظ : خويب (٢) من ظ ، و فى الأصل : الجمعة (٣) من ظ ، و فى الأصل : كيلا (٤) فى ظ : لكم (٥) من ظ ، و فى الأصل : منه - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : بها (٧) من ظ ، و فى الأصل : توصف (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : شقيقة (١٠) فى ظ : بنى . (١١) من ظ ، و فى الأصل : المجازاة .

و أخص صفات موسى عليه السلام الرسالة و الكتاب بشريعة مستقلة ، و لم يأت منهم بعده من هو بهذه الصفة ، لأن عيسى عليه السلام لم ينسخ من شريعة موسى عليه السلام إلا بعض الأحكام ، و على تقدير دعوى ذلك فيه لكونه نسخ فى الجملة و تسليم ذلك لا يتأتى قصده بهذا النص لوجهين : أحدهما أنه ليس من رجالهم إلا بواسطة أمه ، فحق العبارة فيه : من بنى ٥ أخواتهم - جمع أخت ، و إذا أريد آباء أمه كان المجاز فيهم أبعد من المجاز فى بنى إسماعيل لما تقدم[1] ، و لا ينتقل إلى الأبعد إلا بقرينة تصرف عن الأقرب - و الله أعلم . و قال السموأل بن يحيى أحد أحبارهم فى سبب إسلامه : إن اليهود يقولون : إن هذه البشارة نزلت فى [حق -[2]] سموأل[3] أحد أنبيائهم الذين بعد موسى لأنه كان[4] مثل موسى عليه السلام ١٠ فى أنه من سبط لاوى ، و قال : إنه رأى سموأل[3] عليه السلام فى المنام و أنه دفع إليه كتابا فوجد فيه هذه البشارة فقال له : هنيئا لك يا نبى الله ما خصك الله به ! فنظر مغضبا و قال : أو إياى أراد الله بهذا يا ذكى ! ما أفادتك إذن البراهين الهندسية ، فقلت : يا نبى الله ! فمن أراد الله بهذا ؟ قال[5] : الذى أراد فى قوله : هوفيع ميهار فاران ، و تفسيره إشارة إلى نبوة[4] ١٥ وعد بنزولها على جبال فاران ، فعرفت أنه يعنى المصطفى صلى الله عليه و سلم ، لأنه المبعوث من جبال فاران و هى جبال مكة ، ثم قال : أو ما علمت أن الله لم يبعثنى بنسخ[6] شىء من التوراة ، و إنما بعثنى أذكركم بها و أحيى شرائعها

(١) فى ظ : يقدم (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : شموال ، و فى التوراة : صموئيل .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : فقال (٦) من ظ ، و فى الأصل : نسخ .

و أخلصهم من أهل فلسطين ، قلت : بلى يا نبي[1] الله ! قال : فأى حاجة بهم إلى أن يوصيهم ربهم باتباع من لم ينسخ دينهم و لم يغير شريعتهم ، أرأيتهم احتاجوا إلى أن يوصيهم بقبول نبوة دانيال[2] أو يرميا أو حزقيل ؟ قلت : لا لعمرى ! فأخذ الكتاب من يدى[3] و انصرف مغضبا فارتعبت لغضبه و ازدجرت لموعظته و استيقظت مذعورا . و قال فى كتابه غاية المقصود فى الرد على النصارى و اليهود : إن الله يطلق الإخوة على غير بنى إسرائيل / كما قال فى بنى العيص بن إسحاق عليه السلام فى الجزء الأول من السفر الخامس ما تفسيره[4] : أنتم عابرون فى تخم[5] إخوتكم بنى العيص . فاذا كان بنو العيص إخوة لبنى إسرائيل لأن العيص و إسرائيل ولدا[6] إسحاق ، فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم عليهم السلام . قال : و فى الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة فى ذكر البشارة لإبراهيم عليه السلام ما تفسيره : و أما فى إسماعيل فقد قبلت دعاءك ، ها قد باركت فيه و أثمره و أكثره جدا جدا ، و قال : إن جدا[7] جدا بلسان العبرانى مفسر " بماد ماد " و هاتان الكلمتان إذا عددنا حروفهما بحساب الجمل كان اثنتين[8] و تسعين ، وذلك عدد حساب حروف اسم محمد صلى الله عليه و سلم ، يعنى فتعين أن يكون مرادا بها لأنها فى البشارة بتكثير إسماعيل عليه السلام ، و ليس فى

/٣٦٤

(١) فى ظ : رسول (٢) من ظ ، و فى الأصل : دنيال (٣) فى ظ : بيدى (٤) من ظ ، و فى الأصل : يفسره (٥) من التوراة ، و فى الأصل : غنم ، و فى ظ : نجم - كذا (٦) فى ظ : والد (٧) فى ظ : جد (٨) فى ظ : اثنين .

أولاده من كثره الله به و عدد اسمه هذا العدد[1] غير محمد صلى الله عليه و سلم ، قال : و إنما جعل ذلك فى هذا الموضع ملغزا ، لأنه لو صرح به لبدلته اليهود أو أسقطته من التوراة كما عملوا[2] فى غيره - انتهى . و فى آخر فصول التوراة : دعا موسى عبد الله لبنى إسرائيل قبل وفاته و قال : أتى[3] ربنا من سيناء و شرق لنا من جبل ساعير و ظهرلنا من جبل - و فى نسخة : جبال - فاران ، معه[4] ربوات الأطهار على يمينه . أعطاهم و حببهم إلى الشعوب و بارك على جميع أطهاره[5] ، و [هم -[6]] يتبعون آثارك و [7]يتناقلون كلماتك[7] . و فى نسخة بدل : معه ربوات الأطهار - إلى آخره : و أتى [من -[8]] ربوات القدس بشريعة نوره من يمينه لهم ، و اصطفى أيضا شعبا . فجميع خواصه فى طاعتك و هم يقفون آثارك و يتناقلون كلماتك - انتهى . فالذى ظهر من جبال فاران هو محمد صلى الله عليه و سلم ، لأنهم معترفون أنها مكة ، و معه ربوات ، أى جماعات الأطهار ، و أمته حببت إلى الشعوب ، لأن كلا من فريقى أهل الكتاب يقدمهم على الفريق الآخر ، و لم يقبل أحد جميع كلام موسى عليه السلام و يتبع جميع آثاره فى بشارته ممن يأتى بعده غيرهم - هذا و أما الإنجيل فالبشائر فيه أكثر و قد تقدم كثير منها ، و هى تكاد[9] أن تكون صريحة فى سورة النساء فى قصة رفعه عليه السلام ،

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) فى ظ : عملوه (٣) فى ظ : اتانا (٤) من ظ ، و فى الأصل : بعد - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : اطهارهم (٦) زيد من ظ . (٧ - ٧) من ظ ، و فى الأصل : يقبلون كلامك (٨) زيد من التوراة (٩) فى ظ : لا تكاد .

و مما فيه أيضا ما فى إنجيل متى و غيره و أغلب السياق له : كثيرا أولون يصيرون آخرين و آخرون يصيرون أولين ، يشبه ملكوت السماوات إنسانا رب بيت خرج بالغداة يستأجر فعلة لكرمه فشارط الأكرة على دينار واحد فى اليوم و أرسلهم إلى كرمه ، ثم خرج فى ثالث ساعة ٥ فأبصر آخرين قياما فى السوق بطالين ، فقال لهم : امضوا أنتم إلى كرمى و أنا أعطيكم ما تستحقون ، فمضوا ، و خرج أيضا فى الساعة السادسة و التاسعة فصنع[1] كذلك ، و خرج فى الحادية عشرة فوجد آخرين قياما ، فقال لهم : ما قيامكم[2] كل النهار بطالين ؟ فقالوا له : لم يستأجرنا أحد ، فقال لهم : امضوا أنتم بسرعة إلى الكرم و أنا أعطيكم ما تستحقون ، ١٠ فلما كان المساء قال رب الكرم لوكيله : ادع الفعلة و أعطهم الأجرة و ابدأ بهم من الآخرين إلى الأولين ، فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة فأخذوا دينارا كل واحد ، [3]فجاء الأولون فظنوا[3] أنهم يأخذون أكثر فأخذوا دينارا كل واحد ، و [لما أخذوا -[4]] تعمقوا على رب البيت و قالوا : إن هؤلاء الآخرين عملوا ساعة واحدة ، جعلتهم أسوتنا و نحن حملنا ثقل[5] ٣٦٥/ ١٥ / النهار و حره ! فقال لواحد منهم : يا صاحب ! ما ظلمتك . ألست بدينار شارطتك ، خذ شيئك و امض ، أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك ، أو ما لى أن أفعل ما أردت بمالى ؟ و أنت عينك شريرة[6] ، كذلك يكون الآخرون أولين[7] ، و الأولون آخرين[8] . ما أكثر المدعوين[9] و أقل المنتخبين ،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : قيامهم (٣-٣) فى ظ : جاوا الأولين و ظنوا .
(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : نعمل - كذا (٦) فى ظ : شرير .
(٧) فى ظ : اولون (٨) فى ظ : آخرون (٩) فى ظ : الموعودين .

و قال : و دخل إلى الهيكل فجاء إليه رؤساء الكهنة و شيوخ الشعب و قالوا له و هو يعلم : بأيّ سلطان تفعل[1] هذا ؟ و من أعطاك هذا السلطان ؟ أجاب يسوع و قال لهم : أنا أسألكم عن كلمة واحدة ، فان أنتم قلتم لى قلت لكم بأيّ سلطان أفعل هذا ، معمودية يوحنا من أين هى ؟ من السماء أو من الناس ؟ ففكروا فى نفوسهم قائلين : إن قلنا : من السماء ، قال لنا : لما ذا لم تؤمنوا به ؟ و إن قلنا : من الناس ، خفنا من الجمع ؛ و قال لوقا : و إن قلنا من الناس فان جميع الشعب يرجمنا لأنهم قد تيقنوا أن يوحنا نبى ؛ و قال متى : لأن [2]يوحنا كان عندهم مثل نبى ؛ و قال مرقس : لأن جميعهم كان يقول : إن يوحنا نبى ؛ قال متى[2] : فقالوا : لا نعلم ، فقال : و لا أنا أيضا أعلمكم بأيّ سلطان أفعل هذا . قال مرقس : و بدأ يكلمهم بأمثال قائلا ؛ قال متى : ما ذا تظنون بانسان كان له ابنان فجاء إلى الأول فقال له : يا بنى ! اذهب اليوم و اعمل فى الكرم ، فأجاب و قال : ما أريد - و بعد ذلك ندم و مضى ، و جاء إلى الثانى و قال له[3] مثل هذا فأجاب و قال : نعم يا رب ! أنا أمضى - و لم يمض ، من منهما فعل إرادة الأب ؟ فقالوا له : الأول ، فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم ! إن العشارين و الزناة يسبقونكم إلى ملكوت الله ، جاءكم يوحنا بطريق[4] العدل فلم تؤمنوا به ، و العشارون و الزناة آمنوا به ، فأما أنتم فرأيتم ذلك ولم تندموا[5] أخيرا لتؤمنوا به . اسمعوا مثلا آخر : إنسان رب بيت غرس كرما و أحاط[6]

(١) من ظ ، و فى الأصل : يفعل (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : لهم (٤) فى ظ : بالطريق (٥) من ظ ، و فى الأصل : لم يندموا (٦) فى ظ : احاق .

به سياجا و حفر فيه معصرة و بنى فيه برجا و دفعه إلى فعلة و سافر - قال لوقا : زمانا كثيرا - فلما قرب زمان الثمار أرسل[1] عبيده إلى الفعلة ليأخذوا ثمرته ، فأخذ الفعلة عبيده ، ضربوا بعضا و قتلوا بعضا و رجموا بعضا ، فأرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين فصنعوا بهم كذلك ، و فى الآخر أرسل إليهم ابنه و قال : لعلهم يستحيون من ابنى ، فلما رأى الفعلة الابن قالوا : هذا هو الوارث تعالوا نقتله و نأخذ[2] ميراثه ، فأخذوه و أخرجوه خارج الكرم و قتلوه ، فاذا جاء رب البيت ما ذا يفعل بهؤلائك الفعلة ؟ قالوا له : يهلكهم و يدفع الكرم إلى فعلة آخرين ليعطوه ثمرته فى حينه ، قال لهم يسوع : أ ما قرأتم [قط -[3]] فى الكتب أن الحجر الذى رذله البناؤن صار رأس الزاوية ، هذا كان من قبل الرب و هو عجب فى أعيننا ، من هذا أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم و يعطى لأمم يصنعون ثمرتها ، و من سقط على هذا الحجر ترضض ، و من سقط عليه طحنه . فلما سمع رؤساء الكهنة و الفريسيين أمثاله[4] علموا أنه يقول من أجلهم ، فهموا أن يمسكوه و خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبى . و قال أيضا : يشبه ملكوت السماء رجلا صنع عرسا لابنه . فأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس ، فلم[5] يريدوا أن يأتوا ، ثم أرسل عبيدا آخرين و قال : قولوا للدعوين : إن طعامى معد ، و عجولى المعلوفة قد ذبحت وكل شىء معد ، فتعالوا إلى العرس ، فتكاسلوا

(١) فى ظ : ارسلوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : ناخذه (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : امثالهم (٥) فى ظ : فلما .

و ذهبوا

/ و ذهبوا فمنهم إلى حقله و منهم إلى تجارته و البقيـــة أمسكوا عبيده / ٣٦٦
و شتموهم[1] و قتلوهم ، فلما بلـغ الملك غضب و أرسل جنده و أهلك
هؤلائك القتلة و أحرق مدينتهم ؛ حينئذ قال لعبيده : أما العرس فمستعد ،
و المدعوون فغير مستحقين ، اذهبوا إلى مسالك الطريق و كل من وجدتموه
ادعوه إلى العرس ، فخرج أولئك العبيد إلى الطرق[2] فجمعوا كل من ٥
وجدوا أشرارا و صالحين ، فامتلأ العرس من المتكئين ، فلما دخل الملك
لينظر إلى المتكئين رأى هناك رجلا ليس عليه ثياب العرس [فقال :
يا هذا ! كيف دخلت ههنا و ليس عليك ثياب العرس ؟[3]] فسكت ،
حينئذ قال الملك للخدام : شدوا يديه و رجليه و أخرجوه[4] إلى الظلمة
البرانية ، هناك يكون البكاء و صرير الأسنان ، ما أكثر المدعوين و أقل ١٠
المنتخبين . و عبارة لوقا عن ذلك : إنسان صنع وليمة عظيمة و دعا
كثيرا ، فأرسل عبده[5] يقول للمدعوين يأتون فهو ذا كل شيء معد ، فبدأوا
بأجمعهم يستعفون ، فالأول قال : قد اشتريت كرما ، و الضرورة تدعوني
إلى الخروج و نظره[6] ، فأسألك أن تعفيني[7] فما أجيء ، و قال آخر :
قد اشتريت خمسة أزواج بقر و أنا ماض أجر بها ، أسألك أن تعفيني ١٥
فما أجيء ، و قال آخر[8] : قد تزوجت امرأة ، لأجل ذلك ما أقدر أجيء ،
فأتى العبد و أخبر سيده ، فحينئذ غضب رب البيت و قال لعبده : اخرج

(١) من ظ ، و في الأصل : شتموه (٢) من ظ ، و في الأصل : الطريق (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : اخرجوا (٥) سقط من ظ (٦) في ظ : نظيره (٧) في ظ : يعفيني (٨) في ظ : الآخر .

مسرعا إلى الطريق و شوارع المدينة و ادع المساكين و العور و العميان و المقعدين[١] ، اخرج إلى الطريق و السياجات و ألح عليهم حتى يدخلوا و يمتلئ[٢] بيتي و لا أجد من هؤلائك يذوق لي عشاء . و قال يوحنا : الحق أقول لكم! إن من[٣] لا يدخل من الباب إلى حظيرة[٤] الخراف ، بل يتسور من موضع آخر فان ذلك لص ، الذى يدخل من الباب هو راعى الخراف ، و البواب يفتح له ، و الخراف تسمع[٥] له ، و كباشه تتبعه[٦] لأنها تعرف صوته[٧] ، و الراعى الصالح يبذل[٨] نفسه عن الخراف ، فأما الآخر الذي ليس براع و ليست[٩] الخراف له ، فاذا رأى الذئب قد أقبل يدع الخراف و يهرب ، فيأتى الذئب و يخطف و يبدد الخراف ، و إنما يهرب الأجير لأنه مستأجر و ليس يشفق على الخراف ، أنا الراعى الصالح ، و لى كباش أخر ليست من هذا القطيع ، فينبغى[١٠] لى أن آتى بهم أيضا ، فتكون[١١] الرعية واحدة ، فوقع أيضا بين اليهود خلف من أجل هذا القول و قال كثير منهم : إن به شيطانا قد جن ، فما استماعكم منه ! و قال آخرون : إن هذا ليس كلام مجنون . و[١٢] فى أوائل السيرة الهشامية[١٣] : قال ابن إسحاق :

(١) زيد بعده فى إنجيل لوقا : فقال العبد : يا سيد ! قد صار كما أمرت ، و يوجد أيضا مكان (٢) فى ظ : تمتلى (٣) فى ظ : ما (٤) من الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : حظر (٥) من ظ ، و فى الأصل : يسمع (٦) من ظ ، و فى الأصل : يتبعه . (٧) فى ظ : صورته (٨) فى ظ : يبدا (٩) فى ظ : ليس (١٠) سقط من ظ . (١١) من ظ ، و فى الأصل : و يكون (١٢) زيد فى ظ : قال (١٣) فى ظ : الهاشمية .

و قد كان فيما بلغنى عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاءه[1] من الله فى الإنجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه و سلم مما أثبت يحنس الحوارى لهم حين[2] نسخ لهم الإنجيل أنه قال: من أبغضنى فقد أبغض الرب، و لو لا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة، و لكن من الآن بطروا و ظنوا أنهم يعزونى و أيضا للرب، و لكن ٥ لا بد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس [3]أنهم أبغضونى[3] مجانا - أى باطلا، فلو قد جاء المنحمنا هذا الذى يرسله الله إليكم من عند الرب روح القدس[4]، هذا الذى من عند الرب خرج، فهو شهيد علىّ و أنتم أيضا لأنكم قديما كنتم معى، هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا[5]. فالمنحمنا بالسريانية محمد، و هو بالرومية / البارقليطس - انتهى. ١٠ /٣٦٧

و لما دل سبحانه عليه صلى الله عليه و سلم بأوصافه فى نفسه و فى الكتب الإلهية، دل عليه بشريعته فقال: ﴿ يامرهم بالمعروف ﴾ أى بكل ما يعرفونه من التوراة و الإنجيل و ما يعرفونه فيهما أنه ينسخ شرعهم و يأتى من عند الله بهذا المذكور ﴿ و ينهٰهم عن المنكر ﴾ أى عن كل ما ينكرونه فيهما، فثبتت[6] بذلك رسالته، فانه لكونه أميا لا يعرف ١٥ المعروف و المنكر فيهما إلا و هو[7] صادق عن علام الغيوب؛ ثم شرع

(١) من ظ و السيرة ١/٨٠، و فى الأصل: جاء (٢) من السيرة، و فى الأصل و ظ: حتى (٣-٣) فى ظ: انتم ابغضتمونى (٤) من السيرة، وفى الأصل وظ: القسط (٥) من ظ و السيرة، وفى الأصل: لاتسلكوا - كذا (٦) فى ظ: فتثبت. (٧) فى ظ: هى.

بعد ثبوت رسالته يبين لهم ما فى رسالته من المنة عليهم بالتخفيف عنهم باباحة ما كانوا قد حملوا ثقل تحريمه ، فكانوا لا يزالون يعصون الله بانتهاك حرماته و الإعراض عن تبعاته فقال : ﴿ و يحل لهم الطيبت ﴾ أى التى كانت حرمت عليهم عقوبة لهم كالشحوم[1] ﴿ و يحرم عليهم ﴾ [و عبر بصيغة الجموع إشارة إلى أن الخبيث أكثر من الطيب فى كل مأتى الأصل فقال -[2]] : ﴿ الخبئث ﴾ أى كل ما يستخبثه الطبع السليم أو يؤدى [إلى -[2]] الخبث كالخمر المؤدية إلى الإسكار و الرشى المؤدية إلى النار بعد قبيح العار ﴿ و يضع عنهم اصرهم ﴾ أى ثقلهم الذى كان حمل عليهم فجعلهم لثقله كالمحبوس الممنوع من الحركة ﴿ و الاغلل التى كانت عليهم[1] ﴾ أي جميع ما حملوه من الأثقال التى هى لثقلها[3] وكراهة النفوس لها كالغل الذى يجمع اليد إلى العنق فيذهب القوة ﴿ فالذين امنوا به ﴾ أى أوجدوا بسببه الأمان من التكذيب بشىء من آيات الله ﴿ و عزروه ﴾ أى منعوه من كل من[4] يريده[5] بسوء و قووا يده تقوية عظيمة على[6] كل من يكيده؛ قال فى القاموس : و التعزير : ضرب دون الحد أو هو[7] أشد الضرب ، و التفخيم و التعظيم ضد ، و الإعانة كالعزر و التقوية و النصر - انتهى . و قال عبد الحق : العزر : المنع ، تقول : عزرت فلانا عن كذا ، أى منعته - انتهى . فالمادة كلها تدور على هذا المعنى و الضرب واضح فيه ، و التعظيم و ما فى معناه منع من يكيده ﴿ و نصروه ﴾ أي أيدوه

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالشحوم (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ايلها - كذا (٤) فى ظ : ما (٥) زيدت الواو بعده فى ظ . (٦) فى ظ : عن (٧) من القاموس ، و فى الأصل و ظ : عن .

و قمعوا

و قمعوا مخالفه ﴿ و اتبعوا النور ﴾ أى الوحى من [1]القرآن و السنة[1] ﴿ الذى انزل معه ﴾ أى مصاحبا إنزاله إرساله ، سمى نورا لأنه يجعل المقتدى به ببيان طريق الحق كالماشى فى ضوء النهار ﴿ اولئك هم ﴾ أى خاصة ﴿ المفلحون ﴾ أى الفائزون بكل مأمول .

و لما تراسلت الآى و طال المدى[2] فى أقاصيص موسى عليه السلام و[3] بيان مناقبه العظام و مآثره الجسام ، كان ذلك ربما أوقع فى بعض النفوس أنه أعلى المرسلين منصبا و أعظمهم رتبة ، فساق سبحانه هذه الآيات هذا السياق على هذا الوجه الذى بين أن[3] أعلاهم مراتب و أزكاهم مناقب الذى خص برحمته من يؤمن به من خلقه قوة أو فعلا ، و جعل سبحانه ذلك فى أثناء قصة بنى إسرائيل اهتماما به و تعجيلا له مع ما سيذكر مما يظهر أفضليته و يوضح أكليته بقصته مع قومه فى مبدإ أمره و أوسطه و منتهاه فى سورتى[4] الأنفال و براءة بكمالها .

ذكر شىء من الآصار التى كانت عليهم و خففت عنهم لو دخلوا فى الإسلام ببركته صلى الله عليه و سلم غير ما أسلفته فى آخر البقرة عند قوله تعالى " و لا تحمل علينا اصرا[5] " و فى المائدة عند قوله تعالى " وليحكم اهل الانجيل[6] " قال فى السفر الثانى من التوراة : [و - [7]] قال الرب لموسى : اعمد فخذ طيبا - إلى أن قال : و ليكن معجونا طيبا للقدس و دقه و اسحقه و بخر منه قدام تابوت الشهادة فى قبة الزمان

(١-١) فى ظ : القرا - كذا (٢) فى ظ : المذعى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : سورة (٥) آية ٢٨٦ (٦) آية ٤٧ (٧) زيد من ظ .

لأواعدك إلى هناك ، و يكون عندكم طهرا مخصوصا ، و أيما رجل اتخذ مثله ليتبخر به فليهلك ذلك الرجل من شعبه ؛ و قال فى الثالث : ثم كلم الرب موسى قال له : كلم هارون و بنيه و جماعة بنى إسرائيل و قل لهم : هذا ما أمرنى به الرب أن أخبركم ، أىّ رجل من بنى إسرائيل يذبح ٥ فى محلة بنى إسرائيل أو يذبح خارجا من العسكر و لا يجىء بقربانه إلى باب قبة الزمان ليقربه / يعاقب ذلك الرجل عقوبة من قتل قتيلا ؛ و كلم الرب /٣٦٨ موسى و قال له : كلم هارون و قل له : من كان فيه عيب من نسلك - أى من الأحبار - فى جميع الأحقاب[1] لا يدنو من مقدسى ، لا يقرب قربانا مثل الرجل الأعرج و الأعمى و الأفطس و الأصمع الأذن أو رجل ١٠ مكسور اليد أو رجل قصير أو منحن أو رجل قد أشتر حاجباه أو أجهر العين أو من فى عينه بياض أو أبرص أو أحدب أو رجل له خصية واحدة ، أىّ رجل كان فيه عيب [من -[2]] نسل هارون الكاهن لا يدنو من المذبح ليقرب قربان الرب لأن فيه عيبا ؛ و قال فى السفر الرابع و هو [من -[2]] الحجج على أن[3] التوراة لم تنزل جملة : و كلم الرب ١٥ موسى فى برية سيناء فى السنة الثانية لخروج بنى إسرائيل من مصر فى الشهر الأول و قال : تعمل بنو[4] إسرائيل الفصح فى وقته فى أربعة عشر يوما من هذا الشهر - إلى أن قال : و عملوا الفصح ، و القوم الذين تنجسوا بأنفس الناس لم يقدروا أن يعملوا الفصح فقالوا : قد تنجسنا بأنفس الناس ، أى مسسنا ميتا ، فهل يحرم علينا عمل الفصح ؟ فقال لهم موسى :

(١) زيد فى ظ : أى (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : بنى .

قوموا فى مواضعكم حتى تسمعوا ما يأمر الرب فيكم ، وكلم الرب موسى وقال له : قل لهم : الرجل إذا تنجس منكم لميت أو كان فى مكان بعيد يعمل فصحا للرب فى أربعة عشر يوما من الشهر الثانى ، ومن كان زكيا ولم يكن مسافرا ولم يعمل الفصح فى وقته تهلك تلك النفس من بين بنى إسرائيل ، وقال قبل ذلك : وكلم الرب موسى وقال له : مر بنى إسرائيل أن يخرجوا[1] من عسكرهم كل من به برص أو سلس وكل من كان نجسا بنفسه ذكرا كان أو أنثى ، يخرجونهم خارج العسكر ، ولا تنجسوا عساكركم[2] لأنى نازل بينكم ؛ ثم ذكر : الرجل إذا غار على امرأته واتهمها ، إنه يأتى الكاهن فيقيمها ويلقنها لعنا ، فاذا قالته كتبه وأخذ ماء مقدسا فى وعاء فخار ووضع فيه من التراب الذى أسفل المذبح وسقاه لها ، فان كانت خانت انتفخ بطنها وفسد فخذاها وتصير لعنة[3] فى شعبها ، وإن كانت لم تخن تطهرت وولدت ذكرا ، ثم أمرهم بذبح بقرة وإحراقها حتى تصير رمادا ، ويغسل الحبر الذى ذبحها ثيابه ويديه ، فكل من يقترب إلى ميت أو ميتة[4] يكون نجسا سبعة أيام ، وينضح عليه من ذلك الماء فى اليوم الثالث واليوم السابع ويتطهر[5] ، وإن لم يرش عليه كذلك فلا يتطهر ، وكل من دنا من إنسان ميت ولا ينضح عليه من ذلك الماء فقد نجس جناب[6] الرب ، فلتهلك تلك النفس لأنه لم ينضح عليه من ماء الرش شىء ، فلذلك يكون نجسا ولا يفارقه[7] نجاسته ، وهذه

(١) من ظ ، وفى الأصل : يقولوا - كذا (٢) من ظ ، وفى الأصل : عساكرهم.
(٣) من ظ ، وفى الأصل : لعنها (٤) فى ظ : يمسكه (٥) من ظ ، وفى الأصل : يتطهرون (٦) فى الأصلين : جنا - كذا (٧) فى ظ : لا تفارقه .

سنة الإنسان إذا مات فى قبة الزمان ، فكل[1] من [كان -[2]] هناك فى القبة وكل من يدخلها يكون نجسا [سبعة أيام ، وكل وعاء يكون مكشوفا غير مغطى يكون نجسا -[2]] ، وكل من دنا من قتيل أو يمس عظم إنسان أو يدخل القبر يكون نجسا سبعة أيام و يؤخذ للتنجس من ٥ رماد البقرة و يصب فى وعاء ماء عذب و ينضح منه - على كيفية ذكرها - ليكون زكيا ، و من تنجس[3] و لم يرش عليه من ذلك الماء تهلك نفسه من جماعتها ، و من دنا من ماء الرش يكون نجسا[4] إلى الليل ، [و من اقترب إلى ذلك الذى تنجس يكون نجسا إلى الليل -[2]] ؛ ثم قال : ثم كلم الرب موسى و قال له : مر بنى إسرائيل و قل لهم : قرابتى [5]تكون ١٠ محفوظة[5] فى أوقاتها - ثم ذكر له كثيرا من أمر القرابين ، ثم ذكر من أوقاتها يوم السبت و رؤس الشهور ، ثم قال : و فى أربع عشرة ليلة من الشهر الأول[6] هو فصح الرب ، و يوم خمسة عشر اتخذوه عيدا ، وكلوا الفطير سبعة أيام ، [و صيّروا -[7]] / أول يوم من السبعة مميزا[8] مطهرا ، /٣٦٩ لا تعملوا فيه عملا ، و اليوم السابع يكون مميزا[8] مطهرا لا تعملوا فيه عملا ، ١٥ و أول يوم من الشهر السابع يكون مختصا مطهرا ، لا تعملوا فيه عملا[9]

(١) فى ظ : كل (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ينجس (٤) زيد فى ظ : الى الرش (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : يكون يحفظه - كذا . (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٧) من ظ ، و فى الأصل بياض (٨) فى ظ : متميزا (٩) من ظ ، و فى الأصل : شيئا .

مما يعمل ، بل صيروه يوما يهتف فيه بالقرون ، و قربوا ذبائح كاملة - ثم وصفها وكذا غيره من الأيام ثم قال: وكذلك فافعلوا فى أول الشهر أبدا ، وفى عشر من الشهر السابع اجعلوه يوما مختصا ، مطهرا لا تعملوا فيه عملا ، [1]و لكن قربوا ، و يوم خمسة عشر من هذا الشهر السابع ، و يكون مدعوا ، لا تعملوا فيه عملا[1]، بل اتخذوه عيدا للرب سبعة أيام ؛ ثم قال: حتى إذا كان اليوم الثامن فاحتفلوا[2] بأجمعكم ، و لا تعملوا شيئا مما يعمل ، و قربوا قرابين كاملة - و أطال فى ذلك جدا على كيفيات حفظها فضلا عن العمل بها فى غاية المشقة ؛ ثم قال: و قربوا للرب فى أيام أعيادكم غير نذوركم و غير خواصكم التى[3] تختصون للرب ؛ ثم قال مخاطبا للمجاهدين فى مدين: و أما أنتم فانزلوا خارجا من[4] العسكر سبعة أيام ، كل من قتل نفسا أو مس قتيلا ينضح عليه من ماء التطهير فى الثالث و السابع - و أمرهم[5] بأشياء من الآصار ثم قال: و تطهروا[6] بالماء فى اليوم السابع ، ثم بعد ذلك تدخلون[7] العسكر ؛ ثم قال فى الخامس: هذه السنن و الأحكام[8] التى يجب[8] عليكم أن تعملوها و تحفظوها فى الأرض التى[3] يعطيكم الله ربكم ميراثا كل أيام حياتكم ، خربوا كل البلدان التى ترثونها ، و الآلهة[9] التى عبدها أهلها فيها على الجبال

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل: فاختلفوا (٣) فى ظ : الذى (٤) فى الأصل : عن (٥) فى الأصل : امر (٦) من ظ ، وفى الأصل : يطهروا (٧) فى ظ : يدخلون (٨-٨) فى الأصل : الذى تجب (٩) فى الأصل : الآلة - كذا .

الرفيعة و الآكام [و -[1]] تحت كل شجرة كبيرة تظل ، و استأصلوا مذابحهم و كسروا [أنصابهم ، و أحرقوا أصنامهم المصنوعة و -[2]] أوثانهم المنحوتة[3] ، و لا تصنعوا أنتم مثل ما[3] صنع أولئك فى عبادتكم الله ربكم[3] ، و لكن المواضع التى يختار الله ربكم أن تصيّروا[4] اسمه فيها من جميع قبائلكم ، ٥ و افحصوا عن محلته ، و انطلقوا بجمعكم بقرابينكم الكاملة ، كلوا هناك أمام الله ربكم أنتم و أهاليكم ، و لا تعملوا كما يعمل هاهنا اليوم - أى قبل الوصول إلى أرض الميراث ؛ ثم قال[5] : انظروا لا تقربوا قرابينكم فى المواضع التى تريدون[6] ، لكن فى الموضع الذى يختار الرب ، فى حد سبط من أسباطكم ؛ ثم قال : و إذا بنيت بيتا جديدا فحجر على البيت لئلا يقع ١٠ إنسان من فوقه فليلزمك دمه ، و لا تزرعن[7] فى حرثك خلطا[8] لئلا تفسد غلة زرعك و كرمك ، لا تحرث[9] بالثور و الحمار جميعا ، و لا تنسج[10] ثوبا من قطن و صوف جميعا ، اعمل خيوطا فى أربعة أطراف ردائك الذى تلبس ؛ ثم قال : و إن وجد رجل فتاة عذراء لم تملك ، فيظفر بها و يضاجعها و يوجد[11] ، يدفع إلى أبيها خمسين مثقالا[12] من فضة ، وتصير ١٥ امرأته لأنه فضحها ، و لا يقدر أن يطلقها حتى يموت . و لا يدخل

(١) زيدت الواو من التوراة - الأصحاح الثانى عشر (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى الأصل : يصيروا (٥) فى الأصل : قيل (٦) من ظ ، و فى الأصل : يريدون (٧) من ظ ، و فى الأصل : يزرعن (٨) فى ظ : خطأ . (٩) من ظ ، و فى الأصل : لا يحرث (١٠) من ظ ، و فى الأصل : لا ينسج . (١١) من ظ ، و فى الأصل : يوخذ (١٢) فى ظ : مثقال .

ولد الزنا إلى بيت الرب ، و لا يدخل نسله من بعده إلى عشرة أحقاب ، [1]و لا يدخل عمانى و لا موآبى[2] إلى بيت الرب ، و لا يدخل نسلهما من بعدهما إلى عشرة أحقاب ، لأنهم لم يضيفوكم و لم يعشوكم بالخبز و الماء حيث خرجتم من أرض مصر ، و لأنهم اكتروا[3] بلعام بن بعور من فتورام[4] من بين النهرين[5] - و هى حران - ليلعنكم ، و لم يحب الرب أن ٥ يسمع قول بلعام بن بعور ، و قلب الله لعنه إلى الدعاء ، لأن الله ربكم أحبكم ، فلا تريدوا لهم الخير أيام حياتكم ، لا تدفعوا الأدومى عنكم لأنه أخوكم ، و لا تبعدوا المصرى أيضا لأنكم كنتم سكانا بأرض مصر . و إن كان فى معسكركم[6] رجل[7] أصابته جنابة ، يخرج خارج العسكر ، و لا يجلس بين أصحابه فى العسكر ، و إذا كان العشى فليستحم بالماء ، و إذا غابت الشمس ١٠ و أمسى يدخل العسكر ، و ليكن لكم موضع معروف خارج العسكر تخرجون[8] إليه إلى الخلاء ، / و يكون على سلاحكم وتد من حديد ، فاذا / ٣٧٠ جلستم للخلاء[9] احفروا موضعا[10] للخلاء و غطوا رجيعكم ، لأن الله ربكم معكم فى العسكر لينقذكم و يدفع عنكم[11] أعداءكم ، فليكن عسكركم مطهرا

(١) العبارة من هنا إلى « عشرة أحقاب » ساقطة من ظ (٢) من التوراة - الأصحاح الثالث و العشرين ، و فى الأصل : موالى - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : كروا - كذا (٤) فى ظ : قنتورا - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : النهر (٦) فى ظ : عسكركم (٧) من ظ ، و فى الأصل : رجلا (٨) من ظ ، و فى الأصل : يخرجون (٩) من ظ ، و فى الأصل : الخلاء (١٠) تكرر فى ظ . (١١) من ظ ، و فى الأصل : اليكم .

مزكيا[1] لئلا يرى فيكم أمرا قبيحا، فيرتفع عنكم و لا يصحبكم؛ ثم قال: و إن سكن أخوان جميعا و مات أحدهما و لم يخلف ولدا، لا تتزوج[2] امرأته من رجل غريب، و لكن يتزوج بها وارثه و يقيم زرعا، و أول ولد تلد ينسب إلى أخيه الذى مات، و يقال: إنه ابن ذلك الذى مات ٥ و لم يخلف ولدا. لئلا يبيد اسمه من بنى إسرائيل، و إن لم يعجب[3] الرجل أن يتزوج امرأة أخيه، ترتفع[4] امرأة أخيه إلى المشيخة فيدعونه، فان ثبت على قوله تتقدم إليه المرأة بين يدى المشيخة و تخلع[5] خفيه من قدميه و تبصق فى وجهه و تقول: كذلك يصنع بالرجل الذى لا يحب أن يبنى بيتا لأخيه، و يدعى اسمه بين بنى إسرائيل: صاحب خلع الخفين، ١٠ و إن شاجر الرجل صاحبه فدنت امرأة أحدهما لتخلص[6] زوجها من الذى يقاتله[7]، فتمد يدها إلى مذاكير الرجل، يقطع يدها و لا يشفق عليها و لا يترحم[8] - انتهى. وكل هذه الآصار على النصارى أيضا ما لم يرد فى الإنجيل نسخها.

و لما تم ما نظمه تعالى فى أثناء هذه القصص من جواهر أوصاف ١٥ هذا النبى الكريم حثا على الإيمان [به -[9]] و إيجابا له على وجه علم منه أنه رسول الله إلى كل مكلف تقدم زمانه أو تأخر؛ أمره سبحانه أن

(١) فى ظ: زكيا (٢) من ظ، و فى الأصل: لا يتزوج (٣) من ظ، و فى الأصل: لم تعجب (٤) من ظ، و فى الأصل: يرتفع (٥) من ظ، و فى الأصل: يخلع (٦) من ظ، و فى الأصل: ليحصل (٧) من ظ، و فى الأصل: يقابله (٨) فى ظ: لا ترحم (٩) زيد من ظ.

يصرح بما تقدم التلويح إليه، و يصرح بما أخذ ميثاق الرسل[1] عليه تحقيقا لعموم رسالته و شمول دعوته فقال: ﴿ قل ﴾ و أتى بأداة البعد لأنه محلها ﴿ يآيها الناس ﴾ و قد مضى فى الأنعام أن اشتقاقهم[2] من النوس، و أن الإمام السبكى قال: إن ذلك يقتضى دخول الجن و الملائكة فيهم. و تقدم عند "و لا تبخسوا الناس اشياءهم" فى هذه السورة ما ينفع هنا ٥ ﴿ انى رسول الله ﴾ أى الذى له جميع الملك ﴿ اليكم جميعا ﴾ أى لا فرق بين من أدركنى و من تأخر عنى أو[3] تقدم علىّ فى أن الكل يشترط عليهم الإيمان بى و الاتباع لى؛ و هذا المراد بقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الشيخان و غيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه حين رفع إليه الذراع فنهش منها فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة. و للدارمى فى أوائل مسنده ١٠ عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم [قال - [4]] «أنا قائد المرسلين و لا فخر، و أنا خاتم النبيين و لا فخر، و أنا أول شافع و [أول -[4]] مشفع و لا فخر» و للترمذى فى المناقب عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم[5] قال «أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا، و أنا قائدهم إذا وفدوا، و أنا خطيبهم إذا أنصتوا، و أنا مستشفعهم إذا حبسوا، و أنا ١٥ مبشرهم إذا أيسوا[6]، لواء الحمد يومئذ بيدى، و أنا أكرم ولد آدم على ربى و لا فخر[7]» و قال: حديث حسن غريب؛ و له فى المناقب أيضا عن أبى

(١) من ظ، و فى الأصل: الرجل (٢) من ظ، و فى الأصل: انشقاقهم (٣) فى ظ «و» (٤) زيد من أوائل مسند الدارمى - الباب ٨ (٥) العبارة من «قال أنا» إلى هنا ساقطة من ظ (٦) فى الأصل: ييسوا - كذا (٧) و هذا الحديث فيما =

ابن كعب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين و خطيبهم و صاحب شفاعتهم غير فخر » و قال : حسن صحيح غريب ؛ و للترمذى و الدارمى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال « ألا ! و أنا حبيب الله و لا فخر ، و أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر . و أنا أول شافع و أول مشفع يوم القيامة و لا فخر ، و أنا أكرم الأولين و الآخرين ولا فخر » و للترمذى - و قال : حسن - عن[1] أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم / قال « أنا[2] سيد ولد آدم يوم القيامة و لا فخر ، و بيدى لواء الحمد و لا فخر ، و ما[3] من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى » . الفخر : ادعاء[4] العظمة و الكبر و الشرف ، أى لا أقوله تبجحا ، و لكن شكرا و تحديثا بالنعمة ؛ و ما اجتمع بهم فى مجمع إلا كان إمامهم قبل موته و بعده ، اجتمع بهم ليلة الإسراء فى بيت المقدس فصلى بهم إماما ، ثم اجتمع بهم فى السماء فصلى بجميع أهل السماء إماما ، [و أما -[5]] يوم الجمع الأكبر و الكرب[6] الأعظم فيحيل الكل عليه و يؤمنون بالرسالة[7] ، و ما[8] أحال بعض الأكابر على بعض إلا علما منهم بأن الختام يكون به ، ليكون أظهر للاعتراف بأمانته و الانقياد لطاعته ، لأن المحيل على المحيل

/ ٣٧١

= عندنا من نسخة الترمذى أخصر مما هنا ، و راجع أيضا أوائل مسند الدارمى - الباب ٨ .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : اى (٣) فى ظ : لا (٤) من ظ ، و فى الأصل : دعاء (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : لكرب (٧) من ظ ، و فى الأصل : بالرياسة . (٨) من ظ ، و فى الأصل : اما .

على الشيء محيل على ذلك الشيء ، و لو أحال أحد ممن قبل[1] عيسى عليه السلام عليه لطرقه احتمال ، و الحاصل أنه صلى الله عليه و سلم يظهر[2] فى ذلك الموقف[3] رسالته بالفعل إلى الخلق كافة ، فيظهر سر هذه الآية " الذين يتبعون الرسول " - و الله الموفق .

و لما دل بالإضافة إلى اسم الذات الدال على جميع الصفات على عموم ٥ دعوته و شمول رسالته حتى للجن و الملائكة ، أيد ذلك بقوله : ﴿ الذى له ﴾ أى وحده ﴿ ملك السمٰوٰت و الارض ج ﴾ أى فلا بدع أن يرسله إلى جميع من فيهما ، بل و ما[4] فيهما .

و لما[5] كان مما بالغه فى الدنيا أنه ربما كان فى مملكة[6] الملك من يناظره أو يقرب منه من ولى عهد أو نحوه ، فربما رد بعض أمره فى صورة ١٠ نصح أو غيره ؛ نفى ذلك بقوله مبينا تمام ملكه : ﴿ لآ اله الا هو ﴾ أى فالكل منقادون لأمره خاضعون له ، لأنه لا[7] موجود بالفعل و لا بالإمكان من يصلح للالهية سواه ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ يحيي و يميت ص ﴾ أى له هاتان الصفتان مختصا بهما ، و من كان كذلك كان منفردا بما ذكر ، و إذا راجعت[8] ما يأتى إن شاء الله تعالى فى أول الفرقان مع ما مضى ١٥ فى أوائل الأنعام ، لم يبق عندك شك فى دخول الملائكة عليهم السلام فى عموم الدعوة .

و لما تقرر أنه لا منازع له ، تسبب عن ذلك توجيه الأمر بالانقياد

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : قتل (٢) فى ظ : تظهر (٣) فى الأصل : لموقف ، و فى ظ : الوقت (٤) فى ظ : لا (٥) فى الأصل : لو (٦) فى ظ : ملكه (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : رجعت .

لرسوله فقال: ﴿ فآمنوا بالله ﴾ أى لما ثبت له من العظمة و الإحاطة بأوصاف الكمال و بكل شيء فان الإيمان به أساس لا ينبنى[1] شيء من الدين إلا عليه .

و لما كان أقرب الفروع الأصلية إليه[2] الرسالة قال: ﴿ و رسوله ﴾ أى لأنه رسوله؛ ثم وصفه بما دل على قربه فقال: ﴿ النبى ﴾ أى الذى يخبره بما يريد من الأمور العظيمة غيبا و شهادة، و يعليه عن كل مخلوق باخباره بارساله؛ و لما كان علوه على كل عالم - مع أنه لم يتعلم من آدمى - أدل شيء على صدقه قال: ﴿ الامى ﴾ أى الذى هو - مع كونه لا يحسن كتابة و لا قراءة، بل هو على الفطرة الأولى السليمة التى لم يخالطها هوى، ولا دنسها حظ و لا شهوة - بحيث يؤم و يقصد للاقتداء[3] به، لما حوى من علوم الدنيا و الآخرة و التخلق بأوصاف الكمال .

و لما أشار بهذه الصفة إلى أن سبب الإيمان الخلاص[4] من الهوى بالكون على الفطرة الأولى، قال منبها على وجوب الإيمان به، لكونه أول فاعل لما يدعو إليه: ﴿ الذى يؤمن بالله ﴾ أى لأجل ما يقتضيه[5] ذاته سبحانه من التعبد له لما له من العظمة، فكلما[6] تجدد له علم من علوم[7] الذات بحسب ترقيه[8] فى رتب الكمال من[1] رتبة كاملة إلى أكمل منها إلى ما لا نهاية له، جدد له إيمانا بحسبه، لا تعتريه / غفلة و لا يخالطه سهو /٣٧٢

(١) زيد بعده فى الأصل : عليه ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٢) سقط من ظ .
(٣) فى الأصل : الاقتراء (٤) من ظ ، و فى الأصل : الخلوص (٥) فى الأصل : تقتضيه (٦) من ظ ، و فى الأصل : فكما (٧) فى ظ : العلوم (٨) من ظ ، و فى الأصل : بوفيته - كذا .

و لا

و لا شائبة فتور ﴿و كلمته﴾ كذلك أيضا ، كلما[1] تجدد له علم بصفة منها جدد لها إيمانا ، و منها المعجزات التى جرت على يديه[2] ، كل واحدة منها كلمة لأن ظهوره بالكلمة ، كما سمى عيسى عليه الصلاة و السلام كلمة لذلك .

و لما تقرر أنه امتثل ما أمر به ، فثبتت بذلك رسالته ، استحق أن ٥ يكون قدوة فقال : ﴿ و اتبعوه ﴾ أى فى كل ما يقول و يفعل مما ينهى عنه أو يأمر به أو يأذن فيه ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ أى ليكون[3] حالكم [حال - [4]] من يرجى له حصول ما سأل فى الفاتحة من الاهتداء ، أى[5] خلق الهداية فى القلب مع دوامه .

و لما كثر عد مثالب بنى إسرائيل ، و ختم بتخصيص المتبع لهذا النبى ١٠ الكريم بالهداية و الرحمة المسببة عنها ، و كان فيهم المستقيم على ما شرعه له ربه ، المتمسك بما لزمه أهل طاعته و حزبه ، سواء كان من صفات النبى صلى الله عليه و سلم أو غيرها ، مع الإذعان لذلك كله ؛ نبه عليه عائدا إلى تتميم أخبارهم ، ثم ما وقع فى أيام موسى عليه السلام و بعدها من شرارهم[6] ، تعزية لهذا النبى الكريم و تسلية ، و تطييبا لنفسه الزكية و تأسية ، و هو مع ١٥ ما بعده من أدلة " ساصرف عن اٰيٰتى " - الآية ، فقال تعالى عاطفا على " و اتخذ قوم موسى من بعده " - : ﴿و من قوم موسى[7] امة ﴾ أى قوم يستحقون أن يؤموا لأنهم لا يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، بل

(١) من ظ ، و فى الأصل : كما (٢) فى ظ : يده (٣) فى الأصل : لتكون (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : شرارها .

﴿ يهدون ﴾ أى يوقعون الهداية و هى البيان ﴿ بالحق و به ﴾ أى خاصة ﴿ يعدلون ٥ ﴾ أى يجعلون القضايا المختلفة المتنازع فيها معادلة[1] ليقع الرضى بها، لا يقع[2] منهم جور فى شىء منها، و منهم الذين اتبعوا النبى صلى الله عليه و سلم كعبد الله بن سلام و مخيريق رضى الله عنهما.

٥ و لما مدحهم، شرع يذكرهم شيئا مما أسبغ عليهم من النعم لأجل هؤلاء المهتدين من التكثير بعد[3] القلة و الإعزاز بعد الذلة بجعلهم ممن يؤم استعطافا لغيرهم، و يذكر بعض عقوباتهم ترهيبا فقال: ﴿ و قطعنٰهم ﴾ أى فرقنا بينهم بالأشخاص[4] بعد أن كانوا ماء واحدا من شخص واحد، و هو إسرائيل عليه السلام؛ و صرح[5] بالكثرة بعد أن لوح بها بالتقطيع

١٠ بقوله: ﴿ اثنتى عشرة ﴾ و ميزه - موضع المفرد الذى هو مميز العشرة - بالجمع للاشارة إلى أن كل سبط يشتمل لكثرته على عدة قبائل بقوله: ﴿ اسباطا ﴾ و السبط - بالكسر: ولد الولد، و القبيلة من اليهود، و هذه المادة تدور على الكثرة و البسط؛ و بين عظمتهم و كثرة انتشارهم و تشعبهم بقوله: ﴿ امما[6] ﴾ أى هم أهل لأن يقصدهم الناس لما لهم من

١٥ الكثرة و القوة و الدين، أو أن كل أمة منهم تؤم[6] [7]خلاف ما تؤمه[7] الأخرى [7]من غيرهم دينا[7].

---

(١) من ظ، و فى الأصل: متعادلة (٢) من ظ، و فى الأصل: لا ينفع (٣) فى ظ: من (٤) سقط من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: خرج (٦) من ظ، و فى الأصل: يوم (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و لما وصفهم بهذه الكثرة، و كان ذلك محرّى[1] لذكر الإنعام عليهم بالكفاية[2] فى الأكل و الشرب، ذكر نعمة خارقة للعادة فى الماء، و بدأ به لأنه الأصل فى الحياة، و هى من نوع تقسيمهم من نفس واحدة مشيرة إلى ظلمهم و إسراعهم فى المروق فقال: ﴿و اوحينآ الى موسىٓ اذ﴾ أى حين ﴿استسقٰه قومهٗ﴾ أى طلبوا منه فى برية لا ماء بها[3] أن يسقيهم، ٥ و ذلك فى التيه، و التعبير بالقوم إشارة إلى تبكيتهم بكونهم أهل قوة و لم يتأسوا بموسى عليه السلام فى الصبر إلى أن يأتى الله الذى أمرهم بهذا المسير بالفرج، بل طلبوا منه ذلك على الوجه المذكور فى البقرة من إظهار القلق و الدمدمة ﴿ان اضرب بعصاك﴾ أى التى جعلناها لك آية و ضربت بها البحر فانفلق ﴿الحجرج﴾ أى أىّ حجر أردته من هذا الجنس؛ و بين ١٠ سبحانه سرعة امتثال موسى عليه السلام و سرعة التأثير عن ضربه بحذف: / فضربه[4]، و قوله مشيرا إليه: ﴿فانبجست﴾ أى فانشقت و ظهرت و نبعت، / ٣٧٣ [و ذلك كاف فى تعنيفهم و ذمهم على كفرهم بعد المن به، و هذا السياق الذى هو لبيان إسراعهم فى المروق هو لا ينافى أن يكون على وجه الانفجار، و يكون التعنيف حينئذ أشد[5]] ﴿منه اثنتا[6] عشرة عينا[7]﴾ ١٥ على عدد الأسباط، و أشار إلى شدة تمايزها بقوله: ﴿قد علم كل اناس﴾ أى من الأسباط ﴿مشربهم[8]﴾ و لما لم يتقدم للأكل ذكر و لا كان هذا سياق الامتنان، لم يذكر ما أتم هذه الآية به فى البقرة[9].

(١) أى حريًا، و فى الأصل: محرا، و فى ظ: مجرا - كذا (٢) فى ظ: بالكناية.
(٣) من ظ، و فى الأصل: هنا (٤) فى ظ: وضربه (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) فى ظ: اثنتى (٧) راجع آية ٦٠ منها.

و لما ذكر تبريد الأكباد بالماء، أتبعه تبريدها بالظل فقال: ﴿ و ظللنا ﴾ أى فى التيه ﴿ عليهم الغمام ﴾ أى لئلا يتأذوا بالشمس؛ و لما أتم تبريد الأكباد، أتبعه غذاء الأجساد فقال: ﴿ وانزلنا عليهم المن ﴾ أى خبزا ﴿ و السلوى[1] ﴾ [أى -[1]] إداما؛ و قال السموأل بن يحيى: و هو طائر صغير يشبه السمانى[2]، و خاصيته أن أكل لحمه يلين القلوب القاسية، يموت[3] إذا سمع صوت الرعد كما أن الخطاف يقتله البرد، فيلهمه الله عز و جل أن يسكن جزائر البحر التى لا يكون بها مطر و لا رعد إلى انفصال أوان المطر و الرعد، فيخرج من الجزائر و ينتشر[4] فى الأرض.

و لما ذكر عظمته فى ذلك، ذكر نتيجته فقال: ﴿ كلوا من طيبت ما رزقنكم[1] ﴾ أى بصفة العظمة القاهرة لما نريد مما لم تعالجوه[5] نوع معالجة، و دل على أنهم قابلوا هذا الإحسان بالطغيان و الظلم و العدوان بقوله عطفا[6] على[3] ما تقديره: فعدلوا عن الطيبات المأذون فيها، و أكلوا الخبائث التى حرمناها عليهم بالاصطياد يوم السبت - كما يأتى - و فعلوا غير ذلك من المحرمات، فظلموا أنفسهم بذلك: ﴿ و ما ظلمونا ﴾ أى بشىء مما قابلوا فيه الإحسان بالكفران ﴿ و لكن كانوا ﴾ أى دائما جبلة و طبعا ﴿ انفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ يظلمون ﴾ و هو - مع كونه من أدلة "ساصرف عن اٰيٰتى" الآية - دليل على صحة وصف هذا الرسول بالنبى، فان من علم هذه الدقائق من أخبارهم مع كونه أميا و لم يخالط أحدا من أحبارهم،

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: السمان (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: يسير (٥) من ظ، و فى الأصل: لم يعالجوه (٦) فى ظ: عاطفا.

كان

[1] كان صادقا عن علام الغيوب من غير مؤيد وكذا ما بعده .

ولما ذكر ما جاهم[1] به فى القفار ، أتبعه إنعامه عليهم عند الوصول إلى الدار فقال : ﴿واذ﴾ أى اذكر لهم هذا ليصدقوك أو يصيروا فى غاية الظلم كأصحاب السبت فيتوقعوا مثل عذابهم ، واذكر لهم ما لم تكن حاضره ولا أخذته عنهم ، وهو وقت إذ ، [وعدل عن الإكرام بالخطاب ونون العظمة ، لأن السياق للاسراع فى الكفر فقال - [2]] : ﴿قيل [3]لهم اسكنوا[3] ﴾ أى ادخلوا مطمئنين على وجه الإقامة ، [ولا يسمى ساكنا إلا بعد التوطن بخلاف الدخول ، فانه يكون بمجرد الولوج فى الشيء على أىّ وجه كان - [2]] ﴿هذه القرية﴾ فهو دليل آخر على الأمرين : الصرف والصدق ؛ وعبر هنا بالمجهول فى "قيل" إعراضا[4] عن تلذيذهم بالخطاب إيذانا بأن هذا السياق للغضب عليهم بتساقطهم فى الكفر وإعراضهم عن الشكر ، من أىّ قائل كان وبأىّ صيغة ورد القول وعلى أىّ حالة كان ، وإظهارا للعظمة[5] حيث كانت ، أدنى إشارة منه كافية فى سكناهم[6] فى البلاد واستقرارهم فيها قاهرين لأهلها الذين ملأوا قلوبهم هيبة حتى قالوا "انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها[7]" .

ولما خلت نعمة الأكل فى هذا السياق عما دعا إليه سياق البقرة

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٣-٣) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل - مع تقديم "اسكنوا" على "لهم" - عن « أى وجه كان » (٤) من ظ ، وفى الأصل : اعراض (٥) فى ظ : لعظمة .
(٦) من ظ ، وفى الأصل : مساكنهم (٧) سورة ٥ آية ٢٤ .

من التعقيب و هو الاستعطاف ، ذكرت بالواو الدالة على مطلق الجمع ، و هى لا تنافى تلك ، فقال : ﴿ وكلوا منها ﴾ أى القرية ﴿ حيث شئتم ﴾ و أسقط الرغد لذلك ، و قدم ﴿ و قولوا حطة ﴾ ليكون أول قارع للسمع مما أمروا به من العبادة مشعرا بعظيم ما تحملوه من الآثام ، إيذانا بما سيقت[1] له هذه القصص فى هذه السورة من المقام .

و لما أمروا بالحطة قولا ، أمروا أن يشفعوها بفعل ، لتحط عنهم ذنوبهم ، و لا ينافى التقديم / هنا[2] التأخير فى البقرة ، لأن الواو لا ترتب ، فقال : ﴿ وادخلوا الباب ﴾ أى باب بيت المقدس حال كونكم ﴿ سجدا نغفر[3] لكم ﴾ و لما كان السياق هنا[2] لبيان إسراعهم فى الكفر ، ناسب ذلك جمع الكثرة فى قوله : ﴿ خطاياكم[4] ﴾ فى قراءة أبى عمرو ، و أما[4] قراءة ابن عامر "خطيئتكم" بالإفراد و قراءة غيرهما "خطياتكم" جمع قلة فللاشارة[5] إلى أنها قليل فى جنب عفوه تعالى ، و كذا بناء "تغفر" للمجهول تأنيثا و تذكيرا ، كل ذلك ترجية لهم و استعطافا إلى التوبة ، و لذلك[6] ساق سبحانه ما بعده مساق السؤال لمن كأنه قال : هذا الرجاء قد حصل ، فهل مع المغفرة من كرامة ؟ فقال : ﴿ سنزيد ﴾ أى بوعد لا خلف فيه عن قريب ، و هو لا ينافى إثبات الواو فى البقرة ﴿ المحسنين ۝ ﴾ أى العريقين فى هذا الوصف ،

/٣٧٤

(١) فى ظ : سقيت (٢) من ظ ، و فى الأصل : هذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : يغفر ، و فى روح المعانى ٣/١٤٤ : و قرأ نافع و ابن عامر و يعقوب بالتاء و البناء للمفعول (٤) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها . (٥) فى ظ : فالاشارة (٦) فى ظ : لذا .

و للسياق[1] الذى وصفت قيد قوله: ﴿ فبدل الذين ظلموا ﴾ بقوله: ﴿ منهم ﴾ لئلا يتوهم أنهم من الدخلاء فيهم ﴿ قولا غير الذى ﴾ .

و لما كان من المعلوم أن القائل من له إلزامهم ، بناه للمجهول فقال: ﴿ قيل لهم ﴾ و قال: ﴿ فارسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ عليهم ﴾ بالإضمار تهويلا لاحتمال العموم بالعذاب ﴿ رجزا من السمآء ﴾ و لفظ الظلم - فى قوله: ﴿ بما كانوا يظلمون ﴾ بما يقتضيه من أنهم لا ينفكون عن الكون فى الظلام إما مطلقا و إما مع تجديد فعل فعل[2] من هو فيه - أهول من لفظ الفسق المقتضى لتجديد الخروج مما ينبغى الاستقرار فيه ، كما أن لفظ الإرسال المعدى بـ " على " كذلك بالنسبة إلى لفظ الإنزال .

و لما فرغ من هتك أستارهم فيما عملوه أيام موسى عليه السلام و ما يليها ، أتبعه خزيا آخر أشد مما قبله ، كان بعد ذلك بمدة لا يعلمه أحد إلا من جهتهم أو من الله ، و إذا انتفى الأول ثبت الثانى ، فقال: ﴿ و سئلهم ﴾ أى بنى إسرائيل مبكتا[3] لهم و مقررا ﴿ عن القرية ﴾ أى البلد الجامع ﴿ التى كانت حاضرة البحر ﴾ أى على شاطئه و هى أيلة ، و لعله عبر بالسؤال ، و لم يقل: و إذ تعدو القرية[4] التى - إلى آخره ، و نحو ذلك ، لأن كراهتهم للاطلاع على هذه الفضيحة أشد مما مضى ، و هى دليل على الصرف و الصدق . و لما كان السؤال عن خبر أهل القرية قال

(١) فى ظ : يساق (٢) فى ظ : كفعل (٣) فى ظ : مبتليا (٤) زيد بعده فى ظ : اى .

مبدلا بدل اشتمال من القرية : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ يعدون ﴾ أى يجوزون الحد الذى أمرهم الله به ﴿ فى السبت اذ ﴾ أى العدو حين ﴿ تاتيهم ﴾ و زاد فى التبكيت بالإشارة إلى المسارعة فى الكفر بالإضافة فى قوله : ﴿ حيتانهم ﴾ إيماء إلى أنها مخلوقة لهم ، فلو صبروا نالوها و هم مطيعون ، كما فى حديث جابر رضى الله عنه رفعه « بين العبد و بين رزقه حجاب ، فان صبر خرج إليه[1] ، و إلا هتك الحجاب و لم ينل إلا ما قدر له » ﴿ يوم سبتهم ﴾ أى الذى يعظمونه بترك الاشتغال فيه بشىء غير العبادة ﴿ شرعا ﴾ أى قريبة مشرفة لهم ظاهرة على وجه الماء بكثرة ، جمع شارعة و شارع أى دان ﴿ و يوم لا يسبتون لا ﴾ أى لا يكون سبت ، و لعله عبر بهذا إشارة إلى أنهم لو عظموا الأحد على أنه سبت جاءتهم فيه ، و هو من : سبتت اليهود - إذا عظمت سبتها ﴿ لا تاتيهم ج ﴾ أى ابتلاء من الله لهم ، و لو أنهم صبروا أزال الله هذه العادة فأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم .

/٣٧٥ و لما كان هذا بلاء عظيما ، قال / مجيبا لسؤال من كأنه قال[2] لشدة ما بهره من هذا الأمر : هل وقع مثل هذا؟ مشيرا إلى أنه وقع ، و لم يكتف به ، بل وقع لهم أمثاله لإظهار ما فى عالم الغيب منهم إلى عالم الشهادة : ﴿ كذلك ج ﴾ أى مثل هذا البلاء العظيم ﴿ نبلوهم ﴾ أى نجدد اختبارهم كل قليل ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كانوا ﴾ [أى -[3]] جبلة و طبعا ﴿ يفسقون ه ﴾ أى يجددون فى علمنا من الفسق ، و هو الخروج مما هو

(١) من ظ : و فى الأصل : اليهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ .

أهل

أهل للتوطن من الطاعات .

و لما أخبر أن الفسق ديدنهم ، أكده بقوله عطفا على " اذ يعدون " :

﴿ و اذ ﴾ أى و اسألهم عن خبرهم حين ﴿ قالت امة منهم ﴾ أى جماعة ممن يعتبر و يقصد من الواعظين الصالحين الذين وعظوا حتى أيسوا[1] لأمة أخرى منهم لا يقلعون عن الوعظ[2] تخويفا للوعوظين[3] بما يتجاوزون به ٥ ﴿ لم تعظون قوما ﴾ أى معتمدين على قوتهم ﴿ الله ﴾ أى الذى له الملك كله ﴿ مهلكهم ﴾ أى لا محالة لأنهم لا ينتهون عن الفساد ولا يتعظون بالمواعظ ﴿ او معذبهم عذابا شديدا ﴾ أى بعظيم ما يرتكبونه و تماديهم فيه ﴿ قالوا ﴾ أى الأمة الأخرى من الواعظين : وعظنا ﴿ معذرة الى ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بالحفظ[4] عما وقعوا فيه من الذنب و الإقبال على الوعظ ١٠ حتى إذا سئلنا عن أمرنا فى عصيانهم نقول : فعلنا فى أمرهم جهدنا ، هذا إن[5] لم يرجعوا ﴿ و لعلهم يتقون ﴾ أى و ليكون حالهم حال من يرجى خوفه لله فيرجع عن غيه .

و لما تراجعوا بهذا الكلام ليكون زاجرا للعاصين فلم يرجعوا ، أخبر أنه صدق ظنهم بايقاع الأمرين معا[6] : العذاب الشديد و الإهلاك ، فقال : ١٥ ﴿ فلما نسوا ما ذكروا به ﴾ أى فعلوا فى إعراضهم عنه فعل الناسى و تركوه ترك المنسى ، و هو أن الله لا يهملهم كما أن الإنسان لا يمكن أن يهمل

(١) من ظ ، و فى الأصل : يسوا كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : الوغض - كذا. (٣) من ظ ، و فى الأصل : للوعظين (٤) من ظ ، و فى الأصل : لحفظ (٥) فى ظ : اذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : مع .

أحدا تحت يده ، ليفعل ما يشاء من غير اعتراض ﴿ انجينا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ الذين ينهون ﴾ أى استمروا على النهى ﴿ عن السوء ﴾ أى الحرام ﴿ و اخذنا ﴾ أى أخذ غلبة و قهر ﴿ الذين ظلموا ﴾ أى بالعدو فى السبت ﴿ بعذاب بئيس ۞ ﴾ أى شديد[1] جدا ﴿ بما كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ٥ ﴿ يفسقون ۞ ﴾ أى بسبب استمرارهم على تجديد الفسق .

و لما ذكر ما هددهم به من العذاب الشديد ، أتبعه الهلاك فقال : ﴿ فلما عتوا ﴾ أى تكبروا جلافة و يبسا عن الانتهاء ﴿ عن ما نهوا عنه ﴾ أى بعد[2] الأخذ بالعذاب الشديد ، و تجاوزوا إلى الاجتراء على جميع المعاصى عنادا و تكبرا بغاية الوقاحة و عدم المبالاة ، كان مواقعتهم لذلك ١٠ الذنب و إمهالهم مع الوعظ أكسبتهم ذلك و غلظت أكبادهم عن الخوف بزاجر العذاب ، من عتا يعتو عتوا - إذا [3]أقبل على الآثام[3] ، فهو عات ، قال عبد الحق فى كتابه الواعى : و قيل إذا أقدم[4] على كل أموره ، و منه هذه الآية ، و قيل : العاتى هو المبالغ فى ركوب المعاصى ، و قيل[5] : المتمرد الذى لا ينفع فيه الوعظ و التنبيه ، ومنه قوله سبحانه "فعتوا عن امر ربهم[6]" ١٥ أى جاوزوا المقدار و الحد فى الكفر - انتهى . وحقيقته : جاوزوا الأمر إلى النهى ، أو جاوزوا الائتمار بأمره ، و المادة ترجع إلى الغلظ و الشدة و الصلابة ﴿ قلنا لهم ﴾ أى بما لنا من القدرة العظيمة ﴿ كونوا قردة ﴾ أى فى صورة[7] القردة حال كونكم[8] ﴿ خسئين ۞ ﴾ أى صاغرين مطرودين

(١) من ظ ، و فى الأصل : شديدا (٢) من ظ ، و فى الأصل : ابد (٣ - ٣) فى ظ : قدم على الآثار (٤) فى ظ : قدم (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٥١ آية ٤٤ .
(٧) من ظ ، و فى الأصل : صور (٨) من ظ ، و فى الأصل : كونهم .

بعيدين[1] عن الرحمة كما يبعد الكلب . و لما تبين بما مضى من جرأتهم على المعاصى و إسراعهم فيها استحقاقهم لدوام الخزى و الصغار ، أخبر أنه فعل بهم ذلك على وجه موجب للقطع بأنهم مرتبكون[2] فى الضلال ، مرتكبون / سيء الأعمال ، ما دام عليهم ذلك النكال ، فقال : ﴿ و اذ ﴾ ٣٧٦ / و هو عطف على " و سئلهم " [أى -[3]] و اذكر لهم حين ﴿ تاذن ﴾ أى أعلم إعلاما عظيما جهرا معتنى به ﴿ ربك ﴾ أى المربى لك و الممهد لأدلة شريعتك و الناصر لك على من خالفك .

و لما كان ما قيل جاريا مجرى القسم ، تلقى بلامه[4] ، فكان كأنه قيل : تاذن مقسما بعزته و عظمته و علمه و قدرته : ﴿ ليبعثن ﴾ أى من مكان بعيد ، و أفهم أنه بعث عذاب بأداة الاستعلاء المفهمة لأن المعنى : ليسلطن ﴿ عليهم ﴾ أى اليهود ، و مد زمان التسليط فقال : ﴿ الى يوم القيٰمة ﴾ الذى هو الفيصل[5] الأعظم ﴿ من يسومهم ﴾ أى ينزل بهم دائما ﴿ سوء العذاب[1] ﴾ بالإذلال و الاستصغار و ضرب الجزية و الاحتقار ، و كذا فعل سبحانه فقد سلط عليهم الأمم[6] و مزقهم فى الأرض كل ممزق من حين أنكروا رسالة المسيح عليه السلام ، كما أتاهم به الوعد الصادق فى التوراة ، و ترجمة ذلك موجودة بين أيديهم الآن فى قوله فى آخر السفر الأول : لا يزول القضيب من آل يهودا ، لا يعدم سبط يهودا ملكا مسلطا و اتخاذه نبيا مرسلا حتى يأتى الذى له الملك - و فى نسخة :

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : مرتكبون (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : كلامه (٥) فى ظ : الفصيل (٦) فى ظ : الامة .

الكل - و إياه تنتظر الشعوب، يربط بالحبلة جحشه؛ و قال السموأل فى أوائل كتابه غاية المقصود: نقول لهم: فليس فى التوراة التى فى أيديكم ما تفسيره[1]: لا يزول الملك من آل يهودا و الراسم[2] بين ظهرانيهم إلى أن يأتى المسيح. [3]فلا يقدرون على جحده، فنقول لهم: إذاً علمتم أنكم كنتم أصحاب دولة و ملك إلى ظهور المسيح ثم انقضى ملككم - انتهى. و من أيام رسالة المسيح[3] سلط الله عليهم الأمم و مزقهم فى الأرض، فكانوا مرة تحت حكم البابليين، و أخرى [تحت أيدى المجوس، و كرة تحت قهر الروم من بنى العيص، و أخرى - [4]] فى أسر غيرهم إلى أن أتى النبى صلى الله عليه و سلم فضرب عليهم الجزية هو و أمته من بعده.

و لما كان السياق للعذاب و موجباته، علل ذلك مؤكدا بقوله: ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك باذلال أعدائك الذين هم أشد الأمم لك و لمن آمن بك عداوة ﴿ لسريع العقاب ج صلے ﴾ أى يعذب عقب الذنب بالانتقام[5] باطنا بالنكتة السوداء فى القلب، و ظاهرا - إن أراد - بما يريد، و هذا بخلاف ما فى الأنعام فانه فى سياق الإنعام بجعلهم خلائف.

و لما رهب، رغب بقوله: ﴿ و انه لغفور ﴾ أى محاء للذنوب عينا و أثرا لمن تاب [3]و آمن[3] ﴿ رحيم ه ﴾ أى مكرم منعم بالتوفيق لما يرضاه ثم بما يكون سببا له من الإعلاء[6] فى الدنيا و الآخرة.

---

(١) من ظ، و فى الأصل: يفسره (٢) من ظ، و فى الأصل: المراسم. (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: والانتقام (٦) فى ظ: الاعلى.

ذكر شيء مما هددوا به فى التوراة على العصيان و البغى و العدوان غير ما تقدم فى المائدة عند" من لعنه الله و غضب عليه[١] " و غيرها من الآيات ـ قال فى السفر الخامس : و إن[٢] لم تحفظ و تعمل[٢] بجميع الوصايا و السنن التى[٣] كتبت فى هذا الكتاب و تتق الله ربك و تهب[٤] اسمه المحمود المرهوب ، يخصك الرب بضربات موجعة و يبتليك بها ، و يبتلى نسلك من بعدك ٥ و تدوم[٥] عليك ، و يبقى من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التى كانت قد صارت مثل نجوم السماء ، و تجلون عن الأرض [التى -[٦]] تدخلونها لترثوها ، و يفرقكم الرب بين الشعوب ، و تعبدون هنالك الآلهة الأخرى[٧] التى عملت من الحجارة و الخشب ، و لا تسكنون أيضا بين تلك الشعوب ، و لكن يصير الله قلوبكم هناك فزعة مرتجفة ، بالغداة[٨] تقولون : متى نمسى ؟ ١٠ و بالعشى تقولون : متى نصبح ؟ و ذلك من فزع قلوبكم و خوفكم و قلة حيلتكم ، و يردكم الله إلى أرض مصر فى ألوف فى الطريق الذى قال الرب : لا تعودوا[٩] أن تروه ، و تباعون هناك / [عبيدا -[٦]] و إماء ، و لا يكون / ٣٧٧ من يشتريكم ـ هذه أقوال العهد[١٠] التى أمر الله بها موسى أن يعاهد بنى إسرائيل فى أرض موآب سوى العهد[١٠] الذى عاهدهم بحوريب ؛ ثم دعا موسى ١٥ جميع بنى إسرائيل و قال لهم : قد رأيتم ما صنع الله بأرض مصر بفرعون

(١) آية ٦٠ (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : لم يحفظ و يعمل (٣) فى ظ : الذى .
(٤) فى الأصل : يهاب ، و فى ظ : تهاب (٥) من ظ ، و فى الأصل : يدوم .
(٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : بالعذاب (٩) فى الأصل و ظ : لا يقودوا ـ كذا (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و جميع عبيده و كل شعبه[1] و البلايا العظيمة التى رأت أعينكم و الآيات و الأعاجيب التى شهدتموها ، و لم يعطكم الرب قلوبا تفهم و تعلم ، و لا أعينا تبصر و لا آذانا تسمع إلى يومنا هذا ، و دبركم فى البرية أربعين سنة ، لم تبل ثيابكم عليكم و لم تخلق خفافكم أيضا و لم تأكلوا خبزا ، لتعلموا ٥ أنى أنا الله ربكم ، و أنا الذى أتيت بكم إلى هذه البلاد ، فاحفظوا وصايا هذه التوراة و اعملوا بها و أتموا جميع الأعمال فى طاعة الله و أكملوها ، لأنكم قد عرفتم جميعا أنا كنا سكانا بأرض مصر و جزنا بين الشعوب ، و رأيتم نجاستهم و أصنامهم ، لعل فيكم اليوم رجلا أو امرأة أو قبيلة أو سبطا يميل قلبه عن[2] عبادة الله ربنا و يطلب عبادة آلهة[3] تلك الشعوب ، ١٠ فيسمع أقوال هذا العهد فيقول : يكون لى[4] السلام فأتبع مسرة قلبى ، هذا لا يريد الرب أن يغفر له ، و لكن هناك يشتد غضب الرب و زجره عليه و ينزل [به -[5]] كل اللعن الذى فى هذا الكتاب ، و يستأصل الرب اسمه من تحت السماء و يفرزه الرب من جميع أسباط بنى إسرائيل للشر و البلايا ، و يقول الحقب الآخر بنوكم الذين يقومون من بعدكم ١٥ و الغرباء ، و ينظرون إلى ضربات تلك الأرض و الأوجاع أنزل الله بها و يقول الشعب[3] : لما ذا صنع الرب هكذا ؟ و لما ذا[3] اشتد غضبه على هذا الشعب العظيم ؟ و يقولون : لأنهم تركوا عهد الله إله آبائهم ، فاشتد غضب الرب على هذه الأمة و أمر أن ينزل بها كل اللعن الذى كتب فى هذا

(١) من ظ ، و فى الأصل : تسعة (٢) فى ظ : من (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : الى (٥) زيد من ظ .

الكتاب، و يجليهم الرب عن بلادهم بغضب و زجر شديد و يبعدهم إلى أرض غريبة كما ترى[1] اليوم ، فأما الخفايا و السرائر فهى لله ربنا ، و الأمور الظاهرة المكشوفة هى لنا .

و لما أخبر سبحانه بالتأذن ، كان كأنه قيل : فأسرعنا فى عقابهم بذنوبهم و بعثنا عليهم من سامهم سوء العذاب بالقتل و السبى ، فعطف ٥ عليه قوله : ﴿ و قطعنٰهم ﴾ أى بسبب ما حصل لهم من السبى المترتب على العذاب بما لنا من العظمة تقطيعا كثيرا بأن أكثرنا تفريقهم[2] ﴿ فى الارض ﴾ حال كونهم ﴿ امما ج ﴾ يتبع بعضهم بعضا ، فصار فى كل بلدة قليل منهم ليست[3] لهم شوكة و لا يدفعون عن أنفسهم ظلما .

و لما كان كأنه قيل : فهل أطبقوا [بعد -[4]] هذا العذاب على الخير ؟ ١٠ قيل : لا ، بل فرقتهم الأديان نحو فرقة[5] الأبدان ﴿ منهم الصٰلحون ﴾ أى الذين[6] ثبتوا على دينهم إلى أن جاء الناسخ له فتبعوه امتثالا لدعوة كتابهم ﴿ و منهم دون ذلك د ﴾ أى بالفسق تارة و بالكفر أخرى ﴿ و بلونٰهم ﴾ أى عاملناهم معاملة المبتلى ليظهر للناس ما نحن به منهم عالمون ﴿ بالحسنٰت ﴾ أى النعم ﴿ و السيـٰات ﴾ أى النقم ﴿ لعلهم يرجعون * ﴾ ١٥ أى ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن غيه رغبة أو رهبة .

و لما كان العذاب الذى وقع التأذن بسببه [ممتدا -[4]] إلى يوم القيامة ،

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يرى (٢) فى ظ : تقريعهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : كسبت (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فرقوا . (٦) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

تسبب عنه قوله : ﴿ فخلف ﴾ أى نشأ ؛ و لما كانوا غير مستغرقين لزمان البعد ، أتى بالجار فقال : ﴿ من بعدهم خلف ﴾ أى قوم هم أسوأ حالا منهم ﴿ ورثوا الكتب ﴾ أى الذى هو نعمة ، و هو التوراة ، فكان لهم[1] نقمة لشهادته عليهم بقبح أفعالهم ، لأنه بقى فى أيديهم بعد أسلافهم يقرؤنه

٣٧٨/ ٥ و لا يعملون بما فيه ؛ قال ابن فارس : و الخلف ما جاء من بعد ، أى / سواء كان محركا أو ساكنا ، و قال أبو عبيد الهروى فى الغريبين[2] : و يقال : خلف سوء - أى بالسكون - و خلَف صدق ، و قال الزبيدى فى مختصر العين : و الخلف : خلف السوء بعد أبيه ، و الخلَف : الصالح ، و قال ابن القطاع فى الأفعال : و خَلَفَ خَلَفُ سوء : [صاروا بعد قوم صالحين ، و خَلَف

١٠ سوء ، قال الأخفش : هما سواء[3] ، أى بالسكون - [4]] ، [5] منهم من يسكن و منهم من يحرك فيهما جميعا ، و منهم من يقول : خلف صدق - أى بالتحريك - و خلف سوء - أى بالسكون[5] - [يريد بذلك الفرق بينهما ، و كل ذلك إذا أضاف ، يعنى فاذا لم يضف كان السكون - [4]] للفساد ، و التحريك للصلاح ؛ و قال فى القاموس : خلف نقيض قدام ، و القرن

١٥ بعد القرن ، و منه : [هؤلاء - [6]] خلف سوء ، و الردىء من القول ، و بالتحريك الولد الصالح ، فاذا كان فاسدا أسكنت[7] اللام ، و ربما استعمل كل منهما مكان الآخر ، يقال : هو خلف صدق من أبيه - إذا قام مقامه ،

---

(١) فى ظ : له (٢) من ظ ، و فى الأصل : الفريقين - كذا (٣) من كتاب الأفعال - خلف ، و فى ظ : سوء (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من القاموس (٧) من القاموس ، و فى الأصل و ظ : سكنت .

أو

أو[1] الخلف بالسكون و بالتحريك[2] سواء، الليث: خلف للأشرار خاصة، و بالتحريك ضده. و المادة ترجع إلى الخلف الذى هو نقيض قدام، كما بينت ذلك فى فن المضطرب من حاشيتى على شرح ألفية العراقى.

و لما كان المظنون بمن[3] يرث الكتاب الخير، فكان كأنه قيل: ما فعلوه[4] من الخير فيما[5] ورثوه؟ قال مستأنفا: ﴿ياخذون﴾ أى يجددون الأخذ دائما، و حقر[6] ما أخذوه بالإعلام بأنه مما يعرض و لا يثبت بل هو زائل فقال: ﴿عرض﴾ و زاده حقارة باشارة الحاضر فقال: ﴿هذا﴾ و صرح بالمراد بقوله: ﴿الادنى﴾ أى من الوجودين، و هو الدنيا ﴿و يقولون﴾ أى دائما من غير توبة.

و لما كان النافع الغفران من غير نظر إلى معين، بنوا للمفعول قولهم: ﴿سيغفر لنا﴾ أى[7] من غير شك، فأقدموا على السوء و قطعوا بوقوع ما يبعد [وقوعه فى المستقبل حكما على من يحكم و لا يحكم عليه، و صرح بما أفهمه ذلك من - [8]] إصرارهم معجبا منهم فى جزمهم بالمغفرة مع ذلك بقوله: ﴿و ان﴾ أى و الحال أنه إن ﴿ياتهم عرض مثله﴾ [أى فى الدناءة و الخسة - [8]] و الحرمة كالرشى ﴿ياخذوه[9]﴾.

[و لما كان هذا عظيما، أنكر عليهم مشددا - [8]] [10]للنكير بقوله[10]

(١) فى ظ « و » (٢) من ظ و القاموس، و فى الأصل: التحريك (٣) فى ظ: ممن (٤) فى ظ: فعلوا (٥) فى ظ: مما (٦) من ظ، و فى الأصل: حقق (٧) سقط من ظ (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٩) زيد من ظ و القرآن الكريم. (١٠-١٠) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « و الحرمة كالرشى » و الترتيب من ظ.

مستأنفا[1] : ﴿ ألم يؤخذ عليهم ﴾ بناه للمفعول إشارة إلى أن العهد يجب الوفاء به على كل حال ، ثم عظمه بقوله : ﴿ ميثاق الكتب ﴾ أى الميثاق المؤكد [فى التوراة - [2]] ﴿ ان لا يقولوا ﴾ [أى قولا من الأقوال و إن قل - [2]] ﴿ على الله ﴾ أى الذى له كمال العظمة ﴿ الا الحق ﴾ ٥ أى المعلوم ثباته ، و ليس من المعلوم ثباته إثبات المغفرة على القطع بغير توبة ، بل ذلك خروج عن ميثاق الكتاب .

و لما كان ربما وقع فى الوهم أنه أخذ على أسلافهم و لم يعلم هؤلاء به ، نفى ذلك بقوله : ﴿ و درسوا ما فيه[4] ﴾ أى ما فى ذلك الميثاق[3] بتكرير القراءة للحفظ ﴿ و الدار الآخرة ﴾ أى فعلوا ما تقدم من مجانبة التقوى ١٠ و الحال أن الآخرة ﴿ خير ﴾ أى مما يأخذون ﴿ للذين يتقون[4] ﴾ أى و هم يعلمون ذلك بإخبار كتابهم ، و لذلك أنكر عليهم[4] بقوله : ﴿ أفلا يعقلون * ﴾ أى حين أخذوا ما يشقيهم و يفنى بدلا مما[5] يسعدهم و يبقى ، و على قراءة نافع و ابن عامر و حفص بالخطاب يكون المراد الإعلام بتناهى الغضب .

١٥ و لما بين ما للمفسدين من[6] كونهم قالوا على الله غير الحق فلا يغفر لهم ، بين ما للصالحين[7] المذكورين فى قوله "و من قوم موسى امة يهدون بالحق و منهم الصلحون" فقال عاطفا على تقديره : أولئك حبطت أعمالهم فيما

(١) تأخر فى الأصل عن « الميثاق المؤكد » و الترتيب من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) زيد بعده فى ظ : اكد فى الكتاب والكتاب (٤) فى ظ : عليه (٥) فى ظ : عما (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : للصلحين .

درسوا من الكتاب ، و لا يغفر لهم ما أتوا من الفساد : ﴿ و الذين يمسكون ﴾ أى يمسكون إمساكا شديدا يتجدد على [كل - [1]] وجه الاستمرار ، و هو إشارة إلى أن التمسك بالسنة فى غاية الصعوبة لا سيما عند ظهور الفساد ﴿ بالكتب ﴾ أى فلا يقولون على الله إلا الحق ، [2]و من جملة تمسيكهم / المتجدد انتقالهم عن ذلك الكتاب عند إتيان الناسخ لأنه ناطق ٥ / ٣٧٩ بذلك - و الله الموفق[2] .

و لما كان من تمسيكهم بالكتاب عند نزول هذا الكلام انتقالهم عن دينهم إلى الإسلام كما وقع الأمر به فى المواضع التى تقدم بيانها ، عبر عن إقامة الصلاة المعهودة لهم بلفظ الماضى دون المضارع لئلا يجعلوه حجة فى الثبات على دينهم ، فيفيد ضد المراد فقال : ﴿ و اقاموا الصلوٰة[1] ﴾ ١٠ و خصها إشارة إلى أن الأولين تركوها كما صرح به فى آيـة مريم ، و تنويها[3] بشأنها بيانا لأنها من أعظم شعائر الدين ، و لما كان التقدير إخبارا عن المبتدإ : سنؤتيهم أجورهم[4] لإصلاحهم ، وضع موضعه للتعميم قوله : ﴿ انا لا نضيع ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ اجر المصلحين ٥ ﴾ .

و لما ذكر الكتاب أنه رهبهم من مخالفته و رغبهم فى مؤالفته ، ١٥ وكان عذاب الآخرة مستقبلا و غائبا ، وكان ما هذا شأنه لا يؤثر فى الجامدين ، أمره أن يذكرهم[5] بترهيب دنيوى مضى إيقاعه بهم ، ليأخذوا مواثيق الكتاب لغاية الجد مع أنه لا يعلمه إلا علماؤهم ، فيكون

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ثبوتها (٤) فى ظ : اجرهم (٥) فى ظ : يذكره .

علم الأمى[1] له من أعلام نبوته الظاهرة فقال: ﴿ و اذ ﴾ أى اذكر لهم هذا ، فان لم يتعظوا اذكر لهم إذ ﴿ نتقنا[2] ﴾ أى قلعنا[3] و رفعنا ، [و - [4]] أتى بنون العظمة لزيادة الترهيب ﴿ الجبل ﴾ عرفه لمعرفتهم به ، [و عبر به لدلالة لفظه على الصعوبة و الشدة دون الطور - كما فى البقرة - لأن السياق لبيان نكدهم باسراعهم فى المعاصى الدالة على غلظ القلب - [4]] .

و لما كان مستغرقا لجميع الجهة الموازية لعساكرهم ، حذف الجار فقال : ﴿ فوقهم ﴾ [ثم بين أنه كان أكبر منهم بقوله - [4]] : ﴿ كانه ظلة ﴾ أى سقف ، و حقق أنه صار عليهم موازيا لهم من جهة الفوق كالسقف بقوله : ﴿ و ظنوآ ﴾ هو على حقيقته ﴿ انه واقع ﴾ و لما كان ما تقدم قد حقق العلو ، لم يحتج إلى حرف الاستعلاء ، فقال مشيرا إلى السرعة و اللصوق : ﴿ بهم ﴾ أى إن[5] لم يأخذوا عهود[6] التوراة ، قالوا : و لما رأوا ذلك خر كل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر ، و صار ينظر بعينه اليمنى[7] إلى الجبل[7] فزعا من سقوطه ، و هى سنة لهم فى سجودهم إلى الآن ، يقولون : هذه السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة .

و لما كان كأنه قيل : فقالوا : أخذنا يا رب عهودك ، قال مشيرا إلى عظمته ليشتد إقبالهم عليه إشارة إلى أنه علة رفع الجبل : ﴿ خذوا مآ اتيتكم ﴾ أى بعظمتنا ، فهو جدير بالإقبال عليه و أن يعتقد فيه الكمال ، و أكد ذلك بقوله : ﴿ بقوة ﴾ أى عزم عظيم على احتمال

(١) فى ظ : الادنى (٢) تقدم فى ظ على « أى اذكر » (٣) فى ظ : قطعنا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : عهد (٧-٧) فى ظ : اليه .

مشاقه[1]؛ و لما كان الأخذ للشيء بقوة ربما نسيه فى وقت ، قال: ﴿ و اذكروا ما فيه ﴾ أى [من الأوامر و النواهى و غيرهما - [2]] فلا تنسوه ﴿لعلكم تتقون ﴾ أى ليكون[3] حالكم حال من يرجى تقواه، فدل سبحانه بهذا على تأكيد المواثيق عليهم فى[4] أخذ جميع ما فى الكتاب الذى من جملته [5] ألا تقولوا[5] على الله إلا الحق و لا تكتموا[6] شيئا منه ، قالوا: ٥ و لما قرأ موسى عليه السلام [الألواح و فيها كتاب الله لم يبق على الأرض شجر و لا جبل و لا حجر إلا اهتز ، فلذلك لا ترى يهوديا يسمع التوراة إلا اهتز و انفض رأسه - [2]] .

و لما ذكر أنه ألزمهم أحكام الكتاب على هذه الهيئة القاهرة الملجئة القاسرة التى هى من أعظم المواثيق عند أهل الأخذ ، و أنه أكد عليهم ١٠ المواثيق فى كثير من فصول الكتاب ، و كان ذلك كله خاصا بهم ؛ أمره أن يذكر لهم أنه ركب لهم فى عموم هذا النوع الآدمي من العقول و نصب من الأدلة الموضحة للأمر إيضاح المشهود للشاهد ما لو عذب تاركه و المتهاون به لكان تعذيبه جاريا على المناهج ملائما للعقول ، و لكنه لسبق رحمته و غلبة رأفته لم يؤاخذ بذلك حتى ضم إليه الرسل ، و أنزل معهم الكتب ، ١٥ و أكثر فيها من المواثيق ، و زاد فى الكشف و البيان ، و إلى ذلك الإشارة باسم الرب ، فكأن من عنده علم أشد ملامة من الجاهل[7]، فقال: ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكر لهم / إذ ﴿ اخذ ﴾ أى خلق بقوله و قدرته ﴿ربك﴾ أى المحسن / ٣٨٠

(١) فى ظ : شاقة (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : لتكون (٤) فى ظ : من (٥-٥) فى ظ : ان لا يقولوا (٦) فى ظ : لا يكتموا (٧) فى ظ : الكافر.

إليك بالتمهيد لرسالتك كما يؤخذ القمل بالمشط[١] من الرأس .

و لما كان السياق لأخذ المواثيق و الأخذ بقوة ، ذكر أخذ الذرية من أقوى نوعى الآدمى ، و هم الذكور فقال : ﴿من بنى آدم﴾ و ذكر أنه جعلها من أمتن الأعضاء فقال : ﴿من ظهورهم﴾ كل واحد من ظهر أبيه ﴿ذريتهم[٢]﴾ إشارة إلى أنه [لما - [٣]] أكد عليهم المواثيق و شددها لهم [و أمرهم - [٣]] بالقوة فى أمرها ، أعطاهم من القوة[٤] فى التركيب و المزاج ما يكونون[٥] به مطيعين لذلك ، فهو تكليف بما فى الوسع ، و جعل لهم عقولا عند من قال : هو على حقيقته كنملة سليمان عليه الصلاة و السلام ﴿و اشهدهم[٦] على انفسهم ج﴾ أى أوضح لهم من البراهين من الإنعام بالعقول مع خلق السماوات و الأرض و ما فيهما على هذا المنوال الشاهد له بالوحدانية و تمام العلم و القدرة ، و من إرسال الرسل المؤيدين بالمعجزات ما كانوا[٧] كالشهود بأنه لا رب غيره ؛ [[٣] - و قد ذكر معنى هذا الإمام حجة الإسلام الغزالى فى الكلام على العقل من باب العلم من الإحياء فانه قال فى معنى هذه الآية : و المراد إقرار[٨] نفوسهم ، لا إقرار الألسنة ، فانهم انقسموا[٩] فى إقرار الألسنة حيث

(١) من ظ ، و فى الأصل : من المشط (٢) هذا على قراءة نافع و أبى عمرو و ابن عامر و يعقوب ، و قرأ الباقون بالتوحيد (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٤) فى ظ : القوى (٥) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٦) من ظ والقرآن الكريم ، و فى الأصل : اشهدتهم (٧) من ظ ، و فى الأصل : اتوا (٨) من إحياء العلوم ١/٦٤ ، و فى ظ : افراد (٩) من الإحياء ، و فى ظ : ان قسموا - كذا .

وجدت الألسنة و الأشخاص؛ ثم ذكر أن النفوس فطرت على معرفة الأشياء على ما هي عليه لقرب الاستعداد للادراك] .

و لما[1] تبين أنه فرد لا شريك له فلا راد لأمره ، و أنه رب فلا أرأف منه و لا أرحم ، كان ذلك أدعى إلى طاعته خوفا من سطوته و رجاء لرحمته ، فكانوا بذلك بمنزلة من سئل عن الحق فأقر به ، فلذلك ٥ قال : ﴿ الست بربكم[1] ﴾ أى المحسن إليكم بالخلق و التربية بالرزق و غيره ﴿قالوا بلى ج شهدنا ج﴾ أى كان علمنا بذلك علما شهوديا ، و ذلك لأنهم وصلوا بعد البيان إلى حد لا يكون فيه الجواب إلا ذلك فكأنهم قالوه ؛ فهو - و الله أعلم - [من-[2]] وادى قوله تعالى" و لله يسجد من فى السمٰوٰت و الارض [[2]- طوعا و كرها[3] " - الآية و " لله يسجد ما فى السمٰوٰت ١٠ و الارض] من دابة و الملئكة و هم لا يستكبرون[4] " .

و لما كان كأنه قيل : لم فعل ذلك ؟ قيل : دلالة على أن المتقدم إنما هو على طريق التمثيل بجعل تمكينهم من الاستدلال كالإشهاد ، فعله كراهة ﴿ ان يقولوا[5] يوم القيٰمة ﴾ أى إن لم ينصب[6] لهم الأدلة ﴿ انا كنا عن هذا ﴾ أى وحدانيتك و ربوبيتك ﴿ غٰفلين ۝ ﴾ أى لعدم ١٥ الأدلة فلذلك[7] أشركنا ﴿ او يقولوآ ﴾ أى لو لم نرسل إليهم الرسل ﴿ انمآ اشرك اٰبآؤنا من قبل ﴾ أى من قبل أن نوجد[8]

(١) فى الأصل وظ : ما (٢) زيد من ظ (٣) سورة ١٣ آية ١٥ (٤) سورة ١٦ آية ٤٩ (٥) هذا و ما بعده على قراءة أبى عمرو ، و قرأ الباقون بالخطاب (٦) فى ظ : لم تنصب (٧) من ظ ، و فى الأصل : فان ذلك (٨) من ظ ، و فى الأصل : يوجد .

﴿ وكنا ذرية من بعدهم ج ﴾ فلم نعرف لنا[1] مربيا غيرهم فكنا لهم تبعا فشغلنا اتباعهم عن النظر ولم يأتنا رسول منبه[2]، فيتسبب عن ذلك إنكارهم فى قولهم: ﴿ افتهلكنا بما فعل المبطلون ه ﴾ أى من آبائنا؛ قال أبو حيان: والمعنى أن الكفرة لو لم يؤخذ عليهم عهد ولا جاءهم رسول مذكر بما تضمنه العهد من توحيد الله وعبادته لكانت لهم حجتان: إحداهما ' كنا غافلين ' والأخرى ' كنا تبعا لأسلافنا ' فكيف والذنب إنما هو لمن طرّق لنا وأضلنا - انتهى. ومما يؤيد معنى التمثيل حديث أنس فى الصحيح « يقول الله لأهون أهل النار عذابا: لو أن لك ما فى الأرض من شىء كنت تفتدى به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لا تشرك شيئا، فأبيت إلا الشرك[3] » وذلك لأن التصريح بالآباء ينافى كون الإقرار على حقيقته، والأخذ وهو فى الصلب إنما هو بنصب الأدلة وتقرير الحق[4] على وجه مهيئ للاستدلال بتركيب العقل على القانون الموصل إلى المقصود عند التخلى من الحظوظ والشوائب، وهذا الذى وقع تأويل الآية به لا يعارضه حديث الاستنطاق فى عالم الذر على تقدير صحته، فانه روى من طرق كثيرة جدا ذكرتها فى كتابى سر الروح، منها فى الموطأ ومسند أحمد وإسحاق بن راهويه ومحمد بن نصر[5] المروزى وأبى يعلى الموصلى ومستدرك الحاكم وكتاب المائتين / لأبى عثمان /٣٨١

(١) زيد بعده فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من ظ، وفى الأصل: منتبه (٣) من ظ والصحيح - الأنبياء، وفى الأصل: اشرك. (٤) فى ظ: الخلق (٥) من تهذيب التهذيب، وفى الأصل وظ: مضر.

الصابونى عن صحابة و تابعين مرفوعا [و موقوفا -[1]] منهم عمر و أبى بن كعب و أبو هريرة و حكيم بن حزام و عبد الله بن سلام و عبد الله بن عمرو و ابن عباس و ابن مسعود رضى الله عنهم ، و عن محمد ابن كعب و عطاء بن يسار و سعيد بن المسيب و أبى العالية رحمهم الله ، و إنما كان لا يعارضه لأن فى بعض طرقه عن أبى [بن -[2]] كعب رضى الله ٥ عنه[3] أنه سبحانه قال بعد أن استنطقهم : فانى أشهد عليكم السماوات السبع و الأرضين[4] السبع ، و أشهد عليكم أباكم آدم أن تقولوا [يوم القيامة -[1]] : إنا كنا عن هذا غافلين ، فلا تشركوا بى شيئا ، فانى أرسل إليكم رسلى يذكرونكم عهدى و ميثاقى ، و أنزل عليكم كتبى ، فقالوا : نشهد أنك ربنا و إلهنا ، لا رب لنا غيرك . فالاستنطاق فى الحديث على بابه ، عبرة لأبينا ١٠ آدم عليه السلام و من حضر ذلك من الخلق ، و إيقافا لهم على بديع قدرته و عظيم علمه[5] . و إشهاد ما أشهد من المخلوقات بمعنى أنه[6] نصب فيها من الأدلة ما يكون إقامة الحجة به عليهم بالنقض إن أشركوا كشهادة [الشاهد -[1]] الذى لا يرد ، و ليس فى شىء من الروايات ما ينافى هذا ؛ و الحاصل أنه أخذ علينا عهدان : أحدهما حالى تهدى إليه العقول ، و هو ١٥ نصب الأدلة ، و الآخر مقالى أخبرت به الرسل ، كل ذلك للاعلام بمزيد الاعتناء بهذا النوع البشرى لما له من الشرف الكريم و يراد به من

(١) زيد من ظ (٢) زيد ولا بد منه (٣) العبارة من « عن أبى » إلى هنا ساقطة من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : الأرض (٥) من ظ ، و فى الأصل : عمله .
(٦) زيد بعده فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

الأمر العظيم - [1] و الله الموفق [1] .

و لما كان كأنه قيل تنبيها على جلالة هذه الآيات : انظر كيف فصلنا هذه الآيات هذه التفاصيل الفائقة و أبرزناها فى هذه الأساليب الرائقة ، [قال - [2]] : ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ذلك التفصيل البديع [3] الجليل الرفيع ﴿ نفصل الأيٰت ﴾ أى كلها لئلا يواقعوا ما لا يليق بجنابنا جهلا لعدم الدليل ﴿ و لعلهم يرجعون ﴾ أى و ليكون حالهم حال من يرجى [4] رجوعه عن الضلال إلى ما تدعو إليه الهداة من الكمال عن قرب إن حصلت غفلة فواقعوه ، و ذلك من [5] أدلة " و الذى [5] خبث لا يخرج الا نكدا " و " ما وجدنا لاكثرهم من عهد " و [3] " ساصرف عن اٰيٰتى " .

و لما ذكر لهم ما أخذ عليهم فى كتابهم من الميثاق الخاص الذى انسلخوا منه ، و أتبعه الميثاق العام الذى قطع به الأعذار ؛ أتبعهما [بيان - [2]] ما يعرفونه من حال من انسلخ من الآيات ، فأسقطه الله من ديوان السعداء ، فأمره صلى الله عليه و سلم أن يتلو ذلك عليهم ، لأنه - مع الوفاء بتبكيتهم - من أدلة نبوته الموجبة عليهم اتباعه ، فذكرهم ما وقع له فى نبذ العهد و الانسلاخ من الميثاق بعد أن كان قد أعطى الآيات و أفرغ عليه من الروح فقال : ﴿ و اتل ﴾ أى اقرأ شيئا بعد شىء ﴿ عليهم ﴾ أى اليهود و سائر الكفار بل الخلق كلهم ﴿ نبا الذى ﴾ و عظم ما أعطاه بمظهر العظمة و لفظ الإيتاء بعد ما عظم خبره بلفظ الإنباء [2] فقال : ﴿ اٰتينٰه ﴾ .

(١ - ١) تقدم فى الأصل على « و الحاصل أنه » و الترتيب من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : ترجى (٥-٥) فى ظ : وادى .

و لما كان تعالى قد أعطاه من إجابة الدعاء و صحة الرؤيا و غير ذلك مما شاء سبحانه أمرا عظيما بحيث دله[1] على الله تعالى دلالة لا شك فيها، و كانت الآيات كلها متساوية الأقدام فى الدلالة و إن كان بعضها أقوى من بعض، قال تعالى: ﴿ءاتينا﴾ و هو بلعام من غير شك للسباق و اللحاق، و قيل: هو رجل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين فرشاه فتبع دينه ٥ فافتتن به الناس، و قيل: هو أمية بن أبى الصلت الثقفى الذى قال فيه النبى صلى الله عليه و سلم «آمن شعره و كفر قلبه» قاله عبد الله بن عمرو و[2] سعيد بن المسيب و زيد بن أسلم، و قيل: هو[3] أبو عامر الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه و سلم الفاسق، و قيل: نزلت فى منافقى أهل الكتاب كانوا يعرفون النبى صلى الله عليه و سلم فأنكروه. ١٠

و لما كان / الذى جرأهم على عظمته سبحانه ما أنعم عليهم به من ٣٨٢ / إعطاء الكتاب ظنا منهم أنه لا يشقيهم بعد ذلك، رهبهم ببيان أن[4] الذى سبب له هذا الشقاء هو إيتاء[5] الآيات فقال: ﴿فانسلخ منها﴾ أى فارقها بالكلية كما تنسلخ الحية من قشرها، و ذلك بسبب أنه لما كان مجاب الدعوة سأله ملك زمانه الدعاء على موسى و قومه فامتنع فلم يزل يرغبه ١٥ حتى خالف أمر الله اتباعا لهوى نفسه، فتمكن منه الشيطان، و أشار عليه أن يرسل إليهم النساء مزينات و يأمرهن أن لا يمتنعن[6] من أحد، فأشقاه الله، و هذا معنى ﴿فاتبعه الشيطن﴾ أى فأدركه مكره فصار قرينا له

(١) من ظ، و فى الأصل: دل (٢) فى ظ: بن (٣) من ظ، و فى الأصل: هذا.
(٤) فى ظ: انه (٥) من ظ، و فى الأصل: اتيان (٦) من ظ، و فى الأصل: لا يتبعن.

﴿ فكان ﴾ أى فتسبب عن إدراك الشيطان له أن كان ﴿ من الغوين ﴾ أى الضالين الراكبين هوى نفوسهم[1]، و عبر فى هذه القصة بقوله "اتل" دون "و سئلهم عن" نحو ما مضى فى القرية، لأن هذا الخبر مما يحبون ذكره لأن سلخه من الآيات كان لأجلهم، فهو شرف لهم، فلو سألهم عنه لبادروا إلى الإخبار به و لم يتلعثموا[2] فلا تكون تلاوته صلى الله عليه و سلم بعد ذلك لما أنزل فى شأنه[3] واقعا موقع ما لو أخبرهم به [قبل -[4]]، و لعل المقصود الأعظم من هذه الآية و التى قبلها الاستدلال على كذب دعواهم فى قولهم "سيغفر لنا" بما هم قائلون به، فيكون من باب الإلزام، و كأنه قيل: أنتم قائلون بأن من أشرك لا يغفر له لتركه ما نصب له من الأدلة حتى أنكم لتقولون "ليس علينا[5] فى الأميين سبيل" لذلك، فما لكم توسعون المغفرة لكم فى ترك ما أخذ عليكم به الميثاق الخاص و قد ضيقتموها على غيركم فى ترك ما أخذ عليهم به الميثاق العام؟ ما ذلك إلا مجرد هوى، فان قلتم: الأمر فى أصل التوحيد أعظم فلا يقاس عليه، قيل لكم: أليس المعبود قد حرم الجميع؟ و على التنزل فمن المسطور فى كتابكم أمر بلعام و أنه ضل، و قد كان أعظم من أحباركم[6]، فانا آتيناه الآيات من غير واسطة رسول، و كان سبب هلاكه - كما[7] تعلمون - و خروجه من ربقة الدين و إحلاله دمه مشورته[8] على ملك زمانه بأن يرسل

(١) من ظ، و فى الأصل: روسهم (٢) فى الأصل: لم يتعلموا، و فى ظ: لم يتعثلموا - كذا (٣) فى ظ: شانهم (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و القرآن الكريم سورة ٣ آية ٧٥، و فى الأصل: لنا (٦) فى ظ: أحادكم (٧) فى ظ: لما (٨) فى الأصل: مستوريه، و فى ظ: مسورته - كذا.

النساء إلى عسكر بنى إسرائيل متزينات غير ممتنعات ممن أرادهن ، و ذلك من الفروع التى هى أخف من باب الأموال ، فقد بحتم كذبكم فى قولكم " سيغفر لنا " و أنكم لم تتبعوا فيه إلا الهوى كما تبعه بلعام فانظروا[1] ما فعل به .

و لما كان هذا السياق موهما لمن لم يرسخ قدمه فى الإيمان أن الشيطان له تأثير مستقل فى الإغواء[2] ، نفى ذلك غيرة[3] على هذا المقام فى مظهر العظمة فقال : ﴿ و لو شئنا ﴾ أى أن نرفعه بها على ما لنا من العظمة التى من دنا من ساحتها بغير إذن محق ﴿ لرفعنه ﴾ أى فى المنزلة رفعة دائمة ﴿ بها ﴾ أى الآيات حتى لا يزال عاملا بها .

و لما علق الأمر بالمشيئة تنبيها على أنها هى[4] السبب الحقيق و أن ما لم يشأه سبحانه لا يكون ، و كان التقدير : و لكنا لم نشأ ذلك و شئنا له الكفر فأخلدناه - إلى آخره ، عبر عنه تعليما للأدب فى إسناد الخير إلى الله و الشر إلى غيره و إن كان الكل خلقه [حفظا -[5]] لعقول الضعفاء من إيهام نقص أو[6] إدخال لبس بقوله مسندا نقصه إليه : ﴿ و لكنه اخلد ﴾ أى فعل فعل من أوقع الخلد - و هو[7] الدوام - و أوجده[7] ﴿ الى الارض ﴾ أى رمى بنفسه إلى الدنيا رميا ، تهالكا على ما فيها من الملاذ الحيوانية و الشهوات النفسانية ﴿ و اتبع ﴾ أى اتباعا شديدا

(١) من ظ ، و فى الأصل : فانتظروا (٢) من ظ ، و فى الأصل : الأغراء .
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : من (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل « و » (٧-٧) فى ظ : دوام و وجوده - كذا .

﴿هوٰنه ج﴾ فأعرض عن التمسك بما آتاه الله من الآيات مقدما لداعى نفسه على داعى روحه، لأن القلب الذى هو نتيجتها فى عالم الأمر له وجهان: وجه إلى الروح العلوى الروحانى الذى هو الأب، و له الذكورة المناسبة للعلو؛ و وجه إلى النفس التى[1] / هى الروح الحيوانى التى هى الأم و لها المناسبة ٣٨٣/
٥ للأرض بالأنوثة و بأن أصلها من التراب الذى له الرسوب بوضع الجبلة، فالتقدير: فحط نفسه حطا عظيما، لأنا لم نشأ رفعه بما أعطيناه من الآيات، و إنما جعلناه وبالا عليه، فلا يغتر أحد بما أوتى من المعارف، و ما حاز من المفاخر و اللطائف، فان العبرة بالخواتيم، و لنا بعد ذلك أن نفعل ما نشاء.

و لما كان هذا حاله، تسبب عنه أن قال تعالى: ﴿فمثله﴾ أى مع
١٠ ما أوتى من العلم فى اتباعه[2] لمجرد هواه من غير دليل بعد الأمر بمخالفة الهوى ﴿كمثل الكلب ج﴾ أى فى حال دوام اللهث.

و لما كان [كأنه -[3]] قيل: مثله فى أىّ أحواله؟ قال: فى كونه ﴿ان تحمل عليه﴾ أى لتضربه ﴿يلهث او تتركه يلهث[4]﴾ فان أوجب لك الحمل عليه ظن أن لهثه لما حاول من ذلك التعب ردك عنه لهثه فى الدعة[4]،
١٥ فتعلم حينئذ أنه [5]ليس له[5] سبب إلا اتباع الهوى، فتابع الهوى مثل الكلب كما بين، و مثال هذا المنسلخ الجاهل الذى لا يتصور أن يتبع غير الهوى، لأنه يتبع الهوى مع إيتاء الآيات فبعد الانسلاخ منها أولى، فقد[6] وضح تشبيه[7] مثله بمثل الكلب، لا[8] تشبيه مثله[8] بالكلب؛ و هذه القصة تدل على

(١) تكرر فى الأصل (٢) فى ظ: اتيانه (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: الدعوة.
(٥-٥) من ظ، وفى الأصل: لا (٦) من ظ، وفى الأصل: فكم (٧) سقط من ظ.
(٨-٨) من ظ، وفى الأصل: يشبه بمثله.

أن من كانت نعم الله فى حقه أكثر ، كان بعده عن الله إذا أعرض عنه أعظم و أكبر[1] .

و لما تقرر المثلان ، و كان كل منهما منطبقا على حالة[2] كل مكذب ، كانت النتيجة قوله : ﴿ ذلك ﴾ أى كل من المثلين ﴿ مثل القوم ﴾ أى الأقوياء على ما يحاولونه ﴿ الذين كذبوا بآيتنا ﴾ أى فى [أن -[3]] ٥ تركهم لها إنما هو بمجرد الهوى ، لأن[4] لها من الظهور و العظمة بنسبتها إلينا ما لا يخفى على من له أدنى بصيرة ﴿ فاقصص القصص ﴾ أى فأخبر الإخبار العظيم الذى تتبعت به مواقع الوقائع و آثار الأعيان حتى لم تدع فى شىء منها لبسا على كل من يسمع لك من اليهود و غيرهم ، و هو مصدر قص الشىء - إذا تبع أثره و استقصى فى ذلك ﴿ لعلهم يتفكرون ﴾ ١٠ أى ليكون حالهم حال من يرجى تفكره فى هذه الآيات ، فيعلمون أنه لا يأتى بمثلها من غير معلم من الناس إلا نبى ، فيردهم ذلك إلى الصواب حذرا[5] من مثل حال هذا .

و لما ظهر بهذا أن مثل الكلب الذى اكتسب من ممثوله من السوء و القذارة[6] ما لا يعلمه حق علمه[7] إلا الله تعالى مثل المكذبين بالآيات ؛ أنتج ١٥ ذلك قوله تأكيدا لذمهم و زجرهم : ﴿ ساء مثلا القوم ﴾ أى مثل القوم ﴿ الذين كذبوا بآيتنا ﴾ أى فلو لم يكن عليهم درك فى[7] فعلهم أن لا تنزل هذا المثل عليهم لكان أعظم زاجرا[8] له أدنى مروءة ، لأنهم نزلوا عما

(١) فى ظ : اكثر (٢) فى ظ : حال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : لما (٥) من ظ ، و فى الأصل : حلها - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : القذرة (٧) سقط من ظ .
(٨) من ظ ، و فى الأصل : زجر .

لمن يتبعها من العظمة إلى ما ظهر بهذا المثل من الخسة ، فكيف و هم يضرون أنفسهم بذلك و[1] لا يضرون إلا إياها ، و ذلك معنى قوله : ﴿ و انفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ كانوا يظلمون ۝ ﴾ أى كان ذلك[2] فى طبعهم جبلة لهم ، لا يقدر غير الله على تغييره .

٥ و لما كان ذلك محل عجب ممن يميل عن[3] المنهج بعد إيضاحه هذا الإيضاح الشافى ، قال جوابا لمن كأنه قال : فما لهم لا يؤمنون ؟ مفصلا لقوله " و لو شئنا لرفعنه بها " : ﴿ من يهد الله ﴾ أى يخلق الهداية فى قلبه الملك الأعظم الذى لا أمر لأحد معه ﴿ فهو المهتدى ج ﴾ أى لا غيره .

و لما كان فى سياق الاستدلال على أن أكثر الخلق هالك بالفسق

١٠ و نقض العهد ، وحد " المهتدى " نظرا إلى لفظ " من[4] " ، و جمع الضال[5] نظرا إلى معناها فقال : ﴿ و من يضلل فاولئك هم[6] ﴾ أى البعداء البغضاء خاصة لا غيرهم ﴿ الخسرون ۝ ﴾ إذ[7] لا فعل لغيره أصلا ، و الآية من فذلكة ما مضى ، و ما أحسن ختمها بالخسران فى وعظ من ترك الآخرة باقباله على أرباح / الدنيا و أعراضها الفانية ، ثم تعقيبها بذرء جهنم /٣٨٤

١٥ الذين لا أخسر[8] منهم .

ذكر[1] قصة بلعام من التوراة - قال فى السفر الرابع منها بعد أن ساق قتالهم لسيحون ملك الأمورانيين : و فرق الموآبيون[9] من الشعب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : على (٤) فى ظ : مع (٥) فى ظ : الضلال (٦) تأخر فى الأصل عن « لا غيرهم » و الترتيب من ظ (٧) فى ظ : اى (٨) فى ظ : خسر (٩) من التوراة ، و فى الأصل : الموابتون ، و فى ظ : الموابين - كذا .

فرقا شديدا لأنهم رأوه شعبا عظيما ، فاضطرب الموآبيون و رجفت قلوبهم خوفا من بنى إسرائيل ، و قال ملك موآب لأشياخ مدين : اعلموا أن هذا الجمع يرتعى حرثنا[1] ، و لا يدع أحدا إلا أهلكه ، و يرتعى كل من حولنا[1] كما يرتعى الثور عشب الأرض ، و كان ملك الموآبيين فى ذلك الزمان بالاق بن صفور ، فأرسل رسلا إلى بلعام بن بعور[2] ٥ العراف المعبر للأحلام الذى كان ينزل على شاطئ النهر قريبا من أرض بنى عمون ليدعوه إليه فيستعين به : أخبرك أنه [قد -[3]] خرج شعب من أرض مصر ، فغشى وجه الأرض كلها ، و قد نزلوا جبالنا ، فأطلب إليك أن تأتى و تلعن هذا الشعب لأنه أقوى و أعز منا . لعلنا نقدر أن نحاربه و نهلكه عن جديد الأرض ، لأنى عارف أن الذى تباركه هو ١٠ مبارك ، و الذى تلعنه هو ملعون . و انطلق أشياخ موآب و أشياخ مدين و معهم هدايا و جوائز ، فأتوا بلعام فقالوا له قول بالاق ، فقال لهم : بيتوا ههنا ليلتكم هذه فأخبركم[4] بما يقول الرب ، فأقام أشراف موآب عند بلعام ، فأتى ملك الله بلعام و قال له : من القوم الذين أتوك ؟ قال بلعام للملاك[5] : بالاق[6] بن صفور ملك موآب أرسل إلىّ و قال : قد ١٥ خرج شعب من أرض مصر فملأ وجه الأرض ، فأقبل إلينا[7] حتى تلعنه ، لعلى[8] أقدر أن[9] أجاهده و أهلكه ، و قال الملاك[10] لبلعام : لا تنطلق مع القوم و لا تلعن الشعب لأنه مبارك ، فقال بلعام بكرة لعظماء[11]

(١) فى ظ : حولها (٢) فى ظ : فعورا (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل: و اخبركم (٥) من ظ ، و فى الأصل : للملايكة (٦) فى ظ : بلاق (٧) من ظ ، و فى الأصل : علينا (٨) فى ظ : لعل ان (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : الملك . (١١) فى الأصل و ظ : عظماء .

بالاق : انطلقوا إلى صاحبكم ، لأن الرب لم يحب أن يدعنى أنطلق معكم ، و نهض[1] عظماء موآب فأتوا بالاق و قالوا له : لم يهو بلعام إتيانك معنا ، فعاد بالاق أيضا فأرسل رسلا أعظم و أكرم من الأولين ، [فأتوا بلعام و قالوا له : هكذا يقول بالاق بن صفور : لا تمتنع أن تأتينى -[2]] لأنى سأعظمك و أكرمك جدا ، و ما قلت لى من شيء فعلت ، و أقبل إلينا [لتلعن لى -[3]] هذا الشعب ، فرد بلعام على رسل بالاق قائلا : لو أن بالاق أعطانى ملء بيته ذهبا و فضة لم أقدر أن أتعدى قول ربى و إلهى ، و لا أحيد عن قول[4] صغير[5] و لا كبير[5] من أقواله ، فعرجوا أنتم أيضا[6] عندنا ليلتكم هذه حتى أنظر ما يخبرنى ملاك الله من أمركم ، فنزل وحى الله على بلعام ليلا ، و قال له : إن كان هؤلاء القوم إنما أتوك ليدعوك فقم فانطلق معهم ، و لكن إياك أن تعمل إلا ما أقول ، فنهض[7] بلعام بكرة و أسرج أتانه[8] و انطلق مع عظماء موآب ، فقام[9] ملاك الرب فى الطريق ليكون له لدادا ، فرأت الأتان ملاك الله[10] قائما فى الطريق مخترطا سيفه ممسكه فى يده ، فحادت عن الطريق و سارت فى الحرث ، فضربها بلعام ليردها إلى الطريق ، فقام ملاك الرب فى طريق[11] ضيق بين كرمين ، فرأت الأتانة ملك الرب فزحمت الحائط و ضغطت[12] رجل بلعام فى

(١) فى ظ : نهق (٢) زيد من ظ (٣) زيد بناء على نص التوراة و هو : فتعال الآن العن لى هذا الشعب - راجع الأصحاح الثانى و العشرين من السفر الرابع.
(٤) فى ظ : قوله (٥-٥) سقط مابين الرقمين من ظ (٦) - سقط من ظ (٧) من ظ ، وفى الأصل : فنزل (٨) فى ظ : اتاه (٩) فى ظ : فقال (١٠) فى ظ : الرب .
(١١) فى ظ : سبيل (١٢) فى ظ : ضعت .

الحائط ، فعاد يضربها أيضا ، ثم عاد ملاك[1] الرب و قام فى موضع ضيق حيث ليس لها موضع تحيد [منه -[2]] يمنة و لا يسرة ، فبصرت بملاك الرب و ربضت تحت بلعام ، فاشتد غضب بلعام و ضرب الأتان[3] بالعصا ، و فتح الرب فم الأتان و قالت لبلعام : ما الذى صنعت بك حتى ضربتنى ثلاث مرات ؟ قال بلعام : لأنك زريت[4] بى ، و لو أنه كان فى يدى ٥ سيف كنت قد قتلتك / الآن ، فقالت[5] : أ لست[6] أتانتك التى[6] تركبنى / ٣٨٥ منذ صباك إلى اليوم ؟ هل صنعت مثل هذا الصنع قط ؟ قال لها : لا ، و جلّى الرب عن بصر بلعام فرأى ملك الله قائما فى الطريق مخترطا سيفه ممسكا[7] بيده ، فجثى و خر على وجهه ساجدا ، فقال له ملاك الرب : ما بالك ضربت أتانك ثلاث مرات ، [أنا -[2]] الذى خرجت لأكون ١٠ لك لدادا ، لأنك أخذت فى طريق خلافا لأمرى ، فلما رأتنى الأتان حادت عنى ثلاث مرات ، و لو أنها لم تحد عنى كنت قد قتلتك و أبقيت عليها ، قال بلعام لملاك الرب : أسأت و أجرمت ، لم أعلم أنك قائم بازائى فى الطريق[8] ، فالآن إن كان انطلاقى مما تكرهه[9] رجعت ، قال ملاك الرب لبلعام : انطلق مع القوم و إياك أن تفعل شيئا إلا ما أقول لك ! ١٥ فانطلق بلعام ، فسمع بالاق فخرج ليتلقاه و قال بالاق : لم[10] تأتنى ؟ قال : قد أتيتك الآن ، لعلك تظن أنى أقدر أن أقول شيئا إلا القول الذى

(١) فى ظ : ملك (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى الأصل : رزنت ، و فى ظ : زرنت - كذا (٥) فى ظ : قالت (٦-٦) فى ظ : أتانك الذى (٧) فى ظ : محسبا (٨) من ظ ، و فى الأصل : طريق (٩) من ظ ، و فى الأصل : تركه . (١٠) من ظ ، و فى الأصل : كيف .

يجريه الله على لسانى به أنطق ، فلما كان الغد عمد بالاق إلى بلعام و أصعده إلى بيت بعل[١] الصنم ، فرأى من هناك أقاصى منازل شعب[٢] إسرائيل ، و قال بلعام لبالاق : ابن لى هاهنا سبعة[٣] مذابح ، و هيئ لى سبعة[٣] ثيران و سبعة[٣] كباش ، و فعل بالاق كما قال له بلعام ، و رفع بالاق الكباش

٥ و الثيران على المذبح قربانا ، و قال بلعام لبالاق : قم هاهنا عند قرابينك حتى أنطلق [أنا ، لعل الرب يوحى إلىّ ما أهواه ، و أنا مظهر لك مايوحى به ، فانطلق - [٤]] فظهر الله و ألهمه قولا و قال له : انطلق إلى بالاق و قل له هذا القول ، فأتاه و هو قائم عند قرابينه و جميع قواد[٦] موآب معه ، و رفع بلعام صوته بأمثاله و قال : ساقنى بالاق[٧] ملك الموآبيين من

١٠ أرام التى فى المشرق ، و قال لى : أقبل حتى تلعن يعقوب و تهلك آل إسرائيل ، فكيف ألعنه و لم يلعنه الله ، و كيف أهلكه و الرب لا يريد هلاكه[٨] ، رأيته من رؤس الجبال ، و نظرت إليه من فوق الآكام و إذا هو شعب وحده ، لا يعد مع الشعوب ، و من يقدر يحصى [٩]جميع عدد يعقوب ، أو من يقدر يحصى[٩] عدد ربع بنى إسرائيل ، تموت نفسى موتا[١٠]

١٥ و يكون[١١] آخرى إلى آخرهم[١٢] ، قال بالاق لبلعام : دعوتك لتلعن أعدائى

---

(١) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : بعلا (٢) زيد بعده فى ظ : بنى (٣) فى الأصل و ظ : سبع (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : قال (٦) من ظ ، و فى الأصل : أفراد (٧) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : بالاك (٨) فى ظ : اهلاكه . (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) فى التوراة - الأصحاح الثالث و العشرين : موت الأبرار (١١) فى ظ : تكون (١٢) من ظ ، و فى الأصل : أخراهم .

فاذا أنت تباركهم و تدعو لهم ، فرد بلعام قائلا : الذى يلهمنى الرب و يجرى على لسانى إياه أحفظ ، و به أنطق : قال له بالاق : مر معى إلى موضع آخر لتراهم من هناك ، و إنما أسوقك لترى آخرهم و لا تراهم أجمعين ، و انطلق به[1] إلى حقل[2] الرية و أقامه على رأس الأكمة ؛ و ابتنى هناك سبعة[3] مذابح ، و قرب عليها الثيران و الكباش ، و قال بلعام : قف هاهنا عند ٥ قرابينك حتى أنطلق أنا الآن ، فانظر ما الذى يقال ؟ و تجلى الرب على بلعام و أجرى على فيه قولا و قال له : انطلق إلى بالاق فأخبره بهذا القول ، فأتاه و هو قائم عند قرابينه و معه أشراف موآب ، فرفع بلعام صوته بأمثاله و قال : انهض بالاق و اسمع قولى و أصغ لشهادتى يا ابن صفور ! اعلم أن الله ليس مثل الرجل يحلف و يكذب ؛ إذا قال الرب قولا فعله ، و كلامه دائم إلى ١٠ الأبد ، ساقنى[4] لأدعو و أبرك ، و لا أرد البركة و لا أخالف ما أمرت به ، لست أرى فى آل يعقوب إثما ولا غدرا عند بنى إسرائيل و لا ظلما ، لأن الله ربه معه ، الله الذى أخرجهم من مصر بعزة و عظمة قوية ، و لست أرى فى آل يعقوب / طيرة ، و لا حساب نجوم أو عراف بين بنى إسرائيل ، كيف / ٣٨٦ أقول و الشعب قائم مثل الضرغام لا يربض[5] حتى يفترس[6] فريسته و يشرب ١٥ دم القتل ، فقال بالاق لبلعام : أطلب أن لا تلعنه و لا تدعو له ، فرد بلعام على بالاق قائلا : ألست قلت لك : إنى[7] إنما أنطق بما يقول لى الرب ، فقال

(١) فى ظ : بى (٢) من ظ ، و فى الأصل : جبل (٣) من ظ ، و فى الأصل : سبع (٤) من ظ ، و فى الأصل : سادى - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يرتض . (٦) من ظ ، و فى الأصل : يكثر من - كذا (٧) سقط من ظ .

بالاق: انطلق بنا إلى موضع آخر، لعل الله يرضى بغير هذا فتلعنه لى هناك، فأصعده إلى رأس فغور الذى بازاء إستيمون، فأمره بمثل ما تقدم من الذبح و القربان، فرأى بلعام أن الرب يحب أن يدعو لبنى إسرائيل، و لم ينطلق كما كان ينطلق[1] فى كل وقت ليطلب الوحى، و لكن أقبل بوجهه إلى البرية و مد بصره، فرأى بنى إسرائيل نزولا قبائل [قبائل - [2]] فحل عليه روح الله، و رفع صوته بأمثاله و قال: قل[3] يا بلعام بن بعور[4]، قل أيها الرجل الذى أجلى عن بصره، قل أيها الذى سمع قول الله و رأى رؤيا الله و هو ملقى و عيناه مفتوحتان، ما أحسن منزلك يا يعقوب و منازلك يا إسرائيل! و خيمك كالأودية[5] الجارية، و مثل الفراديس التى على شاطئ النهر، و مثل الجبى الذى[6] ركزه الله، و مثل شجر الأرز على شاطئ النهر يخرج رجل من بينه، [و - [7]] ذريته أكثر من الماء الكثير[8]، و يعظم على الملك، و ذلك بقوة الله الذى أخرجهم من أرض مصر [7]بغير توقف رئما[7]، يأكل خيرات الشعوب[7] أعدائه و يكسر عظامهم و يقطع ظهورهم، رتع و ربض كالأسد و مثل شبل الليث[9]، و من يقدر أن يبعثه، يبارك مباركوك و يلعن لاعنوك، فاشتد غضب بالاق على بلعام و صفق [10]بيديه ملتهفا[10] و قال: دعوتك للعن أعدائى، فماذا أنت تباركهم و تدعولهم ثلاث مرات، انصرف الآن إلى بلادك[11]، قد كنت

(١) فى ظ: ينطق (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من التوراة، و فى الأصل و ظ: فعور (٥) فى ظ: بالاودية (٦) فى ط: التى (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ: شعوب (٩) فى ظ: الاسد (١٠-١٠) فى ظ: بيده متلهفا (١١) من ظ؛ و فى الأصل: بلايك - كذا.

عزمت على إكرامك و إجازتك فاذا الرب قدأحرمك[1] ذلك، فرد بلعام على بالاق قائلا : قد كنت قلت لرسلك الذين أرسلتهم إلىّ أنه لو وهب لى بالاق ملء بيته من ذهب و فضة لم أقدر أتعدى عن قول الرب ، و لكن إنما أنطق ما يلهمنى الرب ، فأنا أنطلق[2] الآن إلى أرضى ، فأسمع ما أشير عليك و أخبرك ما يصنع هذا الشعب بشعبك آخر الأيام ، ثم رفع صوته بأمثاله ٥ و قال : قل يا بلعام بن بعور[3] ! قل أيها الرجل المجلى عن بصره ! قل أيها الذى سمع قول الله و علم علم العلى و رأى رؤيا الله إذ هو ملق و عيناه مفتوحتان ! فانى رأيته و إذا ليس ظهوره الآن و إن كان متدانفا ، و نظرت فى أمره و إذا [ليس -[4]] بقريب ، يشرق نجم من آل يعقوب ، و يقوم رئيس من بنى إسرائيل ، و يهلك جبابرة من موآب [5]و يبيد[5] ١٠ جميع بنى شيث ، و تصير أدوم ميراثه ، و ساعير وراثة أعدائه [5]يصير له[5]، و يستفيد[6] بنو إسرائيل قوة بقوته - و نحو ذلك من الكلام الذى فيه ما يكون سببا لانسلاخه من الآيات ، لكن ذكر المفسرون أنه أشار عليه باختلاط نساء بلاده ببنى إسرائيل متزينات غير ممتنعات ممن[7] أرادهن منهم ليزنوا بهن فيحل بهم الرجز ، فوقع بهم ذلك ، و هو الصواب ١٥ لأنه ستأتى الإشارة إليه فى التوراة عند فتح مدين بقوله : لما ذا أبقيتم[8] على الإناث و هن كن عثرة[9] لبنى إسرائيل عن قول بلعام و مشورته -

(١) فى ظ : حرمك (٢) فى ظ : منطلق (٣) من التوراة ، و فى الأصل و ظ : نعور (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : ستفيد (٧) فى ظ : من (٨) فى ظ : بقيتم (٩) فى ظ : عشيرا .

و سيأتى ذلك قريبا ، و ما فيه من ذكر الوحى فهو محمول على المنام أو غير ذلك مما يليق ؛ ثم قال : و قام بلعام و رجع منصرفا إلى بلاده و بالاق أيضا رجع إلى بيته ، و سكن[1] بنو إسرائيل شاطيم ، و بدأ الشعب [أن يسفح مع بنات موآب ، و دعون الشعب إلى ذبائح آلهتهم ،
٥ و أكل الشعب -[2]] من ذبائحهم و سجدوا[3] لآلهتهم ، و كمل بنو إسرائيل لعبادة[4] بعليون[5] الصنم ، فاشتد[6] غضب الله على بنى إسرائيل ، / فقال الرب ٣٨٧/
لموسى : اعمد إلى جميع بنى إسرائيل فافضحهم ، فقال موسى : يقتل كل رجل منكم كل من أخطأ و سجد لبعليون ، و إذا رجل من بنى إسرائيل قد أتى بجرأة أمام إخوته من غير أن يستحي ، فدخل على امرأة مدينية
١٠ و موسى و بنو إسرائيل يبكون فى باب قبة الآمد ، فرآه فنحاس[7] بن اليعازر بن هارون الحبرفنهض من الجماعة غضبا لله وأخذ بيده رمحا و دخل إلى البيت الذى كانا فيه فطعنهما بالرمح فقتلهما ، فكف الموت الفاشى عن بنى إسرائيل ، وكان عدد الذين ماتوا فى الموت البغتة أربعة و عشرين ألفا ، وكلم الرب موسى و قال له : فنحاس صرف غضبى عن بنى إسرائيل
١٥ و غار غيرة لله بينهم[8] و طهر بنى إسرائيل . و كان اسم القتيل الذى قتل مع المدينية زمرى[9] بن سلو ، و كان رئيسا [فى قبيلة شمعون ،

(١) من ظ ، و فى الأصل : ستكون - كذا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : سجد (٤) فى ظ : العبادة (٥) من ظ ، و فى الأصل : عليون (٦) فى ظ : و اشتد (٧) فى ظ : فنحاص (٨) من ظ ، و فى الأصل : عنهم ،
(٩) من ظ و التوراة - الأصحاح الخامس و العشرين ، و فى الأصل : زمراى ،

و كانت

و كانت المرأة المديانية كزبى[1] بنت صور ، و كان أبوها -[2]] من رؤساء أهل مدين . و قال بعض المفسرين[3] : إنه خرج رافعا الحربة[4] إلى السماء ، قد اعتمد بمرفقه على خاصرته ، و أسند الحربة إلى لحيته[5] ، فمن هنالك[6] يعطى بنو إسرائيل ولد فنحاس من كل ذبيحة القبة[7] و الذراع و اللحى و البكر من كل أموالهم و أنفسهم لأنه كان بكرا لعيزار بن هارون . ثم كلم الرب موسى و قال له : [8]ضيق على أهل مدين و أهلكهم كما ضيقوا عليكم و لحسوكم ، ثم قال : ثم كلم الرب موسى و قال له[8] : إنى لمنتقم من المديانيين ماصنعوا [9]بين بنى[9] إسرائيل ، ثم تقتص إلى شعبك ؛ ثم قال موسى للشعب : يتسلح منكم قوم للحرب لينتقموا للرب من المديانيين ، و ليكونوا اثنى عشر ألفا ، فانتخب[10] موسى من بنى إسرائيل ألفا من كل سبط ، اثنى عشر ألفا أبطالا متسلحين و أرسلهم ، و صير قائدهم فنحاس بن اليعازر الحبر و معه أوعية القدس و قرون ينفخ بها ، و تقووا على مدين كما أمر الرب موسى و قتلوا كل ذكر فيها و قتلوا ملوك مدين مع القتلى ، و قتل بلعام بن بعور[11] معهم فى الحرب ، و سبى بنو إسرائيل نساء مدين و انتهبوا مواشيهم و سلبوا جميع دوابهم و أموالهم و أخربوا جميع قرى مساكنهم و أتوا بما انتهبوه[12] إلى موسى ، و خرج

(١) من التوراة ، و فى ظ : ركشبى - كذا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ .
(٣) راجع تفسير البغوى حول آية الانسلاخ (٤) فى ظ : للحرب (٥) فى ظ : لحيبه .
(٦) من ظ ومعالم التنزيل ، و فى الأصل : هناك (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩ - ٩) فى ظ : ببنى (١٠) فى ظ : فانتج (١١) من ظ ، و فى الأصل : يفور (١٢) من ظ ، و فى الأصل : انتهبوا .

موسى و جميع عظماء الجماعة فتلقوهم خارج العسكر ، وغضب موسى على رؤساء الأحبار و رؤساء الألوف و المئين الذين أتوه من الحرب فقال لهم : لما ذا أبقيتم على الإناث و هن كن عثرة لبنى إسرائيل عن قول بلعام و مشورته، و فتنوا و غدروا و تمردوا[1] على الرب فى أمر فغور[2] - و فى نسخة السبعين : فان هؤلاء كن شيئا لبنى إسرائيل لقول بلعام[3] أن يتباعدوا و يتهاونوا بكلمة الرب من أجل فغور - فواقعت السخطة جماعة الرب - [و فى النسخة الأخرى : و تسلط الموت على جماعة الرب -[4]] - بغته ، فاقتلوا الآن جميع الذكورة من الصبيان ، وكل امرأة أدركت و عقلت و عرفت الرجال فاقتلوها ، و أبقوا على جميع النساء اللواتى لم يعرفن الرجال ، و أما[5] أنتم فانزلوا خارجا عن[6] العسكر سبعة أيام - إلى آخر ما مضى قريبا فى الآصار .

و لما انقضت هذه القصص فأسفرت[7] عن أن أكثر الخلق هالك، صرح بذلك فقال مقسما لأنه لايكاد يصدق أن الإنسان [يكون -[4]] أضل من البهائم ، عاطفا على ما تقديره : هؤلاء الذين قصصنا عليكم أخبارهم ذرأناهم لجهنم : ﴿ و لقد ﴾ و عزتنا و جلالنا ﴿ ذرانا ﴾ أى خلقنا بعظمتنا و أنشأنا و بثثنا و نشرنا[8] ﴿ لجهنم كثيرا ﴾ أى و ألجأناهم

(١) فى ظ : مردوا (٢) من ظ و التوراة - الأصحاح الحادى و الثلاثين ، و فى الأصل : يفور (٣) من ظ و التوراة ، و فى الأصل : بلعم - كذا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل : ما (٦) فى ظ : من (٧) من ظ ، و فى الأصل : فاسرف (٨) فى ظ : انشرنا .

إليها و لم يجعل بينهم و بينها حائلا .

و لما كانوا يعظمون الجن و يخافونهم و يضلون بهم ، بدأ بهم فقال : ﴿من الجن﴾ أى بنصبهم أنفسهم آلهة باضلالهم / الإنس فى تزيين ٣٨٨/ عبادتهم[1] غير الله ، فهم فى الحقيقة المعبودون لا الحجارة[2] و نحوها ﴿و الانس﴾ أى بعبادتهم لمن[3] لا يصلح ، و علم أن الآية صالحة لأن ٥ تكون معطوفة على الجملة التى قبلها فهى من فذلكة ما تقدم .

و لما كان كأنه قيل : ما لهم رضوا لأنفسهم بطريق جهنم ؟ قيل : ﴿لهم﴾ و لما كان السياق للتفكر ، بدأ بالقلوب فقال : ﴿قلوب لا يفقهون بها﴾ أى الفقه الذى كلفوا به ، و هو النظر فى أدلة التوحيد و ثبوت النبوة و ما تفرع عن ذلك ، و هو الفقه المسعد ، عد غيره عدما لأنه لم ينفعهم ١٠ النفع المقصود فى الحقيقة ، و ما أحسن التعبير بالفقه فى سياق إقامه الأدلة التى منها إرسال الرسل و إنزال الكتب .

و لما كان البصر أعم[4] من السمع ، لأنه ينتفع به الصغير الذى لا يفهم القول ، و كذا [كل - [5]] من فى حكمه ، قدمه فقال : ﴿و لهم اعين﴾ و لما لم يترتب عليها الإبصار النافع فى الآخرة الباقية ، نفى إبصارهم و إن ١٥ كانوا أحدّ الناس إبصارا فقال : ﴿لا يبصرون بها﴾ أى الآيات المرئية إبصار تفكر و اعتبار ﴿و لهم اذان﴾ و لما لم يترتب على سمعها ما ينفعهم ، نفاه على نحو ما مضى فقال : ﴿لا يسمعون بها﴾ أى الآيات المسموعة و ما

(١) فى ظ : عباده (٢) من ظ ، و فى الأصل : حجارة (٣) فى ظ : من (٤) من ظ ، و فى الأصل : اهم (٥) زيد من ظ .

يدل عليها سماع ادكار و افتكار . و لما سلبت[1] عنهم[2] هذه المعانى كانت النتيجة : ﴿ اولٓئك ﴾ أى البعداء من المعانى الإنسانية ﴿ كالانعام ﴾ أى فى عدم الفقه ؛ و لما كانوا قد زادوا على ذلك تفقد نفع السمع و البصر قال : ﴿ بل هم اضل[3] ﴾ لأنهم إما معاند و إما جاهل بما يضره و ينفعه ، و الأنعام تهرب إذا سمعت صوتا منكرا فرأت بعينها أنه يترتب عليه[3] ضرها ، و تنتظر ما ينفعها من الماء و المرعى فتقصده ، و الأنعام لا قدرة لها على ما يترتب على هذه المدارك من الفقه . و هؤلاء مع قدرتهم على ذلك أهملوه [فنزلوا عن رتبتها درجة كما أن من طلب الكمال و سعى له سعيه مع نزاع الشهوات علا عن درجة الملائكة بما قاسى من الجهاد - [4]] .

و لما تشاركوا[5] الأنعام بهذه فى الغفلة و زادوا عليها ، أنتج ذلك قطعا على طريق الحصر : ﴿ اولٓئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الغفلون ٥ ﴾ لا الأنعام ، فانها - و إن كانت غافلة عما يراد بها - غير خالدة فى العذاب ، فلم تشاركهم فى العمى و الصمم عما ينفعها و لا فى الغفلة عن الخسارة الدائمة ، فقد أشارت الآية إلى تفضيل الإنسان على الملك كما اقتضته سورة الزيتون ، لأنه جعل فى خلقه وسطا بين الملك الذى هو عقل صرف و الحيوان الذى هو شهوة مجردة ، فان غلب عقله كان أعلى بما عالجه من جهاد الشهوات[6] فكان فى "احسن تقويم" ، و إن غلبت شهوته كان أسفل من الحيوان بما أضاع من عقله[6] فكان " اسفل سافلين" .

(١) من ظ ، و فى الأصل : تسالبت (٢) فى ظ : عليهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : على (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : شاركوا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و لما أنتج هذا أن لهم الأسماء السوأى و لمعبوداتهم أسوأ منها، عطف عليه[1] دفعا لوهم من يتوهم بالحكم بالضلال و الذرء لجهنم ما لا يليق، و تنبيها على أن الموجب لدخول جهنم الغفلة عن ذكر الله[2] و دعائه - قوله: ﴿و لله﴾ أى الملك الأعلى المحيط بجميع صفات الكمال وحده ﴿الاسماء﴾ [و لما كان الاسم إذا لحظت فيه المناسبة كان بمعنى الصفة، أنث فى قوله - [3]]: ﴿الحسنى﴾ أى كلها باتصافه دون غيره بصفات الكمال التى كل واحدة[4] منها أحسن شىء و أجمله و تنزهه عن شوائب النقص و سمات الحدث، فكل أفعاله حكمة، [و - [3]] إنما كان مختصا بذلك لأن الأشياء غيره[5] ممكنة لتغيرها، و كل[6] ممكن محتاج، و أدنى ما يحتاج[7] إلى مرجح يرجح وجوده، و بذلك نعلم وجود المرجح و نعلم أن ترجيحه على سبيل الصحة / و الاختيار لا الوجوب، و إلا لدام العالم بدوامه، و بذلك ثبتت قدرته، و تكون أفعاله محكمة. ثبت علمه فثبتت حياته و سمعه و بصره و كلامه و إرادته و وحدانيته، و إلا لوقع التنازع فوقع الخلل[8]، فالعلم بصفاته العلى ليس فى درجة واحدة بل مترتبا، و علم بهذا أن الكمال له لذاته، و أما غيره فكماله به و هو بذاته غرق فى بحر الفناء واقع فى حضيض النقصان ﴿فادعوه﴾ أى فصفوه و سموه و اسألوه ﴿بها ص﴾ لتنجوا من جهنم و تنالوا كل ما تحمد عاقبته، فان القلب إذا غفل عن ذكر الله أقبل على الدنيا و شهواتها فوقع فى نار الحرص و زمهرير الحرمان، و لا يزال

/ ٣٨٩

(١) من ظ، و فى الأصل: عليها (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: واحد (٥) من ظ، و فى الأصل: غير (٦) من ظ، و فى الأصل: ذلك (٧) فى الأصل و ظ: تحتاج (٨) فى ظ: الجلال.

فى[1] رغبة إلى رغبة حتى لا يبقى له مخلص ، و إذا[2] أقبل على[3] الذكر تخلص عن نيران الآفات و استشعر بمعرفة الله حتى تخلص[4] من[5] رق الشهوات فيصير حرا فيسعد بجميع المرادات ، و كثرة الأسماء لا تقدح فى التوحيد ، [بل -[6]] تدل على عظم المسمى ﴿ و ذروا ﴾ أى اتركوا على حالة ذريـة ٥ ﴿ الذين يلحدون ﴾ أى يميلون عما حد لهم [بزيادة فيشبهوا أو نقص فيعطلوا -[6]] ﴿ فى اسمآئه[4] ﴾ أى فيطلقونها على غيره بأن يسموه إلـها ، فيلزمهم أن يطلقوا عليه جميع أوصاف الإلـه . فقد ألحدوا فى البعض بالفعل و فى الباقى باللزوم ، أو بأن يسموه بما لم يأذن فيه ، [7]و ما لم يأذن فيه[7] تارة يكون مأذونا فيه فى الجملة كالضار فلا يجوز ذكره إلا مع النافع ، و تارة ١٠ لا ، مثل إطلاق الأب عليه و الجسم ، و كذا كل ما أوهم نقصا ، فلم يكن أحسن ، و لورود[8] إطلاق بعض [9]اشتقاقاته عليه[9] مثل علم لا يجوز [7]أن يقال لأجله : معلم ، و كذا لحبهم[10] لا يجوز لأجله أن يقال : يا خالق الديدان و القردة مثلا ، و كذا لا يجوز[7] أن يذكر اسم لا يعرف الذاكر معناه و لو كان الناس يفهمون منه مدحا كما يقول بعض البدو : يا أبيض ١٥ الوجه ! يا أبا المكارم ! فان ذلك كله إلحاد ، و هذا الفعل يستعمل مجردا و مزيدا فيقال : لحد فى كذا و ألحد فيه - بمعنى واحد ، و هو العدول عن

(١) من ظ ، و فى الأصل : من (٢) من ظ ، و فى الأصل : فاذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : الى (٤) من ظ ، و فى الأصل : يخلص (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : لوورد (٩ - ٩) من ظ ، و فى الأصل : استقامة على (١٠) كذا فى الأصلين .

الحق و الإدخال فيه ما ليس منه[1] - نقله أبو حيان عن ابن السكيت؛ و قال الإمام أبو القاسم على بن جعفر ابن القطاع فى كتاب الأفعال: لحد الميت لحدا و ألحده: شق له جانب القبر، و إلى الشيء و[2] عنه و فى الدين: مال، و قرئ بهما كذلك.

و لما كان كأنه قيل: فما يفعل بمن ألحد؟ وكان المرهب إيقاع الجزاء، لا كونه من معين، قال بانيا للمفعول: ﴿ سيجزون ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة بوعد لا خلف فيه ﴿ ما كانوا ﴾ أى[2] بجبلاتهم ﴿ يعملون * ﴾ أى فيفعل بهم من أنواع الإهانة و العقوبة ما يوجب وصفهم بأقبح الأوصاف ضد ما كانوا يسمعونه فى الدنيا ممن يدانيهم[3].

و لما أخبر تعالى عن ذرء جهنم من القبيلتين[4]، تشوف السامع إلى معرفة حال الباقين منهما، فقال مصرحا بالخبر عنهم عاطفا[5] على "ولقد ذرانا" مشيرا بمن التبعيضية إلى قلتهم تصديقا لقوله "و ان وجدنا اكثرهم لفسقين": ﴿ و ممن خلقنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ امة ﴾ أى جماعة عرفت من هو أهل[6] لأن يؤم و يهتدى به فقصدته فاقتبست من أنواره فصارت هى أهلا لأن تقصد[7] و يؤتم بها.

[و لما -[8]] أفهم لفظ الأمة هذا، صرح به فى قوله: ﴿ يهدون بالحق ﴾ أى الثابت الذى يطابقه الواقع ﴿ و به ﴾ أى الحق خاصة ﴿ يعدلون ع ﴾

(١) من البحر المحيط ٤/٤١٩، و فى الأصل و ظ: فيه (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: يرايهم (٤) من ظ، و فى الأصل: القبيلين (٥) فى ظ: عطفا (٦) زيد بعده فى ظ: بها (٧) من ظ، و فى الأصل: يقصد (٨) زيد من ظ.

أى يجعلون الأمور متعادلة، لا زيادة فى شىء منها على ما ينبغى و لا نقص، لأنا وفقناهم فكشفنا عن بصائرهم حجاب الغفلة التى ألزمناها أولئك، قال أكثر المفسرين : هم أمة محمد صلى الله عليه و سلم ، و رواه بعضهم عن النبى صلى الله عليه و سلم ، و أبهم الأمر بعد تعيين قوم موسى عليه السلام تعظيما لهم .

و لما بين حال الهادين المهديين[1] ، و كان أصل السياق للضالين المضلين ، أتبعه بقية الحديث عنهم على وجه ملوح بأن علة الهداية التوفيق ، فقال عاطفا على ما تقديره : فنحن نعلى أمرهم و نطيب ذكرهم: /﴿ و الذين كذبوا ﴾ أى نسبوا الرسل إلى الكذب بسبب إتيانهم /٣٩٠ ﴿ بآيٰتنا ﴾ على ما يشاهد من عظمتها ﴿ سنستدرجهم ﴾ أى نستنزلهم و نستدنيهم بوعد لا خلف فيه إلى ما [2]نريد بهم[2] من الشر العظيم درجة درجة بسبب أنهم كلما أحدثوا جريمة أسبغنا عليهم نعمة ، و إذا عملوا طاعة قصرنا عنهم[3] فى الإنعام ، أو ضربناهم بسوط الانتقام ، فيظنون أن المعاصى سبب النعم فينسلخون من الدين ، و لذلك قال : ﴿ من حيث لا يعلمون ﴾ أى فيرتكبون[4] ما يتعجب من مداناته فضلا عن مباشرته و معاناته من له أدنى بصيرة حتى يكمل ما نريد[5] منهم من المعاصى ، و هو من أدلة "ساصرف عن آيٰتى" [و أنى -[6]] فى الاستدراج بأداة العظمة و فى الإملاء بضمير الواحد فقال : ﴿ و املى لهم ﴾ أى أمهلهم

(١) فى ظ : المهتدين (٢-٢) فى الأصل : يزيدبهم ، و فى ظ : نزيدهم (٣) فى ظ : عليهم (٤) من ظ . و فى الأصل : فيرتكبوا (٥) من ظ ، و فى الأصل : يريد . (٦) زيد من ظ .

بوعد جازم زمانا طويلا و أمد لهم و هم يعصون حتى يظنوا[1] أن الله يحبهم حتى يزيدوا فى ذلك لأنهم لا يفعلون شيئا إلا بمرادى و لا يفوتونى[2]، و لم يأت بهما على نهج واحد، لأن الاستدراج يكون بواسطة و بغيرها، فكأنه قال: سأستدرجهم بنفسى من غير واسطة تارة و بمن أتيح لهم النعم على يده من عبيدى و جنودى أخرى، و أما الإملاء ٥ - [3]و هو[3] تطويل الأجل - فلا يتصور أن يكون إلا من الله تعالى.

و لما كان هذا موجبا لهم - و لابد - الإصرار على المعاصى حتى يصلوا إلى ما حكم عليهم به من النار، قال مستأنفا: ﴿ ان كيدى ﴾ أى فعلى الذى ظاهره رفعة و باطنه [ضيعة -[4]]، ظاهره إحسان و باطنه خذلان ﴿ متين ﴾ أى شديد قوى لا يمكن أحدا قطعه، قال الإمام بعد تأويل للمعتزلة[5] ١٠ حملهم عليه إيجابهم رعاية الأصلح: و أنا شديد التعجب من المعتزلة، يرون القرآن كالبحر الذى لا ساحل له[6] مملوءا من هذه الآيات، و الدلائل العقلية القاهرة مطابقة لها، ثم يكتفون فى تأويلها - أى عن أنه تعالى يريد الشر - بهذه الوجوه الضعيفة إلا أن على بما أراد الله كائن، مزيل هذا التعجب. ١٥

و لما كان السياق من أول السورة لإنذارهم، و كان لا بد فى صحة الإنذار[7] من تصحيح الرسالة، و ختم بأمر الاستدراج، و كانوا قد واقعوا من المعاصى ما لا يجترئ عليه إلا مطموس البصيرة، و كان عندهم أن

---

(١) من ظ، و فى الأصل: يظنون (٢) فى ظ: لا يفوتنى (٣-٣) من ظ، و فى الأصل: فهو (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: المعتزلة (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: الابدان - كذا.

من قال : إنهم على حال سيء ، - مع ما هم فيه من النعم الظاهرة - مجنون ، وكان التقدير دلالة على صحة الاستدراج : ألم يروا أنهم يقدمون على ما لا يرضاه لنفسه عاقل من عبادتهم للحجر و شماختهم عن[1] أكمل البشر و وصفه بالجنون و وصفهم أفضل الكلام بالسحر[2] و الكذب إلى غير ذلك مما يغضب من ليس [3] النفع و الضر[3] إلا بيده ، و هو مع ذلك يوالى عليهم النعم ، و يدفع عنهم النقم ، هل[4] ذلك إلا استدراج ؟ قال منكرا عليهم عطفا على ما أرشد السياق و العطف على غير معطوف عليه إلى تقديره : ﴿ او لم يتفكروا سكتة ﴾ أى يعملوا أفكارهم و يمعنوا[5] فى ترتيب المقدمات ليعلموا أنه لا يتوجه لهم طعن يورث شبهة بوجه من الوجوه ، و بين المراد من هذا التفكر و[6] عينه بقوله : ﴿ ما بصاحبهم ﴾ أى الذى طالت خبرتهم لأنه أمتنهم عقلا و أفضلهم شمائل . و لم يقل : ما برسولى و نحوه ، لئلا يقول متعنتهم ما لا يخفى ، و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من جنة ﴾ أى حالة من حالات الجنون .

و لما نفى أن يكون به[6] شىء مما نسبوه إليه و افتروه عليه فثبتت رسالته ، حصر أمره فى النذارة لأنها النافعة [لهم -[7]] مع أن المقام لها فى هذه السورة فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هو الا نذير ﴾ أى بالغ فى نذارته[8] ﴿ مبين ٥ ﴾ أى موضح للطريق إيضاحا لا يصل إليه غيره ، و من أدلة ذلك عجز الخلق عن معارضة شىء مما[6] يأتى به من أنه أحسن الناس

(١) من ظ . و فى الأصل : على (٢) فى ظ : بسحر (٣-٣) فى ظ : الضر والنفع .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : من (٥) فى الأصل و ظ : يمنعوا (٦) سقط من ظ .
(٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : نذراته .

خلقا و أعلاهم خُلقا و أفضلهم عشرة و أرضاهم طريقة و أعدلهم سيرة و أطهرهم سريرة و أشرفهم عملا و أحكمهم[1] علما و أرصنهم رأيا و أعظمهم عقلا و أشدهم أمانة و أظهرهم نبلا[2] .

و لما كان النظر / فى أمر النبوة مفرعا على تقرير أدلة التوحيد ، / ٣٩١
و كان المقصود من الإنذار الرجوع عن الإلحاد ، قال منكرا عليهم عدم ٥
النظر فى دلائل التوحيد الراد عن[3] كل حال[4] سيء : ﴿ اولم ﴾ و لما كان الأمر واضحا قال : ﴿ ينظروا ﴾ أى نظر تأمل و اعتبار ، و دل على أنه بالبصيرة لا البصر بالصلة ، فقال إشارة إلى أن كل ذرة فيها دلائل جمة[5] ﴿ فى ملكوت ﴾ و عظم الأمر بقوله : ﴿ السمٰوٰت و الارض ﴾ أى ملكهما البالغ من حد العظمة أمرا[6] باهرا بظاهره الذى يعرفونه ١٠
و باطنه الذى يلوح لهم و لا يدركونه .

و لما كانت أدلة التوحيد تفوت الحصر ، ففى كل ذرة برهان قاهر[7] و دليل ساطع باهر ، قال : ﴿ و ما ﴾ أى [و - [8]] فيما ﴿ خلق الله ﴾ أى على ما له من الجلال و الجمال ﴿ من شىء[9] ﴾ أى غيرهما ، ليعلموا أنه لا يقدر على شىء من ذلك فضلا عن ذلك غيرُه ، و يتحققوا أن ١٥
كتابه سبحانه [9]مباين لجميع مخلوقاته فيعلموا أنه صفته سبحانه[9] و كلامه ، فلا يلحدوا فى أسمائه فلا يسموا بشىء منها غيره لما ظهر لهم من تمام

(١) فى ظ : اكلهم (٢) فى ظ : مثلا (٣) فى ظ : على (٤) فى ظ : مثال (٥) فى ظ : جمعة (٦) من ظ ، و فى الأصل : امر (٧) فى ظ : ظاهر (٨) زيد من ظ .
(٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

قدرته و تمام عجز غيره عن كل شيء و من شمول علمه و تناهى جهل غيره بكل شيء إلى غير ذلك حتى يعلموا بعظمة هذا الكون أنه سبحانه عظيم ، و بقهره لكل شيء[1] أنه قهار شديد ، و بعجز كل شيء عن كل شيء من أمره [أنه -[2]] عزيز ، و باسباغه النعمة[3] أنه رحيم كريم إلى غير ذلك من أسمائه الحسنى و صفاته العلى التى تنطق الأشياء بها بألسنة الأحوال و تتحدث بها صدور الكائنات و إن لم يكن لها مقال ، و يشرحها كلام التدبير بما له من الكمال ﴿ و ان عسى ﴾ أى و ينظروا فى الإشفاق و الخوف من أنه ممكن[4] و خليق و جدير ﴿ ان يكون قد اقترب ﴾ أى [دنا دنوا عظيما ﴿ اجلهم ﴾ أى -[2]] الذى لا شك عندهم فى كونه بموتة من موتات هذه الأمم التى أسلفنا أخبارها كنفس واحدة أو[5] بالتدريج فيبادروا بالإيمان به خشية انخرام الأجل للنجاة من أعظم الوجل ، فان كل عاقل إذا جوز خطرا ينبغى له أن ينظر فى عاقبته و يجتهد فى الخلاص منه .

و لما كان قد تقدم فى أول السورة النهى عن التحرج من الإنذار بهذا الكتاب ، و بان بهذه الآيات أنه صلى الله عليه و سلم اتصف بالإنذار به حق الاتصاف ، و بان أن القرآن مباين لجميع المخلوقات ، فثبت أنه كلام الله ؛ تسبب عن ذلك الإنكار على من يتوقف عن الإيمان به ،

(١) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : النعم (٤) فى الأصل : يمكن ، و فى ظ : تمكن (٥) من ظ ، و فى الأصل « و » .

و التخويف

و التخويف من إحلال أجله قبل ذلك فيقع فيما لا يمكنه تداركه ، و ذلك
فى أسلوب دال على أن الإيمان بعد هذا البيان مما لا[1] يسوغ التوقف
فيه إلا لانتظار كلام آخر فقال : ﴿ فبأىّ حديث ﴾ أى كلام يتجدد له فى
كل واقعة بيان المخلص منها ﴿ بعده ﴾ أى بعد هذه الرتبة العظيمة
﴿ يؤمنون ﴾ فقد دلت هذه الآية على أن للإيمان طريقين : أحدهما ٥
سمعى ، و الآخر عقلى ، قال الحرالى فى كتاب له فى أصول الفقه :
الحكم إنما يتلقى من خطاب الله البالغ على ألسنة رسله ، و قد اتضح
و اشتهر أن السمع من طرق تفهم[2] خطاب الله الذى تبلغه الرسل ، و كذلك
أيضا[1] قد تحقق لقوم[3] من أولى الألباب أن الرؤية و سائر الحواس طريق
من طرق تفهم خطاب الله أيضا ، يعى منه اللب العقلى معنى الإرسال فى ١٠
كتابه المخلوق[4] كما يعى العقل معنى الإرسال من مفهوم كلامه المنطوق[5] ،
و قوم ممن فهم من مرئى كتاب الله المشهود إرسالا و لقن أحكاما يسمون
الحنيفيين / كقس بن ساعدة و زيد بن عمرو بن نفيل ، و قد شهد لهم ٣٩٢/
رسول الله صلى الله عليه و سلم بأن[6] كل واحد منهم يبعث أمة واحدة ،
لاهتدائه من نفسه من غير رسالة هاد خارج عنه ، بل من رسول موجدته ١٥
و إحساسه للعالم ، و لأنه إنما أخذ بكلية حكم الإيمان و وجوب المناصفة مع
الخلق من شهود خلق الله ، و صار مع ذلك يترقب تأكيد ما يحصل له
عقلا من مسموع خطاب الله ، و على نحو هذه الحال - و أتم هى - حال

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : يفهم (٣) فى ظ : القوم (٤) زيدت
الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ فحذفناها (٥) من ظ ، و فى الأصل : المنطق .
(٦) فى ظ : ان .

الأنبياء و الصديقين قبل مورد الوحى على النبى و قبل سماع صديقه وارد وحيه ، و هؤلاء [هم ـ [1]] الذين لا يتوقفون عن الإيمان بالنبى عند ابتداء دعوته ، و[2] كما أن النبى لا يلزم و يحكم بل يبلغ عن[3] الله فكذلك نظر العقل لا يلزم و لا يحكم بل يبلغ عن الله . فيكون الحكم الذى هو تصرف الحق فى[4] أفعال الخلق بهذا على ضربين : شرعى أى مأخوذ من الإرسال الشرعى ، و عقلى أى ماخوذ من الإرسال العقلى ، و حاصل ذلك أن العالم المشهود مبين عن أمر الله ، وكل مبين مبلغ ، فالعالم مبلغ أى بما يفهمه الفاهم من كلامه عن الله ، فان النحاة قالوا ـ كما ذكره ابن عصفور فى شرح الإيضاح لأبى علـى و كذا غيره : إن الكلام فى الاصطلاح لا يقع إلا على اللفظ المركب وجودا أو تقديرا المفيـد بالوضع ، قال : و احترزوا باللفظ عما يقال له كلام لغة و ليس بلفظ كالخط و الإشارة و ما فى النفس و ما يفهم من حال الشىء . و قال الحرالى : نحو حال الخجل و الغضبان ، و بالفعل نحو الإشارة باليد و العقد بالأنامل و بآثار الفعل كالصنائع و الأعمال ، و باللفظ الذى يلفظ به القلب إلى ظاهر اللسان ، و بآثار رقوم يحاذى بها حذو مفهوم اللفظ و هو الخط - انتهى .

و لما كان ذلك كله من أعجب العجب ، كانت فذلكته قطعا تعليلا لما قبله من إعراضهم عما لا ينبغى الإعراض عنه دليلا على أن الأمر ليس إلا بيد منزله سبحانه قوله : ﴿ من يضلل الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ فلا هادى ﴾ أصلا ﴿ له [5] ﴾ بوجه من الوجوه ؛ و لما دل بالإفراد

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل : على (٤) تأخرت ظ عن « له » (٥ ـ ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

[1]على أن كل فرد فى قبضته، و كان التقدير: بل يستمر على ضلاله، عطف عليه بضمير الجمع دلالة على أن جمعهم لا يغنى من الله شيئا فقال[1]: ﴿ و يذرهم ﴾ أى يتركهم[2] على حالة قبيحة، و عبر بالظرف إشارة إلى إحاطة حكمه بهم فقال: ﴿ فى طغيانهم ﴾ أى تجاوزهم للحدود حال كونهم ﴿ يعمهون ﴾ أى يتحيرون و يترددون فى الضلال لا يعرفون طريقا ٥ و لا يفهمون حجة.

و لما بين التوحيد و النبوة و القضاء و القدر، أتبعه المعاد لتكمل المطالب [الأربعة -[3]] التى هى أمهات مطالب القرآن، مبينا ما اشتمل عليه هذا الكلام من تبلدهم[4] فى العمه و تلددهم فى أشراك الشبه بقوله: ﴿ يسئلونك ﴾ أى مكررين لذلك ﴿ عن الساعة ﴾ أى عن وقتها سؤال استهزاء ﴿ إيان مرسٰها[5] ﴾ ١٠ أى أىّ وقت ثبات ثقلها و إستقراره[5]، و المرسى يكون مصدرا و زمانا و مكانا، من رست السفينة - إذا ثبتت بالحديدة المتشعبة، و إنما كان هذا بيانا لعمههم فانهم[6] وقعوا بذلك[7] فى الضلال من وجهين: السؤال عما غيره لهم أهم، و جعله على طريق الاستهزاء مع ما قام عليه من الأدلة، و سيكرره فى هذه السورة، و كان اللائق بهم أن يجعلوا بدل السؤال عنها ١٥ اتقاءها بالأعمال الصالحة.

و لما كان السؤال عن الساعة عاما ثم خاصا بالسؤال عن وقتها[1]، جاء الجواب عموما عنها بقوله: ﴿ قل انما علمها ﴾ أى علم وقت إرسائها و غيره

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: يترلهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: تبدلهم (٥) فى ظ: استقلاله (٦) فى ظ: لانهم (٧) فى ظ: به.

/٣٩٣ ﴿عند ربى﴾ أى المحسن إلىّ باقامتها لينعم على من / تبعنى و ينتقم ممن[1] تركنى ، لم يطلع على ذلك أحدا من خلقه ، و لا يقيمها إلا فى أحسن الأوقات و أنفعها لى ، و إخفاؤها أنفع للخلق لأنه أعظم لشأنها و أهيب ، فيكون أدعى إلى الطاعة و أزجر عن المعصية و أقرب إلى التوبة ، ثم خصصت من حيث الوقت بقوله مشيرا إلى أن لها أشراطا[2] تتقدمها : ﴿لا يجليها﴾ أى يبينها غاية البيان ﴿لوقتها الا هو﴾ .

و لما كان قد أشار إلى ثقل الساعة بالإرساء ، و كان الشيء إذا جهل من بعض الوجوه أشكل و إذا أشكل ثقل ، قال : ﴿ثقلت﴾ أى الساعة فغاصت إلى حيث لم يتغلغل إليها علم العباد فأهمهم كلهم [علىّ -[3]] شأنها ، و لذلك عبر بالظرف فقال : ﴿فى السمٰوٰت و الارض[4]﴾ أى نسبة أهلها إلى خفائها و الخوف منها على حد سواء لأن مالكها قادر على ما يشاء ، و له أن يفعل [ما يشاء -[3]] ؛ ثم قرر خفاءها على الكل فقال : ﴿لا تاتيكم﴾ أى فى حالة من الحالات ﴿الا بغتة[4]﴾ أى على حين غفلة .

و لما كانوا قد ألحفوا[4] فى سؤاله صلى الله عليه و سلم عنها ، و كانت صفة الربوبية المذكورة فى الجملة الأولى ربما حملت على سؤاله طمعا فى تعرفها[5] من المحسن إليه ، قطع الأطماع بقوله مؤكدا[6] للمعنى : ﴿يسئلونك﴾ أى عن الساعة مطلقا فى وقت وقوعها و ما يحصل من أمورها و يحدث من[7] شدائدها ، أى و يلحفون فى[8] سؤالك كلما أخبرتهم أنه لا يعلمها [9]إلا الله[9]

(١) من ظ ، و فى الأصل : من (٢) من ظ ، و فى الأصل : اشراط (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الحوا (٥) فى ظ : تعريفها (٦) من ظ ، و فى الأصل : موكد. (٧) فى ظ : فى (٨) من ظ ، و فى الأصل : من (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿ كأنك حفى ﴾ أى عالم بأمرها مستقص مبالغ فى السؤال ﴿ عنها[1] قل ﴾ أى قطعا لسؤالهم ﴿ انما علمها عند الله ﴾ أى الذى [له -[1]] جميع العزة و العظمة و الكبرياء فلا يستطاع علم شىء مما عنده إلا باذنه ، و لم يأذن فى علمها لأحد من الخلق ﴿ و لكن اكثر الناس ﴾ أى الذين[2] غلبت عليهم صفة الاضطراب ﴿ لا يعلمون ﴾ أى ليسوا من أهل العلم فهم بالسؤال عنها يستهزؤن ، و لو كانوا من أهله ما كذبوك ، فواقعوا ما لا يعنيهم من السؤال عنها و غيره من أنواع التعنت ، و تركوا ما ينجيهم و يغنيهم من المبادرة إلى الإيمان بهذا القرآن خوف انخرام الآجال وهم يهيمون فى أودية الضلال .

و لما كان علم الغيب ملزوما لجلب الخير و دفع الضير ، و كانت الساعة أدق علم الغيب ، أمره بنفى هذا اللازم فينتفى الأعم فينتفى بانتفائه الأخص ، و قدم النفع لأنه أهم إلى النفس ، و ليس فى السياق ما يوجب تأخيره بخلاف ما فى سورة يونس عليه السلام[3] ، فقال آمرا باظهار ذل العبودية : ﴿ قل لا املك ﴾ أى فى وقت من الأوقات أصلا ﴿ لنفسى نفعا ﴾ أى شيئا من جلب النفع قليلا و لا كثيرا ﴿ و لا ضرا ﴾ كذلك ، فان قدرتى قاصرة و علمى قليل ، و كل من كان عبدا كان كذلك .

و لما كان من المعلوم بل المشاهد أن كل حيوان يضر و ينفع ، أعلم أن ذلك إنما هو بالله فقال : ﴿ الا ما شاء الله[4] ﴾ أى الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد سواه أن يقدرنى[4] عليه .

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الذى (٣) راجع آية ٤٩ (٤) من ظ ، و فى الأصل : يقدر .

ولما بين لهم بهذا أن سؤالهم عن الساعة وغيرها[1] من المغيبات جهل منهم، لأن حاله واضح[2] فى أنه لا يعلم من ذلك إلا ما علمه الله الذى اختص بعلم الغيب، دل عليه بقوله: ﴿ ولو كنت ﴾ أى من ذاتى ﴿ اعلم الغيب ﴾ أى جنسه ﴿ لاستكثرت ﴾ أى أوجدت لنفسى كثيرا ٥ ﴿ من الخير ج ﴾ باستجلاب المنافع بنصب أسبابها.

ولما كان الضر لا يحتمل منه شىء قال: ﴿ وما مسنى السوء ج ﴾ أى هذا الجنس باقامة الموانع / له عنى لأن [3]من لازم[3] إحاطة العلم شمول القدرة كما سيقرر إن شاء الله تعالى فى سورة طه، ولما بين أن علم الغيب رتبة الإله، ختم الآية ببيان رتبته، فقال قالبا ما ادعوه فيه من الجنون ١٠ لما بان بقوله[5]: "يا بنى" عبد مناف! اتقوا الله، يا بنى فلان يا بنى فلان، [وكذا ما لزم عن إلزامهم له بعلم الساعة من أنه يكون إلها -[6]]: ﴿ إن انا الا ﴾ ولما كانت السورة للانذار، قدمه فقال: ﴿ نذير ﴾ أى مطلقا للكافر ليرجع عن كفره، والمؤمن ليثبت[7] على إيمانه ﴿ وبشير لقوم يؤمنون ج ﴾ أى خاصة، أو الصفتان لهم خاصة بالنظر ١٥ إلى النفع، وأما ما لا نفع فيه فعدم.

ولما ذكر سبحانه الساعة هنا كما ذكرها[8] أول السورة[9] بما لم يذكره

٣٩٤/

---

(١) من ظ، وفى الأصل: غيره (٢) من ظ، وفى الأصل: واضع (٣-٣) فى ظ: الملازم (٤) فى ظ: يقول (٥-٥) فى الأصل: يا بغى، وفى ظ: يا كذا؛ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ، وفى الأصل: فيثبت (٨) العبارة من هنا إلى «يذكره هناك» ساقطة من ظ (٩) فى الأصل: سورة.

هناك من تهكمهم و استهزائهم ، و ختم هنا بحصر العلم و القدرة فى الله الموجب لتفرده بالإلهية ، وكان الذى جرهم إلى ذلك الاستهزاء إشراكهم ؛ ذكر ما ذكر قبلها [1]أول السورة من ابتداء الخلق على وجه الحصر المستلزم لتمام القدرة الموجب لنفى الشريك[1] و اعتقاد القدرة على الساعة و غيرها و الصدق فى كل ما وقع الإخبار به من أمرها و غيره الموجب للاستقامة ٥ فى قبول بشارته و نذارته و الإقبال بالكلية على الخالق ، فقال مقررا للتوحيد [2]مؤكدا لأمره[2] : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى خلقكم ﴾ أى و لم تكونوا شيئا ﴿ من نفس واحدة ﴾ أى خلقها ابتداء من تراب و هى آدم عليه السلام - كما مر بيانه ، و من قدر على اختراع حى من شىء ليس له أصل فى الحياة[2] ، كان على إعادته حيا من ذلك الشىء بعد أن ١٠ صار له أصل فى الحياة[2] أقدر .

و لما كان آدم عليه السلام بعد صيرورته لحما و دما أقرب إلى السببية لخلق ذات لحم و دم منه ، قال [معبرا بالواو لأنه كاف فى نفى الشرك الذى السياق للتحذير منه بخلاف الزمر[3] فانه للقهر ، و تأخير المسببات عن الأسباب مدة أدل عليه لأنه خلاف الأصل - [4]] : ﴿ و جعل ﴾ لأن ١٥ الجعل - كما قال الحرالى - إظهار أمر عن سبب و تصيير ﴿ منها ﴾ أى لا من غيرها ﴿ زوجها ﴾ أى حواء من لحمها و دمها و عظمها .

و لما كان المراد بالنفس آدم عليه السلام و كان الزوج يقال على الذكر

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) راجع آية ٦ (٤) زيد من ظ .

و الأنثى ، استخدم ضميره فى المذكر ذاكرا علة الجعل بقوله : ﴿ ليسكن ﴾ أى آدم لأنه هو المراد بالنفس هنا ؛ و لما كان الزوج هنا هو المرأة ، أنث الضمير فقال : ﴿ اليها ج ﴾ [وتنقلكم من ذلك السكون منه إليها -[1]] لأن النفس إلى الجنس أميل و عليه أقبل ، و لا سيما إن كان بعضا ، ألا ترى إلى

٥ محبة الوالد لولده و القريب لقريبه ، و إنما منع سبحانه من نكاح الأصل و الفرع لما فى ذلك من الضرار و غيره من الحكم الكبار ، فيغشاها عند ما يسكن إليها فيحصل الحبل و الولادة فتتفرع النفوس من تلك النفس .

و لما كان [السكون هنا كناية عن الجماع ، أعاده بلفظ أقرب منه -[1]] فقال مؤذنا بقرب غشيانها بعد جعلها ، [أو -[1]] ناسقا له على [ما -[1]]

١٠ تقديره : فسكن إليها فمالت نفسه إليها فلم يتمالك أن غشيها : ﴿ فلما تغشّٰها ﴾ أى غشيها آدم عليه السلام المعبر عنه بالنفس بهمة عظيمة ﴿ حملت حملا خفيفا ﴾ أى لأنه نطفة ﴿ فمرت به ج ﴾ أى فعالجت [به -[1]] أعمالها و قامت و قعدت ، لم يعقها عن شيء من ذلك ، إعلاما بأن أمرها فيه كان على عادة النساء التى نعرفها[2] ﴿ فلمآ اثقلت ﴾ أى صارت ثقيلة بكبره و تحركه فى

١٥ بطنها ﴿ دعوا الله ﴾ أى آدم و حواء عليهما السلام .

و لما ذكر الاسم الأعظم استحضارا لأن المدعو هو[3] الذى له جميع الكمال ، فهو قادر على ما دعوا به لأنه قادر على كل ما يريد ؛ ذكر[4] صفة الإحسان رجاء القبول و الامتنان فقال : ﴿ ربهما ﴾ أى الذى أحسن إليهما ،

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : يعرفها (٣) فى ظ : اهواى (٤) من ظ ، و فى الأصل : ذكره .

مقسمين ﴿لئن آتيتنا صالحا﴾ أى ولدا لاعيب فيه ﴿لنكونن من الشكرين ٥﴾ أى نحن و أولادنا على نعمتك علينا ، و ذلك أنهما جوزا أن يكون غير سوى لقدرة الله تعالى على كل ما يريد ، لأنه الفاعل المختار لا الطبيعة و لا غيرها ، و أشار بالفاء إلى قرب الولادة من الدعاء فقال : ﴿ فلما آتاهما ﴾ / أى أبويكم[1] آدم و حواء ﴿صالحا ﴾ أى جنس الولد الصالح فى تمام الخلق ٥ / ٣٩٥ بدنا و قوة و عقلا ، فكثروا فى الأرض[2] و انتشروا فى نواحيها [ذكورا و إناثا - [3]] ﴿ جعلا ﴾ أى النوعان من أولادهما الذكور و الإناث ، لأن 'صالحا' صفة لولد و هو للجنس فيشمل الذكر و الأنثى و القليل و الكثير ، فكأنه[4] قيل : فلما آتاهما أولادا صالحى[5] الخلقة من الذكور و الإناث جعل النوعان ﴿ له شركآء ﴾ أى بعضهم أصناما[6] و بعضهم ١٠ نارا و بعضهم شمسا و بعضهم غير ذلك ، هذا على قراءة الجماعة ، و على قراءة نافع [و - [3]] أبى بكر عن عاصم بكسر الشين و إسكان الراء و التنوين التقدير : ذوى شرك ﴿فيما آتاهما ج﴾ أى من القوى بالعبادة و الرزق بالنذور و نحوها .

و لما لم يضر المشركون بالإشراك إلا أنفسهم ، سبب عن ذلك ١٥ قوله : ﴿ فتعلى الله ﴾ أى بما له من صفات الكمال التى ليست لغيره تعاليا كثيرا ، و الدليل على إرادة النوعين قوله : ﴿عما يشركون ٥﴾ بالجمع ،

---

(١) فى الأصل : ابواكم ، و فى ظ : ابوكم (٢) فى ظ : ذلك (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤) فى ظ : فكأنى (٥) من ظ ، و وقع فى الأصل : صالحا - مكررا (٦) فى ظ : اصنام .

وكذا ما بعده من عيب عبادة الأصنام .

و لما ذكر علوه سبحانه ، شرع يذكر من أوصافه عبارة و إشارة ما يدل على ذلك ، و يقيم الأدلة على عدم صلاحية ما أشركوا به للشركة[1] بعجزها ، بأنها من جملة خلقه و لا تصرف لها تستحق[2] به وجها من التعظيم ، فقال منكرا على عبادها[3] دالا على [أن-[4]] المراد الشرك الحقيق ، لاما ذكر من قصة[5] إبليس فى تسميه فى التسمية بعبد الحرث و نحوه : ﴿ أيشركون ﴾ أى المشركون [و-[4]] أولادهما فى العبادة ﴿ ما لا يخلق ﴾ أى من الأصنام و الطبائع و الكواكب و غيرها ﴿ شيئا ﴾ أى يوجده من العدم كما يفعل الله الذى أشركوها به .

و لما كان يلزم أن يكون [6]ما لايخلق[6] شيئا مخلوقا[7] لأنه لايتكون عاجز بغير قادر[8] أوجده ، صرح به فى قوله مجريا للأوثان مجرى أولى العلم لتنزيلهم منزلتهم فى الاعتقاد و العبادة : ﴿ و هم ﴾ و لما كان المصنوع لا يكون صانعا ، اكتفى بالبناء للمفعول فقال : ﴿ يخلقون ﴾ أى متجددا خلق أعراضهم و ذواتهم و أمثالهم ﴿ و لا يستطيعون لهم ﴾ أى للمشركين الذين يعبدونها ﴿ نصرا ﴾ [9]و هو المعونة[9] على العدو ، و لعله عبر بصيغة العاقل إشارة إلى أنهم لو كانوا يعقلون ، و كانوا بهذه الصفات الخسيسة ما أهلوهم لأن يكونوا[10] أحبابهم فضلا عن أن يجعلوهم أربابهم .

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : للشرك (٢) من ظ ، وفى الأصل : يستحق (٣) فى ظ : عبادتها (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : قضية (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : مخلوق (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل ، ولم تكن فى ظ فحذفناها . (٩-٩) فى ظ : هذا لما لا معويه - كذا (١٠) من ظ ، وفى الأصل : يكون .

و لما كان من لا ينصر غيره قد ينصر نفسه ، نفى ذلك بقوله: ﴿ ولآ انفسهم ينصرون ﴾ أى فى وقت من الأوقات عند ما يصيبهم بسوء ، بل عبدتهم يدافعون عنهم .

و لما تبين[1] من هذا الاستفهام الإنكارى المعجب من حالهم فى ضلالهم فى أسلوب الغيبة أن من أشركوه ليس فيه نوع قابلية لما أهلوه ، فان المعبود يجب أن يكون قادرا ، و من كان عاجزا نوع عجز كان مربوبا[2] ، وكان للتنبيه بالخطاب ما ليس له بالغيبة ؛ أتبع ذلك فى أسلوبه تعجيبا آخر منهم أشد من الأول ، و ذلك أن معبوداتهم التى[3] أشركوا بها كما أنها لاتفعل شيئا من تلقاء أنفسها ، لا[4] تفعله عند دعاء الداعى ولا تهتدى إليه فقال تعالى: ﴿ و ان تدعوهم ﴾ أى و إن تدعوا أيها المشركون أصنامكم دعاء مستمرا متجددا ﴿ الى الهدى ﴾ أى [إلى -[5]] الذى يدل الداعى إليه قطعا، على[6] أن المتخلف عنه سيئ المزاج ، محتاج إلى العلاج ، لكونه تخلف عما لا يتخلف عنه من له نوع صلاح لكونه أشرف الأشياء ، فالمتخلف عنه راض لنفسه بالدون ﴿ لا يتبعوكم[1] ﴾ أى فى ذلك الهدى الذى دعوتموهم إليه و لو بالغتم فى الاستتباع ، و لعله عبر بصيغة الافتعال إشارة إلى أنها لا يتصور منها قصد التبع / [فضلا -[5]] عن إيجاده ؛ ثم بين أن ذلك ليس بأمر عارض ، بل هو[4] مستمر دائم بقوله مستأنفا تأكيدا للمعنى : ﴿ سوآء عليكم ﴾ . /٣٩٦

(١) فى ظ : بين (٢) من ظ ، و فى الأصل : مربا له (٣) فى ظ : الذين .
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : كما .

و لما كان السواء[1] لا يكون إلا بين أمرين ، تشوف السامع إليهما فقال : ﴿ ادعوتموهم ﴾ أى وجد منكم ذلك الدعاء الذى أشير إلى استمراره ، و عبر بالاسمية إشارة إلى أنهم لا يدعونهم[2] فى وقت الشدائد ، بل يدعون الله فقال : ﴿ ام انتم صامتون ۝ ﴾ أى عن ذلك على الدوام على عادتكم فى الإعراض عن دعائهم فى أوقات الملمات ، فالذين يدعون معتقديهم فى وقت الضرورات أقبح حالا فى ذلك من المشركين[3] ، [و يجوز أن تكون الآية من الاحتباك ، فيكون نظمها : أدعوتموهم مرة أم أنتم داعوهم دائما أم صممتم عن دعائهم فى وقت ما أم أنتم صامتون دائما عن دعائهم ، حالكم فى كل هذه الأجوبة سواء فى عدم الإجابة ، لا اختلاف فيه بوجه ، دل بالفعل أولا على حذف مثله ثانيا ، و بالاسم ثانيا على حذف مثله أولا -[4]] .

و لما كان اتباع من يدعى أنه أعقل الناس و أبعدهم عن النقائص و أعرقهم فى معالى الأخلاق و أرفعهم عن سفسافها لمن هذا سبيله أخزى الخزى و أقبح العار ، و كانوا مع العلم بهذا الذى وصفت [به -[4]] معبوداتهم يفعلون فى الإشراك بهم و فى خوفهم و رجائهم ما هو عين الجهل ؛ كرر تبكيتهم باتباعهم فى أسلوب آخر أوضح مما قبله فى تبيين النقائص و التنبيه على المعايب ملجئ إلى الاعتراف أو التصريح بالعناد أو الجنون فقال مؤكدا[5] : ﴿ ان الذين تدعون ﴾ أى أيها المشركون دعاء

(١) فى ظ : السوء (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يدعوهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : المشركون (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ .

عبادة ملازمين لذلك ، أو أنه أطلق الدعاء على العبادة إشارة إلى أنه لا تصح عبادة من ليس فيه قابلية أن يدعى[1] . و الحاصل أن الدعاء يلازم المعبود .

و لما كان دعاؤهم لهم إنما هو على سبيل الإشراك[2] ، قال مشيرا إلى سفول رتبتهم بإثبات الجار : ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال و العظمة و الجلال ﴿ عباد[3] امثالكم ﴾ أى فى العجز عن كل شىء ٥ لا سيما عما[4] وقع به التحدى من[5] معارضة القرآن و غيرها ، [و أنتم تزيدون عليها بالحياة و العقل ، و المعبود لا يصح أن يكون مثل العابد فكيف إذا كان دونه ؛ و لما كانوا لا يسلمون أنهم أمثالهم ، سبب عن ذلك أمرهم بدعائهم لبيان دعوى المثلية بل الدونية فقال - [6]] : ﴿ فادعوهم ﴾ أى إلى شىء من الأشياء . ١٠

و لما كان الإله الحق يجيب وليه عند التحدى من غير تخلف[7] ، أشار إلى ذلك بالربط بالفاء فقال : ﴿ فليستجيبوا[8] لكم ﴾ أى يوجدوا لكم إجابة بينة فى الإتيان بسورة تماثل شيئا من القرآن و فى شىء من المنافع .

و لما كان المقام محتاجا إلى مزيد توبيخ و إلهاب ، قدم منه ما رأيت ، ثم زاد فى الإلهاب فقال : ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ صدقين ﴾ ١٥ أى فى دعوى أنهم آلهة ، فان رتبة الإله تقتضى ذلك ، و قرأ[9] سعيد ابن جبير " ان " خفيفة و " عبادا[10] امثالكم " - بنصب الدال و اللام ،

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يدعها (٢) فى ظ : الاشتراك (٣) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : عبادا (٤) فى ظ : كما (٥) من ظ ، و فى الأصل : عن (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٧) فى ظ : تخالف (٨) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : فيستجيبوا (٩) من ظ ، و فى الأصل : قراءة (١٠) فى ظ : عباد .

و اتفق المفسرون على تخريجها على أن 'إن' هى النافية أعملت عمل 'ما' الحجازية، فرفعت الاسم و نصبت الخبر، و إعمالها هذا العمل فيه خلاف، أجازه الكسائى و أكثر الكوفيين، و من البصريين ابن السراج و الفارسى و ابن جنى، و منع منه الفراء و أكثر البصريين، و اختلف النقل[1] عن سيبويه و المبرد، و الصحيح أن إعمالها لغة ثبت ذلك فى النظم و النثر - ذكر ذلك كله أبو حيان[2] و ذكر أنه أشبع الكلام فيه فى شرح التسهيل، و اعترض على هذا التخريج بأنه يلزم منه منافاتها للقراءة المشهورة، و إنما يسلم له ذلك لو توارد النفى و الإثبات على شىء واحد، و ليس الأمر هنا كذلك، فالإثبات لمماثلتها لهم فى مطلق العجز، و النفى لمساواتها[3] لهم فيه لزيادتهم عنها بالبطش و نحوه، أو يكون الأمر - كما قال الزمخشرى - أن الإثبات على سبيل التنزل و النفى على الحقيقة.

و لما أثبت عجزهم و أنهم أمثالهم، دل عليه و على أنهم دونهم بأسلوب إنكار و تعجيب مفصلا لبعض ما نفاه [عنهم -[4]] فقال مقدما الأرجل لأن أول ما يخشى من الشىء انتقاله: ﴿ الهم ارجل ﴾ و لما كانت لهم جوارح مصنوعة، بين المراد بقوله: ﴿ يمشون بها ﴾.

و لما كان المخشى بعد الانتقال مدّ اليد، قال[5]: ﴿ ام لهم ايد ﴾ أى[6] موصوفة بأنهم ﴿ يبطشون بها ﴾ أى نوعا من البطش؛ و لما كان المخوف بعد البطش باليد البصر خوفا من الدلالة [قال -[4]]: ﴿ ام لهم اعين ﴾

( ) سقط من ظ (٢) راجع البحر المحيط ٤/٤٤٤ (٣) من ظ، و فى الأصل: لمناواتها (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: فقال (٦) سقط من ظ.

أى منعوتة بأنهم ﴿ يبصرون بها ﴾ أى ضربا من الإبصار؛ و لما كان الإنسان ربما خاف مما يقصد ضره فتغيب عنه فلا يصل إليه بعد ذلك إلا[1] بالسمع قال خاتما: ﴿ ام لهم اذان ﴾ أى مقول[2] فيها أنهم ﴿ يسمعون بها ﴾ / أى شيئا من السمع . ٣٩٧ /

و لما سواها بهم و نفى عنهم ما تقدم ، لزم نقصانها عنهم و أنه فى ٥ الحقيقة مسلوب عنهم لأنهم ليس لهم من ذواتهم إلا العدم ، و القدرة فيما يقدرون عليه إنما هى بيد[3] الصانع لهم أشركهم[4] معها ، و قال دالا على ذلك مستأنفا : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المشركين ﴿ ادعوا شركآءكم ﴾ أى هذه التى تقدمت و مهما شئتم غيرها ، و استعينوا بها فى عداوتى .

و لما كان هذا تحديا عظيما يحق لفاعله التمدح به ، نبه عليه باداة ١٠ التراخى فقال : ﴿ ثم كيدون ﴾ أى جميعا أنتم وهم و أنتم أكثر من حصى البطحاء و رمل الفضاء و أنا وحدى ، و لما كان المعنى : و عجلوا ، عطف بفاء السبب قوله : ﴿ فلا تنظرون ﴾ أى تمهلون لحظة فما فوقها لئلا تعتلوا[5] فى الإنظار[6] بعلة ، و علل عدم المبالاة بكيدهم بقوله دالا على اتصاف معبوده بما نفاه عن شركائهم من الإحاطة بمنافع الدارين فيما ١٥ يتعلق بالأديان و الأبدان ، و قدم الدين إشارة إلى أنه الأهم فقال مؤكدا فى مقابلة إنكارهم : ﴿ ان ولىّ ﴾ أى ناصرى و متولى جميع أمورى ﴿ الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ الذى نزل ﴾ أى بحسب التدريج

(١) فى ظ : الى (٢) من ظ ، و فى الأصل : معقول (٣) فى ظ : لله (٤) فى ظ : اشركوا (٥) من ظ ، و فى الأصل : لئلايعتلوا (٦) فى ظ : الانتضار ـ كذا .

متكفلا بفصل الوقائع ﴿ الكتب ﴾ أى الجامع لعلوم الأولين و الآخرين و أمر المعاش و المعاد و أحوال الدارين وكل ما فيه صلاح من أحوال القلوب و غيرها الذى عجزتم بأجمعكم و من ادعيتم شركته عن معارضة شىء منه .

٥ و لما تكفل هذا التنزيل بجميع الصفات ، و هى الحياة التامة المستلزمة للارادة و القدرة و العلم و السمع و البصر و الكلام ، و كان عجزهم عن المعارضة للكتاب دليلا[1] شهوديا قوليا على كذبهم ، أتبع ذلك دليلا آخر شهوديا فعليا فقال : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ يتولى ﴾ أى يلى ولاية تامة ﴿ الصلحين ﴾ أى كلهم بنصرهم على كل مناو و كفايتهم

١٠ لكل مهم و قد علمتم ما قدمه فى هذه السورة من وقائعه بمن كذب أنبياءه و استهزأ برسله و أنه أنجى كل من والاه[2] ، و أهلك جميع من عاداه كمن عدوهم آلهة ، و هو و ما بعده و ما قبله متلفت إلى قوله تعالى " اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم و لا تتبعوا من دونه اولياء " بالشرح[3] ، و هو دال على أنه هو الذى فعل ما تقدم لأجل أوليائه بدليل أنه أعجزهم عن معارضة

١٥ شىء من كتابه ، و عن[4] الوصول إلى جميع ما يريدون[5] من أوليائه وأحبابه .

و لما صور بهذا جلاله[6] ، و قرر عظمته و كماله ، باتصافه بجميع الصفات العلى التى منها القدرة التى تكفهم[7] عنه ؛ كرر التنفير عن أندادهم[8] فى أسلوب آخر تأكيدا للمعنى السابق بزيادة بالغة فى[9] العجز [10]و هو تصويب[10]

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : دليل (٢) من ظ ، و فى الأصل : ولاه (٣) فى ظ : بالشرع (٤) من ظ ، وفى الأصل : من (٥) من ظ ، وفى الأصل : يرون (٦) فى ظ : اجلاله (٧) فى ظ : تكفلهم (٨) فى ظ : انذارهم (٩) من ظ ، و فى الأصل « و » (١٠ - ١٠) من ظ ، و فى الأصل : هى تصوير - كذا .

النظر من غير إبصار ، مع أن الأول للتقريع ، و هذا للفرق بين من يعبد بحق و من يعبد بباطل ليرجعوا عن غيهم و عنادهم . فقال مبينا أنهم ليسوا فى شىء من صفاته مصرحا بنفى النصرة التى[1] أثبتها له عنهم مع المواجهة بالخطاب الذى هو أفظع فى الجواب : ﴿ و الذين تدعون ﴾ أى تديمون دعاءهم ﴿ من دونه ﴾ - فانهم يدعونه سبحانه فى بعض الأوقات - ٥ أو تدعونهم تاركين [له -[2]] ﴿ لا يستطيعون نصركم ﴾ أى بوجه من وجوه النصرة بدليل عجزكم عنى و أنا وحدى و أنتم أهل الأرض ﴿ و لآ انفسهم ينصرون ۝ ﴾ بدليل أن الكلب يبول عليهم فلا يمنعونه .

و لما كان دعاء الجماعة أقرب إلى السماع من دعاء الواحد ، نسق على ما قبله قوله : ﴿ و ان تدعوهم ﴾ أى يا من هم أضل منهم و أعجز ١٠ ﴿ الى الهدى ﴾ أى [إلى -[2]] الذى هو أشرف الخلال ليهتدوا فى نصر أنفسهم أو غير ذلك ﴿ لا يسمعوا[4] ﴾ أى شيئا من ذلك الدعاء ولا غيره ؛ و لما كان حالهم فى البصر بالنسبة إلى كل أحد على حد سواء ، قال مفردا للخاطب : ﴿ و ترٰهم ﴾ أى أيها الناظر إليهم ﴿ ينظرون اليك ﴾ / أى كأنهم ٣٩٨ / ينظرون لما صنعوا لهم من الأعين ﴿ وهم لا يبصرون ۝ ﴾ أى نوعا ١٥ من الإبصار ، و ما أشبه مضمون هذه الآيات بما[3] فى سفر أنبياء بنى إسرائيل فى نبوة[5] أشعيا : هكذا يقول الرب ملك إسرائيل و مخلصه : أنا الأول و أنا الآخر ، و ليس إله غيرى . و من مثلى[6] يدعى و يظهر قوته و يخبر بما كان

(١) فى ظ : الذى (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : سواه - كذا (٥) من نبوة أشعيا - الأصحاح الرابع و الأربعين ، و فى الأصل و ظ : مثل .

منذ بسطت الدنيا إلى الأبد ، و الآيات القديمة تظهر للشعوب ، فلا يفزعون و لا يخافون ، ألم أسمعكم منذ[1] أول الدهر و أظهرها لكم و أبين لكم الأمور و أنتم شهدائى أن ليس إله غيرى ، و ليس عزيز منيع إلا و أنا أعز منه ، لأن جميع الصناع الذين يعملون الأصنام إنما عملهم باطل و ليس فى أعمالهم منفعة ، و أن [2]الصناع الذين[2] يعملونها [هم-[3]] يشهدون عليها أنها لا تبصر و لا تسمع و لا تعلم ، لذلك يخزى جميع صناع الأوثان المسبوكة لأن جميع ما صنعوا[4] لا عقل له ، فيجمعون كلهم و يخزون و يفتضحون لأن النجار نحت بحديده و هيأ صنما بمنقاره و سدده بقوة ساعده و جاع و عطش فى عمله ، و النجار اختار خشبة و قدرها و ألصق بعضها ببعض بالغراء و ركبها و عملها كشبه الإنسان ، أقام من الخشب الذى قطع من الغيضة كشبه رجل الذى نبت من شرب المطر ليصير للناس للوقود فعملوه لهم إلها و عبدوه و سجدوا له ، الذى ينصفه خبزوا لهم خبزا و شووا لهم لحما على جمرة و أكلوا و شربوا و اصطلوا[5] و قالوا : قد حمينا لأنا قد[6] أوقدنا نارا و اصطلينا ، و الذى بقى منه اتخذوه إلها منحوتا و سجدوا له و صلوا و قالوا : نجنا لأنك إلهنا ، و لم يخطر على بالهم فكر أن يقولوا : إنا قد أوقدنا نصفه بالنار ، و خبزنا خبزنا و شوينا على جمره اللحم و أكلنا ، و لم يعلموا أن باقيه قد عمل منه صنم و سجدوا له ، لأن قلوبهم متمرغة فى رماده ، و ضلت عقولهم فلا يقدرون ينجون أنفسهم و لا[6] يقولون : إن أيادينا[7] عملت الباطل

(١) من ظ ، و فى الأصل : سبل - كذا (٢ - ٢) فى ظ : الصانع الذى (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : اصنعوا (٥) فى ظ : اصطنحوا (٦) سقط من ظ (٧) زيد بعده فى ظ : التى .

و اتخذت الكذب، ثم قال: أليس أنا الرب منذ أول، و ليس إله غيرى
و لا مخلص سواى، ادنوا إلىّ يا جميع الذين[1] فى أقطار الأرض لتنجوا
لأنى أنا الرب و ليس إله غيرى، حلفت بيمينى و أخرجت كلمة صدق و لست
أرجع عنها لأنه لى تنحنى كل ركبة، و بى يحلف كل إنسان و يقول:
إنما البر بالرب، و إليه تدنو[2] الأعزاء و يخزى جميع المبغضين، و بى يمتدح ٥
و يتبرر، بمن شبهتمونى؟ و إلى من نسبتمونى؟ بالضالين الذين أخرجوا
الذهب من أكياسهم [و -[3]] وزنوا الفضة بالميزان و اكتروا الصناع[4]
حتى عملوا لهم آلهة يسجدون لها و يحملونها على أكتافهم و يمشون بها
ثم يصلون لها و يدعونها لا تجيبهم و لا تخلصهم من شدائدهم ثم يحملونها
أيضا و يردونها إلى مواضعها، اذكروا هذه الأشياء و اعقلوا أيها الأئمة ١٠
و أخطروها على قلوبكم و اذكروا الأيام التى كانت من الابتداء، إنى أنا الله
الخالق و ليس إله غيرى و لا مثلى، فأنا[5] أظهر العتيدات و أخبر بالذى
يكون قبل أن يكون، و أثبت رأيى و أكمل إرادتى و هواى، و أدعو
من فى المشارق فيأتون أسرع من الطير، و أتانى[6] الرجل الذى قد عمل
مسرتى من الأرض البعيدة، لأنى أنا إذا[7] تكلمت بشىء فعلته. أنا خلقت ١٥
و أنا أخلق؛ و فى الزبور فى المزمور الثالث عشر بعد المائة[8]: إلهنا فى
الأرض، كل ما يشاء يصنع، أوثان الأمم ذهب و فضة عمل أيدى

(١) من ظ، و فى الأصل: الدنيا (٢) فى ظ: تدعو (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: الصنا - كذا (٥) فى ظ: انا (٦) فى ظ: اتى (٧) فى ظ: الذى (٨) و أما فيما عندنا من نسخة الزبور فالنص الآتى وارد فى المزمور الخامس عشر بعد المائة.

البشر، لها أفواه و لا تتكلم، لها أعين و لا تنظر، لها آذان[1] و لا تسمع، و آناف و لا تشم، و أيد[2] و لا تلمس، و أرجل و لا تمشى، و لا صوت بحناجرها و لا روح فى أفواهها، فليكن صانعوها مثلها و جميع من يتوكل[3] عليها - انتهى. /٣٩٩

٥ و لما كان محصل أمرهم الإعراض عما أتاهم بالتكذيب و الإقبال على ما لم يأتهم بالطلب و التعنت كالسؤال عن الساعة، و الأمر بالمنكر من الشرك و ما يلزم منه[4] من مساوى الأخلاق، و النهى عن المعروف الذى هو التوحيد و ما يتبعه من محاسن الشرع، و ذلك هو الجهل، و ختم ذلك بالإخبار بأنه سبحانه أصلح له الدين بالكتاب، و الدنيا بالحفظ ١٠ من كل ما يتاب[5]، وكان حالهم ربما كان موئسا من فلاحهم، مفترا عن دعائهم إلى صلاحهم[6]، كان الداعى لهم صلى الله عليه و سلم كأنه قال: فما أصنع فى أمرهم؟ فأجابه بالتحذير من مثل حالهم و الأمر بضد قالهم و فعالهم و الإبلاغ فى الرفق بهم فقال: ﴿خذ العفو﴾ أى ما أتاك من الله و الناس بلا جهد و مشقة، و هذه المادة تدور على السهولة، و تارة ١٥ تكون من الكثرة و تارة من القلة، فعفا المال، أى كثر، فصار يسهل إخراجه و يسمح به لزيادته عن[7] الحاجة، و عفا المنزل، أى درس، فسهل أمره حتى صار لا يلتفت إليه.

(١) فى ظ: اذن (٢) فى الأصل و ظ: ايدى (٣) فى ظ: يتكلم (٤) من ظ، و فى الأصل: عنه (٥) فى ظ: يشاب (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٧) من ظ، و فى الأصل: على.

و لما

و لما أمره بذلك فى نفسه، أمره به[1] فى غيره فقال: ﴿و امر بالعرف﴾ أى بكل ما عرفه الشرع و أجازه، فانه من العفو سهولة و شرفا، [2]و قد تضمن ذلك النهى عن المنكر فأغنى بذلك عن ذكره لأن السياق للساهلة[2]؛ و لما أمره بالفعل[3] فى نفسه و غيره، أتبعه الترك فقال: ﴿و اعرض عن الجهلين ه[4]﴾ أى فلا تكافئهم بخفتهم و سفههم و لا تمارهم ٥ فان ذلك أسهل من غيره، و ذلك [بعد فضيحتهم بالدعاء، و ذلك - [5]] لأن محط حالهم اتباع الهوى فيدعوهم إلى تكلف ضد هذه الخصال، و فيه إشارة إلى النهى عن أن يذهب نفسه عليهم حسرات مبالغة فى الشفقة عليهم، و عن جعفر الصادق أنه ليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها. ١٠

و لما كان الشيطان بعداوته لبنى آدم مجتهدا فى التنفير من هذه المحاسن و الترغيب فى أضدادها، و كان النبى صلى الله عليه و سلم قد نزع منه حظ الشيطان بطرح تلك العلقة السوداء من قلبه إذ شق جبرئيل عليه السلام صدره و غسل قلبه و قال[6]: هذا حظ الشيطان منك؛ شرع لأمته ما يعصمهم منه عند نزغه مخاطبا له بذلك ليكون أدعى لهم إلى القبول ١٥ و أجدر باشتداد الخوف المقتضى للفرار المثمر للنجاة، لأنهم إذا علموا

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ: بالعدل.
(٤) العبارة من «ولما أمره بالفعل» إلى هنا تأخرت فى ظ عن «بخفتهم و سفههم».
(٥) زيد من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: قد.

قصد الشيطان لمن نزع منه[1] حظه و عصم من كل محنة علموا أنه لهم أشد قصدا و أعظم كيدا [2]و صدا[2]، فقال مؤكدا بأنواع التأكيد إشارة إلى شدة قصد الشيطان[3] للفتنة و إفراطه فى ذلك ، ليبالغ فى الحذر منه [و إن كان قصده بذلك فى محل الإنكار لعلمه بالعصمة - [4]] ،

٥ و [لذلك - [4]] عبر بأداة الشك إشارة إلى ضعف كيده للنبى صلى الله عليه و سلم ، لأن الله تعالى أعانه على قرينه فأسلم : ﴿ و اما ﴾ أى إن ، و أكدت بـ " ما " إثباتا للمعنى و نفيا لضده ﴿ ينزغنك ﴾ أى ينخسنك نخسا عظيما ﴿ من الشيطن نزغ ﴾ أى نخس بوسوسته من شأنه [أن -[4]] يزعج فيسوق إلى خلاف ما تقدم من المحاسن فى نحو غضب من جهل

١٠ الجاهل و سفه السفيه [أو - [4]] إفراط فى بعض أوجه[5] كما تساق الدابة بما تنخس به ، فيفسر و يجعل[6] النخس ناخسا إشارة إلى شدته ﴿ فاستعذ ﴾ أى فأوجد أو اطلب العوذ و هو الاعتصام ﴿ بالله[1] ﴾ أى الذى له جميع العز و العظمة و القدرة و القهر لانقطاعك عن الإخوان و الأنصار إليه فلا ولى لك و لا ناصر إلا هو ، فانه إذا أراد إعاذتك ذكرك من[7] عزيز

٤٠٠/ ١٥ نعمه وشديد نقمه ما يرد عن الفساد رغبا و رهبا ، و الآية ناظرة / إلى قوله تعالى [أولها - [4]] " لاقعدن لهم صراطك المستقيم " .

و لما أبطل تعالى أن يكون لشركائهم سمع أو علم ، صار إثبات ذلك

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فيه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل: الشياطين (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : اوجب (٦) من ظ ، و فى الأصل : جعل (٧) سقط من ظ.

له كافيا فى اختصاصه به من غير حاجة إلى الحصر المتضمن لنفيه عن غيره لتقدمه صريحا بخلاف ما فى فصلت[1] ، فقال معللا : ﴿ انه سميع ﴾ أى بالغ السمع فهو يسمع استعاذتك فيجيبك إن شاء ﴿ عليم ﴾ شامل العلم بما تريد و يريد منك عدوك ، فلا يعجزه شىء ، و ختم بصفة العلم فى الموضعين لأن الوسوسة من باب ما يعلم ، و ختمها فى سورة المؤمن[2] بالبصير[3] المشتق من البصر[3] و البصيرة ، لأن المستعاذ منه أمر الناس و منه ما يبصر .

و لما كان لا يحصل للنبى صلى الله عليه و سلم إلا شىء خفيف جدا كما نبه عليه بالنزغ ، و هو ليس بمحقق كما نبهت عليه أداة الشك ، و كان لا يستعيذ بالله إلا المتقون فكان كأنه قيل : افعل ذلك عند أول نزغه[4] لتكون من المتقين ، علله بقوله : ﴿ ان الذين اتقوا ﴾ أى حصل لهم هذا الوصف ، و حقق أداه لهم بأداة التحقيق - بخلاف ما مضى عند إفراد الخطاب للنبى صلى الله عليه و سلم - فقال : ﴿ اذا مسهم طيف[5] ﴾ أى طواف على أنه مصدر ، و يجوز أن يكون تخفيف طيّف كميت و هو بمعنى قراءة طائف على أنه فاعل كميت و مائت ، و يجوز أن يكون مصدرا أيضا ، و هو إشارة إلى أن الشيطان دائر حولهم لا يفارقهم ، فتارة يؤثر فيهم طوافه فيكون قد مسهم مسا هو أكبر من النزغ لكونه أطاف بهم من جميع الجوانب ، و تارة لا يؤثر ﴿ من الشيطن ﴾ أى البعيد من الرحمة المحترق باللعنة ﴿ تذكروا ﴾ أى كلفوا أنفسهم ذكر الله بجميع ما ينفعهم فى ذلك إقداما و إحجاما .

(١) راجع سورة ٤١ آية ٣٦ (٢) راجع آية ٥٦ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : نزغة (٥) هذه قراءة ابن كثير و أبى عمرو و الكسائى و يعقوب.

و لما كانوا باسراع التذكر[1] كأنهم لم يمسهم شيء من أمره ، أشار إلى ذلك بالجملة الاسمية مؤكدا لسرعة البصر باذا الفجائية : ﴿ فاذا هم ﴾ أي بنور ضمائرهم ﴿ مبصرون ﴾ أي ثابت إبصارهم فلا يتابعون الشيطان ، فان المتقي من يشتهي فينتهي ، و يبصر[2] فيقصر ، و في ذلك تنبيه على أن من تمادى مع الشيطان عمي لأنه[3] ظالم ، و الظالم [هو - [4]] من يكون كأنه يمشي في الظلام .

و لما وصف المتقون الذين هم العلماء ملوحا إلى نصح وليهم لهم ، و عرف من حالهم أنهم أعداء الشيطان ، و عرف أن أضدادهم[5] أولياؤه ؛ أتبعه وصف الجاهلين و غش أوليائهم لهم و الكل غير متقين ، فقال : ﴿ و اخوانهم ﴾ أي و إخوان الجاهلين من شياطين[6] الإنس و الجن ﴿ يمدونهم ﴾ أي يمدون الجاهلين ، من المد و هو الإمهال و الإطالة على قراءة[7] الجماعة ، و هو بمعنى قراءة[7] أهل المدينة بالضم من الإمداد ؛ [و قال الواحدي : إن هذا أكثر ما يأتي فيما يحمد كامددتهم بفاكهة ، فهو من استعمال الشيء في ضده نحو "فبشرهم بعذاب"، و كأنه يشير إلى أن الشيطان أكثر ما يأتي الإنسان في صورة الناصح الشفيق ، و الأوجه أن يكون الإخوان الجاهلين لأنهم في مقابلة "الذين اتقوا" و يكون الضمير للشيطان المراد به الجنس ، أي و إخوان الشياطين - و هم الجاهلون الذين لا يتقون - يمدهم أولياؤهم من الشياطين - [4]] ﴿ في الغي ﴾ و هو ضد

(١) في ظ : التذكير (٢) من ظ ، و في الأصل : يصير (٣) من ظ ، و في الأصل : انه (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ ، و في الأصل : اضداده . (٦) من ظ ، و في الأصل : شياطينهم (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

الرشاد ، [و أشار -[1]] إلى مزيد اعتنائهم بالإغواء و مثابرتهم على الإضلال و الإغراء بأداة التراخي فقال : ﴿ ثم لا يقصرون ﴾ أي لا يتركون إغواءهم و لو[2] لحظة لجهلهم و شرهم .

و لما تقرر ما شرعه من التعفف و عدم التنطع و التكلف ، و كان قد أخبر أن من عمههم تكلفهم السؤال عن[3] الساعة ، و الشياطين لا يفترون عن إغوائهم ، أخبره عن مطلق تكلفهم تعجبا[4] منهم و إشهادا لتماديهم مع إغواء شياطينهم ، و أمره صلى الله عليه و سلم بما يجيبهم [به -[1]] فقال عاطفا[5] على "يمدونهم" : ﴿ و اذا لم تاتهم بآية ﴾ أي على حسب اقتراحهم ﴿ قالوا لو لا ﴾ أي هلا ﴿ اجتبيتها ﴾ و الجبي : الجمع ، و الإجباء تركه ، و الاجتباء : الجد في الجمع ، و يلزم منه الاصطفاء و الاختيار ، فمعنى اجتبيتها اجتلبتها ، أي تكلفت من عند نفسك الإتيان بها مختارة .

و لما كان المقام داعيا إلى السؤال في تعليم الجواب ، [6] أسعف ذلك[7] بقوله : ﴿ قل ﴾ أي إذا قالوا ذلك ﴿ انما اتبع ﴾ أي أتعمد و أتكلف اتباع ﴿ ما يوحى الي ﴾ أي يأتيني به الملك ﴿ من ربي ﴾ / أي المحسن إلي بتعليمي ما ينفعني ، لا أني آتي بشيء من عند نفسي و لا أقترح على ربي . ٤٠١ /

و لما حصر حاله في اتباع الوحي كان كأنه قيل : ما هذا الذي

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) في الأصل و ظ : لا (٣) من ظ ، و في الأصل : على (٤) في ظ : تعجيبا (٥) في ظ : عطفا (٦) في ظ : اعسف . (٧) من ظ ، و في الأصل : بذلك .

يوحى إليك ؟ فقال - و يجوز أن يكون تعليلا لاتباعه لأنه كاف فى إثبات نبوته مغنٍ عن الآيات المقترحة قاهر فى وجوب اتباعه - : ﴿هذا﴾ مشيرا إلى ما يوحى إليه تنبيها على أنه يجب أن يكون مستحضرا فى سائر الأذهان ، حاضرا بين عينى كل إنسان ﴿ بصآئر ﴾ أى أشياء هى[1]
٥ - على حسب ما طلبتم - مجتباة ، بل هى خيار الخيار ، يكون بها نور القلب فيصير للعيون أيضا بصر يقربه[2] مما يحث الكتاب على نظره من الآيات المرئيات إلى علوم لم تكن لها قبل[3] ذلك ، و هى حجج[4] بينة قاهرة على تصديق و[5] قبول [كل -[6]] ما جئت به ، و سماه بذلك لأنه سبب لبصر العقول بدلائل التوحيد و النبوة و المعاد و جميع الشريعة
١٠ أصولا و فروعا ، فهو تسمية للسبب باسم المسبب ، و على[7] مدحها بقوله : ﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم يقطع إحسانه عنكم أصلا ، فهو جدير بأن يتلقى ما أتى منه بكل جميل .

و لما كانت البصائر جمعا ، و كانت العادة جارية بأن مفردات الجمع تكون متفاوتة ، أكدها بما يشير إلى أنها خارقة للعادة فى أنها على
١٥ حد سواء فى أعلى طبقات الهداية فقال : ﴿ و هدى ﴾ أى بيان ؛ و لما كان البيان قد لا يكون على وجه الإكرام ، قال : ﴿ و رحمة ﴾ أى إكرام .

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يعبر به (٣) زيد بعده فى الأصل : بصر ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : حجة (٥) فى ظ : فى (٦) زيد من ظ . (٧) فى ظ : اعلى .

و لما كان من لا ينتفع[1] بالشيء يصح أن ينفى عن الشيء النافع النفع بالنسبة إليه، قال: ﴿ [2]لقوم يؤمنون[2] ﴾ أى يوجدون هذه الحقيقة و يستمرون على تجديدها فى كل وقت، و أما غيرهم فقد يكون عليهم عذابا.

و لما عظم الله شأن القرآن، فكان[3] التقدير: فآمنوا به تفلحوا، ٥ عطف عليه قوله: ﴿ و اذا قرئ القرآن ﴾ أى و هو هذا[4] الذى يوحى إلىّ، فتأدبوا و تواضعوا لأنه صفة ربكم ﴿ فاستمعوا له ﴾ أى ألقوا إليه أسماعكم مجتهدين فى عدم شاغل يشغلكم عن السمع.

و لما كان بعض الفهماء يسمع و هو يتكلم، أشار إلى أن هذا الكتاب أعلى قدرا من أن يناله من يشتغل عنه بأدنى شغل فقال: ١٠ ﴿ و انصتوا ﴾ أى للتأمل و التدبر لتنجلى قلوبكم فتعلموا حقيقته فتعلموا بما فيه و لا يكون فى صدوركم حرج منه؛ و لما كان ظاهر الآية وجوب الإنصات لكل قارئ على كل أحد، رغب فيه تعظيما لشأنه[4] فقال: ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أى لتكونوا على رجاء من أن يكرمكم ربكم و يفعل بكم كل ما يفعله الراحم مع المرحوم. ١٥

و لما تقدم الأمر بالذكر عند نزغ الشيطان، و مر إلى أن أمر بالاستماع لأعظم الذكر، وكان التالى ربما بالغ فى الجهر ليكثر سامعه، و ربما أسر[5] لئلا يوجب على غيره الإصغاء، علمهم[7] أدب القراءة[8]،

(١) من ظ، و فى الأصل: لا ينفع (٢-٢) زيد ما بين الرقمين من ظ و القرآن الكريم.
(٣) من ظ، و فى الأصل: كان (٤) سقط من ظ (٥) فى الأصل: اشد، و فى ظ: اسرع - كذا (٦) فى ظ: علم (٧) من ظ، و فى الأصل: القرآن.

و أطلق ذلك فى كل حال لأنه ربما فهم فاهم الاقتصار على الذكر فى حالة النزع ، و رقى[1] الخطاب منهم إلى إمامهم ليكون أدعى لقبولهم مع الإشارة إلى أنه لا يكاد يقوم بهذا الأمر حق قيامه[2] غيره صلى الله عليه و سلم فقال : ﴿ و اذكر ﴾ [أى بكل ذكر من القرآن و غيره -[3]]

٥ ﴿ ربك ﴾ أى الذى بلغ الغاية فى الإحسان إليك ﴿ فى نفسك ﴾ أى ذكرا يكون راسخا فيك مظروفا لك افهمك لمعانيه و تخلقك بما فيه ، و ليكن[4] سرا لأن ذلك أقرب إلى الإخلاص و أعون على التفكر ، و كونه سرا دال على أشرف الأحوال ، و هو المراقبة مع تحقق القرب ، فاذا كان كذلك أثمر قوله : ﴿ تضرعا ﴾ أى حال كونك ذا تضرع بالظاهر

١٠ ﴿ و خيفة ﴾ أى لتدعو المخافة إلى تذلل قلبك لتجمع بين تضرع السر و العلن ، و بهذا[5] يكمل ذل العبودية لعز الربوبية .

و لما أمر بالسر ، قال مقابلا له : ﴿ و دون الجهر ﴾ أى لأنه أدخل فى الإخلاص ، و من المعلوم أنه فوق السر ، و إلا لم تفد / الجملة ٤٠٢/ شيئا ؛ و لما كان الجهر قد يكون فى الأفعال ، أكده بقوله : ﴿ من القول ﴾

١٥ أى فان ذلك يشعر بالتذلل[6] و الخضوع من غير صياح كما يناجى[7] الملوك و يستجلب[8] منهم الرغائب ، و كما[9] قال صلى الله عليه و سلم للصحابة و قد جهروا بالدعاء فوق المقدار « إنكم لا تدعون أصم و لا غائبا » فان

(١) من ظ ، و فى الأصل : نفى (٢) من ظ ، و فى الأصل : قيام (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ : لكن (٥) فى ظ : هذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : التذلل (٧) فى ظ : تناجى (٨) فى ظ : تستجلب (٩) فى ظ : لما .

المقصود حصول الذكر اللسانى ليعين الذكر القلبى ، و المقصود حاصل باسماع النفس فانه يتأثر الخيال فيتقوى الذكر القلبى ، و لا تزال الأنوار تتزايد[1] فينعكس تراجع بعضها إلى بعض حتى يزداد الترقى من ظلمات عالم الأجسام إلى أنوار مدبر النور و الظلام .

و لما أمر بالذكر مكيفا له بكيفيته اللائقة به ، أمره صلى الله عليه و سلم بالمداومة عليه ذاكرا[2] أحسن الأوقات [له -[3]] و أحقها به ، لكونها - لما[4] فيها من الشغل - أدل على إيثاره لمزيد المحبة و التعظيم فقال : ﴿بالغدو﴾ أى أوقات البكر ، و لعله أفرده على جعله مصدر غدا ، لأنه ما ثمّ إلا صلاة الصبح ، و جمع ما بعده للعصرين و المغرب فقال : ﴿و الأصال﴾ أى أوقات العشاء[5] ، و قيل : الغدو جمع غدوة ، فيراد حينئذ مع الصبح الضحى ، و آخر كل نهار متصل بأول ليلة اليوم الثانى فسمى آخر اليوم أصيلا لأنه يتصل[6] بما هو أصل اليوم الثانى ، و خص هذين الوقتين و إن كان المراد الدوام بتسمية كل من اليوم و الليل باسم جزئه ، ليذكر بالغدو الانتشار من الموت ، و بالأصيل السكون بالموت و الرجوع إلى حال العدم فيستحضر[7] بذلك جلال الله عز و جل فيكون ذلك حاويا[8] على تعظيمه حق تعظيمه .

و لما كان ربما أوهم هذا الخصوص بهذين الوقتين و إن كان ظاهرا فى

(١) فى ظ : تتزيد - كذا (٢) فى ظ : ذاكر (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ : العشى (٦) فى ظ : متصل (٧) فى ظ : مستحضر (٨) فى ظ : جاذبا .

الدوام ، قال مصرحا : ﴿ و لا تكن[1] من الغفلين ه ﴾ أى فى وقت غيرهما ، بل كن ذاكره فى كل وقت على كل حال ؛ ثم علل الأمر بالمراقبة الدالة على أعظم الخضوع بأنها وظيفة المقربين فقال : ﴿ ان[2] الذين ﴾ و زاد ترغيبا فى ذلك بقوله : ﴿ عند ربك ﴾ أى المحسن إليك بتقريبك من جنابه و جعلك أكرم أحبابه[3] ، و هم الملائكة الكرام أولو العصمة[4] ، و القرب دنو مكانة لا مكان ﴿ لا يستكبرون ﴾ أى لا يوجدون ولا يطلبون الكبر ﴿ عن عبادته ﴾ أى الخضوع له و التلبس بانحاء التذلل[5] مع مزيد قربهم و غاية طهارتهم و حبهم ﴿ و يسبحونه ﴾ أى ينزهونه عن كل ما لا يليق مع خلوصهم[6] عن دواعى الشهوات و الحظوظ .

و لما كان هذا يرجع إلى المعارف ، و قدمه دلالة على أن الأصل فى العبادة أعمال القلوب ، أردفه بقوله : ﴿ و له ﴾ أى وحده ﴿ يسجدون ع ﴾ أى يخضعون باثباتهم له[7] كل كمال ، و بالمباشرة لمحاسن الأعمال ، و قد تضمنت الآية الإخبار عن الملائكة الأبرار بثلاثة أخبار : عدم الاستكبار الذى هو أجل أنواع العبادة إذ هو الحامل على الطاعة كما أن ضده حامل على المعصية ، و التسبيح الذى هو التنزيه عن [8]كل ما لا يليق ، و تخصيصه بالسجود ؛ و لما كانت العبادة ناشئة عن انتفاء الاستكبار ، وكانت[8] على قسمين : قلبية و جسمانية ، أشار إلى القلبية بالتنزيه ، و إلى الجسمانية بالسجود ، و هو الحال الذى يكون العبد به عند ربه كالملائكة قربا و زلفى

(١) فى ظ : لا تكونن (٢) زيد من ظ و القرآن الكريم (٣) من ظ ، و فى الأصل : جنابه (٤) من ظ ، و فى الأصل : العظمة (٥) فى ظ : التذكر (٦) فى ظ : خضوعهم (٧) زيد بعده فى ظ : على (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

« أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد » نبه عليه أبوحيان[1] على أن العبادتين مرجعهما القلب ، و إحداهما[2] مدلول عليها بالقول و الأخرى بالفعل ، و قد رجع آخر السورة فى الأمر باتباع القرآن إلى أولها أحسن رجوع ، و لوصف المقربين بعدم الاستكبار و المواظبة على وظائف الخضوع إلى وصف إبليس بعصيان أمر الله فى السجود/ لآدم عليه السلام ٥ /٤٠٣ على طريق الاستكبار أىّ التفات ، بل شرع فى رد المقطع على المطلع حين أتم قصص الأنبياء ، فقوله " و لقد ذرانا " هو قوله " و الذى خبث لا يخرج الا نكدا " يتضح لك ذلك إذا راجعت[3] ما قدمته فى المراد منها[4] " و لله الاسماء الحسنى فادعوه بها " [هو - ٥] " ادعوا ربكم تضرعا و خفية " و " ممن خلقنا امة [يهدون بالحق " - ٦] هو " و الذين امنوا ١٠ و عملوا الصلحت لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحب الجنة " " و الذين كذبوا بايتنا و استكبروا عنها " و " ان عسى ان يكون قد اقترب اجلهم " [7]هو " اذا جاء اجلهم لا يستاخرون " و " يسئلونك[7] عن الساعة " هو " كما بداكم تعودون " و " لكم فى الارض مستقر و متاع الى حين " و " هو الذى خلقكم من نفس واحدة " و " لقد خلقنكم ثم صورنكم " ١٥ و " انما اتبع ما يوحى الىّ من ربى " - إلى آخرها بعد التنفير من الأنداد - هو " كتب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه - إلى قوله : و لا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون " فسبحان من هذا كلامه ، و تعالى حجابه و عز مرامه ، و على من أنزل عليه صلاته و سلامه ، و تحيته و إكرامه .

---

(١) راجع البحر المحيط ٤/٤٠٤ (٢) فى ظ : احدهما (٣) من ظ ، و فى الأصل : رجعت (٤) من ظ ، و فى الأصل : منه (٥) زيد من ظ (٦) زيد من ظ و القرآن الكريم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

سورة الأنفال[1]

و تسمى الجهاد ﴿ بسم الله ﴾ أى[2] الذى له جميع الحول و القوة و الطول ﴿ الرحمن ﴾ الذى أحاط دائرة العقل بشموس الأدلة من كل منقول ﴿ الرحيم ﴾ الذى منّ على من شاء من الأتباع بحسن الاتباع ؛ و[2] مقصد هذه السورة تبرؤ العباد من الحول و القوة ، و حثهم على التسليم لأمر الله و اعتقاد أن الأمور ليست إلا بيده و أن الإنسان ليس له فعل ، ليثمر[3] ذلك الاعتصام بأمر الله المثمر لاجتماع الكلمة المثمر لنصر الدين و إذلال المفسدين المنتج لكل خير ، و الجامع لذلك كله أنه لما ثبت بالسور الماضية وجوب اتباع أمر الإله و الاجتماع عليه لما ثبت من تفرده و اقتداره[4] ، كان مقصود هذه إيجاب اتباع الداعى إليه بغاية الإذعان و التسليم و الرضى و التبرؤ من كل حول و قوة إلى من أنعم بذلك ولو شاء[5] سلبه وأدل مافيها على هذا قصة الأنفال التى اختلفوا فى أمرها وتنازعوا قسمها فمنعهم الله منها وكف عنهم حظوظ الأنفس وألزمهم الإخبات والتواضع، و أعطاها نبيه صلى الله عليه و سلم لأنه الذى هزمهم بما رمى من الحصبات التى خرق الله فيها العادة بأن بثها فى أعين جميعهم و بما أرسل من جنوده ، فكأن الأمر له وحده ، يمنحه من يشاء ، ثم لما صار له صلى الله عليه و سلم ،

(١) مدنية ، و هى سبع و سبعون آية فى الشامى ، و ست و ستون فى البصرى و الحجازى ، و خمس و سبعون فى الكوفى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : ليتم (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) زيد بعده فى الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

رده فيهم منة منه عليهم و إحسانا إليهم ، و اسمها الجهاد كذلك لأن الكفار دائما أضعاف المسلمين ، و ما جاهد قوم من أهل الإسلام قط إلا أكثر[1] منهم ، و تجب مصابرة الضعف ، فلو كان النظر إلى غير قوته سبحانه ما أطيق ذلك ، و لهذه المقاصد سنت قراءتها فى الجهاد لتنشيط المؤمنين للجلاد ، و إن كثرت من الأعادى الجموع [و - [2]] الأعداد ، و توالت إليهم زمر ٥ الأمداد من سائر العباد ، كما ذكره الحافظ أبو الربيع سليمان بن موسى ابن سالم الكلاعى المغربى فى فتوح البلاد من كتابه الاكتفاء فى سيرة المصطفى و أصحابه الثلاثة الخلفاء ، وكذا شيخه الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد ابن حبيش فى كتابه الذى جمعه فى الفتوح ، قالا فى وقعة اليرموك من فتوح الشام عن حديث سيف بن عمر و هذا لفظ ابن سالم : قال : وكان ١٠ القارئ يوم ذاك[3] المقداد ، قالوا : و من السنة التى سن رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد بدر أن نقرأ سورة الجهاد عند اللقاء ، و هى سورة الأنفال ، ولم يزل الناس بعد على ذلك ٤/ قالا فى وقعة القادسية من فتوح فارس / ٤٠٤ و اللفظ لابن سالم أيضا قالوا : و لما صلى سعد - يعنى ابن أبى وقاص - رضى الله عنه الظهر أمر غلاما كان عمر رضى الله عنه ألزمه إياه ١٥ وكان من القراء يقرأ سورة الجهاد ، وكان المسلمون كلهم إذ ذاك يتعلمونها فقرأها على الكتيبة التى تليه ، وقرئت فى كل كتيبة ، فهشت قلوب الناس و عرفوا السكينة مع قراءتها ، قال مصعب بن سعد : وكانت قراءتها سنة يقرأها رسول الله صلى الله عليه و سلم عند الزحوف و يستقرئها ، فعمل

(١) من ظ ، وفى الأصل : كثر (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : ذلك .

الناس بذلك - انتهى . و مناسبتها للأعراف أنه لما ذكر تعالى - كما تقدم - قصص الأنبياء عليهم السلام مع أممهم فى تلك ، ناسب أن يذكر قصة هذا النبي الكريم صلى الله عليه و سلم مع قومه ، و تقدم أنه لما أطنب سبحانه فى قصة موسى عليه السلام كان ذلك[1] ربما أوهم تفضيله على الجميع ، فأتى بقصة المخاطب بهذا القرآن فى سورتين كاملتين : الأنفال فى أول أمره و أثنائه ، و براءة فى ختام أمره و انتهائه ، و فرق بين القصتين ، و ذلك أن قوم موسى عليه السلام كانوا فى سوء العذاب ، وكانوا يعلمون[2] عن أسلافهم أن الله سيذكرهم و ينجيهم من أيدى القبط ، فلما أتاهم موسى عليه السلام و بين لهم الآيات التى أمره الله بها لم يشكوا فى أنه الموعود به من رحمة الله لهم ، و إتيانه نفع لهم عاجل مع ما فيه من النفع الآجل ، فأطبقوا على اتباعه ، وكانوا أكثر من ستمائة ألف مقاتل ، و مع ذلك فقد كانوا يخالفون عليه فى كل قليل ، و لا[3] يجدون قلوبا يواجهون بها القبط فى الإباء عن امتثال أوامرهم ، و أما محمد صلى الله عليه و سلم فأتى قومه و لا حس عندهم من نبوة و لا علم لهم بها ، و لم يكونوا تحت ذل أحد ، بل كانوا ملوك العرب ، فعندهم أنه جاء يسلبهم عزهم و يصيرهم له تبعا فخالفوا أشد المخالفة و لم يدعوا كيدا حتى باشروه فى رده عما جاء به ، و مع ذلك فنصره الله عليهم و لم يزل يؤيده حتى دخل الناس هم و غيرهم فى دين الله أفواجا ، و أظهر دينه على الدين كله [كما -[4]] وعده سبحانه ، ثم أيد أمره من بعده و لم يزل أتباعه ظاهرين و لا يزالون إلى يوم الدين ،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يعملون (٣) فى ظ : لم (٤) زيد من ظ .

فبين القصتين فرقان[1] لأولى الإبصار و الإتقان ، و أما مناسبة أولها لآخر تلك فقد تبين أن آخر الأعراف آخر قصة موسى عليه السلام المختتمة بقصة بلعام و أن ما بعد ذلك إنما هو تتمات لما تقدم لا بد منها و تتمات للتتمات حتى كان آخر ذلك مدح من أهّلهم لعنديته[2] سبحانه بالإذعان و تمام الخضوع ، فلما أضيفوا إلى تلك الحضرة العالية ، اقتضى ذلك ٥ سؤالا عن حال الذين عند المخاطب صلى الله عليه و سلم فأجيب بقوله تعالى : ﴿ يسئلونك ﴾ أى الذين عند ربك هم الذين هزموا الكفار فى الحقيقة كما علمتم ذلك - و سيأتى بيانه ، فهم المستحقون للأنفال و ليس لهم إليها[3] التفات و إنما همهم العبادة. و الذين عندك[4] إنما جعلتهم آلة ظاهرة و مع ذلك فهم يسألون ﴿ عن الانفال[5] ﴾ التى توليتهم إياها[6] بأيدى جنودى ١٠ سؤال منازعة ينبغى الاستعاذة بالله منها - كما[7] نبه عليه[7] آخر الأعراف - لأن ذلك يفضى إلى افتراق الكلمة و الضعف عن مقاومة[8] الأعداء ، و هو جمع نفل - بالتحريك ، و هو [ما -[9]] يعطاه الغازى زيادة على سهمه ، و المراد بها[10] هنا الغنيمة ، و هى المال المأخوذ من أهل الحرب قهرا ، سميت هنا بذلك لأن أصلها فى اللغة الزيادة ، و قد فضل المسلمون ١٥ بها على سائر الأمم .

و لما كان السؤال عن حكمها ، كان كأنه قيل : فما ذا يفعل ؟ فقال

---

(١) فى ظ : فرقا (٢) فى الأصل : لتعديته ، و فى ظ : لعبد الله (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : عند ربك (٥) فى ظ : اياياها - كذا (٦) فى ظ : لما (٧) من ظ ، و فى الأصل : على (٨) فى ظ : مقامة (٩) زيد من ظ . (١٠) فى ظ : به .

- دالا على أنهم سألوا عن مصرفها و حكمها - ليطابق الجواب السؤال :
/٤٠٥ ﴿ قل ﴾ أى لهم / فى جواب سؤالهم ﴿ الانفال لله ﴾ أى الذى ليس النصر إلا من عنده لما له من صفات الكمال ﴿ و الرسول ج ﴾ أى الذى كان جازما بأمر الله مسلما لقضائه ماضيا فيما أرسله به غير متخوف من
٥ مخالطة الردى بمواقعة[1] العدى ؛ قال أبو حيان[2] : و لا خلاف أن الآية نزلت فى يوم بدر و غنائمه[3] ، و قال ابن زيد : لا نسخ ، إنما أخبر أن الغنائم لله من حيث أنها ملكه و رزقه ، و للرسول عليه السلام من حيث هو مبين لحكم الله و الصادع فيها بأمره ليقع التسليم من الناس ، و حكم القسمة نازل خلال ذلك - انتهى .

١٠ و لما أخبر سبحانه أنه لا شىء لهم فيها إلا عن أمر الله و رسوله ، و كان ذلك موجبا لتوقفهم إلى بروز أمره سبحانه على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم ، و كانت التقوى موجبة للوقوف خوفا حتى يأتى الدليل الذى يجسّر على المشى وراءه ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى خافوا خوفا عظيما فى جميع أحوالكم[4] من الذى لا عظمة لغيره و لا أمر
١٥ لسواه ، فلا تطلبوا شيئا [5]بغير أمر[5] رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا تتخاصموا ، فان الله تعالى الذى رحمكم بارسال رسول لنجاتكم و إنزال كتاب لعصمتكم غير مهمل[6] ما يصلحكم ، فهو يعطيكم ما سبق فى علمه الحكم بأنه

(١) من ظ ، و فى الأصل : بموانعة (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٤/٤٠٥ .
(٣) فى ظ : غنائمه (٤) من ظ ، و فى الأصل : احوالهم (٥ - ٥) فى ظ : بامر .
(٦) من ظ ، فى الأصل : مهملها .

لكم

لكم ، و يمنعكم ما ليس لكم ﴿و اصلحوا ذات بينكم ص﴾ أى الحال التى هى صاحبة افتراقكم و اجتماعكم ، فان أغلب أمرها البين الذى هو القطيعة ، و قد أشرفت على الفساد بطلب كل فريق الأثرة على صاحبه فأقبلوا على رعايتها بالتسليم لأمر الله و رسوله الأمرين بالإعراض عن الدنيا ليقسمها بينكم على سواء ، القوى و الضعيف سواء ، فانكم إنما ترزقون و تنصرون ٥ بضعفائكم ، لتجتمع[1] كلمتكم فيشتد أمركم و يقوى أزركم فتقدروا على إقامة الدين و قمع[2] المفسدين ﴿ و اطيعوا الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى عظمته من عظمته فى كل ما يأمرانكم به من تنفيل لمن يراه و إنفاذ شرط لمن شرط و وفاء عهد لمن عاهده .

و لما أمر و نهى ، هيج و ألهب فقال مبينا كون الإيمان مستلزما للطاعة : ١٠ ﴿ ان كنتم مؤمنين ه ﴾ أى صادقين فى دعوى الإيمان ، فليس كل من يدعى شيئا يكون صادقا فى دعواه حتى يحصل البيان بالامتحان ، و لذلك وصل به قوله مؤكدا غاية التأكيد لأن التخلص من الأعراض الدنيوية عسر : ﴿ انما المؤمنون ﴾ أى الراسخون فى وصف الإيمان ﴿ الذين ﴾ أى يقيمون الدليل على دعوى الإيمان بتصديق أفعالهم لأقوالهم فيكونون ١٥ ﴿ اذا ذكر الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال[3] من الجلال و الجمال [مجرد ذكر فى نحو قوله " الانفال لله " - [4]] ﴿وجلت﴾ أى خافت خوفا عظيما يتخلل صميم عظامهم و يجول فى سائر معانيهم و أجسامهم ﴿ قلوبهم ﴾ أى

(١) من ظ ، و فى الأصل: ليجتمع (٢) من ظ ، و فى الأصل : تمعكم (٣) فى ظ : الجلال (٤) زيد من ظ .

بمجرد ذكره استعظاما له ﴿ و اذا تليت ﴾ أى قرئت على سبيل الموالاة و الاتصال [من أىّ تال كان - [1]] ﴿ عليهم اٰيٰته ﴾ أى[2] كما يأتى فى إقامة الأدلة على ذلك [الحكم الذى و رد ذكره فيه - [1]] ﴿ زادتهم ايمانا ﴾ أى بايمانهم بها و بما حصل لهم من نور القلب و طمأنينة اليقين بسببها ، فانها هى الدالة على الله بما تبين من عظيم أفعاله و نعوت جلاله و جماله ، و تظاهر الأدلة أقوى للدلول عليه ، و كمال قدرة الله تعالى إنما يعرف[3] [4]بواسطة آثار[4] حكمته فى مخلوقاته ، و ذلك بحر لاساحل له ، و لما كانت المراتب لا نهاية لها[5] ، كانت مراتب التجلى و المعرفة لانهاية لها ، فالزيادة فى أشخاص التصديق ﴿ و على ﴾ أى و الحال أنهم على ﴿ ربهم ﴾ أى الدائم الإحسان إليهم وحده ﴿ يتوكلون ﴾ أى يجددون إسناد أمورهم إليه مهما وسوس لهم الشيطان بالفقر أو غيره / ليكفيهم من حيث لا يحتسبون ، فان خزائنه واسعة ، و يده سحاء الليل و النهار ، كما أنهم لما توكلوا عليه فى القتال نصرهم و قد كانوا فى غاية الخوف من الخذلان ، و كان حالهم جديرا بذلك لقلقهم و خوفهم و قلتهم و ضعفهم . /٤٠٦

و لما وصفهم بالإيمان الحامل على الطاعة و التوكل الجامع لهم الدافع للمانع منها ، قال منتقلا [من - [1]] عمل الباطن إلى عمل الظاهر مبينا أن همتهم إنما هى العبادة و المكارم : ﴿ الذين يقيمون الصلوٰة ﴾ أى لا يفترون عن تجديد ذلك ؛ و لما كانت صلة بين الخلق و الخالق ، أتبعها الوصلة بين

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : تعرف (٤-٤) فى ظ : واسطة بآثار (٥) من ظ ، و فى الأصل : انتم .

الخلائق فقال : ﴿ و مما رزقنٰهم ﴾ أى على عظمتنا و هو لنا دونهم ﴿ ينفقون ط ﴾ و لو كانوا مقلين اعتمادا على ما عندنا فالإنفاق و إهانة الدنيا همتهم ، لا الحرص عليها ، فحينئذ [1]يكونون كالذين[1] عند ربك فى التحلى بالعبادة و التخلى من الدنيا إعراضا و زهادة ، و هو تذكير بوصف المتقين المذكور أول الكتاب بقوله " الذين يؤمنون بالغيب و يقيمون الصلوٰة و مما رزقنٰهم ينفقون " .

و لما حققوا[2] إيمانهم بأفعال القلوب و الجوارح و الأموال ، فاستوفوا بذلك جميع[3] شعب الدين ، عظم سبحانه شأنهم بقوله : ﴿ اولٰئك ﴾ أى العالو الهمم ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ المؤمنون ﴾ و[3] أكد مضمون الجملة بقوله : ﴿ حقا ط ﴾ .

و لما كانت[3] صفاتهم الخمس المذكورة المشتملة على الأخلاق و الأعمال لها تأثيرات فى تصفية القلوب و تنويرها بالمعارف الإلٰهية ، وكلما كان المؤثر أقوى كانت التأثيرات أعلى ، فلما كانت هى درجات كان جزاؤها[4] كذلك ، فلهذا قال سبحانه تعالى فى جواب من كأنه قال : فما جزاؤهم على ذلك ؟ : ﴿ لهم درٰجت ﴾ و لما كثرها بجمع السلامة بما دل عليه سياق الامتنان ، عظمها بقوله : ﴿ عند ربهم ﴾ أى بتسليمهم لأمره .

و لما كان قدر الله عظيما ، وكان الإنسان عن بلوغ ما يجب عليه من ذلك ضعيفا حقيرا ، وكان بأدنى شىء من أعماله يستفزه الإعجاب ، أشار سبحانه [5]إلى أنه[5] لايسعه إلا العفو و لو بذل فوق الجهد فقال :

(١-١) فى ظ : يكون كالذى (٢) فى ظ : حقوا (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : اجزائها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿ ومغفرة ﴾ أى لذنوبهم إن رجعوا عن المنازعة فى الأنفال و غيرها ، ﴿ و رزق كريم ﴾ أى لا ضيق فيه و لا كدر بوجه ما من منازعة و لا[1] غيرها ، فهو يغنيهم عن هذه الأنفال[2] ، و يملأ أيديهم من الأموال من غنائم فارس و الروم و غير ذلك ، هذا فى الدنيا ، و أما فى الآخرة فما لا يحيط به[3] الوصف ؛ قال أبو حيان[4] : لما تقدمت ثلاث صفات قلبية - و هى الوجل و زيادة الإيمان و التوكل - و بدنية و مالية ، ترتب عليها ثلاثة أشياء ، فقوبلت الأعمال القلبية بالدرجات و البدنية بالغفران ، و قوبلت المالية بالرزق الكريم ، و هذا النوع من المقابلة من بديع علم البديع - انتهى . و لما كان الإيمان عند الشافعى رحمه الله الاعتقاد و الإقرار و العمل جوز أن يقال : مؤمن إن شاء الله ، لأن استيفاء الأعمال مشكوك فيه و إن كان الاعتقاد و الإقرار يقينا ، و عند أبى حنيفة رحمه الله الإيمان الاعتقاد و الإقرار فقط ، فلم يجوز الاستثناء ، فالخلاف لفظى ، هذا إذا كان الاستثناء للشك ، و إن كان لغيره كان لكسر النفس عن التمدح ، و للشهادة بالجنة التى هى للمؤمن ، و للحكم على حالة الموت ، على أن هذه الكلمة لا تنافى الجزم ، فهى بمجرد التبرك كقوله تعالى " لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين[5] " / - [1]ذكر ذلك[2] الإمام فخر الدين . /٤٠٧

و لما كان ترك الدنيا شديدا على النفس ، و ترك النزاع بعد الانتساب[6] فيه أشد ، شرع يذكر لهم ما كانوا له كارهين ففعله بهم

(١) من ظ : و فى الأصل : لو (٢) فى ظ : الانفال (٣) سقط من ظ (٤) راجع النهر من البحر المحيط ٤/٤٥٨ (٥) سورة ٤٨ آية ٢٧ ، و زيد بعده فى ظ : وكذا .
(٦) من ظ ، و فى الأصل : الانتاب .

و أمرهم به لعلمه بالعواقب فحمدوا أثره ، ليكون أدعى لتسليمهم لأمره و ازدجارهم بزجره ، فشبه حال كراهتهم لترك مرادهم فى الأنفال[1] بحال كراهتهم لخروجهم معه ثم بحال كراهتهم للقاء الجيش دون العير ، ثم إنهم رأوا أحسن العاقبة فى كلا الأمرين فقال : ﴿ كما ﴾ أى حالهم فى كراهية تسليم الأنفال - مع كون التسليم هو الحق و الأولى لهم - كما ٥ كانت حالهم إذ ﴿ اخرجك ربك ﴾ أى المحسن إليك بالإرشاد إلى جميع مقاصد الخير ﴿ من بيتك بالحق ﴾ أى الأمر الفيصل الفارق بين الثابت و المزلزل ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أن ﴿ فريقا ﴾ عبر به لأن آراءهم كانت تؤل إلى الفرقة ﴿ من المؤمنين ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ﴿ لكرهون ﴾ ثم ذكر دليل كراهتهم فقال : ﴿ يجادلونك ﴾ أى يكررون ذلك إرادة[2] ١٠ أن يفتلوك عن اللقاء للجيش إلى الرجوع عنه .

و لما كان لقاء الجيش أمرا قد حتمه الله فلا بد[3] من وقوعه مع أنه يرضيه ، قال : ﴿ فى الحق ﴾ أى الذى هو إيثار الجهاد ﴿ بعد ما تبين ﴾ أى [وضح وضوحا عظيما سهلا من غير كلفة نظر - [4]] بقرائن الأحوال بفوات العير و تيسير أمر النفير و باعلام الرسول صلى الله عليه و سلم لهم ١٥ تارة صريحا و تارة تلويحا كقوله « و الله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم ، هذا مصرع فلان و ذلك مصرع فلان » .

[و - [4]] لما كان سبحانه قد حكم[5] باللقاء و النصرة تاييدا لوليه[6] و إعلاء لكلمته مع شدة كراهتهم لذلك ، شبه [7]سوقه لهم[7] إلى مراده ،

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الانفال (٢) فى ظ : اشارة (٣) فى ظ : باس (٤) زيد (٥) من ظ : فى ظ جاكم (٦) فى ط : لدينيه - كذا (٧-٧) فى ظ : سوقهم له .

فقال بانيا للمفعول لأن المكروه إليهم السوق لا كونه من معين : ﴿ كأنما يساقون ﴾ أى يسوقهم سائق لا قدرة لهم على ممانعته ﴿ الى الموت و هم ينظرون ﴾ لأنها كانت أول غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وسلم و كان فيها لقاء ، و كانوا غير متأهبين للقتال غاية التأهب ، إنما خرجوا للقاء العير ، هذا مع أنهم عدد يسير . و عدد أهل النفير كثير ، وكانوا فى غاية الهيبة للقائهم و الرعب من قتالهم ، و كل هذا تذكير لهم بأنه لم ينصرهم إلا الله بلا صنع منهم ، بل كانوا فى يد قدرته كالآلة فى يد أحدهم ، لينتج ذلك أنه ليس لهم أن ينازعوا فى الأنفال .

و لما[1] لانوا بهذا الخطاب ، و أقبلوا على الملك التواب ، أقبل عليهم فقال : ﴿ و اذ ﴾ أى اذكروا هذا الذى ذكره الله لكم و قد كان حالكم فيه ما ذكره ، ثم[2] أفضى إلى سعادة عظيمة و عز لا يشبهه عز ، و اذكروا إذ ﴿ يعدكم الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ احدى الطآئفتين ﴾ : العير أو النفير ، و أبدل من الإحدى - ليكون الوعد بها مكررا - قوله : ﴿ انها لكم ﴾ أى فتكرهون لقاء ذات الشوكة ﴿ و تودون ﴾ أى و الحال أنكم تحبون محبة عظيمة ﴿ ان غير ذات الشوكة ﴾ أى السلاح و القتال و الكفاح الذى به[3] تعرف الأبطال و يميز بين الرجال من ذوات الحجال ﴿ تكون لكم ﴾ أى العير لكونها[4] لم يكن فيها إلا ناس قليل ، يقال : إنهم أربعون رجلا ، جهلا منكم بالعواقب ، ثم تبين لكم أن ما فعله الله خير لكم بما[3] لا يبلغ كنهه ، فسلموا له الأمر فى السر و الجهر

(١) فى ط : انما (٢) فى ظ : بل (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : لانها .

/ تنالوا الغنى و النصر ، و قال الإمام [أبو -[1]] جعفر بن الزبير العاصمى فى مناسبة تعقيب الأعراف بهذه السورة و مناسبة آخر تلك لأول هذه ما نصه : لما قص سبحانه على نبيه صلى الله عليه و سلم فى سورة الأعراف أخبار الأمم ، و قطع المؤمنون[2] من مجموع ذلك بأنه[3] لا يكون الهدى إلا بسابقة السعادة ، لافتتاح السورة من ذكر الأشقياء بقصة إبليس ٥ و ختمها بقصة بلعام ، و كلاهما[4] كفر على علم و لم ينفعه ما قد كان حصل عليه ، و نبه تعالى عباده على الباب الذى أتى[5] منه على بلعام بقوله سبحانه "و لكنه اخلد الى الارض و اتبع هوٰيه" فأشار سبحانه إلى أن اتباع الأهواء أضل كل ضلال ، نبهوا على ما فيه الحزم[6] من ترك الأهواء جملة فقال تعالى " يسئلونك عن الانفال" ـ الآية ، فكان قد[7] قيل لهم : اتركوا ١٠ ما ترون أنه حق واجب لكم ، و فوضوا فى أمره لله و للرسول ، فذلك أسلم لكم و أحزم فى ردع أغراضكم و قمع شهواتكم و ترك [8]أمور ربكم[8] و قد ألف فى هذه الشريعة السمحة[9] البيضاء حسم الذرائع كثيرا و إقامة مظنة الشىء مقامه كتحريم الجرعة من الخمر و القطرة[10] ، و الخطبة فى العدة و اعتداد النوم الثقيل ناقضا ، فهذه مظان لم يقع الحكم فيها على ما هو ١٥ لأنفسها[11] و لا بما هى كذا ، بل بما هى مظان و دواع لما منع لعينه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : المومنين (٣) من ظ ، و فى الأصل : بان (٤) فى ظ : كفرهما (٥) فى ظ : اوتى (٦) فى ظ : الجرم (٧) سقط من ظ . (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ : السمحاء (١٠) من ظ ، و فى الأصل : القطرة (١١) فى ظ : انفسها .

أو استوجب حكما لعينه و علته الخاصة به ، و لما أمر المسلمون بحل أيديهم عن الأنفال يوم بدر إذ كان المقاتلة قد هموا بأخذها و حدثوا أنفسهم بالانفراد [بها - [1]] و رأوا أنها من حقهم و أن من[2] لم يباشر قتالا من الشيوخ و من انحاز منه[3] لهم فلا حق له فيها ، و رأى الآخرون [أيضا - [1]] أن حقهم فيها ثابت لأنهم كانوا فيه للمقاتلين عدة[4] و ملجأ وراء ظهورهم ، كان ما أمرهم الله به من تسليم الحكم فى ذلك إلى الله و رسوله من باب حسم الذرائع لأن تمشية أغراضهم فى ذلك - و إن تعلق كل من الفريقين بحجة - مظنة لرئاسة[5] النفوس و استسهال اتباع الأهواء[6] . فأمرهم الله بالتنزه عن ذلك و التفويض لله و لرسوله فان ذلك أسلم [لهم - [1]] و[6] أوفى لدينهم[6] و أبقى فى إصلاح ذات البين و أجدى فى الاتباع " فاتقوا الله و اصلحوا ذات بينكم " - الآية ؛ ثم ذكروا بما ينبغى لهم أن يلتزموا فقال تعالى " انما المؤمنون - إلى قوله : زادتهم ايمانا " ثم نبهوا على أن أعراض الدنيا من نفل أو غيره لاينبغى للمؤمن أن يعتمد عليه اعتمادا يدخل عليه ضررا من الشرك [أو - [1]] التفاتا إلى غير الله سبحانه بقوله " و على ربهم يتوكلون " ثم ذكروا بما وصف به المتقين من الصلاة و الإنفاق ثم قال " اولئك هم المؤمنون حقا " تنبيها على أن من قصر عن هذه الأحوال و لم يأت بها على كمالها لم يخرج عن الإيمان و لكن ينزل عن درجة الكمال بحسب تقصيره ، و كان فى هذا إشعار[7] بعذرهم فى كلامهم فى الأنفال و أنهم قد كانوا فى مطلبهم على حالة من الصواب و شرب من

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل : فيه ، و فى ظ : فيه (٤) فى الأصل و ظ : وعدة - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : الرئاسة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : اشعارا .

التمسك و الاتباع ، لكن أعلى الدرجات ما بين لهم و منحوه ، و أنه الكمال و الفوز ، ثم نبههم سبحانه بكيفية أمرهم فى الخروج إلى بدر و ودهم أن غير ذات الشوكة تكون لهم و هو سبحانه يريهم حسن العاقبة فيما اختاره لهم ، فقد كانوا تمنوا لقاء العير ، و اختاروا ذلك على لقاء العدو و لم يعلموا ما وراء ذلك "و يريد الله ان يحق الحق بكلمته و يقطع دابر الكفرين" إلى ما قصه تعالى عليهم من اكتنافهم برحمته و شمول ألطافه و آلائه و بسط نفوسهم ، و نبههم [1]على ما[1] يثبت يقينهم و يزيد فى إيمانهم ، ثم أعلم أن الخير كله فى التقوى فقال "يا ايها الذين امنوا ان تتقوا / الله يجعل لكم فرقانا" - الآية ، و هذا الفرقان هو[2] الذى حرمه إبليس و بلعام ، فكان منهما ما تقدم من[3] اتباع الأهواء القاطعة لهم عن الرحمة ، و قد تضمنت الآية حصول خير الدنيا و الآخرة بنعمة الاتقاء[4] ، ثم أجمل الخيران معا فى قوله "و الله ذو الفضل العظيم" بعد تفصيل ما إليه إسراع[5] المؤمنين من الفرقان و التكفير و الغفران ، [و لم يقع التصريح بخيرى الدنيا الخاص بها مع اقتضاء الآية إياه[7] تنزيها للمؤمن فى مقام إعطاء الفرقان و تكفير السيئات و الغفران - [6]] من[8] ذكر متاع الدنيا التى هى لهو و لعب ، فلم يكن ذكر متاعها الفانى ليذكر مفصلا مع ما لا يجانسه و لا يشاكله "و ان الدار الآخرة لهى الحيوان" ثم التحمت الآى ؛ و وجه آخر و هو

/ ٤٠٩

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : عليها (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : فى (٤) من ظ ، و فى الأصل : الابقاء (٥) فى ظ : اسرع (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : اياها. (٨) فى ظ : عن .

أنه تعالى لما[1] قال " و اذا قرئ القرآن فاستمعوا [له -[2]] " بين لهم كيفية هذا الاستماع وما الذى يتصف به المؤمن من ضروبه فقال " انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله" - الآية، فهؤلاء لم يسمعوا بآذانهم فقط، و لا كانت لهم آذان لا يسمعون بها و لا قلوب لا يفقهون بها، و لو كانوا كذا[3] لما وجلت و عمهم الفزع و الخشية و زادتهم الآيات إيمانا، فاذن إنما يكون سماع المؤمن هكذا " و لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا و هم لا يسمعون " و لما كان هؤلاء إنما أتى عليهم من اتباع أهوائهم و الوقوف مع أغراضهم و شهواتهم " ياخذون عرض هذا الادنى "، " و لكنه اخلد الى الارض و اتبع هوىه " و هذه بعينها كانت آفة إبليس، رأى لنفسه المزيد و اعتقد لها الحق ثم اتبع هذا الهوى حين قال " لم اكن لاسجد[4] لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون " فلما كان اتباع الهوى[5] أصلا فى الضلال و تنكب[6] الصراط المستقيم، أمر المؤمنين بحسم باب الأهواء، و التسليم فيما لهم[7] [8]به تعلق[8] و إن لم يكن هوى مجردا لكنه مظنة تيسير لاتباع[9] الهوى، فافتتحت السورة بسؤالهم عن الأنفال و أخبروا أنها لله و رسوله، يحكم فيها ما يشاء " فاتقوا الله "، و احذروا الأهواء التى أهلكت من قص عليكم ذكره " و اصلحوا ذات بينكم " برفع التنازع، و سلموا لله و لرسوله، و إلا لم تكونوا سامعين و قد أمرتم أن تسمعوا السماع الذى

(١) من ظ، و فى الأصل : كما (٢) زيد من ظ و القرآن الكريم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و القرآن الكريم سورة ١٥ آية ٣٣، و فى الأصل : اسجد .
(٥) فى ظ : الاهوى (٦) فى ظ : تفكت (٧) من ظ، و فى الأصل : له (٨-٨) فى ظ : يعلن - كذا (٩) فى ظ : اتباع .

عنه ترجى الرحمة، و بيانه فى قوله " انما المؤمنون " ـ الآيات ؛ و وجه آخر و هو أن قصص بنى إسرائيل عقب بوصاة المؤمنين و خصوصا بالتقوى و على حسب ما يكون الغالب فيما يذكر من أمر بنى إسرائيل ، ففى البقرة أتبع قصصهم بقوله[1] " يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا و قولوا انظرنا [2]و اسمعوا[2] "، و لما كان قصصهم مفتتحا بذكر تفضيلهم " يـٰبنى اسراءيل ٥ اذكروا نعمتى التى انعمت عليكم و انى فضلتكم على العلمين[3] " افتتح خطاب هذه الأمة بما يشعر بتفضيلهم[4]، و تأمل ما بين "يـٰبنى اسراءيل" و " يا ايها الذين امنوا " و أمر أولئك بالإيمان " و امنوا بما انزلت[5] " و أمر هؤلاء بتعبد احتياطى فقيل " و قولوا انظرنا و اسمعوا " ثم أعقبت البقرة بآل عمران و افتتحت ببيان المحكم و المتشابه الذى من جهته أتى[6] على بنى إسرائيل فى[7] ١٠ كثير من مرتكباتهم، و لما ضمنت سورة آل عمران من ذكرهم [8]ما ورد[8] فيها، أعقبت بقوله تعالى " يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا الكتـٰب يردوكم بعد ايمانكم كـٰفرين[9] " ثم أعقبت السورة بقوله " يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة[10] " و عدل عن الخطاب باسم الإيمان للمناسبة، و ذلك أن سورة آل عمران خصت من مرتكبات ١٥ بنى إسرائيل بجرائم كقولهم فى الكفار " هؤلاء اهدى من الذين امنوا سبيلا[11] " فهذا بهت[12]، و منها قولهم " الله فقير و نحن اغنياء[13] " إلى

(١) آية ١٠٤ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) آية ٤٧ (٤) فى ظ : تفضيلهم (٥) آية ٤١ (٦) فى ظ : اوتى (٧) فى ظ « و » (٨ - ٨) من ظ ، و فى الأصل : و اذ (٩) آية ١٠٠ (١٠) سورة ٤ آية ١ (١١) سورة ٤ آية ٥١ . (١٢) فى ظ : بهت (١٣) سورة ٣ آية ١٨١ .

ما تخلل هاتين[1] من الآيات المنبئة عن تعمدهم الجرائم، فعدل عن "يا أيها الذين آمنوا" إلى "يا أيها الناس" ليكون أوقع فى الترتيب و أوضح مناسبة لما ذكر، و لما ضمنت سورة النساء قوله تعالى "فبظلم من الذين هادوا / حرمنا عليهم طيبت - إلى قوله: و اكلهم اموال الناس بالباطل[2]" /٤١٠ أتبعت بقوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود[3]" ثم ذكر لهم ما أحل لهم و حرم عليهم ليحذروا مما وقع فيه أولئك. فعلى هذا لما ضمنت سورة الأعراف من قصصهم جملة، و بين فيها اعتداءهم، و بناه على اتباع الأهواء و الهجوم على الأغراض، طلب هؤلاء باتقاء ذلك و البعد عما يشبهه جملة، فقيل فى آخر السورة ["ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطن تذكروا" ثم افتتحت السورة -[4]] الأخرى بصرفهم عما لهم به تعلق و إليه تشبث يقيم عذرهم شرعا فيما كان منهم، فكان قد قيل لهم: ترك هذا أسلم و أبعد عن اتباع الأهواء، فسلموا فى ذلك الحكم لله و رسوله و اتقوا الله، ثم تناسج السياق و التحمت الآى، و قد تبين وجه اتصال الأنفال بالأعراف من وجوه، و الحمد لله - انتهى.

و لما أخبر تعالى بما هو الحق من أن إرادتهم بل ودادتهم إنما كانت منصبة إلى العير لا إلى النفير، تبين أنه لا صنع لهم فيما وقع إذ لو كان لكان على ما أرادوا، فلا حظ لهم فى الغنيمة إلا ما[5] يقسمه الله لهم لأن الحكم لمراده لا لمراد غيره، فقال تعالى عاطفا على "و تودون": ﴿ و يريد الله ﴾ أى بما له من العز و العظمة و العلم ﴿ ان يحق الحق ﴾

(١) فى ظ: ما بين (٢) آية ١٦٠ و ١٦١ (٣) سورة ٥ آية ١ (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ.

أى يثبت فى عالم الشهادة الثابت عنده فى عالم الغيب، و هو هنا إصابة ذات الشوكة ﴿ بكلمته ﴾ أى التى أوحاها [إلى - ٤] نبيه صلى الله عليه و سلم أنهم يهزمون و يقتلون و يؤسرون، و أن هذا مصرع فلان و هذا مصرع فلان، ليعلى دينه و يظهر أمره على كل أمر ﴿ و يقطع دابر ﴾ أى آخر ﴿ الكفرين ﴾ أى كما يقطع أولهم، أى يستأصلهم بحيث ٥ لا يبقى منهم أحد يشاقق أهل حزبه فهو يدبر أمركم على ما يريد، فلذلك اختار لكم ذات الجد و الشوكة ليكون ما وعدكم به من إعلاء الدين و قمع المفسدين بقطع دابرهم ﴿ ليحق الحق ﴾ [أى - ١] الذى هو دينه القيم و فيه فوز الدارين ﴿ و يبطل الباطل ﴾ و هو كل ما خالفه ﴿ و لو كره ﴾ أى ذلك ﴿ المجرمون ﴾ أى الذين يقطعون ما أمر الله به[٢] أن يوصل ١٠ و يكسر قوتهم بضعفكم و يفنى كثرتهم بقلتكم و يمحق عزهم بذلتكم[٣] فيظهر علو أمره و يخضع الأعناق لذكره ﴿ اذ ﴾ ظرف "ليحق الحق" ﴿ تستغيثون ربكم ﴾ أى تطلبون إغاثة المحسن إليكم، و هو بدل من "اذ يعدكم" فهو من البيان لكراهتهم لقاء ذات الشوكة بشدة جزعهم الموجب لهم الاستغاثة مع إسفار العاقبة عن أن[٢] الخير فيما كرهوه، ١٥ و أنه أحق الحق و أظهر الدين و أوهن أمر المشركين.

و لما أسرع سبحانه الإجابة، دل على ذلك بقوله: ﴿ فاستجاب ﴾ أى فأوجد الإجابة إيجاد من هو طالب لها شديد[٤] الرغبة فيها ﴿ لكم ﴾ بغاية ما تريدون تثبيتا لقلوبكم ﴿ انى ﴾ أى بأنى ﴿ ممدكم ﴾ أى موجد

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: بذكركم (٤) فى ظ: شد.

المدد ﴿ لكم ﴾ أي بامدادكم ، و لعله حول العبارة لما في التصريح بضميره[1] من العظمة و البركة ﴿ بالف من الملئكة ﴾ حال كونهم ﴿ مردفين * ﴾ أي متبعين بأمثالهم .

و لما كانت نصرة المسلمين في هـــذه الغزوة ظاهرة جدا ، قال :

٥ ﴿ و ما جعله الله ﴾ أي الإمداد و الوعد به على ما له سبحانه من العظمة التي من راقبها لم يهب شيئا ﴿ الا بشرى ﴾ [أي -[2]] لتستبشر به نفوسكم ، و لم يحتج إلى تقييد بأن يقال : لكم ، و أما في قصة أحد فقد كان المقتول [3]منهم أكثر من المقتول[3] من الكفار فلو لا قوله ' لكم ' لربما طرق بعض الأوهام حين سماع أول الكلام أن الإمداد بشرى للكفار .

١٠ و لما كان الذي وقع الحكم به هنا على الإمداد أنه بشرى نفسه من غير قيد ، علم أن العناية به أشد ، فكان المحكوم به الطمأنينة كذلك ، فكان أصل الكلام : إلا بشرى هو و طمأنينة هو ، فلذلك وجب[4] تقديم ضميره في قوله ' به ' على القلوب تأكيدا لأمره و تفخيما لشأنه ، و إشارة إلى إتمامه على عادة العرب في تقديم ما هم به أعنى و هو عندهم أهم فقال : ﴿ و لتطمئن ﴾

١٥ أي و طمأنينة لتطمئن ﴿ به ﴾ أي وحده من غير نظر إلى شيء من قوتكم و لا غيرها ﴿ قلوبكم ج ﴾ فالآية من الاحتباك ، و أما في قصة أحد فلما قيدت البشرى / بالإمداد بلكم لما تقدم ، علم أن الطمأنينة كذلك ، فكان الأنسب تأخير ضميره و تقديم القلوب الملابسة لضميرهم موازنة لقوله ' لكم ' . /٤١١

(١) من ظ ، و في الأصل : بمضمره (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ .

و لما كان ذلك مفهما أن النصر ليس إلا بيده و أن شيئا من الإمداد أو[1] غيره لا يوجب النصر بذاته ، صرح به فى قوله : ﴿ و ما النصر ﴾ أى حاصلا و موجودا بالملائكة و غيرهم من الأسباب ﴿ الا من عند الله[2] ﴾ أى لأن له[2] وحده صفات الكمال ، فما عنده ليس منحصرا فى الإمداد بالملائكة ، فالنصر و إن كان بها فليس من عندها ، فلا تعتمدوا على وجودها و لا تهنوا ٥ بفقدها اعتمادا عليه سبحانه خاصة ، فان ما عنده من الأسباب لا يحاط به علما ، هذا إذا أراد النصر بالأسباب ، و إن أراد بغير ذلك فعل ، فكان التعبير بعند لإفهام[3] ذلك .

و لما كانت هذه الغزوة فى أول الأمر ، و كانوا بعد بروز الوعد الصادق لهم باحدى الطائفتين كارهين للقاء ذات الشوكة جدا ، ثم وقع لهم ١٠ ما وقع من النصر ؛ كان المقام مقتضيا لإثبات عزة الله و حكمته على سبيل التأكيد إعلاما بأن صفات الكمال ثابتة له دائما ، فهو ينصر من صبر و اتقى بعزته ، و يحكم أمره[4] على أتم وجه بحكمته ، هذا فعله دائما كما فعل فى هذه الغزوة فلذلك قال معللا لما[5] قبله مؤكدا : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ عزيز ﴾ أى هو فى غاية الامتناع و القهر لمن[6] يريد قهره أزلا و أبدا ، ١٥ لا يغالب و لا يحوج وليه إلى[2] زيادة العدد و لا نفاسة العُدد ﴿ حكيم ﴾ أى إذا قضى أمرا كان فى غاية الإتقان و الإحكام ، فلا يستطيع أحد نقص شىء منه ، هذا له دائما ، فهو يفعل فى نصركم هكذا[7] مهما استأنستم[8]

(١) فى ظ « و » (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الانهام (٤) من ظ ، و فى الأصل : امر (٥) من ظ ، و فى الأصل : كما (٦) من ظ ، و فى الأصل : بمن (٧) فى ظ : هذا (٨) من ظ ، و فى الأصل : استانسهم .

إلى بشراه و لم تنظروا إلى قوتكم و لا غيرها مما سواه، فلا تقلقوا[1] إذا أمركم بالهجوم على البأس[2] و لو كان فيه لقاء جميع الناس .

و لما أكد هنا، لم يحتج إلى إعادة تأكيده فى آل عمران فقيل "العزيز الحكيم[3]" أى الذى أخبركم عن عزته و حكمته فى غزوة بدر بما يليق بذلك المقام [من التأكيد، و أخبركم أنكم إن فاديتم الأسرى قتل منها فى العام المقبل -[4]] مثل عددهم، فوقوع[5] الأمر على ما قال مغن عن التأكيد، و لم يكن أحد[6] من المسلمين فى أحد مترددا فى اللقاء ولا هائبا له إلا ما وقع من الهم بالفشل من الطائفتين و العصمة منه فى الحال، و قد مضى فى آل عمران لهذا مزيد بيان .

و لما ذكر البشرى و الطمأنينة بالإمداد، ناسب أن يذكر لهم أنه أتبع القول الفعل فألقى فى قلوبهم بعزته و حكمته الطمأنينة و الأمن و السكينة بدليل النعاس الذى غشيهم فى موضع هو أبعد الأشياء عنه[7] و هو موطن الجلاد و مصاولة الأنداد و التيقظ لمخاتلة أهل العناد، وكذا المطر و أثره، فقال مبدلا أيضا من "اذ يعدكم" أو[8] معلقا بالنصر أو بما فى الظرف من رائحة الفعل مصورا لعزته و حكمته: ﴿اذ يغشٰكم﴾ بفتح حرف المضارعة فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو فالفاعل ﴿النعاس﴾ و ضم الباقون الياء،

(١) من ظ، و فى الأصل: فلا تغفلوا (٢) من ظ، و فى الأصل: الناس .
(٣) راجع آية ١٢٦ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: فوقع (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: عندهم (٨) فى ظ «و» .

و أسكن

و أسكن نافع الغين و فتحها الباقون و شددوا الشين المكسورة، فالفاعل فى القراءة الأولى مفعول هنا، و الفاعل ضمير يعود على الله .

و لما ذكر هذه التغشية الغريبة الخارقة للعوائد، ذكر ما فعلت لأجله فقال: ﴿ امنة ﴾ و لما كان ذلك خارقا للعادة، جاء الوصف بقوله: ﴿ منه ﴾ أى بحكمته لأنه [لا -[1]] ينام فى مثل تلك الحال إلا الآمن، و يمنع عنكم العدو و أنتم نائمون بعزته، و لم يختلف فاعل الفعل المعلل فى القراءات الثلاث لأن كون النعاس فاعلا مجاز، و يصح عندى نصبها[2] على الحال .

و لما كان النعاس آية / الموت، ذكر بعده آية الحياة فقال: ﴿ و ينزل عليكم ﴾ [و حقق كونه مطرا بقوله -[1]]: ﴿ من السمآء مآء ﴾ و وقع فى البيضاوى و أصله و كذا تفسير أبى حيان أن المشركين سبقوا إلى الماء و غلبوا عليه، و ليس كذلك بل الذى سبق إلى بدر و غلب على مائها المؤمنون كما ثبت فى صحيح مسلم و غيره، فيكون شرح القصة أنهم مطروا فى المنزل الذى ساروا منه إلى بدر فحصل للمسلمين منه ما ملأوا منه أسقيتهم فتطهروا[3] من حدث أو جنابة و لبد لهم الرمل و سهل عليهم المسير، و أصاب المشركين ما زلق[4] أرضهم حتى منعهم المسير، فكان ذلك سببا لسبق المسلمين لهم إلى المنزل و تمكينهم من بناء الحياض و تغوير[5]

/ ٤١٢

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: نصبه با - كذا (٣) من ظ، و فى الأصل: فيطهروا (٤) فى ظ: لزم (٥) من ظ، و فى الأصل: تقدير .

ما وراء الماء الذى نزلوا عليه من القلب كما هو مشهور فى السير ، و يكون رجز الشيطان وسوسته لهم بالقلة و الضعف و التخويف بكثرة العدو ، و الربط على القلوب طمأنينتهم و طيب نفوسهم بما أراهم من الكرامة كما يوضح ذلك جميعه قول ابن هشام "و ينزل عليكم من السماء" ماء للطر الذى أصابهم[1] تلك الليلة ، فحبس[2] المشركين أن يسبقوا إلى الماء و خلى سبيل المؤمنين إليه ﴿ ليطهركم به ﴾ أى من كل درن ، و ابتدأ من فوائد الماء بالتطهير لأنه المقرب من صفات الملائكة المقربين من حضرات القدس و عطف عليه - بقوله[3] : ﴿ و يذهب عنكم ﴾ أى لا عن غيركم ﴿ رجز الشيطن ﴾ بغير [4]لام - ما هو[4] لازم له ، و هو البعد الذى كان مع الحدث الذى منه الجنابة المقربة من الخبائث الشيطانية بضيق الصدر و الشك و الخوف لإبعادها من الحضرات الملائكة « لا تدخل الملائكة[5] بيتا فيه جنب » و الرجز يطلق على القذر و عبادة الأوثان و العذاب و الشرك ، فقد كان الشيطان وسوس لهم ، و لا شك أن وسوسته من أعظم القذر[6] فانها تجر من تمادى معها إلى كل ما ذكر ؛ ثم عطف عليه ما تهيأ له القلب من الحكم الإلهية و هو إفراغ السكينة فقال : ﴿ و ليربط ﴾ أى بالصبر و اليقين .

و لما كان ذلك ربطا محكما غالبا عاليا ، عبر فيه بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ على قلوبكم ﴾ أى بعد إسكانها الوثوق بلطفه عند كل ملمة[7] حتى

---

(١) من سيرة ابن هشام ٢/٣٥ ، و فى الأصل : اصابتم ، و فى ظ : اصابكم (٢) فى ظ : فحبسوا (٣) فى ظ : قوله (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : القذرة (٧) فى ظ : ملم .

امتلأت من كل[1] خير و ثبت فيها بالربط[2]، فشبهها بجراب[3] ملىء شيئا ثم ربط رأسه حتى لا يخرج من ذلك الذى فيه شىء ، و أعاد اللام إشارة إلى أنه المقصد الأعظم و ما قبله وسيلة إليه و عطف عليه بغير لام لازمه من[4] التثبيت فقال : ﴿ و يثبت به ﴾ أى بالربط أو بالمطر ﴿ الاقدام ﴾ أى لعدم الخوف فان الخائف لا تثبت قدمه فى المكان ٥ [الذى - ٥] يقف به ، بل تصير رجله تنتقل من غير اختياره ، أو بتلبيد الرمل .

و لما ذكر حكمة الإمداد و ما تبعه من الآثار المثبتة للقلوب و الأقدام ، ذكرما أمر به المدد من التثبيت بالقول و الفعل فقال : ﴿ اذ ﴾ بدلا ثالثا من " اذ يعدكم " أو ظرفا ليثبت ﴿ يوحى ربك ﴾ أى المحسن إليك بجميع ١٠ ذلك ﴿ الى الملئكة ﴾ و بين أن النصر منه لا من المدد بقوله : ﴿ انى معكم ﴾ أى و من كنت معه كان ظافرا[6] بجميع مأموله ﴿ فثبتوا ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ الذين امنوا ﴾ أى بأنواع التثبيت من تكثير سوادهم و تقوية قلوبهم و قتال أعدائهم و تقليلهم فى أعينهم و تحقير شأنهم ؛ ثم بين المعية بقوله : ﴿ سالقى ﴾ أى[7] بوعد لا خلف فيه ﴿ فى قلوب الذين كفروا ﴾ أى ١٥ أوجدوا الكفر ﴿ الرعب ﴾ فلا يكون[8] لهم ثبات ﴿ فاضربوا ﴾ [أى - ٥] أيها المؤمنون من الملائكة و البشر غير هائبين بسبب ذلك .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : ذلك (٢) فى ظ : الربط (٣) فى الأصل : بجرار ، و فى ظ : بجرابه - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : فى (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : ظاهرا (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : فلايكن .

و لما كان ضرب العنق و الرأس أوحى مهلك للانسان ، و كان العنق يستر فى الحرب غالبا ، عبر بقوله : ﴿ فوق الاعناق ﴾ أى الرؤس أو أعالى الأعناق منهم لأنها مفاصل و مذابح .

و لما كان إفساد الأصابع أنكى ما يكون بعد ذلك [1]لأنه يبطل

٤١٣ / ٥ / قتال المضروب أو كمال قتاله[1] ، قال : ﴿ و اضربوا منهم كل بنان ط ﴾ أى فانه لا مانع من ذلك لكونى معكم ؛ ثم علل تسليطهم عليهم[2] بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى التسليط العظيم ، و أخبر عنه بقوله : ﴿ بانهم ﴾ أى الذى تلبسوا الآن بالكفر و لو كانوا ممن يقضى بايمانه بعد ﴿ شآقوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا يطاق انتقامه ﴿ و رسوله ج ﴾ أى طلبوا أن يكونوا

١٠ بمخالفة الأوامر و النواهى فى شق غير الشق الذى فيه حزب الهدى[3] [فى مكر منهم و خداع ، و شاقوة باشتهار السيف جهرا - [3]] ، ثم [بين - [3]] ما لفاعل ذلك ، فقال عاطفا على ما تقديره : فمن شاق الله و رسوله فافعلوا به ذلك ، فانى فاعل به ما فعلت بهؤلاء ، و أظهر الإدغام فى المضارع[4] لأن القصة للعرب و أمرهم فى عداوتهم كان بعد الهجرة شديدا و مجاهرة[5] ،

١٥ و أدغم فى الماضى لأن ما مضى قبلها كان ما بين مساترة بالمماكرة و مجاهرة بالمقاهرة ، و عبر بالمضارع ندبا إلى التوبة بتقييد[6] الوعيد بالاستمرار ، و أدغم فى الحشر فى الموضعين[7] لأن القصة لليهود و أمرهم كان ضعيفا[8]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الادغام (٥) فى ظ : مهاجرة (٦) فى ظ : تقييد (٧) راجع آية ٤ (٨) فى ظ : ضعيف .

و مساترة فى مماكرة : ﴿ و من يشاقق الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا أمر لأحد معه [و يشاقه سرا أو جهرا -[1]] ﴿ و رسوله ﴾ بأن يكون فى شق غير الشق الذى يرضيانه ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ شديد العقاب ۝ ﴾ أى له هذه الصفة ، فليتوقع مشاققه عذابه ، [فالآية من الاحتباك : ذكر الفعل المدغم أولا دليل على حذف المظهر ثانيا ، و المظهر ثانيا على حذف المدغم أولا -[1]] . و [لما -[1]] ختم الآية ببيان السبب الموجب لإهانة الذين كفروا و بما له من الوصف العظيم ، أتبعه ما يقول لهم لبيان الحال[2] عند ذلك بقوله التفاتا إليهم لمزيد التبكيت و التوبيخ : ﴿ ذلكم ﴾ أى هو سبحانه بما له من هذا الوصف الهائل يذيق عدوه من عذابه ما لاطاقة لهم به و لا يدان ، فيصير لسان الحال مخاطبا لهم نيابة عن المقال : الأمر الذى حذرتكم منه الرسل و أتتكم به الكتب وكنتم تستهزئون به[3] أيها الكفرة هو هذا الأمر الشديد وقعه[4] البعيد على [من -[1]] ينزل[5] عليه دفعه قد دهمكم ، فما لكم لا تدافعونه[6] ! كلا و الله شغل كلًّا ما قابله[7] و لم يقدر أن يزاوله .

و لما كان ما وقع لهم فى وقعة بدر من القتل و الأسر و القهر يسيرا[8] جدا بالنسبة إلى ما لهم فى الآخرة ، سماه ذوقا لأنه يكون بالقليل ليعرف به حال الكثير فقال : ﴿ فذوقوه ﴾ أى باشروه قهرا مباشرة

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : بهم (٤) فى ظ : وقعة (٥) فى الأصل : يترك ، و فى ظ : يبرك - كذا (٦) فى ظ : تدفعونه (٧) فى ظ : قابله (٨) فى الأصل و ظ : يسير .

الذائق و اعلموا أنه بالنسبة إلى ما تستقبلونه كالمذوق بالنسبة إلى المذوق لأجله ﴿ و ان ﴾ أى و الأمر الذى أتتكم به الرسل و الكتب أن لكم مع هذا الذى ذقتموه فى الدنيا ، هكذا[1] كان الأصل و لكنه أظهر تعميما و تعليقا[2] بالوصف [فقال - [3]] : ﴿ للكٰفرين ﴾ أى على كفرهم
٥ و إن [4]لم يظهروا المشاققة[4] ﴿ عذاب النار ﴾ و هو مواقعكم و هو أكبر و سترون .

و لما قرر إهانتهم فى الدنيا و الآخرة بما حسر عليهم القلوب ، حسن أن يتبع ذلك نهى من ادعى الإيمان عن الفرار منهم و تهديد من نكص عنهم بعد هذا البيان و هو يدعى الإيمان فقال : ﴿ يٰأيها الذين اٰمنوآ ﴾ أى
١٠ بما أتاهم من [5]عند ربهم[5] ﴿ اذا لقيتم الذين كفروا ﴾ أى بآيات ربهم فشاققوه ، و عبر عن حال لقائهم بالمصدر مبالغة [فى التشبيه فقال - [3]] : ﴿ زحفا ﴾ أى حال كونهم زاحفين محاربين و هم من الكثرة بحيث لا يدرك من حركتهم - و إن كانت سريعة - إلا مثل الزحف ﴿ فلا تولوهم الادبار ﴾ أى هربا منهم و إن كنتم أقل منهم ﴿ و من يولهم ﴾ .
١٥ و لما كان الأغلب فى وقوع القتال النهار ، و كانت التولية مما لا يكون الظرف [[2] - معيارا له [6]] لأنها مما لا يمتد زمنه ، فالعصيان يقع بمجرد الالتفات بقصد الفرار ، و التمادى تكرير أمثال ، لا شرط فى صحة

(١) فى ظ : هذا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤ - ٤) فى ظ : لم يظهر المشاقة (٥ - ٥) فى ظ : ربكم (٦) فى ظ : لهم .

إطلاق الاسم، عبر باليوم[1]، و جرده عن « فى » ندبا إلى الكر / بعد الفر مع / ٤١٤
عدم الالتباس[2] ، فان الظرف لا يكون معيارا للفعل إلا إذا كان ممتد
الزمان كالصوم [فقال - [3]]: ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ[4] لقيتم على هذه الحالة
فى أىّ وقت [5] كان من[5] أوقات القتال من ليل [كان - [3]] أو نهار
﴿ دبره ﴾ أى يجعل ظهره إليهم لشىء من الأشياء تولية لا يريد الإقبال ٥
إلى القتال منها ﴿ الا ﴾ أى[6] حال كونه ﴿ متحرفا ﴾ أو[7] الحال التحرف،
و هو الزوال عن جهة الاستواء ﴿ لقتال ﴾ أى لا يتسهل[8] له إلا بذلك،
أو يخيل إلى عدوه أنه منهزم خداعا له ثم يكر عليه ﴿ او متحيزا ﴾ أى
متنقلا من حيز إلى آخر[9] و متنحيا ﴿ الى فئة ﴾ أى جماعة أخرى من
أهل حزبه هم أهل لأن يرجع إليهم ليستعين بهم[10] أو يعينهم . ١٠

و لما كان هذا محل توقع السامع للجواب و تفريغ ذهنه له، أجاب
رابطا بالفاء[11] إعلاما بأن الفعل المحدث[12] عنه سبب لهذا الجزاء فقال:
﴿ فقد باء ﴾ أى رجع ﴿ بغضب من الله ﴾ أى الحائز لجميع صفات الكمال
﴿ و ماوٰنه جهنم ﴾ أى تتجهمه[13] كما أنه هاب تجهم الكفار و لقاء الوجوه
العابسة بوجه كالح عابس ﴿ و بئس المصير ﴾ هذا إذا لم يزد الكفار عن ١٥

(١) من ظ، وفى الأصل : القوم (٢) من ظ ، وفى الأصل : الالباس (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : اذا (٥-٥) سقط مابين الرقمين من ظ (٦) سقط من ظ . (٧) زيد بعده فى ظ : الا (٨) فى ظ : لا يسهل (٩) فى ظ : حيز (١٠) من ظ ، وفى الأصل : لكم (١١) من ظ ، و فى الأصل : افا (١٢) فى ظ : المحذر (١٣) من ظ ، و فى الأصل : تتجهم .

الضِعف - كما سيأتى النص به .

و لما تقدم إليهم فى ذلك ، علله بتقرير عزته و حكمته ، و أن النصر ليس إلا من عنده ، فمن صح إيمانه لم يتوقف عن امتثال أوامره ، فقال مسببا عن تحريمه الفرار و إن كان العدو كثيرا ، تذكيرا بما صنع لهم فى ٥ بدر ، ليجريهم على مثل ذلك ، و منعا لهم من الإعجاب[1] بما كان على أيديهم فى ذلك اليوم من الخوارق : ﴿ فلم تقتلوهم ﴾ أى حل على المدبر الغضب لأنه قد تبين لكل مؤمن أنه تعالى لا يأمر أحدا إلا بما هو قادر سبحانه على تطويقه له ، فانه قد وضح مما يجرى على قوانين العوائد أنكم لم تقتلوا قتلى بدر و إن تعاطيتم أسباب قتلهم ، لأنكم لم تدخلوا قلوب ذلك ١٠ الجيش العظيم الرعب الذى كان سبب هزيمتهم التى كانت سبب قتل من قتلتم ، لضعفكم عن مقاومتهم فى العادة ، و فيه مع ذلك زجر لهم عن أن يقول أحد منهم على وجه الافتخار : قتلت [2]كذا و كذا[2] رجلا و فعلت[3] كذا ﴿ و لكن الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا يخرج شىء عن مراده ﴿ قتلهم ﴾ أى بأن هزمهم لكم لما رأوا الملائكة و امتلأت أعينهم من ١٥ التراب الذى رماهم به صلى الله عليه و سلم و قلوبهم جزعا حتى تمكنتم من قتلهم خرق عادة كان وعدكم بها ، فصدق مقاله و تمت أفعاله .

و لما رد ما باشروه إليه سبحانه ، أتبعه ما باشره نبيه صلى الله عليه و سلم دلالة على ذلك لأنه صلى الله عليه وسلم لما رأى قريشا مقبلة قال : اللهم ! هذه قريش قد أقبلت بخيلائها و فخرها تحادك و تكذب[4] رسولك ، فقال

---

(١) فى ظ : الاعجاز (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : كذلك (٣) فى ظ : قلت .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : يكذب .

جبرئيل عليه السلام: خذ قبضة من تراب فارمهم بها، ففعل فملأت[1] أعينهم فانهزموا فقال: ﴿ و ما رميت ﴾ أى يا سيد المؤمنين الرمل فى أعين الكفار ﴿ اذ رميت ﴾ أى أوقعت صورة قذفه من كفك، لأن هذا الأثر الذى وجد عن رميك خارق للعادة، فمن الواضح أنه ليس فعلك، و هذا هو الجواب عن كونه لم يقل: فلم تقتلوهم إذ قتلتموهم، لأن زهوق النفس عن الجراح[2] المثخن هو العادة، فهم الذين قتلوهم حين باشروا ضربهم، فلا يصح: فلم تقتلوهم حين قتلتموهم، و المنفى إنما هو السبب المتقدم على القتل الممكن من القتل، و هو تسكين قلوبهم الناشئ عند إقدامهم و إرعاب الكفار الناشئ عند ضعفهم و انهزامهم الممكن منهم، فالمنفى عنهم[3] / البداية / ٤١٥ و المنفى عنه صلى الله عليه و سلم الغاية، أو أن الملائكة عليهم السلام لما باشرت قتل بعضهم صح أن ينفى عنهم قتل المجموع مطلقا، [4]أو أنهم لما افتخر بعضهم[4] بقتل من قتل نفاه سبحانه عنهم مطلقا لأن مباشرتهم لقتل من قتل فى جنب ما أعد لهم من الأسباب و أيدهم به من الجنود عدم، و أما النبى صلى الله عليه و سلم فانه فعل ما أمر به من رمى الرمل و لم يعد فعله و لا ذكره، فأثبته سبحانه له مع نفى تأثيره عنه و إثباته لمن إليه ترجع[5] الأمور تأديبا منه سبحانه لهذه الأمة، أى لا ينظر أحد إلى شىء من طاعته، فانا قد نفينا هذا الفعل العظيم عن أكمل الخلق مع أنه عالم مقر[6] بأنه منا فليحذر الذى يرى له فعلا من عظيم سطواتنا، و لكن لينسب جميع أفعاله الحسنة إلى الله تعالى كما نسب الرمى إليه بقوله: ﴿ و لكن الله ﴾

(١) فى ظ: فامتلأت (٢) فى ظ: الجوارح (٣) فى ط: عنه (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: يرجع (٦) فى ظ: مقرر.

أى[1] الذى لا راد لأمره ﴿ رمى ج ﴾ لأنه الذى أوصل أثره بما كان هازما للكفار ، فعل ذلك كله ليبلى الكفار منه بأيدى[2] من أراد من عباده بلاء عاقبته سيئة ﴿ و ليبلى المؤمنين ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ﴿ منه ﴾ أى وحده ﴿ بلآء حسنا[1] ﴾ [أى - ٣] من النصر و الغنيمة و الأجر ،

٥ [و مادة بلاء يائية أو واوية بأىّ - [3]] ترتيب كان تدور على الخلطة[4] ، و تارة تكون مطلقة نحو أبلاه عذرا ، و تارة بكثرة و محاولة[5] و عناء و هو أغلب أحوال المادة ، و تارة تكون للامتحان و أخرى لغيره ، و ما أباليه بالة - أظنه من البال[6] الذى هو الخاطر فهو من بول لا بلو ، أجوف لا من ذوات الأربعة ، و معناه : ما أفاعله بالبال ، أى ما أكترث به فما أصرف

١٠ خاطرى إلى مخالطة أحواله حيث يصرف هو خاطره إلىّ ، أى ما أفكر فى أمره لهوانه علىّ ، و سيأتى بسط معانى المادة إن شاء الله تعالى فى سورة يوسف عليه السلام عند قوله تعالى " ما بال النسوة[7] " و هذه المادة معناها ضد الدعة ، لأن هذه يلزمها شغل الخاطر الذى عنه ينشأ التعب بمدافعة الملابس ، و الدعة يلزمها هدوء[8] السر و فراغ البال الذى هو منشأ الراحة ،

١٥ فمعنى الآية أنه تعالى فعل ذلك من الإمكان من إذلال الكفار ليخالطهم من شؤنه[9] ما يكون لهم فى مدافعته عاقبة سيئة ، و ليخالط المؤمنين من ذلك ما يكون لهم فى مزاولته عاقبة حسنة بل أحسن من الراحة ، لأنه يفضى بهم

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يدى (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : الخطة (٥) من ظ ، و فى الأصل : مجادلة (٦) فى ظ : البالى (٧) آية ٥٠ (٨) فى ظ : هدى (٩) فى الأصل : تسوته ، و فى ظ : سوونه .

إلى راحة دائمة ، و الدعة تفضى إلى تعب طويل - و الله موفق .

و لما ثبت بما مضى أن[1] له تعالى الأفعال العظيمة و البطشات الجسيمة . و دلت أقوال من قال من المؤمنين : إنا لم نتأهب للقاء ذات الشوكة ، على ضعف العزائم ؛ ختم الآية بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال ﴿ سميع ﴾ أى لأقوالكم من الاستعانة[2] فى المعونة على النصرة[3] و غيرها ﴿ عليم ۝ ﴾ أى بعزائمكم و إن لم تتكلموا بها ، فهو يجازى المؤمن على حسب إيمانه و الكافر على ما يبدى و يخفى من كفرانه ، الأمر ﴿ ذلكم ﴾ العظيم الشأن البعيد المتناول الذى أمركم فيه بأوامره و نهاكم به عن مناهيه و أبلاكم فيه البلاء الحسن ، و أراكم بأعينكم توهينه لهذه الطائفة التى قصدتكم و أنتم عندها أكلة جزور و عصفور بين يدى صقور ، و بين لكم من[4] علل ذلك و عجائب مقدوره ما لم يبق معه عذر لمؤمن ، فالزموا طاعته و سابقوا[5] فى طاعة رسوله و لا تنظروا فى عاقبة شىء / مما يأمر به ، فانه ما ينطق عن الهوى بل إنما يأمر عنا ، و نحن لم نأمر بشىء إلا بعد تدبيره على أحكم الوجوه و أتقنها ﴿ و ان ﴾ أى و الأمر أيضا أن ﴿ الله ﴾ أى الحاوى لجميع صفات العز و العظمة[6] ﴿ موهن ﴾ أى مضعف إضعافا شديدا ثابتا دائما أبدا ﴿ كيد الكفرين ۝ ﴾ أى الراسخين فى الكفر جميعهم ، فلا تهنوا فى ابتغاء القوم و إن نالكم قرح فانا نجعله[7] لكم تطهيرا و للكافرين تدميرا و العاقبة للتقوى ، فنطلعكم على عوراتهم و نلقى الرعب

/ ٤١٦

(١) فى ظ : انه (٢) فى ظ : إستعانة (٣) فى ظ : النصر (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : تسابقوا (٦) فى ظ : الكبر (٧) من ظ ، و فى الأصل : نجعل .

فى قلوبهم و تفرق كلمتهم و تنقض ما أبرموا .

و لما تضمن ذلك إيقاع الإهانة [1]بالكفار بهذه الوقعة ، و الوعد بالزامهم الإهانة[1] فيما يأتى ، كان ذلك مفصلا للالتفات إلى تهديدهم فى قالب استجلائهم و الاستهزاء بهم و تفخيم أمر المؤمنين فقال: ﴿ ان تستفتحوا ﴾ أى تسألوا الفتح أيها الكفار بعد هذا[2] اليوم كما استفتحتم فى هذه الوقعة عند أخذكم أستار الكعبة وقت خروجكم بقولكم: اللهم انصر أهدى الحزبين ، و أكرم الجندين ، و أعلى الفئتين ، و أفضل الدينين ، و وقت ترائى الجمعين ، بقول أبى جهل : اللهم أقطعنا للرحم و آتانا[3] بما لا يعلم فأحنه الغداة ، أتاكم الفتح كما أتاكم فى هذا اليوم ﴿فقد جآءكم﴾ أى فى هذا اليوم بنصر المؤمنين ﴿الفتح ج﴾ أى الذى استفتحتم له لأنهم أهدى الفئتين و أكرم الطائفتين ﴿ و ان تنتهوا ﴾ أى بعد هذا عن مثل هذه الأقوال و الأفعال المتضمنة للشك أو العناد ﴿ فهو خير لكم ج﴾ و قد رأيتم دلائل ذلك ﴿و ان تعودوا ﴾ أى إلى المغالبة لأنكم لم تنتهوا ﴿نعد ج﴾ أى إلى خذلانكم ﴿ و لن تغنى عنكم ﴾ أى أبدا ﴿ فئتكم ﴾ أى جماعتكم التى ترجعون إليها للاعتزاز[4] بها ﴿ شيئا ﴾ أى من الإغناء ﴿و لو كثرت لا﴾ لأن الله على الكافرين ﴿ و ان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿مع المؤمنين ع ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ، و اعلم عبر بالمستقبل فى الشرط و الماضى فى الجزاء

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : لا ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ و سيرة ابن هشام ٢/١٨ ، و فى الأصل : اماما - كذا. (٤) فى ظ : للاغترار .

إشارة إلى أنكم استفتحتم فى بدر و جاءكم من الفتح ما رأيتم ، فان كان أعجبكم فالزموه فى المستقبل ، فانى لا أجيئكم أبدا ما دمتم على حالكم إلا بما جئتكم[1] به يومئذ ، و الفتح يحتمل أن يكون بمعنى النصر فيكون تهكما بهم ، و أن يكون بمعنى القضاء .

و لما كان سبب ما أحله[2] بالكفار - من الإعراض عن إجابتهم فيما قصدوا من دعائهم و من خذلانهم فى هذه الوقعة و إيجاب مثل ذلك لهم أبدا - هو عصيانهم الرسول و توليهم عن قبول ما يسمعونه[3] منه من الروح ؛ حذر المؤمنين من مثل حالهم بالتمادى فى التنازع فى الغنيمة أو غيرها فقال : ﴿ يآيها الذين آمنوآ ﴾ أى ادعوا ذلك ﴿ اطيعوا الله ﴾ أى الذى له جميع العز و العظمة ﴿ و رسوله ﴾ تصديقا لدعواكم الإيمان .

و لما كانت طاعة الرسول هى[4] طاعة الله لأنه إنما يدعو إليه و إنما خلقه القرآن ، وحد الضمير فقال : ﴿ و لا تولوا عنه ﴾ أى عن الرسول[5] فى حال من الأحوال ، فى أمر من الأوامر من الجهاد و غيره ، من الغنائم و غيرها ، خف أو ثقل ، سهل أو صعب ﴿ و انتم ﴾ أى و الحال أنكم ﴿ تسمعون ﴾ أى لكم سمع لما يقوله ، أو و أنتم تصدقونه ، لأن ارتكاب شىء من ذلك يكذب دعوى الإيمان و ينطبق على أحوال الكفار ، و إلى ذلك إشارة بقوله : ﴿ و لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا ﴾ أى بآذاننا ﴿ و هم لا يسمعون ﴾ أى لا يستجيبون[6] فكأنهم لم يسمعوا ، لما انتفت

(١) فى ظ : اجيئكم (٢) فى ظ : حله (٣) فى ظ : يستمعونه (٤) فى ظ : من (٥) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) من ظ ، و فى الأصل : لا يستحسنون .

الثمرة عد المثمر عدما .

و لما كانت حال من هذا شأنه مشابهة لحال الأصم فى عدم السماع لعدم الانتفاع به ، و الأبكم فى عدم كلامه لعدم تكلمه بما ينفع ، و العادم للعقل فى عدم عقله لعدم انتفاعه به ، / قال معللا لهذا النهى معبرا بأنسب ٤١٧ / الأشياء لما وصفهم به : ﴿ ان شر الدوآب ﴾ اى التى تدب على وجه الأرض ، جعلهم من جنس الحشرات أو البهائم ثم جعلهم شرها .

و لما كان لهم من يفضلهم ، و كانت العبرة بما عنده[1] سبحانه ، قال تعالى : ﴿ عند الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال من إحاطة العلم و القدرة و غيرها ﴿ الصم البكم ﴾ أى الطرش الخرس طرشا و خرسا بالغين ﴿ الذين لا يعقلون ٥ ﴾ أى لا يتجدد[2] لهم عقل ، و من لم ينتفع بسماع الداعى كان كذلك[3] .

و لما كان ذلك ربما دعا السامع إلى أن يقول : ما للقادر لم[4] يقبل بمن هذا شأنه إلى الخير ؟ أجاب بأنه جبلهم من أول الأمر - و له أن يفعل فى ملكه و مُلكه ما يريد - جبلة عريقة فى الفساد ، و جعل[5] جواهرهم شريرة كجوهر العقرب [6]التى لا تقبل[6] التأديب بوجه ولا تمر بشىء إلا لسبته ، فعلم سبحانه أنه لا خير فيهم فتركهم على ما علم منهم ﴿ و لو علم الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ فيهم خيرا ﴾ أى قبولا للخير ﴿ لاسمعهم[7] ﴾ أى إسماعا هو الإسماع . و هو ما تعقبه الإجابة المستمرة .

---

(١) فى ظ : عند الله (٢) فى ظ : لا يجدد (٣) من ظ ، و فى الأصل : ذلك (٤) فى ظ : ان (٥) من ظ ، و فى الأصل : جبله (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل : الذى لا يقبل .

[و -[1]] لما كان علم الله تعالى محيطا، وجب أن يعلم كل ما كان حاصلا، فكان عدم[2] علمه بوجود الشيء من لوازم عدمه، فلا جرم كان التقدير هنا: [و -[1]] لكنه لم يعلم فيهم خيرا، بل علم أنه[3] لا خير فيهم فلم يسمعهم هذا الإسماع ﴿ ولو اسمعهم ﴾ وهم على هذه الحالة من عدم القابلية للخير إسماعا قسرهم[4] فيه على الإجابة ﴿ لتولوا ﴾ أى بعد إجابتهم ﴿ وهم معرضون ﴾ أى [ثابت إعراضهم -[1]] مرتدين على أعقابهم، ولم يستمروا على إجابتهم لما جبلوا عليه من ملاءمة الشر ومباعدة الخير، فلم يريدوا الإسلام وأهله بعد إقبالهم إلا وهنا، [وكما كان لأهل الردة الذين قتلوا مرتدين بعد أن كانوا دخلوا فى الإسلام خوفا من السيف ورغبة فى المال -[1]] وهو من وادى "ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه[5]"، فان[6] علم الله تعالى أربعة أقسام: جملة الموجودات، وجملة المعدومات، [وأن كل واحد من الموجودات لو كان معدوما كيف يكون حاله، وأن كل واحد من المعدومات -[1]] لو كان موجودا كيف[7] يكون حاله، والقسمان الأولان علم بالواقع، والآخران علم بالقدر، والآية من القسم الأخير، ولعمرى إنا دفعنا إلى زمان أغلب من فيه على قريب من هذا الأمر، أجرأ الناس على الباطل، وأثبتهم فى المصاولة فيه، وأوسعهم حيلا فى التوصل إليه، وأجبنهم عند الدعوة

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: علم (٣) فى ظ: ان (٤) من ظ، وفى الأصل: ضرهم (٥) سورة ٦ آية ٢٨ (٦) فى ظ: فانه (٧) من ظ، وفى الأصل: فكيف.

إلى الحق ، و أسرعهم نكوصا عند الإقدام بعد جهد عليه ، و ألكنهم عند الجدال له ، فصار[1] ما كان مقدرا مفروضا حاصلا[2] و موجودا ، و كلمة " لو " هنا يحتمل أن تكون[3] هى التى يعلق[4] بها أمر على آخر هو بضده أولى فيكون المراد أن المعلق - و هو الثانى - موجود دائما مثل قول عمر رضى الله عنه : نعم العبد صهيب رضى الله عنه ! لو لم يخف الله لم يعصه[5] ، فالمراد هنا على هذا أنهم إذا كانوا يتولون مع الإسماع و الإجابة ، فتوليهم مع عدمهما أولى - نبه على ذلك الرازى[6] ، و يحتمل أن تكون[7] على بابها من أن الجزءين بعدها منفيان ، و انتفاء التولى إنما يكون خيرا إذا نشأ عن الإسماع المترتب على علم الخير فيهم ، و أما عدمه لعدم إسماعهم الإسماع الموصوف لأنه لاخير فيهم [فليس - [8]] من الخير فى شىء بل هو شر محض ، التولى المنفى عنهم ليس هو الموجود منهم ، بل هو الناشئ عن الإسماع[9] الموصوف فلا يناقض ادعاؤه تحقق عنادهم و عدم انقيادهم ، و تحقيقه أن المنفى إنما هو زيادة التولى الناشئة عن الإسماع ، فالمعنى : و لو أسمعهم لزادوا إعراضا ، فالمنفى فى هذا السياق تلك الزيادة - و الله الموفق .

(١) من ظ ، و فى الأصل : و صار (٢) فى ظ : حاصل (٣) فى الأصل و ظ : يكون (٤) فى ظ : تعلق (٥) من ظ ، و فى الأصل : لم يقصده (٦) فى الأصلين : الرضى ، و الصواب ما أثبتناه فان هذا المبحث بتمامه قد ساقه أبوحيان فى بحره منسوبا إلى فخر الدين الرازى (٧) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٨) زيد من ظ . (٩) من ظ ، و فى الأصل : الاتباع .

و لما كان ما مضى من نكال الكافرين مسببا عن عدم الاستجابة، أمر المؤمنين بها تحذيرا من الكون مع الكفرة فى مثل حالهم فيحشروا معهم فى مآلهم فقال: ﴿ يآيها الذين امنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان بألسنتهم / ﴿ استجيبوا ﴾ أى صدقوا دعواكم ذلك بإيجاد الإجابة إيجاد من هو فى غاية الرغبة فيها ﴿ لله ﴾ أى و اجعلوا[1] إجابتكم هذه خاصة للذى له جميع صفات الكمال ﴿ و للرسول ﴾ الذى أرسله إلى جميع الخلق. /٤١٨

و لما كان صلى الله عليه و سلم يدعوهم لا محالة لأن الله تعالى أمره بدعائهم، [وكان لا يدعوهم -[2]] إلا إلى ما أمره[3] الله به، وكان سبحانه لايدعو إلا إلى صلاح و رشد؛ عبر بأداة التحقيق و وحد الضمير و شوق بأثمار الحياة فقال: ﴿ اذا دعاكم ﴾ أى الرسول بالندب و التحريض.

و لما كان اجتناء ثمرة الطاعة فى غاية القرب، نبه على ذلك باللام دون 'إلى' فقال: ﴿لما يحييكم ج﴾ أى ينقلكم[4] بعز الإيمان و العلم[4] عن حال[5] الكفرة من الصمم و البكم و عدم العقل الذى هو الموت المعنوى إلى الحياة المعنوية، و لا يعوقكم عن الاستجابة فى أمر من الأمور أن تقولوا: إنا استجبنا إلى الإيمان و كثير من شرائعه، فلو لا أن ربنا علم فينا الخير ما أسمعنا، فنحن ناجون؛ روى البخارى فى التفسير و غيره عن أبى سعيد بن المعلى رضى الله عنه قال: كنت أصلى فمر بى رسول الله صلى الله عليه و سلم فدعانى فلم آته حتى صليت ثم أتيته فقال: ما منعك أن تأتى؟ فقلت[6]: كنت أصلى، فقال: ألم يقل الله "يايها الذين امنوا استجيبوا" -

(١) من ظ، وفى الأصل: احدثوا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفى الأصل: امر (٤-٤) فى ظ: الحياة - كذا (٥) فى ظ: حالة (٦) فى ظ: فقال.

الآية ، ثم قال : لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قبل أن أخرج من المسجد ، فذهب رسول الله صلى الله عليه و سلم ليخرج فذكرت له فقال : هى " الحمد لله رب العلمين " هى السبع المثانى و القرآن العظيم الذى أوتيته . و للترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم خرج على أبى بن كعب رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا أبى ! [1]و هو يصلى ، فالتفت أبى[1] فلم يجبه و صلى أبى[2] فخفف ، ثم انصرف إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : السلام عليك يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و عليك السلام ، ما منعك يا أبى أن تجيبنى إذ دعوتك ، فقال : يا رسول الله ! إنى كنت فى الصلاة ، قال : فلم تجد فيما أوحى الله إلىّ أن " استجيبوا لله و للرسول اذا دعاكم لما يحييكم " قال : بلى ! و لا أعود إن شاء الله ! قال[3] : تحب أن أعلمك سورة لم ينزل[3] فى التوراة و لا فى الإنجيل و لا فى الزبور و لا فى الفرقان مثلها ؟ قال : نعم ، يا رسول الله ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تقرأ فى الصلاة ؟ قال : فقرأ أم القرآن ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و الذى نفسى بيده ! ما أنزلت فى التوراة و لا فى الإنجيل و لا فى الزبور و لا فى الفرقان مثلها ، و إنها سبع من المثانى و القرآن العظيم الذى أعطيته ـ هذا حديث حسن صحيح .

و لما كان الإنسان إذا كان على حالة يستبعد جدا أن يصبر[4] على

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لم تنزل (٤) فى ظ : يصير .

غيرها ، قال تعالى مرغبا مرهبا : ﴿ و اعلموآ ان الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة[1] ﴿ يحول ﴾ أى بشمول علمه و كمال قدرته ﴿ بين المرء و قلبه ﴾ فيرده إلى ما علم منه فيصير فيما كشفه الحال كافرا معاندا بعد أن كان فى ظاهر الحال مؤمنا مستسلما فيكون ممن علم الله أنه[2] لا خير فيه و قسره على الإجابة فلم يستمر عليها ، و يرد الكافر بعد عناده[3] إلى الإيمان بغاية ما يرى من سهولة قياده ، فكنى سبحانه بشدة[4] القرب اللازم للحيلولة عن شدة الاقتدار على تبديل العزائم / و المرادات ، و هو تحريض على المبادرة إلى اتباع الرسول صلى الله عليه و سلم ما دامت القلوب مقبلة على ذلك خوفا من تغييرها[5] . ٤١٩ /

و لما خوفهم عاقبة الحال ، حذرهم شأن المآل فقال : ﴿ و انهٓ ﴾ أى و اعلموا أنه تعالى ﴿ اليه تحشرون ۝ ﴾ لا إلى غيره ، فيحشر المستجيبين فى زمرة المؤمنين ، و المعرضين فى عداد الكافرين و إن أبوا حكما واحدا ، لأن الدين لا يتجزأ ، و قد علم أن ' اذا ' ليست قيدا و إنما هى تنبيه على وجوب اتباعه فى[6] كل ما يدعو إليه لعصمته ، و حكمة الإتيان بها الإعلام بأنه ما ترك خيرا إلا دعا إليه ؛ قال الحرالى فى أواخر كتاب[7] له فى أصول الفقه : و لما ـ أى العصمة ـ معنيان : أحدهما عصمة الحفظ ، و هو معنى ينشأ من التزام الحكم عليه بماضى شرعته ، و هى العصمة العامة للأنبياء ، و فى هذه الرتبة يقع الكلام فى الحفظ من الصغائر بعد

(١) فى ظ : العظيم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : عبادة (٤) فى ظ : بزيادة (٥) فى ظ : تغييره (٦) فى ظ : من (٧) من ظ ، و فى الأصل : كتابه .

الاتفاق على الحفظ عما يخل بالتبليغ و يحط الرتبة من الكبائر، و حقيقة الصغائر مقدمات الذنوب التى لم تتم ، فيكون تمامها كبيرتها ، و على[1] ذلك بنى قوم احتمال وقوع الفعل محظورا من نبى ، وكل ذلك - و إن كان من أحوال أنبياء - فان المتحقق[2] من أمر النبى صلى الله عليه و سلم إنما هو علو عن هذا المحل ؛ المعنى الثانى من العصمة رفع الحكم عن النبى صلى الله عليه و سلم بما حفظه الحافظ من ماضى ظاهر شرعته و بما بلغ إليه فهمه من مبادئ التنشؤ من سننه ، و اتخاذ فعله مبدأ للأحكام فى فى كل آن من غير التفات لما تقرر فى[3] ماضى الزمان ، و هذه هى العصمة الخاصة بالنبى صلى الله عليه و سلم الجامع ، فلا يكون لفعله حكم إلا ما يفهمه إنباؤه عن حال وقوعه ، و يكون الأحكام تبعا لفعله ، [4]لا أن[4] فعله يتبع حكما ، فهذا وجه عصمته الخاصة الممتنع عليها جواز الخروج عنها ، فمن كان[5] يسبق إليه من أكابر الصحابة نحو من هذا المعنى لا يتوقف فى شىء من أمره كالصديق رضى الله عنه و كما كان عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى اقتدائه حتى فى إدارة راحلته و صبغه بالصفرة و لبسه النعال السبتية و نحو ذلك من أمره و أمر من حذا منهم هذا الحذو ، و من كان يتوهم الحكم عليه بمقتضى علمه و فهمه من أمر شرعته لا يكاد يسلم من وقوع فى أمر يرد عليه انتحاله كما حكم أبى رضى الله عنه لما كان يصلى بامضاء عمل الصلاة إذ دعاه حتى بين له قصور فهمه عن الله

(١) من ظ ، و فى الأصل : عن (٢) فى ظ : المحقق (٣) من ظ ، و فى الأصل : من (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : لان (٥) سقط من ظ .

فى

فى حقه أى بقوله : ألم تسمع الله يقول "استجيبوا لله و للرسول" وكالذى[1] قال : انزل فاجدع لنا ، فقال[2] : إن[3] عليك نهارا ، فقال له فى الثالثة أو الرابعة : انزل فاجدع لنا ويلك أو ويحك ! فاذا وضح أن فعله مبدأ الحكم و معلم الإنباء لزم صحة التأسى[4] به فى جميع أحواله ، إما على بيان من تعين رتبة الحكم من وجوب أو ندب أو أباحة ، أو على مطلق التأسى ٥ مع[5] إبهام رتبة الحكم و الاتكال على ما عنده هو صلى الله عليه و سلم من العلم ، فنية التأسى به على إبهام فى الحكم ربما كان أتم من العمل[6] بما تبين حكمه ، أحرم على رضى الله عنه و هو باليمن ، توجه إلى مكة باحرام رسول الله صلى الله عليه و سلم و لا يتطرق لشىء من أمره صلى الله عليه و سلم بما وقع من كونه يفتى بأمر ثم يوافق فى غيره ، لأن الآخذ ١٠ فى ذلك عن قصور فى العلم بمكانته من علم رحمانية الله وكلمته و تنزيله إلى موافقة أمر سنة الله و حكمته نحو الذى أفتاه بتكفير الجهاد كل ذنب بناء على علمه برحمانية الله و إمضاء كلمته ، ثم ذكر له ما قال جبرئيل عليه السلام من استثناء الدين مما أنزل على حكم أمر الله فى محكم شرعته و سنته ، يعنى - و الله أعلم - أن من صح جهاده تكفر كل ذنوبه ، ١٥ و أن توقف الدين على إرضاء[7] الله لخصمه ، فالإخبار بالكفارة ناظر إلى المآل ، و الإخبار بنفيها ناظر[8] إلى الابتداء ، و كذلك أفتى بترك / التلقيح ٤٢٠ / بناء على إنفاذ كلمة الله ، و ردهم إلى عادة دنياهم حين لم يتجشموا الصبر

(١) فى ظ : للذى (٢) فى ظ : قال (٣) من ظ ، و فى الأصل « و » (٤) فى ظ : التانى (٥) من ظ ، و فى الأصل : من (٦) فى ظ : العلم (٧) فى ظ : رضى . (٨) سقط من ظ .

إلى ظهور كلمة الله على مستمر عادته ، فقد[١] عمل بأول[٢] فتياه غير واحد
ممن لم يسترب[٣] فى نفاذ حكمه و صحته فأخفق ثمرات ثلاث سنين ثم عاد
- فى غنى عن التلقيح - إلى أحسن من حاله فى متقدم عادته ، و لا يتقاصر
عن إدراك ذلك من أمره فى كل نازلة من[٤] نحوه إلا من لم يسم[٥] به
٥ التأييد إلى معرفة حظ من مكانته ، فاذا وضح ذلك فكل فعل فعله
رسول الله صلى الله عليه و سلم فان كان[٦] بيانا لواجب فهو منج من
عقاب الله ، و إن كان تعليما لقربى من الله فهو وصلة إلى محبة الله كما قال
تعالى "قل[٦] ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله[٧]" و إن لم يتضح له
مجمل[٨] منهما تأسى بها على إبهام يغنيه عمله[٩] و تعلو به نيته ، و ما كان مختصا به
١٠ فلابد من إظهار أمر اختصاصه بخطاب من الله سبحانه أو منه عليه السلام
كما قال تعالى " خالصة لك من دون المؤمنين[١٠] " - انتهى .

و لما كان المجيب ربما قال : ليس علىّ إلا الإجابة فى خاصة نفسى ،
و ليس علىّ تعريض نفسى للأذى بالأخذ على يد غيرى ، نبه سبحانه
على أن ذلك منابذة[١١] للدين و اجتثاث[١٢] له من أصله ، لأن ترك العاصى
١٥ على عصيانه كترك الكافر على كفرانه ، و ذلك موجب لعموم البلاء
و مزيد القضاء فقال تعالى : ﴿ و اتقوا فتنة ﴾ أى بلاء مميلا محيلا إن
لا تتقوه يعمكم ، هكذا كان الأصل ، لكن لما كان نهى الفتنة على إصابتهم

(١) فى ظ : و قد (٢) فى ظ : باولى (٣) من الاسترابة ، و وقع فى الأصل :
لم يسرب ، و التصحيح من ظ (٤) فى ظ : فى (٥) فى ظ : لم يتم (٦) سقط من
ظ (٧) سورة ٣ آية ٣١ (٨) فى ظ : محل (٩) فى ظ : علمه (١٠) سورة ٣٣ آية ٥٠
(١١) فى الأصل و ظ : منابذ (١٢) من ظ ، و فى الأصل : احساب .

أروع من سوق ذلك مساق الشرط و من نهيهم عن التعرض لها لما فيه[1] من تصوير حضورها و فهمها للنهى أتى به ، و لما كان نهيها عن تخصيص الظالم أشد روعة لإفهامه ، أمرها بأن تعم ؛ قال مجيبا للأمر : ﴿ لا تصيبن ﴾ و لحقه نون التأكيد لأن فيه معنى النهى ﴿ الذين ظلموا ﴾ أى فعلوا بموافقة المعصية ما[2] لا يفعله إلا من لا نور له ﴿ منكم ﴾ أيها المأمورون ٥ بالتقوى ﴿ خآصة ج ﴾ أى بل تعمكم ، فهو نهى للفتنة و المراد نهى مباشرتها ، أى لا يفعل أحد منكم الذنب يصبكم أثره عموما أو لا يباشر أسباب العذاب بعضكم و البعض الآخر مقر له يعمكم الله به ، و ذلك مثل : لا أرينك ههنا ، و المعنى فكن ههنا فأراك ، فالتقدير[3] : و اجعلوا بينكم و بين البلاء العام وقاية باصلاح ذات بينكم و اجتماع كلمتكم على أمر الله و رد من خالف ١٠ إلى أمر الله و لا تختلفوا [كما اختلفتم - [4]] فى أمر الغنيمة فتفشلوا فيسلط عليكم عذاب عام من أعدائكم أو غيرهم ، فان كان الطائع منكم أقوى من العاصى أو ليس أضعف منه فلم يرده فقد اشترك الكل فى الظلم ، ذلك بفعله و هذا برضاه ، فيكون العذاب عذاب انتقام للجميع ؛ روى أصحاب السنن الأربعة و حسنه الترمذى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه ١٥ قال فى خطبة خطبها : أيها الناس ! إنكم تقرأون هذه الآية و تأولونها على خلاف تأويلها " يٰأيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم[5] " إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : ما من قوم

(١) من ظ ، و فى الأصل : فيها (٢) فى ظ : من (٣) فى ظ : و التقدير (٤) زيد من ظ (٥) سورة ٥ آية ١٠٥ .

عملوا بالمعاصي و فيهم من يقدر أن ينكر عليهم فلم يفعل إلا يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده ؛ و للترمذي و حسنه عن حذيفة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و الذي نفسي بيده ! لتأمرن بالمعروف و لتنهون[1] عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم ؛ و للامام أحمد عنه رضي الله عنه أنه قال : لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر و لتحاضن على الخير أو ليسحتنكم[2] الله جميعا بعذاب أو ليؤمرن[3] الله[4] عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم[5] . و هو في حكم المرفوع لأنه لا يقال من قبل الرأي ، / فان كان الطائع أضعف من العاصي نزل على ما روى أبو داود و الترمذي - / ٤٢١
و حسنه - و ابن ماجه عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه أنه قيل له[6] : كيف تقول في هذه الآية " عليكم انفسكم[7] " فقال : أما و الله لقد سألت عنها رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : بل ائتمروا بالمعروف و تناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا و هوى متبعا و دنيا مؤثرة و إعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك و دع عنك أمر العوام ، فان من ورائكم أيام الصبر ، الصبر فيهن مثل قبض على الجمر ، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله ، قال : يا رسول الله ! أجر خمسين رجلا منهم ؟ قال : أجر خمسين منكم . و الأحاديث في مثله كثيرة[8] ،

(١) في ظ : لتنهن (٢) من مسند الإمام أحمد ٥/ ٣٩٠ ، و في الأصل : لسمتكم ، و في ظ : ليستحقنكم - كذا (٣) من ظ و المسند ، و في الأصل : ليامرن (٤) ليس في المسند (٥) من ظ و المسند ، و في الأصل : لهم (٦) سقط من ظ (٧) سورة ٥ آية ١٠٥ (٨) في ظ : كثير .

و حينئذ يكون العذاب للعاصى نقمة و للطائع رحمة و يبعثون على نياتهم .

و لما حذرهم سبحانه عموم البلاء ، أتبعه الإعلام بأنه قادر مربوب ليلزموا سبيل الاستقامة فقال : ﴿ و اعلموآ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات العظمة ﴿ شديد العقاب ۝ ﴾ .

و لما كان من أشد العقاب الإذلال ، حذرهموه[1] بالتذكير بما كانوا فيه من الذل ، لأنه أبعث على الشكر و أزجر عن الكفر فقال : ﴿ و اذكروآ ﴾ و ذكر المفعول به فقال : ﴿ اذ انتم ﴾ أى فى[2] أوائل الإسلام ﴿ قليل ﴾ أى عددكم .

و لما كان وجود مطلق الاستضعاف[3] دالا على غاية الضعف[4] ، بنى للفعول [قوله-[5]] : ﴿ مستضعفون ﴾ أى لا منفذ عندكم ﴿ فى الارض ﴾ أطلقها و المراد مكة ، لأنها لعظمها كأنها هى الأرض كلها ، و لأن حالهم كان فى بقية البلاد كحالهم فيها أو قريبا من ذلك ، و لذلك عبر بالناس فى قوله : ﴿ تخافون ﴾ أى فى[6] حال اجتماعكم فكيف عند الانفراد ﴿ ان يتخطفكم ﴾ أى على سبيل التدريج ﴿ الناس ﴾ أى كما تتخطف[7] الجوارح الصيود ، فحذرهم سبحانه - بالتنبيه على أنه قادر على أن يعيدهم إلى ما كانوا عليه - من هذه الأحوال بالمخالفة بين كلمتهم و ترك التسبب إلى اجتماعها بالأمر بالمعروف [و -[5]] النهى عن المنكر ، و فى ذلك

(١) من ظ ، و فى الأصل : حذرتموه (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) فى ظ : الاستعطاف (٤) فى ظ : العطف (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : يتخطف .

أيضا إشارة إلى أنهم لما كانوا فى تلك الحالة التى هى فى غاية الضعف، وكانت كلمتهم مجتمعة على أمر الله الذى هو توحيده و طاعة رسوله، أعقبهم الإيواء فى دار منيعة، قد أيدهم بالنصر و أحسن رزقهم، و ذلك معنى قوله تعالى مسببا عما قبله: ﴿ فآوٰكم ﴾ أى فى دار الهجرة رحمة لكم ٥ ﴿ و ايدكم بنصره ﴾ أى بأهلها مع الملائكة ﴿ و رزقكم من الطيبٰت ﴾ أى الغنائم الكاملة الطيبة بالإحلال و عدم المنازع التى لم تحل لأحد قبلكم و غيرها ﴿ لعلكم تشكرون ۝ ﴾ أى ليكون[1] حالكم حال من يرجى شكره، فيكون بعيدا عن المنازعة فى الأنفال، و ذلك إشارة إلى أنهم مهما استمروا على تلك الحالة، كان - باقبالهم على مثل ما أتاهم به و زادهم من فضله - ١٠ أن جعلهم سادة فى الدارين بما يهب لهم من الفرقان الآتى فى الآية بعدها و التوفيق عند إتيانه[2]، فالآية منصبة إلى الصحابة بالقصد الأول و هى صالحة للعرب كافة فتنصرف[3] إليهم بالقصد الثانى؛ قال قتادة: كان هذا الحى من العرب أذل الناس و أشقاهم عيشا و أجوعهم بطنا و أعراهم جلدا و أبينهم ضلالا، من عاش منهم عاش شقيا و من مات ١٥ منهم تردى فى النار معكوفين على رأس الحجرين الشديدين: فارس و الروم، يؤكلون و لا يأكلون، و ما فى بلادهم شىء عليه[4] يحسدون حتى جاء الله بالإسلام، فمكن لهم من البلاد و وسع لهم فى الرزق و الغنائم و جعلهم ملوكا على رقاب[5] الناس، و بالإسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا الله على

(١) فى ظ: لتكون (٢) فى ظ: انتهايه (٣) من ظ، و فى الأصل: فينصرف.
(٤) من ظ، و فى الأصل: على (٥) من ظ، و فى الأصل: اقارب.

نعمه ، فان ربكم يحب شكره و الشاكر[1] فى مزيد من الله تعالى[2] .

و لما ختم الآية / بما هو فى غاية النصيحة منه تعالى لهم من الإيواء / ٤٢٢
و النصر و الرزق الطيب المشار به إلى الامتنان باحلال المغنم ، و ختم ذلك بالحث على الشكر ؛ نهانا عن تضييع الشكر فى ذلك بالخيانة فى أوامره بالغلول أو غيره فقال : ﴿ يآيها الذين آمنوا ﴾ تذكيرا بما ألزموا به أنفسهم ٥ من الوفاء ﴿ لا تخونوا الله ﴾ أى تنقصوا من حقوق الملك الأعظم ، فان أصل الخون النقص ثم استعمل فى ضد الأمانة و الوفاء فصارت نقصا خاصا ﴿ و الرسول ﴾ بغلول و لا غيره ، بل أدوا الأمانة فى جميع ذلك ، و لعله كرر العامل فى قوله : ﴿ و تخونوآ أمنتكم ﴾ من الفرائض و الحدود و النوافل و غيرها إشارة إلى أن الخيانتين مختلفتان[3] ، فخيانتهم لله ١٠ حقيقة ، و خيانتهم للأمانة استعارة ، لأن حاملها لما أخل بها كان كأنه خانها ؛ و خفف عنهم بقوله : ﴿ و انتم تعلمون ﴾ حال الغفلة و نحوها ، و يجوز أن يكون المفعول غير مراد فيكون المعنى : و أنتم علماء ، و يكون ذلك مبالغة فى النهى عنها بأنهم جديرون بأن لا يقبل منهم عذر بجهل و لا نسيان لأنهم علماء ، و العالم هو العارف بالله ، و العارف به لا ينبغى ١٥ أن ينفك عن المراقبة .

و لما كان سبب الخيانة غالبا محبة المال أو الولد ، وكان سبب التقاول المسبب عنه إنزال هذه السورة - كما سلف بيانه أولها - الأموال من

(١) من ظ ، و فى الأصل : الثنا له - كذا (٢) و هذا الأثر قد رواه الطبرى بغاية اختلاف عما هنا (٣) من ظ ، و فى الأصل : مختلفان .

الأنفال ، وكان من أعظم الخيانة فى الأنفال الغلول ، وكان الحامل على الغلول المحنة بحب جمع[1] المال إما استلذاذا به أو لإنفاقه على محبوب ، وكان الولد أعز محبوب ؛ حسن كل الحسن إيلاء ذلك قوله : ﴿ واعلموا ﴾ وهى كلمة ينبه بها السامع على أن ما بعدها مهم جدا ﴿ انما اموالكم ﴾ ٥ قلّت أو جلّت هانت أو عزّت ﴿ واولادكم ﴾ كذلك ﴿ فتنة ﴾ أى سببها ، يفعل الله بها فعل المختبر لينكشف للعباد من يغتر بالعاجل الفانى ممن تسمو نفسه عن ذلك ، فلا يحملنكم ذلك على مخالفة أمر[2] الله فتهلكوا ﴿ وان الله ﴾ أى المحيط بكل كمال ﴿ عنده اجر عظيم ﴾ عاجلا وآجلا لمن وقف عند حدوده ، فيحفظ له ماله ويثمره[3] ١٠ أولاده ويبارك له فيهم[4] مع ما يدخر له فى دار السعادة ، وعنده عذاب أليم لمن ضيعها ، فأقبلوا بجميع هممكم[5] إليه تسعدوا ، وزاد وضعها هنا حسنا سببُ نزول التى قبلها من قصة أبى لبابة رضى الله عنه الحامل عليها ماله وولده ، وكانت قصته فى قريظة سنة خمس وغزوة بدر فى السنة الثانية .

١٥ ولما ذكرهم ما كانوا عليه قبل الهجرة من الضعف ، وامتن عليهم بما أعزهم به ، وختم هذه بالتحذير من الأموال والأولاد الموقعة فى الردى ، وبتعظيم ما عنده الحامل على الرجاء ، تلاها بالأمر بالتقوى الناهية عن الهوى[3] بالإشارة إلى الخوف من سطواته إشارة إلى أنه يجب الجمع

---

(١) فى ظ : جميع (٢) سقط من ظ (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى ظ : فيه (٥) من ظ ، وفى الأصل : همكم .

بينهما ، و [1] بين تعالى أنه يتسبب عنه الأمن من غيره فى الأولى و النجاة من عذابه فى الأخرى فقال تعالى : ﴿ يآ ايها الذين امنوا ﴾ تكريرا [2] لهذا الوصف تذكيرا بما [3] يلزم بادعائه ﴿ ان تتقوا الله ﴾ باصلاح ذات بينكم ، و ذلك جامع لأمر الدين كله ﴿ يجعل لكم فرقانا ﴾ أى نصرا ، لأن مادة ' فرق ' ترجع إلى الفصل ، فكأن الشىء إذا كان متصلا كان كل ٥ جزء منه مقهورا على ملازمة صاحبه ، فاذا جعل له قوة الفرق قدر على الاتصال و الانفصال ، فحقيقته : يجعل لكم عزا تصيرون به بحيث تفترقون ممن أردتم متى أردتم و تتصلون / بمن أردتم متى أردتم لما عندكم من ٤٢٣/ عزة الممانعة ، و تفرقون [4] بين من أردتم متى أردتم لما لديكم من قوة المدافعة ، أى يجعل لكم ما يصير لكم به قوة التصرف فيما تريدون من الفصل ١٠ و الوصل الذى هو وظيفة السادة المرجوع إلى قولهم عند التنازع ، لا كما كنتم فى مكة ، لا تأمنون فى المقام و لا تقدرون على الكلام - فضلا عن الخصام - إلا على تهيب شديد ، و مع ذلك فلا يؤثر كلامكم أثرا يسمى به فارقا ، و الفاروق من الناس الذى يفرق بين الأمور و يفصلها ، و به سمى عمر رضى الله عنه لأنه [5] أظهر الإسلام بمكة إظهارا فيه عز و قوة ، ١٥ جعل فيه الإيمان مفارقا للكفر لا يخافه ، و فرق - بالكسر بمعنى خاف - يرجع إلى ما دارت عليه المادة ، فان المراد [به - [6]] : تفرقت همومه من اتساع الخوف ، و الفرق الذى هو المكيال الكبير كأنه هو الفارق بين الغنى و الفقير ، قال الهروى : هو اثنا [7] عشر مدا ، و أفرق من علته -

(١) من ظ ، و فى الأصل : اذ (٢) فى ظ : تكرير (٣) فى ظ : لما (٤) فى ظ : تفترقون (٥) فى ظ : لان (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : اثنى .

إذا برئ ، أى صارت له حالة فرقت بين صحته و مرضه الذى كان به ، و منه الفريقة و هى تمر و حلبة[1] يطبخ للنفساء ؛ و قرفت الشيء - بتقديم القاف : قشرته ، و القرف[2]: الخلط ، كأنه من الإزالة ، لأنهم قالوا : إن 'فعل' يدخل فى كل باب ، و منه : قرف[3] الشيء و اقترفه : اكتسبه ، و الاقتراف بمعنى الجماع ، و يمكن أن يرجع إلى الوعاء لأن القرف[4] الوعاء ، لأنه يفصل مظروفه عن[5] غيره ، و فلان قرفتى ، أى موضع ظنى منه كأنه صار وعاء لذلك ، و فرس مقرف ، [أى -[6]] بيّن القرفة ، أى هجين لأنه واضح التميز[7] من العربى ، و قرف بسوء : رمى به ، أى جعل وعاء له أو فرق همومه ؛ و القفر - بتقديم القاف : المكان [الخالى لانفصاله من الناس ، و أقفر المكان -[6]] : خلا ، و أقفر الرجل [8]من أهله[8]: انفرد عنهم ، و قفر[9] [الطعام -[10]] : خلا من الأدم ، و رجل قفر الرأس : لا شعر عليه لانفصاله عنه ، و قفر الجسد : لا لحم عليه ، و القفار : الطعام لا أدم له ، و اقتفرت الأثر : اتبعته لتفصله من غيره ؛ و الفقرة - بتقديم الفاء - و الفقار : ما تنضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب[11] لتميز كل واحدة عن أختها ، و فقرت الأرض فقرا : حفرتها حفرا ،

(١) فى ظ : حلبا (٢) فى ظ : الفرق (٣) من المعاجم ، و فى الأصل و ظ : فرق . (٤) من المعاجم ، و فى الأصل و ظ : الفرق (٥) من ظ ، و فى الأصل : من . (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : التميز (٨-٨) فى ظ : لاهله (٩) من القاموس ، و فى الأصل و ظ : اتفر (١٠) زيد من القاموس (١١) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : العجز .

فصارت كل واحدة منفصلة من الأخرى ، و الفاقرة : الداهية الكاسرة للفقار ، و منه الفقر و الافتقار للحاجة ، و أفقرني دابته : أعارني ظهرها ، و راميته[1] من أدنى [فقرة : من أدنى -[2]] معلم لأن المعالم منفصل بعضها عن بعض ، و التقفر[3] في رجل الدابة بياض لانفصاله عن بقية لونها ، و رفقت بالأمر : لطفت به ، و لا يكون ذلك إلا بفصله عما يضره ، و منه الرفيق للصاحب من الرفقة ، و المرفق من ذلك لما يحصل به من اللطف ؛

و لما كان الإنسان محل النقصان فلا يخلو من زلة أو هفوة ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ و يكفر عنكم سيئاتكم ﴾ أي يسترها ما دمتم على التقوى ﴿ و يغفر لكم[4] ﴾ أي يمحو ما كان منكم غير صالح عينا و أثرا ، و فيه تنبيه لهم على أن السادات على خطر عظيم لأنهم مأمورون بالمساواة بين الناس ، و النفس مجبولة على ترجيح من لاءمها [على -[2]] من نافرها ، و إشارة إلى أن الحكم بالعدل في أعلى الدرجات لا يتسنمه[4] إلا الفرد النادر ، و قوله : ﴿ و الله ﴾ أي المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ ذو الفضل العظيم ﴾ مرج للزيادة على الكفارة[5] و المغفرة من فضله ، [و معلم -[2]] بأنه لا يمتنع عليه شيء ، فمن الممكن أن يلزم كلا منهم طريق العدل و إن كانت من خرق العادة في أعلى محل ، و في الآية أعظم مناسبة لقصة أبي لبابة رضي الله عنه لأنه لما كان الحامل له على ما فعل بنفسه / من العقوبة التقوى ، فكفرت عنه خطيئته و غفر له ، / ٤٢٤

(١) من ظ ، و في الأصل : رايتها - كذا (٢) زيد من ظ (٣) في ظ : التقفير .
(٤) من ظ ، و في الأصل : لا يتسمنه (٥) في ظ : الكفار .

عقبت[1] بها ترغيبا لغيره فى الإسراع بالتوبة عند مواقعة الهفوة ، و[2] ختم هذه الآية بالفضل على ما كان من نقص ، إشارة إلى تفضله سبحانه [بما - [3]] رزق أهل الإسلام من علو المنزلة و انتشار الهيبة و فخامة الأمر فى قلوب المخالفين كما هو مشاهد ، و[4] ختم الآية المحذرة من المداهنة بشديد العقاب ، إشارة إلى ما ألبسهم من الأحوال المذكورة[5] فى التى تليها من قلة منعتهم و استضعافهم و خوفهم من تخطف المخالفين لهم ، و لكنه تعالى رحمهم بأن جعل ذلك من بعضهم ممن يشمله اسم الإسلام لبعض ، لا من غيرهم فلبسهم[6] شيعا و أذاق بعضهم بأس بعض[7] ، فكل خائف من الآخر ، و صار المتقى من كثرة المخالف لا يزال من المعاطب و المتالف خائفا يترقب[8] ، و مباعدا لا يقرب ، على أنهم لا يعدمون أنصارا يؤيدهم الله بهم ، و لا يزال أهل الظلم يختلفون فيما بينهم فيرجع الفريقان إليهم و يعولون عليهم ، فمن نصروه فهو المنصور ، فكلامهم عند المضايق هو الفرقان ، و لهم فى قلوب الظالمين هيبة و إن نزلت بهم الحال أكثر مما للظلمة فى قلوبهم من الهيبة ليتيقن[9] الكل أنهم على الحق[10] الذى الله ناصره ، و أن أهل الشر على الباطل الذى الله خاذله ، قال الحسن البصرى رحمه الله فى حق العالين فى الأرض : أما و الله ! إن للمعصية فى قلوبهم لذلا و إن طفطف[11]

(١) فى ظ : عفيت (٢) زيد بعده فى ظ : لما (٣) زيد من ظ (٤) زيد بعده فى الأصل : لما ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) زيد بعده فى ظ : من المداهنة ، (٦) من ظ ، و فى الأصل : فلبهم - كذا (٧) فى ظ : بعضهم (٨) فى ظ : يتقرب . (٩) فى ظ : لتيقن (١٠) سقط من ظ (١١) أى استرخى ، و فى الأصل : طعطعت ، و فى ظ : طقطقت - كذا .

بهم

بهم اللحم ، فقد انقسم[1] الخوف بينهم نصفين و شتان ما بين الحزبين ، فخوفهم يزيدهم الله [به -[2]] أجرا و يجعله لهم ذخرا ، و خوف أهل الباطل يزيدهم به[3] وزرا و يجعله لدينه[4] أزرا . فهذه حقيقة الحال فى وصف أهل الحق و المحال .

و لما وعد سبحانه بهذا الفضل العظيم و النبأ الجسيم ، ذكرهم من ٥ أحوال داعيهم و قائدهم و هاديهم عليه الصلاة و السلام و التحية و الإكرام بما يدعوهم إلى ملازمة أسبابه فى سياق المخاطبة له صلى الله عليه و سلم تذكيرا بنعمته و إشارة إلى دوام نصرته فقال تعالى عاطفا على " اذ انتم " : ﴿ و اذ يمكر بك ﴾ أى يدبر فى أذاك على وجه الستر ﴿ الذين كفروا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف ، و فيهم من لم يكن راسخ القدم فيه ؛ ثم بين ١٠ غاية مكرهم فقال : ﴿ ليثبتوك ﴾ أى ليمنعوك من التصرف بالحبس فى بيت يسدون عليك بابه - كما هو واضح من قصة مشاورتهم فى دار الندوة فى أمره صلى الله عليه و سلم فى السير ، و من قرأها بالموحدة ثم التحتانية من البيات الذى معناه إهلاك العدو ليلا ، فعطف ﴿ او يقتلوك ﴾ عنده بمعنى القتل نهارا جهارا ، و كأنه عد البيات للاستخفاء به عدما بالنسبة إلى ١٥ المجاهرة ﴿ او يخرجوك[5] ﴾ أى من مكة ﴿ و يمكرون ﴾ أى و الحال أنهم يمكرون باخفاء ما يريدون[6] بك من ذلك و غيره من الكيد[7] ﴿ و يمكر الله[8] ﴾ أى يفعل المحيط بكل شىء قدرة و علما فى أمرهم فعل من يمكر باخفاء

(١) من ظ ، و فى الأصل : انقسهم (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بها (٤) من ظ ، و فى الأصل : منه (٥) فى ظ : تريدون (٦) من ظ ، و فى الأصل : القيد.

ما يقابلهم به ﴿ والله خير الماكرين ﴾ لأنه لا يمكن أحدا علم ما يريد إخفاءه لأنه الملك الأعلى المحيط بالجلال و الجمال ، فالنافذ إنما هو مكره ، و العالى إنما هو نصره ، فكأنه تعالى يقول : انظروا إلى مصداق ما وعدتكم به فى أحوال نبي صلى الله عليه و سلم فانه كان وحده و جميع الناس يخالفونه فثبت[1] على أداء الرسالة إليهم و إبلاغ النصيحة لهم على ما يصله منهم من الأذى و لا يزيده أذاهم له إلا اجتهادا فى أداء ما ينفعهم إليهم .

/٤٢٥ و لما ذكر مكرهم[2] / بالرسول ، ذكر مكرهم بما أرسل به ، فقال عاطفا على " اذ انتم " : ﴿ و اذا تتلى ﴾ أى من أىّ تال فرض ﴿ عليهم آيتنا ﴾ أى التى هى الفرقان جلالة[3] و عظما لم يدعوها تؤثر فى تلك الحالة ، بل ﴿ قالوا ﴾ إظهارا لعنادهم لها و تشيعا بما لم يعطوا و ادعاء [لما - [4]] لم ينالوا ﴿ قد سمعنا ﴾ و لما لم يتأثر عن سماعهم الإذعان ، تشوف السامع إلى علة إعراضهم فقال معللا أو مستأنفا : ﴿ لو نشآء ﴾ أى فى أىّ[5] وقت أردنا ﴿ لقلنا مثل هذا ﴾ أى لأنه ليس قول الله كما يزعم محمد ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هذآ ﴾ الذى يتلى عليكم[5] ﴿ الآ اساطير ﴾ جمع سطور و أسطار جمع سطر ﴿ الاولين ﴾ أى من بنى آدم ، سطروا فيها علومهم و أخبارهم فهو من جنس كلامنا و قائله من جنسنا ، و هذا غاية المكابرة لأنه قد تحداهم بقطعة من مثله إن كان له - كما يزعمون - مثل ، و بالغ فى تقريعهم فما منعهم - من إبراز شىء مما يدعون و ليس بينهم و بينه بزعمهم إلا أن يشاءوا ،

(١) فى ظ : فثبتت (٢) هنا صفحة الأصل مقحمة فى « مكر/هم » (٣) من ظ ، و فى الأصل : جلا (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ .

مع انتقالهم إلى [أشد - [1]] الأمور : السيف الماحق على تهالكهم على قهره صلى الله عليه و سلم و على ما لهم من فرط الأنفة من العار و البعد مما يقضى عليهم بالغلب أو أن يوصفوا بالكذب[2] - إلا علمهم بأن ذلك فاضحهم ، و مخزيهم مدى الدهر وقائحهم ، و المعنى أنى أثبت هذا النبي الكريم على صبره على ذلك و مثابرته[3] على أداء الأمانة بالاجتهاد فى النصيحة ٥ على ما يلقى إن نجيته منهم و منعته من جميع ما كادوه به . و كنت لا أزال أويده باتباع من أعلم فيه الخير إلى أن هيأت له دارا و خبأت له أنصارا ، و جعلت داره بالأصحاب منيعة ، و بنيت لها أعمدة بصوارم الأحباب ثابتة رفيعة ، نقلته[4] إلى ذلك مع اجتهاد أهل العناد و هم جميع أهل الأرض فى المنع ، فلم يؤثر كيدهم ، و لا أفادهم مع أيدى أيدهم ، و جعلت نفس ١٠ نقلته له فرقانا يفرق بها بين الحق و الباطل ، و صار إلى ما ترون من قبول الأمر و جلالة القدر و نفاذ الفصل[5] بين الأمور و ظهر دينه أىّ ظهور ، فلازموا التقوى ملازمته و داوموا على الطاعة مداومته أهب لكم من سيادته و أحملكم بملابس إمامته[6] .

و لما كان ذلك موضع عجب من عدم إعجال الضُلال بالعذاب ١٥ و إمهالهم إلى أن أوقع[7] بهم فى غزوة بدر لا سيما مع قوله " ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح" بيّن السر فى ذلك و إن بالغوا فى استعجاله

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : الماحق (٣) من ظ ، و فى الأصل : يتاولونه - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : تقبله - كذا (٥) فى ظ : الفعل (٦) فى ظ : امانته (٧) فى ظ : وقع .

فقال : ﴿ و اذ قالوا ﴾ أى إرادة[1] المكابرة بالتخييل إلى الناس أنهم على القطع من أنه باطل و إلا لما دعوا بهذا الدعاء ﴿ اللهم ﴾ أى يا من له تمام المُلك و عموم المِلك ﴿ان كان هذا﴾ أى الأمر الذى أتانا به محمد ﴿ هو ﴾ أى لا ما نحن عليه ﴿ الحق ﴾ حال كونه منزلا ﴿ من عندك ﴾

٥ و قال الزجاج : إنه لا يعلم أحدا قرأ " الحق " بالرفع - أفاده أبوحيان[2] ﴿ فامطر علينا حجارة ﴾ و لعل تقييده بقوله : ﴿ من السمآء ﴾ - مع أن[3] الإمطار لا يكون إلا منها - لإزالة وهم من يتوهم أن الإمطار مجاز عن مطلق الرجم و أنه إنما ذكر لبيان أن الحجارة المرجوم بها فى الكثرة مثل المطر ﴿ او ائتنا بعذاب اليم ﴾ أى غير الحجارة ، و لعل مرادهم

٤٢٦/ ١٠ بقولهم ذلك الإشارة إلى أن مجىء الوحى إليك / من السماء خارق كما أن[3] إتيان الحجارة منها كذلك ، فان كنت صادقا فى إتيان الوحى إليك منها فائتنا بحجارة منها كما أتت الحجارة منها أصحاب الفيل صونا من الله لبيته الذى أراد الجيش انتهاك حرمته و إعظاما له - أشار إلى ذلك أبو حيان[4] ، و هذه الآية و التى قبلها فى النضر بن الحارث أسره المقداد

١٥ يوم بدر فأمر النبى صلى الله عليه و سلم بقتله فقال المقداد : أسيرى [يا -[5]] رسول الله ! فقال : إنه كان يقول فى كتاب الله تعالى ما يقول ، فعاد المقداد رضى الله عنه لقوله ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم : اللهم ! أغن[6]

(١) من ظ ، و فى الأصل : اراة - كذا (٢) راجع البحر المحيط ٤/٤٨٨ (٣) سقط من ظ (٤) راجع البحر المحيط ٤ / ٤٨٩ (٥) زيد من ظ و تفسير الطبرى - راجع تفسير آية ٣١ (٦) من الطبرى ، و فى الأصل و ظ : اعز - كذا .

المقداد من فضلك ، فقال : ذاك الذى أردت يا رسول الله ! فقتله النبي صلى الله عليه و سلم فأشدت أخته قتيلة أبياتا[1] منها :

ما كان ضرك لو مننت و ربما منّ الفتى و هو المغيظ المخنق[2]

فقال النبي صلى الله عليه و سلم : لو بلغنى هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه .

و عن معاوية رضى الله عنه أنه قال لرجل من سبأ : ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة ! قال : أجهل من قومى قومك قالوا " ان كان هذا هو الحق [3]من عندك[3] " - الآية ، و ما قالوا : فاهدنا به ، و السر الذى بينه فى هذه الآية فى إمهالهم هو أنه ما منعه[4] من الإسراع فى إجابة دعائهم كما فعل فى وقعة بدر إلا إجلال[5] مقامه صلى الله عليه و سلم بين أظهرهم فقال : ﴿ و ما كان الله ﴾ أى مع ما له من[6] صفات الكمال و العظمة و الجلال ، و أكد النفى بقوله : ﴿ ليعذبهم ﴾ أى ليجدد لهم ذلك فى وقت من الأوقات ﴿ و انت ﴾ [أى - [7]] يا أكرم الخلق ﴿ فيهم[8] ﴾ فانه

لعين تجازى ألف عين و تكرم

و لما بين بركة وجوده ، أتبعه ما يخلفه صلى الله عليه و سلم إذا[8] غاب فى العباد من العذاب فقال : ﴿ و ما كان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ معذبهم ﴾ أى مثبتا وصف تعذيبهم بحيث يدوم ﴿ وهم يستغفرون ﴾ أى يطلبون الغفران بالدعاء أو يوجدون هذا اللفظ فيقولون : أستغفر الله ،

(١) من ظ ، و فى الأصل : اثباتا - كذا (٢) من ظ و سيرة ابن هشام ٢/ ٦٨ ، و فى الأصل : الحق - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : نعهم - كذا (٥) فى ظ : اجال - كذا (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : اذ .

فان لفظه و إن كان خبرا فهو[1] دعاء و طلب ، فوجوده صلى الله عليه و سلم فى قوم أبلغ من نفى العذاب عنهم ، و هذا الكلام ندب لهم إلى الاستغفار و تعليم لما يدفع العذاب عنهم كما تقول : ما كنت لأضربك و أنت تطيعنى ، أى فأطعنى - نبه عليه الإمام أبو جعفر النحاس ، و فى ذلك حث عظيم لمن[2] صار صلى الله عليه وسلم بين أظهرهم من المسلمين صادقهم و منافقهم على الرغبة فى مواصلته و الرهبة من مفارقته ، و تعريف لهم بما لهم فى حلول ذاته المشرقة فى ساحتهم من جليل النعمة ترغيبا فى المحبة لطول عمره و الاستمساك بعزره[3] فى نهيـــه و أمره إذ المراد - و الله أعلم - بالاستغفار طلب المغفرة بشرطه من الإيمان و الطاعة ، و عن أبى موسى[4] الأشعرى رضى الله عنه أنه كان فى هذه الأمة أمانان ، أما النبى صلى الله عليه و سلم فقد مضى ، و أما الاستغفار فهو كائن فيكم إلى يوم القيامة .

و لما كان هذا ليس نصا فى استحقاقهم العذاب ، قال تعالى عاطفا على ما تقديره : و ليعذبنهم الله إذ هاجرت عنهم و لم يؤمنوا فيستغفروا : ﴿ و ما لهم ﴾ قال أبوحيان : الظاهر أن 'ما' استفهامية ، أى أىّ شىء لهم فى انتفاء العذاب ، و هو استفهام معناه التقرير ، أى كيف لا يعذبون و هم متصفون بهذه الصفة[5] المتقضية للعذاب و هى صدهم المؤمنين عن المسجد الحرام و ليسوا[6] بولاة البيت - انتهى . و تقدير الكلام : و أىّ حظ لهم فى ﴿ الا يعذبهم الله ﴾ أى الذى له كمال العز و العظمة على

(١) فى ظ : فانه (٢) فى ظ : لما (٣) فى ظ : بعزوه (٤) سقط من ظ (٥) وفى البحر المحيط ٤ / ٤٩٠ : الحالة (٦) فى ظ : ليس .

الظالم و الإكرام و الرفق بالطائع عاجلا ﴿ و هم ﴾ أى و الحال / أنهم ٤٢٧ /
مستحقون للعذاب فهو واقع بهم لا محالة و إن تأخر مدةً إبانه و أبطأ
عنهم أوانه وقوعا ينسيهم ما نالوه من اللذات و إن عظم عندهم شأنها
وامتد[1] طويلا زمانها لأنهم ﴿ يصدون ﴾ أى يوجدون الصد ﴿ عن المسجد ﴾
أى من أراد تعظيمه بالصلاة التى وضع المسجد لها و غيرها ﴿ الحرام ﴾ ٥
أى العظيم حرمته عند كل أحد فلا اختصاص به لشخص دون آخر ، أى
شأنهم فعل حقيقة الصد فى الماضى و الحال و المآل ، لا ينفكون عن ذلك ،
كما كانوا يمنعون من شاؤا من دخول البيت و يقولون : نحن ولاته ، نفعل
ما نشاء ، و يصدون المؤمنين عن الطواف به بالتعذيب و الفتنة و صدوا
رسول الله صلى الله عليه و سلم و من معه بالإخراج ثم صدوهم عام الحديبية ١٠
عن الوصول إلى البيت و عام عمرة القضية عن الإقامة بعد الثلاثة الأيام
﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه لم يكن لهم ذلك لأنهم[2] ما ﴿ كانوآ اولياءه[3] ﴾
أى أهلا لولايته بحيث أن صدهم ربما يقع موقعه ؛ روى البخارى فى
التفسير عن أنس رضى الله عنه قال : قال أبو جهل : "اللهم ان كان[3] هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم" ١٥
فنزلت "و ما كان الله ليعذبهم - إلى - عن[3] المسجد الحرام" .

و لما نفى عنهم الولاية ، ذكر أهلها فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ اولياؤه ﴾
أى بالاستحقاق ﴿ الا المتقون[4] ﴾ أى العريقون فى هذا الوصف بما يجعلون

(١) فى ظ : امد (٢) من ظ ، و فى الأصل : انهم (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : المتقين .

بينهم و بين[1] سخط الله من وقايات الطاعات ، لا كل من آمن بل خاصة المؤمنين ، و هم ليسوا كذلك لتلبسهم الآن بالكفر ﴿ ولكن اكثرهم لا يعلمون ﴾ أى ليس[2] لهم علم بالأمور ليميزوا بين الحق و الباطل و المتقى و الفاسق و حسن العواقب و سيئها ، و لعله عبر بالأكثر إعلاما بأن فيهم المعاند ، ٥ و لأنه كان منهم من آمن بعد ذلك فصار من أولى العلم .

و لما كانوا يفعلون عند البيت ما ينزه البيت عنه مما هو غاية فى الجهل ، قال مبينا لجهلهم و استحقاقهم للنكال و بعدهم عن استحقاق ولايته : ﴿ و ما كان صلاتهم ﴾ أى التى [3]ينبغى أن[3] تكون مبنية على الخشوع ، و زاد [فى - [4]] التبشيع عليهم بقوله : ﴿ عند البيت ﴾ أى فعلهم ١٠ الذى يعدونه صلاة أو يبدلونها به ﴿ الا مكآء ﴾ أى صفيرا [يشبه صفير الطير و الدبر بريح الحدث - [4]] من مكا يمكو [مكوا - [4]] و مكاء - إذا صفر بفيه أو شبك أصابعه و نفخ فيها ، [و مكت الشجرة[5] بريحها : صوتت ، و الدبر بريح الحدث : صوت - [4]] ؛ قال أبو حيان[6] : و جاء[7] على فعال - أى بالضم - و يكثر فعال فى الأصوات كالصراخ - انتهى . ﴿ وتصدية[1] ﴾ ١٥ أى [و - [4]] تصفيقا ، [كان أهل الجاهلية يطوفون عراة و يصفرون بأفواههم و يصفقون بأيديهم مقصورة ، فيكون تصويتهم ذلك يشبه الذى

(١) زيد بعده فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) سقط من ظ .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) فى ظ : الشجة - كذا ، و يمكن أن يكون : السبخة (٦) راجع النهر من البحر المحيط ٤ / ٤٩١ (٧) زيد بعده فى ظ : مكا .

رجع

رجّع الصوت فى المكان الخالى ، فهو كناية عن أن صلاتهم لا معنى لها ، و أصله صدد - مضاعف[1] - إذا أعرض و مال مثل التظنى من ظنن - [2]] ، فهذا لهو لا عبادة و هزء لا جد مع أن الأمر جد و أىّ جد كما قال تعالى " افمن هذا الحديث تعجبون و تضحكون و لا تبكون و انتم سٰمدون[3] " أى و لا تبكون فى حال جدكم بدأبكم فى العمل الصالح ، فهذا الذى يعملونه ٥ مناف لحال البيت فهو تخريب لا تعمير ، قال مقاتل : كان النبى صلى الله عليه و سلم إذا صلى فى المسجد قام رجلان من المشركين عن يمينه يصفران و يصفقان ، و رجلان كذلك عن يساره ليخلطوا عليه صلاته ، و تقدير الكلام على قراءة الأعمش : صلاتهم - بالنصب : و ما كان شىء إلا مكاء و تصدية صلاتهم[4] ، فنفى عما يجعلونه صلاة كل شىء إلا المكاء و التصدية ، ١٠ فالصلاة مقصورة عليهما بهذا الاعتبار ، فقد صارت بهذا الطريق بمعنى القراءة المشهورة سواء فتأمله فانه نفيس جدا ، و خرج عليه الخلاف فى آية الأنعام " ثم لم تكن فتنتهم[5] " و غيره ، و قد مضى هناك ما ينفع هنا ، [و مما يجب أن يعلم أن هؤلاء لم يذمهم الله لأنه أعلى الذم ، بل ذمهم لكونهم اتخذوا العبادة لعبا لينبه بذلك على ذم من أشبههم فى ذلك ، ١٥ فعمد إلى ما هو مباح فى أصله فاتخذه دينا فكيف إذا كان مكروها أم كيف إذا كان حراما ، فقبح الله قوما ادعوا أنهم أعرضوا عن الدنيا ثم اتخذوا الطبول و الغنى و التصدية شعارهم ثم ضربوا به حتى فعلوه فى

(١) فى ظ : مضاف (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) سورة ٥٣ آية ٥٩ - ٦١ .
(٤) سقط من ظ (٥) سورة ٦ آية ٢٣ .

المساجد و زادوا على فعل الجاهلية الرقص الذى ابتدعه قوم السامرى لما عبدوا العجل ، فأخذوا أنواعا من أفعال أنواع من الكفرة و جعلوها عادتهم و شعارهم و ديانتهم ، فلقد انتهكوا حرمات الشريعة و بدلوها و استهانوا بها و استرذلوها - [1]] .

٥ و لما كان مساق الكلام لبيان استحقاقهم العذاب ، و أنه لا مانع لهم منه وكان قد أوقع بهم فى هذه الغزوة مباديه ، وكانت المواجهة بالتعنيف وقت إيقاع / ما لا يطاق بالعدو إنكاء ؛ قال مسببا عن قبيح ما كانوا يرتكبونه : ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ أى الذى توعدكم الله و الذى[2] رأيتموه ببدر و طلبتموه فى استفتائكم حكم الاستهانة[3] به ﴿ بما كنتم تكفرون * ﴾ ١٠ أى إنكم قد صرتم بهذا الفعل أهلا لذوقه بما تسترون مما دلتكم عليه[4] عقولكم من هذا الحق الواضح .

/ ٤٢٨

و لما أخبر سبحانه عن أحوال الكفار فى الأعمال البدنية ، وكان غلبهم مع كثرتهم و قوتهم مستبعدا ، أخبر بما يقربه مبينا لأعمالهم المالية فقال : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى مع كثرتهم [لأنهم - [1]] ستروا ١٥ مرائى عقولهم التى هى الإنسان بالحقيقة فنقصوا بذلك نقصا لا يدرك كنهه ﴿ ينفقون اموالهم ﴾ أى يعزمون على إنفاقها فيما يأتى ﴿ ليصدوا ﴾ أى بزعمهم أنفسهم و غيرهم ﴿ عن سبيل الله[1] ﴾ [أى عن سلوك طريق - [1]] الذى لا يدانى عظمتَه عظمة مع اتساعه و وضوحه و سهولته ﴿ فسينفقونها ﴾

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : قد (٣) فى ظ : استهانة (٤) من ظ ، و فى الأصل : عليكم .

أى بحكم قاهر لهم لا يقدرون على الانفكاك عنه ﴿ ثم تكون ﴾ أى بعد إنفاقها بمدة ، و عبر بعبارة[1] ظاهرة فى مضرتها فقال : ﴿ عليهم ﴾ و أبلغ فى ذلك بأن أوقع[2] عليها المصدر فقال : ﴿ حسرة ﴾ أى لضياعها و عدم تأثيرها ﴿ ثم يغلبون ﴾ أى كما[3] اتفق لهم فى بدر سواء ، فانهم أنفقوا مع الكثرة و القوة و لم يغن عنهم شىء من ذلك شيئا مما أراد الله بهم ، ٥ بل كان[4] وبالا عليهم ، فانه كان سببا لجرأتهم حتى أقدموا نظرا إلى الحاضر و قصورا عن الغائب كالبهائم فهلكوا ، وكان ذلك قوة للمؤمنين فما كان فى الحقيقة إلا لهم ، و هذا الكلام منطبق على ما كان سبب نزول الآية و على كل ما شاكله ، و ذلك أنهم لما قهروا فى بدر قال لهم أبو سفيان : إنه ينبغى أن تنفقوا مال تلك العير - يعنى التى كانت معه - و نحث على ١٠ حرب محمد ، فأجابوا و أنفقوه على غزوة أحد فحصل لهم فيها بعض ظفر ثم تعقبه الحسرة[5] و المغلوبية فى بدر الموعد و كل ما بعدها ؛ ثم أظهر وصفهم الذى استحقوا به ذلك تعليقا للحكم به و تعميما منذرا لهم بما هو أشد من ذلك فقال : ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى حكم بدوام كفرهم عامة سواء زادوا على الكفر فعل ما تقدم أم لا ﴿ الى جهنم ﴾ أى لا إلى غيرها . ١٥

و لما كان المنكى هو الحشر ، لا كونه من معين ، بنى للمفعول قوله : ﴿ يحشرون ﴾ أى بعد الموت فهم فى خزى دائم دنيا و أخرى ، و يجوز أن يتجوز بجهنم عن أسبابها فيكون المعنى أنهم يستدرجون بمباشرة أسبابها

(١) من ظ ، وفى الأصل : عبارة (٢) فى الأصل : واقع ، و فى ظ : وقع - كذا .
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : كانوا (٥) فى ظ : الحسر .

إليها و يحملون فى الدنيا عليها ، و هذه الآيات - مع كونها معلمة بما لهم فى الدنيا و ما لهم فى الآخرة من أن آخر أمرهم فى الدنيا الغلب كما كشف عنه الزمان علما من أعلام النبوة و فى الآخرة جهنم - هى مبينة لكذبهم فى قولهم "لو نشاء لقلنا مثل هذا" فانهم لو كانوا صادقين فى دعواهم لقالوا مثله ثم قالوا : لو كان هذا هو الحق لا غيره لما قلنا مثله ، موضع قولهم " ان كان هذا هو الحق " - إلى آخره ، و أما آية المكاء و التصدية فكأنها[1] تقول : هذا القرآن فى أعلى درج البلاغة و لم تؤهلوا أنتم - مع ادعائكم السبق فى البلاغة - لأن تعارضوه بشىء له أهلية لشىء من البلاغة ، بل نزلتم إلى أصوات الحيوانات العجم حقيقة ، فلا أجلى من هذا البيان على ما ادعيتم من الزور و البهتان ، و أما آية الإنفاق فقائلة : لو قدرتم فى معارضته على إنفاق الأقوال لما عدلتم عنه إلى إنفاق الأموال المفضى إلى مقاساة الأهوال و فساد الأشباح و نفوق ما حوت من الأرواح المؤدى إلى الذل السرمد بالعذاب المؤبد .

/ ٤٢٩ و لما ذكر حشر الكافرين ، ذكر[2] علته فقال / معلقا بيحشرون : ﴿ ليميز الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال بذلك الحشر ﴿ الخبيث من الطيب ﴾ أى إنما جعل للكفار دارا تخصهم و يخصونها لإظهار العدل و الفضل بأن يميز الكافر من المؤمن فَجُعِلَ لكلٍ دارٌ يتميز بها عدلا فى الكافرين و فضلا على المؤمنين ، فيجعل الطيب فى مكان واسع حسن ﴿ و يجعل الخبيث ﴾ أى الفريق المتصف بهذا الوصف ﴿ بعضه على بعض ﴾ و الركم : جمع الشىء

(١) فى ظ ، فكأنه (٢) فى ظ : دلت .

بعضه

بعضه فوق بعض ، فكأن قوله : ﴿ فيركمه جميعا ﴾ عطف تفسير يؤكد الذى قبله فى إرادة الحقيقة مع إفهام شدة الاتصال[1] حتى يصير الكل كالشىء الواحد كالسحاب المركوم ، و النتيجة قوله : ﴿ فيجعله فى جهنم[1] ﴾ أى دار الضيق و الغم و التجهم و الهم .

و لما كان هذا أمرا لا فلاح معه ، استأنف قوله جامعا تصريحا ٥ بالعموم : ﴿ اولٓئك ﴾ أى البعداء البغضاء الذين أفهمهم اسم الجنس فى الخبيث ﴿ هم الخسرون ع ﴾ أى خاصة لتناهى خسرانهم ، لأنهم اشتروا بأموالهم إهلاك أنفسهم [2]بذلك الحشر[2] .

و لما بين ضلالهم فى عبادتهم البدنية و المالية ، [و - [3]] كان فى كثير من العبارات السالفة القطع للذين كفروا بلفظ الماضى ١٠ بالشقاء ، كان ذلك موهما لأن يراد من أوقع الكفر فى الزمن الماضى و إن تاب ، فيكون مؤيسا من التوبة فيكون موجبا للثبات على الكفر ، قال تعالى متلطفا بعباده مرشدا لهم إلى طريق الصواب مبينا المخلص مما هم فيه من الوبال فى جواب من كأنه قال : أما لهم من حيلة يتخلصون بها من الخسارة : ﴿ قل للذين ﴾ أى لأجل الذين ﴿ كفروٓا ﴾ إنى ١٥ أقبل توبة من تاب منهم بمجرد انتهائه عن حاله ﴿ ان ينتهوا ﴾ أى يتجدد لهم وقتا ما الانتهاء عن مغالبتهم[4] بالانتهاء عن كفرهم فيذلوا لله و يخضعوا لأوامره ﴿ يغفر لهم ﴾ بناه للمفعول لأن النافع نفس الغفران و هو

(١) فى ظ : الانفصال (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : مقالبتهم .

محو الذنب ﴿ما قد سلف ج﴾ أى مما اجترحوه كائنا ما كان فيمحى عينا و أثرا فلا عقاب عليه و لا عتاب ﴿ و ان ﴾ [أى و إن - ١] يثبتوا على كفرهم [و - ١] ﴿ يعودوا ﴾ أى إلى المغالبة ﴿ فقد مضت سنت ﴾ أى طريقة ﴿ الاولين ٥ ﴾ أى وجدت و انقضت و نفذت فلا مرد لها بدليل ما سمع من أخبار الماضين و شوهد من حال أهل بدر مما أوجب القطع بأن الله مع المؤمنين و على الكافرين ، و من كان معه نصر ، و من كان عليه خذل وأخذ و قسر "كتب الله لاغلبن انا و رسلى[٢]" "و لينصرن الله من ينصره[٣]" "و العاقبة للمتقين[٤]" و إن كانت الحرب سجالا .

و لما أشار ختم الآية إلى قتالهم إن أصروا ، وكان التقدير : فأقدموا عليهم حيثما[٥] عادوكم إقدام[٦] الليوث الجريئة غير هائبين كثرتهم و لا قوتهم فان الله خاذلهم ، عطف عليه قوله مصرحا بالمقصود : ﴿ وقاتلوهم ﴾ أى دائما ﴿ حتى لا تكون فتنة ﴾ أى سبب يوجب ميلا عن الدين أصلا ﴿ و يكون الدين ﴾ .

و لما كانت هذه الوقعة قد سرت كتائب هيبتها فى القلوب فوجبت أيما وجبت ، فضاقت و ضعفت صدور الكافرين ، و انشرحت و قويت قلوب المؤمنين ؛ اقتضى هذا السياق التأكيد فقال : ﴿ كله لله ج ﴾ أى الملك الأعظم خالصا غير مشوب بنوع خوف أو إغضاء على قذى ، و أصل الفتن : الخلطة المحيلة ، و يلزم ذلك [أن - ١] يكون السبب

(١) زيد من ظ (٢) سورة ٥٨ آية ٢١ (٣) سورة ٢٢ آية ٤٠ (٤) سورة ٢٨ آية ٨٣ (٥) فى ظ : حيث (٦) من ظ ، و فى الأصل : فقام .

عظيما لأن الشيء لا يحول عن حاله إلا لأمر عظيم لأن مخالفة المألوف عسرة ، و منه النتف ، و كذا نفت القدر ، و هو أن يغلى المرق فيلزق / بجوانبها ، و التنوفة : القفر ، لأنه[1] موضع ذلك ، و يلزمه الإخلاص ، من فتنت الذهب - إذا أذبته فتميز[2] جيده من رديئه ، و تارة يكون الميل إلى جهة الردىء و هو الأغلب ، و تارة إلى الجيد ، و منه "و فتنك فتونا[3]" . / ٤٣٠

و لما كان لهم[1] حال اللقاء حالان : إسلام و إقبال ، و كفر و إعراض و إخلال ، قال مبينا لحكم القسمين : ﴿ فان انتهوا ﴾ أى عن قتالكم[4] بالمواجهة بالإسلام فاقبلوا منهم و انتهوا عن مسهم بسوء و لا تقولوا : أنتم[5] متعوذون بذلك غير مخلصين ، تمسكا بالتأكيد بكله ، فانه ليس عليكم[6] إلا ردهم عن المخالفة الظاهرة . و أما الباطن فالى الله ﴿ فان الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ، و قدم المجرور اهتماما به إفهاما لأن العلم به كالمختص [به -[7]] فقال[1] : ﴿ بما يعملون[8] ﴾ أى و إن دق ﴿ بصير ﴾ فيجازيهم عليه ، و أما أنتم فلستم عالمين بالظاهر و الباطن معا فعليكم قبول الظاهر ، و الله بما تعملون أنتم أيضا - من كف عنهم و قتل لله[9] أو لحظ

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فيميز (٣) سورة ٢٠ آية ٤٠ (٤) فى ظ : قتالهم .
(٥) فى ظ : انهم (٦) من ظ ، و فى الأصل : عليك (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و هو ينسجم مع ما يأتى ، و فى الأصل : تعلمون - بالخطاب ، و هى قراءة الحسن و يعقوب و سلام بن سليمان (٩) من ظ ، و فى الأصل : لهم الله .

نفس - بصير ، فيجازيكم على حقائق الأمور و بواطنها و إن أظهرتم للناس ما يقيم عذركم ، و يكمل لكل منكم أجر ما كان عزم على مباشرته من قتالهم لو[1] لم ينتهوا ، و إن لم ينتهوا بل أقدموا على قتالكم ، هكذا كان الأصل ، و لكنه سبحانه عبر بقوله : ﴿ و ان تولوا ﴾ أى عن الإجابة تبشيرا لهم بهزيمتهم و قلة ثباتهم لما ألقى فى قلوبهم من الرعب ، و يؤيد ذلك قوله : ﴿ فاعلموا ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء ﴿ مولٰكم ﴾ أى متولى[2] أموركم فهو يعمل معكم ما يعمل من يتولى أمر من يحبه من الاجتهاد فى تحصيل ما ينفعه و دفع ما يضره فهو لا محالة ناصركم ؛ ثم استأنف مدحه بما هو أهله تعريفا بقدره و ترغيبا فى توليه فقال : ﴿ نعم المولى ﴾ و لم يدخل فاء السبب هنا لأن المأمور به العلم ، و اعتقاد كونه [مولى - [3]] واجب لذاته لا لشىء آخر ، بخلاف ما فى آخر الحج ، فان المأمور هناك الاعتصام ﴿ و نعم النصير ﴾ أى فلا تخافوهم أصلا و إن زادت كثرتهم و قويت شوكتهم فلا تبارحوهم حتى لا يكون إلا كلمة الله .

و لما كان التقدير : فاذا أعانكم مولاكم عليهم و غلبتموهم و غنمتم فيه فلا تنسبوا إلى أنفسكم فعلا ، بل اعلموا أنه هو الفاعل وحده لأن جميع الأفعال متلاشية بالنسبة إلى فعله فلا تتنازعوا فى المغنم تنازع من أخذه بقوته و حازه بقدرته ، عطف عليه قوله :

(١) من ظ ، و فى الأصل « و » (٢) فى ظ : مولى (٣) زيد من ظ .

﴿و اعلموا﴾ ابتداء بهذا الأمر إشارة إلى أن ما بعدها من المهمات ليبذلوا الجهد فى تفريغ أذهانهم لوعيه و تنزيله منازله و رعيه ﴿ انما ﴾ أى الذى ﴿غنمتم﴾ و[1] الغنيمة لغة : الفوز بالشيء ، و شرعا ما دخل فى أيدى المسلمين من مال الكفار قهرا بالخيل و الركاب ، و زاد فى التعميم حتى لأقل ما يمكن بقوله : ﴿من شيء﴾ أى حتى الخيط و المخيط فانه كله له ، لأنه هو الناصر وحده و إنما أنتم آلة لا قدرة[2] لكم على مقاومة الأعداء لأنهم جميع أهل الأرض و لا نسبة لكم منهم فى عدد و لا قوة أصلا ، فالجارى على منهاج العدل المتعارف عندكم أن يأخذه كله و لا يمكنكم من شيء منه كما كان فيمن قبلكم ، يعزل فتنزل نار من السماء فتأكله ، و لكنه [سبحانه -[3]] علم ضعفكم فمنّ عليكم به و رضى منكم منه بالخمس ، فسماه لنفسه و رده عليكم ، و هو معنى قوله : ﴿ فان لله ﴾ أى الذى له كل شيء ﴿خمسه ﴾ .

و لما كان من المعلوم أن الله تعالى [أجلّ -[3]] من أن يناله نفع أو ضر ، كان من المعلوم أن ذكر اسمه سبحانه إنما هو للاعلام بأن إسلام هذا الخمس و التخلى عنه لا حظ للنفس فيه ، و إنما هو لمحض الدين تقربا إليه سبحانه ، فذكر مصرفه بقوله : ﴿و للرسول﴾ أى يصرف إليه خمس هذا الخمس ما دام حيا ليصرفه فى مصالح المسلمين ، و يصرف بعده / إلى القائم مقامه ، يفعل فيه ما كان صلى الله عليه و سلم يفعله ﴿ و لذى القربى ﴾ أى من الرسول ، و هم الآل الذين تحرم عليهم الزكاة : بنو هاشم و بنو المطلب ﴿ و اليتمى ﴾ أى لضعفهم ﴿و المسكين ﴾ لعجزهم ﴿و ابن السبيل[1] ﴾ أى المسافر لأن الأسفار مظنات الافتقار ، فالحاصل أنه سبحانه لم يرزأكم من

/ ٤٣١

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : قدر (٣) زيد من ظ .

المغنم شيئا ، فاعرفوا فضله عليكم أولا بالإنعام بالنصر ، و ثانيا بحل المغنم ، و ثالثا بالإمكان من الأربعة الأخماس ، و رابعا برد الخمس[1] الخامس فيكم ، فاشتغلوا بشكره فضلا عن أن تغفلوا عن ذلك فضلا عن أن تتوهموا أن بكم فعلا تستحقون به شيئا فضلا عن أن تفعلوا من المنازعة فى المغنم فعل[2] القاطع بالاستحقاق ، اعلموا ذلك كله علم المصدق المؤمن المذعن لما علم لتنشأ عنه ثمرة العمل ﴿ ان كنتم ﴾ صادقين فى أنكم ﴿ آمنتم بالله ﴾ أى الذى لا أمر لأحد معه ﴿ و ما ﴾ أى و بالذى ﴿ انزلنا ﴾ أى إنزالا واحدا[3] سريعا لأجل التفريج عنكم من القرآن و الجنود و السكينة فى قلوبكم و غير ذلك مما تقدم وصفه ﴿ على عبدنا ﴾ أى الذى يرى دائما[4] أن الأفعال كلها[5] لنا فلا ينسب لنفسه شيئا إلا بنا ﴿ يوم الفرقان ﴾ أى يوم بدر الذى جعلنا لكم فيه عزا ينفذ[5] به أقوالكم و أفعالكم فى فصل الأمور .

و لما وصفه سبحانه بالفرقان تذكيرا لهم بالنعمة ، بينه بما صور حالهم فيه إتماما لذلك - أو أبدل منه - فقال : ﴿ يوم التقى ﴾ أى عن غير[6] قصد من الفريقين بل بمحض تدبير الله ﴿ الجمعان[4] ﴾ أى اللذان أحدهما أنتم و كنتم حين الترائى - لو لا فضلنا - قاطعين بالموت ، و ثانيهما أعداؤكم و كانوا على اليقين بأنكم فى قبضتهم ، و ذلك هو الجارى على مناهج[7] العوائد ، و لو قيل : يوم بدر ، لم يفد هذه الفوائد .

و لما كان[6] انعكاس الأمر فى النصر محل عجب ، ختم الآية بقوله :

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الاخماس (٢) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٣) زيد بعده فى ظ : وهذا (٤) تأخر فى ظ عن « الأفعال كلها » (٥) فى ظ : تنفذ . (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : مناهيج .

﴿ و الله على كل شيء ﴾ أى من نصر القليل على الكثير و عكسه و غير ذلك من جميع الأمور ﴿ قدير ٥ ﴾ فكان ختمها بذلك كاشفا للسر و مزيلا للعجب و مبينا أن ما فعل هو الجارى على سنن سنته المطرد فى قديم عادته عند من يعلم أيامه الماضية فى جميع الأعصر الخالية .

و لما ذكر لهم يوم ملتقاهم ، صور لهم حالتهم الموضحة للأمر المبينة[1] لما كانوا فيه من اعترافهم بالعجز تذكيرا لهم بذلك ردعا عن المنازعة و ردا إلى المطاوعة فقال مبدلا من "يوم الفرقان" ﴿ اذ انتم ﴾ نزول ﴿ بالعدوة الدنيا ﴾ أى القربى [إلى - [2]] المدينة ﴿ و هم ﴾ أى المشركون نزول ﴿ بالعدوة القصوى ﴾ أى البعدى منها القريبة إلى البحر ، و القياس قلب واوه ياء ، و قد جاء كذلك إلا أن هذا أكثر[3] كما كثر[3] استصوب و قلّ استصاب ، و العدوة - بالكسر فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و يعقوب ، و بالضم فى قراءة غيرهم[4] : جانب الوادي و شطه ، و مادتها - بأىّ ترتيب كان - تدور على الاضطراب و يلزمه[5] المجاورة و السكون و الإقبال و الرجوع و الاستباق و المحل القابل لذلك ، [6] فكأنها الموضع[6] الذى علا عن محل فكان السيل موضعا للعدو ﴿ و الركب ﴾ أى العير الذى فيه المتجر الذى خرجتم لاقتطاعه و رئيس جماعته أبو سفيان ، و نصب

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) و بالفتح أيضا فى قراءة الحسن و قتادة و زيد بن على و عمرو بن عبيد (٥) من ظ ، و فى الأصل : يلزم (٦-٦) فى ظ : فانها المرجع .

على الظرف قوله : ﴿ اسفل منكم ﴾ أى أيها الجمعان إلى جانب البحر على مدى من قرية تكادون تقعون عليه و تمدون أيديكم إليه مسافة ثلاثة أميال[1] - كما قال البغوى ، و هو كان قصدكم و سؤلكم ، فلو كانت لكم قوة على طرقه لبادرتم إليه الطرف و غالبتم عليه الحتف ، و لكن منعكم[2] من إدراك مأمولكم منه من كان جاثما بتلك العدوة جثوم الأسد واثقا بما هو فيه من القوى و العدد كما قال صلى الله عليه و سلم لسلمة بن سلامة بن وقش رضى الله عنه - لما قال فى تحقيرهم بعد قتلهم / و تدميرهم : إن وجدنا إلا عجائز صلعا ، ما هو إلا أن لقيناهم[3] فنحونا أكتافهم - جوابا له « أولئك يا ابن أخى الملأ لو رأيتهم لهبتهم و لو أمروك لأطعتهم » مع استضعافكم لأنفسكم عن مقاومتهم لولا رسولنا يبشركم و جنودنا تثبتكم . [4] و إلى مثل هذه المعانى أشار تصوير مكانهم و مكان الركب إيماء إلى ما كان فيه العدو من قوة الشوكة و تكامل العدة و تمهد أسباب الغلبة و ضعف حال المسلمين و أن ظفرهم فى مثل هذا الحال ليس إلا صنعا من الله[4] ، و ما فى البيضاوى تبعا للكشاف من أن العدوة الدنيا كانت تسوخ فيها الأقدام و لا ماء بها تقدم رده أول السورة بأن المشهور فى صحيح مسلم [والسير -] و غيرها أن المؤمنين هم السابقون إلى الماء ، و أن جميع أرض ذلك المكان كانت رملا تسوخ فيه الأقدام ، فأتى المسلمين[6] به من المطر ما لبد لهم الأرض ،

/٤٣٢

(١) من ظ و معالم التنزيل ٣ / ٣٠ ، و فى الأصل : ايام (٢) فى ظ : منعتم .
(٣) فى ظ : لقينا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : المسلمون .

و أتى المشركين منه ما لم يقدروا معه على الحركة ﴿ و لو تواعدتم ﴾ أى أنتم و هم على الموافاة إلى تلك المواضع فى آن واحد ﴿لاختلفتم فى الميعد لا﴾ أى لأن العادة[1] قاضية بذلك لأمرين: أحدهما بعد المسافة التى كنتم بها [منها -[2]] و تعذر توقيت سير كل فريق بسير صاحبه، و الثانى كراهتكم للقائهم لما وقر[3] فى أنفسكم من قوتهم و ضعفكم، و قد كان الذى كرّه ٥ إليكم لقاءهم قادر على أن يكره إليهم لقاءكم، فيقع الاختلاف من جهتهم كما كان فى بدر الموعد، و أما فى هذه الغزوة فدعاهم من حماية غيرهم داع لم يستطيعوا التخلف معه، و طمس الله بصائرهم و قسى قلوبهم مع قول أبى جهل الذى كان السبب الأعظم فى اللقاء لمن عرض عليه المدد بالسلاح و الرجال[4]: إن كنا نقاتل الناس فما بنا ضعف عنهم، ١٠ و إن كنا إنما نقاتل - كما يزعم محمد - الله فما لأحد بالله من طاقة، و قوله أيضا فى هذه[5] الغزوة للأخنس بن شريق: إن محمدا صادق و ما كذب قط، فعل الله ذلك لما علم فى ملاقاتهم لكم من إعلاء كلمته و إظهار دينه ﴿ و لكن ﴾ أى دبر ذلك سبحانه حتى توافيتم إلى موطن[6] اللقاء كلكم فى يوم واحد من[7] غير ميعاد و لم تختلفوا[8] فى موافاة[8] ذلك الموضع مع ١٥ خروج ذلك عن العادة [لكونه أتقن أسبابه، فأطمعكم فى العير أولا مع ما أنتم فيه من الحاجة ثم وعدكم إحدى الطائفتين مبهما و أخرج قريشا لحماية عيرهم إخراجا لم يجدوا منه بدا، و لما نجت عيرهم أوردهم الرياء و السمعة

(١) فى ظ: العادية (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: قفر (٤) فى ظ: الرجال (٥) فى ظ: عدة (٦) من ظ، وفى الأصل: مواطن (٧) فى ظ: عن (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و البطر بما هم فيه من الكثرة و القوة كما قال أبو جهل: لا نرجع حتى نرد بدرا فننحر بها الجزور و نشرب الخمور و تعزف علينا القيان و نطعم من حضرنا من العرب فلا يزالون يهابوننا مدى الزمان - [1] ﴿ليقضى الله﴾ أى الذى له جميع الأمر من إعزاز دينه باعزازكم و إذلالهم ﴿امرا كان﴾ كما تكون الجبلات و الطبائع فى التمكن و التمام ﴿مفعولا﴾ أى مقدرا فى الأزل من لقائهم[2] و ما وقع فيه من قتلهم و أسرهم على ذلك الوجه العظيم فهو مفعول لا محالة ليتبين به إيمان من آمن باعتماده على الله و تصديقه بموعده[3] و كفر من كفر.

و لما علل ذلك التدبير فى اللقاء بقوله "ليقضى [الله" - [1]]، علل تلك العلة بقوله: ﴿ليهلك﴾ أى بعد رؤية ذلك القضاء الخارق للعادة ﴿من هلك﴾ أى من الفريقين[4]: الكفار فى حالة القتال و بعدها، و المسلمين هلاكا متجاوزا [و - [1]] ناشئا ﴿عن﴾ حالة ﴿بينة﴾ لما بان من صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم فى هذه الوقعة فى كل ما وعد به و كذب الكفار فى كل ما كانوا يقولونه قاطعين به مع أن ظاهر الحال يقضى لهم، فكان ذلك من أعظم المعجزات ﴿و يحيى من حى﴾ أى بالإسلام حياة هى فى أعلى الكمال بما تشير إليه قراءة نافع و البزى عن ابن كثير و أبى بكر عن عاصم باظهار الياءين، أو فى أدنى الكمال بما يشير

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: لقايكم (٣) فى ظ: موعوده (٤) من ظ، و فى الأصل: فريقى.

إليه إدغام الباقين تخفيفا حياة متجاوزة و ناشئة ﴿ عن ﴾ حالة ﴿ بينة[1] ﴾ أى كائنة بعد البيان فى كون الكافرين على باطل و المؤمنين على حق لما سيأتى من أنهم كانوا يقولون "غر هؤلاء دينهم" فحينئذ تبين المغرور وكشفت[1] عجائب المقدور عن أعين القلوب المستور .

و لما كان التقدير : فان الله فى فعل ذلك لعزيز حكيم ، عطف عليه ٥ قوله / : ﴿ و ان الله لسميع ﴾ أى لما كنتم تقولونه [و غيره -[2]] / ٤٣٣ ﴿ عليم ﴾ بما كنتم تضمرونه و غيره فاستكينوا لعظمته و ارجعوا عن منازعتكم لخشيته ، ثم أتم سبحانه تصوير[3] حالتهم بقوله مبينا ما أشار إليه من لطف تدبره : ﴿ اذ ﴾ أى اذكر إذ أردت علم ذلك حين ﴿ يريكهم الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال فهو يفعل ما يشاء ﴿ فى منامك قليلا[4] ﴾ تأكيدا ١٠ لما تقدم إعلامه به من أن المصادمة ـ فضلا عما نشأ عنها ـ ما كان إلا منه و أنهم كانوا كالآلة التى لا اختيار لها ، و ذلك أن النبى صلى الله عليه و سلم رآهم فى منامه قليلا فحدث أصحابه رضى الله عنهم بذلك فاطمأنت قلوبهم و شجعهم ذلك ؛ و عين ما كان يحصل من الفساد لولا ذلك فقال : ﴿ و لو اريكهم ﴾ أى فى منامك أو غيره ﴿ كثيرا ﴾ . ١٥

و لما كان الإخبار بعد الوقعة بضد ما وقع فيها مما يقتضى طبع البشر التوقف فيه ، أكد قوله : ﴿ لفشلتم ﴾ أى جبنتم ﴿ و لتنازعتم ﴾ أى اختلفتم فنزع[4] كل واحد منزعا خلاف منزع صاحبه ﴿ فى الامر ﴾ أى فوهنتم فزادكم ذلك ضعفا و كراهة للقائهم ﴿ و لكن الله ﴾ أى الذى

(١) من ظ ، و فى الأصل : كشف (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : نزع .

أحاط بكل شيء قدرة و علما ﴿ سلم ﴾ أى و لكن لم يركهم كذلك فحصلت السلامة عما كان يتسبب عنها من النكوص ؛ ثم بين العلة فى ترتيبه ذلك و إخباره بهذا الأمر المفروض بقوله : ﴿ انه عليم ﴾ أى بالغ العلم ﴿ بذات الصدور ﴾ أى ضمائرها من الجراءة و الجبن و غيرهما قبل خطورها فى القلوب .

و لما بين ما نشأ عن رؤيته صلى الله عليه و سلم من قلتهم[1] و ما كان ينشأ عن رؤيته الكثرة لو وقعت ، لأنه صلى الله عليه و سلم - لما[2] هو عليه من النصيحة و الشفقة - كان يخبرهم بما رأى كما أخبرهم فى غزوة أحد بالبقر[3] المذبحة ؛ أتبعه ما فعل من اللطف فى رؤيتهم بأنفسهم يقظة فقال : ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكروا أيضا إذ ﴿ يريكموهم ﴾ أى يبصركم إياهم ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ التقيتم ﴾ و نبه على[4] أن الرؤية ليست على حقيقة ما هم عليه بقوله : ﴿ فى اعينكم ﴾ أى لا فى نفس الأمر حال كونهم ﴿ قليلا ﴾ أى عددهم يسيرا أمرهم مصدقا[5] لما أخبركم به النبى[4] صلى الله عليه و سلم عن رؤياه لتجترئوا عليهم[6] ؛ روى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبى : أتراهم سبعين ؟ قال : أراهم مائة ، فأسرنا رجلا منهم فقلنا : كم كنتم ؟ قال : ألفا . قال الحرالى[7] فى آل عمران : فجعل القليل وصفا لهم لازما ثابتا دائما عليهم بما أوجب فيهم من نقص ذواتهم بخفاء فطرتهم و ما وراء خلق الفطرة

(١) فى ظ : قتلهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : كما (٣) فى ظ : بالبقرة (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مصداقا (٦) فى ظ : عنهم (٧) العبارة من هنا إلى « قال الحرالى » ساقطة من ظ .

من

من الذوات ، قال تعالى : ﴿ و يقللكم ﴾ صيغة فعل واقع وقت لا وصفا لهم من حيث أنه لو أراهم إياهم على الإراءة الحقيقية لزادهم مضاعفين بالعشر ، فكانوا يرونهم ثلاثة آلاف و مائتين و ثلاثين - انتهى . ﴿ فى اعينهم ﴾ قبل اللقاء ليجترئوا على مصادمتكم حتى قال أبو جهل : إنما هم أكلة جزور ، ثم كثركم فى أعينهم حين المصادقة حتى انهزموا حين فاجأتهم الكثرة فظنوا الظنون ؛ قال الحرالى : قللهم حين[1] لم يرهم إياهم على [الإراءة -[2]] الحقيقية العشرية ، و لا أراهم إياهم على الصورة[3] الحسية ؛ فكان ذلك آية للمؤمنين على قراءة ياء الغائب - أى فى آل عمران[4] - و كانت آية للكفار على قراءة "ترونهم" - بتاء الخطاب ، فكان فى ذلك فى إظهار الإراءة فى أعين الفئتين نحو مما كان من الإراءتين الواقعة بين موسى عليه السلام و السحرة فى أن موسى عليه السلام و من معه خيل إليهم من سحرهم أنها تسعى و أن فرعون و من معه / رأوا ثعبانا مبينا يلقف[5] ما يأفكون رؤية حقيقة ، فتناسب ما بين[6] الآيات الماضية القائمة لهذه الآية[7] بوجه ما ، و كانت هذه الآية أشرف و ألطف بما هى فى مدافعة بغير آلة من عصى و لا حبل فى ذوات الفئتين و إحساسهم - انتهى .

/ ٤٣٤

و لما ذكر ما أحاله سبحانه من إحساس الفئتين ، علله بقوله : ﴿ ليقضى الله ﴾ أى الذى له العزة البالغة و الحكمة الباهرة من نصركم و خذلانهم بأن تفاجئهم كثرتكم بعد رؤيتكم قليلا فيشجعهم ذلك ، و يهزمهم

(١) فى ظ : حتى (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : تصور (٤) راجع آية ١٣ منها (٥) فى ظ : يتلقب (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : الامه .

﴿ امرا كان مفعولا ﴾ أى من إعجالهم - بما فجعهم من الكثرة بعد القلة - عن الحذر و الاستعداد لذلك [و - [1]] بما فعل بأيديكم فى هذه الغزوة من القتل و الأسر و الهزيمة المثمر لذل جميع أهل الكفر ، كان مقدرا فى الأزل فلا بد من وقوعه على ما حده لأنه لا راد لأمره و لا يبدل القول لديه ، فعل ذلك كله وحده .

و لما كان التقدير : فبيده سبحانه ابتداء الأمور بتقديره إياها فى الأزل لا بيد أحد غيره ، عطف عليه قوله : ﴿ و الى الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى بيده وحده كل أمر ﴿ ترجع الامور ﴾ أى[2] كلها فلا ينفذ إلا ما يريد إنفاذه ، فلا تجرى الأمور على ما يظنه العباد ، و هو من قولك : هذا الأمر راجع[3] إليك ، أى مهما أردته فيه مضى ، و لو فرض أن غيرك[4] عالجه لم يؤثر فيه ؛ و لا يزال كذلك حتى يرجع إليك فيمضى ، فالحاصل أن فيه قوة الرجوع بهذا الاعتبار و إن لم يكن هناك رجوع بالفعل ، و فى هذا تنبيه على أن أمور الدنيا غير مقصودة لذواتها ، و إنما المراد منها ما يصلح أن يكون زادا ليوم المعاد . و لما[5] تقرر ذلك و تم على هذا السبيل الأحكم و المنهاج الأقوم ، كان علة لمضمون قوله : ﴿ يآيها الذين امنوا ﴾ الآيتين ، فكانتا نتيجته ، لأنه إذا علم أن الأمر كله له ولا أثر لقلة و لا كثرة أثمر لمن هو فى أدنى درجات الإيمان فضلا عن غيره قلة المبالاة بالظالمين و إن تجاوزت قواهم الحد ، و زادوا كثرة على

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : يراجع (٤) فى ظ : غيره (٥) زيد فى ظ : كان .

العد ، و الآيتان تذكّرانهم[1] بحالتهم التى أوجبت نصرهم ليلزموها فى كل معترك و لا يتنازعوا كما تنازعوا[2] فى المغنم ﴿اذا لقيتم﴾ أى قاتلتم لأن اللقاء اسم للقتال غالب ﴿ فئة ﴾ أى [طائفة -[3]] مستحقة للقتال [كما أغنى عن وصفها بذلك وصفهم بالإيمان -[3]] ﴿ فاثبتوا ﴾ أى فى لقائها بقتالها كما ثبتم فى بدر و لا تحدثوا أنفسكم بفرار ﴿ و اذكروا الله ﴾ أى الذى له كل كمال فكل شىء يطلب فهو عنده يوجد ﴿ كثيرا ﴾ أى كما صنعتم ثَمَّ ، لأن ذلك أمارة الصدق فى الاعتماد عليه وحده ، و ذلك موجب للنصر لا محالة كما فى الحديث القدسى « إن عندى كل عبدى للذى يذكرنى عند لقاء قرنه » .

و لما أمر بذلك ، علله بأداة الترجى ، ليكون أدل على أنه سبحانه لا يجب عليه شىء فيكون أثبت للايمان فقال : ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أى لتكونوا على رجاء من الفلاح و هو الظفر بالمراد من[4] النصر و الأجر و كما كنتم إذ ذاك ﴿ و اطيعوا الله ﴾ أى الذى له الغنى المطلق فلا يقبل إلا الخالص و الكمال الأكمل فلا يفعل [إلا -[3]] ما يريد ﴿ و رسوله ﴾ أى فى الإقدام و الإحجام لجهلكم بالعواقب ، و تلك الطاعة أمارة إخلاصكم فى الذكر ﴿ و لا تنازعوا ﴾ بأن يريد كل واحد نزع ما لصاحبه من رأى و غيره و إثبات ما له ، و أشار إلى عظيم ضرر التنازع ببيان ثمرته المرة فقال : ﴿ فتفشلوا ﴾ أى تضعفوا ؛ قال فى القاموس : فشل كفرح ،

(١) فى ظ : تذكيرا لهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : يتنازعوا (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ : و هو .

فهو فشل : كسل و ضعف و تراخى و جبن - انتهى . و المادة راجعة إلى الفيشلة و هى الحشفة ، و من لازمها الرخاوة و ينشأ عن الرخاوة[1] الجبن مع الصلف و الخفة و الطيش .

/٤٣٥ ولما كان الفشل ربما كان معه / الظفر لفشل فى العدو أكثر منه أو غير ذلك ، عطف ما يلزمه غالبا بالواو دون الفاء فقال : ﴿ و تذهب[2] ريحكم ﴾ أى غلبتكم و قوتكم ، و أصله أن الريح إذا كانت فى الحرب من جهة صف كانت فى وجوه أعدائهم فمنعتهم بما يريدون فخذلوا فصارت كأنها قوة من أتت من عنده ، فصارت يكنى بها عنها ؛ ثم ختم هذه الأسباب بالجامع لشملها الناظم[3] لمقاصد أهلها فقال : ﴿ و اصبروا[4] ﴾ أى على ما يكون من تلك المشاق فانكم إن تكونوا تألمون فان أعداءكم كذلك ، و أنتم ترجون من الله ما لا يرجون ؛ ثم علله بما يكون عنه النصر فى الحقيقة فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ مع الصٰبرين ﴾ أى لأنهم لا يصبرون إلا اعتمادا عليه ، و من كان معه عز ، و هذه الجملة جمع فيها - كما قال الإمام شمس الدين محمد بن قيم الجوزية فى آخر كتاب[4] الفروسية المحمدية - تدبير الحروب أحسن جمع على أتم وجه ، فأمر فيها بخمسة أشياء ما اجتمعت قط فى فئة إلا انتصرت و إن قلت فى جنب عدوها ، و خامسها ملاك ذلك و قوامه و أساسه و هو الصبر ، فعلى هذه الدعائم الخمس تبنى قبة النصر ، و متى زالت

(١) فى ظ : الرخاو (٢) فى ظ : يذهب ، و هذه أيضا قراءة (٣) فى ظ : الناظر .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : كتب .

أو بعضها زال من النصر بحسبه ، و إذا اجتمعت قوى بعضها بعضا و صار لها أثر عظيم ، لما اجتمعت فى الصحابة رضى الله عنهم لم تقم لهم أمة من الأمم ، ففتحوا البلاد شرقا و غربا و دانت لهم العباد سلما و حربا ، و لما تفرقت فيمن بعدهم و ضعفت آل الأمر قليلا قليلا إلى ما ترى - فلا قوة إلا بالله ، و الجامع لذلك كله طاعة الله و رسوله فانها ٥ موجبة لتأييد المطيع بقوة من هو فى طاعته ، و ذلك [1]سر قول أبى الدرداء رضى الله عنه الذى رواه البخارى فى باب « عمل صالح قبل القتال[1] » : إنما تقاتلون الناس بأعمالكم ؛ و هو شرع قديم ، قال فى أثناء السفر الخامس من التوراة : و [إن - [2]] أنتم سمعتم قول الله ربكم و تحفظتم[3] و عملتم بكل هذه الوصية التى آمركم[4] بها اليوم يبارك عليكم[5] الله ربكم كما ١٠ قال لكم[6] ، و[7] ترزقون إن تقرضوا شعوبا كثيرة[8] و لا تقرضون ، و تسلطون على شعوب كثيرة و لا يتسلطون عليكم .

و لما ذكرهم سبحانه ما أوجب نصرهم آمرا لهم بالثبات عليه ، ذكر لهم حال أعدائهم الذى أوجب قهرهم ناهيا عنه تعريضا بحال المنازعة فى الأنفال و أنها حال من يريد الدنيا ، و يوشك - إن تمادت - أن تجر إلى مثل ١٥ حال هؤلاء الذين محط نظرهم الدنيا فقال : ﴿ و لا تكونوا ﴾ أى يا معشر

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : من قوله صلى الله عليه وسلم (٢) زيد من ظ .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : تحفظكم (٤) فى ظ : امرهم (٥) تأخر فى الأصل عن « الله » و الترتيب من ظ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : او (٨) فى ظ : كثيرا .

المؤمنين ﴿ كالذين ﴾ و صور قبح عملهم من أوله إلى آخره فقال : ﴿ خرجوا من ديارهم ﴾ أى كل واحد من داره و هم أهل مكة ، و كل من عمل مثل عملهم كان مثلهم ، و لذا عبر بالوصف ليعم ﴿ بطرا ﴾ أى طغيانا[1] و تكبرا على الحق ، و مادة بطر - بأىّ ترتيب اتفق - تدور على ٥ اللين القابل للعمل حتى ربط ، فانه لو لا الضعف ما استوثق من المربوط ، و منه بطر[2] الجرح - و هو شقه - و البيطار ، و تارة يكون ذلك اللين عن دهش ، و منه أبطرت حلمه أى أدهشته عنه ، و ذهب دمه بطرا أى باطلا للضعف عنه للحيرة فى الأمر[3] الموصل إليه ، و تارة يكون[4] عن مجاوزة الحد فى الصلابة ، و منه بطر النعمة - إذا لم يشكرها فتجاوز الحد ١٠ فى المرح ، فان فاعل ذلك يمكنه الحكيم من مقاتله فيأخذه و هو يرجع الى عدم احتمال القوى للشكر ، ففاعل ذلك ضعيف و إن ظهر منه خلاف ذلك كما قال عمر رضى الله عنه : العدل و إن رئى لينا أكف عن الظلم من الجور و إن رئى شديدا - أو كما قال رضى الله عنه . و أقرب من ذلك أن تكون المادة دائرة / على الخلطة[5] النافلة من حال ١٥ إلى حال .

و لما ذكر الحامل لهم على الخروج من أنفسهم ، ذكر ما أوجبه [لهم -[6]] من غيرها فقال : ﴿ و رئآء الناس ﴾ أى خرجوا يرون الناس

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : طعنا (٢) من ظ ، و فى الأصل : بطرح (٣) فى ظ ، الأصل (٤) فى ظ : تكون (٥) من ظ ، و فى الأصل : الخليطة (٦) زيد من ظ .

خروجهم و ما يتأثر عنه ليروهم ما يقولون[1] فيه، فانهم لما قيل[2] لهم: قد نجى الله عيركم فارجعوا، بطروا النعمة تبعا لأبى جهل حيث قال[3]: و الله لا نرجع حتى نرد بدرا فنشرب الخمور و ننحر الجزور و تعزف علينا القيان فتسمع بنا العرب فلا تزال تهابنا أبدا! فسقوا مكان الخمر كؤس المنايا الحمر، و ناحت عليهم نوائح الزمان مكان العزف و القيان. ٥

و لما ذكر نفس الخروج و ما فيه من الفساد و ذكر ثمرته الخبيثة الناشئة عن ذينك الخلقين، و عبر عنهما بالاسم إشارة إلى الثبات كما هو شأن الأخلاق، و عن الثمرة بالمضارع تنبيها على أنهم لا يزالون يجددونها فقال: ﴿ و يصدون ﴾ أى يوجدون الصد و هو المنع لأنفسهم و غيرهم ﴿ عن سبيل الله[4] ﴾ أى الملك الأعظم فى ذلك الوجه و هم عازمون على ١٠ تجديد ذلك فى كل وقت. فلما كانت هذه مقاصدهم كان نسجهم هلهلا و بنيانهم واهيا، فانها من عمل الشيطان، وكل عمل لا يكون لله إذا صدم بما هو لله اضمحل، بذلك سبحانه أجرى سنته و لن تجد لسنته تحويلا، فان العاملين عبيد الله ﴿ و الله ﴾ أى فعلوا ذلك و الحال أن المحيط بكل شىء الذى عادوا[4] أولياءه ﴿ بما ﴾ أو يكون ذلك معطوفا على ما تقديره: ١٥ فأبطل الله بجلاله و عظمته أعمالهم و هو بكل ما ﴿ يعملون محيط ﴾ فهم فى قبضته، فأوردهم - إذ خرجوا يحادونه - بدرا فنحر مكان الجزور رقابهم و سقاهم مكان الخمور[5] كؤس المنايا، و أصاح عليهم مكان القيان صوائح [النوائح -[6]]، و لعله قدم الجار إشارة إلى أنه لشدة إحاطته بأعمالهم كأنه

(١) من ظ، و فى الأصل: تقولون (٢) فى ظ: فيه (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: عادى (٥) فى ظ: الخمر (٦) زيد من ظ.

لا نظر له إلى غيرها فلا شاغل له عنها .

و لما بين لهم فساد أعمالهم لفساد نياتهم تنفيرا منها ، زاد فى التنفير بالإشارة إلى الأمر بدوام تذكرها بعاطف على غير معطوف عليه مذكور فقال : ﴿ و اذ ﴾ فعلم أن التقدير قطعا : اذكروا ذلك و اذكروا إذ ، و زاد فى التنفير بذكر العدو المبين و التنبيه على أن كل ما يأمر به إنما هو خيال لا حقيقة له [كما - [1]] كان ما سول لهم فى[2] هذا الأمر فقال : ﴿ زين لهم الشيطن ﴾ أى العدو المحترق البعيد من الخير ﴿ اعمالهم ﴾ [التى أتقنوها بزعمهم فى معاداة النبي صلى الله عليه و سلم - [1]] ، و ذلك أنه تبدى لهم فى صورة[3] سراقة بن مالك بن جعشم الكنانى حين خافوا من قومه بنى كنانة أن يخلفوهم فى أهليهم[4] بسوء لما كان بينهم مما يوجب ذلك ، فكاد ذلك أن يثبطهم عن المسير ﴿ و قال ﴾ غارّا لهم فى أنفسهم ﴿ لا غالب لكم ﴾ و الجار خبر 'لا' و إلا لا انتصب اسمها لكونه يكون إذ ذاك شبيها بالمضاف ﴿ اليوم من الناس ﴾ و غارا لهم فيمن خلفوه بقوله : ﴿ و انى جار لكم ج ﴾ من أن تخلفكم كنانة بشىء تكرهونه ، و سار معهم إلى بدر [5] ينشطهم و[5] ينشدهم و يسلطهم[6] بهذا القول الظاهر إلى [ما - [1]] يوسوس لهم به فى الصدور ﴿ فلما ترآءت الفئتن ﴾ أى رأت كل فئة الأخرى و رأى جبريل عليه السلام فى [7]جنود الله[7] ﴿ نكص ﴾ أى رجع يمشى القهقرى و بطل كيده و آثار وسوسته ﴿ على عقبيه ﴾ أى إلى ورائه[8] ، فقالوا :

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : اهلهم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : يشدهم و يبسطهم (٧ - ٧) فى ظ : جنوده (٨) فى ظ : وراه .

أين

أين أى[1] سراق؟ و لا يظنونـــه إلا سراقة ، فمر و لم يجبهم و لا عرج عليهم ﴿ و قال ﴾ أى بلسان الحال أو القال و هم يسمعونه أو لا يسمعونه ﴿ انى برىء منكم ﴾ ثم علل براءته منهم بقوله : ﴿ انى ارى ﴾ أى بعين بصرى ﴿ما لا ترون﴾ أى من الملائكة و الغضب الذى هو[2] نازل بكم ، فقال له الحارث بن هشام و كانت يده فى يده : [3]و الله[3] ما نرى إلا جواسيس يثرب ! فاستأنف قوله مؤكدا لإنكارهم لذلك : ﴿ انى اخاف الله[1] ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما أن يهلكنى معكم بالمعاجلة بالعقاب ﴿ و الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ شديد العقاب ﴾ فكانوا يقولون : انهزم / بنا ٤٣٧ / سراقة ، فقال : بلغنى أنكم تقولون كذا ! و الله ما علمت بمسيركم هذا[2] إلا عند ما بلغنى انهزامكم فكانوا يكذبونه حتى أسلموا فعلموا أن الذى غرهم الشيطان ، و ذلك مشهور فى السير ، و هو أولى من أن يحمل على مجرد الوسوسة ، و فى الحديث « ما رئى إبليس يوما أصغر و لا أحقر و لا أغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة إلا ما رئى[4] يوم بدر » .

و لما استوفى ما كان يقطع به [3]فى حق أولئك مما هو من أنفسهم و مما هو من تزيين الشيطان ، أبدل منه ما كان يقطع به[3] فى حقهم ثم من أهل الجهل بالله و بأيامه الماضية و آثاره عند أوليائه و أعدائه فقال : ﴿ اذ يقول المنفقون ﴾ أى من العرب و بنى إسرائيل قولا يجددونه كل وقت لما لهم فيه من الرغبة ﴿ و الذين فى قلوبهم مرض ﴾ أى ممن

(١) فى ظ : ابى (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ وموطأ الإمام مالك ـ جامع الحج ، و فى الأصل : يرى .

لم[1] يرسخ الإيمان فى قلبه ممن آمن و لم يهاجر أو من اليهود المصارحين بالكفر حين يرون الكفار و قوتهم و كثرتهم و المؤمنين و ضعفهم و قلتهم ﴿غر هؤلاء﴾ مشيرين إليكم ﴿دينهم[1]﴾ أى فى إقدامهم على ما يقطع فيه بهلاكهم ظنا منهم أن الله ناصرهم و هم ثلاثمائة و بضعة عشر إلى ٥ زهاء ألف ملوك العرب، فيغيظكم ذلك، فكذبهم الله و صدق أمركم بتوكلكم عليه و صبركم على دينكم ﴿و من﴾ أى قالوا ذلك عالمين بأنكم متوكلون[2] على من تدينون له و الحال أنه من ﴿يتوكل على الله﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة، فهو يفعل ما يشاء منكم و من غيركم بشرطه[3] من الإيمان و السعى فى الطاعة كما فعلتم فانه معز و مكرم.

١٠ و لما كان سبحانه محيطا بكل صفة كمال على الإطلاق من غير قيد توكل و لا غيره، أظهر تعالى فقال عاطفا على ما تقديره: فان الله قادر على نصره: ﴿فان الله﴾ أى الذى له الكمال المطلق ﴿عزيز﴾ أى غالب لكل من يغالبه فهو جدير بنصره ﴿حكيم*﴾ أى متقن لأفعاله فهو حقيق بأن يأخذ عدو المتوكل عليه من الموضع الذى لا ينفعه فيه حيلة.

١٥ و لما ذكر ما سرّهم من حال أعدائهم المجاهرين و المسارين فى الدنيا مرصعا ذلك بجواهر الحكم و بدائع الكلم [التى -[4]] بملازمتها تكون السعادة و بالإخلال بها تحل الشقاوة، أتبعه ما يسرهم من حال أعدائهم عند الموت و بعده، فقال مخاطبا لمن لو كشف الغطاء لم يزدد يقينا، حاديا بتخصيصه بالخطاب كل سامع على قوة اليقين ليؤهل لمثل هذا الخطاب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: متوكلين (٣) من ظ، و فى الأصل: شرط.
(٤) زيد من ظ.

حكاية لحالهم فى ذاك[1] الوقت ﴿ و لو ﴾ أى يقولون ذلك و الحال أنك ﴿ لو ترى ﴾ يا أعلى[2] الخلق ﴿ اذ يتوفى ﴾ أى يستوفى إخراج نفوس ﴿ الذين كفروا ﴾ أى من هؤلاء القائلين و من غيرهم ممن قتلتموهم ببدر و من غيرهم بعد ذلك و قبله ﴿ الملئكة ﴾ أى جنودنا الذين[3] وكلناهم بهم حال كونهم ﴿ يضربون ﴾ . ٥

و لما كان ضرب الوجه و الدبر أدل ما يكون على الذل و الخزى ، قال : ﴿ وجوههم و ادبارهم ج ﴾ أى أعلى أجسامهم و أدناها فغيره[4] أولى ﴿ و ﴾ حال كونهم يقولون لهم : ذوقوا ما كنتم به تكذبون ﴿ ذوقوا عذاب الحريق ۝ ﴾ أى لرأيتم منظرا هائلا و أمرا فظيعا ، فسركم ذلك غاية السرور ، و ما أثر كلامهم فى غيظكم ، فانهم يعلمون حينئذ من الذى غره دينه و ' لو ' ١٠ و إن كانت تقلب المضارع [5]ماضيا فلا يخلو التعبير بالمضارع[5] فى حيزها من فائدة ، و هى ما ذكر من الإشارة إلى أن هذا لا يخص ميتا منهم دون ميت ، بل لا فرق بين متقدمهم و متأخرهم ، من مات ببدر أو غيرها ، و ليس فى الكلام ما يقتضى أن يكون القائلون[6] " غر هؤلاء [دينهم -[7]] " حضروا بدرا ، بل الظاهر أن قائليه كانوا بالمدينة و تعبيرهم بـ " هؤلاء " ١٥ التى هى أداة القرب للتحقير و استسهال أخذهم كما أن أداة البعد تستعمل للتعظيم ببعد الرتبة ، و على مثل هذا يتنزل[8] قول فرعون بعد أن سار

(١) فى ظ : ذلك (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : الذى (٤) من ظ ، و فى الأصل : فغير (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : القايلين . (٧) زيد من ظ و القرآن الكريم (٨) فى ظ : ينزل .

/٤٣٨ بنو إسرائيل زمانا / أقله ليلة و بعض يوم كما حكاه الله عنهم[1] " ان هؤلاء لشرذمة قليلون[2] " على أن البغوى قد نقل فى تفسير قوله تعالى " يرونهم مثليهم رأى العين[3] " أن جماعة من اليهود حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون[4] الدائرة . و إذا تأملت هذا مع قوله تعالى " كداب ٥ آل فرعون " علمت أن جل المقصود من هذه الآيات إلى قوله " ذلك بانهم قوم لا يفقهون " اليهود ، و فى تعبيره بـ " لا يفقهون " تبكيت شديد لهم كما قال تعالى فى آية الحشر " لانتم اشد رهبة فى صدورهم من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون[5] " .

و لما عذبوهم قولا و فعلا ، عللوا لهم ذلك بقولهم[6] زيادة فى تأسيفهم : ١٠ ﴿ ذلك ﴾ أى هذا الفعل العظيم الذى يفعله[7] بكم من العذاب الأليم ﴿ بما قدمت ايديكم ﴾ أى من الجراءة على الله ﴿ و ان ﴾ أى و بسبب أن له أن يفعل ذلك و إن لم تقدموا شيئا فان ﴿ الله ﴾ أى[8] الذى له صفات الكمال ﴿ ليس بظلام ﴾ أى بذى ظلم ﴿ للعبيد ﴾ فان ملكه لهم تام ، و المالك التام المُلك على ما يملكه المليك الذى لا شىء يخرج عن ١٥ دائرة ملكه ، و هو[9] الذى جبلكم هذه الجبلة الشريرة التى تأثرت عنها هذه الأفعال القبيحة ، و هو لا يسئل عما يفعل ، من الذى يسأله ! و يجوز أن يكون المعنى : و ليس بذى ظلم لأنه لا يترك الظالم يبغى على المظلوم من

(١) من ظ ، و فى الأصل : عنه (٢) سورة ٢٦ آية ٥٤ (٣) آية ٣ سورة ١٣ .
(٤) من معالم التنزيل - راجع الخازن ١/ ٢٧٣ ، و فى الأصل و ظ : يكون .
(٥) آية ١٣ (٦) من ظ ، و فى الأصل : قوله (٧) فى ظ : نفعله (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : هذا .

غير جزاء لكم على ظلمكم لأهل طاعته . [و سيأتى فى ' فصلت' حكمة التعبير بصيغة تحتمل المبالغة -[1]] .

و لما بين بما مضى ما يوجب الاجتماع عليه و الرجوع فى كل أمر إليه ، و بين أن من خالف ذلك هلك كائنا من كان ؛ أتبعه بما يبين أن هذا من العموم و الاطراد بحيث لا يخص زمانا دون زمان و لا مكانا ٥ سوى[2] مكان فقال تعالى : ﴿ كداب ﴾ أى عادة هؤلاء الكفار و شأنهم الذى دأبوا فيه و داوموا و واظبوا فمرنوا[3] عليه كعادة ﴿ آل فرعون[4] ﴾ أى الذين[4] هؤلاء اليهود من أعلم الناس بأحوالهم ﴿ و الذين ﴾ و لما كان المهلكون لأجل تكذيب الرسل بعض أهل الزمان الماضى ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلهم[5] ﴾ و هو مع ذلك من أدلة " فلم تقتلوهم " لأن هؤلاء ١٠ الذين أشار إليهم كان هلاكهم بغير قتال[5] ، بل بعضهم بالريح و بعضهم بالصيحة و بعضهم بالغرق و بعضهم بالخسف الذى هو غرق فى الجامد ، فكأنه يقول : لا ينسب أحد لنفسه فعلا ، فانه لا فرق عندى فى إهلاك أعدائى بين أن يكون إهلاكهم بتسليط من قتال أو غيره ، الكل بفعلى ، لو لا أنا ما وقع ، و ذلك[6] زاجر عظيم لمن افتخر بقتل من قتله الله على ١٥ يده[7] ، أو نازع فى النفل ، و هو راجع إلى قوله تعالى " لكيلا تأسوا على ما فاتكم و لا تفرحوا بما آتاكم[8] " و فى ذلك حث على التمرن على عدم

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : دون (٣) فى ظ : فمروا (٤) من ظ ، و فى الأصل : الذى (٥) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٦) فى ظ : هو (٧) فى ظ : يديه .
(٨) سورة ٥٧ آية ٢٣ .

الاكثراث بشيء يكون للنفس فيه أدنى حظ ليصير ذلك خلقا كما هو دأب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، لا يضيف شيئا من محاسنه إلا إلى خالقه إلا إن كان مأمورا فيه بالتشريع ، بل يقول : قتلهم الله ، صرفهم الله ، نصرنا الله ، كفى الله ، فاذا صار ذلك للمتمسكين به خلقا أفضى بهم إلى مدح الخالق ٥ [و - [1]] المخلوق لهم كما قال كعب بن زهير رضى الله عنه[2] فى مدحهم :

ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم قوما[3] و ليسوا مجازيعا إذا نيلوا

ثم بين تعالى الحال الذى شابهوا فيه من قبلهم بقوله : ﴿ كفروا بآيات الله ﴾ أى ستروا ما دلتهم عليه أنوار عقولهم من دلالات الملك الأعلى و غطوها لأنهم لم يعملوا بها و صدوا عن ذلك من تبعهم ، فكان جزاؤهم ما تسبب ١٠ عن ذلك من قوله : ﴿ فاخذهم الله ﴾ أى الذى له مجامع الكبر و معاقد العظمة و العز أخذ غلبة و قهر و عقوبة ﴿ بذنوبهم[4] ﴾ كما أخذهم فانهم تجرأوا على رتبة الألوهية التى تخسأ دون شوامخها / نوافذ الأبصار ، و تظلم عند بوارق أشعتها سواطع الأنوار ، و تضمحل بالبعد عن أول مراقيها القوى ، و تنقطع بتوهم الدنو من فيافيها الأعناق ، فنزلت بهم صواعق ١٥ هيبتها ، و أناخت عليهم صروف عظمتها ، فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم و لا تحس إلا ملاعبهم[4] و أماكنهم .

/ ٤٣٩

و لما أخبر بأخذهم ، علله بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة ﴿ قوى ﴾ أى يغلب كل شيء و لا يغلبه شيء ﴿ شديد العقاب ٥ ﴾ .

و لما كان كأنه قيل : فما له يمهلهم و لا يعاجلهم بالأخذ قبل النكاية

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : عنهم (٣) من ديوان كعب ، و فى الأصل و ظ : يوما (٤) من ظ ، و فى الأصل : مل - كذا .

فى أوليائه و أهل وده و أصفيائه ؟ قال : ﴿ ذلك ﴾ أى الأخذ على هذه الحالة ﴿ بان الله ﴾ أى بسبب أنهم غيروا ما فى أنفسهم ، و قد كان له سبحانه أن يأخذهم قبل أن يغيروا[1] لعلمه بما فى ضمائرهم ، و لكنه تعالى أجرى سنته الإلهية لتمام علمه و كمال قدرته و إحاطته بجميع صفات الكمال بأنه ﴿ لم يك ﴾ هكذا كان الأصل ، و لكن حذف اختصارا تقريبا لبيان ٥ تعميم العلة[2] و إبعادا للسامع من مثل ذلك ، و حذف نون ' يكن ' إرشادا إلى أن هذه الموعظة خليقة بأن يوجز بها غاية الإيجاز فيبادر إلى إلقائها لما فى حسن تلقيها من عظيم المنفعة ، لأن من خالفها جدير بتعجيل الانتقام ﴿ مغيرا نعمة ﴾ أى قلت أو جلت ، و بين أنه لا نعمة على أحد إلا منه فقال : ﴿ انعمها على قوم ﴾ أى من أىّ طائفة كانوا ﴿ حتى يغيروا ﴾ أى ١٠ يبدلوا ﴿ ما ﴾ يعتقدونه ﴿ بانفسهم[3] ﴾ بغيره مما هو غريزة لهم و هو خفى عنهم ، يظنون اتصافهم بضده مما هو ظاهر لهم اتصافا غريزيا[3] ﴿ و ان ﴾ أى و بسبب أن ﴿ الله ﴾ أى الذى له الكمال [كله -[4]] ﴿ سميع ﴾ أى لما يكذبون به الرسل[5] و لأقوالهم : إن ما يظهرونه وصفهم الحقيقى ﴿ عليم[6] ﴾ أى بما[7] تكن ضمائرهم من غيره و إن جهلوه هم فيبتليهم ببلاء يظهر به ذلك ١٥ المكنون و يبرز [به -[4]] كل سر مصون ، فاذا تعلق به العلم ظاهرا[7] علق به الحكم قاهرا لتمام قيام الحجة ، و لتمام علمه بحالهم أمهلهم ، و إنما يستعجل من يخاف أن تخيب فراسته أو يتغير علمه ، و أما الذى علمه

(١) فى ظ : يعتبروا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : غريزا (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : الرسول (٦) زيد فى ظ : لم (٧) فى ظ : ظاهر .

بالظواهر[1] والضمائر على حد سواء فالحالتان عنده سيان، فهو يمهل لإتمام الحكمة ولا يهمل من استحق النقمة، وذلك التغيير الذى أظهره البلاء هو التكذيب بالحق عنادا والبعد عما كانوا يدعونه من العدل والمشى على مناهيج العقل والاستحياء من العناد، والتنزه من طرق الفساد، هكذا كانت كل أمة أرسلت إليها الرسل تدعى وما عندها من خلاف[2] ذلك مستور فى ضمائرها مكنون فى سرائرها، لا تعلمه كما تشاهد أكثر من تعاشره، يظن فى نفسه ما ليس فيها. وعند الامتحان يكذبه العيان. فلما جاءتهم الرسل وأوضحوا لهم الأمر إيضاحا[3] ليس معه لبس فكذبوهم، غيروا ما كان[4] فى نفوسهم مما كانوا يزعمون؛ ثم كرر قوله -: ﴿كداب آل فرعون﴾ أى فرعون وقومه فانهم أتباعه فلا يخيل[5] أنهم يفعلون شيئا إلا وهو قائدهم فيه ﴿والذين من قبلهم[6]﴾ - لدقيقة، وهى أنه قد تقدم أنه [ما -[6]] من أمة إلا ابتليت بالضراء والسراء، فالأولى ينظر إليها مقام الإلهية الناظر إلى العظمة والكبرياء والقهر والانتقام، والثانية ثمرة مقام الربوبية الناشئ عنه التودد والرحمة والرأفة والإكرام، ولذا عبر فى الأولى باسم الذات الجامع لجميع الصفات الذى لفظه - عند من يقول باشتقاقه - موضوع لمعنى الإلهية إشارة إلى أنهم أعرضوا فى حال الضراء عن التصديق وعاملوا بالتجلد والإصرار، ولذا عبر فى هذه الثانية باسم الرب فقال: ﴿كذبوا﴾ أى

(١) من ظ، وفى الأصل: بالظاهر (٢) زيدت الواو بعده فى ظ، ولم تكن فى الأصل فحذفناها (٣) فى ظ: ايضا (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: يتخيل. (٦) زيد من ظ.

عنادا زيادة على تغطية مادل عليه العقل بالتكذيب / بالنقل ﴿ بآيٰت ربهم ﴾ / ٤٤٠
فأشار بذلك إلى بطرهم بالنعم و تكذيبهم أنها بسبب دعاء الرسل .

و لما أشار بالتعبير به إلى أنه غرهم معاملته بالعطف و الإحسان ، قال : ﴿ فاهلكنٰهم ﴾ أى جميعا ﴿ بذنوبهم و اغرقنآ ﴾ فأتى بنون العظمة[1] أشارة إلى أنه أتاهم بما أنساهم[2] ذلك البر ﴿آل فرعون ج ﴾ و[3] إشارة إلى ٥ أنهم نسوا أن الرب كما أنه يتصف بالرحمة فلا بد أن يتصف بالعظمة و النقمة و إلا لم تتم ربوبيته ، و هذا واضح مما تقدم فى الأعراف عن التوراة فى شرح "فارسلنا عليهم الطوفان[4] "- إلى آخرها ، من أن فرعون كان يسأل[5] موسى عليه السلام عند كل نازلة الدعاء برفعها معتلا بأن الرب ذو حلم و أناة [و -[6]] رحمة ، و قدم الأولى إشارة إلى أنهم بلغوا ١٠ الغاية فى الجرأة ، و التعبير فيها بـ " كفروا " يؤيد لذلك ، أى أن مجرد الستر للآيات بالإعراض عنها كافٍ فى إيجاب الانتقام و لو لم يصرح بتكذيب لعظم المقام ، و مادة كفر - بأىّ ترتيبه كان[7] - تدور على الخلطة المميلة المحيلة ، و بخصوص هذا الترتيب تدور على الستر ، أى غطوا[8] التصديق بآيات ربهم ، و يجوز - و هو الأحسن - أن يكون دورانها - مطلقا ١٥ لا بقيد ترتيب - على الفكر[9] ، و هو إرسال عين البصيرة فى طلب أمر و يلزمه

(١) زيد بعده فى الأصل : ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) فى ظ : نساهم.
(٣) سقط من ظ (٤) آية ١٣٣ (٥) من ظ ، و فى الأصل : يرسل (٦) زيد من ظ.
(٧) من ظ ، و فى الأصل : كانت (٨) فى ظ : غلطوا (٩) من ظ ، و فى الأصل : الكفر .

الكشف و الستر لأنه تارة يرفع أذيال الشبه [1]عن ذلك الأمر فينجلي و يتحقق ، و تارة يسلط قواطع الأدلة عليه فينعدم و يتمحق ، و ربما أرخى أذيال الشبه[1] عليه فأخفى بعد أن كان جليا كما كان شمرها عنه فألقى و قد كان خفيا .

٥ و لما أخبر سبحانه بهلاكهم ، أخبر بالوصف الجامع لهم بالهلاك فقال : ﴿ و كل ﴾ أى من هؤلاء و من تقدمهم من آل فرعون و من قبلهم ﴿ كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ ظلمين ۝ ﴾ أى[2] لأنفسهم و غيرهم واضعين الآيات فى غير مواضعها و هم يظنون بأنفسهم العدل ؛ ثم علل اتصافهم بالظلم أو استأنف بيانا له بقوله : ﴿ ان شر الدوآب ﴾ أى ظلموا

١٠ لأنهم كفروا بآيات ربهم الذى تفرد بالإحسان إليهم و شر الدواب ﴿ عند الله ﴾ أى فى حكم[3] الحكم العدل الذى له الأمر كله و فى علمه ﴿ الذين كفروا ﴾ أى منهم و من غيرهم ، أى حكم عليهم بلزوم الكفر لما ركب فيهم من فساد الأمزجة لعدم الملاءمة للخير ، فكانوا بذلك قد نزلوا عن رتبة الإنسان إلى رتبة مطلق الحيوان ، ثم إلى دركة الحشرات

١٥ و الديدان بل الجعلان ، لأن شر الناس الكفار ، و شر الكفار المصرون منهم ، و شر المصرين الناكثون للعهود ﴿ فهم ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ لا يؤمنون ۝ ﴾ أى لا يتجدد منهم إيمان يستمرون عليه لما سبق من علم الله فيهم ، فلم ينتفعوا بما أتاهم من صفة الربوبية فمحقتهم صفة الإلهية ،

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : حكمه .

و لعله إنما خص آل فرعون تذكيرا - لأكثر من كان يقول " غر هؤلاء دينهم " و هم اليهود - بأنهم كانوا بالنسبة إلى فرعون و آله أضعف من الصحابة رضوان الله عليهم بالنسبة إلى قريش و أتباعهم ، فان اليهود مع قلتهم عندهم كانوا قد دانوا لهم بذل العبيد لمواليهم بل أعظم ، و مع ذلك فانهم نصروا عليهم[1] لما كان الله معهم ، و إعلاما لهم بأنهم الآن كآل فرعون فى العناد مع ما هم فيه من القلة و الذلة ، فقد جمعوا من كل قوم أخس صفاتهم و أردأ حالاتهم ، و لذلك أبدل من عموم " الذين كفروا " : ﴿ الذين عهدت منهم ﴾ و هم اليهود بلا شك ، إما بنو قينقاع أو النضير أو قريظة أو الجميع بحسب التوزيع ، فكل[2] منهم نقض ما كان أخذ عليه صلى الله عليه و سلم من العهود ، و أخلف ما كان أكده من الوعود .

و لما كان العهد جديرا[3] بالوفاء و لا سيما من العلماء ، عبر بقوله : ﴿ ثم ينقضون عهدهم ﴾ أى يجددون نقضه كلما لاح لهم خلب برق أو زور بطل يغير فى وجه / الحق ؛ ثم عظم الشناعة عليهم بقوله : ﴿ فى كل مرة ﴾ ثم نبه على رضاهم من[4] رتبة الشرف العلية القدر وهدة[5] السفه و السرف[5] بعدم الخوف من عاقبة الغدر بقوله : ﴿ و هم لا يتقون ﴾ أى الناس فى الذم لهم على ذلك و لا الله فى الدنيا بأن يمكن منهم ، و لا فى الآخرة بأن يخزيهم ثم يركسهم بعد المناداة بالعار فى النار .

/ ٤٤١

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : فكلا (٣) فى ظ : جدير (٤) من ظ ، و فى الأصل : فى (٥ - ٥) فى ظ : السرف و السفه .

و لما أيأسه[1] من تقواهم بما اشتملوا عليه من تكرير النقض الناشئ عن[2] غاية الحسد و صلابة الرقاب و قساوة القلوب و القساوة على الكفر، أمره بما يوهن قواهم و يحل عراهم من إلباس اليأس بانزال البأس كما جرت عادته سبحانه أنه يوصيه[3] بالرفق ببعض الناس لعلمه أن عمله يزكو لبنيانه على أحسن[4] أساس، فقال مؤكدا لأجل ما جبل عليه صلى الله عليه و سلم من محبة الرفق: ﴿فاما تثقفنهم﴾ أى تصادفنهم و تظفرن بهم ﴿فى الحرب﴾ أى التى من شأنها أن يحرب فيها المبطل، و يربح و يرحب[5] المحق المجمل[6] ﴿فشرد بهم من خلفهم﴾ أى فنكل بهم تنكيلا يصدع و يفرق عن محاربتك من وراءهم[7] ممن هو على مثل رأيهم[7] فى المنافرة لك و لا تتركنهم أصلا لأن أتباعك أمهر منهم و أحذق، فهم لذلك أثبت و أمكن، فاذا أوقعت بهم[8] ذلك لم يجسر[9] عليك أحد بعده اتعاظا[10] بهم و اعتبارا بحالهم؛ و مادة شرد بكل ترتيب تدور على النفوذ، فان كان على قصد و سنن فهو رشد و يلزمه الاجتماع، و إن كان على غير سنن و جامع استقامة فهو شرود، و درشة، أى لجاجة[11] و يلزمه التفرق؛ قال ابن فارس: شرد البعير شرودا و شردت به تشريدا، فأما قوله "فشرد بهم" فالمراد نكل بهم

(١) من ظ: و فى الأصل: سه ـ كذا (٢) من ظ، و فى الأصل: فى (٣) من ظ، و فى الأصل: يرضيه (٤) من ظ، و فى الأصل: احق (٥) فى ظ: برحت. (٦) فى ظ: الجميل (٧ ـ ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) سقط من ظ. (٩) من ظ، و فى الأصل: لم يحشر (١٠) فى ظ: انفظاظا (١١) من القاموس، و فى الأصل و ظ: حاجة.

و سمع

و سمّع ، قال القزاز : شردت الرجل تشريدا - إذا طردته ، و شردت به - إذا سمّعت به و ذكرت عيوبه للناس ، و قوله تعالى " فشرد بهم " أى اجعلهم مطردين - انتهى . فالمراد المبالغة فى الإيقاع بهم لأنهم إذا ضربوا ضربة تفرقوا فيها على غير وجه و لا انتظام علم من شردوا إليه ممن وراءهم أنه قد تناهى بهم الذعر فذعر هو فوقع [1]فى الشرود[1] قوة أوَ فعلا ، فعلى ٥ قراءة من جعل ' من ' حرف جر يكون المفعول محذوفا ، و التقدير : أوقع - بما تفعل[2] بهؤلاء من الأمور الهائلة - التشريدَ فى المكان الذى خلفهم بشرود من فيه قوة أو فعلا بما[3] سمعوا أو رأوا من حال هؤلاء حين واجهوك للقتال ، و على قراءة من جعلها اسما موصولا تكون هى المفعول ، فالمعنى : شرد الذين خلفهم من[4] أماكنهم إما بالفعل أو بالقوة ١٠ بأن تفترق قلوبهم بما تفعل بهؤلاء فتصير[5] - بما ترى من قبيح حالهم - قابلة للشرود ، [1]و يكون اختلاف المعنى بالتبعيض فى جعل ' من ' حرف جر و التعميم فى جعلها موصولا بالنظر إلى القوة أو الفعل .

و لما ذكر الحكم ، ذكر ثمرته بأداة الترجى إدارة له على الرجاء فقال[1] : ﴿ لعلهم ﴾ أى المشردين و المشرد بهم ﴿ يذكرون ﴾ ما سبق من ١٥ أيام الله فيعلموا أن هذه أفعاله ، و هؤلاء رجاله ، فينفعهم ذلك فلا ينقضوا عهدا بعده و لقد[6] فعل بهم صلى الله عليه و سلم [1]ذلك فانهم إن كانوا بنى قريظة فقد ضربهم صلى الله عليه و سلم[1] ضربة لم يفلت منهم مخبر ، بل

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : يفعل (٣) فى ظ : مما (٤) فى ظ : عن (٥) فى ظ : فتسير (٦) فى ظ : او .

ضرب أعناقهم فى حفائر فى سوق المدينة و كانوا نحو سبعمائة على دم واحد إلا من أسلم منهم و هم يسير ، و سبى ذراريهم و نساءهم و غنم أموالهم ، و إن كانوا قينقاع فقد نزل بساحتهم بعد نقضهم و إظهارهم غاية الاستخفاف و العناد فلم يكبتهم الله أن جعلهم فى قبضته و ما بقى إلا ضرب أعناقهم

٥ كما وقع لبنى قريظة فسأله فيهم عبد الله بن أبى المنافق و ألح عليه صلى الله عليه و سلم فى أمرهم و كان يألفه و يتألف به فتركهم له صلى الله عليه و سلم و أجلاهم من المدينة ، و كانت واقعتهم أول وقائع / اليهود بالمدينة ، و إن /٤٤٢ كانوا بنى النضير فقد نقضوا أيضا فأحاط بهم ، و منّاهم المنافقون الغرور فقذف الله الرعب فى قلوبهم فسألوه صلى الله عليه و سلم أن يجليهم و يكف

١٠ عن دمائهم ففعل ، ثم أتم الله له الأمر فيهم فى خيبر و وادى القرى و غيرهما إلى أن لم يدع منهم فى جزيرة العرب فريقا إلا ضربه بالذل و أجرى عليه الهوان و الصغار ، و وقائعه فيهم مشهورة الخبر معروفة فى السير .

و لما أمره بما يفعل بمن تحقق نقضه ، أرشده إلى ما يفعل بمن خاف غدره فقال : ﴿ و اما تخافن ﴾ و أكده إشارة إلى[1] ظهور القرائن و وضوح

١٥ الأمارات ﴿ من قوم ﴾ أى ذوى قوة ، بينك و بينهم عهد ﴿ خيانة ﴾ أى فى ذلك العهد ﴿ فانبذ ﴾ أى اطرح طرح مستهين محتقر ﴿ اليهم ﴾ أى ذلك العهد نبذا كائنا ﴿ على سوآء ﴾ أى أمر مستو فى العلم بزواله بينكم و بينهم و عدل و نصفة و لا تناجزوهم[2] و هم على توهم من بقاء

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يناجزوهم - كذا .

العهد ، و هذا[1] إشارة إلى أن يكونوا على غاية الحذر و الفحص عن[2] أخبار العدو بحيث لا يتركونه إلى أن ينقض بل يعلمون ميله إلى النقض فينبذون إليه عهده لأن ذلك أردع له[3] ، فهو أدعى إلى السلم ؛ ثم علل جواز النبذ و وجوب النصفة بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ لا يحب الخائنين ﴾ أى لا يفعل بهم فعل المحب لا منكم و لا من غيركم . ٥

و لما كان نبذ العهد مظنة الخوف من تكثير العدو و إيقاظه ، و كان الإيقاع أولى بالخوف ، أتبع سبحانه ذلك ما[4] يجرى عليه و يسلى عن فوت من هرب من الكفار فى غزوة بدر فلم يقتل و لم يؤسر فقال : ﴿ و لا يحسبن[5] ﴾ بالياء غيبا على قراءة ابن عامر و حمزة و حفص ، أى أحد[6] من أتباعك [فى وقت - [7]] من الأوقات ، و وجه قراءة الباقين ١٠ بالخطاب أن أمر الرئيس و نهيه أوقع فى نفوس الأتباع و أدعى لهم إلى السماع ﴿ الذين كفروا ﴾ أى عامة من نبذ و من لم ينبذ ﴿ سبقوا[1] ﴾ أى وقع لهم السبق[8] ، و هو الظفر فى وقت ما ، فانهم لم يفوتوا شيئا من أوامرنا[9] ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انهم لا يعجزون ﴾ أى [لا - [7]] يفوتون شيئا مما يزيد تسليطه عليهم ، أى لا يغرنك[10] علوهم و كثرتهم ١٥ و جرى كثير من الأمور على مرادهم فكل ذلك بتدبيرنا ، و لا يخرج

(١) فى ظ : هذه (٢) فى ظ : على (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : بما (٥) فى الأصل و ظ : لا تحسبن ، و إنما حولناه إلى الغيبة لا نسجامه مع ما يتلوه من التفسير . (٦) فى ظ : احدى (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : سبق (٩) فى ظ : مرادنا (١٠) فى ظ : لا يعجزنك .

شيء عن مرادنا ، و لا بد أن نهلكهم فانهم فى قبضتنا ، لم يخرجوا منها و لا يخرجون فضلا عن أن يفوتوها فاصبر .

و لما كان هذا ربما أدى إلى ترك المناصبة و المحاربة و المغالبة اعتمادا على الوعد الصادق المؤيد[1] بما وقع لهم فى بدر من عظيم النصر مع نقص العدة و العُدة ، أتبعه ما يبين أن اللازم ربط الأسباب بمسبباتها ، و ليتبين[2] الصادق فى دعوى الإيمان من غيره فقال : ﴿ و اعدوا لهم ﴾ أى للأعداء ﴿ ما استطعتم ﴾ أى دخل فى طاعتكم و كان بقوة جهدكم تحت مقدوركم و طاقتكم ﴿ من قوة ﴾ أىّ قوة كانت ، و فسرها النبى صلى الله عليه و سلم بالرمى إشارة إلى أنه أعظم عدده على نحو « الحج عرفة »[3] و فى أمرهم بقوله : ﴿ و من رباط الخيل ﴾ إيماء إلى باب من الامتنان بالنصر فى بدر لأنهم[4] لم يكن معهم فيه غير فرسين ، و الرباط هو الخيل التى تربط فى سبيل الله الخمس منها فما فوقها ، و خصها مع دخولها فيما قبل إشارة إلى عظيم غنائها ، و الرباط أيضا ملازمة ثغر العدو و ربط الخيل به إعدادا للعدو ؛ ثم أجاب من كأنه قال : لم نفعل ذلك و ما النصر إلا بيدك ؟ بقوله : ﴿ ترهبون ﴾ أى تخوفون تخويفا عظيما باهرا يؤدى إلى الهرب على ما أجريت من العوائد ﴿ به ﴾ أى بذلك الذى أمرتكم به من المستطاع أو من الرباط ﴿ عدو الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها لأنه الملك الأعلى ﴿ و عدوكم ﴾ أى المجاهدين ، و الأليق بقوله - : ﴿ و آخرين ﴾ أى و ترهبون بذلك آخرين ﴿ من دونهم ج ﴾ - أن يحمل على المنافقين

(١) من ظ ، و فى الأصل : ليويد (٢) فى ظ : ليبين (٣) من ظ ، و فى الأصل : عرله (٤) فى ظ : لانه .

لوصفهم

لوصفهم بقوله : ﴿ لا تعلمونهم ج ﴾ كما قال تعالى " و ممن / حولكم من / ٤٤٣
الاعراب منفقون[1] و من اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم "
و لأنهم لا يكونون دونهم إلا إذا لم يكونوا فى العداوة مثلهم[2] ، و كل
من فرض غير المنافقين مظهرون [للعداوة ، و أما المنافقون فانهم مدعون
باظهار الإسلام أنهم - [3]] أولياء [4]لا أعداء[4] ﴿ الله ﴾ أى المحيط بكل شىء ٥
قدرة و علما ﴿ يعلمهم[5] ﴾ أى فهو [5]يكفيكم ما[5] يظن من أمرهم ، و ليس عليكم
إلا الجهد بحسب ما تعلمون ، و الآية بالنسبة إلى ما[6] تقدمها من باب
" اعقلها و توكل[7] " و المعنى لا تظنوا أن الكفار فاتونا و أفلتوا من
عذابنا بامتناعهم منكم[8] فانهم فى قبضتنا أينما توجهوا و حيثما حلوا فسوف
نهلكهم[9] و لا يعجزوننا ، و مع ذلك فلا يحملنكم الاتكال على قوتنا[10] على ١٠
ترك أسباب مغالبتهم بما أعطيناكم من القوى بل ابذلوا جهدكم و طاقتكم
فى إعداد مكايد الحرب و ما يتعلق بالرمى من القوة و بالخيل من الطعن
و الضرب و الفروسية لنلقى بذلك رعبكم فى قلوب عدوكم القريب و البعيد
من تعلمونه منهم و من لا تعلمونه .

و لما كان أغلب معانى هذه الآية الإنفاق ، لأن مبنى إعداد القوة ١٥

---

(١) من ظ والقرآن الكريم سورة ٩ آية ١٠١ ، وفى الأصل : منافقين (٢) فى ظ : منكم (٣) زيد من ظ (٤ - ٤) فى الأصل : الاعداء ، و فى ظ : لا عداء (٥ - ٥) فى ظ : يكفهم بما (٦) سقط من ظ (٧) والحديث بتمامه وارد فى جامع الترمذى - القيامة (٨) فى ظ : منك (٩) فى ظ : يهلكهم (١٠) من ظ ، و فى الأصل : قربنا .

عليه[1]، رغب فيه بقوله: ﴿ و ما تنفقوا من شيء ﴾ أى من الأشياء و إن قل ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى[2] طريق من له صفات الكمال من[1] الجهاد و غيره ﴿ يوف اليكم ﴾ أى أجره كاملا فى الدنيا و الآخرة أوفى ما يكون مضاعفا أحوج ما تكونون[3] إليه ﴿ و انتم لا ﴾ .

٥ و لما كان المخوف مطلق النقص، بنى للمفعول قوله[4]: ﴿ تظلمون ﴾ أى [لا ـ[5]] تنقصون شيئا منه، و أما الزيادة فلا بد منها و هى على قدر النية .

و لما كان ضمان النصر و الحلف[6] فى النفقة موجبا لدوام المصادمة و البعد من المسالمة، أتبعه قوله أمرا بالاقتصاد: ﴿ و ان جنحوا ﴾ أى ١٠ مالوا و أقبلوا فى نشاط و طلب حازم ﴿ للسلم ﴾ أى المصالحة، و التعبير باللام دون 'إلى' لا يخلو عن إيماء إلى التهالك على ذلك ليتحقق صدق الميل ﴿ فاجنح ﴾ و لما كان السلم مذكرا يجوز تأنيثه، قال: ﴿ لها ﴾ أى المصالحة، أو[7] يكون تأنيثه بتأنيث ضده الحرب، و كأنه اختير التأنيث إشارة إلى أنه يقتصر فيه على أقل ما يمكن من المدة بحسب ١٥ الحاجة، هذا إذا كان الصلاح للمسلمين فى ذلك بأن يكون بهم ضعف، و أقصى مدة الجواز عشر سنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه و سلم فلا تجوز الزيادة .

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل: اى، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.
(٣) من ظ، و فى الأصل: يكون (٤) زيد بعده فى ظ: لا (٥) زيد من ظ .
(٦) فى ظ: الخلف (٧) فى ظ « و » .

و لما كان ذلك مظنة أن يقال : إنه قد[1] عهد منهم[2] من الخداع ما أعلم أنهم مطبوعون منه على ما لا يؤمنون معه فمسالمتهم خطر بغير نفع ، لوح إلى ما ينافى ذلك بقوله : ﴿ و توكل على الله[1] ﴾ أى الذى له مجامع العظمة فيما تعهده من خداعهم فانه يكفيك أمره و يجعله سببا لدمارهم كما وقع فى صلح الحديبية فان غدرهم فيه كان سبب الفتح ، و حرف الاستعلاء فى هذا و أمثاله معلم بأنه يفعل مع المتوكل فعل الحامل لما وكل إليه المطيق لحمله ؛ ثم علل الأمر بالتوكل الذى معناه عدم الخوف من عاقبة أمرهم فى ذلك بقوله : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ السميع ﴾ أى البالغ السمع ، فهو يسمع كل ما أبرموه فى ذلك و غيره سرا كما يسمعه علانية ﴿ العليم ۝ ﴾ أى البالغ[3] العلم وحده فهو يعلم كل ما أخفوه[4] كما أنه يعلم ما أعلنوه[4] ؛ ثم صرح بالاستهانة بكيدهم فقال : ﴿ و ان يريدوآ[5] ﴾ أى الكفار ﴿ ان يخدعوك ﴾ أى بما يوقعون من الصلح أو بغيره ﴿ فان حسبك ﴾ أى كافيك ﴿ الله[1] ﴾ أى الذى له صفات العز كلها ، ثم علل كفايته أو استأنف بيانها بقوله : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذىٓ ايدك بنصره ﴾ أى[1] إذ كنت[3] وحدك ﴿ و بالمؤمنين[6] ۝ ﴾ أى بعد ذلك فى هذه الغزوة التى كانت العادة قاضية فيها بأن من معك لا يقومون للكفار فواق ناقة ، و لعل هذا تذكير بما كان من الحال[6] فى أول الإسلام ، أى إن الذى

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، وفى الأصل : منكم (٣) فى ظ : العالم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ والقرآن الكريم ، وفى الأصل : يروا (٦) من ظ ، و فى الأصل : الال - كذا .

٤٤٤/ أرسلك مع وحدتك فى مكة بين جميع الكفار / وغربتك فيهم - وإن كانوا بنى عمك - بسبب دعوتك إلى هذا الدين وعلوك عن[1] أحوالهم البهيمية إلى الأخلاق الملكية ، هو الذى قواك وحده بالنصر عليهم حتى لم يقدروا لك على أذى يردك عن الدعاء إلى الله مع نصب جميعهم لك ولمتبعيك شباك الغدر ومدهم إليكم أيدى الكيد ثم سلكم من بين أظهرهم كما تسل الشعرة من العجين مع اجتهادهم فى منعكم من ذلك ، وأيدكم بالأنصار وجمع بين كلمتهم بعد شديد العداوة ﴿ والف بين قلوبهم[4] ﴾ بعد غاية التباغض ، فصار البعيد منهم قريبا والبغيض حبيبا والعدو صديقا ، وكانوا على قلب واحد ؛ ثم استأنف الإخبار بما دل على تعذر ألفتهم لو لا هو فقال : ﴿ لو انفقت ﴾ أى وأنت أتقن الخلق لما تصنعه[2] ﴿ ما فى الارض جميعا ﴾ أى فى إرادة ذلك ﴿ ما ألفت بين قلوبهم ﴾ ثم أكد ذلك بقوله : ﴿ ولكن الله ﴾ أى وهو الذى له جميع صفات الكمال ﴿ الف بينهم[4] ﴾ [ثم -[3]] علل [نفوذ -[3]] فعله و[4] أمره فيه بقوله : ﴿ انه عزيز حكيم ۝ ﴾ أى لأنه لو لا عزته التى تغلب كل شىء ولا يغلبها شىء وحكمته التى يتقن بها ما أراد بحيث لا يمكن لأحد أن يغير شيئا منه لما تألفوا بعد أن كان قبل[5] كل أحد من فريقيهم للآخر أشهى من لذيذ الحياة وصافى العيش لما بينهم من الإحن التى لا تزال[6] تثور فتغلى لها الصدور حتى تفور بقتل الأحباب من الوالدين والأولاد والقهر بأنواع الأذى مع

(١) فى ظ : على (٢) من ظ ، وفى الأصل : يصنعه (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لا تزول .

المجاورة المقتضية لدوام التحاسد و إثارة الضغائن . و كذا فعل سبحانه بجميع العرب بعد ما كان بينهم من [1]القتل المنتشر[1] مع ما لهم من الحمية و الأنفة الحاملة على الانتقام ، و الذى أمدك بهذه الألطاف حى لا يموت باق على ما كان عليه من القدرة و القوة ، فهو الكفيل بحراستك ممن يريد خداعك . فاذا أمركم بأمر فامتثلوه غير مفكرين فى عاقبته ، فانه قد بينه ٥ بعزته و أتقنه بحكمته و ستعلمون .

و لما صرح بأن الله كافيه[2] ، و كانت كفاية[3] الله للعبد أعظم المقاصد ، التفتت الأنفس إلى أنه هل يكفيه مطلقا [4]أو هو فعل[4] مع المؤمنين أيضا مثل ذلك ، فاتبعها بقوله معبرا بوصف النبوة الذى[5] معناه الرفعة و الاطلاع من جهة الله على ما لا يعلمه العباد ، لأنه فى سياق الإخبار ببعض المغيبات ١٠ و التصرف فى الملكوت : ﴿ يآيها النبى ﴾ أى العالى القدر الذى نعلمه بعواقب أموره ﴿ حسبك ﴾ أى كافيك ﴿ الله ﴾ أى الذى بيده كل شىء ﴿ و من ﴾ أى مع من ﴿ اتبعك من المؤمنين ﴾ يجوز أن يكون المعية من ضميره صلى الله عليه و سلم فيكون المؤمنون مكفيين ، و أن يكون من الجلالة فيكونوا كافين ، حتى يكون المعنى : فهو كافيهم أيضا و [هم -[6]] ١٥ كافوك لأنه معهم ، و ساق سبحانه هذا هكذا تطييبا لقلوبهم و جبرا لخواطرهم و بالمعنى الثانى - لتضمنه الأول و زيادته[7] عليه - قال ابن زيد و الشعبى :

(١ - ١) فى ظ : القفل المنشر (٢) زيده بعده فى الأصل : يكفيه مطلقا و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) فى ظ : الكفاية (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : التى (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : افادته .

حسبك الله و حسبك من اتبعك ، و ساقها سبحانه على وجه مكرر لكفاية نبيه صلى الله عليه و سلم محتمل لأن فيمن كان على اتباعه فى ذلك الوقت كفاية لئلا يستقلوا بالنسبة إلى كثرة أعدائهم .

و لما بين أنهم كافون مكفيون ، و كان ذلك مشروطا بفعل الكيس و الحزم و هو الاجتهاد بحسب الطاقة ، أمره بأن يأمرهم بما يكونون به كافين من الجد فى القتال و عدم الهيبة للأبطال فى حال من الأحوال ، فقال [1]معبرا بالوصف الناظر إلى جهة التلقى عن الله ليشتد وثوق السامع لما يسمعه[1] : ﴿ يآيها النبى ﴾ أى الرفيع المنزلة عندنا الممنوح [2]من إخبارنا[2] بكل ما يقر عينه و عين أتباعه ﴿ حرض المؤمنين ﴾ أى الغريقين فى الإيمان ﴿ على القتال[1] ﴾ أى بالغ فى حثهم عليه و ندبهم بكل سبيل إليه ، و مادة حرض - بأىّ ترتيب كان - حرض ، حضر ، رحض ، رضح ، ضرح ؛ ترجع إلى الحضور / و يلزمه الخفض و الدعة ، و يلزم الكسل فيلزمه الضعف فيلزمه الفساد ، و منه الحرض الذى أشفى على الهلاك ، أى حضر هلاكه و حضر هو موضعه الذى هو فيه فصار لما به لا يزايله ما دام حيا ، و رحض الثوب ، أى غسله ، من الدعة التى هى شأن الحضور غير المسافرين ، و الرحضاء عرق الحمى تشبيه بالمغسول ، و المرضاح الحجر[3] الذى لا يزال حاضرا لرضح النوى ، و الضريح شق مستطيل يوضع فيه الميت فيكون حاضره لازما له دائما إلى الوقت المعلوم ، و يلزمه الرمى

/٤٤٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) فى ظ : باخبارنا (٣) من ظ و القاموس، و فى الأصل : المحجر .

و الطول ، و منه المضرحى للطويل الجناحين من الصقور[1] لأن كل صيد عنده حاضر لقوة طيرانه ، و الرجل الكريم لعلو همته ، و أحضرت الدابة : عدت فجعلت الغائب حاضرا . و التحريض الحث على حضور الشيء ، فحرض على القتال : حث على الطيران إليه بتعاطى أسبابه و الاستعداد لحضوره حتى يصير المحثوث كأنه حاضر ، متى قيل : يا صباحاه ! طار إلى المنادى ، ٥ وكان أول حاضر إلى النادى ، لأنه لا مانع [2]له من شيء من الأشياء[2] بل استعداده استعداد الحاضر فى الصف ؛ و قال الإمام أبو الحسن على ابن عيسى الرمانى[3] فى تفسيره : و التحريض : الدعاء الوكيد لتحريك النفس على أمر من الأمور ، و الحث و التحريض و التحضيض نظائر ، و نقيضه التقسير ، و التحريض ترغيب فى الفعل بما يبعث على المبادرة إليه مع ١٠ الصبر عليه ـ انتهى . فهذه حقيقته ، لا ما قال فى الكشاف و تبعه عليه البيضاوى .

و لما ندبهم إلى القتال ، أعلمهم بأنهم منصورون فيه إن[4] لازموا آلة النصر ، فقال استئنافا جوابا لمن قال : ما عاقبتهم إذا رغبوا فبادروا إلى ذلك ؟ : ﴿ ان يكن ﴾ و لما كانت لذة الخطاب تثير الهمم و تبعث العزائم ١٥ و توجب غاية الوثوق بالوعد ، عدل عن الغيبة فقال : ﴿ منكم عشرون ﴾ أى رجلا : ﴿ صبرون ﴾ أى الصبر المتقدم ﴿ يغلبوا مائتين ع ﴾ أى من

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لا تنسجم بالسياق فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و معجم المؤلفين ، و فى الأصل : الربانى ـ كذا ، و اسم تفسيره : الجامع الكبير (٤) فى ظ : لان .

الكفار ، و الآية من الوعد الصادق الذى حققه وقائع الصحابة رضى الله عنهم ﴿ و ان يكن منكم مائة ﴾ أى صابرة ﴿ يغلبوآ الفا ﴾ أى كائنين ﴿ من الذين كفروا ﴾ فالآية[1] من الاحتباك : أثبت فى الأول وصف الصبر دليلا على حذفه ثانيا ، و فى[2] الثانى الكفر دليلا على حذفه أولا ؛ و لعل[3] ما أوجبه عليهم من هذه المصابرة علة للأمر بالتحريض ، أى حرضهم لأنى أعنت كلا منهم على عشرة . فلا عذر لهم فى التوانى ؛ و علل علوهم عليهم[4] و غلبتهم لهم على هذا الوجه بقوله : ﴿ بانهم ﴾ أى هذا الذى أوجبته و وعدت بالنصر عنده بسبب انهم ، أى الكفار ﴿ قوم لا يفقهون ﴾ أى ليس لهم فقه يعلمون به علم الحرب الذى دربه أهل الإيمان و إن كنتم ترونهم أقوياء الأبدان فيهم كفاية للقيام بما ينوبهم من أمر الدنيا لأنهم أبدان بغير معان ، كما أن الدنيا كذلك صورة بلا روح ، لأنهم لم يبنوا مصادمتهم على تلك الدعائم الخمس التى قدمتها لكم و ألهمتكم إياها فى بدر ، فمن لم يجمعها لم يفقه الحرب ، لأن الجيش إن لم يكن له رئيس يرجع إليه لم يفلح ، و ذلك الرئيس إن لم يكن أمره مستندا إلى ملك الملوك كان قلبه ضعيفا ، و عزمه - و إن كثرت جموعه - مضطربا ، فانهم يكونون صورا لا معانى لها ، و الصور منفعلة لا فعالة ، و المعانى هى الفعالة ، و المعتمد على الله صورته مقترنة بالمعنى . فأقل ما يكون فى مقابلة اثنين من أعدائه كما حط[5] عليه الأمر

(١) فى ظ : والآية (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لعله (٤) فى ظ : عليه (٥) فى ظ : حظ .

فى الجهاد ، و لعل هذا هو السر فى انتصار الخوارج - من أتباع شبيب[1] و أنظاره[2] على قلتهم - على الجيوش التى كانوا يلقونها عن ملوك زمانهم على كثرتها ، فان الخوارج معتقدون أن قتالهم لله مستندين فى هذا الاعتقاد إلى ظلم أولئك الملوك و خروجهم عن أمر الله ، و الذين يلقونهم عن أولئك الملوك و إن اعتقدوا أنهم أهل طاعة لطاعتهم الإمام الواجب طاعته[3] ، لكنهم يعلمون أن استناد إمامهم إلى الله ضعيف لمخالفته لمنهاج الاستقامة ، و ذلك الرئيس نفسه معتقد ذلك و أن ولايته / مفسدة[4] ، و أن تحريم النبى صلى الله عليه و سلم لقتاله إنما هو[5] درء لأعظم المفسدتين ، فصار استناد الخوارج إلى ملك الملوك أعظم من استناد أولئك ، [6]و لهذا نشأ عن استناد الخوارج الزهد الذى هو أعظم أسباب النصر ، و نشأ عن استناد أولئك[6] الملوك الإخلاد إلى الدنيا الذى هو أعظم الموجبات للخذلان ، مصداق ذلك أنهم لما خرجوا على على رضى الله عنه فسار فيهم بسنة الله من اللطف بهم و تقديم وعظهم و الإعذار إليهم و ردهم إلى الله فلما لم يقبلوا قصدهم فى ساعة ، قال له بعض من كان يعتنى بالنجوم : إنها ساعة نحس ، إن سار فيها خذل ، فقال : سيروا فيها فانه ما كان للنبى صلى الله عليه و سلم منجمون ، فلما لقى الخوارج [لم -[7]] يواقفوه حلب ناقة و لا أفلت منهم أحد و لا قتل من جماعته إنسان ؛ و فهم الإيجاب فى قوله تعالى " ان يكن منكم عشرون " - الآية و أن الخبر فيه بمعنى الأمر من قوله : ﴿ الئن خفف الله ﴾ أى [الملك -[7]] الذى له الغنى المطلق و جميع صفات الكمال ﴿ عنكم ﴾ أى

٤٤٦ /

(١) هو ابن بجرة الأشجعى - راجع تاريخ الإسلام للذهبى (٢) فى ظ : : انتظاره .
(٣) فى ظ : طاعتهم (٤) فى ظ : مفسد (٥) سقط من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ .

رحمة لكم و رفقا بكم ﴿ و علم ﴾ أى قبل التخفيف و بعده ﴿ ان فيكم ضعفا[1] ﴾ أى فى العَدد و العُدد، و لكنه أوجب عليكم ذلك ابتلاء، فبعد التخفيف علم ضعفهم واقعا [1]و قبله[1] علم أنه سيقع، و تصديره هذه الجملة بـ "الشن" يشير[2] إلى أن[3] النسخ كان قبل أن تمضى مدة يمكن فيها غزو، و فائدة الأمر المعقب بالنسخ حيازة الأجر بقبوله و العزم على امتثاله، و قيل: ما كان النسخ إلا بعد مدة بعد أن سألوا فى التخفيف؛ و روى البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما نزلت "ان يكن منكم عشرون صبرون يغلبوا مائتين" شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر[4] واحد من عشرة، فجاء التخفيف [فقال - [5]] "الشن خفف الله عنكم" - الآية؛ فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. و المعنى أنه كان كتب[3] مقدارا من[3] الصبر لكل مؤمن، فلما خفف أزال ذلك بالنسبة إلى المجموع، و هذا لا يمنع استمرار البعض على ما كان كما فعل سبحانه بالصحابة رضوان الله عليهم فى غير موضع منها غزوة مؤتة، فقد كانوا فيها ثلاثة آلاف، وكان من لقوا من جموع هرقل مائتى ألف: مائة من الروم و مائة من العرب المستنصرة، فصبروا لهم و نصروا عليهم كما فى الصحيح أن النبى صلى الله عليه و سلم قال مخبرا عنهم فى هذه الغزوة «ثم أخذ الرأية عن غير إمرة سيف من سيوف الله خالد بن الوليد ففتح الله عليه». و لما توفى النبى صلى الله عليه و سلم ارتد عامة الناس

(١-١) فى ظ: بعده (٢) من ظ، و فى الأصل: تشير (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و الصحيح، و فى الأصل: الايضير (٥) زيد من الصحيح.

حتى لم يثبت على الإسلام عشر العشر فصبر الصحابة رضوان الله عليهم لهم و نصروا عليهم . بل الذى صبر فى الحقيقة أبو بكر رضى الله عنه وحده ، ثم أفاض الله من صبره و نوره على جميع الصحابة رضى الله عنهم فصبروا ، ثم جهز[1] الجيش و أميرهم الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم سيف الله ، فأخمد الله به نار الشرك و قطع بصبره و حسن نيته جاذرة الكفر فلم تمض ٥ سنة و فى بلاد العرب مشرك . فلما جمع الله العرب بهذا الدين على قلب رجل واحد قصدوا الأعاجم من الفرس و الروم و القبط ، فقاتلوا أهل فارس فى عدة وقائع منها القادسية ، وكان الصحابة رضى الله عنهم فيها دون أربعين ألفا ، [2]وكان المجوس أكثر من أربعمائة ألف ، و قاتلوا الروم كذلك فكانوا فى اليرموك دون أربعين ألفا[2] و كان الروم نحو أربعمائة ١٠ ألف - إلى غير ذلك من الوقائع و قد صبروا فى أكثرها و نصروا ، ثم كانت لهم العاقبة فطردوا الشرك و أهله ، و أظهر الله لهم دينه كما وعد به سبحانه ، و ما اجتمع أهل الإسلام و أهل الضلال قط فى معرك إلا كانت قتلى الكفار أضعاف قتلى المسلمين غير أن الله / تعالى جده و تبارك اسمه ٤٤٧ / و تمت - كلمته ألطف[3] بالعرب علما منه بأنهم خلاصة الناس بما طبعهم ١٥ سبحانه عليه من الخصال الحميدة و الأخلاق السديدة فأسلم كل من اشتملت عليه جزيرتهم بعد وقائع كثيرة فى زمان النبى صلى الله عليه و سلم و زمان الردة ، و لم تبلغ قتلاهم فيما أظن عشرة آلاف إنسان ، ثم [لما ـ[4]]

(١) فى ظ : جهزوا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : لطف (٤) زيد من ظ .

جاهدوا الأعاجم من فارس و الروم و غيرهم كانت قتلى الكفار تبلغ فى المعركة الواحدة مائة ألف و مائتى ألف - كما هو مشهور فى كتب الفتوح للدائنى و سيف و ابن عبد الحكم و البلاذرى و غيرهم ، و قد جمع أشتات ذلك الحافظ أبو الربيع بن سالم الكلاعى و شيخه ابن حبيش ؛ و لعله حذف فى الثانية التقييد بالكفار ليشمل كل من استحق القتال من البغاة و غيرهم، فقال تعالى مسببا عن التخفيف المذكور رادا[1] الأمر من إيجاب مصابرة عشرة إلى الأمر بمصابرة الضعف ، فان زاد[2] العدد على الضعف[2] جاز الفرار و الصبر أحسن : ﴿ فان يكن منكم مائة صابرة ﴾ أى الصبر الذى تقدم التنبيه عليه ﴿ يغلبوا مائتين ج ﴾ أى من غيركم باذن الله ﴿ و ان يكن منكم الف ﴾ [أى - [3]] على النعت المذكور و هو الصبر ﴿ يغلبوا الفين ﴾ ثم أرشد إلى أن المراد بالصبر هو كل المأمور به فى آية " اذا لقيتم فئة فاثبتوا " فقال : ﴿ باذن الله [4] ﴾ أى بارادة الذى له جميع الأمر ، ذلك و إباحته لكم و تمكينه ، فان لم يقع الإذن[4] لم يقع الظفر ، فالآية من الاحتباك : ذكر فى الأول صابرة دلالة على حذفه ثانيا ، و ذكر ثانيا الإذن دليلا على حذفه أولا ؛ ثم نبه على عموم الحكم بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ مع الصٰبرين ه ﴾ أى بنصره و معونته ، و من ثم قال ابن شبرمة : و أنا أرى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر كذلك . و مادة ' اذن ' - مهموزة وغير مهموزة و واوية و يائية بتقاليبها الأربعة : إذن ذان ' ذون ذين -

(١) فى ظ : ردا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الامن (٥) من ظ ، و فى الأصل : اذان.

ترجع

ترجع إلى العلم الناشىء عن حاسة السمع المتعلق بجارحة الأذن ، و تارة يثمر[1] الإباحة و تارة المنع ، فأذن بالشىء - كسمع : علم به " فاذنوا بحرب " أى كونوا على علم من أن حربكم أبيح ، و أذن له بالشىء - كسمع أيضا : أباحه له ، و آذنه الأمر و به : أعلمه[2] - وزنا و معنى ، فجعله مباحا له أو ممنوعا منه ، و أذّن فلانا تأذينا : عرك أذنه ، و أذّنه : رده عن الشرب فلم يسقه ، كأن التفعيل فيه للازالة ، و آذن النعل و غيرها : جعل لها أذنا ، و فعله باذنى : بعلمى و تمكينى ، و أذن إليه و له - كفرح : استمع بأذنه ، أى أباح ذلك سمعه و قلبه ، و أذن لرائحة الطعام : اشتهاه كأنه أباحه لنفسه ، و آذنه إيذانا : أعجبه ، مثل ذلك سواء ، و آذنه أيضا : منعه ، كأن الهمزة للازالة ، و الأذن : الجارحة المعروفة - بضمة و بضمتين - و المقبض و العروة من كل شىء و جبل ، لأن كلا من ذلك سبب[3] للتمكن من حمل ما هو فيه ، و الأذن : الرجل المستمع القابل كل ما يقال له كأنه لما قبله أباحه قلبه[4] و مكنه منه ، و الأذان : النداء إلى الصلاة لأنه إعلام باباحتها و المكنة منها ، و تأذن : أقسم و أعلم ، و تارة يتأثر[5] عنه إباحة و مكنة من الشىء و تارة منع و حرمة ، فيكون من الإزالة ، و آذن العشب : بدأ يجف فبعضه رطب و بعضه يابس كأنه[6] أمكن من جره[4] و جمعه يبدو صلاحه ، و الآذن : الحاجب ، لأنه للتمكين و المنع ، و الأذنة محركة : صغار الإبل و الغنم كأنها تبيح كل أحد ما يريد منها ، و طعام لا أذنة له : لا شهوة لريحه ، فكأنه

(١) فى ظ : بشمرة (٢) فى ظ : علمه (٣) فى ظ : بسبب (٤) من ظ ، و فى الأصل : قبله (٥) فى ظ : يتاجر (٦) فى ظ : لانه (٧) من ظ ، و فى الأصل : حمه .

ممنوع منه لعدم اشتهائه، و تأذن الأمير فى الناس: نادى فيهم بتهدد، فهو يرجع إلى المنع و الزجر عن شيء تعزيرا، و الذين - بالكسر و الياء: العنب، و كذا الذان - بالألف منقلبة عن واو: العنب[1]، كأنه لسهولة تناوله و لذة مطعمه أمكن من نفسه، و التذوّن - بالواو مشددة: الغنى و النعمة، كأنهما[2] سبب للامكان / مما يشتهى، و الذؤنون - مهموزا[3] كزنبور: نبت من نبات الأرض؛ و المعنى أنه إنما أذن لكم فى ذلك إذا فعلتم الشرط المذكور لأنكم فقهتم علم الحرب و بنيتم أمركم فيه على دعائمها[4] الخمس التى ملاكها و الداخل فى كل منها الصبر، فكان الله معكم، و هو مع كل صابر هذا الصبر المثبت فى الدعائم[5] الخمس فى كل أوان، و مما يسأل عنه[6] فى الآية أنه ابتدئ فى العشرات بثانى عقودها، و فى[6] المئات و الآلاف بأولها، سألت شيخنا الإمام الراسخ محقق زمانه شمس الدين محمد بن على القاياتى[7] قاضى الشافعية بالديار المصرية: ما حكمته؟ فقال: الأصل الابتداء بأول العقود، لكن لو قيل: إن يكن[8] منكم عشرة صابرة يغلبوا مائة، لربما توهم أنه لا تجب مصابرة الواحد للعشرة إلا عند بلوغ المؤمنين هذا العقد، فعدل إلى الابتداء بثانى عقود هذه المرتبة لينتفى هذا المحذور، فلما انتفى و علم أنه يجب مصابرة كل واحد لعشرة، ذكر باقى المراتب فى الباقى

/٤٤٨

(١) و أما جميع المعاجم فتتفق على أن معنى الذين و الذان: العيب (٢) من ظ، و فى الأصل: لأنهما (٣) فى ظ: مهوز (٤) فى ظ: دعائمه (٥) من ظ، و فى الأصل: النظم (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و معجم المؤلفين، و فى الأصل: القايانى (٨) فى ظ: تكن.

على الأصل المعتاد ، و أما تكرير المعنى الواحد و هو مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين : قبل التخفيف[1] و بعده فللدلالة - كما قال فى الكشاف - على أن الحال مع القلة و الكثرة [واحدة -[2]] لا تتفاوت و إن كان قد يظن تفاوته ، و كأنه لم يذكر الآحاد بشارة بكثرة هذه الأمة و اجتماعها . و بدأ بالعشرات و ختم بالألوف ليستوفى مراتب الأعداد الأصلية - ٥ و الله أعلم .

و لما تقدم الأمر بالإثخان فى " فشرد بهم " ثم باعداد القوة ، ثم التحريض[3] على القتال بعد الإعلام بالكفاية ثم إيجاب ثبات الواحد لعشرة ثم إنزال التخفيف إلى اثنين ؛ كان ذلك مقتضيا للامعان فى الإثخان ، فحسن عتاب الأحباب [فى اختيار -[4]] غير ما أفهمه هذا الخطاب ، ١٠ لكون ذلك أقعد فى الامتنان عليهم بالعفو و الغفران بسبب أن أكثرهم مال إلى فداء الأسارى فان النبى صلى الله عليه و سلم استشارهم فيهم فأشار أبو بكر رضى الله عنه بالمفاداة و مال معه الأكثر . و أشار عمر رضى الله عنه بضرب أعناقهم ، و روى أنه قال صلى الله عليه و سلم : لو نزل من السماء عذاب - أى فى هذا - ما نجا منه غير عمر و سعد بن معاذ[5] رضى الله ١٥ عنهما . فقال تعالى استئنافا و استنتاجا : ﴿ ما كان ﴾ أى ما صح و ما استقام ﴿ لنبى[6] ﴾ أى فى شرع نبى من الأنبياء مستقل و لا مقرر ، و لعله عبر[7]

(١) فى ظ : التحقيق (٢) زيد من الكشاف (٣) فى ظ : بالتحريض (٤) زيد من ظ (٥) و علل فى روح المعانى نجاته بأنها لقوله : الإثخان فى القتل أحب إلىّ . (٦) فى الأصل : للنبى ، وأما ما أثبتناه من ظ فهو قراءة الجمهور وقد ينسجم مع ما يتلوه من التفسير (٧) فى ظ : عبره .

بوصف النبوة ليفيد مع العموم أن كلا من رفعة القدر والإخبار من الله يمنع من[1] الإقدام على فعل بدون إذن خاص ﴿ ان يكون له اسرى ﴾ أى أن يباح له أسر العدو ﴿ حتى يثخن فى الارض[1] ﴾ أى يبالغ فى قتل أعدائه ، فهو عتاب لمن أسر من الصحابة غير من نهى النبى صلى الله عليه و سلم عن قتله من المشركين أو رضى بذلك ، و إنما أسند إلى نبى - و قرئ شاذا بالتعريف - و لم يقل : ما كان فى شرع نبى ، تهويلا [للأسر -[2]] تعظيما للعفو للمبالغة فى القيام بالشكر ، و هذا كان يوم بدر و المسلمون يومئذ قليل ، فلما كثروا و اشتد سلطانهم أنزل الله سبحانه و تعالى " فاما منا بعد و اما فداء[3] " - قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، و مادة ثخن تدور على الضخامة ، و تارة يلزمها اللين و الضعف ، و تارة الصلابة و القوة ، فحقيقته : يبالغ فى القتل فيغلظ أمره فيقوى[4] ، و يلين له أعداؤه و يضعفوا ؛ ثم بين لهم أن الميل عن ذلك إنما هو لإرادة[5] الأعراض الدنيوية المبكت به اليهود فى آخر التى قبلها بقوله تعالى " ياخذون عرض هذا الادنى[6] " كما أن النزاع فى الأنفال [ميل -[2]] إلى الدنيا ، و كل ذلك[7] بمعزل عن معالى الأخلاق و كرائم السجايا ، معللا لعدم الكون المذكور بما تقديره : لأن الأسر إنما يراد به الدنيا ، هكذا الأصل و لكنه أبرز فى أسلوب الخطاب لأنه أوقع فى النفس فقال[8] : ﴿ تريدون ﴾ أى أيها المؤمنون المرغبون فى

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٤٧ آية ٤ (٤) فى ظ : ويقوى .
(٥) فى ظ : رادة (٦) آية ١٦٩ (٧) فى ظ : ذلكم (٨) زيد بعده فى الأصل : ثم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

الإنفاق / لا فى الجمع ، باستبقائهم ﴿عرض الدنيا﴾ قال الراغب : العرض ما لا ثبات له ، و منه استعاره المتكلمون لما لا ثبات له إلا بالجوهر كاللون ، و قال ابن هشام فى تهذيب السيرة : أى المتاع الفداء بأخذ الرجال ﴿و الله﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿يريد﴾ أى لكم ﴿الأخرة[1]﴾ أى جوهرها[1] [1]لأنه يأمر بذلك أمرا[1] هو فى تأكيده ليمتثل كالإرادة التى لا يتخلف مرادها ، و ذلك بالإثخان فى قتلهم لظهور الدين الذى تريدون إظهاره و الذى به تدرك الآخرة[2] ، و لا ينبغى للمحب أن يريد إلا ما يريد حبيبه ﴿و الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿عزيز﴾ أى منزه جنابه العلى عن لحاق شىء مما فيه أدنى سفول ﴿حكيم ۝﴾ أى لا يصدر عنه فعل إلا و هو فى غاية الإتقان فهو يأمر بالإثخان عند ظهور قوة المشركين ، فاذا ضعفت و قوى المسلمون فأنتم بالخيار ، و لا يصح ادعاء ولايته إلا لمن ترقى فى معارج صفاته ، فيكون عزيزا فى نفسه فلا يدنسها بالأطماع الفانية ، و فعله فلا يحطه عن أوج المعالى إلى حضيض المهاوى ، و حكيما فلا ينشأ عنه [فعل -[3]] إلا و هو فى غاية الإتقان .

و لما علم من الآية ما أشرت[4] إليه ، فكان كأنهم قالوا رضى الله عنهم : فما تقتضى عزته و حكمته سبحانه من تطهيرنا عما تدنسنا به ؟ استأنف تعالى الجواب عن ذلك ممتنا غاية الامتنان و محذرا من التعرض لمواقع الخسران فقال : ﴿لو لا كتب﴾ أى قضاء حتم ثابت مبرم ﴿من الله﴾

(١ - ١) فى ظ : ثابت ظاهره (٢) زيد فى ظ : انتهى (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : اشارت .

أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء قدرة و علما ﴿ سبق ﴾ أى فى أم الكتاب من الحكم باسعادكم، و من أنه لا يعذب أحدا إلا بعد التقدم إليه بالنهى، و من أنه سيحل لكم الفداء و الغنائم التى كانت حراما على من قبلكم تشريفا لكم - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ لمسكم فيما اخذتم ﴾ أى من الأسرى المراد بهم الفداء ﴿ عذاب عظيم ۝ ﴾ و لكن سبق حكمى[1] بأن المغنم - و لو بالفداء - لكم حل و إن تعجلتم فيه أمرى

و لما ساق سبحانه هذه البشارة فى النذارة، سبب عنها قوله: ﴿ فكلوا مما غنمتم ﴾ أى من الفدية و غيرها حال كونه ﴿ حلالا ﴾ أى لا درك و لا تبعة فيه من جهتى ﴿ طيبا ۚ ﴾ أى شهيا لكم ملائما لطباعكم، و هذا إذا كان مع الشروط التى أقمتها لكم من عدم الغلول و الخيانة بوجه من الوجوه و الاستئثار و شديد الرغبة السائقة إلى ما لا يليق من التنازع و غيره، ذلك فيما[2] تقدمت فيه إليكم ﴿ و اتقوا الله ۚ ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال فى جميع ذلك فلا تغلوا و لا تنازعوا و لا تقدموا إلا على ما يبيحه لكم الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿ ان الله ﴾ أى المتصف بالجلال و الإكرام ﴿ غفور ﴾ أى لمن يعلم من قلبه[3] أنه من أهل التقوى ﴿ رحيم ۝ ﴾ أى له، فلأجل ما علم فى قلوبكم من الخير غفر لكم فلم[4] يعذبكم بتسرعكم[5] إلى إسار من لم يأمركم به الرسول صلى الله عليه و سلم للفاداة دون توقف على إذنه، و رحمكم فأحسن إليكم فأحل لكم الغنائم،

(١) من ظ، و فى الأصل: حكم (٢) من ظ، و فى الأصل: بما (٣) فى ظ: قبله (٤) فى ظ: فلا (٥) من ظ، و فى الأصل: بسرعتكم.

انظر إلى قوله تعالى " ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا و يكفر عنكم سيئاتكم و يغفر لكم " تعرف حسن تعليل الأمر بالتقوى بالمغفرة و الرحمة ، و يجوز أن يكون علة للأكل ، أى كلوا فان الله قد غفر لكم ما عاتبكم عليه ، و فائدة الأمر بالتقوى التحذير من العود اعتمادا على سعة الحلم ، و أيضا فقد تقدم تهديد و مغفرة فناسب أن يدلهم على أن علة المغفرة ٥ التقوى ، فكان ترجمة ذلك أنه لما رهبهم بمس العذاب عند أخذ الفداء لو لا سبق الكتاب ، رغبهم بأنه كلما صدهم عن جنابه[1] صارف ذنب فردهم إليه عاطف تقوى ، أسبل عليهم ذيل المغفرة و الرحمة ، و لما علم من هذا إباحة [ما -[2]] يؤخذ [3]من الأسر من الفداء ، و كان ما يؤخذ منهم[3] تعظم مشقته عليهم ، أقبل عليهم مستعطفا لهم ترغيبا فى الإسلام ، ١٠ فأقبل على نبيه صلى الله عليه وسلم / بالأمر بمخاطبتهم تنبيها على أنهم ليسوا ٤٥٠ / بأهل لخطابه سبحانه بما أبعدوا أنفسهم عنه من[4] اختيارهم الكون[5] فى زمرة الأعداء على الكون فى عداد الأولياء ، فقال [3]معبرا بالوصف الناظر إلى تلقى العلم ترغيبا فى التلقى منه صلى الله عليه و سلم[3] : ﴿ يا أيها النبى ﴾ أى الذى أنبئه بكل معنى جليل ، يظهر دينه و يزكى أمته مع رفع ١٥ مقداره و إتمام أنواره ﴿ قل لمن فى ايديكم ﴾ أى فى أيدى أصحابك و أهل دينك ، فان العبرة بعموم اللفظ لا[6] بخصوص السبب ﴿ من الاسارى[7] ﴾ ترغيبا لهم فيما عند الله ﴿ ان يعلم الله ﴾ بما له من

(١) فى ظ ، خيانة (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : عن (٥) فى الأصل : لا كون ، و فى ظ : لكون (٦) سقط من ظ (٧) هذه قراءة أبى عمرو ، و قرأ الباقون : الاسرى .

صفات [1]الجلال و الجمال[1] ﴿ فى قلوبكم خيرا ﴾ أى شيئا من تقواه الحاملة [على - [2]] الإيمان الذى هو[3] رأس الخير و على كل خير ﴿ يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ﴾ أى مما[4] يفتح به عليكم من المغانم فى الدنيا و يدخره لكم من الثواب فى الأخرى ﴿ و يغفر لكم[1] ﴾ أى ما سلف من ذنوبكم ﴿ و الله ﴾ أى الذى بيده كل شىء ﴿ غفور رحيم ٥ ﴾ أى من شأنه ذلك ، و المعنى على ما علم من قصة العباس الآتية رضى الله عنه أنه سبحانه يعاملكم و أمثالكم فى غير ما يأخذه منكم جنده[5] بالكرم ، و أما إنه يحكم باسقاط الفداء عنكم و يأمرهم بتركه و إطلاقكم مجانا بما يعلم فى قلوبكم من خير و إيمان كنتم تكتمونه فلا تطمعوا فيه لأن ذلك يفتح باب الدعاوى الباطلة المانعة من الغنائم الموهنة للدين ؛ قال الحافظ أبو عمر[6] ابن عبد البر فى سيرته : قال ابن[3] عباس و سعيد بن المسيب : كان العباس رضى الله عنه فى الأسرى فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : افد نفسك و ابنى أخيك عقيلا و نوفلا و خليتك[7] فانك ذو مال ، فقال : يا رسول الله ! إنى كنت مسلما و لكن القوم استكرهونى ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [الله - [2]] أعلم باسلامك ، إن كان حقا ما تقول فالله يجزيك به ، و أما ظاهر أمرك فقد كان علينا ، قال : ليس لى مال ، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : و أين المال الذى وضعت عند أم الفضل حين خرجت و ليس معك أحد ؟

(١-١) فى ظ : الكمال و الجلال (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : فيما (٥) من ظ ، و فى الأصل : جفوه (٦) من ظ و معجم المؤلفين ، و فى الأصل : ابو عمرو (٧) فى ظ : حليفك .

ثم

ثم قلت : إن أصبت فى سفرى هذا فأعطى الفضل كذا و عبد الله كذا !
فقال : و الذى بعثك بالحق ! ما علم بهذا[1] أحد غيرى و غيرها، ففدى نفسه
بمائة أوقية و كل واحد بأربعين أوقية و قال : تركتنى[2] أسأل الناس،
[3]و أسلم[3] و أمر عقيلا [فأسلم، و لم يسلم من الأسارى غيرهما .

و لما كان التقدير : فان صدقوك و قبلوا - [4]] بشرى الله، وفى الله ٥
لهم ؛ عطف عليه قوله : ﴿ و ان يريدوا ﴾ أى الأسرى و[5] الكفار
كلهم أو واحد[6] منهم كأبى عزة ﴿ خيانتك ﴾ أى و أنت أعلى الخلق
فى عهد من إسلام أو غيره يوثقونه لك ترضى به فى المن على أحد منهم
بغير فداء، يرد الله أن يكون وبال ذلك راجعا إليهم فيمكن منهم،
فلا تخش من أمرهم ﴿ فقد خانوا الله ﴾ [3]أى الملك الأعظم ؛ ١٠
و لما كانت خيانتهم غير مستغرقة للزمن، أدخل الجار فقال[3] :
﴿ من قبل ﴾ أى من قبل هذا الوقت [7]بالكفر و غيره من أنواع
الفسق[7] ﴿ فامكن ﴾ أى فأوجد الإمكان منهم، و قصره ليدل على
أنهم صاروا سلما لكل أحد ﴿ منهم[1] ﴾ أى يوم بدر [بسبب - [3]]
خيانتهم، فمثل ما أمكن منهم عند وقوع الخيانة سيمكنك منهم إذا أرادوا ١٥
الخيانة، فان الله يعلم ما يسرون و ما يعلنون ﴿ و الله ﴾ أى الذى له
الإحاطة بكل شىء ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم مطلقا فهو يعلم الأشياء كلها

(١) فى ظ : به (٢) فى ظ : تركنى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) من ظ، وفى الأصل : او (٦) من ظ، وفى الأصل : احد (٧-٧) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على «إليهم فيمكن» و الترتيب من ظ.

التى منها أحوالهم ﴿حكيم﴾ أى بالغ الحكمة فهو يتيقن[1] كل ما يريده فهو يوهن كيدهم و يتقن ما يقابلهم به فيلحقهم لا محالة، و كذا فعل سبحانه فى أبى عزة الجمحى فانه سأل النبى صلى الله عليه و سلم فى المن عليه بغير شىء لفقره و عياله و عاهده على أن لا يظاهر عليه أحدا و مدحه ثم خان فظفر به[2] فى غزوة حمراء الأسد عقب يوم أحد أسيرا، فاعتذر له و سأله فى العفو عنه فقال: [3] ألا تمسح[3] عارضيك بمكة و تقول: سخرت بمحمد مرتين، لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين، و أمر به فضربت عنقه؛ و قال أبو حيان[4] فى الخيانة[5]: هى كونهم / أظهر بعضهم الإسلام ثم رجعوا إلى دينهم. ٤٥١ /

و لما بين للأسرى أن الخير الذى لم يطلع عليه من قلوبهم غير الله لا ينفعهم فى إسقاط الفداء عنهم لأنه لا دليل عليه، وكل ما لا دليل عليه فحكمه حكم العدم، لأن مبنى الشرع[6] على ما[7] يمكن المكلف معرفته و هو الظواهر، و ختم بصفتى العلم و الحكمة، شرع يبين الخبر الذى يفيد القرب الذى تنبنى عليه المناصرة و كل خير، فقال مقسما أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم أربعة أقسام: قسم جمع الإيمان و الهجرة أولا و الجهاد، و قسم آوى، و قسم آمن و لم يهاجر، و قسم هاجر من بعد: ﴿ان الذين آمنوا﴾ أى بالله و رسوله ﴿و هاجروا﴾ أى واقعوا الهجرة

(١) من ظ، و فى الأصل: يتق (٢) من ظ، و فى الأصل: عليه (٣-٣) فى ظ: لا تسمح (٤) فى ظ: ابو حيازة (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و البحر المحيط ٤/٥٢١ فحذفناها (٦) من ظ، و فى الأصل: الشىء (٧) سقط من ظ.

من بلاد الشرك ، و هم المهاجرون الأولون ، هجروا أوطانهم و عشائرهم و أحبابهم حبا لله و رسوله صلى الله عليه و سلم ﴿ و جهدوا ﴾ أى واقعوا[1] الجهاد ، و هو بذل الجهد فى توهين الكفر و أهله .

و لما كانت الآيات المتقدمة فى آلات[2] الجهاد من النفس و المال تارة بالحث على إنفاقه و أخرى بالنهى عن حبه و تارة بالتسلية للأسرى عند[3] فقده ، كان الأنسب تقديم قوله : ﴿ باموالهم ﴾ أى بانفاقهم لها فى[4] الجهاد و تضييع بعضها بالهجرة من الديار و النخيل و غيرها ﴿ و انفسهم ﴾ باقدامهم على القتال مع شدة الأعداء و كثرتهم ؛ و قدم المال لأنه سبب قيام النفس ، و كان فى غاية العزة فى[4] أول الأمر ، و أخر قوله : ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الملك الأعظم لذلك ، و " فى " سبيه[5] ، أى جاهدوا بسببه حتى لا يصد عنه صاد فتظهر محاسنه و يسهل المرور فيه من غير قاطع ، و لعله عبر بـ" فى " إعلاما[6] بأنه ينبغى أن يكون متمكنا من السبيل تمكن المظروف من ظرفه حتى يكون الدين غالبا عليه لا يخرج عنه بوجه من الوجوه ، و أما فى سورة براءة[7] فلما كان السياق فى بعض الأماكن بها للسبيل قدم - كما سيأتى ، و أيضا فان هذه السورة نزلت فى أوائل الأمر بعد وقعة بدر فى السنة الثانية من الهجرة ، و كان الحال إذ ذاك شديدا جدا ، و الأموال فى غاية القلة ، و الأعداء لا يحصون ، فناسب الاهتمام بشأن المال و النفس

(١) فى ظ : اوقعوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : الآيات (٣) من ظ ، و فى الأصل : عن (٤) من ظ ، و فى الأصل : من (٥) فى ظ : سبيه (٦) من ظ ، و فى الأصل : اعلام (٧) راجع آية ٢٠ .

فقدما ترغيبا فى بذلها ، و أما براءة فنزلت فى غزوة تبوك فى أواخر سنة تسع ، فكان[1] المال قد اتسع ، و الدين قد عز و ضخم و قوى و عظم ، و أسلم غالب الناس ، فبعدت مواضع الجهاد فعظمت المشقة ، و تواكل الناس بعضهم على بعض و رغبوا فى الإقبال على إصلاح الأموال ، فناسب البداءة هناك بالسبيل .

و لما ذكر أهل الهجرة الأولى ، أتبعهم أهل النصرة ، و هم القسم الثانى من المؤمنين الذين كانوا على زمنه صلى الله عليه و سلم فقال : ﴿ و الذين اٰووا ﴾ أى [من -[2]] هاجر[3] إليهم من النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضى الله عنهم فأسكنوهم فى ديارهم ، و قسموا لهم من أموالهم ، و عرضوا عليهم أن ينزلوا لهم عن بعض نسائهم ليتزوجوهن ، و إنما قصر الفعل إشارة إلى تعظيم فعلهم بحيث كأنه[4] لا إيواء فى الوجود غير ما فعلوا ، و كذا قوله : ﴿ و نصروا ﴾ أى الله و رسوله و المؤمنين ، و هم الأنصار رضى الله عنهم ، حازوا هذين الوصفين الشريفين فكانوا فى الذروة من كلتى الحسنيين[5] ، و لو لا إيواؤهم [و نصرهم -[2]] لما تم المقصود ، و المهاجرون الأولون أعلى منهم لسبقهم فى الإيمان الذى هو رئيس الفضائل و لحملهم الأذى من الكفار زمانا طويلا و صبرهم على فرقة الأوطان و العشائر ، و أشار إلى القسمين بأداة البعد لعلو مقامهم و عز[6] مرامهم فقال : ﴿ اولٰئك ﴾ / أى العالو الرتبة ﴿ بعضهم اولياء بعض[1] ﴾ أى فى الميراث دون القرب العارى عن ذلك ، فبين أن الإيمان

/٤٥٢

(١) فى ظ : و كان (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و فى الأصل : هاجروا (٤) من ظ ، و فى الأصل : كان (٥) زيد فى ظ : و اشار الى القسمين (٦) فى ظ : علو .

إن لم يقترن[1] بشهيدين هما الهجرة و الجهاد من الغرّب[2] عن المدينة و شهيدين هما الإيواء و النصرة من أهل المدينة ، كان عائقا عن مطلق القرب بل مانعا من نفوذ لحمة النسب كل النفوذ[3] ، فكأن من آمن و لم يهاجر لم يرث ممن هاجر - قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، و مادة ولى بجميع تصاريفها ترجع إلى الميل ، و يلزم منه القرب [و البعد - [4]] ، و ربما نشأ عن كل منهما الشدة ، و ترتيب ولى بخصوصه يدور على القرب ، و من لوازمه النصرة ، فالمعنى بعضهم أقرباء بعض ، يلزم كلا منهم فى حق الآخر من المناصرة و غيرها ما يلزم القريب لقريبه ، فمتى جمعهم وصف جعلهم شركاء فيما يثمره ، فوصف الحضور فى غزوة يشرك بينهم فى الغنائم ، لأن أنواع الجهاد كثيرة ، و كل واحد منهم باشر بعضها ، فعن حضور الكل نشأت النصرة ، و المهاجر فى الأصل من فارق الكفار بقلبه و لاواهم ، و رافق المؤمنين بحبه و لبه و والاهم ، لكن لما كان هذا قد يخفى ، نيط الأمر بالمظنة و هى الدار ، لأنها أمر ظاهر ، فصار المهاجر من باعد دار المشركين فرارا بدينه ، ثم صار شرط ذلك بعد هجرة النبى صلى الله عليه و سلم أن تكون النقلة إلى دار هجرته : المدينة الشريفة ، هذا حكم كل مهاجر إلا [ما - [4]] كان من خزاعة ، فان النبى صلى الله عليه و سلم كان قد علم من مؤمنهم و كافرهم حبه و نصحه و بغض عدوه فلم يلزم مؤمنهم النقلة ؛ قال الحافظ أبو عمر ابن عبد البر فى كتاب المدخل إلى

(١) من ظ ، و فى الأصل : لم يفترون (٢) من ظ ، و فى الأصل : القريب .
(٣) فى ظ : المنفوذ (٤) زيد من ظ .

الاستيعاب : و يقال لخزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه و سلم [1] لأنهم حلفاء بنى هاشم و قد أدخلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم [1] فى كتاب القضية عام الحديبية - إلى أن قال : و أعطاهم النبي صلى الله عليه و سلم منزلة لم يعطها أحدا من الناس أن جعلهم مهاجرين بأرضهم و كتب لهم بذلك كتابا - انتهى . و قال شاعرهم نجيد [2] بن عمران الخزاعى يفخر [3] بذلك و غيره مما خصهم الله به على يد [4] رسول الله صلى الله عليه و سلم :

و قد أنشأ [الله - [5]] السحاب بنصرنا ... [6] ركام سحاب [6] الهيدب المتراكب

و هجرتنا فى أرضنا عندنا بها ... كتاب أتى من خير مل و كاتب

و من أجلنا حلت بمكة حرمة ... لندرك ثأرا بالسيوف القواضب

ذكر ذلك الحافظ أبو الربيع ابن سالم الكلاعى فى غزوة الفتح من سيرته ، و الذى تولى حلفهم أولا هو عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه و سلم ؛ قال الواقدى فى أول غزوة الفتح : و كانت خزاعة حلفاء لعبد المطلب ، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم بذلك عارفا ، لقد جاءته يومئذ - يعنى يوم الحديبية - خزاعة بكتاب عبد المطلب فقرأه و هو « باسمك اللهم هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة [7] إذ قدم عليه [8] و سراتهم [9]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من سيرة ابن هشام ٣/١ ، و فى الأصل : عبيد ، و فى ظ : مجيد - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : يعجز (٤) فى ظ : يدى . (٥) زيد من ظ و السيرة (٦ - ٦) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : سحاب ركام . (٧) من ظ و كتاب المغازى ٢ / ٧٨١ ، و فى الأصل : الخزاعة (٨) من ظ و المغازى ، و فى الأصل : عليهم (٩) فى ظ : سرواتهم .

و أهل الرأى، غائبهم مقر بما قضى عليه شاهدهم، إن بيننا و بينكم عهد الله و عقوده، ما لا ينسى أبدا، اليد واحدة[1] و النصر واحد، ما أشرف[2] ثبير و ثبت حراء، و ما بلّ بحر صوفة، لا يزداد فيما بيننا و بينكم إلا تجددا أبدا أبدا، الدهر سرمدا، فقرأه عليه أبى بن كعب رضى الله عنه فقال: ما أعرقى بحلفكم و أنتم على[3] ما أسلمتم عليه من الحلف، وكل حلف كان فى الجاهلية ٥ فلا يزيده الإسلام إلا شدة، و لا حلف فى الإسلام؛ قال الواقدى: و جاءته أسلم و هو بغدير الأشطاط[4] جاء بهم بريدة بن الحصيب فقال: يا رسول الله! هذه أسلم و هذه محالّها و قد [هاجر إليك من -[5]] هاجر منها و [بقى -[5]] قوم منهم فى مواشيهم و معاشهم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أنتم[6] مهاجرون حيث كنتم، و دعا العلاء بن الحضرمى ١٠ فأمره أن يكتب لهم كتابا فكتب: هذا كتاب من محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم لأسلم لمن آمن منهم بالله و شهد أن / لا إله إلا الله ٤٥٣ / و أن محمدا عبده و رسوله، فانه آمن بأمان الله، و له ذمة الله و ذمة رسوله، و إن أمرنا و أمركم واحد على من دهمنا من الناس بظلم، اليد واحدة و النصر واحد، و لأهل باديتهم [مثل -[7]] ما لأهل قرارهم[8] ١٥

(١) فى ظ: واحد (٢) من المغازى، و فى الأصل: اشرق، و فى ظ: اشر - كذا.
(٢) من ظ و المغازى، و فى الأصل: عا - كذا (٣) من المغازى، و فى الأصل و ظ: الاشظاظ، و قال فى المغازى هلا عن وفاء الوفاء: غدير الأشطاط: على ثلاثة أميال من عسفان مما يلى مكة (٥) زيد من ظ و المغازى (٦) زيد بعده فى الأصل: لقى، و لم تكن الزيادة فى ظ و المغازى فحذفناها (٧) زيد من المغازى.
(٨) فى ظ: قراهم.

[و هم] مهاجرون حيث كانوا ، و كتب العلاء بن الحضرمى فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا رسول الله ! نعم الرجل بريدة بن الحصيب لقومه عظيم البركة عليهم ، مررنا به ليلة مررنا و نحن مهاجرون إلى المدينة ، فأسلم و أسلم معه من قومه من أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : نعم الرجل بريدة لقومه و غير قومه يا أبا بكر ! إن خير القوم من كان مدافعا عن قومه ما لم يأثم ، فان الإثم لا خير فيه - انتهى . و أسلم شعب من أربعة شعوب من خزاعة . و لما فتحت مكة ، انقطعت الهجرة لظهور الدين و ضعف المشركين ، و قام مقام الهجرة النية الخالصة المدلول عليها بالجهاد كما قال صلى الله عليه و سلم « لا هجرة بعد الفتح و لكن جهاد و نية » و قال صلى الله عليه و سلم « المهاجر من هجر ما نهى الله عنه » فان كان المؤمن لا يتمكن من إظهار دينه وجبت[2] عليه البقلة .

و لما بين سبحانه أمر من جمع[3] الشروط ، شرع يبين حكم من قعد[4] عن بعضها و هو القسم الثالث فقال : ﴿ و الذين آمنوا ﴾ أى اشتهر إيمانهم ﴿ و لم يهاجروا ﴾ أى قبل الفتح بل استمروا فى بلادهم ﴿ ما لكم من ولايتهم ﴾ و الحرق فى التى فقال : ﴿ من شىء ﴾ أى[5] فى التوارث و لا فى غيره ؛ و رغبهم فى الهجرة بقوله : ﴿ حتى يهاجروا[6] ﴾ أى يواقعوا[6] الهجرة لدار الشرك و من فيها ﴿ و ان استنصروكم ﴾ أى طلبوا نصركم ﴿ فى الدين ﴾ أى

(١) زيد من ظ و المغازى (٢) فى ظ : وجب (٣) من ظ ، و فى الأصل : جميع .
(٤) فى الأصل : نقد ، و فى ظ : عقد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : يوقعوا .

بسبب أمر من أموره و هم متمكنون من الدين تمكن المظروف من الظرف ﴿ فعليكم النصر ﴾ أى واجب عليكم أن تنصروهم[1] على المشركين ، فالمعنى أنه ليس لهم عليكم حق القريب إلا فى الاستنصار فى الدين . فان ترك نصرهم يجر إلى مفسدة كما أن موالاتهم تجر إلى مفاسد ؛ ثم استثنى من الوجوب فقال : ﴿ الا على قوم ﴾ وقع وكان ﴿ بينكم و بينهم ميثاق[1] ﴾ ٥ أى لأن استنصارهم يوقع بين مفسدتين : ترك[2] نصرة المؤمن و نقض العهد و هو أعظمهما فقدمت[3] مراعاته و تركت نصرتهم[4] ، فان نصرهم الله على الكفار فهو المراد من غير أن تدنسوا بنقض ، و إن نصر الكفار حصل لمن قتل من إخوانكم الشهادة و لمن بقى الضمان بالكفاية ، وكان ذلك داعيا لهم إلى الهجرة[5] ، و من ارتد منهم أبعده الله و لن يضر إلا ١٠ نفسه و الله غنى حميد ، فقد وقع - كما ترى - تقسيم المؤمنين إلى ثلاثة أقسام : أعلاها المهاجر ، و يليه الناصر ، و أدناها القاعد القاصر ، و بقى قسم رابع يأتى[6] ؛ قال أبو حيان : فبدأ بالمهاجرين - أى[6] الأولين - لأنهم أصل الإسلام و أول من استجاب لله تعالى ، فهاجر قوم إلى المدينة ، و قوم إلى الحبشة ، و قوم إلى ابن ذى يزن ، ثم هاجروا إلى المدينة و كانوا ١٥ قدوة لغيرهم فى الإيمان و سبب تقوية الدين « من سن سنة حسنة فله أجرها و أجر من عمل[7] بها إلى يوم القيامة » و ثنى بالأنصار لأنهم ساووهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : ينصروهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : يرى - كذا. (٣) فى ظ : فتقدمت (٤) فى ظ : تركتهم (٥) فى ظ : الهجر (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : يعمل .

فى الإيمان و فى الجهاد بالنفس و المال ، لكنه عادل بالهجرة[1] الإيواء و النصرة ، و انفرد المهاجرون بالسبق ، و ذكر ثالثا من آمن و لم يهاجر و لم ينصر ، ففاتهم هاتان الفضيلتان و حرموا الولاية حتى يهاجروا ، ثم قال : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين و الأنصار ، فكان المهاجرى ٥ يرثه أخوه الأنصارى إذا لم يكن له بالمدينة ولى مهاجرى ، و لا توارث بينه و بين قريبه المسلم غير المهاجرى[2] ، قال ابن زيد : و استمر أمرهم كذلك إلى[3] فتح مكة - انتهى . لكن ما ذكر ابن عبد البر - كما سيأتى - من أن حكم ذلك زال / بوقعة بدر أولى للآية الآتية[4] آخر السورة مع ما يؤيد ذلك من آية الأحزاب[5] . /٤٥٤

١٠ و لما كان التقدير : فالله بمصالحكم خبير ، و كان[6] للنفوس دواع إلى مناصرة الأقارب و الأحباب و معاداة غيرهم خفية ، و لها دسائس[7] تدرك ، حذر من ذلك بقوله عاطفا على هذا المقدر : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ؛ و لما كان السياق لبيان المصالح التى تنظم الدين و تهدم ما عداه ، و كان للنفوس - كما تقدم - أحوال ، اقتضى تأكيد العلم ١٥ بالخفايا فقدم الجار الدال على الاختصاص الذى هو هنا كناية عن إحاطة العلم فقط فقال مرهبا : ﴿ بما تعملون بصير ﴾ و فى ذلك أيضا ترغيب فى العمل بما حث عليه من الإيمان و الهجرة و النصرة و الإنفاق و التحرى

(١) فى البحر المحيط ٤/٥٢١ : الهجرة (٢) من البحر ، وفى الأصل و ظ : المهاجر (٣) زيد بعده فى ظ : ان (٤) من ظ ، و فى الأصل : الثانية (٥) راجع آية ٦ منها (٦) فى ظ : كانت (٧) من ظ ، و فى الأصل : اساس .

فى جميع من[1] ذلك و ترهيب من العمل بأضدادها ، و فى " البصير " إشارة إلى العلم بما يكون من ذلك خالصا أو مشوبا ، ففيه مزيد حث على الإخلاص .

و لما بين شرط موالاة المسلم ، بين موالاة الكافر و ما يجب من مناظرتهم[2] و مباراتهم فيها ، و أنه لا شرط لها غير مطلق الكفر فانه ٥ -[1] و إن اختلفت أنواعه و تباعدت أنحاؤه - يجمعه عداوة الله [و -[3]] ولاية الشيطان فقال : ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف على أىّ حال كانوا فيه ﴿ بعضهم اولياء بعض[4] ﴾ أى فى الميراث و النصرة و غيرهما ، و هو خبر محض مشير إلى نهى المسلم عن موالاتهم ، و أما الذى مضى فى حق المؤمنين فهو أمر فى صورة الخبر و صيغته ، يعنى أن فى كل من ١٠ الكفار قوة الموالاة للآخر عليكم و الميل العظيم الحاث لهم[1] على المسارعة فى ذلك و إن اشتدت عداوة بعضهم لبعض لأنكم حزب و هم حزب ، يجمعهم داعى الشيطان بوصف الكفران كما يجمعكم داعى الرحمن بوصف الإيمان ، قال أبو حيان : كانوا قبل بعثة النبى صلى الله عليه و سلم يعادى أهل الكتاب منهم قريشا و يتربصون بهم الدوائر ، فصاروا بعد بعثه صلى الله ١٥ عليه و سلم يوالى بعضهم بعضا [و -[4]] إلبا واحدا على رسول الله صلى الله عليه و سلم - انتهى . و ما ذكره مذكور فى السير مشهور عند أهل الأثر ﴿ الا تفعلوه ﴾ أى مثله من تولى المؤمنين و معاداة الكافرين

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تناظرهم (٣) زيد من ظ (٤) زيد من البحر المحيط ٤/٥٢٢ .

كما يفعل الكفار بالتعاضد و التعاون بالنفس و المال كما أرصدوا مال العير الذى فاتكم حتى استعانوا به على قتالكم فى أحد ، فاللائق بكم[1] أن تكونوا أعظم منهم فى ذلك ، لأنهم يريدون بذلك رمّ واهى دنياهم الفانية و أنتم تبنون آخرتكم الباقية ، و داعيكم ولى غنى و داعيهم عدو دنى فضلا عن أن تنزلوا إلى حضيض التنازع فى الغنائم ﴿ تكن فتنة ﴾ أى عظيمة ﴿ فى الارض ﴾ أى خلطة مميلة للقاصد عن وجوهها ﴿ و فساد كبير ﴾ أى[2] ينشأ عن تلك الفتنة ، و الكبير ناظر إلى العظم ، و قرئ شاذا بالمثلثة فيكون عظمه حينئذ مخصوصا بالأنواع ، و بيان الفساد أنه إذا قارب المؤمن الكافر و الكافر المؤمن و تناصروا أو ترك المؤمنون التناصر فيما بينهم انحل النظام فاختل كل من النقض و الإبرام ، فاختلف الكلام فتباعدت القلوب ، فتزايدت الكروب ، فالواجب عليكم أن تكونوا إلبا[3] واحدا و يدا واحدة فى الموالاة و تقاطعوا[3] الكفار بكل اعتبار ليقوم أمركم و تطيب حياتكم ، و تصلح غاية الصلاح دنياكم و آخرتكم ، و الآية شاملة لكل ما يسمى توليا[4] حتى فى الإرث و قتال الكفا و مدافعة المسلمين بالأمر و الإنكار ، و لما ترك بعض العلماء إعانة بعض فتة حصل ما خوف الله تعالى منه من الفتنة و الفساد حتى صار الأمر إلى ما ترى من علو المفسدين و ضعف أهل الدين ، فالأمر بالمعروف فيهم[6] فى غاية الذل و الغربة ، يرد عليه أدنى / الناس فلا يجد[5] له ناصرا ، و يجد ذلك الآخر له على /٤٥٥

(١) فى ظ : به (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : تعاطوا (٤) فى ظ : تواليا (٥) من ظ ، و فى الأصل : فلا تجد .

الرد أعوانا كثيرة[1] ، و صار أحسن الناس حالا مع الأمراء و أعظمهم له محبة من يقنع بلومه على فعله ظنا منه أن ذلك شفقة عليه - و الله المستعان.

و لما تقدمت أنواع المؤمنين : المهاجر و الناصر و القاعد ، و ذكر أحكام موالاتهم[2] ، أخذ يبين تفاوتهم فى الفضل فقال : ﴿و الذين آمنوا﴾ أى بالله و ما أتى[3] منه ﴿و هاجروا﴾ أى فيه من يعاديه سابقين مع نبيه ٥ صلى الله عليه و سلم ﴿و جهدوا﴾ أى بما تقدم من المال و النفس أو بأحدهما ﴿فى سبيل الله﴾ أى الذى له صفات الكمال فبذلوا الجهد فى إذلالهم كما بذل الأعداء الجهد فى إذلالهم ، و لم يذكر آلة الجهاد لأنها - مع تقدم ذكرها - لازمة ﴿و الذين آووا﴾ أى من هاجر إليهم ﴿و نصروا﴾ أى حزب الله ؛ و أعلم بقوله : ﴿أولئك﴾ أى الصنفين ١٠ الأولين خاصة ﴿هم المؤمنون حقا[4]﴾ أى حق الإيمان ، لأنهم حققوا إيمانهم : المهاجر بالانسلاخ من كل ما يحبه من الأمور الدنيوية ، و الناصر من جميع أهل الكفر بإيواء أهل الله و نصرتهم .

و لما بين وصفهم ، بين ما حباهم[4] به بقوله دالا على أن الإنسان محل النقصان ، فهو - و إن اجتهد حتى كان من القسم الأعلى - لا ينفك ١٥ عن مواقعة ما يحتاج فيه إلى الغفران : ﴿لهم مغفرة﴾ أى لزلاتهم و هفواتهم ، لأن مبنى الآدمى على العجز اللازم عنه التقصير و إن اجتهد ، و الدين متين فلن يشاده أحد إلا غلبه ؛ و لما ذكر تطهيرهم بالمغفرة ، ذكر

(١) فى ظ : كثيرا (٢) فى ظ : مولاتهم (٣) فى ظ : اوتى (٤) من ظ ، و فى الأصل : حبهم .

تزكيتهم بالرحمة فقال : ﴿ و رزق ﴾ أى من الغنائم و غيرها فى الدنيا و الآخرة ﴿ كريم ﴾ أى لا كدر فيه [بوجه - [1]] ، لا فى قطعه و لا فى نقصانه و لا فى شىء من شأنه .

و لما حصر المؤمنين حقا فى الموصوفين ، بين أن من ترك ما هو عليه من لزوم دار الكفر و القعود عن الجهاد ، لحق بمطلق درجتهم و إن كانوا فيها أعلى منه فقال ذاكرا القسم الرابع : ﴿ و الذين آمنوا ﴾[2] و لما كانوا قد تأخروا عن دعوة النبى صلى الله عليه و سلم مدة ، أدخل الجار فقال : ﴿ من بعد ﴾ أى من[3] بعد تأخر إيمانهم عن السابقين ﴿ و هاجروا ﴾ أى لاحقين للسابقين ، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم من[4] هاجر بعد الحديبية ، قال : و هى الهجرة[5] الثانية ﴿ و جهدوا معكم ﴾ أى من تجاهدونه من حزب الشيطان ﴿ فأولئك منكم[1] ﴾ أى لهم ما لكم و عليهم ما عليكم من المواريث و المغانم و غيرها[6] ، لأن الوصف الجامع هو المدار للأحكام و إن تأخرت رتبتهم عنكم كما[7] أفهمته أداة البعد .

و لما بين أنهم منهم ، بين أنه متى جمعهم[8] الوصف المحصل للولاية ، كان القرب فى الرحم أولى من غيره فقال : ﴿ و اولوا الارحام ﴾ أى [من - [1]] المؤمنين الموصوفين ﴿ بعضهم اولى ببعض ﴾ أى فى الإرث و غيره من المتصفين بولاية الدين الخالية عن الرحم ﴿ فى كتب الله[1] ﴾

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى ظ : اى (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : ما (٥) فى ظ : الحديبية (٦) من ظ ، و فى الأصل : غيرهم (٧) من ظ ، و فى الأصل : بما (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أى القرآن أو فى حكمه و قسمه الذى أنزله إليكم الملك الأعظم فى آيات الإرث ، و هى مقيدة بالعصبات [فنسخت الولاية - ١] ٢فلا دلالة٢ على توريث غيرهم ، و ذكر ابن عبد البر فى الاستيعاب فى ترجمة المنذر بن عمرو أن بدرا قطعت المواخاة بين الصحابة رضى الله عنهم ، يعنى فتكون٣ هذه الآية ناسخة آية " بعضهم اولياء بعض " و تكون تلك حينئذ مبينة أمر ما كان قبل غزوة بدر - و هو حسن ، و الآية التى فى سورة الأحزاب مؤيدة له ؛ ثم علل سبحانه ما ذكر بما يرغب فيه فقال : ﴿ ان الله ﴾ اى الذى له صفات الكمال كلها ﴿ بكل شىء عليم ﴾ فهو يعلم أن هذا هو الذى تدور عليه المصلحة و تدوم به الألفة كما علم فى أول الأمر أن نوط الإرث و غيره من لوازم القرب بالأخوة الإسلامية٤ أولى / لما فى ذلك ١٠ /٤٥٦ من تكثير قلتكم و نصر ذلتكم و جمع شتاتكم و جعل ما بينكم من الأخوة كلحمة النسب ، فأما الآن فقد ضرب الدين بجرانه٥ ، و ثبت بقواعده و أركانه ، و ولى ٦الكفر بسلطانه٦ ، و نكص مدبرا بأعوانه ، فتوارثوا بالإسلام و القرابة و تقاطعوا٧ الكفار ، و٨ قربوا و بعدوا ، و انحازوا عنهم كما انحازوا عنكم ، و تبرأوا منهم كما تبرأوا منكم ، فقد انطبق آخر السورة ١٥ - بالإعراض عن الدنيا و إصلاح ذات البين و بيان المؤمنين حقا و تقليد العليم فى جميع الأعمال من غير اعتراض - على أولها٩ ، و بيان من يوالى١٠ و من يعادى على أول براءة - و الله الموفق .

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : فيكون (٤) فى ظ : الإسلام (٥) الضرب بالجران كناية عن الثبات و الاستقرار (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل : الشيطان (٧) من ظ ، و فى الأصل : قاطعوا (٨) سقط من ظ . (٩) فى ظ : اولها (١٠) فى ظ : توالى .

سورة براءة[1]

مقصودها معاداة من أعرض عما دعت إليه السورة الماضية من اتباع الداعى إلى الله فى توحيده و اتباع ما يرضيه، و موالاة من أقبل عليه، و أدل[2] ما فيها على الإبلاغ فى هذا المقصد قصة المخلّفين فانهم - لاعترافهم بالتخلف عن الداعى بغير عذر فى غزوة تبوك المحتمل على وجه بعيد منهم رضى الله عنهم للاعراض بالقلب - هجروا، و أعرض عنهم بكل اعتبار حتى بالكلام، فذلك معنى تسميتها[3] بالتوبة، و هو[4] يدل على البراءة لأن البراءة منهم - بهجرانهم[5] حتى فى رد السلام - كان سبب التوبة، فهو من إطلاق المسبب على السبب، و تسميتها ببراءة[6] واضح أيضا فيما ذكر من مقصودها، و كذا الفاضحة لأن من افتضح كان أهلا للبراءة منه، و البحوث لأنه لا يبحث[7] إلا عن حال البغيض، و المبعثرة هو المنفرة و المثيرة و الحافرة و الحفارة و المخزية و المهلكة و المشردة و المدمدمة و المنكلة، لأنه لا يبعثر إلا حال العدو و كذا ما بعده، و المشردة عظيمة المناسبة مع ذلك لما أشارت إليه الأنفال فى "فشرد بهم من خلفهم[8]" و سورة العذاب أيضا واضحة فى مقصودها، و كذا المقشقشة لأنهم قالوا: إن معناه

(١) مدنية سوى آيتين فى آخرها - كما قال ابن الجوزى، و هى مائة و تسع و عشرون آية، و قيل: مائة و ثلاثون آية (٢) فى ظ: ابدل (٣) فى ظ: تسويتها. (٤) فى ظ: هذا (٥) من ظ، و فى الأصل: بعجزانهم (٦) فى ظ: براءة (٧) فى ظ: لا يبعث (٨) آية ٥٧.

المبرئة من النفاق، من تقشقشت قروحه - إذا[1] تقشرت للبرء، و توجيهه أن من عرف أن الله برىء منه و رسوله و المؤمنون لأمر فهو جدير بأن يرجع عن ذلك الأمر، و عندى [أيضا -[2]] أنه مضاعف القش الذى معناه الجمع، لأنها جمعت أصناف المنافقين و أحوالهم و عليه خرج قاسم[3] ما فى وصف أبى جهم بن حذيفة لمن أراد نكاحها: أخاف عليك قشقاشته[4]، ٥ أى تتبعه لمذاق الأمور، أخذا من القش الذى هو تطلب المأكول من ههنا و ههنا، أو عصاه التى هى غاية ذلك، و مادة قش و مقلوبها شق و مضاعفها قشقش و شقشق[5] تدور على الجمع و تلازمه[6] الفرقة فانه لا يجتمع[7] إلا ما كان مفرقا[8] و لا يفرق إلا ما كان مجتمعا، و قد اقتسم هذان[9] المثالان المعنيين إلا قليلا، فقش القوم: صلحوا و أحيوا بعد الهزال بجمع ١٠ اللحم، و الرجل: أكل من ههنا و ههنا ولف ما قدر عليه مما على الخوان، واضح فى ذلك، و أقشوا و انقشوا - إذا انطلقوا فجفلوا و مروا[10] ذاهبين - و قد انقشوا - إذا مروا و ذهبوا مسرعين لاجتماعهم فى[11] ذلك و جمعهم ما قدروا عليه من متاعهم، و القش و الإقشاش: طلب المأكول من ههنا و ههنا لجمعه[12]، و القشة - بالكسر: القردة كأنها لجمعها ما رأت مما يؤكل ١٥ فى فيها، و الصبية الصغيرة الجثة [التى -[13]] لا تكاد تثبت كأنها[14]

(١) فى ظ: اى (٢) زيد من ظ (٣) أى ابن سلام أبو عبيد الهروى (٤) فى جميع المراجع: قسقاسته - باهمال السين (٥) من ظ، و فى الأصل: شقشقا (٦) من ظ، وفى الأصل: تلازم (٧) من ظ، وفى الأصل: لا يجمع (٨) فى ظ: مفروقا. (٩) فى ظ: هذا (١٠) فى ظ: مردوا (١١) فى ظ: على (١٢) فى الأصل و ظ: لجمعها (١٣) زيد من تاج العروس (١٤) من ظ، و فى الأصل: كانه.

لاجتماعها فى نفسها، [1]و كذا القشيس: الصغير من الصبيان، و دويبة كالجعل إما لاجتماعها فى نفسها[1] أو لجمعها القاذورات، و القشيش كأمير: اللقاطة لأنها يجمعها اللقاطون، و صوت جلد الحية يحك بعضها ببعض، لأنه لا يكون إلا عند التثنى و التجمع، و أقش من الجدرى: برئ منه كتقشقش[2] يصلح أن يكون من الفرقة لأنه فارقه، و من الجمع لأن البرء جمعه كله فأزاله، و يمكن أن تكون[3] همزته للازالة، و تقششت القروح و تقشقشت - إذا تقشرت للبرء، إما من الجمع لاجتماع القوى للصحة، و إما من الفرقة و الزوال، و كذا تقشقش البعير - إذا برئ من / الجرب، و يقال: قشّشهم بكلامه[4] - إذا تكلم بقبيح و آذاهم، أى لجمعه همومهم على بغضه أو معايبهم، و كذا قش الشىء: [5]جمعه، و الناقة: أسرع حلبها، أى جمع الزمان الطويل بجمع ما فى ضرعها، و الشىء: حكه بيده حتى يتحات، أى قشره جميعه، فهو يصلح للفرقة و الجمع، و قش: مشى مشى المهزول أى اضطرب، و هو يوجب [الإسراع و -[6]] التثنى فيصلح للجمع و الفرقة، و قش: أكل مما يلقيه الناس على المزابل أو أكل كسر الصدقة، لأن ذلك غاية فى الجمع، و قش النبات: يبس، فاستحق أن يجمع، و القش: ردىء التمر[7] كالدقل و نحوه لأنه، يجمع[8] فى نفسه، و الدلو

/٤٥٧

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ كتقشش (٣) من ظ، و فى الأصل: يكون (٤) من القاموس، و فى الأصل و ظ: بكلام (٥) زيد فى ظ: اى (٦) زيد من ظ (٧) من القاموس، و فى الأصل و ظ: النخل (٨) فى ظ: تجمع.

الضخم[1] الكثرة ما يجمع، و فى الحديث: "قل يا أيها الكفرون" و "قل هو الله احد" المقشقشتان، أى المبرئتان من الشرك لما فى الحديث: اقرأ "قل يا أيها الكفرون" عند منامك فانها براءة من الشرك، فالمعنى أنهما تجمعان كل شرك و نفاق [دقيق -[2]] أو جليل فتزيلانه، و القشقشة يحكى بها الصوت قبل الهدير فى محض الشقشقة[3] قبل أن ترعد بالهدير، لأن مبادئ صوت الهدير زائد الضخامة، فكأنه جامع، فكذا ما يحكيه؛ و القشقاشة: العصا، لجمعها ما يراد بها أو لأنها يقشر عنها لحاؤها كما يقشر جلد الحية، و أما مقلوبه فيقال فيه[4]: شقه: صدعه أى فرقه، و قال الخليل: الصدع ربما كان فى أحد الوجهين غير نافذ، و الشق لا يكون إلا نافذا، و شق ناب البعير: طلع، لأنه فرق اللحم، و شق العصا: فرقها باثنتين و فرق بين الجماعة، و شق عليه الأمر: صعب ففرق نفسه، و شق عليه: أوقعه فى مشقة، و شق بصر المحتضر: نظر إلى شىء لا يرتد إليه[5] طرفه، لأنه لتصويبه إلى جهة واحدة مفترق[6] من بقية الجهات، و الشق واحد الشقوق، و الصبح[7] لأنه يفرق جيش الظلام، و جوبة[8] ما بين الشفرين من جهاز المرأة، و التفريق و منه شق عصا المسلمين، و استطالة البرق[9] إلى وسط السماء من غير أن يأخذ يمينا و شمالا، لأنه يشق السحاب مستقيما كما يشق اللوح و العصا، و الشق - بالكسر: الجانب لأنه مفارق للجانب الآخر[10]،

(١) و فى تاج العروس: الصواب: الضخمة كما فى التكلة و غيرها (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: القشقشة (٤) فى ظ: فيها (٥) فى ظ: عليه (٦) من ظ، و فى الأصل: معترضة (٧) من ظ والقاموس، وفى الأصل: الصفح (٨) فى ظ: جرته. (٩) من ظ و القاموس، و فى الأصل: البراق (١٠) فى ظ: الا - كذا.

و اسم لما نظرت إليه لأنه فى جانب واحد ، و جنس من أجناس الجن لأنه فرقة منهم ، و من كل شيء نصفه - و يفتح ، [و -[1]] المال بينى و بينك شق الشعرة - و يفتح : نصفان سواء ، و الشقة - بالكسر: شظية من لوح ، و من العصا و الثوب و غيره ما شق مستطيلا ، و الشقية : ضرب من الجماع[2] كأنه على شق واحد ، و الشقة - بالضم و الكسر : البعد و الناحية يقصدها المسافر ، و السفر البعيد ، و كله واضح فى الفرقة . و المشقة أيضا لأنها تأخذ أحد شق النفس . و الفرس الأشق : البعيد ما بين الفروج و الطويل . كأن أجزاءه تفرقت فطال ضد ما تقدم فى الصبية الصغيرة . و الأشق أيضا : العجل إذا استحكم كأنه[3] لما تأهل من شق الأرض بالحراثة ، و كل ما اشتق نصفين ، و الشقيقة كسفينة : الفرجة بين الجبلين[4] تنبت العشب ، لأنها فرقت بين الجبلين و فرقت[5] عشبها بين ملتئم أرضها ، و المطر الوابل المتسع لأن الغيم تشقق عنه ، و من البرق ما انتشر من الأفق لأنه يشق السحاب ، و وجع يأخذ نصف الرأس و الوجه ، و شقائق النعمان معروف سميت لحمرتها تشبيها بشقيقة البرق - كذا قالوا ، و عندى أنها سميت لتفرق أوراقها و تصفقها فكأنها مشققة[6] مع التجمع ، و الشقاق كغراب : تشقق يصيب أرساغ الدواب ، و الشقشقة - بالكسر : شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج ، كأنه يشق حلقه فيخرج و يوجب هديره الذى يشق

(١) زيد من ظ و القاموس (٢) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : الجماعة .
(٣) فى ظ : لانه (٤) فى اللسان : الحبلين (٥) من ظ ، و فى الأصل : فرق (٦) فى ظ : مشقة .

انطباق تجويفه ليصوت ، و منه شقشق[1] الفحل : هدر ، و العصفور : صوت ، و شقق الكلام : أخرجه أحسن مخرج ، و شقق الحطب : فرق كل واحدة باثنتين أو أكثر ، و انشقت العصا : تفرق الأمر ، و الاشتقاق : أخذ شق الشيء و الأخذ فى الكلام / و فى الخصومة يمينا و شمالا مع ترك القصد ، لأنه يشق[2] جهات المعانى ، و هو أيضا أخذ الكلمة من الكلمة ، فكأنه فرق بين أجزائها ، و هذا أخى و شق نفسى و شقيق ، كأنه[3] يشق [نسبه - [4]] من نسبه[5] أو كأنه شقه منه . و هذه السورة آخر سورة نزلت . روى[6] البخارى فى التفسير و غيره من صحيحه عن البراء رضى الله عنه قال : آخر آية نزلت " يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة " و آخر سورة نزلت براءة . ٤٥٨ / ٥ ١٠

و لما كانت مناسبة أولها - الداعى إلى البراءة ممن يخشى نقضه[7] - لآخر الأنفال المبين لمن[8] يصلح للولاية المختتم بشمول العلم فى حد عظيم - من الظهور مع ما تقدم من بيان مناسبة آخر الأعراف لأول الأنفال ، قدمت الأنفال مع قصرها على براءة مع طولها و اشتباه أمرها على[9] الصحابة فى كونها سورة مستقلة أو بعض سورة كما قدمت آل عمران ١٥

(١) من القاموس ، و فى الأصل : شقيق ، و فى ظ : شقق (٢) من ظ ، و فى الأصل : يشقق (٣) فى ظ : لانه (٤) زيد من ظ و القاموس (٥) من القاموس ، و فى الأصل و ظ : نفسه (٦) من ظ ، و فى الأصل : و فى - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : بغضة (٨) من ظ ، و فى الأصل : لم - كذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : عن .

[1]مع قصرها[1] على النساء لمثل ذلك من المناسبة، فكان ما ذكر فى براءة من البراءة و التولى شرحا لآخر الأنفال؛ روى الإمام أحمد فى المسند و أبو داود فى السنن و الترمذى فى الجامع و حسنه و[2] ابن ماجه و ابن حبان فى[2] صحيحه و إسحاق بن راهويه و أبو يعلى و البزار و البيهقى و الإمام أبو محمد إسحاق بن
٥ إبراهيم البستى[3] القاضى فى تفسيره - بسند الترمذى و البيهقى - و الإمام أبو جعفر النحاس بغير سند عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قلت لعثمان بن عفان رضى الله عنه: ما حملكم على[4] أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثانى و إلى براءة و هى من المئين فقرنتم بينهما و لم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم و وضعتموها فى السبع الطول؟ ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان رضى الله عنه:
١٠ كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مما[5] - و قال البستى: ربما - يأتى عليه الزمان و هو تنزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشىء دعا بعض من كان يكتب فيقول: ضعوا هذه الآيات فى السورة التى يذكر فيها كذا و كذا، و كانت[6] الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، و كانت براءة من آخر القرآن نزولا، و كانت قصتها شبيهة بقصتها،
١٥ فظننت أنها منها، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم و لم يبين لنا أنها منها، - قال النحاس: و ذهب عنى أن أسأله عنها - فمن أجل ذلك قرنت بينهما

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) ذكره فى معجم البلدان - راجع «البست» (٤) فى ظ: الى (٥) من جامع الترمذى - التفسير، و مسند الإمام أحمد ١/٥٧، و فى الأصل وظ: بما (٦) فى ظ: كان.

و لم أكتب بينهما سطر "بسم الله الرحمن الرحيم" فوضعتها فى السبع الطول - زاد ابن راهويه : و كانتا تدعيان القرينتين - انتهى . فبين أنهما اشتبها عليه و أنه وضعهما فى الطول لمناسبتهما لها على تقدير كونها سورة واحدة ؛ قال فى القاموس: و السبع الطول - كصرد - من البقرة إلى الأعراف، و السابعة سورة يونس أو الأنفال و براءة جميعا لأنهما سورة واحدة - انتهى . و قال فى الكشاف : و قيل : سورة الأنفال و التوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت فى القتال تعدان السابعة[1] من الطول و هى سبع وما بعدها المئون، وهذا قول ظاهر لأنهما معا مائتان وست فهما بمنزلة إحدى الطول ،وقد اختلف أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال بعضهم : الأنفال و براءة سورة واحدة ، و قال بعضهم : هما سورتان فتركت[2] بينهما فرجة لقول من يقول : هما سورتان ، و تركت « بسم » لقول من يقول : هما سورة واحدة - انتهى . و عن أبى ابن كعب رضى الله عنه أنه قال : إنما توهموا ذلك لأن فى الأنفال ذكر العهود ، و فى براءة نبذ العهود ، و وضعت إحداهما بجنب الأخرى . و المراد بالمثانى هنا ما دون المئين[3] و فوق المفصل ؛ قال أبو عبيد الهروى : قيل لها مثانى لأن المئين جعلت مبادئ ، و التى تليها مثانى - انتهى . و الأحسن كون ذلك بالنسبة إلى المفصل من وجهين : الأول أن المفصل أول لقب جامع للسور باعتبار القصر و فوقه المثانى ثم المئون ثم الطول ، فالمثانى / ثانية له حقيقة ، و ما هى ثانية للمئين[4] إلا أن ألفينا البداءة بالطول /٤٥٩

(١) من ظ و الكشاف ١/٣٨٤ ، و فى الأصل السابقة (٢) من ظ و الكشاف ، و فى الأصل : فتركب (٣) من ظ ، و فى الأصل : المايتين (٤) من ظ ، و فى الأصل : للتقين .

من الطرف الآخر ، الثانى أنها لما زادت على المفصل كانت قسمة[1] السورة منها فى ركعتين من الصلاة كقراءة سورتين من المفصل فكانت مثانى لتثنيتها فى مجموع الصلاة باعتبار قراءة بعضها فى كل من الركعتين ؛ قال أبو جعفر النحاس : قال أبو إسحاق : حدثنى بعض أصحابنا عن صاحبنا محمد ابن يزيد أنه قال : لم تكتب فى أول سورة براءة "بسم الله الرحمن الرحيم" لأن "بسم الله الرحمن الرحيم" افتتاح خير ، و براءة أولها وعيد و نقض للعهود فلذلك لم تكتب فى أولها بسم [الله - [2]] ؛ و عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سألت عليا رضى الله عنه : لم لم تكتب "بسم الله الرحمن الرحيم" ههنا ؟ قال : لأن "بسم الله الرحمن الرحيم" أمان ، و هذه السورة نزلت بالسيف و نبذ العهد و ليس فيها أمان - انتهى . و بهذا أخذ الإمام أبو القاسم الشاطبى فى قصيدته حيث قال :

و مهما تصلها[3] أو بدأت براءة[4] تنزيلها بالسيف لست[5] مبسملا

و قال فى الكشاف : و سئل ابن عيينة فقال : اسم الله سلام و أمان ، فلا يكتب فى النبذ و المحاربة ، قال الله تعالى "و لا تقولوا لمن ألقى اليكم السلم لست مؤمنا[6]" قيل : فان النبى صلى الله عليه و سلم [قد - [7]] كتب إلى أهل الحرب "بسم الله الرحمن الرحيم" ! قال[8] : إنما ذلك ابتداء ، يدعوهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : قسم (٢) زيد من ظ (٣) من حرز الأمانى ٣٠ ، و فى الأصل : فصلها ، و فى ظ : نضلها (٤) من ظ والحرز ، و فى الأصل : بقراءة . (٥) من الحرز ، و فى الأصل و ظ : ليست (٦) سورة ٤ آية ٩٤ (٧) زيد من الكشاف ١ / ٣٨٤ (٨) سقط من ظ .

و لم

ولم ينبذ إليهم ، ألا تراه يقول " سلم على من اتبع الهدى "[1] فمن دعى إلى الله فأجاب ودعى إلى الجزية فأجاب فقد اتبع الهدى[1] ، وأما النبذ فإنما هو البراءة واللعنة - انتهى . ولا يعارض هذا خبر ابن عباس عن عثمان رضى الله عنهما[2] ، بل هو شبيه لما نزلت من غير بسملة للمعنى المذكور ، اشتبه[3] أمرها على الصحابة رضوان الله عليهم ولم يقع السؤال عنها حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت موافقتها للسور فى تسميتها باسم يخصها دليلا على[4] أنها سورة برأسها ، ومخالفتها فى ترك إنزال البسملة فى أولها مع احتمال أنها تركت للمعنى المذكور أو لغيره دليلا على أنها بعض سورة ، فقد روى أبو داود والحاكم فى المستدرك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة - وفى رواية : لا يعلم[5] انقضاء السورة - حتى ينزل عليه "بسم الله الرحمن الرحيم". قال الحافظ أبو شامة: هذا حديث حسن، وللحاكم فى المستدرك أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان المسلمون لا يعلمون انقضاء السورة حتى ينزل "بسم الله الرحمن الرحيم" فاذا نزل[6] علم أن السورة قد انقضت . فلما اشتبه أمرها تركوا كتابة البسملة فى أولها و[7]فصلوها عن[7] الأنفال قليلا - والله الموفق . هذا وقد مضى بيان تشابه قصتيهما فى أول الأنفال وأثناء الأعراف إجمالا ، وأما تفصيلا فلما

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : عنهم (٣) من ظ ، وفى الأصل : المشتبه (٤) من ظ ، وفى الأصل : عليه (٥) فى ظ : لا يعرف (٦) فى ظ : نزلت . (٧-٧) من ظ ، وفى الأصل : فصولها على .

فى كل منهما من نبذ العهد إلى من خيف نقضه ، و أن المسجد الحرام لا يصلح لولايته إلا المتقون ، و أن المشركين نجس لا صلاحية فيهم لقربانه ، و أن قلة حزب الله لا تضرهم إذا لزموا دعائم النصر الخمس وكثرتهم لا تغنيهم إذا حصل فى ثباتهم[1] لبس ، و الحث على الجهاد فى غير موضع ، و ضمان الغنى

٥ كما أشار إليه فى الأنفال بقوله " لهم [درجت عند ربهم و ـ[2]] مغفرة و رزق كريم[2] " و ذكر أحكام الصدقات التى هى من وادى الغنائم ، و عد أصناف كل ، و الأمر بالإنفاق المشار إليه فى الأنفال بقوله " و الذين كفروا بعضهم اولياء بعض[3] " أى بالتناصر فى الإنفاق و غيره كما فعلوا فى مال التجارة الذى أرصدوه حتى استعانوا به على غزوة أحد المشار إليه بآية " ان

١٠ الذين كفروا ينفقون اموالهم[4] " مع آية / " الا تفعلوه[5] " و بيان /٤٦٠ أحوال المنافقين المشار إليهم فى الأنفال بقوله " اذ يقول المنفقون[6] " ـ الآية ، و الأمر الجامع للكل أنهما معا فى بيان حال النبى صلى الله عليه و سلم فى أول أمره و أثنائه و منتهاه ؛ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير فى كتابه : إتصالها بالأنفال أوضح من أن يتكلف بتوجيهه[7] حتى أن

١٥ شدة[8] المشابهة و الالتئام ـ مع أن الشارع عليه السلام لم يكن بيّن انفصالها ـ أوجب أن لا يفصل بينهما بـ"بسم الله الرحمن الرحيم"، و ذلك أن الأنفال قد تضمنت الأمر بالقتال " و قاتلوهم حتى لا تكون فتنة[9] " و بين أحكام الفرار من الزحف و حكم النسبة المطلوب فيها بالثبوت و لحوق التأثيم للفار

(١) فى ظ : نياتهم (٢) زيد من القرآن سورة ٨ آية ٤ (٣) آية ٧٣ (٤) آية ٣٦ (٥) آية ٧٣ (٦) آية ٤٩ (٧) من ظ ، و فى الأصل : توجيهه (٨) من ظ ، و فى الأصل : اشد (٩) آية ٣٩ .

وأنها على [حكم - ١] الضعف وحكم الأسرى وحكم ولاية المؤمنين وما يدخل تحت هذه الولاية ومن يخرج عنها، ثم ذكر في السورة الأخرى حكم من عهد إليه من المشركين والبراءة منهم إذا لم يوفوا، وحكم من استجار منهم إلى ما يتعلق بهذا، وكله باب واحد، وأحكام متواردة[٢] على قصة[٣] واحدة، وهو تحرير حكم المخالف، فالتحمت السورتان أعظم التحام، ثم عاد الكلام إلى حكم المنافقين وهتك أستارهم - انتهى.

وأما تطابق آخر الأنفال مع أولها فقد ظهر مما مضى، وأيضا فلما ذكر في آخر التي قبلها أمر العهد تارة بنبذه إلى من خيفت خيانته كائنا من كان في قوله "فانبذ إليهم على سواء[٤]" وتارة بالتمسك به عند الأمن من ذلك في قوله "إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق[٥]" وبين من يصلح للموالاة ومن لا يصلح، وختمت بالإخبار بشمول علمه، ابتدئت هذه السورة بالأمر بالنبذ إلى ناس بأعيانهم نقضوا أو خيف منهم ذلك، وذلك تصريح بما أفهمته آيات الموالاة في التي قبلها من أن إحدى الفرقتين لا تصلح لموالاة الأخرى فقال تعالى: ﴿ براءة ﴾ أي عظيمة، ثم وصفها بقوله: ﴿ من ﴾ أي حاصلة واصلة من ﴿ الله ﴾ أي المحيط بصفات الكمال، فهو العالم بمن يستحق الولاية ومن يستحق البراءة ﴿ ورسوله ﴾ أي المتابع لأمره لعلمه به.

ولما كانوا قد توقفوا في الحديبية [كلهم - ٦] أو كثير منهم تارة في

(١) زيد من ظ (٢) في ظ: متواترة (٣) في ظ: قضية (٤) آية ٥٨ (٥) آية ٧٢.
(٦) زيد لاستقامة العبارة.

نفس العهدُ و تارة فى التأخر عن الأمر بالحلق ، ثم تابعوا فى كل منهما ، وكان الكفار بمحل البعد عن كل خير ، أشار إلى ذلك بأداة الغاية ، و جعل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الله إشارة إلى أنه لا يخالفه أصلا[1] ، و أسندت المعاهدة إليهم إشارة إلى ذلك التوقف تحذيرا من أن يقع مثله ، فقال مخبرا عن النبذ[2] الموصوف : ﴿الى الذين عٰهدتم﴾ أى أوقعتم العهد بينكم و بينهم ﴿من المشركين ط﴾ أى و إن كانت معاهدتكم لهم[3] إنما كانت باذن من الله و رسوله ، فكما فعلتم المعاهدة باذنهما فافعلوا النقض تبعا لهما ، و دل سياق الكلام و ما حواه من بديع الانتظام أن العهد إنما هو لأجل المؤمنين ، و أما الله و رسوله فغنيان عن ذلك ، أما الله فبالغنى المطلق ، و أما الرسول صلى الله عليه و سلم فبالذى اختاره للرسالة لأنه ما فعل ذلك به إلا و هو قادر على نصره بسبب و بغير سبب ، و علم أن ذلك فيمن نقض أو قارب من قوله بعد " الا الذين عٰهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئا " - الآية ؛ قال البغوى : لما خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى تبوك[4] كان المنافقون يرجفون الأراجيف ، و جعل المشركون ينقضون[5] عهودا كانت[6] بينهم و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأمر الله بنقض عهودهم و ذلك قوله تعالى " و اما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم[7] " الآية - انتهى . و ذكر ذلك ابن إسحاق و غيره ، [و لعله أطلق هنا و لم يقيد ممن خيف

(١) من ظ ، و فى الأصل : اجلا (٢) من ظ ، و فى الأصل : المبتدا (٣) من ظ ، و فى الأصل : لها (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و معالم التنزيل فحذفناها (٥) فى ظ : يبتغون (٦) فى ظ : و كان (٧) آية ٥٨ .

نقضه ليكون ذلك أول السورة مؤذنا بأن الخيانة و الهم بالنقض شأن أكثرهم ولا سيما مشركو قريش ، و هم - لكون قريش رؤس الناس و الناس تبع لهم فى الخير و الشر - يستحقون أن يعبر عنهم بما يفهم الكل - [1] ، و مبنى هذه السورة على البراءة من المشركين و الموالاة للمؤمنين الدال على إيمانهم طاعة الله بالصلاة و الزكاة و الجهاد لمن أمر بالبراءة منه قل أو كثر قرب أو بعد فى المنشط و المكره و العسر و اليسر .

و لما كان ظاهر الحال وقت تكامل نزولها - و هو شوال أو ذو القعدة أو ذو الحجة سنة تسع بعد مرجع النبى صلى الله عليه و سلم من تبوك - / أن الحرب قد وضعت أوزارها و أطفئت نارها بتبسط الإسلام فى الخاص / ٤٦١ و العام ، ما بين اليمن و الشام ، و انتشار ألويته و أعلامه ، و تأيد رئيسه و إمامه بقهر جيوش الكفار ، و قصد الناس له بالمبايعة [2] من جميع الأمصار ، أكد أمر الجهاد و مصادمة الأنداد فى هذه السورة تأكيدا لم يؤكد فى غيرها ؛ ذكر الواقدى فى أواخر غزوة تبوك كلاما ثم قال : قالوا : و قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة - يعنى من غزوة تبوك - فى رمضان سنة تسع ثم قال : و جعل المسلمون يبيعون [3] أسلحتهم و يقولون : قد انقطع الجهاد ، فجعل القوى منهم يشتريها لفضل قوته ، فبلغ ذلك رسول [4] الله صلى الله عليه و سلم فنهاهم عن ذلك و قال : لا تزال [5] عصابة

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : بالمتابعة (٣) من ظ و المغازى ٣/١٠٥٧ و فى الأصل : يتبعون (٤) - سقط من ظ (٥) من ظ و المغازى ، و فى الأصل : لا يزال .

من أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال . و إنما قلت : إن تكامل نزولها كان في شوال أو في ذي القعدة أو في ذي الحجة لأن البغوي نقل عن الزهري أن أولها نزل في شوال ، و قال ابن إسحاق - و نقله عنه البيهقي في دلائل النبوة - : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد منصرفه من تبوك بقية شهر رمضان و شوالا و ذا القعدة ثم بعث أبا بكر رضي الله عنه أميرا على الحج في سنة تسع ليقيم للمؤمنين حجهم و الناس من أهل الشرك على منازلهم[1] من حجهم - و أسند البيهقي في دلائله إلى عروة قال : فلما أنشأ الناس الحج تمام سنة[2] تسع بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم أبا بكر أميرا على الناس و كتب له سنن الحج - انتهى . فخرج أبو بكر و المؤمنون رضي الله عنهم و نزلت براءة في نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه و سلم و [بين - [3]] المشركين من العهد الذي كانوا عليه فيما بينهم و بينه أن لا يصد عن البيت أحد[4] جاءه و لا يخاف أحد في الشهر الحرام ، و كان ذلك عهدا عاما بينه و بين الناس من أهل الشرك ؛ و نقل أبو محمد البستي عنه أنه قال : فكانت هذه المدة و العهد الذي كان بين رسول الله صلى الله عليه و سلم و بين العرب أنه[5] لا يصد أحد عن البيت و لا يتعرض لحاج و لا معتمر ، و لا يقاتل في الشهر الحرام ؛ و كان أمانا مستفيضا من بعضهم لبعض على غير مدة معلومة ؛ رجع إلى ما رأيته أنا في سيرته : و كانت بين ذلك عهود بين رسوله صلى الله عليه و سلم و بين

(١) من ظ و سيرة ابن هشام ٣/٤٠ ، و في الأصل : منازلتهم (٢) من ظ ؛ و في الأصل : السنة (٣) زيد من السيرة (٤) في ظ : احدا (٥) في ظ : انه .

قبائل من العرب خصائص إلى آجال مسماة فنزلت فيه و فيمن[1] تخلف من المنافقين [عنه -[2]] فى تبوك و فى قول من قال منهم، فكشف الله فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون؛ ثم قال ابن هشام: قال ابن إسحاق: و حدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف عن أبى جعفر محمد بن على أنه قال: لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد كان بعث أبا بكر الصديق رضى الله عنه ليقيم للناس الحج قيل له: يا رسول الله! لو بعثت بها إلى أبى بكر! فقال: لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى[3]، ثم دعا على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال [له -[2]]: اخرج بهذه القصة من صدر براءة فأذن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى أنه لا يدخل الجنة كافر، و لا يحج بعد العام مشرك، و لا يطوف بالبيت عريان، و من كان له عند رسول الله صلى الله عليه و سلم عهد فهو له إلى مدته. فهذا فيه أنها[4] نزلت بعد سفر أبى بكر رضى الله عنه، و [5]إنما قيدت أنا بتكامل نزولها لأنه ورد أن الذى فى النقض فبعث به عليا رضى الله عنه[5] إنما هو عشر آيات أو سبع، و فى بعض الروايات التصريح بنزولها قبل سفر أبى بكر رضى الله عنه، ففى زيادات مسند الإمام أحمد عن على رضى الله عنه قال: لما نزلت عشر آيات من براءة على النبى صلى الله عليه و سلم دعا أبا بكر[6] رضى الله عنه فبعثه بها ليقرأها على أهل مكة، ثم دعانى النبى صلى الله عليه و سلم فقال[7]: أدرك أبا بكر، فحيث ما لحقته

(١) من ظ و السيرة، و فى الأصل: فى (٢) زيد من السيرة (٣) من ظ و السيرة ٣/٥٠، و فى الأصل: بين (٤) فى ظ: انما (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى الأصل و ظ: أبى بكر - كذا (٧) سقط من ظ.

فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم - فذكره ، و فيه
أن / أبا بكر رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه و سلم بعد ما رجع : أنزل ٤٦٢ /
فىّ شىء ؟ قال : لا ، و لكن جبريل عليه السلام جاءنى فقال : لن يؤدى عنك
إلا أنت أو رجل منك ، و نقل البغوى عن ابن إسحاق أنه صلى الله عليه
٥ و سلم بعث مع أبى بكر بأربعين آية من صدر سورة براءة ليقرأها على
أهل الموسم ، ثم بعث بعده عليا على ناقته العضباء ليقرأ على الناس [صدر-[1]]
براءة و أمره أن يؤذن بمكة و منى و عرفة[2] . و فيه أن أبا بكر رضى الله
عنه قال : يا رسول الله ! أنزل فى [شأنى -[1]] شىء ؟ قال : لا ، و لكن
لا ينبغى لأحد أن يبلغ هذا الأمر[3] إلا رجل من أهلى . فتبين أن الأول
١٠ من إطلاق الكل على الجزء لا سيما و هو الذى فيه البراءة ، و ما سميت
السورة براءة إلا به ؛ و أن المعنى : لا يؤدى عنى[4] فى العهود ، لا مطلقا ،
فقد أرسل رسلا[5] للأداء عنه من غير أهل بيته ؛ و قال المهدوى[6] فى تفسير
" فسيحوا فى الارض " : و روى أن هذه الآية نزلت على النبى صلى الله
عليه و سلم بعد خروج[7] أبى بكر بالناس ليحج بهم سنة تسع ، فبعث
١٥ بها النبى صلى الله عليه و سلم عليا رضى الله عنه ليتلوها على الناس بالموضع
الذى يجتمع فيه الفريقان و هو منى ، و أمره أن ينادى أن لا يحج بعد

(١) زيد من المعالم - راجع لباب التأويل ٣/٤٩ (٢) زيد فى المعالم : أن قد برئت ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه و سلم من كل مشرك و لا يطوف بالبيت عريان (٣) فى ظ : الخبر ، و سقط من المعالم (٤) زيد فى ظ : الا (٥) فى ظ : رسولا (٦) فى ظ : المهدى (٧) من ظ ، و فى الأصل : خروجه .

العام مشرك و لا يطوف بالبيت عريان ، فنادى علىّ و أعانه أبو هريرة و غيره رضى الله عنهم ، و كان على مكة حينئذ عتاب بن أسيد رضى الله عنه ، استخلفه رسول الله صلى الله عليه و سلم عام الفتح و هو عام ثمان ، و كان حج عتاب و أبى بكر[1] سنة تسع فى ذى القعدة - كذا قال و سيأتى بيان بطلانه[2] ، و تقدم خلافه عن ابن إسحاق فى[3] دلائل النبوة ؛ و قال الإمام أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستى القاضى فى تفسيره : حدثنا قتيبة عن[4] الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال : أقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم حين فرغ من تبوك فأراد الحج فقال : إنه يحضر البيت المشركون يطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك ، فأرسل أبا بكر و عليا رضى الله عنهما ، فطافا فى الناس بذى المجاز و بأمكنتهم التى كانوا يتبايعون بها كلها و بالموسم كله ، و آذنوا[5] أصحاب العهد بأن يأمنوا أربعة أشهر - يعنى[6] أشهر الحرم المنسلخات المتواليات : عشرون من آخر ذى الحجة إلى عشر يخلون[7] من ربيع الآخر ، ثم لا عهد لهم ، فآذن الناس كلهم بالقتال إلا أن يؤمنوا ، فآمن الناس[8] أجمعون . و فى سيرة ابن إسحاق : حدثنا يونس - يعنى[9] ابن بكير - عن أسباط [بن -[10]] نصر الهمدانى عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدى " فسيحوا فى الارض

(١) فى ظ : أبو بكر (٢) فى ظ : بطانه (٣) فى الأصل و ظ « و » (٤) فى ظ : حدثنا (٥) و العبارة من هنا إلى « إلى عشر » ساقطة من ظ (٦) و فى رواية الطبرى بهذا الطريق : فهى - راجع جامع البيان (٧) مَن جامع البيان ، و فى الأصل : تخلو ، و فى ظ : تخلو (٨) زيد فى ظ : كلهم (٩) سقط من ظ (١٠) زيد من تهذيب التهذيب .

اربعة اشهر" قال : عشرين من ذى الحجة إلى عشر من ربيع الآخر ثم لا أمان لأحد و لاعهد إلا السيف أو الإسلام ؛ و قال ابن هشام : حتى إذا كان يوم النحر قام على بن أبى طالب رضى الله عنه فأذن فى الناس بالذى أمره[1] به رسول الله صلى الله عليه و سلم و أجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ليرجع كل قوم إلى مأمنهم ؛ و للترمذى عن زيد بن أثيع[2] قال : سألت عليا رضى الله عنه : بأىّ شىء بعثت ؟ قال : بأربع : لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ، و لا يطوف بالبيت عريان ، و لا يجتمع المسلمون و المشركون بعد عامهم هذا ، و من كان بينه و بين النبى صلى الله عليه و سلم عهد فعهده إلى مدته و من لا مدة له فأربعة أشهر[3] . و نقل ابن سيد الناس عن ابن عائذ[4] أنه لما ضرب للمشركين هذا الأجل قالوا : بل الآن لا نبتغى تلك المدة ، نبرأ منك و من ابن عمك إلا بالضرب[5] و الطعن ؛ فحج الناس عامهم ذلك ، فلما رجعوا رغب الله المشركين فدخلوا فى الإسلام طوعا و كرها . و صدق الله و رسوله فلم يحج بعد ذلك [العام - [6]] مشرك و لم يطف بالبيت عريان . و قد وردت نصوص و ظواهر فى كثير من سورة براءة أنه نزل قبل الرجوع عن تبوك أو قبل الاعتذار ، فمن النصوص قوله تعالى " لو كان عرضا قريبا و سفرا قاصدا لاتبعوك

(١) من السيرة ٣/٥٠ ، و فى الأصل و ظ : امر (٢) و فى تهذيب التهذيب : زيد ابن يثيع ، و يقال : أثيع (٣) ساقه الترمذى فى أبواب التفسير مع تقديم و تأخير بالنسبة إلى هنا (٤) من ظ ، و فى الأصل : عائدا ؛ و ابن عائذ هو محمد الكاتب الدمشقى له مغازى النبى صلى الله عليه و سلم (٥) من ظ ، و فى الأصل : من الضرب (٦) زيد من ظ .

ولكن / بعدت عليهم الشقة و سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم" و قوله / ٦٤٣
" فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معى ابدا " - الآيات ، " يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبانا الله من اخباركم - إلى أن قال : سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم " - الآيات ، و أما الظواهر فان الواقدى ٥
قال فى سيرته : [فأنزل من القرآن فى غزوة تبوك ، ثم ذكر أكثر سورة -[1]]
براءة و قال هو و غيره من أصحاب السير : و كان رهط من المنافقين
يسيرون مع النبي صلى الله عليه و سلم فى تبوك منهم وديعة بن ثابت -
فذكر القصة التى فيها أن بعضهم قال ترهيبا للمؤمنين : أتحسبون قتال
بنى الأصفر كقتال غيرهم ؟ و الله لكأنا[2] بكم غدا مقرنين فى الحبال ، و قال ١٠
كل منهم شيئا إلى أن قال : فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لعمار بن
ياسر : أدرك القوم فانهم قد احترقوا[3] فسلهم عما قالوا ، فان أنكروا فقل :
بلى[4] ، قلتم كذا و كذا - إلى أن قال : إن بعضهم قال : إنما كنا نخوض
و نلعب ! فأنزل الله فيه " و لئن سالتهم ليقولن[5] انما كنا نخوض و نلعب -
إلى قوله - بانهم كانوا مجرمين " ثم قال : و جاء الجلاس إلى رسول الله ١٥
صلى الله عليه و سلم فحلف ما قال من ذلك شيئا ، و كان قد قال : إن
كان محمد صادقا فنحن شر من الحمير ، فأنزل الله عزوجل فيه[6] " يحلفون بالله
ما قالوا و لقد قالوا كلمة الكفر " - إلى آخرها ، فاعترف الجلاس حينئذ

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : لكنا (٣) من ظ و المغازى ٣ / ١٠٠٤ ، و فى الأصل : احترفوا (٤) من المغازى ، و فى الأصل و ظ : بل (٥) فى ظ : لتقولن . (٦) سقط من ظ .

و تاب و حسنت توبته ، و ذكر مسجد الضرار و أن أهله كانوا سألوا النبي صلى الله عليه و سلم و هو متجهز إلى تبوك أن يصلى لهم فيه فاعتذر إليهم بشغله بالسفر و وعدهم أن يصلى فيه إذا رجع ، فلما نزل صلى الله عليه و سلم بذى أوان - قال ابن هشام : بلد[1] بينه و بين المدينة ساعة من نهار - أتاه خبره و خبر أهله من السماء . فدعا[2] اثنين[3] من أصحابه فأمرهما [به - [4]] فأحرقاه ، و تفرق أهله و نزل فيه من القرآن ما نزل " و الذين اتخذوا مسجدا ضرارا و كفرا " - إلى آخر القصة ؛ قال الواقدى : وكان عاصم بن عدى يقول : كنا نتجهز إلى تبوك مع النبي صلى الله عليه و سلم فرأيت عبد الله بن نبتل[5] و ثعلبة بن حاطب قائمين على مسجد الضرار - إلى أن قال : فوالله ما رجعنا من سفرنا[6] حتى نزل القرآن بذمه و ذم أهله " و الذين اتخذوا مسجدا ضرارا " - إلى آخرها ، و من ذلك تسميتها بالفاضحة ، فلو لا نزولها قبل معرفة أخبارهم لم تكن فاضحة ، و هى فى الظاهر للعاهدين و فى الباطن مشيرة[7] إلى أهل الردة و أن لا يقبل منهم إيمان ما لم يجمعوا بين الصلاة و الزكاة كما[8] فهم أبو بكر رضى الله عنه ، و أقيمت على ذلك قرائن منها تكرير الجمع بين الصلاة و الزكاة فى سياق الإيمان تكريرا لم يكن فى غيرها من السور ، فهى من أعلام النبوة ؛

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فندب (٣) و هما مالك بن الدخشم و عاصم بن عدى - كما فى المغازى و السيرة (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و المغازى ٣/١٠٤٨ ، و فى الأصل : نبيل (٦) من ظ و المغازى ، و فى الأصل : سورنا (٧) فى ظ : بشيرة (٨) من ظ ، و فى الأصل : لما .

و روى أبو محمد إسحاق بن إبراهيم القاضى البستى فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : إن هذا الإسلام ثلاثون سهما : عشر منها فى براءة ، و عشر فى الأحزاب ، و عشر فى المؤمنين[1] و سال سائل .

و لما أعلمهم سبحانه بأنه رد إليهم عهدهم ، و كانوا مختلطين مع أهل الإسلام ، جعل لهم مخلصا إن آثروا البقاء على الشرك مع إعلامهم ٥ بأنه لا خلاص لهم لأنهم[2] فى قبضته ، فقال مخاطبا لهم و لكل مشرك مسببا عن البراءة : ﴿ فسيحوا ﴾ و السياحة : الاتساع فى السير و البعد عن المدن و العمارة مع الإقلال من الطعام و الشراب ، و لذلك يقال للصائم : سائح ، و المراد هنا مطلق السير .

و لما كانت السياحة تطلق على غيره ، حقق المعنى بقوله : ١٠ ﴿ فى الارض ﴾ أى فى أىّ جهة شئتم ﴿ اربعة اشهر ﴾ أى [من -[3]] أيام الحج ، فيكون آخرها عاشر شهر ربيع الآخر ، تأمنون[4] فيها منا ، لا نعرض لكم بسوء ، بل تذهبون فيها حيث شئتم ، أو ترمون حصونكم و تهيئون سلاحكم و تلمون شعثكم لا نغدركم[5] ، لأن ديننا مبنى على المحاسن ، و لو لا أن الأمر يتعلق / بنفوسنا ما نبذنا عهدكم و لا نقضنا عقدكم ، ١٥ / ٤٦٤ و لكن الخطر فى النفس و قد ظهرت منكم أمارات الغدر و لوائح الشر « و عن أىّ نفس بعد نفسى أقاتل » ! فاذا انقضت الأربعة الأشهر فتهيئوا لقتالنا و تدرعوا لنزالنا .

و لما كان الإسلام قد ظهر بعد أن كان خفيا ، و قوى بعد أن كان

(١) فى ظ : المومنون (٢) فى ظ : بانهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : يامنون (٥) فى ظ : لا نقدركم .

ضعيفا ، افتتح وعظهم بالكلمة التى تقال أولا لمن يراد تقريع سمعه و إيقاظ قلبه و تنبيهه على أن ما بعدها أمر مهم ينبغى مزيد الاعتناء به فقال[1] : ﴿و اعلموآ انكم﴾ أى[1] أيها الكفرة و إن كثرتم ﴿غير معجزى الله﴾ لأن علمه محيط بكل شىء فهو قادر على كل ممكن ﴿و ان الله﴾ أى لما له من الإحاطة بالجلال و الإكرام ﴿مخزى الكٰفرين ۝﴾ أى كلهم منكم و من غيركم فى الدنيا و الآخرة لأن قوله قد سبق بذلك ، و لا يبدل القول لديه ، [و الإخزاء : الإذلال مع إظهار الفضيحة و العار -[2]] ، و أظهر الوصف موضع الضمير تعميما و تعليقا للحكم به ، و لعل الالتفات إلى الخطاب إشارة إلى أن من ترك أمر الله حدبا على قريب أو عشير فهو منهم ، و قد برئت منه الذمة ، فلينج بنفسه و لا نجاء له ، أو[3] يكون لاستعطاف الكفار تلذيذ الخطاب و ترهيبهم بزواجر العقاب .

و لما أنزل البراءة ، أمر بالإعلام[4] بها فى المجمع الأعظم ليقطع الحجج ، فقال عاطفا ظهرة الجملة إلى مضمونها : الإخبار بوجوب الإعلام[4] بما ثبت بالجملة الأولى المعطوفة عليها من البراءة : ﴿و اذان﴾ أى و هذا إعلام و إعلان واقع و[1] واصل ﴿من الله﴾ أى المحيط بجميع صفات العظمة ﴿و رسوله﴾ أى الذى عظمته من عظمته ، فلا يوجهه إلى شىء إلا أعلاه عليه ؛ و لما كان المقصود الإبلاغ الذى هو وظيفة الرسول ، عداه بحرف الانتهاء فقال : ﴿الى الناس﴾ أى كلهم من أهل البراءة

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ « و » (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و غيرهم ﴿ يوم الحج الاكبر ﴾ قيده لأن العمرة تسمى الحج الأصغر .

و لما كان كأنه قيل : ما هذا الإعلام ؟ قال مفسرا له مصرحا بما هو المقصود لئلا يقع فيه نوع لبس حاذفا الصلة إعلاما بأن هذا مستأنف على تقدير سؤال سائل ، لا معمول لأذان : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الغنى المطلق و القوة الباهرة ﴿ برىء من المشركين لا ﴾ أى الذين لا عهد لهم[1] خاص فلا مانع من قتالهم ، [قيل : و الذين وقعت البراءة منهم صنفان : أحدهما كانت مدته دون أربعة أشهر فرفع إليها ، و الآخر مدته بغير حد فقصر عليها ، و من لم يكن له عهد فهو أولى ، و من كان عهده محدودا بأكثر من أربعة أشهر و لم يحدث شرا أمر باتمام عهده إلى مدته -[2]] ﴿ و رسوله[1] ﴾ أى برىء منهم ، فهو مرفوع عطفا على المنوى فى " برىء " أو على محل " ان " المكسورة و اسمها عند من كسرها ، و قرئ بالنصب عطفا على اسم " ان " أو لأن[3] الواو بمعنى مع ، و بالجر على الجوار ، و قيل : على القسم - قاله فى الكشاف ، قال : و يحكى أن أعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال : إن كان الله بريئا من رسوله فأنا منه برىء ، فلبه الرجل إلى عمر رضى الله عنه فحكى الأعرابى قراءته فعندها أمر عمر رضى الله عنه بتعلم[4] العربية ؛ و روى الإمام أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنبارى فى مقدمة كتاب الوقف و الابتداء بسنده عن ابن أبى مليكة قال : قدم أعرابى فى زمان[5] عمر رضى الله عنه فقال : من يقرئنى

(١) من ظ ، و فى الأصل : لكم (٢) زيد من ظ (٣) من الكشاف ١ / ٣٨٥ ، و فى الأصل : لا ، و فى ظ : ان (٤) فى ظ : بتعليم (٥) فى ظ : زمن .

مما أنزل الله[1] على محمد صلى الله عليه و سلم ؟ فأقرأه رجل [براءة -[2]] فقال : " ان الله برىء من المشركين و رسوله "- بالجر ، فقال : أو قد برئ الله من رسوله ؟ إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ، فبلغ عمر رضى الله عنه مقالة الأعرابى فدعاه - يعنى فسأله فأخبره - فقال عمر رضى الله عنه : ليس هكذا يا أعرابى ! قال : فكيف هى يا أمير المؤمنين ؟ فقال " ان الله برىء من المشركين و رسولُه " فقال الأعرابى : و أنا و الله أبرأ مما برئ الله و رسوله منه . فأمر عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن لا يقرئ[3] القرآن إلا عالم باللغة ، و أمر أبا الأسود فوضع النحو ؛ و نحو ذلك فى الاهتمام بشأن العربية ما حكاه الشريف محمد بن أسعد الجوانى[4] النسابة فى كتابه فى الأنساب فى ترجمة أبى الأسود الدؤلى بسنده إليه أنه قال: دخلت على أمير المؤمنين [5]على رضى الله عنه فرأيته مطرقا مفكرا فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين[5] ؟ فقال : إنى سمعت ببلدكم[6] هذا لحنا ، فأردت أن أضع كتابا فى أصول العربية ، فقلت [له -[7]] : إن فعلت / هذا بقيت فينا هذه اللغة ، ثم أتيته بعد أيام فألقى إلىّ صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم ، [5]الكلام كله[5] اسم و فعل و حرف ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، و الفعل ما أنبأ عن حركة

٤٦٥ /

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و هامش المحكم فى نقط المصاحف ٤ ، وقد ذكر هذا الحديث هنا - إحالة على كتاب الوقف و الابتداء - بأطول مما هنا .
(٣) من هامش المحكم ، وفى الأصل وظ : الا يقرأ (٤) من ظ ومعجم المؤلفين ٩/٤٩ ، وفى الأصل : الجوالى - كذا (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) فى ظ : ببدلكم - كذا! (٧) زيد من ظ .

المسمى

المسمى، و الحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم و لا فعل، ثم قال: تتبعه و زد فيه ما وقع لك. و اعلم أن الأشياء ثلاثة: ظاهر و مضمر و شيء ليس بظاهر و لا مضمر. و إنما يتفاضل الناس فى معرفة ما ليس بمضمر[1] و لا ظاهر، قال أبو الأسود الدؤلى: فجمعت أشياء فعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب، فذكرت منها إنّ و أن و ليت و لعل و كأن، ٥ و لم أذكر لكن، فقال لى: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها فيها، فقال: بل[2] هى منها فزدها فيها[3]؛ و قال أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدى فى طبقات النحويين: و قال أبو العباس محمد بن يزيد: سئل أبو الأسود الدؤلى عمن فتح له[3] الطريق إلى الوضع فى النحو و أرشده إليه، فقال: تلقنته[4] من على ابن أبى طالب، و فى حديث آخر: ألقى إلىّ أصولا احتذيت عليها؛ ١٠ و فى مختصر طبقاتهم للحافظ محمد بن عمران المرزبانى: كان على بن أبى طالب رضى الله عنه قد رسم لأبى الأسود الدؤلى حروفا يعلمها الناس لما فسدت ألسنتهم فكان لا يحب أن يظهر ذلك ضنا به بعد على رضى الله عنه، فلما كان زياد وجه إليه أن اعمل شيئا تكون فيه إماما و ينتفع به الناس فقد كنت شرعت فيه لتصلح ألسنة الناس، فدافع بذلك حتى ١٥ مر يوما بكلاِ البصرة و إذا قارئ يقرأ "ان الله برىء من المشركين و رسولِه" و حتى سمع رجلا قال: سقطت عصاتى، فقال: لا يحل لى بعد هذا أن أترك الناس! فجاء إلى زياد فقال: أنا أفعل ما أمر به الأمير

(١) فى ظ: ضمير (٢) فى ظ: بلى (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: لقيته، و فى الإصابة: لقنته.

فليبتغ [لى - ١] كاتبا[٢] حصيفا ذكيا يعقل ما أقول ، فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه ، فأتى بآخر [من - ١] ثقيف ؛ و قال ابن الأنبارى فى كتاب الوقف : حدثنى أبى [٣] قال : حدثنا [٣] أبو عكرمة قال : قال العتبى[٤] : كتب معاوية إلى زياد [٥] يطلب عبيد الله ابنه ، فلما قدم عليه كلمه فوجده ٥ يلحن ، فرده إلى زياد[٥] وكتب إليه كتابا يلومه فيه و يقول : أمثل عبيد الله يضيع؟ فبعث زياد إلى أبى الأسود فقال : يا أبا الأسود ! إن هذه الحمراء قد كثرت و أفسدت من ألسن العرب ، فلو وضعت شيئا يصلح به الناس كلامهم و يعربون [به - ٦] كتاب الله ، فأبى ذلك أبو الأسود وكره إجابة زياد إلى ما سأل ، فوجه زياد رجلا فقال[٧] له : اقعد فى طريق أبى ١٠ الأسود ، فاذا مر بك فاقرأ شيئا من القرآن و تعمد اللحن فيه ، ففعل ذلك ، فلما مر به أبو الأسود رفع الرجل صوته يقرأ[٨] " ان الله برىء من المشركين و رسولِه[٦] " فاستعظم ذلك أبو الأسود و قال : عز وجه الله أن يبرأ من رسوله ، ثم رجع من فوره إلى زياد فقال : يا هذا . قد أجبتك إلى ما سألت ، و رأيت أن أبدأ باعراب القرآن ، فابعث إلىّ ثلاثين رجلا ، ١٥ فأحضرهم زياد فاختار منهم أبو الأسود عشرة ، ثم لم يزل يختارهم[٩] حتى اختار منهم رجلا من عبد القيس ، فقال : خذ المصحف و صبغا يخالف

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : كتابا (٣-٣) فى ظ : نا (٤) من ظ و المحكم فى نقط المصاحف ٣ ، و فى الأصل : العينى (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و المحكم (٧) من ظ و المحكم ، وفى الأصل : وقال (٨) فى المحكم : فقال . (٩) فى المحكم : يختار منهم .

لون المداد، فاذا فتحت شفتيّ فانقط واحدة فوق الحرف، و إذا ضممتها[1] فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، و إذا كسرتها[2] فاجعل النقطة فى[3] أسفله، فان أتبعت شيئا من هذه الحركات غنة[4] فانقط نقطتين، فابتدأ بالمصحف حتى أتى / على آخره، ثم وضع المختصر المنسوب إليه بعد ذلك - انتهى. و يوم الحج المذكور هنا للجنس، أى فى جميع أيام الحج - قاله[5] سفيان الثورى - كيوم صفين و الجمل و بعاث[6] يراد به الحين و الزمان الذى كان فيه ذلك، و لذلك[7] نادى على[8] رضى الله عنه بنفسه و من ندبه لذلك فى جميع تلك الأيام؛ و قال أبو حيان: الظاهر أنه يوم واحد فقال عمر رضى الله عنه و جماعة: هو يوم عرفة، و روى مرفوعا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قال أبو موسى رضى الله عنه و جماعة: هو يوم النحر، و قيل: أيام الحج كلها - قاله[9] سفيان بن عيينة. [قال ابن عطية -[10]]: و الذى تظاهرت[11] به الأحاديث أن عليا رضى الله عنه أذن بتلك الآيات[12] يوم عرفة إثر خطبة أبى بكر رضى الله عنه، ثم رأى أنه لم يعم الناس بالإسماع

/٤٦٦

(١) من المحكم ٤، و فى الأصل و ظ: ضممتها (٢) من المحكم، و فى الأصل و ظ: كسرتها (٣) من المحكم، و فى الأصل و ظ: الى (٤) من المحكم، و فى الأصل و ظ: عنه، و المراد بالغنة التنوين (٥) فى ظ: قال (٦) فى ظ: بغاث، و قول سفيان هذا مذكور فى معالم التنزيل أيضا - راجع لباب التأويل ٣/ ٤٩ (٧) فى ظ: لهذا (٨) سقط من ظ (٩) من البحر المحيط ٥/ ٧، و فى الأصل: قال، و فى ظ: قال ابو (١٠) زيد من البحر (١١) من البحر، و فى الأصل و ظ: تظافرت (١٢) فى ظ: الايام.

فتبعهم بالأذان بها [أيضا - [1]] يوم النحر ، و فى ذلك اليوم بعث أبو بكر رضى الله عنه من يعينه بها كأبى هريرة و غيره رضى الله عنهم و يتبعوا[2] أيضا أسواق العرب كذى المجاز و غيره ؛ و بهذا يترجح قول سفيان - انتهى . و روى عبد الرزاق عن على رضى الله عنه أنه يوم النحر ،

٥ و قال فى تفسيره أيضا : أخبرنا معمر عن الحسن قال : إنما سمى الحج الأكبر لأنه حج أبو بكر رضى الله عنه الحجة التى حجها ، و اجتمع فيها[3] المسلمون و المشركون ، و وافق [أيضا - [4]] ذلك[5] [عيد اليهود و النصارى - [4]] .

[و لما أعلم سبحانه بالبراءة عنها ، سبب عنها - [6]] مرغبا مرهبا قوله

١٠ التفاتا إلى الخطاب : ﴿ فان تبتم ﴾ أى عن الكفر و الغدر ﴿ فهو ﴾ أى ذلك الأمر العظيم و هو المتاب ﴿خير لكم ج﴾ أى لأنكم تفوزون فى الوفاء بالأمان فى الدنيا ، و فى الإسلام بالسلامة فى الدارين .

و لما كانت التوبة محبوبة بالطبع لما لها من النفع قال : ﴿و ان توليتم﴾ أى كلفتم أنفسكم خلاف ما تشتهى من التوبة موافقة للفطرة الأولى ،

١٥ و أصررتم على الكفر و الغدر اتباعا للهوى المكتسب من خباثة[7] الجبلة و رداءة الأخلاط التى قعدت بالروح عن أوجها الأول إلى الحضيض الأسفل ﴿ فاعلموآ ﴾ أى علما لا شبهة فيه[8] ﴿ انكم غير معجزى الله [1] ﴾

(١) زيد من البحر (٢) فى ظ : تتبعوا (٣) من جامع البيان تفسير آية ٣ ، و فى الأصل و ظ : فيه (٤) زيد من ظ و جامع البيان (٥) ليس فى الجامع (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : خبالة (٨) سقط من ظ .

أى لأن له صفات الكمال من الجلال و الجمال ، و الالتفات هنا مثله[1] فى "فسيحوا" و الإشارة به إلى ما ذكر فى ذلك .

و لما واجههم بالتهديد ، أعرض عنهم وجه الخطاب تحقيرا لهم مخاطبا لأعلى خلقه مبشرا[2] له فى أسلوب التهكم بهم ، فقال عاطفا على ما تقديره : فبشر الغادرين بالخذلان ، أو فبشر التائبين بنعيم مقيم : ٥ ﴿ و بشر الذين كفروا ﴾ أى أوقعوا هذا الوصف ﴿ بعذاب اليم ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة أو فيهما .

و لما أعلمهم بالبراءة و بالوقت الذى يؤذن بها فيه ، و كان معنى البراءة[3] منهم أنه لا عهد لهم ، استثنى بعض المعاهدين فقال : ﴿ الا الذين عهدتم ﴾ أى أوقعتم بينكم و بينهم عهدا ﴿ من المشركين ثم ﴾ أى بعد طول المدة ١٠ اتصفوا بأنهم ﴿ لم ينقصوكم شيئا ﴾ أى من الأمارات الدالة على الوفاء فى أنفسهم كما نقض بنو الديل من بنى بكر فى قتالهم لخزاعة حلفاء النبى صلى الله عليه و سلم ﴿ و لم يظاهروا ﴾ أى يعاونوا معاونة تظهر ﴿ عليكم احدا ﴾ أى من أعدائكم كما ظاهرت قريش حلفاءهم من بنى الديل على حلفائكم من خزاعة ﴿ فاتموا ﴾ و أشار إلى بعدهم عن الخير بحرف الغاية فقال[4] : ١٥ ﴿ اليهم عهدهم الى مدتهم ﴾ أى و إن طالت ؛ قال البغوى : و هم بنو ضمرة

(١) من ظ ، و فى الأصل : قبله (٢) من ظ ، و فى الأصل : مشيرا (٣) زيد بعده فى الأصل : مفهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ ، و فى الأصل : قال .

حى من كنانة ، و كان قد بقى من عهدهم[1] تسعة أشهر ، و كان السبب فيه أنهم لم ينقضوا ؛ و قال النحاس : و يقال : إن هذا مخصوص يراد به بنو ضمرة خاصة ؛ و قال أبو محمد البستى : حدثنا قتيبة [قال -[2]] : ثنا الحجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال : كان بين بنى مدلج و خزاعة عهد ، ٥ و هم الذين قال الله " فأتموا اليهم عهدهم الى مدتهم " .

و لما كانت محافظتهم على عهدهم من أفراد التقوى ، و كان الأمر بالإحسان إلى شخص من أفعال المحب ، قال / تعالى معللا : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يحب المتقين ٥ ﴾ أى يفعل بهم و بكم أفعال المحب ، فهو قول حاث للكل على التقوى ، و كل ينزله على ما يفهم ، فهو ١٠ من الإعجاز الباهر . /٦٦٧

و لما قرر أمر البراءة إثباتا و نفيا ، أمر بما يصنع بعد ما ضربه لهم من الأجل فقال : ﴿ فاذا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه إذا ﴿ انسلخ ﴾ أى انقضى و انجرد و خرج و مضى ﴿ الاشهر الحرم ﴾ أى التى حرمت عليكم فيها قتالهم[3] و ضربتها أجلا لسياحتهم ، و التعريف فيها مثله " فارسلنا الى ١٥ فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول[4] " ﴿ فاقتلوا المشركين ﴾ أى الناكثين الذين ضربتم لهم هذا الأجل إحسانا و كرما ؛ قال البغوى : قال الحسن بن الفضل : هذه الآية تنسخ[5] كل آية فى القرآن فيها ذكر الإعراض و الصبر على

(١) فى معالم التنزيل : مدتهم - راجع لباب التأويل ٣/٥٠ (٢) زيد لاستقامة العبارة (٣) فى ظ : قتالكم (٤) سورة ٧٣ آية ١٦ (٥) من ظ . و فى الأصل : ينسخ ، و فى معالم التنزيل : نسخت - راجع لباب التأويل ٣/٥١ .

أذى الأعداء - انتهى . و معنى ﴿حيث وجدتموهم﴾ أى فى حل أو حرم فى شهر حرام أو غيره ﴿و خذوهم﴾ أى بالأسر ﴿و احصروهم﴾ أى بالحبس عن إتيان المسجد و التصرف فى بلاد الإسلام و كل مقصد ﴿و اقعدوا لهم﴾ أى لأجلهم خاصة فان ذلك[1] من أفضل العبادات ﴿كل مرصد ج﴾ أى ارصدوهم و خذوهم بكل طريق يمكن و لو على غرة .[أو -[2]] اغتيالا من غير دعوة ، و انتصابه على الظرف لأن[3] معنى اقعدوا لهم : ارصدوهم ، و متى كان العامل فى الظرف المختص [عاملا - [4]] من لفظه أو من معناه جاز أن يصل إليه بغير واسطة[5] 'فى' فكما[6] يتعدى الفعل إلى المصدر من غير لفظه إذا كان بمعناه فكذلك إلى الظرف - ذكره أبو حيان ، و التعبير بالقعود للارشاد إلى التأنى ، و فى الترصد و الاستقرار[7] و التمكن و إيصال الفعل إلى الظرف إشارة إلى أن يشغلوا فى الترصد كل جزء من أجزاء كل مرصد إن قدروا على ذلك بخلاف ما لو عبر بـ 'فى' فانه إنما يدل على شغل كل مرصد الصادق بالكون فى موضع واحد منه أىّ موضع كان .

و لما أمر تعالى بالتضييق عليهم ، بين ما يوجب الكف[8] عنهم فقال : ﴿فان تابوا﴾ أى عن الكفر ﴿و اقاموا﴾ أى و صدقوا دعواهم التوبة بالبينة العادلة بأن أقاموا ﴿الصلوٰة و اٰتوا الزكوٰة﴾ أى فوصلوا[9]

(١) فى ظ : ذاك (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ؛ و فى الأصل : لأنه (٤) زيد من البحر المحيط ٥ / ١٠ (٥) من ظ و البحر ، و فى الأصل : وساطة (٦) من ظ و البحر ، و فى الأصل : و كما (٧) فى ظ : الاستغراق (٨) من ظ ، و فى الأصل : الكفر (٩) فى ظ : توصلوا .

ما بينهم و بين الخالق و ما بينهم و بين الخلائق خضوعا لله تعالى و تركا للفساد و مباشرة للصلاح على الوجه الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فاذا وجد هذان الشاهدان العدلان ﴿ فخلوا ﴾ [أى - [1]] بسبب ذلك ﴿ سبيلهم [2] ﴾ أى بأن لا تعرضوا لشىء مما تقدم لأن الله يقبل ذلك

٥ [منهم - [1]] و يغفر لهم ما سلف ﴿ ان ﴾ أى لأن ﴿ الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ غفور رحيم ۝ ﴾ أى بليغ المحو للذنوب التى تاب صاحبها عنها و الاتباع له بالإكرام .

و لما سد عليهم طريق مخالطتهم ما لم يتصفوا بالتوبة المدلول عليها بالشهيدين المذكورين [2] سدا مطلقا ، و فتحه عند الاتصاف بها فتحا مطلقا ،

١٠ عطف على ذلك طريقا آخر وسطا مقيدا فقال : ﴿ و ان احد من المشركين ﴾ أى الذين [3] أمرناكم بقتالهم ﴿ استجارك ﴾ أى طلب أن تعامله فى الإكرام معاملة الجار بعد انقضاء مدة السياحة ﴿ فاجره ﴾ أى فآمنه [و - [1]] دافع عنه من يقصده بسوء ﴿ حتى يسمع كلم الله ﴾ أى الملك الأعظم بسماع التلاوة الدالة عليه ، فيعلم بذلك ما يدعو إليه من المحاسن و يتحقق

١٥ أنه ليس من كلام الخلق . و لما ذكر إجارته ، و كان له بعدها توبة و إصرار ، و كان حال التائب قد ذكر ، بين ما يفعل به إن أصر فقال : ﴿ ثم ابلغه ﴾ [أى - [1]] إن أراد الانصراف و لم يسلم ﴿ مامنه [2] ﴾ أى الموضع الذى يأمن فيه ثم قاتله بعد بلوغه المأمن [4] إن شئت من غير

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : المذكورة (٣) من ظ ، و فى الأصل : الذى .
(٤) سقط من ظ .

غدر و لا خيانة ؛ قال الحسن : هى محكمة إلى يوم القيامة[1] ؛ ثم[2] علل ذلك بما يبين غدرهم بقوله : ﴿ ذلك بانهم ﴾ أى الأمر بالإجارة[3] للغرض المذكور / بسبب أنهم ﴿ قوم لا يعلمون ﴾ أى لا علم لهم لأنه لا عهد لهم بنبوة و لا رسالة و لا كتاب ، فاذا علموا أوشك أن ينفعهم العلم . ٤٦٨ /

و لما كان الأمر بالنبذ مظنة لأن يعجب منه ، عجب فقال : فمن يتعجب منه ؟ و أنكر عليه فقال : ﴿ كيف يكون للمشركين ﴾ أى أهل العراقة فى الشرك الذين توجب عراقتهم فيه و محبتهم لظهوره نكث العهد الذى لا أقبح منه عند العرب و لا أشنع ﴿ عهد عند الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ، فهو لا يحب النقض من أوليائه[4] فكيف به من أعدائه ﴿ و عند رسوله ﴾ أى الذى هو أكمل الخلق و أوفاهم و أحفظهم للعهود و أرعاهم فهم أضداده[5] فأعمالهم أضداد أعماله ، و قد بدا منهم الغدر .

و لما كان استفهام الإنكار فى معنى النفى ، [صح -[6]] الاستثناء منه ، فكأنه قيل : لا يكون للمشركين عهد ﴿ الا الذين عهدتم ﴾ أي منهم كما تقدم ﴿ عند المسجد الحرام ج ﴾ أى الحرم يوم الحديبية ، و هذا مما يدل على أن[7] الاستثناء المتقدم من " الذين " فى قوله " براءة من الله

(١) و قال الضحاك و السدى : هى منسوخة بآية الأمر بقتل المشركين - راجع البحر المحيط ٥ / ١١ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الاجارة (٤) من ظ ، و فى الأصل : اولياء (٥) من ظ ، و فى الأصل : اضداد (٦) زيد من ظ (٧) زيد بعده فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

و رسوله الى الذين عهدتم من المشركين"؛ قال البغوى: قال السدى و الكلبى و ابن إسحاق: [هم -[1]] من قبائل بكر: بنو خزيمة و بنو مدلج و بنو ضمرة و بنو الديل [و هم -[1]] الذين كانوا قد دخلوا فى عهد قريش يوم الحديبية، فلم يكن نقض [العهد -[1]] إلا قريش و بنو الديل من بنى بكر فأمر باتمام العهد لمن لم ينقض. و لما استثنى، بين حكم المستثنى فقال: ﴿ فما استقاموا لكم ﴾ أى ركبوا[2] الطريق الأقوم فى الوفاء بعهدهم ﴿ فاستقيموا لهم[3] ﴾ و القول [فى -[3]] ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بالجلال و الجمال ﴿ يحب المتقين ﴾ كما سبق[4].

و لما أنكر سبحانه أن يكون للمشركين غير المستثنين عهد، بين السبب الموجب للانكار مكررا أداة الإنكار تأكيدا للمعنى فقال: ﴿ كيف ﴾ أى[5] يكون لهم عهد ثابت ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أنهم مضمرون لكم الغدر و الخيانة فهم إن ﴿ يظهروا عليكم ﴾ أى إن يعل[6] أمرهم على أمركم[7] بأن يظفروا بكم بعد العهد و الميثاق ﴿ لا يرقبوا ﴾ أى لا ينظروا و يرعوا ﴿ فيكم ﴾ أى فى أذاكم بكل جليل و حقير ﴿ الا ﴾ أى قرابة محققة ﴿ و لا ذمة[8] ﴾ أى عهدا، يعنى أن الأمر المبيح للنبذ خوف الخيانة، و علام الغيوب يخبركم أنهم فى غاية الخيانة لكم، و الإل[8] هذا: القرابة - و هو قول ابن عباس، و المادة تدور على الألة و هى حربة[9] فى نصلها

(١) زيد من معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٥١ (٢) فى ظ: اركبوا.
(٣) زيد من ظ (٤) راجع آية ٤ (٥) زيد بعده فى ظ: بان (٦) فى الأصل و ظ: يعلو (٧) فى ظ: امرهم (٨) من ظ، و فى الأصل: الاهلال - كذا.
(٩) من ظ و القاموس، و فى الأصل: حرمة.

عرض ، و يلزمها الصفاء و الرقة و البريق ، و يشبه به الإسراع فى العدو ، و الثبات فى نفسها ، و منه القرابة و العهد و التغير فى وصفها ، و منه تغير رائحة الإناء و فساد الأسنان و الصوت ، [و منه الأنين و الجؤار فى الدعاء مع البكاء و [1]خرير الماء[1] و الطعن و القهر -[2]] ، و منه : إن هذا - أى كلام[3] مسيلمة - ما يخرج من إل ، أى من ربوبية ، و فى إل الله ، أى قدرته و إلهيته . ٥

و لما كان ذلك مظنة لأن يقال : قد أكدوا لنا الأيمان و أوثقوا العهود ، و لم يدعوا بابا من أبواب الاستعطاف ، قال معللا لما مضى مجيبا لمن استبعده : ﴿ يرضونكم ﴾ و عبر بأقصى ما يمكن الكلام به من القلوب تحقيقا لأنهم ليس فى قلوبهم شىء منه فقال : ﴿ بافواههم ﴾ أى بذلك التأكيد ، و صرح بالمقصود بقوله : ﴿ و تابى قلوبهم ج ﴾ أى العمل بما أبدته ١٠ ألسنتهم ، و قليل منهم من يحمله الخوف و نحوه على الثبات أو[4] يرجع عن هذا الفسق و يؤمن ﴿ و اكثرهم فسقون ٥ ﴾ أى راسخون الأقدام فى الفسق خارجون - لمخالفة الفعل للقول - عما تريدونه ، و إذا نقض الأكثر[5] اضطر الأقل إلى موافقتهم .

و لما قدم ما ترى من كشف سرائرهم ، شرع سبحانه يقيم لهم الدليل ١٥ على فسقهم و خيانتهم بتذكيرهم ما بدا من بعضهم من النقض بعد أن أثبت فيما مضى أنهم شرع واحد بعضهم أولياء بعض ، و فيما يأتى أنهم بعضهم من بعض ، فقال معبرا بما يفيد أنهم تمكنوا من [ضد -[6]]

(١-١) من القاموس ، و فى ظ : حزير الماء - كذا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : الكلام (٤) فى ظ : اى (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا كثر (٦) زيد لاستقامة العبارة .

الإيمان تمكنا صار به كأنه فى حوزتهم: ﴿اشتروا﴾ أى لجوا فى أهويتهم
بعد قيام الدليل / الذى لا يشكون فيه فأخذوا[1] ﴿بآيات الله﴾ أى الذى ٤٦٩ /
لا شىء مثله فى جلال و لا جمال على ما لها من العظم[2] فى أنفسها و باضافتها
إليه ﴿ ثمنا قليلا ﴾ من أعراض الدنيا فرضوا بها مع مصاحبة الكفر،
٥ و ذلك أن أبا سفيان أطعمهم أكلة فنقضوا بها عهودهم ﴿ فصدوا ﴾ أى
فسبب[3] لهم ذلك و أداهم إلى أن صدوا ﴿ عن سبيله[4] ﴾ أى[4] من يريد
السير عليه و منعوا من الدخول فى الدين أنفسهم و من قدروا على منعه .

و لما دل على[5] ما أخبر به من فساد قلوبهم ، استأنف بيان
ما استحقوه من عظيم الذم بقوله معجبا منهم: ﴿ انهم ساء ما ﴾ و بين
١٠ عراقتهم فى القبائح و أنها فى جبلتهم بذكر الكون فقال: ﴿ كانوا يعملون ﴾
أى يجددون عمله فى كل وقت ، و كأنه سبحانه يشير بهذا[5] إلى ما فعلت
عضل و القارة[6] بعاصم بن ثابت و خبيب بن عدى؛ ذكر ابن إسحاق فى
السيرة [عن عاصم بن عمر رضى الله عنه -[7]] و البخارى فى الصحيح
[عن أبى هريرة رضى الله عنه -[7]] ، كل يزيد على صاحبه و قد جمعت بين
١٥ حديثيهما أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد أحد رهط من
عضل و القارة فقالوا[8]: يا رسول الله ! إن فينا إسلاما فابعث معنا نفرا
من أصحابك يفقهوننا فى الدين و يقرؤننا القرآن و يعلموننا شرائع الإسلام[9] ،

(١) فى ظ : فاحذروا (٢) فى ظ : العظمة (٣) فى ظ : فتسبب (٤) زيد فى ظ : عن (٥) سقط من ظ (٦) هما من الهون بن خزيمة بن مدركة - كما فى سيرة ابن هشام ٢ / ١٢٠ (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ : فقال (٩) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : السلام .

فبعث معهم نفرا ستة - و قال البخارى[1] : عشرة - و أمر عليهم عاصم بن ثابت فخرج[2] معهم ، حتى إذا كانوا بالرجيع ماء لهذيل غدروا بهم فاستصرخوا عليهم هذيلا ، فلما أتوهم أخذوا أسيافهم ليقاتلوهم ، فقالوا : إنا و الله لا نريد قتلكم ، و لكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ، و لكم عهد الله و ميثاقه أن لا نقتل منكم أحدا ، فأما عاصم فلم يقبل و قاتل حتى قتل ٥ هو و ناس من أصحابه ، و نزل منهم ثلاثة[3] نفر على العهد و الميثاق ، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فربطوهم بها ، فقال رجل منهم : هذا أول الغدر ، و الله لا أصحبكم ، إن لى بهؤلاء أسوة - يريد القتلى ، فجروه و عالجوه فأبى أن يصحبهم فقتلوه ؛ [4]فانطلقوا بخبيب[4] و زيد بن الدثنة حتى باعوهما بمكة فقتلوهما . و قصة العرنيين الذين[5] قدموا على رسول الله ١٠ صلى الله عليه و سلم فأظهروا الإسلام ثم خرجوا إلى لقاح النبى صلى الله عليه و سلم فقتلوا الراعى و استاقوا اللقاح بعد ما رأوا من الآيات ، فبعث النبى صلى الله عليه و سلم فى آثارهم فقتلهم ؛ و فى تاريخ ابن الفرات[6] عن القتبى أن النبى صلى الله عليه و سلم بعث عبد الله بن عويجة البجلى إلى بنى[7] حارثة بن عمرو بن قرط بكتاب فرقعوا دلوهم بالكتاب فقال النبى ١٥ صلى الله عليه و سلم : ما لهم ! أذهب الله عقولهم ، فهم أهل رعدة و كلام مختلط ؛ و لما خرج أهل مكة بعد أن عاملهم صلى الله عليه و سلم بغاية

(١) راجع باب هل يستأسر الرجل - الجهاد ، و غزوة الرجيع - المغازى (٢) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : فخرجوا (٣) فى ظ : ثلاث (٤ - ٤) من ظ و الصحيح - الجهاد ، و فى الأصل : فانطلق خبيب (٥) فى ظ : الذى (٦) هو محمد ابن عبد الرحيم المصرى - راجع حسن المحاضرة ١ / ٣٢٠ (٧) من ظ ، و فى الأصل : ابن .

الإحسان أعتقهم و عفا عنهم بعد تلك الحروب و الأذى فى المبالغة فى النكايات التى لا يعفو عن مثلها إلا الأنبياء ، خرجوا معه إلى حنين غير مريدين لنصره و لا محبين لعلو أمره ، بل هم[1] الذين انهزموا بالناس - كما نقله البغوى عن قتادة[2] ؛ و قال أبو حيان[3] : و يقال : إن الطلقاء من أهل مكة فروا و قصدوا إلقاء[4] الهزيمة فى المسلمين و بلغ فلهم مكة - انتهى . و قال الواقدى : و خرج رجال مكة مع النبى صلى الله عليه و سلم فلم يتغادر منهم أحد على غير دين ركبانا و مشاة ، ينظرون لمن تكون الدائرة[5] فيصيبون من الغنائم ، و لا يكرهون أن تكون الصدمة بمحمد[6] و أصحابه ، و قال هو و غيره : فلما كانت الهزيمة حيث كانت و الدائرة[7] على المسلمين تكلم قوم بما فى أنفسهم من الكفر و الضغن و الغش ، و ذكروا أنه عزم ناس منهم على قتل النبى صلى الله عليه و سلم و لكن الله / منعه منهم . /٤٧٠ هذا بعض ما غدر فيه[8] كفار العرب ، و أما اليهود فكلهم نقض : بنو قينقاع ثم النضير ثم قريظة ثم أهل خيبر ، حتى كان ذلك سبب إخراجهم منها و إجلائهم إلى بلاد الشام ، و يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى أنهم قد تبين لهم مثل الصبح جميع ما أخبرهم به النبى صلى الله عليه و سلم ، فلما لم يرجعوا[9] لمجرد أهوائهم كانوا قد اشتروا بذلك ثمنا قليلا ، و هو

(١) سقط من ظ (٢) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٣/٥٩ .
(٣) راجع البحر المحيط ٥/٢٤ (٤) فى ظ : لقاء (٥) من كتاب المغازى ٣/٨٩٤ ، و فى الأصل و ظ : الدبرة (٦) فى المغازى : لمحمد (٧) من المغازى ٣/٩١٠ ، و فى الأصل و ظ : الدبرة (٨) فى ظ : به (٩) من ظ ، و فى الأصل : لم يرجوا.

التمتع بما هم فيه مدة حياتهم على ما صاروا إليه من سفول الكلمة و إدبار الأمر ، فمن قاده هواه إلى ترك السعادة العظمى لهذا العرض الزائل اليسير كان غير مأمون على شيء لأنه رهينة داعي الهوى و أمر الشيطان ، لأنه أول ما بدأ بنفسه فغدر بها و غشها غير ناظر فى مصلحة و لا مفكر فى عاقبة .

٥

و لما أخبر تعالى بعراقتهم فى الفسق ، دل عليه بأن خيانتهم ليست خاصة بالمخاطبين ، بل هى عامة لكل من اتصف بصفتهم من الإيمان ، فدار خيانتهم على الوصف ، فقال : ﴿ لا يرقبون فى مؤمن الا ﴾ أى قرابة و أصلا جيدا ثابتا ﴿ و لا ذمة ﴾ أى عهدا أكيدا ﴿ و اولئك ﴾ أى البعداء من كل خير ﴿ هم ﴾ أى خاصة لتناهى عدوانهم[1] ﴿ المعتدون ﴾ أى عادتهم المبالغة فى حمل أنفسهم على أن يعدوا الحدود لعدم ما يردهم عن ذلك من وازع إلهى و رادع شرعى كما فعل عامر بن الطفيل بأهل بئر معونة مع أنهم فى جوار عمه [2]و كان من خبرهم أن عمه[2] أبا براء عامر ابن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة قدم على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال له : لو بعثت[3] رجالا من أصحابك إلى أهل نجد رجوت أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إنى أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو براء : أنا لهم جار ، فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم [4]المنذر ابن عمرو[4] أخا بنى ساعدة المعنق ليموت[5] فى سبعين[6] رجلا من أصحابه

١٠

١٥

(١) فى ظ : عداوتهم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : بعث .
(٤ - ٤) فى ظ : العمرو بن منذر (٥) من ظ و سيرة ابن هشام ٢/ ١٢٦ ، و فى الأصل : لسمون ـ كذا (٦) فى السيرة : اربعين .

من خيار المسلمين ، فلما نزلوا بئر معونة بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى عامر بن الطفيل فلم ينظر فى كتابه و عدا عليه فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى[1] عامر فأبوا و قالوا : لن نخفر أبا براء ، فاستصرخ عليهم قبائل من [بنى -[2]] سليم : عصية و رعلا و ذكوان فقتلوهم فلم يفلت منهم إلا ثلاثة نفر عمرو بن أمية الضمرى أحدهم ، فعظم ذلك على النبى صلى الله عليه و سلم و دعا على قتلتهم[3] شهرا ؛ قال البغوى : و قال ابن عباس رضى الله عنهما : إن أهل الطائف أمدوهم - يعنى قريشا - بالأموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فهذا الذى أحكمه تعالى من نبذ العهد إليهم نظر للدين ، لأنه نظر لجميع أهله الذين لا يوجد إلا بهم .

و لما بين ما أوجب بعدهم منهم و معاداتهم لهم ، بين ما يصيرون به أهلا فقال : ﴿ فان تابوا ﴾ أى بالإيمان بسبب ما أبديتم لهم[4] من الغلظة ﴿ و اقاموا ﴾ أى أيدوا ذلك بأن أقاموا ﴿ الصلوٰة ﴾ أى بجميع حدودها ﴿ و اتوا الزكوٰة ﴾ أى كما حده رسول الله صلى الله عليه و سلم ﴿ فاخوانكم ﴾ أى هم ، و بين أنها ليست أخوة النسب فقال : ﴿ فى الدين ﴾ لهم ما لكم و عليهم ما عليكم ، فلا تعرضوا لهم بما يكرهونه .

و لما كان كأنه قيل بعثا و تحريضا على تأمل ما فصل : قد فصلنا لكم

---

(١) من السيرة ، و فى الأصل : ابن ، و فى ظ : بنوا (٢) زيد من السيرة (٣) من ظ ، و فى الأصل : قتلهم (٤) فى ظ : اليهم .

أمرهم

أمرهم فى هذه الآيات تفصيلا ، عطف عليه قوله : [﴿ و نفصل ﴾ أى فى كل أمر يحتاجون جميع ﴿ الآيٰت ﴾ و عظم هذه الآيات و حثهم على تدبرها بقوله - [1]] : ﴿ لقوم يعلمون ه ﴾ أى صار العلم لهم صفة ، فلهم ملكة يتصرفون بها فى أصوله و فروعه ، لا يغترون بمجرد كلام من شأنه الرداءة و المخالفة بين القول و العمل ، و الاعتراض بهذا بين ٥ هذه الجمل المتلاحمة إشارة إلى عظم الأمر الذى نبه عليه و تحريض على إنعام النظر فيه ليعلم أن مدخوله جليل الأمر عظيم القدر لئلا يظن أنه تكرار .

و لما بين السبب الموجب لمجازاتهم بجنس عملهم ، و هو البراءة منهم و ما / يتبع ذلك إلى أن ختم بتقدير توبتهم ، رجع إلى قسيم قوله " فما ١٠ / ٤٧١ استقاموا لكم " فقال : ﴿ و ان نكثوآ ايمانهم ﴾ أى التى حلفوها لكم ؛ و لما كان النقض ضارا و إن قصر زمنه ، أتى بالجار فقال : ﴿ من بعد عهدهم ﴾ أى الذى [2] عقدوه ﴿ و طعنوا ﴾ [أى - [1]] أوقعوا الطعن ﴿ فى دينكم ﴾ أى بقول أو فعل .

و لما كان هذا الفعل لا يستقل به فى الأغلب إلا الرؤساء ، أشار ١٥ إلى ذلك بقوله : ﴿ فقاتلوآ ﴾ و وضع موضع ضميرهم تحريضا على قتالهم و إشارة إلى أنهم ما نكثوا و أقدموا على هجنة الكذب و لم يستهجنوا الخروج عن عادات الكرام إلا و قد رسخوا فى الكفر فقال : ﴿ ائمة الكفر ﴾ ثم أشار - بقوله معللا لجواز المقاتلة : ﴿ انهم لآ ايمان لهم ﴾ - إلى أن

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : التى .

ذلك و لو فعله الأتباع و لم يكفهم الرؤساء فهو عن تمال منهم فابدأوا بالرؤس فاقطعوها تنقطع الأذناب ، و قراءة ابن عامر بالكسر معناها : لا أمان لهم لأنهم قد نقضوا العهد[1] الموجب له بما وقع منهم ، و من طعن من أهل الذمة فى الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله ، فان العهد ٥ مأخوذ عليه أن لا يطعن ؛ ثم علل المقاتلة بقوله : ﴿ لعلهم ينتهون ﴾ أى اجعلوا[2] قصدكم لقتالهم أن يكون حالهم حال من ينتهى عن غيه بما يرى[3] منكم من صادق الجد بماضى الحد ، [روى - [4]] البخارى فى التفسير عن حذيفة رضى الله عنه قال : ما بقى من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة و لا من المنافقين إلا أربعة[5] أحدهم[6] شيخ كبير لو شرب الماء ١٠ البارد لما وجد برده .

و لما نفى أيمانهم بنفى إيمانهم ، شرع يقيم الدليل على ذلك بأمور ارتكبوها ، كل منها[7] بسبب باعث على الإقدام عليهم ، و يحث على قتالهم فى صورة تعجيب ممن[8] يتوانى فيه فقال : ﴿ الا ﴾ و هو حرف عرض ، و معناه هنا الحض لدخول همزة الإنكار على النافى فنفته فصار مدخولها ١٥ مثبتا على سبيل الحث عليه فهو أبلغ مما لو أثبت بغير هذا الأسلوب ﴿ تقاتلون قوما ﴾ أى و إن كانوا ذوى منعة عظيمة ﴿ نكثوآ ايمانهم ﴾ أى فى قصة عاصم و أصحابه والمنذر و أصحابه و الإعانة على خزاعة[9] و غير ذلك ،

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : العهود (٢) فى ظ : جعلوا (٣) فى ظ : ينتهى . (٤) زيد من ظ (٥) فى الحديث هنا اختصار ، و راجع الصحيح للتفصيل (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : منهما (٨) فى ظ : من (٩) من ظ ، و فى الأصل : الخزاعة .

فكان النكث لهم عادة و خلقا ، و هذا يدل على أن قتال الناكثين أولى من قتال غيرهم ليكون[1] ذلك زاجرا[2] عن النقض ، وكانت قصة خزاعة أنه[3] كان بينهم و بين بنى[4] بكر بن عبد مناة بن[5] كنانة قتل فى الجاهلية ، و كانت خزاعة قد دخلت فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم بالحديبية لما كان لهم فيه من المحبة من مسلمهم و كافرهم لما بينهم من الحلف - ٥ كما تقدم آخر الأنفال ، و دخلت بنو بكر فى عهد قريش فمرت على ذلك مدة ، ثم إن أنس بن زنيم الديلى هجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعه غلام من خزاعة فوقع به فشجه فخرج إلى قومه فأراهم شجته[6] فثار الشر مع ما كان بينهم ، و ما تطلب بنو بكر من خزاعة من دمائها ، فكلمت بنو نفاثة من بنى بكر أشراف[7] قريش فوجدوا القوم إلى ذلك سراعا[8] ١٠ فأعانوهم بالسلاح و الكراع و الرجال ، فخرج نوفل بن معاوية الديلى و هو يومئذ قائدهم ؛ قال ابن اسحاق : و ليس كل بنى بكر بايعه[9] - و قال الواقدى : و اعتزلت بنو مدلج فلم ينقضوا العهد - حتى بيت خزاعة و هم[10] على الوتير ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا و تجاوزوا و اقتتلوا[11] و قاتل معهم

---

(١) زيد فى ظ : فى (٢) فى ظ : زاجر (٣) فى ظ : انهم (٤) فى ظ : ابى (٥) من ظ و جمهرة أنساب العرب ١٧٠ ، و فى الأصل : من (٦) من كتاب المغازى ٧٨٣/٢ ، و فى الأصل : سحبه ، و فى ظ : شجنه - كذا (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ ولا المغازى فحذفناها (٨) فى ظ : سراعى (٩) من سيرة ابن هشام ٢٠٩/٢ ، وفى الأصل : تابعه ، وفى ظ: تابعة (١٠) فى ظ : هو (١١) من ظ و السيرة ، وفى الأصل : اقبلوا .

من قريش من قاتل بالليل مستخفيا متنكرين منتقبين : صفوان بن أمية و مكرز بن حفص بن الأخيف[1] و حويطب بن عبد العزى و عكرمة بن أبي جهل و أجلبوا معهم أرقاءهم ، وكانت خزاعة آمنة لمكان العهد و الموادعة .

٥ و لما ذكرهم بمطلق نكثهم فى حقهم عامة ، و ذكرهم بما خصوا به سيدهم بل سيد الخلق كلهم فقال : ﴿ و هموا باخراج الرسول ﴾ أى من مكة فى عمرة القضاء ، بل أمروه بالخروج عند انقضاء الثلاثة الأيام[2] و ألحوا فى ذلك و هو و إن كان قاضاهم على ذلك ، لكن قد نقل ابن إسحاق و غيره فى قصة النداء بسورة براءة[3] أنه كان فى القضية و العهد الذى ١٠ كان بينه و بينهم أن لا يمنع[4] من البيت أحد جاءه زائرا ، و لعلهم هموا باخراجه قبل الثلاثة الأيام[2] لما داخلهم من الحسد عند ما عاينوا من نشاط أصحابه و كثرتهم و حسن حالهم ، و ذلك غير بعيد من أفعالهم ، و إظهارهم [5] التبرء به صلى الله عليه و سلم حتى اجترأوا - و هو أعلى الخلق مقدارا ، و [6] أظهرهم هيئة [6] و أنوارا ، و أطهرهم رسوما و آثارا - على الإلحاح ١٥ عليه فى الخروج من بلد آبائه و أجداده الذين هم أحقهم بها و مسقط رأسه و موضع مرباه ، و لكن لم أراه مصرحا به ، و هو عندى على ما فيه أولى مما ذكروه من الهم باخراجه عند الهجرة على ما لا يخفى ، أو يكون

(١) من ظ و المغازى ، و فى الأصل : الاحنف (٢) فى ظ : ايام (٣) راجع سيرة ابن هشام ٣/٤٩ (٤) فى ظ : لا يمتنع (٥) العبارة من هنا إلى « أطهرهم » ساقطة من ظ (٦-٦) فى الأصل : اظهارهم هيبة - كذا .

المراد[1] ما همّ به ابن أبي المنافق و من تابعه من أصحابه من إخراج النبي صلى الله عليه و سلم من المدينة حيث قال في غزوة المريسيع : [" لئن -[2]] رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل" بعد إعطائهم العهود على الإيواء و النصرة و الإسلام ، و ذلك لتذكير المؤمنين بمسارعتهم إلى النقض بعد أن أثبت[3] أنهم في الالتحام في كيد الإسلام كالجسد الواحد ، فكأنه يقول: إذا ترك هؤلاء إيمانهم فأولئك أحرى أن ينقضوا أيمانهم ، و هو بعث للمؤمنين على التبرئ من الكافرين منافقين كانوا أو مجاهرين مقاربين أو مباعدين .

و لما ذكرهم بالخيانة عامة و خاصة ، أتبعها ما حققها بالقتال فقال: ﴿ و هم بدؤكم ﴾ أي بتطابق من ضمائرهم و ظواهرهم ﴿ اول مرة[4] ﴾ أي بالقتال و الصد في الحديبية بعد إخباركم[5] إياهم بأنكم لم تجيئوا للقتال و أنكم ما جئتم إلا زوارا للبيت الحرام الذي الناس فيه سواء و أنتم أحق به منهم ، و ذلك أول بالنسبة إلى هذا الثاني مثل قوله " انكم رضيتم بالقعود اول مرة " و قال بعض المفسرين: المراد بأول مرة قتالهم خزاعة ، و هو واضح لأنه بعد عقد الصلح ، و قيل : في بدر بعد ما سلمت عيرهم و قالوا: لا نرجع حتى نستأصل محمدا[6] و أصحابه ، و قيل : المراد [7]به مطلق[7] القتال لأن النبي صلى الله عليه و سلم جاءهم بالكتاب المنير و دعاهم بغاية اللين ، و تحداهم به عند التكذيب ، فعدلوا عن ذلك إلى القتال فهم

(١) زيد في الأصل : منهم ، ولم تكن الزيادة في ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ .
(٣) في ظ : ثبت (٤) في ظ : اخبارهم (٥) في ظ : من (٦) في ظ : محمد (٧-٧) في الأصل و ظ : بمطلق .

البادئون و البادئ أظلم .

و لما أمرهم بالقتال و كان مكرها [إلى النفوس -[1]] على كل حال ، شرع يبين الأسباب الحاملة على التوانى عن قتالهم ، و حصرها فى الخشية و العاطفة ، و قسم العاطفة إلى ما سببه[2] القرب فى محاسن الأفعال و إلى ما سببه القرب فى النسب و الصهر ، و نقض الكل و بين أنه لا شىء منها يصلح للسببية . فقال بادئا بالخشية لأنها السبب الأعظم فى[3] ترك المصادمة منكرا عليهم موبخا لهم ليكون أبلغ فى الحث على قتالهم منبها على أن التوانى عنهم مصحح للوصف بالجبن[4] و رقة الدين : ﴿ اتخشونهم ج ﴾ أى أتخافون أن يظفروا بكم فى القتال بأن يكونوا على باطلهم أشد منكم على حقكم ﴿ فالله ﴾ أى الذى له مجامع العظمة ﴿ احق ﴾ أى منهم ﴿ ان تخشوه ﴾ أى بأن يكون مخشيا[5] لكم لما تعلمون من قدرته فى أخذه لمن خالفه و لو بعد طول الأناة ﴿ ان كنتم / مؤمنين ه ﴾ أى فان من صدق بأنه[6] الواحد الذى تفرد بصفات العظمة لم ينظر إلى غير هيبته . / ٤٧٣

و لما بكت فى التوانى عنهم ، وعدهم بما يزيل خشيتهم منهم ، بل يوجب إقدامهم عليهم و رغبتهم فيهم . فقال مصرحا بما تضمنه الاستفهام الإنكارى[7] فى " الا تقاتلون " من الأمر : ﴿ قاتلوهم ﴾ أى لله[8] لا لغرض غيره ﴿ يعذبهم الله ﴾ أى الذى أنتم مؤمنون بأنه المتفرد بصفات الجلال

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : سببية (٣) فى ظ « و » (٤) من ظ ، وفى الأصل : بالخير ـ كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : محتسبا (٦) فى ظ : انه (٧) من ظ ، و فى الأصل : الانكار (٨) من ظ ، و فى الأصل : الله .

و الجمال ﴿ بايديكم ﴾ أى بأن تقتلوهم و تأسروهم و تهزموهم ﴿ و يخزهم ﴾ أى بالذل فى الدنيا و الفضيحة و العذاب فى الأخرى .

و لما كان ذلك قولا [لا - [1]] يقتضى النصر الذى هو علو العاقبة قال : ﴿ و ينصركم عليهم ﴾ أى فترضوا ربكم بذلك لإذلاله من يعاديه بكم ؛ و لما كان نكالهم بما ذكر يثمر لبعض المؤمنين سرورا لهم فيه حظ ، ٥ بين تعالى أنه لا يؤثر فى العمل بعد ثباته على أساس الإخلاص فقال : ﴿ و يشف ﴾ أى بذلك ﴿ صدور قوم مؤمنين ﴾ أى راسخين فى الإيمان ، أسلفوا إليهم مساوى أوجبت ضغائن و إحنا كخزاعة و غيرهم ممن أعانوا عليه أو[2] أساءوا إليه .

و لما كان الشفاء قد لا يراد به الكمال ، أتبعه تحقيقا لكماله قوله : ١٠ ﴿ و يذهب غيظ قلوبهم [1] ﴾ أى يثبت بها من اللذة ضد ما لقوه[3] منهم من المكروه ، و ينفى عنها من الألم بفعل من يريد سبحانه[4] من أعدائهم و ذل الباقين ما كان قد برح بها ، و لقد وفى سبحانه بما وعد به ، فكانت الآية من ظواهر الدلائل .

و لما كان التقدير : قاتلوهم فانكم إن قاتلتموهم كان كذا ، عطف ١٥ سبحانه على أصل هذه الجملة قوله : ﴿ و يتوب الله ﴾ أى الملك الذى له صفات الكمال ﴿ على من يشآء [1] ﴾ أى منهم فيصيروا إخوانا لكم أولياء ، و المعنى قاتلوهم يكن القتال سببا لهذه الخمسة الأشياء ، [و أما التوبة فتارة

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ « و » (٣) فى ظ : لقوا (٤) زيد فى ظ : من اعدائه .

تسبب عنه و تارة عن غيره ، و لأجل احتمال تسببها - [1]] عنه قرئ شاذا بالنصب على أن[2] الواو للصرف ؛ و لما كان [ما تضمنه هذا الوعد الصادق يدور على القدرة و العلم ، وكان - [1]] العلم يستلزم القدرة ، فكان التقدير : فالله على كل شيء قدير ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شيء علما و قدرة ﴿ عليم ﴾ أى بكل شيء و بمن يصلح للتوبة و من لا يصلح و ما فى قلوبكم من الإقدام و الإحجام لو برز إلى الخارج كيف كان يكون ﴿ حكيم ﴾ أى أحكم جميع أموره ، و لم يعلق الأحكام الشرعية من أفعالكم الكسبية إلا بما تعلق العلم به فى حال ظهوره .

و لما كان التقدير - لما أرشد إليه تقاعدهم عن القتال و إدخال [3]أم[3] المرشد إلى أن مدخوله وسط الكلام فان الابتداء له الألف وحدها - : و هل حسبتم أنه تعالى لا يعلم ذلك أو لا يقدر على نصركم ؟ بنى عليه قوله موبخا لمن تثاقل عن ذلك بنوع تثاقل : ﴿ ام حسبتم ﴾ أى لنقص فى العقل[4] أنه يبنى الأمر فيه على غير الحكمة ، و ذلك هو المراد بقوله : ﴿ ان تتركوا ﴾ أى قارين على ما أنتم عليه من غير أن تبتلوا بما يظهر به المؤمن من المنافق ﴿ و لما ﴾ عبر بها لدلالتها - مع استغراق الزمان الماضى - على أن يتبين ما بعدها متوقع كائن[5] ﴿ يعلم الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ الذين جهدوا منكم ﴾ أى علما ظاهرا تقوم به الحجة عليكم فى

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى الأصل و ظ : الميم (٤) من ظ ، و فى الأصل : القتل (٥) فى ظ : كان ، و راجع أيضا الكشاف ٢/٣٨٨ .

مجارى عاداتكم على مقتضى عقولكم بأن يقع الجهاد فى الواقع بالفعل .

و لما كان المعنى: جاهدوا مخلصين[1]، ترجمه و بسطه بقوله: ﴿ و لم ﴾ أى و [لما -[2]] يعلم الذين لم ﴿ يتخذوا ﴾ و يجوز أن يكون حالا ، [3]و دل[3] على تراخى الرتب عن مكانته سبحانه بقوله: ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى لا يعدل عنه و يرغب فى غيره من له أدنى بصيرة - كما دل عليه الافتعال - ٥ لأنه المنفرد بالكمال ، و أكد النفى بتكرير 'لا' فقال: ﴿ و لا رسوله ﴾ أى الذى هو خلاصة خلقه ﴿ و لا المؤمنين ﴾ أى الذين[4] اصطفاهم من عباده ﴿ وليجة[5] ﴾ أى بطانة تباطنونها و تسكنون / إليها فتلج أسراركم / ٤٧٤ إليها و أسرارها إليكم، فان الوليجة كل شىء أدخلته[6] فى شىء ليس منه، و الرجل يكون فى قوم و ليس منهم وليجة، فوليجة الرجل من يختصه ١٠ بدخيلة[6] أمره دون الناس، يقال: هو وليجتى[7] و هم وليجتى - للواحد و الجمع - نقل ذلك البغوى عن أبى عبيدة[8]، و[9] قال ابن هشام وليجة[9]: دخيلا ، و جمعها ولائج، يقول: لم يتخذوا دخيلا[10] من دونه يسرون[11] إليه غير ما يظهرون[12] نحو ما يصنع المنافقون، [13]يظهرون الإيمان للذين

(١) من ظ ، و فى الأصل : مخاصمين (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى الأصل و ظ : الذى (٥) فى ظ : ادخله (٦) من معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٥٤ ، و فى الأصل و ظ : بمداخلة (٧) فى ظ : وليجة (٨) من المعالم ، و فى الأصل و ظ : ابى عبيد (٩) سقط من ظ .
(١٠) من سيرة ابن هشام ٣/٥١ ، و فى الأصل و ظ : دخلا (١١) من السيرة ، و فى الأصل و ظ : تسرون (١٢) من السيرة ، و فى الأصل و ظ : تظهرون .
(١٣) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ ولا فى السيرة فحذفناها .

آمنوا و إذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم . و الحاصل أنه لا يكون الترك بدون علم الأمرين حاصلين ، و المراد بنفى العلم نفى المعلوم ، فالمعنى : و لما يكن مجاهدون مخلصون .

و لما كان ظاهر ذلك مظنة أن يتمسك به من لم يرسخ قدمه فى المعارف ، ختم بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ خبير بما تعملون ﴾ أى سواء برز إلى الخارج أو لا .

و لما حذرهم من اتخاذ وليجة من دونه ، شرع يبين أن الوليجة التى[1] يتخذها بعضهم لا تصلح للعاطفة بما اتصفت به[2] من محاسن الأعمال ما لم توضع تلك المحاسن على الأساس الذى هو الإيمان المبين بدلائله ، فقال سائقا له مساق جواب قائل قال[2] : إن فيهم من أفعال الخير ما يدعو إلى الكف عنهم من[3] عمارة المسجد الحرام و خدمته و تعظيمه ! ﴿ ما كان للمشركين ﴾ عبر بالوصف دون الفعل لأن جماعة ممن أشرك أسلم بعد ذلك فصار أهلا لما نفى عنهم ﴿ ان يعمروا مسجد الله ﴾ أى[2] و هو المنزه باحاطته بصفات الكمال ؛ قال البغوى : قال الحسن : ما كان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام ، ثم قال فى توجيه قراءة الجمع : قال الحسن : إنما قال : مسجد الله ، لأنه قبلة[4] المساجد كلها - يعنى فعامره عامر جميع[4] المساجد . و يجوز أن يراد الجنس ، و إذا

(١) فى ظ : الذى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : عن (٤) من معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٥٥ ، و فى الأصل و ظ : قبله .

لم يصلحوا لعمارة الجنس دخل المسجد الحرام لأنه صدر الجنس ، و ذلك آكد لأنه بطريق الكناية - قال الفراء : و ربما ذهب العرب بالواحد إلى الجمع و بالجمع[1] إلى الواحد ، ألا ترى أن الرجل يركب البرذون فيقول : أخذت فى ركوب البراذين ، و يقال : فلان كثير الدرهم[2] و الدينار - انتهى .

فتحرر أن المعنى : منعهم [3]من إقامة[3] شعائره بطواف[4] أو زيارة أو غير ٥ ذلك لأنهم نجس - كما يأتى ﴿ شٰهدين علىٰ انفسهم ﴾ أى التى هى معدن الأرجاس و الأهوية ﴿ بالكفر ﴾ [أى - [5]] باقرارهم ، لأنه[6] بيت الله و هم يعبدون غير الله و قد نصبوا فيه الأصنام بغير إذنه و ادعوا أنها شركاؤه ، فاذن عمارتهم تخريب لتنافى عقدهم و فعلهم ؛ قال البغوى : قال ابن عباس رضى الله عنهما : شهادتهم سجودهم[7] للأصنام ، و ذلك أنهم ١٠ كانوا نصبوا أصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد و كانوا يطوفون بالبيت عراة ، كلما طافوا شوطا سجدوا لأصنامهم .

و لما نفى قبيحُ ما يفعلون حسنَ ما يعتقدون ، أشار إلى بعدهم عن الخير بقوله : ﴿ اولٰئك حبطت اعمالهم ج ﴾ أى من العمارة و الحجابة[8] و السقاية و غير ذلك ، فسدت ببطلان معانيها لبنائها على غير أساس ١٥ ﴿ و فى النار هم ﴾ أى خاصة ، و من فعل كفعلهم فهو منهم ﴿ خٰلدون ٥ ﴾

---

(١) من المعالم ، و فى الأصل و ظ : الجمع (٢) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : الدراهم (٣ - ٣) فى ظ : بإقامة (٤) من ظ ، و فى الأصل : بالطواف (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : انه (٧) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٥٥ ، و فى الأصل : بسجودهم (٨) من ظ ، و فى الأصل : الحجارة .

أى بجعلهم الكفر مكان الإيمان .

و لما نفى عنهم أهلية العمارة ، بين من يصلح لها فقال: ﴿ انما يعمر مسجد الله ﴾ أى إنما يؤهل لذلك القرب ممن له الأسماء الحسنى و الصفات العلى حسا باصلاح الذات و معنى بالتعظيم بالقربات من قها[1] و تنظيفها و رمّ ما تهدم منها و تنويرها بالمصابيح الحسية و بالمعنوية من الذكر و القراءة - و درس العلم أجلّ ذلك - و صيانتها مما لم تبن له من أحاديث[2] الدنيا ﴿ من آمن بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله ﴿ و اليوم الآخر ﴾ أى فكان من أهل المعرفة[3] الذين تصح / عبادتهم و تفيدهم ، فانها إنما تفيد[4] فى ذلك اليوم ، و لم يذكر الإيمان بالرسول لأن هذه[5] البراءة عن لسانه أخذت . فالإيمان بها إيمان به لا محالة ، فعدم ذكره أقعد فى إيجاب الإيمان به ﴿ و اقام الصلوٰة و آتى الزكوٰة ﴾ أى و أيد دعواه الإيمان بهذين الشاهدين ، و ذلك أن عمارة المساجد ليست مقصودة لذاتها ، بل الدلالة على رسوخ الإيمان ، و الصلاة أعظم عمارتها[6] ، و الزكاة هى المعين لعمدتها على عمارتها .

/ ٤٧٥

و لما كان ربما فهم من قوله " آمن " أنه يكفى فى الإيمان مجرد الإقرار باللسان ، أعلم أنه لا بد فى ذلك من إيجاد التصديق حقيقة المثمر لخشية الله[7] فلذلك قال[7]: ﴿ و لم يخش ﴾ أى فى الأعمال الدينية ﴿ الا الله ﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل : لها ، و راجع أيضا روح المعانى ٣/٢٨٤ (٢) من ظ ، و فى الأصل : احاريب (٣) فى ظ : المعونة (٤) من ظ ، و فى الأصل : بيد . (٥) فى ظ : تنزه (٦) فى ظ : عبارتها (٧ - ٧) فى ظ : فقال .

أى و لم يعمل بمقتضى خشية غير الملك الأعظم من كف عما يرضى الله بما فيه سخطه ، بل تقدم على ما انحصر رضى الله فيه و لو أن فيه تلفه ، و حاصله أنه يقدم خشيته من الله على خشيته من غيره ، فهو يرجع إلى قوله " فالله احق ان تخشوه " و لكن هذا أبلغ لكونه نفى نفس الخشية و إن كان المراد نفى لازمها عادة ، و فيه تعريض لهم بأنهم لا يصلحون ٥ لخدمته لأنهم يخافون الأصنام و يفعلون معها بعبادتها فعل من يخافها[1] ؛ و لما سبب[2] عما مضى نفيا و إثباتا أن المتصف بهذه الأوصاف يكون جديرا بالهداية و حقيقا بها ، قال[3] تعالى : ﴿ فعسى أولئك ﴾ أى العالو الهمم ﴿ ان يكونوا ﴾ أى جبلة و رسوخا ﴿ من المهتدين ٥ ﴾ فأقامهم - مع ما قدم لهم من الكمال بالمعارف و الأفعال - بين الرجاء و الخوف مع ١٠ الإشارة بأفراد الخشية إلى ترجيح الخوف على الرجاء إيذانا بعلو أمره و عظيم كبره إشارة إلى أنه لا حق لأحد عليه و أنه إن [4]شاء أثاب[4] ، و إن أراد حكم - و هو الحكم العدل - بالعقاب ، لا يسئل عما يفعل ، و كرر الاسم الأعظم لمزيد الترغيب لخطر المقام و عزة المرام ، و مادة عسى بجميع تصاريفها تدور على الحركة ، و هذه بخصوصها للإطماع ، [5]و الحاصل[5] ١٥ أن من اتصف بالأوصاف الأربعة كان صالحا و خليقا و جديرا و حقيقا بأن يتحرك طمعه و يمتد أمله إلى أن يكون من جملة أهل الهدى ، فكيف توجبون أنتم لمن لم يتصف بواحد منها ما يختص به المهتدون من الموالاة ،

(١) فى ظ : يخالفها (٢) فى ظ : تسبب (٣) من ظ ، و فى الأصل : فقال .
(٤ - ٤) فى ظ : اثاب (٥ - ٥) فى ظ : فالحاصل .

هكذا كان ظهر لى أولا فى مدار المادة، ثم ظهر لى أن ذلك فى أكثر تقاليبها، مع إمكان أن يكون غيره للازالة، و أن الشامل لها - يائية و واوية بتقاليبها العشر: عسى، عيس، سعى، يسع، عسو، عوس، سعو، سوع، وسع، وعس - أنها لما يمكن أن يكون، و هو جدير و خليق بأن يكون، من قولهم: أعس به - أى أخاق، و بالعسى[1] أن يفعل - أى بالحرى، و إنه لمعساة بكذا - أى مخلقة[2]. و بهذا فسرها سيبويه؛ قال ابن هشام الخضراوى[3] فى شرح الإيضاح لأبى على: و قال سيبويه: إن عسى بمنزلة اخلولق، و المعساء كمكسال: الجارية[4] المراهقة لأنها جديرة بقبول النكاح، و من ثَمَّ أتت للطمع[5] و الإشفاق، و قد يزيد الرجاء فيطلق على القرب فيكون مثل كاد، و قد يشتد فيصل إلى اليقين فتستعمله[6] حينئذ فى معنى كان، و منه: عسى الغوير أبؤسا، لكن قال الرضى: و أنا لا أعرف عسى فى غير كلامه تعالى لليقين، و قد يضعف الرجاء فيصير شكا[7]، و منه: المعسية كمحسنة[8] للناقة، قد[9] يشك[10] أبها ابن أم لا، و عسى النبات - كفرح و دعا:

(١) من القاموس، و فى الأصل و ظ: بالعس (٢) من القاموس، و فى الأصل: مخلفه، و فى ظ: مخلقه (٣) هو محمد بن يحيى، و اسم شرحه: الإنصاح بفوائد الإيضاح - كما فى كشف الظنون (٤) فى ظ: الجارة (٥) من ظ، وفى الأصل: للطمع (٦) فى ظ: فتستعمل (٧) فى ظ: كسا (٨) من القاموس، وفى الأصل: لمحضة، و فى ظ كمحسبة - كذا (٩) ليس فى ظ والقاموس (١٠) من القاموس، و فى الأصل: شبك، و فى ظ: تشك.

غلظ و يبس[1] ، أى صار خليقا لأن يرعى و أن يقطع ، و اليد من العمل مثله ، أى فصارت جديرة بالصبر على المشاق ، و العاسى[2] ، النخل : لأنه جدير بكمال ما يطلب منه من المنافع ، و عسى الشيخ كرضى عساء و عسا كدعا يعسو : كبر ، أى صار خليقا بالموت و بأن لا يتعلم ما لم يكن فى غريزته ، و كذا عسى و عسا[3] الإنسان عن الأدب ، أى كبر / عنه ، ٥ / ٤٧٦
و العود يبس و صلب و اشتد أى فصار خليقا لما يراد منه ، و الليلة[4] : اشتدت ظلمته ، فصار جديرا بمطابقة اسمه[5] لمسماه و بتغطية الأمور ، و العسو : الشمع ، كأنه لإزالته[6] ظلمة الليل بنوره إذا أحرق ، و عسى بالشىء كفرح : لزمه ، أى فصار جديرا[7] باضافته إليه ؛ و العيس - بالفتح : ضراب الفحل و يقال : ماؤه لأنه جدير بالإنتاج[8] ، و العيس - بالكسر : الإبل البيض ١٠ يخالط بياضها شقرة ، و جمل و ظبى أعيس و ناقة عيساء ، لأنها خليقة بكل محمدة لحسن[9] لونها ، و تعيست[10] الإبل : صارت بياضا فى سواد كذلك أيضا ، و عيساء : امرأة و الأنثى من الجراد ، لشبهها بلون العيس ، و أعيس الزرع - إذا[11] لم يكن فيه رطب ، لأنه صار حقيقا بالحصاد ، و العوس - بالفتح - و العوسان : الطوفان بالليل ، لأنه جدير ببلوغ المقاصد ، ١٥

(١) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : نس - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : العاس ، و فى ظ : المعاس (٣) فى ظ : عسى (٤) فى ظ : الليل (٥) من ظ ، و فى الأصل : اسم (٦) فى ظ : لازالة (٧) فى ظ : جدير (٨) من ظ ، و فى الأصل : بالانتجاح (٩) من ظ ، و فى الأصل : باحسن (١٠) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : تعسيت (١١) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : اذ .

و بالضم : ضرب من الغنم و هو كبش عوسى ، إلحاقا لها بالعيس لكنها لصغرها اختير لها الضم جبرا لها و تقوية و تفاؤلا بالكبر[١] ، و اختير للابل الكسر تفاؤلا بسهولة القياد ، و بالتحريك : دخول الشدقين عند الضحك و غيره ، تشبيها بالغنم ، فكأنه جدير بأن يترك ما يحدث منه ذلك من الضحك و غيره ، و النعت أعوس و عوساء ، و عاس على عياله : كد عليهم و كدح ، و عياله : قاتهم ، و ماله عوسا و عياسة : أحسن القيام عليه ، فعمل بما هو الأليق به فى كل ذلك ، و العواسة - بالضم : الشربة[٢] من اللبن و غيره ، لأنها جديرة بالرى[٣] ، و الأعوس : الصيقل و الوصّاف للشيء ، لأنه جدير باظهار الخبء ، و العواساء كبرا كاء : الحامل[٤] من الخنافس ، لإنها فى تلك الحالة أجدر بما تفهمه مادتها من الكراهة فانه يقال : خنفس عنَ القوم : كرههم و عدل عنهم ، و الخنافس - بالضم : الأسيد ؛ لأنه جدير بأن يكره و يعدل عنه ؛ و السعى : عدو دون الشد[٥] ، و كل عمل سعى ؛ قال فى القاموس : سعى كرعى[٦] : قصد و عمل و مشى و عدا و نمّ و كسب ، كل ذلك يكون جديرا بدرك حاجته ، و السعاية : مباشرة عمل الصدقات التى بها يدرك الإمام أخذ الحقوق ، فيكون خليقا باغناء الفقراء ، و سعت الأمة : بغت ، فكانت خليقة بعمل الإماء عند العرب ، و ساعاها : طلبها للبغاء ، و أسعاه : جعله يسعى ، و المسعاة[٧] : المكرمة

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالكبير (٢) فى ظ : الشوم (٣) من ظ ، و فى الأصل : بالراى (٤) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : لحامل (٥) من تاج العروس ، و فى الأصل و ظ : الشديد (٦) من القاموس ، و فى الأصل و ظ : كرعن (٧) فى ظ : المساعاة .

و المعلاة فى أنواع المجد، لأنها جديرة بأن يسعى لها، و استسعى العبد: كلفه من العمل ما يؤدى به عن نفسه إذا عتق بعضه ليعتق به ما بقى، لأنه جدير بذلك، و السعاية - بالكسر: ما كلف من ذلك؛ و السيع[1]: الماء الجارى على وجه الأرض، و قد انساع[2] - إذا جرى، لأن الماء خليق بالجرى و الحركة، ساع الماء و الشراب: اضطرب على وجه الأرض، ٥ و سيعاء من الليل و كسيراء: قطع منه، كأنه ينظر إلى الساعة و هى جزء، هو لنفاسته خليق بأن يحفظ و لا يضيع و أن يتدارك إن ضيع، و السياع - بالفتح: ما يطين به، و الشحم تطلى به المزادة، كأنه[3] يمنع ما هو خليق بالجرى، و قد سيعت الجب - إذا طينته بطين أو جص؛ و كذلك الزق و السفن إذا طليت بالقار، و المسيعة: خشبة ملسة يطين ١٠ بها تكون مع حذاق[4] الطيانين، و التسييع: التطيين بها تكون مع حذاق التدهين، و قال القزاز: و السياع: تطينك بالجص أو الطين[5] أو القير، تسيع به السفن، و السياع: شجر العضاه له ثمر كهيئة الفستق و شجر اللبان، و كل منها خليق بالرغبة فيه، و المسياع: الناقة تذهب فى المرعى، كأنها شبهت بالماء الجارى، و هى أيضا خليقة بالسمن، / و التى تحمل الضيعة، ١٥ / ٤٧٧ و سوء القيام عليها، و التى يسافر عليها و يعاد، لأنها خليقة بأن يرغب فيها، و أساعه: أهمله، أى أزال ما هو خليق به من الحفظ فصار خليقا

(١) فى ظ: اليسع (٢) من ظ و تاج العروس، و فى الأصل: اساع (٣) فى ظ: لأنه (٤) من القاموس، و فى الأصل و ظ: حذاف - كذا (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

بالهلاك ؛ و السعوة - بالكسر : الساعة كالسعواء بالكسر و الضم - و قد تقدم تخريجها - و المرأة البذية الخالعة[١] ، كأنها جديرة بسرعة الفراق كالساعة، و الساعى : الوالى على أىّ أمر و قوم كان ، و لليهود و النصارى : رئيسهم ، لأنه خليق بأن يسعى عليهم و يذب عنهم ، و السعاة : التصرف ، لأن الإنسان جدير به ، و سعية[٢] علم للعنز ، لأنها خليقة بالسعى ، و السعاوى - بالضم : الصبور على السهر و السفر ، نسبة إلى السعى على وجه بليغ و هو خليق بأن يرغب فيه ، و أسعوا به ، أى طلبوه[٣] بقطع همزتها ، و الساعة : جزء من أجزاء الجديدين و الوقت الحاضر و القيامة ، لأن كل ذلك جدير و حقيق بالاحتفاظ من إضاعته ، و الهالكون[٤] كالجاعة للجياع ، كأنهم أضاعوا ساعتهم فكانوا جديرين بما حصل لهم ، و ساعة سوعاء : شديدة ، و ساعت الأبل تسوع : بقيت بلا راع ، فصارت جديرة بالهلاك و الضياع ، و أساعه : أهمله و ضيعه ، فصار كذلك ، و منه ناقة مسياع[٥] : تدع ولدها حتى يأكله السباع ، و بعد سوع من الليل و سواع ، أى هدءه[٦] ، و أسوع : انتقل من ساعة إلى ساعة ، فصار جديرا بأن يتحفظ فيتدارك فى الثانية ما فاته فى الأولى ، و أسوع الحمار : أرسل غرموله ، فصار جديرا بالنزوان ، و سواع : اسم صنم [عبد - [٧]] فى عهد نوح عليه السلام ، غرقه الطوفان فاستثاره[٨]

(١) من القاموس ، و فى الأصل : الخالقة ، و فى ظ : الخالعه - كذا (٢) من القاموس ، و فى الأصل و ظ : سيعة (٣) من ظ ، و فى الأصل : اطلبوه .
(٤) فى القاموس : الهلكى (٥) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : سباع (٦) فى ظ : هداة (٧) زيد من القاموس (٨) فى ظ : فاستشار .

إبليس حتى عبد أيضا ، لأنه كان خليقا - عندهم و فى زعمهم - بما أهّلوه له - تعالى الله عن ذلك ! و الوسع مثلثة[1] : الجدة و الطاقة كالسعة ، و معناها الخلاقة بالاحتمال ، وسعه الشيء - بالكسر - يسعه كيضعه سعة كدعة و زنة : كان جديرا باحتماله ، و اللهم سع علينا ، أى وسع ، و ليسعك بيتك : أمر بالقرار[2] فيه ، و هذا الإناء يسع عشرين كيلا ، أى يتسع لها ، و الواسع : ضد الضيق - كالوسيع ، و فى الأسماء الحسنى : الكثير العطاء الذى يسع لما يسأل ، أو[3] المحيط بكل شيء ، [أو -[4]] الذى وسع رزقه جميع خلقه و رحمته[5] كل شيء ، و الوساع كسحاب : الندب ، و هو الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب ، لأنه جدير بما يندب له ، و من الخيل : الجواد أو الواسع الخطو و الذرع - كالوسيع ، و قد وسع ككرم وساعة و سعة[6] و أوسع : صار ذا سعة ، و الله عليه : أغناه ، و توسعوا فى المجلس : تفسحوا ، فصاروا جديرين باحتمال الداخلى بينهم ، و وسعه توسيعا ضد ضيقه ، و رحمة الله وسعت كل شيء ، أى أحاطت به ، و وسع كل شيء علما ، أى أحاط به و أحصاه ؛ و الوعس كالوعد : شجر تعمل منه البرابط[7] و العيدان ، لأنه أحق الأشجار بذلك ، و الرمل السهل يصعب[8] فيه المشى ، لأنه يرى لسهولته خليقا بأن يمشى فيه ، و إذا حقق النظر كان خليقا بصعوبة المشى لكونه رملا ،

(١) من القاموس ، و فى الأصل : مثليه ، و فى ظ : مثلثة - كذا (٢) من ظ والقاموس ، و فى الأصل : القرار (٣) من القاموس ، و فى الأصل و ظ « و ».
(٤) زيد من القاموس (٥) زيد فى ظ : وسعت (٦) من ظ ، القاموس ، و فى الأصل : سبعة - كذا (٧) فى ظ : الرابط (٨) فى ظ : يتصعب .

و أوعس ركبه ، و الوعساء : رابية من رمل[1] لينة تنبت أحرار البقول ، لأنها للينها حقيقة من بين روابى[2] الرمل بالنبت ، و مكان أوعس و أمكنة وعس ، و الميعاس : ما تنكب عن الغلظ ، فهو جدير بالمشى فيه ، و الأرض : لم توطأ ، فهى جديرة بالكف عن سلوكها ، و الطريق ، لأنه جدير بأن ٥ يسلك ، قال فى القاموس : كأنه ضد ، و المواعسة : ضرب من سير الإبل ، كأنه وسط فهو جدير بالخير[3] و المباراة فى السير ، أو لا تكون إلا ليلا ؛ و قال القزاز : توعست فى وجهه حمرة أو صفرة ، أى كانت خليقة بالظهور ، قال : و إذا ذكروا الرملة قالوا : وعساء ، و إذا ذكروا الرمل قالوا : أوعس - هذا ما فى تنزيل الجزئيات من اللغة على مدار هذه المادة ، و أما ١٠ كلام أهل العربية فى قواعد 'عسى' الكلية فقال أبو عبد الله القزاز : هو فعل لا ينصرف فلا تقول : يعسى ، و لا هو عاس ، و قال عبد الحق الإشبيلى : و لا يأتى[4] / منه مستقبل و لا فاعل و لا مفعول و لا مصدر ، قال القزاز : / ٤٧٨ و يصحبه 'أن' و يجوز حذفها ، و 'أن' و ما بعدها بمعنى[5] المصدر و هى فى موضع نصب ، و لا يقع بعدها المصدر و لا اسم الفاعل ، و إنما جاء ١٥ هذا فى مثل العرب : عسى الغوير أبؤسا ، و أبؤس جمع بأس ، و هذا يدل على أن خبر عسى فى موضع نصب ؛ و قال فى القاموس : و الأبؤس : الداهية ، و منه عسى الغوير أبؤسا ، أى داهية ، [6] - قال أبو عبيد فى الغريب : كأنه أراد : عسى الغوير أن يحدث أبؤسا و أن يأتى

(١) فى ظ : الرمل (٢) فى ظ : رابى (٣) من ظ ، و فى الأصل : فى الخير .
(٤) فى ظ : لا يتاتى (٥) فى ظ : فى معنى (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

بأبؤس[1]، فهذا طريق النصب، و مما يبينه[2] قول الكميت:

قالوا أساء بنوكرز[3] فقلت لهم عسى الغوير بابآس[4] و إغوار]

و قال شارح الجزولية[5] أبو محمد ابن[6] الموفق[7]: لما كانت للرجاء دخلها معنى[6] الإنشاء فلم تتصرف، لأن تصرفها ينافى الإنشاء لأنها إذا تصرفت دلت على الخبر فيما مضى و الحال و الاستقبال، و ذلك ينافى معنى الإنشاء الذى لا يصلح لماض و لا مستقبل، و قال بعض المتأخرين: عسى موضوعة لفعل يتوهم كونه فى الاستقبال و هو على لفظ الماضى فاحتيج إلى 'أن' بعده إذ لا مستقبل له[6]، و ذهب بعضهم إلى أن عسى حرف لعدم تصرفها و لا[8] معناها فى غيرها، و الصحيح أنها فعل لفظا و معنى، أما لفظا فظاهر، أى للحاق الضمائر و تاء التأنيث الساكنة، و أما معنى فلأنه إخبار عن طمع وقع للتكلم، و جعل لفظها بلفظ الماضى لأن الطمع قد وقع، و إنما المطموع هو الذى يتوقع و ينتظر، و أدخل 'أن' على المطموع فيه لأنه[6] لم يقع بعد، و جردت أخواتها عن 'أن' لأن خبرها محقق فى الحال إذ قد شرع فيه إلا 'كاد' فانها للمقاربة فى الجملة؛ و قال ابن هشام المصرى فى توضيحه: و يجب كون

(١) من غريب الحديث ٣/٣٢٢، و فى ظ: باوس (٢) من غريب الحديث، و فى ظ: بينه (٣) من اللسان، و فى ظ: بنو بكر، وليس المصراع فى غريب الحديث (٤) من غريب الحديث و اللسان، و فى ظ: واناس - كذا (٥) هى المشهورة بالمقدمة الجزولية لعيسى بن عبد العزيز الجزولى - راجع كشف الظنون (٦) سقط من ظ (٧) وهو القاسم بن أحمد بن الموفق أبو محمد الأندلسى - كما ترجمه فى بغية الوعاة ٣٧٥ و عد فى جملة مصنفاته شرح الجزولية، و راجع أيضا كشف الظنون - المقدمة الجزولية (٨) من ظ، و فى الأصل: لان.

خبرها جملة ، و شذ كونه مفردا نحو عسى الغوير أبؤسا ، و يكون الاسم مرفوعا بعسى و أن ، و الفعل فى موضع نصب على الخبر ، و قال الرضى : إنما لم يتصرف فى عسى لتضمنها[1] معنى الحرف ، أى إنشاء الطمع و الرجاء ، و قوله : أبؤسا و صائما ، لتضمن عسى معنى كان[2] فأجرى مجراه ، و مذهب المتأخرين أن عسى ترفع الاسم و تنصب الخبر ككان ، و قال أبو طالب العبدى فى شرح الإيضاح للفارسى[3] : الأفعال موضوعة للتصرف من حيث كانت مقسمة بأقسام الزمان ، و لو لا ذلك لأغنيت المصادر عنها ، و لهذا قال سيبويه : فأما الأفعال فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء فبنيت لما مضى و لما يكون و لما هو كائن لم[4] ينقطع ، و لما خالفت هذه الأفعال - يعنى عسى و نعم و بئس و فعل التعجب - سائر الأفعال فى الدلالة ترك تصرفها أبدا بما أريدت له من المبالغة فيما جعلت دالة[5] عليه ، فمعنى عسى الطمع و الإشفاق - كذا قال سيبويه ، و لما اختصت بهذا المعنى ترك تصرفها ؛ و قال الرمانى : منعت ذلك حملا على 'لعل' كما حملت 'ما' على 'ليس' و الأول أولى لأنه ليس ينبغى أن يحمل باب الأفعال على الحروف ، و لأن الأفعال فى بابها بمنزلة الحروف فى بابها فى لزوم البناء ، و إنما الأسماء تحمل عليها كما تقول فى قطام و حزام[6] : إنه بنى لوقوعه موقع الفعل ، و أن أسماء الاستفهام بنيت لوقوعها موقع الحرف و لا تقول

(١) من ظ ، و فى الأصل : لتضمنه (٢) فى ظ : كانه (٣) من كشف الظنون ، و فى الأصل و ظ : للفارس (٤) فى ظ : كما (٥) فى ظ : دلالة (٦) و يمكن أن يكون : حذار .

فى الأفعال: إنها بنيت حملا على الحروف و لا الحروف بنيت حملا على الأفعال، بل كل منهما أصل، فكذلك التصرف، ليس امتناعه لحمله على الحرف و جريه مجراه، و عسى من أخوات كان، و إنما لم تذكر معها للمخالفة بترك التصرف و بلزوم 'أن' الخبرَ و بكونه فعلا، و يدل على أنها من أخوات 'كان' عسى الغوير أبؤسا، فقد انكشف ٥ الأصل كما انكشف أصل أقام و أطال و نحوه بقوله:

صددت[1] وأطولت الصدود[و-2] قلما وصال على طول الصدود يدوم

و لزوم الفعل بخبرها لجعله عوضا من التصرف الذى كان ينبغى أن يكون لها، و أما لزوم 'أن' فلما أريد من صرف الكلام إلى تأويل الاستقبال لأن 'أن' تخلص إليه، و البيت الممثل به فيه شىء طريف، ١٠ و هو مصدر مجموع واقع موقع مصدر واقع موقع فعل، و المصادر فى أصلها لا تجمع و لكنه ضرورة و مثل، فالأصل/ أن 'بأس' ثمّ ٤٧٩ / أبؤسا - انتهى كلام العبدى. و عندى أنه عند ما يقوى المعنى الذى سيقت له من طمع أو إشفاق يجعل خبرها اسما تنبيها على أنها الآن بمنزلة كان لما اشتد من شبهها لها بذلك؛ قال أبو طالب: و إذا وليها 'أن' و الفعل ١٥ كان فى موضع رفع، و سد طول الكلام مسد الخبر، و معناها الذى هو الإشفاق و الطمع قريب من المقاربة فى كاد، فلذلك حذف 'أن' من خبرها حملا لها على كاد كما جوزوا دخول 'أن' فى خبر كاد[3]

(١) فى ظ: صدت (٢) زيد من لسان العرب - طول (٣) من ظ، و فى الأصل: كان.

حملا لها على عسى ؛ و قال شارح الجزولية : و حذف ' أن ' من خبر عسى أكثر من إلحاق ' أن ' فى خبر ' كاد ' لمقاربة كاد ذات الفعل ، و ' أن ' تنافى ذلك ، قال : و من الفرق بينهما أن عسى لا يضمر فيها ضمير الشأن و القصة لشبهها بالحرف لعدم تصرفها ، و تضمر فى كاد لتصرفها ، ثم رجح أنه يضمر فيها و إن لم تتصرف كما أضمر فى نعم و بئس[1] . و قال ابن هشام الخضراوى فى شرح الإيضاح أيضا : إن سيبويه قدر عسى بقارب ، أى فترفع و تنصب لأن قارب متعد ، و قدرها بقرب ، أى فلا تنصب لعدم تعديه ، قال : و لا تدخل عسى على الماضى ؛ قال أبو على : لأنها للاستقبال المحض و لذلك وقع بعدها ' أن ' فلا تصلح للماضى بوجه ؛ و قال شارح الجزولية : عسى لها مع الظاهر مذهبان : أحدهما أن تكون ناقصة[2] بمعنى كان الناقصة ، تحتاج إلى اسم و خبر إلا أنه يشترط فى خبرها أن يكون فعلا ، و أصله أن يكون اسما مثل خبر كان إلا أنه عدل عنه إلى الفعل[3] تنبيها على الدلالة على ما هو المقصود من الرجاء و تقوية لما يفيده الرجاء من الاستقبال ، و شبهت فى هذا الوجه بـ ' قارب زيد الخروج ' تحقيقا لبيان الإعراب ، لا فى المعنى ، لأن ' قارب زيد الخروج ' ليس فيه إنشاء رجاء و لا غيره ، و إنما هو تمثيل لتقدير الإعراب اللفظى لأن أصلها أن تكون كذلك ، و إنما طرأ عليها إنشاء الرجاء كما كان ذلك فى التعجب و نعم و بئس و غيرهما ؛ و المذهب الثانى أن تأتى تامة[4] فتستعمل استعمال ' قرب ' فتدخل على ' أن ' مع الفعل

(١) من ظ ، و فى الأصل : سى - كذا (٢) من ظ ، و فى الأصل : قصة (٣) فى ظ : العقل (٤) من ظ ، و فى الأصل : بامة - كذا .

فتقول

فتقول: عسى أن يقوم زيد، و استغنى فيها - بأن و الفعل - عن الخبرين كما استغنى فى 'ظننت أن يقوم زيد' عن المفعولين، و ذلك لاشتماله[1] على مسند و مسند إليه، و هو المقصود بهذه الأفعال، فاذا قلت: زيد عسى أن يقوم[2]، احتمل أن تكون الناقصة فيكون فيها ضمير يعود على زيد هو اسمها و 'أن' مع الفعل خبرها، و يحتمل أن تكون التامة[3] فلا يكون فيها ضمير و تكون 'أن' مع الفعل فاعلها؛ و قال ابن الخباز[4] الموصلى فى كتابه النهاية فى شرح كفاية[5] الكفاية: عسى للطمع للمبالغة فى الطمع، فلا يكون خبرها ماضيا لأن معناها الرجاء و الطمع، و الماضى لا يطمع فيه و لا يرجى لحصوله، و استدل على أنها لا تستعمل إلا فى المستقبل بقول بعض شعراء الحماسة:

عسى طيئٌ من طيئٍ بعد هذه ستطفئ غلات الكلى و الجوانح[6]

فأتى بالسين لأنه لم يمكنه الإتيان بـ 'أن' فى الشعر؛ و قال شارح الجزولية ما معناه: إنه التزم فى خبرها الفعل للدلالة على الاستقبال و ألزم[7] 'أن' تقوية لذلك، و لهذا لم يكن خبرها اسما و إن كان أصله[8] أن يكون اسما إذ لا دلالة للاسم على الزمان، و لم يوضع مكانها السين و سوف لأنهما يدلان على تنفيس فى الزمان، و الغرض هنا تقريبه، و قد يجىء فى الشعر قليلا - و أنشد البيت المذكور؛ و قال ابن الخباز:

---

(١) فى الأصل: اشتماله، و فى ظ: لاستماله (٢) من ظ، و فى الأصل: يكون.
(٣) فى ظ: تامة (٤) هو أحمد بن الحسن - راجع الأعلام للزركلى ١/١١٤ (٥) فى ظ: كتابه (٦) البيت لقسامة بن رواحة السنبسى - راجع باب المراثى من الحماسة.
(٧) فى ظ: الزام (٨) زيد بعده فى الأصل: اسماء، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

و دخول الاستفهام عليها يؤذن بأنها ليست للطمع لأن الاستفهام لا يدخل على الطمع و لا على ما ليس بخبر ، فدخول هل عليها مما يؤذن بأنها خبر - انتهى . فتفسيرها بما ذكرته - من أنها لما يمكن [أن يكون -[1]] و هو خليق بأن يكون - أولَ ، و يكون الطمع لازما لمضمون الكلام ٥ لا أنه مدلولها بالمطابقة - و الله الموفق .

/٤٨٠ و لما بين سبحانه الصالح لذلك من غيره[2] ، أنكر على من لم / يفرق بين الصنفين فقال : ﴿ اجعلتم سقاية الحاج ﴾ أى مجردة عن الإيمان ﴿ و عمارة المسجد الحرام ﴾ أى كذلك كالإيمان بالله و اليوم الآخر و الجهاد[3] ، و أهلَ السقاية و العمارة من غير إيمان فى موالاتهم و الكف ١٠ عن معاداتهم ﴿ كمن آمن بالله ﴾ أى الحامل اعتقاد كماله [على -[1]] كل كمال ﴿ و اليوم الآخر ﴾ أى الحاث خوفه على كل خير ﴿ و جاهد فى سبيل الله ﴾ أى الملك الأعلى المحيط بكل شىء ، فالآية على قراءة الجماعة من الاحتباك : حذف أولا المشبه به لدلالة المشبه عليه و ثانيا المشبه لدلالة المشبه به عليه ، و أما على رواية عيسى بن وردان ١٥ عن[4] أبى جعفر شاذا : سقاة و عمرة - بالجمع فلا يحتاج إلى تقدير .

و لما كان كأنه قيل : كنا نظن ذلك فما حالهم؟ قال : ﴿ لا يستوون عند الله ﴾ أى الذى له الكمال كله لأن المشركين ظلموا بترك الإيمان ﴿ و الله ﴾ [أى -[1]] الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه ﴿ لا يهدى القوم الظالمين ﴾

(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) فى ظ : الجهل . (٤) فى ظ : على .

أى الذين وضعوا الأشياء فى غير مواضعها[1]، و الكفر أعظم الظلم، فلا توجبوا لهم الهداية و لا المساواة بالمهتدين و إن باشروا جميع أفعال المهتدين ما عدا الإيمان. و من فعل ذلك منكم كان ظالما و خيف عليه[2] سلب موجب الهداية.

و لما نفى عنهم المساواة من غير تصريح بأهل الترجيح ليشتد[3] التشوف إلى التصريح فيكون أثبت فى النفس و أوقر فى القلب، كان كأنه قيل: فمن الراجح؟ فقال: ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أوقعوا هذا الفعل، و هو إيمان المخاطَب من أن يكذبوه بشىء مما يخبر به عن الله، و قصر الفعل و هو فى الأصل متعد ليفيد أنه لا إيمان غير هذا، و إن وجد غيره فهو عدم بالنسبة إليه، و كذا كل فعل قصر فهو على هذا المنوال ليشار به إلى أنه لعظيم نفعه لا فعل من جنسه غيره ﴿ و هاجروا وجهدوا ﴾.

و لما كان المحدث عنه فيما قبل المجاهد فى سبيل الله، اقتضى المقام [تقديمه - [4]] على الآلة بخلاف ما فى آخر الانفال فان المقام اقتضى هناك تقديم المال و النفس لما تقدم من موجبه فى غير آية - كما سلف بيانه، وأيضا ففى[5] هذا الوقت كان المال قد كثر، و مواضع الجهاد قد بعدت، فناسب الاهتمام بالسبيل فلذا قدم ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى مخلصين له لأنه الملك الذى لا كفوء له، ثم أتبعه قوله: ﴿ باموالهم و انفسهم ﴾ فصرح بالنفس ترغيبا فى المباشرة بها ﴿ اعظم درجة ﴾ أى من جهة ارتفاع الدرجة، و هى الفضيلة المقربة إلى الله.

(١) فى ظ: موضعها (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: اشتد (٤) زيد من ظ.
(٥) فى ظ: فى.

و لما لم يكن العبرة إلا بما عنده سبحانه ، لا[1] بما عند الناس ، قال تعالى : ﴿ عند الله[1] ﴾ أي الملك الأعظم من أهل السقاية و ما معها من غير إيمان مدلول عليه بشواهده ، و إنما لم يذكر المفضل عليه ليفيد أن فضيلتهم[2] على الإطلاق ، فيكون المفضل عليه من جملة المدلول عليه ، و كرر الاسم الأعظم لمزيد الترغيب لخطر المقام و صعوبة المرام ؛ و أفهم هذا أن تلك الأفعال شريفة فى نفسها[3] ، فمن باشرها كان على[4] درجة عظيمة بالنسبة إلى من لم يباشرها ، و من بناها على الأساس كان أعظم ؛ ثم بين ما يخص أهل حزبه فقال : ﴿ و اولئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ هم ﴾ أى خاصة لا أنتم أيها المفاخرون مع الشرك ﴿ الفآئزون ﴾ أى بالخير الباقى فى الدارين دون من عداهم و إن فعل من الخيرات ما[5] فعل[5] ، لأنهم ترقوا من العبدية إلى العندية .

و لما بين أن جزاء أولئك الخلود فى النار ، بين ما لهؤلاء ، فقال مفسرا لفوزهم : ﴿ يبشرهم ربهم ﴾ أى المحسن إليهم بهدايتهم و اجتبائهم ، و ناهيك بهذه البشارة الدالة[6] على علو مقامهم[7] لأنها بلا واسطة ، و كون البشارة على قدر المبشر دال على أن هذه البشارة[8] [بشارة عظيمة -[8]] لا نهاية لها و لا يحاط[9] بمعرفة مقدارها[9] ﴿ برحمة ﴾ أى عظيمة ، و زادها[10] عظما

(١) فى ظ : الا (٢) من ظ ، و فى الأصل : فضيلة (٣) من ظ ، و فى الأصل : انفسها (٤) فى ظ : فى (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : التى دلت (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد من ظ (٩-٩) فى ظ : بمقدارها (١٠) من ظ ، و فى الأصل : زاد .

بقوله

بقوله: ﴿ منه ﴾ و ذلك إشارة إلى أنه لا نجاة بدون العفو؛ ثم أخبر بأن الرحمة كما أثمرت العفو الذى هو أدنى المنازل أسعدت / بأعلاها ٤٨١ فقال: ﴿ و رضوان ﴾ أى بأن يكون راضيا عن الله [للرضى بقضاء الله و ذلك يكون إذا قصر نظره على الله فانه لا يتغير أبدا بقضاء من أقضيته كما أن الله - الذى هو راحمه - لا يتغير، و من كان نظره لطلب حظ له كان أبدا فى تغير من الفرح إلى الحزن و من السرور إلى الغم و من الراحة إلى الجراحة و من اللذة إلى الألم، فثبت أن الرحمة التامة لا تحصل إلا للراضى بقضاء الله و يكون الله راضيا عنه فتكون نفسه راضية مرضية، و لهذا لم يقيده بـ "منه" و هذان فى الدنيا و الآخرة.

و لما ذكر هذه الجنة الروحانية المنعم بها فى الدنيا - [1]]، أتبعه بيان الجنة الروحانية البدنية [2] الخاصة بالدار التى فيها القرار فقال: ﴿ و جنّت ﴾ أى بساتين كثيرة الأشجار و الثمار ﴿ لهم فيها نعيم ﴾ أى عظيم جدا خالص عن كدر ما، و دل على الخلود بقوله: ﴿ مقيم ﴾ ثم صرح بخلودهم فيها [بلفظ الخلود ليكون أقر للنفس - [1]] فقال: ﴿ خلدين فيها ﴾ و حقق أمره بقوله: ﴿ ابدا ﴾ ثم استأنف المدح لذلك مؤذنا بالمزيد بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الغنى المطلق و القدرة الكاملة ﴿ عنده اجر عظيم ﴾ و ناهيك بما يصفه العظيم دالا [3] بالعظم، و خص هؤلاء المؤمنين بهذا الثواب المعبر [4] عن دوامه بهذه العبارات الثلاث [5] المقرونة بالتعظيم و الاسم الأعظم، فكان أعظم الثواب، لأن

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ: البينة (٣) - سقط من ظ (٤) فى ظ: المبر (٥) من ظ، و فى الأصل: الثلاثة.

إيمانهم أعظم الإيمان .

و لما فرغ من العاطفة بمحاسن الأعمال ، شرع[1] فى العاطفة بالأنساب و الأموال ، و قدم الأول إشارة إلى أن المجانسة فى الأفعال مقدمة على جميع الأحوال ، و لما كان محط الموالاة المناصرة ، وكانت النصرة بالآباء و الإخوان أعظم من النصرة بغيرهم ، لأن مرجعها إلى كثرة الأعوان و الأخدان[2] ، اقتصر عليها فقال : ﴿ يآ يها الذين امنوا ﴾ أى أقروا بألسنتهم بالإيمان بربهم معرضين عما سواه من الأنداد الظاهرة ! صدقوا ادعاءكم ذلك بأن ﴿ لا تتخذوآ ﴾ أى تتعمدوا و تتكلفوا أن تأخذوا ﴿ اٰبآءكم و اخوانكم اولياء ﴾ أى على ما يدعو إليه الطباع و تقويه الأطماع فتلقوا إليهم أسراركم و تؤثروا رضاهم و المقام عندهم ﴿ ان استحبوا ﴾ أى طلبوا و أوجدوا[3] أن أحبوا[3] ﴿ الكفر ﴾ و هو تغطية الحق و التكذيب ﴿ على الايمان[1] ﴾ نبه بصيغة الاستفعال[4] على أن الإيمان لكثرة محاسنه و ظهور دلائله معشوق بالطبع ، فلا يتركه أحد إلا بنوع معالجة و مكابرة لعقله و مجاهدة .

و لما كان أعز الأشياء الدين ، و كان لا ينال إلا بالهداية ، و كان قد تقدم سلبها عن الظالم ، رهبهم من انتزاعه بقوله : ﴿ و من يتولهم ﴾ أى يتكلف أن يفعل [5]فى أمرهم[5] ما يفعل القريب مع قريبه ﴿ منكم ﴾ أى بعد[6] ما أعلمكم الله فى أمرهم بما أعلم ﴿ فاولٰئك ﴾ أى المبعدون عن الحضرات الربانية ﴿ هم[7] الظلمون ٥ ﴾ أى لوضعهم الموالاة فى غير موضعها

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الاخوان (٣ - ٣) سقط مابين الرقمين من ظ .
(٤) فى ظ : الافتعال (٥ - ٥) فى ظ : معهم (٦) فى ظ : ان (٧) تقدم فى ظ على « أى المبعدون » .

بعد أن تقدم إليهم سبحانه بمثل هذه الزواجر ، و هذا رجوع بالاحتراس إلى "و اولوا الارحام بعضهم اولى ببعض" - الآية الوالية لبيان المؤمنين حقا و إشارة إلى أنه يضلهم و لا يهديهم لما تقدم من الخبر بأنه لا يهدى الظالمين .

و لما كانت الأنفس مختلفة الهمم متباينة[1] السجايا و الشيم ، كان هذا غير كافٍ فى التهديد لكلها . فأتبعه تهديدا أشد منه بالنسبة إلى تلك النفوس فقال منتقلا[2] من أسلوب الإقبال إلى مقام الإعراض المؤذن بزواجر الغضب[3] : ﴿ قل ﴾ أى [يا -[3]] أعظم الخلق شفقة و رفقا و نصيحة لمن لم[4] يُزعه ما تقدم من الزواجر أنه يجب تحمل جميع هذه المضار فى الدنيا ليبقى الدين[5] سالما و لا ينثلم ﴿ ان كان آباؤكم ﴾ أى الذين[6] أنتم أشد شيء توقيرا لهم ﴿ و ابناؤكم ﴾ أى الذين هم أعز الناس لديكم و أحبهم إليكم ﴿ و اخوانكم ﴾ أى الذين هم من أصولكم فهم كأنفسكم ﴿ و ازواجكم ﴾ أى اللاتى هن سكن لكم ﴿ و عشيرتكم ﴾ أى التى[7] بها تمام الراحة و قيام العز و المنعة[8] و هم أهل الإنسان الأدنون الذين يعاشرونه .

و لما قدم سبحانه ما هو مقدم على المال عند أولى الهمم العوال قال : ﴿ و اموال اقترفتموها ﴾ أى اكتسبتموها بالمعالجة من الأسفار

(١) فى ظ : متتابعة (٢) من ظ و فى الأصل : الغضبة - كذا (٣) زيد من ظ .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : الدنيا (٦) فى ظ : الذى (٧) فى ظ : اللاتى .
(٨) فى ظ : المنفعة .

و غيرها لمعاشكم ﴿ و تجارة تخشون كسادها ﴾ أى لفوات أوقات نفاقها بسبب اشتغالكم[1] بما ندب الله سبحانه إليه فيفوت - على[2] ما تتوهمون - ما به قوامكم ﴿ و مسكن / ترضونها ﴾ أى لأنها بجمع لذلك[3] كله ، ٤٨٢ /
و لقد رتبها سبحانه أحسن ترتيب ، فان الأب أحب المذكورين لما هنا
٥ من شائبة النصرة ، و بعده الابن ثم الأخ ثم الزوج ثم العشير الجامع للذكور و الإناث ثم المال الموجود فى اليد ثم المتوقع ربحه بالمتجر ، و ختم بالمسكن لأنه الغاية التى كل ما تقدم أسباب للاسترواح فيه و التجمل به ﴿ احب اليكم من الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال الذى أنعم عليكم بجميع ما ذكر ، و متى شاء سلبكموه ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى أتاكم بما به
١٠ حفظ هذه النعم فى الدارين ﴿ و جهاد فى سبيله ﴾ أى لرد الشارد من عباده إليه و جمعهم عليه ، و فى قوله - : ﴿ فتربصوا ﴾ أى انتظروا متبصرين - تهديد بليغ ﴿ حتى يأتى الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿ بامره[4] ﴾ أى الذى لا تبلغه أوصافكم و لا تحتمله قواكم . و لما كان[4] من آثر حب شىء من ذلك على حبه تعالى ، كان مارقا من دينه[5] راجعا إلى دين من
١٥ آثره ، و كان التقدير : فيصيبكم بقارعة لا تطيقونها و لا تهتدون إلى دفعها بنوع حيلة ، لأنكم اخترتم لأنفسكم منابذة الهداية و معلوم أن من كان كذلك فهو مطبوع فى الفسق ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ لا يهدى القوم ﴾ أى لا يخلق الهداية فى قلوب

(١) فى ظ: اشغالكم (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: كذلك (٤) فى ظ: بين (٥) من ظ ، و فى الأصل : ذنبه .

﴿ الفسقين ﴾ أى الذين استعملوا ما عندهم من قوة[1] القيام[2] فيما يريدون من[3] الفساد حتى صار الفسق - و هو الخروج مما حقه المكث فيه و التقيد[4] به و هو هنا الطاعة - خلقا من أخلاقهم و لازما من لوازمهم ، بل يكلهم إلى نفوسهم فيخسروا الدنيا و الآخرة .

و لما كان فى بعض النفوس من الغرور بالكثرة ما يكسبها سكرة ٥ تغفلها عن بعض مواقع القدرة ، ساق قصة حنين دليلا على ذلك الذى أبهمه من التهديد جوابا لسائل كان كأنه قال : ما ذاك الأمر الذى يتربص[5] لإتيانه و يخشى[6] من عظيم شأنه ؟ فقيل : الذل و الهوان و الافتقار و الانكسار ، فكأنه قيل : و كيف يكون ذلك ؟ فقيل : بأن يسلط القدير عليكم - و إن كنتم كثيرا - أقوياء غيركم و إن كانوا قليلا ضعفاء ١٠ كما سلطكم - و قد كنتم كذلك - حتى صرتم إلى ما صرتم إليه : ﴿ لقد نصركم الله ﴾ أى الملك الأعلى[7] مع شدة ضعفكم ﴿ فى مواطن ﴾ أى مقامات[8] و مواقف و أماكن توطنون فيها أنفسكم على لقاء عدوكم ﴿ كثيرة[9] ﴾ أى من[9] الغزوات التى تقدمت لكم كبدر و قريظة و النضير و قينقاع و الحديبية و خيبر و غيرها من مخاصمات الكفار ، و كنتم من ١٥ الذلة و القلة و الانكسار بحال لا يتخيل معها نصركم و ظهوركم على جميع الكفار و أنتم فيهم كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود ، و ما وكلكم

(١) من ظ ، و فى الأصل : لفا - كذا (٢) فى ظ : الإيمان (٣) من ظ ، و فى الأصل : فى (٤) فى ظ : التقييد (٥) فى ظ : نتربص (٦) فى ظ : تخشى (٧) فى ظ : الاعظم (٨) فى ظ : مقدمات - كذا (٩) سقط من ظ .

إلى مناصرة من تقدم أمره لكم بمقاطعتهم ، فدل ذلك على أن من أطاع الله و رجح الدين على الدنيا آتاه الله الدين و الدنيا على أحسن الوجوه و إن عاداه الناس أجمعون ، و دل بما بعدها من قصة حنين على أن من اعتمد على الدنيا فاته الدين و الدنيا إلا أن يتداركه الله برحمة منه فيرجع به . فقال تعالى : ﴿ و يوم ﴾ أى و نصركم بعد أن قواكم و كثركم هو وحده ، لا كثرتكم وقوتكم يوم ﴿ حنين[1] ﴾ و هو واد بين مكة و الطائف إلى جانب ذى المجاز ، و هو إلى مكة أقرب ، وراء[2] عرفات إلى الشمال .

[و لما كان سلمة بن سلامة بن وقش[3] الأنصارى رضى الله عنه قد قال حين التقى الجمعان[4] و أعجبته كثرة الناس : لن نغلب اليوم من قلة ! فساء النبى صلى الله عليه و سلم كلامه و أن يعتمد إلا على الله ، وكان الإعجاب سما قاتلا للأسباب ، أدبنا الله سبحانه فى هذه الغزوة بذكر سوء أثره لنحذره ، ثم عاد سبحانه بالإنعام لكون الذى قاله شخصا واحدا كره غيره مقالته . فقال -[5]] : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ اعجبتكم كثرتكم ﴾ أى فقطعتم لذلك أنه لا يغلبها غالب ، [و أسند سبحانه الفعل للجمع إشارة إلى أنهم لعلو مقامهم ينبغى أن لا يكون منهم من يقول مثل ذلك -[5]] ﴿ فلم تغن عنكم شيئا ﴾ أى من الإغناء ﴿ و ضاقت عليكم الارض ﴾ أى الواسعة ﴿ بما رحبت ﴾ أى مع اتساعها فصرتم لا ترون أن فيها مكانا يحصنكم مما أنتم فيه لفرط الرعب ، فما ضاق فى الحقيقة إلا ما كان

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : هو وراء - كذا (٣) من الإصابة ، و فى ظ : قيس - كذا (٤) فى ظ : الجماعان ، و راجع معالم التنزيل حول تفسير هذه الآية (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

من الآمال التى سكنت إلى الأموال و الرجال ، و لعل عطفه - لتوليهم بأداة التراخى فى قوله : ﴿ ثم وليتم ﴾ أى تولية كثيرة ظهوركم الكفار ، و حقق ذلك بقوله : ﴿ مدبرين ﴾ أى انهزاما مع أن الفرار كان حين / اللقاء لم يتأخر - إشارة إلى ما كان عندهم من استبعاده اعتمادا على القوة ٤٨٣ / و الكثرة ﴿ ثم انزل الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال ﴿ سكينته ﴾ ٥ أى رحمته ، و هى الأمر الذى يسكن القلوب عن أن تتأثر بما يدهمها من البلاء من الوثوق به سبحانه و مشاهدة جنابه الأقدس و الغناء عن غيره .

[و لما كان المقام للرسالة ، و كان تأييد مدعيها من أمارات صدقه فى دعوى أنه رسول ، و أن مرسله قادر على ما يريد لا سيما إن كان تأييده على وجه خارق للعادة ، عبر به دون وصف النبوة فقال - [1]] : ١٠ ﴿ على رسوله ﴾ أى زيادة على ما كان به من السكينة التى لم يحز مثلها أحد ، [2] ثبت بها [2] الثلاثين ألفا أو عشرين ألفا أو أربعة آلاف [على اختلاف الروايات فى عشرة أنفس أو مائة أو ثلاثمائة - [1]] على الاختلاف أيضا ، لم يكن [3] ثباتهم إلا به ، ثم لم يزده ذلك إلا تقدما حتى أن كان العباس عمه و أبو سفيان بن الحارث ابن عمه رضى الله عنهما ليكفان بغلته عن ١٥ بعض التقدم ، و لعل العطف بـ "ثم" إشارة إلى علو رتبة ذلك الثبات و استبعاد أن يقع مثله فى مجارى العادات ﴿ و على المؤمنين ﴾ أى أما من كان منهم ثابتا فزيادة على ما كان له من ذلك ، و أما غيره فأعطى ما

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢ - ٢) من ظ ، و فى الأصل : ثبتها (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم تكن .

لم يكن فى ذلك الوقت له ، و ذلك أنه صلى الله عليه و سلم قال لعمه العباس رضى الله عنه بعد ما فر الناس : ناد فيهم يا عباس ! فنادى[1] و كان صيتا : يا عباد الله ! يا أصحاب الشجرة ! يا أصحاب السورة البقرة ! فكروا عنقا واحدا يقولون : لبيك لبيك ! و يحتمل أن يكون ذكر الرسول عليه السلام لمجرد التبرك كما فى ذكر الله فى قوله "فان لله خمسه[2]" و زيادة فى تعظيم الامتنان[3] به لأن النفوس إلى ما أعطى منه الرسول أميل و القلوب له أقبل لاعتقاد جلاله و عظمته و كماله ﴿ و انزل ﴾ أى من السماء ﴿ جنودا لم تروها ﴾ أى من الملائكة عليهم السلام ﴿ و عذب ﴾ أى بالقتل و الأسر و الهزيمة و السبى و النهب ﴿ الذين كفروا[4] ﴾ عبر بالفعل لأن فيهم من آمن بعد ذلك .

و لما كان ما عذب به من أوجد مطلق هذا الوصف عظيما ، أتبعه بيان جزاء العريق فى ذلك ترهيبا لمن آثر حب شىء مما مضى على حب الله فقال : ﴿ و ذلك ﴾ أى العذاب[1] الذى منه ما عذب به[1] هؤلاء و غيره ﴿ جزآء الكفرين ۝ ﴾ أى الراسخين فى وصف الكفر الذين آثروا حب من تقدم من الآباء و غيرهم على الله فثبتوا على تقليد[4] الآباء فى الباطل بعد ما رأوا من الدلائل ما بهر[5] الشمس و لم يدع شيئا من لبس . و أما الذين لم يكن كفرهم راسخا فكان ذلك صلاحا لهم لأنه قادهم إلى الإسلام ، فقد تبين أن المنصور من نصره الله قليلا كان أو كثيرا ، و أن القلة

(١) سقط من ظ (٢) سورة ٨ آية ٤١ (٣) فى ظ : الامتناع (٤) من ظ ، و فى الأصل : تقليه ـ كذا (٥) فى ظ : ابهر .

و الكثرة

و الكثرة و القوة و الضعف بالنسبة إلى قدرته سواء ، فلا تغتروا بما ألزمكم من النعم فانه قادر على نزعها ، لا يستحق أحد عليه شيئا ، و لا يقدر أحد على رد قضائه ، و فى ذلك إعلام بأنه لا يرتد[1] بعد إيمانه إلا من كان عريقا فى الكفر ، و فيه أبلغ تهديد لأنه إذا عذب من أوجد الكفر وقتا ما فكيف بمن رسخ فيه ! . ٥

و لما بين[2] أن العذاب جزاء الكافرين ، بين أنه يتوب على من يريد منهم ، و هم كل من علم منه قابلية للايمان[3] و إن كان شديدا فى وصف الكفران[4] ، فقال عاطفا على "و عذب" : ﴿ ثم يتوب الله ﴾ أى الذى له الإحاطة علما و قدرة ، و لما لم يكن أحد تستغرق توبته زمان البعد أدخل الجار فقال : ﴿ من بعد ذلك ﴾ أى العذاب العظيم ﴿ على من يشآء[1] ﴾ ١٠ أى فيهديه إلى[5] الإسلام و يغفر له جميع ما سلف من الآثام ﴿ و الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ غفور رحيم ﴾ أى[6] محاء للخطايا عظيم الإكرام لمن تاب ، و فى ذلك إشارة إلى أنه جعل هذه الوقعة - لحكمته التى اقتضت ربط المسببات بأسبابها - سببا لإسلام من حضرها من كفار قريش و غيرهم من المؤلفة بما قسم فيهم صلى الله عليه و سلم من غنائم ١٥ هوازن و بما رأوا من عز الإسلام / و علوه ، فكان فى ذلك ترغيب لهم ٤٨٤ / بالمال ، و ترهيب بسطوات القتال ، و لإسلام وفد هوازن بما حصل لهم من القهر و ما شاهدوا للنبى صلى الله عليه و سلم من عظيم النصر ، و لإسلام

(١) فى ظ : لا يريد (٢) زيد بعده فى ظ : كان (٣) فى ظ : الايمان (٤) فى ظ : الكفر (٥) من ظ ، و فى الأصل : على (٦) سقط من ظ .

غيرهم من العرب بسبب علم كل منهم بهذه الوقعة أنهم أضعف ناصرا و أقل عددا ، كل ذلك رحمة منه سبحانه لهم و رفقا لهم . و قد كان جميع ذلك كما أشار إليه سبحانه ، فأسلم الطلقاء و حسن إسلامهم ، و قدم وفد هوازن و سألوا النبي صلى الله عليه و سلم جبرهم برد ما أخذ لهم فقال لهم : إني[1] استأنيت بكم ، فلما أبطأتم قسمت بين الناس فيئهم ، فاختاروا المال أو السبي ! فاختاروا السبي فشفع لهم عند الناس فأجابوه[2] فرد إليهم أبناءهم و نساءهم رحمة منه لهم . و ذل العرب لذلك فدخلوا في الدين أفواجا . و ختم هذه الآية بالمغفرة و الرحمة [على -[3]] ما هو الأنسب لسياق التوبة بذلك على أنه ما عدل إلى ختم الأولى[4] بـ"عليم حكيم" إلا لما قررته من جعل أم في " ام حسبتم" معادلة للهمزة - و الله أعلم .

و لما تقدم[5] في[6] الأوامر و النواهي و بيان الحكم[5] المرغبة و المرهبة ما لم يبق لمن عنده أدنى تمسك بالدين شيئا من الالتفات إلى المفسدين ، بين أن الغلة في مدافعتهم[7] و شديد مقاطعتهم أنهم نجس و أن[8] المواضع - التي ظهرت فيها أنوار[9] عظمته و جلالته و أشرقت عليها شموس نبوته و رسالته ، و لمعت[10] فيها بروق[11] كبره و جالت صوارم نهيه و أمره - مواضع القدس و مواطن الأنس ، من دنا إليها من غير أهلها احترق

(١) من ظ ، و في الأصل : اين (٢) في ظ : فاجابوهم (٣) زيد من ظ (٤) راجع آية ١٥ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و في الأصل : من (٧) من ظ ، و في الأصل : موافقتهم (٨) في ظ : انه (٩) من ظ ، و في الأصل : انواع (١٠) في ظ : لمحت (١١) في ظ : بوار .

نارها ، و بهرت بصره أشعة أنوارها ، فقال مستخلصا بما تقدم و مستنتجا : ﴿ يآيها الذين آمنوآ ﴾ أى أقروا بألسنتهم بالإيمان و هم ممن[1] يستقبح الكذب ﴿ انما المشركون[2] ﴾ أى العريقون فى الشرك بدليل استمرارهم عليه .

و لما كانوا متصفين به ، و كانوا لا يغتسلون - و [لا -[3]] يغسلون ثيابهم من النجاسة ، بولغ فى وصفهم بها بأن جعلوا عينها فقال : ﴿ نجس ﴾ أى و أنتم تدعون أنكم أبعد الناس عن النجس حسا و معنى ، فيجب أن يقذروا و أن يبعدوا و يحذروا كما يفعل بالشىء النجس لما اشتملوا عليه من خلال الشر و اتصفوا به من خصال السوء ، و أما أبدانهم فاتفق الفقهاء على طهارتها لأن النبى صلى الله عليه و سلم شرب من أوانيهم و لم ينه عن مؤاكلتهم و لا أمر بالغسل [منها -[1]] و لو كانت نجسة ما طهرها الإسلام . و لما تسبب عن ذلك إبعادهم ، قال : ﴿ فلا يقربوا ﴾ أى المشركون ، و هذا نهى للمسلمين عن تمكينهم من ذلك ، عبر عنه بنهيهم مبالغة فيه ﴿ المسجد الحرام ﴾ أى الذى أخرجوكم منه و أنتم أطهر الناس ، و استغرق الزمان فأسقط الجار و نبههم على حسن الزمان و[4] اتساع الخير فيه بالتعبير بالعام فقال : ﴿ بعد عامهم ﴾ و حقق الأمر و أزال اللبس بقوله : ﴿ هذا ج ﴾ و هو آخر سنة تسع سنة الوفود مرجعه صلى الله عليه و سلم من غزوة تبوك ، فعبر بقربانه لا باتيانه بعد التقديم إليهم بأن لا يقبل من مشرك إلا الإسلام أو القتل إشارة إلى إخراج المشركين من جزيرة العرب و أنها لا يجتمع بها دينان لأنها كلها محل النبوة العربية

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : المشركين (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : او .

و موطن الأسرار الإلهية ، فمن كان فيها - و لو فى أقصاها - فقد قارب جميع ما فيها ، و تكون حينئذ بالنسبة إلى الحرم كأفنية الدور و رحاب المساجد ؛ و فى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم أرسل[1] أبا بكر رضى الله عنه أميرا على الحج بعد رجوعه من تبوك ثم أردفه بعلى رضى الله عنه فأمره أن يؤذن ببراءة ، قال أبو هريرة : فأذن معنا علىّ يوم النحر فى[2] أهل منى ببراءة و أن لا يحج بعد العام مشرك و لا يطوف / بالبيت عريان[3] . و هذه سنة قديمة فقد أمر الله تعالى ٤٨٥ / بنى إسرائيل فى غير موضع من التوراة بأن لا يبقوا[4] فى جميع بلاد بيت المقدس أحدا من المشركين بخلاف غيرها من البلاد التى يفتحها الله عليهم ، منها ما قال المترجم فى أواخر[5] السفر الخامس[6] : و إذا تقدمتم إلى قرية أو مدينة لتقاتلوا أهلها ادعوهم إلى الصلح ، فان قبلوه و فتحوا لكم من كان فيها من الرجال يكونوا عبيدا لكم يؤدوا إليكم الخراج ، و إن لم يقبلوا الصلح و حاربوكم فحاربوهم و ضيقوا عليهم فان الله ربكم يدفعها إليكم و تظفرون بمن فيها ، فاذا ظفرتم بمن فيها فاقتلوا الذكور كلهم بالسيف ، كذلك اصنعوا بجميع القرى البعيدة النائية التى ليست من قرى هذه الشعوب فأما قرى هذه الشعوب التى يعطيكم الله ميراثا فلا تبقوا[7] من أهلها أحدا و لكن اقتلوهم قتلا كالذى أمركم الله ربكم لئلا يعلموكم النجاسة

(١) فى ظ : امر (٢) فى ظ : على (٣) راجع كتاب التفسير من الصحيح (٤) من ظ ، و فى الأصل : تبعوا (٥) فى ظ : آخر (٦) راجع الأصحاح العشرين منه . (٧) من ظ ، و فى الأصل : فلا تبعوا - كذا .

التى

التى يعملونها[1] لآلهتهم ، و مثل ذلك كثير فيها ، و قد مضى بعده فيما ذكرته عن التوراة - و الله الموفق . و جملة بلاد الإسلام فى حق الكفار ثلاثة أقسام : أحدها الحرم ، فلا يجوز للكافر[2] أن يدخله بحال لظاهر هذه الآية ، الثانى الحجاز و ما فى حكمه و هو جزيرة العرب ، فيدخله الكافر بالإذن و لا يقيم أكثر من مقام السفر ثلاثة أيام لأن النبى صلى الله عليه و سلم قال : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، و هى من أقصى عدن أبين[3] ، و هى فى الجنوب إلى أطراف الشام و هى فى الشمال طولا ، و من جدة و هى أقصى الجزيرة غربا على شاطئ بحر الهند إلى ريف العراق و هو فى المشرق عرضا[4] ، و الثالث سائر بلاد الإسلام يجوز للكافر الإقامة فيها بذمة و أمان ما شاء ، و لكن لا يدخل المساجد إلا باذن مسلم - ذكر ذلك البغوى[5] ، قال ابن الفرات فى تاريخه عند غزو بخت نصر لبنى إسرائيل و لأرض العرب : إنما سميت بلاد العرب جزيرة لإحاطة البحار و الأنهار[6] بها ، فصارت مثل الجزيرة من جزائر البحر ، و ذلك أن الفرات أقبل من بلاد الروم و ظهر من ناحية قنسرين ثم انحط على الجزيرة و سواد العراق حتى وقع فى البحر من ناحية البصرة و الأبلة[7] و امتد البحر من ذلك الموضع مطيفا ببلاد العرب ، فأتى منه عنق على كاظمة و تعدى

(١) من نص التوراة ، و فى الأصل : يعلمونها (٢) فى ظ : لكافر (٣) هو مخلاف باليمن (٤) سقط من ظ (٥) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٣ / ٦٣ (٦) فى ظ : الاشجار ، و راجع أيضا معجم البلدان - جزيرة العرب . (٧) من المعجم ، و فى الأصل و ظ : الايلة .

إلى القطيف و هجر و عمان و الشجر[١] . و مال منه [عنق - [٢]] إلى حضرموت و ناحية أبهر[٣] و عدن . و استطال ذلك العنق فطعن فى تهامة[٤] اليمن و مضى إلى ساحل جدة ، و أقبل النيل فى غربى هذا العنق من أعلى بلاد السودان مستطيلا معارضا للبحر معه حتى وقع فى بحر مصر ٥ [٥]و الشام ، ثم أقبل ذلك البحر من مصر[٥] حتى بلغ بلاد فلسطين [فمر - [٦]] بعسقلان و سواحلها . و أتى على بيروت و نفذ إلى سواحل حمص و قنسرين حتى خالط الناحية التى أقبل منها الفرات منحطا على أطراف قنسرين و الجزيرة إلى سواد العراق ، و أقبل جبل[٧] السراة من قعرة اليمن حتى بلغ أطراف الشام فسمته العرب حجازا لأنه حجز بين الغور و نجد ١٠ فصار ما خلف ذلك الجبل فى غربيه الغور وهو تهامة ، و ما دونه فى شرقيه نجدا[٨] - انتهى .

و لما كان ما والاها من أرض الشام و نحوها كله أنهار أو جداول[٩] ، جعل كأنه بحر لأنه فى حكم شاطئه[١٠] ، و لما كان قوامهم بالمتاجر ، و كان قوام المتاجر باجتماعهم فى أسواقهم ، و كان نفيهم من تلك ١٥ الأراضى مظنة لخوف انقطاع المتاجر و انعدام الأرباح المفضى إلى الحاجة و كان قد أمر بنفيهم رعاية لأمر الدين ، و كان سبحانه عالما بأن

(١) فى ظ : شجر (٢) زيد من المعجم (٣) فى المعجم : ابين (٤) من ظ ، و فى الأصل : نهاية ، و فى المعجم : تهايم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و المعجم (٧) من ظ و المعجم . و فى الأصل : جعل (٨) فى ظ : نجد . (٩) زيدت الواو بعده فى ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : شرطيه .

[ذلك يشق على النفوس لما ذكر من العلة ولاسيما و قد قال بعضهم لما قرأ على رضى الله عنه آيات البراءة على أهل الموسم : يا أهل مكة ! ستعلمون ما تلقونه من الشدة بانقطاع السبيل و بُعد الحولات - [1]] ، وعد سبحانه - و هو الواسع العليم - بما يغنى عن ذلك ، لأن / من ترك الدنيا لأجل الدين أوصله سبحانه إلى مطلوبه من الدنيا مع ما [2]سعد به من أمر الدين[2] «من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه» فقال : ﴿ و ان خفتم ﴾ أى بسبب منعهم من قربان المواطن الإلهية ﴿ عيلة ﴾ أى فقرا و حاجة ﴿ فسوف يغنيكم الله ﴾ أى و هو ذو الجلال و الإكرام ﴿ من فضله ﴾ و هو ذو الفضل و الطول و القوة و الحول .

/ ٤٨٦

و لما كان سبحانه الملك الغنى القادر القوى الذى لا يجب لأحد عليه شىء و تجب طاعته على كل شىء ، نبه على ذلك بقوله : ﴿ ان شآء ﴾ [و لما كان ذلك عندهم مستبعدا ، علل تقريبا له بقوله - [1]] : ﴿ ان الله ﴾ [3]أى الذى له الإحاطة الكاملة[3] ﴿ عليم ﴾ [أى - [1]] بوجوه المصالح ﴿ حكيم ﴾ أى فى تدبير استجلابها و تقدير إدرارها و لقد صدق سبحانه و من أصدق منه قيلا فانه أغناهم - بالمغانم التى انتثلها بأيديهم بعد نحو[4] ثلاث سنين من إنزالها من كنوز كسرى و قيصر - غنى لم يطرق أوهامهم قط ، ثم جعل ذلك سببا لاختلاط بعض الطوائف من جميع الناس ببعض لصيرورتهم إخوانا فى الدين الذى كان سببا لأن يجتمع

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢ - ٢) فى ظ : تقدمه (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ .

فى سوق منى و غيره فى أيام الحج كل عام من المتاجر مع العرب و العجم[1] ما لا يكون مثله فى بقعة من الأرض ، و العيلة : الفاقة و الافتقار ، و مادتها بهذا الترتيب تدور على الحاجة و انسداد وجوه الحيلة و قد تقدم أول النساء أنها - لا بقيد ترتيب - تدور تقاليبها الثمانية على الارتفاع و يلزمه الزيادة و الميل ، و منه تأتى الحاجة . و برهن على ذلك فى جميع الجزئيات .

و لما كان ذلك موضع تعجب يكون سببا لأن يقال : من أين يكون ذلك الغنى؟ أجاب بقوله : ﴿ قاتلوا ﴾ أى أهل الأموال و الغنى ﴿ الذين لا يؤمنون بالله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال إيمانا هو على ما[2] أخبرت[3] به عنه رسله ، و لو آمنوا هذا الإيمان ما كذبوا رسولا من الرسل ، و أيضا فالنصارى مثلثة و بعض اليهود مثنية[4] ﴿ و لا باليوم الآخر ﴾ أى كذلك ، و أقل ذلك أنهم لا يقولون[5] بحشر الأجساد[6] ﴿ و لا يحرمون ما حرم الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله ﴿ و رسوله ﴾ أى من الشرك و أكل الأموال بالباطل و غير ذلك و تبديل التوراة و الإنجيل ﴿ و لا يدينون ﴾ أى يفعلون و يقيمون ، اشتق من الدين فعلا ثم أضافه[7] إلى صفته إغراقا فى اتخاذه[8] بذلك الوصف فقال : ﴿ دين الحق ﴾ أى الذى أخذت عليهم رسلهم[9] العهود و المواثيق باتباعه ، ثم بين الموصول مع صلته فقال : ﴿ من الذين ﴾ و دل على استهانته سبحانه بهم و براءته

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : اخبر (٤) من ظ ، و فى الأصل : متيه - كذا (٥) فى ظ : لا يقولوا (٦) فى ظ : الأجسام (٧) فى ظ : اضافته (٨) من ظ ، و فى الأصل : ايجاره (٩) فى ظ : رسله .

منهم

منهم بأن بنى للمفعول قوله : ﴿ اوتوا الكتب ﴾ أى من اليهود و النصارى و من ألحق بهم ﴿ حتى يعطوا الجزية ﴾ أى و هى ما قرر عليهم فى نظر سكناهم فى بلاد الإسلام آمنين ، فعله من جزى يجزى - إذا قضى ما عليه ﴿ عن يد ﴾ أى قاهرة إن كانت يد الآخذ أو مقهورة إن كانت يد المعطى ، من قولهم : فلان أعطى بيده ﴿ و هم صغرون ﴾ فى ذلك غنى لا يشبه ما كنتم فيه من قتال بعضكم[1] لبعض لتغنم ما فى يده من ذلك المال الحقير و لا ما كنتم تعدونه غنى من المتاجر التى لا يبلغ أكبرها و[2] أصغرها ما أرشدناكم إليه مع ما فى ذلك من العز الممكن من الإصلاح و الطاعة و سترون ، و عبر باليد عن السطوة التى ينشأ عنها الذل و القهر لأنها الآلة الباطشة ، فالمعنى عن يد قاهرة لهم ، أى عن قهر منكم لهم و سطوة بأفعالكم التى أصغرتهم[3] عظمتها و أذلتهم شدتها ، قال أبو عبيدة : يقال لكل من أعطى شيئا كرها عن غير طيب نفس : أعطاه عن يد - انتهى . و عبر بـ " عن " التى هى للمجاوزة لأن الإعطاء لا يكون إلا بعد البطش المذل ، هذا إذا أريد باليد [يد -[4]] الآخذ ، و يمكن أن يراد / بها يد المعطى ، و تكون كناية عن النفس لأن مقصود الجزية المال ، و اليد أعظم أسبابه ، فالمعنى حتى يعطى كل واحد منهم الجزية عن نفسه . / ٤٨٧

و لما كان المراد التعميم أتى بها نكرة لتفيد ذلك ، و يؤيد هذا ما نقل العلماء عن الرواة لفتوح البلاد منهم الحافظ أبو الربيع ابن سالم الكلاعى ، قال فى كتابه الاكتفاء فى وقعة جلولاء من بلاد فارس :

(١) فى ظ : بعضهم (٢) سقط من ظ (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فحذفناها (٤) زيد من ظ .

قالوا : قال بعضهم : فكان الفلاحون للطرق و الجسور و الأسواق و الحرث و الدلالة مع الجزى عن أيديهم على قدر طاقتهم ، و كانت الدهاقين للجزية عن أيديهم و العمارة ، و إنما أخذوا الجزية من المجوس لأن النبي صلى الله عليه و سلم أخذها من مجوس هجر و أخذها منهم لأنهم أهل كتاب فى الأصل ، قال الشافعى فى باب المجمل و المفسر من كتاب اختلاف الحديث : و المجوس أهل كتاب غير التوراة و الإنجيل و قد نسوا كتابهم و بدلوه ، فأذن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى أخذ الجزية منهم ؛ أخبرنا سفيان عن أبى سعد سعيد بن مرزبان عن نصر بن عاصم قال : قال فروة بن نوفل الأشجعى : علام تؤخذ[1] الجزية من المجوس و ليسوا بأهل كتاب ؟ فقام إليه المستورد فأخذ بلبيه[2] فقال : يا عدو الله ! تطعن على أبى بكر و على عمر و على أمير المؤمنين - يعنى عليا - و قد أخذوا منهم الجزية ، فذهب به إلى القصر فخرج على رضى الله عنه عليها[3] فقال : البدا ! البدا ! فجلسا فى ظل القصر فقال على : أنا أعلم الناس بالمجوس ، كان لهم علم يعلمونه وكتاب يدرسونه ، و إن ملكهم سكر فوقع على ابنته أو أخته فاطلع عليه بعض أهل[4] مملكته ، فلما صحا جاؤا يقيمون عليه الحد فامتنع عليهم فدعا أهل مملكته فقال : تعلمون دينا

(١) فى الأصل : يؤخذ ، و التصحيح من ظ و سنن البيهقى - باب المجوس أهل كتاب من كتاب الجزية ، و ساق هذا الحديث هناك بتمامه عن نفس الطريق الذى هنا . و ساق بعضه فى مجمع الزوائد ٦ / ١٢ (٢) من السنن ، و فى الأصل : بلبيه ، و فى ظ : بتلبيه (٣) فى ظ : عليها (٤) سقط من ظ .

خيرا من دين آدم و قد كان آدم ينكح بنيه من بناته ، فأنا على دين آدم ، فبايعوه و قاتلوا الذين خالفوهم حتى قتلوهم فأصبحوا و قد أسرى[1] على كتابهم فرفع من بين أظهرهم و ذهب العلم الذى فى صدورهم ، و هم أهل كتاب[2] و قد أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم و أبو بكر و عمر رضى الله عنهما منهم الجزية . و لما أمر بقتالهم [3] و وصفهم بما هو السبب ٥ الباعث على ذلك ، عطف عليه بعض أقوالهم المبيحة لقتالهم[3] الموجبة لنكالهم فقال : ﴿ و قالت ﴾ أى قاتلوا أهل الكتاب لأنهم كفروا بما وصفناهم به و قالت ﴿ اليهود ﴾ منهم كذبا و بهتانا ﴿ عزير ﴾ [تنوينُ عاصم و الكسائى له موضحٌ لكونه مبتدأ ، و الباقون منعوه نظرا إلى عجمته مع العلمية و ليس فيه تصغير ، و الخبر فى القراءة قولهم -[4]] : ١٠ ﴿ ابن الله ﴾ أى الذى له العلو المطلق فليس كمثله شىء ، و عزير هذا هو المسمى عندهم فى سفر الأنبياء[5] ملاخيا ، و يسمى ايضا العازر و هو الأصل و العزير تعريبه ، و أما الذى جمع لهم هذه التوراة التى بين أيديهم فقال السموأل بن يحيى المغربى الذى كان يهوديا فأسلم : إنه شخص آخر اسمه عزرا ، و إنه ليس بنبى - ذكر ذلك فى ١٥ كتابه غاية المقصود فى الرد على النصارى و اليهود ، و هو كتاب حسن جدا ، وكان السموأل هذا مع تمكنه من المعرفة بشريعة اليهود و أخبارهم متمكنا من علوم الهندسة و غيرها ، و كان فصيحا بليغا

(١) فى ظ : رفع (٢) من ظ والسنن ، وفى الأصل : الكتاب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) وهو آخر الأسفار القديمة .

و كان حسن[1] الإسلام يضرب المثل بعقله، و رأيت اليهود فى غاية النكاية منه، وأرانى بعضهم رسالة إليه لبعض أحبارهم يسفه فيها رأيه فى إسلامه و يشبه عليه بأشياء خطابية و شعرية، فأجابه بجواب بديع افتتحه بقوله تعالى: "سيقول السفهاء من الناس ما ولّيهم عن قبلتهم التى كانوا عليها[2]" ثم رد كلامه أحسن رد ثم قال[3] له ما حاصله: دع عنك مثل هذه الخرافات، و أجب عن الأمور التى ألزمتكم بها فى كتاب غاية المقصود، فما أحار[4] جوابا، ثم القائل لهذا القول منهم روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنهم أربعة، و قيل: قائله واحد و أسند إلى الكل كما يقال: فلان يركب الخيول و قد لا يكون له إلا فرس واحد[5]، و هو كقوله تعالى "الذين قال لهم الناس[6]" - الآية، و قيل: كان فاشيا فيهم / فلما عابهم[7] الله به تركوه و هم الآن ينكرونه، و الله تعالى أصدق حديثا ﴿و قالت النصرى﴾ أى منهم إفكا و عدوانا ﴿المسيح﴾ [و أخبروا عنه بقولهم - [8]]: ﴿ابن الله[9]﴾ [أى - [8]] مع[9] أن له الغنى المطلق و الكمال الأعظم، و المسيح هذا[10] هو ابن مريم بنت عمران؛ ثم استأنف قوله مترجما قولى[11] فريقيهم: ﴿ذلك﴾ أى القول البعيد من العقول المكذب للنقول ﴿قولهم بافواههم ج﴾ أى حقيقة لم يحتشموا[12] من قوله مع

٤٨٨ /

(١) فى ظ: احسن (٢) سورة ٢ آية ١٤٢ (٣) فى ظ: قاله (٤) فى ظ: اجاد.
(٥) من ظ، و فى الأصل: واحده (٦) سورة ٣ آية ١٧٣ (٧) فى ظ: اعابهم.
(٨) زيد من ظ (٩) سقط من ظ (١٠) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ فحذفناها (١١) فى ظ: قول (١٢) من ظ، و فى الأصل: لم يحتشموا.

سخافته ، و هو مع ذلك قول لا تجاوز[1] حقيقته الأفواه إلى العقول لأنه لا يتصوره عاقل ، بل هو قول مهمل كأصوات الحيوانات العجم لا يتحقق له معنى ؛ قال : و معناه الحال أن قائله لا عقل له ، ليس له معنى وراء ذلك ، و لبعده عن أن يكون مقصودا لعاقل عبر فيه بالأفواه التى هى أبعد من الألسنة[2] إلى القلوب . ٥

و لما كان كأنه قيل : فما لهم إذا كان هذا حالهم[3] قالوه ؟ قال ما حاصله : إنهم قوم مطبوعون على التشبه بمن يفعل المفاسد كما أنهم[4] تشبهوا بعبدة الأوثان ، فعبدوها غير مرة و الأنبياء بين أظهرهم يدعونهم إلى الله وكتابهم ينادى بمثل ذلك و ينذرهم أشد الإنذار ﴿ يضاهؤن ﴾ أى حال كونهم يشابهون بقولهم هذا ﴿ قول الذين كفروا ﴾ أى بمثله ١٠ و هم العرب حيث قالوا : الملائكة بنات الله ، كما أنهم لما رأوا الذين يعكفون على أصنام لهم قالوا : "يموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة" .

و لما كان لا يمتنع أن يكون الذين شابهوهم إنما كانوا بعدهم أو فى زمانهم من قبل أن يبين فساد قولهم ، نفى ذلك بقوله مشيرا بحرف الجر إلى أن كفرهم لم يستغرق زمن القبل : ﴿ من قبل[5] ﴾ أى من قبل أن ١٥ يحدث منهم هذا القول ، و هذا دليل على أن العرب غيروا دين إسماعيل عليه السلام ، اجترأوا[6] على مثل هذا القول قبل إيقاع بخت نصر باليهود

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا يجاوز (٢) فى ظ : السن (٣) من ظ ، و فى الأصل : حاله (٤) من ظ ، و فى الأصل : انتم (٥) فى ظ : اغتروا .

أو فى حدوده ، و ليس ذلك ببعيد مع طول الزمان و إغواء الشيطان ، فقد كان بين[1] زمان إبراهيم و عزير عليهما السلام نحو ألف و خمسمائة سنة - هذا على ما ذكره بعض علماء أهل الكتاب عن كتبهم و أيده ما ذكره المسعودى من مروج الذهب فى تاريخ ملوك بابل من نمرود إلى بخت نصر : و ذكر بعض المؤرخين أن بين الزمنين زيادة على ألفى سنة على أنهم قد نقلوا ما هو صريح فى كفر العرب فى ذلك الزمان فرووا عن هشام ابن الكلبى أنه قال[2] : كان بدء نزول العرب إلى أرض العراق أن الله عز و جل أوحى إلى برخيا من ولد يهودا أن ائت بخت نصر فمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق[3] لبيوتهم و يطأ بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلتهم و يسبى ذراريهم و يستبيح أموالهم و أعلمه بكفرهم بى و[4] اتخاذهم الآلهة[5] دونى و تكذيبهم أنبيائى و رسلى ، و عن غير ابن الكلبى أنه نظم ما بين أيلة و الإيلة خيلا و رجالا ثم دخلوا على العرب فاستعرضوا كل ذى روح قدروا عليه[2] ، و أوصى الله برخيا و إرميا بمعد بن عدنان الذى من ولده محمد المختوم به النبوة ، و كان ذكر مشابهتهم لأهل الشرك تحقيرا لشأنهم تجرئة على الإقدام عليهم إذ[5] جعلهم مشابهين لمن دربوا قتالهم و ضربوا[6] عليهم فأذلوهم بعد أن كانوا فى عزة لا يخشون زوالها ، وعزائم شديدة لا يخافون

(١) من ظ ، و فى الأصل : قبل (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : اغلاف (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : ايجادهم الالهية (٥) من ظ ، و فى الأصل : او (٦) من ظ ، و فى الأصل : ضروا .

انحلالها ، كل ذلك بطاعة الله فى قتالهم و طلب[1] مرضاته بنزالهم لأنه عليهم ، و من كان عليه لم يفلح[2] ، و إلى مثل ذلك إشارة بقوله فى حق هؤلاء : ﴿ قتلهم الله ج ﴾ أى أهلكهم الملك الأعظم ، لأن[3] من قاتله لم ينج منه ، و قيل : لعنهم ؛ روى عن ابن عباس قال : و كل شىء فى القرآن مثله فهو لعن ﴿ انى يؤفكون ه ﴾ أى كيف و من أين يصرفون عن الحق مع قيام الأدلة القاطعة عليه ، ثم زادهم جرأة عليهم بالإشارة إلى ضعف مستندهم[4] حيث كان مخلوقا مثلهم بقوله : ﴿ اتخذوا ﴾ أى كلفوا / أنفسهم العدول عن الله القادر على كل شىء و أخذوا ﴿ احبارهم ﴾ / ٤٨٩ أى من علماء اليهود ، و الحبر فى الأصل العالم من أىّ طائفة كان ﴿ و رهبانهم ﴾ [أى -[5]] من زهاد النصارى ، و الراهب فى الأصل من تمكنت الرهبة فى قلبه فظهرت آثارها على وجهه و لباسه ، فاختص فى العرف بعلماء النصارى أصحاب الصوامع ﴿ اربابا ﴾ أى آلهة لكونهم يفعلون ما يختص به الرب من تحريم ما حرموا و تحليل ما حللوا[6] ، و أشار إلى سفول أمرهم بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى الحائز لجميع صفات الجلال ، فكانوا يعولون عليهم و يسندون أمرهم إليهم حتى أن كانوا ليتبعونهم [7]فى الحلال و الحرام[7] ﴿ و المسيح ﴾ أى المبارك الذى هو أهل لأن يمسح بدهن القدس و أن يمسح غيره ﴿ ابن مريم ج ﴾ أى

(١) فى ظ : صلت (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا يفلح (٣) فى ظ : لا (٤) فى ظ : مسندهم (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : احلوا (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

اتخذوه كذلك لكونهم جعلوه ابنا فأهلوه[1] للعبادة بذلك[2] مع كونه ابن امرأة، فهو لا يصلح للالهية بوجه لمشاركته للآدميين فى الحمل و الولادة[3] و التربية و الأكل و الشرب و غير ذلك من أحوال البشر الموجبة للحاجة المنافية للالهية، و مع تصريحه لهم بأنه[4] عبد الله و رسوله، فتطابق العقل ٥ و النقل على أنه ليس باله.

و لما قبح عليهم ما اختاروه لأنفسهم، قبحه عليهم من جهة مخالفته لأمره تعالى فقال: ﴿ و ما ﴾ أى فعلوا ذلك و الحال أنهم ما ﴿ امروا ﴾ أى من كل من له الأمر من أدلة العقل و النقل ﴿ الا ليعبدوا ﴾ أى ليطيعوا على وجه التعبد ﴿ الها واحدا ج ﴾ أى لا يقبل القسمة بوجه ١٠ لا بالذات و لا بالمماثلة، و ذلك معنى وصفه بأنه ﴿ لآ اله الا هو ط ﴾ أى لا يصلح[5] أن يكون معه إله آخر، فلما تعين ذلك فى الله و كانت[6] رتبته زائدة البعد عما أشركوا به، نزهه بقوله: ﴿ سبحنه ﴾ أى بعدت رتبته و علت ﴿ عما يشركون ۝ ﴾ فى كونه معبودا أو مشرعا؛ ذكر أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستى القاضى فى تفسيره و غيره عن عدى بن حاتم ١٥ رضى الله عنه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى عنقى صليب من ذهب فقال: اقطعه، فقطعته ثم أتيته وهو يقرأ سورة براءة "اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله و المسيح ابن مريم و ما امروا الاليعبدوا الها واحدا لا اله الاهو سبحانه عما يشركون" قلت: يا رسول الله!

(١) فى ظ: فاهللوه (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: الولاية (٤) فى ظ: بان.
(٥) فى ظ: لا يصح (٦) فى ظ: كان.

إنا

إنا لم نكن نعبدهم ! قال : أجل . أليس كانوا يحلون لكم ما حرم الله فتستحلونه و يحرمون عليكم ما أحل الله فتحرمونه ؟ قلت : بلى ، قال : تلك عبادتهم[1] .

و لما وهى سبحانه أمرهم من جهة استنادهم[2] ، زاده توهية من جهة مرادهم بالإعلام بأنهم بقتالهم لأهل الطاعة [إنما -[3]] يقاتلون الله ٥ و أنه لا ينفذ غرضهم بل [يريد غير ما -[3]] يريدون ، و من المقرر أنه لا يكون إلا ما يريد ، فقال مستأنفا أو معللا لما مضى من أقوالهم و أفعالهم : ﴿ يريدون ان يطفؤا ﴾ أى بما مضى ذكره من أحوالهم ﴿ نور الله ﴾ أى دين الملك الأعلى الذى له الإحاطة العظمى ، و شرعه الذى شرعه لعباده على ألسنة الأنبياء و الرسل ، كل ذلك ليتمكنوا من العمل ١٠ بالأغراض و الأهوية ، فان اتباع الرسل حاسم للشهوات ، وهم أبعد الناس عن ذلك .

و لما حقر شأنهم ، هدمه بالكلية بقوله : ﴿ بافواههم ﴾ أى بقول خال عن شيء يثبته أو يمضيه و ينفذه ، و فى تسمية دينه نورا و معاندتهم إطفاء بالأفواه تمثيل لحالهم بحال من يريد إطفاء نور الشمس بنفخه ١٥ ﴿ و يابى ﴾ أى و الحال أنه يفعل فعل الأبىّ و هو أنه لا يرضى ﴿ الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة و العز و نفوذ الكلمة ﴿ الآان يتم نوره ﴾ أى لا يقتصر على مجرد إشراقه ، بل وعد - و قوله الحق - بأنه لا بد من إكماله

(١) و قد أورده الطبرى فى جامعه حول تفسير هذه الآية (٢) فى ظ : اسنادهم.
(٣) زيد من ظ .

و إطفائه لكل ما عداه و إحراقه . و لما فى "يأبى" من معنى الجحد دخل عليه الاستثناء ، أى إنه يأبى كل حالة إلا حالة إتمامه نوره على التجدد و الاستمرار ﴿ و لو كره الكفرون ﴾ أى العريقون[1] فى الكفر فكيف بغيرهم .

٥ و لما أخبر أنه معل لقوله و مكمل ، و مبطل لقولهم[2] و مسفل ، علل ذلك بما حاصله أنه شأن الملوك . و هو أنهم إذا برز لهم أمر شىء[3] لم يرضوا أن يرده أحد فان ذلك روح الملك الذى لا يجازى الطاعن فيه / إلا بالهلاك[4] فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى ارسل رسوله ﴾ أى / ٤٩٠ محمدا صلى الله عليه و سلم ﴿ بالهدى ﴾ أى البيان الشافى[5] بالمعجزات القولية ١٠ و الفعلية ﴿ و دين الحق ﴾ أى الكامل فى بيانه و ثباته كالا ظاهرا لكل[6] عاقل ؛ ثم زادهم جرأة على العدو بقوله معللا لإرساله : ﴿ ليظهره ﴾ أى الرسول صلى الله عليه و سلم [و الدين - أدام الله ظهوره -[7]] ﴿ على الدين كله[8] ﴾ و ساق ذلك كله مساق الجواب لمن كأنه قال : كيف نقاتلهم و هم فى الكثرة و القوه على ما لا يخفى ؟ فقال : لم لا تقاتلونهم[9] ١٥ و أنتم لا تعتمدون على أحد غير من كل شىء تحت[10] قهره ، و هم إنما يعتمدون على مخاليق مثلكم ، كيف لا تجسرون عليهم و هم فى قتالكم[11] إنما يقاتلون

(١) فى ظ : العريقين (٢) من ظ ، و فى الأصل : لقوله (٣) فى ظ : بشىء (٤) فى ظ : بالهلاك (٥) فى ظ : الشافعى (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) زيد قبله « اى » و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٩) من ظ ، و فى الأصل : لا تقاتلوهم . (١٠) من ظ ، و فى الأصل : تجب (١١) فى ظ : قتالهم .

ربهم الذى أنتم فى طاعته ؟ أم كيف لا تصادمونهم و هو الذى أمركم بقتالهم لينصركم و يظهر آياته ؟ و لعل الختم بقوله : ﴿ و لو كره المشركون ﴾ أبلغ لأن الكفر قد لا يكون فيه عناد ، و الشرك مبناه على العناد باتخاذ الأنداد ، أى لابد من نصركم خالف من خالف مجرد مخالفة أو ضم [إلى - [1]] ذلك العناد بالاستعانة بمن[2] أراد . ٥

و لما حقر أمرهم بتقسيم اعتمادهم على رؤسائهم ، و حالهم معروف فى أنه لا نفع عندهم و لا ضر ، و أعلى أمر أهل الله باجتماعهم عليه و هو القادر على كل شىء ، و كان الإقبال على الدنيا أعظم أمارة على الخذلان و لو أنه بحق فكيف إذا[3] كان بالباطل ! أقبل سبحانه و عز شأنه على أهل وده مستعطفا متلطفا مناديا باسم الإيمان الذى بنى أمره فى أول هذا ١٠ الكتاب على الإنفاق لا على التحصيل و لو كان بحق . فكيف إذا[4] كان بباطل ، و يؤتون الزكاة و مما رزقناهم ينفقون ، منبها على سفه من ترك من لا يسأله على بذل الهدى و الدعوة إلى دين الحق أجرا و هو سفير محض لا ينطق عن الهوى ، و لم يعتقده رسولا و اتخذ مربوبا مثله و هو يأخذ ماله بالباطل ربوا ، و ذلك مقتض لتحقيرهم[5] لا لمطلق ١٥ تعظيمهم فضلا عن الرتبة التى أنزلوهم بها و أهلوهم لها مع الترفع عليهم لقصد أكل أموالهم بالباطل فقال : ﴿ يآ يها الذين آمنوآ ﴾ أى أقروا بإيمان داعيهم من التكذيب و مما يؤل إليه ﴿ ان كثيرا من الاحبار ﴾

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بما (٣) من ظ ، و فى الأصل : اذ (٤) فى ظ : ان .
(٥) فى ظ : لتحقير .

أى من علماء اليهود ﴿ و الرهبان ﴾ أى من زهاد النصارى ﴿ليأكلون﴾ أى يتناولون ، و لكنه عبر به لأنه معظم المراد من المال ، و إشارة إلى تحقير الأحبار و الرهبان بأنهم يفعلون ما ينافى مقامهم الذى أقاموا أنفسهم فيه ﴿ اموال الناس بالباطل ﴾ أى بأخذها بالرشى و أنواع التصيد [باظهار-[1]] الزهد و المبالغة فى التدين المستجلب لها بالنذور و نحوها فيكنزونها و لا ينفقونها فى سبيل الله من أتاهم بها بالإقبال بقلوب عباده إليهم .

و لما أخبر عن إقبالهم على[2] الدنيا ، أتبعه الإخبار عن إعراضهم عن الآخرة فقال : ﴿ و يصدون ﴾ أى يحتالون فى صرف من يأتيهم بتلك الأموال و غيرهم ﴿ عن سبيل الله[3] ﴾ أى دين الملك الذى له الأمر[3] كله بابعادهم عنه باخفاء الآيات الدالة عليه عنهم خوفا على انقطاع دنياهم بزوال رئاستهم لو أقبل أولئك على الحق .

و لما كان أكثرهم يكنزون تلك الأموال ، شرع سبحانه يهدد على مطلق الكنز ، ففهم من[4] باب الأولى الصد الذى هو سبب الجمع الذى هو سبب الكنز فقال : ﴿ و الذين ﴾ أى يفعلون ذلك و الحال أنهم يعلمون أن الذين ﴿ يكنزون ﴾ أى يجمعون تحت الأرض أو فوقها من قولهم للمجتمع اللحم : مكتنز ﴿ الذهب و الفضة ﴾ أى منهم و من غيرهم من غير تزكية .

و لما كان من المعلوم أنهما[5] أجل مال الناس ، و كان[6] الكنز دالا

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : عن (٣) فى ظ : الاكرام (٤) من ظ ، و فى الأصل : منه (٥) فى ظ : انها (٦) زيد فى ظ : مال .

على المكاثرة فيهما ، أعاد الضمير عليهما [1]بما يدل[1] على الانواع الكثيرة فقال : ﴿ ولا ينفقونها ﴾ أى ينفقون ما وجب عليهم من هذه الأموال التى جمعوها من هذين النوعين مجتمعين أو منفردين ، ولو ثنى لأوهم أن اجتماعها شرط للترهيب[2] ، وإنما أعاد الضمير عليها من غير ذكر ' من ' - وهى مرادة - لمزيد الترغيب فى الإنفاق والترهيب من تركه . ويجوز ٥ أن يعود / الضمير إلى الفضة لأن الذم على كنزها ، والحاجة إليها لكثرتها ٤٩١/ أقل ، فالذم على كنز الذهب من باب الأولى لأنه أعلى منها وأعز بخلاف الذم على كنز الذهب ؛ وقال الحرالى فى آل عمران : فأوقع الإنفاق عليهما[3] ولم يخصه من حيث لم يكن ، ولا[4] ينفقون منهما[5] كما قال فى المواشى " خذ من اموالهم " لأن هذين الجوهرين خواتم ينال ١٠ بها أهل الدنيا منافعهم وقد صرف عنهم الانتفاع بهما فلم يكن لوجودهما فائدة إلا بانفاقهما لأنهما صنما هذه الأمة ، فكان كسرهما باذهابهما - انتهى . ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الوجه الذى أمر[6] الملك الأعلى[6] بانفاقها فيه ﴿ فبشرهم ﴾ أى نقول فيهم بسبب ذلك تهكما بهم : بشرهم ﴿ بعذاب اليم ﴾ عوضا عما أرادوا بهما من السرور بانجاح المقاصد . ١٥

ولما كان السياق دالا دلالة واضحة على أن[7] هذا العذاب يحصل لهم ويقع بهم ، فنصب بذلك قوله : ﴿ يوم يحمى ﴾ أى يحصل الإحماء وهو الإيقاد الشديد ﴿ عليها ﴾ أى الأموال التى جمعوها ﴿ فى نار جهنم ﴾

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : ليدل (٢) من ظ ، وفى الأصل : الترغيب (٣) فى الأصل : عليها (٤) فى ظ : لم (٥) فى الأصل وظ : منها (٦-٦) فى ظ : الله .
(٧) سقط من ظ .

أى[1] التى لا يقاربها[2] ناركم ، و تلق داخلها بالتجهم و العبوسة كما كان يلق بذلك الفقراء و غيرهم من أهل الله لاسيما من منعه ما يجب له من النفقة ﴿ فتكوى بها ﴾ أى بهذه الأموال ﴿ جباههم ﴾ التى هى أشرف أعضائهم لأنها مجمع الوجوه و الرؤس و موضع الجاه الذى يجمع المال لأجله لتعبيسهم[3] بها فى وجوه الفقراء ﴿ و جنوبهم ﴾ التى يحوونه[4] لمثها بالمآكل[5] المشتهاة و المشارب المستلذة و لازورارهم بها عن الفقراء ﴿ و ظهورهم ط ﴾ التى يحوونه[6] لتقويتها و تحميلها بالملابس و تجليتها و لتوليتهم[7] إياها إذا اجتمعوا مع الفقراء فى مكان ، ثم يقال لهم : ﴿ هذا ما كنزتم ﴾ و أشار إلى الحامل على الجمع المنافى للعقل[8] بقوله : ﴿ لانفسكم ﴾ أى لتنافسوا به و تلتذوا[9] فلم تنفقوه فيما أمر الله ﴿ فذوقوا ما ﴾ أى وبال و عذاب [ما - [10]] ﴿ كنتم تكنزون ۝ ﴾ أى تجددون[11] جمعه على سبيل الاستمرار حريصين عليه ، و أشار بفعل الكون إلى أنهم مجبولون على ذلك؛ روى البخارى فى التفسير عن زيد بن وهب قال : مررت على أبى ذر رضى الله عنه بالربذة [قلت : ما أنزلك بهذه الأرض - [12]] قال : كنا بالشام فقرأت " و الذين يكنزون الذهب و الفضة " - الآية ، قال

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لا تقاربها (٣) من ظ ، و فى الأصل : لتعبيتهم ، و زيدت الواو قبله فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٤) من ظ ، و فى الأصل : تجرونه - كذا (٥) فى ظ : بالا كل (٦) من ظ ، و فى الأصل : تحوونه. (٧) من ظ ؛ و فى الأصل : تسويتهم (٨) من ظ ، و فى الأصل : للفعل (٩) فى ظ : تلذذوا (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : تجدون (١٢) زيد من الصحيح .

معاوية : ما هذه فينا ، ما هذه إلا فى أهل الكتاب ! قلت : إنها لفينا و فيهم ؛ و روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال ، يعنى فما أعطى صاحبه ما وجب عليه فيه فليس بكنز .

و لما تقدم كثير مما ينبنى على التاريخ : الحج فى غير موضع ٥ و الأشهر و إتمام [عهد - [1]] من له مدة إلى مدته و الزكاة و الجزية ، و ختم ذلك بالكنز الذى[2] لا يطلق شرعا إلا على ما لم تؤد زكاته ، و كان مشركو العرب - الذين تقدم الأمر بالبراءة منهم و التأذين[3] بهذه الآيات يوم الحج الأكبر فيهم - قد أحدثوا فى الأشهر - بالنسىء الذى أمروا أن[4] ينادوا فى الحج بابطاله - ما غير السنين[5] عن موضوعها الذى[6] ١٠ وضعها الله عليه ، فضاهوا به فعل أهل الكتاب بالتدين بتحليل أكابرهم و تحريمهم كما ضاهى أولئك قول أهل الشرك فى البنوة و الأبوة ، قال تعالى : ﴿ ان عدة الشهور ﴾ أى منتهى عدد شهور السنة ﴿ عند الله ﴾ أى فى حكم و علم الذى خلق الزمان وحده و هو الإله وحده فلا أمر لأحد معه ﴿ اثنا[7] عشر شهرا ﴾ أى لا زيادة عليها و لا تغيير لها كما تفعلونه ١٥ فى النسىء ﴿ فى كتب الله ﴾ أى كلام الملك المحيط بكل[8] شىء قدرة و علما ، و حكمه[9] الذى هو بجمع الهدى ، فهو الحقيق بأن يكتب ،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التى (٣) زيد فى ظ : فى (٤) فى ظ : بان (٥) من ظ ، و فى الأصل : السنن (٦) من ظ ، و فى الأصل : التى (٧) فى ظ : اثنى (٨) من ظ ، و فى الأصل : كل (٩) فى ظ : حكمة .

و ليست الشهور ثلاثة عشر و لا أكثر كما كان يفعل من أمرتكم بالبراءة منهم كائنين من كانوا فى النسىء ﴿ يوم ﴾ أى كان ذلك و ثبت يوم ﴿خلق[1] السمٰوٰت و الارض﴾ أى اللذين[2] نشأ عنهما الزمان . و المعنى أن الحكم بذلك كان قبل أن يخلق[3] الزمان ﴿منها﴾ أى الشهور ﴿اربعة حرم﴾ أى بأعيانها لا بمجرد العدد ﴿ ذلك ﴾ [أى -[4]] الأمر العظيم و الحكم العالى الرتبة / فى الإتقان خاصة ﴿ الدين القيم ﴾ أى الذى لا عوج فيه و لا مدخل للعباد ، و إنما هو بتقدير الله تعالى للقمر ؛ روى البخارى عن أبى بكرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال - يعنى فى حجة الوداع - : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله[5] السماوات و الأرض ، السنة اثنا[6] عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات : ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم ، و رجب مضر الذى بين جمادى و شعبان . و لما بين الأمر سبب عنه قوله : ﴿ فلا تظلموا فيهن ﴾ أى الأشهر الحرم ﴿ انفسكم ﴾ أى بسبب إنساء بعضها و تحريم غيره مكانه لتوافقوا العدد - لا العين - اللازم عنه إخلال كل منها بايقاع الظلم فيه و تحريم كل من غيرها ، قال قتادة[7] : العمل الصالح و الفاسد فيها أعظم منه فى غيرها و إن كان ذلك فى نفسه عظيما فان الله تعالى لعظم من أمره ما شاء ؛ و قال أبو حيان[8] ما حاصله : إن العرب تعيد[9] الضمير على جمع الكثرة كالواحدة المؤنثة فلذا قال "منها

/ ٤٩٢

(١) زيد فى ظ : الله (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : يتخلق (٤) زيد من ظ .
(٥) سقط من الصحيح - التفسير (٦) من الصحيح ، و فى الأصل و ظ : اثنى .
(٧) راجع لباب التأويل ٣ / ٧٤ (٨) راجع البحر المحيط ٥ / ٣٨ و ٣٩ (٩) من ظ ، و فى الأصل : يعيد .

اربعة " أى من الشهور[1]، و على جمع القلة [لما لا يعقل -[2]] بنون جمع المؤنث فلذا قال " فلا تظلموا فيهن " أى فى الأربعة .

و لما كان إنساؤهم إنما هو لتحل لهم المقاتلة على زعمهم قال : ﴿و قاتلوا المشركين كآفة ﴾ أى كلكم فى ذلك سواء فى الائتلاف و اجتماع الكلمة ﴿ كما يقاتلونكم كآفة ط﴾ أى كلهم فى ذلك سواء ، و ذلك الحكم فى جميع السنة ، لا أنهاكم عن قتالهم فى شهر منها ، فأنتم لا تحتاجون إلى تغيير حكمى فيها لقتال و لا غيره إن اتقيتم الله ، فلا تخافوهم و إن زادت جموعهم و تضاعفت قواهم لأن الله يكون[3] معكم ﴿ واعلموآ ان الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة معكم ، هكذا كان الأصل و لكنه أظهر الوصف تعليقا للحكم به و تعميما فقال : ﴿مع المتقين ۝﴾ أى جميعهم ، و هم الذين يثبتون تقواهم على ما شرعه لهم ، لا على النسىء و نحوه[4] ، و من كان الله معه نصر لا محالة .

و لما فهم من هذا إبطال النسىء لأنه فعل أهل الجاهلية فلا تقوى فيه ، كان كأنه قيل : أ فما فى النسىء تقوى فان[5] سببه إنما هو الخوف من انتهاك حرمة الله بالقتال فى الشهر الذى حرمه ؟ و ذلك أنهم كانوا أصحاب غارات و حروب ، و كانوا يحترمون الأشهر الحرم عن القتال حتى لو رأى الإنسان قاتل أبيه[6] لا مانع منه لم يعرض له ، فكان إذا جاء الشهر الحرام و هم محاربون شق عليهم[7] تركه ، و كان يشق عليهم ترك

(١) من ظ ، و فى الأصل : الشهر (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : غيره (٥) فى ظ : فانه (٦) فى ظ : ابنه ، و راجع روح المعانى ٣/٣٠٣ .

ذلك ثلاثة أشهر متوالية ، فجعلوا النسيء لذلك، فقيل تصريحا[1] بما أفهمه ما مضى : ليس فيه شيء من ذلك : ﴿ انما النسيء ﴾ أى تأخير الشهر [إلى شهر -[2]] آخر على أنه مصدر نسأ نسيئا - إذا أخره ، أو هو اسم مفعول ، أى[3] الشهر الذى تؤخر العرب حرمته من الأشهر الحرم عن ٥ وقتها ﴿ زيادة فى الكفر ﴾ أى لأنه على خلاف ما شرعه الله ، و فيه ستر تحريم ما أظهر الله تحريمه .

و لما بين ما فى النسيء من القباحة[4]، تحرر أنهم وقعوا على ضد مرادهم فانهم كانوا لو قاتلوا فى الشهر الحرام قاتلوا و هم معتقدون الحرمة خائفون عاقبتها فكانوا [غير -[3]] خارجين عن دائرة التقوى بالكلية ، فاذا هم بتحليله ١٠ قد صاروا[5] خارجين عن[6] دائرتها بمراحل لارتكابهم فيه كل عظيمة مع الأمن لاعتقاد الحل بتحليل ذلك الذى اعتقدوه ربا ، فكان يقول : إنى لا أجاب[7] و لا أعاب ، و إنه لا مرد لقضائى ، و إنى حللت[8] المحرم و حرمت صفرا - إلى غير ذلك من الكلام الذى لا يليق إلا بالإله ؛ و ذلك معنى قوله تعالى بيانا لما قبله : ﴿ يضل به ﴾ أى بهذا التأخير الذى هو ١٥ النسيء ﴿ الذين كفروا ﴾ أى يحصل لهم بذلك ضلال عما شرعه الله -

(١) فى ظ : تصر - كذا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ فحذفناها لاستقامة العبارة (٥) زيد بعده فى الأصل : غير ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) زيد بعده فى الأصل : دائرة التقوى بالكلية ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) فى ظ : لا أحاب ، و فى بعض المراجع : لا أخاب (٨) فى ظ : احللت .

هذا على قراءة الجماعة و المعنى على قراءة حمزة و الكسائى و حفص - بالبناء للمفعول: يضلهم مضل من قبل الله، و على قراءة يعقوب - بالضم: يضلهم الله؛ ثم بين ضلالهم / بقوله: ﴿ يحلونه ﴾ أى ذلك الشهر، ٤٩٣ /
و عبر عن الحول بلفظ يدور على معنى السعة إشارة إلى أنهم يفعلونه و لو لم يضطرهم إلى ذلك جدب سنة و لا عض زمان، بل بمجرد التشهى ٥
فقال: ﴿ عاما و يحرمونه عاما ﴾ هكذا دائما كلما أرادوا. و ليس المراد أنهم كل سنة يفعلون ذلك من غير [1]إجلال لسنة[1] من السنين، و هذا الفعل نسخ منهم مع أنهم يجعلون النسخ من معايب الدين ﴿ ليواطؤا ﴾ أى يوافقوا ﴿ عدة ما حرم الله ﴾ أى المحيط بالجلال و الإكرام فى كون الأشهر الحرم أربعة ﴿ فيحلوا ﴾ أى فيتسبب عن هذا الفعل أن يحلوا ١٠
﴿ ما حرم الله ﴾ أى الملك الأعظم منها كلها، فلا يدع لهم هذا الفعل شهرا إلا انتهكوا حرمته فأرادوا بذلك عدم انتهاك الحرمة فاذا هم لم يدعوا حرمة إلا انتهكوها، فما أبعده من ضلال!

و لما انهتكت[2] بهذا البيان قباحة فعلهم، كان [كأنه -[3]] قيل: إن هذا لعجب! ما حملهم على ذلك؟ فقيل: ﴿ زين ﴾ أى زين مزين، ١٥
و قرئ شاذا باسناد الفعل إلى الله ﴿ لهم سوء اعمالهم ﴾ أى حتى رأوا حسنا[4] ما ليس بالحسن فضلوا و لم يهتدوا، فعل الله بهم ذلك لما علم من طبعهم على الكفر فلم يهدهم ﴿ و الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ لا يهدى ﴾ أى يخلق الهداية فى القلوب ﴿ القوم الكفرين[5] ﴾ أى

(١ - ١) فى ظ: اخلال السنة (٢) فى الأصل و ظ: انتهكت (٣) زيد من ظ.
(٤) من ظ، و فى الأصل: حسانا (٥) فى ظ: الظالمين.

أى الذين طبعهم على[1] الكفر فهم عريقون فيه لا ينفكون عنه ؛ و النسىء - قال فى القاموس - : الاسم من نسأ الشىء [بمعنى -[2]] زجره و ساقه و أخره ، قال : و شهر كانت تؤخره العرب فى الجاهلية فنهى الله عز و جل عنه ؛ و قال ابن الأثير فى النهاية : و النسىء فعول بمعنى مفعول ، و قال ابن فارس فى المجمل : و النسىء فى كتاب الله التأخير ، و كانوا إذا صدروا عن منى يقوم رجل من كنانة فيقول : أنا الذى لا يرد لى قضاء ! فيقولون[3] : أنسئنا شهرا ، أى أخر عنا حرمة المحرم و اجعلها فى صفر - انتهى . و مادة نسأ تدور على التغريب[4] ، و سبب فعلهم هذا أنهم كانوا ربما أرادوا قتالا فى شهر حرام فيحلونه ، و يحرمون مكانه شهرا من أشهر الحل و يؤخرون ذلك الشهر ؛ قال ابن فارس : و ذلك أنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها ، لأن معاشهم فى الغارة فيحل لهم الكنانى المحرم - انتهى . و كان النسأة من بنى فقيم من كنانة ، و كان أول من فعل ذلك منهم القلمس[5] و هو حذيفة بن عبد بن فقيم ، و آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو ثمامة[6] جنادة بن عوف ابن أمية بن قلع[7] بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، نسأ أربعين سنة . كانت

(١) فى ظ : عن (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فيقول ، و راجع أيضا تاج العروس - مادة نسأ (٤) فى ظ : التغير (٥) من ظ و سيرة ابن هشام ١ / ١٦ ، و فى الأصل : العلمس - كذا (٦) من ظ و السيرة . و فى الأصل : امامة . (٧) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : بلع - كذا .

العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه[1]، فحرم الأشهر الحرم الأربعة، فاذا أرادوا أن يحل منها شيئا أحل المحرم فأحلوه، و حرم مكانه صفرا فحرموه، ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم، فاذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال: اللهم! إنى [قد -[2]] أحللت [لهم -[2]] أحد الصفرين الصفر الأول، و نسأت الآخر للعام المقبل - ذكر ذلك أهل السير، ٥ و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول من نسأ عمرو بن لحى.

[و -[3]] تحقيق معنى ما كانت العرب تفعله و اختلاف أسماء الشهور به حتى يوجب دوران السنين فلا تصادف[4] أسماء الشهور مسمياتها إلا الحين بعد الحين عسر قل من أتى فيه بما يتضح به قول النبى صلى الله عليه و سلم فى حجة الوداع كما مضى «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله ١٠ السماوات و الأرض» و ها أنا[5] أذكر فيه ما لا يبقى بعده لبس إن شاء الله تعالى، فمعنى قوله: و نسأت الآخر للعام المقبل، أنه إذا أحل المحرم و سماه صفرا ابتدأ السنة بعده بالمحرم ثم صفر إلى آخرها، / فيصير بين ٤٩٤ / صفر و ذى الحجة الذى وقع النسىء فيه شهران، و قد كان ينبغى أن يكون بينهما شهر واحد، فأخر هذا الذى ينبغى إلى العام المقبل.[6] فالمعنى: ١٥ و أخرت الصفر الآخر عن محله إلى العام المقبل فاذا جاء العام المقبل[6] انتهى تأخره، و إذا انتهى رجع إلى محله، و يمكن أن يتنزل على هذا قول أبى عبيد

(١) من ظ و السيرة، و فى الأصل: عليه (٢) زيد من السيرة (٣) زيد من ظ.
(٤) من ظ، و فى الأصل: فلا تصارف (٥) فى ظ: هنا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.

فى غريب الحديث ، قال بعد النصف من الجزء الثالث منه فى شرح الاستدارة : إن بدء ذلك - و الله أعلم - أن العرب كانت تحرم الشهور الأربعة ، وكان هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام ، فربما احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم ، فيكرهون أن يستحلوه و يكرهون تأخير[1] حربهم فيؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه و يستحلون المحرم ، و هذا هو النسىء الذى قال الله " انما النسىء " - الآية ، وكان ذلك فى كنانة ، هم الذين كانوا ينسأون الشهور على العرب ، و النسىء هو التأخير ، فكانوا يمكثون بذلك زمانا يحرمون صفرا و هم يريدون بذلك المحرم و يقولون : هو أحد الصفرين ، و قد تأول بعض الناس قول النبى صلى الله عليه و سلم « لا صفر » على هذا ، ثم يحتاجون أيضا إلى تأخير صفر إلى الشهر الذى بعده كحاجتهم[2] إلى تأخير المحرم فيؤخرون تحريمه إلى ربيع ، ثم يمكثون بذلك ما شاء الله ثم يحتاجون إلى مثله ثم كذلك ، فكذلك يتدافع شهر[3] بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها ، فقام الإسلام و قد رجع المحرم إلى موضعه الذى وضعه الله [به -[4]] ، و ذلك بعد دهر طويل ، فذلك قول النبى صلى الله عليه و سلم « إن الزمان قد استدار كهيئته[5] يوم خلق الله السماوات و الأرض » يقول : رجعت الأشهر الحرم إلى مواضعها و بطل النسىء ، و قد زعم بعض الناس أنهم كانوا

(١) من غريب الحديث ٢ / ١٥٨ ، و فى الأصل و ظ : تأخيرهم (٢) من ظ و الغريب ، و فى الأصل : لحاجتهم (٣) من الغريب ، و فى الأصل و ظ : شهرا . (٤) زيد من ظ و الغريب (٥) من ظ و الغريب ، و فى الأصل : لهيئته .

يستحلون المحرم عاما ، فاذا كان من قابل ردوه إلى تحريمه ، قال أبو عبيد : الأول أحب إلىّ لقول النبى صلى الله عليه و سلم « إن الزمان قد استدار » و ليس فى التفسير الأخير استدارة ، و على هذا التفسير الذى فسرناه قد يكون قوله " يحلونه عاما و يحرمونه عاما " مصدقا له لأنهم إذا حرموا العام المحرم و فى قابل صفرا ثم احتاجوا بعد ذلك إلى تحليل صفر أيضا ٥ أحلوه و حرموا الذى بعده ، فهذا تأويل قوله فى التفسير " يحلونه عاما و يحرمونه عاما " و قال أبو حيان فى النهر ما حاصله : كانت العرب لا عيش لأكثرها إلا من الغارات ، فيشق عليهم توالى الأشهر الحرم ، وكان[1] بنو فقيم أهل دين و تمسك بشرع إبراهيم عليه السلام ، فانتدب منهم القلمس[2] و هو حذيفة بن عبيد بن فقيم ، فنسأ[3] الشهور للعرب ، ١٠ ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم خلفه ابنه قلع ثم خلفه ابنه أمية ثم خلفه ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف و عليه قام الإسلام ، كانوا إذا فرغوا من حجهم جاء إليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا : أنسئنا شهرا ، فيحل المحرم ، ثم يلزمون حرمة صفر ليوافقوا عدة الأشهر الأربعة و يسمون ذلك الصفر المحرم و يسمون ربيعا الأول صفرا و ربيعا الآخر ١٥ ربيعا الأول - و هكذا سائر الشهور ، فيسقط على هذا حكم المحرم الذى حلل لهم ، و تجىء السنة من ثلاثة عشر شهرا أولها المحرم الذى هو فى الحقيقة صفر ؛ و قال البغوى : قال مجاهد : كانوا يحجون فى كل شهر عامين ،

(١) فى ظ : كانت (٢) من ظ و النهر - راجع البحر المحيط ٥/٣٧ ، وفى الأصل : القلمش (٣) من ظ و النهر ، و فى الأصل : نسأ .

فحجوا فى ذى الحجة عامين و حجوا فى المحرم عامين ثم حجوا فى صفر عامين و كذلك فى الشهور، فوافقت حجة أبى بكر السنة الثانية من ذى القعدة، ثم حج النبى صلى الله عليه و سلم فى العام المقبل حجة الوداع، فوافق حجه [1]شهر الحج[1] المشروع و هو ذو الحجة؛ و قال / عبد الرزاق[2] فى تفسيره: ٤٩٥ /

٥ أخبرنا معمر عن ابن[3] أبى نجيح عن مجاهد فى قوله "انما النسىء زيادة فى الكفر" قال: فرض الله الحج فى ذى الحجة، فكان المشركون يسمون الأشهر: ذو[4] الحجة و المحرم و صفر و ربيع و ربيع و جمادى و جمادى و رجب و شعبان و رمضان و شوال[3] و ذا القعدة و ذا الحجة، ثم يحجون فيه مرة أخرى، ثم يسكتون عن المحرم و لا يذكرونه، فيسمونه - أحسبه قال - المحرم[5] صفر، ثم يسمون رجب بجمادى الآخرة، ثم يسمون شعبان رمضان، و رمضان شوالا[6]، ثم يسمون ذا القعدة شوالا، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة، [7]ثم يسمون المحرم ذا الحجة ثم يحجون فيه، و اسمه عندهم ذو الحجة، ثم عادوا [8]كمثل هذه الصفة[8] فكانوا يحجون عامين فى كل شهر حتى وافق حجة أبى بكر الآخر[9] من العامين فى ذى القعدة، ثم حج النبى صلى الله عليه و سلم حجته التى حج، فوافق

(١-١) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٧٤، و فى الأصل: حج الشهر (٢) و حديثه هذا قد ساقه الطبرى بهذا الطريق فى تفسيره حول آية النسىء بيسير من الاختلاف (٣) سقط من ظ (٤) من الطبرى، و فى الأصل: ذا، و فى ظ: ذى (٥) فى تفسير الطبرى: صفر (٦) من الطبرى، و فى الأصل و ظ: شوال. (٧) العبارة من هنا إلى «فوافق ذلك ذا الحجة» ساقطة من ظ (٨-٨) فى تفسير الطبرى: بمثل هذه القصة (٩) من تفسير الطبرى، و فى الأصل و ظ: الآخرة.

ذلك

ذلك ذا الحجة ، فلذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم فى خطبته « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله[1] السماوات و الأرض » . و قال ابن إسحاق فى السيرة : سألت ابن أبى نجيح عن قول رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : كانت قريش يدخلون فى كل سنة شهرا ، و إنما كانوا يوافقون[2] ذا الحجة كل اثنتى[3] عشرة سنة مرة . فوفق الله عز و جل ٥ لرسول الله صلى الله عليه و سلم فى حجته التى حج ذا الحجة ، فحج فيها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض ، فقلت لابن أبى نجيح : فكيف بحجة أبى بكر و عتاب بن أسيد ؟ فقال : على[1] ما كان الناس يحجون عليه ، ثم قال ابن أبى نجيح : كانوا يحجون فى الحجة ثم العام المقبل فى المحرم ١٠ ثم صفر حتى[4] يبلغوا اثنى عشر شهرا ـ انتهى . و قوله هذا يوهم[1] أن فى حج أبى بكر و عتاب رضى الله عنهما اختلالا[5] ، و تقدم عن المهدوى و غيره[6] التصريح بأنه كان فى ذى القعدة ـ و فيه نظر ، لأن السنة التى حج فيها أبو بكر رضى الله عنه نودى فيها بتحريم النسىء و غيره من أمور الجاهلية ، فلاشك أنه لم يكن فى ذلك العام إنساء ، و لما مضى ١٥ من الشهر[7] الذى حج فيه عشرة أشهر ، و كان الحادى عشر و هو ذو القعدة ساو النبى صلى الله عليه و سلم فى أواخره إلى الحج موافيا لهلال

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : يوافقوا (٣) من ظ ، و فى الأصل : اثنى (٤) فى ظ : ثم (٥) فى ظ : اختلافا (٦) فى ظ : غيرى (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها .

ذى الحجة ، فلما وقف بعرفة أخبر أن الزمان قد استدار ، فعلم قطعا أن استدارته كانت فى حجة أبى بكر ، وكذا فى سنة ثمان وهى السنة التى حج فيها عتاب بالمسلمين ، وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم لم يكونوا يعتبرون حساب أهل الجاهلية لا نسأتهم ولا غير نسأتهم ، لأنه يلزم من القول بأنهم اعتبروا أمر النسأة أنهم اعتبروا ما هو زيادة فى الكفر ، وهذا ما لا يقوله ذو مسكة ، وقد تقدم النقل أن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله عنه إلى الحج فى أواخر[1] ذى القعدة أو بعد انقضائه من سنة تسع ، ووافاه العرب فى ذى الحجة : الكفارُ وغيرهم ، فوقع[2] إعلامهم ببراءة فى أيام الحج وأماكنه ، فلو كان حصل فى سنة عتاب اختلال فى [3]ذى القعدة[3] [بنسىء - [4]] لكان ذو الحجة بحساب الكفار وهو المحرم بحساب الإسلام ، فكان يتأخر مجىء الكفار للحج عن مجىء المسلمين ، فثبت بهذا أيضا أن حجه رضى الله عنه كان فى ذى الحجة ، فحفظ الله أهل الإسلام من أن يقع فى حجهم اختلال فى سنة من السنين ، وما هى بأول نعمة عليهم - والله الموفق ؛ وقال الإمام أبو العباس أحمد بن أبى أحمد المشهور بابن القاص[5] من أكابر متقدمى أصحاب الشافعى رحمه الله فى كتابه دلائل القبلة فى باب معرفة عدد أيام السنة : فالسنة اثنا عشر شهرا بالأهلة ، وربما كان الشهر ثلاثين وربما كان تسعا وعشرين ، فمبلغ السنة الهلالية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وثمانى

(١) من ظ ، وفى الأصل : اخر (٢) فى ظ : ووقع (٣ - ٣) فى ظ : العدد .
(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ووفيات الأعيان ١ / ٥١ ، وفى الأصل : القاضى .

ساعات و أربعة / أخماس ساعة ، و قالت الهند : السنة ثلاثمائة و خمسة[1] / ٤٩٦
و ستون يوما و ست ساعات و خمس ساعة و جزء من أربعمائة جزء من
ساعة ، و ذلك من دخول الشمس برأس[2] الحمل إلى أن تدخل فيه من
قابل ، ففضل ما بين السنة الهلالية و السنة الشمسية عشرة أيام و إحدى
و عشرون ساعة و خمسا ساعة ، فاذا زيدت عليها هذه الساعات و الأيام ٥
استقام حسابه مع دوران الشمس ، وكانت العرب تزيده فى الجاهلية ،
وكان الذى أبدع لهم ذلك رجل من كنانة يقال له القلمس ، و ذلك
أنه يجمع هذه الزيادة فاذا تمت شهرا زاده فى السنة و جعل تلك السنة
ثلاثة عشر شهرا ، و سماه[3] نسيئا ، و يحج بهم تلك السنة فى المحرم ،
فأنزل الله تعالى " انما النسىء زيادة فى الكفر " فلما كانت السنة التى ١٠
حج فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم حجة الوداع وافق الحج فى تلك
السنة ذا الحجة لما أراد الله تعالى باثبات الحج فى تلك السنة ، فخطب
النبى صلى الله عليه و سلم فقال : أيها الناس ! ألا إن السنة قد استدارت
كهيئتها يوم خلق الله السماوات و الأرض "منها اربعة حرم ذلك الدين
القيم"- يعنى به الحساب القيم ، فالحرم رجب جمادى و شعبان ، و ذو القعدة ، ١٥
و ذو الحجة ، و المحرم ، فسمى ذلك الحج الأقوم ، و قال الشاعر :

وأبطل ذوالعرش النسى و قلمسا وفاز رسول الله[4] بالحج الاقوم - انتهى.

و القلمس بفتح اللام و تشديد الميم ، فالنسىء فى البيت متروك الهمز

(١) فى ظ : خمس (٢) فى ظ : راس (٣) من ظ ، وفى الأصل :سماها (٤) أقحم فى الأصل : صلى الله عليه و سلم .

ليصح الوزن ، و الأقوم منقول حركة الهمزة ، و قوله : إن علة النسيء التطبيق بين السنة الشمسية و القمرية[1] - فيه نظر ، و الظاهر أن علته ما ذكر في السير من اضطرارهم إلى القتال ، و أمر الاستدارة في كل من هذه الأقوال واضح الاستنارة ، و ليس المراد بها مصادفة كل فصل من فصول السنة لموضعه من الحر و البرد ، و مصادفة اسم كل شهر لمسماه بحسب اشتقاقه حتى يكون رمضان في شدة الحر مثلا و كذلك غيره و إن كان الواقع أن الأمر كان في هذه الحجة كذلك ، لما تقدم من أن غزوة تبوك كان ابتداؤها في شهر رجب ، وكان ذلك [2]كما تقدم[2] في شدة الحر وحين طابت الثمار ، و إنما المراد الأعظم بالاستدارة مصادفة اسم كل شهر لمسماه [لا لمسمى -[3]] شهر آخر لأجل الدوران بالنسيء بدليل أنه صلى الله عليه و سلم ما ذكرها إلا لأجله ، فقال في بعض طرق حديث جابر الطويل رضي الله عنه : إن النسيء زيادة في الكفر ، و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض ، السنة اثنا عشر شهرا . فانظر إلى تعقيبه بحصر الأشهر في الاثنى عشر نفيا لجعلهم إياها سنة النسيء ثلاثة عشر [شهرا -[3]] ، و قال : منها أربعة حرم ، و عينها و قال : أيّ شهر هذا ؟ فلما سكتوا قال : ذو الحجة شهر حرام[4] ، كل هذا لبيان أن المراد بالاستدارة رجوع كل شهر عما غيره أهل الجاهلية إلى موضعه الذي وضعه الله به موافقا اسمه لمسماه ، و جعلت أشهرنا هلالية مع المنع من النسيء لتحصل الاستدارة فيحصل بسببها كل عبادة تعبدنا بها

(١) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفي الأصل : الحرام .

من

من صوم وعيد وحج وغيره فى كل فصل من فصول السنة بخلاف من شهوره بالحساب ، فان عباداتهم[1] خاصة بوقت من السنة لا تتعداه[2] - والله الموافق له[3] ! وقال القاضى أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستى فى تفسيره : حدثنا ابن أبى عمر ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاووس قال : الشهر الذى انتزعه الله من الشيطان المحرم . والحاصل[4] أنه لا شك فى[5] أن النسىء لم يكن قط إلا للمحرم لما تقدم ، وأن الحج لم يكن قط فى جاهلية ولا إسلام إلا فى شهر يسمى ذا الحجة لما قاله نقلة[4] اللغة والحديث والأخبار ؛ قال ابن الأثير فى النهاية ونشوان اليمنى[5] / فى شمس العلوم / ٤٩٧
والقزاز[6] فى ديوانه وابن مكتوم[7] فى ترتيب العباب والمحكم : ذو الحجة بالكسر : شهر الحج ، زاد المحكم : سمى بذلك للحج ، وقال القزاز : إن الفتح فيه أشهر ، وفى النهاية : يوم التروية هو الثامن من ذى الحجة ، سمى به لأنهم كانوا يرتوون[8] فيه[3] من الماء لما بعده ، أى يستقون[9] ويسقون[9] ؛ وقال المجد فى القاموس : يوم عرفة التاسع من

(١) فى ظ : عبادتهم (٢) من ظ ، وفى الأصل : لا يتعداه (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد فى ظ : فى (٥) فى ظ : اليمين ، وراجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣/٨٦ .
(٦) هو محمد بن جعفر أديب لغوى نحوى - راجع معجم المؤلفين ٩ / ١٤٨ .
(٧) وهو أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسى ، واستفاض ترتيبه باسم « الجمع بين العباب والمحكم » - راجع معجم المؤلفين ١ / ٢٧٨ (٨) من النهاية ، وفى الأصل : يرثون ، وفى ظ : يوتون (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ذى الحجة ، و فى كتاب أسواق العرب لأبى[1] المنذر هشام بن محمد الكلبى رواية أبى سعيد السكرى[2] أن عكاظ كانت من أعظم أسواق العرب . فاذا أهل أهلها هلال ذى الحجة ساروا بأجمعهم إلى ذى المجاز و هى قريب من عكاظ ، [و عكاظ -[3]] فى أعلى نجد ، فأقاموا بها حتى يوم
٥ التروية ، و[4] وافاهم بمكة حجاج العرب و رؤسهم ممن أراد الحج بمن لم يكن شهد تلك الأسواق . و قال الأزرقى[5] فى تاريخ مكة : فاذا رأو اهلال ذى الحجة انصرفوا إلى ذى المجاز فأقاموا بها ثمانى ليال أسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية من ذى المجاز إلى عرفة فيترووون ذلك اليوم[6] من الماء بذى المجاز ، و إنما سمى يوم التروية لترويهم الماء بذى
١٠ المجاز ، ينادى بعضهم بعضا : ترووا من الماء ، انه لا ماء بعرفة و لا بالمزدلفة يومئذ ، ثم ذكر أنه لا يحضر ذلك إلا التجار ، قال : و من لم يكن له تجارة فانه يخرج من أهله متى أراد ، و من كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية . و روى البيهقى فى دلائل النبوة بسنده عن عروة و موسى بن عقبة - فرقهما - قالا : و أهل رسول الله
١٥ صلى الله عليه و سلم بالعمرة من الجعرانة فى ذى القعدة ، ثم أسند عن ابن إسحاق[7] أنه قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه و سلم من عمرته انصرف

---

(١) فى ظ : لابن ، و راجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣ / ١٤٩ (٢) هو حسن بن الحسين السكرى - راجع معجم المؤلفين ٣ / ٢١٩ (٣) زيد من ظ (٤) سقطت الواو من ظ (٥) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله المكى - راجع المعجم المؤلفين ١٠ / ١٩٨ . (٦) من ظ ، و فى الأصل : القوم (٧) راجع سيرة ابن هشام ٣ / ٣٢ .

راجعا إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة و خلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس فى الدين و يعلمهم ، فكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه و سلم فى ذى القعدة أو فى الحجة ، و حج الناس تلك السنة على ما كانت العرب يحج عليه ، و حج تلك السنة عتاب بن أسيد فى سنة ثمان ، و حديث اعتماره صلى الله عليه و سلم فى ذى القعدة رواه ٥ الشيخان و مضى على ما كانت العرب من الطواف عراة و نحوه ؛ و ذكر الواقدى عن مشايخه قالوا : و انتهى رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس[1] ليال خلون من ذى القعدة ، فأقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج من الجعرانة ليلة الأربعاء لاثنتى[2] عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلا فأحرم - فذكر ١٠ عمرته ثم قال : و استعمل رسول الله صلى الله عليه و سلم عتاب بن أسيد على مكة ، و خلف معاذ بن جبل و أبا موسى الأشعرى رضى الله عنهما يعلمان الناس القرآن و الفقه فى الدين[3] ، و أقام للناس الحج عتاب بن أسيد رضى الله عنه تلك السنة و هى سنة ثمان ، و حج ناس من المسلمين و المشركين على مدتهم ، و قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة يوم ١٥ الجمعة لثلاث بقين من ذى القعدة ، قال الواقدى[4] : فأقام بقية ذى القعدة و ذا الحجة ، فلما رأى هلال المحرم بعث المصدقين - انتهى . إذا تقرر هذا علم أن الحج لم يكن قط إلا فى شهر يسمونه ذا الحجة ، و هو مما لا يدور

(١) من ظ و المغازى ٣/٩٥٨ ، و فى الأصل : بخمس (٢) فى ظ : لاثنى (٣) من ظ و المغازى ٣/ ٩٥٩ ، و فى الأصل : الدنيا (٤) راجع المغازى ٣/ ٩٧٣ .

فى خَلَد و لا يقـــع فى وهم فيه تردد ، و لا يحتاج إلى تطويل بذكره و لا إطناب فى أمره ، و تارة يوافق اسمه مسماه و تارة لا يوافقه لأجل النسىء ، و علم أيضا أن حج عتاب بن أسيد كان فى ذى الحجة بعد رجوع النبى صلى الله عليه و سلم من الجعرانة إلى المدينة الشريفة ، و أنه ما تأخر
٥ عن ذى الحجة و إلا لنقل ، و أن حج أبى بكر رضى الله عنه سنة تسع كان
٤٩٨ / فى ذى الحجة لذلك و لما تقدم[1] من أن سفره / له من المدينة الشريفة[2] كان فى آخر ذى القعدة أو أول ذى الحجة و لقولهم : إن الأربعة الأشهر[3] التى ضربت للمشركين من يوم النحر و[4] لقولهم : إن الأربعة الأشهر[5] كان آخرها عاشر ربيع الآخر ، و علم أن ذا الحجة تلك السنة لو كان
١٠ وافق مسمى ذى القعدة لم يقع[6] ذو الحجة سنة عشر التى حج فيها النبى صلى الله عليه و سلم فى موضعه الذى وضعه الله به إلا بأن تكون تلك السنة ثلاثة عشر شهرا بنسىء أو غيره ، و كل من الأمرين باطل ، أما الأول فلأن الله تعالى أبطل النسىء فى تلك السنة فيما أبطله من أمور الجاهلية فى هذه السورة ، و أرسل النبى صلى الله عليه و سلم بالمناداة بها
١٥ كما مر ، و أما الثانى فهو أمر خارق للعادة لم يكن مثله من حين خلق الله السماوات و الأرض ، و الخارق مما تتوفر الدواعى [على -[7]] نقله ، و لا ناقل لهذا أصلا فبطل ، و إذا بطل ثبت أن سنة عشر كانت اثنى عشر

(١) فى ظ : تقرر (٢) زيد بعده فى ظ : و انه ما تأخر عن ذى الحجة (٣) فى ظ : اشهر (٤) العبارة من هنا إلى « الأشهر » ساقطة من ظ (٥) فى الأصل : الا ـ كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : لم تقع (٧) زيد من ظ .

شهرا و لا سيما بعد إنزال الله تعالى فى ذلك ما أنزل فى هذه السورة، و إذا كان الأمر كذلك كان الشهر الذى وقف فيه النبى صلى الله عليه و سلم فى موضع الشهر الذى وقف فيه الصديق رضى الله عنه سواء بسواء[1]، و قد ثبت أن الزمان كان فيه قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض، فثبت من غير مرية[2] أن شهر الصديق رضى الله عنه كذلك كان، و ثبت أيضا أن سنة عتاب بن أسيد رضى الله عنه كذلك كانت بما قدمتُ من أنه لم يكن فيها نسىء لتوافق حج المسلمين و المشركين فى سنة تسع، فدل ذلك على أنها كانت اثنى عشر شهرا، فكان ذو الحجة فيها فى موضعه[3] الذى وضعه الله به كما كانت سنة تسع، بل ظاهر قول أبى عبيد: فقام الإسلام و قد رجع المحرم إلى موضعه - كما مضى - أن الله حفظ زمن الإسلام كله عن نسىء، و هو الذى أعتقده، و قد لاح بذلك أن السبب فى قول من قال: إن حج الصديق رضى الله عنه وافق ذا القعدة، أنه فهم من قول النبى صلى الله عليه و سلم: إن الزمان قد استدار، أن الاستدارة لم تكن إلا فى تلك السنة، و ليس ذلك مدلول هذا التركيب كما لا يخفى - و الله الموفق؛ ثم وجدت النقل الصريح فى زوائد معجمى[4] الطبرانى: الأوسط و الأصغر للحافظ نور[5] الدين الهيثمى بمثل ما فهمته، قال فى تفسير براءة: حدثنا إبراهيم - يعنى ابن هشام - البغوى ثنا[6] الصلت بن مسعود الجحدرى ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى ثنا داود بن أبى هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده يعنى

(١) من ظ، و فى الأصل: سواء (٢) فى ظ: مبرية (٣) من ظ، و فى الأصل: موضعها (٤) فى ظ: معجم (٥) فى ظ: زين (٦) فى ظ: حدثنا.

عبد الله[1] بن عمر[2] رضى الله عنهما قال: كانت العرب يحلون عاما شهرا وعاما شهرين ولا يصيبون الحج إلا فى كل ست وعشرين سنة مرة، وهو النسىء الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه، فلما كان عام حج أبو بكر رضى الله عنه بالناس وافق ذلك العام الحج[3] فسماه الله الحج الأكبر، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل فاستقبل الناس الأهلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض. لم يروه عن عمر إلا داود تفرد به الصلت - انتهى، وهو حديث حسن إن شاء الله تعالى، [ثم رأيت الهيثمى فى مجمع الزوائد قال: رجاله ثقات، فأكد ذلك الجزم بما فهمت من أنه حسن -[4]]، وإنما أطلت[5] هذا بما قد لا يحتاج فى إيضاحه إليه لكثرة جدال المجادلين المعاندين ومحال المماحلين الجامدين.

ولما أوعز[6] سبحانه فى أمر الجهاد، وأزاح جميع عللهم وبين أن حسنه لا يختص به شهر دون شهر وأن بعضهم كان يحل لهم ويحرم فيتبعونه بما يؤدى إلى تحريم الشهر[7] الحلال وتحليل الشهر الحرام بالقتال فيه، عاتبهم الله سبحانه على تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآمر لهم بالنفر فى غزوة تبوك عن أمره سبحانه، وكان ابتداؤها فى شهر رجب سنة تسع، فقال تعالى على سبيل الاستعطاف والتذكير بنعمة الإيمان

(١) من ظ، وفى الأصل: عنه - كذا (٢) من مجمع الزوائد ٧/ ٢٩، وفى الأصل وظ: عمرو (٣) فى ظ: الحجة (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) فى ظ: اطلقت (٦) فى ظ: اوعد (٧) سقط من ظ.

/ ٤٩٩ - / بعد ختم التى قبلها بأنه لا يهدى الكافرين - الذى[1] يعم الحرب و غيره الموجب للجرأة عليهم [لأن من لا هداية له أعمى ، و الأعمى لا يخشى -[2]] :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ أى ادعوا ذلك ﴿ مَا لَكُمْ ﴾ أى ما الذى يحصل لكم فى أنكم ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ﴾ أى من أىّ قائل كان ﴿ ٱنفِرُوا ﴾ أى اخرجوا مسرعين بجد و نشاط جماعات و[3] وحدانا إمدادا لحزب الله ٥ و نصرا لدينه تصديقا لدعواكم الإيمان ، و النفر : مفارقة مكان إلى مكان لأمر هاج على ذلك ﴿ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ أى بسبب[4] تسهيل الطريق إلى الملك الذى له [جميع -[2]] صفات الكمال ، و قال أبو حيان : بنى "قيل" للمفعول و القائل النبى صلى الله عليه و سلم و لم يذكر إغلاظا و مخاشنة لهم و صونا[6] لذكره إذ أخلد إلى الهوينا و الدعة من أخلد و خالف ١٠ أمره - انتهى . ﴿ ٱثَّاقَلْتُمْ ﴾ أى تثاقلتم تثاقلا عظيما ، و فيه ما لم يذكروا له سببا ظاهرا بما أشار إليه الإدغام إخلادا و ميلا ﴿ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ أى لبرد ظلالها و طيب هوائها و نضج ثمارها ، فكنتم أرضيين[7] فى سفول الهمم ، لا سمائيين[8] بطهارة الشيم .

و لما لم يكن - فى الأسباب التى تقدم أنها كانت تحمل على التباطؤ ١٥ عن الجهاد - ما يحتمل القيام بهم فى هذه الغزوة إلا الخوف من القتل و الميل إلى الأموال الحاضرة وثوقا بها و الإعراض عن الغنى الموعود [به -[2]]

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الذين (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٥) من ظ و البحر المحيط ٥/٤١، و فى الأصل : مجانسة (٦) فى ظ : ضونا (٧) فى الأصل و ظ : ارضين (٨) فى ظ : سماسين - كذا .

الذى ربما يلزم من[1] الإعراض عنه[2] التكذيب ، فيؤدى إلى خسارة الآخرة ، هذا مع ما يلزم على[3] ذلك - و لا بد - من [4]الزهد فى[4] الأجر المثمر لسعادة العقبى بهذا الشيء الخسيس ؛ قال مبينا خسة ما أخلدوا إليه تزهيدا فيه و شرف ما أعرضوا عنه ترغيبا فيه منبها على أن ترك الخير الكثير لأجل الشر اليسير شر عظيم منكرا[5] على من تثاقل موبخا لهم : ﴿ ارضيتم بالحيوٰة الدنيا ﴾ أى بالخفض و الدعة فى الدار[6] الدنية الغارة ﴿ من الأٰخرة ج ﴾ أى الفاخرة الباقية ؛ قال أبو حيان[7] : و 'من' تظافرت أقوال المفسرين أنها بمعنى بدل ، و أصحابنا لا يثبتون [8]أن من[8] تكون للبدل - [4]انتهى . و الذى يظهر لى أنهم لم يريدوا أنها موضوعة للبدل[4] ، بل إنه يطلق عليها لما قد يلزمها فى مثل هذه العبارة من ترك ما بعدها لما قبلها فانها لابتداء الغاية ، فاذا قلت : رضيت بكذا من زيد ، كان المعنى أنك أخذت ذلك أخذا مبتدئا منه غير ملتفت إلى ما عداه ، فكأنك جعلت ذلك بدل كل شيء يقدر أنه ينالك منه من غير ذلك المأخوذ . و لما كانوا قد أعطوا الآخرة على الاتباع فاستبدلوا به الامتناع ، كان إقبالهم على الدنيا كأنه مبتدئ بما كانوا قد توطنوه من الآخرة مع الإعراض عنها ، فكأنه قيل : أرضيتم بالميل إلى الدنيا من الآخرة ؟ و يؤيد ما فهمته أن العلامة علم الدين أبا محمد القاسم ابن الموفق الأندلسى ذكر فى شرح الجزولية

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : عن (٣) فى ظ : من (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : منكر (٦) فى ظ : الدانية (٧) راجع البحر المحيط ٥/ ٤٣ (٨-٨) فى ظ : من ان .

أنهم

أنهم عدوا لـ "من" خمسة معان[1] كلها ترجع إلى ابتداء الغاية عند المحققين، و بين كيفية ذلك حتى فى البيانية، فمعنى "فاجتنبوا الرجس من الاوثان[2]" الذى ابتداؤه من الأوثان، لأن الرجس جامع للأوثان وغيرها.

و لما كان الاستفهام إنكاريا كان معناه النهى، فكان التقدير: لا ترضوا بها فان ذلك أسفه رأى و أفسده! فقال تعالى معللا لهذا النهى: ٥ ﴿ فما ﴾ أى بسبب[3] أنه ما ﴿ متاع الحيوة الدنيا فى[4] ﴾ أى مغمورا فى جنب ﴿ الأخرة الا قليل ٥ ﴾ و الذى يندب هم المتجر و يدعى البصر به و يحاذر الخلل فيه يعد فاعل ذلك سفيها.

و لما كان طول[5] الاستعطاف ربما كان مدعاة للخلاف و ترك الإنصاف، توعدهم بقوله: ﴿ الا تنفروا ﴾ أى فى[4] سبيله ﴿ يعذبكم[6] ﴾ ١٠ أى على ذلك ﴿ عذابا اليما ٥ ﴾ أى فى الدارين ﴿ و يستبدل ﴾ أى يوجد بدلا منكم ﴿ قوما غيركم ﴾ أى ذوى بأس و نجدة مخالفين لكم فى الخلال التى كانت سببا للاستبدال لولايته و نصر دينه.

و لما هددهم / بما يضرهم، أخبرهم أنهم لا يضرون بفتورهم غير / ٥٠٠ أنفسهم فقال: ﴿ و لا تضروه ﴾ أى الله و رسوله ﴿ شيئا ط ﴾ لأنه متم ١٥ أمره و منجز وعده و مظهر دينه؛ و لما أثبت بذلك قدرته على ضره لهم و قصورهم عن[7] الوصول إلى ضره، كان التقدير: لأنه قادر على نصر دينه

(١) فى ظ: معادن (٢) سورة ٢٢ آية ٣٠ (٣) من ظ، و فى الأصل: سبب.
(٤) من ظ و القرآن الكريم، و قد سقط من الأصل (٥) تكرر فى ظ (٦) تقدم فى ظ على «أى فى» (٧) فى ظ: من.

و نبيه بغيركم[1]، فعطف عليه تعميما لقدرته ترهيبا من عظيم سطوته قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الملك الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ على كل شىء قدير ﴾.

و لما وصف سبحانه نفسه الأقدس بما هو له أهل من شمول القدرة و عظيم البأس و القوة ، اتبع ذلك بدليل يتضمن أن المستنفر لهم - و هو نبيه صلى الله عليه و سلم - غير محتاج إليهم[2] و متوقف نصره عليهم كما لم يحتج إليهم - بحياطة[3] القادر له - فيما مضى من الهجرة التى ذكرها ، و أن نفع ذلك إنما هو لهم باستجلاب ما وعدوه و استدفاع[4] ما أوعدوه فى الدارين المشار إلى ذلك [كله - ٥] بقوله " فما متاع[6] الحيوة الدنيا[7] " الآية و قوله " الا تنفروا " - الآية ، فقال : ﴿ الا تنصروه ﴾ أى أتم طاعة لأمر الله ، و الضمير للنبى صلى الله عليه و سلم إما على طريق الاستخدام من[2] سبيل الله لأنه الموضح له الداعى إليه ، أو لتقدم اسمه الشريف إضمارا فى قوله " اذا قيل لكم " أى من رسول الله صلى الله عليه و سلم استنصارا منه لكم ، و إظهارا فى قوله تعالى " هو الذى ارسل رسوله " - الآية ، و قوة ما فى كل جملة من المناسبة المقتضية لأن تعانق[8] التى بعدها و لا تنفك[9] عنها قصر الفصل بين الظاهر و ضميره ، و ذكر[10] الغار و الصاحب أوضح الأمر ، و ذلك أنه سبحانه لما عابهم باتخاذ الرؤساء أربابا اشتدت

(١) فى ظ : بغيرها (٢) فى ظ : اليه (٣) من ظ ، و فى الأصل : بحياط (٤) فى ظ : اندفاع (٥) زيد من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : عن (٨) من ظ ، و فى الأصل : يعانق (٩) من ظ ، و فى الأصل : لا ينفك (١٠) من ظ ، و فى الأصل : ذلك .

الحاجة إلى بيان أنهم فى البعد عن ذلك على غاية لا تخفى على متأمل، فوصفهم بالأكل المستلزم للجسمية المستلزمة للحاجة، و[1] بأن مأكولهم أموال غيرهم باطلا، و بأنهم يغشونهم لصدهم إياهم عن السبيل التى لا يخفى حسنها على من له أدنى نظر؛ و لما كان ذلك شديد الإثارة لتشوف النفوس إلى السؤال عن العرب: هل فعلوا فعلهم و اتبعوا سنتهم؟ أجاب بأن عملهم فى تحليل النسأة لهم بعض الأشهر الحرم و تحريم بعض أشهر الحل و الزيادة فى عدة أشهر السنة كعملهم سواء،

و لما أمر بقتال المشركين كافة و حثهم على التقوى، و كان بعضهم قد توانى فى ذلك، اشتد اقتضاء الحال للعاتبة على التثاقل عن النفر، فلما تم ذلك فى هذا الأسلوب البديع و الطراز الرفيع حث على نصر الرسول الذى أرسله ليظهره على الدين كله فقال جوابا للشرط: ﴿ فقد ﴾ أى إن لم يتجدد [2]منكم له[2] نصر فان الله قادر على نصره و سينصره و يغنيه عنكم و لا تضرون إلا أنفسكم فقد ﴿ نصره الله ﴾ أى الملك الأعظم وحده و الأمر فى غاية الشدة، [و لا شك عند عاقل أن المستقبل عنده كالماضى -[3]] ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ اخرجه الذين ﴾ و عبر بالماضى لأن فيهم من أسلم بعد ذلك فقال: ﴿ كفروا ﴾ أى من مكة و هم فى غاية التمالؤ عليه حين شاوروا[4] فى قتله أو إخراجه أو إثباته، فكان ذلك سببا لإذن الله له فى الخروج من بينهم حال كونه ﴿ ثانى اثنين ﴾ أى أحدهما أبو بكر رضى الله عنه و لا ثالث لهما ينصرهما إلا الله ﴿ اذ هما فى الغار ﴾

(١) سقطت الواو من ظ (٢-٢) فى ظ: له منكم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: تشاوروا.

أى غار ثور الذى فى [أعلى]-[1] الجبل المواجه للركن اليمانى بأسفل مكة على مسيرة ساعة منها لما كمنا به ثلاث ليال ليفتر عنهما الطلب، و ذلك قبل أن يصلا إليكم أو يعولا فى النصر عليكم ﴿اذ يقول﴾ [2]أى رسول الله صلى الله عليه و سلم ﴿لصاحبه﴾[2] [أى-[3]] أبى بكر الصديق رضى الله عنه وثوقا بربه غير منزعج من شىء ﴿لا تحزن﴾ و الحزن: هم غليظ بتوجع يرق له القلب، حزنه و أحزنه بمعنى؛ و قال فى القاموس: أو أحزنه: جعله حزينا، و حزّنه: جعل فيه حزنا؛ ثم علل نهيه لصاحبه بقوله معبرا بالاسم الأعظم مستحضرا لجميع ما جمعه من / الأسماء الحسنى و الصفات العلى التى تخضع دونها صلاب الرقاب وتندك[3] بعظمتها شوامخ الجبال الصلاب ﴿ان الله﴾ [أى الذى له الأمر كله-[1]] ﴿معنا[4]﴾ أى بالعون و النصرة[4]، و هو كاف لكل مهم، قوى على دفع كل ملم، فالذى تولى نصره بالحراسة فى ذلك الزمان[5] كان قادرا على أن يأمر الجنود التى أيده بها أن تهلك الكفار فى كل موطن من غير أن يكون لكم فى ذلك أمر أو يحصل لكم به أجر، و كما أنه كان موجودا فى ذلك الزمان[5] بأسمائه الحسنى و صفاته العلى هو على ذلك فى هذا الزمان و كل زمان، فتبين كالشمس أن النفع فى ذلك إنما هو خاص بكم، و أنه سبحانه ما رتب هذا كله على هذا المنوال إلا لفوزكم، و فى هذه الآية من التنويه[6] بمقدار الصديق و تقدمه و سابقته فى الإسلام و علو

/٥٠١

(١) زيد من ظ (٢-٢) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «رضى الله عنه» والترتيب من ظ (٣) فى ظ: تنزل (٤) فى ظ: النصر (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ: التسوية.

منصبه و فخامة أمره ما لا يعلمه إلا الذى أعطاه إياه ؛ قال أبو حيان[1] و غيره : قال العلماء : من أنكر صحبة أبى بكر رضى الله عنه فقد كفر لإنكاره كلام الله ، و ليس ذلك لسائر الصحابة .

و لما كان رضى الله عنه نافذ البصيرة فى المعارف[2] الإلهية ، راسخ القدم فى ذلك المقام[3] لذلك لم يتلعثم[4] من أول الأمر فى عناد جميع العباد بخلع الأنداد ، ثم تدرب فيه مترقيا ثلاث[5] عشرة سنة ، و كان الذى به من القلق إنما هو الخوف من[6] أن يحصل للنبى صلى الله عليه وسلم أذى فيدركه من الحزن لذلك ما يهلكه قبل سروره بظهور الدين و قمع المعتدين ، و لم يكن جبنا و لا سوء ظن ، لما كان ذلك كذلك كان رضى الله عنه حقيقا لحصول السكينة له عند سماع اسم الشريف الأعظم الدال على ذلك المقام المذكر[7] بتلك العظمة التى يتلاشى عندها كل عظيم ، و يتصاغر فى جنبها كل كبير ، [8] ولذلك[8] ذكر هذا الاسم الأعظم و قدم ، و أشرك الصديق فى المعية و بدأ بالنهى عن الحزن لأنه المقصود بالذات و ما بعده علة[9] له . و أما بنو إسرائيل فلم يكن عندهم من المعرفة إلا ما شاهدوا من إحسانه تعالى إلى موسى عليه السلام بإظهار تلك الآيات على يده حتى استنقذهم[10] بها مما كانوا فيه ، و منع

(١) راجع البحر المحيط ٥/٤٣ (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ فحذفناها (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ فحذفناها لاستقامة العبارة (٤) فى ظ: لم يتعثلم (٥) من ظ، وفى الأصل: ثلاثة (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: المذكور. (٨ - ٨) فى ظ : فلذلك (٩) فى ظ : علقة (١٠) من ظ . وفى الأصل : استقرهم .

موسى عليه السلام مع وحدته من سطوات فرعون على عظمته و ما كان يواجهه به من المكروه ، فلما رأوا جموعه مقبلة كان حالهم مقتضيا للسؤال عن ذلك المحسن باظهار تلك الآيات : هل هو مع موسى عليه السلام على ما كان عليه فيمنعهم أم لا ؟ فلذلك قدم إنكار الإدراك ثم إثبات المعية على سبيل الخصوص به ، و عبر عن الإله باسم الرب الدال على ذلك الإحسان المذكر[1] به فقال " كلا ان معى ربى[2] " فكان قيل : ما ذا يفعل و البحر أمامنا و العدو وراءنا ؟ فقال " سيهدين " [أى -[3]] إلى ما أفعل[4] ، يعرف [ذلك -[3]] من كان متضلعا[5] بالسير و قصص بنى إسرائيل على ما ذكرتها فى الأعراف[6] عن التوراة ، مستحضرا لأن الصديق رضى الله عنه كان فى صعودهما إلى الغار يذكر الرصد فيتقدم النبي صلى الله عليه و سلم ليفتديه[7] بنفسه ثم يذكر الطلب فيتأخر ثم يذكر ما عن اليمين و الشمال فينتقل إليهما و يقول للنبي صلى الله عليه و سلم : إن قتلت أنا فأنا رجل واحد ، و إن قتلت أنت هلكت الأمة ، و أنه كان عارفا بأن الله تعالى تكفل باظهار الدين على يد رسول الله صلى الله عليه و سلم المتضمن لحراسة نفسه الشريفة قبل ذلك ، و لذلك كان به فى هذا اليوم من القلق ما ذكر ، وكان عند وفاة النبي صلى الله عليه و سلم أثبت الناس ، و لذلك أتى بالفاء المعقبة فى قوله : ﴿ فانزل الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ سكينته ﴾

(١) فى ظ : المذكور (٢) سورة ٢٦ آية ٦٢ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : فعل.
(٥) من ظ ، وفى الأصل : متصفا (٦) من ظ ، وفى الأصل : الاعراض (٧) فى ظ : ليفيده .

أى السكون المبالغ فيه المؤثر للنسك ﴿ عليه ﴾ أى الصديق - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما - لأن السكينة لم تفارق النبى صلى الله عليه و سلم ؛ ثم عطف على نصره الله قوله : ﴿ و ايده ﴾ أى النبى صلى الله عليه وسلم ، و اختلاف الضمائر هنا لا يضر لأنه غير مشتبه ﴿ بجنود لم تروها ﴾ أى من الملائكة الكرام ﴿ و جعل كلمة ﴾ أى / دعوة ﴿ الذين كفروا ﴾ ٥ /٥٠٢ أى أوقعوا الكفر من آمن منهم بعد ذلك و غيره ﴿ السفلى[1] ﴾ فخيّب سعيهم و ردكيدهم ؛ ثم ابتدأ الإخبار بما له سبحانه على الدوام من غير انقطاع أصلا فى وقت [من - [1]] الأوقات فقال : ﴿ و كلمة الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء ، و نصبها يعقوب عطفا على ما سبق ﴿ هى العليا[1] ﴾ أى وحدها ، لا يكون إلا ما يشاءه دائما أبدا ، فالله قادر على ١٠ ذلك ﴿ [2]و الله[2] ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ عزيز ﴾ أى مطلقا يغلب كل شىء من ذلك و غيره ﴿ حكيم ٥ ﴾ لا يمكن أن ينقض شىء من مراده لما ينصب من الأسباب التى لا مطمع لأحد فى مقاومتها فلا محيص عن نفوذها .

و لما بلغت هذه المواعظ من القلوب الواعية مبالغا هيأها به للقبول ، ١٥ أقبل عليها سبحانه بالأمر فقال : ﴿ انفروا خفافا و ثقالا ﴾ و المراد بالخفة كل ما يكون سببا لسهولة الجهاد و النشاط إليه ، و بالثقل كل ما يحمل على الإبطاء عنه ؛ و قال أبو حيان : و الخفة و الثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة و من[3] يمكنه بصعوبة ، و أما من[4] لا يمكنه كالأعمى

(١) زيد من ظ (٢-٢) تقدم ما بين الرقمين فى ظ على « دائما أبدا » (٣) من البحر المحيط ٥/٤٤ ، و فى الأصل و ظ : لم (٤) فى ظ : ما .

و نحوه فخارج عن هذا - انتهى . قال البغوى : قال الزهرى : خرج سعيد ابن المسيب رحمه الله إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له : إنك عليل صاحب ضرر ! فقال : استنفر[1] الله الخفيف و الثقيل ، فان لم يمكنى[2] الحرب كثرت السواد و حفظت المتاع ؛ و روى أبو يعلى الموصلى فى مسنده بسند صحيح عن أنس أن أبا طلحة رضى الله عنهما قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية فقال : ألا أرى ربى يستنفرنى[3] شابا و شيخا ! جهزونى ، فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فما تغير[4] . ﴿ و جاهدوا ﴾ أى أوقعوا جهدكم ليقع جهد الكفار .

و لما كانت هذه الآية فى[5] سياق المعاتبة [6]لمن تثاقل[6] إلى الأرض عن الجهاد عند الاستنفار فى غزوة تبوك . و كان سبب التثاقل ما كان فى ذلك الوقت من العسرة فى المال و الشدة بالحر و ما كان من طيب الظلال فى أراضى الجنان وقت الأخذ فى استواء الثمار - كما هو مشهور فى السير ؛ اقتضى المقام هنا تقديم المال و النفس بخلاف ما مضى فان الكلام كان فى المفاضلة بين الجهاد فى سبيل الله و خدمة البيت و من يحجه فى هذه السورة التى صادف وقت نزولها بعد مواطن الجهاد و طول المفارقة للأموال و الأولاد ، و قدم المال لأن النظر إليه من وجهين :

---

(١) من ظ و معالم التنزيل - راجع الباب التأويل ٣/٨٣، وفى الأصل : استغفر .
(٢) من المعالم ، و فى الأصل و ظ : لم يمكن (٣) من ظ و مجمع الزوائد ٩/٣١٢، و فى الأصل : يسفونى - كذا (٤) وهذا الحديث قد أورده الهيثمى فى زوائده برواية أبى يعلى مع زيادة على ما هنا (٥) فى ظ : من (٦-٦) من ظ، وفى الأصل : لما يتثاقل .

قلته . و محبة الإقامة فى الحدائق إيثارا للتمتع بها و خوفا من ضياعها مع أن بها قوام الأنفس ، فصار النظر إليها هو الحامل على الشح بالأنفس فقال تعالى : ﴿ باموالكم و انفسكم ﴾ أى بهما معا على[1] ما أمكنكم أو بأحدهما ﴿ فى سبيل الله[1] ﴾ أى الملك الأعلى . [أى -[2]] حتى لا يبقى منه مانع ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ خير ﴾ أى فى نفسه حاصل ٥ ﴿ لكم ﴾ أى خاص بكم . و يجوز أن يكون أفعل تفضيل بمعنى أن عبادة المجاهد بالجهاد خير من عبادة القاعد بغيره كائنا ما كان ، كما قال صلى الله عليه و سلم لمن سأله : هل يمكن بلوغ درجة المجاهد ؟ فقال : هل تستطيع [3]أن تقوم[3] فلا تفتر و تصوم فلا تفطر[4] ؟ و ختم الآية بقوله : ﴿ ان كنتم تعلمون ٥ ﴾ إشارة إلى أن هذا الأمر و إن كان عاما ١٠ فانما ينتفع[5] به ذوو الأذهان الصافية و المعالم الوافية ، فان العلم - و لا يعد علما إلا النافع - يحث على العمل و على إحسانه باخلاص النية و تصحيح المقاصد / و تقوية العزم و غير ذلك ، و ضده يورث ضده . ٥٠٣ /

و لما كان هذا العتاب مؤذنا بأن[1] فيهم من تباطأ عن الجهاد اشتغالا بنحو الأموال و الأولاد ، وكان ما اشتملت عليه هذه الآيات من الأوامر ١٥ و الزواجر و المواعظ جديرا بأن يخفف كل متثاقل و ينشط كل متكاسل ، تشوفت النفوس إلى ما اتفق بعد ذلك ، فاعلم سبحانه به فى أساليب البلاغة المخبرة عن أحوال القاعدين و أقاصيص الجامدين المفهمة أن هناك من

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) راجع صحيح البخارى - كتاب الجهاد (٥) فى ظ : ينفع .

غلب عليه الشقاء فلم ينتفع بالمواعظ ، فالتفت من لطف الإقبال إلى تبكيت المتثاقلين بأسلوب الإعراض المؤذن بالغضب المحقق للسخط المبين لفضائحهم [1]المبعثر لقبائحهم[1] المخرج لهم مما دخلوا فيه من عموم الدعاء باسم الإيمان فقال : ﴿ لو كان ﴾ أى ما تدعو إليه ﴿ عرضا ﴾ أى متاعا دنيويا ٥ ﴿ قريبا ﴾ أى سهل التناول ﴿ و سفرا قاصدا ﴾ أى وسطا عدلا مقاربا ﴿ لاتبعوك ﴾ أى لأجل رجاء العرض مع سهولة السفر لأن هممهم قاصرة [و -[2]] منوطة بالحاضر ﴿ و لكن ﴾ أى لم يتبعوك تثاقلا إلى الأرض و رضى بالفانى الحاضر من الباقى الغائب لأنها ﴿ بعدت عليهم الشقة[4] ﴾ أى المسافة التى تطوى بذرع الأرجل بالمسير فيحصل بها النكال و المشقة ١٠ فلم يواز ما يحصل لهم بها من التعب ما يرجونه من العرض[3] فاستأذنوك ، و فى هذا إشارة إلى ذمهم بسفول الهمم و دناءة الشيم بالعجز و الكسل و النهم و الثقل ، و إلى أن هذا الدين متين لا يحمله إلا ماضى الهم صادق العزم [كما قال الشاعر - [2]] :

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه وأعرض عن ذكر العواقب جانبا[4]

١٥ فلله در أولى العزائم و الصبر على الشدائد و المغارم !

و لما ذمهم بالشح بالدنيا ، أتبعه وصمهم بالسماح بالدين ، فقال مخبرا عما سيكون منهم علما من أعلام النبوة : ﴿ و سيحلفون ﴾ أى المتخلفون باخبار محقق لا خلف فيه ﴿ بالله ﴾ أى الذى لا أعظم منه عند رجوعكم إليهم جمعا إلى ما انتهكوا من حرمتك بالتخلف عنك لانتهاك حرمة الله

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : العوض .
(٤) والبيت لسعد بن ناشب - راجع باب الحماسة من كتابها .

بالكذب قائلين : والله ﴿ لو استطعنا ﴾ أى الخروج إلى ما دعوتمونا إليه ﴿ لخرجنا معكم ج ﴾ يحلفون حال كونهم ﴿ يهلكون انفسهم ج ﴾ أى بهذا الحلف الذى يريدون به حياتها لأنهم كذبوا فيه فانتهكوا حرمة اسم الله ﴿ والله ﴾ أى والحال أن الملك الأعظم المحيط علما وقدرة[1] سبحانه ﴿ يعلم انهم لكذبون ه ﴾ فقد جمعوا بين إهلاك أنفسهم والفضيحة عند الله بعلمه بكذبهم فى أنهم غير مستطيعين ، وجزاء الكاذب فى مثل ذلك الغضب المؤبد الموجب للعذاب الدائم المخلد .

ولما بكتهم على وجه الإعراض لأجل التخلف والحلف عليه كاذبا ، أقبل إليه صلى الله عليه وسلم بالعتاب فى لذيذ الخطاب على الاسترسال فى اللين لهم والائتلاف[2] وأخذ العفو وترك الخلاف إلى هذا الحد ، فقال مؤذنا بأنهم ما تخلفوا إلا باذنه صلى الله عليه وسلم لأعذار ادعوها كاذبين فيها كما كذبوا فى هذا الحلف ، مقدما للدعاء على العتاب لشدة الاعتناء [بشأنه - ٣] واللطف به صلى الله عليه وسلم : ﴿ عفا الله ﴾ أى ذو الجلال والإكرام ﴿ عنك ج ﴾ وهذا كما[4] كانت عادة العرب فى مخاطبتهم[5] لأكابرهم بأن يقولوا : أصلح الله الأمير ، والملك - ونحو ذلك .

ولما كان من المعلوم أنه لا يأذن إلا لما يرى أنه يرضى الله من تألفهم ونحوه ، بين أنه سبحانه يرضى منه ترك الإذن فقال كناية عن ذلك : ﴿ لم اذنت لهم ﴾ أى فى التخلف عنك تمسكا بما تقدم من الأمر باللين لهم والصفح عنهم موافقا لما جبلت عليه من محبة الرفق ، وهذا إنما

(١) من ظ ، وفى الأصل : قدرا (٢) فى ظ : الاستيلاف (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : هو (٥) فى ظ : مخاطبة .

كان فى أول الأمر لخوف التنازع و الفتنة ، و أما الآن فقد علا الدين و تمكن أمر المؤمنين فالمأمور به الإغلاظ على المنافقين فهلا تركت الإذن لهم ﴿ حتى يتبين لك ﴾ أى غاية البيان ﴿ الذين صدقوا ﴾ أى فى التزام الأوامر / بما أقروا به من كلمة التوحيد ﴿ و تعلم الكٰذبين ٥ ﴾ أى فيما أظهروا من الإيمان باللسان ، فانك إن[1] لم تأذن لهم لقعدوا بلا إذن غير مراعين ميثاقهم الذى واثقوك عليه بالطاعة فى العسر و اليسر و المنشط و المكره ؛ قال أبو حيان[2] : و "حتى" غاية الاستفهام - انتهى . و ذلك لأنه و إن كان داخلا على فعل مثبت فمعناه النفى ، أى ما لك لم تحملهم[3] على الغزو معك ليتحقق بذلك الحمل من يطيع و من يعصى ، فالحاصل أن الذى فعله صلى الله عليه و سلم حسن موافق لما أمره[4] الله به فانه لا ينطق عن الهوى بل عن أمر الله إما بإيحاء واصل جديد ، أو استناد إلى وحى سابق حاصل عتيد ، و الذى أشار إليه سبحانه أحسن[5] مثل "ليغفر[6] لك الله[6] ما تقدم من ذنبك" من باب « حسنات الأبرار سيئات المقربين » و من باب[7] الترقية من [8]مقام عال[8] إلى مقام أعلى تسييرا[9] فيهم[10] بالعدل لما انكشف أنهم ليسوا بأهل الفضل ؛ قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى آخر كتاب العروة فى تفاوت وجه الخطاب فيما بين

/٥٠٤

(١) فى ظ : او (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٥/٤٧ (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم يحملهم (٤) فى ظ : امر (٥) زيد فى ظ : فهو (٦-٦) فى ظ : الله لك - كذا و راجع آية ٢ سورة ٤٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) فى ظ : مكان على (٩) من ظ ، و فى الأصل : يسيرا (١٠) فى ظ : فهم .

ما أنزل على وفق[1] الوصية أو أنزل على حكم الكتاب : اعلم أن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة لجميع العالمين و خلقه بالعفو و المعروف، كما ورد فى الكتب السابقة من قوله تعالى « و أجعل العفو و المعروف خلقه » و بذلك وصاه كما ورد عنه صلى الله عليه و سلم [2]أنه قال[2]: أوصانى ربى من غير ترجمان و لا واسطة بسبع خصال : بخشية الله فى السر و العلانية، و أن أصل من قطعنى، و أصفح عمن ظلمنى، و أعطى من حرمنى، و أن يكون نطقى ذكرا، و صمتى فكرا، و نظرى عبرة. فكان فيما أوصاه به ربه تبارك و تعالى من غير ترجمان و لا واسطة أن يصل من قطعه و يصفح عمن ظلمه، و لا أقطع[3] له ممن كفر به و صد عنه، فكان هو صلى الله عليه و سلم - بحكم ما بعث به و جبل عليه و وصى[4] به - ملتزما للعفو عمن ظلمه و الوصل لمن قطعه إلا أن يعلن عليه بالإكراه على ترك ذلك و الرجوع إلى حق العدل و الاقتصاص و الا نتصاف[5] المخالف لسعة وصيته الموافق لما نقل من أحكام سنن الأولين[6] فى مؤاخذتهم[6] بالحق و العدل إلى جامع شرعته ليوجد فيها نحو مما[7] تقدم من الحق و العدل و إن قل، و لتفضل شرعته بما اختص هو به صلى الله و سلم من البعثة بسعة الرحمة [و -[8]] الفضل "ان[9] الله يامر بالعدل و الاحسان". "و ما كان الله ليعذبهم و انت فيهم[10]" فمن القرآن

(١) فى ظ : وجه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : رضى (٥) فى ظ : الاتصاف (٦-٦) من ظ، و فى الأصل : من مواحديهم. (٧) فى ظ : ما (٨) زيد من ظ (٩) من القرآن الكريم - سورة ١٦ آية ٩٠، و فى الأصل و ظ « و » (١٠) سورة ٨ آية ٣٣.

ما أنزل على الوجه الذى بعث له و جبل عليه و وصى به نحو قوله تعالى "ادفع بالتى هى احسن السيئة[١]" و قوله تعالى "خذ العفو و امر بالعرف و اعرض عن الجهلين[٢]" و قوله تعالى "و لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم فى الامر[٣]" و قوله تعالى "فاصفح الصفح الجميل[٤]" و قوله تعالى "فاصفح عنهم و قل سلم[٥]" و أصل معناه فى مضمون قوله تعالى "لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم[٦]" فما كان من المنزل على هذا الوجه تعاضدت فيه الوصية و الكتاب و قبله هو صلى الله عليه و سلم جبلة و حالا و عملا و لم تكن له عنه وقفة لتظافر[٧] الأمرين و توافق الخطابين: خطاب الوصية، و خطاب الكتاب؛ و هذا الوجه [من -[٨]] المنزل خاص بالقرآن العظيم الذى هو خاص به صلى الله عليه و سلم، لم يؤته أحد قبله "و لقد آتيناك سبعا من المثانى و القرآن العظيم[٩]" و من القرآن ما أنزل على حكم العدل و الحق المتقدم فضله فى سنن الأولين و كتب المتقدمين و إمضاء عدل الله سبحانه فى المؤاخذين و الاكتفاء بوصل الواصل و إبعاد المستغنى و الإقبال على القاصد و الانتقام من الشارد، و ذلك خلاف ما جبل الله عليه نبيه و ما وصى به حبيبه صلى الله عليه و سلم؛ [١٠]فكان صلى الله عليه و سلم[١٠] إذا أنزل[١١] عليه - أى من الكتاب - على مقتضى الحق و إمضاء

(١) سورة ٢٣ آية ٩٦ (٢) سورة ٧ آية ١٩٩ (٣) سورة ٣ آية ١٥٩ . (٤) سورة ١٥ آية ٨٥ (٥) سورة ٤٣ آية ٨٩ (٦) سورة ٩ آية ١٢٨ (٧) فى ظ : لتظاهر (٨) زيد من ظ (٩) سورة ١٥ آية ٨٧ (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) فى ظ : نزل .

العدل ترقب تخفيفه و ترجى تيسيره حتى يعلن عليه بالإكراه فى أخذه و التزام حكمه فحينئذ يقوم لله به و يظهر عذره فى إمضائه فيكون له فى[1] خطاب التشديد عليه فى أخذه أعظم مدح و أبلغ ثناء من الله ضد ما يتوهمه[2] الجاهلون، فما أنزل إنباء عن مدحه بتوقفه على إمضاء حكم العدل و الحق رجاء تدارك الخلق و استعطاف الحق ما هو نحو قوله تعالى ٥ "فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا[3]" و نحو قوله تعالى "لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين[4]" و نحو قوله تعالى "و لقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون[5]" و مما أنزل على وجه الإعلان عليه بما هو عليه من الرحمة و توقفه على[6] الأخذ بسنن الأولين حتى يكره عليه ليقوم عذره فى الاقتصار على حكم الوصية ١٠ و حال الجبلة ما هو نحو قوله تعالى "و من يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك فى مرية منه انه الحق من ربك[7]" و نحو قوله تعالى "و لو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم[8] جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين[8]" و نحو قوله تعالى "فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرءون الكتب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك ١٥ فلا تكونن من الممترين[9]" أى لا [تتوقف لطلب الرحمة لهم كما -[10]] يتوقف الممترى فى الشىء أو الشاك فيه [لما -[10]] قد علم أنه لا بد لأمته

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : يتوهم (٣) سورة ١٨ آية ٦ .
(٤) سورة ٢٦ آية ٣ (٥) سورة ١٥ آية ٩٧ (٦) من ظ : و فى الأصل : عن .
(٧) سورة ١١ آية ١٧ (٨) سورة ١٠ آية ٩٩ (٩) سورة ١٠ آية ٩٤ (١٠) زيد من ظ .

من حظ من مضاء كلمة العدل فيهم و حق كلمة العذاب عليهم و إجراء بعضهم دون كلهم على سنة من تقدمهم من أهل الكتب الماضية فى المؤاخذة بذنوبهم و إنفاذ حكم السطوة فيهم فأخذهم الله بذنوبهم " فكلا اخذنا بذنبه[١] " ولم ينفعهم الرجوع عند مشاهدة الآيات " الان و قد عصيت قبل[٢] " "لا تركضوا و[٣] ارجعوا الى ما اترفتم فيه و مسكنكم " و ذلك أن كل مطالع بالعذاب راجع - و لا بد - عن باطله حين[٤] لا ينفعه " و حرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون[٥] " " الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا[٦] " لما أبطن تعالى فى[٧] قلب نبيهم [٨]عليه السلام عزما على هلاكهم ، أظهر تعالى رحمة عليهم ، و لما ملأ نبيه [٨] صلى الله عليه و سلم رحمة لأمته : كافرهم و مؤمنهم و منافقهم ، أشار بأى من إظهار[٩] مؤاخذتهم و أعلم بكف نبيه صلى الله عليه و سلم عن تألفهم و أحسبه[١٠] بمؤمنهم دون كافرهم و منافقهم " يأيها النبى حسبك الله و من اتبعك من المؤمنين[١١] " و كل ذلك[٧] معلوم عنده صلى الله عليه و سلم قبل وقوعه بمضمون قوله تعالى " سنة من قد أرسلنا [قبلك - [١٢]] من

(١) سورة ٢٩ آية ٤٠ (٢) سورة ١٠ آية ٩١ (٣) من ظ و القرآن الكريم سورة ٢١ آية ١٣، و فى الأصل : او (٤) فى ظ : حتى (٥) سورة ٢١ آية ٩٥ .
(٦) سورة ١٠ آية ٩٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٩) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١٠) فى ظ : احتسبه (١١) سورة ٨ آية ٦٤ (١٢) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٧ آية ٧٧ .

رسلنا" "سنة الله التى قد خلت من قبل[١]"، "فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا [به -[٢]] من قبل"، "كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به و قد خلت سنة الاولين[٣]". و لذلك قال صلى الله عليه و سلم حين أنزل عليه "فان كنت فى شك مما انزلنا اليك[٤]": أما أنا فلا أشك و لا أسأل، لأنه قد علم جملة أمر الله فى أن منهم من يتداركه[٥] الرحمة و من يحق[٦] ٥ عليه كلمة العذاب، و لكنه لا يزال ملتزما لتألفهم و استجلابهم حتى يكره على ترك ذلك بعلن خطاب [نحو -[٧]] قوله تعالى "عبس و تولى ان جاءه الاعمى و ما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى و ما عليك الا يزكى و اما من جاءك يسعى و هو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره[٨]" و نحو قوله ١٠ تعالى "ما كان لنبى ان يكون له اسرى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا و الله يريد الأخرة و الله عزيز حكيم لو لا كتب [٩]من الله[٩] سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا و اتقوا الله ان الله غفور رحيم[١٠]"، فهذه الآى و نحوها يسمعها العالم بموقعها[١١] / على ٥٠٦/ إكراه لنبى الرحمة حتى يرجع إلى عدل [نبى -[١٢]] الملحمة من جملة ١٥ أمداح القرآن له و الشهادة له بوفائه بعهد [و -[٧]] وصية حتى تحقق[١٣] له تسميته بنبى الرحمة ثباتا على الوصية و نبى الملحمة إمضاء فى وقت

(١) سورة ٤٨ آية ٢٣ (٢) زيد من القرآن الكريم سورة ٥٠ آية ٧٤ (٣) سورة ١٥ آية ١٢ و ١٣ (٤) سورة ١٠ آية ٩٤ (٥) فى ظ: تداركه (٦) فى ظ: تحق (٧) زيد من ظ (٨) سورة ٨٠ آية ١ - ١٢ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ. (١٠) سورة ٨ آية ٦٧ - ٦٩ (١١) فى ظ: بموقفها (١٢) زيد من ظ غير أن فيه زيادة «إلى» قبله (١٣) فى ظ: يحقق

لحكم الحق و إظهار العدل ، فهو صلى الله عليه و سلم بكل القرآن ممدوح و موصوف بالخلق العظيم [1]جامع لما تضمنته كتب الماضين و ما اختصه الله به من سعة القرآن العظيم[1]، فهذا وجه تفاوت ما بين الوصية و الكتاب فى محكم الخطاب ؛ و الله سميع عليم - انتهى .

٥ و لما فاته صلى الله عليه و سلم معرفتهم بهذا الطريق ، شرع العالم بما فى الضمائر يصفهم له بما يعوض عن ذلك ، فقال على طريق الجواب للسؤال : ﴿ لا يستاذنك ﴾ أى يطلب إذنك[2] بغاية الرغبة فيه ﴿الذين يؤمنون بالله﴾ أى يجددون الإيمان كل وقت حقا من أنفسهم بالملك الذى له صفات الكمال ﴿و اليوم الأخر ﴾ أى الذى يكون فيه الجزاء بالثواب و العقاب

١٠ ﴿ ان ﴾ أى فى أن ﴿ يجاهدوا باموالهم و انفسهم[3] ﴾ بل يبادرون إلى الجهاد عند إشارتك إليه[3] و بعثك عموما عليه فضلا عن أن يستأذنوك فى التخلف عنه ، فان الخلص من المهاجرين و الأنصار كانوا يقولون : لا نستأذنه صلى الله عليه و سلم أبدا فى الجهاد فان ربنا ندبنا إليه مرة بعد مرة فأىّ فائدة فى الاستئذان ! و لنجاهدن معه بأموالنا و أنفسنا ،

١٥ وكانوا بحيث لو أمرهم صلى الله عليه و سلم بالقعود شق عليهم كما وقع لعلى رضى الله عنه فى [غزوة - [4]] تبوك حتى قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ! و لما كان التقدير : فمن اتصف بذلك فاعلم أنه متق باخبار الله . عطف عليه

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ ، و فى الأصل : عليه (٤) زيد من ظ .

قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿عليم[1] بالمتقين ﴾ أى الذين[2] يخافون الله كلهم .

و لما أخبر بالمتقين . عرف بغيرهم على وجه الحصر تأكيدا لتحقيق[3] صفة العلم[4] بما أخبر به سبحانه ، فصار الاستئذان منفيا عن المؤمنين مرتين ، فثبت للنافقين على أبلغ وجه ﴿ انما يستاذنك ﴾ أى فى مثل ذلك فكيف بالاستئذان فى التخلف ! ﴿ الذين لا يؤمنون ﴾ أى يتجدد لهم إيمان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له نهاية العظمة إيمانا مستجمعا للشرائط ﴿ و اليوم الأخر ﴾ لأنهم لا يرجون ثوابا و لا يخافون عقابا و إن ادعوا ذلك بألسنتهم .

و لما كانت [هذه -[5]] صفة المصارحين بالكفر ، بين أن المراد المنافقون بقوله : ﴿ و ارتابت قلوبهم ﴾ أى تابعت الوساوس و تعمدت المشى معها حتى تخلقت بالشك ؛ و لما كان الشاك لا يزال يتجاذبه حسن الفطرة و سوء الوسوسة ، قال : ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنهم ﴿ فى ريبهم يترددون ﴾ أى بين النفى و الإثبات دأب[6] المتحير لا يجزمون بشىء منهما و إن صدقوا أن الله موجود فان المشركين يصدقون بذلك و لكنه لا ينفعهم للاخلال بشرطه ، و ليس استئذانهم فى أن يجاهدوا لإرادة الجهاد بل توطئة لأن[7] يقولوا[8] إذا أمرتهم به : إنه لا عدة لنا فى هذا الوقت فائذن لنا فى التخلف حتى نستعد ! و قد كذبوا ، ما ذلك بهم ،

(١) فى ظ : اعلم (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : لتحقق (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : ذات (٧) من ظ ، وفى الأصل : ان (٨) فى ظ : يقولون .

إنما بهم أنهم لا يريدون الخروج معك ﴿ و لو ارادوا الخروج لاعدوا له ﴾ أى قبل[1] حلوله ﴿ عدة ﴾ أى قوة و أهبة من المتاع و السلاح و الكراع بحيث يكونون متصفين بما قدمت إليهم من التحريض على نحو ما وقع الأمر به فى الأنفال فيكونون[2] كالحاضرين فى صلب الحرب الواقفين
٥ فى الصف قد استعدوا لها بجميع عدتها ﴿ و لكن ﴾ لم يريدوا ذلك قط فلم يعدوا له عدة ، فلما أمرت به شرعوا يعتلون[3] بعدم العدة و ما ذاك بهم ، إنما مانعهم كراهتهم للخروج و ذلك بسبب أن[4] ﴿ كره الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام بأن فعل [فعل -[5]] الكاره فلم يرد ﴿ انبعاثهم ﴾ أى سيرهم معك[6] مطاوعة لأمرهم بذلك لما علم من عدم صلاحيتهم له
١٠ ﴿ فثبطهم ﴾ [أى -[5]] حبسهم عنه حبسا عظيما بما شغلهم بما حبب
/٥٠٧ إليهم من الشهوات و كره إليهم من ارتكاب المشقات بسبب أنهم / لا يرجون ثوابا و لا يخشون غير السيف[7] عقابا ، قصروا هممهم[8] الدنية على الصفات البهيمية ، فلما استولت[9] عليهم الشهوات و ملكتهم الأنفس الدنيات نودوا من قبلها : إلى أين تخرجون ؟ ﴿ و قيل ﴾ أى لهم لما أسرعوا الإقبال إليها
١٥ ﴿ اقعدوا ﴾ أى عن[10] جندى لا تصحبوهم ، و فى قوله - : ﴿ مع القعدين ﴾ أى الذين[11] شأنهم ذلك كالمرضى و الزمنى و الصبيان و النساء - من التبكيت

(١) فى ظ : بعد (٢) فى ظ : فيكون (٣) من ظ ، و فى الأصل : يعملون .
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : معه (٧) من ظ ، و فى الأصل : السعف (٨) من ظ ، و فى الأصل : همهم (٩) فى ظ : اسلت .
(١٠) فى ظ : غير (١١) فى ظ : الذى .

ما لا يعلم مقداره إلا أولو الهمم العلية و الأنفس الأبية ، و عبر بالمجهول إشارة إلى أنهم يطيعون الأمر بالقعود حقيقة و مجازا كائنا من كان كما أنهم يعصون الأمر بالنفر كائنا من كان لأن أنفسهم قابلة للدنايا غير صالحة للمزايا بوجه .

و لما كان كأنه قيل : ما له ثبطهم و قد كنا قاصدين سفرا[1] بعيدا ، و عدوا كثيرا شديدا[2] فنحن محتاجون إلى الإسعاد و لو بتكثير السواد ! قيل : ﴿ لو ﴾ أى فعل بهم ذلك لأنهم لو ﴿ خرجوا فيكم ﴾ أى و إن كانوا قليلا[3] معمورين بجماعاتكم ﴿ ما زادوكم ﴾ أى بخروجهم شيئا من الأشياء ﴿ الا خبالا ﴾ أى ما أتوكم بشىء زائد على ما عندكم من الأشياء غير الخبال ، و الاستثناء مفرغ و المستثنى منه - المقدر الثابت لهم الاتصاف به - هو الشىء ، و ذلك لا يقتضى اتصاف أحد منهم بالخبال قبل خروج المنافقين ، و الخبال : الفساد ، و هو ينظر على الخداع و الأخذ على غرة ﴿ و لا اوضعوا ﴾ أى أوقعوا الإيضاع ، حذف المفعول إشارة إلى أن مرادهم الإيضاع نفسه لا بقيد دابة ، و عبر بالإيضاع لأنه للراكب و هو أسرع من الماشى ﴿ خلالكم ﴾ أى لأسرعوا فى السير ذهابا و إيابا بينكم فى تتبع عوراتكم و انتظار زلاتكم ليجدوا منها مدخلا إلى الفساد بالنميمة و غيرها إن لم يجدوها ، و الإيضاع فى السير يكون برفق و يكون باسراع ، و المراد به هنا الإسراع ، و مادة وضع بجميع تراكيبها تدور على الحركة ، و تارة تكون إلى علو و تارة إلى سفول ، و يلزم ذلك السكونُ و المحلُّ القابل لذلك ، و على ذلك يتمشى العضو و العوض ، و عَوَض الذى هو بمعنى

(١) فى ظ : سفر (٢) من ظ ، و فى الأصل : شديد (٣) فى ظ : قليلين .

الدهر . و ضوع الريح و التصويت بالبكاء ، و الضعة لشجرة فى البادية ، و الوضع للطرح فى مكان و السير اللين و السريع ؛ و الخلال [1]جمع الخلل[1] و هو الفرجة[2] ﴿ يبغونكم ﴾ أى حال كونهم يريدون لكم ﴿ الفتنة ج ﴾ أى بتشتيت الشمل و تفريق الأصحاب و تقدم عند "و قتلوهم حتى لا تكون فتنة" أنها الخلطة المميلة المحيلة ، أى يريدون لكم الشىء الذى يصيبكم فيغير حالتكم إلى ما يسوءكم فيسرهم ﴿ و فيكم ﴾ أى و الحال أنه فيكم ﴿ سمعون لهم[1] ﴾ أى فى غاية القبول لكلامهم لضعف معارفهم و آرائهم . و ربما كان سماعهم منهم مؤديا إلى مطلوبهم ﴿ و الله ﴾ أى الذى أخبركم بهذا من حالهم و له الإحاطة بكل شىء ﴿ عليم ﴾ بهم ، فثقوا بأخبارهم . هكذا كان الأصل و إنما قال : ﴿ بالظلمين ه ﴾ إشارة إلى الوصف الذى أوجب لهم الشقاء بمنعهم عن موطن[3] الخير . و تعميما للحكم بالعلم [بهم و بمن سمع لهم و بكل ظالم -[4]] ، و الحاصل أنه شبه سعيهم فيهم بالفساد بمن يوضع بعيره فى أرض فيها أجرام شاخصة متقاربة ، فهو فى غاية الالتفات إلى معرفة ما فيها من الفرج و التأمل لذلك[5] حذرا من أن يصيبه شىء من تلك الأجرام فيسقيه كأس الحمام ، فلا شغل لهم إلا بغية فسادكم[6] بعدم وصولكم إلى شىء من مرادكم .

و لما أخبر سبحانه بذلك ، و حث على قبول أخبارهم[7] بما وصف

(١-١) فى ظ : خلل (٢) من ظ ، و فى الأصل : فرجة (٣) فى ظ : مواطن . (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : كذلك (٦) فى ظ : فسادهم (٧) فى ظ : اخباره .

به ذاته الأقدس من إحاطة العلم ، شرع يقيم الدليل على ما قال بتذكيرهم بأشياء تقدمت مشاهدتها منهم ، فقال معللا لما أخبر به : ﴿ لقد ابتغوا ﴾ أى طلبوا طلبا عظيما كلهم لكم ﴿ الفتنة ﴾ أى لتشتيتكم ﴿ من قبل ﴾ أى قبل هذه الغزوة فى يوم أحد بكسر قلوب العسكر بالرجوع عنه حتى كاد بعضهم أن يفشل و فى المريسيع / بما قال ابن أبى "ليخرجن الاعز ٥ /٥٠٨ منها الاذل[1]" و فى غزوة الخندق بما وقع منهم من التكذيب فى أخذ كنوز كسرى و قيصر و الإرجاف بكم فى نقض بنى قريظة و غير ذلك كما[2] صنعوا قبله فى غزوة قينقاع و النضير فى قصدهم تقوية[3] كل منهم[4] عليكم و فى غير ذلك من أيام الله التى عكس فيها قصودهم و أنعس جدودهم[4] ﴿ و قلبوا ﴾ أى [5]تقليبا كثيرا[5] ﴿ لك الامور ﴾ أى التى[6] لك فيها أذى ١٠ ظهرا لبطن باحالة الآراء و تدبير المكايد و الحيل لعلهم يجدون فرصة فى نقض أمرك ينتهزونها أو ثغرة فى حالة يوسعونها ، و امتد بهم الحال فى هذا المحال ﴿ [7]حتى جآء الحق[7] ﴾ أى الثابت الذى لا مراء[8] فى مزاولته بما[9] تقدم به وعده سبحانه من إظهار الدين و قمع المفسدين ﴿ [4]وظهر[4] امر الله ﴾ أى المتصف بجميع صفات الكمال من الجلال ١٥ و الجمال حتى لا مطمع لهم فى ستره[10] ﴿ وهم كرهون ٥ ﴾ أى لجميع

(١) سورة ٦٣ آية ٨ (٢) فى ظ: بما (٣) من ظ، وفى الأصل: يقونه (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) تقدم ما بين الرقمين فى ظ على " وقلبوا " (٦) فى ظ : الذى (٧ - ٧) فى ظ : ان الامور (٨) فى ظ : امرام (٩) فى ظ : بما . (١٠) من ظ ، و فى الأصل : سره .

ذلك فلم يبق لهم مطمع فى محاولة بمواجهة و لا[1] مخاتلة فصارهمهم[2] الآن الاعتزال و المبالغة فى إخفاء الأحوال و ستر الأفعال و الأقوال .

و لما أجملهم فى هذا الحكم ، وكان قد أشار إلى أن منهم من كان قد استأذن فى الخروج توطئة للاعتذار عنه ، شرع يفصلهم ، و بدأ المفصلين بمن[3] صرح بالاستئذان فى القعود فقال عاطفا على[4] " لقد ابتغوا " : ﴿ و منهم من يقول ﴾ أى فى جبلته تجديد هذا القول من غير احتشام ﴿ ائذن لى ﴾ أى فى التخلف عنك ﴿ و لا تفتنى ﴾ أى تكن سببا فى فتنتى بالجزم بالأمر بالنفر[5] فأفتتن إما بأن أتخلف فأكون مصارحا بالمعصية أو أسافر فأميل إلى نساء بنى الأصفر فأرتد عن الدين[6] فانه لا صبر لى عن النساء ، و قائل ذلك هو الجد بن قيس ، كان من الأنصار منافقا .

و لما أظهروا أنهم قصدوا البعد من شىء فاذا هم قد ارتكبوا فيه ، انتهزت فرصة[7] الإخبار بذلك على أبلغ وجه بادخال ناف على ناف لتحصيل[8] الثبوت الأكيد باقرار المسؤل فقيل : ﴿ الا فى الفتنة سقطوا ﴾ أى بما قالوا و فعلوا ، فصارت ظرفا لهم فوضعوا أنفسهم بذلك فى جهنم ، [و -[9]] فى التعبير بالسقوط دلالة على انتشابهم فى أشراك الفتنة انتشابا سريعا بقوة فصار يعسر خلاصهم معه ﴿ و ان جهنم لمحيطة ﴾ أى بسبب إحاطة الفتنة - التى أسقطوا[10] أنفسهم فيها - بهم ، و إنما قال : ﴿ بالكفرين ﴾

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : همهم (٣) فى ظ : ممن (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : بالسفر (٦) من ظ ، و فى الأصل : الدنيا (٧) من ظ ، و فى الأصل : فقصه - كذا (٨) فى ظ : ليحصل (٩) زيد ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : سقطوا .

تعميما

تعميما و تنبيها على الوصف الذى حملهم على ذلك .

و لما كان كأنه قيل : ما الفتنة التى سقطوا فيها فأحاطت بهم جهنم بسببها ؟ قيل : ﴿ ان ﴾ أى هى كونهم أن ، و يجوز أن يكون[1] علة لإحاطة جهنم بهم ، [و كأنهم - لأجل أنهم من الأوس و الخزرج فالأنصار أقاربهم - خصوا النبى صلى الله عليه و سلم بالعداوة و شديد الحنق ، و كذا أيضا كان لا يسوءهم و يسرهم من الحسنة و السيئة إلا ما له وقع - بما أذن به التعبير بالإصابة دون المس - لا ما دونه ، حفظا لقلوب أقاربهم و رعيا لأسرار نسائهم ، فقال إشارة إلى ذلك -[2]] : ﴿ تصبك ﴾ أى بتقدير الله [ذلك -[2]] ﴿ حسنة ﴾ أى[3] بنصر أو غيره ﴿ تسؤهم ج ﴾ أى لما فى قلوبهم من الضغن و المرض ﴿ و ان تصبك مصيبة[4] ﴾ أى [نكبة -[2]] و إن صغرت كما وقع يوم أحد ﴿ يقولوا ﴾ أى سرورا و تبجحا بحسن آرائهم ﴿ قد اخذنآ امرنا ﴾ أى عصينا الذى أمرنا و لم نسلم قيادنا لأحد فنكون[5] كالأعمه[6] ، لأن الأمر الحادثة و ضد النهى ، و منه الأمير ، رجل إمّر و إمرة - بتشديد الميم المفتوحة مع كسر الهمزة و تفتح[7] : ضعيف الرأى ، يوافق كل أحد على ما يريد من أمره كله ، و هو الأعمه[8]

(١) فى ظ : تكون (٢) زيد ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى ظ : بتقدير الله .
(٤) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : سيئة (٥) من ظ ، و فى الأصل : فيكون (٦) وقع فى الأصل و ظ : كالامعه - مقلوبا عما أثبتناه ، و ليس فى المعاجم ما ينص على مادته المقلوبة ، و العمه هو فى البصيرة مثل العمى فى البصر كما قاله ابن الأثير (٧) فى ظ : بفتح (٨) فى الأصل و ظ : الامعه .

وزنا و معى ﴿من قبل﴾ أى قبل أن تكون هذه المصيبة ، فلم نكن مؤتمرين بأمره فيصيبنا فلم يكن ما أصاب من تبعه ، فكان أمرهم - لو كانوا مطيعين - كان شيئا متحققا بيد الآمر ، فلما عصوه كانوا كأنهم قد أخذوه منه .

و لما كان قولهم هذا بعيدا عن الاستقامة ، فكان جديرا بأن لا يقال[1] ، و إن قيل كان حقيقا بأن يستقال بالمبادرة إلى الرجوع عنه و الاستغفار منه ، أشار تعالى إلى تماديهم فيه فقال : ﴿و يتولوا﴾ أى عن مقامهم هذا الذى قالوا فيه ذلك و إن طال إلى إهاليهم ﴿وهم فرحون﴾ أى لمصيبتكم لكفرهم[2] و لخلاصهم منها .

و لما كان قولهم هذا متضمنا / لتوهمهم القدرة على الاحتراس من القدر[3] ، قال تعالى معلما بجوابهم مخاطبا للرأس لعلو المقام : ﴿ قل ﴾ أى إنا نحن لا نقول مقالتكم لمعرفتنا بأنا لا نملك ضرا و لا نفعا ، بل نقول : ﴿لن يصيبنآ﴾ أى من الخير و الشر ﴿الا ما كتب﴾ أى قدر ﴿الله﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ، [و لما كان قضاء الله كله خيرا للمؤمن إن أصابته سراء شكر و إن أصابته ضراء صبر ، عبر باللام فقال - [4]] : ﴿لنا﴾ أى لا يقدر على رده عنا إلا هو سبحانه ﴿هو﴾ أى وحده ﴿مولنا﴾ أى القريب منا الذى يلى جميع أمورنا ، لا قريب منا سواه ، فلو أراد لدفع عنا كل مصيبة لأنه أقرب إلينا منها ، لا تصل إلينا بدون علمه و هو قادر ، فنحن نعلم أن له فى ذلك لطيف سريرة تتضاءل دونها ثواقب الأفكار و تخسأ عن الإحاطة بتحقيقها نوافذ الأبصار فنحن لا تهمه فى قضائه لأنا قد توكلنا عليه و فوضنا أمورنا إليه ، و الموكل

/٥٠٩

(١) فى ظ : لايقاتل (٢) فى ظ : لكفركم (٣) فى ظ : القدرة (٤) زيد من ظ .

لا يتهم الوكيل ﴿ و على الله ﴾ أى الملك الأعلى لا غيره ﴿ فليتوكل المؤمنون ﴾ أى كلهم توكلا عظيما جازما لا معدل عنه ، فالفيصل بين المؤمن و الكافر هو إسلام النفس إليه وحده بلا اعتراض عليه يقلبها كيف يشاء[1] و يحكم فيها بما يريد .

و لما تضمن ذلك أن سراءهم و ضراءهم لهم خير من حيث أن الرضى ٥ بمر القضاء موجب لإقبال القاضى على المقضى[2] عليه بالرأفة و الرحمة ، صرح بذلك فى قوله : ﴿ قل هل تربصون ﴾ أى تنتظرون انتظارا عظيما ﴿ بنآ الآ احدى الحسنيين ﴾ أى و هى أن نصيب أعداءنا فنظفر و نغنم و نؤجر أو يصيبونا بقتل[3] أو غيره فنؤجر ، و كلا الأمرين حسن : أما السراء التى توافقوننا[4] على حسنها فأمرها واضح ، و أما الضراء فموجبة ١٠ لرضى الله عنا و مثوبته لنا بالصبر عليها و رضانا بها إجلالا له و تسليما لأمره فهى[5] حسنى كما نعلم لا سوأى كما تتوهمون ﴿ و نحن نتربص بكم ﴾ أى ننتظر إحدى السوأيين و هى ﴿ ان يصيبكم الله ﴾ أى الذى له جميع القدرة و نحن من حزبه ﴿ بعذاب من عنده ﴾ أى لا تسبب لنا فيه كما أهلك القرون الأولى بصائر للناس ﴿ او بايدينا ﴾ أى بسببنا من قتل ١٥ أو نهب و أسر و ضرب و غير ذلك لأن حذركم لا يمنعكم من الله ، و كل ذلك مكروه عندكم .

و لما تسبب عن هذا البيان أن السوء خاصة بحزب الشيطان ، حسن

---

(١) فى ظ : شاء (٢) من ظ . و فى الأصل : المقتضى (٣) من ظ ، و فى الأصل : بعتد (٤) فى ظ : توافقونها (٥) فى ظ : فهو .

أن يؤمروا تهكما [بهم -] [2]بما أداهم[2] إلى ذلك تخسيسا لشأنهم فقال : ﴿ فتربصوا ﴾ أى أنتم ﴿ انا ﴾ أى نحن ﴿ معكم متربصون ۝ ﴾ أى بكم ، نفعل كما تفعلون ، و القصد[3] مختلف ، و الآية[4] من الاحتباك : حذف أولا الإصابة للدلالة عليها بما أثبت ثانيا ، و ثانيا إحدى السوأيين للدلالة ٥ عليها باثبات الحسنيين أولا .

و لما كان من جملة ما يصيبهم منهم من العذاب الإنفاق بتزكية ما طهر من أموالهم بالإعانة فى سبيل الله خوفا من اتهامهم بالنفاق فى أقوالهم ليفتدوا أنفسهم به من السفر ، قال : ﴿ قل انفقوا ﴾ أى أوجدوا الإنفاق لكل ما يسمى إنفاقا ﴿ طوعا او كرها ﴾ أى مظهرين الطواعية ١٠ أو مظهرين الكراهية ؛ و لما كان الإعراض عنهم إنما سببه كفرهم لا إنفاقهم ، لم يربط الجواب بالفاء بل قال : ﴿ لن يتقبل منكم ط ﴾ أى يقع تقبل لشىء يأتى من قبلكم أصلا من أحد له أن يتقبل كائنا من كان ، و لذلك بناه للمفعول ، لأن قلوبكم كارهة ليست لها نية صالحة فى الإنفاق و لا فى غيره ، فانقسام إنفاقكم إلى طوع و كره إنما هو باعتبار الظاهر ، و كأنه ١٥ عبر بالتفعل إشارة إلى قبوله منهم ظاهرا ؛ و لما كان غير مقبول باطنا على حال من الأحوال علل بقوله : ﴿ انكم كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ قوما فسقين ۝ ﴾ [5]أى عريقين فى الفسق بالغين أنهى غاياته -[5] .

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الفصل (٤) زيد بعده فى الأصل : مبنيا ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .
(٥-٥) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « عبر بالمجرد » و الترتيب من ظ .

و لما علل بالعراقة[1] فى الخروج عن الطاعة، بينه فى قوله: ﴿ و ما منعهم ان تقبل ﴾ أى باطنا، و لذا عبر بالمجرد، [و لذا بناه للفعول لأن النافع القبول فى نفس الأمر لا كونه من معين -[2]] ﴿ منهم نفقتهم ﴾ أى و إن جلت ﴿ الآ انهم كفروا / بالله ﴾ أى الذى / ٥١٠ له جميع صفات الكمال من الجلال و الجمال لفساد جبلاتهم و سوء غرائزهم[3]. ٥

و لما كان قبول النفقات مهيئا للطهارة التى تؤثرها[4] الصلاة، كان السياق لعدم قبولها - ليتسبب عنه النهى عن الصلاة عليهم - أبلغ لأنه أدل على الخبث، فأكد[5] كفرهم بزيادة الجار إشعارا بأن الكفر بكل منهما على حياله مانع فقال: ﴿ و برسوله[6] ﴾ أى فسقهم بأنهم غير مؤمنين و هو السبب المانع بمفرده من القبول؛ ثم قدح فى شاهدى ما يظهرون ١٠ من الإيمان و هما الصلاة و الزكاة و غيرهما من الإنفاق فى الخيرات بما هو لازم للكفر و دال عليه فقال: ﴿ و لا ياتون الصلوٰة ﴾ أى المفروضة و غيرها ﴿ الا و هم كسالى ﴾ أى فى حال كسلهم، لا يأتونها قط بنشاط ﴿ و لا ينفقون ﴾ أى نفقة من واجب أو غيره ﴿ الا و هم كرهون ﴾ أى فى حال الكراهة و إن ظهر لكم[7] خلاف ذلك، و ذلك كله لعدم ١٥ النية الصالحة و اعتقاد الآخرة، و هذا لا ينافى طوعا لأن ذلك بحسب الفرض أو الظاهر و هذا بحسب الواقع.

---

(١) من ظ، و فى الأصل: بالكرامة (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: غرائزه.
(٤) فى ظ: تورها (٥) من ظ، و فى الأصل: اكد (٦) فى ظ: رسوله (٧) فى ظ: لهم.

و لما انتفى عن أموالهم النفع الأخروى الذى هو النفع ، تسبب عن ذلك الزهد فيها الموجب لعدم الالتفات إليها و عدم اعتقاد أن فيها بركة و دلالة على خير ، فقال - مبينا ما فيها من الفساد الذى يظن أنه صلاح : ﴿فلا﴾ - بفاء السبب ، فالسياق أبلغ من سياق الآتية بعد النهى عن الصلاة عليهم[1] ﴿ تعجبك اموالهم[2] ﴾ أى و إن أنفقوها فى سبيلى و جهزوا بها الغزاة . فان ذلك عن غير إخلاص منهم و لا حسن نية و لا جميل طوية ، و إنما هو لما أذلهم من عزة الإسلام و أخافهم من سطوة الانتقام فهو من جملة العذاب ، و عطف عليها الأولاد لمشاركتها [لها - [3]] فى الملاذ و القوة و الاستعمال فى الجهاد ، فقال مؤكدا للنفى باعادة النافى[4] : ﴿و لآ اولادهم﴾ فكأنه قيل : فما ذا يراد باعطائهم ذلك؟ و لو منعوها و أعطيها المخلصون لكان قوة للدين ، فقال : ﴿انما يريد الله﴾ أى يوقع الإرادة لهم بها الملك الذى له الإحاطة بجميع الحكمة كما أن [له - [3]] الإحاطة بتمام القدرة ، و أبلغ فى الحصر بادخال اللام[5] فى قوله : ﴿ ليعذبهم ﴾ أى لأجل أن يعذبهم ﴿ بها فى الحيوة ﴾ أى و إن كان يترا آى أنها لذيذة ، لأن ذلك من شأن الحياة فانما هى لهم موت فى الحقيقة ﴿ الدنيا ﴾ أى تارة بجمعها و تربيتها و تارة ببذلها كرها فى سبيل الله أو فى تزكيتها و تارة بغير ذلك ﴿ و تزهق ﴾ أى و إنما يريد بتمكينهم منها[5] لأجل أن يخرج وقت الموت بغاية الصعوبة ﴿انفسهم﴾

(١) راجع آية ٨٥ (٢) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : اموالكم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : النفى (٥) سقط من ظ .

أى بسببها ﴿ وهم ﴾ أى والحال أنهم ﴿ كفرون ٥ ﴾ أى عريقون فى الكفر ، وهكذا كل من أراد استدراجه سبحانه فانه فى الغالب يكثر أموالهم وأولادهم لنحو هذا لأنهم إذا رأوا زيادتهم بها على بعض المخلصين ظنوا أن ذلك إنما هو لكرامتهم[1] وحسن حالتهم[2] فيستمرون عليها[2] حتى يموتوا فهو سبحانه لم يرد بها منحتهم بل فتنتهم ومحنتهم ، وأما الدين فان القادر يقويه بغير ذلك فيكون[3] أظهر لدليله وأوضح[4] لسبيله ؛ فالحاصل أنه ظهر لهم أنهم أكرموا بها وخفى عنهم أنها سبب لعذابهم فى الحياة باتكالهم[5] عليها ، وفى الممات بصعوبته عليهم[6] المشار إليه بالزهوق ، وفى الآخرة بسبب موتهم على حال الكفر باستدراجهم بها[7] ، وأما المؤمن فلا يموت حتى[8] يرى من الثواب ما يسليه عن كل شىء فيشتاق إلى لقاء الله وتخرج نفسه وهو فى غاية المحبة لخروجها لأن البدن عائق له عما يرى .

ولما وضح بهذه الأمور منابذتهم للمؤمنين وخروجهم من ربقة الدين المصحح لوصفهم بالفسق ، أوضح لبسا آخر من أحوالهم يقيمونه بالأيمان الكاذبة فقال : ﴿ ويحلفون ﴾ أى طلبوا لكم الفتنة والحال أنهم يجددون الأيمان / ﴿ بالله ﴾ أى على ما له من تمام العظمة ﴿ انهم ﴾ أى المنافقين ﴿ لمنكم[1] ﴾ أى أيها المؤمنون على اعتقادكم باطنا كما هم ظاهرا ﴿ وما ﴾ / ٥١١

(١) فى ظ : لكرمتهم (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : فيتشمرون عليها .
(٣) فى ظ : ليكون (٤) من ظ ، وفى الأصل : اصح (٥) من ظ ، وفى الأصل : بانكلابهم - كذا (٦) فى ظ : عليه (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : فلا .

أى و الحال أنهم ما ﴿ هم ﴾ صادقين فى حلفهم أنهم ﴿ منكم و لكنهم قوم ﴾ أى مع أن لهم قوة و قياما شديدا فيما يحاولونه ﴿ يفرقون ۝ ﴾ أى يخافون منكم على دمائهم خوفا عظيما يفرق همومهم فهو الملجئ لهم إلى الحلف كذبا على التظاهر بالإسلام ، فكأنه قيل : فما لهم يقيمون بيننا و المبغض لا يعاشر من يبغضه ؟ فقيل : لأنهم لا يجدون ما[1] يحميهم منكم ﴿ لو يجدون ملجا ﴾ أى شيئا يلجأون إليه من حصن أو جبل أو قوم يمنعونهم منكم ﴿ او مغٰرٰت ﴾ فى الجبال تسعهم ، جمع مغارة - مفعلة من غار فى الشىء - إذا دخل فيه ، و الغور : ما انخفض من الأرض .

و لما كانت الغيران - و هى النقوب فى الجبال - واسعة و الوصول إليها سهلا ، قال : ﴿ او مدخلا ﴾ أى مكانا يدخلونه بغاية العسر و الصعوبة لضيقه أو لمانع[2] فى طريقه أو قوما يداخلونهم و إن كانوا يكرهونهم - بما أرشد إليه التشديد : ﴿ لولوا اليه ﴾ أى لاشتدوا فى التوجه إليه متولين مرتدين[3] عنكم على أعقابهم ﴿ و هم يجمحون ۝ ﴾ أى حالهم حال الدابة التى كانت مسرعة فى طواعية راكبها فاذا هى قد نكصت على عقبها ثم أخذت فى غير قصده بغاية الإسراع و نهاية الرغبة و الداعية لا يردها بئر تقع فيه و لا مهلكة[4] و لا شىء .

و لما قرر حال من يتخلف عن الجهاد ، و ربما بذل ماله[5] فيه افتداء لسفره ، شرع فى ذكر من يشاركه فى الإنفاق [و النفاق و يخالفه -[6]]

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : مانع (٣) فى ظ : مدبرين (٤) من ظ ، و فى الأصل : مهلك (٥) من ظ ، و فى الأصل : مال (٦) زيد من ظ .

فقال : ﴿ و منهم من يلمزك ﴾ أى يعيبك عند مشاكليه[1] على طريق الملازمة فى ستر[2] و خفاء أو تظاهر و قلة حياء ﴿ فى الصدقت ج ﴾ أى اللاتى تؤتيها لأتباعك ، [و لما أخبر عن اللمز ، أخبر أنه لحظ نفسه لا للدين فقال - [3]] : ﴿ فان اعطوا منها رضوا ﴾ أى عنك[4] ﴿ و ان لم يعطوا منها ﴾ فاجأوا السخط الذى يتجدد فى كل لحظة و لم يتخلفوا عنه أصلا ، و عبر عن ٥ ذلك بقوله : ﴿ اذا هم يسخطون ه ﴾ فوافقوا الأولين فى جعل الدنيا همهم ، و خالفوهم فى أن أولئك أنفقوا ليتمتعوا بالتخلف و هؤلاء طلبوا ليتنعموا بنفس المال الذى يأخذونه ؛ قيل : إنها نزلت فى ذى الخويصرة[5] لما قال للنبى صلى الله عليه و سلم و هو يقسم غنائم حنين : اعدل يا محمد ! فانى لم أرك تعدل ، فقال له النبى صلى الله عليه و سلم : ويلك ! و من يعدل ١٠ إذا لم أعدل ؟ و سيأتى حديثه .

و لما أخبر تعالى عن حالهم السيء[6] [الدنىء - [7]] الذى لا يجديهم فى الدنيا و يهلكهم فى الأخرى[4] ، نبههم على ما هو الأصلح [7] لهم من[7] الحال الشريف السنى فقال : ﴿ و لو انهم ﴾ أى المنافقين ﴿ رضوا مآ[8] اتىهم الله ﴾ أى المنعم بجميع النعم لأن له جميع الكمال ﴿ و رسوله ﴾ الذى عظمته ١٥ من عظمته قل ذلك المؤتى أو كثر طال زمنه أو قصر ﴿ و قالوا ﴾ أى مع الرضى[9] ﴿ حسبنا الله ﴾ أى كافينا لأن له جميع العظمة فهو الغنى المطلق .

---

(١) فى ظ : شياطينه - كذا (٢) فى ظ : تستر (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : عندك (٥) و اسمه حرقوص بن زهير - راجع لباب التأويل ٣ / ٨٨ (٦) فى ظ : الآخرة (٧ - ٧) فى ظ : فى (٨) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : بما . (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها .

و لما كانت الكفاية تارة تكون بالتنجيز العاجل و تارة بالوثوق بالوعد الآجل ، بين أن الثانى هو المراد لأنه أدل على الإيمان فقال : ﴿ سيؤتينا الله ﴾ أى الملك الأعظم بوعد لا خلف فيه و اعتقدوا أن لا حق لأحد[1] فقالوا[2] : ﴿ من فضله و رسوله[1] ﴾ أى الذى لا يخالف أمره ، [على - [3]] ما قدر لنا فى الأزل ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم : ﴿ انآ الى الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال وحده ﴿ رٰغبون ع ﴾ أى عريقون فى الرغبة ، فلذلك نكتفى بما يأتى من قبله كائنا ما كان ، أى لكان ذلك خيرا لهم لأنه لا ينالهم إلا ما قسم سبحانه لهم شاؤا أو أبوا .

و لما أخبر عن لمزهم فى الصدقات و قرر ما هو خير لهم إرشادا لهم إلى النجاة ، علل فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم [فيها - [3]] و بين أنه لا يفعل غيره لأنه الحق الذى لا يجوز فى شرعه الأكمل غيره لمزوا أو[4] تركوا زهدوا أو رغبوا فقال معبرا / [5] - بأداة القصر على ما ذكر : ﴿ انما الصدقت ﴾ أى هذا الجنس بجميع ما صدق من أفراده ، و الظاهر أنه قدم الأهم فالأهم ، فلذا قال الشافعى : إن الفقير أشدهم حاجة لكونه ابتدأ به ، فقال : ﴿ للفقرآء ﴾ أى الذين لاشىء لهم أو لهم شىء لا يقع موقعا من كفايتهم ﴿ و المسكين ﴾ أى الذين لا كفاية لهم بدليل "اما السفينة[6]" - الآية ، و أما "مسكينا

/٥١٢

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ «و» (٥) ومن هنا تعرض الأصل لنقص صفحتين كاملتين : ٥١٢ و ٥١٣ ، فسددنا هذا النقص بنسخة ظ (٦) سورة ١٨ آية ٧٩ .

دا متربة [1] فتقييده دل على أن المطلق بخلافه ﴿ والعاملين عليها ﴾ أى المؤتمنين فى السعاية والولاية على جمعها ﴿ والمؤلفة قلوبهم ﴾ أى [2] ليسلموا أو يسلم بسببهم غيرهم أو يثبتوا على إسلامهم ؛ روى البخارى فى التفسير وغيره عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : بعث إلى النبى صلى الله عليه وسلم بشىء فقسمه بين أربعة وقال : أتألفهم ، فقال رجل : ما عدلت ! ٥ فقال : يخرج من ضئضئ [3] هذا قوم يمرقون من الدين . وفى رواية : فاستأذنه رجل [4] فى ضرب عنقه فقال : لا ، دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم - الحديث . ولئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد [5] . ولا يقال : إن العلة مقتضية لقتلهم لا للكف عنهم فان عمله بالمقام الخضرى - كما تقدم - أنه ما من كرامة لنبى إلا وله صلى الله عليه وسلم ١٠ مثلها أو أعلى [6] منها بنفسه أو بأحد من أمته .

ولما فرغ من هذه [7] الأصناف الأربعة الذين يعطون الصدقة فى أيديهم يتصرفون فيها كيف شاؤا ، كما دل عليه التعبير [باللام ، ذكر الذين يعطون الصدقة لقضاء ما بهم كما دل عليه التعبير - [8]] بـ « فى »

(١) سورة ٩٠ آية ١٦ (٢) فى ظ : او (٣) و الضئضئ : النسل (٤) و رواية البغوى فى المعالم تنص على أنه عمر بن الخطاب - راجع هامش لباب التأويل ٣/٨٨.
(٥) وهذه الرواية قد خرجها فى كنز العمال - قتل الخوارج (٦) فى ظ : على - كذا (٧) تأخر فى ظ عن « الأصناف » (٨) ما بين الحاجزين زدناه لاستقامة العبارة ، وهو أقرب نسج على منوال المؤلف ، وقال فى لباب التأويل ٣/٩٢ : وهى أن الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها يدفع إليهم نصيبهم من الصدقات =

فقال : ﴿ و فى الرقاب ﴾ أى و المكاتبين بسبب فك رقابهم من الرق ﴿ و الغٰرمين ﴾ أى الذين استدانوا فى غير معصية ، يصرف ما يعطونه إلى قضاء ديونهم فقط ﴿ و فى ﴾ أى و المجاهدين فى ﴿ سبيل الله ﴾ أى الذى له الأمر كله بالنفقة و الحمل و الإعانة بالسلاح و غير ذلك ، ونقل القفال[1] عن بعض الفقهاء أنه عمم السبيل فأجاز صرفه إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى و عمارة المساجد و نحوها ﴿ و ابن السبيل[2] ﴾ و هو المسافر المنقطع عن بلده ، يعطى ما يوصله [إليه ، ففيه إشارة -[3]] إلى أن رسولنا صلى الله عليه و سلم لم يفعل ما أدى إلى لمزهم له بسببه إلا بأمر حقا ، فانا قد عينّا له أهل الصدقات فهو لا يعدل عنهم لشىء من الأشياء لأنه واقف عند ما يرضينا ، فان كانوا منهم أعطاهم و إلا منعهم رضى من رضى و سخط من سخط ، و قد فرض ذلك ، أو ثابتة[3] للفقراء حال كونها ﴿ فريضة ﴾ كائنة ﴿ من الله[4] ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما لعلمه بأن فى ذلك أعظم صلاح ، و هذا كالزجر عن مخالفة الظاهر ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم بما يصلح الدين و الدنيا و يؤلف بين قلوب المؤمنين ﴿ حكيم ٥ ﴾ أى فهو

= فيصرفون ذلك فيما شاؤا ، و أما الرقاب فيوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم من الرق و لا يدفع إليهم ولا يمكنون من التصرف فيه .

(١) و المشهور بالقفال فى الفقهاء الشافعية سعيد بن عمرو النجار و عبد الله بن أحمد المروزى و محمد بن على الشاشى و ابنه القاسم بن محمد بن على الشاشى (٢) زدناه لتعديل العبارة (٣) فى ظ : تابيه - كذا .

يجعل

يجعل أفعاله من الإحكام بحيث لا يقدر غيره على نقضها ؛ قال أبو حيان : « بما » [إن - [1]] كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها ، و إن [كانت - [1]] لم توضع للحصر فالحصر مستفاد من الأوصاف إذ مناط الحكم بالوصف يقتضى التعليل به ، و التعليل بالشيء يقتضى الاقتصار عليه . و حكمة الزكاة من جهة المالك أن المال محبوب لأنه يحصل المحبوب ٥ و التمادى فى حبه يوجب[2] الإعراض عن الله المعطى له ، فكان من الحكمة تذكير المالك له بالمالك الحقيق فى أنه أوجب عليه إخراج طائفة منه ليكف منه انصباب النفس بالكلية إليه و يطهر النفس عن محبتها له و يطهره عن محض الإنفاق فى الشهوات ، و من جهة الآخذ أنه لما اجتمعت حاجته إليه و حاجة المالك - و لو احتمالا - كان هناك ١٠ سببان للتسلط على المال : أحدهما اكتساب المالك له ، و الثانى احتياج الآخذ إليه ، فروعى السببان بقدر الإمكان ، و رجح المالك بابقاء الكثير ، و صرف إلى الآخذ اليسير . و أجرى الشافعى الآية على ظاهرها فقال : إن أخرجها ذو المال سقط سهم العامل مع سهم المؤلفة و صرف إلى الستة الأصناف . و إن قسم الإمام فعلى سبعة ، و يجب أن يعطى من كل ١٥ صنف ثلاثة أنفس ، و من لم يوجد من الأصناف رد نصيبه على الباقين[3] و يستوى بين الأصناف لا بين آحاد الصنف . و قال[4] أبو حنيفة : يجوز صرف الكل لواحد من الأصناف لأن الآية أوجبت أن لا تخرج

(١) زيد من البحر المحيط ٥/٥٧ (٢) فى ظ : يعجب (٣) فى ظ : البقين - كذا ، و المسألة مذكورة فى الزكاة من كتاب الأم (٤) فى ظ : قا - كذا .

الصدقة عنهم ، لا أن تكون فى جميع الأصناف - و هو قول عمر بن الخطاب و حذيفة و ابن عباس رضى الله عنهم و سعيد بن جبير و عطاء و أبى العالية و ميمون بن مهران[1] .

و لما بين الصنفين السالفين ، و ختم أمرهما بصفتى العلم و الحكمة ، أتبعهما بصنف آخر يؤذى بما يجعله نقصا فى صفات الرسول صلى الله عليه و سلم فيلزم الطعن فى علم مرسله و حكمته فقال : ﴿ و منهم الذين يؤذون النبى ﴾ أى الذى أعلى الله مقداره ، فهو ينبئه بما يريد سبحانه من خفايا الأسرار ؛ و لما أخبر بمطلق الأذى الشامل للقول و الفعل ، عطف عليه قوله : ﴿ و يقولون هو ﴾ أى من فرط سماعه لما يقال له ﴿ اذن[1] ﴾ و مرادهم أنه يصدق كل ما يسمع و يقبل قول كل أحد - كما سمى الجاسوس عينا ؛ قال أبو حيان : كان خذام[2] بن خالد و عبيد بن هلال و الجلاس ابن سويد فى آخرين يؤذون رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال بعضهم : لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه فيوقع بنا ، فقال الجلاس : بل نقول ما شئنا فان محمدا أذن سامعة ، ثم نأتيه فيصدقنا ، فنزلت ، و قيل غير ذلك ، يقال : رجل أذن - إذا كان يسمع مقال كل أحد ، يستوى فيه الواحد و الجمع[3] - انتهى . و مرادهم أنه صلى الله عليه و سلم لا يعرف مكر[4] من يمكر به و خداع من يخادعه و كذبوا ، هو أعرف الناس بذلك ، و لكنه

(١) راجع البحر ٥/٥٧ و ٥٨ (٢) و فى البحر المحيط ٥/٦٢ : قدام - كذا ، و ورد هذا الاسم فى المغازى للواقدى كما فى أصلنا - راجع غزوة تبوك من المغازى (٣) و هذا القول منسوب إلى الجوهرى (٤) فى ظ : منكر - كذا .

يعرض عند المصالح ، لا يليق بمحاسن الدين غيرها ، بينها تعالى بقوله : ﴿قل اذن خير﴾ ثم بين [أن - [1]] نفع ذلك عائد إليهم بقوله : ﴿لكم﴾ ثم فسر ذلك بقوله : ﴿يؤمن﴾ أي يوقع الإيمان للملائكة الذين يأتونه عن الله من التكذيب بأن يصدقهم معترفا ﴿بالله﴾ أي بسبب ما يخبرونه عنه به حق الإيمان لما له من كمال العلم بما له سبحانه من صفات الجلال ٥ و الإكرام ؛ و حاصله أن فعل الإيمان ضمن فعل التصديق ثم حذف و انتزعت منه حال أقيمت مقامه ثم حذفت و أتى بصلة تدل عليها كما قالوا في قوله تعالى "و لتكبروا الله على ما هديكم[2]" أن التقدير : حامدين على ما هداكم ، فالتقدير هنا : يؤمن مصدقا بالله ، فهذا حقيقته و هو يثمر محبة المؤمنين و ولايتهم ، و لذا أتبعه قوله : ﴿و يؤمن للمؤمنين﴾ أي الراسخين ، ١٠ يوقع الإيمان لهم من التكذيب بأن يصدقهم في كل ما يخبرونه به مما يحتمل التصديق ، و ذلك لأجل مصالحهم و التأليف بينهم مع ما ثبت من صدقهم ، فانه لو حملهم على عقله و مبلغ علمه يحبه الكاذب و عاقب الخائن بمجرد علمه و تفرسه ، لقصرت عن ذلك غالب الأفهام و تاهت بسببه أكثر الأوهام ، فنفرت القلوب و وقع من الأغلب الاتهام . و لما ١٥ كان التصديق بوجود الإله على ما له من صفات الكمال المقتضى للأمر و النهي عدى بالباء ، و هنا لما كان التصديق إنما هو للاخبار بأيّ شيء كان عدى باللام و أشير - بقصر الفعل و هو متعد - إلى المبالغة في التصديق بحيث كأنه لا تصديق] / [3] غيره .

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) سورة ٢ آية ١٨٥ (٣) ومن هنا استأنف الأصل .

و لما بين سبحانه أن تصديقه ظاهرا و باطنا إنما هو للراسخين فى الإيمان، بين أن تصديقه لغيرهم إنما هو فى الظاهر فقال: ﴿ و رحمة ﴾ أى و هو رحمة ﴿ للذين آمنوا ﴾ أى أظهروا الإيمان بألسنتهم ﴿ منكم ﴾ فهو - و الله أعلم - إشارة إلى المنافقين و من فى حكمهم ممن جزم لسانه و قلبه مزلزل، أى أن إظهار تصديقهم قبولا لما ظهر منهم و ستر قبائح أسرارهم سبب للكف عن دمائهم، و إظهار المؤمنين لمقتهم ربما كان ذلك سببا لصدق إيمانهم بما يرون من محاسن الإيمان بتمادى الزمان، و لا يستبعد كون التعبير بالماضى إشارة إلى المنافقين لا سيما بعد التعبير باسم الفاعل، فقد قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتابه المفتاح ما نصه: الباب الرابع فى رتب البيان عن تطور الإنسان بترقيه فى درج الإيمان و ترديه فى درك الكفران: اعلم أن الله محيط بكل شىء خلقا و أمرا أولا و آخرا ظاهرا و باطنا و هو حمدة، و له علو فى ظهور أمره و كبير خلقه، و احتجاب[1] فى مقابل ذلك من خلقه و أمره بما أبداه من حكمته و أسباب هداه و فتنته. و ذلك العلو هو إلاهيته، و الاحتجاب [2]هو ملكه، و بينهما إقامة كل خلق لما خلق له و تأييد كل أمر من الأمرين لما أقيم له، و ذلك هو ربانيته[2] و لكل فتق من خلقه و أمره رتق سابق، و لكل تفاوت سواء، و ذلك هو[3] رحمانيته، و لكل أقرب فى مدد الحجاب اختصاص، ذلك هو رحيميته، و لكل أبعد فى مدد

(١) من ظ، و فى الأصل: احتجاب - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى ظ: فى.

الحجاب بطش منه شديد فى رده إلى القرب و تلك هى نقمته، و لكل من تنزلاته العلية ظاهرا و باطنا أمر خاص، و لكل أمر خلق، يرد بيان القرآن لكل خلق بحسب كنه ذاته و اختصاص رتبة قربه و محل بعده، و أن الله سبحانه جعل آدم و ذراه خليفة له فى جميع أمره و تفصيله، و أنزل القرآن بناء على[1] جملة ذلك، فاردأ الأحوال لهذا المستخلف ٥ المحل الذى سمى[2] فيه بالإنسان، و هو حيث أنس بنفسه و غيره و نسى عهد ربه، فيرد لذلك بناؤه بالذم فى القرآن "قتل الانسان ما اكفره[3]"، "ان الانسان لربه لكنود[4]" ثم المحل الذى تداركه فيه تنبه[5] لسماع الزجر من ربه، و هو له بمنزلة سن المميّز لابن سبع، و لا يقع إلا عن اجتماع و تراء، و ذلك هو السن المسمون فيه بالناس لنوسهم، أى ترددهم ١٠ بين سماع الزجر من ربهم و غلبة أهوائهم عليهم، فيرد لذلك بناؤهم بذم أكثرهم فى القرآن "و لكن اكثر الناس لا يعلمون - و لا يشكرون" ثم المحل الذى يتحقق لهم قبول و سماع و إيمان لغائب الأمر و الخلق، لكنهم يتزلزلون[6] عنه كثيرا عند كل عارضة نيل و خادعة رفعة، و هو لهم بمنزلة سن المحتلم الذى قد ذاق طعم بدو النطفة من باطنه الناجم ١٥ العقل للنظر فى حقائق المحسوسات، و ذلك هو السن [الذى يسمون-[7]] فيه "الذين امنوا" و هو أول سن التلقى، فلذلك جميع[8] آداب القرآن

(١) من ظ، و فى الأصل: عن (٢) فى ظ: يسمى (٣) سورة ٨٠ آية ١٧.
(٤) سورة ١٠٠ آية ٦ (٥) من ظ، و فى الأصل: تنبيه (٦) فى ظ: يتنزلون.
(٧) زيد من ظ (٨) فى ظ: جمع

و تعليمه إنما مورده أهل هذا السن ، كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول[1] : إذا سمعت الله عز و جل [يقول - [2]] " يا ايها الذين امنوا " فأعرها[3] سمعك فانه خير يأمر به أو شر ينهى عنه ، و كما أن ما يخص البالغ العاقل من الخطاب لا يدخل فيه الصبي المميز ، و ما يخص المميز
٥ لا يدخل فيه البالغ ، كذلك خطاب " الذين امنوا " لم يصل إليه الناس بعد ، و خطاب الناس قد جاوزه " الذين امنوا " لأنهم قد انزجروا بما قبلت قلوبهم عما ينزجر عنه الناس ، و قد ائتمروا بما يأتمر به الناس ؛ و هذه
/٥١٥ الأسنان الخالية / عند أولى البصائر و خاص خطابها أشد ظهورا من أسنان الأبدان عند أصحاب الأبصار ، و عدم التبصرة بهذه المراتب فى
١٠ الأحوال و البيان هي أقفال القلوب المانعة من تدبر القرآن ، و كذلك ما فوق سن " الذين امنوا " من سن " الذين يؤمنون " و هم فى أول حد القرب بمنزلة بلوغ الأشد ، و سن " الذين امنوا " و " الناس " فى مدد حد البعد و لذلك يخاطبون بحرف ' يا ' المرسلة إلى حد البعد : " يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون
١٥ بالله و رسوله[4] " و فوق ذلك سن المؤمنين و أدنى قربا ، و لذلك لم يرد فى القرآن[5] فى خطابهم ' يا ' البعد ، و هذا السن بمنزلة الاكتهال و سن الشيب ، و تمام سنهم " المؤمنون حقا " و كذلك إلى سن " المحسنين " إلى غيب سن " الموقنين " إلى ما وراء ذلك ، فان أسنان الجسم أرابيع ،

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى الأصل و ظ: فار عها ، و إعارة السمع كناية عن الإصغاء إلى شيء (٤) سورة ٦١ آية ١٠ و ١١ (٥) من ظ ، و فى الأصل : القرب .

و أسنان القلب أسابيع ، يعرفها من تطور فيها ، و يجهلها من نبت سن قلبه على الجهل و تطور سن جسمه إلى الهرم « يهرم ابن آدم و يشيب منه اثنتان : الحرص و الأمل » فالحرص فقره و لوملك الدنيا ، و الأمل همه و تعبه ، فمن لم يتحقق أسنان القلب و تفاوت خطابها لم ينفتح له الباب إلى فهم القرآن ، و من لم يتضح له تنزلات الخطاب لم يبن[1] له خطاب الله من خطاب الرحمن من خطاب الملك الديان - انتهى .

و لما بين ما لمن صدقه باطنا أو ظاهرا من الرحمة ، بين ما على من كذبه فآذاه من النقمة فقال : ﴿ و الذين يؤذون ﴾ أى من هؤلاء و من غيرهم ﴿ رسول الله ﴾ أى الذى أظهر - و هو الملك الأعلى - شرفه و عظمته بالجمع بين الوصفين و أعلاه باضافته إليه ، و زاد فى رفعته بالتعبير باسمه الأعظم الجامع ، و هو واسطة بين الحق و الخلق فى إصلاح أحوالهم فانما يستحق منهم الشكر و الإكرام لا الأذى و الإيلام .

و لما كان أذاهم مؤلما جعل جزاءهم من جنسه فقال : ﴿ لهم عذاب اليم ﴾ ثم علل ذلك باستهانتهم بالله و رسوله ، و أخبر أنهم يخشون على دمائهم فيصلحون ظواهرهم[2] حفظا لها بالأيمان الكاذبة فقال : ﴿ يحلفون بالله ﴾ أى الذى له تمام العظمة ﴿ لكم ﴾ أى أنهم ما آذوا النبى صلى الله عليه و سلم خصوصا و لا أولادكم بالمخالفة عموما ؛ و بين غاية مرادهم بقوله : ﴿ ليرضوكم ج ﴾ .

و لما كان الرسول عليه الصلاة و السلام ليس بأذن بالمعنى الذى

(١) فى ظ : لم يبين (٢) فى ظ : خواطرهم .

أرادوه ، بين أنه لم يكن راضيا بإيمانهم لعدم وقوع صدقهم فى قلبه و لكنه أظهر تصديقهم لما تقدم من الإصلاح فقال : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه ﴿ورسوله﴾ أى الذى هو أعلى خلقه ، و بلغ النهاية فى تعظيمه بتوحيد الضمير الدال على وحدة الراضى لأن كل ما يرضى أحدهما يرضى الآخر فقال : ﴿ احق ان ﴾ أى بأن ﴿ يرضوه ﴾ و لما كان مناط الإرضاء[1] الطاعة و مدار الطاعة الإيمان ، قال معبرا بالوصف لأنه مجزأه[2] : ﴿ ان كانوا مؤمنين ﴾ أى فهم يعلمون أنه أحق بالإرضاء فيجتهدون فيه ، و ذلك إشارة إلى أنهم إن جددوا إرضاءه كل وقت كان دليلا على إيمانهم ، و إن خالفوه كان قاطعا على كفرانهم .

و لما بين أن حلفهم هذا إنما هو لكراهة الخزى عند المؤمنين و بين[3] من هو الأحق بأن يرضوه ، أقام الدليل على ذلك فى استفهام إنكار و توبيخ مبينا أنهم فرّوا من خزى منقض فسقطوا فى خزى دائم ، و الخزى : استحياء فى هوان ، فقال : ﴿ الم يعلموآ ﴾ [4] أى لدلالتهم على الأحق بالإرضاء[4] . و لما كان ذكر الشىء مبهما ثم مفسرا أضخم ، أضمر[5] للشأن فقال : ﴿ انه ﴾ أى الشأن العظيم ﴿من يحادد الله﴾ [و هو الملك الأعظم ، و يظهر المحاددة - بما أشار إليه الفك - [6]] ﴿ و رسوله ﴾ أى [الذى عظمته من عظمته ، بأن - [6]] يفعل معهما فعل من يخاصم فى

(١) فى ظ : الأرضياء (٢) من ظ ، و فى الأصل : مجزه - كذا (٣) فى ظ : ذكر .
(٤-٤) فى ظ : و لما علم من الدين بالضرورة - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : اضمار (٦) زيد من ظ .

حد أرض فيريد أن يغلب على حد خصمه، و يلزمه أن يكون فى حد غير حده ﴿فان له نار جهنم﴾ أى فكونها له جزاء له على ذلك حق لا ريب فيه ﴿خالدا فيها[1]﴾ أى دائما من غير انقضاء كما كانت نيته المحادة[1] أبدا؛ ثم نبه / على عظمة[2] هذا الجزاء بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الأمر البعيد الوصف العظيم الشأن ﴿الخزى العظيم ٥﴾. ٥١٦/

و لما علل فعل المستهينين، أتبعه تعليل أمر صنف [آخر - ٣] أخف منهم نفاقا بما عندهم مما يقارب التصديق فقال: ﴿يحذر المنفقون﴾ و عبر بالوصف الدال على الرسوخ تحذيرا لهم من أدنى النفاق فانه يجر إلى أعلاه ﴿ان تنزل[4]﴾ و لما كانت السورة الفاضحة لهم داهية و نائبة من نوائب الدهر و شدائده، عدى الفعل بعلى فقال: ﴿عليهم سورة﴾ ١٠ أى قطعة من القرآن شديدة الانتظام ﴿تنبئهم﴾ أى تخبرهم إخبارا عظيما مستقصى ﴿بما فى قلوبهم[4]﴾ لم يظهروا عليه أحدا من غيرهم أو أحدا مطلقا، و لعل هذا الصنف كانوا يسلفون الأيمان لعلها تشكك[5] بعض الناس أو تخفف[6] عنهم إذا نزل ما يهتكهم، روى أنهم كانوا يقولون ما يؤدى[7] و يدل على النفاق و[8] يقولون: عسى الله أن لا يفشى علينا سرنا، و قال ١٥ بعضهم بعد كلام قالوه: و الله إنى لأرانا شر خلق الله و لوددت أنى قدمت فجلدت مائة جلدة و أنه لا ينزل فينا شىء يفضحنا.

---

(١) من ظ، و فى الأصل: المحاكه - كذا (٢) فى ظ: عظم (٣) زيد من ظ.
(٤) زيد بعده فى الأصل: عليهم، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) من ظ، و فى الأصل: يشكك (٦) من ظ، و فى الأصل: يخفف (٧) فى ظ: نوذى.
(٨) فى ظ: ما.

و لما كان حذرهم مع العمل بما ينافيه من كلام النفاق فعل المستهزئ ، قال مهددا : ﴿ قل استهزءوا ج ﴾ أى افعلوا فعل المستهزئ بغاية الرغبة ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بكمال العلم و تمام القدرة ﴿ مخرج ﴾ أى كانت له وصف إخراجه ﴿ ما تحذرون ه ﴾ أى إخراجه من قبائحكم ؛ و عن الحسن : كان المسلمون يسمون هذه السورة الحفارة ، حفرت ما فى قلوب المنافقين و أظهرته .

و لما وصفهم بالنفاق ، حققه بعدم مبادرتهم[1] إلى التوبة التى هى فعل المؤمنين ، و باجترائهم على الإنكار مع كون السائل لهم مَنْ بلغ الغاية فى الجلال و الوقار و الكمال فقال : ﴿ و لئن سألتهم ﴾ أى و أنت من يجب أن يصدقه مسؤله عما[2] أخرجت السورة مما أظهروا بينهم من الكفر ، و ذلك حين قال بعضهم : انظروا إلى هذا الرجل يظن أنه[3] يفتح قصور الشام و حصونها[4] ! هيهات هيهات ! فأعلمه الله فقال : احبسوا علىّ[5] الركب ، [فسألهم - ٥] ﴿ ليقولن انما ﴾ أى ما قلنا شيئا من ذلك ، إنما ﴿ كنا نخوض ﴾ أى نتحدث[6] على غير نظام ﴿ و نلعب[7] ﴾ أى بما لا حرج علينا فيه و يحمل عنا ثقل الطريق ، فكأنه قيل : فما ذا يقال لهم إذا حلفوا على ذلك على العادة ؟ فقال : ﴿ قل ﴾ أى لهم تقريرا على استهزائهم متوعدا لهم معرضا عما اعتذروا إعلاما بأنه غير أهل لأن يسمع جاعلا[7] لهم كأنهم[8] معترفون بالاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلى[9] حرف التقرير ، و ذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء و ثبوته تكذيبا لهم

(١) فى ظ : مبادرته (٢) فى ظ : كما (٣) فى ظ : ان (٤) من تفسير الطبرى ، و فى الأصل و ظ : حصونه ، و زيدت الواو بعده فى ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل نتحور - كذا (٧) فى ظ : عاجلا (٨) فى ظ : بانهم (٩) فى ظ : على .

فى قولهم : إنك أذن ، بالمعنى الذى أرادوه ، و بيانا لما فى إظهارك لتصديقهم من الرفق بهم ﴿ ابالله ﴾ أى وهو المحيط بصفات الكمال ﴿ و ايته ﴾ أى التى لا يمكن تبديلها و لا تخفى[1] على ذى بصر ولا بصيرة ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى عظمته من عظمته و هو مجتهد فى إصلاحكم و تشريفكم و إعلائكم ﴿ كنتم ﴾ أى دائما ﴿ تستهزءون ﴾ . ٥

و لما حقق استهزاءهم ، أنتج قوله : ﴿ لا تعتذروا ﴾ أى لا تبالغوا فى إثبات العذر ، و هو ما ينفى[2] الملام ، فان ذلك لا يغنيكم و إن اجتهدتم لأن القطع حاصل بأنكم ﴿ قد كفرتم ﴾ أى بقولكم هذا ، و دل - على أن كفرهم أحبط ما كان لهم من عمل - بنزع الخافض تشديدا على من نكث[3] منهم تخويفا [له و تحقيقا - [4]] بحال من أصر [فقال - [4]] : ١٠ ﴿ بعد ايمانكم[5] ﴾ أى الذى ادعيتموه بألسنتكم صدقا من بعضكم و نفاقا من غيره .

و لما كان الحال مقتضيا لبيان ما صاروا إليه بعد إكفارهم من توبتهم أو إصرارهم ، بين أنهم / قسمان : أحدهما[5] مطبوع على قلبه و مقضى[6] توبته و حبه ، و هذا الأشرف[7] هو المراد بقوله بانيا للمفعول إعلاما بأن ١٥ المقصود الأعظم هو الفعل ، لا بالنظر إلى فاعل معين : ﴿ ان يعف ﴾ لأن كلام الملك و إن جرى فى مضمار الشرط فهو مرشد إلى تحققه

/ ٥١٧

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا يخفى (٢) من ظ ، و فى الأصل : نفى (٣) فى ظ : تاب (٤) زيه من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : مقتضى (٧) من ظ ، و فى الأصل : الاشراف .

ليحصل الفرق بين كلام الأعلى و الأدنى ﴿ عن طآئفة منكم[1] ﴾ أى لصلاحيتها للتوبة ﴿ تعذب طآئفة ﴾ أى قوم ذوو عدد فيهم أهلية الاستدارة[2]، و قرأ عاصم ببناء الفعلين للفاعل على العظمة ﴿ بانهم ﴾ أى بسبب أنهم ﴿ كانوا مجرمين ﴾ أى كسبهم للذنوب القاطعة عن الخير صفة لهم ثابتة[3] لا تنفك، فهم غير متأهلين للعفو، و شرح هذه القصة أنه كان يسير بين يدى النبى صلى الله عليه و سلم فى غزوة تبوك ثلاثة[4] نفر من المنافقين: اثنان يستهزئان بالقرآن و الرسول، و الآخر يضحك، قيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه يغلب الروم و يفتح مدائنهم، ما أبعده من ذلك! و قيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه نزل فى أصحابنا المقيمين فى المدينة قرآن، و إنما هو قوله و كلامه، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه و سلم على ذلك فقال: احبسوا الركب علىّ، فدعاهم و قال لهم: قلتم كذا و كذا؟ فقالوا: "انما كنا [نخوض و نلعب" أى كنا - [5]] نتحدث و نخوض فى الكلام كما يفعل الركب لقطع[6] الطريق بالحديث و اللعب؛ قال ابن إسحاق: و الذى عفى عنه رجل واحد و هو مخشى[7] بن حمير الأشجعى، يقال: هو الذى كان يضحك و لا يخوض و كان يمشى مجانبا لهم و ينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت [هذه - [5]] الآية [تاب - [8]]، قال: اللهم! لا أزال أسمع آية تقرأ، تقشعر منها

(١) فى ظ: منهم (٢) فى ظ: الاستداد (٣) فى ظ: نابتة (٤) من ظ و معالم التنزيل ومعظم السياق له - راجع لباب التأويل ٣/٩٦، و فى الأصل: ثلاثون. (٥) زيد من المعالم (٦) من المعالم، و فى الأصل: يقطع، و فى ظ: تقطع (٧) من المعالم، و فى الأصل و ظ: مخشن (٨) زيد من ظ و المعالم.

الجلود ، و تجب منها القلوب ، اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك ! لا يقول أحد : أنا غسلت أنا[1] كفنت أنا دفنت ، فأصيب يوم[2] اليمامة ، فما أحد من المسلمين إلا عرف مصرعه غيره رضى الله عنه . و لعل إطلاق الطائفة عليه تعظيما له و سترا عليه و تبشيرا بتوبة غيره ، و لعل مخشيا كان مؤمنا و لكن كان إيمانه مزلزلا فلذا عبر هنا بقوله "اكفرتم بعد ايمانكم" ٥ و التعبير بذلك أشنع[3] فى الذم و لا سيما عند العرب لأنهم يتمادحون بالثبات على أىّ أمر اختاروه و يتذامون بالطيش ، و لعل الجلاس المعنى بالقصة الآتية وحده أو مع غيره لم يكن آمن كغيره[4] ممن عنى بها ، و ما آمن إلا حين تاب ، فلذا عبر هناك بقوله "و كفروا بعد اسلامهم"؛ قال أبو حيان : قال ابن[5] عمر : رأيت وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقة ١٠ رسول الله صلى الله عليه و سلم يماشيها و الحجارة تنكته و هو يقول "انما كنا نخوض و نلعب" و النبى صلى الله عليه و سلم يقول "ا بالله و ايته" - الآية .

و لما بين سبحانه أفعالا و أقوالا لطوائف من المنافقين - منهم من كان معه صلى الله عليه و سلم فى العسكر - هى فى غاية الفساد ، كان ١٥ ذلك ربما اقتضى أن يسأل عن المتخلفين لو خرجوا ما كان يكون حالهم[6]؟ فقال جوابا عن ذلك و استدلالا على أن إجرام الذين لم يعف عنهم منهم خلق لازم : ﴿ المنفقون و المنفقت ﴾ أى الذين أظهروا الإيمان

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : بدر ، و لم تكن الزيادة فى ظ ولا فى المعالم فحذفناها (٣) فى ظ : ابشع (٤) فى ظ : لغيره (٥) من ظ و البحر المحيط ٥ / ٦٧ ، و فى الأصل : ابو (٦) من ظ ، و فى الأصل : حالتهم .

و أبطنوا الكفران ﴿ بعضهم ﴾ و لما كان مرجعهم الجود على الهوى و الطبع و العادة و التقليد من التابع[1] منهم للمتبوع ، قال : ﴿ من بعض[2] ﴾ أي في صفة النفاق هم فيها كالجسد الواحد ، أمورهم متشابهة في أقوالهم و أفعالهم و جميع أحوالهم ، و القصد أن حالهم يضاد حال أهل الإيمان و لذلك بينه بقوله : ﴿ يامرون بالمنكر ﴾ أي مما تقدم من الخبال[3] و الإيضاع في الخلال و غير ذلك من سيئ الخصال ﴿ و ينهون / عن المعروف ﴾ ٥١٨/ أي من كل ما يكون فيه تعظيم الإسلام و أهله . يبغون بذلك الفتنة ﴿ و يقبضون ايديهم[4] ﴾ أي يشحون فلا ينفقون إلا و هم كارهون .

و لما كان كأنه قيل : أما خافوا بذلك من معاجلة العقاب ؟ أجاب بقوله : ﴿ نسوا الله ﴾ أي الملك الأعلى الذي له الأمر كله و لا أمر لأحد معه ، و يصلح أن يكون علة لما تقدم عليه ؛ و لما أقدموا على ذلك ، سبب عنه قوله : ﴿ فنسيهم ﴾ أي فعل بهم فعل الناسي[3] لما استهان به بأن تركهم من رحمته ، فكان ذلك الترك سبباً لحلول نقمته ؛ و لما تطبعوا بهذه النقائص كلها ، اختصوا بكمال الفسق فشرح ذلك في أسلوب التعجيب[5] من حالهم فقال [مظهرا موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف -] : ﴿ ان المنفقين هم ﴾ أي خاصة ﴿ الفسقون ﴾ أي الخارجون عن دائرة ما ينفعهم من الطاعة الراسخون في ذلك ، فقد علم بهذا[6] أنهم لو غزوا فعلوا فعل هؤلاء سواء لأن الكل من طينة واحدة .

(١) في ظ : المتابع (٢) في ظ : الجبال (٣) زيدت الواو بعده في ظ (٤) في ظ : التعجب (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : بذلك .

و لما بين كثيرا من أحوالهم فاشتد التشوف إلى مآلهم وكان مقصودهم باظهار الإيمان و الاعتذار عن النقائص بتأكيد الأيمان إنما هو التقرب إلى المؤمنين و التحبب طمعا فى العيش فى أكنافهم و فرقا من المعاجلة بما يستحقون [1]من إتلافهم[1] ، بين أن لهم على هذا الخداع العذاب الدائم و الطرد اللازم ، و جمع معهم المصارحين بالكفر إعلاما بأنهم إن[2] لم يكونوا أعظم عنادا منهم فهم سواء ، فقال : ﴿ وعد الله ﴾ وساقه بصيغة البشارة تهكما بهم و إبلاغا فى مساءتهم ﴿ المنفقين والمنفقت ﴾ أى المساترين[3] باعتقادهم ﴿ و الكفار ﴾ أى المجاهرين فى عنادهم .

و لما كانوا مجبولين على تجهم المؤمنين و الانقباض عنهم ، و إن أظهروا خلاف ذلك فهو تصنع ، قال : ﴿ نار جهنم ﴾ أى النار[4] التى من شأنها تجهم أهلها و لقاؤهم[5] بالعبوسة الزائدة ﴿ خلدين فيها[6] ﴾ أى لا براح لهم عنها ﴿ هى حسبهم ﴾ أى كافيتهم فى العذاب . لكن لما كان الخلود قد يتجوز به عن الزمن الطويل فيكون بعده فرج ، قال : ﴿ و لعنهم الله ﴾ أى طردهم و أبعدهم من رحمته و هو الملك العليم الحكيم الذى لا أمر لأحد معه فأفهم أنه لا[3] فرج لهم ، ثم نفى كل احتمال بقوله : ﴿ و لهم ﴾ أى بالأمرين ﴿ عذاب مقيم ﴾ أى لا وصف له غير الإقامة فى الدنيا بما هم مقهورون به من سطوة الإسلام و جنوده الكرام الأعلام ، و فى الآخرة بما لا يعلمه حق علمه إلا [الله -[6]]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : المستاثرين (٤) فى ظ : الدار (٥) من ظ ، وفى الأصل : القاوهم (٦) زيد من ظ .

الملك العلام .

و لما كان حالهم فى الإقبال على العاجلة لكونها حاصلة و الإعراض عن العاقبة لأنها غائبة مشابها لحال من كان قبلهم من الأمم الخالية و القرون الماضية ، بين لهم ذلك و ختم ببيان سوء أحوالهم و قبح مآلهم بتلاشى أعمالهم فقال ملتفتا إلى أسلوب الخطاب لأنه أوقع فى باب العتاب و أقعد فى استجلاب المصالح للتاب : ﴿ كالذين ﴾ أى حاصل ما مضى من أمركم أيها المنافقون أنكم مثل الذين ؛ و لما كان فاعل ما[1] يذكر إنما هو بعض من مضى أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ أى من الأمم الخالية ، ثم شرع فى شرح حالهم و ذكر وجه الشبه فقال : ﴿ كانوآ اشد منكم قوة ﴾ لأن الزمان كان إذ ذاك أقرب إلى سن الشباب ﴿ و اكثر اموالا و اولادا ﴾ و هذا[2] ناظر إلى قوله " فلا تعجبك اموالهم و لا اولادهم " ﴿ فاستمتعوا ﴾ أى طلبوا المتاع و الانتفاع فى الدنيا بغاية الرغبة معرضين عن العقبى ﴿ بخلاقهم ﴾ أى نصيبهم الذى قدره الله و خلقه لهم ، و كان الأليق بهم[3] أن يتبلغوا به فى السفر الذى لا بد منه إلى الآخرة ﴿ فاستمتعتم بخلاقكم ﴾ أى كالمقتفين لآثارهم و القاصدين لنارهم ﴿ كما استمتع ﴾ و فى الإتيان بقوله - : ﴿ الذين ﴾ / و لما كانوا لم يستغرقوا الزمن الماضى ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم بخلاقهم ﴾ - ظاهرا غير مضمر تنبيه على ذمهم بقلة النظر لأنفسهم المستلزم لقلة عقولهم حيث كانوا دونهم فى القوة أبدانا و أموالا و أولادا و لم يكفوا عن الاستمتاع /٥١٩

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : هو (٣) سقط من ظ .

و الخوض

و الخوض خوفا مما يحق أولئك الأحزاب على قوتهم من العذاب من غير أن ينفعهم سبب[1] من الأسباب ﴿ و خضتم ﴾ أى ذهبتم فى أقوالكم و أفعالكم خبطا[2] على غير سنن قويم ﴿ كالذى ﴾ أى كخوضهم الذى ﴿خاضوا[3] ﴾ و هو ناظر إلى قولهم[3] "انما كنا نخوض و نلعب"، قال أبو حيان: و هو مستعار من الخوض فى الماء و لا يستعمل إلا فى الباطل ٥ لأن التصرف فى الحق إنما هو على ترتيب و نظام، و أمور الباطل إنما هى خوض، و منه قوله «رب[4] متخوض فى مال[5] الله له النار يوم القيامة».

و لما آذن هذا النظم لهم بالخسارة[6]، حصل التشوف إلى عاقبة أمرهم فأخبر عن ذلك بقوله: ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء من الخير، و الظاهر أنه إشارة إلى الذين وصفهم بالشدة و كثرة الأموال و الأولاد ١٠ ﴿ حبطت ﴾ أى فسدت فبطلت ﴿ اعمالهم فى الدنيا ﴾ أى بزوالها عنهم و نسيان لذاتها ﴿ و الأخرة ﴾ أى و فى الدار الباقية لأنهم لم يسعوا لها سعيها؛ و زاد فى التنبيه على بعدهم مما قصدوا لأنفسهم من النفع فقال: ﴿ و اولئك هم ﴾ أى خاصة ﴿الخسرون ٥ ﴾ أى لا خاسر فى الحقيقة غيرهم لأنهم خسروا خلاقهم فى الدارين فخسروا أنفسهم فلا أخسر ممن ١٥ تشبه [بهم - [7]]، و لعل فى الالتفات[8] إلى مقام الخطاب أيضا إشارة إلى تحذير كل سامع من[9] مثل هذه الحال[10] لصحة أن يكون مرادا بهذا المقال،

(١) من ظ، و فى الأصل: بسبب (٢) فى ظ: خطبا (٣) فى ظ: قوله (٤) فى ظ: ربما - كذا، و راجع البحر المحيط ٥ / ٦٩ (٥) فى ظ: لمال (٦) فى ظ: الكسارة (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، و فى الأصل: التفات (٩) فى ظ: فى. (١٠) فى ظ: الحالة.

فان من أسرار القرآن فى إعجازه أن تكون عبارته متوجهة إلى شىء و إشارته شاملة لغيره من حيث اتصافه[1] بعلة ذلك الحال أو غير ذلك من الخلال ؛ قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى آخر عروة المفتاح فى بيان تناول كلية القرآن لكلية الآية و لكل قارئ يقرأه من أهل الفهم و الإيقان :

٥ اعلم أن الله سبحانه و تعالى أنزل القرآن نبأ عن[2] جميع الأكوان ، و أن جميع ما أنبأ عنه من أمر آدم إلى زمان محمد عليهما السلام من أمر النبوات و الرسالات و الخلافات و أصناف الملوك و الفراعنة و الطغاة و أصناف الجناة و جميع ما أصابهم من المثوبات و المثلات فى يوم آدم عليه السلام إلى زمان محمد صلى الله عليه و سلم الذى هو ستة آلاف سنة

١٠ و نحوها كل ذلك يتكرر[3] بجملته فى يوم محمد صلى الله عليه و سلم الذى هو ألف سنة أو نحوها أعدادا بأعداد و أحوالا بأحوال فى خير أو شرف ، لكل من الماضين مثل يتكرر[3] فى هذه الأمة الخاتمة [كما قال صلى الله عليه و سلم - [4]] « لكل نبى قبلى فى أمتى نظير » ثم ذكر صلى الله عليه و سلم نظراء « مثل إبراهيم كأبى بكر ، و مثل موسى كعمر ، و مثل هارون

١٥ كعثمان ، و مثل نوح كعلى ، و مثل عيسى كأبى ذر » و قال صلى الله عليه و سلم « إنى لأعرف النظراء من أمتى بأسمائهم و أسماء آبائهم و عشائرهم كافرهم و مؤمنهم ممن كان و ممن هو كائن و ممن سيكون بعد ، و لو شئت أن أسميهم لفعلت » فما[5] صد أكثر هذه الأمة عن فهم القرآن ظنهم أن الذى فيه من قصص الأولين و أخبار المثابين و المعاقبين من أهل

(١) فى ظ : ايصافه (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : متكرر (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فما .

الأديان أجمعين أن ذلك إنما مقصوده [الأخبار و القصص فقط ، كلا و ليس كذلك ! إنما مقصوده - [1]] الاعتبار و التنبيه لمشاهدة متكررة في هذه الأمة[2] من نظائر[3] جميع أولئك الأعداد و تلك الأحوال و الآثار حتى يسمع السامع جميع القرآن من أوله إلى خاتمته منطبقا على هذه الأمة[2] و أئمتها هداتها و ضلالها ، فحينئذ ينفتح له باب الفهم و يضيء له ٥ نور العلم و يتجه له حال الخشية و يرى في أصناف هذه الأمة ما سمع من / أحوال القرون الماضية و إنه كما قيل في المثل السائر : ٥٢٠ /

إياك أعني و اسمعي ياجارة[4]

ثم إذا شهد انطباق القران على كلية الأمة[2] فكان بذلك عالما ينفتح له باب ترق ، فيترقى سمعه إلى أن يجد جميع كلية القرآن المنطبق ١٠ على كلية الأمة[2] منطبقا على ذاته في أحوال نفسه[5] و تقلباته[6] و تصرفات أفعاله و ازدحام خواطره حتى يسمع القرآن منطبقا عليه فينتفع بسماع جميعه و يعتبر بأيّ آية سمعها منه فيطلب[7] موقعها في نفسه فيجدها بوجه ما رغبة كانت أو رهبة تقريبا كانت أو تبعيدا إلى أرفع الغايات أو إلى أنزل الدركات ، فيكون بذلك عارفا ، هذا مقصود[8] التنبيه ١٥ في هذا الفصل جملة ، و لنتخذ لذلك مثالا يرشد[9] لتفهم ذلك الانطباق على كلية الأمة[2] علما و على خصوص ذات القارئ السامع

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الاية - كذا (٣) في ظ : نظير .
(٤) و هذا المثل يضرب لمن يتكلم بكلام و يريد به شيئا غيره - راجع مجمع الأمثال للميداني (٥) من ظ ، و موضعه في الأصل بياض (٦) في ظ : تطبقاته (٧) في ظ : فيتطلب (٨) من ظ ، و في الأصل : مقصوده (٩) في ظ : لانرشد .

عرفانا ، فاعلم أن أصول الأديان المزدوجة التى لم تترق إلى ثبات حقائق المؤمنين فمن فوقهم من المحسنين و الموقنين التى جملتها تحت حياطة الملك و الجزاء و المداينة ، الذين تروعهم رائعة الموت أولا ثم رائعة القيامة ثانيا إلى ما يشتمل عليه يوم الدين من أهوال المواقف الخمسين التى كل ٥ موقف منها ألف من السنين فى يوم كان مقداره خمسين[1] ألف سنة ، فعدد هذه الأديان سبعة ، ما من دين منها إلا و يوجد[2] فى صنف من أصناف هذه الأمة ، و تجده المعتبر فى نفسه فى وقت ما بقلة أو كثرة بدوام أو خطرة بضعف أو شدة على إثر دين غالب أو عن لمح عين زائل ، و هذه الأديان السبعة هى دين ' الذين آمنوا ' من هذه الأمة ١٠ و لم يتحققوا[3] لحقيقة الإيمان فيكونوا[4] من ' المؤمنين ' الذين صار الإيمان وصفا ثابتا فى قلوبهم ، الموحدين المتبرئين من الحول و القوة ، المتحققين لمعناه ، إقدارا لله عليهم بما شاء لا بما يشاؤن " الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم و اذا تليت عليهم آيته زادتهم ايمانا و على ربهم يتوكلون - اولئك هم المؤمنون حقا[5] "، و أما الذين آمنوا فهم الذين لا يثبتون على حال ١٥ إيمانهم و لكن تارة و تارة ، و لذلك هم المنادون و المنهيون و المأمورون فى جميع القرآن الذين يتكرر عليهم النداء فى السورة الواحدة مرات[6] عديدة من نحو ما بين قوله تعالى " يايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصدقين[7] - [8]إلى قوله تعالى[8] : يايها الذين آمنوا من يرتد منكم

(١) من ظ ، و فى الأصل : خمس (٢) فى ظ : يوخذ (٣) فى ظ : لم تتحققوا . (٤) فى ظ : تكونون (٥) سورة ٨ آية ٢ و ٤ (٦) من ظ ، و فى الأصل : مرار (٧) سورة ٩ آية ١١٩ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

عن

عن دينه[1]" إلى ما بين ذلك من نحو قوله تعالى " ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا[2]" فهؤلاء هم أهل دين ثابت ينتظمون به مع من ليس له ثبات من ماضى الأديان المنتظمين مع من له أصل فى الصحة من الأديان الثلاثة[3] فى نحو قوله تعالى " ان الذين آمنوا و الذين هادوا و النصرى و الصبئين من آمن بالله و اليوم الآخر[4]" المنتظمين أيضا مع المغيرين لأديانهم ٥ و المفترين لدين لم ينزل الله به من سلطان فى نحو قوله تعالى " ان الذين آمنوا و الذين هادوا و الصبئين و النصرى و المجوس و الذين اشركوا[5]" فهذا هو الدين الأول ؛ و أما الدين الثانى فهو دين الذين هادوا و[3] الذين منهم الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها و الذين ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى و يقولون : سيغفر لنا ، و إن يأتهم عرض مثله ١٠ يأخذوه و الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون : هذا من عند الله ، و الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، و الذين يأكلون الربا و قد نهوا عنه ، و الذين اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله و المسيح ابن مريم ؛ و أما الدين الثالث / فدين الذين قالوا : إنا نصارى ، ٥٢١ / الذين منهم الذين ضلوا عن سواء السبيل الذين غلوا فى دينهم و قالوا على ١٥ الله غير الحق و اتخذوا رهبانهم أربابا من دون الله[3] و المسيح ابن مريم ؛ و أما الدين الرابع فدين الصابئة الذين منهم متألهو النجوم عباد الشمس و القمر و الكواكب و مغيروهم ، هم بالترتيب أول من عبد محسوسا

(١) سورة ٥ آية ٥٤ (٢) سورة ٤ آية ١٣٧ (٣) سقط من ظ (٤) سورة ٢ آية ٦٢ (٥) سورة ٢٢ آية ١٧ .

[1]سماويا ؛ و أما الدين الخامس فدين المجوس الثنوية الذين جعلوا إلهين اثنين : نورا و ظلمة ، و عبدوا محسوسا آفاقيا ؛ و أما الدين السادس فدين الذين أشركوا و هم الذين عبدوا محسوسا[1] أرضيا غير مصور ، وهم الوثنية أو مصورا و هم الصنمية ـ فهذه الأديان الستة الموفية[2] لعد الست لما جاء فيه ؛ و أما الدين السابع فاعلم أن الله سبحانه جعل السابع أبدا جامعا لستة خيرا كانت أو شرا ، فالدين السابع هو دين المنافقين الذين ظاهرهم مع الذين آمنوا و باطنهم مع أحد سائر الأديان الخمسة المذكورة إلى أدنى دين مشركها[3] الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا و اذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم ـ فهذه الأديان السبعة متكررة بكليتها فى هذه الأمة بنحو ما[4] وقع قبل فى الأمم الماضية ، و هو مضمون الحديث الجامع لذكر ذلك فى قوله صلى الله عليه و سلم « لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم ذراعا بذراع و شبرا بشبر و باعا بباع حتى لو أن أحدا من أولئك دخل فى جحر ضب[5] لدخلتموه ، قالوا : يا رسول الله ! كما صنعت فارس و الروم؟ قال : فهل الناس إلا هم » و ما بينه النبي صلى الله عليه و سلم فى هذا الحديث هو من مضمون قوله تعالى " كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة و اكثر اموالا و اولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم و خضتم كالذى خاضوا "، و أهل هذه الأديان السبعة هم ـ أو منهم ـ عمرة دركات جهنم السبع على ترتيبهم ، و الناجون

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : المتوفية (٣) فى ظ : شركها .
(٤) فى ظ : ما (٥) من ظ و مسند الإمام أحمد ٢/٣٢٧ ، وفى الأصل : الضب .

بالكلية الفائزون هم المؤمنون فمن فوقهم من المحسنين و الموقنين ، و مزيد تفصيل فى ذلك و تثنية قول بما ينبه[1] عليه بحول الله تعالى من جهات تتبع[2] طوائف من هذه الأمة [3]سنن من تقدمهم فى ذلك . أما وجه تكرار دين الذين أشركوا فى هذه الأمة[3] فباتخاذهم أصناما و آلهة يعبدونها من دون الله محسوسة جمادية كما اتخذ المشركون الأصنام و الأوثان من الحجارة و الخشب . و اتخذت هذه الأمة بوجه ألطف[4] و أخفى أصناما و أوثانا . فانها اتخذت[5] الدينار و الدرهم أصناما و السبائك و النقر أوثانا من حيث أن الصنم هو ما له صورة و الوثن ما ليس له صورة ؛ قال صلى الله عليه و سلم : صنم أمتى الدينار و الدرهم ، و قال صلى الله عليه و سلم : لكل أمة عجل و عجل أمتى الدينار و الدرهم . فلا فرق بين ظن المشرك أن الصنم الذى صنعه بيده ينفعه و ظن المفتونين من هذه الأمة أن ما اكتسبوا من الدينار و الدرهم[6] ينفعهم حتى يشير مثلهم : ما ينفعك[7] إلا درهمك " يحلفون بالله ما قالوا و لقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد اسلامهم[8] " فما من آية نزلت فى المشركين فى ذكر أحوالهم و تبيين ضلالهم و تفاصيل سرهم[9] و إعلانهم إلا و هى منطبقة على كل مفتون بدينارة و درهمه ، فوقع قول المشركين فى أصنامهم " ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى[10] " مثله موقع نظيره من قول المفتون : ما أحب المال إلا لأعمل

(١) فى ظ : بينه (٢) من ظ ، و فى الأصل : يتبع (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : اللطف (٥) فى ظ : اتخذ (٦) فى ظ : الدراهم (٧) فى ظ : ما ينفك. (٨) سورة ٩ آية ٧٤ (٩) سقط من ظ (١٠) سورة ٣٩ آية ٣ .

الخير و أستعين به على وجوه البر ، و لو أراد البر لكان ترك التكسب
و التمول له[1] أبر ؛ قال صلى الله عليه و سلم : إنما أهلك من كان / قبلكم ٥٢٢/
الدينار و الدرهم و هما مهلكاكم . فكل من أحبهما و أعجب بجمعهما فهو
مشرك هذه الأمة وهما لاته و عزاه اللتان تبطلان عليه قول لا إله إلا الله
٥ لأنه تأله ماله[2] ؛ قال صلى الله عليه و سلم « لا إله إلا الله نجاة لعباد الله
من عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم[3] على دينهم » فمن وجد من هذا
مسة[4] فليسمع جميع ما أنزل فى المشركين من القرآن منطبقا عليه[5]
و منزلا إليه و حافا به حتى يخلصه[6] الله من خاص شركه كما خلص من
أخرجه من الظلمات إلى النور من الأولين ، فتخلص[7] هذا المشرك بما
١٠ له من ظلمته التى غشيت ضعيف إيمانه إلى صفاء نور الإيمان فى مضمون
قوله تعالى "ليخرج الذين امنوا و عملوا الصلحت من الظلمت الى النور[8]"
فهذا وجه تفصيل يبين[9] نحوا من تكرر دين الشرك فى هذه الأمة ، و أما
وجه وقوع المجوسية و نظيرها فى هذه الأمة[10] فاطباق الناس على رؤية
الأفعال من أنفسهم خيرها و شرها و إسنادهم أفعال الله إلى خلقه حيث
١٥ استحكمت عقائدهم على أن فلانا فاعل خير و فلانا فاعل شر و فلانا يعطى
و فلانا يمنع و فلانا خير منى و فلانا أعطانى ، حتى ملأوا الدواوين من
الأشعار و الخطب و الرسائل أمداحا لخلق الله على ما لم يفعلوا و ذما لهم

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : باله (٣) فى ظ : دينارهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : شبهة (٥) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٦) فى ظ : يخصه .
(٧) فى ظ : فيخلص (٨) سورة ٦٥ آية ١١ (٩) من ظ ، و فى الأصل بياض .
(١٠) من ظ ، و فى الأصل : الاية .

على ما لم يمنعوا يحمدون الخلق على رزق الله و يذمونهم على ما لم يؤته الله و يلحدون فى أسمائه حتى يكتب بعضهم لبعض « سيدى و سندى و أسنى[1] عُددى عبدك و مملوكك » يبطلون بذلك أخوة الإيمان و يكفرون تسوية خلق الرحمن و يدعون لأنفسهم أفعال الله فيقولون : فعلنا و صنعنا و أحسنا و عاقبنا - كلمة نمرودية ، [آتاهم ما لم يشعروا باختصاص الله فيه بأمره ٥ كالذى حاج إبراهيم فى ربه -[2]] أن آتاه الله الملك حين قال : أنا أحيي و أميت ، و هذه هى المجوسية الصرف و القدرية المحضة التى لا يصح دين الإسلام معها ، لأن المسلم من أسلم الخلق و الأمر لربه "اسلمت وجهى لله و من اتبعن[3] " ، " الا له الخلق و الامر[4] " و ما سوى ذلك قدرية [و -[5]] هى مجوسية هذه الأمة حيث جعلوا للعبد شركة فى فعل الرب ١٠ و جعلوا له معه تعالى قدرة و قوة و مشية و اختيارا و تدبيرا و لم يعلموا أن التقدير[6] منع التدبير ، و أنه تعالى هو يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ؛ قال صلى الله عليه و سلم « القدرية مجوس هذه الأمة » ، فكل ما أنزل الله عز و جل فى القرآن الجامع لذكر جميع الملل و الأديان مما عزاه لمن وزع الأفعال بين الحق و الخلق من كلام ذى فرعنة أو نمرودية أو ذى ١٥ سلطان فللمعتقد المدح و الذم حظ منه على حسب توغلهم و استغراقهم فى الذين زعموا أنهم فيهم شركاء فخافوهم و رجوهم ، فكل[6] خائف من الخلق أو راج منهم[7] من عداد الذين آمنوا و الذين أسلموا فى هذه الأمة

(١) فى ظ : اسندى (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٣ آية ٢٠ (٤) سورة ٧ آية ٥٤.
(٥) من ظ ، و فى الأصل : المقدور (٦) فى ظ : ذلك (٧) فى ظ : فهم .

فهم من مجوس هذه الأمة ؛ فليسمع السامع ما يقرأه من ذلك حجة عليه ليسأل الله تعالى التخلص منها وليعلم أن ذلك لم يزل حجة عليه وإن كان لم يشعر به قبل فهذا وجه من وقوع المجوسية في هذه الأمة ، [وأما وجه وقوع الصابئة ونظيرها في هذه الأمة - ٢] فما غلب على أكثرهم وخصوصا ملوكها وسلاطينها وذوو الرئاسة منها من النظر في النجوم والعمل [بحسب - ٣] ما تظهره هيئتها عندهم من سعد ونحس والاستمطار بالنجوم والاعتماد على الأنواء وإقبال القلب على الآثار الفلكية قضاء بها وحكما بحسب ما جرى عليه الخلق الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - من العناية بها ؛ قال صلى الله عليه وسلم : أربعة من أمتي هن بهم كفر ولينوا بتاركيهن - فذكر منها الاستمطار بالنجوم ، / فالمتعلق خوفهم ورجاؤهم بالآثار الفلكية هم صابئة هذه الأمة ، كما أن المتعلق خوفهم ورجاؤهم بأنفسهم وغيرهم من الخلق هم مجوس هذه الأمة ؛ وكما أن المتعلق تشوفهم ورجاؤهم بدرهمهم ودينارهم هم مشركو هذه الأمة وما انطوى [عليه - ٢] سر كل طائفة منهم مما تعلق به خوفهم ورجاؤهم فهو ربهم ومعبودهم الذي إليه تصرف جميع أعمالهم ، واسم كل امرئ مكتوب على وجه ما اطمأن به قلبه ، فكل ما نزل في القرآن من تزييف آراء الصابئة فهو حجة عليه

/ ٥٢٣

(١) من ظ ، وفي الأصل : مثل (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفي الأصل : الراى (٤) في ظ : هي (٥) زيدت الواو بعده في ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

حيث يقرأه أو يسمعه من حيث لا يشعر حتى يقرأ قوم القرآن و هو نذير لهم بين يدى عذاب شديد و هم لا يشعرون و يحسبون أنهم يرحمون[1] به و هم الأخسرون "و لا يزيد الظلمين الا خسارا[2]" فما يختص بهذه الطائفة المتصبة ما هو نحو قوله تعالى "و كذلك نرى ابرٰهيم ملكوت السمٰوٰت و الارض و ليكون من الموقنين[3]" - الآيات فى ذكر الكوكب ٥ و القمر و الشمس إلى آيات ذكر التسخير لهن نحو قوله تعالى "و هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمت البر و البحر و الشمس و القمر و النجوم مسخرٰت بامره و سخر لكم الشمس و القمر دائبين[4]"، "هو الذى جعل الشمس ضياء[5] و القمر نورا و قدره منازل لتعلموا[6] عدد السنين و الحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق" "و انه هو رب الشعرٰى[7]" ١٠ كل ذلك ليصرف تعالى خوف الخلق و رجاءهم عن الأفلاك و النجوم المسخرة إلى المسخر القاهر فوق عباده الذى استوى على جميعها ، فهذا وجه من وقوع الصابئة فى الذين آمنوا و الذين أسلموا فى هذه الأمة ، و أما وجه وقوع ما غلب على هذه الأمة وكثر فيها و فشا فى أعمالها و أحوالها من تمادى طوائف منهم على نظير ما كان عليه اليهود و النصارى ١٥ فى اختلافهم و غلبة أحوالهم - ملوكهم و سلاطينهم - على أحوال أنبيائهم و علمائهم و أوليائهم فهو الذى حذرته هذه الأمة و أشعر أولو الفهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : ترحمون (٢) سورة ١٧ آية ٨٢ (٣) سورة ٦ آية ٧٥ . (٤) سورة ١٤ آية ٣٣ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : ليعلموا ، و راجع سورة ١٠ آية ٥ (٧) سورة ٥٣ آية ٤٩ .

بوقوعه فيهم بنحو ما فى مضمون قوله تعالى "ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينت[1]" وما أنبأ به صلى الله عليه وسلم «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم» وفى بعض طرقه «حتى لوكان فيهم من أتى أمه جهارا لكان فيكم ذلك، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن! وإنما قوى وكثر فى هذه الأمة حال هاتين الملتين لما آتاهما الله من الكتاب والعلم والحكمة فاختلفوا فيها بالأغراض والأهواء وإيثار عرض الدنيا، وسامحوا الملوك والولاة وحللوا لهم ما حرم الله وحرموا[2] لهم ما حلل الله، وتوصلوا بهم إلى أغراضهم فى الاعتداء على من حسدوه من أهل الصدق والتقوم، وكثر البغى بينهم فاستقر حالهم على مثل حالهم، وسلطت عليهم عقوبات مثل عقوباتهم، وتمادى ذلك فيهم منذ تبدلت الخلافة ملكا إلى أن تضع الحرب أوزارها وتصير الملل كلها ملة واحدة ويرجع الافتراق إلى ألفة التوحيد، فكل من اقتطع واقتصر من هذه الشريعة المحمدية الجامعة للظاهر والباطن حظا مختصا من ظاهر أو باطن ولم يجمع بينهما فى علمه وحاله وعرفانه فهو بما لزم الظاهر الشرعى دون حقيقة باطنة من يهود هذه الأمة كالمقيمين لظواهر الأحوال الظاهرة التى بها تستمر الدنيا على حسب ما يرضى ملوك الوقت وسلاطينهم، المضيعين لأعمال / السرائر[3]، المنكرين لأحوال أهل الحقائق الشاهد عليهم تعلق خوفهم ورجائهم بأهل الدنيا، المؤثرين لعرض هذا الأدنى، فبهذا ظهرت أحوال اليهود فى هذه الأمة، مر

/ ٥٢٤

(١) سورة ٣ آية ١٠٥ (٢) فى ظ: حللوا (٣) من ظ، وفى الأصل: البرابر.

الأعراب مع النبي صلى الله عليه و سلم بسدرة خضراء[1] نضرة ، وكان لأهل الجاهلية سدرة يعظمونها و يجتمعون عندها و ينيطون بها[2] أسلحتهم و يسمونها ذات أنواط فقالوا[3] : يا رسول الله ! اجعل لنا هذه السدرة ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ! فقال صلى الله عليه و سلم : قلتموها و رب الكعبة كما قالت بنو إسرائيل : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ! إنها السنن[4] . فحيث ظهرت أحداث اليهود من البغي و الحسد و تعظيم ما ظهر تعظيمه من حيث الدنيا و استحقار ضعفاء المؤمنين فهنالك أعلام اليهودية ظاهرة ، وكذلك[5] أيضا من اقتصر من هذه الشريعة الجامعة المحمدية على باطن من إصلاح حال أو قلب مع[6] تضييع ظاهر الأمر و مجامع الخير و تعاضد الإسلام و اكتفى بما استبطن و تهاون بما استظهر فهو من نصارى هذه الأمة ، ليس بصاحب فرقان فكيف أن يكون صاحب قرآن ، و ذلك أن هذا الدين الجامع إنما يقوم بمعالم إسلام[7] ظاهرة و شعار[7] إيمان في القلوب و أحوال نفس باطنة و حقائق إحسان شهودية ، لا يشهد المحسن مع الله سواه و لا يؤمن المؤمن مع الله بغيره ، و لا يخضع المسلم إلى شيء من دونه ، فبذلك يتم ، و قد التزم بمعالم الإسلام طوائف يسمون المتفقهة ، و التزم بشعائر الإيمان طوائف يسمون الأصوليين و المتكلمين ، و ترامى إلى الإحسان طوائف يسمون المتصوفة ، فمتى كان المتفقهة[8] منكرا لصدق

(١) في ظ : خضرة (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : قالوا (٤) و راجع أيضا مسند الإمام أحمد ٥/٢١٨ حيث سيقت هذه الرواية عن أبي واقد الليثي (٥) في ظ : لذلك .
(٦) في ظ : من (٧ - ٧) في ظ : ظاهر و ساير (٨) في الأصل : المنفعة ، و في ظ : المنفقة - كذا .

أحوال الصوفية لما لعله يراه من خلل فى أحوال المتصوفة فقد تسنن[1] بسنن اليهودية، و متى كان المتصوف غير مجل للفقهاء لما لعله يراه من خلل فى أحوال المتفقهة فقد تسنن بسنن النصارى، وكذلك[2] حال المتكلم بين الفرقتين لأيهما[3] مال، و إنما أئمة الدين الذين[4] جمع الله لهم إقامة معالم الإسلام و إيمان أهل الإيمان و شهود أهل الإحسان[4]، تلين جلودهم و قلوبهم الى ذكر الله فتأتم بهم الصوفية، و تظهر أنوار قلوبهم على ظلم المتشابهات فيأتم بهم أهل الإيمان، و تبدو فى أعمالهم معالم الإسلام تامة فيأتم بهم أهل الإسلام[4] "عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا و اذا خاطبهم الجهلون قالوا سلما[5]"، «أفضل الناس مؤمن فى خلق حسن و شر الناس كافر فى خلق سيئ» فأولو الفرقان جامعون و مستبصرون فمن اقتصر على ظاهر و أنكر باطنا لزمته مذام اليهود فيما أنزل من القرآن فيهم بحسب توغله و اقتصاره، و من اقتصر على باطن دون ظاهر لزمته مذام النصارى فيما أنزل من القرآن فيهم؛ يذكر أن رجلا من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال لراهب فيها: دلنى على موضع طاهر أصلى فيه، فقال الراهب: طهر قلبك[6] مما سواه و قم حيث شئت. قال ذلك الصالح المسلم: فخجلت منه، فاعلم أن كل واحد من هذين الحالين ليس حال صاحب فرقان ولا حال صاحب قرآن[4] لأن صاحب القرآن[4] لا يخجل لهذا القول لأنه حاله، و قلبه مطهر مما سوى الله،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: لذلك (٣) من ظ، و فى الأصل: لأنها.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سورة ٢٥ آية ٦٣ (٦) فى ظ: قلب.

ومع ذلك لا بد أن يتظف ظاهره، لأن الله سبحانه كما أنه الباطن فيحب صفاء البواطن فإنه الظاهر يحب صلاح الظواهر، فصاحب القرآن إذا دعى إلى صفاء باطن أجاب ولم يتلعثم[1] وإذا دعى إلى صلاح ظاهر أجاب / ولم يتلكأ[2] لقيامه بالفرقان وحق القرآن، يذكر / ٥٢٥
أن مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد العصر وهو ممن لا يرى الركوع ٥
بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي: يا شيخ! قم فاركع، فقام وركع ولم يخاجه بما يراه مذهبا. فقيل له في ذلك فقال: خشيت أن أكون من «الذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون[3]» ووقف النبي صلى الله عليه وسلم على سقاية زمزم وقد صنع العباس رضي الله عنه أحواضا من شراب فضيخ التمر والمسلمون يردون[4] عليه وقد خاضوا فيه بأيديهم، فأهوى ١٠
النبي صلى الله عليه وسلم يشرب من شرابهم، فقال له العباس رضي الله عنه: يا رسول الله! ألا نسقيك من شراب لنا في أسقية؟ فقال صلى الله عليه وسلم: أشرب من هذه ألتمس بركة أيدي المسلمين، فشرب منه صلى الله عليه وسلم. فصاحب القرآن[5] يعبد الله تبارك وتعالى بقلبه وجسمه لا يقتصر على ظاهر دون باطن ولا على باطن دون ظاهر، ولا على أول ١٥
دون آخر ولا على آخر دون أول؛ قال صلى الله عليه وسلم «أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره» فمن حق القارئ أن يعتبر القرآن نفسه ويلحظ[6] مواضع مذامة[7] للفرق ويزن به أحوال نفسه من هذه الأديان

(١) في ظ: لم يتعلثم (٢) في ظ: لم يتكلا (٣) سورة ٧٧ آية ٤٨ (٤) من ظ، وفي الأصل: يرون (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: يلحق (٧) من ظ، وفي الأصل: مدامة.

الستة فى هذه الأمة، و أما وجه وقوع النفاق و أحوال المنافقين فهى داهية القراء و آفة الخليفة؛ قال صلى الله عليه و سلم «أكثر منافق أمتى قراؤها» و قال بعض كبار التابعين: أدركت سبعين ممن رأى النبى صلى الله عليه و سلم كلهم يخاف النفاق على نفسه. و أصل مداخله على الخلق من
٥ إيثار حرمة الخلق على حرمة الحق جهلا بالله عز و جل و اغترارا بالناس، فيلزم[1] لذلك محاسنة[2] أولى البر و الصدق ظاهرا و تكرههم بقلبه باطنا، و يتبع[3] ذلك من الذبذبة بين الحالين ما وصف الله تعالى من أحوالهم و ما بينه[4] النبى صلى الله عليه و سلم من علاماتهم حتى قال صلى الله عليه و سلم «بيننا و بين المنافقين شهود العتمة و الصبح لا يستطيعونهما» و كما
١٠ قال تبارك و تعالى "لا يأتون الصلوٰة الا و هم كسالى و لا ينفقون الا و هم كٰرهون[5]" ينظر المنافق إلى ما يستسقط به فضائل أهل الفضل و يتعامى عن محاسنهم، كما روى أن الله يبغض التارك لحسنة المؤمن الآخذ لسيئته، و المؤمن الصادق يتغافل عن مساوئ أهل المساوئ فكيف بمعايب أهل المحاسن! و من أظهر علامات المنافق تبرمه بأعمال الصادق كما ذكر، ما كان
١٥ مؤمن فيما مضى و لا مؤمن فيما بقى إلا و إلى جنبه منافق يكره عمله، و عن ذلك المنافق غماز لماز بخيل جبان مرتاع، مستثقل فى مجامع الخير أجنبى منها، مستخف فى مواطن الشر متقدم فيها[6]، طلق اللسان بالغيبة و البهتان، ثقيل اللسان عن مداومة ذكر الله تبارك و تعالى، عم عن [ذكر-[7]]

(١) فى ظ: يلتزم (٢) فى ظ: محاسنه (٣) فى ظ: نتبع (٤) من ظ، و فى الأصل: نبه (٥) سورة ٩ آية ٥٤ (٦) فى ظ: فيما (٧) زيد من ظ.

الله عز و جل فى كل حال، ناظر إلى الناس بكل وجه، و هو مع ذلك يضانعهم و لا يصادقهم، يأخذ من الدين ما ينفع فى الدنيا [و لا يأخذ ما ينفع فى العقبى، و يجتنب فى الدين ما يضر فى الدنيا - [1]] و لا يجتنب[2] ما يضر فى العقبى مما لا يضر فى الدنيا، فهذا وجه من وقوع شياع النفاق فى هذه الأمة، فلذلك من حق القارئ أن يستشعر مواقع آى القرآن من ٥ نفسه فى ذات قلبه و فى أحوال نفسه و أعمال بدنه و فى سره مع ربه و فى علانيته مع خلقه، فانه بذلك يجد القرآن كله منطبقا عليه خاصا به حتى كأن جميعه لم ينزل إلا إليه حتى إذا رغب فى أمر رغب هو فيه من وجه و لا يقول: هذا إنما أنزل فى كذا، و إذا رهب القرآن من أمر رهبه من وجه ما، و إذا أعلى فكذلك و إذا أسفل فكذلك، و لا يقول: هذا ١٠ إنما أنزل [3]فى كذا[3] حتى يجد / لكل القرآن موقعا فى عمله أىّ عمل كان ٥٢٦/ و محلا فى نفسه أىّ حال كان و مشعرا لقلبه أىّ ملحظ كان، فيستمع[4] القرآن بلاغا من الله سبحانه و تعالى إليه بلا واسطة بينه و بينه، فعند ذلك يوشك أن يكون ممن يقشعر له جلده ابتداء ثم تلين له جلده [3]و قلبه[3] انتهاء، و ربما يجد من الله سبحانه و تعالى نفح رحمة يفتح له بابا إلى ١٥ التخلق بالقرآن أسوة بالنبى صلى الله عليه و سلم، سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت: كان خلقه القرآن، و بذلك هو ذو الخلق العظيم - و الله واسع عليم - انتهى.

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: يجتنب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ: فيسمع.

و لما قرر سبحانه بهذه الآية تشابههم فى التمتع بالعاجل ، و ختمها بهذا الختام المؤذن بالانتقام ، اتبع ذلك بتخويفهم من مشابهتهم فيما[1] حل بطوائف منهم ملتفتا إلى مقام الغيبة لأنه أوقع فى الهيبة ، فقال مقررا لخسارتهم : ﴿ ألم يأتهم ﴾ أى هؤلاء الأخابث من أهل النفاق ﴿ نبأ الذين
٥ من قبلهم ﴾ أى خبرهم العظيم الذى هو[2] جدير بالبحث عنه ليعتمل[3] بما يقتضيه حين عصوا رسلنا ؛ ثم أبدل من ذلك قوله : ﴿ قوم نوح ﴾ أى فى طول أعمارهم و امتداد آثارهم و طيب قرارهم بحسن التمتع فى أرضهم و ديارهم ، أهلكهم بالطوفان ، لم يبق من عصاتهم إنسان ؛ [و عطف على قوم القبيلة فقال[4]] : ﴿ و عاد ﴾ أى فى قوة أبدانهم و عظيم شأنهم و مضائهم
١٠ و بنيانهم و تجبرهم فى عظيم سلطانهم ، أهلكهم بالريح الصرصر ؛ لم يبق ممن كفر منهم بشر ﴿ و ثمود ﴾ أى فى تمكنهم من بلاد الحجر عرضها و طولها ، جبالها و سهولها ، أهلكوا بالرجفة[5] لم يبق من الكفار منهم ديار ﴿ و قوم ابراهيم ﴾ أى فى ملك جميع الأرض بطولها و العرض ؛ سلب الله منهم الملك بعد شديد الهلك ﴿ و أصحب مدين ﴾ أى فى جمع[6] الأموال
١٥ و مد الآمال إلى أخذها من حرام و حلال و نقص[7] الميزان و المكيال[7] فعمهم الله بالنكال[8] ﴿ و المؤتفكت ﴾ أى فى إعراضهم عن صيانة أعراضهم فى اتباع لذائذ أعراضهم ؛ فأثمر لهم فعلهم بعد الخسف عموم انقراضهم .

---

(١) فى ظ : فلما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : ليعلم (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : بالرجف (٦) من ظ ، و فى الأصل : جميع (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : المكيال و الميزان (٨) زيد فى ظ : و لما حصل لمدائن قوم .

و لما كان كأنه قيل : ما نبأهم؟ قال : ﴿ اتتهم رسلهم ﴾ أى أتى كل أمة منهم رسولها ﴿ بالبينت ﴾ أى بالمعجزات الواضحات جدا بسبب أنهم ارتكبوا من القبائح ما أوجب دمارهم ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه ما ﴿ كان الله ﴾ أى مع ما له من صفات الكمال مريدا ﴿ ليظلمهم ﴾ أى لأن يفعل بهم فى الإهلاك قبل الإنذار و إنارة البينات ٥ فعل [1]من تعدونه[1] فيما بينكم ظالما، و لكنه أرسل إليهم الرسل فكذبوا ما أتوهم به من البينات ، فصار العالم بحالهم إذا سمع بهلاكهم و بزوالهم[2] يقول: ما ظلمهم الله ﴿ و لكن كانوا ﴾ أى دائما فى طول أعمارهم ﴿ انفسهم ﴾ أى لا غيرها ﴿ يظلمون ﴾ أى بفعل ما يسبب هلاكها، فان لم ترجعوا أنتم فنحن نحذركم مثل عذابهم ، و لعله خص هؤلاء بالذكر ١٠ من بين بقية[3] الأمم لما عند العرب من أخبارهم و قرب ديارهم من ديارهم مع أنهم كانوا أكثر الأمم عددا ، و أنبياؤهم[4] أعظم الأنبياء - نبه على ذلك أبو حيان . و لعله قدم أصحاب مدين على قوم لوط و هم بعدهم فى الزمان لأن هذا فى شأن من وصفوا بأنهم لم يجدوا ما يحميهم مما هم فيه من العذاب بمشاهدة النبى صلى الله عليه و سلم من ملجأ أو مغارات أو مدخل ١٥ كما أن من قبل المؤتفكات جمعهم هذا الوصف ، فقوم نوح عليه السلام لم يمنعهم لما أتاهم الماء معقل منيع و لا جبل رفيع مع أنه يقال : إنهم هم الذين بنوا الأهرامات ، منها ما هو بالحجارة ليمنعهم من الحادث الذى

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : ما يعدونه (٢) فى ظ : زوالهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : بعيد - كذا (٤) من البحر المحيط ٥ / ٦٩ ، و فى الأصل : انبيائهم ، و فى ظ : ابناؤهم - كذا .

هددوا به إن كان ماء ، و منها ما هو بالطوب التى لتحميهم منه إن كان نارا ، و عاد[1] لما أتتهم الريح بادروا إلى البيوت فقلعت الأبواب و صرعتهم فى أجواف بيوتهم ، و لم يغنهم ما كانوا يبنون من المصانع المتقنة[2] و القصور المشيدة / و الحصون الممنعة ، [3]و حال ثمود معروف فى توسعهم /٥٢٧
٥ فى البيوت جبالا و سهولا فما منعتهم[3] من الصيحة التى أعقبت الرجفة ، وقوم إبراهيم عليه السلام بنوا الصرح ، ارتفاعه خمسة آلاف ذراع أو فرسخان ليتوصل به نمرود - [كما -[4]] زعم - إلى السماء فأتى الله بنيانهم من القواعد ، ألقت الريح رأسه فى البحر و خر[5] عليهم الباقى و هم تحته ، و أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ، و أصحاب مدين لما أتاهم العذاب فأخذتهم
١٠ الرجفة لم تغن عنهم مدينتهم ، و إن كانوا هم أصحاب الأيكة فانهم لما اشتد عليهم الحر يوم الظلة قصدوا المغارات فوجدوها أحر من وجه الأرض فخرجوا منها هاربين ، فجمعتهم الظلة بنسيم بارد خيلته إليهم و لبست به عليهم ، فلما اجتمعوا تحتها أحرقتهم نارها و بقى عليهم عارها ، و أما قوم[6] لوط فأتاهم الأمر بغتة ، لم يشعروا حتى قلبت مدائنهم بعد أن
١٥ رفعت إلى عنان السماء ، و اتبعت حجارة الكبريت تضطرم نارا ، و لعله خص قوم لوط بالذكر من بين من ليس له هذا الوصف لأن العرب كانوا يمرون على مواضع مدائنهم و يشاهدونها ، و عبر عنهم بالمؤتفكات لأن القصص للمنافقين الذين[7] مبنى أمرهم على الكذب و صرف الأمور

(١) فى ظ : عادا (٢) فى ظ : المتقفلة - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) زيد لاستقامة العبارة (٥) فى ظ : خرج (٦) فى ظ : بقوم (٧) فى ظ : الذى .

عن

عن ظواهرها [1]و تقليبها عن وجوهها[1] ، فالمعنى أن أولئك لما قلبوا فعل النكاح عن وجهه عوقبوا بقلب مدائنهم ، فهؤلاء جديرون بمثل هذه العقوبة لقلب القول عن وجهه ، و مادة ' إفك ' بكل ترتيب[2] تدور على القلب ، فاذا كافأت الرجل فكأنك قلبت فعله فرددته إليه و صرفته عنك ، و أكاف الدابة شبه بالإناء المقلوب ، و الكذب صرف الكلام عن وجهه ٥ فهو إفك لذلك - و الله أعلم .

و لما بين سبحانه أن المنافقين بعضهم من بعض و ما توعدهم به و ما[3] استتبعه من تهديدهم باهلاك من شابهوه ، و ختم بما سبب هلاكهم من إصرارهم و عدم اعتبارهم، عطف بيان حال المؤمنين ترغيبا فى التوبة طمعا فى مثل حالهم فقال : ﴿ و المؤمنون و المؤمنت ﴾ أى بما جاءهم عن ربهم ١٠ ﴿ بعضهم اولياء ﴾ و لم يقل : من[4] ، كما قال فى المنافقين : من ﴿ بعض[2] ﴾ دلالة على أن أحدا منهم لم يقلد أحدا فى أصل الإيمان و لا وافقه بحكم الهوى ، بل كلهم مصوبون[5] بالذات و بالقصد الأول إلى اتباع رسول الله صلى الله عليه و سلم بالدليل القطعى على حسب فهم كل أحد[6] منهم ، فذلك دليل على صحة إيمانهم و رسوخهم فى تسليمهم و إذعانهم ؛ ثم بين ولايتهم ١٥ بأنهم يد واحدة على من سواهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر فقال : ﴿ يامرون ﴾ أى كلهم على وجه التعاضد و التناصر ﴿ بالمعروف ﴾ و هو كل ما عرفه الشرع و أجازه ﴿ و ينهون ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تركيب (٣) من ظ ، و فى الأصل : لما (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مصونون (٦) فى ظ : واحد.

[أى - [1]] كذلك ﴿ عن المنكر ﴾ لا يحابون أحدا .

و لما ذكر الدليل القطعى على صحة الإيمان ، أتبعه أفضل العبادات فقال : ﴿ و يقيمون الصلوٰة ﴾ أى يوجدونها[2] على صفة تقتضى قيامها بجميع أركانها و شروطها و حدودها مراقبة لربهم و استعانة بذلك على ٥ جميع ما ينوبهم ﴿ و يؤتون الزكوٰة ﴾ أى مواساة منهم لفقرائهم صلة للخلائق بعد خدمة الخالق . و ذلك مواز لقوله فى المنافقين " و يقبضون ايديهم " و لما خص أمهات الدين ، عم بيانا لأنهم لا ينسون الله طرفة عين بل يذكرونه فى كل حال بقوله : ﴿ و يطيعون الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا ملك سواه ﴿ و رسوله [1] ﴾ إشارة إلى حسن سيرتهم ١٠ و جميل عشرتهم .

و لما ذكر مكارم أفعالهم ، أتبعه حسن مآلهم فقال : ﴿ اولٓئك ﴾ أى العظماء الشأن ﴿ سيرحمهم الله [1] ﴾ / أى المستجمع لصفات الكمال بوعد ٥٢٨ / لا خلف فيه ، و هذا مع الجملة قبله مواز لقوله فى المنافقين " نسوا الله فنسيهم " و هو إشارة إلى أن الطريق وعر و الأمر شديد[3] عسر ، ١٥ فالسائر مضطر إلى الرحمة ، و هى المعاملة بعد الغفران بالإكرام ، لا قدرة له على قطع مفاوز الطريق إلا بها ، ولا وصول له أصلا من غير سببها .

و لما بين أن حال المؤمنين مبنى على الموالاة [4] وكانت الموالاة[4] فقيرة إلى الإعانة قال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : توجدونها (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿ عزيز ﴾ أى غالب غير مغلوب بوجه، فهو قادر على نصر من يوالى حزبه و أن ينيله من ثمرات الرحمة ما يريد من غير أن يقدر أحد على أن يحول بينه و بين شىء من ذلك ﴿ حكيم ﴾ أى فلا يقدر أحد على نقض ما يحكمه و حل ما يبرمه، و فى ذلك إشارة إلى أن المؤمنين لا يزالون منصورين على كل مفسد ما داموا على هذه الخلال من الموالاة ٥ و ما معها من حميد الخصال .

و لما ختم الآية بوصف العزة و الحكمة المناسب لافتتاحها بالموالاة و تعقيبها بآية الجهاد، و ذلك بعد الوعد بالرحمة إجمالا، أتبعها بما هو أشد التئاما بها بيانا للرحمة و تفصيلا لها ترغيبا للمؤمنين بالإنعام عليهم بكل ما رامه[1] المنافقون بنفاقهم فى الحياة الدنيا، و زادهم بأنه دائم، ١٠ و أخبر بأن ذلك هو الفوز لا غيره فقال: ﴿ وعد الله ﴾ أى الصادق الوعد الذى له الكمال كله ﴿ المؤمنين و المؤمنت ﴾ أى الراسخين فى التصديق بكل ما أتاهم به الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿ جنت تجرى من تحتها الانهر ﴾ أى فهى لا تزال[2] خضرة ذات بهجة نضرة؛ و لما كان النعيم لا يكمل إلا بالدوام، قال: ﴿ خلدين فيها ﴾ و لما كانت الجنان لا تروق إلا بالمنازل ١٥ و الدور الفسيحة و المعازل قال: ﴿ و مسكن طيبة ﴾ و لما كان بعض الجنان أعلى من بعض، و كان أعلاها [ما -[3]] شرف بوصف العندية المؤذن بالقرب مع بنائه مما يؤكد معنى الدوام، قال: ﴿ فى جنت عدن[1] ﴾ أى إقامة دائمة و هناء و صحة جسم و طيب مقر و موطن و منبت،

(١) من ظ، و فى الأصل: راته - كذا (٢) زيد بعده فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) زيد من ظ .

و ذلك كما قال فى حق أضدادهم "عذاب مقيم" و ما أنسب ذكر هذه الجنة فى سياق التعبير بالوصف المؤذن بالرسوخ فانه ورد فى الحديث أنها خاصة بالنبيين و الصديقين و الشهداء . و لما كان ذلك لا يصفو[1] عن الكدر مع تجويز نوع من الغضب قال [مبتدئا إشارة إلى أنهى التعظيم - [2]] :

٥ ﴿ و رضوان ﴾ أى رضى لا يبلغه وصف واصف [بما تشير إليه صيغة المبالغة و لو كان على أدنى الوجوه بما أفاده التنوين - [2]] ﴿ من الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه [عندهم - [2]] ﴿ اكبر ﴾ أى مطلقا، فهو أكبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل[3] فوز، و لا يقع السرور الذى هو أعظم النعيم إلا برضى السيد، [و إذا كان القليل منه أكبر فما ظنك

١٠ بالكثير - [2]] .

و لما تم ذلك على أحسن مقابلة بما وصف به أضدادهم، قال يصفه زيادة فى الترغيب فيه : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى الرتبة ﴿ هو ﴾ أى خاصة لا غيره ﴿ الفوز العظيم ﴾ أى الذى يستصغر دونه كل شىء من أمور الدنيا و الآخرة، و فى كون ذلك وعدا لمن اتصف لأجل ما اتصف

١٥ به ترغيب فى الجهاد المأمور به بعدها لكونه من أفراد الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الداعى الأعظم إلى الموالاة .

و لما ثبتت موالاة المؤمنين و مقاطعتهم للمنافقين و الكافرين، و كان ما مضى من الترغيب و الترهيب كافيا فى الإنابة، و كان من لم يرجع

(١) من ظ . و فى الأصل : لا يضعف (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : عن .

على المكاثرة فيهما ، أعاد الضمير عليهما [1]بما يدل[1] على الانواع الكثيرة فقال : ﴿ ولا ينفقونها ﴾ أى ينفقون ما وجب عليهم من هذه الأموال التى جمعوها من هذين النوعين مجتمعين أو منفردين ، ولو ثنى لأوهم أن اجتماعها شرط للترهيب[2] ، وإنما أعاد الضمير عليها من غير ذكر 'من' - وهى مرادة - لمزيد الترغيب فى الإنفاق والترهيب من تركه ، ويجوز ٥ أن يعود / الضمير إلى الفضة لأن الذم على كنزها ، والحاجة إليها لكثرتها ٤٩١/ أقل ، فالذم على كنز الذهب من باب الأولى لأنه أعلى منها وأعز بخلاف الذم على كنز الذهب ؛ وقال الحرالى فى آل عمران : فأوقع الإنفاق عليهما[3] ولم يخصه من حيث لم يكن ، ولا[4] ينفقون منهما[5] كما قال فى المواشى " خذ من اموالهم " لأن هذين الجوهرين خواتم ينال ١٠ بها أهل الدنيا منافعهم وقد صرف عنهم الانتفاع بهما فلم يكن لوجودهما فائدة إلا بانفاقهما لأنهما صنما هذه الأمة ، فكان كسرهما باذهابهما - انتهى . ﴿ فى سبيل الله[6] ﴾ أى الوجه الذى أمر[6] الملك الأعلى[6] بانفاقها فيه ﴿ فبشرهم ﴾ أى نقول فيهم بسبب ذلك تهكما بهم : بشرهم ﴿ بعذاب اليم[5] ﴾ عوضا عما أرادوا بهما من السرور بانجاح المقاصد . ١٥

ولما كان السياق دالا دلالة واضحة على أن[7] هذا العذاب يحصل لهم ويقع بهم ، فنصب بذلك قوله : ﴿ يوم يحمى ﴾ أى يحصل الإحماء وهو الإيقاد الشديد ﴿ عليها ﴾ أى الأموال التى جمعوها ﴿ فى نار جهنم ﴾

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : ليدل (٢) من ظ ، وفى الأصل : الترغيب (٣) فى الأصل : عليها (٤) فى ظ : لم (٥) فى الأصل وظ : منها (٦-٦) فى ظ : الله .
(٧) سقط من ظ .

أى[1] التى لا يقاربها[2] ناركم ، و تلقى داخلها بالتجهم و العبوسة كما كان يلقى بذلك الفقراء و غيرهم من أهل الله لاسيما من منعه ما يجب له من النفقة ﴿ فتكوى بها ﴾ أى بهذه الأموال ﴿ جباههم ﴾ التى هى أشرف أعضائهم لأنها مجمع الوجوه و الرؤس و موضع الجاه الذى يجمع المال لأجله لتعبيسهم[3] بها فى وجوه الفقراء ﴿ و جنوبهم ﴾ التى يحونه[4] لمثها بالمآكل[5] المشتهاة و المشارب المستلذة و لازورارهم بها عن الفقراء ﴿ و ظهورهم ط ﴾ التى يحونه[6] لتقويتها و تحميلها بالملابس و تجليتها و لتوليتهم[7] إياها إذا اجتمعوا مع الفقراء فى مكان ، ثم يقال لهم : ﴿ هذا ما كنزتم ﴾ و أشار إلى الحامل على الجمع المنافى للعقل[8] بقوله : ﴿ لانفسكم ﴾ أى لتنافسوا به و تلتذوا[9] فلم تنفقوه فيما أمر الله ﴿ فذوقوا ما ﴾ أى وبال و عذاب [ما - [10]] ﴿ كنتم تكنزون ه ﴾ أى تجددون[11] جمعه على سبيل الاستمرار حريصين عليه ، و أشار بفعل الكون إلى أنهم مجبولون على ذلك ؛ روى البخارى فى التفسير عن زيد بن وهب قال : مررت على أبى ذر رضى الله عنه بالربذة [قلت : ما أنزلك بهذه الأرض - [12]] قال : كنا بالشام فقرأت " و الذين يكنزون الذهب و الفضة " - الآية ، قال

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لا تقاربها (٣) من ظ ، و فى الأصل : لتعبيتهم ، و زيدت الواو قبله فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها (٤) من ظ ، و فى الأصل : تجرونه - كذا (٥) فى ظ : بالا كل (٦) من ظ ، و فى الأصل : تحوونه. (٧) من ظ ؛ و فى الأصل : تسويتهم (٨) من ظ ، و فى الأصل : للفعل (٩) فى ظ : تلذذوا (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : تجدون (١٢) زيد من الصحيح .

معاوية : ما هذه فينا ، ما هذه إلا فى أهل الكتاب ! قلت : إنها لفينا و فيهم ؛ و روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : هذا قبل أن تنزل الزكاة ، فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال ، يعنى فما أعطى صاحبه ما وجب عليه فيه فليس بكنز .

و لما تقدم كثير مما ينبنى على التاريخ : الحج فى غير موضع ٥ و الأشهر و إتمام [عهد - [1]] من له مدة إلى مدته و الزكاة و الجزية ، و ختم ذلك بالكنز الذى[2] لا يطلق شرعا إلا على ما لم تؤد زكاته ، و كان مشركو العرب - الذين تقدم الأمر بالبراءة منهم و التأذين[3] بهذه الآيات يوم الحج الأكبر فيهم - قد أحدثوا فى الأشهر - بالنسىء الذى أمروا أن[4] ينادوا فى الحج بابطاله - ما غير السنين[5] عن موضوعها الذى[6] ١٠ وضعها الله عليه ، فضاهوا به فعل أهل الكتاب بالتذين بتحليل أكابرهم و تحريمهم كما ضاهى أولئك قول أهل الشرك فى البنوة و الأبوة ، قال تعالى : ﴿ ان عدة الشهور ﴾ أى منتهى عدد شهور السنة ﴿ عند الله ﴾ أى فى حكم و علم الذى خلق الزمان وحده و هو الإله وحده فلا أمر لأحد معه ﴿ اثنا[7] عشر شهرا ﴾ أى لا زيادة عليها و لا تغيير لها كما تفعلونه ١٥ فى النسىء ﴿ فى كتب الله ﴾ أى كلام الملك المحيط بكل[8] شىء قدرة و علما ، و حكمه[9] الذى هو بجمع الهدى ، فهو الحقيق بأن يكتب ،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : التى (٣) زيد فى ظ : فى (٤) فى ظ : بان (٥) من ظ ، و فى الأصل : السنن (٦) من ظ ، و فى الأصل : التى (٧) فى ظ : اثنى (٨) من ظ ، و فى الأصل : كل (٩) فى ظ : حكمة .

و ليست الشهور ثلاثة عشر و لا أكثر كما كان يفعل من أمرتكم بالبراءة منهم كائنين من كانوا فى النسىء ﴿ يوم ﴾ أى كان ذلك و ثبت يوم ﴿خلق[1] السمٰوٰت و الارض﴾ أى اللذين[2] نشأ عنهما الزمان . و المعنى أن الحكم بذلك كان قبل أن يخلق[3] الزمان ﴿منها﴾ أى الشهور ﴿اربعة حرم﴾ أى بأعيانها لا بمجرد العدد ﴿ ذلك ﴾ [أى - [4]] الأمر العظيم و الحكم العالى الرتبة / فى الإتقان خاصة ﴿ الدين القيم ﴾ أى الذى لا عوج فيه و لا مدخل للعباد ، و إنما هو بتقدير الله تعالى للقمر ؛ روى البخارى عن أبى بكرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال - يعنى فى حجة الوداع - : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله[5] السماوات و الأرض ، السنة اثنا[6] عشر شهرا ، منها أربعة حرم : ثلاث متواليات : ذو القعدة و ذو الحجة و المحرم ، و رجب مضر الذى بين جمادى و شعبان. و لما بين الأمر سبب عنه قوله : ﴿ فلا تظلموا فيهن ﴾ أى الأشهر الحرم ﴿ انفسكم ﴾ أى بسبب إنساء بعضها و تحريم غيره مكانه لتوافقوا العدد - لا العين - اللازم عنه إخلال كل منها بايقاع الظلم فيه و تحريم كل من غيرها ، قال قتادة[7] : العمل الصالح و الفاسد فيها أعظم منه فى غيرها و إن كان ذلك فى نفسه عظيما فان الله تعالى لعظم من أمره ما شاء ؛ و قال أبو حيان[8] ما حاصله : إن العرب تعيد[9] الضمير على جمع الكثرة كالواحدة المؤنثة فلذا قال " منها

/ ٤٩٢

(١) زيد فى ظ : الله (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : يتخلق (٤) زيد من ظ .
(٥) سقط من الصحيح - التفسير (٦) من الصحيح ، و فى الأصل و ظ : اثنى .
(٧) راجع لباب التأويل ٣ / ٧٤ (٨) راجع البحر المحيط ٥ / ٣٨ و ٣٩ (٩) من ظ ، و فى الأصل : يعيد .

اربعة " أى من الشهور[1]، و على جمع القلة [لما لا يعقل -[2]] بنون جمع المؤنث فلذا قال " فلا تظلموا فيهن " أى فى الأربعة .

و لما كان إنساؤهم إنما هو لتحل لهم المقاتلة على زعمهم قال : ﴿و قاتلوا المشركين كآفة﴾ أى كلكم فى ذلك سواء فى الائتلاف و اجتماع الكلمة ﴿كما يقاتلونكم كآفة ط﴾ أى كلهم فى ذلك سواء ، و ذلك الحكم فى جميع السنة ، لا أنهاكم عن قتالهم فى شهر منها ، فأنتم لا تحتاجون إلى تغيير حكمى فيها لقتال و لا غيره إن اتقيتم الله ، فلا تخافوهم و إن زادت جموعهم و تضاعفت قواهم لأن الله يكون[3] معكم ﴿واعلموآ ان الله﴾ أى الذى له جميع العظمة معكم ، هكذا كان الأصل و لكنه أظهر الوصف تعليقا للحكم به و تعميما فقال : ﴿مع المتقين ه﴾ أى جميعهم ، و هم الذين يثبتون تقواهم على ما شرعه لهم ، لا على النسىء و نحوه[4] ، و من كان الله معه نصر لا محالة .

و لما فهم من هذا إبطال النسىء لأنه فعل أهل الجاهلية فلا تقوى فيه ، كان كأنه قيل : أفما فى النسىء تقوى فان[5] سببه إنما هو الخوف من انتهاك حرمة الله بالقتال فى الشهر الذى حرمه ؟ و ذلك أنهم كانوا أصحاب غارات و حروب ، و كانوا يحترمون الأشهر الحرم عن القتال حتى لو رأى الإنسان قاتل أبيه[6] لا مانع منه لم يعرض له ، فكان إذا جاء الشهر الحرام و هم محاربون شق عليهم[3] تركه ، و كان يشق عليهم ترك

(١) من ظ ، و فى الأصل : الشهر (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : غيره (٥) فى ظ : فانه (٦) فى ظ : ابنه ، و راجع روح المعانى ٢/٣٠٣ .

ذلك ثلاثة أشهر متوالية ، فجعلوا النسيء لذلك، فقيل تصريحا[1] بما أفهمه ما مضى : ليس فيه شيء من ذلك : ﴿ انما النسيء ﴾ أى تأخير الشهر [إلى شهر -[2]] آخر على أنه مصدر نسأ نسيئا - إذا أخره ، أو هو اسم مفعول ، أى[3] الشهر الذى تؤخر العرب حرمته من الأشهر الحرم عن وقتها ﴿ زيادة فى الكفر ﴾ أى لأنه على خلاف ما شرعه الله ، و فيه ستر تحريم ما أظهر الله تحريمه .

و لما بين ما فى النسيء من القباحة[4]، تحرر أنهم وقعوا على ضد مرادهم فانهم كانوا لو قاتلوا فى الشهر الحرام قاتلوا و هم معتقدون الحرمة خائفون عاقبتها فكانوا [غير -[2]] خارجين عن دائرة التقوى بالكلية ، فاذا هم بتحليله قد صاروا[5] خارجين عن[6] دائرتها بمراحل لارتكابهم فيه كل عظيمة مع الأمن لاعتقاد الحل بتحليل ذلك الذى اعتقدوه ربا ، فكان يقول : إنى لا أجاب[7] و لا أعاب ، و إنه لا مرد لقضائى ، و إنى حللت[8] المحرم و حرمت صفرا - إلى غير ذلك من الكلام الذى لا يليق إلا بالإله ؛ و ذلك معنى قوله تعالى بيانا لما قبله : ﴿ يضل به ﴾ أى بهذا التأخير الذى هو النسيء ﴿ الذين كفروا ﴾ أى يحصل لهم بذلك ضلال عما شرعه الله -

(١) فى ظ : تصر - كذا (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ فحذفناها لاستقامة العبارة (٥) زيد بعده فى الأصل : غير ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) زيد بعده فى الأصل : دائرة التقوى بالكلية ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) فى ظ : لا أحاب ، و فى بعض المراجع : لا أخاب (٨) فى ظ : احللت .

هذا على قراءة الجماعة و المعنى على قراءة حمزة و الكسائى و حفص - بالبناء للمفعول: يضلهم مضل من قبل الله، و على قراءة يعقوب - بالضم: يضلهم الله؛ ثم بين ضلالهم / بقوله: ﴿ يحلونه ﴾ أى ذلك الشهر، / ٤٩٣
و عبر عن الحول بلفظ يدور على معنى السعة إشارة إلى أنهم يفعلونه و لو لم يضطرهم إلى ذلك جدب سنة و لا عض زمان، بل بمجرد التشهى ٥ فقال: ﴿ عاما و يحرمونه عاما ﴾ هكذا دائما كلما أرادوا. و ليس المراد أنهم كل سنة يفعلون ذلك من غير [1]إجلال لسنة[1] من السنين، و هذا الفعل نسخ منهم مع أنهم يجعلون النسخ من معايب الدين ﴿ ليواطؤا ﴾ أى يوافقوا ﴿ عدة ما حرم الله ﴾ أى المحيط بالجلال و الإكرام فى كون الأشهر الحرم أربعة ﴿ فيحلوا ﴾ أى فيتسبب عن هذا الفعل أن يحلوا ١٠ ﴿ ما حرم الله[4] ﴾ أى الملك الأعظم منها كلها، فلا يدع لهم هذا الفعل شهرا إلا انتهكوا حرمته فأرادوا بذلك عدم انتهاك الحرمة فاذا هم لم يدعوا حرمة إلا انتهكوها، فما أبعده من ضلال!

و لما انهتكت[2] بهذا البيان قباحة فعلهم، كان [كأنه -[3]] قيل: إن هذا لعجب! ما حملهم على ذلك؟ فقيل: ﴿ زين ﴾ أى زين مزين، ١٥ و قرئ شاذا باسناد الفعل إلى الله ﴿ لهم سوء اعمالهم[4] ﴾ أى حتى رأوا حسنا[4] ما ليس بالحسن فضلوا و لم يهتدوا، فجعل الله بهم ذلك لما علم من طبعهم على الكفر فلم يهدهم ﴿ و الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ لا يهدى ﴾ أى يخلق الهداية فى القلوب ﴿ القوم الكفرين[5] ﴾ أى

(١ - ١) فى ظ: اخلال السنة (٢) فى الأصل و ظ: انتهكت (٣) زيد من ظ.
(٤) من ظ، و فى الأصل: حسانا (٥) فى ظ: الظالمين.

أى الذين طبعهم على[1] الكفر فهم عريقون فيه لا ينفكون عنه ؛ و النسىء - قال فى القاموس - : الاسم من نسأ الشىء [بمعنى -[2]] زجره و ساقه و أخره ، قال : و شهر كانت تؤخره العرب فى الجاهلية فنهى الله عز و جل عنه ؛ و قال ابن الأثير فى النهاية : و النسىء فعول بمعنى مفعول ، و قال ابن فارس فى المجمل : و النسىء فى كتاب الله التأخير ، و كانوا إذا صدروا عن منى يقوم رجل من كنانة فيقول : أنا الذى لا يرد لى قضاء ! فيقولون[3] : أنسئنا شهرا ، أى أخر عنا حرمة المحرم و اجعلها فى صفر - انتهى . و مادة نسأ تدور على التغريب[4] ، و سبب فعلهم هذا أنهم كانوا ربما أرادوا قتالا فى شهر حرام فيحلونه ، و يحرمون مكانه شهرا من أشهر الحل و يؤخرون ذلك الشهر ؛ قال ابن فارس : و ذلك أنهم كانوا يكرهون أن يتوالى عليهم ثلاثة أشهر لا يغيرون فيها ، لأن معاشهم فى الغارة فيحل لهم الكنانى المحرم - انتهى . و كان النسأة من بنى فقيم من كنانة ، و كان أول من فعل ذلك منهم القلمس[5] و هو حذيفة بن عبد بن فقيم ، و آخرهم الذى قام عليه الإسلام أبو ثمامة[6] جنادة بن عوف ابن أمية بن قلع[7] بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة ، نسأ أربعين سنة . كانت

(١) فى ظ : عن (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : فيقول ، و راجع أيضا تاج العروس - مادة نسأ (٤) فى ظ : التغير (٥) من ظ و سيرة ابن هشام ١ / ١٦ ، و فى الأصل : العلمس - كذا (٦) من ظ و السيرة . و فى الأصل : امامة . (٧) من ظ و السيرة ، و فى الأصل : بلع - كذا .

العرب إذا فرغت من حجها اجتمعت إليه[1]، فحرم الأشهر الحرم الأربعة، فاذا أرادوا أن يحل منها شيئا أحل المحرم فأحلوه، و حرم مكانه صفرا فحرموه، ليواطئوا عدة الأربعة الأشهر الحرم، فاذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال: اللهم! إنى [قد -[2]] أحللت [لهم -[2]] أحد الصفرين الصفر الأول، و نسأت الآخر للعام المقبل - ذكر ذلك أهل السير، ٥ و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول من نسأ عمرو بن لحى.

[و -[3]] تحقيق معنى ما كانت العرب تفعله و اختلاف أسماء الشهور به حتى يوجب دوران السنين فلا تصادف[4] أسماء الشهور مسمياتها إلا الحين بعد الحين عسر قل من أتى فيه بما يتضح به قول النبى صلى الله عليه و سلم فى حجة الوداع كما مضى «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله ١٠ السماوات و الأرض» و ها أنا[5] أذكر فيه ما لا يبقى بعده لبس إن شاء الله تعالى، فمعنى قوله: و نسأت الآخر للعام المقبل، أنه إذا أحل المحرم و سماه صفرا ابتدأ السنة بعده بالمحرم ثم صفر إلى آخرها، / فيصير بين ٤٩٤ / صفر و ذى الحجة الذى وقع النسىء فيه شهران، و قد كان ينبغى أن يكون بينهما شهر واحد، فأخر هذا الذى ينبغى إلى العام المقبل،[6] فالمعنى: ١٥ و أخرت الصفر الآخر عن محله إلى العام المقبل فاذا جاء العام المقبل[6] انتهى تأخره، و إذا انتهى رجع إلى محله، و يمكن أن يتنزل على هذا قول أبى عبيد

(١) من ظ و السيرة، و فى الأصل: عليه (٢) زيد من السيرة (٣) زيد من ظ.
(٤) من ظ، و فى الأصل: فلا تصارف (٥) فى ظ: هنا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.

فى غريب الحديث ، قال بعد النصف من الجزء الثالث منه فى شرح الاستدارة : إن بدء ذلك - و الله أعلم - أن العرب كانت تحرم الشهور الأربعة ، وكان هذا مما تمسكت به من ملة إبراهيم عليه السلام ، فربما احتاجوا إلى تحليل المحرم للحرب تكون بينهم ، فيكرهون أن يستحلوه و يكرهون ٥ تأخير[1] حربهم فيؤخرون تحريم المحرم إلى صفر فيحرمونه و يستحلون المحرم ، و هذا هو النسىء الذى قال الله " انما النسىء " - الآية ، وكان ذلك فى كنانة ، هم الذين كانوا ينسأون الشهور على العرب ، و النسىء هو التأخير ، فكانوا يمكثون بذلك زمانا يحرمون صفرا و هم يريدون بذلك المحرم و يقولون : هو أحد الصفرين ، و قد تأول بعض الناس قول النبى صلى الله ١٠ عليه و سلم « لا صفر » على هذا ، ثم يحتاجون أيضا إلى تأخير صفر إلى الشهر الذى بعده كحاجتهم[2] إلى تأخير المحرم فيؤخرون تحريمه إلى ربيع ، ثم يمكثون بذلك ما شاء الله ثم يحتاجون إلى مثله ثم كذلك ، فكذلك يتدافع شهر[3] بعد شهر حتى استدار التحريم على السنة كلها ، فقام الإسلام و قد رجع المحرم إلى موضعه الذى وضعه الله [به -[4]] ، و ذلك بعد ١٥ دهر طويل ، فذلك قول النبى صلى الله عليه و سلم « إن الزمان قد استدار كهيئته[5] يوم خلق الله السماوات و الأرض » يقول : رجعت الأشهر الحرم إلى مواضعها و بطل النسىء ، و قد زعم بعض الناس أنهم كانوا

(١) من غريب الحديث ٢ / ١٥٨ ، و فى الأصل و ظ : تأخيرهم (٢) من ظ و الغريب ، و فى الأصل : لحاجتهم (٣) من الغريب ، و فى الأصل و ظ : شهرا . (٤) زيد من ظ و الغريب (٥) من ظ و الغريب ، و فى الأصل : لهيئته .

يستحلون المحرم عاما ، فاذا كان من قابل ردوه إلى تحريمه ، قال أبو عبيد : الأول أحب إلىّ لقول النبي صلى الله عليه و سلم « إن الزمان قد استدار » و ليس فى التفسير الأخير استدارة ، و على هذا التفسير الذى فسرناه قد يكون قوله " يحلونه عاما و يحرمونه عاما " مصدقا له لأنهم إذا حرموا العام المحرم و فى قابل صفرا ثم احتاجوا بعد ذلك إلى تحليل صفر أيضا ٥ أحلوه و حرموا الذى بعده ، فهذا تأويل قوله فى التفسير " يحلونه عاما و يحرمونه عاما " و قال أبو حيان فى النهر ما حاصله : كانت العرب لا عيش لأكثرها إلا من الغارات ، فيشق عليهم توالى الأشهر الحرم ، وكان[1] بنو فقيم أهل دين و تمسك بشرع إبراهيم عليه السلام ، فانتدب منهم القلمس[2] و هو حذيفة بن عبيد بن فقيم ، فنسأ[3] الشهور للعرب ، ١٠ ثم خلفه على ذلك ابنه عباد ثم خلفه ابنه قلع ثم خلفه ابنه أمية ثم خلفه ابنه عوف ثم ابنه جنادة بن عوف و عليه قام الإسلام ، كانوا إذا فرغوا من حجهم جاء إليه من شاء منهم مجتمعين فقالوا : أنسئنا شهرا ، فيحل المحرم ، ثم يلزمون حرمة صفر ليوافقوا عدة الأشهر الأربعة و يسمون ذلك الصفر المحرم و يسمون ربيعا الأول صفرا و ربيعا الآخر ١٥ ربيعا الأول - و هكذا سائر الشهور ، فيسقط على هذا حكم المحرم الذى حلل لهم ، و تجيء السنة من ثلاثة عشر شهرا أولها المحرم الذى هو فى الحقيقة صفر ؛ و قال البغوى : قال مجاهد : كانوا يحجون فى كل شهر عامين ،

(١) فى ظ : كانت (٢) من ظ و النهر - راجع البحر المحيط ٥/٣٧ ، وفى الأصل : القلمش (٣) من ظ و النهر ، و فى الأصل : نسأ .

فحجوا فى ذى الحجة عامين و حجوا فى المحرم عامين ثم حجوا فى صفر عامين و كذلك فى الشهور، فوافقت حجة أبى بكر السنة الثانية من ذى القعدة، ثم حج النبي صلى الله عليه و سلم فى العام المقبل حجة الوداع، فوافق حجه [١]شهر الحج[١] المشروع و هو ذو الحجة؛ و قال / عبد الرزاق[٢] فى تفسيره: ٤٩٥ /
٥ أخبرنا معمر عن ابن[٣] أبى نجيح عن مجاهد فى قوله "انما النسىء زيادة فى الكفر" قال: فرض الله الحج فى ذى الحجة، فكان المشركون يسمون الأشهر: ذو[٤] الحجة و المحرم و صفر و ربيع و ربيع و جمادى و جمادى و رجب و شعبان و رمضان و شوال[٣] و ذا القعدة و ذا الحجة، ثم يحجون فيه مرة أخرى، ثم يسكتون عن المحرم و لا يذكرونه، فيسمونه - ١٠ أحسبه قال - المحرم[٥] صفر، ثم يسمون رجب بجمادى الآخرة، ثم يسمون شعبان رمضان، و رمضان شوالا[٦]. ثم يسمون ذا القعدة شوالا، ثم يسمون ذا الحجة ذا القعدة، [٧]ثم يسمون المحرم ذا الحجة ثم يحجون فيه، و اسمه عندهم ذو الحجة، ثم عادوا [٨]كمثل هذه الصفة[٨] فكانوا يحجون عامين فى كل شهر حتى وافق حجة أبى بكر الآخر[٩] من العامين فى ١٥ ذى القعدة، ثم حج النبي صلى الله عليه و سلم حجته التى حج، فوافق

(١-١) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٧٤، و فى الأصل: حج الشهر (٢) و حديثه هذا قد ساقه الطبرى بهذا الطريق فى تفسيره حول آية النسىء بيسير من الاختلاف (٣) سقط من ظ (٤) من الطبرى، و فى الأصل: ذا، و فى ظ: ذى (٥) فى تفسير الطبرى: صفر (٦) من الطبرى، و فى الأصل و ظ: شوال. (٧) العبارة من هنا إلى «فوافق ذلك ذا الحجة» ساقطة من ظ (٨-٨) فى تفسير الطبرى: بمثل هذه القصة (٩) من تفسير الطبرى، و فى الأصل و ظ: الآخرة.

ذلك ذا الحجة ، فلذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم فى خطبته « إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله[1] السماوات و الأرض » . و قال ابن إسحاق فى السيرة : سألت ابن أبى نجيح عن قول رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : كانت قريش يدخلون فى كل سنة شهرا ، و إنما كانوا يوافقون[2] ذا الحجة كل اثنتى[3] عشرة سنة مرة . فوفق الله عز و جل ٥ لرسول الله صلى الله عليه و سلم فى حجته التى حج ذا الحجة ، فحج فيها فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض ، فقلت لابن أبى نجيح : فكيف بحجة أبى بكر و عتاب بن أسيد ؟ فقال : على[1] ما كان الناس يحجون عليه ، ثم قال ابن أبى نجيح : كانوا يحجون فى الحجة ثم العام المقبل فى المحرم ١٠ ثم صفر حتى[4] يبلغوا اثنى عشر شهرا ـ انتهى . و قوله هذا يوهم[1] أن فى حج أبى بكر و عتاب رضى الله عنهما اختلالا[5] ، و تقدم عن المهدوى و غيره[6] التصريح بأنه كان فى ذى القعدة ـ و فيه نظر ، لأن السنة التى حج فيها أبو بكر رضى الله عنه نودى فيها بتحريم النسىء و غيره من أمور الجاهلية ، فلاشك أنه لم يكن فى ذلك العام إنساء ، و لما مضى ١٥ من الشهر[7] الذى حج فيه عشرة أشهر ، و كان الحادى عشر و هو ذو القعدة سار النبى صلى الله عليه و سلم فى أواخره إلى الحج موافيا لهلال

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : يوافقوا (٣) من ظ ، و فى الأصل : اثنى (٤) فى ظ : ثم (٥) فى ظ : اختلافا (٦) فى ظ : غيرى (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها .

ذى الحجة ، فلما وقف بعرفة أخبر أن الزمان قد استدار ، فعلم قطعا أن استدارته كانت فى حجة أبى بكر ، وكذا فى سنة ثمان وهى السنة التى حج فيها عتاب بالمسلمين ، وذلك لأن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله عنهم لم يكونوا يعتبرون حساب أهل الجاهلية لا نسأتهم ولا غير نسأتهم ، لأنه يلزم من القول بأنهم اعتبروا أمر النسأة أنهم اعتبروا ما هو زيادة فى الكفر ، وهذا ما لا يقوله ذو مسكة ، وقد تقدم النقل أن النبى صلى الله عليه وسلم أرسل أبا بكر رضى الله عنه إلى الحج فى أواخر[1] ذى القعدة أو بعد انقضائه من سنة تسع ، ووافاه العرب فى ذى الحجة : الكفارُ وغيرهم ، فوقع[2] إعلامهم ببراءة فى أيام الحج وأماكنه ، فلو كان حصل فى سنة عتاب اختلال فى [3]ذى القعدة[3] [بنسىء - [4]] لكان ذو الحجة بحساب الكفار وهو المحرم بحساب الإسلام ، فكان يتأخر مجىء الكفار للحج عن مجىء المسلمين ، فثبت بهذا أيضا أن حجه رضى الله عنه كان فى ذى الحجة ، فحفظ الله أهل الإسلام من أن يقع فى حجهم اختلال فى سنة من السنين ، وما هى بأول نعمة عليهم - والله الموفق ؛ وقال الإمام أبو العباس أحمد بن أبى أحمد المشهور بابن القاص[5] من أكابر متقدمى أصحاب الشافعى رحمه الله فى كتابه دلائل القبلة فى باب معرفة عدد أيام السنة : فالسنة اثنا عشر شهرا بالأهلة ، وربما كان الشهر ثلاثين وربما كان تسعا وعشرين ، فبلغ السنة الهلالية ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوما وثمانى

(١) من ظ ، وفى الأصل : اخر (٢) فى ظ : ووقع (٣ - ٣) فى ظ : العدد .
(٤) زيد من ظ (٥) من ظ ووفيات الأعيان ١ / ٥١ ، وفى الأصل : القاضى .

ساعات و أربعة / أخماس ساعة ، و قالت الهند : السنة ثلاثمائة و خمسة[1] ٤٩٦ /
و ستون يوما و ست ساعات و خمس ساعة و جزء من أربعمائة جزء من
ساعة ، و ذلك من دخول الشمس برأس[2] الحمل إلى أن تدخل فيه من
قابل ، ففضل ما بين السنة الهلالية و السنة الشمسية عشرة أيام و إحدى
و عشرون ساعة و خمسا ساعة ، فاذا زيدت عليها هذه الساعات و الأيام ٥
استقام حسابه مع دوران الشمس ، وكانت العرب تزيده فى الجاهلية ،
وكان الذى أبدع لهم ذلك رجل من كنانة يقال له القلمس ، و ذلك
أنه يجمع هذه الزيادة فاذا تمت شهرا زاده فى السنة و جعل تلك السنة
ثلاثة عشر شهرا ، وسماه[3] نسيئا ، ويحج بهم تلك السنة فى المحرم ،
فأنزل الله تعالى " انما النسىء زيادة فى الكفر " فلما كانت السنة التى ١٠
حج فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم حجة الوداع وافق الحج فى تلك
السنة ذا الحجة لما أراد الله تعالى باثبات الحج فى تلك السنة ، فخطب
النبى صلى الله عليه و سلم فقال : أيها الناس ! ألا إن السنة قد استدارت
كهيئتها يوم خلق الله السماوات و الأرض "منها اربعة حرم ذلك الدين
القيم"- يعنى به الحساب القيم ، فالحرم رجب جمادى و شعبان ، و ذو القعدة ، ١٥
و ذو الحجة ، و المحرم ، فسمى ذلك الحج الأقوم ، و قال الشاعر :

وأبطل ذوالعرش النسى و قلمسا وفاز رسول الله[4] بالحج الاقوم - انتهى.

و القلمس بفتح اللام و تشديد الميم ، فالنسىء فى البيت متروك الهمز

(١) فى ظ : خمس (٢) فى ظ : راس (٣) من ظ ، وفى الأصل :سماها (٤) أقحم فى الأصل : صلى الله عليه و سلم .

ليصح الوزن ، و الأقوم منقول حركة الهمزة ، و قوله : إن علة النسيء التطبيق بين السنة الشمسية و القمرية[1] - فيه نظر ، و الظاهر أن علته ما ذكر فى السير من اضطرارهم إلى القتال ، و أمر الاستدارة فى كل من هذه الأقوال واضح الاستنارة ، و ليس المراد بها مصادفة كل فصل من فصول السنة لموضعه من الحر و البرد ، و مصادفة اسم كل شهر لمسماه بحسب اشتقاقه حتى يكون رمضان فى شدة الحر مثلا و كذلك غيره و إن كان الواقع أن الأمر كان فى هذه الحجة كذلك ، لما تقدم من أن غزوة تبوك كان ابتداؤها فى شهر رجب ، و كان ذلك [2]كما تقدم[2] فى شدة الحر و حين طابت الثمار ، و إنما المراد الأعظم بالاستدارة مصادفة اسم كل شهر لمسماه [لا لمسمى -[3]] شهر آخر لأجل الدوران بالنسيء بدليل أنه صلى الله عليه و سلم ما ذكرها إلا لأجله ، فقال فى بعض طرق حديث جابر الطويل رضى الله عنه : إن النسيء زيادة فى الكفر ، و إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض ، السنة اثنا عشر شهرا . فانظر إلى تعقيبه بحصر الأشهر فى الاثنى عشر نفيا لجعلهم إياها سنة النسيء ثلاثة عشر [شهرا -[3]] ، و قال : منها أربعة حرم ، و عينها و قال : أىّ شهر هذا ؟ فلما سكتوا قال : ذو الحجة شهر حرام[4] ، كل هذا لبيان أن المراد بالاستدارة رجوع كل شهر عما غيره أهل الجاهلية إلى موضعه الذى وضعه الله به موافقا اسمه لمسماه ، و جعلت أشهرنا هلالية مع المنع من النسيء لتحصل الاستدارة فيحصل بسببها كل عبادة تعبدنا بها

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : الحرام .

من

من صوم وعيد وحج وغيره فى كل فصل من فصول السنة بخلاف من شهوره بالحساب ، فان عباداتهم[1] خاصة بوقت من السنة لا تتعداه[2] - والله الموافق له[3] ! وقال القاضى أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستى فى تفسيره : حدثنا ابن أبى عمر ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طاووس قال : الشهر الذى انتزعه الله من الشيطان المحرم . والحاصل[4] أنه لا شك فى[5] أن النسىء لم يكن قط إلا للمحرم لما تقدم ، وأن الحج لم يكن قط فى جاهلية ولا إسلام إلا فى شهر يسمى ذا الحجة لما قاله نقلة[4] اللغة والحديث والأخبار ؛ قال ابن الأثير فى النهاية ونشوان اليمنى[5] / فى شمس العلوم / ٤٩٧
والقزاز[6] فى ديوانه وابن مكتوم[7] فى ترتيب العباب والمحكم : ذو الحجة بالكسر : شهر الحج ، زاد المحكم : سمى بذلك للحج ، وقال القزاز : إن الفتح فيه أشهر ، وفى النهاية : يوم التروية هو الثامن من ذى الحجة ، سمى به لأنهم كانوا يرتوون[8] فيه[3] من الماء لما بعده ، أى يستقون[9] ويسقون[9] ؛ وقال المجد فى القاموس : يوم عرفة التاسع من

(١) فى ظ : عبادتهم (٢) من ظ ، وفى الأصل : لا يتعداه (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد فى ظ : فى (٥) فى ظ : اليمين ، وراجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣/٨٦ .
(٦) هو محمد بن جعفر أديب لغوى نحوى - راجع معجم المؤلفين ٩ / ١٤٨ .
(٧) وهو أحمد بن عبد القادر بن أحمد بن مكتوم القيسى ، واستفاض ترتيبه باسم « الجمع بين العباب والمحكم » - راجع معجم المؤلفين ١ / ٢٧٨ (٨) من النهاية ، وفى الأصل : يرتون ، وفى ظ : يوتون (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ذى الحجة ، و فى كتاب أسواق العرب لأبى[1] المنذر هشام بن محمد الكلبى رواية أبى سعيد السكرى[2] أن عكاظ كانت من أعظم أسواق العرب . فاذا أهل أهلها هلال ذى الحجة ساروا بأجمعهم إلى ذى المجاز و هى قريب من عكاظ ، [و عكاظ -[3]] فى أعلى نجد ، فأقاموا بها حتى يوم ٥ التروية ، و[4] وافاهم بمكة حجاج العرب و رؤسهم ممن أراد الحج بمن لم يكن شهد تلك الأسواق . و قال الأزرقى[5] فى تاريخ مكة : فاذا رأو اهلال ذى الحجة انصرفوا إلى ذى المجاز فأقاموا بها ثمانى ليال أسواقهم قائمة ، ثم يخرجون يوم التروية من ذى المجاز إلى عرفة فيترووون ذلك اليوم[6] من الماء بذى المجاز ، و إنما سمى يوم التروية لترويهم الماء بذى ١٠ المجاز ، ينادى بعضهم بعضا : ترووا من الماء ، انه لا ماء بعرفة و لا بالمزدلفة يومئذ ، ثم ذكر أنه لا يحضر ذلك إلا التجار ، قال : و من لم يكن له تجارة فانه يخرج من أهله متى أراد ، و من كان من أهل مكة ممن لا يريد التجارة خرج من مكة يوم التروية . و روى البيهقى فى دلائل النبوة بسنده عن عروة و موسى بن عقبة - فرقهما - قالا : و أهل رسول الله ١٥ صلى الله عليه و سلم بالعمرة من الجعرانة فى ذى القعدة ، ثم أسند عن ابن إسحاق[7] أنه قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه و سلم من عمرته انصرف

(١) فى ظ : لابن ، و راجع لترجمته معجم المؤلفين ١٣ / ١٤٩ (٢) هو حسن بن الحسين السكرى - راجع معجم المؤلفين ٣ / ٢١٩ (٣) زيد من ظ (٤) سقطت الواو من ظ (٥) هو أبو الوليد محمد بن عبد الله المكى - راجع المعجم المؤلفين ١٠ / ١٩٨ . (٦) من ظ ، و فى الأصل : القوم (٧) راجع سيرة ابن هشام ٣ / ٣٢ .

راجعا إلى المدينة ، واستخلف عتاب بن أسيد على مكة و خلف معه معاذ بن جبل يفقه الناس فى الدين و يعلمهم ، فكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه و سلم فى ذى القعدة أو فى الحجة ، و حج الناس تلك السنة على ما كانت العرب يحج عليه ، و حج تلك السنة عتاب بن أسيد فى سنة ثمان ، و حديث اعتماره صلى الله عليه و سلم فى ذى القعدة رواه ٥ الشيخان و مضى على ما كانت العرب من الطواف عراة و نحوه ؛ و ذكر الواقدى عن مشايخه قالوا : و انتهى رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس[1] ليال خلون من ذى القعدة ، فأقام بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ، فلما أراد الانصراف إلى المدينة خرج من الجعرانة ليلة الأربعاء لاثنتى[2] عشرة ليلة بقيت من ذى القعدة ليلا فأحرم - فذكر ١٠ عمرته ثم قال : و استعمل رسول الله صلى الله عليه و سلم عتاب بن أسيد على مكة ، و خلف معاذ بن جبل و أبا موسى الأشعرى رضى الله عنهما يعلمان الناس القرآن و الفقه فى الدين[3] ، و أقام للناس الحج عتاب بن أسيد رضى الله عنه تلك السنة و هى سنة ثمان ، و حج ناس من المسلمين و المشركين على مدتهم ، و قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة يوم ١٥ الجمعة لثلاث بقين من ذى القعدة ، قال الواقدى[4] : فأقام بقية ذى القعدة و ذا الحجة ، فلما رأى هلال المحرم بعث المصدقين - انتهى . إذا تقرر هذا علم أن الحج لم يكن قط إلا فى شهر يسمونه ذا الحجة ، و هو مما لا يدور

(١) من ظ و المغازى ٣/٩٥٨ ، و فى الأصل : بخمس (٢) فى ظ : لاثنى (٣) من ظ و المغازى ٣/ ٩٥٩ ، و فى الأصل : الدنيا (٤) راجع المغازى ٣/ ٩٧٣ .

فى خَلَد و لا يقـــع فى وهم فيه تردد ، و لا يحتاج إلى تطويل بذكره
و لا إطناب فى أمره ، و تارة يوافق اسمه مسماه و تارة لا يوافقه لأجل
النسىء ، و علم أيضا أن حج عتاب بن أسيد كان فى ذى الحجة بعد رجوع
النبى صلى الله عليه و سلم من الجعرانة إلى المدينة الشريفة ، و أنه ما تأخر
٥ عن ذى الحجة و إلا لنقل ، و أن حج أبى بكر رضى الله عنه سنة تسع كان
فى ذى الحجة لذلك و لما تقدم[1] من أن سفره / له من المدينة الشريفة[2] /٤٩٨
كان فى آخر ذى القعدة أو أول ذى الحجة و لقولهم : إن الأربعة الأشهر[3]
التى ضربت للمشركين من يوم النحر و[4] لقولهم : إن الأربعة الأشهر[5]
كان آخرها عاشر ربيع الآخر ، و علم أن ذا الحجة تلك السنة لو كان
١٠ وافق مسمى ذى القعدة لم يقع[6] ذو الحجة سنة عشر التى حج فيها النبى
صلى الله عليه و سلم فى موضعه الذى وضعه الله به إلا بأن تكون تلك
السنة ثلاثة عشر شهرا بنسىء أو غيره ، و كل من الأمرين باطل ، أما
الأول فلأن الله تعالى أبطل النسىء فى تلك السنة فيما أبطله من أمور
الجاهلية فى هذه السورة ، و أرسل النبى صلى الله عليه و سلم بالمناداة بها
١٥ كما مر ، و أما الثانى فهو أمر خارق للعادة لم يكن مثله من حين خلق الله
السماوات و الأرض ، و الخارق مما تتوفر الدواعى [على -[7]] نقله ،
و لا ناقل لهذا أصلا فبطل ، و إذا بطل ثبت أن سنة عشر كانت اثنى عشر

(١) فى ظ : تقرر (٢) زيد بعده فى ظ : و انه مـا تأخر عن ذى الحجة (٣) فى ظ : اشهر (٤) العبارة من هنا إلى « الأشهر » ساقطة من ظ (٥) فى الأصل : الا ـ كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : لم تقع (٧) زيد من ظ .

شهرا و لا سيما بعد إنزال الله تعالى فى ذلك ما أنزل فى هذه السورة، و إذا كان الأمر كذلك كان الشهر الذى وقف فيه النبى صلى الله عليه و سلم فى موضع الشهر الذى وقف فيه الصديق رضى الله عنه سواء بسواء[1]، و قد ثبت أن الزمان كان فيه قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات و الأرض، فثبت من غير مرية[2] أن شهر الصديق رضى الله عنه كذلك كان، و ثبت أيضا أن سنة عتاب بن أسيد رضى الله عنه كذلك كانت بما قدمتُ من أنه لم يكن فيها نسىء لتوافق حج المسلمين و المشركين فى سنة تسع، فدل ذلك على أنها كانت اثنى عشر شهرا، فكان ذو الحجة فيها فى موضعه[3] الذى وضعه الله به كما كانت سنة تسع، بل ظاهر قول أبى عبيد: فقام الإسلام و قد رجع المحرم إلى موضعه - كما مضى - أن الله حفظ زمن الإسلام كله عن نسىء، و هو الذى أعتقده، و قد لاح بذلك أن السبب فى قول من قال: إن حج الصديق رضى الله عنه وافق ذا القعدة، أنه فهم من قول النبى صلى الله عليه و سلم: إن الزمان قد استدار، أن الاستدارة لم تكن إلا فى تلك السنة، و ليس ذلك مدلول هذا التركيب كما لا يخفى - و الله الموفق؛ ثم وجدت النقل الصريح فى زوائد معجمى[4] الطبرانى: الأوسط و الأصغر للحافظ نور[5] الدين الهيثمى بمثل ما فهمته، قال فى تفسير براءة: حدثنا إبراهيم - يعنى ابن هشام - البغوى ثنا[6] الصلت بن مسعود الجحدرى ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوى ثنا داود بن أبى هند عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده يعنى

(١) من ظ، و فى الأصل: سواء (٢) فى ظ: مبرية (٣) من ظ، و فى الأصل: موضعها (٤) فى ظ: معجم (٥) فى ظ: زين (٦) فى ظ: حدثنا.

عبد الله[1] بن عمر[2] رضى الله عنهما قال: كانت العرب يحلون عاما شهرا وعاما شهرين ولا يصيبون الحج إلا فى كل ست وعشرين سنة مرة، وهو النسىء الذى ذكره الله عز وجل فى كتابه، فلما كان عام حج أبو بكر رضى الله عنه بالناس وافق ذلك العام الحج[3] فسماه الله الحج الأكبر، ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل فاستقبل الناس الأهلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض. لم يروه عن عمر إلا داود تفرد به الصلت - انتهى، وهو حديث حسن إن شاء الله تعالى، [ثم رأيت الهيثمى فى مجمع الزوائد قال: رجاله ثقات، فأكد ذلك الجزم بما فهمت من أنه حسن -[4]]، وإنما أطلت[5] هذا بما قد لا يحتاج فى إيضاحه إليه لكثرة جدال المجادلين المعاندين ومحال المماحلين الجامدين.

ولما أوعز[6] سبحانه فى أمر الجهاد، وأزاح جميع عللهم وبين أن حسنه لا يختص به شهر دون شهر وأن بعضهم كان يحل لهم ويحرم فيتبعونه بما يؤدى إلى تحريم الشهر[7] الحلال وتحليل الشهر الحرام بالقتال فيه، عاتبهم الله سبحانه على تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الآمر لهم بالنفر فى غزوة تبوك عن أمره سبحانه، وكان ابتداؤها فى شهر رجب سنة تسع، فقال تعالى على سبيل الاستعطاف والتذكير بنعمة الإيمان

(١) من ظ، وفى الأصل: عنه - كذا (٢) من مجمع الزوائد ٧/ ٢٩، وفى الأصل وظ: عمرو (٣) فى ظ: الحجة (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥) فى ظ: اطلقت (٦) فى ظ: اوعد (٧) سقط من ظ.

-/ بعد ختم التى قبلها بأنه لا يهدى الكافرين - الذى[1] يعم الحرب و غيره / ٤٩٩
الموجب للجرأة عليهم [لأن من لا هداية له أعمى ، و الأعمى لا يخشى -[2]] :
﴿ يٰأيها الذين آمنوا ﴾ أى ادعوا ذلك ﴿ ما لكم ﴾ أى ما الذى يحصل
لكم فى أنكم ﴿ إذا قيل لكم ﴾ أى من أىّ قائل كان ﴿ انفروا ﴾ أى
اخرجوا مسرعين بجد و نشاط جماعات و[3] وحدانا إمدادا لحزب الله ٥
و نصرا لدينه تصديقا لدعواكم الإيمان ، و النفر : مفارقة مكان إلى مكان
لأمر هاج على ذلك ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى بسبب[4] تسهيل الطريق إلى
الملك الذى له [جميع -[2]] صفات الكمال ، و قال أبو حيان : بنى "قيل"
للفعول و القائل النبى صلى الله عليه و سلم و لم يذكر إغلاظا و مخاشنة
لهم و صونا[6] لذكره إذ أخلد إلى الهوينا و الدعة من أخلد و خالف ١٠
أمره - انتهى . ﴿ اثاقلتم ﴾ أى تثاقلتم تثاقلا عظيما ، و فيه ما لم يذكروا
له سببا ظاهرا بما أشار إليه الإدغام إخلادا و ميلا ﴿ إلى الارض ﴾ أى
لبرد ظلالها و طيب هوائها و نضج ثمارها ، فكنتم أرضيين[7] فى سفول
الهمم ، لا سمائيين[8] بطهارة الشيم .

و لما لم يكن - فى الأسباب التى تقدم أنها كانت تحمل على التباطؤ ١٥
عن الجهاد - ما يحتمل القيام بهم فى هذه الغزوة إلا الخوف من القتل و الميل
إلى الأموال الحاضرة وثوقا بها و الإعراض عن الغنى الموعود [به -[2]]

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : الذين (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٥) من ظ و البحر المحيط ٥/٤١، و فى الأصل : مجانسة (٦) فى ظ : ضونا (٧) فى الأصل و ظ : ارضين (٨) فى ظ : سماسين - كذا .

الذى ربما يلزم من[1] الإعراض عنه[2] التكذيب ، فيؤدى إلى خسارة الآخرة ، هذا مع ما يلزم على[3] ذلك - و لا بد - من [4]الزهد فى[4] الأجر المثمر لسعادة العقبى بهذا الشىء الخسيس ؛ قال مبينا خسة ما أخلدوا إليه تزهيدا فيه و شرف ما أعرضوا عنه ترغيبا فيه منبها على أن ترك الخير الكثير لأجل الشر اليسير شر عظيم منكرا[5] على من تثاقل موبخا لهم : ﴿ ارضيتم بالحيوة الدنيا ﴾ أى بالخفض و الدعة فى الدار[6] الدنية الغارة ﴿ من الآخرة ج ﴾ أى الفاخرة الباقية ؛ قال أبو حيان[7] : و 'من' تظافرت أقوال المفسرين أنها بمعنى بدل ، و أصحابنا لا يثبتون [8]أن من[8] تكون للبدل - [4]انتهى . و الذى يظهر لى أنهم لم يريدوا أنها موضوعة للبدل[4] ، بل إنه يطلق عليها لما قد يلزمها فى مثل هذه العبارة من ترك ما بعدها لما قبلها فانها لابتداء الغاية ، فاذا قلت : رضيت بكذا من زيد ، كان المعنى أنك أخذت ذلك أخذا مبتدئا منه غير ملتفت إلى ما عداه ، فكأنك جعلت ذلك بدل كل شىء يقدر أنه ينالك منه من غير ذلك المأخوذ . و لما كانوا قد أعطوا الآخرة على الاتباع فاستبدلوا به الامتناع ، كان إقبالهم على الدنيا كأنه مبتدئ بما كانوا قد توطنوه من الآخرة مع الإعراض عنها ، فكأنه قيل : أرضيتم بالميل إلى الدنيا من الآخرة ؟ و يؤيد ما فهمته أن العلامة علم الدين أبا محمد القاسم ابن الموفق الأندلسى ذكر فى شرح الجزولية

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : عن (٣) فى ظ : من (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : منكر (٦) فى ظ : الدانية (٧) راجع البحر المحيط ٥/ ٤٣ (٨-٨) فى ظ : من ان .

أنهم

أنهم عدوا لـ "من" خمسة معان[1] كلها ترجع إلى ابتداء الغاية عند المحققين، و بين كيفية ذلك حتى فى البيانية . فمعنى "فاجتنبوا الرجس من الاوثان[2]" الذى ابتداؤه من الأوثان، لأن الرجس جامع للأوثان وغيرها.

و لما كان الاستفهام إنكاريا كان معناه النهى، فكان التقدير: لا ترضوا بها فان ذلك أسفه رأى و أفسده! فقال تعالى معللا لهذا النهى: ﴿ فما ﴾ أى بسبب[3] أنه ما ﴿ متاع الحيوة الدنيا فى[4] ﴾ أى مغمورا فى جنب ﴿ الأخرة الا قليل ۝ ﴾ و الذى يندب هم المتجر و يدعى البصر به و يحاذر الخلل فيه يعد فاعل ذلك سفيها .

و لما كان طول[5] الاستعطاف ربما كان مدعاة للخلاف و ترك الإنصاف، توعدهم بقوله: ﴿ الا تنفروا ﴾ أى فى[4] سبيله ﴿ يعذبكم[6] ﴾ أى على ذلك ﴿ عذابا اليما[5] ﴾ أى فى الدارين ﴿ و يستبدل ﴾ أى يوجد بدلا منكم ﴿ قوما غيركم ﴾ أى ذوى بأس و نجدة مخالفين لكم فى الخلال التى كانت سببا للاستبدال لولايته و نصر دينه .

و لما هددهم / بما يضرهم، أخبرهم أنهم لا يضرون بفتورهم غير / ٥٠٠ أنفسهم فقال: ﴿ و لا تضروه ﴾ أى الله و رسوله ﴿ شيئا[5] ﴾ لأنه متم أمره و منجز وعده و مظهر دينه؛ و لما أثبت بذلك قدرته على ضره لهم و قصورهم عن[7] الوصول إلى ضره، كان التقدير: لأنه قادر على نصر دينه

(١) فى ظ: معادن (٢) سورة ٢٢ آية ٣٠ (٣) من ظ، و فى الأصل: سبب . (٤) من ظ و القرآن الكريم، و قد سقط من الأصل (٥) تكرر فى ظ (٦) تقدم فى ظ على «أى فى» (٧) فى ظ: من .

و نبيه بغيركم[1]، فعطف عليه تعميما لقدرته ترهيبا من عظيم سطوته قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الملك الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ على كل شىء قدير ﴾.

و لما وصف سبحانه نفسه الأقدس بما هو له أهل من شمول القدرة و عظيم البأس و القوة ، اتبع ذلك بدليل يتضمن أن المستنفر لهم - و هو نبيه صلى الله عليه و سلم - غير محتاج إليهم[2] و متوقف نصره عليهم كما لم يحتج إليهم - بحياطة[3] القادر له - فيما مضى من الهجرة التى ذكرها ، و أن نفع ذلك إنما هو لهم باستجلاب ما وعدوه و استدفاع[4] ما أوعدوه فى الدارين المشار إلى ذلك [كله - [5]] بقوله " فما متاع[6] الحيوة الدنيا[6] " الآية و قوله " الا تنفروا " - الآية ، فقال : ﴿ الا تنصروه ﴾ أى أتم طاعة لأمر الله ، و الضمير للنبى صلى الله عليه و سلم إما على طريق الاستخدام من[7] سبيل الله لأنه الموضح له الداعى إليه ، أو لتقدم اسمه الشريف إضمارا فى قوله " اذا قيل لكم " أى من رسول الله صلى الله عليه و سلم استنصارا منه لكم ، و إظهارا فى قوله تعالى " هو الذى ارسل رسوله " - الآية ، و قوة ما فى كل جملة من المناسبة المقتضية لأن تعانق[8] التى بعدها و لا تنفك[9] عنها قصر الفصل بين الظاهر و ضميره ، و ذكر[10] الغار و الصاحب أوضح الأمر ، و ذلك أنه سبحانه لما عابهم باتخاذ الرؤساء أربابا اشتدت

(١) فى ظ : بغيرها (٢) فى ظ : اليه (٣) من ظ ، و فى الأصل : بحياط (٤) فى ظ : اندفاع (٥) زيد من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : عن (٨) من ظ ، و فى الأصل : يعانق (٩) من ظ ، و فى الأصل : لا ينفك (١٠) من ظ ، و فى الأصل : ذلك .

الحاجة إلى بيان أنهم فى البعد عن ذلك على غاية لا تخفى على متأمل، فوصفهم بالأكل المستلزم للجسمية المستلزمة للحاجة، و[1] بأن مأكولهم أموال غيرهم باطلا، و بأنهم يغشونهم لصدهم إياهم عن السبيل التى لا يخفى حسنها على من له أدنى نظر؛ و لما كان ذلك شديد الإثارة لتشوف النفوس إلى السؤال عن العرب: هل فعلوا فعلهم و اتبعوا سنتهم؟ أجاب بأن عملهم فى تحليل النسأة لهم بعض الأشهر الحرم و تحريم بعض أشهر الحل و الزيادة فى عدة أشهر السنة كعملهم سواء،

و لما أمر بقتال المشركين كافة و حثهم على التقوى، و كان بعضهم قد توانى فى ذلك، اشتد اقتضاء الحال للعاتبة على التثاقل عن النفر، فلما تم ذلك فى هذا الأسلوب البديع و الطراز الرفيع حث على نصر الرسول الذى أرسله ليظهره على الدين كله فقال جوابا للشرط: ﴿ فقد ﴾ أى إن لم يتجدد [2]منكم له[2] نصر فان الله قادر على نصره و سينصره و يغنيه عنكم و لا تضرون إلا أنفسكم فقد ﴿ نصره الله ﴾ أى الملك الأعظم وحده و الأمر فى غاية الشدة، [و لا شك عند عاقل أن المستقبل عنده كالماضى -[3]] ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ اخرجه الذين ﴾ و عبر بالماضى لأن فيهم من أسلم بعد ذلك فقال: ﴿ كفروا ﴾ أى من مكة و هم فى غاية التمالؤ عليه حين شاوروا[4] فى قتله أو إخراجه أو إثباته، فكان ذلك سببا لإذن الله له فى الخروج من بينهم حال كونه ﴿ ثانى اثنين ﴾ أى أحدهما أبو بكر رضى الله عنه و لا ثالث لهما ينصرهما إلا الله ﴿ اذ هما فى الغار ﴾

(١) سقطت الواو من ظ (٢-٢) فى ظ: له منكم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: تشاوروا.

أى غار ثور الذى فى [أعلى]-[1] الجبل المواجه للركن اليمانى بأسفل مكة على مسيرة ساعة منها لما كنا به ثلاث ليال ليفتر عنهما الطلب، و ذلك قبل أن يصلا إليكم أو يعولا فى النصر عليكم ﴿ اذ يقول ﴾ [2]أى رسول الله صلى الله عليه و سلم ﴿ لصاحبه ﴾[2] [أى -[3]] أبى بكر الصديق رضى الله عنه وثوقا بربه غير منزعج من شىء ﴿ لا تحزن ﴾ و الحزن: هم غليظ بتوجع يرق له القلب، حزنه و أحزنه بمعنى؛ و قال فى القاموس: أو أحزنه: جعله حزينا، و حزّنه: جعل فيه حزنا؛ ثم علل نهيه لصاحبه بقوله معبرا بالاسم الأعظم مستحضرا لجميع ما جمعه من / الأسماء الحسنى و الصفات العلى التى تخضع دونها صلاب الرقاب وتندك[3] بعظمتها شوامخ الجبال الصلاب ﴿ ان الله ﴾ [أى الذى له الأمر كله -[1]] ﴿ معنا ﴾ أى بالعون و النصرة[4]، و هو كاف لكل مهم، قوى على دفع كل ملم، فالذى تولى نصره بالحراسة فى ذلك الزمان[5] كان قادرا على أن يأمر الجنود التى أيده بها أن تهلك الكفار فى كل موطن من غير أن يكون لكم فى ذلك أمر أو يحصل لكم به أجر، و كما أنه كان موجودا فى ذلك الزمان[5] بأسمائه الحسنى و صفاته العلى هو على ذلك فى هذا الزمان و كل زمان، فتبين كالشمس أن النفع فى ذلك إنما هو خاص بكم، و أنه سبحانه ما رتب هذا كله على هذا المنوال إلا لفوزكم، و فى هذه الآية من التنويه[6] بمقدار الصديق و تقدمه و سابقته فى الإسلام و علو

/٥٠١

(١) زيد من ظ (٢-٢) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «رضى الله عنه» والترتيب من ظ (٣) فى ظ: تنزل (٤) فى ظ: النصر (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ: التسوية.

منصبه و فخامة أمره ما لا يعلمه إلا الذى أعطاه إياه ؛ قال أبو حيان[1] و غيره: قال العلماء: من أنكر صحبة أبى بكر رضى الله عنه فقد كفر لإنكاره كلام الله ، و ليس ذلك لسائر الصحابة .

و لما كان رضى الله عنه نافذ البصيرة فى المعارف[2] الإلهية ، راسخ القدم فى ذلك المقام[3] لذلك لم يتلعثم[4] من أول الأمر فى عناد جميع العباد بخلع الأنداد ، ثم تدرب فيه مترقيا ثلاث[5] عشرة سنة ، و كان الذى به من القلق إنما هو الخوف من[6] أن يحصل للنبى صلى الله عليه وسلم أذى فيدركه من الحزن لذلك ما يهلكه قبل سروره بظهور الدين و قمع المعتدين ، ولم يكن جبنا و لا سوء ظن ، لما كان ذلك كذلك كان رضى الله عنه حقيقا لحصول السكينة له عند سماع اسم الشريف الأعظم الدال على ذلك المقام المذكر[7] بتلك العظمة التى يتلاشى عندها كل عظيم ، و يتصاغر فى جنبها كل كبير ، [8] ولذلك[8] ذكر هذا الاسم الأعظم و قدم ، و أشرك الصديق فى المعية و بدأ بالنهى عن الحزن لأنه المقصود بالذات و ما بعده علة[9] له ، و أما بنو إسرائيل فلم يكن عندهم من المعرفة إلا ما شاهدوا من إحسانه تعالى إلى موسى عليه السلام بإظهار تلك الآيات على يده حتى استنقذهم[10] بها مما كانوا فيه ، و منع

(١) راجع البحر المحيط ٥/٤٣ (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، ولم تكن فى ظ فحذفناها (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ فحذفناها لاستقامة العبارة (٤) فى ظ: لم يتعثلم (٥) من ظ، وفى الأصل: ثلاثة (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: المذكور. (٨ - ٨) فى ظ: فلذلك (٩) فى ظ: علقة (١٠) من ظ، وفى الأصل: استقرهم .

موسى عليه السلام مع وحدته من سطوات فرعون على عظمته و ما كان يواجهه به من المكروه، فلما رأوا جموعه مقبلة كان حالهم مقتضيا للسؤال عن ذلك المحسن باظهار تلك الآيات : هل هو مع موسى عليه السلام على ما كان عليه فيمنعهم أم لا ؟ فلذلك قدم إنكار الإدراك ثم إثبات المعية على سبيل الخصوص به، و عبر عن الإله باسم الرب الدال على ذلك الإحسان المذكر[1] به فقال " كلا ان معى ربى[2] " فكان قيل : ما ذا يفعل و البحر أمامنا و العدو وراءنا ؟ فقال " سيهدين " [أى =[3]] إلى ما أفعل[4]، يعرف [ذلك -[3]] من كان متضلعا[5] بالسير و قصص بنى إسرائيل على ما ذكرتها فى الأعراف[6] عن التوراة، مستحضرا لأن الصديق رضى الله عنه كان فى صعودهما إلى الغار يذكر الرصد فيتقدم النبي صلى الله عليه و سلم ليفتديه[7] بنفسه ثم يذكر الطلب فيتأخر ثم يذكر ما عن اليمين و الشمال فينتقل إليهما و يقول للنبي صلى الله عليه و سلم : إن قتلت أنا فأنا رجل واحد، و إن قتلت أنت هلكت الأمة، و أنه كان عارفا بأن الله تعالى تكفل باظهار الدين على يد رسول الله صلى الله عليه و سلم المتضمن لحراسة نفسه الشريفة قبل ذلك، و لذلك كان به فى هذا اليوم من القلق ما ذكر، وكان عند وفاة النبي صلى الله عليه و سلم أثبت الناس، و لذلك أتى بالفاء المعقبة فى قوله : ﴿ فأنزل الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ سكينته ﴾

(١) فى ظ : المذكور (٢) سورة ٢٦ آية ٦٢ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : فعل.
(٥) من ظ، وفى الأصل : متصفا (٦) من ظ، وفى الأصل : الاعراض (٧) فى ظ : ليفيده.

أى السكون المبالغ فيه المؤثر للنسك ﴿ عليه ﴾ أى الصديق - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما - لأن السكينة لم تفارق النبى صلى الله عليه و سلم ؛ ثم عطف على نصره الله قوله : ﴿ و ايده ﴾ أى النبى صلى الله عليه وسلم ، و اختلاف الضمائر هنا لا يضر لأنه غير مشتبه ﴿ بجنود لم تروها ﴾ أى من الملائكة الكرام ﴿ و جعل كلمة ﴾ أى / دعوة ﴿ الذين كفروا ﴾ ٥ /٥٠٢ أى أوقعوا الكفر من آمن منهم بعد ذلك و غيره ﴿ السفلى[1] ﴾ فخيّب سعيهم و ردكيدهم ؛ ثم ابتدأ الإخبار بما له سبحانه على الدوام من غير انقطاع أصلا فى وقت [من - [1]] الأوقات فقال : ﴿ و كلمة الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء ، و نصبها يعقوب عطفا على ما سبق ﴿ هى العليا[1] ﴾ أى وحدها ، لا يكون إلا ما يشاءه دائما أبدا ، فالله قادر على ١٠ ذلك ﴿ [2]و الله[2] ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ عزيز ﴾ أى مطلقا يغلب كل شىء من ذلك و غيره ﴿ حكيم ٥ ﴾ لا يمكن أن ينقض شىء من مراده لما ينصب من الأسباب التى لا مطمع لأحد فى مقاومتها فلا محيص عن نفوذها .

و لما بلغت هذه المواعظ من القلوب الواعية مبالغا هيأها به للقبول ، ١٥ أقبل عليها سبحانه بالأمر فقال : ﴿ انفروا خفافا و ثقالا ﴾ و المراد بالخفة كل ما يكون سببا لسهولة الجهاد و النشاط إليه ، و بالثقل كل ما يحمل على الإبطاء عنه ؛ و قال أبو حيان : و الخفة و الثقل هنا مستعار لمن يمكنه السفر بسهولة و من[3] يمكنه بصعوبة ، و أما من[4] لا يمكنه كالأعمى

(١) زيد من ظ (٢-٢) تقدم ما بين الرقمين فى ظ على « دائما أبدا » (٣) من البحر المحيط ٥/٤٤ ، و فى الأصل و ظ : لم (٤) فى ظ : ما .

و نحوه فخارج عن هذا - انتهى . قال البغوى : قال الزهرى : خرج سعيد ابن المسيب رحمه الله إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له : إنك عليل صاحب ضرر ! فقال : استنفر[1] الله الخفيف و الثقيل ، فان لم يمكنى[2] الحرب كثرت السواد و حفظت المتاع ؛ و روى أبو يعلى الموصلى فى مسنده بسند صحيح عن أنس أن أبا طلحة رضى الله عنهما قرأ سورة براءة فأتى على هذه الآية فقال : ألا أرى ربى يستنفرنى[3] شابا و شيخا ! جهزونى ، فمات فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام فما تغير[4] . ﴿ و جاهدوا ﴾ أى أوقعوا جهدكم ليقع جهد الكفار .

و لما كانت هذه الآية فى[5] سياق المعاتبة [6]لمن تثاقل[6] إلى الأرض عن الجهاد عند الاستنفار فى غزوة تبوك . و كان سبب التثاقل ما كان فى ذلك الوقت من العسرة فى المال و الشدة بالحر و ما كان من طيب الظلال فى أراضى الجنان وقت الأخذ فى استواء الثمار - كما هو مشهور فى السير ؛ اقتضى المقام هنا تقديم المال و النفس بخلاف ما مضى فان الكلام كان فى المفاضلة بين الجهاد فى سبيل الله و خدمة البيت و من يحجه فى هذه السورة التى صادف وقت نزولها بعد مواطن الجهاد و طول المفارقة للأموال و الأولاد ، و قدم المال لأن النظر إليه من وجهين :

---

(١) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣/٨٣، وفى الأصل : استغفر .
(٢) من المعالم ، و فى الأصل و ظ : لم يمكن (٣) من ظ و مجمع الزوائد ٩/٣١٢، و فى الأصل : يسفونى - كذا (٤) وهذا الحديث قد أورده الهيثمى فى زوائده برواية أبى يعلى مع زيادة على ما هنا (٥) فى ظ : من (٦-٦) من ظ، وفى الأصل : لما يتثاقل .

قلته . و محبة الإقامة فى الحدائق إيثارا للتمتع بها و خوفا من ضياعها مع أن بها قوام الأنفس ، فصار النظر إليها هو الحامل على الشح بالأنفس فقال تعالى : ﴿ باموالكم و انفسكم ﴾ أى بهما معا على[1] ما أمكنكم أو بأحدهما ﴿ فى سبيل الله[1] ﴾ أى الملك الأعلى . [أى -[2]] حتى لا يبقى منه مانع ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ خير ﴾ أى فى نفسه حاصل ٥ ﴿ لكم ﴾ أى خاص بكم . و يجوز أن يكون أفعل تفضيل بمعنى أن عبادة المجاهد بالجهاد خير من عبادة القاعد بغيره كائنا ما كان ، كما قال صلى الله عليه و سلم لمن سأله : هل يمكن بلوغ درجة المجاهد ؟ فقال : هل تستطيع [3]أن تقوم[3] فلا تفتر و تصوم فلا تفطر[4] ؟ و ختم الآية بقوله : ﴿ ان كنتم تعلمون ٥ ﴾ إشارة إلى أن هذا الأمر و إن كان عاما ١٠ فانما ينتفع[5] به ذوو الأذهان الصافية و المعالم الوافية ، فان العلم - و لا يعد علما إلا النافع - يحث على العمل و على إحسانه باخلاص النية و تصحيح المقاصد / و تقوية العزم و غير ذلك ، و ضده يورث ضده . / ٥٠٣

و لما كان هذا العتاب مؤذنا بأن[1] فيهم من تباطأ عن الجهاد اشتغالا بنحو الأموال و الأولاد ، وكان ما اشتملت عليه هذه الآيات من الأوامر ١٥ و الزواجر و المواعظ جديرا بأن يخفف كل متثاقل و ينشط كل متكاسل ، تشوفت النفوس إلى ما اتفق بعد ذلك ، فاعلم سبحانه به فى أساليب البلاغة المخبرة عن أحوال القاعدين و أقاصيص الجامدين المفهمة أن هناك من

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) راجع صحيح البخارى - كتاب الجهاد (٥) فى ظ : ينفع .

غلب عليه الشقاء فلم ينتفع بالمواعظ ، فالتفت من لطف الإقبال إلى تبكيت المتثاقلين بأسلوب الإعراض المؤذن بالغضب المحقق للسخط المبين لفضائحهم [1]المبعثر لقبائحهم[1] المخرج لهم مما دخلوا فيه من عموم الدعاء باسم الإيمان فقال : ﴿ لو كان ﴾ أى ما تدعو إليه ﴿ عرضا ﴾ أى متاعا دنيويا ٥ ﴿ قريبا ﴾ أى سهل التناول ﴿ و سفرا قاصدا ﴾ أى وسطا عدلا مقاربا ﴿ لاتبعوك ﴾ أى لأجل رجاء العرض مع سهولة السفر لأن هممهم قاصرة [و -[2]] منوطة بالحاضر ﴿ و لكن ﴾ أى لم يتبعوك تثاقلا إلى الأرض و رضى بالفانى الحاضر من الباقى الغائب لأنها ﴿ بعدت عليهم الشقة[4] ﴾ أى المسافة التى تطوى بذرع الأرجل بالمسير فيحصل بها النكال و المشقة ١٠ فلم يواز ما يحصل لهم بها من التعب ما يرجونه من العرض[3] فاستأذنوك ، و فى هذا إشارة إلى ذمهم بسفول الهمم و دناءة الشيم بالعجز و الكسل و النهم و الثقل ، و إلى أن هذا الدين متين لا يحمله إلا ماضى الهم صادق العزم [كما قال الشاعر - [2]] :

إذا همّ ألقى بين عينيه عزمه وأعرض عن ذكر العواقب جانبا[4]

١٥ فلله در أولى العزائم و الصبر على الشدائد و المغارم !

و لما ذمهم بالشح بالدنيا ، أتبعه وصمهم بالسماح بالدين ، فقال مخبرا عما سيكون منهم علما من أعلام النبوة : ﴿ و سيحلفون ﴾ أى المتخلفون باخبار محقق لا خلف فيه ﴿ بالله ﴾ أى الذى لا أعظم منه عند رجوعكم إليهم جمعا إلى ما انتهكوا من حرمتك بالتخلف عنك لانتهاك حرمة الله

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : العوض .
(٤) والبيت لسعد بن ناشب - راجع باب الحماسة من كتابها .

بالكذب قائلين : والله ﴿ لو استطعنا ﴾ أى الخروج إلى ما دعوتمونا إليه ﴿ لخرجنا معكم ج ﴾ يحلفون حال كونهم ﴿ يهلكون انفسهم ج ﴾ أى بهذا الحلف الذى يريدون به حياتها لأنهم كذبوا فيه فانتهكوا حرمة اسم الله ﴿ والله ﴾ أى والحال أن الملك الأعظم المحيط علما وقدرة[1] سبحانه ﴿ يعلم انهم لكذبون ٥ ﴾ فقد جمعوا بين إهلاك أنفسهم والفضيحة عند الله بعلمه بكذبهم فى أنهم غير مستطيعين ، وجزاء الكاذب فى مثل ذلك الغضب المؤبد الموجب للعذاب الدائم المخلد .

ولما بكتهم على وجه الإعراض لأجل التخلف والحلف عليه كاذبا ، أقبل إليه صلى الله عليه وسلم بالعتاب فى لذيذ الخطاب على الاسترسال فى اللين لهم والائتلاف[2] وأخذ العفو وترك الخلاف إلى هذا الحد ، فقال مؤذنا بأنهم ما تخلفوا إلا باذنه صلى الله عليه وسلم لأعذار ادعوها كاذبين فيها كما كذبوا فى هذا الحلف ، مقدما للدعاء على العتاب لشدة الاعتناء [بشأنه - ٣] واللطف به صلى الله عليه وسلم : ﴿ عفا الله ﴾ أى ذو الجلال والإكرام ﴿ عنك ج ﴾ وهذا كما[4] كانت عادة العرب فى مخاطبتهم[5] لأكابرهم بأن يقولوا : أصلح الله الأمير ، والملك - ونحو ذلك .

ولما كان من المعلوم أنه لا يأذن إلا لما يرى أنه يرضى الله من تألفهم ونحوه ، بين أنه سبحانه يرضى منه ترك الإذن فقال كناية عن ذلك : ﴿ لم اذنت لهم ﴾ أى فى التخلف عنك تمسكا بما تقدم من الأمر باللين لهم والصفح عنهم موافقا لما جبلت عليه من محبة الرفق ، وهذا إنما

(١) من ظ ، وفى الأصل : قدرا (٢) فى ظ : الاستيلاف (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : هو (٥) فى ظ : مخاطبة .

كان فى أول الأمر لخوف التنازع و الفتنة ، و أما الآن فقد علا الدين و تمكن أمر المؤمنين فالمأمور به الإغلاظ على المنافقين فهلا تركت الإذن لهم ﴿ حتى يتبين لك ﴾ أى غاية البيان ﴿ الذين صدقوا ﴾ أى فى التزام الأوامر / بما أقروا به من كلمة التوحيد ﴿ و تعلم الكذبين ٥ ﴾ أى /٥٠٤

٥ فيما أظهروا من الإيمان باللسان ، فانك إن[1] لم تأذن لهم لقعدوا بلا إذن غير مراعين ميثاقهم الذى واثقوك عليه بالطاعة فى العسر و اليسر و المنشط و المكره ؛ قال أبو حيان[2] : و "حتى" غاية الاستفهام - انتهى . و ذلك لأنه و إن كان داخلا على فعل مثبت فمعناه النفى ، أى ما لك لم تحملهم[3] على الغزو معك ليتحقق بذلك الحمل من يطيع و من يعصى ، فالحاصل

١٠ أن الذى فعله صلى الله عليه و سلم حسن موافق لما أمره[4] الله به فانه لا ينطق عن الهوى بل عن أمر الله إما بإيحاء واصل جديد ، أو استناد إلى وحى سابق حاصل عتيد ، و الذى أشار إليه سبحانه أحسن[5] مثل "ليغفر[6] لك الله[6] ما تقدم من ذنبك" من باب « حسنات الأبرار سيئات المقربين » و من باب[7] الترقية من [8]مقام عال[8] إلى مقام أعلى

١٥ تسييرا[9] فيهم[10] بالعدل لما انكشف أنهم ليسوا بأهل الفضل ؛ قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى آخر كتاب العروة فى تفاوت وجه الخطاب فيما بين

---

(١) فى ظ : لو (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٥/٤٧ (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم يحملهم (٤) فى ظ : امر (٥) زيد فى ظ : فهو (٦-٦) فى ظ : الله لك - كذا و راجع آية ٢ سورة ٤٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) فى ظ : مكان على (٩) من ظ ، و فى الأصل : يسيرا (١٠) فى ظ : فهم .

ما أنزل على وفق[1] الوصية أو أنزل على حكم الكتاب : اعلم أن الله سبحانه بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة لجميع العالمين و خلقه بالعفو و المعروف ، كما ورد فى الكتب السابقة من قوله تعالى « و أجعل العفو و المعروف خلقه » و بذلك وصاه كما ورد عنه صلى الله عليه و سلم [2] أنه قال[2] : أوصانى ربى من غير ترجمان و لا واسطة بسبع خصال : بخشية الله فى السر و العلانية ، و أن أصل من قطعنى ، و أصفح عمن ظلمنى ، و أعطى من حرمنى ، و أن يكون نطقى ذكرا ، و صمتى فكرا ، و نظرى عبرة . فكان فيما أوصاه به ربه تبارك و تعالى من غير ترجمان و لا واسطة أن يصل من قطعه و يصفح عمن ظلمه ، و لا أقطع[3] له ممن كفر به و صد عنه ، فكان هو صلى الله عليه و سلم - بحكم ما بعث به و جبل عليه و وصى[4] به - ملتزما للعفو عمن ظلمه و الوصل لمن قطعه إلا أن يعلن عليه بالإكراه على ترك ذلك و الرجوع إلى حق العدل و الاقتصاص و الا نتصاف[5] المخالف لسعة وصيته الموافق لما نقل من أحكام سنن الأولين[6] فى مؤاخذتهم[6] بالحق و العدل إلى جامع شرعته ليوجد فيها نحو مما[7] تقدم من الحق و العدل و إن قل ، و لتفضل شرعته بما اختص هو به صلى الله و سلم من البعثة بسعة الرحمة [و - [8]] الفضل "ان[9] الله يامر بالعدل و الاحسان" ، "و ما كان الله ليعذبهم و انت فيهم[10]" فمن القرآن

---

(١) فى ظ : وجه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : رضى (٥) فى ظ : الاتصاف (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل : من مواحديهم.
(٧) فى ظ : ما (٨) زيد من ظ (٩) من القرآن الكريم - سورة ١٦ آية ٩٠ ، و فى الأصل و ظ « و » (١٠) سورة ٨ آية ٣٣ .

ما أنزل على الوجه الذى بعث له و جبل عليه و وصى به نحو قوله تعالى "ادفع بالتى هى احسن السيئة[١]" و قوله تعالى "خذ العفو و امر بالعرف و اعرض عن الجهلين[٢]" و قوله تعالى "و لو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم فى الامر[٣]" و قوله تعالى "فاصفح الصفح الجميل[٤]" و قوله تعالى "فاصفح عنهم و قل سلم[٥]" و أصل معناه فى مضمون قوله تعالى "لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم[٦]" فما كان من المنزل على هذا الوجه تعاضدت فيه الوصية و الكتاب و قبله هو صلى الله عليه و سلم جبلة و حالا و عملا و لم تكن له عنه وقفة لتظافر[٧] الأمرين و توافق الخطابين: خطاب الوصية، و خطاب الكتاب؛ و هذا الوجه [من -[٨]] المنزل خاص بالقرآن العظيم الذى هو خاص به صلى الله عليه و سلم، لم يؤته أحد قبله "و لقد اتيناك سبعا من المثانى و القرآن العظيم[٩]" و من القرآن ما أنزل على حكم العدل و الحق المتقدم فضله فى سنن الأولين و كتب المتقدمين و إمضاء عدل الله سبحانه فى المؤاخذين و الاكتفاء بوصل الواصل و إبعاد المستغنى و الإقبال على القاصد و الانتقام من الشارد، و ذلك خلاف ما جبل الله عليه نبيه و ما وصى به حبيبه صلى الله عليه و سلم؛ [١٠]فكان صلى الله عليه و سلم[١٠] إذا أنزل[١١] عليه - أى من الكتاب - على مقتضى الحق و إمضاء

(١) سورة ٢٣ آية ٩٦ (٢) سورة ٧ آية ١٩٩ (٣) سورة ٣ آية ١٥٩ - (٤) سورة ١٥ آية ٨٥ (٥) سورة ٤٣ آية ٨٩ (٦) سورة ٩ آية ١٢٨ (٧) فى ظ: لتظاهر (٨) زيد من ظ (٩) سورة ١٥ آية ٨٧ (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) فى ظ: نزل.

العدل ترقب تخفيفه و ترجى تيسيره حتى يعلن عليه بالإكراه فى أخذه و التزام حكمه فحينئذ يقوم لله به و يظهر عذره فى إمضائه فيكون له فى[1] خطاب التشديد عليه فى أخذه أعظم مدح و أبلغ ثناء من الله ضد ما يتوهمه[2] الجاهلون، فما أنزل إنباء عن مدحه بتوقفه على إمضاء حكم العدل و الحق رجاء تدارك الخلق و استعطاف الحق ما هو نحو قوله تعالى ٥ "فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا[3]" و نحو قوله تعالى "لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين[4]" و نحو قوله تعالى "و لقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون[5]" و مما أنزل على وجه الإعلان عليه بما هو عليه من الرحمة و توقفه على[6] الأخذ بسنن الأولين حتى يكره عليه ليقوم عذره فى الاقتصار على حكم الوصية ١٠ و حال الجبلة ما هو نحو قوله تعالى "و من يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك فى مرية منه انه الحق من ربك[7]" و نحو قوله تعالى "و لو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم[8] جميعا افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين[8]" و نحو قوله تعالى "فان كنت فى شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرءون الكتب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك ١٥ فلا تكونن من الممترين[9]" أى لا [تتوقف لطلب الرحمة لهم كما -[10]] يتوقف الممترى فى الشىء أو الشاك فيه [لما -[10]] قد علم أنه لا بد لأمته

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : يتوهم (٣) سورة ١٨ آية ٦ .
(٤) سورة ٢٦ آية ٣ (٥) سورة ١٥ آية ٩٧ (٦) من ظ : و فى الأصل : عن .
(٧) سورة ١١ آية ١٧ (٨) سورة ١٠ آية ٩٩ (٩) سورة ١٠ آية ٩٤ (١٠) زيد من ظ .

من حظ من مضاء كلمة العدل فيهم و حق كلمة العذاب عليهم و إجراء بعضهم دون كلهم على سنة من تقدمهم من أهل الكتب الماضية فى المؤاخذة بذنوبهم و إنفاذ حكم السطوة فيهم فأخذهم الله بذنوبهم " فكلا اخذنا بذنبه[١] " ولم ينفعهم الرجوع عند مشاهدة الآيات " الان و قد عصيت قبل[٢] " "لا تركضوا و[٣] ارجعوا الى ما اترفتم فيه و مسكنكم " و ذلك أن كل مطالع بالعذاب راجع - و لا بد - عن باطله حين[٤] لا ينفعه " و حرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون[٥] " " الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا[٦] " لما أبطن تعالى فى[٧] قلب نبيهم [٨]عليه السلام عزما على هلاكهم ، أظهر تعالى رحمة عليهم ، و لما ملأ نبيه[٨] صلى الله عليه و سلم رحمة لأمته : كافرهم و مؤمنهم و منافقهم ، أشار بأى من إظهار[٩] مؤاخذتهم و أعلم بكف نبيه صلى الله عليه و سلم عن تألفهم و أحسبه[١٠] بمؤمنهم دون كافرهم و منافقهم " يا ايها النبى حسبك الله و من اتبعك من المؤمنين[١١] " و كل ذلك[٧] معلوم عنده صلى الله عليه و سلم قبل وقوعه بمضمون قوله تعالى " سنة من قد ارسلنا [قبلك - [١٢]] من

(١) سورة ٢٩ آية ٤٠ (٢) سورة ١٠ آية ٩١ (٣) من ظ و القرآن الكريم سورة ٢١ آية ١٣، و فى الأصل : او (٤) فى ظ : حتى (٥) سورة ٢١ آية ٩٥ .
(٦) سورة ١٠ آية ٩٨ (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٩) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١٠) فى ظ : احتسبه (١١) سورة ٨ آية ٦٤ (١٢) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٧ آية ٧٧ .

رسلنا

رسلنا" "سنة الله التى قد خلت من قبل[1]"، "فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا [به -[2]] من قبل"، "كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به و قد خلت سنة الاولين[3]". و لذلك قال صلى الله عليه و سلم حين أنزل عليه "فان كنت فى شك مما انزلنا اليك[4]": أما أنا فلا أشك و لا أسأل، لأنه قد علم جملة أمر الله فى أن منهم من يتداركه[5] الرحمة و من يحق[6] ٥ عليه كلمة العذاب، و لكنه لا يزال ملتزما لتألفهم و استجلابهم حتى يكره على ترك ذلك بعلن خطاب [نحو -[7]] قوله تعالى "عبس وتولى ان جاءه الاعمى و ما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى اما من استغنى فانت له تصدى و ما عليك الا يزكى و اما من جاءك يسعى و هو يخشى فانت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره[8]" و نحو قوله ١٠ تعالى "ما كان لنبي ان يكون له اسرى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا و الله يريد الأخرة و الله عزيز حكيم لو لا كتب [9]من الله[9] سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا و اتقوا الله ان الله غفور رحيم[10]"، فهذه الآى و نحوها يسمعها العالم بموقعها[11] / على ٥٠٦/ إكراه لنبي الرحمة حتى يرجع إلى عدل [نبي -[12]] الملحمة من جملة ١٥ أمداح القرآن له و الشهادة له بوفائه بعهد [و -[7]] وصية حتى تحقق[13] له تسميته بنبى الرحمة ثباتا على الوصية و نبى الملحمة إمضاء فى وقت

(١) سورة ٤٨ آية ٢٣ (٢) زيد من القرآن الكريم سورة ٠ و آية ٧٤ (٣) سورة ١٥ آية ١٢ و ١٣ (٤) سورة ١٠ آية ٩٤ (٥) فى ظ : تداركه (٦) فى ظ : تحق (٧) زيد من ظ (٨) سورة ٨٠ آية ١ - ١٢ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ . (١٠) سورة ٨ آية ٦٧ - ٦٩ (١١) فى ظ : بموقفها (١٢) زيد من ظ غير أن فيه زيادة « إلى » قبله (١٣) فى ظ : يحقق

لحكم الحق و إظهار العدل ، فهو صلى الله عليه و سلم بكل القرآن ممدوح و موصوف بالخلق العظيم [1]جامع لما تضمنته كتب الماضين و ما اختصه الله به من سعة القرآن العظيم[1]، فهذا وجه تفاوت ما بين الوصية و الكتاب فى محكم الخطاب ؛ و الله سميع عليم - انتهى .

٥ و لما فاته صلى الله عليه و سلم معرفتهم بهذا الطريق ، شرع العالم بما فى الضمائر يصفهم له بما يعوض عن ذلك ، فقال على طريق الجواب للسؤال : ﴿ لا يستاذنك ﴾ أى يطلب إذنك[2] بغاية الرغبة فيه ﴿الذين يؤمنون بالله﴾ أى يجددون الإيمان كل وقت حقا من أنفسهم بالملك الذى له صفات الكمال ﴿و اليوم الأخر ﴾ أى الذى يكون فيه الجزاء بالثواب و العقاب

١٠ ﴿ ان ﴾ أى فى أن ﴿ يجاهدوا باموالهم و انفسهم[4] ﴾ بل يبادرون إلى الجهاد عند إشارتك إليه[3] و بعثك عموما عليه فضلا عن أن يستأذنوك فى التخلف عنه ، فان الخلص من المهاجرين و الأنصار كانوا يقولون : لا نستأذنه صلى الله عليه و سلم أبدا فى الجهاد فان ربنا ندبنا إليه مرة بعد مرة فأىّ فائدة فى الاستئذان ! و لنجاهدن معه بأموالنا و أنفسنا ،

١٥ وكانوا بحيث لو أمرهم صلى الله عليه و سلم بالقعود شق عليهم كما وقع لعلى رضى الله عنه فى [غزوة -] تبوك حتى قال له رسول الله صلى الله عليه و سلم : ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ! و لما كان التقدير : فمن اتصف بذلك فاعلم أنه متق باخبار الله ، عطف عليه

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ ، و فى الأصل : عليه (٤) زيد من ظ .

قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿عليم[1] بالمتقين ۝ ﴾ أى الذين[2] يخافون الله كلهم .

و لما أخبر بالمتقين . عرف بغيرهم على وجه الحصر تأكيدا لتحقيق[3] صفة العلم[4] بما أخبر به سبحانه ، فصار الاستئذان منفيا عن المؤمنين مرتين ، فثبت للمنافقين على أبلغ وجه ﴿ انما يستاذنك ﴾ أى فى مثل ذلك فكيف بالاستئذان فى التخلف ! ﴿ الذين لا يؤمنون ﴾ أى يتجدد لهم إيمان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له نهاية العظمة إيمانا مستجمعا للشرائط ﴿ و اليوم الأخر ﴾ لأنهم لا يرجون ثوابا و لا يخافون عقابا و إن ادعوا ذلك بألسنتهم .

و لما كانت [هذه -[5]] صفة المصارحين بالكفر ، بين أن المراد المنافقون بقوله : ﴿ و ارتابت قلوبهم ﴾ أى تابعت الوساوس و تعمدت المشى معها حتى تخلقت بالشك ؛ و لما كان الشاك لا يزال يتجاذبه حسن الفطرة و سوء الوسوسة ، قال : ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنهم ﴿ فى ريبهم يترددون ۝ ﴾ أى بين النفى و الإثبات دأب[6] المتحير لا يجزمون بشىء منهما و إن صدقوا أن الله موجود فان المشركين يصدقون بذلك و لكنه لا ينفعهم للاخلال بشرطه ، و ليس استئذانهم فى أن يجاهدوا لإرادة الجهاد بل توطئة لأن[7] يقولوا[8] إذا أمرتهم به : إنه لا عدة لنا فى هذا الوقت فائذن لنا فى التخلف حتى نستعد ! و قد كذبوا ، ما ذلك بهم ،

---

(١) فى ظ : اعلم (٢) فى ظ : الذى (٣) فى ظ : لتحقق (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل : ذات (٧) من ظ ، وفى الأصل : ان (٨) فى ظ : يقولون .

إنما بهم أنهم لا يريدون الخروج معك ﴿ و لو ارادوا الخروج لاعدوا له ﴾ أى قبل[1] حلوله ﴿ عدة ﴾ أى قوة و أهبة من المتاع و السلاح و الكراع بحيث يكونون متصفين بما قدمت إليهم من التحريض على نحو ما وقع الأمر به فى الأنفال فيكونون[2] كالحاضرين فى صلب الحرب الواقفين فى الصف قد استعدوا لها بجميع عدتها ﴿ و لكن ﴾ لم يريدوا ذلك قط فلم يعدوا له عدة ، فلما أمرت به شرعوا يعتلون[3] بعدم العدة و ما ذاك بهم ، إنما مانعهم كراهتهم للخروج و ذلك بسبب أن[4] ﴿ كره الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام بأن فعل [فعل -[5]] الكاره فلم يرد ﴿ انبعاثهم ﴾ أى سيرهم معك[6] مطاوعة لأمرهم بذلك لما علم من عدم صلاحيتهم له ﴿ فثبطهم ﴾ [أى -[5]] حبسهم عنه حبسا عظيما بما شغلهم بما حبب إليهم من الشهوات و كره إليهم من ارتكاب المشقات بسبب أنهم / لا يرجون ثوابا و لا يخشون غير السيف[7] عقابا ، قصروا هممهم[8] الدنية على الصفات البهيمية ، فلما استولت[9] عليهم الشهوات و ملكتهم الأنفس الدنيات نودوا من قبلها : إلى أين تخرجون ؟ ﴿ و قيل ﴾ أى لهم لما أسرعوا الإقبال إليها ﴿ اقعدوا ﴾ أى عن[10] جندى لا تصحبوهم ، و فى قوله - : ﴿ مع القعدين ﴾ أى الذين[11] شأنهم ذلك كالمرضى و الزمنى و الصبيان و النساء - من التبكيت

/٥٠٧

(١) فى ظ : بعد (٢) فى ظ : فيكون (٣) من ظ ، و فى الأصل : يعملون .
(٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : معه (٧) من ظ ، و فى الأصل : السعف (٨) من ظ ، و فى الأصل : همهم (٩) فى ظ : اسلت .
(١٠) فى ظ : غير (١١) فى ظ : الذى .

ما

ما لا يعلم مقداره إلا أولو الهمم العلية و الأنفس الأبية ، و عبر بالمجهول إشارة إلى أنهم يطيعون الأمر بالقعود حقيقة و مجازا كائنا من كان كما أنهم يعصون الأمر بالنفر كائنا من كان لأن أنفسهم قابلة للدنايا غير صالحة للمزايا بوجه .

و لما كان كأنه قيل : ما له ثبطهم و قد كنا قاصدين سفرا[1] بعيدا و عدوا كثيرا شديدا[2] فنحن محتاجون إلى الإسعاد و لو بتكثير السواد ! قيل : ﴿ لو ﴾ أى فعل بهم ذلك لأنهم لو ﴿ خرجوا فيكم ﴾ أى و إن كانوا قليلا[3] معمورين بجماعاتكم ﴿ ما زادوكم ﴾ أى بخروجهم شيئا من الأشياء ﴿ الا خبالا ﴾ أى ما أتوكم بشىء زائد على ما عندكم من الأشياء غير الخبال ، و الاستثناء مفرغ و المستثنى منه - المقدر الثابت لهم الاتصاف به - هو الشىء ، و ذلك لا يقتضى اتصاف أحد منهم بالخبال قبل خروج المنافقين ، و الخبال : الفساد ، و هو ينظر على الخداع و الأخذ على غرة ﴿ و لا اوضعوا ﴾ أى أوقعوا الإيضاع ، حذف المفعول إشارة إلى أن مرادهم الإيضاع نفسه لا بقيد دابة ، و عبر بالإيضاع لأنه للراكب و هو أسرع من الماشى ﴿ خلالكم ﴾ أى لأسرعوا فى السير ذهابا و إيابا بينكم فى تتبع عوراتكم و انتظار زلاتكم ليجدوا منها مدخلا إلى الفساد بالنميمة و غيرها إن لم يجدوها ، و الإيضاع فى السير يكون برفق و يكون باسراع ، و المراد به هنا الإسراع ، و مادة وضع بجميع تراكيبها تدور على الحركة ، و تارة تكون إلى علو و تارة إلى سفول ، و يلزم ذلك السكونُ و المحلُ القابل لذلك ، و على ذلك يتمشى العضو و العوض ، و عَوْض الذى هو بمعنى

(١) فى ظ : سفر (٢) من ظ ، و فى الأصل : شديد (٣) فى ظ : قليلين .

الدهر . و ضوع الريح و التصويت بالبكاء ، و الضعة لشجرة فى البادية ، و الوضع للطرح فى مكان و السير اللين و السريع ؛ و الخلال [1]جمع الخلل[1] و هو الفرجة[2] ﴿ يبغونكم ﴾ أى حال كونهم يريدون لكم ﴿ الفتنة ج ﴾ أى بتشتيت الشمل و تفريق الأصحاب و تقدم عند "و قتلوهم حتى لا تكون فتنة" أنها الخلطة المميلة المحيلة ، أى يريدون لكم الشىء الذى يصيبكم فيغير حالتكم إلى ما يسوءكم فيسرهم ﴿ و فيكم ﴾ أى و الحال أنه فيكم ﴿ سمعون لهم[3] ﴾ أى فى غاية القبول لكلامهم لضعف معارفهم و آرائهم . و ربما كان سماعهم منهم مؤديا إلى مطلوبهم ﴿ و الله ﴾ أى الذى أخبركم بهذا من حالهم و له الإحاطة بكل شىء ﴿ عليم ﴾ بهم ، فثقوا بأخبارهم . هكذا كان الأصل و إنما قال : ﴿ بالظلمين ۝ ﴾ إشارة إلى الوصف الذى أوجب لهم الشقاء بمنعهم عن موطن[2] الخير . و تعميما للحكم بالعلم [بهم و بمن سمع لهم و بكل ظالم -[4]] ، و الحاصل أنه شبه سعيهم فيهم بالفساد بمن يوضع بعيره فى أرض فيها أجرام شاخصة متقاربة ، فهو فى غاية الالتفات إلى معرفة ما فيها من الفرج و التأمل لذلك[5] حذرا من أن يصيبه شىء من تلك الأجرام فيسقيه كأس الحمام ، فلا شغل لهم إلا بغية فسادكم[6] بعدم وصولكم إلى شىء من مرادكم .

و لما أخبر سبحانه بذلك ، و حث على قبول أخبارهم[7] بما وصف

(١-١) فى ظ : خلل (٢) من ظ ، و فى الأصل : فرجة (٣) فى ظ : مواطن . (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : كذلك (٦) فى ظ : فسادهم (٧) فى ظ : اخباره .

به ذاته الأقدس من إحاطة العلم ، شرع يقيم الدليل على ما قال بتذكيرهم بأشياء تقدمت مشاهدتها منهم ، فقال معللا لما أخبر به : ﴿ لقد ابتغوا ﴾ أى طلبوا طلبا عظيما كلهم لكم ﴿ الفتنة ﴾ أى لتشتيتكم ﴿ من قبل ﴾ أى قبل هذه الغزوة فى يوم أحد بكسر قلوب العسكر بالرجوع عنه حتى كاد بعضهم أن يفشل و فى المريسيع / بما قال ابن أبى " ليخرجن الاعز ٥ / ٥٠٨ منها الاذل[1] " و فى غزوة الخندق بما وقع منهم من التكذيب فى أخذ كنوز كسرى و قيصر و الإرجاف بكم فى نقض بنى قريظة و غير ذلك كما[2] صنعوا قبله فى غزوة قينقاع و النضير فى قصدهم تقوية[3] كل منهم[4] عليكم و فى غير ذلك من أيام الله التى عكس فيها قصودهم و أنعس جدودهم[4] ﴿ و قلبوا ﴾ أى [5]تقليبا كثيرا[5] ﴿ لك الامور ﴾ أى التى[6] لك فيها أذى ١٠ ظهرا لبطن باحالة الآراء و تدبير المكايد و الحيل لعلهم يجدون فرصة فى نقض أمرك ينتهزونها أو ثغرة فى حالة يوسعونها ، و امتد بهم الحال فى هذا المحال ﴿ [7]حتى جاء الحق[7] ﴾ أى الثابت الذى لا مراء[8] فى مزاولته بما[9] تقدم به وعده سبحانه من إظهار الدين و قمع المفسدين ﴿ [4]وظهر[4] امر الله ﴾ أى المتصف بجميع صفات الكمال من الجلال ١٥ و الجمال حتى لا مطمع لهم فى ستره[10] ﴿ وهم كرهون ﴾ أى لجميع

(١) سورة ٦٣ آية ٨ (٢) فى ظ: بما (٣) من ظ، وفى الأصل: بقونه (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) تقدم ما بين الرقمين فى ظ على " و قلبوا " (٦) فى ظ : الذى (٧ - ٧) فى ظ : ان الامور (٨) فى ظ : امرام (٩) فى ظ : بما . (١٠) من ظ ، و فى الأصل : سره .

ذلك فلم يبق لهم مطمع فى محاولة بمواجهة و لا[1] مخاتلة فصارهمهم[2] الآن الاعتزال و المبالغة فى إخفاء الأحوال و ستر الأفعال و الأقوال .

و لما أجملهم فى هذا الحكم ، وكان قد أشار إلى أن منهم من كان قد استأذن فى الخروج توطئة للاعتذار عنه ، شرع يفصلهم ، و بدأ المفصلين بمن[3] صرح بالاستئذان فى القعود فقال عاطفا على[4] " لقد ابتغوا " : ﴿ و منهم من يقول ﴾ أى فى جبلته تجديد هذا القول من غير احتشام ﴿ ائذن لى ﴾ أى فى التخلف عنك ﴿ و لا تفتنى[5] ﴾ أى تكن سببا فى فتنى بالحزم بالأمر بالنفر[5] فأفتتن إما بأن أتخلف فأكون مصارحا بالمعصية أو أسافر فأميل إلى نساء بنى الأصفر فأرتد عن الدين[6] فانه لا صبر لى عن النساء ، و قائل ذلك هو الجد بن قيس ، كان من الأنصار منافقا .

و لما أظهروا أنهم قصدوا البعد من شىء فاذا هم قد ارتكبوا فيه ، انتهزت فرصة[7] الإخبار بذلك على أبلغ وجه بادخال ناف على ناف لتحصيل[8] الثبوت الأكيد باقرار المسؤل فقيل : ﴿ الا فى الفتنة سقطوا[1] ﴾ أى بما قالوا و فعلوا ، فصارت ظرفا لهم فوضعوا أنفسهم بذلك فى جهنم ، [و -[9]] فى التعبير بالسقوط دلالة على انتشابهم فى أشراك الفتنة انتشابا سريعا بقوة فصار يعسر خلاصهم معه ﴿ و ان جهنم لمحيطة ﴾ أى بسبب إحاطة الفتنة - التى أسقطوا[10] أنفسهم فيها - بهم ، و إنما قال : ﴿ بالكفرين ٥ ﴾

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : همهم (٣) فى ظ : ممن (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : بالسفر (٦) من ظ ، و فى الأصل : الدنيا (٧) من ظ ، و فى الأصل : فقصه - كذا (٨) فى ظ : ليحصل (٩) زيد ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : سقطوا .

تعميما

تعميما و تنبيها على الوصف الذى حملهم على ذلك .

و لما كان كأنه قيل : ما الفتنة التى سقطوا فيها فأحاطت بهم جهنم بسببها ؟ قيل : ﴿ ان ﴾ أى هى كونهم آن ، و يجوز أن يكون[1] علة لإحاطة جهنم بهم ، [و كأنهم - لأجل أنهم من الأوس و الخزرج فالأنصار أقاربهم - خصوا النبى صلى الله عليه و سلم بالعداوة و شديد الحنق ، و كذا أيضا كان لا يسوءهم و يسرهم من الحسنة و السيئة إلا ما له وقع - بما أذن به التعبير بالإصابة دون المس - لا ما دونه ، حفظا لقلوب أقاربهم و رعيا لأسرار نسائهم ، فقال إشارة إلى ذلك -[2]] : ﴿ تصبك ﴾ أى بتقدير الله [ذلك -[2]] ﴿ حسنة ﴾ أى[3] بنصر أو غيره ﴿ تسؤهم ج ﴾ أى لما فى قلوبهم من الضغن و المرض ﴿ و ان تصبك مصيبة[4] ﴾ أى [نكبة -[2]] و إن صغرت كما وقع يوم أحد ﴿ يقولوا ﴾ أى سرورا و تبجحا بحسن آرائهم ﴿ قد اخذنآ امرنا ﴾ أى عصينا الذى أمرنا و لم نسلم قيادنا لأحد فنكون[5] كالأعمه[6] ، لأن الأمر الحادثة و ضد النهى ، و منه الأمير ، رجل إمّر و إمرة - بتشديد الميم المفتوحة مع كسر الهمزة و تفتح[7] : ضعيف الرأى ، يوافق كل أحد على ما يريد من أمره كله ، و هو الأعمه[8]

(١) فى ظ : تكون (٢) زيد ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى ظ : بتقدير الله .
(٤) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : سيئة (٥) من ظ ، و فى الأصل : فيكون (٦) وقع فى الأصل و ظ : كالامعه - مقلوبا عما أثبتناه ، و ليس فى المعاجم ما ينص على مادته المقلوبة ، و العمه هو فى البصيرة مثل العمى فى البصر كما قاله ابن الأثير (٧) فى ظ : بفتح (٨) فى الأصل و ظ : الامعه .

وزنا و معنى ﴿من قبل﴾ أى قبل أن تكون هذه المصيبة ، فلم نكن مؤتمرين بأمره فيصيبنا فلم يكن ما أصاب من تبعه ، فكان أمرهم - لو كانوا مطيعين - كان شيئا متحققا بيد الآمر ، فلما عصوه كانوا كأنهم قد أخذوه منه .

و لما كان قولهم هذا بعيدا عن الاستقامة ، فكان جديرا بأن ٥ لا يقال[1] ، و إن قيل كان حقيقا بأن يستقال بالمبادرة إلى الرجوع عنه و الاستغفار منه ، أشار تعالى إلى تماديهم فيه فقال : ﴿و يتولوا﴾ أى عن مقامهم هذا الذى قالوا فيه ذلك و إن طال إلى إهاليهم ﴿وهم فرحون﴾ أى لمصيبتكم لكفرهم[2] و لخلاصهم منها .

/٥٠٩ و لما كان قولهم هذا متضمنا / لتوهمهم القدرة على الاحتراس من ١٠ القدر[3] ، قال تعالى معلما بجوابهم مخاطبا للرأس لعلو المقام : ﴿قل﴾ أى إنا نحن لا نقول مقالتكم لمعرفتنا بأنا لا نملك ضرا و لا نفعا ، بل نقول : ﴿لن يصيبنآ﴾ أى من الخير و الشر ﴿الا ما كتب﴾ أى قدر ﴿الله﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما ، [و لما كان قضاء الله كله خيرا للمؤمن إن أصابته سراء شكر و إن أصابته ضراء صبر ، عبر باللام فقال -[4]] : ١٥ ﴿لنا﴾ أى لا يقدر على رده عنا إلا هو سبحانه ﴿هو﴾ أى وحده ﴿مولنا﴾ أى القريب منا الذى يلى جميع أمورنا ، لا قريب منا سواه ، فلو أراد لدفع عنا كل مصيبة لأنه أقرب إلينا منها ، لا تصل إلينا بدون علمه و هو قادر ، فنحن نعلم أن له فى ذلك لطيف سريرة تتضاءل دونها ثواقب الأفكار و تخسأ عن الإحاطة بتحقيقها نوافذ الأبصار فنحن ٢٠ لا نتهمه فى قضائه لأنا قد توكلنا عليه و فوضنا أمورنا إليه ، و الموكل

(١) فى ظ : لايقاتل (٢) فى ظ : لكفركم (٣) فى ظ : القدرة (٤) زيد من ظ .

لا يتهم الوكيل ﴿ و على الله ﴾ أى الملك الأعلى لا غيره ﴿ فليتوكل المؤمنون ﴾ أى كلهم توكلا عظيما جازما لا معدل عنه ، فالفيصل بين المؤمن و الكافر هو إسلام النفس إليه وحده بلا اعتراض عليه يقلبها كيف يشاء[1] و يحكم فيها بما يريد .

و لما تضمن ذلك أن سراءهم و ضراءهم لهم خير من حيث أن الرضى ٥ بمر القضاء موجب لإقبال القاضى على المقضى[2] عليه بالرأفة و الرحمة ، صرح بذلك فى قوله : ﴿ قل هل تربصون ﴾ أى تنتظرون انتظارا عظيما ﴿ بنآ الآ احدى الحسنيين ﴾ أى و هى أن نصيب أعداءنا فنظفر و نغنم و نؤجر أو يصيبونا بقتل[3] أو غيره فنؤجر ، و كلا الأمرين حسن : أما السراء التى توافقوننا[4] على حسنها فأمرها واضح ، و أما الضراء فموجبة ١٠ لرضى الله عنا و مثوبته لنا بالصبر عليها و رضانا بها إجلالا له و تسليما لأمره فهى[5] حسنى كما نعلم لا سوأى كما تتوهمون ﴿ و نحن نتربص بكم ﴾ أى ننتظر إحدى السوأيين و هى ﴿ ان يصيبكم الله ﴾ أى الذى له جميع القدرة و نحن من حزبه ﴿ بعذاب من عنده ﴾ أى لا تسبب لنا فيه كما أهلك القرون الأولى بصائر للناس ﴿ او بايدينا ﴾ أى بسببنا من قتل ١٥ أو نهب و أسر و ضرب و غير ذلك لأن حذركم لا يمنعكم من الله ، و كل ذلك مكروه عندكم .

و لما تسبب عن هذا البيان أن السوء خاصة بحزب الشيطان ، حسن

---

(١) فى ظ : شاء (٢) من ظ . و فى الأصل : المقتضى (٣) من ظ ، و فى الأصل : بعتد (٤) فى ظ : توافقونها (٥) فى ظ : فهو .

أن يؤمروا تهكما [بهم -] [٢]بما أداهم[٢] إلى ذلك تخسيسا لشأنهم فقال : ﴿ فتربصوا ﴾ أى أنتم ﴿ انا ﴾ أى نحن ﴿ معكم متربصون ۝ ﴾ أى بكم ، نفعل كما تفعلون ، و القصد[٣] مختلف ، و الآية[٤] من الاحتباك : حذف أولا الإصابة للدلالة عليها بما أثبت ثانيا ، و ثانيا إحدى السوأيين للدلالة ٥ عليها باثبات الحسنين أولا .

و لما كان من جملة ما يصيبهم منهم من العذاب الإنفاق بتزكية ما طهر من أموالهم بالإعانة فى سبيل الله خوفا من اتهامهم بالنفاق فى أقوالهم ليفتدوا أنفسهم به من السفر ، قال : ﴿ قل انفقوا ﴾ أى أوجدوا الإنفاق لكل ما يسمى إنفاقا ﴿ طوعا او كرها ﴾ أى مظهرين الطواعية ١٠ أو مظهرين الكراهية ؛ و لما كان الإعراض عنهم إنما سببه كفرهم لا إنفاقهم ، لم يربط الجواب بالفاء بل قال : ﴿ لن يتقبل منكم ط ﴾ أى يقع تقبل لشىء يأتى من قبلكم أصلا من أحد له أن يتقبل كائنا من كان ، و لذلك بناه للفعول ، لأن قلوبكم كارهة ليست لها نية صالحة فى الإنفاق و لا فى غيره ، فانقسام إنفاقكم إلى طوع و كره إنما هو باعتبار الظاهر ، و كأنه ١٥ عبر بالتفعل إشارة إلى قبوله منهم ظاهرا ؛ و لما كان غير مقبول باطنا على حال من الأحوال علل بقوله : ﴿ انكم كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ قوما فسقين ۝ ﴾ [٥]أى عريقين فى الفسق بالغين أنهى غاياته -[٥] .

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الفصل (٤) زيد بعده فى الأصل : مبنيا ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .
(٥-٥) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « عبر بالمجرد » و الترتيب من ظ .

و لما علل بالعراقة[1] فى الخروج عن الطاعة، بينه فى قوله: ﴿ و ما منعهم ان تقبل ﴾ أى باطنا، و لذا عبر بالمجرد، [و لذا بناه للمفعول لأن النافع القبول فى نفس الأمر لا كونه من معين -[2]] ﴿ منهم نفقتهم ﴾ أى و إن جلت ﴿ الآ انهم كفروا / بالله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال من الجلال و الجمال لفساد جبلاتهم و سوء غرائزهم[3] . ٥ ٥١٠ /

و لما كان قبول النفقات مهيئا للطهارة التى تؤثرها[4] الصلاة، كان السياق لعدم قبولها - ليتسبب عنه النهى عن الصلاة عليهم - أبلغ لأنه أدل على الخبث، فأكد[5] كفرهم بزيادة الجار إشعارا بأن الكفر بكل منهما على حياله مانع فقال: ﴿ و برسوله[6] ﴾ أى فسقهم بأنهم غير مؤمنين و هو السبب المانع بمفرده من القبول؛ ثم قدح فى شاهدى ما يظهرون ١٠ من الإيمان و هما الصلاة و الزكاة و غيرهما من الإنفاق فى الخيرات بما هو لازم للكفر و دال عليه فقال: ﴿ ولا ياتون الصلوٰة ﴾ أى المفروضة و غيرها ﴿ الا و هم كسالى ﴾ أى فى حال كسلهم، لا يأتونها قط بنشاط ﴿ و لا ينفقون ﴾ أى نفقة من واجب أو غيره ﴿ الا و هم كرهون ﴾ أى فى حال الكراهة و إن ظهر لكم[7] خلاف ذلك، و ذلك كله لعدم ١٥ النية الصالحة و اعتقاد الآخرة، و هذا لا ينافى طوعا لأن ذلك بحسب الفرض أو الظاهر و هذا بحسب الواقع .

(١) من ظ، و فى الأصل: بالكرامة (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: غرائزه .
(٤) فى ظ: تورها (٥) من ظ، و فى الأصل: اكد (٦) فى ظ: رسوله (٧) فى ظ: لهم .

و لما انتفى عن أموالهم النفع الأخروى الذى هو النفع ، تسبب عن ذلك الزهد فيها الموجب لعدم الالتفات إليها و عدم اعتقاد أن فيها بركة و دلالة على خير ، فقال - مبينا ما فيها من الفساد الذى يظن أنه صلاح : ﴿فلا﴾ - بفاء السبب ، فالسياق أبلغ من سياق الآية بعد النهى عن الصلاة عليهم[1] ﴿تعجبك اموالهم[2]﴾ أى و إن أنفقوها فى سبيلى و جهزوا بها الغزاة . فان ذلك عن غير إخلاص منهم و لا حسن نية و لا جميل طوية ، و إنما هو لما أذلهم من عزة الإسلام و أخافهم من سطوة الانتقام فهو من جملة العذاب ، و عطف عليها الأولاد لمشاركتها [لها -[3]] فى الملاذ و القوة و الاستعمال فى الجهاد ، فقال مؤكدا للنفى باعادة النافى[4] : ﴿و لآ اولادهم﴾ فكأنه قيل : فما ذا يراد باعطائهم ذلك ؟ و لو منعوها و أعطيها المخلصون لكان قوة للدين ، فقال : ﴿انما يريد الله﴾ أى يوقع الإرادة لهم بها الملك الذى له الإحاطة بجميع الحكمة كما أن [له -[3]] الإحاطة بتمام القدرة ، و أبلغ فى الحصر بادخال اللام[5] فى قوله : ﴿ليعذبهم﴾ أى لأجل أن يعذبهم ﴿بها فى الحيوة﴾ أى و إن كان يترا آى أنها لذيذة ، لأن ذلك من شأن الحياة فانما هى لهم موت فى الحقيقة ﴿الدنيا﴾ أى تارة بجمعها و تربيتها و تارة ببذلها كرها فى سبيل الله أو فى تزكيتها و تارة بغير ذلك ﴿و تزهق﴾ أى و إنما يريد بتمكينهم منها[5] لأجل أن يخرج وقت الموت بغاية الصعوبة ﴿انفسهم﴾

(١) راجع آية ٨٥ (٢) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : اموالكم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : النفى (٥) سقط من ظ .

أى بسببها ﴿ وهم ﴾ أى والحال أنهم ﴿ كفرون ﴾ أى عريقون فى الكفر ، وهكذا كل من أراد استدراجه سبحانه فانه فى الغالب يكثر أموالهم وأولادهم لنحو هذا لأنهم إذا رأوا زيادتهم بها على بعض المخلصين ظنوا أن ذلك إنما هو لكرامتهم[1] وحسن حالتهم[2] فيستمرون عليها[2] حتى يموتوا فهو سبحانه لم يرد بها منحتهم بل فتنتهم ومحنتهم ، وأما الدين فان القادر يقويه بغير ذلك فيكون[3] أظهر لدليله وأوضح[4] لسبيله ؛ فالحاصل أنه ظهر لهم أنهم أكرموا بها وخفى عنهم أنها سبب لعذابهم فى الحياة باتكالهم[5] عليها ، وفى الممات بصعوبته عليهم[6] المشار إليه بالزهوق ، وفى الآخرة بسبب موتهم على حال الكفر باستدراجهم بها[7] ، وأما المؤمن فلا يموت حتى[8] يرى من الثواب ما يسليه عن كل شىء فيشتاق إلى لقاء الله وتخرج نفسه وهو فى غاية المحبة لخروجها لأن البدن عائق له عما يرى .

ولما وضح بهذه الأمور منابذتهم للمؤمنين وخروجهم من ربقة الدين المصحح لوصفهم بالفسق ، أوضح لبسا آخر من أحوالهم يقيمونه بالأيمان الكاذبة فقال : ﴿ ويحلفون ﴾ أى طلبوا لكم الفتنة والحال أنهم يجددون الأيمان / ﴿ بالله ﴾ أى على ما له من تمام العظمة ﴿ انهم ﴾ أى المنافقين ﴿ لمنكم[1] ﴾ أى أيها المؤمنون على اعتقادكم باطنا كما هم ظاهرا ﴿ وما ﴾ / ٥١١

(١) فى ظ : لكرمتهم (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : فيتشمرون عليها .
(٣) فى ظ : ليكون (٤) من ظ ، وفى الأصل : اصح (٥) من ظ ، وفى الأصل : بانكلابهم - كذا (٦) فى ظ : عليه (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : فلا .

أى و الحال أنهم ما ﴿ هم ﴾ صادقين فى حلفهم أنهم ﴿ منكم و لكنهم قوم ﴾ أى مع أن لهم قوة و قياما شديدا فيما يحاولونه ﴿ يفرقون ٥ ﴾ أى يخافون منكم على دمائهم خوفا عظيما يفرق همومهم فهو الملجئ لهم إلى الحلف كذبا على التظاهر بالإسلام ، فكأنه قيل : فما لهم يقيمون بيننا و المبغض لا يعاشر من يبغضه ؟ فقيل : لأنهم لا يجدون ما[1] يحميهم منكم ﴿ لو يجدون ملجا ﴾ أى شيئا يلجأون إليه من حصن أو جبل أو قوم يمنعونهم منكم ﴿ او مغٰرٰت ﴾ فى الجبال تسعهم ، جمع مغارة - مفعلة من غار فى الشيء - إذا دخل فيه ، و الغور : ما انخفض من الأرض .

و لما كانت الغيران - و هى النقوب فى الجبال - واسعة و الوصول إليها سهلا ، قال : ﴿ او مدخلا ﴾ أى مكانا يدخلونه بغاية العسر و الصعوبة لضيقه أو لمانع[2] فى طريقه أو قوما يداخلونهم و إن كانوا يكرهونهم - بما أرشد إليه التشديد : ﴿ لولوا اليه ﴾ أى لاشتدوا فى التوجه إليه متولين مرتدين[3] عنكم على أعقابهم ﴿ و هم يجمحون ٥ ﴾ أى حالهم حال الدابة التى كانت مسرعة فى طواعية راكبها فاذا هى قد نكصت على عقبها ثم أخذت فى غير قصده بغاية الإسراع و نهاية الرغبة و الداعية لا يردها بئر تقع فيه و لا مهلكة[4] و لا شيء .

و لما قرر حال من يتخلف عن الجهاد ، و ربما بذل ماله[5] فيه افتداء لسفره ، شرع فى ذكر من يشاركه فى الإنفاق [و النفاق و يخالفه -[6]]

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : مانع (٣) فى ظ : مدبرين (٤) من ظ ، و فى الأصل : مهلك (٥) من ظ ، و فى الأصل : مال (٦) زيد من ظ .

فقال : ﴿ و منهم من يلمزك ﴾ أى يعيبك عند مشاكليه[1] على طريق الملازمة فى ستر[2] و خفاء أو تظاهر و قلة حياء ﴿ فى الصدقت ج ﴾ أى اللاتى تؤتيها لأتباعك ، [و لما أخبر عن اللمز ، أخبر أنه لحظ نفسه لا للدين فقال - [3]] : ﴿ فان اعطوا منها رضوا ﴾ أى عنك[4] ﴿ و ان لم يعطوا منها ﴾ فاجأوا السخط الذى يتجدد فى كل لحظة و لم يتخلفوا عنه أصلا ، و عبر عن ٥ ذلك بقوله : ﴿ اذا هم يسخطون ه ﴾ فوافقوا الأولين فى جعل الدنيا همهم ، و خالفوهم فى أن أولئك أنفقوا ليتمتعوا بالتخلف و هؤلاء طلبوا ليتنعموا بنفس المال الذى يأخذونه ؛ قيل : إنها نزلت فى ذى الخويصرة[5] لما قال للنبى صلى الله عليه و سلم و هو يقسم غنائم حنين : اعدل يا محمد ! فانى لم أرك تعدل ، فقال له النبى صلى الله عليه و سلم : ويلك ! و من يعدل ١٠ إذا لم أعدل ؟ و سيأتى حديثه .

و لما أخبر تعالى عن حالهم السيء[6] [الدنىء - [7]] الذى لا يجديهم فى الدنيا و يهلكهم فى الأخرى[4] ، نبههم على ما هو الأصلح [7] لهم من[7] الحال الشريف السنى فقال : ﴿ و لو انهم ﴾ أى المنافقين ﴿ رضوا ما[8] اتـهم الله ﴾ أى المنعم بجميع النعم لأن له جميع الكمال ﴿ و رسوله ﴾ الذى عظمته ١٥ من عظمته قل ذلك المؤتى أو كثر طال زمنه أو قصر ﴿ و قالوا ﴾ أى مع الرضى[9] ﴿ حسبنا الله ﴾ أى كافينا لأن له جميع العظمة فهو الغنى المطلق .

---

(١) فى ظ : شياطينه - كذا (٢) فى ظ : تستر (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : عندك (٥) و اسمه حرقوص بن زهير - راجع لباب التأويل ٣ / ٨٨ (٦) فى ظ : الآخرة (٧ - ٧) فى ظ : فى (٨) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : بما . (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها .

و لما كانت الكفاية تارة تكون بالتنجيز العاجل و تارة بالوثوق بالوعد الآجل ، بين أن الثانى هو المراد لأنه أدل على الإيمان فقال : ﴿ سيؤتينا الله ﴾ أى الملك الأعظم بوعد لا خلف فيه و اعتقدوا أن لا حق لأحد[1] فقالوا[2] : ﴿ من فضله و رسوله[4] ﴾ أى الذى لا يخالف أمره ، [على - [3]] ما قدر لنا فى الأزل ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم : ﴿ انآ الى الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال وحده ﴿ راغبون ع ﴾ أى عريقون فى الرغبة ، فلذلك نكتفى بما يأتى من قبله كائنا ما كان ، أى لكان ذلك خيرا لهم لأنه لا ينالهم إلا ما قسم سبحانه لهم شاؤا أو أبوا .

و لما أخبر عن لمزهم فى الصدقات و قرر ما هو خير لهم إرشادا لهم إلى النجاة ، علل فعل رسول الله صلى الله عليه و سلم [فيها - [3]] و بين أنه لا يفعل غيره لأنه الحق الذى لا يجوز فى شرعه الأكمل غيره لمزوا أو[4] تركوا زهدوا أو رغبوا فقال معبرا / [5] - بأداة القصر على ما ذكر : ﴿ انما الصدقت ﴾ أى هذا الجنس بجميع ما صدق من أفراده ، و الظاهر أنه قدم الأهم فالأهم ، فلذا قال الشافعى : إن الفقير أشدهم حاجة لكونه ابتدأ به ، فقال : ﴿ للفقرآء ﴾ أى الذين لاشىء لهم أو لهم شىء لا يقع موقعا من كفايتهم ﴿ و المسكين ﴾ أى الذين لا كفاية لهم بدليل "اما السفينة[6]" - الآية ، و أما "مسكينا

/٥١٢

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ «و» (٥) ومن هنا تعرض الأصل لنقص صفحتين كاملتين : ٥١٢ و ٥١٣ ، فسددنا هذا النقص بنسخة ظ (٦) سورة ١٨ آية ٧٩ .

دا متربة [1] فتقييده دل على أن المطلق بخلافه ﴿ و العٰملين عليها ﴾ أى المؤتمنين فى السعاية و الولاية على جمعها ﴿ و المؤلفة قلوبهم ﴾ أى [2] ليسلموا أو يسلم بسببهم غيرهم أو يثبتوا على إسلامهم ؛ روى البخارى فى التفسير و غيره عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : بعث إلى النبى صلى الله عليه و سلم بشىء فقسمه بين أربعة و قال : أتألفهم ، فقال رجل : ما عدلت ! ٥ فقال : يخرج من ضئضئ [3] هذا قوم يمرقون من الدين . و فى رواية : فاستأذنه رجل [4] فى ضرب عنقه فقال : لا ، دعه فان له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم - الحديث . و لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد [5] . و لا يقال : إن العلة مقتضية لقتلهم لا للكف عنهم فان عمله بالمقام الخضرى - كما تقدم - أنه ما من كرامة لنبى إلا و له صلى الله عليه و سلم ١٠ مثلها أو أعلى [6] منها بنفسه أو بأحد من أمته .

و لما فرغ من هذه [7] الأصناف الأربعة الذين يعطون الصدقة فى أيديهم يتصرفون فيها كيف شاؤا ، كما دل عليه التعبير [باللام ، ذكر الذين يعطون الصدقة لقضاء ما بهم كما دل عليه التعبير - [8]] بـ « فى »

(١) سورة ٩٠ آية ١٦ (٢) فى ظ : او (٣) و الضئضئ : النسل (٤) و رواية البغوى فى المعالم تنص على أنه عمر بن الخطاب - راجع هامش لباب التأويل ٣/٨٨.
(٥) وهذه الرواية قد خرجها فى كنز العمال - قتل الخوارج (٦) فى ظ : على - كذا (٧) تأخر فى ظ عن « الأصناف » (٨) ما بين الحاجزين زدناه لاستقامة العبارة ، و هو أقرب نسج على منوال المؤلف ، و قال فى لباب التأويل ٣/٩٢ : وهى أن الأصناف الأربعة المتقدم ذكرها يدفع إليهم نصيبهم من الصدقات =

فقال : ﴿ و فى الرقاب ﴾ أى و المكاتبين بسبب فك رقابهم من الرق ﴿ و الغٰرمين ﴾ أى الذين استدانوا فى غير معصية ، يصرف ما يعطونه إلى قضاء ديونهم فقط ﴿ و فى ﴾ أى و المجاهدين فى ﴿ سبيل الله ﴾ أى الذى له الأمر كله بالنفقة و الحمل و الإعانة بالسلاح و غير ذلك ، ونقل القفال[1] عن بعض الفقهاء أنه عمم السبيل فأجاز صرفه إلى جميع وجوه الخير من تكفين الموتى و عمارة المساجد و نحوها ﴿ و ابن السبيل[2] ﴾ و هو المسافر المنقطع عن بلده ، يعطى ما يوصله [إليه ، ففيه إشارة -[3]] إلى أن رسولنا صلى الله عليه و سلم لم يفعل ما أدى إلى لمزهم له بسببه إلا بأمر حقا ، فانا قد عينّا له أهل الصدقات فهو لا يعدل عنهم لشىء من الأشياء لأنه واقف عند ما يرضينا ، فان كانوا منهم أعطاهم و إلا منعهم رضى من رضى و سخط من سخط ، و قد فرض ذلك ، أو ثابتة[2] للفقراء حال كونها ﴿ فريضة ﴾ كائنة ﴿ من الله[1] ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما لعلمه بأن فى ذلك أعظم صلاح ، و هذا كالزجر عن مخالفة الظاهر ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم بما يصلح الدين و الدنيا و يؤلف بين قلوب المؤمنين ﴿ حكيم ٥ ﴾ أى فهو

= فيصرفون ذلك فيما شاؤا ، و أما الرقاب فيوضع نصيبهم فى تخليص رقابهم من الرق و لا يدفع إليهم ولا يمكنون من التصرف فيه .

(١) والمشهور بالقفال فى الفقهاء الشافعية سعيد بن عمرو النجار و عبد الله بن أحمد المروزى ومحمد بن على الشاشى و ابنه القاسم بن محمد بن على الشاشى (٢) زدناه لتعديل العبارة (٣) فى ظ : تابيه - كذا .

يجعل

يجعل أفعاله من الإحكام بحيث لا يقدر غيره على نقضها ؛ قال أبو حيان : « بما » [إن - [1]] كانت وضعت للحصر فالحصر مستفاد من لفظها ، و إن [كانت - [1]] لم توضع للحصر فالحصر مستفاد من الأوصاف إذ مناط الحكم بالوصف يقتضى التعليل به ، و التعليل بالشيء يقتضى الاقتصار عليه . و حكمة الزكاة من جهة المالك أن المال محبوب لأنه يحصل المحبوب ٥ و التمادى فى حبه يوجب[2] الإعراض عن الله المعطى له ، فكان من الحكمة تذكير المالك له بالمالك الحقيق فى أنه أوجب عليه إخراج طائفة منه ليكف منه انصباب النفس بالكلية إليه و يطهر النفس عن محبتها له و يطهره عن محض الإنفاق فى الشهوات ، و من جهة الآخذ أنه لما اجتمعت حاجته إليه و حاجة المالك - و لو احتمالا - كان هناك ١٠ سببان للتسلط على المال : أحدهما اكتساب المالك له ، و الثانى احتياج الآخذ إليه ، فروعى السببان بقدر الإمكان ، و رجح المالك بابقاء الكثير ، و صرف إلى الآخذ اليسير . و أجرى الشافعى الآية على ظاهرها فقال : إن أخرجها ذو المال سقط سهم العامل مع سهم المؤلفة و صرف إلى الستة الأصناف . و إن قسم الإمام فعلى سبعة ، و يجب أن يعطى من كل ١٥ صنف ثلاثة أنفس ، و من لم يوجد من الأصناف رد نصيبه على الباقين[3] و يستوى بين الأصناف لا بين آحاد الصنف . و قال[4] أبو حنيفة : يجوز صرف الكل لواحد من الأصناف لأن الآية أوجبت أن لا تخرج

(١) زيد من البحر المحيط ٥/٥٧ (٢) فى ظ : يعجب (٣) فى ظ : البقين - كذا ، و المسألة مذكورة فى الزكاة من كتاب الأم (٤) فى ظ : قا - كذا .

الصدقة عنهم ، لا أن تكون فى جميع الأصناف - و هو قول عمر بن الخطاب و حذيفة و ابن عباس رضى الله عنهم و سعيد بن جبير و عطاء و أبى العالية و ميمون بن مهران[1] .

و لما بين الصنفين السالفين ، و ختم أمرهما بصفتى العلم و الحكمة ، أتبعهما بصنف آخر يؤذى بما يجعله نقصا فى صفات الرسول صلى الله عليه و سلم فيلزم الطعن فى علم مرسله و حكمته فقال : ﴿ و منهم الذين يؤذون النبى ﴾ أى الذى أعلى الله مقداره ، فهو ينبئه بما يريد سبحانه من خفايا الأسرار ؛ و لما أخبر بمطلق الأذى الشامل للقول و الفعل ، عطف عليه قوله : ﴿ و يقولون هو ﴾ أى من فرط سماعه لما يقال له ﴿ اذن[1] ﴾ و مرادهم أنه يصدق كل ما يسمع و يقبل قول كل أحد - كما سمى الجاسوس عينا ؛ قال أبو حيان : كان خذام[2] بن خالد و عبيد بن هلال و الجلاس ابن سويد فى آخرين يؤذون رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال بعضهم : لا تفعلوا فانا نخاف أن يبلغه فيوقع بنا ، فقال الجلاس : بل نقول ما شئنا فان محمدا أذن سامعة ، ثم نأتيه فيصدقنا ، فنزلت ، و قيل غير ذلك ، يقال : رجل أذن - إذا كان يسمع مقال كل أحد ، يستوى فيه الواحد و الجمع[3] - انتهى . و مرادهم أنه صلى الله عليه و سلم لا يعرف مكر[4] من يمكر به و خداع من يخادعه و كذبوا ، هو أعرف الناس بذلك ، و لكنه

(١) راجع البحر ٥/٥٧ و ٥٨ (٢) و فى البحر المحيط ٥/٦٢ : قدام - كذا ، و ورد هذا الاسم فى المغازى للواقدى كما فى أصلنا - راجع غزوة تبوك من المغازى (٣) و هذا القول منسوب إلى الجوهرى (٤) فى ظ : منكر - كذا .

يعرض عند المصالح ، لا يليق بمحاسن الدين غيرها ، بينها تعالى بقوله : ﴿قل اذن خير﴾ ثم بين [أن - [1]] نفع ذلك عائد إليهم بقوله : ﴿لكم﴾ ثم فسر ذلك بقوله : ﴿يؤمن﴾ أي يوقع الإيمان للملائكة الذين يأتونه عن الله من التكذيب بأن يصدقهم معترفا ﴿بالله﴾ أي بسبب ما يخبرونه عنه به حق الإيمان لما له من كمال العلم بما له سبحانه من صفات الجلال ٥ و الإكرام ؛ و حاصله أن فعل الإيمان ضمن فعل التصديق ثم حذف و انتزعت منه حال أقيمت مقامه ثم حذفت و أتى بصلة تدل عليها كما قالوا في قوله تعالى "و لتكبروا الله على ما هديكم[2]" أن التقدير : حامدين على ما هداكم ، فالتقدير هنا : يؤمن مصدقا بالله ، فهذا حقيقته و هو يثمر محبة المؤمنين و ولايتهم ، و لذا أتبعه قوله : ﴿و يؤمن للمؤمنين﴾ أي الراسخين ، ١٠ يوقع الإيمان لهم من التكذيب بأن يصدقهم في كل ما يخبرونه به مما يحتمل التصديق ، و ذلك لأجل مصالحهم و التأليف بينهم مع ما ثبت من صدقهم ، فانه لو حملهم على عقله و مبلغ علمه يحبه الكاذب و عاقب الخائن بمجرد علمه و تفرسه ، لقصرت عن ذلك غالب الأفهام و تاهت بسببه أكثر الأوهام ، فنفرت القلوب و وقع من الأغلب الاتهام . و لما ١٥ كان التصديق بوجود الإله على ما له من صفات الكمال المقتضى للأمر و النهي عدى بالباء ، و هنا لما كان التصديق إنما هو للاخبار بأيّ شيء كان عدى باللام و أشير - بقصر الفعل و هو متعد - إلى المبالغة في التصديق بحيث كأنه لا تصديق] / [3] غيره .

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) سورة ٢ آية ١٨٥ (٣) ومن هنا استأنف الأصل .

و لما بين سبحانه أن تصديقه ظاهرا و باطنا إنما هو للراسخين فى الإيمان ، بين أن تصديقه لغيرهم إنما هو فى الظاهر فقال : ﴿ و رحمة ﴾ أى و هو رحمة ﴿ للذين آمنوا ﴾ أى أظهروا الإيمان بألسنتهم ﴿ منكم ﴾ فهو - و الله أعلم - إشارة إلى المنافقين و من فى حكمهم ممن جزم لسانه و قلبه مزلزل ، أى أن إظهار تصديقهم قبولا لما ظهر منهم و ستر قبائح أسرارهم سبب للكف عن دمائهم ، و إظهار المؤمنين لمقتهم ربما كان ذلك سببا لصدق إيمانهم بما يرون من محاسن الإيمان بتمادى الزمان ، و لا يستبعد كون التعبير بالماضى إشارة إلى المنافقين لا سيما بعد التعبير باسم الفاعل ، فقد قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتابه المفتاح ما نصه : الباب الرابع فى رتب البيان عن تطور الإنسان بترقيه فى درج الإيمان و ترديه فى درك الكفران : اعلم أن الله محيط بكل شىء خلقا و أمرا أولا و آخرا ظاهرا و باطنا و هو حمدة ، و له علو فى ظهور أمره و كبير خلقه ، و احتجاب[1] فى مقابل ذلك من خلقه و أمره بما أبداه من حكمته و أسباب هداه و فتنته . و ذلك العلو هو إلاهيته ، و الاحتجاب [2]هو ملكه ، و بينهما إقامة كل خلق لما خلق له و تأييد كل أمر من الأمرين لما أقيم له ، و ذلك هو ربانيته[2] و لكل فتق من خلقه و أمره رتق سابق ، و لكل تفاوت سواء ، و ذلك هو[3] رحمانيته ، و لكل أقرب فى مدد الحجاب اختصاص ، ذلك هو رحيميته ، و لكل أبعد فى مدد

(١) من ظ ، و فى الأصل : احتجاب - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى ظ : فى .

الحجاب بطش منه شديد فى رده إلى القرب و تلك هى نقمته، و لكل من تنزلاته العلية ظاهرا و باطنا أمر خاص، و لكل أمر خلق، يرد بيان القرآن لكل خلق بحسب كنه ذاته و اختصاص رتبة قربه و محل بعده، و أن الله سبحانه جعل آدم و ذراه خليفة له فى جميع أمره و تفصيله، و أنزل القرآن بناء على[1] جملة ذلك. فاردأ الأحوال لهذا المستخلف ٥ المحل الذى سمى[2] فيه بالإنسان، و هو حيث أنس بنفسه و غيره و نسى عهد ربه، فيرد لذلك بناؤه بالذم فى القرآن "قتل الانسان ما اكفره[3]"، "ان الانسان لربه لكنود[4]" ثم المحل الذى تداركه فيه تنبه[5] لسماع الزجر من ربه، و هو له بمنزلة سن المميّز لابن سبع، و لا يقع إلا عن اجتماع و تراء، و ذلك هو السن المسمون فيه بالناس لنوسهم، أى ترددهم ١٠ بين سماع الزجر من ربهم و غلبة أهوائهم عليهم، فيرد لذلك بناؤهم بذم أكثرهم فى القرآن "و لكن اكثر الناس لا يعلمون - و لا يشكرون" ثم المحل الذى يتحقق لهم قبول و سماع و إيمان لغائب الأمر و الخلق، لكنهم يتزلزلون[6] عنه كثيرا عند كل عارضة نيل و خادعة رفعة، و هو لهم بمنزلة سن المحتلم الذى قد ذاق طعم بدو النطفة من باطنه الناجم ١٥ العقل للنظر فى حقائق المحسوسات، و ذلك هو السن [الذى يسمون-[7]] فيه "الذين امنوا" و هو أول سن التلقى، فلذلك جميع[8] آداب القرآن

(١) من ظ، و فى الأصل: عن (٢) فى ظ: يسمى (٣) سورة ٨٠ آية ١٧.
(٤) سورة ١٠٠ آية ٦ (٥) من ظ، و فى الأصل: تنبيه (٦) فى ظ: يتنزلون.
(٧) زيد من ظ (٨) فى ظ: جمع

و تعليمه إنما مورده أهل هذا السن ، كان ابن مسعود رضى الله عنه يقول[1] : إذا سمعت الله عز و جل [يقول - [2]] " يا ايها الذين امنوا " فأعرها[3] سمعك فانه خير يأمر به أو شر ينهى عنه ، و كما أن ما يخص البالغ العاقل من الخطاب لا يدخل فيه الصبي المميز ، و ما يخص المميز ٥ لا يدخل فيه البالغ ، كذلك خطاب " الذين امنوا " لم يصل إليه الناس بعد ، و خطاب الناس قد جاوزه " الذين امنوا " لأنهم قد انزجروا بما قبلت قلوبهم عما ينزجر عنه الناس ، و قد ائتمروا بما يأتمر به الناس ؛ و هذه الأسنان الخالية / عند أولى البصائر و خاص خطابها أشد ظهورا من ٥١٥ / أسنان الأبدان عند أصحاب الأبصار ، و عدم التبصرة بهذه المراتب فى ١٠ الأحوال و البيان هي أقفال القلوب المانعة من تدبر القرآن ، و كذلك ما فوق سن " الذين امنوا " من سن " الذين يؤمنون " و هم فى أول حد القرب بمنزلة بلوغ الأشد ، و سن " الذين امنوا " و " الناس " فى مدد حد البعد و لذلك يخاطبون بحرف ' يا ' المرسلة إلى حد البعد : " يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم تؤمنون ١٥ بالله و رسوله[4] " و فوق ذلك سن المؤمنين و أدنى قربا ، و لذلك لم يرد فى القرآن[5] فى خطابهم ' يا ' البعد ، و هذا السن بمنزلة الاكتهال و سن الشيب ، و تمام سنهم " المؤمنون حقا " و كذلك إلى سن " المحسنين " إلى غيب سن " الموقنين " إلى ما وراء ذلك ، فان أسنان الجسم أرابيع ،

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى الأصل و ظ: فار عها ، و إعارة السمع كناية عن الإصغاء إلى شيء (٤) سورة ٦١ آية ١٠ و ١١ (٥) من ظ ، و فى الأصل : القرب .

و أسنان القلب أسابيع ، يعرفها من تطور فيها ، و يجهلها من نبت سن قلبه على الجهل و تطور سن جسمه إلى الهرم « يهرم ابن آدم و يشيب منه إثنتان : الحرص و الأمل » فالحرص فقره و لوملك الدنيا ، و الأمل همه و تعبه ، فمن لم يتحقق أسنان القلب و تفاوت خطابها لم ينفتح له الباب إلى فهم القرآن ، و من لم يتضح له تنزلات الخطاب لم يبن[1] له خطاب الله من خطاب الرحمن من خطاب الملك الديان - انتهى .

و لما بين ما لمن صدقه باطنا أو ظاهرا من الرحمة ، بين ما على من كذبه فآذاه من النقمة فقال : ﴿ و الذين يؤذون ﴾ أى من هؤلاء و من غيرهم ﴿ رسول الله ﴾ أى الذى أظهر - و هو الملك الأعلى - شرفه و عظمته بالجمع بين الوصفين و أعلاه باضافته إليه ، و زاد فى رفعته بالتعبير باسمه الأعظم الجامع ، و هو واسطة بين الحق و الخلق فى إصلاح أحوالهم فانما يستحق منهم الشكر و الإكرام لا الأذى و الإيلام .

و لما كان أذاهم مؤلما جعل جزاءهم من جنسه فقال : ﴿ لهم عذاب اليم ﴾ ثم علل ذلك باستهانتهم بالله و رسوله ، و أخبر أنهم يخشون على دمائهم فيصلحون ظواهرهم[2] حفظا لها بالأيمان الكاذبة فقال : ﴿ يحلفون بالله ﴾ أى الذى له تمام العظمة ﴿ لكم ﴾ أى أنهم ما آذوا النبى صلى الله عليه و سلم خصوصا و لا أولادكم بالمخالفة عموما ؛ و بين غاية مرادهم بقوله : ﴿ ليرضوكم ج ﴾ .

و لما كان الرسول عليه الصلاة و السلام ليس بأذن بالمعنى الذى

(١) فى ظ : لم يبين (٢) فى ظ : خواطرهم .

أرادوه ، بين أنه لم يكن راضيا بإيمانهم لعدم وقوع صدقهم فى قلبه ولكنه أظهر تصديقهم لما تقدم من الإصلاح فقال : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الأمر كله ولا أمر لأحد معه ﴿ورسوله﴾ أى الذى هو أعلى خلقه ، وبلغ النهاية فى تعظيمه بتوحيد الضمير الدال على وحدة الراضى لأن كل ما يرضى أحدهما يرضى الآخر فقال : ﴿ احق ان ﴾ أى بأن ﴿ يرضوه ﴾ ولما كان مناط الإرضاء[1] الطاعة ومدار الطاعة الإيمان ، قال معبرا بالوصف لأنه مجزأه[2] : ﴿ ان كانوا مؤمنين ﴾ أى فهم يعلمون أنه أحق بالإرضاء فيجتهدون فيه ، وذلك إشارة إلى أنهم إن جددوا إرضاءه كل وقت كان دليلا على إيمانهم ، وإن خالفوه كان قاطعا على كفرانهم .

ولما بين أن حلفهم هذا إنما هو لكراهة الخزى عند المؤمنين وبين[3] من هو الأحق بأن يرضوه ، أقام الدليل على ذلك فى استفهام إنكار وتوبيخ مبينا أنهم فرّوا من خزى منقض فسقطوا فى خزى دائم ، والخزى : استحياء فى هوان ، فقال : ﴿ الم يعلموآ ﴾ [4] أى لدلالتهم على الأحق بالإرضاء[4] . ولما كان ذكر الشىء مبهما ثم مفسرا أضخم ، أضمر[5] للشأن فقال : ﴿ انه ﴾ أى الشأن العظيم ﴿من يحادد الله﴾ [وهو الملك الأعظم ، ويظهر المحاددة - بما أشار إليه الفك -[6]] ﴿ ورسوله ﴾ أى [الذى عظمته من عظمته ، بأن -[6]] يفعل معهما فعل من يخاصم فى

(١) فى ظ : الأرضياء (٢) من ظ ، وفى الأصل : مجزه - كذا (٣) فى ظ : ذكر .
(٤-٤) فى ظ : ولما علم من الدين بالضرورة - كذا (٥) من ظ ، وفى الأصل : اضمار (٦) زيد من ظ .

حد أرض فيريد أن يغلب على حد خصمه، و يلزمه أن يكون فى حد غير حده ﴿فان له نار جهنم﴾ أى فكونها له جزاء له على ذلك حق لا ريب فيه ﴿خلدا فيها[1]﴾ أى دائما من غير انقضاء كما كانت نيته المحادة[1] أبدا؛ ثم نبه / على عظمة[2] هذا الجزاء بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الأمر البعيد الوصف العظيم الشأن ﴿الخزى العظيم ٥﴾ . ٥١٦ /

و لما علل فعل المستهينين، أتبعه تعليل أمر صنف [آخر - ٣] أخف منهم نفاقا بما عندهم مما يقارب التصديق فقال: ﴿يحذر المنفقون﴾ و عبر بالوصف الدال على الرسوخ تحذيرا لهم من أدنى النفاق فانه يجر إلى أعلاه ﴿ان تنزل[4]﴾ و لما كانت السورة الفاضحة لهم داهية و نائبة من نوائب الدهر و شدائده، عدى الفعل بعلى فقال: ﴿عليهم سورة﴾ ١٠ أى قطعة من القرآن شديدة الانتظام ﴿تنبئهم﴾ أى تخبرهم إخبارا عظيما مستقصى ﴿بما فى قلوبهم[4]﴾ لم يظهروا عليه أحدا من غيرهم أو أحدا مطلقا، و لعل هذا الصنف كانوا يسلفون الأيمان لعلها تشكك[5] بعض الناس أو تخفف[6] عنهم إذا نزل ما يهتكهم، روى أنهم كانوا يقولون ما يؤدى[7] و يدل على النفاق و[8] يقولون: عسى الله أن لا يفشى علينا سرنا، و قال ١٥ بعضهم بعد كلام قالوه: و الله إنى لأرانا شر خلق الله و لوددت أنى قدمت فجلدت مائة جلدة و أنه لا ينزل فينا شىء يفضحنا .

---

(١) من ظ، و فى الأصل: المحاكه - كذا (٢) فى ظ: عظم (٣) زيد من ظ .
(٤) زيد بعده فى الأصل: عليهم، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) من ظ، و فى الأصل: يشكك (٦) من ظ، و فى الأصل: يخفف (٧) فى ظ: نوذى .
(٨) فى ظ: ما .

و لما كان حذرهم مع العمل بما ينافيه من كلام النفاق فعل المستهزئ ، قال مهددا : ﴿ قل استهزءوا ج ﴾ أى افعلوا فعل المستهزئ بغاية الرغبة ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بكمال العلم و تمام القدرة ﴿ مخرج ﴾ أى كانت له وصف إخراجه ﴿ ما تحذرون ه ﴾ أى إخراجه من قبائحكم ؛ و عن الحسن : كان المسلمون يسمون هذه السورة الحفارة ، حفرت ما فى قلوب المنافقين و أظهرته .

و لما وصفهم بالنفاق ، حققه بعدم مبادرتهم[1] إلى التوبة التى هى فعل المؤمنين ، و باجترائهم على الإنكار مع كون السائل لهم مَنْ بلغ الغاية فى الجلال و الوقار و الكمال فقال : ﴿ و لئن سألتهم ﴾ أى و أنت من يجب أن يصدقه مسؤله عما[2] أخرجت السورة مما أظهروا بينهم من الكفر ، و ذلك حين قال بعضهم : انظروا إلى هذا الرجل يظن أنه[3] يفتح قصور الشام و حصونها[4] ! هيهات هيهات ! فأعلمه الله فقال : احبسوا علىّ[3] الركب ، [فسألهم - ٥] ﴿ ليقولن انما ﴾ أى ما قلنا شيئا من ذلك ، إنما ﴿ كنا نخوض ﴾ أى نتحدث[6] على غير نظام ﴿ و نلعب[7] ﴾ أى بما لا حرج علينا فيه و يحمل عنا ثقل الطريق ، فكأنه قيل : فما ذا يقال لهم إذا حلفوا على ذلك على العادة ؟ فقال : ﴿ قل ﴾ أى لهم تقريرا على استهزائهم متوعدا لهم معرضا عما اعتذروا إعلاما بأنه غير أهل لأن يسمع جاعلا[2] لهم كأنهم[8] معترفون بالاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلى[9] حرف التقرير ، و ذلك إنما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء و ثبوته تكذيبا لهم

(١) فى ظ : مبادرته (٢) فى ظ : كما (٣) فى ظ : ان (٤) من تفسير الطبرى ، و فى الأصل و ظ : حصونه ، و زيدت الواو بعده فى ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل نتحور - كذا (٧) فى ظ : عاجلا (٨) فى ظ : بانهم (٩) فى ظ : على .

فى قولهم : إنك أذن ، بالمعنى الذى أرادوه ، و بيانا لما فى إظهارك لتصديقهم من الرفق بهم ﴿ ابالله ﴾ أى وهو المحيط بصفات الكمال ﴿ و ايته ﴾ أى التى لا يمكن تبديلها و لا تخفى[1] على ذى بصر ولا بصيرة ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى عظمته من عظمته و هو مجتهد فى إصلاحكم و تشريفكم و إعلائكم ﴿ كنتم ﴾ أى دائما ﴿ تستهزءون ۞ ﴾ . ٥

و لما حقق استهزاءهم ، أنتج قوله : ﴿ لا تعتذروا ﴾ أى لا تبالغوا فى إثبات العذر ، و هو ما ينفى[2] الملام ، فان ذلك لا يغنيكم و إن اجتهدتم لأن القطع حاصل بأنكم ﴿ قد كفرتم ﴾ أى بقولكم هذا ، و دل - على أن كفرهم أحبط ما كان لهم من عمل - بنزع الخافض تشديدا على من نكث[3] منهم تخويفا [له و تحقيقا - [4]] بحال من أصر [فقال - [4]] : ١٠ ﴿ بعد ايمانكم[1] ﴾ أى الذى ادعيتموه بألسنتكم صدقا من بعضكم و نفاقا من غيره .

و لما كان الحال مقتضيا لبيان ما صاروا إليه بعد إكفارهم من توبتهم أو إصرارهم ، بين أنهم / قسمان : أحدهما[5] مطبوع على قلبه و مقضى[6] توبته و حبه ، و هذا الأشرف[7] هو المراد بقوله بانيا للمفعول إعلاما بأن ١٥ المقصود الأعظم هو الفعل ، لا بالنظر إلى فاعل معين : ﴿ ان يعف ﴾ لأن كلام الملك و إن جرى فى مضمار الشرط فهو مرشد إلى تحققه

/ ٥١٧

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا يخفى (٢) من ظ ، و فى الأصل : نفى (٣) فى ظ : تاب (٤) زيه من ظ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : مقتضى (٧) من ظ ، و فى الأصل : الاشراف .

ليحصل الفرق بين كلام الأعلى و الأدنى ﴿ عن طآئفة منكم[١] ﴾ أى لصلاحيتها للتوبة ﴿ تعذب طآئفة ﴾ أى قوم ذوو عدد فيهم أهلية الاستدارة[٢]، و قرأ عاصم ببناء الفعلين للفاعل على العظمة ﴿ بانهم ﴾ أى بسبب أنهم ﴿ كانوا مجرمين ﴾ أى كسبهم للذنوب القاطعة عن الخير

٥ صفة لهم ثابتة[٣] لاتنفك، فهم غير متأهلين للعفو، و شرح هذه القصة أنه كان يسير بين يدى النبى صلى الله عليه و سلم فى غزوة تبوك ثلاثة[٤] نفر من المنافقين: اثنان يستهزئان بالقرآن و الرسول، و الآخر يضحك، قيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه يغلب الروم و يفتح مدائنهم، ما أبعده من ذلك! و قيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه نزل فى

١٠ أصحابنا المقيمين فى المدينة قرآن، و إنما هو قوله و كلامه، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه و سلم على ذلك فقال: احبسوا الركب علىّ، فدعاهم و قال لهم: قلتم كذا و كذا؟ فقالوا: "انما كنا [نخوض و نلعب" أى كنا - [٥]] نتحدث و نخوض فى الكلام كما يفعل الركب لقطع[٦] الطريق بالحديث و اللعب؛ قال ابن إسحاق: و الذى عفى عنه رجل واحد

١٥ و هو مخشى[٧] بن حمير الأشجعى، يقال: هو الذى كان يضحك و لا يخوض وكان يمشى مجانبا لهم و ينكر بعض ما يسمع، فلما نزلت [هذه - [٥]] الآية [تاب - [٨]]، قال: اللهم! لا أزال أسمع آية تقرأ، تقشعر منها

(١) فى ظ: منهم (٢) فى ظ: الاستداد (٣) فى ظ: ثابتة (٤) من ظ و معالم التنزيل ومعظم السياق له - راجع لباب التأويل ٣/٩٦، و فى الأصل: ثلاثون. (٥) زيد من المعالم (٦) من المعالم، و فى الأصل: يقطع، و فى ظ: تقطع (٧) من المعالم، و فى الأصل و ظ: مخشن (٨) زيد من ظ و المعالم.

الجلود ، و تجب منها القلوب ، اللهم اجعل وفاتى قتلا فى سبيلك ! لا يقول أحد : أنا غسلت أنا[1] كفنت أنا دفنت ، فأصيب يوم[2] اليمامة ، فما أحد من المسلمين إلا عرف مصرعه غيره رضى الله عنه . و لعل إطلاق الطائفة عليه تعظيما له و سترا عليه و تبشيرا بتوبة غيره ، و لعل مخشيا كان مؤمنا و لكن كان إيمانه مزلزلا فلذا عبر هنا بقوله "اكفرتم بعد ايمانكم" ٥ و التعبير بذلك أشنع[3] فى الذم و لا سيما عند العرب لأنهم يتمادحون بالثبات على أىّ أمر اختاروه و يتذامون بالطيش ، و لعل الجلاس المعنى بالقصة الآتية وحده أو مع غيره لم يكن آمن كغيره[4] ممن عنى بها ، و ما آمن إلا حين تاب ، فلذا عبر هناك بقوله "و كفروا بعد اسلامهم"؛ قال أبو حيان : قال ابن[5] عمر : رأيت وديعة بن ثابت متعلقا بحقب ناقة ١٠ رسول الله صلى الله عليه و سلم يماشيها و الحجارة تنكته و هو يقول "انما كنا نخوض و نلعب" و النبى صلى الله عليه و سلم يقول "أبالله و آيته" - الآية .

و لما بين سبحانه أفعالا و أقوالا لطوائف من المنافقين - منهم من كان معه صلى الله عليه و سلم فى العسكر - هى فى غاية الفساد ، كان ١٥ ذلك ربما اقتضى أن يسأل عن المتخلفين لو خرجوا ما كان يكون حالهم[6]؟ فقال جوابا عن ذلك و استدلالا على أن إجرام الذين لم يعف عنهم منهم خلق لازم : ﴿ المنفقون و المنفقت ﴾ أى الذين أظهروا الإيمان

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : بدر ، و لم تكن الزيادة فى ظ ولا فى المعالم فحذفناها (٣) فى ظ : ابشع (٤) فى ظ : لغيره (٥) من ظ و البحر المحيط ٥ / ٦٧ ، و فى الأصل : ابو (٦) من ظ ، و فى الأصل : حالتهم .

و أبطنوا الكفران ﴿ بعضهم ﴾ و لما كان مرجعهم الجود على الهوى و الطبع و العادة و التقليد من التابع[1] منهم للمتبوع ، قال : ﴿ من بعض[2] ﴾ أي في صفة النفاق هم فيها كالجسد الواحد ، أمورهم متشابهة في أقوالهم و أفعالهم و جميع أحوالهم ، و القصد أن حالهم يضاد حال أهل الإيمان

٥ و لذلك بينه بقوله : ﴿ يامرون بالمنكر ﴾ أي مما تقدم من الخبال[3] و الإيضاع في الخلال و غير ذلك من سيئ الخصال ﴿ و ينهون / عن المعروف ﴾ /٥١٨ أي من كل ما يكون فيه تعظيم الإسلام و أهله . يبغون بذلك الفتنة ﴿ و يقبضون ايديهم[4] ﴾ أي يشحون فلا ينفقون إلا و هم كارهون .

و لما كان كأنه قيل : أما خافوا بذلك من معاجلة العقاب ؟ أجاب

١٠ بقوله : ﴿ نسوا الله ﴾ أي الملك الأعلى الذي له الأمر كله و لا أمر لأحد معه ، و يصلح أن يكون علة لما تقدم عليه ؛ و لما أقدموا على ذلك ، سبب عنه قوله : ﴿ فنسيهم ﴾ أي فعل بهم فعل الناسي[5] لما استهان به بأن تركهم من رحمته . فكان ذلك الترك سبباً لحلول نقمته ؛ و لما تطبعوا بهذه النقائص كلها ، اختصوا بكمال الفسق فشرح ذلك في

١٥ أسلوب التعجيب[4] من حالهم فقال [مظهرا موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف - [5]] : ﴿ ان المنفقين هم ﴾ أي خاصة ﴿ الفسقون ه ﴾ أي الخارجون عن دائرة ما ينفعهم من الطاعة الراسخون في ذلك ، فقد علم بهذا[6] أنهم لو غزوا فعلوا فعل هؤلاء سواء لأن الكل من طينة واحدة .

(١) في ظ : المتابع (٢) في ظ : الجبال (٣) زيدت الواو بعده في ظ (٤) في ظ : التعجب (٥) زيد من ظ (٦) في ظ : بذلك .

و لما بين كثيرا من أحوالهم فاشتد التشوف إلى مآلهم و كان مقصودهم باظهار الإيمان و الاعتذار عن النقائص بتأكيد الأيمان إنما هو التقرب إلى المؤمنين و التحبب طمعا فى العيش فى أكنافهم و فرقا من المعاجلة بما يستحقون [1]من إتلافهم[1] ، بين أن لهم على هذا الخداع العذاب الدائم و الطرد اللازم ، و جمع معهم المصارحين بالكفر إعلاما ٥ بأنهم إن[2] لم يكونوا أعظم عنادا منهم فهم سواء ، فقال : ﴿ وعد الله ﴾ وساقه بصيغة البشارة تهكما بهم و إبلاغا فى مساءتهم ﴿ المنفقين والمنفقت ﴾ أى المساترين[3] باعتقادهم ﴿ و الكفار ﴾ أى المجاهرين فى عنادهم .

و لما كانوا مجبولين على تجهم المؤمنين و الانقباض عنهم ، و إن أظهروا خلاف ذلك فهو تصنع ، قال : ﴿ نار جهنم ﴾ أى النار[4] التى ١٠ من شأنها تجهم أهلها و لقاؤهم[5] بالعبوسة الزائدة ﴿ [1]خلدين فيها[1] ﴾ أى لا براح لهم عنها ﴿ هى حسبهم ﴾ أى كافيتهم فى العذاب . لكن لما كان الخلود قد يتجوز به عن الزمن الطويل فيكون بعده فرج ، قال : ﴿ و لعنهم الله ﴾ أى طردهم و أبعدهم من رحمته و هو الملك العليم الحكيم الذى لا أمر لأحد معه فأفهم أنه لا[3] فرج لهم ، ثم نفى كل احتمال ١٥ بقوله : ﴿ و لهم ﴾ أى بالأمرين ﴿ عذاب مقيم ﴾ أى لا وصف له غير الإقامة فى الدنيا بما هم مقهورون به من سطوة الإسلام و جنوده الكرام الأعلام ، و فى الآخرة بما لا يعلمه حق علمه إلا [الله -[6]]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : المستاثرين (٤) فى ظ : الدار (٥) من ظ ، وفى الأصل : القاوهم (٦) زيد من ظ .

الملك العلام .

و لما كان حالهم فى الإقبال على العاجلة لكونها حاصلة و الإعراض عن العاقبة لأنها غائبة مشابها لحال من كان قبلهم من الأمم الخالية و القرون الماضية ، بين لهم ذلك و ختم ببيان سوء أحوالهم و قبح مآلهم بتلاشى أعمالهم فقال ملتفتا إلى أسلوب الخطاب لأنه أوقع فى باب العتاب و أقعد فى استجلاب المصالح للتاب : ﴿ كالذين ﴾ أى حاصل ما مضى من أمركم أيها المنافقون أنكم مثل الذين ؛ و لما كان فاعل ما[1] يذكر إنما هو بعض من مضى أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم ﴾ أى من الأمم الخالية ، ثم شرع فى شرح حالهم و ذكر وجه الشبه فقال : ﴿ كانوا اشد منكم قوة ﴾ لأن الزمان كان إذ ذاك أقرب إلى سن الشباب ﴿ و اكثر اموالا و اولادا[1] ﴾ و هذا[2] ناظر إلى قوله " فلا تعجبك اموالهم و لا اولادهم " ﴿ فاستمتعوا ﴾ أى طلبوا المتاع و الانتفاع فى الدنيا بغاية الرغبة معرضين عن العقبى ﴿ بخلاقهم ﴾ أى نصيبهم الذى قدره الله و خلقه لهم ، و كان الأليق بهم[3] أن يتبلغوا به فى السفر الذى لا بد منه إلى الآخرة ﴿ فاستمتعتم بخلاقكم ﴾ أى كالمقتفين لآثارهم و القاصدين لنارهم ﴿ كما استمتع ﴾ و فى الإتيان بقوله - : ﴿ الذين ﴾ / و لما كانوا لم يستغرقوا الزمن الماضى ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلكم بخلاقهم ﴾ - ظاهرا غير مضمر تنبيه على ذمهم بقلة النظر لأنفسهم المستلزم لقلة عقولهم حيث كانوا دونهم فى القوة أبدانا و أموالا و أولادا و لم يكفوا عن الاستمتاع /٥١٩

(١) فى ظ : من (٢) فى ظ : هو (٣) سقط من ظ .

و الخوض

و الخوض خوفا مما محق أولئك الأحزاب على قوتهم من العذاب من غير أن ينفعهم سبب[1] من الأسباب ﴿ و خضتم ﴾ أى ذهبتم فى أقوالكم و أفعالكم خبطا[2] على غير سنن قويم ﴿ كالذى ﴾ أى كخوضهم الذى ﴿خاضوا[3] ﴾ و هو ناظر إلى قولهم[3] "انما كنا نخوض و نلعب"، قال أبو حيان: و هو مستعار من الخوض فى الماء و لا يستعمل إلا فى الباطل ٥ لأن التصرف فى الحق إنما هو على ترتيب و نظام، و أمور الباطل إنما هى خوض، و منه قوله «رب[4] متخوض فى مال[5] الله له النار يوم القيامة».

و لما آذن هذا النظم لهم بالخسارة[6]، حصل التشوف إلى عاقبة أمرهم فأخبر عن ذلك بقوله: ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء من الخير، و الظاهر أنه إشارة إلى الذين وصفهم بالشدة و كثرة الأموال و الأولاد ١٠ ﴿ حبطت ﴾ أى فسدت فبطلت ﴿ اعمالهم فى الدنيا ﴾ أى بزوالها عنهم و نسيان لذاتها ﴿ و الاخرة ﴾ أى و فى الدار الباقية لأنهم لم يسعوا لها سعيها؛ و زاد فى التنبيه على بعدهم مما قصدوا لأنفسهم من النفع فقال: ﴿ و اولئك هم ﴾ أى خاصة ﴿الخسرون ٥ ﴾ أى لا خاسر فى الحقيقة غيرهم لأنهم خسروا خلاقهم فى الدارين فخسروا أنفسهم فلا أخسر ممن ١٥ تشبه [بهم -[7]]، و لعل فى الالتفات[8] إلى مقام الخطاب أيضا إشارة إلى تحذير كل سامع من[9] مثل هذه الحال[10] لصحة أن يكون مرادا بهذا المقال،

---

(١) من ظ، و فى الأصل: بسبب (٢) فى ظ: خطبا (٣) فى ظ: قوله (٤) فى ظ: ربما - كذا، و راجع البحر المحيط ٥ / ٦٩ (٥) فى ظ: لمال (٦) فى ظ: الكسارة (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، و فى الأصل: التفات (٩) فى ظ: فى. (١٠) فى ظ: الحالة.

فان من أسرار القرآن فى إعجازه أن تكون عبارته متوجهة إلى شىء و إشارته شاملة لغيره من حيث اتصافه[1] بعلة ذلك الحال أو غير ذلك من الخلال ؛ قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى آخر عروة المفتاح فى بيان تناول كلية القرآن لكلية الآية و لكل قارئ يقرأه من أهل الفهم و الإيقان:

٥ اعلم أن الله سبحانه و تعالى أنزل القرآن نبأ عن[2] جميع الأكوان ، و أن جميع ما أنبأ عنه من أمر آدم إلى زمان محمد عليهما السلام من أمر النبوات و الرسالات و الخلافات و أصناف الملوك و الفراعنة و الطغاة و أصناف الجناة و جميع ما أصابهم من المثوبات و المثلات فى يوم آدم عليه السلام إلى زمان محمد صلى الله عليه و سلم الذى هو ستة آلاف سنة

١٠ و نحوها كل ذلك يتكرر[3] بجملته فى يوم محمد صلى الله عليه و سلم الذى هو ألف سنة أو نحوها أعدادا بأعداد و أحوالا بأحوال فى خير أو شرف ، لكل من الماضين مثل يتكرر[3] فى هذه الأمة الخاتمة [كما قال صلى الله عليه و سلم - [4]] « لكل نبى قبلى فى أمتى نظير » ثم ذكر صلى الله عليه و سلم نظراء « مثل إبراهيم كأبى بكر ، و مثل موسى كعمر ، و مثل هارون

١٥ كعثمان ، و مثل نوح كعلى ، و مثل عيسى كأبى ذر » و قال صلى الله عليه و سلم « إنى لأعرف النظراء من أمتى بأسمائهم و أسماء آبائهم و عشائرهم كافرهم و مؤمنهم ممن كان و ممن هو كائن و ممن سيكون بعد ، و لو شئت أن أسميهم لفعلت » فما[5] صد أكثر هذه الأمة عن فهم القرآن ظنهم أن الذى فيه من قصص الأولين و أخبار المثابين و المعاقبين من أهل

---

(١) فى ظ : ايصافه (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : متكرر (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فما .

الأديان أجمعين أن ذلك إنما مقصوده [الأخبار و القصص فقط ، كلا و ليس كذلك ا إنما مقصوده - ١] الاعتبار و التنبيه لمشاهدة متكررة في هذه الأمة٢ من نظائر٣ جميع أولئك الأعداد و تلك الأحوال و الآثار حتى يسمع السامع جميع القرآن من أوله إلى خاتمته منطبقا على هذه الأمة٢ و أئمتها هداتها و ضلالها ، فحينئذ ينفتح له باب الفهم و يضيء له ٥ نور العلم و يتجه له حال الخشية و يرى في أصناف هذه الأمة ما سمع من / أحوال القرون الماضية و إنه كما قيل في المثل السائر : ٥٢٠ /

إياك أعني و اسمعي ياجارة٤

ثم إذا شهد انطباق القران على كلية الأمة٢ فكان بذلك عالما ينفتح له باب ترق ، فيترقى سمعه إلى أن يجد جميع كلية القرآن المنطبق ١٠ على كلية الأمة٢ منطبقا على ذاته في أحوال نفسه٥ و تقلباته٦ و تصرفات أفعاله و ازدحام خواطره حتى يسمع القرآن منطبقا عليه فينتفع بسماع جميعه و يعتبر بأيّ آية سمعها منه فيطلب٧ موقعها في نفسه فيجدها بوجه ما رغبة كانت أو رهبة تقريبا كانت أو تبعيدا إلى أرفع الغايات أو إلى أنزل الدركات ، فيكون بذلك عارفا ، هذا مقصود٨ التنبيه ١٥ في هذا الفصل جملة ، و لنتخذ لذلك مثالا يرشد٩ لتفهم ذلك الانطباق على كلية الأمة٢ علما و على خصوص ذات القارئ السامع

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و في الأصل : الاية - كذا (٣) في ظ : نظير .
(٤) و هذا المثل يضرب لمن يتكلم بكلام و يريد به شيئا غيره - راجع مجمع الأمثال الميداني (٥) من ظ ، و موضعه في الأصل بياض (٦) في ظ : تطبقاته (٧) في ظ : فيتطلب (٨) من ظ ، و في الأصل : مقصوده (٩) في ظ : لا نرشد .

عرفانا ، فاعلم أن أصول الأديان المزدوجة التى لم تترق إلى ثبات حقائق المؤمنين فمن فوقهم من المحسنين و الموقنين التى جملتها تحت حياطة الملك و الجزاء و المداينة ، الذين تروعهم رائعة الموت أولا ثم رائعة القيامة ثانيا إلى ما يشتمل عليه يوم الدين من أهوال المواقف الخمسين التى كل ٥ موقف منها ألف من السنين فى يوم كان مقداره خمسين[1] ألف سنة ، فعدد هذه الأديان سبعة ، ما من دين منها إلا و يوجد[2] فى صنف من أصناف هذه الأمة ، و تجده المعتبر فى نفسه فى وقت ما بقلة أو كثرة بدوام أو خطرة بضعف أو شدة على إثر دين غالب أو عن لمح عين زائل ، و هذه الأديان السبعة هى دين ' الذين آمنوا ' من هذه الأمة ١٠ و لم يتحققوا[3] لحقيقة الإيمان فيكونوا[4] من ' المؤمنين ' الذين صار الإيمان وصفا ثابتا فى قلوبهم ، الموحدين المتبرئين من الحول و القوة ، المتحققين لمعناه ، إقدارا لله عليهم بما شاء لا بما يشاؤن " الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم و اذا تليت عليهم آيته زادتهم ايمانا و على ربهم يتوكلون - اولئك هم المؤمنون حقا[5] "، و أما الذين آمنوا فهم الذين لا يثبتون على حال ١٥ إيمانهم و لكن تارة و تارة ، و لذلك هم المنادون و المنهيون و المأمورون فى جميع القرآن الذين يتكرر عليهم النداء فى السورة الواحدة مرات[6] عديدة من نحو ما بين قوله تعالى " يايها الذين آمنوا اتقوا الله و كونوا مع الصدقين[7] - [8] إلى قوله تعالى[8] : يايها الذين آمنوا من يرتد منكم

(١) من ظ ، و فى الأصل : خمس (٢) فى ظ : يوخذ (٣) فى ظ : لم تتحققوا . (٤) فى ظ : تكونون (٥) سورة ٨ آية ٢ و ٤ (٦) من ظ ، و فى الأصل : مرار (٧) سورة ٩ آية ١١٩ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

عن

عن دينه[1]" إلى ما بين ذلك من نحو قوله تعالى "ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا[2]" فهؤلاء هم أهل دين ثابت ينتظمون به مع من ليس له ثبات من ماضى الأديان المنتظمين مع من له أصل فى الصحة من الأديان الثلاثة[3] فى نحو قوله تعالى "ان الذين آمنوا و الذين هادوا و النصرى و الصبئين من آمن بالله و اليوم الآخر[4]" المنتظمين أيضا مع المغيرين لأديانهم ٥ و المفترين لدين لم ينزل الله به من سلطان فى نحو قوله تعالى "ان الذين آمنوا و الذين هادوا و الصبئين و النصرى و المجوس و الذين اشركوا[5]" فهذا هو الدين الأول ؛ و أما الدين الثانى فهو دين الذين هادوا و[3] الذين منهم الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها و الذين ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى و يقولون: سيغفر لنا، و إن يأتهم عرض مثله ١٠ يأخذوه و الذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون: هذا من عند الله، و الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، و الذين يأكلون الربا و قد نهوا عنه، و الذين اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله و المسيح ابن مريم ؛ و أما الدين الثالث / فدين الذين قالوا : إنا نصارى، ٥٢١ / الذين منهم الذين ضلوا عن سواء السبيل الذين غلوا فى دينهم و قالوا على ١٥ الله غير الحق و اتخذوا رهبانهم أربابا من دون الله[3] و المسيح ابن مريم ؛ و أما الدين الرابع فدين الصابئة الذين منهم متألهو النجوم عباد الشمس و القمر و الكواكب و مغيروهم، هم بالترتيب أول من عبد محسوسا

(١) سورة ٥ آية ٥٤ (٢) سورة ٤ آية ١٣٧ (٣) سقط من ظ (٤) سورة ٢ آية ٦٢ (٥) سورة ٢٢ آية ١٧ .

سماويا ؛ و أما الدين الخامس فدين المجوس الثنوية الذين جعلوا إلهين اثنين : نورا و ظلمة ، و عبدوا محسوسا آفاقيا ؛ و أما الدين السادس فدين الذين أشركوا و هم الذين عبدوا محسوسا[1] أرضيا غير مصور ، وهم الوثنية أو مصورا و هم الصنمية ـ فهذه الأديان الستة الموفية[2] لعد الست لما جاء فيه ؛ و أما الدين السابع فاعلم أن الله سبحانه جعل السابع أبدا جامعا لستة خيرا كانت أو شرا ، فالدين السابع هو دين المنافقين الذين ظاهرهم مع الذين آمنوا و باطنهم مع أحد سائر الأديان الخمسة المذكورة إلى أدنى دين مشركها[3] الذين إذا لقوا الذين آمنوا قالوا : آمنا و اذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : إنا معكم ـ فهذه الأديان السبعة متكررة بكليتها فى هذه الأمة بنحو ما[4] وقع قبل فى الأمم الماضية ، و هو مضمون الحديث الجامع لذكر ذلك فى قوله صلى الله عليه و سلم « لتأخذن كما أخذت الأمم من قبلكم ذراعا بذراع و شبرا بشبر و باعا بباع حتى لو أن أحدا من أولئك دخل فى جحر ضب[5] لدخلتموه ، قالوا : يا رسول الله ! كما صنعت فارس و الروم؟ قال : فهل الناس إلا هم » و ما بينه النبي صلى الله عليه و سلم فى هذا الحديث هو من مضمون قوله تعالى " كالذين من قبلكم كانوا اشد منكم قوة و اكثر اموالا و اولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم و خضتم كالذى خاضوا "، و أهل هذه الأديان السبعة هم ـ أو منهم ـ عمرة دركات جهنم السبع على ترتيبهم ، و الناجون

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : المتوفية (٣) فى ظ : شركها .
(٤) فى ظ : ما (٥) من ظ و مسند الإمام أحمد ٢/٣٢٧ ، وفى الأصل : الضب .

بالكلية الفائزون هم المؤمنون فمن فوقهم من المحسنين و الموقنين ، و مزيد تفصيل فى ذلك و تثنية قول بما ينبه[1] عليه بحول الله تعالى من جهات تتبع[2] طوائف من هذه الأمة [3]سنن من تقدمهم فى ذلك . أما وجه تكرار دين الذين أشركوا فى هذه الأمة[3] فباتخاذهم أصناما و آلهة يعبدونها من دون الله محسوسة جمادية كما اتخذ المشركون الأصنام و الأوثان من الحجارة و الخشب . و اتخذت هذه الأمة بوجه ألطف[4] و أخفى أصناما و أوثانا . فانها اتخذت[5] الدينار و الدرهم أصناما و السبائك و النقر أوثانا من حيث أن الصنم هو ما له صورة و الوثن ما ليس له صورة ؛ قال صلى الله عليه و سلم : صنم أمتى الدينار و الدرهم ، و قال صلى الله عليه و سلم : لكل أمة عجل و عجل أمتى الدينار و الدرهم . فلا فرق بين ظن المشرك أن الصنم الذى صنعه بيده ينفعه و ظن المفتونين من هذه الأمة أن ما اكتسبوا من الدينار و الدرهم[6] ينفعهم حتى يشير مثلهم : ما ينفعك[7] إلا درهمك " يحلفون بالله ما قالوا و لقد قالوا كلمة الكفر و كفروا بعد اسلامهم[8] " فما من آية نزلت فى المشركين فى ذكر أحوالهم و تبيين ضلالهم و تفاصيل سرهم[9] و إعلانهم إلا و هى منطبقة على كل مفتون بدينار و درهمه ، فموقع قول المشركين فى أصنامهم " ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى[10] " مثله موقع نظيره من قول المفتون : ما أحب المال إلا لأعمل

(١) فى ظ : بينه (٢) من ظ ، و فى الأصل : يتبع (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : اللطف (٥) فى ظ : اتخذ (٦) فى ظ : الدراهم (٧) فى ظ : ما ينفك. (٨) سورة ٩ آية ٧٤ (٩) سقط من ظ (١٠) سورة ٣٩ آية ٣ .

الخير و أستعين به على وجوه البر ، و لو أراد البر لكان ترك التكسب
و التمول له[1] أبر ؛ قال صلى الله عليه و سلم : إنما أهلك من كان / قبلكم ٥٢٢/
الدينار و الدرهم و هما مهلكاكم . فكل من أحبهما و أعجب بجمعهما فهو
مشرك هذه الأمة وهما لاته و عزاه اللتان تبطلان عليه قول لا إله إلا الله
٥ لأنه تأله ماله[2] ؛ قال صلى الله عليه و سلم « لا إله إلا الله نجاة لعباد الله
من عذاب الله ما لم يؤثروا صفقة دنياهم[3] على دينهم » فمن وجد من هذا
مسة[4] فليسمع جميع ما أنزل فى المشركين من القرآن منطبقا عليه[5]
و منزلا إليه و حافا به حتى يخلصه[6] الله من خاص شركه كما خلص من
أخرجه من الظلمات إلى النور من الأولين ، فتخلص[7] هذا المشرك بما
١٠ له من ظلمته التى غشيت ضعيف إيمانه إلى صفاء نور الإيمان فى مضمون
قوله تعالى "ليخرج الذين امنوا و عملوا الصلحت من الظلمت الى النور[8]"
فهذا وجه تفصيل يبين[9] نحوا من تكرر دين الشرك فى هذه الأمة ، و أما
وجه وقوع المجوسية و نظيرها فى هذه الأمة[10] فاطباق الناس على رؤية
الأفعال من أنفسهم خيرها و شرها و إسنادهم أفعال الله إلى خلقه حيث
١٥ استحكمت عقائدهم على أن فلانا فاعل خير و فلانا فاعل شر و فلانا يعطى
و فلانا يمنع و فلانا خير منى و فلانا أعطانى ، حتى ملأوا الدواوين من
الأشعار و الخطب و الرسائل أمداحا لخلق الله على ما لم يفعلوا و ذما لهم

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : باله (٣) فى ظ : دينارهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : شبهة (٥) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٦) فى ظ : يخصه .
(٧) فى ظ : فيخلص (٨) سورة ٦٥ آية ١١ (٩) من ظ ، و فى الأصل بياض .
(١٠) من ظ ، و فى الأصل : الاية .

على

على ما لم يمنعوا يحمدون الخلق على رزق الله و يذمونهم على ما لم يؤته الله و يلحدون فى أسمائه حتى يكتب بعضهم لبعض « سيدى و سندى و أسنى[1] عُددى عبدك و مملوكك » يبطلون بذلك أخوة الإيمان و يكفرون تسوية خلق الرحمن و يدعون لأنفسهم أفعال الله فيقولون : فعلنا و صنعنا و أحسنا و عاقبنا - كلمة نمرودية ، [آتاهم ما لم يشعروا باختصاص الله فيه بأمره ٥ كالذى حاج إبراهيم فى ربه -[2]] أن آتاه الله الملك حين قال : أنا أحيي و أميت ، و هذه هى المجوسية الصرف و القدرية المحضة التى لا يصح دين الإسلام معها ، لأن المسلم من أسلم الخلق و الأمر لربه "اسلمت وجهى لله و من اتبعن[3] " ، " الا له الخلق و الامر[4] " و ما سوى ذلك قدرية [و -[2]] هى مجوسية هذه الأمة حيث جعلوا للعبد شركة فى فعل الرب ١٠ و جعلوا له معه تعالى قدرة و قوة و مشية و اختيارا و تدبيرا و لم يعلموا أن التقدير[5] منع التدبير ، و أنه تعالى هو يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ؛ قال صلى الله عليه و سلم « القدرية مجوس هذه الأمة » ، فكل ما أنزل الله عز و جل فى القرآن الجامع لذكر جميع الملل و الأديان مما عزاه لمن وزع الأفعال بين الحق و الخلق من كلام ذى فرعنة أو نمرودية أو ذى ١٥ سلطان فللمعتقد المدح و الذم حظ منه على حسب توغلهم و استغراقهم فى الذين زعموا أنهم فيهم شركاء فخافوهم و رجوهم ، فكل[6] خائف من الخلق أو راج منهم[7] من عداد الذين آمنوا و الذين أسلموا فى هذه الأمة

(١) فى ظ : اسندى (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٣ آية ٢٠ (٤) سورة ٧ آية ٥٤.
(٥) من ظ ، و فى الأصل : المقدور (٦) فى ظ : ذلك (٧) فى ظ : فهم .

فهم من مجوس هذه الأمة ؛ فليسمع السامع ما يقرأه من ذلك حجة عليه ليسأل الله تعالى التخلص منها، وليعلم أن ذلك لم يزل حجة عليه وإن كان لم يشعر به قبل فهذا وجه من وقوع المجوسية في هذه الأمة، [وأما وجه وقوع الصابئة ونظيرها في هذه الأمة - ٢] فما غلب على أكثرهم وخصوصا ملوكها وسلاطينها وذوو الرئاسة منها من النظر في النجوم والعمل [بحسب - ٣] ما تظهره هيئتها عندهم من سعد ونحس والاستمطار بالنجوم والاعتماد على الأنواء، وإقبال القلب على الآثار الفلكية قضاء بها وحكما بحسب ما جرى عليه الخليون - الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون - من العناية بها ؛ قال صلى الله عليه وسلم : أربعة من أمتي هن بهم كفر وليسوا بتاركيهن - فذكر منها الاستمطار بالنجوم، / فالمتعلق خوفهم ورجاؤهم بالآثار الفلكية هم صابئة هذه الأمة، كما أن المتعلق خوفهم ورجاؤهم بأنفسهم وغيرهم من الخلق هم مجوس هذه الأمة ؛ وكما أن المتعلق تشوفهم ورجاؤهم بدرهمهم ودينارهم هم مشركو هذه الأمة وما انطوى [عليه - ٢] سر كل طائفة منهم مما تعلق به خوفهم ورجاؤهم فهو ربهم ومعبودهم الذي إليه تصرف جميع أعمالهم، واسم كل امرئ مكتوب على وجه ما اطمأن به قلبه، فكل ما أنزل في القرآن من تزييف آراء الصابئة فهو حجة عليه

/ ٥٢٣

(١) من ظ، وفي الأصل : مثل (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل : الراى (٤) في ظ : هي (٥) زيدت الواو بعده في ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.

حيث يقرأه أو يسمعه من حيث لا يشعر حتى يقرأ قوم القرآن و هو نذير لهم بين يدى عذاب شديد و هم لا يشعرون و يحسبون أنهم يرحمون[1] به و هم الأخسرون "و لا يزيد الظلمين الا خسارا[2]" فما يختص بهذه الطائفة المتصبة ما هو نحو قوله تعالى "و كذلك نرى ابرٰهيم ملكوت السمٰوٰت و الارض و ليكون من الموقنين[3]" - الآيات فى ذكر الكوكب ٥ و القمر و الشمس إلى آيات ذكر التسخير لهن نحو قوله تعالى "و هو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا بها فى ظلمت البر و البحر و الشمس و القمر و النجوم مسخرٰت بامره و سخر لكم الشمس و القمر دائبين[4]"، "هو الذى جعل الشمس ضياء[5] و القمر نورا و قدره منازل لتعلموا[6] عدد السنين و الحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق" "و انه هو رب الشعرٰى[7]" ١٠ كل ذلك ليصرف تعالى خوف الخلق و رجاءهم عن الأفلاك و النجوم المسخرة إلى المسخر القاهر فوق عباده الذى استوى على جميعها، فهذا وجه من وقوع الصابئة فى الذين آمنوا و الذين أسلموا فى هذه الأمة، و أما وجه وقوع ما غلب على هذه الأمة وكثر فيها و فشا فى أعمالها و أحوالها من تمادى طوائف منهم على نظير ما كان عليه اليهود و النصارى ١٥ فى اختلافهم و غلبة أحوالهم - ملوكهم و سلاطينهم - على أحوال أنبيائهم و علمائهم و أوليائهم فهو الذى حذرته هذه الأمة و أشعر أولو الفهم

(١) من ظ، و فى الأصل: ترحمون (٢) سورة ١٧ آية ٨٢ (٣) سورة ٦ آية ٧٥.
(٤) سورة ١٤ آية ٣٣ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: ليعلموا، و راجع سورة ١٠ آية ٥ (٧) سورة ٥٣ آية ٤٩.

بوقوعه فيهم بنحو ما فى مضمون قوله تعالى "ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينت[1]" وما أنبأ به صلى الله عليه وسلم «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لاتبعتموهم» وفى بعض طرقه «حتى لو كان فيهم من أتى أمه جهارا لكان فيكم ذلك، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن! وإنما قوى وكثر فى هذه الأمة حال هاتين الملتين لما آتاهما الله من الكتاب والعلم والحكمة فاختلفوا فيها بالأغراض والأهواء وإيثار عرض الدنيا، وسامحوا الملوك والولاة وحللوا لهم ما حرم الله وحرموا[2] لهم ما حلل الله، وتوصلوا بهم إلى أغراضهم فى الاعتداء على من حسدوه من أهل الصدق والتقوم، وكثر البغى بينهم فاستقر حالهم على مثل حالهم، وسلطت عليهم عقوبات مثل عقوباتهم، وتمادى ذلك فيهم منذ تبدلت الخلافة ملكا إلى أن تضع الحرب أوزارها وتصير الملل كلها ملة واحدة ويرجع الافتراق إلى ألفة التوحيد، فكل من اقتطع واقتصر من هذه الشريعة المحمدية الجامعة للظاهر والباطن حظا مختصا من ظاهر أو باطن ولم يجمع بينهما فى علمه وحاله وعرفانه فهو بما لزم الظاهر الشرعى دون حقيقة باطنة من يهود هذه الأمة كالمقيمين لظواهر الأحوال الظاهرة التى بها تستمر الدنيا على حسب ما يرضى ملوك الوقت وسلاطينهم، المضيعين لأعمال / السرائر[3]، المنكرين لأحوال أهل الحقائق الشاهد عليهم تعلق خوفهم ورجائهم بأهل الدنيا، المؤثرين لعرض هذا الأدنى، فبهذا ظهرت أحوال اليهود فى هذه الأمة، مر

/٥٢٤

(١) سورة ٣ آية ١٠٥ (٢) فى ظ: حللوا (٣) من ظ، وفى الأصل: البرابر.

الأعراب مع النبي صلى الله عليه و سلم بسدرة خضراء[1] نضرة ، وكان لأهل الجاهلية سدرة يعظمونها و يجتمعون عندها و ينيطون بها[2] أسلحتهم و يسمونها ذات أنواط فقالوا[3] : يا رسول الله ! اجعل لنا هذه السدرة ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ! فقال صلى الله عليه و سلم : قلتموها و رب الكعبة كما قالت بنو إسرائيل : اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ! إنها السنن[4] . فحيث ظهرت أحداث اليهود من البغي و الحسد و تعظيم ما ظهر تعظيمه من حيث الدنيا و استحقار ضعفاء المؤمنين فهنالك أعلام اليهودية ظاهرة ، وكذلك[5] أيضا من اقتصر من هذه الشريعة الجامعة المحمدية على باطن من إصلاح حال أو قلب مع[6] تضييع ظاهر الأمر و مجامع الخير و تعاضد الإسلام و اكتفى بما استبطن و تهاون بما استظهر فهو من نصارى هذه الأمة ، ليس بصاحب فرقان فكيف أن يكون صاحب قرآن ، و ذلك أن هذا الدين الجامع إنما يقوم بمعالم إسلام[7] ظاهرة و شعار[7] إيمان فى القلوب و أحوال نفس باطنة و حقائق إحسان شهودية ، لا يشهد المحسن مع الله سواه و لا يؤمن المؤمن مع الله بغيره ، و لا يخضع المسلم إلى شيء من دونه ، فبذلك يتم ، و قد التزم بمعالم الإسلام طوائف يسمون المتفقهة ، و التزم بشعائر الإيمان طوائف يسمون الأصوليين و المتكلمين ، و ترامى إلى الإحسان طوائف يسمون المتصوفة ، فمتى كان المتفقهة[8] منكرا لصدق

(١) فى ظ : خضرة (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : قالوا (٤) و راجع أيضا مسند الإمام أحمد ٢١٨/٥ حيث سيقت هذه الرواية عن أبى واقد الليثى (٥) فى ظ : لذلك .
(٦) فى ظ : من (٧ - ٧) فى ظ : ظاهر و ساير (٨) فى الأصل : المنفعة ، و فى ظ : المنفقة - كذا .

أحوال الصوفية لما لعله يراه من خلل فى أحوال المتصوفة فقد تسنن[1] بسنن اليهودية ، و متى كان المتصوف غير مجل للفقهاء لما لعله يراه من خلل فى أحوال المتفقهة فقد تسنن بسنن النصارى ، وكذلك[2] حال المتكلم بين الفرقتين لأيهما[3] مال ، و إنما أئمة الدين الذين[4] جمع الله لهم إقامة معالم الإسلام و إيمان أهل الإيمان و شهود أهل الإحسان[4]، تلين جلودهم و قلوبهم الى ذكر الله فتأتم بهم الصوفية ، و تظهر أنوار قلوبهم على ظلم المتشابهات فيأتم بهم أهل الإيمان ، و تبدو فى أعمالهم معالم الإسلام تامة فيأتم بهم أهل الإسلام[4] "عباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا و اذا خاطبهم الجهلون قالوا سلاما[5]" ، « أفضل الناس مؤمن فى خلق حسن و شر الناس كافر فى خلق سيئ » فأولو الفرقان جامعون و مستبصرون فمن اقتصر على ظاهر و أنكر باطنا لزمته مذام اليهود فيما أنزل من القرآن فيهم بحسب توغله و اقتصاره ، و من اقتصر على باطن دون ظاهر لزمته مذام النصارى فيما أنزل من القرآن فيهم ؛ يذكر أن رجلا من صلحاء المسلمين دخل كنيسة فقال لراهب فيها : دلنى على موضع طاهر أصلى فيه ، فقال الراهب : طهر قلبك[6] مما سواه و قم حيث شئت . قال ذلك الصالح المسلم : فخجلت منه ، فاعلم أن كل واحد من هذين الحالين ليس حال صاحب فرقان ولا حال صاحب قرآن[4] لأن صاحب القرآن[4] لا يخجل لهذا القول لأنه حاله ، و قلبه مطهر مما سوى الله .

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لذلك (٣) من ظ ، و فى الأصل : لأنهما .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سورة ٢٥ آية ٦٣ (٦) فى ظ : قلب .

ومع ذلك لا بد أن يتطهر ظاهره، لأن الله سبحانه كما أنه الباطن فيحب صفاء البواطن فإنه الظاهر يحب صلاح الظواهر، فصاحب القرآن إذا دعى إلى صفاء باطن أجاب ولم يتلعثم[1] وإذا دعى إلى صلاح ظاهر أجاب / ولم يتلكأ[2] لقيامه بالفرقان وحق القرآن، يذكر / ٥٢٥
أن مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد العصر وهو ممن لا يرى الركوع ٥
بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي: يا شيخ! قم فاركع، فقام وركع ولم يخالفه بما يراه مذهبا. فقيل له في ذلك فقال: خشيت أن أكون من «الذين إذا قيل لهم اركعوا لا يركعون[3]» ووقف النبي صلى الله عليه وسلم على سقاية زمزم وقد صنع العباس رضي الله عنه أحواضا من شراب فضيخ التمر والمسلمون يردون[4] عليه وقد خاضوا فيه بأيديهم، فأهوى ١٠
النبي صلى الله عليه وسلم يشرب من شرابهم، فقال له العباس رضي الله عنه: يا رسول الله! ألا نسقيك من شراب لنا في أسقية؟ فقال صلى الله عليه وسلم: أشرب من هذه ألتمس بركة أيدي المسلمين، فشرب منه صلى الله عليه وسلم. فصاحب القرآن[5] يعبد الله تبارك وتعالى بقلبه وجسمه لا يقتصر على ظاهر دون باطن ولا على باطن دون ظاهر، ولا على أول ١٥
دون آخر ولا على آخر دون أول؛ قال صلى الله عليه وسلم «أمتي كالمطر لا يدرى أوله خير أم آخره» فمن حق القارئ أن يعتبر القرآن نفسه ويلحظ[6] مواضع مذامة[7] للفرق ويزن به أحوال نفسه من هذه الأديان

(١) في ظ: لم يتعلثم (٢) في ظ: لم يتكلا (٣) سورة ٧٧ آية ٤٨ (٤) من ظ، وفي الأصل: يرون (٥) سقط من ظ (٦) في ظ: يلحق (٧) من ظ، وفي الأصل: مدامة.

الستة فى هذه الأمة، و أما وجه وقوع النفاق و أحوال المنافقين فهى داهية القراء و آفة الخليفة؛ قال صلى الله عليه و سلم «أكثر منافقى أمتى قراؤها» و قال بعض كبار التابعين: أدركت سبعين ممن رأى النبى صلى الله عليه و سلم كلهم يخاف النفاق على نفسه. و أصل مداخله على الخلق من
٥ إيثار حرمة الخلق على حرمة الحق جهلا بالله عز و جل و اغترارا بالناس، فيلزم[1] لذلك محاسنة[2] أولى البر و الصدق ظاهرا و تكرههم بقلبه باطنا، و يتبع[3] ذلك من الذبذبة بين الحالين ما وصف الله تعالى من أحوالهم و ما بينه[4] النبى صلى الله عليه و سلم من علاماتهم حتى قال صلى الله عليه و سلم «بيننا و بين المنافقين شهود العتمة و الصبح لا يستطيعونهما» و كما
١٠ قال تبارك و تعالى "لا يأتون الصلوٰة الا و هم كسالى و لا ينفقون الا و هم كٰرهون[5]" ينظر المنافق إلى ما يستسقط به فضائل أهل الفضل و يتعامى عن محاسنهم، كما روى أن الله يبغض التارك لحسنة المؤمن الآخذ لسيئته، و المؤمن الصادق يتغافل عن مساوئ أهل المساوئ فكيف بمعايب أهل المحاسن! و من أظهر علامات المنافق تبرمه بأعمال الصادق كما ذكر، ما كان
١٥ مؤمن فيما مضى و لا مؤمن فيما بقى إلا و إلى جنبه منافق يكره عمله، و عن ذلك المنافق غماز لماز بخيل جبان مرتاع، مستثقل فى مجامع الخير أجنبى منها، مستخف فى مواطن الشر متقدم فيها[6]، طلق اللسان بالغيبة و البهتان، ثقيل اللسان عن مداومة ذكر الله تبارك و تعالى، عم عن [ذكر-[7]]

(١) فى ظ: يلتزم (٢) فى ظ: محاسنه (٣) فى ظ: نتبع (٤) من ظ، و فى الأصل: نبه (٥) سورة ٩ آية ٥٤ (٦) فى ظ: فيما (٧) زيد من ظ.

الله عز و جل فى كل حال، ناظر إلى الناس بكل وجه، و هو مع ذلك يصانعهم و لا يصادقهم، يأخذ من الدين ما ينفع فى الدنيا [و لا يأخذ ما ينفع فى العقبى، و يجتنب فى الدين ما يضر فى الدنيا - [1]] و لا يجتنب[2] ما يضر فى العقبى مما لا يضر فى الدنيا، فهذا وجه من وقوع شياع النفاق فى هذه الأمة، فلذلك من حق القارئ أن يستشعر مواقع آى القرآن من ٥ نفسه فى ذات قلبه و فى أحوال نفسه و أعمال بدنه و فى سره مع ربه و فى علانيته مع خلقه، فانه بذلك يجد القرآن كله منطبقا عليه خاصا به حتى كأن جميعه لم ينزل إلا إليه حتى إذا رغب فى أمر رغب هو فيه من وجه و لا يقول: هذا إنما أنزل فى كذا، و إذا رهب القرآن من أمر رهبه من وجه ما، و إذا أعلى فكذلك و إذا أسفل فكذلك، و لا يقول: هذا ١٠ إنما أنزل [3]فى كذا[3] حتى يجد / لكل القرآن موقعا فى عمله أىّ عمل كان ٥٢٦/ و محلا فى نفسه أىّ حال كان و مشعرا لقلبه أىّ ملحظ كان، فيستمع[4] القرآن بلاغا من الله سبحانه و تعالى إليه بلا واسطة بينه و بينه، فعند ذلك يوشك أن يكون ممن يقشعر له جلده ابتداء ثم تلين له جلده [3]و قلبه[3] انتهاء، و ربما يجد من الله سبحانه و تعالى نفح رحمة يفتح له بابا إلى ١٥ التخلق بالقرآن أسوة بالنبى صلى الله عليه و سلم، سئلت عائشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت: كان خلقه القرآن، و بذلك هو ذو الخلق العظيم - و الله واسع عليم - انتهى.

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: يجتنب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ: فيسمع.

و لما قرر سبحانه بهذه الآية تشابههم فى التمتع بالعاجل ، و ختمها بهذا الختام المؤذن بالانتقام ، اتبع ذلك بتخويفهم من مشابهتهم فيما[1] خل بطوائف منهم ملتفتا إلى مقام الغيبة لأنه أوقع فى الهيبة ، فقال مقررا لخسارتهم : ﴿ ألم يأتهم ﴾ أى هؤلاء الأخابث من أهل النفاق ﴿ نبأ الذين
٥ من قبلهم ﴾ أى خبرهم العظيم الذى هو[2] جدير بالبحث عنه ليعمل[3] بما يقتضيه حين عصوا رسلنا ؛ ثم أبدل من ذلك قوله : ﴿ قوم نوح ﴾ أى فى طول أعمارهم و امتداد آثارهم و طيب قرارهم بحسن التمتع فى أرضهم و ديارهم ، أهلكهم بالطوفان ، لم يبق من عصاتهم إنسان ؛ [و عطف على قوم القبيلة فقال[4]] : ﴿ و عاد ﴾ أى فى قوة أبدانهم و عظيم شأنهم و مضائهم
١٠ و بنيانهم و تجبرهم فى عظيم سلطانهم ، أهلكهم بالريح الصرصر ؛ لم يبق ممن كفر منهم بشر ﴿ و ثمود ﴾ أى فى تمكنهم من بلاد الحجر عرضها و طولها ، جبالها و سهولها ، أهلكوا بالرجفة[5] لم يبق من الكفار منهم ديار ﴿ و قوم ابراهيم ﴾ أى فى ملك جميع الأرض بطولها و العرض ، سلب الله منهم الملك بعد شديد الهلك ﴿ و أصحب مدين ﴾ أى فى جمع[6] الأموال
١٥ و مد الآمال إلى أخذها من حرام و حلال و نقص[7] الميزان و المكيال[7] فعمهم الله بالنكال[8] ﴿ و المؤتفكت ﴾ أى فى إعراضهم عن صيانة أعراضهم فى اتباع لذائذ أعراضهم ؛ فأثمر لهم فعلهم بعد الخسف عموم انقراضهم .

---

(١) فى ظ : فلما (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : ليعلم (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : بالرجفت (٦) من ظ ، و فى الأصل : جميع (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : المكيال و الميزان (٨) زيد فى ظ : و لما حصل لمدائن قوم .

و لما كان كأنه قيل : ما نبأهم؟ قال : ﴿ اتتهم رسلهم ﴾ أى أتى كل أمة منهم رسولها ﴿ بالبينت ﴾ أى بالمعجزات الواضحات جدا بسبب أنهم ارتكبوا من القبائح ما أوجب دمارهم ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه ما ﴿ كان الله ﴾ أى مع ما له من صفات الكمال مريدا ﴿ ليظلمهم ﴾ أى لأن يفعل بهم فى الإهلاك قبل الإنذار و إنارة البينات ٥ فعل [1]من تعدونه[1] فيما بينكم ظالما، و لكنه أرسل إليهم الرسل فكذبوا ما أتوهم به من البينات ، فصار العالم بحالهم إذا سمع بهلاكهم و بزوالهم[2] يقول: ما ظلمهم الله ﴿ و لكن كانوا ﴾ أى دائما فى طول أعمارهم ﴿ انفسهم ﴾ أى لا غيرها ﴿ يظلمون ﴾ أى بفعل ما يسبب هلاكها، فان لم ترجعوا أنتم فنحن نحذركم مثل عذابهم ، و لعله خص هؤلاء بالذكر ١٠ من بين بقية[3] الأمم لما عند العرب من أخبارهم و قرب ديارهم من ديارهم مع أنهم كانوا أكثر الأمم عددا ، و أنبياؤهم[4] أعظم الأنبياء - نبه على ذلك أبو حيان . و لعله قدم أصحاب مدين على قوم لوط و هم بعدهم فى الزمان لأن هذا فى شأن من وصفوا بأنهم لم يجدوا ما يحميهم مما هم فيه من العذاب بمشاهدة النبى صلى الله عليه و سلم من ملجأ أو مغارات أو مدخل ١٥ كما أن من قبل المؤتفكات جمعهم هذا الوصف ، فقوم نوح عليه السلام لم يمنعهم لما أتاهم الماء معقل منيع و لا جبل رفيع مع أنه يقال : إنهم هم الذين بنوا الأهرامات ، منها ما هو بالحجارة ليمنعهم من الحادث الذى

(١-١) من ظ، وفى الأصل : ما يعدونه (٢) فى ظ : زوالهم (٣) من ظ، و فى الأصل : بعيد - كذا (٤) من البحر المحيط ٥ / ٦٩ ، و فى الأصل : انبيائهم ، و فى ظ : ابناؤهم - كذا .

هددوا به إن كان ماء ، و منها ما هو بالطوب التى لتحميهم منه إن كان نارا ، و عاد[1] لما أتتهم الريح بادروا إلى البيوت فقلعت الأبواب و صرعتهم فى أجواف بيوتهم ، و لم يغنهم ما كانوا يبنون من المصانع المتقنة[2] و القصور المشيدة / و الحصون الممنعة ، [3]و حال ثمود معروف فى توسعهم /٥٢٧
٥ فى البيوت جبالا و سهولا فما منعتهم[3] من الصيحة التى أعقبت الرجفة ، وقوم إبراهيم عليه السلام بنوا الصرح ، ارتفاعه خمسة آلاف ذراع أو فرسخان ليتوصل به نمرود - [كما -[4]] زعم - إلى السماء فأتى الله بنيانهم من القواعد ، ألقت الريح رأسه فى البحر و خر[5] عليهم الباقى و هم تحته ، و أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ، و أصحاب مدين لما أتاهم العذاب فأخذتهم
١٠ الرجفة لم تغن عنهم مدينتهم ، و إن كانوا هم أصحاب الأيكة فانهم لما اشتد عليهم الحر يوم الظلة قصدوا المغارات فوجدوها أحر من وجه الأرض فخرجوا منها هاربين ، فجمعتهم الظلة بنسيم بارد خيلته إليهم و لبست به عليهم ، فلما اجتمعوا تحتها أحرقتهم نارها و بقى عليهم عارها ، و أما قوم[6] لوط فأتاهم الأمر بغتة ، لم يشعروا حتى قلبت مدائنهم بعد أن
١٥ رفعت إلى عنان السماء ، و اتبعت حجارة الكبريت تضطرم نارا ، و لعله خص قوم لوط بالذكر من بين من ليس له هذا الوصف لأن العرب كانوا يمرون على مواضع مدائنهم و يشاهدونها ، و عبر عنهم بالمؤتفكات لأن القصص للمنافقين الذين[7] مبنى أمرهم على الكذب و صرف الأمور

(١) فى ظ : عادا (٢) فى ظ : المتقفلة - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) زيد لاستقامة العبارة (٥) فى ظ : خرج (٦) فى ظ : بقوم (٧) فى ظ : الذى .

عن

عن ظواهرها [1]و تقليبها عن وجوهها[1] ، فالمعنى أن أولئك لما قلبوا فعل النكاح عن وجهه عوقبوا بقلب مدائنهم ، فهؤلاء جديرون بمثل هذه العقوبة لقلب القول عن وجهه ، و مادة ' إفك ' بكل ترتيب[2] تدور على القلب ، فاذا كافأت الرجل فكأنك قلبت فعله فرددته إليه و صرفته عنك ، و أكاف الدابة شبه بالإناء المقلوب ، و الكذب صرف الكلام عن وجهه ٥ فهو إفك لذلك - و الله أعلم .

و لما بين سبحانه أن المنافقين بعضهم من بعض و ما توعدهم به و ما[3] استتبعه من تهديدهم باهلاك من شابهوه ، و ختم بما سبب هلاكهم من إصرارهم و عدم اعتبارهم ، عطف ببيان حال المؤمنين ترغيبا فى التوبة طمعا فى مثل حالهم فقال : ﴿ و المؤمنون و المؤمنت ﴾ أى بما جاءهم عن ربهم ١٠ ﴿ بعضهم اولياء ﴾ و لم يقل : من[4] ، كما قال فى المنافقين : من ﴿ بعض[2] ﴾ دلالة على أن أحدا منهم لم يقلد أحدا فى أصل الإيمان و لا وافقه بحكم الهوى ، بل كلهم مصوبون[5] بالذات و بالقصد الأول إلى اتباع رسول الله صلى الله عليه و سلم بالدليل القطعى على حسب فهم كل أحد[6] منهم ، فذلك دليل على صحة إيمانهم و رسوخهم فى تسليمهم و إذعانهم ؛ ثم بين ولايتهم ١٥ بأنهم يد واحدة على من سواهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى و السهر فقال : ﴿ يامرون ﴾ أى كلهم على وجه التعاضد و التناصر ﴿ بالمعروف ﴾ و هو كل ما عرفه الشرع و أجازه ﴿ و ينهون ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تركيب (٣) من ظ ، و فى الأصل : لما (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مصونون (٦) فى ظ : واحد.

[أى - [1]] كذلك ﴿ عن المنكر ﴾ لا يحابون أحدا .

و لما ذكر الدليل القطعى على صحة الإيمان ، أتبعه أفضل العبادات فقال : ﴿ و يقيمون الصلوٰة ﴾ أى يوجدونها[2] على صفة تقتضى قيامها بجميع أركانها و شروطها و حدودها مراقبة لربهم و استعانة بذلك على ٥ جميع ما ينوبهم ﴿ و يؤتون الزكوٰة ﴾ أى مواساة منهم لفقرائهم صلة للخلائق بعد خدمة الخالق . و ذلك مواز لقوله فى المنافقين " و يقبضون ايديهم " و لما خص أمهات الدين ، عم بيانا لأنهم لا ينسون الله طرفة عين بل يذكرونه فى كل حال بقوله : ﴿ و يطيعون الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا ملك سواه ﴿ و رسوله [1] ﴾ إشارة إلى حسن سيرتهم ١٠ و جميل عشرتهم .

و لما ذكر مكارم أفعالهم ، أتبعه حسن مآلهم فقال : ﴿ اولٓئك ﴾ أى العظماء الشأن ﴿ سيرحمهم الله [1] ﴾ / أى المستجمع لصفات الكمال بوعد لا خلف فيه ، و هذا مع الجملة قبله مواز لقوله فى المنافقين " نسوا الله فنسيهم " و هو إشارة إلى أن الطريق وعر و الأمر شديد[3] عسر ، ١٥ فالسائر مضطر إلى الرحمة ، و هى المعاملة بعد الغفران بالإكرام ، لا قدرة له على قطع مفاوز الطريق إلا بها ، ولا وصول له أصلا من غير سببها .

٥٢٨ /

و لما بين أن حال المؤمنين مبنى على الموالاة [4] وكانت الموالاة[4] فقيرة إلى الإعانة قال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : توجدونها (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿ عزيز ﴾ أى غالب غير مغلوب بوجه ، فهو قادر على نصر من يوالى حزبه و أن ينيله من ثمرات الرحمة ما يريد من غير أن يقدر أحد على أن يحول بينه و بين شىء من ذلك ﴿ حكيم ﴾ أى فلا يقدر أحد على نقض ما يحكمه و حل ما يبرمه ، و فى ذلك إشارة إلى أن المؤمنين لا يزالون منصورين على كل مفسد ما داموا على هذه الخلال من الموالاة ٥ و ما معها من حميد الخصال .

و لما ختم الآية بوصف العزة و الحكمة المناسب لافتتاحها بالموالاة و تعقيبها بآية الجهاد ، و ذلك بعد الوعد بالرحمة إجمالا ، أتبعها بما هو أشد التئاما بها بيانا للرحمة و تفصيلا لها ترغيبا للمؤمنين بالإنعام عليهم بكل ما رامه[1] المنافقون بنفاقهم فى الحياة الدنيا ، و زادهم بأنه دائم ، ١٠ و أخبر بأن ذلك هو الفوز لا غيره فقال : ﴿ وعد الله ﴾ أى الصادق الوعد الذى له الكمال كله ﴿ المؤمنين و المؤمنت ﴾ أى الراسخين فى التصديق بكل ما أتاهم به الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿ جنت تجرى من تحتها الانهر ﴾ أى فهى لا تزال[2] خضرة ذات بهجة نضرة ؛ و لما كان النعيم لا يكمل إلا بالدوام ، قال : ﴿ خلدين فيها ﴾ و لما كانت الجنان لا تروق إلا بالمنازل ١٥ و الدور الفسيحة و المعازل قال : ﴿ و مسكن طيبة ﴾ و لما كان بعض الجنان أعلى من بعض ، و كان أعلاها [ما -[3]] شرف بوصف العندية المؤذن بالقرب مع بنائه مما يؤكد معنى الدوام ، قال : ﴿ فى جنت عدن ﴾ أى إقامة دائمة و هناء و صحة جسم و طيب مقر و موطن و منبت ،

(١) من ظ ، و فى الأصل : راته - كذا (٢) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) زيد من ظ .

و ذلك كما قال فى حق أضدادهم "عذاب مقيم" و ما أنسب ذكر هذه الجنة فى سياق التعبير بالوصف المؤذن بالرسوخ فانه ورد فى الحديث أنها خاصة بالنبيين و الصديقين و الشهداء . و لما كان ذلك لا يصفو[1] عن الكدر مع تجويز نوع من الغضب قال [مبتدئا إشارة إلى أنهى التعظيم -[2]] :

٥ ﴿ و رضوان ﴾ أى رضى لا يبلغه وصف واصف [بما تشير إليه صيغة المبالغة و لو كان على أدنى الوجوه بما أفاده التنوين - [2]] ﴿ من الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه [عندهم -[2]] ﴿ اكبر ﴾ أى مطلقا، فهو أكبر من ذلك كله لأن رضاه سبب كل[3] فوز، و لا يقع السرور الذى هو أعظم النعيم إلا برضى السيد، [و إذا كان القليل منه أكبر فما ظنك

١٠ بالكثير - [2]] .

و لما تم ذلك على أحسن مقابلة بما وصف به أضدادهم، قال يصفه زيادة فى الترغيب فيه : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى الرتبة ﴿ هو ﴾ أى خاصة لا غيره ﴿ الفوز العظيم ﴾ أى الذى يستصغر دونه كل شىء من أمور الدنيا و الآخرة، و فى كون ذلك وعدا لمن اتصف لأجل ما اتصف

١٥ به ترغيب فى الجهاد المأمور به بعدها لكونه من أفراد الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الداعى الأعظم إلى الموالاة .

و لما ثبتت موالاة المؤمنين و مقاطعتهم للنافقين و الكافرين، و كان ما مضى من الترغيب و الترهيب كافيا فى الإنابة، و كان من لم يرجع

---

(١) من ظ . و فى الأصل : لا يضعف (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : عن .

بذلك عظيم الطغيان غريقا فى الكفران، أتبع ذلك الأمر بجهادهم بما يليق بعنادهم فقال آمرا لأعظم المتصفين بالأوصاف المذكورة مفخما لمقداره بأجل أفراد الأمر / بالمعروف و النهى عن المنكر: ﴿ يـٰأيها النبى ﴾ أى العالى المقدار بما لا يزال يتجدد له منا من الأنباء و فينا من المعارف؛ و لما كان الجهاد أعرف فى المصارحين، و كانوا أولى به لشدة شكائمهم و قوة نفوسهم و عزائمهم بدأ بهم فقال: ﴿ جاهد الكفار ﴾ أى المجاهرين ﴿ و المنفقين ﴾ أى المسارين. كلا بما يليق به من السيف و اللسان. / ٥٢٩

و لما كان صلى الله عليه و سلم مطبوعا على الرفق موصى به، قال تعالى: ﴿ و اغلظ عليهم ﴾ أى [فى الجهادين -[1]] و لا تعاملهم بمثل ما عاملتهم به من اللين عند استئذانهم فى القعود، و هذا بخلاف ما مضى فى وعيد المنافقين حيث [قدمهم -[1]] فقال " المنفقين و المنفقت و الكفار " فقدم فى كل سياق الأليق به؛ و لما كان المعنى: فانك ظاهر عليهم و قاهر لهم و هم طعام السيف و طوع العصى، عطف عليه قوله: ﴿ و ماوىٰهم ﴾ أى فى الآخرة ﴿ جهنم و بئس المصير ﴾.

و لما أتى بالدليل العام على إجرامهم، أتبعه الدليل الخاص عليه و هو أيضا دليل على الدليل فقال: ﴿ يحلفون بالله ﴾ أى [الملك الأعلى -[1]] الذى لا شىء أعظم [2]منه قدرا[2] ﴿ ما قالوا[1] ﴾ أى ما وقع منهم قول، فقصر الفعل تعميما للمفعول إعلاما بأنهم [مهما عنفوا على قول كائنا ما كان بادروا إلى الحلف على نفيه كذبا لأنهم -[1]] مردوا على النفاق فتطبعوا [3]بأعلى الكذب[3]

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ: قدرا منه (٣-٣) فى ظ: بالكذب.

و مرنوا على سيئ الأخلاق ، فصار حاصل هذا أنهم اطمعوا فى العفو و حذروا من عذاب الباقين بسبب إجرامهم لأنهم يأمرون بالمنكر و ما يلائمه مقتفين آثار من قبلهم فى الانهماك فى الشهوات غير مقلعين خوفا من الله أن يصيبهم بمثل ما أصابهم و لا رجاء له أن ينيلهم مما أعد للمؤمنين مجترئين على الأيمان الباطلة باعظم الحلف على أىّ شىء فرض سواء كان يستحق اليمين أو لا غير خائفين من الله أن يهتكهم كما هتك غيرهم ممن فعل مثل أفعالهم ؛ ثم دل على عظيم إجرامهم و ما تضمنه [1]قوله " المنفقون[1] و المنفقت بعضهم من بعض " - الآية ، من كبائر آثامهم ، و يجوز أن تكون[2] هذه الآية واقعة موقع التعليل للآية التى قبلها بأنهم يقدمون على ما يستحقون به الجهاد و الغلظة و النار من الحلف كذبا على نفى كل ما ينقل عنهم استخفافا بالله و بأسمائه " اتخذوا ايمانهم جنة[3] " فتكون جوابا لمن كأنه قال : أما جهاد الكفار فالأمر فيه واضح ، و أما المنافقون فكيف يجاهدون و هم يتكلون بلفظ الإيمان و يظهرون أفعال أهل الإسلام فقال : لأنهم يحلفون ﴿ و لقد ﴾ أى و الحال أنهم كاذبون لقد ﴿ قالوا كلمة الكفر ﴾ أى الذى لا أكبر فى الكفر منه ، و هى تكذيب النبى صلى الله عليه و سلم .

و لما كان هذا السياق لصنف يجددون[4] الاستخفاف بالله تعالى -

(١ - ١) فى ظ : قول المنافقين (٢) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٣) سورة ٥٨ و ٦٣ آية ١٦ و ٢ (٤) فى ظ : يجدون .

ـ بما دل عليه المضارع - كل وقت ، دل على [أن - [1]] إقرارهم بالإيمان كذب و أفعالهم صور لا حقائق لها ، فعبر بالإسلام فقال : ﴿ و كفروا ﴾ أى أظهروا الكفر ﴿ بعد اسلامهم ﴾ أى بما ظهر من أفعالهم و أقوالهم ، و ذلك غاية الفجور ؛ و لما كان أعلى شغف[2] الإنسان بشىء أن تحدثه نفسه فيه بما لا يصل إليه ، فيكون ذلك ضربا من الهوس قال : ٥ ﴿ و هموا بما لم ينالوا ج ﴾ أى من قتل الرسول صلى الله عليه و سلم أو إخراجه من المدينة ، فجمعوا بين أنواع الكفر القول و الفعل و الاعتقاد ، و يجوز أن يكون حالا من الضمير فى "ماوٰهم" و التقدير على هذا : يدخلون جهنم حالفين بالله : ما قالوا كلمة الكفر ، و لقد قالوها ، فيكون كقوله "ثم لم تكن[3] فتنتهم الا ان قالوا و الله ربنا ما كنا مشركين" . ١٠

و لما بين من أحوالهم التى لا يحمل على فعلها إلا أمر عظيم ، قال: ﴿ و ما ﴾ أى قالوا و فعلوا و الحال أنهم ما ﴿ نقموا ﴾ / أى كرهوا ٥٣٠ / شيئا من الأشياء التى أتتهم من الله ﴿ الآ ان اغنٰهم الله ﴾ أى الذى له [جميع - [4]] صفات الكمال و هو غنى عن العالمين ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى هو أحق الخلق بأن يحوز عظمة الإضافة إليه سبحانه ، [و كان أذاهم[5] هذا ١٥ للنبى صلى الله عليه و سلم و همهم بقتله مع إعطائه لهم ما أغناهم بخلاف الآية السابقة[6] ، فكان الأقعد فى ذمهم تأخير قوله ـ[4]] : ﴿ من فضله ج ﴾ فهو

(١) زيد لاستقامة العبارة (٢) من ظ ، وفى الأصل : شغفة (٣) فى ظ : لم يكن ، و راجع سورة ٦ آية ٢٣ (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : عزاهم ـ كذا (٦) راجع آية ٥٩ من هذه السورة .

من باب : ولا عيب فيهم[1] .

ولما نبه على أن هذه المساوئ قابلوا بها المحسن إليهم ، رغبهم بأنه قابل المتاب عليهم ، ورهبهم بأنه لا مرد لما يريد من العذاب بقوله : ﴿ فان يتوبوا ﴾ ولما كان المقام جديرا بأن يشتد تشوف السامع إلى معرفة حالهم فيه ، حذف نون الكون اختصاراً تنبيها على ذلك فقال : ﴿ يك ﴾ أي ذلك ﴿ خيرا لهم ج ﴾ من إصرارهم .

ولما كان للنفوس من أصل الفطرة الأولى داعية شديدة إلى المتاب ، وكان القرآن في وعظه زاجرا مقبول العتاب عظيم الأخذ بالقلوب والعطف للألباب[2] ، أشار إلى ذلك بصيغة التفعل فقال : ﴿ وان يتولوا ﴾ [أي -[3]] يكلفوا أنفسهم الإعراض عن المتاب ﴿ يعذبهم الله ﴾ [أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما -[3]] بحوله وقوته ﴿ عذابا اليما ﴾ أي لا صبر لهم عليه ﴿ في الدنيا ﴾ أي بما هم فيه من الخوف والخزي والكلف وغيرها ﴿ والأخرة ج ﴾ أي بالعذاب الأكبر الذي لا خلاص لهم منه ﴿ وما لهم في الارض ﴾ أي التي لا يعرفون غيرها لسفول[4] هممهم ﴿ من ولي ﴾ أي يتولى[5] أمورهم فيصلح ما أفسد العذاب منهم أو يشفع لهم ﴿ ولا نصير ه ﴾ [أي - [3]] ينقذهم ؛ وأما السماء[6] فهم أقل من أن

(١) وهي إشارة إلى هذا البيت :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

(٢) في ظ : بالالباب (٣) زيد من ظ (٤) في ظ : بسفول (٥) في ظ : لا والى

(٦) من ظ ، وفي الأصل : الاسماء

يطمعوا

يطمعوا منها بشيء ناصر أو غيره و أغلظ أكبادا[1] من أن يرتقى[2] فكرهم إلى ما لها من العجائب و ما بها من الجنود ؛ و سبب نزول الآية على ما قال ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا فى ظل شجرة[3] فقال : سيأتيكم إنسان ينظر إليكم بعينى[4] شيطان ، فاذا جاء فلا تكلموه ، فلم يلبثوا أن طلع رجل أزرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : علام تشتمنى أنت و أصحابك ؟ فانطلق الرجل فجاء بأصحابه فحلفوا بالله : ما قالوا ، فأنزل الله الآية ؛ و قال الكلبى[5] : نزلت فى الجلاس بن سويد ، و ذلك أن رسول الله صلى الله عليه و سلم خطب ذات يوم بتبوك فذكر المنافقين فسماهم رجسا و عابهم فقال الجلاس[6] : لئن كان محمد صادقا[7] لنحن شر من الحمير ، [فسمعه عامر بن قيس فقال : أجل ، إن محمدا لصادق و أنتم شر من الحمير - [8]] ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى المدينة أتاه عامر بن قيس فأخبره بما قاله الجلاس ، فقال الجلاس : كذب[9] علىّ يا رسول الله ! فأمرهما رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يحلفا عند المنبر فقام الجلاس [عند المنبر -[8]] بعد العصر فحلف بالله الذى لا إله إلا هو ما قاله و لقد كذب علىّ عامر ، و قام عامر فحلف بالله الذى لا إله إلا هو لقد قاله و ما كذبت عليه ، ثم رفع عامر

(١) من ظ ، و موضعه فى الأصل بياض (٢) فى ظ : ترتقى (٣) من تفسير الطبرى ، و فى الأصل : حجرة ، و فى ظ : حجره - كذا (٤) من ظ و الطبرى ، و فى الأصل : بعين (٥) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٣/١٠٠ (٦) من ظ ، و فى الأصل : جلاس (٧) فى ظ : صادق (٨) زيد من المعالم (٩) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : يكذب .

رضى الله عنه يديه إلى السماء فقال : اللهم ! أنزل على نبيك [تصديق -[1]] الصادق منا ، فقال النبي صلى الله عليه و سلم و المؤمنون[2] : آمين ! فنزل جبريل عليه السلام قبل أن يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ " فان يتوبوا يك - أى التوب - خيرا لهم " فقام الجلاس فقال : يا رسول الله ! أسمع الله ٥ قد عرض[3] علىّ التوبة ، صدق عامر بن قيس فيما قاله ، لقد قلته ، و أنا أستغفر الله و أتوب إليه ، فقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم ذلك منه ثم تاب و حسنت توبته . و لا مانع من أن يكون كل ذلك سببا لها كما تقدم و يأتى ، و الأوفق لها فى السببية الخبر[4] الأول للتعبير فى الكفر بـ ' ال ' المؤذنة بالكمال ، و من شتم نبينا صلى الله عليه و سلم فقد ارتكب ١٠ كل كفر ، و فى الآية دليل على قبول توبة الزنديق المسر للكفر[5] المظهر للايمان[6] - كما قال أبو حيان[7] و قال : و هو مذهب أبى حنيفة و الشافعى ، و قال مالك : لا تقبل[8] ، / فان جاء تائبا من قبل نفسه من قبل أن يعثر عليه قبلت توبته . /٥٣١

و لما أقام سبحانه الدليل على ما ذكر بهذه الآية التى ختمها بأنه ١٥ أغناهم من فضله ، أتبعها باقامة الدليل عليها و على أنهم يقبضون أيديهم و على اجترائهم على أقبح الكذب فقال : ﴿ و منهم من عهد الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه ﴿ لئن آتنا ﴾ أى من خير ما عنده ، و اعترف بأنه

(١) زيد من المعالم (٢) من ظ والمعالم ، وفى الأصل : المؤمنين (٣) فى ظ : اعرض .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : الكفر (٦) فى ظ : الإيمان (٧) من ظ ، وفى الأصل : ابن حبان ، وراجع البحر المحيط ٥/٧٤ (٨) من البحر ، وفى الأصل وظ : لا يقبل .

لاحق لأحد عليه بقوله : ﴿ من فضله ﴾ أى بأى طريق كان من تجارة ، أو غنيمة أو زراعة أو غيرها ، و أكد لأنه كاذب يظن[1] أن الناس يكذبونه ، و هكذا كل كاذب فقال : ﴿ لنصدقن ﴾ أى بما[2] آتانا من غير رياء - بما يشير إليه الإدغام ﴿ و لنكونن ﴾ أى كونا هو الدال على أنا مجبولون على الخير ﴿ من الصلحين ﴾ أى لكل خير نندب[3] إليه ﴿ فلما آتهم ﴾ ٥ و كرر قوله : ﴿ من فضله ﴾ تقريرا لما قاله المعاهد تأكيدا للاعلام بأنه لا حق عليه لأحد و لا صنع فيما ينعم بـه و لا قدرة عليه بوجه ﴿ بخلوا به ﴾ أى كذبوا فيما عاهدوا عليه و أكدوه غايـة التأكيد ، فلم يتصدقوا بل منعوا الحق [الواجب إظهاره فضلا عن صدقة السر - [4]] ﴿ و تولوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم الإعراض عن الطاعة لمن تفضل عليهم ١٠ مع معرفتهم بقبح نقض العهد ؛ و لما كان التولى قد يحمل على ما بالجسد فقط قال[5] : ﴿ و هم معرضون ﴾ أى بقلوبهم ، و الإعراض وصف لهم لازم لم يتجدد لهم ، بل كان غريزة فيهم و نحن عالمون بها من حين أوقعوا العهد ؛ قال أبو حيان[6] : قال الضحاك : هم ثعلبة بن الحارث و جد بن قيس و معتب بن قشير[7] و ثعلبة[8] بن حاطب و فيهم نزلت الآية - انتهى . و حسن ١٥ تعقيبها بها أيضا أن فى الأولى كفران نعمة الغنى من غير عهد ، و فى هذه كفرانها مع العهد فهو ترق من الأدنى إلى الأعلى ، و دل على

(١) فى ظ : نظن (٢) فى ظ : بما (٣) من ظ ، و فى الأصل : يندب (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و البحر المحيط ٥/٧٤ ، و فى الأصل : يشير (٨) من البحر ، و فى الأصل و ظ : ثعلب .

عظيم شأن العهد بتعظيم الجزاء على خيانته بقوله: ﴿ فاعقبهم ﴾ أى الله أو التمادى على البخل جزاء على ذلك ﴿ نفاقا ﴾ متمكنا ﴿ فى قلوبهم ﴾ أى بأن لا يزالوا يقولون ما لا يفعلون ﴿ الى يوم يلقونه ﴾ أى بالموت عند فوت الفوت ﴿ بما اخلفوا الله[1] ﴾ أى و هو الملك الأعظم ﴿ ما وعدوه ﴾ لأن[2] الجزاء من جنس العمل؛ و لما كان إخلاف الوعد شديد القباحة، وكان مرتكبه غير متحاش من مطلق[1] الكذب، قال: ﴿ و بما كانوا يكذبون ﴾ أى يجددون الكذب دائما مع الوعد و منفكا عنه، فقد استكملوا النفاق: عاهدوا فغدروا و وعدوا[3] فأخلفوا و حدثوا فكذبوا.

و لما كانت المعاهدة سببا للاغناء[4] فى الظاهر، و كان ذلك ربما كان مظنة لأن يتوهم من لا علم له أن ذلك لخفاء أمر البواطن عليه سبحانه، و كان الحكم هنا واردا على القلب بالنفاق الذى هو أقبح الأخلاق مع عدم القدرة لصاحبه على التخلص منه، كان ذلك أدل دليل على أنه تعالى أعلم بما فى كل قلب من صاحب ذلك القلب، فعقب ذلك بالإنكار على من لا يعلم ذلك و التوبيخ له و التقريع فقال: ﴿ الم يعلموا ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ يعلم سرهم ﴾ و هو ما أخفته صدورهم ﴿ و نجوٰهم ﴾ أى ما فاوض فيه بعضهم بعضا، لا يخفى عليه شىء منه[5] ﴿ و ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ علام الغيوب ﴾

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: اى (٣) فى ظ: اوعدوا (٤) من ظ. و فى الأصل: للاعفاء (٥) من ظ. و فى الأصل: من علمه.

أى

أى كلها ، أى ألم يعلموا أنه تعالى لا يخادع لعلمه بالعواقب فيخشوا[1] عاقبته فيوفوا بعهده ، و فائدة الإعطاء مع علمه بالخيانة إقامة الحجة ؛ قال أبو حيان : و قرأ على و [2]أبو عبد الرحمن و الحسن " ا لم تعلموا " بالتاء ، و هو خطاب للمؤمنين على سبيل التقرير[2] - انتهى . و فائدة الالتفات الإشارة إلى أن هذا العلم إنما ينفع من هيئ للايمان . ٥

و لما أخبر تعالى أنه لم يكفهم[4] كفران [5]نعمة الغنى من غير / معاهدة ٥٣٢ / حتى ارتكبوا الكفران بمنع الواجب مع المعاهدة ، أخبر أنه لم يكفهم[5] أيضا ذلك حتى تعدوه إلى عيب الكرماء الباذلين بصفة حبهم لربهم ما لم يوجبه عليهم ، فقال تعالى معبرا بصيغة تصلح لجميع ما مضى من أقسامهم إفهاما لأنهم كلهم كانوا متخلقين بذلك و إن لم يقله إلا بعضهم : ١٠ ﴿ الذين يلمزون ﴾ أى يعيبون فى خفاء ﴿ المطوعين ﴾ أى الذين ليس عليهم واجب فى أموالهم فهم يتصدقون و يحبون إخفاء صدقاتهم - بما يشير إليه الإدغام ﴿ من المؤمنين ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ﴿ فى الصدقت ﴾ و لما كان ما مضى شاملا للوسر و المعسر ، نص على المعسر لزيادة فضله و إشارة إلى أن الحث على[6] قليل الخير كالحث على ١٥ كثيره فقال عاطفا على " المطوعين " : ﴿ و الذين لا يجدون ﴾ أى من المال ﴿ الا جهدهم ﴾ أى طاقتهم التى أجهدوا أنفسهم فيها حتى بلغوها .

(١) من ظ ، و فى الأصل : فتخشوا (٢) سقطت الواو من ظ (٣) من ظ و البحر المحيط ٥/٧٥ ، و فى الأصل : الفقرية - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : لم تكفهم (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : عن .

و لما كان اللمز[1] هو العيب ، و هو ينظر إلى الخفاء كالغمز ، و مادته بكل ترتيب تدور على اللزوم ، و المعنى : يلزمون المطوعين عيبا و لا يظهرون ذلك لكل أحد و إنما يتخافتون به فيما بينهم ، و هو يرجع إلى الهزء و السخرية ، سبب عنه قوله : ﴿فيسخرون منهم[1]﴾ و لما[2] كان لا شيء[3] أعظم للشخص من أن يتولى العظيم الانتقام له من ظالمه[3] ، قال : ﴿سخر الله﴾ أى و هو الذى له الأمر كله و لا أمر لغيره ﴿منهم ز﴾ أى جازاهم على فعلهم بأهل حزبه ، و زادهم قوله : ﴿و لهم عذاب اليم ه﴾ أى بما كانوا يؤلمون القلوب من ذلك و إذا حوققوا عليه دفعوا عن أنفسهم ما يردعهم عنه بالأيمان الكاذبة ؛ روى البخارى فى التفسير عن أبى[4] مسعود رضى الله عنه قال : لما أمرنا بالصدقة كنا[5] نتحامل ، فجاء أبو عقيل بنصف صاع ، و جاء إنسان بأكثر منه ، فقال المنافقون : إن الله لغنى عن صدقة هذا ، و ما فعل هذا الآخر إلا رياء ، فنزلت " الذين يلمزون " ـ الآية .

و لما كان صلى الله عليه و سلم معروفا بكثرة الاحتمال و شدة اللين المشير إليه " عفا الله عنك لم اذنت لهم " للمبالغة فى استجلابهم و الحرص على نجاة جميع الخلق فكان معروفا بالاستغفار[6] لهم تارة على وجه الخصوص بسؤالهم عند اعتذارهم و حلفهم [و - [7]] تارة على وجه العموم عند استغفاره لجميع المسلمين[8] ، أخبره تعالى من عاقبة أمره بما يزهده

(١) فى ظ : المز (٢-٢) فى ظ : لشيء (٣) من ظ ، و فى الأصل : ظالم (٤) فى ظ : ابن (٥) فى ظ : فكنا (٦) من ظ ، و فى الأصل : بالاستعذار (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : المومنين .

فيهم ليعرض عنهم أصلا و رأسا ، لأنهم تجاوزوا حق الله فى ترك الجهاد و منع الصدقة و حقه صلى الله عليه و سلم فى لمزه فى الصدقات و وصفه بما يجل عنه إلى حقوق المجاهدين الذين هو سبحانه خليفتهم فى أنفسهم و أهليهم و أموالهم مع ما سبق[1] فى عمله للمنافقين [من -[2]] أنه لا يغفر لهم فقال : ﴿ استغفر ﴾ أى اطلب[3] الغفران ﴿ لهم او لا تستغفر لهم[4] ﴾ ٥ أى استوى فى أمرهم استغفارك لهم و تركه ﴿ ان تستغفر ﴾ أى تسأل الغفران ﴿ لهم سبعين مرة ﴾ أى على سبيل الحقيقة أو المبالغة ؛ و لما كان الإخبار باستواء الأمرين : الاستغفار و تركه ربما[5] كان مسببا عن الغفران و ربما كان مسببا عن الخسران ، عينه فى هذا الثانى فقال : ﴿ فلن يغفر الله ﴾ أى الذى قضى بشقائهم و هو الذى لا يرد[6] أمره ﴿ لهم[1] ﴾ و هو يحتمل ١٠ أن يكون جوابا للأمر ، و جواب الشرط محذوف لدلالته عليه ، و المراد بالسبعين على ما ظهر فى المآل المبالغة فى أنه لا يغفر لهم لشىء من الأشياء و لو غفر لهم لشىء لكان لقبول شفاعة نبيه صلى الله عليه و سلم ، و العرب تبالغ بما فيه لفظ السبعة لأنها غاية[7] مستقصاة جامعة لأكثر / أقسام العدد ، / ٥٣٣ و هى تتمة عدد الخلق كالسماوات و الأرض و البحار و الأقاليم و الأعضاء . ١٥

و لما كان صلى الله عليه و سلم شديد الحرص على رشدهم و نفعهم،

(١) زيد بعده فى الأصل : لهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : طلب (٤) من ظ و القرآن العظيم ، و قد سقط من الأصل . (٥) من ظ ، و فى الأصل : بما (٦) فى الأصل : لايراد ، و فى ظ : لا يرد . (٧) من ظ ، و فى الأصل : تمانية .

وكان حقيقة نظم الآية التخيير فى الاستغفار وتركه ونفى المغفرة بالاستغفار بالعدد المحصور فى سبعين ، [[1] - جعل صلى الله عليه وسلم الآية مقيدة لما فى سورة المنفقين - [2]] فاستغفر[3] لابن أبى [وصلى عليه وقام على قبره - [2]] وصرح بأنه لو يعلم أنه لو زاد على السبعين قبل لزاد ، ٥ واستعظم عمر رضى الله عنه ذلك منه صلى الله عليه وسلم وشرع يمسكه بثوبه ويقول : أتصلى عليه وقد نهاك الله عن ذلك ! لأنه لم يفهم من الآية غير المجاز لما عنده من بغض المنافقين ، وأما النبى صلى الله عليه وسلم فرأى التمسك بالحقيقة لما فى الرفق بالخليقة من جميل الطريقة[4] بتحصيل الائتلاف الواقع للخلاف وغيره من الفوائد وجليل العوائد ، ولذلك ١٠ كان عمر رضى الله عنه يقول لما نزل النهى الصريح : فعجبت بعد من جراءتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم . أى تفطنت[5] بعد هذا الصريح أن ذلك الأول كان محتملا وإلا لأنكر الله الصلاة عليه ، وفى موافقة الله تعالى لعمر رضى الله عنه [منقبة شريفة له ، وقد وافقه الله تعالى مع هذا فى أشياء كثيرة ؛ روى البخارى فى التفسير وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما ١٥ قال : لما توفى عبد الله بن أبى جاء ابنه عبد الله بن عبد الله رضى الله عنه - [1]] إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلى عليه ؛ وفى رواية فى اللباس : فأعطاه قميصه وقال : إذا فرغت فآذنا ، فلما فرغ آذنه فجاء ؛ وفى رواية : فقام رسول الله صلى الله

(١) زيد من ظ (٢) راجع آية ٦ (٣) من ظ ، وفى الأصل : استغفر (٤) من ظ ، وفى الأصل : الطريق (٥) فى ظ : تيقظت .

عليه و سلم ليصلى عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : يا رسول الله ! تصلى عليه و قد نهاك الله أن تصلى عليه ! فقال رسول الله عليه و سلم : إنما خيرنى الله فقال : "استغفر لهم او لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة" و سأزيده على السبعين ؛ و فى رواية : لو أعلم أنى إن زدت على السبعين يغفر له[1] لزدت عليها ، قال : إنه ٥ منافق ، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قال : فأنزل الله عز و جل "و لا تصل على أحد منهم مات ابدا [و لا تقم على قبره -[2]] - إلى : وهم فسقون" فترك الصلاة عليهم ، قال : فعجبت بعد من جراءتى على رسول الله صلى الله عليه و سلم و الله و رسوله أعلم ؛ و له فى أواخر الجهاد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : لما كان يوم بدر أتى بالأسارى ١٠ و أتى بالعباس و لم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه و سلم قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه[3] فكساه النبي صلى الله عليه و سلم إياه ، فلذلك نزع النبي صلى الله عليه و سلم قميصه الذى ألبسه ، قال ابن عيينة : كانت له عند النبي صلى الله عليه و سلم يد فأحب أن يكافئه ، و فى رواية عنه فى اللباس أنه قال : أتى النبي صلى الله عليه و سلم ابن أبي بعد ١٥ ما أدخل قبره فأمر به فأخرج و وضع على ركبتيه و نفث عليه من ريقه و ألبسه قميصه - انتهى . فكأن ابنه رضى الله عنه استحى من أن يؤذن النبي صلى الله عليه و سلم به لما كان يعلم من نفاقه ، أو آذنه صلى الله عليه و سلم به فصادف منه[4] شغلا فدفنه فجاء [5]رسول الله[5] صلى الله عليه و سلم

(١) فى ظ : لهم (٢) زيد من ظ و صحيح البخارى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : به (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بعد[1] إدخاله القبر و قبل تمام الدفن فأخرجه تطييبا لخاطر ابنه الرجل الصالح و دفعا لما قد يتوهمه من إحنة عليه و تأليفا لغيره، فقد روى أنه قال صلى الله عليه و سلم: إنى أؤمل من الله أن يدخل فى الإسلام كثير بهذا السبب، فأسلم ألف من الخزرج لما رأوه[2] طلب الاستشفاء بثوب النبي صلى الله عليه وسلم، ففى بعض الروايات أنه هو الذى طلب من النبي صلى الله عليه و سلم أن يكفنه فى قميصه، و تعطفه[3] عليه، أدعى إلى تراحم المسلمين و تعاطف[4] بعضهم على بعض، و قوله: و ألبسه / قميصه - بالواو لاينافى الرواية الأولى، و تحمل[5] الرواية الأولى على أنه وعده إعطاء القميص لمانع كان من التنجيز وقت السؤال، فحمل الجزم بالإعطاء على الوعد الصادق ثم أنجزه بعد إخراجه من القبر - و الله أعلم؛ و وردت هذه الآية على طريق الجواب لمن كأنه قال: ما تقدم من أحوال المنافقين كان[6] انتهاكا لحرمة الله أو لحق الرسول صلى الله عليه و سلم، ولم يرد فيه أنه يهينهم بالإماتة[7] على النفاق، فكان يكفى فيه استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لهم[8]، و أما هذان القسمان فأحدهما أخبر بأنه يميتهم منافقين، و الثانى انتهك حرمة المخلصين من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين فهل ينفعهم الاستغفار لهم؟ فكأنه قيل: استوى الاستغفار و عدمه فى أنه لا ينفعهم، و ختمها بعلة عدم المغفرة فى قوله:

/ ٥٣٤ /

(١) فى ظ: قبل (٢) فى ظ: راو (٣) فى ظ: تعطيه (٤) فى ظ: عطف (٥) من ظ، و فى الاصل: يحمل (٦) زيد بعده فى الأصل: لما، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) من ظ، و فى الأصل: بالاثابة (٨) سقط من ظ.

﴿ذلك﴾ أى الأمر الذى يبعد فعله من الحليم الكريم[1] ﴿بانهم كفروا بالله﴾ أى و هو الملك الأعظم ﴿ و رسوله[1] ﴾ أى فهم لا يستأهلون الغفران لأنهم لم يهتدوا لإصرارهم على الفسق و هو معنى قائم بهم فى الزيادة على السبعين كما هو قائم بهم فى الاقتصار على السبعين ﴿ و الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ لا يهدى القوم الفسقين ﴾ أى أنه[2] لا يهديهم [لأنه - [3]] ٥ جبلهم على الفسق ، وكل من لا يهديه لأنه جبله على الفسق لا يغفر له ، فهو لا يغفر لهم لما علم منهم مما لا يعلمه غيره ، فهو تمهيد لعذر النبى صلى الله عليه و سلم فى استغفاره قبل العلم بالطبع الذى لا يمكن معه رجوع .

و لما علل سبحانه عدم المغفرة بفسقهم ، و أتى بالظاهر موضع المضمر إشارة إلى اتصافهم به و تعليقا للحكم بالوصف ، علل رسوخهم ١٠ فى الفسق بعد أن قدم أن المنافقين بعضهم من بعض فهم[4] كالجسد الواحد بقوله : ﴿ فرح المخلفون ﴾ أى الذين وقع تخليفهم باذنك لهم و كراهة الله لانبعاثهم ﴿ بمقعدهم ﴾ أى قعودهم عن غزوة تبوك ، و لعله عبر بهذا المصدر لصلاحيته لموضع القعود ليكون بدلالته[5] على الفرح أعظم دلالة على الفرح بالموضع ، و هو مروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ١٥ و أظهر الوصف بالتخلف موضع الضمير زيادة فى تهجين ما رضوا به لأنفسهم ، و زاده تهجينا أيضا بقوله : ﴿ خلف ﴾ أى بعد [و - [3]] خلف أو[6] لأجل خلاف ﴿ رسول الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى من

(١) فى ظ : الحكيم (٢) فى ظ : انهم (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : فهو (٥) من ظ ، و فى الأصل : دلالته (٧) فى ظ : اى .

تخلف عن حزبه هلك ﴿ وكرهوآ ان يجاهدوا ﴾ .

و لما كان هذا فى سياق الأموال تارة بالرضى بنيلها و السخط بحرمانها ، و[1] تارة بقبض اليد عن بذلها ، و تارة بالاستمتاع[2] بالخلاف الذى هو النصيب أعم من أن يكون بالمال أو النفس ، و تارة بعيب الباذلين

٥ و غير ذلك من شأنها قدم قوله[3] : ﴿ باموالهم و انفسهم ﴾ على قوله : ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى طريق الملك الذى له صفات الكمال ، لأنه ليس فيهم باعث الإيمان و داعى الإيقان[4] الذى بعث المؤمنين ، و دل ذلك على عراقتهم فى الفسق بأن الإنسان قد يفعل المعصية و يحزن على فعلها و هؤلاء سروا بها مع ما فيها من الدناءة ، و قد يسر الإنسان بالمعصية

١٠ و لا يكره أن يكون بدلها أو معها طاعة و هؤلاء ضموا إلى سرورهم بها كراهية الطاعة ، و قد يكره و لا ينهى غيره و هؤلاء جمعوا إلى ذلك كله نهى غيرهم ، ففعلوا ذلك كله ﴿ و قالوا ﴾ أى لغيرهم ﴿ لا تنفروا فى الحر[5] ﴾ بعدا من الإسلام و عمّى عن سيد الأحكام ، لأن غزوة تبوك [كانت - ٥] فى شدة الحر .

١٥ و لما كان هذا قول من لم تخطر الآخرة على باله ، أمره تعالى أن يحذر من يصغى إليهم أو يقبل عليهم بقوله : ﴿ قل ﴾ [أى - ٥] يا أعلم بخلقنا[6] استجهالا لهم ﴿ نار جهنم ﴾ / أى التى أعدها الله لمن ٥٣٥/ خالف أمره ﴿ اشد حرا[5] ﴾ و لفت الكلام إلى الغيبة يدل على أن

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الاستماع (٣) من ظ ، و فى الأصل : له (٤) من ظ ، و فى الأصل : الاتقان (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : خلقتنا .

أعظم المراد بهذا الوعظ ضعفاء المؤمنين لئلا يتشبهوا بهم طمعا فى الحلم فقال تعالى: ﴿ لو كانوا ﴾ أى المنافقون ﴿ يفقهون ﴾ أى لو كان بهم فهم يعلمون به صدق الرسول و قدرة مرسله على ما[1] توعد به لعلموا ذلك فما كانوا يفرون من الحر إلى أشد حرا منه، لأن من فر من حر ساعة إلى حر[2] الأبد كان أجهل الجهال؛ و قال أبو حيان[3]: لما ذكر تعالى ما ظهر من النفاق و الهزء من الذين خرجوا معه إلى غزوة تبوك من المنافقين ذكر حال المنافقين الذين لم يخرجوا معه، يعنى [4]فى قوله[4] "فرح المخلفون" - انتهى. فتكون الآية حينئذ جوابا لمن كأنه قال: هذه أحوال من خرج فما حال من قعد؟ و قد خرج بما[5] فى هذه الآية من الأوصاف كعب بن مالك و رفيقاه رضى الله عنهم و نحوهم ممن لم يفرح بالقعود و لا اتصف بما ذكر معه من أوصافهم.

و لما كان غاية السرور الضحك، و كان اللازم لهم فى الآخرة البكاء فى دار الشقاء الذى هو غاية الحزن لهم، فيها زفير و شهيق وهم يصطرخون فيها، قال تعالى مهددا لهم مسببا عن قبيح ما ذكر من فعلهم مخبرا فى صورة الأمر إيذانا بأنه أمر لا بد من وقوعه: ﴿فليضحكوا قليلا﴾ أى فليتمتعوا[6] فى هذه الدار بفرحتهم بمقعدهم التمتع الذى غاية السرور به الضحك - يسيرا، فانها دار قلعة و زوال و انزعاج و ارتحال ﴿ و ليبكوا كثيرا ﴾ أى فى نار جهنم التى أغفلوا ذكر حرورها و أهملوا الاتقاء من شديد سعيرها[7]

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: احر (٣) راجع البحر المحيط ٥ / ٧٨ و ٧٩.
(٤-٤) فى ظ: بقوله (٥) فى ظ: ما (٦) فى ظ: فليستمتعوا (٧) من ظ، و فى الأصل: سعيره.

بدل ذلك الضحك القليل كما استبدلوا حرها العظيم بحر الشمس الحقير ﴿ جزآء بما كانوا يكسبون ﴾ أى من الفرح بالمعاصى و السرور بالشهوات و الانهماك فى اللذات .

و لما كان المسرور بشىء الكاره لضده الناهى عنه لا يفعل الضد إلا تكلفا و لا قلب له ، إليه و كان هذا الدين مبنيا[1] على العزة و الغنى ، أتبع ذلك بقوله مسببا عن فرحهم بالتخلف : ﴿ فان رجعك الله ﴾ أى الملك الذى له العظمة كلها فله الغنى المطلق عن سفرك هذا ﴿ الى طآئفة منهم ﴾ [أى -[2]] و هم الذين يمد الله فى أعمارهم إلى أن ترجع إليهم ، و هذا يدل على أنه أهلك سبحانه فى غيبته بعضهم ، فاردت الخروج إلى سفر آخر ﴿ فاستاذنوك ﴾ أى طلبوا أن تأذن[3] لهم ﴿ للخروج ﴾ أى معك فى سفرك ذلك[4] ﴿ فقل ﴾ عقوبة لهم[5] و غنى عنهم و عزة عليهم ناهيا لهم بصيغة الخبر ليكون صدقك فيه علما من أعلام النبوة و برهانا من براهين الرسالة ﴿ لن تخرجوا معى ابدا ﴾ أى فى سفر من الأسفار لأن الله قد أغنانى عنكم و أحوجكم إلى ﴿ و لن تقاتلوا[6] معى عدوا[6] ﴾ لأنكم جعلتم أنفسكم فى عداد ربات الحجال و لا تصلحون لقتال ؛ و التقييد بالمعية كما يؤذن باستثقالهم يخرج ما كان بعده صلى الله عليه و سلم مع أصحابه[7] رضى الله عنهم من سفرهم و قتالهم[8] .

---

(١) فى ظ : متينا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ياذن (٤) فى ظ : هذا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : لن يقاتلوا .
(٧) زيد فى ظ : فى قتالهم (٨) من ظ ، و فى الأصل : قتا - كذا .

و لما أخزاهم سبحانه بما أخزوا به أنفسهم ، علله بقوله : ﴿ انكم رضيتم بالقعود ﴾ أى عن التشرف بمصاحبتى ؛ و لما كانت الأوليات أدل على تمكن الغرائز من الإيمان و الكفران و غيرهما قال : ﴿ اول مرة ﴾ أى فى غزوة تبوك ، و من فاتنا يكفيه أنا نفوته ؛ قال أبو حيان [1] : فعلل بالمسبب و هو الرضى الناشئ عن السبب و هو النفاق - انتهى . ٥

و لما أنهى الحكم و العلة ، سبب عنه قوله : ﴿ فاقعدوا مع الخلفين ﴾ أى الذين رضوا لأنفسهم بهذا / الوصف الذى من جملة معانيه : الفاسد فهم لا يصلحون لجهاد و لا يلفون [2] أبدا فى مواطن الأمجاد ، و قال بعضهم : المراد بهم الذين تخلفوا بغير عذر فى غزوة تبوك ، أو النساء و الصبيان أو أدنياء الناس أو المخالفون أو المرضى و الزمنى أو أهل الفساد ، و الأولى ١٠ الحمل على الجميع ، أى [3] لأن المراد تبكيتهم و توبيخهم . و لما أتم [4] سبحانه الكلام فى الاستغفار و تعليله إلى أن ختم باهانة المتخلفين ، و كان القتل المسبب عن الجهاد سببا لترك الصلاة على [5] الشهيد تشريفا له ، جعل الموت الواقع فى القعود المرضى به عن الجهاد سببا لترك الصلاة إهانة لذلك القاعد ، فقال عاطفا على ما أفهمت جملة : "استغفر لهم [6] او لا تستغفر [6] لهم" - ١٥ الآية ، من نحو : فلا تستغفر [7] لهم أصلا : ﴿ و لا تصل ﴾ أى الصلاة التى شرعت لتشريف المصلى عليه و الشفاعة فيه ﴿ على احد منهم ﴾ ثم وصف

٥٣٦ /

(١) راجع النهر من البحر المحيط ٥/٨٠ (٢) فى ظ : يلتفتون (٣) فى ظ : او (٤) فى ظ : تم (٥) سقط من ظ (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : فلا يستغفر .

الأحد بقوله : ﴿ مات ﴾ و قوله : ﴿ ابدا ﴾ متعلق بالنهى لا بالموت ﴿ و لا تقم على قبره[1] ﴾ أى لأن قيامك رحمة و هم غير أهل لها ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انهم كفروا بالله ﴾ أى الذى له العظمة كلها . [و لما كان الموت على الكفر مانعا من الصلاة على الميت بجميع معانيها لم يحتج إلى التأكيد باعادة الجار فقيل - [1]] : ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى هو أعظم الناس نعمة عليهم بما له من نصائحهم بالرسالة ، و المعنى أنهم لعظم ما ارتكبوا من ذلك لم يهدهم الله فاستمروا على الضلالة[2] حتى ماتوا على صفة من وقع النهى على الاستغفار لهم المشار إليها بقوله " و الله لا يهدى القوم الفسقين " و ذلك المراد من قوله معبرا بالماضى و المعنى على المضارع تحقيقا للخبر و أنه واقع لا محالة : ﴿ و ماتوا و هم ﴾ أى و الحال أنهم بضمائرهم و ظواهرهم[3] ﴿ فسقون ٥ ﴾ أى غريقون فى الفسق .

و لما كان ابن أبى سبب[4] النهى عن[5] الاستغفار لهم ، و كان ابنه عبد الله بن عبد الله من خيار المؤمنين و خلص المحسنين [و - [1]] كان لبعض المنافقين أبناء مثله ، و كان من طبع البشر أن يذكر فى كثير من[6] مقاله غلظا ما يندم عليه ، و كان شديد الوقوف لما حف به من العلائق البدنية و شمله من العوائق بالأوهام النفسانية مع أوهامه و عوائقه قاصرا على قيوده و علائقه ، فكان لإعادة الكلام و تكريره و ترديده و مزيد تقريره تأكيد فى النفوس و تعزية و تثبيت فى القلوب ، كرر آية الإعجاب

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الضلال (٣) فى ظ : خواطرهم (٤) فى ظ : سببا فى .
(٥) زيد فى ظ : ابن (٦) زيدت الواو من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : منها .

لهذه الأسباب لأن[1] يكون حكمها على بال من المخاطب لا ينساه [2]لاعتقاد أن[2] العمل به مهم جدا يفتقر إلى فضل عناية ، و أن ذلك شبيه بما أهم صاحبه فهو يتكلم فيه ثم ينتقل إلى غيره لغرض[3] صحيح ثم يرجع إليه فى أثناء حديثه لشدة اهتمامه به تنبيها على ذلك ، و لا يرجع إليه إلا على غاية ما يكون من حسن[4] الربط و براعة التناسب ، و عطفها بالواو دون الفاء لأن ذلك ليس مسببا عما قبله كما سبق فى الآية الأولى ، أى لا تستغفر لهم و لا تصل عليهم و لا يعجبك قولهم[5] مستعطفين لك فى طلب محبتك و إن زخرفوه و أكدوه بالأيمان التى اتخذوها جنة ﴿ و لا تعجبك اموالهم ﴾ و أسند[6] النهى إليها إبلاغا فيه .

و لما لم يكن هنا ما اقتضى تأكيد النفى مما مضى فى الآية الأولى[7] ، لم يعد النافى و لا أثبت اللام و لا الحياة فقال[8] : ﴿ و اولادهم ﴾ أى و إن أظهروا أنهم يجاهدون بها معك و يتقربون بها إلى الله[9] فان الله[9] لا يريد بهم ذلك فلا ييسره لهم لما [علم - [10]] من مباعدتهم للخير و عدم قابليتهم [له - [10]] فلا يحملك[11] الإعجاب بشىء من ذلك على فعل شىء مما تقدم النهى عنه تأليفا لأمثالهم[12] للمساعدة بأولادهم و أموالهم[13]

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا (٢-٢) فى ظ : لاعتنا ذلك - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : الغرض (٤) فى ظ : احسن (٥) فى ظ : قوله (٦) من ظ ، و فى الأصل : اشتد (٧) راجع آية ٥٥ (٨) من ظ ، و فى الأصل : و قال (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ : فلا يحمك (١٢) من ظ ، و فى الأصل : لاسلامهم (١٣) فى ظ : اولادهم .

و تطييبا لقلوب المؤمنين من أولادهم ، فانهم إن كانوا مؤمنين لم يضرهم
ترك ذلك و إلا فبعدا لهم و سحقا ﴿ انما يريد الله ﴾ أى بعزه و عظمته
/٥٣٧ و علمه و إحاطته ﴿ ان يعذبهم ﴾ ، أى تعذيبهم ﴿ بها ﴾ فالفعل واقع
بخلافه فى الآية السابقة ﴿ فى الدنيا ﴾ أى بجمعها و محبة الإخلاد إليها
٥ و إلى الأولاد إن كانوا مثلهم فى الاعتقاد و إلا كانوا زيادة عذاب لهم
فى الدارين ﴿ و تزهق ﴾ أى تخرج بغاية العسر ﴿ انفسهم و هم ﴾
لاغترارهم بها[1] ﴿ كفرون ٥ ﴾ و لا شك أن خطاب الرأس بشىء أوقع
فى قلوب أصحابه فلذلك وقع الخطاب للنبى صلى الله عليه و سلم و المراد
غيره من أتباعه و جماعته و أشياعه ممن قد يجنح إلى الأسباب و يقف
١٠ عندها كما هو طبع النفوس فى تأمل ما شهد و نسيان ما غاب و عهد
تدريبا لهم على الحب فى الله و البغض فيه لأنه من أدق أبواب الدين
فهما و أجلها قدرا ، و عليه تبتنى غالب أبوابه ، و منه تجتنى أكثر ثمراته
و آدابه ، و ذلك أنه ربما ظن الناظر فيمن بسطت عليه الدنيا أنه من الناجين
فيوادّه[2] لحسن قوله غافلا عن سوء فعله ، أو يظن أن أهل الدين فقراء
١٥ إلى مساعدته لهم فى جهاد أو غيره [3]بماله و ذويه[3] روية فيداريه ، فأعلمهم
تعالى أن ما هذا سبيله مقطوع البركة نهيا عن النظر إلى الصور و تنبيها
على قصر الأنظار على المعانى " قل لا يستوى الخبيث و الطيب و لو اعجبك
كثرة الخبيث[4] " - الآية " و اذا رايتهم تعجبك اجسامهم و ان يقولوا

(١) من ظ ، و فى الأصل : فيها (٢) من ظ ، و فى الأصل : فيواده (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : بمال و رروية (٤) سورة ٥ آية ١٠٠ .

تسمع لقولهم[1]".

و لما افتتحت قصتهم بأن المتقين لا يتوقفون فى الانتداب إلى الجهاد على أمر جديد و لا استئذان، بل يكتفون بما سبق من عموم الحث عليه و الندب[2] إليه فيبادرون[3] إليه الطرف و لا[4] يحاذرون الحتف[5]. و أن من المنافقين من يستأذن فى الجهاد جاعلا[6] استئذانه فيه بابا للاستئذان فى التخلف عنه، و منهم من يصرح بالاستئذان فى القعود ابتداء من غير تستر، و عقب ذلك بالنهى عن الإعجاب بأموالهم و أولادهم ثم مر فى ذكر أقسامهم و ما لزمهم من فضائحهم و آثامهم. إلى أن ختم القصة بأن أموالهم إنما هى لفتنتهم لا لرحمتهم، و لمحنتهم لا لمنحتهم، أتبع ذلك بدليله من أنهم لا يتوصلون بها إلى جهاد، و لا يتوسلون إلى دار المعاد، فقال عاطفا على ما أفهمه السياق من نحو أن يقال لأنهم[7] لا يفعلون بها خيرا و لا يكسبون أجرا، أو بانيا حالا من الكاف فى "تعجبك": ﴿ و اذآ انزلت سورة ﴾ أى وقع[8] إنزال قطعة من القرآن.

و لما كان الإنزال يدل على[9] المنزل حتما، فسره بقوله: ﴿ ان اٰمنوا بالله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ و جاهدوا ﴾ أى أوقعوا الجهاد ﴿ مع رسوله استاذنك ﴾ أى فى التخلف من لا عذر له و هم ﴿ اولوا الطول ﴾ أى أهل الفضل

(١) سورة ٦٣ آية ٤ (٢) فى ظ: الندم (٣) من ظ، و فى الأصل: فيتبادرون.
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: الحيف (٦) فى ظ: عاجلا (٧) فى ظ: لا انهم (٨) فى ظ: قطع (٩) زيد بعده فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

من الأموال و السعة و الثروة فى غالب الأحوال ﴿ منهم ﴾ و خصهم بالذكر لأن الذم لهم ألزم و لا سيما بعد سماع القرآن ، و يجوز أن يكون معطوفا على خبر 'ان' فى قوله " ذلك بانهم كفروا بالله و رسوله " هذا مع ما تضمن استئذانهم من رذائل الأخلاق و دنايا الهمم المحكى بقوله : ﴿ و قالوا ذرنا ﴾ أى اتركنا و لو على حالة سيئة ﴿ نكن ﴾ أى بما يوافق جبلاتنا ﴿ مع القعدين ۝ ﴾ أى بالعذر[1] المتضمن - لاسيما مع التعبير بذرنا الذى مادته تدور على ما يكره دون 'دعنا' - لما استأنف به أو بين من[2] قوله : ﴿ رضوا بان يكونوا ﴾ أى كونا كأنه جبلة لهم ﴿ مع الخوالف ﴾ أى النساء ﴿ و طبع ﴾ أى و[2] وقع الطبع المانع ﴿ على قلوبهم ﴾ أى حتى[3] رضوا لأنفسهم بالتخلف عن سبب السعادة مع الكون فى عداد المخدرات بما هو عار فى الدنيا و نار فى العقبى .

و لما أبهم فاعل الطبع ، نفى دقيق العلم فقال : ﴿ فهم ﴾ أى بسبب هذا الطبع ﴿ لا يفقهون ۝ ﴾ أى لا فقه لهم يعرفون به ما فى الجهاد من العز و السعادة فى الدارين ، و ما فى التخلف من الشقاء و العار فلذلك لا يجاهدون ، فلا شىء أضر / من هذه الأموال و الأولاد التى أبعدت عن الممادح و ألزمت المذام و القوادح ، فقد اكتنفت آية الأموال فى أول القصة و آخرها ما يدل على مضمونها . ٥٣٨/

و لما افتتح القصة بمدح المتقين لمسابقتهم إلى الجهاد من دون استئذان ختمها بذلك و ذكر ما أعد لهم فقال [معلما - [4]] بالغنى عنهم

(١) فى الأصل وظ : بعدر (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : على (٤) زيد من ظ .

بمن

عن هو الخير المحض تبكيتا لهم و تقريعا : ﴿لـكن الرسول﴾ أى و الذى بعثه لرد العباد عن الفساد إلى السداد ﴿و الذين آمنوا﴾ أى إيمانا عظيما كائنا أو كائنين ﴿ معه ﴾ أى مصاحبين له ذاتا و حالا فى جميع ما أرسلناه إليهم[1] به ﴿جاهدوا باموالهم و انفسهم[1] ﴾ أى بذلوا كلا من ذلك فى حبه صلى الله عليه و سلم فتحققوا بشرط الإيمان و 'لـكن' واقعة موقعها بين ٥ متنافيين لأن ما مضى من حالهم كله ناطق بأنهم لم يجاهدوا .

و لما كان السياق لبخلهم بالنفس و المال ، [2]و لسلب النفع من أموالهم و أولادهم ، اقتصر فى مدح أوليائه على الجهاد بالنفس و المال[2] و لم يذكر السبيل و قال[1] : ﴿ اولـئك ﴾ [دالا -[3]] على أنه معطوف على ما تقـديره : فأولئك الذين نورت قلوبهم فهم يفقهون ، و قوله : ١٠ ﴿ لهم ﴾ أى لا لغيرهم ﴿ الخيرٰت ذ ﴾ تعريض بذوى الأموال من المنافقين لأن الخير يطلق على المال و تحليتـه بـ'ال' تدل على استغراقه لجميع منافع الدارين ، و التعبير بأداة البعد إشارة إلى علو مقام أوليائه و بعد مناله إلا بفضل منه تعالى ، و كذا التعريض بهم بقوله : ﴿ و اولـئك هم ﴾ أى خاصة ﴿ المفلحون ه ﴾ أى الفائزون بجميع مرادهم ، لا غيرهم ؛ ثم بين ١٥ الإفلاح الأعظم بقوله : ﴿اعد الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ لهم ﴾ أى الآن لينعمهم بها بعد موتهم و انتقالهم من هذه الدار التى هى معدن الأكدار ﴿جنٰت تجرى﴾ أى دائما ﴿من تحتها ﴾ أى مع قربها ﴿الانهر﴾ ثم عرض بهذه الدنيا السريعة الزوال فقال: ﴿ خٰلدين فيها[1] ﴾ ثم رغب فيها بقوله : ﴿ذلك﴾ أى الأمر العالى الرتبة ﴿الفوز العظيم ع ﴾ أى لا غيره . ٢٠

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ .

و لما ختم قصص أهل المدر بدم ، لى الطول منهم بتخلفهم ، و كان ذمهم[1] إنما هو لكونهم قادرين على الخروج فى ذلك الوجه . و قدمهم لكثرة سماعهم للحكمة . و كان أهل الوبر أقدر الناس على السفر لأن مبنى أمرهم على الحل و الارتحال . فهم أجدر بالذم لأنهم فى غاية الاستعداد لذلك .

٥ تلاهم[2] بهم فقال : ﴿ و جآء المعذرون ﴾ أى المبالغون فى إثبات الخفايا من الأعذار المانعة لهم من الجهاد - بما أشار إليه الإدغام ، و حقيقة المعذر أن يتوهم ان له عذرا و لا عذر له ، و العذر[3] : إيساع الحيلة فى وجه يدفع ما ظهر من التقصير ﴿ من الاعراب ﴾ قيل : هم رهط عامر بن الطفيل من بنى[4] عامر ، و قيل : أسد و غطفان ، و قيل : رهط من غفار ﴿ ليؤذن ﴾

١٠ أى ليقع[5] الإذن من أىّ آذن كان فى تخلفهم عن الغزو ﴿ لهم ﴾ أى فاعتذروا بما كذبوا فيه و قعدوا عن الغزو معك . هكذا كان الأصل فوضع موضعه : ﴿ و قعد الذين كذبوا الله ﴾ أى و هو المحيط علما و قدرة ﴿ و رسوله[1] ﴾ تنبيها على وصفهم و ليكون أظهر فى شمول الأعراب و غيرهم .

و لما كان منهم المحتوم بكفره و غيره قال : ﴿ سيصيب ﴾ أى بوعد

١٥ لا خلف فيه ﴿ الذين كفروا ﴾ أى حتم بكفرهم ﴿ منهم عذاب اليم ٥ ﴾ أى فى الدارين .

و لما كان من القاعدين من أهل المدر و الوبر من له عذر ، استثناهم سبحانه و ساق ذلك مساق النتيجة من المقدمات الظاهرة فقال :

---

(١) فى ظ : ذنبهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : بداهم - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل . العذاب . كذا (٤) من ظ . و فى الأصل : ابن (٥) فى ظ : يقع .

﴿ليس على الضعفآء﴾ أى بنحو الهرم[1] ﴿ و لا على المرضى ﴾ أى بنحو الحمى و الرمد ﴿ و لا على الذين لا يجدون ﴾ و لو بدين يؤدونه فى المستقبل ﴿ ما ينفقون ﴾ أى لحاجتهم و فقرهم ﴿ حرج ﴾ أى إثم يميل بهم عن الصراط المستقيم و يخرج دينهم .

و لما كان ربما [كان -[2]] أحد من المنافقين بهذه الصفة احترز عنه بقوله: ﴿ إذا نصحوا ﴾ أى فى تخلفهم و جميع أحوالهم ﴿ لله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ و رسوله[3] ﴾ أى سرا[4] و علانية ، فانهم حينئذ محسنون فى نصحهم الذى منه تحسرهم على القعود على[4] هذا الوجه و عزمهم على الخروج متى / قدروا ، و قوله: ﴿ ما على المحسنين ﴾ فى موضع 'ما عليهم' لبيان إحسانهم بنصحهم مع عذرهم ﴿ من سبيل[5] ﴾ أى طريق إلى ذمهم أو لومهم ، و الجملة كلها بيان لـ"نصحوا الله و رسوله" ، و قوله: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى محاء للذنوب ﴿ رحيم[5] ﴾ أى محسن مجمل[5] إشارة إلى أن الإنسان محل[5] التقصير و العجز و إن اجتهد ، فلا يسعه إلا العفو ؛ ثم عطف على ذلك قوله: ﴿ و لا على الذين اذا ﴾ و أكد[6] المعنى بقوله: ﴿ مآ اتوك ﴾ أى و لم يأتوا بغير قصدك راغبين فى الجهاد معك ﴿لتحملهم﴾ و هم لا يجدون محملا ﴿ قلت ﴾ أى أتوك قائلا أو حال قولك ، [7]'و قد' مضمرة[7] كما قالوا فى " حصرت صدورهم[8] " ﴿ لآ اجد مآ ﴾ أى شيئا ﴿ احملكم عليه[5] ﴾

/ ٥٣٩

(١) فى ظ : هرم (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : سر (٤) من ظ ، و فى الأصل : عن (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : عطف على ذلك (٦) فى ظ : كذا (٧ - ٧) من ظ ، و فى الأصل : قدم ضميره - كذا (٨) سورة ٤ آية ٩٠ .

و أجاب "اذا" بقوله [و يجوز أن يكون استئنافا و "قلت" هو الجواب -[1]]
﴿ تولوا ﴾ أى عن سماع هذا القول منك ﴿ و اعينهم تفيض ﴾ أى
تمتلئ[2] فتسيل، و إسناد الفيض إليها أبلغ من حيث أنها جعلت كلها دمعا :
ثم بين الفائض بقوله : ﴿ من الدمع ﴾ أى دمعا ، و الأصل : يفيض
٥ دمعها ، ثم علل فيضها[3] بقوله : ﴿ حزنا ﴾ ثم علل حزنهم بقوله :
﴿ الا يجدوا ﴾ أى لعدم وجدانهم ﴿ ما ينفقون ﴾ فحزنهم فى الحقيقة
على فوات مرافقتك و الكون فى حزبك ، و هذه قصة البكائين صرح[4]
بها و إن كانوا داخلين فى "الذين لا يجدون" إظهارا لشرفهم و تقريرا
لأن الناصح - و إن اجتهد - لا غنى له عن العفو حيث بين أنهم - مع
١٠ اجتهادهم فى تحصيل الأسباب و تحسرهم عند فواتها بما أفاض[5] أعينهم -
ممن[6] لا سبيل عليه أو ممن لا حرج عليه المغفور له .

و لما نفى السبيل عمن وصفه[7] كر على ذم من انتفى عنه هذا[8] الوصف
فقال تعالى: ﴿ انما السبيل ﴾ أى[8] باللوم و غيره ﴿ على الذين يستاذنونك ﴾
أى يطلبون إذنك فى التخلف عنك راغبين فيه ﴿ و هم اغنياء ﴾ أى
١٥ فلا عذر لهم فى التخلف عنك و عدم مواساتك ، وتضمن قوله تعالى مستأنفا:
﴿ رضوا بان يكونوا ﴾ أى كونا كأنه جبلة لهم[8] ﴿ مع الخوالف ﴾ انتفاء[9]

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ : و فى الأصل : تميل (٣) فى ظ : فيضه (٤) من ظ ، و فى الأصل : خرج (٥) زيد بعده فى ظ : من (٦) فى ظ : مما (٧) من ظ ، و فى الأصل : وصف (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : انتفى .

الضعف و المرض عنهم من حيث أنه علل فعلهم برضاهم بالتخلف فأفهم ذلك أنه لا علة لهم سواه ، و أفهم أيضا أن كل من كان كذلك كان مثلهم و لو أنه ضعيف أو مريض ، و كرر ذكر الخوالف تكريرا لعيبهم برضاهم بالكون فى عداد[1] النساء إذ[2] كان ذلك من أعظم المعايب عند العرب ، و سمى الفاعل للطبع حيث حذفه من الأولى ؛ و لما ذكره ، عظم الأمر ٥ فاقتضى ذلك عظم الطبع فنفى مطلق العلم فقال عاطفا على "رضوا" : ﴿ و طبع الله ﴾ أى الذى له القدرة الكاملة[3] و العلم المحيط ﴿ [4]على قلوبهم[4] ﴾ ثم سبب عن[3] ذلك الرضى و الطبع قوله : ﴿ فهم لا يعلمون ٥ ﴾ أى لا علم لهم فلذلك جهلوا[5] ما فى الجهاد من منافع الدارين لهم[3] فلذلك رضوا بما[6] لا يرضى[6] به عاقل ، و هو أبلغ من نفى الفقه فى الأولى ، و زاد المناسبة ١٠ حسنا ضم الأعراب فى هذه الآيات إلى أهل الحاضرة و هم بعيدون من الفقه جديرون بعدم[7] العلم .

---

(١) فى ظ : عدد (٢) من ظ : و فى الأصل : إذا (٣) سقط من ظ (٤-٤) تأخر فى الأصل عن « و الطبع قوله » و الترتيب من ظ (٥) فى ظ : حملوا (٦-٦) فى ظ : لم يرض (٧) فى ظ : بعلم .

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء الثامن من تفسير "نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى يوم الخميس العشرين من شوال ١٣٩٤ هـ = ٦ نوفمبر سنة ١٩٧٤ م، تحت مراقبة مدير الدائرة و عميدها "أفضل العلماء" بروفسور السيد عبد الوهاب البخارى - أبقاه الله لخدمة العلم و الدين!

وقد عنى بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة رفيق الفاضل محمد عمران الأعظمى العمرى (الحامل شهادة "أفضل العلماء" من جامعة مدراس) حفظه الله!

و اعتنى بتنقيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه!

و يليه الجزء التاسع إن شاء الله تعالى و أوله «ثم شرع يخبر عن أشياء». و فى الختام ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلى و نسلم على من علّم فواتح الخير و خواتمه، سيدنا و مولانا محمد و آله وصحبه أجمعين، و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

الفقير إلى رحمة الله الغنى الحميد

السيد محمد حبيب الله القادرى الرشيد

(كامل الجامعة النظامية)

رئيس قسم التصحيح من دائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم شرع يخبر عن أشياء تقع منهم عند الرجوع دلالة على أن هذا كلامه و أنه عالم بالمغيبات كليها و جزئيها ، يعلم ما كان و ما يكون و ما لم يكن لو كان كيف [كان - [1]] يكون ، فقال مبينا لعدم علمهم : ﴿ يعتذرون ﴾ أى يثبتون الأعذار لأنفسهم : و أشار إلى بعدهم بالقلوب بقوله : ﴿ اليكم ﴾ أى عن التخلف ﴿ اذا رجعتم اليهم ﴾ أى من هذه الغزوة ، كأنه قيل : فما ذا يقال فى جوابهم ؟ فقال للرأس الذى لا تأخذه فى الله لومة لائم : ﴿ قل لا تعتذروا ﴾ أى فان أعذاركم كاذبة ، و لذلك علل النهى بقوله : ﴿ لن نؤمن لكم ﴾ أى نصدقكم فى شىء منها ، ثم علل عدم تصديقهم بما أوجب[2] لهم القطع بذلك فقال : ﴿ قد نبانا الله ﴾ أى أعلمنا الملك الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء إعلاما جليلا ﴿ من اخباركم[3] ﴾ أى التى ظننتم[4] جهلا بالله أنها تخفى فقد علمناها ؛ ثم هددهم بقوله : ﴿ و سيرى الله ﴾ أى لأنه عالم بكل شىء و إن دق قادر على كل شىء ﴿ عملكم ﴾ أى بعد ذلك أتتبينون[4] أم تثبتون على حالكم هذا الخبيث / كما رأى الذى قبل ﴿ و رسوله ﴾ أى بما يعلمه به سبحانه /٥٤٠

(١) زيد من ظ (٢) من ظ . و فى الأصل : احب (٣) من ظ ، وفى الأصل : قاتم (٤) فى ظ : تمبيون ـ كذا .

وحيا أو تفرسا ، و لما كان الكلام فى المنافقين ، فكانت الرؤية لنفاقهم الذى[1] يجتهدون فى إخفائه ، و كان المؤمنون لا اطلاع لجميعهم عليه ، لم يذكرهم بخلاف من يأتى بعد فانهم مؤمنون .

و لما كان هذا ربما أوهمهم أنه لا يعلم إلا ما أوقعوه بالفعل ، نفى ٥ ذلك باظهار وصفه فى موضع الإضمار مهددا بقوله مشيرا بأداة التراخى إلى استبعادهم لقيامهم إلى معادهم : ﴿ ثم تردون ﴾ أى براد قاهر لا تقدرون على دفاعه بعد استيفاء[2] آجالكم بالموت و إن طالت ثم البعث[3] ﴿ الى عالم الغيب ﴾ و هو ما غاب عن الخلق ﴿ و الشهادة ﴾ و هو ما اطلع عليه أحد منهم . فصار بحيث يطلعون عليه و هذا ترجمة عن الذى يعلم الشىء قبل كونه ١٠ كما يعلم بعد كونه ﴿ فينبئكم ﴾ أى يخبركم إخبارا عظيما جليلا مستوعبا ﴿ بما كنتم ﴾ أى بجبلاتكم ﴿ تعملون ﴾ أى مما أبرزتموه إلى الخارج و مما كان فى جبلاتكم ، و لو تأخرتم لبرز ، و هو تهديد عظيم . و وقع ترتيبهم للاعتذار على الأسهل فالأسهل على ثلاث مراتب : الأولى مطلق الاعتذار و قد مضى ما فيها ؛ الثانية[3] تأكيد ذلك بالحلف[4] الاعراض ١٥ عنهم فقال سبحانه : ﴿ سيحلفون بالله ﴾ أى الذى لا أعظم منه ﴿ لكم اذا انقلبتم اليهم[5] ﴾ أى جهد أيمانهم أنهم كانوا معذورين فى التخلف

(١) من ظ . و فى الأصل : التى (٢-٢) فى ظ : آجالهم وان طالت و هو الموت ثم بالبعث (٣) تأخر فى الأصل عن « تأكيد ذلك » و الترتيب من ظ (٤) من ظ . و فى الأصل : الحلف (٥) تقدم فى الأصل على « اعتقدتم فيهم » و الترتيب من ظ .

كذبا منهم إرادة أن يقلبوا قلوبكم[1] عما اعتقدتم فيهم ﴿ لتعرضوا عنهم ﴾ أى إعراض الصفح عن معاتبتهم ﴿ فاعرضوا عنهم ﴾ إعراض المقت ؛ روى أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : لا تجالسوهم [و لا تكلموهم -[2]] ؛ ثم علل وجوب الإعراض بقوله : ﴿ انهم رجس ﴾ أى لا يطهرهم العتاب فهو عبث . ٥

و لما كان من المقرر أنه لا بد لهم من جزاء . و أن النفس تتشوف إلى معرفته ، قال: ﴿ و ماوىهم ﴾ أى فى الآخرة ﴿ جهنم جزآء ﴾ أى لأجل جزائهم ﴿ بما كانوا يكسبون ﴾ أى فلا تتكلفوا لهم جزاء غير ذلك بتوبيخ و لا غيره ؛ المرتبة ؛ الثالثة الحلف للرضى عنهم فقال : ﴿ يحلفون لكم ﴾ أى مجتهدين فى الحلف بمن تقدم أنهم يحلفون به و هو الله ﴿ لترضوا عنهم ﴾ خوفا ١٠ من غائلة غضبكم ﴿ فان ترضوا عنهم ﴾ أى لمجرد أيمانهم المبنى على عدم إيمانهم ﴿ فان الله ﴾ [أى -[2]] الذى له الغنى المطلق ﴿ لا يرضى ﴾ عنهم ، هكذا كان الأصل و لكنه قال : ﴿ عن القوم الفسقين ﴾ إشارة إلى تعليق[3] الحكم بالوصف و تعميما لكل من اتصف بذلك ، و المعنى أنه لا ينفعهم رضاكم و تكونون به مخالفين الله . فهو فى الحقيقة نهى للمؤمنين عن الرضى عنهم ، أبرز فى هذا الأسلوب العجيب المرقص ، و فى ذلك رد على ١٥ من يتوهم أن رضى المؤمنين لو رضوا عنهم [يقتضى -[2]] رضى الله ، فان ذلك نزغة مما يفعل الأحبار و الرهبان فى رضاهم و غضبهم و تحليلهم و تحريمهم الذى يعتقد أتباعهم أنه عن الله تعالى .

---

(١) فى ظ : قلوبهم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : تعليم .

و لما رتب سبحانه الاستئذان فى العقود و الرضى بما فيه من الدناءة على عدم الفقه تارة و العلم أخرى و ختم بصنف الأعراب ، بين أن الأعراب أولى بذلك لكونهم أعرق[1] فى هذا الوصف و أجرأ[2] على الفسق لبعدهم عن معدن العلم و صرفهم أفكارهم فى غير ذلك من أنواع المخازى لتحصيل المال الذى كلما داروا عليه[3] طار عنهم فابعد . فهم لا يزالون فى همه قد شغلهم ذلك عن كل هم و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقال تعالى : ﴿ الاعراب ﴾ أى أهل البدو ﴿ اشد ﴾ أى من أهل المدر ﴿ كفرا و نفاقا ﴾ لبعدهم عن دار الهجرة و معدن العلم و جفائهم بأن مرائى قلوبهم لم تصقل بأنوار الكتاب و السنة ﴿ و اجدر ان ﴾ أى و أحق بأن ﴿ لا[4] يعلموا ﴾ و لما كان الإحجام أصعب من الإقدام ، و أطراف الأشياء المختلطة فى غاية الإلباس ، قال : ﴿ حدود ما انزل الله ﴾ أى المحيط علما و حكمة بكل شىء ﴿ على رسوله[5] ﴾ أى الذى أعلم الخلق من القرآن و الشرائع و الأحكام لعدم إقبالهم عليه شغلا بغيره فان الله يعلم ذلك منهم ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال / ﴿ عليم ﴾ /٥٤١ أى بالغ العلم بكل شىء ﴿ حكيم ﴾ أى بالغ الحكمة فهو يضع الأشياء[6] فى أتم محالها .

و لما أثبت هذا الوصف لهذا الصنف بين أن أفراده انقسموا إلى من

---

(١) فى ظ : اعرف (٢) من ظ ، و فى الأصل : اجرى (٣) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٤) كذا إتباعا للتفسير ، و إلا فرسم خط القرآن « الا » (٥) زيد فى ظ : أى (٦) زيد بعده فى الأصل : فهو ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

ثبت على ما هو الأليق بحالهم ، وقسم نزع إلى ما هو الأليق بأهل المدر ، كما انقسم أهل المدر إلى مثل ذلك ، و بدأ بالخبيث لأنه الأصل فيهم فقال : ﴿ و من الاعراب ﴾ أى المذكورين ﴿ من يتخذ ﴾ أى يتكلف غير ما تدعو إليه الفطرة الأولى من الأريحية و الهمم العلية بأن يعد ﴿ ما ينفق مغرما ﴾ أى فلا يبذله إلا كرها و لا يرى له فائدة أخروية بل يراه مثل الصنائع[1] بالنهب و نحوه ﴿ و يتربص ﴾ أى يكلف نفسه الربص ، و هو أن يسكن و يصبر و ينتظر ﴿ بكم الدوآئر ﴾ أى الدواهى التى تدور بصاحبها فلا يتخلص منها ، و ذلك ليستريح من الإنفاق و غيره مما ألزمه به الدين.

و لما تربصوا هذا التربص ، دعا عليهم بمثل ما تربصوه فقال : ﴿ عليهم دآئرة السوء ﴾ أى دائما لا تنفك[2] إما بإذلال[3] الإسلام و إما بعذاب الاصطلام ، فهم فيما أرادوه بكم على الدوام . و قراءة ابن كثير و أبى[4] عمرو بضم السين[5] على أن[6] معناه الشر و الضر ، و قراءة الباقين بالفتح على أنه مصدر ، فهو ذم للدائرة .

و لما كان الانتقام من الأعداء و إيقاع الباس بهم لا يتوقف من القادر غالبا إلا على سماع أخبارهم و العلم بها ، جرت سنته تعالى فى ختم مثل ذلك بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ سميع ﴾ [يسمع ما يقولون -[7]] ﴿ عليم ﴾ أى[6] فهو يعلم ما يضمرون عطفا على نحو أن يقال : فالله على كل شىء قدير ، و نحوه قوله " انى

(١) فى ظ : الصانع (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا ينفك (٣) فى ظ : ذلال . (٤) من ظ ، و فى الأصل : ابو (٥) من ظ ، و فى الأصل : الشين (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ .

معكما اسمع و ارى[1]".

و لما افتتح الآية الثانية بقوله : ﴿ و من الاعراب من يؤمن ﴾ أى لا يزال يجدد إيمانه آثار الدين ﴿ بالله و اليوم الآخر ﴾ علم أن القسم الأول غير مؤمن بذلك ، و إنما وقع منهم الإقرار باللسان من غير إذعان ، و الإيمان هو الأصل الذى يترتب عليه الإنفاق [عن طيب نفس لما يرجى من ثوابه فى اليوم الآخر الذى لولا هو انتفت الحكمة -[2]] من هذا الخلق على هذا الترتيب : ثم عطف عليه ما يثمره الإيمان فقال : ﴿ و يتخذ ﴾ أى[3] يحث نفسه و يجاهدها إن عرضت له الوساوس الشيطانية على أن يعد ﴿ ما ينفق ﴾ أى فيما أمر الله به ﴿ قربٰت ﴾ جمع قربة لما تقرب إليه سبحانه ﴿ عند الله ﴾ [أى -[3]] الذى لا أشرف[4] من القرب منه[5] لأنه الملك الأعظم ﴿ و صلوٰت ﴾ أى دعوات ﴿ الرسول[6] ﴾ أى الذى وظيفته التبليغ فهو لا يقول لهم شيئا إلا عن الله ، و أطلق القربة و الصلاة على سببهما .

و لما أخبر عن أفعالهم ، أخبر عن عاقبتهم و مآلهم ؛ فقال مستأنفا محققا لرجائهم ترغيبا فى الصدقة بأبلغ تأكيد لما لأعدائهم من التكذيب : ﴿ ألا انها ﴾ أى نفقاتهم ﴿ قربة لهم[6] ﴾ أى كما أرادوا ؛ ثم بين ثمرة كونها قربة بقوله : ﴿ سيدخلهم الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال بوعد لا خلف فيه ﴿ فى رحمته[6] ﴾ أى إكرامه فتكون[6] محيطة بهم ثم علل ذلك بقوله

(١) سورة ٢٠ آية ٤٦ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ان (٤) فى ظ : شرف (٥) فى ظ : عنه (٦) من ظ ، و فى الأصل : فيكون .

معبرا بالاسم الأعظم تنبيها على أنه لا يسع الإنسان إلا العفو و إن أعظم الاجتهاد : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى لا يقدر أحد على أن يقدره حق قدره ﴿غفور﴾ أى بليغ الستر لقبائح من تاب ﴿ رحيم ﴾ أى بليغ الإكرام، ذلك وصف له ثابت ، يجلله كل من يستأهله[1] .

و لما ذكر القسم الصالح منهم و كانوا متفاوتين فمنهم[2] السابق و أكثرهم التابع اللاحق ، أتبعه ذكر السابقين على وجه شامل حاصر لصنفى البادى و الحاضر إشارة إلى أنه - و إن أخره - أصله فقد قدمه وصفه بحيث ساوى أهل الكمال فى مطلق الانخراط فى سلكهم و الفوز بدرجتهم لإحسانه فى اتباعهم ترغيبا لأهل القدرة و الرحمة فى اتباع أهل الرضوان و النعمة فقال : ﴿ و السبقون ﴾ و لما دل على سبقهم بالعلو فى مراتبه[3] دل على قديم دخولهم فيه فقال : ﴿ الاولون ﴾ أى إلى هذا الدين القيم ﴿من المهجرين﴾ أى لدار الكفر فضلا عن أهلها ﴿و الانصار﴾ أى الذين آووا و نصروا ﴿ و الذين اتبعوهم ﴾ أى / الفريقين ﴿ باحسان[4] ﴾ / ٥٤٢ أى فى اتباعهم فلم يحولوا عن شىء من طريقهم[4] ﴿رضى الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ عنهم ﴾ أى بأفعالهم هذه التى هى وفق ما أمر [به -[5]] ﴿ و رضوا عنه ﴾ أى بما آتاهم عنه من البشرى[6] و قذف فى قلوبهم من النور بلطيف الوعظ[7] و الذكرى ﴿ و اعد لهم ﴾ أى جزاء على فعلهم ﴿جنت تجرى﴾ و نبه على عموم ريّها و كثرة مائها بنزع الجار على قراءة

(١) فى ظ : يتساهله (٢) من ظ ، و فى الأصل : فيهم (٣) فى ظ : معاتبه .
(٤) فى ظ : طريقه (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : البسرى (٧) فى ظ : الوعد .

الجماعة فقال: ﴿ تحتها الانهر ﴾ أى هى كثيرة المياه. فكل موضع أردته تبع منه ماء فجرى منه نهر؛ و لما كان المقصود من الماء إنما هو السهولة فى إنباطه بقربه و يسر[1] جريه و انبساطه أثبته[2] ابن كثير دلالة على ذلك كسائر المواضع، و لعل تخصيص هذا الموضع بالخلاف لأنه يخص هذه الأمة. فلعلها تخص بجنة هى أعظم الجنان ريا و حسنا و زيا.

و لما كان أعظم العيوب الانقطاع. نفاه بقوله: ﴿ خلدين فيها ﴾ و أكد المراد من الخلود بقوله: ﴿ ابدا ﴾ ثم استأنف مدح هذا الذى أعده لهم بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى المكانة خاصة ﴿ الفوز العظيم ﴾

و لما استوفى الأقسام الأربعة: قسمى الحضر و قسمى البدو ثم خلط بين قسمين منهم تشريفا للسابق و ترغيبا للاحق. خلط بين الجميع على وجه آخر ثم ذكر منهم فرقا[4] منهم من نجز الحكم بجزائه باصرار أو متاب. و منهم من أخر أمره إلى يوم الحساب، و ابتدأ الأقسام بالمستور عن[4] غير علمه ليعلم أهل ذلك القسم أنه سبحانه عالم بالخفايا فلا يزالوا أذلاء خوفا مما هددهم[5] به فقال مصرحا بما لم يتقدم التصريح به من نفاقهم: ﴿ و ممن حولكم ﴾ أى حول بلدكم المدينة ﴿ من الاعراب ﴾ أى الذين[6] قدمنا أنهم أشد كفرا لما لهم من الجفاء ﴿ منفقون ﴾ أى راسخون فى النفاق، و كأنه قدمهم لجلافتهم و عتوهم، و أتبعهم من هو أصنع منهم

(١) من ظ، و فى الأصل: سير (٢) فى ظ: اتبعه (٣) من ظ، و فى الأصل: فريقا (٤) من ظ، و فى الأصل: بمن (٥) من ظ، و فى الأصل: حددهم (٦) فى ظ: الذى.

فى النفاق فقال: ﴿ومن أهل المدينة قف﴾ أى منافقون أيضا؛ ثم بين أنهم لا يتوبون بوصفهم بقوله: ﴿مردوا﴾ أى صلبوا وداموا وعتوا وعسوا وعصوا وصار لهم [به -[1]] دربة عظيمة[2] وضراوة حتى ذلت لهم فيه[3] جميع أعضائهم الظاهرة والباطنة وصار لهم خلقا ﴿على النفاق قف﴾ أى استعلوا على هذا الوصف بحيث صاروا فى غاية المكنة[4] منه؛ ثم بين مهارتهم فيه بقوله: ﴿لا تعلمهم[1]﴾ أى بأعيانهم مع ما لك من عظيم الفطنة وصدق الفراسة لفرط توقيهم وتحامى ما يشكل من أمرهم؛ ثم هددهم وبين خسارتهم بقوله: ﴿نحن﴾ أى خاصة ﴿نعلمهم[1]﴾ [ثم -[1]] استأنف جزاءهم بقوله: ﴿سنعذبهم﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿مرتين﴾ أى إحداهما برجوعك سالما وشفوف[5] أمرك وعلو شأنه وضخامة أركانه وعز سلطانه وظهور برهانه، فانهم قطعوا لغباوتهم وجلافتهم وقساوتهم كما أشرت إليه بقولى "ويتربص[6] بكم الدوائر" - أنك لا ترجع هذه المرة من هذه السفرة لما يعرفون من ثباتك للأقران، وإقدامك على الليوث الشجعان، واقتحامك للأهوال، إذا ضاق المجال، ونكص الضراغمة الأبطال، ومن عظمة الروم وقوتهم وتمكنهم وكثرتهم، وغاب عن الأغبياء وخفى عن الأشقياء الأغنياء أن الله الذى خلقهم أعظم منهم وأكبر، وجنوده أقوى من جنودهم وأكثر؛ والثانية بعد وفاتك بقهر أهل الردة ومحقهم ورجوع ما أصلته بخليفتك الصديق رضى الله عنه إلى

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: عظيم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، وفى الأصل: المنكر - كذا (٥) من ظ، وفى الأصل: سوف (٦) فى ظ: يتربصن.

ما كان عليه فى أيامك من الظهور و انتشار الضياء و النور و الحكم على من خالفه بالويل و الثبور، وسيأتى أنه يمكن أن تكون[1] المرة الثانية إخراب مسجد الضرار و الإخبار بما أضمروا فى شأنه من خفى الأسرار ﴿ثم يردون﴾ أى بعد الموت ﴿الى / عذاب عظيم ج﴾ أى لا يعلم عظمه حق علمه إلا الله ٥٤٣/ تعالى، و هو العذاب الأكبر الدائم الذى لا ينفك أصلا .

و لما ذكر هذا القسم المارد الجافى، ثنى بمقابلة اللين الصافى، و هى الفرقة التى يجز المتاب عليها و النظر بعين الرحمة إليها فقال: ﴿و آخرون﴾ أى و ممن حولكم من الأعراب و من أهل المدينة آخرون ﴿اعترفوا بذنوبهم﴾ أى كلفوا أنفسهم ذكرها توبة منهم ندما[2] و إقلاعا و عزما و لم يفزعوا إلى المعاذير الكاذبة [و هم المقتصدون - [3]] .

و لما كان الخلط جمعا فى امتزاج، كان بمجرد ذكره يفهم أن المخلوط امتزج بغيره ، فالإتيان بالواو فى " آخر " يفهم أن المعنى: ﴿خلطوا عملا صلحا﴾ بسيئ ﴿و آخر سيئا[1]﴾ بصالح، فهو من ألطف شاهد لنوع الاحتباك، و لعل التعبير بما أفهم ذلك إشارة إلى تساوى العملين و أنه ليس أحدهما بأولى من الآخر أن يكون أصلا ، [و قد فسرها النبى صلى الله عليه و سلم بذلك فى أناس رآهم فى المنام شطر منهم حسن و شطر منهم قبيح كما رواه البخارى فى التفسير عن سمرة رضى الله عنه - [3]] ثم أوجب تحقيق توبتهم الملزومة للاعتراف بقبولها بقوله: ﴿عسى الله﴾ أى بما له من الإحاطة بأوصاف الكمال

(١) فى ظ : يكون (٢) فى ظ : بدعا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

﴿ ان يتوب عليهم ﴾ فان " عسى " منه سبحانه و تعالى واجبة لأن هذا دأب الملوك و لعل التعبير بها يفيد - مع الإيذان[1] بأنه لا يجب عليه لأحد[2] شيء و أن كل[3] إحسان يفعله فانما هو على سبيل الفضل إشارة[4] إلى أنهم صاروا كغيرهم من خلص المؤمنين غير المعصومين فى مواقعة[5] التقصير و توقع الرحمة من الله بالرجوع بهم إلى المراقبة ، فكما أن أولئك معدودون ٥ فى حزب الله مع هذا التقصير المرجو له العفو فكذلك هؤلاء ؛ ثم علل فعله بهم مرجيا للمزيد بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى ذا الجلال و الإكرام ﴿ غفور رحيم ٥ ﴾ أى لم يزل موصوفا بقبول المعرض إذا أقبل و إبدال سيئه بحسن فضلا منه [2]و إكراما[2] ؛ روى البخارى فى صحيحه فى التفسير عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ١٠ لنا : أتانى[6] الليلة آتيان فابتعثانى فانتهيا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب و لبن فضة فتلقانا رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء[7] و شطر كأقبح ما أنت راء[7] ، قالا [لهم -[8]] : اذهبوا فقعوا فى ذلك النهر ، فوقعوا فيه ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا فى أحسن صورة ، قالا لى : هذه جنة عدن ، و هذاك منزلك ، قالا : أما القوم ١٥ الذين كانوا شطر منهم حسن و شطر منهم قبيح فانهم خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا عفا[9] الله عنهم .

---

(١) فى ظ : الاستيذان (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : لك - كذا. (٤) من ظ ، وفى الأصل: لاشارة (٥) فى ظ: موافقة (٦) فى ظ: اتى (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد من ظ وصحيح البخارى (٩) فى الصحيح : تجاوز .

و لما كان من شأن الرضوان قبول القربان، أمره صلى الله عليه وسلم تطهيرا لهم و تطييبا لقلوبهم بقوله: ﴿خذ﴾ و رحمهم بالتبعيض فقال: ﴿من اموالهم صدقة﴾ أى تطيب أنفسهم باخراجها ﴿تطهرهم﴾ أى هى من ذنوبهم و تجرى بهم[1] مجرى الكفارة ﴿و تزكيهم﴾ أى أنت ٥ تزيدهم[2] و تنميهم ﴿بها﴾ بتكثير حسناتهم ﴿و صل﴾ أى اعطف ﴿عليهم[3]﴾ و أظهر شرفهم بدعائك لهم؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ان صلوتك﴾ أى دعواتك التى تصلهم بها فتكون موصلة لهم إلى الله ﴿سكن لهم[3]﴾ أى تطمئن بها قلوبهم بعد قلق الخوف من عاقبة الذنب لما يعلمون من أن القبول لا يكون إلا ممن حصل له الرضى عنهم[3] و من ١٠ [أن ـ[4]] الله يسمع قولك إجابة لك و يعلم صدقك[5] فى صلاحهم ﴿و الله﴾ أى المحيط بكل شىء ﴿سميع عليم ٥﴾ أى لكل ما يمكن أن يسمع و ما يمكن أن يعلم منك و منهم و من غيركم. فهو جدير بالإجابة و الإثابة، و ذلك أن هذا الصنف لما[6] اشتد ندمهم على التخلف أوثقوا أنفسهم بسوارى المسجد فسأل عنهم رسول الله صلى الله عليه و سلم حين ١٥ قدم فقيل: ندموا على التخلف عنك فحلفوا: لا يطلقهم إلا أنت. فقال: و أنا لا أطلقهم حتى أومر بذلك، فأنزل الله سبحانه و تعالى هذه الآيات فقالوا: يا رسول الله! هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها! فقال: ما أمرت بذلك[7]، فلما أنزل [الله ـ[4]] / هذه الآية أخذ الثلث فتصدق به. ٥٤٤/

(١) فى ظ: لهم (٢) فى ظ: تزكيهم (٣) من ظ، و فى الأصل: عنه (٤) زيد من ظ (٥) من ظ. و فى الأصل: قصدك (٦) فى ظ: مما (٧) سقط من ظ.

و لما ساق توبتهم سبحانه فى حيز "عسى"، و كان الأصل فيها الترجية فى المحبوب و الإشفاق فى المكروه، [و -[1]] أمر سبحانه بالأخذ من أموالهم لذلك، و كان إخراج المال شديدا على النفوس لا سيما فى ذلك الزمان، كان ربما استوقف الشيطان من لم يرسخ قدمه فى الإيمان عن التوبة و ما يترتب عليها من الصدقة لعدم الجزم بأنها تقبل، فاتبع ٥ ذلك سبحانه بقوله: ﴿ الم يعلموآ ﴾ أى المعترفون بالذنوب حتى تسمح أنفسهم بالصدقة أو غيرهم حتى يرغبوا فى التوبة و الصدقة ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ يقبل ﴾ أى من شأنه أن يقبل ﴿ التوبة ﴾ تجاوزا ﴿ عن عباده ﴾ أى التائبين المخلصين ﴿ و ياخذ ﴾ أى يقبل قبول الآخذ لنفسه ﴿ الصدقت ﴾ أى ممن يتقرب بها إليه بنية ١٠ خالصة ﴿ و ان الله ﴾ أى المحيط بصفتى الجلال و الإكرام ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ التواب الرحيم ﴾ أى لم يزل التجاوز و الإكرام من شأنه و صفته، و فى ذلك إنكار على غيرهم من المتخلفين فى كونهم لم يفعلوا مثل فعلهم من الندم الحامل على أن يعذبوا أنفسهم بالإيثاق فى السوارى و يقربوا بعض أموالهم كما فعل هؤلاء أو نحو ذلك مما يدل على الاعتراف و الندم. ١٥

و لما أمره من تطهيرهم بما يعيدهم إلى ما كانوا عليه قبل الذنب، عطف على قوله "خذ" قوله تحذيرا لهم من مثل ما وقعوا فيه: ﴿ و قل اعملوا ﴾ أى بعد طهارتكم ﴿ فسيرى الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ عملكم ﴾ أى بما له من إحاطة العلم و القدرة فاعملوا عمل من

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.

يعلم أنه بعين الله ﴿ و رسوله ﴾ أى باعلام الله له . و لما كان هذا[1] القسم من المؤمنين فكانت أعمالهم لا خفاء فيها ، قال ﴿ و المؤمنون[4] ﴾ فزينوا أعمالكم جهدكم و أخلصوا ، و فى بعض الأحاديث « لو أن رجلا عمل فى صخرة لا باب لها لأظهر الله عمله للناس كائنا ما كان » .

٥ و لما كان هذا السياق للمؤمنين حذف منه ' ثم ' لكنه لما كان للذنبين ، أكد بالسين فقال : ﴿ و ستردون ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿ الى عٰلم الغيب و الشهادة ﴾ أى بعد الموت و البعث ﴿ فينبئكم ﴾ أى بعلمه بكل شىء ﴿ بما كنتم تعملون ۝ ﴾ أى ما أظهرتم عمله و ما كان فى غرائزكم ، فلو تأخرتم تظهرتم ، يجازيكم على حسنة و يزيد من فضله ،

١٠ و على سيئة عدلا إن شاء و لا يظلم مثقال ذرة .

و لما ذكر القسمين المنجز عذابهم و مثابهم ، ذكر المؤخر أمرهم [و هو القسم الظالم لنفسه فى الذى بدأ به فى سورة فاطر سورة الحشر الآخر ، و لا يبعد أن تكون هذه سورة الحشر الأول لأنه صلى الله عليه و سلم ساق الناس إلى أرض المحشر - [2]] فقال : ﴿ و اٰخرون ﴾

١٥ أى و منهم آخرون ﴿ مرجون ﴾ أى مؤخرون بين الرجاء و الخوف ﴿ لامر الله ﴾ أى لما يأمر به فيهم الملك الأعظم الذى له الأمر كله لا يدرون أيعذبون أم يرحمون ؛ و قدم قوله - : ﴿ اما يعذبهم ﴾ إن أصروا - تخويفا [لهم [2]] حملا على المبادرة إلى التوبة و تصفيتها و الإخلاص فيها و حثا[3] على أن يكون الخوف ما دام الإنسان صحيحا

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ . و فى الأصل: حقا.

أغلب و ثنى بقوله : ﴿ و اما يتوب عليهم ﴾ أى إن تابوا ترجية لهم و ترقيقا لقلوبهم بالتذكير بمنزل[1] الأنس[2] الذى أخرجوا أنفسهم منه و منعوها من حلوله و طيب مستقره و مقيله و حلّ أوقاته و علىّ مقاماته و شهىّ أقواته.

و لما كان ربما قال قائل : ما فائدة التأخير و ما المانع من التنجيز ؟ قال : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ عليم حكيم ٥ ﴾ ٥ ترهيبا و ترغيبا و تبعيدا و تقريبا و احتراسا مما قد يوهمه الترديد من الشك و تدريبا . و قراءة " غفور رحيم " للزيادة فى الترجية .

و لما ذكر الذين أقامهم فى[3] مقام الخطر أتبعه تعيين طائفة من القسم الأول المستور الموصوف بالمرود . فألحق بهم الضرر فقال : ﴿ و الذين ﴾ و هو معطوف فى قراءة من أثبت الواو على قوله " و اخرون " ١٠ و خبره على ما يليق بالقصة : منافقون / ماردون ، و أما على قراءة المدنيين ٥٤٥ / و ابن عامر بحذفها فيكون على تقدير سؤال سائل ، و ذلك أنه [لما - [4]] قال تعالى " لا تعلمهم نحن نعلمهم " تشوفت النفس إلى الإعلام بهم ، فلما قال " و اخرون اعترفوا بذنوبهم " اشتغل السامع بتفهمه ، و ربما ظن أنه يأتى فى آخر الكلام[5] من تسميتهم ما يغنيه عن السؤال ، فلما ١٥ انتقل بقوله " و اخرون مرجون " إلى قسم آخر ، و ختم الآية بصفتى العلم و الحكمة ليعلم أن الترديد للتقسيم و أنه إن كان شك فهو بالنسبة إلى العباد و أما الله تعالى فمنزه عنه فذكر السامع بالصفتين ما كان دار

(١) فى ظ : بمنزلة (٢) من ظ . و فى الأصل: الانسان (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فحذفناها .

فى خلده و مال إليه قلبه من الإعلام بالماردين على النفاق ، فاشتد تشوفه إليه فكان كأنه قال : من من الماردين منهم؟ فقال تعالى [الذين - [١]] ﴿ اتخذوا مسجدا ﴾ [أى - [١]] من الماردين وهم من[٢] أعظمهم مهارة فى النفاق و إخفاء الكيد و الشقاق لأنهم توصلوا إلى ذلك بأن كلفوا أنفسهم الأخذ لأعظم عرى الدين[٣] مع المنازعة للفطرة الأولى و الحذر من أن يفضحوا[٣]، فكان ختام هذه الآية من بديع الختام فانه احتراس عما يتوهم فيما قبله و دليل على ما بعده ، و لذلك ختم قصتهم أيضا بصفتى العلم و الحكمة . و لاح من هذا أن قوله "سنعذبهم مرتين" يمكن أن يراد به : مرة برجوعك . و مرة باخرابك مسجدهم و تفريقك لشملهم بعد هتك سرائرهم بكشف ضمائرهم ، و بين سبحانه علة اتخاذهم بقوله : ﴿ ضرارا ﴾ أى لأهل مسجد قباء أو لحزب الله [عامة - [١]] ﴿ و كفرا ﴾ أى بالله لاتخاذ دينه هزؤا ﴿ و تفريقا ﴾ أى [مما - [١]] يبيتونه من المكايد باستجلابهم لبعض من يخدعونه من المؤمنين و يطمعون فيه ليأتى مسجدهم و يترك المسجد المؤسس[٤] على التقوى ﴿ بين المؤمنين ﴾ أى الراسخين فى الإيمان بما جاء من عند الله ، لأنهم كانوا يجتمعون فى مسجد قباء فيغتص[٥] بهم ﴿ و ارصادا ﴾ أى إعدادا و انتظارا ﴿ لمن حارب الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ و رسوله ﴾ و لما لم تكن محاربتهم مستغرقة للزمن الماضى ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل[٦] ﴾

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط مابين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : المسس (٥) من ظ . و فى الأصل : فيفيض .

أى قبل اتخاذهم لهذا المسجد بزمن قريب و هو أبو عامر الفاسق ليأتى إليهم فيزيدهم قوة على نفاقهم بأن يصير كهفا يأوون إليه و رأسا [لهم -[1]] يتجمعون[2] عليه، و ذلك أنه كان من بنى غنم بن عوف، و هو والد[3] حنظلة الغسيل الذى كان من خيار الصحابة، و كان أبو عامر قد ترهب فى الجاهلية و لبس المسوح. فلما قدم النبى صلى الله عليه و سلم المدينة قال ٥ له: ما هذا الدين الذى جئت به؟ قال[4]: الحنيفية دين إبراهيم، قال أبو عامر: أنا عليها، قال صلى الله عليه و سلم: لست عليها. قال: بلى، و لكنك أدخلت فيها ما ليس منها، قال: ما فعلت، و لكنى جئت بها بيضاء[5] نقية، قال أبو عامر: أمات الله الكاذب منا طريدا شريدا وحيدا غريبا! فقال صلى الله عليه و سلم: آمين! و سماه الفاسق، ثم تحيز إلى قريش و قاتل النبى صلى الله ١٠ عليه و سلم معهم يوم أحد و قال: لا أجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم، فلما قاتل يوم حنين مع هوازن[7] و انهزموا أيس و هرب إلى الشام، و أرسل إلى المنافقين أن استعدوا فانى ذاهب إلى قيصر فآت بجنود و مخرج محمدا! و كانوا قد حسدوا إخوانهم بنى عمرو بن عوف على مسجد قباء لما بنوه، و كان النبى صلى الله عليه و سلم يأتيه و يصلى فيه، فبنوا مسجد الضرار ١٥

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: يجتمعون (٣) فى ظ: ولد (٤) من ظ، و فى الأصل: فان، و القصة مسوقة فى معالم التنزيل أيضا - راجع لباب التأويل ٣/١٢١.
(٥) فى ظ: بيضة (٦) زيد بعده فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و المعالم فحذفناها (٧) فى ظ: هوام.

و أرسلوا إليه صلى الله عليه و سلم ليأتيهم فيصلى فيه ، و كان يتجهز لتبوك فقال : أنا[1] على جناح سفر و حال شغل ، و إذا قدمنا صلينا فيه إن شاء الله ! فلما قدم فكان قريبا من المدينه نزلت الآية ، فدعا مالك بن الدخشم و جماعة و قال [لهم -[2]] : انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه و أحرقوه ، ففعلوا ، و أمر صلى الله عليه و سلم أن يتخذ مكانه كناسه يلقى فيها الجيف و القمامة ؛ و مات أبو عامر بالشام [وحيدا غريبا طريدا -[2]] . و قيل : كل مسجد بنى مباهاة أو لغرض ليس به إخلاص أو بمال مشتبه فهو لاحق بمسجد الضرار . /٥٤٦

و لما أخبر عن سرائرهم ، أخبر عن نفاقهم فى[3] ظواهرهم بقوله : ﴿ و ليحلفن ﴾ أى جهد أيمانهم ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ اردنآ ﴾ [أى -[2]] باتخاذنا له ﴿ الا الحسنى ﴾ أى من الخصال ؛ ثم كذبهم بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ يشهد ﴾ أى يخبر إخبار الشاهد ﴿ انهم لكذبون ﴾ و قد بان بهذا كله أن[4] سبب فضيحتهم ما تضمنه فعلهم من عظيم الضرر للاسلام و أهله ؛ ثم قال ناهيا عن إجابتهم إلى ما أرادوا به من التلبيس إنتاجا عن هذا الكلام الذى هو أمضى من السهام : ﴿ لا تقم فيه ﴾ أى مسجد الضرار ﴿ ابدا ﴾ أى سواء تابوا أولا ، و أراد بعض المخلصين أن يأخذه[5] أولا ، أى لا بد من إخرابه و محو أثره عن وجه الأرض .

و لما ذمه و ذم أهله ، مدح مسجد النبي صلى الله عليه و سلم ، إما الذى

(١) فى ظ : ان (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ « و » (٤) فى ظ : اى (٥) فى ظ : يأخذوه .

بالمدينة الشريفة و إما الذى بنى عمرو بن عوف بقباء على الخلاف فى ذلك .
و هو الذى اتخذ فى أول الإسلام مسجدا إحسانا و إيمانا و جمعا بين
المؤمنين و إعدادا لمن صادق الله و رسوله ، و مدح أهله إرشادا لكل من
كان مال إليه من المؤمنين لقرب أو غيره إلى العوض عنه ، و لعله
أبهم تعيينه و ذكر وصفه ليكون صالحا لكل من المسجدين . ٥

لما اتصف بهذا الوصف من غيرهما فقال مؤكدا تعريفا بما له
من الحق و لما للمنافقين من التكذيب : ﴿ لمسجد اسس ﴾ أى وقع
تاسيسه ﴿ على التقوى ﴾ أى فأحاطت التقوى به لأنها إذا أحاطت
بأوله أحاطت بآخره ؛ و لما كان التأسيس قد تطول مدة أيامه فيكون
أوله مخالفا لآخره ، قال : ﴿ من اول يوم ﴾ أى من أيام تأسيسه ، ١٠
و فيه إشارة إلى ما تقدم من احتمال أن يريد أحد من أهل الإخلاص
أن يتخذه مصلى . فبين أنه لا يصلح لذلك لأن تأسيسه كان لما هو
مباعد له ﴿ احق ان تقوم فيه ﴾ أى بالصلاة و الوعظ و غيره من
مسجد لم يقصد[1] به التقوى على تقدير فرض محال إلا فى[2] ثانى الحال .

و لما مدحه مدح أهله بقوله : ﴿ فيه رجال ﴾ أى لهم كمال ١٥
الرجولية ﴿ يحبون ان يتطهروا ﴾ أى فى أبدانهم و قلوبهم كمال الطهارة -
بما أشار إليه الإظهار ، فهم دائما فى جهاد أنفسهم فى ذلك فأحبهم الله[3]

(١) فى ظ : لم تقصد (٢) من ظ ، و فى الأصل : الى (٣) زيد بعده فى الأصل :
و لاثبات ما افهم الاجتهاد حصل الغنى عن إظهار تاء التفعل فقال ، و لم تكن
الزيادة هنا فى ظ فحذفناها و سيأتى .

﴿ والله ﴾ أي الذي له صفات الكمال ﴿ يحب ﴾ أي يفعل ما يفعل المحب من الإكرام بالفضل والإحسان ، ولإثبات ما أفهم الاجتهاد حصل الغنى عن إظهار تاء التفعل أو للندب إلى الطهارة ولو على أدنى الوجوه المجزئة فقال : ﴿ المطهرين ٥ ﴾ أي قاطبة منهم ومن غيرهم .

٥ ولما علم من هذا بطريق الإشارة والتلويح أن التأسيس مثل ابتداء خلق الحيوان ، فمن جبل من [1]أول مرة[1] جبلة شر لا يصلح[2] للخير أبدا ولا يقبله كما قال تعالى "ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون[3]" ذكره على سبيل التصريح فسبب عما مضى قوله ممثلا الباطل ببناء على حرف واد واه جدا[4] على شفير جهنم : ﴿ افمن اسس بنيانه ﴾ أي

١٠ كما أشرت إليه في المسجد المحثوث بالإقبال عليه ﴿ على تقوى من الله ﴾ أي الملك الأعلى ﴿ ورضوان ﴾ فكان[5] كمن بنى بنيانه على جبل لا تهدمه الأمطار ولا تؤثر فيه السيول ﴿ خير ام من اسس بنيانه ﴾ على فسق وفجور وعدم اكتراث بالأمور فكان كمن بنى بنيانه ﴿ على شفا ﴾ أي حرف ، ومنه الشفة ﴿ جرف ﴾ أي مكان جفرة السيل / وجرفه ٥٤٧ /

١٥ فصار مشرفا على السقوط ، ولذلك قال : ﴿ هار ﴾ أي هائر ، من هار الجرف - إذا أشرف لتخريق السيول على السقوط ﴿ فانهار ﴾ أي فكان بناؤه لذلك سببا لأنه سقط سقوطا لا تماسك معه ﴿ به ﴾ أي وهو فيه آمنا من سقوطه بقلة عقله وسفاهة رأيه ﴿ في نار جهنم[4] ﴾

(١ - ١) من ظ ، وفي الأصل : امره - كذا (٢) زيد بعده في ظ : الا .
(٣) سورة ٨ آية ٢٣ (٤) سقط من ظ (٥) في ظ : فمن .

(٥) فالجواب

فالجواب : لا شك الأول خير بل ، لا خير فى الثانى أصلا ، و العجب كل العجب من كونه بنى هذا البناء هكذا . فأجيب بأنه لا عجب لأن الأمر بيد الله، لا مفر من قضائه ، وهو قد هدى الأول إلى ما فيه صلاحه ، و لم يهد[1] الثانى لما علم فيه من عدم قابلية الخير ﴿ و الله ﴾ الذى له صفات الكمال ﴿ لا يهدى القوم ﴾ أى الذين لهم قوة المحاولة لما يريدون ﴿ الظلمين ٥ ﴾ ٥ أى المطبوعين على ظلام البصائر ، فهم لا يفكرون فى شىء إلا جاء فى غير موضعه و على غير نظام كخطوات[2] الماشى فى الظلام ، و قد علم أن الآية من قبيل الاحتباك : أثبت أولا التقوى لأن أهل الإسلام أحق بها ، فدلت على حذف[3] ضدها ثانيا ، و أثبت ثانيا ضعف البناء حسا لأن مسجد الضرار أولى به ، فدل على حذف ضده أولا ، فذكر ١٠ النهاية المعقولة لأهلها و البداية المحسوسة للناظرين لها؛ و روى عن جابر رضى الله عنه قال : رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار ؛ و حكى عن خلف بن يسار[4] أنه رأى فيه حجرا يخرج منه الدخان فى أول دولة بنى العباس .

و لما كان ما تقدم غير قاطع فى إخرابه لما ثبت للمساجد من الحرمة، ١٥ استأنف الإخبار عن أنه لا يعد فى عداد المساجد بوجه ، و إنما هو فى عداد بيوت الأصنام فهو واجب الإعدام فقال : ﴿ لا يزال بنيانهم ﴾

---

(١) فى الأصل و ظ : لم يهدى (٢) من ظ ، و فى الأصل : لخطوات (٣) زيد بعده فى الأصل : مضاف ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى تفسير الطبرى : ياسين - راجع آية ١٠٩ فيه .

أى نفس المبنى و هو المسجد ﴿ الذى بنوا ريبـــة ﴾ أى شكا و نفاقا ﴿ فى قلوبهم ﴾ كما أن بيوت الأصنام كذلك لأهلها . فكان ذلك حثا على إخرابه و محوه و قطع أثره . و المعنى أنه جامع لهم على الريبة فى كل زمان يمكن أن يكون ﴿ الآ ان ﴾ و لما كان القطع محصلا للمقصود من غير نظر إلى قاطع معين . قال بانيا للمفعول : ﴿ تقطع قلوبهم[1] ﴾ أى إلا زمان يوجد فيه القطع البليغ الكثير لقلوبهم و عزائمهم و يباعد بينهم و يفرق شملهم بإخراجه ، و قراءة يعقوب بـ[2] الى[3] الجارة واضحة فى المراد ، أو يكون المراد أنه لا يزال حاملا لهم[4] على التصميم على النفاق إلى أن يموتوا ، فهو كناية عن عدم توبتهم .

و لما كان التقدير : فالله عليم بما أخبركم به فلا تشكوا فيه ، عطف عليه تعميما للحكم و تعظيما[5] للأمر قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم بكل معلوم ﴿ حكيم[6] ﴾ فهو يتقن ما يأمر به .

و لما تقدم الإنكار على المتثاقلين عن النفر فى سبيل الله فى قوله تعالى "[7]ما لكم اذا قيل لكم[7] انفروا" - الآية ، ثم الجزم بالأمر[8] بالجهاد بالنفس و المال فى قوله "انفروا خفافا و ثقالا" - الآية ، و كان أمره تعالى كافيا للمؤمن الذى صدق إيمانه بالإسلام فى امتثاله لذلك[9] فى منشطه و مكرهه ، و كان كثير منهم قد فعلوا بتثاقلهم ما يقدح فى

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : تعليقا (٣-٣) من ظ و القرآن الكريم سورة ٩ آية ٣٨ ، و فى الأصل : ما قيل لكم (٤) فى ظ : بها (٥) من ظ ، و فى الأصل : ذلك .

إيمانهم طمعا فى ستره بمعاذيرهم و أيمانهم ، اقتضى المقام تبكيت المتثاقلين و تأنيب[1] المنافقين على وجه مهتك لأستارهم مكشف لأسرارهم . فلما استوفى تعالى فى ذلك أقسامهم ، و نكس ألويتهم و أعلامهم ، و ختمهم بهذه الطائفة التى ظهر[2] فيها امتثاله صلى الله عليه و سلم لقوله تعالى "جاهد الكفار و المنفقين و اغلظ عليهم" بأن هدّ[3] مسجدهم و حرقه بالنار ٥ و أزال بنيانه و فرقه ، و قدّ أديمه عن جديد الأرض و مزقه ، أتبع ذلك سبحانه بتذكير المؤمنين ما أمرهم به فى قوله تعالى "قاتلوا الذين لايؤمنون بالله و لا باليوم الأخر" و قوله "انفروا خفافا و ثقالا" ليفعلوا فيه ما فعله / رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما أمر[4] به ، فساق / ٥٤٨ مساق الجواب لسؤال من كأنه قال : لقد طال المدى و عظم الخطب فى ١٠ هذه السورة فى إبانة الفضائح و هتك السرائر و إظهار القبائح ، فلم فعل ذلك و قد جرت عادته بالأمر بالستر و أخذ العفو؟ قوله : ﴿ان الله﴾ أى الملك الذى لا ملك فى الحقيقة غيره و لا يخشى إلا عذابه و لا يرجى إلا خيره ﴿اشترى﴾ [أى -[5]] بعهود أكيدة و مواثيق غليظة شديدة ، و لذلك عبر بما يدل على اللجاج فيها فقال : ﴿ من المؤمنين ﴾ أى بالله ١٥ و ما جاء من عنده ، و قدم النفس إشارة إلى أن المبايعة سابقة على اكتساب المال فقال مقدما للأعز : ﴿ انفسهم ﴾ أى التى تفرد بخلقها ﴿ و اموالهم ﴾ أى التى تفرد برزقها و هو يملكها دونهم .

(١) فى ظ : تانيث (٢) فى ظ : اظهر (٣) فى ظ : هذا (٤) فى ظ : فسر .
(٥) زيد من ظ .

و لما ذكر المبيع أتبعه الثمن فقال: ﴿بان لهم الجنة[1]﴾ أى خاصة بهم مقصورة[1] عليهم، لا يكون لغير مؤمن، فيزهم حتى يقابل[2] كل بما يستحقه، فكأنه قيل: اشترى منهم ذلك بما ذا[3]؟ فقيل: ﴿يقاتلون فى سبيل الله﴾ أى [الملك الأعلى - [4]] بسبب دينه الذى لا يرضى غيره، قتالا يكون الدين محيطا به و ظرفا، فلا يكون فيه شائبة لغيره؛ ثم سبب عن ذلك[5] ما هو حقيق به، فقال: ﴿فيقتلون و يقتلون قف﴾ أعم من أن يكون ذلك بالقوة أو بالفعل، فيخصهم بالجنة كما وعدهم، و قراءة[6] حمزة و الكسائى بتقديم المبنى للمفعول أمدح، لأن من طلب الموت - لا يقف له خصمه. فيكون المعنى: فطلبوا أن يكونوا مقتولين فقتلوا أقرانهم، و يجوز أن يكون النظر إلى المجموع فيكون المعنى أنهم يقاتلون بعد رؤية مصارع أصحابهم[7] من غير أن يوهنهم[8] ذلك، و عن بعض الأعراب أنه لما سمع هذه الآية قال: بيع و الله مربح! لا نقيل و لا نستقيل، فخرج إلى الغزو[9] فاستشهد.

و لما كان القتل لكونه سببا للجنة بشارة و وعدا. أكد[10] ذلك بقوله: ﴿وعدا﴾ و زاده[11] بحرف الإيجاب فقال: ﴿عليه﴾ و أتم التأكيد بقوله: ﴿حقا﴾ و لما أكد هذه المبايعة[12] الكريمة هذه التأكيدات العظيمة، زاد ذلك بذكره فى جميع الكتب القديمة فقال: ﴿فى التورٰىة﴾

(١) فى ظ: مقصودة (٢) فى ظ: يعامل (٣) فى ظ: لما ذا (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: هذا (٦) من ظ، وفى الأصل: فرا (٧) فى ظ: اصابهم (٨) فى ظ: يهينهم. (٩) من ظ و البحر المحيط ٥/١٠٢، وفى الأصل: العدو (١٠) سقط من ظ. (١١) فى ظ: زاد (١٢) فى ظ: المبالغة.

كتاب موسى عليه السلام ﴿ و الانجيل ﴾ [١] كتاب عيسى عليه السلام[١] ﴿و القرآن [١]﴾ أى الكتاب الجامع لكل ما قبله و لكل خير ، و هؤلاء المذكورون[٢] فى هذه السورة كلهم ممن[٣] ادعى الإيمان و ارتدى به حلل الأمان[٤] ، ثم إنهم فعلوا بتخلفهم عن الإقباض و توقفهم عن الإسراع و الإيفاض و غير ذلك من أقوالهم و مساوئ أفعالهم فعل الكاذب فى دعواه أو الشاك أعم[٥] من أن يكون كذب بالآخرة المشتملة على الجنة أو يكون شك فى وعد الله بإيرائهم إياها أو بتخصيصهم بها ، و جوز أن يدخلها غيرهم و طمع أن يكون هو ممن يدخلها مع التكذيب ، و الله تعالى منزه عن جميع ذلك و هو وفى بعهده ﴿ و من ﴾ أى وعد بذلك و الحال أنه أوفى المعاهدين فهو مقول[٦] فيه على طريق الاستفهام الإنكارى : من ﴿ اوفى بعهده من الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال لأن الإخلاف لا يقدم عليه الكرام من الناس فكيف بخالقهم[٧] الذى له الغنى المطلق .

و لما كان ذلك سببا للتبشير[٨] لأنه لا ترغيب فى الجهاد أحسن منه ، قال مهنئا لهم : ﴿فاستبشروا﴾ أى فأوجدوا فى نفوسكم غاية البشر يا معاشر المجاهدين . و لما ذكره فى ابتداء العقد بلفظ يدل على التأكيد ، ذكره فى آخره بلفظ يدل على السعة إشارة إلى سعة الجزاء فقال : ﴿ببيعكم الذى بايعتم﴾

(١-١) فى ظ : اى الكتاب الجامع لكل ما قبله (٢) فى ظ : المذكورين (٣) فى ظ : من (٤) من ظ ، وفى الأصل : الايمان (٥) فى ظ : اوهم (٦) من ظ ، وفى الأصل : يقول (٧) من ظ . وفى الأصل : يخالفهم (٨) فى ظ : للبشر .

أى أوقعتم المبايعة لله ﴿ به ﴾ فانه موفيكم لا محالة فذلك هو الأجر الكريم ﴿ و ذلك ﴾ أى إيرائكم الجنة و تخصيصكم بها ﴿ هو ﴾ أى خاصة لا غيره ﴿ الفوز العظيم ﴾ فالحاصل أن هذه الآية واقعة موقع التعليل للأمر بالنفر بالنفس و المال .

٥٤٩/ ٥ و لما ثبتت المعاقدة / و أحكامها ، وصف المعاقدين على طريق المدح للحث على أوصافهم فقال : ﴿ التآئبون ﴾ مبتدئا أوصافهم بالتوبة التى هى أساس العمل الصالح . ثم ابتدأ المؤسس[1] بمطلق العبادة الشاملة لجميع أنواع الدين من العلم و غيره فقال : ﴿ العٰبدون ﴾ أى الذين أقبلوا على العبادة فأخلصوها لله ؛ و لما كان التزام الدين لا يعرف إلا بالإقرار باللسان ، ١٠ أتبع ذلك الحمد الذى تدور مادته على بلوغ الغاية الذى من جملته الثناء اللسانى بالجميل الشامل للتوحيد و غيره فقال : ﴿ الحٰمدون ﴾ أى المثنون عليه سبحانه ثناء عظيما ، تطابقت عليه ألسنتهم و قلوبهم فتبعته آثاره ؛ و لما كان الإقرار باللسان لا يقبل إلا عند مطابقة القلب ، تلاه بالسياحة التى تدور بكل ترتيب على الاتساع الذى[2] منه إصلاح القلب ليتسع ١٥ للتجرد عن ضيق المألوفات إلى فضاء الحضرات الإلهيات فقال : ﴿ السآئحون ﴾ و لما كانت الصلاة نتيجة ذلك لكونها جامعة لعمل القلب و اللسان و غيرهما من الأركان ، و هى أعظم موصل إلى بساط الأنس فى حضرات القدس و أعلى مجرد عن الوقوف مع المألوف . و كان[3] أول مراتب التواضع القيام و أوسطها الركوع و غايتها السجود . و كان جميع

(١) فى ظ : المسس ـ كذا (٢) فى ظ : التى (٣) من ظ ، و فى الأصل : كانت .

أشكال الصلاة موافقا للعادة[1] إلا الركوع و السجود ، أشار إليها بقوله مخصصا لها بالذكر تنبيها على أن المراد من الصلاة نهاية الخضوع : ﴿ الراكعون ﴾ فبين أن تمام هذه البشرى لهذه الأمة أن[2] صلاة غيرهم لا ركوع فيها ، و أتمها بقوله : ﴿ السجدون ﴾ و لما كان الناصح لنفسه بتهذيب لسانه و قلبه و جميع جوارحه لا يقبل إلا إذا بذل الجهد فى نصيحة ٥ غيره كما صرح به مثال السفر فى السفينة ليحصل المقصود من الدين و هو جمع الكل على الله المقتضى للتعاضد و التناصر الموجب لدوام العبادة و النصرة و بذلك يتحقق التجرد عن كل مألوف مجانس و غير مجانس ، أتبع ذلك قوله : ﴿ الآمرون بالمعروف ﴾ أى السنة .

و لما كان الدين متينا فلن يشاده أحد إلا غلبه ، كان المراد من المأمورات ١٠ مسماها دون تمامها و منتهاها « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » و المراد من المنهيات تركها كلها ، و من الحدود الوقوف عندها من غير مجاوزة « و إذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه » رواه البخارى فى الاعتصام من صحيحه و مسلم أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه ، و كانت العرب - كما تقدم فى البقرة عند قوله تعالى " و الصلوة الوسطى[3] " و فى آل عمران ١٥ عند قوله " الصبرين و الصدقين[4] " عن الأستاد أبى الحسن الحرالى - إذا[5] أتبعت بعض الصفات بعضا من غير عطف علم أنها غير تامة ، فاذا عطفتها أردت التمكن[6] فيها و العراقة و التمام . فأعلم سبحانه أن المراد

(١) من ظ ، و فى الأصل : للسانحة (٢) من ظ . و فى الأصل : لان (٣) آية ٢٣٨ .
(٤) آية ١٧ (٥) من ظ ، و فى الأصل : اذ (٦) من ظ ، و فى الأصل : التمكين .

فيما تقدم من الأوصاف الإتيان بما أمكن منها، فأتى بها اتباعا دون عطف لذلك، و أشار إلى أن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الوقوف عند الحدود لا يقنع[1] منه إلا بالتمام لأن المقصر فى شىء من ذلك إما راض بهدم الدين و إما هادم بنفسه، فيجب التجرد التام [فيه-[2]]
٥ لأن النهى أصعب أقسام العبادة لأنه متعلق بالغير و هو مثير[3] للغضب موجب للحمية و ظهور الخصومة، فربما كان عنه ضرب و قتل، فلذلك عطفها و لم يتبعها فقال: ﴿ و الناهون ﴾ أى بغاية الجد ﴿ عن المنكر ﴾ أى البدعة. و لما كان فاعل الخير لا ينفعه فعله إلا باستمراره عليه إلى الموت أتبعه قوله: ﴿ و الحفظون ﴾ أى بغاية العزم[4] و القوة ﴿ لحدود الله[5] ﴾
١٠ أى الملك الأعظم التى حدها فى هذا الشرع القيم فلم يتجاوزوا شيئا منها، فختم بما به بدأ / مع قيد الدوام بالرعى و القوة، و الحاصل أن الوصف ٥٥٠ /
الأول للتجرد عن ربقة مألوف خاص و هو شرك المعصية بشركه أو غيره، و الثانى للتجرد عن قيود العادات إلى قضاء العبادات، و الثالث لبلوغ الغاية فى تهذيب الظاهر. و الرابع للتوسع إلى التجرد عن قيود الباطن،
١٥ و الخامس و السادس للجمع بين كمال الباطن و الظاهر، و السابع للسير إلى إفاضة ذلك على الغير، و الثامن للدوام على تلك الحدود بترك جميع القيود. فمقصود الآية العروج من الحضيض الجسمانى إلى الشرف الروحانى؛ ثم أمره صلى الله عليه و سلم بتبشير المتخلق بهذه الأوصاف عاطفا لأمره به

(١) فى ظ: لا يقع (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: مشير (٤) فى ظ: الجزم (٥) فى ظ: قيد.

على محذوف تقديره - و الله أعلم : فأنذر من تخلى منها بكل ما يسوءه بعد سجنه فى دار الشقاوة فانه كافر و بشرهم ، أى هؤلاء الموصوفين ، هكذا كان الأصل الإضمار ، و لكنه أظهر ختاما بما به[1] بدأ و تعليقا بالوصف و تعميما فقال : ﴿ و بشر المؤمنين ﴾ أى المتخلقين بها بكل ما يسرهم بعد تخصيصهم بدار السعادة ، و فى[2] ختم الآيتين بالبشارة تارة من الخالق و تارة من أكمل الخلائق أعظم مزية للمؤمنين ، و فى جعل الأولى من الله أعظم ترغيب فى الجهاد و أعلى حث على خوض غمرات الجلاد ، و فى ابتداء الآيتين بالوصف المشعر بالرسوخ فى الإيمان الذى هو الوصف المتمم للعشر و ختمهما بمثله إشارة إلى أن هذه مائدة لا يخلس[3] عليها طفيلى ، و أن من عدا الراسخين فى درجة الإهمال لا كلام معهم و لا التفات بوجه إليهم .

و لما كثرت فى هذه السورة الأوامر بالبراءة من أحياء المشركين و جاء الأمر أيضا بالبراءة من أموات المنافقين بالنهى عن الدعاء لهم ، جاءت هذه الآية مشيرة إلى البراءة من كل مشرك فوقع التصريح بعدها بما أشارت إليه ، و ذلك أنه لما ثبت بهذه الآية فى تقديم الجار أن المبايعة وقعت على تخصيص الجنة بالمؤمنين و أنه تعالى أوفى من عاهد ، ثبت أنه لا يجوز أن يدخل غيرهم الجنة و أن غيرهم أصحاب النار . لأنه قد علم أن الآخرة داران : جنة و نار ، و لما ثبت هذا كله علم قطعا علم النتيجة من المقدمات الصحيحة أنه ﴿ ما كان ﴾ أى فى نفس الأمر

(١) فى ظ : فيه (٢) زيد بعده فى الأصل : اية ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : لا يخلص .

﴿للنبي﴾ أي الذي لا ينطق إلا بما عنده فيه بيان من الله ﴿والذين آمنوآ﴾ أي أقروا بأنهم صدقوا بدعوته فلا يفعلون[1] إلا ما عندهم منه علم ﴿أن يستغفروا﴾ أي يطلبوا المغفرة ويدعوا بها ﴿للمشركين﴾ أي الراسخين في الإشراك في عبادة ربهم ﴿ولو كانوآ﴾ أي المشركين ٥ ﴿أولي قربى﴾ أي للذين[2] آمنوا ﴿من بعد ما تبين لهم﴾ أي بموتهم على الشرك وإنزال[3] هذه الآية للختم بالتخصيص بالجنة ﴿أنهم أصحب الجحيم﴾ أي لا أهلية لهم للجنة. فإن الاستغفار معناه محو الذنوب حتى ينجو صاحبها من النار ويدخل الجنة وما ينبغي لهم أن يكون لهم إليهم التفات فإن ذلك ربما جر إلى ملاينة تفتر عن القتال الواقع عليه المبايعة[4]، ١٠ فما ينبغي إلا محض المقاطعة والمخاشنة والمنازعة. وتقييد النهي بالتبين[5] يدل على جواز الدعاء للحي فإن القصد بالاستغفار الإقبال به إلى الإيمان الموجب للغفران. ولما[6] أنكر أن يكون لهم ذلك، وكان الخليل عليه السلام المأمور بالاقتداء به واللزوم بملته[7] قد استغفر لأبيه، بين أنه كان أيضا قبل العلم بما في نفس الأمر من استحقاقه للتأبيد في النار، ١٥ فقال دالا بواو العطف على أن التقدير: فما استغفر لهم بعد العلم أحد من المؤمنين: ﴿وما كان استغفار ابرهيم﴾ أي خليل الله ﴿لابيه﴾ أي بعد أن خالفه في الدين ﴿الا عن موعدة﴾ / أي وهي قوله ٥٥١/ "لاستغفرن لك وما املك لك من الله من شيء[8]" وأكد صدور

(١) في ظ: فلا يفعلوا (٢) من ظ. وفي الأصل: الذين (٣) في ظ: انزل. (٤) في ظ: المبالغة (٥) في ظ: بالتبين (٦) في ظ: مما (٧) من ظ، وفي الأصل: بمثله (٨) راجع آية ٤ سورة ٦٠.

الوعد بقوله: ﴿وعدها اياه﴾ أى الخليل لأبيه قبل أن يعلم أنه أبدى الشقاوة، و قيل: الضمير لأبيه. كان وعده أنه يسلم فاستغفر له ظنا منه أنه صدق فى وعده فأسلم، [و الذى يدل على أنه كان قبل علمه بذلك قوله -[1]]: ﴿فلما تبين لـه﴾ [أى بيانا شافيا قاطعا -[1]] ﴿ انه عدو لله﴾ أى الملك الأعلى مؤبد العداوة له بموته على الكفر أو بالوحى بأنه يموت عليه ﴿ تبرا ﴾ أى أكره نفسه على البراءة ﴿ منه ﴾ ثم علل ما أفهمته صيغة التفعل من المعالجة بقوله: ﴿ ان ابراهيم لا واه ﴾ اى شديد[2] الرقة الموجبة للتأوه من خوف الله و من الشفقة على العباد؛ قال الزجاج: و التأوه أن يسمع للصدر صوت من تنفس[3] الصعداء ﴿حليم ﴾ أى شديد التحمل و الإغضاء عن المؤذى له. هكذا خلقه فى حد ذاته فكيف فى حق أبيه و لو قال له "لارجمنك و اهجرنى[4]" و أضعاف ذلك: قال الإمام [5]أبو محمد[5] إسحاق بن إبراهيم بن إسماعيل البستى القاضى فى تفسيره: حدثنا حرملة حدثنا ابن وهب أخبرنى ابن جريج عن أيوب بن هانئ عن مسروق بن الأجدع عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم خرج يوما و خرجنا معه حتى انتهى إلى المقابر فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى إلى قبر منها فجلس إليه فناجاه طويلا ثم ارتفع نحيب رسول الله صلى الله عليه و سلم باكيا فبكينا لبكاء رسول الله صلى الله عليه و سلم، ثم إن

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: شديده (٣) من ظ و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٣ / ١٢٧، و فى الأصل: تنفيس (٤) راجع سورة ١٩ آية ٤٦.
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

النبي صلى الله عليه و سلم أقبل إلينا فتلقاه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال: ما الذى أبكاك يا نبي الله فقد أبكانا و أفزعنا ، فأخذ بيد عمر رضى الله عنه ثم أقبل إلينا فأتيناه فقال : أفزعكم بكائى ؟ قلنا : نعم يا رسول الله ! قال : إن القبر الذى رأيتمونى أناجى قبر آمنة بنت وهب و إنى استأذنت[1] ربى فى الاستغفار لها فلم يأذن لى و نزل علىّ " ما كان للنبي و الذين آمنوا[2] ان يستغفروا للمشركين [و لو كانوا اولى قربى"-[3]] حتى ختم الآية " و ما كان استغفار ابرٰهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه" فأخذنى ما يأخذ الولد من الرقة فذلك[4] الذى أبكانى[5]- و هذا سند[6] حسن . و لمسلم و أبى داود و النسائى و ابن ماجه فى الجنائز عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : زار النبي صلى الله عليه و سلم قبر أمه[7] فبكى و أبكى من حوله و قال: استأذنت ربى فى أن أستغفر لها فلم يأذن لى و استأذنته أن أزور قبرها فأذن لى ، فزوروا القبور فانها تذكر الموت . و للبخارى فى التفسير و غيره عن ابن المسيب عن أبيه رضى الله عنه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل النبى صلى الله عليه و سلم و عنده أبو جهل و عبد الله بن أبى أمية فقال النبي صلى الله عليه و سلم : أى عم ! قل : لا إله إلا الله ، أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل و عبد الله بن [أبى -[8]] أمية : يا أبا طالب !

---

(١) فى ظ : اذنت (٢) زيد بعده فى ظ : معه (٣) زيد من ظ و القرآن الكريم.
(٤) فى ظ : فلذلك (٥) و هذا الحديث قد أخرجه السيوطى فى الدر المنثور حول تفسير هذه الآية بما يقاربه (٦) فى ظ : سنده (٧) من ظ و المراجع ، و فى الأصل : آمنة -كذا (٨) زيد من صحيح البخارى .

أ ترغب عن ملة عبد المطلب ؟ - و فى رواية : فكان آخر ما كلمهم أن قال : هو على ملة عبد المطلب - فقال النبى صلى الله عليه و سلم : لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ، فنزلت " ما كان للنبى و الذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين " - الآية ، [و أنزل الله فى أبى طالب " انك لا تهدى من احببت و لكن الله يهدى من يشاء[1] " الآية - [2]] . و لعله استمر[3] يستغفر له ما بين موته و غزوة تبوك حتى نزلت ، و روى فى سبب نزولها غير هذا أيضا ، و قد تقدم أنه يجوز أن تتعدد الأسباب .

و لما كان الاستغفار للمشركين أمرا عظيما ، و كان فيه نوع ولاية لهم ، أظهر سبحانه للمؤمنين ما منّ عليهم به من عدم المؤاخذة بالإقدام عليه تهويلا لذلك و قطعا لما بين أرج الإيمان و حضيض الكفران بكل اعتبار فقال تعالى : ﴿ و ما كان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ؛ و لما كان الضلال سبب الهلاك ، و كان من شرع شريعة ثم عاقب ملتزمها[4] من غير بيان كمن دل على طريق[5] غير موصل فهلك صاحبه فكان الدال بذلك مضلا ، / قال : ﴿ ليضل قوما ﴾ أى يفعل بهم ما يفعل بالضالين من العقوبة لأجل ارتكابهم لما ينهى عنه بناسخ نسخه ﴿ بعد اذ هديهم ﴾ أى بشريعة نصبها لهم ﴿ حتى يبين لهم ﴾ أى بيانا شافيا لداء العمى ﴿ ما يتقون[6] ﴾ أى مما هو جدير بأن يحذروه و يتجنبوه خوفا من غائلته [بناسخ ينسخ حال الإباحة التى كانوا عليها - [1]] .

/ ٥٥٢

(١) سورة ٢٨ آية ٥٦ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) فى ظ : يستمر .
(٤) فى ظ : ملتزما (٥) زيد فى ظ : من .

و لما كان الذى يأمر بسلوك طريق ثم يترك فيها ما يحتاج إلى البيان إنما يؤتى عليه من الجهل أو النسيان ، نفى ذلك سبحانه عن نفسه فقال معللا لعدم الإضلال : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ بكل شىء عليم ٥ ﴾ أى بالغ العلم فلا يتطرق إليه خفاء بوجه من الوجوه فى حين من الأحيان فهو يبين لكم جميع ما تأتون و تذرون وما[1] يتوقف عليه الهدى ، و ما تركه فهو إنما يتركه رحمة لكم " لا يضل ربى و لا ينسى[2] " فلا تبحثوا عنه ؛ ثم علل علمه بكل شىء بأن قدرته شاملة فهو قادر على نصرة من يريد و[3] الانتقام ممن يريد ، فلا ينبغى لأحد أن يحب إلا فيه و لا يبغض إلا فيه و لا يهتم بعداوة أحد ممن عاداه فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ له ﴾ أى بكل اعتبار تعدونه من اعتبارات الكمال ﴿ ملك السمٰوٰت و الارض[4] ﴾ فلا يخفى عليه شىء فهو خبير بكل ما ينفعكم و[4] يضركم و هو وليكم ، يبينه[5] لكم ، و من كان له جميع الملك كان بحيث لا يستعصى على أمره شىء : علم و لا غيره ، لأن العلم من أعظم القوى و القدر ، و لا يكون الملك إلا عالما قادرا ؛ ثم علل قدرته و علمه بما يشاهد متكررا من فعله فى الحيوان و النبات و غير ذلك فقال : ﴿ يحيى و يميت[4] ﴾ أى بكل معنى فهو الذى أحياكم و غيركم الحياة الجسمانية و خصكم أنتم بالحياة الإيمانية ، وكما جعل غيركم بعضهم[6] أولياء بعض و جمعهم كلهم على ولاية عدوهم الشيطان جعلكم

(١) فى ظ : ما (٢) سورة ٢٠ آية ٥٢ (٣) سقطت الواو من ظ (٤) فى ظ : او .
(٥) من ظ ، وفى الأصل : بينه (٦) فى ظ : بينكم .

اتم

أنتم أولياء ربكم الرحمن فهو وليكم و ناصركم ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه ما ﴿لكم﴾ و لما[1] كان ليس لأحد أن يحوز كل ما دون رتبته سبحانه، أثبت الجار فقال: ﴿ من دون الله ﴾ أى [الملك -[2]] الذى له الأمر كله، و أغرق فى النفى بقوله[3]: ﴿ من ولى ﴾ أى قريب يفعل معكم من الحياطة و النصح ما يفعل القريب من النصر و غيره. ٥

و لما كان الإنسان قد ينصره غير قريبه قال: ﴿ و لا نصير ﴾ أى فلا توالوا[4] إلا من كان من حزبه و أهل حبه و قربه، و فيه تهديد لمن أقدم على ما ينبغى أن يتقى لا سيما الملاينة لأعداء الله من المساترين و المصارحين، فان غاية ذلك موالاتهم و هى لا تغنى من الله شيئا.

و لما أشار إلى أنه هو وليهم أحياهم بروح منه مبين لهم ما يصلحهم ١٠ و أنه لا ولى [5]لهم غيره[5]، أقام الدليل على ذلك بقوله: ﴿ لقد تاب الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ على النبى ﴾ أى الذى لا يزال عنده من الله خبر عظيم يرشده إلى ما يؤذن بتقوية حياته برفع درجاته، فما من مقام يرقيه إليه إلا رأى أنه لمزيد [6]علوه و تقربه[6] للمقام الذى كان دونه، فهو فى كل لمحة فى ارتقاء من كامل إلى أكمل إلى ما لا نهاية له. ١٥

و لما أخبر تعالى بعلو رتبة النبى صلى الله عليه و سلم [7]بترقيته فى[7] رتب الكمالات و الأكمليات إلى ما لا نهاية له على وجه هو فى غاية البعث لكل

(١) من ظ، و فى الأصل: ما (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: قوله (٤) فى ظ: فلا يوالوا (٥-٥) فى ظ: له غيرهم (٦-٦) فى ظ: علو رتبة (٧-٧) فى ظ: بترقيه إلى.

مؤمن على المبادرة إلى التوبة ، أكد ذلك بقوله : ﴿ والمهجرين و الانصار ﴾ بمحو هفواتهم و رفـع درجاتهم ﴿ الذين اتبعوه ﴾ أى النبي صلى الله عليه و سلم ﴿ فى ساعة العسرة ﴾ أى أزمنة غزوه تبوك . كانوا فى عسرة من الزمان بالجدب و الضيقة الشديدة و الحر الشديد ، و عسرة من الظهر ٥ [1]يعتقب العشرة[1] على بعير واحد . و عسرة من الزاد « تزودوا التمر [المدوّد - [2]] و الشعير [المسوّس - [3]] و الإهالة الزنخة » و بلغت بهم الشدة أن اقتسم التمرة اثنان . و ربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ، و فى[4] عسرة من الماء حتى نحروا الإبل و اعتصروا فروثها ؛ و سماها [5]ساعة[5] تهوينا[6] لأوقات[6] الكروب و تشجيعا على مواقعة المكاره فان أمدها[7] ١٠ يسير و أجرها عظيم خطير . فكانت حالهم باتباعه فى هذه الغزوة أكمل من حالهم قبلها ، / و أشار سبحانه إلى تفاوتهم فى الثبات على مقامات /٥٥٣ عالية ، ترقوا بالتوبة[8] إلى أعلى منها ، و فى قبول وساوس أبعدتهم التوبة عن قبولها بقوله : ﴿ من بعد ما كاد ﴾ أى قرب قربا عظيما ﴿ تزيغ[9] ﴾ أى تزول عن أماكنها الموجبة لصلاحها . و أشار بـ [10]من[10] إلى تقارب[10] ١٥ ما بين كيدودة[11] الزيغ و التدارك بالتوبة . و لما كان المقام للزلازل[12] ،

(١-١) من ظ وروح المعانى ٣ / ٣٨٤ ، و فى الأصل : يعقب العسرة - كذا .
(٢) زيد من الروح (٣) زيد من ظ و الروح (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : تهويلا (٦) من ظ ، و فى الأصل : لاهل (٧) فى ظ : امرها (٨) من ظ ، و فى الأصل : بالسوية (٩) والقراءة الثابتة فى مصاحفنا : يزيغ (١٠) فى ظ : تفاوت .
(١١) من ظ ، و فى الأصل : كيدورة (١٢) من ظ ، و فى الأصل : للزلزال .

ناسب التعبير بما منه الانقلاب و الفرقة فقال : ﴿ قلوب فريق ﴾ أى هم بحيث تحصل[1] منهم الفرقة لما هناك من الزلازل المميلة[2] ﴿ منهم ﴾ أى من[3] عظيم ما نالهم من الشدائد فتميل[4] لذلك عن الحق كأبى خيثمة و من أحب الراحة و هاب السفر فى ذلك الحر الشديد إلى بنى الأصفر الملوك الصيد الأبطال الصناديد . و هم ملء الأرض كثرة و قدر الحصى عدة و مثل الجبال شدة ، ثم عزم الله له فلحق برسول الله صلى الله عليه و سلم فرجع سبحانه بالجميع إلى ما كانوا عليه قبيل[5] مقاربة الزيغ من مباعدته ، و لما صاروا كمن لم[6] يقارب الزيغ . أعلاهم إلى مقام آخر عبر عن عظمته بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم تاب عليهم[1] ﴾ أى [كلهم تكريرا للرفعة ، أو على من كاد يزيغ -[7]] بالثبات على مباعدة الزلات و بالترقى فى أعالى الدرجات إلى المهمات : و نقل أبو حيان عن الحسن أن زيغها همها بالانصراف لما لقيت من المشقة . قال : و قيل : ساء ظنها بما رأته من شدة العسرة و قلة الوفر[8] و بعد الشقة و قوة العدو المقصود - انتهى . و يجوز أن يكون عبر بـ "ثم" لوصولهم إلى حالة يبعد[9] معها الثبات فضلا عن مباعدة مواقع الزلات فثبتها حتى عادت كالحديد من غير سبب ظاهر من [10]جيش أو غيره[10] فثبت بذلك أنه[11] مالك الملك متمكن

(١) فى ظ : تصل (٢) فى ظ : المهيلة (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : فيميل (٥) فى ظ : قبل (٦) من ظ ، و فى الأصل : لا (٧) زيد من ظ .
(٨) من ظ و البحر المحيط ٥ / ١٠٩ . و فى الأصل : الوفد (٩) من ظ ، و فى الأصل : تبعد (١٠-١٠) من ظ ، و فى الأصل : عيش أو عبرة (١١) فى ظ : ان .

من فعل كل ما يريده وأنه لا ولى لهم سواه : ثم علل لطفه بهم بقوله : ﴿إنه بهم رءوف رحيم﴾ و الرأفة : شدة الرحمة ، فقدم الأبلغ فيقال فيه ما قيل فى " الرحمن الرحيم[1] " فالمعنى أنه يرحمهم أعلى رحمة باسباغ جلائل النعم و دفع جلائل النقم ، و يرحمهم[2] أيضا باسباغ دقائق النعم و دفع دقائق النقم ، و قيل : الرأفة : إزالة الضر ، و الرحمة : إيصال النفع ، و مادة ' رأف ' تدور مع السعة[3] على ما أشير إليه فى سورة سبحان على شدة الوصلة . فالرأفة[4] - كما قال الحرالى فى البقرة - عطف العاطف على من يجد عنده منه وصلة ، فهى رحمة ذى الصلة بالراحم ، و الرحمة تعم من لا صلة له بالراحم - انتهى . فتكون الرأفة حينئذ للثابتين[5] و الرحمة لمن قارب الزيغ . فيصير الثابت مرحوما مرتين لأنه منظور إليه بالصفتين ، و تقدم عند الحزبين من البقرة ما ينفع هنا .

و لما صرح بالتوبة على من قارب الزيغ و خلط معهم أهل الثبات إشارة إلى أن كل أحد[6] فقير إلى الغنى الكبير [و ليكون اقترانهم بأهل المعالى ، و جعلهم فى حيزهم تشريفا لهم و تأنيسا لئلا يشتد انكسارهم -[7]] ، أتبعه التوبة على من وقع منه الزيغ فقال غير مصرح بالزيغ تعليما[8] للأدب و جبرا للخواطر المنكسرة -[7]] : ﴿[9] و على[9] ﴾ أى و لقد

(١-١) فى ظ : الرحيم الرحمن (٢) فى ظ : يرحم (٣) من ظ ، و فى الأصل : السبعة . (٤) من ظ ، و فى الأصل : فالراء (٥) من ظ . و فى الأصل : للبايس (٦) فى ظ : واحد (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : تعظيما (٩ - ٩) تأخر ما بين الرقمين فى ظ عن « الله على » .

تاب الله على ﴿ الثلثة الذين[1] ﴾ .

و لما كان الخالع للقلوب مطلق التخليف ، بنى للمفعول قوله : ﴿ خلفوا[2] ﴾ أى خلفهم[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجران و نهى الناس عن كلامهم ، و أخر الحكم فيهم ليأتى أمر الله فى بيان أمرهم و استمر تخليفهم ﴿ حتى اذا ضاقت ﴾ و أشار إلى عظيم الأمر بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليهم الارض ﴾ أى كلها ﴿ بما رحبت ﴾ أى مع شدة اتساعها . أى ضاق عليهم فسيحها و وسعها[4] .

و لما كان هذا قد يراد به الحقيقة ، و كان ضيق المحل [قد - ٥] لا يستلزم ضيق الصدر ، أتبعه الدلالة على أن المراد المجاز فقال : ﴿ و ضاقت عليهم ﴾ بالهم المزعج ، الغم المقلق ﴿ انفسهم ﴾ أى من شدة ما لاقوا من الهجران حتى بالكلام حتى برد السلام ؛ و لما كان ذلك لا يقتضى التوبة بل بالمراقبة ، أتبعه - بيانا للتخلف بها - قوله : ﴿ و ظنوا ﴾ أى أيقنوا ، و لعله عبر بالظن إيذانا بأنهم لشدة الحيرة كانت قلوبهم لا تستقر على حال ، فكان يقينهم لشدة الخواطر كأنه ظن . [أو يقال - و هو أحسن - : إن التعبير به عن يقين المخلصين إشارة إلى أن أعلى اليقين فى التوحيد لا يبلغ الحقيقة على ما هى عليه أن لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره - كما قال أصدق الخلق صلى الله عليه وسلم « لا أحصى ثناء عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك » و هذا من النفائس فاستعمله فى أمثاله - ٥] ﴿ ان لا ملجا ﴾ أى مهرب و مفزع ﴿ من الله ﴾

(١) وقع فى ظ بعد « الخواطر المنكسرة » (٢) فى ظ : خلفوا (٣) فى ظ : اوسعها .
(٤) فى ظ : منه (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

/٥٥٤ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ الآ اليه[1] ﴾ / أى بما يرضيه ، و هو مثل لتحيرهم فى أمرهم ، و جواب ' إذا ' محذوف دل عليه صدر الكلام تقديره[1] : تداركهم بالتوبة فردهم إلى ما كانوا عليه قبل مواقعة الذنب .

و لما كان ما عملوه من التخلف عن أمر الرسول صلى الله عليه و سلم عظيما بمجرد المخالفة ثم[2] بترك المواساة ثم بالرغبة عنه صلى الله عليه و سلم ثم بأمور عظيمة شديدة القبح وخيمة فكان يبعد معه الزيادة عن رتبة التوبة ، أعلم سبحانه أنه رقاهم[3] فى رتب الكمال بأن جعل ذلك سببا لتطهيرهم من جميع الأدناس و تنقيتهم من سائر الأدران المقتضى لمزيد القرب بالعروج فى مصاعد المعارف - كما أشار إليه قوله صلى الله عليه و سلم لكعب رضى الله عنه « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » ، أتبع ذلك سبحانه الإعلام به بقوله - مشيرا إلى [ما - ٤] بعده لولا فضل الله - بأداة الاستبعاد : ﴿ ثم تاب عليهم ﴾ أى رجع بهم بعد التوبة إلى مقام من مقامات سلامة الفطرة الذى هو أحسن تقويم يعلو[5] لعلوه بالنسبة إلى ما دونه ، توبة ﴿ ليتوبوا[1] ﴾ أى ليرجعوا إلى ما تقتضيه الفطرة الأولى من الثبات على ما كانوا عليه من الإحسان فى الدين و التخلق بأخلاق السابقين ، و لعله عبر بالظن موضع العلم إشارة إلى أنه يكفى فى الخوف من جلاله للانقطاع إليه مجرد الظن بأنه لا سبب إليه إلا منه لأنه محيط بكل شىء لا يعجزه شىء ، و يمكن أن يكون التعبير بـ " ثم " إشارة إلى عظيم ما قاسوا من الأهوال و ما ترقوا إليه من مراتب الخوف ، و امتنانا عليهم بالتوبة

(١) فى ظ : بتقدير (٢) من ظ . و فى الأصل : لم (٣) من ظ ، و فى الأصل : رقاهم (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : بعد .

من عظيم ما ارتكبوا ، و إنما خصوا عن رفقائهم بأن أرجئوا[1] لأمر الله لعلو مقامهم بما لهم من السابقة و رسوخ القدم فى الإسلام ، فالمخالفة اليسيرة منهم أعظم من الكثير من غيرهم لأنهم أئمة الهدى و مصابيح الظلم ، و من هذا البارق « حسنات الأبرار سيئات المقربين » ثم علل التوبة بأمر يعم غيرهم ترغيبا فقال معبرا بما[2] يشير مع أعلى مقامهم إلى[3] نزوله عن[4] مقام من قبلهم : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ التواب ﴾ أى البليغ التوبة على من تاب و إن عظم جرمه و تكررت توبته لتكرر ذنوبه ﴿ الرحيم ﴾ أى المكرم لمن أراد من عباده بأن[5] يحفظه على ما يرتضيه فلا يزيغ ، و يبالغ فى الإنعام عليه .

و لما كان الذى نالوا به الإقبال من مولاهم عليهم - مما وصفهم به [من الضيق و ما معه -[6]] - هو التقوى و الصدق فى الإيمان كما كان ما يجده[7] الإنسان فى نفسه مما الموت عنده و القذف فى النار أحب إليه من التلفظ به صريح الإيمان بشهادة المصطفى صلى الله عليه و سلم ، رغب سبحانه فى الصدق فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أى ادعوا ذلك ﴿ اتقوا الله ﴾ أى خافوا سطوة من له العظمة الكاملة تصديقا لدعواكم فلا تفعلوا إلا ما يرضيه ﴿ و كونوا ﴾ أى كونا صادقا بجميع الطبع و الجبلة ﴿ مع الصدقين ﴾ أى فى كل أمر يطلب منهم[8] ، و لعله أخرج الأمر مخرج العموم ليشمل

(١) من ظ . و فى الأصل : ارهبوا (٢) فى الأصل : مع ما ، و فى ظ : ما - كذا.
(٣) فى ظ : مع (٤) فى ظ : إلى (٥) من ظ ، و فى الأصل : ان (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : حده (٨) فى ظ : منه .

كل مؤمن ، فمن كان مقصرا كانت آمرة له باللحاق ، و من كان مسابقا[1] كانت حاثة له على حفظ مقام الاستباق . و لعله عبر بـ " مع " ليشمل أدنى الدرجات . و هو الكون بالجثث . و قد روى البخارى توبة كعب أحد هؤلاء الثلاثة رضى الله عنهم فى مواضع من صحيحه منها التفسير ،
٥ و كذا رواه غيره عن كعب نفسه رضى الله عنه أنه لم يتخلف عن رسول الله صلى الله عليه و سلم [فى غزوة غزاها قط غير غزوتين : غزوة العسرة[2] - يعنى هذه - و غزوة بدر . و أن تخلفه ببدر إنما كان لأن النبى صلى الله عليه و سلم - [3]] لم يندب الناس إليها [4] و لا حثهم عليها[4] لأنه ما خرج أولا إلا لأجل العير ، قال[5] : فأجمعت صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم ،
١٠ ، كان قل ما يقدم من سفر سافره إلا ضحى ، و كان يبدأ بالمسجد فيركع ركعتين و نهى النبى صلى الله عليه و سلم عن كلامى و كلام صاحبى - يعنى مرارة بن الربيع العمرى و هلال / بن أمية الواقفى - و لم ينه عن كلام /٥٥٥
أحد من المتخلفين غيرنا ، فاجتنب[6] الناس كلامنا فلبثت كذلك حتى طال علىّ الأمر . و ما من شىء أهم إلى من أن أموت فلا يصلى علىّ النبى
١٥ صلى الله عليه و سلم أو يموت النبى صلى الله عليه و سلم فأكون من الناس بتلك المنزلة فلا يكلمنى أحد منهم و لا يصلى علىّ ، فأنزل الله عز و جل توبتنا على نبيه صلى الله عليه و سلم حين بقى الثلث الآخر من الليل و رسول الله صلى الله عليه و سلم عند أم سلمة رضى الله عنها ، و كانت أم سلمة

(١) فى ظ : سابقا (٢) من صحيح البخارى كتاب التفسير و السياق له ، و فى ظ : الصرة - كذا (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٥) فى ظ : فاجتنبت .

محسنة فى شأنى معنية[1] فى أمرى فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يا أم سلمة ! تيب على كعب ، قالت : أفلا أرسل إليه فأبشره ؟ قال : إذن يحطمكم الناس فيمنعوكم النوم سائر الليلة حتى إذا صلى الله عليه و سلم صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا[2] ، وكان إذا استبشر استنار[3] وجهه حتى كأنه[4] قطعة من القمر ، وكنا - أيها الثلاثة الذين خلفوا - خلفنا عن الأمر الذى قبل من هؤلاء الذين اعتذروا حين أنزل الله لنا التوبة ، فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه و سلم من المتخلفين و اعتذروا بالباطل ذكروا بشر[5] ما ذكر به أحد ، قال الله عز و جل " يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم " - الآية .

و لما كان ما نالهم من الأهوال إنما نالهم بتخلفهم عن أشرف الخلق ، و الذى[6] التفت بهم إلى مرابع الإقبال إنما هو الصدق ، قال تعالى ناهيا بصيغة الخبر ليكون أبلغ ، جامعا إليهم من كان على مثل حالهم فى مطلق التخلف[7] : ﴿ ما كان ﴾ أى ما صح و ما انبغى بوجه من الوجوه ﴿ لاهل المدينة ﴾ أى التى هى سكن رسول الله صلى الله عليه و سلم و هى دار الهجرة و معدن النصرة ﴿ و من حولهم ﴾ أى فى جميع نواحى المدينة الشريفة ﴿ من الاعراب ﴾ أى من[2] سكان البوادى الذين أقسموا بالإسلام ﴿ ان يتخلفوا ﴾ أى فى أمر من الأمور ﴿ عن رسول الله ﴾

(١) فى ظ و صحيح البخارى بعلامة النسخة : معينة (٢) سقط من ظ (٤) فى ظ : نار - كذا (٤) من ظ و الصحيح ، و فى الأصل : كان (٥) من ظ و الصحيح ، و فى الأصل : بنشر (٦) فى ظ : اذا (٧) فى ظ : التصرف .

أي الملك الأعلى[١]، و من شأن المرسل إليه أن لا يبرح عن جناب الرسول لا سيما و هو رأس الصادقين الذين وقع الأمر بالكون معهم ﴿ و لا يرغبوا ﴾ أي و [ما -[٢]] كان لهم أن يرغبوا ، و لعله قللهم بصيغة القلة بالنسبة إلى من أيده به[٣] صلى الله عليه و سلم من جنوده فقال تعالى: ﴿ بانفسهم عن نفسه[٤] ﴾ أي التي هي أشرف النفوس مطلقا بأن [٤]يصونوا نفوسهم[٤] عما باشره[٥] صلى الله عليه و سلم بل يلقونها في المتالف دونه[٣] و صيانة لنفسه الشريفة عن أدنى الأذى ، فهي[٦] كالتعليل للأمر بالتقوى أي خافوا الله و اصدقوه كما صدق هؤلاء ليتوب عليكم كما تاب عليهم فانه لم يكن لكم التخلف فهو[٧] نهي بليغ مع تقبيح و توبيخ و إلهاب و تهييج .

و لما علل الأمر[٨] بالتقوى ، علل النهي عن التخلف بما يدل على صدق الإيمان فيصير نقيضه دالا على نقيضه فقال: ﴿ ذلك ﴾ أي النهي العظيم عن التخلف في هذا الأسلوب النافي للكون ﴿ بانهم لا يصيبهم ظما ﴾ أي عطش شديد ﴿ و لا نصب ﴾ أي تعب بالغ ﴿ و لا مخمصة ﴾ أي شدة مجاعة ﴿ في سبيل الله ﴾ أي طريق دين الملك الأعظم المتوصلة[٩] به إلى جهاد أعدائه ، و رتبت هذه الأشياء ترتيبها في الوجود فان[٧] مطلق الحركة يهيج الحرارة فينشأ العطش و تماديها يورث التعب ، و الأغلب

(١) في ظ : الاعظم (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤-٤) في ظ : يصونوها.
(٥) من ظ ، و في الأصل : يأمره (٦) في ظ : فهو (٧) في ظ : فانه (٨) في ظ : الالهاب (٩) في ظ : المتوصل .

أن يكون قبل الجوع .

و لما كان المقصود من إجهاد النفس بما ذكر إرغام الكفار باقتحام أرضهم المتوصل بـه[1] إلى إيهانهم بالنيل منهم ، أتبع ذلك قوله : ﴿ و لا يطؤن موطئا ﴾ أى وطئا أو[2] مكانا وطؤه[2] ﴿ يغيظ الكفار ﴾ أى وطؤهم له [3]بأرجلهم أو دوابهم[3] ﴿ و لا ينالون من عدو نيلا ﴾ أى كائنا ما كان صغيرا أو[4] كبيرا ﴿ الا كتب لهم به ﴾ أى فى صحائف الأعمال ، بنى للمفعول لأن القصد إثباته[5] لا من معين ﴿ عمل صالح[5] ﴾ أى ترتب[6] لهم عليه أجر جزيل .

و لما كان فاعل هذه الأشياء مقدما على المعاطب فى نفسه و محصلا لغرض الجهاد ، أشير على وجه التأكيد فى جملة اسمية إلى انه محسن ، أما فى حق نفسه فباقامة الدليل بطاعته على صدق إيمانه . و أما فى غيره من المؤمنين فبحمايتهم عن طمع الكافرين . و أما فى حق الكفار فبحملهم على الإيمان بغاية الإمكان . فقال تعالى معللا للجازاة : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ لا يضيع ﴾ أى لا يترك تركه ما من شأنه الإهمال ﴿ اجر المحسنين ﴾ و أظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا بالوصف .

ولما كانت[7] المشقة بالإنفاق العائد ضرره إلى المال ، و وطئ مطلق الأرض

(١) سقط من ظ (٢-٢) فى ظ : مكان وطى (٣-٣) فى ظ : بدوابهم و ارجلهم.
(٤) فى ظ « و » (٥) فى ظ : اتيانه (٦) فى ظ : يرتب (٧) من ظ ، و فى الأصل : كان .

الذى قد لا يلزم منه وصول إلى ما يغيظ العـــدو دون المشقة الحاصلة فى النفس بالظمأ و ما معه من فعل ما يغيظ العدو و ينقصه ، قدم ذلك على قوله : ﴿ و لا ينفقون ﴾ و لما كان القليل قد يحتقر ، ابتدأ به ترغيبا فى قوله : ﴿ نفقة صغيرة ﴾ و لما كان ربما تعنت متعنت فجعل ذكرها قيدا ، قال : ﴿ و لا كبيرة ﴾ إعلاما بأنه معتد به لئلا يترك ، و فيه إشارة إلى آية اللمز للطوعين فى الصدقات ﴿ و لا يقطعون واديا ﴾ أى من الأودية بالسير فى الجهاد ، و الوادى : كل منفرج بين جبال و آكام ينفذ فيه[2] السيل ، و هو فى الأصل فاعل من ودى - إذا سال ﴿ الا كتب لهم ﴾ أى ذلك الإنفاق و القطع ، بناه للمفعول لأن القصد الحفظ بالكتابة مطلقا ﴿ ليجزيهم الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام ، أى[3] بذلك من فضله ﴿ احسن ما كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ يعملون ﴾ مضاعفا على قدر الثبات[4] ، و أكدت فاصلة الأولى دون هذه لزيادة تلك فى المشقة و النفع ، و لذا صرح فيها بالأجر و العمل الصالح - نبه على ذلك الإمام أبو حيان[5] . و من هنا بل من عند " ان الله اشترى " شرع فى عطف الآخر على الأول الذى مضمونه البراءة من المشركين و الاجتهاد فى قتالهم بعد انقضاء مدتهم حيث وجدوا - إلى أن قال " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله و لا باليوم الآخر و لا يحرمون ماحرم الله و رسوله " - إلى أن قال " ما لكم اذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم الى الارض " ثم قال

(١) من ظ ، و فى الأصل : مفترج (٢) فى ظ : فيها (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : النيات (٥) راجع البحر المحيط ٥/١١٣ .

" انفروا خفافا و ثقالا " ثم أتبع ذلك قصص المنافقين[1] كما أنه فعل هنا كذلك أن ختم بقوله " قاتلوا الذين يلونكم من الكفار" الآية ثم أتبعها ذكر المنافقين[1] .

و لما تواترت النواهى للمتخلفين و تواصلت الزواجر و تعاظم التبكيت و التهديد ، طارت القلوب و أشفقت النفوس . فكان ذلك مظنة أن ٥ لا يتخلف بعدها أحد عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و عمن يقوم مقامه فيتمكن حينئذ الأعداء من الأموال و الذرارى و العيال ، فأتبع ذلك قوله تعالى : ﴿ و ما كان المؤمنون ﴾ أى الذين حثهم على النفر الرسوخ فى الإيمان ﴿ لينفروا كآفة[1] ﴾ أى جميعا فان ذلك يخل بكثير من الأغراض الصالحة ، و هو تعليم لما هو الأنسب بالدين و الدنيا من ١٠ انقسام الناس قسمين : قسما للجهاد ، و قسما للنفقة و حفظ الأموال و الأولاد ، كل ذلك بأمره عليه الصلاة و السلام و العمل بما يرضاه ، و لا يخفى ذلك على المخلص ، و لعل التعبير بالفعل الماضى فى قوله مسببا عما قبله : ﴿ فلو لا نفر ﴾ ليفهم تبكيت من قصد تبكيته من المتخلفين فى جميع هذه السورة بأنه كان عليهم أن ينفر مع النبى صلى الله عليه وسلم ١٥ ﴿ من كل فرقة ﴾ أى ناس [كثير -[2]] يسهل افتراقهم ، قالوا : و هو اسم يقع على ثلاثة ﴿ منهم طآئفة ﴾ أى ناس لا ينفكون حافين بالنبى صلى الله عليه وسلم يلزمونه ، قيل : و الطائفة واحد و[3] اثنان ، فالآية حجة على قبول خبر الواحد و وجوب العمل به ، [و كأنه عبر به للاشارة

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : او .

إلى الحث على كثرة النافرين كما هو أصل مدلولها الأغلب فيه - [١]]
﴿ ليتفقهوا ﴾ أى ليكلف النافرون أنفسهم الفهم منه صلى الله عليه و سلم
شيئا فشيئا / ﴿ فى الدين ﴾ أى بما يسمعونه من أقواله و يرونه من جميل /٥٥٧
أفعاله و يصل إلى قلوبهم من مستتير أحواله ، و هذا غاية الشرف للعلم
٥ حيث جعل غاية الملازمة له صلى الله عليه و سلم للجهاد[٢] ، هذا إن كان
هو صلى الله عليه و سلم النافر فى تلك الغزاة ، و إن كان[٣] غيره كان ضمير
" يتفقهوا " للباقين معه صلى الله عليه و سلم .

و لما[٤] كان من العلم بشارة و منه نذارة ، و كان الإنسان - لما فيه
من النقصان - أحوج شيء إلى النذارة ، خصها بالذكر فقال عطفا على نحو :
١٠ ليخافوا فى أنفسهم فيعملوا فى خلاصها : ﴿ و لينذروا قومهم ﴾ أى يحذروهم
ما أمامهم من المخاوف إن فرطوا فى جانب التقوى ﴿ اذا رجعوا اليهم ﴾
أى ما أنذرهموه الرسول صلى الله عليه و سلم و يبشروهم [بما بشرهم - [١]]
به ؛ ثم بين[٣] غاية العلم مشيرا إلى أن من جعل له غاية غيرها من [٥]ترفع
أو افتخار[٥] فقد ضل ضلالا كبيرا . فقال موجبا لقبول خبر من بلغهم :
١٥ ﴿ لعلهم ﴾ أى كلهم ﴿ يحذرون ﴾ أى ليكون حالهم حال أهل[٤]
الخوف من الله بما حصلوا من الفقه لأنه أصل كل خير ، به تنجلى القلوب
فتقبل على الخير و تعرض عن الشر . فان الحذر تجنب الشيء لما فيه من
الضرر ، و المراد بالفقه هنا حفظ الكتاب و السنة و فهم معانيهما من

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : فى الجهاد (٣) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ : افتخار او ترفع .

الأصول و الفروع و الآداب و الفضائل ، و قال الرمانى[1] : الفقه فهم موجبات المعانى المضمنة بها من غير تصريح بالدلالة عليها .

و لما علمت المقاصد و تهيأت القلوب [لقبول -[2]] الفوائد ، و أمر بالإنذار بالفقه ، و كان من الناس من لا يرجع إلا بشديد[3] البأس ، أقبل على الكل مخاطبا لهم بأدنى أسنان القلوب[4] ليتوجه إلى الأدنى و يتناول الأعلى منه من باب الأولى[5] فقال : ﴿ يآيها الذين آمنوا ﴾ أى ادعوا بألسنتهم الإيمان ﴿ قاتلوا ﴾ أى تصديقا لدعواكم ذلك ﴿ الذين يلونكم ﴾ أى يقربون منكم ﴿ من الكفار ﴾ فالذين يلونهم إن لم تروا غيره أصلح لمعنى يعرض لما فى ذلك من حسن الترتيب و مقتضى الحكمة و لأن الجهاد معروف و إحسان ، و الأقربون أولى بالمعروف ، و ليبعدوا[6] العدو عن بلادكم فيكثر صلاحكم و يقل فسادكم و تكونوا قد جمعتم بالتفقه[7] و القتال بين الجهادين : جهاد الحجة و جهاد السيف مع الاحتراس بهذا الترتيب من[8] أن يبقى وراءكم إذا قاتلتم من تخشون كيده .

و لما كانت الملاينة أولى بالمسالمة ، و المخاشنة أولى بالمصارمة[9] ، قال : ﴿ و ليجدوا ﴾ من الوجدان ﴿ فيكم غلظة ﴾ أى شدة و حمية لأن ذلك أهيب فى صدورهم[10] .

---

(١) هو على بن عيسى بن على - راجع معجم المؤلفين ٧/١٦٢ (٢) زيد من ظ .
(٣) فى ظ : بتشديد (٤) فى ظ : القبول (٥) فى ظ : الادنى (٦) من ظ ، و فى الأصل : ليبعد (٧) فى ظ : بالفقه (٨) فى ظ : مع (٩) من ظ ، و فى الأصل : بالمضاربة (١٠) فى ظ : صدرهم .

و أكف عن فجورهم، و حقيقة الغلظة فى الأجسام، استعيرت هنا للشدة فى الحرب، و هى تجمع الجراءة[1] و الصبر على القتال و شدة العداوة، فاذا فعلوا ذلك كانوا جامعين بين جهاد الحجة و السيف كما قيل:

من لا يعدله القرآن كان له من الصغار[2] و بيض الهند تعديل

٥ نبه [3]على ذلك[3] أبو حيان.

و لما كان التقدير: و ليكن كل ذلك مع التقوى لا بسبب مال و لا جاه فانها ملاك الأمر كله، قال[4] منبها على ذلك بقوله: ﴿و اعلموآ ان الله﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿مع المتقين ه﴾ فلا تخافوا أن يؤدى شىء من مصاحبتها إلى وهن فان العبرة بمن كان الله معه.

١٠ و لما ذكر هذه السورة آى الطائفة الحاضة[5] بصيغة "لو لا" على[6] النفر مع رسول الله صلى الله عليه و سلم الآمرة بجهاد الكفار و الغلظة عليهم، و كان لا يحمل على ذلك إلا ما أشار إليه ختم الآية السالفة من التقوى بتجديد الإيمان كلما نزل شىء من القرآن، و كان قد ذكر سبحانه المخالفين لأمر الجهاد بالتخلف دون أمر الإيمان حين قال "و اذا انزلت

١٥ سورة ان آمنوا بالله و جاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم و قالوا ذرنا نكن مع القعدين" التفت إلى ذلك ليذكر القسم الآخر و هو القاعد عن الإيمان فقال: ﴿و اذا﴾ و أكد [7]بزيادة النافى[7] تنبيها على فضل الإيمان

(١) فى ظ: الحرارة (٢) من البحر المحيط ٥/١١٤، و فى الأصل و ظ: الصعاد - كذا (٣-٣) فى ظ: عليه (٤) زيد بعده فى الأصل: ذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) فى ظ: الخاصة (٦) سقط من ظ (٧-٧) فى ظ: بالنافى.

فقال : ﴿ ما ﴾ .

و لما كان المنكى لهم / مطلق النزول، بنى للمفعول قوله : ﴿ انزلت سورة ﴾ / ٥٥٨
أى قطعة من القرآن ، أى[1] فى معنى من المعانى ﴿ فمنهم ﴾ أى من[1] المنزل
إليهم ﴿ من يقول ﴾ [أى -[2]] إنكارا و استهزاء ، و هم المنافقون
﴿ ايكم ﴾ أى أيها العصابة المنافقة ﴿ زادته هذه ايمانا[3] ﴾ إيهاما لأنهم ٥
متصفون بأصل الإيمان ، لأن الزيادة ضم الشئ إلى غيره مما يشاركه فى
صفته ، هذا ما يظهرون تسترا[3] ، و أما حقيقة حالهم عند أمثالهم[4] فالاستهزاء
استبعادا لكونها تزيد أحدا فى حاله شيئا ، و سبب شكهم و استفهامهم
أن سامعيها انقسموا إلى قسمين : مؤمنين و منافقين ، و لذلك أجاب تعالى
بقوله مسببا عن إنزالها : ﴿ فاما الذين امنوا ﴾ أى أوقعوا الإيمان حقيقة ١٠
لصحة أمزجة قلوبهم ﴿ فزادتهم ﴾ أى تلك السورة ﴿ ايمانا ﴾ أى
بايمانهم بها إلى ما كان لهم من الإيمان بغيرها و بتدبرها[5] و رقة القلوب
بها و فهم ما فيها من المعارف الموجبة لطمأنينة القلوب و ثلج الصدور .

و لما كان المراد بالإيمان الحقيقة و كانت الزيادة مفهمة لمزيد عليه ،
استغنى عن أن يقول : إلى إيمانهم ، لذلك و لدلالة " الذين امنوا " عليه ١٥
﴿ و هم يستبشرون ﴾ أى يحصل[6] لهم البشر بما زادتهم من الخير الباقى الذى
لا يعدله شئ ﴿ و اما الذين ﴾ و بين أن أشرف ما فيهم مسكن الآفة فقال :
﴿ فى قلوبهم مرض ﴾ فمنعهم الإيمان و أثبت لهم الكفران فلم يؤمنوا .

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : سترا (٤) فى ظ : امتثالهم .
(٥) فى ظ : بتدبيرها (٦) فى ظ : يجعل .

و لما كان المراد بالمرض الفساد المعنوى المؤدى إلى خبث العقيدة ، عبر عنه بالرجس فقال : ﴿ فزادتهم رجسا ﴾ أى اضطرابا موجبا للشك ، و زاد الأمر بيانا بأن المراد المجاز بقوله : ﴿ الى رجسهم ﴾ أى شكهم الذى كان فى غيرها ﴿ و ماتوا ﴾ أى و استمر بهم ذلك لتمكنه عندهم إلى أن ماتوا ﴿ و هم كفرون ٥ ﴾ أى عريقون فى الكفر ، و سمى الشك فى الدين مرضا لأنه فساد فى الروح يحتاج [إلى علاج - [1]] كفساد البدن فى الاحتياج ، و مرض القلب أعضل . و علاجه أعسر[2] و أشكل ، و دواءه أعز و أطباؤه أقل . و لما زاد الكفار بالسورة رجسا من أجل كفرهم بها[3] ، كانت [كأنها - [1]] هى التى زادتهم ، و حسن وصفها بذلك[4] كما حسن : كفى بالسلامة داء ، و كما قال الشاعر :

أرى بصرى قد رابنى بعد نصحه و حسبك داء أن تصح و تسلما

قاله الرمانى ، فالمؤمنون يخبرون عن زيادة إيمانهم و هؤلاء يخبرون عن عدمه فى وجدانهم[5] ، فهذا موجب شكهم و تماديهم فى غيهم و إفكهم ، و لو أنهم رجعوا إلى حاكم العقل لأزال شكهم و عرفهم صدق المؤمنين بالفرق بين حالتيهم ، فان ظهور الثمرات مزيل للشبهات ، و الآية من الاحتباك : إثبات الإيمان أولا دليل على حذف[6] ضده ثانيا ، و إثبات المرض ثانيا دليل على حذف الصحة أولا .

و لما كان التقدير تسبيبا عما[7] جزم به من الحكم بعراقتهم فى الرجس

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : اغسل (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : لك (٥) فى ظ : وحدتهم (٦) من ظ ، و فى الأصل : صدق (٧) فى ظ : كما .

و ازديادهم منه : أفلا يرون إلى تماديهم فى النفاق و ثباتهم عليه ؟ عطف عليه[1] تقريرهم بعذاب الدنيا و الإنكار عليهم فى قوله : ﴿ او لا يرون ﴾ أى المنافقون . قال الرمانى : و الرؤية[2] هنا قلبية لأن رؤية العين لا تدخل على الجملة لأن الشىء لا يرى[3] من وجوه مختلفة ﴿ انهم ﴾ أى المنافقين ؛ و لما كان مطلق وقوع الفتنة من العذاب ، بنى للمفعول قوله : ﴿ يفتنون ﴾ ٥ أى يخالطون من حوادث الزمان و نوازل الحدثان بما يضطرهم إلى بيان أخلاقهم باظهار سرائرهم فى نفاقهم ﴿ فى كل عام ﴾ أى و إن كان الناس أخصب ما [4]يكونون و أرفعه[4] عيشا ﴿ مرة او مرتين ﴾ فيفضحون بذلك ، و ذلك موجب[5] للتوبة للعلم بأن من علم سرائرهم - التى هم مجتهدون فى إخفائها - عالم بكل شىء قادر على كل مقدور ، فهو جدير بأن تمتثل ١٠ أوامره و تخشى زواجره .

و لما كان عدم توبتهم مع فتنتهم على هذا الوجه مستبعدا ، أشار إليه بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم لا يتوبون ﴾ أى لا يجددون توبة ﴿ ولا هم ﴾ أى بضمائرهم ﴿ يذكرون ٥ ﴾ / أى أدنى تذكر بما أشار إليه[6] الإدغام ، ٥٥٩ / فلولا أنه حصلت لهم زيادة فى الرجس لأوشك تكرار الفتنة أن يوهى ١٥ رجسهم إلى أن يزيله و لكن كلما أوهى شيئا خلقه مثله أو أكثر بسبب[7] الزيادات المترتبة على وجود نجوم القرآن ، و التذكر طلب الذكر للمعنى بالكفر فيه ، [فالآية ذامة لهم على عدم التوبة باصابة المصائب لعدم تذكر

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الرواية (٣) فى ظ : لا يبطل (٤-٤) فى ظ : يكون وارفعهم (٥) من ظ ، و فى الأصل : موجبة (٦) زيد بعده فى ظ : باداة (٧) من ظ ، و فى الأصل : تسبب .

أنه سبحانه ما أصابهم بها إلا بذنوبهم " و يعفو عن كثير " كما أن أحدهم لا يعاقب فتاه إلا بذنب و ما لم يتب فهو يوالى عقابه - [1]] .

و لما ذكر ما يحدث منهم من القول استهزاء ، أتبعه تأكيدا لزيادة كفرهم و توضيحا[2] لتصويره ما يحدث من فعلهم استهزاء من الإيمان و التغامز[3] بالعيون فقال : ﴿ و اذا ﴾ و أكد بالنافى فقال : ﴿ ما ﴾ و لما كان الغرض نفس الإنزال لا تعيين المنزل ، بنى للمفعول قوله : ﴿ انزلت سورة ﴾ أى طائفة من القرآن ﴿ نظر بعضهم ﴾ أى المنافقين ﴿ الى بعض[4] ﴾ أى متغامزين سخرية و استهزاء قائلين : ﴿ هل يرٮكم ﴾ و أكدوا العموم فقالوا : ﴿ من احد ﴾ أى من المؤمنين إن انصرفتم ، فانه يشق علينا [سماع مثل هذا ، و يشق علينا - [1]] أن يطلع المؤمنون على هذا السر منا .

و لما كان انصرافهم عن مثل هذا المقام مستهجنا ، أشار إلى شدة قبحه بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم انصرفوا[4] ﴾ أى إن لم يكن أحد يراهم ، و إن رآهم أحد من المؤمنين تجشموا المشقة و ثبتوا ؛ و لما كانوا مستحقين لكل سوء ، أخبر عنهم فى أسلوب الدعاء بقوله : ﴿ صرف الله ﴾ أى الذى له الغنى المطلق و الكمال كله ﴿ قلوبهم ﴾ أى عن الإيمان ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ بانهم قوم ﴾ و إن كانوا ذوى قوة على ما يحاولونه فانهم ﴿ لا يفقهون ﴾ أى قلوبهم مجبولة على عدم الفهم لما بها من الغلظة ،

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) فى ظ : توبيخا (٣) فى ظ : التعاير .
(٤) سقط من ظ .

و هذا دليل على ختام الآية قبلها ، و هاتان الآيتان المختتمتان - بـ" لا يفقهون " التاليتان للأمر بالجهاد فى قوله " قاتلوا الذين يلونكم من الكفار " الموازى لـ" انفروا خفافا و ثقالا " الآية - قد احتوتا مع وجازتهما على حاصل أوصاف المنافقين التالية لآية " انفروا " المختتم ما هو العام منها فى أهل الحاضرة[1] فى قوله " استاذنك اولوا الطول منهم " بـ" يفقهون " ٥ ثم عند إعادة ذكرهم بـ" لا يعلمون " ، و تصويب هاتين الآيتين إلى أهل الحاضرة[2] ظاهر لكونهم ممن يحضر نزول الذكر كثيرا مع احتمالهما للعموم ، و الختم هنا بـ" لا يفقهون " أنسب لأن المقام - و هو النظر فى زيادة الإيمان بالنسبة إليهم - يقتضى فكرا و تأملا و إن كان بالنظر إلى المؤمنين فى غاية الوضوح . ١٠

و لما أمر صلى الله عليه و سلم أن يبلغ هذه الأشياء الشاقة[3] جدا من أمر هذه السورة ، وكان من المعلوم أنه لا يحمل ذلك إلا من وفقه الله تعالى ، و أما المنافقون فيكرهون ذلك ، وكان انصرافهم دالا على الكراهة ، عرفهم أن الأمر كان يقتضى توفر دواعيهم على محبة هذا الداعى لهم المقتضى لملازمته و البعد عما يفعلونه به من الانصراف عنه ، ١٥ [و - [4]] أن أحواله[5] الداعية لهم إلى محبته أعظم من أحوال آبائهم التى أوجبت لهم منهم من المحبة و عليهم من الحقوق ما هم مفتخرون بالتلبس به و المغالاة فيه ، و أن كل ما يحصل بهذا القرآن من العز

(١) فى ظ : الكافر (٢) فى ظ : الحاضر (٣) سقط من ظ (٤) زيدت الواو لاستقامة العبارة (٥) من ظ ، و فى الأصل : احوالهم .

و الشرف فى الدنيا فهو لكل من آمن به فقال : ﴿ لقد جآءكم رسول ﴾ .

و لما كان الرسول يجب إكرامه و الوقوف فى خدمته لأجل مرسله و لو تجرد عن غير ذلك الوصف ، شرع يذكر لهم من أوصافه ما يقتضى لهم مزيد إكرامه فقال : ﴿ من انفسكم ﴾ أى ترجعون معه إلى نفس واحدة بأنكم لأب قريب ، و ذلك أقرب إلى الألفة و أسرع إلى فهم الحجة و أبعد من المحل و اللجاجة ﴿ عزيز ﴾ أى شديد جدا ﴿ عليه ما عنتم ﴾ و العزة : امتناع الشيء بما يتعذر معه[1] ما يحاول منه بالقدرة أو بالقلة أو بالصعوبة ، و العنت : لحاق الأذى الذى يضيق الصدر به و لا يهتدى للمخرج[2] منه / ﴿ حريص ﴾ أى بليغ الحرص ﴿ عليكم ﴾ أى على نفعكم ، و الحرص : شدة طلب الشيء على الاجتهاد فيه . و قدم الجار لإفادة الاختصاص فقال : ﴿ بالمؤمنين ﴾ أى العريقين فى هذا الوصف كافة خاصة . و لما ذكر الوصف المقتضى للرسوخ ، قدم ما يقتضى العطف على من يتسبب[3] له بما يقتضى الوصلة فقال : ﴿ رءوف ﴾ أى شديد الرحمة لمن له منه عاطفة و صلة لما تقدم من معنى الرأفة قريبا .

/٥٦٠

و لما كان المؤمن يطلق مجازا على من يمكن منه الإيمان فوصلته الآن[4] ليست بالفعل بل بالإمكان ، قال تعميما لرحمته صلى الله عليه و سلم كما هو اللائق بشريف منصبه و عظيم خلقه : ﴿ رحيم ﴾ و لأجل مثل هذه الأغراض النفسية رتب سبحانه هذين الوصفين هكذا[1] ، و لكن

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : المخرج (٣) فى ظ : تسبب (٤) زيدت الواو بعده فى ظ .

المعانى المرادة تارة يظهرها الله تعالى لعبده منحة له و إكراما ، و تارة يخفيها إظهارا لعجزه و نقصانه ثم يظهرها له فى وقت آخر إن صدق فى التضرع و إظهار الافتقار و التذلل و أدام الطلب ، أو لغيره ممن هو أقل منه علما و أضعف نظرا و فهما ، و إذا تأملت كتابى هذا ظهر لك أن كثيرا من الآيات فسرها على غير المراد منها قطعا أكابر العلماء ، فعلى الإنسان - إذا خفى عليه أمر - أن يقول : لا أعلم ، و لا يظن أنه رتب شيء من هذا الكتاب العزيز لأجل الفواصل ، فذلك أمر لا يليق بكلام الله تعالى ، و قد عاب النبى صلى الله عليه و سلم السجع ، لأن الساجع يكون محط نظره الألفاظ ، فيدير المعانى عليها و يتبعها إياها ، فربما عجز اللفظ عن توفية المعنى ؛ روى البخارى فى الطب و غيره من صحيحه و مسلم فى الديات و أبو داود و النسائى و غيرهم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قضى فى الجنين يقتل فى بطن أمه بغرة عبد أو وليدة ، فقال الذى قضى عليه : كيف أغرم من لا شرب و لا أكل ، و لا نطق و لا استهل ، فمثل ذلك بطل ؛ فقال النبى صلى الله عليه و سلم : إنما هذا من إخوان الكهان - من أجل سجعه الذى سجع ، و فى رواية : فقال النبى صلى الله عليه و سلم : سجع كسجع الأعراب . و ذلك - و الله أعلم - أنه لو كان نظره إلى المعنى و تصحيحه لأغنى عن هذا السجع أن يقال : كيف أغرم من[1] لا حياة له ، و لو قصد السجع و تهذيب المعنى لأتى بما يدل على نفى الحياة التى جعلها محط أمره فان

(١) فى ظ : ما .

ما أتى به لا يستلزم نفيها . و لو[1] تقيد بالصحة لاغتنى[2] بنفى النطق عن نفى الاستهلال ، فصح بهذا أنه دائر مع تحسين اللفظ[3] صح المعنى أم لا ، و لا ينطبع فى عقل عاقل أن يكون النبى صلى الله عليه و سلم يذم السجع و هو يأتى به و يقصده فى القرآن أو فى السنة ، و لو كان ذلك لأسرعوا الرد عليه ، و ذكر أصحاب فتوح البلاد فى فتح مكران من بلاد فارس أن الحكم بن عمرو لما فتحها أرسل بالأخماس مع صحار[4] العبدى ، فلما قدم على عمر رضى الله عنه سأله عن مكران و كان لا يأتيه أحد إلا سأله عن الوجه الذى يجىء منه فقال : يا أمير المؤمنين ! أرض سهلها جبل ، و ماءها وشل . و ثمرها[5] دقل ، و عدوها بطل ، و خيرها قليل ، و شرها طويل ، و الكثير بها قليل ، و القليل بها ضائع ، و ما وراءها شر منها ؛ فقال ، أسجاع أنت أم مخبر؟ فقال : لا بل مخبر ، قال : لا و الله ! لا يغزوها جيش لى[6] ما أطعت . فقد[7] جعل الفاروق السجع قسيما للخبر فدل على أن التقيد[8] به عيب لإخلاله[9] بالفائدة و بتمام الفائدة . و لعله إنما جوز أن[10] يكون مخبرا لأنه انفك عن السجع فى آخر كلامه و كرر لفظ "قليل" فكان ما ظنه ، لأنه لو أراد السجع لأمكنه[11] أن يقول : و الكثير بها ذليل ،

(١) من ظ ، و فى الأصل: لا (٢) من ظ ، و فى الأصل: لاغنى (٣) فى ظ: اللذة.
(٤) من ظ و الإصابة ، و فى الأصل : صحارى ـ كذا (٥) من ظ و تاريخ الطبرى ٥/٧ ، و فى الأصل : تمرها (٦) من التاريخ ، و فى الأصل و ظ : الى .
(٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : التعصيد ـ كذا (٩) من ظ ، و فى الأصل : لاخلال (١٠) من ظ . و فى الأصل : إنما (١١) من ظ ، و فى الأصل : لا يمكنه .

و القليل

و القليل[1] بها ضائع كليل ، و ما وراءها شر منها بأقوم قيل ؛ [2]و قد[2] نفى
سبحانه عن هذا القرآن المجيد / تصويب النظر إلى السجع كما نفى عنه ٥٦١ /
الشعر فانه تعالى قال " و ما هو بقول شاعر قليلا ما يؤمنون ٥
و لا بقول كاهن قليلا ما تذكرون [3] " فكما أن [قول - [4]] الشاعر
إتيانه بالكلام موزونا ، فكذلك قول الكاهن إتيانه بالكلام مسجوعا ٥
و القرآن ليس من هذا و لا من هذا ، و إن وقع فيه كل من الأمرين
فغير مقصود إليه و لا معول عليه ، بل لكون المعنى انتظم به على أتم
الوجوه فيؤتى به لذلك ، ثم تبين أنه غير مقصود بالانفكاك عنه فى كثير
من الأماكن بقرينة ليس لها مجانس فى اللفظ لتمام المعانى المرادة عندها
فيعلم قطعا أن ذلك غير مقصود أصلا لأن مثل ذلك لا يرضى به أقل ١٠
الساجعين ، بل يراه عجزا و ضيقا عن تكميل المشاكلة و نقصا - تعالى
الله عن ذلك علوا كبيرا ، و مما يوجب لك القطع بأن ترتيب هذين
الاسمين الشريفين هكذا لغير مراعاة الفواصل قوله تعالى فى سورة الحديد
" و جعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رافة و رحمة [5] " و سيأتى إن شاء الله
فى سورة طه عن الفخر الرازى و القاضى أبى بكر الباقلانى منع النظر ١٥
إلى السجع فى الكتاب العزيز نقلا عن جميع الأشاعرة ، و إذا تأملت
الفواصل[6] فى الإتيان بها تارة بكثرة و تارة [بقلة ، و تارة - [4]] تترك[7]

(١) فى ظ : العليل (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سورة ٦٩ آية ٤١ و ٤٢ (٤) زيد من ظ (٥) آية ٢٧ (٦) فى ظ : الفاصل (٧) من ظ ، و فى الأصل : يترك .

بالكلية و يؤتى فى كل آية بفاصلة لا توافق الأخرى ، علمت أن هذا المذهب هو الصواب و لا سيما آخر سورة " اقرا " و إذا تأملت كتب أهل العدد أتقنت علم هذا المستند ، و إذا تأملت ما قلته فى هذا النحو من كتابى ' مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور ' لم يبق عندك شك فى شيء من هذا . فاياك أن تجنح[1] لهذا القول فتكون قد وقعت فى أمر عظيم و أنت لا تشعر ، و أورد سبحانه هذه الآية إيراد المخاطب المتلطف المزيل لما عندهم من الريب بالقسم ، فكأنه قال : [ما لكم - [2]] تنصرفون[3] عن حضرته الشماء و شمائله العلى ! و الله لقد جاءكم - إلى آخره ، ثم أقبل عليه[4] مسليا له مقابلا لإعراضهم إن أعرضوا بالإعراض عنهم و البراءة منهم ملتفتا إلى أول السورة الآمر[5] بالبراءة من كل مخالف ، قائلا مسببا عن النصيحة بهذه الآية التى لا يشك عاقل فى مضمونها : ﴿ فان تولوا ﴾ أى اجتهدوا فى تكليف فطرهم الأولى أن ولوا مدبرين عنك بالانصراف المذكور أو غيره بعد النصيحة لهم بهذه الآية ﴿ فقل ﴾ [أى - [2]] استعانة بالله [تفويضا إليه - [2]] ﴿ حسبى ﴾ أى كافى : قال الرمانى : و هو من الحساب لأنه جل ثناءه يعطى بحسب الكفاية التى تغنى عن غيره ، و يزيد من نعمته ما لا يبلغ إلى حد و نهاية إذ نعمه دائمة و منه متظاهرة ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له ، و إنما كان كافيا لأنه ﴿ لآ اله الا هو ﴾ فلا مكافىء له فلا راد لأمره و لا معقب لحكمه .

و لما قام الدليل على أنه لا كفوء له . وجب قصر الرغائب عليه

---

(١) فى ظ : تنجح (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ينصرفون .
(٤) فى ظ : علينا (٥) فى ظ : الآمرة .

فقال : ﴿ عليه ﴾ أى وحده ﴿ توكلت ﴾ لأن أمره نافذ فى كل شىء ﴿و هو رب﴾ أى مالك و مخترع و مدبر ؛ [و لما كان فى سياق القهر و الكبرياء بالبراءة من الكفار و الكفاية للأبرار ، كان المقام بالعظمة أنسب كآية النمل فقال - [1]] : ﴿العرش العظيم ع﴾ أى[2] المحيط بجميع الأجسام الحاوى لسائر الأجرام [الذى ثبت بآية الكرسى و غيرها أن ٥ ربه أعظم منه لأن عظمته على الإطلاق - [1]] فلا شىء إلا و هو فى قبضته و داخل فى دائرة[3] مملكته ، و إذا[4] كان كافىّ فأنا برىء ممن تولى عنى و بعد منى كائنا من كان فى كل زمان و مكان ؛ فقد عانق آخر السورة أولها و صافح منتهاها مبتدأها و تأكد ما فهمته من سر الالتفات فى " فسيحوا " و فى " فان تبتم فهو خير لكم و ان توليتم فاعلموا انكم ١٠ غير معجزى الله " - [و الله تعالى أعلم - [1]] .

سورة يونس[5] عليه السلام

و هى أولى المئين إن جعلنا براءة مع الانفال من الطول ، و إلا فبراءة أولاهن ، مقصودها وصف الكتاب بأنه من عند الله لما اشتمل عليه من الحكمة و أنه ليس إلا من عنده سبحانه لأن غيره لا يقدر على شىء منه ، و ذلك ١٥ دال بلا ريب على أنه واحد فى ملكه لا شريك له فى شىء من أمره ، و تمام الدليل على هذا قصة قوم يونس[6] عليه السلام بأنهم لما آمنوا

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : داير (٤) فى ظ : ان (٥) هى السورة العاشرة ، مكية على المشهور و آياتها مائة و تسع عند الجميع غير الشامى (٦) فى ظ : نوح .

/٥٦٢/ / عند المخايل كشف عنهم، فدل قطعا على أن الآتى به هو الله الذى آمنوا به إذ لو كان غيره لكان إيمانهم به موجبا للايقاع بهم، و لو عذبوا كغيرهم[1] لقيل: هذه عادة الدهر، كما قالوا: قد مس آباءنا الضراء و السراء و دل ذلك على أن عذاب غيرهم من الأمم إنما هو من عند الله لكفرهم لما اتسق[2] من ذلك طردا بأحوال سائر الأمم من أنه كلما وجد الإصرار على التكذيب وجد العذاب، و عكسا من أنه كلما انتفى فى وقت يقبل قبول التوبة انتفى - و الله الموفق ﴿ بسم الله ﴾ أى الذى لا أمر لأحد سواه فلا كلام يشبه كلامه فلا كفوء له ﴿ الرحمٰن ﴾ الذى عم بكلامه جميع خلقه فأوضح[3] البيان ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى أتم لمطيعهم نعمة الامتنان ﴿ الٓرٰ ﴾ فخم الراء ابن كثير و نافع و حفص عن عاصم، و أمالها ورش عن نافع بين بين، و الباقون بالإمالة المحضة، و الأصل فى ذلك الفتح، وكذا ما كان من أمثالها مما ألفاتها ليست منقلبة عن ياء نحو ما و لا، و إمالتها للتنبيه على أنها أسماء للحروف و ليست حروفا - نقل ذلك عن الواحدى.

لما قدم فى أول الاعراف الحث على إبلاغ النصيحة بهذا الكتاب و فرغ مما اقتضاه السياق من التحذير من مثل وقائع الأولين و مصارع الماضين و مما استتبع ذلك من توصيل القول فى ترجمة هذا النبى الكريم مع قومه فى أول أمره و أثنائه و آخره فى سورتى الانفال و براءة، و ختم ذلك بأن سور الكتاب تزيد كل أحد مما هو ملائم له متهيئ[4]

(١) من ظ، و فى الأصل: كغير (٢) من ظ، و فى الأصل: اساق (٣) فى ظ: بأوضح (٤) من ظ، و فى الأصل: منتهى.

لقبوله و تبعده عما هو منافر له بعيد من[1] قبول ملاءمته ، و أن الرسول صلى الله عليه و سلم بذلك قد حوى من[2] الأوصاف و الحلى و الأخلاق العلى ما يوجب الإقبال عليه و الإسراع إليه . و الإخبار بأن توليهم عنه لا يضره شيئا لأن ربه كافيه لأنه لا مثل له و أنه ذو العرش العظيم ؛ لما[3] كان ذلك كذلك ، أعاد سبحانه القول فى شأن الكتاب الذى افتتح به الاعراف و ختم به سورة التوبة ، و زاده وصف الحكمة و أشار بأداة البعد إلى أن رتبته[4] فيها بعيدة المنال بديعة المثال فقال : ﴿ تلك ﴾ أى الآيات العظيمة جدا التى اشتملت عليها هذه السورة ، أو السور التى تقدمت هذه السورة أو هذه[5] الحروف المقطعة المشيرة إلى أن القرآن كلام الله و إلا لما أعجز[6] القادرين على التلفظ بهذه الأحرف[7] ﴿ آيٰت الكتٰب ﴾ أى الذكر الجامع لكل خير ، و هو هذا القرآن الذى وافق كل ما فيه من القصص كل ما فى[8] التوراة و الإنجيل من ذلك ، فدل ذلك على صدق الآتى به قطعا لأنه لم يكن يعرف شيئا مما فى الكتابين و لا جالس أحدا يعلمه ﴿ الحكيم ۝ ﴾ فكان فيما مضى - أن كونه من عند الله كاف فى وجوب اتباعه - و فيما هنا تأكيد[9] الوجوب بكونه مع ذلك حكيما ، و الآية : العلامة التى تنبئ عن مقطع الكلام من جهة مخصوصة ، و الحكيم : الناطق بالحكمة ، و هى المعروف بما يجتمع عليه مما يمنع الفعل من الفساد

(١) فى ظ : عن (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : كما (٤) من ظ ، و فى الأصل : ترتيبه (٥) فى ظ : هى (٦) فى ظ : عجز (٧) فى ظ : الحروف (٨) فى ظ : فيه من. (٩) من ظ ، و فى الأصل : تأكد .

و النقص ، استعير له ذلك لأنه دليل كالناطق بالحكمة لأنه يؤدى إلى المعرفة التى يميز بها[1] طريق النجاة من طريق الهلاك ، و هو حاكم يبين[2] الحق من الباطل فى الأصول و الفروع و يحكم بالعدل الذى لا جور فيه بوجه فى كل نازلة . و محكم لما أتى به ، مانع له من الفساد ، لا يمحوه ٥ الماء و لا تحرقه النار و لا تغيره الدهور ، و[3] هذا ما ظهر لى فى التحامها بما قبلها ؛ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت سورة براءة قوله تعالى " الا تنصروه فقد نصره الله[4] " و قوله " عفا الله عنك لم اذنت لهم[5] " و قوله " و رحمة للذين[6] آمنوا منكم و الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم[7] " و قوله " لقد جاءكم رسول [من انفسكم -[8]] " - إلى آخر ٥٦٣ / ١٠ السورة إلى ما تخلل أثناء آى هذه السورة الكريمة مما شهد / لرسول الله صلى الله عليه و سلم بتخصيصه بمزايا السبق و القرب و الاختصاص و الملاطفة فى الخطاب و وصفه بالرأفة و الرحمة ، هذا ما انطوت هى و الانفال عليه من قهره أعداءه[9] و تأييده[9] و نصره عليهم و ظهور دينه و علو دعوته و إعلاء كلمته إلى غير هذا من نعم الله سبحانه عليه ، كان ١٥ ذلك كله مظنة[10] لتعجب المرتاب و توقف الشاك و مثيرا لتحرك ساكن الحسد[11] من العدو لعظيم[12] ما منحه عليه السلام ، قال تعالى " اكان [13]للناس عجبا[13] ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس - إلى قوله :

(١) من ظ ، و فى الأصل : ها (٢) فى ظ : بين (٣) سقط من ظ (٤) آية ٤٠ .
(٥) آية ٤٣ (٦) فى ظ : للومنين (٧) آية ٦١ (٨) زيد من ظ و القرآن الكريم آية ١٢٨ (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ ، و فى الأصل : الجسد (١٢) فى ظ : العظيم (١٣-١٣) فى ظ : عجبا للناس .

لسحر[1] مبين" ثم قال "ان ربكم الله" - الآيات ، فبين انفراده تعالى بالربوبية و الخلق و الاختراع و التدبير، فكيف تعترض[2] أفعاله أو يطلع البشر على وجه الحكمة فى كل ما يفعله و يبديه، و إذا كان الكل ملكه و خلقه فيفعل فى ملكه ما يشاء و يحكم فى خلقه بما[3] يريد "ذلكم الله ربكم فاعبدوه" "ما خلق الله ذلك الا بالحق" ثم توعد سبحانه الغافلين عن[4] التفكر فى عظيم آياته حتى أدتهم الغفلة إلى مرتكب سلفهم فى العجب و الإنكار حتى قالوا "مال هذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق[5]" وقالوا "لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا[6]" وهذه[7] مقالات الأمم المتقدمة "قالوا ما انتم[8] الا بشر مثلنا[9]"، "قالوا انومن لبشرين مثلنا[10]"، "ما[11] هذا الا رجل يريد ان يصدكم عما كان يعبد اٰباؤكم" فقال تعالى متوعدا للغافلين "ان الذين لا يرجون لقاءنا و رضوا بالحيوٰة الدنيا" - الآية ، ثم وعد المعتبرين[12] فقال "ان الذين اٰمنوا و عملوا الصلحت يهديهم ربهم بايمانهم" - الآيات ، وكل هذا بيّن الالتحام جليل الالتئام ، ثم تناسجت آى السور - انتهى .

و لما كان كونه من عند الله - مع كونه حكيما - موجبا لقبوله بادئ بدء و السرور به لما تقرر فى العقول و جبلت عليه الفطر من أنه تعالى

(١) و اختلاف القراءة فيه يأتى فى محله (٢) فى ظ : يعترض (٣) فى ظ : ما .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : على (٥) سورة ٢٥ آية ٧ (٦) سورة ٢٥ آية ٢١ .
(٧) فى ظ : هذا (٨) فى ظ : انت (٩) سورة ٣٦ آية ١٥ (١٠) سورة ٢٣ آية ٤٧ .
(١١) من القرآن الكريم سورة ٣٤ آية ٤٣ ، و فى الأصل و ظ : ان - كذا .
(١٢) من ظ ، و فى الأصل : المغترين .

الخالق الرازق كاشف الضر و مدبر الأمر ، كان ذلك موضع أن يقال : ما كان حال من تلى عليهم ؟ فقيل : لم يؤمنوا ، فقيل : ما شبهتهم ؟ هل قدروا على معارضته و الطعن فى حكمته ؟ فقيل : لا ! بل تعجبوا من إنزاله على محمد صلى الله عليه و سلم و ليس بأكثرهم مالا و لا [1] بأقدمهم سنا [1] ، فرجع حاصل تعجبهم إلى ما قاله تعالى إنكارا عليهم . فانه لو أرسل ذا سن قالوا مثل ذلك ، و هل مثل [2] ذلك محل العجب ! ﴿ أكان ﴾ [أى بوجه من الوجوه - [3]] ﴿ للناس عجبا [4] ﴾ أى الذين فيهم أهلية التحرك [5] إلى المعالى [5] ، و العجب : تغير النفس بما لا يعرف [6] سببه مما خرج عن العادة ؛ ثم ذكر الحامل على العجب و هو اسم ' كان ' فقال بعد ما حصل لهم [2] شوق إليه : ﴿ ان اوحينآ ﴾ أى ألقينا أوامرنا بما لنا من العظمة بواسطة رسلنا فى خفاء [منهين - [3]] ﴿ الى رجل ﴾ أى [هو - [3]] فى غاية الرجولية ، و هو مع ذلك ﴿ منهم ﴾ بحيث أنهم يعرفون جميع أمره كما فعلنا بمن قبلهم و المَلِك العظيم المُلْك المالك التام المِلْك لا اعتراض عليه فيما به تظهر خصوصيته من إعلاء من شاء .

و لما كان فى [2] الإيحاء معنى القول ، فسره بقوله : ﴿ ان انذر الناس ﴾ أى عامة ، و هم الذين تقدم نداءهم أول البقرة ، ما أمامهم من البعث و غيره إن لم يؤمنوا أصلا أو إيمانا خالصا ينفى كل معصية صغيرة أو كبيرة و كل هفوة جليلة أو حقيرة على اختلاف الرتب و تباين المقامات ﴿ و بشر ﴾ أى خص ﴿ الذين امنوآ ﴾ أى أوجدوا هذا

(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : باسنهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ .
(٤) تأخر فى ظ عن « والعجب تغير » (٥ - ٥) فى ظ : للعالى (٦) فى ظ : تعرف .

الوصف و عملوا تصديقا لدعواهم [له -[1]] الصالحات ، أى من الأعمال اللسانية و غيرها ، بالبشارة بقبول حسناتهم و تكفير سيئاتهم و التجاوز عن هفواتهم و ترفع درجاتهم كما كان إرسال الرسل قبله و كما هو مقتضى العدل فى إثابة الطائع و عتاب[2] العاصى ، و الإنذار : الإعلام بما ينبغى أن يحذر منه ، و التبشير : التعريف بما فيه السرور ، و أضاف القدم - الذى ٥ هو السابقة بالطاعة - إلى الصدق فى قوله تعالى موصلا لفعل[3] البشارة إلى المبشر به دون حرف جر : ﴿ ان لهم ﴾ أى خاصة ﴿ قدم صدق ﴾ أى أعمالا حقة ثابتة قدموها لأنفسهم صدقوا فيها و أخلصوا فيما يسّروا له / لأنهم خلقوا له و كان مما يسعى إليه بالأقدام ، [و زاد فى البشارة ٥٦٤ / بقوله -[1]] : ﴿ عند ربهم[4] ﴾ [فى إضافة القدم -[1]] تنبيه[4] على أنه ١٠ يجب أن يخلص[5] [له -[1]] الطاعة كاخلاص الصدق من شوائب الكذب ، و فى التعبير بصفة[6] الإحسان إشارة إلى المضاعفة .

و لما ثبت أن الرسول و ما أرسل به على وفق[7] العادة ، انتفى أن يكون عجبا من هذه الجهة ، فصار المحل قابلا لأن يتعجب منهم فيقال : ما قالوا حين أظهروا العجب ؟ و من أىّ وجه رأوه عجبا ؟ فقيل : ١٥ ﴿ قال الكفرون ﴾ أى الراسخون فى هذا الوصف [منهم و تبعهم غيرهم -[1]] مؤكدين لما [يحق -[1]] لقولهم من الإنكار ﴿ ان هذا ﴾ أى القول و ما تضمنه من الإخبار بما[8] لا يعرف من البعث و غيره

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : عقاب (٣) فى ظ : فعل (٤) من ظ ، وفى الأصل : تنبيها (٥) فى ظ : تخلص (٦) فى ظ : بصيغة (٧) فى ظ : وقف (٨) من ظ ، و فى الأصل : ما .

﴿ لسحر ﴾ أى محمد لساحر - كما فى قراءة ابن كثير و حمزة و الكسائى[1] ﴿ مبين ﴾ أى ظاهر فى نفسه ، و هو من شدة ظهوره مظهر لكل شىء أنه كذلك ، فجاؤا[2] بما هو فى غاية البعد عن وصفه ، فان السحر قد تقرر لكل ذى لب أنه - مع كونه[3] تمويها لا حقيقة له - شر محض ليس فيه شىء من الحكمة فضلا عن أن يمتطى[4] الذروة منها مع أن فى ذلك ادعاءهم أمرا متناقضا ، و هو أنه من قول البشر كما هى العادة فى السحر ، و أنهم عاجزون عنه ، لأن السحر فعل تخفى الحيلة فيه حتى يتوهم الإعجاز به ، فقد اعترفوا بالعجز عنه و كذبوا فى ادعاء أنه لسحر[5] لأن الآتى [به -[6]] منهم لم[7] يفارقهم قط و ما خالط عالما لا بسحر و لا غيره حتى يخالطهم فيه شبهة ، فهم يعلمون أن قولهم فى غاية الفساد ، فشرع سبحانه يقيم الدليل على بطلان قولهم من أنه - مع ما تضمنه من البعث[5] - سحر ، و على حقيقة[8] أنه من عنده من غير شبهة ، و على أن الرسالة لا عجب فيها ، لأنه سبحانه خلق الوجود كله و هو نافذ الأمر فيه و قد ابتلى من فيه من العقلاء ليردهم إليه و يحاسبهم فانه لم يخلقهم سدى لأنه حكيم ، فلا بد من رسول يخبرهم بما يرضيه و ما يغضبه لتقوم بذلك الحجة فقال : ﴿ ان ربكم ﴾ أى الموجد لكم و المربى و المحسن ﴿ الله ﴾ أى من ربى[9] شيئا ينبغى أن يكون حكيما و قادرا على أسباب

(١) و فى قراءة حفص عن عاصم أيضا كما فى مصاحفنا (٢) فى ظ : بجاء (٣) فى ظ : كونها (٤) فى ظ : يتمطى (٥) فى ظ : سحر (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : لما (٨) من ظ ، و فى الأصل : حقته (٩) فى الأصل و ظ : رب .

صلاحه ، فأيقظوا أنفسكم من سنة غفلتها تعلموا أن هذا الكتاب من عند [الذى - [1]] له العظمة كلها قطعا ، و أنه قادر على بعثكم لأنه ربكم ﴿الذى﴾ بدأ الخلق بأن ﴿خلق﴾ أى قدر و أوجد ﴿السمٰوٰت و الارض﴾ على اتساعهما وكثرة ما فيهما[2] من المنافع ﴿ فى ستة ايام ﴾ لحكمة أرادها على أن ذلك وقت يسير لا يفعل مثل ذلك فى مثله إلا من لا يعجزه شىء .

و لما أوجد سبحانه هذا الخلق الكثير المتباعد الأقطار الواسع الانتشار المفتقر إلى عظيم التدبير و لطيف التصريف و التقدير ، عبر سبحانه عن عمله فيه عملَ الملوك فى ممالكهم بقوله مشيرا إلى عظمته بأداة التراخى : ﴿ ثم استوى ﴾ أى عمل فى تدبيره و إتقان[3] ما فيه و إحكامه عملَ[4] المعتنى بذلك ﴿على العرش﴾ المتقدم وصفه بالعظمة ، و ليست [5] ثم [5] للترتيب بل كناية عن علو الرتبة و بعد منالها ؛ ثم بين ذلك الاستواء بقوله : ﴿ يدبر ﴾ لأن التدبير أعدل أحوال الملك [6] فالاستواء كناية عنه ﴿ الامر[1] ﴾ [6] كله فلا يخفى عليه عاقبة أمر من الأمور ، فحصل الأمن بهذا من أن يفعل شىء بغير علمه ، لأن التدبير تنزيل الأمور فى مراتبها على[6] إحكام عواقبها ، و هو مع ذلك منزه عما تعرفونه من أحوال الملوك من أنه يكون فى ممالكهم من يقضى[7] بعض الأمور بغير[8] إذن منهم و إن علموا به لعجزهم عن المجاهرة بادامة دفعه ،

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : فيها (٣) فى ظ : اتقانه (٤) من ظ ، و فى الأصل : على (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : عن (٧) من ظ ، و فى الأصل : يقتضى (٨) فى ظ : من غير .

بل هو متصف بأنه ﴿ ما من شفيع ﴾ أى و إن كان بليغ الاتصاف بذلك .

و لما كان تمام قهره و عظيم سلطانه لا يفيد أحدا عند إذنه له إذنا عاما لجميع[1] الأزمان و الأماكن ، أتى بالجار فقال : ﴿ الا من بعد اذنه[1] ﴾ فاذا لم يقدر شفيع على الكلام فى الشفاعة إلا باذنه فكيف يقدر أحد أن يأتى بشىء من الأشياء بغير إذنه فكيف يأتى بكتاب حكيم[2] ليس من عنده يعجز الخلق عن معارضته ، فحصل الأمن أن يكون غيره قاله أو شفع فيمن أبلغه فأبلغه من غير إرادة منه سبحانه ، فتحرر أنه / ليس إلا من عنده[3] و أنه أمر بابلاغه ، و قد عرف من هذا أن " ما من شفيع " فى موضع الدلالة على أنه لا يخرج عن تدبيره [4]أمر من الأمور[4] و لا يغلبه شىء أصلا فبطل ما كانوا يقولون فى الأصنام من الشفاعة و غيرها[5] و الشفيع : السائل فى غيره بتبليغ منزلته من عفو أو زيادة منزلة ، و قد وقع ذكر[6] الكتاب و الرسول و العرش مرتبا فى أول هذه على ما رتب آخر تلك ؛ فلما تقرر ما وصف به من العظمة التى لا يشاركه[7] فيها [4]أحد ، وجب أن يعبد عبادة لا يشاركه[4] [فيها -[8]] شىء ، فنبه على ذلك بقوله : ﴿ ذلكم ﴾ أى العظيم الشأن العالى المراتب ﴿ الله ﴾ أى

/٥٦٥

(١) فى ظ : بجميع (٢) سقط من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل : بعجز الخلق عن معارضته فحصل ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : وغيره (٦) فى ظ : ذلك (٧) من ظ ، و فى الأصل : لم يشاركه (٨) زيد لاستقامة العبارة .

الملك الأعلى ﴿ ربكم ﴾ الذى تقرر[1] له من العظمة و الإحسان بالإيجاد و التربية[2] ما لا يبلغه وصف ﴿فاعبدوه[4]﴾ أى فخصوه بالعبادة فان عبادتكم مع الإشراك ليست عبادة ، و لولا فضله لم يكن [لمن -[3]] زل أدنى زلة طاعة .

و لما سبب [سبحانه -[3]] عن أوصافه[4] العلى ما وجب له[5] من الأمر بالعبادة ، تسبب[6] عن ذلك الإنكار عليهم فى التوقف عنها و الاحتياج فيها إلى بروز الأمر بها لما قام على استحقاقه للأفراد بها من الأدلة التى فيهم[7] شواهدها فقال : ﴿ افلا تذكرون ﴾ أى و لو بأدنى أنواع التذكر بما أشار إليه الإدغام ، ما أخبركم سبحانه به و نبهكم عليه بما يعلمه كل أحد من نفسه من أنه لا يقدر أحد أن يعمل كل ما يريده و يعمل كثيرا مما لا غرض له فيه و يعلم أنه يضره[8] إلى غير ذلك من الأمور ليعلم قطعا أن الفاعل الحقيق غيره [و -[3]] أنه لا بد لهذا الوجود من مؤثر فيه هو فى غاية العظمة لا يصح [بوجه -[3]] أن يشاركه شىء و لو كان أعظم ما يعرف من الأشياء فكيف بجماد لا يضر و لا ينفع !

فلما تقرر أنه هو الذى بدأ الخلق ، تقرر بذلك أنه قادر على إعادته فقال : ﴿ اليه ﴾ أى خاصة ﴿ مرجعكم ﴾ [أى رجوعكم و موضع رجوعكم و وقته -[3]] حال كونكم ﴿جميعا[9] ﴾ لا يتخلف منكم أحد ، تقدم وعده لكم بذلك ﴿ وعد الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿حقا[9]﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل : يقر (٢) فى ظ : بالتربية (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : اوصاف (٥) فى ظ : عليه (٦) فى ظ : سبب (٧) من ظ ، و فى الأصل : فهم . (٨) فى ظ : يضر (٩) ليس فى الأصل .

فهو تعليل لعبادته لوحدانيته ، فيحيون[1] بعد الموت و يحشرون إلى موضع جزاء الله تعالى لهم فى زمانه الذى قدره له ، و يرفع ما كان لهم من المكنة فى الدنيا ، فعلم قطعا أنه لا بد من الرسول ، فاستعدوا للقاء هذا الملك الأعظم بكل ما أمركم به رسوله صلى الله عليه و سلم ؛ ٥ ثم [2]أوضح التنبيه على قدرته مضمنا له[2] بيان حكمته فقال معللا لوجوب المرجع إليه مؤكدا عدا لهم فى عداد المنكر للابتداء لأجل إنكارهم ما يلزم عنه من تمام القدرة على البعث وغيره : ﴿ انه يبدؤا الخلق ﴾ أى ينشئه النشأة الأولى ، له هذه الصفة متجددة التعلق على سبيل الاستمرار ﴿ ثم يعيده ﴾ ليقيم العدل فى خلقه بأن ينجز لمن عبده ، ١٠ وعده بأن يعزه و يذل عدوه و ذلك معنى قوله : ﴿ ليجزى ﴾ .

و لما كان فى سياق البعث ، قدم أهل الجزاء و بدأ بأشرفهم فقال : ﴿ الذين[3] امنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف الذى هو الأساس المتقن لكل عمل صالح ﴿ وعملوا ﴾ أى وصدقوا إيمانهم بأن عملوا ﴿ الصٰلحٰت ﴾ جزاء كائنا ﴿ بالقسط[4] ﴾ ، [و اقتصر على العدل دون ١٥ الفضل ليفهم أن ترك الحشو مخل بالعمل الذى هو محط الحكمة التى هى أعظم مصالح السورة -[4]] ، و الجزاء : الإعطاء بالعمل [5]ما يقتضيه من خير أو شر ، فلو كان[5] الإعطاء ابتداء لم يكن جزاء ، و لو كان

(١) من ظ ، و فى الأصل : يحيون (٢-٢) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « فعلم قطعا » والترتيب من ظ (٣) فى ظ : الذى (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ما لا يقتضيه العمل لم يكن جزاء مطلقا، و القسط : العدل ﴿ و الذين[1] كفروا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف ﴿ لهم ﴾ أى فى الجزاء على جهة الاستحقاق ﴿ شراب من حميم ﴾ أى مسخن بالنار أشد الإسخان ﴿ و عذاب اليم ﴾ أى بالغ الإيلام ﴿ بما كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ يكفرون ۝ ﴾ فان عذابهم من أعظم نعيم المؤمنين الذين عادوهم فيه سبحانه " فاليوم الذين ٥ امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون[2] " و كأنه قال : " يبدؤ" مضارعا لا كما قال فى آية أخرى " كما بدأكم تعودون[3] " حكاية للحال و تصويرا لها تنبيها على تأمل ما يتجدد إنشاءه ليكون أدعى لهم إلى تصور القدرة على الإعادة ؛ قال الرمانى : و قد تضمنت الآية البيان عما يوجبه التمكين / فى الدنيا من تجديد ١٠ / ٥٦٦ النشأة للجزاء لأنه لابد - مع[4] التمكين من الحسن و القبيح - من ترغيب و ترهيب لا يؤمن معه العذاب على الخلود ليخرج المكلف بالزجر عن القبيح عن حال الإباحة له برفع التبعة عليه - انتهى . فقد لاح بما ذكر - مع ما تعين[5] فى أثناء السورة بتكريره لتوضيحه و تقريره - [6]أن مقصودها وصف الكتاب بما يدل قطعا على أنه من عنده سبحانه و باذنه ، لأنه ١٥ لا غائب عن علمه و لا مدانى[7] لقدرته و لا مجترئ على عظمته ، و أنه تام القدرة متفرد بالخلق و الأمر[8] فهو قادر على الإعادة كما قدر على الابتداء ،

(١) فى ظ : الذى (٢) سورة ٨٣ آية ٣٤-٣٦ (٣) فى ظ : تعدون، و راجع سورة ٨ آية ٢٩ (٤) فى ظ : من (٥) فى ظ : يعنى (٦) زيدت الواو بعده فى ظ . (٧) من ظ ، و فى الأصل : يدان - كذا (٨) من ظ ، و فى الأصل : بالامه .

و أن المراد بالكتاب البشارة و النذارة للفوز عند البعث و النجاة من غوائل يوم الحشر مع أنه سبحانه نافذ القضاء، فلا تغنى الآيات و الدلالات البينات عمن حكم بشقاوته و قضى بغوايته، و أن ذلك من حكمته و عدله فيجب التسليم لأمره و قطع الهمم عن سواه؛ ثم شرع سبحانه يقرر[1]

٥ أمر بدئه للخلق و إعادته فى سياق مذكر بالنعم التى يجب شكرها، [2]و يسمى المعرض عن شكره[2] كافرا فقال: ﴿ هو ﴾ أى لا غيره ﴿الذى جعل﴾ أى بما هيأ من الأسباب ﴿ الشمس ﴾ .

و لما كان النور كيفية قابلة[3] للشدة و الضعف، خالف سبحانه فى الأسماء[4] بما يدل على ذلك فقال فى نور الشمس: ﴿ ضياء ﴾ أى ذات

١٠ نور قوى ساطع و قدرها منازل، هكذا التقدير[5]، لكن لما كانت فى تقلبها بطيئة بالنسبة إلى القمر ذكره دونها فقال: ﴿و القمر﴾ أى و جعل القمر ﴿ نورا ﴾ أى ذا نور من نورها ﴿ و قدره ﴾ أى و زاده[6] عليها بأن [7]قدره مسيرة[7] ﴿ منازل ﴾ سريعا يقلبه[8] فيها، و باختلاف حاله فى زيادة نوره و نقصانه تختلف أحوال الرطوبات و الحرارات التى[9]

١٥ دبر الله بها هذا الوجود - إلى غير ذلك من الأسرار التى هى فرع وجود الليل و النهار ﴿ لتعلموا ﴾[10] بذلك علما سهلا ﴿ عدد السنين[11] ﴾ أى المنقسمة إلى الفصول الأربعة و ما يتصل بذلك من الشهور و غيرها

---

(١) فى ظ : يقدر (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : قابلية . (٤) فى ظ : الاشياء (٥) فى ظ : التقرير (٦) فى ظ : زاد (٧ - ٧) فى ظ : قدر مسيره (٨) فى ظ : تقلبه (٩) فى ظ : اى (١٠) فى ظ : عدد - كذا (١١) زيد بعده فى ظ : لتعلموا .

ليمكن

ليمكن لكم تدبير المعاش فى أحوال الفصول و غيرها ﴿ و الحساب ﴾ أى فى غير ذلك مما يدل على بعض تدبيره سبحانه .

[و لما كان ذلك مشاهدا لا مرية - [1]] فيه ، وصل به قوله : ﴿ ما خلق الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم جدا ﴿ الا بالحق ﴾ أى خلقا ملتبسا [2] بالحق الكامل فى الحقية لا مرية فيه ، فعلم أنه قادر على إيجاد الساعة كذلك إذ لا فرق . و إذا كان خلقه كذلك فكيف يكون أمره الناشئ عنه الخلق غير الخلق [3] بأن يكون من السحر الذى مبناه على التمويه و التخييل الذى هو عين الباطل ، أو [4] ما خلقه إلا بسبب إظهار الحق من العدل بين العباد باعزاز الطائع و إذلال العاصى ، فانه لا نعيم كالانتصار على المعادى و الانتقام من المشانئ ، و الجعل : وجود ما به يكون الشيء على صفة [5] لم يكن عليها ، و الشمس : جسم عظيم النور ، به يكون ضياء النهار ؛ و القمر : جسم نير يبسط نوره على جميع الظاهر من الأرض و يكسفه [6] نور الشمس ؛ و النور : شعاع فيه ما ينافى الظلام ؛ و الحساب : عدد [7] يحصل به [7] مقدار الشيء من غيره .

و لما كان النظر فى هذه الآيات من الوضوح بحيث لا يحتاج [8] إلى كثير [8] من الاتصاف بقابلية العلم . ختم الآية بقوله : ﴿ يفصل ﴾ أى الله

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : متلبسا (٣) من ظ ، و فى الأصل : حق (٤) فى ظ « و » (٥) من ظ ، و فى الأصل : صفته (٦) فى ظ : يكشفه (٧-٧) فى ظ : به يحصل (٨-٨) فى ظ : لا كثر .

فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و حفص عن عاصم بالياء التحتيـــة ، و بالالتفات إلى أسلوب العظمة تعظيما للبيان فى قراءة الباقين بالنون ﴿ الأيٰت ﴾ أى يبين الدلائل الباهرة واحدة فى إثر واحدة متفاصلة بيانا شافيا . و لما كان البيان لمن لا علم له كالعدم ، قال : ﴿ لقوم ﴾ أى ٥ لهم قوة المحاولة لما يريدون ﴿ يعلمون ﴾ أى لهم هذا الوصف على سبيل التجدد و الاستمرار ؛ و لما كانت لهم المعرفة التامة و النظر الثاقب فى منازل القمر عدت من الجلى .

و لما أشار سبحانه إلى الاستدلال على فناء العالم بتغيره و إلى القدرة على البعث بإيجاد كل من / الملوين بعد إعدامه فى قوله - مؤكدا له[1] ٥٦٧ / ١٠ لإنكارهم أن يكون فى ذلك دلالة - : ﴿ ان فى اختلاف اليل ﴾ أى على تباين أوصافه ﴿ و النهار ﴾ أى كذلك ﴿ و ما ﴾ أى و فيما ﴿ خلق الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ فى السمٰوٰت و الارض ﴾ من أحوال السحاب و الأمطار و ما يحدث من ذلك الخسف[2] و الزلازل و[3] المعادن و النبات[3] و الحيوانات و غير ذلك من أحوال الكل التى لا يحيط البشر ١٥ باحصائها ؛ لما أشار إلى ذلك ختمها بقوله : ﴿ لأيٰت ﴾ أى دلالات بينة[4] جدا ﴿ لقوم يتقون ﴾ أى أن من نظر فى هذا الاختلاف و تأمل تغير الأجرام الكبار كان جديرا بأن يخاف من أن تغير[5] أحواله و تضطرب أموره فيتق الله لعلمه قطعا بأن أهل هذه الدار غير مهملين ،

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الحن - كذا (٣-٣) فى ظ : النبات و المعادن (٤) فى ظ : بينات (٥) من ظ ، و فى الأصل : يغير .

فلا بد لهم من أمر و نهى و ثواب و عقاب ؛ و الاختلاف : ذهاب كل من الشيئين فى غير جهة الآخر . فاختلاف الملوين : ذهاب هذا فى جهة الضياء و ذاك فى جهة الظلام ؛ و الليل : ظلام من غروب الشمس إلى طلوع الفجر الثانى ، و هو جمع ليلة كتمر و تمرة ؛ و النهار : اتساع الضياء من طلوع الفجر الثانى إلى غروب الشمس ؛ و الخلق : فعل الشىء على ما تقتضيه الحكمة ، و أصله التقدير ؛ و نبه بما خلق فى السماوات و الأرض على وجوه الدلالات . لأن الدلالة فى الشىء قد تكون من جهة خلقه أو اختلاف صورته أو حسن منظره أو [1]كثرة نفعه[1] أو عظم أمره أو غير ذلك .

و لما أشير بالآية إلى انقراض الدنيا بأن الحادث لا ثبات له ، و قام الدليل القطعى على المعاد ، ناسب تعقيبها بعيب[2] من اطمأن إليها فى سياق مبين أن سبب الطمأنينة إنكار الطمأنينة[3] اعتقادا أو حالا ؛ و لما كان ختم تلك بـ"يتقون" لاح أن ثَمّ من يتق و من لا يتق ؛ و لما كان المغرور أكثر ، بدأ به تنفيرا عن حاله ، لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح ، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿ ان الذين ﴾ و لما كان الخوف و الرجاء معدن السعادة ، و كان الرجاء أقرب إلى الحث على الإقبال ، قال مصرحا بالرجاء ملوحا إلى الخوف : ﴿لا يرجون لقآءنا ﴾ بالبعث بعد الموت و لا يخافون ما لنا من العظمة ﴿ و رضوا ﴾ أى عوضا

(١-١) فى ظ : لترفعه (٢) من ظ ، و فى الأصل : تعقيب (٣) زيد بعده فى الأصل : اعتقاد الطمأنينة . و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

عن الآخرة ﴿ بالحيوة الدنيا ﴾ [أى - ١] فعملوا لها عمل المقيم فيها مع ما اشتملت عليه مما يدل على حقارتها ﴿ و اطمانوا ﴾ إليها ٢ مع الرضى ٢ ﴿ بها ﴾ طمأنينة من لا يزعج عنها مع ما يشاهدونه مع سرعة زوالها ﴿ و الذين هم ﴾ أى خاصة ﴿ عن ايتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة لا عن غيرها من الأحوال الدنية الفانية ﴿ غفلون ﴾ أى غريقون فى الغفلة . و تضمن قوله تعالى استئنافا - : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ ماوٰهم النار بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ يكسبون ٥ ﴾ فان كسبهم كله ضلال - أنه لا يعاجلهم بالعقاب على تأخير المتاب . و جعلت ملاقاة ما لا يقدر عليه إلا الله ملاقاة الله ٣ تفخيما لشأنها كما جعل إتيان ٤ جلائل آيات الله فى قوله " الا ان ياتيهم الله فى ظلل من الغمام " و نحوه . و الاطمئنان : الركون إلى الشىء على تمكن ٥ فيه . فهؤلاء مكنوا الأحوال للدنيا فصار فرحهم و سخطهم لها ؛ و الغفلة : ذهاب المعنى عن القلب بما يضاد حضوره إياه ، و اليقظة نقيضها .

و لما انقضى هذا القسم حالا و مآلا ، أتبعه سبحانه القسم الآخر بقوله مؤكدا لإنكار الكفار هدايتهم : ﴿ ان الذين امنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف بما لهم من القوة النظرية التى كمالها معرفة الأشياء و سلطانها معرفة الله تعالى ﴿ و عملوا ﴾ أى و صدقوا دعواهم الإيمان بأن عملوا ﴿ الصلحت ﴾ بالقوة العملية التى سلطانها ٦ عبودية الله تعالى ، و الصالح : ما جاء بالحث عليه الأنبياء عليهم السلام ﴿ يهديهم ﴾ أى على

---

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) فى ظ : راضين (٣) فى ظ : لله (٤) من ظ ، و فى الأصل : اثبات (٥) من ظ ، و فى الأصل : تمكين (٦) فى ظ : سلطانه .

سبيل

سبيل التجدد و الاستمرار ﴿ربهم﴾ أى المحسن إليهم ﴿ بإيمانهم ج ﴾ أى بسبب تصديقهم و إذعانهم لمعرفة الآيات التى غفل عنها الذين يأملون البقاء و لا يرجون اللقاء. فقادتهم إلى دار السلام ، و هذا كما كان كثير من الصحابة رضى الله عنهم بعد إسلامهم يشتد تعجبهم [مما كان - [1]] من تباطؤهم عن الإسلام ، وكما ترى أنك تخنق على بعض الكملة [2] فلا يدعك حظ النفس ترى له حسنة . ثم إنك قد ترضى عنه فتراه كله محاسن . ٥٦٨/

و لما ذكر أن مآل القسم الأول النار ، ذكر مآل هذا القسم فى معرض سؤال من يقول : ما ذا تورثهم هدايتهم ؟ فقيل له : ﴿ تجرى ﴾ و أشار إلى [3] قرب منال [3] المياه و انكشافها عن كل ما ينتفع به فى غير ذلك باثبات [4] الجار فقال : ﴿ من تحتهم ﴾ أى تحت غرفهم و أسرّتهم وغير ذلك من مشتهياتهم كقوله [5] تعالى "قد جعل ربك تحتك سريا [6]" و كذا قول فرعون "و هذه الانهر تجرى من تحتى [7]" ﴿ الانهر ﴾ كائنين ﴿ فى جنت النعيم ﴾ [أى التى ليس فيها من غيره - [1]] .

و لما كان الواجب على العباد أولا تنزيهه تعالى عن النقائص التى أعظمها الإشراك . وكان من فعل ذلك سلم من غوائل الضلال فربح نفسه فعرف ربه و فاز فى شهود حضرته بمشاهدة أوصاف الكمال ، أشار إلى التسليك فى ذلك بقوله : ﴿ دعوٰهم ﴾ أى دعاؤهم العظيم الثابت

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الكلمة (٣-٣) فى ظ : اقرب مال - كذا .
(٤) فى ظ : باتيان (٥) من ظ ، و فى الأصل : لقوله (٦) سورة ١٩ آية ٢٤ .
(٧) سورة ٤٣ آية ٥١ .

الكثير الذى يقولونه فيها [لا - [1]] على وجه التكليف ، بل يلهمونه إلهام النفس فى الدنيا ﴿ فيها ﴾ و أشار إلى مجامع التنزيه عن كل شائبة نقص فقال : ﴿ سبحنك اللهم ﴾ إشارة إلى الأمر الأول الذى هو الأساس و هو المعراج فى الآخرة ﴿ و تحيتهم ﴾ أى لله[2] و فيما بينهم ﴿ فيها سلم ج ﴾ إشارة إلى أول نتائج الأساس بأنه لا عطب[3] معه بوجه و هو نزول عن المعراج بالنظر فى أحوال الخلق ﴿ و اخر دعوٰنهم ﴾ أى دعائهم العظيم و هو المعراج الكمالى ﴿ ان الحمد ﴾ أى الكمال ﴿ لله ﴾ أى المحيط بجميع أوصاف[4] الجلال و الجمال يعنى أن التنزيه[5] عن النقص أوجب لهم السلامة ؛ و لما سلموا من كل نقص وصلوا إلى الحضرة فغرقوا فى بحار الجلال و انكشفت لهم سمات الكمال ؛ و الدعوى : قول يدعى به إلى أمر ؛ و التحية : التكرمة بالحال الجليلة ، و أصله من قولهم[6] : أحياك الله حياة طيبة ، و أشار بقوله : ﴿ رب العٰلمين ﴾ إلى نعمة الإيجاد إرشادا بذلك إلى القدرة على المعاد ، و فيه هبوط عن المعراج الكمالى إلى[7] الخلق ، و ذلك إشارة إلى أن الإنسان لا ينفك عن الحاجة و النقصان .

و لما أشير فى هذه الآية إلى تنزهه تعالى و علوه و تفرده بنعوت الكمال ، و دل بختمها بالحمد على إحاطته و برب العالمين على تمام قدرته و حسن تدبيره فى ابتدائه[8] و إعادته ، /اتبعت بما يدل على ذلك من لطفه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الله (٣) فى ظ : عطف (٤-٤) فى ظ : باوصاف (٥) فى ظ : التنويه (٦) فى ظ : قوله (٧) سقط من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : ابدايه .

فى معاملته من أنه لا يفعل شيئا قبل أوانه لأن[1] الاستعجال من سمات الاحتياج[2]، بل و روى أبو يعلى و أحمد بن منيع عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال « التأنى من الله و العجلة من الشيطان » قال شيخنا ابن حجر : و فى الباب عن سهل و سعد رضى الله عنهما، فقال تعالى عاطفا على قوله " يدبر الامر " ما معناه أنه تعالى يفعل فعل ٥ من ينظر فى أدبار الأمور فلا يفعل إلا ما هو فى غاية الإحكام، فهو لا يعاجل العصاة بل يمهلهم و يسبغ عليهم النعم و هم فى حال عصيانهم له أضل من النَعم يطلبون خيراته و يستعجلونه بها : ﴿ و لو يعجل الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ للناس ﴾ [أى -[3]] الذين اتخذوا القرآن عجبا لما لهم من صفة الاضطراب ﴿ الشر استعجالهم ﴾ أى عاملا فى ١٠ إرادته لإيقاع الشر بهم مثل عملهم فى إرادتهم و طلبهم العجلة ﴿ بالخير لقضى ﴾ أى حُتم و بت و أدى، بناه للمفعول فى قراءة الجماعة دلالة على هوانه عنده، و لأن المحذور مجرد فراغه لا كونه من معين. و بناه ابن عامر للفاعل و نصب الأجل ﴿ اليهم ﴾ أى الناس خاصة ﴿ اجلهم ﴾ أى عمرهم أو[4] آخر لحظة تكون منه، فأهلك من فى الأرض فاختل النظام ١٥ الذى دبره، و لكنه لا يفعل إلا ما تقدم من إمهاله لهم إلى ما[5] سمى من الآجال المتفاوتة، و ذلك سبب /ضلال من يريد ضلاله، و لعل التعبير بنون العظمة فى " فنذر " إشارة إلى أن الأمر فى غاية الظهور؛ فكان القياس هداهم لكثرة ما عليه من الدلائل الظاهرة و لكنه تعالى أراد ضلالهم

/ ٥٦٩

(١) فى ظ : لا ان (٢) من ظ ، و فى الأصل : الاحتجاج (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ : اى (٥) سقط من ظ .

و هو من العظمة بحيث لا يعجزه شيء ، و يجوز أن يكون معطوفا على قوله " اولئك ماوٰهم النار " لأن معناه : أولئك يمهلهم الله إلى انقضاء ما ضرب لهم من الآجال مع مبالغتهم فى[1] الإعراض. ثم يكون مأواهم النار [2]و لا يعجل لهم[2] ما يستحقونه من الشر " و لو يعجل الله للناس الشر "
٥ أى و لو يريد عجلة الشر للناس إذا خالفوه أو إذا استعجلوه به فى نحو قولهم " امطر علينا [حجارة من السماء " -[3]] و دعاء الإنسان على ولده و عبده ، مثل استعجالهم أى مثل إرادتهم تعجيل الخير ، و عدل عن أن يقال : و لو يستعجل[4] الله للناس الشر " استعجالهم بالخير " أى يعجل ، دفعا لإيهام النقص بأن من يستعجل[4] الشيء ربما يكون طالبا عجلته من
١٠ غيره لعدم قدرته ، وتنبيها على أن الأمر ليس إلا بيده " لقضى اليهم اجلهم " فانه إذا أراد شيئا كان و لم يتخلف أصلا .

و لما كان التقدير لأن ' لو ' امتناعية[5] : و لكنه سبحانه لا يفعل ذلك لأنه لا يفوته شيء بل يمهل الظالمين و يدر لهم النعم و يضربهم بشيء من النقم حتى يقولوا : هذه عادة[6] الدهر ، قد مس آباءنا الضراء و السراء ،
١٥ سبب عنه قوله : ﴿ فنذر ﴾ أى على أىّ حالة كانت ، و وضع موضع الضمير تخصيصا و تنبيها على ما أوجب لهم الإعراض و الجرأة قوله : ﴿ الذين ﴾ و أشار بنفى الرجاء إلى نفى الخوف على الوجه[7] الأبلغ فقال : ﴿ لا يرجون لقآءنا ﴾ [أى - [8]] بعد الموت بهذا الاستدراج على ما لنا

(١) من ظ ، و فى الأصل « و » (٢ - ٢) فى ظ : لا يعاجلهم (٣) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ٨ آية ٣٢ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) فى ظ : امتناعه (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : الاوجه (٨) زيد من ظ .

من

من العظمة التى من أمنها كان أضل من الأنعام ﴿ فى طغيانهم ﴾ أى تجاوزهم للحدود تجاوزا لا يفعله من له أدنى روية ﴿ يعمهون ﴾ [أى -[1]] بحكم مشيئتنا السابقة فى الأزل عميا عن رؤية الآيات صما عن سماع البينات ؛ و التعجيل : تقديم الشىء على وقته الذى هو أولى به ؛ و الشر : ظهور ما فيه الضر ، و أصله الإظهار من قولهم : شررت الثوب - إذا أظهرته للشمس ، و منه شرر النار - لظهوره بانتشاره ؛ و الطغيان : الغلو فى ظلم العباد ؛ و العمه ، شدة الحيرة .

و لما بين تعالى أن دأبهم استعجالهم بالخير ، و كان منه استكشاف الضر ، بين أن حالهم عنده الاعتراف ، و شكرهم على النجاة منه الإنكار [فدأبهم الطغيان و العمه[1] -] ، و ذلك فى غاية المنافاة لما يدعونه من رجاحة العقول و إصالة الآراء و سلامة الطباع ، فالحاصل أن الإنسان عند البلاء غير صابر ، و عند الرجاء غير شاكر ، فكأنه قيل : فاذا مس الإنسان منهم الخير كان فى غفلة بالفرح و الأشر و المرح ﴿ و اذا مس الانسان ﴾ منهم ﴿ الضر ﴾ [و إن كان من جهة يتوقعها لطغيان هو فيه و لا ينزع عنه خوفا مما يتوقعه من حلول الضر لشدة طغيانه و جهله -[1]] ﴿ دعانا ﴾ مخلصا معترفا بحقنا عالما بما لنا من كمال العظمة عاملا بذلك معرضا عما ادعاه شريكا لنا كائنا ﴿ لجنبه ﴾ أى مضطجعا حال إرادته للراحة ، و كأنه عبر باللام إشارة إلى أن ذلك أسر[2] أحواله إليه ﴿ او قاعدا ﴾ أى متوسطا[3] [فى أحواله -[1]] ﴿ او قآئما ج ﴾ أى فى غاية السعى فى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : احد (٣) من ظ ، و فى الأصل : متوطنا .

مهماته ، لا يشغله عن ذلك شيء في حال من الأحوال ، [بل يكون ظرف المس بالضر ظرف الدعاء بالكشف - [1]] ، و يجوز أن يكون عبر بالأحوال الثلاثة عن مراتب الضر ، و قال : لجنبه ، إشارة إلى استحكام الضر و غلبته بحيث لا يستطيع جلوسا كما يقال : فلان لما به ، و أشار بالفاء إلى قرب زمن الكشف فقال : ﴿ فلما كشفنا ﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿ عنه ضره ﴾ [أي - [1]] الذي دعانا لأجله ﴿ مر ﴾ أي في كل[2] ما يريده لاهيا عنا بكل اعتبار ﴿ كان ﴾ أي كأنه ﴿ لم يدعنآ ﴾ أي على ما كان يعترف به وقت الدعاء من عظمتنا ؛ و لما كان المدعو يأتي إلى الداعي فيعمل ما دعاه لأجله قال : ﴿ الى ﴾ أي كشف ﴿ ضر مسه[3] ﴾ أي كأن لم يكن له بنا معرفة أصلا فضلا عن أن يعترف بأنا نحن كشفنا عنه ضره ، فهذه الآية[2] في بيان ضعف الإنسان و سوء عبوديته ، و[2] التي قبلها في بيان قدرة الله و حسن ربوبيته ؛ و المس : لقاء من غير فصل ؛ و الدعاء : طلب الفعل من القادر عليه ؛ و الضر : إيجاب الألم بفعله أو السبب المؤدي إليه .

/ ٥٧٠ / و لما كان هذا من فعل الإنسان من أعجب العجب ، كان كأنه قيل : لم يفعل ذلك ؟ فقيل : لما[2] يزين له من[2] الأمور التي يقع[4] بها الاستدراج[5] لإسرافه ، و هذا دأبنا أبدا ﴿ كذلك ﴾ أي مثل هذا التزيين العظيم الرتبة ؛ و لما كان الضار مطلق التزيين ، بنى للمفعول قوله : ﴿ زين للمسرفين ﴾

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) في ظ : ما (٤) من ظ ، و في الأصل : تقع (٥) في ظ : الاستدراع .

أى كلهم العريقين[1] فى هذا الوصف ﴿ما كانوا﴾ أى بجبلاتهم ﴿يعملون ۝﴾ أى يقبلون عليه على سبيل التجديد و الاستمرار من المعصية بالكفر و غيره مع ظهور فساده و وضوح ضرره ؛ و الإسراف : الإكثار من الخروج عن العدل .

و لما كان محط نظرهم الدنيا ، و كان هذا صريحا فى الإمهال للظالمين و الإحسان إلى المجرمين ، اتبعه بقوله تعالى مهددا لهم رادعا عما هم فيه من اتباع الزينة مؤكدا لأنهم ينكرون أن[2] هلاكهم لأجل ظلمهم : ﴿و لقد اهلكنا﴾ [أى -[3]] بما لنا من العظمة ﴿القرون﴾ أى على ما لهم من الشدة و القوة ؛ و لما كان المهلكون هلاك العذاب المستأصل بعض من تقدم ، أثبت الجار فقال : ﴿من قبلكم لما ظلموا ۝﴾ أى تكامل ظلمهم إهلاكا عم آخرهم و أولهم كنفس واحدة دفعا[4] لتوهم أنه سبحانه لا يعم بالهلاك ، و قال تعالى عطفا على " اهلكنا " : ﴿و جآءتهم رسلهم﴾ أى إلى كل أمة رسولها ﴿بالبينت﴾ أى [5]التى بينت[5] بمثلها الرسالة ﴿و ما﴾ أى و الحال أنهم ما ﴿كانوا﴾ أى بجبلاتهم ، و أكد النفى بمن ينكر أن يتأخر إيمانهم عن البيان فقال : ﴿ليؤمنوا[1]﴾ و لو جاءتهم كل آية ، تنبيها لمن قد يطلب أنه سبحانه يريهم بوادر العذاب أو ما اقترحوه من الآيات ليؤمنوا ، فبين سبحانه أن ذلك لا يكون سببا لإيمان من قضى بكفره ، بل يستوى فى التكذيب حاله قبل مجىء الآيات و بعدها ليكون سببا لهلاكه . فكأنه قيل : هل يختص ذلك بالأمم

(١) فى ظ : العريقون (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : رفعا (٥-٥) فى ظ : الذى تثبت .

الماضية؟ فقيل: بل ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك الجزاء العظيم ﴿ نجزى القوم ﴾ أى الذين لهم قوة على محاولة ما يريدونه ﴿ المجرمين ﴾ لأن السبب هو العراقة فى الإجرام و هو قطع ما ينبغى وصله، فحيث ما وجد وجد جزاؤه؛ و الإهلاك: الإيقاع فيما لا يتخلص منه[1] من العذاب؛ و القرن: أهل العصر لمقارنة[2] بعضهم لبعض.

و لما صرح بأن ذلك عام لكل مجرم، أتبعه قوله: ﴿ ثم جعلناكم ﴾ أى أيها المرسل إليهم[3] أشرف رسلنا ﴿ خلائف فى الارض ﴾ أى لا فى خصوص ما كانوا فيه؛ و لما كان زماننا لم يستغرق ما بعد زمان المهلكين أدخل الجار فقال: ﴿ من بعدهم ﴾ أى القرون المهلكة إهلاك الاستئصال ﴿ لننظر ﴾ و نحن - بما لنا من العظمة - أعلم بكم من أنفسكم، و إنما ذلك لنراه فى عالم الشهادة لإقامة الحجة ﴿ كيف تعملون ﴾ فيتعلق نظرنا بأعمالكم موجودة تخويفا للخاطبين من أن يجرموا فيصيبهم ما أصاب من قبلهم.

و لما تقدم أن من قضى بشقاوته لا يتأتى إيمانه بآية من الآيات حتى تنزل[4] [به - [5]] سطوته و تذيقه بأسه و نقمته، وكان القرآن أعظم آية أنزلت[6] إلى الناس لما لا يخفى. أتبع ذلك عطفا على قوله " قال الكفرون ان هذا لسحر مبين " بقوله بيانا لذلك: ﴿ و اذا تتلى ﴾ بناه للمفعول إيذانا بتكذيبهم عند تلاوة[7] أىّ تال كان، و أبداه مضارعا

(١) من ظ، وفى الأصل: منهم (٢) فى ظ: لمقاربة (٣) فى ظ: الينا (٤) فى ظ: ينزل (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ: نزلت (٧) فى ظ: تلاوته.

إشارة

إشارة إلى أنهم يقولون ذلك و لو تكررت التلاوة ﴿ عليهم ﴾ أى على هؤلاء الناس ﴿ [1]اياتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة [1]باسنادها إلينا[1] ﴿ بينت لا ﴾ فانه مع ما اشتمل عليه مما لزمهم به الإقرار بحقيقته قالوا فيه ما لا معنى له إلا التلاعب و العناد ، و يجوز عطفه على "ثم جعلنكم خلئف" - الآية . و الالتفات إلى مقام الغيبة للايذان بأنهم أهل للاعراض ٥ لإساءتهم الخلافة ، والموصول بصلته فى قوله : ﴿ قال الذين لا يرجون لقآءنا ﴾ فى موضع الضمير تنبيها على أن هذا الوصف علة قولهم ، و لعله عبر بالرجاء ترغيبا لهم لأن الرجاء محط أمرهم فى طلب / تعجيله للخير و دفعه للضير ، فكان من حقهم أن يرجوا لقاءه تعالى رغبة فى مثل ما أعده[2] لمن أجابه ، و لوح إلى الخوف بنون العظمة ليكون ذلك أدعى لهم ١٠ إلى الإقبال ﴿ ائت ﴾ أى من عندك ﴿ بقرءان ﴾ أى كلام مجموع جامع لما تريد ﴿ غير هذآ ﴾ فى نظمه و معناه ﴿ او بدله ط ﴾ أى بألفاظ أخرى و المعانى باقية و قد كانوا عالمين بانه صلى الله عليه و سلم مثلهم فى العجز عن ذلك و لكنهم قصدوا أنه يأخذ فى التغيير حرصا على إجابة مطلوبهم فيبطل مدعاه أو يهلك . ١٥

[و لما -[3]] كان كأنه قيل : فما ذا أقول لهم ؟ قال[4] : ﴿ قل ما يكون ﴾ أى يصح و يتصور بوجه من الوجوه ﴿ لى ﴾ و لما كان التبديل يعم القسمين الماضيين قال : ﴿ ان ابدله ﴾ و قال : ﴿ من تلقآئ ﴾ أى[5] عند و قِبَل

/ ٥٧١

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : باستنادنا اليها (٢) فى ظ : اعدوه (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٥) سقط من ظ .

﴿نفسي﴾ إشارة إلى الرد عليهم فى إنكار تبديل الذى أنزله بالنسخ بحسب المصالح كما أنزل أصله لمصلحة العباد مع نسخ الشرائع الماضية به[1]، فأنتج ذلك قطعا قوله : ﴿ ان اتبع ﴾ أى بغاية جهدى ﴿الا ما﴾ و لما كان قد علم أن الموحى إليه الله قال ﴿ يوحى[3] الى ﴾ [أى -[2]] سواء كان بدلا أو أصلا؛ ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لإنكارهم مضمونه : ﴿انى اخاف﴾ أى على سبيل التجدد و الاستمرار ﴿ ان عصيت ربى﴾ أى المحسن إلى و الموجد لى و المربى و المدبر بفعل غير ما شرع لى ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ فانى مؤمن به غير مكذب [3]و لا شاك كغيرى ممن[3] يتكلم من الهذيان بما لايخاف عاقبته فى ذلك اليوم ، و إذا خفته - مع استحضار صفة الإحسان - هذا الخوف فكيف يكون خوفى مع استحضار صفة الجلال . و لما تم[4] ما دفع به مكرهم فى طعنهم، اتبعه بعذره[5] صلى الله عليه و سلم فى الإبلاغ على وجه يدل قطعا على أنه كلام الله و ما تلاه إلا باذنه فيجتث طعنهم من أصله و يزيله بحذافيره فقال : ﴿ قل ﴾ أى لهم معلما أنه سبحانه إما أن يشاء الفعل و إما أن يشاء عدمه و ليست ثم حالة سكوت أصلا ﴿ لوشآء الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها أن لا أتلوه عليكم ﴿ ما تلوته ﴾ أى تابعت قراءته[6] انا ﴿عليكم و لآ ادرٮكم﴾ أى أعلمكم على وجه المعالجة هو سبحانه ﴿ به ﴾ على لسانى؛ و لما[7] ذكر ذلك أتبعه السبب المعرف به فقال: ﴿فقد لبثت فيكم عمرا﴾

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) فى ظ : لوشا لغيرى مما (٤) زيد بعده فى ظ : مع (٥) فى ظ : تعذره (٦) فى ظ : قراءة (٧) فى ظ : ما .

و لما كان عمره لم يستغرق زمان القبل قال: ﴿ من قبله ﴾ مقدار أربعين سنة بغير واحد من الأمرين لكون الله لم يشأ واحدا منهما إذ ذاك، ثم أتيتكم[1] بهذا الكتاب الأحكم المشتمل على حقائق علم الأصول و دقائق علم الفروع و لطائف علم الأخلاق و أسرار قصص الأولين فى عبارة قد عجزتم - و أنتم أفصح الناس و أبلغهم - عن معارضة آية منها، ٥ فوقع بذلك العلم القطعى الظاهر جدا أنه من عند الله فلذلك سبب عنه إنكار العقل فقال: ﴿ افلا تعقلون ﴾ إشارة إلى أنه يكفى - فى معرفة أن القرآن من عند الله و أن غيره عاجز عنه - كون الناظر فى أمره و أمرى من أهل العقل، أى أفلا[2] يكون لكم عقل فتعرفوا به حقيقة القرآن بما أرشدكم إليه فى هذه الآية من هذا البرهان الظاهر ١٠ و السلطان القاهر القائم على أنه ما يصح لى بوجه أن أبدله من قبل نفسى لأنى مثلكم [و -[3]] قد عرفتم أنكم عاجزون عن ذلك مع التظاهر، فأنا وحدى - مع كونى أميا - أعجز، و[3] من أنه تعالى لو شاء ما بلغكم، و من أنى مكثت فيكم قبل إتيانى به زمنا[4] طويلا لا أتلو عليكم شيئا و لا أدعى فيكم علما و لا أتردد إلى عالم؛ و تعرفوا أن ١٥ قائل ما قلتم مكذب بآيات الله، و فاعل ما طلبتم كاذب على الله، و كل من ذلك أظلم الظلم ﴿ فمن ﴾ أى فهو سبب لأن يقال: من ﴿ اظلم ممن افترى ﴾ أى تعمد ﴿ على الله ﴾ أى الذى حاز جميع العظمة ﴿ كذبا ﴾ أى أىّ كذب كان، و كان الأصل: منى، على تقدير أن لا يكون هذا القرآن

(١) من ظ، و فى الأصل: انبئكم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: زمانا.

من عند الله [1] كما زعمتم [1]، ولكنه وضع هذا الظاهر مكانه تعميما وتعليقا للحكم بالوصف ﴿ او كذب بآياته ﴾ كما فعلتم أنتم ، وذلك من أعظم الكذب . ولما كان التقدير : لا أحد أظلم منه فهو لا يفلح لأنه مجرم ، علله بقوله مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿ انه لا يفلح ﴾ أى بوجه من الوجوه ٥ ﴿ المجرمون ٥ ﴾ فقد وضح / أن [2] المقصود نفى الكذب عن نفسه صلى الله عليه وسلم وإلحاق الوعيد حيث كذبوا بالآيات بعد ثبوت أنها من عندالله والإعلام بأنه لا أحد أظلم منهم لأنهم كذبوا على الله فى كل ماينسبونه [3] إليه مما نهى عنه وكذبوا بآياته ، والإتيان بالغير قد يكون مع وجود الأول والتبديل لا يكون إلا برفع الأول ووضع غيره مكانه ؛ والتلقاء [4]: ١٠ جهة مقابلة الشىء ، 'اتبعه' بمجيئه بعده ؛ والمشيئة خاصة تكون سببا مؤديا إلى وقوع الشىء ومرتبا له على وجه قد يمكن أن يقع على خلافه . والإرادة نظيرها ؛ والعقل : العلم الغريزى [5] الذى يمكن به الاستدلال بالشاهد على الغائب ، ويجوز أن يكون ﴿ ويعبدون ﴾ حالا من "الذين لا يرجون لقاءنا" أى قالوا [6] ذلك عابدين ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك ١٥ الأعلى الذى له جميع [2] صفات الكمال الذى ثبت عندهم أن هذا القرآن كلامه لعجزهم عن معارضة شىء منه وهو ينهاهم عن عبادة غيره وهم يعلمون قدرته على الضر والنفع .

/ ٥٧٢

(١-١) سقط مابين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : يلبسونه.
(٤) من ظ ، وفى الأصل : التقاء (٥) من ظ ، وفى الأصل : الغزير - كذا .
(٦) فى ظ : قال.

ولما

و لما كان السياق للتهديد و التخويف ، قدم الضر لذلك و تنبيها لهم على أنهم مغمورون فى نعمه التى لا قدرة لغيره على منع شىء منها ، فعليهم أن يقيدوها بالشكر فقال : ﴿ ما لا يضرهم ﴾ أى أصلا من الأصنام و غيرها ﴿ و لا ينفعهم ﴾ فى معارضة القرآن بتبديل أو غيره و لا فى شىء من الأشياء ، و من حق المعبود أن يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على ٥ المعصية و إلا كانت عبادته عبثا . معرضين عما جاءهم من الآيات البينات من عند[1] [من -[2]] يعلمون أنه يضرهم و ينفعهم و لا يملك شيئا من ذلك أحد سواه ، و قد أقام الأدلة على ذلك غير مرة . و فى هذا غاية التبكيت لهم[3] بمنابذة العقل مع ادعائهم رسوخ الأقدام فيه و تمكن المجال منه ؛ و العبادة : خضوع بالقلب فى أعلى مراتب الخضوع ؛ ثم عجب منهم تعجيبا آخر ١٠ فقال : ﴿ و يقولون ﴾ أى لم يكفهم قول ذلك مرة من الدهر حتى يجددوا قوله مستمرين عليه : ﴿ هٰؤلآء ﴾ أى الأصنام أو غيرهم ﴿ شفعآؤنا ﴾ أى ثابتة شفاعتهم لنا ﴿ عند الله[4] ﴾ أى الملك الأعظم[5] الذى لا يمكن الدنو [6]من شىء[6] من حضراته إلا باذنه ، و قد مضى إبطال ما تضمنته هذه المقالة فى قوله تعالى " ما من شفيع الا من بعد اذنه " و فيه تخجيلهم فى العجز ١٥ عن تبديل القرآن أو الإتيان بشىء من مثله حيث لم تنفعهم فى[6] ذلك فصاحتهم و لا أغنت عنهم شيئا بلاغتهم ، و أعوزهم فى شأنه فصحاءهم ، و ضل عنهم شفعاءهم ، فدل ذلك قطعا على أنه ما من شفيع إلا[7] باذنه

(١) من ظ ، و فى الأصل : عنده (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ : لشىء (٦) فى ظ : من (٧) زيد بعده فى ظ : من .

[1]من بعد[1] ، فكأنه قال : بما ذا أجيبهم[2]؟ فقال : ﴿ قل ﴾ منكرا عليهم هذا العلم ﴿ اتنبئون ﴾ أى تخبرون إخبارا عظيما ﴿ الله ﴾ و هو العالم بكل شىء المحيط بكل كمال ﴿ بما لا يعلم ﴾ أى لا يوجد له به علم فى وقت من الأوقات ﴿ فى السمٰوٰت ﴾ و لما كان الحال مقتضيا لغاية الإيضاح ، كرر النافى تصريحا فقال : ﴿ و لا فى الارض[3] ﴾ و فى ذلك من الاستخفاف بعقولهم بما[3] لا يقدرون على الطعن فيه بوجه ما يخجل الجماد ، فان ما[4] لا يكون معلوما لله[4] لا يكون له وجود أصلا ، فلا نفى أبلغ من هذا كما أنك إذا بالغت فى نفى شىء عن نفسك تقول : هذا شىء ما علمه الله منى .

و لما بين تعالى هنا ما هم عليه من سخافة العقول و ركاكة الآراء[5] ، ختم ذلك بتنزيه[6] نفسه بقوله : ﴿ سبحٰنه ﴾ أى تنزه عن كل شائبة نقص تنزها لا يحاط به ﴿ و تعٰلٰى ﴾ أى و فعل بما له من الإحاطة بأوصاف الكمال فعل المبالغ فى التنزه[7] ﴿ عما يشركون ٥ ﴾ أى يوجدون الإشراك به .

و لما بين شرارتهم بعبادة غير الله و ختم بتنزيهه و كماله ، بين أن هذا الدين الباطل حادث ، و بين نزاهته و كماله ببيان أن الناس كانوا أو لا مجتمعين على طاعته ثم خالفوا أمره فلم يقطع إحسانه إليهم بل استمر

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : اجبتم (٣) فى ظ : ما (٤-٤) تكرر بعده فى الأصل : لا يكون معلوما لله ، و لم يكن التكرار فى ظ فحذفناه (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فحذفناها (٦) فى ظ : بتبرية (٧) من ظ ، و فى الأصل : النفرة .

فى إمهالهم مع تماديهم فى سوء أعمالهم على ما سبق فى علمه و مضى به قضاءه فقال تعالى: / ﴿ و ما كان الناس ﴾ أى كلهم مع ما لهم من ٥٧٣/ الاضطراب ﴿ الآ امة ﴾ و لما أفهم ذلك وحدتهم فى القصد حققه و أكده فقال: ﴿ واحدة ﴾ [أى -[1]] حنفاء متفقين على طاعة الله ﴿ فاختلفوا[2] ﴾ فى ذلك على عهد نوح عليه السلام - كما[2] روى عن ٥ ابن عباس رضى الله عنهما - عقب وحدتهم بسبب ما لهم من النوس فاستحق كافرهم تنجيز العقاب ﴿ و لو لا كلمة ﴾ أى عظيمة ﴿ سبقت ﴾ أى فى الأزل ﴿ من ربك ﴾ أى[3] المحسن إليك برحمة أمتك بامهالهم، و بين التأكيد [4]بما دل على القسم[4] لأجل إنكارهم أن يكون تأخيرهم لأجل ذلك فقال: ﴿ لقضى بينهم ﴾ أى عاجلا بأيسر أمر ﴿ فيما ﴾ [و لما ١٠ لم يبن الكلام على الاتخاذ الذى محط أمره معالجة بالباطن، لم يذكر الضمير بخلاف الزمر فقال -[1]]: ﴿ فيه ﴾ أى لا فى غيره بأن يعجل جزاءهم عليه: ﴿ يختلفون ﴾ و أشار ذلك إلى أن هذا الأمر الذى دعوا إليه ليس أمرا طارئا حادثا فيكون بحيث يتوقف فيه للنظر[5] فى عواقبه و التأمل فى مصادره و موارده، بل هو - مع ظهور دلائله و استقامة ١٥ مناهجه و صحة مذاهبه و إلقاء الفطر أزمة الانقياد إليه - أصل ما كان العباد عليه، و ما هم فيه الآن هو الطارئ الحادث مع ظهور فساده و وضوح سقمه، و هو ناظر إلى قوله تعالى "ا كان للناس عجبا" لأن قوله " قال

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: لما (٣) تأخر فى الأصل عن « برحمة امتك » و الترتيب من ظ (٤-٤) فى ظ: باللام (٥) سقط من ظ.

الكفرون ان هذا لسحر مبين" دال على أنهم قسمان: كافر و مؤمن؛ و الأمة: الجماعة على معنى واحد فى خلق واحد كأنها تؤم - أى تقصد - شيئا واحدا[1]؛ ثم قال تعالى عطفا [على -[2]] قوله "و يعبدون": ﴿و يقولون﴾ أى أنهم لما أتتهم البينات قالوا: ائت بقرآن غير هذا، كافرين بمنزلها عابدين من دونه ما لا يرضى عاقل بتسويته [بنفسه -[2]] فكيف بعبادته [قائلين بفرط عنادهم و تماديهم فى التمرد -[2]]: ﴿لو لا﴾ أى هلا و لم لا ﴿نزل[3]﴾ [أى بأىّ وجه كان -[2]] ﴿عليه آية﴾ أى واحدة كائنة و[4] آتية ﴿من ربه ج﴾ أى المحسن إليه غير ما جاء به و ذلك إما لظنهم آية ملجئة لهم إلى الإيمان أو لكونهم لم يعدوا ما أنزل عليه عدد الآيات فضلا عن كونها بينات، و كفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة فى الآيات دقيقة المسلك بيّن المعجزات مع عجزهم عن معارضته بتبديل أو غيره، فأىّ عناد أعظم من هذا.

و لما كان فى ذلك شوب من الاستفهام، قال [مسببا عن قولهم -[2]]: ﴿فقل﴾ قاصرا قصرا حقيقيا ﴿انما الغيب﴾ أى[5] الذى عناه عيسى عليه السلام بقوله "و لا أعلم ما فى نفسك[6]" و هو ما لم يطلع عليه مخلوق أصلا ﴿لله﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة وحده، لا علم لى بعلة عدم إنزال ما تريدون، و هل تجابون إليه أو[7] لا.

(١) فى ظ: واحد (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ والقرآن الكريم، وفى الأصل: انزلت (٤) فى ظ: او (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٥ آية ١١٦ (٧) فى ظ: ام.

و لما خصه سبحانه بالعلم . وكان إنزال الآيات من الممكنات[1] . سبب عنه قوله : ﴿فانتظروا﴾ ثم أجاب من كأنه يقول له[2]: فما تعمل أنت ؟ بقوله : ﴿ إنى معكم ﴾ أى فى هذا الأمر غير مخالف لكم فى التشوف إلى آية تحصل بها هدايتكم ، ثم حقق المعنى و أكده فقال[3] : ﴿ من المنتظرين ﴾ أى لما يرد على من آية و غيرها .

و لما كان طلبهم لذلك محركا لنفوس الخيّرين إلى ترجى إجابة سؤالهم ، أتبعه سبحانه بما يبين أن ذلك غير نافع لهم لأنه محض تعنت . فقال تعالى عاطفا على قوله " قال الكفرون [ان -[4]] هذا لسحر مبين " أو على قوله " و اذا مس الانسان الضر " مبينا أن رحمته[5] محققة الوجود كثيرة الورود إليهم [مبينا أن لهم آية عظمى من أنفسهم لا يحتاجون معها إلى التعنت بطلب آية و هى دالة على نتيجة مقصود السورة الذى هو الوحدانية و أن إشراكهم إنما هو بما لهم من نقص الغرائز الموجب لكفران الإحسان ، و ذلك أنهم عامة إذا أكرموا بنعمة قابلوها بكفر جعلوا ظرفه على مقدار ظرف تلك النعمة بما أشار إليه التعبير بـ' اذا ' ثم إذا مسهم الضر ألجأهم إلى الحق فأخلصوا ، لم يختلف حالهم فى هذا قط ، و هذا الإجماع من الجانبين دليل واضح على كلا الأمرين : الكفر ظلما بما جر إليه من البطر ، و التوحيد حقا بما دعا إليه من الفطرة القويمة الكائنة فى أحسن تقويم بما زال عنها حاق الضرر من الحظوظ و الشهوات و الفتور ، و هذا كما وقع فى سورة الروم الموافقة لهذه فى الدلالة على

(١) فى ظ : المكنات (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : بقوله (٤) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٠ آية ٢ (٥) فى ظ : رحمة الله .

الوحدانية فلذا عبر فى كل منهما بالناس ليكون إجماعهم دليلا كافيا عليها و سلطانا جليلا مضطرا إليها - و الله الهادى - [١] : ﴿ و اذآ اذقنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ الناس ﴾ أى الذين لهم وصف الاضطراب ﴿ رحمة ﴾ أى نعمة رحمناهم بها من غير استحقاق .

٥ و لما كان وجود النعمة لا يستغرق الزمان الذى يتعقب النقمة [٢] ، أدخل الجار فقال : ﴿ من بعد ضرآء ﴾ أى قحط و غيره ﴿ مستهم ﴾ فاجأوا المكر و هو معنى ﴿ اذا لهم مكر ﴾ أى عظيم بالمعاصى التى يفعلون فى الاستخفاء بأغلبها [٣] فعل الماكر ﴿ فى ايآتنا ﴾ إشارة إلى أنهم لا ينفكون عن آياته العظام ، فلو كانوا منتفعين بالآيات اهتدوا بها . فاذا أتتهم رحمة

١٠ من بعد نقمة لم يعدوها آية دالة على من أرسلها لهم لخرقها لما كانوا فيه من عادة النقمة مع أنهم يعترفون بأنه لا يقدر على إرسالها و صرف الشدة إلا هو سبحانه . بل يعملون فيها عمل الماكرين بأن يصرفوها عن ذلك بأنواع الصوارف كأن ينسبوها إلى الأسباب / كنسبة المطر ٥٧٤ / للأنواء و نحو ذلك غير خائفين من إعادة مثل تلك الضراء أو ما هو

١٥ أشد منها .

و لما كانت هذه الجملة دالة على إسراعهم بالمكر من ثلاثة أوجه : التعبير بالذوق الذى هو أول المخالطة و لفظ [٤] ' من ' التى هى للابتداء و ' إذا ' الفجائية ، كان كأنه قيل : أسرعوا جهدهم فى المكر ، فقيل : ﴿ قل الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة [٥] بكل شىء ﴿ اسرع مكرا [٦] ﴾

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : النعمة (٣) فى ظ : بافعلها (٤) فى ظ : بلفظ .
(٥) سقط من ظ .

و معنى الوصف بالأسرعية[1] أنه قضى بعقابهم قبل تدبيرهم[2] مكايدهم - [نبه عليه أبو حيان[3] ./و لما كان المكر إخفاء الكيد ، بين لهم سبحانه -[4]] *أنهم غير قادرين على مطلق المكر فى جهته عز شأنه* و تعالى كبرياءه و سلطانه ، لأنه عالم بالسر و أخفى ، بل لا يمكرون مكرا إلا و رسله سبحانه مطلعون عليه فكيف به سبحانه ! فقال تعالى مؤكدا لأجل ٥ إنكارهم : ﴿ ان رسلنا ﴾ أى على ما لهم من العظمة باضافتهم إلينا ﴿ يكتبون ﴾ أى كتابة متجددة على سبيل الاستمرار باستمرار المكتوب ﴿ ما تمكرون ﴾ لأنهم قد وكلوا بكم قبل كونكم نطفا و لم يوكلوا بكم إلا بعد علم موكلهم بكل ما يفعلونه[6] و لا يكتبون مكركم إلا بعد اطلاعهم عليه ، و أما هو سبحانه فاذا قضى قضاء لا يمكن أن يطلع عليه رسله ١٠ إلا باطلاعه فكيف بغيرهم ! و إذا تبين أنه عالم بأمورهم و هم جاهلون بأموره ، علم أنه لا يدعهم يدبرون كيدا إلا و قد سبب له ما يجعله[7] فى نحورهم ؛ و المكر : فتل الشىء إلى غير وجهه على طريق الحيلة فيه ؛ و السرعة : الشىء فى وقته الذى هو أحق به ، و قد تضمنت[8] الآية البيان عما يوجبه حال الجاهل من[9] تضييع حق النعمة و المكر فيها و إن جلت ١٥ منزلتها و أتت على فاقة إليها و شدة حاجة إلى نزولها مع الوعيد[10] بعائد

(١) من ظ ، و فى الأصل : الاسراعية (٢) من ظ ، و فى الأصل : تبديرهم - كذا (٣) راجع البحر المحيط ٥/١٣٦ (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « فكيف به سبحانه » و الترتيب من ظ (٦) فى ظ : تفعلونه (٧) من ظ ، و فى الأصل : يحمله (٨) فى ظ : ضمنت (٩) سقط من ظ . (١٠) فى ظ : وعيد .

الوبال على الماكر فيها؛ ثم أخذ سبحانه يبين ما يتضح[1] به أسرعية مكره في مثال دال على ما في الآية قبلها من نقله سبحانه لعباده[2] من الضر إلى النعمة و من سرعة تقلبهم فقال: ﴿هو﴾ أي لا غيره ﴿الذي يسيركم﴾ [أي -[3]] في كل وقت تسيرون فيه سيرا عظيما لا تقدرون على الانفكاك عنه ﴿في البر و البحر[4]﴾ أي يسبب لكم أسبابا توجب سيركم فيها و يقدركم على ذلك و يهديكم من بين سائر الحيوانات إلى ما فيه من أصناف المنافع مع قدرته على إصابتكم في البر بالخسف و ما دونه و في البحر بالغرق و ما أشبهه .

و لما كان العطب بأحوال البحر أظهر مع أن السير فيه من أكبر الآيات و أوضح البينات ، بينه معرضا عن ذكر البر فقال: ﴿حتى اذا كنتم﴾ أي كونا لا براح لكم منه ﴿في الفلك ج﴾ أي السفن ، يكون واحدا و جمعا؛ و أعرض عنهم بعد الإقبال لما سيأتي فقال: ﴿و جرين﴾ أي الفلك؛ ﴿بهم﴾ و لما ذكر جريها و هم فيها ، ذكر سببه فقال: ﴿بريح طيبة﴾ ثم أوضح[5] لهم عدم علمهم بالعواقب بقوله: ﴿و فرحوا بها﴾ أي بتلك الريح و بالفلك الجارية بها ﴿جاءتها ريح عاصف﴾ فأزعجت سفنهم و ساءتهم ﴿و جاءهم الموج﴾ أي المعروف لكل أحد بالرؤية أو الوصف ﴿من كل مكان﴾ أي يعتاد الإتيان منه فأرجف قلوبهم ﴿و ظنوا انهم﴾ و لما كان المخوف الهلاك ، لا كونه من معين ، بنى للمفعول ما هو كناية عنه لأن العدو إذا أحاط بعدوه أيقن بالهلاك فقال: ﴿احيط بهم﴾ .

(١) في ظ: تتضح (٢) في ظ: العبادة (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل: السفن (٥) في ظ: اوضحوا .

و لما كان ما تقدم من حالهم الغريبة[1] التى تجب لها القلوب و تضعف عندها[2] القوى - مقتضيا لأن يسأل عما يكون منهم عند ذلك ، أتى المقال على مقتضى هذا السؤال مخبرا عن تركهم العناد و إخلاصهم الدال على جزعهم عند سطواته و انحلال عزائمهم فى مشاهدة ضرباته ، و عبارة الرمانى : اتصال دعوى اتصال الأجوبة ، كأنه قيل : لما ظنوا أنهم أحيط ٥ بهم ﴿ دعوا الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال بالرغبة إليه فى الخلاص و العبادة له بالإخلاص ﴿ مخلصين ﴾ أى عن كل شرك[3] ﴿ له الدين ﴾ أى [4] التوحيد و التصديق[4] بالظاهر و الباطن ، و قد تضمنت الآية البيان عما يوجبه[5] بديهة العقل من الفزع عند الشدة إلى واهب السلامة و مسبغ[6] النعمة / فى كشف تلك البلية ؛ ثم أتبع سبحانه ذلك حكاية حالهم[7] ١٠ [٥٦٩ /] فى وعدهم الشكر على النجاة ثم كذبهم فى ذلك مع ادعائهم أنهم أطهر الناس ذيولا عن الكذب و أشدهم استقباحا له و أبعد الناس من كفران الإحسان ، فقال تعالى حاكيا قولهم الذى دلوا بتأكيدهم له أنهم قالوه بغاية الرغبة نافين ما يظن بهم[8] من الرجوع إلى ما كانوا فيه قبل تلك الحال من الكفر : ﴿ لئن انجيتنا ﴾ أى أيها الملك الذى لا سلطان لغيره ١٥ ﴿ من هذه ﴾ أى الفادحة ﴿ لنكونن ﴾ أى كونا لا ننفك عنه ﴿ من الشكرين ٥ ﴾ أى المديمين لشكرك العريقين فى الاتصاف به .

(١) فى ظ : القريبة (٢) فى ظ : عنها (٣) فى ظ : شك (٤-٤) فى ظ : التوجه و القصد (٥) فى ظ : توجبه (٦) فى ظ : منبع (٧) من ظ ، وفى الأصل : لهم . (٨) فى ظ : به .

و لما أعلم سبحانه أنهم أكدوا هذا الوعد هذا التأكيد ، أتبعه بيان أنهم أسرعوا فى نقضه غاية الإسراع فقال : ﴿ فلمآ انجٰهم[1] ﴾ و لما أبانت الفاء عن الإسراع فى النقض ، أكد مناجاتهم لذلك بقوله : ﴿ اذا هم يبغون ﴾ [أى - [2]] يتجاوزون الحدود ﴿ فى الارض ﴾ أى جنسها ﴿ بغير الحق[3] ﴾ أى الكامل ، فلا يزال الباغى مذموما حتى يكون على الحق الكامل الذى لا باطل فيه بوجه ، و جاء الخطاب أولا فى " يسيركم " ليعم المؤمنين لأن التسيير[2] يصلح للامتنان ، ثم التفت إلى الغيبة عند صدور ما لا يليق بهم - نبه على ذلك أبو حيان[4] ، و أحسن منه أن يقال : إنه سبحانه أقبل عليهم تنبيها على أنه جعلهم - بما هيأ فيهم من القوى - أهلا لخطابه ثم أعرض عنهم إشارة إلى أنهم استحقوا الإعراض لإعراضهم اغترارا بما أتاحهم من الريح الطيبة فى محل يجب فيه الإقبال عليه و الغنى عن كل ما سواه لعظم الخطر و شدة الأمر ، و كأنه يذكر لغيرهم من حالهم ما يعجبه منه لينكر عليهم و يقبح حالهم ؛ و التسيير : التحريك فى جهة تمتد كالسير ؛ و البر : الأرض الواسعة التى تقطع من بلد ، و منه البر لاتساع الخير به ؛ و البحر : مستقر الماء الواسع حتى لا يرى من وسطه حافتاه ؛ و الفلك : السفن التى تدور فى الماء ، و أصله الدور ، فمنه فلكة المغزل ، و الفلك "الذى يدور" فيه النجوم ؛ و النجاة : التخليص[6] من الهلاك ؛ و البغى : قصد الاستعلاء بالظلم ، و أصله الطلب ؛ و الحق : وضع الشىء فى موضعه على ما يدعو إليه العقل ؛

(١) فى ظ : نجاهم (٢) زيد من ظ (٣) فى إظ : السير (٤) راجع البحر المحيط ٥/ ١٣٨ و ١٣٩ (٥-٥) فى ظ : التى تدور (٦) فى ظ : التخلص .

ثم بين أن ما هم فيه من الإمهال إنما هو متاع الدنيا و أنها دار زوال فقال تعالى: ﴿ يآيها الناس ﴾ أى الذى غلب عليهم وصف الاضطراب ﴿ انما بغيكم ﴾ أى كل بغى يكون منكم ﴿ علآى انفسكم ﴾ لعود الوبال عليها خاصة و هو على تقدير انتفاعكم به عرض زائل ﴿ متاع الحيوة الدنيا ﴾ ثم يبقى عاره و خزيه بعد الموت ﴿ ثم الينا ﴾ أى خاصة ﴿ مرجعكم ﴾ ٥ بعد البعث ﴿ فننبئكم ﴾ على ما لنا من العظمة إنباء عظيما ﴿ بما كنتم ﴾ أى كونا هو كالجبلة ﴿ تعملون ﴾ و نجازيكم[1] عليه .

و لما كان السياق لإثبات البعث و تخويفهم به و كانوا ينكرونه و يعتقدون بقاء الدنيا و أنها إنما هى أرحام تدفع و أرض تبلع دائما بلا انقضاء [فهى دار يرضى بها فيطمأن إليها -[2]] ، و للتنفير من البغى ١٠ و التعزز بغير الحق ، و كانت الأمثال أجلى لمحال الأشكال ، قال تعالى ممثلا لمتاعها قاصرا أمرها على الفناء ردا عليهم فى اعتقاد دوامها من غير بعث : ﴿ انما ﴾ [فهو قصر قلب -[2]] ﴿ مثل الحيوة الدنيا ﴾ التى تتنافسون[3] فيها فى سرعة انقضائها و انقراض نعيمها بعد عظيم إقباله ﴿ كمآء انزلنه ﴾ [أى -[2]] بما لنا من العظمة ، [و حقق أمره و بينه ١٥ بقوله -[2]] : ﴿ من السمآء ﴾ فشبهه بأمر النبات و أنه عما قليل يبلغ منتهاه فتصبح الأرض منه بلاقع بعد ذلك الاخضرار و الينوع ، و فى ذلك إشارة إلى البعث و إلى أنه تعالى قادر على ضربه قبل[4] نهايته أو بعدها

(١) فى ظ : يجازيكم (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : يتنافسون (٤) فى ظ : بعد .

بعض الآفات كما يوجد فى بعض السنين، فيقفرون منه و يفتقرون إليه، و فى ذلك تحذير عظيم ﴿فاختلط﴾ أى بسبب إنزالنا له ﴿به﴾ أى بسبب تليينه و لطافته ﴿نبات الارض﴾ عموما فى بطنها ﴿مما ياكل الناس﴾ أى كافة ﴿و الانعام[1]﴾ من الحبوب و الثمار و البقول فظهر على وجهها ٥ ﴿حتى[2]﴾ و لم يزل كذلك ينمو و يزيد فى الحسن و الجرم؛ و لما كان الخصب هو الأصل، عبر عنه بأداة التحقيق[1] فقال: / ﴿اذآ﴾ و لما كانت /٥٧٦ بهجة النبات تابعة للخصب[2]، فكان الماء كأنه يعطيها إياها فتأخذه، قال: ﴿اخذت الارض﴾ [أى -[3]] التى لها أهلية النبات ﴿زخرفها و ازينت﴾ بأنواع ذلك النبات زينة منها الجلى و منها الخفى - بما يفهمه الإدغام ١٠ ﴿و ظن اهلها﴾ أى ظنا مؤكدا جدا بما أفاده العدول عن "قدرتهم" إلى ﴿انهم قـدرون﴾ أى ثابتة قدرتهم ﴿عليها﴾ باجتناء الثمرة من ذلك النبات و غاب عنهم لجهلهم علم العاقبة، فلما كان ذلك ﴿اتىها امرنا﴾ [أى -[3]] الذى لا يرد [4]من البرد[4] أو الحر المفرطين ﴿ليلا او نهارا فجعلنها﴾ أى زرعها و زينتها بعظمتنا بسبب ذلك الأمر و تعقيبه[5] بالإهلاك ١٥ ﴿حصيدا﴾ و عبر بما[6] أفهمه فعيل من المبالغة و الثبات بقوله: ﴿كأن﴾ أى كأنها ﴿لم تغن﴾ أى لم[7] تكن غانية أى ساكنة[8] حسنة غنية ذات وفر مطلوبة مرغوبا فيها أى زرعها و زينتها ﴿بالامس[1]﴾ فكان

(١) فى ظ: التحقق (٢) فى ظ: للخشب (٣) زيد من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: يعقبه (٦) من ظ، و فى الأصل: عما (٧) سقط من ظ. (٨) فى ظ: ما كثه.

حال الدنيا فى سرعة انقضائها[1] و انقراض نعميها بعد عظيم إقباله كحال نبات الأرض فى جفافه و ذهابه حطاما بعد ما التف و زين الأرض بخضرته و ألوانه و بهجته .

و لما كان هذا المثل فى غاية المطابقة للساعة ، هز السامع له فازداد عجبه من حسن تفصيله بعد تأصيله فقيل جوابا له : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا التفصيل الباهر ﴿ نفصل ﴾ أى تفصيلا عظيما ﴿ الأيٰت لقوم ﴾ أى ناس أقوياء فيهم قوة المحاولة لما يريدون ﴿ يتفكرون ﴾ أى يجددون الفكر على وجه الاستمرار و المبالغة ؛ و المثل : قول سائر يشبه فيه[2] حال الثانى بالأول ؛ و الاختلاط : تداخل الأشياء بعضها فى بعض ؛ و الزخرف : حسن الألوان .

و لما قرر سبحانه هذه الآيات التى حذر فيها من أنواع الآفات ، و بين أن الدار التى [رضوا بها و اطمأنوا إليها دار المصائب و معدن الهلكات و المعاطب و أنها ظل زائل تحذيرا منها و تنفيرا عنها ، بين تعالى أن الدار التى -[3]] دعا إليها سالمة من كل نصب وهم و وصب ، ثابتة بلا زوال ، فقال تعالى عاطفا على قوله " ان ربكم الله الذى خلق السمٰوٰت و الارض" ترغيبا فى الآخرة و حثا عليها : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ يدعوآ ﴾ أى يعلق دعاءه على سبيل التجدد و الاستمرار بالمدعوين ﴿ الى دار السلٰم ﴾ عن قتادة أنه سبحانه أضافها إلى اسمه تعظيما لها و ترغيبا فيها ، يعنى بأنها لا عطب فيها أصلا ، و السلامة فيها دائمة ،

(١) فى ظ : انقلابها (٢) سقط من ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ .

و السلام فيها فاش من بعضهم على بعض و من الملائكة و غيرهم ؛ و الدعاء : طلب الفعل بما يقع لأجله ، و الدواعى إلى الفعل خلاف الصوارف عنه .

و لما أعلم - بالدعوة بالهداية بالبيان و أفهم ختمُ الآية بقوله : ﴿ و يهدى من يشآء ﴾ أى بما يخلق فى قلبه من الهداية ﴿ الى صراط مستقيم ٥ ﴾ أن[1] من الناس من يهديه و منهم من يضله . و أن الكل فاعلون لما يشاء - كان موضع أن يقال : هل هم واحد فى جزائه كما هم واحد فى الانقياد لمراده ؟ فقيل : لا ، بل هم فريقان : ﴿ للذين احسنوا ﴾ أى الأعمال فى الدنيا منهم و هم من هداه ﴿ الحسنى ﴾ أى الخصلة التى هى فى غاية الحسن من الجزاء ﴿ و زيادة ﴾ [أى عظيمة -[2]] من فضل الله فالناس : مريد خرجت هدايته من الجهاد " و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا[3] " ، و مراد خرجت هدايته من المشيئة ، فالدعوة إلى الجنة بالبيان عامة ، و الهداية إلى الصراط خاصة لأنها الطريق إلى المنعم .

و لما كان النعيم لا يتم إلا بالدوام بالأمن[4] من المضار قال : ﴿ و لا يرهق ﴾ أى يغشى و يلحق ﴿ وجوههم قتر ﴾ أى غبرة كغبرة الموت وكربة[5] ، و هو تغير[6] فى الوجه معه[7] سواد و عبوسة تركبهما غلبة ﴿ و لا ذلة ﴾ أى كآبة وكسوف يظهر منه الانكسار و الهوان .

و لما كان هذا واضحا فى أنهم أهل السعادة ، وصل به قوله :

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : اى (٢) زيد من ظ (٣) سورة ٢٩ آية ٦٩ (٤) فى ظ : و الامن (٥) فى ظ : كبره (٦) من ظ ، و فى الأصل : تغيير (٧) فى ظ : مع .

﴿ اولئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ اصحب الجنة ج ﴾ و لما كانت الصحبة جديرة بالملازمة ، صرح بها فى قوله : ﴿ هم ﴾ أى لا غيرهم ﴿ فيها ﴾ أى خاصة ﴿ خلدون ه ﴾ أى مقيمون لا يبرحون[1]، لأنهم لا يريدون ذلك لطيبها[2] و لا يراد بهم .

و لما بين حال الفضل فيمن / أحسن ، بين حال العدل فيمن أساء[3] ٥ /٥٧٧
فقال : ﴿ و الذين كسبوا ﴾ أى منهم ﴿ السيات ﴾ اى المحيطة بهم ﴿ جزآء سيئة ﴾ أى منهم ﴿ بمثلها لا ﴾ بعدل الله من غير زيادة ﴿ و ترهقهم ذلة ﴾ [4] أى من[4] جملة جزائهم ، فكأنه[5] قيل : أما لهم انفكاك عن ذلك ؟ فقيل جوابا : ﴿ ما لهم من الله ﴾ أى الملك الأعظم ؛ و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من عاصم ج ﴾ أى يمنعهم من شىء يريده بهم . ١٠

و لما كان من المعلوم أن [6]ذلك مغير[6] لأحوالهم ، وصل به قوله : ﴿ كانما ﴾ و لما كان المكروه مطلق كونها بالمنظر السيئ ، بنى للمفعول قوله : ﴿ اغشيت وجوههم ﴾ أى أغشاها مغش لشدة سوادها لما هى فيه من السوء ﴿ قطعا ﴾ و لما كان القطع بوزن عنب مشتركا بين ظلمة آخر الليل و[5] جمع القطعة من الشىء[7] ، بين و أكد فقال : ١٥
﴿ من اليل ﴾ أى هذا الجنس حال كونه ﴿ مظلما ﴾ و لما كان ذلك ظاهرا[8] فى أنهم أهل الشقاوة ، وصل به قوله : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء

(١) زيد بعده فى ظ : اى (٢) من ظ ، و فى الأصل : لظميها - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : شاء (٤-٤) فى ظ : هى (٥) سقط من ظ (٦-٦) فى ظ : ذله متغير (٧) من ظ . و فى الأصل : التى (٨) فى ظ : ظاهر .

البغضاء ﴿ أصحٰب النار ج ﴾ و لما كانت الصحبة الملازمة ، بينها بقوله : ﴿ هم فيها ﴾ [أى خاصة - [1]] ﴿ خٰلدون ه ﴾ أى لا يمكنون من مفارقتها ؛ و الرهق : لحاق الأمر ، و منه : راهق الغلام - إذا لحق حال الرجال ؛ و القتر : الغبار ، و منه الإقتار فى الإنفاق لقلته ؛ و الذلة : صغر النفس بالإهانة ؛ و الكسب : الفعل لاجتلاب النفع إلى النفس أو[2] استدفاع الضر .

و لما بين سبحانه مآل الفريقين ، نبه على بعض مقدمات ذلك المانعة أن يشفع أحد من غير إذنه بقوله : ﴿ و يوم ﴾ أى و[3] فرقنا بينهم لأنه لا أنساب هناك و لا أسباب فلا تناصر يوم ﴿ نحشرهم ﴾ أى الفريقين : الناجين و الهالكين العابدين منهم و المعبودين حال كونهم ﴿ جميعا ﴾ ثم يقطع[4] ما بين المشركين و شركائهم فلا يشفع فيهم[3] شىء مما يعتقدون شفاعته و لا ينفعهم بنافعة ، بل يظهرون الخصومة و يبارزون[5] بالعداوة و هو ناظر إلى قوله تعالى " انه يبدؤ الخلق ثم يعيده " و إلى قوله " و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم و لا ينفعهم " و الحشر : الجمع بكره[6] من كل جانب إلى موقف واحد ؛ و أشار سبحانه إلى طول وقوفهم بقوله : ﴿ ثم نقول للذين اشركوا ﴾ أى بنا[7] من لم يشارك فى خلقهم ؛ و قوله : ﴿ مكانكم ﴾ نقل أبو حيان[8] عن النحويين أنهم جعلوه اسما لاثبتوا ، و رد

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ « و » (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : تقطع (٥) فى ظ : يبادرون (٦) من ظ ، و فى الأصل : بكثرة (٧) من ظ ، و فى الأصل : بما (٨) راجع البحر المحيط ٥ / ١٥١ و ١٥٢ .

على الزمخشرى تقديره بالزموا لأنه متعد[1] و يجب أن يساوى بين الاسم و المسمى فى التعدى و اللزوم ، أى نقول لهم : قفوا وقوف الذل ﴿ انتم و شركآؤكم ﴾ حتى ينفذ فيكم أمرنا إظهارا لضعف معبوداتهم التى كانوا يترجونها و تحسيرا لهم ، فلا يمكنهم[2] مخالفة ذلك .

و لما كان التقدير : فوقفوا موافقة للأمر على حسب الإرادة ، عطف عليه مسببا عنه قوله : ﴿ فزيلنا ﴾ أى أزلنا إزالة كثيرة[3] مفرقة ما كان ﴿ بينهم ﴾ فى الدنيا من الوصلة و الألفة حتى صارت عداوة و نفرة فقال الكفار : ربنا هؤلاء الذين أضلونا ، و كنا ندعو من دونك ﴿ و قال شركآؤهم ﴾ لهم متبرئين منهم بما خلق لهم سبحانه من النطق ﴿ ما كنتم ﴾ أى أيها المشركون ، و أضاف الشركاء إليهم لأنهم هم الذين نصبوهم بغير أمر و لا دليل و لأنهم جعلوا لهم نصيبا من أموالهم ﴿ ايانا تعبدون ﴾ أى تخصوننا بالعبادة لأنا لا نستحق ذلك إشارة إلى أنه لا يعبد [4]إلا من يستحق الإخلاص فى ذلك بأن يعبد[4] وحده من غير شريك ، و من لا يستحق ذلك لا يستحق مطلق العبادة و لا يصلح لها ، و كل عبادة فيها شرك لا تعد أصلا و لا يرضى بها جماد لو نطق ، فمتى[5] نفى المقيد بالخلوص نفى المطلق لأنه لا اعتداد به أصلا ، و من المعلوم أن ما كان بهذه الصفة لا يقدم عليه أحد ، فنحن نظن أنه لم يعبدنا عابد فضلا عن أن يخصنا بذلك ، و الشخص يجوز له أن ينفى ما

(١) من ظ ، و فى الأصل : يتعدد (٢) فى ظ : فلا تمكنهم (٣) فى ظ : كبيرة .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : حتى .

[1]يظن نفيه[1] و نحن لم نعلم شيئا من ذلك .

و لما نفوا ذلك عطفوا عليه مسببين عنه قولهم : ﴿ فكفى بالله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿شهيدا ﴾ أى هو يكفينا كفاية عظيمة جدا من جهة الشهادة التى / لا غيبة فيها[2] بوجه و لا ميل أصلا ﴿بيننا و بينكم﴾ /٥٧٨ ٥ فى ذلك يشهد لنا و علينا ؛ ثم استأنفوا خبرا يصحح نفيهم فقالوا مؤكدين لأنهم كانوا يعتقدون علمهم[3] : ﴿ ان ﴾ أى إنا ﴿ كنا ﴾ أى كونا هو جبلة لنا ﴿ عن عبادتكم ﴾ لنا أو لغيرنا مخلصة أو مشوبة ؛ و لما كانت [4]إن[4] هى المخففة من الثقيلة تلقيت باللام الفارقة بينها و بين النافية فقيل[4] : ﴿ لغفلين ﴾ لأنه لا أرواح فينا ، فلم نكن بحيث نأمر بالعبادة ١٠ و لا نرضاها فاللوم عليكم دوننا ، و ذلك افتداء من موقف الذل أو أنهم لما تخيلوا فى الشركاء صفات عبدوها لأجلها و كانت خالية عنها صح النفى لأنهم عبدوا ذوات موصوفة بصفات[5] لا وجود لها فى الأعيان ، و أيضا فانهم ما عبدوا إلا الشياطين التى كانت تزين لهم ذلك و تغويهم ، و يكون التقدير على ما دل عليه السياق : " فزيلنا بينهم " أى منعناهم مما كانوا ١٥ فيه من التواصل و التواد المقتضى للتناصر بعبادة الأوثان ، فقال المشركون لشركائهم لما أبطأ عنهم[6] نصرهم : إنا كنا نعبدكم من دون الله فأغنوا عنا كما كنا نذب عنكم و ننصر دينكم " و قال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون "

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : نطق بفيه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٤) فى ظ : فقال (٥) من ظ ، و فى الأصل : و صفات (٦) فى ظ : عليهم .

أى كُشِف لنا اليوم بتفهيم الله أنه ليس الأمر كما زعمتم و أنكم لم تخصونا بالعبادة حتى[1] يلزمنا منعكم على أنكم لو[2] خصصتمونا ما قدرنا على ذلك كما قال الشيطان "ما انا بمصرخكم [و ما انتم بمصرخى" - [3]] "فكفى[4]" أى فتسبب عن نفينا لذلك[5] على ما كشف لنا من العلم أن نقول : كفى "بالله شهيدا بيننا و بينكم" فى ذلك ، يشهد[6] أنكم لم تخصوا أحدا منه ٥ و منا بعبادة بل كنتم مذبذبين ، و هذا كله إشارة إلى أن العبادة المشوبة لا اعتداد بها و لا يرضاها جماد لو نطق ، و أن من استحق العبادة استحق الإخلاص فيها و أن لا يشرك به أحد[7] و أنه لا يستحق ذلك إلا القادر على كشف الكرب[8] و المنع من أن يقطع بينه و بين متوليه و عابده قاطع ؛ و لما كانت فائدة الشاهد ضبط ما قد ينساه المتشاهدان ، ١٠ عللوا[9] اكتفاءهم بشهادة الله بقولهم : "ان كنا عن عبادتكم" فى تلك الأزمان "لغفلين" فأقروا لهم بما هو الحق مما كان يعلمه كل من له تأمل صحيح أنهم لم يشعروا بعبادتهم ساعة من الدهر قبل ساعتهم هذه ، فهم أجدر الخلق بالاكتفاء بشهادة الشهيد لأنهم أسوأ حالا ممن يعلم المشهود به و يخشى النسيان ، أو يقال : فقال[10] المشركون لشركائهم : إنا كنا نعبدكم ١٥ فهل أنتم ناصرونا أو شافعون لنا فنجونا مما وقعنا فيه" و قال شركاؤهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : كما - كذا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٤ آية ٢٢ (٤) زيد بعده فى ظ : بالله (٥) فى ظ : ذلك (٦) فى ظ : تشهد (٧) فى ظ : احدا (٨) فى ظ : الكذب (٩) فى ظ : علل . (١٠) من ظ ، و فى الأصل : فيقال .

ما كنتم ايانا " وحدنا " تعبدون " أى ما كنتم تخلصون لنا العبادة حتى يلزمنا أن نخلصكم كما أعلمنا بذلك الله ربنا و ربكم المحيط بكل شيء علما " فكفى " أى فتسبب عن ذلك أنه كفى " بالله شهيدا بيننا و بينكم " فى ذلك ، فكأن المشركين قالوا : قد تضمن كلامكم أنا عبدناكم على غير منهج الإخلاص ، أفليس قد عبدناكم ؟ أفلا تغنون عنا شيئا ؟ فأجاب الشركاء[1] بقولهم : " ان[2] كنا عن عبادتكم " خالصة كانت أو مشوبة " لغفلين " فلا نقر لكم بعبادة أصلا و إن تيقنا الإخلاص لسلب العلم عنا بما كنا فيه من الجمادية فضلا عن أن نأمركم أو نرضى بعبادتكم على أنه لا غناء عندنا على تقدير من التقادير ؛ أو يقال - و هو أحسن مما مضى - : " و قال شركاؤهم " لما تحققوا العذاب طلبا لأن يخفف عنهم منه بتوزيعه عليهم و على كل من عبدوه من غيرهم " ما كنتم " أيها العابدون لنا " ايانا " أى خاصة " تعبدون " بل [3]كنتم تعبدون[3] أيضا غيرنا ، و هذا يعم[4] و الله كل من يرائيه غيره بعمل و هو يعلم أنه يرائيه فيقره[5] و لا ينكره عليه ؛ و لما أفهموا بنفى العبادة بقيد الخصوص أنهم كانوا يعبدون معهم غيرهم ، و كان المخلوق قاصر العلم [3]غير محيطه بوجه بأحوال نفسه فكيف / بأحوال[3] غيره ، سببوا عن ذلك قولهم : " فكفى بالله شهيدا بيننا و بينكم ان " أى فى أنا " كنا عن عبادتكم " أى فى الجملة " لغفلين " و الحاصل أن هذا ترجمة كلام الكفار و هو ناشئ منهم عن محض غلبة و دهش و فرط غم و ندم و قلق ،

/ ٥٧٩

(١) فى ظ : شركاء (٢) فى ظ : انا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : نعم (٥) فى ظ : فيقروه .

فلا

فلا يشترط أن يكون معناه على[1] الوجه الأسدّ و الطريق الأبلغ ، فالإعجاز فى نظمه ، و مرادهم به أن يخفف عنهم من العذاب و لو بمشاركة من كانوا يعبدونهم معهم ، فهو من وادى قوله تعالى " فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء[2] " ، " فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار[3] " ، " فآتهم عذابا ضعفا من النار[4] " و نحوه " فما كان لكم علينا من فضل ٥ فذوقوا العذاب[5] " - و الله أعلم .

و لما أخبر عن حال المشركين ، تشوفت النفس إلى الاطلاع على حال غيرهم فقال مستأنفا مخبرا عن كلا الفريقين : ﴿ هنالك ﴾ أى فى ذلك الموقف من المكان و الزمان العظيم الأهوال المتوالى الزلزال[6] ﴿ تبلوا ﴾ أى تخبر و تخالط مخالطة مميلة محيلة ﴿ كل نفس ﴾ طائعة و عاصية ١٠ ﴿ ما اسلفت ﴾ أى قدمت من العمل فيعرف[7] هل كان خيرا أو شرا و هل [كان -[8]] يؤدى إلى سعادة أو شقاوة .

و لما كان مطلق الرد - و هو صرف الشىء إلى الموضع الذى ابتدأ منه - كافيا فى الرهبة لمن له لب ، بنى للمفعول قوله : ﴿ و ردوا ﴾ أى بالبعث بالإحياء كما كانوا أولا ﴿ الى الله ﴾ أى الملك الأعظم ١٥ ﴿ مولٰهم الحق ﴾ فلم يكن لهم قدرة على قصد غيره و لا الالتفات إلى سواه من تلك الأباطيل ، بل انقطع رجاءهم من كل ما كانوا يدعونه

(١) تكرر فى ظ (٢) سورة ١٤ آية ٢١ (٣) سورة ٤٠ آية ٤٧ (٤) سورة ٧ آية ٣٨ (٥) سورة ٧ آية ٣٩ (٦) فى ظ : الزلازل (٧) فى ظ : فتعرف (٨) زيد من ظ .

فى الدنيا ، و هو المراد بقوله : ﴿ و ضل عنهم ﴾ أى بطل و ذهب و ضاع[1] ﴿ ما كانوا ﴾ أى كونا هو جبلة لهم ﴿ يفترون ﴾ أى يتعمدون كذبه من أن معبوداتهم شركاء ، و تيقنوا فى ذلك المقام أن توليهم لغير الله كان باطلا غير حق ؛ و التزييل[2] : تفريق يزول به كل واحد عن مكانه ، و هو من تفريق الجثث ، و ليس من الواوى ، بل من اليائى ، يقال : زلته عن الشىء أزيله - إذا فرقت بينه و بينه ؛ و الكفاية : بلوغ مقدار الحاجة فى دفع الأذية أو حصول المنفعة ؛ و الإسلاف : تقديم أمر لما بعده ؛ و الرد : الذهاب إلى الشىء بعد الذهاب عنه كالرجع ؛ و المولى : من يملك تولى أمر مولاه .

و لما قدم سبحانه أن شركاءهم مربوبون مقهورون ، لا قدرة لهم إلا على ما يقدرهم الله عليه ، و أنه وحده المولى الحق ، و بانت بذلك فضائحهم ، أتبعه ذكر الدلائل على فساد مذهبهم ، فوبخهم بأن وجه السؤال إليهم عما هم معترفون بأنه مختص به و يدل قطعا على تفرده بجميع الأمر الموجب من غير وقفة لاعتقاد تفرده بالإلهية فقال : ﴿ قل ﴾ [أى يا أكرم خلقنا و أرفقهم بالعباد - [3]] ﴿ من يرزقكم ﴾ [أى يجلب لكم الخيرات - [3]] أيها المنكرون للبعث المدعون للشركة ﴿ من السمآء ﴾ [أى - [3]] بالمطر و غيره من المنافع ﴿ و الارض ﴾ بالنبات و غيره لتعيشوا ﴿ امّن يملك السمع ﴾ [أى - [3]] الذى تسمعون به الآيات ، و وحده للتساوى[4] فيه فى[5] الغالب

(١) من ظ ، و فى الأصل : ضل (٢) فى ظ : الترتيل (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : لما تساوى (٥) من ظ ، و فى الأصل : من .

﴿ و الابصار ﴾ التى تبصرون بها ما أنعم عليكم به فى خلقها[1] ثم حفظها فى المدد الطوال على كثرة الآفات فيفيضها عليكم لتكمل حياتكم الحسية ببقاء الروح ، و المعنوية بوجود العلم ؛ روى عن على رضى الله عنه أنه[2] قال : سبحان من بصر بشحم ، و أسمع بعظم ، و أنطق بلحم .

فلما سألهم عن أوضح ما هم فيه و أقربه ، نبههم على ما قبله من بدء الخلق فقال : ﴿ و من يخرج الحى ﴾ من الحيوان و النبات ﴿ من الميت ﴾ أى من النطفة و نحوها ﴿ و يخرج الميت ﴾ أى [من -[3]] النطفة و نحوها مما لا ينمو ﴿ من الحى ﴾ [أى فينقل من النقص إلى الكمال - [3]] ؛ ثم عم فقال : ﴿ و من يدبر الامر[4] ﴾ أى كله[4] التدبير العام[5] .

و لما كانوا مقرين بالرزق و ما معه من الخلق و التدبير ، أخبر عن جوابهم إذا سئلوا عنه بقوله : ﴿ فسيقولون الله ج ﴾ أى مسمى هذا الاسم الذى له الكمال كله بالحياة و القيومية بخلاف ما سيأتى من الإعادة و الهداية ﴿ فقل ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنا نقول / لك : قل لهم مسببا عن جوابهم هذا الإنكار عليهم فى عدم التقوى : ﴿ افلا تتقون[6] ۞ ﴾ أى تجعلون وقاية بينكم و بين عقابه على اعترافكم بتوحده فى ربوبيته و إشراككم غيره فى إلهيته ؛ ثم علل إنكار عدم تقواهم بقوله : ﴿ فذلكم ﴾ أى العظيم الشأن ﴿ الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ، فكانت هذه قدرته و أفعاله ﴿ ربكم ﴾ أى الموجد[7] لكم المدبر لأموركم الذى لا إحسان

/ ٥٨٠

(١) فى ظ : حقها (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) زيد بعده فى ظ : الكلمة.
(٥) فى ظ : العالم (٦) فى ظ : فلا يتقون (٧) من ظ ، وفى الأصل : الواحد .

عندكم لغيره ﴿ الحق ج ﴾ أى الثابتة ربوبيته ثباتا لا ريب فيه [لاجتماع الصفات الماضية له لا لغيره لأنه لا تكون الربوبية حقيقة لمن لم تجتمع له تلك الصفات - ١] ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن يقال لكم : ما ﴿ ذا بعد الحق ﴾ أى الذى له أكمل الثبات ﴿ الا الضلل ج ﴾ فانه

٥ لا واسطة بينهما - بما أنبا عنه إسقاط الجار ، ولا يعدل عاقل عن الحق إلى الضلال فانى تصرفون أنتم عن الحق إلى الضلال ؛ ولذلك سبب عنه قوله : ﴿ فانى ﴾ أى فكيف ومن أىّ جهة ﴿ تصرفون ه ﴾ [أى - ١] أنتم من صارف ما كائنا ما كان ، عن الحق إلى ٢ الضلال .

ولما كانوا جديرين عند تقريرهم بهذه الآية وإقرارهم بمضمونها

١٠ بأن يقولوا : سلمنا فأسلمنا ولا نصرف عن الحق أبدا ، فلم يقولوا ، كانوا حقيقين بأن يقال [لهم - ١] : حقت عليكم كلمة الله لفسقكم وزيغانكم عن الحق ، فقيل : هل خصوا بذلك ؟ فقيل : بل ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك الحقوق العظيم ﴿ حقت كلمت ربك ﴾ أى المحسن إليك باهلاك أعدائك : الكلمة الواحدة النافذة التى لا تردد فيها ، ومعنى الجمع فى قراءة نافع

١٥ وابن عامر أنه لا شىء من كلماته يناقض الكلمة التى أوجبت عذابهم ، بل كلها توافقها فالمراد واحد ، أو يكون ذلك كناية عن أن عذابهم دائم فان كلماته لا تنفد ﴿ على ﴾ كل ﴿ الذين ﴾ فعلوا فعلهم لأنهم ﴿ فسقوآ ﴾ أى أوقعوا ٣ [الترك لأمر الله وأوجدوا عصيانه وفعلوا الخروج عن طريق الحق و - ١] الخروج عن دائرة الصلاح ، [وهو

٢٠ كونهم أمة واحدة إلى دين أبيهم آدم صفى الله عليه السلام - ١] ؛

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الا (٣) من ظ ، وفى الأصل : ايقعوا - كذا .

ثم

ثم علل ذلك الحقوق بقوله : ﴿ انهم لا يؤمنون ٥ ﴾ أى لا يتجدد[1] منهم إيمان أصلا ، [و عبر بالفسق المراد به الكفر لأن السياق للخروج عن دائرة الدين الحق فى قوله " و ما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا " و هذا المعنى أحق بالتعبير للفسق الذى أصله الخروج عن محيط فى قولهم : فسقت الرطبة عن قشرها - أى خرجت - [2]] ، أو[3] يكون المعنى : حقت الربوبية له سبحانه بهذا الدليل ، و هو فعل هذه الأمور المختتمة بالتدبير المقتضى للوحدانية [له سبحانه - [2]] قطعا لأنه لو كان قادر يساويه فى مقدوره لأمكن أن يمانعه ، و بطل أن يكون قادرا ، و[4] حق أن[5] من زاغ عن الحق كان فى الضلال كما حق هذا " كذلك حقت " [أى ثبتت ثباتا عظيما - [2]] " كلمت ربك على " كل " الذين " قضى بفسقهم منهم ، [و - [2]] " انهم لا يؤمنون " تفسير لكلمته التى حقت ؛ و الرزق : جعل العطاء الجارى .

و لما علم أنهم معترفون بأمر الهداية و ما يتبعها من الرزق و التدبير[6] أعاد سبحانه السؤال عنها مقرونة بالإعادة تنبيها لهم على ما يتعارفونه من أن الإعادة أهون ، فانكارها مع ذلك إما جمود أو عناد[7] ، و إنكار المسلمات كلها هكذا . و سوقه على طريق الاستفهام [أبلغ و أوقع فى القلب - [2]] ، فقال : ﴿ قل ﴾ [أى - [2]] على سبيل الإنكار عليهم

(١) فى ظ : لا يجدد (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل «و» (٤) من ظ ، و فى الأصل : او (٥) سقط من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : عادة .

و التوبيخ لهم ﴿هل من شركآئكم﴾ [أى -[1]] الذين زعمتموهم [2]شركاء لى[2] و أشركتموهم فى أموالكم من أنعامكم و زروعكم[3] ﴿من يبدؤا الخلق﴾ كما بدأته ليصح لهم ما ادعتيم من الشركة[4] ﴿ثم يعيده[5]﴾ .

و لما كان الجواب قطعا من غير توقف : ليس فيهم من يفعل ٥ شيئا من ذلك ، وكان لجاجهم فى إنكار الإعادة و عنادهم لا يدعهم أن يجيبوا بالحق ، أمره بجوابهم بقوله : ﴿ قل الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ يبدؤا الخلق ﴾ أى مهما أراد ﴿ثم يعيده[5]﴾ و أتى هنا بجزئى الاستفهام وكذا ما يأتى فى السؤال عن الهداية تأكيدا للأمر بخلاف ما اعترفوا به ، فانه اكتفى فيه بأحد الجزءين فى قوله " فسيقولون الله " ١٠ و لم يقل : يرزقنا - إلى آخره ؛ ثم زاد فى تبكيتهم على عدم الإذعان لذلك بالتعجيب منهم فى قوله : ﴿ فانى تؤفكون ﴾ أى كيف و من أىّ جهة تصرفون بأقبح الكذب عن وجه الصواب من صارف ما ، وقد استنارت جميع الجهات ، و رتب هذه الجمل أحسن ترتيب ، و ذلك أنه[6] سألهم أولا عن سبب دوام حياتهم وكمالها بالرزق و السمع و البصر ١٥ و عن بدء[6] الخلق فى إخراج الحى من الميت و ما بعده ، وكل ذلك تنبيها على النظر فى أحوال أنفسهم مرتبا على الأوضح[7] [فالأوضح ، فلما اعترفوا به كله أعاد السؤال عن بدء الخلق ليقرن به الإعادة -[1]] تنبيها على أنهما بالنسبة إلى قدرته على حد سواء ، فلما فرغ [8]مما يتعلق بأحوال[8]

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ : شركائى (٣) من ظ ، و فى الأصل : ازراعكم .
(٤) فى ظ : الشرك (٥) فى ظ : لانه (٦) من ظ ، و فى الأصل : مبدا (٧) من ظ ، و فى الأصل : الاصح (٨-٨) فى ظ : من احوال .

الجسد أمره أن يسألهم عن غاية ذلك، والمقصود منه من أحوال الروح فى الهداية التى فى سبب السعادة إمعانا فى الاستدلال بالمصنوع على الصانع على وجه مشير إلى التفضيل فقال: ﴿ قل ﴾ [أى -[1]] يا أفهم العباد وأعرفهم بالمعبود ﴿ هل من شركآئكم ﴾ أى الذين زعمتم أنهم شركاء لله، فلم تكن شركتهم إلا لكم لأنكم جعلتم لهم حظا من ٥ أموالكم وأولادكم ﴿ من يهدىٓ ﴾ أى بالبيان أو[2] التوفيق ولو بعد حين ﴿ الى الحق ﴾ [فضلا عن أن يهدى للحق على أقرب ما يكون من الوجود إعلاما -[1]].

ولما كانوا جاهلين بالجواب الحق فى ذلك أو معاندين، أمره أن يجيبهم معرضا عن انتظار جوابهم آتيا بجزئى[3] الاستفهام أيضا فقال: ١٠ ﴿ قل الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ يهدى ﴾ ولما كان قادرا على غاية الإسراع، عبر باللام فقال: ﴿للحق﴾ [إن أراد، ويهدى إلى الحق من يشاء -[1]]، لا أحد ممن زعموهم شركاء. فالاشتغال بشىء منها بعبادة أو غيرها جهل محض واختلال[4] فى المزاج كبير، [فالآية من الاحتباك: ذكر "الى الحق" أولا دليلا على حذفه ثانيا، و "للحق" ١٥ ثانيا دليلا على حذفه أولا -[1]]، فتسبب عن ذلك إنكار اتباعهم لهم فقال: ﴿ افمن يهدىٓ ﴾ أى منتهيا فى هداه ولو على بعد ﴿الى الحق﴾ أى الكامل الذى لا زيغ فيه بوجه [ولو على أبعد الوجوه -[1]]

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ «و» (٣) من ظ، وفى الأصل: بخبرى (٤) من ظ، وفى الأصل: اختلاف.

﴿ احق ان يتبع ﴾ أى بغاية الجهد ﴿ ام من لا يهدىٓ ﴾ أى يهتدى فضلا عن أن يهدى غيره إلى[1] شىء من الأشياء أصلا و رأسا ؛ و إدغام تاء الافتعال للايماء إلى انتفاء جميع أسباب الهداية حتى أدانيها ، فان التاء عند أربابَ القلوب معناها انتهاء التسبب إلى أدناه ﴿ الآ ان يهدىٓ ﴾ أى يهديه هاد غيره كائنا من كان ، و هذا يعم كل ما عبد من دون الله ممن يعقل و ممن لا يعقل ؛ فلما أتم ذلك على هذا النهج[2] القويم ، كان كأنه قيل : أتجيبون أم تسكتون؟ و إذا أجبتم أتؤثرون الحق فترجعوا عن الضلال أم تعاندون ، تسبب[3] عن ذلك سؤالهم على وجه التوبيخ بقوله : ﴿ فما ﴾ أى أىّ شىء ثبت ﴿ لكم ﴾ فى فعل غير الحق من كلام أو سكوت ؛ ثم استأنف تبكيتا آخر فقال : ﴿ كيف تحكمون ٥ ﴾ فيما سالناكم عنه مما لا ينبغى أن يخفى على عاقل ، أ[4] بالباطل أم بالحق ؟ فقد تبين الرشد من الغى ؛ و البدء : العقل الأول ؛ و الإعادة : إيجاد الشىء ثانيا ؛ و الهداية : التعريف بطريق الرشد من الغى .

و لما أخبر باقرارهم عن بعض ما يسألون عنه ثم عقبه[5] بما لوح إلى إنكارهم أو سكوتهم عن بعضه مما يتعلق بشركائهم ، عطف على ما صرح به من قولهم "فسيقولون" و ما لوح إليه من 'فسينكرون' أو 'فسيسكتون' قوله[6] : ﴿ و ما يتبع ﴾ أى بغاية الجهد ﴿ اكثرهم ﴾ أى فى[7] نطقه أو سكوته فى عبادته للأصنام و قوله : إنها شفعاء ، و غير ذلك

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا (٢) فى ظ : المنهج (٣) فى ظ : فسبب (٤) فى ظ : اما (٥) فى ظ : عقب (٦) من ظ . و فى الأصل : بقوله (٧) فى ظ : من .

﴿ الا ظنا ﴾ تنبيها على أنهم إنما هم مقلدون و تابعون للأهواء.

و لما كان الظن لا ينكر استعماله فى الشرائع، نبه على أن محله إنما هو حيث لا يوجد نص على المقصود، فيقاس حينئذ على النصوص بطريقه، و أما إذا وجد القاطع فى حكم فانه لا يجوز العدول عنه[1] بوجه من الوجوه فقال تعالى فى جواب من يقول: أو ليس الظن مستعملا ٥ فى كثير من الأحكام؟: ﴿ان الظن لا يغنى﴾ أى أصلا ﴿من الحق﴾ أى الكامل ﴿شيئا﴾ أى بدله، و لا يكون بدل الحق إلا إذا كان تابعه مخالفا فيه لقاطع يعلمه.

و لما صار ظهور الفرق ضروريا. أوقع تهديد المتمادى فى غيه فى جواب من كأنه قال: إن ذلك غير خفى عنهم و لكنهم يستكبرون ١٠ فلا يرجعون، فقال: ﴿ان الله﴾ أى المحيط بكل شىء ﴿عليم﴾ أى بالغ العلم ﴿بما يفعلون ٥﴾ فاصبر فلسوف يعلمون.

و لما قدم فى هذه السورة قولهم " لولا انزل عليه اية من ربه " و أتى فيها ردا عليهم و وعظا لهم من الآيات البالغة فى الحكمة جدا يتجاوز قوى البشر و يضمحل[2] دونه من الخلق القدرُ. و كان آخر ذلك ١٥ التنبيه على أن[3] شركاءهم لا يهتدون إلا أن[4] هداهم الهادى فضلا عن أن يهدوا، و إقامة الدليل على أن مذاهبهم ليست مستندة إلى علم بل هى[3] تابعة للهوى، أتبع ذلك دليلا قطعيا فى أمر القرآن من أنه لا يصح / أصلا أن يؤتى به من دون[5] أمره سبحانه ردا لقولهم: إنه مفترى، لأنه ٥٨٢ /

(١) فى ظ: به (٢) فى ظ: تضمحل (٣) سقط من ظ (٤) فى الأصل و ظ: عن.
(٥) من ظ، و فى الأصل: دونه.

من وادى ما ختم به هذه الآيات من اتباعهم للظنون لأنه لا سند لهم فى ذلك بل و لا شبهة أصلا ، و إنما هو مجرد هوى بل و أكثرهم عالم بالحق فى أمره ، فنفى ذلك بما يزيح الظنون و يدمغ الخصوم و لا يدع شبهة لمفتون ، و أثبت أنه هو [الآية الكبرى و - ١] الحقيق بالاتباع لأنه هدى ، فقال تعالى : ﴿ و ما كان ﴾ عاطفا له على قوله "ما يكون لى إن ابدله" - إلى آخره ، فهو حينئذ مقول القول ، أى قل لهم ذاك الكلام و قل لهم "ما كان" أى قط بوجه من الوجوه ، و عينه تعيينا لا يمكن معه لبس ، فقال : ﴿ هذا القرآن ﴾ أى الجامع لكل خير مع التأدية بأساليب الحكمة المعجزة لجميع الخلق ﴿ ان يفترى ﴾ [أى - ١] أن يقع فى وقت من الأوقات [تعمد نسبته كذبا إلى الله - ١] من أحد من الخلق كائنا من كان ؛ و عرف بتضاؤل رتبتهم دون شامخ رتبته سبحانه بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى تقرر أنه يدبر الأمر كله ، فما من شفيع إلا من بعد إذنه و ما يعزب عنه شىء فسبحان المتفضل على عباده بإيضاح الحجج و إزالة الشكوك و الدعاء إلى سبيل الرشاد مع غناه عنهم و قدرته عليهم ؛ و الافتراء : الإخبار على القطع بالكذب ، لأنه من فرى الأديم و هو قطعه بعد تفزيره .

و لما كان إتيان الأمى - الذى لم يجالس عالما - بالأخبار و القصص الماضية على التحرير دليلا قطعيا على صدق الآتى فى ادعائه أنه لا معلم

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : من (٣) سقط من ظ (٤) زيد بعده فى الأصل : تعمد كذبه ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) من ظ ، و فى الأصل : وقتين (٦) فى ظ : لا .

له إلا الله ، عبر بأداة[1] العناد فقال : ﴿ و لـكن ﴾ أى كان[2] كونا لا يجوز غيره ﴿ تصديق الذى ﴾ أى[2] تقدم ﴿ بين يديه ﴾ أى قبله من الـكتب ، و الدليل على تصادقه شاهد الوجود مع أن القوم كانوا فى غاية العداوة له صلى الله عليه و سلم و كان أهل الـكتابين عندهم فى جزيرة العرب على غاية القرب منهم مع أنهم كانوا يتجرون إلى بلاد الشام [و هم - [3]] متمكنون من السؤال عن كل ما يأتى به ، فلو وجدوا مغمزا ما لقدحوا به ، فدل عدم قدحهم على التصادق قطعا .

و لما كان ذلك سلطانا قاهرا على صدقه صلى الله عليه و سلم ، زاده ظهورا بما اشتمل الـكتاب الآتى به عليه من التفصيل الذى هو نهـاية العلم فقال : ﴿ و تفصيل الـكتب ﴾ أى الجامع المجموع فيه الحكم و الأحكام و جوامع الـكلام من جميع الـكتب السماوية فى بيان مجملاتها و إيضاح مشكلاتها ، فهو ناظر إلى قوله " افمن يهدى الى الحق " - الآية ، فهو برهان على أنه هو الهادى وحده ، فهو الحقيق بالاتباع و التفصيل بتبيين الفصل بين المعانى الملتبسة حتى تظهر كل معنى على حقه ، و نظيره التقسيم ، و نقيضه التخليط و التلبيس ، و بيان تفصيله أنه أتى من العلوم العلميـة الاعتقادية من معرفة الذات و الصفات بأقسامها ، و العملية التكليفية المتعلقة بالظاهر و هى علم الفقه و علم الباطن و رياضة النفوس بما لا مزيد عليه و لا يدانيه فيه كتاب[2] ، و علم الأخلاق كثير فى القرآن مثل

(١) من ظ ، و فى الأصل : بارادة (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ .

" خذ العفو[١] " - الآية " ان الله يامر بالعدل[٢] " - الآية و أمثالها[٣] .

و لما كان - مع الشهادة لنفسه بالصدق بتصديق ما ثبت[٤] حقيقة - معجزا بالجمع و التفصيل لجميع[٥] العلوم [الشريفة - [٦]] : عقليها و نقليها إعجازا لم يثبت لغيره ، ثبت أنه مناقض للافتراء حال كونه ﴿لا ريب فيه﴾ و أنه ﴿من رب العلمين ق﴾ أى موجدهم و مدبر أمرهم و المحسن إليهم لأنه - مع[٧] الجمع لجميع ذلك - لا اختلاف فيه بوجه ، و ذلك خارج عن طوق البشر .

و لما كان هذا موضع أن يذعنوا لأن هذا القرآن ليس إلا من عند الله و بأمره قطعا ، كان كأنه قيل : أرجعوا عن غيهم فآمنوا و استقاموا ﴿ام﴾ استمروا على ضلالهم ﴿يقولون﴾ على سبيل التجديد و الاستمرار عنادا ﴿افتراه[٦]﴾ [أى تعمد نسبته كذبا إلى الله - [٦]] ، فكأنه قيل ، تمادوا على عتوهم فقالوا ذلك فكانوا كالباحث عن حتفه بظلفه ، لأنهم أصلوا أصلا فاسدا لزم عليه / قطعا إمكان أن يأتوا بمثله لأنهم عرب مثله ، بل منهم من قرأ و كتب[٨] و خالط العلماء و اشتد اعتناءه بأنواع البلاغة من النظم و النثر و الخطب و تمرنه فيها بخلافه صلى الله عليه و سلم فى جميع ذلك ، فلهذا أمره فى جوابهم بقوله : ﴿قل﴾ أى لهم يا أبلغ خلقنا و أعرفهم بمواقع[٩] الكلام لجميع أنواعه ، أتى بالفاء

/ ٥٨٣

(١) سورة ٧ آية ١٩٩ (٢) سورة ١٦ آية ٩٠ (٣) فى ظ : امثالها (٤) من ظ ، و فى الأصل : ثبتت (٥) من ظ ، و فى الأصل : بجموع (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : من (٨) من ظ ، و فى الأصل : يكتب (٩) من ظ ، و فى الأصل: بموقع .

السبية فى قوله : ﴿ فاتوا ﴾ أى أتم تصديقا لقولكم هذا الذى تبين و أنكم فيه[1] معاندون ؛ و لما كانوا قد جزموا فى هذه السورة بأنه افتراه ، وكان مفصلا إلى سور كل واحدة[2] منها لها مقصد معين يستدل فيها عليه ، و تكون خاتمتها مرتبطة بفاتحتها متحدة بها ، اكتفى فى تحديهم بالإتيان بقطعة واحدة غير مفصلة إلى مثل سورة لكن تكون مثل جميع ٥ القرآن فى الطول و البيان و انتظام العبارة و التئام المعانى فلذلك قال[3] : ﴿ بسورة ﴾ قال الرمانى : و السورة منزلة محيطة بآيات من أجل الفاتحة والخاتمة كاحاطة سور البناء ، و هذا نظرا إلى أن المتحدى به سورة اصطلاحية[4] و الصواب أنها لغوية ، و هى - كما قال الحرالى - تمام جملة من المسموع تحيط بمعنى تام بمنزلة إحاطة السور بالمدينة ؛ و وصفها بقوله - : ﴿ مثله ﴾ أى فى ١٠ البلاغة و حسن النظم و صحة المعانى و مصادقة الكتب و تفصيل العلوم لأنكم مثلى فى العربية و تزيدون بالكتابة و مخالطة العلماء - من غير إتيان بـ ' من ' لما [5]تقدم من أن المراد كونها[5] مثل القرآن كله ، و لذلك وسع لهم فى الاستعانة بجميع من قدروا عليه و وصلت طاقتهم إليه و لم يقصرهم على من بحضرتهم فقال : ﴿ و ادعوا ﴾ أى لمعاونتكم ١٥ ﴿ من استطعتم ﴾ أى قدرتم على طاعته و لو ببذل الجهد من الجن و الإنس و غيرهم للمعاونة[1] ، و حقق أن هذا القرآن من عنده سبحانه

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : سورة (٣) زيد بعده فى الأصل : فاتوا انتم تصديقا لقولكم ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) فى ظ : اصلاحية (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى ظ .

باستثنائه فى قوله : ﴿من دون الله﴾ أى الذى له الكمال كله ، و نبه على أنهم متعمدون لما نسبوه إليه - و حاشاه من تعمد الكذب - و أنهم معاندون بقوله : ﴿ان كنتم﴾ أى جبلة و طبعا ﴿صدقين ۝﴾ أى فى [1]أنه أتى[1] به من عنده ، لأن العاقل لا يجزم بشىء إلا إذا كان عنده منه ٥ مخرج ، و ذلك لا يكون إلا عن دليل ظاهر و سلطان قاهر باهر ، و قد مضى فى البقرة و يأتى فى هود إن شاء الله تعالى ما يوضح هذا المعنى ؛ و الاستطاعة : حالة تتطاوع بها الجوارح و القوى للفعل لأنه مأخوذ من الطوع ؛ ثم كان كأنه قيل : فقال لهم ذلك فلم يأتوا لقولهم بشبهة توجب شكا فضلا عن مصدق ، لأنه معجز لكونه كلاما فى أعلى طبقات ١٠ البلاغة بحسن النظام و الجزالة منزلا من عند الله المحيط علما و قدرة ، فهو مشتمل من كل معنى على ما علا كل العلو عن مدانٍ ﴿بل﴾ . و أحسن من ذلك أنه لما أقام الدليل على أن القرآن كلامه ، وكان الدليل إنما من شأنه أن يقام على من عرض له غلط أو شبهة ، وكان قولهم " افتراه " لا عن شبهة و إنما هو مجرد عناد ، نبه سبحانه على ذلك و على ١٥ أنه إنما أقام الدليل لإظهار عنادهم لا لأن عندهم شبهة فى كونه حقا بالإضراب عن قولهم فقال : " بل " أى لم يقولوا " افتراه " عن اعتقاد منهم لذلك بل ﴿كذبوا﴾ أى أوقعوا التكذيب الذى لا تكذيب أشنع منه مسرعين[2] فى ذلك من غير أن يتفهموه مستهينين ﴿بما لم يحيطوا بعلمه﴾ أى فى نظمه أو معناه من غير شبهة أصلا بل

(١-١) فى ظ : انى اتيت (٢) من ظ ، و فى الأصل : مسترعين .

عنادا و طغيانا و نفورا مما يخالف دينهم و شرادا ، فهو من باب « من جهل شيئا عاداه » و الإحاطة : إرادة[1] ما هو كالحائط حول الشيء ، فاحاطة العلم بالشيء العلم به من جميع وجوهه .

و لما كان لا بد من وقوع تأويله ، و هو إتيان ما فيه من الإخبار بالمغيبات على ما هى عليه ، قال : ﴿ و لما ياتهم ﴾ أى إلى زمن تكذيبهم ٥ ﴿ تاويله ﴾ أى ترجيعنا لأخباره إلى مراجعها و غاياتها حتى يعلموا أصدق هى أم كذب ، فانه معجز من جهة نظمه و من جهة / صدقه فى ٥٨٤ / أخباره ؛ و التأويل : المعنى الذى يؤل إليه التفسير ، و هو منتهى التصريح من التضمين .

و لما كان كأنه قيل : إن فعلهم هذا لعجب ، فما حملهم على التمادى ١٠ فيه ؟ فقيل : تبعوا فى ذلك من قبلهم لموافقتهم فى سوء الطبع ، قال مهددا لهم و مسليا له صلى الله عليه و سلم : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل تكذيبهم هذا التكذيب العظيم فى الشناعة قبل تدبير المعجز ﴿ كذب الذين ﴾ و لما كان المكذبون بعض السالفين ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ أى من كفار الأمم الخالية فظلموا فأهلكناهم بظلمهم ؛ و لما كان التكذيب ١٥ خطرا لما يثير من السرور ، سبب عنه - تحذيرا منه - النظر فى عاقبة أمره[2] فقال : ﴿ فانظر ﴾ أى بعينك ديارهم و بقلبك أخبارهم .

و لما كان من نظر هذا النظر وجد فيه أجل معتبر و أعلى مزدجر ، وجه السؤال إليه بقوله : ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ الظلمين ۝ ﴾

(١) فى ظ : ادارة (٢) سقط من ظ .

أى الذين رسخت أقدامهم فى وضع الأشياء فى غير مواضعها حتى كذبوا من لا يجوز عليه الكذب بوجه ، و من المقطوع به أن هذا المسؤل يقول من غير تلعثم و لا تردد : عاقبة وخيمة قاصمة ذميمة ؛ و العاقبة سبب تؤدى إليه البادئة ، فالذى أدى إلى هلاكهم بعذاب الاستئصال ما تقدم من ظلمهم لأنفسهم و عتوهم فى كفرهم .

و لما ذكر سبحانه تكذيبهم . كان ذلك ربما أيأس من إذعانهم و تصديقهم ، و آذن باستئصالهم لتكمل المشابهة للأولين ، و كان صلى الله عليه و سلم شديد الشفقة عليهم و الحرص على إيمانهم ، فأتبعه تعالى بقوله بيانا لأن علمه بانقسامهم أوجب عدم استئصالهم [عاطفا على "كذبوا"-[1]]: ﴿ و منهم ﴾ أى قومك ﴿ من يؤمن به ﴾ أى فى المستقبل ﴿ و منهم من لا يؤمن به[2] ﴾ أى القرآن أصلا و لو رأى كل آية ﴿ و ربك ﴾ أى المحسن إليك بالرفق بأمتك ﴿ اعلم بالمفسدين ﴾ أى الذين هم عريقون فى الإفساد ، فسيعاملهم بما يشفى صدرك .

و لما قسمتهم هذه الآية قسمين ، و تليت بذكر القسم الثانى بالواو[2] ، عرف أنه معطوف على مطوى القسم الأول ، فكان كأنه قيل : فان صدقوك فقل : الله ولى هدايتكم و لى [مثل -[1]] أجوركم بنسبتى فيها فضلا من ربى : ﴿ [3]و ان[3] كذبوك فقل ﴾ [أى -[1]] قول منصف معتمد على قادر عالم ﴿ لى عملى ﴾ بالإيمان و الطاعة ﴿ و لكم عملكم ﴾

(١) زيد من ظ (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣-٣) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : فان .

ما لأحد منا و لا عليه من جزاء الآخر شيء ؛ ثم صرح بالمقصود من ذلك بقوله محذرا لهم[1] : ﴿ انتم بريّئون مما اعمل ﴾ أى فان كان خيرا لم يكن لكم[2] منه شيء و إن كان غيره لم يكن عليكم منه شيء ﴿ و انا بريء مما تعلمون ﴾ لا جناح عليّ فى شيء منه لأنى لا أقدر على ردكم عنه ؛ و البراءة : قطع العلقة الذى يوجب رفع المطالبة ، و لا حاجة ٥ إلى ادعاء نسخ هذه الآية بآية السيف ، فانه لا منافاة بينهما ، لأن هذه فى رفع لحاق الإثم و هو لا ينافى الجهاد .

و لما قسمهم إلى هذين القسمين ، قسم القسم[3] الأخير إلى قسمين فقال : ﴿ و منهم ﴾ أى المكذبين ﴿ من ﴾ و لما كان المستمع إليه أكثر لأنهم أشهى الناس إلى تعرف حاله ، وكان طريق ذلك السمع و البصر ، ١٠ وكان تحديق [العين - ٤] إليه لا يخفى ، فكان أكثرهم يتركه إظهارا لبغضه و خوفا من إنكار من يراه عليه ، و كان إلقاء السمع بغاية الجهد يمكن إخفاءه بخلاف الإبصار ، عبر هنا بالافتعال ، و جمع دالا على كثرتهم نظرا إلى معنى ' من ' و أفرد فى النظر اعتبارا للفظها و دالا على قلة الناظر بما ذكر فقال : ﴿ يستمعون ﴾ و ضمن الاستماع الإصغاء ١٥ ليؤدى مؤدى الفعلين ، و دل على الإصغاء بصلته معلقة بحال انتزعت منه *فكأنه : قال* مصغين[6] ﴿ اليك[5] ﴾ أى عند قراءة القرآن و بيانه[7] بالسنة ، و لكنهم و إن كانوا قسمين بالنسبة إلى الاستماع و النظر فهم

(١) فى ظ : لكم (٢) من ظ ، و فى الأصل : له (٣) سقط من ظ (٧) زيد من ظ .
(٥-٥) فى ظ : فكان كان (٦) من ظ ، وفى الأصل : مصغرين (٧) من ظ ، وفى الأصل : بيان .

قسم واحد بالنسبة إلى الضلال. فكان تعقيب ذلك بحشرهم بعد قصر الهداية عليه سبحانه كذكر حشرهم فيما مضى بعد تقسيمهم[1] إلى قسمين بعد قوله "و يهدى من يشاء الى صراط مستقيم".

و لما كان صلى الله عليه وسلم يريد - باسماعه لهم ما أنزل الله[2] - هدايتهم
٥٨٥ / ٥ / به، سبب عن استماعهم إنكار إسماعهم الإسماع المترتب عليه الهدى فقال: ﴿ افانت ﴾ أى وحدك ﴿ تسمع الصم ﴾ أى فى آذان قلوبهم لأنهم يستمعون إليك و قد ختم على أسماعهم فهم لا ينتفعون باستماعهم لأنهم يطلبون السمع للرد لا للفهم؛ و السمع إدراك الشىء بما يكون به[2] مسموعا، فكانوا بعدم انتفاعهم كأنهم [هم - [3]] مجانين، لأن الأصم
١٠ العاقل ربما فهم بالتفرس فى تحريك الشفاه و غيرها فلذا قال: ﴿ و لو كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ لا يعقلون ﴾ أى لا يتجدد لهم عقل أصلا فصاروا بحيث لا يمكن إسماعهم لأنه لا يمكن إلا بسماع الصوت الدال على المعنى [و بفهم المعنى - [3]]، و المانع من الأول الصمم، و من الثانى عدم العقل، فصاروا شرا من البهائم لأنها و إن كانت لا تعقل فهى تسمع،
١٥ و الأصم: المنسد السمع بما يمنع من إدراك الصوت ﴿ و منهم من ينظر ﴾ محدقا او راميا ببصره من بعيد ﴿ اليك ﴾ فهو من التضمين[4] كما سبق فى "يستمعون"؛ نقل عن التفتازانى أنه قال[5] فى حاشية الكشاف: و[2] حقيقة التضمين أن يقصد[6] بالفعل معناه الحقيقى مع فعل آخر يناسبه

(١) فى ظ: تفسيمين (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ: التضمن. (٥) من ظ، و فى الأصل: قاله (٦) من ظ، و فى الأصل: تقصد.

و هو كثير فى كلام العرب ، و ذلك مع حذف حال مأخوذ من الفعل الآخر بمعونة القرينة اللفظية . و يتعين جعل الفعل المذكور أصلا و المذكور حاله تبعا ، لأن حذفه و الدلالة عليه بصلته[1] يدل على اعتباره فى الجملة لا على زيادة القصد إليه ، و من أمثلته : أحمد إليك الله ، أى منهيا إليك حمده ، و يقلب كفيه على كذا ، أى نادما عليه . " و لا تعد عينك عنهم[2] " أى مجاوزتين عنهم إلى غيرهم ، " و لا تأكلوا اموالهم - ضاميها - الى اموالكم[3] " . " الرفث - مفضين - الى نسائكم[4] " ، " و لا تعزموا[5] " أى على النكاح و أنتم تنوون عقدته " و لا يسمعون - مصغين - الى الملا الاعلى[6] " ، سمع الله - أى مستجيبا - لمن حمده . " و الله يعلم المفسد[7] - مميزا له - من المصلح[8] " . " و الذين يؤلون - ممتنعين " من - وطئ - نسائهم[9] " .

و لما كان المعنى أنك يا أكرم الخلق تريد بنظر هذا الناظر إليك أن ينظر إلى ما تأتى[10] به من باهر الآيات فيهتدى[11] و هو غير منتفع بنظره لما جعل عليه من الغشاوة[12] فكان كالأعمى الذى زاد على عدم بصره عدم العقل فلا بصر و لا بصيرة[13] ، قال منكرا لذلك : ﴿ أ فانت تهدى العمى ﴾

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : فصليه - كذا (٢) سورة ١٨ آية ٢٨ (٣) من ظ ، و فى الأصل : مجاوزين (٤) سورة ٤ آية ٢ (٥) سورة ٢ آية ١٨٧ (٦) راجع سورة ٢ آية ٢٣٥ (٧) سورة ٣٧ آية ٨ (٨) من ظ و القرآن الكريم سورة ٢ آية ٢٢٠ ، و فى الأصل : المصلح (٩) من ظ و القرآن الكريم ، و فى الأصل : المفسد (١٠) سورة ٢ آية ٢٢٦ (١١) من ظ ، و فى الأصل : ياتى (١٢) من ظ ، و فى الأصل : ان يهتدى (١٣) من ظ ، و فى الأصل : قساوة (١٤) زيد =

أى عيونا و قلوبا ﴿ و لو كانوا ﴾ أى بما جبلوا[1] عليه ﴿ لا يبصرون ٥ ﴾ أى لا يتجدد لهم بصر و لا بصيرة ، فلا تمكن[2] هدايتهم ، لأن هداية الطريق الحسى لا تمكن[2] إلا بالبصر ، و هداية الطريق المعنوى لا تمكن[2] إلا بالبصيرة ؛ و النظر : طلب الرؤية بتقليب البصر ، و نظر القلب طلب العلم بالفكر ؛ و العمى : آفة تمنع الرؤية عن العين و القلب ؛ و الإبصار : إدراك الشىء بما به يكون مبصرا ، فكأنه قيل : ما له فعل بهم هذا و الأمر بيده ؟ فقيل : لأنه تام المُلك و الملك و هو متفضل فى جميع نعمه لا يجب عليه لأحد شىء فهو لا يسأل عما يفعل ، و بنى عليه قوله : " ان الله " و أحسن منه أن يقال : و لما كان التقدير : إذا علمت[3] ذلك فخفف عنك بعض ما أنت فيه ، فانك لا تقدر على إسماعهم و لا هدايتهم لأن الله تعالى أراد ما هم عليه منهم لاستحقاقهم ذلك لظلمهم أنفسهم ، علله بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بجميع الكمال ﴿ لا يظلم الناس شيئا ﴾ و إن كان هو الذى جبلهم على الشر ﴿ و لكن الناس ﴾ أى لما عندهم من شدة الاضطراب و التقلب ﴿ انفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ يظلمون ٥ ﴾ بحملهم لها على الشر و صرف قواهم فيه باختيارهم مع زجرهم عن ذلك و حجبهم عما جبلوا عليه و إن كان الكل بيده سبحانه و لا يكون إلا بخلقه .

= بعده فى الأصل : فلذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

(١) من ظ ، و فى الأصل : خلقوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : يمكن (٣) من ظ ، و فى الأصل : سلمت .

و لما كان فى هذه الآيات ما ذكر من أفانين جدالهم فى أباطيلهم وضلالهم ، وكان فعل ذلك - ممن لا يرى حشرا و لا جزاء و لا نعيما وراء نعيم هذه الدار - فعل فارغ السر مستطيل للزمان آمن من نوازل الحدثان، حسن تعقيبه بأنهم يرون يوم الحشر / من الأهوال ما يستقصرون معه مدة لبثهم فى الدنيا ، فقد خسروا إذنْ دنياهم بالنزاع ، و آخرتهم بالعذاب الذى لا يستطاع ، و ليس له انقطاع ، فقال تعالى مهددا لهؤلاء الكفار الذين يعاندون فلا يسمعون و لا يبصرون عاطفا على " و يوم نحشرهم " الأولى : ﴿ و يوم نحشرهم[1] ﴾ أى و استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا يوم الحشر لما يستقبلهم من الأهوال و الزلازل الطوال ، فكأنه قيل : إلى أىّ غاية ؟ فقيل : ﴿ كان ﴾ أى كأنهم ﴿ لم يلبثوآ ﴾ فى دنياهم ، و[2] الجملة [فى - [3]] موضع الحال من ضمير " نحشرهم " البارز أى مشبهين بمن لم يلبثوا ﴿ الا ساعة ﴾ أى حقيرة ﴿ من النهار[4] ﴾ و قوله : ﴿ يتعارفون بينهم[5] ﴾ حال ثانية[5] ، أى لم يفدهم[6] تلك الساعة أكثر من أن عرف فيها بعضهم بعضا ليزدادوا بذلك حسرة فى ذلك اليوم بعدم القدرة على التناصر و التعاون و التظافر كما كانوا يفعلون فى الدنيا .

و لما كانت حالهم هذه هى الخسارة التى ليس معها تجارة ، فكان السامع متوقعا للخبر عنها ، قال متعجبا[7] منهم موضع : ما أخسرهم :

(١) و فى مصاحفنا : يحشرهم (٢) فى ظ : او (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : نهار .
(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لم تفدهم (٧) فى ظ : معجبا .

﴿ قد خسر[1] ﴾ أى حقا ﴿ الذين كذبوا ﴾ أظهر[2] موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف [مستهينين - [3]] ﴿ بلقآء الله ﴾ أى الملك الأعلى بما أخذوا من[4] الدنيا من الخسيس الفانى و تركوا مما كشف لهم عنه البعث من النعيم الشريف الباقى ؛ و لما كان الذى وقع منه تكذيب مرة فى الدهر قد يفيق بعد ذلك فيهتدى ، قال عاطفا على الصلة : ﴿ و ما كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ مهتدين ۝ ﴾ مشيرا إلى تسفيههم فيما يدعون البصر فيه من أمر المتجر و المعرفة بأنواع الهداية .

و لما كان إخبار الصادق بهلاك الأعداء مقرا للعين ، و كانت مشاهدة هلاكهم أقر لها ، عطف على قوله " قد خسر " : ﴿ و اما نرينك ﴾ أى إراءة عظيمة قبل وفاتك ﴿ بعض الذى نعدهم ﴾ أى فى الدنيا بما لنا من العظمة فهو أقر لعينك ﴿ او نتوفينك ﴾ قبل ذلك ﴿ فالينا مرجعهم ﴾ فنريك فيما هنالك ما هو أقر لعينك و أسر لقلبك ، فالآية من الاحتباك : ذكر أولا الإراءة دليلا على حذفها ثانيا ، و الوفاة ثانيا دليلا على حذفها أولا ؛ و " ثم " - فى قوله : ﴿ ثم الله ﴾ أى المحيط بكل شىء ﴿ شهيد ﴾ أى بالغ الشهادة ﴿ على ما يفعلون ۝ ﴾ فى الدارين - يمكن أن يكون على بابها ، فتكون مشيرة إلى التراخى بين ابتداء رجوعهم بالموت و آخره بالقيامة ، و ليس المراد بقوله " شهيد " ظاهره[5] ، بل العذاب الناشىء عن الشهادة فى الآخرة إلى أن الله يعاقبهم بعد مرجعهم ، فيريك ما بعدهم لأنه عالم بما يفعلون .

(١) فى ظ: خسروا (٢) فى ظ : اكثر (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : فى (٥) فى ظ : ظاهرة .

و لما كان فى هذه الآية التهديد بالعذاب إما فى الدنيا أو فى الآخرة غير معين له صلى الله عليه و سلم واحدةً منهما، أتبعها بما هو صالح للأمرين بالنسبة إلى كل رسول إشارة إلى أن أحوال الأمم على غير نظام فلذلك لم يجزم بتعيين واحدة من الدارين للجزاء، و جعل الأمر منوطا بالقسط، فى أىّ دار كان أحكم جعله فيها، فقال تعالى [دالا على أنه نشر ذكر ٥ الإسلام و هو الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر من عهد آدم عليه السلام إلى آخر الدهر على وجه لم يحصل له اندراس فى دهر من الدهور، فمن تركه استحق العذاب سواء كان ممن بين عيسى و محمد عليهما السلام أم لا، فلا تغتر بما يقال من غير هذا -[1]]: ﴿ و لكل امة ﴾ أى من الأمم التى خلت قبلك ﴿ رسول ج ﴾ يدعوهم ١٠ إلى الله؛ ثم سبب عن إتيان رسولهم بيان القضاء فيهم فقال: ﴿ فاذا جآء ﴾ [أى -[1]] إليهم ﴿ رسولهم ﴾ فى الدنيا بالبينات و الهدى؛ و فى الآخرة فى الموقف بالإخبار بما صنعوا به فى الدنيا من تكذيب أو تصديق ﴿ قضى بينهم ﴾ [أى فى جميع الأمور بما أفاده نزع الخافض على أسهل وجه من غير شك بما أفاده البناء للمفعول؛ و لما كان السياق بالترهيب ١٥ أجدر، قال -[1]]: ﴿ بالقسط ﴾ [2]أى أظهر[2] ما كان [خفيا -[1]] من استحقاقهم فى القضاء بالعدل [و القسمة المنصفة بينهم كلهم بالسوية، فأعطى كل أحد منهم مقدار ما يخصه -[1]] من تعجيل العذاب و تأخيره كما فعل معك؛ و لما كان ذلك لا يستلزم الدوام، قال: ﴿ و هم لا يظلمون ﴾

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢-٢) فى ظ: فاظهر.

أى لا يتجدد لهم [1]ظلم منه[1] سبحانه و لا من غيره .

و لما تقدم فى هذه الآيات تهديدهم بالعذاب فى الدنيا أو فى الآخرة ، حكى سبحانه جوابهم عن ذلك عطفا على قوله " و يقولون لو لا انزل عليه آية من ربه " فقال : ﴿ و يقولون ﴾ أى هؤلاء المشركون مجددين لهذا القول مستمرين على ذلك استهزاء : ﴿ متى هذا الوعد ﴾ أى بالعذاب فى الدنيا أو فى الآخرة ، و ألهبوا و هيجوا بقولهم : ﴿ ان كنتم ﴾ أى أنت و من قال بقولك ﴿ صدقين ٥ ﴾ و القول كلام[2] مضمن فى ذكره بالحكاية و قد يكون كلام لا يعبر عنه فلا يكون له ذكر / مضمن بالحكاية ، فلا يكون قولا [لأنه إنما يكون قولا - [3]] من أجل تضمن ذكره بالحكاية - قاله الرمانى ، و التضمين جعل الشىء فى[4] وعاء ؛ و الوعد : خبر بما يعطى من الخير ، و الوعيد : خبر بما يعطى من الشر ، و قد يراد الإجمال كما هنا فيطلق الوعد على المعنيين : وعد المحسن بالثواب و المسىء بالعقاب ؛ و الصدق[5] : الخبر [6]عن الشىء[6] على ما هو به ؛ و الكذب : الخبر عنه على خلاف ما هو به .

/٥٨٧

و لما تضمن قولهم هذا استعجاله صلى الله عليه و سلم بما يتوعدهم به ، أمره بأن يتبرأ من القدرة على شىء لم يقدره الله عليه بقوله : ﴿ قل ﴾ أى لقومك المستهزئين ﴿ لآ املك لنفسى ﴾ فضلا عن غيرى ؛ و لما كان السياق للنقمة ، قدم الضر منبها على أن نعمه[7] أكثر من نقمه ؛

(١-١) فى ظ : منه ظلم (٢) فى ظ : الكلام (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ : الصداق (٦-٦) فى ظ : بالشىء (٧) فى ظ : نقمه .

و أنهم

و أنهم فى نعمه ، عليهم ان يقيدوها بالشكر خوفا من زوالها فضلا عن أن يتمنوه فقال : ﴿ ضرا و لا نفعا ﴾ .

و لما كان من المشاهد أن كل حيوان يتصرف فى نفسه و غيره ببعض ذلك قال : ﴿ الا ما شآء الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة أن أملكه من ذلك ، فكأنه قيل : فمالك لا تدعوه بأن يشاء ذلك و[1] يقدرك ٥ عليه ؟ فقيل : ﴿ لكل امة اجل ﴾ فكأنه قيل : و[2] ما ذا يكون فيه ؟ فقيل : ﴿ اذا جآء اجلهم ﴾ هلكوا ؛ و لما[3] كان قطع رجائهم من الفسحة فى الأجل من أشد عذابهم ، قدم قوله : ﴿ فلا يستاخرون ﴾ أى عنه ﴿ ساعة ﴾ ثم عطف على الجملة الشرطية بكمالها ﴿ و لا يستقدمون ۝ ﴾ فلا تستعجلوه[4] فان الوفاء بالوعد لا بد منه ، و السين فيهما بمعنى الوجدان ، ١٠ أى لا يوجد لهم المعنى الذى صيغ [منه -[5]] الفعل مثل : استشكل الشىء و استثقله ، [و يجوز كون المعنى : لا يوجدون التأخر و لا التقدم و إن اجتهدوا فى الطلب ، فيكون فى السين معنى الطلب -[5]] ؛ و الملك قوة يتمكن بها من تصريف الشىء أتم تصريف ، و النفع : إيجاب اللذة بفعلها و التسبب المؤدى إليها ؛ و الضر : إيجاب الألم بفعله أو التسبب إليه ؛ ١٥ و الأجل : الوقت المضروب لوقوع أمر .

و لما كان جل[6] قصدهم بذلك الاستهزاء ، و كان وقوعه أمرا ممكنا ، و كان من شأن العاقل ان يبعد عن كل خطر ممكن ، أمره

(١) فى ظ : او (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : لو (٤) من ظ ، و فى الأصل : فلا يستعجلوا (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : جعل .

صلى الله عليه و سلم بجواب آخر حذف منه واو العطف لئلا يظن أنه لا يكفي في كونه جوابا إلا بضمنه إلى ما عطف عليه فقال : ﴿ قل ﴾ أي لمن استبطأ وعيدنا بالعذاب في الدنيا أو في الآخرى ، و هو لا يكون إلا بعد الأخذ في الدنيا إعلاما بأن الذي يطلبونه ضرر لهم محض لا نفع[1] فيه بوجه ، فهو مما لا يتوجه إليه قصد عاقل ﴿ ارءيتم ﴾ و هي من رؤية[2] القلب لأنها دخلت على الجملة من الاستفهام ﴿ ان اتكم عذابه ﴾ في الدنيا .

و لما كان أخذ الليل أنكى و أسرع ، قدمه فقال : ﴿ بياتا ﴾ [أي -[3]] في الليل بغتة و أنتم نائمون كما يفعل العدو ؛ و لما كان الظفر ليلا لا يستلزم الظفر نهارا مجاهرة قال : ﴿ او نهارا ﴾ أي مكاشفة و أنتم مستيقظون ، أ تستمرون على عنادكم فلا تؤمنوا ؟ فكأنهم قالوا : لا ، فليعجل به ليرى ، فقيل : إنكم لا تدرون ما تطلبون ! إنه لا طاقة لمخلوق بنوع منه ، و لا يجترئ على مثل هذا الكلام إلا مجرم ﴿ ما ذا ﴾ أي ما الذي ؟ و يجوز أن يكون هذا جواب الشرط ﴿ يستعجل ﴾ أي يطلب العجلة ﴿ منه ﴾ أي من عذابه ، و عذابه كله مكروه لا يحتمل شيء منه ﴿ المجرمون * ﴾ إذ سنة الله قد استمرت بأن المكذب لا يثبت إلا عند مخايله ، و أما إذا برك بكلكله و أناخ بثقله[4] فانه يؤمن حيث لا ينفعه الإيمان " و لن تجد لسنة الله تحويلا " و هذا معنى التراخي في قوله : ﴿ اثم اذا ما وقع ﴾

---

(١) من ظ ، و في الأصل : ينفع (٢) في ظ : رواية (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و في الأصل : بنقله .

أى عذابه و انتفى كل ما يضاده ﴿آمنتم به﴾ و ذلك أنه كانت عادتهم كمن قبلهم الاستعجال بالعذاب عند التوعد به، وكانت سنة الله قد جرت بأن المكذبين إذا أتاهم العذاب يتراخى إيمانهم بعد مجيء مقدماته و قبل اجتثاثهم بعظائم صدماته لشدة معاندتهم[1] فيه و توطنهم عليه كما وقع للأولين / من الأمم بغيا و عتوا كقوم صالح لما تغيرت وجوههم بألوان ٥ /٥٨٨ مختلفة فى اليوم الأول ثم الثانى ثم الثالث و أيقنوا بالهلكة و ودع بعضهم بعضا و لم يؤمنوا، و جرت بأنهم إذا ذاقوا مس العذاب و أخذتهم فواجئه الصعاب شغلتهم دواهيه عن العناد[2] و اضطرتهم أهواله إلى سهل الانقياد، فكان فى غاية الحسن وضع تقريعهم على الاستعجال عقب الوعيد، ثم وضع التراخى عن الإيمان بالعناد بعد الإشراف على ١٠ الهلاك و معاينة التلف، فكان كأنه قيل: أخبرونى على تقدير أن يأتيكم عذابه الذى لا عذاب أعظم منه - كما دل على ذلك إضافته إليه - فبيتكم أو كاشفكم، ما ذا تفعلون؟ ألا تؤمنون؟ فقالوا: لا، فليعجل به ليرى، فناسب لما كان استعجالهم بعد هذا الإنذار تسفيههم على ذلك فقيل "ما ذا" أى أىّ نوع منه يطلب عجلته "المجرمون"، و لا نوع منه إلا و هو ١٥ فوق الطاقة[3] و وراء الوسع، إن هذا لمنكر من الآراء، أفبعد تراخى إيمانكم[4] عن مخايل صدمته و مشاهدة مبادئ عظمته و شدته أوجدتم الإيمان به [5]عند وقوعه؟ يقال لكم حين اضطرتكم فواجئه إلى الإيمان[5] و حملتكم

(١) فى الأصل: معاندهم، و فى ظ: عنادهم (٢) موضعه بياض فى ظ (٣) فى ظ: الطاعة (٤) فى ظ: ايمانه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

قوارعه على صيورة[1] الإذعان : ﴿ آلْئن ﴾ تؤمنون به - أى بسببه - بعد أن أزال بطشنا قواكم و حل عزائم[2] هممكم و أوهاكم[3] ﴿ و قد كنتم ﴾ أى كونا كأنكم مجبولون عليه ﴿ به تستعجلون ٥ ﴾ أى تطلبون تعجيله طلبا عظيما حتى كأنكم لا تطلبون عجلة[4] شىء غيره تكذيبا و عزما على الثبات على العناد، لو وقع فلم نقبل[5] إيمانكم هذا منكم و لا كف عذابنا عنكم، بل صيركم كأمس الدابر .

و لما كان ما ذكر هو العذاب الدنيوى، أتبعه ما بعده إعلاما بانه لا يقتصر عليه فى جزائهم فقال : ﴿ ثم قيل ﴾ أى من أىّ قائل كان استهانة ﴿ للذين ظلموا ﴾ أى و بعد أزّكم فى الدنيا و البرزخ[6] بالعذاب و هزّكم بشديد[7] العقاب قيل لكم يوم الدين بظلمكم[8] بالآيات و بما أمرتم به فيها بوضعكم كلًّا من ذلك فى غير موضعه : ﴿ ذوقوا عذاب الخلد ٦ ﴾ فالإتيان بـ " ثم " إشارة إلى تراخى ذلك عن الإهلاك فى الدنيا بالمكث فى البرزخ أو إلى أن عذابه أدنى من عذاب يوم الدين ﴿ هل تجزون ﴾ بناه للمفعول لأن المخيف مطلق الجزاء، و لما كان الاستفهام الإنكارى بمعنى النفى، وكان المعنى : بشىء، استثنى منه فقال : ﴿ الا بما كنتم ﴾ أى بجبلاتكم ﴿ تكسبون ٥ ﴾ أى فى الدنيا من العزم على الاستمرار على الكفر

(١) بمعنى منتهى الأمر و عاقبته ، و فى ظ : صهورة (٢) فى ظ : عزائمكم .
(٣) فى ظ : اوهامكم (٤) من ظ ، و فى الأصل : عجلته (٥) فى ظ : فلم يقبل .
(٦) من ظ ، و فى الأصل : التراخى (٧) من ظ ، و فى الأصل : شديد (٨) فى ظ : اظلمكم .

و لو

و لو طال المدى[1] لا تنفكون عنه بشىء من الأشياء و إن عظم ، فكان جزاءكم الخلود فى العذاب طبق النعل بالنعل ؛ و العذاب: الألم[2] المستمر ، و أصله الاستمرار ، و منه العذوبة لاستمرارها فى الحلق ؛ و البيات: إتيان الشىء ليلا ؛ و الذوق : طلب الطعم بالفم فى ابتداء الأخذ .

و لما انقضى ما اشتملت عليه الآية من التهديد و صادع الوعيد ، أخبر تعالى أنهم صاروا إلى ما هو جدير بسامع ذلك من النزول عن ذلك العناد إلى مبادئ الانقياد بقوله تعالى: ﴿ و يستنبئونك ﴾ [3] عطفا على قوله "و يقولون متى هذا الوعد" أى و يطلبون منك الإنباء و هو الإخبار العظيم عن حقيقة هذا الوعيد الجسيم ، و يمكن أن يكون ذلك منهم على طريق[4] الاستهزاء كالأول ، فيكون التعجيب و التوبيخ فيه بعد ما مضى من الأدلة أشد ﴿ احق هو[5] ﴾ أى أ ثابت هذا الذى تتوعدنا[6] به أم هو كالسحر لا حقيقة له كما تقدم أنهم قالوه ﴿ قل ﴾ أى فى جوابهم ﴿ اى و ربى ﴾ أى المحسن إلىّ المدبر لى و المصدق لجميع ما آتى به ؛ و لما كانوا منكرين ، أكد قوله : ﴿ انه لحق ط ﴾ أى كائن ثابت لا بد من نزوله بكم .

و لما كان الشىء قد يكون حقا ، و يكون الإنسان قادرا على دفعه فلا يهوله ، قال نفيا لذلك: ﴿ و ما انتم ﴾ أى لمن توعدكم ﴿ بمعجزين ع ﴾ فيما يراد بكم .

و لما أخبرهم بحقيقته ، أخبرهم بما يكون [منهم-[6]] من الظلم أيضا عند معاينته بالسماح/ببذل جميع ما فى الأرض حيث لا ينفع البذل بعد ترك المأمور به / ٥٨٩

(١) من ظ ، و فى الأصل : الدين - كذا (٢) فى ظ : الاليم (٣) زيد بعده فى ظ : اى (٤) فى ظ : طريقة (٥) من ظ ، و فى الأصل : يتوعدنا (٦) زيد من ظ .

و هو من أيسر الأشياء و أحسنها فقال: ﴿ و لو ان لكل نفس ظلمت ﴾ أى عند المعاينة ﴿ ما فى الارض ﴾ أى كلها من خزائنها و نفائسها ﴿ لافتدت به[1] ﴾ أى جعلت فدية لها من العذاب لكنه ليس لهم ذلك، و لو كان ما قبل منهم، فاذا وقع ما يوعدون استسلموا ﴿ و اسروا الندامة ﴾ أى اشتد ندمهم و لم يقدروا على الكلام ﴿ لما راوا العذاب ج ﴾ لأنهم بهتوا لعظم ما دهمهم فكان فعلهم فعل المسر، لأنهم لم يطيقوا بكاء و لا شكاية و لا شيئا مما يفعله الجازع؛ و الاستنباء: طلب النبأ كما أن الاستفهام طلب الفهم؛ و النبأ: خبر عن يقين فى أمر كبير؛ و الحق: عقد على المعنى على ما هو به تدعو الحكمة إليه، و كل ما بنى على هذا العقد[1] فهو حق لأجله، و الحق فى الدين ما شهد به الدليل على الثقة فيما طريقه العلم، و القوة فيما طريقه غالب الأمر، و ذلك فيما يحتمل أمرين أحدهما أشبه بالأصل الذى جاء به النص؛ و الافتداء: إيقاع الشىء بدل غيره لرفع المكروه، فداه فدية و أفداه[2] و افتداه افتداء و فاداه [3]مفاداة و فداه[3] تفدية و تفادى منه تفاديا[4]؛ و الإسرار: إخفاء الشىء فى النفس؛ و الندامة: الحسرة على ما كان يتمنى أنه لم يكن أوقعها[5]، و هى حال معقولة يتأسف صاحبها على ما وقع منها و يود أنه لم يكن أوقعها.

و لما اشتملت الآيات الماضيات على تحتم إنجاز الوعد والعدل فى الحكم، و ختمت بقوله: ﴿ و قضى ﴾ أى و أوقع القضاء على أيسر وجه و أسهله؛

(١) من ظ، و فى الأصل: انضد - كذا (٢) فى الأصل و ظ: فداه.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ: تفادا (٥) سقط من ظ.

و لما استغرق القضاء جميع وقائعهم . دل عليه بنزع الجار فقال : ﴿بينهم﴾ أى الظالمين و المظلومين و الظالمين[1] و الأظلمين ﴿ بالقسط ﴾ أى العدل؛ و لما كان وقوع ذلك لا ينفى وقوع[1] الظلم فى وقت آخر قال : ﴿و هم﴾ أى و الحال أنهم ﴿ لا يظلمون ٥ ﴾ أى لا يقع فيهم ظلم من أحد أصلا كائنا من كان فى وقت ما . ٥

و لما كان السبب الحامل لملوك الدنيا على الكذب و الجور و الظلم العجز أو طلب التزيد فى الملك ، أشار إلى تنزهه عن ذلك بقوله مؤكدا سوقا لهم مساق المنكر لأن فعلهم فى عبادة الأصنام فعل من ينكر مضمون الكلام : ﴿الآ ان لله﴾ أى الملك الأعظم وحده ﴿ما فى السمٰوٰت﴾ بدأ بها لعلوها معنى و[2] حسا و عظمتها ؛ و لما كان المقام للغنى عن الظلم ، ١٠ لم يحوج الحال إلى تأكيد باعادة النافى فقال : ﴿ و الارض[1] ﴾ أى من جوهر و عرض صامت و ناطق ، فلا شىء خارج عن ملك يحوجه إلى ظلم أو إخلاف وعد لحيازته ، و الحاصل أنه لا يظلم إلا ناقص الملك و أما من له الملك كله فهو الحكم العدل ، لأن جميع الأشياء بالنسبة إليه على حد سواء ، و لا يخلف الوعد إلا ناقص القدرة و أما من له كل شىء ٥ و لا يخرج عن قبضته شىء فهو المحق فى الوعد العدل فى الحكم ، و فى الآية زيادة تحسير و تنديم للنفس الظالمة حيث أخبرت بأن ما تود أن تفتدى[3] به ليس لها منه شىء و لا تقدر[4] على التوصل إليه ، و لو قدرت ما قبل

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : او (٣) من ظ ، و فى الأصل : يفتدى (٤) من ظ ، و فى الأصل : لا يقدر .

منها ، و إنما هو لمن رضى منها بالقليل منه فضلا منه عليها على ما أمر به على لسان رسله ، و على هذا فيجوز أن يكون التقدير : لو أن لها ذلك لافتدت به ، لكنه ليس لها بل لله ؛ فلما ثبت بذلك حكمه بالعدل و تنزهه[1] عن إخلاف الوعد ، صرح بمضمون ذلك بقوله مؤكدا لإنكارهم :

٥ ﴿ الآ ان وعد الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ حق ﴾ لأنه تام القدرة و الغنى ، فلا حامل [له -[2]] على الإخلاف ﴿ و لكن اكثرهم ﴾ أى الذين[3] تدعوهم و[4] هم يدعون دقة[5] الأفهام و سعة العقول ﴿ لا يعلمون ۝ ﴾ أى لا علم لهم فهم لا يتدبرون ما نصبنا من الأدلة فلا ينقادون لما أمرنا به من الشريعة ، فهم باقون على الجهل معدودون مع البهائم ؛ و " الا " مركبة[6]

١٠ من همزة الاستفهام و ' لا ' وكانت تقريرا و تذكيرا فصارت تنبيها ، وكسرت ' إن ' بعدها لأنها استئنافية ينبه بها على معنى يبتدأ به و لذا يقع بعدها الأمر و الدعاء بخلاف ' لو ' و ' إلا ' للاستقبال فلم يجز بعدها إلا كسر ' إن ' / و ' أما ' قد تكون[7] بمعنى ' حقا ' فى قولهم : أما إنه منطلق ، / ٥٩٠

و هى للحال فجاز فى ' ان ' بعدها الوجهان ـ ذكره الرمانى ؛ و السماوات طبقات

١٥ مرفوعة أولها سقف مزين بالكواكب ، و هى من سما بمعنى علا .

و لما تقرر أنه لا شىء خارج عن ملكه ، و أنه تام القدرة لأنه لا منجى من عذابه ، شامل العلم لقضائه بالعدل ، صادق الوعد لأنه

(١) من ظ ، و فى الأصل : تنزه (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الذى (٤) من ظ ، و فى الأصل : أو (٥) من ظ ، و فى الأصل : رقة (٦) من ظ ، و فى الأصل : مركله ـ كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : يكون .

لا حامل[1] له على غيره ، و ثبت تفرده بأنه يحيي و يميت ؛ ثبت أنه قادر على الإعادة كما قدر على الابتداء ، فثبت أنه لا يكون الرد إلا إليه فنبه على ذلك بقوله : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ يحيي ﴾ أى كما أنتم به مقرون ﴿ و يميت ﴾ كما أنتم له مشاهدون ﴿ و اليه ﴾ أى لا إلى غيره ﴿ ترجعون ٥ ﴾ لأنه وعد بذلك فى قوله " اليه مرجعكم جميعا وعد الله حقا[2] " و فى قوله " فالينا مرجعهم[3] " و فى قوله " اى [و - ٤] ربى انه لحق " و غير ذلك و لا مانع له[5] منه ؛ و الحياة معنى يوجب[6] صحة العلم و القدرة و [يضاد - [7]] الموت ، و هو يحل سائر أجزاء الحيوان فيكون بجميعه حيا واحدا ، و الحى هو الذى يصح أن يكون قادرا ، و القادر هو الذى يصح أن يذم و يحمد بما فعل ، و الموت معنى يضاد الحياة على البنية الحيوانية ، و ليس كذلك الجمادية .

و لما ثبت أن ذلك كله حق مباين للسحر الذى مبناه على التخييل ، أقبل على الذين تقدم الإخبار عنهم فى أول السورة فى قوله : أ كان للناس عجبا أنهم قالوا إنه سحر ، فقال : ﴿ يـٰأيها الناس ﴾ أى الذين قالوا : إن وعدنا و الإخبار به سحر ؛ و لما كان بين[8] الأرواح و الأبدان حب غريزى بالتعلق ، و التذ الروح لذلك بمشتهيات هذه الحياة الدنيا بما انطبع فيه بمظاهر الحس فلم يأته نور العقل حتى تعود[9] النقائص بقوة التعلق[9]

(١) فى ظ : عامل (٢) سورة ١٠ آية ٤ (٣) سورة ١٠ آية ٤٦ (٤) من ظ والقرآن الكريم سورة ١٠ آية ٥٥ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، وفى الأصل: توجب (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، و فى الأصل : من (٩-٩) تكرر ما بين الرقمين فى ظ .

فحدثت له أخلاق ذميمة هى أمراض روحانية ، فأرسل ربه الذى أوجده و دبره و أحسن إليه طبيبا حاذقا هو الرسول صلى الله عليه و سلم لعلاج هذه الأمراض . و أنزل كتابه العزيز لوصف الأدويـــة ، فكان أحكم الطب منع المريض عن أسباب المرض ، قال تعالى : ﴿ قد جآءتكم موعظة ﴾ أى زاجر عظيم عن التخلى عن كل ما يشغل القلب عن الله من المحظورات و غيرها من كل ما لا ينبغى ، و ذلك هو الشريعة .

و لما كان تناول المؤذى شديد الخطر ، و هو لذيذ إلى النفس لما بينهما من ملاءمة النقص ، و كان الانكفاف[1] عنه أشق شىء عليها ، رغبها فى القبول بقوله : ﴿ من ربكم ﴾ أى المحسن إليكم المدبر لمصالحكم بهذا القرآن ؛ و لما كان أليق ما يعمل بعد الحمية تعاطى الدواء المزيل للأخلاط الفاسدة من الباطن ، قال : ﴿ و شفآء ﴾ أى عظـــيم [جدا -[2]] ﴿ لما فى الصدور ﴾ من أدواء الجهل ، و ذلك الشفاء يحصل بتطهير الباطن بعد التخلى عن الأخلاق الذميمة بالتحلى بالصفات الحميدة ليصير الباطن سالما عن العقائد الفاسدة و الأخلاق الناقصة كما سلم البدن من الأفعال الدنية ، و هذا هو الطريق[3] .

و لما كانت الروح إذا انصقلت مرآتها فصارت قابلة لتجلى الأنوار عليها [بفيض -[2]] البروق الإلهية و النفحات القدسية و المواهب الملكوتية لأنها دائمة اللمعان كما قال صلى الله عليه و سلم فيما رواه الطبرانى عن محمد بن مسلمة رضى الله عنه : إن لربكم أيام دهركم نفحات ، ألا فتعرضوا لها - الحديث .

(١) فى ظ : الانكشاف (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، وفى الأصل : الطريقة .

و ليس المانع من نزولها فى كل[1] قلب إلا عدم القابلية من بعضها لتراكم الظلمات فيها من صداء المخالفة و رين الإعراض و الغفلة ، فيكون بذلك كالمرايا الصديئة لاتقبل انطباع الصور بها ، قال تعالى : ﴿ و هدى ﴾ إلى الحق لأنه نور عظيم يقود صاحبه - و لا بد - إلى الطريق الأقوم ، و هذا للصديقين و هو الحقيقة . ٥

و لما كان هذا النور إذا زاد عظمة و انتشر إشراقه يفيض - بعد الوصول إلى هذه الدرجات الروحانية و المعارج الربانية - على أرواح الناقصين فيض النور من جوهر الشمس على أجرام العالم فينير كل قابل له مقبل عليه ، قال تعالى : ﴿ و رحمة ﴾ أى إكرام عظيم بالإمامية بالغ فى الكمال و الإشراق إلى حد لا مزيد عليه ، و هذا للأنبيا عليهم السلام ؛ ١٠ و لما كان لايتفع بأنوارهم[2] إلا من توجه إليهم ، ثم إن الانتفاع بهم / يتفاوت بتفاوت درجات التوجه إليهم و الإقبال عليهم، قال: ﴿للمؤمنين ٭﴾ ٥٩١ / ألذين اتبعوه وهم راسخون فى التوجه إلى المرشدين و الاستسلام [لهم -[3]] فكان ذلك سببا لنجاتهم - أشار إلى هذا الإمام و قال : فهذه درجات عقلية[4] و مراتب برهانية مدلول عليها بهذه الكلمات الأربع القرآنية على ١٥ وجه لا يمكن تأخير شيء منها عن موضعه و لا تقديمه ، و هذا بخلاف ما نسبوه إليه [صلى الله عليه و سلم -[3]] من السحر فانه داء كله و ضلال يجر إلى الشقاء . و الموعظة : إبانة تدعو إلى الصلاح بطريق الرغبة و الرهبة ،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : من انوارهم (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : عقيلة .

والوعظ ما دعا إلى الخشوع والنسك وصرف عن الفسوق والإثم ؛ والشفاء : إزالة الداء ، وداء الجهل أضر من داء البدن وعلاجه أعسر وأطباؤه أقل ، والشفاء منه أجل ؛ والصدر : موضع القلب ، وهو أجل موضع فى الحى لشرف القلب ؛ والهدى : بيان عن[1] معنى يؤدى إلى الحق ، وهو دلالة تؤدى إلى المعرفة ؛ والرحمة : نعمة على المحتاج .

ولما ثبت ذلك ، حثهم عليه لبعده عن السحر بثباته وعدم القدرة على زلزلته فضلا عن إزالته وبأنه شفاء وموعظة وهدى ورحمة فهو جامع لمراتب القرب الإلهى كلها ، وزهدهم فيما هم عليه مقبلون من الحطام لمشاركته للسحر فى سرعة التحول والتبدل بالفناء والاضمحلال فهو [أهل - [2]] للزهد فيه والإعراض عنه فقال تعالى : ﴿ قل بفضل الله ﴾ الآية ، وحسن كل الحسن تعقيب ذلك لقوله " هو يحيي ويميت " لما ذكر من سرعة الرحيل عنه ، ولأن القرآن محى لميت الجهل ، من أقبل عليه أفاده العلم والحكمة ، فكان للقلب كالحياة للجسد ، ومن أعرض عنه صار فى ضلال وخبط فوصل إلى الهلاك الدائم ، فكان إعراضه عنه مميتا له ، وجعل أبوحيان متعلق الباء فى " بفضل " محذوفا تقديره : " قل " ليفرحوا " بفضل الله " أى الملك الأعلى ﴿ وبرحمته ﴾ ثم عطف [3] قصر الفرح [3] على ذلك ﴿ فبذلك ﴾ أى الأمر العظيم جدا وحده إن فرحوا [4] يوما ما بشىء ﴿ فليفرحوا [4] ﴾ فهما جملتان وقال : إن ذلك أظهر ، وفائدة الثانية قصر الفرح على ذلك دون ما يسرون به من الحطام

(١) فى ظ : على (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : فرح .

فان

فان السعادات الروحانية أفضل من السعادات الجسمانية[1] . ثم صرح بسبب الفرح فقال : ﴿ هو ﴾ أى المحدث عنه من الفضل و الرحمة ﴿ خير مما يجمعون ﴾ أى من حطام الدنيا و إن كان أشرف ما فيها من المتاع دائبين[2] فيه على تعاقب الأوقات ، و العاقل يختار لتعبه الأفضل ؛ و الفضل : الزيادة فى النعمة ؛ و الفرح : لذة فى القلب بنيل المشتهى . ٥

و لما وصف القرآن العظيم بالشفاء و ما معه المقتضى لاستقامة المناهج و سداد الشرائع و وضوح المذاهب ، و أشار إلى أن العاقل ينبغى له أن يخصه بالفرح لبقاء آثاره و ما يدعو إليه و زهده[3] فيما يجمعون لفنائه و لأنه يدعو إلى رذائل الأخلاق فيحط[4] من أوج المعالى ، أشار إلى أنهم كما[5] خبطوا فى الفرح فخصوه[6] بما يفنى معرضين عما يبقى فكذلك[7] ١٠ خبطوا فى طريق الجمع فوعدوها على أنفسهم بأن حرموا بعض ما أحله ، فمنعوا أنفسهم ما هم به فرحون دون أمر من الله تعالى فنقصوا بذلك حظهم فى الدنيا بهذا المنع و فى الآخرة بكذبهم على ربهم فى تحريمه حيث جعلوه شرعا مرضيا و هو فى غاية الفساد و البعد عن الصواب و القصور عن مراقى السداد فقال تعالى : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء الذين[8] يستهزؤن ١٥ بك استهزاء قاضيا عليهم بأنهم لا عقول لهم مستهزئا بهم و موبخا لهم توبيخا هو فى أحكم مواضعه ، و ساقه على طريق السؤال بحيث أنهم

(١) راجع البحر المحيط ٥/١٧١ (٢) فى ظ : دابين (٣) فى ظ : زهد (٤) فى ظ : فيحيط (٥) فى ظ : لما (٦) من ظ ، و فى الأصل : محضوا ـ كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : فلذلك (٨) سقط من ظ .

لا يقدرون على الجواب أصلا بغير الإقرار[1] بالافتراء فقال: ﴿ ارءيتم ﴾ أى أخبرونى، و عبر عن الخلق بالإنزال تنبيها على أنه شىء لا يمكن ادعاءه لأصنامهم لنزول أسبابه من موضع لا تعلق لهم به بوجه فقال: ﴿ ما أنزل الله ﴾ أى الذى له صفات / الكمال التى منها الغنى المطلق ٥٩٢ / ﴿ لكم ﴾ أى خاصا بكم ﴿ من رزق ﴾ أى أىّ رزق كان ﴿ فجعلتم منه ﴾ أى ذلك الرزق الذى خصكم[2] به ﴿ [3]حراما و حلالا[3] ﴾ على النحو الذى تقدم فى الانعام و غيرها قصته و بيان فساده على أنه جلى الفساد ظاهر العوج؛ ثم ابتدأ أمرا آخر تأكيدا للانكار عليهم فقال: ﴿ قل ﴾ أى من أذن لكم فى ذلك؟ ﴿ آلله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ اذن لكم ﴾ فتوضحوا المستند به ﴿ ام ﴾ لم يأذن لكم فيه مع[4] نسبتكم إياه إليه لأنكم فصلتموه إلى حرام و حلال و لا محلل و محرم إلا الله، فأنتم ﴿ على الله ﴾ أى المحيط بكل شىء عظمة و علما ﴿ تفترون ﴾ مع نسبتكم الافتراء إلىّ فى هذا القرآن الذى أعجز الأفكار و الشرع الذى بهر العقول و ادعائكم أنكم أبعد الناس عن مطلق الكذب و أطهرهم ذيولا منه، و تقديم الجار للاشارة إلى زيادة التشنيع عليهم من حيث أنهم أشد الناس تبرؤا من الكذب و قد خصوا الله - على تقدير التسليم لهم - بأن تعمدوا الكذب عليه.

و لما كان قد مضى من أدلة المعاد ما صيره كالشمس، و كان افتراءهم قد ثبت بعدم قدرتهم على مستند[5] باذن الله لهم فى ذلك، قال مشيرا

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: خصصتم (٣-٣) فى ظ: حلالا و حراما (٤) فى ظ: =

إلى أن القيامة مما هو معلوم لا يسوغ إنكاره : ﴿ و ما ظن الذين يفترون ﴾ أى يتعمدون [1]﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعظم[1] ﴿ الكذب ﴾ أى[2] أنه نازل بهم ﴿ يوم القيٰمة ﴾ أى هب أنكم لم تستحيوا منه و لم تخافوا عواقبه فى الدنيا فما تظنون أنه يكون ذلك اليوم؟ أتظنون أنه لا يحاسبكم فيكون حينئذ قد فعل ما لا يفعله رب مع مربوبه . ٥

و لما كان تعالى يعاملهم بالحلم و هم يتمادون فى هذا العقوق ، قال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ لذو فضل ﴾ أى عظيم ﴿على الناس﴾ أى بنعم منها إنزال الكتب مفصلا فيها ما يرضاه و ما يسخطه و إرسال الرسل عليهم[3] السلام لبيانها بما يحتمله[4] عقول الخلق منها ، و منها طول إمهالهم على سوء أعمالهم فكان شكره واجبا عليهم ١٠ ﴿ و لكن اكثرهم ﴾ أى الناس لاضطراب ضمائرهم ﴿ لا يشكرون ﴾ أى لا يتجدد منهم شكر فهم لا يتبعون رسله و لا كتبه ، فهم يخبطون خبط عشواء فيفعلون ما يغضبه سبحانه ؛ و التحريم : عقد معنى النهى عن الفعل ؛ و التحليل : حل معنى النهى بالإذن ؛ و الشكر : حق يجب بالنعمة من الاعتراف بها و القيام فيما تدعو إليه على قدرها ؛ و افتراء الكذب : تزويره و تنميقه ١٥ فهو أفحش من مطلق الكذب .

و لما وصف القرآن بما وصفه[5] به من الشفاء و ما معه بعد إقامة الدليل

= من (٥) فى ظ : مستنده .

(١-١) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « نازل بهم » و الترتيب من ظ .

(٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عليه (٤) فى ظ : تحتمله (٥) فى ظ : وصف .

على إعجازه ، و أشار إلى أن ما تدينوا به فى غاية الخبط و أنه مع كونه كذبا يقدر كل واحد على تغييره بأحسن منه لكونه غير مبنى على الحكمة ، و ختم ذلك بتهديدهم على افتراء الكذب فى شرع ما لم يأذن به مع ادعائهم أن القرآن مفترى و هم عاجزون عن معارضته ، و بأنهم لم يشكروه على نعمه التى أجلّها تخصيصهم بهذا الذكر الحكيم و الشرع القويم ، و كان قد أكثر فى ذلك كله من الأمر له صلى الله عليه و سلم بمحاجتهم[1] " قل لا املك لنفسى " ، " قل ارءيتم ان اتكم عذابه " ، " قل اى و ربى انه لحق " ، " قل بفضل الله " - الآية ، " قل ارءيتم ما انزل الله لكم " ، " قل آلله اذن لكم " ، قال تعالى ناظرا إلى قوله " و ما كان هذا القرآن ان يفترى " الآية ، تسلية له صلى الله عليه و سلم و تقوية لهمته و زيادة فى تهديدهم عطفا على ما تقديره : فقد أنزلت إليهم[2] على لسانك ما هو شرف[3] لهم و نعمة عليهم و هو فى غاية البعد عن مطلق الكذب فان كل شىء منه فى أحكم مواضعه و أحسنها لا يتطرق إليه الباطل بوجه و هم يقابلون نعمته بالكفر : ﴿ و ما تكون ﴾ [أنت - [4]] ﴿ فى شان ﴾ أى أىّ شأن كان ﴿ و ما تتلوا منه ﴾ أى من القرآن المحدث عنه فى جميع هذه السورة ، الذى تقدم أنهم كذبوا به من غير شبهة لهم ﴿ من قرآن ﴾ أى قليل أو كثير ﴿ و لا تعملون ﴾ أى كلكم طائعكم و عاصيكم ، و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من عمل ﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل : محاجتهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : عليهم (٣) فى ظ : اشرف (٤) زيد من ظ .

صغير أو كبير ﴿ الا كنا ﴾ [أى - [1]] بما لنا من العظمة ﴿عليكم شهودا ﴾ أى[2] عاملين باحاطة علمنا ووكالة جنودنا عمل الشاهد ﴿ اذ تفيضون فيه[3] ﴾ الآية إيذانا بأنك بعينى فى جميع هذه المراجعات و غيرها من شؤونك و أنا العالم[4] بتدبيرك و القادر على نصرتك[5] . و هى كلها من كتابى الذى تتضاءل القوى دونه و تقف الأفكار عن مجاراته لأنه حكيم لكونه من عندى فجل عن مطلق المعارضة لفظا أو معنى فضلا عن التغيير فضلا عن الإتيان[6] بما هو مثله فكيف بما هو أحسن منه ، لاستقامة أمره و تناسب أحكامه كونها شفاء و هدى [و رحمة - [1]] ، و ما كان كذلك فهو من عندى قطعا و باذنى جزما لأنى[7] عالم بالإفاضة فيه و الانفصال عنه و جميع الأمور الواقعة منك و منهم و من غيرهم .

و لما كان ربما ظن ظان من إفهام " كنا " و " شهودا " للجنود أنه سبحانه محتاج إليهم ، نفى ذلك بقوله : ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه ما ﴿ يعزب ﴾ أى يغيب [و يخفى - [1]] ﴿ عن ربك ﴾ [أى - [1]] المربى لكل مخلوق بعام أفضاله و الك بخاص نعمه و أشرف نواله ، و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من مثقال ذرة ﴾ أى وزن نملة صغيرة جدا و موضع وزنها و زمانه ؛ و لما كان ' فى ' بموزن[7] أهل الأرض كان تقديمها أولى فقال : ﴿ فى الارض ﴾ و لما لم يدع السياق إلى الجمع - كما سيأتى فى سبا[8] - قال اكتفاء بالمفرد الدال على الجنس : ﴿ و لا فى السمآء ﴾

(١) زيد من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : عليكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ ، و فى الأصل : عالم (٤) فى ظ : نصرك (٥) فى ظ : الآيات - كذا (٦) فى ظ : لأنه (٧) فى ظ : تسرون (٨) راجع آية ٣ .

أى ما علا عن الأرض كائنا ما كان .

و لما كان ربما أدى الجود بعض الأغبياء إلى أن يحمل المثقال على حقيقته و يجهل أن المراد به المبالغة ، قال عاطفا على الجملة من أولها و هو على الابتداء سواء رفعنا الرامين على قراءة حمزة و يعقوب أو نصبناهما عند الباقين : ﴿ و لآ اصغر من ذلك ﴾ أى من مثقال الذرة ﴿ و لآ اكبر ﴾ و لما أتى بهذا الابتداء الشامل الحاصر[1] ، أخبر عنه بقوله : ﴿ الا ﴾ أى لا شىء من ذلك إلا موجود[2] ﴿ فى كتب ﴾ أى جامع ﴿ مبين ٥ ﴾ أى ظاهر فى نفسه مظهر لكل ما فيه ، [و سيأتى فى سبا ما يتم به هذا المكان -[3]] ، و فى ذلك تهديد لهم و تثبيت له صلى الله عليه و سلم ، و لاح بهذا أن ما بعد " الا " حال من الفاعل ، أى ما يفعل شيئا إلا و أنت باعينا فثبت أن القرآن بعلمه ، فلو افتراه أحد عليه لأمكن منه ؛ و الإفاضة : الدخول فى العمل [4]على جهة الانصباب إليه و هو الانبساط فى العمل[4] أخذا من فيض الإناء إذا انصب ما فيه من جوانبه ، و أفضتم[5] : تفرقتم كتفرق الماء الذى يتصبب من الإناء ؛ و العزوب : ذهاب المعنى عن العلم ، و ضده الحضور ؛ و الذر : صغار النمل و هو خفيف الوزن جدا ، [6]و مثقاله : وزنه[6] .

و لما تقدم أنه سبحانه شامل العلم ، و علم - من وضع الأحوال

(١) فى ظ : الحاضر (٢) فى ظ : موجودا (٣) زيد من ظ (٤-٤) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل ، و لم يكن التكرار فى ظ فحذفناه (٥) فى ظ : افرضتم . (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

مالا تسع و من لا تسع مجرد أسمائهم الأرضَ فى كتاب مبين أى مهما كشف منه وجد من غير خفاء و لا احتياج إلى تفتيش - أنه كامل القدرة بعد أن تقدم أنهم فريقان : صادق فى أمره ، و مفتر[1] عليه ، و أنه متفضل على الناس بعدم المعاجلة و التأخير إلى القيامة ، و خوّف المفترى عواقب أمره عاجلا و آجلا ، و رجّى المطيع ، كان موضع أن يقال : ليت شعرى ما ذا يكون تفصيل حال الفريقين فى الدارين على الجزم؟ فأجيب بأن الأولياء فائزون و الأعداء هالكون ليشمر كل مطيع عن ساعد[2] جده و يبذل غاية جهده فى لحاق المخلصين و تحامى جانب المفترين بقوله تعالى مؤكدا لاعتقادهم أنهم يهلكون حزب الله و إنكارهم غاية الإنكار أن يفوتوهم : ﴿ الآ ان اولياء الله ﴾ أى الذين يتولون بالطاعة من لا شىء أعز منه و لا أعظم [و يتولاهم - [3]] ﴿ لا خوف ﴾ أى ثابت عال ﴿ عليهم ﴾ أى من شىء يستقبلهم ﴿ و لا هم ﴾ أى بضمائرهم ﴿ يحزنون ﴾ أى يتجدد لهم حزن على فائت لأن قلوبهم معلقة بالله سبحانه فلا يؤثر فيهم[4] لذلك[5] خوف و لا حزن أثرا يقطع قلوبهم كما يعرض لغيرهم ، و فسرهم بقوله : ﴿ الذين امنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف المصحح للأعمال و به كمال القوة العلمية ﴿ و كانوا ﴾ أى كونا صار لهم جبلة و خلقا ﴿ يتقون ﴾ أى يوجدون / التقوى ، و هى كمال القوة العملية[6] فى الإيمان و الأعمال و يجددونها[7] فانه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق

/ ٥٩٤

(١) فى ظ : مفترى (٢) فى ظ : ساق (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : لهم (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : العلمية (٧) من ظ ، و فى الأصل : يجددونه .

قدره ، و انتهى الجواب بقوله "ان الذين يفترون على الله الكذب" - الآية ، و هذا الذى فسر الله به الأولياء لا مزيد على حسنه ، و عن على رضى الله عنه « هم قوم صفر الوجوه من السهر ، عمش العيون من العبر ، خمص البطون من الخوى » و قيل : الولى من لا يرائى و لا ينافق ، و ما أقل صديق من كان[1] هذا خلقه ، و صح عن الإمامين : أبى حنيفة و الشافعى ، كما نقل ذلك عنهما الشيخ محيى الدين النووى فى مقدمة شرح المهذب و التبيان أن كلامنهما قال : إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى . و هذا فى العالم العامل بعلمه[2] كما بينته عند قوله فى سورة الزمر "قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون[3]" .

و لما نفى عنهم الخوف و الحزن ، زادهم فقال [مبينا لتوليه لهم بعد أن شرح توليهم له - [4]] : ﴿ لهم ﴾ أى خاصة ﴿ البشرى ﴾ أى الكاملة ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ أى بأن[5] دينهم يظهر[6] و حالهم يشتهر[7] و عدوهم يخذل و عمله[8] لا يقبل [و بالرؤية الصالحة - [4]] ﴿ و فى الأخرة[1] ﴾ بأنهم هم السعداء و أعداؤهم الأشقياء و تتلقاهم الملائكة "هذا يومكم الذى كنتم توعدون" . و لما كان الغالب على[9] أحوال أهل الله فى الدنيا الضيق و لا سيما فى أول الإسلام ، كان السامع لذلك بمعرض أن يقول : يا ليت شعرى هل يتم هذا السرور ! فقيل : نعم ، و أكد بنفى الجنس لأن الجبابرة ينكرون ذلك [لهم - [4]] لما يرون من[1] أن عزهم من

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فى علمه (٣) آية ٩ (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : باق (٦) فى ظ : ليظهر (٧) فى ظ : يشهر (٨) فى ظ : علمه (٩) فى ظ : عن .

وراء ذل ليس فيه سوء[1] ما لباطل المتكبرين من السورة و الإرجاف و الصولة: ﴿ لا تبديل ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ لكلمت الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة بكل شىء علما و قدرة؛ و قوله - : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى الرتبة ﴿ هو ﴾ أى خاصة ﴿ الفوز العظيم ﴾ - فى موضع البيان و الكشف لمضمون هذه البشرى؛ و الخوف : انزعاج القلب بما يتوقع من المكروه. و نظيره الجزع و الفزع ، و نقيضه الأمن؛ و الحزن : انزعاجه و غلظ همه بما وقع من المكروه ، من الحزن للأرض الغليظة ، و نقيضه السرور ، و هما يتعاقبان على حال الحى الذاكر للمحبوب؛ و البشرى: الخبر الأول بما يظهر سروره فى بشرة الوجه .

و لما تقدمت البشرى بنفى الخوف و الحزن معا[2] عن الأولياء، علم أن المعنى : هذه البشرى للأولياء و أنت رأسهم فلا تخف ، فعطف عليه قوله : ﴿ و لا يحزنك قولهم[3] ﴾ [أى - [4]] فى نحو قولهم : إنهم يغلبون[5]. و فى تكذيبك و الاستهزاء بك و تهديدك ، فان ذلك قول يراد به تبديل كلمات الله الغنى القدير ، و هيهات ذلك من الضعيف الفقير فكيف بالعلى الكبير ! و إلى هذا يرشد التعليل لهذا[6] النهى بقوله: ﴿ ان العزة ﴾ أى الغلبة و القهر و تمام العظمة ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعلى حال كونها ﴿ جميعا ﴾ أى فسيذلهم و يعز دينه ، و المراد بذلك التسلية عن قولهم الذى يؤذونه به .

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : معنا (٣) فى ظ : هذا (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : يقلبون (٦) فى ظ : بهذا .

و لما بدئت الآية بقولهم ، ختمها بالسمع له و العلم به و قصرهما عليه لأن صفات كل موصوف متلاشية بالنسبة إلى صفاته فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ السميع ﴾ أى البليغ السمع لأقوالهم ﴿ العليم ﴾ أى المحيط العلم بضمائرهم و جميع أحوالهم فهو البالغ القدرة على كل شىء فيجازيهم بما تقتضيه ، و هو تعليل لتفرده[1] بالعزة لأنه تفرد بهذين الوصفين فانتفيا عن غيره ، و من انتفيا عنه كان دون الحيوانات العجم فأنى يكون[2] له عزة ! و العزة : قدرة على كل جبار بما لا يرام و لا يضام ، و المعنى أنه يعزك على من ناواك ، و النهى فى " و لا يحزنك " فى اللفظ للقول و فى المعنى للسبب المؤدى إلى التأذى بالقول ، و كسرت ' إن ' ههنا للاستئناف بالتذكير[3] بما ينفى الحزن ، لا لأنها بعد القول لأنها ليست حكاية عنهم ، و قرئ بفتحها على معنى ' لأن ' .

و لما ختمت بعموم سمعه و علمه بعد قصر العزة عليه ، كان كأنه قيل : إن العزة لا تتم إلا بالقدرة فأثبت اختصاصه بالملك الذى لا / يكون ٥٩٥/
إلا بها ، فقال مؤكدا لما يستلزمه إشراكهم من الإنكار لمضمون هذا الكلام : ﴿ ألا ان لله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ؛ و لما كان بعض الناس قد أشركوا ببعض النجوم ، جمع فقال معبرا بأداة العقلاء تصريحا بما أفهمه التعبير سابقا بأداة غيرهم : ﴿ من فى السموٰت ﴾ أى كلها ، و ابتدأ بها لأن ملكها يدل على ملك الأرض بطريق الأولى ، ثم صرح بها فى قوله [4]مؤكدا لما تقدم[4] : ﴿ و من فى الارض[5] ﴾ أى كلهم

(١) فى ظ : لتفرد (٢) فى ظ : تكون (٣) من ظ ، و فى الأصل : التذكر .
(٤-٤) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « كلهم عبيده » و الترتيب من ظ .

عبيده [1]ملوكهم و من دونهم[1] ، نافذ فيهم تصريفه ، منقادون لما يريده ، و هو أيضا تعليل ثان لقوله " و لا يحزنك قولهم " أو للتفرد بالعزة ، و عبر بـ " من " التى للعقلاء و المراد كل ما فى الكون لأن السياق لنفى[2] العزة عن غيره[3] ، [4]و العقلاء بها أجدر ، فنفيها عنهم نفى عن غيرهم بطريق الأولى ، ثم غلبوا لشرفهم على غيرهم[4] ، و لذا تطلق 'ما' التى هى لغيرهم ٥ فى سياق هو بها أحق ثم يراد بها العموم تغليبا للأكثر الذى لا يعقل على الأقل ؛ ثم نفى أن يكون له فى ذلك شريك بقوله عاطفا على ما تقديره : فما له شريك مما ادعاه المشركون منهما أو من إحداهما[5] : ﴿ و ما يتبع ﴾ أى بغاية الجهد ﴿ الذين يدعون ﴾ أى على سبيل العبادة ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها ﴿ شركآء[1] ﴾ على الحقيقة ؛ و يجوز أن تكون ١٠ 'ما' موصولة تحقيرا للشركاء بالتعبير بأداة ما لا يعقل و معطوفة على 'من' ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ يتبعون ﴾ فى ذلك الذى هو أصل أصول الدين يجب فيه القطع و هو دعاءهم له شركاء ﴿ الا الظن ﴾ أى المخطئ على أنه لو كان صوابا كانوا مخطئين فيه حيث قنعوا فى الأصل بالظن ، ثم نبه على الخطأ بقوله : ﴿ و ان ﴾ أى و ما ﴿ هم الا يخرصون ٥ ﴾ أى يحزرون ١٥ ذلك و يقولون ما لا حقيقة له أصلا ؛ و الاتباع : طلب اللحاق بالأول على تصرف الحال ، فهؤلاء اتبعوا الداعى إلى عبادة الوثن و تصرفوا معه

(١-١) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « و من فى الارض » و الترتيب من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : نفى (٣) فى ظ : غيرهم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : احدهما .

فيما دعا إليه ، [و - ١] ظنهم فى عبادتها إنما هو بشبهة[٢] ضعيفة كقصد زيادة التعظيم لله و تعظيم تقليد الأسلاف[٣]. و يجوز أن يكون "شركاء" مفعولا تنازعه "يتبع" و "يدعون"؛ ثم أثبت سبحانه اختصاصه بشىء جامع للعلم و القدرة تأكيدا لاختصاصه بالعزة و تفرده بالوحدانية ، و أن من أشرك به خارص لا علم له بوجه لكثرة الدلائل على وحدانيته و وضوحها فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى جعل ﴾ أى بسبب دوران الأفلاك الذى أتقنه ﴿ لكم ﴾ أى نعمة منه ﴿ الليل ﴾ أى مظلما ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ راحة لكم و دلالة على قدرته سبحانه على الإيجاد و الإعدام و أنسا للمحبين لربهم ﴿ و النهار ﴾ و أعار السبب وصف المسبب فقال : ﴿ مبصرا[٤] ﴾ أى لتنتشروا فيه ، حذف وصف الليل و ذكرت علته عكس ما فعل بالنهار ليدل ما ثبت على ما[٤] حذف ، فالآية من الاحتباك .

و لما كانت هذه الآيات من الظهور بحيث لا يحتاج إلى أكثر من سماعها ، قال : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ لآيات لقوم ﴾ أى لهم قوة المحاولة على ما يريدونه ﴿ يسمعون ﴾ أى لهم سمع صحيح . و فى ذلك أدلة واضحات[٥] على أنه مختص بالعزة فلا شريك له . لأن الشريك لا بد و أن يقاسم شريكه شيئا من الأفعال أو الأحوال أو الملك ، و أما عند انتفاء جميع ذلك فانتفاء الشركة أوضح من أن يحتاج فيه إلى دليل ، و يجوز أن يكون المعنى : لآيات لقوم يبصرون إبصار اعتبار

(١) زيدت الواو من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تشبيه (٣) فى ظ : الايتلاف (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : واضحة .

و يسمعون سماع تأمل و ادكار ، و لكنه حذف ' يبصرون ' لدلالة " مبصرا " عليه ، و يزيد ذلك [وضوحا و - [1]] حسنا كون السياق لنفى الشركاء ، فهو إشارة إلى أنها[2] لا تسمع و لا تبصر أصلا فكيف بالاعتبار و الافتكار ؟ فالذين عبدوهم أكمل حالا منهم .

و لما لم يكن شبهة على ادعاء الولد لله سبحانه و لا لهم اطلاع عليه بوجه ، ساق قوله[3] :- ﴿ قالوا اتخذ ﴾ أى تكلف الأخذ بالتسبب على ما / نعهد ﴿ الله ﴾ أى المسمى بهذا الاسم الذى يقتضى تسميته[4] به أن يكون له الكمال كله ، فلا يكون محتاجا إلى شىء بوجه ﴿ ولدا ﴾ مساق البيان لقوله " ان يتبعون الا الظن " و هذا صالح لأن يكون تعجيبا ممن ادعى فى الملائكة أو عزير[5] أو المسيح و غيرهم . ٥٩٦ / ١٠

و لما عجب منهم فى ذلك لمنافاته بما يدل عليه من النقص لما ثبت لله تعالى من الكمال كما مر ، نزه نفسه الشريفة عنه فقال : ﴿ سبحنه[1] ﴾ أى تنزه عن كل شائبة نقص التنزه كله ؛ ثم علل تنزهه عنه[6] و بينه بقوله : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الغنى[1] ﴾ أى عن الولد و غيره لأنه فرد منزه عن الأبعاض و الأجزاء و المجانسة ؛ ثم بين غناه بقوله : ﴿ له ما فى السمٰوٰت ﴾ ١٥ و لما كان سياق الاستدلال يقتضى التأكيد ، أعاد ' ما ' فقال : ﴿ و ما فى الارض[1] ﴾ من صامت و ناطق ، فهو غنى بملك ذلك عن أن يكون شىء منه ولدا له لأن الولد لا يملك ، و عدم ملكه نقص مناف للغنى ،

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : انه (٣) زيدت الواو بعده فى ظ (٤) فى ظ : تسميه .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : عزيرا (٦) سقط من ظ .

و لعله عبر بـ " ما " لأن الغنى محط نظره الصامت مع شمولها للناطق .

و لما بين بالبرهان القاطع و الدليل الباهر الساطع امتناع أن يكون له ولد ، بكتهم بنفي أن يكون لهم بذلك نوع حجة فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ عندكم ﴾ و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من سلطن ﴾ أى حجة ﴿ بهذا[1] ﴾ اى الاتخاذ[1] ، و سميت الحجة سلطانا لاعتلاء يد المتمسك بها ؛ ثم زادهم بها[2] تبكيتا بالإنكار عليهم[3] بقوله : ﴿ اتقولون ﴾ أى على سبيل التكرير ﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعظم [على سبيل الاستعلاء -[4]] ﴿ ما لا تعلمون ﴾ لأن[5] ما لا برهان عليه [فى الأصول -[4]] فهو جهل ، فكيف بما قام الدليل على خلافه ؛ و السلطان : البرهان القاهر لأنه يتسلط به على صحة الأمر و يقهر به الخصم ، و أصله القاهر للرعية بعقد الولاية .

و لما قدم أن قولهم كذب ، و بكتهم عليه مواجهة ، اتبعه بما يشير إلى أنهم أهل للاعراض فى سياق مهدد على الكذب ، فقال معرضا عن خطابهم مؤكدا لأن اجتراءهم على ذلك دال على التكذيب بالمؤاخذة عليه : ﴿ قل ﴾ أى للذين[6] ادعوا الولد لله و حرموا ما رزقهم من السائبة و نحوها[7] ﴿ ان الذين يفترون ﴾ أى يتعمدون ﴿ على الله ﴾ أى[8] الملك الأعلى ﴿ الكذب لا يفلحون ﴾ ثم بين عدم الفلاح بقوله : ﴿ متاع ﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل : الا يجاد (٢) سقط من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : اى (٦) فى ظ : للذى (٧) زيد بعده فى الأصل : قل ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها . (٨) فى ظ : على .

[أى لهم -[1]] ، و نكره إشارة إلى قلته كما قال فى الآية الأخرى "متاع قليل[2]" و أكد ذلك بقوله : ﴿ فى الدنيا ﴾ لأنها دار ارتحال ، و ما كان إلى زوال و تلاش و اضمحلال كان قليلا و إن تباعد مدّه و تطاولت مُدّده و جل مَدّده ، و زاد على الحصر عَدده ؛ و بين حالهم بعد النقلة بقوله[3] : ﴿ ثم ﴾ أى بعد ذلك الإملاء لهم و إن طال ﴿ الينا ﴾ أى على ما لنا من العظمة لا إلى غيرنا ﴿ مرجعهم ﴾ بالموت فنذيقهم عذابا شديدا لكنه دون عذاب الآخرة ﴿ ثم نذيقهم ﴾ يوم القيامة ﴿ العذاب الشديد بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كانوا ﴾ أى كونا هو جبلة لهم ﴿ يكفرون ﴾ و وجب كسر ' ان ' بعد القول لأنه[4] حكاية عما يستأنف الإخبار به كما فعل فى لام الابتداء لذلك .

و لما تقدم سؤالهم الإتيان بما يقترحون من الآيات ، و مضت الإشارة إلى أن تسييرهم[5] فى الفلك من أعظم الآيات و إن كانوا[6] لألفهم [له قد -[7]] نسوا ذلك ، و تناسجت الآى[8] كما سلف إلى[9] أن بين[10] هذا أن متاع المفترين[11] الكذبَ قليل تخويفا من شديد السطوة و عظيم الأخذ ، عقب ذلك بقصة قوم نوح لأنهم كانوا أطول الأمم الظالمة مدة و أكثرهم عدة ، ثم أخذوا أشد أخذ فزالت آثارهم و انطمست أعلامهم [12]و منارهم[12] فصاروا كأنهم لم يكونوا أصلا و لا أظهروا قولا

(١) زيد من ظ (٢) سورة ٣ آية ١٩١ و سورة ١٦ آية ١١٧ (٣) فى ظ : فقال.
(٤) فى ظ : لان (٥) فى ظ : تيسيرهم (٦) فى ظ : كان (٧) زيد من ظ .
(٨) من ظ ، و فى الأصل : الآية (٩) فى ظ : الا (١٠) فى ظ : يبين (١١) فى ظ : المغتبرين (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و لا فعلا ، فقال تعالى عاطفا على قوله " قل ان الذين " مسليا لنبيه صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضى الله عنهم لأن المصيبة إذا عمت خفت ، و تخويفا للكفار ليرجعوا أو يخفوا من أذاهم : ﴿ و اتل ﴾ أى[1] اقرأ قراءة متتابعة مستعلية ﴿ عليهم نبا نوح[2] ﴾ أى خبره العظيم مذكرا[3] بأول كون الفلك و أنه كان إذ ذاك آية غريبة خارقة للعادة عجيبة ، و أن قوم نوح لم ينفعهم ذلك و لا أغنى عنهم اقتراءهم و عنادهم / مع تطاول الأمد و تباعد المدد ، بل صار أمرهم إلى زوال ، و أخذ عنيف و نكال «كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم[3] » مع نجاة رسولهم و خيبة مأمولهم ، قد لبث فيهم ما لم يلبثه نبي فى قومه و لا رسول فى أمته ألف سنة إلا خمسين عاما ، و ما آمن معه إلا قليل[4] ﴿ اذ قال لقومه ﴾ أى بعد أن دعاهم إلى الله فأطال دعاءهم و متعوا فى الدنيا كثيرا و أملى[5] لهم طويلا فما زادهم ذلك إلا نفورا ﴿ يـقوم ﴾ أى يا من يعز علىّ خلافهم و يشق علىّ ما يسوءهم لتهاونهم بحق ربهم مع قوتهم على الطاعة ﴿ ان كان كبر ﴾ أى شق و عظم مشقة صارت جبلة[6] ﴿ عليكم ﴾ و لما كانت عادة الوعاظ و الخطباء أن يكونوا حال الخطبة واقفين ، قال : ﴿ مقامى ﴾ أى قيامى ، و لعله خص هذا المصدر لصلاحيته لموضع القيام [7] و زمانه[7] فيكون

٥٩٧ /

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : مذكر (٣) راجع سورة ١٠ آية ٤٥ (٤) زيد بعده فى الأصل : و قوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) فى ظ : املوا . (٦) فى ظ : لجبلة (٧ - ٧) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « من القيام » و الترتيب من ظ .

الإخبار بكراهته لأجل ما وقع فيه من القيام أدل على كراهة القيام ﴿و تذكيرى﴾ أى بكم ﴿بآيٰت الله﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام، فان ذلك لا يصدنى عن مجاهدتى بما يكبر عليكم من ذلك خوفا منكم لأن الله أمرنى به و أنا أخاف عذابه إن تركت، و لا أبالى بكراهيتكم لذلك خوف عاقبة قصدكم لى بالأذى ﴿فعلى﴾ أى فانى على ﴿الله﴾ أى الذى ٥ له العزة كلها وحده ﴿توكلت﴾ فاقامة ذلك مقام الجزاء من إطلاق السبب - الذى هو التوكل - على المسبب - الذى هو انتفاء الخوف - مجازا مرسلا، إعلاما لهم بعظمة الله و حقارتهم بسبب أنهم أعرضوا عن الآيات و هم يعرفونها، بما دل عليه التعبير بالتذكير، فدل ذلك على عنادهم بالباطل، و المبطل لا يخشى أمره[1] لأن الباطل لا ثبات له، و دل على ذلك ١٠ بقوله: ﴿فاجمعوآ امركم﴾ أى فى أذاى بالإهلاك و غيره، اعزموا عليه و انووه و اجزموا به، و الواو بمعنى 'مع' فى قوله: ﴿و شركآءكم﴾ ليدل على أنه لا يخافهم و إن كانوا شركاءهم أحياء كائنين من كانوا و كانت كلمتهم واحدة لا فرقة فيها بوجه.

و لما كان الذى يتستر بالأمور[2] بما يفوته بعض المقاصد لاشتراط ١٥ التستر، أخبرهم أنه لا يمانعهم سواء أبدوا أو أخفوا فقال: ﴿ثم لا يكن﴾ أى بعد التأبى و طول زمان المجاوزة فى المشاورة ﴿امركم﴾ أى الذى تقصدونه بى ﴿عليكم غمة﴾ أى خفيا يستتر عليكم شىء منه بسبب ستر ذلك عنى[3] لئلا أسعى فى معارضتكم، فلا تفعلوا ذلك بل جاهرونى به

(١) من ظ، وفى الأصل: اجره (٢) فى ظ: بالاثم (٣) من ظ، وفى الأصل: منى.

[مجاهرة - [١]] فانه لا معارضة لى بغـــير الله الذى يستوى عنده السر و العلانية[٢] ؛ و التعبير بـ"ثم" إشارة إلى التانى و إتقان الأمر للأمان من معارضته بشىء من حول منه أو قوة ﴿ ثم اقضوآ ﴾ [ما تريدون[٣] ، أى بتوه بتة المقضى إليه واصلا - [١]] ﴿ الىّ ﴾ .

٥ و لما كان ذلك ظاهرا فى الإنجاز و ليس صريحا ، [صرح - [١]] به فى قوله : ﴿ و لا تنظرون ه ﴾ أى ساعة ما . وكل ذلك لإظهـار قلة المبالاة بهم للاعتماد[٤] على الله لأنه لا يعجزه شىء و معبوداتهـم لا تغنى شيئا ؛ ثم سبب عن ذلك قوله : ﴿ فان توليتم ﴾ أى كلفتم أنفسكم الإعراض عن الحق بعد عجزكم عن إهلاكى و لم ينفعكم علمكم بأن الذى منعنى - و أنا

١٠ وحدى - منكم و أنتم ملء الأرض له العزة جميعا و أن[٥] من أوليائـه الذين تقدم وعده الصادق بأنهم لا خوف عليهـم و لا هم يحزنون ﴿ فما ﴾ أى فلم يكن توليكم عن تفريط منى لأنى سقت الأمر على ما يجب ، ما ﴿ سالتكم ﴾ أى ساعة من الدهر ، و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من اجر[٦] ﴾ أى على دعائى لـكم يفوتنى بتوليكم و لا تتهمونى[٦] [٧]به فى دعائكم[٧] .

١٥ و لما كان من المحال أن يفعل عاقل شيئا لا لغرض ، بين غرضه بقوله مستأنفا : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ اجرى الا على الله[٦] ﴾ أى الذى له صفات الكمال ؛ ثم عطف عليه غرضا آخر و هو اتباع الأمر خوفا من حصول

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : العلن (٣) فى ظ : يريدون (٤) فى ظ : لاعتماد .
(٥) فى ظ : انى (٦) فى الأصل : لا يتهمونى ، و فى ظ : لا تتهمونى (٧-٧) فى ظ : بدعائكم .

النصر فقال : ﴿ و امرت ﴾ أى من الملك الأعلى الذى لا أمر لغيره ، و بناه للمفعول للعلم بأنه هو الآمر [و ليزيد فى الترغيب فى المأمور به و تغطية بجعله عمدة الكلام باقامته مقام الفاعل فقال -[1]] : ﴿ ان اكون ﴾ أى كونا أتخلق به فلا أنفك عنه ؛ [و لما كان فى مقام الاعتذار عن مفاجأته لهم بالإنـــذار ، عبر بالإسلام الذى هو الأفعال الظاهرة فقال -[1]] : ٥ ﴿ من المسلمين ٥ ﴾ أى الراسخين فى صفة الانقياد بغاية الإخلاص ، لى ما لهم و علىّ ما عليهم ، أنا و هم فى الإسلام سواء ، لا مرية لى فيه أتهم بها ، و أن أستسلم لكل ما يصيبنى فى الله ، لا يردنى ذلك عن إنفاذ[2] أمره ، و الحاصل أنه لم يكن بدعائه إياهم فى موضع تهمة ، لا سألهم غرضا دنيويا يزيده إن أقبلوا و لا ينقصه / إن أدبروا . و لا أتى بشىء من عند نفسه ١٠ / ٥٩٨ ليظن أنه أخطأ فيه و لا سلك به مسلكا يظن به استعباده إياهم فى اتباعه ، بل أعلمهم بأنه أول مؤتمر بما أمرهم به مستسلم لما دعاهم[3] إليه و لكل ما يصيبه فى الله ، و لما لم يردهم كلامه هذا عن غيهم[4] ، سبب عنه قوله مخبرا بتماديهم : ﴿ فكذبوه ﴾ أى و لم يزدهم شىء من هذه البراهين الساطعة و الدلائل القاطعة إلا إدبارا ، وكانوا فى آخر المدة على مثل ما كانوا ١٥ عليه من التكذيب ﴿ فنجيناه ﴾ أى تنجية عظيمة بما لنا من العظمة الباهرة بسبب امتثاله لأوامرنا و صدق اعتماده علينا ﴿ و من معه ﴾ أى من العقلاء و غيرهم[5] ﴿ فى الفلك ﴾ كما وعدنا أولياءنا ، و جعلنا

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : انقياد (٣) فى ظ : ادعاهم (٤) فى ظ : غيرهم (٥) فى ظ : غيره .

ذلك آية للعالمين ﴿ و جعلنهم ﴾ أى على ضعفهم بما لنا من العظمة ﴿ خلئف ﴾ أى فى الأرض بعد من أغرقناهم ، فمن فعل فى الطاعة فعلهم كان جديرا بأن نجازيه بما جازيناهم ﴿ و اغرقنا ﴾ أى بما لنا من كمال العزة ﴿ الذين كذبوا ﴾ أى مستخفين مستهينين ﴿ بايتنا ج ﴾ كما توعدنا[1]
٥ الذين يفترون على الله الكذب .

و لما كان هذا أمرا باهرا يتعظ به من له بصيرة . سبب عنه أمر أعلى الخلق فهما بنظره إشارة إلى أنه لا يعتبر به حق الاعتبار غيره . فقال : ﴿ فانظر ﴾ و أشار إلى أنه أهل لأن يبحث عن شأنه بأداة الاستفهام ، و زاد الأمر عظمة بذكر الكون فقال : ﴿ كيف كان ﴾
١٠ [أى كونا كان كأنه جبلة - [2]] ﴿ عاقبة ﴾ [أى آخر أمر - [2]] ﴿ المنذرين ه ﴾ [أى الغريقين فى هذا الوصف و هم الذين أنذرتهم الرسل ، فلم يكونوا أهلا للبشارة لأنهم لم يؤمنوا - [2]] [3]لنعلم أن من تنذرهم[3] كذلك ، لا ينفع من أردنا شقاوته منهم إنزال آية و لا إيضاح حجة ؛ و التوكل : تعمد جعل الأمر إلى من يدبره[4] للتقدير فى تدبيره ؛
١٥ و الغمة : ضيق الأمر الذى يوجب الحزن ؛ و التولى : الذهاب عن الشىء ؛ و الأجر : النفع المستحق بالعمل ؛ و الإسلام : الاستسلام لأمر الله بطاعته بأنها خير ما يكتسبه العباد .

و لما لم يكن فى قصص من بينه و بين موسى عليهم السلام مما يناسب

---

(١) فى ظ : وعدنا (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣-٣) فى ظ : النعلم الى من تنذرهم - كذا (٤) فى ظ : يدبر .

مقصود هذه السورة إلا ما شاركوا فيه قوم نوح من أنهم لم تنفع الآيات من أريدت[1] شقاوته منهم ، ذكره سبحانه طاويا لما عداه فقال تعالى : ﴿ ثم ﴾ أى بعد مدة طويلة ﴿ بعثنا ﴾ أى على عظمتنا ؛ و لما كان البعث لم[2] يستغرق زمان البعد ، أدخل الجار فقال : ﴿ من بعده ﴾ أى [قوم - [3]] نوح ﴿ رسلا ﴾ [4]كهود و صالح و إبراهيم و لوط و شعيب ٥ عليهم الصلاة و السلام[4] .

و لما كان ربما ظن أن قوم الإنسان لا يكذبونه ، و إن كذبوه لم يتمادوا على التكذيب لا سيما إن أتاهم بما يقترحونه من الخوارق قال : ﴿ الى قومهم ﴾ أى ففاجأهم[5] قومهم بالتكذيب ﴿ فجاءوهم ﴾ أى فتسبب عن استنادهم إلى عظمتنا أن جاؤهم ﴿ بالبينت ﴾ ليزول تكذيبهم ١٠ فيؤمنوا ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن ذلك ضد ما أمروا به و قامت دلائله و هو أنهم ما ﴿ كانوا ﴾ أى بوجه من وجوه الكون ﴿ ليؤمنوا ﴾ أى مقرين ﴿ بما كذبوا ﴾ أى مستهينين ﴿ به ﴾ أول ما جاؤهم . و لما كان تكذيبهم فى بعض الزمن الماضى ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل[6] ﴾ أى قبل مجيء البينات لأنا طبعنا على قلوبهم ؛ قال أبو حيان[6] : و جاء النفى مصحوبا ١٥ بلام الجحود ليدل على أن إيمانهم فى حيز الاستحالة و الامتناع - انتهى .

و يجوز أن يكون التقدير : من قبل مجيء الرسل إليهم ، و يكون التكذيب أسند إليهم لأن أباهم كذبوا لما بدلوا ما كان عندهم من الدين الصحيح

(١) من ظ ، و فى الأصل : ابدت (٢) فى ظ : لا (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : ففاجأوهم (٦) راجع البحر المحيط ٥ / ١٨٠ .

الذى أتتهم به الرسل و رضوا[1] هم بما أحدث آباؤهم استحسانا[2] له . أو لأنه كان بين أظهرهم بقايا على بقايا مما شرعته الرسل فكانوا يعظونهم فيما يبتدعون فلا يعون و لا يسمعون كما كان قس بن ساعدة و زيد بن عمرو بن نفيل و ورقة [بن نوفل - [3]] و غيرهم قبل بعث النبي صلى الله عليه و سلم ، لكن المعنى الأول أولى - [4]و الله أعلم[4] .

و لما قرر عدم انتفاعهم بالآيات ، بنى ما يليه على سؤال من لعله يقول : هل استمر هذا الخلق فيمن بعدهم ؟ فكأنه قيل : نعم! ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ما طبعنا على قلوبهم هذا الطبع / العظيم ﴿ نطبع ﴾ أى نوجد الطبع و نجدده متى شئنا بما لنا من العظمة ﴿ على قلوب المعتدين ٥ ﴾ فى كل زمن لكل من تعمد العدو فيما لا يحل له ، و هذا كما أتى موسى عليه السلام إلى فرعون فدعاه إلى الله فكذبه فأخبره أن معه آية تصدقه فقال له : إن كنت جئت بآية فائت بها إن كنت من الصادقين ، فلما أتاه بها استمر على تكذيبه وكان كلما رأى[5] آية ازداد تكذيبا ، وكان فرعون قد قوى ملكه وعظم سلطانه و علا فى كبريائه و طال تجبره على الضعفاء ، فطمست أمواله و آثاره ، و بقيت أحاديثه و أخباره ، و لهذا أفصح سبحانه بقصته فقال [د الا على الطبع - [3]] : ﴿ ثم بعثنا ﴾ أى و بعد زمن طويل من إهلاكنا إياهم بعثنا ، و لعدم استغراق زمن البعد أدخل الجار فقال : ﴿ من بعدهم ﴾ أى من[2] بعد أولئك الرسل

/٥٩٩

(١) من ظ ، و فى الأصل : رضا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : رآه .

﴿ موسى و ﴾ كذا بعثنا ﴿ هرون ﴾ تأييدا له لأن اتفاق اثنين أقوى لما يقرانه و أوكد لما يذكرانه ؛ و لما استقر فى الأذهان بما مضى ان ديدن الأمم تكذيب من هو منهم حسدا له و نفاسة عليه . كان ربما ظن أن الرسول لو أتى غير قومه كان الأمر[1] على غير ذلك . فبين أن الحال واحد فى القريب و الغريب[2] ، فقال مقدما لقوله : ٥ ﴿ الى فرعون و ملائه ﴾ أى الأشراف من قومه ، فان الأطراف تبع لهم ﴿ بآيتنا ﴾ [أى -[3]] التى لا تكتنه عظمتها[4] لنسبتها إلينا . فطبعنا على قلوبهم ﴿ فاستكبروا ﴾ أى طلبوا الكبر على قبول الآيات و اوجدوا ما يدل عليه من الرد بسبب انبعاثه إليهم عقب ذلك ﴿ وكانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ قوما مجرمين ﴾ أى طبعهم قطع ما ينبغى وصله و وصل ١٠ ما ينبغى قطعه ، فلذلك اجترأوا على الاستكبار مع ما فيها أيضا من شديد المناسبة لما تقدم من قول الكافرين " هذا سحر مبين " فى نسبة موسى عليه السلام إليه و بيان حقيقة السحر فى زواله و خيبته متعاطية لإفساده إلى غير ذلك من الأسرار التى تدق عن الأفكار ، هذا إلى ما ينظم إليه من مناسبة ما بين إهلاك القبط و قوم نوح بآية الغرق ، ١٥ و أنه لم ينفع أحدا من الفريقين معاينة الآيات و مشاهدة الدلالات البينات ، بل ما آمن لموسى إلا ذرية من قومه بعد تلك المعجزات الباهرة و البراهين الظاهرة ، ثم اتبعهم فرعون بعد أن كانت انحلت عن حبسهم عراه ، و تلاشت من تجبره قواه ، و شاهد من الضربات ما يهد الجبال .

(١) فى ظ : الرسول (٢) فى ظ : البعيد (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : عظمتنا .

و دخل فى طلبهم البحر بحزات[1] لا يقرب[2] ساحتها الأبطال ، لما قدره عليه ذو الجلال ، و لم يؤمن حتى أتاه البأس حيث يفوت الإيمان بالغيب الذى هو شرط[3] الإيمان . فلم ينفعه إيمانه مع اجتهاده فيه و تكريره لفوات شرطه إجابة لدعوة موسى عليه السلام ، [4]ثم إن بنى إسرائيل كانوا قبل مجىء موسى عليه السلام على منهاج واحد . فما اختلفوا إلا بعد مجىء العلم إليهم و بيان الطريق واضحة لديهم ، و لهذا المراد ذكر هنا هارون عليه السلام[4] لأن من أعظم مقاصد السورة المنع من طلب الآيات لمن بعد الإيمان عند الإتيان بها ، إشارة إلى أن القول من الاثنين أوكد ، و مع ذلك فلم يصدق من حكم القدير بشقاوته[5] ، كل ذلك حثا على الرضا و التسليم ، و وكل الأمر إلى الرب الحكيم ، فهما أمر به قبل ، و ما أعرض عنه ترك السؤال فيه رجاء تدبيره بأحسن التدبير و تقديره ألطف المقادير ؛ و لما أخبر سبحانه باستكبارهم ، بين[6] أنه تسبب عنه طعنهم فى معجزاته من غير تأمل ، بل[7] بغاية المبادرة و الإسراع بما أشعرت[8] به الفاء و السياق ، فقال تعالى : ﴿ فلما جآءهم ﴾ أى فرعون و ملأه ﴿ الحق ﴾ أى البالغ فى الحقية . ثم زاد فى عظمته بقوله : ﴿ من عندنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة التى عرفوا بها أنه منا ، لا[7] من الرسولين ﴿ قالوآ ﴾ أى غير متأملين له و لا ناظرين فى أمره بل

(١) من ظ ، و فى الأصل : بحراه - كذا (٢) فى ظ : لا تقرب (٣) من ظ . و فى الأصل : شرف (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : بشقاوة . (٦) من ظ ، و فى الأصل : منبه - كذا (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : اشعر .

عنادا و دلالة على استكبارهم مؤكدين لما علموا من تصديق الناس به / ﴿ ان هذا لسحر مبين ﴾ كما قال الناس الذين أخبر عنهم سبحانه فى ٦٠٠ أول السورة فى هذا القرآن و ما إبانه من البعث . فلما قالوا ذلك كان كأنه قيل : فماذا أجابهم ؟ فأخبر أنه أنكر عليهم ، بقوله : ﴿ قال موسى ﴾ و لما كان تكريرهم لذلك القول أجدر بالإنكار ، عبر بالمضارع ٥ الدال على أنهم كرروه لينسخوا ما ثبت فى قلوب الناس من عظمته ﴿ أتقولون للحق ﴾ و نبه على أنهم بادروا إلى التكذيب من غير نظر و لا توقف بقوله : ﴿ لما جاءكم ﴾ أى هذا القول الذى قلتموه و هو أنه سحر[1] . فان القول يطلق على المكروه ، تقول[2] : فلان قال فى فلان ، أى[3] ذمه . و فلان يخاف القالة[4] ، و بين الناس تقاول ؛ ثم كرر الإنكار ١٠ بقوله : ﴿ أسحر هذا[5] ﴾ أى الذى هو فى غاية الثبات و المخالفة للسحر فى جميع الصفات حتى تقولون فيه ذلك ، فالآيه من الاحتباك : ذكر القول فى الأول دال على حذف مثله فى الثانى ، و ذكر السحر فى الثانى دال على حذف مثله فى الأول .

و لما كان التقدير : أتقولون هذا و الحال أنكم قد رأيتم فلاحه ، ١٥ بنى عليه قوله : ﴿ و لا يفلح ﴾ أى يظفر بما يريد فى وقت من الأوقات ﴿ الساحرون ﴾ [أى العريقون فيه -[6]] لأن حاصل أمرهم تخييل و تمويه فى الأباطيل ، فالظفر بعيد عنهم ، و يجوز أن تجعل هذه الجملة معطوفة

(١) زيد بعده فى ظ : اولا حذف (٢) فى ظ : يقول (٣) فى ظ : ذمه (٤) فى ظ : المقالة (٥) زيد من ظ .

على قوله "اسحر هذا" لأنـــه إنكارى بمعنى النفى ، فلما أنكر عليهم عليه السلام ما ظهر به الفرق الجلى بين ما أتى به فى كونه أثبت الأشياء و بين السحر ، لأنه لا ثبات له أصلا ، عدلوا عن جوابه إلى الإخبار بما يتضمن أنهم لا يقرون بحقيته[1] لأنه يلزم على ذلك ترك ما هم عليه من العلو و هم لا يتركونه ، و أوهموا الضعفاء أن مراده عليه السلام الاستكبار معللين لاستكبارهم عن اتباعه بما دل على أنهم لا مانع أنهم منه إلا الكبر ، فقال تعالى حكاية عنهم : ﴿ قالوآ ﴾ أى منكرين عليه معللين بأمرين : التقليد ، و الحرص على الرئاسة .

و لما كان هو الأصل فى الرسالة[2] . و كان أخوه [له -] تبعا ، وحدوا الضمير فقالوا : ﴿ اجئتنا ﴾ أى أنت يا موسى ﴿ لتلفتنا ﴾ أى لتفتلنا و تصرفنا ﴿ عما وجدنا عليه ﴾ و قالوا مستندين إلى التقليد غير مستحيين من ترك الدليل ﴿ ابآءنا ﴾ من عبادة الأصنام و القول بالطبيعة لنقر[4] نحن بذلك ﴿ و يكون[5] لكما ﴾ أى لك أنت و لأخيك [دوننا -[3]] ﴿ الكبريآء ﴾ أى بالملك ﴿ فى الارض[6] ﴾ أى أرض مصر التى هى - لما فيها من المنافع - كأنها الأرض كلها ﴿ و ما ﴾ أى و قالوا أيضا : ما ﴿ نحن لكما ﴾ و بالغوا فى النفى و غلب عليهم الدهش فعبروا بما دل على أنهم غلبهم الأمر فعرفوا أنه صدق و لم يذعنوا فقالوا : ﴿ بمؤمنين ۝ ﴾

(١) من ظ . و فى الأصل : بحقيقة (٢) فى ظ : الرياسة (٣) زيد من ظ (٤) من ظ . و فى الأصل : لنحقر (٥) هى قراءة حماد بن يحيى عن أبى بكر و زيد عن يعقوب ، و فى ظ : تكون ، و هى قراءة الجمهور .

أى عريقين فى الإيمان ، فهو عطف على " اجئتنا " أى قالوا ذاك و قالوا هذا ، أو[1] يكون عطفا على نحو[2] : فما نحن بموصليك إلى هذا الغرض ، [3]أفردوه أولا[3] بالإنكار عليه فى المجىء ليضعف و يكف[4] أخوه عن مساعدته ، و أشركوه معه ثانيا تأكيدا لذلك الغرض و قطعا لطمعه ؛ و البعث[5] : الإطلاق فى أمر يمضى فيه ، و هو خلاف الإطلاق من عقال ؛ ٥ و الملأ[6] : الجماعة الذين هم وجوه القبيلة ، لأن هيبتهم تملأ الصدور عند منظرهم ؛ و الاستكبار : طلب الكبر من غير استحقاق ؛ و المجرم من اكتسب[6] سيئة كبيرة ، من جرم التمر - إذا قطعه ، فالجرم يوجب قطع الخير عن صاحبه ؛ و السحر : إيهام المعجزة على طريق الحيلة ، و يشبه به البيان فى خفاء السبب ؛ و الحق : ما يجب الحمد عليه و يشتد دعاء الحكمة ١٠ إليه و يعظم النفع به و الضرر بتركه ؛ و الكبرياء : استحقاق صفة الكبر فى أعلى المراتب ، و هى صفة مدح لله و ذم للعباد لأنها منافية لصفة العبودية .

و لما لبسوا بوصفه بما هم به متصفون ، أرادوا الزيادة فى التلبيس بما يوهم أن ما أتى به سحر تمكن معارضته إيقافا[7] للناس عن اتباعه ، فقال ١٥ تعالى حكاية عطفا على قوله " قالوا اجئتنا " : ﴿ و قال فرعون ﴾ إرادة المناظرة لما أتى به موسى عليه السلام ﴿ ائتونى بكل سحر عليم ٥ ﴾

---

(١) فى ظ « و » (٢) سقط من ظ (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : اقراوه ولا - كذا (٤) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٥) فى ظ : البحث (٦) فى ظ : ارتكب (٧) فى ظ : إيقانه .

٦٠١/ أى بالغ فى علم السحر لئلا يفوت شىء/ من السحر بتأخر البعض، [و قراءة حمزة و الكسائى بصيغة فعال دالة على زيادة لزعمه أقل من سياق الشعراء كما مضى فى الأعراف - [١]].

و لما كان التقدير: فامتثلوا أمره و جمعوهم، دل على قرب اجتماعهم بالفاء فى قوله: ﴿ فلما جآء السحرة ﴾ أى كل[٢] من فى أرض مصر منهم ﴿ قال لهم موسىٰ ﴾ من يلا لهذا الإيهام ﴿ القوا ﴾ جميع ﴿ مآ انتم ملقون ۝ ﴾ أى راسخون فى صنعة إلقائه، إشارة إلى أن ما جاؤا به ليس أهلا لأن يلقى إليه بال ﴿ فلمآ القوا ﴾ أى وقع[٣] منهم الإلقاء بحبالهم و عصيهم [على إثر مقالاته - [١]] و خيلوا بسحرهم لعيون الناس ما زلزل عقولهم ﴿ قال موسى ﴾ منكرا[٤] عليهم ﴿ ما جئتم به[لا] ﴾ ثم بين[٢] أنه ما[٥] استفهم عنه جهلا بل احتقارا و إنكارا، و زاد فى بيان كل من الأمرين بقوله: ﴿ السحر[ط] ﴾ لأنه استفهام أيضا سواء قطعت الهمزة و مدت كما فى قراءة أبى عمرو و أبى جعفر أو[٦] جعلت همزة وصل كما فى قراءة الباقين، فان همزة الاستفهام مقدرة، و التعريف إما للعهد و إما للحقيقة و هو أقرب، و يجوز فى قراءة الجماعة أن يكون خبرا[٧] لما يقصد به الحصر، أى هو السحر لا ما نسبتموه إلىّ؛ ثم استأنف بيان ما حقره به فقال: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له [٨]إحاطة العلم و القدرة[٨] ﴿ سيبطله ﴾ [٨]أى عن قريب بوعد لا خلف فيه؛ ثم علل ذلك بما بين[٨]

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: اوقع (٤) فى ظ: منكر (٥) فى ظ: لما (٦) فى ظ «و» (٧) فى ظ: خبر (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

[1]أنه فساد فقال[1] : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ لا يصلح ﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿ عمل المفسدين ﴾ أى العريقين فى الفساد بأن لا ينفع بعملهم و لا يديمه ؛ ثم عطف عليه بيان إصلاحه عمل المصلحين فقال : ﴿ و يحق ﴾ أى يثبت إثباتا عظيما ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ الحق ﴾ أى الشىء الذى له الثبات صفة لازمة ؛ و لما كان فى مقام تحقيرهم ، دل على ذلك بتكرير الاسم الجامع الأعظم ، و إشار إلى ما له من الصفات العلى بقوله : ﴿ بكلمته ﴾ أى الأزلية التى لها الثبات الأعظم ، و زاد فى العظمة بقوله : ﴿ و لو كره المجرمون ﴾ أى العريقون فى قطع ما أمر الله به أن يوصل ، فكان كما قال عليه السلام : بطل سحرهم ، و اضمحل مكرهم . و حق الحق - كما بين فى سورة الأعراف .

و لما حكى سبحانه أن موسى عليه السلام أبان ما أبان من بطلان السحر و كونه إفسادا ، فثبت ما أتى به لمخالفته له ، أخبر تعالى - تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم و فطما عن طلب الإجابة للمقترحات - أنه ما تسبب عن ذلك فى أول الأمر عقب إبطال سحرهم من غير مهلة إلا إيمان ناس ضعفاء غير كثير ، فقال تعالى : ﴿ فما امن ﴾ أى متبعا[2] ﴿ لموسى ﴾ أى بسبب ما فعل ، ليعلم أن الآيات ليست سببا للهداية إلا لمن أردنا[3] ذلك منه ؛ و بين أن الصغار أسرع إلى القبول بقوله[4] : ﴿ الا ذرية ﴾ أى شبانهم [هم - [5]] أهل لأن تذر فيهم البركة ﴿ من قومه ﴾ أى قوم موسى الذين لهم قدرة

(١-١) سقط مابين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : مصدقا (٣) فى ظ : امدنا (٤) من ظ ، و فى الأصل : لقبوله (٥) زيد من ظ .

على القيام فى المحاولة لما يريدونه ، و الظاهر أنهم كانوا أيتاما و أكثرهم - كما قاله مجاهد ﴿ على خوف[١] ﴾ أى عظيم ﴿ من فرعون و ملائهم[٢] ﴾ أى أشراف قوم الذرية ؛ و لما كان إنكار الملإ إنما هو بسبب فرعون أن يسلبهم رئاستهم ، انحصر الخوف فيه فأشار إلى ذلك بوحدة الضمير فقال :

٥ ﴿ ان يفتنهم[٣] ﴾ و أتبعه ما يوضح عذرهم بقوله مؤكدا تنزيلا لقريش منزلة من يكذب بعلو فرعون لتكذيبهم لأن ينصر عليهم الضعفاء من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم لعلوهم : ﴿ و ان فرعون لعال ﴾ أى غالب قاهر متمكن بما فتناه به[٣] من طاعة الناس له ﴿ فى الارض[٣] ﴾ أى أرض مصر التى هى بكثرة[٤] ما فيها من المرافق كأنها جميع الأرض

١٠ ﴿ و انه لمن المسرفين ﴾ أى العريقين فى مجاوزة الحدود بظاهره و باطنه ، و إذا ضممت هذه الآية إلى قوله تعالى " و ان المسرفين هم اصحب النار[٥] " كان قياسا[٦] بديهيا منتجا إنتاجا صريحا قطعيا [٧]أن فرعون[٧] من أصحاب النار ، تكذيبا لأهل الوحدة فى قولهم : إنه آمن . ليهونوا المعاصى عند الناس فيحلوا بذلك عقائد أهل الدين .

١٥ و لما ذكر خوفهم و عذرهم ، أتبعه ما يوجب طمأنينتهم ، و هو التوكل على الله الذى من راقبه تلاشى عنده كل عظيم ، فقال : ﴿ و قال موسى ﴾ أى[٣] لمن آمن به موطنا لهم على أن الجنة لا تنال إلا بمشقة عظيمة ، يبتلى /٦٠٢

(١) فى ظ : قوم - كذا (٢) من ظ و القرآن الكريم ؛ و فى الأصل : ملايه - كذا (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : بكثر (٥) سورة ٤٠ آية ٤٣ (٦) من ظ و فى الأصل : قياسيا (٧ - ٧) فى ظ : انه .

الناس على قدر إيمانهم، ﴿يقوم﴾ فاستعطفهم بالتذكير بالقرب و هزهم إلى المعالى بما فيهم من القوة ثم هيجهم و ألهبهم[1] على الثبات بقوله[2]: ﴿ان كنتم﴾ أى كونا هو فى ثباته كالخلق الذى لا يزول ﴿امنتم بالله﴾ و ثبتهم بذكر الاسم الأعظم و ما دل عليه من الصفات ، و أجاب[3] الشرط بقوله : ﴿فعليه﴾ أى وحده لما علمتم من عظمته التى لا يدانيها شىء سواه ﴿توكلوآ﴾ و ليظهر عليكم أثر التوكل من الطمأنينة و الثبات و السكينة ﴿ان كنتم﴾ أى كونا ثابتا ﴿مسلمين ٥﴾ جامعين إلى تصديق القلب إذعان الجوارح ؛ و جواب هذا الشرط ما دل عليه[4] الماضى من قوله "فعليه توكلوا" ﴿فقالوا﴾ أى على الفور كما يقتضيه الفاء ﴿على الله﴾ أى الذى له العظمة كلها وحده ﴿توكلنا[5]﴾ أى فوضنا أمورنا كلها إليه ﴿ربنا﴾ أى أيها الموجد لنا المحسن إلينا ﴿لا تجعلنا فتنة﴾ أى موضع مخالطة بما يميل و يحيل ﴿للقوم الظّٰلمين ٦﴾ أى لا تصبنا أنت بما يظنون به [6]تهاونك بنا فيزدادوا نفرة عن دينك لظنهم[6] أنا على الباطل و لا تسلطهم[6] علينا بما يفتننا عن ديننا فيظنوا أنهم على الحق ﴿و نجنا برحمتك﴾ أى إكرامك لنا ﴿من القوم﴾ أى الأقوياء ﴿الكٰفرين ٥﴾ أى العريقين فى تغطية الأدلة . و فى دعائهم هذا إشارة [إلى أن[7]] أمر الدين أهم من أمر النفس .

(١) من ظ . و فى الأصل: الهمهم (٢) فى ظ: بقولهم (٣) فى ظ: احاط (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : لا يستطلهم (٧) زيد من ظ .

و لما أجابوه إلى إظهار الاعتماد عليه سبحانه و فوضوا الأمور إليه، أتبعه ما يزيدهم طمأنينة من التوطن فى أرض العدو إشارة إلى عدم المبالاة[1] به، لأنه روى أنه كانت[2] لهم متعبدات يجتمعون فيها، فلما بعث موسى عليه السلام أخربها فرعون، فأمر الله تعالى أن تجعل فى ٥ بيوتهم لئلا يطلع عليهم الكفرة فقال تعالى عاطفا على قوله "و قال موسى": ﴿و اوحينآ﴾ أى بما لنا من العظمة البالغة ﴿الى موسى و اخيه﴾ أى الذى طلب مؤازرته و معارضته ﴿ان تبوا﴾ أى اتخذا ﴿لقومكما بمصر﴾ و هى ما بين البحر إلى أقصى أسوان و الإسكندرية منها ﴿ بيوتا ﴾ تكون لهم مرجعا يرجعون إليه و يأوون إليه ﴿ و اجعلوا ﴾ [أى - [3]] ١٠ أنتما و من معكما من قومكما ﴿ بيوتكم قبلة ﴾ أى مصلى لتتعبدوا[4] فيها مستترين عن الأعداء تخفيفا[5] من أسباب الخلاف ﴿واقيموا الصلوة[6] ﴾ أى بجميع حدودها و أركانها مستخفين ممن يؤذيكم جمعا بين آلتى النصر: الصبر و الصلاة، و تمرنا على الدين و تثبيتا له فى القلب.

و لما كان الاجتماع فيما تقدم أضخم و أعز و أعظم، و كان ١٥ واجبا على الأمة كوجوبه[6] على الإمام جمع فيه، و كان إسناده البشارة عن الملك إلى صاحب الشريعة أثبت لأمره[7] و أظهر لعظمته و أثبت فى قلوب أصحابه و أقر لأعينهم، أفرد فى قوله: ﴿ و بشر المؤمنين ﴾

(١) من ظ، و فى الأصل: المعالاة (٢) فى ظ: كان (٣) زيد من ظ (٤) فى الأصل: ليتعبدوا، و فى ظ: لتعبدوا (٥) من ظ، و فى الأصل: تحقيقا (٦) فى ظ: لوجوبه (٧) فى ظ: لامر.

أى الراسخين فى الإيمان من أخيك[1] و غيره .

و لما ختم ببشارة من دل على إيمانهم إسلامهم بفعل ما يدل على هوان أمر العدو ، و كان هلاك المشانئ من أعظم البشائر ، و كان ضلال فرعون و قومه بالزينة و المال إضلالا لغيرهم[2] ، سأل موسى عليه السلام إزالة ذلك كله للراحة من شره ، فقال تعالى حاكيا عنه : ٥ ﴿ و قال موسى ﴾ أى بعد طول دعائه لفرعون و إظهار المعجزات لديه و طول تكبره على أمر الله و تجبره على المستضعفين من عباده . و لما كان من أعظم أهل الاصطفاء ، أسقط الأداة تسننا بهم ، و أشار بصفة[3] الإحسان إلى أن هلاك أعدائهم أعظم إحسان إليهم فقال : ﴿ ربنآ ﴾ [أى - [4]] أيها المحسن إلينا ﴿ انك ﴾ أكد[5] لما للجهال من إنكار أن ١٠ يكون عطاء الملك الأعظم سببا للاهانة ﴿ اتيت فرعون و ملاه ﴾ أى أشراف قومه على ما هم فيه من الكفر و الكبر ﴿ زينة ﴾ أى عظيمة يتزينون بها من الحلية و اللباس و غيرهما ﴿ و اموالا ﴾ أى كثيرة من الذهب و الفضة و غيرهما ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان لهم من فسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال ١٥ فيها معادن من ذهب و فضة و زبرجد و ياقوت ؛ ثم بين غايتها لهم[6] فقال / مفتتحا بالنداء باسم الرب ليعيذه و أتباعه من مثل حالهم : ﴿ ربنا ﴾ أى ٦٠٣ / [أيها - [4]] الموجد لنا المحسن إلينا و المدبر لأمورنا ﴿ ليضلوا ﴾ فى

(١) فى ظ : لاخيه (٢) من ظ ، و فى الأصل : لغيره (٣) فى ظ : بصيغة (٤) زيد من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : لكم .

أنفسهم و يضلوا غيرهم ﴿عن سبيلك﴾ أى الطريق الواسعة التى نهجتها للوصول إلى رحمتك .

و لما بين أن مآلهم الضلال ، دعا عليهم فقال مفتتحا أيضا بالنداء باسم الرب ثالثا لأن ذلك من أمارات الإجابة كما أشير إليه فى آخر آل عمران و إشارة إلى أنهم[1] لاصلاح لهم بدون هلاكهم و هلاكها : ﴿ ربنا اطمس ﴾ أى أوقع الطمس و هو التسوية بين المطموس و بين غيره مما ليس له نفعه ﴿على[2] اموالهم ﴾ .

و لما كان قد رأى منهم من التكبر على الله و التكذيب لآياته و التعذيب لأوليائه ما لا يشفى غيظه منه إلا إدامة[3] شقائهم دنيا و أخرى ، وكان عالما بأن قدرة الله[4] على إبقائهم[5] على الكفر [مع -] تحسيرهم بسلب[6] المال كقدرته على ذلك باستدراجهم إليه بالمال ، قال : ﴿ و اشدد ﴾ أى شدا ظاهرا لكل أحد - بما أشار إليه الفك مستعليا ﴿ على قلوبهم ﴾ قال ابن عباس : اطبع عليها و امنعها من الإيمان ، و أجاب الدعاء بقوله : ﴿فلا يؤمنوا﴾ أى ليتسبب عن ذلك الشد عدم إيمانهم إذا رأوا مبادئ العذاب بالطمس ﴿حتى يروا﴾ أى بأعينهم ﴿ العذاب الاليم ﴾ حيث لا ينفعهم الإيمان فيكونوا جامعين ذل النفوس المطلوب منهم اليوم ليفيدهم العز الدائم إلى شدة الغضب بوضع الشىء فى غير موضعه المنتج[7] لدوام ذلهم بالعقاب ؛ و هذه الآية منبهة على أن الرضى بكفر خاص

(١) فى ظ : انه (٢) فى ظ : امامة (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: بقائهم (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : بسبب (٧) من ظ ، و فى الأصل : المبيح .

لا يستلزم استحسان الكفر من حيث هو كفر ؛ قال الإمام الحليمى[1] فى كتاب شعب الإيمان المسمى بالمنهاج : و إذا تمنى مسلم كفر مسلم فهذا على وجهين : أحدهما أن يتمناه له كما يتمنى الصديق لصديقه الشيء يستحسنه فيحب أن يكون له فيه نصيب ، فهذا كفر لأن استحسان الكفر كفر، و الآخر أن يتمناه له كما يتمنى العدو لعدوه الشيء يستفظعه[2] فيحب أن يقع فيه ، فهذا ليس بكفر ، تمنى[3] موسى صلوات الله عليه و سلامه بعد أن أجهده فرعون ألا يؤمن فرعون و ملأه ليحق عليهم العذاب ، و زاد على ذلك أن دعا الله تبارك و تعالى فلم ينكر تعالى ذلك عليه لعلمه أن شدته على فرعون و غلظته عليه لما رآه من عتوه و تجبره هى التى حملته على ذلك ، فمن كان فى معناه فله حكمه ؛ و قد نقل ذلك عنه الزركشى[4] فى حرف الثاء[5] من قواعده مرتضيا له ، و نقل عنه أيضا أنه قال : و لو كان فى قلب مسلم على كافر فأسلم فحزن المسلم لذلك و تمنى لو عاد إلى الكفر لا يكفر ، لأن استقباحه الكفر[6] هو الذى حمله على تمنيه و استحسانه الإسلام[7] هو الحامل له على كراهته ؛ و نقل عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام أنه لو[6] قتل عدو للانسان ظلما ففرح هل يأثم ! إن فرح بكونه[8] عصى الله فيه فنعم ، و إن فرح بكونه خلص

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن الحسن الشافعى (٢) من ظ ، و فى الأصل : يستعطفه (٣) فى ظ : تتمنى (٤) هو بدر الدين محمد بن عبد الله (٥) فى ظ : التاء . (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : الاستسلام (٨) فى ظ : بكون .

من شره فلا بأس لاختلاف سببي الفرح - انتهى . و يؤيده ما روى البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن مقسم مرسلا أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته و دمى وجهه فقال: اللهم لاتحل عليه الحول حتى يموت كافرا! فما حال عليه الحول حتى مات كافرا إلى النار، و مسألة أن الرضى بالكفر كفر نقلها الشيخان عن المتولي و سكتا عليها، و[1] لكن قال الشيخ محيي الدين في شرح المهذب: إن ذلك إفراط، فما تقدم من التفصيل عن الحليمي و ابن عبد السلام هو المعتمد، و المسألة في أصل الروضة، فانه قال[1]: لو قال لمسلم: سلبه الله الإيمان، أو لكافر: رزقه الله الإيمان، فليس بكفر لأنه ليس رضى بالكفر [لكنه -[2]] دعاء عليه بتشديد الأمر و العقوبة؛ قلت: ذكر القاضي حسين في الفتاوى وجها ضعيفا أنه لو قال لمسلم: سلبه الله الإيمان، كفر - و الله أعلم، و حكى الوجهين عن القاضي في الأذكار و قال: إن الدعاء بذلك معصية.

/٦٠٤ و لما أخبر[3] سبحانه عن دعائه عليه السلام أخبر / باجابته بقوله مستأنفا: ﴿قال﴾ و لما كان [الموضع -[2]] محل التوقع للإجابة، افتتحه بحرفه فقال: ﴿قد اجيبت دعوتكما﴾ و البناء للمفعول أدل على القدرة و أوقع في النفس من جهة الدلالة على الفاعل بالاستدلال، و ثنى للإعلام بأن هارون عليه السلام مع موسى عليه السلام في هذا الدعاء، لأنه معه كالشيء الواحد لا خلاف منه له أصلا و إن كان غائبا، و ذلك

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) في ظ: اخبرنا.

كما بايع النبى صلى الله عليه و سلم عن عثمان رضى الله عنه فى عمرة الحديبية فضرب باحدى يديه على الأخرى و هو غائب فى حاجة النبى صلى الله عليه و سلم ، و كذا ضرب له فى غزوة بدر بسهمه و أجره و كان غائبا .

و لما كانت الطاعة و انتظار الفرج و إن طال زمنه أعظم أسباب الإجابة ، سبب عن ذلك قوله : ﴿فاستقيما﴾ أى فاثبتا على [1]التعبد و التذلل[1] و الخضوع لربكما كما أن نوحا عليه السلام ثبت على ذلك و طال زمنه جدا و اشتد أذاه[2] و لم يضجر ؛ و لما كان الصبر شديدا ، أكد قوله : ﴿و لا تتبعن﴾ بالاستعجال أو الفترة عن الشكر ﴿سبيل الذين لا يعلمون ۝﴾ و لما أمر بالتأنى الذى هو نتيجة العلم ، عطف على ذلك الإخبار بالاستجابة قوله : ﴿و جوزنا﴾ أى فعلنا بعظمتنا فى إجازتهم فعل المناظر للآخر المبارى له ، و دل بالصاق الباء بهم على مصاحبته سبحانه لهم دلالة على رضاه بفعلهم فقال : ﴿ببنى اسرآءيل﴾ أى عبدنا المخلص لنا ﴿البحر﴾ إعلاما بأنه أمرهم[3] بالخروج من مصر و أنجز لهم ما وعد فأهلك فرعون و ملاه باتباعهم سبيل من لا يعلم بطيشهم و عدم صبرهم ، و نجى بنى إسرائيل بصبرهم و خضوعهم ؛ و الالتفات من الغيبة إلى التكلم لما فى هذه المجاوزة و مقدماتها و لواحقها من مظاهر العظمة و نفوذ الأوامر و مضاء الأحكام ؛ و بين سبحانه كيفية إظهار استجابة الدعوة بقوله مسببا عن المجاوزة :

(١ - ١) فى ظ : التذلل و التعبد (٢) من ظ ، و فى الأصل : داوه - كذا (٣) فى ظ : امر .

﴿ فاتبعهم ﴾ أى بنى إسرائيل ﴿ فرعون و جنوده ﴾ أى أوقعوا تبعهم أى حملوا نفوسهم على تبعهم، و هو السير فى أثرهم، و اتبعه - إذا سبقه فلحقه. و يقال: تبعه فى الخير و اتبعه فى الشر. و لما أفهم ذلك، صرح به فقال: ﴿ بغيا ﴾ أى تعديا للحق و استهانة بهم ﴿ و عدوا ﴾ أى ظلما و تجاوزا للحد.

و لما كان فاعل ذلك جديرا بأن يرجع عما سلكه من الوعورة، عجب منه فى تماديه فقال - عاطفا على ما تقديره: [و استمر - [1]] يتمادى فى ذلك -: ﴿ حتى ﴾ و لما كانت رؤية انفراج البحر عن مواضع سيرهم مظنة تحقق رجوع الماء إلى مواضعه فيغرق، عبر بأداة التحقق فقال: ﴿ اذا ادركه ﴾ أى قهره و أحاط به ﴿ الغرق ﴾ أى الموت بالماء كما سأل موسى [فى -[1]] أنه لا يؤمن حتى يرى العذاب الأليم ﴿ قال امنت ﴾ أى أوقعت إيمان الداعى[2] لى من التكذيب؛ ثم علل إيمانه بقوله مبدلا من "امنت" فى قراءة حمزة و الكسائى بالكسر مؤكدا من شدة الجزع: ﴿ انه ﴾ [و - [1]] على تقدير الباء تعليلا فى قراءة الجماعة أى[3] معترفا بأنه ﴿ لا اله الا الذى ﴾ و يجوز أن يكون أوقع "امنت" على "انه" و ما بعدها - أى "امنت" - نفى الإلهية عن كل شىء غير من استثنيته من أن أعبره أو أرجع عنه.

و لما كان قد تحقق الهلاك و علم أنه لا نجاة إلا بالصدق، أراد الإعلام

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: الدعا (٣) فى ظ: انه.

بغاية صدقه فقال: ﴿ آمنت ﴾ أى أوقعت التصديق معترفة ﴿ به بنوآ اسرآءيل ﴾ فعينه تعيينا أزال الاحتمال؛ ثم قال: ﴿ و انا من المسلمين ٥ ﴾ [1]فكرر قبول[1] ما كان دعى إليه فأباه استكبارا، و عبر بما دل على ادعاء الرسوخ فيه بيانا لأنه ذل ذلا لم يبق معه شيء من ذلك الكبر[2] و لم ينفعه ذلك لفوات شرطه، فاتصل ذله ذلك بذل الخزى فى البرزخ و ما بعده، و قد ٥ كانت المرة الواحدة كافية له عند وجود الشرط، و زاده تعالى ذلا بالإيئاس من الفلاح بقوله على لسان الحال أو جبريل عليه السلام [3]أو ملك الموت أو غيره من الجنود عليهم السلام[3]: ﴿ آلئن ﴾ أى أتجيب إلى ما دعيت إليه فى هذا الحين الذى لا ينفع[4] فيه الإجابة لفوات الإيمان بالغيب الذى لا يصح أن يقع اسم الإيمان إلا عليه / ﴿ و قد ﴾ أى و الحال ١٠ / ٦٠٥ أنك قد ﴿ عصيت ﴾ أى بالكفر ﴿ قبل ﴾ أى فى[5] جميع زمان الدعوة الذى قبل هذا الوقت، و معصية[6] الملك توجب الأخذ و الغضب كيف كانت، فكيف و هى بالكفر! ﴿ و كنت ﴾ أى كونا جبليا ﴿ من المفسدين ٥ ﴾ أى العريقين فى الفساد و الإفساد؛ ثم أكده - بدل شماتة الأعداء [به -[7]] الذين كانوا عنده أقل شيء و أحقره - بقوله مسببا عما تضمنه ذلك الإنكار ١٥ من الإذلال بالإهلاك إشارة إلى أن الماء أحاط به و صار يرتفع قليلا [قليلا -[7]] حتى امتد زمان التوبيخ: ﴿ فاليوم ننجيك ﴾ أى تنجية عظيمة.

(١ - ١) فى الأصل: فكرره قبول، و فى ظ: كرر قول (٢) فى ظ: الامر.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ: لا تنفع (٥) فى ظ: قبل.
(٦) من ظ. و فى الأصل: معودية (٧) زيد من ظ.

و لما كان ذلك سارا و كانت المساءة بما يفهم السرور إنكاء، قال دالا على أن ذلك بعد نزع روحه: ﴿ ببدنك ﴾ أى من غير روح و هو كامل لم ينقص منه شيء حتى لايدخل فى معرفتك لبس ﴿ لتكون ﴾ أى كونا هو فى غاية الثبات ﴿ لمن خلفك ﴾ أى يتأخر عنك فى الحياة من بنى ٥ إسرائيل و[1] غيرهم ﴿ اٰية[2] ﴾ فى[3] أنك [عبد-[3]] ضعيف حقير، لست برب فضلا عن أن تكون أعلى و يعرفوا[4] أن من عصى[5] الملك أخذ و إن كان أقوى[6] الناس و أكثرهم جنودا، و قد ادعى بعض الملحدين إيمانه بهذه الآية إرادة لما يعيذ الله منه من حل[7] العقد الواجب من أن فرعون من أكفر الكفرة باجماع أهل الملل ليهون للناس الاجتراء على المعاصى، ١٠ و ادعى أنه لا نص فى القرآن على أنه من أهل النار و ضل عن الصرائح التى فى القرآن فى ذلك فى غير موضع و عن أن قوله تعالى "و ان فرعون لعال فى الارض و انه لمن المسرفين[8]" مع قوله تعالى "و ان المسرفين هم اصحٰب النار[9]" قياس قطعى الدلالة بديهى النص على أنه من أهل النار، و الآية - كما ترى - دليل على قوله "قل ارءيتم[10] ١٥ ان اتىكم عذابه بياتا او نهارا" - الآية. لو كان فرعون مثل قريش، فكيف و لا نسبة لهم منه فى شدة الاستكبار التابعة لكثرة[11] الجموع و نفوذ

(١) فى ظ: او (٢) فى ظ: اى (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: تعرفوا على (٥) فى ظ: اخذ (٦) من ظ. و فى الأصل: اقرب (٧) فى ظ: جعل. (٨) سورة ١٠ آية ٨٣ (٩) سورة ٤٠ آية ٤٣ (١٠) من ظ و القرآن الكريم آية ٥٠. و فى الأصل: ارايتكم (١١) من ظ. و فى الأصل: الكثرة.

الكلمة بضخامة الملك و عز السلطان و القوة بالأموال و الأعوان، و قد روى أن جبريل عليه السلام كان أتاه[1] بفتيا فى عبد نشأ فى نعمة[2] سيده فكفر نعمته و جحد حقه و ادعى السيادة دونه. فكتب فرعون جزاء العبد الخارج عن[3] [طاعة -[4]] سيده الكافر نعماءه أن يغرق فى البحر. فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه. ٥

و لما لم يعمل فرعون و آله بمقتضى ما رأوا من الآيات، كان حكمهم حكم الغافلين عنها، فكان التقدير: [و -[4]] لقد غفلوا عما جاءهم من الآيات ﴿و ان كثيرا﴾ أكده لأن مثله ينبغى - لبعده عن الصواب - أن لا يصدق أن أحدا يقع فيه ﴿من الناس﴾ أى وهم من لم يصل إلى حد[5] أول أسنان أهل الإيمان لما عندهم من النوس - و هو الاضطراب - ١٠ و الأنس بأنفسهم ﴿عن ايٰتنا﴾ أى على ما لها من العظمة ﴿لغٰفلون[6]﴾ و الإصلاح: تقويم العمل على ما ينفع بدلا مما يضر؛ و إحقاق الحق: إظهاره و تمكينه بالدلائل الواضحة حتى يرجع الطاعن عنه حسيرا و المناصب له مفلولا[7]؛ و الإسراف:[7] الإبعاد فى مجاوزة الحق؛ و الفتنة: البلية، و هى معاملة تظهر الأمور الباطنة؛ و النجاة: الخلاص ١٥ مما فيه المخافة. و نظيرها[8] السلامة، و علقوا النجاة بالرحمة لأنها إنعام على المحتاج بما تطلع إليه نفوس العباد. فهو على أوكد ما يكون

(١) فى ظ: اتا (٢) فى ظ: عبادة (٣) من ظ، و فى الأصل: على (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: احد (٦) فى ظ: مغلولا (٧) زيدت الواو بعده فى ظ (٨) من ظ، و فى الأصل: تطهيرها.

من الدعاء إلى الصلاح ؛ و الوحى : إلقاء المعنى إلى النفس فى خفاء ، و الإيحاء و الإيماء و الإشارة نظائر ، ولا يجوز أن تطلق الصفة بالوحى إلا لنبىء ؛ و تبوأ[1] : اتخذ . و أصله الرجوع ، فالمتبوأ : المنزل . لأنه يرجع إليه للمقام فيه : و الطمس : محو الأثر فهو تغير إلى الدثور و الدروس ؛ ٥ و الإجابة : موافقة الدعوة فيما طلب بها لوقوعها على تلك الصفة ؛ و الدعوة : طلب الفعل بصيغة الأمر . و قد تكون بالماضى ؛ و المجاوزة : الخروج عن الحد من إحدى[2] الجهات ؛ و البحر : مستقر الماء الواسع بحيث لا يدرك طرفيه من كان فى وسطه . و هو مأخوذ من الاتساع ؛ و الاتباع : اللحاق بالأول ؛ و البغى : طلب الاستعلاء بغير حق ؛ و الآن : فصل[3] الزمانين ١٠ الماضى و المستقبل . مع أنه إشارة إلى الحاضر . و لهذا بنى كما بنى 'ذا' ؛ / و البدن : مسكن روح الحيوان على صورته . /٦٠٦

و لما ذكر تعالى عاقبة أمر فرعون و قومه و أنهم لم[4] ينتفعوا بما جاءهم من البينات[5] مع ما كان فيها من جلى البيان و فى بعضها من الشدائد و الامتحان حتى كان آخرها أنه لما رأى مبدأ الهلاك من انفراق البحر ١٥ لم يزعه عن لجاجه غفلة منه عن عاقبته . و ختمها بالإخبار بكثرة الغفلة إشارة إلى أن هذا الخلق فى غير القبط أيضا ، أتبع ذلك ذكر خاتمة أمر بنى إسرائيل فيما[6] خولهم فيه بعد الإنجاء من النعم المقتضى للعلم القطعى بأنه لا إله غيره ، و أن من خالفه كان على خطر الهلاك ،

(١) من ظ ، و فى الأصل : تبوأوا (٢) فى الأصل و ظ : احد (٣) فى ظ : فصل (٤) من ظ ، و فى الأصل : لا (٥) فى ظ : الآيات (٦) فى ظ : فلما .

و أنهم - مع مشاهدتهم الآيات الآتية بسببهم إلى فرعون - آتاهم من الآيات الخاصة بهم المنجزة لصدق وعده سبحانه لآبائهم ما فيه غاية الإحسان إليهم و الإكرام لهم، و أنهم كانوا تحت يد فرعون على طريق واحد ، ليس بينهم خلاف ، و ما اختلفوا فصاروا فرقا[1] فى الاعتقادات و أحزابا فى الديانات حتى جاءهم العلم الموضح[2] من الله ، فكان المقتضى ٥ لاجتماعهم على الله مفرقا لهم على سبيل الشيطان لخبث سرائرهم و سوء ضمائرهم وقوفا مع الشاهد الزائل و جمودا مع المحسوس الفانى و نسيانا للغائب الثابت و المعلوم المتيقن ، كل ذلك لأنا قضينا به فالأمر تابع لما نريد ، لا لما يأمر[3] به و ينهى[4] عنه . فكان أعظم زاجر[5] عن طلب الآيات و ظن أنها توجب [له - [6]] الرد عن[7] الغوايات ، فقال ١٠ تعالى : ﴿ و لقد بوانا ﴾ أى أسكنا بما لنا من العظمة التى تنقطع الأعناق دون عليائها و تتضاءل ثواقب الأفكار عن إحصائها ﴿ بنى اسرآءيل ﴾ مسكنا هو أهل لأن يرجع إليه من خرج عنه ، و هو المراد بقوله : ﴿ مبوا صدق ﴾ أى فى الأرض المقدسة لأن[8] وعدنا كان قد تقدم لهم بها و عادة العرب أنها إذا مدحت الشيء أضافته إلى الصدق لأنه ١٥ مع ثباته حبيب إلى كل نفس و يصدق ما يظن به من الخير .

و لما كان المنزل لا يطيب إلا بالرزق ، و كان التعبير عنه بالمبوإ دالا على الرزق بدلالة الالتزام[9] ، صرح به فقال : ﴿ و رزقنهم ﴾ أى

(١) من ظ ، و فى الأصل : فقدوا - كذا (٢) فى ظ : الواضح (٣) فى ظ : نامر .
(٤) فى ظ : ننهى (٥) فى ظ : زاجرا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : على (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : الاكرام .

بما لنا من العظمة ﴿ من الطيبت ﴾ أى الحسية حلاء و اشتهاء من الفواكه و الحبوب و الألبان و الأعسال و غيرها ، و المعنوية[1] من الشريعة و الكتاب و المعارف كما تقدم وعدنا لآبائهم بذلك . و لما كانوا كغيرهم[1] إذا كانوا على[3] أمور يتواضعون عليها تقاربوا فيها و توافقوا ، و إذا كانوا على حدود حدها لهم المحسن إليهم وحده لم يلبثوا أن يختلفوا ، عابهم الله بذلك فقال : ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن صدقنا لهم فى الوعد أنهم ما ﴿ اختلفوا ﴾ أى أوقعوا الخلف المفضى إلى جعل كل منهم صاحبه خلفه[4] و وراء ظهره ، و استهان به ﴿ حتى جآءهم العلم[5] ﴾ الموجب لاجتماعهم[5] على كلمة واحدة لما له من الضبط حتى يكون أتباعه على قلب واحد ، فكأنه قيل : فما ذا يفعل بهم ؟ لا هم بعقولهم ينتفعون و لا بما جاءهم من الحق يرجعون ؟ فقيل مؤكدا لإنكار العرب البعث : ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بإيصاء الأنبياء بك و وصفك فى كتبهم و جعلك صاحب لواء الحمد فى القيامة ﴿ يقضى بينهم ﴾ .

و لما كان هذا تهديدا عظيما ، زاده هولا و عظمة بقوله : ﴿ يوم القيمة ﴾ أى الذى هو أعظم الأيام ﴿ فيما كانوا ﴾ أى بأفعالهم الجبلية[6] ﴿ فيه يختلفون ٥ ﴾ فيميز الحق من الباطل ، و الصديق من الزنديق ، و يسكن كلا داره .

ذكر بعض ما فى التوراة من المن عليهم بالأرض المقدسة :

---

(١) فى ظ : المعونة (٢) فى ظ : لغيرهم (٣) فى ظ : فى (٤) من ظ ، و فى الأصل : خلفة (٥) من ظ ، و فى الأصل : للاجتماع (٦) فى ظ : الجلية .

قال فى أثناء السفر الخامس[1]: قد رأت أعينكم جميع أعمال الله العظيمة التى عمل ، فاحفظوا جميع الوصايا التى أمركم الله بها اليوم لتدخلوا الأرض التى تجوزون إليها لترثوها و تطول أعماركم فى الأرض التى أقسم الله لآبائكم أن يعطيهم[2] و يرثها نسلهم الأرض التى تغل السمن و العسل ، لأن الأرض التى تدخلونها لترثوها ليست مثل أرض مصر التى خرجتم ٥ / ٦٠٧ منها التى كنتم تحتاجون فيها أن تستقوا[3] بأرجلكم و تسقوها مثل بساتين السقى ، و لكن الأرض التى تجوزون[4] إليها لترثوها هى أرض الجبال و الصحارى ، و إنما تشرب من مطر السماء . يتعاهدها الله ربكم فى كل حين ، و عينا الله ربنا فيها منذ أول السنة إلى آخر السنة . فان أنتم سمعتم الأحكام التى آمركم بها اليوم و تتقون الله ربكم و تعبدونه من كل قلوبكم ١٠ و أنفسكم يديم نظره إليكم . و يمطر لكم فى[5] الخريف و الربيع جميعا ، و تستغلون طعاما و شرابا و[6]زيتا ، و ينبت[6] فى حرثكم عشبا لمواشيكم ، و تأكلون و تشبعون ، احفظوا أن لا تخدع[7] قلوبكم و تروغوا إلى الآلهة الأخرى و تسجدوا لها و تعبدوها فيشتد غضب الرب عليكم ، و يمنع السماء من المطر و الأرض من غلاتها ، و تهلكوا[8] سريعا من الأرض التى ١٥ يعطيكم الله ربكم ، بل اجعلوا هذه الآيات فى قلوبكم ، و صيروها ميسما بين أعينكم ، و علموها بينكم أن يتكلموا بها فى حضوركم و فى سفركم ، و إذا

(١) راجع الأصحاح الحادى عشر (٢) فى ظ : تعطيهم (٣) فى ظ : تسقوا (٤) من ظ ، و فى الأصل : يجوزون (٥) فى ظ : من (٦ - ٦) من ظ ، و فى الأصل : اثنا و تنبت - كذا (٧) من ظ ، و فى الأصل : لا يخدع (٨) فى ظ : يهلكون .

رقدتم و إذا قمتم ، و اكتبوها على معاقم بيوتكم و أبوابكم لتطول أعماركم و أعمار أولادكم فى الأرض التى أقسم الله لآبائكم أن يعطيهم . و إن أنتم حفظتم هذه الوصايا كلها و عملتم بها و أحببتم الله ربكم و سرتم فى طرقه و لحقتم بعبادته يهلك الرب الملوك كلها من بين أيديكم و ترثون[1] شعوبا أعظم و أعز منكم ، و كل بلاد تطأها أقدامكم تكون لكم بين البرية و لبنان و من النهر إلى الفرات : النهر الأكبر ، و تكون تخومكم عند البحر الآخر ، و لا يقدر أحد أن يقاومكم ، و يلقى الله ربكم خوفكم و فزعكم على كل الأرض التى تطأونها كما قال لكم الرب : انظروا ! إنى أتلو عليكم دعاء و لعنا ، أما الدعاء فتصيرون إليه إن أنتم حفظتم وصايا الله ربكم ، و أما اللعن فيدرككم إن [أنتم - ٦] لم تسمعوا وصايا الله ربكم و زغتم عن الطريق الذى أمركم به اليوم و تبعتم آلهة أخرى لم تعرفوها ، و إذا أدخلكم الله ربكم إلى الأرض التى تدخلونها لترثوها أتلو الدعاء على [جبل - ٢] حوريب و اللعن على جبل من حيالها فى مجاز الأردن خلف الطريق عند مغارب الشمس فى أرض الكنعانيين الذين يسكنون المغرب بازاء الجبال و جبال بلوط - و فى نسخة : مرج[3] ممرى ، لأنكم تجوزون الأردن لتدخلوا و ترثوا الأرض [التى - ٢] يعطيكم الله ربكم و تسكنونها و تحفظون و تعملون بجميع الوصايا التى آمركم بها اليوم - انتهى .

و فى سفر يوشع[4] بن نون[4] عليه السلام[5] : و لما كان بعد موسى

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : يرثون (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : مره (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) راجع الأصحاح الأول .

عبد الله قال الله ليوشع بن نون خادم موسى عليهما السلام : موسى عبدى مات ، و الآن فقم فاعبر هذا الأردن أنت . و كل هذا [1] الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لبنى إسرائيل ، كل موضع تطأه أرجلكم لكم أعطيته ، كما قلت لموسى عبدى : من البر و هذه اللبنان و إلى النهر الكبير نهر الفرات كل أرض الذاعرين ، لا يقف أحد قدامك طول أيام حياتك ، كما كنت ٥ مع موسى أكون معك ، لا أدعك و لا أتركك ، اشتد و تأيد ، فانك أنت تنحل هذا الشعب الأرض التى قسمت لآبائهم لإعطاء ذلك لهم ، لا يزول درس كتاب هذه الشريعة من فيك ، و تلهج به نهارا و ليلا لكى تحفظ للعمل بجميع المكتوب . فحينئذ تنجح طرقك . و حينئذ ترشد ، أليس قد أوصيتك ؟ اشتد و تأيد . و لا ترهب و لا تنذعر ، لأن معك الله ١٠ ربك فى جميع ما تسير [2] فيه ، و وصى يوشع عرفاء القوم قائلا : جوزوا فى وسط العسكر و وصّوا القوم قائلين لهم [1] : أعدوا لكم زادا فانكم بعد ثلاثة أيام عابرون هذا الأردن للدخول لإرث [3] الأرض التى الله ربكم معطيها لكم ، اذكروا ذكر القول الذى أمركم به موسى عبد الله قائلا : الله ربكم مريحكم بما أعطاكم هذه الأرض ، نساءكم و أطفالكم / و مواشيكم تجلسون ١٥ /٦٠٨ فى مدنكم التى أعطاكم موسى عبد [1] الله فى مجاز الأردن [و أنتم تجوزون محزومى الخواطر إلى أن يريح الله إخوتكم كما أراحكم فترثوا أيضا الأرض التى ربكم معطيكم ، حينئذ ترجعون إلى أرض حوزكم التى أعطاكم موسى عبد الله فى مجاز الأردن - [4]] مشرق الشمس ، فأجابوا يوشع قائلين : جميع

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تشير - كذا (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : دخول الارث (٤) زيد مابين الحاجزين من ظ .

ما أوصيتنا به نعمل، وكل موضع ترسلنا نمضى، كجميع ما قبلنا من موسى كذلك نقبل منك. إذا كان الله معك كما كان مع موسى، كل إنسان يخالف أمرك ولا يقبل كلامك كجميع ما تأمره به يقتل. فاشتد وتأيد. فبعث يوشع بن نون من الكفرين[1] رجلين جاسوسين فى خفية قائلا: امضيا! انظرا الأرض كلها مع أريحا، فمضيا ودخلا إلى بيت امرأة سواقة اسمها راحاب واضطجعا ثَمَّ، فقيل لملك أريحا: هو ذا أناس من بنى إسرائيل قد جاؤا إلى هنا الليلة لجس[2] البلد، فأرسل ملك أريحا إلى راحاب قائلا: أخرجى القوم الجائين إليك الذين دخلوا دارك، فانهم لجس جميع البلد جاؤا. فأخذت المرأة الرجلين فأخفت[3] أمرهما وقالت: كذلك كان القوم جاؤا إلىّ ولم أعلم من أين هم؟ وكان عند إغلاق الباب فى الظلام. ثم خرج القوم ولم أعلم أين مضوا؟ اطلبوهم بسرعة فانكم تلحقونهم؛ ثم أصعدتهما إلى السطح وظهّرتهما فى فش[4] الكتان. والقوم طلبوهما فى طريق الأردن إلى المعابر[5] - وفى نسخة: إلى المخاضات - والباب أغلقوا بعد ما خرج الطالبون خلفهما، وهما قبل أن ينامَا صعدت[6] إليهما راحاب إلى السطح فقالت لهما: قد علمت أن الله سلم إليكم البلد، وأنه قد وقعت هيبتكم علينا، وقد ماج جميع سكان البلد من قبلكم، وإنا [قد -[7]] سمعنا أن الله أيبس لكم

(١) فى سفر يوشع: شطيم (٢) من ظ. وفى الأصل: لجسس (٣) فى ظ: اخفت (٤) فى ظ: قس (٥) من ظ، وفى الأصل: المقابر (٦) من ظ. وفى الأصل: صعد (٧) زيد من ظ.

بحر القلزم عقب خروجكم من مصر و ما عملتم[1] بملكى الأمورانيين الذين
فى مجاز الأردن: سيحون و عوج اللذين اصطلمتموهما، فعند ما سمعنا
ذابت قلوبنا و لم يثبت أيضا روح فى واحد منا من جهتكم، فان الله
ربكم هو إله من فى السماوات من فوق و من على الأرض من تحت،
و الآن فاحلفوا باسم الله إذ قد عملت معكما فضلا، [2]فتعملا أيضا[2] أنتما مع ٥
أهل أبى فضلا، و تعطيانى علامة هى حق، لتستبقوا أبى و أمى و إخوتى
و جميع من أتصل بهم، و تخلصوا أنفسنا من القتل. فقالا لها: نبذل
انفسنا دونكم للموت إن لم تخبروا بخبرنا هذا، فيكون عند تسليم الله
لنا البلد نعمل معك فضلا و أمانة، فأحدرتهما بالحبل[3] من داخل الطاقة
إذ منزلها فى حائط السور، و فى السور هى ساكنة. و قالت لهما: سيرا ١٠
إلى الجبل كيلا يلقاكما الطالبون، و بعد ذلك سيرا[4] لطريقكما[5]،
فقالا لها: أبرياء نحن من قسمك هذا الذى استقسمتنا[6] إن لم تفعلى
ما نقول لك، هو ذا نحن داخلون إلى البلد فاعقدى خصلة خيط من
القرمز فى الطاقة التى أحدرتنا منها، و أبوك و أمك و إخوتك
و كل بيت أبيك تضمين إليك إلى المنزل، فيكون كل من يخرج من ١٥
أبواب منزلك إلى خارج دمه فى عنقه و نحن أبرياء. وكل من يكون
معك فى المنزل دمه[7] فى أعناقنا إن بطشت به يد. و إن أخبرت بخبرنا

(١) فى ظ: علمتم (٢-٢) فى ظ: فتعملان (٣) فى ظ: بالحبل (٤) من ظ، و فى الأصل: سيروا (٥) فى ظ: لطريكما - كذا (٦) فى الأصل: استقسمتينا، و فى ظ: قسمتنا (٧) فى ظ: دمعه.

هذا فنحن أبرياء من قسمك الذى استقسمتنا[1]، فقالت: كما قلتما، فأطلقتهما و مضيا، و عقدت خصلة القرمز فى الطاقة، فمضيا إلى الجبل و جلسا ثم ثلاثة أيام إلى أن رجع الطالبون و لم يجدوهما. و رجع الرسولان و انحدرا من الجبل و جازا الأردن و جاءا إلى يوشع بن نون و قصا له كل ما وافاهما و قالا[2] ليوشع: إن الله دفع بأيدينا كل الأرض، و قد ماج جميع سكانها منا؛ و أدلج يوشع بالغداة و رحلوا[3] من الكفرين، و جاؤا إلى الأردن هو و جميع بنى إسرائيل و باتوا ثم قبل أن يجوزوا. فلما كان[4] بعد ثلاثة أيام جاز النقباء فى وسط العسكر و أمروا القوم قائلين لهم: عند نظركم صندوق عهد الله ربكم و الأئمة اللاويين[5] حاملين له أنتم ترحلون من موضعكم و تمشون خلفه، لكن[6] بينكم و بينه بُعد مقدار ألفى ذراع بالمساحة، لا تقربوا منه لأجل أن تعرفوا الطريق التى تمشون فيها [7]إذ لم تمشوا فيها[7] أمس و أول أمس. و قال يوشع للقوم: استعدوا فان غدا يعمل الله فى وسطكم /عجائب، و قال يوشع للأئمة: احملوا صندوق العهد و جوزوا قدام القوم. فحملوا صندوق العهد و ساروا قدام القوم، و قال الله ليوشع: هذا اليوم أبتدئ بتعظيم اسمك بحضرة جميع[8] إسرائيل لكى يعلموا أنى كما كنت مع موسى أكون معك؛ و قال يوشع لبنى إسرائيل: تقدموا

٦٠٩

(١) فى الأصل: استقستمنينا، و فى ظ: اقتسمتنا (٢) فى ظ: قال (٣) فى ظ: ادلجوا (٤) زيد فى ظ: من (٥) من سفر يوشع - الأصحاح الثالث، و فى الأصل: الأولين، و فى ظ: الأوابين (٦) فى ظ: ليكن (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٨) زيد فى ظ: بنى.

ههنا و اسمعوا الله ربكم ؛ قال يوشع : بهذه الخلة تعرفون[1] أن قادرا حيا لذاته فى وسطكم ، و أن قارضا يقرض من قدامكم قبائل[2] الأمم : الكنعانيين و الذاعرين - و فى نسخة : الحائبين المنسوبين إلى حاث جدهم - و الحويين[3] أى الفصحاء البلغاء - و فى نسخة : المجتمعين إلى الحى - [4]و الربضيين و الفلاحين[4] و الأمورانيين - أى الرؤساء - و اليبوسيين - أى الجبارين القاهرين ، ها هو ذا صندوق العهد ، سيد كل الأرض جائز[5] قدامكم فى الأردن [و الآن -[6]] خذوا لكم اثنى[7] عشر رجلا من أسباط إسرائيل : رجلا واحدا من كل سبط ، و يكون عند قرار أقدام أرجل الأئمة حاملى صندوق العهد سيد كل الأرض فى مياه الأردن من الأمر العظيم أنه تنقطع[8] مياه الأردن المنحدرة من فوق و تقف[9] طودا واحدا كأنها فى زق محصورة .

و لما ارتحل الشعب و قطعوا خيمهم ليجوزوا الأردن سار الكهنة الذين حملوا التابوت أمام الشعب ، فلما انتهوا إلى الأردن [وكان ممتلئا يفيض كل أيام الحصاد انشق الأردن - [6]] و قام الماء الذى كان ينحدر من فوق كأنه فى زق ناحيته[10] ، و تباعد عن قرية إدام[11] التى عند صريم[12]

(١) من ظ ، و فى الأصل : يعرفون (٢) من ظ ، و فى الأصل : قيل بل - كذا. (٣) من سفر يوشع ، و فى الأصل : الحرين ، و فى ظ : الخبرين - كذا (٤-٤) فى سفر يوشع : الفرزيين و الجرجاشيين (٥) فى الأصل : حايزا ، و فى ظ : جايزا . (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : اثنا (٨) من ظ ، و فى الأصل : ينقطع (٩) فى ظ : تقطف (١٠) من ظ ، و فى الأصل : ناحية (١١) من سفر يوشع ، و فى الأصل و ظ : ارام (١٢) من ظ ، و فى الأصل : مريم .

جدا ، و الذى كان يجرى إلى البحر العربى الذى يدعى بحر الملح انشق وحار و انقطع ، و جاز الشعب حيال أريحا ، و قام[1] الكهنة الذين حملوا تابوت العهد فى الأردن يابسا حتى عبر جميع الشعب بحر الأردن ؛ فلما جاز الشعب جميعا قال الرب ليوشع[2]: اعمد إلى اثنى عشر رجلا من الشعب :
٥ من كل سبط رجل واحد ، و قل[3] لهم : خذوا من ههنا من جوف الأردن من تحت أقدام الكهنة اثنى عشر حجرا و عبروها معكم و انصبوها فى موضع المبيت الذى تبيتون فيه الليلة ، فأمرهم يوشع[4] [بذلك -[5]] و أن يحمل كل رجل حجره على عاتقه ، فأخذوها[6] إلى موضع مبيتهم و نصبوها هناك ، فمكثت الحجارة - التى أخذوها[7] من الأردن من
١٠ تحت أقدام الكهنة الذين[8] حملوا التابوت - موضوعة هناك إلى اليوم ؛ و الكهنة الذين حملوا التابوت كانوا قياما حتى تمت جميع الأقوال التى أمر الرب يشوع[9] أن يقص على الشعب كما أوصى موسى يشوع[10]، و عجل الشعب على[10] المجاز و جازوا[11] ، فلما جاز جميع الشعب و جاز الكهنة الذين كانوا حاملين التابوت أمام الشعب و جاز بنو روبال و بنو جاد
١٥ و نصف سبط منسا ، و هم متسلحون أمام إخوتهم - كما أمر موسى - أربعون ألفا ذوو قوة ، جازوا أمام الرب إلى قاع أريحا للمحاربة . فى ذلك

(١) فى ظ : قال (٢) من ظ ، و فى الأصل : لشيوع (٣) من ظ ، و فى الأصل: قال (٤) من ظ ، و فى الاصل: شيوع (٥) زيد من ظ (٦) فى الأصل: فأخذوا ، و فى ظ : اخذوها - كذا (٧) من ظ . و فى الأصل : اخذها (٨) فى ظ : التى . (٩) فى ظ : يوشع ، و يوشع و يشوع كلاهما يجوز (١٠) سقط من ظ . (١١) من ظ ، و فى الأصل : جاوزوا .

اليوم عظم يشوع[1] عند جميع بنى إسرائيل و فرقوة كفرقهم من موسى طول أيام حياته ، و قال الرب ليشوع[2] : مر الكهنة الذين حملوا تابوت الشهادة يصعدوا من الأردن . فأمرهم ، فلما صعدوا رجع ماء الأردن إلى مواضعه أول ما استقرت أقدام الكهنة فى الشط و جرى فى سواحل الأردن كما كان أولا ، فصعدوا من الأردن فى عشر خلت من الشهر ٥ الأول - قلت : و هو نيسان على ما قال بعض فضلاء اليهود - و نزلوا الجلجال أقصى مشارق أريحا ، فأما الاثنا[3] عشر حجرا[4] التى أخذوها من الأردن فنصبها يشوع[1] فى الجلجال ، و قال يشوع[1] لبنى إسرائيل : إذا سألكم بنوكم غدا و قالوا لكم[5] : ما هذه الحجارة ؟ قولوا لهم : إن بنى إسرائيل فلق لهم هذا الأردن فجازوه يابسا ، لأن الله ربكم يبّس ماء الأردن أمامهم حتى جازوه ١٠ كما فعل الله ربكم ببحر سوف الذى يبسه[6] أمامنا حتى[7] جزناه ليعلم جميع شعوب الأرض أن يد الرب قوية ، و تتقوا الله ربكم كل الأيام .

فلما سمع جميع ملوك الأمورانيين [الذين فى جانب الأردن الغربى و جميع ملوك الكنعانيين الذين -[8]] على شاطئ البحر أن الرب يبس ماء الأردن أمام بنى إسرائيل حتى جازوا ، فزعت قلوبهم و لم يبق فيهم رمق ١٥ فزعا من بنى إسرائيل : فى ذلك الزمان قال الرب ليشوع[2] : اتخذ سيفا من طوران و اختن بنى إسرائيل ثانية ، فختن بنى إسرائيل ثانية فى أكمة

/ ٦١٠

(١) فى ظ : يوشع (٢) فى ظ : ايوشع (٣) فى الأصل و ظ : الاثنى (٤) من ظ ، و فى الأصل : حجر (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : يبس (٧) فى ظ : حين . (٨) زيد من ظ .

الغلف[١] ، و الذى ختن يشوع[٢] جميع الذكورة [الذين - ٣] كانوا ولدوا فى البرية حين خرجوا من أرض مصر ، لأن جميع الرجال الأبطال المقاتلة هلكوا فى البرية [لأنهم - ٣] لم يطيعوا الله ربهم و كانوا كلهم مختتنين[٤] ، فأقسم الرب عليهم أن لا يريهم الأرض التى وعد آباءهم أن
٥ يعطيهموها الأرض التى تفل السمن و العسل ، فبنوهم الذين كانوا من[٥] بعدهم [هم - ٣] الذين ختن يشوع[٢] لأنهم كانوا غلفا . فلما ختن جميع الشعب مكثوا مواضعهم فى المعسكر حتى برئوا ، و قال الرب ليشوع[٦] : اليوم صرفت عنكم عار أهل مصر ، و دعا اسم ذلك الموضع جلجالا ، و نزل بنو إسرائيل الجلجال و عملوا فصحا فى أربعة عشر يوما من
١٠ الشهر الأول عند المساء فى قاع أريحا و أكلوا من بر الأرض بعد الفصح و أكلوا فى ذلك اليوم فطيرا و سنبلا مقلوا . و ارتفع المن عن بنى إسرائيل منذ ذلك اليوم حيث أكلوا من بر الأرض [٧] و لم ينزل المن لبنى إسرائيل بعد ذلك اليوم و أكلوا من بر الأرض[٧] و غلات أرض كنعان فى تلك السنة ، و بينا [كان - ٨] يشوع فى قاع أريحا قائما إذ نظر
١٥ رجلا قائما إزاءه مخترطا سيفه ممسكه بيده ، فأقبل يشوع[٢] إليه و قال له : أنت منا أم من أعدائنا ؟ قال : أنا سيد أجناد الرب ، الآن أتيتك ، فخر يشوع[٢] ساجدا على وجهه[٩] على الأرض و قال : ما الذى يقول السيد

---

(١) من ظ ، وفى الأصل : الغليف ، وفى سفر يوشع - الأصحاح الخامس : القلف . (٢) فى ظ : يوشع (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، وفى الأصل : مختنين (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : ليوشع (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد لاستقامة العبارة (٩) فى ظ : وجه .

لعبده؟ قال: اخلع خفيك عن قدميك، فان الموضع الذى أنت قائم[1] فيه طاهر، ففعل يشوع[2] ذلك؛ وكان بنو إسرائيل قد حاصروا أريحا، ولم يكن يقدر أحد[1] من أهلها يدخل ولا يخرج، قال الرب ليوشع: انظر! إنى قد دفعت فى يدك أريحا وملكها وكل أجنادها، فليحط بالمدينة جميع الرجال المقاتلة، ودوروا حول المدينة مرة فى اليوم، ٥ وافعلوا ذلك ستة أيام، ويحمل سبعة من الكهنة سبعة أبواق ويهتفون أمام التابوت، حتى إذا كان اليوم السابع دوروا حول المدينة سبع مرات ويهتف[3] الكهنة بالقرون، فاذا هتفت الأبواق وسمعتم[4] أصواتها يهتف جميع الشعب بأعلى أصواتهم صوتا شديدا، فيقع سور المدينة مكانه، ويصعد[5] الشعب كل إنسان حياله، فدعا يشوع[2] الكهنة وقال ١٠ لهم: احملوا تابوت عهد الرب ويحمل سبعة من الكهنة سبعة قرون وينفخون فيها أمام تابوت الرب، ثم قال للشعب: دوروا حول المدينة، والمتسلحون يجوزون أمام تابوت الرب. فحمل سبعة من الكهنة سبعة قرون وهتفوا أمام تابوت الرب فلم يزالوا ينفخون فى القرون، والذين كانوا يحملون التابوت يتبعون أصحاب الأبواق والمتسلخون يسيرون أمام الكهنة ١٥ الذين يهتفون بالقرون ويسيرون [أمام -[6]] التابوت. وقال يشوع[2] للشعب: لا تهتفوا، ولا تسمعوا أصواتكم، ولا تخرج كلمة من أفواهكم إلى [اليوم -[7]] الذى آمركم أن تهتفوا. فدارت الجماعة بالتابوت كل يوم مرة

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: يوشع (٣) من ظ، وفى الأصل: تهتب - كذا.
(٤) فى ظ: سمعت (٥) من سفر يوشع - الأصحاح السادس، وفى الأصل وظ: يعصد (٦) زيد لاستقامة العبارة (٧) زيد من ظ.

كما أمرهم يشوع[1]، فلما كان اليوم السابع أدلجوا سحرا و أحاطوا بالمدينة كسنتهم و لكن فى ذلك اليوم السابع داروا حولها سبع مرات ، و فى المرة السابعة هتف الكهنة بالقرون و قال يشوع[1] للشعب: اهتفوا لأن[2] الرب قد دفع المدينة فى أيديكم ، و لكن صيروا هذه المدينة وكل ما فيها حريمة للرب ، لا يمسه إنسان منكم ، و أبقوا على راحاب الزانية - يعنى القندقانية[3] كما أخبرنى بعض فضلائهم ، و يؤيده التعبير عنها فيما مضى بالسواقة و الله أعلم - و على كل[4] من معها فى بيتها لأنها غيبت الدسيسين اللذين أرسلنا ، فأما أنتم[5] فاحتفظوا من الحرام ، و لا تنجسوا أنفسكم بأكل[6] الحرام ، فتصيروا عسكر بنى إسرائيل / حراما ، فنفخوا فى القرون فلما سمع الشعب /٦١١ صوت الأبواق ضجوا كلهم ضجة واحدة[7] شديدة[8] جدا ، فوقع سور المدينة فصعد الشعب إلى المدينة كل إنسان حياله ، فافتتحوها و قتلوا كل[9] من فيها رجالها ونساءها و المشيخة و الصبيان و الثيران و الحمير و الغنم ، قتلوها بالسيف ، و أما الرجلان اللذان اجتسا الأرض فقال لهما يشوع[1]: ادخلا إلى بيت المرأة الزانية-يعنى الفندقانية[3] كما مضى - فأخرجاها و أخرجا كل من معها فى البيت كما حلفتما لها ، ففعلوا و أنزلوهم خارج عسكر بنى إسرائيل و أحرقوا المدينة وكل من[7] فيها بالنار ، و أحيي يشوع الزانية و والديها[9] وكل من معها[10]، و أقسم يشوع[1] فى ذلك الزمان و لعن و قال: ملعونا يكون

(١) فى ظ : يوشع (٢) من ظ ، و فى الأصل : الآن (٣) فى ظ : القيدقانية .
(٤) زيد بعده فى ظ : حال (٥) من ظ ، و فى الأصل : انتما (٦) فى ظ : باخذ.
(٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : عظيمة (٩) فى ظ : والدها (١٠) من ظ ، و فى الأصل : لها .

أمام

أمام الرب [الرجل الذى يقوم يبنى مدينة أريحا هذه، و كان الرب-[1]] بعونه مع يشوع[2] و نصره، و شاع خبره فى الأرض كلها. و أثم بنو إسرائيل و تناولوا من الحرام، [3]و ذلك لأن عاجار[4] بن كرمى بن زبدى بن زرح من قبيلة يهودا نحر و أخذ من الحرام و غيب فى خيمته، فاشتد غضب الرب على بنى إسرائيل، ثم أرسل يشوع[2] رجالا إلى عاى التى عند بيت آون من مشارق بيت إل ليجتسوها، فقالوا له: إنه يجزئ فى أخذها[5] ألفان أو ثلاثة لأن أهلها قليل، فصعدوا فحاربوهم عند باب المدينة فانهزم بنو إسرائيل و جرح منهم جرحى كثير - فذكر القصة فى سجود يشوع[2] و انزعاجه و إخبار الله تعالى إياه[6] أن قومه غلّوا، ثم أمره بالقرعة حتى خرج الذى عنده الغلول و هو عاجار، و كان غلوله طنفسة بابلية و مائتى مثقال فضة و سبيكة من ذهب فيها خمسون مثقالا، فأخرجه يشوع[2] مع كل شىء هو له، و قد مضى ذلك فى البقرة عند "اولئك الذين اشتروا الحيوٰة الدنيا بالأخرة[7]" و تقدم فى المائدة فتح بعض بلاد [بيت -[1]] المقدس بأعجوبة أخرى و استمروا هكذا يفتحونها بلدا بعد بلد، و يقتلون من جبابرتها عددا بعد عدد، و يرون فى ذلك من عجائب الأمور و بدائع المقدور ما يبقى على[8] كر الآباد و مر الدهور، و هم فى أثناء ذلك كل قليل يكفرون

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: يوشع (٣) العبارة من هنا إلى «من الحرام» ساقطة من ظ (٤) فى سفر يوشع - الأصحاح السابع: عخان (٥) من ظ، و فى الأصل: اخذه (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فحذفناها (٧) آية ٦٨. (٨) فى ظ: فى.

و ينقضون العهود و لا يشكرون كما هو مبين فى سفر يوشع بن نون، و قد مضى شيء منه فى المائدة عند قوله تعالى " فعموا و صموا[1] " - الآية، كل ذلك بعد أن جاءهم من العلم ما لا تدخله مرية و لا يخالطه شك و لا يدنو منه لبس، فتبارك من له الأمر كله، لا مضل لمن هدى و لا هادى ٥ لمن يضله.

و لما كان ما مضى - من آيات هذه السورة المبينة أن من أريدت شقاوته لا ينفعه[2] مشاهدة الآيات - سببا[3] لنفى الشك عنها و إثبات اليقين بمضامينها بما سلف من الأدلة على تلك المضامين إلى أن ختم ذلك بذم من عمل عمل الشاك بعد أن جاء ما يوجب اليقين من العلم، و كان صلى الله ١٠ عليه و سلم كما مضى فى آخر التى قبلها أشفق الخلق لا سيما على العرب[4] لا سيما على قومه منهم، و كانت الوصية قد برزت من الجناب الإلهى له بما يوافق طبعه من بذل الجهد فى ملاطفتهم، كان ذلك جديرا بأن يحرك طبع البشر لتمنى الإجابة لما[5] يقترحون، و كان طلب ذلك بعد الفطام عنه من أفعال الشك فى الجملة فأريد صرف النفس عنه[3] ١٥ بالكلية و لو بالخطور فى البال فقيل مسببا عما قبله: ﴿ فان كنت ﴾ أى يا أرحم الخلق ﴿ فى شك ﴾ و لم يرد بهذا الكلام حقيقته - و الله أعلم - بل تقوية اليقين و تأكيده و رسوخه و تأييده بأن هذا أمر قد عزم عليه و فرغ منه فلا يحتمل مراجعة، و ذلك لأن المعنى أن ثباتهم على

(١) آية ٧١ (٢) فى ظ: لا تنفعه (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: الرب (٥) فى ظ: بما.

الشقاوة أمر لا يعلم إلا من قبلنا . و ذلك بأحد أمرين : أما بواسطة الأمين جبرئيل بما يأتى به [من -[1]] الوحى عنا غضا طريا محفوظا من الغير فلا[2] تحريف فيه[2] و لا تبديل ، و أما بواسطة أهل الكتاب عن أنبيائهم[3] - و فى ذلك نزول درجتين مع تجويز التخويف و التبديل ، و هذا ما لا / يرضاه ذوهمة علية و نفس أبية - فالمعنى : أنا قد أخبرتك بأن الآيات ٥ / ٦١٢ لا تزيد المقضى بشقائه إلا ضلالا و أنا خبير بذلك " و لا ينبئك مثل خبير " فلا تطلب إجابتى إياهم إلى ما يقترحون عليك[4] رجاء إيمانهم فانهم لا يؤمنون بذلك " فان كنت " أى فى[5] وقت[6] من الأوقات " فى شك " أى و لو قل ﴿ مما انزلنا ﴾ أى بعظمتنا واصلا على لسان الواسطة ﴿ اليك ﴾ فى ذلك ﴿ فسئل ﴾ أى بسبب ذلك الشك ١٠ ﴿ الذين يقرءون ﴾ أى متتابعين[7] لذلك ﴿ الكتب ﴾ أى السماوى من اليهود و النصارى ، فانهم من الإحاطة بصحة ما أنزلنا[8] إليك على حد عظيم . و من آمن منهم أو كان منصفا جدير[9] بأن يزداد من فاوضه فى ذلك إيمانا ؛ و لما كانوا بعض من أوتى الكتاب فى الزمن السالف ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبلك ج ﴾ و هم عن[10] ذلك الخبر بمراحل ، فلا تجنح[11] ١٥ إلى سؤال غيرى ، و هذا مضمون قوله تعالى مؤكدا آتيا بحرف التوقع

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ . و فى الأصل : نحو توجيه - كذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : انبايهم (٤) فى ظ : اليك (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : وقتا . (٧) فى ظ : موالين (٨) فى ظ : انزل (٩) من ظ ، و فى الأصل : جديرا (١٠) فى ظ : على (١١) من ظ ، و فى الأصل : فلا يحتج .

لأن كلا من الأمرين فى أحق مواضعه : ﴿ لقد جآءك الحق ﴾ أى الثابت الكامل ثباته [وهو إمضاء العدل فيهم - ١] ؛ وزاده تشريفا وترغيبا فيه بقوله : ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك باصطفائك لذلك ، فلذا سيق مساق البيان له من غير واو ، فاذا ثبت أنه الحق أى الثابت أعلى الثبات تسبب عنه البعد من تزلزل من جاءه ، فناسب اتباعه بقوله : ﴿ فلا تكونن ﴾ أكده لأنه حقيق بأن لا ينثنى عنه أحد بوجه من الوجوه ﴿ من الممترين ﴾ [أى - ١] الغافلين عن آيات الله [فتطلب الفضل لأهل العدل - ١] ؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما : لا والله ! ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم .

ولما نهى عن ذلك لم يبق مما اقتضته القسمة العقلية إلا العناد ممن يمكن منه كما فعل بنو إسرائيل بعد مجىء العلم فأتبعه النهى عن مثل حالهم بقوله : ﴿ ولا تكونن ﴾ أى بوجه من الوجوه ، والمراد بهذا أتباعه ﴿ من الذين كذبوا ﴾ أى فعلوا فعل المكذب مستهينين ﴿ بآيت الله ﴾ أى التى لا أعظم منها باضافتها إلى من لا أعظم منه ﴿ فتكون ﴾ أى كونا راسخا ﴿ من الخسرين ﴾ بل اثبت على ما أنت عليه من اليقين والطمأنينة والثقة بالله والسكينة ، وهذا ونحوه مما غلظت فيه العبارة دلالة على مزيد قرب المخاطب [وإن كان المراد غيره - ١] وعظيم منزلته ولطيف خصوصيته كما مضى بيانه عن الإمام أبى الحسن الحرالى رحمه الله فى سورة براءة عند قوله تعالى " عفا الله عنك ٣ " - الآية ؛ وتغليظ

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) آية ٤٣ .

العبارة فيه تأديب عظيم لتابعيه؛ و الشك: الوقوف بين النقيضين، و هو من شك العود فيما ينفذ فيه، لأنه يقف بذلك الشك بين جهتيه؛ و الإنزال: نقل الشيء من علو إلى سفل[1]؛ و الامتراء؛ طلب التشكك مع ظهور الدليل، من مرى الضرع و هو مسحه ليدر.

و لما كان ما مضى من هذه الآيات و ما كان من طرازها قاضيا بأنه لا تغنى[2] الآيات عنهم، صرح به قوله تعالى: ﴿ ان الذين حقت ﴾ أى وجبت و ثبتت ﴿ عليهم ﴾ [3]أى بأنهم أشقياء[3]، و عبر بالاسم المفهم للاحسان إعلاما بأنه ما أوجب عليهم العذاب إلا إحسانا إليه بما يقاسى من معالجتهم[4] و غير ذلك من الحكمة فقال[5]: ﴿ كلمت ربك ﴾ أى المحسن إليك فى جميع أمرك ﴿ لا يؤمنون[6] لا ﴾ أى لا قبول لهم لتجدد الإيمان ﴿ و لو جاءتهم كل اية ﴾ و نسبتها إلى قوله "لقد جاءك الحق" نسبة "لقد جاءك الحق" إلى "فان كنت فى شك" الآية فى البيان المستفاد من حذف العاطف، و إذا كان الكلام فى معنى واحد كان بمنزلة الكلمة الواحدة فسمى بها[7] ﴿ حتى يروا العذاب الاليم ٥ ﴾ أى حين لا ينفعهم الإيمان لفوات شرطه كما لم ينفع فرعون لذلك "سنة الله فى الذين خلوا من قبل و لن تجد لسنة الله تحويلا[8]".

---

(١) فى ظ: اسفل (٢) من ظ، وفى الأصل: لا يغنى (٣-٣) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «جميع أمرك» و الترتيب من ظ (٤) فى ظ: معاجتهم (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و القرآن الكريم، وفى الأصل: لا يومنوا (٧) زيد بعده فى الأصل: و قوله، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨) سورة ٣٣ آية ٦٢.

ولما كان هذا موضع أن يقال: إنما تطلب الآيات لما يرجى من تسبب الإيمان عنها، تسبب عنه أن يجاب بقوله تعالى: ﴿ فلولا ﴾ أي فهلا ﴿ كانت قرية ﴾ أي واحدة من قرى الأمم الماضية التي أهلكناها ﴿ آمنت ﴾ أي آمن قومها عند إتيان الآيات أو عند رؤية أسباب العذاب ﴿ فنفعها ﴾ [أي فتسبب عن إيمانها ذلك أنه نفعها -[1]] ٥

/٦١٣/ ﴿ إيمانها ﴾ ولما كان معنى "لولا" النفي، كان التقدير: لكن[2] لم تؤمن[3] قرية منهم إلا عند صدم العذاب كما فعل فرعون، لو آمن عند رؤية البحر على حال الفلق أو عند توسطه وقبل انسيابه عليه قبل، ولكنه ما آمن إلا بعد انهياره[4] ومسه. وذلك حين لا ينفع لفوات شرطه من الإيمان بالغيب ﴿ إلا قوم يونس[5] ﴾ فإنهم آمنوا عند المخايل وقت بقاء التكليف فنفعهم ذلك فإنهم ﴿ لما آمنوا ﴾ ودل على أنه قد كان[5] أظلهم بقوله: ﴿ كشفنا ﴾ أي بعظمتنا ﴿ عنهم ﴾ أي حين إيمانهم، روي أنه لم يبق بينهم وبين العذاب إلا قدر ميل ﴿ عذاب الخزي ﴾ أي الذي كان يوجب لهم لو برك عليهم هوان الدارين ﴿ في الحيوة الدنيا ﴾ أي فلم يأخذهم وقت رؤيتهم له ﴿ ومتعنهم ﴾ [أي -[1]] تمتيعا عظيما ﴿ إلى حين ﴾ و[2] هو انقضاء آجالهم مفرقة كل واحد منهم في وقته المضروب له، وما ذكرته في معنى الآية نقله القاضي أبو محمد إسحاق بن إبراهيم البستي في تفسيره[6] المسند عن ابن[2] أبي عمر قال: قال[2] سفيان الثوري:

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل: لم يومن (٤) من ظ، وفي الأصل: انهار (٥-٥) في ظ: كان قد (٦) في ظ: تفسير.

" فلولا كانت قرية آمنت " قال : فلم تكن قرية آمنت ، و هذا تفسير معنى الكلام ، و أما ' لولا ' فهو بمعنى هلا ، و هى على وجوه تحضيض و تأنيث ، أى توبيخ ، و هى [هنا - [1]] للتوبيخ ، و يجوز أن تكون استفهامية بمعنى ' لم لا ' ، و يلزم كلا من المعنيين النفى ؛ و النفع : إيجاب اللذة بفعلها أو ما يؤدى إليها كالدواء الكريه المؤدى إلى اللذة ؛ و الخزى[2] هو أن يفضح صاحبه ، و هو وضع من القدر للغم[3] الذى يلحق به ، و أصله التعب .

و لما كان ما مضى ربما أوجب[4] اعتقاد أن إيمان مثل أولئك محال جاءت هذه الآية فى مقام الاحتراس منه مع البيان لأن حرص الرسول صلى الله عليه و سلم على إيمانهم لا ينفع و مبالغته فى إزالة الشبهات و تقرير الدلائل لا تفيد[5] إلا بمشيئة[6] الله تعالى لتوفيقهم و هدايتهم ، و لو كان ذلك وحده كافيا لآمنوا بهذه السورة فانها أزالت شبهاتهم و بينت ضلالاتهم و حققت بقصتى نوح و موسى عليهما السلام ضعفهم و وهن مدافعاتهم فقال تعالى : ﴿ و لو شآء ﴾ أى إيمان الناس ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك باقبال من أقبل لعلمه[7] الخير فيه و إدبار من أدبر لعدم قابليته للخير ﴿ لآمن من فى الارض ﴾ من الكفار .

و لما كان هذا ظاهرا فى الكل ، صرح به مؤكدا لأن المقام يقتضيه فقال :

---

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الجزى (٣) فى ظ : للفهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : اردت (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يفيد (٦) من ظ ، و فى الأصل : خشية . (٧) فى ظ : بعلمه .

﴿ كلهم جميعا ﴾ أى مجتمعين فى آن واحد لا يختلفون فى شىء منه، و لكن لم يشأ ذلك و أنت لحرصك على امتثال أوامرى[1] و وصيتى لك باللطف خلق الموافق لما جبلتك عليه من الخير تريد ذلك ﴿ افانت تكره الناس ﴾ أى الذين لم يرد الله إيمانهم [مع ما طبعهم عليه من الاضطراب - [2]]

٥ ﴿ حتى يكونوا ﴾ أى كونا جبليا ﴿ مؤمنين ﴾ أى راسخين فى الإيمان، و إيلاء الاستفهام الاسم مقدما على الفعل للاعلام بأن الفعل - و هو هنا الإكراه - ممكن من غير ذلك الاسم و هو هنا الله وحده [القادر على تحويل الطباع - [2]] فان قدرته قاهرة لكل شىء و مشيئته نافذة فى كل شىء مع الدلالة على أن[1] وقوع خلاف المشيئة مستحيل لا يمكن

١٠ لغيره تعالى باكراه و لا غيره، و المشيئة معنى يكون به الفعل[3] مرادا[4] أخذت من الشىء، و المراد بالآية تخفيف ما يلحق النبى صلى الله عليه وسلم من التحسر للحرص على إيمانهم ﴿ و ما كان ﴾ أى [و - [2]] ما ينبغى و لا يتأتى ﴿ لنفس ﴾ أى واحدة فما فوقها ﴿ ان تؤمن ﴾ أى يقع منها إيمان فى وقت ما ﴿ الا باذن الله ﴾ أى بارادة الملك الأعلى الذى له الخلق

١٥ و الأمر و تمكينه، فيجعل الثبات و الطمأنينة - اللازمين للايمان الذى هو أبعد شىء عن السحر - على الذين ينتفعون بعقولهم فيلزمون معالى الأخلاق التى هى ثمرات للايمان[5] ﴿ و يجعل الرجس ﴾ أى الاضطراب و التزلزل الذى يلزمه التكذيب الذى هو أشبه شىء بالسحر لأنه تخييل [ما - [2]]

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : العقل (٤) زيد بعده فى الأصل : اذا، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) فى ظ : الايمان .

لا

لا حقيقة له و القذر و القباحة و الغضب و العقاب الناشىء عنه .

و لما كان ما فى هذه السورة من الدلائل قد وصل فى البيان إلى حد[1] لا يحتاج فيه إلى غير مجرد العقل قال: ﴿ على الذين لا يعقلون ﴾ / أى ٦١٤/ لا يوجد لهم عقل ، فهم لذلك لا ينتفعون بالآيات و هم يدعون أنهم أعقل الناس فيتساقطون فى مساوئ[2] الأخلاق و هم يدعون أنهم أبعد الناس ٥ عنها ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ؛ و النفس : خاصة الشىء التى[3] لو بطل ما سواها لم يبطل ذلك الشىء ، و نفسه و ذاته واحد .

و لما تقرر ما مضى من النهى عن الإصغاء إليهم فى طلب الآيات ، و ختم بتعليق الأمر بمجرد المشيئة ، كان كأنه قيل: فما ذا يقال لهم إذا طلبوا ؟ فقال : ﴿قل﴾ أى يا أشرف الخلق لهم غير مهتم بأمرهم و منبها ١٠ لهم[4] على إبطال مذهب الجبر المتعلق أصحابه بنحو هذه الآية ، لأن المشيئة مغيبة و العبد مأمور ببذل الجهد فى الطاعة بما له من القدرة و الاختيار .

و لما أمر بهذا الفكر فكان[5] ربما ظن لأجله أن للانسان قدرة مستقلة ، نبه على مذهب أهل السنة القائل بالكسب الذى هو - كما قال الإمام على رضى الله عنه - أمر بين أمرين لا جبر و لا تفويض ، فقال ١٥ معلما أن من حكم بشقائه[5] لا ينفعه شىء : ﴿انظروا﴾ [أى -[6]] بأبصاركم و بصائركم لتخرجوا[7] بالانتفاع بالعقل عن عداد البهائم ؛ قال الإمام : و لو أن الإنسان تفكر فى كيفية حكمة الله تعالى فى خلق جناح بعوضة لانقطع

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تساوى (٣) فى ظ : الذى (٤) فى ظ : و كان (٥) فى ظ : بشقاوته (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : ليخرجوا .

فكره قبل أن يصل إلى أول مرتبة من مراتب تلك الحكم و الفوائد، فلذلك أبهم فى قوله : ﴿ ما ذا ﴾ أى الذى ﴿ فى السمٰوٰت و الارض [١] ﴾ أى من الآيات و واضح[١] الدلالات التى أخرجتموها - بالفكم[٢] لها - عن عداد الآيات، و هى عند التأمل من أعظم خوارق العادات، و[٣] قال الإمام: فكأنه سبحانه نبه على القاعدة الكلية حتى ينتبه لأقسامها، و قال أبو حيان[٤] أخذا من الإمام: السبيل إلى معرفته تعالى هو بالتفكر فى مصنوعاته، ففى العالم العلوى فى حركات الأفلاك و مقاديرها و أوضاعها و الكواكب و ما يختص بذلك من المنافع و الفوائد، و فى العالم السفلى فى أحوال العناصر و المعادن و النبات و الحيوان و خصوصا حال الإنسان - انتهى .

[و لما كان ما فيها من الآيات فى غاية الدلالة، نبه سبحانه على أن التوقف عن الإيمان بعد التنبيه على كيفية الاستدلال معاندة فقال - [٥]]: ﴿ و ما ﴾ و هى نافية أو[٦] استفهامية ﴿ تغنى الأيٰت ﴾ أى و إن كانت فى غاية الوضوح ﴿ و النذر ﴾ أى و الإنذارات أو[٧] الرسل المنذرون[٨] ﴿ عن قوم ﴾ أى و إن كانت فيهم قوة ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى للحكم بشقائهم[٩]، فكان ذلك سببا لتهديدهم بقوله : ﴿ فهل ينتظرون ﴾ أى بجميع قواهم فى تكذيبهم للرسول و تخلفهم عن الإيمان ﴿ الا ﴾

(١) فى ظ : اوضح (٢) فى ظ : بالفكر (٣) سقط من ظ (٤) راجع البحر المحيط ١٩٤/٥ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : « و ».
(٧) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فحذفناها (٨) فى ظ : المنذرين .
(٩) فى ظ : بشقاوتهم .

أى أياما أى وقائع ﴿ مثل ايام ﴾ أى وقائع ﴿ الذين خلوا ﴾ ، لما كان أهل الأيام الهائلة بعض من كان قبل ، أتى بالجار فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ أى من مكذبى الأمم و هم القبط و قوم نوح و من طوى بينهما من الأمم ، [أى -[1]] من حقوق الكلمة عليهم فنحل[2] بهم بأسنا ثم ننجيكم[3] لإيمانكم كما كنا نحل بأولئك إذا كذبوا رسلنا ، ثم ننجى الرسل و من آمن بهم حقا علينا ذلك للعدل بين العباد .

و لما تقدمت الإشارة إلى أن الكلمة حقت على الكافرين بعدم الإيمان و الرجس الذى هو العقاب ، زاد فى تهديدهم بالاعتراض بما سببه عن فعلهم فعل من ينتظر العذاب بقوله : ﴿ قل فانتظروا ﴾ أى بجميع جهدكم ما ترونه واقعا بكم بسبب ما تقرر عندكم مما كان يقع بالماضين فى أيام الله ، و زاد التحذير استئنافه[4] قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب : ﴿ انى ﴾ و أعلمهم بالنصفة بقوله : ﴿ معكم من المنتظرين * ﴾ .

و لما كان التقدير : فانا كنا فى أيام الذين خلوا نوقع الرجس بالمكذبين[5] ، عطف عليه بيانا لما كان يفعل بالرسل و أتباعهم إذا أهلك الظالمين قوله : ﴿ ثم ننجى ﴾ أي تنجية عظيمة [و ننجيهم إنجاء عظيما -[1]] و جاء به مضارعا حكاية للأحوال الماضية و تصويرا لها تحذيرا لهم من[6] مثلها و إعلاما بأنه كذلك يفعل بهذا[7] الرسول صلى الله عليه و سلم و أتباعه رضى الله عنهم ، و أشار بأداة التراخى إلى طول زمان الابتلاء و عظيم رتبة التنجية ، و حذف مقابل / الإنجاء لأن المقام بعد آية /٢١٥

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : فيحل (٣) من ظ ، و فى الأصل : ينجيكم (٤) فى ظ : باستئنافه (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ فحذفناها (٦) فى ظ : عن (٧) فى ظ : هذا .

" الا ان اولياء الله " ناظر إلى البشارة أكثر من النظر إلى النذارة ﴿ رسلنا ﴾ [أى -[1]] الذين عظمتهم من عظمتنا ﴿ و الذين امنوا ﴾ أى بالرسل[2] و هم معهم فى زمانهم و لو كانوا فى أدنى درجات الإيمان تشريفا للرسل فانهم بصدد الرسوخ بملازمتهم ؛ ثم وصل بذلك تشريفا للراسخين و[3] ترغيبا فى مثل حالهم قوله : ﴿ كذلك ج ﴾ أى كما حق علينا إهلاك الكافرين هذا الإهلاك العظيم ﴿ حقا علينا ﴾ أى بما أوجبناه على جنابنا[4] الأعظم ﴿ ننج المؤمنين ع ﴾ أى العريقين فى الإيمان [و لو كانوا -[1]] بعد موت الرسل [نجية عظيمة و نجيهم إنجاء عظيما ، فالآية من الاحتباك لما أشارت إليه القراءتان بالتخفيف و التثقيل -[1]] ، أو يكون ذلك بنى على سؤال من لعله يقول : هل حقوق النجاة مختص بالرسل و من معهم ؟ فقيل : لا ، بل " كذلك " [أى -[1]] الحقوق " حقا علينا " [على ما لنا من العظمة -[1]] " ننج المؤمنين " فى كل زمن و إن لم يكن بين ظهرانيهم رسول ، لأن العلة الاتصاف بالإيمان الثابت ، فيكون الكاف مبتدأ و " ننج " خبره ؛ و النظر : طلب المعنى بالقلب من جهة الذكر كما يطلب إدراك المحسوس بالعين ؛ و الغنى : حصول ما ينافى الضر[5] و صفة النقص ، و نقيضه الحاجة ؛ و النذر : جمع[6] نذير ، من النذارة و هى الإعلام بموضع المخافة ليقع[7] به السلامة ؛ و الانتظار : الثبات لتوقع[7] ما يكون من الحال ؛ و المثل إن كان من الجنس فهو ما سد مسد غيره

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الرسل (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : جانبنا (٥) فى ظ : الضرر (٦) فى ظ : جميع (٧) فى ظ : لتقع .

فى

فى الحس ، و إن كان من غيره فالمراد ما كان فيه معنى يقرب به من غيره كقربه من جنسه كتشبيه أعمال الكافر بالسراب ؛ و النجاة من النجوة و هى الارتفاع من الهلاك .

و لما تقدم الفطام عن الميل لمن يطلب الآيات ، وكان طلبهم لها إنما هو على وجه الشك ، و إن لم يكن على ذلك الوجه فانه فعل الشاك غالبا و تقدمت أجوبة لهم . و ختم ذلك بتهديدهم و بشارة المؤمنين الموجبة لثباتهم ، ناسبه[1] كل المناسبة أن اتبعت[2] الأمر بجواب آخر دال على ثباته صلى الله عليه و سلم و أنه مظهر دينه رضى من رضى و سخط من سخط ، لأن البيان قد وصل إلى غايته[3] فى قوله تعالى : ﴿ قل يأيها الناس ﴾ أى الذين هم فى حيز الاضطراب ، لم ترقهم هممهم إلى رتبة الثبات ﴿ إن كنتم ﴾ أى كونا هو كالجبلة منغمسين ﴿ فى شك ﴾ كائن ﴿ من ﴾ جهة ﴿ دينى ﴾ تطلبون لنزوله[4] - بعد تكفل العقل بالدلالة عليه - إنزال الآيات ، فأنا لست على شك من صحة دينى و بطلان دينكم فاعرضوه على عقولكم و انظروا ما فيه من الحكم مستحضرين ما لدينكم[5] من الوهى الذى تقدم بيانه فى قوله تعالى " قل ارءيتم[6] ما انزل الله لكم من رزق[7] " و نحوه ﴿ فلآ اعبد ﴾ أى الآن و لا فى مستقبل الزمان ﴿ الذين تعبدون ﴾ أى الآن أو بعد الآن ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعظم لعدم قدرتهم على شىء من ضرى ، فلا تطمعوا فى أنه يحصل لى شك بسبب حصول الشك

(١) من ظ ، و فى الأصل : ناسب (٢) من ظ ، و فى الأصل : تبعث (٣) فى ظ : غاية (٤) فى ظ : لنزواله (٥) فى ظ : لديكم (٦) سقط من ظ (٧) سورة ١٠ آية ٥٩ .

لكم. فاذاً[1] لا أعبد غير الله أصلا.

و لما كان سلب عبادته عن غيره ليس صريحا فى إثباتها له قال: ﴿و لكن اعبد الله﴾ أى الجامع لأوصاف الكمال عبادة مستمرة؛ ثم وصفه بما يوجب الحذر [منه -[2]] و يدل على كمال قدرته ﴿الذى يتوفكم﴾ ٥ بانتزاع أرواحكم التى لاشىء عندكم يعدلها. فلا تطمعون - عند إرادته لنزعها - فى المحاولة لتوجيه دفاع عن ذلك. و فى هذا الوصف - مع ما فيه من الترهيب - إشارة إلى الدلالة على الإبداء[3] و الإعادة، فكأنه قيل: الذى أوجدكم من عدم كما أنتم به مقرون يعدمكم بعد هذا الإيجاد و أنتم صاغرون، فثبت قطعا أنه قادر على إعادتكم بعد هذا الإعدام ١٠ بطريق الأولى فاحذروه لتعبدوه كما أعبده فانه قد أمرنى بذلك و أنتم تعرفون غائلة الملك إذا خولف، و قال "ان كنتم فى شك" مع أنهم يصرحون[4] ببطلان دينه، لأنهم فى حكم الشاك[5] لاضطرابهم عند ورود الآيات، أو لأن فيهم الشاك فغلب لأنه أقرب إلى الخير؛ و الشك: وقوف بين المعنى و نقيضه، / و ضده الاعتقاد فانه قطع بصحة المعنى /٦١٦ ١٥ دون نقيضه، و عبر بـ "من" إشارة إلى أن[6] فعلهم ذلك ابتدأ من الدين، و لو عبر بـ "فى" لأفهم[7] أنهم دخلوا فيه لأنهم فى الشك و الشك فى الدين، و الظرف لظرف الشىء ظرف لذلك الشىء. و ترك العطف إشارة إلى أن كل جواب منها كاف على حياله.

---

(١) فى ظ: فانا (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: الابد (٤) فى ظ: مصرحون (٥) فى ظ: السك - كذا (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: لا افهم.

و لما قرر ما هو الحقيق بطريق العقل ، اتبعه بما ورد من النقل بتأييده و إيجابه بقوله : ﴿ و امرت ﴾ أى بأمر جازم ماض ممن لا أمر لأحد معه ، [و عظم المأمور به بجعله عمدة الكلام باقامته مقام الفاعل فقال -[1]] : ﴿ ان اكون ﴾ أى دائما كونا جبليا . [و لما كان السياق لما يحتمل الشك من الأمر الباطن ، عبر بالإيمان الذى هو للقلب ٥ فقال -[1]] : ﴿ من المؤمنين ﴾ أى الراسخين فى هذا الوصف ﴿ وان اقم ﴾ [أى -[1]] أيها الرسول ﴿ وجهك ﴾ أى كليتك على سبيل الإخلاص الذى لا شوب فيه ﴿ للدين ﴾ فوصل أولا كلمة 'أن' بمعنى الأمر [أى « أن اكون » دون 'أكن' -[1]] و ثانيا بلفظه [و هو "اقم" -[1]] جمعا[2] بين الأسلوبين ، و كلاهما بمعنى المصدر ، و خص الثانى بذلك ١٠ لطوله لأنه[3] كالتفصيل للأول فالخطاب فيه أوكد و ألذ ، و قوله : ﴿ حنيفا ﴾ حال من فاعل 'اقم' و معناه : مسلما ميالا مع الدليل - كما أوضحته فى البقرة ، أى اجمع بين الإيمان بالقلب و الإسلام[4] بالجوارح ﴿ و لا تكونن ﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿ من المشركين ﴾ الذين هم على ضد صفة الإسلام من الجفاء و الغلظة و الجمود و القسوة . ١٥

و لما نهاه عن الشرك ، [أكده -[1]] بما هو كالتعليل له بما يلزمه من العبث بالخضوع لما لا[5] ضر فيه و لا نفع بقوله تعالى : ﴿ و لا تدع ﴾ [أى -[1]] فى رتبة من الرتب[6] الكائنة ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : جميعا (٣) من ظ ، و فى الأصل : كانه (٤) فى ظ : الاستسلام (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : الرتبة.

بيده كل شيء ﴿ ما لا ينفعك ﴾ أي إن[1] فعلت شيئا من ذلك فأتاك[2] بأسنا ﴿ ولا يضرك ج ﴾ أي إن[1] أقمت على طاعتنا مع نصرنا ﴿ فان فعلت ﴾ أي شيئا مما نهيناك عنه ﴿ فانك اذا ﴾ إذا[3] دعوت ذلك الغير [بسبب ذلك -[4]] ﴿ من الظلمين ه ﴾ أي العريقين في وضع[5] الدعوة في غير محلها لأن ما هو[6] كذلك في غاية البعد عن منصب الإلهية ؛ [ثم -[7]] قال تعالى عاطفا على قوله " فان فعلت " : ﴿ وان يمسسك الله ﴾ أي الذي لا راد لأمره ﴿ بضر ﴾ أي أيّ ضر كان على أيّ وجه كان وإن كان ظاهرا جدا بما أنبأ عنه الإظهار ﴿ فلا كاشف له ﴾ أي أصلا بوجه من الوجوه ﴿ الا هو ج ﴾ لأنه أراده وما أراده لا يكون غيره فلا ترج سواه في أن يبدله بخير ، وعبر بالمس لأنه أخوف ﴿ وان يردك ﴾ [أي مطلق إرادة -[4]] ﴿ بخير فلا ﴾ أي أصابك لا محالة فانه لا ﴿ راد ﴾ ونبه على أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بأن وضع مكان الضمير قوله : ﴿ لفضله ﴾ [أي -[4]] عمن يريده به كما يفعل بعض العاتين من أتباع ملوك الدنيا في رد بعض ما يريدون ، بل هو بحيث لا ينطق أحد إلا باذنه فلا تخش[8] غيره . فالآية من الاحتباك : ذكر المس أولا دليلا على إرادته ثانيا ، والإرادة ثانيا دليلا على حذفها أولا . ولم يستثن في الإرادة كما استثنى في الكشف لأن دفع المراد محال ، وعبر بالإرادة في الخير

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : فاتاه (٣) في ظ : انى (٤) زيد من ظ (٥) في ظ : وصف (٦) من ظ ، وفي الأصل : ليس (٧) زيد لاستقامة العبارة . (٨) من ظ ، وفي الأصل : فلا يخش .

وبالمس

و بالمس فى الضير تنبيها على أنه صلى الله عليه و سلم مراد بالخير بالذات و بالضر بالعرض تطييبا لقلبه لما تكرر فى هذه السورة من الإخبار باحقاق العذاب على الفاسقين و الإيئاس من الظالمين ، فلما تقرر ذلك حسن موقع قوله مبينا[1] لحال ذلك الفضل : ﴿ يصيب به ﴾ أى بذلك الفضل [2]أو بالذى[2] تقدم من الخير و الضير ﴿ من يشآء ﴾ أى كائنا من كان ٥ من أدنى و أعلى ، و بين العلة فى كونهم مقهورين بقوله : ﴿ من عباده[4] ﴾ و هذا كله إشارة إلى أن ما أوجب الإعراض عن معبوداتهم بانسلابه عنها أوجب الإقبال عليه بثبوتـــه له ، اختصاصه به ، و ختم الآية بقوله : ﴿ و هو الغفور ﴾ أى البليغ الستر الذنوب ﴿ الرحيم * ﴾ أى البالغ فى الإكرام إشارة إلى [أن ـ[3]] إصابته بالخير لا يمكن أن يكون إلا فضلا ١٠ منه بعد الستر للذنوب و الرحمة للضعف . فهو الحقيق بأن يعبد ؛ و المس : اجتماع التباين من غير نقص[4] ، و نظيره المطابقة ، و المجامعة نقيضها المباينة ؛ و الكشف / : رفع الساتر ، جعل الضر كأنه مانع من إدراك الإنسان و ساتر له . ٦١٧ /

و لما كثرت فى هذه السورة الأوامر و النواهى و الأجوبة بسبب ١٥ ما يقترحونه على وجه التعنت ، و ختم بأن من دعا غيره كان راسخا فى الظلم لا مجير له منه ، ختم ذلك بجواب معلم بأن فائدة الطاعة ليست راجعة إلا إليهم ، و ضرر النفور ليس عائدا إلا عليهـــم فقال تعالى : ﴿ قل يـآيها الناس ﴾ أى غاية[5] كل من له قابلية التحرك و الاضطراب

(١) من ظ ، و فى الأصل : مسببا (٢ - ٢) فى ظ : أى ما (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ : نقصان (٥) فى ظ : عامة .

﴿ قد جآءكم الحق ﴾ أى الكامل بهذا[1] الرسول صلى الله عليه و سلم و هذا الكتاب ، و ذلكم خير عظيم أصابكم الله به ، و زاد الرغبة فيه بقوله : ﴿ من ربكم ج ﴾ أى المحسن إليكم ﴿ فمن ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه من ﴿ اهتدى ﴾ أى آمن بمحمد صلى الله عليه و سلم و عمل بما فى الكتاب ٥ ﴿ فانما يهتدى لنفسه ج ﴾ [أى -[2]] لأنه تبع الحق الثابت و ترك الباطل الزائل فأنقذ نفسه من النار و أوجب لها الجنة ﴿ و من ضل ﴾ أى كفر بهما أو بشىء منهما ﴿ فانما يضل عليها ج ﴾ لأنه ترك الباقى و تمسك بما ليس فى يده منه شىء لأنه فان فقد غر نفسه ﴿ و مآ انا ﴾ و لما كان السياق لنفى تصرفه[3] فيهم و أن ذلك إنما هو إلى الله تعالى ، كان تقديم ١٠ ضميرهم أهم فقال : ﴿ عليكم بوكيل ط ﴾ فيطلب[4] منى حفظكم مما[5] يؤدى إلى الهلاك و منعه عنكم كما يطلب من الوكيل .

و لما كان أكثر ذلك وعظا لهم و تذكيرا ، ختمه بامره صلى الله عليه و سلم بما يفعله فى خاصة نفسه أجابوا أو لم يجيبوا ، فقال عطفا على قوله "قل يا ايها الناس" : ﴿ و اتبع ﴾ أى بجميع جهدك ﴿ ما يوحى[7] اليك ﴾ ١٥ و بناه للمفعول لأن ذلك كان بعد أن تقررت عصمته صلى الله عليه و سلم [6]و علم[6] أن كل ما يأتيه من عند الله ، فكان ذلك أمكن فى أمره باتباع كل ما يأتيه منه سبحانه و فى الإيذان بأنه لا ينطق عن الهوى ﴿ و اصبر ﴾ فى تبليغ الرسالة على ما أصابك [6]فى ذلك[6] من عظيم الضرر و بليغ الخطر

(١) من ظ ، و فى الأصل : فهذا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : تصرفهم (٤) فى ظ : فبطل (٥) فى ظ : بما (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

من ضلال من لم يهتد و إعراضه و جفوته و أذاه ﴿ حتى يحكم الله ﴾ أى الملك الأعظم بين من ضل من أمتك و من اهتدى ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ خير الحٰكمين ﴾ لأنه يوقع الحكم فى أولى مواقعه و أحقها و أحسنها[1] و أعدلها ، و هو المطلع على السرائر فاعمل أنت بما[2] تؤمر به و بشر و أنذر و أخبر و ادع إلى الله بجميع ما أمرك به و اترك المدعوين ٥ حتى يأمرك فيهم بأمره ؛ قال الزمخشرى : و[3] روى أنها لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله صلى الله عليه و سلم الأنصار فقال : إنكم ستجدون بعدى إثرة فاصبروا حتى تلقونى - و تبعه على ذلك أبو حيان و غيره ، فان صح فالسر فيه - و الله أعلم - أنه لما أعلمت هذه الآية أن من اتبع الوحى ابتلى بما ينبغى الصبر عليه و أفهمت أن من كان له أشد اتباعا ١٠ كان أشد بلاء ، و كان الأنصار رضى الله عنهم أجمعين أحق بهذا الوصف من غيرهم من حيث [أنهم -][4] كانوا أول قبيلة جمعها الإيمان و من حيث كانوا له أسهل قيادا و ألين عريكة مع كونهم لم يتقدم لهم عشرة بالنبى صلى الله عليه و سلم و لا خبرة بأحواله توجب لهم من اتباعه ما يوجب لمن كان من بنى عمه قريش يخالطه و يأنس به و يرى ١٥ منه معالى الأخلاق و كريم الشمائل ما يوفر داعيته على اتباعه ، فلما كان ذلك كذلك ، خص النبى صلى الله عليه و سلم الأنصار رضى الله عنهم لهذا الأمر ، فتفضيلهم فى ذلك من الجهتين المذكورتين فلا يتوهم[5]

(١) من ظ ، و فى الأصل : احبها (٢) من ظ ، و فى الأصل : ما (٣) سقطت الواو من ظ (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : تتوهم .

تفضيلهم على المهاجرين. بل المهاجرون أفضل لأنهم جمعوا إلى النصرة[1] الهجرة مع أن أكثرهم له من قرب النسب من رسول الله صلى الله عليه وسلم والسبق فى الإسلام حظ وافر. هذا ما ظهر لى من[2] مناسبته على تقدير الصحة. والذى فى الصحيح[3] عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أراد أن يقطع[4] الأنصار من البحرين فقالت الأنصار: حتى تقطع[5] لإخواننا من المهاجرين مثل الذى تقطع لنا. وقال: سترون بعدى أثرة فاصبروا حتى تلقونى. فهذا فيه أن السبب حرصهم / على الإنصاف وهو[6] يدل على أن المنصف يقل إنصاف الناس له وهو أمر[7] مستقرى: والوحى: إلقاء المعنى إلى النفس فى خفاء. وهو هنا ما يجىء به الملك إلى النبى عليهما السلام عن الله تعالى فينقيه إليه على اختصاصه به من غير أن يرى ذلك سواه من الناس؛ والصبر: تجرع مرارة الامتناع من المشتهى إلى الوقت الذى ينبغى فيه تعاطيه ويعين عليه العلم بعاقبته وكثرة الفكر فى الخير الذى ينال به. واعتياد الصبر فى خصلة يسهل الصبر فى [خصلة [7]] أخرى لأن الخير يدعو إلى الخير فتمكن[8] الإنسان فى خصلة يصير له ملكة تدعوه إلى ما شاكلها، وقد ختم سبحانه السورة بما ابتدأها به من أمر الكتاب والإشارة إلى الإرشاد لما[9] ينفع من ثمرة إنزاله[10] وهو العمل بما دل

/٦١٨

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) فى ظ: فى (٣) فى ظ: الصحيحين (٤) من ظ وصحيح البخارى ـ كتاب المساقاة، وفى الأصل: يقطع (٥) فى ظ: هذا (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ (٨) من ظ، وفى الأصل: فيمكن (٩) فى ظ: كما (١٠) فى ط: انزاله.

عليه أو أشار إليه إلى أن يتجلى الحكيم الذى أنزله[1] للحكم فى الدنيا أو فى الآخرة بما لا مرد له مما برزت به مواعيده "صادقة[2]" فى كلماته التامة . و هذا بعينه هو أول التى بعدها ، فكان ختم هذه السورة وسطا بين أولها و أول التى تليها ، ففيه رد المقطع على المطلع[3] و تتبع لما استتبع - و الله الموفق . ٥

* * * * *

(١) من ظ . و فى الأصل : انزاله (٢) فى ظ : الصادق (٣) فى ظ : المطلق .

سورة هود عليه السلام[1]

مقصودها وصف[2] الكتاب بالإحكام و التفصيل فى حالتى البشارة و النذارة المقتضى ذلك لمنزله سبحانه وضع كل شىء فى أتم محاله و إنفاذه مهما أريد الموجب للقدرة على كل شىء ، و أنسب ما فيها لهذا المقصد ما ذكر فى سياق قصة هود عليه السلام من أحكام البشارة و النذارة بالعاجل و الآجل و التصريح بالجزم بالمعالجة[3] بالمبادرة[4] الناظر إلى أعظم مدارات السورة " فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك " و العناية بكل دابة و القدرة على كل شىء من البعث و غيره المقتضى للعلم بكل معلوم اللازم منه التفرد بالملك . [و سيأتى فى الاحقاف وجه اختصاص كل منهما باسمها - ٥]

﴿ بسم الله ﴾ أى[6] الذى له تمام العلم و كمال الحكمة و جميع القدرة ﴿ الرحمن ﴾ لجميع خلقه بعموم البشارة و النذارة ﴿ الرحيم ٥ ﴾ لأهل ولايته بالحفظ فى سلوك سبيله ﴿ الر ﴾ .

لما ختمت السورة التى قبلها - كما ترى - بالحث على اتباع الكتاب و لزومه و الصبر على ما يتعقب ذلك من مرائر الضير المؤدية إلى مفاوز الخير اعتمادا على المتصف بالجلال و الكبرياء و الكمال . ابتدئت هذه بوصفه بما يرغب فيه ، فقال بعد الإشارة إلى إعادة القرع بالتحدى على ما سلف

(١) مكية وعدد آيها مائة و إحدى و عشرون فى المدنى الأخير و اثنتان فى المدنى الأول و ثلاث فى الكوفى كما قال الدانى - راجع روح المعانى ٣ / ٥٠٤ (٢) فى ظ : وصفه (٣) من ظ ، و فى الأصل : بالمعاجلة (٤) فى ظ : بالمنابذة (٥) زيد من ظ (٦) سقط من ظ .

فى البقرة : ﴿ كتب ﴾ أى عظيم[1] جامع لكل خير ، ثم وصفه بقوله : ﴿ احكمت ﴾ بناه للمعول بيانا لأن إحكامه أمر قد فرغ منه [على أيسر وجه عنه سبحانه -[2]] [3]و أتقن إتقانا لا مزيد عليه[3] ﴿ آياته ﴾ أى أتقنت إتقانا لا نقص[4] معه فلا ينقصها الذى أنزلها بنسخها كلها بكتاب آخر و لا غيره ، ولا يستطيع غيره نقص شىء منها و لا الطعن فى شىء من بلاغتها أو فصاحتها بشىء يقبل ، و المراد بـ "محكمت" فى آل عمران[5] عدم التشابه .

و لما كان للتفصيل رتبة هى[1] فى غاية العظمة ، [6]أتى بأداة[6] التراخى فقال : ﴿ ثم ﴾ أى و بعد هذه الرتبة العالية التى لم يشاركه فى مجموعها كتاب جعلت له رتبة أعلى منها جدا بحيث لم يشاركه فى شىء منها كتاب و ذلك أنه ﴿ فصلت ﴾ أى جعلت لها - مع كونها مفصلة[7] إلى حلال و حرام و قصص و أمثال - فواصل و نهايات تكون بها مفارقة لما بعدها و [ما -[2]] قبلها ، يفهم[8] منها علوم جمة و معارف مهمة و إشارات إلى أحوال عالية ، و موارد عذبة صافية ، و مقامات من كل علة شافية ، كما تفصل القلائد بالفرائد ، و هذا التفصيل لم يشاركه فى شىء منه شىء من الكتب السالفة ، بل هى مدمجة إدماجا لا فواصل لها كما يعرف ذلك من طالعها ، و يكفى فى معرفة ذلك ما سقته منها فى تضاعيف / هذا الكتاب ، / ٦١٩

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : لا نقيض (٥) راجع آية ٧ (٦-٦) من ظ ، وفى الأصل : التى بارادة (٧) فى ظ : متفصلة (٨) فى ظ : تفهم .

و ما أنسب ختام هذه الآية للاحكام و التفصيل بقوله : ﴿ من لدن ﴾ أى نزلت آياته محكمة مفصلة حال كونها مبتدئة من حضرة هى أغرب الحضرات الكائنة من إله ﴿ حكيم خبير ﴾ منتهية إليك و أنت أعلى الناس فى كل وصف فلذلك لا يلحق إحكامها و لا تفصيلها ، أرسلناك به قائلا : ﴿ الا تعبدوا ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ الا الله ﴾ أى الإله الأعظم[٣] .

و لما كان هذا معظم ما أرسل به صلى الله عليه و سلم و مداره ، استأنف الإخبار بأنه أرسله سبحانه مؤكدا له [لأجل إنكارهم - [٢]]فقال : ﴿ انى ﴾ و لما كان إرساله صلى الله عليه و سلم لأجل رحمة العالمين ، قدم ضميرهم[٣] فقال : ﴿ لكم منه ﴾ أى خاصة ، ثم أجمل القرآن كله فى وصفيه صلى الله عليه و سلم بقوله [مقدما ما هو أنسب لختام التى قبلها بالصبر - [٢]] : ﴿ نذير و بشير ﴾ [كامل فى كل من الوصفين غاية الكمال - [٢]] ، و هذا التقدير يرشد إليه قوله تعالى أول[٤] التى قبلها " ا كان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم ان انذر الناس " - الآية مع إيضاحه لما عطف عليه قوله تعالى " و لقد ارسلنا نوحا الى قومه ان " عطفناه عليه ، و إظهاره لفائدة عطفه كما سيأتى إن شاء الله تعالى ، و يرجح أن " لا " ناهية جازمة لـ " تعبدوا " عطف " ان استغفروا " عليه . فقد ظهر من

(١) زيد بعده فى الأصل « و لما كان ارساله صلى الله عليه و سلم لاجل رحمة العالمين قدم ضميرهم فقال » و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : ضميره (٤) فى ظ : او .

تلويح هذا و تصريحه و تصريح ما [فى - ١] بقية السورة أن مقصودها وصف الكتاب بالإحكام و التفصيل بما يعجز الخلق لأنه من عند من هو شامل العلم كامل القدرة فهو بالغ الحكمة يعيد الخلق للجزاء[٢] كما بدأهم للعمل فوجب إفراده بالعبادة و أن يمتثل جميع أمره ، و لا يترك شيء منه رجاء إقبال أحد و لا خوف إدباره ، و لا يخشى غيره . و لا يركن ٥ إلى سواه . على ذلك مضى جميع النبيين و درج سائر المرسلين صلى الله عليهم و سلم أجمعين .

و لما تقدم أنه نذير و بشير . اتبع ذلك بما يشمل الأمرين بقوله عطفا على "الا تعبدوا" مشيرا إلى أنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره : ﴿و ان استغفروا ربكم﴾ أى اطلبوا مع الإخلاص فى العبادة أن يغفرلكم ١٠ المحسن إليكم ما فرطتم فيه ؛ و أشار بأداة التراخى إلى علو رتبة التوبة و أن لا سبيل إلى طلب الغفران إلا بها فقال : ﴿ ثم توبوآ اليه ﴾ أى ارجعوا بالظاهر و الباطن رجوعا لا رجعة فيه [و إن كان المراد بها الدوام فجليل رتبته غير خفى - ١] ﴿ يمتعكم ﴾ [أى يمد فى تلذيذكم بالعيش مدا ، من متع النهار : ارتفع ، و الضحى : بلغ غايته ، و أمتعه الله بكذا : ١٥ أبقاه و أنشأه إلى أن يبلغ شبابه - ١] ؛ و [لما - ١] ، كان التمتيع - و هو المتاع البالغ فيه حتى لا يكون فيه كدر - لا يكون إلا فى الجنة[٣] فلذلك جعل المصدر[٣] ﴿ متاعا ﴾ [٤] و إنه وضع موضع "تمتيعا" هذا المصدر[٤]

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : للخبر (٣-٣) فى ظ : حذف المصدر و وضع مكانه اسم المصدر (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و وصفه بقوله : ﴿ حسنا ﴾ [1]ليدل على أنه أنهى ما يليق بهذه الدار ، و لقد كان ما أوتيه الصحابة رضى الله عنهم فى زمن عمر رضى الله عنه من الظفر بالإهداء و سعة الدنيا و رغد العيش كذلك[1] ﴿ الى ﴾ أى ممتدا[2] إلى ﴿ اجل مسمى ﴾ أى فى علمه[3] إما بالموت لكل واحد أو بانقضاء ما ضربه من الأجل للنعمة التى أشار إليها ﴿ و يؤت كل ذى فضل ﴾ أى عمل فاضل ﴿ فضله[4] ﴾ أى جزاء ما قصد بعمله على وجه التفضيل منه سبحانه فانه لا يجب لأحد عليه شىء ، و هو مع ذلك على حسب التفضيل : الحسنة بعشرة[5] أمثالها ؛ قال ابن مسعود : و هلك من غلبت آحاده عشراته .

و لما انقضى التبشير مجزوما به ، أتبعه التحذير مخوفا منه لطفا بالعباد و استعطافا لهم فقال : ﴿ و ان تولوا ﴾ أى تكلفوا أنفسكم ضد ما طبعها الله عليه من سلامة الفطرة و[6] سهولة الانقياد من[6] الإعراض و لو أدنى درجاته بما[7] أشار إليه حذف التاء ﴿ فانى اخاف عليكم ﴾ أى و العاقل من أبعد عن المخاوف ﴿ عذاب يوم كبير * ﴾ أى لكبر ما فيه من العذاب ممن[8] قدر على إثابتكم ، و خص اسم الرب تذكيرا بما له من النعم فى الإيجاد و الإنشاء[9] و التربية ؛ [10]و لما كان الاستغفار - و هو طلب الغفران - مطلوبا فى نفسه لكنه لا يعتبر إلا إذا قرن بالتوبة ، عطف عليه

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : ليكون ابلغ (٢) فى ظ : ممتد (٣) من ظ ، و فى الأصل : علم (٤) فى ظ : بعشر (٥) من ظ ، و فى الأصل : فى (٦) من ظ ، و فى الأصل : ابى (٧) من ظ ، و فى الأصل : كما (٨) فى ظ : من (٩) فى ظ : الانجاء .
(١٠) العبارة من هنا إلى « غير خفى » سقطت من ظ .

بـ "ثم" إشارة إلى عظيم رتبتها و على منزلتها و إن كان المراد بها الدوام عليها لجليل رتبته غير خفى ، و فى التعبير عن العمل بالفضل إشارة إلى أنه لم يقع التكليف إلا بما فى الوسع مع أنه من معالى الأخلاق ، لأن الفضل فى الأصل / ما[1] فضل عن الإنسان و تعانيه من كريم الشمائل ، و ما كان كذلك فهو فى[2] الذروة من الإحكام ، لأنه منع الفعل من الفساد ؛ و الحكيم من الحكمة و هى العلم[3] بما يجمع عليه مما يمنع الفعل من الفساد و النقض ، و بها يميز الحسن من القبيح و الفاسد من الصحيح ، و قد أشارت الآية إلى أن الاستغفار و التوبة سبب السعة "و لو انهم اقاموا التورئة و الانجيل و ما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم و من تحت ارجلهم[4]" و أن الإعراض سبب الضيق ، كما قال صلى الله عليه و سلم : إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ."و "يؤت كل ذى فضل فضله[5]" إشارة إلى ثواب الآخرة ، فالتوبة سبب طيب العيش فى الدنيا و الآخرة .

/ ٦٢٠

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير[6] فى كتابه فى مناسبة هذه السورة للتى قبلها[6] : و لما كانت سورة يونس عليه السلام قد تضمنت - من آى التنبيه و التحريك للفطر[7] و من العظات و التخويف و التهديد و الترهيب

(١) من ظ ، و فى الأصل : لما (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) فى ظ : العمل (٤) سورة ٥ آية ٦٦ (٥-٥) فى ظ : فى ذكر الفضل (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : للنظم .

و الترغيب و تقريع المشركين و الجاحدين و القطع بهم و الإعلام بالجريان على حكم السوابق و وجوب التفويض و التسليم - ما لم يشتمل[1] على مثله سورة لتكرر هذه الأغراض فيها ، و سبب تكرر ذلك فيها - والله أعلم - أنها أعقبت بها السبع الطوال . و قد مر التنبيه على أن سورة الأنعام بها وقع استيفاء بيان حال المتنكبين عن[2] الصراط المستقيم على اختلاف أحوالهم ، ثم استوفت سورة الأنعام ما وقعت الإحالة عليه من أحوال الأمم السالفة كما تقدم و بسطت ما أجمل من أمرهم ، ثم اتبع ذلك بخطاب المستجيبين لرسول الله صلى الله عليه و سلم و حذروا و أنذروا ، و كشف عن حال من تلبس بهم من عدوهم من المنافقين ، و تم المقصود من هذا في [3]سورتي الانفال[3] و براءة ، ثم عاد الخطاب إلى طريقة الدعاء إلى الله و التحذير من عذابه بعد بسط ما تقدم . فكان مظنة تأكيد[4] التخويف و الترهيب لإتيان ذلك بعد بسط حال و إيضاح أدلة ، فلهذا كانت سورة يونس مضمنة من هذا ما لم يضمن غيرها ، ألا ترى افتتاحها بقوله " أن ربكم الله " الآيات . و مناسبة هذا الافتتاح دعاء الخلق إلى الله في سورة البقرة بقوله تعالى " يايها الناس اعبدوا ربكم " ثم قد نبهوا هنا كما نبهوا هناك فقال تعالى " ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله " ثم تأكدت المواعظ و الزواجر و الإشارات إلى أحوال المكذبين و المعاندين،

(١) في ظ : لم تشتمل (٢) في ظ : على (٣-٣) في ظ : سورة الاعراف .
(٤) في ظ : لتاكيد .

فن

فن التنبيه "ان ربكم الله"، "هو الذى جعل الشمس"، "ان فى اختلاف الليل و النهار"، "قل هل من شركائكم من [يبدؤا الخلق ثم يعيده"، "قل هل من شركائكم من -[1] يهدى الى الحق"، "قل انظروا ماذا فى السمٰوٰت و الارض" - إلى غير هذا، و على هذا السنن تكررت العظات و الاغراض المشار إليها فى هذه السورة إلى قوله ٥ "يايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم" فحصل من سورة الاعراف و الانفال و برءاة [2] و يونس [3] تفصيل ما كان أجمل فيما تقدمها كما حصل مما تقدم تفصيل أحوال السالكين و المتنكبين، فلما تقرر هذا كله اتبع المجموع بقوله "كتب احكمت ايٰته ثم فصلت من لدن حكيم خبير" و تأمل مناسبة الإتيان بهذين الاسمين الكريمين و هما "الحكيم الخبير" ١٠ ثم تأمل تلاؤم صدر السورة بقوله "يايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم" و قد كان تقدم قوله تعالى "قد جاءتكم موعظة من ربكم" فاتبع قوله "قد جاءكم الحق من ربكم" بقوله فى صدر سورة هود "كتب احكمت ايٰته ثم فصلت" فكأنه فى معرض بيان الحق و الموعظة، و إذا كانت محكمة مفصلة فحق لها أن تكون شفاء لما فى الصدور و هدى و رحمة ١٥ للمؤمنين، و حق توبيخهم فى قوله تعالى "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه" و العجب فى عمههم [3] مع / إحكامه و تفصيله و لكن "الذين حقت عليهم ٦٢١ /

(١) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٠ آية ٣٤ و ٣٥ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: عمههم.

كلمت ربك لا يؤمنون" و تأمل قوله سبحانه آخر هذه السورة "وكلا نقص عليك من انبوئ الرسل ما نثبت بـه فؤادك"، و "جاءك فى هذه الحق و موعظة و ذكرى للمؤمنين" فكل الكتاب حق و موعظة و ذكرى، و إنما الإشارة - و الله أعلم - بما أراد إلى ما تقرر الإيماء
٥ إليه من كمال[1] بيان الصراط المستقيم و ملتزمات متبعيه أخذا و تركا، و ذكر أحوال المتنكبين على شتى طرقهم، و اختلاف أهوائهم و غاياتهم و شرهم إبليس فانه متبعهم و القائل لجميعهم فى إخبار الله تعالى "ان الله وعدكم وعد[2] الحق و وعدتكم فاخلفتكم" و قد بسط[3] من أمره و قصته فى البقرة و الاعراف ما يسر على المؤمنين الحذر منه[3] و عرفهم به و ذكر اليهود
١٠ و النصارى و المشركون[4] و الصابئون و المنافقون و غيرهم. و فصل مرتكب كل فريق منهم كما استوعب ذكر أهل الصراط المستقيم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين، و فصل أحوالهم ابتداء و انتهاء و التزاما و تركا ما أوضح طريقهم، و عين حزبهم و فريقهم "اولئك الذين هدى الله" و ذكر أحوال الأمم مع أنبيائهم و أخذ كل من الأمم بذنبه
١٥ مفصلا، و ذكر ابتداء الخلق فى قصة آدم عليه السلام و حال الملائكة فى التسليم و الإذعان و ذكر فريق[5] الجن من مؤمن وكافر و أمر الآخرة و انتهاء حال الخلائق و استقرارهم الأخروى و تكرير[6] دعاء الخلق إلى الله تعالى طمعا فيه[7] و رحمة و إعلام الخلق بما هو عليه سبحانه و ما يجب

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : يسطت (٣) فى ظ : منهم (٤) فى ظ : المشركين.
(٥) فى ظ : فريقا (٦) فى ظ : تكرر (٧) من ظ، و فى الأصل : منه.

له من الصفات العلى و الأسماء الحسنى ، و نبه العباد على الاعتبار و علموا طرق الاستدلال و رغبوا و رهبوا و بشروا و أنذروا و أعلموا بافتقار المخلوقات بجملتها إليه سبحانه كما هو المتفرد بخلقهم إلى ما تخلر[1] ذلك مما يعجز الخلائق عن[2] حصره و الإحاطة به " و الله يقول الحق و هو يهدى السبيل " فلما تقدم هذا كله فى السبع الطوال و ما تلاها أعقب ٥ ذلك بقوله " كتب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير " ثم اتبع هذا بالإيماء إلى فصول ثلاثة[3] عليها مدار آى الكتب ، و هى فصل الإلهية ، و فصل الرسالة ، و فصل التكاليف . أما الأول فأشار إليه قوله " الا تعبدوا الا الله " و أما فصل الرسالة فأشار إليه قوله سبحانه " انى لكم منه نذير و بشير " و أما فصل التكاليف فأشار إليه قوله سبحانه ١٠ " و ان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه " ، و هذه الفصول الثلاثة[4] هى التى تدور[5] عليها آى القران و عليها مدار السورة الكريمة ، فلما حصل استيفاء ذلك كله فيما تقدم و لم يبق وجه شبهة[6] للعاند و لا تعلق للجاحد و اتضح الحق و بان قال سبحانه و تعالى " و جاءك فى هذه الحق " إشارة إلى كمال المقصود و بيان المطلوب و استيفاء التعريف بوضوح الطريق و قد ١٥ وضح من هذا تلاء هذه السورة الكريمة لما تقدمها ، و مما يشهد لهذا - و الله أعلم - قوله تعالى [" افمن كان على بينة من ربه و يتلوه شهد منه " و قوله تعالى - [7]] " فاستقم كما امرت و من تاب معك و لا تطغوا "

---

(١) من ظ ، و فى الاصل : يخال (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : ثلاث (٤-٤) فى ظ : التى هى يدور (٥) فى ظ : شبه (٦) زيد من ظ ، و راجع أيضا آية ١٧ من هذه السورة .

فقد وضح طريقك و فاز بالفلاح حزبك و فريقك "و لا تركنوا الى الذين ظلموا" فقد عرفتم سبيلهم و مصيرهم فقد بان طريق الحق، و[1]كيف ينكب من جزم[1] سلوكه من الخلق! و نظيره[2] قوله سبحانه "و جاءك فى هذه الحق" عقب ما ذكر سبحانه "لمن الملك اليوم" و قوله "يوم لا تملك نفس لنفس شيئا و الامر يومئذ لله" فتأمل [ذلك -[3]] و الله المستعان - انتهى.

و لما خوف المنذرون [4]باليوم الكبير[4] كانوا كأنهم قالوا: ما هذا اليوم؟ فكان الجواب: يوم يرجعون إليه، و لما كانوا ربما حملوا الرجوع على مجرد الموت و الصيرورة ترابا، نبههم على أنه بغير المعنى الذى يتوهمونه بل بمعنى[5] إعادتهم كما كانوا فقال: ﴿الى الله﴾ أى الملك المحيط بكل شيء قدرة و علما وحده ﴿مرجعكم ج﴾ أى [رجوعكم و وقته و مكانه لأجل الحساب -[3]] لا إلى التراب و لا غيره، [و هو بكل شيء عليم، و منه بدءكم لأخذ الزاد للمعاد -[3]]، و جعل فاصلة الآية / حكما على المراد فقال: ﴿و هو﴾ أى وحده ﴿على كل شيء﴾ أى ممكن ﴿قدير ه﴾ أى بالغ القدرة لأنهم يقرون بقدرته على أشياء هى أعظم من الإعادة، [فهو قادر على الإعادة كما قدر على البداءة، فالآية من الاحتباك: ذكر المرجع أولا دليلا على المبدإ ثانيا، و تمام القدرة ثانيا دليلا على تمام العلم أولا لأنهما متلازمان -[3]].

/ ٦٢٢

و لما تقدم من التخويف و الإطماع ما هو مظنة لإقبالهم و رهبهم

(١-١) فى ظ: قد تنكب من حرم (٢) من ظ، و فى الأصل: نظير (٣) زيد من ظ (٤-٤) فى ظ: اليوم (٥) من ظ، و فى الأصل: معنى.

على

على التولى بخصوصه ، فكان[1] موضع أن يقال : هل أقبلوا ؟ فقيل : لا [قال -[2]] مبينا أن التولى باطنا كالتولى ظاهرا لأن الباطن هو العمدة ، مؤكدا لأنه أمر لا يكاد أن[3] يصدق ، و التأكيد أقعد فى تبكيتهم : ﴿ ألا انهم ﴾ أى الكفار المعاندين[4] ﴿ يثنون صدورهم ﴾ أى يطوونها و ينحرفون عن الحق على غل من غير إقبال لأن من أقبل على الشىء ٥ أقبل عليه بصدره ﴿ ليستخفوا منه[5] ﴾ أى يريدون[6] أن يوجدوا إخفاء سرهم على غاية ما يكون من أمره ، فان كان مرادهم بالثنى الاستتار من الله تعالى فالأمر فى عود الضمير إليه سبحانه واضح ، و إن كان من النبى صلى الله عليه و سلم فالاستخفاء منه استخفاء ممن أرسله ، ثم أعلم أن ذلك غير مغن عنهم لأنه يعلم سرهم و علنهم فى أخفى أحوالهم ١٠ عندهم ، و هو حين استغشائهم ثيابهم ، فيغطون الوجوه التى تستقر عن بعض ما فى القلوب للتوسمين فقال : ﴿ ألا حين يستغشون ثيابهم[7] ﴾ أى يوجدون غشيانها أى تغطيتها لرؤسهم ، لاستخفاء كراهية[6] لسماع كلام الله و أخبار رسوله[8] صلى الله عليه و سلم ﴿ يعلم ما يسرون ﴾ أى يوقعون إسراره فى أىّ وقت كان و من أىّ نوع كان من غير بطأ لتدبر ١٥ أو تأمل ، [و لما لم يكن بين علم السر و العلن ملازمة لاختصاص العلن بما يكون لغيبة أو اختلاط بأصوات و لفظ أو اختلاف لغة و نحو ذلك قال تصريحا -[2]] : ﴿ و ما يعلنون ج ﴾ أى يوقعون إعلانه لا تفاوت[7] فى

(١) من ظ ، و فى الأصل : كان (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : المعاندون (٥) فى ظ : ان يريدوا (٦) فى ظ : كراهة (٧) من ظ ، و فى الأصل : رسول الله (٨) من ظ ، و فى الأصل : لا يفاوت .

علمه بين إسرار و إعلان . فلا وجه لاستخفائهم نفاقا ، فان سوق نفاقهم[1] غير نافق عنده[2] سبحانه . ثم علله بما هو أدق من ذلك كله مع شموله للنوعين فقال : ﴿ انه عليم ﴾ أى بالغ العلم جدا ﴿ بذات الصدور ٥ ﴾ أى بضمائر قلوبهم التى فى دواخل[3] صدورهم التى يثنونها من قبل أن يقع لهم[4] إضمارها ، بل من قبل أن يخلقهم ؛ و أصل الثنى العطف . و منه الاثنان - لعطف أحدهما على الآخر ، و الثناء - لعطف[5] المناقب فى المدح . و لهذا لما قال "عبد فى الفاتحة" الرحمن الرحيم" بعد الحمد قال الله تعالى : أثنى علىّ عبدى - كما فى حديث « قسمت الصلاة بينى و بين عبدى نصفين » و الاستثناء - لعطف الثانى على الأول بالاستخراج منه ؛ و الاستخفاء : طلب خفاء الشىء : ثم اتبع ذلك بما يدل على شمول العلم و القدرة معا فقال :

---

(١) زيد فى ظ : من (٢) فى ظ : عندهم (٣) فى ظ : داخل (٤) فى ظ : من (٥) من ظ . و فى الأصل : العطف .

﴿ و ما ﴾ و أغرق في العموم بقوله : ﴿ من دآبة ﴾ و[1] دل على أن الإنتفاع بالأموال مخصوص بأهل العالم السفلي بقوله : ﴿ في الارض ﴾ أي صغرت أو كبرت ﴿ الا على الله ﴾ أي الملك الأعلى الذي له الإحاطة وحده لا على غيره ﴿ رزقها ﴾ أي قوتها و ما تنتفع و تعيش به بمقتضى ما أوجبه على نفسه ، [تحقيقا لوصوله و حملا على التوكل فيه -[2]] ، ٥ لأن الإفضال على كل نفس بما لا تعيش إلا به و لا يلائمها إلا هو مدة حياتها أدق مما مضى في العلم مع تضمنه لتمام القدرة ، و الآية مع ذلك ناظرة إلى ترغيب آية " و ان استغفروا ربكم " فالمراد : أخلصوا العبادة له و لا تفتروا[3] عن عبادته للاشتغال بالرزق فانه ضمنه لكم و هو عالم بكل نفس فلا تخشوا من أنه ينسى أحدا ، و قال : " في الارض " ليعم ما يمشي على وجهها ١٠ و ما في أطباقها من الديدان و نحوها مما لا يعلمه إلا هو ، لقد شاهدت داخل حصاة من شاطئ بحر قبرس[4] شديدة الصلابة كأنها العقيق الأبيض دودة عندها ما تأكل ، و أخبرني الفاضل عز الدين محمد بن أحمد التكروري الكتبي أنه شاهد غير مرة في دواخل[5] حجارة[6] تقطع من جبل مصر الدود عنده ما يأكل من الحشيش الأخضر و ما يشرب من الماء ؛ و نبه ١٥ بقوله : ﴿ و يعلم مستقرها ﴾ أي مكانها الذي تستقر فيه ﴿ و مستودعها[1] ﴾ أي موضعها الذي تودع فيه قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة أو بعده / من قبر أو فلاة أو غير ذلك على ما يحيط به علمه من تفاصيل / ٦٢٣

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، وفي الأصل : لا يفتروا.
(٤) من ظ، وفي الأصل: فيرس (٥) في ظ: داخل (٦) من ظ، وفي الأصل: الحجارة.

السكنات و الحركات ما كان منها و ما يكون من كل ذلك مما يحير الفكر و يدهش الألباب ، ثم جعل فاصلة الآية ما هو فى غاية العظمة عند الحق[1] و هو ﴿ كل ﴾ أى من ذلك ﴿ فى كتب مبين ﴾ فانه ليس كل ما يعلمه العبد يقدر[2] على كتابته و لا كل ما يكتبه[3] يكون مبينا بحيث أنه كلما أراد الكشف منه وجد ما يريده ، و إذا وجده كان مفهما له ؛ و الدابة : الحى الذى من شأنه الدبيب ؛ و المستقر : الموضع الذى يقر فيه الشىء ، و هو قراره و مكانه الذى يأوى إليه ؛ و المستودع : المعنى المجعول فى قرار كالولد الذى يكون فى البطن و النطفة التى فى الظهر ، و قد جعل سبحانه فى كتابة ما ذكر حكما منها ما للملائكة فيه من العبرة عند المقابلة بما يكون من الأمور المكتوبة قبل وجودها .

و لما كان خلق ما منه الرزق أعظم من خلق الرزق و توزيعه[4] فى شمول العلم و القدرة معا ، تلاه بقوله : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى خلق ﴾ أى أوجد و قدر ﴿ السموٰت و الارض ﴾ وحده[5] لم يشركه فى ذلك أحد كما أنتم معترفون ﴿ فى ستة ايام ﴾ و لما كان خلق العرش أعظم من ذلك كله فان جميع السماوات و الأرض بالنسبة إليه كحلقة ملقاة فى فلاة ، و أعظم من ذلك أن يكون محمولا على الماء الذى لا يمكن حمله فى العادة إلا فى وعاء ضابط محكم ، تلاه بقوله : ﴿ و كان ﴾ [أى - ٦] قبل خلقه لذلك ﴿ عرشه ﴾ مستعليا[7] ﴿ على الماء ﴾ و لا يلزم من ذلك

(١) من ظ ، و فى الأصل : الخلق (٢) فى ظ : تقدر (٣) فى ظ : تكتبه (٤) فى ظ : توديعه (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : بمتعلية .

الملاصقة كما أن السماء على الأرض من غير ملاصقة . و قد علم من هذا السياق أنه[1] كان قبل الأرض [خلق -[2]] فثبت أنه و ما تحته محمولان بمحض القدرة من غير سبب آخر قريب أو[3] بعيد ، فثبت بذلك أن قدرته فى درجات من[4] العظمة لا تتناهى ، و هذا زيادة تفصيل لما[5] ذكر فى سورة يونس عليه السلام من أمر العرش لأن هذه سورة التفصيل . ٥ و نبه بقوله تعالى معلقا بـ"خلق" : ﴿ليبلوكم﴾ أى [أنه خلق ذلك كله لكم سكنا كاملا بمهده و سقفه من أكله و شربه و كل ما تحتاجونه فيه و ما يصلحكم و ما يفسدكم و مكنكم من جميع ذلك و -[2]] الحكمة فى خلق ذلك أنه يعاملكم معاملة المختبر ، و دل على شدة الاهتمام بذلك بسوقه مساق الاستفهام[6] فى قوله : ﴿ ايكم ﴾ أى أيها العباد ﴿ احسن عملا ﴾ على ١٠ أنه فعل هذه الأفعال الهائلة لأجل هذه الأمور التى هم لها مستهينون و بها مستهزؤن[7] ، و علق فعل البلوى عن جملة الاستفهام لما فيه من معنى العلم لأنه طريق إليه . روى البخارى فى التفسير عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : قال الله عز و جل : أنفق أنفق عليك ، و قال : يد[8] الله ملأى لا تغيضها[9] نفقة ، سحاء الليل و النهار ، ١٥ و قال : أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماء و الأرض فانه لم يغض[10] ما فى

(١) زيد بعده فى ظ : لو (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : ام (٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : كما (٦) فى ظ : الاهتمام (٧) من ظ ، و فى الأصل : يستهزؤن (٨) من ظ و الصحيح ، و فى الأصل : يدى (٩) من الصحيح ، و فى الأصل : لا يغيظها ، و فى ظ : لا يغيضها (١٠) من الصحيح ، و فى الأصل و ظ : لم يقض .

يده ، و كان عرشه على الماء ، و بيده الميزان[1] يخفض و يرفع . و فى الآية حث على محاسن الأعمال و الترقى دائما فى مراتب الكمال من العلم الذى هو عمل القلب [و العمل -[2]] الظاهر الذى هو وظيفة الأركان .

٥ و لما ثبت - ببدء الخلق الذى هم [به -[2]] معترفون - القدرةُ على إعادته ، و ثبت بالابتلاء أنه لا تتم الحكمة فى خلق المكلفين إلا باعادتهم ليجازى كلا من المحسن و المسىء بفعاله[3] [و أنهم ما خلقوا إلا لذلك -[2]] . عجب من إنكارهم له و أكده[4] لذلك فقال : ﴿ و لئن قلت ﴾ أى[5] لهؤلاء الذين[5] ما خلقت هذا الخلق العظيم إلا لابتلائهم ﴿ انكم مبعوثون ﴾ أى

١٠ موجودون[6] ، [بعثكم -[2]] ثابت قطعا لا بد منه .

و لما كان زمن البعث بعض الزمن قال[7] : ﴿ من بعد الموت ﴾ الذى هو غاية الابتداء ﴿ ليقولن ﴾ أكده دلالة على العلم بالعواقب علما من أعلام النبوة ﴿ الذين كفروآ ان ﴾ أى ما ﴿ هذآ ﴾ أى القول بالبعث ﴿ الا سحر مبين ﴾ أى شىء مثل السحر تخييل باطل

١٥ لا حقيقة له أو خداع يصرف الناس عن الانهماك فى اللذات للدخول فى طاعة الأمر .

و لما كان ما تقدم عنهم من الأفعال ومضى من الأقوال مظنة لمعاجلتهم[8]

---

(١) زيدت الواو بعده فى ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : بما فعل (٤) من ظ ، و فى الأصل : تاكده (٥ - ٥) فى ظ : هولاء الذى (٦) من ظ ، و فى الأصل : موجود (٧) فى ظ : فقال (٨) فى ظ : لمعالجتهم .

بالإخذ . / وكان الواقع أنه تعالى يعاملهم[1] بالإمهال فضلا منه وكرما ، حكى ٦٢٤ /
مقالتهم فى مقابلة رحمته لهم فقال: ﴿ولئن اخرنا﴾ أى[2] بما لنا من العظمة
التى لا يفوتها شىء ﴿عنهم﴾ أى الكفار ﴿العذاب﴾ أى المتوعد به
﴿الى امة﴾ أى مدة من الزمان ليس فيها كدر ﴿معدودة﴾ أى محصورة
الأيام أى قصيرة معلومة عندنا حتى تعد[3] الأنفاس ﴿ليقولن﴾ على ٥
سبيل التكرار ﴿ما يحبسه[4]﴾ أى العذاب عن الوقوع استعجالا له تكذيبا
واستهزاء ، وهو تهديد لهم بأنه آتيهم عن قريب فليعتدوا لذلك .

ولما كان العاقل لا ينبغى أن يسأل عن مثل ذلك إلا بعد قدرته
على الدفع ، أعرض عن جوابهم وذكر لهم أنهم عاجزون عن دفاعه عند
إيقاعه إعلاما بأنهم عكسوا فى السؤال ، وتحقيقا لأن ما استهزؤا به لاحق ١٠
بهم لا محالة ، فقال مؤكدا لشديد إنكارهم : ﴿الا يوم﴾ وهو منصوب
بخبر ' ليس ' الدال على جواز تقدم[2] الخبر ﴿يأتيهم[4] ليس﴾ أى العذاب
﴿مصروفا عنهم﴾ أى بوجه من الوجوه ؛ [وقدم الماضى موضع المستقبل
تحقيقا ومبالغة فى التهديد فقال - [5]] : ﴿وحاق بهم﴾ أى أدركهم إذ ذاك
على سبيل الإحاطة ﴿ما كانوا﴾ أى بجبلاتهم وسيئ طبائعهم ، وقدم ١٥
الظرف إشارة إلى شدة إقبالهم على الهزء به حتى كأنهم لا يهزؤن بغيره فقال :
﴿به﴾ ولما كان استعجالهم استهزاء ، وضع موضع 'يستعجلون[6]' قوله :

(١) زيد بعده فى ظ : معاملة (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : بعد (٤) زيد بعده
فى الأصل : اى العذاب ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) زيد من ظ .
(٦) فى ظ : يستهزون .

﴿يستهزءون ۝﴾ أي يوجدون الهزء به إيجادا عظيما حتى كأنهم يطلبون ذلك.

ولما كان قولهم ذلك ناشئا عن طبع الإنسان على الوقوف مع الحالة الراهنة والعمى عن الاستضاءة بنور العقل فيما يزيلها في العاقبة، بين ذلك [ليعلم أن طبعه مناف لما تضمنه مقصود السورة من الإحكام الذي هو ثمرة العلم. وبعلم ذلك يعلم مقدار نعمته على من حفظه على ما فطره عليه من أحسن تقويم -[1]] بقوله مؤكدا لأن كل أحد ينكر أن يكون طبعه كذلك: ﴿ولئن أذقنا﴾ أي بما لنا من العظمة ﴿الانسان﴾ أي هذا النوع المستأنس بنفسه؛ ولما كان من أقبح الخلال استملاك المستعار، وكانت النعم عواري من الله يمنحها من شاء من عباده، قدم الصلة دليلا على العارية فقال: ﴿منا رحمة﴾ أي نعمة عظيمة فضلا منا عليه لا بحوله ولا بقوته [من جهة لا يرجوها بما دلت عليه أداة الشك-[1]] ومكناه من التلذذ بها تمكين[2] الذائق من المذوق ﴿ثم نزعناها﴾ أي بما لنا من العظمة وإن كره ذلك ﴿منه ج﴾ أخذا لحقنا ﴿انه ليؤس﴾ أي شديد اليأس من أن يعود له مثلها ﴿كفور ۝﴾ أي عظيم الستر لما سلفه له من الإكرام لأن شأنه ذلك وخلقه إلا من رحم ربك ﴿ولئن اذقنه نعماء﴾ من فضلنا.

ولما كان استملاكه[3] العارية طبعا له، لا ينفك عنه إلا بمعونة شديدة من الله، دل عليه بما[4] أفهم أنه لو كان طول عمره في الضر ثم نال حالة

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفي الأصل: ليكن (٣) في ظ: استملاك.
(٤) سقط من ظ.

يرضاها

يرضاها عقب زمن الضر سواء. بادر إلى اعتقاد أنها هى الحالة الأصلية له وأنها لا تفارقه أصلا ولا يشوبها نوع ضرر ولا يخالط صفوها شيء من كدر، فقال دالا على اتصال زمن الضر بالقول بنزع الخافض من الظرف: ﴿ بعد ضرآء ﴾ أى فقر شديد مضر ببدنه، ولم يسند المس إليه سبحانه كما فعل فى النعماء [1]تعليما للأدب[1] فقال: ﴿ مسته ﴾ أى بما كسبت يداه ﴿ ليقولن ﴾ مع قرب عهده بالضراء خفة وطيشا[2] ﴿ ذهب السيئات ﴾ أى كل ما يسوءنى ﴿ عنى[3] ﴾ وقوله ﴿ انه ﴾ الضمير فيه للانسان، فالمعنى أن الإنسان. فهى كلية مشهورة[4] بمستغرق، أى أن كل إنسان ﴿ لفرح فخور ﴾ أى خارج عن الحد فى فرحه شديد الإفراط فى فخره على غيره بكل نعمة تفضل الله عليه بها. [لا يملك ضر نفسه ومنعها من ذلك -[5]] فلذا اتصل [بها -[5]] قوله مستثنيا من الإنسان المراد به اسم الجنس: ﴿ الا الذين صبروا ﴾ فى وقت[6] الشدائد وزوال[6] النعم رجاء لمولاهم وحسن ظن به بسبب إيمانهم الموجب لتقيدهم[7] بالشرع ﴿ وعملوا الصلحت ﴾ [أى -[5]] من أقوال[8] الشكر وأفعاله عند حلول النعم، فهم دائما مشغولون بمولاهم شكرا وصبرا، [وهم الذين أتم عليهم سبحانه نعمه، خلقهم فى أحسن تقويم. وهم أقل من القليل لعظيم جهادهم لنفوسهم

(١-١) من ظ. وفى الأصل: تعليما فى الادب (٢) من ظ، وفى الأصل: طيشه - كذا (٣) تقدم فى الأصل على «ذهب السيئات» والترتيب من ظ (٤) فى ظ: مشورة (٥) زيد من ظ (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٧) فى ظ: لتعديهم (٨) فى ظ: اقواله.

فيما جبلت عليه من الحظوظ و الشهوات و غيرها و شياطينهم - [1]] .

و لما كان كأنه قيل: [2] فما لهم لم يكونوا [2] كذلك! أنتج السياق مدحهم فقال: ﴿ اولئك ﴾ أى العالو المراتب ﴿ لهم مغفرة ﴾ إذا وقعت منهم هفوة ﴿ و اجر كبير ﴾ على صبرهم و شكرهم؛ و الذوق: تناول الشيء بالفم لإدراك الطعم كما أن الشم ملابسة الشيء الأنف لإدراك الرائحة؛ و النزع: رفع الشيء عن غيره مما كان مشابكا له كالقلع [3] / و القشط؛ و اليأس: القطع بأن [4] الشيء لا يكون، و هو ضد الرجاء، و يؤوس: كثير اليأس، و هو ذم لأنه للجهل بسعة الرحمة الموجبة لقوة الأمل فى كل ما يجوز فى الحكمة فعله: و النعماء: إنعام يظهر أثره على صاحبه، كما أن الضراء مضرة تظهر الحال بها. لأنها أخرجت مخرج الأحوال الظاهرة من حمراء و عوراء مع ما فى مفهومها [5] من المبالغة؛ و السيئة: ما يسوء من جهة نفور [6] طبع أو عقل، و هى هنا المرض و الفقر و نحوه؛ و الفرح: انفتاح القلب بما يلتذ به؛ و عبارة البغوى: هو لذة فى القلب بنيل المشتهى و هو أعظم من ملاذ الحواس؛ و الفخر: التطاول بتعديد المناقب؛ و الصبر: حبس [النفس - [7]] عن المشتهى من [8] المحارم و نحوها، و الصبر على مر الحق يؤدى إلى الفوز فى الآخرة مع ما فيه من الجمال فى الدنيا؛ و الكبير واحد يقصر مقدار غيره عنه؛ و الكثير: جمع يزيد على عدد غيره.

٦٢٥ /

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) فى ظ: فانهم لما يكونوا (٣) فى ظ: كالقطع. (٤) فى ظ: بل (٥) من ظ، و فى الأصل: مفهوما (٦) فى ظ: نور (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ: عن.

ولما استثنى سبحانه من الجارين مع الطبع الطائشين [١]فى الهوى[١] مَنْ تحلى برزانة[٢] الصبر الناشئ عن وقار العلم المثمر لصالح العمل ، وكان صلى الله عليه وسلم رأس الصابرين ، وكان ما مضى من أقوالهم وأفعالهم مثل قولهم "ما يحبسه" وتثنيهم صدورهم أسبابا لضيق صدره صلى الله عليه وسلم ، فربما كانت مظنة لرجائهم تركه صلى الله عليه وسلم بعض ما يوحى إليه ٥ من عيب آلهتهم وتضليل آبائهم وتسفيه أحلامهم ، وغير ذلك مما يشق عليهم طمعا فى إقبالهم أو خوفا من إدبارهم فانهم كانوا يقولون : ما نراه يذكر من خالف دينه من اليهود والنصارى بمثل الذى يذكرنا به من الشر ، قال تعالى مسببا عن ذلك ناهيا فى[٣] صيغة الخبر : ﴿فلعلك تارك[٤]﴾ أى إشفاقا أو طمعا ﴿بعض ما﴾ ولما كان الموحى قد صار معلوما لهم ١٠ وإن نازعوا فيه . بنى للمفعول قوله : ﴿يوحى[٢] اليك﴾ كالإنذار وتسفيه أحلام آبائهم ﴿وضآئق به﴾ أى بذلك البعض ﴿صدرك﴾ مخافة ردهم له[٥] إذا بلغته لهم : ثم [٦]علل ذلك[٦] بقوله : ﴿ان﴾ أى مخافة أو لأجل أن ﴿يقولوا﴾ تعنتا ومغالبة إذ لو كانوا مسترشدين لكفتهم آية واحدة ﴿لولآ﴾ أى هلا ولم لا ﴿انزل عليه كنز﴾ يستغنى به ويتفرغ لما يريد ، [وبنوه للمفعول ١٥ لأن المقصود مطلق حصوله -[٧]] ، وكانوا يتهاونون بالقرآن لعلمهم أنه الآية العظمى فكانوا لا يعدونه آية عنادا منهم ومكابرة ﴿او جآء معه ملك[٦]﴾ أى ليؤيد[٨] كلامه وليشهد[٩] له ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يضيق صدره بمثل أقوالهم هذه ويثقل عليه أن يلقى إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون

(١ - ١) فى ظ : بالهوى (٢) من ظ ، وفى الأصل : برازته (٣) فى ظ : عن . (٤) فى ظ : باخع (٥) فى ظ : به (٦-٦) فى ظ : عللوا (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل : ليوثر (٩) فى ظ : يشهد .

منه، فحركه الله بهذا لأداء الرسالة كائنا فيها ما كان، فكان المعنى: فاذا تقرر أن الإنسان مطبوع على نحو هذا من [1]التقلبات، فلا تكن[1] موضع رجائهم فى أن تكون[2] تاركا ما يغيظهم مما نأمرك[3] به، [بل كن -[4]] من الصابرين؛ قال أهل السير: فلما بادى رسول الله صلى الله عليه و سلم قومه بالإسلام و صدع به كما أمره الله لم يبعد [منه -[4]] قومه ولم يردوا عليه حتى ذكر آلهتهم و عابها، فلما فعل ذلك أعظموه و ناكروه و أجمعوا خلافه إلا من عصمه[5] الله؛ و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن المشركين قالوا للنبى صلى الله عليه و سلم: ائتنا بكتاب ليس فيه سب آلهتنا.

و لما أفهم هذا[6] السياق الإنكار لما يفتر عن الإنذار، كان كأنه قيل [له -[4]]: هذا[6] الرجاء المرجو منكر[7]، و المقصود الأعظم من الرسالة النذرة لأنها هى الشاقة على النفوس، و أما البشارة[8] فكل من قام يقدر على إبلاغها فلذا قال: ﴿ انما أنت نذير[4] ﴾ فبلغهم ما أرسلت به فيقولون لك ما يقدره الله لهم فلا يهمنك [فليس عليك إلا البلاغ -[4]] و ما أنت عليهم بوكيل تتوصل[9] إلى ردهم إلى الطاعة بالقهر[10] و الغلبة بل الوكيل الله الفاعل لما يشاء[11] ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة.

و لما كان السياق لإحاطته سبحانه، قدم قوله: ﴿ على كل شىء ﴾ منهم و من غيرهم و من قبولهم و ردهم و من حفظك منهم و من غيره ﴿ وكيل ﴾ [فهو يدبر الأمور على ما يعلمه من الحكم، فان شاء جاء

(١ - ١) فى ظ: التلقبات فلا يكن (٢) من ظ، و فى الأصل: يكون (٣) من ظ، و فى الاصل: يامرك (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: عصم (٦) سقط من ظ. (٧) فى ظ: منكم (٨) من ظ، و فى الأصل: النذارة (٩) من ظ. و فى الأصل: يتوسل (١٠) فى ظ: و القهر (١١) من ظ و القرآن الكريم، و ليس فى الأصل.

بما

بما سألوا و إن لم يشأ لم يأت به و لا اعتراض عليه -[1]] فتوكل عليه فى كل أمر و إن صعب ، و لعله اقتصر على النذارة لأن المقام يقتضيها من أجل أنهم أهل لها و أنها[2] هى التى يطمعون فى تركها باطماعهم فى المؤالفة بالإعراض عما يوجب المخالفة ؛ و الصدر : مسكن القلب ، يشبه به رئيس القوم و العالى المجلس لشرف منزلته على غيره من الناس ؛ ٥ و الكنز : المدفون ، و قد صار فى الدين صفة[3] ذم لكل مال[4] لم يخرج منه الواجب من الزكاة و إن لم يكن مدفونا ، [و الآية من الاحتباك : نفى أولا قدرته صلى الله عليه و سلم على الإتيان بما سألوا دليلا على قدرة مرسله على ذلك و غيره ثانيا . و أثبت الوكالة ثانيا دليلا على نفيها أولا -[1]] . ١٠

و لما كان ذوو الهمم العوال ، لا يصوبون إلى الكنوز و الأموال ، وكان الملك إنما يراد لتطييب النفس بتثبيت الأمر . وكان فيما يشهد به إعجاز القرآن بديع نظمه و باهر حكمه و حكمه [و -[1]] زاجر غرائبه و وافر علمه ما[5] يغنى عن ذلك ، و كان فى كل آية منه ما يبين للفهم سفساف قدحهم فى الرسالة ، كان موضع الإنكار له ، فكان كأنه قيل: ١٥ أ[6] يقولون ذلك تعنتا[6] منهم و اقتراحا و إعراضا عن معجز القرآن فأعرض عنه فانه لا يضر[7] فى وجه الدليل ﴿ام يقولون﴾ [أى مكررين -[1]] ﴿ افتراه ط ﴾ فكان ذلك موضع أن يقال : نعم ، إنهم ليقولون ذلك فيقدحون فى الدليل فما ذا يقال لهم ؟ فقيل : ﴿ قل ﴾ أى لهم على سبيل التنزل ﴿ فاتوا ﴾ يا معاشر العرب فانكم مثلى فى العربية و اللسان ٢٠

(١) زيادة من ظ (٢) فى ظ : انما (٣) من ظ ، وفى الأصل : صنعة (٤) فى ظ : ما .
(٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : تفننا (٧) فى ظ : لا يغير .

و المولد و الزمن[1] و فيكم من يزيد[2] علىّ بالكتابة و القراءة و مخالطة العلماء و التعلم من الحكماء و نظم الشعر و اصطناع الخطب [و -[3]] النثر و تكلف الأمثال و كل ما يكسب الشرف و الفخر[4] ﴿ بعشر سور ﴾ أى قطع، كل قطعة منها تحيط بمعنى تام يستدل فيها عليه ﴿ مثله ﴾ أى تكون[5] العشر مثل جميع القرآن فى طوله و فى مثل احتوائه على أساليب البلاغة و أفانين العذوبة و المتانة و الفحولة و الرشاقة حال كونها ﴿ مفتريٰت ﴾ أى أنكم قد عجزتم عن الإتيان بسورة أى قطعة واحدة آية أو آيات من مثله فيما هو عليه من البلاغة و الإخبار بالمغيبات و الحكم و الأحكام و الوعد و الوعيد و الأمثال و ادعيتم مكابرة أنه مفترى فارغ عن الحكم فأتوا بعشر مثله فى مجرد البلاغة غير ملزمين بحقائق المعانى و صحة المبانى - ذكره البغوى[6] عن المبرد، و قد مضى فى البقرة عند " فاتوا بسورة من مثله[7] " عن الجاحظ و غيره ما يؤيده؛ قال أبو حيان[8]: و شأن من يريد تعجيز شخص أن يطالبه أولا بأن يفعل أمثالا مما يفعل هو، ثم إذا تبين عجزه قال: افعل مثلا[9] واحدا - انتهى. فكأنهم تحدوا أولا بجميع القرآن فى مثل قوله " فلياتوا بحديث [مثله[10]] " أى فى التحتم و التطبيق على الوقائع و ما يحدث - [3] و يتجدد شيئا فى إثر شىء، ثم قطع بعد عجزهم بدوام عجزهم فى قوله تعالى " قل لو اجتمعت الانس و الجن " - الآية[11] تبكيتا لهم و إخزاء و بعثا على ذلك و إغراء، ثم تحدوا

(١) فى ظ: الرمى (٢) من ظ، و فى الأصل: تزيد (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: يكون (٦) راجع هامش لباب التأويل ٣/١٨١.
(٧) آية ٢٣ (٨) راجع البحر المحيط ٥/٢٠٨ (٩) من البحر، و فى الأصل و ظ: مثالا (١٠) سورة ٥٢ آية ٣٤ (١١) سورة ١٧ آية ٨٨.

فى سورة يونس عليه السلام بسورة واحدة مثل جميع القرآن غير معتنين[1] فيها بالتفصيل إلى السور تخفيفا عليهم و استهانة بأمرهم ، فلما عجزوا [تحدوا بعشر مفتراة ، و لما خفف عنهم فيها التقيد بصدق المعنى وحقيقة المبانى ، ألزمهم بما خففه عنهم فى يونس من التفصيل و لم يخلهم من التخفيف إشارة إلى هوان أمرهم و احتقار شأنهم بأن جعلها إلى عشر فقط ، فلما عجزوا -[2]] أعيد ٥ فى المدينة الشريفة لأجل أهل الكتاب تحديهم بسورة ، أى قطعة واحدة مقرونا ذلك بالإخبار بدوام عجزهم عن ذلك فى قوله[3] تعالى فى البقرة "فان لم تفعلوا و لن[4] تفعلوا" - الآية ، فالمتحدى به فى كل سورة غير المتحدى به فى الأخرى ، و قد مضى فى يونس و البقرة و يأتى فى سبحان و الطور إن شاء الله تعالى ما يتم به فهم هذا المقام ، و البلاغة ثلاث طبقات ١٠ فأعلاها معجز ، و أوسطها و أدناها ممكن ، و التحدى وقع بالعليا ، و ليس هذا أمرا بالافتراء لأنه تحدّ فهو للتعجيز و قوله : ﴿و ادعوا من استطعتم﴾ أى طلبتم أن يطيعكم ففعل . و لما كانت الرتب كلها تحت رتبته تعالى و العرب مقرة بذلك ، / قال : ﴿من دون الله﴾ أى الملك الأعلى . ٦٢٧/ و أشار إلى عجزهم بقوله : ﴿ان كنتم صدقين ٥﴾ [و فى ذلك -[2]] زيادة ١٥ بيان و تثبيت للدليل ، فان كل[5] ظهير من سواهم دونهم فى البلاغة ، فعجزهم عجز لغيرهم بطريق الأولى .

و لما كان أدنى درجات الافتراء إتيان الإنسان بكلام غيره من[6]

---

(١) من ظ ، و فى الأصل : معنيين (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : قولهم (٤) فى ظ : لم - راجع آية ٢٤ (٥) فى ظ : كان (٦) من ظ ، و فى الأصل : منا .

غير علمه ، و كان عجزهم عن المعارضة دليلا قاطعا[1] على أنهم لم يصلوا إلى شيء من كلامه تعالى بغير علمه[2] و لا وجدوا مكافئا له يأتيهم بمثله ، ثبت قطعا أن هذا القرآن غير مفترى ، فقال[3] تعالى مخاطبا للجميع [بخلاف ما فى القصص - [4]] إشارة إلى وضوح الأمر [لا سيما فى الافتراء عند كل أحد - [4]] و أن المشركين قد وصلوا من ذل التبكيت بالتحدى مرة بعد مرة و زورهم لأنفسهم فى ذلك المضمار كرة فى أثر كرة إلى حد من العجز لا يقدرون معه على النطق فى ذلك ببنت شفة : ﴿ فالم يستجيبوا لكم[5] ﴾ أى يطلبوا إجابتكم و يوجدوها ﴿ فاعلموآ ﴾ أيها الناس كافة ﴿ انمآ انزل ﴾ أى [ما - [4]] وقع إنزال هذا القرآن خاصة [إلا ملتبسا - [4]] ﴿ بعلم الله ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما بمقتضى أن محمدا واحد منهم تمنع العادة أن يعثر[6] دون جميع أهل الأرض على ما لم يأذن فيه ربه من كلامه فضلا عن أن يكون[7] مخترعا له ، و يجوز أن يكون ضمير "يستجيبوا" لـ"من" فى "من استطعتم" و"لكم" للمشركين ، و كذا فى[8] قوله[9] "فاعلموا" و"انتم" ﴿ و ان ﴾ أى و اعلموا أن ﴿ لآ الـه الا هو ﴾ فانه لو كان معه إلـه آخر[10] لكافأه فى الإتيان بمثل كلامه و فيه تهديد و إقناط من أن يجيرهم من بأس الله آلهتهم .

و لما كان هذا دليلا قطعيا على ثبوت القرآن ، سبب عنه قوله

---

(١) من ظ ، وفى الأصل: قطعا (٢) من ظ ، وفى الأصل : علم (٣) فى ظ: قال .
(٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : لك (٦) من ظ ، و فى الأصل : يفتر (٧) فى ظ : تكون (٨) من ظ ، و فى الأصل : ان (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : غيره .

مرغبا مرهبا: ﴿ فهل انتم مسلمون ﴾ أى منقادون أتم انقياد .

و لما كان فى هذا من الحث على الثبات على الإسلام و الدخول فيه و الوعيد على التقاعس عنه ما من حق السامع أن يبادر إليه، وكان من حق المسلم الإعراض عن الدنيا لسوء عاقبتها ، و كان أعظم الموانع للمشركين من التصديق استيلاء أحوال الدنيا عليهم ، و لذلك تعنتوا ٥ بالكنز ، أشار إلى عواقب ذلك بقوله : ﴿ من كان يريد ﴾ أى بقصده و أعماله من الإحسان إلى الناس و غيره ﴿ الحيوٰة الدنيا ﴾ أى و رضى بها مع دناءتها من الآخرة على علوها و شرفها ﴿ و زينتها ﴾ فأخلد إليها[1] لحضورها و نسى ما يوجب الإعراض عنها من فنائها [و كدرها -[2]] ﴿ نوف ﴾ موصلين ﴿ اليهم اعمالهم ﴾ أى جزاءها ﴿ فيها ﴾ أى الدنيا ١٠ بالجاه و المال و نحو ذلك ﴿ و هم فيها ﴾ أى[3] فى الأعمال أو الدنيا ﴿ لا يبخسون ﴾ أى لا ينقص شىء من جزائهم فيها، و أما أبدانهم و أرواحهم[4] و أديانهم فكلها بخس فى الدارين معا، و فى الجملتين بيان سبب حبس العذاب عنهم فى مدة إمهالهم مع سوء أعمالهم .

و لما بين حالهم فى الدنيا ، بين حالهم فى الأخرى مشيرا بأداة ١٥ البعد إلى أنهم أهل البعد و اللعنة و الطرد فى قوله نتيجة لما قبله : ﴿ اولٰئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ الذين ليس لهم ﴾ أى[5] شىء من الأشياء ﴿ فى الأخرة الا النار ﴾ أى لسوء أعمالهم و استيفائهم جزاءها فى الدنيا ﴿ و حبط ﴾ [أى بطل و فسد -[2]] ﴿ ما صنعوا فيها ﴾

(١) فى ظ : اليه (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : ازواجهم .
(٥) زيد فى ظ : فى .

أى مصنوعهم أو صنعهم أى[1] لبنائه على[2] غير أساس ؛ و لما كان تقييد الحبوط بالآخرة ربما أوهم أنه شيء فى نفسه قال : ﴿ و بٰطل ﴾ أى ثابت البطلان فى كل من الدارين ﴿ ما كانوا يعملون ۝ ﴾ أى معمولهم أو عملهم و إن دأبوا فيه دأب من هو مطبوع عليه لأنه صورة لا معنى لها لبنائه على غير أساس ؛ و الزينة : تحسين الشيء بغيره من لبسة أو حلية أو هيئة ؛ و التوفية : تأدية الحق على تمام ؛ و حبوط العمل : بطلانه ، من قولهم : حبط بطنه ـ إذا فسد بالمأكل الردىء .

و لما اتضحت الحجج و انتهضت الدلائل فأغرقتهم عوالى اللجج ، كان ذلك موضع الإنكار على من يسوى بين المهتدى و المعتدى ، فكيف بمن يفضل إما باعتبار النظر إلى الرئاسة الدنيوية غفلة من حقائق الأمور أو عنادا كمن[3] قال من اليهود / للمشركين : أنتم أهدى منهم ، فقال : ﴿ افمن كان على بينة ﴾ أى برهان و حجة ﴿ من ربه ﴾ بما آتاه من نور البصيرة و صفاء العقل فهو يريد الآخرة و يبنى[4] أفعاله على أساس ثابت ﴿ و يتلوه ﴾ أى و يتبع هذه البينة ﴿ شاهد ﴾ هو القرآن ﴿ منه ﴾ أى من ربه ، [5]أو تأيد[5] ذلك البرهان[6] برسالة رسول عربى بكلام معجز وكان ﴿ من قبله ﴾ أى هذا الشاهد مؤيدا له ﴿ كتٰب موسى ﴾ أى شاهد [أيضا ـ[7]] و هو التوراة حال كونه ﴿ اماما ﴾ يحق الاقتداء به ﴿ و رحمة ﴾ أى[1] لكل من اتبعه .

/ ٦٢٨

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : فى (٣) فى ظ : لمن (٤) فى ظ : بنى (٥-٥) فى ظ : تايد (٦) زيد بعده فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) زيد من ظ .

و لما كان الجواب ظاهرا حذفه[1]، و تقديره - و الله أعلم : كمن هو على الضلالة[2] فهو[3] يريد الدنيا فهو يفعل من المكارم ما ليس مبنيا على أساس صحيح، فيكون فى دار البقاء و السعادة هباء منثورا ؛ و لما كان هذا الذى على البينة عظيما، و لم يكن يراد به واحدا بعينه، استأنف البيان لعلو مقامه بأداة[4] الجمع بشارة لهذا النبى الكريم بكثرة أمته فقال : ٥ ﴿ اولٓئك ﴾ أى العالو الرتبة بكونهم على هدى من ربهم و تأيد هداهم بشاهد من قبله و شاهد من بعده مصدق له ﴿ يؤمنون به[5] ﴾ أى بهذ االقرآن الذى هو الشاهد و لا ينسبون[6] الآتى به إلى أنه افتراه ﴿ و من يكفر به ﴾ أى بهذا الشاهد ﴿ من الاحزاب ﴾ من جميع الفرق و أهل الملل سواء، سوى بين الفريقين جهلا أو عنادا ﴿ فالنار موعده[ج] ﴾ أى وعيده ١٠ و موضع وعيده يصلى سعيرها و يقاسى زمهريرها .

و لما عم بوعيد النار، اشتد تشوف النفس لما سبب عنه فقرب إزالة ما حملت من ذلك بالإيجاز، فاقتضى الأمر حذف نون ' تُكن ' فقيل : ﴿ فلا تك ﴾ أى أيها المخاطب الأعظم ﴿ فى مرية ﴾ أى شك عظيم [و وهم -[6]] ﴿ منه[ق] ﴾ أى من القرآن و لا يضيق صدرك عن ١٥ إبلاغه، أو من الموعد[7] الذى هو النار و الخيبة و إن أنعمنا على المتوعد بذلك و نعمناه[8] فى الدنيا ؛ ثم علل النهى بقوله[9] : ﴿ انه ﴾ القرآن

(١) من ظ، و فى الأصل : صدقه (٢) فى ظ : الصلاة (٣) زيد بعده فى الأصل : كن، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ، و فى الأصل : بارادة (٥) من ظ، و فى الأصل: لاينسبوا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: الوعيد (٨) فى ظ: نعماه. (٩) سقط من ظ .

[1]أو الموعد[1] ﴿ الحق ﴾ أى الكامل ، و زاد فى الترغيب فيه بقوله : ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزاله عليك .

و لما كان كونه حقا سببا يعلق[2] الأمل بايمان كل من سمعه ، قال : ﴿ و لكن اكثر الناس ﴾ أى الذين هم[3] فى حيز الاضطراب ﴿ لا يؤمنون * ﴾ بأنه حق لا لكون الريب يتطرق إليه بل لما على قلوبهم من الرين و يؤولون إليه من العذاب المعد لهم ممن لا يبدل القول لديه و لا ينسب الظلم إليه ، و القصد بهذا الاستفهام الحث على ماحث عليه الاستفهام فى قوله "فهل انتم مسلمون" من الإقبال على الدين الحق على وجه مبين لسخافة[4] عقول الممترين و ركاكة آرائهم .

و لما كان الكافرون قد كذبوا على الله بما أحدثوه من الدين من غير دليل و[3] ما نسبوا إليه[5] النبى صلى الله عليه و سلم من الافتراء ، أتبع ذلك سبحانه قوله : ﴿ و من اظلم ﴾ أى لا أحد أظلم ﴿ ممن افترى ﴾ أى تعمد أن اختلق[6] متكبرا ﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ كذبا ﴾ الآية ، و هو موضع ضمير لو أتى به لقيل : لا يؤمنون ظلما منهم ، و من أظلم منهم أى هم أظلم الظالمين . فأتى بهذا الظاهر بيانا لما كفروا به لأنه إذا علق الحكم بالوصف دل على أنه علته .

و لما بين أنهم أظلم ، أتبعه جزاءهم بقوله استئنافا : ﴿ اولئك ﴾ المستحقو البعد ؛ و لما كان نفس العرض مخوفا ، بنى للمجهول قوله :

(١ - ١) فى ظ : و الوعيد (٢) من ظ ، و فى الأصل : تعلق (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : ليخافه (٥) فى ظ : الى (٦) فى ظ : اختلف .

﴿يعرضون﴾ [أى -[1]] لذلك و للدلالة على أنهم على صفة الهوان و مستسلمون لكل عارض، فعرضهم فى غاية السهولة ﴿على ربهم﴾ أى الذى أحسن إليهم فلم يشكروه، العالم بالخفايا فيفتضحون بين يديه بما قابلوا به إحسانه من اللوم ﴿و يقول﴾ [على سبيل التكرار -[1]] ﴿الاشهاد﴾ و هم الذين آمنوا بالكتب الشاهد بعضها لبعض المشار إليه بقوله "و يتلوه شاهد منه" ٥ و الملائكة الذين / شهدوا أعمالهم و من[2] أعضائهم حين يختم على أفواههم ٦٢٩ / ﴿هؤلاء﴾ إشارة بأداة القرب[3] إلى تحقيرهم ﴿الذين كذبوا﴾ متكبرين ﴿على ربهم ج﴾ فى ادعاء الشريك و الولد و التحليل و التحريم و غير ذلك [بما عراهم من إحسانه و طول حلمه -[1]]، و فى الإتيان بصفة الربوبية غاية التشنيع عليهم، فتكررت بهذا القول[4] فضيحتهم عند جنسهم و بعدهم ١٠ عن كل من سمع هذا الكلام لأنه "لا أبعد" عن القلوب من الكاذب فكيف بالمجترئ بالكذب على الرؤساء فكيف بملك الملوك الذى رباهم و كل من أهل الموقف مرتقب برّه خائف من انتقامه، [6]و كأنه[6] قيل: فما لهم بعد هذا العذاب العظيم بهذه الفضيحة؟ فقيل: ﴿الا لعنة الله﴾ و هى طرد الملك الأعظم و إبعاده، و انظر[7] إلى تهويل الأمر باسم الذات ١٥ ما أشده ﴿على الظلمين ج﴾ فكيف بأظلم الظالمين، ثم فصل ظلمهم بقوله: ﴿الذين يصدون﴾ أى يعرضون فى أنفسهم و يمنعون غيرهم ﴿عن سبيل﴾

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: الفرد (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥ - ٥) فى ظ: لابعد (٦ - ٦) فى ظ: فكانه (٧) من ظ، و فى الأصل: النظر.

أى دين ﴿ الله ﴾ أى [الملك -[1]] الذى له الكمال كله مع أنه الولى الحميد ﴿ و يبغونها ﴾ أى يريدون بطريق[2] الدين [3]الواسعة السهلة[3] ﴿ عوجا[4] ﴾ بالقاء الشبهات و الطعن فى الدلائل مع كونها فى غاية الاستقامة .

و لما كان النظر شديدا إلى بيان كذبهم و تكذيبهم ، بولغ فى تأكيد قوله : ﴿ و هم ﴾ أى بضمائرهم و ظواهرهم ؛ و لما كان تكذيبهم بالآخرة شديدا ، قدم قوله : ﴿ بالآخرة ﴾ و أعاد الضمير تأكيدا لتعيينهم و إثبات غاية الفساد لبواطنهم و اختصاصهم بمزيد الكفر [فقال -[1]] : ﴿ هم كٰفرون ۝ ﴾ أى عريقون فى هذا الوصف ؛ و العرض : إظهار الشىء بحيث يرى للتوقيف على حالة[4] ؛ و الصد : المنع بالإغراء الصارف عن الأمر ؛ و البغية : طلب أمر من الأمور ، و هى إرادة وجدان المعنى بما يطمع فيه ؛ و العوج : العدول عن طريق الصواب . و هو فى المعنى كالدين بالكسر ، و فى غيره كالعود بالفتح فرقا بين ما يرى و ما لا يرى ، جعلوا السهل للسهل و الصعب للصعب ؛ روى البخارى فى التفسير عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال فى النجوى : يدنى المؤمن من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقرره بذنوبه : تعرف ذنب كذا ؟ يقول : أعرف رب أعرف - مرتين ، و يقول : سترتها عليك فى الدنيا و أغفرها لك اليوم . ثم يطوى صحيفة حسناته ، و أما الآخرون أو الكفار فينادى على رؤس الأشهاد " هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظٰلمين " .

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : الطريق (٣ - ٣) فى ظ : السهلة الواسعة .
(٤) فى ظ : حاله .

و لما هددهم بأمور الآخرة، أشار إلى بيان قدرته [1]على ذلك[1] فى الدارين بقوله: ﴿ اولـٓئك ﴾ أى البعداء [2]عن حضرة[2] الرحمة ﴿ لم يكونوا ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ معجزين ﴾ و أشار إلى عجزهم بأنهم لا يقدرون على بلوغ العالم العلوى بقوله: ﴿ فى الارض ﴾ أى ما كان الإعجاز - و هو الامتناع من مراد الله - لهم و لا هو فى قدرتهم، لأن قدرته على جميع ٥ الممكنات على حد سواء.

و لما نفى التعذر بأنفسهم، نفاه من جهة غيرهم فقال: ﴿ و ما كان لهم ﴾ و لما كانت الرتب التى [هى -[3]] دون عظمته سبحانه متكاثرة جدا، بين أنهم معزولون عن كل منها باثبات الجار فقال[4]: ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعظم، و أغرق فى النفى بقوله: ﴿ من اولياء ﴾ أى يفعلون ١٠ معهم ما يفعل القريب من تولى[5] المصالح و الحماية من المصائب، و من لم يقدر على الامتناع و هو[6] حى لم يمتنع بعد موته فكأنه قيل: ما ذا يفعل بهم؟ فقيل: ﴿ يضٰعف ﴾ أى يفعل فيه فعل من يناظر[7] آخر فى الزيادة، و بناه للمفعول لأن المرجع وجود المضاعفة مطلقا[8] ﴿ لهم العذاب ﴾ [أى -[3]] بما كانوا يضاعفون المعاصى؛ ثم علل سبب المضاعفة بأنه خلق لهم سمعا ١٥ و بصرا فضيعوهما بتصامّهم عن الحق و تعاميهم عنه، فكأنّ لا فرق بينهم و بين فاقدهما فقال: ﴿ ما[9] كانوا ﴾ أى بما لهم من فساد الجبـــلات

(١-١) فى ظ: عليهم (٢ - ٢) فى ظ: من حضرات (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: توالى (٦) فى ظ: هى (٧) من ظ، و فى الأصل: ناظر. (٨) فى ظ: مطلقه (٩) من ظ و القرآن الكريم، و فى الأصل: بما.

﴿ يستطيعون السمع ﴾ أى يقدرون لما غلب على فطرهم الأولى السليمة
٦٣٠ / بانقيادهم للهوى من التخلق / بنقائص الشهوات على أن توجد طاعته لهم
فما كانوا يسمعون ﴿ و ما كانوا ﴾ يستطيعون ، الإبصار فما[1] كانوا
﴿ يبصرون ۝ ﴾ حتى يعرضوا عن الشهوات فتوجد استطاعتهم للسمع
٥ [و الإبصار -[2]] ، و هو كناية عن عدم قبولهم للحق و أن شدة إعراضهم
عنه وصلت إلى حد صارت فيه توصف بعدم الاستطاعة كما يقول الإنسان
لما تشتد كراهته له : هذا مما لا أستطيع أن أسمعه ، و تكون المضاعفة
بالكفر و الصد ، و نفى الاستطاعة أعرق[3] فى العيب و أدل على النقص
[4]و أنكأ من نفى السمع لأنهم قد يحملونه على الإجابة ، و أما نفى البصر
١٠ فغير منفك عن النقص[4] سواء كان للعين أو للقلب ، هذا إن لم تخرج[5]
الآية على الاحتباك ، و إن خرجت عليه استوى الأمران ، و صار نفى
الاستطاعة أولا دالا على نفيها ثانيا ، و نفى الإبصار ثانيا يدل[6] على نفى
السمع أولا .

و لما ثبت أنهم لا سمع و لا بصر ، ثبت أنهم لا شىء فقال :
١٥ ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ الذين خسروآ انفسهم ﴾ أى بتضييع
الفطرة الأولى التى [هى -[2]] سهولة الانقياد للخير و صعوبة الانقياد
للشر ؛ و لما كان العاجز ربما نفعه من كان يخدمه فيكسبه قوة بعد الضعف
و نشاطا بعد العجز ، [4]نفى ذلك بقوله عائدا إلى نفى النفع ممن عذرهم أولا[4]

(١) من ظ و فى الأصل : لما (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : لم يخرج (٦) فى ظ : تدل .

على أحسن وجـــه : ﴿ وضل عنهم ما كانوا ﴾ أى كونا جبلوا عليه فصاروا لا ينفكون عنه ﴿ يفترون ﴾ أى يتعمدون كذبه مما ادعوا كونهم آلهة ، ولا شك أن من خسر نفسه ومن خسرها من أجله بادعاء أنه شريك لخالقه ونحو ذلك كان أخسر الناس ، فلذلك قال : ﴿ لا جرم ﴾ أى لاشك ﴿ انهم ﴾ أى هؤلاء الذين بالغوا فى إنكار الآخرة ﴿ فى الآخرة ﴾ ٥ ولما كان المقام جديرا[1] بالمبالغة فى وصفهم بالخسارة ، أعاد الضمير فقال : ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الاخسرون ﴾ أى الأكثرون[2] خسرانا من كل من يمكن[3] وصفه بالخسران ؛ والإعجاز : الامتناع من المراد بما لا يمكن معه إيقاعه ؛ والمضاعفة : الزيادة على المقدار بمثله أو أكثر ؛ والاستطاعة : قوة ينطاع[4] بهـا الجوارح للفعل ؛ وأما ' لا جرم ' فقد اضطرب علماء ١٠ العربية فى تفسيرها ، قال الرضى فى شرح الحاجبية والبرهان السفاقسى فى إعرابه ما حاصله : والغالب بعد ' لا جرم ' الفتح ، أى فى ' أن ' ، فـ ' لا ' إما رد الـــكلام السابق - على ما هو مذهب الخليل - أو زائدة كما فى " لا اقسم " لأن فى جرم معنى القسم ، وهى فعل ماض عند سيبويه والخليل مركبة مع ' لا ' ، وجعلها سيبويه فعلا بمعنى حق ، فـ ' أن ' ' فاعله ' ، ١٥ وقيل : ' جرم ' بمعنى حق ، وهو اسم لا و ' انهم ' خبره ؛ وقال الكسائى معناها : لا صد ولا منع ؛ وعن الزجاج أنها غير مركبة ، ولا نفى لما قيل من أن لهم أصناما تنفعهم ، وجرم - فعل ماض بمعنى كسب وفاعله

(١) فى ظ : جدير (٢) من ظ ، وفى الأصل : الاعظم (٣) من ظ ، وفى الأصل : يماسن - كذا (٤) فى ظ : تناطع .

مضمر معبر به عن فعلهم ، و 'أنهم' مفعوله ؛ و قال الفراهى : كلمة كانت فى الأصل بمعنى لا بد و لا محالة ، لأنه يروى عن العرب 'لا جرم' - يعنى بضم ثم سكون ، و الفعل - يعنى هكذا ، و الفعل - يعنى محركا ، يشتركان فى المصادر كالرشد و الرعد[1] و البخل ؛ و الجرم : القطع ، أى لا قطع من هذا كما أنه لا بد بمعنى لا قطع ، فكثرت و جرت على ذلك حتى صارت بمعنى القسم ، فلذلك يجاب بما يجاب به القسم ، فيقال : لا جرم لآتينك ، و لا جرم أنك قائم[2]، فمن فتح فللنظر إلى أصل 'لا جرم' كما نقول[3]: لا بد أن نفعل كذا و أنك تفعل ، أى من أن و من أنك تفعل ، و من كسر فلمعنى القسم العارض فى 'لا جرم' - انتهى . فتفسيره لها بالقطع نظر منه إلى أن مادة 'جرم' بخصوصها دائرة على القطع ، و الأصنع تفسيرها بالظن نظرا إلى ما تدور عليه المادة من حيث هى - بأى ترتيب كان[4]- من جرم [و جمر -[5]] و رجم و رجم و مجر و مرج ، و إنما جعلتها كذلك لأنهم قالوا : جرم النخل : خرصها ، و أجر النخل أيضا : خرصها ، و رجم - إذا ظن ، و المجر : العقل ، و يلزم الظن اتقاد الذهن و منه جمرة النار ، و الجرم - للأرض / الشديدة الجر ، و يلزم الظن أيضا اجتماع الفكر ، و منه الجمرة للقبيلة[6] و كل ما شاكلها فى الجمع ، و منه الجرم بالكسر و هو الجسد فانه بالنظر إلى جميعه ، و الصوت أو جهارته فانه يجمع فيه الحلق[7] لقطعه ، و يلزم الاجتماع أيضا العظمة ، و منه أجرم - إذا عظم ،

٦٣١ /

(١) فى ظ : الرشد (٢) فى ظ : قادم (٣) فى ظ : تقول (٤) فى ظ : كل .
(٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : للتلبية (٧) فى ظ : الحلق .

و الجمير[1] كأمير : مجتمع القوم ، و من الجمع الرياء و العقل ، فينشأ منه الصفاء ، و منه " مارج من نار " أى لا دخان فيه ، و منه أجرم لونه : صفا ، و من الاجتماع المجر - بالتحريك ، و هو أن يملأ بطنه من الماء و لم يرو ، و الكسب ، جرم لأهله - إذا كسب ، و منه الذنب فانه كسب خاص ، و يمكن أن يكون من القطع لأنه يقطع صاحبه عن الخير ، و يلزم الاجتماع أيضا [الاستتار - [2]] و منه أجرت الليلة - استتر فيها الهلال ، و المجر لما فى بطون الحوامل من الإبل و الغنم ، أو يجعل هذا مما يلزم نفس الظن من الخفاء ، و من الاجتماع الضمور[3] ، أجمر الخيل : أضمرها ، و شاة مجمرة : مهزولة ، و يلزم الاجتماع الصلابة و التمام ، و منه حول مجرم كمعظم : تام ، فينشأ الافتراق ، و منه تجرم[4] الليل : ذهب ، و ابنا جمير كأمير : الليل و النهار ، أو يكون ذلك من لوازم القطع كما يأتى ؛ و من الاجتماع الرجم[5] الذى هو الخليل[6] و النديم ، و يلزم الظن الفصل بين الأشياء ، و منه جرام النخل لصرامها ؛ و الجمرة : الحصاة[7] ، فيلزم مطلق الرمى فينشأ الرمى بالجمار ، و هى الحجارة فينشأ القتل للرجوم ، و هو يرجع أيضا إلى نفس القطع ، فانه قطع النفس عما كانت عليه ، و يلزم الفصل القذف و العيب ؛ و الرماج كسحاب : كعوب الرمح لانفصال بعضها عن بعض ، و الرمج بالفتح و هو إلقاء الطير ذرقه ، و يلزم الظن [المبالغة فى النظر فتأتى المبالغة فى الكلام و العزيمة ، و منه المرجام للماد

(١) من ظ ، و فى الأصل : الجمر (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الضمار .
(٤) فى ظ : بجمر (٥) من ظ ، و فى الأصل : الرحمه (٦) فى ظ : الخيل (٧) فى ظ : للحصاة .

عنقه فى السير من الإبل ، و أجمر : أسرع فى السير ، و قد يلزم الظن - [١] الحيرة ، و منه[٢] حديث مرجم كمعظم : لا يوقف على حقيقته ، فيلزم حينئذ الذنب و الفساد و القلق و الاضطراب ، و منه أمرج العهد : لم يف به ، أى جعله مارجا مزلزلا ، و على الاضطراب تدور مادة "مرج" بخصوص هذا الترتيب ، [٣]و الترميج : إفساد سطور بعد كتبتها ، و يلزم الظن الاختلاط ، و منه الجرم للون لأنه لا يخلو عن شوب ، و أجرم الدم به : لصق ، و الإجرام : متاع الراعى ، أو هى من الكسب ، و الجرام كرمان : السمك ؛ و المرج : موضع الرعى ، و قد علم من هذا أن جميع تصاريف المادة تدور على الاضطراب[٣] و هو بين فى غير العقل ، و أما فيه فانه يقدر العقل بكون اضطراب الرأى لأن العاقل كلما أنعم[٤] النظر انفتح له ما كان مغلقا فيعدل إليه ، فاذا ظهر هذا ظهر أن معنى "لاجرم" أنهم لا ظن و لا اضطراب فى أنهم ، و يكون نفى الظن[٥] فى مثل هذا السياق نفيا لجميع ما يقابله إلا العلم الذى هو بمعنى القطع كما إذا قيل : لا شك فى كذا و لا ريب ، فاتضح أن تفسيرهم لها بـ "حقا"[٦] تفسير معنى لمجموع[٧] الكلمتين لأنه إذا نفى فى مثل هذا السياق الظن ثبت اليقين و القطع ، و إليه يرجع تفسير سيبويه بلا حق لأنه يريد - و الله أعلم - أن لا صلة ، و موضوعها فى الأصل النفى[٨] ، فهى نافية[٩] لضد ما دخلت عليه ، فكأنه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : فيه (٣ ـ ٣) تأخرما بين الرقمين فى ظ عن « مارجا مزلزلا » (٤) فى ظ : امعن (٥) فى ظ : النفى (٦) من ظ ، و فى الأصل : بحق (٧) من ظ ، و فى الأصل : مجموع (٨) فى ظ : المنفى (٩) من ظ ، و فى الأصل : باقية .

قيل: حق و ثبت أنهم كذا و انتفى كل ما يضاده، فهذا وجه كونها صلة مؤكدة، و قريب من ذلك ما قيل فى 'إنما' نحو إنما زيد قائم، أى أن زيدا قائم، ما هو إلا كذلك، فقد بان[1] أن النافى[1] مثل ذلك مؤكد - و الله[2] الموفق.

و لما توعد الكافرين و أخبر عن مآلهم بسببه، كان موضع أن يسأل عن حال المؤمنين فقال: ﴿ان الذين امنوا﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة ﴿و عملوا الصلحت﴾ و لما كان حاصل ما مضى من وصف الكافرين بعد مطلق الأعمال السيئة الإعراض عن ربهم و النفرة عن[3] المحسن إليهم جلافة و غلظة، وصف المؤمنين بالإقبال / عليه و الطمأنينة إليه فقال: ﴿و اخبتوآ﴾ أى خشعوا متوجهين منقطعين ﴿الى ربهم[5]﴾ أى المحسن إليهم فشكروه فوفقهم لاستطاعة السمع و الإبصار. / ٦٣٢

و لما ذكر وصفهم ذكر جزاءهم [عليه -[4]] بقوله: ﴿اولئك﴾ أى العالو الرتبة ﴿اصحب الجنة ج﴾ و لما كانوا مختصين بها أو بالخلود من أول الأمر، أعاد الضمير فقال: ﴿هم فيها﴾ أى خاصة لا فى غيرها ﴿خلدون ۞﴾.

و لما استوفى أوصاف الحزبين و جزاءهم، ضرب للكل مثلا بقوله: ﴿مثل الفريقين﴾ أى الكافرين و المؤمنين، و هو من باب [اللف -[4]]

(١-١) فى ظ: النافى فى (٢) زيد بعده فى الأصل: اعلم، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ، و فى الأصل: من (٤) زيد من ظ (٥) زيد فى الأصل: ثم، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

و النشر المرتب ، فان الكافر ذكر فيما قبل أولا ﴿ كالاعمى ﴾ أى العام العمى فى بصره و بصيرته ﴿ و الاصم ﴾ فى سمعه كذلك ، فهذا للكافرين ﴿ و البصير ﴾ بعينه و قلبه ﴿ و السميع ﴾ على أتم أحوالها ، و هذا للمؤمنين ، و فى أفراد المثل طباق[1] أيضا ﴿ هل يستويان ﴾ أى الفريقان[2] ﴿ مثلا ﴾ أى من جهة المثل . و لما كان الجواب قطعا لمن له أدنى تأمل : لا يستويان مثلا فلا يستويان ممثولا ، حسن تسبب الإنكار عنه فى قوله : ﴿ افلا تذكرون ﴾ أى يحصل لكم[3] أدنى تذكر بما أشار إليه الإدغام فتعلموا صدق ما وصفوا به بما ترونه من أحوالهم ، و ذلك ما قدم فى حق الكفار من قوله "ما كانوا يستطيعون السمع" - الآية ؛ و الإخبات : الخشوع المستمر على استواء فيه . و أصله الاستواء من الخبت ، و هو الأرض المستوية الواسعة ، و لعله وصله بالى فى موضع اللام[4] إشارة إلى الإخلاص أى إخباتا ينتهى إلى ربهم من غير أن يحجب عنه ؛ و المثل : قول سائر يشبه فيه حال الثانى بحال الأول ، و الأمثال لا تغير[5] عن صورتها .

و لما تم ذلك على أوضح المسالك ، و ختم بالحث على[6] التذكر ، و كان تقديم[7] ذكر كتاب موسى محركا لتوقع ذكر نبأه و نبأ غيره من الرسل ، عطف - مقرونا بحرف التوقع على العامل الذى قدرته فى قوله " الا[8] تعبدوا

(١) من ظ ، و فى الأصل : لف و نشر مرتب (٢) فى ظ : الفريقين . (٣) من ظ ، و فى الأصل : منكم (٤) فى ظ : اللازم (٥) من ظ ، و فى الأصل : لا يغير (٦) من ظ ، و فى الأصل : عن (٧) فى ظ : تقدير (٨) فى ظ : لا .

الا الله " أو على قوله " انما انت نذير " و هو أحسن و أقرب - قوله : ﴿ولقد ارسلنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿نوحا الى قومه﴾ أى الذين هم على لسانه ؛ و ما بعد ذلك من القصص تقريرا لمضمون هذا المثل و تثبيتا و تسلية و تأييدا و تعزية لهذا النبى الكريم لئلا يضيق صدره بشىء مما أمر بابلاغه حرصا على إيمان أحد و إن كان أقرب الخلائق إليه و أعزهم ٥ عليه كما تقدمت الإشارة إليه فى قوله تعالى " فلا يكن فى صدرك حرج منه " و قوله " و ضائق به صدرك " و يأتى فى قوله " و كلا نقص عليك من انبوئ الرسل ما نثبت به فؤادك " فوضح أن هذه القصص لهذا المعنى سيقت ، و أن سياقها فى الاعراف و غيرها كان لغير ذلك كما تقدم و أن تضمن هذا الغرض بيان إهلاك من كانوا ١٠ أشد من العرب قوة و أكثر جمعا و أمكن أمرا و أقوى عنادا و أعظم فسادا و أحد شوكة و ما اتفق فى ديارهم[1] من الطامات و الأهوال المفظعات تحذيرا من مثل حالهم بارتكاب أفعالهم ، ففرق بين ما يساق للشىء و ما يلزم منه الشىء ، و لهذا الغرض المقصود هنا طولت قصة نوح فى هذه السورة ما لم يطوله[2] فى غيرها ، و صدرت بقوله : ﴿ انى ﴾ أى قائلا على قراءة ١٥ الجمهور بالكسر ، و التقدير عند ابن كثير و أبى عمرو و[3] الكسائى : ملتبسا بأنى ﴿ لكم ﴾ أى خاصة ﴿ نذير مبين ﴾ أى مخوف بليغ التحذير ، أبين ما أرسلت به غاية البيان ، و ذكر فيها أنه طالت مجادلته لهم و أنه لما وضح له أمر الله تعوذ من السؤال فيه و فى كل ما يشبهه ، و خللت

(١) فى ظ : مادتهم (٢) فى ظ : تطوله (٣) سقط من ظ .

قصته بقوله "ام يقولون افتريٰه" خطابا لهذا النبي[1] الكريم و ختمت بقوله "فاصبر ان العاقبة للمتقين" و ذكرت قصة إبراهيم عليه السلام لما ضمنته[2] من أنه بشر[3] الولد بما لم يجر بمثله[4] عادة فلم يتردد فيه، و أنه جادل[5] / الرسل فى قوم[6] ابن أخيه لوط، و أنه لما تحقق حتم الأمر و بت الحكم سلم لربه مع كونه حليما أواها[7] منيبا إلى غير ذلك مما يومى إليه[6] سياق القصص، فكأنه قيل: إنما أنت نذير أرسلناك لتبلغ ما أرسلت به من الإنذار و إن شق عليهم و عزتنا[8] لقد أرسلنا من قبلك رسلا منذرين فدعوا إلى ما أمرت[9] بالدعوة إليه و أنذروهم ما يشق عليهم من بأسنا امتثالا لأمرنا و ما تركوا شيئا منه خوفا من إعراض و لا رجاء فى إقبال على أن أممهم قالوا لهم ما قالت لك أمتك كما[10] يشير إليه قوله تعالى عن نوح "و لا اقول لكم عندى خزائن الله" - الآية، و قد كان فى المخالفين من أممهم القريب منهم نسبه و العزيز عليهم أمره من ابن و صاحبة و غيرهما، هذا مع أن قصصهم دليل على قوله تعالى "الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم" و زجر لهم عن مثل قولهم "ما يحبسه" و تأييد لقوله "و من قبله كتٰب موسى اماما و رحمة" - و غير ذلك مما تقدم، فقد علم من هذا الوجهُ فى تكرير هذه القصص، و أنه فى كل سورة لمقصد يخالف المقصد فى غيرها و إن كان يستفاد من

/ ٦٣٣

(١) فى ظ: القرآن (٢) فى ظ: تضمنته (٣) من ظ، وفى الأصل: سر (٤) من ظ، و فى الأصل: به مثله (٥) فى ظ: حاول (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: اوابا (٨) من ظ، و فى الأصل: وعدتنا (٩) من ظ، و فى الأصل: ابرت. (١٠) من ظ، و فى الأصل: لما.

ذلك فوائد أخر : منها إظهار القدرة فى بيان الإعجاز بتصريف المعنى فى الوجوه المختلفة لما فى ذلك من علو الطبقة فى البلاغة لأنه ربما قال متعنت عند التحدى : قد استوفى اللفظ البليغ على الأسلوب الأكمل البديع فى[1] هذه القصص فلم تبق لنا ألفاظ نعبر بها عن هذه[2] المعانى حتى نأتى بمثل هذه القصة ؛ فأتى بها ثانيا إظهارا[3] لعجزه و قطعا لحجته ، ٥ و ربما كررت ثالثا و رابعا توكيدا لذلك و تمكينا للاعتبار بضروب البيان و تصبيرا للنبى صلى الله عليه و سلم على أذى قومه حالا فحالا ، فان قيل : فما بالها تأتى تارة فى غاية البسط و تارة فى غاية الإيجاز و تارة على الوسط ؟ قيل : هذا من أعلى درجات البلاغة و أجل مراتب الفصاحة و البراعة ، فان قيل : فانا نرى القصة تبسط فى بعض السور ١٠ غاية البسط ثم توجز فى غيرها غاية الإيجاز و يؤتى[4] فيها بما لم يؤت فى المبسوطة كما فى العنكبوت فانه[5] عين فيها مقدار لبثه و أنه كان ألف سنة إلا خمسين عاما ، فلم لا استوعبت جميع المعانى فى الموضع المبسوط كما هو الأليق بمقام البسط لاسيما لمن لا يخفى عليه شىء و لا ينسى ، و إذا وقع حذف[6] كان فى الموجزة ، قيل : قال شيخنا حافظ العصر أبو الفضل ١٥ ابن حجر : إن الإمام أبا حاتم ابن حبان البستى ذكر فى كتابه التقاسيم و الأنواع : إنما[7] لم يرتبه ليحفظ إذ لو رتبه ترتيبا سهلا لاتكل من يكون عنده على سهولة الكشف منه فلا يتحفظه ، و إذا وعر[8] طريق الكشف

(١) فى ظ « و » (٢) فى ظ : هذا (٣) من ظ ، و فى الأصل : اظهار (٤) فى ظ : يوت (٥) فى ظ : فان (٦) فى ظ : حدث (٧) فى ظ : انه لما (٨) فى ظ : اوعر .

كان أدعى إلى حفظه ليكون على ذكر من جميعه، و ذكر[1] أنه فعل ذلك اقتداء بالكتاب العزيز فانه ربما أتى بالقصص غير مرتبة، قال شيخنا: و من هنا يظهر أن من أسرار تخصيص بعض الموجزات بما ليس فى المبسوط الحث على حفظ الجميع - انتهى. و هذه فوائد ينبغى إهمالها بل تستعمل حيث أمكن، و العمدة فى المناسبة الوجه الأول و هو[2] أنها فى كل سورة لمناسبة تخص تلك السورة، ثم يراعى فى البسط و غيره المعانى المناسبة للقصد الذى سيقت له القصة - و الله الموفق.

و اللام فى 'لقد' للقسم: قال الإمام أبو الحسن على بن عيسى الرمانى: لأنها تدخل على الفعل و الحرف[3] الذى يختص بالفعل[3] مما يصح معناه معه. و لام الابتداء للاسم خاصة، و معنى 'قد' توقع الخبر للتقريب من الحال، يقال: قد ركب الأمير - لقوم يتوقعون ركوبه / فعلى هذا القول جرى "و لقد ارسلنا" و الإبانة: إظهار المعنى للنفس بما[4] يمكن إدراكه، و أصله القطع، فالإبانة قطع المعنى من غيره ليظهر فى نفسه - انتهى. و المقصود من الرسالة قوله سبحانه: ﴿ان﴾ أى نذير[5] لأجل أن ﴿لا تعبدوا﴾ أى شيئا أصلا ﴿الا الله﴾ أى الملك الأعظم - و [معنى النذارة -[6]] قوله: ﴿انى اخاف عليكم﴾ و عظم العذاب المحذر[7] منه بقوله: ﴿عذاب يوم اليم﴾ و إذا كان اليوم مؤلما فما الظن بما فيه من العذاب! فهو إسناد[8] مجازى مثل نهاره صائم، و لم يذكر بشارة

٦٣٤ /

(١) فى ظ: ذلك (٢) فى ظ: هى (٣) سقط من ظ (٤) زيد فى ظ: لم (٥) من ظ، وفى الأصل: يريد (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ: المحذور (٨) من ظ، وفى الأصل: استناد.

كما تقدم عن النبي صلى الله عليه و سلم فى قوله " انني لكم [منه -[1]] نذير و بشير " إرشادا إلى ما سيقت له القصة من تقرير معنى " انما انت نذير " و لذلك صرح بالألم بخلاف الاعراف ، و كذا ما أمر به النبي صلى الله عليه و سلم أول هذه من عذاب يوم كبير . و هما متقاربان ؛ ثم[2] ساق سبحانه جواب قومه على وجه هو فى غاية التسلية و المناسبة للسياق ٥ بقوله : ﴿ فقال ﴾ أى فتسبب عن هذا النصح العظيم أن قال ؛ [3]و لما[3] كان هذا بعد أن تبعه بعضهم قال : ﴿ الملا ﴾ و بين أن الجدال مع الضلال [4]بعد أن بين[4] أنهم هم الأشراف زيادة فى التسلية بقوله : ﴿ الذين كفروا ﴾ و بين أنهم أقارب أعزة بقوله : ﴿ من قومه ﴾ أى الذين هم فى غاية القوة لما يريدون محاولة القيام به ﴿ ما نراك ﴾ أى شيئا من الأشياء ﴿ الا بشرا ﴾ ١٠ أى آدميا ﴿ مثلنا ﴾ أى فى مطلق البشرية ، لست بملك تصلح [5]لما لا تصلح[5] له من الرسالة . و هذا قول البراهمة ، و هو منع نبوة البشر على الإطلاق ، و هو قول من يحسد على فضل الله و يعمى عن جلى حكمته فيمنع أن يكون النبي بشرا و يجعل الإله حجرا .

و لما كانت العظمة عندهم منحصرة[6] فى عظمة الأتباع قالوا : ١٥ ﴿ و ما نراك ﴾ و لما نفوا الرؤية عنه فتشوف السامع إلى ما يقع عليه من المعانى ، بينوا أن مرادهم رؤية من اتبعه فقالوا : ﴿ اتبعك ﴾ أى

---

(١) زيد من ظ والقرآن الكريم سورة ١١ آية ٢ (٢) سقط من ظ (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : مهلا - كذا (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : بقواه يعنى . (٥-٥) فى الأصل : لا تصلح ، و فى ظ : يصلح - كذا (٦) من ظ ، و فى الأصل : منحرة .

تكلف اتباعك ﴿ الا الذين هم ﴾ أى خاصة ﴿ اراذلنا ﴾ أى كالحائك و نحوه ، و ليس منا رذل[1] غيرهم ، و هو جمع أرذل[2] كأكلب جمع رذل[2] ككلب ، و الرذل : الخسيس الدنىء ، و هذا ينتج أنه لم يتبعك أحد له قدر ؛ قالوا : و'اتبعك' عامل فى قوله : ﴿بادى الراى[3]﴾ و هو ظرف أى اتبعوك بديهة من غير تأمل ، فاتباعهم لا يدل على سداد لما اتبعوه من وجهين : رذالتهم فى أنفسهم ، و أنهم لم يفكروا[3] فيه ، لكن يضعفه إيراد الاتباع بصيغة الافتعال التى تدل على علاج و مجاذبة ، فالأحسن إسناده - كما قالوه[4] أيضا - إلى أراذل . أى أنهم بحيث لا يتوقف ناظرهم عند أول وقوع بصره عليهم أنهم سفلة أسقاط ، و يجوز أن يكون المراد 'بادى رأيك' أى أنك تظن أنهم اتبعوك . و لم يتبعوك .

و لما كانوا لا يعظمون إلا بالتوسع فى الدنيا ، قالوا : ﴿وما نرى لكم﴾ أى لك و لمن تبعك ﴿ علينا ﴾ و أعرقوا فى النفى بقولهم[5] : ﴿من فضل﴾ أى فى شرف و لا مال ، و هذا - مع ما مضى من قولهم - قول من يعرف الحق بالرجال و لا يعرف الرجال بالحق ، و ذلك أنه يستدل على كون الشىء حقا بعظمة متبعه فى الدنيا ، و على كونه باطلا بحقارته فيها . و مجموع قولهم يدل على أنهم يريدون : لو صح كون النبوة فى البشر لكانت[7] فى واحد ممن أقروا له بالعلو فى الأرض ، و عمل " اتبعك " فى " بادى[8] " يمنعه تمادى

(١) من ظ ، و فى الأصل : رمل - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) فى ظ : لم يكفروا (٤) فى ظ : قالوا (٥) من ظ ، و فى الأصل : ان (٦) فى ظ : بقوله (٧) من ظ ، و فى الأصل : لكان (٨) من ظ ، و فى الأصل : دل .

الاتباع على الإيمان، فانتفى الطعن بعدم التأمل ﴿ بل نظنكم كذبين ﴾ أى لكم هذا الوصف لازما دائما لأنكم لم تتصفوا بما جعلناه مظنة الاتباع مما يوجب العظمة فى القلوب و الانقياد للنفوس بالتقدم فى الدنيا بالمال و الجاه؛ فكان /[1]داءهم بطر[1] الحق و غمط[2] الناس، و هو احتقارهم، ٦٣٥ /
[3]و هذا[3] قد سرى إلى أكثر؛ أهل الإسلام، فصاروا لا يعظمون ٥
إلا بذلك، و هو أجهل الجهل لأن الرسل أتت[5] للتزهيد فى الدنيا و انظر إلى رضاهم لأنفسهم بالعدول عن البينة إلى اتباع الظن ما أردأه! و هذا أفظع مما حكى هنا من قول قريش "لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك[6]"، و أبشع؛ و البشر: الإنسان لظهور بشرته أى ظاهر جلده لأن الغالب على غيره من الحيوان سترها[7] بالصوف أو الشعر أو الوبر أو الريش؛ ١٠
و المثل: الساد مسد غيره فى الحس بمعنى أنه لو ظهر للمشاهدة لسد مسده؛ [8]و الرذل: الحقير بما عليه من صفات النقص و جمعه[8]؛ و الفضل: الزيادة من الخير، و الإفضال: مضاعفة الخير[9] التى توجب الشكر.

و لما كان ختام جوابهم أشده، بدأ فى جوابه برده مبينا لضلالاتهم[10] مغضيا عن شناعاتهم شفقة عليهم و محبة لنجاتهم، فقال تعالى ١٥

(١-١) من ظ، و فى الأصل: دلهم ينظر (٢) من ظ، و فى الأصل: غيظ.
(٣-٣) تأخر فى الأصل عن «بذلك و هو» و الترتيب من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: اكبر (٥) فى ظ: اتوا (٦) آية ١٢ (٧) من ظ، و فى الأصل: بشرها.
(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد بعده فى ظ: الافضال (١٠) فى ظ: اضلالتهم.

حكاية عنه : ﴿قال يقوم﴾ و شرع يكرر هذه اللفظة كل قليل تذكيرا لهم أنه منهم لتعطفهم الأرحام و تردهم القرابات عن حسده أو اتهامه إلى قبول ما يلقى إليهم من الكلام ، و أشار بأداة البعد - مع قربهم - إلى مباعدتهم فيما يقتضى غاية القرب ﴿ارءيتم﴾ أى أخبرونى ﴿ان كنت﴾ على سبيل الفرض منكم و التقدير ﴿على بينة﴾ أى برهان ساطع ، و زاد ترغيبا فيه بقوله : ﴿من ربى﴾ أى الذى أوجدنى و أحسن إلىّ بالرسالة و غيرها يشهد بصحة دعواى [شهدة - ٢] لا يتطرق إليها عند المنصف شبهة فكيف بالظن ! ﴿و اتنى﴾ - فضلا منه علىّ لا لمعنى فىّ أزيد عليكم به ، بل ﴿رحمة﴾ أى إكراما بالرسالة بعد النبوة ، و عظمها بقوله : ﴿من عنده﴾ فيها فضل عظيم النور واضح الظهور .

و لما كانت البينة من الرحمة ، وحد الضمير فقال : ﴿فعميت﴾ أى فتسبب عن تخصيصى بها أن أظلمت و وقع ظلامها ﴿عليكم﴾ أى فعميتم أنتم عنها لضعف عقولكم و لم يقع عليكم شىء من نورها . و ذلك أن الدليل إذا كان أعمى عاد ضرره على التابع بالحيرة و الضلال ، و هو معنى قراءة حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم بالبناء للمفعول مشددة ﴿انلزمكموها﴾ و قوله - : ﴿و انتم لها كرهون﴾ مع تسميته لها بينة - إشارة إلى أنها لم تعم و لا خفيت عليهم لقوة نورها و شدة ظهورها ، و إنما هم معاندون فى نفيهم لفضله و فضل من تبعه ، و التعبير عن ذلك بالجملة الاسمية

(١) من ظ ، و فى الأصل : دعوى (٢) زيد من ظ (٣) زيد بعده فى ظ : الرحمة .
(٤) سقط من ظ .

و اسم الفاعل إشارة إلى أن أفعالهم أفعال من كراهته لها ثابتة مستحكمة ، وكأنه لم يكن مأمورا بالقتال كما كان نبينا صلى الله عليه و سلم فى أول الأمر، و الآية ناظرة إلى قوله تعالى "افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين[1]" و يجوز أن يكون ذلك كناية عن أنهم معاندون مع قطع النظر عن الجهاد و غيره فان الأنبياء عليهم السلام مأمورون بالمجادلة ٥ للمعاندين إلى أن يلزموهم الحجة . و هى لا تفيد إلا الإلزام فى الظاهر مع الإنكار و الكراهة فى الباطن ، و الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة للكاملين ، و بالموعظة و الخطابة للمنافقين الذين لا يعاندون و يحسنون الظن فى الداعى ، فيكون[2] المعنى أن البينة لم تنفعكم[3] لشكاسة و اعوجاج فى طباعكم ، فلم يبق إلا الموعظة و هى لا تفيد [إلا -[4]] مع حسن الظن ، و أما مع ١٠ الكراهة فلا ينفعكم النصح . فلا فائدة فى المجادلة إلا الإلزام ، و هو مع الكراهة غير نافع لكم .

و لما كان نفى ذلك عاما للفضل الدنيوى ، و كان الاتصاف بقلة ما فى اليد إنما يكون ضارا إذا كان صاحبه يسأل غيره ، نفى عنه هذا اللازم العائب فقال مجيبا عن نفيهم الفضل عنه و عن اتباعه بأنه قد يريد منهم ١٥ على ذلك ثوابا دنيويا : ﴿ و يقوم ﴾ استعطافا لهم ﴿ لا اسئلكم ﴾ أى فى وقت / من[5] الأوقات ﴿ عليه ﴾ أى الإنذار كما يأخذ منكم من ٦٣٦/ ينذركم أمر من يريد منكم من ينذركم أمر من يريد بكم بعض ما تكرهون

(١) سورة ١٠ آية ٩٩ (٢) فى ظ : فتكون (٣) من ظ ، و فى الأصل : لم ينفعكم .
(٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : فى .

فى أمور دنياكم حتى تكون عاقبة ذلك أن تتهمونى ﴿ مالا [1] ان ﴾ أى ما ﴿ اجرى الا على الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام فبيده الخزائن كلها ، و نبه بهذا على أنه لا غرض له من عرض دنيوى ينفر[1] المدعو عنه فوجب تصديقه، و فيه تلقين للجواب عن قول قريش : لو لا ألقى ٥ إليه[2] كنز - كما سيأتى بأبين من ذلك عقب قصة يوسف عليه السلام فى قوله " و ما تسئلهم[3] عليه من اجر " لأن هذه القصص كالشىء الواحد متتابعة فى بيان حقية هذا القرآن و التأسية فى الاقتداء بالرسل فى الصبر على أداء جميع الرسالة مع ما يلزم ذلك من جليل العبر و بديع الحكم . فلما اتحد الغرض منها مع تواليها اتحدت متفرقاتها .

١٠ و لما كان التعبير برذالة المتبع مما ينفر أهل الدنيا عن ذلك التابع ، بين لهم أن شأنه غير شأنهم و أنه رقيق على من آمن به رفيق به رحيم له و إن كان متأخرا فى الدنيا محروما منها خوفا من الله الذى[4] اتبعوه فيه فقال : ﴿ و ما آنا ﴾ و أغرق فى النفى بقوله : ﴿ بطارد الذين امنوا [5] ﴾ أى أقروا بألسنتهم بالإيمان ؛ ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لإنكارهم ١٥ ﴿ انهم ملقوا ربهم ﴾ أى المحسن إليهم بعد إيجادهم و تربيتهم لهدايتهم[6] ، فلو طردتهم لشكونى إليه فلا أرى لكم وجها فى الإشارة إلى طردهم و لا فى شىء مما أحببتمونى[6] به ﴿ و لكنى ارىكم ﴾ أى أعلمكم علما هو كالرؤية ﴿ قوما تجهلون ۝ ﴾ [أى - [7]] تفعلون أفعال أهل الجهل فتكذبون

(١) من ظ ، و موضعه بياض فى الأصل (٢) فى ظ : عليه (٣) سقط من ظ .
(٤) فى ظ : الذين (٥) فى ظ : بهدايتهم (٦) فى ظ : اجبتمونى (٧) زيد من ظ .

الصادق و تعيرون المؤمنين بما لا يعنيهم[1] و تنسون لقاء الله و توقعون الأشياء فى غير مواقعها ، و فى تعبيره بـ "تجهلون" دون "جاهلين" إشارة إلى[2] أن الجهل متجدد لهم و هو غير عادتهم استعطافا لهم إلى الحلم ، ثم عطف إلى صريح الاستعطاف فى سياق محذر من سطوات الله فقال : ﴿و[3] يقوم﴾ أى الذين هم أعز الناس علىّ ﴿ من ينصرنى من الله ﴾ أى ٥ الذى له جميع العظمة ﴿ ان طردتهم[4] ﴾ و لو لم يشكونى إليه لاطلاعه على ما دق و جل ؛ و لما تم الجواب عن ازدرائهم ، سبب عنه الإنكار لعدم تذكرهم ما قاله لهم بما يجدونه فى أنفسهم فقال : ﴿ا فلا تذكرون ﴾ أى و لو أدنى تذكر - بما يشير إليه الإدغام - فتعلموا أن من طرد صديقا لكم عاديتموه و قصدتموه بالأذى فترجعوا عما طرأ لكم من جهل إلى عادتكم ١٠ من الحلم الباعث على التأمل الموقف على الحق ؛ و الطرد : إبعاد الشىء على جهة الهوان ؛ و القوم : الجماعة الذين يقومون[4] بالأمر ، اسم جمع لا واحد له من لفظه ؛ و التذكير : طلب معنى قد كان حاضرا للنفس ، و التفكر طلبه و إن لم يكن حاضرا .

و لما كان نفيهم للفضل شاملا للأموال[5] و علم الغيب ، أقرهم على ١٥ ذلك منبها على خطائهم فيه بأنه لم يقل بينهم قط ما يكون سببا له ، فقال عاطفا على قوله " لا اسئلكم عليه اجرا " : ﴿ و لآ اقول لكم ﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿ عندى خزآئن الله ﴾ أى الملك الأعظم فأتفضل عليكم بها ؛

(١) فى ظ : لا يعيبهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و القرآن الكريم .
(٤) فى ظ : يقيمون (٥) من ظ ، و فى الأصل : بالاموال .

و لما كان من الجائز أن يمكن الله من يشاء من خزائن الأرزاق و نحوها فيسوغ له أن يطلق ملك ذلك مجازا ، و لا يجوز أن يمكنه من علم الغيب ، و هو ما غاب عن الخلق كلهم ، لأنه خاصته سبحانه ، قال عاطفا على "اقول" لا على المقول : ﴿ و لآ اعلم الغيب ﴾ لا حقيقة و لا مجازا

٥ فأعلم[1] وقت ما توعدون به أو ما[2] فى قلوب المؤمنين مما[3] قد يتوهم[3] به من السوء ، و أعلمهم أنه لا مانع من إرسال البشر بقوله : ﴿ ولآ اقول انى ملك ﴾ فتكون قوتى أفضل من قوتكم أو خلقى أعظم قدرا من خلقكم و نحو

٦٣٧ / ذلك[4] من الفضل الصورى الذى جعلتموه هو الفضل ، فلا / تكون[5] الآية دليلا على أفضلية الملائكة . و تقدم فى الانعام سر إسقاطه لكم .

١٠ و لما كان تعريضهم بنفى الملكية[6] عنه من باب الإزراء ، أتبعه تأكيد قبوله لمن آمن كائنا من كان و إن ازدروه بقوله : ﴿ و لآ اقول للذين ﴾ أى لأجل الذين ﴿ تزدرى ﴾ أى تحتقر[7] ﴿ اعينكم ﴾ أى تقصرون به عن الفضل عند نظركم له و تعيبونه[8] ﴿ لن يؤتيهم الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ خيرا[9] ﴾ و لما كان كأنه قيل : ما لك لا تقول ذلك ؟ أجاب

١٥ بما تقديره : لأنى لا أعلم ضمائرهم و لا أحكم إلا على الظاهر : ﴿ الله ﴾ أى المحيط بكل شىء ﴿ اعلم ﴾ أى حتى منهم[9] ﴿ بما فى انفسهم ﴾ و من المعلوم أنه لا يظلم أحدا[10] ، فمن كان فى نفسه خير[11] جازاه عليه ، و يجوز

(١) من ظ ، و فى الأصل : علم (٢) فى ظ : اما (٣-٣) فى ظ : قذفتموهم (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : فلا يكون (٦) فى ظ : الملائكة (٧) فى ظ : تستصغر (٨) من ظ ، و فى الأصل : تعينونه (٩) فى ظ : منى (١٠) من ظ ، و فى الأصل : احد (١١) من ظ ، و فى الأصل : خيرا .

أن يكون هذا راجعا إلى "بادى الرأى" بالنسبة إليه صلى الله عليه و سلم كما تقدم ؛ [ثم علل كفه عن ذلك بقوله مؤكدا لإنكارهم ظلمه على ذلك التقدير -[1]] : ﴿انى اذاً﴾ أى إذا قلت لهم ذلك ﴿لمن الظالمين ٥﴾ أى المريقين فى وضع[2] الشىء فى غير موضعه ؛ و الخزائن : أخبية المتاع الفاخرة[3] ، [و خزائن الله مقدوراته لأنه يوجد منها ما يشاء ، و فى وصفها بذلك بلاغة -[1]] ؛ و الغيب : ذهاب الشىء عن الإدراك ، و منه الشاهد خلاف الغائب[4] ، و إذا قيل : علم غيب . كان معناه : علم من غير تعليم ؛ و الازدراء : الاحتقار ، و هو افتعال من الزراية ، زريت عليه - إذا عبته ، و أزريت عليه - إذا قصرت به ؛ و الملك أصله مألك من الألوكة و هى الرسالة .

فلما استوفى نقض[5] ما أبرموه فى زعمهم من جوابهم على غاية الإنصاف و اللين و الاستعطاف ، استأنف الحكاية عنهم بقوله : ﴿قالوا﴾ [أى -[1]] قول[6] من لم يجد فى رده شبهة يبديها ولا مدفعا يغير به : ﴿يٰنوح[7] قد جادلتنا﴾ أى أردت فتلنا و صرفنا عن آرائنا بالحجاج[8] و أردنا صرفك عن رأيك بمثل ذلك ﴿فاكثرت﴾ أى فتسبب عن[9] ذلك [و عن تضجرنا -[1]] أنك أكثرت ﴿جدالنا﴾ أى كلامنا على صورة الجدال ﴿فاتنا﴾ أى فتسبب عن ذلك [و عن -[1]] تضجرنا أنا نقول لك[10] : لم يصح[11]

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : وصف (٣) فى ظ : الفاخر (٤) فى ظ : الغيب . (٥) من ظ ، و فى الأصل : بعض (٦) من ظ ، و فى الأصل : قوله (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : بالنجاح (٩) من ظ ، و فى الأصل : من (١٠) من ظ ، و فى الأصل : لكم (١١) فى ظ : لم تصح .

عندنا دعواك ، ائتنا ﴿ بما تعدنآ ﴾ من العذاب ﴿ ان كنت ﴾ أى كونا هو جبلة لك ﴿ من الصٰدقين ۝ ﴾ أى العريقين [فى الصدق فى أنه يأتينا - [1]] فصرحوا[2] بالعناد المبعد من الإنصاف و الاتصاف بالسداد و سموه باسمه و لم يسمحوا بأن يقولوا له : يا ابن عمنا ، مرة واحدة كما كرر لهم : يا قوم ، فكان[3] المعنى أنا غير قابلين لشىء مما تقول و إن أكثرت و أطلت - بغير حجة منهم بل عنادا و كبرا - فلا تتعب ، بل قصر الأمر بما تتوعدنا به ، و سموه وعدا سخرية به ، أى أن هذا الذى جعلته وعيدا هو عندنا وعد حسن سارّ باعتبار أنا نحب حلوله . المعنى أنك لست قادرا على ذلك و لا أنت صادق فيه ، فان كان حقا فائتنا به ، فكأنه قيل : ماذا قال لهم؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ جريا على سنن قوله "ولا اقول لكم عندى خزٰئن الله و لا اعلم الغيب" : ﴿ انما ياتيكم به الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء فتبرأ من الحول و القوة و رد ذلك [إلى -[1]] من هو له ، و أشار بقوله : ﴿ ان شآء ﴾ إلى أنه مخير فى إيقاعه و إن كان قد تقدم قوله به إرشادا إلى أنه سبحانه لا يجب عليه شىء و لا يقبح منه شىء ، بل [و -[1]] لا يسأل عما يفعل [و إن كان لا يقع إلا ما أخبر به -[1]] ؛ ثم بين لهم[4] عجزهم و خطأهم فى تعرضهم للهلاك فقال : ﴿ و مآ انتم بمعجزين ۝ ﴾ أى فى شىء من الأوقات لشىء مما يريده بكم سبحانه ؛ و الإكثار : الزيادة على مقدار الكفاية ؛ و المجادلة : المقابلة[5] بما يفتل الخصم عن مذهبه بحجة أو شبهة ، و هو من الجدل و هو شدة الفتل ، و المطلوب[6] به الرجوع عن المذهب ، و المطلوب[6]

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : فصرح (٣) فى ظ : فقال (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : المقاتلة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بالحجاج ظهور الحجة ، فهو قد يكون مذموما كالمراء ، و ذلك حيث يكون للتشكيك فى الحق بعد ظهوره . و حيث قيد الجدال بـ" التى هى احسن " فالمراد به إظهار الحق .

و لما بين أنهم إنما هم فى قبضته سبحانه ، زاد فى بيان عظمته و أن إرادته تضمحل معها كل إرادة فى سياق دال على أنه بذلك ناصح لهم ٥ و أن نصحه خاص بهم ، فقال جوابا لما وهموا[1] من أن جداله لهم / كلام بلا طائل : ﴿ و لا ينفعكم نصحى ﴾ و ذكر إرادته لما يريد أن يذكره من إرادة الله فقال : ﴿ ان اردت ﴾ [أى جمعت إلى فعل النصح إرادة ـ[2]] ﴿ان انصح لكم﴾ باعلام موضع الغى ليتقى و الرشد ليتبع ، و جزاءه محذوف تقديره : لا ينفعكم نصحى ﴿ ان كان الله ﴾ أى ١٠ الذى له الأمر كله ﴿ يريد ان يغويكم[4] ﴾ أى يضلكم و يركبكم غير الصواب [فانه إرادته سبحانه تغلب إرادتى و فعلى معا -[2]] لا ينفعكم شىء إشارة إلى أنكم لا تقدرون على دفع العذاب بقوة فتكونوا [3]غالبين ، و لا بطاعة فتكونوا[3] محبوبين مقربين إن كان الله يريد إهلاككم بالإغواء ، و إن أردت أنا نجاتكم ، و لم يقل[4] : و لا ينفعكم نصحى إن نصحت ١٥ لكم ، إشارة إلى أنى لا أملك إلا إرادتى لنصحكم ، فاذا أردته فغاية ما يترتب عليه من فعلى وقوع النصح و إخلاصه لكم ، و أما[5] النفع به فلا شىء منه إلىّ ، بل هو تابع لمراد الله ، فان أراد غوايتكم حصلت

/ ٦٣٨

(١) فى ظ : اوهموا (٢) زيد من ظ (٣-٣) سقط مابين الرقمين من ظ (٤) فى الأصل: ولا يقل، والعبارة من هنا إلى « نصحت لكم » ساقطة من ظ (٥) فى ظ: ما.

لا محالة ، و لم يقع ما قد يترتب على النصح من عمل المنصوح بمقتضاه المستجلب للنفع المستدفع للضر[1]؛ ثم رغبهم فى إحسانه و رهبهم من انتقامه معللا لعدم ما لا يريده : ﴿هو ربكم﴾ أى الموجد لكم المدبر لأموركم فهو يتصرف وحده لما يريد .

٥ و لما كان التقدير : فمنه مبدءكم ، عطف عليه قوله : ﴿ و اليه ﴾ أى لا إلى غيره ﴿ترجعون﴾ أى بأيسر أمر و أهونه بالموت ثم البعث فيجازيكم على أعمالكم كما هى عادة الملوك مع عمالهم .

و لما كان مضمون هذه الآية نحو مضمون قوله " انما انت نذير و الله على كل شىء وكيل " فان النذير من ينصح المنذر ، و الوكيل [هو -[2]] ١٠ المرجوع إليه فى أمر الشىء الموكول إليه ، و ما قبلها تعريض[3] بنسبة نوح عليه السلام إلى الافتراء ، تلاه بما تلا به ذاك من النسبة إلى الافتراء [4]و إشارة إلى أن هذه القصص كلها للتسلية فى أمر النذارة و التأسية فكأنه قيل : أيقولون لك مثل هذه الأقوال فقد قالوها لنوح كما ترى ، ثم والى[5] عليهم من الإنذار ما لم يطمعوا معه فى ترك شىء مما أمرناه ١٥ به أعجبهم أو أغضبهم ، فلك[6] به أسوة و حسبك به قدوة فى أن تعد[4] كلامهم عدما و تقبل على ما أرسلناك به من بذل النصيحة بالنذارة : ﴿ ام يقولون ﴾ فى القرآن ﴿ افتراه ﴾ إصرارا على ما تقولوه فدمغه الدليل و أدحضته الحجة فكأنه قيل : نعم ، [إنهم -[2]] يقولون ذلك ،

(١) فى ظ : للضرر (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : تعريضا (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ : ولى (٦) فى ظ : ذلك .

فقيل : لا عليك فانه قول يقصدون به مجرد العناد و هم يعلمون خلافه بعد ما قام عليهم من الحجج التى وصلوا معها إلى عين اليقين فلا يهمنك قولهم هذا، فانهم يجعلونه وسيلة إلى تركك بعض ما يوحى إليك فلا تفعل ، بل ﴿ قل ﴾ فى جواب قولهم هذا ﴿ ان افتريته ﴾ أى قطعت كذبه ﴿ فعلىّ ﴾ أى خاصا بى ﴿ اجرامى ﴾ ، أى وباله و عقابه ٥ دونكم و إذا[1] استعلى علىّ الإجرام عرف ذلك لأرباب العقول و ظهر ظهورا أفتضح به و أنتم أعرف الناس بأنى أبعد من ذلك مما بين اجتماع الضدين و ارتفاع النقيضين لما تعلمون منى من طهارة الشيم و علو الهمم و طيب الذكر و شريف القدر و كريم الأمر ، هذا لو كنت قادرا على ذلك فكيف و أنا و أنتم[2] فى العجز عنه[2] سواء ﴿ و انا برىء ﴾ أى غاية ١٠ البراءة ﴿ مما تجرمون ﴾ أى توجدون إجرامه ، ليس علىّ من إجرامكم عائد ضرره بعد أن أوضحته لكم و كشفت عنكم غطاء الشبه ، إنما ضرره عليكم فاعلموا[3] على تذكر هذا المعنى فان سوق جوابهم على هذا الوجه أنكى[4] لهم من إقامة حجة أخرى لأنهم يعلمون منه أنه إلزام لهم بالفضيحة[5] لانقطاعهم لدى من له وعى ، و يمكن أن يكون التقدير : هل انتبه ١٥ قومك يا محمد فعلموا قبح مثل هذه الحال و أنها حال المعاندين ، فرجعوا تكرما عن ركوب مثلها / و استحياء " ام يقولون افتراه[6] " أى كذبه متعمدا استمرارا على العناد و تماديا فى البعاد كما تمادى قوم نوح فيحل ٦٣٩ /

(١) فى ظ : ان (٢-٢) فى ظ : عنه فى العجز (٣) من ظ ، و فى الأصل : فاعملوا.
(٤) من ظ ، و فى الأصل : ازكا - كذا (٥) من ظ ، و فى الأصل : بالنصيحة .

بهم ما حل بهم، أى هل رجعوا بهذا المقدار من قصة قوم نوح أم هم مستمرون على ما نسبوك إليه فى أوائل السورة من افترائه فيحتاجون إلى تكميل القصة بما وقع من عذابهم ليخافوا مثل مصابهم؛ و افتراء الكذب : افتعاله من قبل النفس فهو أخص من مطلق الكذب لأنه[1] قد يكون تقليدا للغير .

و لما فرغ من هذه الجملة التى هى المقصود بهذا السياق كله و إن كانت اعتراضية فى هذه القصة ، رجع إلى إكمالها بيانا لأن نوحا عليه السلام كان يكاشف قومه بجميع ما أمر به و إن عظمت مشقته عليهم بحيث لم يكن قط موضع رجاء لهم فى أن يترك شيئا منه و تحذيرا لكل من سمع قصتهم من أن يحل به ما حل بهم فقال: ﴿ و اوحى ﴾ أى من الذى لا موحى إلا هو و هو ملك الملوك ﴿ الى نوح ﴾ بعد تلك الخطوب ﴿ انه لن يؤمن ﴾ بما جئت به ﴿ من قومك الا من ﴾ و لما كان الذى يجيب الإنسان إلى ما يسأله فيه يلوح[2] عليه مخايل قبل الإجابة يتوقع السائل بها الإجابة ، قال: ﴿ قد امن فلا ﴾ أى فتسبب عن علمك بأنه قد تم شقاءهم أنا نقول لك: [لا - ٣] ﴿ تبتئس ﴾ أى يحصل لك بؤس ، أى شدة يعظم عليك خطبها بكثرة تأملك فى عواقبها ﴿ بما كانوا ﴾ أى بما جبلوا عليه ﴿ يفعلون ﴾ فانا نأخذ لك بحقك منهم قريبا ، و كأنه كان أعلمه أنهم [إن - ٣] لم يجيبوه أغرقهم و أنجاه و من معه فى فلك[4] يحملهم فيه على متن الماء فقال: ﴿ و اصنع الفلك ﴾ حال

(١) فى ظ : فانه (٢) فى ظ : تلوح (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : ذلك .

كونك محفوظا ﴿ باعيننا ﴾ نحفظك أن تزيغ فى عملها[1]، و جمع مبالغة فى الحفظ و الرعاية على طريق التمثيل ﴿ و وحينا ﴾ فنحن نلهمك أصلح ما يكون من عملها و أنت تعلم ما لنا من العظمة التى تغلب كل شىء و لا يتعاظمها شىء، فلا تهتم بكونك لا تعرف صنعتها؛ و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله أوحى إليه أن يصنعه مثل جؤجوء الطائر - أى ٥ صدره . و أشار إلى شفقته على قومه و حبه لنجاتهم كما هو حال هذا النبى الكريم مع أمته فقال: ﴿ و لا تخاطبنى ﴾ أى بنوع مخاطبة و إن قلّت ﴿فى الذين ظلموا ج﴾ أى أوجدوا الظلم و استمروا عليه فى أن أنجيهم؛ ثم علل النهى بأن الحكم فيهم [قد -[2]] انبرم فقال: ﴿ انهم مغرقون ۞ ﴾ قد [3]انبرم الأمر بذلك[3]؛ و الابتئاس: حزن فى استكانة، لأن أصل البؤس ١٠ الفقر و المسكنة؛ و الوحى: إلقاء المعنى إلى النفس فى خفاء، و قد يكون إفهاما من غير كلام باشارة و نحوها، و قد يكون بكلام خفى؛ و الفلك: السفينة، [4]يؤنث و يذكر[4]، واحده و جمعه سواء، و أصله الإدارة[5] من الفلكة .

و لما أمره تعالى و نهاه، أخبر أنه امتثل ذلك بقوله عاطفا على ما تقديره: فأيس من إيمان أحد منهم فترك دعاءهم و شرع يسلى نفسه: ١٥ ﴿و يصنع﴾ أى صنعة ماهر جدا، له ملكة عظيمة بذلك الصنع ﴿الفلك قف﴾ فحلى[6] فعله حالُ عليه بأنه سبحانه بت الأمر بأنه كان يعمل ما أمره[7] به

(١) فى ظ : علمها (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) فى ظ : فرغ من ذلك (٤ - ٤) فى ظ : يذكر و يونث (٥) من ظ ، و فى الأصل : الارادة (٦) فى ظ : على .
(٧) فى ظ : امن .

سبحانه و لم يخاطبه فيهم و لا أسف عليهم ، و أشار إلى أنهم ازدادوا بغيا بقوله : ﴿ و كلما ﴾ أى و الحال أنه كلما ﴿ مر عليه ملا ﴾ أى أشراف ﴿ من قومه ﴾ و أجاب ' كلما ' بقوله : ﴿ سخروا منه[1] ﴾ أى و لم يمنعهم شرفهم من ذلك ، و ذلك أنهم رأوه يعانى ما لم يروا قبله مثله ليجرى على الماء و هو فى البر و هو على صفة من الهول عظيمة فمن الحسن أن طولها ألف ذراع و مائتا ذراع و عرضها ستمائة ، فقالوا : يا نوح ! ما تصنع ؟ قال : أبنى بيتا على الماء ، و يجوز أن يكون ' سخروا ' : صفة لملا ، و جواب ' كلما ' ' قال ' . و لما أيأسه الله من خيرهم ، ترك ما كان من لينه لهم و استعطافهم فعلم أن ذلك ما كان إلا له سبحانه ، فقال حاكيا عنه استئنافا[1] : / ﴿ قال ان تسخروا منا ﴾ و لما كانوا يظنون أنه غائب فى عمله كان [عندهم -[2]] موضعا للخزى و السخرية ، و كان هو[3] صلى الله عليه و سلم عالما بأن عملهم سبب لخزيهم بالعذاب المستأصل ، فكان المعنى : إن تسخروا منا - أى منى و ممن[4] يساعدنى - لظن أن عملنا غير مثمر ﴿ فانا نسخر ﴾ أى نوجد السخرية ﴿ منكم ﴾ جزاء لكم ﴿ كما تسخرون[5] ﴾ منا الآن لأن عملنا منج و عملكم ليس مقتصرا على الضياع بل هو[4] موجب لما توعدون من العذاب فأنتم المخزيون[5] دونى . و لما كان قوله " نسخر منكم " واقعا موقع هذا الإخبار ، حسن الإتيان بالفاء المؤذنة بتسبب العلم المذكور عنه فى قوله : ﴿ فسوف تعلمون[6] ﴾ أى بوعد لا خلف فيه

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : هود (٤) فى ظ : بمن (٥) فى ظ : المجزون .

﴿من يأتيه عذاب يخزيه﴾ أى يفضحه فيذله، وكأن المراد به عذاب الدنيا ﴿ويحل عليه﴾ أى حلول الدين الذى لا محيد عنه ﴿عذاب مقيم ۝﴾ وهو عذاب الآخرة، وقد مضى نحوه فى الانعام عند قوله "فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار[1]"؛ والسخرية: إظهار ما يخالف الإبطان على جهة تفهم استضعاف العقل، من التسخير وهو التذليل ٥ استضعافا بالقهر. وهى تفارق اللعب بأن فيها خديعة استنفاض، فلا تكون[2] إلا بحيوان، واللعب قد يكون بجماد لأنه مطلق طلب الفرح؛ والخزى: العيب الذى تظهر فضيحته والعار به، ونظيره الذل والهوان؛ واستمر ذلك دأبه ودابهم ﴿حتى اذا جآء امرنا﴾ أى وقت إرادتنا لإهلاكهم ﴿وفار﴾ أى غلا وطفح ﴿التنور﴾ [4]وعن ابن عباس ١٠ رضى الله عنهما والحسن ومجاهد أنه[4] الحقيق الذى يخبز فيه، و[5]هذا هو[5] الظاهر فلا يعدل عنه إلا بدليل، لأن صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل عبث [كما -[6]] قاله أهل الأصول ﴿قلنا﴾ [بعظمتنا -[1]] ﴿احمل﴾ [ولما كان الله تعالى قد أمره أن يجعل لها غطاء - كما قال أهل التفسير - لئلا تمتلئ من شدة الأمطار، كانت الظرفية فيها بخلاف ١٥ غيرها من السفن واضحة فلذلك قال -[6]]: ﴿فيها﴾ أى السفينة ﴿من كل زوجين﴾ من الحيوانات، [7]والزوج فرد يكون معه آخر لا يكمل نفعه إلا به[7] ﴿اثنين﴾ ذكر أو أنثى ﴿واهلك﴾ أى احملهم، والأهل:

(١) آية ١٣٥ (٢) فى ظ: فلا يكون (٣) فى ظ: بالاهلاك (٤ - ٤) من ظ، وفى الأصل: اى (٥ - ٥) فى ظ: هوهذا (٦) زيد من ظ (٧-٧) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «ابنه كنعان» والترتيب من ظ.

العيال ﴿ الا من سبق ﴾ غالبا ﴿ عليه القول ﴾ بأنى أغرقه و هو امرأته و ابنه كنعان ﴿ و من ﴾ اى و أحمل فيها من ﴿ آمن ﴾ قال أبو حيان : و كانت السفينة ثلاث طبقات : السفلى للوحوش ، و الوسطى للطعام و الشراب ، و العليا له و لمن آمن معه ؛ ثم سلى المخاطب بهذه القصص صلى الله عليه و سلم و ذكره نعمته بكثرة من اتبعه مع صدعهم بمؤلم الإنذار على قصر الزمان دون نوح عليهم السلام مع تطاول الزمن فقال : ﴿ و ما آمن ﴾ أى و الحال أنه ما ﴿ آمن ﴾ كائنا ﴿ معه ﴾ أى بانذاره ﴿ الا قليل ﴾ بسبب تقديرنا لا باغضائهم بما كوفحوا به من الإنذار ؛ و التنور - قال أبو حيان : وزنه فعول عند أبى على و هو أعجمى ، و قال ثعلب : وزنه تفعول من النور ، و أصله تنوور ، همزت الواو ثم خففت و شدد الحرف الذى قبلها . و الزوج قد كثر على الرجل الذى له امرأة ؛ قال الرمانى : و قال الحسن فى "و من كل شىء خلقنا زوجين" : السماء زوج و الأرض زوج ، و الشتاء زوج و الصيف زوج ، و الليل زوج و النهار زوج ، حتى يصير الأمر إلى الله الفرد الذى لا يشبهه شىء ، و معنى ذلك فى صحيح البخارى . و أقل ما قيل فيمن كان فى السفينة ثمانية : نوح و امرأة له ، و ثلاثة بنين : سام و حام و يافث ، و نساؤهم ؛ و أكثر ما قيل أنهم ثمانون - روى عن ابن عباس رضى الله عنهما .

(١ - ١) تقدم ما بين الرقمين على « اثنين » و الترتيب من ظ (٢) راجع البحر المحيط ٥/٢٢٣ (٣) راجع النهر على هامش البحر المحيط ٥/١٢١ (٤) سورة ٥١ آية ٤٩ .

و لما

و لما أتاه الأمر بذلك، بادر الامتثال فجمع من أمره الله به إلى السفينة بعد أن هيأها لهم ﴿ و قال ﴾ أى لمن أمر بحمله[1] ﴿ اركبوا ﴾ و لما كانت الظرفية أغلب على السفينة قال: ﴿ فيها ﴾ أى السفينة؛ و لما أمرهم بالركوب فركبوا، استأنف قوله، أو أمرهم بالركوب قائلين: ﴿ بسم الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ مجريها و مرسٰها[2] ﴾ أى ٥ إجراءها و إرساءها و محلهما و وقتهما، و قرأ الحسن و قتادة و حميد الأعرج و إسماعيل بن مجالد[3] عن عاصم بكسر الراء و السين كسرا خالصا بعده ياءان خالصتان على أن الاسمين صفتان للجلالة/: ثم علل نجاتهم بالإجراء و الإرساء اعترافا بأنه لا نجاة إلا بعفوه بقوله[3]: ﴿ ان ربى ﴾ أى المحسن إلى بما دبر من هذا الأمر و غيره، و زاد فى التأكيد تطييبا ١٠ لقلوب من معه معرفا لهم بأن أحدا لن يقدر الله حق قدره و أن العبد لا يسعه إلا الغفران[4] فقال: ﴿ لغفور ﴾ أى بالغ الستر للزلات و الهفوات ﴿ رحيم ﴾ أى بالغ[5] الإكرام لمن يريد. فركبوها و استمروا سائرين فيها يقولون: بسم الله ﴿ و هى ﴾ أى و الحال أنها ﴿ تجرى بهم ﴾.

و لما كان الماء مهيئا للاغراق، فكان السير على ظهره من الخوارق. ١٥ و أشار الى ذلك بالظرف فقال: ﴿ فى موج ﴾ و نبه على علوه بقوله[6]: ﴿ كالجبال قف ﴾ أى فى عظمه و تراكمه [و ارتفاعه -[7]]، فالجملة حال من فركبوها؛ المقدر لأنه لظهوره فى قوة الملفوظ، و كان هذه[8] الحال مع

/ ٦١٤

(١) فى ظ: ان يحمله (٢) من ظ و غاية النهاية ١/١٦٧، و فى الأصل: مخالد. (٣) سقط من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: العفو (٥) فى ظ: بليغ (٦) فى ظ: فقال (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ: هذا.

أن استدامة الركوب ركوب إشارة إلى سرعة امتلاء الأرض من الماء و صيرورته فيها أمثال الجبال عقب ركوبهم السفينة من غير كبير[1] تراخ ، قالوا : و كان أول ما ركب معه الذرة ، و آخر ما ركب معه[2] الحمار ، و تعلق إبليس بذنبه فلم يستطع الدخول حتى قال له[2] نوح عليه السلام : ٥ ادخل و لو كان الشيطان معك - كذا قالوا ، و قيل : إنه منع الحية و العقرب و قال : إنكما سبب الضر[3] ، فقالا : احملنا و لك أن لا نضر أحدا ذكرك ، فمن قال "سلم على نوح فى العلمين ، انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين[4]" لم تضراه . و لما كان ابتداء الحال فى تفجر الأرض كلها عيونا و انهمار السماء انهمارا - مرشدا إلى أن الحال ١٠ سيصير إلى ما أخبر الله به من كون الموج كالجبال لا ينجى منه إلا السبب الذى أقامه سبحانه ، تلا ذلك بأمر ابن نوح فقال عاطفا[5] على قوله "و قال اركبوا" ﴿ و نادى نوح ابنه ﴾ [أى - [6]] كنعان و هو اصلبه - نقله الرمانى[7] عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الضحاك ﴿ و كان ﴾ أى الابن ﴿ فى معزل ﴾ أى عن أبيه فى مكانه و فى دينه لأنه كان ١٥ كافرا ، و بين أن ذلك المعزل[2] كان على بعض البعد بقوله : ﴿ يبنى ﴾ صغره تحننا و تعطفا ﴿ اركب ﴾ كائنا ﴿ معنا ﴾ - أى فى السفينة لتكون من الناجين ﴿ و لا تكن ﴾ أى[2] بوجه من الوجوه ﴿ مع الكفرين ﴾ أى فى دين و لا مكان إشارة إلى أن حرص الرسل عليهم السلام

(١) من ظ ، و فى الأصل : كثير (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : الضر (٤) سورة آية ٧٩ - ٨١ (٥) فى ظ : عطفا (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : الكرمانى .

و شفقتهم - و إن كانت مع رؤية الآيات العظام و الأمور الهائلة - ليست سببا للين القلوب و خضوع النفوس ما لم يأذن الله ، انظر إلى استعطاف نوح عليه السلام بقوله "يبنى" مذكرا له بالبنوة مع تصغير التحنن والتراؤف و فظاظة[1] الابن مع[2] عدم سماحه [3]بأن يقول[3] : يا أبت ، و لم يلن[4] مع ما رأى من الآيات العظام و لا تناهى لشيء منها عن تقحم الجهل بدلا من العلم و تعسف الشبهة بدلا من الحجة .

و لما كان الحال حال دهش و اختلال . كان السامع جديرا بأن لا يصبر بل يبادر إلى السؤال فيقول : فما قال ؟ فقيل : ﴿قال﴾ قول من ليس له عقل تبعا لمراد الله ﴿سآوى الى جبل يعصمنى﴾ أى يعلوه ﴿من الماء[5]﴾ أى فلا أغرق ﴿قال﴾ أى نوح عليه السلام ﴿لا عاصم﴾ أى لا مانع من جبل و لا غيره موجود[6] ﴿اليوم﴾ أى لأحد ﴿من امر الله﴾ أى الملك الأعظم المحيط أمره و قدرته و علمه ، و هو حكمه بالغرق على كل ذى روح [لا يعيش فى الماء - [7]] ﴿الا من[9] رحم ج﴾ أى إلا مكان من رحمة[8] الله فانه مانع من ذلك و هو السفينة ، أو لكن من رحمه الله فان الله يعصمه .

و لما ركب نوح و من أمره الله به و أراده . و لم تبق حاجة فى تدرج ارتفاع الماء . فعلا[9] و طما و غلب و عتا فهال الأمر و زاد على الحد و القدر ، [قال تعالى عاطفا على ما تقديره : فلم يسمع ابنه ذلك

(١) فى ظ : فظاعة (٢) فى ظ : فى (٣ - ٣) من ظ ، و فى الأصل : بقوله (٤) فى الأصل و ظ : لم يكن (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : موجودا (٧) زيد من ظ . (٨) من ظ ، و فى الأصل : رحم (٩) من ظ ، و فى الأصل : على .

منه بل عصى أباه كما عصى الله فأوى إلى الجبل الذى أراده فعلا الماء عليه و لم يمكنه بعد ذلك اللحاق بأبيه و لا الوصول إليه - [١] :
﴿ و حال بينهما ﴾ أى بين الابن و الجبل أو بينه و بين أبيه ﴿ الموج ﴾ المذكور فى قوله "فى[٢] موج كالجبال" ﴿ فكان ﴾ أى [الابن - [١]]
٥ بأهون أمر ﴿ من المغرقين ﴾ [و هم كل من لم يركب مع نوح عليه السلام من جميع أهل الأرض - [١]]؛ قال أبو حيان[٣]: قيل كانا يتراجعان الكلام فما استتمت المراجعة حتى جاءت موجة عظيمة وكان راكبا على فرس قد بطر و أعجب بنفسه فالتقمته[٤] و فرسه و حيل بينه و بين نوح عليه السلام فغرق - انتهى . و الركوب : العلو على ظهر الشيء ، ركب
١٠ الدابة و السفينة و البر و البحر ؛ و الجرى : مر سريع ؛ يقال : هذه العلة تجرى فى أحكامها . أى تمر من غير مانع ، و الموج جمع موجة - القطعة عظيمة من الماء الكثير ترتفع[٥] عن حملته ، و أعظم ما يكون ذلك إذا اشتدت الريح ؛ و الجبل : جسم عظيم الغلظ شاخص من الأرض هو لها كالوتد ؛ و العصمة : المنع من الآفة ﴿ و قيل ﴾ أى[٢] بأدنى إشارة
١٥ بعد هلاك أهل الأرض و خلوها من الكافرين وتدمير من فى السهول و الجبال من الخاسرين ، و هو من إطلاق المسبب - و هو القول - على السبب - و هو الإرادة - لتصور أمر و مأمور هو فى غاية الطاعة فانه أوقع فى النفس .

---

(١) زيد من ظ (٢) سقط من ظ (٣) راجع البحر المحيط ٥/٢٢٧ (٤) فى ظ : فالتقمه (٥) من ظ ، و فى الأصل : يرتفع .

و لما

و لما كان كل شيء دون مقام الجلال و الكبرياء و العزة بأمر[1] لا يعلمه إلا الله . دل على ذلك بأداة البعد فقال: ﴿ يٰأرض ابلعى ﴾ أى اجذبى من غير مضغ إلى مكان خفى بالتدريج ، و عين المبلوع لئلا يعم فتبتلع[2] كل شيء على ظهرها من جبل و غيره، و لذلك أفرد و لم يجمع فقال: ﴿ مآءك ﴾ أى الذى تجدد على ظهرك للاغراق ليكون ذلك كالغذاء للآكل الذى يقوى بدنه به فيقوى به على الإنبات و سائر المنافع و جعله ماءها لاتصاله بها اتصال الملك بالمالك ﴿ و يٰسمآء اقلعى ﴾ أى أمسكى عن الإمطار ، ففعلتا مبادرتين لأمر الملك الذى[3] لا يخرج عن مراده شيء ﴿ و غيض المآء ﴾ أى المعهود ، حكم عليه بالدبوب[4] فى أعماق الأرض ، من المتعدى فانه يقال: غاض الماء و غاضه الله ، كما يقال: نقض الشيء و نقضته أنا ﴿ و قضى الامر ﴾ أى فرغ و انبتّ و انبرم فى إهلاك من هلك و نجاة من نجا كما أراد الجليل على ما تقدم به وعده نوحا عليه السلام ، لم يقدر أحد أن يحبسه عنهم و لا أن يصرفه و لا أن يؤخره دقيقة و لا أصغر منها . فليحمد الله من أخر عنه العذاب و لا يقل "ما يحبسه" لئلا يأتيه مثل ما أتى هؤلاء أو من بعدهم ﴿ و استوت ﴾ أى استقرت و اعتدلت السفينة ﴿ على الجودى ﴾ إشارة[5] باسمه إلى أن الانتقام العام قد مضى، و ما بقى إلا الجود بالنماء[6] و الخير و الخصب و الرحمة العامة ، و هو جبل بالموصل بعد خمسة أشهر ؛ قال قتادة : استقلت بهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : يامن (٢) فى ظ : فتبلع (٣) فى ظ : التى (٤) فى ظ : بالرسوب (٥) فى ظ : اشار (٦) فى ظ : و النماء .

لعشر خلون من رجب و كانت فى الماء[1] خمسين و مائة يوم، و استقرت بهم على الجودى شهرا، و هبط بهم يوم عاشوراء ﴿ و قيل ﴾ أى إعلاما بهوان المهلكين و الراحة منهم ﴿ بعدا ﴾ هو من بعد - بالكسر مرادا به البعد من حيث الهلاك، فان حقيقته بعدٌ بعيدٌ لا يرجى منه عود، ٥ ثم استعير للهلاك و خص بدعاء السوء، و عبر بالمصدر لتعليقه باللام الدالة على الاستحقاق و الاختصاص ﴿ للقوم ﴾ [أى المعهودين فى هذه القصة التى كان فيها من شدة القيام فيما يحاولونه ما لا يعلمه إلا الله -[2]] ﴿ الظلمين ﴾ أى العريقين فى الظلم، و هذه الآية تسع عشرة لفظة فيها أحد و عشرون نوعا من البديع - عدها أبو حيان ١٠ و قال: و روى أن أعرابيا سمعها فقال: هذا كلام القادرين. و ذكر الرمانى[3] عدة من معانيها. منها إخراج الأمر على جهة التعظيم لفاعله من غير معاناة و لا لغوب، و منها حسن تقابل المعانى، و منها حسن ائتلاف الألفاظ، و منها حسن البيان فى تصوير الحال، و منها الإيجاز من غير إخلال، و منها تقبل الفهم على أتم الكمال؛ و البلع: إجراء ٦٤٣/ ١٥ لشىء فى الحلق إلى الجوف؛ و الإقلاع: إذهاب الشىء/ من أصله حتى لا يبقى له أثر: و الغيض: غيبة الماء فى الأرض على جهة النشف[4]؛ و إبراز الكلام على البناء للمفعول أدل[5] على الكبرياء و العظمة للفاعل للاشارة إلى أنه معلوم لأنه لا يقدر على مثل هذه الأفعال غيره، و نقل

(١) من ظ، و فى الأصل: الماية - كذا (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: الكرمالى.
(٤) فى ظ: النسف (٥) فى ظ: دل.

الأصبهانى عن صاحب المفتاح فيها كلاما أغلى من الجوهر .

و لما كان الاستثناء من أهله فى قوله " الا من سبق عليه القول" يجوز أن يراد به امرأته فقط . فتكون نجاة ابنه جائزة ، وكان ما عند الأنبياء عليهم الصلاة و السلام من فرط الشفقة على الخلق لا سيما الأقارب يحملهم على السعى فى صلاحهم ما كان لذلك وجه كما تقدم[1] مثل ذلك فى قوله تعالى " ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم[2]" لأن أجنحة الخلق كسيرة و أيديهم قصيرة و أمرهم ضعيف و حالهم رث ، فأدنى هوان يورثهم الخسران ، و أما جناب الحق[3] ففسيح و شأنه عظيم و أمره علىّ ، فلا يلحقه نقص بوجه و لا يدانيه ضرر و لا يعترى[4] أمره وهن[5] ، لما كان ذلك كذلك . سأل نوح عليه السلام نجاة ولده كما أخبر عنه تعالى فى قوله : ﴿ و نادى نوح ربه ﴾ [أى الذى عوده بالإحسان الجزيل -[6]] ، و دل سبحانه بالعطف بالفاء[7] دون أن يأتى بالاستئناف[8] المفسر للنداء على أن ما ذكر هنا من نداء نوح عليه السلام بعض ندائه و أن هذا المذكور مرتب معقب على شىء منه سابق عليه أقربه[8] أن يكون ما أرشده[9] إليه سبحانه فى سورة المؤمنين و يشعر به قوله تعالى بعد هذا جوابا له " ينوح اهبط بسلم منا" فيكون

(١) زيد بعده فى ظ : فى (٢) سورة ٩ آية ٨٠ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الخلق (٤) فى ظ : لا يعتى (٥) زيدت الواو بعده فى ظ (٦) زيد من ظ .
(٧) من ظ ، وفى الأصل : بالباء (٨) من ظ ، و فى الأصل : للاستيناف (٩) من ظ ، و فى الأصل : اقربته (١٠) فى ظ : ارشد .

تقدير الكلام قال[1]: رب أنزلني منزلا مباركا - و ما قدر له من الكلام ﴿ فقال ﴾ أى عقبة لما حمله على ذلك من رحمة النبوة و شفقة الأبوة و سجية[2] البشر متعرضا لنفحات الرحمة و عواطف العفو ؛ أو الفاء تفصيل لمجمل[3] "نادى" مثل ما [فى - ٤] : توضأ[5] فغسل ﴿ رب ان ابنى ﴾ أى الذى غرق ﴿ من اهلى ﴾ أى و قد أمرتنى بحمل أهلى ، و ذلك الأمر محتمل للاشارة إلى إرادة نجاتهم ﴿ و ان وعدك الحق ﴾ أى الكامل فى نجاتهم إلا من سبق عليه القول ، و قد علمت ذلك فى المرأة الكافرة ﴿ و انت احكم الحكمين ﴾ لأنك أعلمهم ، و من كان أعلم كان أحكم فتعلم أن قولك "الا من سبق عليه القول" يصح باستثنائها وحدها ، فان كان ابنى ممن نجا فأتنى به ؛ و إن كان هذا الدعاء عند حيلولة[6] الموج بينهما فالمعنى : فلا تهلكه ﴿ قال يٰنوح ﴾ و أكد فى نفى ما تقدم منه إثباته فقال : ﴿ انه ليس من اهلك ج ﴾ [أى - ٤] المحكوم بنجاتهم لإيمانهم و كفره ، و لهذا علل بقوله : ﴿ انه عمل ﴾ أى ذو عمل ، [و لكنه جعله نفس العمل فى قراءة الجماعة مبالغة فى ذمه ، و ذلك لأن الجواهر متساوية الأقدام فى نفس الوجود لا تشرف إلا بآثارها ، فبين أنه ليس فيه أثر صالح أصلا ، و يثبت قراءة يعقوب و الكسائى بالفعل أن من باشر السوء مطلق مباشرة وجبت البراءة منه ، و لا سيما للأمر فلا يواصل إلا باذن ، و عبر بالعمل دون الفعل لزعمه أن أعماله مبنية على العلم ، و أكده لما لا يخص من سؤال نوح عليه السلام هذا - ٤]

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : شجية (٣) من ظ . وفى الأصل : المجمل (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : قومنا (٦) فى ظ : حيولة .

غير

﴿غير صالح﴾ بعلمى، و قد حكمت فى هذا الأمر أنى لا أنجى منه إلا من اتصف بالصلاح و أنا عليم بذات الصدور. و أنت يخفى عليك كثير من الأمور فربما ظننت الإيمان بمن ليس بمؤمن لبنائك الأمر على ما راه من ظاهره؛ و قد نقل الرمانى[1] عن الحسن أنه كان ينافق باظهار الإيمان، و هذا يدل على أن الموافق فى الدين ألصق ما يكون و إن كان فى غاية البعد فى النسب، [و المخالف فيه أبعد ما يكون و إن كان فى غاية القرب فى النسب -[2]] .

و لما تسبب عن هذا الجواب أن ترك السؤال كان أولى، ذكر أمرا كليا يندرج فيه فقال: ﴿فلا تسئلن﴾ أى بنوع من أنواع السؤال ﴿ما ليس لك به علم﴾ فلا تعلم أصواب السؤال فيه أم لا، لأن اللائق بأمثالك من أولى القرب بناء أمورهم على التحقيق و انتظار[3] الإعلام منا، انظر إلى قول موسى عليه السلام فى حديث الشفاعة فى الصحيح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه: و إنى قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها. و من المعلوم أن تلك النفس كانت كافرة من آل فرعون ﴿انى اعظك﴾ بمواعظى كراهية ﴿ان تكون﴾ أى كونا تتخلق به ﴿من الجهلين﴾ أى فى عداد الذين يعملون بالظن لأنهم لا سبيل لهم / إلى الوقوف على حقائق الأمور من قبلنا فتسأل مثل ما يسألون. /٦٣٤

و لما انجلى للسامع ما هو فيه صلى الله عليه و سلم من علو المقام و[4] عظيم

(١) فى ظ: الكرمانى (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ: انتظام (٤) سقط من ظ.

الشأن الموجب للعتاب على كثير من الصواب فتشوف للجواب ، استأنف بيانه بقوله : ﴿ قال ﴾ أى مبادرا على ما[1] يقتضيه له من كمال الصفات ﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ ، و أكد دلالة للسامعين[2] على عظيم رغبته فقال : ﴿ انىّ اعوذ بك ان ﴾ أى من أن ﴿ اسئلك ﴾ [أى - [3]] فى شىء من الأشياء ﴿ ما ليس لى به علم ﴾ تأدبا باذنك و اتعاظا بموعظتك و ارتقاء[4] لما رقيتنى إليه من علو الدرجة و رفيع المنزلة ﴿ و الا تغفر لى ﴾ أى الآن و فى المستقبل ﴿ و ترحمنىّ ﴾ أى تستر زلاتى و تمحها و تكرمنى ﴿ اكن من الخسرين ﴾ أى العريقين فى الخسارة فكأنه[5] قيل : ما ذا أجيب عن ذلك؟ فقيل : ﴿ قيل ﴾ بالبناء للمفعول دلالة على العظمة و الجلال الذى[6] تكون الأمور العظيمة لأجله بأدنى إشارة ﴿ يٰنوح اهبط ﴾ أى من السفينة ﴿ بسلٰم ﴾ أى عظيم ﴿ منا ﴾ أى و من سلمنا عليه فلا هلك يلحقه ﴿ و بركٰت ﴾ أى خيرات نامية [7]عظيمة صالحة[7] ﴿ عليك ﴾ أى خاصة بك ﴿ و علىٰ امم ﴾ ناشئة ﴿ ممن معك ﴾ لكونهم على ما يرضينا و لا نمتعهم بالدنيا إلا قليلا ، و لهم إذا رجعوا إلينا نعيم مقيم ، و قد دخل فى هذا الكلام[8] كل مؤمن و مؤمنة إلى يوم القيامة ﴿ و امم ﴾ أى منهم ﴿ سنمتعهم ﴾ فى الدنيا بالسعة فى الرزق[9] و الخفض فى العيش على وفق علمنا و إرادتنا و لا بركات عليهم منا و لا سلام ، فالآية من الاحتباك :

---

(١) فى ظ : حسبما (٢) من ظ ، و فى الأصل : للسايق (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : ارتفاعا (٥) فى ظ : فكان (٦) من ظ ، و فى الأصل : التى (٧ - ٧) فى ظ : صالحة عظيمة (٨) فى ظ : السلام (٩) من ظ ، و فى الأصل : الدنيا .

ذكر البركات و السلام [1]أولا دليلا[1] على نفيهما ثانيا ، و المتاع[2] ثانيا ، دليلا على حذفه[3] أولا ﴿ ثم يمسهم منا﴾ أى فى الدارين أو فى الآخرة [4]أو فيهما[4] ﴿ عذاب اليم ٥ ﴾ لجريهم على غير هدينا و جرأتهم على ما يسخطنا ، و يجوز أن يكون " و امم" مبتدأ[5] من غير تقدير صفة محذوفة ، فيكون المسوغ للابتداء كون المقام مقام التفضيل ؛ و العياذ : طلب النجاة بما يمنع من الشر ؛ و البركة : ثبوت الخير بنمائه حالا بعد حال ، و أصله الثبوت ، و منه البروك و البركة لثبوت الماء فيها .

ذكر قصة نوح عليه السلام من التوراة و هو نوح بن لمك بن متوشلح بن خنوخ[6] بن يارد بن مهلاليل[7] بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام ، و ذلك[8] لأنه فى أوائل السفر الأول[9] منها : و إن آدم طاف نحو حايلته[10] فحبلت و ولدت ابنا فسماه[11] شيث و قال : الآن أخلف الله علىّ نسلا آخر بدل هابيل الذى قتله قابيل ، و ذلك بعد أن عاش آدم مائة و ثلاثين سنة . و كان جميع حياة آدم تسعمائة[12] و ثلاثين سنة ، و عاش شيث مائة و خمس[13] سنين فولد له أنوش ، و كان

(١ - ١) فى ظ : لا دليل (٢) زيد فى ظ : و العذاب (٣) زيد فى ظ : ضدهما .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : ممتدا (٦) فى تاريخ اليعقوبى ١٢/١ : اخنوخ (٧) فى تاريخ اليعقوبى ١٠/١ مهلائيل ، وفى التوراة : مهللئيل ، - راجع الأصحاح الخامس من السفر الأول (٨) فى ظ : ذكر (٩) سقط من ظ .
(١٠) فى ظ : حلقلته (١١) فى ظ : وسماه (١٢) من ظ و الأصحاح الخامس من السفر الأول ، و فى الأصل : سبعمائة (١٣) فى ظ : خمسة .

جميع حياة [1]شيث تسعمائة و اثنتى عشرة سنة ، فعاش أنوش تسعين سنة فولد له قينان وكان جميع حياة[1] أنوش تسعمائة و خمس سنين ، و عاش قينان سبعين سنة فولد له مهلاليل و كان جميع [حياة -[2]] قينان تسعمائة و عشرين سنة ، وعاش مهلاليل خمسا و ستين سنة فولد له يارد [1]وكانت جميع حياة مهلاليل ثمانمائة سنة و خمسا و تسعين سنة ، وعاش يارد[1] مائة و اثنتين و ستين سنة فولد له خنوخ فكانت جميع حياة يارد تسعمائة و اثنتين و ستين سنة ، و عاش خنوخ خمسا و ستين سنة فولد له متوشلح و كانت جميع حياة خنوخ ثلاثمائة و خمسا و ستين سنة ، وعاش متوشلح مائة وسبعا و ثمانين سنة فولد له لمك و كانت جميع حياة متوشلح تسعمائة و تسعا و ستين سنة ، و عاش لمك مائة و اثنتين و ثمانين سنة فولد له ابن[3] فسماه نوحا ، ثم قال : هذا يريحنا من أعمالنا ، وكد / أيدينا فى الأرض التى قد لعنها الله ، و كانت جميع أيام حياة لمك سبعمائة و سبعا و سبعين سنة ، و توفى و نوح ابن خمسمائة[4] سنة ، فولد لنوح بنون : سام و حام و يافث ، فلما بدأ الناس أن يكثروا على وجه الأرض و ولد لهم البنات نظر بنو الأشراف منهم بنات العامة حسانا جدا فأخذوا منهم النساء على ما اختاروا و أحبوا ، فقال الله عند ذلك : لا تحل عنايتى و شفقتى على هؤلاء الناس لأنهم يتبعون أهواء الجسد و اللحم و كانت[5] على الأرض جبابرة فى تلك الأيام و من بعدها ، لأن بنى الأشراف دخلوا على بنات العامة فولد لهم جبابرة مذكورون ، فرأى الرب أن شر الناس قد كثر

٦٤٥ /

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) فى ظ : ابنا (٤) فى ظ: مائة (٥) فى ظ : كان .

على الأرض وأن هوىء[1] فكرهم وحقدهم ردىء فى جميع الأيام ، فقال الرب : أمحق الذين خلقت و أبيدهم عن جديد الأرض من الناس و البهائم حتى الهوام و طير السماء ؛ و ظفر نوح من الله برحمة و رأفة ، و كان نوح رجلا بارا تقيا فى حقبه فأرضى الله . و فسدت الأرض بين يدى الله و امتلأت إثما و فجورا ، فرأى الرب الإله أن الأرض قد فسدت و قال الله لنوح : قد وصل[2] إلىّ [أمر -[3]] جميع الناس و سوء أعمالهم لأن الأرض قد امتلأت إثما و فجورا بسوء سيرتهم . فهأنذا مفسدهم مع[4] الأرض ، فاتخذ لك أنت تابوتا مربعا من خشب الساج - و فى نسخة : الشمشار - و اجعل فى التابوت [5]علالى ، و اطلها[5] بالقار من داخلها و خارجها ، و ليكن طول الفلك ثلاثمائة ذراع ، و عرضه خمسين ذراعا ، و سمكه ثلاثين ذراعا ، و اجعل فى التابوت كوى[6] و ليكن عرضها من أعلاها ذراعا واحدا ، و اجعل باب الفلك فى جانبه ، و اجعل فيه منازل أسفل و أوساط و علالى . و هأنذا[7] محدر ماء الطوفان على الأرض لأفسد به كل ذى لحم فيه نسمة[8] الحياة من تحت السماء ، و يبيد كل ما على الأرض ، و أثبت عهدى بينى و بينك ، و تدخل التابوت أنت و بنوك و امرأتك و نساء بنيك معك ، و من كل حى من ذوى[9] اللحوم من كل صنف اثنان لتحيي معك ، و لتكن[10] ذكورا و إناثا ، من كل الطيور كأجناسها ،

(١) فى ظ : هو (٢) زيد فى ظ : الله (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : من (٥ ٥) فى ظ : عالى و اطلفها - كذا (٦) فى ظ : كوة (٧) فى ظ : هانا (٨) فى ظ : نسبة . (٩) فى ظ : ذى (١٠) من ظ ، و فى الأصل : ليكن .

و من الأنعام لأصنافها ، و من كل الهوام التى تدب على الأرض لجواهرها ، اثنين اثنين أدخل معك من كلها لتستحييها ذكرا و أنثى ، و اجعل من كل [ما -[1]] يؤكل فاخزنه معك ، و ليكن مأكلك و مأكلها ؛ فصنع نوح كل شيء كما أمر الله ثم قال الله لنوح : ادخل أنت و كل أهل بيتك إلى التابوت لأنى إياك وجدت بارا تقيا فى هذا الحقب ، و من كل الأنعام الزكية أدخل معك سبعة سبعة من الذكور و الإناث ، و من الأنعام التى ليست بزكية[2] أدخل معك اثنين [3]ذكورا و إناثا ، و من الطير الزكى سبعة سبعة ذكورا و إناثا ، و من الطير الذى ليس بزكى اثنين اثنين ذكورا و إناثا[3] ، ليحيي منها نسل على وجه الأرض . لأنى من الآن إلى سبعة أيام أهبط القطر على وجه الأرض أربعين يوما و لياليها ، و أبيد[4] كل ما خلقت على وجه الأرض : فصنع نوح كما[5] أمره الرب الإله . فلما كان بعد ذلك بسبعة أيام نزلت مياه الطوفان ، تفجرت [مياه -[1]] الغمر و تفتحت مثاعب[6] السماء . و أقبلت الأمطار على وجه الأرض أربعين نهارا و أربعين ليلة ، [و -[1]] فى هذا اليوم دخل نوح و سام و حام و يافث بنو نوح و امرأة نوح و نساء بنيه الثلاث معه الفلك هم[7] و جميع السباع لأجناسها و جميع الدواب لأصنافها و كل حشرة تدب على الأرض بجواهرها و جميع الطيور[7] لأجناسها ، و دخل مع نوح التابوت من كل عصفور و من كل ذى جناحين اثنان اثنان ، و من[7] كل ذى لحم فيه

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : بزكى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ : ابتداء (٥) فى ظ : ما (٦) جمع مثعب و هو المسيل (٧) سقط من ظ .

روح الحياة / و كل شيء دخل[1] من ذوى اللحوم دخلوا ذكورا و إناثا /٦٤٦
كما أمر الله نوحا ، ثم أغلق الله الرب الباب عليه ، و كان الطوفان على
الأرض أربعين يوما و أربعين ليلة ، و كثرت المياه[2] حتى احتملت
التابوت فارتفع عن الأرض ، و غزرت المياه و كثرت على الأرض جدا
[و جعل التابوت يسير على وجه الماء و اشتدت المياه على وجه الأرض ٥
جدا - [3]] جدا . و توارت جميع الجبال العالية الشاهقة التى تحت السماء ،
و ارتفعت المياه من فوق كل جبل خمسة عشر ذراعا ، و باد كل ذى
لحم على الأرض من الطيور[4] أجمع و السباع و الدواب و جميع الحشرة
التى تدب على الأرض و جميع الناس و البهائم ، و مات كل شيء كان
[فيه - [3]] نسمة الحياة مما فى اليبس ، و بقى نوح و من معه فى الفلك ، ١٠
[5] و اشتدت المياه على الأرض مائة و خمسين يوما ؛ و إن الله ذكر نوحا
و كل السباع و الدواب و جميع الطيور التى معه فى التابوت . فأهاج الله
ريحا على وجه الأرض فسكنت المياه و الأمطار . و اشتدت ينابيع الغمر
و ميازيب السماء ، و غاضت المياه بعد مائة و خمسين يوما ، و سكن التابوت
و وقف فى الشهر السابع لثلاث عشرة[6] ليلة بقيت من الشهر على جبال ١٥
قودى[7] و جعلت المياه تنصرف و تنتقص إلى الشهر العاشر ، و ظهرت
رؤس الجبال فى أول يوم من الشهر العاشر ، فلما كان بعد[8] ذلك بأربعين

(١) تكرر فى ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الماء (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : الطير (٥) و من هنا استأنفت نسخة مد (٦) فى ظ : عشر (٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : فودى ، و فى التوراة : ارارط (٨) سقط من ظ .

يوما فتح نوح الكوة التى عملها فى التابوت فأرسل الغراب ، فخرج الغراب من عنده فلم يعد إليه حتى يبست المياه عن[١] وجه الأرض ، [ثم أرسل الحمامة من بعده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض -[٢]] فلم تجد الحمامة موضعا لموطئ رجليها فرجعت إلى التابوت لأن المياه كانت بعد على وجه الأرض ، فمد يده فأخذها[٤] و أدخلها إليه و انتظر سبعة أيام أخرى ، ثم عاد فأرسل الحمامة فعادت عند المساء و[٥] فى منقارها ورقة زيتون ، فعلم أن الماء[٦] قد غاض عن وجه الأرض فصبر أيضا سبعة [أيام -[٣]] أخر ، ثم أرسل الحمامة فلم تعد إليه أيضا ، ففتح نوح باب الفلك فرأى فاذا وجه الأرض قد ظهر و جفت[٧] الأرض . فكلم الرب الإله نوحا و قال له : اخرج من التابوت أنت و امرأتك و بنوك و نساء بنيك معك و كل السباع التى معك من كل ذى لحم و الطيور و الدواب ، و أخرج[٨] كل الهوام التى تدب على الأرض معك ، و لتتولد و تنمو فى الأرض و تكثر و تزداد على الأرض . فخرج نوح و من ذكر و بنى للرب مذبحا و أخذ من جميع الدواب و الطيور الزكية فأصعد منها على المذبح قربانا للرب الإله . فقال الرب الإله : لا أعود ألعن الأرض أبدا من أجل أعمال الناس لأن هوى قلب الأنسان و حقده ردىء[٩] منذ صباه ، ولا أعود أيضا أبيد كل حى كما فعلت ، و من الآن جميع أيام الأرض

(١) فى ظ : على (٢) زيد من ظ ومد غير أن فى ظ : الماء ـ موضع : المياه (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ : فاخذ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : المياه (٧) فى ظ ومد : خفت (٨) فى مد : اخر (٩) فى ظ : روى .

يكون

يكون فيها الزرع و الحصاد و البرد و الحر و القيظ و الشتاء، فبارك الله على نوح و بنيه و قال لهم: انموا و اكثروا و املأوا الأرض، و ليغش رعبكم و خوفكم جميع السباع و بهائم الأرض و كل طيور السماء و كل دابة تدب على الأرض، و جميع حيتان البحور [تكون - [1]] تحت أيديكم، و كل الدواب الطاهرة[2] الحية تكون لأكلكم، و قد جعلت ٥ الأشياء كلها حلالا لكم مثل عشب البرية و خضرها. و أما المخنوق الذى دمه فيه[3] فلا تأكلوه فان دمه نفسه، و أما دماؤكم من أنفسكم فأطلبها بالنهى من يد جميع الحيوان و من يد جميع الناس، أىّ إنسان قتل أخاه طالبته بدمه، و من سفك دم الإنسان سفك[4] دمه لأن الله خلق آدم بصورته، و أنتم فانموا و اكثروا و تولدوا فى الأرض و اكثروا فيها؛ ١٠ و قال الله لنوح و لبنيه معه: هأنذا مثبت عهدى بينى و بينكم و مع أنسالكم من بعدكم و مع كل نفس حية منكم[5]، / و مع الطيور و الدواب و مع كل ٦٤٧ / سباع الأرض جميع الذين خرجوا من الفلك، و أثبت عهدى بينى و بينكم فلا يبيد كل ذى لحم أيضا بماء الطوفان و لا يهبط الطوفان أيضا ليفسد[6] جميع الأرض. قال الله لنوح: هذه علامة لعهدى الذى ١٥ أجعله بينى و بينكم و بين كل[7] نفس حية معكم فى جميع أحقاب العالم، قد أظهرت قوسى فى السحاب فهى أمارة ذكر العهد [الذى - [8]]

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: الظاهرة (٣) سقط من ظ (٤) زيد فى ظ: لأن الإنسان سفك - كذا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: معكم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ليعد (٧) فى ظ: ذى (٨) زيد من مد.

بيني و بينك و بين أهل الأرض، فاذا أنشأت السحاب فى الأرض و أظهرت قوس السحاب فاذكروا العهد[1] الذى بيني و بينكم، و كان بنو نوح الذين خرجوا معه من التابوت سام و حام و يافث، [و حام -[2]] يكنى أبا كنعان، هؤلاء الثلاثة هم بنو نوح، و تفرق الناس من هؤلاء

٥ فى الأرض كلها؛ ثم ذكر أن نوحا عليه السلام نام فرأى حام عريه فأظهر ذلك لأخويه[3]، فتناول سام و يافث رداء فألقياه على أكتافهما ثم سعيا على أعقابهما مدبرين فواريا عرى أبيهما، فلما علم نوح ما صنع ابنه الأصغر دعا عليه أن يكون عبدا لأخويه، و كانت جميع أيام حياة نوح تسعمائة[4] سنة و خمسين سنة، ثم توفى عليه الصلاة و السلام و التحية و الإكرام؛

١٠ ثم ذكر أن الناس *بعده أرادوا* أن يبنوا صرحا لاحقا بالسماء، و اجتمع جميعهم على ذلك لأن لغتهم كانت واحدة و رأيهم واحد[6] ففرق الله ألسنتهم و فرقهم من هنالك على وجه الأرض و لم يبنوا القرية التى هموا بها، و لذلك سميت بابل و بوبال معناه بالعبرانى: الشتات، و ما فى تفسير البغوى و غيره من أن عوج بن عوق - بضمهما كما فى القاموس -

١٥ كان [فى-[7]] زمن نوح و سلم من الطوفان، و أن الماء لم يجاوز ركبتيه و نحو هذا كذب بحت[8] منابذ لقوله تعالى "و لا تخاطبنى فى الذين ظلموا انهم مغرقون" و قوله "لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم" و قوله "رب لا تذر على الارض من الكفرين ديارا[9]" و نحوها، فان

---

(١) فى ظ: للعهد (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ: لاخوته (٤) فى ظ: ستمائة.
(٥ - ٥) فى ظ: ارادوا بعده (٦) فى ظ: واحده (٧) زيد من ظ (٨) فى الأصل: تحت، و غير منقوط فى ظ ومد (٩) سورة ٧١ آية ٢٦.

كل من ذكر ذلك ذكر أن موسى عليه السلام قتله كافرا .

و لما تمت هذه القصة على النحو الوافى ببيان اجتهاد نوح عليه السلام فى إبلاغ الإنذار من غير مراعاة إقبال و لا إدبار ، وكانت مع ذلك دالة[1] على علم تام و اطلاع على دقائق لا سبيل إليها إلا من جهة الملك العلام ، فهى على إزالة اللبس عن أمره صلى الله عليه و سلم أوضح من الشمس ، ٥ قال تعالى منبها على ذلك : ﴿ تلك ﴾ أى هذه الأنباء البديعة الشأن الغريبة [2]الأمر البعيدة[2] عن طوق المعارض، العلية الرتب عن يد المتناول ﴿ من انبآء الغيب ﴾ أى أخباره العظيمة ، ثم أشار إلى أنه لا يزال يجدد له أمثالها بالمضارع فى قوله : ﴿ نوحيهآ اليك ج ﴾ فكأنه قيل : إن بعض أهل الكتاب يعلم بعض تفاصيلها ، فأشار إلى أن[3] ذلك بمجموعه ١٠ غيب و بما يعلمونه غيب نسبى[4] بقوله : ﴿ ما كنت تعلمهآ ﴾ أى على هذا التفصيل ﴿ انت ﴾ و لما كان خفاءها عن قومه دليلا على خفائها عنه لأنه لم يخالط غيرهم قال : ﴿ و لا قومك ﴾ أى و إن كانوا أهل قوة فى القيام على ما يحاولونه[5] و عددا[6] كثيرا[6] ، و منهم من يكتب و يخالط العلماء .

و لما كان زمان [7]خفاء ذلك عنهم - و إن[7] كان عاما لهم - بعض ١٥ الزمان الماضى ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل هذا[4] ﴾ أى من إنجائى[8] إليك حتى يطرق[9] الوهم حينئذ أنك تعلمتها من أحد منهم و إن كان يعلم

(١) فى ظ : دلالة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : سى - كذا (٥) فى ظ : يجادلونه (٦-٦) من ظ و مد ، فى الأصل : عدد كثير (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : جهلهم دال (٨) فى ظ : انجائى (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطوف .

كثيرا منها أهل الكتاب كما رأيت عن نص التوراة فبان أن لا غرض لقومك إلا العناد ، ﴿ فاصبر ﴾ على ذلك و لا تفتر عن الإنذار ، فستكون لك العاقبة كما كانت لنوح لأجل تقواه ﴿ ان العاقبة ﴾ أى آخر الأمر من[1] الفوز و النصر و السعادة ﴿ للمتقين ﴾ أى العريقين فى مخافة الله فى كل زمن ، و قد تضمنت القصة البيان عما يوجبه حال أهل الخير و الإيمان و أهل الشر و الطغيان / من الاعتبار بالنبأ عن الفريقين ليجتبى حال[2] هؤلاء و يتقى حال أولئك لسوء العاقبة فى الدنيا و الآخرة . /٦٤٨

و لما تم من ذلك ما هو كفيل بغرض السورة ، و ختم بأن العاقبة دائما للمتقين ، اتبع بالدليل على ذلك من قصص الأنبياء مع الوفاء بما سيقت له قصة نوح - على جميعهم السلام - من الحث على المجاهرة[3] بالإنذار فقال تعالى : ﴿ و الى ﴾ أى[4] و لقد أرسلنا إلى ﴿ عاد اخاهم ﴾ و بينه فقال : ﴿ هودا ﴾ و لما تقدم أمر نوح مع قومه ، استشرف السامع[5] إلى معرفة ما قال هود عليه السلام هل[6] هو مثل قوله أو لا ؟ فاستأنف الجواب بقوله : ﴿ قال يقوم ﴾ الذين هم أعز الناس لدىّ ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى ذا[7] الجلال و الإكرام وحده ؛ ثم صرح و علل فقال : ﴿ ما لكم ﴾ و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من اله ﴾ أى معبود بحق ﴿ غيره ﴾[8] فدعا إلى أصل الدين كما هو دأب سائر النبيين و المرسلين ؛ ثم ختم ذلك بمواجهتهم

---

(١) فى ظ و مد : فى (٢) زيد فى مد : اهل الخير والإيمان (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : المجاهدة (٤) سقط من مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمثل (٧) من مد ، وفى الأصل : ذو (٨) تقدم فى الأصل على « من اله » والترتيب من ظ و مد .

بما يسوءهم من الحق و ما ثناه[1] عن ذلك رجاء و لا خوف فقال : ﴿ ان ﴾ أى [ما -[2]] ﴿ انتم الا مفترون ۝ ﴾ أى متعمدون الكذب على الله فى إشراككم به سبحانه لأن ما على التوحيد من أدلة العقل غير خاف على عاقل فكيف مع تنبيه النقل ! و ذلك مكذب لمن أشرك ، أى فاحذروا عقوبة المفترى ؛ ثم نفى أن يكون له فى ذلك غرض غير نصحهم ٥ بقوله [موضع " إنى ناصح لكم بهذا الأمر فلا يسوءكم مواجهتى لكم فيه بما تكرهون "[2]] ﴿ يقوم ﴾ مكررا لاستعطاف ﴿ لآ اسئلكم ﴾ أى فى المستقبل كما لم أسألكم فى الماضى ﴿ عليه ﴾ أى على هذا الإنذار ﴿ اجرا[4] ﴾ أى فلست موضع تهمة ﴿ ان ﴾ [أى ما -[2]] ؛ ﴿ اجرى ﴾ [ثم وصف من توكل عليه سبحانه بما يدل على الكفاية فعلىّ وجوب ١٠ شكره فقال -[6]] : ﴿ الا على الذى فطرنى[5] ﴾ أى ابتدأ خلقى[3] و لم يشاركه فىّ[3] أحد فهو الغنى المطلق لا أوجه رغبتى إلى غيره كما يجب[4] على كل أحد ذلك لكونه فطرة .

و لما كان الخلاف الذى لا حظ فيه جهة الدنيا لا يحتاج الإنسان فى الدلالة على أن صاحبه ملجأ إليه من جهة الله ، و أنه لا نجاة إلا به إلى غير ١٥ العقل ، سبب عن[5] قوله هذا[6] الإنكار عليهم فى قوله : ﴿ افلا تعقلون ۝ ﴾ .

و لما دعاهم مشيرا إلى ترهيبهم مستدلا على الصدق بنفى الغرض ، رغبهم فى إدامة[7] الخوف مما[7] مضى بقوله : ﴿ و يقوم ﴾ و من هم

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بنا - كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) فى ظ : لم يشا فيه (٤) زيد فى ظ : ذلك (٥) فى ظ : عنه (٦) فى ظ : هل . (٧-٧) فى ظ : الحرف بما .

أعز الناس علىّ و لهم قدرة على ما[1] طلب منهم ﴿ استغفروا ربكم ﴾ أى اطلبوا غفرانه بطاعتكم له لما يجب له باحسانه إليكم . و أشار إلى علو رتبة التوبة بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم توبوآ اليه ﴾ أى تسموا عالى هذه الرتبة بأن تطلبوا ستر الله لذنوبكم ثم ترجعوا إلى طاعته بالندم و الإقلاع
٥ و الاستمرار ﴿ يرسل السمآء ﴾ أى الماء النازل منها أو السحاب بالماء ﴿ عليكم مدرارا ﴾ أى هاطلة بمطر غزير متتابع ﴿ و يزدكم قوة ﴾ أى عظيمة بمجموعة ﴿ الى قوتكم ﴾ ثم عطف على قوله " استغفروا " قوله : ﴿ و لا تتولوا ﴾ أى تكلفوا أنفسكم غير ما جبلت عليه من سلامة[2] الانقياد فتبالغوا فى الإعراض - بما أشار إليه إثبات التاء ﴿ مجرمين ۝ ﴾
١٠ أى قاطعين لأنفسكم - ببناء أمركم على الظنون الفاسدة عن[3] خيرات الدنيا و الآخرة .

و لما محّض لهم النصح على غاية البيان ، ما كان جوابهم إلا أن ﴿ قالوا ﴾ أى عاد بعد أن أظهر[4] لهم [هود عليه السلام -[5]] من المعجزات ما مثله آمن عليه البشر ﴿ يٰهود ﴾ نادوه باسمه غلظة و جفاء
١٥ ﴿ ما جئتنا ببينة ﴾ فأوضحوا لكل[6] ذى لب أنهم مكابرون لقويم العقل وصريح النقل ، فهم[7] مفترون كما[8] كان العرب يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم بعد أن أتاهم من الآيات[9] على يده ما يفوت الحصر " لو لا انزل عليه

(١) سقط من مد (٢) من ظ ، و فى الأصل : سلالة ، وفى مد : سلاسة (٣) فى ظ : من (٤) من ظ ، و فى الأصل و مد : ظهر (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى مد : كل (٧) فى ظ : فمنهم (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : الايمان .

آية من ربه" ﴿وما نحن﴾ و أغرقوا فى النفى فقالوا: ﴿بتاركى آلهتنا﴾ مجاوزين لها أو صادرين ﴿عن قولك﴾ و تركهم للعطف بالفاء - المؤذنة بأن الأول سبب للثانى أى الواو فى قولهم: ﴿و ما نحن لك﴾ أى خاصة، و أغرقوا فى النفى فقالوا: ﴿بمؤمنين ۝﴾ - دليل على أنهم تركوا اتباعه[1] عنادا، لا[2] أنهم يعتقدون أنه لم يأت ببينة؛ [و إلى ذلك يرشد أيضا تعبيرهم بالاسمية التى تدل على الثبات فاذا نفى لم ينتف الأصل -[3]]؛ و البينة: الحجة الواضحة فى الفصل بين الحق و الباطل، و البيان /: فصل المعنى من غيره حتى يظهر[4] للنفس محررا مما سواه، و الحامل على ترك البينة بعد ظهورها صد[5] الشبهة عنها أو تقليد الرؤساء فى دفعها و اتهام موردها أو[6] اعتقاد أصول فاسدة تدعو إلى جحدها أو العناد للحسد و نحوه، و الجامع له كله وجود الشبهة. /٦٤٩

و لما قالوا هذا الكلام البين الفساد من غير تعرض لنقض ما قال لهم بنوع شبهة، كان كأنه قيل لهم: هذا الذى قلته لكم و هو لا أبين منه و لا أعدل، افرضوا أنه ما ظهر[7] لكم صحته فما تقولون إنه حملنى عليه مع أن فيه منابذتكم و أنتم أولاد عمى و أعز الناس علىّ؟ فقالوا: ﴿ان نقول الا اعتراك﴾ أى أصابك و غشيك غشيانا التصق [8]بك التصاق[8] العروة بما هى فيه مع التعمد و القوة ﴿بعض آلهتنا بسوء[9]﴾ من نحو الجنون و الخبال[9] فذاك الحامل لك على[10] النهى عن عبادتها.

(١) فى ظ: اتبعوه (٢) فى ظ: الا (٣) زيدت من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تظهر (٥) فى ظ: بل (٦) من مد، و فى الأصل و ظ «و» (٧) فى ظ: اظهر (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) فى ظ و مد: الخبل. (١٠) فى ظ: عن.

و لما كان الطبع البشرى قاضيا بأن الإنسان يخشى ممن مسه بسوء و هو يتوهم أنه قادر على ضرره فلا يواجهه بما يكره، [و كان قولهم محركا للسامع إلى الاستعلام عن جوابه لهم، استأنف سبحانه الإخبار عنه بقوله -[1]]: ﴿قال﴾ نافيا لما قالوا مبينا أن آلهتهم لا شيء ضاما لهم معها، و أكد لأنهم بحيث لا يظنون أن أحدا [لا -[1]] يقول ما قاله ﴿انى اشهد الله﴾ أى الملك الأعظم ليقوم عذرى عنده [[1]- و عدل أدبا مع الله عن أن يقول: و أشهدكم - لئلا يتوهم تسوية - إلى صيغة الأمر تهاونا بهم فقال -[2]]: ﴿و اشهدوا﴾ [أى -[1]] أنتم لتقوم الحجة عليكم لأيكم و يبين[3] عجزكم و يعرف كل أحد أنكم بحيث يتهاون بكم و بدينكم و لا يبالى بكم و لا به ﴿انى برىء مما تشركون﴾ و بين سفولها[4] بقوله: ﴿من دونه﴾ كائنا ما كان و من كان، فكيف إذا لم يكن إلا جمادا ﴿فكيدونى﴾ حال كونكم ﴿جميعا﴾ أى فرادى إن شئتم أو مجتمعين أنتم و آلهتكم.

و لما كانت المعاجلة فى الحرب أهول، و كان شأنها أصعب و أخطر، بين عظمها بأداة التراخى فقال: ﴿ثم لا تنظرون﴾ و الكيد: طلب الغيظ بالسر[5] فى مكر، و هذه الآية من أعلام النبوة الواضحة لهود عليه السلام. فكأنه[6] قيل: هب أن آلهتنا لا شيء، فما حملك على الاجتراء

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى ظ: فقالوا (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: بين (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عقولها (٥-٥) من مد، و فى الأصل: الفيض بالسر، و فى ظ: الغيظ بالسل (٦) فى ظ: فكان.

على

على مخالفتنا نحن و أنت تعلم كثرتنا و قوتنا و أنت لا تزيد على أن تكون[1] واحدا منا فقال: ﴿ انى ﴾ أى جسرت[2] على ذلك لانى ﴿ توكلت ﴾ معتمدا[3] ﴿على الله ﴾ الملك المرهوب عقابه الذى لا ملك سواه و لا رب غيره؛ و بين إحاطة ملكه بقوله: ﴿ ربى و ربكم[4] ﴾ أى الذى أوجدنا و دبر أمورنا قبل أن يخلقنا[5] فعلم ما يعمل[6] كل منا فى حق الآخر لأنه ﴿ما من دآبة﴾ أى صغرت أو كبرت ﴿الا هو اٰخذ﴾ أى أخذ قهر[7] و غلبة ﴿ بناصيتها[8] ﴾ أى قادر عليها، و قد صار الأخذ بالناصية عرفا فى القدرة، لأن الكل جارون[7] مع مراده لا مع مرادهم بل لاينفك أحد عن كراهة لبعض ما هو فيه فدل ذلك قطعا على أنه بغير مراده و إنما هو بمراد قاهر قهره على ذلك و هو الملك الأعلى سبحانه؛ و الناصية: شعر[8] مقدم الرأس، و من[9] أخذ بناصيته فقد انقاد لأخذه لا يستطيع ميلا ﴿ان﴾ أى لأن ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلىّ بما أقامنى فيه ﴿على صراط﴾ أى طريق واسع بين ﴿ مستقيم ﴾ ظاهر أمره لكل أحد لا لبس فيه أصلا و لا خلل و لا اضطراب و لا اعوجاج[10] بوجه، فلذلك كان كل من فى الكون يتألهه و يدعوه و يخافه[11] و يرجوه و إن اتخذ بعضهم من دونه شركاء، و أما ما يعبد من دونه فلا يعظمه إلا عابده، و أما غير عابده فانه لا يقيم له وزنا؛ فصح بهذا أنه غالب

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: يكون (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: حرب.
(٣) فى مد: متعمدا (٤) من مد، وفى الأصل: نخلقها، و فى ظ: يخلقها (٥) فى ظ: يعلم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: قهرا (٧) فى ظ: جبارون (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: صفة (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: ممن (١٠) فى ظ: عوج (١١) فى ظ: يخالفه.

على كل شيء [غلبة -[1]] يعلمها كل موجود من غير خفاء أصلا ، فهو مرجو مرهوب باجماع العقلاء بخلاف معبوداتكم ، و الحاصل أنه يلزم الصراط[2] المستقيم الظهور ، فيلزم عدم الاختلاف لانتفاء اللبس ، فمن كان عليه كان على[3] القدر شهير الأمر ، بصيرا بما يريد ، مع الثبات و التمكن ، مرهوب العاقبة ، مقصودا بالاتباع و المحبة ، من لم / يقبل إليه ضل ، و من أعرض عنه أخذ لكثرة أعوانه و عز سلطانه ، فظهرت قدرته على عصمة من يتوكل عليه و عجز معبوداتهم معهم ، لأن نواصى الكل بيده و هو ربها و ربهم و رب كل شيء ، فقد انطبق ختام الآية على قولهم "ما جئتنا ببينة" ردا له لأن من كان على صراط مستقيم لم يكن شيء أبين من أمره ، و على جوابه فى توكله و ما فى حيزه أتم انطباق ؛ و الناصية : [4]مقدم الشعر من الرأس ، و[4] أصلها الاتصال[5] من قولهم : مفازة تناصى مفازة - إذا كانت متصلة بها .

٦٥٠ / ٥ ١٠

و لما استوفى تشييد أمره و هدم قولهم ، أخذ يحذرهم فقال مبينا أن العدول عما جاء به لا يكون إلا بمعالجة الطبع السليم : ﴿فان[6] تولوا﴾ و لو أدنى تولية - بما يشير إليه حذف التاء ، فعليكم اللوم دونى ، لأنى فعلت ما علىّ ﴿ فقد ﴾ أى بسبب أنى قد ﴿ ابلغتكم[7] ما[8] ﴾ أى كل شيء

١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من مد (٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) فى ظ و مد : الايصال (٦) من القرآن الكريم وظ ، وفى الأصل ومد : وان (٧) من ظ ومد و القرآن الكريم ، وفى الأصل : بلغتكم (٨) تأخر فى الأصل عن « كل شيء » و الترتيب من ظ و مد .

﴿ ارسلت ﴾ أى تقدم[1] إرسالى من[2] عند من لا مرسل فى الحقيقة غيره ﴿ بة اليكم[1] ﴾ كاملا لم أدع منه شيئا رجاء لإقبالكم و لا خوفا من إعراضكم، فأبيتم إلا التكذيب لى[3] و الاستكبار عما جئت به، فالذى أرسلنى ينتقم منكم فيهلككم ﴿ و يستخلف ربى ﴾ أى يوجد المحسن إلىّ باقامتى فيما يرضيه ﴿ قوما غيركم ج ﴾ يخلفونكم فى دياركم و أموالكم، فتكونون أعداءه، و يكون المستخلفون متعرضين لأن يكونوا أولياء [مع كونهم ذوى بأس و قوة - [4]] فيختص الضرر بكم ﴿ و لا تضرونه ﴾ أى الله باعراضكم ﴿ شيئا[1] ﴾ ثم علل وعيده لهم بقوله مؤكدا لأن العاصى فاعل بعصيانه فعل[2] من يظن[5] أن الله غافل عنه: ﴿ ان ربى ﴾ أى المحسن إلىّ المدبر لمصالحى.

و لما كان الأهم فى هذا السياق بيان استعلائه و قدرته، قدم قوله: ﴿ على كل شىء ﴾ صغير أو كبير جليل أو حقير ﴿ حفيظ ۝ ﴾ أى عالم بكل شىء و قادر على كل شىء [و - [4]] بالغ الحفظ له، فيعلم ما يعمل محفوظه فيجازيه بما يستحق من نعمه و نقمه، فهو تعليل لاستخلاف غيرهم و تنزهه عن لحوق ضرر، لأن الحفظ: الحراسة، و يلزمها العلم و القدرة، فمن القدرة حافظ العين، أى[6] لا يغلبه نوم، و الحفيظة - للحمية و الغضب، و منهما[7] معا المحافظة - للمواظبة على الشىء؛ و التولى عن الشىء: الذهاب إلى غير جهته إعراضا عنه؛ و الإبلاغ: إلحاق الشىء نهايته؛

(١) من ظ ومد، و فى الأصل: بعدم - كذا (٢) سقط من ظ (٣) سقط من مد (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ: ظن (٦) فى مد: ان (٧) فى ظ: منها.

و الاستخلاف : جعل الثانى بدلا من الأول يقوم مقامه ؛ و الضر[1] : إيجاب الألم بفعله أو التسبب له .

و لما تم ذلك كان كأنه قيل : فلم يرجعوا و لم يرعووا لبينة و لا رغبة و لا رهبة فأنزلنا بهم أمرنا ﴿ و لما جآء امرنا ﴾ أى وقت ٥ إرادتنا لإهلاك عاد ﴿ نجينا ﴾ أى تنجية عظيمة بما لنا من العظمة ﴿ هودا و الذين امنوا ﴾ كائنين ﴿معه﴾ فى الإيمان و النجاة من قومهم فلم يقدروا أن يصلوا إليهم بسوء مع اجتهادهم فى ذلك و إعجابهم بقواهم و يقال : إن [2]الذين آمنوا[2] كانوا أربعة آلاف .

و لما كان سبحانه [بحيث-[3]] لا يجب عليه لأحد شىء لأنه لا يقدر ١٠ أحد[4] أن يقدره حق قدره و إن اجتهد فى طاعته ، فان طاعته نعمة منه عليه ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿برحمة منا ج﴾ تحقيقا لتوكل عبدنا ؛ و لما بين إنجاءهم من قومهم بين إنجاءهم مما أهلكهم به فقال [مكررا ذكر التنجية دلالة على أن عذابهم كان فى غاية الفظاعة-[3]] : ﴿و نجينهم[5]﴾ أى بما لنا من العظمة ، و بين فظاعة ما أهلك به أعداءهم بقوله : ﴿ من عذاب غليظ ﴾ ١٥ أى أهلكنا به مخالفيهم و هو الريح الصرصر ، و هذا أولى[6] من حمله على عذاب الآخرة لما يأتى من قوله "و من خزى يومئذ" كأنهم كانوا إذا رأوا مخايل العذاب قصدوا نبيهم و من آمن به ليهلكوهم قبلهم كما

(١) فى ظ : الضرر (٢ - ٢) فى ظ و مد : المؤمنين (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : نجاهم (٦) من ظ ، و فى الأصل : ادل ، و فى مد : اول .

صرح به فى قصة صالح ؛ و النجاة : السلامة من الهلاك ؛ و حقيقة الغلظة[1] عظم الجثة ، فاستعير للعذاب لثقله على النفس و طول مكثه .

و لما تمت قصتهم على هذا الوجه البديع و الأسلوب / المطرب[2] ، / ٦٥١
قال تعالى عاطفا على قوله " تلك من انبوء الغيب" : ﴿و تلك عاد قف لا﴾
أى قصة القوم البعداء[3] البغضاء ، ما كنت تعلمها على هذا التفصيل أنت ٥
و لا قومك و لا أهل الكتاب ، و إنما نفيت عن أهل الكتاب لأنهم
لا يعلمون إلا ما له أصل عن أنبيائهم ، و هذه و قصة ثمود ليستا فى
التوراة و لا شىء من أسفار أنبيائهم ، و سألت بعض[4] علمائهم فلم أجد
عنده شيئا من علمها و لا حرفا واحدا و لا سمع بعاد و لا هود ، وتلخيص
قصتهم أنهم ﴿ جحدوا ﴾ أى كذبوا عنادا و[5] استهانة ﴿بآيات ربهم﴾ ١٠
المحسن إليهم ﴿و عصوا رسله ﴾ فان من عصى واحدا منهم فقد عصى
الكل لاتفاقهم على أمر واحد مع التساوى فى[5] مطلق المعجزة
﴿ و اتبعوآ ﴾ أى بغاية جهدهم ﴿امر كل جبار ﴾ أى قاهر بليغ القهر[5]
يجبر غيره على ما يريد ، و هذا يدل على أنه لا عذر فى أصل الدين
بوجه فان الضمائر لا يعلمها إلا الله [فيمكن كل أحد[6] مخالفة الجبار ١٥
فيه -[7]] ﴿ عنيد ﴾ أى طاغ باغ لا يقبل الحق بوجه ، فأهلكوا
و لم يمنعهم تجبرهم و لا أغنى عنهم عنادهم و تكبرهم ﴿ و اتبعوا ﴾ جميعا بعد

(١) فى ظ و مد : الغلظ (٢) فى مد : المضطرب (٣) زيد فى مد : اى (٤) زيد بعده فى مد : القوم (٥) سقط من ظ و مد (٦) من مد ، و فى ظ : واحد .
(٧) زيد من ظ و مد .

إهلاكهم بأيسر وجه لعظيم قدرة المتبع ﴿ فى هذه الدنيا ﴾ حقرها فى هذه العبارة بما أشارت إليه الإشارة مع[1] التصغير ، و بما دل على الدنو و بأن من اغتر بها فهو ممن وقف مع الشاهد لما له من الجمود ﴿لعنة﴾ أى طردا و بعدا و إهلاكا[2] ﴿و يوم القيٰمة[4] ﴾ أى كذلك بل[3] أشد ،

٥ فكأنه قيل: أفما لمصيبتهم من تلاف؟ فقيل: لا . ﴿ الآ ﴾ مفتتحا[4] للاخبار عنهم بهذه الأداة التى لا تذكر إلا بين يدى كلام يعظم موقعه و يجل[5] خطبه ، و التأكيد فى الإخبار بكفرهم تحقيق لحالهم ، و فيه من أدلة النبوة و أعلام الرسالة الرد على طائفة قد حدثت[6] بالقرب من زماننا يصوّبون جميع الملل و خصوا عادا هذه لكونها أغناهم بأن

١٠ قالوا : إنهم من المقربين إلى الله و إنهم بعين الرضى [منه -[7]] ، فالله المسؤل فى الادالة عليهم و شفاء الصدور منهم ، وهم [8]أتباع ابن عربى[8] الكافر العنيد أهل الاتحاد ، المجاهرون بعظيم الإلحاد ، المستخفون برب العباد ، فلذلك قال تعالى مبينا لحالهم بيانا لا خفاء معه : ﴿ ان عادا كفروا ﴾ و لم يقصر الفعل ، بل عداه إعظاما لطغيانهم فقال : ﴿ ربهم[4] ﴾ أى

١٥ غطوا [جميع أنوار -[7]] الظاهر الذى لا يصح أصلا خفاءه لأنه لانعمة على مخلوق إلا منه ، [فكان كفرهم أغلظ الكفر ، و مع ذلك فلم ينثن هود عليه السلام عن إبلاغهم جميع ما أمر به و لاترك شيئا مما أوحى إليه فلك به أسوة حسنة[9] و فيهم قدوة -[7]] ، و من كفر من

(١) فى مد : من (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : هلاكا (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل « و » (٤) فى ظ ومد : افتتاحا (٥) فى ظ : يجعل (٦) فى مد : حثت . (٧) زيد من ظ و مد (٨-٨) فى ظ : كبعض (٩) ليس فى ظ .

أحسن إليه بعد بعدا لا قرب معه .

و لما كان الأمر عظيما و الخطب جليلا ، كرر الأداة التى تقال[1] عند الأمور الجليلة فقال : ﴿الا بعدا لعاد﴾ [هو -[2]] من بعد[3] - [4]بكسر العين[4] إذا كان بعده[5] بالهلاك ، و بينهم بقوله : ﴿قوم هود ع﴾ تحقيقا لهم[6] لأنهم عادان : الأولى و الآخرة ، و إيماء إلى أن استحقاقهم للابعاد ٥ بما جرى لهود عليه السلام معهم من الإنكار و الدعاء عليهم بعد الهلاك كناية [7]عن الإخبار[7] بأنهم كانوا مستحقين[8] للهلاك ؛ و الجحد : الخبر عما[9] يعلم صحته أنه لا يعلمها ، و هو ضد الاعتراف [10]كما أن[10] النفى ضد الإثبات ، فهو خبر بمجرد العدم فهو أعم ؛ و العصيان خلاف ما أمر به الداعى على طريق الإيجاب ؛ و اللعنة : الدعاء بالإبعاد ، و أصلها الإبعاد من ١٠ الخير ؛ و الاتباع : جعل الثانى على أثر الأول ، و الإبلاغ أخص منه ، و المراد هنا بلوغها لهم لأن الذى قضى بذلك قادر و قد ألحق بهم عذاب الدنيا المبعد لهم من مظان الرحمة .

و لما انقضت قصة عاد على ما أراد سبحانه ، أتبعها[11] قصة من كانوا عقبهم فى الزمن و مثلهم فى سكنى[12] أرض العرب و عبادة الأوثان ١٥ و المناسبة فى الأمر المعذب به لأن الموصل للصيحة[13] إلى الأسماع هو الريح

---

(١) فى مد : يقال (٢) زيد من ظ ومد (٣) سقط من ظ (٤-٤) من ظ ومد، و فى الأصل : بالكسر (٥) فى مد: بعدوا (٦) زيدت الواو فى ظ (٧ - ٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : بالاخبار (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : متحققين . (٩) فى ظ : مما (١٠-١٠) فى ظ : كان (١١) فى ظ : اتبعه (١٢) من مد ، و فى الأصل وظ : سكن (١٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : الصحبة .

و فى خفاء[1] أمرهم . مفصلا على أهل ذلك الزمان فقال : ﴿ و الى ﴾ أى[2] و لقد أرسلنا إلى[3] ﴿ ثمود اخاهم ﴾ و بينه[4] بقوله : ﴿ صٰلحا ﴾ ثم أخرج قوله صلى الله عليه و سلم على تقدير سؤال فقال : ﴿ قال يٰقوم ﴾ أى يا من[5] يعز علىّ أن يحصل لهم سوء ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الملك الأعظم /٦٥٢
٥ وحده لأن عبادتكم له مع غيره ليست بشىء ؛ ثم استأنف تفسير ذلك فقال : ﴿ ما لكم ﴾ و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من اله غيره[6] ﴾ جريا على منهاج الدعاة إلى الله فى أصل الدين . و هو إفراد المنعم بالعبادة .

و لما أمرهم[6] بذلك ، ذكرهم قدرته و نعمته مرغبا مرهبا فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ انشاكم ﴾ أى ابتدأ خلقكم ﴿ من الارض ﴾
١٠ بخلق آدم عليه السلام منها بغير واسطة و بخلقكم من المنى [من الدم -[7]] و هو من[2] الغذاء و هو من النبات و هو من الأرض كما أنشأ[8] أوثانكم منها ﴿ و ﴾ رفع مقداركم عليها بأن ﴿ استعمركم ﴾ أى أهلكم[9] لما لم يؤهل[10] له الأوثان من أن تكونوا[11] عمارا ﴿ فيها ﴾ فلا تنسوا حق إلهكم[12] و ما فضلكم به من حق أنفسكم بخضوعكم لما لا[13] يساويكم فكيف بمن أنشأكم
١٥ و إياها ؛ و الإنشاء : الابتداء بالإيجاد من غير استعانة بشىء من الأسباب .

و لما بين لهم سبحانه عظمته . و كان الشيطان قد شبه عليهم أنه لعظمته لا يوصل إليه إلا بوسيلة كما هو حال الملوك و ألقى إليهم أن الأوثان

---

(١) فى ظ : اخفاء (٢) سقط من ظ (٣) سقط من مد (٤) فى ظ : بينهم (٥) فى ظ : قوم (٦) فى ظ : امر لهم (٧) زيد من ظ و مد (٨) من مد ، و فى الأصل: انشالكم ، و فى ظ : انشاكم (٩) فى ظ : اهلكهم (١٠) فى ظ : لم توهل ، و فى مد : لم يتوهل (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكونوا (١٢) فى ظ : آلهتكم . (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم .

وسائل ، نفى ذلك مبينا طريق الرجوع إليه بقوله : ﴿ فاستغفروه ﴾ أى فأقبلوا بكل قلوبكم عليه طالبين أن يستر ذنوبكم ؛ و ذكر شرط المغفرة بقوله مشيرا بأداة البعد إلى عظيم المنزلة : ﴿ ثم توبوآ ﴾ أى ارجعوا بجميع قلوبكم ﴿ اليه[1] ﴾ ثم علل ذلك بلطفه و عطفه ترغيبا فى الإقبال إليه فقال مؤكدا لأن من يرى إمهاله للعصاة يظن الظنون و من عصاه كان عمله[1] ٥ عمل من ينكر قربه و إجابته : ﴿ ان ربى ﴾ الذى أخلصت[2] له العبادة لإحسانه إلىّ و أدعوكم إلى الإخلاص له لإحسانه إليكم ﴿ قريب ﴾ من كل من أقبل إليه من غير حاجة إلى معاناة مشى و لا حركة جارحة ﴿ مجيب ﴾ لكل من ناداه لا كمعبوداتكم[3] فى الأمرين معا .

و لما دعاهم إلى الحق و نصب لهم عليه من الأدلة ما هم به معترفون ١٠ و ذكرهم نعمه مؤمنا إلى التحذير من نقمه ، و سهل لهم طريق الوصول[4] إليه ، ما كان جوابهم إلا أن سلخوه من طور البشرية لمحض[5] التقليد ، فلذلك استأنف الإخبار[6] عن جوابهم بقوله : ﴿ قالوا ﴾ أى ثمود ﴿ يٰصٰلح ﴾ نادوه باسمه قلة أدب منهم و جفاء ﴿ قد كنت فينا ﴾ أى فيما بيننا إذا تذاكرنا أمرك[7] ﴿ مرجوا ﴾ أى فى حيز من يصح أن يرجى أن ١٥ يكون فيه خير و سؤدد و رشد و صلاح ، و استغرقوا الزمان فحذفوا الجار و قالوا : ﴿ قبل هذآ ﴾ أى الذى دعوتنا إليه فأما بعد هذا فانسلخت من هذا العداد ؛ ثم بينوا ما أوجب سقوطه عندهم بقولهم منكرين إنكار

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليه (٢) فى ظ : اخصت (٣) فى ظ : كعبودتكم ، و فى مد : كعبوداتهم (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و مد : بمحض (٦) فى ظ : الاجبار (٧) زيد فى مد : له .

مخترق[1] ﴿اتنهنآ﴾ اى مطلق نهى ﴿ان نعبد﴾ أى دائما ﴿ما يعبد اٰبآؤنا﴾ و عبروا بصيغة المضارع تصويرا للحال كأن آباءهم موجودون فلا تمكن مخالفتهم[2] إجلالا لهم ، فأجلوا من يرونه سببا قريبا فى وجودهم ولم يهابوا[3] من أوجدهم و آباءهم أولا من الأرض و ثانيا من النطف ، ثم خولهم فيما هم فيه ، ثم فزعوا - فى أصل الدين بعد ذكر الحامل لهم على الكفر المانع لهم من تركه - إلى البهت بأن[4] ما يوجب القطع لكل عاقل من آيته[5] الباهرة لم يؤثر عندهم إلا ما هو دون الظن فى ترك إجابته ، فقالوا مؤكدين لأن شكهم حقيق بأن ينكر لأنه فى أمر واضح جدا لا يحتمل الشك أصلا : ﴿و اننا لفى شك﴾ [و -[6]] زادوا التأكيد بالنون و اللام و بالإشارة بالظرف إلى إحاطة الشك بهم ﴿مما﴾ و لما كان الداعى واحدا و هو صالح عليه السلام [7]لم يلحق بالفعل[8] غير نون واحدة هى[9] ضميرهم بخلاف ما فى سورة إبراهيم عليه السلام فلذلك قالوا : ﴿تدعونآ اليه﴾ من عبادة الله وحده ﴿مريب ۝﴾ أى موقع فى الريبة و هى قلق النفس و انتفاء الطمأنينة باليقين ؛ و الرجاء : تعلق النفس لمجيء الخير على / جهة الظن ، و نظيره الأمل و الطمع ؛ و النهى : المنع من[10] الفعل بصيغة [11]لا تفعل[11] .

٦٥٣ /

(١) فى ظ : مخترق ، و زيد بعده فى الأصل : بقولهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد فى ظ : فى (٣) فى ظ : لم تهابوا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بانه (٥) فى مد : آياته (٦) زيد من ظ و مد (٧) العبارة من هنا إلى «إبراهيم عليه السلام» ساقطة من ظ (٨) فى مد : الفعل (٩) من مد ، و فى الأصل : على (١٠) فى مد : عن (١١ - ١١) فى ظ : الفعل .

و لما أبرزوا له أمرهم فى قالب الشك على سبيل الجزم ، قابلهم بمثله على سبيل الفرض [إنصافا لهم لئلا يلائم الخطاب حال المخاطبين -[1]] ، فاستأنف سبحانه الإخبار عنه بذلك فى قوله : ﴿ قال ﴾ أى صالح نادبا لهم إلى النظر فى أمره برفق ﴿ يقوم ارءيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان كنت ﴾ [2]أورده بصيغة الشك لأن خطابه للجاحدين[2] ﴿ على بينة من ربى ﴾ أى المحسن إلىّ[3] ، لا شك عندى فيها ﴿ و اتانى منه رحمة ﴾ أى أوامر هى سبب الرحمة ﴿ فمن ينصرنى ﴾ و أظهر موضع الإضمار و عبر بالاسم الأعظم لاقتضاء[4] المقام التهويل فقال : ﴿ من الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ ان عصيته ﴾ أى أن[5] وقوعكم فى الشك [على زعمكم -[1]] حاكم على هيئة الإباء فى التلبس[6] بأعمالهم[6] مع زوالهم و اضمحلالهم و لو كانوا موجودين و عصيتموهم لم تبالوا بهم ، و أما أنا فالذى [7]أمرنى بعبادته[7] حى قادر على جزاء من يطيعه أو يعصيه ، و أقل ما يحمل على طاعته الشك فى عقوبته ، و هو كاف للعاقل فى ترك الخطر ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن نهيكم لى[5] عن الدعاء إليه سبحانه أنكم ما[8] ﴿ تزيدوننى ﴾ بذلك شيئا فى عملى بما ترومونه[9] منى من عطفى عنه باتباعكم فى عملكم أو الكف عنكم لأصير فى عداد من يرجى عندكم ممن له عقل ﴿ غير تخسير ﴾ أى إيقاعى فى الخسارة على هذا التقدير : فلا تطمعوا فى تركى لشىء من مخالفتكم ما دمتم

(١) زيد من ظ ومد (٢-٢) فى ظ ومد : ذا يقين و استعلاء (٣) سقط من ظ .
(٤) فى مد : اقتضاء (٥) من مد . و فى الأصل وظ : التلبيس (٦) فى ظ : باعمالكم (٧ - ٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بامرنى عبادته - كذا (٨) سقط من مد (٩) فى ظ : ترمونه .

على ما أنتم عليه ، و الآية كما ترى ناظرة إلى قوله تعالى " فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك " .

و لما أخبرهم أن معصية الله خسران ، ذكرهم[1] أمر الناقة التى أخرجها سبحانه لهم[2] من الأرض شاهدا على كونهم مساوين للأوثان فى كونهم منها مفضلين عليها بالحياة محذرا لهم من شديد انتقامه فقال: ﴿ويقوم هذه﴾ إشاره إلى حاضر ، و ذلك بعد أن أخرجها لهم سبحانه عند ما دعاه صالح عليه السلام ؛ و بين الإشارة بقوله : ﴿ناقة الله﴾ أى الملك الأعلى ، ثم بنى حالا من "آية" مقدما عليها لئلا يكون صفة لها فقال : ﴿لكم﴾ أى خاصة لنظركم إياها عند ما خرجت و لكل من سمع بها بعدكم ، و ليس الخبر كالمعاينة ، أشير إليها حال كونها ﴿آية﴾ بكون الله تعالى أخرجها لكم من صخرة ، و هى عشراء على حسب[3] ما اقترحتم و أنتم تشاهدون و بكونها تنفرد بشرب يوم ، و تنفردون[4] كلكم بشرب يوم ، و تنفرد برعى يوم ، و تنفرد[5] جميع الحيوانات من دوابكم و وحوش بلادكم برعى يوم الى غير ذلك مما أنتم له مبصرون و به عارفون ﴿فذروها﴾ أى اتركوها على أىّ حالة كان[6] تركتكم لها ﴿تأكل﴾ [أى[7] مما أرادت -[8]] ﴿فى ارض الله﴾ أى الملك الذى له الأمر كله التى خلقها منها ﴿ولا تمسوها بسوء﴾ و الأكل : مضغ يقع عنه بلع ؛ و المس[9] مطلق الإصابة و يكون بين الحيوان وغيره ، و اللمس أخص منه لما فيه من الإدراك

(١) زيد فى ظ و مد : ان (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : سبب (٤) فى ظ : تنفرد ؛ (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : ينفرد (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : يكون ؛ (٧) ليس فى ظ (٨) زيد من ظ و مد (٩) فى ظ : السوء .

فياخذكم

﴿ فياخذكم ﴾ أى فيتسبب عن ذلك أن يأخذكم ﴿ عذاب قريب ٥ ﴾ أى من[1] زمن إصابتكم لها بالسوء ؛ ثم أشار إلى قرب مخالفتهم لأمره فيها بقوله مسببا عن أوامره و نواهيه و معقبا : ﴿ فعقروها ﴾ أى الناقة ﴿ فقال ﴾ أى [عند -[2]] بلوغه الخبر ﴿ تمتعوا ﴾ أى [أنتم -[2]] تعيشون ﴿ فى داركم ﴾ أى داركم[3] هذه ، و هى بلدة الحجر ﴿ ثلثة ايام[4] ﴾ ٥ أى بغير زيادة عليها ، فانظروا ما ذا يغنى عنكم تلذذكم و ترفهكم و إن اجتهدتم فيه .

و لما كان كأنه قيل : هل فى هذا الوعيد مثنوية[4] ، قال مجيبا : ﴿ ذلك ﴾ أى الوعد العالى الرتبة فى الصدق و الغضب ﴿ وعد غير مكذوب ٥ ﴾ أى فيه ؛ و التمتع : التلذذ بالمدركات الحسان من المناظر و الأصوات ١٠ و غيرها مما يدرك بالحواس ، و سميت البلاد دارا لأنها جامعة لأهلها - كما تجمع الدار - و يدار فيها ، و أشار إلى تعقب العذاب للأيام و تسببه[5] عن الوعيد المعين بقوله : ﴿ فلما جآء امرنا ﴾ بالفاء / بخلاف ما فى قصة ٦٥٤ / هود و شعيب عليهما السلام ، أى مع مضى الأيام كان أول ما فعلنا أن ﴿ نجينا ﴾ بما لنا من العظمة أولياءنا ﴿ صلحا و الذين امنوا[6] معه ﴾ ١٥ من كيد قومهم ، [و بين أن[7] إحسانه سبحانه لا يكون إلا فضلا منه بقوله -[2]] : ﴿ برحمة منا ﴾ و ذلك أنه عليه السلام قال لهم : تصبحون

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ ومد (٤) فى ظ : مثنوية (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسببه (٦) سقط من ظ (٧) ليس فى مد .

غدا يوم مؤنس[١] - يعنى الخميس - و وجوهكم مصفرة ، ثم تصبحون[٢] يوم عروبة - يعنى الجمعة - و وجوهكم محمرة ، ثم تصبحون يوم شبار و وجوهكم مسودة ، ثم يصبحكم العذاب يوم أول - أى الأحد - فقال التسعة رهط الذين عقروا الناقة : هلم فلنقتل صالحا ، فان كان صادقا عجلناه قبلنا[٣] ، و إن كان كاذبا قد [كنا - ٤] ألحقناه بناقته ، فأتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة ، فلما أبطأوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح : أنت قتلتهم ! ثم هموا به فقامت عشيرته[٥] دونهم و لبسوا السلاح و قالوا لهم[٦] : و الله لا تقتلونه[٧] أبدا فقد وعدكم أن العذاب يكون بكم بعد ثلاث ، فان كان صادقا لم تزيدوا[٨] ربكم عليكم إلا غضبا ، و إن كان كاذبا فأنتم وراء ما تريدون ، فانصرفوا فلما أصبحت وجوههم مصفرة عرفوا أنه قد صدقهم ، فطلبوه ليقتلوه فجاء إلى بطن منهم يقال له ' بنوغنم ' فنزل على سيدهم [رجل -[٩]] فغيبه عنده[١٠] ، فعدوا على أصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم عليه فقالوا : يا نبى الله ! إنهم يعذبوننا لندلهم عليك ، أ فندلهم ؟ قال :

---

(١) من ظ و مد و معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٢/٢١١ ، و فى الأصل : موس (٢) فى ظ : يصبحون (٣) من المعالم ، وفى الأصول الثلاثة : قبلها (٤) زيد من ظ و مد و المعالم (٥) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : غيرته (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : لا تقتلوه (٨) من ظ و مد و المعالم ، وفى الأصل : لم يزيدوا (٩) زيد من المعالم (١٠) فى المعالم : عنهم .

نعم ، فدلوهم عليه فأتوه فقال الغنمى[1]: نعم[2] عندى و لا سبيل إليه ، فتركوه و شغلهم عنه ما أنزل الله بهم - [كذا - [3]] [4]ذكر ذلك[4] البغوى عن ابن إسحاق و وهب و غيرهما مطولا .

و لما ذكر نجاتهم من كل هلكة ، ذكر نجاتهم من خصوص ما عذب به قومهم[5] فقال : ﴿ و من ﴾ أى و نجيناهم من ﴿ خزى ﴾ ٥ أى ذل[6] و فضيحة ﴿ يومئذ[6] ﴾ أى يوم إذ جاء أمرنا باهلاكهم بالصيحة و حل بهم دونهم فرقا [بين - [7]] أوليائنا[8] [و - [7]] أعدائنا ، [و حذف 'نجينا' هنا يدل على أن عذابهم دون عذاب عاد - [7]] ؛ ثم عقب ذلك بتعليله إهلاكا و إنجاء باختصاصه بصفات القهر و الغلبة و الانتقام فقال : ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك كما أحسن إلى الأنبياء من[2] قبلك ١٠ ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ القوى ﴾ فهو يغلب كل شىء ﴿ العزيز ﴾ أى القادر على منع غيره من غير أن يقدر أحد عليه أو على الامتناع منه ، من عز الشىء أى امتنع ، و منه العزاز - للأرض الصلبة الممتنعة بذلك عن التصرف فيها ؛ و الخزى : العيب الذى تظهر فضيحته[9] و يستحيي من مثله ؛ ثم بين إيقاعه بأعدائه بعد إنجائه لأوليائه فقال معظما للأخذ بتذكير ١٥ الفعل : ﴿ و اخذ الذين ظلموا الصيحة ﴾ و أشار[10] إلى عظمة هذه الصيحة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل: الغنم، و فى المعالم : أباهدب (٢) سقط من ظ .
(٣) زيد من ظ (٤ - ٤) فى ظ : ذكره (٥) فى ظ : قومه (٦) فى ظ : ذلة .
(٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوليا - كذا (٩) فى ظ: نصيحته (١٠) فى الأصل: اشارة ، و العبارة مع ضم هذه الكلمة إلى «علامة التأنيث» ساقطة من ظ و مد .

باسقاط علامة التأنيث و سبب عنها[1] قوله : ﴿ فاصبحوا فى ديارهم جٰثمين ﴾ أى ساقطين على وجوههم ، و قيل : جاثين على الركب موتى لا حراك بهم ، و تقدم سر التعبير بالديار مع الصيحة و الدار مع الرجفة فى الاعراف ، و خصت هود بما ذكر فيها لأن لمقصودها[2] أعظم نظر[3] إلى التفصيل ، وكل من الديار و الصيحة أقرب إلى ذلك .

و لما كان الجثوم كناية عن الموت أوضحه بقوله : ﴿ كأن ﴾ أى كأنهم[4] ﴿ لم يغنوا ﴾ أى يقيموا أغنياء لاهين بالغناء ﴿ فيها[5] ﴾ ثم نبه - على ما استحقوا به ذلك لمن لعله يغفل فيسأل - بقوله مفتتحا بالأداة التى لا تقال إلا عند الأمور الهائلة : ﴿ الآ ان ثمودا ﴾ قراءة الصرف دالة على الاستخفاف بهم [لطيشهم فى المعصية -] ﴿ كفروا ربهم[5] ﴾ أى أوقعوا التغطية و الستر على المحسن إليهم بالخلق و الرزق و الإرسال و هو الظاهر و بصفاته[6] و أفعاله ، فلا يخفى على أحد أصلا ، [فايصال الفعل دون قصره كما فى أكثر أضرابه بيان لغلظة كفرهم -] ؛ ثم كرر ذلك تأكيدا له و إعلاما بتأبيد[7] هلاكهم بقوله : ﴿ الا بعدا لثمود ﴾ ترك صرفهم فى قراءة غير الكسائى إيذانا بدوام لبثهم فى الطرد و البعد؛ و الصيحة : صوت / عظيم من فم حى ، [8]و الجثوم لدوام مكان واحد أو السقوط على الوجه ، و قيل: القعود على الركب[8]؛ و قال "اصبحوا" زيادة فى التخويف و التأسيف /٦٥٥

(١) فى مد : عنه (٢) فى ظ : بمقصودها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : نظرا (٤) فى ظ : كانوا (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : صفاته (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بابيدها - كذا (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

بما

بما وقع لهم من التحسير لو أدركه أحد منهم لأن الإنسان يفرح إذا أصبح بقيامه من نومه مستريحا قادرا[1] على ما يريد من الحركات للاستمتاع بما يشتهى من التصرفات ، فأصبح هؤلاء - بعد هذه الصفة على ما قص الله - خفوتا أجمعين كنفس واحدة رجالا و نساء صغارا وكبارا كأنهم[2] لم يكونوا [أصلا ، و لا أصدروا فصلا [3]و لاوصلا[3] كأنهم لم يكونوا -[4]] للعيون ٥ قرة ، و لم يعدوا فى الأحياء مرة كأن لم [5]يغنوا أى[5] يقيموا لانقطاع آثارهم إلا ما بقى من أجسادهم الدالة على الخزى ؛ و المغانى : المنازل ، و أصل الغناء : الاكتفاء ؛ و معنى 'الا' التنبيه[6] ؛ قال الرمانى : [5]و هى ألف الاستفهام دخلت على 'لا' فالألف تقتضى معنى ، و 'لا' تنفى معنى ، فاقتضى الكلام بهما معنى التنبيه[5] مع نفى الغفلة - انتهى . و كان حقيقته - ١٠ و الله أعلم - أن 'لا' دخلت على ما بعدها فنفته[7]، ثم دخلت عليها همزة الإنكار فنفتها ، و من المعلوم أن نفى النفى إثبات فرجع المعنى كما كان على أتم وجوه [التنبيه و -[8]] التأكيد ، لأن إثبات المعنى بعد نفيه آكد من إثباته عريا عن النفى و لا سيما إذا كان المفيد لذلك الإنكار ، و هذا المعنى[9] مطرد فى ['ألا' -[4]] العرضية و 'هلا' التخصيصية و نحوهما ، و يمشى[10] فى كل ١٥ صلة بأن تردها[11] إلى أصل مدلولها فى اللغة ثم تتصرف[12] بما يقتضيه الحال -

(١) فى ظ : قادر (٢) فى ظ : فانهم (٣-٣) ليس ما بين الرقمين فى ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فنفيه (٨) زيد من مد (٩) فى ظ : معنى (١٠) فى ظ : لمشى (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يردها (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يتصرف .

و الله الهادى ! [1]و لما جاز الصرف فى ثمود باعتبار أنه اسم أبى القبيلة و عدمه باعتبار إطلاقه على القبيلة اختير الصرف فى النصب فقط لخفته[1] .

و لما انقضت القصة على هذا الوجه الرائع ، أتبعها قصة لوط عليه السلام إذ كانت أشهر الوقائع بعدها و هى أفظع منها و أروع ، و قدم عليها ما يتعلق بها من أمر إبراهيم عليه السلام و ذكر[2] بشراه لما فى ذلك كله من التنبيه لمن تعنت بطلب إنزال الملائكة فى قولهم[3] " اوجاء معه ملك " على أن ذلك ليس عزيزا عليه . و قد أكثر من فعله و لكن نزولهم مرهب[4]، و أمرهم عند المكاشفة مرعب ، و أما مع الستر فلا يقطع تعنتهم[5]، هذا مع ما فى ذلك من مناسبة أمر هذا الولد لأمر الناقة فى تكوين كل منهما بخارق[6] للعادة إشارة إلى تمام القدرة و كمال العلم المبنى عليه أمر السورة فى إحكام الكتاب و تفصيله و تناسب جدالى نوح و إبراهيم عليهما السلام فى أن كلا منهما شفقة على الكافرين و رجاء لنجاتهم من العذاب بحسن[7] المثاب ، و لعله سبحانه كرر ' لقد ' فى صدرها عطفا على ما فى قصة نوح للتنبيه على مثل هذه الأغراض ، لأن ' قد ' للتوقع[8] فجاءت لتؤذن بأن السامع[9] فى حال توقع لذلك لأنه إذا انقضت قصة توقع الخبر عما بعدها فقال تعالى : ﴿ و لقد ﴾ قال الرمانى : و دخلت اللام لتأكيد الخبر كما يؤكد

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل « ذ » كذا (٣) فى ظ : قوله (٤) فى ظ : مرتاب (٥) فى ظ : نعتهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لخارق (٧) فى ظ : بحسب (٨) من ظ ، و فى الأصل : المتوقع، و فى مد : للتوقع (٩) فى ظ : للسامع .

القسم ﴿ جآءت رسلنآ ﴾ أى الذين[1] عظمتهم من عظمتنا ، قيل : كانوا جبرئيل و ميكائيل و إسرافيل عليهم السلام ﴿ ابرٰهيم ﴾ هو[2] خليل الله عليه السلام ﴿ بالبشرى ﴾ أى التى هى من أعظم البشائر و هى إكرامه باسحاق عليه السلام ولدا له من زوجته سارة رضى الله عنها ، [جاءوه -[3]] فى الصفة التى يحبها و هى صفة الأضياف ، فلم يعرفهم مع أنه الخليل بل ٥ أنكرهم كما قال تعالى فى الذريٰت " قال سلٰم قوم منكرون[4] " فيحمل إنكاره أولا على الاستغراب بمعنى أنه لم ير عليهم زىّ أهل تلك البلاد و لا أثر السفر ، فكأنه قيل : ما كان من أمرهم ؟ فقيل : ﴿ قالوا سلٰما[5] ﴾ أى سلمنا عليك سلاما عظيما ﴿ قال سلٰم ﴾ أى ثابت دائم عليكم لا زوال له أبدا ، فللرفع مزية على النصب لأنه إخبار عن ثابت ، و النصب تجديد ١٠ ما لم يكن ، فصار مندرجا / فى " فحيوا باحسن منها[6] " ثم أكرم نزلهم / ٦٥٦ و ذهب يفعل ما طبعه الله عليه من سجايا الكرم و أفعال الكرام فى أدب الضيافة من التعجيل مع الإتقان ﴿ فما لبث ﴾ أى [فتسبب عن مجيئهم و تعقبه أنه -[6]] ما[7] تأخر ﴿ ان جآء بعجل حنيذ ﴾ أى مشوى على حجارة محماة فى أخدود [و فوقه حجارة محماة ليشتد نضجه ، فكان بعد ١٥ الشىّ -[6]] يقطر[8] دسمه لأنه سمين ، كل ذلك و هو لا يعرف أنهم ملائكة ، بل هو قاطع بأنهم ممن يأكل ، و هذا ناظر إلى قول قوم[9] نوح

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : الذى (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ ومد غير أن فى الأخرى «جاءوها» (٤) آية ٢٥ (٥) راجع سورة ٤ آية ٨٦ (٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : فما (٨) فى ظ : يطر (٩) سقط من ظ .

"و ما نرى لكم علينا من فضل" و قوله "و لا اقول للذين تزدرى اعينكم" الآية ، أى أن[1] الله جعل المعانى فى القلوب و ناط بها السعادة و الشقاوة ، و قد تخفى تلك المعانى كما خفى على أكمل أهل ذلك الزمان أن ضيفه ملائكة حتى خاف منهم و قد أتوه بالبشرى ، فلا ينبغى لأحد أن يحتقر أحدا إلا بما أذن الله فيه .

و لما وضع الطعام بين أيديهم لم يلموا به ﴿ فلما رآ ايديهم ﴾ أى الرسل [عقب الوضع سواء[2] -] ﴿ لا تصل اليه ﴾ أى [إلى -[3]] العجل الذى وضعه ليأكلوه ﴿ نكرهم ﴾ أى اشتدت نكارته لهم[4] و انفعل لذلك ، و هذا يدل على ما قال بعض العلماء : إن نكر أبلغ من أنكر[5] ﴿ و اوجس ﴾ أى أضمر [6]مخفيا فى قلبه[6] ﴿ منهم خيفة[7] ﴾ [أى عظيمة -[3]] لما رأى من أحوالهم و شاهد من جلالهم، [و أصل الوجوس : الدخول -[3]] ، و الدليل - على أن خوفه كان لعلمه بالتوسم أنهم ملائكة نزلوا لأمر يكرهه من تعذيب من يعز عليه أو نحو هذا - أنهم ﴿ قالوا لا تخف ﴾ ثم عللوا ذلك بقولهم : ﴿ انآ ارسلنآ ﴾ أى ممن لا يرد أمره ﴿ الى قوم لوط[1] ﴾ فانهم نفوا الخوف عنه بالإعلام بمن أرسلوا إليه ، لا [1] بكونهم ملائكة ، قالوا ذلك و بشروه[2] بالولد ﴿ و امراته ﴾ أى [جاءته الرسل بالبشرى أى ذكروها له -[3]] و الحال أن زوجة إبراهيم التى هى كاملة المروءة و هى سارة ﴿ قآئمة ﴾ قيل : على باب الخيمة [لأجل -[3]] ما لعلها

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ ومد (٣) زيد من ظ (٤) سقط من مد .
(٥) فى ظ : نكر (٦-٦) فى ظ : فى قلبه مخيفا (٧) فى ظ : بشرف .

تفوز به من المعاونة على خدمتهم ، فسمعت البشارة بالولد التى دل عليها فيما مضى قوله " بالبشرى " ﴿ فضحكت ﴾ أى تعجبت من تلك البشرى لزوجها[1] مع كبره ، و ربما ظنته من غيرها لأنها - مع أنها كانت عقيما - عجوز[2] ، فهو من إطلاق المسبب على السبب [إشارة إلى أنه تعجب عظيم -[3]] ﴿ فبشرناها ﴾ أى فتسبب[4] عن تعجبها أنا أعدنا لها البشرى ٥ مشافهة بلسان الملائكة تشريفا لها و تحقيقا أنه منها ﴿ باسحق[5] ﴾ تلده ﴿ و من ورآء اسحق يعقوب ۝ ﴾ أى يكون يعقوب ابنا لإسحاق ، و الذى يدل على [ما -[6]] قدّرته - من أنهم بشروه بالولد قبل امرأته فسمعت فعجبت - ما يأتى عن نص التوراة ، و الحكم العدل على ذلك كله قوله تعالى فى الذريٰت " قالوا لا تخف و بشروه بغلام عليم فاقبلت امراته ١٠ فى صرة فصكت وجهها[7] " - الآية .

و لما شافهوها بذلك ، صرحت[8] بوجه العجب من أنه جامع بين عجبين فى كونه منه[9] و منها بأن ﴿ قالت يٰويلتىٰٓ ﴾ و هى كلمة تؤذن بأمر فظيع تخف على أفواه النساء و يستعملنها إلى اليوم ، لكنهن غيرن فى لفظها كما[10] غير كثير من الكلام ؛ و الويل : حلول الشر ، ١٥ و الألف فى آخره بدل عن ياء الإضافة ، كنى بها هنا[11] عن العجب الشديد لما فيه من الشهرة و مراجمة[12] الظنون ؛ و قال الرمانى[13] : إن

(١) فى ظ : لزوجه (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : عجوزا (٣) زيد من ظ و مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : تسبب (٥) آية ٢٨ و ٢٩ (٦) فى مد : خرجت (٧) سقط من مد (٨) فى ظ : لا (٩) سقط من ظ (١٠) فى ظ : مزاحمة . (١١) فى ظ : الكرمانى .

معناها الإيذان بورود الأمر الفظيع كما تقول العرب : يا للدواهى ! أى تعالين فانه من أحيانك لحضور ما حضر من أشكالك .

ولما كان ما [1]بشرت به[1] منكرا فى نفسه بحسب العادة قالت : ﴿ءَالد وانا﴾ أى والحال أنى ﴿عجوز وهذا﴾ أى من هو حاضرى[2] ﴿بعلى شيخا[4]﴾ [3]ثم ترجمت[3] ذلك بما هو نتيجته فقالت [مؤكدة لأنه - لما له من خرق العوائد - فى حيز المنكر عند الناس -[4]] : ﴿ان هذا﴾ أى الأمر المبشر به ﴿لشىء عجيب ۝﴾ فكأنه قيل : فما ذا[5] قيل لها ؟ فقيل : ﴿قالوآ﴾ أى الملائكة متعجبين من تعجبها ﴿اتعجبين من امر الله﴾ أى الذى له الكمال كله ، وهو لا ينبغى لك لأنك[6] معتادة من[7] الله بما ليس لغيركم من الخوارق ، والعجب إنما يكون مما خرج عن أشكاله وخفى سببه ، وأنت - لثبات علمك بالسبب الذى هو قدرة الله على كل شىء وحضوره / لديك مع اصطفاء الله لكم وتكرر خرقه للعوائد فى شؤنكم - لست كغيرك[8] ممن ليس كذلك ؛ ثم عللوا إنكارهم لتعجبها بقولهم : ﴿رحمت الله﴾ أى كرامة الذى له الإحاطة بصفات الجلال والإكرام ﴿وبركته﴾ أى خيراته النامية الثابتة ﴿عليكم﴾ وبينوا خصوصيتهم باسقاط أداة النداء [مدحة[9] لهم فقال -[4]] : ﴿اهل البيت[4]﴾ قد تمرتم[10] على مشاهدة العجائب لكثرة ما ترون من آثاره بمثل ذلك

/ ٦٥٧

(١-١) فى ظ : يشرب منه (٢) فى مد : حاضر يرى - كذا (٣-٣) فى ظ : اى ترجمة ، وفى مد : ترجمت (٤) زيد من ظ ومد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : لانه (٧) فى ظ : عن (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : كغيرى (٩) فى ظ : فرحة (١٠) من ظ ومد ، وفى الأصل : تمرنهم .

و غيره ؛ [ثم علل إحسانه إليهم مؤكدا تثبيتا لأصل الكلام الذى أنكرته فقال -[1]] : ﴿انه﴾ أى بخصوص هذا الإحسان ﴿حميد مجيد ۝﴾ [أى -[1]] كثير التعرف إلى من يشاء من[2] جلائل النعم و عظيم المقدور بما يعرف أنه مستحق الحمد على المجد ، و هو الكرم الذى ينشأ عنه الجود ، فلما سمعوا ذلك و اطمأنوا ، أخذ فى قص ما كان بعده ، فقال مشيرا بالفاء إلى قلة[3] زمن الإنكار الذى هو سبب[4] الفزع : ﴿ فلما ذهب ﴾ بانكشاف الأمر ﴿عن ابرٰهيم الروع﴾ أى الخوف و الفزع الشديد ﴿ و[5] جآءته البشرى ﴾ فامتلأ سرورا ﴿ يجادلنا ﴾ أى أخـــذ يفعل معنا بمجادلة رسلنا فعل المجادل الذى يكثر كلامه إرادة لفتل مخاطبه عما يقوله[6] ﴿ فى قوم لوط ۝ ﴾ أى يسألنا فى نجاتهم سؤالا يحرص فيه حرص المجادل فى صرف الشىء ، من[7] الجدل و هو الفتل ، و وضع المضارع موضع الماضى إشارة إلى تكرر المجادلة مع[8] تصوير الحال ، أى جادلنـا فيهم جدالا كثيرا ؛ ثم علل مجادلته بقوله : ﴿ان ابرٰهيم لحليم[9] ﴾ أى بليغ الحلم ، و هو إمهال صاحب الذنب على ما يقتضيه العقل ﴿ اواه ﴾ أى رجاع للتأوه خوفا من التقصير ﴿ منيب ۝ ﴾ أى رجاع إلى الله بالسبق فى ارتقاء درج القرب ، فهو - لما عنده هذه المحاسن - لا يزال يتوقع الإقلاع من العصاة . و لما [كان -[10]] أكثر المجادلة لما عنده من الشفقة على عباد الله لما له

(١) زيد من ظ ومد (٢) فى ظ : ما (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : قرب .
(٤) فى ظ : زمن (٥) سقطت الواو من مد (٦) فى ظ ومد : يقول (٧) فى ظ ومد : ممن (٨) فى ظ : فى (٩) من ظ ومد والقرآن الكريم ، وفى الأصل : حليم .
(١٠) زيد من ظ .

من هذه الصفات الجليلة ، أعلمه الله أن الأمر قد حتم بقوله حكاية أن الرسل قالت له بعد طول[1] المجادلة منادين بالأداة التى هى أم الباب إعلاما بأن ما بعدها عظيم الشأن عالى[2] المنزلة : ﴿ يآ ابرٰهيم اعرض ﴾ أى بكليتك ﴿ عن هذا ج ﴾ أى السؤال فى نجاتهم ؛ ثم علل ذلك بقوله[3] مؤكدا لأنه بمجادلته فى حيز من [4]ينكربت[4] الأمر : ﴿ انه قد ﴾ افتتحه[5] بحرف التوقع لأنه موضعه ﴿ جآء امر ربك ﴾ أى الذى عودك باحسانه الجم ، فلو لا أنه حتم الأمر[6] بعذابهم لأمهلهم لأجلك ، و لذا[7] عطف على العلة قوله مؤكدا إعلاما بأنه أمر[8] قد انبرم و مضى : ﴿ و انهم اتيهم ﴾ أى إتيانا ثابتا ﴿ عذاب غير مردود ه ﴾ أى بوجه من الوجوه من أحد كائنا من كان ؛ و الإعراض : الانصراف ، و حقيقته الذهاب عن الشىء فى جهة العرض ؛ و الرد : إذهاب الشىء إلى ما جاء منه كالرجع ؛ و الدفع أعم لأنه قد يكون إلى جهة القدام ؛ فلما علم مراد الله تعالى فيهم ، قدمه على مراده و لم ينطق بعده ببنت شفة .

ذكر هذه القصة من التوراة : قال فى السفر الأول[9] : و استعلن الله لإبراهيم فى مرج - و فى نسخة : بين بلوط ممرى الأمورانى - و كان جالسا على باب خيمته إذ اشتد النهار ، فرفع عينيه فنظر فاذا هو بثلاثة رجال وقوف على رأسه ، فلما رآهم أحضر إليهم من باب الخيمة

(١) فى ظ : طلوع (٢) فى ظ : على (٣) زيد بعده فى ظ : لا (٤-٤) فى الأصل : منكرت ، و فى ظ و مد : ينكرتب (٥) فى ظ : افتتح (٦) سقط من مد . (٧) فى مد : كذا (٨) سقط من ظ (٩) راجع الأصحاح الثامن عشر .

و سجد على الأرض و قال: يارب - و فى نسخة : يا ولى الله - إن كان لى عندك مودة فلا تبعد عن عبدك حتى آتى بماء أغسل بـه أرجلكم، واتكئوا تحت الشجرة و أصيبوا شيئا من الطعام تقرون به أنفسكم، ثم حينئذ تجوزون لأنكم مررتم[1] بعبدكم بغتة، فقالوا له: اصنع كما قلت، فاستعجل إبراهيم فأحضر إلى الخيمة إلى سارة و قال: عجلى[2] بثلاثة آصع من درمك[3] - ٥ و فى نسخة: دقيق سميد - فاعجنيه و اخبزى منه مليلا[4]، و سعى إلى قطيع البقر فأخذ عجلا سمينا شابا فدفعه إلى الغلام و أمر بتعجيل صنعته و أخذ سمنا و لبنا و العجل الذى / صنع له أيضا فقربه إليهم. وكان هو واقفا / ٦٥٨ بين أيديهم تحت الشجرة و قالوا له: أين سارة امرأتك؟ فقال: فى الخيمة، فقال له: إنى أرجع إليك فى مثل هذا الحين من قابل و هى فى الحياة ولها ١٠ منك ابن، فسمعت سارة و هى على باب الخيمة مستترة وكان هو خلفها، وكان إبراهيم و سارة قد شاخا و قدم[5] سنهما و انقطع عن سارة سبيل النساء، فضحكت سارة فى قلبها و قالت: أمن بعد ما بليت أرجع شابة و سيدى قد شاخ؟ فقال الله لإبراهيم: لم ضحكت سارة و قالت: أنى لى بالولد وقد شخت؟ أيعسر هذا على الله؟ إنى أرجع إليك فى [مثل -[6]] هذا ١٥ الحين من قابل و هى حية و لها ابن، فجحدت سارة و قالت: كلا! ما ضحكت، لأنها فزعت، فقال: كلا[7]! و لكنك قد ضحكت، ثم قام

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مرر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عجل.
(٣) فى ظ: إدريكه (٤) فى ظ: ميلا (٥) فى ظ: قدا، و فى مد: قدتم - كذا.
(٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ.

الرجال و تعمدوا طريق سدوم و عامورا ، و انطلق معهم إبراهيم ليشيعهم .
و قال الله : [١]أ أكتم[١] عبدى إبراهيم شيئا مما أصنع ؟ و إبراهيم يكون رئيسا
لشعب[٢] عظيم كبير ، و تتبارك به شعوب الأرض ، لأنى عالم أنه يوصى
بنيه و أهل بيته من بعده أن يحفظوا طرق الرب ليعملوا[٣] بالبر و العدل ،
٥ لأن الرب يكمل لإبراهيم جميع ما وعده به . فقال[٤] الرب [لإبراهيم-[٥]] :
لقد وصل إلىّ حديث سدوم و عامورا و قد كثرت خطاياهم جدا ،
ثم ولى القوم و مضوا إلى سدوم ، و كان إبراهيم بعد واقفا قدام الرب ،
[فدنا إبراهيم-[٦]] و قال : يا رب ! تهلك الأبرار مع الفجار بغضب واحد ؟
إن كان فى القرية خمسون بارا أتهلكهم بغضب واحد ؟ حاشاك[٧] يا رب
١٠ [٨]أن تصنع[٨] هذا الصنيع و تهلك البرئ مع السقيم[٩] ، و يكون البرئ بحال
السقيم ، حاشا لك يا حاكم الأرض كلها ! لا يكون هذا من صنيعك !
فقال الرب : إن وجدت بسدوم خمسين بارا فى القرية عفوت عن جميع
البلد من أجلهم ، فأجاب إبراهيم و قال : إنى قد بدأت بالكلام بين يدى
الرب ، و إنما أنا تراب و رماد ، فان نقص من الخمسين بارا خمسة تخرب
١٥ القرية[١٠] كلها من أجل الخمسة[١١] ؟ فقال : لا أخربها إن وجدت بها[١١]
خمسة [١٣]و أربعين بارا ، فعاد إبراهيم و قال له : فان وجد فيها أربعون[١٣] ؟

(١-١) فى ظ : لا كتم ، و فى مد : لا اكتم (٢) فى ظ : لشعيب (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ليعلموا (٤) فى ظ : قال (٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و مد .
(٧) فى ظ : حاشاه (٨-٨) فى مد : اتصنع (٩) فى ظ : المستقيم (١٠) فى ظ : الارض
(١١) فى ظ : القرية (١٢) فى ظ : فيها (١٣-١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .

[1]فقال : لا أخربها إن وجدت فيها أربعين[1] ، فقال : لا يمكن الرب كلامى فأتكلم ، فان كان هناك[2] ثلاثون ؟ فقال : لا أخربها إن وجدت فيها ثلاثين ، فقال : إنى قد أمعنت[3] فى الكلام بين يدى الرب ، فان وجد بها عشرون ؟ فقال : لا أخربها من أجل العشرين ، فقال لا تشقن[4] على الرب ، فأتكلم هذه المرة يا رب فقط[5] ، فان وجد بها عشرة رهط[6] ؟ فقال : لا أفسدها من أجل العشرة ؛ فارتفع استعلان الرب عن إبراهيم لما فرغ إبراهيم من كلامه و رجع إبراهيم إلى موضعه - انتهى . و قد مضى أمر حبل سارة و ولادها فى البقرة .

و لما انقضى[7] أمر إنبائهم[7] ببشارة الأولياء و هلاك الأعداء ، و علم من ذلك أنهم لا ينزلون إلا للأمور الهائلة و الأحوال المعجبة ، أخذ يقص أمرهم مع لوط عليه السلام ، فقال عاطفا على ما تقديره : فعلوا مع إبراهيم [8]انفصالهم عن إبراهيم عليه السلام[8] ما ذكر ، ثم فارقوه نحو لوط ، [و لم يذكر الحرف المصدرى لأن سياقه[9] و مقصود السورة لا يقتضى ذلك كما نشير إليه فى العنكبوت - [10]] : ﴿و لما جآءت رسلنا﴾ على ما قارنهم من عظمتنا ﴿لوطا﴾ بعد انفصالهم عن إبراهيم عليه السلام ، و بين البلدين ثمانية أميال ، و قيل : أربعة[11] فراسخ ، استضافوه[12] فلم يجد بدا[12]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ و مد : هنالك (٣) ظ : اصفعت .
(٤) من مد ، و فى الأصل : لاشقن ، و فى ظ : لا يشقن (٥) سقط من ظ .
(٦) فى مد : ربط (٧-٧) من مد ، و فى الأصل : إبراهيم بيانهم ، و فى ظ : إبراهيم انبائهم - كذا (٨-٨) فى ظ : مع السلام (٩) زيد بعده فى مد : السياق .
(١٠) زيد من ظ و مد (١١) فى ظ : اربع (١٢-١٢) فى مد : فلم يجدوا .

من قبولهم على ما أوصى الله بالضيف مطابقا لعوائد [أهل - [1]] المكارم ، فقبلهم و أزمع المقاتلة عنهم لما رأى من حسن أشكالهم و رونق جمالهم مع ما يعلم من قبح أفعال قومه و خبث سرائرهم ، و لما جاءوه على هذه الصفة ﴿ سيء بهم ﴾ أى حصلت له المساءة بسبب / مجيئهم إلى قريته لما يعلم ٦٥٩/
٥ من لؤم أهلها ، و التعبير عن هذا المعنى بالمبنى للمفعول أحضر و أوقع فى النفس و أرشق[2] ﴿ و ضاق بهم ذرعا ﴾ أى ذرعه أى اتساعه فى كل [وقت - [3]] قوة أوتيها ، و هو مثل يقال لمن لم يجد من المكروه مخلصا ، و مادة ذرع - بأىّ ترتيب كان - تدور[4] على الاتساع لأنه لا يذرع إلا الكثير ، و ذرع الرمل : اتسع ، و موت ذريع : فاش ، و المذرع : الذى أمه عربية
١٠ و أبوه غير عربى ، فهو أكثر انتشارا ممن انحصر فى أحدهما ؛ و الذريعة : ما يختلى[5] به الصيد ، فهو يوسع له من الأمل ما يحمله على الإقدام ، و حلقة يتعلم عليها الرمى[6] ، لأنها تسع[7] السهم ، أو لأن مصيبها واسع الأمر فى صناعة الرمى ، و الوسيلة لأنها توصل المتوسل ؛ و الذعر : الخوف ، لاتساع الفكر فيه و تجويز[8] أدنى احتمال ؛ و العذر : إيساع الحيلة فى وجه يزيل ما ظهر
١٥ من التقصير ، من العذوّر - للحمار الواسع الجوف ، و هو أيضا الملك لسعته ، و العذار[9] : أوسع ما فى الوجه ، و أعذرت الغلام : ختنته[10] ، أى أوسعت

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ارسق (٣) زيد من مد .
(٤) فى ظ : يدوع (٥) فى ظ : يحتظر (٦) فى ظ : الرمل (٧) فى ظ : تسرع (٨) فى ظ : تجوز (٩) زيد بعده فى مد : اتساع الحيلة فى وجه يزيل ما ظهر (١٠) فى ظ : حقنته .

أكرته

أكرته ، و الإعذار - لطعام الختان و نحوه منه ، و عذرة الجارية موجبة لعذرها فى النفرة[1] للخوف على نفسها ، و العذرة : وجع فى الحلق ، و هو سقوطه حتى يغمز ، كأنه شبه بعذرة البكر فى سده[2] الحلق بما يوجب الغمز ، و كذا العذرة - للناصية لبذل الجهد فى المدافعة عنها ، و العذراء : نجم إذا طلع اشتد الحر فاتسع بساط الأرض ، و العذرة - بفتح ثم كسر : فناء الدار ، و به سمى الحدث ، و العذراء[3] : شىء من حديد يعذب به الإنسان ، كأنه سمى لأنه يوسع الخوف بما يجنب[4] ما يوجب الاعتذار ، فلا تزال تلك الحديدة بكرا لا يوجد من يعذب بها ، و أما عذر - بالتشديد - إذا قصر فهو للسلب ، أى فعل ما لا يوجد له عذر ، و[5] كذا تعذر[5] الأمر أى صعب ، يعنى أنه تجنّب[6] العذر فلم يبق لسهولته[7] وجه ، و أعذر - إذا كثرت عيوبه ، أى دخل فيما يطلب له العذر كأنجد .

و لما ذكر حاله ، ذكر قاله [بقوله -[8]] : ﴿ و قال ﴾ أى لوط ﴿ هذا ﴾ أى اليوم ﴿ يوم عصيب ۝ ﴾ أى شديد جدا لما أعلم من جهالة مَنْ أنا بين ظهرانيهم[9] ، و هو مشتق من العصب و هو أطناب المفاصل و روابطها ، و مداره على الشدة ﴿ و جآءه قومه ﴾ أى الذين فيهم قوة المحاولة ﴿ يهرعون ﴾ أى كأنهم يحملهم على ذلك حامل لا يستطيعون دفعه ﴿ اليه ﴾ أى فى غاية الإسراع فعل الطامع الخائف فوت ما يطلبه ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الصفرة (٢) فى مد : شدة (٣) فى ظ : العذارا .
(٤) فى ظ : يجتنب (٥-٥) فى ظ : ذلك العذر - كذا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجنب (٧) زيد بعده فى مد : صعب - كذا (٨) زيد من ظ و مد .
(٩) من مد ، و فى الأصل : ظهرانهم ، و فى ظ : ظهرنيهم - كذا .

فهو يضطرب[1] لذلك ، أو لأجل الرعب من لوط عليه السلام أو من الملائكة عليهم السلام .

و لما كان وجدانهم ـ فكيف عصيانهم - لم يستغرق زمن القبل ، أدخل[2] الجار فقال : ﴿ و من قبل ﴾ أى قبل هذا المجىء ﴿ كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ يعملون ﴾ أى مع الاستمرار ﴿ السيئات[3] ﴾ أى الفواحش التى تسوء غاية المساءة فضربوا[4] بها ومرنوا عليها حتى زال عندهم استقباحها ، فهو يعرف ما يريدون ، وكأنهم كانوا لا يدعون مليحا[5] و لا غيره من الغرباء ، فلذلك لم يذكر أن الرسل عليهم السلام كانوا على هيئة[6] المرد الحسان ، و لا قيد الذكران فى قصتهم فى موضع من المواضع بالمرودية[6].

فكأنه قيل : فما قال لهم ؟ فقيل[7] : ﴿ قال يقوم ﴾ مستعطفا لهم ﴿ هؤلاء بناتى ﴾ حاديا لهم إلى الحياء و الكرم .

و لما كان كأنه قيل : ما نفعل بهن ؟ قال : ﴿ هن ﴾ و لما كان فى مقام المدافعة[8] باللين ، قال إرخاء للعنان فى تسليم طهارة ما يفعلونه على زعمهم مشيرا بلطافة إلى خبث ما يريدونه : ﴿ اطهر لكم ﴾ و ليس المراد من هذا حقيقته ، بل تنبيه القوم على أنهم لا يصلون إليهم إلا إن وصلوا إلى بناته لأن الخزى فيهما[9] على حد سواء أو[10] فى الضيف أعظم ، و مثل

(١) فى ظ : يضرب (٢) فى ظ : ادخال (٣) فى ظ : فضروبها ، و فى مد : فضروابها (٤) فى ظ : ملتجا ، و فى من : ملتجيا (٥) فى ظ : هيئات (٦) سقط من ظ و مد (٧) فى ظ : فقال (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المرافعة (٩) فى ظ : فيها (١٠) فى ظ « و » .

/ هـذا أن يشفع الإنسان فيمن يضرب ، فاذا عظم الأمر ألقى[1] نفسه / ٦٦٠
عليه فصورته أنه فعله ليقيه الضرب بنفسه ، و معناه احترامه باحترامه ،
و على هذا يدل قوله فى الآية الأخرى "ان كنتم فعلين" و هنا قوله :
﴿ فاتقوا الله ﴾ أى الملك الأعظم فى هـذا الأمر الذى تريدونه
﴿ و لا تخزون ﴾ أى توقعوا بى الفضيحة التى فيها الذل و الهوان[2] و العار ٥
﴿ فى ضيفى[1] ﴾ إذ لا يشك ذو مسكة من أمره فى أن التقوى إذا حصلت
منعت من الأمرين ، و أن الخزى على تقدير عدمها فى البنات أعظم لأنه
عار لازم للزوم البنات للاب ، وكل هذا دليل على أنه لا يشك أنهم
آدميون و لم يلم بخاطره أنهم ملائكة ، فهو تنبيه للكفار على أنه لا ينتفع
بانزال الملائكة إلا البار الراشد التابع للحق ؛ ثم أنكر أشد الإنكار حالهم ١٠
فى أنهم لا يكون منهم رشيد حثا على الإقلاع عن الغى و لزوم سبيل
الرشد[3] فقال : ﴿ اليس منكم رجل ﴾ أى كامل الرجولية ﴿ رشيد ﴾
كامل الرشد [4]ليكفكم عن هذا القبيح[4] ، فلم يكن منهم ذلك ، بل
﴿ قالوا لقد علمت ﴾ أى يا لوط مجرين[5] الكلام على حقيقته غير معرجين
على ما كنى به عنه ﴿ ما لنا فى بناتك ﴾ و أغرقوا فى النفى فقالو : ١٥
﴿ من حق[4] ﴾ أى حاجة ثابتة ، [و لم يريدوا به[6] ضد الباطل لأن البنات
و الضيف فى نفى حقهم عنهم[7] سواء -[8]] ، و أكدوا معلمين بما لهم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٢) فى ظ : الاهوان (٣) فى ظ : الرشاد.
(٤-٤) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « فقال » و الترتيب من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بخرى (٦) سقط من ظ (٧) زيد بعده فى مد : فيه .
(٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

من الرغبة فى الفجور وقاحة[1] و جرأة فقالوا : ﴿ و انك لتعلم ﴾ أى علما لا تشك فيه ﴿ ما نريد ﴾ وهو إتيان الذكور[2] للتطرق و التطرف، فحملوا عرضه لبناته على الحقيقة خبثا منهم و شرعوا يبنون على ذلك بوقاحة و عدم مبالاة بالعظائم ، فأخبر تعالى عن قوله لهم على[3] طريق الاستئناف بقوله : ﴿ قال ﴾ [أى -[4]] متمنيا أن يكون له بهم طاقة ليروا ما يصنع من الإيقاع بهم متفجعا على فوات ذلك ﴿ لو ان لى بكم ﴾ أى فى[1] دفعكم ﴿ قوة ﴾ بنفسى ﴿ او ﴾ لو أنى ﴿ اوى ﴾ من الأعوان و الأنصار ﴿ الى ركن شديد ﴾ أى جماعة هم كالركن الموصوف بالشدة لحلت بينكم و بين ما جئتم له ، و حذفه أبلغ لذهاب النفس فيه كل مذهب ؛ و السوء : ما يظهر مكروهه لصاحبه ؛ و العصيب : الشديد فى الشر خاصة كأنه التف شره ؛ و القوة خاصة يمكن أن يقع بها[5] الفعل و أن لا يقع ؛ و الركن : معتمد البناء بعد الأساس ، و الركن هنا[6] من هو مثله ؛ و الشدة : مجمع[7] يصعب معه الإمكان ، و وصفه الركن بالشدة و هو يتضمنها تأكيد يدل على أن قومه كانوا فى غاية القوة و الجلادة ، و أنه كان يود معاجلتهم لو قدر . وذلك أن مادة 'ركن' بكل ترتيب تدور على الرزانة ، من ركن - بالضم بمعنى رزن ، و يلزمهما القوة ، و منه الركن للجانب الأقوى و الأمر العظيم و ما يتقوى به من ملك و جند و غيره و العز

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : الذكر (٣) من ظ و مد، وفى الأصل : عن .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) فى مد : فيها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذا .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تجمع .

والمنعة

و المنعة ، و من ذلك النكر بالضم للدهاء و الفطنة ، و النكر للنكر و الأمر الشديد و ما يخرج من الزحير من دم أو قيح ، و نكر الأمر : صعب و طريق ينكور[1] : على غير قصد ، و المنكر ضد المعروف[2] لأن الشيء إذا جهل صعب أمره ، و تناكر القوم : تعادوا ، و التنكر[3] : التغير من حال يسر إلى حال يكره[4] ، و المكنر - كمحدث : الضخم السمج ، و يلزم الرزانة أيضا الميل و السكون ، و منه ركن إليه - بالفتح : مال و سكن ، و ركن بالمنزل - بالكسر : أقام ؛ و الكنارة - بالكسر و التشديد : الشقة من ثياب الكتان ، لأنه يمال إليه لبهجته ، و كذا الكنارات للعيدان و الطبول ، و الكران ككتاب للعود أو الصنج[5] ، أو يكون ذلك من الشدة لقوة أصواتها - و الله أعلم .

فلما عظم الشقاق و ضاق الخناق كان كأنه قيل : فما قال له الرسل ؟ فقيل : ﴿ قالوا ﴾ و دلوا بحرف النداء الموضوع للبعد على أنه كان قد خرج عن الدار و أجاف بابها و أن الصياح كان شديدا ﴿ يـلوط ﴾ إنك لتاوى إلى ركن / شديد ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم : ﴿ انا رسل ربك ﴾ أى المحسن إليك باحسانك وكل ما ترى[6] مما يسوءك و يسرك ؛ ثم لما ثبت له ذلك كان من المحقق أنه سبب فى ألا يدانيه معه سوء فأوضحوه بقولهم : ﴿ لن يصلوآ اليك ﴾ من غير احتياج

/ ٦٦١

(١) من القاموس ، و فى الأصول : منكور (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ ومد فحذفناها (٣) فى ظ : التنكير (٤) فى ظ ومد : تكره (٥) من القاموس ، و فى الأصول : الصيح (٦) فى ظ : تريد .

إلى الربط بالفاء ، أى و نحن مهلكوهم و قالبو [١]مدنهم بهم[١] ﴿ فاسر ﴾ أى سر[٢] بالليل ماضيا ﴿ باهلك ﴾ موقعا ذلك السير و الإسراء ﴿ بقطع ﴾ أى بطائفة[٣] ، أى و الحال أنه قد بقى عند خروجك جانب ﴿ من الّيل ولا يلتفت ﴾ أى ينظر إلى ورائه و[٤] لا يتخلف ﴿ منكم احد ﴾ أى لا تلتفت أنت

٥ و لا تدع أحدا من أهلك يلتفت ﴿ الا امراتك[٤] ﴾ استثناء من "احد" بالرفع و النصب لأن المنهى كالمنفى[٥] فى جواز الوجهين ، و النهى له صلى الله عليه و سلم ، [٦]فالفعل بالنسبة إليه منهى ، و بالنسبة إليهم منفى[٦]. [٧]و يمكن أن يكون أخرجها معه لأن معنى الاستثناء أنه غير مأمور بالإسراء بها إلا أنه منهى عنه[٧] ، و استثناءها من الالتفات معهم[٨] مفهم

١٠ أنه لا حجر عليه فى الإسراء بها ، أو أنه خلفها فتبعتهم و التفتت ، فيكون قراءة النصب من "اهلك" ، و قراءة الرفع من "احد" و لا يلزم من ذلك أمرها بالالتفات بل مخالفتها للمستثنى منه فى عدم النهى ، و لذلك عللوا ما أفهمه[٩] إهمالها[١٠] من الإسراء و النهى من أنها تلتفت بقولهم مؤكدين لأن تعلق الأمل[١١] بنجاتها [١٢]شديد رحمة لها[١٢]: ﴿ انه ﴾ أى الشأن ﴿ مصيبها ﴾

(١-١) فى ظ : مدتهم به (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : مسرا (٣) فى ظ ومد : طائفة (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : او (٥) سقط من مد (٦-٦) سقط مابين الرقمين من مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) سقط من ظ و مد . (٩) زيد بعده فى مد : انهائنا امر لا ـكذا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهماله (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الامر (١٢-١٢) فى ظ : رحمة لها شديدة ، و فى مد : رحمة لها شديد .

لا محالة ﴿ مآ اصابهم ﴾ [سواء التفتت أو لا ، تخلفت أو لا ، ثم ظهر لى من التعبير [1]فى حقها[1] باسم الفاعل و فى حقهم بالماضى أنه حكم باصابة العذاب لهم عند هذا القول للوط عليه السلام لأن ذنوبهم تمت ، و أما هى فانما يبرم الحكم بذلك فى حقها عند تمام ذنوبها التى رتبت عليها الإصابة و ذلك عند الالتفات - [2]] . ٥

و لما عبروا[3] بالماضى تحقيقا للوقوع و تنبيها على أنه تقدم دخولها معهم[4] فى أسباب العذاب ، كان منبها لأن يقال : كأن الإيقاع بهم قد دنا [بهم - [2]] جدا ؟ فقيل : نعم ، و أكد تحقيقا للوقوع تلذيذا به و لأنه - لقرب الوقت - بحيث ينكر : ﴿ ان موعدهم ﴾ أى لابتداء[5] الأخذ ﴿ الصبح [1] ﴾ و كأن [6]لوطا عليه السلام أبطأ فى جميع أهله ١٠ و ما يصلحهم ، فكان فعله فعل من يستبعد الصبح ، فأنكروا[6] ذلك بقولهم : ﴿ اليس الصبح بقريب ٥ ﴾ أى فأسرع الخروج بمن أمرت بهم ؛ و الإسراء : سير الليل كالسرى .

و لما انقضى تسكين لوط عليه السلام و التقدم إليه فيما يفعل ، أخبر تعالى عن حال قومه فقال : ﴿ فلما جآء امرنا ﴾ بالفاء لما مضى ١٥ فى قصة صالح عليه السلام من التسبيب و التعقيب ، أى فلما خرج منها لوط بأهله جاءها أمرنا ، و لما جاء أمرنا الذى هو عذابنا و الأمر به ﴿ جعلنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ عاليها ﴾ أى عالى مدنهم و هم فيها

(١ - ١) ليس ما بين الرقمين فى ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .
(٣) فى ظ : عبر (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : معه (٥) فى ظ : للابتداء .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿سافلها و امطرنا عليها﴾ أى على مدنهم بعد قلبها من أجلهم و سيأتى فى سورة الحجر سر الإتيان هنا بضمير "ها" دون ضمير "هم" ﴿حجارة من سجيل ۝﴾ أى مرسلة من مكان هو فى غاية العلو ﴿منضود ۝﴾ بالحجارة هى[1] فيه متراكبة[1] بعضها على بعض حال كونها ﴿ مسومة ﴾ أى معلمة بعلامات تدل على أنها معدة للعذاب من السيما [و السومة -[2]] و هى العلامة تجعل للابل السائمة لتتميز إذا اختلطت فى المرعى ، و فى الذريت " حجارة من طين[3] " و ذلك أن الحجارة أصلها تراب يجعل[4] الله فيه بواسطة الماء [5]قابليـة للاستحجار[5] كما جعل فيه قابلية التحول إلى المعدن من الذهب و الفضة و الحديد و غيرها ، فباعتبار أصله[6] هو طين ، و باعتبار أوله حجر و كبريت و نار ، و لعل حجر الكبريت أثقل الحجارة مع ما فيه من قوة النار و قبح الريح ؛ ثم فخمها بقوله : ﴿عند ربك ۝﴾ و عبر بالرب إشارة إلى كثرة إحسانه إليه و أنه إنما أمره صلى الله عليه و سلم بالإنذار رحمة لأمته التى جعلها خير الأمم و سيجعلها أكثر الأمم ، و لا يهلكها كما أهلكهم ؛ و مادة سجل - بأى ترتيب كان - تدور على العلو ، من الجلس لما ارتفع عن[7] الغور و هو النجد ، و يلزم منه الغلظ و العلو ، و من الغلظ الجلس للغليظ من الأرض و الجمل الوثيق ، و يلزم العلو التصويب / و منه جلس - إذا قعد ؛ و السجل للدلو العظيمة ، و يكون غالبا فى مقابلتها أخرى ، كلما نزلت واحدة طلعت الأخرى ، فتأتى المساجلة [8]بمعنى المباراة و المفاخرة[8] ،

٦٦٢ /

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : متراكبة فيها (٢) زيد من ظ و مد .
(٣) آية ٣٣ (٤) فى ظ : جعل (٥-٥) فى ظ : قابلة الاستحجار (٦) فى ظ : اصلها .
(٧) فى ظ : على (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

[1]و السجل : الضرع العظيم[1] ، و السجل ـ بالكسر و شد[2] اللام : الكتاب لأنه يذكر فيه ما يكون به المفاخرة و المغالبة ؛ و سلج الطعام : بلعه ، و السلجان : نبات رخو ، كأنه سمى بذلك لأن أغصانه [تأخذ ـ [3]] إلى أسفل لرخاوتها ، و قد دل على هذا المعنى فى هذه الآية بثلاثة أشياء : الإمطار ، و لفظ ' على ' ، و سجيل . ٥

و لما كان المعنى أنها من مكان هو فى غاية العلو ليعظم[4] وقعها ، حسن كل الحسن إتباع ذلك قوله : ﴿ و ما هى ﴾ على شدة بعد مكانها ﴿ من الظالمين[5] ﴾ أى من أحد من العريقين فى الظلم فى ذلك الزمان و لا هذا و لا زمن من الأزمان ﴿ ببعيد ﴾ لئلا يتوهم الاحتياج فى وصولها إلى المرمى بها إلى زمن طويل . ١٠

ذكر هذه القصة من التوراة : قال فى السفر الأول بعد ما مضى فى قصة بشرى إبراهيم عليه السلام : فأتى الملكان إلى سدوم عشاء ، و كان لوط جالسا على باب سدوم ، فنظر إليهما لوط فتلقاهما ، ثم خرّ على وجهه ساجدا على الأرض و قال : إنى طالب إليكما يا سيدى ، اعدلا إلى منزل عبدكما فبيتا فيه و اغسلا أقدامكما و بكرا فانطلقا فى طريقكما ، فقالا : ١٥ كلا ! و لكنا نبيت فى السوق ، فألح عليهما لوط إلحاحا شديدا فانصرفا معه و دخلا منزله فأعد لهما طعاما ، و من قبل وقت الهجوع إذا أهل القرية أهل سدوم قد أحاطوا بالباب من الشبان إلى المشايخ جميع الشعب بأسره ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) فى ظ : بشد (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتعظيم (٥) زيد بعده فى ظ : ببعيد .

فدعوا بلوط و قالوا له : أين الرجلان اللذان أتياك بمسين[1] أخرجهما إلينا فنعرفهما - و فى نسخة : حتى نواقعهما - فخرج لوط إليهم و أغلق الباب خلفه ، فقال لهم لوط : لا تسيئوا بى يا إخوة ! هذا لى بنتان لم يمسهما رجل ، أخرجهما إليكم فاصنعوا بها ما حسن فى أعينكم ، و لا ترتكبوا من هذين الرجلين شيئا لأنهما ولجا ظلال بيتى ، فقالوا له : تنح عنا ، إن واحدا أتى ليسكن بيتنا فصار يحكم فينا[2] ، فالآن نسىء إليك أكثر منهما ، فجاهد لوط القوم جدا فدنوا ليكسروا الباب فمد الرجلان أيديهما فأدخلا لوطا إليهما إلى منزله ، ثم إن القوم الذين كانوا بالباب ضربوا بالعشى من كبيرهم حتى صغيرهم فأعيوا فى طلب الباب ، فقال الملكان للوط : ما تصنع ههنا ؟ اعمد إلى أختانك و بنيك و بناتك و جميع ما لك فى هذه القرية فأخرجهم من هذه البلدة [3]لأنا نريد الخسف بالبلدة[3] لأن فعالهم و خبث صنيعهم قد بلغ الرب ، فأرسلنا الرب لنفسدها . فخرج لوط و كلم أختانه و أزواج بناته و قال لهم : قوموا فاخرجوا من هذه القرية فان الرب مزمع لخرابها ، و كان عند أختانه كالمستهزئ بهم ، فلما كان عند طلوع الصبح[4] ألح الملكان على لوط و قالا له : قم فأخرج امرأتك و ابنتيك اللتين معك لكيلا[5] تبتلى بخطايا أهل هذه[6] القرية ، فأبطأ لوط فأخذ الملكان بيده و بيد امرأته و ابنتيه[7] لأن الله رحمه فأخرجاه و صيراه خارجا عن القرية . فلما أخرجاهم خارجا

(١) من ظ ومد ، و فى الأصل : ممسين (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : بيتنا.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى مد : الشمس (٥) فى ظ : لئلا .
(٦) سقط من ظ (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : ابنته.

قالا له : انج بنفسك و لا تلتفتن إلى خلفك و لا تقف[1] فى شىء من جميع القاع ، و التجئ إلى الجبل و خلص نفسك ، فقال لهما لوط : أطلب إليكما يا سيدى أن أظفر الآن لأن[2] عبدكما [3]برحمة و رأفة[3] و كثرت[4] نعماكما إلىّ لتحيي[5] نفسى ، لست أقدر أن أنجو إلى الجبل ، لعل الشر يرهقنى فأموت ، و هذه القرية هى قريبة للهرب إليها و هى صغيرة . أتأذنان لى بالهرب إليها لأنها حقيرة ، فلتحيا نفسى ، فقال له : قد شفعتك فى هذا[6] أيضا فلا أقلب / هذه القرية التى سألت ، أسرع فنج نفسك إلى هناك ، لأنا لسنا نقدر أن نعمل شيئا حتى تدخلها ، و لذلك سميت تلك القرية صاغار - و فى نسخة : زغر - فشرقت الشمس على الأرض و قد دخل لوط صاغار ، و فى نسخة : زغر - فأهبط الرب على سدوم و عامورا نارا و كبريتا من بين يدى الرب [7]من السماء[7] فقلب[8] هذه القرى و القاع[9] بأسره ، و أهلك جميع سكانها و جميع من فيها و جميع نبت الأرض ، فالتفتت امرأته إلى خلفها لتنظر فصارت[10] نصبة ملح ، فأدلج إبراهيم باكرا إلى الموضع الذى كان يقف فيه بين يدى[2] الرب ؛ فمد بصره نحو سدوم و عامورا و إلى جميع أرض القاع فنظر فاذا دخان القرية يرتفع كدخان الأخدود ، فلما خسف الله قرى القاع ذكر الله إبراهيم فأرسل لوطا من المأفوكة إذ قلب الله القرى التى كان[2] ينزلها لوط فطلع [لوط -[11]] من

/ ٦٦٣

(١) فى ظ : لا تفت (٢) سقط من ظ (٣-٣) فى ظ : برافة و رحمة (٤) من مد ، و فى الأصل : كثر ، وفى ظ : كثرته (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتنجى .
(٦) فى ظ و مد : هذه (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : فقلت .
(٩) فى ظ : القلوع (١٠) فى ظ : فصار (١١) زيد من ظ و مد .

صاغار - و فى نسخة : زغر - فسكن الجبل هو و [1]ابنتاه معه لأنه[1] تخوف أن يسكن صاغار ، فجلس فى مغارة[2] .

و لما انتهت القصة معلمة بما قام به لوط عليه السلام من أمر الله غير وانٍ فيه لرغبة و لا رهبة و بما فى إنزال الملائكة من الخطر ، أتبعت أقرب القصص الشهيرة إليها فى الزمن فقال تعالى : ﴿ و الى ﴾ أى و لقد أرسلنا إلى ﴿مدين﴾ و هم قبيلة أبيهم[3] مدين بن إبراهيم عليه السلام ﴿اخاهم شعيبا[4] ﴾ فكأن [4]قائلا قال : ما قال لهم[4] ؟ فقيل : ﴿قال﴾ ما قال إخوانه من[5] الأنبياء [6]فى البداءة[6] بأصل الدين : ﴿ يٰقوم ﴾ مستعطفا لهم مظهرا غاية الشفقة ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الملك الأعلى غير مشركين به شيئا لأنه واحد ﴿ما لكم ﴾ و أغرق فى النفى فقال[7] : ﴿من اله غيره[7] ﴾ فلقد اتفقت - كما ترى - كلمتهم و اتحدت إلى الله وحده دعوتهم ، و هذا وحده قطعى الدلالة على صدق كل منهم[8] لما علم قطعا من تباعد أعصارهم و تنائى ديارهم و أن بعضهم لم يُلمّ[9] بالعلوم و لا عرف أخبار الناس إلا من الحى القيوم ؛ قال الإمام شهاب الدين عمر بن محمد السهروردى فى كتابه "رشف [10]النصائح الإيمانية[10] و كشف الفضائح اليونانية" فى ذكر الأنبياء : اتحدت مصادرهم[11] كأنهم بنيان مرصوص ، عبروا

(١-١) فى ظ : نباته مع لان - كذا (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : مغارها .
(٣) فى ظ : ابراهيم ، وفى مد : ابوهم (٤-٤) فى ظ : وائل فقال ما قالهم - كذا .
(٥) زيد بعده فى ظ : ان (٦-٦) فى ظ : بالبداءة (٧) زيد بعده فى ظ : مالكم .
(٨) فى مد : منهما (٩) فى ظ : لم يلوم (١٠-١٠) فى ظ : المصابيح الابالينت - كذا .
(١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : مصارهم .

بألسنة مختلفة تنتهى إلى بحر متصل بالقلوب متحد بها يستمد من البحر المحيط بعالمى الشهادة و الغيب ، و اختلف الموارد من الشرائع بحسب ما اقتضت الحكمة الإلهية من مصلحة أهل كل زمان[1] وكل ملة ، فما ضر اختلافهم فى الفروع مع اتحادهم فى الأصول ، و قال قبل ذلك : إن الفلاسفة لما لم يغترفوا من بحار الأنبياء وقفت بهم أفراس أفكارهم فى عالم الشهادة ، فلما حاولوا الخوض فى الإلهيات انكشفت عورة جهلهم و افتضحوا باضطرابهم[2] و اختلافهم " تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى " انقطع بهم سير الفكر فى منتهى[1] عالم الملك و الشهادة ، و لم يدخل إسكندر نظرهم ظلمات عالم الغيوب حتى يظفروا[3] بعين الحياة التى من شرب منها لا يموت - انتهى .

و لما دعا إلى العدل فيما بينهم و بين الله ، دعاهم إلى العدل فيما بينهم و بين عبيده فى أقبح ما كانوا قد اتخذوه بعد الشرك ديدنا[4] فقال : ﴿ و لا تنقصوا ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ المكيال و الميزان ﴾ لا الكيل ولا [5]آلته و لا الوزن و لا آلته[5] ؛ و الكيل : تعديل الشىء بالآلة فى القلة و الكثرة ؛ و الوزن : تعديله فى الخفة و الثقل ، فالكيل للعدل فى [6]الكمية و الوزن للعدل فى[6] الكيفية ؛ ثم علل ذلك بقوله - : ﴿ انى اراكم بخير ﴾ أى بسعة تغنيكم عن البخس - مرهبا و مرغبا بالإشارة

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : باضرابهم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : نظروا.
(٤) فى مد : دينا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد .

إلى أن الكفر موجب للنقمة كما أن الشكر موجب للنعمة .

٦٦٤ / و لما كان كأنه / قيل : فانى أخاف عليكم الفقر بالنقص ، عطف عليه مؤكدا لإنكارهم : ﴿ و انىّ اخاف عليكم ﴾ به و بالشرك ﴿ عذاب يوم محيط ٥ ﴾ بكم صغارا وكبارا و بأموالكم طيبا و خبيثا ، أى مهلك كقوله[1] " و احيط بثمره[2] " و أصله من إحاطة العدو ، و وصف اليوم بالإحاطة أبلغ[3] لأنه محيط بما فيه من عذاب و غيره ، و العذاب محيط بالمعذب فذكر المحيط [بالمحيط - [4]] أهول ، و هو الدائر بالشيء من كل جانب ، و ذاك يكون بالتقاء طرفيه ؛ و النقصان : أخذ شيء من المقدار كما أن الزيادة ضم شيء إليه ، وكلاهما خروج عن[5] المقدار ؛ [6]و الوزن : تعديل الشيء بالميزان ، كما أن الكيل تعديله بالمكيال[6]، و من الإحاطة ما رواه ابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لم ينقص قوم المكيال و الميزان إلا أخذوا بالسنين و شدة المؤنة و جور السلطان عليهم ، و لم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، و لو لا البهائم لم يمطروا .

و لما كان عدم النقص قد يفهم منه التقريب ، اتبعه بما[7] ينفى هذا الاحتمال و للتنبيه على أنه [لا - [4]] يكفى الكف عن تعمد التطفيف ، بل يلزم السعى فى الإيفاء و لو بزيادة لا يتأتى بدونها ، و لأن التصريح

(١) فى ظ : لقوله (٢) راجع سورة ١٨ آية ٤٢ (٣) سقط من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : على (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) فى ظ و مد : ما .

بالأمر بالشيء بعد النهى عن ضده أوكد ، فقال مستعطفا لهم بالتذكير بأنه منهم يسوءه ما يسوءهم و بأنهم لما أعطاهم الله من القوة جديرون بأن يعرضوا عن تعاطى سفساف الأخلاق و رذائلها : ﴿ و يٰقوم ﴾ أى أيها[1] الذين لهم قوة فى القيام فيما ينوبهم ﴿ اوفوا ﴾ أى أتموا إتماما حسنا ﴿المكيال و الميزان﴾ [أى-[2]] ، [3]المكيل و الموزون[3] و آلتهما ؛ و أكده ٥ بقوله : ﴿بالقسط﴾ أى العدل السوى ، فصار الوفاء مأمورا به فى هاتين الجملتين مرارا تأكيدا له و حرصا عليه و إظهارا لعموم نفعه و شمول بركته ، فزال بالمجموع توهم المجاز على أبلغ وجه ، و قد مضى فى الأنعام و يأتى فى هذه السورة[1] عند "غير منقوص" أن الشيء يطلق مجازا على ما قاربه ؛ ثم أكده أيضا بتعميم النهى عن كل نقص بذلك و غيره فى ١٠ جميع الأموال[4] فقال : ﴿ ولا تبخسوا ﴾ أى تنقصوا [على وجه الجحد و الإهانة - [2]] ﴿ الناس اشيآءهم ﴾ ثم بين أن أفعالهم ثمرة الهجوم[5] عن غير فكر لأنها ليست ناشئة عن شرع فأولها سفه و آخرها فساد فقال : ﴿ و لا تعثوا فى الارض ﴾ أى تتصرفوا و تضطربوا فيها عن غير بصيرة و لا تأمل حال كونكم ﴿ مفسدين ﴾ أى فاعلين ما يكون ١٥ فسادا فى المعنى كما كان فسادا فى الصورة ، فهو دعاء إلى تقديم التأمل و التروى على كل فعل [و ذلك -[2]] لأن مادة "عثى" بكل ترتيب دائرة على الطلب عن غير[6] بصيرة ، من العيث - للأرض السهلة ، فانها لسهولتها

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : الكيل و الوزن (٤) فى ظ : الامور (٥) فى ظ : اللحوم (٦) فى ظ : كل .

يغتر بها فسيلكها الغبى بلا دليل فيأتى الخفاء و الجهل ، و منه التعييث - لطلب الأعمى الشىء ؛ و الأعثى : الأحمق الثقيل ، و لون إلى السواد ، و الكثير الشعر ، و يلزم ذلك اتباع الهوى فيأتى الإفساد و المسارعة فيه ، و ذلك هو معنى العثى ؛ قال أئمة اللغة : عثى و عاث : أفسد ، و فى ٥ مختصر العين للزبيدى : عثى فى الأرض بمعنى عاث يعيث عيثا ، و هو الإسراع فى الفساد ، فالمعنى على ما قال الجمهور : و لا تفعلوا الفساد عمدا و هو واضح ، [1]و على ما قدّرته من أصل المعنى الذى هو المدار أوضح[1]. و على ما قال الزبيدى : و لا تسرعوا فيه ، فلا يظن أنه يكون الإسراع حينئذ قيدا حتى ينصب النهى إليه ، بل هو إشارة إلى أنه لا يكون ١٠ [2]الإقدام بلا[2] تأمل إلا كذلك لملاءمته للشهوة - و الله أعلم ؛ و الوفاء : تمام الحق ؛ و البخس : النقص ، فهو أخص من الظلم لأنه وضع الشىء فى غير موضعه .

/ ٦٦٥ و لما كان نظرهم / بعد الشرك مقصورا على الأموال ، و كان نهيه عما نهى عنه موجبا لحقها[3] فى زعمهم ، كانوا كأنهم قالوا : [4]إنا إذا[4] اتبعناك ١٥ فيما قلت فنيت أموالنا أو قلت فتضعضعت أحوالنا ، فلا يبقى لنا شىء ؟ فقال : ﴿ بقيت الله ﴾ أى فضل الملك الأعلى [5]المستجمع لصفات[5] الكمال ، و بركته فى أموالكم و جميع أحوالكم و إبقاءه عليكم و نظره إليكم الموجب

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : للاقدام بل ، و فى ظ : اقدام بل - كذا (٣) فى ظ : لحقها (٤ - ٤) من مد ، و فى الأصل : اذا انا ، و فى ظ : انا (٥-٥) فى ظ : المحيط لصفات ، و فى مد : المحيط بصفات .

لعفوه الذى هو[1] ثمرة اتباع أمره ﴿ خير لكم ﴾ مما تظنونه زيادة بالنقص و الظلم ، و ذلك أن بقية الشيء ما فضل منه ، و تكون[2] أيضا بمعنى البقيا[3] ، من أبقى عليه يبقى إبقاء ، و استبقيت فلانا - إذا عفوت عن ذنبه ، كأن ذلك الذنب أوجب فناء وده أوفناه عندك ، فاذا استبقيته فقد تركت ما كان وجب ، و يقولون : أراك تبقى هذا ببصرك - إذا كان ينظر إليه - قاله الإمام أبو عبد الله القزاز فى ديوانه الجامع ، و سيأتى فى آخر السورة بيان ما تدور عليه المادة .

و لما كانت[4] خيرية ما يبقيه العدل من الظهور بمحل لا يخفى على ذى لب ، تركها و بين شرطها بقوله : ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ مؤمنين[4] ﴾ أى راسخين فى الإيمان إشارة إلى أن خيريتها[5] لغير المؤمن مبنية على غير أساس ، فهى غير مجدية[6] إلا فى الدنيا ، فهى عدم لسرعة الزوال و النزوح عنها و الارتحال ، و دلت الواو العاطفة على غير مذكور أن المعنى : فآمنوا فاعلين ما أمرتكم به لتظفروا بالخير فانما أنا نذير ﴿ و ما انا ﴾ و قدم ما يتوهمونه من قصده للاستعلاء نافيا[7] له فقال : ﴿ عليكم ﴾ و أعرق فى النفى فقال : ﴿ بحفيظ ۝ ﴾ أعلم جميع أعمالكم [و أحوالكم -[8]] و أقدر على كفكم عما يكون منها[9] فسادا ؛ [10]و أصل البقية ترك شيء من شيء قد مضى[10] .

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : يكون (٣) فى ظ : البقايا (٤) فى ظ : كان (٥) من ظ و مد : و فى الأصل : خيرتها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : محرية (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالنا - كذا (٨) زيد من مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهما (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

و لما كان حاصل ما دعاهم إليه[1] ترك ما كان عليه آباؤهم من السفه في حق الخالق بالشرك و الخلائق بالخيانة ، و كان ذلك الترك[2] عندهم قطيعة و سفها ، كان ذلك محكا[3] للعقول و محزا للآراء يعرف به نافذها من جامدها ، فكان كأنه قيل : ما قالوا ؟ فقيل : ﴿قالوا يٰشعيب﴾ سموه باسمه جفاء و غلظة و أنكروا عليه مستهزئين بصلاته ﴿اصلوٰتك تامرك﴾ أي تفعل معك فعل [من - ٤] كان[5] يأمر دائما بتكليفنا ﴿ان نترك ما يعبد﴾ أي على سبيل المواظبة ﴿اٰبآؤنا او﴾ نترك ﴿ان نفعل﴾ أي دائما ﴿في اموالنا ما نشٰٓؤُا﴾ من قطع الدرهم و الدينار و إفساد المعاملة و المقامرة و نحوها مما يكون[6] إفسادا للمال[6] ، يعنون أن ما تأمرنا به لا يمشي على منهاج العقل . فما يأمرك به إلا ما نراك تفعله من هذا الشيء[7] الذي تسميه صلاة ، أي أنه من وادي : فعلك للصلاة[7] ؛ و مادة صلا - واوية و يائية مهموزة [8] و غير مهموزة بجميع تقاليبها[8] - تدور على الوصلة ، فالصلاة لصلة العبد بربه ، و كذا الدعاء و الاستغفار ، و صلوات اليهود : كنائسهم اللاتي تجمعهم ، و الصلا : وسط الظهر و مجمعه و ما حول الذنب أيضا ، و المصلي من الخيل : التابع للسابق ، وصال الفحل - إذا حمل على العانة ، و لصوت الرجل و لصيته : عبته ، كأنك ألصقت به العيب ، و الواصلة[9] واضحة في ذلك ، و كأنها الحقيقة التي تفرعت منها جميع معاني المادة ، و سيأتي[10] شرح ذلك عند قوله تعالى " بالغدو و الآصال[11] "

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : الشرك (٣) في ظ : محكما .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ و مد (٦-٦) من ظ و مد ، و في الأصل : افاد الكمال (٧) سقط من ظ (٨-٨) في ظ : بتقاليبها (٩) في مد : الوصلة (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : لياتي (١١) آية ١٥ .

فى سورة الرعد إن شاء الله تعالى، فمعنى الآية حينئذ: أما تعانيه من الصلوات[1]: الحقيقية ذات الأركان، و المعنوية من الدعاء و الاستغفار و جميع أفعال البر الحاملة على أنواع الوصل الناهية عن كل قطيعة تأمرك [2]بمجاهرتنا لآبائنا بالقطيعة[2] مع تقدير حضورهم و مشاهدتهم لما نفعل[3] مما يخالف أغراضهم و بترك التنمية لأموالنا بالنقص و هو مع مخالفة ٥ أفعال[4] الآباء تبذير فهو سفه - فدارت شبهتهم فى الأمرين على تقليد الآباء و تنزيههم عن الغلط لاحتمال أن يكون لأفعالهم / وجه من الصواب ٦٦٦ / خفى عنهم، و زادت فى الأموال بظن التبذير - فقد صرت بدعائنا إلى كل من الأمرين حينئذ داعيا إلى ضد ما أنت متلبس به ﴿ انك ﴾ إذا ﴿ لانت ﴾ وحدك ﴿ الحليم ﴾ فى رضاك بما يغضب[5] منه ذوو[6] الأرحام ١٠ ﴿ الرشيد ﴾ فى تضييع الأموال، يريدون بهذا - [كما -[7]] زعموا - سلخه من كل ما هو متصف به دونهم من هاتين الصفتين الفائقتين[8] بما خيل إليهم سفههم أنه دليل عليه قاطع، و عنوا بذلك نسبته إلى السفه و الغى على طريق التهكم.

و لما اتهموه بالقطيعة و السفه، شرع[9] فى إبطال ما قالوا و نفى ١٥ التهمة فيه، و أخرج مخرج الجواب لمن كأنه قال: ما أجابهم به؟ فقيل:

---

(١) فى ظ: الصلاة (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بمجاهرة آبائنا لقطيعة.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يفعل (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: تغضب.
(٦) فى الأصل: وذو، وفى ظ و مد: ذو (٧) زيد لاستقامة العبارة (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الغائبتين (٩) فى ظ: شرعوا.

﴿ قال يقوم ﴾ مستعطفا لهم بما بينهم من عواطف القرابة منبها لهم على حسن النظر فيما ساقه على سبيل الفرض و التقدير ليكون أدعى إلى الوفاق و الإنصاف ﴿ ارءيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان كنت ﴾ أى كونا هو فى غاية الثبات ﴿ على بينة ﴾ أى برهان ﴿ من ربى ﴾ الذى أحسن ٥ إلىّ بما هو إحسان إليكم، و عطف على جملة الشرط المستفهم عنه قوله ﴿ و ﴾ قد ﴿ رزقنى ﴾ و عظم الرزق بقوله : ﴿ منه رزقا حسنا ﴾ جليلا و مالا جما حلالا لم أظلم فيه أحدا، و الجواب محذوف لتذهب النفس فيه كل مذهب، و يمكن أن يقال فيه : هل يسع عاقلا أن ينسبنى إلى السفه بتبذير المال بترك الظلم، أو يسعنى أن أحلم عمن عبد غيره و أترك ١٠ دعاءكم إلى الله، فقد بان بهذا أنى ما أمرتكم بما يسوءكم من ترك ما ألفتم و تعرضت لغضبكم كلكم، و تركت مثل أفعالكم إلا خوفا من غضبه و رجاء لرضاه، فظهر أن لا تهمة فى شىء من أمرى و لا خطأ، ما فعلت قط ما نهيتكم عنه فيما مضى ﴿ و ما اريد ﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿ ان اخالفكم ﴾ أى [بأن - ٢] أذهب وحدى ﴿ الى ما انهكم عنه ﴾ ١٥ فى المستقبل، و ما نقص مال بترك مثل أفعالكم، فهو إرشاد إلى النظر فى باب :

لا تنه عن خلق و تأتى بمثله عار عليك إذا فعلت عظيم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهيت عنه فأنت حكيم

(١) زيدت الواو من ظ و مد و القرآن الكريم (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد.

[و قد نبهت هذه الأجوبة الثلاثة[1] على أن العاقل يجب أن يراعى فى كل ما يأتى و يذر أحد حقوق ثلاثة أهمها و أعلاها حق الله و ثانيها حق النفس و ثالثها حق العباد على وجه الإخلاص فى الكل -[2]] فثبت[3] ببعده عن التهمة مع سداد الأفعال و حسن المقاصد - حلمه صلى الله عليه و سلم و رشده، فلذلك اتبعه بما[4] تضمن معناه مصرحا به فقال: ﴿ان﴾ أى ما ٥ ﴿اريد﴾ أى شيئا من الأشياء ﴿الا الاصلاح﴾ و أقر بالعجز فقال: ﴿ما استطعت[5]﴾ أى مدة استطاعتى للاصلاح و هو كما أردت فان مالى - مع اجتنابى ما أنتم عليه - صالح، ليس بدون مال أحد منكم، فعلم، مشاهدة أن لا تبذير فى العدل، و أما التوحيد[6] فهو - مع انتفاء التهمة عنى[7] فيه - دعاء إلى القادر على كل شىء الذى لا خير إلا منه و لا محيص عن الرجوع ١٠ إليه؛ ثم تبرأ من الحول و القوة، و أسند الأمر إلى من هو له فقال: ﴿و ما توفيقى﴾ أى فيما استطعت من فعل الإصلاح ﴿الا بالله[8]﴾ أى الذى له الكمال كله؛ ثم بين أنه الأهل لأن يرجى ففال مشيرا إلى محض التوحيد الذى هو أقصى مراتب العلم بالمبدإ ﴿عليه﴾ أى وحده ﴿توكلت﴾ و لما طلب[9] التوفيق لإصابة الحق فيما يأتى و يذر من[8] الله و الاستعانة ١٥ به[9] فى مجامع أمره و أقبل عليه بكليته و حسم أطماع الكفار عنه و أظهر الفراغ عنهم و عدم المبالاة بهم، و كان فى قوله "ما استطعت"

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) فى ظ و مد: فثبتت (٤) فى ظ و مد: ما (٥) فى ظ: التوجيه (٦) من مد، وفى الأصل وظ: عن (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: علب (٨) فى ظ: فى (٩) سقط من مد.

إقرار بأنه محل التقصير ، أخبر بأنه لا يزال يجدد التوبة لعظم الأمر ، و عبر عن ذلك بعبارة صالحة للتحذير من يوم البعث تهديدا لهم فقال منبها على معرفة المعاد ليكمل الإيمان بالله و اليوم الآخر : ﴿ و اليه ﴾ أى خاصة ﴿ انيب ٥ ﴾ أى أرجع معنى سبق[1] للتوبة و حسا تيقنى[2] بالبعث بعد الموت ؛ و التوفيق : خلق قدرة ما هو وفق الأمر من الطاعة ، من الموافقة للطابقة ؛ و التوكل على الله : تفويض الأمر إليه على الرضاء بتدبيره مع التمسك بطاعته[3] .

/ ٦٦٧ و لما بين لهم عذره بما انتفت به[4] تهمته[5] ، / اتبعه بما يدلهم[4] على أن الحق وضح لهم وضوحا لم يبق معه إلا المعاندة ، فحذرهم عواقبها و ذكرهم أمر من ارتكبها فقال : ﴿ و يقوم ﴾ و أعز الناس علىّ ﴿ لا يجرمنكم ﴾ أى يحملنكم ﴿ شقاقى ﴾ [أى - ٦] شقاقكم لى على ﴿ ان يصيبكم ﴾ من العذاب ﴿ مثل ما ﴾ [أى العذاب الذى - ٦] ﴿ اصاب قوم نوح ﴾ بعد طول أعمارهم و تنائى أقطارهم ﴿ او[7] قوم هود ﴾ على شدة أبدانهم و تمادى أمانهم ﴿ او[7] قوم صلح[1] ﴾ مع نحتهم البيوت من الصخور و تشييدهم عوالى القصور .

و لما كان للقاربة[8] أثر فى المشاكلة و المناسبة ، غير الأسلوب تعظيما للتهويل فقال : ﴿ و ما قوم لوط ﴾ [أى - ٦] على قبح أعمالهم و سوء

(١) فى ظ : يبقى (٢) فى ظ : بنفسى (٣) فى ظ : بطاعتك (٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : التهمة (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل « و » (٨) فى ظ : للقارئة .

حالهم و قوة أخذهم و وبالهم ﴿ منكم ببعيد ﴾ [أى - [1]] لا فى الزمان و لا فى المكان فأتم أجدر الناس بذكر حالهم للاتعاظ بها ، و إنما فسرت جرم بحمل لأن ابن القطاع نقل أنه يقال : جرمت الرجل : حملته على الشيء ، و قد عزا الرمانى تفسيرها بذلك للحسن و قتادة ، و يجوز أن تفسر بما تدور[2] عليه المادة من القطع ، أى لا يقطعنكم شقاقى عن[3] اتباع[4] ما أدعوكم إليه خوف أن يصيبكم ، و قد جوزه الرمانى .

و لما رهبهم ، أتبعه الترغيب فى سياق مؤذن بأنهم إن[5] لم يبادروا إلى المتاب بادرهم العذاب ، بقوله عاطفا لهذا الأمر على ذلك النهى المتقدم : ﴿ و استغفروا ربكم ﴾ أى اطلبوا ستر المحسن إليكم ، و نبه على مقدار التوبة بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم توبوا اليه [1] ﴾ ثم علل ذلك مرغبا فى الإقبال عليه بقوله : ﴿ ان ربى ﴾ أى المختص لى[5] بما ترون من الإحسان دينا و دنيا ﴿ رحيم ودود ﴾ أى بليغ الإكرام لمن يرجع إليه بأن يحفظه على ما يرضاه بابلغ التحبب إليه ، و لم يبدأه بالاستعطاف على عادته بقوله[6]: يا قوم، إشارة إلى أنه لم يبق لى وقت آمن فيه وقوع العذاب حتى أشتغل فيه بالاستعطاف ، فربما كان الأمر أعجل من ذلك ، فاطلبوا مغفرته بأن تجعلوها غرضكم ثم توصلوا إليها بالتوبة ؛ فثم على بابها فى الترتيب ، و أما التراخى فباعتبار عظم[7] مقدار التوبة و علو رتبتها

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : يدل ، و فى مد : تدل (٣) فى ظ : عند .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اتباعى (٥) سقط من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظيم .

لأن الغفران لا يحصل بالطلب إلا إن اقترن بها ، هذا الشأن فى كل كبيرة من أنها لا يكفر إلا بالتوبة ، و ذلك لأن الطاعة المفعولة بعدها يكون[1] مثلها كبيرة [2]فى جنس الطاعات[2] [كما أن تلك كبيرة فى جنس المعاصى فلا تقوى الطاعة على محوها و تكرر - [3]] الطاعات يقابله تكرر المعاصى بالإصرار الذى هو بمنزلة تكرير المعصية فى كل حال ، فلما رأوه لا ينزع عنهم و لم يقدروا لكلامه على جواب ، أيأسوه من الرجوع إليه بأن أنزلوا أنفسهم عنادا فى الفهم لهذا الكلام الواضح [4]جدا إلى[4] عداد البهائم ، و هددوه فأخبر تعالى عنهم [بذلك - [3]] استئنافا فى جواب من يقول : ما قالوا بعد هذا الدعاء الحسن ؟ بقوله : ﴿ قالوا يٰشعيب ﴾ منادين له باسمه جفاء و غلظة ﴿ ما نفقه ﴾ أى الآن لأن ' ما ' تخص[5] بالحال ﴿ كثيرا مما تقول ﴾ و إذا لم يفهم الكثير من الكلام لم يفهم مقصوده ، يعنون : خفض عليك و اترك كلامك فانا لا نفهمه تهاونا [به - [3]] كما يقول الإنسان لخصمه إذا نسبه إلى الهذيان : أنا لا أدرى ما تقول ، و لما كان غرضهم مع العناد قطع الأمر ، خصوا عدم الفهم بالكثير ليكون أقرب إلى امكان ، و كأنهم - و الله أعلم - أشاروا إلى أنه كلام غير منتظم فلا حاصل له و لا لمضمونه وجود فى الخارج .

ولما كان فى ذلك إشارة إلى أنه ضعيف العقل لأن كلامه مثل كلام المجانين ،

---

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : تكون (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لجنسها لطاعة رب - كذا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : تختص .

أتبعوه

أتبعوه قولهم[1] : ﴿ و انا لنراك ﴾ أى رؤية مجددة مستمرة ﴿فينا ضعيفا ج ﴾ أى فى البدن و غيره ، فلا تتعرض لسخطنا فانك لا تقدر على الامتناع من مكروه نحله بك بقوة عقل و لا جسم و لا عشيرة ، و أشاروا الى ضعف العشيرة بتعبيرهم بالرهط فى قولهم[1] : ﴿ و لو لا رهطك لرجمناك ج ﴾ أى قتلناك شر قتلة - فان الرهط من ثلاثة إلى عشرة و أكثر ما قيل : إن ٥ نخذه أربعون - فما أنت علينا بممتنع لضعفك / و قلة قومك ﴿ و ما أنت ﴾ ٦٦٨ / أى خاصة ، لأن ' ما ' لنفى الحال اختصاص بالزمان ، و القياس أن يكون مدخولها فعلا أو شبهه ، و حيث أوليت الاسم لا سيما الضمير دل على أن التقديم للاهتمام و الاختصاص ﴿ علينا بعزيز ﴾ بكريم مودود ، تقول : أعززت فلا نا - إذا كان له عندك ود ، بل قومك هم الأعزة ١٠ عندنا لموافقتهم لنا ، و لو كان المراد : ما عززت علينا ، لكان الجواب : لم لا أعز و قد شرفنى الله - أو نحو هذا ، و يصح أن يراد بالعزيز القوى الممتنع ' و يصير إفهامه لامتناع رهطه محمولا على أن المانع لهم موافقتهم لهم لا قوتهم ؛ و الفقه : فهم الكلام على ما تضمن من المعنى ، و قد صار اسما لضرب من علوم الدين ، و أصل الرهط : الشدة ، من الترهيط ١٥ لشدة الأكل ، و منه الراهطاء : جحر اليربوع لشدته و توثقه ليخبأ فيه ولده .

و لما كان تخصيصهم نفى العزة به يفهم أن رهطه عليهم أعزة ، أنكر عليهم ذلك فى سياق مهدد لهم فقال تعالى حاكيا عنه استئنافا : ﴿ قال ﴾

(١) فى ظ : قوله .

أى شعيب ﴿ يٰقوم ﴾ و[1] لم يخل[1] الأمر من جذب و استعطاف بذكر الرحم العاطفة ﴿ ارهطى ﴾ أى أقاربى الأقربون منكم ﴿ اعز عليكم من الله[2] ﴾ أى المحيط بكل شىء [2]علما و قدرة[2] حتى نظرتم إليهم[3] فىّ لقرابتى منهم و لم تنظروا إلى الله فى قربى منه بما ظهر علىّ من كرامته ﴿ و اتخذتموه ﴾ أى [بما - [4]] كلفتم به أنفسكم مما[5] هو خلاف الفطرة الأولى ﴿ ورآءكم ﴾ أى أعرضتم عنه إعراض من جعل الشىء وراءه ؛ و حقق معنى الوراء بقوله : ﴿ ظهريا[1] ﴾ أى جعلتموه كالشىء الغائب عنكم المنسى عندكم الذى لا يعبأ به، و لم تراقبوه فىّ لنسبتى إليه بالرسالة و العبودية .

و لما كان معنى الكلام لأجل الإنكار : إنكم عكستم فى الفعل فلم تعرفوا الحق لأهله إذ كان ينبغى لكم أن لا تنسوا الله بل تراقبوه فى كل أموركم، حسن تعليل هذا المفهوم بقوله : ﴿ ان ربى ﴾ أى المحسن إلىّ ؛ و لما كان المراد المبالغة[6] فى إحاطة علمه تعالى بأعمالهم قدم قوله : ﴿ بما تعملون محيط ۝ ﴾ من جليل و حقير ، فهو مقتدر فى كل فعل من أفعالكم على إنفاذه و إبطاله ، فهو محيط بكم لا يرده عن نصرتى منكم و الإيقاع بكم مراعاة أحد لعزة و لا قوة ، بل لكم عنده أجل هو مؤخركم إليه لأنه لا يخشى الفوت[7] ؛ و الا تخاذ : أخذ الشى لأمر يستمر فى المستأنف كاتخاذ[8] البيت ؛ و المحيط : المدير على الشىء كالحائط يحصره بحيث

(١-١) فى ظ : لمن نحل (٢-٢) فى ظ و مد : قدرة و علما (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : اليه (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : بما (٦) فى مد : بالمبالغة . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : القوة ـ كذا (٨) فى ظ : لاتحاد .

لا يفوته منه شيء .

و لما ختم الآية بتهديدهم[1] بما بين أن تهديدهم له عدم لا يبالى به ، أتبعه ما يصدقه من أنه ليس بتارك شيئا من عمله لشيء مما جبلوا به ، و زاد فى التهديد فقال : ﴿ و يٰقوم اعملوا ﴾ أى أوقعوا العمل لكل ما تريدون قارين مستعلين ﴿ على مكانتكم ﴾ أى حالكم الذى تتمكنون به من العمل ﴿ انى عامل[1] ﴾ على ما صار لى مكانة ، أى حالا أتمكن به من العمل لا أنفك عنه ما أنا عامل من تحذيرى لمن كفر و تبشيرى لمن آمن و قيامى بكل ما أوجب[2] علىّ الملك غير هائب لكم و لا خائف منكم و لا طامع فى مؤالفتكم و لا معتمد على[3] سواه .

و لما كانت ملازمتهم لأعمالهم سببا لوقوع العذاب المتوعد به [و -[4]] وقوعه سببا للعلم بمن يخزى لمن[5] يعلم أىّ هذين الأمرين يراد[6] ، ذكره بعد هذا التهديد فحسن حذف الفاء من قوله : ﴿ سوف تعلمون[7] ﴾ أى بوعد لا خلف فيه و إن تأخر زمانه ، و سوقه مساق الجواب لمن كأنه قال : ما المراد بهذا الأمر بالعمل المبالغ قبل فى النهى عنه ؟ و قد تقدم فى قصة نوح عليه السلام ما يوضحه . و أحسن منه أنهم لما قالوا " ما نفقه كثيرا مما تقول " كذبهم - فى إخراج الكلام على تقدير سؤال من هو منصب الفكر كله إلى كلامه - قائل : ما ذا يكون إذا عملنا و عملت ؟ فهذا وصل خفى مشير إلى تقدير السؤال و لو ذكر الفاء لكان

(١) فى ظ : بتهديد (٢) فى ظ : اوجبه (٣) زيد بعده فى ظ : ما (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لم (٦) زيد بعده فى ظ : ان (٧) فى ظ : يعلمون .

وصلا ظاهرا ، [و قد ظهر الفرق بين كلام الله العالم بالأسباب و ما يتصل بها من المسببات المأمور بها أشرف خلقه صلى الله عليه و سلم فى سورة الأنعام و الزمر و الكلام المحكى عن نبيه شعيب عليه السلام فى هذه السورة -[1]] ﴿من﴾ أى أينا أو الذى ﴿ ياتيه عذاب يخزيه ﴾ و لما كان من مضمون قولهم "ما نفقه كثيرا مما تقول" النسبة إلى الكذب لأنه التكلم[2] بما ليس له نسبة فى الواقع تطابقه[3]، قال : ﴿ و من هو كاذب[4] ﴾ أى منى و منكم ، فالتقدير إن كانت 'من' موصولة : ستعلمون المخزى بالعذاب و الكذب أنا أو أنتم ، و إن كانت استفهامية : أينا يأتيه عذاب يخزيه و أينا هو كاذب ، فالزموا مكانتكم[4] لا تتقدموا عنها ﴿ و ارتقبوآ ﴾ أى انتظروا ما يكون من عواقبها .

و لما كانوا يكذبونه[5] و ينكرون قوله ، أكد فقال : ﴿ انى معكم رقيب ﴾ لمثل ذلك ، و إنما قدرت هذا المعطوف عليه لفصل الكلام [فى قوله "سوف" و يجوز عطفه على "اعملوا" و جرد و لم يقل : مرتقب ، إشارة إلى أن همه الاجتهاد فى العمل بما أمره الله لأنه مبالغ فى ارتقاب عاقبته معهم استهانة بهم .

و لما كان كأنه قيل : فأخذوا الكلام -[1]] على ظاهره و لم ينتفعوا بصادع وعيده و باهره . فاستمروا على ما هم عليه من القبيح إلى أن جاء أمرنا فى الأجل المضروب له ، قال عاطفا[6] عليه ، و كأن العطف بالواو

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٢) فى ظ : المتكلم (٣) من ظ ومد ، و فى الأصل : بطايفة (٤) فى ظ : مكانكم (٥) فى ظ : يكذبون (٦) فى ظ : عطفا.

لأنه

لأنه[1] لم يتقدم[1] وعيد بوقت معين - كما فى قصتى[2] صالح و لوط عليهما السلام - يتسبب عنه المجىء و يتعقبه: ﴿ و لما جآء امرنا ﴾ أى تعلق إرادتنا بالعذاب ﴿ نجينا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ شعيبا ﴾ أى تنجية عظيمة ﴿ و الذين ا[1]منوا ﴾ كائنين ﴿ معه ﴾ منهم[3] و مما عذبناهم به ، و كان إنجاءنا لهم ﴿ برحمة[4] منا ﴾ و لما ذكر[5] نجاة المؤمنين ، أتبعه هلاك الكافرين فقال: ﴿ و اخذت الذين ظلموا ﴾ ٥ أى أوقعوا الظلم و لم يتوبوا ﴿ الصيحة ﴾ و كأنها كانت دون صيحة ثمود لأنهم كانوا أضعف منهم فلذلك أبرز علامة التأنيث فى هذه دون تلك .

و لما ذكر الصيحة ذكر ما تسبب عنها فقال: ﴿ فاصبحوا ﴾ أى فى الوقت الذى يتوقع الإنسان فيه السرور و كل خير ﴿ فى ديارهم ج[1]ثمين[1] ﴾ ١٠ أى ساقطين لازمين لمكانهم .

و لما كان الجثوم قد لا يكون بالموت ، أوضح المراد بقوله: ﴿ كأن لم يغنوا فيها[1] ﴾ أى لم يقيموا فى ديارهم أغنياء متصرفين مترددين مع الغوانى لاهين بالغناء ؛ و لما كان مضمون ذلك الإبعاد أكده بقوله: ﴿ الا بعدا لمدين ﴾ بعدا مع أنه بمعنى ضد القرب معه هلاك ، فهو من ١٥ بعد - بالكسر ، و أيد ما فهمته من أن أمرهم كان أخف من أمر ثمود بقوله: ﴿ كما بعدت ثمود[6] ﴾ .

و لما كان شعيب ختن موسى عليهما السلام ، كان ذكر قصته هنا

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل: لو تقدم (٢) فى مد: قصة (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: رحمة (٥) من مد ، فى الأصل و ظ: كان .

متوقعا مع ما حرك إلى توقعها من ذكر كتابه أول السورة و ما فى عصى موسى من مناسبة ناقة من ختم بالتشبيه بحالهم ، فذكرها بعدها مفتتحا لها بحرف التوقع فقال مؤكدا تنبيها على أن فرعون فعل فعل قريش فى الإدبار عن الآيات العظيمة و لم يترك موسى عليه السلام شيئا مما أوحى إليه من ٥ إنذاره : ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ أعاد الفعل و أبرزه فى مظهر العظمة إشارة إلى باهر معجزاته ﴿موسى بايٰتنا﴾ أى المعجزات التى أظهرها ﴿و سلطٰن ﴾ أى أمر قاهر للقبط[1] ، و الظاهر أنه حكاية[2] موسى عليه السلام منه على ما كان له من السطوة و التحرق عليه ﴿ مبين ﴾[3] أى بين بنفسه ، و هو فى قوة بيانه كأنه مبين لغيره ما فيه من الأسرار[4] ، و الآية تعم الأمارة[5] ١٠ و الدليل القاطع ، و السلطان يخص القاطع ، و المبين [يخص -[6]] ما فيه جلاء ﴿ الى فرعون ﴾ طاغية القبط ﴿ و ملائه ﴾ أى أشراف قومه الذين تتبعهم الأذناب ، لأن القصد الأكبر رفع أيديهم عن بنى إسرائيل .

و لما كان الناصح لنفسه من لا يتبع أحدا إلا فيما يعلم أنه صواب ، قال معجبا من الملإ مشيرا إلى سرعة[7] تكذيبهم بالبينات و اتباعهم فيما ١٥ ضلاله لا يخفى على من له مسكة : ﴿فاتبعوآ ﴾ أى فتسبب عن هذا الأمر الباهر أن عصى فرعون و حمل ملأه أنفسهم على أن تبعوا لإرادتنا ذلك

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : للغيظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : حماية .
(٣) العبارة من « حكاية موسى » إلى هنا تأخرت فى مد عن « مبين لغيره » .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاشرار (٥) فى ظ : المارة (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : شرعة .

منهم ﴿ امر فرعون ﴾ [أى كل ما يفهمون عنه أنه يهواه و يأمر به -[1]]
و تبعهم السفلة فأطبقوا على المنابذة إلا من شاء الله منهم ﴿ و ما ﴾
أى و الحال أنه ما ﴿ امر فرعون برشيد * ﴾ / أى سديد ، مع أن فى هذا ٢٧٠/
التعقيب بعد ذكر ثمود من التذكير بآيتى الناقة و العصا إشارة إلى القدرة
على البعث المذكور أول السورة الموجب خوفه لكل خير كما أن ذلك ٥
أيضا كان من فوائد تعقيب قصة إبراهيم لقصة صالح عليهما السلام ،
و اقتصر هنا على ذكر فرعون و قومه لأن المقصود من هذه القصص -
كما تقدم - التثبيت فى المكافحة بابلاغ الإنذار و إن اشتدت كراهية
المبلغين و قل المتبع منهم ، و أن لا يترك شىء منه خوف إصرارهم
أو إدبارهم و لا رجاء إقبالهم و كثرة مؤمنيهم ، و هذه حال آل فرعون ، ١٠
و أما بنو إسرايل فانهم لم[2] يتوقفوا إلا خوفا من فرعون فى أول الأمر ،
ثم أطبق كلهم على الاتباع ، ثم صاروا بعد ذلك كل قليل يبدلون[3]
لا كراهية للانذار بل لغير ذلك من الأمور و عجائب المقدور كما بين فى
قصصهم ؛ و الملأ : الأشراف الذين[4] تملأ الصدور هيبتهم[5] عند رؤيتهم ؛
و الاتباع ، طلب الثانى للتصرف[6] بتصرف الأول[7] فى أى جهة أخذ ، ١٥
و قد يكون عن كره بخلاف الطاعة ؛ و الأمر : الإيجاب بصيغة ' افعل '
و هو يتضمن إرادة المأمور به فى الجملة ، و قد لا يراد امتثال عين

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : لا (٣) فى ظ : يتبدلون (٤) فى ظ : الذى (٥) فى ظ : هيئتهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : للتصرف (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاولى .

المأمور ؛ و الرشيد : القائد إلى الخير الهادى إليه ؛ ثم أوضح عدم رشد أمر فرعون بقوله : ﴿ يقدم قومه ﴾ أى الذين كان لهم قوة المدافعة ﴿ يوم القيٰمة ﴾ و يكونون[1] له تبعا كما كانوا فى الدنيا ، و أشار بايراد ما حقه المضارع ماضيا إلى تحقق وقوعه تحقق ما وقع و مضى فقال :

٥ ﴿ فاوردهم النار[2] ﴾ أى كما أوردهم فى الدنيا غطاءها و هو البحر . و لما كان التقدير : فبئس الواردون ، عطف عليه بيان الفعل و المفعول فقال[3] : ﴿ و بئس الورد المورود ۝ ﴾ كما كان البحر إذ وردوه أقبح ورد ورده إنسان ، لأن الورد يراد لتسكين العطش و تبريد الأكباد ، و هذا يفيد[3] ضد ذاك[4] .

و لما كان فرعون موصوفا بعظم الحال و كثرة الجنود و الأموال

١٠ و ضخامة المملكة ، حقر تعالى دنياه بتحقير جميع الدنيا التى هى منها باسقاطها فى الذكر اكتفاء بالإشارة إليها و لم يثبتها كما فى قصة عاد فقال[5] : ﴿ و اتبعوا ﴾ ببنائه للمفعول لأن المنكى الفعل لا كونه من معين ﴿ فى هذه ﴾ أى الحياة الخسيسة ﴿ لعنة ﴾ فهم يلعنون فيها من كل لاعن من المسلمين و غيرهم من أهل الملل[6] فلعنة الله على من حسّن حالهم

١٥ و ارتضى ضلالهم لإضلال العباد من أهل الإلحاد بفتنة الاتحاد ﴿ و يوم القيٰمة[2] ﴾ أيضا يلعنهم اللاعنون ، حتى أهل الاتحاد الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ؛ ثم بين ما يحق أن يقوله سامع ذلك بقوله[7] : ﴿ بئس الرفد المرفود ۝ ﴾ أى التبع المتبوع و العون

---

(١) فى ظ : يكونوا (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يزيد (٤) فى ظ : ذلك (٥) فى ظ : فقالوا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الملك . (٧) سقط من ظ .

المعان، فان اللعنة تابعة لعذابهم فى الدنيا ومتبوعة [باللعنة - [1]] فى الآخرة والعذاب رفد لها وهى رفد له، ومادة "رفد" تدور على التبع، أو يكون المراد أن لعنهم لا يزال مترادفا تابعا بعضه لبعض، فكل لعنة تابعة لشىء من الخزى[2] : عذاب أو لعن، متبوعة بلعنة مضافة إليها، وسمى ذلك رفدا وهو[3] حقيقة العون من باب قولهم : تحية بينهم ضرب وجيع ٥ ومعنى "يقدم[4]" أنه يكون قدامهم [غير - [1]] سائق لهم، بل هم على أثره متلاحقين، فيكون دخولهم إلى النار معا؛ والقيامة : القومة من الموت للحساب؛ والإتباع : طلب الثانى للحاق[5] بالأول كيف تصرف؛ واللعن من الله : الإبعاد من الرحمة بالحكم بذلك، ومن العباد[6] : الدعاء به.

ولما كانت هذه الأخبار على غاية من التحذير[7]، لا يعرفه إلا بالغ ١٠ فى العلم، كان من المعلوم قطعا أنه صلى الله عليه وسلم لم يأت بها إلا من عند الله للعلم المشاهد[8] بأنه لم يعان علما ولا ألم بعالم يوما، هذا [مع - [9]] ما اشتملت عليه من أنواع البلاغة وتضمنته من أنحاء الفصاحة وأومأت / إليه بحسن سياقاتها من صروف الحكم[2] وإفادة تفصيلها من فنون المعارف، / ٦٧١ فلذلك[10] استحقت أن يشار إليها بأداة البعد إيماء إلى بعد المرتبة وعلو الأمر ١٥ فقال تعالى : ﴿ذلك﴾ أى النبأ العظيم والخطب الجسيم ﴿من انباء القرى﴾

(١) زيد من ظ ومد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : هى (٤) فى ظ : تقدم. (٥) من ظ ومد، وفى الأصل : للخفاو - كذا (٦) فى ظ : البعاد (٧) فى ظ : التجوير، وفى مد : التحوير (٨) فى ظ : المتشاهد (٩) زيد من مد (١٠) فى مد : فكذلك.

و أكد هذا المعنى بلفظ النبأ لأنه الخبر بما فيه عظيم الشأن ، و منه النبي ، و أشار بالتعبير بالمضارع فى قوله : ﴿ نقصه عليك ﴾ إلى أنا كما قصصناها عليك فى هذا الحال للمقصد المتقدم سنقصها عليك لغير ذلك من الأغراض فى فنون البلاغة و تصاريف الحكم كما سترى عند قصه ؛ ثم أشار - بما أخبر من حالها بقوله : ﴿منها﴾ أى القرى ﴿قآئم و حصيد ه﴾ - إلى أنك مثل ما سمعت ما قصصنا [عليك -[1]] من أمرها بأذنك و وعيته[2] بقلبك تحسها بعينك بمشاهدة أبنيتها و آثارها قائمة و مستحصدة ، أى متهدمة[3] لم يبق من بنيانها[4] إلا بعض جدرانها .

و لما كان فيما تقدم فى هذه السورة من القصص أشد تهديد و أعظم وعيد لمن له تبصرة ، صرح لغليظى الأكباد بأن الموجب للايقاع بهم إنما هو الظلم ، فقال تعالى عاطفا على نحو أن يقال : فعلنا بهم و أنبأناك[5] به : ﴿و ما ظلمنهم﴾ فى شىء منه ﴿و لكن ظلموآ انفسهم﴾ و اعتمدوا على أندادهم[6] معرضين عن جنابنا آمنين من عذابنا فأخذناهم ﴿ فمآ ﴾ أى فتسبب عن اعتمادهم على غيرنا أنه ما ﴿ اغنت عنهم ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ 'الهتهم التى ﴾ و صور حالهم الماضية[7] فقال : ﴿يدعون ﴾ أى دعوها و استمروا على دعائهم لها إلى حين الأخذ ، [و بين خسة رتبتها فقال -[8]] : ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى له جميع

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيبة (٣) فى ظ : متهمة (٤) فى ظ : بنائها (٥) فى ظ : اتيناك (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انذارهم (٧) زيد بعده فى الأصل و ظ : التى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

صفات الكمال ؛ و ذكر مفعول " اغنت " معرفا فى النفى فقال : ﴿ من شىء ﴾ أى و إن قل ﴿ لما جآء امر ﴾ أى عذاب ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك بتأخير العذاب المستأصل عن أمتك و جعلك نبى الرحمة ﴿ و ما زادوهم ﴾ فى أحوالهم التى كانت لهم قبل عبادتهم إياها ﴿ غير تتبيب ﴾ أى إهلاك و تخسير ، فانهم كانوا فى عداد [1]من يرجى[1] فلاحه ، فلما تورطوا فى عبادتها و نشبوا فى غوايتها و بعدوا عن الاستقامة[2] بضلالتها خسروا أنفسهم التى هى رأس المال . فكيف لهم بعد ذلك بالأرباح ؛ و القص : إتباع الأثر ، فهو هنا الإخبار بالأمور التى يتلو بعضها بعضا ؛ و الدعاء : طلب الطالب الفعل من غيره ، و نداء الشىء [باسمه -[3]] بحرف النداء ، [4]و كلا الأمرين مرادان[5] ؛ و " من دون [6]الله " : من[6] منزلة أدنى من منزلة عبادة[7] الله لأنه من الأدون ، و هو الأقرب إلى جهة السفل ؛ [8]و التب : الهلاك و الخسر[8] .

و لما كان المقصود من ذلك رمى[9] قلوب العرب بما فيه من سهام التهديد ليقلعوا عما تمكنوا فيه[4] من عمى التقليد ، قال تعالى معلما بأن الذى أوقع بأولئك لظلمهم [و -[10]] هو لكل ظالم بالمرصاد سواء ظلم نفسه أوغيره : ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ذلك الأخذ العظيم ﴿ اخذ ربك ﴾

(١-١) من مد ، و فى الأصل : من ترجى ، و فى ظ : فلا يرجى (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : الاستعانة - كذا (٣) زيد من ظ ومد (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : مراد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : عباد. (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩) من ظ ومد ، و فى الأصل : من . (١٠) زيد من ظ .

ذكّره بوصف الإحسان ما أوله إليه من البر لئلا يخاف على قومه من مثل هذا الأخذ ﴿ اذآ اخذ القرى ﴾ أى أهلها و إن كانوا غير من تقدم الإخبار عنهم و إن عظموا و كثروا[1] ، و لكن الإخبار عنها أهول[2] لأنه يفهم أنه ربما يعمها الهلاك لأجلهم بشدة[3] الغضب من فعلهم كقرى قوم لوط عليه السلام ﴿ و هى ظالمة[4] ﴾ روى البخارى فى التفسير عن أبى موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ "و كذلك اخذ ربك" - الآية .

و لما كان مثل هذا الآخذ لا يدانيه مخلوق و لا يقدر عليه ملك ، حسن كل الحسن إتباع ذلك قوله : ﴿ ان اخذه اليم ﴾ أى مؤلم قاطع للآمال مالئ البدن و الروح و النفس بالنكال ﴿ شديد * ﴾ أى صعب مفتت للقوى ، و لعله عبر هنا باسم الرب / مضيفا له إلى المنبأ بهذه الأنباء مكررا لذلك فى هذا المقام الذى ربما سبق فيه الوهم إلى أنه باسم الجبار و[4] المنتقم مثلا أليق ، إشارة إلى أنه سبحانه يربيك أحسن تربية فى إظهارك على الدين كله و انقياد العظماء لأمرك و ذل الأعزة لسطوتك و خفض الرؤس[5] لعلو شأنك ، فلا تتكلف أنت شيئا من قصد إجابتهم إلى إنزال آية أو ترك ما يغيظ من إنذار و نحو ذلك - و الله الموفق .

/ ٦٧٢

و لما كان مما جر هذه القصص و هذه المواعظ تكذيبهم لما يوعدون

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اكثروا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهون (٣) فى مد : لشدة (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الراس .

من

من العذاب الناشئ عن إنكار البعث المذكور فى قوله تعالى " و لئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت " - الآيات ، أشار تعالى إلى تحقق أمر الآخرة و أنه مما ينبغى الاهتمام به ردا للقطع على المطلع . و إعلاما بأنه لا فرق بينه و بين ما تحقق إيقاعه من عذاب هذه الأمم[1] فى القدرة عليه بقوله مؤكدا لأجل جحودهم أن يكون فى شىء مما مضى دلالة عليه بوجه من الوجوه: ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى النبأ العظيم و القصص و الوعظ بما يذكر ﴿ لآية ﴾ أى لعلامة عظيمة و دلالة بتة[2] . و لما كان وجود الشىء عدما بالنسبة إلى ما[3] لا نفع له به ، قال: ﴿ لمن خاف عذاب ﴾ يوم الحياة ﴿ الآخرة[4] ﴾ لأنه نفع خاص به ، و إنما كان آية له لأنه إذا نظر إلى إهلاكه للظالمين إهلاكا عاما بسبب ظلمهم و إنجائه للمؤمنين ، علم أنه قادر على ما يريد ، و أنه لابد أن يجازى كلا بما فعل ، فاذا رأى أن ظلمة كثيرين[5] يموتون بغير انتقام ، علم أنه لا بد من يوم يجازيهم فيه ، و هو اليوم الذى أخبرت به عنه رسله . و زاد فى الإشارة إلى تهويله باعادة اسم الإشارة فى قوله: ﴿ ذلك ﴾ أى اليوم العظيم الذى يكون فيه عذاب الآخرة ﴿ يوم ﴾ و أشار - إلى يسر البعث و سهولته عليه و أنه [أمر ثابت -[6]] لا بد[6] منه - باسم المفعول من قوله: ﴿ مجموع[6] له ﴾ أى لإظهار[7] العدل فيه

(١) فى مد: الامة (٢) فى ظ و مد: بينة (٣) فى مد: من (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل: كثيرة من (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد بعده فى مد: له (٧) فى ظ و مد: لاجل اظهار .

و الفضل ﴿ الناس ﴾ أى كل من فيه أهلية التحرك و الاضطراب ، و ما ثَمّ يوم غيره يكون بهذه ١الصفة أصلا١ .

و لما لم يسبقه يوم اجتمع فيه جميع الخلق من الجن و الإنس و الملائكة و جميع الحيوانات أحياء ، كان ذلك مسوغا لأن تعد شهادة غيره عدما فقال تعالى : ﴿ و ذلك ﴾ أى اليوم العظيم ﴿ يوم مشهود ٥ ﴾ أى هو نفسه لهم و لغيرهم من جميع الخلق ، فيكون تنوينه للتعظيم بدلالة المقام ، أو يكون المعنى أنه أهل لأن يشهد ، و تتوفر الدواعى على حضوره لما فيه من عجائب الأمور و الأهوال العظام و المواقف الصعبة ، فلا يكون ثم شغل إلا نظر ما فيه و الإحاطة بحوادثه خوف التلاف و رجاء الخلاص ؛ ١و الآية : العلامة العظيمة لما فيها من البيان عن الأمر الكبير١ ؛ و الخوف : انزعاج النفس بتوقع الشر ، و ضده الأمن و هو سكون النفس بتوقع الخير ؛ و العذاب : استمرار الألم .

و لما تقدم قولهم " ما يحبسه " كان كأنه قيل فى الرد عليهم : نحن قادرون على تعجيله ، و هو - كما أشرنا إليه فى هذه الآية - عندنا متى شئنا فى غاية السهولة : ﴿ و ما نؤخره ﴾ أى اليوم أو الجزاء مع ما لنا من العظمة والقدرة التامة على إيجاده لشىء من الأشياء ﴿ الا لاجل ﴾ أى لأجل انتهاء أجل ﴿ معدود ٥ ﴾ سبق فى الأزل تقديره ممن لا يبدل القول لديه وكل شىء فى حكمه ، فهو لا يخشى الفوت ؛ و مادة ٢أجل٢ بتراكيبها الأربعة : أجل وجأل و جلأ ولجأ تدور على المدة المضروبة للشىء ، فالأجل - محركة : مدة الشىء و غاية الوقت فى الموت و حلول الدين٢

(١-١) سقط ما بين من الرقمين من ظ (٢) فى ظ : الاجل .

من تسمية الجزء باسم الكل ، و التأجيل : تحديد الأجل ، و يلزمه التأخير ، و منه أجل الشيء كفرح - اذا تأخر ، و الآجلة : الآخرة ، و أجل الشيء - بالفتح : حبسه و منعه ، لأن الأجل حابس و مانع للمؤجل ، و منه أجلى كجمزي[1] ، و هو مرعى لهم معروف كأنه لحسنه يحبس الراعى فيه . و أجل الشر عليهم : جناه و أثاره / و هيجه ، و لأهله[2] : كسب و جمع ٥ / ٦٧٣ و احتال ، لأن ذلك كله من لوازم ذى الأجل ، أو[3] المعنى أنه أوجد أجل ذلك ، و كمقعد و معظم : مستنقع الماء ، لأنه محيط به إحاطة الأجل بالمؤجل . و أجله فيه تأجيلا : جمعه[4] فتأجل ، و المأجل : الحوض يحبس فيه الماء ، و أجلوا ما لهم : حبسوه فى[5] المرعى ، [6]والأجل - بالكسر : قطيع من بقر الوحش ، تشبيها له فى اجتماعه من حيث أنه أحصن له ١٠ بالأجل لأنه - كما قيل - حصن حصين[1] ، و الأجل - بالكسر أيضا : وجع فى العنق ، لأنه من أسباب حلول الأجل ، و أجله : داواه منه ، و بالضم جمع أجيل للمتأخر و للمجتمع من الطين يجعل حوله النخلة ، لإحاطته بها إحاطة الأجل و تحصينه لها ، و تأجل القوم : تجمعوا ، لأن التجمع أحصن لهم ، و أجل - بفتحتين ثم سكون : جواب كنعم وزنا و معنى ١٥ إلا أنه أحسن منه فى التصديق ، و[7]نعم منه فى الاستفهام ، و حقيقة ذلك الإخبار بأن أجل - أى وقت - ذلك الفعل الموجب أو المستفهم

(١) من القاموس ، و فى الأصول : كحمرى (٢) فى ظ : لاهل (٣) فى ظ و مد « و » (٤) سقط من ظ (٥) فى تاج العروس : عن (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : او .

عنه [1]قد حضر[1] ، و فعلت ذلك أجلك ـ من غير 'من' ـ و من أجلك ، و من أجلاك [و من أجلالك ـ [2]] و يكسر فى الكل ، أى من جللك ـ قاله فى القاموس ، و قال فى فصل الجيم : و فعلته من جلك ـ بالضم ـ و جلالك[3] و جللك ـ محركة[4] ـ و تجلتك [1]و إجلالك[1] ـ بالكسر ، و من أجل إجلالك و من أجلك بمعنى ـ انتهى . و حقيقته أن فعلى مبتدئ من أجلك ـ بالتحريك ، أو تكون 'من' سببية ، أى أجلك سبب فيه ، و لو لا وجودك ما فعلته فهو لتعظيمك ؛ و الملجأ و اللجأ ـ محركة : المعقل و الملاذ ، كأنه شبه بالأجل ، و منه لجأ إليه ـ كمنع و فرح : لاذ ، و ألجأ أمره إلى الله : أسنده ، و ألجأ فلانا إلى كذا : اضطره ، و التلجئة[5] : الإكراه ، و اللجأ ـ محركا : الضفدع ، لالتجائها إلى الماء ؛ و من ذلك الجيأل ـ كصيقل ، و جيأل[6] و جيألة ممنوعين ، و جيل بلا همز كله اسم الضبع لكثرة لجائها إلى وجارها ، و منه جئل ـ كفرح ـ جألانا : عرج ، كأنه تشبيه[7] بمشيتها ، لأن من أسمائها العرجاء ، أو تشبيه بمشية الراقى فى درج الملجأ ، أى الحصن ، و كذا الأجل ـ كقنب[8] و قبر ـ و هو ذكر الأوعال ، لأن قرونه كالحصن له ، و جيألة[9] الجرح : غثيثه ، و هو مريه ، لأنه من أسباب قرب الأجل ، و كذا الاجتلال[10] ـ أى الفزع ـ ربما كان سببا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من القاموس (٣) فى ظ : جلاك . (٤) من القاموس ، و فى الأصول : محركا (٥) فى ظ : اللجية (٦) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : جيالب (٧) فى ظ و مد : تشبه (٨) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : كعنب (٩) فى ظ : جالة (١٠) فى ظ و مد : الاجلال .

لذلك ، و ربما كان سببا للمبادرة[1] إلى الحصن ، و جأل - كمنع : ذهب و جاء ، و الصوف : جمعه و اجتمع - لازم متعد ، كله من لوازم الأجل بمعنى المدة ، و جلأ بالرجل[2] - كمنع[3] : صرعه ، و بثوبه : رماه ، كأنه جعله فى قوة من حضر أجله ، و إن شئت قلت فى ضبط[4] ذلك : إن المادة - مع دورانها على المدة - تارة تنظر إلى نفس المدة ، [5]و تارة إلى آخرها[5] ، و تارة [إلى -[6]] امتدادها و تأخرها ، و تارة إلى ما يدنى منه[7] ، و تارة إلى[4] منفعتها ، و تارة إلى ما يلزم فيها[8] . فمن النظر إلى نفس المدة : التأجيل بمعنى تحديد الأجل ، و هو مدة الشىء[9] . و فعلت هذا من أجلك ، أى لو لا وجودك ما فعلته ، و أجل بمعنى نعم ، أى حضرت مدة الفعل ، و من النظر إلى الآخر : دنا الأجل - فى الموت و الدّين ، و من النظر إلى التأخر : أجل[10] الشىء - إذا تأخر ، و الآجلة : الآخرة ، و من النظر إلى السبب المدنى : الأجل - بالكسر - لوجع فى العنق ، و جيألة[11] الجرح - لغثيثه أى مريه ، و جلأ بالرجل : صرعه ، و بثوبه : رماه . و أجل الشر عليهم : جناه ، أو أثاره و هيجه ، و الاجئلال : الفزع ، و من النظر إلى المنفعة و هى[12] أن التأجيل الذى هو تحديد الأجل للشىء مانع من أخذه دون ما ضرب له من المدة : الأجل - بالكسر - للقطيع من بقر الوحش ، و أجل الشىء : حبسه و منعه ، و أجلى كحمزى[13] : مرعى

(١) فى مد : للمادة (٢) فى القاموس : الرجل (٣) فى ظ : منع (٤) سقط من ظ .
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهما - كذا (٨) فى ظ : منها (٩) سقط من مد (١٠) فى ظ : اجر .
(١١) فى ظ : جالة (١٢) فى ظ : هو (١٣) من القاموس ، و فى الأصول : كحمزى .

لهم معروف، و تأجل القوم: تجمعوا، و جأل الصوف: جمعه، و اللجاء و الملجأ: المعقل و الملاذ. و الضفدع للزومها ملجأها من الماء، و الجيأل للضبع للزومها وجارها، و لذلك تسمى[1] أم عامر، و جئل - كفرح: عرج، كأنه شبه بمشيتها لأنها تسمى العرجاء، و الأجل كقنب[2] و قبر - لذكر الأوعال، / لتحصنه بقرونه، و الأجل - بالضم: المجتمع من الطين يجعل حول النخلة، و المأجل: الحوض يحبس فيه الماء، و مستنقع الماء مطلقا، و أجله تأجيلا: جمعه، و من النظر إلى ما يلزم فى المدة: أجل لأهله: كسب و جمع و جلب و احتال، و جأل - كمنع: جاء و ذهب؛ فقد تبين أن المراد بالأجل هنا الحين. ٦٧٤ / ٥

و لما كان كأنه قيل: يا ليت شعرى ما ذا يكون حال الناس إذا أتى ذلك الأجل و فيهم الجبابرة و الرؤساء و ذوو العظمة و الكبراء! أجيب بقوله: ﴿ يوم يات ﴾ أى ذلك الأجل لا يقدرون على الامتناع بل[3] و لا على مطلق الكلام، و حذف ابن عامر و عاصم و حمزة الياء اجتزاء عنها بالكسرة[4] كما هو فاش فى لغة هذيل، و كان ذلك إشارة إلى أن شدة هوله تمنع أهل الموقف الكلام أصلا فى مقدار ثلثيه، ثم يؤذن لهم فى الكلام فى الثلث الآخر بدلالة المحذوف و قرينة الاستثناء، فان العادة أن يكون المستثنى أقل من المستثنى منه ﴿ لا تكلم ﴾ و لو أقل كلام بدلالة حذف التاء ﴿ نفس ﴾ من جميع الخلق فى ذلك اليوم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: سمى (٢) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: كعنب (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى ظ: كالكسرة.

الذى هو يوم الآخرة ، و هو ظرف هذا الأجل و هو يوم طويل جدا ذو ألوان و فنون و أهوال و شؤون ، تارة يؤذن فيه فى الكلام ، و تارة يكون على الأفواه الختام ، و تارة يسكتهم الخوف و الحسرة و الآلام ، و تارة ينطقهم الجدال و الخصام ﴿ الا باذنه ج ﴾ أى باذن ربك المكرر ذكره فى هذه الآيات إشارة إلى حسن التربية[1] و إحكام التدبير[2] . ٥

و لما علم من هذا[3] أنه يوم عظمة و قهر ، سبب عن تلك العظمة تقسيم الحاضرين فقال : ﴿ فمنهم ﴾ أى الخلائق الحاضرين لأمره ﴿ شقى ﴾ ثبتت له الشقاوة فيسر فى الدنيا لأعمالها ﴿ و سعيد ه ﴾ ثبتت له السعادة فشى على منوالها ؛ و التأخير : الإذهاب عن جهة الشىء بالإبعاد منه ، و ضده التقديم ؛ [4]و الأجل : الوقت المضروب لوقوع أمر من الأمور[4] ؛ ١٠ و اللام تدل على العلة و الغرض و الحكمة بخلاف[5] ' إلى ' ؛ و الشقاء : قوة أسباب البلاء .

و لما كان أكثر الخلق هالكا مع أن المقام مقام تهديد و تهويل ، بدأ تعالى بالأشقياء ترتيبا للنشر[6] على ترتيب اللف[7] فقال : ﴿ فاما الذين شقوا ﴾ أى أدركهم العسر و الشدة ﴿ فى النار ﴾ أى [[8]محكوم لهم[8] بأنهم يدخلون ١٥ النار - [9]] التى هى النار لو علمتم ﴿ لهم فيها زفير ﴾ أى عظيم جدا ﴿ و شهيق ﴾ من زفر - إذا أخرج نفسه بعد مدّه إياه[10] ، و شهق - إذا تردد البكاء فى صدره - قاله فى القاموس ؛ و قال ابن كثير فى تفسير

(١) سقط من ظ و مد (٢) فى ظ : التذكير (٣) فى ظ : هذه (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بخلا - كذا (٦) فى ظ و مد : للتقسيم (٧) فى ظ و مد : التفريق (٨-٨) فى ظ : محكم بهم (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ : ايام .

سورة الأنبياء : الزفير : خروج أنفاسهم ، (١و الشهيق : ولوج أنفاسهم١) ؛ و عن ابن عباس رضى الله عنهما : الزفير : الصوت الشديد ، و الشهيق : الصوت الضعيف ، و عن الضحاك و مقاتل : الزفير أول نهيق الحمار ، و الشهيق آخره حين يفرغ من صوته إذا رده فى جوفه ، و سيأتى كلام الرمانى فى ذلك ﴿ خالدين فيها ﴾ أى بلا انقطاع ، و عبر عنه بقوله جريا على أساليب العرب : ﴿ ما دامت السمٰوٰت و الارض ﴾ .

و لما كان له كل شىء لا يقبح منه شىء و هو قادر على كل شىء ، دل على ذلك بقوله : ﴿ الا ما شآء ﴾ [أى مدة شاءها فانه لا يحكم لهم بذلك فيها فلا يدخلونها - ٢] .

و لما كان الحال فى هذه السورة مقتضيا - كما تقدم - لتسلية النبى صلى الله عليه و سلم عما٣ أخبر به سبحانه فى قوله " فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك " - الآية ، من ضيق صدره ، و لذلك أتى بهذه القصص كما مضى بيان ذلك ، عبر باسم الرب إشارة إلى أنه يحسن إليه بكل ما يسر قلبه و يشرح صدره فقال : ﴿ ربك ﴾ و قد جرى الناس فى هذا الاستثناء على ظاهره ثم أطالوا الاختلاف فى تعيين المدة المستثناة ، و الذى ظهر لى - و الله أعلم - أنه لما تكرر الجزم بالخلود فى الدارين و أن الشرك لا يغفر و الإيمان موجب للجنة فكان ربما ظن أنه لا يمكن غير ذلك كما ظنه المعتزلة لا سيما إذا تؤمل القطع فى مثل قوله " ان الله لا يغفر ان يشرك به " مع تقييد غيره بالمشيئة فى قوله " و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء "

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : كما .

جاء هذا الاستثناء معلما[1] أن الأمر فيه إلى الله تعالى كغيره من الأمور ، له أن يفعل فى كلها ما يشاء و إن جزم القول فيه ، لكنه لا يقع غير ما أخبر به ، و هذا كما تقول : اسكن هذه الدار عمرك إلا ما شاء زيد ، و قد لا يشاء / زيد شيئا ، فكما أن التعليق بدوام السماوات و الأرض غير مراد الظاهر كذلك الاستثناء. لا يشاء الله قطع الخلود لأحد من الفريقين ، و سوقه هكذا أدل[2] على القدرة و أعظم فى تقليد المنة ، ثم رأيت الإمام أبا أحمد البغوى قد ذكر معنى هذا آخر ما أورده فى تفسيره من الأقوال فى الآية و حكى نحوه عن الفراء ، و مثله بان تقول[3] : و الله لأضربنك إلا أن أرى ، و عزيمتك[4] أن تضربه ، و عزاه الطحاوى فى بيان المشكل إلى أهل اللغة منهم الفراء . ٦٧٥ /

و لما كان تخليد الكفار من الحكم بالقسط بين الفريقين لأنه من أكبر[5] تنعيم المؤمنين الذين عادوهم فى الله كما تقدم التنبيه عليه أول سورة يونس عليه السلام عند قوله " ليجزى الذين آمنوا و عملوا الصالحات بالقسط " كان ربما توهم أن الاستثناء لو أخذ على ظاهره لم يكن إخراجهم من النار حينا ، نفى هذا التوهم بقوله : ﴿ان ربك﴾ أى المحسن إليك ﴿فعال لما يريد﴾ أى لا يجوز عليه البدء بالرجوع عما أراد و لا المنع عن مراده و لا يتعذر عليه شىء منه مع كثرة المرادات[6] فلا اعتراض عليه و لا يلزمه لأحد شىء ، بل له أن يخلد العاصين فى الجنة و يخلد

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : دال (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقول .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عزمتك (٥) زيد فى مد : من (٦) فى ظ : الروايات .

الطائعين فى النار[1]، و لكنه كما ثبت ذلك ليعتقد لكونه من صفة الكمال ثبت أنه لا يفعل ذلك سبحانه و لا يبدل القول لديه لأن ذلك من صفات الكمال أيضا مع أن فى ختم الآية بذلك ترجية لأهل النار فى إخراجهم منها زيادة فى عذابهم .

٥ و لما تم أمر الأشقياء . عطف عليه قسيمهم فقال : ﴿ و اما الذين سعدوا ﴾ أى فازوا بمطالبهم و تيسر أمرهم ﴿ فى الجنة ﴾ أى التى صارت معلومة من الدين بالضرورة ﴿ خلدين فيها ﴾ دائما أبدا ﴿ ما دامت السمٰوٰت و الارض ﴾ على[1] ما جرت به عادة العرب فى إرادة التأبيد بلا آخر بمثل هذا ﴿ الا ما شآء ربك ط ﴾ و أدل دليل على

١٠ ما قلت فى الاستثناء قوله : ﴿ عطاء ﴾ هو[2] نصب على[2] المصدر ﴿ غير مجذوذ ه ﴾ أى مقطوع [و لا مكسور و لا مفصول - لعطاء من الأعطية و لا مفرق و لا مستهان به -[2]] : لأنهم لو انفكوا من النعيم حقيقة أو معنى و لو لحظة لكان مقطوعا [أو منقوصا -[2]] ؛ و فى الختم بذلك من الجزم بالدوام طمأنينة لأهل الجنة زيادة فى نعيمهم عكس ما كان لأهل النار ؛ قال

١٥ أبو الحسن الرمانى : و الزفير : ترديد النفس مع الصوت حتى تنتفخ الضلوع ، و أصله الشدة من المزفور الخلق ، و الزفر : الحمل على الظهر ، لشدته ، و الزفر : السيد[4] لأنه يطيق حمل الشدائد ، و زفرت النار - إذا سمعت لها صوتا فى شدة توقدها ، و الشهيق : صوت فظيع يخرج من الجوف بمد النفس ، و أصله الطول المفرط من قولهم : جبل شاهق

(١) سقط من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : على نصب (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : الشد .

أى ممتنع طولا ؛ و الخالد : الكائن فى الشىء أبدا ؛ و الدائم : الباقى أبدا[1] ، و لهذا يوصف الله تعالى بالدائم دون الخالد .

و لما أخبره تعالى بوقوع القضاء بتميز الناس فى اليوم المشهود إلى القسمين المذكورين على الحكم المشروح[2] مرهبا و مرغبا ، كان ذلك كافيا فى الثبات على أمر الله و المضىّ لإنفاذ[3] جميع ما أرسل به و إن شق اعتمادا على النصرة فى ذلك اليوم بحضرة تلك الجموع[4] ، فكان ذلك سببا للنهى عن القلق فى شىء من الأشياء و إن جل وقعه[5] و تعاظم خطبه ، فقال تعالى : ﴿ فلا ﴾ و لما كان ما تضمنه هذا التقسيم أمرا عظيما وخطبا جسيما ، اقتضى عظيم تشوف النفس[6] و شديد شوقها[7] لعلم ما سبب[7] عنه ، فاقتضى ذلك حذف النون من ' كان ' إيجازا فى الكلام للاسراع بالإيقاف[8] على المراد [و الإبلاغ فى نفى الكون على أعلى الوجوه -[9]] فقال : ﴿ تك ﴾ [أى[10] فى حالة[10] من الأحوال -[9]] ﴿ فى مرية ﴾ و المرية : الشك مع ظهور الدلالة للتهمة - قاله الرمانى ﴿ مما يعبد هؤلاء[1] ﴾ أى لا تفعل فعل من هو فى مرية بأن تضطرب من أجل ما يعبدون مواظبين على عبادتهم مجددين ذلك [فى -[11]] كل حين فتنجع نفسك فى إرادة مبادرتهم إلى امتثال الأوامر فى النزوع[12] عن ذلك بالكف عن مكاشفتهم بغائظ الإنذار

(١) سقط من مد (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : المشروع (٣) من ظ ومد ، و فى الأصل : لا يعاد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : المجموع (٥) فى ظ : دفعه (٦ - ٦) فى ظ : شدة قوتها (٧) فى ظ : تسبب (٨) فى ظ ومد : الاتفاق . (٩) زيد من ظ ومد (١٠-١٠) فى ظ : بحالة (١١) زيد من مد (١٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : الروع .

/٦٧٦ و الطلب لإجابة مقترحاتهم رجاء الازدجار كما مضى / فى قوله تعالى "فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك" - الآية، و ذلك أن مادة مرى[1] - بأىّ ترتيب كان - تدور على الاضطراب، و قد يلزمه الطرح و الفصل: رمى يرمى رميا، و المرماة: ظلف الشاة لأنه يطرح، و الرمى: قطع من السحاب رقاق؛ و الريم: البراح، ما يريم يفعل كذا: ما يزال، و الريم: الدرج للاضطراب فيها، و القبر لنبذه فى جانب من الأرض و طرح الميت فيه، و ريم فلان بالمكان: أقام به[2] مجاوزا لغيره منفصلا عنه كأنه رمى بنفسه فيه، و ريمت السحابة - إذا دامت فلم تقلع، لأن من شأنها رمى القطر، و مرى الضرع: مسحه للحلب، و الريح تمرى السحاب[3]، و المرى[4]: المعدة[5] لقذفها ما فيها، و المرية: الشك، أى تزلزل الاعتقاد، و الميرة: جلب الطعام؛ ثم استأنف تعالى خبرا هو بمنزلة العلة لذلك فقال: ﴿ما يعبدون﴾ أى يوقعون العبادة على وجه الاستمرار ﴿الا كما يعبد آباؤهم﴾ و لما كانت عبادتهم فى قليل من الزمن الماضى أدخل الجار فقال: ﴿من قبل[6]﴾ أى أنهم لم يفعلوا ذلك لشبهة إذا كشف عنها القناع رجعوا، بل لمحض تقليد الآباء مع استحضارهم لتلبسهم بالعبادة كأنهم حاضرون لديهم يشاهدونهم مع العمى عن النظر فى الدلائل و الحجج كما كان من قصصنا عليك أخبارهم من الأمم فى تقليد الآباء سواء بسواء مع عظيم شكيمتهم و شدة عصبتهم[6] للأجانب

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: برى (٢) فى ظ: فيه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ ومد: بمرى (٥) فى ظ: المعدى (٦) فى ظ: عصبيتهم.

فكيف

فكيف بالأقارب فكيف بالآباء! فأقم عليهم الحجة بابلاغ جميع ما نأمرك به كما فعل من قصصنا عليك أنباءهم من إخوانك من الرسل غير مخطر فى البال شيئا مما قد يترتب عليه إلى[1] أن ينفذ ما نريد من أوامرنا كما سبق فى العلم فلا تستعجل فانا ندبر الأمر فى سفول شأنهم وعلو[2] شأنك كما نريد ﴿ وانا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿لموفوهم نصيبهم﴾ ٥ من الخير والشر من الآجال وغيرها وما هو ثابت ثباتا لا يفارق أصلا ؛ ولما كانت التوفية قد تطلق على مجرد الإعطاء وقد يكون ذلك على التقريب ، نفى هذا الاحتمال بقوله : ﴿ غير منقوص[4] ﴾ والنصيب : القسم المجعول[3] لصاحبه كالحظ ؛ والمنقوص : المقدار المأخوذ جزء منه ؛ والنقص : أخذ جزء من المقدار . ١٠

ولما ذكر فى هذه الآية إعراضهم عن الاتباع مع ما أتى به من المعجزات وأنزل عليه من الكتاب ، سلاه بأخيه موسى عليهما السلام لأن الحال إذا عم خف ، وابتدأ ذكره بحرف التوقع بما دعا إلى توقعه من قرب ذكره مع فرعون مع ذكر كتابه أول السورة فقال تعالى : ﴿ ولقد آتينا ﴾ [أى -] بما لنا من العظمة ﴿ موسى الكتب ﴾ ١٥ أى التوراة الجامعة للخير .

ولما كان الضار والمسلى[5] نفس الاختلاف ، بنى للمفعول قوله : ﴿ فاختلف فيه[4] ﴾ فآمن به قوم وكفر به آخرون مع أنه إمام ورحمة

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : الا (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : المجموع .
(٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ : المنسلى .

وكتب سبحانه له فيه من كل شيء[1] موعظة و تفصيلا لكل شيء، وكان معجبا لأهل ذلك الزمان [كما اختلف فى كتابك مع إعجابه لأهل هذا الزمان -[2]] و بيانه للهدى أتم بيان، إشارة إلى أن الخلق مهما جاءهم عن الله، و هو لا يكون إلا مصحوبا بالأدلة القاطعة نأوا عنه و اختلفوا فيه، و مهما تلقفوه عن آبائهم تلقوه بالقبول و ناضلوا عنه و سمحوا فيه بالمهج و إن كان منابذا للعقول، فكان قوم موسى باختلافهم فى الكتاب كل قليل يأبى[3] فريق منهم بعض أحكامه و يريدون نقض إبرامه كما سلف بيانه غير مرة عن نص التوراة و سفر يوشع إلى أن آل أمرهم الآن إلى أن صاروا ثلاث فرق: ربانيين[4]، و قرابين، و سامرة؛ يضلل بعضهم بعضا، و مع ذلك فلم يعاجلهم بالأخذ مع قدرته على ذلك كما فعل بمن قص أمره من الأمم لما سبق من حكمه[5] بتأخيرهم إلى الأجل المعدود، و فصل بين هذا و بين قصة موسى عليه السلام مع فرعون ليكون مع ما دعا إلى تقديم ما تقدم من الآيات أوقع فى التسلية و أبلغ فى التعزية و التأسية كما هو شأن / كل ما ألقى إلى المحتاج شيئا فشيئا ٦٧٧ /

﴿ و لو لا كلمة ﴾ أى عظيمة لا يمكن تغييرها لأنها من كلام الملك الأعظم ﴿ سبقت من ربك ﴾ [أى -[2]] المحسن إليك و إليهم بارسالك رحمة للعالمين ﴿ لقضى ﴾ أى لوقع القضاء ﴿ بينهم[4] ﴾ أى بين من[6] اختلف فى

(١) سقط من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من ظ و مد. و فى الأصل: ياتى (٤) من ظ ومد. و فى الأصل: ابانيين (٥) فى ظ: حكمة. (٦) فى ظ: ما.

كتاب موسى عاجلا ، و لكن سبقت الكلمة أن القضاء الكامل إنما يكون يوم القيامة كما قال فى سورة يونس " فما اختلفوا حتى جاءهم العلم[1] " - الآية .

و لما كان الاختلاف قد يكون بغير الكفر بين أنه به ، فقال مؤكدا لأن كل طائفة من اليهود تنكر شكها فيه و فعلها فعل الشاك : ﴿ وانهم لفى شك ﴾ ٥ أى عظيم محيط بهم ﴿ منه ﴾ أى من القضاء أو[2] الكتاب ﴿ مريب ٥ ﴾ أى موقع فى الريب و التهمة و الاضطراب مع ما رأوا من الآيات التى منها سماع كلام الله و رؤية ما كان يتجلى فى جبل الطور من الجلال و يتبدى لهم فى قبة الزمان من خارق الأحوال ﴿ و ان كلا ﴾ من المختلفين فى الحق من قوم موسى و غيرهم ممن هو على الحق و ممن هو على ١٠ الباطل ؛ و " ان[3] " عند نافع و ابن كثير و أبى بكر عن عاصم عاملة مع [تخفيفها - [4]] من الثقيلة فى قراءة غيرهم اعتبارا بأصلها ﴿ لما ﴾ هى فى قراءة ابن عامر و حمزة و عاصم بالتشديد الجازمة حذف فعلها - قال ابن الحاجب : و هو شائع فصيح ، و فى قراءة غيرهم بالتخفيف مركبة من لام الابتداء و ' ما ' المؤكدة بنفى نقيض ما أثبته الكلام ليكون ثبوته[5] مع ١٥ نفى نقيضه على أبلغ وجه .

و لما كان الشرط فى حذف الفعل بعد ' لما ' الجازمة أن يكون مما يتوقع بوقوع فعل قبلها يدل عليه ، كان التقدير : يقض بينهم ، و سيقضى[6]

(١) آية ٩٣ (٢) فى ظ « و » (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : توبته (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتقضى .

و هو معنى ما قرن بعدها بلام القسم من قوله : ﴿ ليوفينهم ربك ﴾ أى المحسن إليك باقامتك على المنهاج الأعدل و الفضل من العباد ﴿ اعمالهم[1] ﴾ لا يدع منها شيئا لأنه لا يخفى عليه منها شىء[1] . و السياق يقتضى أن يكون 'ما' فى 'لما' فى قراءة التخفيف للتأكيد على النحو الذى ٥ مر غير مرة أن النافى إذا زيد فى سياق الإثبات كان كأنه نفى النقيض تأكيدا لمثبت ﴿ انه بما يعملون[2] ﴾ قدم الظرف لتأكيد الخبر[3] ﴿ خبير ﴾ فاذا علمت أن شأنك فى أمتك شأن الرسل فى أممهم و أنه لا بد من الاختلاف فى شأن الرسول و الكتاب كما جرت بذلك السنة الإلهية و أن الجزاء بالأعمال كلها لا بد منه ﴿ فاستقم ﴾ أى أوجد القوم ١٠ بغاية جهدك بسبب أنك لا تكلف إلا نفسك و أن الذى أرسلك لا يغفل عن شىء ، و من استقام استقيم له

و لما كان من المقطوع به أن الآمر له صلى الله عليه و سلم مَن له الأمر كله . بنى للمفعول قوله : ﴿ كما امرت ﴾ أى كما استقام إخوانك من الأنبياء فى جميع الأصول و الفروع سواء كان فى نفسك أو فى ١٥ تبليغ غيرك معتدلا بين الإفراط و التفريط و لا يضيق[4] صدرك من استهزائهم و تعنتهم و اقتراحهم للآيات و إرادتهم أن تترك بعض ما يوحى إليك من التشنيع عليهم و العيب لدينهم بل صارحهم بالأمر و اتركهم و أهواءهم . نحن ندبر الأمر كما نريد على حسب[5] ما نعلم .

---

(١) فى ظ : شيئا ، و العبارة من هنا إلى « تأكيد المثبت » ساقطة منه (٢) فى ظ و مد : تعملون ـ كذا وليست هى بقراءة (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : الجزء (٤) فى ظ : لا يضيع (٥) فى ظ : حسن .

و لما كان الفاصل بين [المعطوف و - [1]] المعطوف عليه يقوم مقام تأكيد الضمير المستتر ، عطف عليه قوله : ﴿و من﴾ أى و ليستقم[2] أيضا من ﴿تاب﴾ عن الكفر مؤمنا ﴿معك﴾ على ما أمروا تاركين القلق من استبطائهم للنصرة كما روى البخارى و أبو داود و النسائى عن خباب بن الأرت رضى الله عنه قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله ٥ عليه و سلم و هو متوسد بردة فى ظل الكعبة و قد لقينا من المشركين شدة[3] فقلنا : ألا تدعو الله لنا ، فقعد و هو محمر وجهه فقال : كان الرجل فيمن كان قبلكم يحفر له فى الأرض فيجعل فيه فيجاء بالمنشار[4] فيوضع فوق رأسه فيشق باثنين ، و ما يصده ذلك عن دينه [و يمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو[5] عصب و ما يصده ذلك عن دينه - [6]] ١٠ و الله ليتمن الله[3] هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله / و الذئب على غنمه و لكنكم تستعجلون ؛ و عن ٦٧٨ / ابن عباس رضى الله عنهما : ما نزلت على النبى صلى الله عليه و سلم آية أشد و لا أشق من هذه الآية . و الاستقامه : الاستمرار فى جهة واحدة .

و لما كانت وسطا بين إفراط و تفريط و كان التفريط لا يكاد ١٥ يسلم منه إلا الفرد النادر ، و هو فى الأغلب يورث انكسار[7] النفس و احتقارها و الخوف من الله ، و كان الإفراط يورث إعجابا ، و ربما

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : لتستقم (٣) سقط من مد (٤) فى ظ : بالميشار (٥) من صحيح البخارى ٥١٠ ، وفى مد « و » (٦) زيد ما بين الحاجزين من مد و الصحيح (٧) فى ظ : لكساد

أفضى بالإنسان إلى ظن أنه شارع فينسلخ لذلك من الدين، طوى التفريط و نهى عن الإفراط فقال: ﴿ و لا تطغوا[1] ﴾ أى تتجاوزوا الحد فيما أمرتم به أو نهيتم عنه بالزيادة إفراطا ، فان الله تعالى إنما أمركم و نهاكم لتهذيب نفوسكم لا لحاجته إلى ذلك و لن تطيقوا أن تقدروا الله حق قدره ،

٥ و الدين متين لن يشاده أحد إلا غلبه ، فقد رضى منكم سبحانه لاقتصاد فى العمل مع حسن المقاصد ، و يجوز أن يكون المعنى : و لا تبطركم النعمة فتخرجكم عن طريق الاستقامة بمنة أو يسرة .

و لما نهى عن الإفراط و هو الزيادة تصريحا ، فأفهم النهى عن التفريط ، [1]و هو النقص عن المأمور تلويحا من باب الأولى ،

١٠ علل ذلك مؤكدا تنزيلا لمن يفرط أو يفرط منزلة المنكر[1] فقال: ﴿ انه بما تعملون ﴾ قدم الظرف لما تقدم من تأكيد الإبصار ﴿ بصير ه ﴾ و مادة ' طغى ' واوية و يائية بكل ترتيب تدور على مجاوزة الحد مع العلو ، فالغطاء : ما ستر به الشيء عاليا عليه ، و لا يكون ساترا لجميعه إلا إذا فضل عنه فتجاوز حده ، و غطى الليل - إذا غشى ، و كل شيء إرتفع

١٥ فهو غاط . و طغى السيل - إذا جاء بماء كثير ، و البحر[2] : هاجت أمواجه ،

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يكاد يسلم منه الا الفرد النادر و هو فى الاغلب يورث انكسار النفس و احتقارها و الخوف من الله و كان الإفراط يورث إعجابا و ربما أفضى بالإنسان إلى أظن أنه شارع فينسلخ لذلك من الدين طوى التفريط و نهى عن الإفراط - و قد مر آنفا (٢) فى ظ : الحب - كذا .

و الطغيان : مجاوزة الحد[1] فى العصيان ، و الغائط و[1] الغيط : المطمئن من الأرض ، لأن[2] ما كان كذلك وكانت[3] أرضه طيبة كانت لا تزال ريّا فيعلو ما نبت فيها و يخصب فيتجاوز الحد فى[4] ذلك . و منه الغوطة - لموضع بالشام كثير الماء و الشجر .

و لما نهى عن الإفراط [5]فى الدين ، أتبعه النهى عن التفريط بالتقصير فيه بسفول الهمم[5] [على وجه عام ، وكان الحب فى الله و البغض منه أوثق عرى الإيمان ، إشارة إلى ضده الذى هو من أوثق عرى الشيطان -[6]] فقال : ﴿ و لا تركنوآ ﴾ أى شيئا من ركون ، و قال : ﴿ الى الذين ظلموا ﴾ أى وجد منهم الظلم و لم يقل[1] ' الظالمين ' أى بالميل إليهم بأن تثاقل أنفسكم نحوهم للميل إلى أعمالهم و لو بالرضى بها[7] [8]و التشبه[8] بهم و التزيّ بزيهم ، و حاصل الآيتين : لا تظلموا بأنفسكم[9] و لا تستحسنوا أفعال الظالمين ، و فسر الزمخشرى الركون بالميل اليسير ، وهو حسن من جهة المعنى لكنى لم أره لغيره من أهل اللغة ، و قال الرمانى - و هو أقرب : الركون : السكون إلى الشيء بالمحبة و الانصباب إليه ، و نقيضه النفور عنه . و هو على التفسير الثانى فى ' تطغوا ' من عطف الخاص على العام ، و الآية ملتفتة إلى قوله تعالى " فلعلك تارك

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان (٤) سقط من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و فى مد : والتفريط (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٧) فى مد : منها . (٨-٨) فى ظ : بالتشبه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانفسكم .

بعض ما يوحى اليك " ﴿فتمسكم النار﴾ أى فيتسبب[1] عن ركونكم إليهم مسها لكم فلا تقدروا على التخلص منها بنوع حيلة من أنفسكم؛ [و-[2]] من إجلال النبي صلى الله عليه و سلم إفراده[3] بالخطاب[4] فى الأمر بأفعال الخير، و الإتيان بضمير الجمع فى النهى عن أفعال الشر - نبه على ذلك الإمام أبو حيان[5].

و لما كان كل موجود سوى الله فى قهره و تحت أمره، قال تعالى: ﴿و ما لكم﴾ و لما كان دون رتبته تعالى من الرتب و الذوات ما لا يحصيه غيره سبحانه، أدخل الجار تبعيضا فقال: ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعظم، و أعرق فى النفى فقال: ﴿من اولياء﴾ أى يخلصونكم من عذابه لما تقرر أن 'دون' من الأدون و هو الأقرب إلى جهة السفل؛ و الولى: المختص بأن من شأنه تولى / المعونة[6] عند الحاجة، و أشار إلى أن نصر مَنْ[7] لا ناصر له من الله محال بأداة البعد و بناء الفعل للمفعول فقال: ﴿ثم لا تنصرون﴾ أى ثم إذا فاتكم هذا و ذاك[8] فما أبعدكم من النصرة!

/ ٦٧٩

و لما كان العلم حاصلا بما سبق من الحكم من أن الآدمى محل العجز و التقصير، اتبع ذلك بأعلى مكفر لما يوجبه العجز و يقضى به الفتور و الوهن من الصغائر و أعمه و أجلبه للاستقامة، و ذلك يدل على أنها بعد الإيمان أفضل العبادات، فقال تعالى: ﴿ و اقم الصلوٰة ﴾

(١) فى ظ: فتسبب (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: افراد.
(٤) فى ظ: فى الخطاب (٥) راجع البحر المحيط ٥ / ٢٧٠ (٦) زيد بعده فى مد: من (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: ما (٨) فى ظ: ذلك.

أى

أى اعملها على استواء ﴿طرفى النهار﴾ بالصبح و العصر كما كان مفروضا بمكة فى أول الأمر قبل الإسراء، و يمكن أن يراد مع ذلك الظهر لأنها من الطرف الثانى ﴿و زلفا﴾ أى طوائف[1] و درجات و أوقات، جمع زلفة ﴿من اللّيل﴾ يمكن أن يكون المراد به التهجد، فقد كان مفروضا فى أول الإسلام، و يمكن أن يراد المغرب و العشاء مع الوتر أو[2] التهجد[3]؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ان الحسنت﴾ أى الطاعات كلها الصلاة و غيرها المبنية على أساس الإيمان ﴿يذهبن السيات﴾ أى الصغائر، و أما الكبائر [التى يعبر عنها بالفواحش و نحوه - [4]] فقد تقدم فى قصة شعيب عليه السلام عند قوله "ثم توبوا اليه" أنه لا يكفرها إلا التوبة لما فيها من الإشعار بالتهاون بالدين، و اجتنابها لا يكفر إلا إذا كان عن نية صالحة كما أفهمه صيغة الافتعال من قوله "ان تجتنبوا"؛ روى البخارى فى التفسير عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فذكر له ذلك فأنزل الله عليه "اقم الصلوٰة طرفى النهار" - الآية، قال الرجل: ألى هذه؟ قال: لمن عمل بها من أمتى. و هذا الحديث يؤيد قول ابن عباس رضى الله عنهما: إن هذه الآية من هذه السورة المكية مدنية.

و لما تم هذا على هذا الوجه الأعلى و الترتيب الأولى[5]، قال تعالى

(١) فى ظ: دوائف (٢) من ظ و مد. وفى الأصل «و» (٣) زيد بعده فى الأصل: و لما كان دون رتبته تعالى من الرتب و الذوات، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها و قد تقدمت آنفا (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الأولى.

مادحا له ليعرف مقداره فيلزم : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى الرتبة الذى تقدم من [1]الترغيب و الترهيب[1] و التسلية و تعليم الداء و الدواء للخلاص من الشقاء ﴿ ذكرى ﴾ أى ذكر عظيم ﴿ للذكرين ﴾ أى لمن فيه أهلية الذكر و الانتباه به بحضور القلب و صفاء الفكر [2]و نفوذ الفهم[2] .

و لما كان الصبر لله على المكاره أعلى الطاعة ، أتبع ذلك قوله : ﴿ و اصبر ﴾ أى ليكن منك صبر على الطاعات و عن المعاصى و لا تترك إنذارهم بما أمرت به مهما كان و لا تخفهم ، فان العاقبة لك إذا فعلت ؛ و لما كان مقام الصبر صعبا [3]و الاستقامة[3] على المحمود منه خاصة[3] خطرا ، و كانت النفس - لما لها من الجزع فى كثير من الأحوال - كالمنكرة ، أكد قوله : ﴿ فان ﴾ [4]الصبر هو الإحسان كل الإحسان و إن ﴿ الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ لا يضيع ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ اجر المحسنين ﴾ أى العريقين فى وصف الإحسان بحيث أنهم يعبدون الله كأنهم يرونه ، فلذلك يهون عليهم الصبر ، و ذلك لأن الطاعة كلفة فلا تكون[5] إلا بالصبر ، و كل ما عداها فهو هوى النفس لا صبر فيه ، فالدين كله صبر « حفت الجنة بالمكاره و النار بالشهوات » و لذا فضل ثواب الصابر " انما يوفى[6] الصٰبرون اجرهم بغير حساب " و الصبر المحمود : حبس النفس عن

(١-١) فى ظ : الترهيب و الترغيب (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد بعده فى الأصل : منه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد فى ظ و مد : اى (٥) فى ظ و مد : فلا يكون (٦) فى ظ : يوتى ، و راجع سورة ٣٩ آية ١٠ .

الخروج إلى ما لا يجوز من ترك الحق ، و نقيضه الجزع ، قال الشاعر :

إن تصبرا فالصبر خيرٌ مغبّةً و إن تجزعا فالأمر ما تريان

و هو من الصبر الذى هو المر المعروف لأنه تجرع[1] مرارة الحق بحبس النفس عن[2] الخروج إلى المشتهى مع الزاجر المعتبر من الشرع و العقل ، فهو أكره[3] شيء إلى النفس[4] ، و المعين عليه ما فى استشعار لزوم الحق ٥ من العز و الأجر بالطاعة و العلم بما يعقب من الخير فى كل وجه و عادة النفس له ، و قد غلب إطلاقه [5]على الحق حتى لا يجوز إطلاقه[5] إلا فيه - قاله الرمانى .

/ و لما كان ما تقدم كله مشيرا إلى استبعاد إيمان المعاندين بشيء من / ٦٨٠ تدبير آدمى كما تكاد القصص تنطق به ، و كذا الإعلام بأن عبادتهم ١٠ إنما هى للتقليد و باختلاف قوم موسى فى كتابه الذى هو هدى و رحمة ، وكل ذلك فطما عن طلب ما قد يهجس فى الخاطر من تمنى إجابتهم إلى ما يقترحون أو الكف عن بعض ما يغيظ من الإنذار ، و كان من طبع البشر البعد عن الانتهاء عن الخواطر إلا بعد التجربة ، كان ذلك ربما أوجب أن يقال : لو أجيبوا إلى سؤالهم[6] لربما رجعوا عن كثير مما هم فيه ، فدعاهم ١٥ ذلك إلى الرشاد ، فتسبب عنه أن يقال دفعا له : ﴿[5]فلو لا كان[5]﴾ و يجوز أن يكون مناسبتها أنه لما ذكر إهلاك القرون الماضية و الأمم السالفة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجزع (٢) فى ظ : على (٣) فى ظ : اكراه .
(٤) سقط من ظ و مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ و مد : سؤلهم .

بما مضى إلى أن ختم بالأمر بالصبر على الإحسان من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، كان من الجائز أن يقع فى فكر الاعتراض بأن يقال : ما الموجب لذلك ؟ فبين[1] أن سبب الهلاك الإعراض عن نهى منتهك الحرمات و المجترئ على هتك الأستار الجليلة[2] و الرتع فى الحمى مع تمكنهم بما أودع فيهم سبحانه من القوى و القدر على اختيار[3] جانب الخير و الإعراض عن جانب الشر فقال تعالى : "فلولا" بصيغة تحتمل[4] التخصيص ، و فيها معنى التفجع و التأسيف[5] لاعتبار كل من[6] كان على مثل حالهم ﴿ من القرون ﴾ أى المهلكين الأشداء[7] الكائنين فى زمان ما .

و لما كان المراد القرون التى تقدم ذكر إهلاكها ، و كانت أزمنتهم بعض الزمان الماضى ، أتى بالجار فقال : ﴿ من قبلكم اولوا ﴾ أى أصحاب ﴿ بقية ﴾ أى[8] حفظ و خير و مراقبة لما يصلحهم ، لأن مادة "بقى" تدور على الجمع ، و يلزمه[9] القوة و الثبات و الحفظ ، من قولهم : ابقه بقوتك مالك - وزن ادعه - أى احفظه حفظك مالك ، و يلزمه النظر و المراقبة : بقيت الشيء - إذا نظرت إليه و رصدته ، و يلزمه الثبات : بقى بقاء - إذا دام[10] ، و الخير و الجودة ؛ قال الزمخشرى : لأن الرجل يستبقى مما[11] يخرجه أجوده و أفضله ، و يقال : فلان من بقية قوم ، أى

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : فتبين (٢) فى ظ : الجبلية (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : اجتناب (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : يحتمل (٥) فى ظ : التاسف . (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : الاسراء (٨) سقط من ظ (٩) فى مد : تلزمه (١٠) فى ظ : ادام (١١) فى ظ : بما .

من

من خيارهم ، و سيأتى شرح ذلك مستوفى عند قوله تعالى "و جعلنا بينهم موبقا" إن شاء الله تعالى ﴿ ينهون ﴾ أى يجددون[2] النهى فى كل حين إشارة إلى كثرة المفسدين ﴿ عن الفساد ﴾ [الكائن -[3]] ﴿ فى الارض ﴾ و 'لولا' هنا كالتى فى يونس توبيخية أو استفهامية كما جوزهما الرمانى ، و يجوز أن تكون[4] تخصيصية كما قال الزمخشرى ، ٥ و يكون للسامع لا للهلك ، لأن الآية لما تضمنت إهلاك المقر على الفساد كان فى[5] ذلك أقوى حث لغيرهم على الأمر و النهى [و -[3]] أو فى تهديد زاجر عن ارتكاب مثل حالهم الموقع فى أضعاف نكالهم ، و فى تعقيب هذه الآية[6] لآية الصبر إشارة إلى أن الصبر على [7] الأمر بالمعروف[7] و النهى عن المنكر فى الذروة العليا ، و الآية ناظرة إلى قوله تعالى ١٠ "انما انت نذير" .

و لما كانت المعانى الثلاثة متضمنة للنفى ، كان المعنى : لم يكن من يفعل ذلك ، فاتصل الاستثناء فى قوله : ﴿ الا قليلا ﴾ أى صالحين ﴿ ممن انجينا منهم ج ﴾ و الظاهر أن 'من' بيانية ، أى هم الذين أنجينا فانهم نهوا عن الفساد ، [و عبر بالإنجاء لأنه الدال على الخير ١٥ الحامل للنهى عن الفساد دون التنجية الدالة على التدريج و [8] الإبلاغ فى [8] الإنجاء فلو عبر بها فسد المعنى -[3]] ﴿ و اتبع ﴾ الأكثر و هم ﴿ الذين ظلموا ﴾

(١) سورة ١٨ آية ١٢ (٢) فى ظ : يجددون (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكون (٥) سقط من مد (٦) فى ظ : لانه (٧ - ٧) فى مد : المعروف (٨ - ٨) ليس ما بين الرقمين فى ظ .

أى أوقعوا الظلم بترك[1] النهى عن الفساد ، و ما أحسن إطلاقها عن التقييد بـ "منهم" ﴿ ما ﴾ و لما كان المبطر لهم نفس الترف ، بنى للمفعول قوله : ﴿ اترفوا فيه ﴾ فأبطرتهم[2] النعمة حتى طغوا و تجبروا ﴿ و كانوا مجرمين * ﴾ أى متصفين على سبيل الرسوخ بالإجرام ، و هو قطع حبل الله على الدوام ، فأهلكهم ربك لإجرامهم ، و لو لا ذلك لما فعل ، فان إهلاكهم على تقدير الانفكاك عن الإجرام يكون ظلما على ما يتعارفون[3] .

و لما لاح بما مضى أن العبرة فى الإهلاك و الإنجاء للاكثر ، قرره و أكده و بينه بقوله : ﴿ و ما كان ربك ﴾ ذكر سبحانه بالوصف المفهم للاحسان[4] تثبيتا [له -[5]] و تأمينا ﴿ ليهلك القرى ﴾ أى إهلاكا عاما ﴿ بظلم ﴾ أى أىّ[6] ظلم [7]كان ، / صغير أو كبير[7] ﴿ و اهلها مصلحون * ﴾ [7]أى فى حال ظلم[7] بأن يوقع إهلاكهم فى حال إصلاحهم الذى هم عريقون فيه ، فيكون الإهلاك فى غير موقعه على ما يتعارف العباد مع العلم بأن له أن يفعل ذلك فى نفس الأمر لأنه[8] لا يسئل عما يفعل ؛ و الإهلاك : إيجاب ما يبطل الإحساس ، و الهلاك : ضياع الشىء و هو حصوله بحيث لا يدرى أين هو ؛ و الإصلاح : إيجاب ما يستقيم به الأمر [7]على ما يدعو إليه العقل[7]

٦٨١ /

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ترك (٢) فى ظ : فابطرتم (٣) سقط من ظ و مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : لاحسان (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) زيد فى ظ : فى (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) فى ظ : الذى .

ولما كان مثل هذه الآيات ربما أوهم أن إيمان مثل هؤلاء مما لا يدخل تحت المشيئة ، نفى ذلك الوهم مبينا انفكاك المشيئة عن الأمر بقوله : ﴿ ولو شآء ربك ﴾ أى المحسن إليك بكل إحسان يزيدك رفعة ﴿ لجعل الناس ﴾ أى كلهم ﴿ امة واحدة ﴾ على الإصلاح ، فهو قادر على أن يجعلهم كلهم مصلحين متفقين على الإيمان فلا يهلكهم ، ولكنه لم يشأ ذلك ، بل شاء اختلافهم والأمر تابع لمشيئته فاختلفوا ﴿ ولا يزالون مختلفين[1] ﴾ أى ثابتا اختلافهم لكونهم على أديان شتى ﴿ الا من رحم ربك[2] ﴾ أى المحسن إليك بالتأليف بينهم فى جعلهم من أهل طاعتك فانهم لا يختلفون فى أصول الحق[3] . ولما كان ما تقدم ربما أوجب أن يقال : لم لم يقبل بقلوبهم إلى الهدى ويصرفهم عن موجبات الردى إذا كان قادرا ؟ قال تعالى مجيبا عن ذلك : ﴿ ولذلك ﴾ أى الاختلاف ﴿ خلقهم[4] ﴾ [أى اخترعهم وأوجدهم من العدم وقدرهم - [3]] ، وذلك أنه لما طبعهم سبحانه على خلائق من الخير والشر تقتضى الاختلاف لتفاوتهم فيها . جعلوا كأنهم خلقوا له فجروا مع القضاء والقدر ، ولم يمكنهم الجرى على ما تدعو إليه العقول فى[4] أن الاتفاق رحمة والاختلاف نقمة ، فاستحق فريق منهم النار وفريق الجنة ، وليس ذلك مخالفا لقوله تعالى " وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون[5] "

---

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : ثابت (٢) زيد بعده فى مد : شتى (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى مد : من (٥) سورة ٥١ آية ٥٦

بل هو من شكله ، أى أنه تعالى لما ركبهم على العجز و منحهم العقول مع نصب الأدلة ، كان ذلك مهيئا للعبادة فكانوا كأنهم ما خلقوا إلا لها أى ما خلقتهم[1] إلا ليعرفونِ بنفوذ أقضيتى و تصاريفى فيهم فيعبدون . أى [2]يخضعوا لى[2] فمن كان منهم طائعا فهو عابد حقيقة . و من كان عاصيا كان ٥ عابدا مجازا ، أى خاضعا للأمر لنفوذه فيه و عجزه عن الامتناع كما قال تعالى "و لله يسجد من فى السمٰوٰت و الارض طوعا و كرها[3]" - الآية ، فقد بان أن خلقهم للعبادة فقط ينافى خلقهم للاختلاف ، لأن جريهم فى قضائه بالاختلاف عبادة و سجود لغة . و ذلك أن مادتى عبد و سجد تدوران[4] على الخضوع و الذل و الانقياد ، و بذلك كان الكل عبيد الله ، ١٠ أو[5] الإشارة إلى مجمع الاتفاق و الاختلاف ليظهر فضله على من ثبتهم و يظهر عدله فيمن خذلهم .

و لما كان هذا الاختلاف سبب الكفر الذى أرسل رسله بالقتال عليه ، كان ربما ظن أنه بغير مشيئته ، فبين أنه إنما[6] هو بمراده و لا اعتراض عليه فقال : ﴿ و تمت ﴾ أى فبادروا إلى ما خلقهم لهم[7] معرضين عن ١٥ أوامره و لم تغن عنهم عقولهم ، و تمت حينئذ ﴿ كلمت ربك ﴾ أى المحسن إليك بقهر أعدائك التى سبقت فى الأزل و هى و عزتى ﴿ لاملئن جهنم ﴾

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : خلقهم (٢ - ٢) فى ظ : يخضعون الى .
(٣) سورة ١٣ آية ١٥ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يدوران (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : ام (٦) فى ظ : ربما (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : له .

[أى - [1]] التى تلقى[2] المعذب فيها بالتجهم[3] و العبوسة ﴿ من الجنة ﴾ أى قبيل الجن ، [قدمهم لأنهم أصل فى الشر ، ثم عم فقال - [1]] : ﴿ و الناس اجمعين ﴾ فمشوا[4] على ما أراد[5] و لم يمكنهم مع عقولهم الجيدة الاستعداد و قواهم الشداد غير إلقاء القياد ، فمن قال : إنه يخلق فعله أو له قدرة على شىء[6] فليفعل غير ذلك بأن يخبر باتفاقهم ثم يفعله ٥ ليتم قوله . و إلا فليعلم أنه مربوب مقهور فيسمع رسالات ربه و يقبل إليه بقالبه و قلبه .

و لما أخبر سبحانه بما فعل بالقرى الظالمة ، و حذر كل من فعل أفعالهم بسطواته فى الدنيا و الآخرة ، و أمر باتباع أمره و الإعراض عن اختلافهم الذى حكم به و أراده ، عطف على قوله " نقصه عليك " ١٠ قوله : ﴿ و كلا نقص ﴾ أى و نقص ﴿ عليك ﴾ كل نبأ أى خبر عظيم جدا ﴿ من انبآء الرسل ﴾ مع أممهم : [7]صالحيهم و فاسديهم[7] ، فعم تفخيما للأمر ، و لما كان الذى جر هذه/ القصص ما مضى من قوله " فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك و ضائق به صدرك " - الآية ، و كان ساكن الصدر القلب ، و هو الفؤاد الذى به قوام الإنسان بل ١٥ الحيوان ، و هو أحرّ ما فيه ، و لذا[8] عبر عنه بما اشتق من الفأد و هو

(١) زيد من ظ ومد (٢) من مد ، وفى الأصل : يلقى ، وفى ظ : تلتقى (٣) من مد ، وفى الأصل : بالتحميم ، وفى ظ : بالتحريم - كذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : ارادوا (٦) فى ظ : الشىء (٧ - ٧) فى ظ و مد : صالحهم و فاسدهم (٨) فى مد : كذا .

الحرق ، و كان من لازم الحرارة الاضطراب و التقلب الذى اشتق منه القلب فيضيق به الصدر ، أبدل من "كلا[1]" قوله : ﴿ ما نثبت ﴾ أى تثبيتا عظيما ﴿ به فؤادك ج ﴾ أى فيسكن فى موضعه و يطمئن أو يزداد يقينه فلا يضيق الصدر من قولهم "لو لا انزل عليه كنز او جاء معه[2] ملك" و نحوه ، و [3]بهذا تبين[3] أن المراد بذلك العام خاص لحصول المقصود به ، و هو التسلية نظرا إلى قوله تعالى "و ضائق به صدرك" لأن المشاركة فى الأمور الصعبة تهون[4] على الإنسان ما يلقى من الأذى ، و الإعلام بعقوبات المكذبين فيها تأنيس للمكروب ؛ و التثبيت : تمكين إقامة الشىء ؛ و الفؤاد : العضو الذى من شأنه أن يحمى بالغضب الحال فيه ، من المفتأد و هو المحتوى .

و لما بين أن كل[5] ما قص عليه[6] من أخبارهم يستلزم هذا المقصود ، بين أنه ليس كما يعلل به غالبا من الأخبار الفارغة و الأحاديث المزخرفة الباطلة و لا مما ينقله المؤرخون مشوبا[7] بالتحريف فقال : ﴿ وجآءك فى هذه ﴾ أى الأخبار ﴿ الحق ﴾ أى الكامل فى الثبات الذى لا مرية فيه ، و فائدة الظرف التأكيد لعظم المقصود من آية[8] "فلعلك" و صعوبته .

و لما[9] كان الحق حقا بالنسبة إلى كل أحد عرفه و نكر ما هو خاص بقوم دون قوم فقال : ﴿ و موعظة ﴾ أى مرقق للقلوب ﴿ و ذكرى ﴾ أى تذكير عظيم جدا ﴿ للمؤمنين ٥ ﴾ أى الراسخين فى الإيمان ، و قد

(١) فى ظ : كل (٢) فى ظ : معك (٣-٣) فى ظ : هذا يعين (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهون (٥) فى ظ : كلا (٦) فى ظ : فيه (٧) فى ظ : مشجونا . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : كما .

تضمنت الآية الاعتبار من قصص الرسل [١] بما فيها من حسن صبرهم على أممهم و اجتهادهم على دعائهم إلى عبادة الله بالحق و تذكير الخير و الشر و ما يدعو إليه كل منهما من عاقبة النفع و الضر للثبات على ذلك جميعه اقتداء بهم .

و لما ذكر نفع هذا الحق ، كان كأنه قيل : فعظهم بذلك و ذكرهم به ، فعطف عليه قوله : ﴿ و قل ﴾ [٢] و يجوز أن يكون معطوفا على قوله " و اصبر " أى اصبر على ما أمرناك به من تبليغ وحينا و امتثاله ، و قل [٢] ﴿ للذين ﴾ أى لم تؤثر فيهم هذه الموعظة [٣] فهم ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى لا [٤] يتجدد لهم [٥] إيمان منذرا لهم ﴿ اعملوا ﴾ متمكنين ﴿ على مكانتكم [٦] ﴾ أى طريقتكم التى تتمكنون من العمل عليها .

و لما كان العمل واجبا عليه صلى الله عليه و سلم و على كل من [٦] تبعه فهم عاملون لا محالة سواء عمل الكفار أو لا ، قال مؤكدا لأجل إنكار الكفار أن يدوموا على العمل المخالف لهم مع [٧] ما يصل إليهم [٢] لأجله من الضر ، معريا له عن فاء السبب [٢] [لذلك و الاستئناف - [٨]] : ﴿ انا ﴾ [أى أنا و من معى - [٨]] ﴿ عملون ﴾ [[٢] أى ثابت عملنا [٢] ، لا نحول عنه لأن ما كان لله فهو دائم بدوامه سبحانه - [٩]] ، و حذف النون

(١) من ظ ومد ، و فى الأصل : الرسول (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المواعظ (٤) سقط من مد (٥) فى ظ و مد : منهم (٦) زيد فى مد : تبعهم (٧) فى ظ : على (٨) زيد من مد (٩) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

الثانية اكتفاء بمطلق التأكيد لأنه كاف فى[1] الإعلام بالجزم فى النية ، و فيه تأدب[2] بالإشارة إلى أن المستقبل أمر لا اطلاع عليه لغير الله فينبغى أن لا يبلغ فى التأكيد فيه غيره ، و هذا بخلاف ما فى سورة فصلت مما هو جارٍ على ألسنة[3] الكفرة ﴿ و انتظروآ ج ﴾ أى ما أنتم منتظرون له من قهرنا ﴿ انا منتظرون ٥ ﴾ أى ما وعدنا الله فى أمركم ، فان الله مهلكهم و منجيك لأنه عالم بغيب حالك و حالهم [4]و قادر عليكم[4] ؛ و الانتظار : طلب الإدراك لما[5] يأتى من الأمر الذى يقدر النظر إليه ؛ و التوقع : طلب ما يقدر أنه يقع ، و هما يكونان فى الخير و الشر و مع العلم و الشك ، و الترجى لا يكون إلا مع الخير و الشك .

و لما تضمن هذا التهديد العلم و القدرة ، قال عاطفا على ما تقديره : فلله كل ما شوهد من أمرنا و أمركم و أمر عالم [الغيب و ـ[6]] الشهادة كله ما كان من ابتداء أمورنا ﴿ و لله ﴾ أى المحيط وحده بكل شىء مع ذلك ﴿ غيب السمٰوٰت و الارض ﴾ أى جميع ما غاب علمه عن العباد فهو تام العلم ، [و منه ما ينهى عنه و إن ظن الجهلة أنه خارج عن قدرته لما أظهر[7] من الزجر عنه و من كراهيته .

و لما كان السياق هنا لأنه سبحانه خلق الخلق ذواتهم و معانيهم للاختلاف ، وكان تهديدهم على المعاصى ربما أوهم انه بغير إرادته ، فكان ربما قال جاهل : أنا برىء من المخالفين لأوليائه كثيراجدا ، و عادة الخلق أن من خالفهم خارج عن أمرهم ، كان الجواب على تقدير التسليم لهذا الأمر

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٢) فى ظ : تأديب (٣) فى ظ و مد : السن (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى مد : كما (٦) زيد من ظ . (٧) فى ظ : ظهر .

الظاهر : فله كان الأمر كله ظاهرا و باطنا - [1]] ﴿ و اليه ﴾ أى وحده ﴿ يرجع ﴾ [بعد أن كان ظهر للجاهل أن خرج عنه - [1]] ؛ و الرجوع : ذهاب الشيء إلى حيث ابتدأ منه ﴿ الامر كله ﴾ فى الحال على لبس و خفاء ، و فى المآل على ظهور و اتضاح و جلاء ، فهو شامل القدرة كما هو شامل العلم ، فلا بد من أن يرجع إليه أمرك و أمر أعدائك ، أى يعمل فيه عمل من يرجع إليه الأمر فيجازى المحسن باحسانه و المسيء باساءته ، و لذلك سبب عن إسناد الأمور كلها [إليه قوله - [1]] : ﴿ فاعبده ﴾ أى وحده عبادة لا شوب فيها ﴿ و توكل ﴾ معتمدا فى أمورك كلها ﴿ عليه [4] ﴾ فانه القوى المتين ، و فى تقديم الأمر / بالعبادة على التوكل تنبيه على أنه إنما ينفع العابد . / ٦٨٣

و لما كانت العادة جارية بأن [2] العالم قد يغفل ، نزه عن ذلك سبحانه [نفسه - [1]] فقال [مرغبا مرهبا - [1]] : ﴿ و ما ربك ﴾ أى المحسن إليك بما [3] يعلمه [4] باحاطة علمه [4] إحسانا ، و أغرق فى النفى فقال : ﴿ بغافل عما تعملون ﴾ [و لا تهديد أبلغ من العلم - [1]] ، و هـذا بعينه مضمون قوله تعالى " كتب احكمت ايته ثم فصلت من لدن حكيم خبير الا تعبدوا الا الله انى لكم منه نذير [5] و بشير [5] " [6] .

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان .
(٣) فى ظ : مما (٤ - ٤) فى ظ : باحاطة عمله ، و فى مد : من احاطة علمه .
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) تحته فى الأصل « النهاية ، الخزانة العامة ، الرباط . و إلى هنا ينتهى الجزء الثانى من الأصل » .

خاتمة الطبع

تم بمنه تعالى و حسن توفيقه طبع الجزء التاسع من تفسير « نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور » للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى يوم الأربعاء السادس من رجب الله المرجب سنة ١٣٩٥ هـ = ١٦ يوليو سنة ١٩٧٥ م تحت إشراف مدير الدائرة و عميدها أفضل العلماء بروفسور السيد عبد الوهاب البخارى - أبقاه الله لخدمة العلم و الدين !

و قد ألم بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة رفيق الفاضل محمد عمران الأعظمى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس) حفظه الله !

و اعتنى بتنقيحه خادم العلم و العلماء راقم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه !

و يليه الجزء العاشر إن شاء الله تعالى أوله «سورة يوسف عليه السلام» ، و نهائيا ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه و هو المسؤل لحسن الخاتمة ، و نصلى و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه . سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة ربه الغنى الحميد
السيد محمد حبيب الله القادرى الرشيد
(كامل الجامعة النظامية)
رئيس قسم التصحيح من دائرة المعارف العثمانية

[1]سورة يوسف عليه الصلاة و السلام[2]

[3]بسم الله الرحمن الرحيم و به الإعانة - آمين[3]

[مقصودها وصف الكتاب بالإبانة[4] لكل ما يوجب الهدى لما ثبت فيما مضى و يأتى فى هذه السورة من تمام علم منزله غيبا و شهادة و شمول قدرته قولا و فعلا ، و هذه القصة - كما ترى - أنسب الأشياء لهذا المقصود[5] ، فلذلك سميت سورة يوسف - و الله أعلم -[6]] .

﴿ بسم الله ﴾ الذى وسع كل شىء قدرة و علما ﴿ الرحمن ﴾ الذى لم يدع لبسا لعموم رحمته فى طريق الهدى ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى خص[7] حزبه بالإبعاد عن موطئ الردى .

لما خلل سبحانه تلك بما خللها به من القصص و الآيات القاطعة بأن القرآن من عنده [و -[6]] باذنه نزل ، و أنه لا يؤمن إلا من شاء إيمانه ، و أنه مهما شاء[8] كان ، و بيّن عظيم قدرته على مثل ما عذب به الأمم

---

(١) و من هنا استأنفت نسخة م (٢) مكية كلها على المعتمد و آيها مائة و إحدى عشرة آية بالإجماع - راجع روح المعانى ٤/١ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى ظ : بالاعانة (٥) فى م : المقصد (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٧) زيد بعده فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : شاء .

و على التأليف بين من[1] أراد و إيقاع الخلاف بين من شاء ، و أشار إلى أنه حكم بالنصرة لعابديه فلا بد أن يكون ما أراد لأنه إليه يرجع الأمر كله ، تلاها بهذه السورة لبيان هذه الأغراض بهذه القصة العظيمة الطويلة التى لقى فيها يوسف عليه الصلاة و السلام ما لقى من أقرب
٥ الناس إليه و من غيرهم و من الغربة و شتات الشمل ، ثم كانت له العاقبة فيه على أتم الوجوه لما تدرع به من الصبر على شديد البلاء و التفويض لأمر الله جل و علا تسلية لهذا النبى الأمين و تأسية بمن مضى من إخوانه المرسلين[2] فيما يلقى فى حياته من أقاربه الكافرين و بعد وفاته ممن دخل منهم فى الدين فى آل بيته كما وقع ليوسف عليه
١٠ السلام من تعذيب عقبه و عقب إخوته ممن بالغ فى الإحسان إليهم ، و قد وقع ليوسف عليه السلام بالفعل ما همّ الكفار من أقارب النبى صلى الله عليه و سلم بفعله به كما حكاه سبحانه فى قوله " ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك[3] " فنجا[4] منهم أن يكون شىء منه [5]بأيديهم إلا[5] ما كان من الحصر[6] فى شعب أبى طالب و من الهجرة بأمر[7] الحكيم العليم ، ثم نصر الله
١٥ يوسف عليه السلام على إخوته الذين فعلوا به ذلك و ملكه قيادهم ، فكان فى سوق[8] قصته عقب الإخبار بأن المراد بهذه القصص تثبيته صلى الله

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ما (٢) العبارة من هنا إلى « تهور ولدد » ساقطة من م (٣) سورة ٨ آية ٣٠ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : فنجاه . (٥-٥) من مد . و فى الأصل و ظ : ما بد بهم الى - كذا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحصى (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : مامل - كذا (٨) من مد ، =

عليه و سلم [1]و تسلية فؤاده إشارة إلى البشارة بما وقع له صلى الله عليه و سلم[1] يوم الفتح من ملك قيادهم [2]و رد[2] عنادهم و منّه عليهم و إحسانه إليهم ، و فى إشارتها بشارة بأن المحسود يعان و يعلى إن عمل ما هو الأحرى به و الأولى ، و من فوائد ذكرها التنبيه على أن الحسد داء عظيم شديد التمكن فى النفوس حتى أنه بعزم تمكنه و كثرة مكانه و تعدد كائنه ربما غلب أهل الصلاح إلا من بادر منهم بالتوبة داعى الفلاح ، و تركت إعادتها دون غيرها من القصص صونا للأكابر[3] عن ذكر ما ربما أوجب[4] اعتقاد نقص ، أو توجيه طعن أو غمص ، أو[5] هون[6] داء الحسد ، / عند ذى تهور و لدد ، و خللها سبحانه ببليغ الحكم [و ختمها -[7]] بما أنتجت من ثبوت أمر القرآن و نفى التهمة عن هذا النبى العظيم . /٣

هذا مناسبة ما بين السورتين ، و أما مناسبة الأول للآخر فانه[8] تعالى لما أخبر [فى آخر -[9]] تلك بتمام علمه و شمول قدرته ، دل على ذلك أهل السبق من[10] الفصاحة و الفوت فى البلاغة فى أول هذه بما فعل فى

= و فى الأصل : سون ، و فى ظ : شون - كذا .

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢ - ٢) فى مد : فكان من سودد و .

(٣) زيد بعده فى الأصل : عن ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

(٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : او جعل - كذا (٥) سقط من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : هور (٧) زيد من ظ و مد (٨) زيد بعده فى الأصل و ظ و م : قال ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٩) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (١٠) فى م و مد : فى .

كلامه من أنه تعالى يقدر على أن يأتى بما تذهب الأفهام و العقول - على كر الأزمان و تعاقب الدهور و توالى[1] الأيام و تمادى الليالى - فى معناه [2] كل مذهب و تطير كل مطار مع توفر الدواعى و استجماع القوى ، و لا تقف من ذلك على أمر محقق و لا مراد معلوم و على أن يأتى بما يفهم بأوائل النظر أدنى معناه[2] فهما يوثق بأنه مراد ، ثم لا يزال يبرز منه من دقائق المعانى كلما[3] كرر التأمل و تغلغل الفهم إلى حد يعلم أنه معجوز عن كل ما فيه من جليل معانيه و لطيف مبانيه فقال تعالى : ﴿ الٓرٰ ﴾ قال الرمانى : لم تعد[4] من الفواصل لأنها لا تشاكل رؤس الآيات[5] لأنها على حرفين ، فأجريت مجرى الأسماء الناقصة ، و إنما يؤم بالفواصل التمام ، و أما " طٰهٰ " فيعد لأنه يشبه رؤس آيها - انتهى .

و هذا قول من ذهب سهوا[6] إلى أن السجع مقصود فى القرآن ، و هو قول مردود[7] غير معتد [8]به كما[8] مضى القول فيه فى آخر سورة براءة ، [9]فانه لا فرق بين نسبته إلى أنه شعر و بين نسبته إلى أنه سجع ، لأن السجع صنع الكهان فيؤدى ذلك إلى ادعاء أنه كهانة و ذلك كفر لا شك فيه[9] ، و قد أطنبت فيه [فى - [10]] كتابى مصاعد النظر ، و بينت مذاهب

(١) من ظ و م مد و فى الأصل : تولى (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) فى ظ : كلها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم يعد (٥) فى ظ و م و مد : الآى (٦) سقط من م (٧) فى ظ و م و مد : مرذول ، و زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ و مد ، و لم تكن فى م فحذفناها (٨ - ٨) فى مد : كما به ؛
(٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من م (١٠) زيد من م .

العادين للآيات و أن مرجعها التوقيف مثل نقل القراآت سواء - و الله الهادى .

[1]و لما ابتدئت السورة الماضية بأن هـذا الكتاب محكم ، و ختمت بالحكمة المقصودة من قص أنباء الرسل ، و كان السياق للرد عليهم فى[2] تكذيبهم [به - [3]] فى قوله " ام يقولون افتراه " و دل على أنه أنزل بعلمه ، ابتدئت هذه لإتمام تلك الدالة بالإشارة إلى ما له من علو المحل و بعد الرتبة ، فعقب[4] سبحانه هذه المشكلة [5]التى ألقاها بالأحرف المقطعة و بان أنها مع إشكالها عند التأمل واضحة[5] بقوله [5]مشيرا إلى ما تقدم من القرآن و إلى هذه السورة[5] : ﴿ تلك ﴾ أى الآيات العظيمة العالية ﴿ الكتب ﴾ أى الجامع لجميع المرادات .

و لما تقدم أول سورتى يونس و هود وصفه بالحكمة و الإحكام و التفصيل ، وصف هنا بأخص من ذلك فقال تعالى : ﴿ المبين ﴾ أى البين فى نفسه أنه جامع معجز لا يشتبه على العرب بوجه ، و الموضح لجميع ما حوى ، و هو جميع المرادات لمن أمعن التدبر و أنعم التفكر ، و لأنه من عند الله " ما كان حديثا يفترى و لكن[6] [7]تصديق الذى بين يديه[7] " و " موعظة / و ذكرى[8] للمؤمنين " ؛ و البيان : إظهار المعنى للنفس بما[9] يفصله

٤ /

(١) العبارة من هنا إلى « بعد الرتبة » ساقطة من م (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد (٤) فى م : ثم عقب (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) فى مد : لكنه . (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) فى ظ : هدى (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : مما .

عن[1] غيره و هو غرض كل حكيم فى كلامه ، و يزيد عليه البرهان بأنه إظهار صحة المعنى بما يشهد به ؛ و أبان - لازم متعد ؛ ثم علل المبين بقوله [2]معبرا بالإنزال لأنه فى سياق تكذيبهم به بخلاف ما عبر فيه بالجعل كما يأتى فى الزخرف[2] : ﴿ انا انزلنه ﴾ بنون العظمة أى الكتاب المفسر بهذه السورة أو بالقرآن كله ﴿ قرءنا ﴾[3] سمى بعضه بذلك لأن القرآن اسم جنس يقع على الكل و البعض ﴿ عربيا ﴾ و علل إنزاله كذلك بقوله : ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أى لتكونوا[4] على رجاء من أن تكونوا من ذوى[5] العقل أو من أن تعقلوا ما يراد منكم ؛ قال أبو حيان : و لعل ترج فيه معنى التعليل .

و هذه الآية تدل على أن اللسان العربى أفصح الألسنة و أوسعها و أقومها و أعدلها ، لأن من المقرر أن القول - و إن خص بخطابه قوم - يكون عاما لمن[6] سواهم .

و لما بين أنه يقص عليه [من -[7]] أنباء الرسل ما يثبت[8] به فؤاده ، قال مثبتا و معللا[9] بأنه الكتاب بعلة أخرى مشاهدة هى أخص من الأولى : ﴿ نحن نقص عليك ﴾ و عظم هذه القصة بمظهر العظمة و أكد ذلك بقوله[10] تعالى : ﴿ احسن القصص ﴾ أى الاقتصاص

(١) سقط من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) زيد فى مد : ثم (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ليكونوا (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : ذى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما (٧) زيد من م و مد (٨) فى ظ : ثبت (٩) زيد فى ظ و م و مد : لا (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نقوله .

أو

أو المقصوص بأن تتبع بعض الحديث كما نعلمه [بعضا - [1]] فنبينه[2] أحسن البيان - لأنه من قص الأثر - تثبيتا لفؤادك و تصديقا لنبوتك و تاييدا لرسالتك على أحسن ترتيب و أحكم نظام و أكمل أسلوب و أوفى تحرير و أبدع طريقة مع ما[3] نفصلها به من جواهر الحكم و بدائع المعانى من الأصول و الفروع ، و هى قصة يوسف عليه السلام قصة طويلة هى فى ٥ التوراة فى نيف و عشرين ورقة لا يضبطها إلا حذاق أحبارهم ، من تأمل اقتصاصها فيها أو فى غيرها من تواريخهم ذاق معنى قوله تعالى "احسن القصص" حتى لقد أسلم قوم من اليهود لما رأوا من حسن اقتصاصها ، روى البيهقى فى أواخر الدلائل بسنده عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أن حبرا من اليهود دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٠ ذات يوم و كان قارئا للتوراة فوافقه و هو يقرأ سورة يوسف عليه السلام كما أنزلت على موسى عليه السلام فى التوراة فقال [له - [1]] الحبر : يا محمد ! من علمكها ؟ قال : الله علمنيها ، فرجع إلى اليهود فقال [لهم - [4]] : أتعلمون [5] و الله [5] أن محمدا ليقرأ القرآن كما أنزل فى التوراة ! فانطلق بنفر منهم حتى دخلوا عليه فعرفوه بالصفة و نظروا إلى خاتم النبوة بين كتفيه ، ١٥ فجعلوا يستمعون إلى قراءته لسورة يوسف ، فتعجبوا منه و قالوا[6] : يا محمد ! من علمكها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم / : علمنيها الله ، فأسلم / ٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : نبينه (٣) سقط من ظ (٤) زيد من م و مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قال .

القوم عند ذلك .

و قد ضمنها سبحانه من النكت و العبر و الحكم أمرا عظيما ، و ذكر فيها حسن مجاورة يوسف عليه الصلاة و السلام لإخوته و صبره على أذاهم و حلمه عنهم و إغضاءه عند لقائهم[1] عن تبكيتهم[2] و كرمه فى العفو ، و الأنبياء و الصالحين و الملائكة و الشياطين و الإنس و الجن و الأنعام و الطير و سير[3] الملوك و المماليك و التجار و العلماء و[4]الجهال و الرجال[4] و النساء و مكرهن و التوحيد و النبوة و الإعجاز و التعبير و السياسة و المعاشرة و تدبير المعاش و جميع الفوائد التى تصلح للدين و الدنيا ، و ذكر الحبيب و المحبوب ، و لم يدخل فيها شيئا من غيرها دون سائر القصص ، و كان عقابها إلى خير و سلامة و اجتماع شمل و عفو من الله و تجاوز عن الكل ﴿ بمآ اوحينآ ﴾ أى بسبب إيحائنا ﴿ اليك ﴾ .

و لما كان إنزال[5] القرآن بجمع الخيرات ، عين المراد بالإشارة و اسم[6] العلم فقال : ﴿ هذا القرآن ﴾ الذى قالوا فيه : إنه مفترى ، فنحن نتابع فيه القصص[7] قصة بعد قصة و الحكم حكمة فى أثر حكمة حتى لا يشك شاك و لا يمترى ممتر فى أنه من عندنا و باذننا و يكون أمره فى البعد من اللبس أظهر من الشمس .

و لما كانوا مع معرفتهم به صلى الله عليه و سلم عارفين بأنه كان

(١) فى ظ و م و مد : لقياهم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبكيته .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سائر (٤-٤) فى ظ : الرجال و الجهال .
(٥) فى مد : الانزال (٦) فى ظ و مد : الاسم (٧) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : القص .

مباعدا للعلم و العلماء ، و كان فعلهم فى التكذيب فعل من ينكر ذلك ، قال : ﴿ و ان ﴾ أى و إن الشأن و الحديث ﴿ كنت ﴾ و لما كان كونه لم يستغرق الزمان الماضى ، أثبت الجار فقال : ﴿ من قبله ﴾ أى هذا الكتاب أو إيحائنا إليك به ﴿ لمن الغفلين * ﴾ أى عن هذه القصة و غيرها ، مؤكدا له بأنواع التأكيد . و هو ناظر إلى قوله آخرها ٥ " و ما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم و هم يمكرون " بعد التفاته عن كثب[1] إلى آخر التى قبلها " و ما ربك بغافل عما تعملون[2] " ؛ و الحسن : معنى يتقبله العقل و يطرق[3] إلى طلب المتصف به أنواع الحيل ، و مادة ، غفل ، بكل ترتيب تدور على الستر و الحجب ، من الغلاف الذى يوضع فيه الشىء فلا ينظر منه شيئا و لا ينظره شىء ما دام فيه ، ١٠ و منه الغلفة - للجلدة التى على الكمرة ، و الغفل - بالضم : ما لا علامة [له -[4]] من الأرض ، و دابة[5] غفل : لا سمة[6] لها ، لأن عدم العلامة مؤدٍ إلى الجهل بها فكأنها فى غلاف لاينظر[7] منه ، و منه رجل غفل[8] : لا حسب عنده ، لأن ذلك أقرب إلى جهله ، و التغفل : الختل ، أى أخذ الشىء من غير أن يشعر ، فقد ظهر أن مقصود السورة وصف ١٥ الكتاب بعد الحكمة و التفصيل بالإبانة عن جميع المقاصد المنزل لها ؛ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : هذه السورة من[9] جملة ما قص

(١) فى مد : لشب - كذا ، و يقال : عن كثب ، أى عن قريب (٢) من مد و قراءة حفص ، و فى الأصل و ظ و م : يعملون (٣) فى ظ : يطرقه (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دابه (٦) فى مد : سرة (٧) فى م : لاتنظر (٨) فى ظ : غلف (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن .

عليه صلى الله عليه و سلم من أنباء الرسل و أخبار من تقدمه مما فيه
٦/ التثبيت / الممنوح[1] فى قوله سبحانه و تعالى "و كلا نقص عليك [2]من انباء
الرسل[2] ما نثبت به فؤادك" و مما وقعت الإحالة عليه فى سورة الأنعام
- كما تقدم - و إنما أفردت على حدتها و لم تنسق[3] على قصص الرسل مع أنهم
٥ فى سورة واحدة لمفارقة مضمونها تلك القصص ، ألا ترى أن تلك قصص
إرسال[4] من تقدم ذكرهم عليهم الصلاة و السلام و كيفية تلقى قومهم لهم
و إهلاك مكذبيهم[5] ، أما هذه القصة فحاصلها فرج بعد شدة و تعريف
بحسن عاقبة الصبر ، فانه تعالى امتحن يعقوب عليه الصلاة و السلام بفقد
ابنيه و بصره و شتات بنيه . و امتحن يوسف عليه الصلاة و السلام بالجب
١٠ و البيع و امرأة العزيز و فقد الأب و الإخوة و السجن ، ثم امتحن
جميعهم بشمول الضر و قلة ذات اليد "مسنا و اهلنا الضر و جئنا ببضاعة
مزجاة فاوف لنا الكيل [2]و تصدق علينا[2]" ثم تداركهم الله بالفهم
و جمع شملهم و رد بصر أبيهم و ائتلاف قلوبهم و رفع ما نزغ به الشيطان
و خلاص يوسف عليه الصلاة و السلام [6]من كيد[6] من كاده و اكتنافه
١٥ بالعصمة و براءته عند الملك و النسوة ، و كل ذلك مما أعقبه جميل
الصبر و جلالة اليقين فى[7] حسن تلقى الأقدار بالتفويض و التسليم على
توالى الامتحان و طول المدة ، ثم انجرّ فى أثناء هذه القصة الجليلة إنابة

(١) فى ظ : الممنوع (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من م ، و فى الأصل : لا تنسيق ، و فى ظ : لا تنسبق ، و فى مد : لا تنسق (٤) فى مد : الرسالة .
(٥) فى ظ : مكذبهم (٦-٦) فى ظ : و بكيد - كذا (٧) فى ظ « و » .

امرأة

امرأة العزيز و رجوعها إلى الحق و شهادتها ليوسف عليه الصلاة و السلام بما منحه الله من النزاهة عن كل ما يشين ، ثم استخلاص العزيز إياه - إلى ما انجز[1] فى هذه القصة الجليلة من العجائب و العبر ، [" لقد -[2]] كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب " فقد انفردت هذه القصة بنفسها و لم تناسب ما ذكر من قصص نوح و هود و صالح و لوط و شعيب و موسى ٥ عليهم الصلاة و السلام و ما جرى فى أممهم ، فلهذا فصلت عنهم ، و قد أشار فى سورة برأسها إلى عاقبة من صبر و رضى و سلم ليتنبه المؤمنون على ما فى طىّ ذلك ، و قد صرح[3] لهم بما أجملته هذه السورة من الإشارة فى قوله تعالى " وعد الله الذين امنوا منكم و عملوا الصالحت ليستخلفنهم فى الارض - إلى قوله : امنا[4] " و كانت قصة يوسف عليه الصلاة و السلام ١٠ بجملتها أشبه شيء بحال المؤمنين فى مكابدتهم فى أول الأمر و هجرتهم و تشققهم[5] مع قومهم و قلة ذات أيديهم إلى أن جمع الله شملهم " اذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا[6] " و أورثهم [الله -[7]] الأرض و أيدهم و نصرهم ، ذلك بجليل إيمانهم و عظيم صبرهم ، فهذا ما أوجب تجرد هذه القصة عن تلك ١٥ القصص - و الله أعلم ، و أما تأخر ذكرها عنها فمناسب لحالها / و لأنها ٧/ إخبار بعاقبة من آمن و اتعظ و وقف عند ما حد له ، فلم يضره

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انجز (٢) زيد من م و القرآن الكريم (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : صرحت (٤) سورة ٢٤ آية ٥٥ (٥) فى م و مد : تشتتهم (٦) سورة ٣ آية ١٠٣ (٧) زيد من مد .

ما كان ، ولم تُذكر إثر قصص الأعراف لما بقى من استيفاء تلك القصص الحاصل ذلك فى سورة هود ؛ ثم إن ذكر أحوال المؤمنين مع من كان معهم من المنافقين و صبرهم عليهم مما[1] يجب أن يتقدم ويعقب بهذه القصة من حيث عاقبة [الصبر -[2]] و الحض عليه
٥ - كما مر ، فأخرت إلى عقب سورة هود عليه الصلاة و السلام لمجموع هذا - و الله تعالى أعلم[3] ؛ ثم ناسبت[4] سورة يوسف عليه الصلاة و السلام أيضا أن تذكر إثر قوله تعالى "[5] ان الحسنت يذهبن السيئات[6] ذلك ذكرى للذاكرين[6] "، [و قوله -[7]] " و اصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين[8] " و قوله " و لوشاء ربك لجعل الناس امة
١٠ واحدة[9] " - الآية[10] ، و قوله " و قل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عملون و انتظروا انا منتظرون[11] " فتدبر ذلك ، أما نسبتها للأولى فان ندم إخوة يوسف عليه الصلاة و السلام و اعترافهم بخطاء فعلهم و فضل يوسف عليه الصلاة و السلام عليهم " لقد اثرك الله علينا و إن كنا لخاطئين[12] " و عفوه عنهم "[13] لا تثريب عليكم اليوم
١٥ [6] يغفر الله لكم[6] " و ندم امرأة العزيز و قولها " الأن حصحص الحق[14] " - الآية ، كل هذا من باب إذهاب[15] الحسنة السيئة ، وكأن ذلك مثال

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما (٢) زيد من م و مد (٣) سقط من مد (٤) فى ظ : تناسب (٥) سورة ١١ آية ١١٤ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م ومد (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) سورة ٩ آية ١٢٠ (٩) سورة ١١ آية ١١٨ (١٠) سقط من ظ (١١) سورة ١١ آية ١٢٢ (١٢) آية ٩١ . (١٣) آية ٩٢ (١٤) آية ٥١ (١٥) فى ظ : اذهب .

لما عرف المؤمنون من إذهاب الحسنة السيئة ؛ و أما نسبة السورة لقوله تعالى "و اصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين" فان هذا أمر منه سبحانه لنبيه عليه الصلاة و السلام بالصبر على قومه ، فاتبع بحال يعقوب و يوسف عليهما[1] الصلاة و السلام و ما كان من [2]أمرهما و[2]صبرهما مع طول المدة و توالى امتحان يوسف عليه الصلاة و السلام بالجب ٥ و مفارقة الأب و السجن حتى خلصه الله أجمل خلاص بعد طول تلك المشقات ، ألا ترى قول نبينا و قد ذكر يوسف عليه الصلاة و السلام فشهد له بجلالة الحال و عظيم الصبر فقال «و لو لبثت فى السجن ما لبث أخى يوسف لأجبت الداعى[3]» فتأمل عذره له عليهما الصلاة و السلام و شهادته بعظيم قدر يوسف عليهما الصلاة و السلام "و كلا نقص عليك ١٠ من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك[4]" .

لما قيل له "و اصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين" اتبع بحال يعقوب و يوسف عليهما الصلاة و السلام من المحسنين "[5] و وهبنا له اسحق و يعقوب - [6]إلى قوله : و كذلك نجزى المحسنين" و قد شملت الآية ذكر يعقوب[6] و يوسف عليهما الصلاة و السلام ، و نبينا عليه أفضل[7] ١٥ الصلاة و السلام قد أمر [8]بالاقتداء فى الصبر[8] بهم ، و قيل له "فاصبر

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليهم (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) هذا الحديث قد أورده البخارى فى أبواب عديدة من صحيحه و راجع أيضا مسند الإمام أحمد ٢/٣٢٦ و ٣٣٢ (٤) سورة ١١ آية ١٢٠ . (٥) سورة ٦ آية ٨٤ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) سقط من ظ و م و مد (٨-٨) فى ظ : فى الاقتداء بالصبر .

كما صبر اولوا العزم من الرسل[١]" و يوسف عليه الصلاة و السلام من أولى[٢] العزم؛ [٣]ثم إن حال يعقوب و يوسف عليهما الصلاة و السلام[٣] - /٨ / فى صبرهما و رؤية حسن عاقبة الصبر فى الدنيا مع ما[٤] أعد الله[٥] لهما من عظيم الثواب - [٦]أنسب شيء لحال نبينا[٦] عليه الصلاة و السلام فى ٥ مكابدة[٧] قريش و مفارقة وطنه ، ثم تعقب[٨] ذلك بظفره بعدوه و إعزاز دينه و إظهار كلمته و رجوعه إلى بلده على حالة قرت بها عيون المؤمنين و ما فتح الله عليه و على أصحابه - فتأمل ذلك ، و يوضح ما ذكرناه ختم السورة بقوله تعالى "حتى اذا استيئس الرسل و ظنوا انهم قد كذبوا جاء نصرنا[٩]" - الآية ، فحاصل هذا كله الأمر بالصبر و حسن ١٠ عواقب[١٠] أولياء الله فيه ؛ و أما[١١] النسبة لقوله "و لو شاء ربك[١٢] لجعل الناس امة واحدة و لايزالون مختلفين" فلا أنسب لهذا و لا أعجب من حال إخوة فضلاء لأب واحد من أنبياء الله تعالى و صالحى عباده جرى بينهم من التشتت ما جعله الله عبرة لأولى الألباب ؛ و أما النسبة لآية التهديد فبينة[١٣] ، و كأن الكلام فى قوة "اعملوا على مكانتكم - و انتظروا"

(١) آية ٤٦ (٢) فى مد : اهل (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) سقط من مد (٥) سقط من ظ و م و مد (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : اقتباس الحال نبينا ، و فى ظ : انسباس الحال نبينا ، و فى م : انسب شيء لنبينا - كذا . (٧) من م و مد ، و فى الأصل : مكايدة ، و فى ظ : مكابة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عقب (٩) آية ١١٠ (١٠) فى ظ و م و مد : عاقبة (١١) فى ظ : ما (١٢) سقط من ظ (١٣) فى الأصول كلها : فبينه - كذا .

فلن[1] نصبر عليكم مدة صبر يعقوب و يوسف عليهما الصلاة و السلام ، فقد وضح بفضل[2] الله وجـــهُ[3] ورود هـذه السورة عقب سورة هود - و الله أعلم . انتهى .

و لما تم ما أراد تعالى من تعليلى الوصف [بالمبين - [4]] أبدل من قوله " احسن القصص " قوله : ﴿ اذ ﴾ أى نقص عـليك خبر[5] إذ ، ٥ أى خبر يوسف إذ[5] ﴿ قال يوسف ﴾ أى ابن يعقوب إسراءيل الله[5] عليهما الصلاة و السلام ﴿ لابيـه ﴾ و بين أدبه بقوله - مشيرا بأداة[6] البعد إلى[7] أن أباه عالى المنزلة جدا ، و إلى أن الكلام الآتى مما له وقع عظيم ، فينبغى أن يهتم بسماعه و الجواب عنه ، و غير ذلك من أمره - : ﴿ يـٰابت ﴾ تاءه للتأنيث لأنه يوقف عليها عند بعض القراء بالهاء ، و كسرتها ١٠ عند من كسر دالة على ياء[8] الإضافة التى عوض عنها بتاء التأنيث[9] ، و اجتماع الكسرة معها كاجتماعها[10] مع الياء ، و فتحتها عند من فتح عوض عن الألف القائمة مقام ياء الإضافة .

و لما كان صغيرا ، و كان المنام[11] عظيما خطيرا ، اقتضى المقام التأكيد فقال : ﴿ انى رايت ﴾ أى فى منامى ، فهو من الرؤيا التى هى رؤية فى المنام ، ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٢) فى ظ : بوجه (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد من م ، و موضعه فى مد : بالمؤمنين (٥) سقط من مد (٦) زيد بعده فى الأصل : الفصل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) زيد بعده فى مد : الا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٩) راجع أيضا البحر المحيط ٥ / ٢٧٩ (١٠) فى ظ و مد : لاجتماعها (١١) فى ظ : المقام .

فرق بين حال النوم و اليقظة فى ذلك بألف التأنيث ﴿ احد عشر كوكبا ﴾ [١] أى نجما كبيرا ظاهرا جدا [٢] مضيئا براقا ، و فى عدم تكرار هذه القصة فى القرآن رد [٣] على من قال : كررت قصص الأنبياء عليهم الصلاة و السلام تمكينا لفصاحتها بترادف السياق ، و فى تكرير قصصهم

٥ رد على من قال : إن هذه لم تكرر لئلا تفتر فصاحتها ، فكأن عدم تكريرها لأن [٤] مقاصد السور لم تقتض ذلك ـ و الله أعلم.

و لما كان للنيرين اسمان يخصانهما [٥] هما فى غاية الشهرة [٥] ، قال معظما لهما : ﴿ و الشمس و القمر ﴾ [٥] و لما [٥] تشوفت [٦] النفس إلى الحال التى رآهم عليها ، [٧] فكان كأنه [٧] قيل : على أىّ حال ؟ [٨] و كانت الرؤيا [٩]

٩/ ١٠ باطن البصر / الذى هو باطن النظر ، فكان التعبير بها للاشارة [١٠] إلى غرابة هذا الأمر ، زاد فى الإشارة إلى ذلك باعادة الفعل ، و ألحقه ضمير العقلاء لتكون [١١] دلالته على كل من عجيب أمر الرؤيا و من فعل المرئى الذى لا يعقل فعلَ العقلاء من وجهين [١٢] فقيل [١٣] : ﴿ رايتهم لى ﴾

(١) العبارة من هنا إلى «براقا» ساقطة من م (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ردا (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لا ـ كذا (٥-٥) سقط مابين الرقمين من م (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تشوقت (٧ - ٧) فى م : فكأنه (٨) العبارة من هنا إلى « من وجهين » ساقطة من م (٩) فى مد : الروية (١٠) فى مد : الاشارة (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ليكون (١٢) و فى البحر ٥ / ٢٨٠ : و جمعهم جمع من يعقل لصدور السجود له و هو صفة من يعقل و هذا سائغ فى كلام العرب. و راجع أيضا الكشاف للزمخشرى (١٣) زيد بعده فى الأصل : له ، و لم تكن الزيادة فى بقية الأصول فحذفناها .

أى خاصة ﴿ سٰجدين ﴾ [أجراهم مجرى العقلاء لفعل العقلاء -[1]] .
فكأنه[2] قيل : ما ذا قال له[3] أبوه ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ عالما بأن إخوته
سيحسدونه على ما تدل عليه هذه الرؤيا إن سمعوها ﴿ يٰبنى ﴾ فبين
شفقته عليه ، و أكد النهى باظهار الإدغام فقال : ﴿ لا تقصص رءياك ﴾
أى هذه ﴿ علىٰ اخوتك ﴾ ثم سبب عن النهى قوله[4] : ﴿ فيكيدوا ﴾ أى ٥
فيوقعوا ﴿ لك كيدا[5] ﴾ أى يخصك ، فاللام الاختصاص . و فى الآية دليل
على أنه لا نهى عن الغيبة للنصيحة ، بل هى مما يندب إليه ؛ قال الرمانى[6] :
و الرؤيا : تصور[6] المعنى فى المنام على توهم الإبصار ، و ذلك أن العقل مغمور
بالنوم ، فاذا تصور الإنسان المعنى توهم أنه يراه[7] ؛ و قال الإمام الرازى
فى اللوامع : هى ركود الحواس الظاهرة عن الإدراك و الإحساس ، ١٠
و حركة المشاعر الباطنة إلى المدارك ، فان للنفس الإنسانية حواسّ ظاهرة
و مشاعر باطنة ، فاذا سكنت الحواس الظاهرة استعملت الحواس الباطنة
فى إدراك الأمور الغائبة ، فربما تدركها على الصورة التى هى عليها ،
فلا يحتاج إلى تعبير ، و ربما تراها[8] فى صورة محاكية مناسبة لها فيحتاج
إلى التعبير ، مثال الأول رؤيا النبى صلى الله عليه و سلم أنه دخل المسجد الحرام ، ١٥

(١) زيد ما بين الحاجزين من م (٢) فى ظ : فكان (٣) من م ، و فى الأصل وظ و مد : لهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قبله (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرومانى (٦) زيد بعده فى الأصل و ظ : الرويا فى المنام تصور ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يراع (٨) من م و مد ، و فى الأصل وظ : نواها .

و الثانى كرؤيا يوسف عليه الصلاة و السلام هذه . و قال الرمانى: و الرؤيا الصادقة لها تأويل ، و الرؤيا الكاذبة لا تأويل لها - انتهى . و هذا لمن ينام قلبه و هم من عدا الأنبياء[1] عليهم الصلاة و السلام .

و لما كانت العادة جارية بأن شفقة الإخوة تمنع[2] من مثل ذلك ، علله تقريبا له بقوله: ﴿ ان الشيطن ﴾ أى المحترق[3] المبعد ﴿ للانسان ﴾ أى عامة و لا سيما الأكابر منهم ﴿ عدو مبين ٥ ﴾ أى واضح العداوة [4]و موضحها لكل واع فيوقع العداوة[4] بما يخيله من فوت[5] الحظوظ بتركها ، و فى الآية دليل على أن أمر الرؤيا مشكل ، فلا ينبغى أن تقص إلا على شفيق ناصح .

و لما علم يعقوب عليه الصلاة و السلام من هذه الرؤيا ما سيصير إليه ولده من النبوة و الملك قال: ﴿ و كذلك ﴾ أى قد اجتباك ربك للاطلاع على هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف و عز ، و مثل ما اجتباك[6] لها ﴿ يجتبيك ﴾ أى يختارك و يجمع لك معالى[7] الأمور ﴿ ربك ﴾ المربى لك بالإحسان للملك و النبوة ﴿ و يعلمك من ﴾ أى[8] بعض ﴿ تاويل الاحاديث ﴾ [من -[9]] الرؤيا و غيرها من كتب الله و سنن الأنبياء و غوامض ما تدل عليه المخلوقات الروحانية و الجسمانية ،

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لانبياء (٢) فى مد : يمنع (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المحترف (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : قوة (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اجتبيناك . (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : معانى (٨) سقط من ظ (٩) زيد من ظ و م و مد .

لأن الملك و النبوة لايقومان إلا بالعلم و التأويل المنتهى الذى يصير إليه المعنى ، و ذلك فقه الحديث الذى هو حكمة لأنه إظهار ما يؤل إليه أمره مما عليه معتمد فائدته[١] ، / و أكثر استعماله فى الرؤيا ﴿و يتم نعمته﴾ /١٠ بالنبوة ﴿عليك﴾ بالعدل و لزوم المنهج السوى ﴿و على آل يعقوب﴾ أى جميع إخوتك و من أراد الله من ذريتهم ، فيجعل نعمتهم فى الدنيا ٥ موصولة[٢] بنعمة الآخرة ، لأنه عبر عنهم فى هذه الرؤيا بالنجوم المهتدى بها ، و لايستعمل الآل إلا فيمن له خطر و شرف ، و إضافته مقصورة على إعلام الناطقين ، قال الراغب : و أما آل[٣] الصليب إن صح نقله فشاذ[٤] ، و يستعمل فيمن لا خطر له الأهل ﴿كما أتمها على ابويك﴾ .

و لما كان وجودهما لم[٥] يستغرق الماضى ، أدخل الجار فقال : ١٠ ﴿من قبل﴾ أى [من -[٦]] قبل هذا الزمان ؛ ثم بين الأبوين بجده و جد أبيه فقال: ﴿ابرٰهيم﴾ أى بالخلة و غيرها من الكرامة ﴿و﴾ ولده ﴿اسحٰق[٤]﴾ بالنبوة و جعل الأنبياء و الملوك من ولده ، و إتمام النعمة : الحكم[٧] بدوامها على خلوصها من شائب فيها بنقصها .

و لما كان ذلك لايقدر عليه إلا بالعلم المحيط بجميع[٨] الأسباب ليقام ١٥ منها ما يصلح ، و الحكمة التى بها [يحكم -[٩]] ذلك السبب عن أن

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاسدته (٢) فى مد : موصلة (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : آلى (٤) فى مد : فساد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالحكم (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لجميع (٩) زيد من م و مد .

يقارنه سبب غيره ، و كان السياق[1] بالعلم أولى[2] لما ذكر من علم التأويل مع ما تقدم من قوله آخر تلك "و لله غيب السمٰوٰت [3]و الارض[3]" - الآية[4] و ما[5] شاكل ذلك أول هذه ، قال : ﴿ ان ربك عليم ﴾ أى بليغ[6] العلم ﴿ حكيم ۝ ﴾ أى بليغ[6] الحكمة ، و هى وضع الأشياء فى أتقن مواضعها .

و لما كان ذلك ، توقع السامع له ما يكون بينه و بين إخوته هل يكتمهم الرؤيا أو يعلمهم بها ؟ و على كلا التقديرين ما يكون ؟ فقال تعالى جوابا لمن كأنه قال : ما كان من أمرهم ؟ - مفتتحا له بحرف التوقع و التحقيق بعد لام[7] القسم تأكيدا للأمر و إعلاما بأنه على أتقن وجه - :[8] ﴿ لقد كان ﴾ أى كونا هو فى أحكم مواضعه ﴿ فى يوسف [9]و اخوته[9] ﴾ أى بسبب هذه الرؤيا و ما كان من تأويلها و أسباب ذلك ﴿ ءايٰت ﴾ أى علامات عظيمة دالات على وحدانية الله تعالى و نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و غير ذلك مما تضمنته القصة ﴿ للسآئلين ۝ ﴾ [أى -[10]] الذين يسألون عنها من قريش و اليهود و غيرهم ، و آيات[11] عظمة الله و قدرته فى تصديق رؤيا يوسف عليه الصلاة و السلام و نجاته ممن كاده و عصمته

(١) فى ظ : القياس (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اول (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) ١٢٣ من هود (٥) فى ظ : لما (٦) فى مد : بالغ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كلام (٨) فى م : الوجوه . (٩-٩) تأخر ما بين الرقمين فى م عن « أسباب ذلك » (١٠) زيد من مد (١١) من م و مد ، و فى الأصل : ابان ، و فى ظ : امان ، و زيد بعده فى م : على .

و إعلاء أمره ، و المراد باخوته هنا العشرة الذين هم من أبيه و هم[1] : روبيل و شمعان - بمعجمة أوله . و لاوى ، و يهوذا ، و زيلون - بزاى و موحدة ، و إيساخار - بهمزة مكسورة و تحتانية و سين مهملة و خاء معجمة ، و دان - بمهملة ، و جاد - بجيم ، بينها و بين الكاف[2] ، و آشير - بهمزة ممدودة و شين معجمة ثم تحتانية و مهملة . و نفتالى - بنون مفتوحة و فاء ساكنة و مثناة فوقانية و لام بعدها ياء . و شقيقه بنيامين - بضم الموحدة ، هكذا[3] ذكرهم فى التوراة ، و حررت التلفظ بهم من العلماء بها . و قد تقدم ذلك فى البقرة / بزيادة[4] . و الآية : الدلالة[5] على ما كان من الأمور العظيمة ، و مثلها العلامة و العبرة ، [و -[6]] الحجة أخص منها ، لأنها معتمد البينة التى توجب الثقة بصحة المعنى الذى فيه أعجوبة . /١١١

و لما تقرر ذلك ، ابتدأ [بذكر -[6]] الآيات الواقعة فى ظرف هذا الكون فقال : ﴿ اذ قالوا ﴾ أى كان ذلك حين قال الإخوة بعد أن قص الرؤيا عليهم و سوّل لهم الشيطان - كما ظن يعقوب عليه الصلاة و السلام - مقسمين دلالة على[7] غاية الاهتمام بهذا الكلام ، و أنه مما[8] حركهم غاية التحريك ،

(١) هذه الأسماء يختلف ضبطها من بين مرجع إلى آخر - راجع لباب التأويل ٣ / ٢١٦ و روح المعانى ٤ / ١٢ و البحر المحيط ٥ / ٢٨٠ و الأصحاح الخامس و الثلاثين - باب التكوين من التوراة (٢) أى يتراوح هذا الاسم بين الجيم و الكاف ، و قد ورد فى البحر : كاد (٣) فى ظ : كذا (٤) راجع نظم الدرر ٢/١٩١ . (٥) من م و مد ، و فى الأصل وظ : الدالة (٦) زيد من ظ و م ومد (٧) زيد بعده فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٨) من م ومد ، و فى الأصل وظ : ما .

أو[1] هى لام الابتداء المؤكدة المحققة لمضمون الجملة ﴿ ليوسف و اخوه ﴾ أى شقيقه بنيامين ﴿ احب ﴾ و حددا[2] لأن ' أفعل ' ما[3] يستوى فيه الواحـــد و ما فوقه مذكرا كان أو مؤنثا إذا لم يعرف أو يضف ﴿ الى[4] ابينا منا ﴾ أى يحبهما أكثر مما يحبنا ؛ و الحب : ميل يدعو إلى إرادة [الخير - [4]] و النفع للمحبوب[5] بخلاف الشهوة ، فانها ميل النفس و منازعتها إلى ما فيه لذتها ﴿ و ﴾ الحال أنا ﴿ نحن عصبة[6] ﴾ أى أشداء[6] فى أنفسنا و يشد[7] بعضنا بعضا ، و أما هما فصغيران لا كفاية عندهما ؛ و العصبة من العشرة إلى الأربعين[8] ، فكأنه قيل : فكان ما ذا ؟ - على[9] تقدير أن يكونا أحب إليه ، فقالوا مؤكدين لأن حال أبيهما فى الاستقامة و الهداية داع إلى تكذيبهم : ﴿ ان ابانا لفى ضلل ﴾ أى ذهاب عن طريق الصواب فى ذلك ﴿ مبين ﴾ حيث فضلهما علينا ، و القرب المقتضى للحب فى كلنا[10] واحد ، لأنا فى البنوة سواء ، و لنا مزية تقتضى تفضيلنا ، و هى أنا عصبة ، لنا من النفع له و الذب عنه و الكفاية ما ليس لهما ؛ قال الإمام أبو حيان[11] : و ' أحب ' أفعل التفضيل ، و هو مبنى من المفعول

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اى (٢) فى ظ : جددا (٣) فى م : من (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المحبوب (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اشد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أشد (٨) مع اختلاف الأقوال فى ذلك و قد استوعبها الأندلسى فى البحر ٥ / ٢٨٣ فراجعه . (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كلتا (١١) راجع البحر المحيط ٥ / ٢٨٢ .

شذوذا ، و لذلك عدى بـ ' إلى ' لأنه إذا كان ما تعلق به فاعلا من حيث المعنى عدى إليه بـ ' إلى ' و إذا كان مفعولا عدى إليه بـ ' فى ' ، تقول : زيد أحب إلى عمرو من خالد ، فالضمير فى ' أحب ' مفعول من حيث المعنى ، و عمرو هو المحب ، و إذا قلت : زيد أحب فى عمرو من خالد ، كان الضمير فاعلا و عمرو هو المحبوب ، و من خالد - فى المثال ٥ الأول محبوب ، و فى الثانى فاعل ، قال[1] : و الضلال هنا هو الهوى - قاله ابن عباس رضى الله عنهما - انتهى .

و لما كان ذلك ، و كان عندهم أن الشاغل الأعظم لأبيهم عنهم إنما هو حب يوسف عليه الصلاة و السلام ، و حب أخيه إنما هو تابع ، كان كأنهم تراجعوا فيما بينهم فقالوا : قد تقرر هذا ، فما أنتم صانعون ؟ ١٠ فقالوا أو مَنْ شاء الله منهم : ﴿ اقتلوا يوسف ﴾ أصل القتل : إماتة الحركة بالسكون ﴿ او اطرحوه ارضا ﴾ أوصلوا الفعل بدون[2] حرف و نكروها[3] دلالة على أنها منكورة مجهولة بحيث يهلك فيها ، و عنى[4] قائلهم بذلك : إن تورعتم[5] عن مباشرة قتله بأيديكم .

و لما كان التقدير : إن تفعلوا ذلك ، أجابه[6] بقوله : ﴿ يخل لكم ﴾ ١٥ أى خاصا[7] بكم ﴿ وجه ابيكم ﴾ أى قصده لكم وتوجهه إليكم و قصدكم

(١) راجع البحر ٥/٢٨٣ (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : هون ، و فى مد : هوزن. (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تكررها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن (٥) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : توزعتم (٦) فى الأصول : اجابة (٧) من م و مد ، و فى الأصل : خاصته ، و فى ظ : خاصة .

و نيتكم . و لما كان أهل الدين لا يهملون إصلاح دينهم لأنه محط
١٢ / أمرهم ، قالوا : / ﴿ و تكونوا ﴾ أى كونا هو فى غاية التمكن ،
و لما كانوا عالمين بأن الموت لا بد منه . فهو مانع من استغراقهم للزمان
الآتى ، أدخلوا الجار فقالوا : ﴿ من بعده ﴾ أى يوسف عليه الصلاة و السلام
٥ ﴿ قوما ﴾ أى ذوى نشاط و قوة على محاولة الأمور ﴿ صلحين ﴾ أى
عريقين[1] فى وصف الصلاح مستقيمين على طريقة تدعو إلى الحكمة
بوقوع الألفة بينكم و استجلاب محبة الوالد بالمبالغة فى بره و بالتوبة من
ذنب واحد يكون سببا لزوال الموجب لداء الحسد الملزوم لذنوب متصلة
من البغضاء و المقاطعة و الشحناء ، فعزموا على التوبة قبل وقوع الذنب
١٠ فكأنه[2] قيل : إن هذا لمن أعجب العجب من مطلق الأقارب فضلا عن
الإخوة ، فما ذا قالوا عند سماعه ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ و لما كان السياق لأن
الأمر كله لله . فهو ينجى من يشاء بما يشاء ، لم يتعلق القصد ببيان الذى كانت
على يده النجاة ، فقال مبهما إشعارا بأنه يجب قبول النصح من أىّ قائل
كان ، و أن الإنسان لا يحقر نفسه فى بذل النصح على أىّ حال كان :
١٥ ﴿ قائل ﴾ ثم عينه بعض التعيين فقال : ﴿ منهم ﴾ أى إخوة يوسف
عليه الصلاة و السلام ﴿ لا تقتلوا يوسف ﴾ لا بأيديكم و لا بالإلقاء[3] فى
المهالك ، فان القتل أكبر الكبائر بعد الشرك ، و كأنه لم يكن فى ناحيتهم
تلك غير جب واحد فعرفه فقال : ﴿ و القوه ﴾ و كأنه كان فيه ماء

(١) فى مد : غريقين (٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : و كأنه (٣) من م و مد ، و فى الأصل : بالقاكم ، و فى ظ : بالقاء .

و مكان يمكن الاستقرار فيه و لا ماء به ، فأراده بقوله : ﴿ فى غيبت الجب ﴾ أى غوره الغائب عن الأعين ، فان ذلك كافٍ فى المقصود ، و إنكم إن تفعلوا ﴿ يلتقطه بعض السيارة ﴾ جمع سيار[1] ، و هو المبالغ فى السير ، هذا ﴿ ان كنتم ﴾ و لا بد ﴿ فعلين ٥ ﴾ [2]ما أردتم[2] من تغييبه عن أبيه ليخلو لكم وجهه ؛ و الجب : البئر التى لم تطو ، لأنه قطع عنها ترابها حتى بلغ الماء ، و عن أبى عمرو[3] : إن هذا كان قبل أن يكونوا أنبياء[4] ، فكأنه قيل : إن هذا لحسن [من - [5]] حيث أنه صرفهم عن قتله ، فهل استمروا عليه أو قام منهم قائم فى استنزالهم عنه بعاطفة الرحم و ود القرابة ؟ فقيل : بل استمروا لأنهم ﴿ قالوا ﴾ إعمالا للحيلة[6] فى الوصول[7] إليه ، مستفهمين على وجه التعجب لأنه كان أحس منهم الشر ، فكان يحذرهم عليه ﴿ يآبانا ما لك ﴾ أىّ أى شىء لك فى حال كونك ﴿ لا تامنا على يوسف و ﴾ الحال ﴿ انا له لناصحون ٥ ﴾ و النصح دليل الأمانة و سببها[8] ، و لهذا قرنا فى قوله "ناصح امين[9]" . و الأمن : سكون النفس إلى انتفاء الشر ، و سببه طول الإمهال فى الأمر الذى يجوز قطعه [10]بالمكروه فيقع[10] الاغترار بذلك الإمهال من الجهال ، و ضده الخوف ، و هو

(١) من ظ و م و البحر ٥ / ٢٨٤ ، و فى الأصل و مد : سيارة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) ابن العلاء - راجع معالم التنزيل بهامش اباب التأويل ٣/٢١٧ (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نبيا (٥) زيد من ظ و م و مد . (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : للحلم (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الأصول (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سليها (٩) سورة ٧ آية ٦٨ . (١٠-١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالمكروة ليقع .

١٣/ انزعاج النفس لما يتوقع من الضر ؛ و النصح : إخلاص/ العمل من فساد يتعمد ، و ضده الغش ، و أجمع[١] القراء على حذف حركة الرفع فى "تامن" و إدغام نونه بعد إسكانه تبعا للرسم ، بعضهم إدغاما محضا و بعضهم مع الإشمام ، و بعضهم مع الروم ، دلالة على نفى سكون قلبه ٥ عليه [٢]عليهما الصلاة و[٢] السلام بأمنه عليه منهم على أبلغ وجه مع أنهم أهل لأن يسكن إليهم بذلك غاية السكون ، و لو ظهرت ضمة الرفع عند أحد من القراء فات[٣] هذا الإيماء إلى هذه النكتة البديعة .

و لما كان هذا موضع أن يقال : لأىّ غرض يكون ذلك ؟ قالوا فى جوابه : ﴿ ارسله معنا غدا ﴾ إلى مرعانا ، إن ترسله [معنا - [٤]] ١٠ ﴿نرتع﴾ أى نأكل و نشرب فى الريف و نتسع فى الخصب ﴿و نلعب﴾ أى نعمل ما تشتهى الأنفس من المباحات تاركين الجد[٦] ، و هو كل ما فيه كلفة و مشقة ، فان ذلك له سارّ ﴿انا له لحفظون﴾ أى بليغون فى الحفظ ؛ قال أبو حيان[٧] : و انتصب "غدا" على الظرف ، و هو ظرف مستقبل يطلق على اليوم الذى يلى يومك و على الزمن المستقبل من غير ١٥ تقييد ، و أصل غد غدو ، فحذفت لامه - انتهى . فكأنه قيل : ماذا

(١) راجع أيضا البحر ٥/٢٨٥ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فان (٤) زيد من م (٥) هذه قراءة ابن كثير وأبى عمرو و ابن عامر ، و كان الفعل فى أصولنا بحذافيرها بالياء ، فحولناها إلى النون لتنسجم مع التفسير (٦) فى الأصول : الحد - كذا بالمهملة (٧) راجع البحر ٥/٢٨٥ .

قال

قال[1] لهم ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ ما زاد صدورهم توغرا لأن ما قالوه له[2] هو بحيث يسر به لسرور يوسف عليه الصلاة و السلام به ﴿انى ليحزننى﴾ أى حزنا ظاهرا محققا - بما أشار إليه إظهاره النون و إثباته لام الابتداء ﴿ ان تذهبوا به ﴾ أى يتجدد الذهاب به مطلقا - لأنى لا أطيق فراقه - و لا لحظة ، و فتح لهم بابا يحتجون به عند فعل المراد بقوله جامعا بين ٥ مشقتى الباطن ، و البلاء - [كما قالوا -[3]] - مؤكل بالمنطق : ﴿ و اخاف ﴾ أى إذا ذهبتم به و اشتغلتم بما ذكرتم ﴿ ان ياكله الذئب[4] ﴾ أى هذا النوع كأنه كان كثيرا بأرضهم ﴿وانتم عنه ﴾ أى خاصة ﴿ غفلون ﴾ أى عريقون[5] فى الغفلة لإقبالكم على ما يهمكم من مصالح الرعى ؛ و الحزن : [ألم -[6]] القلب بما كان من فراق المحبوب ، و يعظم إذا كان فراقه ١٠ إلى ما يبغض ؛ و الأكل : تقطيع[7] الطعام بالمضغ الذى بعده البلع ؛ فكأنه قيل : إن تلقيهم لمثل هذا لعجب ، فما ذا قالوا ؟ فقيل : ﴿قالوا﴾ مجيبين عن الثانى بما يلين الأب لإرساله ، مؤكدين ليطيب خاطره ، دالين على القسم بلامه : ﴿ لئن اكله الذئب و نحن ﴾ أى و الحال أنا ﴿ عصبة ﴾ أى أشداء[8] تعصب بعضنا لبعض ؛ و أجابوا القسم بما أغنى عن جواب ١٥ الشرط : ﴿ انآ اذا ﴾ أى إذا كان هذا ﴿ لخسرون ﴾ أى كاملون[9]

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قيل (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهم (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٤) سقط من الأصل فقط (٥) فى مد : غريقون (٦) زيد من م (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لقطيع (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : اشد (٩) فى ظ : حاملون .

فى الخسارة لأنا[1] إذا ضيعنا أخانا فنحن لما سواه من أموالنا أشد تضييعا ؛ و أعرضوا عن جواب الأول لأنه لا يكون إلا بما يوغر صدره و يعرف منه أنهم من تقديمه فى الحب على غاية من الحسد لا توصف ، و أقله أن يقولوا : ما وجه الشح بفراقه يوما و السماح بفراقنا كل يوم ، و ذلك مما يحول بينهم و بين المراد ، فكأنه قيل : إن هذا لكيد[2] عظيم و خطب جسيم ، فما فعل أبوهم ؟ فقيل : أجابهم إلى سؤلهم[3] فأرسله معهم ﴿ فلما ذهبوا ﴾ ملصقين ذهابهم ﴿ به و اجمعوآ ﴾ أى كلهم ، و[4] أجمع كل [واحد -[5]] منهم بأن عزم عزما صادقا ؛ و الإجماع على الفعل : العزم عليه باجتماع[6] الدواعى كلها ﴿ ان يجعلوه ﴾ و الجعل : إيجاد ما[7] به يصير الشىء على خلاف ما كان عليه ، و نظيره التصيير و العمل ﴿ فى غيبت الجب ج ﴾ فعلوا ذلك من غير مانع ، و لكن[8] لما كان هذا الجواب فى غاية الوضوح لدلالة الحال عليه ترك[9] لأنهم إذا أجمعوا عليه علم أنهم[10] لا مانع لهم منه ؛ ثم عطف على هذا الجواب المحذوف لكونه فى قوة الملفوظ قوله : ﴿ و اوحينآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ اليه ﴾ أى إلى يوسف عليه الصلاة و السلام .

١٤ / ا

و لما كان فى حال النجاة منها بعيدة[11] جدا ، أكد له قوله :

(١) فى ظ : انا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكيد (٣) فى ظ : سوالهم (٤) سقط من م و مد (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : بالاجتماع (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مما (٨) سقط من ظ (٩) فى مد : لا ترك (١٠) فى م : انه (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعيد .

﴿ لتنبئنهم ﴾ أى لتخبرنهم إخبارا عظيما على وجه يقل وجود مثله فى الجلالة ﴿ بامرهم هـذا ﴾ أى[1] الذى فعلوه بك ﴿ وهم لا يشعرون ٥ ﴾ - لعلو شأنك وكبر[2] سلطانك وبعد حالك[3] عن أوهامهم، ولطول العهد المبدل للهيئات المغير للصور والأشكال - أنك[4] يوسف - قاله[5] ابن عباس رضى الله تعالى عنهما والحسن وابن جريج[6] على ما نقله الرمانى؛ ٥ والشعور: إدراك الشىء مثل الشعرة فى الدقة، ومنه المشاعر[7] فى البدن، وكان يوسف عليه الصلاة والسلام حين ألقوه فى الجب ابن [8]اثنى عشرة[8] سنة - قاله الحسن، قالوا: وتصديق هذا أنهم[9] لما دخلوا عليه ممتارين دعا بالصواع فوضعه على[10] يديه ثم نقره فطن، فقال: إنه ليخبرنى[11] هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف، وكان ١٠ أبوكم[12] يدنيه[13] دونكم، وأنكم انطلقتم به وألقيتموه فى [غيابة -[14]] الجب وقلتم لأبيكم: أكله الذئب.

ولما كان من المعلوم أنه ليس بعد هذا الفعل إلا الاعتذار، عطف

---

(١) سقط من م ومد (٢) فى م: كبرياء (٣) فى ظ: ذلك (٤) من م، وفى الأصل وظ ومد: لانك (٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: قال (٦) راجع أيضا البحر ٥ / ٢٨٨ والدر المنثور - تفسير الآية المعنية (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الشاعر (٨-٨) من م، وفى الأصل وظ: اثنى عشر، وفى مد: اثنى عشرة (٩) من ظ وم ومد والبحر، وفى الأصل: انه (١٠) من ظ وم ومد والبحر، وفى الأصل: بين. (١١) من م ومد والبحر، وفى الأصل وظ: ليبخرنى (١٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: ابوه، وليس فى البحر (١٣) من م والبحر، وفى الأصل وظ ومد: يدينه (١٤) زيد من البحر.

على الجواب المقدر قوله : ﴿ و جآءوٓ اباهم ﴾ دون يوسف عليه الصلاة و السلام ﴿ عشآء ﴾ فى ظلمة الليل لئلا يتفرس أبوهم فى وجوههم إذا رآها فى ضياء النهار ضد ما جاؤا به من الاعتذار . و قد قيل : لا تطلب الحاجة بالليل[1] فان الحياء فى العينين ، و لا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج فى الاعتذار .

٥ و الآية دالة على أن البكاء لا يدل على الصدق لاحتمال التصنع ﴿ يبكون ۝ ﴾ و البكاء : جريان الدمع من العين عند حال الحزن . فكأنه[2] قيل : إنهم إذا بكوا حق لهم البكاء خوفا من الله و شفقة على الأخ ، و لكن ما ذا يقولون إذا سألهم أبوهم عن سببه ؟ فقيل : ﴿ قالوا يـٰٓابانآ ﴾ .

و لما كانوا عالمين بأنه عليه الصلاة و السلام لا يصدقهم لما له من

١٠ نور القلب و صدق الفراسة و لما لهم من الريبة ، أكدوا فقالوا : ﴿ انا ذهبنا نستبق ﴾ أى نوجد المسابقة[3] بغاية الرغبة من كل منا فى

١٥ / ذلك ﴿ و تركنا يوسف ﴾ أخانا ﴿ عند متاعنا ﴾ / أى ما كان معنا مما نحتاج[4] إليه فى ذلك الوقت من ثياب و زاد و نحوه ﴿ فاكله ﴾ أى فتسبب عن انفراده أن أكله ﴿ الذئب ۚ و مآ ﴾ أى و الحال أنك ما

١٥ ﴿ انت بمؤمن لنا ﴾ أى من التكذيب ، أى بمصدق ﴿ و لو كنا ﴾ أى كونا هو جبلة لنا ﴿ صدقين ۝ ﴾ أى من أهل الصدق و الأمانة بعلمك ،

---

(١) من ظ و م و مد و البحر ٥ / ٢٨٨ ، و فى الاصل : فى الليل (٢) فى مد : فكان (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : السابقة . و فى مد : السباقة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يحتاج (٥-٥) من م و القرآن الكريم ، و ليس فى الأصول الأخرى .

لأنك

لأنك لم تجرب علينا قط كذبا ، و لاحفظت عنا شيئا منه جدا و لا لعبا .

و لما علموا أنــه لايصدقهم من وجوه منها ما هو عليه من صحة الفراسة لنور القلب و قوة الحدس ، و منها أن الكذب فى نفسه لا يخلو عن دليل على بطلانه ، و منها أن المرتاب يــكاد[1] يعرب[2] عن نفسه ، أعملوا[3] الحيلة فى التأكيد بما يقرب[4] قولهم . فقال تعالى حاكيا عنهم : ٥ ﴿و جآءو على قميصه﴾ أى يوسف عليه الصلاة و السلام ﴿بدم كذب[5]﴾ أى مكذوب ، أطلق عليه المصدر مبالغة لأنه غير مطابق للواقع ، لأنهم ادعوا أنه دم يوسف عليه الصلاة و السلام و الواقع أنه دم سخلة[6] ذبحوها و لطخوه بدمها[6] - نقله الرمانى عن ابن عباس رضى الله عنهما و عن[7] مجاهد . قال : و الدم : جسم أحمر سيال ، من شأنه أن يكون فى عروق ١٠ الحيوان ، و له خواص تدرك بالعيان من ترجرج[8] و تلزج و سهوكة[9] ، [و -[10]] روى[11] أن يعقوب عليه الصلاة و السلام أخذ القميص [12]منهم و ألقاه على وجهه و بكى حتى خضب وجهه بدم القميص[12] و قال : تالله ما رأيت كاليوم ذئبا أحلم من هذا ، أكل ابنى و لم يمزق قميصه ، [13]وكان[13]

(١) زيد بعده فى م : ان (٢) فى ظ : يعرف (٣) فى ظ : اعلموا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : يعرب (٥) ولد الشاة (٦) فى ظ و م و مد : بها . (٧) سقط من م (٨) اضطراب و تحرك (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سهولة . و السهوكة : الريح الكريهة (١٠) زيد من م (١١) راجع أيضا لباب التأويل ٣ / ٢٢٠ (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٣-١٣) فى م و مد فكان ، و راجع أيضا البحر ٥/٢٨٩ .

فى القميص ثلاث آيات : دلالته على كذبهم ، و دلالته على صدق يوسف عليه الصلاة و السلام فى قده من دبر ، و عود البصر إلى أبيه به ، فكأنه قيل[1] : هل صدقهم ؟ فقيل : لا ! [2]لأن العادة جرت فى مثله أنه لا يأكله كله ، فلا بد أن يبقى منه شىء يعرف معه[3] أنه هو ، و لو كان كذلك لأتوا به تبرئة لساحتهم و ليدفنوه فى جباتهم[4] مع بقية أسلافهم ، و قد كان قادرا على مطالبتهم بذلك ، و لكنه علم[5] أنهم ما قالوا ذلك إلا بعد عزم صادق على أمور لا تطاق ، فخاف من أن يفتح البحث من الشرور أكثر مما جاؤا به من المحذور ، بدليل قوله بعد ذلك "فتحسسوا من يوسف و اخيه[6]" و نحو ذلك ، فكأنه قيل[7] : فما ذا[8] قال ؟ فقيل : ﴿ قال بل ﴾ أى لم يأكله الذئب ، بل ﴿ سولت ﴾ أى زينت و سهلت ، من السول و هو الاسترخاء ﴿ لكم انفسكم امرا[4] ﴾ أى عظيما أبعدتم به يوسف ﴿ فصبر ﴾ أى فتسبب عن ذلك الفادح العظيم أنه يكون صبر ﴿ جميل[4] ﴾ منى ، و هو الذى لا شكوى معه للخلق ﴿ و الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ المستعان ﴾ أى المطلوب منه العون ﴿ على ﴾ احتمال ﴿ ما تصفون ﴾ من هلاك يوسف عليه الصلاة و السلام ، [9]و لا يقال : إنهم بهذا أجمعوا أوصاف المنافق « إذا وعد

(١) من م و مد ، و فى الأصل وظ : قال (٢) العبارة من هنا إلى « نحو ذلك فكأنه » ساقطة من م (٣) فى ظ : به (٤) أى مقبرتهم (٥) فى ظ : اعلم .
(٦) آية ٨٧ (٧) من م و مد ، و فى الأصل وظ : فقيل (٨) من م و ظ و مد ، و فى الأصل : ما ذا (٩) العبارة من هنا إلى « أغلب أحواله » ساقطة من م .

أخلف[١]، و إذا حدث كذب، و إذا اؤتمن خان[٢]، لأن هذا وقع منهم مرة، و المنافق يكون [ذلك -[٣]] فعله دائما / أو فى أغلب أحواله، ١٦ /
و مادتا "سول[٤]" بتقاليبها [الخمسة -[٥]]: ولس و سلا و وسل و لوس و سول، و سيل بتقاليبها الخمسة: لسى[٦] و يسل و سيل و سلى و ليس، تدوران على ما يطمع فيه من المراد، و يلزمه رغد العيش و الزينة و برد ٥ القلب و الشدة و الرخاوة و العلاج و المخادعة و الملازمة، فمن الرجاء للمراد: السول - بالواو، و قد يهمز، و هو المطلوب؛ و الوسيلة: الدرجة و المنزلة عند الملك، قال القزاز: و قيل: توسلت و توصلت - بمعنى، و الوسيلة: الحاجة، و وسل فلان - إذا طلب الوسيلة[٧]؛ و اللؤس: الظفر[٨]؛ و من العمل و العلاج: توسل بكذا - أى تقرب، و اللوس: ١٠ الأكل، و لاس الشىء فى فيه بلسانه - إذا أداره، و ولست[٩] الناقة فى[١٠] مشيتها تلس[١١] ولسانا: تضرب[١٢] من العنق؛ و من رغد العيش: فلان فى سلوة من العيش، أى رغد يسليه الهمّ[١٣]، و منه السلوى، و هى[١٤] طائر معروف، و هى أيضا العسل، و أسلى القوم: إذا أمنوا السبع؛

(١) فى ظ: خلف (٢) و الحديث من الاستفاضة بدرجة تغنينا عن الإلمام بذكر مراجعه (٣) زيد من مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سوله (٥) زيد من م و مد (٦) فى ظ: ليس (٧) فى الأصول: الوسلية (٨) و فى اللسان (لأس): وسخ الأظفار (٩) فى الأصول: لاست - و راجع القاموس (ولس) (١٠) فى مد: من (١١) فى الأصول: تليس (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يضرب (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اليهم (١٤) فى ظ: هو.

و من الزينة : سولت له نفسه كذا ، أى زينته فطلبه ؛ و من برد القلب : سلوت [1] عن الشيء : إذا تركه قلبك و كان [قد - [2]] صبا به ، و سقيتنى منك سلوة ، أى طيبت نفسى عنك ، و الليس [3] - محركا : الغفلة ، و الأليس : الديوث لا يغار ، و الحسن الخلق ، و تلايس عنه : أغمض ؛ و من الرخاوة : السلى الذى يكون فيه الولد ، و هو يائى تقول [4] منه : سليت الشاة كرضى سلى : انقطع سلاها ، و منه السول ، و هو استرخاء فى مفاصل الشاة ، و السحاب الأسول : الذى فيه استرخاء لكثرة مائه ، و الأسول : المسترخى ، و منه [5] : 'ليس' أخت 'كان' - لأن الشيء إذا زاد فى الرخاوة ربما عد عدما ، و منه : سال - بمعنى : جرى ، و السائلة من الغرر : المعتدلة فى قصبة الأنف ، و أسال غرار [6] النصل : أطاله ، و السيلان - بالكسر : سنخ [7] قائم السيف ، و [السيالة - [8]] : نبات له شوك أبيض طويل ، إذا نزع خرج منه اللبن ، أو ما طال من السمر ؛ و من المخادعة : الولس [9] ، و هى الخيانة ، و الموالسة : المداهنة ، و التوسل : السرقة ؛ و من اللزوم : الليس - محركا [و المتلايس [10] : البطىء ، و هو أيضا من الرخاوة ، و الأليس : من لا يبرح منزله ؛ و من الشدة :

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سلوب (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد و تاج العروس ، و فى الأصل و ظ : اليس (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يقول (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عنه (٦) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : غرارة (٧) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : سنخ (٨) زيد من تاج العروس (٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الوليس (١٠) فى القاموس : الملايس .

الليس - محركا - [1]] و هو الشجاعة ، و هو أليس [2] ، و الآليس : البعير يحمل ما حمل ، و الأسد ، و وقعوا فى سلى جمل : أمر صعب ، لأن الجمل لا سلى له ، و انقطع السلى فى البطن مثل [3] كبلغ السكين العظم [4] ، و يمكن أن يكون من الشدة أيضا : اليسل [5] - بفتح و سكون - و هم يدأى جماعة من قريش الظواهر ، و البسل [6] - بالباء الموحدة : اليد الأخرى . ٥ و لسا : أكل أكلا شديدا .

و لما تم أمرهم هذا و شبوا على أبيهم [عليه السلام - [1]] نار الحزن ، التفتت النفس إلى الخبر عن يوسف عليه الصلاة و السلام فيما أشار إليه قوله "لتنبئنهم" - الآية ، فقال تعالى مخبرا عن ذلك فى أسبابه : ﴿ و جاءت سيارة ﴾ أى قوم بليغو السير إلى الأرض التى ألقوا يوسف ١٠ عليه الصلاة و السلام فى جبها ﴿ فارسلوا واردهم ﴾ أى رسولهم الذى يرسلونه لأجل الإشراف على الماء إلى الجب / ليستقى [7] لهم ﴿ فادلى ﴾ ١٧/ فيه ﴿ دلوه [8] ﴾ أى أرسلها فى البئر ليملأها - و أما "دلى" فأخرجها ملآى - فاستمسك [8] بها يوسف عليه الصلاة و السلام فأخرجه ، فكأنه

(١) زيد ما بين الحاجزين من م (٢) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : الليس (٣) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : مثلمج - كذا . (٤) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : العظيم (٥) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : البسل (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : البشل . (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ليستقى (٨) فى ظ : فاستمسكه .

قيل : ما ذا قال [١] حين أدلى للماء فتعلق [٢] يوسف بالحبل فاطلعه فاذا هو بانسان أجمل ما يكون ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ أى الوارد [٣] يعلم أصحابه بالبشرى ﴿ يٰبشرىٰ ﴾ أى [٤] هذا أوانك فاحضرى ، فكأنه قيل [٥] : [٦] لم تدعو [٦] البشرى ؟ فقال : ﴿ هذا غلٰم [٧] ﴾ فأتى به إلى جماعته فسروا به كما سر ﴿ و اسروه ﴾ أى الوارد و أصحابه ﴿ بضاعة [٧] ﴾ أى حال كونه متاعا بزعمهم يتجرون فيه ﴿ و الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم ﴿ بما يعملون ۝ ﴾ و إن أسروه ؛ قال أبو حيان [٢] و نعم [٨] ما قال : و تعلقه بالحبل يدل على صغره إذ لو كان ابن ثمانية عشر أو سبعة عشر لم يحمله الحبل غالبا ، و لفظة 'غلام' ترجح ذلك إذ تطلق عليه ما بين الحولين إلى البلوغ حقيقة ، و قد تطلق على الرجل الكامل - [انتهى - [٩]] .

و لما كان سرورهم به - مع [١٠] ما هو عليه من الجمال و الهيبة [١١] و الجلال - مقتضيا لأن [١٢] ينافسوا فى أمره و يغالوا بثمنه ، أخبر تعالى أنهم لم يفعلوا ذلك ليعلم أن جميع أموره على نسق واحد فى خرقها

(١) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : قيل (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فعلق (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الورد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او (٥) سقط من م (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هم يدعوا (٧) راجع البحر ٥/٢٩٠ (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : يعم (٩) زيد من م و مد (١٠) فى ظ : على (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الهيئة (١٢) زيد بعده فى الأصل و ظ و مد : به ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

للعوائد[١] فقال: ﴿ و شروه ﴾ أى تمادى السيارة و لجوا فى إسرارهم إياه بضاعة حتى باعوه من العزيز، و لمعنى التمادى عبر[٢] بـ" شرى " دون "باع"، و يمكن أن يكون "شرى" بمعنى اشترى، أى و اشتراه السيارة من إخوته ﴿ بثمن ﴾ و هو البدل[٣] من الذهب أو الفضة، و قد يقال على غيره تشبيها به ﴿ بخس ﴾ أى قليل، و مادة "شرى" - يائية بتقاليبها ٥ الثلاثة: شرى، و شير، و ريش، و واوية بتراكيبها الستة[٤]: شور، و شرو و وشر، و ورش، و رشو، و روش، و مهموزة بتراكيبها الثلاثة: أرش، و أشر، و رشأ - تدور على اللجاجة، و هى التمادى فى الانتشار، و يلزمه تبين[٥] ذلك الأمر، و يلزمها القوة تارة و الضعف أخرى، فمن مطلقه: شريت[٦] الشيء، بمعنى: ملكته بالبيع، و شريته، بمعنى: أزلت ملكى ١٠ عنه به، و كذا اشتريت فيهما، و الاسم الشراء بالمد و يقصر، فحصل التمادى و الانتشار تارة بالإزالة و تارة بالتحصيل، و كل من ترك شيئا و تمسك بغيره فقد اشتراه[٧]، و شاراه [مشاراة - [٨]]: بايعه، و شروى الشيء: مثله، واوه [مبدلة - [٩]] من ياء كأنه مأخوذ من بدل المبيع لأنه يتحرى فيه المماثلة، و هو أوسع مما لم يوجد له مثل، و شرى[١٠] ١٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العوائد (٢) فى ظ: غير (٣) فى م: البذل (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لستة (٥) فى مد: تبين (٦) فى م: سريت (٧) من م و مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: اشترا (٨) زيد من ظ و م و مد و القاموس؛ و زيد بعده فى القاموس: و شراء - أيضا (٩) زيد من تاج العروس (١٠) فى م: سرى.

البرق : استطار ، و زيد : غضب و لج حتى استطار غضبا ، و الفرس فى سيره : بالغ ، و استشرى الرجل : لج ، و البرق : لمع ، و المشاراة : الملاحّة [1] [و المجادلة - [2]] و المبايعة ، و الشرية - كغنية : الطريقة و الطبيعة ، و كأن هذا أصل المعنى الذى عنه تفرعت أغصانه ، لأن الطبع مظنة اللجاج ،

١٨ / ٥ و شرى الثوب و اللحم / و الإقط [3] : شررها ، أى وضعها على خصفة أو غيرها منشورة لتجف ، و شرى فلانا [4] : سخر به أو [5] أرغمه ، كأنه تمادى معه حتى قهره ، و شرى بنفسه عن القوم : تقدم بين أيديهم فقاتل عنهم ، أو إلى السلطان فتكلم عنهم ، و الشرى - كعلى : الجبل - لانتشاره علوا ، و الطريق - للانتشار فيه ، و طريق بسلمى كثيرة الأسد [6] ، و جبل

١٠ بتهامة [7] كثير السباع - لانتشارها فيه أو لأن السائر فيه أقوى الناس و ألجهم ، و جبل بنجد لطيئ ، و الناحية ، و بمد [8] ، و أشراه [9] : ملاه ، و أماله - لما يلزم من انتشار ما فيه ، و أشرى الجمل [10] : تفلقت [11] عقيقته ، أى صوفه ، و بينهم : أغرى [12] ، و شرى البعير [13] فى سيره : أسرع [14] ،

(١) راجع أيضا تاج العروس (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : اقط (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : فلان (٥) فى القاموس « و » (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الاشد (٧) فى ظ و م : تهامة (٨) فى القاموس : تمد (٩) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : اسراه (١٠) زيد بعده فى الأصل : اذا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (١١) من القاموس ، و فى الأصول : تقلقلت (١٢) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : اعرى . (١٣) فى القاموس : الفرس (١٤) فى ظ : اشرع .

و شرى الفرس [فى -[1]] لجامه - إذا جذبه ، و الشرية - كغنية : من النساء اللاتى يلدن[2] الإناث ، كأنها تمادت[3] فى الميل مع طبعها : الأنوثة ، فلجت فيه ، أو هو راجع إلى الضعف اللازم للحاجة ، و المشترى : نجم لتلألؤه[4] ، و طائر - للمه بجناحه و انتشاره ، و اشرورى : اضطرب ، و شرى زمام الناقة : كثر اضطرابه ، و هو من الانتشار و من الضعف ، ٥ و استشرت[5] الأمور : [6] تفاقمت و عظمت[6] ، و شرى جلده : أصابه بثور صغار حمر حكاكة مكربة[7] تحدث دفعة[8] غالبا و تشتد ليلا ، كأنها سميت لانتشارها فى جميع البدن و قوتها ، و تشرى القوم : افترقوا ، و تشرى السحاب : تفرق ، و الشرى : شجر الحنظل أو الحنظل نفسه ، و النخل ينبت من النواة[9] ، كأنه لنباته بغير سبب[10] آدمى ١٠ لجوج ، و الشريان من[11] شجر القسى ، كأنه لقوته و نشره السهام إذا رميت عنه ، و واحد الشرايين للعروق النابضة ، لقوتها و انتشارها ؛ و شيار - بالكسر : يوم السبت ، لأنه [أول يوم -[2]] ابتدئت فيه

(١) زيد من التاج (٢) من القاموس ، و فى الأصول : تلد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تماديت (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القلاوه - كذا . (٥) من مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : استهشرت ، و فى م : اسشرت. (٦-٦) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : تفاقت و تعظمت ، و فى ظ : تفاقت و عظمت (٧) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : ممكربه . (٨) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : رفعه ، و فى ظ : دفعه (٩) فى ظ : النواره (١٠) زيد فى ظ و م و مد : من (١١) ليس فى القاموس (١٢) زيد من ظ و م و مد .

الخلائق . فكأنها انتشرت عنه ؛ و الريش - بالكسر - من الطائر معروف كالراش - لأنه منتشر فى جميع بدنه ، و له قوة نشره متى شاء ، و هو سبب صلاحه و قوته على الانتشار فى الهواء ، و منه الريش و الرياش : اللباس الفاخر ، و الخصب[1] و المعاش ، و ذات الريش : نبات كالقيصوم ، و راش الصديق : أطعمه و سقاه و كساه و أصلح حاله ، و كلأ ريش - كهين و هيّن : كثير الورق . و الريش - محركا : كثرة الشعر فى الأذنين[2] و الوجه ، و المريش[3] - كمعظم : البعير الأزب ، و رشت السهم : فوقته ، أى ألزقت عليه الريش عند فوقه[5] ، فكان له بذلك قوة الانتشار ، و رمح راش[6] : خوار شبه[7] بالريش ضعفا ، و المريش[8] : الرجل الضعيف الصلب[9] ، و هو أيضا : [10] البرد الموشى[10] ، لتلونه كالريش ، و هو أيضا : القليل اللحم ، و ناقة مريشة[11] : قليلة اللحم ، لأن ذلك أقوى لها[12] على

(١) من القاموس ، و فى الأصول : العصب (٢) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل و م : الاذن (٣) فى ظ : الريش ، و فى مد : المريشى (٤) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : كعظم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فوته (٦) من القاموس ، و فى الأصول : اراش (٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : يشه - كذا (٨) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : الريش (٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : المصاب (١٠ - ١٠) فى مد : البر المواشى (١١) زيد بعده فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و القاموس فحذفناها ؛ و عبارة القاموس : مريشة اللحم : قليلته (١٢) سقط من مد .

السير ، و المريش أيضا : الهودج المصلح بالقد ، لأن ذلك سبب قوته ، و هو له كالريش و العصب ، و الشوار و الشورة و الشارة : الحسن و الجمال و الهيئة[١] و اللباس و السمن و الزينة ، و استشار فلان : لبس لباسا / حسنا ، كأنه من الريش ، و لأنها ملزومة اللجاج و الانتشار غالبا ، / ١٩
و استشارت الإبل و أخذت مشوارها[٢]: سمنت ، و المشوار[٣]- بالكسر : المكان ٥
تعرض فيه الدواب ، و شارها[٤] : راضها ، أى انتشر بها لتقوى على ما يراد منها ، و شار العسل و استشاره : استخرجه من الوقبة[٥] - للمبالغة فى ذلك ، و الشرو - مقدّمَ الراء بالفتح و يكسر : العسل ، و المشوار[٣] : ما شاره به ، و ما أبقت الدابة من علفها[٦] - معرب ، كأنه شبه بما يبقى من مشار[٧] العسل مما لا يعتد به ، أو أصله : نشوار[٨] - بالنون ، فأبدلت منها ١٠
الميم لتقاربهما[٩] ، فان كان كذلك فهو من نشر ، و الشوار - مثلثة : متاع البيت ، لانتشاره فيه ، و ذكر الرجل و خصياه و استه ، لما ينتشر من كل منها[١٠] ، و شور بفلان : فعل به فعلا يستحيي منه ، كأنه لج فى ذلك حتى قطع انتشاره فى الاعتذار ، و تشور الرجل : خجل[١١] ،

(١) فى م : الهيبة (٢) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : مشاورها ، و زيد بعده فى القاموس : و مشارتها (٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : المشاور (٤) فى مد : ساره (من اظ و ه)م ومد و القاموس ، و فى الأصل : الوقبة (٦) فى ظ : حلقها (٧) فى م : مشتار (٨) من م و مد و التاج ، و فى الأصل و ظ : نشرار (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لتقاربها (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : منهما (١١) من م و التاج ، و فى الأصل و ظ و مد : حجل .

كأنه مطاوع شوّرته ، و شور إليه : أومأ كإشار - لنشر[1] ما أشار به ، و أشار النار : رفعها[2] ، [و - [3]] الشوران[4] : العصفر - للعه ، و جبل قرب عقيق المدينة ، فيه مياه سماء كثيرة ، لقوته على إمساكها و قوة من يقيم فيه بها على الانتشار فيه ، و خيل[5] شيار : سمان حسان ، و الشورة[6] - بالضم : الناقة السمينة ، لقوتها على الانتشار ، و[7] بالفتح : الخجلة ، لانتشارها و علوها ، و أشرت عليه بكذا : أمرته للانتشار في الكلام قبل الإشارة للوقوع على[8] الرأى ، و الاسم : المشورة[9] ، أو هو من الإشارة التى هى تحريك اليد أو الحاجب و نحوهما نحو المشار إليه ، و الرشوة - مثلثة : الجعل ، و رشاه : أعطاه إياها ، فنشره للفعل ، و لا يفعل ذلك إلا من لج فى الأمر ، [10]و يمكن[10] رده إلى الضعف ، و الرائش : السفير بين الراشى و المرتشى ، و استرشى : طلب الرشوة ، و الفصيل : طلب الرضاع ، و أرشية[11] اليقطين و الحنظل : خيوطهما[12] ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المصر - كذا (٢) فى ظ : دفعها (٣) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٤) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : السوران (٥) فى القاموس : الخيل (٦) من م والقاموس ، و فى الأصل وظ و مد : السورة (٧) فى مد : فيه (٨) زيد بعده فى الأصل : هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المشهورة (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) من م و مد والقاموس ، و فى الأصل و ظ : ارشة (١٢) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : حبوطهما .

لانتشارها، و شبهها بالرشاء - بالكسر و المد، و هو الحبل، و الرشى[١] كغنى: الفصيل [٢]و البعير[٢] يقف فيصيح الراعى: ارشه [ارشه -[٣]]، أو [٤]أرشه أرشه[٤]، فيحك خورانه[٥]، أى مبعره بيده فيعدو، و قال ابن فارس: و الخوران[٦]: مجرى الروث من الدابة، و أرشى: فعل[٧] ذلك، و القوم فى دمه: شركوا، لأن ذلك انتشار، و بسلاحهم فيه: أشرعوه، و الرشاة[٨]: نبت يشرب للشى[٩]؛ و من مهموزه: رشأ: جامع، و لا ألج من المتهيئ[١٠] للجماع، و فيه الانتشار أيضا، و رشأت الظبية: ولدت، و الرشأ - بالتحريك اسم للظبى إذا قوى و مشى مع أمه، فيكون حينئذ أهلا للانتشار و اللجاج فى الجرى، و الرشأ أيضا: شجرة تسمو فوق القامة، و عشبة كالقرنوة - بالقاف، كأنها شديدة الحراقة فشبهت[١١] باللجوج، لأن القرنوة يدبغ بها - انتهى المهموز.

و وشر الخشبة بالميشار - غير مهموز، لغة فى: أشرها - إذا نشرها، أى فرقها باثنين أو أكثر، و الوشر أيضا: تحديد المرأة أسنانها و ترقيقها،

---

(١) من م والقاموس، و فى الأصل و ظ: الريشى، و فى مد: كرشى - كذا.
(٢-٢) من القاموس، و فى الأصل و م و مد: أو البعير، و سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد والقاموس (٤-٤) فى ظ: ارشيه او ارشيه.
(٥) من م و مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: خوارنه (٦) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: الخوارن (٧) زيد بعده فى الأصل: كذا و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (٨) من القاموس، و فى الأصول: الرشا (٩) من ظ و م و مد و التاج، و فى الأصل: للشىء.
(١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المنهى و - كذا (١١) فى ظ: فتشبهت.

و هو من القوة و اللمعان و التفريق ، و المؤتشرة التى تسأل أن يفعل بها ذلك ، و موشر[١] العضدين - و يهمز : الجعل ، لأن أعضاده كالمنشرة[٢] حزوزا[٣] ؛ و من مهموزه : أشر[٤] - بالكسر ، أى مرح[٥] ، أى ازدرى الخلق و عاملهم معاملة المستهين بهم ، فظلمهم و لج فى عتوه ، و ناقة مئشير[٦] : نشيطة[٧] ، و أشر الأسنان[٨] : تحزيزها - تشبيها لها بأسنان المئشار الذى يقطع به الخشب و نحوه قطعا سريعا[٩] ، فهو كفعل اللجوج - انتهى المهموز ؛ و ورش الطعام : تناوله و أكل شديدا حريصا ، و طمع و أسف لمداق[١٠] الأمور ، لأن ذلك[١١] لا يكون [إلا -[١٢]] عن تمادٍ و لجاج ، و ورش فلان بفلان : أغراه ، و ورش عليهم : دخل[١٣] و هم يأكلون و لم يدع ، و ورش اسم شيء يصنع من اللبن ، لأنه انتشر عن أصل خلقته ، و الورش - بالتحريك : وجع فى الجوف ، و ككتف : النشيط الخفيف من الإبل و غيرها ، و هى بهاء ، و التوريش : التحريش ، و الورشان : طائر . و من

٢٠ / ٥ /

١٠

(١) من مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ و م : موثر (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كالمنتشرة (٣) فى م : جزوزا (٤) من مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ و م : اسر (٥) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : يرح - كذا (٦) فى م : مئشر (٧) فى ظ : يشيكه - كذا (٨) فى ظ : الانسان . (٩) فى م : شريعا (١٠) من القاموس ، و فى الأصول : لمذاق (١١) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

مهموزه الأرش[١]، و هى[٢] الدية ، لأنها يلج[٣] فى طلبها و الرضى بها و أكثر ما يتعاطى من أمرها ، و هو أيضا الرشوة ، و ما نقص[٤] العيب من الشىء - قال فى القاموس ، لأنه سبب للأَرش[٥] و الخصومة ، و بينهما أرش ، أى اختلاف و خصومة ، و الأرش : الإغراء[٦] و الإعطاء ، لأن المعطى يغلب نفسه ، فكأنه خاصمها[٧] فلج حتى غلبها ، و الأرش : الخلق ، لأنه منشأ ٥ اللجاج ، يقال : ما أدرى أىّ الأرش هو؟ أى الخلق ، و المأروش : المخلوق ، و آرش - كصاحب : جبل - انقضى المهموز . و الروش[٨] : الأكل[٩] الكثير ، و الأكل القليل - ضد[١٠] ، فهو من التمادى[١١] و الضعف الذى ربما نشأ[١٢] من التمادى مع شبهه[١٣] بالريش ، و جمل راش : كثير شعر الأذن ؛ و من التبيين[١٤] : شار[١٥] الدابة - إذا ركبها عند العرض على مشتريها ، ١٠ [١٦]و شورها : نظر كيف مشوارها[١٦]، أى سيرها ، أو بلاها[١٧] ينظر ما عندها

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الأرض (٢) فى ظ و مد : هو . (٣) فى ظ : تلج (٤) زيد بعده فى الأصول : من ، ولم تكن الزيادة فى القاموس فحذفناها (٥) من القاموس و م ، و فى الأصل : للاصل للارض ، و فى ظ و مد : للأصل للارش - كذا (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الأغر - كذا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خاصمتها (٨) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : الروس (٩) زيد بعده فى مد : الشديد (١٠) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : صده - كذا (١١) فى ظ : المتمادى (١٢) فى ظ : يشا (١٣) فى م : شبهة (١٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التبين . (١٥) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : سار (١٦-١٦) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (١٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : بلا .

أو[1] قلبها و كذا الأمة ، و استشار[2] الفحل الناقة : كرفها[3] فنظر إليها أ لاقح [هى -[4]] أم لا ؟ و استشار أمر فلان : تبين ، و المستشير : من يعرف الحائل[5] من غيرها ، و هو يرجع إلى التمادى ، لأنـــه لولاه ما عرف الأمر ؛ و من الضعف : راشاه : حاباه و صانعه ، و ترشاه : لاينه ، و إنك لمسترش لفلان : مطيع له [تابع -[6]] لمسرته ، و هو من الرشوة ، و جمل راش : ضعيف الصلب ، و كذا رمح راش ، و هى بهاء ، و[7] راشه المرض[7] : ضعفه ، كأنه من الريش ، و كل ذلك يرجع بعد التأمل إلى التمادى - و الله أعلم .

و مادة ' بخس ' بكل ترتيب من بخس و خبس و سبخ و سخب تدور على القلة ، و يلزمها الأخذ بالكف : بخسته[8] حقه : نقصته فجعلته أقل مما كان ، و البخس : فقء[9] العين ، فهو نقص خاص ، و البخس : أرض تنبت بلا سقى ، كأنه لقلة [ما نبت[10] بها بالنسبة إلى أرض السقى ، و البخس : المكس ؛ و سبخت عن فلان : خففت عنه ، و السبخة : أرض ملحة ، لقلة -[11]] نبتها و نفعها ، و سبخت القطن - إذا قطعته ،

(١) فى القاموس « و » (٢) فى ظ : انتشار - كذا (٣) أى شمها ، وفى الأصول : كدمها ، و التصحيح من القاموس (٤) زيد من ظ و م و مد و القاموس . (٥) من القاموس ، و فى الأصول : الحامل (٦) زيد من القاموس (٧-٧) من القاموس ، وفى الأصل و م و مد : راشة المريض ، و فى ظ : راسة المريض - كذا (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بخمسه - كذا (٩) من القاموس ، وفى الأصول : نقوه (١٠) فى م : نبتت (١١) زيد ما بين الحاجزين من م ومد .

فصارت

فصارت جملته قليلة ؛ [و -[1]] التسبيخ : ما يسقط من ريش الطائر - لنقصه منه ، و التسبيخ : النوم الشديد - لنقصه صاحبه [2]و تخفيفه ما عنده من الثقل[2] ؛ و من ذلك الخبس ، و هو الأخذ بالكف - و هو لازم للقلة ، و منه قيل للأسد : الخابس[3] ، لأخذه ما يريده بكفه ؛ و السخاب : قلادة من قرنفل ليس[4] فيها جوهر و لا لؤلؤ . ٥

و لما كان البخس[5] القليل الناقص ، أبدل منه - تأكيدا للمعنى تسفيها لرأيهم و تعجيبا[6] من حالهم - قوله : ﴿ دراهم ﴾ أى لا دنانير ﴿ معدودة ج ﴾ أى أهل لأن تعد ، لأنه لا كثرة لها يعسر معها ذلك ، روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها كانت عشرين درهما[6] ﴿ و كانوا ﴾ أى / كونا ٢١ / هو كالجبلة ﴿ فيه ﴾ أى خاصة دون بقية متاعهم ، انتهازا للفرصة فيه ١٠ قبل أن يعرف عليهم فينزع من أيديهم ﴿ من الزاهدين ع ﴾ أى كمال الزهد حتى رغبوا عنه فباعوه بما طف ، و الزهد : [2]انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه عند الزاهد ، و هذا[2] يعين أن الضمير للسيارة لأن حال إخوته فى أمره فوق الزهد[7] بمراحل ، فلو كان[8] لهم لقيل : و كانوا له من المبعدين أو المبغضين ، [9]و نحو ذلك[9] . ١٥

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) وفى التاج : الخبوس (٤) زيد بعده فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) فى م : تعجبا (٦) كما فى تنوير المقباس على هامش الدر المنثور ٢// ٣٢٣ (٧) فى ظ : الزاهد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قيل . (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من مد .

و لما كانت العادة جارية بأن القن يمتهن، أخبر تعالى أنه أكرمه عن هذه العادة فقال منبها على أن شراءه كان بمصر: ﴿و قال الذى اشترٰىه﴾ أى أخذه برغبة عظيمة، و لو توقفوا عليه[1] غالى فى ثمنه ﴿من مصر﴾ أى البلدة المعروفة، و التعبير بهذا دون ما هو أخصر منه للتنبيه على أن بيعه ظلم، و أنه لم يدخل فى ملك أحـــد أصلا ﴿لامراتهٓ﴾ آمرا لها باكرامه على أبلغ وجه ﴿اكرمى مثوٰىه﴾ أى موضع مقامه، و ذلك أعظم من الأمر باكرامه نفسه، فالمعنى: أكرميه إكراما عظيما بحيث يكون ممن يكرم كل ما لابسه لأجله، ليرغب فى المقام عندنا. و لما كانت كأنها قالت: ما سبب إيصائك [لى -[2]] بهذا دون غيره؟ استأنف قوله: ﴿عسىٓ ان﴾ أى إن حاله خليق و جدير بأن ﴿ينفعنآ﴾ أى و هو على اسم المشترى[3] ﴿او نتخذه﴾ أى برغبة عظيمة[4] إن رأيناه أهلا ﴿ولدا[5]﴾ فأنا[6] طامع فى ذلك.

و لما أخبر تعالى بمبدإ[7] أمره، و كان [من -[7]] المعلوم أن هذا إنما هو لما مكن له فى القلوب مما أوجب توقيره [و إجلاله و تعظيمه، أخبر تعالى بمنتهى أمره، مشبها له بهذا المضمون المعلم به -[7]] فقال: ﴿و كذٰلك﴾ أى و مثل ما مكنا ليوسف بتزهيد السيارة: أهل البذو تارة، و إكرام مشتريه و منافسته[8] فيه أخرى ﴿مكنا ليوسف فى الارض[9]﴾

(١) زيد فى مد: على - مع علامة الضرب عليه (٢) زيد من م (٣) فى م: المملوك. (٤) فى ظ: عظيمه (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فا - كذا (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بمدا (٧) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مناسته.

أى أرض مصر التى هى كالأرض كلها لكثرة منافعها بالملك فيها لتمكنه من الحكم بالعدل[١] ﴿و﴾ بالنبوة ﴿لنعلمه﴾ بما لنا من العظمة ﴿من تاويل الاحاديث[٢]﴾ أى بترجيعها[٢] من ظواهرها إلى بواطنها، فأشار تعالى إلى المشبه[٣] به مع عدم التصريح به لما دل عليه من السياق، و أثبت التمكين فى الأرض ليدل على لازمه[٤] من الملك و التمكين من العدل، و ذكر التعليم ليدل على ملزومه[٥] و هو النبوة، فدل أولا بالملزوم على اللازم، و ثانيا باللازم على الملزوم، و هو كقوله تعالى "فئة تقاتل فى سبيل الله و اخرى كافرة[٦]" فهو احتباك أو قريب منه.

و لما كان من أعجب العجب أن من وقع [له-[٧]] التمكين من أن يفعل به مثل هذه الأفعال يتمكن من أرض هو فيها مع كونه غريبا مستعبدا[٨] فردا[٩] لا عشيرة له فيها و لا أعوان، قال تعالى نافيا لهذا العجب: ﴿و الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿غالب على[٣] امره﴾ أى الأمر[١٠] الذى يريده، [غلبةً-[١١]] ظاهر[١٢] أمرها لكل من له[١٣] بصيرة[١٤]: أمر يعقوب يوسف عليهما الصلاة

(١) فى ظ: بالعدول (٢) من م و مد. وفى الأصل: ترجيعها، وفى ظ: بتراجيعها.
(٣) من م و مد، وفى الأصل وظ: الشبه (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الازمة - كذا (٥) من م و مد، وفى الأصل وظ: مكرومه (٦) سورة ٣ آية ١٣.
(٧) زيد لاستقامة العبارة (٨) من م و مد، وفى الأصل وظ: مستبعدا (٩) من م و مد، وفى الأصل: فديد، وفى ظ: فرد (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لامر (١١) زيد من م و مد (١٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ: ظاهرة (١٣) سقط من ظ (١٤) زيد بعده فى ظ: من.

و السلام أن [لا -[1]] يقص رؤياه حذرا عليه من إخوته ، فغلب[2] أمره سبحانه حتى وقع ما حذره ، فأراد إخوته قتله فغلب أمره عليهم ، و أرادوا أن يلتقطه بعض السيارة ليندرس اسمه فغلب أمره سبحانه و ظهر اسمه[3] و اشتهر ، ثم باعوه / ليكون مملوكا فغلب أمره تعالى حتى صار ملكا ٢٢/
٥ و سجدوا بين يديه ، ثم أرادوا أن يغروا[4] أباهم و يطيّبوا قلبه حتى يخلو لهم[5] وجهه فغلب أمره تعالى فأظهره على مكرهم ، و احتالت عليه امرأة العزيز لتخدعه عن نفسه فغلب أمره سبحانه فعصمه حتى لم يهم بسوء ، بل هرب منه غاية الهرب ، ثم[6] بذلت جهدها فى إذلاله[7] و إلقاء التهمة عليه فأبى الله إلا إعزازه و براءته ، ثم أراد يوسف عليه الصلاة و السلام
١٠ ذكر الساقى له فغلب أمره سبحانه فأنساه ذكره حتى مضى الأجل الذى ضربه سبحانه ، و كم من أمر كان فى هذه القصة و فى غيرها يرشد إلى[3] أن لا أمر لغيره سبحانه ! ﴿ و لكن اكثر الناس ﴾ أى الذين هم أهل الاضطراب ﴿ لا يعلمون ﴾ لعدم التأمل أنه تعالى عالٍ[8] على كل[9] أمر ، و أن الحكم له وحده ، لاشتغالهم بالنظر فى الظواهر للأسباب
١٥ التى يقيمها ، فهو سبحانه محتجب[10] عنهم بحجاب الأسباب .

ذكر ما مضى من قصة يوسف عليه الصلاة و السلام من التوراة :

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : تقلب (٣) سقط من م (٤) فى مد : يغروا (٥) فى ظ : لكم (٦) سقط من مد (٧) فى ظ : اذاله (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عالى (٩) زيد بعده فى ظ : شيء (١٠) فى ظ : متحجب ،

قال فى أواخر السفر الثانى [١] منها [٢]: كان يوسف بن يعقوب ابن سبع [٣] عشرة سنة ، وكان يرعى الغنم مع إخوته [٤]، وكان إسرائيل يحب يوسف أكثر من حبه إخوته ، لأنه ولد على كبر سنه ، فاتخذ له قميصا ذا كمين [٥]، فرأى إخوته أن والدهم أشد حبا له منهم ، فأبغضوه ولم يستطيعوا أن يكلموه بالسلام [٦]. فرأى رؤيا فقصها على إخوته فقال لهم : اسمعوا هذه الرؤيا التى رأيت ، رأيت [٧] كأنا نحزم حزما من الزرع فى الزراعة ، [٨] فاذا حزمتى [٨] قد انتصبت وقامت ، وإذا حزمكم [٩] قد أحاطت بها تسجد لها ، قال [١٠] له إخوته : أترى تملكنا [١١] وتتسلط [١١] علينا ؟ وازدادوا له بغضا [١٢] لرؤياه وكلامه ، فرأى رؤيا أخرى فقال : إنى رأيت رؤيا أخرى ، رأيت كأن الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا يسجدون لى ، فقصها على أبيه وإخوته ، فزجره أبوه وقال [له - [١٣]] : ما هذه الرؤيا ؟ هل آتيك [١٤] أنا وأمك وإخوتك فنسجد لك على الأرض ؟

---

(١) وأما التوراة التى نراجعها فهذه القصة فيها مسوقة فى الأصحاح السابع والثلاثين من السفر الأول : التكوين (٢) زيد بعده فى الأصل وظ : ما ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٣) من م ومد والتوراة ، وفى الأصل وظ : تسع (٤) زيد بعده فى مد : لانه ولد على (٥-٥) فى التوراة : ملونا . (٦) من التوراة ، وفى الأصول : بالسلم (٧) سقط من مد (٨-٨) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : فاذ ليس بنى - كذا (٩) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : خزيكم (١٠) فى ظ : قالت (١١-١١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : تتصلط (١٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : بعضا (١٣) زيد من م ومد والتوراة (١٤) من م ، وفى الأصل : ابيك ، وفى ظ : اتيتك ، وفى مد : اتيك .

فحسده إخوته، وكان أبوه يحفظ هذه الأقاويل.

وانطلق إخوة يوسف يرعون غنمهم فى نابلس[1] فقال إسرائيل ليوسف: هو ذا إخوتك يرعون فى نابلس[1]، هلم أرسلك إليهم! فقال: هأنذا! فقال أبوه: انطلق فانظر كيف إخوتك وكيف الغنم؟ وائتنى بالخبر، فأرسله يعقوب عليه الصلاة والسلام من قاع حبرون. فأتى إلى نابلس[1]، فوجده رجل وهو يطوف فى الحقل فسأله الرجل وقال: ما الذى تطلب فى الحقل؟ فقال: أطلب إخوتى، دلنى عليهم أين يرعون؟ قال[2] له الرجل: قد ارتحلوا من ههنا، وسمعتهم يقولون: ننطلق إلى دوثان، فتبع يوسف إخوته فوجدهم بدوثان، فرأوه من بعيد، ومن قبل أن يقترب إليهم [هموا -[3]] بقتله، فقال بعضهم لبعض: هو ذا حالم الأحلام قد جاء، تعالوا نقتله ونطرحه فى بعض الجباب، ونقول: قد افترسه سبع خبيث، فننظر[4] ما يكون من أحلامه! فسمع روبيل فأنقذه من أيديهم وقال[5] [لهم -[6]]: لا تقتلوا نفسا، ولا تسفكوا دما، بل ألقوه فى هذا الجب الذى فى البرية، ولا تمدوا أيديكم إليه، وأراد أن ينجيه / من أيديهم ويرده[7] إلى أبيه. ٢٣/

فلما أتى يوسف إخوته خلعوا عنه القميص ذا الكمين الذى كان

---

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: بابلس، وفى التوراة: شكيم. وهى بلدة بالقرب من نابلس (٢) فى ظ: فقال (٣) زيد من م (٤) من م، وفى الأصل وظ ومد: فنظر (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: قالوا. (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يرد.

لا يَسَه ، و أخذوه فطرحوه فى الجب[1] فارغا لا ماء فيه ، فجلسوا يأكلون[2] خبزا فمدوا أبصارهم فرأوا فاذا رفقة من العرب مقبلة من جلعاد - و فى نسخة : من الجرش - و كانت إبلهم موقرة[3] سمنا و لبنا و بطما[4] ، و كانوا معتمدين إلى مصر فقال يهوذا لإخوته : ما متعتنا[5] بقتل أخينا و سفك دمه ؟ تعالوا نبيعه من العرب ، و لا نبسط[6] أيدينا إليه لأنه أخونا : لحمنا و دمنا ، فأطاعه إخوته ، فمر بهم قوم تجار مديئيون ، فأصعدوا يوسف من الجب و باعوه من الأعراب بعشرين درهما ، فأتوا به إلى مصر .

فرجع روبيل إلى الجب فاذا ليس فيه يوسف ، فشق ثيابه و رجع إلى إخوته[7] و قال لهم[7] : أين الغلام ؟ إلى أين أذهب أنا الآن ؟ فأخذوا قميص يوسف عليه السلام فذبحوا عتودا[8] من المعز و لوّثوا القميص بدمه و أرسلوا به مع[9] من أتى به أباهم و قالوا : وجدنا هذا ، أثبته هل هو قميص ابنك أم لا ؟ فعرفه و قال : القميص قميص ابنى ، سبع خبيث افترس [10]ابنى يوسف[10] افتراسا ، فحزن على ابنه أياما كثيرة ، فقام جميع بنيه و بناته ليعزوه فأبى أن يقبل العزاء و قال : أنزل إلى القبر و أنا حزين

(١) زيد فى التوراة : و كان الجب (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لياكلوا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : موقورة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بطلما (٥) فى م : منفعنا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يبسط (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) و العتود من أولاد المعز : ما رعى و قوى و أتى عليه حول - لسان العرب (عتد) (٩) من م و مد ، و فى الأصل : الى ، و سقط من ظ (١٠-١٠) فى م : يوسف ابنى ، و فى مد : ابنى يوسف ابنى .

على يوسف ، فبكى عليه أبوه . و باع المدينيون يوسف من قوطيفر الأمير صاحب شرطة فرعون - انتهى . و فيه ما يخالف ظاهره[١] القرآن و يمكن تأويله - و الله أعلم .

و لما أخبر تعالى عما يريد بيوسف عليه الصلاة و السلام بما ختمه بالإخبار عن قدرته ، أتبعه الإعلام بإيجاد ذلك الفعل دلالة على تمام القدرة و شمول العلم فقال : ﴿ و لما بلغ اشده ﴾ أى مجتمع قواه ﴿ اتيناه ﴾ أى[٢] بعظمتنا ﴿ حكما ﴾ أى نبوة أو ملكة يكف بها النفس عن هواها ، من حكمة الفرس[٣] ، فلا يقول و لا يفعل إلا أمرا فصلا[٤] تدعو إليه الحكمة ؛ قال الرمانى : و الأصل فى الحكم تبيين ما يشهد به الدليل ، لأن الدليل حكمة[٥] من أجل أنه يقود إلى المعرفة ﴿ و علما[٦] ﴾ أى تبيينا[٧] للشيء على ما هو عليه جزاء [له -[٢]] لأنه محسن ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ذلك الجزاء الذى جزيناه[٨] به ﴿ نجزى المحسنين ﴾ أى العريقين[٩] فى الإحسان كلهم الذين رأسهم محمد صلى الله عليه و سلم الذى أسرى به فأعلاه ما [١٠]لم يعل غيره[١٠] ؛ و عن الحسن : من أحسن عبادة الله فى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ظاهر (٢) سقط من م (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النفوس ؛ و حكمة الفرس : ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فعلا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حكمه (٦) فى م : تبينا (٧) زيد من م و مد (٨) زيد بعده فى الأصل و ظ : بها ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) فى مد : الغريقين . (١٠ - ١٠) فى م : لم يفعل غيره ، و فى مد : لم يعل بغيره - كذا .

شبيبته[١] آتاه [الله -[٢]] الحكمة [فى اكتهاله -[٣]] . و الأشد : كمال القوة ، و هو جمع شدة عند سيبويه مثل نعمة و أنعم ، و قال غيره : جمع شد[٤] ؛ قال ابن فارس[٥] فى المجمل : و بعضهم[٦] يقول : لا واحد لها ، و يقال : واحدها شد - انتهى . [قيل -[٧]] : و هذا هو القياس نحو ضب و أضب ، و صك و أصك ، و حظ و أحظ ، و ضر و أضر ، و شر و أشر ٥ قال الرمانى : قال الشاعر :

هل غير أن كثر الأشرّ و أهلكت حرب الملوك أكاثر الأموال

- انتهى . و اختلفوا فى حد الأشد فقيل : هو من الحلم[٨] ، و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه من عشرين سنة ، و روى غير ذلك ، و المادة تدور[٩] على الصعوبة ، و هى / ضد الرخاوة ، و يلزمها القوة ، فالشد على ١٠ / ٢٤ العدو منها ، و شد الحبل و غيره : أحكم فتله ، و الشديد و المتشدد[١٠] : البخيل - لصعوبة[١١] البذل عليه ، و الشدة : صعوبة الزمان ، و شد النهار : ارتفاعه ، و هو قوته ، و شددت فلانا : قويت يده و دبرت أمره ، و أشد[١٢] القوم - إذا كانت دوابهم شدادا فهم مشدون ضد مضعفين .

(١) من البحر ٥/٢٩٣ و روح المعانى ٤/٣٢ ، و فى الأصول : شبيته (٢) زيد من البحر و الروح (٣) زيد من م و مد و البحر و الروح (٤) راجع البحر ٥/٢٩٢ بالإضافة إلى اللسان (شدد) (٥) هو أحمد بن فارس القزوينى اللغوى المشهور ، له عديد من المصنفات و على رأسها مجمل اللغة (٦) هو أبو عبيدة - كما صرح به فى البحر . (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) عزى هذا القول إلى الإمام مالك فى لباب التأويل ٣/٢٢٣ (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يدور (١٠) من مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ و م : المشدد (١١) فى مد : الصعوبة - كذا (١٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : اشر .

و لما أخبر تعالى أن سبب [النعمة -[1]] عليه إحسانه، أتبعه دليله[2] فقال: ﴿ و راودته ﴾ أى راجعته الخطاب و دارت[3] عليه بالحيل، فهو كناية عن المخادعة التى هى[4] لازم معنى راد يرود[5] - إذا جاء و ذهب ﴿ التى ﴾ هى متمكنة منه غاية المكنة[6] بكونه[4] ﴿ هو فى بيتها ﴾ و هو فى عنفوان[7] الشباب ﴿ عن نفسه ﴾ أى مراودة[8] لم يكن لها سبب إلا نفسه، لأن المراودة لا يمكن أن تتجاوز نفسه إلا بعد مخالطتها - كما تقول: كان هذا عن أمره، و ذلك بأن دارت عليه بكل حيلة و نصبت له أشراك الخداع و أقامت حينا تفتل [له -[9]] فى الذروة و الغارب، و ذلك لأن مادة 'راد' واوية و يائية بجميع تقاليبها السبعة: رود، و دور، و ورد، 'و دير' و ردى، و ريد، و درى - تدور على الدوران، وهو الرجوع إلى موضع الابتداء، و يلزم منه القصد و الإتيان و الإقبال و الإدبار و الرفق و المهلة و إعمال الحيلة و حسن النظر، و ربما يكون عن[10] غير قصد فتأتى منه[11] الحيرة فيلزم الفساد و الهلاك، يقال: دار فلان يدور - إذا مشى على هيئة الخلقة[12]، و الدهر دوارى - لدورانه باهله بالرفع و الحط، و الدوار: شبه دوران[13] فى الرأس، و دارة القمر معروفة، و الدائرة: الحلقة و الدار

(١) زيد من م و مد (٢) فى م: بدليله (٣) من ظ و م ومد، و فى الأصل: بارت (٤) سقط من مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يردد (٦) فى ظ: المكنة - كذا (٧) فى ظ: عنوان (٨) زيدت الواو بعده فى مد (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ: من (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بينه. (١٢) فى م: الخلفة (١٣) فى القاموس: الدوران.

تجمع العرصة و البناء - لدوران بنائها و للدوران فيها و للذهاب [منها -[1]] و الرجوع إليها ، و الدارى[2] : الملاح الذى يلى الشراع ، و هو القلع - لأنه يديره على عمود المركب ، أو لأنه يلزم دار السفينة ؛ و الرائد : الذى يرتاد الكلأ ، أى يذهب و يجىء فى طلبه - لمّا لم يكن [له -[3]] مقصد من الأرض معين كان كأنه يدور فيها ، و الذى [4]لا يكذب أهله[4] ، و كل طالب حاجة[5] - قاله ابن دريد . و راودت الرجل : أردته[6] على فعل ؛ و رائد الرحى : يدها ، أى العود الذى تدار به و يقبض عليه[7] الطاحن ، و الرياد : اختلاف الإبل فى المرعى مقبلة و مدبرة ، و رادت[8] المرأة - إذا اختلفت إلى بيوت جاراتها ، و راد وساده - إذا لم يستقر ، و الرود : الطلب و الذهاب و المجىء ، و امش على رود - بالضم ، أى مهل ، و تصغيره رويد ، و المرود : الذى يكتحل به ، لأنه يدار فى العين ، و حديدة تدور[9] فى اللجام ، و محور البكرة من حديد ، و الدير : معروف ، و يقال للرجل إذا كان رأس أصحابه : هو رأس الدير - كأنه من إدارة[10] أصحابه [به -[11]] ، و ترديت بالرداء و ارتديت - كأنه من الإدارة[12] ، و الرداء : السيف[13] - لأنه

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : الدرى (٣) زيد من م (٤-٤) من جمهرة اللغة ٣/٢٤١ ، و فى الأصل و ظ و مد : لا يترك له ، و فى م : لامنزل له ؛ « و الرائد لا يكذب أهله » مثل من الأمثال السائرة ، و قد أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ٢/١٢٢ (٥) فى مد : خاصة (٦) فى الأصول : ادرته ، و مبنى التصحيح على تاج العروس (٧) فى ظ : غلته (٨) من مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ و م : دارت (٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : تدار (١٠) فى مد : ارادة (١١) زيد من ظ و مد (١٢) فى مد : الاداة (١٣) زيد بعده فى مد : من ادارة اصحابه .

يتقلد به فى موضع الردى، و الرديان ـ محركا : مشى[1] الحمار بين آريه ومتمعكه[1]، و راديت فلانا، مثل : راودته، و ردت الجارية ـ إذا رفعت إحدى رجليها و قفزت بواحدة، لأن مشيها[2] حينئذ يشبه الدوران، و الريد[3] ـ بالكسر : / الترب، لأنه يراودك، أى يمشى معك من أول زمانك؛ ٢٥ /

٥ و من الإتيان : الورود، و هو إتيان المورد من ماء و طريق، و الوارد : الصائر إلى الماء للاستقاء منه، و هو الذى ينزل إلى الماء ليتناول[4] منه، و الورد معروف، و نور كل شجرة[5] ورد، لأنه يقصد للشم[6] و غيره، و يخرج هو منها فهو وارد أى آتٍ، و هو أيضا مع ذلك مستدير، و الورد - بالكسر : يوم الحمى إذا أخذت صاحبَها لوقت لأنها تأتيه[7]،

١٠ و هو من الدوران أيضا لأنها تدور فى ذلك الوقت بعينه[8]، و هذا كله يصلح للاقبال، و منه : أرنبة واردة، أى مقبلة على السبلة، و الريد : أنف الجبل - قاله ابن فارس، و قال ابن دريد : و الريد : الحيد[9] الناتئ من الجبل، و الجمع ريود؛ و فى القاموس : الحيد[10] من الجبل : شاخص

(١-١) من التاج، و فى الأصول بتمامها : الحمارين آرية و متمعكة ـ كذا (٢) فى م : مشيتها (٣) ذكره صاحب القاموس فى المهموز. و فى التاج : و ربما لم يهمز (٤) فى ظ : ليناول (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : توكل شجر ـ كذا (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م : الشم (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م : ثابتة ـ كذا (٨) فى مد : بعيبه (٩) و فى جمهرة اللغة ٢ / ٢٥٩ : الحرف، و معنى الحيد سيأتى من القاموس فيما يلى. (١٠) من م و القاموس، و فى الأصل و ظ و مد : الجيد.

كأنه

كأنه جناح، و يسمى الشجاع[1] الوارد، لإقباله على كل ما يريده و استعلائه عليه، و الوريدان: عرقان مكتنفا صفحتى العنق مما يلى مقدمه غليظان، و الورد: النصيب من القرآن، لأنه يقصد بالقراءة و يقبل عليه و يدار عليه، و دريت الشيء: علمته، فأنت مقبل عليه وارد[2] إليه، و الدرئة[3] - مهموزة: حلقة يتعلم عليها الطعن و الرمى، و الدرية - مهموزة و غير مهموزة: دابة يستتر بها رامى الصيد فيختله، فهى[4] من الإقبال و الخداع، و إن بنى فلان أدروا مكانا، أى اعتمدوه بالغزو و الغارة[5]، و الدرىّ: شبيه بمدرى[6] الثور و هو قرنه[7]، لأنه يقصد به الشيء و يقبل به على مراده فيصلحه به، و ما أدرى أين ردى[8]؟ [أى -[9]] أين[10] ذهب؟ و الإرواد[11]: المهلة[12] فى الشيء؛ و امش رويدا: على مهل، و الرادة و الريدة: السهلة من الرياح، فكأنها[13] تأتى[14] على مهل؛ [و -[15]] من الحيرة و الفساد و الهلاك: ردى[16] الرجل - إذا هلك، و أرداه[17] الله،

(١) فى ظ: الجناح (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: و اراد - كذا. (٣) ذكرها صاحب القاموس فى غير المهموزة (٤) فى ظ: فهو (٥) فى ظ: القارة (٦) من م، و فى الأصل و ظ و مد: بدرى (٧) فى مد: قربه (٨) فى ظ: ادرى (٩) زيد من مد و التاج (١٠) سقط من مد (١١) من م و مد و التاج، و فى الأصل و ظ: الارود (١٢) فى التاج: الإمهال (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كانها (١٤) فى ظ: تتأتى (١٥) زيد من م و مد. (١٦) فى ظ: درى (١٧) من ظ، و فى الأصل و م و مد: اراده.

و تردى فى هوة : [تهور -[1]] فيها ، و رديته بالحجارة : رميته ، و الرداة[2] : الصخرة ، يكسر بها الشيء ، و المرادى : المرامى ؛ و من حسن النظر : أرديت على الخمسين : زدت ، لأنه يلزم حسن النظر الزيادة ، و أراد الشيء على غيره ، أى ربا عليه ، و سيأتى بيان المهموز من هذه المادة

٥ فى "سنراود[3]" من هذه السورة إن شاء الله تعالى ﴿ و غلقت ﴾ أى تغليقا كثيرا ﴿ الابواب ﴾ زيادة فى المكنة ، قالوا : و كانت سبعة ؛ و الإغلاق : إطباق الباب بما يعسر معه فتحه ﴿ و قالت هيت ﴾ أى تهيأت و تصنعت ﴿ لك[4] ﴾ خاصة فأقبل إلىّ و امتثل أمرى ؛ و المادة - على تقدير إصالة التاء و زيادتها بجميع تقاليبها : يائية و واوية مهموزة و غير

١٠ مهموزة - تدور على [إرادة -[4]] امتثال[5] الأمر : هيت لك - مثلثة[6] الآخر و قد يكسر أوله ، [أى -[7]] هلم ، و هيت به تهييتا : صاح و دعاه ، و هات - بكسر التاء : أعطنى - قال فى القاموس ، و المهاياة مفاعلة منه[8] ، و الهيت : الغامض من الأرض ، كأنه يدعو [ذا -[4]] الهمة إلى الوقوف على حقيقته ، و التيه - بالكسر : الكبرياء و الصلف ، فالتائه داعٍ بالقوة

١٥ إلى امتثال أمره ، و المفازة ، فانها تقهر سالكها ، و الضلال من المفازة - تسمية[9] للشيء باسم موضعه ، و منه : تها - بمعنى غفل / ، و منه : مضى تهواء ٢٦ /

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ و م و مد : المرداة ، و فى القاموس كما هنا (٣) آية ٦١ (٤) زيد من م و مد (٥) فى مد : الامتثال (٦) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : مثليه - كذا (٧) زيد من م و القاموس (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : عد - كذا (٩) من م و مد ، و فى الأصل : سميت ، و فى ظ : يسميه - كذا .

من الليل - بالكسر ، اى طائفة ، لأنها محل الغفلة ، أو لأنها تدعو ساهرها إلى النوم و نائمها إلى الانتباه ، هذا على تقدير إصالة التاء ، و أما على تقدير[1] أنها زائدة فهاءَ بنفسه إلى المعالى : رفعها ، فهو يراها أهلا لأن يمتثل[2] أمرها ، و الهوء : الهمة[3] و الأمر الماضى ، و الهوء أيضا : الظن ، و يضم ، و هؤت به : فرحت ، و لا يكون ذلك [إلا -[4]] لفعل ما يشتهى ، فكأنه امتثل أمرك ، و هوئ إليه - كفرح : همّ ، و هاء كجاء : لبى ، أى امتثل الأمر ، و هاء - بالكسر : هات ، و هاء - كجاء[5] ، أى هاك ، بمعنى خذ ، و الهيئة : حال الشيء و كيفيته الداعية[6] إلى تركه أو لزومه ، و تهايؤا : توافقوا[7] ، و هاء إليه : اشتاق ، فكأنه دعاه إلى رؤيته ، و تهيأ للشيء : أخذ له هيئته ، فكأنه صار قابلا للأمر ، أو لأن يمتثل أمره ، وهيأه : أصلحه ، و الهيء - بالفتح و الكسر : الدعاء إلى الطعام و الشراب و دعاء الإبل للشرب ، و إيه - بكسر الهمزة : [كلمة -[8]] استزادة و استنطاق ، و[9] باسكان الهاء : زجر بمعنى حسبك ، و هأهأ[10] : قهقه فى ضحكه ، و لا يكون ذلك إلا بمن امتثل مراده .

و لما قالت ما قالت و فعلت ما فعلت ، مع ما هى عليه

(١) سقط من م (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : يمتثل (٣) فى ظ : التهمة (٤) زيد من مد (٥) من م والقاموس ، و فى الأصل و ظ ومد : لجا - كذا (٦) من م ، وفى الأصل و ظ و مد : الدايمة (٧) فى ظ : توقفوا (٨) زيد من ظ و م ومد و القاموس (٩) من ظ وم و مد و القاموس ، و فى الأصل : او (١٠) من القاموس ، و فى الأصول : ها .

من القدرة فى نفسها و لها عليه من التسلط و هو عليه من الحسن و الشباب ، كان كأنه قيل : إن هذا لموطن لا يكاد ينجو منه أحد ، فما ذا كان منه ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ أى يوسف مستعملا للحكم بالعلم ﴿ معاذ ﴾ أى أعوذ [1]من هذا[1] الأمر معاذ ﴿ الله ﴾ أى ألزم حصن الذى له صفات الكمال و هو محيط بكل شىء علما و قدرة ، و ملجأه الذى ينبغى الاعتصام به و اللجاء إليه ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انه ﴾ أى الله ﴿ ربى ﴾ أى موجدى و مدبرى و المحسن إلىّ فى كل أمر ، فأنا أرجو إحسانه فى هذا ﴿ احسن مثواى ﴾ بأن[2] جعل لى فى قلب سيدك مكانة عظيمة حتى خولنى فى جميع ما يملك[3] و ائتمننى على كل ما لديه[4] ، فان خالفت أمر ربى فخنت مَن جعلنى موضعا للأمانة كنت ظالما واضعا للشىء فى غير موضعه ، و هذا[5] التقدير - مع كونه أليق بالصالحين المراقبين - أحسن ، لأنه يستلزم نصح العزيز ، و لو أعدنا الضمير على العزيز لم يستلزم التقوى .

و لما كان من المعلوم أن لسان حالها يقول : و إذا كان ظالما كان ما ذا ؟ قال ما تقديره : [إنى -[6]] إذن لا أفلح[7] ، و علله بقوله : ﴿ انه لا يفلح ﴾ أى لا يظفر بمراده أصلا ﴿ الظلمون ﴾ أى العريقون[8]

(١-١) فى ظ : بهذا (٢) فى ظ : اى (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تملك (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى يديه (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هو (٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لا فلح (٨) فى ظ و مد : الغريقون .

فى

فى الظلم - و هو وضع الشىء فى غير موضعه - الذين[1] صرت[2] فى عدادهم على تقدير الفعل ، فيا له من دليل على إحسانه و حكمه و علمه ، فانه لما رأى المقام الدحض بادر إلى الاعتصام بمن بيده ملكوت كل شىء ، ثم استحضر إحسانه إليه الموجب للشكر عليه المباعد[3] عن الهفوات ثم مقام الظلم و ما يوجب لصاحبه من الحزن بعدم الفلاح . ٥

و لما كان هذا الفعل لا يتم حسنه إلا إذا كان عند غلبة الهوى و ترامى الشهوة كما هو شأن الرجولية ، / قال تعالى ردا على من يتوهم ضد ذلك : ﴿ و لقدهمت به ج ﴾ أى أوقعت الهم ، و هو القصد الثابت و العزم الصادق المتعلق بمواقعته ، و لا مانع لها من دين و لا عقل و لا عجز فاشتد طلبها ﴿ و هم بها ﴾ كما هو شأن الفحول عند توفر الأسباب ١٠ ﴿ لولآ ان رأ ﴾ أى بعين قلبه ﴿ برهان ربه[4] ﴾ الذى آتاه إياه من الحكم و العلم ، أى لهمّ بها ، لكنه [لما - [5]] كان البرهان حاضرا لديه حضور من يراه بالعين ، لم يغطه وفور شهوة و لا غلبة هوى ، فلم يهم أصلا مع كونه فى غاية الاستعداد لذلك لما آتاه الله من القوة مع كونه فى سن الشباب ، فلولا المراقبة لهمّ بها لتوفر الدواعى غير أن نور الشهود ١٥ محاها أصلا ، و هذا التقدير هو اللائق بمثل مقامه مع أنه هو الذى تدل

(١) فى ظ : التى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : جرت - كذا (٣) فى ظ : الباعد (٤) و هذه الآية قد أوسعها القدامى من المفسرين بحثا و نقاشيا و استعراضا لنواحيها العديدة فليراجع على وجه المثال البحر ٥/٢٩٥ و لباب التأويل ٣/٢٢٤ (٥) زيد لاستقامة العبارة .

عليه أساليب هذه الآيات من جعله من المخلصين و المحسنين المصروف عنهم السوء ، و أن السجن أحب إليه من ذلك ، مع قيام القاطع على كذب ما تضمنه قولها " ما جزاء من اراد باهلك سوءا "- الآية [1]، من مطلق الإرادة، و مع ما تحتم [2] تقدير [3] ما ذكر بعد 'لولا' فى خصوص

٥ هذا التركيب من أساليب كلام العرب ، فانــه يجب أن يكون المقدر بعد كل [4] شرط من [4] معنى ما دل عليه ما قبله ، و هذا مثل قوله تعالى " ان كادت لتبدى به لولا ان ربطنا على قلبها [5] " أى لأبدت به ، و أما ما ورد عن السلف مما يعارض ذلك فلم يصح منه شيء عن أحد منهم مع [أن -[6]] الأقوال التى رويت عنهم إذا جمعت تناقضت فتكاذبت [7] ،

١٠ و لا يساعد على شيء منها كلام العرب لأنهم قدروا جواب 'لولا' المحذوف بما لا دليل عليه من سابق الكلام و لا لاحقه - نبه على ذلك الإمام أبو حيان ، و سبقه إلى ذلك الإمام الرازى و قال : إن هذا قول المحققين من المفسرين ، و أشبع فى إقامة الدلائل على هذا بما يطرب [8] الأسماع ، و قدم ما يدل عــلى جواب الشرط ليكون أول ما يقرع

١ السمع ما يدل على أنه كان فى غاية القدرة على الفعل ، و أنه ما منعه منه إلا [9] العلم بالله ، فكأنه قيل : إن هذا التثبيت عظيم ، فقيل إشارة إلى

---

(١) ٢٥ (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يختم (٣) فى ظ : تقديره .
(٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شرطين (٥) آية ١٠ (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى الأصل : فكاديت ، و فى ظ : فسكاديت ، و فى م و مد : فتكاذبت - كذا ، و مبنى التصحيح على البحر ٥/٢٩٥ (٨) فى ظ : يضطرب .
(٩) فى ظ و مد : غير .

أنه لازم له كما هو شأن العصمة : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك التثبيت
نثبته فى كل أمر ﴿ لنصرف عنـــه السوء ﴾ أى الهمّ بالزنـا و غيره
﴿ و الفحشآء[1] ﴾ أى الزنا و غيره ، فكأنه قيل : لِمَ فعل به هذا ؟ فقيل :
﴿ انه من عبادنا ﴾ أى الذين عظمناهم بما لنا من العظمة ﴿ المخلصين ﴾
أى هو فى عداد الذين هم خير صرف ، لا يخالطهم غش ، و من ذريتهم ٥
أيضـا ، و هذا مع قول إبليس [" لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين[1] " شهادة من إبليس -[2]] أن يوسف عليه الصلاة و السلام
برىء من الهمّ فى هذه الواقعة ؛ قال الإمام[3]: فمن نسبه إلى الهمّ إن كان
من أتباع دين الله فليقبل شهادة الله ، و إن كان من أتباع إبليس و جنوده
فليقبل شهادة إبليس بطهارته ، قال : و لعلهم يقولون : كنا تلامذة إبليس ١٠
ثم زدنا عليه - كما قيل[4] :

و كنت فتى من جند إبليس فارتقى
من الأمر حتى صار إبليس من جندى[6]

/ فلو مات قبلى كنت أحسن بعده / ٢٨
طرايقَ فسق ليس يحسنها بعدى[7] ١٥

(١) سورة ١٥ آية ٣٩ و ٤٠ (٢) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٣) أى الرازى ، و قوله هذا مطرد فى روح المعانى ٤/٣٦ و ٣٧ فراجعه (٤) ورد البيتان فى الروح باختلاف طفيف عما هنا بالإضافة إلى نسبتها إلى الحريرى (٥) فى مد : فى ، ولا يستقيم معه الوزن (٦) من م ومد والروح ، وفى الأصل وظ : جند (٧) من م و مد و الروح ، و فى الاصل و ظ : بعد .

ثم ذكر سبحانه و تعالى [١]مبالغته فى الامتناع[١] بالجد فى الهرب دليلا على إخلاصه و أنه لم يهمّ أصلا فقال : ﴿و استبقا الباب﴾ أى أوجد[٢] المسابقة بغاية الرغبة من كل منهما ، هذا للهرب منها ، و هذه لمنعه ، فأوصل الفعل إلى المفعول بدون ' إلى ' ، دليلا [٣] على أن كلا منهما بذل أقصى جهده فى السبق ، فلحقته عند الباب الأقصى مع أنه [٤]كان قد[٤] سبقها بقوة الرجولية و قوة الداعية إلى الفرار إلى الله ، و لكن عاقه إتقانها للكر بكون الأبواب كانت مغلقة ، فكان يشتغل بفتحها فتعلقت بأدنى ما وصلت إليه من قميصه ، و هو ما كان من ورائه خوف فواته ، فاشتد تعلقها به مع إعراضه هو عنها و هربه منها ، ففتحه و أراد الخروج فمنعته ﴿و﴾ لم تزل[٥] تنازعه حتى ﴿قدت قميصه﴾ و كان القد ﴿من دبر﴾ أى الناحية الخلف منه ، و انقطعت منه قطعة فبقيت فى يدها ﴿و الفيا﴾ أى وجدا مع ما بهما من الغبار و الهيئة التى لا تليق[٦] بهما ﴿سيدها﴾ أى زوجها ، و لم يقل : سيدهما ، لأن يوسف عليه الصلاة و السلام لم يدخل فى رق - [٧]كما مضى[٧] - لأن المسلم لايملك و هو السيد ﴿لدا﴾ أى عند ذلك ﴿الباب[١]﴾ أى الخارج ، على كيفية غريبة جدا ، هكذا ينبغى أن يفهم هذا المقام لأن السيد لايقدر [على -[٨]]

(١-١) من مد ، و فى الأصل وظ وم : مبالغة بالامتناع (٢) فى مد : وجدا .
(٣) فى مد : دليل (٤-٤) فى ظ : قد كان (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم يزل (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لايليق (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) زيد من ظ و م و مد .

فتحه فضلا عن الوصول إلى غيره لتغليق الجميع[١] .

و لما علم السامع أنهما ألفياه و هما على هذه الحالة كان كأنه قيل[٢] : فما اتفق ؟ فقيل : ﴿ قالت ﴾ مبادرة من غير حياء و لا تلعثم[٣] ﴿ ما ﴾ نافية ، و يجوز[٤] أن تكون[٥] استفهامية ﴿ جزآء من اراد ﴾ أى منه و من [٦]غيره كائنا[٦] من كان ، لما لك من العظمة ﴿باهلك سوءا﴾ أى و لو أنه غير الزنا ﴿ الآ ان يسجن ﴾ أى يودع فى السجن إلى وقت ما ، ليحكم فيه بما يليق ﴿او عذاب اليم﴾ أى دائم ثابت غير السجن ؛ و الجزاء : مقابلة العمل بما هو حقه ، هذا كان حالها عند المفاجأة ، و أما[٧] هو عليه الصلاة و السلام فجرى على سجايا الكرام بأن سكت سترا عليها و تنزها[٨] عن ذكر الفحشاء ، فكأنه قيل : فماذا[٩] قال حين قذفته بهذا ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ دافعا عن نفسه لا هاتكا لها ﴿ هى ﴾ بضمير الغيبة لاستحيائه عن مواجهتها باشارة أو ضمير خطاب ﴿راودتنى عن نفسى﴾ و ما قال ذلك إلا حين اضطرته إليه بنسبته إلى الخيانة ، و صدقه لعمرى فيما قال لا يحتاج إلى بيان أكثر من الحال الذى كانا فيه ، و هو

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الجمع (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعليم (٤) فى ظ : لايجوز ، و راجع أيضا البحر ٥/٢٩٧ للنص على جواز كونها استفهامية (٥) فى مد : يكون (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : غيركاينة ، و فى ظ : غيره كاينة ، و فى م : غير كانا - كذا (٧) زيد فى ظ : ما (٨) من م و مد ، و فى الأصل : سترها ، و فى ظ : نترها - كذا . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فما .

أنهما عند الباب ، و لو كان الطلب[1] منه لما كانا إلا فى محلها الذى تجلس فيه ، و هو صدر البيت و أشرف موضع فيه ﴿ و شهد ﴾ و لما كان كل صالح للشهادة كافيا ، فلم تدع ضرورة إلى تعيينه ، قال : ﴿ شاهد ﴾ أى عظيم ﴿ من اهلها ﴾ لأن الأهل أعظم فى الشهادة ، رضيع ببراءته - نقله الرمانى عن ابن عباس و أبى هريرة رضى الله عنهما و سعيد / بن جبير[2] ، كما شهد للنبى صلى الله عليه و سلم فى حجة الوداع صبى من أهل اليمامة [3]يوم ولد بأنه رسول الله ، فكان يدعى[4] : مبارك اليمامة[5] . فقال ذلك الشاهد : ﴿ ان كان ﴾ أى حال المراوغة ﴿ قميصه ﴾ أى فيما يتبين[6] لكم ﴿ قد ﴾ أى شق شقا مستأصلا ﴿ من[7] قبل ﴾ أى من جهة ما أقبل من جسده ﴿ فصدقت[8] ﴾ و لا بد من تقدير فعل التبين[9] ، لأن الشروط لا تكون[10] معانيها إلا مستقبلة و لو[11] كانت ألفاظها ماضية .

و لما كان صدقها ليس قاطعا فى منع صدقه ، قال : ﴿ و هو من الكذبين ﴾ لأنه لو لا إقباله - و هى تدفعه عنها أو تهرب منه

٢٩/ ٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المطاب (٢) راجع لباب التأويل ٣/٢٢٧ و البحر ٥/٢٩٧ (٣) العبارة من هنا إلى « مبارك اليمامة » سقطت من ظ . (٤) فى مد : يدع (٥) و هذا الحديث قد أخرجه البيهقى و ابن عساكر عن معيقيب اليمانى - راجع الخصائص الكبرى للسيوطى ٢/ ٣٩ (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : يبين (٧) تقدم فى ظ على « أى شق » (٨) زيد بعده فى ظ : اى ، و العبارة من هنا إلى « ماضية » ساقطة من م (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : التبيين (١٠) فى مد : لا يكون (١١) فى مد : إن .

و هو يتبعها و يعثر فى قميصه - ما كان القد من القبل[1] ﴿و ان كان﴾ أى فيما يظهر لكم ﴿قميصه﴾ أى يوسف عليه الصلاة و السلام ﴿قد من دبر﴾ أى من جهة ما أدبر منه ، و بنى "قد" للمجهول للنزاع فى القاذ ﴿فكذبت﴾ و لما كان كذلك[2] كذبُها [فى إرادته -[3]] السوء لا يعين صدقه فى إرادتها له ، [قال -[4]] : ﴿و هو من الصٰدقين ۝﴾ لأنه ٥ لولا إدباره عنها و إقبالها [عليه -[3]] لما وقع ذلك ، فعرف سيدها صحة ذلك بلا شبهة ، لأن معنى 'إن' هنا الشرط فى جهة التقرير[5] للمعنى الذى يوجب غيره لا على الشك ، [6]و قدم أمارة صدقها لأنه مما يحبه سيدها ، فهو فى الظاهر اهتمام بها ، و فى الحقيقة تقرير[7] لكذبها مرتين : الأولى باللزوم ، و الثانية بالمطابقة . ١٠

و لما كان المعنى : فنظر ، بنى عليه قوله : ﴿فلما رأ﴾ أى سيدها ﴿قميصه﴾ أى يوسف عليه الصلاة و السلام ﴿قد من دبر قال﴾ لها وقد قطع بصدقه وكذبها ، مؤكدا[8] لأجل إنكارها ﴿انه﴾ أى هذا القذف له ﴿من كيدكن﴾ معشر النساء ؛ و الكيد : طلب الإنسان بما يكرهه ﴿ان كيدكن عظيم ۝﴾ و العظيم : ما ينقص مقدار غيره عنه حسا أو معنى ، ١٥ فاستعظمه لأنه أدق من مكر[9] الرجل و ألطف و أخفى ، لأن الشيطان

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قبل (٢) سقط من ظ و م و مد . (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التقدير (٦) العبارة من هنا إلى « عليه قوله » ساقطة من م (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : تقدير (٨) فى ظ : موكلا (٩) فى ظ : فهم .

عليهن لنقصهن أقدر، وكيدهن الذى هو من كيد الشيطان أضعفُ ضعيفٍ بالنسبة إلى ما يدبره الله عز و جل فى إبطاله ؛ ثم قال العزيز آمرا له عليه السلام مسقطا لحرف النداء دلالة على أن قربه من قلبه على حاله : ﴿ يوسف اعرض ﴾ أى انصرف بكليتك مجاوزا ﴿ عن هذا سكتة ﴾ أى اجعله بمنزلة ما تصرف وجهك عنه إلى جهة العرض[1] بأن لا تذكره لأحد و لا تهتم به، فإنى لم أتأثر[2] منك بوجه، لأن عذرك قد بان، و أقبل إليها فقال : ﴿ واستغفرى ﴾ أى اطلبى الغفران ﴿ لذنبك ج ﴾ فى أن لا يحصل لك عقوبة منى و لا من الله ؛ و استأنف بيان ما أشار إليه بقوله : ﴿ انك كنت ﴾ أى كونا جبليا ﴿ من الخطئين ع ﴾ أى العريقين[3] فى الخطأ بغاية القوة، يقال : خطىء يخطأ - إذا أذنب متعمدا .

و لما كان فى هذا من شرف العفة ما يدل على كمال العصمة[4]، أكده[5] تعالى بما يدل على تسامى حسنه و تعالى جماله و لطفه، لأن العادة جرت بأن ذلك إذا[6] كان بعضه لأحد كان مظنة لميله، لتوفر الدواعى على الميل إليه، فقال تعالى : ﴿ و قال نسوة ﴾ أى جماعة من النساء لما شاع الحديث ؛ و لما كانت البلدة كلما عظمت كان أهلها أعقل و أقرب إلى الحكمة، قال : ﴿ فى المدينة ﴾ أى التى فيها امرأة العزيز ساكنة ﴿ امرات العزيز ﴾ فأضفنها[7] إلى زوجها إرادة الإشاعة للخبر، لأن النفس

٣٠/ ١٥

(١) فى ظ : العوض، و فى مد : الغرض (٢) من م و مد، و فى الأصل : اباشر، و فى ظ : اناثر - كذا (٣) فى ظ و مد : الغريقين (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : القصة (٥) زيد بعده فى مد : بقوله (٦) فى ظ : ان (٧) من م و مد، و فى الأصل : فاضتها، و فى ظ : فاضافتها .

إلى سماع أخبار أولى الأخطار أميل ؛ و العزيز: المنيع بقدرته من أن يضام، فالعزة أخص من مطلق القدرة، و عبرن بالمضارع فى ﴿تراود فتٰها﴾ - أى عبدها نازلة[1] من افتراش العزيز إلى افتراشه[2] ﴿عن نفسه ج﴾ - إفهاما لأن الإصرار على المراودة صار لها كالسجية ؛ [3]و الفتى : الشاب ، و قيده الرمانى بالقوى ، قال : و قال الزجاج : و كانوا يسمون المملوك فتى شيخا كان أو شابا ، ففيه اشتراك على هذا ﴿قد شغفها﴾ ذلك الفتى ﴿حبا[4]﴾ أى من جهة الحب . قال الرمانى : شغاف[5] القلب : غلافه ، و هو جلدة[6] عليه ، يقال : دخل الحب الجلد حتى أصاب القلب ؛ عن السدى و أبى عبيدة[6] و عن الحسن أنه باطن القلب ، و عن [أبى -[7]] على : وسط القلب - انتهى . و الذى قال فى المجمل و غيره أنه غلاف القلب ، و أحسن من توجيه أبى عبيدة له أن حبه صار شغافا[8] لها ، أى حجابا ، أى ظرفا محيطا بها ، و أما 'شعفها' - بالمهملة[9] فمعناه : غشى شعفة قلبها ، و هى رأسه عند معلق النياط ، و قال الرمانى : أى ذهب بها كل مذهب ، من شعف الجبال ، و هى رؤسها[10] .

و لما قيل ذلك ، كان كأنه قد[11] قيل : فكان ماذا ؟ فقيل[12]

---

(١) من مد ، و فى الأصل : نازله ، و فى ظ و م : نازله (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فراشه (٣) زيد بعده فى الأصل : التى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى ظ : شغاب (٥) فى م : جلده (٦) فى ظ : ابى عبيد (٧) زيد من م و مد و روح المعانى ٤/ ٤٥ (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شغفا (٩) تكرر فى الأصل فقط (١٠) فى ظ : راسها (١١) سقط من م (١٢) سقط من ظ و م و مد .

- و أكد لأن من رآه عذرها و قطع بأنهن لو كن فى محلها عملن عملها و لم يضللن فعلها - : ﴿ انا لنرٰها ﴾ أى نعلم أمرها علما هو كالرؤية ﴿ فى ضلٰل ﴾ أى محيط بها ﴿ مبين ۝ ﴾ لرضاها لنفسها بعد عز السيادة بالسفول عن رتبة العبد ، [1]و دل بالفاء على أن كلامهن نقل إليها بسرعة

٥ فقال[1] : ﴿ فلما سمعت ﴾ أى امرأة العزيز ﴿ بمكرهن ﴾ و كأنهن أردن[2] بهذا الكلام أن يتأثر عنه ما فعلت امرأة العزيز ليرينه ، فلذلك سماه مكرا ﴿ ارسلت اليهن ﴾ لتريهن[3] ما يعذرنها بسببه فتسكن قالتُهن[4] ﴿ و اعتدت ﴾ أى هيأت و أحضرت ﴿ لهن متكأً ﴾ أى ما يتكئن عليه من الفرش اللينة و الوسائد الفاخرة ، فأتينها فأجلستهن على ما أعدته[5] لهن

١٠ ﴿ و ءاتت كل واحدة ﴾ على العموم ﴿ منهن سكينا ﴾ ليقطعن بها ما يحتاج إلى القطع مما يحضر من الأطعمة فى هذا المجلس ؛ قال أبو حيان : فقيل : كان لحما ، و كانوا لا ينهشون[6] اللحم ، إنما [كانوا -[7]] يأكلونه[8] حزا بالسكاكين . و قال الرمانى : ليقطعن فاكهة قدمت إليهن - انتهى . هذا الظاهر من علة إتيانهن[9] و باطنه إقامة الحجة عليهن بما لا يجدن له

١٥ مدفعا مما يتأثر عن ذلك ﴿ و قالت ﴾ ليوسف فتاها عليه الصلاة و السلام

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) من ظ و م و مد ، فى الأصل : اردنا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لترينهن (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قالت (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اعدت (٦) من م و مد و البحر ٥/ ٣٠٢ ، و فى الأصل و ظ : لا يلتمسون - كذا (٧) زيد من م و البحر (٨) فى ظ : ياكلون (٩) فى م : ايتائهن .

﴿ اخرج عليهن ﴾ فامتثل له ما أمرته به كما هو دأبه [معها -[1]] فى كل ما لا معصية فيه ، [2]و بادر الخروج عليهن[1] ﴿ فلما رأينه ﴾ أى النسوة ﴿ اكبرنه ﴾ أى أعظمن يوسف عليه الصلاة و السلام جدا إعظاما[3] كرّبهن ﴿ و قطعن ﴾ أى جرحن جراحات[4] كثيرة / ﴿ ايديهن ﴾ ٣١ / و عاد لومهن عذرا ، و التضعيف يدل على التكثير ، فكأن السكين كانت تقع على يد إحداهن فتجرحها فترفعها عن يدها[5] بطبعها ، ثم يغلبها الدهش فتقع على موضع آخر و هكذا ﴿ و قلن حاشَ ﴾ أى تنزيها عظيما جدا ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له صفات الكمال التى[6] خلق بها مثل هذا .

و لما كان المراد بهذا التنزيه تعظيمَه ، بينه بقولهن : ﴿ ما هٰذا بشرا[4] ﴾ لأنه فاق البشر فى الحسن جدا ، و أعرض عن الشهوة من غير علة نراها مانعةٍ له [لأنه -[7]] فى غاية القوة و الفحولية ، فكأنه[8] قيل : فما هو ؟ فقلن : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هذآ ﴾ أى فى هذا[9] الحسن و الجمال ، و أعدن[10] الإشارة دفعا لإمكان الغلط ﴿ الا ملك كريم * ﴾ و ذلك لما ركز[11] فى الطباع من[12] نسبة كل معنى فائق [إلى -[13]] الملائكة من الحسن و العفة و غيرهما

(١) زيد من م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) فى ظ : عظما ما . (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : جراحا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يديها (٦) فى ظ : الذى (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و كأنه (٩) فى ظ : ذلك (١٠) فى م : اعتدن (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذكر (١٢) سقط من ظ (١٣) زيد من مد .

و إن كانوا [غير - [1]] مرئيين ، كما[2] ركز فيها نسبة ضد ذلك إلى الجن و الشياطين ، فكأنه قيل : فما قالت لهن امرأة العزيز ؟ فقيل : ﴿قالت فذلكن﴾ أى الفتى العالى الرتبة جدا ﴿الذى لمتنى فيه[4]﴾ .

و لما علمت أنهن عذرنها[3] ، قالت مؤكدة استلذاذا بالتهتك فى حبه : ﴿ و لقد ﴾ أى أقول هذا و الحال أنى و الله لقد تحقق أنى ﴿راودته عن نفسه﴾ أى لأصل إليه بما أريد ﴿فاستعصم[5]﴾ أى فأوجد العصمة و الامتناع علىّ ، فاشتد اعتصامه ، و ما أنا براجعة عنه ؛ ثم توعدته[5] و هو يسمع لِيَلين ، فقالت لهن مؤكدة[6] لأن حال حبها يوجب الإنكار لأن تفعل ما يؤذى المحبوب : ﴿ و لئن لم يفعل ﴾ أى هذا الفتى الذى قد قام عذرى[6] عندكن [فيه - [7]] ﴿ما آمره﴾ أى أمرى ﴿ليسجنن﴾ أى ليمنعن من التصرف بالحبس بأيسر سعى منى . و لما كان عزمها على السجن أقوى من العزم على إيقاع[8] الصغار به ، أكدته[9] بالنون الثقيلة و قالت : ﴿ و ليكونًا ﴾ بالنون الخفيفة ﴿من الصٰغرين ۝﴾ أى الأذلاء[10] ، أو أن الزيادة فى تأكيد السجن لأنه يلزم منه[11] إبعاده ، و إبعاد الحبيب

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لما (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ بياض يتوسطه ما يشابه حرف « ط » (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : توعده (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لن يمكنه - كذا (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عندى (٧) زيد من م و مد (٨) فى ظ : اقام (٩) فى ظ : اكدت (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاذلال ؛ و العبارة من بعده إلى « من إهانته » ساقطة من م (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : من .

أولى[1] بالإنكار من إهانته، فقال له النسوة: أطعها لئلا تسجنك و تهينك، فكأنه قيل: فما[2] قال؟ فقيل[3]: ﴿ قال ﴾ يهتف بمن فنى بشهوده عن كل مشهود، دافعا عن نفسه ما ورد عليه من وسوسة الشيطان فى أمر جمالها و أمر رئاستها و مالها، و من مكر النسوة اللاتى [4]نوّعن له[4] القول فى الترغيب و الترهيب عالما بأن القوة البشرية تضعف عن [حمل -[5]] ٥ مثل هـذا إلا بتأييد عظيم، مسقطا للأداة[6] على عادة أهل القرب[7]: ﴿ رب السجن ﴾ و هو محيط مانـع من الاضطراب فيما خرج عنه ﴿ احب الىّ ﴾ أى أقل بغضا ﴿ مما يدعوننىّ ﴾ أى هؤلاء النسوة كلهن ﴿ اليه ﴾ لما علم من سوء عاقبة المعصية بعد سرعة[8] انقضاء اللذة، و هذه العبارة تدل على غاية البغض لموافقتها، فان السجن لايتصور حبه عادة، ١٠ و إنما المعنى أنه لو كان يتصور الميل إليه كان ميلى[9] إليه أكثر، لكنه لايتصور / الميل إليه لأنه شر محض، و مع ذلك فأنا أوثره على ما دعوننى[10] إليه، لأنه أخف الضررين، و الحاصل أنه أطلق المحبة على ما يضادها فى هذا السياق من البغض بدلالة الالتزام، فكأنه قيل: السجن أقل بغضا إلىّ [مما تدعوننى إليه -[11]]، و ذلك هو ضد 'أحب' الذى معناه[12] أكثر ١٥

/ ٣٢

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٢) فى ظ: فما ذا (٣) سقط من ظ.
(٤-٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: توعدن لها (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) فى ظ و مد: الأداة (٧) فى م: العرب (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شرعه (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ميل (١٠) من م و مد، و فى الأصل: دعوتنى، و فى ظ: دعتنى (١١) زيد من م (١٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

حبا ، و لكن حولت العبارة ليكون كدعوى الشيء مقرونا[1] بالدليل ، و ذلك أنه[2] لما فوضل فى المحبة بين شيئين أحدهما مقطوع ببغضه ، فُهم قطعا أن المراد إنما هو أن بغض هذا البغيض دون بغض المفضول ، فعلم قطعا أن ذلك الذى يظن حبه أبغض من هذا المقطوع ببغضه ، ٥ [3]و كذا كل ما[4] فوضل بينهما فى وصف يمنع من حمله على الحقيقة كونُ المفضل متحققا بضده ـ و الله الموفق ؛ و الدعاء : طلب الفعل من المدعو ، و صيغته كصيغة الأمر [إلا أن الدعاء لمن فوقك ، و الأمر لمن دونك -[5]] ﴿و الا تصرف﴾ أى أنت يا رب الآن و فيما[6] يستقبل من الزمان ، مجاوزا ﴿عنى كيدهن﴾ أى ما قد التبس من مكرهن ١٠ و تدبيرهن الذى يردن به الخبث[7] احتيالا[8] على الوصول إلى قصدهن خديعة و غرورا ﴿اصب﴾ أى أمل[9] ميلا عظيما ﴿اليهن﴾ لما جبل[10] الآدمى عليه من الميل النفسانى إلى مثل ذلك ، و متى انخرق سياج صيانته بواحدة تبعها أمثالها ، و اتسع الخرق على الراقع[11] ، و لذلك قال : ﴿و اكن﴾ أى كونا هو كالجبلة ﴿من الجهلين﴾ أى الغريقين فى الجهل بارتكاب ١٥ مثل أفعالهم ﴿فاستجاب له ربه﴾ أى أوجد المحسن إليه إيجادا عظيما

(١) فى ظ : مقروبا (٢) فى ظ : لأنه (٣) العبارة من هنا إلى « متحققا بضده » ساقطة من ظ (٤) من م و مد ، و فى الأصل : من (٥) زيد من م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : مما (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : البحث. (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احتيال (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : اميل (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جعل (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الراتع .

إجابة دعائه الذى تضمنه هذا الثناء، لأن الكريم يغنيه التلويح عن التصريح - كما قيل :

إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرّضه الثناءُ

و فعل ذلك سبحانه إكراما له و تحقيقا لما سبق من وعده فى قوله "كذلك لنصرف عنه السوء" - الآية ﴿فصرف عنه كيدهن[1]﴾ ثم علل ٥ ذلك بقوله : ﴿انه هو السميع﴾ أى للاقوال[1] ﴿العليم﴾ بالضمائر و النيات ، فيجيب ما صح فيه القصد و طاب منه العزم .

و لما كانت هذه الأمور موجبة لرفعته ، فكان حينئذ أبعد شيء عن[2] السجن لو كان الناس متمكنين من جرى[3] أمورهم على حسب السديد من عقولهم ، أخبر تعالى أنهم خالفوا داعى السداد و استبدلوا[4] الغىّ ١٠ بالرشاد ، لحكمه بأن السجن سبب عظيم لصرف كيدهن عنه و إثبات *العز و المكنة* له ، ففعلوا - مع علمهم بأن ذلك ظلم و سفه - إجابة[6] لغالب أمر الله و إظهارا لعلىّ قدره بمخالفة[7] العوائد مرة بعد مرة ، و هدم سداد الأسباب كرة أثر كرة ؛ فقال : ﴿ثم﴾ لهذا المعنى ، و هو أنهم كان ينبغى أن يكونوا[8] [من -[9]] سجنه[10] فى ١٥

(١) فى ظ و مد : الاقوال (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) زيد بعده فى ظ : من (٤) فى مد : استدلوا (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل : العود و المكنة ، و فى ظ : العز و لمكنه (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احبابه (٧) فى ظ : لمخالفة (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يكون (٩) زيد من م و مد . (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سجدته .

غاية البعد ﴿ بدا ﴾ أى ظهر[1] بعد الخفاء كما هى عادتهم ﴿ لهم ﴾ و البداء فى الرأى[2]: التلون فيه لظهور ما لم يكن ظهر منه .

و لما كان [ذلك - [3]] الظهور[4] فى حين من الدهر تلونوا بعده إلى رأى آخر ، أدخل الجار دلالة على ذلك فقال: ﴿ من بعد ما راوا ﴾ ٥ [5] أى رؤيتهم [5] ﴿ الآيٰت ﴾ القاطعة ببراءته القاضية بنزاهته من قد القميص و شهادة الشاهد و غير ذلك .

و لما كان فاعل[6] "بدا" بداء[7] رأى ، فسره بقوله مؤكدا ، لأنه لا يصدق أن الإنسان يفعل ما ظهر له المانع منه: ﴿ ليسجننه ﴾ فيمكث فى السجن ﴿ حتى حين ﴾ أى إلى أن تنسى تلك الإشاعة ، و يظهر ١٠ الناس أنها [لو - [8]] كانت تحبه ما سعت فى سجنه ، و قيل: إن ذلك الحين سبع سنين[9] ، قيل: كان سبب ذلك أنها قالت للعزيز[10]: إن هذا قد فضحنى فى الناس و هو يعتذر إليهم و يصف الأمر كما يحب ، و أنا محبوسة ، فاما أن تأذن لى فأخرج فأعتذر كما يعتذر ، و إما أن تسويه [بى - [8]] فى السجن ؛ قال أبو حيان: قال ابن عباس رضى الله عنهما:

---

(١) زيد بعده فى ظ : بدا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرى (٣) زيد من م (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المظهور (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) زيد بعده فى الأصل و ظ : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) من م و مد ، و فى الأصل : اى ، و فى ظ : بذى - كذا (٨) زيد من م و مد (٩) قاله عكرمة - كما فى لباب التأويل ٣ / ٢٣٠ (١٠) و راجع لهذا أيضا لباب التأويل .

فأمر

فأمر به فحمل على حمار [١] وضرب [١] أمامه بالطبل، ونودى عليه فى أسواق مصر أن يوسف العبرانى أراد سيدته، فهذا جزاءه أن يسجن! قال [٢] أبو صالح: ما ذكر ابن عباس رضى الله عنهما هذا الحديث إلا بكى - انتهى. وهذا دليل على قوله "ان كيدكن عظيم".

قال الإمام فخر الدين الرازى فى كتاب اللوامع: وعلى الجملة فكل [٣] أحوال يوسف عليه الصلاة والسلام لطف فى عنف [٤]، ونعمة فى طى [٥] بلية [٦] ونقمة [٦]، ويسر فى عسر [٧]، ورجاء فى يأس، وخلاص بعد لات مناص، وسائق القدر ربما يسوق القدر إلى المقدور بعنف، وربما يسوقه بلطف، والقهر والعنف أحمد عاقبة وأقل تبعة - انتهى.

ولما ذكر السجن، وكان سببا ظاهرا فى الإهانة، شرع سبحانه [٨] يقص من [٨] أمره فيه ما حاصله أنه جعله سبب الكرامة، كل ذلك بيانا للغلبة على الأمر والاتصاف بصفات القهر [٩]، مع ما فى ذلك من بيان تحقق ما تقدم به الوعد الوفى ليوسف عليه الصلاة والسلام وغير ذلك من الحكم، فقال تعالى: ﴿ ودخل ﴾ أى فسجنوه كما بدا لهم

(١-١) من ظ وم ومد والبحر ٥/٣٠٧، وفى الأصل: فضرب (٢) من م ومد والبحر، وفى الأصل وظ: فقال (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: فكان. (٤) من م، وفى الأصل وظ ومد: عنصر (٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: طمر (٦-٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: ربه - كذا (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: عز - كذا (٨-٨) من ظ ومد، وفى الأصل: يقضى فى (٩) زيد بعده فى الأصل: ها، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها.

و دخل ﴿ معه السجن فتيين[1] ﴾ : خباز الملك و ساقيه ، رفع إليه أن الخباز أراد أن يسمه ، و ظن أن الساقى مالأه على ذلك ، و "مع" تدل على الصحبة و استحداثها ، فهى تدل على دخول الثلاثة السجن فى آن واحد - قاله أبو حيان[1] . فلما دخلوا[2] السجن كان يوسف عليه الصلاة و السلام يحسن إلى أهله فيسلى حزينهم ، و يعود مريضهم ، و يسأل لفقيرهم ، و يهديهم إلى الخير ، و يذكرهم بالله ، فمالت إليه القلوب و كلفت به[3] النفوس لحسن حديثه و لطيف تأتيه و ما حباه الله [به -[4]] من الفضل و النبل[5] و حسن الخَلق و الخُلق ، و كان فى السجن ناس قد انقطع رجاءهم و اشتد بلاءهم ، فلم يزل يرفق بهم حتى قالوا : بارك الله فيك ! ما أحسن وجهك و أحسن خلقك و أحسن حديثك ! لقد بورك لنا فى جوارك ، ما نحب[6] أنا كنا فى غير هذا لما تخبرنا به من الأجر و الكفارة و الثواب و الطهارة ، من أنت يا فتى ؟ فأخبرهم بنسبه الشريف ، فقال عامل السجن : لو استطعت لخليت سبيلك ! و لكن سأحسن جوارك و إيثارك ، و أحبه الفتيان / و لزماه فقال : أنشد كما الله أن تحبانى ، ٣٤ / فوالله ما أحبنى أحد قط إلا دخل على من جهته بلاء ! لقد أحبتنى عمتى فدخل علىّ من جهتها[7] بلاء ، ثم أحبنى أبى فدخل علىّ من جهته[8] بلاء ،

(١) راجع البحر ٥/٣٠٨ (٢) فى ظ : دخل - وكذا فى البحر أيضا و لكن سياقه يختلف شيئا بالنسبة لما هنا (٣) فى ظ : اليه (٤) زيد من م (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : النذارة (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نحن (٧) فى م و مد : حبها (٨) من ظ ، و فى الأصل و مد : حبه .

ثم أحبتنى زوجة صاحبى [هذا - [1]] فدخل علىّ من جهتها[2] بلاء ، فلا تحبانى ، فأبيا إلا حبه ، فكأنه قيل : أىّ شىء اتفق لهما بعد الدخول معه ؟ فقيل : ﴿ قال احدهما ﴾ ليوسف عليه الصلاة و السلام ، و لعل التأكيد إما لأنه كانت عادتهما المزح ، و إما لأنهما ما رأيا شيئا - كما قال الشعبى - و إنما صنفا هذا ليختبراه [به - [3]] ﴿ انى ارنى ﴾ حكى الحال الماضية ٥ فى المنام ﴿ اعصر ﴾ و العصر : الاعتماد على ما فيه مائية ليحتلب[4] منه ﴿ خمرا ج ﴾ أى عنبا يؤل إلى الخمر ﴿ و قال الأخر ﴾ مؤكدا لمثل ما مضى ﴿ انى ارنى احمل ﴾ و الحمل : رفع الشىء بعماد نقله ﴿ فوق راسى خبزا ﴾ أى طعاما مهيأ للأكل بالخبز ، و هو عمل الدقيق المعجون بالبسط و اللزق فى حامٍ بالنار حتى يصلح للأكل ﴿ تاكل الطير منه[5] ﴾ و سيأتى شرح ١٠ الرؤيا من التوراة ، فكأنه قيل : فما ذا تريدان من الإخبار بهذا ؟ فقالا : ﴿ نبئنا ﴾ أى أخبرنا إخبارا عظيما ﴿ بتاويله ج ﴾ أى ما يرجع أمره و يصير إليه ، فكأنه قيل : و ما يدريكما[6] أنى أعرف تأويله ؟ فقالا : ﴿ انا نرنك ﴾ على حالٍ علمنا بها علما هو كالرؤية أنك ﴿ من المحسنين ه ﴾ أى العريقين[7] فى وصف الإحسان[8] لكل أمر تعانيه ، فلذلك لاح لنا أنك ١٥ تحسن التأويل قياسا ، فلما رآهما بصيرين بالأمور ﴿ قال ﴾ إشارة إلى أنه يعرف

(١) زيد من م و مد (٢) فى ظ و م و مد : حبها (٣) زيد من م (٤) من ظ ، و فى الأصل : ليتجلب ، و فى م : ايحلب ، و فى مد : ليتحلب - كذا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نقال (٦) فى ظ : يريد بكما (٧) فى ظ و م و مد : الغريقين (٨) زيد فى مد : حسان .

ذلك و أدق منه ، ليقبلا نصحه فيما هو [أهم - [1]] المهم لكل أحد ، - و هو ما خلق العباد له من الاجتماع على الله - لتفريغهما للفهم لكلامه و القبول لكل ما يلقيه لاحتياجهما إلى إفتائهما ، مؤكدا ما وصفاه به من الإحسان بما اتبعه من وصف نفسه بالعلم ، انتهازا لفرصة النصيحة عند هذا الإذعان بأعظم ما يكون النصح به من الأمر بالإخلاص فى عبادة الخالق و الإعراض عن الشرك ، فعلى كل ذى علم إذا احتاج إلى سؤاله أحد أن يقدم على جوابه نصحه بما هو الأهم له ، و يصف له نفسه بما يرغبه فى قبول علمه إن كان الحال محتاجا إلى ذلك ، و لا يكون ذلك من باب التزكية [بل - [2]] من[3] الإرشاد إلى الاهتمام به بما يقرب إلى الله فيكون[4] له مثل أجره : ﴿ لا يأتيكما ﴾ أى فى اليقظة ﴿ طعام ﴾ و بين أنه خاص بهما[5] دون أهل السجن بقوله : ﴿ ترزقانه ﴾ بناه [للمفعول - [6]] تعميما ﴿ الا نبأتكما ﴾ أى أخبرتكما إخبارا جليلا عظيما ﴿ بتأويله ﴾ أى [7]به و[7] بما يؤل و يرجع إليه أمره .

و لما كان البيان فى جميع الوقت الذى بينه و بين الطعام الذى قبله ، نزع الخافض فقال : ﴿ قبل ان يأتيكما[8] ﴾ أى أخبرتكما[8] بأنه يأتيكما طعام كذا ، فيكون سببا لكذا ، فان المسبب[9] الناشىء عن

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) فى ظ « و » (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بما يكون (٥) فى ظ : بهم (٦) زيد من م . (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) زيد بعده فى الأصل و ظ و مد : ان اردنا ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : السبب .

السبب هو المآل .

و لما وصف نفسه من العلم بما[1] يدعو كل ذى همة إلى السعى فى الأسباب التى حصل له [2]ذلك بها[2] / ليصير مثله أو يقرب منه ، وكان[3] محل أن يقال: من علمك ذلك ؟ قال مرشدا إلى الله داعيا إليه أحسن دعاء بما تميل إليه النفوس من الطمع فى[4] الفضل: ﴿ذلكما﴾ أى الأمر العظيم ؛ و نبه على غزارة علمه بالتبعيض فى قوله : ﴿مما علمنى ربى[5]﴾ أى الموجد لى و المربى لى[6] و المحسن إلىّ ، و لم أقله عن تكهن[7] و لا تنجيم ، فكأنه قيل : ما لغيرك لا يعلّمه مثل ما[7] علمك ؟ فقال معللا له مطمعا كل من فعل فعله فى فضل الله ، مؤكدا إعلاما بأن ذلك أمر عظيم يحق لمثله أن يفعل : ﴿ انى تركت ملة قوم﴾ أى و إن كانوا أقوياء على محاولة[8] ما يريدون ، فلذلك قدروا على أذاى و سجنى بعد رؤية الآيات الشاهدة[9] لى ، و نبه على أن ذلك لا يقدم عليه إلا من لا يحسب[10] العاقبة بوجه ، فقال: ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى يجددون الإيمان لما لهم من العراقة فى الكفر ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا يخفى أمره على ذى لب من أهل مصر و غيرهم ؛ ثم لوح إلى التحذير من يوم الجزاء الذى

/٣٥

(١) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : مما (٢-٢) فى ظ : بها ذلك (٣) زيد بعده فى مد : حال (٤) من م ، وفى الأصل وظ و مد «و» (٥) سقط من م .
(٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تمكين (٧) سقط من مد (٨) فى ظ : مجادلة (٩) من م و مد ، و فى الأصل : المشاهدة ، و فى ظ : الساهدة (١٠) فى ظ : له بحسب .

لا يغنى فيه أحد عن أحد، منبها على أن الكفر به هو القاطع عن العلم و عن[1] كل خير، فقال مؤكدا تأكيدا [عظيما-[2]]، إشارة إلى أن أمرهم ينبغى أن ينكره كل من يسمعه، و لا يصدقه. لما على الآخرة من الدلائل الواضحة جدا الموجبة لئلا يكذب به أحد: ﴿و هم بالآخرة﴾ أى الدار التى لا بد من الجمع إليها، لأنها محط الحكمة. ﴿هم﴾ أى بضمائرهم كما هم[3] بظواهرهم، و فى تكرير الضمير تنبيه على أن هؤلاء اختصوا[4] بهذا الجهل، و أن غيرهم وقفوا على[5] الهدى ﴿كفرون ه﴾ أى عريقون[6] فى التغطية لها، فلذلك أظلمت قلوبهم، فكانوا صورا لا معانى لها؛ و الملة: مذهب جماعة يحمى[7] بعضها لبعض فى الديانة، و أصله من المليلة، و هى حمى تلحق الإنسان - قاله الرمانى. [و-[2]] فى القاموس أن المليلة[8]: الحر الكامن[9] فى العظم. و عبر بـ "تركت[10]" موضع "تجنبت" مثلا مع كونه لم يلابس تلك الملة قط، تأنيسا لهما و استدراجا إلى تركهما؛ ثم [اتبع-[11]] ذلك بما يدل على شرف أصله و قدم[12] فضله بأنه من بيت النبوة و معدن الفتوة، ليكون ذلك أدعى إلى قبول كلامه و إصابة

(١) تقدم فى الأصل على «العلم» و الترتيب من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من م، و فى الأصل و ظ و مد: هو (٤) فى ظ: اختصر (٥) من ظ و م و مد. و فى الأصل: فى (٦) فى م و مد: غريقون (٧) من م، و فى الأصل و ظ و مد: يحى - كذا (٨) من م و مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: الميلة (٩) من م و مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: الكامل (١٠) من م و مد؛ و فى الأصل: بترك، و فى ظ: بتركيب (١١) زيد من ظ و م و مد. (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قد.

سهامه [و إفضاء مرامه -[١]] فقال: ﴿واتبعت﴾ أي بغاية جهدي و رغبتي ﴿ملة آباءي ابرهيم﴾ خليل الله، و هو جد أبيه ﴿واسحق﴾ ابنه نبي الله و هو جده ﴿ويعقوب[٢]﴾ أبيه إسرائيل: الله. و هو أبوه حقيقة، و تلك هي الحنيفية[٣] السمحة التي هي الميل مع الدليل من غير جمود مع هوى بوجه من الوجوه؛ روى البخاري في التفسير[٣] و غيره[٤] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيّ الناس أكرم؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم، قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: [فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله [٦]ابن نبي الله[٦]: ابن خليل الله، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال -[٧]]: فعن[٨] معادن العرب تسألوني[٩]؟ قالوا: نعم، قال: فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا، فكأنه قيل: ما تلك الملة؟ فقال: ﴿ما كان لنآ﴾ أي ما صح و ما استقام بوجه من الوجوه، / لما عندنا من نور العلم الذي لم يدع عندنا لبسا بوجه أصلا ﴿ان نشرك﴾ أي نجدد في وقت ما شيئا من إشراك ﴿بالله﴾ أي الذي له الأمر كله، و أعرق في النفي [فقال -[١٠]]: ٣٦/

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: الحنفية.
(٣) باب قوله «لقد كان في يوسف واخوته ايات للسائلين» (٤) كتاب الأنبياء.
(٥) من م و مد و الصحيح، و في الأصل و ظ: بمن (٦-٦) ليس ما بين الرقمين في م و مد (٧) زيد ما بين الجاجزين من م و مد و الصحيح (٨) من ظ و م و الصحيح، و في الأصل و مد: فعن (٩) من م و الصحيح، و في الأصل و ظ و مد: يسالوني (١٠) زيد من م و مد.

﴿من شيء﴾ أي بما شرعه لنا من الدين القويم كانت ملتنا التوحيد ، و من التأكيد[1] العموم في سياق النفي ، ليعم ذلك كل شيء من عاقل ملك أو إنسي أو جني أو غيره ؛ ثم علل ذلك بما يعرف به أنه كما وجب عليهم ذلك وجب على كل أحد فقال : ﴿ذلك﴾ أي كان هذا الانتفاء أو ذلك التشريع - للملة الحنيفية و تسهيلها و جعل الفطر[2] الأولى منقادة لها مقبلة عليها - العلي الشأن العظيم المقدار ﴿من﴾ أجل ﴿فضل الله﴾ أي المحيط بالجلال و الإكرام ﴿علينا﴾ خاصة ﴿و على الناس﴾ الذين هم إخواننا في النسب عامة ، فنحن و بعض الناس شكرنا الله ، فقبلنا ما تفضل به علينا ، فلم نشرك به شيئا ؛ و الفضل : النفع الزائد على مقدار الواجب ، فكل عطاء الله فضل ، فانه لا واجب عليه ، فكان لذلك واجبا على كل أحد إخلاص التوحيد له شكرا على فضله لما تظافر عليه دليلا[3] العقل و النقل من أن شكر المنعم واجب ﴿و لكن اكثر الناس﴾ [أي -[4]] لما لهم من الاضطراب [5]مع الهوى[5] عموا عن هذا الواجب[6] ، فهم ﴿لا يشكرون﴾ فضله باخلاص العمل له و يشركون[7] به إكراها لفطرهم الأولى ، فالآية من الاحتباك : ذكر نفي الشرك أولا يدل على وجوده ثانيا ، و ذكر نفي الشكر ثانيا يدل على

(١) في م : لتاكيد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل و م : الفطرة (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : دليلان (٤) زيد من م (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م ، و في مد : من الهوى (٦) من م و مد ، و في الأصل وظ : الجواب. (٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : يشكرون .

حذف إثباته أولا .

ولما أقام لهم الدليل على ما هو عليه من الدين الحنيفى تبعا لخلاصة الخلق ، بما تقرر فى الأذهان من أن الله تعالى هو المنعم وحده سبحانه فيجب شكره ، بعد أن قرر لهم أمر نبوته و أقام دليلها بما يخبرهم به من المغيبات ، و دعاهم إلى ما يجب عليهم من التوحيد و هو الإسلام ، و كان أكثر الخلق إلا الفذ النادر يقرون بالإله الحق ، و لكنهم يشركون به بعض خلقه ، أتبعه برهان التمانع على فساد كل ملة غير الإسلام الذى يطابق[1] عليه الأنبياء و الرسل كلهم ، تأييدا لأدلة النقل بقاطع العقل ، [فقال -[2]] مناديا لهما باسم الصحبة بالأداة التى تقال عند ما له وقع عظيم فى النفوس فى المكان الذى تخلص[3] فيه المودة ، و تمحض فيه النصيحة ، و تصفى[4] فيه القلوب ، و يتعمد الإخلاص رجاء الخلاص - : ﴿ يـٰصاحبى السجن ﴾ و الصحبة : ملازمة اختصاص كأصحاب الشافعى مثلا ، لملازمة الاختصاص بمذهبه ، و هى[4] خلاف ملازمة الاتصال .

و لما فرغ أفهامهما بالنداء لما يلقيه ، قرع[5] أسماعهما بالإنكار مع التقرير فقال : ﴿ ءَارباب ﴾ أى آلهة ﴿ متفرقون ﴾ متباينون بالذوات و الحقائق تشاهدونهم محتاجين إلى المكان مع كونهم جمادا ، و لو كانوا أحياء لأمكن تمانعهم ، فأدى إلى إمكان عجز كل منهم القاطع بعدم صلاحيته للالهية

(١) فى م : تطابق (٢) زيد من م و مد (٣) فى ظ : يخلص ، و فى م : مخلص .
(٤) فى ظ : تطفى (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هو (٦) من م ، و فى الأصل و مد : فرغ ، و فى ظ : نوع .

﴿ خير ﴾ أى أعظم فى صفة المدح و أولى بالطاعة ﴿ ام الله ﴾ أى
/ الملك الأعلى ﴿ الواحد ﴾ بالذات ، فهو لا يحتاج إلى شىء أصلا ٣٧ /
﴿ القهار ﴾ لكل شىء ، لا يزال قهره يتكرر أبدا ، فهذا [1] برهان لا خطأ
به كما ظن ، و أبرزه صلى الله عليه و سلم على وجه الاستفهام استجلابا
٥ للسامع برد العلم إليه ، و سماها أربابا لمثل ذلك بناء على زعمهم ، و كذا
المشاركة فى أفعل التفضيل ، لأن ذلك أقرب إلى الإنصاف ، لكونه ألين
فى القول ، فيكون أدعى إلى القبول .

و لما كان الجواب لكل من يعقل : الله خير ، أشار [2] إلى ذلك
بجزم القول بعد ذلك الاستفهام فى سلب صلاحيتهم قبل هذا الإمكان
١٠ بعدم حياتهم ، و على تقدير حياتهم بعجزهم ، فقال : ﴿ ما تعبدون ﴾
و العبادة : خضوع بالقلب فى أعلى مراتب الخضوع ، و بين حقارة
معبوداتهم و سفولها بقوله : ﴿ من دونه ﴾ أى الله [الذى - [3]] قام
برهان التمانع - الذى هو البرهان الأعظم - على إلهيته [4] و على اختصاصه
بذلك ﴿ الا اسماء ﴾ و بين ما يريد و أوضحه بقوله : ﴿ سميتموها ﴾ أى
١٥ ذوات أوجدتم لها أسماء ﴿ انتم وآباؤكم ﴾ لا معانى [لها - [3]] ، لأنه لا أرواح
لها فضلا عن أن تتحقق بمعنى ما سميتموها به من الإلهية ، و إن كان لها
أرواح فهى منتف عنها خاصة الإلهية ، و هى الكمال المطلق الذى يستلزم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و هذا (٢) من م و مد ، و فى الأصل : أشاء ، و فى ظ : ارشاد - كذا (٣) زيد من م و مد (٤) فى مد : الهته .

إحاطة العلم و القدرة .

[1]و لما كان مقصود السورة وصف الكتاب بالإبانة[2] للهدى[3] ، و كان نفى الإنزال كافيا فى الإبانة ، لأن عبادة الأصنام باطلة ، و لم يكن فى السياق كالأعراف مجادلة توجب مماحكة[4] و مماطلة و معالجة و مطاولة ، قال نافيا للانزال[5] بأى وصف كان : ﴿ ما أنزل الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ، فلا أمر لأحد معه ﴿ بها ﴾ و أعرق فى النفى فقال : ﴿ من سلطن[1] ﴾ أى برهان تتسلط به على تعظيمها ، فانتفى تعظيمها لذاتها أو لغيرها . و صار حاصل الدليل : لو كانوا أحياء يحكمون لم يصلحوا للالهية ، لإمكان تمانعهم المؤدى إلى إمكان عجز كل منهم الملزوم لأنهم لا صلاحية فيهم للالهية ، لكنهم ليسوا أحياء ، فهم أجدر بعدم الصلاحية ، فعلم قطعا أنه[6] لا حكم لمقهور ، و أن كل من يمكن أن يكون له ثان مقهور ؛ فأنتج هذا قطعا أن الحكم إنما هو لله الواحد القهار ، و هو لم[7] يحكم بتعظيمها ؛ و ذلك معنى قوله : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ الحكم الا لله[1] ﴾ أى المختص بصفات الكمال ؛ و الحكم : فصل[8] الأمر بما تدعو إليه الحكمة .

و لما انتفى الحكم عن غيره ، و كان ذلك كافيا فى وجوب توحيده ، رغبة فيما عنده ، و رهبة[9] مما[10] بيده ، أتبعه تأكيدا لذلك و إلزاما به

(١) العبارة من هنا إلى « وصف كان » ساقطة من م (٢) فى ظ : بالانانة .
(٣) كما تقدم فى مستهل السورة (٤) فى الأصل و م : مما حكمة ، و فى ظ و مد : مما حكمه - كذا ؛ و المماحكة : المخاصمة و الملاحة (٥) فى ظ و مد : الانزال .
(٦) فى ظ : لانه (٧) فى ظ : لو (٨) فى ظ و مد : فضل (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رغبة (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بما .

أنه حكم به ، فقال : ﴿ امر الا تعبدوآ ﴾ أى أيها الخلق فى وقت من الأوقات على حال من الأحوال ﴿ الآ اياه ﴾ أى و هو النافذ الأمر المطاع الحكم .

و لما قام [هذا - ١] الدليل على هذا الوجه البين ، كان جديرا بالإشارة إلى فضله ، فأشار إليه بأداة البعد ، تنبيها على علو مقامه و عظيم شأنه فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى الشأن الأعظم ، و هو توحيده / و إفراده عن خلقه ﴿ الدين القيم ﴾ [أى - ٢] الذى لا عوج فيه فيأتيه الخلل من جهة عوجه ، الظاهر أمره لمن كان له قلب ﴿ و لكن اكثر الناس ﴾ أى لما لهم الاضطراب مع الحظوظ ﴿ لا يعلمون ﴾ أى ليس لهم علم ، لأنهم لا ينتفعون ٤ بعقولهم ، فكأنهم فى عداد البهائم العجم ، فلأجل ذلك هم لا يفردون الله بالعبادة .

/ ٣٨

و لما تم نصحه و علا قدحه بالقائه إليهما ما كان أهمّ لهما لو علما لمآله إلى الحياة الأبدية و الرفعة السرمدية . أقبل على حاجتهما تمكينا لما ذكره و تأكيدا للذى قرره ، فناداهما بالأداة الدالة على أن ما بعدها كلام له موقع عظيم لتجتمع أنفسهما لسماع ما يلقى إليهما من التعبير ، فقال : ﴿ يصاحبي السجن ﴾ أى الذى تزول فيه الحظوظ و يحصل الانكسار للنفس و الرقة فى القلب فتتخلص ٦ فيه المودة .

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من .
(٤) فى ظ : لا تنتفعون (٥) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الى (٦) فى م : نتخلص .

و لما كان فى الجواب ما يسوء[1] الخباز ، أبهم[2] ليجوّز كل واحد أنه الفائز ، فان ألجأه إلى التعيين كان ذلك عذرا له فى الخروج عن الأليق فقال : ﴿ امآ احـــدكما ﴾ و هـــو الساقى [3]فيخلص و يقرب[3] ﴿ فيسقى ربه ﴾ أى سيده الذى كان فى خدمته ﴿ خمرا ج ﴾ كما كان ﴿ و اما الأخر ﴾ و هو الخباز . ٥

و لما كان الذى له قوة أن يصلب إنما هو الملك ، بنى للمفعول قوله : ﴿ فيصلب ﴾ [3]و يعطب[3] ﴿ فتاكل ﴾ أى فيتسبب عن صلبه أنه[4] تأكل ﴿ الطير من راسه[5] ﴾ [5]و الآية من الاحتباك : ذكر ملزوم السلامة و القرب أولا دليلا[6] على العطب ثانيا ، و ملزوم العطب ثانيا دليلا على السلامة أولا ، و سيأتى شرح تعبيره من التوراة ، فكأنه قيل : انظر جيدا ١٠ ما الذى تقول ! و روى[7] أنهما[8] قالا : ما رأينـا شيئا ، إنما كنا نلعب ، فقال مشيرا بصيغة البناء للمفعول إلى عظمة الله و سهولة الأمور عليه : ﴿ قضى الامر ﴾ و بينه بقوله : ﴿ الذى فيه ﴾ [أى -[9]] [3]لا فى غيره[3] ﴿ تستفتين ه ﴾ أى تطلبان الإفتاء فيه عملا بالفتوة ، فسألتما عن تأويله ، و هو تعبير رؤيا كما كذبتما أو صدقتما ، لم أقله عن جهل و لا غلط . و ما أحسن ١٥

(١) من م ، و فى الأصل : يسر ، و فى ظ : بسوء ، و فى مد : سوء (٢) فى الأصول : انهم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) فى ظ و م : ان (٥) العبارة من هنا إلى «السلامة أولا» ساقطة من م (٦) فى ظ : دليل (٧) عن ابن مسعود رضى الله عنه - كما فى لباب التأويل ٣/٢٣٣ (٨) فى ظ : ايهما (٩) زيد من ظ و مد .

إيلاء هذا العلم الثابت لختم الآية السالفة بنفى "علم عن الأكثر، و الأحد: المختص من المضاف إليه بمبهم [له -[1]] مثل[2] صفة المضاف، و لا كذلك 'البعض[3]' فلا يصدق[3]: رأيت أحد الرجلين - إلا برجل منهما، بخلاف 'بعض'؛ و الفتيا: الجواب بحكم المعنى، و هو غير الجواب بعلته - ذكره الرمانى. و لعل رؤيتيهما تشيران[4] إلى ما تشير[5] إليه رؤيا الملك، فالعصير يشير إلى السنابل الخضر و البقر السمان، لأنه لا يكون إلا عن فضل، و الخبز - الذى طارت به الأطيار، و سارت بروح صاحبه الأقدار - يشير إلى اليابسة و العجاف - و الله أعلم.

و لما كان كل علم بالنسبة إلى علم الله عدما، [6]عبر عن[6] علمه بالظن، [7]و يمكن أن يكون الظن على بابه[8] لكونه قال ما مضى اجتهادا بقرائن، فيؤخذ[9] منه أنه يسوغ الجزم بما أدى إلى ظن، فقال: ﴿و قال﴾ أى يوسف عليه الصلاة و السلام ﴿للذى ظن﴾ مع الجزم بأنه أراد به / العلمَ لقوله "قضى الامر". و يجوز [10]أن يكون ضمير[11] "ظن" للساقى، فهو حينئذ على بابه ﴿انه ناج منهما﴾ و هو الساقى ﴿اذكرنى عند ربك﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من مد (٣-٣) فى ظ: فيصدق (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يشيران (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يشير (٦-٦) فى ظ: غير من (٧) العبارة من هنا إلى «إلى ظن» ساقطة من م. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ما به (٩) فى مد: فيوجد (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من مد (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الضمير.

أى سيدك ملك مصر ، بما رأيت منى من معالى الأخلاق و طهارة الشيم الدالة على بُعدى مما رُميت[1] به ، و المراد بالرب[2] هنا غير المراد به فى قوله " ءَارباب متفرقون " . فنجا الساقى و صلب صاحبه وفق[3] ما قال لهما يوسف عليه الصلاة و السلام ﴿فانسٰه﴾ أي الساقى ﴿ الشيطٰن ﴾ أى البعيد من الرحمة المحترق باللعنة ﴿ذكر﴾ يوسف عليه الصلاة و السلام ٥ عند ﴿ ربه ﴾ أى بسبب اعتماده عليه فى ذلك ﴿ فلبث ﴾ أى يوسف عليه الصلاة و السلام بسبب هذا النسيان ﴿ فى السجن ﴾ من حين دخل إلى أن خرج ﴿بضع سنين ۝﴾ ليعلم أن جميع الأسباب إنما أثرها بالله تعالى ، و حقيقة البضع من الثلاث إلى التسع ، و المروى[4] هنا أنه كان سبعا . ١٠

ذكر ما مضى من هذه القصة من التوراة :

قال بعد ما مضى[5]: فأهبط المدينيون[6] يوسف إلى مصر ، فاشتراه قوطيفر الأمير صاحب شرطة فرعون - رجل مصرى - من يد الأعراب الذين أهبطوه إلى هناك[7] ، فكان [الرب -[8]] [9]سبحانه و تعالى[9] بعونه مع[10] يوسف ، و كان رجلا منجحاً ، و أقام فى منزل المصرى سيده ، فرآى ١٥

(١) من م و مد ، و فى الأصل : ربيا ، و فى ظ : رميتا (٢) فى مد : بالحرب - كذا (٣) فى ظ : وقف (٤) من أكثر المفسرين - كما فى لباب التأويل ٣/٢٣٣ . (٥) فى الأصحاح التاسع و الثلاثين من نسخة التوراة التى نداولها (٦) فى ظ : المدنيون (٧) فى م و مد : هنالك (٨) زيد من ظ و م و مد و التوراة . (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد والتوراة (١٠) سقط من مد .

سيده أن الرب بعونه[١] معه، و أن الرب ينجح جميع[٢] أفعاله، فظفر يوسف منه برحمة و رأفة فخدمه[٣]، و سلطه على بيته، و خوله جميع ما له. و من[٤] اليوم الذى سلطه على بيته و خوله جميع ما له بارك الرب فى بيت المصرى من أجل يوسف و فى سبيه، فحلّت بركة الرب فى جميع ما له فى البيت و الحقل. فخول كل شيء له، و لم [يكن -[٥]] يعلم بشيء مما له فى يده لثقته به ما خلا الخبز الذى كان يأكله، و كان يوسف حسن[٦] المنظر صبيح الوجه.

فلما كان بعد هذه الأمور لمحت امرأة سيده[٧] بنظرها إلى يوسف فقالت له: ضاجعنى، فأبى ذلك و قال لامرأة سيده: إن سيدى[٧] لثقته بى ليس يعلم ما فى بيته، و قد سلطنى على جميع ما له، و ليس فى هذا البيت أعظم منى، و لم يمنعنى شيئا ما خلاك أنت لأنك امرأته، فكيف أرتكب هذا الشر العظيم، فأخطئ بين يدى الله، و إذ[٨] كانت تراوده كل يوم[٩] لم يطعها ليضاجعها و يصير[٩] معها، فبينا[١٠] هو ذات يوم دخل يوسف إلى البيت ليعمل عملا، و لم يكن أحد من أهل البيت هناك،

(١) سقط من مد و التوراة (٢) سقط من مد (٣) فى ظ: فخدمة (٤) فى مد: فى (٥) زيد من ظ و م و مد و التوراة (٦) زيد بعده فى الأصل: المنزلة و، و زيد فى ظ «و»، و لم تكن الزيادة فى م و مد و التوراة فحذفناها. (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من م و التوراة، و فى الأصل و ظ و مد: اذا (٩-٩) من م و مد و نص التوراة. و فى الأصل: و لم يضاجعها فيصير، و فى ظ: لم يطاوعها ليضاجعها و يصير - كذا (١٠) فى ظ: فبينما.

فتعلقت بقميصه و قالت له : ضاجعنى ، فترك قميصه فى يدها و [1]هرب ، فخرج إلى السوق ، فلما رأت أنـــه قد ترك قميصه فى يدها[1] و خرج هاربا إلى السوق ، دعت بأهل بيتها و قالت لهم : انظروا ، إنه أتانا رجل عبرانى ليفضحنا ، لأنه دخل علىّ يريد مضاجعتى ، و هتفت[2] [بصوت -[3]] عال ، فلما رآنى قد رفعت صوتى و هتفت ، ترك قميصه فى يدى و هرب إلى السوق .

فصيرت قميصه عندها حتى دخل / سيدهـا البيت ، فقالت له مثل هذه الأقاويل : دخل علىّ[4] هذا العبد العبرانى الذى جلبته[5] علينا يريد يفضحنى ، فلما رفعت صوتى فصحت ترك قميصه فى يدى و هرب فخرج إلى السوق ؛ فلما سمع سيده كلام امرأته استشاط[6] غيظا ، فأمر به سيده فقذف فى الحبس الذى كان أسرى[7] الملك فيه محبوسين ، فمكث هناك فى السجن ، و كان الرب يبصره ، و رزقه المحبة و الرحمة ، و ألقى له فى قلب السجان رحمة ، فولى يوسف جميع المسجونين الذين[8] فى الحبس ، و كل فعل كانوا يفعلونه هناك كان عن أمره ، و لم يكن رئيس السجن

/ ٤٠

(١-١) تكرر مـا بين الرقمين فى مد (٢) فى مد : هتف (٣) زيد من م و مد و التوراة (٤) زيد بعده فى الأصل : مثل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و التوراة فحذفناها (٥) فى الأصل : خليته عـلى ، و فى ظ و م و مد : خليته ، و فى التوراة : جئت به (٦) من م و مد ، و فى الأصل : استاط ، و فى ظ : استاظ ؛ و فى التوراة ما يقاربه معنى (٧) من م و مد و التوراة ، و فى الأصل و ظ : اسر (٨) فى ظ : الذى .

يضرب على يديه فى شىء ، لأن الرب كان بعونه معه ، وكل شىء كان يفعله ينجحه الرب .

[1]فلما كان بعد هـــذه الأمور ، أذنب صاحب شراب ملك مصر والخباز - وفى نسخة موضع الخباز : ورئيس الطباخين - بين يدى سيدهما ملك مصر ، فغضب فرعون على خادميه : على رئيس أصحاب الشراب ورئيس الخبازين - وفى نسخة : الطباخين - فأمر بحبسهما فى سجن صاحب الشرط[2] فى الحبس الذى كان فيه يوسف ، فسلط صاحب السجن يوسف عليهما فخدمهما ، فلبثا فى السجن أياما ، فرأيا رؤيا جميعا ، كل واحد[3] منهما رئيا [بكل -[4]] فى ليلة واحدة ، وكل واحد منهما أحب تعبير حلمه : الساقى وخبازُ - وفى نسخة : وطباخ - ملك مصر ، فدخل عليهما يوسف بالغداة ، فرآهما عابسين مكتئبين[5] فسألهما وقال : ما بالكما يومكما هذا عابسين مكتئبين[5] ؟ فقالا له : إنا رأينا رؤيا وليس لها معبر ، فقال لهما يوسف : إن علم التعبير عند[6] الله ، قصّا علىّ .

فقص رئيس أصحاب الشراب على يوسف وقال له : إنى رأيت فى الرؤيا كأن حبلة[7] بين يدى ، فى الحبلة[8] ثلاثة[9] قضبان ، فبينا هى

(١) وهذه بداية الأصحاح الأربعين (٢) فى م ومد : الشرطة (٣) سقط من ظ (٤) زيد من م ومد ، وفى التوراة : كل واحد حلمه كل واحد بحسب تعبير حلمه (٥) فى ظ : متكبين (٦) فى ظ : على (٧) من البحر ٥/٣٠٨ ، وفى الأصل وظ : حلية ، وفى م ومد : حلة ، وفى التوراة : كرمة (٨) من م والبحر ، وفى الأصل : الحيلة ، وفى ظ : الحلية ، ولا يتضح فى مد (٩) من م ومد والتوراة ، وفى الأصل وظ : ثلاث .

كذلك إذ فرعت و نبت[1] ورقها ، و أينعت عناقيدها ، فصارت عنبا ، وكأن كأس فرعون فى يدى ، فتناولت من العنب ، فعصرته فى كأس فرعون ، و ناولت الكأس فرعون ، فقال له يوسف عليه السلام : هذا تفسير رؤياك : الثلاثة قضبان[2] هى ثلاثة[3] أيام ، و من بعد ثلاثة أيام يذكرك فرعون [فيردك -[4]] على عملك ، و تناول فرعون الكأس فى يده *على العادة* الأولى التى لم تزل تسقيه ، فاذكرنى حينئذ إذا أنعم عليك ، و أنعمُ علىّ بالنعمة و القسط ، فاذكرنى بين يدى فرعون ، و أخرجنى من هذا الحبس ، لأنى إنما سرقت من أرض العبرانيين سرقة ، و حصلت فى الحبس ههنا أيضا بلا جرم جاء منى . فرآى رئيس الخبازين - و فى نسخة : الطباخين - أنه قد فسر تفسيرا حسنا فقال ليوسف : رأيت أنا أيضا فى منامى كأن ثلاثة أطباق فيها [خبز -[6]] درمك[7] على رأسى ، و فى الطبق الأعلى من كل مآكل فرعون مما يصنعه الخباز - و فى نسخة : عمل طباخ حاذق - وكان السباع[8] و الطير تأكلها من الطبق من فوق رأسى ؛ فأجاب يوسف و قال له : هذا / تفسير رؤياك : ثلاثة أطباق هى ثلاثة أيام ، و بعد ثلاثة أيام يأمر فرعون بضرب عنقك و صلبك على خشبة ، و يأكل الطير لحمك . / ٤١

فلما كان اليوم الثالث - و هو يوم ولاد فرعون - اتخذ فرعون

(١) فى ظ : نبتت (٢) فى التوراة : القضبان (٣) فى ظ : الثلاثة (٤) زيد من م و مد و التوراة (٥-٥) فى م و التوراة : كالعادة (٦) زيد من م و مد . (٧) الدرمق و الدرمك : الدقيق الأبيض (٨) فى ظ : السباع .

وليمة ، فجمع عبيده و افتقد رئيس أصحاب الشراب[١] و رئيس الخبازين - و فى نسخة : الطباخين - فأمر برد [رئيس -[٢]] أصحاب الشراب على موضعه ، و سقى فرعون الكأس كعادته ، و أمر بصلب رئيس الخبازين كالذى فسر لهما يوسف عليهما الصلاة و السلام ، فلم يذكر [رئيس -[٣]] أصحاب الشراب يوسف عليه الصلاة و السلام و نسيه .

و لما بطل هذا السبب الذى أمر به يوسف عليه الصلاة و السلام ، و هو تذكير الشرابى به ، أثار الله سبحانه سببا ينفذ به ما أراد من رئاسته و قضى بـــه من سجود من دلت عليه الكواكب فقال دالا على ذلك : ﴿و قال الملك﴾ و هو شخص قادر واسع المقدور ، إليه السياسة و التدبير ، لملاءِ و هم السحرة و الكهنة و الحزرة[٤] و القافة و الحكماء ، و أكد ليعلم أنه محق فى كلامه غير ممتحن : ﴿انىّ ارىٰ﴾ عبر بالمضارع حكاية للحال لشدة ما هاله[٥] من ذلك ﴿سبع بقرٰت سمان﴾ و السمن : زيادة البدن من اللحم و الشحم ﴿ ياكلهن سبع ﴾ [أى -[٦]] بقرات ﴿عجاف﴾ و العجف : يبس الهزال ﴿ و ﴾ إنى أرى ﴿ سبع[٧] ﴾ .

و لما كان تأويل المنام الجدب[٨] و القحط و الشدة ، أضاف العدد إلى جمع القلة بخلاف ما كان فى سياق المضاعفة فى قوله " انبتت سبع

(١) العبارة من هنا إلى «أصحاب الشراب» ساقطة من مد (٢) زيد من م والتوراة.
(٣) فى م و مد : الحيزاة - كذا ؛ و الحزرة جمع حازر ، من الحزو: التقدير .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اهاله (٥) زيد من م و مد (٦) العبارة من هنا إلى «سنابل فقال» ساقطة من م (٧) من مد ، وفى الأصل وظ : الجذب .

سنابل [١] " فقال : ﴿ سنبلت خضر و ﴾ إنى أرى سبع سنبلات ﴿ اخر يبسات [٢] ﴾ التوت [٣] على الخضر فغلبت عليها ، و كأنه حذف هذا لدلالة العجاف عليه ؛ و السنبلة : نبات كالقصبة حمله [٣] حبوب منتظمة [٤] ، و كأنه [٤] قيل : فكان ما ذا ؟ فقيل : قال الملك : ﴿ يأيها الملا ﴾ أى الأشراف النبلاء الذين تملأ [٥] العيون مناظرهم و القلوب مخابرهم و مآثرهم ﴿ افتونى ﴾ أى أجيبونى و بينوا لى كرما منكم بقوة و فهم ثاقب .

و لما كان مراده أن لا يخرجوا بالجواب عن القصد و لا يبعدوا به ، عبر بما يفهم الظرف فقال : ﴿ فى رءياى ﴾ و منعهم من الكلام بغير علم [بقوله -] : ﴿ ان كنتم للرءيا ﴾ أى جنسها ﴿ تعبرون ۝ ﴾ و عبارة الرؤيا : تأويلها بالعبور من علنها إلى سرها كما تعبر ، من عبر النهر - أى شطه - إلى عَبْره [٣] الآخر ، و مثله أولت [٤] الرؤيا - إذا ذكرت مآلها و مرجعها المقصود بضرب المثال .

و المادة - بتراكيبها الستة : عرب ، و عبر ، و رعب ، و ربع ، و بعر ، و برع - تدور على الجواز من محل إلى محل و من حال إلى حال ، و أكثر ذلك إلى أجود ، فالعرب سموا لأن مبنى أمرهم على الارتحال لاستجادة المنازل ، و أعرب - إذا أفصح ، أى تكلم بكلام العرب فأبان عن مراده ، أى أجازه من العجمة و الإبهام [٦] إلى البيان ، و أعرب الفرس - إذا

(١) سورة ٢ آية ٢٦١ (٢) فى ظ : القوت (٣) فى ظ : جملة (٤-٤) فى ظ و م : فكأنه. (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) فى الأصل و ظ و م : غيره ، و فى مد : عبرة - كذا ؛ و العَبر و العِبر : الشاطئ (٧) فى ظ : ادلت - خطأ (٨) من م و مد ، و فى الأصل : الايهام ، و فى ظ : الالهام .

خلصت عربيته[١]، فكأنه جاز مرتبة الهجن[٢] إلى العرب[٣]، و كذا الإبل العراب، و العروبة: يوم الجمعة - لعلو قدرها عن بقية الأيام، و العروب: / المرأة الضحاكة العاشقة لزوجها المتحببة إليه المظهرة له ذلك، و هي أيضا العاصية لزوجها - لأن كل ذلك من أفعال العرب، فهم أعشق الناس و أقدرهم على الاستمالة[٤] بالكلام[٥] العذب، و هم أعصى الناس و أجفاهم إذا أرادوا، و العرب[٦] - و يحرك: النشاط - لأنه انتقال عن الكسل، و قد عرب - كفرح - إذا نشط و إذا[٧] ورم، لأن الوارم[٨] يتجاوز هيئة[٩] غيره، و عربت البئر: كثر ماءها فارتفع، و عرب - كضرب: أكل، و العربة[١٠] محركة: النهر الشديد الجرى، و النفس[١١] - لكثرة انتقالها بالفكر، و العربون: ما عقد[١٢] به المبايعة من الثمن، فنقل السلعة من حال إلى حال، و استعربت البقر: اشتهت[١٣] الفحل، إما من العروب العاشقة لزوجها، و إما لنقل الشهوة لها من حال إلى أخرى، و تعرب: أقام[١٤] بالبادية، مع الأعراب الذين لا يوطنون مكانا، و إنما

٤٢/

(١) من م و مد و تاج العروس، و فى الأصل و ظ: غريبته (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الهجر (٣) فى مد: العراب (٤) فى مد: الاشتمالة (٥) فى ظ: بالكلاب (٦) سقط من ظ (٧) من م و مد و التاج، و فى الأصل: انا، و فى ظ: كذا (٨) فى ظ: الورم (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نفى - كذا (١٠) فى ظ: العبرة (١١) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: النعبر - كذا (١٢) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: عقدت. (١٣) من م و مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: اشتريت (١٤) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: امقا - كذا.

هم [مع -[1]] الربيع ، و عروباء : اسم السماء[2] السابعة - لارتفاعها عن جميع السماوات ، فكأنها جازت الكل ، و لأن حركتها حركة للكل ، و العرب - بالكسر : يبس البهمى ، لأنه صار أهلا للنقل و لو بتطير الهواء ، و العربى[3] : شعير أبيض سنبله حرفان[4] - كأنه نسب إلى العرب لجودته[5] ، والإعراب : إجراء الفرس و معرفتك بالفرس العربى[3] من الهجين - لانتقال ٥ حال الجهل بذلك إلى حال العلم ، و أن لا يلحن فى الكلام - كأنه انتقل بذلك من العجمة إلى العربية ، و عرب الرجل - بالكسر - إذا أتخم ، و كذا الفرس من العلف ، و معدته : فسدت ، و جرحه : بقى به أثر بعد البرء ، كل ذلك ناقل من حال إلى غيرها ، و التعريب : تهذيب المنطق من اللحن - كأنه رفع نفسه إلى العرب ، و قطع سعف النخل - لأنه نقلها ١٠ عن حالها إلى أصلح منه ، و أن تكوى[6] الدابة على أشاعرها ثم [7]تبزع بمبزع[7] ، و التعريب أيضا و الإعراب : ما قبح من الكلام ، و تقبيح قول

(١) زيد من م (٢) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الرابعة ، واللفظة ساقطة من ظ (٣) من القاموس ، و فى الأصول : العربا (٤) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : حرمان (٥) فى ظ : بلجودة (٦) من تاج العروس ، و فى الأصل و ظ و مد : تكون ، و فى م : تكوين (٧-٧) من م و التاج ، و فى الأصل و ظ : تنزع بمنزع ، و فى مد : تبزغ بمبزغ ؛ و معنى التعريب هذا أسنده صاحب التاج إلى الأزهرى ، و أما القاموس ففيه أن التعريب أن تبزع على أشاعر الدابة ثم تكويها .

القائل - كأنه حكم بزوال عزيته ، وهما أيضا الرد عن القبيح ، وذلك إدخاله في خصال العرب[1] التي هي معالي الأخلاق ، وهما أيضا النكاح ، أو التعريض به لأنه نقله من حال إلى حال وفعل إلى فعل[2] قولا وعملا ، والتعريب : الإكثار من شرب الماء الصافي ، واتخاذ فرس عربي ، وسما بها عريب[4] ، لمن أحد يحرجن ؛ وعبر الرؤيا - إذا فسرها وأخبر بما يؤول إليه أمرها ، كأنه جاز ظاهرها إلى ما بطن منها ، وعبرت الكتاب أعبره[6] عبرا : تدبرته ولم ترفع به صوتك ، وعبرت النهر : قطعته من عبره - أي شطه - إلى عبره ، والعبر أيضا : الجانب ، لأنه يعبر منه وإليه ، والمعبر : سفينة يعبر عليها [النهر -[7]] وشط هيتي للعبور ، وعبر القوم : ماتوا ، والعبرة - بالكسر : العجب ، وبالفتح : الدمعة قبل أن تفيض - كأن لها قوة الجري ، [9]أو هي تردد البكاء في الصدر أو الحزن بلا بكاء ، لأن ذلك مبدأ جري الدمع ؛ وفي مختصر العين : وعبرة الدمع : جريه ، والعبرة : الدمع نفسه . والعبر - بالضم ويحرك : سخنة العين ، والكثير

٤٣ / ضعفن كل شيء ، والجماعة - لأن لهذلك جواز عن حد القلة[10] ، ولأنهم[11]

(١) العبارة من هنا إلى « إلى حال » ساقطة من ظ (٢) في مد فقط « و » .
(٣) في ظ : قول (٤) زيد في القاموس : ومعرب (٥) في القاموس : بآخر
ما (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : أعبر (٧) زيد من م والقاموس .
(٨) من ظ و م و مد والقاموس ، وفي الأصل : المعبور (٩) ونسخة مد يطرأ
عليها عموض مفرط من هنا إلى ما سننبه عليه فيما يأتي (١٠) من ظ و م ، وفي
الأصل : القبلة (١١) من ظ و م ، وفي الأصل : لا .

يجيزون ما شاؤا ، ومجلس عبوة - بالكسر و الفتح : كثير الأهل - من ذلك ، و أيضا هو أهل لأن يعبر بجماعته من حال إلى حال ، و امرأة مستعبرة - و تفتح الباء : غير حظية ، أى هى أهل لجرى[1] العبرة ، و ناقة عبر أسفار - مثلثة [: قوية -[2]] ، و عبرت عن الرجل : تكلمت عنه - كأنك عبرت[3] من خاطره إلى خاطر المخاطب ، و عبرت الدنانير تعبيرا : وزنتها و لم تبالغ فى وزنها - كأنك[4] عبرت من الجهل بمقدارها إلى الظن ، و عابر سبيل ، أى مار ؛ و الشعرى : العبور : نجم خلف الجوزاء[5] ، و العبور : الجذعة من الغنم - لأنها جازت سنة و تأهلت العبور[6] مع الغنم و كانت فى عدادها ، و العبور : الأقلف - لأن كمرته عابرة فى قلفته ، و غلام معبر : لم يختن ، و رجل عبر : كاد[7] أن يحتلم و لم يختن بعد ، أى كاد أن يصير إلى [حد -[8]] البالغين[9] على هذه الحال ، و هى أن كمرته عابرة فى قلفته ، و عبر به الأمر تعبيرا : اشتد عليه - كأنه جاز من حالة الرخاء إلى الشدة ، و عبرت به أهلكته و المعبرة - بالتخفيف : ناقة لم تنتج ثلاث سنين ، فيكون أصلب لها - لأنها صارت أهلا لأن يعبر عليها فى الأسفار ، و العبير : ضرب من الطيب - لعبور ريحه ،

(١) فى الاصل و ظ و م : الحرى (٢) زيد من م و القاموس (٣) فى ظ : عبرة (٤) فى ظ : كانت (٥) من ظ و م و التاج ، و فى الأصل : الجوزى .
(٦) من م ، و فى الأصل و ظ : عابره (٧) فى ظ : كان (٨) زيد من ظ و م .
(٩) من م ، و فى الأصل و ظ : المبالغين (١٠) من ظ و م و القاموس ، و فى الأصل : عبر .

و الزعفران - لعبور لونه و ريحه ، و العبرى : السدر النهرى[١] - لنباته فى عبر النهر ، و المعبر[٢] من الجمال : الكثير الوبر ، و من الشاء[٣] : التى لم تجز - كأنه لجواز الصوف عن حد[٤] جلدهما ، و سهم معبر[٥] و عبير[٤] : كثير الريش - كأنه عبر عن حد العادة ، و العبر - بالضم : الشكلى ، لأنها أهل[٦] لإرسال العَبرة ، و السحاب التى تسير شديدا ، و العقاب - لقوتها على قطع المسافات ، و بنات عبر[٧] : الكذب و الباطل - لسرعة زواله ؛ و رعبت فلانا : أفزعته ، فهو مرعوب - لأنك أجزته من الأمن إلى الخوف ، و سيل راعب : أى يملأ[٨] الوادى ، و راعب : أرض ، منها الحمام الراعبية ، و الحمام أيضا لها قوة العبور بالرسائل من مكان إلى مكان ، و رعبت الحمامة فى صوتها ترعيبا : رفعته ، و رعبت السنام : قطعته ، و الرعبوبة : قطعة منه - لأنها جازت مكانها ، و[٩] جارية رعبوبة[٩] و رعبوب[١٠] : حسنة القوام تامة - كأنها جازت أقرانها حسنا ، و الرُعْب : القِصار ، واحدهم رعيب و أرعَب ، تشبيه[١١] بالقطعة من السنام ؛ و البعر : رجيع الخف و الظلف إلا البقر الأهلية ، لأنها تخثى[١٢] ، و الوحشية تبعر بعرا -

(١) فى ظ : النهرتى (٢) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ : العر (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الشتاء (٤) سقط من ظ (٥) من القاموس ، و فى الأصل و ظ و م : معبير (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : اهلا (٧) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ : غير (٨) فى ظ : الورى (٩-٩) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ : جاريه رعبوبه - كذا (١٠) زيد فى القاموس : و رعيبب . (١١) من م ، و فى الأصل : تثنية ، و فى ظ : تشبه (١٢) من التاج ، و فى الأصل و ظ : تخشى ، و فى م : تحثى .

لأنه يجوز من مكانه من غير أن يلوثه، فلا يبقى منه به شيء، و المبعر: مكانه، و البعير: الجمل البازل أو الجذع[١]. و قد يكون الحمار و كل ما يحمل؛ و فى مختصر العين: و إذا رأت العرب ناقة أو جملا من بعيد قالوا: هذا بعير، فاذا عرفوا قالوا للذكر: جمل[٢]، و للأنثى: ناقة، و البعرة - بالتحريك: الكمرة، تشبيها بها، و الربع: المنزل و الدار بعينها، و المحلة[٣] - ٥ لأنها يخرج[٤] منها و يدخل[٥] إليها، و لذلك سميت متبوأ، لأنها يتبوأ[٦] إليها، أى يرجع. و [٧]ربع يربع[٧]: أقام، و اربع على نفسك: انتظر[٨]، كأنه من الربع، / أى المنزل، لأنه يقام فيه، و ربع[٩] - إذا أخصب - للانتقال من حال إلى حال[١٠] أخرى، و هم على ربعاتهم، أى استقامتهم و أمرهم الأول - كأنه من المنزل، و الربوع - كجوهر: الضعيف الدنىء[١١] - ١٠ كأن ذلك يلزم من الإقامة فى المنزل، و بهاء: قصير[١٢] العرقوب، و الرجل القصير - كأنه تشبيه[١٣] بالربعة فى مطلق القصر عن الطويل[١٤]، و ربع الحجر: رفعه[١٥]، و الحمل: رفعه على الدابة، و المربوع: المنعوش[١٦]

٤٤ /

(١) فى م: الجدع (٢) من ظ و م، و فى الأصل: جملا (٣) من م و القاموس، و فى الأصل و ظ: المحل (٤) فى ظ و م: تخرج (٥) فى م: تدخل (٦) فى م: يباء (٧-٧) من م، و فى الأصل و ظ: يربع بريع - كذا (٨) من م، و فى الأصل و ظ: انظر، و راجع أيضا القاموس (٩) زيد فى القاموس: فلان. (١٠) سقط من ظ و م (١١) من م و القاموس، و فى الأصل و ظ: الذى. (١٢) من القاموس، و فى الأصل و ظ و م: اوقصر - كذا (١٣) فى م: لشبيه. (١٤) فى ظ: الطول (١٥) فى ظ: دفعه (١٦) من ظ و التاج، و فى الأصل و م: المنعوس.

المنفس[1] عنه - لتحول الحال فى كل ذلك. و المربعة : خشبة يرفع بها العدل، و المرابعة : أن تأخذ يد صاحبك و ترفعا الحمل على الدابة - كأنه مع النقل مأخوذ من الأربعة. و هى أيضا المعادلة بالربيع، و منه تربعت[2] الناقة سناما[3] طويلا، [4] أى حملته، و ربيع الشهور : شهران بعد صفر، و ربيع الفصول اثنان : الذى فيه النور و الكمأة، و الذى تدرك فيه الثمار - للانتقال فى كل منهما، و الربع - كصرد : الفصيل ينتج فى الربيع، و ناقة مربـــع : ذات ربع، و أربع[5] القوم[6] : صاروا أربعة، و دخلوا فى الربيع، و أقاموا فى المربع[7]، و ربعت الأرض : أصابها مطر الربيع، و المرابيع : الأمطار أول[8] الربيع، و أربع الرجل - إذا ولد له فى شبابه، تشبيها للشباب بالربيع، و ناقة مرباع - إذا كانت عادتها أن تنتج فى ربعية[9] القيظ، و الربعية[10] : أول الشتاء، و الربيع: الجدول - لجريه و إنبات ما حوله، و جمعه أربعاء. و الحجر يشيلونه لتجربة القوى[11]،

---

(١) من م و التاج - و فى الأصل وظ : النفس (٢) من التاج، و فى الأصل و ظ و م : ربعت (٣) من ظ و م و القاموس، و فى الأصل : مسلما. (٤) و من هنا استأنفت نسخة مد (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و القاموس فحذفناها (٦) فى ظ : القدم (٧) من م و مد و القاموس، و فى الأصل وظ : الربع (٨) فى ظ : او - خطأ (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ربيعة، و فى القاموس : الربيع - بدون «القيظ». (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الربيعية، و فى القاموس : و ربعية القوم : ميرتهم أول الشتاء (١١) و هذا المعنى أسنده صاحب القاموس إلى الربيعة لا الربيع - كما هنا.

و الرابع

و الرابع تلو الثالث - لأنه جاز[1] الجمع ، و وتر[2] و حبل[2] مربوع : مفتول على أربع قوى ، و ربعتُ القوم أربَعُهم : صرت[3] رابعهم ، و الأربعاء[4] : يوم ، [و -[5]] المرباع : ربع الغنيمة [الذى -[6]] كان يأخذه[7] الرئيس ، و الرباعية - كثمانية : السن بين الثنية و الناب ، و عدتها أربع ، و كل ما بلغ الأربعة رباع كثمان ، و تقول[8] للغنم فى الرابعة[9] و للبقر ٥ و الحافر[10] فى الخامسة و للخف[11] فى السابعة : أربعت ، كأنه لا يجوز فى كل نوع من حد الصغر إلى الكبر [12]إلا بذلك ، و أربع الفرس : ألقى رباعيته ، و حمى ربع : تأتى فى اليوم الرابع[12] ، و قد ربع الرجل و أربع ، و هو معنى ما قال فى القاموس : و ربعته الحمى : أخذته الحمى يوما بعد يومين ، لأن يومها الثانى هو رابع يومها الأول ، و الربعة - بالفتح : جونة ١٠ العطار - لتضوع ريحها ، و الرجل بين الطويل و القصير - و يحرك - كالمربوع ، لجوازه حدّ كل منهما ، هذا إلى الطول ، و هذا إلى القصر ، و ارتبع : صار ربعة ، و الربعة - محركة : أشد عدو[13] الإبل ، و المسافة بين أثافى

(١) من م ، و فى الأصل وظ و مد : جار (٢-٢) من مد ، و فى الأصل وظ : رجل ، و فى م : و جشل ، و راجع أيضا القاموس (٣) من ظ و م و مد و التاج ، و فى الأصل : صوت (٤) فى مد : الارباع - خطأ (٥) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٦) زيد من القاموس (٧) من القاموس ، و فى الأصول : ياخذها (٨) من القاموس ، و فى الأصول : يقول (٩) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل وظ : المرابعة (١٠) فى ظ : الغنم ، و فى القاموس : ذات الحافر . (١١) فى القاموس : لذات الخف (١٢ - ١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ . (١٣) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : عدد .

القدر - لعبور[1] كل منهما عن [محل -[2]] صاحبتها ، و أربع ماء الركية : كثر ، فجاز عن محله الأول . و على فلان : سأله ثم ذهب ثم عاوده ، و على المرأة : كر إلى جماعها . و القوم إبلهم مكان كذا : رعوها و أرسلوها على الماء ترد متى شاءت ، و يجوز أن يكون هذا أيضا من الربيع ، و أربعت الناقة - إذا استغلقت رحمها فلم تقبل الماء ، كأنها[3] أزالت العبور ، أى الانتقال من حال إلى أخرى ، و الربيعة : البيضة من السلاح - لنقلها / صاحبها إلى الحصانة ، و الروضة[4] - لجواز النبت فيها عن حد الأرض ، و المربع : شراع السفينة - لأنه آلة السير ، و المربع : الرجل الكثير النكاح - لعبوره عن حاله[5] الأولى ، و لجلوسه بين الشعب الأربع ، و تربع[6] فى جلوسه ضد جثا ، إما لأنه صار على شكل المربع ، و إما أخذا[7] من الربع إلى المنزل ، لأنها جلسة المقيم فى منزله ، و تربعت النخيل : خرفت[8] و صرمت - لتحول حالها ، و استربع[9] الرمل : تراكم ، إما لجوازه عن حاله[5] الأولى ، و إما من الإقامة فى الربع ، و استربع الغبار ، ارتفع ، و البعير للسير[10] : قوى عليه و صبر ،

/٤٥

(١) فى مد : بعبور (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لانها (٤) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : الروض (٥) فى مد : حالة (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : يربع (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : اخذ (٨) من التاج ، و فى الأصل و ظ : حرقت ، و فى م و مد : خرقت - كذا (٩) فى ظ : استبرع (١٠) من القاموس ، و فى الأصول : المسير .

و الرجل بالأمر : استقل و صبر ، و فلان يقيم رباعة قومه ، أى [1]شأنهم و حالهم[1] أى[2] يجيزهم[3] من حال إلى أخرى ، و مضى من بنى فلان ربوع [4]بعد ربوع ، أى أحياء [بعد أحياء - [5]] . إما لأن ذلك جواز من دار إلى دار و حال إلى حال ، و إما على حذف مضاف ، أى أهل ربوع أى منازل ، و اليربوع : دابة كالفأرة[6] ، إما لشدة جريها . [7]و إما[7] لجعلها نافقاءين[8] تهرب من أيهما شاءت ، فهى عابرة منتقلة بالقوة و إن كانت ساكنه ، و اليربوع : لحمة المتن - كأنه مشبه[9] بالدابة ؛ و برع الرجل - مثلثة : فاق أصحابه فى علم أو غيره . [10]أو تم[10] فى كل فضيلة و جمال ، و هذا أبرع منه : أضخم - لأنه جاز مقداره ، و البارع : الأصيل الجيد الرأى ، و تبرع بالعطاء[11] : تفضل بما لا يجب عليه من عند نفسه - كأنه جاز[12] رتبة الواجب - و الله أعلم . و فى الآية ما يوجبه[13] حال العلماء من حاجة الملوك إليهم ، فكانه[14] قيل : فما قالوا ؟ فقيل : ﴿قالوا﴾ هذه الرؤيا ﴿اضغاث﴾ أى أخلاط ، جمع ضغث - بكسر الضاد و إسكان

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كانهم و رحالهم (٢) فى ظ « و » .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يخبرهم (٤) العبارة من هنا إلى « أهل ربوع » ساقطة من ظ (٥) زيد من م و مد (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : كالفار ، و فى التاج : و هى فأرة (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٨) فى الأصل و ظ و مد : انافقين ، و فى م : نافقين ؛ و أما حفرة اليربوع فيقال لها : النافقاء و النفقة و النفق - راجع قول ابن الأعرابى فى التاج (٩) فى م : شبه (١٠-١٠) فى مد : اتم (١١) فى مد : القطاء (١٢) فى ظ : حاز .
(١٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و م ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .
(١٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كانه .

العين المعجمة . و هو قبضه حشيش مختلطة الرطب باليابس ﴿ احلام ج ﴾ مختلفة مختلطة مشتبهة . جمع حلم - بضم الحاء و إسكان اللام و ضمه ، و هو الرؤيا - فقيدوها بالأضغاث و هو ما يكون من الرؤيا باطلا - لكونه من حديث النفس أو وسوسة الشيطان ، لكونها تشبه أخلاط النبات التى لا تناسب بينها[1] . لأن الرؤيا تارة تكون من الملك و هى الصحيحة ، و تارة تكون من تحريف[2] الشيطان و تخليطاته ، و تارة من حديث النفس ؛ [ثم -[3]] قالوا : ﴿ و ما نحن ﴾ أى بأجمعنا ﴿ بتاويل ﴾ أى ترجيع ﴿ الاحلام ﴾ أى مطلق الأضغاث و غيرها ، و أعرقوا فى النفى بقولهم : ﴿ بعلمين ه ﴾ فدلسوا[4] من غير وجه ، جمعوا - و هى حلم واحد - ليجعلوها أضغاثا لا مدلول لها ، و نفوا عن أنفسهم "العلم بالمطلق" المستلزم لنفى "العلم بالمقيد[5]" ، بعد أن أتوا بالكلام على هذه الصورة ، ليوهموا أنهم ما جهلوها[6] إلا لكونها أضغاثا - و الله أعلم ؛ و القول : كلام متضمن بالحكاية فى البيان عنه ، فاذا ذكر أنه قال ، اقتضى الحكاية لما قال ، و إذا ذكر أنه تكلم ، لم يقتض حكاية لما تكلم به ، و مادة "حلم" بجميع تقاليبها تدور على صرف الشىء عن وجهه و عادته و ما تقتضيه / الجبلة - كما يأتى فى الرعد فى قوله "شديد المحال[7]" . /٤٦

و لما كان هذا[8] حالا مذكرا للساقى بيوسف عليه الصلاة و السلام -

---

(١) فى ظ . بينهما (٢) فى الأصول : تحريف - كذا (٣) زيد من م و مد . (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فدلوا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ط : بالقيد (٦) فى ظ : جعلوها (٧) آية ١٣ (٨-٨) فى ظ : حال مذكر ، و فى م : حالا مذكر - كذا .

أخبر سبحانه بأنه ذكره بعد نسيانه ، فقال عادلا عن الفاء إيذانا بأنه من الملإ : ﴿ وقال الذى نجا ﴾ أى خلص من الهلاك ﴿ منهما ﴾ أى من صاحبي السجن ، وهو الساقى ﴿ و ﴾ الحال أنه ﴿ ادّكر ﴾ - بالمهملة ، أى طلب الذكر - بالمعجمة . وزنه افتعل[1] ﴿ بعد امة ﴾ من الأزمان ، [2] أى أزمان[2] مجتمعة[3] طويلة[4] ﴿ انا انبئكم ﴾ أى أخبركم إخبارا عظيما ﴿ بتاويله ﴾ أى بتفسير[5] ما يؤل إليه معنى[6] هذا الحلم[7] وحده كما هو الحق ، وسبب عن كلامه قوله : ﴿ فارسلون ۝ ﴾ أى[8] إلى يوسف عليه الصلاة والسلام فانه أعلم الناس ، فأرسلوه إليـــه ؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما[9] : ولم يكن السجن فى المدينة . فأتاه[10] فقال الساقى المرسل بعد وصوله إليه مناديا له بنداء[11] القرب تحببا إليه : ﴿ يوسف ﴾ وزاد فى التحبب بقوله : ﴿ ايها الصديق ﴾ أى البليغ فى الصدق والتصديق لما يحق تصديقه بما جربناه منه ورأيناه[12] لائحا عليه ﴿ افتنا ﴾ أى اذكر لنا الحكم ﴿ فى سبع ﴾[13] وميز العدد بجمع السلامة الذى هو للقلة - كما مضى لما مضى - فقال[13] : ﴿ بقرٰت سمان ﴾

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : افعل (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل و ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مجمعة (٤) و فى لباب التأويل ٣/٢٣٤ : بعد أمة يعنى بعد حين ، و هو سبع سنين ، و سمى الحين من الزمان أمة لأنه جماعة الأيام ، و الأمة : الجماعة (٥) فى ظ : بتستر (٦) فى مد : معناه - كذا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : الحكم (٨) سقط من م (٩) راجع لباب التأويل ٣/٢٣٤ (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ و م و مد : نداء (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ارينا (١٣-١٣) سقط ما بين الرقمين من م .

أى رآهن الملك ﴿يأكلهن سبع﴾ أى من البقر ﴿عجاف﴾ أى مهازيل جدا ﴿و﴾ فى[1] ﴿سبع سنبلت﴾ جمع سنبلة، و هى مجمع الحب من الزرع ﴿خضر و﴾ فى سبع ﴿اخر﴾ [أى -[2]] من السنابل ﴿يبسٰت﴾ و ساق[3] جواب السؤال سياق الترجى إما جريا على عوائد العقلاء فى عدم البتّ فى الأمور المستقبلة، و إما لأنه ندم بعد إرساله خوفا من أن يكون التأويل شيئا لا يواجه به الملك، فعزم على الهرب - على هذا التقدير، و إما استعجالا ليوسف عليه الصلاة و السلام بالإفتاء ليسرع[4] فى[5] الرجوع، فان الناس فى غاية التلفت إليه، فقال: ﴿لعلىّ ارجع الى الناس﴾ قبل مانع يمنعنى.

[و لما كان تصديقهم ليوسف عليه السلام و علمهم[6] بعد ذلك بفضله[7] و عملهم بما أمرهم به مظنونا، قال -[8]]: ﴿لعلهم يعلمون ۝﴾ أى ليكونوا على رجاء من أن يعلموا فضلك أو ما يدل ذلك عليه من خير أو[9] شر فيعملوا[10] لكل حال ما يمكنهم عمله، فكأنه قيل: فما[11] قال له؟ فقيل: ﴿قال﴾: تأويله أنكم ﴿تزرعون﴾ أى توجدون الزراعة، فهو إخبار بمغيب، فهو أقعد فى معنى الكلام، و يمكن أن يكون خبرا بمعنى الأمر

(١) فى ظ: الى (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سياق (٤) من م، و فى الأصل و ظ و مد: يشرع (٥) سقط من ظ و م و مد. (٦) من م، و فى مد: لحكمهم (٧) من م، و فى مد: تفضله (٨) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٩) من م، و فى الأصل و ظ و مد «و» (١٠) فى مد: فيعلموا (١١) من م، و فى الأصل و ظ و مد: ما.

﴿سبع سنين داباً﴾ أى دائبين مجتهدين ـ و الدأب[1]: استمرار[2] الشىء على عادتـه ـ كما أشارت إليه رؤياك بعصر الخر الذى لا يكون إلا بعد الكفاية ، و دلت عليه رؤيا الملك للبقرات السمان و السنابل الخضر ، و التعبير بذلك يدل على أن هذه السبع تكون - كما تعرفون[3] - من أغلب[4] أحوال الزمان فى توسطه بخصب أرض و جدب أخرى ، و عجز ٥ الماء عن بقعة[5] و إغراقه / لأخرى ـ كما أشار إليه الدأب ؛ ثم أرشدهم ٤٧/ إلى ما يتقوون[6] به [على ـ[7]] ما يأتى من الشر ، فقال : ﴿فما حصدتم﴾ أى من شىء بسبب ذلك الزرع ـ و الحصد : قطع الزرع بعد استوائه ـ فى تلك [السبع ـ[8]] الخصبة ﴿فذروه﴾ أى اتركوه على كل حال ﴿فى سنبله﴾ لئلا يفسد بالسوس[9] أو غيره ﴿الا قليلا مما تاكلون*﴾ ١٠ قال أبو حيان[10] : أشار برأى نافع بحسب طعام مصر[11] و حنطتها التى لا تبقى عامين بوجه إلا بحيلة إبقائها فى السنبل ـ انتهى .

و لما أتم المشورة ، رجع إلى بقية عبارة الرؤيا ، فقال : ﴿ثم ياتى﴾ و لما كانت مدة الإتيان غير مستغرقة لزمان البعد ، أتى بالجار فقال : ﴿من بعد ذلك﴾ أى الأمر العظيم ، و هى[12] السبع التى تعملون[13] ١٥

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الدواب ـ كذا (٢) فى ظ : استمداد . (٣) فى م : يعرفون (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعاب (٥) من م ، و فى الأصل و ظ ومد : نفعه (٦) فى الأصل : يتقولون ، و فى ظ و م و مد : يتقون (٧) زيد من مد (٨) زيد من م و مد (٩) فى ظ : بالسو ـ كذا (١٠) راجع البحر ٥/٣١٥ (١١) من ظ و م و مد و البحر ، و فى الأصل : خضر (١٢) فى م و مد : هو (١٣) فى ظ : تعلمون .

فيها[1] هذا العمل ﴿ سبع ﴾ أى سنون ﴿ شداد ﴾ بالقحط العظيم ، و من[2] ما أشارت إليه رؤيا صاحبك الذى طار برزقه الطيور ، و سار بروحه غالبُ المقدور ، و دلت عليه رؤيا الملك من البقرات العجاف و السنابل اليابسات ﴿ يأكلن ﴾ أسند الأكل إليهن مجازا عن أكل أهلهن تحقيقا للأكل ﴿ ما قدمتم ﴾ أى بالادخار من الحبوب ﴿ لهن ﴾ و التقديم : التقريب إلى جهة القدام ، و بشرهم بأن الشدة تنقضى و لم يفرغ ما أعدوه ، فقال : ﴿ الا قليلا مما تحصنون ۝ ﴾ و الإحصان : الإحراز ، و هو إلقاء الشيء فيما هو كالحصن المنيع - هذا تعبير الرؤيا ، ثم زادهم على ذلك قوله : ﴿ ثم يأتى ﴾ و عبر بالجار لمثل ما مضى فقال : ﴿ من بعد ذلك ﴾ أى الجدب[3] العظيم ﴿ عام ﴾ و هو اثنا[4] عشر شهرا ، و نظيره الحول و السنة ، و هو مأخوذ من العوم - لما لأهله [فيه -[5]] من السبح الطويل - قاله الرمانى . و التعبير به دون مرادفاته إشارة إلى أنه يكون فيه - من السعة بعموم الرىّ[6] و ظهور الخصب و غزير البركة - أمر عظيم ، و لذا[7] اتبعه بقوله : ﴿ فيه ﴾ .

و لما كان المتشوف[8] إليه الإغاثة ، على أنه من المعلوم أنه لا يقدر عليها إلا الله ، قال بانيا للمفعول : ﴿ يغاث الناس ﴾ من الغيث و هو المطر ، أو من الغوث و هو الفرج[9] ، ففى الأول يجوز بناءه من ثلاثى و من رباعى ،

(١) فى م : فيهما (٢) فى ظ : هى (٣) من م و مد ، و فى الأصل : الجرب ، و فى ظ : الجذب (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اثنى (٥) زيد من م .
(٦) فى ظ : الراى (٧) فى مد : كذا (٨) فى الأصول : المنسوف - كذا بالمهملة .
(٩) من م ومد ، و فى الأصل : الفرح ، و فى ظ : القذح - كذا .

يقال

[1]يقال : غاث الله الأرض و أغاثها : أمطرها[2] . و فى الثانى هو من رباعى خاصة ، يقال : استغاث به فأغاثه ، من الغوث و هو واوى ، و معناه النفع الذى يأتى على شدة حاجته[3] بنفى المضرة ، و الغيث يأتى و هو المطر الذى يأتى فى وقت الحاجة ﴿ و فيه ﴾ أى ذلك العام الحسن .

و لما كان العصر[4] للأدهان و غيرها لا يكون إلا عن فضلة ، قال : ﴿ يعصرون ع ﴾ أى يخرجون عصارات الأشياء و خلاصاتها[5] ، و كأنه أخذ من انتهاء القحط ابتداء الخصب الذى دل عليه العصر فى رؤيا السائل ، و الخضرة و السمن فى رؤيا الملك[6] فانه ضد القحط ، و كل ضدين انتهاء أحدهما ابتداء الآخر لا محالة ، فجاء الرسول / فأخبر الملك بذلك ، فأعجبه و وقع فى نفسه صدقه ﴿ و قال الملك ﴾ أى الذى العزيز فى خدمته ﴿ ائتونى به ج ﴾ لأسمع ذلك[7] منه و أكرمه ، فأتاه الرسول ليأتى به إلى الملك ﴿ فلما جآءه ﴾ أى يوسف عليه الصلاة و السلام عن قرب من الزمان ﴿ الرسول ﴾ بذلك و هو الساقى ﴿ قال ﴾ له يوسف : ﴿ ارجع الى ربك ﴾ أى سيدك الملك ﴿ فسئله ﴾ بأن تقول[8] له مستفهما ﴿ ما بال النسوة ﴾ و لوح بمكرهن به و لم يصرح ، و لا ذكر امرأة العزيز كرما و حياء فقال : ﴿ التى قطعن ايديهن ﴾ أى ما خبرهن فى مكرهن الذى

/ ٤٨

(١) العبارة من هنا إلى « هو من رباعى » ساقطة من مد (٢) فى ظ : مطرها . (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حاجة (٤) من م و مد ، و فى الأصل : المعصر ، و فى ظ : الحصر (٥) فى ظ : خلاصتها (٦) زيد بعده فى الأصل و ظ : بذلك ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لذلك (٨) فى الأصول : يقول .

خالطنى ، فاشتد به بلائى فانهن يعلمن أن امرأة العزيز ما دعتهن إلا بعد شهادتهن بأنها راودتنى ، ثم اعترفت لهن بأنها راودتنى ، و أنى عصيتها أشد عصيان ، فاذا سألهن بان الحق ، فان ربك جاهل بأمرهن .

و لما كان هذا موطنا يسأل فيه عن علم ربه سبحانه لذلك ، قال ٥ مستأنفا مؤكدا لأنهم عملوا فى ذلك الأمر بالجهل عمل المكذب بالحساب الذى هو نتيجة العلم : ﴿ ان ربى ﴾ أى المدبر لى و المحسن إلىّ[1] بكل ما أتقلب[2] فيه من شدة و رخاء ﴿ بكيدهن ﴾ لى حين دعوننى[3] إلى طاعة امرأة العزيز ﴿ عليم ۝ ﴾ و أنا لا أخرج من السجن حتى يعلم ربك ما خفى عنه من أمرهن الذى علمه ربى ، لتظهر براءتى على رؤس ١٠ الأشهاد مما وصمونى به من السجن الذى من شأنه أن لا يكون إلا[4] عن جرم[5] ، و إن لم تظهر براءتى لم ينقطع عنى كلام الحاسدين ، و يوشك أن يسعوا فى حط منزلتى عند الملك ، و لئلا يقولوا[6] : ما لبث هذا فى السجن إلا لذنب عظيم ، فيكون فى ذلك نوع من العار [7]لا يخفى[7] ، و فى هذا دليل على أن السعى فى براءة العرض حسن ، بل واجب ، ١٥ و أخرج الكلام على سؤال الملك عن أمرهن ـ لا على سؤاله [فى ـ[8]] أن يفحص عن أمرهن ـ لأن سؤال الإنسان عن علم ما لم يعلم يهيجه

(١) فى ظ : اى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انقلب (٣) فى الأصل : دعوتنى (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : جزم (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لئلا يقول (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) زيد من ظ و م و مد .

و يلهبه إلى البحث عنه ، بخلاف سؤاله فى أن يفتش لغيره ، ليعلم ذلك الغير ، فأراد بذلك حثه لأن يجدّ فى السؤال حتى يعلم الحق ، ليقبل بعد ذلك جميع ما حدثه به ؛ و الكيد : الاحتيال فى إيصال[1] الضرر .

و إنما فسرت "بال" بذلك لأن مادته - يائية بتراكيبها الخمسة : يلى ، و يبل ، و لبى ، و ليب ، و يلب ؛ و واوية[2] بتراكيبها الستة : بول ، و بلو ، و ولب ، و وبل ، و لوب ، و لبو ؛ و مهموزة - بتراكيبها الأربعة : لبأ ، و بأل ، و أبل و ألب - تدور على الخلطة المحيلة المميلة ، و كأن حقيقتها [البلاء - [3]] بمعنى الاختبار و الامتحان و التجربة ، و يكون فى الخير و الشر ، [4]أى خالطه[5] بشىء يعرف منه خفى أمره ؛ قال القزاز : و الفتنة تكون فى الشر خاصة . و البلاء : النعمة ، من قولك : أبليته خيرا - إذا اصطنعته عنده ، و قد تقدم فى سورة الانفال[6] شىء من معانى المادة ، و ناقة بلو سفر و بلى سفر - إذا أنضاها السفر / ، و إذا كانت قوية عليه ، و البلوى : البلية ، و أبليت فلانا عذرا ، أى جئت فيما بينى و بينه ما لا لوم فيه ، أى خالطته بشىء أزال اللوم ، و البليـة : دابة[7] كانت تشد[8] فى الجاهلية عند قبر صاحبها و لا تعلف و لا تسقى حتى تموت ، و يقال : الناس بذى بلى و بذى بليان ، أى متفرقين ، كأن حقيقته أنه حل

/ ٤٩

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ايصاء (٢) فى الأصول : وابية - كذا .
(٣) زيد من م (٤) العبارة من هنا إلى « فى الشر » ساقطة من ظ (٥) من م ، و فى الأصل و مد : خالطته (٦) نظم الدرر ٨ / ٢٤٤ - آية ١٧ (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : دابه (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : تسد .

بهم صاحب خلطة شديدة فرقت بينهم ، و بلى الشيء - بالكسر بلى مقصورا [١] و بلاء ممدودا [٢] - إذا فنى و عطب ، و بلى فلان بكذا - مبنيا للمفعول ، و ابتلى به - إذا أصابه ذلك ؛ و البول [٣] : ولد الرجل ، و العدد [٤] الكثير ، و الانفجار ، و ضد الغائط ، و لا ريب أن كلا من ذلك إذا خالطه [٥] الحيوان أحال حاله ؛ و البال : الاكتراث و الفكر [٦] و الهم ، و من ذلك عندى : ما باليت به : لم أكترث بـــه ، و كذا ما أباليه بالة [٧] ، و هى [٨] مصدر منه ، و لم أبال به ، و لم أبل [٩] ، و لكنهم قلبوه من : باولت به ، لئلا يلتبس بالبول - و الله أعلم ، و حقيقتهما : ما استعملتُ بالى [١٠] الذى هو فكرى فيـــه و إن أعمل هو فكره [١١] فى أمرى ، أى [١٢] أنه أقل من أن يفكر فى أمره ، و من المعلوم أن الفكر محل الخلطة المميلة ، و البال : المر الذى يعتمل [١٣] بـــه فى أرض الزرع - لمشقة العمل به ، و البال : سمكة غليظة تسمى جمل [١٤] البحر - لأن من خالطته أحالت أمره ، و البال : رخاء [١٥] العيش ، و الحال ، و البالة : القارورة - كأنها من البول ،

(١) فى الأصول : مقصور (٢) فى م : ممدود (٣) فى المعنى المجازى - كما قيد به فى تاج العروس (٤) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : العدا . (٥) فى م : خالط (٦) فى ظ : الفك (٧) من ظ و القاموس ، و فى الأصل و م و مد : باله (٨) فى ظ : هو (٩) فى التاج : حذفوا الألف تخفيفا لكثرة الاستعمال (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بال (١١) فى ظ و مد : فكرة (١٢) سقط من ظ (١٣) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : يعتل (١٤) من م و التاج ، و فى الأصل و ظ و مد : جمل (١٥) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : ارخاء .

و الجراب

و الجراب ، و وعاء الطيب ؛ و الولب : الوصل ، ولبت الشيء : وصلته ، و ولب هو : وصل و دخل و أسرع ، و الوالب : الذاهب فى وجهه - كأنه خالطه من الهم ما حمله[1] على ذلك ، و ولب الزرع - إذا صارت له والبة ، و هى أفراخ تولدت من أصوله ، و الوالبة : نسل القوم ، و نسل المال ، و الوالبة : سريع النبات ؛ و لاب يلوب - إذا عطش ، و اللابة : الحرة ، و هى مكان ذو[2] حجارة سود كبيرة متصلة صلبة حسنة ، فمن خالطها أتعبته و أعطشته . و بها سميت الإبل السود المجتمعة ، والصمان[3] ، و اللابة : شقشقة[4] البعير . و هى شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج - كأنها هى التى أهاجته[5] ، و الملاب : ضرب من الطيب ، و الزعفران ، و الملوب - كمعظم[6] - من الحديد : الملوى ، و اللوب - بالضم : البضعة[7] التى تدور فى القدر - لأنها تغير ما فى القدر بدورانها ، [و اللواب -[8]] أيضا : اللعاب ، و ألاب[9] : عطشت إبله ، و اللبوة[10] : أنثى الأسد ؛ و الوابل : المطر الكثير الشديد الوقع[11] الضخم القطر ، و الوابلة[12] : نسل الإبل

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حله (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ذى (٣) فى الأصل و ظ و مد : العسان ، و فى م : الضان - كذا ، و مبنى التصحيح على تاج العروس (٤) فى ظ : شققة (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهاجه - كذا (٦) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : كعظم (٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : البضغة (٨) زيد من م و مد و القاموس ، غير أن فى م و مد : اللعوب (٩) من القاموس ، و فى الأصول : لاب (١٠) فى ظ : اللوبة (١١) فى ظ : الواقع (١٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الموابلة .

و الغنم ، و رأس العضد الذى فى الحُقّ ، و ما التف[1] من لحم الفخذ ، و الموابلة : المواظبة ، و الميبل : ضفيرة[2] من قد مركبة فى عود تضرب به الإبل ، و وبل الصيد : طرد حثيث[3] شديد ، و بالنعجة وبلة شديدة - إذا أرادت الفحل ، و الوبال : الشدة و سوء العاقبة ، و هو من الشدة و الثقل ، و أصابه وبل الجوع ، أى جوع شديد ، و الوبيل : المرعى الوخيم ، و استوبلت الأرض - إذا لم توافقك فى مطعمك و إن كنت محبا[4] لها ، و هى[5] من الوبيل - للطعام الذى لا يشتهى ، و الوبيل[6] من العقوبة : الشديدة[7] ، و هو أيضا العصا ، و خشبة القصار التى تدق[8] بها الثياب بعد الغسل ، و خشبة صغيرة يضرب بها الناقوس[9] ، و الحزمة من الحطب ؛ و بلى : حرف يجاب بها الاستفهام الداخل على كلام منفى فتحيله إلى الإثبات بخلاف ' نعم ' فانه يجاب بها الكلام الموجب ، و تأتى ' بلى ' فى النفى من غير استفهام ، يقال : ما أعطيتنى درهما ، فتقول[10] : بلى ؛ و لبى من الطعام - كرضى : أكثر منه ، و اللباية[11] - بالضم : شجر الأمطىّ ؛ و اللياب - بتقديم التحتانية وزن سحاب : أقل من ملء الفم ؛ و اليلب -

/ ٥٠ /

(١) فى مد : التفت (٢) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : صغيرة . (٣) فى ظ : خبيث (٤) فى ظ : محا - كذا (٥) فى م و مد : هو (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البيل (٧) فى م : الشديد (٨) فى ظ : يدق (٩) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : الناس - كذا (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فيقول (١١) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : اللبابة .

محركة : الترسة ، و يقال : الدرق ، و الدروع من الجلود، أو جلود يخرز[1] بعضها إلى بعض ، تلبس على الرؤس خاصة ، و العظيم من كل شيء ، و الجلد؛ و الأيل - كأمير : العصا ، و الحزين - بالسريانية ، و رئيس النصارى ، أو الراهب ، أو صاحب الناقوس ، صنيع مختصر العين يقتضى أن همزته زائدة ، و صنيع القاموس أنها أصلية ، و على كلا[2] التقديرين هو من مدار المادة ، فان من خالطته العصا غيرته ، و كذا الرئيس ؛ و من [3]مهموزة اللبأ[3] - كضلع : أول اللبن ، و هو أحق الأشياء بالإحالة ، [4]و ألبأ[4] الفصيل : شده إلى رأس الخلف - أى حلبة[6] ضرع الناقة - ليرضع اللبأ ، و لبأت و هى ملبئ[7]: [8]وقع اللبأ[8] فى ضرعها ، و لا يكون ذلك إلا بما يخالطها ، فيحيل ذلك منها ، و اللبء - بالفتح : أول السقى[9] ، و هو أشد مما فى الأثناء فى الخلطة و الإحالة[10] ، و بهاء : الأسدة[11] ، و خلطتها[12] محيلة للذكور من نوعها ، و لغيرها بالنفرة[13] منها ، و كذا اللبوة -

(١) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : محرز ، و اللفظة ساقطة من ظ .
(٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كل (٣ - ٣) فى ظ : مهموزة الباء .
(٤) العبارة من هنا إلى « و هى ملبى » ساقطة من م (٥) من القاموس ، و فى الأصول : لبأ (٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : حلة (٧) من ظ ومد والقاموس ، و فى الأصل : من لبى (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من ظ و م ومد و القاموس ، و فى الأصل : الشقى (١٠) فى ظ : الاحاطة (١١) فى م و مد : الاشدة (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : خلطها (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالبقرة ، ولا يتضح فى م .

بالواو ، و عشار ملابىّ - كملاقح[1] : دنا نتاجها ، و هو واضح فى الإحالة ، و لبأت الشاة ولدها و ألبأته : أرضعته اللبأ ، و لبأت الشاة و التبأتها : حلبت لبأها[2] ؛ و البئيل - كأمير : الصغير الضعيف ، بؤل[3] - كـكرم ، و يقال : ضئيل بئيل ؛ و الإبل - بكسرتين و تسكن الباء - معروف ، واحد يقع على الجمع ، ليس بجمع و لا اسم جمع ، جمعه آبال ، الإحالة فى خلطتها بالركوب و الحمل و غيره واضحة ، و الإبل : السحاب الذى يحمل ماء المطر ، و هو ظاهر فى ذلك ، و تأبّل عن امرأته : امتنع عن[4] غشيانها[5] - من الإزالة ، و نسك[6] : أى امتنع عن خلطة الدنيا المحيلة[7] ، و بالعصا : [ضرب -[8]] ، و من خالطته العصا أحالته ، و أبل العشب أبولا[9] : طال ، فاستمكن منه الإبل ، و هو ظاهر فى الإحالة ، و الإبّالة - كالإجانة[10] : القطعة من الطير و الخيل و الإبل [أو -[8]] المتتابعة منها ، من نظر شيئا من ذلك أحاله عن حاله ، و كأمير : العصا ، و رئيس النصارى ، أو الراهب ، أو صاحب الناقوس ، و كل ذلك واضح فى الإحالة ، و الأبل[11] - بضم الباء :

(١) فى ظ : كملاقيح (٢) فى مد : لبانها - كذا (٣) من م و مد والقاموس ، و فى الأصل : موول ، و فى ظ : يول - كذا (٤) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : من (٥) من ظ و القاموس ، وفى الأصل : غشانها ، و فى م و مد : عسيانها (٦) من مد و القاموس ، وفى الأصل و ظ : نسبك ، وفى م : نشك (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحيلة (٨) زيد من القاموس . (٩) من ظ وم ومد و القاموس ، وفى الأصل : امولا (١٠) فى ظ : كالاجالة . (١١) من م ، و فى الأصل وظ و مد : الاكل ، و فى القاموس : أبل - بدون الألف و اللام .

الحزمة من الحشيش ، و خلطتها محيلة لما يأكلها ، و الإبالة - ككتابة[1]: السياسة ،
و هى فى غاية / الإحالة لمن خولط بها ، و الأبلة - كفرحة : الحاجة ٥١ /
و الطلبة ، و هى معروفة فى ذلك ، و المباركة[2] فى الإبل ، و إنه لا يأتبل :
لا يثبت على رعية الإبل و لا يحسن[3] مهنتها ، أو لا يثبت عليها راكبا ،
أى[4] أنه سريع التأثر و الإحالة من خلطتها[5] ، و تأبيل الإبل : تسمينها ، أى ٥
مخالطتها بما أحالها ، و الإبلة - بالكسر : العداوة ، و إحالتها معروفة ، و بالضم -
العاهة ، و هى كذلك ، و بالفتح أو بالتحريك : الثقل و الوخامة[6] و الإثم
كذلك ، و تأبيل الميت[7]: تأبينه ، أى الثناء عليه بعد موته ، و هو يهيج
الحزن عليه ، و جاء فى إبالته - بالكسر ، و أبلته - بضمتين مشددة :
أصحابه ، و لا شك أن من جاء كذلك أحال من أتاه ، و ضغث على ١٠
إبالة - كاجانة و يخفف : بلية على أخرى ، أو خصب على خصب - كأنه
ضد ، و هو واضح الإحالة ، و أبلت الإبل تأبُل و تأبِل[8] أبولا و أبلا :
جزأت - أى اكتفت - بالرطب عن الماء[9] ، و الرُطب - بضمتين :[10]
الأخضر من البقل[11] و الشجر أو جماعة العشب الأخضر ، و الأبول :

(١) من القاموس ، و فى الأصول : ككتاب (٢-٢) فى القاموس : من الولد .
(٣) فى ظ : لا يجس (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او (٥) من ظ
و م و مد ، و فى الأصل : خالطتها (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى
الأصل : الرخامة (٧) فى ظ : الموت (٨) من القاموس ، و فى الأصول : تائل -
كذا ؛ و بعده فى التاج : من حدى نصر و ضرب (٩) فى ظ : المال (١٠) زيد بعده
فى القاموس : الرعى (١١) من م والقاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : البقر .

الإقامة فى المرعى ، و لاشك [فى - [1]] أن من خالطه[2] ذلك أحاله ؛ و ألب إليه القوم : أتوه من كل جانب ، و ذلك محيل . و ألب[3] الإبلَ : ساقها ، و الإبلُ : انساقت و انضم بعضها إلى بعض ، و الحمار طريدته : طردها شديدا ، و جمع ، و اجتمع ، و أسرع ، و عاد ، و الإحالة فى كل ذلك ظاهرة ، و السماء : دام مطرها ، أى فأحال الأرض و أهلها ، و التألب[4] - كشعلب: [5] المجتمع منا[6] و من حمر الوحش و الوعل ، و هى بهاء ، و ما كان كذلك أحال ما خالطه ، و الإلب - بالكسر : الفتر[7] ، و شجرة كالأترج سم ، و ذلك[8] ظاهر فى الإحالة[9] ، و بالفتح : نشاط الساقى ، و ميل النفس إلى الهوى ، و العطش ، و التدبير على العدو من حيث لا يعلم ، و مسك[10] السخلة ، و السم ، و الطرد الشديد ، و شدة الحمى و الحر[11] ، و ابتداء برء الدمل ، وكل ذلك ظاهر الإحالة ، و ريح ألوب : باردة تسفى[12] التراب ، و رجل ألوب : سريع إخراج الدلو ، أو نشيط ، فمن

(١) زيد من م (٢) فى م : خالط (٣) فى ظ : لب - كذا (٤) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : التالت - كذا (٥) زيد فى القاموس : الغليظ. (٦) من القاموس ، وفى الأصول : منها (٧) من القاموس، وفى الأصول : القبر ؛ و الفتر فى اليد - حسب قول ابن جنى - ما بين الإبهام و السبابة (٨) فى ظ : هو. (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الالة (١٠) فى ظ : ملك (١١) من ظ و م و مد و القاموس ، وفى الأصل : الجر (١٢) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : سقى - كذا .

خالطه[1] أحاله ، و هم عليه ألب و إلب[2] واحد : مجتمعون عليه بالظلم و العداوة ، و ذلك محيل لا شك فيه . و الألبة[3] - بالضم : المجاعة ، و بالتحريك : اليلبة ، و التأليب : التحريض و الإفساد ، و كل ذلك ظاهر فى الإحالة . و كذا المثلب[4] - للسريع ، و الألب : الصفو[5] ، و هو محيل ، و الألب[6] - بالتحريك : اليلب ، و قد مضى أنها الترسة - و الله أعلم . ٥

و لما قال يوسف عليه الصلاة و السلام ذلك و أبى أن يخرج من السجن قبل تبين[7] الأمر ، رجع الرسول إلى الملك فأخبره بما قال عليه الصلاة و السلام فكأنه قيل : فما فعل الملك ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ للنسوة بعد أن جمعهن : ﴿ ما خطبكن ﴾ أى شأنكن العظيم ؛ و قوله : - ﴿ اذ راودتن ﴾ أى خادعتن بمكر و دوران و مراوغة[8] ﴿ يوسف عن نفسه[9] ﴾ ١٠ - دليل على أن براءته كانت متحققة[9] عند كل من علم القصة[10] ، / فكأن[11] الملك و بعض الناس - و إن علموا مراودتهن و عفته - ما كانوا يعرفون المراودة هل [هى -[12]] لهن كلهن أو لبعضهن ، فكأنه / ٥٢

(١) من م و مد . و فى الأصل و ظ : خاله (٢) من مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ و م : الت - كذا (٣) من القاموس ، و فى الأصول : الالب .
(٤) فى مد : الحلب - كذا (٥) فى م : الصغو (٦) العبارة من « الصفو » إلى هنا ساقطة من ظ (٧) من م و مد ، و فى الأصل : تبين ، و فى ظ : ان يبين .
(٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مراوعه - كذا (٩) فى ظ : محققة .
(١٠) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : البتة (١١) فى م : و كان (١٢) زيد من ظ و م و مد .

قيل : ما قلن ؟ فقيل : مكرن[1] فى جوابهن إذ[2] سألهن عما[3] عملن من السوء[4] معه فأعرضن[5] عنه وأجبن بنفى السوء عنه عليه الصلاة والسلام ، وذلك أنهن ﴿ قلن حاش لله ﴾ أى عياذا بالملك الأعظم وتنزيها له من هذا الأمر ، فأوهمن بذلك براءتهن منه ؛ ثم فسرن هذا العياذ بأن قلن تعجبا[6] من عفته التى لم يرين مثلها ، ولا وقع فى أوهامهن أن تكون لآدمى[7] وإن بلغ ما بلغ : ﴿ ما علمنا عليه ﴾ أى يوسف عليه الصلاة والسلام ، [8]وأعرقن فى النفى فقلن[8] : ﴿ من سوء ﴾ فخصصنه[9] بالبراءة ، وهذا كله تقدم عند قول الملإ " اضغاث احلام " هذا وهو جواب للملك الذى تبهر رؤيته ويخشى[10] سطوته ، فكان من طبع البلد[11] عدم الإفصاح فى المقال[12] - حتى لا ينفك عن طروق احتمال فيكون للتفصى فيه مجال - وعبادة[13] الملوك إلا من شاء الله منهم .

ولما تم ذلك[14] ، كأنه قيل : [15]فما قالت[15] التى هى أصل هذا

---

(١) فى ظ : تكون (٢) من م . وفى الأصل وظ ومد : اذا (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : بما (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : السود . (٥) من م ومد ، وفى الأصل وظ : فاعرض (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : تعجبا (٧) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الاذى كذا . (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩) من م ، وفى الأصل وظ ومد : فخصصه . (١٠) فى مد : تخشى (١١) من م ، وفى الأصل وظ ومد : البلاء كذا . (١٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : المقام (١٣) فى م ومد : عيارة (١٤) فى ظ : هذا (١٥-١٥) من م ، وفى الأصل : ما قالت ، وسقط ما بين الرقمين من ظ ومد .

الأمر ؟ فقيل : ﴿قالت امرأت العزيز﴾ مصرحة بحقيقة الحال : ﴿الـ ٰن حصحص الحق﴾ أى حصل على أمكن وجوهه ، و انقطع عن الباطل بظهوره ، من : حص شعره - إذا استأصل قطعه [1] بحيث ظهر ما تحته [1] ، و منه الحصة : القطعة من الشيء ، و نظيره : كب و كبكب ، و كف و كفكف ، فهذه زيادة تضعيف ، دل عليه [2] الاشتقاق ٥ و هو قول الزجاج - قاله الرماني ؛ و وافقه الرازى فى اللوامع و قال : و قال الأزهرى : هو من حصحص البعير : أثرت ثفناته [3] فى الأرض إذا برك حتى تستبين آثارها فيه ﴿انا راودته﴾ أى خادعته و راودته ﴿عن نفسه﴾ و أكدت ما أفصحت به مدحا و نفيا لكل سوء بقولها مؤكدا [5] لأجل ما تقدم من إنكارها : ﴿و انه لمن الصادقين﴾ أى ١٠ العريقين [6] فى هذا الوصف فى نسبة المراودة إلىّ و تبرئة نفسه ، فقد شهد النسوة كلهن ببراءته ، و إنه لم يقع منه ما ينسب به شيء من السوء [7] إليه ، فمن نسب إليه بعد ذلك هما أو غيره فهو تابع لمجرد الهوى فى نفى من المخلصين .

و لما انجلى الأمر ، أمر الملك باحضاره ، ليستعين به فيما إليه [8] من الملك ، ١٥ لكن لما كانت براءة الصديق أهم من ذلك - و هى المقصود من رد

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) فى ظ : عليها (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ثفتاته ، و راجع أيضا التاج (٤) من م ، و فى الأصل وظ و مد : بكل (٥) فى ظ : موكد (٦) من م و مد ، و فى الأصل : المعرقين ، و فى ظ : الغريقين (٧) فى ظ : السهو (٨) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : اله .

الرسول - قدم بقية الكلام فيها[1] عليه ، و ليكون كلامه فى براءته متصلا بكلام النسوة فى ذلك ، و الذى دل على أن ذلك كلامه ما فيه من الحكم التى لا يعرفها فى ذلك الزمان غيره ، فقال - بناء على ما تقديره : فلما رجع الرسول إلى يوسف عليه الصلاة و السلام فأخبره بشهادتهن ببراءته

٥ قال / - : ﴿ ذلك ﴾ أى الخلق العظيم فى تثبتى فى السجن إلى أن تبين الحق ﴿ ليعلم ﴾ العزيز[2] علما مؤكدا ﴿ انى لم اخنه ﴾ أى فى أهله و لا فى غيرها ﴿ بالغيب ﴾ أى و الحال أن كلا منا[3] غائب عن صاحبه ﴿ و ﴾ ليعلم باقرارها[4] و هى فى الأمن و السعة ، و تثبتى و أنا فى محل الضيق و الخوف ما من شأنه الخفاء عن كل من لم يؤيده الله بروح منه من

١٠ ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لا يهدى ﴾ أى يسدد و ينجح بوجه من الوجوه ﴿ كيد الخآئنين ﴾ أى العريقين[5] فى الخيانة ، بل لا بد أن يقيم سببا لظهور الخيانة و إن اجتهد الخائن فى التعمية ؛ و الخيانة : مخالفة الحق بنقض العهد العام ، و ضدها الأمانة ، و الغدر : نقضه خاصا ، و المعنى أنى لما كنت بريئا سدد الله أمرى ، و جعل عاقبتى

١٥ إلى خير كبير و براءة تامة ، و لما كان غيرى خائنا ، أنطقه الله بالإقرار[6] بها .

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فيما (٢) سقط من ظ (٣) فى م : منى .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما قرارها (٥) فى ظ و م : الغريقين .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بالاقدار .

و لما كان ذلك ربما جر إلى الإعجاب ، قال: ﴿و ما ابرئ﴾ أى تبرئة عظيمة ﴿نفسى ج﴾ عن مطلق الزلل و إن غلبه التوفيق و العصمة ، أى لم أقصد بالبراءة عما تقدم مجرد التزكية للنفس ، و علل عدم التبرئة بقوله - مؤكدا لما لأكثر الناس من الإنكار ، أو لأن اتباعهم لأهويتهم فعل من ينكر فعل الأمارة - : ﴿ان النفس﴾ أى هذا النوع ﴿لامارة﴾ أى شديدة الأمر ﴿ بالسوء ﴾ أى هذا الجنس دائما لطبعها[1] على ذلك ٥ فى كل وقت ﴿الا ما﴾ أى وقت أن ﴿رحم ربى[2] ﴾ بكفها عن الأمر به أو بستره[3] بكفها عن فعله بعد إطلاقها على الأمر به ، أو إلا ما رحمه ربى من النفوس فلا يأمر بسوء ؛ ثم علل ذلك بقوله مؤكدا دفعا[3] لظن من يظن أنه لا توبة له : ﴿ ان ربى ﴾ أى المحسن إلىّ ﴿ غفور﴾ أى بليغ الستر للذنوب ﴿ رحيم ﴾ أى بليغ الإكرام لمن يريد . ١٠

و لما أتم ما قدمه مما هو الأهم - من نزاهة الصديق ، و علم الملك ببراءته و ما يتبعها - على ما كان قبله من أمر الملك باحضاره إليه ، أتبعه إياه عاطفا له على ما كان فى نسقه من قوله "قال ما خطبكن" فقال: ﴿و قال الملك ﴾ صرح به و لم يستغن بضميره كراهية الإلباس لما تخلل[4] بينه و بين جواب امرأة العزيز من كلام يوسف عليه الصلاة ١٥ و السلام ، و لو كان الكل من كلامها لاستغنى[5] بالضمير و لم يحتج إلى

(١) فى الأصول كلها : لتبعها - كذا (٢) من م و مد ، و فى الأصل : بسرتها ، و فى ظ : بسرته (٣) فى مد : لدفعا - كذا (٤) فى ظ و م : تحلل (٥) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لايستغنى .

إبرازه ﴿ ائتونى بهّ استخلصه ﴾ أى أطلب و أوجد خلوصه ﴿ لنفسى ج ﴾ أى فلا يكون لى فيه شريك ، قطعا لطمع العزيز عنه . و دفعا لتوهم أنه يرده إليه ، و لعل هذا [هو - ١] مراد يوسف عليه الصلاة و السلام بالتلبث فى السجن إلى انكشاف الحال ، خوفا من أن يرجع إلى العزيز فتعود المرأة إلى حالها الأولى فيزداد البلاء .

٥٤ / و لما كان / التقدير : فرجع[٢] رسول الملك إليه فأخبره أن الملك سأل النسوة [فقلن - ٣] ما مضى ، و أمر باحضاره ليستخلصه لنفسه ، فقال يوسف عليه الصلاة و السلام ما تقدم من تلك الحكم البالغة[٤] ، و أجاب أمر الملك فأتى إليه بعد أن[٥] دعا لأهل السجن فقال : اللهم[٦] ! عطف[٧] عليهم قلوب الأخيار [و لا تعم عليهم الأخبار - ٨] ، و كتب على باب السجن : هذه منازل البلوى ، و قبور الأحياء ، و بيوت الأحزان ، و تجربة الأصدقاء ، و شماتة الأعداء . ثم اغتسل و تنظف و لبس ثيابا جددا[٩] و قصد إليه ، عطف عليه بالفاء - دليلا على إسراعه فى ذلك - قولـه : ﴿ فلما كلمه ﴾ و شاهد الملك فيه[١٠] ما شاهد من جلال النبوة و جميل الوزارة و خلال السيادة و مخايل السعادة[١١] ﴿ قال ﴾ مؤكدا

(١) زيد من م (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فرفع (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : المبالغة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : انه (٦) سقط من ظ (٧) من البحر ٥ / ٣١٩ و لباب التأويل ٣/٢٣٧ ، و فى الأصول : اعطف (٨) زيد ما بين الحاجزين من م و مد و البحر و اللباب (٩) سقط من مد (١٠) فى م : معه (١١) من ظ و مد ، =

تمكينا لقوله دفعا لمن يظن أنه[1] بعد السجن و ما قاربه لا يرفعه هذه الرفعة: ﴿انك اليوم﴾ و عبر بما هو لشدة الغرابة تمكينا للكلام أيضا فقال[2]: ﴿ لدينا مكين ﴾ أى شديد المكنة، من المكانة، و هى حالة يتمكن بها صاحبها من مراده ﴿امين ۝ ﴾ من الأمانة، و هى حال يؤمن معها نقض[3] العهد[4]، و ذلك أنه قيل: إن الملك كان يتكلم بسبعين لسانا[5] ٥ [فكلمه بها، فعرفها كلها، ثم دعا للملك بالعبرانى، فلم يعرفه الملك فقال له: ما هذا اللسان؟ قال: لسان -[6]] آبائى، فعظم عنده جدا، فكأنه قيل: فما قال الصديق؟ فقيل: ﴿قال﴾ ما يجب عليه من السعى فى صلاح الدين و الدنيا ﴿ اجعلنى﴾ قيما[7] ﴿ على خزآئن الارض[8]﴾ أى أرض مصر التى هى لكثرة خيرها كأنها الأرض؛ ثم علله بما هو ١٠ مقصود الملوك الذى لا يكادون يقفون[8] عليه فقال: ﴿ انى حفيظ ﴾ أى قادر على ضبط ما إلىّ[9] أمين فيه ﴿عليم ۝ ﴾ أى بالغ العلم بوجوه صلاحه و استنمائه[10] فأخبر بما جمع الله [له -[11]] من أداتى[12] الحفظ و الفهم، مع

= و فى الأصل و م: السعانة.

(١) زيد بعده فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) سقط من م (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لنقص (٤) فى ظ و م و مد: العقد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لسانان (٦) زيد ما بين الحاجزين من م و مد، و هذه القصة مسرودة فى روح المعانى ٤/ ٧٤ و اللباب ٣/ ٢٣٧ بسياق مختلف عما هنا بالإضافة إلى أن يوسف عليه السلام سلم على الملك بالعربية أولا فلم يعرفها (٧) فى ظ: فيما (٨) فى ظ و م و مد: يقعون - كذا (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اتى (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: استمامه.
(١١) زيد من م (١٢) فى ظ: ادات.

ما يلزم الحفظ من القوة و الأمانة ، لنجاة العباد مما يستقبلهم من السوء ، فيكون ذلك سببا لردهم عن الدين الباطل إلى الدين الحق .

[1] و لما [1] سأل ما تقدم ، قال معلما بأنه [2] أجيب بتسخير الله له : ﴿ وكذلك ﴾ أى و [3] مثل ما مكنا ليوسف فى قلب الملك من المودة و الاعتقاد الصالح و فى قلوب جميع الناس . و مثل ما سأل من التمكين ﴿ مكنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ ليوسف فى الارض [4] ﴾ أى مطلقا لا سيما أرض مصر بتوليـــة [5] ملكها إياه عليها ﴿ يتبوأ ﴾ أى يتخذ منزلا [6] يرجع إليه ، من باء - إذا رجع ﴿ منها حيث يشآء [7] ﴾ بانجاح جميع مقاصده ، لدخولها كلها تحت سلطانه . لتتق أنفس أهل المملكة و ما ولاها [6] على يده ، فيحوز الأجر و جميل الذكر مع [ما - [7]] يزيد به من علو الشأن و فخامة القدر ، فكأنه قيل : لم كان هذا ؟ فقال : لأمرين : أحدهما أن لنا الأمر كله ﴿ نصيب ﴾ على وجه الاختصاص ﴿ برحمتنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ من نشآء ﴾ من مستحق فيما ترون و غيره ، [8] لا نسأل عما نفعل [8] . و قد شئنا / إصابة يوسف بهذا ، و الثانى /٥٥ أنه محسن يعبد الله فانيا [9] عن جميع الأغيار ﴿ و ﴾ نحن ﴿ لا نضيع ﴾

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلما (٢) فى م : انه (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بتوليه (٥) زيد بعده فى الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : والها (٧) زيد من م (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا تسئل عما تفعل . (٩) فى ظ : فاتحا .

بوجه ﴿ اجر المحسنين ﴾ أى العريقين[1] فى تلك الصفة و إن كان لنا أن نفعل غير ذلك ؛ روى أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الحكم فى أول فتوح مصر[2] من طريق الكلبى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : فأتاه الرسول [3] فقال : ألق عنك ثياب السجن ، و البس ثيابا جددا ، و هو يومئذ ابن ثلاثين سنة ، فلما أتاه[3] رأى غلاما حدثا فقال : أيعلم هذا رؤياى و لا يعلمها السحرة و الكهنة ! و أقعده قدامه ثم قال : قال عثمان - يعنى ابن صالح - و غيره فى حديثهما : فلما استنطقه و سايله[4] عظم فى عينه ، و جل أمره فى قلبه ، فدفع إليه خاتمه و ولاه ما خلف بابه - و[5] رجع إلى ابن عباس قال : و ضرب بالطبل بمصر أن يوسف خليفة الملك ؛ و عن عكرمة أن فرعون قال ليوسف : قد سلطتك[6] على مصر غير أنى أريد أن أجعل كرسيّى أطول من كرسيك بأربع أصابع ! قال يوسف : نعم .

و لما كان هذا مما يستعظمه الناس فى الدنيا ، و كان عزها لا يعد فى الحقيقة إلا إن كان موصولا[7] بنعيم الآخرة ، نبه على ما له فى الآخرة مما لا يعد هذا فى جنبه شيئا ، فقال مؤكدا لتكذيب الكفرة بذلك : ﴿ و لاجر الأخرة خير ﴾ و لما كان سياق الأحكام على وجه عام لتعليقها بأوصاف يكون السياق مرغبا فيها أو مرهبا منها أحسن و أبلغ ،

(١) فى ظ و مد : الغريقين (٢) ص ١٣ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد.
(٤) من ظ و م و مد و الفتوح ، و فى الأصل : سائله (٥) سقطت الواو من م (٦) فى مد : سلطك (٧) زيد بعده فى الأصل و ظ : لا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

قال : ﴿ للذين آمنوا ﴾ أى أوجـدوا هذا الوصف ﴿ وكانوا ﴾ أى بجبلاتهم ﴿ يتقون ﴾ أى يوجدون الخوف من الله و اتخاذ الوقايات منه ايجادا مستمرا ، و هو من أجلهم حظا[1] و أعلاهم كعبا - كما تقدم بيانه مما يدل على كمال إيمانه و تقواه .

٥ و لما كان من المعلوم أن مَن هذه صفاته يقوم بما وليه أتم قيام و ينظر فيه أحسن نظر . كان كأنه قيل : فجعله الملك على خزائن الأرض فدبرها[2] بما أمره الله به و علمه حتى صلح الأمر و جاء الخير و ذهب الشر ، و إنما طوى هذا للدلالة عليه بلوازمه من قصة إخوته التى هى المقصودة[3] بالذات - كما سيأتى ، و قد فهم من هذه القصة أن الغالب

١٠ على طبع مصر الرداءة : بغض[4] الغريب ، و استذلال الضعيف ، و الخضوع للقوى ، فانهم أساؤا إليه أولا بالسجن بعد تحقق البراءة ، ثم عفا عنهم و أحسن إليهم بما استبق [به -[5]] مهجهم ، ثم أعتقهم بعد أن استرقهم ، و رد إليهم أموالهم بعد أن استأصلها بما عنده من الغلال ، فجزوه على ذلك بأن استعبدوا[6] أولاده و أولاد إخوته بعده و ساموهم سوء العذاب ،

١٥ و أدل[7] دليل على أن هذا طبع البلد[8] أن بنى إسرائيل لما خرجوا مع موسى عليه الصلاة و السلام و خلصهم من جميع ذلك الذل و شرفهم بما شرفهم الله به من الآيات / العظام و الكتاب المبين ، كانوا كل قليل ٥٦ /

(١) فى ظ : خلطا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يدبرها (٣) فى مد : المقصود (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بقص (٥) زيد من ظ و م و مد . (٦) فى ظ و مد : استبعدوا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اول .

ينكثون مجترئين على ما لا يطاق الاجتراء عليه، و إذا أمرهم عن الله بأمر جبنوا[١] عنه - كما مضى ذلك عن نص التوراة فى الأعراف[٢] و البقرة[٣] و غيرهما، فعاقبهم الله بالتيه، وكان يسميهم الجيل[٤] المعوج - لما علم من سوء طباعهم، حتى مات كل من نشأ بأرض مصر، ثم صار أولادهم يمتثلون الأوامر حتى ملكوا ما وعد الله به [آباءهم -[٥]] من البلاد، و قد ٥ ذكر ذلك فى زبور داود عليه الصلاة و السلام فى غير موضع، منها فى[٦] المزمور الرابع و التسعين[٧]: هلموا[٨] نسجد و نركع و نخضع أمام الرب خالقنا، لأنه إلهنا و نحن شعب رعيته، و ضأن ماشيته، اليوم إذا سمعتم صوته فلا تقسو قلوبكم و تسخطوه كمثل السخط يوم التجربة فى البرية حيث جربنى آباؤكم، فأحصوا أعمالى و نظروها، أربعين سنة مقتُّ ذلك ١٠ الجيل و قلت: هو شعب فى كل حين يطغون بقلوبهم، فلم يهتدوا لسبلى[٩] كما أقسمت برجزى أنهم لا يدخلون راحتى. [١٠]آباؤنا بمصر لم يفهموا عجائبك، و لم يذكروا كثرة رحمتك حين أغضبوك و هم صاعدون من البحر الأحمر، فنجيتهم[١١] باسمك لتظهر عجائبك، زجر البحر الأحمر فجف، أجازهم فى اللجج كأنهم فى البر، خلصهم من أيدى الأعداء، و أنقذهم من أيدى ١٥

(١) من م و مد، و فى الأصل: حيوا. و فى ظ: خيبوا - كذا (٢) نظم الدرر ٨/٤٥ - ٦٧ (٣) نظم الدرر ١/ ٤٢٢ - ٤٥٣ (٤) فى مد: الجبل (٥) زيد من مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٧) و فى الخامس و التسعين فيما عندنا من نسخة المزامير (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: علموا - كذا، و فى المزمور: هلم (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لسبيلى (١٠) و العبارة الآتية تتخلل المزمور المائة و السادس فيما عندنا (١١) فى م: فنجيتهم.

المبغضين ، و أطلق الماء على مبغضيهم فلم يبق منهم واحد ، فآمنوا بكلامه ، و مجدوا بسبحته[١] . ثم أسرعوا فنسوا أعماله ، و لم ينتظروا إرادته ، اشتهوا[٢] شهوة[٣] فى البرية . جربوا الله حيث لا ماء ، فأعطاهم سؤلهم ، و أرسل شبعا لنفوسهم ، أغضبوا موسى فى المعسكر[٤] و هارون قديس الرب ، ٥ انفتحت الأرض ، و ابتلعت داثان . و انطبقت على جماعة أبيرون[٥] ، و اشتعلت النار فى محافلهم . و أحرق اللهيب الخطأة ، صنعوا عجلا فى حوريب ، و سجدوا للنحوت ، و بدلوا مجدهم بشبه عجل يأكل عشبا ، و نسوا الله الذى نجاهم ، و صنع العظائم[٦] بمصر و العجائب[٧] فى أرض حام ، و المهولات فى البحر الأحمر ، قال : إنه[٨] يهلكهم لو لا موسى صفيه[٩] قام بين يديه ١٠ ليصرف سخطه ، لئلا يستأصلهم ، و رذلوا[١٠] الأرض الشهية[١١] ، و لم يؤمنوا بكلمته ، و تقمقموا فى مضاربهم ، و لم يسمعوا قول الرب ، فرفع يده عليهم ليهلكهم فى البرية ، و يفرق ذريتهم فى الأمم[١٢] ، و يبددهم فى

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لسحته - كذا ، و فى المزمور : بتسبيحه .
(٢) من مد و المزمور ، و فى الأصل و ظ و م : استهوا (٣) فى ظ : بشهوة ، و فى م : سهوة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العسكر (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بيرون ، و فى المزمور : ابيرام (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العجايب ، و فى المزمور : عظائم (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العظايم ، و فى المزمور : عجائب (٨) فى م : انهم (٩) سقط من ظ .
(١٠) من المزمور ، و فى الأصول : ذلوا (١١) من ظ و م و مد و المزمور ، و فى الأصل : الشبهة (١٢) من ظ و م و مد و المزمور ، و فى الأصل : الامم .

البلدان ، لأنهم قربوا لباعل فاغور ، و أكلوا ضحايا ميتة ، و أسخطوه[1] بأعمالهم ، و كثر الموت فيهم بغتة ، فقام فنحاس[2] و استغفر لهم ، فارتفع الموت عنهم ، فحسب ذلك برًا لجيل بعد جيل إلى الأبد ، ثم أسخطوه على ماء[3] الخصام ، و تألم موسى لأجلهم ، أغضبوا روحه ، و خالفوا كلام شفتيه ، [4]و لم[4] يستأصلوا الأمم الذين أمرهم الرب . و اختلطوا بالشعوب ٥ و تعلموا [أعمالهم -[5]] ، فكانت عثرة لهم[6] . ذبحوا بنيهم و بناتهم للشياطين ، و ضحوا لأصنام / كنعان ، و[7] دنسوا الأرض بالدماء ، و تنجسوا بأعمالهم ، / ٥٧ و زنوا بأفعالهم ، فاشتد غضب الرب على شعبه[8] ، و رذل ميراثه ، فأسلمهم فى أيدى الشعوب ، و سلط عليهم شنآتهم ، و استعبدهم[9] أعداؤهم و خضعوا[10] تحت أيديهم ، مرارا كثيرة بحاهم ، و هم يسخطونه بأفكارهم[11] ، ١٠ و ذلوا بسيئاتهم - انتهى ؛ على أنك إذا تأملت وجدت أن الله تعالى يعلى كعب الغريب الذى يستذلونه و يُحل سعده و يؤثل[12] مجده - كما فعل بيوسف عليه الصلاة و السلام بعد السجن و ببنى إسرائيل بعد الاستعباد[13] ،

(١) فى الأصول : فاسخطوا - كذا ، و مبنى التصحيح على المزمور (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فحاس ، و فى المزمور : فينحاس (٣) زيد فى ظ : فى . (٤-٤) فى ظ : ثم (٥) زيد من م و مد و المزمور (٦) سقط من ظ (٧) سقطت الواو من م و مد (٨) فى ظ : شعبة (٩) فى ظ : استبعدهم (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : خضوا (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بانكارهم . (١٢) من م ، و فى الأصل : يومل ، و فى ظ : يوبل ، و فى مد : يوبل - كذا . (١٣) من م ، و فى الأصل و ظ : الاستعداد ، و فى مد : الاستبعاد .

وهو نعم المولى ونعم النصير! فليحذر الساكن بها من أن يغلب عليه طبعها فيتصف بكل ذلك من قلة الغيرة وبغض الغريب، والجرأة فى الباطل استصناعا[1] ومداهنة، والجبن فى الحق، وكمال الذل للجبارين، [والمجمجة -[2]] فى الكلام، بأن لا يزال يتعهد نفسه بأوامر الله ويحملها على طاعته، واتباع رسوله ومحبته، والنظر فى سيرته وسير أتباعه، والتعشق لذلك كله، حتى يصير له طبعا يسلخه من طبع البلد، كما فعل عُبادها، وأهل الورع منها وزهادها - أعاذنا الله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، [3]و[نسأله -[4]] أن يختم لنا بالصالحات، وأن يجعلنا من الذين لا خوف عليهم أبدا.

ذكر ما مضى بعد ما تقدم من هذه القصة من التوراة[5]:

قال: فلما كان بعد سنتين[6] رأى فرعون رؤيا كأنه واقف على شاطئ البحر، وكأن سبع بقرات صعدن[7] من بحر النيل حسنات المنظر سمينات اللحوم، يرعين فى المرج، وكأن سبع بقرات صعدن خلفهن من النيل قبيحات المنظر وحشيات مهزولات اللحوم. فوقفن[8] إلى جانب البقرات السمان[9] على شاطئ النهر، فابتلع البقرات القبيحات الحسنات المنظر السمينات،

(١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: استضياعا - كذا (٢) زيد من م ومد. (٣) العبارة من هنا إلى «عليهم أبدا» سقطت من ظ وم ومد (٤) زيد لاستقامة العبارة (٥) راجع الأصحاح الحادى والأربعين من التكوين (٦) من التوراة، وفى الأصول: سنين (٧) فى مد: صعدت (٨) فى م: فوقعن (٩) سقط من ظ وم ومد، وفى التوراة: الأولى.

فهب فرعون من سنته[1]، و رقد أيضا فرأى ثانى مرة كأن سبع سنبلات طلعن فى قصبة[2] واحدة ممتلئة سمانا، و كأن سبع سنبلات مهزولات ضربهن[3] ريح السموم - و فى نسخة: القبول - نبتن[4] بعدهن، فبلع السنبل المهزول السبع سنبلات[5] الممتلئات، فاستيقظ فرعون فآذته رؤياه، فلما كان بالغداة كربت نفس فرعون. فأرسل فدعا جميع[6] السحرة و كل حكماء مصر، فقص عليهم رؤياه، فلم يوجد إنسان يفسرها لفرعون.

فتكلم رئيس أصحاب الشراب بين يدى فرعون و قال: إنى ذكرت يومى هذا ذنبى[7] عند غضب فرعون على عبده[8]، فقذفنى فى محبس[9] صاحب الشرطة، فحبست[10] أنا و رئيس الخبازين - و فى نسخة: الطباخين - فرأينا جميعا رؤيا فى ليلة واحدة، رأى كل امرئ منا كتفسير رؤياه، و كان [11]معنا هناك[11] [فى الحبس -[12]] فتى عبرانى عند / صاحب الشرطة فقصصنا عليه ففسر أحلامنا، و عبر لكل منا على قدر[13] رؤياه، و كل الذى فسر لنا كذلك أصابنا، أما أنا فردنى الملك إلى موضعى، و أما ذلك[14] فأمر بصلبه. / ٥٨

(١) فى م: سبته (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قبضة (٣) فى ظ: ضربن (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نس (٥) زيد بعده فى الأصل: مهزولات، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و التوراة فحذفناها (٦) فى ظ: جمع (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: دينى (٨) فى التوراة: عبديه (٩) فى ظ: مجلس (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بحلست (١١-١١) فى م: هناك معنا (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) من ظ و م و مد، و الأصل: قدره. (١٤) فى ظ: ذاك.

فأرسل فرعون فدعا يوسف عليه الصلاة و السلام ، فأحضروه[١] من السجن ، فحلق شعره و غير ثيابه ، [٢]و دخل[٢] فوقف بين يدى فرعون ، فقال فرعون ليوسف عليه الصلاة و السلام : إنى رأيت رؤيا و ليس لى[٣] من يفسرها ، و قد بلغنى عنك أنك تسمع الرؤيا ٥ فتفسرها [٤]بأحسن تأويل[٤] ! فأجاب يوسف عليه الصلاة و السلام فقال لفرعون : ألعلك تخال[٥] أنى أجيب فرعون بسلام عن غير أمر الله تعالى .

فقال فرعون ليوسف : إنى رأيت فى الرؤيا كأنى واقف على شاطئ النهر ، و كأن سبع بقرات طلعن من النهر [٦]حسنات المنظر سمينات اللحم ، ١٠ يرعين فى المرج ، و كان سبع بقرات طلعن من النهر[٦] بعدهن سمجات قبيحات المنظر مهزولات اللحم جدا ، لم أر على هزالها فى جميع أرض مصر ، فابتلعت البقرات المهزولات الضعيفات القبيحات أولئك [السبع -[٧]] بقرات[٨] السمان ، فدخلن أجوافهن ، فلم يتبين دخولهن ، و كان منظرهن قبيحا كالذى كان من قبل ، فانتبهت فاضطجعت[٩] فرأيت [أيضا -[١٠]]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاحضره (٢-٢) فى ظ : فدخل (٣) سقط من ظ و م و مد و التوراة (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد و التوراة (٥) فى م و مد : تحال (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) زيد من ظ و م و مد و التوراة (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : البقرات . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فاضجعت - كذا (١٠) زيد من ظ و م و مد .

فى الرؤيا كأن سبع سنبلات [1]حسنات فى قصبة[2] واحدة ممتلئة سمانا حسانا، وكأن سبع سنبلات مهزولات ضربهن[3] ريح السموم نبتن خلفهن، فابتلع السنبل [المهزول -[4]] الضعيف السبع سنبلات الممتلئات الحسان، فقصصت ذلك على السحرة، فلم أجد من يبين.

فقال يوسف عليه الصلاة و السلام لفرعون: الرؤيا يا فرعون ٥ واحدة، أطلع الله فرعون على ما هو مزمع أن يفعله، السبع بقرات الحسان و السبع سنبلات الحسان هى سبع سنين: خير، الرؤيا واحدة، و السبع بقرات [5]الضعيفات المهزولات[6] اللاتى صعدن بعدهن و السبع سنبلات [المهزولات -[6]] اللاتى[7] ضربها ريح السموم تكون سبع سنين: جوع، و هذا القول الذى قلت لفرعون. إن الله أظهر ما هو مزمع ١٠ عتيد أن يفعله، و ها[8] هذه سبع[9] سنين يأتى الشبع[10] و الخصب العظيم جميع أرض مصر، و يأتى بعدها سبع سنين أخر يكون فيها الجوع، و ينسى جميع الشبع و الخصب الذى كان فى [11]جميع أرض[11] مصر، فيبيد أهل الأرض من الجوع من أجل الغم[12] الذى يأتى من بعد لكثرته و شدته، و إنما أعيدت الرؤيا لفرعون ثانى مرة، لأن الأمر[13] معد بين ١٥ يدى الرب، و الله معجل فعله.

---

(١) العبارة من هنا إلى «سبع سنبلات» ساقطة من مد (٢) من ظ و م، و فى الأصل: قبضته (٣) فى ظ: ضربن (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) فى ظ: المهزولات الضعيفات (٦) زيد من م و مد (٧) فى م: التى (٨) من م، و فى الأصل و ظ و مد: ما (٩) فى ظ: السبع (١٠) فى مد: السبع (١١-١١) فى مد: ارض جميع (١٢) فى م: الهقم (١٣) فى ظ: الرويا.

و الآن فلينظر فرعون رجلا حكيما فهما[١]، فيوليه أرض مصر، فيقاسم[٢] أهل مصر على الخمس فى السبع السنين[٣]، فيجمعوا جميع أقفال[٤] هذه السنين / الخصبة[٥] الآتية، و يخزنوا[٦] الأقفال تحت يدى فرعون، و يحفظ القمح فى القرى، و ليكن الفقل معدا محفوظا لأهل مصر لسبع[٧] سنى الجوع[٨] المزمع أن يكون فى جميع أرض مصر، و لايبيد أهل الأرض بالجوع.

٥٩ /

فحسن هذا القول عند فرعون و عند عبيده، فقال[٩] فرعون لقواده: هل يوجد مثل هذا الرجل الذى روح الله حالّ فيه؟ ثم قال[١٠] فرعون ليوسف عليه الصلاة و السلام: إذا أطلعك الله على هذا كله، ليس أحد فهما[١١] مثلك، أنت المسلط على بيتى، و عن أمرك و قولى[١٢] فيك يقبل جميع الشعب، و إنما أنا أعظم منك بالمنبر فقط، و قال فرعون ليوسف: انظر فقد[١٣] وليتك جميع أرض مصر، و خلع فرعون خاتمه

(١) من م، و فى الأصل: بها، و فى ظ: منهما، و فى مد: فيما (٢) من م، و فى الأصل و ظ و مد: فتقاسم (٣) فى ظ: سنين (٤) البيادر؛ و يمكن أن يكون: أقفال جمع قفلة: ما يبس من الشجر (٥) فى الأصول: الخصب (٦) فى الأصول: يخربوا، و مبنى التصحيح على التوراة (٧) زيد بعده فى الأصل و ظ و م: سنين، و لم تكن الزيادة فى مد و التوراة فحذفناها (٨) زيدت الواو بعده فى الأصول فحذفناها لاستقامة العبارة (٩) من ظ و م و مد و التوراة، و فى الأصل: و قال (١٠-١٠) فى ظ و م و مد: فقال (١١) فى الأصل و ظ و م: فهم، و فى مد: فيهم (١٢) فى م و مد: قول - كذا، و عبارة التوراة هنا: و على فمك يقبل جميع شعبى (١٣) سقط من ظ.

من

من خنصره ، فوضعه فى خنصر يوسف عليه الصلاة و السلام ، و ألبسه ثياب كتان ، و طوقه بطوق من ذهب ، و حمله على بعض مراكبه ، و نادى بين يديه [١] : هذا أب و مسلط ، و سلطانه على جميع أرض مصر ، ثم قال فرعون ليوسف عليه الصلاة و السلام : إنى قد أمرت أن لا يكون أحد يشير [٢] بيديه أو يخطو بقدميه دون أمرك فى جميع أرض مصر [٣] . ٥

و دعا فرعون اسم يوسف : [٤]موضح الخفايا[٤] ، و زوجه بأسنة - و فى نسخة : بأسنات - بنت قوطفيرع [٥] إمام إسكندرية - و فى نسخة : [٦]حبر وان[٦] - فخرج يوسف عليه السلام واليا على جميع أرض مصر ، و كان قد أتى على يوسف ثلاثون سنة إذ وقف بين يدى فرعون ، فطاف فى جميع أرض مصر . ١٠

و أغلت [٧] الأرض فى جميع [٨] السبع سنى [٩] الخصب ، ملأ الخزائن و جمع [١٠] الأفقال فى القرى ، جمع قمح [١١] حقول كل قرية و ما أحاط بها فخزنه [١٢] فيها ، [و خزن - [١٣]] يوسف عليه الصلاة و السلام من الأفقال

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : يدى (٢) فى ظ و مد : يسير (٣) سقط من ظ و مد (٤-٤) فى مد : موضع الخفايا ، و فى التوراة : صفنات فعنيح .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قوطيفوع ، و فى التوراة : فوطى فارع .
(٦-٦) فى التوراة : كاهن أون (٧) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : اعلت .
(٨) سقط من م و مد و التوراة (٩) من التوراة ، و فى الأصل : سنين .
(١٠) فى ظ : جميع (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القمح (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فخزن (١٣) زيد من م و مد .

مثل كثيب - و فى نسخة : رمل البحر - كثيرا جدا حتى أعيي [١] إحصاء ذلك فصار غير محصى .

فولد ليوسف [٢] عليه الصلاة و السلام ابنان [٣] قبل دخول سنة الجوع ، ولدت [٤] له أسنة - و فى نسخة : أسنات - بنت قوطيفرع حبر وان ٥ - و فى نسخة : إمام إسكندرية - فدعا يوسف عليه الصلاة و السلام اسم ابنه بكر منشا [٥] ، لأنه قال : إن الله أنسانى جميع تعبي - و فى نسخة : شقائى - و ما كان منه فى بيت أبى ، و سمى الآخر أفرائيم [٦] ، و قال : لأن [٧] الله [٨] كثرنى فى أرض تعبدى ، فنفدت [٩] سنو الشبع الذى كان فى أرض مصر [١٠] ، و بدأت سنو الجوع ليأتى كما قال يوسف عليه الصلاة و السلام . ١٠ فكان الجوع فى [جميع - [١١]] أرض مصر ، و لم يوجد الخبز [١٢] فى جميع أرض مصر ، فجاع جميع أهل مصر ، فضج الشعب على فرعون من [أجل - [١٣]] الخبز . فقال فرعون لجميع المصريين : انطلقوا إلى يوسف

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعصى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يوسف (٣) من م و التوراة ، و فى الأصل و ظ و مد : اثنان . (٤) من م و مد ، و فى الأصل : ولد ، و فى ظ : ولدا (٥) فى التوراة ، منسّى ، و فى روح المعانى ٤/٧٤ : ميشا (٦) من ظ و م ومد و الروح ، و فى الأصل : الرائيم ، و فى التوراة : افرايم (٧) من ظ و م والتوراة ، وفى الأصل و مد : ان (٨) سقط من ظ و م (٩) من م ، و فى الأصل و ظ ومد : فنفذت . (١٠) سقط من ظ (١١) زيد من م و التوراة (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجوع ؛ و نص التوراة يعاكس ما هنا نفيها : و أما جميع أرض مصر فكان فيها خبز (١٣) زيد من ظ و م و مد .

عليه السلام فافعلوا جميع ما يأمركم به .

و لما كان المعنى - كما تقدم : فجعل إليه[1] خزائن الأرض ، / فجاءت السنون المخصبة ، فدبرها بما علمه الله ، ثم جاءت السنون المجدبة[2] / ٦٠ فأجدبت[3] جميع أرض مصر و ما والاها[4] من بلاد الشام و غيرها ، فأخرج ما كان ادخره[5] من غلال سبع سنين بالتدريج أولا فأولا ٥ - كما حد له "العليم الحكيم" فتسامع به الناس فجاؤا للامتيار منه من كل أوب ﴿ و جآء اخوة يوسف ﴾ العشرة لذلك ، و خلف أبوهم بنيامين أخا يوسف عليه السلام لأمه عنده ، و دل على تسهيله إذنهم بالفاء [فقال -[6]] : ﴿ فدخلوا عليه ﴾ أى لأنه كان يباشر الأمور بنفسه كما هو فعل الكفاة الحزمة ، لا يثق فيه بغيره ﴿ فعرفهم ﴾ لأنه كان مرتقبا ١٠ لحضورهم لعلمه بجدب[7] بلادهم و عقد همته بهم . مع كونه يعرف هيئاتهم فى لباسهم [و غيره -[8]] ، و لم يتغير [عليه -[8]] كبير من حالهم ، لمفارقته إياهم رجالا ﴿ و هم له منكرون ﴾ ثابت إنكارهم عريق[9] فيهم وصفهم به ، لعدم خطوره ببالهم لطول العهد[10] ، مع ما تغير عليهم من هيئته بالسن و انضاف إليه من الحشم[11] و الخدم و اللباس و هيئة البلد و هيبة[12] الملك ١٥

(١) من مد ، وفى الأصل وظ وم : الله (٢) من م ومد ، وفى الأصل : الجدبة ، وفى ظ : المجذبة - كذا (٣) فى ظ : فاجذبت (٤) فى ظ : ولاها (٥) من م ، وفى الأصل و ظ ومد : ادخر (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ : بجذب . (٨) زيد من م و مد (٩) فى ظ و مد : غريق (١٠) من م ومد ، و فى الأصل وظ : عهدهم (١١) فى ظ : الشحم (١٢) من م ، وفى الأصل وظ ومد : هيئة .

و عز السلطان، و غير ذلك مما ينكر معه المعروف، و يستوحش لأجله من المألوف، وفق ما قال تعالى "لتنبئنهم بامرهم هذا و هم لا يشعرون[1]".

و الدخول: الانتقال إلى محيط، و المعرفة: تبين[2] الشيء بالقلب بما لو شوهد[3] لفرّق بينه و بين غيره مما ليس على خاص صفته.

٥ و لما كان المعنى فى قوة أن يقال: فطلبوا منه الميرة فباعهم بعد أن استخبرهم عن أمرهم، و قال لهم: لعلكم جواسيس؟ و سألهم عن جميع حالهم، فأخبروه[4] بأبيهم و أخيهم منه، ليعلم صلاحهم و لا يظن أنهم جواسيس، عطف عليه قوله: ﴿و لما جهزهم﴾ أى يوسف عليه الصلاة و السلام ﴿بجهازهم﴾ الذى جاؤا[5] له و قد أحسن إليهم؛

١٠ و الجهاز: فاخر[6] المتاع الذى يحمل من بلد إلى بلد ﴿قال﴾ أى لهم ﴿ائتونى﴾ أيها[7] العصابة ﴿باخ لكم﴾ كائن ﴿من ابيكم ج﴾ يأتى برسالة من أبيكم الرجل الصالح حتى أصدقكم، أو أنهم طلبوا منه لأخيهم حملا، فأظهر أنه لم يصدقهم، و طلب[8] إحضاره ليعطيه، فانه كان يوزع الطعام على قدر الكفاية؛ ثم رغبهم[9] باطلاعهم فى مثل ما فعل بهم من

١٥ الإحسان، و كان قد أحسن نزلهم، فقال مقررا لهم [بما رأوا منه -[10]]:

(١) آية ١٥ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تبيين (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: شهد (٤) فى ظ و مد: فأخبروهم (٥) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فاخرج - كذا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ايتها (٨) زيد بعده فى الأصل و ظ: من، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) فى مد: رعبهم.
(١٠) زيد من ظ و م و مد.

﴿الا ترون﴾ أى تعلمون علما هو كالرؤية ﴿انى اوفى الكيل﴾ أى أتمه دائما على ما يوجبه الحق ﴿و انا خير المنزلين ۝﴾ أضع الشىء فى أولى منازله .

و لما رغبهم ، رهبهم فقال : ﴿فان لم تاتونى به﴾ أى بأخيكم [1]أول قدمة تقدمونها[1] ﴿فلا كيل لكم﴾ و عرفهم أنه لا يظلمهم بأنه لا يمنعهم من غيره[2] فقال : ﴿عندى و لا تقربون ۝﴾ و مع ذلك فلم يخطر ببالهم أنه/ يوسف ، فكأنه قيل : فما قالوا ؟ فقيل : ﴿قالوا سنراود﴾ أى بوعد لاخلف فيه حين نصل[3] ﴿عنه اباه﴾ أى نكلمه فيه و ننازعه الكلام و نحتال[4] عليه[5] فيه ، و نتلطف فى ذلك ، و لا ندع جهدا ؛ ثم أكدوا ذلك - بعد الجملة الفعلية المصدرة[6] بالسين - بالجملة الاسمية المؤكدة بحرفى التأكيد ، فقالوا : ﴿و انا لفعلون ۝﴾ أى ما أمرتنا به و التزمناه ، و قد مضى عند «و راودته» أن المادة - يائية و واوية بهمز و بغير همز - تدور على الدوران ، و من لوازمه القصد و الإقبال و الإدبار و الرفق و المهلة ، و قد مضى بيان غير المهموز ، و أما المهموز فمنه درأه[7] . أى دفعه - لأن المدفوع يرد إلى الموضع الذى أتى منه ، و [المدارأة - [8]] : المدافعة و المنازعة مطلقا ، أى سواء كانت برفق أو بعنف ، ثم كثرت فقصرت

/ ٦١

(١ - ١) من م ، و فى الأصل و ظ : او قدمه يقدمونها ، و فى مد : اول قدم تقدمونها (٢) فى مد : غيرهم (٣) فى ظ : يصل (٤) فى م : يحتال (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المصدرية (٧) فى ظ : داره .
(٨) زيد من م و مد .

على الملاينة ، و يلزم من الدفع حلول المدفوع فى موضع لا يريده بغتة ، و منه : درأ علينا ، أى خرج مفاجاة ، قال[١] القزاز : و أصله من قولهم : جاء السيل درأ ، أى يدرؤ[٢] بعضه بعضا ، و هو الذى يأتى من مكان لا يعلم به ، و اندرأ فلان علينا بالشر - إذا أتى به من حيث لم ندر ، و الدرء : النشوز[٣] ، و هو من الدفع ، و كوكب درىء : متوقد متلألىء - كأن نوره يدفع بعضه بعضا ، و منه درأت النار : أضاءت ، و اندرأ الحريق : انتشر ، و درأ الشىء : بسطه - لأن المبسوط لا يخلو عن دفع ، و تدارؤا[٤] : تدافعوا فى الخصومة ، و درأ البعير : أغد[٥] ، و مع الغدة ورم[٦] فى ظهره ، و ناقة دارئ : مغدة ، و ذلك لأن الغدة ملزومة[٧] للدفع ، لا تنفك عنه بالقتب[٨] و الركب[٩] و غيرهما ، و كل ناتئ فى الجسد هذا شأنه ، و منه الدرء : لقطعة[١٠] من[١١] الجبل مشرقة[١٢] ، و ناقة مدرئ : أنزلت اللبن و أرخت ضرعها عند النتاج - كأنها دفعتها ، و ادّرأت[١٣]

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فان (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يدار - كذا (٣) من ظ و م و مد و التاج ، و فى الأصل : النشور (٤) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : تدارا (٥) فى ظ : اعد (٦) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : و دم (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ملزوم (٨) من م و مد ، و فى الأصل : بالعتب ، و فى ظ : بالتعب . (٩) فى م و مد : الراكب (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : القطعة . (١١) فى م و مد : فى (١٢) فى م : مشرقة (١٣) من م و اللسان ، و فى الأصل و ظ و مد و القاموس : ادارأت - كذا .

الصيد - على ' افتعلت ' : اتخذت له دريئة ، [و قد تقدمت ' الدرية ' فى الواوى ، و منه : ادرأت فلانا - إذا اعتمدته ، و الدره : - [1]] الميل و العوج - لأنه أهل لأن يدفع ليقوم ، و طريق ذو دروء [2] ، أى كور [3] و أخاقيق أى شقوق - فكأنها تدفع صاحبها عن القصد ، و تدرؤا عليهم : تطاولوا - لأن ذلك لا يخلو عن مدافعة كالنشوز [4] ، و يلزم الدفع القوة ، و منه رجل ذو تدرإ ، أى منعة [5] و قوة ، و ردأته [6] بكذا - بتقديم الراء : جعلته قوة له و عمادا يدافع عنه ، و [7] الرده : العون [7] و المادة و العدل الثقيل - لأنه يدافع [8] ليعتدل ، و ردأ الحائط : دعمه ، و ردأه بحجر : رماه [به - [9]] ، لأنه إذا أصابه دفعه ، و الإبل : أحسن القيام عليها [10] ، لأن ذلك لا يكون إلا بمدافعة ، و أردأ [11] الستر : أرخاه ، بدفعه له من المكان الذى كان به ، و أردأ [12] الولد : سكنه و أنسه ، فدفع [13] الهم عنه ، و أردأ الشيء : أقره - كأنه لسلب الدفع ،

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من م (٢) فى ظ : دره (٣) فى الأصول : كسور ، و مبنى التصحيح على التاج (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كالنشور . (٥) من م و التاج ، و فى الأصل و ظ و مد : منعه (٦) من م و مد ، و فى الأصل : دراته ، و فى ظ : درائة - كذا (٧-٧) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : الرد العود (٨) فى ظ : ليدافع ؛ و زيد بعده فيه و فى الأصل : عند ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) زيد من م و مد و القاموس . (١٠) فى ظ : اليها (١١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : ردا . (١٢) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : ارادا (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فدفعه .

وكذا أرداه[1] أى أفسده ، إما بأنه لم يدافعه باحسان القيام عليه[2] فأفسده ، أو أنه زاد فى الدفع حتى فسد ، ومن ذلك أردأ - إذا فعل رديئا ، أى فعلا فاسدا ليس بجيد ، وكأن من[3] ذلك الأدرة - بالضم ساكنة وتحرك - وهى عظم الخصيتين فى الناس / والخيل ؛ [و -[4]] ٦٢ /

٥ من التدافع : ترأدت الحية : اهتزت فى انسيابها[5] ورفعت رأسها ، والريح : اضطربت - فكأن بعضها يدفع بعضا ، ومنه رأد[6] الضحى : ارتفاعه ، وترأد الضحى : ارتفع ، وكذلك الجارية الرأدة والرؤد - بالضم[7] ، أى الناعمة ، وقال القزاز : السريعة الشباب مع حسن غذاء[8] ، وقال ابن دريد : جارية رأدة - غير مهموز : كثيرة[9] المجىء والذهاب ، فاذا

١٠ قلت : جارية رؤدة[10] فهى الناعمة . فاذا فسرت بالذهاب والمجىء فهو من الدوران الذى هو المدار ، وإذا فسرت بالناعمة فهو من الاضطراب اللازم له[3] ، وغصن رؤد - بالضم : رطب - من ذلك ، قال القزاز : وأحسب الجارية الناعمة إنما سميت رؤدا من هذا ، وترأد : اهتز نعمة ، وزيد : قام فأخذته[11] رعدة ، والغصن : تفيأ ، والعنق : التوى - كله

(١) من م ومد والقاموس ، وفى الأصل وظ : اراده (٢) فى ظ : اليه .
(٣) سقط من ظ (٤) زيد من م ومد (٥) من ظ وم ومد والقاموس ، وفى الأصل : انسابها (٦) من ظ وم ومد والقاموس ، وفى الأصل : ردا - كذا (٧) فى ظ : بالرود (٨) من التاج ، وفى الأصل وظ ومد : غدا ، وفى م : عداه (٩) من م وجمهرة اللغة ٣/٢٤١ ، وفى الأصل وظ ومد : كثير (١٠) من الجمهرة ، وفى الأصول : رود (١١) من م ومد والقاموس ، وفى الأصل وظ : فاخذه .

من

من الدوران و ما يلزمه من الاضطراب ، و رئد الإنسان : صديقه ، لأنه يراوده و يداوره ، و الرأدة[1] : أصل اللحى ، و هو أصول منبت الأسنان ، و هو العظم الذى يدور فيه طرفا اللحيين مما يلى الصدغين ؛ و من الرفق و المهلة : الرؤدة - بالضم ، و هى التؤدة[2] .

و لما أعلمنا سبحانه أنه رغبهم فى شأن أخيه ، و رهبهم بالقول ، أعلمنا بأنه رغبهم فيه بالفعل ، فقال عاطفا على قوله الماضى لهم : ﴿و قال﴾ أى يوسف عليه الصلاة و السلام شفقة[3] على إخوته و إرادة[4] لنصحهم فيما سألهم فيه : ﴿لفتيٰنه﴾ أى غلمانه ، و أصل الفتى : الشاب [القوى - [5]] ، و سيأتى شرحه عند قوله تعالى "تفتؤا تذكر يوسف[6]" ﴿اجعلوا بضاعتهم﴾ أى ما بضعوه أى قطعوه من مالهم للتجارة و أخذناه منهم[7] ثمنا لطعامهم الذى دفعناه لهم ﴿ فى رحالهم ﴾ أى عدولهم ؛ و الرحل : ما أعد للرحيل من وعاء أو مركب ﴿ لعلهم يعرفونهآ ﴾ أى بضاعتهم ؛ و عبر بأداة التحقق تفاؤلا لهم بالسلامة ، أو ظنا ، أو علما بالوحى ، فقال[8] : ﴿اذا انقلبوٓا ﴾ راجعين ﴿الىٰٓ اهلهم﴾ أى يعرفون أنها هى بعينها ، رددتها[9]

(١) فى ظ و م : الراد (٢) فى الأصل و ظ : التهم ، و فى م و مد : التهمة ؛ و لم نفز بهذا المعنى فى القواميس الموجودة بأيدينا اللهم إلا أن الفيروزابادى ذكر فى قاموسه أن الرؤدة بالضم : التؤدة . و هذا المعنى كان أكثر انطباقا على الرفق و المهلة فصححناه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شفقته (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اراته (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) آية ٨٥ (٧) فى ظ : منه (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : فقالوا (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وردتها .

عليهم إحسانا [إليهم -[1]] ، و يجزمون بذلك ، و لا يظنون أن الله أخلف عليهم مثلها نظرا إلى حالهم و كرامة[2] لأبيهم ، و يعرفون هذه النعمة لى ﴿لعلهم يرجعون﴾ أى ليكون حالهم حال من يرجع إلينا إذا عرفوها ، لردها تورعا ، أو للمبرة بها إن لم يكن عندهم غيرها[3] ، أو طمعا[4] فى مثل هذا ، و إنما لم يبادر إلى تعريفهم بنفسه و التعجيل بادخال السرور على أبيه ، لأن ذلك غير ممكن عادة - لما يأتى من الحكم البالغة[5] و التدبير المتين ، و دل على إسراعهم فى الرجوع بالفاء فقال : ﴿ فلما رجعوآ ﴾ أى إخوة يوسف عليه الصلاة و السلام ﴿ الى[7] ابيهم﴾ حملهم ما رأوا - من إحسان الصديق[6] و حاجتهم إليه و تبرئتهم لأنفسهم عن أن يكونوا جواسيس - على أن ﴿ قالوا يـٰأبانا ﴾ .

و لما كان المضار لهم/مطلق المنع ، بنوا للمفعول قولهم : ﴿منع منا الكيل﴾ لأخينا بنيامين على بعيره لغيبته ، و لنا كلنا بعد هذه المرة إن لم نذهب به معنا ليظهر صدقنا ؛ و المنع : إيجاد ما يتعذر به على القادر الفعلُ ، و ضده : التسليط ، و أما العجز فضده القدرة ﴿ فارسل ﴾ أى بسبب إزالة هذا المنع ﴿ معنآ اخانا ﴾ إنك إن ترسله معنا ﴿ نكتل ﴾ أى لنفسه كما يكتال كل واحد منا لنفسه - هذا على قراءة حمزة و الكسائى

/٦٣

(١) زيد من م و مد (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : كرامته (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غيها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طعا . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المبالغة (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الصدق .

بالتحتانية [١] ، و لنأوله [٢] على قراءة الجماعة بالنون - من الميرة ما وظفه العزيز ، و هو لكل واحد حمل ، و أكدوا لما تقدم من فعلهم بيوسف [٣] عليه الصلاة و السلام مما يوجب الارتياب بهم ، فقالوا : ﴿ و انا له ﴾ أى خاصة ﴿لحفظون ه ﴾ أى عن أن يناله مكروه حتى نرده إليك . عريقون فى هذا الوصف ، فكأنه قيل : ما فعل فى هذا بعد ما فعلوا إذ [٤] أرسل معهم يوسف عليه الصلاة و السلام ؟ قيل : عزم على إرساله معهم ، و لكنه أظهر اللجاء إلى الله تعالى فى أمره غير قانع بوعدهم المؤكد فى حفظه ، لما سبق منهم من مثله فى يوسف عليه الصلاة و السلام بأن ﴿ قال هل امنكم ﴾ أى أقبل منكم الآن و فى مستقبل الزمان تأمينكم لى فيه مما يسوءنى [٥] تأمينا مستعليا [٥] ﴿ عليه ﴾ أى بنيامين ﴿ الا كما امنتكم ﴾ أى فى الماضى ﴿ على اخيه ﴾ أى يوسف عليه الصلاة و السلام .

و لما كان لم يطلع لهم فى يوسف عليه الصلاة و السلام على خيانة [٦] قبل ما فعلوا به ، و كان ائتمانه لهم عليه إنما هو فى زمان يسير ، أثبت الجار فقال : ﴿من قبل [٦] ﴾ فانكم أكدتم غاية التأكيد فلم تحفظوه لى و لم تردوه إلىّ - و الأمن : اطمئنان القلب إلى سلامة النفس - فأنا فى هذا لا [٧] آمن عليه إلا الله ﴿فالله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿خير حفظا ص ﴾ منكم و من كل أحد ﴿و هو ﴾ أى باطنا و ظاهرا ﴿ارحم الرحمين ه ﴾

(١) راجع نثر المرجان ٣/٢٤٥ (٢) من م ومد ، وفى الأصل : ليوله ، وفى ظ : لياوله (٣) فى م : فى يوسف (٤) فى ظ و مد : اذا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : خيانته (٧) سقط من ظ .

فهو أرحم بى من أن يفجعنى به بعد مصيبتى بأخيه[١] ؛ فأرادوا تفريغ ما قدموا به من الميرة ﴿ و لما فتحوا ﴾ أى [٢]أولاد يعقوب عليه الصلاة و السلام[٢] ﴿متاعهم﴾ أى أوعيتهم التى حملوها من مصر ﴿وجدوا بضاعتهم﴾ أى ما كان معهم من كنعان بشراء القوت .

٥ و لما كان المفرح[٣] مطلق الرد . بنى للمفعول قوله : ﴿ردت اليهم[٤] ﴾ و الوجدان : ظهور الشيء للنفس بحاسة[٤] أو ما يغنى عنها ، فكأنه قيل : ما قالوا ؟ فقيل : ﴿ قالوا ﴾ أى لأبيهم ﴿ يآبانا ما ﴾ أى أىّ شيء ﴿نبغى[٥] ﴾ أى نريد . فكأنه قال لهم : ما الخبر ؟ فقالوا بيانا لذلك و تأكيدا للسؤال فى استصحاب أخيهم : ﴿ هذه بضاعتنا ﴾ ثم بينوا مضمون ١٠ الإشارة بقولهم : ﴿ ردت الينا[٤] ﴾ هل فوق هذا من إكرام .

و لما كان التقدير : فنرجع بها إليه بأخينا ، فيظهر له نصحنا / وصدقنا ، ٦٤/
[بنى عليه قوله - [٥]] : ﴿ و نمير اهلنا ﴾ أى نجلب إليهم الميرة برجوعنا إليه ؛ و الميرة : الأطعمة التى تحمل من بلد إلى بلد ﴿ و نحفظ اخانا﴾ فلا يصيبه شيء مما يخشى عليه ، تأكيدا للوعد بحفظه و بيانا لعدم ضرر فى ١٥ سفره ، و يدل على ما فى التوراة[٦] - من أنه كان سجن أحدهم ليأتوا بأخيهم الأصغر - قوله : ﴿و نزداد كيل بعير[٥] ﴾ أى فيكون جملة[٧] ما نأتى به

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من اخيه (٢-٢) فى م و مد : اولاده .
(٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الفرح (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بحاسته (٥) زيد لاستقامة العبارة (٦) راجع آية ١٩ - الأصحاح الثانى والأربعين من التكوين (٧) فى الأصل و مد : حمله ، و فى ظ : حمله على ، و فى م : جمله - كذا .

بعد الرجوع إليه اثنى عشر حملا ، لكل منا حمل ، و للمسجون حملان - لكرّته[1] الأولى و الثانية ، و ذلك أنه كان لايعطى إلا حملا[2] لكل رأس ، فكأنه ما أعطاهم لما جهزهم غير تسعة أحمال ، فكأنه قيل : و هل[3] يجيبكم إلى ذلك فى هذه الأزمة ؟ فقالوا : نعم ، لأن ﴿ذلك كيل يسير ۞﴾ بالنسبة إلى ما رأينا من كرم شمائله و ضخامة ملكه و فخامة همته ، فكأنه قيل : فما قال[4] لهم ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ أى يعقوب عليه الصلاة و السلام ﴿ لن ارسله ﴾ أى بنيامين كائنا ﴿ معكم ﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿حتى تؤتونِ﴾ من الإيتاء و هو الإعطاء ، أى إيصال الشىء إلى الآخذ ﴿ موثقا ﴾ و هو العقد المؤكد .

و لما كان مراده موثقا ربانيا ، و كان الموثق الربانى - و هو ما كان بأسمائه تعالى لكونه أذن سبحانه فيه و أمر بالوثوق به[5] - كأنه[6] منه ، قال : ﴿ من الله ﴾ أى الملك الأعظم بأيمان عظيمة : و الله ﴿ لتاتنى﴾ كلكم ﴿ بهِ ﴾ من الإتيان ، و هو المجىء فى كل حال ﴿ الآ ﴾ فى حال ﴿ان يحاط﴾ أى تحصل الإحاطة بمصيبة من المصائب ، لا طاقة لكم بها ﴿بكم ج﴾ فتهلكوا من عند آخركم ، كل ذلك زيادة فى التوثق[7] ، لما حصل له من المصيبة بيوسف عليه الصلاة و السلام و إن كان الاعتماد فى حفظه إنما هو على الله ، و هذا من باب " اعقلها و توكل[8] " فأجابوه إلى

(١) فى الأصل ومد : لكربة ، و فى ظ و م : لكونه (٢) فى مد : حملان (٣) فى ظ : هو (٤) فى ظ : قالوا (٥) فى ظ : إليه (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : كان. (٧) من م ومد ، وفى الأصل وظ : التوقف (٨) راجع رواية أنس بن مالك =

جميع ما سأل ﴿ فلمآ اٰتوه ﴾ أى أعطاه بنوه ﴿موثقهم قال الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿على ما نقول وكيل ه ﴾ هو القادر على الوفاء به المرجو للتصرف فيه بالغبطة ، [1]لا أنتم[1] .

ولما سمح لهم بخروجه معهم ، أتبع تعالى ذلك الخبر عن أمره لهم بالاحتياط من المصائب لأنهم أحد عشر رجلا إخوة أهل جمال و بسطة ، و كانوا قد شهروا[2] عند المصريين بعض الشهرة ، بسبب ما دار بينهم و بين يوسف عليه الصلاة و السلام من الكلام فى المرة الأولى ، فكانوا[3] مظنة لأن ترمقهم[4] الأبصار و يشار إليهم بالأصابع ، فيصابوا بالعين ، و لم يوصهم فى المرة الأولى ، لأنهم كانوا مجهولين ، مع شغل الناس بما هم فيه من القحط ، فقال حكاية عنه : ﴿ و قال ﴾ أى يعقوب عليه الصلاة و السلام لبنيه عند ما أرادوا السفر : ﴿ يٰبنى ﴾ - محذرا[5] لهم من شر الحسد و العين - ﴿ لا تدخلوا ﴾ إذا قدمتم إلى مصر ﴿ من باب واحد ﴾ من / أبوابها ؛ و الواحد على الإطلاق : الذى لاينقسم ، و أما المقيد باجرائه على موصوف كباب واحد ، فهو ما لاينقسم فى معنى ذلك الموصوف ﴿ و ادخلوا من ابواب ﴾ و احترز[6] من أن

/٦٥

= فى أواخر أبواب القيامة من جامع الترمذى .

(١-١) فى ظ : لانتم (٢) من م ، و فى الأصل وظ ومد : سهروا (٣) فى ظ : فكانه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ترمعهم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : محذورا (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : احترزوا .

تكون[1] متلاصقة أو متقاربة جدا ، فقال : ﴿متفرقة[1]﴾ أى تفرقا كبيرا ، و هذا حكم التكليف لئلا يصابوا[2] بالعين - كما نقله الرمانى عن ابن عباس رضى الله عنهما و الحسن و قتادة و الضحاك و السدى ، فان العين حق ، و هى من قدر الله ، و قد ورد شرعنا بذلك ، ففى الصحيحين و غيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال « العين حق - و فى رواية عند أحمد و ابن ماجه[3] : يحضرها الشيطان و حسد[4] ابن آدم » و لمسلم[5] و الترمذى[6] و النسائى[7] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : العين حق ، و لو كان شىء سابق القدر لسبقته[8] العين ، و إذا استغسلتم فاغسلوا . و لأبى نعيم[9] فى الحلية عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال « إن العين لتدخل الجمل القدر و الرجل القبر » و لأبى داود عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه و سلم قال « و إنها لتدرك الفارس فتدعثره[10] »

(١) فى ظ و مد : تكونوا (٢) فى م : تصابوا (٣) هذه الرواية أوردها الإمام أحمد فى مسنده ٤٣٩/٢ ، و أما ابن ماجه فلم نجدها فى سننه بالرغم من توغلنا فى مظانها (٤) من ظ و م و مد و المسند ، و فى الأصل : حسن - كذا (٥) فى باب الطب و المرض و الرقى من كتاب السلام (٦) فى باب ما جاء فى الرقية من العين من كتاب الطب (٧) هذه الرواية لم نفز بها فى سنن النسائى غير أن ابن ماجه قد أوردها فى باب العين من كتاب الطب بما يقارب سياق الترمذى . (٨) من م و مد و جامع الترمذى ، و فى الأصل : لسبقت ، و فى ظ : لسبقه ، و فى صحيح مسلم و سنن ابن ماجه : سبقته (٩) فى ظ : لأبى داود (١٠) هذا الحديث أورده أبو داود فى باب الغيل من كتاب الطب ، لا فى باب العين منه.

و لأحمد و الترمذى عن أسماء بنت عميس رضى الله عنها أن النبى[1] صلى الله عليه و سلم قال « لو كان شىء سابق القدر لسبقته العين » . قال الإمام الرازى : و منشأ إصابة العين توهم النفس الخبيثة هلاك من تصيبه . و قد تقدم معنى ذلك[2] فى رواية أحمد و ابن ماجه من حديث أبى هريرة مع انضمام حضور الشيطان ، و هذا الاحتياط من باب الأخذ بالأسباب المأمور بها ، لأنها من القدر . لا من باب التحرز من القدر ، كما روى[3] مسلم[4] و أحمد[5] و ابن ماجه[6] عن أبى هريرة رضى الله عنه[7] أن النبى صلى الله عليه و سلم قال « المؤمن القوى خير و أحب إلى الله من الضعيف . و فى كل خير احرص على ما ينفعك ، و استعن بالله و لا تعجز ، و إن أصابك شىء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا و كذا ، و لكن قل : قدر الله و ما شاء فعل ، فان ' لو ' تفتح عمل الشيطان[8] » . معناه - و الله أعلم : افعل فعل[9] الأقوياء ، و لا تفعل فعل العجزة ، و ذلك بأن تنعم[10] النظر ، تمعن فى التأمل[11] و تتأنى ، حتى تعلم المصادر و الموارد ، فلا[12] تدع شيئا يحتمل أن ينفعك فى الأمر الذى أنت مقبل

(١) فى ظ : رسول الله (٢) زيدت الواو بعده فى ظ (٣) زيد بعده فى ظ : عن (٤) فى باب الإيمان بالقدر و الإذعان له من كتاب القدر (٥) فى المسند ٢/٣٦٦ (٦) فى باب القدر من المقدمة (٧) العبارة من «مسلم و أحمد» إلى هنا ساقطة من مد (٨) و هذا الحديث سياقه لابن ماجه و فيه بعض اختلافات و زيادات بالنسبة لما رواه مسلم و أحمد (٩) سقط من ظ و مد (١٠) فى ظ : تمعن (١١) فى ظ : التاويل (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و لا .

عليه و لا[1] يضرك إلا فعلته ، و لا تدع أمرا يمكن أن يضرك إلا تركته و احترزت[2] منه جهدك ، فانك إذا فعلت ذلك [و أتى أمر من عند الله بخلاف مرادك كنت جديرا بأن لا تقول فى نفسك : لو أنى فعلت كذا - [3]] ، فانك لم تترك شيئا ، و أما إذا فعلت فعل العجزة ، و تركت الجزم[4] فما أوشك أن تؤتى من قبل ترك الأسباب ، فما أقربك إلى أن تقول ما يفتح / عمل الشيطان من[5] 'لو' . ٥ / ٦٦

و لما خاف أن يسبق من[6] أمره هذا إلى[7] بعض الأوهام أن الحذر يغنى من[8] القدر ، نفى ذلك مبينا أنه لم يقصد غير تعاطى الأسباب على ما أمر الله و أن الأمر بعد ذلك إليه : إن شاء سبب عن الأسباب مسبباتها ، و إن شاء أبطل تلك الأسباب و أقام أسبابا تضادها و يتأثر عنها المحذور[9] ، فقال : ﴿و ما أغنى﴾ أى أجزى و أسد[10] و أنوب ﴿عنكم من الله﴾ أى بعض أمر الملك الأعظم ، و عمم[11] النفى فقال : ﴿من شىء﴾ أى إن أراد بكم ، سواء[12] كنتم مفترقين أو مجتمعين ، و هذا حكم التقدير ، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ان﴾ أى ما ﴿الحكم﴾ و هو ١٠

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احرزت (٣) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٤) فى م : الحزم (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ «و» (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عن (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٨) سقط من ظ (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجذور (١٠) فى ظ و م : اشد (١١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : هم (١٢) فى ظ : سوء .

فصل الأمر بما تدعو إليه الحكمة ﴿ الا لله ﴾ أى الذى له الأمر كله، لا يقدر أحد سواه على التفصى عن شىء من مراده و الفرار من شىء من قدره، و لهذا المعنى - و هو أنه لا ينفع أصلا سبب إلا بالله - أنزل الله التسمية مقرونة بهاء السبب أول كتابه، و أمر بها أول كل شىء؛

٥ و روى أبو نعيم فى الحلية[١] فى ترجمة إمامنا الشافعى بسنده إليه ثم إلى على ابن أبى طالب رضى الله عنه أنه خطب[٢] الناس يوما فقال فى خطبته: و أعجب ما فى الإنسان قلبه، و له مواد من الحكمة و أضداد من خلافها، فان سنح له الرجاء أولهه[٣] الطمع، و إن هاج به الطمع أهلكه الحرص، و إن ملكه اليأس[٤] قتله الأسف، و إن عرض له الغضب اشتد به الغيظ،

١٠ و إن أسعد بالرضى نسى التحفظ، و إن ناله الخوف شغله الحزن، و إن أصابته مصيبة قصمه الجزع، و إن أفاد مالا أطغاه الغنى، و إن عضته[٥] فاقة شغله البلاء، و إن أجهده الجوع[٦] قعد به[٦] الضعف[٧]، [٨]و إن أفرط به الشبع كظته البطنة[٨]، فكل تقصير به مضر[٩]. و كل إفراط [له -[١٠]] مفسد. قال: فقام[١١] إليه رجل ممن كان شهد معه الجمل، فقال:

---

(١) راجع منثور كلامه و مأثور حكمه من الحلية غير أن هذه الرواية سقطت من مطبوعة الخانجى و فزنا بها فى نسخة أخرى (٢) زيد بعده فى مد: النبى صلى الله عليه و سلم (٣) من م، و فى الأصل و ظ: اولهمه، و فى مد: اذله، و فى الحلية: ادلهمه - كذا (٤) فى ظ: الباس (٥) فى مد: غضته (٦-٦) من م و الحلية، و فى الأصل و ظ و مد: تعد - كذا (٧) فى ظ: الضعيف (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩) من ظ و م و الحلية، و فى الأصل و مد: مصر (١٠) زيد من م و مد و الحلية (١١) من م و الحلية، و فى الأصل و ظ و مد: فقال:

يا أمير المؤمنين ؟ أخبرنا[1] عن القدر، فقال: [بحر عميق فلا تلجه، فقال: يا أمير المؤمنين ! أخبرنا عن القدر، فقال: بيت مظلم فلا تدخله، فقال: يا أمير المؤمنين ! أخبرنا عن القدر، فقال -[2]] : سر الله فلا تتكلفه[3]، فقال: يا أمير المؤمنين ! أخبرنا عن القدر، فقال: أما إذا أبيت فانه أمر بين أمرين، لا جبر و لا تفويض، فقال[5]: يا أمير المؤمنين ! إن فلانا يقول بالاستطاعة و هو حاضرك، فقال: علىّ به ! فأقاموه، فلما رآه سل من سيفه قدر أربع أصابع فقال: الاستطاعة تملكها مع الله أو من دون الله ؟ و إياك أن تقول أحدهما فترتد فأضرب[7] عنقك ! فقال: فما أقول يا أمير المؤمنين ؟ قال[8]: قل: أملكها بالله الذى إن شاء ملكنيها. و سيأتى إن شاء [الله تعالى -[9]] فى سورة الحج عند " ان الله يفعل ما يشاء[10] " ما يتصل بهذا.

و لما قصر الأمر كله[11] عليه سبحانه، وجب رد كل أمر إليه، و قصر النظر عليه، فقال منبها على ذلك: ﴿عليه﴾ أى على الله وحده الذى ليس الحكم

(١) من م و مد و الحلية، و فى الأصل و ظ: اخبر (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد و الحلية (٣) من الحلية، و فى الأصول: فلا يتكلفه (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ و مد، و لم تكن فى م و الحلية فحذفناها (٥) فى م و مد: قال. (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد و الحلية فحذفناها (٧) من م و مد و الحلية، و فى الأصل و ظ: فتضرب (٨) فى ظ: فقال (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) آية ١٨ (١١) من م و مد، و فى الأصل: قرر، و فى ظ: قص (١٢) زيد بعده فى الأصل: لله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

إلا له ﴿توكلت ج﴾ أى جعلته وكيلى فرضيت بكل ما يفعله[1] ﴿وعليه﴾ أى
وحده ﴿فليتوكل المتوكلون ه﴾ أى الثابتون فى / باب التوكل ، فان ذلك ٦٧ /
من أعظم الواجبات ، من فعله فاز ، و من أغفله خاب ، ثم إنه سبحانه
صدق يعقوب فيما قال ، مؤكدا لما أشار إلى اعتقاده ، فقال: ﴿ و لما﴾
٥ و عطفه بالواو يدل على أنهم ما أسرعوا الكرة فى هذه المرة خوفا من
أن يقول لهم : لم يفرغ ما عندكم حتى تضطروا إلى الاستبدال[2] به ،
و الزمان زمان رفق ، لا زمان تبسط ﴿دخلوا﴾ أى إخوة يوسف عليه
الصلاة و السلام عند وصولهم إلى مصر ﴿من حيث امرهم﴾ أى به
﴿ابوهم[3]﴾ من أبواب متفرقة ، قالوا : و كان[4] لمصر أربعة أبواب ﴿ما كان﴾
١٠ ذلك الدخول ﴿يغنى﴾ أى يدفع و يجزى ﴿عنهم من الله﴾ أى الملك
الأعلى الذى لاراد لأمره ، و أعرق فى النفى فقال: ﴿من شىء﴾ كما
تقدم من قول يعقوب عليه الصلاة و السلام ﴿الا حاجة﴾ أى شيئا
غير أتم[5] حاجة ﴿فى نفس يعقوب﴾ و هو الدخول على ما أمر به
شفقة عليهم ﴿قضٰها[6]﴾ يعقوب ، و أبرزها من نفسه إلى أولاده ، فعملوا
١٥ فيها بمراده فأغنى عنهم ذلك الخلاص من عقوق أبيهم فقط ، [فانهم
ابتلوا فى هذه السفرة بأمر عظيم لم يجدوا منه خلاصا ، و هو نسبهم إلى
السرقة ، و أسر أخيهم منهم[6]] ، قال أبو حيان[7] : و فيه حجة لمن زعم
أن ' لما ' حرف وجوب لوجوب ، لا ظرف زمان بمعنى ' حين ' ، إذ

(١) فى م : يفعل (٢) فى مد : الاستدلال (٣) فى ظ : ما كان (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اثم (٥) فى م : هى (٦) زيد ما بين الحاجزين من مد (٧) راجع البحر ٥/٣٢٥ .

لو

لو كان ظرف زمان ما جاز أن يكون معمولا لما بعد 'ما' النافية - انتهى .

و لما كان ذلك ربما أوهم[1] أنه لا فائدة فى الاحتياط ، أشار تعالى إلى رده بمدح يعقوب عليه الصلاة و السلام ، حثا[2] على الاقتداء به فى التسبب مع اعتقاده أن الأمر بيد الله فقال : ﴿و انه﴾ أى يعقوب عليه الصلاة و السلام [مع - ٣] أمره لبنيه بذلك ﴿لذو علم﴾ أى معرفة بالحكمين : حكم التكليف ، و حكم التقدير ، و اطلاع[4] على الكونين عظيم ﴿لما﴾ أى للذى ﴿علمنه﴾ إياه من أصول الدين و فروعه ، و يجوز أن يكون المعنى : لذو علم لأجل تعليمنا إياه . فاقتدوا به فى الاحتياط فى تعاطى الأسباب ، مع اعتقاد أنه لا أثر لها إلا أن أمضاها الواحد القهار ، فبهذا التقدير يتبين أن الاستثناء متصل ، و فائدة إبرازه - فى صورة الاستثناء عند من جعله منقطعا - الإشارة إلى تعظيم يعقوب[5] عليه الصلاة و السلام ، و أنه جدير بان يكون ما يأمر به مغنيا ، لأنه من أمر الله ، فلو كان شيء يغنى من قدر الله لأغنى ما أشار به ، و إنما فسرت " يغنى " بـ'يدفع' لأن مادة 'غنى' - بأى ترتيب كان - تدور على الإقامة ، فيكون 'أغنى' للسلب ، و هو معنى الدفع ، بيانه أن غنى بمعنى أقام ، و عاش ، و لقى ، و مغنى الدار : موضع الحلول ، و يلزم من الإقامة الكفاية و التمول ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اوهم (٢) من م و مد ، و فى الأصل : ثم حث ، و فى ظ : حث (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ : اطاع (٥) فى ظ : يوسف .

لأن الفقير منزعج مضطرب، و الغنى - كالى : التزوج[1]، و إذا فتح مد، و الاسم الغنية - بالضم، و ذلك لأن التزوج / لازم الإقامة، و الغانية : المرأة تُطلب و لا تَطلُب، أو[2] الغنية بحسنها[3] عن الزينة، أو الشابة المتزوجة، او الشابة العفيفة ذات زوج كانت أم لا، و مثلها يلزم المنزل و يقصر في الخيام، و أغنى عنه غناء فلان : ناب عنه منابه[4] و أجزأ مجزأه، و حقيقته جعل إقامة كذا متجاوزة عنه، فالمفعول محذوف، فاذا قال مثلا : فلان أغنى عنى فى الحرب، كان المعنى : أغنى عنى ضرب الأبطال أو شدة الحرب، [أى -[5]] أزال إقامة[6] ذلك عنى فجعله متجاوزا، و لا شك أن معنى ذلك : دفعه عنى، و كذا كل ما كان من ذلك، و ما فيه غناء ذاك، أى إقامته[7] و الاضطلاع[8] به، و يلزم أيضا - من الإقامة التى هى المدار و الكفاية التى هى سببها - الغناءُ - بالكسر و المد، و هو التطريب بالصوت، و الغناء أيضا : الرمل - لإقامته، و غنى بالمرأة : تغزل، أى نظم فيها الغزل، و غنى بزيد[9] : مدحه أو هجاه - من لوازم الإقامة و الكفاية، و منه غُنى الحمام : صوت؛ و[10] نغى - كرمى[10] : تكلم[11]

٦٨ /

(١) فى م : التروح، و فى القاموس : التزويج (٢) من القاموس، و فى الأصول « و » (٣) فى ظ : بحسنها (٤) سقط من م (٥) زيد من م (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اقامه (٧) من م و القاموس، و فى الأصل و ظ و مد : اقامة (٨) فى ظ : الاضطجاع، و فى مد : الاطلاع - كذا (٩) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل : يريد (١٠ - ١٠) من م و القاموس، و فى الأصل : نفى كرما، و فى ظ و مد : نفى كرى - كذا (١١) فى مد : يكلم.

بكلام يفهم[١] - لأن ذلك يسكن الخاطر عن القلق[٢]. و منه المناغاة - و هى تكليم الصبي بما يهوى ، و نغيت إليه نغية ، أى ألقيت إليه كلمة ، و النغية - كالنغمة[٣] : أول الخبر قبل أن تستثبته ، من تسمية الجزء باسم الكل ، و[٤] ناغاه : داناه[٤] ، و منه الموج[٥] يناغى السماء - إذا ارتفع ، و ناغاه : باراه أى عارضه ، و المرأة : غازلها[٦] ، أى حادثها - كل ذلك من لوازم الإقامة ؛ و الغين : حرف هجاء مجهور[٧] مستعلٍ - كأنها[٨] لقوتها مقيمة فى مخرجها[٩] غير متزعزعة[٩] عنه كالراء و الحروف الهوائية و غيرها ، و الغين : العطش - لأنه الأصل لاقتضاء الحرارة له و الرىّ حادث ، و الغين : الغيم - لإقامته[١٠] فى الهواء ، و الغينة : أرض - لأنها موضع الإقامة ، و الأشجار الملتفة بلا ماء ، هى أيضا موضع لذلك ، لأنها ظليلة و لا ماء بأرضها يمنع من الانتفاع[١١] بشىء من ظلها ، و الغيناء : الخضراء[١٢] من الشجر ، و بئر ، و بالقصر : قنة ثبير من الأثبرة السبعة[١٣] - لأن ذلك كله موضع

(١) من القاموس ، و فى الأصول : مفهم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الخلق (٣) زيدت الواو بعده فى الأصول ، و لم تكن الزيادة فى القاموس فحذفناها (٤-٤) من م و مد ، و الأصل : ناشاه ناداه ، و فى ظ : ناغاه ناداه - كذا (٥) من م و التاج ، و فى الأصل و ظ و مد : المرج (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : غادلها (٧) فى ظ : مهجور (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لانها (٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فتزعزعه - كذا . (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لاقامة (١١) فى الأصول : الانتفاء . (١٢) فى ظ : الخضر (١٣) من م والقاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : الشبعة .

للاقامة ، و لعل قنـــة هذا الجبل كثيرة[1] الشجر فترجع إلى الشجرة ، و الأغين : الطويل - إما تشبيه بقنة[2] الجبل ، أو بالشجرة ، و الغانة[3] : حلقة رأس الوتر فى القوس ، و غين عـلى قلبه : غطى عليه أى أقام عليه ساترا له فصار كالسماء بالنسبة إلى الغيم[4] ، و منه غين عليه - إذا تغشته الشهوة و ألبس أو غشى عليه ، أو أحاط به الرين[5] و هو الطبع و الدنس . و الغينة - بالكسر : الصديد و ما سال من الميت - كأنه من سلب الإقامة ، و كذا الغين - بالكسر - لموضع كثير الحمى ، [و -[6]] غانت نفسى تغين : غثت[7] . و الإبل : غامت[8] . أى حصل لها داء كالقلاب غير أنه لا يقتل - انتهى[9] .

و لما كان قد يظن أن كل أحد يكون كذلك . أى يعلم ما [علمه -[10]] ، نفى ذلك سبحانه [بقوله -[11]] : ﴿ و لكن اكثر الناس ﴾ أى لاجل ما لهم من الاضطراب ﴿ لا يعلمون ع ﴾ / أى ليسوا بذوى علم [لما علمناهم -[12]] لإعراضهم عنه و استفراغ قواهم فى الاهتمام بما وقع

/ ٦٩

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : كثير (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بقية - كذا (٣) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : الغاية . (٤) فى ظ : القيم (٥) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : الدين . (٦) زيدت الواو من القاموس (٧) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : غنت (٨) من م و القاموس ، و فى الأصل : غانت ، و فى ظ و مد : عامت - كذا (٩) سقط من ظ و م و مد (١٠) زيد من م و مد غير أن فى مد : علم . (١١) زيد من م (١٢) زيد من م و مد .

التكفل لهم به من أحوال الدنيا، و مغالبة فطرهم القويمة السليمة بردها إلى ما تدعو إليه الحظوظ و الشهوات حتى لا يكون فيها طب[1] مخلوق .

و لما أخبر تعالى عن دخولهم إلى البلد، أخبر عن دخولهم لحاجتهم إلى يوسف عليه الصلاة و السلام فقال: ﴿ و لما دخلوا ﴾ أى بنوه عليه الصلاة و السلام ﴿على يوسف﴾ فى هذه القدمة الثانية ﴿آوى[2] اليه اخاه﴾ ٥ شقيقه بنيامين بعد أن قالوا له: هذا أخونا الذى أمرتنا به قد أحضرناه، فقال: أصبتم، و ستجدون ذلك عندى؛ و الإيواء: ضم[2] النفس بالتصيير[3] إلى موضع الراحة، و سبب إيوائه[4] إليه أنه أمر كل اثنين منهم أن يأكلوا على حدة، فبقى بنيامين بلا ثان، فقال: هذا يأكل معى، ثم قال ليا: [و - ٥] كل اثنين منكم فى بيت من خمسة أبيات ١٠ أفردها[6] لهم، و هذا الوحيد[7] يكون معى فى بيتى، و هذا التفريق موافق لما أمرهم به أبوهم فى تفريق الدخول، فكأنه قيل: ما ذا قال له[8]، هل أعلمه بنفسه أو كتم ذلك عنه كما فعل بسائر إخوته؟ فقيل: بل ﴿ قال ﴾ معلما له، لأنه لا سبب يقتضى الكتم [عنه - ٩] - كما سيأتى بيانه. مؤكدا لما للأخ من إنكاره لطول غيبته و تغير أحواله و قطع ١٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: طلب (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ضب (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالتصبر (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: ايواوه (٥) زيدت الواو من م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: افرها (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التوحيد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لهم (٩) زيد من م .

الرجاء منه : ﴿انى انا اخوك﴾ : يوسف[١] : ثم سبب عن ذلك قوله[٢] : ﴿فلا تبتئس﴾ أى تجتلب[٣] البؤس ، و هو الكراهة و الحزن ﴿بما كانوا﴾ أى سائر الإخوة ، كونا هم راسخون فيه ﴿يعملون ۝﴾ مما يسوءنا و إن زعموا أنهم بنوا ذلك العمل على علم ، و قد جمعنا الله على خير ما يكون عليه الاجتماع ، و لا تعلمهم بشيء من ذلك ، ثم إنه ملأ لهم أوعيتهم كما أرادوا ، و كأنه فى المرة الأولى أبطأ فى تجهيزهم ليتعرف أخبارهم[٤] فى طول المدة من حيث لا يشعرون ، و لذلك لم يعطف بالفاء ، و أسرع فى تجهيزهم فى هذه المرة قصدا إلى انفراده بأخيه من غير رقيب بالحيلة التى دبرها ، فلذلك أتت الفاء[٦] فى قوله : ﴿فلما جهزهم﴾ أى أعجل جهاز[٧] و أحسنه ﴿بجهازهم﴾ و يؤيده "فلما جاء امرنا[٨]" فى قصتى صالح و لوط عليهما الصلاة و السلام - كما مضى فى سورة هود عليه الصلاة و السلام ﴿جعل﴾ أى بنفسه أو بمن أمره ﴿السقاية﴾ التى له ، و هى إناء يسقى به ﴿فى رحل اخيه﴾ شقيقه ، ليحتال بذلك على إبقائه [٩]عنده مع[٩] علمه بأن البصير لا يقضى بسرقته بذلك ، مع احتمال أن يكون الصواع دس فى رحله بغير علمه كما فعل ببضاعتهم فى المرة الأولى ، و أما غير البصير فضرر ثبوت ذلك فى ذهنه مفتقر لأنه [١٠]يسير[١١] بالنسبة إلى ما يترتب

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : كونا هم راسخون ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) فى ظ : تجلب (٤) فى ظ : اجنادهم . (٥) العبارة من هنا إلى « أتت الفاء » ساقطة من ظ (٦) من م و مد ، و فى الأصل : بالفاء (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جهازهم (٨) آية ٦٦ و ٨٢ . (٩-٩) فى ظ : عند من (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لا (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يشير .

عليه من النفع من ألف إخوته بيوسف عليه الصلاة و السلام / و زوال / ٧٠
وحشتهم منه باقامته عنده - كما سيأتى مع مزيد بيان - هذا مع تحقق
البراءة عن قرب ، فهو من باب ارتكاب أخف الضررين ، ثم أمهلهم حتى[1]
انطلقوا ، ثم أرسل إليهم فحبسوا ﴿ ثم ﴾ أى بعد انطلاقهم و إمعانهم فى
السير ﴿ اذن ﴾ أى أعلم فيهم بالنداء ﴿ مؤذن ﴾ قائلا[2] برفيع صوته و إن ٥
كانوا فى غاية القرب منه - بما دل عليه إسقاط الأداة : ﴿ ايتها العير ﴾ أى
أهلها ، و أكد لما لهم من الإنكار ﴿ انكم لسرقون * ﴾ أى ثابت لكم ذلك
لا محالة حقيقة بما فعلتم فى حق[3] يوسف عليه الصلاة و السلام ، أو مجازا
بأنكم فاعلون فعل السارق - كما سيأتى بيانه آنفا ، مع أن هذا النداء
ليس من قول يوسف عليه الصلاة و السلام ، و يحتمل أن لا يكون بأمره ١٠
حتى يحتاج إلى تصحيحه ، بل يكون قائله فهم ذلك[4] من قوله عليه السلام :
صواعى مع الركب ، أو كأنهم أخذوا صواعى فاذهب فأتنى[5] به أو بهم[5] -
و نحو ذلك مما هو حق فى نفسه ؛ و العير : القافلة التى فيها الأحمال ،
و الأصل فيها الحمير ، ثم كثر حتى أطلق على كل قافلة تشبيها بها ، و قد
تضمنت الآية البيان[6] عما يوجبه التلطف فى بلوغ المراد من إيقاع الأسباب ١٥
التى تؤدى إليه [7]و تبعث عليه[7] بظاهر جميل و باطن حق مما يخفى على كثير
من الناس موقعه ، و يشكل عليه وجهه ، لأنه أنفذ له و أنجح للمطلوب منه ،

(١) فى ظ : ثم (٢) فى ظ : قائما (٣) فى م : امر (٤) فى ظ : فيه (٥-٥) فى م و مد : بهم أو به (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البان (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى مد .

فكأنه قيل : إن هذه لتهمة عظيمة ، فما قالوا فى جوابها ؟ فقيل[١] : ﴿ قالوا ﴾ فى جواب الذين لحقوهم ﴿ و ﴾ الحال أن آل إسرائيل ﴿ اقبلوا ﴾ و دل - على أن الذين لحقوهم كانوا جماعة المؤذن أحدهم ، كما كما هو شأن ذوى الرئاسة إذا أرسلوا فى مهم - بالجمع فى قوله[٢] : ﴿ عليهم ﴾ أى على جماعة الملك : المنادى و غيره ﴿ ما ذا تفقدون ﴾ مما يمكننا أخذه ﴿ قالوا نفقد ﴾ و كأن السقاية كان لها اسمان ، فعبروا هنا بقولهم : ﴿ صواع الملك ﴾ و الصواع : الجام[٣] يشرب فيه ﴿ و لمن جآء به ﴾ أى أظهره و رده من غير تفتيش و لا عناء ﴿ حمل بعير ﴾ و هو بالكسر : قدر من المتاع مهيأ لأن يحمل على الظهر ، و أما الحمل فى البطن فبالفتح ﴿ و انا به زعيم ﴾ أى ضامن و كفيل[٤] أوديه إليه ، و إفراد الضمير تارة و جمعه أخرى دليل على أن القائل واحد ، و أنه نسب إلى الكل لرضاهم به ، و فى الآية البيان عما يوجبه حال بهت الإنسان للتثبت فى الأمر و ترك الإسراع إلى ما [لا - [٥]] يجوز من القول ، فكأنه قيل : فما قال إخوة يوسف ؟ قيل : ﴿ قالوا ﴾ قول البرىء ﴿ تالله ﴾ أى الملك الأعظم فأقسموا[٦] قسما مقرونا بالتاء ، لأنها يكون فيها التعجب غالبا ، قال الرمانى : لأنها لما كانت نادرة فى أدوات القسم جعلت / للنادر من المعانى ، [و النادر من المعانى - [٧]] يتعجب منه ، و قال[٨] : إنها بدل من الواو ،

٧١ /

(١) فى م و مد : قيل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : قولهم (٣) فى ظ : الجام (٤ - ٤) فى ظ : كافل و ضمين (٥) زيد من م (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما قسموا (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، =

و [الواو -[1]] بدل من الباء، فهى بدل من بدل، فلذلك ضعفت عن التصريف فى سائر الأسماء، ثم أكدوا براءتهم بقولهم: ﴿لقد علمتم﴾ أى بما جربتم من أمانتنا قبل هذا فى [2]كرتى مجيئنا[2] ﴿ما جئنا﴾ وأكدوا النفى باللام فقالوا: ﴿لنفسد﴾ أى نوقع الفساد ﴿فى الارض و﴾ لقد علمتم ﴿ما كنا﴾ [أى بوجه من الوجوه -[3]] ﴿سرقين ۝﴾ أى موصوفين بهذا الوصف قط، بما رأيتم من أحوالنا: من ردنا[4] بضاعتنا التى وجدناها فى رحالنا و غير ذلك مما[5] عاينتم من شرف فعالنا مع علمنا بانها خُلق لنا لا تصنّع يظهر لبعض الأذكياء[6] بأدنى تأمل، فكأنه قيل: فما قال الذين من جهة العزيز؟ قيل: ﴿قالوا﴾ قول واثق بأنه فى رحالهم: ﴿فما جزآؤه﴾ أى الصواع ﴿ان كنتم كٰذبين ۝﴾ فى تبرئكم من السرقة؛ و الجزاء: مقابلة العمل بما يستحق عليه من خير أو شر ﴿قالوا﴾ وثوقا منهم بالبراءة و إخبارا بالحكم عندهم ﴿جزآؤه﴾ أى الصواع ﴿من﴾ . و لما كان العبرة بنفس الوجدان، بنوا للمفعول قولهم: ﴿وجد فى رحله﴾ و لتحققهم البراءة علقوا الحكم على مجرد الوجدان لا السرقة؛ ثم أكدوا ذلك بقولهم: ﴿فهو جزآؤه[7]﴾ أى ليس غير،

و فى الأصل: قيل.

(١) زيد من م (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: كرتى مجيئتنا، و فى مد: كثرتى مجيئنا (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى مد: رد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: بما (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاذيا - كذا.

فكأنه قيل : [هل -[1]] هذا أمر أحدثتموه الآن أو[2] هو مشروع لكم ؟ فقالوا : ﴿ كذلك ﴾ أى [بل -[3]] هو سنة[4] لنا ، مثل ذلك الجزاء الشديد ﴿ نجزى الظلمين ﴾ أى بالظلم دائما . نرقه[5] فى سرقته ؛ فحينئذ فتش أوعيتهم ﴿ فبدأ ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه بدأ المؤذن أو غيره ٥ ممن أمر بذلك ﴿ باوعيتهم ﴾ .

و لما لم يكن - بين فتح أوعيتهم و فتح وعاء أخيه - فاصل يعد فاصلا ، فكانت بداءته بأوعيتهم مستغرقة لما بينهما من الزمان ، لم يأت بجار ، فقال : ﴿ قبل وعآء اخيه ﴾ أى أخى يوسف عليه الصلاة و السلام شقيقه ، إبعادا عن التهمة ﴿ ثم ﴾ [أى بعد تفتيش أوعيتهم و التأنى فى ١٠ ذلك -[1]] ﴿ استخرجها ﴾ أى أوجد إخراج السقاية[6] التى تقدم أنه[7] جعلها فى وعاء أخيه ﴿ من وعآء اخيه[8] ﴾ .

و لما كان هذا كيدا عظيما فى أخذ أخيه بحكمهم ، مع ما توثق منهم أبوهم ، عظمه تعالى بالإشارة إليه بأداة البعد و الإسناد إليه [فقال -[3]] : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الكيد العظيم ﴿ كدنا ليوسف[1] ﴾ خاصة بأن ١٥ علمناه إياه جزاء لهم على كيدهم بيوسف عليه الصلاة و السلام ، [8]و لذلك صنعنا جميع الصنائع التى أعلت يوسف عليه الصلاة و السلام[8] و ألجأت

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد « و » (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سنته (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لرقه (٦) فى ظ : السقاة (٧) فى ظ : التى - كذا (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من مد .

إخوته الذين كادوه بما ظنوا أنه أبطل أمره إلى المجيء إليه إلى أن كان آخرها حكمهم على أنفسهم بما حكموا، ثم علل ذلك بقوله: ﴿ما كان﴾ أو[1] هو استئناف[2] تفسير للكيد، و[أكد - [3]] النفي باللام فقال: ﴿لياخذ اخاه﴾.

و لما كان الأخذ على جهات مختلفة، قيده بقوله: ﴿في دين الملك﴾ ٥ يعني ملك مصر، / على حالة من الحالات، لأن جزاء السارق عندهم غير هذا ﴿الآ ان يشآء الله[4]﴾ أي الذي له الأمر كله، ذلك بسبب يقيمه كهذا[4] السبب الذي هو حكم السارق و أهله على أنفسهم، فلا يكون حينئذ من الملك إلا تخليتهم[5] و ما حكموا به على نفوسهم. / ٧٢

و مادة 'سرق'- بتراكيبها الأربعة[6]: سرق، و سقر، و قسر، و قرس - ١٠ تدور على الغلبة المحرقة و الموجعة، و تارة تكون بحر، و تارة ببرد، و تارة بغير ذلك، و تلازمها القوة و الضعف[7] و الكثرة و القلة و المخادعة، فيأتي الخفاء[8] و الليل، فمن مطلق الغلبة: القسر، و هو الغلبة و القهر، و قال ابن دريد: القسر[9]: الأخذ بالغلبة و الاضطهاد، و القسورة[10]: الأسد، و العزيز[11] كالقسور، و الرماة[12] من الصيادين، واحده قسور، ١٥

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ «و» (٢) من م و مد، و في الأصل وظ: استيفاد (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م ومد، و في الأصل: هكذا (٥) في م و مد: تحليتهم (٦) في م و مد: الأربع (٧) من ظ و م ومد، و في الأصل: الضعفة (٨) في م: الخفي (٩) راجع الجمهرة ٢/٣٣٤ (١٠) راجع الجمهرة ٣/٣٦٢ و القاموس (١١) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: العرير - كذا (١٢) من م و القاموس، و في الأصل و ظ و مد: الرماد.

و نبات سهلى - كأنه يكثر فيه الصيد ، فتنتابه القساورة ، و قسور النبت[1] : كثر ، و[2] ركز الناس ، أى صوتهم الخفى[3] و حسهم - لأن الصيادين يتخافتون ؛ و السقر لغة فى الصقر - لطير[4] يصيد ؛ و قسر : جبل السراة - كأنه موضع الصيد و القسر و الغلبة ، و القيسرى : الكثير[5] - لأنه ملزوم للغلبة ، و ضرب من الجعلان - كأنه سمى لمطلق الكثرة و لأذاه بما يعانيه من النجاسات ، و القيسرى[6] - أيضا من الإبل : العظيم أو الصلب أو الضخم الشديد ؛ و جمل قراسية - بالضم و تخفيف الياء : ضخم[7] ، و القرس - بالكسر : صغار البعوض ؛ و القسورة أيضا من الغلمان : الشاب القوى ، و الرامى[8] - لأنه أهل لأن يغلب ، و القسور أيضا : الصياد مطلقا ؛ و يلزمه المخادعة و الاستخفاء . و منه القسورة : نصف الليل أو أوله أو معظمه - لأنه[9] محل الاستخفاء و المقاهرة ؛ و منه السرق ، و هو الأخذ فى خفية ، و عبارة القزاز : فى ختل[10] و غفلة ، و سرق - كفرح : خفى ، و السوارق[11] : الزوائد فى فراش القفل[12] - لغرابتها و خفاء

(١) فى ظ : البنت (٢) زيد فى التاج : القسورة (٣) فى م : الحفى (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فطير (٥) فى القاموس : الكبير (٦) العبارة من « الكثير » إلى هنا ساقطة من ظ (٧) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : فخم (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الراى ؛ و راجع أيضا القاموس (٩) من م و مد ، و فى الأصل : او انه ، و فى ظ : انه (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حقل (١١) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (١٢) من مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : القمل ، و فى م : الفعل - كذا .

أمرها

أمرها، أو لسلبها السرقة بمنعها[١] السارقَ من فتح القفل. و المسترق: المستمع مختفيا، و انسرق عنهم: خنس ليذهب، و يلزم المخادعة و الاختفاء نوع ضعف، و منه: سرقت مفاصله - كفرح: ضعفت، و المسترق: الناقص الضعيف الخلق؛ و انسرق: فتر و ضعف - إما منه و إما من السلب[٢]، لأن من فتر أو ضعف يكف[٣] عن السرقة و الأذى؛ ٥ و قسور[٤] الرجل: أسن، و كان منه القارس و القريس أى القديم[٥]، و مسترق العنق: قصيرها - كأنه سرق منها شيء، و هو يسارق النظر إليه، أى يطلب غفلته لينظر إليه، و تسرق: [سرق -[٦]] شيئا فشيئا، و سرق - كسكر - كان[٧] اسمه الحباب فابتاع من بدوى[٨] راحلتين، ثم أجلسه على باب دار ليخرج إليه بثمنهما[٩] فخرج من الباب الآخر ١٠ فهرب بهما، فسماه النبى صلى الله / عليه و سلم سرقا[١٠]، وكان لا يحب أن يسمى بغيره، و السرق - محركا: أجود الحرير [أو الحرير -[١١]] الأبيض، أو الحرير عامة، فارسى معرب أصله سره[١٢]، قال القزاز: و معناه: جيد، لأنه

/ ٧٣

(١) من م، و فى الأصل و ظ و مد: يمنعها (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المسلب (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يكفه (٤) فى مد: تسور. (٥) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: النديم (٦) زيد من م و مد و القاموس (٧) سقط من م (٨) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: بدرى (٩) من م و مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: بثمنها (١٠) فى ظ: سراقا (١١) زيد من ظ و م و مد، غير أن فى ظ و مد «و» مكان «أو». (١٢) فى م: سرة، و راجع أيضا التاج.

أهل لأن يقصد بالسرقة لخفة محمله وكثرة ثمنه، و السرقين معرب سرگين[1] يمكن أن يكون من الضعف، و لعل المعرب يكون خارجا عن أصل المادة، لأنه [لا -[2]] أصل له فى العربية: و من الأذى بالحر السقر: حر الشمس و أذاه[3]، يقال: سقرته الشمس - بالسين و الصاد - إذا آلمت دماغه، و منه اشتقاق سقر، و هو اسم إحدى طبقات النار[4]، و السقر: القيادة على[5] الحرم، و السقر: ما يسيل من الرطب - من التسمية باسم[6] السبب، لأن الحر سببه، و القوسرة: القوصرة - و يخففان - لأنه يوضع فيه التمر الذى قد[7] يكون منه السقر[8]، و الساقر[9]: الكافر و اللعان[10] لغير المستحقين - لكثرة الأذى، [11]أو لاستحقاق الكون فى سقر[11]، و الساقور[12]: الحر و الحديدة يكوى[13] بها الحمار؛ و من الأذى بالبرد: القرس - و هو البرد الشديد و البارد، و القرس - و يحرك: أبرد الصقيع و أكثفه، و القرس - بالتحريك: الجامد، و أقرس العود: جمد ماءه، و منه القريس - لسمك طبخ و ترك حتى جمد، و قرس الماء: جمد، و البرد: اشتد كقرس[14] كفرح، وآل قراس و يقال: بنات[15] قراس -

(١) فى ظ: سريكين (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ وم ومد و القاموس، و فى الأصل: اذا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الناس (٥) فى ظ: عن (٦) من م، و فى الأصل و ظ و مد: اسم (٧) سقط من ظ (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الساقر (٩) فى القاموس: السقار (١٠) فى ظ: اللقان. (١١ - ١٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) من م و مد و القاموس، وفى الأصل وظ: السارق (١٣) فى ظ: يكون (١٤) فى ظ: كقرح (١٥) فى =

كسحاب : أجيل باردة أو هضاب بناحية السراة ، و قرسنا الماء : بردناه .

إذا تقرر ذلك فتصحيح قول المؤذن "إنكم لسارقون" : إن نظر إلى الغلبة فى خفاء فلا شك أنهم متصفون بذلك لأخذهم[1] يوسف من أبيه عليهما السلام على هذه الحالة ، و إن نظر إلى مطلق الأخذ[2] فى [خفاء -[3]] ، فيكون إطلاق[4] ذلك عليهم مجازا ، لأن معهم - فى حال ندائه لهم و هم سائرون - شيئا ليس هو لهم هم ذاهبون به فى خفاء ، أى أنتم فى هذه الحالة فاعلون فعل السارق ، و يقوى إرادة الأول قوله تعالى "لتنبئنهم بأمرهم هذا و هم لا يشعرون" و قوله تعالى "من وجدنا متاعنا عنده" - كما سيأتى[5] .

و لما كان يوسف عليه الصلاة و السلام إنما تمكن[6] من ذلك بعلو درجته و تمكنه و رفعته ، بعد ما كان فيه عندهم من الصغار ، كان ذلك محل عجب ، فقال تعالى - التفاتا إلى مقام التكلم تقوية[7] للكلام بمقام الغيبة و التكلم ، و زاده إشعارا بعظمة هذا الفعل بصوغه فى مظهر العظمة منبها لمن قد يغفل - : ﴿ نرفع ﴾ أى بما لنا من العظمة ، و كان الأصل : درجاته ، و لكنه عمم لأنه أدل على العظمة ، فكان أليق بمظهرها ،

= م : نبات .

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاحدهم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من م (٤) من م ، وفى الأصل وظ ومد : اطلاقه (٥) فى م : ياتى (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : يمكن (٧) من م ومد ، وفى الأصل : بقوته ، و فى ظ : لقوته .

فقال - منبها على أنه كان حصل ليوسف عليه الصلاة و السلام من الهضم ما ظن كما[1] ظن أنه لا يرتفع بعده - : ﴿درجت من نشآء[1]﴾ أى بالعلم.

و لما كان سبب [2]الرفعة هو الأعلمية بالأسباب، و ذلك أن[3] الخلق / لو اجتهدوا فى خفض أحد فنصبوا[4] له كل سبب علموه و قدروا عليه /٧٤

٥ و أراد[5] الله ضد ذلك، لقيّض[6] بعلمه سببا واحدا إن شاء فأبطل جميع تلك الأسباب و قضى برفعته، نبه تعالى على ذلك بقوله: ﴿و فوق كل ذى علم﴾ أى من الخلق ﴿عليم﴾ عظيم العلم، لا تكتنه عظمة علمه العقول، و لا تتخيلها الفهوم[7]. فهو يسيب[8] من الأسباب ما تطيح له أسباب العلماء و تحير له ألباب العقلاء الصراء، و هو الله تعالى - كما نقله الرمانى عن

١٠ ابن عباس رضى الله عنهما و الحسن و سعيد بن جبير[9]، فالتنوين للتعظيم.

و لما تم ذلك[10]، كان كأنه قيل: إن انتزاع أخيهم منهم - بعد تلك المواثيق التى أكدوها لأبيهم - لداهية تطيش لها الحلوم، فما ذا كان فعلهم عندها؟ فقيل: ﴿قالوآ﴾ تسلية لأنفسهم و دفعا للعار عن خاصتهم: ﴿ان يسرق﴾ فلم يجزموا بسرقته، لعلمهم بأمانته، و ظنهم

١٥ أن الصواع دس فى رحله و هو لا يشعر، كما دست بضاعتهم فى رحالهم

---

(١) فى م و مد: كل (٢) العبارة من هنا إلى «كل سبب» متكررة فى الأصل.
(٣) فى ظ: لأن (٤) من م، و فى الأصل و ظ و مد: نصبوا (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اراده (٦) من م و مد، و فى الأصل: لتيفن، و فى ظ: يفيض (٧) فى ظ: المفهوم (٨) من م، و فى الأصل و ظ و مد: بسبب.
(٩) راجع الدر المنثور للسيوطى ٤/ ١٨ (١٠) فى ظ: هذا.

و إنما

، إنما أرهى ظنهم هذا سكوتُ أخيهم عن الاعتذار به ، على أنه قد ورد أنهم لاموه فقال لهم : وضعه[1] في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم ﴿فقد سرق اخ﴾ أي شقيق ﴿له﴾ ولما كان ما ظنوه كذلك في زمن يسير ، أدخلوا الجار فقالوا : ﴿من قبل ج﴾ يعنون يوسف عليه الصلاة و السلام ، و ذلك[2] أنه قيل : إن عمته كانت لا تصبر عنه ، وكان أبوه لا يسمح بمكثه عندها ، لأنه لا يصبر عنه ، فحزمته[3] من تحت ثيابه بمنطقة أبيها إسحاق عليه السلام وكانت عندها ، ثم قالت : فقدت منطقة أبي ، فاكشفو أهل البيت ، فوجدوها مع يوسف عليه الصلاة و السلام ، فسمح يعقوب عليه الصلاة و السلام حينئذ لها ببقائه عندها ﴿فاسرها﴾ أي إجابتهم عن هذه القولة[4] القبيحة ﴿يوسف في نفسه﴾ على تمكنه مما يريد بهم من الانتقام .

و لما كان ربما ظن ظان أنه بكتهم[5] بها بعد ذلك ، نفى هذا الظن بقوله تعالى : ﴿ولم يبدها﴾ أي أصلا[6] ﴿لهم ج﴾ فكأنه قيل : فما قولته التي أسرها[7] في نفسه؟ فقيل : ﴿قال انتم شر مكانا ج﴾ أي من يوسف و أخيه ، لأن ما نسب إليهما من الشر إنما هو ظاهرا لأمر خير اقتضاه ، و أما[8] أنتم ففعلتكم[9] بيوسف شر مقصود منكم ظاهرا و باطنا ، و نسبة الشر إلى

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : وصفه (٢) و هذه الرواية قد أوردها السيوطي في الدر ٤/١٨ بالتفصيل (٣) في م : فحرمته (٤) في ظ : المقولة (٥) من م ، و في الأصل : بكنهم ، و في ظ : بكبهم ، و غير واضح ، مد (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : املا ـ كذا (٧) في ظ : ابصرها (٨) في ظ : ما (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ففعلتم .

مكانهم أعظم من نسبته إليهم ، وإنما قدم الإخبار بالإسرار مع اقترانه بالإضمار قبل الذكر، لئلا يظن بادئ بدء أنهم سمعوا ما وصفهم به من الشر ﴿والله﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿اعلم بما تصفون ه﴾ منكم ، وأنه ليس كما قلتم ؛ والوصف : كلمة مشتقة من أصل [من -[1]] الأصول لتجرى على مذكور فتفرق بينه وبين / غيره بطريق النقيض كالفرق بين العالم والجاهل ونحوهما ، فكأنه قيل : إن ذلك القول على فحشه ليس مغنيا عنهم ولا عن أبيهم شيئا ، فهل اقتصروا عليه ؟ فقيل : لا ، بل ﴿قالوا﴾ التماسا لما يغنيهم : ﴿يا ايها العزيز﴾ فخاطبوه بما يليق بالأكابر ليرق لهم ﴿ان له﴾ أى هذا الذى وجد الصواع فى رحله ﴿ابا شيخا كبيرا﴾ أى فى سنه وقدره وهو مغرم به ، لا يقدر على فراقه ولا يصبر عنه ﴿فخذ احدنا مكانه ج﴾ وأحسن إلى أبيه بارساله إليه ﴿انا نراك﴾ أى نعلمك علما هو كالرؤيـــة أو بحسب ما رأيناه ﴿من المحسنين ه﴾ أى العريقين[2] فى صفة الإحسان ، فاجر فى أمرنا على عادة إحسانك ، فكأنه قيل : فما أجابهم ؟ قيل[3] : ﴿قال معاذ الله﴾ أى نعوذ بالذى لا مثل له معاذا عظيما ﴿ان ناخذ﴾ أى لأجل هـــذا الأمر ﴿الا من﴾ أى الشخص الذى ﴿وجدنا متاعنا عنده ج﴾ ولم يقل : سرق متاعنا ، لأنه - كما أنه لم يفعل فى الصواع فعل السارق - لم يقع منه قبل ذلك ما يصحح إطلاق الوصف عليه ؛ علل ذلك بقوله : ﴿انا اذا﴾ أى إذا أخذنا أحدا مكانه ﴿لظلمون ع﴾ أى عريقون[4] فى الظلم فى دينكم ،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى م و مد : الغريقين (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ و مد : غريقون .

فلم تطلبون ما هو ظلم عندكم .

ذكر ما بعد ما سلف من هذه القصة من التوراة [١] :

قال : و كان[٢] القهم[٣] - و فى نسخة : الجوع - و الإرجاف[٤] على جميع وجه الأرض ، ففتح يوسف الأهراء ، و أقبل يبيع المصريين ، و اشتد الجوع[٥] بأرض مصر ، و أقبل جميع أهل الأرض[٦] يأتون للامتيار من يوسف[٧] .

[٧] فبلغ يعقوب عليه الصلاة و السلام أن بمصر طعام ميرة ، فقال يعقوب عليه السلام لبنيه : لا خوف عليكم ، لأنه قد بلغنى أن بمصر ميرة فاهبطوا إلى هناك ، فامتاروا لنا فنحيى و لا نموت . فهبط بنو يعقوب عليه الصلاة و السلام [العشرة ليمتاروا ميرة من مصر ، فأما بنيامين أخو يوسف فلم يرسله يعقوب -[٨]] مع إخوته ، لأنه قال : لعله أن يعرض له عارض ، فأتى بنو إسرائيل ليمتاروا[٩] مع الذين كانوا ينطلقون ، لأن الجوع اشتد فى أرض كنعان ، و كان يوسف هو المسلط على الأرض ، و كان يمير[١٠] جميع شعب الأرض ، فأتى إخوة يوسف عليه

(١) راجع نهاية الأصحاح الحادى و الأربعين من التكوين (٢) فى ظ : لكن . (٣) أى قلة الاشتهاء للطعام (٤) فى الأصول : الارجهاف - كذا (٥) العبارة من « و الإرجاف » إلى هنا ساقطة من ظ (٦) زيد بعده فى مد : ففتح يوسف الأهراء (٧) و من هنا يبتدئ الأصحاح الثانى و الأربعون (٨) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل : يمتارؤا ، و فى ظ : فيمتاروا . (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : غير ، و فى ظ : عير .

الصلاة و السلام فخروا له سجدا على الأرض ، فرآى يوسف إخوته فأثبتهم و تناكر[١] عليهم وكلمهم بفظاظة و قساوة ، و قال لهم : من أين أنتم ؟ فقالوا : أتينا من أرض كنعان لنمتار ميرة ، فذكر يوسف عليه الصلاة و السلام[٢] الرؤيا التى قصها عليهم و قال لهم : إنكم جواسيس ،
٥ و إنما أتيتم لتفحصوا[٣] و تطلعوا[٤] الأرض . فقالوا : كلا يا سيدنا ! إن عبيدك إنما أتوا ليمتاروا ، نحن أجمعون بنو[٥] رجل واحد ، و نحن أبرياء ، و ليس عبيدك بطلائع ، فقال لهم يوسف : [ليس -[٦]] الأمر كما
/٧٦ تقولون ، بل إنما[٧] / أتيتم لتجسسوا[٨] أرضنا . فقالوا له : نحن اثنا[٩] عشر رجلا إخوة عبيدك[١٠] بنو رجل واحد بأرض كنعان ، و الآخر هو
١٠ عند[١١] أبينا يومنا هذا ، و الآخر فقدناه ، فقال لهم يوسف : إنى إنما قلت لكم : إنكم جواسيس ، من أجل[١٢] هذا بهذه تمتحنون[١٣] ، و حق فرعون ! [١٤]لا أخرجنكم[١٤] من ههنا[١٥] حتى يأتى أخوكم[١٦] الأصغر إلى

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يتاكد (٢) زيد بعده فى الأصل : الروية ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) فى ظ : لتفصحوا (٤) زيد بعده فى الأصل : عـلى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) فى ظ : بنى . (٦) زيد من م و مد (٧) زيد بعده فى الأصل : انتم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) فى ظ : لتجلسوا (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اثنى . (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عبيد (١١) سقط من م (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اصل (١٣) فى ظ : يمتحنون (١٤-١٤) فى ظ : لاخرجتكم (١٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هربنا (١٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اخيكم .

ههنا . فنفحص عن أقاويلكم إن كنتم نطقتم بالحق و القسط ، و إلا و حق فرعون ! إنكم طلائع[1] . فقذفهم فى الحبس ثلاثة أيام ، و دعا بهم يوسف عليه السلام فى اليوم الثالث ، و قال لهم : افعلوا ما آمركم[2] به فتحيوا . فانى أراقب الله فيكم ، إن كنتم أبرياء فليحبس أحدكم فى محبسكم[3] و انطلقوا أنتم بالميرة للجوع الذى فى بيوتكم ، فأتونى بأخيكم الأصغر فأصدق قولكم و لا تموتوا ، ففعلوا[4] كما أمرهم ، فقال كل امرئ [منهم -[5]] لصاحبه : حقا إنا قد استوجبنا السجن على أخينا إذ رأينا كرب نفسه إذا[6] كان يتضرع إلينا فلم نرحمه و لم نتراءف عليه ، فمن أجل ذلك نزلت بنا هذه البلية و الشر ، فأجاب روبيل و قال لهم : ألم أقل لكم : لا تأثموا بالغلام ، فلم تقبلوا ، و هو ذا الآن نحن مطالبون بدمه . و لم يعلموا أن يوسف يفهم كلامهم ، لأنه أوقف ترجمانا بينه و بينهم ، فتنحى عنهم فبكى ، ثم رجع إليهم يكلمهم ، ثم أخذ منهم شمعون فأوثقه[7] تجاههم .

و أمر يوسف بملإ أوعيتهم ميرة ، و أمر برد ورق كل امرئ منهم فى وعائه ، و أن يزودوا زادا للطريق ، ففعل ذلك بهم كما أمر يوسف عليه السلام ، فحملوا[8] ميرتهم على حميرهم و انطلقوا ، ففتح بعضهم وعاءه

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طايع (٢) فى ظ : امرتكم (٣) فى ظ : مجلسكم (٤) من ظ و مد و م ، و فى الأصل : تفعلوا (٥) زيد من ظ و م و مد. (٦) فى مد : اذ (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فاوتفه (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فحمل .

ليلقى قضيما[1] لحماره فى مبيتهم[2]. فرأى ورقه موضوعا على طرف حمولته، فقال لإخوته : ورقى رد إلىّ و هو ذا[3] على طرف حمولتى، فارتجفت قلوبهم و فزعت نفوسهم، و تعجب كل امرئ منهم، فقالوا : يا ليت شعرى ما هذا الذى [4]صنعه الله[4] بنا ! فأتوا يعقوب أباهم إلى أرض كنعان، فأخبروه بجميع ما عرض[5] لهم و قالوا : إن الرجل سيد الأرض كلمنا بفظاظة و قساوة، و حسبنا[6] بمنزلة الجواسيس أتينا لنطالع الأرض، فقلنا : إنا أبرياء عدول، فلسنا بطلائع، فنحن اثنا[7] عشر أخا بنو أب واحد، فقد واحد منا و الآخر عند أبينا يومنا هذا بأرض كنعان، فقال لنا الرجل سيد الأرض و رئيسها : بهذا أعلم أنكم أبرار عدول، خلفوا عندى أحد إخوتكم، و احملوا ميرة للجوع الذى فى بيوتكم، و انصرفوا فأتونى بأخيكم الأصغر معكم، فأعلم حينئذ أنكم لستم بطلائع، بل أنتم أبرياء عدول، و آمر بدفع أخيكم إليكم، و تتجرون[8] فى الأرض، فبينما هم يفرغون أوعيتهم فاذا هم بصرة كل امرئ منهم على طرف وعائه فرأوا ورقهم مصرورا / ففزعوا[9] هم و أبوهم، فقال لهم أبوهم : إنكم قد أثكلتمونى[10] ولدى [11]و أفقدتمونى[11] إياهما، لأن يوسف فقدته، و شمعان[12] محبوس،

/٧٧

(١) القضيم : شعير الدابة (٢) من م ومد، و فى الأصل و ظ : بيتهم (٣) زيد فى م و مد : هو (٤ - ٤) فى ظ : صنع (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عوض (٦) من م والتوراة، و فى الأصل وظ ومد : حبسنا (٧) فى ظ : اثنى عشر (٨) من التوراة، و فى الأصل : يتجرون (٩) فى مد : نقرعوا (١٠) فى ظ ولم : اتكلتمونى (١١-١١) من م و مد، و فى الأصل وظ : نقدمتمونى (١٢) فى م و مد : سمعان، و فى التوراة : شمعون.

و تنطلقون ببنيامين[١] أيضا و قد [٢]كملت علىّ[٢] المصائب كلها ، فقال روبيل لأبيه : ثكلتُ ابنىّ جميعا إن لم آتك[٣] به ! ادفعه إلىّ و أنا أرده إليك ، فقال : لا يهبط ابنى معكم ، لأن أخاه يوسف توفى و هو وحده الباقى لأمه ، فتعرض[٤] له آفة فى الطريق الذى تسلكونه فتنزلون [شيبتى -[٥]] إلى الجدث[٦] بالشقاء و الشحب[٧] . ٥

فاشتد الجوع على الأرض ، فلما أكلوا الذى أتوا به [٨]من مصر[٨] و أفنوه قال لهم يعقوب أبوهم عليه السلام : اهبطوا فامتاروا لنا شيئا من قمح ، فقال [له -[٩]] يهوذا : إن الرجل أنذرنا و تقدم إلينا و قال : لا تعاينوا وجهى إلا و أخوكم معكم ، فان أنت أرسلت أخانا معنا فانا نهبط فنمتار ، و إن لم تبعثه لم ننطلق ، فقال لهم أبوهم : ولم[١٠] أسأتم إلى فأخبرتم ١٠ الرجل أن لكم أخا ؟ فقالوا : الرجل سأل عنا و عن رهطنا و قال : إن أباكم[١١] فى الحياة بعد ؟ و هل لكم أخ ؟ فأخبرناه من أجل هذا الكلام ، أكنا نعلم أنه يقول : اهبطوا معكم بأخيكم ؟ و قال يهوذا لإسرائيل أبيه : سرح الغلام فننطلق فنحيي و لانموت [نحن -[٥]] و أنت أيضا و حشمنا[١٢] ، أنا أكفل به . فان لم آتك به فأقيمه بين يديك فأنا مخطئ ١٥

(١) فى الأصول : بنيامين (٢-٢) من م و مد ، و فى الأصل : كلت عليا ، و فى ظ : كلت على - كذا (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لم آتيك (٤) فى ظ : فتعرف (٥) زيد من م و مد و التوراة (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الحدث (٧) فى ظ و م و مد : السحب (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٩) زيد من م (١٠) فى ظ : ان (١١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ابوكم . (١٢) فى ظ : حمشنا .

بين يدى أبى جميع الأيام .

فقال أبوهم إسرائيل : إذا كان الأمر هكذا فافعلوا ما آمركم به : احملوا فى أوعيتكم من ثمار هذه الأرض شيئا من صنوبر و عسل و علك البطم و خروب و حب السرو[1] و بطم و لوز ، و خذوا من الورق ضعف[2] الذى فى أوعيتكم ، لعل ذلك أن يكون وهما منهم[3] ، و انطلقوا بأخيكم إلى الرجل ، و ارجعوا إلىّ كلكم ، و إنه[4] المواعيد يظفركم من الرجل برحمة و رأفة ، فيرسل بأخيكم الآخر معكم و بنيامين أيضا ، فأخذ القوم هذه الهدية و ضعفا[5] من الفضة ، و انطلقوا معهم ببنيامين[6] و أتوا يوسف فوقفوا بين يديه[7] ، فرأى يوسف بنيامين معهم فقال لحاجبه : أدخل القوم إلى المنزل ، و اذبح ذبيحا ، و هيئ الغداء[8] ، لأن القوم يتغدون معى ظهرا ، ففعل العبد كما أمره يوسف عليه السلام ، و أدخل القوم إلى منزل يوسف عليه السلام و قالوا : إنهم إنما يدخلوننا لسبب[9] الورق الذى وجدنا فى أعدالنا من قبل ، فيريدون أن يتطاولوا علينا و يمكروا بنا ، فيجعلونا عبيدا و دوابنا ملكا ، فدنوا من الرجل حاجب - و فى نسخة : خازن - يوسف عليه السلام ، فكلموه على باب المنزل ، و قالوا له : إنا نطلب إليك يا سيدنا أنا هبطنا أولا إلى ههنا فامترنا قمحا[10] ، فلما

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حدوا (٢) فى مد : صفف - كذا .
(٣) فى ظ : منه (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الا (٥) فى مد : صففا .
(٦) فى الأصل : بنيامين (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يدى (٨) فى ظ : الغذاء (٩) من م و التوراة ، و فى الأصل و ظ و مد : بسبب (١٠) من ظ و م = طلعنا

طلعنا و صرنا فى البيت إذا[1] نحن بورق كل واحد منا فى عدله ، فقد
رددنا أوراقنا بوزنها معنا[2] و أتينا معها بأوراق / أخر لنمتار بها ، و لا نعلم ٧٨ /
من الذى صيّر أوراقنا فى أوعيتنا ؟ فقال لهم : السلام لكم ، لا تخافوا
و لاتستوفضوا[3] ، إلهكم إله المواعيد إله أبيكم ذخر[4] لكم هذه الذخيرة
فى أوعيتكم ، لأن ورقكم قد صار فى قبضتى ، و أخرج إليهم شمعون[5] ، ٥
فأدخل العبد القوم إلى منزل يوسف عليه السلام ، و أتاهم بماء فغسلوا
أيديهم و أقدامهم ، و ألقى قضيما لدوابهم ، فأعد القوم هديتهم قبل
دخول يوسف عليه السلام وقت القائلة[6] لأنه بلغهم أن غداءهم[7]
يكون هناك ، فدخل يوسف إلى منزله ، فأدخلوا هديتهم فوضعوها بين
يديه فى منزله ، و خروا له سجدا على الأرض ، فسألهم عن سلامتهم ١٠
و قال : أ سالم[8] هو[9] ؟ أبوكم الذى أخبرتمونى عنه أنه فى الحياة هو بعد ؟
فقالوا : إن أبانا عبدك سالم ، ثم جثوا فسجدوا فرفع بصره[10] فأبصر
بنيامين أخاه ابن أمه فقال لهم : هذا أخوكم الذى أخبرتمونى عنه ؟ فقالوا :
نعم ؟ فقال له[11] : الله يترأف عليكم يا بنى ، فاستعجل يوسف عليه

= و مد ، و فى الأصل : لحا .

(١) فى ظ : اذ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معها (٣) أى لا تسرعوا .
(٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ذكر (٥) فى م : سمعون (٦) فى الأصل
و ظ و مد : القابلة ، و فى م : العائلة ، و فى التوراة : الظهر (٧) فى ظ : غذاءهم .
(٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سالهم (٩) فى ظ : هل (١٠) فى ظ و م
و مد : نظره (١١) سقط من مد .

السلام لأنه[1] رق له و تحنن عليه فأراد البكاء، فدخل [إلى -[2]] مكانه فبكى هناك، ثم غسل وجهه و خرج فصبر نفسه، فأمر أن يأتوهم بالغداء، فوضعوا بين يديه وحده، و قربوا إليهم وحدهم، لأنه لا يستطيع أهل مصر أن يأكلوا مع العبرانيين، لأن هذه نجاسة عند المصريين، فأمر فاتكأ الأكبر على قدر سنه و الأصغر على قدر سنه، فتعجب القوم و مكثوا محيرين مشدوهين[3]، فأعطى كل واحد[4] منهم من بين يديه جزءا، و أعطى بنيامين أكثر منهم: خمسة أنصبة[5]، فشربوا[6].

فامر خازنه و قال له: أوقر أوعية القوم من البر ما أمكنهم حمله، و صير[7] ورق كل امرئ منهم على طرف وعائه، و خذ طاسى [طاس -[8]] الفضة و صيره فى وعاء الأصغر مع ورق ميرته، ففعل العبد كما أمر يوسف عليه السلام، فلما كان من الغد[9] سرح القوم لينطلقوا [هم و حميرهم[10]]، فخرجوا من القرية، و قبل أن يخرجوا منها قال يوسف لخازنه: قم فامض فى طلب القوم و الحقهم و قل لهم: لم كافيتم الشر بدل الخير، فأخذتم الطاس الذى يشرب فيه سيدى و يعتاف فيه اعتيافا، فأسأتم فيما جاء منكم، فلحقهم و قال لهم هذه الأقاويل، فقالوا له:

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لان (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مشدرهين (٤) فى ظ و م و مد: امرء (٥) من م، و فى الأصل و ظ و مد: انصبه (٦) هذه بداية الأصحاح الرابع و الأربعين. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صيروا (٨) زيد من التوراة (٩) فى ظ: العذاء (١٠) زيد من ظ و م و مد و التوراة إلا أن لفظة «هم» ساقطة من ظ.

لا تقولن يا سيدنا هـــذه الأقاويل ، معاذ الله أن يفعل عبيدك هذه الفعال ! نحن رددنا أوراقنا التى وجدنا فى أوعيتنا من أرض كنعان . فكيف نسرق من بيت سيدك ذهبا أو فضة ، من وجد عنده من عبيدك[1] فليمت و نكن نحن عبيدا لسيدنا[2] ! قال لهم : هو على ما تقولون ، من وجد عنده فهو يكون لى عبدا ، و أنتم تكونون فلحين ٥ طاهين ، فاستعجل كل منهم وعاءه ، ففتشوا ابتداء بالأكبر و انتهاء / إلى ٧٩ / الأصغر ، فوجدوا الطاس فى وعاء[3] بنيامين ، فمزقوا ثيابهم و خرقوها[4] . و حمل كل امرئ منهم وعاءه على حماره ، و رجعوا إلى القرية ، فدخل يهوذا و إخوته عـــلى يوسف وكان فى منزله بعد ، فخروا بين يديه على الأرض ، فقال لهم يوسف : ما هذا الفعل الذى جاء منكم ؟ أما تعلمون ١٠ أن رجلا مثلى يعتاف - و فى نسخة : يمتحن - بكأس اعتيافا[5] ؟ لم تتعدون عليه و تأخذونه؟ فقال يهوذا : بما ذا نكلم سيدنا ! و بما ذا ننطق ! و بما ذا نفلح[6] - و فى نسخة : نحتج[7] - . من عند الله نزلت هذه الخطيئة [8]بعبيدك ، هو ذا[8] نحن عبيد لسيدنا نحن و من أصيب الكأس عنده ، فقال : معاذ الله

(١) فى ظ : عبيده (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لسيدك (٣) زيد بعده فى الأصل و ظ و مد : الأصغر ، و لم تكن الزيادة فى م و التوراة فحذفناها . (٤) فى م : حرقوها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعتادا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعلح - كذا (٧) فى ظ : ننجح - كذا (٨-٨) من م و مد ، و فى الأصل : لعبدك يهوذا ، و فى ظ : لعبيدك يهوذا - كذا .

أن أفعل هذا ! بل الرجل الذى وجد الكأس عنده يكون لى عبدا ، و أنتم فاصعدوا بسلام إلى أبيكم .

فدنا منه يهوذا فقال : أنا أطلب إليك يا سيدى[١] أن تأذن لعبدك بالكلام بين يديك ، يا سيد ! و لا تشعل غضبك على عبيدك ، لأنك ٥ مثل فرعون ، سأل سيدى عبيده فقال لهم : هل لكم أب أو أخ ؟ فقلنا لسيدنا : إن لنا أبا شيخا و ابنا له صغيرا ولد على كبر سنه ، و إن أخاه مات ، و هو الباقى وحده لأمه ، و أبوه يحبه ، و أمرت عبيدك و قلت : اهبطوا به إلىّ حتى أعرفه و أعاينه ، فقلنا لسيدنا : لا يقدر الغلام على مفارقة أبيه ، لأنه إن فارقه[٢] أبوه توفى ، فقلت لعبيدك : إنه إن لم يهبط ١٠ أخوكم الأصغر معكم فلا تعودوا أن تعاينوا وجهى ، فلما صعدنا إلى عبدك أبينا أخبرناه[٣] بقول سيدنا فقال لنا عبدك أبونا : [٤]ارجعوا فامتاروا شيئا [من بر - [٥]] ، فقلنا لأبينا : لا نقدر على الهبوط إلا أن [نهبط - [٦]] بأخينا الأصغر معنا ، لأنا لا نقدر على معاينة وجه الرجل إن لم يكن أخونا معنا ، فقال [لنا - [٦]] عبدك أبونا : أنتم تعلمون أن امرأتى ١٥ ولدت[٧] لى ابنين ، فخرج واحد من عندى فقلتم : إنه قتل قتلا ، فلم أعاينه إلى يوم الناس هذا ، فتحملون أيضا هذا من عندى فيعرض له صيد

(١) فى م : سيد (٢) فى مد : فارق (٣) من م و التوراة ، و فى الأصل و ظ و مد : اخبرنا (٤) العبارة من هنا إلى « عبدك أبونا » ساقطة من ظ (٥) زيد من م (٦) زيد من م و مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ولد .

فتهبطون[1] بشيخوختى بحزن و شر إلى القبر ، و الآن إذا نحن انطلقنا إلى عبدك أبينا و ليس الغلام معنا و نفسه[2] حبيبة إليه ، فاذا علم أن الغلام ليس هو معنا يموت فيهبط عبدك شيبة[3] أبينا بالشقاء[4] و التشحيب ، لأن عبدك ضمن الغلام لأبينا ، و قلت : إنى إذا لم آتك[5] به أخطئ باقى جميع الأيام ، و الآن فليبق عبدك بدل[6] الغلام عبدا لسيدى ، و ليصعد الغلام مع إخوته ، لأنى أفكر كيف أصعد إلى أبى و ليس الغلام معى كيلا أعاين الشر الذى ينزل بأبى .

و لما أياسهم[7] بما قال عن إطلاق بنيامين ، حكى الله تعالى ما أثمر لهم ذلك من الرأى فقال : ﴿ فلما ﴾ دالا بالفاء على قرب زمن تلك المراجعات ﴿ استيئسوا منه ﴾ أى تحول رجاءهم لتخلية[8] سبيله لما رأوا من إحسانه و لطفه و رحمته يأسا شديدا بما رأوا من ثباته على أخذه بعينه و عدم استبداله ﴿ خلصوا ﴾ أى انفردوا من غيرهم حال كونهم ﴿ نجيا[9] ﴾ أى ذوى[9] نجوى يناجى بعضهم بعضا ، من المناجاة و هى رفع المعنى من كل واحد إلى صاحبه فى خفاء[10] ، من النجو و هو الارتفاع [من الأرض -[11]] - قاله الرمانى ، أو تمحضوا تناجيا / لإفاضتهم فيه ٨٠ / ١٥

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فيهبطون (٢) فى مد : نفسنا (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شبيه (٤) من م و مد ، و فى الأصل : لشقاء ، و فى ظ : الشقاء (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لم آتيك - كذا (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بد - كذا (٧) من م و مد ، و فى الأصل : ايسهم ، و فى ظ : اياهم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لتخطية (٩) فى ظ : ذوا . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خفى (١١) زيد من م و مد .

بجد[1] كأنهم صورة التناجى ، فكأنه قيل : فما قالوا ؟ فقيل[2]: ﴿قال كبيرهم﴾ فى السن و هو رويبل : ﴿ الم تعلموآ﴾ مقررا لهم بما يعرفونه مع قرب الزمان ليشتد توجههم فى بـذل الجهد فى الخلاص من غضب أبيهم ﴿ ان اباكم﴾ أى الشيخ الكبير الذى فجعتموه فى أحب ولده إليه .

٥ و لما كان المقام بالتقرير و معرفة صورة الحال لتوقع ما يأتى من الكلام ، قال : ﴿ قد اخذ عليكم﴾ أى قبل أن يعطيكم هذا الولد الآخر ﴿موثقا﴾ و لما كان الله تعالى هو الذى شرعه - كما مضى - كان كأنه منه ، فقال : ﴿من الله﴾ أى أيمان الملك الأعظم : لتأتنه به إلا أن يحاط بكم ﴿و من قبل﴾ أى قبل هذا ﴿ما فرطتم﴾ أى قصرتم بترك

١٠ التقدم بما يحق لكم فى ظن أبيكم أو فيما ادعيتم لأبيكم تفريطا عظيما ، فان زيادة 'ما' تدل على إرادته لذلك ﴿فى﴾ ضياع ﴿يوسف ج﴾ فلا يصد قكم أبوكم أصلا ، بل يضم هذه إلى تلك فيعلم بها خيانتكم قطعا ، و أصل معنى التفريط : التقدم ، من قوله صلى الله عليه و سلم « انا فرطكم على الحوض[3] » .

١٥ و لما كان الموضع موضع التأسف و التفجع و التلهف ، أكـده بـ"ما" النافية لنقيض المثبت كما سلف غير مرة ، أى أن فعلكم فى يوسف ما كان إلا تفريطا لاشك فيه ﴿ فلن ابرح ﴾ أى أفارق هذه

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : نجد (٢) فى ظ : قال (٣) هذه الرواية من الشهرة و الاستفاضة بحيث لا تفتقر إلى التعليق على مراجعها .

﴿الارض﴾ بسبب هذا ، و إيصاله الفعل بدون حرف دليل على أنه صار شديد الالتصاق بها ﴿حتى ياذن لى ابى﴾ فى الذهاب منها ﴿او يحكم الله﴾ أى الذى له الكمال كله و وثقنا به ﴿لى ج﴾ بخلاص أخى أو بالذهاب منها بوجه من الوجوه التى يعلمها و يقدر على التسبب لها ﴿و هو﴾ أى ظاهرا و باطنا ﴿خير الحكمين ه﴾ إذا أراد أمرا بلغه باحاطة علمه و شمول قدرته ، ٥ و جعله على أحسن الوجوه و أتقنها ، فكأنه قيل : هذا ما رأى أن يفعل فى نفسه ، فما ذا[1] رأى لإخوته ؟ فقيل[2] : أمرهم بالرجوع ليعلموا أباهم لإمكان أن يريد القدوم إلى مصر ليرى ابنه أو يكون عنده رأى فيه فرج[3] ، فقال : ﴿ارجعوا الى ابيكم﴾ أى دونى ﴿فقولوا﴾ أى له متلطفين فى خطابكم ﴿يابانا﴾ و أكدوا مقالتكم فانه ينكرها [لكم -[4]] فقولوا : ﴿ان ابنك﴾ ١٠ أى شقيق يوسف عليه الصلاة و السلام الذى هو أكملنا فى البنوة عندك ﴿سرق ج﴾ .

و لما كانوا فى غاية الثقة من أن أحدا منهم لا يلم[5] بمثل ذلك ، أشاروا إليه بقولهم : ﴿و ما شهدنا﴾ أى فى ذلك ﴿الا بما علمنا﴾ ظاهرا من رؤيتنا الصواع يخرج من وعائه ؛ و الشهادة : الخبر عن إحساس قول ١٥ أو فعل ، و تجوز الشهادة بما أدى[6] إليه الدليل القطعى ﴿و ما كنا للغيب﴾ أى الأمر الذى غاب عنا ﴿حفظين ه﴾ فلعل حيلة دبرت فى ذلك غاب

(١) فى ظ و م و مد : فما (٢) فى مد : فقال (٣) فى ظ : فرح ، و الكلمة غير واضحة فى مد (٤) زيد من م (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا يمل . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اوى .

عنا علمها كما صنع فى رد بضاعتنا ﴿ وسئل القرية ﴾ أى أهلها و جدرانها إن كانت تنطق[1] ﴿ التى كنا فيها ﴾ و هى مصر، عما أخبرناك به / يخبروك بصدقنا، فان الأمر قد اشتهر عندهم ﴿ و ﴾ اسأل ﴿ العير ﴾ أى أصحابها و هم قوم من كنعان جيران يعقوب عليه الصلاة و السلام ﴿ التى اقبلنا فيها ﴾ و السؤال: طلب الإخبار بأداته من الهمزة و هل و نحوهما، و القرية: الأرض الجامعة لحدود فاصلة، و أصلها من قريت[2] الماء، أى جمعته، و سيأتى شرح لفظها آخر السورة، و العير: قافلة الحمير، من العير - بالفتح، و هو الحمار، هذا الأصل - كما تقدم - ثم كثر حتى استعمل فى غير الحمير.

و لما كان ذلك جديرا[3] بالإنكار لما[3] يتحقق من كرم[4] أخيهم، أكدوه بقولهم: ﴿ و انا ﴾ أى و الله ﴿ لصدقون ﴾[5] فكأنه قيل: فرجعوا إلى أبيهم و قالوا ما قال لهم كبيرهم، فكأنه قيل: فما قال لهم؟ فقيل: ﴿ قال بل ﴾ أى ليس الأمر كذلك، لم تصح نسبة ابنى إلى السرقة ظاهرا و لا باطنا، أى [لم -] يأخذ شيئا من صاحبه فى خفاء بل ﴿ سولت ﴾ أى [6]زينت تزيينا[6] فيه غى ﴿ لكم انفسكم امرا[7] ﴾ أى حدثتكم بأمر ترتب عليه ذلك، و الأمر: الشىء الذى من شأنه أن تأمر

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نطق (٢) من م و مد، و فى الأصل: قرب، و فى ظ: قربت (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل: بانكار ما، و فى ظ: بانكار لملا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كر (٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) من م، و فى الأصل و ظ و مد: رتبت ترتيبا.

النفس به ، و كلا الأمرين صحيح ، أما النفي فواضح ، لأن بنيامين لم يسرق الصواع و لا همّ بذلك ، و لذلك لم ينسبه يوسف عليه الصلاة و السلام و لا مناديه إلى ذلك بمفرده ، و أما الإثبات فأوضح ، لأنه لو لا فعلهم بيوسف عليه الصلاة و السلام لما سولت لهم فيه أنفسهم لم يقع هذا الأمر لبنيامين عليه السلام ﴿ فصبر جميل[1] ﴾ منى ، لأن ظنى فى الله جميل ، ٥ و فى قوله - : ﴿ عسى الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ ان ياتينى بهم ﴾ أى يوسف و شقيقه بنيامين و روبيل ﴿ جميعا[1] ﴾ - ما يدل الفطن على أنه تفرس أن هذه الأفعال نشأت عن يوسف عليه الصلاة و السلام ، و أن الأمر إلى[1] سلامة و اجتماع ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ العليم ﴾ أى البليغ العلم بما خفى علينا[2] ١٠ من ذلك ، فيعلم أسبابه الموصلة إلى المقاصد ﴿ الحكيم ٥ ﴾ أى البليغ فى إحكام الأمور فى ترتيب الأسباب بحيث لا يقدر أحد على نقض ما أبرمه منها[3] ، و ترتيب الوصفين على غاية الإحكام - كما ترى - لأن[4] الحال داع إلى العلم بما غاب من الأسباب أكثر من دعائه إلى[5] معرفة حكمتها ؛ قال هذه المقالة ﴿ و تولى ﴾ أى انصرف بوجهه ﴿ عنهم ﴾ ١٥ لما تفاقم عليه من الحزن ، و بلغ به من الجهد ، و هاج [به -[6]]

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بالى (٢) من ظ ، و فى بقية النسخ : عنا .
(٣) فى مد : منها (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : بان (٥) زيد بعده فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد من م .

باجتماع حزن إلى حزن من الحرق[1] [كراهية -[2]] لما جاؤا به و إقبالا على من[3] إليه الأمر ﴿و قال﴾ مشتكيا إلى الله لا غيره ، فهو تعريض بأشد التصريح و الدعاء : ﴿يٰآ سفىٰ﴾ أى يا أشد حزنى ، و الألف بدل عن ياء الإضافة لتدل على بلوغ الأسف إلى[4] ما لا حد له ، و جناس ٥ 'الأسف' مع 'يوسف' مما لم يتعمد[5] ، فيكون مطبوعا ، فيصل إلى نهاية الإبداع ، و أمثاله فى القرآن كثير ﴿على يوسف﴾ هذا أوانك الذى ملأنى بك فنادمنى كما أنادمك / ، و خصه[6] لأنه قاعدة إخوانه ، انبنى[7] / ٨٢ عليها و تفرع[8] منها ما بعدها ﴿و ابيضت عينه﴾ أى انقلب سوادهما إلى حال البياض لكثرة الإستعبار ، فعمى البصر ﴿من الحزن﴾ الذى ١٠ هو سبب البكاء الدائم الذى هو سبب البياض ، فذكر السبب الأول ، يقال[9] : بلغ حزنه عليه السلام حزن سبعين ثكلى و ما ساء ظنه قط . ثم علل ذلك بقوله ﴿فهو﴾ أى بسبب الحزن ﴿كظيم*﴾ أى شديد الكظم لامتلائه من الكرب ، مانع نفسه من عمل ما يقتضيه ذلك من الرعونات[10] بما آتاه الله من العلم و الحكمة ، و ذلك أشد ما يكون ١٥ على النفس و أقوى ما يكون للحزن ، فهو فعيل[11] بمعنى مفعول ، [12]و هو[12]

(١) فى ظ : الحرف (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما امن - كذا (٤) سقط من مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم تتعمد (٦) فى م : خصصه ، و فى مد : حضه (٧) فى م : التى (٨) فى ظ : تفرعنى (٩) راجع لباب التأويل ٣/٢٥٢ (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الرعانات (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فعول (١٢ - ١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فهو .

أبلغ منه ، من كظم السقاء - إذا شده[1] على ملئه .

و مادة "كظم" تدور على المنع من الإظهار ، و يلزمه "الكرب - لأنه من شأن الممنوع مما قد امتلأ منه ، و يلزمه[2] الامتلاء[3] ، لأن ما دونه ليس فيه قوة الظهور ، كظم غيظه[4] - إذا سكت بعد امتلائه منه ، و كظمت السقاء - إذا ملأته[5] و سددته[6] ، و كظم البعير جرته[7] - إذا ردها و كف ، و الكظم : مخرج النفس ، لأنه به[8] يمنع من الجرى فى هواه ؛ و الكظامة : حبل يشد به خرطوم البعير ، لمنعه مما يريد ، و أيضا يوصل بوتر القوس العربية ثم يدار بطرف السيّة[9] العليا ، منعا له من الانحلال[10] و أيضا قناة فى باطن الأرض يجرى فيها الماء ، لأنه يمنع الماء من أن يأخذ فى هواه فيرتفع فى موضع النبع فيظهر على وجه الأرض ، و خرق يجرى فيه الماء من بئر إلى بئر ، لأنه لا يصنع إلا عند ضعف إحدى البئرين ، فلولاه لفاضت القوية[11] ، فهو تصريف لمائها فى غير وجهه ، و كظامة[12] الميزان : المسمار الذى يدور فيه اللسان ، لأنه يربطه فيمنعه

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شيده (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : الاملاء (٤) من القاموس ، و فى الأصول : غيضه (٥) من م و مد ، و فى الأصل : املاته ، و فى ظ : امتلاته (٦) فى م : شددته (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : حزنه (٨) سقط من ظ (٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الثنية (١٠) فى ظ : الانحال (١١) من م و مد ، و فى الأصل : القرية ، و فى ظ : القوة (١٢) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : كظماة .

من الانفكاك[1] ، و يقال : ما زلت كاظما يومى كله ، أى ممسكا عن الأكل و قد امتلأت جوعا ، و قد يطلق على مطلق المنع ، [و منه -[2]] كاظمة - لقرية على شاطئ البحر ، لأن البحر قد كظمها[3] عن الانفساح[3] و كذا هى منعته عن الانسياح .

٥ فلما رأوا أنه[4] قد فاتهم ما ظنوا أنه يكون بعد ذهاب يوسف من صلاح الحال مع أبيهم بقصر الإقبال عليهم ، و وقع لأبيهم هذا الفادح[5] العظيم ، تشوف السامع إلى قولهم له ، فاستأنف الإخبار عنه بقوله : ﴿ قالوا ﴾ أى حنقا من ذلك ﴿ تالله ﴾ أى الملك الأعظم ، يمينا فيها تعجيب[6] ﴿ تفتؤا ﴾ أى ما تزال ﴿ تذكر يوسف ﴾ حريصا على ذكره

١٠ قويا عليه حرص الفتى الشاب[7] الجلد الصبور على مراده ﴿ حتى ﴾ أى إلى أن ﴿ تكون حرضا ﴾ أى حاضر الهلاك[8] مشرفا عليه متهيئا له بدنف[9] الجسم و خبل[10] العقل - كما مضى بيانه فى الأنفال عند « حرض المؤمنين على القتال[11] » ﴿ او تكون ﴾ أى كونا لازما هو[12] كالجبلة ﴿ من الهلكين ٥ ﴾ .

---

(١) فى ظ : الانعكاس (٢) زيد من م و مد (٢-٣) من م ، و فى الأصل و ظ : عند الانفساخ ، و فى مد : عن الانفساخ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انهم (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : القادح ، و فى مد : الفادع - كذا .
(٦) فى م : تعجب (٧) فى ظ : الشباب (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاملاك ، و فى م : الملاك (٩) من مد ، و فى الأصل : مدنف ، و فى ظ و م : مدنف .
(١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الحيل - كذا (١١) آية ٨٤ .
(١٢) فى ظ : هى .

و لما تشوفت النفس إلى ما كان عنه بعد ما رأى من غلظة بنيه[1]، شفى عيّها[2] بقوله : ﴿ قال انما ﴾ أى نعم لا / أزال كذلك[3] لأنه من ٨٣ / صفات الكمال للانسان، لدلالته على الرقة و الوفاء، و إنما يكون مذموما إذا كان على وجه الشكاية إلى الخلق و أنا لا أشكو إلى مخلوق، إنما ﴿ اشكوا بثى ﴾ و البث أشد الحزن، سمى بذلك لأنه من صعوبته ٥ لا يطاق[4] حمله فيباح[5] به و ينشر[6] ﴿ و حزنى ﴾ مطلقا و إن كان سببه خفيفا يقدر الخلق على إزالته ﴿ الى الله ﴾ أى المحيط بكل شىء علما و قدرة تعرضا لنفحات كرمه، لا إلى أحد غيره، و هذا - الذى سمعتوه منى فقلقتم[7] له - قليل من كثير .

و لما كان يجوز أن يكونوا صادقين فى أنهم لم يجدوا إلا قميص يوسف ١٠ ملطخا دما، و أن يكون قطعهم بأكل الذئب له مستندا إلى ذلك، وكان يعقوب عليه السلام يغلب على ظنه أن يوسف عليه السلام حى و يظن فى الله أن يجمع شمله به، قال : ﴿ و اعلم من الله ﴾ أى الملك الأعلى من اللطف بنا أهل هذا البيت و من التفريج[8] عن[9] المكروبين و التفريج للمغمومين ﴿ ما لا تعلمون ﴾ . ١٥

(١) فى ظ و مد : بينه (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عنها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لك (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لا يطلق. (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فيناح (٦) فى مد : ينشروه (٧) فى ظ : فقلتم (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ : التصريح (٩) فى ظ : من .

و مادة "فتا" - يائية و واوية مهموزة و غير مهموزة بكل ترتيب و هى فتأ ، و فأت[1] و تفأ و أفت . و فتى و فوت و توف[2] [و تفو -[3]] - تدور على الشباب ، و تلزمه القوة و شدة العزيمة و سلامة الانقياد : ما فتأ يفعل كذا - مثلثة العين[4] : ما زال كما أفتا[5] ، أى أنه ما زال فاعلا ٥ فى ذلك فعل الشاب[6] الجلد الماضى العزم . و ما فتئ أن فعل : ما برح أى أنه بادر إلى ذلك بسهولة[7] انقياد و شدة عزيمة ، و حقيقته : ما فتئ[8] عن فعل كذا ، أى ما تجاوزه إلى غيره و ما نسيه بل قصر فتاءه[9] و همته و جلده عليه ، و عن ابن مالك[10] فى جمع[11] اللغات المشكلة و عزاه[12] للفراء - و صححه فى القاموس : فتأ - كمنع : كسر و أطفأ ، و هو ١٠ واضح فى القوة ، و فتئ عنه - كسمع : نسيه و انقذع عنه ، أى انكف أو خاص[13] بالجحد ، أى بأن يكون قبله حرف نفى ، و معناه أن قوته[14] تجاوزته فلم تخالطه[15] ؛ و من يائيه : الفتاء - كسماء : الشباب ، و كأنه

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فتات (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قوت (٣) زيد من م و مد (٤) فى م و القاموس : التاء (٥) من القاموس ، و فى الأصول : افتى (٦) فى ظ : السباب (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بشهرة (٨) فى ظ : ما فعل (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فقاه - كذا (١٠) هو إمام النحو أبو عبد الله محمد بن مالك (١١) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : جميع (١٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : عن اى - كذا (١٣) من القاموس ، و فى الأصول : خاض . (١٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فوته (١٥) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : فلم يخالطه .

أصل[1] المادة ، و الفتى - بالقصر : السخى و الكريم ، أى الجواد الشريف النفس ، و الفتى : السيد الشجاع - لأن ذلك يلزم الشباب غالبا ، و الفتى المملوك و إن كان بخيلا أو شيخا[2] - لأنه غالبا لا يشترى[3] إلا الشاب[4] ، و الفتى : التلميذ ، [5]و التابع كذلك[5] ، و الفتىّ - كغنى : الشاب[6] أيضا ، و الفتوة : الكرم ، و قد تفتى و تفاتى ، و فتوتهم : غلبتهم فيها[7] ، و أفتاه فى الأمر : أبانه له ، و الفتيا - بالضم و الفتوى - و يفتح : ما أفتى به الفقيه ، و هو يرجع إلى الجود و حسن الخلق ، و الفتيان : الليل و النهار ، و لذلك يسميان الجديدين ، و فتيت البنت[8] تفتية : منعت اللعب مع الصبيان ، فهو من سلب الشباب ، أى فعله ؛ و من مقلوبه مهموزا : افتأت على الباطل : اختلقه[9] ، و برأيه : استبد ، و كلاهما يدل على جرأة و طيش ، و هو بالشاب[10] الذى لم يحنكه الدهر أجدر ، و افتئت - على البناء للمفعول : مات فجأة - كأن ذلك أشد الموت ؛ و من واويه : فات الشىء فوتا و فواتا : ذهب فسبق[11] فلم يدرك ، و فاته و افتاته : ذهب عنه فسبقه ،

(١) فى ظ : اصلى (٢) فى مد : شحيحا (٣) فى مد : لا نشترى (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الشباب (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل : البابع لذلك ، و فى ظ : البائع لذلك - كذا (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الاصل : الشباب (٧) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : فتاها (٨) من م و القاموس ، و فى الأصل وظ و مد : البيت ، و زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م و مد و القاموس فحذفناها (٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : اختلفه (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الشباب (١١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : مسبق .

و ذلك يدل على قوة السابق ، و بينهما فوت ، أى بون - كأن كلا منهما سابق للآخر ، و تفاوت [١] الشيئان و تفوتا [٢] : تباعد ما بينهما ، و يلزم ذلك الاختلاف و الاضطراب ، و يلزمه العيب "فما ترى فى خلق الرحمن من تفوت [٣]" : من عيب ، يقول [٤] الناظر : لو كان كذا كان أحسن ،

٥ و موت الفوات : الفجأة ، و هو فوت رمحه و يده ، أى حيث يراه و لا يصل إليه ، و الفوت [٥] : الفرجة بين إصبعين ، و افتأت عليه برأيه : سبقه به ، و فاته به و عليه : غلبه ، [و لا يفتات عليه - [٦]] أى لا يعمل دون أمره ، أى لا أحد أشد منه فيسبقه ، و افتات الكلام : ابتدعه - كما تقدم فى المهموز ، و افتات عليه : حكم - لقوته ، و الفويت - كزبير :

١٠ المنفرد برأيه - للذكر و المؤنث ، و ذلك لعده نفسه شديدا ، و تفوت عليه فى ماله : فاته به ؛ و من مقلوبه مهموزا : تفئ [٧] - كفرح : احتد [٨] و غضب - و ذلك لشدته ، و تفيئة الشيء : حينه و زمانه [٩] ، و ذلك أحسن أحواله ، و دخل على تفيئته [١٠] أى أثره أى لم يسبقه بكثير ، و ذلك أشد له ؛

---

(١) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : فاوت (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فوتا ، و راجع القاموس أيضا (٣) سورة ٦٧ آية ٣ (٤) فى ظ : لقول (٥) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : الفوات (٦) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٧) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : نفى - كذا (٨) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : احد (٩) من القاموس ، و فى الأصول : ربانه (١٠) من م و مد و التاج ، و فى الأصل و ظ : تفيئة .

و من

و من واويه : التفة[1] كقفة[2] : عناق الأرض[3] و هى تصيد ، و فيها خلاف يبين[4] إن شاء الله تعالى فى قوله " جزاء موفورا[5] " من سورة سبحن ؛ و من مقلوبه واويا : تاف بصره يتوف : تاه - كأنه لسلب الشدة أو المعنى أنه وقع فى توقة ، أى شدة ، و ما فيه توقة - بالضم - و لا تاقة : عيب أو مزيد أو حاجة ، و أبطأ - و كل ذلك يدل على شدته ، و طلب علىّ توقة - بالفتح : عثرة[6] و ذنبا - من ذلك لأن العثرة[7] و الذنب لا يصيبان شيئا إلا عن[8] شدتهما و ضعفه ؛ و من مقلوبه مهموزا : الأفت - بالفتح : الناقة التى[9] عندها من الصبر و البقاء ما ليس عند غيرها ، و السريع الذى يغلب الإبل على السير ، و الكريم من الإبل - و يكسر[10] - و الداهية و العجب ، و كل ذلك واضح فى القوة ، و الإفت - بالكسر : الأول - لأنه أصل كل معدود ، و أفته عن[11] كذا : صرفه[11] .

و لما أخبرهم عليه السلام أن علمه فوق علمهم ، أتبعه استئنافا ما يدل عليه فقال : ﴿ يٰبنى اذهبوا ﴾ ثم سبب عن [هذا - [12]] الذهاب

(١) من م و مد و القاموس (تفف) ، و فى الأصل و ظ : النقه - كذا . (٢) من القاموس ، و فى الأصل : كسه ، و فى ظ : لبثه ، و فى م و مد : كتبه - كذا (٣) حيوان من عائلة السنور (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بين (٥) آية ٦٣ (٦) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : عشرة . (٧) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : العشرة (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عند (٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الذى (١٠) فى ظ : بكسر ، و فى مد : بكسر - كذا (١١-١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و ذلك اصرفه (١٢) زيد من م .

و [1]عقب به[1] قوله : ﴿فتحسسوا﴾ أى بجميع جهدكم ﴿من يوسف و اخيه﴾ أى اطلبوا من أخبارهما بحواسكم لعلكم تظفرون بهما ، و هذا يؤكد ما تقدم من احتمال ظنه أن فاعل ذلك يوسف - عليهم الصلاة و السلام .

و لما لم يكن عندهم من العلم ما عنده ، قال : ﴿و لا تايئسوا﴾ أى تقنطوا ﴿من روح الله[2]﴾ أى الذى له الكمال كله ؛ / [2]و الروح[2] - قال الرمانى - يقع [3]بريح تلذ ، و كأن هذا أصله فالمراد : من رحمته و فرجه و تيسيره و لطفه فى جمع الشتات و تيسير المراد ؛ ثم علل هذا النهى بقوله : ﴿انه لاياييئس﴾ أى لا [4]يقنط ﴿من روح الله﴾ أى الذى له جميع صفات الجلال و الإكرام ﴿الا القوم﴾ أى الذين[5] لهم قوة المحاولة ﴿الكفرون ۝﴾ أى العريقون[6] فى الكفر ، فأجابوه إلى ما أراد ، فتوجهوا إلى مصر لذلك و لقصد الميرة لما كان اشتد بهم من القحط ، و قصدوا العزيز ؛ و قوله : ﴿فلما[7] دخلوا عليه﴾ بالفاء يدل على أنهم أسرعوا الكرة فى[4] هذه المرة ﴿قالوا﴾ منادين بالأداة التى تنبه[8] على أن ما بعدها له وقع عظيم ﴿يآايها العزيز﴾ .

و لما تلطفوا بتعظيمه ، ترفقوا[9] بقولهم : ﴿مسنا﴾ أى أيتها[10] العصابة التى تراها ﴿و اهلنا﴾ أى الذين تركناهم فى بلادنا ﴿الضر﴾ أى لابسنا

٨٥ / ٥

(١-١) فى ظ : عقبه - كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى م : نفع ؛ (٤) سقط من م ومد (٥) فى ظ : الذى (٦) فى ظ ومد : الغريقون (٧) فى مد : و لما (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : تنبيه (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ترفقوا (٩) هذه اللفظة تقال فى الاختصاص كقول كعب : تخلفنا أيتها الثلاثة .

ملابسة نُحشها ﴿ و جئنا ببضاعة مزجاة ﴾ أى تافهة غير مرغوب فيها بوجه ، ثم سببوا[1] عن هذا[2] الاعتراف - لأنه أقرب إلى رحمة أهل الكرم - قولهم : ﴿ فاوف لنا[3] ﴾ أى شفقة علينا بسبب ضعفنا ﴿ الكيل و تصدق ﴾ أى تفضل ﴿ علينا[4] ﴾ زيادة على الوفاء كما عودتنا[4] بفضل ترجو ثوابه . ٥

و لما رأوا[5] أفعاله[6] تدل على تمسكه بدين الله ، عللوا ذلك بقولهم : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ يجزى المتصدقين ﴾ أى مطلقا و إن أظهرت - بما[7] أفاده الإظهار - و إن كانت على غنى قوى ، فكيف إذا كانت على أهل الحاجة و الضعف .

فلما رأى أن الأمر بلغ الغاية و لم يبق شىء يتخوفه ، عرفهم بنفسه ١٠ فاستأنف تعالى الإخبار عن ذلك بقوله حكاية : ﴿ قال هل علمتم ﴾ مقررا لهم بعد أن اجترؤا عليه و استأنسوا به ، و الظاهر أن [8]هذا كان[8] بغير ترجمان ﴿ ما ﴾ اى قبح الذى ﴿ فعلتم بيوسف ﴾ أى أخيكم الذى حلتم بينه و بين أبيه ﴿ و اخيه ﴾ فى جعلكم إياه فريدا منه ذليلا بينكم ، ثم [فى -[9]] قولكم له لما وجدوا[10] الصواع فى رحله : لا يزال يأتينا البلاء ١٥

(١) فى ظ : سببوا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك (٣) زيد بعده فى الأصل و ظ و مد : الكيل ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) فى مد : وعدتنا. (٥) فى ظ : اراذوا (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فعاله (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كانت هذا (٩) زيد من م (١٠) فى م : وجد .

من قبلكم يا بنى راحيل ! و أعلمهم بأن ظنه فيهم الآن جميل تسكينا لهم فقال - : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ انتم جهلون ٥ ﴾ أى فاعلون[1] فعلهم - تلويحا [لهم -[2]] إلى معرفته و تذكيرا بالذنب ليتوبوا ، [و -[3]] تلطفا معهم فى ذلك المقام الذى يتنفس[4] فيه المكروب ، و ينفث فيه المصدور ، و يشتفى فيه المغيظ المحنق ، و يدرك ثأره الموتور[5] ، بتخصيص جهلهم - بمقتضى 'إذ' - بذلك الزمان إفهاما لهم أنهم الآن على خلاف ذلك ، فكأنه قيل : إنه قد قرب لهم الكشف عن أمره . لأنه لا يستفهم ملك مثله[6] - لم ينشأ بينهم و لا تتبع أحوالهم و ليس منهم - هذا الاستفهام و لا سيما و قد روى أنه لما قال هذا تبسم ، و كان فى تبسمه أمر من الحسن لا يجهله معه من رآه و لو مرة واحدة ، فهل عرفوه ؟ فقيل : / ظنوه ظنا غالبا ، و لذلك ﴿ قالوآ ﴾ مستفهمين ﴿ ءانك ﴾ و أكدوا بقولهم : ﴿ لانت يوسف[1] ﴾ . /٨٦

و لما كان المتوقع من مثله فيما هو فيه من العظمة أن يجازيهم على سوء صنيعهم إليه ، استأنف بيان كرمه فقال : ﴿ قال انا يوسف ﴾ و زادهم قوله : ﴿ و هـذآ اخى ز ﴾ أى بنيامين شقيق[7] لذكره لهم[7] فى قوله "و اخيه" و ليزيدهم[8] ذلك معرفة له ، و ثبتها فى أمره بتصديقه له مع

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : فاعلين (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : تنفس ، و فى مد : تتنفس .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المأثور (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مثلهم (٧-٧) فى ظ : لذكرهم له (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ليزيد .

مكثه عنده مدة ذهابهم و إيابهم . و [1]ليبنى عليه[1] قوله : ﴿ قد من الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ علينا[1] ﴾ بأن جمع بيننا على خير[2] حال تكون ؛ ثم تعليله[3] بقوله : ﴿ انه من يتق ﴾ [4]و هو مجزوم لأنه فعل الشرط ، و أثبت[5] قنبل[6] - بخلافه[7] عنه - ياءه فى الحالين معاملا[8] له معاملة الصحيح إشارة إلى وصف التقوى بالصحة الكاملة و المكنة الزائدة و الملازمة لها فى كل حال ﴿ و يصبر ﴾ أى يوفه[9] الله أجره لإحسانه ﴿ فان الله ﴾ أى[10] الذى له الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لا يضيع ﴾ - أى أدنى إضاعة - أجره ، هكذا كان الأصل ، و لكنه عبر بما يعرف أن التقوى و الصبر من الإحسان ، فقال : ﴿ اجر المحسنين ﴾ و التقوى : دفع البلاء بسلوك طريق الهدى ؛ و الصبر[11]: حبس النفس بتجرع مرارة المنع عما يشتهى ، و لعله إنما ستر أمره عنهم إلى هذا الحد لأنه لو أرسل إلى أبيه يخبره قبل[12] الملك لم يأمن كيد إخوته ، و لو تعرف إليهم بعده[13] أو[14] أول

(١-١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ليبين عليهم (٢) فى ظ : غير (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : علل ذلك (٤) العبارة من هنا إلى « كل حال » ساقطة من م (٥) فى ظ : اثبته (٦) من البحر المحيط ٥ / ٣٤٢ ، و فى الأصول : فقبل (٧) فى مد : بخلاف (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : معاسلا (٩) فى ظ : يفوه (١٠) زيد بعده فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) زيد فى مد : من الاحسان (١٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : قيل (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بهذه (١٤) سقط من م .

ما رآهم لم يأمن من أن تقطع[1] افئدتهم عند مفاجأتهم بانكشاف الأمر و هو فيما هو [فيه -[2]] من العز ، فانهم[3] فعلوا به فعل القاتل من غير ذنب قدمه إليهم ، فهم لا يشكون فى أنه إذا قدر عليهم يهلكهم لما تقدم لهم[4] إليه من سوء الصنيعة ، و على تقدير[5] سلامتهم لا يأمنونه[6] و إن بالغ فى إكرامهم ، فان الأمور العظام - إن لم تكن بالتدريج - عظم خطرها ، و تعدى ضررها ، فان أرسلهم[7] ليأتوا بأبيهم خيف أن يختلوا[8] أباهم من ملك مصر و يحسنوا له الإبعاد عن بلاده ، فيذهبوا إلى حيث لا يعلمه ، و إن أرسل معهم ثقات من عنده لم يؤمن أن يكون بينهم شر ، و إن سجنهم و أرسل إلى أبيه من يأتى به لم يحسن موقع ذلك من أبيه . و يحصل له وحشة بحبس أولاده ، و تعظم القالة[9] بين الناس من أهل مصر و غيرهم فى ذلك ، ففعل معهم ما تقدم ليظهر لهم إحسانه و عدله و دينه و خيره و كفه عنهم و عفوه عن فعلهم بالتدريج . و يقفوا على ذلك منه قولا و فعلا من أخيه الذى ربى معهم و هم به آنسون و له ألفون ، فتسكن روعتهم و تهون زلتهم . و مما يدل على ذلك أنه لما انتفى عن أخيه بنيامين ما اتصفوا به مما ذكر ، تعرف إليه حين قدم عليه و نهاه أن يخبرهم بحقيقة الأمر . و شرع يمد فى ذلك لتستحكم الأسباب التى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تقع (٢) زيد من م و مد (٣) فى ظ و مد : فانه (٤) من ظ و م و مد . و فى الأصل موضعه بياض (٥) فى ظ : تقدم . (٦) فى مد: لا يامنون (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد: ارسلتم (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد: يخلوا (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : المقالة .

أرادها، فلما ظن أن الأمر قد بلغ مداه. لوح لهم فعرفوه و قد أنسهم حسن عقله و بديع جماله / و شكله و رائع قوله و فعله، فكان موضع الوجل الخجل، و موضع اليأس[1] الرجاء، فحصل المراد على وفق السداد - و الله الموفق؛ و ذلك تنبيه لمن قيل لهم[2] أول السورة "لعلكم تعقلون" على الاقتداء بأفعال الهداة المهديين فى التأنى و الاتئاد[3] و تفويض الأمور إلى الحكيم، و أن لايستعجلوه فى أمر. و أن يعلموا أن سنته الإلهية جرت [4]بأن الأمور الصعاب[4] لاتنفذ إلابالمطاولة لترتب الأسباب شيئا فشيئا على وجه الإحكام، و فى ذلك فوائد من أجلّها امتحان أولى الطاعة و العصيان - كما ستأتى الإشارة إليه آخر السورة بقوله "حتى اذا استيئس الرسل" - الآية - و الله أعلم.

/ ٨٧

و لما كان ما ذكر، كان كأنه قيل: لقد أتاهم ما لم يكونوا يحتسبون[5]، فما قالوا؟ فقيل: ﴿قالوا﴾ [متعجبين غاية التعجب[6]، و لذلك أقسموا بما يدل على ذلك: ﴿تالله﴾ أى الملك الأعظم-[7]] ﴿لقد آثرك الله﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿علينا﴾ أى جعل لك أثرا يغطى[8] آثارنا بعلوه، فالمعنى: فضلك علينا أى بالعلم و العقل و الحكم[9] و الحسن و الملك و التقوى

(١) فى ظ: البايس (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: له؛ و زيد بعده فى م: فى (٣) من م، و فى الأصل و ظ و مد: الايتاد - كذا (٤-٤) فى م: أن الامور الصعاب، و فى مد: بالامور و الصعاب - كذا (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يحسبون (٦) فى م: العجب (٧) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٨) فى مد: يعطى (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحلم.

و غير ذلك ﴿ و ان ﴾ خففوها[1] من الثقيلة تأكيدا بالإيجاز للدلالة على الاهتمام بالإبلاغ فى الاعتذار فى أسرع وقت ﴿ كنا ﴾ أى كونا هو جبلة لنا ﴿ لخطئين ۝ ﴾ أى[2] عريقين فى الخطأ ، و هو تعمد الإثم ، فكأنه قيل : ما قال لهم على قدرته و تمكنه مع ما سلف من إساءتهم ؟

٥ فقيل : ﴿ قال ﴾ قول الكرام اقتداء باخوانه من الأنبياء و الرسل عليهم الصلاة و السلام ﴿ لا تثريب ﴾ أى لا لوم و لا تعنيف و لا هلاك ﴿ عليكم اليوم[3] ﴾ و إن كان هذا الوقت مظنة اللوم و التأنيب[3] ، فاذا انتفى ذلك فيه فما الظن بما بعده !

و مادة ' ثرب ' تدور على البرث[4] - بتقديم الموحدة ، و هو أسهل

١٠ الأرض و أحسنها[5] ؛ و الثبرة - بتقديم المثلثة : أرض ذات حجارة بيض ، فانه يلزمه الإخلاد و الدعة ، و منه : ثابر على الأمر : داوم ، و المثبر - كمنزل : لمسقط[6] الولد أى موضع ولادته ، و المقطع و المفصل ، فيأتى الكسل و اللين فيأتى الفساد ، و منه الثبور للهلاك ؛ [و البثر -[7]] - بتقديم الموحدة : خراج معروف : و الماء البثر[8] : الذى بقى منه[9] على

١٥ الأرض شىء قليل ؛ و الربث - بتقديم الموحدة أيضا : حبس الإنسان ،

(١) فى مد : خفوها (٢) زيد بعده فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : التانيث - كذا (٤) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : الثرب - كذا (٥) فى ظ : اسهلها . (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : المسقط (٧) زيد من م و مد (٨) من م و اللسان ، و فى الأصل و ظ و مد : الثبر (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معه .

و هو يرجع إلى الإقامة و الدوام ايضا ؛ و التثريب : التقرير بالذنب ، فهو[1] إزالة ما على الإنسان [2]من ساتر[2] العفو ، من التّرب[3] و هو شحم يغشى الكرش[4] و الأمعاء و يسترهما ، و هو من لوازم الأرض السهلة لما يلزم من خصبها ، فالتثريب إزالته ، و ذلك للقحط الناشئ[5] عنه الهلاك ، فأغلب مدار المادة الهلاك .

٥

و لما أعفاهم من التثريب ، كانوا فى مظنة السؤال عن كمال العفو المزيل للعقاب من الله ، فأتبعه الجواب[5] عن ذلك بالدعاء لهم بقوله : ﴿يغفر الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿لكم﴾ أى ما فرط منكم و ما لعله يكون بعد هذا ؛ و لعله عبر فى هذا الدعاء بالمضارع / إرشادا لهم إلى إخلاص[6] التوبة ، و رغبهم فى ذلك و رجاهم بالصفة التى هى سبب الغفران ، فقال : ﴿و هو﴾ ١٠ أى وحده ﴿ارحم الرحمين ۝﴾ أى لجميع[7] العباد و لا سيما التائب ، فهو جدير بادرار النعم بعد الإعاذة من النقم ، و روى أنهم أرسلوا إليه أنك لتدعونا[8] إلى طعامك و كرامتك بكرة و عشيا و نحن نستحى لما فرط منا ، فقال : إن أهل مصر ينظرونى[9] - و إن ملكت فيهم - بعين العبودية فيقولون : سبحان من بلغ عبدا [بيع -[10]] بعشرين درهما ما بلغ ، و لقد شرفت الآن ١٥

/ ٨٨

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وهو (٢-٢) من م ، و فى الأصل : واساير ، و فى ظ و مد : من ساير (٣) فى م : الترب (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الكرس (٥) سقط من ظ و م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : خلاص (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جميع (٨) من ظ ، و فى الأصل : لدعوتنا ، و فى م و مد : تدعونا (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم ينظروبى - كذا (١٠) زيد من م .

بكم و عظمت فى العيون حيث علم الناس أنكم إخوتى ، و أنى من ذرية إبراهيم عليه الصلاة و السلام .

و لما أقر أعينهم[1] بعد اجتماع شملهم بازالة ما يخشونه دنيا و أخرى ، بقى ما يخص أباهم من ذلك ، فكأنه وقع السؤال عنه فأجيب بقوله : ﴿ اذهبوا بقميصى ﴾ و لما كان قوله هذا ربما أوقع فى أفهامهم قميصه الذى سلبوه إياه ، احترز عن ذلك بقوله : ﴿ هذا فالقوه ﴾ أى عقب وصولكم ﴿ على وجه ابى يات ﴾ أى يرجع إلى ما كان ﴿ بصيرا ج ﴾ أو يأت إلى حالة[2] كونه بصيرا ، فانه إذا رد إليه بصره و علم مكانى لم يصبر عن[3] القصد إلىّ لما عنده من وفور المحبة و عظيم الشوق[4] . و كونه قميصا من ملابس يوسف المعتادة أدخل فى الغرابة و أدل على الكرامة ؛ [5]و القميص ألصق الثياب بالجسم ، فاظهار الكرامة[6] به أدل[7] على كمال دين صاحبه و عراقته فى أمور الإيمان ، و هو يأول فى المنام بالدين ، و ذلك أدخل فى كمال السرور ليعقوب[8] عليه الصلاة و السلام ﴿ و اتونى ﴾ أى بأبى[9] و أنتم ﴿ باهلكم ﴾ أى مصاحبين لهم ﴿ اجمعين ۝ ﴾ لا يتخلف منهم أحد . فرجعوا بالقميص لهذا القصد ، قيل : كان[10] يهوذا هو الذى حمل قميصه لما لطخوه بالدم ، فقال : لا يحمل[11] هذا غيرى

(١) فى ظ : عينهم (٢) فى ظ : حاله ، و فى م و مد : حال (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٤) فى ظ : التشوق (٥) العبارة من هنا إلى « و الصلاة و السلام » ساقطة من م (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الكل (٧) من مد ، و فى الأصل : اول ، و فى ظ : ال (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعقوب . (٩) فى ظ و م : إلى (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ان (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يحل .

لأفرحه[1] كما أحزنته، فحمله و هو حاف حاسر من مصر إلى كنعان و بينهما ثمانون فرسخا ﴿ و لما فصلت العير ﴾ من العريش آخر بلاد مصر إلى أول بلاد الشام ﴿ قال ابوهم ﴾ لولد ولده و من حوله من أهله، مؤكدا لعلمه أنهم ينكرون قوله: ﴿ انى لاجد ﴾ أى لأقول: إنى لأجد ﴿ ريح يوسف ﴾ و صدهم عن مواجهته بالإنكار بقوله: ﴿ لو لآ ان تفندون ﴾ [أى -[2]] لقلت غير مستح و لا متوقف، لأن التفنيد لا يمنع الوجدان، و هو[3] كما تقول لصاحبك: لو لا[4] أن تنسبنى إلى الخفة لقلت كذا، أى أنى قائل به مع علمى بأنك لا توافقنى عليه، و'فصل' هنا لازم، يقال: فصل من البلد يفصل فصولا، و الفصل: القطع بين الشيئين بحاجز، و الوجدان: ظهور من جهة إدراك يستحيل معه انتفاء الشىء، و الريح: عرض يدرك[5] بحاسة الأنف أى الشم[6]، و التفنيد: تضعيف الرأى بالنسبة إلى الفند، و هو الخوف و إنكار العقل / من هرم، يقال: شيخ مفند، و لا يقال: عجوز[7] مفندة، لأنها لم تكن فى شبيبتها[8] ذات رأى فيفندها كبرها؛ ثم استأنف حكاية جوابهم فقال: ﴿ قالوا ﴾ أى السامعون له ما ظنه بهم، مقسمين بما دل على تعجبهم، و هو ﴿ تالله ﴾ أى الملك الأعظم، و أكدوا لمعرفتهم أنه ينكر كلامهم و كذا كل من يعرف كماله ﴿ انك لفى ضللك ﴾ أى بحيث صار ظرفا لك

/ ٨٩

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لافرحنته (٢) زيد من م (٣) فى م و مد: هذا (٤) فى ظ: او (٥) سقط من مد (٦) من م، و فى الأصل و ظ و مد: الشى - كذا (٧) فى ظ: عجز (٨) فى ظ: شيبها.

﴿ القديم ﴾ أى خطاءك فى ظن حياة يوسف ؛ قال الرمانى : و الضلال : الذهاب عن جهة الصواب . فصحح الله قوله و حقق وجدانه ، و عجلوا إليه بشيرا فأسرع بعد الفصول ، و لذلك عبر بالفاء فى[1] ﴿ فلما ﴾ و زيدت ﴿ ان ﴾ لتأكيد مجيئه على تلك الحال و زيادتها[2] قياس مطرد ٥ ﴿ جآء البشير ﴾ و هو يهوذا بذلك ، معه القميص ﴿ القىه ﴾ أى القميص حين وصل إلى [3]يعقوب عليه الصلاة و السلام من غير فاصل ما بين أول المجىء و بينه كما أفادته زيادة [4]'أن' لتأكيد ما تفيده [5]'لما' من وقوع الفصل[6] الثانى و هو هنا الإلقاء عقب الأول و ترتبه عليه و هو هنا المجىء ﴿ على وجهه ﴾ أى يعقوب عليه الصلاة و السلام ﴿ فارتد ﴾ ١٠ من حينه ﴿ بصيرا ﴾ و الارتداد : انقلاب الشىء إلى حال كان عليها ، فالتفت الخاطر إلى حاله مع فنده[6] ، فأخبر تعالى عن ذلك بقوله مستأنفا[7] : ﴿ قال ﴾ أى يعقوب عليه الصلاة و السلام ﴿ الم اقل لكم ﴾ : إنى أجد ريحه ؛ ثم علل هذا التقرير بقوله مؤكدا لأن قولهم قول من ينكر : ﴿ انى اعلم من الله ﴾ أى المختص بصفات الكمال ﴿ ما لا تعلمون ﴾ ١٥ لما خصنى[8] به تعالى[8] من أنواع المواهب ، و هو عام لأخبار[9] يوسف عليه الصلاة و السلام و غيرها ، و هو من التحديث بنعمة الله .

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فقال (٢) زيد فى الأصول غير مد «بعد» . (٣) العبارة من هنا إلى «هنا المجىء» ساقطة من م (٤) فى ظ : زياد (٥) فى مد : الاول (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : قيده (٧) سقط من م (٨-٨) فى ظ : تعالى ، و فى م : تعالى به (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاخبار .

و لما

و لما كان ذلك تشوفت[1] النفس إلى علم ما يقع بينه و بين أولاده في ذلك ، فـدفع عنها هـذا العنـاء بقوله : ﴿ قالوا يٰاباٰنا ﴾ منادين[2] بالأداة التي تدل على الاهتمام العظيم بما بعدها[3] لما له من عظيم الوقع[4]: ﴿ استغفر ﴾ أي اطلب من الله أن يغفر ﴿ لنا ذنوبنآ ﴾ و رد كل ضمير من هذه الضمائر إلى صاحبه في غاية الوضوح ، فلذلك لم يصرح بصاحبه . ٥

و لما سألوه الاستغفار لذنوبهم ، عللوه بالاعتراف بالذنب ، لأن الاعتراف شرط التوبة - كما قال صلى الله عليه و سلم « إن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليـه »[5] ، فقالوا مؤكدين تحقيقا للإخلاص في التوبة : ﴿ انا كنا خٰطـِٔين ۝ ﴾ أي متعمدين للإثم بما ارتكبنا في أمر يوسف عليه الصلاة و السلام ؛ ثم حكى جوابه بقوله مستأنفا : ﴿ قال ﴾ ١٠ أي أبوهم عليه السلام مؤكدا لكلامه : ﴿ سوف استغفر ﴾ أي أطلب أن يغفر ﴿ لكم ربى[6] ﴾ [أي - ٦] الذي لم يزل يحسن إليّ و يربيني أحسن تربية ، فهو الجدير بأن يغفر / لبني حتى لا يفرق بينيّ و بينهم في ٩٠/ دار البقاء ؛ و الربوبية : ملك هو أتم الملك على الإطلاق ، و هو ملك الله تعالى لإنشاء الأنفس باختراعها و تصريفها أتم التصريف من الإيجاد ١٥ و الإعدام و التقليب من حال إلى حال في جميع الأمور من غير تعب ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انه هو ﴾ أي وحده ﴿ الغفور الرحيم ۝ ﴾ كل

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تشوقت (٢) من مد ، و في الأصل و ظ و م : مناديا (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يعدهـا (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الواقع (٥) راجـع البخاري - تفسير سورة ٢٤ و رواه غيره أيضا (٦) زيد من مد .

ذلك تسكينا لقلوبهم و تصحيحا لرجائهم ليقوى أملهم ، فيكون تعالى عند ظنهم بتحقيق الإجابة و تنجيزا لطلبه[١] ؛ و لعله عبر بـ"سوف" لتقديم هاتين الجملتين على المسألة لما ذكرته من الأغراض[٢] ، و قيل : لأنه أخر الدعاء إلى صلاة الليل ، و قيل : إلى ليلة الجمعة ؛ و قيل : يؤخذ منها أن طلب الحوائج إلى الشباب أسهل منه إلى الشيوخ .

و لما وقع ما ذكر[٣] . و كان قد أرسل معهم من الدواب و المال و الآلات ما يتجهزون به ، أقبلوا على التجهيز كما أمرهم يوسف عليه الصلاة و السلام ، [ثم -[٤]] قدموا مصر و هم اثنان و سبعون نفسا من الذكور و الإناث ، و كأنهم[٥] أسرعوا فى ذلك فلذلك قال : ﴿ فلما ﴾ بالفاء ﴿ دخلوا على يوسف ﴾ فى المكان الذى تلقاهم إليه فى وجوه أهل مصر و ضرب به مضاربه ﴿ آوى اليه ابويه ﴾ إكراما لهما بما يتميزان به ، قيل : هو المعانقة ، و الظاهر أنها أمه حقيقة ، و به قال الحسن و ابن إسحاق - كما نقله الرمانى و أبو حيان[٦] ، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها خالته ، و غلب الأب فى هذه التثنية لذكورته كما غلب ما هو مفرد[٧] فى أصله على المضاف فى العمرين ﴿ و قال ﴾ مكرما للكل ﴿ ادخلوا مصر ﴾

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لطلبهم (٢) من م ، و فى الأصل و ظ ومد : الاعراض (٣) فى ظ : وقع (٤) زيد من م و مد (٥) من م ، وفى الأصل و ظ و مد : كان ؛ و زيد بعده فى الأصل : قد ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (٦) راجع البحر ٥ / ٣٤٧ (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مفردا .

أى البلد المعروف ، و أتى بالشرط للأمن لا للدخول ، فقال : ﴿ ان شآء الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله ﴿ امنين ﴾ من جميع ما ينوب حتى مما فرطتموه فى حق و حق أخى .

و لما ذكر الأمن الذى هو ملاك العافية[1] التى بها لذة العيش ، أتبعه الرفعة التى بها كمال النعيم ، فقال : ﴿ و رفع ابويه ﴾ أى بعد ما استقرت بهم الدار بدخول مصر مستويين[2] ﴿على العرش﴾ أى السرير الرفيع؛ قال الرمانى : أصله الرفع . ﴿ و خروا ﴾ أى انحطوا ﴿له سجدا﴾ الأبوان و الإخوة تحقيقا لرؤياه[3] ممن هو غالب على كل أمر ، و السجود -[4]و أصله[4] : الخضوع و التذلل - كان مباحا فى تلك الأزمنة[5] ﴿و قال﴾ أى يوسف عليه الصلاة و السلام ﴿يـٰأبت﴾ ملذذا له بالخطاب بالأبوة ﴿ هذا ﴾ أى الذى وقع من السجود ﴿ تاويل رءياى ﴾ التى رأيتها ، و دل على قصر [6]الزمن الذى[6] رآها فيه بالجار فقال : ﴿ من قبل ﴾ ثم استأنف قوله : ﴿ قد جعلها ربى ﴾ أى[7] الذى ربانى بما أوصلنى إليها ﴿حقا[8]﴾ أى بمطابقة[8] الواقع لتأويلها ، و تأويل ما أخبرتنى به أنت تحقق [أيضا -[9]] من اجتبائى و تعليمى و إتمام النعمة علىّ؛ و التأويل : تفسير

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : العاقية (٢) فى ظ : بمستويين (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لرويا هم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م .
(٥) من ظ ومد ، وفى الأصل وم : الزمنة (٦-٦) من م ومد ، و فى الأصل : الزمان التى ، وفى ظ : الزمان الذى (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : لمطابقة (٩) زيد من م .!

/٩١ بما يؤل إليه معنى الكلام ؛ و عن سلمان / رضى الله عنه أن ما بين تأويلها و رؤياها أربعون سنة[١]. ﴿و قد احسن﴾ أى أوقع إحسانه ﴿بى﴾ تصديقا لما[٢] بشرتنى به من إتمام النعمة ، [و تعدية "احسن" بالباء أدل على القرب من المحسن من التعدية بـ'إلى' و عبر بقوله : -[٣]]

٥ ﴿اذ اخرجنى من السجن﴾ معرضا عن لفظ "الجب" حذرا من إيحاش إخوته مع أن اللفظ يحتمله احتمالا[٤] خفيا ﴿و جآء بكم﴾ و قيل[٥] : إنهم كانوا أهل عمد[٦] و أصحاب مواش ، يتنقلون فى المياه و المناجع ، فلذلك قال : ﴿من البدو﴾ من أطراف بادية فلسطين ، و ذلك من أكبر النعم كما ورد فى الحديث « من يرد الله به خيرا ينقله من البادية إلى الحاضرة[٧] »

١٠ و البدو : بسيط من الأرض يرى فيه الشخص من بعيد ، و أصله من الظهور ؛ و أنس إخوته أيضا بقوله مثبتا الجار لأن مجيئهم فى بعض أزمان البعد : ﴿من بعد أن نزغ﴾ عبر بالماضى ليفهم أنه انقضى ﴿الشيطن﴾ أى أفسد البعيد المحترق بوسوسته التى هى كالنخس ﴿بينى و بين اخوتى﴾ حيث قسم النزغ بينه و بينهم و لم يفضل أحدا من

(١) وهذا القول حكاه فى لباب التأويل ٣/٢٠٩ بالإضافة إلى الأقوال الأخرى .
(٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما (٣) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احفا لا - كذا (٥) و القائل هو الزمخشرى - راجع البحر ٣٤٩/٥ (٦) من ظ و م و مد و البحر ، و فى الأصل عمر (٧) هذا الحديث قد استدرك على حاشية روح المعانى ١١٥/٤ بدون التنويه بمراجعه .

الفريقين فيه ، [1] ولم يثبت الجار إشارة إلى عموم الإفساد للبينين [2] ، كل ذلك إشارة إلى تحقق [3] ما بشر به يعقوب عليه الصلاة و السلام من إتمام النعمة و كمال العلم [4] و الحكمة ؛ ثم علل الإحسان إليهم أجمعين بقوله : ﴿ ان ربى ﴾ أى المحسن إلىّ على وجوه فيها خفاء ﴿ لطيف ﴾ أى يعلم دقائق [5] المصالح و غوامضها ، ثم يسلك - فى إيصالها [إلى - [6]] المستصلح - سبيل الرفق دون العنف . فاذا اجتمع الرفق فى الفعل و اللطف فى الإدراك فهو اللطيف - قاله الرازى فى اللوامع . و هو سبحانه فاعل اللطف فى تدبيره و رحمته ﴿ لما يشآء [5] ﴾ لا يعسر عليه أمر ؛ ثم علل هذه العلة بقوله : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ العليم ﴾ أى البليغ العلم للدقائق و الجلائل ﴿ الحكيم ﴾ أى البليغ الإتقان لما يصنعه طبق ما ختم به يعقوب عليه الصلاة و السلام بشراه فى أول السورة ، أى هو منفرد بالاتصاف بذلك لا يدانيه [7] أحد فى علم ليتعرض إلى إبطال ما يقيمه من الأسباب ، و لا فى حكمة ليتوقع الخلل [8] فى شىء منها .

و لما ذكر هاتين الصفتين ، تذكر ما وقع له بهما من الأسباب، فغلب عليه مقام الشهود و ازدادت نفسه عن الدنيا عزوفا [9] ، فقال مخاطبا :

(١) العبارة من هنا إلى « للبينين » ساقطة من م (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : للبنين (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تحقيق (٤) زيد بعده فى ظ و م و مد : لله (٥) فى ظ : حقائق (٦) زيد من م و مد (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لا يدانيه (٨) فى م : الحلل (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عروما .

﴿رب قد [1]اتيتنى﴾ و افتتح بـ «قد» لأن الحال حال توقع السامع [1]لشرح مآل[1] الرؤيا ﴿من الملك﴾ أى بعضه بعد بُعدى منه جدا، [2]و هو معنى روحه تمام القدرة[2] ﴿و علمتنى﴾ و قصر دعواه تواضعا بالإتيان بالجار فقال: ﴿من تاويل الاحاديث ج﴾ طبق ما بشرنى به أبى و أخبرت به أنت من التمكين و التعليم قبل قولك، و الله غالب على أمره؛ ثم ناداه بوصف جامع للعلم و الحكمة فقال: ﴿فاطر السمٰوٰت و الارض قف﴾ ثم[3] أعلمه بما هو أعلم به منه من أنه لا يعول على غيره فى شىء[4] من الأشياء فقال / : ﴿انت ولىّ﴾ أى الأقرب إلىّ باطنا و ظاهرا ﴿فى الدنيا و الاٰخرة ج﴾ أى لا ولى لى غيرك، و الولى يفعل لمولاه الأصلح و الأحسن، فأحسن بى فى الآخرة أعظم ما أحسنت بى فى الدنيا. /٩٢

و لما كان توليه لله لا يتم إلا بتولى الله له، اتبعه بما يفيده فقال: ﴿توفنى﴾ أى اقبض روحى وافيا تاما فى جميع أمرى حسا و معنى حال كونى ﴿مسلما﴾ و لما كان المسلم حقيقة من كان عريقا[5] فى الإخلاص، حققه بقوله: ﴿و الحقنى بالصٰلحين ه﴾ فتوفاه الله كما سأل؛ قالوا[6]: و تخاصم أهل مصر فيه، كلهم يرجو أن يدفن فى محلته[7] يرجو بركته، ثم اصطلحوا على أن عملوا له صندوقا من رخام و دفنوه فى وسط النيل،

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لشروح حال (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) فى ظ: اى (٤) فى ظ: حال (٥) فى ظ و مد: غريقا. (٦) راجع لباب التأويل ٣/٢٦٠ (٧) من م و مد، و فى الأصل: محله، و فى ظ: مجلسه.

ليفترق[1] الماء على جميع الأرض[2] فتنالها بركته و تخصب كلها على حد سواء، و يكونوا كلهم فى الماء سواء.

ذكر ما بقى من القصة عن التوراة[3]:

قال بعد[4] ما مضى: فلم يقدر يوسف على الصبر - يعنى على ترفق[5] إخوته - فأمر باخراج[6] جميع من كان عنده، فلم يبق عنده أحد حيث ظهر يوسف لإخوته، فرفع صوته فبكى حتى سمع المصريون فأخبروا فى آل فرعون، فقال يوسف لإخوته: أنا[7] أخوكم[8] يوسف، هل أبى[9] باق؟ فلم يقدر[10] إخوته على إجابته لأنهم رهبوه، فقال يوسف لإخوته: ادنوا منى [فدنوا -[11]] فقال لهم: أنا يوسف الذى بعتمونى لمن ورد إلى مصر، و الآن فلا تحزنوا، و لا يشقن عليكم ذلك، و لا يشتدن[12] عليكم بيعكم إياى إلى ما هنا، لأن الله أرسلنى أمامكم لأعد لكم القوت، لأن للجوع مذ أتى سنتين، و[13]ستأتى خمس سنين أخر[13] لا يكون فيها زرع و لا حصاد، فأرسلنى الرب أمامكم لأصير لكم بقاء فى الأرض و أخلصكم

(١) فى ظ: ليتفرق (٢) فى م و مد: الاراضى (٣) راجع الأصحاح الخامس والأربعين من التكوين (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بعض (٥) فى ظ: ترقق - كذا (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باخرج - كذا. (٧) من م، وفى الأصل وظ و مد: ان (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اخيكم (٩) من م و مد، و فى الأصل وظ: اى (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فلم تقدر (١١) زيد بناء على التوراة (١٢) فى مد: لا تشتدن (١٣-١٣) تكرر ما بين الرقمين فى مد.

و أستنقذكم، لتحيوا و تستبشروا على الأرض، و الآن فلستم أنتم الذين بعثتموني إلى ههنا بل الله أرسلني و جعلني أبا[1] لفرعون و سيدا لجميع[2] أهل بيته، و مسلطا على جميع أرض مصر، فاصعدوا الآن عجلين [3]عليّ بأبي[3] و[4]قولوا له[4]: هكذا يقول ابنك يوسف: إن الله جعلني سيدا لجميع أهل مصر، فاهبط إليّ ٥ و لا تتأخر، و أنزل إلى أرض السدير - و في نسخة: خشان[5] - فكن قريبا مني أنت و بنوك و أهل بيتك و عمتك و بقرك و جميع مالك، فأمونكم[6] هناك، لأنه قد بقي خمس سنين جوعا، لئلا تهلك أنت و أهل بيتك[7] و كل مالك، و هذه أعينكم تبصر و عينا أخي بنيامين، إني[8] أكلمكم مشافهة، و أخبروا أبي بجميع[9] كرامتي و وقاري في أرض مصر، ١٠ و بجميع ما رأيتم، و أسرعوا و اهبطوا بابي إلى ما ههنا، فاعتنق أخاه بنيامين أيضا و بكى، و قبل[10] جميع إخوته و بكى، و من بعد ذلك كلمه إخوته، فبلغ ذلك فرعون و قيل له: إن إخوة يوسف قد أتوه، فسر ذلك[11] فرعون و عبيده - و في نسخة: و جميع قواده - فقال / فرعون ليوسف: ٩٣ / قل لإخوتك فليفعلوا هكذا، أوقروا دوابكم ميرة، و انطلقوا بها إلى ١٥ أرض كنعان، و أقبلوا بأبيكم و أهل بيوتاتكم[12] [و ائتوني -[13]] فأنحلكم[14]

(١) من التوراة، و في الأصول: انا (٢) ليس في ظ و التوراة (٣-٣) في التوراة: إلى أبي (٤-٤) في ظ: قوله (٥) في التوراة: جاسان (٦) في م: فامرتكم (٧) زيد بعده في مد: و غنمك و بقرك (٨) في ظ: انكم (٩) في الأصول: جميع (١٠) من م، و في الأصل و ظ و مد: قيل (١١) في مد: بذلك (١٢) من م و مد، و في الأصل: بيوتاكم، و في ظ: بيوتكم (١٣) زيد من م و مد (١٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: فاعجلكم.

خيرات أرض مصر و خصبها ، و كلوا خصب الأرض ، و هذا أنت المسلط ، فأمر إخوتك أن يفعلوا هذا الفعل ، احملوا من أرض مصر عجلا لنسائكم و حشمكم ، و أظعنوا بأبيكم فأقبلوا ، و لا تشفقن على أمتعتكم ، لأن جميع خيرات مصر و أرضها و خصبها هو لكم ، [1]ففعل بنو[1] إسرائيل كما أمر فرعون ، و دفع إليهم يوسف عجلا عن[2] أمر فرعون ، و زودهم ٥ جميع أزودة الطريق ، و خلع على كل امرئ منهم خلعة ، فأما بنيامين فأجازه بثلاثمائة درهم - و فى نسخة : مثقال فضة - و خلع عليه خمس خلع ، و بعث إلى أبيه بمثل ذلك أيضا و عشرة حمير موقرة من البر و الطعام و أزودة لأبيه للطريق [3]و أرسلهم[3] ، فانطلقوا ، و تقدم إليهم[4] [و قال لهم - [5]] : لاتقع [6]المشاجرة فيما بينكم[6] فى الطريق ، فظعنوا ١٠ من مصر[7] فأتوا أرض كنعان إلى يعقوب أبيهم ، فأخبروه و قالوا له : إن يوسف بعد[8] فى الحياة ، و هو المسلط على جميع أرض مصر ، و رأى يعقوب العجل الذى بعث يوسف لحمله[9] ، فاطمأنت نفسه و قال : إن هذا لعظيم عندى ، إذ كان ابنى يوسف بعد فى الحياة ، أنطلق[10] الآن

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل : ففعلوا بنى ، و فى ظ : ففعلوا بنو - كذا . (٢) فى ظ : من (٣-٣) فى ظ و مد : فارسلهم (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهم (٥) زيد من م و مد (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل : المشاحة فيكم بينكم ، و فى ظ : المشاحة بينكم - كذا (٧) زيد فى مد : فاذعن (٨) فى ظ : بعده (٩) فى ظ و مد : لحمله (١٠) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها .

فأنظر إليه قبل الموت .

[1] فظعن إسرائيل و جميع ما له ، فأتى بئر[2] السبع ، و قرب قربانا لإله إسحاق أبيه ، فكلم الله إسرائيل فى الرؤيا و قال له : يا يعقوب ! فقال : هأنذا ! فقال : إنى أنا إيل إله أبيك ، لا تخف من الحدور[3] إلى مصر ، لأنى أجعلك هناك إلى شعب عظيم - و فى نسخة : لأنى أصير منك أمة عظيمة - أنا أهبط معك ، و أنا أصعدك ، و يوسف يضع يده على عينيك ، فنهض يعقوب من بئر السبع و ظعن بنو إسرائيل بيعقوب أبيهم و بحشمهم[4] و نسائهم على العجل الذى بعث فرعون لحمله ، و ساقوا دوابهم و مواشيهم التى استفادوها بأرض كنعان ، فأتوا بها مصر يعقوب و جميع نسله و بنوه معه و بنو بنيه [و بناته -[5]] و بنات بناته ، و أدخل إلى مصر كل نسله .

ثم سماهم واحدا [واحدا -[5]] ، ثم قال : فجميع[6] بنى يعقوب الذين دخلوا مصر سبعون إنسانا ، ثم بعث يعقوب يهوذا بين يديه إلى يوسف عليه الصلاة و السلام ليدله على السدير[7] - و فى نسخة : خشان - فألجم يوسف مراكبه ، و صعد للقاء إسرائيل أبيه إلى خشان - و فى نسخة : السدير[7] - فتلقاه و اعتنقه و بكى إذا[8] اعتنقه ، فقال إسرائيل ليوسف :

(١) و هذه بداية الأصحاح السادس و الأربعين (٢) فى ظ : بين (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الحدود (٤) فى مد : بحسمهم (٥) زيد من م و مد . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بجميع (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : السرير (٨) فى مد : اذ .

أتوفى الآن بعد نظرى إليك يا بنى، فأنت فى الحياة بعد، فقال يوسف لإخوته و آل[1] أبيه: أصعد فأخبر فرعون و أقول: إن إخوتى و آل أبى الذين كانوا بأرض كنعان [قد -[2]] أتونى و القوم رعاه غنم، لأنهم أصحاب مواش و قد أتوا بغنمهم و بقرهم / و بكل شىء لهم، فاذا دعاكم ٩٤ / فقولوا له: إنا عبيدك أصحاب ماشية منذ صبانا[3]، و حتى الآن نحن و آباؤنا ٥ من قبل أيضا، لكى تنزلوا[4] أرض خشان - و فى نسخة: السدير[5] - لأن رعاة الغنم هم مرذولون عند المصريين[6]. فأتى يوسف فأخبر فرعون و قال له: إن أبى و إخوتى قد أتونى[7] و غنمهم[8] و بقرهم و جميع ما لهم من أرض كنعان، و هو ذا هم حلول بأرض السدير[5]، و حمل من إخوته خمسة رهط، فأدخلهم على فرعون فوقفوا بين يديه، فقال فرعون لإخوة ١٠ يوسف: ما صنعتكم؟ فقالوا[9]: إن عبيدك رعاه غنم نحن منذ صبانا، و آباؤنا أيضا من قبل. و قالوا لفرعون: إنا أتينا لنسكن هذه الأرض لأنه فقد[10] الحشيش و[10] العشب و الكلأ من مرابع غنم عبيدك، و ذلك لأن الجوع اشتد فى أرض كنعان، فأمر عبيدك أن ينزلوا بأرض السدير[11]، فقال فرعون ليوسف: إن أباك و إخوتك قد أتوا، و هذه أرض مصر ١٥

(١) من م، و فى الأصل وظ و مد: الى (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من التوراة، و فى الأصول: صباهم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تنزل. (٥) من م، و فى الأصل وظ و مد: السرير (٦) هذه بداية الأصحاح السابع والأربعين من التوراة (٧) فى ظ: اتوا (٨) زيد بعده فى الأصل و ظ و مد: مر، ولم تكن الزيادة فى م والتوراة فحذفناها (٩) فى ظ: فقال (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من م، و فى ظ ومد «و» (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: السرير.

بين يديك، فأسكن أباك و إخوتك فى أحسن الأرض و أخصبها[١] لينزلوا أرض السدير[٢]، و إن كنت تعلم أن فيهم قوما ذوى قوة و بطش [و نفاذ -[٣]] فولهم جميع مالى، فأدخل يوسف عليه السلام أباه يعقوب عليهم الصلاة و السلام على فرعون فأقامه بين يديه، فقال فرعون ليعقوب عليه الصلاة و السلام: كم عدد [٤]سنى حياتك[٤]؟ فقال يعقوب عليه السلام لفرعون: مبلغ حياتى مائة و ثلاثون سنة، و إن أيام حياتى لناقصة، و [٥]لم أبلغ[٥] سنى حياة آبائى فى أيام حياتهم، فبارك يعقوب فرعون و دعا له، و خرج من بين يديه، فأسكن يوسف عليه السلام أباه [٦]يعقوب عليه السلام[٦] و إخوته و أعطاهم وراثة[٧] فى أرض[٨] مصر فى أخصب الأرض و أحسنها فى أرض رعمسيس[٩] - و فى نسخة: أرض عين شمس - كما أمر فرعون، فقات يوسف أباه و إخوته و جميع أهل[١٠] بيته بالميرة على قدر الحشم[١١]، و لم تكن ميرة فى جميع الأرض كلها لأن الجوع اشتد جدا، فخربت جميع أرض مصر و [أرض -[١٢]] كنعان. فصار إلى يوسف عليه الصلاة و السلام كل ورق ألفى[١٣] فى

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: احصنها (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: السرير (٣) زيد من م و مد (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل: سنين حياتك، و فى ظ: سنى الحياة (٥-٥) فى م: لم تبلغ، و سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م و مد و التوراة (٧) فى م: وراثه (٨) فى ظ: الارض (٩) من م و التوراة، و فى الأصل و ظ و مد: رعمشيش. (١) فى ظ و م و مد: آل (١١) فى ظ: الميرة (١٦) زيد من ظ و م و مد و التوراة (١٣) من م، و فى الأصل و ظ و مد: القى.

[أرض - [1]] مصر و أرض كنعان ، و ذلك ثمن البر الذى كانوا يبتاعونه ، فأورد[2] يوسف الورق بيت مال فرعون ، و نفد الورق من أرض مصر و أرض كنعان ، فأتى جميع المصريين إلى يوسف عليه الصلاة و السلام فقالوا[3] له : أعطنا من القمح حاجتنا فنحيي و لا نموت ، لأن ورقنا قد نفد ، فقال لهم يوسف : ادفعوا إلى مواشيكم إن كانت ٥ الأوراق قد نفدت ، فأقوتكم بمواشيكم ، فأتوه بمواشيهم فأعطاهم يوسف من الميرة بخيلهم و بمواشى الغنم و ماشية البقر و الحمير ، و قاتهم سنتهم تيك بجميع مواشيهم ، فأتوه فى السنة / الأخرى و قالوا له : لسنا نكتم سيدنا / ٩٥ أمرنا ، لأن أوراقنا و ماشيتنا و دوابنا قد نفدت و صارت عند سيدنا ، و لم يبق بين يدى سيدنا غير أنفسنا و أرضنا ، فلِمَ نهلك[4] بين يديك ؟ ١٠ فابتعنا و أراضينا[5] باطعامك إيانا الخبز ، فنصير نحن عبيدا لفرعون و أرضنا ملكا له ، و أعطنا البذر فنحيا و لا نموت ، و لا تخلو الأرض و تخرب لفقد سكانها ، فابتاع[6] يوسف لفرعون جميع أرض مصر ، فصارت الأرض لفرعون ، فنقل الشعب من قرية إلى قرية و حولهم[7] من أقاصى الأرض نحو مصر إلى أقطارها ما خلا أرض الأجناد - و فى نسخة : ١٥ أئمتهم - فانه لم يبتعها ، لأنه كان يجرى على الأجناد - و فى رواية :

(١) زيد من ظ و م و مد و التوراة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاوسره (٣) فى ظ و م و مد : و قالوا (٤) فى مد : فلم يهلك (٥) فى ظ و التوراة : ارضنا (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : و ابتاع (٧) فى ظ : خولهم .

أئمتهم - وظيفة و نزلا من عند فرعون ، وكانوا يأكلون برهم الموظف[1] لهم من قبل فرعون ، و لذلك لم يبيعوا أرضهم ، فقال يوسف للشعب : إنى قد اشتريتكم اليوم و أرضكم لفرعون ، و هأنذا معطيكم البذر لتزرعوا فى الأرض ، فاذا دخلت الغلة فأعطوا فرعون الخمس منها ، و تكون[2] لكم لزراعة الحقل أربعة أخماس ، و لمأكل[3] أهل[4] بيوتاتكم و إطعام[4] حشمكم ، فقالوا له : لقد[5] أحييتنا ، فلنظفر من سيدنا برحمة و رأفة ، و نكون عبيدا لفرعون ، فسن[6] يوسف هذه السنة على أرض مصر إلى يوم الناس هذا ، فصار [الخمس -[7]] لفرعون ما خلا أرض أئمتهم - و فى رواية : الأجناد - فانها[8] لم تكن لفرعون .

فسكن إسرائيل [أرض -[9]] مصر و أرض السدير[10] ، فعظموا[11] و اعتزوا فيها و استيسروا و تماجدوا[12] ، و عاش يعقوب [13]فى أرض مصر[13] سبع عشرة [سنة -[14]] ، وكانت جميع أيام حياة يعقوب مائة و سبعا[15] و أربعين سنة ، و دنت أيام وفاة إسرائيل عليه السلام ، فدعا يوسف

(١) فى ظ : المواظف (٢) فى م : يكون (٣) فى ظ : لما كان (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بيوتكم و اطعامكم (٥) فى ظ و مد : فقد (٦) فى مد : فيسن (٧) زيد من م (٨) فى مد : انها (٩) زيد من ظ و م ومد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل وظ : السدمة (١١) فى الأصل و م و مد : نعزموا ، و فى ظ : نعظموه (١٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : تماجدا (١٣-١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٤) زيد من م و مد (١٥) من التوراة ، و فى الأصل : اربعة ، و فى ظ و م و مد : سبعة .

ابنه عليه السلام و قال له[١] : إن ظفرت منك [٢]برحمة و رأفة[٢] ، فضع يدك تحت ظهرى حتى أستحلفكِ بالله و أقسم عليك به ، و أنعم علىّ بالنعمة و القسط ، لا تدفنى[٣] بمصر ، [٤]بل أضطجع[٤] مع آبائى ، احملنى من مصر فادفنى فى مقبرتهم ، فقال يوسف : أنا فاعل ذلك كقولك[٥] و أمرك ، فقال له : أقسم لى ، فأقسم له فتوكأ إسرائيل على عصاه و سجد شكرا .

[٦]فلما كان بعد هذه الأقاويل بلغ يوسف عليه السلام أن أباه قد مرض ، فانطلق بابنيه معه : منشا و إفرايم[٧] ، فبلغ يعقوب و قيل له : إن ابنك يوسف قد أتاك ، فتقوى إسرائيل و جلس عل أريكته[٨] ، فقال إسرائيل ليوسف : إن إلّه المواعيد اعتلن لى بلوز[٩] فى أرض كنعان ، فباركنى و قال لى : هأنذا مباركك[١٠] و مكثرك ، و أجعلك أبا لجميع الشعوب ، و أعطى نسلك من بعدك هذه[١١] الأرض ميراثا إلى الأبد[١٢] ، و أنا

(١) سقط من ظ (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : برانة و رحمة .
(٣) من ظ و م و مد و التوراة ، و فى الأصل : لا تدفقنى (٤-٤) من التوراة ، و فى الأصول : فاضطجع (٥) فى ظ : لقولك (٦) و هذه بداية الأصحاح الثامن و الأربعين (٧) من م و التوراة ، و فى الأصل و ظ : افرا ثم ، و فى مد : افراتم - كذا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ارتكبه (٩) فى ظ : يلوذ ، و زيد بعده فى الأصول : التى ، و لم تكن الزيادة فى التوراة فحذفناها (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : و باركك (١١) من م و التوراة ، و فى الأصل و مد : كهذه ، و فى ظ : لهذه (١٢) سقط من أصولنا الآية السادسة و السابعة .

إذ كنت مقبلا من [1]فدانة أرام[1] توفيت عنى[2] راحيل أمك فى أرض كنعان فى الطريق ، وكان بينى / و بين الدخول إلى إفراث[3] قدر مسيرة ميل - و فى نسخة : فرسخ - فدفنتها[4] هناك فى طريق إفراث - و هى بيت لحم - و نظر إسرائيل إلى ابنى يوسف فقال له : من هذان؟ فقال : ٥ ابناى اللذان رزقنى الله ههنا ، فقال : أدنهما منى ، فقبلهما و اعتنقهما و قال : ما كنت أرجو النظر[5] إلى وجهك فقد أرانى الله نسلك أيضا ، و قال إسرائيل ليوسف عليهما الصلاة و السلام : هأنذا متوف ، و يكون الله بنصره و عونه معكم ، و يردكم إلى أرض آبائكم ، و هأنذا قد فضلتك[6] على إخوتك بسهم من الأرض التى غلبت عليها الأمورانيون[7] بسيفى ١٠ و قوسى ، [8]ثم إن يعقوب دعا بنيه و قال[9] : اجتمعوا إلىّ فأبين[10] لكم ما هو كائن من أمركم فى آخر الأيام ، فذكر ذلك ثم قال[11] : و هذا ما أخبرهم به يعقوب أبوهم ، نبأهم[12] بذلك و بارك عليهم كل امرئ منهم

(١-١) فى ظ : فداه ارام ، وفى التوراة : فدان (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عنك (٣) فى التوراة : افرانة (٤) فى م : فدفنها (٥) زيد بعده فى الأصل : الا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و التوراة فحذفناها (٦) فى ظ : فضلك. (٧) فى الأصل : الامورامين ، و فى ظ : الامورانين ، و فى م : الامورانين ، وفى مد : الامورابن ، و فى التوراة : الاموريين (٨) هذه بداية الأصحاح التاسع والأربعين (٩) زيد فى م فقط : لهم (١٠) من م و مد ، وفى الأصل : ما سمى ، و فى ظ : فابن - كذا (١١) فى الآية الثامنة و العشرين (١٢) فى ظ و مد : بناهم .

على قدره، ثم أوصاهم و قال لهم : إنى[1] أنتقل إلى شعبى فادفنونى إلى جانب آبائى فى المغارة التى فى حقل عفرون الحيثانى[2]، فى المغارة التى فى الروضة المضاعفة إلى جانب ممرى[3] بأرض كنعان التى ابتاعها إبراهيم[4]: روضة من عفرون الحيثانى وراثة[5] المقبرة، هنالك دفن إبراهيم و سارة حليلته، و فيها دفن إسحاق و رفقا[6] حليلته، و هنالك دفنت ليا[7] فى الروضة ٥ المبتاعة[8] و المغارة التى فيها المبتاعة من بنى حاث[9]. فلما فرغ يعقوب من وصيته لبنيه بسط رجليه على أريكته فمات و نقل إلى شعبه[10].

فوقع يوسف عليه [فقبله -[11]] و بكى عليه، فأمر عبيده الأطباء بتحنيطه، فحنط الأطباء إسرائيل و تمت له أربعون ليلة، لأنه هكذا تكمل أيام المحنطين، و ناح المصريون عليه سبعين[12] يوما، فقال يوسف لآل ١٠ فرعون: إن ظفرت منكم برحمة و رأفة فأخبروا فرعون أن أبى أحلفنى و أقسم علىّ و قال لى: هأنا[13] متوف، فاقبرنى فى القبر الذى ابتعته فى أرض كنعان، فيأذن لى فأصعد فأدفن [أبى -[11]] ثم أرجع، فقال له

(١) فى ظ : انى (٢) فى التوراة : الحثى (٣) من م و مد و التوراة، و فى الأصل و ظ : عرى (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل و ظ و مد: ورايه، و فى التوراة: ملك (٦) فى التوراة: رفقة (٧) فى التوراة: ليئة (٨) من م ومد، و فى الأصل و ظ : المتباعدة (٩) فى ظ : حاث، و فى التوراة: حارث (١٠) و هذه بداية الأصحاح الخمسين وهو آخر أصحاحات التكوين (١١) زيد من م ومد (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : سبعون (١٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ما انا.

فرعون : اصعد فادفن أباك كما أقسم عليك ، فصعد يوسف ليدفن أباه ، و صعد معه جميع عبيد فرعون و أشياخ بيته و جميع أشياخ مصر و جميع أهل بيت يوسف ، و صعد معه إخوته [و - [1]] آل أبيه [2] ، [3] و أما [3] حشمهم و بقرهم و غنمهم فخلفوها [4] بأرض خشان [5] - و فى نسخة : السدير [6] - و أصعد المراكب [7] و الفرسان أيضا ، فصار فى عسكر [8] عظيم منيع ، فأتوا إلى بيادر أطرا [9] - و فى نسخة : أندر العوسج - التى فى مجاز [10] الأردن ، فرنوا [11] هناك و ناحوا نوحا عظيما مرا [12] ، فنظر سكان أرض كنعان إلى [13] التأبل [14] و النواح فى أجران [15] العوسج ، فقالوا : إن هذا [16] التأبل عظيم للمصريين ، و لذلك دعى ذلك الموضع 'تأبل مصر' ، الذى فى مجاز الأردن ، / ففعل بنو إسرائيل كما أمرهم ، و حملوه و انطلقوا به إلى أرض كنعان فدفنوه ثم فى المغارة المضاعفة التى فى الروضة التى ابتاعها إبراهيم وراثة المقبرة من عفرون الحيثانى [17] و هى إمام ممرى .

٩٧ / ١٠

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابيهم (٣-٣) فى م و مد : فاما (٤) فى ظ : فخلوها (٥) من م و مد ، و فى الأصل : حسان ، فى ظ : حشان ، و فى التوراة : جاسان (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : السرير (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الراكب (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عسكره (٩) فى التوراة : أطاد (١٠) فى ظ : ملباز - كذا . (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قريوا (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مر (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى (١٤) فى التوراة : آبل ، و فى مد : التاتل ، و العبارة فيه من بعده إلى « هذا التابل » ساقطة (١٥) فى ظ : اجزان (١٦) سقط من ظ (١٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحشانى .

ثم رجع يوسف إلى مصر هو و إخوته و جميع من صعد معه فى دفن أبيه ، و من بعد ما دفن أباه نظر إخوة يوسف إلى أبيهم قد توفى ، ففرقوا و قالوا : لعل يوسف أن يؤذينا و ينكأنا[1] و لعله أن يكافئنا على جميع الشر الذى ارتكبنا[2] منه ، فدنوا من يوسف و قالوا له : إن أباك أوصى قبل وفاته و قال : هكذا قولوا ليوسف : نطلب إليك أن تعفو عن[3] جهل إخوتك و عن خطاياهم بارتكابهم الشر منك ، فالآن نطلب إليك أن تعفو عن[3] ذنب عبيد إله أبيك ؛ فبكى يوسف لما قالوا ذلك ، فدنا إخوته فخروا بين يديه سجدا و قالوا له : هوذا نحن لك عبيد ، فقال لهم : لا تخافونى لانى أخاف الله ، أما أنتم فهممتم بى شرا فصيره الله لى خيرا كما فعل بى يومنا هذا ، فأحيى على يدى خلقا عظيما ، و الآن فلا خوف عليكم ، أنا أقوتكم و حشمكم ، فعزاهم[4] و ملأ قلوبهم خيرا .

ثم أقام يوسف بمصر هو و آل بيته ، فعاش يوسف مائة و[5] عشر سنين[5] و رأى يوسف[6] ولد ولده ، فقال يوسف لإخوته : هأنذا متوف ، و الله سيذكركم و يخرجكم من هذه الأرض إلى الأرض التى أقسم[7] بها لإبراهيم و إسحاق[8] و يعقوب ، فأقسم [يوسف - [9]] على بنى إسرائيل

(١) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : يبكانا (٢) فى ظ : ارتكبا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غفراهم (٥-٥) فى ظ : عشرين سنة (٦) زيد بعده فى الأصل : ولده و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م و مد ، و فى الأصل : تسمى ، و فى ظ : تسم .
(٨) فى ظ : لاسحاق (٩) زيد من م و التوراة .

و قال: [إن - [1]] الله سيذكركم، فأصعدوا عظامى فعكم، فتوفى يوسف و هو ابن مائة و [2] عشر سنين [2]، فحنطوه و وضعوه فى صندوق بأرض مصر - و سيأتى ما بعد [3] ذلك من استعبادهم [4] و ما يتبعه فى سورة القصص إن شاء الله تعالى.

٥ و هذا الذى ذكر من القصة فى التوراة [5] مصدق لما فى القرآن و شاهد [6] باعجازه، غير أنه لم يذكر شرح قوله تعالى "فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا" فى أنه بعد أخذ الصواع من رحل أخيه تركهم من غير تعريف [7] لهم [8] [بنفسه - [9]] فمضوا إلى أبيهم فأخبروه [10] بذلك، ثم عادوا مرة أخرى للميرة و الطلب ليوسف و أخيه. فعرفهم [11] يوسف عليه السلام

١٠ بنفسه و جلا لهم الأمر فى هذه القدمة الثالثة، فكأنهم أسقطوا [12] ما فى التوراة من ذلك تدليسا و تلبيسا، و هو لا يضر غيرهم، فان ما صار فى كتابهم لا يتمشى على قوانين العقل لمن تدبر، فلم يفدهم [13] ذلك غير التحقق لخيانتهم و جهلهم - و الله الهادى [14] إلى الصواب [14].

---

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) فى ظ: عشرين سنة (٣) من م، و فى الأصل و ظ و مد: يعهد (٤) فى ظ و مد: استبعادهم (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد، و فى الأصل: شاهده، و فى ظ: شاهدوه (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تعنيف (٨) سقط من م (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) فى ظ: فاخبروهم (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فعرفه (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سقطوا (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلم تفدهم (١٤-١٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

و لما تم[1] الذى[2] كان من أمرهم على هذا الوجه الأحكم و الصراط الأقوم من ابتدائه إلى انتهائه، قال مشيرا إلى أنه دليل كاف فى تصحيح دعوى النبوة مخاطبا لمن لايفهم هذا حق فهمه غيره، مسليا[3] له مثبتا لفؤاده و شارحا لصدره، منبها على أنه مما ينبغى[4] السؤال عنه: ﴿ذلك﴾ / ٩٨ أى النبأ العالى الرتبة الذى قصصناه قصا يعجز البلغاء من حملته و رواته ٥ فكيف بغيرهم ﴿من انبآء الغيب﴾ أى أخباره التى لها شأن عظيم ﴿نوحيه اليك﴾ و عبر بصيغة المضارع تصويرا لحال الإيحاء الشريف و إشارة إلى أنه لايزال معه يكشف له ما يريد ﴿و﴾ الحال أنك ﴿ما كنت لديهم﴾ أى عند إخوة يوسف عليه الصلاة و السلام فى هذا النبأ الغريب جدا ﴿اذ﴾ [5]أى حين[5] ﴿اجمعوآ امرهم﴾ على رأى ١٠ واحد فى إلقاء يوسف عليه الصلاة و السلام [فى الجب -[6]] بعد أن كان مقسما ﴿و هم يمكرون﴾ أى يدبرون الأذى فى خفية، من المكر و هو القتل - لتعرف ذلك بالمشاهدة، و انتفاء تعلمك لذلك من بشر[7] مثل انتفاء كونك لديهم فى ذلك الحين[8]، و من المحقق لدى كل ذى لب أنه لاعلم إلا بتعليم، فثبت أنه لا معلم لك إلا الله كما علم إخوانك من الأنبياء ١٥ عليهم الصلاة و السلام، [فيا له -[6]] من دليل جل عن مثيل، و هذا

(١) فى مد: اتم (٢) فى ظ: هذا (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سليا.
(٤) من م ومد، و فى الأصل و ظ: يتعلق (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م.
(٦) زيه من م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يصر (٨) فى ظ: العين، و فى مد: الجبن.

[من -[1]] المذهب الكلامي، و هو إيراد حجة تكون[2] بعد تسليم المقدمات مستلزمة للمطلوب ، و هو تهكم عظيم بمن كذب النبي صلى الله عليه و سلم .

و لما سألت قريش و اليهود رسول الله صلى الله عليه و سلم - كما نقله أبوحيان عن [ابن -[3]] الأنباري - عن قصة يوسف عليه الصلاة و السلام فنزلت مشروحة هذا الشرح الشافي ، مبينة هذا البيان الوافي ، فامل[4] صلى الله عليه و سلم أن يكون ذلك سبب [إسلامهم -[1]] فخالفوا تأميله ، عزاه الله بقوله : ﴿ و ما ﴾ أي نوحيه إليك على هذا الوجه المقتضى لإيمانهم و الحال أنه ما ﴿ اكثر الناس ﴾ أي كلهم مع ذلك لأجل ما لهم من الاضطراب ﴿ و لو حرصت ﴾ أي على إيمانهم[5] ﴿ بمؤمنين ﴾ أي بمخلصين في إيمانهم واصفين الله بما يليق به من التنزه عن شوائب النقص ، فلا تظن أنهم يؤمنون لإنزال ما يقترحون [من -[6]] الآيات ، أو اترك ما يغيظهم من الإنذار[7] ؛ و الكثير - قال الرماني : العدة الزائدة على مقدار غيرها[8] ، و الأكثر : القسم الزائد على القسم الآخر من الجملة ، و نقيضه الأقل ؛ و الناس : جماعة الإنسان ، و هو من ناس ينوس - إذا تحرك يمينا و شمالا من نفسه لا بجر[9] غيره .

(١) زيد من م و مد (٢) في ظ : يكون (٣) زيد من م و مد و البحر ٥/٣٥٠ .
(٤) زيد في م : رسول الله (٥) زيد في مد : و الحال انه (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الارتداد (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : غيرهم (٩) من م و مد ، و في الأصل و ظ : يجر .

ولما ذكر تعالى ما هم عليه من الكفر، ذكر ما يعجب [منه - ١] منه فقال: ﴿ وما ﴾ أى هم على ذلك والحال أن موجب إيمانهم موجود، وذلك أنك ٢ - مع دعائهم إلى الطريق الأقوم وإتيانك عليه بأوضح الدلائل ٣ - ما ﴿ تسئلهم عليه ﴾ أى هذا الكتاب الذى أوحيناه إليك، وأعرق فى النفى فقال: ﴿ من اجر ٤ ﴾ حتى يكون سؤالك سببا ٥ لأن يتهموك أو يقولوا: لو لا أنزل عليه كنز ليستغنى به عن سؤالنا.

ولما نفى عنهم / سؤالهم الأجر، نفى عن هذا الذكر كل غرض ٩٩ / دنيوى فقال: ﴿ ان هو ﴾ أى هذا الكتاب ﴿ الا ذكر ﴾ أى تذكير وشرف ﴿ للعلمين ٥ ﴾ قال الرمانى: والذكر: حضور المعنى للنفس، والعالم: جماعة الحيوان الكثيرة التى من شأنها أن تعلم، لأنه أخذ من ١٠ العلم، وفيه معنى التكثير، وقد يقال: عالم الفلك وما حواه على طريق التبع للحيوان الذى ننتفع ٤ به وهو مجعول لأجله.

ولما كان القرآن أعظم الآيات بما أنبأ فيه عن الأخبار الماضية والكوائن الآتية على ما هى عليه مضمنة ٥ من الحكم والأحكام ٦، فى أساليب البلاغة التى لا ترام، وغير ذلك ما لا يحصر بنظام، كما أشار ١٥ إليه أول السورة، كان ٧ ربما قيل: إن هذا ربما لا يعلمه إلا الراسخون

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: ان (٣) فى ظ: الدليل (٤) فى ظ: ينتفع (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: مضمنته، وفى م: مضمنه كذا (٦) زيد بعده فى الأصل: يعلم، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: لان.

فى العلوم[1] الإلهية ، عطف عليه الإشارة إلى أن له تعالى غيره من الآيات التى [2] لا تحتاج لوضوحها[2] إلى أكثر من العقل ما لا يحيط به الحصر ، و مع ذلك فلم ينتفعوا به ، فقال : ﴿ و كاين من اٰية ﴾ أى علامة كبيرة عظيمة دالة على وحدانيته ﴿ فى السمٰوٰت ﴾ أى كالنيرين و سائر الكواكب و السحاب و غير ذلك ﴿ و الارض ﴾ من الجبال و الشجر و الدواب و غير ذلك مما لا يحصيه العد - كما سيأتى[3] بيانه فى سورة الرعد مفصلا ﴿ يمرون عليها ﴾ مشاهدة بالحس[4] ظاهرة غير خفية ﴿ و هم عنها ﴾ أى خاصة لا عن ملاذهم و شهواتهم بها ﴿ معرضون ﴾ أى عن دلالتها على[5] السعادة من الوحدانية و ما يتبعها .

و لما كان ربما قيل : كيف يوصفون بالإعراض و هم[6] يعتقدون أن الله فاعل تلك الآيات ، بين أن إشراكهم مسقط لذلك ، فقال : ﴿ و ما يؤمن اكثرهم ﴾ أى الناس ﴿ بالله ﴾ أى الذى لا شىء إلا و هو داع إلى الإيمان به ، لأنه المختص بصفات الكمال ﴿ الا و هم مشركون ﴾ به مَن لا يقدر على شىء فضلا عن أن يأتى بآية ، كانوا يقرون بأن الله خالقهم و رازقهم و يعبدون غيره ، و كذا المنافقون يظهرون الإيمان و يبطنون الكفران ، و كذا أهل الكتابين[7] يؤمنون بكتابهم و يقلدون علماءهم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العلم (٢-٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا يحتاج بوضوحها (٣) فى ظ و م و مد : ياتى (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالحبس (٥) فى ظ : عن (٦) زيد بعده فى مد : يصفو - كذا . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكتاب .

فى

فى الكفر بغيره ، فعلم أن إذعانهم بهذا الإيمان غير تابع لدليل ، و هو محض تقليد لمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ، لما سبق فيه من علم الله أنه لا صلاحية له فأفسده بما شابهه[1] به من الشرك ، و الآية صالحة لإرادة الشرك الخفى [الذى - [2]] أشار إليه النبى صلى الله عليه و سلم بقوله «الشرك أخفى فى أمتى [من - [3]] دبيب النمل » و هو شرك الأسباب ٥ التى قدر[4] الله وصول[5] ما يصل إلى العبد بواسطتها ، فقل من يتخطى من الأسباب إلى مسببها ! قال الرازى فى اللوامع : و قال الإمام محمد بن على الترمذى : إنما هو شك و شرك ، فالشك ضيق الصدر عند النوائب ، و منه ثوب مشكوك ، و الشرك تعلق القلب / بالشىء ، و إنما يوسع ١٠٠ / الصدر نور اليقين ، و إنما يتخلص من الشرك بنور التوحيد ، فعند هذا ١٠ يتولاه الله تعالى ، و قال الواسطى : الا و هم مشركون : فى ملاحظة الخواطر و الحركات .

و لما أخبر الله[6] تعالى عن ارتباكهم[7] فى أشراك إشراكهم ، و أنهم يتعامون عن الأدلة فى الدنيا ، و كان الأكثر المبهم لايمنع القطع بعدم إيمانهم من توجيه[8] الأمر و النهى و الحث و الزجر إلى الجميع و هم ١٥

(١) فى مد : شابه (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد و مسند الإمام أحمد ٤/٤٠٣ ، و قد روى فيه هذا الحديث بأطول مما هنا إلا أنه ليس فيه « فى أمتى » (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قدرها (٥) من م و مد ، و فى الأصل : بوصول ، و فى ظ : يوصل (٦) سقط من ظ و م و مد (٧) فى ظ و مد : ارتكابهم (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : توحيد .

فى غمارهم[1] ، و كان بعض الناس كالحمار لا ينقاد إلا بالعذاب ، قال [2]سبحانه و[2] تعالى : ﴿ افامنوآ ﴾ إنكارا فيه معنى التوبيخ و التهديد ﴿ ان تاتيهم[3] غاشية ﴾ أى شىء يغطيهم[4] و يبرك عليهم و يحيط بهم ﴿ من عذاب الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فى الدنيا كما أتى من ذكرنا

٥ قصصهم من الأمم .

و لما كان العاقل ينبغى له الحذر من كل ممكن و إن كان لا يقربه ، قال تعالى : ﴿او تاتيهم الساعة﴾ و أشار إلى أشد ما يكون من ذلك على القلوب بقوله : ﴿بغتة﴾ أى و هم عنها فى غاية الغفلة بعدم توقعها أصلا ؛ قال الرمانى : قال يزيد[5] بن مقسم[6] الثقفى :

١٠ و لكنهم بانوا و لم أدر بغتة وأفظع شىء حين يفجؤك البغت

و لما كان هذا المعنى مهولا ، أكده الله[7] بقوله : ﴿وهم لا يشعرون﴾ أى نوعا من الشعور و لو أنه كالشعرة ، إعلاما بشدة جهلهم [8]فى أن[8] حالهم حال من هو فى غاية الأمن مما أقل أحواله أنه ممكن ، لأن الشعور إدراك الشىء بما يلطف[9] كدقة الشعر ، و إنما قلت : إنه تأكيد ، لأنه

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : عمارهم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) فى ظ : ياتيهم (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يغيظهم . (٥) من لسان العرب ، و فى الأصل : زيد (٦) فى اللسان و التاج : ضبة ؛ و ورد التصريح فى الأعلام للزركلى بأنه اسم أمه (٧) سقط من ظ و م و مد (٨-٨) فى ظ : فان (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : يلطف ، و فى مد : تلطف - كذا .

معنى البغتة[١] ؛ قال الإمام [٢] أبو بكر الزبيدى فى مختصر العين : البغتة : المفاجأة[٢] ، و قال الإمام أبو[٣] عبد الله القزاز فى ديوانه : فاجأت الرجل مفاجأة - إذا جئته على غفلة مغافصة[٤] ، ثم قال : و فاجأته مفاجأة - إذا لقيته و لم يشعر بك ، و فى ترتيب المحكم : فجئه الأمر [و فجأه - ٥] و فاجأه مفاجأة : هجم عليه من غير أن يشعر به ، و يلزم ذلك الإسراع ٥ و هو مدار[٦] هذه المادة ، لأنه يلزم أيضا التغب[٧] - بتقديم المثناة محركا و هو الهلاك ، لأنه أقرب شىء إلى الإنسان إذ هو الأصل فى حال الحدث[٨] ، و السلامة فيه هى العجب ، و التغب[٧] أيضا : الوسخ و [٩] الدرن ، و تغب[٩] - بكسر الغين : صار فيه عيب ، و يقال للقحط : تغبة - بالتحريك ، و التغب - ساكنا : القبيح و الريبة ، و كل ذلك أسرع[١٠] إلى الإنسان من ١٠ أضداده إلا من عصم الله ، و ما ذاك إلا لأن هذه[١١] الدار مبنية عليه .

و لما وصف الله[١٢] سبحانه له صلى الله عليه و سلم أكثر الناس بما وصف من سوء الطريقة للتقليد الذى منشأه الإعراض عن الأدلة الموجبة

(١) زيد بعده فى ظ : المفاجأة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابى (٤) من م ، و فى الأصل : مقانضة ، و فى ظ و مد : معافصة - كذا ؛ و المغافصة : المفاجأة (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مدارهم (٧) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : التعب (٨) فى مد : المحداث (٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الدرق التغب - كذا (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اسراع (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذا و - كذا (١٢) سقط من ظ و م و مد .

للعلم ، أمر أن يذكر طريق الخلّص فقال : ﴿ قل ﴾ أى يا أعلى الخلق
١٠١ / و أصفاهم و أعظمهم نصحا / و إخلاصا : ﴿ هذه ﴾ أى الدعوة إلى الله
على ما دعا إليه كتاب الله و سنته صلى الله عليه و سلم ﴿ سبيلى ﴾ القريبة
المأخذ ، الجلية[1] الأمر ، الجليلة الشأن ، الواسعة الواضحة جدا ، فكأنه قيل :
٥ ما هى ؟ فقال : ﴿ ادعوا ﴾ كل من يصح دعاءه ﴿ الى الله ﴾ الحائز
لجميع الكمال حال كونى ﴿ على بصيرة ﴾ أى حجة واضحة من أمرى
بنظرى الأدلة القاطعة و البراهين الساطعة و ترك التقليد الدال على الغباوة[2]
و الجمود ، لأن البصيرة المعرفة التى يتميز بها الحق من الباطل دينا و دنيا
بحيث يكون كأنه يبصر المعنى بالعين .

١٠ ولما كان الموضع فى غاية الشرف ، أكد الضمير المستتر تعيينا
و تنبيها على التأهل لظهور الإمامة ، فقال : ﴿ انا و من ﴾ أى و يدعو
كذلك من ﴿ اتبعنى[1] ﴾ لا كمن هو على عمى[3] جائر عن[4] القصد ، حائر[5]
فى ضلال التقليد ، فهو لا يزال فى غفلة هدفا[6] للحتوف ؛ و الاتباع :
طلب الثانى اللحاق بالأول للموافقة فى مكانه أو فى امره الذى دعا إليه ،
١٥ و مما دخل تحت "قل" عطفا على "ادعوا" قوله - منبها على أن شرط
كل دعوة إليه سبحانه اقترانها بتنزيهه عن كل شائبة نقص[7] - : ﴿ و سبحن الله ﴾

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : الجليلة ، و فى مد : الحيلة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العبادة (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عين (٤) فى مد : على (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جائز (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هتفا (٧) فى مد : بنقص .

أى و أسبح الذى اختص بصفات الكمال سبحانا ، أى أقدره حق قدره فأثبت له من صفات الكمال ما يليق بجلاله ، و أنزهه عما هو متعال عنه تنزيها يعلم هو أنه يليق بجلاله و يرضى[1] به ، و فى تخصيص الله بذلك عقب ما أثبت له و لأتباعه تلويح بنسبة[2] النقص إليهم تواضعا ، اعتذارا عما يلحقهم من الوهن و طلبا للعفو عنه ﴿ و مآ انا ﴾ و عدل عن ٥ 'مشركا' إلى أبلغ منه فقال : ﴿من المشركين ۝﴾ أى فى عداد[3] من يشرك به شيئا بوجه من الوجوه ، لأنى علمت بما آتانى من البصيرة أنه منعوت بنعوت الكمال ، منزه عن سمات النقص ، متعال[4] عنها ، و أن ذلك أول واجب لأنه الواحد الذى جل عن المجانسة ، القهار الذى كل شىء[5] تحت مشيئته ، و فسرت "سبحان" بما تقدم لأن مادة 'سبح' بكل ترتيب ١٠ تدور على القدر و الشدة و الاتساع ؛ و تارة يقتصر [فيه -[6]] على الكفاية و منه الحسب : مقدار الشىء . و تارة يقتصر [فيه -[7]] على الكفاية فيلزمه الحصر و منه : أحسبنى الشىء : [8]كفانى ، و احتساب الأجر : الاكتفاء به ، و الحساب : معرفة المقدار ، و الحسب بمعنى الظن راجع إلى ذلك أيضا ، و الأحسب : الذى ابيضت جلدته[9] من داء [10]و فسدت[10] ١٥

(١) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : يرضا (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : بنسبته (٣) فى ظ : اعداد (٤) فى م : متعالى (٥) فى مد : احد (٦) زيد من مد . (٧) زيد من م (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٩) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل وظ : جدته (١٠-١٠) فى القاموس : ففسدت :

شعرته، بمعنى أن ذلك الداء كفاه فى الفساد عن كل داء كأنه ما بقى يسع معه داء، و التحسيب: التكفين بما يسع الميت، و هو كفاية له لا يحتاج بعده إلى شىء؛ و منه الحبس و هو المنع من مجاوزة الكفاية؛ و تتجاوز الكفاية فيسبح و يتسع مداه فلا ينحصر و منه: الحسب - بالتحريك، و هو الشرف؛ و منه السحب و به[1] سمى[2] السحاب لانسياحه[3] فى الهواء؛ و منه السبح فى الماء، و مد الفرس يديه[4] فى الجرى، و السبحة: صلاة التطوع - لأنه / لا حد لها يحصرها، و لأنها تجاوزت الفرض، و السبح: الفراغ - للتمكن معه من الانبساط، و[5] التسبيح: التنزيه - لأنه الإبعاد عن النقص، قال الرمانى[6]: و أصله[7] البراءة من الشىء، و قال ابن مكتوم[8] فى الجمع بين العباب و المحكم: و سبحان الله معناه تنزيها لله من الصاحبة و الولد، و تبرئة من السوء - هذا معناه فى اللغة و بذلك جاء الأثر عن النبى صلى الله عليه و سلم، قال سيبويه: زعم أبو الخطاب[9] أن «سبحان الله» كقولك براءة الله من السوء، [كأنه يقول: أبرئ براءة الله من السوء -[10]]، و زعم أن مثل ذلك

/ ١٠٢

(١) فى ظ: منه (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يسمى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لانسباحة (٤) فى ظ: يده (٥) سقطت الواو من مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الدمامينى، و ربما يكون صحيحا، و الدمامينى هو محمد بن أبى بكر من النحاة الأفذاذ (٧) فى ظ: اصل (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ابن ام مكتوم، و قد مضى تعليقنا عليه. (٩) المشهور بالأخفش (١٠) زيد ما بين الحاجزين من م و مد.

قول الأعشى :

أقول[1] لما جاءنى فخره سبحان من علقمة الفاخر[2]

أى براءة[3] منه ، و بهذا [استدل - [4]] على أن سبحان[5] معرفة إذ لو كان نكرة لانصرف ، قال : و قد جاء فى الشعر منونا نكرة ، قال أمية :

سبحانه ثم سبحانا يعود له و قبلنا[6] سبح الجودى و الجمد[7] ٥

و قال ابن جنى : سبحان اسم علم لمعنى البراءة و التنزيه بمنزلة عثمان و حمران ، اجتمع فى سبحان التعريف و الألف و النون ، و كلاهما علة تمنع من الصرف - انتهى . و قال الزجاج : جاء عن النبى صلى الله عليه و سلم أن قوله « سبحان الله » تبرئة لله من السوء ، و أهل اللغة كذلك يقولون من غير معرفة بما فيه من الرواية عن النبى صلى الله عليه و سلم ، ١٠ قال : و[8] لكن تفسيره يجمعون[9] عليه . و قد سبح الرجل : قال : سبحان الله ، و فى التنزيل " كل قد علم صلاته و تسبيحه[10] " و سَبَح لغة فى سبّح ، و حكى[11] ثعلب : [سبح -[12]] تسبيحا و سبحانا ، قال

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (٢) من القاموس ، و فى الأصول : الفاجر (٣) زيد بعده فى الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٥) زيد بعده فى الأصل و ظ و مد : الله ، و لم تكن فى م فحذفناها ، و راجع أيضا التاج (٦) فى مد : قبلها (٧) فى م : الحمد (٨) سقطت الواو من ظ (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يجتمعون (١٠) سورة ٢٤ آية ٤١ .
(١١) راجع التاج « سبح » (١٢) زيد من م و مد و القاموس .

ابن سيده : وعندى أن سبحانا ليس مصدرا لسبّح ، إنما هو مصدر سبح[1]، وقال النضر[2] : سبحان الله معناه السرعة إليه والخفة فى طاعته ، وسبوحة - بفتح السين : البلد الحرام ، وسباح علم الأرض[3] الملساء عند معدن بنى[4] سليم ، وسبحات[5] وجه الله : أنواره ، والسبحة : الدعاء ، وأيضا صلاة التطوع - انتهى . وكله راجع إلى الإبعاد عن السوء ، والسبحان : النفس ، وكل أحد يبرئ نفسه ويرفعها عن السوء .

ولما أوضح[6] إبطال ما تعنتوا به من قولهم " لولا انزل[7] عليه كنز " أتبعه ما[8] يوضح تعنتهم فى قولهم " او جاء معه ملك " بذكر المرسلين ، أهل السبيل المستقيم ، الداعين إلى الله[9] على بصيرة ، فقال : ﴿ وما ارسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة . ولما كان الإرسال لشرفه لا يتأتى على ما جرت به الحكمة فى كل زمن كما أنه لا يصلح للرسالة كل أحد ، وكان السياق لإنكار التأييد بملك فى قوله " او جاء معه ملك " كالذى فى النحل[10] ، لا لإنكار رسالة البشر ، أدخل الجار تنبيها على ذلك فقال : ﴿ من قبلك ﴾ أى إلى المكلفين ﴿ الا رجالا ﴾

(١) كنع - كما فى القاموس (٢) أى ابن شميل ، وذكر قوله هذا فى التاج بالتفصيل (٣) فى مد : لارض (٤) من م والقاموس ، وفى الأصل وظ ومد : ابن (٥) من ظ وم ومد والقاموس ، وفى الأصل : سبحان (٦) تكرر فى الأصل ، وزيد بعده فى مد : بطلان (٧) من سورة ١١ آية ١٢ ، وفى الأصول : التى . (٨) من م ، وفى الأصل وظ ومد : بما (٩) سقط من ظ (١٠) راجع آية ٤٣ .

أى

أى مثل ما أنك رجل ، لا ملائكة[1] و لا إناثا[2] - كما قاله ابن عباس رضى / الله عنهما[3] ، و الرجل مأخوذ من المشى على الرجل ﴿يوحى[4] اليهم﴾ / ١٠٣
أى بواسطة الملائكة[1] مثل ما يوحى إليك ﴿من اهل القرى﴾ مثل ما أنك من أهل القرى ، أى الأماكن المبنية بالمدر و الحجر و نحوه ، لأنها متهيئة للاقامة و الاجتماع و انتياب[5] أهل الفضائل ، و ذلك أجدر بغزارة[6] العقل و أصالة الرأى و حدة الذهن و توليد المعارف من البوادى ، و مكة أم القرى فى ذلك لأنها مجمع لجميع الخلائق لما أمروا به من حج البيت ، و كان العرب كلهم يأتونها ؛ قال الرمانى : و قال الحسن[7] : لم يبعث الله نبيا من أهل البادية و لا من الجن و لا من النساء - انتهى . و ذلك لأن المدن مواضع الحكمة ، و البوادى مواطن لظهور الكلمة ، و لما كانت مكة أم القرى مدينة ، و هى مع ذلك فى بلاد البادية ، جمعت الأمرين و فازت بالأثرين ، لأجل أن المرسل إليها[8] جامع لكل ما تفرق فى غيره من المرسلين ، و خاتم لجميع النبيين - صلى الله عليه و سلم و عليهم أجمعين .

و مادة 'قرى' - يائية و واوية مهموزة و غير مهموزة بتراكيبها الخمسة عشر - تدور على الجمع ، و يلزمه[9] الإمساك ، و ربما كان عنه

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ملكة (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : اناما - كذا (٣) راجع البحر ٥/٣٥٣ (٤) و قراءة حفص بنون التكلم .
(٥) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : انتساب (٦) من م و مد ، و فى الأصل : بطرارة ، و فى ظ : بغرازة (٧) راجع روح المعانى ٤/ ١٣١ (٨) فى ظ : اياها .
(٩) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : يستلزمه .

الانتشار، فالقرية - بالفتح و يكسر[1]: المصر الجامع، و أقرى: لزم القرية، و القارى: ساكنها، و القارية[2]: الحاضرة الجامعة، و طير أخضر، إما للزومها، و إما لجمع لونه للبصر، و القريتين - مثنى و [أكثر ما[3] يتلفظ به [4]بالياء: مكة[4] و الطائف، و قرية النمل: مجتمع ترابها، و قريت[5] الماء في الحوض: جمعته، و المقراة: شبه حوض، و كل ما اجتمع فيه ماء، و القرىّ: ماء مستجمع، و المدة تقرى في الجرح - أي تجتمع[6]، و القوارى: الشهود[7] - لجمعهم الأمور[8]، و القوارى: الناس الصالحون - كأنه مخفف من المهموز، و قريت الضيف [9]قرى - بالكسر و القصر، و بالفتح و المد: أضفته كاقتريته، و المقراة: الجفنة[10] يقرى فيها الضيف، و المقارى: القدور، و قرى البعير و كل ما اجتر: جمع جرته في شدقه، و قرت الناقة: ورم شدقاها من وجع الأسنان -[11]] - كأنها لا تقدر مع ذلك على جمع الجرة، فيكون من السلب، و قرى البلاد: تتبعها يخرج من أرض إلى أرض كاقتراها[12] و استقراها - لجمعه بينها، و قرىّ الماء كغنى: مسيله من

(١) من القاموس، و في الأصل و ظ و م: بكسر، و في مد: تكسر (٢) من م و مد و القاموس، و في الأصل: القرابة، و في ظ: القراية - كذا (٣) في ظ: بما (٤-٤) من م و القاموس، و في الأصل و ظ: بالياء مكية، و في مد: بالياء مكية - كذا (٥) في مد: قرية (٦) في ظ: تجمع (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: الشهور (٨) و راجع أيضا قول الزمخشري في التاج (٩) العبارة من هنا إلى «يقرى فيها» ساقطة من ظ (١٠) من م و التاج، و في الأصل و ظ و مد: خفية (١١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (١٢) من م و مد و القاموس، و في الأصل و ظ: فاقتراها.

التلاع[١] ، أو موقعه من الربو[٢] إلى الروضة[٣] - لأنه مكان اجتماعه ، و قرى الخيل : واد - كأنها اجتمعت فيه ، و القرية - كغنية : العصا ، لأن الراعى يجمع بها ما يرعاه ، و بها يجمع كل ما يراد جمعه . و أعواد فيها فرض[٤] يجعل فيها رأس عمود البيت ، لأنه بها يقام فيجمع من[٥] يراد ، و عود الشراع[٦] الذى فى عرضه من أعلاه ، لأنه يجمع الشراع ملفوفا و منشورا ، و قريت الصحيفة - لغة فى قرأتها - إذا تلوتها فجمعت علمها و كلامها ، و القارية : أسفل الرمح ، لأنه يجمع زجه ، أو أعلاه ، لأنه يجمع عاليته ، و حد الرمح ، لأنه يجمع مراد صاحبه ، و كذا حد السيف ، و القارّية - بالتشديد[٧] : طائر أخضر إذا رأوه استبشروا بالمطر - كأنه[٨] رسول الغيث أو مقدمة السحاب ، جمعه قوارى ، كأنه سمى بذلك لأنه سبب جمع الهم للمطر ؛ و القير و القار : / شىء أسود تطلى به السفن ، و الإبل ، و الحباب ، و الزقاق ، أو هما الزفت ، و على كل تقدير هو سادّ للشقوق[٩] و المسام ، فكان الجامع بين أجزاء[١٠] السفينة و غيرها ، و هذا أقير من [هذا -[١١]] : أشد[١٢] مرارة - تشبيه بالقير الطعم ، و المر أيضا

/ ١٠٤

(١) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : القلاع (٢) من م و القاموس ، و فى الأصل : الرث ، و فى ظ و مد : الرثو - كذا (٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الرضة (٤) من القاموس ، و فى الأصول : قرص .
(٥) فى م و مد : ما (٦) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : السراع .
(٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : التشديد (٨) فى ظ : لأنه .
(٩) فى ظ : للشعوف (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اخذ (١١) زيد من م و مد (١٢) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : اسد .

يجمع الفم و نحوه بالقبض ، و القيّور - كتنور : الخامل[1] النسب ، شبه به أيضا لأن القير لما قل احتياج أكثر[2] الناس إليه فى كثير من الأوقات صار قليل الذكر - و هذا معنى الخمول ، و القيار - كشداد[3] : صاحب القير ، و بئر لبنى عجل قرب واسط ، كأنها سميت لجمعها إياهم ، و قيار[4] اسم فرس ، كأنه لجودته يجمع لصاحبه ما يريد[5] ، و القارة : الدبّة[6] كذلك ، و القارة : حى من العرب سموا لأن ابن الشداخ[7] أراد أن يفرقهم فى كنانة[8] فقال شاعرهم :

دعونا قارة لا تجفلونا[9] فنجفل مثل إجفال الظليم

ذكره مختصر العين[10] هنا و غيره فى الواو ، و اقتار الحديث اقتيارا : بحث عنه - لأن ذلك سبب لجمعه ، و القير - كهيّن : الأسوار من الرماة الحاذق ، لأنه يجمع بذلك ما يريد ؛ و رقيت الرجل بالفتح رقية : عوذته ، و نفثت فى عوذته - لأن الراقى يجمع ريقه و ينفث[11] ، و رقيت فى الشيء رقيا - إذا صعدت عليه - كأنك جمعت بين درجه ، و المرقاة بالفتح و يكسر : الدرجة ، لأن العلو من آثار الجمع ، و رقى عليه كلاما ترقية : رفع ، لأنه جمعه عليه ، و مرقيا[12] الأنف : حرفاه لأنهما الجامعان له ؛

(١) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : الحامل (٢) سقط من ظ . (٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : كشدار (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : قياس (٥) فى ظ : يريده (٦) من القاموس ، و فى الأصول : الدابة (٧) من م و مد و التاج ، و فى الأصل : السراح ، و فى ظ : الشراع (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كتابه ؛ و فى التاج : بنى كنانة . (٩) فى التاج : لا تذعرونا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : المعنى ، و فى م : العينى - كذا (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يرنث (١٢) من القاموس ، و فى الأصول : مرق - كذا .

و الرائق من الماء: الخالص ، لأنه إذا خلص اشتد تلاصق أجزائه لزوال ما[1] كان يتخللها من الغبر[2]، و راق الماء يريق - إذا انصب ، إما لأنه اجتمع إلى المحل الذى انصب إليه ، أو يكون من السلب كأراقه بمعنى صبه ، و راق السراب[3] يريق و تريق[4] يتريق - إذا تضحضح فوق الأرض أى تردد ، إما من السلب ، و إما تشبيه بالمجتمع ، و الريق: تردد الماء على وجـــه الأرض من الضحضاح أى اليسير و نحوه ، لأنه لا يتردد إلا و هو مجتمع ، و الريق: أول كل شيء و أفضله من الرائق بمعنى الخالص ، و لأن الأول يجتمع [5]إليه غيره ، و الأفضل يجمع[5] ما يراد ، و الريق أيضا: الباطل ، كالريوق[6] كتنور - تشبيها[7] بالسراب[8]، و ريق الفـــم معروف ، لاجتماعه ، و الريق: القوة ، لجمعها المراد ، و الريق و الرائق: الخالص ، و كل ما أكل أو شرب على الريق ، [5]و من ليس فى يده شيء ، كأنه خلص عن العلائق فاجتمع همه ، و من هو على الريق[5] كريّق ككيس ، و هو يريق بنفسه: يجود بها عند الموت ، من راق[9] الماء: انصب ، و المريق - كمعظم: من لا يزال يعجبه شيء ، و لعله من[10] راقه يروقه - إذا أعجبه ،

(١) تكرر فى الأصل و ظ (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد: الغير . (٣) من القاموس ، و فى الأصول: الشراب (٤) من م و اللسان ، و فى الأصل و ظ و مد: يريق (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد: كالرهوق (٧) زيد فى مد: مـا (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد: بالشراب (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ: رائق . (١٠) فى مد: لمن .

فجمع همه إليه ؛ و اليارق: ضرب من الأسورة، لأنه يجمع المعصم، و اليرقان - و يسكن : الاستقامة و الطريقة و آفة للزرع . و مرض معروف . و سيذكر فى ' أرق ' فى[1] أول سورة الحجر إن شاء الله تعالى .

و لما كان الاعتبار بأحوال من سلف للنجاة مما حل[2] بهم أهم[3] المهم، اعترض بالحث[4] عليه بين الغاية / و متعلقها، فقال : ﴿ افلم يسيروا ﴾ أى يوقع السير هؤلاء المكذبون[5] ﴿ فى الارض ﴾ أى فى هذا الجنس الصادق بالقليل و الكثير . و لما كان المراد سير الاعتبار . سبب عنه [قوله -[6]] : ﴿فينظروا ﴾ أى عقب سيرهم و بسببه، و نبه على [أن[7]] ذلك[8] أمر عظيم ينبغى الاهتمام بالسؤال عنه[9] بذكر أداة الاستفهام فقال : ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ الذين ﴾ و لما كان الذين يعتبر بحالهم - لما حل[2] بهم من الأمور العظام - فى بعض الأزمنة الماضية، و كان المخاطبون بهذا القرآن لا يمكنهم الإحاطة بأهل الأرض و إن كان فى حال كل منهم عظة، أتى بالجار فقال : ﴿ من قبلهم[4] ﴾ فى الرضى بأهوائهم فى تقليد آبائهم، و هذا كما تقدم فى سورة يونس من أن الآيات [لا تغنى -[6]] عمن ختم على قلبه، و التذكير بأحوال الماضين من هلاك العاصين و نجاة الطائعين، و الاعتراض بين ذلك بقوله "قل

١٠٥ /

(١) فى ظ و مد: من (٢) فى مد: احل (٣) سقط من مد (٤) فى ظ : بالحب. (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: المكذبين (٦) زيد من م و مد (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد بعده فى مد : ينبغى (٩) فى ظ : عليه .

انتظروا انى معكم من المنتظرين" و هو[1] يدل على أنه تعالى يغضب ممن أعرض عن تدبر[2] آياته ؛ و السير : المرور الممتد فى جهة ، و منه أخذ السير ، و أخذ السيور من الجلد ؛ و النظر : طلب إدراك المعنى بالعين أو[3] القلب ، و أصله[4] مقابلة الشيء بالبصر لإدراكه .

و لما كان من الممكن أن يدعى مطموس البصيرة أنه[5] كان لهم نوع خير ، قال على طريقة[6] إرخاء العنان : ﴿و لدار﴾ أى الساعة أو الحالة ﴿الأخرة﴾ أى التى وقع التنبيه عليها بأمور تفوت الحصر منها دار الدنيا فانه لا تكون[7] دنيا إلا بقصيا[8] ﴿خير للذين اتقوا[9]﴾ أى حملهم الخوف على جعل الائتمار و الانزجار وقاية من حياة أهون مآلها الموت ، و إن فرض فيها من المحال أنها امتدت ألف عام ، وكان عيشها كله رغدا من غير آلام .

و لما كان تسليم[9] هذا لا يحتاج فيه إلى أكثر من العقل ، قال مسببا عنه [منكرا -[10]] عليهم مبكتا لهم : ﴿افلا يعقلون ۝﴾ أى فيتبعوا الداعى إلى هذا السبيل الأقوم .

و لما كان المعنى معلوما من هذا السياق تقديره : فدعا الرجال[11] [المرسلون -[10]] إلى الله و اجتهدوا فى إنذار قومهم[12] لخلاصهم من الشقاء،

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذا (٢) فى مد : تذكر (٣) فى مد «و».
(٤) من م ومد ، و فى الأصل وظ : اصل (٥) من م ومد، و فى الأصل و ظ : انهم (٦) فى مد : طريق (٧) من مد ، و فى الأصل وظ و م : لايكون (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يقصا (٩) فى مد : تسليهم - كذا (١٠) زيد من م ومد (١١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الرجا - كذا (١٢) فى ظ : قولهم.

و توعدوهم عن[1] الله بأنواع العقوبات إن لم يتبعوهم ، و طال عليهم الأمر و تراخى النصر و هم يكذبونهم فى تلك الإيعادات[2] و يكتونهم و يستهزؤن بهم ، و استمر ذلك من حالهم و حالهم ، قال مشيرا إلى ذلك : ﴿ حتى اذا استيئس الرسل ﴾ أى يئسوا من النصر يأسا عظيما كأنهم ٥ أوجدوه أو طلبوه و استجلبوه من أنفسهم ﴿ و ظنوآ انهم قد كذبوا ﴾ أى فعلوا فعل[3] اليائس [العظيم اليأس - [4]] الذى ظن أنه قد أخلف وعده من الإقبال على التحذير و التبشير و الجواب - لمن استهزأ بهم و قال : ما يحبس ما وعدتمونا[5] بـــه - بأن ذلك أمره إلى الله ، إن [شاء - [4]] أنجزه ، و إن شاء أخره ، ليس علينا من أمره شىء ؛ و يجوز ١٠ أن يراد أنهم لمن استبطأوا النصر و ضجروا مما يقاسون من أذى الأعداء ، /١٠٦ و استبطاء[6] الأولياء / "حتى يقول الرسول و الذين آمنوا معه - كما يقول الآئس - متى نصر الله" مع علمهم بأن الله تعالى له أن يفعل ما يشاء ، عبر عن حالهم ذلك بما هنا - نقل الزمخشرى فى الكشاف و الرازى فى اللوامع معناه عن ابن عباس رضى الله عنهما ، هذا[7] على قراءة التخفيف ، ١٥ و أما على قراءة التشديد فالتقدير : و ظنوا أنهم قد كذبهم أتباعهم حتى لقد أنكرت عائشة رضى الله عنها قراءة التخفيف ، روى البخارى فى التفسير

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٢) من م و مد ، و فى الأصل : الأعاب ، و فى ظ : بالابعات - كذا (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : افعال .
(٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رعيتمونا .
(٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : استبطاوا (٧) فى ظ : قال .

وغيره عن عروة بن الزبير أنه سألها عن القراءة : أهي بالتشديد أم بالتخفيف ؟ فقالت : إنها بالتشديد ، قال : قلت : فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم فما هو بالظن ، قالت : أجل[1] ، لعمري لقد استيقنوا بذلك ! فقلت لها : و ظنوا أنهم قد كذبوا - أي بالتخفيف - قالت : معاذ الله ! لم تكن الرسل تظن ذلك بربها ، قلت : فما هذه الآية ؟ قالت : هم أتباع الرسل [الذين -[2]] آمنوا بربهم و صدقوهم ، فطال[3] عليهم البلاء ، و استأخر عنهم النصر ، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم و ظنوا أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك . ﴿ جآءهم نصرنا ﴾ لهم بخذلان أعدائهم ﴿فنجي[4] من نشآء﴾ منهم و من[5] أعدائهم ﴿و لا يرد باسنا﴾ أي عذابنا لما له من العظمة ﴿عن القوم﴾ أي و إن كانوا في غاية القوة ﴿المجرمين ۝﴾ الذين حتمنا دوامهم[6] على القطيعة كما قلنا "الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم[7]" و حققنا بمن ذكرنا مصارعهم من الأمم ، و كل ذلك إعلام[8] بأن[9] سنته جرت بأنه يطيل الامتحان ، و يمد زمان الابتلاء و الاعتبار ، حثا للأتباع على الصبر و زجرا للمكذبين عن التمادي في الاستهزاء .

(١) في مد : اجعل (٢) زيد من الصحيح - كتاب التفسير (٣) من الصحيح ، و في الأصول : وطال (٤) في م : فننجي - وهي قراءة غير ابن عامر و يعقوب وعاصم - راجع نثر المرجان ٣/٢٨٢ (٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : منهم . (٦) من مد ، و في الأصل و ظ و م : دوابهم (٧) سورة ١١ آية ٨ (٨) من مد ، و في الأصل و ظ و م : باعلام (٩) في ظ : بانه .

و مادة ' كذب ' تدور على ما لا حقيقة له ، و أكثر [تصاريفها -[1]] واضح فى ذلك ، و يستعمل فى غير الإنسان ، قالوا : كذب البرق و الحلم و الرجاء و الطمع و الظن ، و كذبت[2] العين : خانها حسها[3] ، و كذب الرأى : تبين الأمر بخلاف ما هو به ، و كذبته نفسه : منته[4] غير الحق ، و الكذوب : النفس ، لذلك ، و أكذبت[5] الناقة و كذبت - إذا ضربها الفحل فتشول[6] أى ترفع ذنبها ثم ترجع حائلا ، لأنها أخلفت ظن حملها ، و كذا إذا ظن بها لبن و ليس بها ، و يقال لمن يصاح به و هو ساكن يرى أنه نائم : قد أكذب ، أى[7] عد ذلك الصياح عدما ، و المكذوبة [من النساء : الضعيفة ، لأنه لما اجتمع فيها ضعف النساء و ضعفها عدت عدما ، و المكذوبة -[8]] على القلب : المرأة الصالحة - كأنها لعزة[9] الصلاح فى النساء جعلت عدما ، و كذب الوحشى - إذا جرى ثم وقف ينظر ما وراءه ، كأنه لم يصدق بالذى أنفره ، و منه : كذب عن كذا - إذا أحجم عنه بعد أن أراده ، أو[10] لأنه كذب

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد و التاج ، و فى الأصل : كذب (٣) فى ظ : حستها (٤) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : منشأ ، و فى ظ : مننه (٥) فى الأصول : كذبت ، و مبنى التصحيح على القاموس . (٦) فى م : فتسول (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الى (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م (٩) من م و مد . و فى الأصل و ظ : لغمرة (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد « و » .

ما[1] ظنه عنـد الحملة من قتل[2] الأقران، وكذبك[3] الحج[4] أى أمكنك، وكذبك الصيد [مثله، وهو يؤول إلى[5] الحث لأن[6] المعنى أن الحج لعظم مشقته وطول شقته تنفر النفس عنه، فيكاد أن لا يوجد، وكذا الصيد -[7]] لشدة فراره[8] وسرعة نفاره وعزة استقراره يـكاد أن لا يتمكن منه فيكون صيده كالكذب لا حقيقة له، فقد تبين حينئذ وجه كون «كذب» بمعنى الإغراء[9] ولاح[9] أن قوله[10] «ثلاثة أسفار كذبن[11] عليكم: الحج والعمرة والجهاد» معناه[12] أنها لشدة الصعوبة لا تكاد تمكن من أرادها منها[13]، / مع أنه - لقوة داعيته لكثرة ما يرى فيها من[14] الترغيب بالأجر - يكون كالظافر بها، ويؤيده[15] ما قال ابن الأثير فى النهاية عن الأخفش: الحج مرفوع[16] ومعناه نصب، لأنه يريد أن يأمره بالحج كما يقال: أمكنك الصيد، يريد[17]: ارمه، وقال أبو على

/ ١٠٧

(١) فى مد: مما (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: قبل (٣) من م ومد والتاج، وفى الأصل: لذلك، وفى ظ: كذلك (٤) زيد بعده فى الأصل: اذا امكنك، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد والتاج فحذفناها (٥) من م، وفى مد: فى (٦) من م، وفى مد: ممكن (٧) زيد ما بين الحاجزين من م ومد.
(٨) فى م: نفاره (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لا - كذا (١٠) أى قول عمر - كما صرح به فى النهاية لابن الأثير (كذب) (١١) زيد فى م: يعنى.
(١٢) العبارة من هنا إلى «أرادها منها» متكررة فى الأصل فقط (١٣) فى ظ: منه (١٤) فى ظ: عن (١٥) فى ظ: يؤيد (١٦) زيد فى النهاية: بكذب.
(١٧) من م والنهاية، وفى الأصل وظ ومد: يزيد.

الفارسى[١] فى الحجة[٢] فى قول عنترة :

كذب[٣] العتيق و ماء شن[٤] بارد إن كنت سائلتى غبوقا فاذهبى[٥]

و إن شئت قلت : إن الكلمة لما كثر استعمالها فى الإغراء بالشىء[٦] و البعث على[٧] طلبه و إيجاده[٨] صار كأنه قال بقوله لها : عليك العتيق ، أى الزمه[٩] ،

٥ و لا يريد نفيه و لكن إضرابها[١٠] عما عداه ، فيكون العتيق فى المعنى مفعولا به و إن كان لفظه مرفوعا ، مثل 'سلام عليكم' و نحوه مما يراد به الدعاء و اللفظ على الرفع ، و حكى محمد ابن السرى رحمه الله عن بعض أهل اللغة فى 'كذب العتيق' أن[١١] مضر تنصب به و أن اليمن ترفع به ، و قد تقدم وجه ذلك - انتهى . و أقرب من ذلك جدا و أسهل[١٢] تناولا و أخذا

١٠ أن الإنسان لا يزال منيع الجناب مصون[١٣] الحجاب ما كان لازما للصدق فاذا كذب فقد أمكن من نفسه و هان أمره ، فمعنى 'ثلاثة أسفار كذبن عليكم' أمكنتكم[١٤] من أنفسها ، الحج كل سنة بزوال مانع الكفار عنه ،

---

(١) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو على الفارسى الأصل (٢) و هو كتاب الحجة فى علل القراءات - راجع الأعلام للزركلى و إنباه الرواة ١/٢٧٤ .
(٣) من ظ و م و مد و التاج ، و فى الأصل : ما كذب (٤) من م و التاج ، و فى الأصل و ظ و مد : سن (٥) من ظ و م و مد و التاج ، و فى الأصل : فادهى - كذا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى الشىء (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اجاده (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الزمته (١٠) فى ظ : اضرابه (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى (١٢) فى ظ : اشمل (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : مضون ، و فى م : مضون (١٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : امكنتهم .

و العمرة

والعمرة كل السنة[1] بزوال[2] المفسدين بالقتل وغيره فى أشهر الحل ، والجهاد كل السنة[1] أيضا لإباحته فى الأشهر الحرم وغيرها ، وتخريج[3] مثل : كذبتك الظهائر ، وغيره على هذا بين الظهور لا وقفة[4] فيه ، ولكون الكاذب يبادر إلى المعاذير[5] ويحاول التخلص كان التعبير [بهذا -[6]] من باب الإغراء ، أى انتهز الفرصة وبادر تعسرَ[7] هذا الإمكان .

ولما ذكر سبحانه هذه القصص كما كانت ، وحث على الاعتبار [بها -[8]] بقوله "أفلم يسيروا" وأشار إلى أنه بذلك أجرى سنته وإن طال المدى ، أتبعه الجزم بأن فى أحاديثهم أعظم عبرة ، فقال حثا على تأملها والاستبصار بها : ﴿ لقد كان ﴾ [أى -[9]] [10] كونا هو فى غاية المكنة[10] ﴿ فى قصصهم ﴾ أى الخبر العظيم الذى تلى عليك تتبعا[11] لأخبار الرسل الذين طال بهم البلاء حتى استيأسوا من نوح إلى يوسف ومن بعده - على[12] جميعهم أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام ﴿ عبرة ﴾ أى عظة عظيمة وذكرى شريفة ﴿ لاولى الالباب[1] ﴾ أى

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : سنة (٢) فى م : ازوال (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : خرج (٤) فى م : وقعة (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : المغاير (٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يعسر (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) زيد من ظ و مد (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من م (١١) فى ظ و م و مد : متتبعا (١٢) فى ظ : الى .

لأهل العقول الخالصة من[1] شوائب الكدر يعبرون بها إلى ما يسعدهم بعلم[2] أن من قدر على ما قص من أمر يوسف عليه السلام و غيره قادر على أن يعز محمدا صلى الله عليه و على آله و سلم و يعلى كلمته و ينصره على من عاداه كائنا من[3] كان كما فعل بيوسف و غيره - إلى غير ذلك ٥ مما ترشد إليه قصصهم من الحكم و تعود[4] إليه من نفائس العبر ؛ و القصص : الخبر بما يتلو بعضه بعضا ، من قص الأثر[5] ، و الألباب : العقول ، لأن العقل أنفس ما فى الإنسان و أشرف .

و لما كان من أجل العبرة فى ذلك القطع بحقية[6] القرآن لما بيّنه من حقائق أحوالهم و خفايا أمورهم و دقائق أخبارهم على هذه الأساليب ١٠ الباهرة و التفاصيل الظاهرة و المناهج المعجزة القاهرة ، نبه[7] على ذلك بتقدير سؤال فقال : ﴿ ما كان ﴾ أى هذا القرآن العربى المشتمل على قصصهم و غيره ﴿ حديثا يفترى ﴾ كما قال المعاندون - على ما أشير إليه بقوله : " ام يقولون افتراه[8] "، و الافتراء : القطع بالمعنى على خلاف ما هو به فى الإخبار عنه ، من : فريت الأديم[9] ﴿ ولكن ﴾ كان ١٥ ﴿ تصديق الذى ﴾ كان من الكتب و غيرها ﴿ بين يديه ﴾ أى قبله الذى هو كاف فى الشهادة بصدقه و حقيته فى نفسه ﴿ و ﴾ زاد[10] على

(١) فى ظ و مد : عن (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : يعلم (٣) فى ظ : ما (٤) فى ظ : تقود (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاغر - كذا . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : خفيه ، و فى مد : بحقيقة - كذا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منبه (٨) سورة ١١ آية ١٣ (٩) سقط من مد . (١٠) زيد بعده فى ظ : اى .

ذلك بكونه ﴿ تفصيل كل شيء ﴾ أي يحتاج إليه من أمور الدين و الدنيا و الآخرة ؛ و التفصيل : تفريق الجملة باعطاء كل قسم حقه ﴿ و هدى و رحمة ﴾ و بيانا و إكراما / ٠ و لما كان الذى لا ينتفع بالشيء لا يتعلق ١٠٨/ بشيء منه ، قال : ﴿ لقوم يؤمنون ع ﴾ أي يقع الإيمان منهم و إن كان بمعنى : يمكن إيمانهم ، فهو عام ، و ما جمع هذه الخلال فهو أبين البيان ، ٥ فقد انطبق هذا الآخر على أول السورة فى أنه[1] الكتاب المبين ، و انطبق ما تبع هذه القصص - من الشهادة بحقية القرآن ، و أن الرسل ليسوا ملائكة [و لا معهم ملائكة -[2]] للتصديق يظهرون للناس ، و أنهم لم يسألوا على الإبلاغ أجرا - على سبب ما تبعته هذه القصص ، و هو مضمون قوله تعالى "فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك" - الآية من قولهم "لو لا ١٠ القى عليه كنز او جاء معه ملك" و قولهم : [إنه -[2]] افتراه ، على ترتيب ذلك ، مع اعتناق هذا الآخر لأول التى تليه[3] ، فسبحان من أنزله معجزا باهرا ، و قاضيا بالحق لايزل ظاهرا ، و كيف لا و هو العليم الحكيم - [4] و الله سبحانه و تعالى أعلم [4] .

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : آية (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) فى الأصول : تليها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

سورة الرعد[١]

مقصودها وصف الكتاب بأنه الحق فى نفسه، و تارة يتأثر عنه مع أن [له -[٢]] صوتا و صيتا و إرعابا و إرهابا[٣] يهدى بالفعل، و تارة لا يتأثر بل يكون سببا للضلال و العمى، و أنسب ما فيها[٤] [لهذا -[٢]] المقصد الرعد، فانه مع كونه حقا فى نفسه يسمعه الأعمى و البصير[٥] و البارز[٥] و المستتر. و تارة يتأثر عنه البرق و المطر و تارة لا[٦]، و إذا نزل[٧] المطر فتارة ينفع إذا أصاب الأراضى الطيبة و سلمت من عاهة، و تارة يخيب[٨] إذا نزل على السباخ الخوارة[٩]، و تارة يضر بالإغراق أو[١٠] الصواعق أو[١١] البرد و غيرها - و الله أعلم.

﴿بسم الله﴾ الحق الذى كل ما عداه باطل ﴿الرحمن﴾ الذى عم[١٢] بالرغبة و الرهبة [١٣]بعموم رحمته[١٣] ﴿الرحيم ۝﴾ الذى خص من شاء بما يرضاه عظيم ألوهية ﴿الٓمٓرٰ قف﴾.

لما ختم التى قبلها بالدليل على حقية القرآن و أنه هدى و رحمة لقوم يؤمنون، بعد أن أشار إلى كثرة ما يحسونه[١٤] من آياته فى السماوات

(١) هى السورة الثالثة عشرة. مدنية مع الخلاف فى ذلك، وهى ثلاث و أربعون آية فى الكوفى وأربع فى المدنى و خمس فى البصرى و سبع فى الشامى - راجع روح المعانى ٤/ ١٣٣ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كرهابا (٤) فى مد: فيهما (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لاه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انزل. (٨) فى م: نخيب - كذا (٩) من خورت الأرض: ارتخت من كثرة المطر فساح ترابها؛ و فى ظ: الخواه (١٠) من ظ و م و مد، فى الأصل «و» (١١) من م، و فى الأصل و ظ و مد «و» (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: علم. (١٣-١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: يخشون.

و الأرض مع الإعراض[١]، ابتدأ هذه[٢] بذلك على طريق اللف و النشر المشوش لأنه أفصح للبداءة فى نشره بالأقرب فالأقرب فقال: ﴿ تلك ﴾ أى الأنباء المتلوة و الأقاصيص المجلوة المفصلة بدر المعانى و بديع الحكم و ثابت القواعد و المبانى العالية المراتب ﴿ الٓمٓ ﴾ و الآية: الدلالة[٣] العجيبة فى التأدية إلى المعرفة ﴿ الكتب ط ﴾ المنزل إليك ﴿ و ﴾ جميع ٥ ﴿ الذىٓ ﴾ .

و لما كان تحقق أن هذا الكتاب من عند الملك أمرا لا يطرقه[٤] مرية لما له من الإعجاز، و كذا ما تبعه من بيانه بالسنة لما له من الحق الذى لا يخفى / على [كل - [٥]] عاقل، و كان [ما - [٦]] تحقق أنه كذلك[٧] ١٠٩ / يعلم أن[٨] الآتى به لا يكون إلا عظيما، بنى للمفعول قوله: ﴿ انزل اليك ﴾ ١٠ كائن ﴿ من ربك ﴾ فثبت حينئذ قطعا أنه هو ﴿ الحق ﴾ أى الموضوع كل شىء منه فى موضعه على[٩] ما تدعو إليه الحكمة، الواضح الذى لا يتخلف شىء منه عن مطابقة الواقع من بعث و لا غيره. فهو أبعد شىء عن قولهم: إن وعده بالبعث سحر، فوجب[١٠] [لثبوت - [٦]] حقيته[١١] على كل من اتصف بالعقل أن[١٢] يؤمن به ﴿ و لكن اكثر الناس ﴾ ١٥

(١) فى مد: الاعتراض (٢) فى مد: هذا (٣) فى ظ: الدالة (٤) فى م: لا تطرقه.
(٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لذلك (٨) فى ظ: أنه (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فوجبت (١١) فى ظ: حقيقة (١٢) فى مد: انه.

أى الآنسين بأنفسهم المضطربين[١] [٢]فى آرائهم[٢]. ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى لا يتجدد منهم إيمان أصلا بأنه حق فى نفسه و أنه من عند الله ، بل يقولون : إنه من عند محمد صلى الله عليه و على آله و سلم ، و إنه تخييل ليست معاينة ثابتة - كما قلنا " و ما اكثر الناس و لوحرصت بمؤمنين "

٥ فليس هدى لهم كاملا و لا رحمة تامة ، هـذا التقدير محتمل ، و لكن الذى يدل عليه [ظاهرُ - [٣]] قوله تعالى " افمن يعلم انما[٤] انزل اليك من ربك الحق " أن " الذى " مبتدأ ، و " من ربك " صلة " انزل " و الخبر " الحق " و المقصود من هذه السورة هذه الآية ، و هى وصف المنزل بأنه الحق و إقامة الدليل عليه ، و ذلك لأنـه[٥] لما تم [وصف

١٠ الكتاب بأنه حكيم محكم مفصل مبين ، عطف الكلام إلى تفصيل أول - [٦]] سورة البقرة ، و الإيماء إلى أنه حان اجتناء الثمرة فى هذه السورة و التى بعدها ، و يلتحم بذلك [وصف - [٦]] المصدقين بذلك - كما ستقف عليه .

و قال الإمام أبو جعفر ابن زبير رحمه الله فى برهانه : هذه السورة تفصيل لمجمل[٧] قوله سبحانه فى خاتمة سورة يوسف عليه السلام "و كاين

١٥ من اية فى السمٰوٰت و الارض يمرون عليها و هم عنها معرضون ه و ما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ه افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله

(١) فى ظ : المضطرين (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بازايهم .
(٣) زيد من م (٤) فى ظ : بما (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انه .
(٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل : لجمل ، و فى ظ : لمحمل .

اوتاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون * قل هذه سبيلى ادعوا الى الله [١]على بصيرة[١] انا و من اتبعنى و سبحن الله و ما انا من المشركين[٢]" فبيان[٣] آى السماوات فى[٤] قوله "الله الذى رفع السمٰوٰت بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش و سخر الشمس و القمر كل يجرى لاجل مسمى" و بيان آى الأرض فى قوله " و هو الذى مد الارض و جعل فيها [٥]رواسى و انهرا ٥ و من كل الثمرٰت جعل[٥] [فيها -[٦]] زوجين اثنين" فهذه آى السماوات و الأرض ، و قد زيدت بيانا فى مواضع ، ثم فى قوله تعالى " يغشى اللّيل النهار" ما يكون[٧] من الآيات عنهن ، لأن الظلمة عن جرم الأرض ، و الضياء عن نور الشمس و هى سماوية ، ثم زاد تعالى آيات الأرض بيانا و تفصيلا فى قوله تعالى "و فى الارض قطع متجورٰت - إلى ١٠ قوله : لقوم يعقلون" . و لما كان إخراج الثمر بالماء النازل [من السماء من أعظم آية ، و دليلا واضحا على صحة المعاد ، و لهذا قال تعالى -[٨]] فى الآية الأخرى " كذلك نخرج الموتى" و كان قد ورد هنا[٩] أعظم جهة فى الاعتبار من إخراجها مختلفات[١٠] فى الطعوم و[١١] الألوان و الروائح

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) آية ١٠٥ - ١٠٨ (٣) زيد بعده فى الأصل و م : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى مد : من .
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ وم ومد (٦) زيد من م والقرآن الكريم .
(٧) فى ظ و مد : تكون (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م ومد (٩) زيد بعده فى الأصل و م : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مختلفا (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى .

مع اتحاد المادة "يسقى[1] بماء واحد[2] و نفضل بعضها على بعض فى الاكل" لذلك ما أعقب قوله تعالى "و فى الارض قطع متجورات" - الآية [بقوله -[3]] "و ان تعجب فعجب قولهم ءاذا كنا ترابا ءانا لفى خلق جديد" ثم[4] بين سبحانه الصنف القائل بهذا و أنهم الكافرون أهل الخلود فى النار ، ثم أعقب ذلك ببيان عظيم حلمه و عفوه فقال "و يستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة" - الآية ، ثم اتبع [ذلك -[5]] بما يشعر بالجرى [على السوابق -[3]] فى قوله "انما انت منذر و لكل قوم هاد"، ثم بين عظيم ملكه و اطلاعه على دقائق ما أوجده من جليل صنعه و اقتداره فقال "الله يعلم ما تحمل كل انثى [و ما تغيض الارحام -[6]]" - الآيات إلى قوله "و ما لكم من دونه من وال"، ثم خوف عباده و أنذرهم و رغبهم "هو الذى يريكم البرق خوفا و طمعا" - الآيات ، وكل ذلك راجع إلى ما أودع سبحانه / فى السماوات و الأرض و ما بينهما من الآيات ، و فى ذلك أكثر آى السورة . و نبه تعالى على الآية الكبرى و المعجزة العظمى فقال "ولو ان قرءانا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى" و المراد : لكان هذا القرآن "و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا[7]" و التنبيه بعظيم[8] هذه

/١١٠

(١) فى ظ و م و مد : تسقى (٢) من م و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل و ظ : واحدة (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد بعده فى مد ما لا يتضح (٥) زيد من م و مد (٦) زيد من مد و القرآن الكريم (٧) سورة ٤ آية ٨٤ . (٨) فى الأصول : تعظيم .

الآيات مناسب لمقتضى السورة من التنبيه بما أودع[1] تعالى من الآيات في السماوات و الأرض ، [2]و كأنه جل و تعالى لما بين لهم عظيم ما أودع في السماوات و الأرض[2] و ما بينهما من الآيات و بسط ذلك و أوضحه ، أردف ذلك بآية أخرى جامعة للآيات و متسعة للاعتبارات فقال تعالى " و لو ان قرآنا سيرت بـه الجبال " فهو من نحو " ان في السمٰوٰت و الارض لآيٰت للمؤمنين و في خلقكم[3] " ، أي[4] لو فكرتم[5] في آيات[6] السماوات و الأرض لأقلتكم و كفتكم في بيان الطريق إليه و [7]لو فكرتم[7] في أنفسكم و ما أودع تعالى فيكم[8] من العجائب لاكتفيتم « من عرف نفسه عرف ربه » فمن قبيل هذا الضرب من الاعتبار هو الواقـع في سورة الرعد من بسط [آيات -[9]] السماوات و الأرض ، ثم ذكر القرآن و ما يحتمل ، فهذه إشارة إلى ما تضمنت هذه السورة الجليلة من بسط الآيات المودعة في الأرضين و السماوات ، و أما[10] قوله تعالى "و ما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون " فقد أشار إليه قوله تعالى " و لكن اكثر الناس لا يؤمنون انما يتذكر اولوا الالباب "[11] و قوله تعالى " الذين آمنوا و تطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب " فالذين تطمئن

(١) في ظ : اوقع (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من سورة ٤٥ آية ٤ ، و في الأصول : انفسكم ، و هذه الكلمة في سورة ٥١ آية ٢١ ، و التفسير يطابقها.
(٤) زيدت الواو بعده في ظ (٥) في ظ : ذكرتم (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : آية (٧ - ٧) في ظ : لو ذكرتم ، و في مد : لفكرتم (٨) في ظ : فيه .
(٩) زيد من م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ما (١١) العبارة من هنا إلى « اولو الالباب » ساقطة من ظ .

قلوبهم بذكر الله هم أولو الألباب المتذكرون التامو الإيمان و هم القليل[١] المشار إليهم فى قوله[٢] تعالى "و قليل ما هم" و المقول فيهم "اولئك هم المؤمنون حقا" و دون هؤلاء طوائف من المؤمنين ليسوا فى درجاتهم و لا بلغوا يقينهم، و إليهم الإشارة بقوله "و ما يؤمن اكثرهم بالله الا و هم مشركون" قال عليه الصلاة و السلام «الشرك فى أمتى أخفى من دبيب النمل» فهذا بيان ما أجمل فى قوله "و ما يؤمن اكثرهم بالله الا و هم مشركون" و أما قوله تعالى "افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله" فما عجل لهم من ذلك فى قوله "و لا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى ياتى وعد الله" القاطع دابرهم، [و-[٣]] المستأصل لأمرهم، و أما قوله تعالى "قل هذه سبيلى ادعوا الى الله على بصيرة" - الآية، فقد أوضحت آى سورة الرعد سبيله عليه السلام و بينته بما تحملته[٤] من عظيم التنبيه و بسط الدلائل بما فى السماوات و الأرض و ما بينهما و ما فى العالم بجملته[٥] و ما تحمله الكتاب المبين - كما تقدم، ثم [قد - [٣]] تعرضت السورة لبيان جلّى سالكى[٦] تلك السبيل الواضحة المنجية فقال تعالى "الذين يوفون بعهد الله و لاينقضون الميثاق" - إلى آخر ما حلاهم به أخذا و تركا؛ ثم عاد[٧] الكلام بعد إلى ما فيه من التنبيه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قليل (٢) فى مد: قولهم له (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م، وفى الأصل: تحتمله، و فى مد: تحمله (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بعملته (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: سالك.
(٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حاد.

و البسط و تقريع الكفار و توبيخهم و تسليته عليه السلام فى أمرهم "انما انت منذر و لقد ارسلنا [رسلا -[١]] من قبلك و جعلنا لهم ازواجا و ذرية"، "فانما عليك البلغ و علينا الحساب" "و يقول الذين كفروا لست مرسلا"، و السورة بجملتها[٢] غير حائدة عن تلك الأغراض المجملة فى الآيات الأربع المذكورات من آخر سورة يوسف، و معظم السورة ٥ و غالب آيها فى التنبيه و بسط الدلالات و التذكير بعظيم ما أودعت من الآيات؛ و لما كان هذا شأنها أعقبت بمفتتح / سورة [ابرٰهيم -[٣]] ١١١/ عليه السلام - انتهى.

فلما أثبت سبحانه لهذا[٤] الكتاب أنه المختص بكونه حقا فثبت أنه أعظم الأدلة و الآيات، شرع يذكر ما أشار إليه بقوله "و كاين من ١٠ [٥]اية" من[٥] الآيات المحسوسة الظاهرة الدالة على كون آيات الكتاب حقا بما لها فى[٦] أنفسها من الثبات، و الدالة - بما لفاعلها من القدرة و الاختيار - على أنه قادر على كل شىء، و أن ما أخبر به من البعث[٧] حق لما له من الحكمة، و الدالة - بما للتعبير عنها من الإعجاز - على كونها من عند الله، و بدأ بما بدأ به فى تلك من آيات السماوات لشرفها و لأنها ١٥ أدل، فقال: ﴿الله﴾ أى الملك الأعظم الذى له جميع صفات الكمال

(١) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم (٢) من م، و فى الأصل و ظ و مد: تجملها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بهذا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٧) فى ظ: البحث.

وحده ﴿ الذى رفع السمٰوٰت ﴾ بعد إيجادها من عدم - كما أنتم بذلك مقرون؛ والرفع : وضع الشيء فى جهة العلو سواء كان بالنقل[١] أو بالاختراع، كائنة[٢] ﴿ بغير عمد ﴾ جمع عماد كأهب وإهاب [أو عمود ، و العمود : جسم مستطيل[٣] يمنع المرتفع أن يميل ، و أصله منع الميل -[٤]] ﴿ ترونها ﴾ أى مرئية حاملة لهذه الأجرام العظام التى مثلها لا تحمل[٥] فى مجارى[٦] عاداتكم إلا بعد[٧] تناسبها فى العظم ، هذا على أن "ترونها" صفة ، و يجوز - و لعله أحسن - أن[٨] يكون على تقدير سؤال من كأنه قال : ما دليل أنها بغير عمد ؟ فقيل : المشاهدة [التى -[٤]] لا أجلى[٩] منها .

[و لما كان رفع السماوات بعد[١٠] خلق الأرض و قبل تسويتها ، ذكر أنه شرع فى -[٤]] تدبير ما للكونين من المنافع و ما فيهما من الأعراض و الجواهر ، و أشار إلى عظمة ذلك التدبير بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ قال الرازى فى لوامع[١١] البرهان : و خص العرش لأنه أعلى خلقه و صفوته[١٢] و منظره الأعلى و موضع تسبيحه و مظهر ملكه و مبدأ وحيه و محل قربه ، و لم ينسب شيئا من خلقه كنسبته ، فقال

(١) فى ظ : بالفعل (٢) فى ظ : كما نبه (٣) من م و مد ، و فى ظ : مستطيع . (٤) ما بين الحاجزين زيد من ظ و م و مد (٥) فى ظ : لا يحمل (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مجازى (٧) فى م : بعمد (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : بان ، وفى مد : لان (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : اجل (١٠) من م و مد ، و فى ظ : بغير - كذا (١١) فى ظ : اللوامع - كذا (١٢) فى ظ : صعوبته .

تعالى " ذو العرش " كما قال " ذو الجلال " و 'ذو' كلمة لحق و اتصال و ظهور و مبدإ، و قال الرماني: و الاستواء: الاستيلاء بالاقتدار و نفوذ السلطان، و أصله: استوى التدبير، كما أن أصل القيام الانتصاب، ثم يقال: قائم بالتدبير - انتهى. و عبر بـ'ثم' لبعد هذه [الرتبة - ١] عن الأطماع و علوها عما يستطاع، فليس هناك ترتيب و لا مهلة[١] حتى ٥ يفهم [أن - ١] ما قبل كان على غير ذلك، و المراد أنه أخذ فى التدبير لما خلق كما هو شأن الملوك إذا استووا على عروشهم، أى[٢] لم يكن لهم مدافع، و إن لم يكن هناك[٣] جلوس أصلا، و ذلك لأن روح الملك التدبير و هو أعدل أحواله و الله أعلم ﴿و سخر﴾ أى ذلل[٥] تذليلا عظيما ﴿الشمس﴾ أى التى [هى آية النهار[١] -] ﴿[٦]و القمر[٦]﴾ [أى الذى هو آية الليل ١٠ لما فيهما[٧] من الحكم و المنافع و المصالح التى - [١]] بها صلاح [٨]البلاد و العباد[٨]، و دخلت اللام فيهما و كل واحد منهما لا ثانى[٩] له لما فى الاسم من معنى الصفة، إذ لو وجد[١٠] مثل لهما لم[١١] يتوقف فى إطلاق الاسم عليه،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م، و فى الأصل و ظ و مد: مهملة.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ان (٤) فى ظ: هنالك (٥) من ظ، و فى الأصل و م و مد: ذلك - كذا (٦-٦) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «الماء للجريان» و الترتيب من ظ و م و مد (٧) من م و مد، و فى ظ: فيها.
(٨-٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العباد و البلاد (٩) فى الأصل و ظ و م: لا ياتى، و فى مد: لا يتاتى - كذا (١٠) من ظ و م، و فى الأصل و مد: وجه (١١) فى ظ: لما.

و لا كذلك[1] زيد و عمرو ؛ و[2] التسخير : التهيئة لذلك [3]المعنى المسخر له ليكون بنفسه من غير معاناة صاحبه فيما يحتاج إليه[3] كتسخير[4] النار للانضاج[5] و الماء للجريان ﴿ كل ﴾ أى من الكوكبين[6] ﴿ يجرى ﴾ .

و لما كان السياق للتدبير ، علم أن المراد بجريهما لذلك ، و هو تنقلهما

٥ فى المنازل و الدرجات التى يتحول[7] بها الفصول ، و يتغير النبات و تضبط الأوقات ، [8]و كلما كان التدبير أسرع ، علم أن صاحبه أعلم و لا سيما إن كان أحكم[8] ، فكان الموضع اللام [9]لا لإلى ، فعلل[9] بقوله : ﴿ لاجل ﴾ [8]أى لأجل اختصاصه بأجل[8] ﴿ مسمى ﴾ [8]هذى أجلها سنة ، و ذاك أجله شهر[8] ؛ و الأجل : الوقت المضروب لحدوث أمر و انقطاعه .

١٠ و لما كان كل من ذلك مشتملا من الآيات على ما يجل عن الحصر مع كونه فى غاية الإحكام ، استأنف خبرا هو كالتنبيه[10] على ما فيما مضى من الحكمة ، فقال مبينا للاستواء على العرش بعد أن أشار إلى عظمة هذا الخبر بما فى صلة الموصول من الأوصاف العظيمة : ﴿ يدبر الامر ﴾ أى فى المعاش و المعاد و ما ينظمهما بأن يفعل فيه فعل من ينظر فى

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لذلك (٢) فى ظ : او (٣ - ٣) ما بين الرقمين فى ظ : ليت - كذا (٤) من م ، و فى الأصل و مد : لتسخير ، و فى ظ : التسحير (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الايضاح ، و فى مد : للايضاع - كذا . (٦) من م و مد ، و فى الأصل : الكونين ، و فى ظ : الكوبين (٧) فى مد : تتحول (٨-٨) - سقط ما بين الرقمين من م (٩ - ٩) فى ظ : للى فعل - كذا . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كالشبه .

أدباره و عواقبه ليأتى محكما يجل / عن[1] أن يرام بنقض ، بل هو بالحقيقة ١١٢ /
الذى يعلم أدبار الأمور و عواقبها[2] ، لا يشغله شأن عن شأن ، مع أن
هذا العالم - من أعلى العرش إلى ما تحت الثرى - محتو[3] على أجناس
و أنواع و فصول و أصناف و أشخاص لا يحيط بها سواه ، و ذلك دال
قطعا على أنه [سبحانه -[4]] فى ذاته و صفاته متعال عن مشابهة المحدثات ٥
واحد أحد صمد ليس له كفوا أحد .

و لما كان هذا بيانا عظيما لا لبس فيه ، قال ﴿ يفصل الايٰت ﴾
[أى -[5]][6]التى برز إلى الوجود تدبيرها[6] ، الدالة على وحدانيته و كمال
حكمته ، المشتملة عليها مبدعاته ، [6]فيفرقها و يباين بينها مباينة لا لبس
فيها[6] ، تقريبا لعقولكم و تدريبا[7] لفهومكم ، [8]لتعلموا أنها فعل الواحد المختار ، ١٠
لا فعل الطبائع[9] و لاغيرها من الأسباب التى أبدعها ، و إلا فكانت[10] على
نسق واحد ، و جمعها لما تقدم من الإشارة إلى كثرتها بقوله " و كاين
من ءاية فى السمٰوٰت و الارض" فكأن هذه الألف و اللام لذلك المنكر
[هناك -[11]] .

(١) سقط من مد (٢) زيدت الواو بعده فى مد (٣) فى ظ : بحتوا - كذا .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م .
(٧) فى ظ : تدبيرا (٨) العبارة من هنا إلى «نسق واحد» ساقطة من م (٩) من
ظ و مد ، و فى الأصل : الطايع (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : لكانت .
(١١) زيد من ظ و م و مد .

و لما كان هذا التدبير و هذا التفصيل دالا على تمام القدرة و غاية الحكمة، و كان البعث لفصل القضاء و الحكم بالعدل و إظهار العظمة هو محط الحكمة، علل بقوله: ﴿ لعلكم بلقآء ربكم[1] ﴾ أى لتكون حالكم حال من يرجى له بما ينظر من الدلالات[2] الإيقان بلقاء الموجد له المحسن إليه بجميع ما يحتاجه[3] التربية ﴿ توقنون ٥ ﴾ أى تعلمون ذلك من غير شك استدلالا بالقدرة على ابتداء الخلق على القدرة على ما جرت العادة بأنه أهون من الابتداء و هو الإعادة، و أنه لا تتم[4] الحكمة إلا بذلك.

و لما انقضى ما أراد[5] من آيات السماوات، ثنى بما فيها ثنى به فى آية يوسف من الدلالات فقال: ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى مد الارض ﴾ و لو شاء لجعلها[6] كالجدار أو[7] الأزج[8] لا يستطاع القرار عليها، و هذا لا ينافى أن تكون كرية، لأن الكرة إذا عظمت كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح، كما أن الجبال أوتاد و الحيوان يستقر عليها ﴿ وجعل فيها ﴾ جبالا مع شهوقها ﴿ رواسى ﴾ أى ثوابت، واحدها راسية أى ثابتة باقية فى حيزها غير منتقلة عن

(١) تأخر فى الأصل عن «يحتاجه التربية» و الترتيب من ظ و م و مد.
(٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) فى ظ و مد: تحتاجه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل و م: لا يتم (٥) فى م: اراده.
(٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لجعله (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٨) من م، و فى الأصل و ظ و مد: الارج؛ و الأزج: البيت يبنى طولا. و زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها.

أما كنها

أماكنها[1] لاتتحرك، فلا يتحرك ما هى راسية فيه. و لما غلب على الجبال وصفها بالرواسى، صارت الصفة تغنى عن الموصوف فجمعت جمع الاسم كحائط و كاهل - قاله أبو حيان[2]. و لما كانت طبيعة الأرض واحدة كان حصول الجبل فى جانب منها دون آخر و وجود المعادن المتخالفة فيها تارة جوهرية، و تارة خامية، و تارة نفطية، و تارة كبريتية - إلى غير ذلك، ٥ دليلا على اختصاصه تعالى بتمام القدرة و الاختيار لأن الجبل واحد[3] فى الطبع كما أن تأثير الشمس واحد، فقال تعالى: ﴿و انهرا[4]﴾ أى وجعل فيها خارجة [منها -[4]]، و أكثر ما تكون[5] الأنهار من الجبال، لأنها أجسام صلبة عالية، و فى خلال الأرض أبخرة فتصاعد[6] تلك الأبخرة المتكونة فى قعر الأرض، و لاتزال تخرق[7] حتى تصل إليها فتحتبس[8] بها [9]فلا تزال ١٠ تتكامل[9] حتى يعظم تكاثفها[10]، فاذا بردت[11] صارت ماء فيحصل بسببها مياه كثيرة كما تنعقد الأبخرة البخارية المتكاثفة فى أعالى الحمامات[12] إذا بردت و تتقاطر، فاذا تكامل انعقاد تلك المياه و عظمت شقت[13] أسافل

(١) فى م و مد: مكانها (٢) راجع البحر ٥/٣٦١ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و اخذ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: يكون (٦) فى م: فتتصاعد، و حذف إحدى تائى التفعل مطرد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خرق (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فحبس. (٩ - ٩) من ظ و مد، و فى الأصل و م: فلا يزال يتكامل (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مكانها (١١) فى ظ: برد (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحمالات (١٣) فى ظ: سقطت.

الجبال أو غيرها من الأماكن التى تستضعفها[1] لقوتها و قوة الأبخرة المصاحبة لها ، فان كان لتلك المياه مدد من جهة الفواعل و القوابل بحيث كلما[2] نبع منها شيء حدث عقيبه شيء ، و هكذا على الاتصال فهى النهر ، و النهر : المجرى الواسع من مجارى الماء ، و أصله الاتساع ، و منه النهار - لاتساع ضيائه .

و لما ذكر الأنهار[3] ذكر ما ينشأ عن المياه فقال : ﴿و من كل الثمرٰت﴾ و يجوز أن يكون متعلقا بما قبله ، ثم يكون كأنه قيل : من ينتفع / بهذه الأشياء ؟ فقيل : ﴿جعل فيها﴾ أى الأرض ﴿زوجين اثنين﴾ ذكرا و أنثى من كل صنف من الحيوان ينتفع بها[4] ، و يجوز أن يكون متعلقا بما بعده فيكون التقدير : و جعل فيها من كل الثمرات زوجين اثنين ذكرا[5] و أنثى تنتفع [الأنثى -[6]] بلقاحها من الذكر أو قربه[7] منها فيجود ثمرها ؛ و الثمرة طعمة الشجرة ، و الزوج : شكل [له -[6]] قرين من نظير أو نقيض ، فكأنه قيل : ما الذى ينضجها ؟ فقال : ﴿يغشى اليل النهار[8]﴾ أى و النهار الليل ، فينضج هذا بحره و يمسك هذا ببرده ، فيعتدل فعلهما على ما قدره تعالى لهما فى السير من الزيادة و النقصان للحر و البرد للاخراج و الإنضاج[8] إلى غير ذلك من الحكم النافعة[9] فى الدين و الدنيا الظاهر لكل ذى عقل أنها بتدبيره بفعله

/١١٣

(١) فى ظ : لا تستضعفها (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : كلها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاثمار (٤) فى مد : به (٥) فى ظ : ذكر (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ : قربة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الايضاح (٩) فى ظ : النابعة .

و اختياره و قهره و اقتداره .

و لما ساق سبحانه هذه الآيات مفصلة إلى أربع و كان فيها دقة ، جمعها و ناطها[1] بالفكر فقال : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الذى وقع التحديث عنه من الآيات متعاطفا ﴿ لآيٰت ﴾ أى دلالات واضحات عجيبات باهرات على أن ذلك كله مستند[2] إلى قدرته و اختياره ، و نبه على أن ٥ المقام يحتاج إلى تعب بتجريد النفس من الهوى و تحكيم العقل صرفا بقوله : ﴿ لقوم ﴾ أى ذوى قوة زائدة على القيام فيما يحاولونه ﴿ يتفكرون ۝ ﴾ أى يجتهدون فى الفكر ، قال الرمانى : و هو تصرف القلب فى طلب المعنى ، و مبدأ ذلك معنى يُخطره الله تعالى على بال الإنسان فيطلب متعلقاته التى فيها بيان عنه من كل وجه يمكن فيه ، و الختم[3] بالتفكر ١٠ إشارة إلى الاهتمام باعطاء المقام حقه فى الرد على الفلاسفة ، فانهم يسندون[4] حوادث العالم السفلى إلى الاختلافات الواقعة فى الأشكال الكوكبية ، و هو كلام ساقط لمن تفكر فيما قرره[5] سبحانه فى الآية السالفة من إسقاط [وروده -[6]] من أنه سبحانه هو[7] الذى أوجد الأشياء كلها من عدم ثم أخذ فى تدبيرها ، فاختصاص كل [شىء -[8]] ١٥ من الأجرام العلوية بطبع و صفة و خاصية إنما هو بتخصيص المدبر

(١) فى مد : ناطقها (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : مستندا (٣) فى م : الختم (٤) من م و مد ، و فى الأصل : مسندون ، و فى ظ : سندون (٥) فى مد : قدره (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » . (٨) زيد من ظ و مد .

الحكيم الفاعل بالاختيار ، فصار وجود الحوادث السفلية لو سلم أنه متأثر عن[1] الحوادث العلوية إنما يكون مستندا إليها باعتبار السببية ، و السبب و المسبب مستند إلى الصانع القديم[2] المدبر الحكيم .

و لما كان هذا الدليل - مع وضوحه - فيه بعض غموض ، شرع تعالى فى[3] شيء من تفصيل ما فى الأرض من الآيات التى هى أبين من ذلك دليلا ظاهرا جدا على إبطال قول الفلاسفة ، فقال : ﴿ و فى الارض ﴾ أى التى[4] أنتم سكانها ، تشاهدون ما فيها مشاهدة لا تقبل[5] الشك ﴿قطع متجٰورٰت﴾ فهى متحدة البقعة مختلفة الطبع[6] ، طيبة إلى سبخة ، وكريمة إلى زهيدة ، وصلبة إلى رخوة ، و صالحة للزرع لا للشجر و عكسها[7] ، مع انتظام الكل فى الأرضية ﴿ و جنٰت ﴾ جمع جنة ، و هى البستان الذى[8] تجنه الأشجار ﴿ من اعناب ﴾ وكأنه قدمها لأن أصنافها - الشاهدة[9] بأن صانعها إنما هو الفعال لما يريد - [10]لا تكاد تحصر[10] حتى أنه فى الأصل الواحد يحصل تنوع الثمرة[11] و لذلك جمعها .

و لما كان تفاوت ما أصله الحب أعجب ، قال : ﴿ و زرع ﴾ أى

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عنه (٢) زيد بعده فى الأصل : ثم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد بعده فى ظ : تفصيل . (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لا يقبل . (٦) فى م : للطبع (٧) فى ظ : يمسكها (٨) فى ظ : التى (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المشاهدة (١٠-١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يكاد يحضر (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الشجرة .

منفردا - فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و حفص عن عاصم بالرفع ، و فى خلل الجنات - فى قراءة الباقين بالجر .

و لما كان ما جمعه أصل واحد ظاهر أغرب ، أخر قوله : ﴿ و نخيل صنوان ﴾ فروع متفرقة على أصل واحد ﴿ و غير صنوان ﴾ باعتبار افتراق منابتها[1] و أصولها ؛ قال أبو حيان[2] : و الصنو : الفرع ٥ يجمعه و آخر أصل واحد[3] ، و أصله المثل ، و منه قيل للعم : صنو[4] و قال الرمانى : و الصنوان : المتلاصق ، يقال : هو ابن أخيه [صنو أبيه -[5]] أى لصيق أبيه فى ولادته ، و هو جمع صنو[6] ، و قيل : الصنوان : النخلات التى أصلها / واحد - عن البراء بن عازب و ابن عباس / ١١٤ و مجاهد و قتادة رضى الله عنهم ؛ و قال الحسن رضى الله عنه : الصنوان : ١٠ النخلتان أصلها واحد - انتهى . و هو تركيب لا فرق بين مثناه[7] و جمعه إلا بكسر النون من غير تنوين و إعرابها مع التنوين ، و سيأتى فى يس إن شاء الله تعالى سر تسمية الكرم بالعنب .

و لما كان الماء بمنزلة[8] الأب و الأرض بمنزلة[8] الأم ، و كان الاختلاف مع اتحاد الأب و الأم أعجب و أدل على الإسناد إلى الموجد ١٥ المسبب ، لا إلى شىء من الأسباب ، قال : ﴿ تسقى[9] ﴾ أى أرضها الواحدة كلها

---

(١) فى ظ : نباتها (٢) راجع النهر على هامش البحر ٥/٣٦٢ ؛ و العبارة من بعده إلى « قال الرمانى » ساقطة من مد (٣) من ظ و م و النهر ، و فى الأصل : واحدة (٤) من ظ و م و النهر ، و فى الأصل : صنوه (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : صنوه (٧) من ظ و م و مد ؛ و فى الأصل : منتهاه (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من مد (٩) هذه قراءة الجماعة ، و قراءة يعقوب و ابن عامر و عاصم بالياء على التذكير .

﴿ بماء واحد قف ﴾ فتخرج[1] أغصانها و ثمراتها فى وقت معلوم لا يتأخر عنه ولا يتقدم بعد أن يتصعد الماء فيها علوا ضد ما فى طبعه من التسفل ، ثم يتفرق فى كل من الورق و الأغصان و الثمار بقسطه مما فيه صلاحه ﴿ و نفضل ﴾ أى[2] بما لنا من العظمة المقتضية للطاعة ﴿ بعضها ﴾ أى بعض تلك الجنات و بعض أشجارها ﴿ على بعض ﴾ و لما كان التفضيل على أنحاء مختلفة ، بين المراد بقوله : ﴿ فى الاكل[3] ﴾ أى الثمر المأكول ، و يخالف فى المطعوم مع اتحاد الأرض و بعض الأصول ، و خص الأكل لأنه أغلب وجوه[4] الانتفاع ، و هو منبه على اختلاف غيره من اللبف و السعف[5] و اللون للأكول و الطعم و الطبع و الشكل و الرائحة[6] و المنفعة و غيرها مع أن نسبة[7] الطبائع و الاتصالات الفلكية إلى جميع الثمار على حد سواء[8] لاسيما إذا رأيت العنقود الواحد جميع حباته حلوة نضيجة كبيرة إلا واحدة فانها حامضة صغيرة يابسة .

و لما كان المراد فى هذا السياق - كما تقدم - تفصيل ما نبه على كثرته بقوله "وكاين من اية فى السموٰت و الارض" - الآية ، قال : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى تقدم ﴿ لأيٰت ﴾ بصيغة الجمع فانها بالنظر إلى تفصيلها بالعطف جمع و إن كانت بالنظر إلى الماء مفردة[8] ، و هذا بخلاف

(١) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : فنخرج (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وجود (٤) فى مد : الشعف (٥) فى ظ : الريحة . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : تشبه (٧) فى م : اسوا (٨) فى ظ و مد : مفرده .

ما يأتى فى النحل [1] لأن المحدث عنه هناك الماء ، و هنا ما ينشأ عنه ، فلما اختلف المحدث عنه كان الحديث بحسبه ، فالمعنى : دلالات واضحات على أن ذلك كله فعل واحد مختار عليم قادر على ما يريد من ابتداء الخلق ثم تنويعه بعد إبداعه [2] ، فهو قادر على إعادته بطريق الأولى [3] .

و لما كانت هذه المفصلة أظهر من تلك المجملة [4] ، فكانت من الوضوح ٥ بحال لا يحتاج ناظره فى الاعتبار به إلى غير العقل ، قال : ﴿ لقوم ﴾ أى ذوى قوة على ما يحاولونه ﴿ يعقلون ﴾ فانه [5] لا يمكن التعبير [6] فى وجه هذه الدلالة إلا بأن [7] [يقال : ـ [8]] هذه الحوادث السفلية حدثت بغير محدث ، فيقال للقائل : و أنت لا عقل لك ، لأن العلم بافتقار الحادث إلى المحدث ضرورة ، فعدم العلم بالضرورى يستلزم [عدم ـ [8]] العقل . ١٠

و لما ثبت قطعا بما أقام من الدليل على عظيم قدرته بما أودعه من الغرائب فى ملكوته التى لا يقدر عليها سواه أن هذا إنما هو فعل واحد قهار مختار يوجد المعدوم و يفاوت بين ما تقتضى [9] الطبائع [10] اتحاده ، كان إنكار شىء من قدرته عجبا ، فقال عطفا على قوله " و لكن اكثر الناس لا يؤمنون " مشيرا إلى أنهم يقولون : إن الوعد بالبعث سحر لا حقيقة له ١٥ ﴿ و ان تعجب ﴾ أى يوما من الأيام أو ساعة من الدهر فاعجب من

(١) آية ١١ (٢) فى ظ : ابلاغه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اولى .
(٤) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : الجملة (٥) فى ظ : لانه (٦) فى م : التغبير .
(٧) فى مد : ان (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : يقتضى (١٠) زيد بعده فى ظ : مع .

إنكارهم البعث ﴿ فعجب ﴾ عظيم لا تتناهى[1] درجاته فى العظم ﴿ قولهم ﴾ بعد ما رأوا من الآيات الباهرة و الدلالات الناطقة[2] بعظيم القدرة على كل شىء منكرين : ﴿ ءاذا كنا ترابا ﴾ و اختلط التراب الذى تحولنا[3] إليه بالتراب الأصلى فصار لا يتميز ، ثم كرروا التعجب و الإنكار بالاستفهام ثانيا فقالوا : ﴿ ءانا لفى خلق جديد[4] ﴾ هذا قولهم بعد أن فصلنا من الآيات ما / يوجب أنهم بلقاء ربهم يوقنون ، و هذا الاستفهام الثانى مفسر[4] لما نصب الأول بما فيه من معنى ' أنُبعَث[5] ' ، و العجب : تغير النفس بما خفى سببه عن العادة ، و الجديد : المهيا بالقطع إلى التكوين قبل[6] التصريف فى الأعمال ، و أصل الصفة القطع ؛ قال الرمانى : و قد قيل : لا خير فيمن [7]لا يتعجب[7] من العجب ، و أرذل منه من يتعجب [8]من غير عجب[8] - انتهى ، يعنى : فالكفار تعجبوا من غير عجب ، و من تعجبهم[9] فقد تعجب من العجب .

/١١٥

و لما كان هذا[10] إنكار المحسوس من القدرة ، استحقوا ما يستحق من يطعن فى [11]ملك الملك[11] ، فقال : ﴿ اولـئك ﴾ أى الذين[12] جمعوا أنواعا من البعد مع كل خير ﴿ الذين كفروا بربهم ج ﴾ أى غطوا كل ما يجب

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لا يتناهى (٢) فى ظ : القاطعة (٣) فى ظ : يحولنا (٤) فى ظ : تفسر (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البعث . (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : قيل (٧-٧) فى مد : ليتعجب . (٨-٨) فى ظ : بغير عجيب (٩) فى ظ : عجبهم (١٠) سقط من ظ (١١-١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تلك الملل - كذا (١٢) فى ظ : الذى .

إظهاره بسبب الاستهانة بالذى بدأ خلقهم ثم رباهم بأنواع اللطف، فاذا أنكروا معادهم فقد أنكروا مبدأهم ﴿ و اولٓئك ﴾ [أى -[1]] البعداء البغضاء ﴿ الاغلٰل ﴾ أى الحدائد التى تجمع أيدى الأسرى إلى أعناقهم، و يقال لها: جوامع، و تارة تكون فى الأعناق فقط يعذب بها الناس؛ و لما كان طرفا[2] العنق غليظين، فلا تكون[3] إحاطة الجامعة منها إذا كانت ضيقة إلا بالوسط، جعل الأعناق ظروفا باعتبار أنها على بعض منها، و ذلك كناية عن ضيقها، فقال: ﴿ فى اعناقهم ع ﴾ أى[4] بكفرهم و إن لم تكن الأغلال مشاهدة الآن، فهى لقدرة المهدد بها على الفعل كأنها موجودة، و هم منقادون لما قدر عليهم من أسبابها كما يقاد المغلول بها إلى ما يريد قائده[5]، و الغل: طوق تقيد[6] به اليد فى العنق، و أصله: انغل فى الشىء - إذا انتشب فيه، و غل المال[1] - إذا خان بانتشابه فى [المال -[1]] الحرام ﴿ و[7] اولٓئك ﴾ أى الذين لاخسارة أعظم من خسارتهم ﴿ اصحٰب النار ج ﴾. و لما كانت الصحبة تقتضى الملازمة، صرح بها فقال: ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ فيها ﴾ أى متمحضة لا يخلطها نعيم ﴿ خٰلدون ۝ ﴾ أى ثابت[8] خلودهم دائما.

و لما تضمنت هذه[9] الآية إثبات القدرة التامة مع ما سبق

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م، و فى الأصل و ظ و مد: ظرفا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلا يكون (٤) سقط من مد (٥) فى الأصول: فائدة - كذا (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يغل (٧) سقطت الواو من ظ (٨) فى ظ: ثابتا (٩) سقط من ظ.

من أدلتها المحسوسة المشاهدة ، كان أيضا من العجب العجيب و النبأ الغريب استهزاءهم بها ، فقال معجبا منهم : ﴿و يستعجلونك﴾ أى استهزاء و تكذيبا ؛ و الاستعجال : طلب التعجيل ، و هو تقديم الشيء قبل وقته الذى يقدر له ﴿بالسيئة﴾ من العذاب المتوعد به من عذاب الدنيا و عذاب[1] الآخرة

٥ جرأة[2] منهم تشير[3] إلى أنهم لا يبالون بشيء منه و لا يوهن قولهم[4] شيء[5] ﴿قبل الحسنة﴾ من الخير الذى تبشرهم[6] به ﴿و﴾ الحال أنه ﴿قد خلت﴾ و لما كان المحدث عنه إنما كان فى بعض الزمان ، أدخل الجار فقال : ﴿من قبلهم المثلٰت﴾ جمع مثلة بفتح الميم و ضم المثلثة [كصدقة و صدقات ، سميت بذلك لما بين العقاب و المعاقب عليه من المماثلة - [7]] ،

١٠ و هى العقوبات التى تزجر عن مثل ما وقعت لأجله فى الأمم الذين[8] اتصلت بهم أخبارهم ، و خاطبتهم بعظيم ما اتفق لهم آثارهم و ديارهم ، و ما يؤخرهم الله إلا لاستيفاء آجالهم التى ضربها لهم مع قدرته التامة عليهم .

و لما كانوا ربما قالوا : ما نرى إلا تهديدا لا يتحقق شيء منه ، قال مؤكدا لإنكارهم و اعتقادهم أن المسار[9] و المضار إنما هى عادة الدهر ،

١٥ عطفا على ما تقديره : فان ربك حليم لا يخاف الفوت فلا يستعجل فى الأخذ : ﴿و ان ربك﴾ أى المحسن إليك بجعلك نبى الرحمة ﴿لذو مغفرة﴾

---

(١) سقط من م و مد (٢) فى مد : جزاء (٣) من م و مد ، و فى الأصل : يشير ، و فى ظ : تسير (٤) زيد فى مد : اهم (٥) العبارة من «جرأة منهم» إلى هنا ساقطة من م (٦) فى ظ : يبشرهم (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) فى ظ : الذى (٩) فى مد : المشار .

أى عظيمة ثابتة ﴿للناس﴾ حال كونهم ظالمين متمكنين فى الظلم مستقلين ﴿على ظلمهم ج﴾ و هو إيقاعهم الأشياء فى غير مواضعها، فلا يؤاخذهم بجميع ما كسبوا [" و لو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا -[1]] ما ترك على ظهرها من دابة" فلذلك يقيم الناس دهرا طويلا يكفرون و لا يعاقبون حلما منه سبحانه، و الآية مقيدة بآية النساء" و يغفر ما دون ذلك لمن ٥ يشاء[2]" و إن لم يكن[3] توبة، فان التائب[4] ليس على ظلمه.

و لما كان يمهل سبحانه و لا يهمل [و -[5]] ذكر إمهاله، ذكر[6] أخذه / مؤكدا لمثل ما مضى فقال: ﴿و ان ربك﴾ أى الموجد لك المدبر ١١٦/ لأمرك بغاية الإحسان ﴿لشديد العقاب *﴾ للكفار و لمن [7]شاء من غيرهم[7]، فلذلك يأخذ أخذ عزيز مقتدر إذا جاء الأجل الذى قدره. ١٠

و لما بين سبحانه أنهم غطوا آيات ربهم المتفضل عليهم بتلك الآيات و غيرها، عجب منهم عجبا آخر فى طلبهم إنزال الآيات مع كونها متساوية الأقدام فى الدلالة على الصانع و ما له من صفات الكمال، فلما كفروا بما أتاهم كانوا جديرين بالكفر بما يأتيهم فقال: ﴿و يقول﴾ أى[8] على سبيل الاستمرار ﴿الذين كفروا﴾ استهزاء بالقدرة ﴿لو لآ﴾ ١٥ أى هلا و لم لا ﴿انزل﴾ أى بانزال أىّ كائن كان ﴿عليه اٰية﴾

(١) زيد من ظ و م و مد والقرآن الكريم سورة ١٦ آية ٤٨ (٢) آية ٤٨ و ١١٦.
(٣) فى ظ: لم تكن (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الثابت (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ذكره (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) سقط من ظ.

جاحدين عنادا لما أتاه من الآيات ﴿ من ربه[1] ﴾ أى المحسن إليه تصديقا له .

و لما كان النبي صلى الله عليه و على آله و سلم راغبا فى إجابة[1] مقترحاتهم لشدة التفاته إلى إيمانهم ، كان كأنه سأل فى ذلك لتحصل لهم النجاة ، فأجيب بقوله تعالى ـ مقدما ما السياق أولى به لأنه لبيان أن الأكثر لا يؤمن ـ : ﴿ انما انت منذر ﴾ أى نبى منذر هاد لهم تهديهم[2] ببيان ما أنزله[3] عليك مما يوقع فى الهلاك أو يوصل إلى النجاة ، سائر فيهم[4] على حسب ما أحدّه[5] لك ، و أصل الإنذار الإعلام بموضع المخافة [ليتقى ـ[6]] ، لا[7] أنك مثبت للايمان فى الصدور ﴿ و لكل قوم ﴾ ممن أرسلنا إليهم نبى ﴿ هاد ﴾ أى داع يهديهم إلى مراشدهم و منذر ينذرهم[8] من مغاويهم[9] ، أى يبين لهم ما[10] أرسلناه به من النذارة و البشارة ، و أعطى كل منذر و هاد آيات تليق به و بقومه[11] على مثلها يؤمن البشر ، فيهدى الله من يعلم فيه قابلية الهدى بما نصب من الآيات المشاهدات ، فلا يحتاج إلى شىء من المقترحات ، و يضل من يعلم [فيه - [6]] دواعى الضلال و لو جاءته كل آية ، لأنه الذى جبّلهم[12] على طبائع الخير و الشر

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اجابته (٢) فى ظ : تهديدهم (٣) فى ظ : انزل (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فهم (٥) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : اخذه (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بنذرهم (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : معاريهم ـ كذا (١٠) فى مد : بما (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بقوله (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جبلتهم .

الا

"الا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير" فهو كقوله تعالى "و ان من امة الا خلا فيها نذير[1]" وكقوله فى هذه السورة "و يقولون لو لا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء و يهدى اليه من اناب" و الآية من الاحتباك : ذكر المنذر أولا يدل على حذفه ثانيا، و ذكر الهاد ثانيا[2] دال على حذف مثله أولا . ٥

و لما كان ما مضى مترتبا على العلم و القدرة و لا سيما ختم هذه الآية بهاد، وكان إنكارهم البعث إنكارا للنشأة[3] الأولى، و كان سبحانه و تعالى يعلم أن إجابتهم إلى ما اقترحوا غير نافع لهم، لأنهم متعنتون لا مسترشدون، شرع سبحانه - بعد الإعراض عن إجابة مقترحاتهم - يقرر من أفعاله المحسوسة لهم المقتضية لاتصافه من العلم و القدرة بما ١٠ هو كالإعادة سواء إشارة منه تعالى إلى [أن -[4]] إنكار البعث [إن -[5]] كان لاستحالة الإعادة فهى مثل البداءة، و إن كان لاستحالة[6] تمييز التراب الذى كان منه الحيوان - بعد اختلاطه بغيره و تفرق أجزائه - فتمييز[7] الماء الذى يكون منه الولد من الماء الذى لا يصلح لذلك أعجب، لأن الماء أشد اختلاطا و أخفى امتزاجا، و مع ذلك فهو يعلمه فقال : ١٥ ﴿ الله ﴾ أى المحيط بكل شىء [علما -] و قدرة ﴿ يعلم ﴾ أى علما قديما فى الأزل بما سيوجد و علما يتجدد تعلقه بحسب حدوث الحادثات

(١) سورة ٣٥ آية ٢٤ (٢) فى ظ : ثالثا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : للنشارة (٤) زيد من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الاستحالة (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لتمييز .

على الاستمرار ﴿ ما تحمل ﴾ أى الذى تحمله فى رحمها ﴿ كل انثى ﴾ أى الماء الذى يصلح لأن يكون حملا ﴿ و ما تغيض ﴾ أى تنقص ﴿ الارحام ﴾ من الماء فتنشفه فيضمحل لعدم صلاحيته [1]لأن يكون[1] منه ولد، و أصل الغيض - كما قال الرمانى: ذهاب المائع فى العمق الغامض، و فعله متعد لازم ﴿ و ما تزداد[1] ﴾ / أى[2] الأرحام من الماء على الماء الذى قدر تعالى كونه حملا فيكون توأما فأكثر فى جماع آخر بعد حمل الأول كما صرح بامكان ذلك ابن سينا و غيره من الأطباء، و ولدت فى زماننا أتان حمارا و بغلا، و [ذلك لأن -[3]] الزيادة ضم شيء إلى المقدار و كثرته شيئا بعد شيء فيقدر ذلك، و لا يمكن أحدا زيادته و لا نقصانه، و ذلك كله يستلزم الحكمة فلذا[4] ختمه بقوله: ﴿ وكل شيء ﴾ أى من هذا و غيره من الآيات المقترحات و غيرها ﴿ عنده ﴾ أى فى قدرته و علمه ﴿ بمقداره ﴾ فى كيفيته و كميته لا يتجاوزه و لا يقصر عنه، لأنه عالم بكيفية كل شيء و كميته على الوجه المفصل المبين، فامتنع وقوع اللبس فى تلك المعلومات و هو [قادر -[5]] على ما يريد منها، فالآية بيان لقوله تعالى "الذين كفروا بربهم" من حيث بين [فيها -[5]] تربيته لهم على الوجه الذى[6] هم له مشاهدون و به معترفون.

و لما كان هذا عيا و كان[7] علمه مستلزما لعلم الشهادة، و كان

١١٧ / ٥

(١-١) فى ظ: ليكون (٢) سقط من م (٣) زيد من م (٤) فى ظ: ولذا، و فى مد: فلذلك (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الذين (٧) فى ظ: هذا.

للتصريح مزية لاتخفى ، صرح به على وجه كلى يعم تلك الجزئيات و غيرها فقال : ﴿ عٰلم الغيب ﴾ و هو ما غاب عن كل مخلوق ﴿ و الشهادة ﴾ قال الرمانى : الغيب : كون الشىء بحيث يخفى عن[1] الحس ، و الشهادة : كونه بحيث يظهر له .

و لما كان العلم و الحكمة لا يتمان[2] إلا بكمال القدرة و العظمة قال : ﴿ الكبير ﴾ [أى -[3]] الذى يتضاءل عنده[4] كل ما فيه صفات تقتضى الكبر ، قال الإمام أبو الحسن الحرالى : و الكبر : ظهور التفاوت فى ظاهر الأمر و باهر القدر الذى لا يحتاج إلى فكر ، و لذلك كان فطرة للخلق أن الله أكبر . و لما كان لا ظاهر قدر للخلق لما عليهم من بادى الضرورات و الحاجات[5] المعلنة بصغير القدر ، و من حاول منهم أن يكبر[6] بسطوة أو تسلط و فساد زاد صغار قدره بما اكتسب فى أعين أرباب البصائر فى الدنيا ، و يبدو ذلك منه لعيون[7] جميع الخلق فى الأخرى « يحشر المتكبرون[8] يوم القيامة كأمثال الذر يطأهم الناس بأقدامهم » فلذلك اختصاص معنى أنه لا كبير إلا الله - انتهى . ﴿ المتعال ﴾ [أى -[9]] الذى لا يدنو - من أوج علوه فى ذات أو صفة أو فعل - عال ، و أخرجه مخرج التفاعل ليكون أدل على المعنى و أبلغ فيه ؛ و قال

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٢) من م ، و فى الأصل : لا سمان ، و فى ظ : لا يتمام ، و فى مد : لا سان - كذا (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ : عنه (٥) فى مد : الحاجة (٦) فى ظ : يكثر (٧) فى م : بعيون (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المتكبر ؛ و راجع أيضا مسند الإمام أحمد ١٧٩/٢ .
(٩) زيد من ظ و مد .

أبو الحسن الحرالى رحمه الله : و التعالى : فوت[1] التناول و المنال بحكم أو حجة ، و أشعر التفاعل بما يجرى[2] من توهم المحتجين فى أمره بأوهام حجج داحضة " حجتهم داحضة عند ربهم" فهو تعالى يأذن فى الاحتجاج و الجدال ثم يتعالى بما له من الحجة البالغة [" قل فلله الحجة البالغة " -[3]]
٥ فهو المتعالى علما و حكما و حجة ، و حقيقة المتعالى الذى لا يتعالى[4] إلا هو - انتهى . و الحاصل أنه لما وصف نفسه بما تقدم ، أشار إلى [أن -[5]] ذلك على ما تحتمله [العقول -[6]] و أن الحق فى وصفه الكبر[7] المطلق و التعالى[8] المطلق ، لأن العقول لا تحتمل أكثر من ذلك .

و لما كانت العادة قاضية بتفاوت العلم بالنسبة إلى السر و الجهر ،
١٠ و القدرة بالنسبة إلى [9] المتحفظ بالحرس[9] و غيره ، أتبع ذلك سبحانه بما ينفى هذا[10] الاحتمال عنه على وجه الشرح و البيان لاستواء الغيب و الشهادة بالنسبة إلى علمه فقال : ﴿ سواء منكم ﴾ أى فى علمه ﴿من اسر القول﴾ أى أخفى معناه فى نفسه ﴿و من جهر به ﴾ و[11] فى علمه

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فوق (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : جرى (٣) زيد من م و مد و القرآن الكريم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل و م : لا متعالى (٥) زيد من م (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) سقط من مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المتعال (٩ - ٩) من م و مد ، و فى الأصل : التحفظ بالحرش ، و فى ظ : المحينة بالحرس - كذا (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك (١١) زيد بعده فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

﴿و﴾ قدرته ﴿ من هو مستخف ﴾ أى موجد الخفاء و طالب له أشد طلب ﴿ بالليل ﴾ [1]فى أخفى الأوقات فسارب أو كامن فيه[1] ، يظن أن ذلك الاستخفاء[2] يغنيه من القدرة ﴿ و ﴾ من هو ﴿ سارب ﴾ أى [3]ذاهب على وجهه فى الأرض و متوجه[3] جارٍ[4] فى توجهه[5] إلى قصده بسرعة ﴿ بالنهار ﴾ [6]متجاهر بسربه فيه ، فالآية من الاحتباك : ذكر "مستخف" أولا دال على[7] ضده /ثانيا ، و ذكر "سارب" ثانيا دال على[8] ضده أو[8] مثله أولا ﴿ له ﴾ أى لذلك المستخفى أو السارب - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما[9] ﴿ معقبت ﴾ أى أعوان و أنصار يتناوبون فى أمره بأن يخلف [كل - [10]] واحد منهم[11] صاحبه و يكون بدلا منه . /١١٨

و لما كان حفظ جهتى القدام و الخلف يستلزم حفظ اليمين و الشمال و كان ملأ كل من الجهتين من الحفظة على المخلوق متعذرا ، قال آتيا بالجار : ﴿ من بين يديه ﴾ أى من قدامه ﴿ و من خلفه ﴾ و استأنف بيان فائدة المعقبات[12] فقال : ﴿ يحفظونه ﴾ أى فى زعمه من[13] كل شىء يخشاه ﴿ من امر الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: لاستخفاء. (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٤) من م ، و فى الأصل : خان ، و فى ظ و مد: جاد (٥) فى م : خروجه (٦) العبارة من هنا إلى « مثله أولا » ساقطة من م (٧) سقط من ظ (٨ - ٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضد (٩) راجع البحر ٥ / ٣٧١ (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منهما (١٢) من م و مد ، و فى الأصل : العقاب ، و فى ظ : التعقبات. (١٣) سقط من مد .

و لما دل هذا على غاية القدرة ، و جرت عادة المتمكنين[1] من ملوك الأرض بالتعدى على جيرانهم و استلاب ممالكهم و العسف فى شأنهم ، زيادة فى المكنة و توسعا فى الملك ، و لا سيما إذا كان ذلك الجار ظانا مع ضعفه و عجزه أن يحفظه مانع من أخذه ، أخبر تعالى من كأنه سأل عن ذلك [أنه -[2]] على غير هذا لغناه عنه ، فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له [الإحاطة و -[3]] الكمال كله ﴿ لا يغير ما بقوم ﴾ أى خيرا كان أو شرا ﴿ حتى يغيروا ما ﴾[4] أى الذى[4] ﴿ بانفسهم[5] ﴾ مما[5] كانوا يزينونها به[6] من التحلى[6] بالأعمال الصالحة و التخلى من أخلاق[7] المفسدين ، فاذا غيروا ذلك غير [ما -[8]] بهم[9] إذا أراد و إن كانوا فى غاية القوة .

و لما كان ملوك الدنيا لا يتمكنون غالبا من جميع مراداتهم لكثرة المعارضين[10] من الأمثال الصالحين للملك ، قال تعالى عاطفا على ما تقديره : فاذا غيروا ما بأنفسهم أنزل بهم السوء : ﴿ و اذآ اراد الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ بقوم ﴾ أى[11] و إن كانوا فى غاية القوة ﴿ سوءا فلا مرد له ﴾ من أحد سواه ، و قد تقدم لهذه الآية فى الأنفال مزيد بيان .

---

(١) فى ظ : التمكين (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) فى ظ : بما (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالتحلى (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعمال (٨) زيد لاستقامة العبارة . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هم (١٠) زيد بعده فى الأصل : بهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) سقط من ظ .

و لما كان كل أحد[1] دونه فى الرتبة لا إمكان له أن يقوم مقامه بوجه، قال: ﴿و ما لهم﴾ و بين سفول الرتب كلها عن رتبته فقال[2]: ﴿من دونه﴾ و أعرق فى النفى [فقال -[3]]: ﴿من﴾[4] و لما كان السياق ظاهرا فى أنه لا منقذ لهم مما أراده، أتى بصيغة فاعل منقوص إشارة إلى نفى أدنى وجوه الولاية فكيف[5] بما فوقها فقال: ﴿وال﴾ أى [من -[6]] ملجأ يعيذهم، بأن يفعل معهم من الإنجاء[7] و النصرة[8] ما يفعل القريب مع وليه الأقرب إليه. ثم أخبر تعالى بأمر هو من أدلة ما قبله جامع للعلم و القدرة و هو ألطف من ذلك كله، معلم[9] بجليل القدرة فى أنه إذا أراد سوءا فلا مرد له، و دقيق الحكمة لأنه مظهر واحد ترجى منه النعمة و تخشى منه النقمة[10] فقال: ﴿هو﴾ أى وحده ﴿الذى يريكم﴾ [أى -[6]] على سبيل التجديد دائما ﴿البرق﴾ و هو لمع كعمود النار ﴿خوفا﴾ أى لأجل إرادة[11] الخوف من قدرته على جعله صواعق مهلكة[12]، و الخوف: انزعاج النفس بتوهم وقوع الضر[13].

و لما لم يكن لهم تسبب فى إنزال المطر، لم يعبر بالرجاء و قال:

---

(١) فى مد: واحد (٢) فى ظ: كلها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) العبارة من هنا إلى «فوقها فقال» ساقطة من م (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فكيف. (٦) زيد من م (٧) فى ظ: الانجا، و فى مد: الالجا - كذا (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النصر (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معلل. (١٠) سقط من ظ (١١) فى مد: اراد (١٢) من م و مد، و فى الأصل: مملكه، و فى ظ: مهلة - كذا (١٣) فى مد: الضرر.

﴿ و طمعا ﴾ أى و لأجل إرادة طمعكم فى رحمته بأن يكون غيثا نافعا ، و لا بد من هذا التقدير ليكونا[1] فعل فاعل الفعل المعلل ، و يجوز أن يكون المعنى : يريكم[2] ذلك[3] إخافة و إطماعا فتخافون خوفا و تطمعون طمعا ، فتكون الآية من الاحتباك : فعل الإراءة[4] دال على الإخافة[5] و الإطماع ، و الخوف [و الطمع -[6]] دالان على [تخافون و تطمعون] و يجوز أن يكونا حالين من ضمير المخاطبين أى ذوى خوف و طمع ﴿ و ينشئ ﴾ و الإنشاء : فعل الشيء من غير سبب مولد ﴿ السحاب ﴾ و هو[7] غيم ينسحب[8] فى السماء ، و هو اسم جنس جمعى ، واحده سحابة ﴿ الثقال ج ﴾ بأنهار الماء محمولة فى الهواء على متن الريح ؛ و الثقل[9] : الاعتماد على جهة الثقل[10] بكثافة الأجزاء ﴿ و يسبح الرعد ﴾ أى ينزه عن صفات النقص تنزيها ملتبسا ﴿ بحمده ﴾ أى بوصفه / بصفات الكمال ، و يروى عن النبى صلى الله عليه و على آله و سلم أن الرعد ملك[11] ، [و إن لم يصح أنه ملك فتسبيحه دلالته على أن موجده سبحانه منزه عن النقص محيط -[6]] بأوصاف الكمال ﴿ و الملئكة ﴾ أى تسبح[12] ﴿ من خيفته ج ﴾ قال الرمانى :

/١١٩

(١) فى ظ : ليكون (٢) فى الأصول : بريكم (٣) زيد فى م : لكم (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الارادة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاضافة . (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : يتسحب (٩) زيدت الواو بعده فى ظ . (١٠) زيد فى م : اى (١١) و أكثر المفسرين على هذا الرأى - راجع لباب التأويل ٤/٨ (١٢) فى ظ : يسبح .

و الخيفة

و الخيفة مضمنة بالحال ، كقولك : هذه ركبة ، أى حال من الركوب حسنة ، و كذلك هـــذه خيفة شديدة ، و الخوف مصدر غير مضمن بالحال.

﴿و يرسل الصواعق﴾ المحرقة من تلك السحائب المشحونة بالمياه المغرقة[1]؛ و الصاعقة - قال الرازى[2]: نار لطيفة تسقط من السماء بحال هائلة .

﴿ فيصيب بها ﴾ أى الصواعق ﴿ من يشآء ﴾ كما أصاب بها أربد بن ٥ ربيعة[3] ﴿و هم﴾ أى و الحال أنهم مع ذلك الذى تقدم من إحاطة علمه و كمال قدرته ﴿ يجادلون ﴾ و الجدال : فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج ﴿ فى الله ج﴾ أى الملك الأعظم بما يؤدى إلى الشك [فى -[4]] قدرته و علمه . و لما كان لا يغنى من قصده بالعذاب شىء قال : ﴿ و هو شديد المحال[5]﴾ لأن المحال - ككتاب[5]: الكيد[6] و روم[6] الأمر ١٠ بالحيل و التدبير و المكر و القدرة و الجدال و العذاب و العقاب و العداوة و المعاداة و القوة و الشدة و الهلاك و الإهلاك ، يأتى أعداءه بما يريد من إنزال [العذاب -[4]] بهم من حيث لا يحتسبون ، و كلها صالح [هنا -[4]] حقيقـــة أو مجازا ؛ و قال الرمانى : و المحال : الأخذ بالعقاب من قولهم : ماحلت فلانا - إذا فتلته إلى هلكة - انتهى . ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المفرقة (٢) فى ظ : الرمانى (٣) فى لباب التأويل ٤/٩ : نزلت فى شأن أربد بن ربيعة حين قال للنبى صلى الله عليه و سلم : مم ربك ؟ أمن درأم من ياقوت أم من ذهب؟ فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته.
(٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ككاب .
(٦-٦) فى ظ : ورم .

و مادة ' محل ' بجميع تقاليبها تدور على صرف[1] الشيء عن وجهه و عادته و ما تقتضيه جبلته ، و ذلك يستلزم القدرة و القوة و الشدة ، فالحامل يمسك المحمول[2] بقوته عن[3] أن يهوى إلى جهة السفل ، [4]و الحملة : الكرة فى الحرب ، و يلزم الحمل المشقة . و منه تحمل الشيء[4] و حمل عنه[5]

٥ أى حلم فهو حمول : ذو [حلم -[6]] ، و الحميل - كأمير : الدعى و الغريب - كأنهما محمولان لحاجتهما[7] إلى ذلك ، و الكفيل ، لأنه حامل لكل مكفول[8] و احتمل لونه[9] - للمفعول : غضب و امتقع[10] - كأن الغضب صرفه عما كان من عادته ، و المحمل - كمحسن[11] : المرأة [ينزل -[6]] لبنها من غير حبل ، لأن ذلك شيء على غير وجهه ، و الحمل - محركة : الخروف[12] - لسهولة حمله ؛

١٠ و الحليم : من[13] يحبس غيظه[13] بقوة حلمه - أى عقله - عن أن يستخفه الغضب ، و الحلم - بالكسر : الأناة و العقل . و الحلم - بالضم و بضمتين : الرؤيا ، لأنها صرف النفس عما هى عليه ، و هو من شأنها من الغفلة ، و منه الحلم - بالضم - و الاحتلام للجماع فى النوم . و الاسم الحلم - كعنق[14] ، و ذلك يكون غالبا عند فراغ البال عن الهموم ، و إليه يرجع حلم المال

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حرف (٢) فى ظ : المجهول (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من القاموس ، و فى الأصل و م و مد : عليه ، و سقط من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد و القاموس . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حاجتها (٨) فى ظ و م : المكفول . (٩) فى ظ : كونه (١٠) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : امتنع . (١١) فى ظ : الحسن ، و فى مد : بمحسن - كذا (١٢) من القاموس ، و فى الأصول : الحروف (١٣-١٣) فى ظ : يحلبس غيظة - كذا (١٤) فى ظ : العنق - كذا .

- بالضم : سمن ، و الصبي و غيره : أقبل شحمه ، أو هو من الحلمة - محركة : اللحمة الناتئة وسط الثدى كالثؤلول - لصرفها لون الثدى و هيئته عما كان عليه ، و شجر السعدان - لأنه مرعى جيد يسمن ، و الصغيرة من القردان أو الضخمة - لشبهها[1] بحلمة الثدى و دود يقع فى الجلد قبل الدبغ فيأكله ، لأن ذلك يغيره عن هيئته ، و الحالوم : ضرب من الأقط ، لأنه لحراقته[2] يغير اللسان[3] ، و دم حلام : هدر ، لأنه خرج عما عليه عادة الدماء ؛ و الملح يصرف[4] المملوح عن الفساد ، و أما الماء الملح فشبه [به -[5]] فى الطعم ، و كذا الملح - محركا - للون[6] كالبياض يخالطه سواد ، و الملحاء : شجرة سقط[7] ورقها ، شبهت بأرض الملح فى عدم الإنبات . و لما عرف الملح بالصلاح شبه به العلم فسمى ملحا ، و كذا الرضاع[8] و الحسن و الشحم و السمن و الحرمة و الذمام[9] و خفقان الطائر بجناحيه يصلح بذلك طيرانه و يتملح به[10] استرواحا إليه ، و ملح الشاة : سمطها ، و الملاح - ككتاب : الريح تجرى[11] بها[12] السفينة ، و هى أيضا تصرفها عما يقتضيه[13] / حالها من عدم السير ، و معالجة حياء الناقة منه ، و ملحه على[14] ركبته - أى لا وفاء له ، / ١٢٠

(١) فى ظ : تشبيها ، و فى مد : سنبها - كذا (٢) فى م : لحراقته (٣) فى ظ : السلام (٤) فى ظ : مصرف (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يكون (٧) فى ظ : يسقط (٨) فى مد : الرصاع (٩) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : الرمام - كذا (١٠) سقط من ظ (١١) فى ظ : يجرى ، و فى مد : مجرى (١٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : به (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقتضيها (١٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : عن .

لأن الملح لا يثبت هناك ، أو هو سمين أو حديد فى غضبه ، بمعنى أنه لا صلاح له ، و ملحه : اغتابه ، شبه بمن يتطعم[1] الملح ليعدل مزاجه ، وكذا الملاح - ككتاب ، و هو هبوب[2] الجنوب عقب الشمال ، و كذا الملاحى - كفرابى و قد يشدد ، و هو عنب أبيض طويل ، و نوع من التين ، و من الأراك[3] ما فيه بياض و حمرة ، و الملح - بضم[4] الميم و فتح اللام[5] من الأحاديث ، و امتلح : خلط كذبا بحق ، و الملح - محركة : و رم فى عرقوب الفرس ، صرفه عن هيئته المعتادة ، و الملاح ككتاب : سنان[6] الرمح ، لتهيئته[7] له بعد الوقوف للنفوذ ، و السترة ، لصرفها البصر[8] عن النفوذ إلى ما وراءها ، و برد الأرض حين ينزل الغيث ، لأنه يصرف حالها التى كانت عليها إلى أخرى ، و الملحة - بالضم : المهابة ، لصرفها المجترئ عن قصده و لأن سببها صرف النفس عن هواها ، و الملحاء : الكثيبة العظيمة ، و منه البركة ، لمنعها الماشى عن حاله فى المشى ، و منه الملحة - بالفتح - للجة البحر ، و ملحان : الكانون الثانى ، لصرفه بقوة برده[9] الزمان عما كان عليه و الناس عما كانوا عليه ، و الملحاء : لحم فى الصلب من الكاهل إلى العجز ، لمنعه من رؤية عظام الصلب و رؤس الأضلاع ؛ و المحل : صرف ما فى الزمان عن عادته

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتعطم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : حبوب (٣) فى مد : الادراك (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بالضم . (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى مد : سبان (٧) فى ظ : لهيئه ، و فى مد : لتهنيه (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : النضر (٩) فى ظ : بردة .

بعدم

بعدم المطر و[1] الإنبات و رفاهة[1] العيش ، و كذا[2] المحل للكيد و المكر و الغبار[3] و الشدة و المحال ، لما تقدم من تفسيره ، و منه ماحله : قاواه ، و المتماحل : الطويل المضطرب الخلق ، لخروجه عن العادة ، و تمحل له : احتال ، و الممحل[4] - كمعظم - من اللبن : الآخذ طعم حموضة ، و المحالة : البكرة العظيمة - لصرفها بفتلها[5] الشيء عن وجهه ، و الفقرة من فقر البعير - لمشابهتها و الخشبة التي يستقر عليها الطيانون - لحملها إياهم و منعها لهم من السقوط ، و المحل - ككتف : من طرد حتى أعيا ، لأنه [صرف عما كان من عادته ، و رأيته متماحلا : متغير اللون ؛ و اللح : صرف البصر عما -[6]] كان عليه ، و لمح البرق : لمع [بعد -[7]] كمونه[8] ؛ و اللحم[9] من لحمة الثوب - بالضم ، كأنه سد ماحصل بالهزال من فرج[10] ، و منه : لحم كل شيء : لبه ؛ و لحم الأمر - كمنع : أحكمه ، و الصائغ الفضة : لأمها ، و كذا كل صدع ، و لحم - كعلم : نشب في المكان ، كأنه وقع فيما يشبه [اللحم -[7]] فالتصق بـه فأدخله[11] و شغله ، و هذا لحيم هذا ، أي وفقه و شكله - و هو[12] يرجع إلى لحمة الثوب ، و استلحم الطريق : تبعه

(١-١) في ظ : الاثبات و رفاهيته (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لذا.
(٣) في ظ : العناد (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : المحلل - كذا (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بقتلها (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد.
(٧) زيد من م و مد (٨) في ظ : كونه (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اللحمة (١٠) في ظ و مد: فرح (١١) في ظ : فاوصله ، و في م : فاوحله (١٢) في ظ : هذا.

أو تبع أوسعه - كأنه جعل نفسه مثل لحمة السدى، و[1] استلحم الطريق : [اتسع -[2]] ، كأنه طلب ما يلحمه أى يسده ، و[3] حبل ملاحم[3] - بفتح الحاء : شديد الفتل ، لأنه سدت فرجه كما تسد[4] اللحمة فرج الثوب ، و نبى الملحمة[5] - من القتال ، لأنه ضرب اللحم بالسيف ، و من التأليف كما يكون عن لحمة الثوب ، لأن غاية قتاله صلى الله عليه و على آله و سلم [أعظم -[6]] خير و ألفة ، و التحم الجرح[7] للبرء : التأم - من ذلك و من اللحم أيضا لأنه به[8] التأم -[9] و الله أعلم[9] .

و لما بين تعالى تصديقا لقوله "وكاين من اٰية فى السمٰوٰت و الارض يمرون عليها و هم عنها معرضون" ما له من الآيات [التابعة -[6]] لصفات[10] الكمال التى منها التنزه عما لا يليق بالجلال و أنه شديد المحال ، شرع يبين[11] ضلالهم فى اشتراكهم المشار إليه فى قوله "و ما يؤمن اكثرهم [بالله -[12]] الا و هم مشركون" [بما -[6]] هو علة لختم ما قبلها من أنه لا كفؤ له ،

(١) فى م : او (٢) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٣ - ٣) من القاموس، و فى الأصل : جبل متلاحم، و فى ظ و م و مد : حبل متلاحم ، و زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسد ، و فى م : تشد - كذا (٥) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : اللحمة (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ : الجراح (٨) سقط من ظ (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بصفات (١١) فى ظ :بين (١٢) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم .

فقال: ﴿ له ﴾ أى الله سبحانه ﴿ دعوة الحق[1] ﴾ إن دعاه أحد سمعه فأجابه[1] - إن شاء - بما يشاء، و إن دعا[2] هو أحدا دعوة أمر، بين الصواب بما يكشف الارتياب، أو دعوة حكم لبى صاغرا و أجاب ﴿ و الذين يدعون ﴾ أى يدعو الكافرون، و بين سفول رتبتهم[3] بقوله[4]: ﴿ من دونه ﴾ / أى الله ١٢١ / ﴿ لا يستجيبون ﴾ أى لا يوجدون الإجابة ﴿ لهم ﴾ أى الكافرين ﴿ بشىء ﴾ ٥ و الاستجابة: متابعة الداعى فيما دعا إليه بموافقة إرادته ﴿ الا كباسط ﴾ أى [5]إلا إجابة[5] كاجابة الماء لباسط[6] ﴿ كفيه ﴾ تثنية كف، و هو موضع القبض باليد، و أصله من كفه - إذا جمع[7] أطرافه ﴿ الى الماء ليبلغ ﴾ أى الماء ﴿ فاه ﴾ دون أن يصل كفاه إلى[8] الماء - بما دل عليه التعدية بـ "الى"، فما[9] الماء بمجيب دعائه فى بلوغ فيه ﴿ و ما هو ﴾ أى الماء ١٠ ﴿ ببالغه[1] ﴾ أى فيه، فللكافرين[10] بذلك دعوة الباطل كما أن الماء جماد لا يحس بدعوة[11] هذا فلا يجيبه، فأصنامهم كذلك[12].

و لما كان دعاءهم[13] منحصرا فى الباطل، قال فى موضع [5]و ما دعاءهم[5] مظهرا تعميما و تعليقا للحكم بالوصف: ﴿ و ما دعاء الكفرين ﴾

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: واجابه (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دعاه (٣) فى ظ: رتبهم (٤) سقط من ظ (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل: الاجابة، و فى ظ: لا اجابة (٦) من ظ و م و مد، و فى. الأصل: كباسط. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اجتمع (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٩) من م، و فى الأصل و ظ و مد: فيما (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و للكافرين (١١) فى ظ: بدعة (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لذلك (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دعاوهن.

أى الساترين لما[1] دلت عليـــه أنوار[2] عقولهم بمعبوداتهم أو غيرها ﴿الا فى ضلٰل ٥﴾ لأنه لا يجد لهم نفعا ، أما معبوداتهم فلا تضر و لا تنفع ، و أما الله فلا يجيبهم لتضييعهم الأساس .

و لما كانت دعوة الأمر واضحة السبل جلية المناهج فى جميع كتبه ، ٥ وكلها إلى الناظرين و بين دعوة الحكم بقوله : ﴿ و لله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ يسجد ﴾ أى يخضع و ينقاد و يتذلل كما بين عند قوله " و لا يزالون مختلفين الا من رحم [ربك -[3]] " ﴿من فى السمٰوٰت و الارض﴾ لجميع أحكامه النافذة و أقضيته الجارية ﴿ طوعا ﴾ و الطوع : الانقياد للأمر الذى يدعى إليه من قبل النفس ﴿ و كرها ﴾ قال الرازى رحمه الله : ١٠ و الكافر فى حكم الساجد و إن أباه لما به من الحاجة الداعية إلى الخضوع ، و اعلم أن سجود كل صنف هو تذلله و تسخره و انقياده لما أريد له ، فكل موجود جماد و حيوان عاقل و غير عاقل[4] و روحانى و غير روحانى مسخر لأمر من له الخلق و الأمر ؛ و قال الشيخ محيي الدين النووى رضى الله عـــنه فى شرح المهذب : أصله - أى السجود - الخضوع ١٥ و التذلل ، و كل من تذلل و خضع فقد سجد ، و سجود كل موات[5] فى القرآن طاعته لما سخر له - هذا أصله فى اللغة ، ثم قيل لمن وضع جبهته فى الأرض : سجد[6] ، لأنه غاية الخضوع .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كما (٢) فى ظ : انواع (٣) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) فى مد : مرات (٦) فى ظ : يسجد .

و لما

و لما كانت الظلال مسخرة لما أراد منها سبحانه ؛ لا قدرة لأحد على تغيير ذلك بوجه ، قال : ﴿ و ظلالهم ﴾ أي[1] أيضاً تسجد [له -[2]] بامتدادها على الأرض ، تقصر تارة بارتفاع[3] الشمس و تطول[4] [أخرى -[5]] بانحطاطها ، لا يقدرون[6] على منع ظلالهم من ذلك حيث يكون لهم ظلال[7] ، و ذلك ﴿ بالغدو ﴾ جمع غداة[8] ، و هي البكرة[9] : أول النهار ﴿ و الأصال[10] ﴾ جمع أصيل ، دائما في جميع البلاد ، و[11] في وسط النهار في بعض البلاد ؛ و الظل : ستر الشخص ما بازائه ، و الفيء[11] : الذي يرجع بعد ذهاب ضوئه ، و الأصيل : العشي ما بين العصر إلى المغرب - كأنه أصل الليل الذي ينشأ منه .

و مادة ' صلا ' - واوية و يائية مهموزة و غير مهموزة بتراكيبها الأحد عشر ، و هي : صلو ، صول[10] ، [لصو -[12]] ، لوص ، وصل ، صلى ، صيل ، لصى ، ليص ، أصل ، صأل - تدور[13] على الوصلة ، فالصلاة وصلة بين العبد و ربه سواء كانت دعاء أو استغفارا أو[14] رحمة أو حسن الثناء من الله

(١) سقط من م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بقاع - كذا (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يطرك - كذا (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لا تقدرون (٧) في ظ : ظلا . (٨) زيد بعده في الأصل و ظ : قال ، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها . (٩) من ظ و مد ، و في الأصل و م : بكرة (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الفرء (١٢) زيد من م و مد (١٣) من مد ، و في الأصل و ظ و م : يدور (١٤) من مد ، و في الأصل و ظ و م « و » .

على رسوله ، أو ذات الأركان ، و صلوات اليهود لمتعبداتهم من ذلك
فى الأصل ، و الصلا : وسط الظهر منا ، أو من كل ذى أربع ، أو ما
انحدر من الوركين ، [أو - [1]] الفرجة بين الجاعرة و الذنب [2] - يجوز
أن يكون [من ذلك ، لأنه يقرب من غيره من الأعضاء إذا انثنى الحيوان ،
٥ و يجوز أن يكون - [3]] شبه بالعود المعوج الذى يقوم باصلائه [4] النارَ ،
و أصلت الناقة و صليت - إذا استرخى صلواها [5] لقرب نتاجها ، و المصلّى
/ من خيل الحلبة [6] : الذى يجىء على إثر السابق ، فانه يواصله ، و صلى الحمار / ١٢٢
أتنه [7] : طردها و قحمها الطريق - فكأنه بذلك قومها بعد أن كانت معوجة ،
أو أراد مواصلتها ؛ صال [8] الرجل صولة - إذا سطا واستطال ، لأن ذلك
١٠ مواصلة على وجه القهر و الغلبة ، [و - [9]] كذا صال الفحل على الإبل -
إذا قاتلها [10] ، و العير - إذا حمل على العانة [11] فشلها ، و صال على كذا :
وثب ، و صاوله : واثبه [12] ، و التصويل : إخراجك الشىء بالماء ، لأن
ذلك سبب الخلوص ، و إذا خلص الشىء تواصلت أجزاؤه ، لأن ذلك

(١) زيد من ظ و مد و القاموس (٢) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ
و مد : الذيب (٣) زيد ما بين الحاجزين من م (٤) فى ظ و مد : باصلابه .
(٥) فى القاموس : صلاها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الجلبة (٧) زيد
بعده فى الأصل و ظ و مد : اى ، و لم تكن الزيادة فى م و القاموس فحذفناها .
(٨) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : صلل (٩) زيد من ظ و م و مد .
(١٠) من ظ و م و القاموس ، و فى الأصل : قابلها ، و فى مد : قاتلها - كذا .
(١١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : العاية (١٢) فى ظ : واثبته .

المخرج كان حائلا بينها ، و التصويل - أيضا : كنس نواحى البيدر[١] ، لأنه سبب لتواصل ما كان متفرقا ، [٢]و من ذلك[٢] المصول - كمنبر : شىء[٣] ينقع فيه الحنظل لتذهب مرارته ، و بهاء : المكنسة ، و الصيلة[٤] - بالكسر : عقدة العذبة - لتواصل محل العقد بعضه ببعض [٥]و به يتماسك اتصال بعض العمامة ببعض[٥] ، و الجراد يصول[٦] فى مشواه ، من التصويل ، أى يساط[٧] ، بمعنى يخلط بالتقليب فيتواصل منه ما كان متفرقا ، و صال يصيل - لغة فى يصول[٨] ، و صيل له - كـذا بالكسر : [٩]قيض و أتيح[٩] ، لأنه صار مقارنا له ؛ و لصوت الرجل عبته و قذفته - لأنك وصلت به العيب ، و فلان لا يلصو[١٠] إلى ريبة ، أى[١١] لا ينضم إليها و لا ينضاف ؛ و اللوص : اللح من خلل باب و نحوه كالملاوصة - كأنه وصلة بالنظر من موضع غير معهود ، أو لأنـه سبب الوصلة إلى ما يراد ، و لاوص[١٢] : نظر كأنه[١٢] يختل ليروم[١٣] أمرا ، و[١٤] الشجرة : أراد أن يقطعها بالفأس ،

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : السدر (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يومن بذلك (٣) من ظ و القاموس ، و فى الأصل : فشىء ، و فى م و مد : لشىء (٤) من القاموس ، و فى الأصول : الصلة (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : يتصول (٧) من القاموس ، و فى الأصول : بساط (٨) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : مصول (٩-٩) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : قبض و انج ، و فى ظ : قيض و ابيح - كذا (١٠) فى ظ : لا يصل (١١) سقط من مد (١٢) من القاموس ، و فى الأصل و م و مد : لاص ، و فى ظ : لاحد - كذا (١٣-١٣) فى ظ : يختل ليوم ، و فى م : يختل ليروم - كذا (١٤) فى ظ و مد : او .

فلاوص[1] فى نظره يمنة و يسرة كيف يأتيها و كيف يضربها - لأن حاصل ذلك المواصلة على وجه الشدة كما تقدم فى[2] صال عليه ، وتلوص : تلوى و تقلب ، و منه أليص - أى أرعش ، و ألاصه على الشىء : أداره [عليه -[3]] و أراده منـــه - كأنه طلب منه مواصلته ، و اللواص - كسحاب : الفالوذ كالملوص[4] كمعظم ، و العسل الصافى - لأنه أهل[5] للمواصلة ، و لوص : أكل ، و اللوص : وجع الأذن و النحر ، و اللوصة : وجع الظهر - كأنه لشدته[6] لا مواصل للبدن سواه ، ولاص : حاد[7] - أى سلب الوصلة ؛ و الوصلة - التى هى[8] مدار المادة و كأنها الحقيقة التى تشعبت [منها -[9]] فروعها - هى الضم و هى التئام الشىء بالشىء ، و كل ما اتصل بشىء [فالذى -[9]] بينهما وصلة ، و ضدها الفرقة ، و الوصل : ضد القطع ، و الأوصال : المفاصل و مجتمع[10] العظام ، لأنها موضع اتصال العظم[11] بالآخر ، و الوصلان - بالكسر و الضم : طبقا الظهر ، و يقال : هما العجز و الفخذ ، و الوصيلة : الشاة تلد ذكرا ثم تلد أنثى ، فتصل[12] أخاها ، و فيها خلاف كثير [كله -[9]] يدور على الوصلة ، و وصل الشىء بالشىء :

(١) من القاموس ، و فى الأصول : فلاوس (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى غيره فحذفناها (٣) زيد من القاموس (٤) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الملوص (٥) فى مد : اصل (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: لشدة (٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : جاد (٨) سقط من مد (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : تجمع ، و فى ظ : مجمع (١١) فى ظ : العظيم (١٢) فى ظ : فيصل .

لأمه ، و وصل الشيء و إلى الشي : بلغه و انتهى إليه ، و أوصله و اتصل : لم ينقطع ، و وصله و واصله - كلاهما يكون فى عفاف الحب و دعارته ، و الوصائل جمع وصيلة - لثياب حمر مخططة يمنية يتخذها الناس دروعا [١] يشق [٢] من جانبيها ، كأنه لأنها [٣] توصل بغيرها أو يقطع [٤] بعضها [٥] ثم يوصل بها لتصير دروعا ، و الوصيلة : العمارة و الخصب و الرفقة و السيف - لأن ٥ ذلك أهل لأن يوصل ، و الوصيلة : كبة الغزل لشدة التباس بعضها ببعض ، و الأرض الواسعة - لأن اتصالها لم يحل بينه جبال [٦] ، و ليلة الوصل : آخر ليالى الشهر ، لأنها تصل بين الشهرين ، و حرف الوصل : الذى بعد [٧] الروى - لأنه وصل حركة حرف الروى ، و وصيلك [٨] : من يدخل و يخرج معك ، و تَصِلُ : بئر ببلاد هذيل ، و اتصل الرجل - ١٠ إذا انتسب ، لأنه وصل نفسه بمن انتسب إليهم ، و الموصول : دابة كالدبر [٩] تلسع الناس ، كأنه من السلب ؛ و صليت اللحم : شويته - لأنك /وصلته بالنار ، و صليته : ألقيته فى النار للاحراق ، و الصلاء - ككساء : / ١٢٣

(١) زيد من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذروعا (٢) من م و مد ، و فى الأصل : تشق ، و فى ظ : سبق - كذا (٣) فى ظ : لها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نقطع (٥) العبارة من هنا إلى « التباس بعضها » ساقطة من مد . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حبال (٧) زيد بعده فى ظ و م و مد : حرف ، و ليست الزيادة فى القاموس (٨) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : وصيلت (٩) فى ظ : لمدر - كذا .

الشواء أو[1] النار كالصلى فيهما ، و كأن منه : صلّى عصاه على النار ، [أى -[2]] أحماها ليقومها - لأن كلا منهما وصله بالنار للاصلاح ، و أصليته النار : أدخلته إياها و أثويته فيها ، و صلى يده بالنار : سخنها - لأنه وصلها بها . و صلى النار - كرضى : قاسى حرها ، و صليت فلانا : داريته و خاتلته[3] و خدعته - كل ذلك لإرادة مواصلته لأمر ، و الصلاية[4] - و يهمز : الجبهة[5] ، لكثرة مباشرتها الأرض فى الصلاة ، و مدق الطيب - لمواصلة الدق ، و صليت للصيد تصلية[6] - إذا نصبت له شركا ليقع فيه فتصل[7] إليه ، و منه الحديث « [إن -[8]] للشيطان مصالى و فخوخا[9] » جمع مصلاة[10] و فخ ، و الصليان - بكسر ثم تشديد - قال فى مختصر[11] العين : نبت معروف ، و قال القزاز : هو شجر له جعثن[12] ضخم ، ربما جرد وسطه و نبت ما حوله ، و هو من أفضل المراعى و هو خبز[13] الإبل ، و قيل : إن الخيل تأكله و لونه أصهب - انتهى . فسمى بذلك لكثرة مواصلة الإبل [له -[14]] ؛ و لصيت الرجل

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل « و » (٢) زيد من م و مد . (٣) فى ظ : خالته (٤) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : الصلابة . (٥) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل و م : الجهة (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بصيلته (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لنصل (٨) زيد من ظ و م و مد و اللسان (٩) هذا الحديث عزاه فى اللسان إلى أهل الشام . (١٠) من ظ و م و مد و اللسان ، و فى الأصل : مصلا (١١) سقط من ظ . (١٢) أصول الصليان (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خير (١٤) زيد من ظ و م مد .

كرميت و رضيت[1] - إذا عبثة و قذفته بالفجور ، و قال القزاز : و قيل : هو أن يضيفه إلى ريبة ، و اصى إليه : انضم إليه لريبة ؛ و لاص يليص : حاد ، و اصته[2] أليصه و ألصته - إذا أزعجته[3] أو حركته لتنزعه[4] - كأنه من السلب ، و ألصته[5] عن كذا - إذا راودته عنه ، يمكن أن يكون سلبا و أن يكون إيجابا ؛ و الأصل : أسفل كل شيء - لأن جميع الأشياء واصلة إليه ، و أصل - ككرم : صار ذا أصل أو ثبت أو رسخ أصله كتأصل . و الرأى : جاد[6] - كل ذلك[7] تشبيه بالأصل ، و الأصيل : من له أصل ، و العاقب الثابت الرأى ، و قد أصل - ككرم ، و الأصيل : العشى - لأنه وصلة[8] ما بين النهار و الليل ، أو[9] لأنه لما آذن بتصرم النهار كأن[10] كانه اجتثه من أصله ، و منه الأصيل - للهلاك و الموت كالأصيلة[11] فيهما ، و لقيتهم مؤصلا أى بالأصيل ، و أخذه[12] بأصلته - محركا ، و أصيلته[13] أى كله بأصله[14] ، و أصيلتك : جميع مالك أو نخلتك . و الأصل - ككتف :

(١) فى الأصل و ظ و مد : وضيت ، و التصحيح من م و بناء على القاموس .
(٢) من ظ و م و مد والقاموس ، و فى الأصل : لصه (٣) فى ظ : ارعجزته - كذا ، وفى القاموس : أرغته (٤) من م والقاموس ، وفى الأصل وظ ومد : لتنزعه (٥) من ظ و م ومد والقاموس ، و فى الأصل : الصيته (٦) فى ظ و م : حاد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شيء (٨) فى مد : و صلته .
(٩) فى ظ « و » (١٠) فى ظ : صار (١١) من ظ و م و مد و القاموس ، وفى الأصل : كالاصلية (١٢) فى ظ : أخذته (١٣) من القاموس ، و فى الأصل وم و مد : اصليته ، و فى ظ : اصلته (١٤) من ظ و م و مد والقاموس ، وفى الأصل : باصيله - كذا .

المستأصل ، و أصله علما : قتله[1] ـ كأنه أدام مواصلته حتى أتقنه ، و الأصلة ـ محركة : حيـــة قصيرة تساور الإنسان[2] ـ قاله فى مختصر العين ، و فى القاموس : حية صغيرة أو عظيمة[3] تهلك بنفخها ، فان نظرت إلى المساورة فهو[4] من المواصلة ـ كما تقدم فى صال عليه ، و إن نظرت إلى الهلاك فهو من الاستئصال ، و أصل الماء ـ كفرح[5] : أسن من حمأة ، و اللحم : تغير ، يجوز أن يكون من الوصلة أى لشدة مواصلة الحمأة للماء و الهواء للحم ، و أن يكون من الأصيل أى الهلاك بجملته و أصله[6] ، و أن يكون من سلب المواصلة ؛ و صؤل البعير[7] ـ ككرم صآلة : واثب[8] الناس أو [صار ـ[9]] يقتل الناس و يعدو عليهم ، و صئيل الفرس : صهيله ـ لمواصلة[10] نغماته ، هذا و قد مضى عند قوله تعالى فى سورة هود عليه السلام " صلوٰتك تامرك[11] " إشارة إلى هذا ـ[12] و الله سبحانـــه و تعالى أعلم[12].

فلما تبين قطعا أنه سبحانه المدبر للسماوات[13] و الأرض القاهر لمن

(١) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : قبله (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الانسا ـ كذا (٣) فى ظ : كبيرة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : فهى (٥) فى م : كفرخ (٦) فى ظ : اصلته (٧) زيدت الواو بعده فى مد (٨) فى ظ : اثبت (٩) زيد من ظ و م و مـد و القاموس (١٠) فى ظ : المواصلة (١١) آية ٨٧ (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السموات .

فيهما

فيهما[١]، تبين[٢] قطعا أنه المختص بربوبيتهما[٣] فأمره[٤] تعالى أن يوجه السؤال نحوهم عن ذلك - ردا على عبدة الأصنام و غيرهم من الملحدين - بقوله: ﴿قل﴾ أى بعد أن أقمت هذه الأدلة القاطعة، مقررا لهم ﴿من رب﴾ أى موجد و مدبر[٥] ﴿السمٰوٰت و الارض[٦]﴾ أى و كل ما فيهما.

و لما مضى فى غير [آية -[٦]] أنهم معترفون بربوبيته / مقرون ٥ / ١٢٤ بخلقه[٧] و رزقه ثم لم يزعهم ذلك عن الإشراك، جعلوا هنا [٨]كأنهم منكرون لذلك[٨] عنادا. فلم ينتظر[٩] جوابهم بل أمره[١٠] أن يجيبهم بما يجيبون[١١] به، إشارة إلى أنهم لا يتحاشون من التناقض فى اتباع الهوى و لا تصونهم عقولهم الجليلة و آراؤهم الأصيلة - بزعمهم - عن التساقط فى مهاوى الردى، فقال: ﴿قل الله[٦]﴾ أى الذى له الأمر كله، فثبت حينئذ أن لا ولى إلا هو، فتسبب ١٠ عن ذلك توجه الإنكار عليهم فى اعتماد غيره، فأمره[١٢] بالإنكار فى قوله: ﴿قل افاتخذتم﴾ أى فتسببتم[١٣] عن انفراده بربوبيتكم أن[١٤] أوجدتم الأخذ بغاية الرغبة. فتسببتم الإشراك عما يجب أن يكون سبب التوحيد، و بين سفول رتبتهم

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فيها (٢) فى ظ و مد: تعين (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بربوبيتها (٤) فى ظ: فامر (٥) فى ظ: مربى (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خلقه (٨-٨) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل بيد أن فى العبارة المتكررة «ذلك» موضع «لذلك» (٩) فى ظ: فلم ينتظروا (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: امرهم (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يوجبون (١٢) فى ظ: فامر (١٣) فى ظ: فسببتم، و فى مد: أفسببتم (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل و م: اذ.

بقوله : ﴿ من دونه اولياء ﴾ لا يساوونكم فى التسبب فى الضر و النفع ، بل ﴿ لا يملكون لانفسهم ﴾ فكيف[1] بغيرهم ﴿ نفعا ﴾ و نكره ليعم ، و قدمه لأن السياق لطلبهم منهم ، و الإنسان إنما يطلب ما ينفعه .

و لما كان من المعلوم أنه [لا قدرة - [2]] لأحد على أن يؤثر فى ٥ [آخره - [3]] أثرا لا يقدر على مثله فى نفسه قال : ﴿ و لا ضرا[4] ﴾ فثبت أن من سواهم بالله أضل الضالين ، لأنه يلزمه[5] أن يسوى بين المتضادات[6] ، فكان[6] معنى قوله : - ﴿ قل هل يستوى ﴾ و الاستواء : استمرار[7] الشىء فى جهة واحدة ﴿ الاعمى ﴾ فى عينه أو فى قلبه ﴿ و البصير ﴾ كذلك[8] ﴿ ام هل تستوى ﴾ بوجه من الوجوه ﴿ الظلمت و النور ﴾ - : هل أدتهم[9] ١٠ عقولهم إلى أن سووا بين هذه المتضادات الشديدة[10] الظهور لغباوة أو عناد[10] حتى سووا من يخلق بمن لا يخلق ، فجعلوا له شريكا كذلك[8] لغباوة[11] أو عناد ﴿ ام جعلوا لله ﴾ أى [الذى - [2]] له مجامع العظمة

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فنبد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل : اثر ، و فى ظ : فى آخر اثرا - كذا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يلزم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المضادات (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : وكان . (٧) فى ظ : الاستمرار (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لذلك (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اذتهم (١٠-١٠) من م و مد ، و فى الأصل : لظهور الغباوة أو عنادا ، و فى ظ : الظهور الغباوة أو عناد - كذا (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الغباوة .

﴿ شركآء ﴾ ثم بين ما يمكن أن يكون[1] به الشركة، فقال واصفا لهم: ﴿ خلقوا كخلقه ﴾ وسبب عن ذلك قوله: ﴿فتشابه﴾ والتشابه: التشاكل بما يلتبس حتى لا يفصل فيه بين [أحد -[2]] الشيئين والآخر ﴿الخلق[3] عليهم[4] ﴾ فكان ذلك الخلق الذى خلقه الشركاء سبب عروض شبهة لهم[4]، وساق ذلك فى أسلوب الغيبة إعلاما بأنهم أهل للإعراض عنهم، لكونهم فى عداد البهائم لقولهم ما لا يعقل بوجه من الوجوه، وهذا قريب[5] مما يأتى قريبا فى قوله: "ام بظاهر من القول". أى بشبهة يكون[6] فيها نوع ظهور[7] لبعض الأذهان.

ولما كان من المعلوم قطعا أن جوابهم أن الخلق كله لله. ولم يمنعهم ذلك من تأله[8] سواه، أمره أن يجيبهم معرضا عن جوابهم فقال: ﴿ قل الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ خالق كل شىء ﴾ إشارة إلى أنهم فى أحوالهم كالمنكر لذلك عنادا أو خرقا[9] لسياج الحياء وهتكا لجلباب الصيانة، وإذ قد ثبت أنه المنفرد بالخلق وجب أن يفرد بالتأله[10] فقال: ﴿ وهو الواحد ﴾[11] الذى لا يجانسه شىء، وكل ما

(١) فى ظ و م و مد: تكون (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) تقدم فى ظ على « والتشابه » (٤) سقط من ظ (٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ: بما.
(٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تكون (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الظهور (٨) من م و مد، وفى الأصل: ماله، وفى ظ: ناله.
(٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل: خوفا (١٠) من م و مد، وفى الأصل: بالمثالة، وفى ظ: بالثالثة - كذا (١١) زيد فى ظ: اى.

سواه لا يخلو [1]عن مجانس[1] يماثله ، و أين رتبة من يماثل[2] من رتبة من لا مثل له ﴿ القهار ٥ ﴾ الذى كل شيء تحت قهره بأنفسهم و ظلالهم[3] ، و هو القادر بما لا يمكن أن يغلبه غالب و هو لكل شيء غالب ، و هذا إشارة - كما مضى فى مثله غير مرة فى سورة [يوسف - [4]] و غيرها - إلى برهان التمانع ، فان أربابهم متعددون ، فلو كانت لهم حياة و كانوا متصرفين فى الملك لأمكن بينهم تمانع و كان [كل - [4]] منهم معرضا لأن يكون مقهورا ، فكيف و هم جماد ! فثبت قطعا أنه لا شيء [منهم يصلح للالهية على تقدير من التقادير ؛ قال الرمانى : و الواحد على وجهين : شيء - [4]] لا ينقسم أصلا ، و شيء لا ينقسم فى معنى كالدنيا[5] .

و لما [كان - [4]] حمل الماء فى العلو لا يمكن إلا عن قهر ، و إنزاله فى وقت دون غيره [كذلك - [4]] ، أتبع هذا الختم قوله دليلا مشاهدا عليه / : ﴿ انزل ﴾ و لما كان الإنزال قد يتجوز[6] به عن [7]إيجاد ما[7] يعظم إيجاده ، حقق أمره[8] بقوله : ﴿ من السمآء ﴾ و لما كان المنزل منها[9] أنواعا شتى قال : ﴿ مآء فسالت ﴾ أى فتسبب عن إنزاله لكثرته

/ ١٢٥

(١-١) فى ظ : من مجانسى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عائل - كذا .
(٣) فى ظ : ضلالهم (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٥) فى م : كالدنيا (٦) زيدت الواو بعده فى مد (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : إيجادنا (٨) سقط من ظ (٩) فى الأصل و مد : مبهما ، و فى ظ و م : منهما .

أن سالت ﴿ اودية ﴾ [١]أى مياهها[١] منها[٢] الكبير و الصغير ؛ و الوادى : سفح الجبل العظيم الذى يقابله جبل أو تل فيجتمع[٣] فيه المطر ، فيجرى فى فضائه ، و منه أخذت الدية - لجمع المال العظيم الذى يؤدى عن القتيل ﴿ بقدرها ﴾ و القدر : اتزان[٤] الشىء بغيره من غير زيادة و لا نقصان ، [١]فالمعنى أن المياه ملأت الأودية[١] مع ما فى ذلك من الدلالة على التفرد بالربوبية مما هو مثال للحق[٥] و الباطل ، و هو قوله : ﴿ فاحتمل ﴾ و الاحتمال : رفع[٦] الشىء على الظهر بقوة الحامل له ﴿ السيل ﴾ و هو ماء المطر الجارى من الوادى بعظم ﴿ زبدا رابيا[١] ﴾ أى عاليا[٧] بانتفاخه ؛ و الزبد : الرغوة التى تعلو الماء ، و مدار المادة على الخفة ، و يلزمها العلو ، و منه زبد البحر و البعير - للرغوة الخارجة من شدقه ، و الغضبان ، و زبدت المرأة[٨] القطن - إذا نفشته[٩] ، و الزباد[١٠] - كرمان : ضرب من النبت تنفرش[١١] أفنانه[١٢] ، و شاة مزبدة أى سمينة ، و منه الزباد[١٣] - للطيب المعروف و هو وسخ[١٤] يشبه الرغوة يجتمع[١٥] تحت ذنب نوع من السنانير ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) فى ظ و م : منهما (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : فتجمع (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : انزال (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الحق (٦) فى ظ : مع - كذا (٧) فى ظ : غاليا . (٨) فى مد : المرارة (٩) فى مد : نمسته (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الزبادة ، و العبارة من هنا إلى « منه الزباد » ساقطة من مد (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : تتفرش - كذا (١٢) فى ظ : افنادته (١٣) من ظ و م و القاموس ، و فى الأصل : الزبادة (١٤) فى القاموس : رشح ، و زيد فى ظ : زبد (١٥) فى ظ : تجتمع .

و منه الزبد - بضم و سكون - لخالص[1] [اللبن -[2]] فانه أخفه. يقال منه: زبدت فلانا أزبده - إذا أطعمته الزبد، ثم اتسع فيه حتى قيل لمطلق العطية. و منه: «نهى النبي صلى الله عليه و على آله و سلم عن زبد المشركين[3]»؛ و منه الزدب - بكسر ثم سكون، و هو[4] النصيب، و يمكن أن يكون من زبد اللبن [5]الزبادُ للنبت[5]، فانه مرعى ناجع، كأنه شبه به[6] أو لأنه سبيه، و كذا شاة مزبدة [أى -[7]] سمينة و يلزم الخفة الإسراع، يقال: تزبد اليمين - إذا أسرع إليها، أو[8] إنها شبهت بالزبد فى سهولة التقامه.

و لما كان الزبد أحسن مثل لمعبوداتهم، و كان لا يختص بالماء الذى هو مائع بطبعه يجمع الأوضار و الأقذار بجريه، ذكر معه ما يشبهه[9] فى النفع[10] من الجوامد الصلبة التى تزبد عند الإذابة مع كونها فى حال الجمود فى غاية الصفاء و الخلوص عن الشوائب على ما يظهر، فقال: ﴿ و مما توقدون[11] ﴾ أى إيقادا مستعليا ﴿ عليه ﴾ أى للاذابة ﴿ فى النار ﴾ من المعادن ﴿ ابتغآء حلية ﴾ تتحلون[12] بها من الأساور و الحلق و نحوها ﴿ او ﴾ ابتغاء ﴿ متاع ﴾ تتمتعون به من الدراهم و الدنانير و السيوف

(١) فى ظ و مد: الخالص (٢) زيد من م (٣) روى معناه الإمام أحمد بن حنبل فى المسند ٤ / ١٦٢ (٤) فى ظ: منه (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الزبادة النبت (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يشهد. (١٠) فى ظ: المنع (١١) و فى مصحفنا: يوقدون - على قراءة حفص (١٢) من مد. و فى الأصل و ظ و م: يتحلون.

و الأوانى [و نحوها -[1]] ، و أصل المتاع : التمتع الحاضر ، فهذا تقسيم حاصر[2] لأنواع الفلز المنوه[3] إليها مع إظهار التهاون به[4] و إن تنافس[5] الناس فيه [كما هو شأن الملوك يظهرون المجد و الفخار بالاستهانة بما يتنافس الناس فيه -[6]] ﴿ زبد مثله[7] ﴾ أى مثل زبد الماء ينكشط عن وجهه أو يعلق بأطراف الإناء فيذهب و يبقى ذلك الجوهر خالصا كالحق ٥ إذا زالت عنه الشكوك و انزاحت الشبه . و لما كان هذا فى غاية الحسن و الانطباق[8] على المقصود ، كان سامعه جديرا بأن يهتز فيقول : هذا مما لا يقدر على سوقه هكذا إلا الله تعالى ، فيا له من مثل ! فاجيب بقوله : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الضرب ، العلى الرتب ، الغريب العجب ، المتين[9] السبب ﴿ يضرب الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ الحق و الباطل ﴾ ١٠ [أى -[9]] مثلهما ؛ و ضرب المثل : تسييره[10] فى البلاد يتمثل[11] به الناس .

و لما نبه بهذا الفصل على علو رتبة هذا المثل ، شرع فى شرحه ، فقال مبتدئا بما هو الأهم فى هذا المقام ، و هو إبطال[12] الباطل الذى أضلهم ،

(١) زيد من م (٢) من م و مد ، و فى الأصل : الحاصر ، و فى ظ : حاضر . (٣) فى الأصول : المنوع (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : تتنافس (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : انطباق (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : المبين (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من م و مد ، وفى الأصل : تسيره ، و فى ظ : يسيره - كذا (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيمثل (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابطل .

١٢٦/ و هو فى تقسيمه على طريق النشر المشوش، فقال: ﴿فاما / الزبد﴾ أى الذى [هو -[1]] مثل للباطل المطلق ﴿فيذهب﴾ متعلقا[2] بالأشجار و جوانب الأودية لأنه يطفو[3] بخفته و يعلق بالأشياء الكثيفة بكثافته[4] ﴿جفآء ج﴾ قال أبو حيان[5]: أى مضمحلا متلاشيا[6] لامنفعة فيه [7]و لابقاء له[7]؛ و قال ٥ ابن الأنبارى: متفرقا، من جفأت الريح الغيم - إذا قطعته، و جفأت الرجل: صرعته[8] - انتهى. فهذا مثل الباطل من الشكوك و الشبه و ما[9] أثاره أهل العناد، لا بقاء له و إن جال جولة - يمتحن الله [بها -[1]] عباده ليظهر الثابت من المزلزل - ثم ينمحق سريعا؛ و قال الرمانى: و الجفاء: نبوّ مكان الشيء به حتى يهلك ﴿و اما ما ينفع الناس﴾ من الماء ١٠ و الفلز الذى هو مثل الحق ﴿فيمكث فى الارض[4]﴾ ينتفع الناس بالماء الذى به حياة كل شيء، و الفلز الذى به التمام[10]، فالماء و المعدن مثل القرآن لما فيه من حياة القلوب و بقاء الشرع كما أن الماء يحيي الأراضى[11] الميتة. و المعادن تحيي[12] موات العيش و تنظم المعاملات المقتضية لاختلاط

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معلقا (٣) فى ظ: يطفر، و فى مد: يظفر (٤) فى ظ: بكثافة (٥) راجع البحر المحيط ٥/٣٨٢. (٦) من البحر، و فى الأصل: أى مثل أشياء، و فى ظ و م و مد: أى متلاشيا (٧-٧) من م و مد و البحر، و فى الأصل و ظ: يقال (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صرخته، و راجع أيضا القاموس (٩) فى ظ: اما. (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لتمام (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الارض (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يحى.

بعض

بعض الناس ببعض و ائتلافهم بالحاجة ، و[١] الأودية و الأوانى مثل القلوب يثبت منه فيها ما تحتمله على قدر سعة القلب و ضيقه بحسب الطهارة و قوة الفاهمة[٢] .

و لما انقضى هذا المثل على هذا البيان الذى يعجز دونه الثقلان ، لأنه أحسن شيء معنى[٣] بأوجز عبارة و أوضح دلالة ، كان كأنه قيل : هل يبين[٤] كل شيء هذا البيان؟ فقيل : نعم ، ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك[٥] الضرب ﴿ يضرب الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة علما و قدرة ﴿ الامثال[٦] ﴾ فيجعلها[٦] فى غاية الوضوح و إن كانت فى غاية الغموض .

و مادة 'جفا' - واوية و يائية مهموزة و غير مهموزة بكل ترتيب ، و هى جفأ جأف فجأ ، جفى جيف فيج ، جفو جوف فوج ، فجو وجف - تدور على الطرح : جفأ الوادى و القدر : رميا[٧] بالجفاء [أى الزبد -[٨]] و جفأ القدر و الوادى : [٩]مسح غثاءه[٩] أى فطرحه - و جفأه : صرعه ، و البرمة فى القصعة : كفاها[١٠] - أى طرح ما فيها - و الباب : أغلقه و فتحه - ضد[١١] ، لأنه فى كليهما كالمرمى به ، و البقل : قلعه من أصله ،

(١) سقطت الواو من ظ و م (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفاء .
(٣) سقط من ظ (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مبين (٥) فى مد : هذا .
(٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فجعلها (٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : وميا - كذا (٨) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٩-٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : سح غثاه - كذا (١٠) فى ظ : كفاه .
(١١) من ظ و م و القاموس ، و فى الأصل : ضده ، و فى مد : صد .

و الجفاء ـ كغراب : الباطل ، لأنه أهل للقذف به و الطرح ، و السفينة الخالية ، لأنها بمعرض قذف الماء لها ، و أجفأ ماشيته : أتعبها[1] بالسير و لم يعلفها أى[2] سيرها سيرا[3] كأنها يقذف[4] بها ، و جفأ به : طرحه ، و جفات البلادُ : ذهب خيرها ، فكانت كأنها طرحته أو صارت هى أهلا لأن تطرح و تبعد ، و العامَ[5] جفأةُ إبلنا ، و هو أن ينتج أكثرُها ، لأنها طرحت أجنّتها[6] .

و من يائيه : جفيته أجفيه : صرعته ، و الجفاية ـ بالضم : السفينة الفارغة ، و المجفى[7] : المجفو .

و من واويه : جفا الشيء يجفو ـ إذا لم يلزم مكانه ، [8]كانه فصل من مكانه فطرح به ، و الجفاء و الجفوة[9] : ترك الصلة ، و اجتفيته : أزلته عن مكانه ، و جفا عليه كذا : ثقل ، فصار[10] أهلا لطرحه و الانفصال منه ، و رجل جافى الخلقة و الخَلق : كز غليظ ، لأن الشيء إذا غلظ لم يلتصق التصاق اللطيف ، و أجفى الماشية : أتعبها و لم يدعها تأكل ،

(١) من م و القاموس ، و فى الأصل : العمها ، و فى ظ : اتبعها ، و لا يتضح فى مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تسيرا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تقذف (٥) فى ظ : العامة . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احسها (٧) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الجفى ، و فى ظ : المجز ـ كذا (٨) العبارة من هنا إلى « عن مكانه » ساقطة من ظ (٩) من م و مد والقاموس ، و فى الأصل . الجفو (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : صار .

و فيه جفوة أى هو جاف ، فان كان مجفوا قيل : به جفوة .

و من مقلوبه مهموزا : جافه : صرعه و ذعره[١] أى قذف فى قلبه رعبا ، و الشجرة : قلعها من أصلها ، و الجئّاف - كشداد : الصيّاح ، كأنه يقذف بصوته ، و رجل مجأف[٢] : لا ثبات[٣] [له - [٤]] - كأنه يقذف به من مكانه ، و المجؤف : الجائع[٥] و المذعور ، كأنه من الجوف ، و إنما همزت واوه الأولى لا نضمامها مع أنه يمكن تنزيله[٦] على أنه قذف فيه ذلك .

و من يائيه : الجيفة : جثة الميت و قد أراح ، و الجيّاف - كشداد : النباش ، و[٧]جافت / تجيف : أنتنت[٧] فصارت متهيئة للطرح و التغييب[٨] ، و جيّفه : ضربه ، لما رآه أهلا للبعد ، و جيّف فلان فى كذا و جُيّف أى فَزّع [٩]و أفزع[٩] أى طرح فى قلبه رعب ، فصار لا تسعه أرض ، بل يقذف بنفسه[١٠] من مكان إلى آخر . /١٢٧

و من واويه[١١] : الجوف : المطمئن [من الأرض -[١٢]] ، لأنه يسع

(١) فى ظ : ذرعه (٢) فى ظ : يجاف ، و فى م و مد : يجاف (٣) فى اللسان : فؤاد (٤) زيد من ظ و م و مد و اللسان (٥) فى ظ : الجامع (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تنزله (٧-٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : جاف يجيف اثنت - كذا ؛ و زيد فى القاموس بعد جافت : الجيفة (٨) فى م : التعييب (٩-٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : او فرع (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : نفسه (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رواية (١٢) زيد من ظ و م و مد و القاموس .

ما يطرح فيه و يمسكه ، و مهما طرح من الجبال من شيء استقر به ، و الجوف منك : بطنك ، لافتقاره إلى طرح الغذاء فيه ، و أهل الأغوار[1] يسمون فساطيط عمالهم الأجواف - لطرح أنفسهم و أمتعتهم فيها ، و جوف الليل : وسطه - تشبيه بالجوف ، و الأجوفان : البطن و الفرج ، و الجوف - محركة : السعة ، و الجوفاء من الدلاء : الواسعة ، و من القنا و الشجر : الفارغة ، و الجائفة : جراحة[2] تبلغ الجوف ، و تلعة[3] جائفة : قعيرة[4] - لأنها لقعرها[5] بالجوف أشبه منها بالجبل[6] ، و جوائف النفس : ما تقعر من الجوف فى مقارّ الروح ، و المجوف - كمعظم : من لا قلب له - كأن قلبه طرح من جوفه فصار خاليا . و الجوُفان - بالضم : أير[7] الحمار - لسعة جوفه ، و أجفت الباب : رددته - كأنه من السلب ، لأنك سددت جوف البيت ، أو أنه شبه الإغلاق بطرح الباب .

و من مقلوبه مهموزا : فجئه الأمر - كسمعه و منعه : هجم عليه من غير أن يشعر[8] ، كأنه قذف به إليه ، و فجئت[9] الناقة[10] - كفرح : عظم[10]

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاغرار ، و فى القاموس : الغور (٢) سقط من م ، و فى القاموس : طعنة (٣) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : تلفه - كذا (٤) من القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : قصيره ، و فى م : قصيرة (٥) فى الأصول : لقصرها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالجفل . (٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : ار - كذا (٨) زيد بعده فى م : به (٩) من القاموس ، و فى الأصول : فجئة - كذا (١٠-١٠) من م و القاموس ، و فى الأصل : كفرج عظيم ، و فى مد : كفرج عظم .

بطنها، كأنه قذف فيه[1] بشيء[2]، و فجأ - كمنع : جامع ، لأنه طرحها و طرح نفسه عليها ، و المفاجئ : الأسد ، لأنه يخرج بغتة فيثب[3] من غير توقف[4] .

و من مقلوبه واويا : الفجوة : المتسع من الأرض و الفرجة - لتهيئها لما يطرح فيها ، و الفجوة - أيضا : ساحة الدار و ما بين حوامى الحوافر ، أى ميامنها و مياسرها ، و فجا قوسه : رفع وترها[5] عن كبدها فهى فجواء ، و فجا بابه : فتحه ، فصار كالجوف ، و الفجا : تباعد ما بين الركبتين أو الفخذين أو الساقين أو عرقوبى البعير ؛ فجى - كرضى فهو[6] أفجى ، و عظم بطن الناقة ، و الفعل كالفعل ، و التفجية : الكشف ، لأنك[7] طرحت الغطاء ، و التفجية - أيضا : التنحية ، و هى واضحة فى الطرح ، و[8] أفجى : وسّع[8] النفقة على عياله - كأنه يقذف بها قذفا .

و من مقلوبه يائيا : أفاج[9] الرجل - إذا أسرع[10] ، و منه الفيج - لرسول السلطان على رجليه - كأنه لسرعته يطرح به فى[11] الأرض - هذا[12] .

(١) العبارة من « و فجئت » إلى هنا ساقطة من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شيء (٣) فى ظ : فيثبت (٤) من م و مد ، و فى الأصل : توقيف . (٥) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : وتر - كذا (٦) من القاموس و فى الأصول : و هو (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا - كذا . (٨-٨) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : الفلى و اسع - كذا (٩) فى م : الفاج (١٠) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : اشرع (١١) سقط من ظ (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هودا - كذا .

هو الصحيح الذى صححه صاحب العباب ، لأنه معرب بيك[1] ، و قيل : إنه واوى ، أصله : فيوج ، ثم قيل : فيج - ككيس ، ثم خفف ، و جمعه [الفيوج -[2]] ، و قيل : الفيوج : الذين يدخلون السجن و يخرجون و يحرسون ، و أفاج فى الأرض : ذهب ، و القوم : ذهبوا و انتشروا - كأنه[3] قذف بهم ، و الفيج : الوهد المطمئن من الأرض ، لأنه موضع لطرح ما فى الأعالى . ١٢٨ / ٥ /

و من مقلوبه واويا : الفوج : الجماعة ، كأنهم اقتطعوا من الجمهور فقذف بهم ، و فاج المسك : فاح و سطع ، أى انتشرت رائحته ، و النهار : برد ، إما بمعنى طرح برده على ما فيه ، و إما لإحواجه الحيوان إلى أن يطرح عليه ما يدفئه ، و أفاج : أسرع و عدا و أرسل الإبل على الحوض قطعة [قطعة -[4]] ، و الفائج : البساط الواسع من الأرض ، لتهيئه لما يطرح فيه - من تسمية المحل باسم الحال ، و أفاج فى عدوه : أبطأ - فهو للسلب ، و فاجت الناقة برجليها[5] : نفحت بهما من خلفها ، و الفائجة : متسع ما بين كل مرتفعين ، كأنه محل طرح ما ينزل منهما .

و من مقلوبه : وجف يجف وجيفا : اضطرب ، و الوجف ضرب من سير الإبل و الخيل ، و جف يجف و أوجفته و استوجف الحب فؤاده : ذهب به ، كأنه طرحه منه .

---

(١) من م و القاموس ، و فى الأصل : بعك ، و فى ظ : بفك ، و فى مد : بك - كذا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) زيد من القاموس (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : برجلها .

و لما تم ما للحق و الباطل فى أنفسهما من الثبات و الاضطراب، ذكر ما لأهلها من الثواب و العقاب جوابا لمن كأنه[1] قال: [ما -[2]] لمن تدبر هذه الأمثال، و أبعد عما أشارت إليه من الضلال، أو حاد عما دعت إليه و مال؟ فأجيب بقوله: ﴿للذين استجابوا﴾ أى طلبوا من أنفسهم الإجابة و أوجدوها ﴿لربهم﴾ أى المحسن إليهم شكرا له[3]، ٥ الحالة ﴿الحسنى[4]﴾ أى العظيمة فى الحسن، و هى القرار فى الجنة فهو جزاءهم؛ قال أبو حيان[4]: و ذلك هو النصر فى الدنيا و ما اختصوا به من نعمه تعالى و دخول الجنة فى الآخرة - انتهى. و قد تقدم فى سورة يونس عليه الصلاة و السلام أنهم يزادون ما لا يعلم قدره إلا الذى فعلوا ذلك خوف عقابه و رجاء ثوابه. ١٠

و لما ذكر ما للطائعين، أتبعه جزاء العاصين، فقال مبتدئا: ﴿و الذين [5]لم يستجيبوا[5]﴾ أى يرغبوا فى إيجاد الإجابة ﴿له﴾ و أخبر عن هذا الابتداء بقوله [6]معلما بأن استعجالهم بالعذاب باستعجالهم بالسيئة قبل الحسنة جراءة منهم ناشئة عن جهل صرف تزول[7] عند رؤيتهم عذابه[8] سبحانه، فيبلغون حينئذ بالافتداء غاية الذل فلا يقبل منهم -: ﴿لو ان لهم﴾ ١٥

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من م و مد (٣) زيد بعده فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) راجع البحر ٥/٣٨٢ (٥-٥) من م و القرآن الكريم، و فى الأصل و ظ و مد: استجيبوا - كذا (٦) العبارة من هنا إلى «فلا يقبل منهم» ساقطة من م (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: نزول. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عذاب.

أى [فى -[1]] ملكهم و تحت قدرتهم ﴿ ما فى الارض ﴾ و أكد بقوله : ﴿ جميعا و مثله ﴾ و أوضح[2] بقوله : ﴿ معه لافتدوا به[3] ﴾ أى جعلوا فكاك أنفسهم بغاية جهدهم ، و أكده لادعاء الكفرة أنهم لا يذلون لشىء[4] و لا يوهن قواهم شىء ، و الافتداء : جعل أحد / الشيئين بدلا من الآخر على جهة الاتقاء به ، فكانه قيل : ما الذى دهاهم[5] حتى كان هذا حالهم؟ فقيل -[6]دلالة على أنه لا يقبل منهم الفداء و لو عظم[6]-: ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ لهم سوء الحساب[5] ﴾ و الحساب : إحصاء ما على العبد[7] و له ، و سوء المؤاخذة ، و عدم العفو عن شىء ﴿ و ماوٰهم ﴾ أى مستقرهم ﴿ جهنم[8] ﴾ أى الطبقة التى تلقى[8] داخلها بالتجهم[9] و العبوسة . و لما كان[10] المأوى إنما يأوى إليه صاحبه للراحة فيه بالاتكاء على فرش[11] و نحوه ، قال معبرا بمجمع المذام : ﴿ و بئس المهاد[4] ﴾ .

/ ١٢٩

و لما افترق حال من أجاب و من أعرض فى الجزاء ، و كان ما مضى مستوفيا طرق البيان بايضاح الأمر بالجزئيات و الأمثلة مع الترغيب و الترهيب . فكان جديرا بترتيب الأثر عليه ، تسبب عنه الإنكار على

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد بعده فى الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من م والقرآن الكريم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بشىء (٥) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : دعاهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) فى ظ : البعد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يلقى (٩) زيد بعده فى الأصل : التجهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) تكرر فى الأصل فقط (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فطرش .

من سوى بين العالم العامل و غيره التفاتا إلى قوله "هل يستوى الاعمى و البصير" و سوى بين الحق و الباطل التفاتا إلى قوله كذلك يضرب [الله -[1]] الحق و الباطل" فحسن قوله: ﴿ افمن ﴾ بفاء السبب ﴿ يعلم ﴾ علما نافعا هو عامل به ﴿انما﴾ أى الذى ﴿انزل﴾ أى وجد إنزاله و فرغ منه ﴿ اليك من ربك ﴾ أى المحسن إليك بأحسن التدبير ﴿ الحق ﴾ أى الكامل ٥ فى الحقية ، فهو نير العين للبصر و القلب للاستبصار و الاعتبار ، يهتدى[2] بما يعلم إلى طريق الرشد فيسلكها، و إلى طريق الغى فيتركها ، و يفهم الإشارات ، و ينتفع بالأمثال السائرات ، كما يبصر بالبصر طريق النجاة من طريق الهلاك ﴿ كمن هو اعمى[3] ﴾ لا بصر له[3] و لا بصيرة ، لأنه لايعمل[4] و إن كان عالما ، فهو لا ينتفع بالأمثال ، فكأنه قيل : لا يستويان مثلا ١٠ أصلا ، ثم علل هذا الإنكار بقوله : ﴿انما﴾ أى لأنه إنما يعلم ذلك بالتذكر ، و إنما ﴿ يتذكر[5] ﴾ أى يطلب الذكر طلبا عظيما فيعمل[6] ﴿ اولوا ﴾ أى أصحاب ﴿ الالباب ﴾ أى العقول الصافية الخالصة القابلة للتذكر بالتفكر فى أن ما أنزل[7] من عند الله ثابت الأركان [راسى القواعد ، لا قدرة لأحد على إزالة معنى من معانيه و لا هدم شىء من مبانيه -[8]] ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم (٢) فى ظ : يهدى (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يعلم (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) زيد بعده فى الأصل : فهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ينزل (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد .

و [أن - [1]] ما عداه [2]هلهل النسج[2] رث القوى ، مخلخل الأركان ، دارس الرسم ، منطمس الأعلام ، مجهول المسالك ، مظلم الأرجاء ، جم المهالك ، و أما القلب الذى لا يرجع عن غيه لمثل هذا البيان فكأنه غير قابل للذكرى ، فاستحق أن يعد عدما ، و أن يخص التذكر[3] بالقلب ، و من المعلوم أنه لا يستوى من له لب [و من لا لب له - [4]] ؛ و اللب و القلب : أجل ما فى الشيء و أخلصه و أجوده[5] .

/ ١٣٠ / و لما منح سبحانه من فيهم أهلية التذكر بالعقول الدالة على توحيده و الانقياد لأوامره ، كان كأنه عهد فى ذلك ، فقال يصف المتذكرين بما يدل قطعا على أنه لا لب لسواهم : ﴿ الذين يوفون ﴾ أى يوجدون الوفاء لكل شيء ﴿ بعهد الله ﴾ أى [بسبب - [6]] العقد المؤكد من الملك الأعلى بأوامره و نواهيه ، فيفعلون كلا [7]منهما كما رسمه لهم و لا يوقعون شيئا[7] منهما مكان الآخر ؛ و العهد : العقد المتقدم على الأمر بما يفعل أو يجتنب[8] ، و الإيفاء : جعل الشيء على مقدار غيره من غير زيادة و لا نقصان .

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٢ - ٢) من م ، و فى الأصل : مهلهل النسخ ، و فى ظ و مد : هلهل النسخ - كذا ؛ و هلهل النسج : رديئه . (٣) فى م و مد : المتذكر (٤) زيد من م و مد (٥) زيد بعده فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد من م . (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : تجنب - كذا .

و لما كان الدليل العقلى محتما للثبات[1] عليه كما أن الميثاق اللفظى موجب للوفاء به ، قال تعالى : ﴿ ولا ينقضون الميثاق ﴾ أى الإيثاق و لا الوثاق و لا مكانه و لا زمانه ؛ و النقض : حل[2] العقد بفعل ما ينافيه و لا يمكن أن يصح معه ، و الميثاق : العقد المحكم و هو الأوامر و النواهى المؤكدة بحكم[3] العقل .

و لما كان أمر الله جاريا على منهاج العقل و إن كان قاصرا عنه لا يمكن نيله له من غير مرشد ، قال : ﴿ و الذين يصلون ﴾ أى من كل شيء على سبيل الاستمرار ﴿ ما أمر الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ؛ و قال : ﴿ به[4] ان يوصل ﴾ دون 'يوصله' ليكون مأمورا بوصله مرتين ، و يفيد تجديد الوصل كلما[5] قطعه قاطع على الاستمرار لما تظافر على ذلك من دليلى العقل و النقل ؛ و الوصل : ضم الثانى إلى الأول من غير فرج[6] .

و لما كان الدليل يرشد إلى أن الله تعالى مرجو مرهوب قال : ﴿ و يخشون ربهم ﴾ أى المحسن إليهم ، من أن ينتقم منهم إن خالفوا بقطع[7] الإحسان . و لما كان العقل دالا بعد تنبيه الرسل على القدرة على المعاد بالقدرة على المبدإ ، و كان الخوف منه أعظم [الخوف -[8]] ، قال تعالى : ﴿ و يخافون ﴾ أى يوجدون الخوف إيجادا مستمرا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للثبات - كذا (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جعل (٣) من ظ ، و فى بقية الأصول : بمحكم (٤) سقط من ظ . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كما (٦) من م ، و فى الأصل : مرح ، و فى ظ : مزح ، و فى مد : فرح - كذا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و لم يقطع (٨) زيد من ظ و مد .

﴿ سوء الحساب ﴾ و هو[1] المناقشة فيه من غير عفو ، و من أول السورة إلى هنا تفصيل لقوله تعالى أول البقرة " ذلك الكتب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب " مع نظره إلى قوله آخر يوسف " ما كان حديثا يفترى " .

٥ و لما كان الوفاء بالعهد فى غاية الشدة على النفس ، قال مشيرا إلى ذلك مع شموله لغيره : ﴿ و الذين صبروا ﴾ أى على طاعات الله و عن معاصيه و فى كل ما ينبغى الصبر فيه ، و الصبر : الحبس ، و هو تجرع مرارة المنع / للنفس عما تحب مما لا يجوز فعله ﴿ ابتغاء ﴾ أى طلب ﴿ وجه ربهم ﴾ / ١٣١ أى المحسن إليهم ، و كأنه ذكر الوجه إثارة[2] للحياء و حثا عليه لا[3] ليقال : ١٠ ما أجلده ! و لا لأنه يعاب بالجزع ، و لا لأنه لا طائل تحت الهلع و لا خوف الشماتة .

و لما كانت أفراد الشىء قد تتفاوت فى الشرف ، خص بالذكر أشياء مما دخل فى العهد و الميثاق تشريفا لها فقال : ﴿ و اقاموا الصلوٰة ﴾ لأنها فى الوصلة بالله كالميثاق فى الوصلة بالموثق له ، و قال - : ﴿ و انفقوا ﴾ و خفف ١٥ عنهم بالبعض فقال : ﴿ مما رزقنٰهم ﴾ - لأن الإنفاق من أعظم سبب يوصل إلى المقاصد ، فهذا إنفاق من المال ، و تلك إنفاق من القوى ، و قال : ﴿ سرا و علانية ﴾ إشارة إلى الحث على استواء الحالتين تنبيها على الإخلاص[4] ، و يجوز أن يكون المراد بالسر ما ينبغى[5] فيه الإسرار

(١) فى ظ : هى (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : اشارة (٣) زيد بعده فى الأصل : أنه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى ظ : الخلاص .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يبتغى .

كالنوافل

كالنوافل ، و بالعلانية ما يندب إلى إظهاره كالواجب إلا أن يمنع مانع ، و هذا تفصيل قوله تعالى "و يقيمون الصلوٰة ومما رزقنٰهم ينفقون[1]" ، "و استعينوا بالصبر و الصلاة[2]" و قال : ﴿ و يدرءون ﴾ أى يدفعون[3] بقوة و فطنة ﴿ بالحسنة ﴾ أى من القول أو الفعل ﴿ السيئة ﴾ إشارة إلى ترك المجازاة [4]أو يتبعونها إياها فتمحوها[4] ، خوفا و رجاء و حثا على جميع الأفعال الصالحة ، فهى نتيجة أعمال البر و درجة المقربين .

و لما ختم تلك بما يدل على ما بعد الموت ترهيبا ، ختم هذه بمثل ذلك ترغيبا فقال : ﴿ اولٓئك ﴾ أى العالو[5] الرتبة ﴿ لهم عقبى الدار ﴾ و بينها بقوله : ﴿ جنٰت عدن ﴾ أى إقامة طويلة - و منه المعدن [و هى أعلى الجنان - [6]] ؛ ثم استأنف بيان تمكنهم فيها فقال : ﴿ يدخلونها ﴾ .

و لما كانت الدار لا تطيب بدون الحبيب ، قال عاطفا على الضمير المرفوع [4]إشارة إلى أن النسب الخالى غير نافع[4] : ﴿ و من صلح ﴾ و الصلاح[7] : استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل و الشرع ﴿ من ابآئهم ﴾ أى الذين كانوا سببا فى إيجادهم ﴿ و ازواجهم و ذريتهم ﴾ أى الذين تسببوا عنهم ؛ ثم زاد فى الترغيب بقوله سبحانه و تعالى : ﴿ و الملٓئكة يدخلون عليهم ﴾ لأن الإكثار من ترداد رسل الملك أعظم فى الفخر و أكثر فى السرور و العز .

(١) سورة ٢ آية ٣ (٢) سورة ٢ آية ٤٥ (٣) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : يرفعون (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العالون (٦) زيد ما بين الحاجزين من م (٧) فى ظ : اصلاح .

و لما كان إتيانهم من الأماكن المعتادة مع القدرة على غيرها أدل على الأدب و الإكرام، قال: ﴿ من كل باب ﴾ يقولون لهم[1]: ﴿ سلام عليكم ﴾ و السلام: التحية / بالكرامة على انتفاء كل شائب من مضرة، و بين أن سبب هذا السلام الصبر[2] فقال: ﴿ بما صبرتم ﴾ أى بصبركم، و الذى صبرتم له، و الذى صبرتم عليه. إشارة إلى أن الصبر عماد الدين كله. و لما تم ذلك. تسبب عنه قوله: ﴿ فنعم عقبى الدار ﴾ و هى[3] المسكن فى قرار، المهيأ بالأبنية التى يحتاج إليها و المرافق التى ينتفع بها؛ و العقبى: الانتهاء الذى يؤدى إليه الابتداء من خير أو شر. ١٣٢ /

و لما ذكر ما للناجين، ذكر مآل الهالكين فقال: ﴿ و الذين ينقضون عهد الله ﴾ أى الملك الأعلى فيعملون بخلاف موجبه؛ و النقض: التفريق الذى ينفى تأليف البناء. و لما كان النقض ضارا و لو كان فى أيسر جزء، أدخل الجار فقال: ﴿ من بعد ميثاقه ﴾ أى الذى أوثقه عليهم بما أعطاهم من العقول و أودعها من القوة على ترتيب المقدمات المنتجة للمقاصد الصالحة الدالة على صحة جميع ما أخبرت به رسله عليهم الصلاة و السلام و التحية و الإكرام؛ و الميثاق: إحكام العقد بأبلغ ما يكون فى مثله ﴿ و يقطعون ما[4] ﴾ أى الشىء الذى ﴿ امر الله ﴾ أى غير ناظرين إلى ما له من العظمة و الجلال، و عدل عن [أن -[5]]

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣) من م، و فى الأصل و ظ و مد: هو (٤) تأخر فى الأصل و ظ عن «الشىء الذى» و الترتيب من م و مد (٥) زيد لاستقامة العبارة.

يوصله لما تقدم قريبا فقال: ﴿ به أن يوصل ﴾ أى لما له من المحاسن الجلية[1] و الخفية التى هى عين الصلاح ﴿ و يفسدون ﴾ أى يوقعون الإفساد[2] ﴿ فى الارض ﴾ أى فى أىّ جزء كان منها بوصل ما أمر الله به أن يقطع[3] اتباعا لأهوائهم ، معرضين عن أدلة عقولهم ، مستهينين بانتقام الكبير المتعال . و لما كانوا كذلك ، استحقوا ضد ما تقدم للمتقين ، ٥ و ذلك هو الطرد و العقاب[4] و الغضب و النكال و شؤم اللقاء[4]، فقال [5]سبحانه و تعالى[5]: ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ لهم اللعنة ﴾ أى الطرد و البعد ﴿ و لهم سوء الدار ﴾ أى[6] أن [7]يكون دارهم[7] الآخرة سيئة بلحاق ما يسوء فيها دون ما يسر .

و لما تقدم الحث العظيم على الإنفاق ، و أشير إلى أنه من أوثق ١٠ الأسباب فى الوصلة لجميع أوامر الله ، و ختم بأن للكافر البعد و الطرد[8] عن كل خير و السوء ، كان موضع أن يقول الكفار[9]: ما لنا يوسع علينا مع بعدنا و يضيق على المؤمن مع وصله و اتصاله ، و ما [له - [10]] لا يبسط له رزقه ليتمكن من إنفاذ ما أمر به إن كان ذلك حقا؟ فقيل: ﴿ الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ يبسط الرزق ﴾ و دل على تمام ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجليلة (٢) فى ظ : الفساد (٣) فى ظ : يقع (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٦) سقط من ظ (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) سقط من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكافر (١٠) زيد من م .

قدرته سبحانه و تعالى بقوله ـ [1]جلت قدرته[1] ـ : ﴿[2]لمن يشآء[2]﴾ فيطيع فى
١٣٣/ رزقه أو يعصى[3] ﴿و يقدر[4]﴾ / على من[5] يشآء فيجعل رزقه بقدر
ضرورته فيصبر أو يجزع ليحكم دقت[6] عن الأفكار ، ثم يجعل ما للكافر
سببا فى خذلانه ، و فقر المؤمن موجبا لعلو شأنه ، فليس الغنى مما يمدح به ،
٥ و لا الفقر مما يذم [به ـ[7]] ، و إنما يمدح و يذم بالآثار .

و لما كانت السعة مظنة الفرح إلا عند من أخلصه الله[7] و هم أقل
من القليل ، قال عائبا لمن اطمأن إليها : ﴿ و فرحوا ﴾ أى فبسط لهؤلاء
الرزق فبطروا و كفروا و فرحوا ﴿ بالحيـــوٰة الدنيا[4] ﴾ أى بكمالها ؛
[و الفرح : لذة فى القلب بنيل المشتهى . و لما كانت الدنيا متلاشية
١٠ فى جنب الدار التى ختم بها للتقين ، قال زيادة فى الترغيب و الترهيب ـ[8]] :
﴿و ما الحيوٰة الدنيا فى الأخرة﴾ أى فى جنبها ﴿ الا متاع[9] ﴾ [أى ـ[7]]
حقير متلاش ؛ قال الرمانى : و المتاع : ما يقع به الانتفاع فى العاجل ،
و أصله : التمتع و هو التلذذ بالأمر الحاضر .

و لما كان العقل أعظم الأدلة ، و تقدم أنه مقصور على المتذكرين ،
١٥ إشارة إلى أن من عداهم بقر[9] سارحة ، و عرف أن ما دعا إليه الشرع

(١-١) سقط من ظ و م و مد (٢ - ٢) تكرر فى الأصل فقط بعد " يبسط الرزق" (٣) فى ظ : يعطى (٤) فى ظ : ما (٥) من م ، و فى الأصل و ظ و مد: وقت (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد بعده فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد ما بين الحاجزين من م و مد . (٩) فى ظ : يقر ، و فى مد : تقر .

هو

هو الصلاح ، وضده هو الفساد ، وكان العقل إنما هو لمعرفة الصلاح فيتبع ، والفساد فيجتنب[1] ، وكان الطالب لإنزال آية إلى غير ذلك لاسيما بعد آيات متكاثرة ودلالات ظاهرة موضعا لأن يعجب[2] منه ، قال[3] على سبيل التعجيب[4] عطفا على قوله "وفرحوا" مظهرا لما[5] من شأنه الإضمار تنبيها على الوصف الذى أوجب لهم التعنت : ٥ ﴿ ويقول الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دعتهم إليه عقولهم من الخير وما لله[6] من الآيات عنادا ﴿ لولآ[7] ﴾ أى هلا ولم لا .

ولما كان ما تحقق أنه من عند الملك لا يحتاج إلى السؤال عن الآتى[8] به ، بنى للمفعول قوله : ﴿ انزل عليه ﴾ أى هذا الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿ اٰية ﴾ أى علامة بينة ﴿ من ربه[9] ﴾ أى المحسن إليه بالإجابة ١٠ لما يسأله لنهتدى بها فنؤمن به ، وأمره بالجواب عن ذلك بقوله : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المعاندين : ما أشد عنادكم حيث قلتم هذا القول الذى تضمن إنكاركم[9] لأن يكون نزل إلىّ آية مع أنه لم يؤت أحد من الآيات مثل ما أوتيت ، فعلم قطعا أنه ليس إنزال الآيات سببا للايمان بل أمره إلى الله ﴿ ان الله ﴾ أى الذى لا أمر لأحد معه ﴿ يضل من يشآء ﴾ ١٥ إضلاله[10] ممن لم ينب ، بل أعرض عن دلالة العقل ونقض ما أحكمه[11]

---

(١) من م ومد ، وفى الأصل : وظ : ليجتنب (٢) فى ظ : تعجب (٣) فى الأصول : فقال (٤) فى ظ : التعجب (٥) زيد بعده فى ظ : فى (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الله (٧) تكرر فى الأصل وم بعد قوله «للمفعول قوله» (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل وم : الاى - كذا (٩) فى ظ : انكارهم (١٠) فى ظ : اضلالهم (١١) من م ، وفى الأصل وظ ومد : احكمته .

من ميثاق المقدمات المنتجة للقطع بحقية ما دعت إليه الرسل لما جبل عليه قلبه من الغلظة ، فصار بحيث لا يؤمن و لو نزلت عليه كل آية ، لأنها كلها متساوية الأقدام فى / الدعوة إلى ما دعا إليه العقل لمن له عقل ، و قد نزل قبل هذا آيات متكاثرة[1] دالات أعظم دلالة على المراد ﴿ و يهدى ﴾ عند دعاء الداعين ﴿ اليه ﴾ أى طاعته . بمجرد دليل العقل من غير طلب آية ﴿ من اناب ﴾ أى من كان قلبه ميالا مع الأدلة رجاعا إليها لأنه شاء إنابته كأبى بكر الصديق و غيره ممن[2] تبعه من العشرة المشهود لهم بالجنة و غيرهم ، ثم أبدل منهم ﴿ الذين امنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف ﴿ و تطمئن قلوبهم ﴾ أى تسكن و تستأنس إلى الدليل بعد الاضطراب بالشكوك لإيجادهم الطمأنينة بعد صفة الإيمان إيجادا مستمرا دالا على ثبات إيمانهم لترك العناد ، و هذا المضارع فى هذا التركيب مما لا يراد[3] به حال و لا استقبال ، إنما يراد به[4] الاستمرار على المعنى مع قطع النظر عن الأزمنة ﴿ بذكر الله[5] ﴾ الذى هو أعظم الآيات فى أن المذكور مستجمع لصفات الكمال ، فالآية من الاحتباك : ذكر المشيئة أولا دال على حذفها ثانيا ، و ذكر الإنابة ثانيا دال على حذف ضدها أولا .

١٣٤ /

و لما كان ذلك موضع أن يقول المعاند : و من يطمئن بذلك ؟ [قال - ٥] : ﴿ الا بذكر الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متكاثراة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمن (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا نراد (٤) سقط من م . (٥) زيد من ظ و م و مد .

لا بذكر غيره ﴿ تطمئن القلوب ﴾ فتسكن عن طلب آية غيره ، و الذكر : حضور [١] المعنى للنفس ، و ذلك إشارة إلى أن من لم يطمئن به فليس له قلب فضلا عن أن يكون فى قلبه عقل ، بل هو من الجمادات ، أو إلى أن كل قلب يطمئن به ، فمن أخبر عن قلبه بخلاف ذلك فهو كاذب معاند ، و من أذعن و عمل بموجب الطمأنينة فهو مؤمن ؛ ثم أخبر عما ٥ لهذا القسم بقوله : ﴿ الذين امنوا ﴾ أى [٢] أوجدوا وصف الإيمان ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا لدعواهم الإيمان ﴿ الصلحت ﴾ لطمأنينة قلوبهم إلى الذكر ﴿ طوبىٰ لهم ﴾ أى خير و طيب و سرور و قرة عين ﴿ و حسن مآب ﴾ فكان ذلك مفهما لحال القسم الآخر ، فكأنه قيل: و من لم يطمئن أو اطمأن قلبه و لم يذعن [٣] بؤسى لهم [٤] و سوء [٤] مآب . ١٠

و لما كان [فى - [٥]] ذلك فطم عن إنزال المقترحات ، و كان إعراض المقترحين قد طال ، و طال البلاء بهم و الصبر على أذاهم ، كان موضع أن يقال من كافر أو مسلم عيل صبره : أو لست مرسلا يستجاب لك كما كان يستجاب للرسل [٦] ؟ فقيل : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل إرسال [٧] الرسل الذى قدمنا الإشارة إليه فى آخر سورة يوسف عليه ١٥ الصلاة و السلام فى قولنا "و ما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى [٨]

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : حصول (٢) زيد بعده فى الأصل : الذين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لم تذعن (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) زيد من م و مد (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : المرسل (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ارسالك . (٨) فى ظ و م و مد : يوحى - و قد مر التعليق عليه فى مقامه - راجع آية ١٠٩ .

١٣٥ / اليهم" / - الآية ، و فى هذه السورة فى قولنا " و لكل قوم هاد " و[1] مثل هذا الإرسال البديع [الأمر - [2]] البعيد الشأن ، و الذى دربناك[3] عليه[4] غير مرة من [أن - [5]] المرجع إلى الله و الكل بيده ، فلا قدرة لغيره على هدى و لا ضلال ، لا[6] بإنزال [7] الآية و لا[7] غيره

٥ ﴿ ارسلنك ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ فى امة ﴾ و هى جماعة كثيرة من الحيوان ترجع[8] إلى معنى خاص لها دون غيرها ﴿ قد خلت ﴾ .

و لما كانت الرسل لم تعم[9] بالفعل الزمان كله ، قال : ﴿ من قبلها امم ﴾ طال أذاهم لأنبيائهم و من آمن بهم و استهزاءهم[10] فى عدم الإجابة إلى المقترحات و قول كل[11] أمة لنبيها عنادا بعد ما جاءهم من الآيات " لو لا

١٠ انزل عليه اية " حتى كأنهم تواصوا بهذا القول حتى فعل الرسل و أتباعهم - [فى -[2]] إقبالهم على الدعاء و إعراضهم عمن يستهزئ[12] بهم - فعل الآنس[13] من[14] الإنزال ﴿ لتتلوا ﴾ أى أرسلناك فيهم لتتلو ﴿ عليهم ﴾ أى تقرأ ؛ و التلاوة : جعل الثانى يلى الأول بلا فصل ﴿ الذى اوحينا اليك ﴾ من

---

(١) فى م : او (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دربناك (٤) فى ظ : عليك (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) فى مد : الا ، و سقط من ظ (٧-٧) فى ظ : الآية ، و فى مد : آية و لا - كذا (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يرجع (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم يعم (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : استهزوا بهم (١١) سقط من ظ (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يستهزوا - كذا (١٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الانس (١٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مع .

ذكر الله الذى هو أعظم الآيات ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ يكفرون ﴾ لا تملّ تلاوته[1] عليهم فى تلك الحال فان لنا فى هذا حِكما و إن خفيت، و ما أرسلناك و من قبلك من الرسل إلا لتلاوة ما يوحى، لا لطلب الإجابة إلى ما يقترح الأمم من الآيات ظنا أنها تكون سببا لإيمان أحد، نحن أعلم بهم. و هذا كله تسلية لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و قوله: ﴿ بالرحمن[2] ﴾ إشارة إلى كثرة حلمه و طول أناته[3]، و تصوير لتقبيح حالهم فى مقابلتهم الإحسان بالإساءة و النعمة بالكفر بأوضح صورة و هم يدعون أنهم أشكر الناس للاحسان و أبعدهم من الكفران. و لما تضمن كفرهم بالرحمن كفرهم بالقرآن و من أنزل عليه، و كان الكفر بالمنعم فى غاية القباحة، كان[5] كأنه قيل: فما ذا أفعل حينئذ أنا[4] و من اتبعنى؟ لا نتمنى[5] إجابتهم إلى مقترحاتهم إلا رجاء إيمانهم، و كان جوابهم عن الكفر بالموحى[6] أهم، بدأ به[6] فقال: ﴿ قل ﴾ عند ذلك إيمانا به ﴿ هو ﴾ أى الرحمن الذى كفرتم به ﴿ ربى ﴾ المربى لى[7] بالإيجاد و إدرار النعم، المحسن إلىّ لا غيره، لا أكفر إحسانه كما كفرتموه أنتم، بل أقول: إنه ﴿ لآ اله الا هو ج ﴾ أنا به واثق[8] فى التربية و النصرة و غيرها.

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تلاوتهم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اناباته (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ و م و مد: انى (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا تنتهى (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل: انهم بدايه، و فى ظ: أهم بداة ـ كذا (٧) سقط من مد (٨) من مد، و فى الأصل و ظ و م: واثقة.

ولما كان تفرده[1] بالإلهية علة لقصر الهمم عليه، قال: ﴿ عليه ﴾ أي وحده [2]لا شريك له[2] ﴿ توكلت ﴾ والتوكل: التوثق في تدبير النفس برده إلى الله على الرضى بما يفعل ﴿ واليه ﴾ أي لا إلى غيره ﴿ متاب ۝ ﴾ أي مرجعي، معنى بالتوبة وحسا بالمعاد، وهذا تعريض بهم في أن سبب كفرهم إنكار يوم الدين.

١٣٦ / ولما فرغ من الجواب / عن الكفر بالموحى[3]، عطف على "هو ربي" الجواب [4]عن الكفر بالوحي[4] فقال: ﴿ ولو ﴾ إشارة إلى أنه يعتقد في القرآن ما هو أهله بعد ما أخبر عن اعتقاده في الرحمن، أي وقل: لو ﴿ ان قرآنا ﴾ كانت به الآيات المحسوسات بأن ﴿ سيرت ﴾ أي بأدنى إشارة [5]من مشير ما[5] ﴿ به الجبال ﴾ أي فأذهبت على ثقلها وصلابتها عن وجه الأرض ﴿ او قطعت ﴾ أي كذلك ﴿ به الارض ﴾ أي على كثافتها فشققت فتفجرت منها الأنهار ﴿ او كلم به الموتى[1] ﴾ فسمعت [6]وأجابت[6] لكان هذا القرآن، لأنه آية لا مثل لها، فكيف يطلبون آية غيره! أو يقال: إن التقدير: لو كان شيء من ذلك بقرآن غيره لكان به - إقرارا لأعينكم - إجابة إلى ما تريدون، لكنه لم تجر عادة لقرآن قبله[7] بأن[8] يكون به ذلك، فلم يكن بهذا القرآن،

(١) من م و مد وفي الأصل: تعوده، وفي ظ: تعوذه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) من م و مد، وفي الأصل و ظ: بالوحي. (٤-٤) في ظ: عن الموحي، وفي مد: الكفر بالوحي - كذا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦ - ٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فاجابت. (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: قلبه (٨) في ظ: بل

لأن الله لم يرد ذلك[١] لحكمة علمها ، و ليس لأحد غير الله أمر فى خرق شيء من العادات ، لا لولى و لا لنبي و لا غيرهما حتى يفعل لأجلكم [بشفاعة - [٢]] أو بغيرها شيئا لم يرده[٣] الله فى الأزل[٤] ﴿ بل ﴾ و يجوز أن يكون التقدير : لو وجد شيء من هذا بقرآن يوما ما لكان بهذا القرآن ، فكان حينئذ يصير كل من حفظ منه شيئا فعل ما شاء من ٥ ذلك ، فسير به ما شاء[٥] من الجبال إلى ما أراد من الأراضى لما رام من الأغراض ، و قطع به ما طلب من الأرض أنهارا و جنانا و غيرها، و كلم به من اشتهى من الموتى ، ثم إذا فتح هذا الباب فلا فرق بين القدرة على هذا و القدرة على غيره ، فيصير من حفظ منه شيئا قادرا على شيء ، فبطلت حينئذ حكمة اختصاص الله سبحانه بذلك من أراد من خلص[٦] ١٠ عباده ، و أدى ذلك إلى أن يدعى من أراد من الفجرة أن أمر ذلك بيده ، يفعل فيه ما[٧] يشاء متى شاء ، فيصير ادعاءه مقرونا بالفعل شبهة[٨] فى الشرك ، و ليعلم قطعا[٩] أنه ليس فى يد أحد أمر ، بل ﴿ لله ﴾ أى الذى له صفات الكمال وحده ﴿ الامر ﴾ و هو ما يصح أن يؤمر فيه و ينهى ﴿ جميعا[١٠] ﴾ فى ذلك و غيره ، لا لى و لا لأحد من الأنبياء الذين قلتم ١٥

(١) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : بذلك (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لم يرد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاول (٥) زيد بعده فى الأصل و ظ : به ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها. (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : خالص (٧) سقط من م (٨) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : شبهته (٩) فى ظ : قط (١٠) تقدم فى مد على « و هو ما ».

إنى لست أدنى منزلة منهم ، و أما الخوارق التى كانت لهم فلو لا أن الله شاءها لما كانت ، فالأمر إليه وحده ، مهما شاء [كان -[1]] ، و ما[2] لم يشأ لم يكن . و كأن هذا جواب لما حكى فى السيرة النبوية أن الكفار تفتنوا[3] به؛ قال ابن إسحاق[4] : ثم إن الإسلام جعل يفشو بمكة فى قبائل قريش
٥ فى الرجال و النساء ، فاجتمع أشرافهم فأرسلوا إليه صلى الله عليه و سلم
/١٣٧ فكلموه فى الكف عنهم و عرضوا عليه أن / يملكوه عليهم و غير ذلك فأبى و قال : «إن الله[5] بعثنى إليكم رسولا ، و أنزل علىّ كتابا ، و أمرنى أن أكون لكم بشيرا و نذيرا ، فقالوا : [فانك -[6]] قد علمت[7] أنه ليس أحد من الناس أضيق بلدا و لا أقل ماء و لا أشد عيشا منا ، فسل لنا ربك
١٠ الذى بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى قد ضيقت علينا ، و ليبسط لنا بلادنا ، و ليخرق[8] فيها أنهارا كأنهار الشام و العراق - زاد البغوى[9] : فلست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسبح[10] معه ، أو سخر لنا الريح فنركبها إلى الشام لميرتنا[11] ، و نرجع فى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : من (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نفتوا - كذا (٤) راجع سيرة ابن هشام ١/١٠٠ ، و صاحبنا البقاعى قد توخى ما يمكن من الاختصار فى سرد هذه الأحداث (٥) زيد بعده فى الأصل : قد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و السيرة فحذفناها (٦) زيد من ظ و م و مد و السيرة (٧) من ظ و م و مد و السيرة ، و فى الأصل : علمنا (٨) فى السيرة : ليفجر لنا (٩) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التنزيل ٤/١٩ (١٠) فى ظ : فسبح (١١) فى مد : بميرتنا ؛ و زيد بعده فى المعالم : و حوائجنا .

يومنا فقد سخرت الريح لسليمان كما زعمت - رجع إلى ابن إسحاق: وليبعث لنا من مضى من آبائنا، وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب، فانه [كان -[1]] شيخ صدق، فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل! فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله، وأنه بعثك إلينا رسولا كما تقول - زاد[2] البغوى: فان[3] عيسى كان[4] يحيي الموتى، ولست بأهون على ربك منه». فكان[5] سؤالهم هذا متضمنا لادعائهم أن دعواه إنزال القرآن لا تصح إلا أن فعل هذه الأشياء.

ولما كان هذا كله إقناطا من حصول الإيمان لأحد بما يقترح، تسبب[6] عنه الإنكار على من لم يفد فيه ذلك فقال تعالى: ﴿أفلم﴾ بفاء السبب ﴿يايئس الذين آمنوآ﴾ من إيمان مقترحي الآيات بما يقترحون لعلمهم[7] ﴿ان[8]﴾ أي بأنه ﴿لو يشآء الله﴾ - أي الذي له صفات الكمال - هداية كل أحد مشيئة مقترنة بوجوده ﴿لهدى الناس﴾ وبين أن اللام للاستغراق بقوله: ﴿جميعا[9]﴾ أي بأيسر مشيئة، والعلم بالشيء يوجب اليأس من خلافه،

---

(١) زيد من السيرة (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: قال (٣) من م و مد و المعالم، وفي الأصل: قال، وفي ظ: كان (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: فكا - كذا (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: تسهب (٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ: لعلهم (٨) زيد بعده في م: لو.

لكنه لم يهدهم[1] جميعا فلم يشأ ذلك ، و لا يكون[2] إلا ما شاءه ، فلا يزال فريق منهم كافرا ، فقد وضح أن "ييئس" على بابها ، و كذا فى البيت[3] الذى استشهدوا به على أنها بمعنى 'علم' يمكن أن يكون[4] معناه : ألم تيأسوا عن أذاى أو عن قتلى علما منكم بأنى ابن فارس زهدم ، فلا يضيع[5] لى ثأر ، و كذا قراءة على[6] و من معه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين[7] «افلم يتبين الذين امنوا[8]» أى أن أهل الضلال لا يؤمنون لآية من الآيات علما منهم بأن الأمر لله جميعا ، و أن إيمانهم ليس موقوفا على غير مشيئته .

و لما علم من ذلك أن بعضهم لا يؤمن ، ضاقت صدور المؤمنين

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يهديهم (٢) زيد بعده فى الأصل و ظ : ما ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) هو لسحيم بن وثيل الرياحى :

أقول لهم بالشعب إذ يأسرونى ألم تيأسوا أنى ابن فارس زهدم

راجع البحر ٥/٣٩٢ و لباب التأويل ٤/١٩ (٤) فى مد : يقول (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دهوهم فلا يطيع - كذا (٦) راجع نثر المرجان فى رسم نظم القرآن ٣/٣١٥ (٧) سقط من م (٨) قال الزمخشرى: هو تفسير "افلم ييئس"، و قيل: إنما كتبه الكاتب و هو ناعس مستوى السينات- و هذا و نحوه مما لا يصدق فى كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه ، و كيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتى الإمام و كان متقلبا فى أيدى أولئك الأعلام المحتاطين فى دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله و دقائقه - راجع الكشاف ١/٤٩٧ .

لذلك لما يعاينونه[1] من أذى الكفار ، فأتبعه ما يسليهم[2] عاطفا على ما[3] قدرته من نتيجة عدم المشيئة ، فقال : ﴿ و لا يزال الذين كفروا ﴾ أى ستروا ضياء عقولهم ﴿ تصيبهم بما / صنعوا ﴾ أى مما مرنوا عليه من الشر حتى صار لهم طبعا[4] ﴿قارعة﴾ أى داهية[5] تزعجهم بالنقمة من بأسه على يد من يشاء ، و هو من الضرب بالمقرعة ﴿ او تحل ﴾ أى تنزل نزولا ثانيا تلك القارعة ﴿ قريبا من دارهم ﴾ أى فتوهن أمرهم ﴿حتى ياتى وعد الله[6] ﴾ أى الملك الأعظم بفتح مكة أو بالنصر على جميع الكفرة فى زمن عيسى عليه السلام فينقطع ذلك ، لأنه لا يُبقى على الأرض كافرا ، و فى غير ذلك من الأزمان كزمن فتح مكة المشرفة ، فيكون المعنى خاصا بالبعض ﴿ان الله﴾ أى الذى له مجامع الكمال ﴿لا يخلف الميعاد[6] ﴾ [6]أى الوعد و لا زمانه و لامكانه[6] ؛ و الوعد : عقد الخبر[7] بتضمن النفع ، و الوعيد : عقده[8] بالزجر و الضر ، و الإخلاف : نقض ما تضمن[9] الخبر من خير أو شر .

و لما تم الجواب عن كفرهم بالموحى و ما أوحاه إليه و ما اشتد

(١) من م و مد ، و فى الأصل : عاينوه ، و فى ظ : يعاينوا - كذا (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سئلهم (٣) سقط من ظ (٤) سقط من مد .
(٥) فى م : قارعة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) من م ، و فى الأصل وظ ومد : الخير (٨) من م ، و فى الأصل وظ ومد : عقد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يضمن .

تعلقه به ، عطف[1] على ذلك تأسية بالموحى[2] إليه صلى الله عليه و سلم ، لأن الحاث[3] على تميز[4] الإجابة إلى الآيات المقترحات استهزاء الكفار ، فقال : ﴿ و لقد استهزئ ﴾ أى من أدنى الخلق و غيرهم ﴿ برسل ﴾ .

٥ و لما كان الإرسال لم يعم[5] جميع الأزمان فضلا عن الاستهزاء ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبلك ﴾ لعدم إتيانهم بالمقترحات ؛ و الاستهزاء : طلب الهزوء ، و هو الإظهار خلاف الإضمار للاستصغار ﴿ فامليت ﴾ أى فتسبب عن استهزائهم ذلك أنى أمليت ﴿ للذين كفروا ﴾ أى أمهلتهم فى خفض و سعة كالبهيمة يملى لها ، أى[6] يمد فى المرعى ، و لم أجعل

١٠ ذلك سببا لإجابتهم إلى ما اقترحوا و لامعاجلتهم بالعذاب فعل الضيق الفطن[7] ﴿ ثم ﴾ بعد طول الإملاء[8] ﴿ اخذتهم ﴾ أى أخذ قهر و انتقام ﴿ فكيف ﴾ أى فكان أخذى لهم سببا لأن يسأل من كان يستبطىء رسلنا أو يظن بنا تهاونا بهم ، فيقال له : كيف ﴿ كان عقاب ﴾ فهو استفهام معناه التعجب[9] مما حل بالمكذبين و التقرير ، [و -[10]] فى ضمنه

١٥ وعيد شديد .

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عطفا (٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : الموحى (٣) فى مد : الحادث (٤) فى ظ : تميز (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لم يقم (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : اتى ، و سقطت هذه الكلمة مع الفعل الذى بعدها من م (٧) فى مد : الطعن (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاحلا ـ كذا (٩) فى مد : التعجيب (١٠) زيد من ظ و م و مد .

فلما تقرر - بما مضى من قدرته تعالى على الثواب و العقاب و خفضه الأرضين و رفعه[1] السماوات و نصبه الدلالات بباهر الآيات البينات - أن ليس لأحد غيره أمر ما ، و تحرر أن كل أحد فى قبضته ، تسبب عن ذلك أن يقال : ﴿ افمن هو قآئم ﴾ و لما كان القيام دالا على الاستعلاء أوضحه بقوله : ﴿ على كل نفس ﴾ أى صالحة و غيرها[2] ﴿ بما كسبت[4] ﴾ ٥ - يفعل بها ما يشاء من الإملاء و الأخذ و غيرهما - كمن ليس كذلك ، مثل شركائهم التى ليس لها قيام على شىء [أصلا -[3]] .

و لما كان الجواب قطعا / : ليس كمثله شىء ، كان كأنه قيل استعظاما لهذا السؤال : من الذى توهم أن له مثلا ؟ فقيل : الذين كفروا [به -[3]] ١٣٩ / ﴿ و جعلوا لله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ شركاء[5] ﴾ و يجوز أن يقدر لـ "من" ١٠ خبر معناه : لم يوحدوه[5] ، و يعطف عليه " و جعلوا " ، فكأنه قيل : فما ذا[6] يفعل بهم ؟ فقيل : ﴿ قل سموهم[5] ﴾ بأسمائهم الحقيقية ، فانهم إذا سموهم و عرفت حقائقهم أنها حجارة أو غير ذلك مما هو[6] مركز العجز و محل الفقر ، عرف ما هم عليه من سخافة العقول و ركاكة الآراء ، ثم قل لهم : أرجعتم عن ذلك إلى الإقرار بأنهم من جملة عبيده ﴿ ام تنبئونه ﴾ أى ١٥ تخبرونه إخبارا عظيما ﴿ بما لا يعلم ﴾ و علمه[7] محيط بكل شىء ﴿ فى الارض ﴾ من كونها آلهة ببرهان قاطع .

---

(١) فى ظ : رفعة (٢) فى م : غيرهم (٣) زيد من م و مد (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لم يوجدوه (٥) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ما ذا . (٦) سقط من مد (٧) فى مد : هو .

﴿ ام بظاهر من القول[1] ﴾ أى بحجة إقناعية[1] تقال بالفم ، وكل ما لا يعلمه فليس بشىء ، وهذا قريب مما مضى فى قوله "ام جعلوا لله[2] شركاء خلقوا كخلقه" فى أنه لو كان كذلك كان شبهه فيها ظهور ما ، وهذه الأساليب منادية[3] على الخلق بالعجز ، وصادحة[4] بأنه ليس من كلام الخلق .

ولما كان التقدير : ليس لهم على شىء من ذلك برهان قاطع ولا قول ظاهر ، بنى عليه قوله : ﴿ بل زين ﴾ أى[5] وقع التزيين بأمر [من -[6]] لا يرد أمره على يد من كان ﴿ للذين كفروا ﴾ أى لهم ، وعبر بذلك تنبيها على الوصف الذى دلاهم[7] إلى اعتقاد الباطل ، وهو ستر ما أدى إليه برهان العقل المؤيد بدليل النقل ﴿ مكرهم ﴾ أى أمرهم الذى أرادوا به ما يراد بالمكر من إظهار شىء وإبطان غيره ، وذلك أنهم أظهروا أن شركاءهم آلهة حقا ، وهم يعلمون بطلان ذلك ، وليس بهم فى الباطن إلا تقليد الآباء ، وأظهروا أنهم يعبدونها لتقربهم إلى الله زلفى ولتشفع لهم ، وهم[8] لا يعتقدون بعثا ولا نشورا ، [9] فصار كل[9] ذلك من فعلهم فعل الماكر ، أو[10] أنهم غيروا فى وجه الحق بما ختلوا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اماعته - كذا (٢) سقط من مد (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : متادية (٤) فى ظ : صادقه (٥) من م و مد ، و فى الأصل وظ : او (٦) زيد من مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دلالهم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هؤلاء (٩ - ٩) فى مد : فكل . (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : « و » .

[به الضعفاء - [1]] و تمادى بهم الحال حتى اعتقدوه حقا .

و مادة [مكر - [2]] بأى ترتيب كان [3] : مكر ، ركم ، رمك ، كرم ، كمر ؛ تدور على التغطية و الستر ، فالمكر : الخديعة ، قالوا : و هو الاحتيال بما لا يظهر [4] ، فاذا ظهر [5] فذلك الكيد ، و يلزم [6] منه الاجتهاد فى ضم أشتات [7] الأمر لستر ما يراد ، فمن الضم المكر [8] الذى هو حسن [8] خدالة الساق أى امتلائها ، و يلزم منه خصب البدن و نعمته ، و كان منه المكر - لضرب من النبات ، و الواحدة مكرة ، سميت مكرة لارتوائها ، أبو حنيفة : المكر من عشب القيظ ، و هى عشبة غبراء ليس فيها ورق ، و هو ينبت فى السهل و الرمل - كأنه شبه بالساق لخلوه من الورق أو لأنه لغبرته [9] و تجرده كالمستور [10] ، / و المكر : طين أحمر يشبه بالمغرة - كأنه سمى بذلك لما فيه من الكدرة ، و المكرة من البسر : التى ليست برطبة و لكن فيها لين [11] - كأنها سميت به لكون لونها حينئذ يأخذ فى الكدرة ؛ و الركم : إلقاء الشىء بعضه على بعض فهو مركوم و ركام ، و تراكم الشىء [12] - إذا تكاثف بعضه على بعض ، و ذلك مظنة الخفاء ، ١٠ / ١٤٠

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤) هذا قول الليث - راجع التاج (٥) فى مد : اظهر (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لم يلزم (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اسبتات - كذا .
(٨-٨) تكرر ما بين الرقمين فى مد بعد « منه المكر » (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لغيرته (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كالمشهور .
(١١) من م و مد ، و فى الأصل : هين ، و فى ظ : يهن (١٢) فى مد : الشر .

و الركمة : الطين المجموع [1]وكذا التراب المجموع[1] ، و قال : و جُزّ عن مرتكم الطريق[2] - يريد المحجة ، لأن ترابها [تلبد فاشتد -[2]] تلبده ، و الرمك و الرمكة - بالضم - من ألوان الإبل و هو أكدر من الورقة و هولون خالطت[4] غبرته سوادا[5]، فهو أرمك - لأنه مظنة لخفاء ما فيه، و منه اشتقاق الرامك ، و هو أخلاط تخلط بالمسك فتجعل سكا[6] ، و رمك الرجل بالمقام - إذا أقام[7] به ، لأنه يستره بنفسه و أمتعته و يستتر هو فيه ، و أرمكت غيرى - إذا ألزمته مكانا يقيم فيه[8] ، و الرمكة : الأنثى من البراذين[9] - فارسى معرب ، لأنها تستر أصالة العربى إذا ولدته ، و رمكان : موضع معروف - معرفة[10] ، و يقال : رمك الرجل - إذا هزل و ذهب ما فى يده فستر عنه أو صار هو مستورا بعد أن كان بحسن حاله مشهورا ، و رمكت البازى و الصقر[11] ترميكا - إذا أشرت إليه بالطير لأنك سلبت عنه الستر ؛ و اليرموك : مكان به لهب عظيم[2]، يستر ما يكون فيه ؛ و الكريم : ضد اللئيم ، و هو البخيل المهين النفس ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من م و مد . (٤) فى ظ : خالط (٥) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : سواد (٦) فى مد : شبكا - كذا (٧) فى ظ : قام (٨) فى م : به (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : البوازين ، و راجع أيضا القاموس (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لعرفه - كذا (١١) من م و مد ، و فى الأصل : الصقه ، و فى ظ : الصفة - كذا .

الخسيس الآباء، فاذا كان شحيحا و لم تجتمع [له - [1]] هذه الخصال قيل له: بخيل، و لم يُقل: لئيم، فالكريم إذن من ستر مساوئ الأخلاق باظهار معاليها، و تكرّم - إذا تنزه عن الدناءة و رفع نفسه عنها، وأصل الكرم فى اللغة: الفضل و الرفعة، فاذا قالوا: فلان كريم، فانما يريدون[2] رفيعا فاضلا، فيلزم الكرم ستر العيوب، و الله الكريم أى الفاضل الرفيع - كذا قال بعض أهل اللغة، و قيل: الصفوح عن الذنوب، و قيل: الذى لا يمن إذا أعطى، و إذا قالوا[3]: فلان أكرم قومه، فانما يريدون[2]: أرفعهم منزلة و أفضلهم قدرا، و كل هذا يلزم [منه - [1]] السخاء و ستر[4] الذنوب، و من هذا قيل: فرس كريم، و شجرة كريمة - إذا كانت أرفع من نظائرها و أفضل، "انى القى الى كتب[5] كريم" أى رفيع شريف - كأنه أطلق هنا على ما فيه مجرد فضل تشبيها بالكريم فى جزء المعنى، و كارمت الرجل: فعل كل منا فى حق صاحبه مقتضى الكرم، و الكرم: شجر العنب و لا يسمى به غيره، و الكروم: قلائد تتخذها النساء كالمخانق، لدلالتها[6] [7]على قدر[7] صاحبتها، و الكرامة: طبق يوضع على رأس الحب - لأنه غطاءه، و لا يغطى إلا ما له فضل، و [منه - [8]] يقولون: لك الحب و الكرامة، و الكرم: القصير من

(١) زيد من م و مد (٢) فى ظ: يرون (٣) فى الأصول: قلت (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يستر (٥) سقط من ظ، و راجع سورة ٢٧ آية ٢٩.
(٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ادلالتها - كذا (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد من ظ و م و مد.

الرجال - كأنه[1] شبه بطبق الحب ؛ و الكمرة - محركة : طرف قضيب الإنسان خاصة ، سميت بذلك لسترها القلفة ، و رجل مكمور - إذا قطع الخاتن / كمرته ، و تكامر الرجلان - إذا تكابرا بأيريهما[3] ، و قال فى القاموس: و تكامرا : نظرا أيهما أعظم كمرة ، و الكمرى : الرطب ما لم يرطب على شجره ، بل سقط[4] بسرا فأرطب[5] فى الأرض - كأنه سمى[6] بذلك لأنه يكون أكدر مما[6] يرطب على الشجر ، و هو أيضا يشبه الكمرة فى تكوينها ، و الكمرى عن ابن دريد[7] : الرجل القصير ، كأنه شبه بالرطبة ، و قال غيره : هو اسم مكان .

/ ١٤١

و لما ذكر تزيين مكرهم ، أتبعه الدلالة عليه فقال : ﴿ و صدوا ﴾ أى فلزموا ما زين لهم ، أو فكروا به حتى ضلوا[8] فى أنفسهم و صدوا غيرهم ﴿عن السبيل[9] ﴾ الذى لا يقال لغيره سبيل و هو المستقيم ، فان غيره جور و تيه و حيرة[10] فهو عدم ، بل العدم أحسن منه ، فلم يسلكوا السبيل و لا تركوا غيرهم يسلكه ، فضلوا و أضلوا ، و ليس ذلك بعجب فان الله أضلهم ﴿ و من يضلل الله ﴾ أى الذى له الأمر كله بارادة ضلالة[10] ﴿فما له من هاد ﴾ فكأنه قيل : فما ذا[11] لهم على ما فعلوا من ذلك ؟ فقيل :

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لانه (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بايرهما (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : يسقط (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فارطاب (٥) فى م : يسمى (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : هما (٧) راجع الجمهرة ٣/٤٠٦ (٨) فى ظ : صدوا (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : حيزه (١٠) فى ظ : ضلالهم (١١) فى م : فما .

﴿ لهم ﴾ أى الذين كفروا ﴿ عـــذاب ﴾ و هو الألم المستمر ، و منه العذب[1] لأنه يستمر فى الحلق ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ شاق[2] ، بممانعة حزب الله لهم فى صدهم عن السبيل إلى ما يتصل بذلك من قتل و أسر ، و لهم فى الآخرة إن ماتوا على ذلك عذاب ﴿ و لعذاب الأخرة اشق ج ﴾ أى أشد فى المشقة ، و هى غلظ الأمر على النفس بما يكاد[3] يصدع[4] القلب ٥ ﴿ و ما لهم من الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ من واق ٥ ﴾ أى مانع يمنعهم إذا أراد بهم سوءا فى الدنيا و لا فى الآخرة ، و الواقى فاعل الوقاية ، و هى الحجر بما يدفع الأذية .

و لما توعدهم على تفريطهم فى جانب الله ، تشوفت[5] النفس إلى ما لأضدادهم ، فكان كأنه قيل : فما[6] لمن عادا هم[7] فى الله ؟ فقيل[8]: الجنة ، فكأنه ١٠ قيل : [9]و ما[9] هى ؟ فقيل : إنها فى الجلال ، و علو الجمال ، و كرم الخلال ، مما تعالى[10] عن المنال[11]، إلا بضرب الأمثال ، فقيل : ما مثلها ؟ فقيل : ﴿ مثل الجنة التى ﴾ و لما كان المقصود حصول الوعد الصادق و لا سيما و قد علم أن الواعد هو الله ، بنى للمفعول قوله : ﴿ وعد المتقون[1] ﴾ و الخبر محذوف تقديره : ما أقص عليكم[12] ، و هو أنها بساتين : قصور و أشجار . ١٥

(١) فى الأصول : العذاب (٢) سقط من م (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يصرع (٥) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : تشوقت (٦) فى ظ و م و مد : ما (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : دعاهم (٨) فى مد : فقال (٩-٩) فى مد : فما (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعالى (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المثال (١٢) فى ظ : عليك .

فقال الزجاج[1] : الخبر جنة مخبر عنها بما ذكر ليكون تمثيلا لما غاب عنا[2] بما نشاهد ﴿تجرى﴾ . و لما كانت - لو عمها الماء الجارى - بحرا لا بساتين، أدخل الجار للدلالة على أنه خاص ببعض أرضيها[3] فقال : ﴿من تحتها﴾ أى قصورها و أشجارها ﴿الانهر[4]﴾ وقيل : هذا المذكور هو الخبر كما تقول : صفة زيد أسمر[4] .

و لما كان هذا ريّا[5] حقيقيا فى أرض هى فى غاية الخلوص و الطيب، كان سببا لدوام ثمرها[6] و استمساك ورقها، فلذلك[7] / أتبعه قوله : ﴿اكلها﴾ أى ثمرها الذى يؤكل ﴿دآئم﴾ لا ينقطع أبدا ﴿و ظلها[5]﴾ ليس كما فى الدنيا، لا ينسخ بشمس و لا غيرها ، قال أبو حيان[8]: تقول : مثلت الشيء - إذا وصفته و قربته للفهم، و ليس هذا ضرب مثل، فهو كقوله "و لله المثل الاعلى[9]"، أى الصفة العليا[10] - كذا قال، و يمكن أن يكون[11] ذلك حقيقة، و يكون هناك محذوف، و هو جنة من جنان[12] الدنيا تجرى من تحتها الأنهار - إلى آخره، و هو من[13] قول الزجاج[14] .

/ ١٤٢

ثم ابتدأ إخبارا آخر تعظيما لشأنها و تفخيما لأمرها فى قوله تعالى :

---

(١) راجع لقوله هذا البحر المحيط ٥/٣٩٦ (٢) من م، و فى الأصل وظ ومد : عنها (٣) فى م : اراضيها (٤) من ظ و م ومد و البحره /٣٩٦ ، و فى الأصل : استمر - كذا (٥) من م، و فى الأصل و ظ و مد : رديا (٦) فى مد : ثمرها . (٧) من م و مد ، و فى الأصل : كذلك ، و فى ظ : فذلك (٨) راجع البحر ٥/ ٣٩٥ (٩) سورة ١٦ آية ٦٠ (١٠) فى ظ : العلى (١١) زيد فى مد : لذلك . (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جنات (١٣) فى ظ : منه (١٤) قال أبو على : لا يصح ما قال الزجاج لا على معنى الصفة و لا على معنى الشبه لأن الجنة التى قدرها جنة فلا تكون الصفة ، و لأن الشبه عبارة عن المماثلة التى بين المتماثلين و هو حدث و الجنة جنة فلا تكون المماثلة - راجع البحر ٥/ ٣٩٦ .

تلك

﴿ تلك ﴾ أى الجنة العالية[1] الأوصاف ﴿ عقبى ﴾ أى آخر أمر ﴿ الذين اتقوا ﴾ ثم كرر الوعيد للكافرين فقال: ﴿ وعقبى ﴾ اى منتهى أمر ﴿ الكفرين ﴾ بالرحمن، المتضمن للكفر [بالوحى -[2]] والموحى إليه ﴿ النار ﴾.

ولما وصف العالمين[3] بأن المنزل إليه هو الحق برجاحة العقول وأصالة الأداء المؤدية إلى الصلاح الموجب لكل سعادة، والكافرين به بضعف العقول الدافع إلى الفساد الموصل إلى سوء الدار، ومر فيما يلائمه إلى[4] أن ختمه بمثل ما ختم به ذلك؛ عطف على ذلك قوله - ويمكن أن يكون اتصاله بما قبله أنه معطوف على محذوف هو علة لختم[5] الآية السالفة، تقديره: لأنهم ساءهم ما أنزل إليه حسدا وجهلا -: ﴿ والذين آتيناهم ﴾ أى بما لنا من العظمة التى استنقذتهم[6] من الضلال ﴿ الكتب ﴾ ولم يكفروا[7] بالرحمن ولا بما أنزل ولا بمن[8] أرسل ﴿ يفرحون بما ﴾ ولما كان المنزل دالا بإعجازه على المنزل، بنى للمفعول قوله: ﴿ انزل اليك ﴾ أى من هذا الكتاب الأعظم لموافقته[9] تلك الكتب لأن كلام الله كله من مشكاة[10] واحدة، وتخصيصهم لأنهم هم[11] المنتفعون بالكتاب دون غيرهم، فكأنه ما أنزل إلا إليهم، وهذا العطف

(١) فى م: العلية (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: للعالمين (٤) من م و مد، وفى الأصل: التى، وفى ظ: إلا (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الختم (٦) فى مد: استقدتم - كذا (٧) فى ظ: لا يكفروا (٨) فى ظ: بما (٩) من مد، وفى الأصل و ظ و م: لموافقة (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مشتكاة (١١) فى ظ: كانوا.

يرجح أن يكون الموصول[1] هناك مرفوعا بالابتداء ﴿و من الاحزاب﴾ من أهل الأوثان و الكتاب الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم ﴿من ينكر بعضه[1]﴾ كالتوحيد و نعت الإسلام و نبوة النبي صلى الله عليه و سلم و ما يتبع ذلك مما حرفوه و بدلوه، و يريد[2] أن يكون الأمر تابعا فيه لغرضه، فالمشركون[3] يريدون أن تمدح آلهتهم فى بعض الآيات أو أن يسقط وصفها بالعيب، و اليهود يريدون أن ينزل ما يوافق فروع التوراة كما أنزل ما وافق الأصول، و ينكرون النسخ[4]، و أهل الإنجيل يريدون أن ينزل فى[5] المسيح ما يهوون و نحو ذلك؛ قال المفسرون: كانوا لا ينكرون الأقاصيص و بعض الأحكام و المعانى مما هو ثابت فى كتبهم غير محرف، فلكفرهم[6] بذلك البعض أمره أن يعلمهم باعتقاده كفروا[7] أو شكروا فقال: ﴿قل انما امرت﴾ أى وقع الأمر الجازم الذى لا شك فيه و لا تغير ممن[8] له الأمر كله ﴿ان اعبد الله﴾ أى الذى لا شىء مثله وحده، و لذلك قال: ﴿و لا اشرك به[1]﴾ لا أفعل إلا ما يأمرنى به من غير / نظر إلى سواه، دينى مقصور[9] على ما أنكرتموه ﴿اليه﴾ وحده ﴿ادعوا و اليه﴾ خاصة ﴿مآب﴾ أى إيابى

/١٤٣

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الموصل (٢) من ظ و م ومد، و فى الأصل: يويد (٣) من ظ وم ومد، و فى الأصل: والمشركون (٤) من م ومد، و فى الأصل و ظ: الفسخ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فن (٦) من ظ و م ومد، و فى الأصل: و لكفرهم (٧) من م و مد، و فى الأصل وظ: لو (٨) فى ظ: من (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مقصود.

و مكانه و زمانه ، معنى بالتوبة عند الفتور عن القيام بحقه ، و حسا بالبعث للجزاء[١] ؛ و الكتاب : الصحيفة التى فيها الخط - و هو[٢] الكتابة ، و هى تأليف الحروف التى تقرأ فى الصحيفة ، [٣]و الفرح : لذة القلب التى تجلى الهم بنيل المشتهى[٤] ، و الحزب : الجماعة التى تقوم[٥] بالنائبة .

و لما بينت هذه الآيات من مراتب الإعجاز ما بينت ، أتبع تعالى ٥ ذكر ما أنزل قوله : ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل هذا الإنزال ، البديع المثال ، البعيد المنال ؛ و لا يبعد أن يكون عطفا على "كذلك[٦] ارسلنك" أو مثل إنزال[٧] كتب أهل الكتاب ﴿ انزلنه ﴾ بما لنا من العظمة حال كونه ﴿ حكما عربيا[٨] ﴾ أى ممتلئا حكمة تقضى بالحق ، فائقا لجميع الكتب بهذا الوصف ؛ و الحكم : القطع بالمعنى على ما تدعو إليه الحكمة ، و هو ١٠ أيضا فصل الأمر على الحق ؛ فالمعنى أنه لا يقدر أحد على نقض شىء منه ، فان ذلك فى الحقيقة هو الحكم ، و ما ليس[٨] كذلك فليس بحكم ، و العربى : الجارى على مذاهب العرب فى كلامها[٩] ، فلا تلتفت إلى ما تدعوهم إليه أهويتهم فيقترحونه من تأييدك بملك أو إتحافك بكنز أو تركك لبعض ما يوحى إليك من سبب آلهتهم و تسفيه أحلامهم ١٥

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا تجزا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هى (٣) العبارة من هنا إلى « تقوم بالنائبة » ساقطة من مد (٤) فى ظ : المنتهى (٥) من م ، و فى الأصل و مد : تقرب ، و فى ظ : تقوب - كذا. (٦) فى ظ : ذلك (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : ما انزل الكتب ، و فى مد : انزال الكتب (٨) زيد بعده فى ظ : له (٩) فى ظ : كلامهم .

و تضليل آبائهم أو غير ذلك من طلباتهم التى لو أتيتهم بها لم يكونوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله - هذا فى عباد الأوثان، وكذا فى أهل الكتاب فيما يدعون إليه من العود إلى قبلتهم ونحوه ﴿ و لئن اتبعت اهوآءهم ﴾ فى شىء من ذلك من النسخ أو غيره فى القبلة أو غيرها و لا سيما مما يطلبونه من الآيات المقترحة كما قال تعالى "و لئن اتيت[1] الذين اوتوا الكتب بكل اٰية ما تبعوا قبلتك[2] و ما انت بتابع قبلتهم و ما بعضهم بتابع قبلة بعض[2] و لئن اتبعت اهواءهم"- الآية . و لما كان المراد التعميم فى الزمان، نزع الجار[3]، و أتى بـ"ما" لأنها[4] أعم من 'الذى' و أشد إبهاما، فهى الخفى معنى، فناسب سياق الوحى الذى هو غيب، و معناه غامض - إلا لبعض الأفراد - فى الأغبياء بخلاف آية البقرة الأولى[5] فانها فى الملة الإبراهيمية المدركة بنور العقل الناشئ عن نظر المحسوسات فقال: ﴿ بعد ما جآءك ﴾ و لما كان قد أنعم عليه صلى الله عليه و سلم بأشياء غير العلم، بين[6] المراد بقوله: ﴿ من العلم[7] ﴾ أى بالوحى بأن ذلك الاتباع لا يردهم سواء [7]كان [ذلك - [8]] الاتباع[9] فى أصول الشريعة أو فروعها خفية كانت أو جلية .

(١) فى ظ : اتبعت (٢ - ٢) من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٢ آية ١٤٥ ، و فى الأصل : الى قوله (٣) العبارة من هنا إلى «نظر المحسوسات» ساقطة من م (٤) فى ظ : لانه (٥) راجع آية ١١٩ (٦) من م ومد ، و فى الأصل : متن ، و فى ظ : متى (٧) العبارة من هنا إلى « الأهواء قال » ساقطة من م . (٨) زيد من مد (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاتسا - كذا .

و لما

و لما كان المشروط استغراق جميع زمان البعد باتباع الأهواء، قال: ﴿ ما لك ﴾ حينئذ ﴿ من الله ﴾ أى الملك الأعلى، و أعرق فى النفى فقال: ﴿ من ولى ﴾ أى ناصر[1] يتولى [من -[2]] نصرك و جميع أمرك ما يتولاه القريب مع قريبه. و لما كان مدلول 'ما' أعم من مدلول[3] 'الذى' لشمولها الظاهر و الخفى، و كان من خالف[4] الخفى أعذر ممن خالف الظاهر، نفى الأخص من النصير فقال: ﴿ و لا واق ﴾ [5]أى يقيك بنفسه / فيجعلها دون نفسك، و قد يوجد من الأنصار من لا يسمح بذلك[5]، و هذا بعث للأمة و تهييج على الثبات فى الدين و التصلب فيه؛ و الهوى - مقصورا: ميل الطباع إلى الشىء بالشهوة، و العلم: تبين[6] الشىء على ما هو به. / ١٤٤

و لما حسمت الأطماع عن إجابتهم رجاء الاتباع أو خشية الامتناع، و كان بعضهم قد قال: لو كان نبيا شغلته نبوته[7] عن كثرة التزوج، كان موضع توقع الخبر عما كان للرسل فى نحو ذلك، فقال تعالى: ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ رسلا ﴾ و لما كانت أزمان الرسل غير عامة لزمان القبل، أدخل[8] الجار فقال: ﴿ من قبلك ﴾ أى و لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا، ﴿ و ﴾ أثقلنا ظهورهم بما يدعو إلى

(١) العبارة من هنا إلى « النصير فقال » ساقطة من م (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: المدلول (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: خالق.
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تبيين.
(٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بنبوته (٨) فى ظ: ادخال.

المداراة و المسالمة بارضاء[1] الأمم فى بعض أهوائهم ، أو فصل الأمر عند تحقق المصارمة بانجاز الوعيد بأن ﴿جعلنا﴾ أى[2] بعظمتنا ﴿لهم ازواجا﴾ أى نساء ينكحونهن[3] ؛ و الزوج : القرين من الذكر و الأنثى ، و هو هنا الأنثى ﴿و ذرية[4]﴾ و هى الجماعة المتفرقة بالولادة عن أب واحد فى الجملة ، و فعل بهم أممهم ما يفعل بك من الاستهزاء ، فما اتبع أحد منهم شيئا من أهواء أمته ﴿و﴾ لم نجعل إليهم الإتيان بما يقترح المتعنتون[5] من الآيات تألفا لهم ، بل ﴿ما كان لرسول﴾ أىّ رسول كان ﴿ان يأتى بآية﴾ مقترحة أو آية ناسخة لحكم من أحكام شريعته أو شريعة من قبله أو غير ذلك ﴿الا باذن الله[6]﴾ أى المحيط بكل شىء علما و قدرة ، فان[7] الأمور عنده ليست [على - [6]] غير نظام و لا مفرطا فيها و لا ضائعا شىء[8] منها [بل - [8]] ﴿لكل اجل﴾ أى غاية أمر قدره وحده لأن يكون عنده أمر من الأمور ﴿كتاب﴾ قد أثبت فيه أن أمر كذا يكون فى وقت كذا من الثواب و العقاب و الأحكام و الإتيان بالآيات و غيرها ، إثباتا و نسخا على ما تقتضيه الحكمة ، و الحكمة اقتضت أن النبوة يكفى فى إثباتها معجزة واحدة ، و ما زاد على ذلك فهو إلى المشيئة ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿يمحوا الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿ما يشآء﴾ أى محوه

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بارض (٢) زيد بعده فى مد : بما لنا (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ينكحوهن (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد ، المفتون (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بان (٦) زيد من ظ و م و مد . (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : شيئا (٨) زيد من م و مد .

من الشرائع و الأحكام و غيرها بالنسخ فيرفعه ﴿و يثبت ج﴾ ما[1] يشاء إثباته من ذلك بأن يقره و يمضى حكمه كما قال تعالى "ما ننسخ من آية[2] او ننساها[2] - إلى قوله تعالى: الم تعلم ان الله على كل شيء قدير" كل ذلك بحسب المصالح التابعة[3] لكل زمن، فانه العالم بكل شيء، و هو الفعال لما يريد لا اعتراض عليه، و قال الشافعى رحمه الله تعالى فى الرسالة[4]: يمحو فرض ما يشاء و يثبت فرض ما يشاء[5]. و إثبات واو "يمحوا" فى جميع المصاحف مشير[6] - بما ذكر أهل الله من أن الواو معناه العلو و الرفعة - إلى أن بعض الممحوات تبقى آثارها عالية، /فانه قد يمحو عمر شخص بعد أن كانت له آثار جميلة، فيبقيها سبحانه و ينشرها و يعليها، و قد يمحو شريعة ينسخها و يبقى منها آثارا صالحة تدل على ما أثبت من الشريعة الناسخة لها، و أما حذفها باتفاق المصاحف أيضا فى "يمح الله الباطل" فى الشورى[7] مع أنه مرفوع أيضا، فللبشارة بازهاق الباطل إزهاقا هو النهاية - كما سيأتى إن شاء الله تعالى، و ذلك لمشابهة الفعل بالأمر المقتضى لتحتم[8] الإيقاع بغاية الإتقان و الدفاع[9]، و قال: ﴿و عنده﴾ مع ذلك ﴿ام﴾ أى أصل ﴿الكتب ه﴾ لمن وهمه مقيد بأن الحفظ بالكتابة، و هو اللوح المحفوظ الذى هو أصل كل كتاب، و قد تقدم

/١٤٥

(١) فى مد: لما (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد، و فى مصحفنا: أو ننسها - راجع سورة ٢ آية ١٠٦ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المتابعة. (٤) راجع باب ابتداء الناسخ و المنسوخ (٥) العبارة من «و قال الشافعى» إلى هنا ساقطة من م (٦) من م، و فى الأصل و ظ و مد: بمشير (٧) آية ٢٤ (٨) فى مد: لتحتمى (٩) من م، و فى الأصل و ظ و مد: الرفاع.

غير مرة أنه الكتاب المبين الذى هو بحيث يبين كل ما طلب علمه منه كلما[1] طلب ؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما : هما كتابان : كتاب سوى أم الكتاب ، يمحو منه ما يشاء و يثبت ، و أم الكتاب الذى لا يغير منه شيء - انتهى . و المراد - و الله أعلم - أنه يكون فى أم الكتاب أنا نفعل كذا - و إن كان فى الفرع على غير ذلك ، فانه بالنسبة إلى شريعة دون أخرى ، فاذا نقضت الشريعة الأولى فانا نمحوه فى أجل كذا ، أو يكون المعنى : يمحو ما يشاء من ذلك الكتاب بأن يعدم[2] مضمونه بعد الإيجاد ، و يثبت ما يشاء بأن يوجده من العدم و عنده أم الكتاب[3] ؛ قال الرازى فى اللوامع : و قد أكثروا القول فيها ، و على الجملة فكل ما يتعلق به المشيئة من الكائنات فهو بين محو و إثبات ، محو بالنسبة إلى الصورة التى ارتفعت ، إثبات بالنسبة إلى الصورة الثانية ، و القضاء الأزلى و المشيئة الربانية مصدر هذا المحو و الإثبات ، فذلك هو القضاء و هذا هو القدر ، فالقضاء مصدر[4] القدر ، و القدر مظهر القضاء[4] . و الله تعالى و صفاته منزه عن التغير .

و لما تم ما أراد مما[5] يتعلق بتألفهم ، و ختم بأنه سبحانه يفعل

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : كما (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقدم - كذا (٣) زيد بعده فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القدرة و القدرة مصدر القضاء - كذا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بما .

ما يشاء من تقديم و تأخير و محو و إثبات ، و كان من مقترحاتهم و طلباتهم استهزاء استعجال السيئة مما توعدوا به ، و كانت النفس ربما تمنت وقوع ذلك[1] للبعض و إثباته ليؤمن غيره تقريبا لفصل[2] النزاع ، قال سبحانه و تعالى : ﴿ و ان ما نرينك ﴾ أكده لتأكيد الإعلام بأنه لاحرج عليه فى ضلالة[3] من ضل [بعد - [4]] إبلاغه ، نفيا لما يحمله عليه صلى الله عليه ٥ و سلم شدةُ رحمته لهم و شفقته عليهم من ظن أنه[5] عليه أن يردهم إلى الحق حتما ﴿ بعض الذى نعدهم ﴾ و أنت حى مما تريد أو يريد أصحابك ، فصل الأمر به فثبت وقوعه إقرارا لأعينكم قبل وفاتك ؛ [6]و الوعد[6] : / الخبر عن خير مضمون ، و الوعيد : الخبر عن شر مضمون ، و المعنى / ١٤٦ ههنا عليه ، و سماه وعدا لتنزيلهم إياه فى طلب نزوله منزلة الوعد ١٠ ﴿ أو نتوفينك ﴾ قبل أن نريك[7] ذلك ، و هو محو[8] الأثر [9]لم يتحقق[9] ، فالذى عليك و الذى إلينا مستو بالنسبة إلى كلتا الحالتين ﴿ فانما عليك البلغ ﴾ و هو إمرار الشىء إلى منتهاه ، و هو هنا الرسالة ؛ و ليس عليك أن تحاربهم و لا أن تأتيهم بالمقترحات ﴿ و علينا الحساب ٥ ﴾ و هو جزاء كل عامل بما عمل فى الدنيا و الآخرة ، و لنا القوة التامة عليه ؛ و الآية ١٥

(١) فى ظ : النفس (٢) فى ظ و مد : لفضل (٣) فى ظ و مد : ضلال (٤) زيد من م و مد (٥) فى مد : ان (٦ - ٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل و ظ فقط (٧) زيد بعده فى ظ : قبل (٨) من م و مد ، و فى الأصل : يمحو ، و فى ظ : محو (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من مد .

من الاحتباك - كما مضى بيان ذلك فى مثلها من[1] سورة يونس[2] عليه السلام .

و لما أرشد السياق إلى أن التقدير فى تحقيق[3] أنه سبحانه قادر على الجزاء لمن أراد : ألم يروا أنا أهلكنا من قبلهم وكانوا أقوى منهم شوكة و أكثر عدة ؟ عطف عليه قوله : ﴿ اولم يروا انا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿نأتى الارض﴾ التى[4] هؤلاء الكفرة بها ، فكأنه قيل : [5]أىّ إتيان ؟ فقيل : إتيان البأس[6] إذا أردنا ، و الرحمة إذا أردنا ﴿ننقصها﴾ و النقص : أخذ شيء من الجملة تكون به أقل ﴿من اطرافها[7]﴾ بما يفتح الله على المسلمين مما يزيد بـه فى أرض أهل الإسلام بقتل بعض الكفار و استسلام البعض حتى يبيد أهلها على حسب[7] ما نعلمه[8] حكمة من تدبير الأمور و تقليبها حالا إلى حال حتى تنتهى إلى مستقرها بعد الحساب فى دار ثواب أو عقاب ، و ذلك أن المسلمين كانوا يغزون ما يلى المدينة الشريفة من أطراف بلاد الكفار كما أرشد تعالى إليه بقوله "قاتلوا الذين يلونكم من الكفار[9]" فيفتحونها أولا فأولا حتى دان[10] العرب كلهم طوعا أو كرها بعد قتل السادة و ذل القادة - و الله غالب على أمره ؛ و الطرف :

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فى (٢) آية ٤٦ (٣) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى ظ : اى (٥) سقط من ظ (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الياس (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حساب (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعلمه (٩) سورة ٩ آية ١٢٣ (١٠) فى ظ و مد : دار .

المنتهى ، و هو موضع من الشيء ليس وراءه منه شيء ، و أطراف الأرض : جوانبها ، و كان يقال : [الأطراف -[1]] : منازل الأشراف . يطلبون القرب على الأضياف[2] ؛ ثم أثبت لنفسه تعالى أمرا كليا يندرج ذلك فيه ، فقال لافتا الكلام من أسلوب التكلم [3]بالعظمة إلى غيبة هى أعظم العظمة[3] بالاسم الأعظم : ﴿ و الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ يحكم ﴾ ٥ ما يريد لأنه ﴿ لا معقب ﴾ أى راد ، لأن التعقيب : رد[4] الشيء بعد فصله ﴿ لحكمه[5] ﴾ و قد حكم [5]للاسلام بالغلب[5] و الإقبال ، و على الكفر بالانتكاس و الإدبار ، و كل من حكم على غير هذه الصفة فليس بحاكم ، و ذلك كاف فى الخوف من سطوات قدرته ﴿ و هو ﴾ مع تمام القدرة ﴿ سريع الحساب ﴾ جزاءه محيط بكل عمل لايتصور أن يفوته شيء ، ١٠ فلا بد من لقاء جزائـــه ، و كل ما / هو آت سريع ، و هو مع ذلك ١٤٧ / يعد لكل[6] عمل جزاءه على ما تقتضيه الحكمة من عدل أو[7] فضل حين صدوره ، لايحتاج إلى زمان ينظر فيه ما جزاءه ؟ و لا : هل عمل أو لا ؟ لأنه لا تخفى عليه خافية ؛ و السرعة : عمل الشيء فى قلة المدة على ما تحده الحكمة ، و الإبطاء : عمله فى طول مدة خارجة عن الحكمة ، و السرعة ١٥ محمودة ، و العجلة مذمومة . و هو تعالى قادر على الكفرة و إن كانوا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل وظ : الاصناف .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مرد .
(٥-٥) من م ، و فى الأصل وظ ومد : الاسلام بالقلب (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : اى .

كالقاطعين بأنهم يغلبون ، لما لهم من القوة و الكثرة ، مع جودة الآراء و حدة الأفكار[١] و القدرة بالأموال و إن اشتد مكرهم ، فهو لا يغنى عنهم شيئا ، فقد مكروا بك غير مرة ثم لم أزدك[٢] إلا علوا[٣] ﴿و قد مكر الذين﴾ و لما كان المراد بالمكرة إنما هو بعض الناس فى بعض الزمان قال :

٥ ﴿من قبلهم﴾ أى بالرسل و أتباعهم ، فكان مكرهم وبالا عليهم ، فطوى[٤] فى هذه الجملة مكرهم الذى اجتمعوا عليه [غير -[٥]] مرة و أتقنوه بزعمهم ، فكان سبب الرفعة للاسلام و أهله و ذل[٦] الشرك و أهله ، و دل على ذلك المطوى بواو العطف[٧] فى قوله " و قد " [٨]و طوى[٨] فى الكلام السابق إهلاك الأمم الماضية فى الاستدلال على قدرته على الجزاء الذى

١٠ هو روح الحساب و دل عليه بواو العطف فى " او لم يروا "- فتأمل هذا الإبراز فى قوالب الإعجاز .

و لما كان ذلك كذلك ، تسبب عنه أن يقال : ﴿ فلله﴾ أى الملك الأعظم المحيط علمه و قدرته خاصة ﴿المكر جميعا[٩]﴾ و المكر : الفتل عن البغية بطريق الحيلة[٩] ، و يلزمه الستر - كما مضى بيانه ، و لا شىء أستر

١٥ عن العباد من أفعاله تعالى ، فلا طريق لهم إلى علمها

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الانكار (٢) فى ظ : لم ادركه (٣) فى ظ : علو (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فطوبى (٥) زيد من م و مد . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلت - كذا (٧) العبارة من هنا إلى « العطف فى » ساقطة من مد (٨-٨) فى ظ : وطى (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجملة .

إلا

إلا من جهته سبحانه ، و سمى فعله مكرا مجازا لأنه ناشئ عن مكرهم جزاء لهم ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ يعلم ﴾ و يجوز أن يكون تفسيرا لما قبله ، لأن علم المكر من الماكر من حيث لا يشعر أدق المكر ﴿ ما تكسب كل نفس[1] ﴾ أى من مكر و غيره ، فيجازيهم إذا أراد بأن[1] ينتج[2] عن كل سبب أقاموه[3] مسببا يكون ضد ما أرادوا ، و لا تمكنهم ٥ إرادة شيء إلا بارادته . فستنظرون ما ذا[4] يحل بهم من بأسه[5] بواسطتكم أو بغيرها حتى تظفروا بهم فتبيدوهم[6] أجمعين ﴿ و سيعلم الكفر[7] ﴾ أى كل كافر بوعد لا خلف فيه ، إن كان من الجهل بحيث لا يعلم الأشياء إلا بالتصريح أو الحس ﴿ لمن عقبى الدار ﴾ حين نأتيهم ضد[8] مرادهم ؛ و الكسب : الفعل لاجتلاب[9] النفع أو دفع الضر . ١٠

و لما تقدم قوله تعالى " و يقول الذين كفروا لو لا انزل عليه آية " عطف عليه - بعد شرح ما استتبعه - قوله : ﴿ و يقول الذين كفروا ﴾ أى أوجدوا الكفر و لو على أدنى الرتب ، قولا على سبيل التكرار : ﴿ لست مرسلا[1] ﴾ لكونك لا تأتى بمقترحاتهم مع أنه لم يقل يوما : إنه قادر عليها ، فكأنه قيل : فما أقول لهم ؟ فقال[10] : ﴿ قل كفى ﴾ ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان (٢) فى مد : يفتح (٣) زيد بعده فى الأصل : يكون ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : باسهم (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فتبيدهم (٧) هذه قراءة نافع و أبى جعفر و ابن كثير و أبى عمرو ، و قراءة غيرهم : الكفار ، بالجمع - راجع نثر المرجان ٣ / ٣٢٧ . (٨) فى م : صد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاختلاب - كذا . (١٠) سقط من ظ .

/ ١٤٨ / و الكفاية : وجود الشيء على مقدار الحاجة ؛ و معنى الباء فى ﴿ بالله ﴾ - أى الذى له الإحاطة الكاملة - التأكيد ، لأن الفعل لما جاز أن يضاف إلى غير فاعله إذا أمر به أزيل هذا الاحتمال من وجهين : جهة الفاعل و جهة صرف الإضافة ﴿ شهيدا ﴾ أى بليغ العلم فى شهادته بالاطلاع ٥ على ما ظهر و ما بطن ﴿ بينى و بينكم ﴾ يشهد بتأييد رسالتى و تصحيح مقالتى بما أظهر لى من الآية و أوضح من الدلالة بهذا الكتاب ، و يشهد بتكذيبكم بادعائكم القدرة على المعارضة و تركم لها عجزا ، و هذا على مراتب الشهادة ، لأن الشهادة قول يفيد غلبة الظن بأن الأمر كما شهد به ، و المعجزة فعل مخصوص يوجب[1] القطع بأن ما جاءت لأجله كما ١٠ هو ﴿ و من عنده علم الكتب ﴾ مما أنزله[2] فيه من الأصول و الفروع و الخبر عما كان و[3] يكون على نحو[4] من الأساليب و نمط من المناهج أخرس الفصحاء ، و أبكم البلغاء ، و أبهت الحكماء ، و هو الله تعالى ، تأييدا و تحقيقا لدعواى ، و يؤيد أن المراد به "الله" قراءة "من" على أنها جارة[5] ، و فى سوقه هكذا على طريق الإبهام من ترويع[6] النفس ١٥ [بهزّها إلى تطلب المتصف بهذا الوصف ما ليس فى التعيين ، فهو إذن كدعوى الشيء -[7]] مقرونا بدليله ، فقد انطبق هذا الآخر على أول السورة فى أن المنزل حق من عنده و أنهم لا يؤمنون - و الله الموفق .

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : توجب (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : انزل (٣) زيد بعده فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : محو (٥) راجع للتفصيل روح المعانى ٤/٢٠٣ (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ترويح (٧) زيد ما بين الحاجزين من م و مد .

سورة ابرٰهيم عليه السلام[1]

﴿ بسم الله ﴾ الذى تفرد بالكمال ، و عز [عن -[2]] أن يكون له كفو أو مثال ﴿ الرحمٰن ﴾ لجميع خلقه بكتاب هو الغاية فى البيان ﴿ الرحيم ﴾ الذى اختار من عباده من ألزمهم روح وداده ﴿ الٓرٰ ﴾ .

مقصود السورة التوحيد ، و بيان أن هذا الكتاب غاية البلاغ ٥ إلى الله ، لأنه كافل ببيان الصراط الدال عليه المؤدى إليه . ناقل - بما فيه من الأسرار - للخلق من طور إلى طور - بما يشير إليه حرف الراء ، و أدل ما فيها على هذا المرام[3] قصة إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، أما[4] التوحيد فواضح ، و أما أمر الكتاب فلأنه من جملة دعائه لذريته الذين أسكنهم عند البيت المحرم من ذرية إسماعيل عليه السلام "ربنا ١٠ و ابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم ايٰتك[5] و يعلمهم الكتٰب و الحكمة و يزكيهم" .

و لما ختم الرعد بأنه لا شهادة تكافئ شهادة من عنده علم الكتاب إشارة إلى أن الكتاب هو الشاهد باعجازه ببلاغته[6] و ما حوى من

---

(١) السورة الرابعة عشرة ، مكية على قول الجمهور ، و هى إحدى و خمسون آية فى البصرى ، و قيل : خمسون فيه ، و اثنان و خمسون فى الكوفى ، و أربع فى المدنى ، و خمس فى الشامى - راجع روح المعانى ٤/٢٠٥ (٢) زيد من م و مد. (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المراد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٥-٥) من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٢ آية ١٢٩ ، و فى الأصل : الى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و بلاغته .

فنون العلوم ، و أتى به فى ذاك السياق معرفا لما تقدم من ذكره فى البقرة و غيرها ثم تكرر وصفه فى سورة يونس و هود و يوسف و الرعد بأنه حكيم[١] محكم مفصل مبين، و أنه الحق الثابت الذى[٢] تزول الجبال الرواسى و هو ثابت لا يتعتع شيء منه. و لا يزلزل معنى من معانيه ، ذكره فى
٥ أول [هذه -[٣]] السورة منكرا تنكير التعظيم فقال : ﴿ كتٰب ﴾ أى عظيم فى درجات من العظمة ، لا تحتمل عقولكم الإخبار عنها بغير هذا الوصف ، / و دل تعليل وصفه بالمبين بأنه عربى على أن التقدير : ١٤٩ / ﴿ انزلنٰـــه ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ اليك ﴾ بلسان قومك[٤] لتبين[٥] لهم .

١٠ و لما استجمع التعريف بالأوصاف الموجبة للفلاح المذكورة[٦] أول السورة المستدل عليها بكل[٧] برهان منير و سلطان مبين ، فصار بحيث لا يتوقف عن[٨] اجتناء ثمرته من وقف على حقائق تلك النعوت ، شوق[٩] إلى تلك الثمرة بعد تفصيل ما فى أول البقرة فى التى قبلها كما مضى بما يحث عليه و يقبل بقلب كل عاقل إليه فقال : ﴿ لتخرج الناس ﴾ أى عامة قومك و غيرهم بدعائك
١٥ إياهم به و إن كانوا ذوى اضطراب ﴿ من الظلمٰت ﴾ التى هى أنواع كثيرة

(١) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : حليم (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : النهى - كذا (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ : قومه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليبين (٦) فى ظ : المذاكرة (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بكله (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : شوقا ، و فى م : سوق .

من

من الضلالات التى أدت إليها الجهالات ﴿إلى النور﴾ الذى هو واحد، و هو سبيل الله المدعو بالهداية إليه فى الفاتحة، أى لتبين[1] للعرب قومك لأنه بلسانهم بيانا شافيا، فتجعلهم - بما تقيم عليهم من الحجج الساطعة، و توضح لهم من البراهين القاطعة، و تنصب لهم من الأعلام الظاهرة، و تحكم لهم من الأدلة الباهرة[2] - فى مثل ضوء النهار بما فتح من مقفل ٥ أبصارهم، و كشف عن[3] أغطية قلوبهم، فيكونوا متمكنين من أن يخرجوا من ظلمات الكفر التى هى طرق الشيطان إلى نور الإيمان الذى هو سبيله "ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله[4]" وشبه الإيمان وما أرشد إليه بالنور، لأنه عصمة العقل من الخطأ فى الطريق إلى الله كما أن النور عصمة البصر من الضلال عن الطريق الحسى[5]، و إذا خرجوا إلى النور ١٠ كانوا جديرين بأن يخرجوا جميع الناس ﴿باذن ربهم﴾ أى المحسن إليهم؛ و الإذن: الإطلاق فى الفعل بقول يسمع بالأذن، هذا أصله - قاله[6] الرمانى.

و لما كان النور مجملا، بينه على سبيل الاستئناف أو البدل بتكرير العامل فقال: ﴿إلى صراط العزيز﴾ الذى[7] تعالى عن صفات النقص ١٥

(١) فى م: ليتبين (٢) فى ظ: الباهلة (٣) فى م: من (٤) من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٦ آية ١٥٣، و فى الأصل: سبيلى (٥) من م، و فى الأصل وظ ومد: الحسنى (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: قال (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التى.

فعز[1] [عن - [2]] أن يدخل أحد صراطه الذى هو ربه ، أو[3] يتعرض [أحد - [2]] إلى سالكه بغير إذنه ﴿الحميد﴾ المحيط بجميع الكمال ، فهو المستحق لجميع المحامد لذاته و بما يفيض على عباده من النعم التى يربيهم و يتحمد إليهم بها على كل حال ، فكيف إذا سلكوا سبيله الواضح الواسع السهل !

و لما أضاف طريق النجاة إلى وصفين يجوز إطلاق كل منهما على[4] الخلق ، بينهما باسمه الشريف العَلَم على الاستئناف فى قراءة نافع و ابن عامر بالرفع. و[5] على أنه عطف بيان فى قراءة[6] الباقين بالجر لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لاختصاصه بالمعبود بحق و وصفه بما اقتضى توحيده ، فقال: ﴿ الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ الذى له ما فى السمٰوٰت ﴾ أى الأجسام العالية من الأراضى و غيرها . و لما كان فى سياق الدلالة على الخالق و إثبات توحيده ، أكد باعادة الموصول مع صلته فقال : ﴿ و ما فى الارض ﴾ أى فويل لمن أشرك به شيئا منهما أو فيهما ، فانه لا أبين من أن ما كان مملوكا / لا يصلح لأن[7] يكون شريكا ، و يجوز أن /١٥٠ يكون التقدير : فوأل[8] و نجاة و سلامة لمن اهتدى به فخرج من ظلمات الكفر ﴿ و ويل ﴾ مصدر بمعنى الهلاك ، ينصب نصب المصادر ثم يرفع

(١) فى م: عز (٢) زيد من م و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : أى (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الى (٥) سقطت الواو من ظ (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : طريق (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان (٨) فى ظ : نوال .

رفعها[1] لإفادة[2] أن معنى الهلاك - و هو ضد الوأل[3] الذى هو النجاة - ثابت ﴿ للكفرين ﴾ الذين ستروا أدلة عقولهم ﴿ من عذاب شديد ﴾ تتضاعف آلامه و قوته[4] ؛ و الشدة : تجمع[5] يصعب معه التفكيك[6] .

و لما أشار إلى ما للكافرين ، وصفهم بما عاقهم عن قبول الخير و تركهم فى أودية الشر فقال : ﴿ الذين يستحبون ﴾ أى يطلبون أن يحبوا ٥ أو يوجدون المحبة بغاية الرغبة متابعة للهوى ﴿ الحيوة الدنيا ﴾ و هى النشأة الأولى التى هى دار الارتحال ، مؤثرين لها ﴿ على الأخرة ﴾ أى النشأة الأخرى التى[7] هى دار المقام ، و ذلك بأن يتابعوا أنفسهم على حبها حتى يكونوا كأنهم طالبون[8] لذلك ، و هذا دليل على أن المحبة قد تكون[9] بالإرادة ؛ و المحبة : ميل الطباع إلى الشىء بالشهوة ، فهم يمتنعون خوفا ١ على دنياهم التى منها رئاستهم عن سلوك الصراط ﴿ و ﴾ يضمون[10] إلى ذلك أنهم ﴿ يصدون ﴾ أى يعرضون بأنفسهم و يمنعون غيرهم ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى طريق الملك الأعظم ؛ و السبيل : المذهب المهيأ للسلوك ﴿ و ﴾ يزيدون

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : رفعها (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الافادة (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الواد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : قوفه (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : تجمع (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التفايك (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الذى (٨) فى ظ : الطالبون (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يكون . (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يضمرون .

على ذلك أنهم ﴿ يبغونها ﴾ أى يطلبون لها ، حذف الجار و أوصل الفعل تأكيدا له ﴿ عوجا ﴾ و العوج : ميل عن الاستقامة ، و هو بكسر العين فى الدين و الأمر و الأرض ، و بالفتح فى كل ما كان قائما كالحائط و الرمح و نحوهما ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ فى ضلل بعيد ﴾ أى عن الحق . إسناد مجازى ، لأن البعيد أهل الضلال بميلهم[1] عن الباقى إلى الفانى و بطلبهم العوج فيما قومه الله المحيط بكل شىء قدرة و علما .

و لما قدم [ما أفهم -[2]] أنه أرسله صلى الله عليه و سلم بلسان قومه إلى الناس كافة لأن اللسان العربى أسهل الألسنة و أجمعها و أفصحها و أبينها ، فكان فى غاية العدالة ، و ختم بأن السبيل إليه فى غاية الاستقامة و الاعتدال ، دلّ على شرف هذا اللسان لصلاحيته[3] لجميع الأمم و خفته عليهم بخصوص[4] لسان كل من الرسل بقومه ، فلذلك أتبعه قوله : ﴿ و ما ارسلنا[5] ﴾ أى بما لنا من العظمة ، و أعرق[6] فى النفى فقال : ﴿ [7]من رسول[7] ﴾ أى فى زمن من الأزمان[8] ﴿ الا بلسان ﴾ أى لغة ﴿ قومه ﴾ أى الذين فيهم قوة المحاولة لما يريدون ﴿ ليبين ﴾ أى بيانا شافيا ﴿ لهم[9] ﴾ كما تقدم أنا أرسلناك بكتاب عربى[9] بلسان قومك لتبين لهم

(١) فى مد : ان يميلهم (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لصالحيته (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يحصون (٥) فى ظ : ما انزلنا (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : اغرق (٧-٧) فى ظ : ما ارسلنا. (٨) زيد بعده فى ظ : من رسول - مع اختلاط العبارة بعضها ببعض (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عزيز .

و لجميع

و لجميع الخلق ، فان لسانك أسهل الألسنة و أعذبها ، فهو معطوف على "انزلنه" بالتقدير الذى تقدم ، فاذا تقرر ذلك علم أنه لا مانع حينئذ لأمة من الأمم عن الاستقامة على هذا الصراط إلا إذن الله و مشيئته ﴿ فيضل ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه يضل ﴿ الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ من يشآء ﴾ / إضلاله ، و قدم سبحانه هذا[1] اهتماما بالدلالة على ٥ / ١٥١
أنه سبحانه خالق الشر كما أنه خالق الخير مع أن السياق لذم الكافرين الذين هم رؤس أهل الضلال ﴿ و يهدى من يشآء[2] ﴾ هدايته فانه سبحانه هو المضل الهادى ، و أما الرسل فمبينون[3] ملزمون للحجة تمييزا للضال[3] من المهتدى ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ العزيز ﴾ الذى لا يرام ما عنده إلا به ، و لا يمتنع[4] عليه شيء أراده ﴿ الحكيم ٥ ﴾ الذى لا ينقض ما ١٠ دبره ، فلذلك[5] دبر بحكمته إرساله[6] صلى الله عليه و على آله و سلم إلى الخلق كافة باللسان العربى ، لأن المقصود جمع الخلق على الحق ، فجمعهم على لسان واحد أنسب ما يكون لذلك ، و لو أنزل بألسنة كلها لكان منافيا لهذا المقصود ، و إن كان مع الإعجاز بكل لسان كان قريبا من الإلجاء[7] فيفوت الإيمان بالغيب ، و يؤدى أيضا إلى ادعاء [8]أهل كل[8] لسان ١٥

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نثبتون (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لضلال (٤) فى ظ : لا يمنع (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: فكذلك (٦) فى ظ : ارسال (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاصحاء (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كل اهل .

أن التعبير [عنه -[1]] بلسانهم أعظم ، فيؤدى ذلك إلى المفاخرة و العصبية المؤدى إلى أشد الفرقة ، و أنسب الألسنة لسان قوم الرسول لأنهم ، أقرب إليه ، فيكون فهمهم[2] لأسرار شريعته [و -[1]] وقوفهم على حقائقها أسهل ، و يكونون عن الغلط و الخطأ أبعد ، فاذا فهموا عنه دعوا من ٥ يليهم بالتراجمة و هلم جرا ، فانتشر الأمر و عم و سهل ، و كان مع ذلك أبعد من[3] التحريف و أسلم من التنازع .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما كانت[4] سورة الرعد على ما تمهد[5] بأن كانت تلك الآيات و البراهين التى سلفت فيها لا يبقى معها شك لمن اعتبر بها لتعظيم شأنها و إيضاح أمرها ، قال تعالى "كتب ١٠ انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمت الى النور" أى إذا [هم -[1]] تذكروا به و استبصروا ببراهينه[6] و تدبروا آياته "و لو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض" . و لما كان هذا الهدى و الضلال كل ذلك موقوف على مشيئته سبحانه و سابق إرادته و قد قال لنبيه عليه السلام "انما انت منذر و لكل قوم هاد" قال تعالى هنا "باذن ربهم"، إنما عليك ١٥ البلاغ . و لما قال تعالى "و كاين من اية فى السمٰوٰت و الارض" ثم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فيهم .

(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن .

(٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : كان .

(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : محمد (٦) فى ظ : براهينه .

بسطها فى سورة الرعد ، أعلم هنا أن ذلك كله له و ملكه فقال "الذى له ما فى السمٰوٰت و ما فى الارض" [١]فالسماوات و الأرض[١] بجملتهما و ما فيهما من عظيم ما أوضح لكم[٢] الاعتبار به ، كل ذلك له ملكا و خلقا و اختراعا ، "و له اسلم من فى السمٰوٰت و الارض طوعا و كرها[٣]" "و ويل للكٰفرين من عذاب شديد" لعنادهم مع وضوح الأمر و بيانه "و يصدون عن سبيل الله" مع وضوح السبيل و انتهاج ذلك الدليل ، ثم[٤] قال تعالى "و ما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه" و كأن هذا من تمام قوله سبحانه "و لقد ارسلنا رسلا من قبلك و جعلنا لهم ازواجا و ذرية" و ذلك أن الكفار لما حملهم[٥] الحسد و العناد و بعد الفهم بما جبل على قلوبهم و طبع عليها على أن أنكروا كون الرسل من البشر حتى قالوا : "ا بشر يهدوننا" ، "ما انتم[٦] الا بشر مثلنا" و حتى قالت قريش "لو لا انزل عليه ملك" ، "ما لهذا الرسول ياكل الطعام و يمشى فى الاسواق" "و قالوا لو لا انزل هذا القرٰان على رجل من القريتين عظيم" فلما كثر هذا منهم و تبع[٧] خلفهم فى هذا سلفهم[٨] ، رد تعالى أزعامهم[٩] و أبطل توهمهم فى آيات وردت على التدريج[١٠]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد بعده فى الأصل : من عظيم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) سورة ٣ آية ٨٣ (٤) سقط من مد. (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حسدهم (٦) فى ظ : انت (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : مع (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تلفهم (٩) فى ظ : ارغامهم (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : الترويج ، و فى ظ : التديج .

فى هذا الغرض شيئا فشيئا ، فأول الوارد[1] من ذلك فى معرض الرد عليهم و على ترتيب سور الكتاب قوله تعالى "أ كان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم" - الآية ، ثم اتبع ذلك بانفراده تعالى بالخلق و الاختراع و التدبير و الربوبية ، و فى طى ذلك أنه يفعل ما يشاء لأن الكل خلقه و ملكه ، و أنه العليم بوجه الحكمة فى إرسال الرسل و كونهم من البشر ، فأرغم الله[2] تعالى بمضمون هذه الآى[3] كل جاحد و معاند ؛ ثم ذكر تعالى فى سورة هود قول[4] قوم نوح "ما نراك الا بشرا مثلنا" - الآية ، و جوابه عليه السلام "ارءيتم ان كنت على بينة من ربى واتنى رحمة من عنده / فعميت عليكم انلزمكموها و انتم لها كرهون" أى[5] أنى / ١٥٢ و[6] إن كنت فى[7] البشرية مثلكم فقد خصنى الله بفضله و آتانى رحمة من عنده و برهانا على[8] ما جئتكم[8] به عنه ، و فى هذه [القصة - [9]] أعظم عظة ، ثم جرى هذا اصالح و شعيب عليهما السلام ، و ديدن الأمم أبدا مع أنبيائهم ارتكاب هذه المقالات ، و فيها من الحيد و العجز عن مقاومتهم ما لا يخفى و ما[10] هو شاهد على تعنتهم[11] ، ثم زاد سبحانه [تعالى - [9]]

(١) فى ظ : الوارد (٢) سقط من م (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الآية ؛ و العبارة من بعده إلى « مثلنا الآية » ساقطة من ظ (٤) من م ، و فى الأصل و مد : قوله ، و راجع آية ٢٦ و ما بعدها (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) سقط من ظ (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : من (٨ - ٨) فى ظ : مجيئكم (٩) زيد من ظ و م و مد . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كما (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : نفسهم ، و فى مد : تفننهم - كذا .

نبيه

نبيه صلى الله عليه و على آله و سلم تعريفا بأحوال من تقدمه من الأنبياء عليهم السلام ليسمع ذلك من جرى له مثل ما جرى لهم فقال مثل[١] مقالتهم ، فقال تعالى " و لقد ارسلنا رسلا من قبلك و جعلنا لهم ازواجا و ذرية " و أعلم سبحانه أن هذا لا يحط[٢] شيئا من مناصبهم ، بل هو واقع فى قيام الحجة على العباد . ثم تلا ذلك بقوله " و ما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه " أى ليكون أبلغ فى الحجة و أقطع للعذر ، فربما كانوا يقولون عند اختلاف الألسنة : لانفهم عنهم[٣] ، إذ قالوا ذلك مع اتفاق[٤] اللغات ، فقد قال قوم شعيب عليه السلام " ما نفقه كثيرا مما تقول[٥] " هذا و هو عليه السلام يخاطبهم بلسانهم فكيف لو كان على خلاف ذلك بل لو خالفت الرسل عليهم السلام الأمم[٦] فى التبتل و عدم اتخاذ الزوجات و الأولاد و استعمال الأغذية و غيرها[٧] من مألوفات البشر لكان منفرا ، فقد بان وجه الحكمة فى كونهم من البشر [و لو كانوا من الملائكة لوقع النفار و الشرود لافتراق الجنسية ، و إليه الإشارة بقوله تعالى " و لو جعلنه ملكا لجعلنه رجلا و للبسنا عليهم ما يلبسون[٨] " أى ليكون أقرب إليهم لئلا يقع تنافر[٩] فكونهم من البشر - [١٠]] أقرب و أقوم للحجة . و لما كانت رسالة محمد صلى الله عليه و سلم عامة ، كان

(١) فى ظ : لمثل (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يحيط (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عنه (٤) فى م : الاتفاق (٥) سورة ١١ آية ٩١ (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ و م و مد : غير ذلك (٨) سورة ٦ آية ٩ (٩) من ظ و م ، و فى مد : تنافرهم (١٠) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد .

عليه الصلاة و السلام يخاطب[1] كل طائفة من طوائف العرب بلسانها و يكلمها بما تفهم ، و تأمل كم[2] بين كتابه[3] صلى الله عليه و على آله و سلم لأنس رضى الله عنه فى الصدقة و كتابه[3] إلى وائل بن حجر مع اتحاد الغرض ، و للكتابين[4] نظائر يوقف عليها فى مظانها ، و كل ذلك لتقوم[5] الحجة على الجميع ، و استمر باقى سورة إبراهيم عليه السلام على التعريف بحال مكـــذبى الرسل و وعيد من خالفهم و بيان بعض أهوال الآخرة و عذابها - انتهى .

و لما ذكر سبحانه الرسل بما ذكره ، توقع السامع تفصيل شىء من أخبارهم ، فابتدأ بذكر من كتابه[3] أجل كتاب بعد القرآن هدى للناس دليلا[6] على أنه يفعل ما يشاء من الإضلال و الهداية ، و تسلية للنبى صلى الله عليه و على آله و سلم . و تثبيتا و تصبيرا على أذى قومه ، و إرشادا[7] إلى ما[7] فيه الصلاح فى مكالمتهم ، فقال مصدرا بحرف التوقع : ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ موسى بايٰتنآ ﴾ أى البينات[8] ؛ ثم فسر الإرسال بقوله : ﴿ ان اخرج قومك ﴾ أى الذين[9] فيهم قوة على مغالبة[10] الأمور

(١) فى مد : يخاطف (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثم (٣) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : كابه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للكابين . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقوم (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دايل (٧ - ٧) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : لما (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالبينات (٩) فى ظ : الذى (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مقابلة .

﴿من الظلمت﴾ أى أنواع الجهل ﴿الى النور﴾ بتلك الآيات ﴿و ذكرهم﴾ أى تذكيرا عظيما ﴿بايّم الله﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام من وقائعه[1] فى الأمم السالفة و غير ذلك من المنح لأوليائه و المحن[2] لأعدائه كما أرسلناك لذلك[3] ﴿ان فى ذلك﴾ أى[4] التذكير العظيم ﴿لأيت﴾ على وحدانيـــة الله و عظمته ﴿لكل صبار﴾ أى بليـغ الصبر على ٥ بلاء الله ، قال فى العوارف[5]: و قال أبو الحسن ابن سالم: هم[6] ثلاثة: متصبر ، و صابر ، [و صبار -[7]] ، فالمتصبر من صبر فى الله[8]، فرة يصبر و مرة[9] يجزع ، و الصابر من يصبر فى الله [و لله -[7]] و لا يجزع و لكن يتوقع منه الشكوى ، و قد يمكن منه الجزع ، فأما الصبار فذلك الذى صبّره[10] الله [11]فى الله[11] و لله و بالله ، [12]فهذا لو وقع[12] عليه جميع البلايا ١٠ لا يجزع و لا يتغير من جهة الوجوب [13]و الحقيقة ، لا من جهة الرسم[13]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: وقايته (٢) فى ظ : المنح (٣) من ظ و م و مـد ، و فى الأصل : كذلك (٤) العبارة من هنا إلى « الطبيعة شكور » ساقطة من م (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : العواربه - كذا ، و هذا يأتى فى مقدمة الكتب التى ألفها الشيخ شهاب الدين السهروردى (٦) فى ظ : هو (٧) زيد من ظ و مد (٨) زيد فى ظ : و لله (٩) فى ظ : من (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : يصبره (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ . (١٢ - ١٢) من مد ، و فى الأصل : و هذا اوقع ، و فى ظ : و هذا لو وقع - كذا (١٣ - ١٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل و ظ .

و الخليقة ، و إشارته فى هذا ظهور حكم العلم فيه مع ظهور صفة[1] الطبيعة .
﴿ شكور ٥ ﴾ أى عظيم الشكر لنعمائه ، فان أيامه عند أوليائه لا تخلو من
نعمة أو نقمة ، و فى صيغة المبالغة إشارة إلى أن عادته[2] تعالى جرت[3]
بأنه إنما ينصر[4] أولياءه بعد طول الامتحان بعظيم البلاء ليتبين الصادق
٥ من الكاذب "حتى يقول الرسول و الذين آمنوا معه متى نصر الله" ،
"حتى اذا استيئس الرسل"، "الٓمٓ احسب الناس ان يتركوا[5]" - الآية ،
و ذلك أنه لا شيء أشق على النفوس من مفارقة المألوف لا سيما إن
كان دينا و لا سيما إن كان [قد -[6]] درج عليه [الأسلاف -[6]] ،
فلا يقوم بالدعاء إلى الدين إلا من بلغ الذروة[7] فى الصبر .
١٠ و لما ذكر ما أمر به موسى عليه السلام ، وكان قد تقدم أمره
الشريف إليه صلى الله عليه و على آله و سلم بالاقتداء بالأنبياء الذين هو[8]
من رؤسهم و أولى عزمهم ، [كان -[6]] كأنه قيل : فبين أنت للناس
ما نزل إليهم وذكرهم[9] بأيام الله اقتداء[9] بأخيك موسى عليه السلام
﴿ و ﴾ اذكر لهم خبره فان أيامه من أعظم أيام الله : أشدها[10] محنة
١٥ و أجلها منحة ﴿ اذ قال موسى ﴾ امتثالا لما أمرناه به ﴿ لقومه ﴾ مذكرا لهم
بأيام الله معهم ثم أيامه مع غيرهم .

(١) من مد ، و فى الأصل : صنعة ، و فى ظ : ضد (٢) فى مد : اعادته (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اجرت (٤) فى ظ و مد : تنصر (٥) سورة ٢٩ آية ٢ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ : الذرة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هم (٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالله اقتد (١٠) فى ظ : اشد .

و لما

و لما كان المراد بالتذكير بالأيام زيادة الترغيب و الترهيب، أشار[١] إلى [أن -[٢]] مقام الترهيب هنا أهم للحث على تركهم الضلال بترك[٣] عادته في الترفق بمثل ما في البقرة و المائدة من الاستعطاف بعاطفة الرحم بقوله: "يقوم" فأسقطها هنا إشاره إلى أن المقام يقتضى الإبلاغ في الإيجاز في التذكير للخوف من معاجلتهم بالعذاب فقال: ﴿ اذكروا نعمة الله ﴾ أى ذى الجلال و الإكرام، و عبر بالنعمة عن الإنعام حثا[٤] على[٥] الاستدلال بالأثر على المؤثر ﴿ عليكم ﴾ ثم أبدل من "نعمة[٦]" قوله: ﴿ اذ[٧] ﴾ و هو ظرف النعمة.[٨] و لما[٨] كانوا[٩] قد[١٠] طال صبرهم جدا بما طال من بلائهم من فرعون على وجه لا يمكن في العادة خلاصهم منه، و إن أمكن على بعد لم يكن إلا في أزمنة طوال جدا بتعب شديد، أشار إلى إسراعه[١١] بخلاصهم بالنسبة إليه لو جرى على مقتضى العادة جزاء لهم على طول صبرهم، فعبر بالإفعال دون التفعيل الذى اقتضاه[١٢] سياق البقرة فقال[١٣]: ﴿ انجكم من ﴾ بلاء ﴿ آل فرعون ﴾ أى فرعون نفسه و أتباعه[٨] استعمالا للمشترك في معنييه[٨]، فان الآل يطلق على الشخص نفسه و على أهل[١٤] الرجل و أتباعه

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: اشارة (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: بتركب (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: حقا (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: عن (٦) في م و مد: نعمه (٧) في ظ: اذا (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩) من ظ و مد، و في الأصل و م: كان (١٠) زيد بعده في الأصل: كان. و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.
(١١) في ظ: ان اشراعه، و في مد: انزاعه (١٢) من ظ و مد، و في الأصل و م: اقتضى (١٣) سقط من م (١٤) سقط من ظ.

و أوليائه ؛ قال فى القاموس : و لا يستعمل إلا لما فيه شرف غالبا ، فكأنهم قالوا : من أىّ بلائهم ؟ فقال : ﴿ يسومونكم ﴾ أى يكلفونكم و يولونكم على سبيل الاستهانة و القهر ﴿ سوء العذاب ﴾ بالاستعباد .

و لما كان السياق للصبر البليغ ، اقتضى ذلك العطف فى قوله : ﴿ و يذبحون ﴾ أى تذبيحا كثيرا [1]مميتا - بما أفاده تعبير الاعراف بالقتل ، و معرفا باعادة التعبير بالذبح أن الموت بالسكين[1] ﴿ ابناءكم و يستحيون ﴾ أى يطلبون أن يحيوا ﴿ نساءكم[1] ﴾ لإفادة أن ذلك بلاء آخر ﴿ و ﴾ الحال أن ﴿ فى ذلكم ﴾ أى الأمر الشديد المشقة من العذاب [المتقدم -[2]] أو الإنجاء أو هما ﴿ بلاء من ربكم ﴾ أى المربى لكم المدبر لأموركم ﴿ عظيم ﴾ .

و لما ذكرهم بنعمة الأمن رغبهم فيما يزيدها[3] ، و رهبهم مما[4] يزيلها فقال[5] : ﴿ و اذ ﴾ أى[6] و اذكروا إذ ﴿ تاذن ربكم ﴾ أى أعلم المحسن إليكم إعلاما عظيما بليغا ينتفى[7] عنه الشكوك قائلا : ﴿ لئن شكرتم ﴾ و أكده لما[8] للأنفس من التكذيب بمثل ذلك لاعتقادها أن الزيادة بالسعى فى الرزق و النقص بالتهاون فيه ﴿ لازيدنكم ﴾ من نعمى[9] ، فان الشكر قيد الموجود و صيد المفقود « إن[10] عطائى لعتيد فارجوه » /١٥٤/

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م ؛ و راجع سورة ٧ آية ١٤١ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : يريدها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بما (٥) سقط من مد (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : تنتفى (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٩) فى ظ : نعمتى (١٠) فى ظ : فى .

﴿ و لئن كفرتم ﴾ النعمة فلم تقيدوها بالشكر لأنقصنكم و لأعذبنكم ﴿ ان عذابى[1] ﴾ بازالتها و غيرها ﴿ لشديد ﴾ فخافوه، فالآية - كما ترى - من الاحتباك .

و لما كان من حث[2] على شيء و أثاب[3] عليه أو [نهى - [4]] عنه وعاقب على فعله يكون لغرض [له - [4]]، بين أن الله سبحانه [متعال - [4]] عن أن يلحقه ضر أو نفع، و أن ضر ذلك و نفعه [خاص بالعبد - [4]] فقال تعالى حاكيا عنه: ﴿ و قال موسى ﴾ مرهبا لهم معلما أن وبال الكفران خاص بصاحبه ﴿ ان تكفروا ﴾ و الكفر: تضييع حق النعمة بجحدها أو ما يقوم فى العظم[5] مقامه ﴿ انتم و من فى الارض ﴾ و أكد بقوله: ﴿ جميعا ﴾ فضرره[6] لاحق بكم خاصة غير عائد على الله شيء منه ﴿ فان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ لغنى ﴾ أى فى ذاته و صفاته عن كل أحد، و الغنى هنا المختص بما ينفى لحاق الضرر أو النقص، و المختص بأنه قادر لا يعجزه شيء، عالم لا يخفى عليه شيء، و ذلك بنفسه [لا بشيء - [4]] سواه، و من لم يكن كذلك لم يكن غنيا ﴿ حميد ﴾ أى بليغ الاستحقاق[7] للحمد بما له من عظيم النعم[8] و بما له من صفات الكمال، و كل مخلوق يحمده بذاته[9] و أفعاله و جميع أقواله كائنة ما كانت، لأن [10]إيجاده لها ناطق[10]

(١) زيد فى ظ : اى (٢) فى ظ : الحث (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: اثاب (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى ظ : العظمة (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فضروه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاتصاف - كذا. (٨) فى ظ : النعمة (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بدايه (١٠-١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ايجادها فنطق

بحمده سبحانه .

ذكر التأذن بذلك المذكر به من التوراة :

قال فى السفر الخامس[١] : و اختاركم الله ربكم أن تكونوا له شعبا حبيبا[٢] من جميع الشعوب [التى على وجه الأرض ، و ليس لأنكم أكثر من جميع الشعوب -[٣]] أحبكم الرب و اختاركم ، و لكن ليثبت الأيمان التى أقسم لآبائكم ، لذلك[٤] أخرجكم الرب بيد منيعة ، و أنقذكم من العبودية . و خلصكم من يدى فرعون ملك مصر ، لتعلموا أن الله ربكم هو إله الحق ، إله مهيمن يحفظ النعمة و العهد لأوليائه الذين يحفظون وصيته لألف حقب ، و يكافئ شنأته[٥] فى حياتهم و يجزيهم[٦] بالهلاك و التلف ، احفظوا السنن و الأحكام و الوصايا[٧] التى آمركم بها اليوم فافعلوها يحفظ الله الرب[٨] العهد و النعمة [٩]التى أقسم[٩] لآبائكم ، و يحبكم و يبارك[١٠] عليكم و يكثركم ، و يبارك فى أولادكم و فى ثمرة أرضكم و فى بركم و خبزكم[١١] و زيتكم ، و فى أقطاع بقركم و جفرات[١٢] غنمكم ، و تكونوا

(١) آية ٦ من الأصحاح السابع (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جميعا .
(٣) زيد من ظ و م و مد و التوراة غير أن فيها بعض الاختلافات اللفظية التى لا يعبأ بها (٤) فى ظ : لذلكم (٥) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : شتاته .
(٦) فى ظ و مد : يخزيهم (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الوصاياكم .
(٨) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٩-٩) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبارك (١١) من ظ و م ، و فى الأصل و ظ : خيركم ، و فى التوراة : خمرك (١٢) من م ، و فى بقية الأصول : حفرات .

مباركين من جميع الشعوب ، و لا يكون فيكم عاقر و لا عقيم و [لا -[1]] فى بهائمكم ، و يصرف الله عنكم كل وجع ، و جميع الضربات التى أنزل الله بأهل مصر - كما تعلمون - لاينزلها [بكم -[1]] بل ينزلها بجميع شنأتكم ، و تأكلون جميع خيرات الشعوب التى يعطيكم الله ربكم ، و لاتشفق أعينكم عليهم ، و لاتعبدوا آلهتهم لأنهم فخاخ[2] لكم[3] ، و إن قلتم فى قلوبكم : إن[4] هذه الشعوب أكثر منا فكيف نقدر أن نهلكها[5] ! فلا تفرقوا منها و لكن اذكروا جميع ما صنع الله ربكم[6] بفرعون ملك مصر و كل أصحابه ، [7]و البلايا العظيمة التى رأيتم بأعينكم ، و الآيات و الأعاجيب و اليد المنيعة و الذراع العظيمة ، وكيف أخرجكم [الله -[1]] ربكم ! كذلك يفعل الله ربكم بجميع الشعوب التى تخافونها .

و يسلط الله ربكم عليهم عاهات حتى[8] يهلكهم ، و الذين [9]يبقون و يختفون منكم[9] لا تخافوهم لأن الله ربكم بينكم ، الإله العظيم المرهوب ، فيهلك الله ربكم هذه الشعوب من بين أيديكم رويدا رويدا ، لأنكم [10]لاتقوون[10] [أن تهلكوهم -[1]] سريعا لئلا يكثر عليكم السباع ، و لكن

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : محاج .
(٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لهم (٤) سقط من مد و التوراة .
(٥) فى ظ : تهلكنا (٦) فى مد : بكم (٧) سقطت الواو من ظ والتوراة .
(٨) فى ظ : التى (٩-٩) من م ، وفى الأصل : سعون و محفون بكم ، وفى ظ ومد : يتقون يختفون منكم ، و فى التوراة : الباقون و المختفون من أمامك .
(١٠-١٠) من م و مد ، وفى الأصل : يعوقون ، وفى ظ : لاتعودون .

يدفعهم الله ربكم إليكم[١] و تضربونهم ضربة شديدة حتى تهلكوهم[٢] ، و يدفع[٣] ملوكهم فى أيديكم و تهلكون أسماءهم من تحت السماء ، لايقدر أحد أن يقوم بين أيديكم حتى تهلكوهم و تحرقوا آلهتهم المنحوتة بالنار ، و لا تشتهوا[٤] الفضة و الذهب الذى / عليها و تأخذوه[٥] منها لئلا تتنجسوا بها ، لأنها ١٥٥ / مرذولة عند الله ربكم ، فلا تدخلوا نجاسة إلى بيوتكم لئلا تكونوا منفيين مثلها ، و لكن أرذلوها و نجسوها و صيروها نفاية بخسة لأنها حرام . ثم [قال : ـ[٦]] انظروا ! إنى[٧] أتلو عليكم دعاء و لعنا ، أما الدعاء فتصيرون[٨] إليه إن أنتم حفظتم وصايا [الله ـ[٩]] ربكم ، و أما اللعن فيدرككم إن أنتم لم تسمعوا وصايا الله ربكم ، و زغتم عن الطريق الذى[١٠] أمركم به اليوم ـ و قد مضى كثير من أمثال هذا عن التوراة ، و لا ريب فى أن هذا [١١]الترغيب و الترهيب[١١] و التذكير للتحذير كما أنه كان لبنى إسرائيل ، فهو لكل من سمعه من المكلفين[١٢] .

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اليهم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يهلكوهم (٣) فى ظ و م و مد : تدفع (٤) من م ، و فى الأصل : لاتشبهوا ، و فى ظ : لايشتهوا ، و لايتضح فى مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تاخذوها (٦) زيد من م ، و النص الذى يتلوه هو فى نهاية الأصحاح الحادى عشر (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : اى (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيصيرون (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) فى م و مد : التى (١١-١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الترهيب و الترغيب (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المتكلمين .

و لما حذرهم[1] انتقام الله إن كفروا[2] ، ذكرهم أيامه فى الأمم الماضية ، و عين[3] منهم الثلاثة الأولى لأنهم كانوا أشدهم أبدانا ، و أكثرهم أعوانا ، و أقواهم آثارا ، و أطولهم أعمارا ، لأن البطش إذا برز إلى الوجود كان أهول ، لأن [4]النفس للمحسوس[4] أقبل ، [فقال -[5]] دالا على ما أرشدهم إليه من غناه سبحانه و حمده مخوفا لهم من سطوات الله سبحانه : ﴿ ألم يأتكم ﴾ أى يا بنى إسرائيل ﴿ نبؤا الذين ﴾ و لما كان المراد قوما مخصوصين لم يستغرقوا الزمان . قال : ﴿ من قبلكم ﴾ ثم أبدل منهم فقال : ﴿ قوم ﴾ أى نبأ قوم ﴿ نوح ﴾ و كانوا ملء الأرض ﴿ و[6] ﴾ نبأ ﴿ عاد ﴾ و كانوا أشد الناس أبدانا و أثبتهم جنانا ﴿ و ﴾ نبأ ﴿ ثمود[7] ﴾ و كانوا أقوى الناس على نحت الصخور و بناء القصور ﴿ و ﴾ نبأ ﴿ الذين ﴾ .

و لما كان المراد البعض ، أدخل الجار فقال : ﴿ من بعدهم[7] ﴾ أى فى الزمن[7] حال كونهم فى الكثرة بحيث ﴿ لا يعلمهم ﴾ أى حق العلم على التفصيل ﴿ إلا الله[7] ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ، كفروا فأهلكهم الله و لم يزل غنيا حميدا عند أخذهم و بعده كما كان قبله ، و كان ابن مسعود رضى الله عنه إذا قرأ هذه الآية قال : كذب النسابون[8] . ثم فصل سبحانه خبرهم ، فقال - جوابا لمن كأنه قال : ما كان

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حذركم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اكفروا (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : عبر (٤-٤) فى ظ : المحسوس . (٥) زيد من م (٦) سقطت الواو من مد (٧) فى م و مد : الزمان ، و زيد فى الأصل بعده : من ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) يعنى أنهم =

نبأهم[1]؟: ﴿جآءتهم رسلهم بالبينٰت﴾ و ترك عطفه لشدة التباسه بالمستفهم عنه ﴿فردوآ﴾ أى الأمم عقب مجىء الرسل من غير تأمل جامعين فى تكذيبهم بين الفعل و القول ﴿ايديهم فى افواههم﴾ و هو إشارة إلى السكوت عن ذلك و التسكيت ، كأنه لا يليق أن يتفوه و لو على سبيل الرد ؛ قال الرازى فى اللوامع : حكى أبو عبيد : كلمته فى حاجتى[2] فرد يده فى فيه - إذا سكت و لم يجب . ﴿و﴾ بعد أن فعلوا ذلك لهذه الأغراض الفاسدة ﴿قالوآ﴾ أى الأمم ﴿انا كفرنا﴾ أى غطينا مرائى عقولنا مستهينين ﴿بمآ﴾ و لما كان رد الرسالة جامعا للكفر ، و كانوا غير مسلّمين أن المرسل لهم هو الله ، بنوا للمفعول قولهم : ﴿ارسلتم بـه﴾ [أى لأنكم لم تأتونا بما يوجب الظن فضلا عن القطع ، فلذا[3] لا يحتاج رده إلى تأمل -[4]] .

و لما كان ما أتى به الرسل يوجب القطع بما يعلمه كل أحد ، فكانوا بما قالوه فى مظنة الإنكار ، أكدوا : ﴿و انا لفى شك﴾ [5] أى محيط بنا[5] ، و هو وقوف بين الضدين من غير ترجيح أحدهما ، يتعاقب

= يدعون علم الأنساب و قد نفى الله تعالى علمها عن العباد - راجع روح المعانى ٤/٢١٥ .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : شانهم ، و فى مد : ثباهم - كذا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ماحتى (٣) فى ظ : قلنا لك (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد ، غير أن فى م فقط زيد بعد العبارة المحجوزة : كان رده لا يحتاج الى تامل (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م

على حال الذكر و يضاد[1] العلم و الجهل .

و لما كان الدعاء مسندا إلى جماعة الرسل ، أثبت نون الرفع مع ضمير المتكلمين[2] بخلاف ما[3] مضى فى هود[4]، فقالوا[5]: ﴿ مما ﴾ أى شىء ﴿ تدعوننآ ﴾ أيها الرسل ﴿ اليه ﴾ أى من الدين ﴿ مريب ﴾ أى موجب للتهمة و موقع فى الشك و الاضطراب و الفزع[6]، من أراب[7] الرجل : صار ذا ريبة[8] أى قلق و تزلزل[6] .

و لما كان سامع هذا الكلام[8] يشتد تشوفه إلى جوابه ، و كان أصل الدعوة فى كل ملة التوحيد[9] ، و كان الشاك فيه شاكا فى الله ، و كان أمر الله من الظهور بحيث لا يشك فيه عاقل حكّم عقله مجردا عن الهوى ، ساغ الإنكار و إيراد الكلام على تقدير سؤال[10] معرى من التقييد / مبهم[11] فى قوله : ﴿ قالت رسلهم ﴾ و لما كان ما شكوا فيه من الظهور بحيث لا يتطرق إليه ريب ، أنكروا أن يكون فيه شك ، لأن ذلك يتضمن إنكار شكهم و شك غيرهم فقالوا : ﴿ افى الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ شك ﴾ . /١٥٦

و لما كان الجواب عاما لا يخص ناسا[12] دون ناس ، لم يأت بصلة

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تضاد (٢) زيدت الواو بعده فى ظ .
(٣) سقط من ظ و مد (٤) آية ٦٢ (٥) فى ظ : فقال (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ارايب - كذا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكتاب (٩) زيد فى ظ : للتهمة (١٠) العبارة من هنا إلى « فبهم فى » ساقطة من م (١١) سقط من ظ (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ناس .

فقال[١] بخلاف قوله : "ان[٢] نحن الا بشر" ثم نبهوهم بالمصنوع على مقصود الدعوة من وجود الصانع و تفرده و ظهوره فى قولهم : ﴿ فاطر السمٰوٰت ﴾ و لما كان المقام لادعاء [أنه -[٣]] فى غاية الظهور ، لم يحتج [إلى تأكيد -[٣]] باعادة العامل ، فقال : ﴿ و الارض[٤] ﴾ أى[٤] على هذا المثال البديع و النمط الغريب المنتظم الأحوال ، الجميل العوائد ، المتسق الفصول ؛ فلما أوضحوا لهم الأدلة على وحدانيته بينوا لهم بأن ثمرة الدعوة خاصة بهم ، إنه لا يأباها من [له -[٥]] أدنى[٦] بصيرة ، فقالوا : ﴿ يدعوكم ﴾ أى على ألسنتنا ﴿ ليغفر لكم ﴾ .

و لما كان الكافر إنما يدعى أولا إلى الإيمان ، و كان الإيمان إنما يجبّ ما كان قبله من الذنوب[٧] التى معهم[٨] [٩]بينهم و بينه[٩] دون المظالم ، قال : ﴿ من ذنوبكم ﴾ و لو عم بالغفران لأفهم ذلك أنهم لا يدعون بعد الإيمان إلى عمل أصلا ﴿ و ﴾ لا يفعل بكم فعل من تعهدون[١٠] من الملوك فى المعاجلة بالإهلاك لمن خالفهم ، بل ﴿ يؤخركم ﴾ و إن أخطأتم أو[١١] تعمدتم و تبتم ﴿ الى اجل مسمى[٤] ﴾ عنده سبق علمه به ، و هو آجالكم على حسب التفريق ، و لا يستأصلكم[١١] بالعذاب فى

(١) فى ظ و م و مد : لقال (٢) من م و مد و القرآن الكريم آية ١١ من هذه السورة ، و فى الأصل : الى (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من م. (٥) زيد من م (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذى (٧) العبارة من هنا إلى «دون المعالم» ساقطة من م (٨) سقط من مد (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بينه و بينهم (١٠) فى ظ : يعهدون (١١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : و .

آن واحد كما فعل بمن ذكر من الأمم .

فلما بين لهم الأصل بدليله و فرع عليه ما لا ريب فيه فى قصر نفعه عليهم ، علموا أنه لا يتهيأ لهم عن ذلك جواب فأعرضوا عنه إلى [أن -[1]] ﴿ قالوآ ﴾ عنادا ﴿ ان ﴾ أى[2] ما ﴿ انتم ﴾ أى أيها الرسل ﴿[3]الا بشر[3] ﴾ و أكدوا ما أرادوا من نفى الاختصاص فقالوا : ﴿ مثلنا[5] ﴾ ٥ يريدون : فما وجه تخصيصكم بالرسالة دوننا ؟ [ثم -[1]] كان كأنه قيل : فكان ما ذا ؟ فقالوا : ﴿ تريدون ان تصدونا ﴾ أى تلفتونا و تصرفونا ﴿ عما كان ﴾ أى كونا هو كالجبلة ، و أكدوا هذا المعنى للتذكير بالحال الماضية بالمضارع فقالوا : ﴿ يعبد اٰبآؤنا ﴾ أى أنكم - لكونكم من البشر الذين يقع بينهم التحاسد - حسدتمونا على اتباع [الآباء -[1]] و قصدتم ١٠ تركنا[4] [له -[1]] لنكون لكم تبعا ﴿ فاتونا ﴾ أى فتسبب[5] - عن كوننا لم نر لكم فضلا و إبدائنا من إرادتكم ما يصلح أن[6] يكون مانعا - أن نقول[7] لكم : ائتونا لنتبعكم ﴿ بسلطٰن مبين ﴾ أى حجة واضحة تلجئنا إلى تصديقكم مما نقترحه عليكم ، و هذا تعنت محض فانهم جديرون

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : إلى .
(٣-٣) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « الاختصاص فقالوا » و الترتيب من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تركا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فسبب (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تقول .

بأن يعرضوا[1] عن كل سلطان يأتونهم بـــه كائنا ما كان كما ألغوا ما أتوا هم به من البينات فلم يعتدوا[2] [به -[3]] . فكأنه قيل : فما كان جواب الرسل ؟ فقيل : ﴿ قالت ﴾ .

و لما أرادوا تخصيصهم برد ما قالوا ، قيد بقوله : ﴿ لهم رسلهم ﴾ مسلمين أول كلامهم غير فاعلين فعلهم فى الحيدة عن الجواب ﴿ ان ﴾ اى ما ﴿ نحن الا بشر مثلكم ﴾ ما لنا عليكم فضل بما يقتضيه ذواتنا غير أن التماثل فى البشرية لا يمنع اختصاص بعض البشر عن بعض بفضائل ؛ و المثل : ما يســـد مسد غيره حتى لو شاهده مشاهد ثم شاهد الآخر لم[4] يقع فصل ﴿ و لـكن الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فضلنا عليكم لأنه ﴿ يمن على من يشآء ﴾ أى [أن -[5]] يمن عليه ﴿ من عباده ﴾ رحمة منه له ، بأن يفضله على أمثاله بما يقسمه [له -[3]] من المزايا كما أنتم به عارفون ، فلم يصرحوا بما تميزوا[6] به من وصف النبوة ، و لم يخصوا أنفسهم بمن[7] الله بل أدرجوها فى عموم من شاء الله ، كل ذلك تواضعا منهم و اعترافا بالعبودية ؛ و المن : نفع[8] يقطع به عن بؤس[9] ، و أصله القطع[10] ، و منه " غير ممنون " ، و المنة قاطعة[11] عن الدنيا .

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يرون - كذا (٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : فلم يعتذروا (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ و مد : ثم . (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد ، فى الأصل : يميزوا (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : عن (٨) من م ، و فى الأصل : يقع ، و فى ظ : تقع ، و لا يتضح فى مد (٩) فى ظ : بواس (١٠) فى م : للقطع (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طمعه .

و لما

ولما بينوا وجه المفارقة، عطفوا عليه / بيان العذر فيما طلبوه منهم ١٥٧/
فقالوا: ﴿ وما ﴾ أى فما كان لنا أن نتفضل عليكم بشىء من الأشياء لم يؤذن
[لنا-[1]] فيه، وما ﴿ كان[2] ﴾ أى صح واستقام ﴿ لنآ ان ناتيكم بسلطن ﴾
مما تقترحونه[3] تعنتا، وهو البرهان الذى يتسلط به على إبطال مذهب
المخالف للحق غير المعجزة[4] التى يثبت بها[4] النبوة ﴿ الا باذن الله[5] ﴾ أى ٥
باطلاق الملك الأعظم وتسويفه[5]، فنحن نتوكل على الله فى أمركم إن[6]
أذن لنا فى الإتيان بسلطان أو لم يأذن وافقتم أو خالفتم ﴿ وعلى الله ﴾
أى الذى له الأمر كله ولا أمر لأحد معه وحده ﴿ فليتوكل ﴾ أى
بامر حتم ﴿ المؤمنون ه ﴾ فكيف بالأنبياء؛ ثم [7]بينوا سبب وجوب[7]
التوكل بقولهم: ﴿ وما ﴾ أى وأىّ شىء ﴿ لنآ ﴾ فى ﴿ الّا نتوكل على الله ﴾ ١٠
أى ذى الجلال والإكرام ﴿ و ﴾ الحال أنه ﴿ قد هدنا سبلنا[8] ﴾ فبين لنا
كل ما نأتى وما نذر، فلا محيص لنا عن شىء من ذلك، فلنفعلن
جميع أوامره، ولننتهين عن جميع مناهيه ﴿ ولنصبرن ﴾ أكدوا لإنكار[8]
الكفار أن يصبر الرسول - مع وحدته - على أذاهم مع كثرتهم
وقوتهم ﴿ على ما ﴾ [9]وعبر بالماضى إشارة إلى أنهم عفوا عن أذاهم ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من الأصل (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يقترحونه (٤ - ٤) فى ظ: التى تثبت به، و فى م: التى ثبتت بها، و فى مد: تثبت بها - كذا (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لسوقه - كذا (٦) فى ظ: اذا (٧ - ٧) فى ظ: بين وجوب سبب (٨) من م، وفى الأصل وظ ومد: الانكار (٩) العبارة من هنا إلى «اذيتمونا» ساقطة من م.

فى الماضى [1]فلا يجازونهم به[1] ، فهو استجلاب إلى توبة أولئك المؤذين[2] ، و عدلوا عن المضارع لأنهم ينتظرون أمر الله [فى الاستقبال فقد يأمرهم -[3]] بالجهاد و قد يأمرهم بالصبر ، فقال : ﴿ اٰذيتمونا[4] ﴾ أى فى ذلك الذى أمرنا[4] به كائنا فيه ما كان لأنا توكلنا على الله و نحن
٥ لا نتهمه فى قضائه ﴿ و على الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال وحده ﴿ فليتوكل المتوكلون ۝ ﴾ الذين[5] علموا من أنفسهم العجز سواء كانوا مؤمنين أو[6] لا ، فوكلوا أمرا من أمورهم إلى غيرهم ليكفيهم[7] إياه ، فانه محيط العلم كامل القدرة ، و كل من عداه عاجز ، و الصبر مفتاح الفرج ، و مطلع الخيرات المطلق من الكرب ، [و الحق -[8]]
١٠ لا بد و أن يصير غالبا قاهرا ، و الباطل لا بد و أن يصير مغلوبا مقهورا و إن طال الابتلاء .

و لما انقضت هذه المحاورة[9] و قد علم منها كل منصف[10] ما عليه الرسل من الحلم و العلم و الحكمة ، و ما عليه مخالفهم من الضلال و الجهل و العناد ، و كان فى الكلام ما ربما أشعر بانقضائه ، ابتدأ تعالى عنهم

(١-١) من مد ، و فى الأصل : فلا يجاوزونهم به ، و فى ظ : فلا يجاوزونهم فيه .
(٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المودون (٣) زيد من ظ و مد (٤) من مد ، و فى الأصل و م : اخرنا ، و فى ظ : امرتنا ؛ و من هنا إلى « ما كان » سقطت العبارة من م (٥) فى ظ : الذى (٦) فى ظ : ام (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فيكفيهم (٨) زيد من م و مد (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : المجاورة (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : متصف .

مجاورة أخرى، عاطفا لها على ما مضى، فقال: ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم﴾ مستهينين بـ[1] قصروا التجاءهم عليه، مؤكدين لاستشعارهم بانكار من رأى مدافعة الله[2] عن أوليائه لقولهم[3]: والذى يحلف به[4]! ليكونن أحد الأمرين: ﴿لنخرجنكم من ارضنآ﴾ أى التى لنا الآن الغلبة عليها ﴿او لتعودن فى ملتنا[5]﴾ بأن تكفوا[6] عن معارضتنا كما كنتم قبل دعوى الرسالة، فاطلاق ملتهم على السكوت عنهم من إطلاق اسم الكل على الجزء على زعمهم مثل "جعلوا[7] اصابعهم فى اذانهم" وهو مجاز مرسل، فصبروا على ذلك كما أخبروا به توكلا على ربهم واستمروا على نصيحتهم لهم بدعائهم إلى الله ﴿فاوحى[8] اليهم﴾ أى كلمهم فى خفاء بسبب توعد أممهم لهم، مختصا لهم بذلك ﴿ربهم﴾ المحسن إليهم الذى توكلوا عليه[9]، تسكينا لقلوبهم وتسلية لنفوسهم، وأكد لما - لمن[8] ينظر كثرة الكفار وقوتهم - من التوقف فى مضمون الخبر ولا سيما إن كان كافرا، قائلا: ﴿لنهلكن﴾ بما لنا من العظمة المقتضية[9] لنفوذ[10] الأمر؛ والإهلاك: إذهاب الشىء إلى حيث لا يقع عليه الإحساس ﴿الظلمين﴾ أى العريقين[11] / فى الظلم[12]، وربما تبنا[13] على بعض ١٥٨ /

(١) فى ظ: بما (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: بالله (٣) فى ظ: لقوله.
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تكفا (٦) تكرر فى الأصل فقط؛ وراجع سورة ٧١ آية ٧ (٧) فى ظ: علينا (٨) من م ومد، وفى الأصل وظ: م (٩) فى ظ: المستقرة (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لتعودن (١١) فى ظ ومد: الغريقين (١٢) العبارة من هنا إلى «أظلم الظلم» ساقطة من م (١٣) من مد، وفى الأصل: ثبتا، وفى ظ: تبين.

من أخبرنا عنه بأنه كفر، و هو [من -[1]] لم يكن عريقا[2] فى كفره الذى هو أظلم الظلم ﴿ و لنسكننكم ﴾ أى دونهم ﴿ الارض ﴾ أى مطلقها[3] و خصوص أرضهم، و أشار إلى عدم الخلود بالجار فقال: ﴿ من بعدهم[4] ﴾ بأن نورثكموها سواء قدرناهم على إخراجكم أم لا، ٥ فكأنه قيل: هل ذلك خاص بهم؟ فقيل: لا، [بل -[4]] ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى المرام ﴿ لمن خاف[5] مقامى ﴾ أى المكان الذى يقوم فيه من أحاسبه: ما ذا تكون عاقبته[6] فيه، و هو أبلغ من: خافنى، ﴿ و خاف وعيد ٥ ﴾ لا بد أن أهلك ظالمه و أسكنه[7] أرضه بعده، فاستبشروا بذلك الوعد من الله تعالى ﴿ و استفتحوا ﴾ على أعدائهم ١٠ فأفلحوا و[8] أنجحوا ﴿ و خاب كل جبار عنيد ٥ ﴾ فأهلكناهم كلهم، و كان لنا الغنى و الحمد بعد إهلاكهم[9] كما كان قبله؛ و العناد: الامتناع من[10] الحق مع العلم به كبرا و بغيا[11]، من عند عن الحق عنودا، و الجبرية[12]: طلب علو المنزلة بما ليس وراءه غاية فى الصفة، فهو ذم للعبد من حيث أنه طالب[13] ما ليس له؛ ثم أتبعه ما هو كالدليل على خيبته من أن ١٥ سيره[14] إلى ما أمامه من العذاب، فهو واقع فيه لا محالة و هو لا يشعر،

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد: غريقا (٣) فى ظ: مطلقا (٤) زيد من م (٥) فى ظ: قام (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عاقبة (٧) فى ظ: اسكن (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: او (٩) فى مد: اهلكناهم (١٠) زيد فى مد: القلم (١١) فى ظ: نفيا (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الخيرية - كذا (١٣) فى مد: طلب (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل و م: ستره.

و عبر عن غفلته عنه بقوله : ﴿ من ورآئه[1] جهنم ﴾ أى لا بد أنه[2] يتبوأها .

و لما كان المرجع وجود السقى للصديد[3] مطلقا ، بنى للمفعول قوله[3] : ﴿ و يسقىٰ ﴾ أى فيها ﴿ من مآء صديد[4] ﴾ و هو غسالة[4] أهل النار كقيحهم و دمائهم ﴿ يتجرعه ﴾ أى يتكلف بلعه[5] شيئا فشيئا لمرارته و حرارته ، فيغص به و يلقى منه من الشدة ما [لا -[6]] يعلم قدره إلا الله ﴿ و لايكاد يسيغه ﴾ و لايقرب من إساغته ، فان الإساغة جر[7] الشيء فى الحلق على تقبل النفس ﴿ و ياتيه الموت ﴾ أى أسبابه التى لو جاءه سبب منها فى الدنيا لمات ﴿ من كل مكان ﴾ و المكان : جوهر مهيأ للاستقرار ، فهو كناية عن أنه يحصل له من الشدائد ما يميت من قضى بموته ﴿ و ما هو بميت[8] ﴾ أى بثابت له الموت أصلا . لأنا قضينا بدوام حياته زيادة فى عذابه ؛ و الموت : عرض يضاد الإدراك[8] فى البنية الحيوانية ﴿ و من ورآئه ﴾ أى هذا الشخص ، بعد ذلك فى يوم الجزاء الذى لابد منه ، و ما خلقنا السماوات و الأرض إلا من أجله ﴿ عذاب غليظ[9] ﴾ يأخذه فى ذلك اليوم - مع ما قدمته له[9] فى الدنيا - و هو غافل عنه

(١) فى مد : ورائهم (٢) من م و مد ، وفى الأصل وظ : ان (٣) سقط من م . (٤) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : فسالة (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بيعه (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جرى (٨) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : الادر الشر - كذا (٩) سقط من مد .

أخذ ما يكون من وراء ، فيكون أشد كما هو حال الآتى بغتة ، أو يكون المعنى أن من بعد هذا العذاب / فى جهنم عذابا آخر ، لا تحتمل عقولكم وصفه بأكثر من الغلظ . فلما فرغ من محاوراتهم[1] و ما تبعها مما بين فيه أنه لا يغنيهم من بطشه شيء ، ضرب لهم [فى - [2]] ذلك مثلا فقال : ١٥٩/

٥ ﴿ مثل ﴾ و هو مستعار هنا للصفة التى فيها غرابة ﴿ الذين كفروا ﴾ مستهينين ﴿ بربهم ﴾ مثل من قصد أمرا ثم لم ينظر لنفسه فى السلوك إليه بل اغتر بمن[3] جار به عن الطريق[4] ، فأبعد كل البعد حتى وصل إلى شعاب لا يمكن فيها المقام ، و لا يتأتى منها[5] الرجوع فهلك ضياعا .

و لما كان الفرق بين الإنسان و العدم إنما هو بالعمل ، ذكر ما علم

١٠ منه أن المثل لأعمالهم على طريق الجواب لمن كأنه قال : ما مثلهم ؟ فقال : ﴿ اعمالهم ﴾ أى المكارم التى كانوا يعملونها فى الدنيا من الصلة و العتق و فداء[6] الأسرى و الجود و نحو ذلك ، فى يوم الجزاء ، و يجوز أن يكون مبتدأ ثانيا - كما قال الحوفى و ابن عطية[7] ، و هو و خبره خبر المبتدأ الأول ، و لا يحتاج[8] إلى رابط لأنه[9] نفس المثل الذى معناه

١٥ الصفة ﴿ كرماد ﴾ و هو ما سحقه الاحتراق[10] سحق الغبار

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : محاورتهم (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لمن (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طريق (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الفد (٧) راجع البحر ٥/٤١٤ (٨) تكرر فى ظ (٩) فى ظ : لان (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الاحراق .

﴿ اشتدت به الريح ﴾ أى أسرعت بالحركة على عظم القوة ؛ و الريح : جسم رقيق مثبت[١] فى الجو من شأنه الهبوب ، و الرياح خمس : شمال و جنوب و صبا و دبور و نكباء[٢] ﴿ فى يوم عاصف[١] ﴾ أى شديد الريح ، فأطارته فى كل صوب ، فصاروا بحيث ﴿ لا يقدرون ﴾ [٣]أى يوم الجزاء ؛ و لما كان الأمر هنا متمحصا للأعمال ، قدم قوله[٣] : ٥ ﴿ مما كسبوا ﴾ فى الدنيا من أعمالهم فى ذلك اليوم ﴿ على شىء[١] ﴾ بل ذهب هباء منثورا لبنائه على غير أساس ، فثبت بمقتضى ذلك أن الذين كفروا بربهم و استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فى ضلال بعيد ، بل ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر الشديد الشناعة ﴿ هو ﴾ [أى خاصة - [٤]] ﴿ الضلل البعيد ﴾ الذى لا يقدر صاحبه على [٥]تداركه . ١٠

و لما ذكر الآخرة فى [أول - [٦]] السورة ، ذكر ما هو ثابت لا نزاع فيه ، ثم [جرّ - [٤]] الكلام إليه هنا على هذا الوجه الغريب ، و أتبعه مثل أعمال الكفار فى الآخرة ، أتبع ذلك الدليل عليه و على أنه لا يسوغ فى الحكمة فى أعمال الضلال إلا [٧] الإبطال فقال : ﴿ الم تر ان الله ﴾ أى الذى أحاط بكل شىء علما و قدرة ١٥ [﴿ خلق السمٰوٰت ﴾ على عظمها و ارتفاعها - [٤]] ﴿ و الارض ﴾ على تباعد

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : منبت (٢) فى ظ : نكباء (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) العبارة من هنا إلى « لا نزاع فيه » ساقطة من ظ (٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا .

أقطارها و اتساعها ﴿ بالحق ﴾ بالأمر الثابت من وضع كل شيء منها في موضعه على ما تدعو إليه الحكمة لا بالخيال و التمويه[1] كالسحر ، و من المعلوم أنهما[2] ظرف ، و لا يكون المظروف الذي هو المقصود بالذات إلا مثل ظرفه أو أعلى منه ، فكيف يظن أنه يخلق[3] شيئا فيهما سدى بأن يكون باطلا فلا يبطله ، أو حقا فلا يحقه ، أم كيف يتوهم أنه - مع القدرة على إخراجهما [من العدم -[4]] و هما أكبر خلقا [و أعظم -[4]] شأنا[5] - لا يقدر على إعادة من فيهما و هم[6] أضعف أمرا و أصغر قدرا ، [7]أو خلقهما[7] بسبب الحق و هو إعادة الناس إعادة يثبتون بها و يبقون بقاء لا فناء بعده ، فتسبب عن ذلك أنه عظيم القدرة ، فهو بحيث ﴿ ان يشا يذهبكم ﴾ أي بنوع من أنواع[8] الإذهاب[9] : الموت أو غيره ﴿ و يات بخلق / جديد ﴾ غيركم أو[10] يأت بكم[11] بعد أن فنيتم بحيث تعودون - كما كنتم - خلقا جديدا[12] ؛ و الجديد : المقطوع عنه العمل في الابتداء ، و أصله القطع ، فالجد أب الأب ، انقطع عن الولادة بالأب ، و الجد ضد الهزل ، يقطع به المسافة حسا أو معنى ﴿ و ما ذلك ﴾ الإذهاب /١٦٠

(١) في ظ : التموه (٢) من م و مد ، و في الأصل و ظ : انها (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : خلق (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد بعده في النسخ كلها : أنه ، فحذفنا الزيادة نظرا إلى أنها تكرار (٦) في مد : هما (٧-٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : و خلقتهما (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الانواع (٩) في مد : الذهاب (١٠) من م و مد ، و في الأصل و ظ « و » . (١١) من ظ و م ، و في الأصل و مد : منكم (١٢) في ظ : جدا .

و الإتيان على عظمه[1] ﴿على الله﴾ أى الملك الأعلى ﴿ بعزيز ﴾ و هو الممتنع بوجه من وجوه[2] الامتناع لأنه ليس مثل خلق السماوات و الأرض فضلا عن أن يكون أعظم منه ، فلا وجه لقولكم[3] "هل ندلكم على رجل ينبئكم" - الآية ، [لأن -[4]] من قدر على جميع الممكنات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ، فثبت بهذا إبعادهم فى الضلال الموجب لهلاك أعمالهم - التى هى أسبابهم - الموجب لهلاكهم .

و لما ثبت بهذا البرهان قدرته على الإعادة بعد الموت ، عطف على قوله "لايقدرون مما كسبوا على شىء" قوله - بيانا لهوان البعث عنده و سهولته عليه - : ﴿و برزوا﴾ أى فى ذلك اليوم ، عبر بصيغة المضى الذى وجد و تحقق ، لأن أخبار الملوك يجب تحققها لقدرتهم و غناهم عن الكذب ، فكيف بملك الملوك ! و فيه من هز النفس و روعتها[5] ما ليس فى العبارة بالمضارع لمن تأمل المعنى حق التأمل ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿جميعا﴾ فكانوا[6] بحيث لا يخفى[7] منهم خافية على ما هو متعارفهم[8] ، لأنه لا ساتر لهم ، فان البروز خروج الشىء عما كان متلبسا به إلى حيث يقع عليه[9] الحس فى نفسه ، و بدا لهم [من الله -[4]] ما لم يكونوا يحتسبون من العذاب ، فتقطعت بهم الأسباب ﴿ فقال الضعفؤا ﴾ أى الأتباع

(١) فى ظ : عظمة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : وجه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: هو لكم ؛ و راجع سورة ٣٤ آية ٧ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى ظ : ردعتها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و كانوا (٧) فى ظ : لا تخفى (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متعارفا (٩) سقط من ظ .

من أهل الضلال بسبب علمهم أنهم فى القبضة لاملجأ لهم، تبكيتا لرؤسائهم [و توبيخا - [١]] ، تصديقا لقوله تعالى " الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين[٢] " ﴿ للذين استكبروآ ﴾ أى طلبوا الكبر و ادعوه فاستتبعوهم به حتى تكبروا[٣] على الرسل و أتباعهم و لم يكن لهم ذلك : ﴿ انا كنا ﴾ أى كونا هو كالجبلة ﴿ لكم تبعا ﴾ أى تابعين أو[٤] ذوى تبع فكنتم سبب ضلالنا ، و قد جرت عادة الأكابر بالدفع عن أتباعهم المساعدين[٥] لهم على أباطيلهم ﴿ فهل انتم مغنون ﴾ أى دافعون ﴿ عنا من عذاب الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها فلا يطاق انتقامه ، و أبلغوا بعد[٦] التبعيض بـ"من" الأولى فى التقليل ، فقالوا : ﴿ من شىء[٧] ﴾ كأن العذاب [كان -[٧]] محتاجا إلى أخذهم فأغنوه[٨] بشىء غيرهم حتى يجاوزهم لو دفعوه عنهم ، فكأنه قيل : إن ذلك لعادة[٩] الرؤساء ، فما ذا قالوا ؟ فقيل : ﴿ قالوا ﴾ علما منهم بأنه لا طاقة لهم على نوع من أنواع التصرف : لا تغنى[١٠] عنكم شيئا ، بل كلٌ مجزى بما فعل ، علينا إثم ضلالنا[١١] فى أنفسنا و إضلالنا لكم ، و عليكم[١٢] ضلالكم و ذبكم[١٣] عنا و تقويتكم لجانبنا حتى استكبرنا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سورة ٤٣ آية ٦٧ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يتكبروا (٤) فى ظ : اى (٥) فى ظ و مد : المتباعدين (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بعض (٧) زيد من م و مد (٨) فى ظ : فاعنوه ، و فى مد : فاعيوه (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كعادة (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لايغنى (١١) فى ظ : اضلالنا (١٢) زيد بعده فى الأصل : ذبكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٣) فى ظ : ذنبكم .

فاستغرقنا فى الضلال ، و لو أن [الله - [1]] هداكم حتى تبعتم الأدلة التى سمعتموها كما سمعناها و تركتمونا[2] ، لكسر ذلك من شدتنا و أوهى[3] من شوكتنا[4] ، فكان ربما يكون سببا لهدايتنا كما أنه[5] ﴿ لو هدنا الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿ لهديناكم[6] ﴾ فكان يكون لنا جزاء[6] اهتدائنا و هدايتنا لكم ، و لكم جزاء اهتدائكم و تقويتكم لنا على ذلك ، ٥ و لكنه لم يهدنا فضللنا و كنتم لنا تبعا فأضللناكم .

و لما كان الموجب لقولهم هذا الجزع ، قالوا ﴿ سوآء علينآ ﴾ أى نحن و أنتم ﴿ اجزعنآ ﴾ و الجزع : انزعاج النفس بورود ما يغم ﴿ ام صبرنا ﴾ لا فائدة [لنا - [1]] فى واحد منهما لأن الأمر أطم[7] من ذلك فانه ﴿ ما لنا من محيص ﴾ يصلح للصدر و[8] الزمان و المكان[8] ، ١٠ أى محيد / و زوال عن المكروه على[9] كلا التقديرين ، فلم يبق فى الجزاء / ١٦١ إلا زيادة العذاب بسوء القالة و انتشار السبة[10] ، و هذا الاستفهام ليس على بابه ، بل المراد به التنبيه على أن حالهم مما ينبغى السؤال عنه و ترديد الأمر فيه لينتهى عن مثله .

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تركتموها . (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اهى (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : شركتنا (٥) زيدت الواو بعده فى ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اجز (٧) فى ظ : اهم (٨ - ٨) فى م : المكان و الزمان (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : السنة ، و فى مد : الثبة - كذا .

و لما كان الشيطان أعظم المستكبرين ، خص بالإفراد بالجواب فقيل : ﴿ و قال ﴾ أول المتبوعين فى الضلال [١] ﴿ الشيطٰن ﴾ الذى هو رأس المضلين المستكبرين المقضى [٢] ببعده و احتراقه ﴿ لما قضى الامر ﴾ بتعين [٣] قوم للجنة و قوم للنار ، جوابا لقول الأتباع مذعنا حيث لا ينفع ٥ [الإذعان - [٤]] ، و مؤمنا حيث فات نفع الإيمان : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال [٥] ﴿ وعدكم وعد الحق ﴾ بأن أرسل إليكم رسلا [٦] و أنزل معهم براهين و كتبا [٧] أخبركم فيها بأنه ربكم الواحد القهار ، و دعاكم إليه بعد أن أخابتكم [٨] الشياطين ، و بشر من أجاب ، و حذر من أبى ، بما هو قادر عليه أتم القدرة ، فكل ما [٩] قاله طابقه [٩] الواقع - كما ترون - ١٠ فصدقكم فيه و وفى لكم [١٠] ﴿ و وعدتكم ﴾ أنا بما زينت لكم به [١١] المعاصى من الوساوس [١١] وعدَ الباطل ﴿ فاخلفتكم [١] ﴾ فلم أقل شيئا إلا كان زيغا ، فاتبعتمونى مع كونى عدوكم ، و تركتم ربكم و هو ربكم [و وليكم - [٢]] ؛ فالآية من الاحتباك : ذكر "وعد الحق" أولا دليلا على حذف ضده

(١) فى ظ : الجواب (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : المفضى (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بتعيين (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى ظ : الكلام (٦) فى ظ : رسولا (٧) فى ظ و مد : كتبنا (٨) فى الأصل و ظ و مد : اجابتكم ، و فى م : احالتكم - كذا (٩-٩) من م ، و فى الأصل : له طايفة ، و فى ظ : قاله طابق ، و فى مد : قاله طابقة - كذا (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : بكم (١١-١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للعاصى من المساوس.

ثانيا ، و " اخلفتكم " ثانيا دليلا على حذف "صدقكم"[1] أولا .

و لما بين غروره ، بين سهولة اغترارهم زيادة فى تنديمهم[2] فقال : ﴿ و ما كان ﴾ لى إليكم فى ذلك من ذنب لأنه ما كان ﴿ لى عليكم ﴾ و أبلغ فى النفى فقال : ﴿ من سلطن ﴾ أى تسلط[3] كبير أو صغير بشىء من الأشياء ﴿ الآ ان ﴾ أى بأن ﴿ دعوتكم ﴾ بالوسوسة التى كانت ٥ سببا لتقوية دواعيكم إلى الشر ﴿ فاستجبتم ﴾ أى أوجدتم[4] الإجابة إيجاد من هو طالب لها ، راغب فيها ﴿ لى ﴾ محكمين الشهوات ، معرضين عن مناهج العقول و دعاء النصحاء ، و لو حكمتم عقولكم لتبعتم الهداة لما فى سبيلهم من النور الداعى إليها[5] و ما [فى -[6]] سبل[7] غيرهم من الظلام السادّ لها ، و المهالك الزاجرة عنها دنيا و أخرى ، و ساقه على صورة ١٠ الاستثناء - و إن لم يكن دعاءه من السلطان فى شىء - لأن السلطان أخص من البرهان إذ معناه برهان يتسلط به على إبطال مذهب الخصم إشارة إلى أنهم تبعوه و لا قدرة له على غير هذا الدعاء الذى لا سلطان فيه ، و تركوا دعاء من أنزل إليهم من كل سلطان مبين ، مع تهديدهم[8] بما هو قادر عليه و ضربهم ببعضه ، و فاعل مثل ذلك لا لوم له على غير ١٥ نفسه ﴿ فلا ﴾ [أى -[6]] فاذ [قد -[6]] تقرر هذا تسبب عنه أنى[9]

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ضده (٢) فى ظ : تقديمكم (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تسلطا (٤) فى ظ : اخذتم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لها (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سبيل (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تهديهم (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أى .

أقول لكم : [لا - ١] ﴿تلومونى و لوموآ انفسكم[١]﴾ لأنكم مؤاخذون بكسبكم ، لأنه كانت لكم قدرة و اختيار فاخترتم الشر على الخير ، و علم منه[٢] قطعا أن كلا منا مشغول عن صاحبه بما جزى به ، فعلم أنى ﴿ مآ انا بمصرخكم ﴾ أى بمغيثكم[٣] فيما يخصكم من العذاب ، فآتيكم بما يزيل صراخكم منه ﴿و مآ انتم بمصرخىّ[٤]﴾ فيما يخصنى منه لتقطع الأسباب ، بما دهى من العذاب . ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انى كفرت ﴾ مستهينا ﴿ بمآ اشركتمونِ ﴾ [أى - ١] باتخاذكم [لى - ١] شريكا مع الله .

و لما كان إشراكهم لم يستغرق الزمان ، أتى بالجار فقال : ﴿من قبل[٥]﴾ لأن ذلك ظلم عظيم ، ثم علل هذه العلة بقوله : ﴿ان الظلمين﴾ أى العريقين[٤] فى هذا الوصف ﴿ لهم عذاب اليم ٥ ﴾ مكتوب لكل منهم مقداره ، لا يغنى أحد منهم عن الآخر شيئا ، بل كل مقصور على ما قدر له .

١٦٢ / و حكاية هذه المحاورة لتنبيه السامعين على النظر / فى العواقب و الاستعداد[٥] لذلك اليوم قبل أن لا[٦] يكون إلا الندم و قرع[٧] السن و عض اليد[٨] .

و لما ذكر الظالمين ، أتبعه ذكر المؤمنين ، فقال بانيا للمفعول لأن الدخول هو المقصود بالذات : ﴿ و ادخل ﴾ و الإدخال : النقل إلى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منكم .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمعينكم (٤) من م ، و فى الاصل و ظ و مد : الغريقين (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاستمداد (٦) سقط من ظ .
(٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : قوع (٨) فى مد : اليوم (٩) فى ظ : لا .

محيط - هذا أصله ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا[1] الإيمان ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ أى تصديقا لدعواهم[2] الإيمان ﴿ جنت تجرى ﴾ و بين أن الماء غير عام لجميع[3] أرضها بادخال الجار فقال: ﴿ من تحتها الانهر ﴾ فهى[4] لاتزال ريّا ، لا يسقط ورقها و لا ثمرها فداخلها[5] لا يبغى بها بدلا ﴿ خلدين فيها ﴾ .

٥

و لما كانت الإقامة لا تطيب إلا باذن المالك قال : ﴿ باذن ربهم[6] ﴾ الذى أذن لهم - بتربيته و إحسانه - فى الخروج من الظلمات إلى النور ، و قرئ[7] "و أدخلُ" على التكلم فيكون[2] عدل عن أن يقول "باذنى" إلى "باذن ربهم" للاعلام بالصفة المقتضية للرحمة كما قال تعالى "انا اعطينك الكوثر فصل لربك[8]" و لم يقل : لنا - سواه[9] ، و من شكله ١٠ "انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله[10]" فلا تنبغى[11] المسارعة إلى إنكار شىء يمكن توجيهه[12] ، بل يتعين إمعان النظر ، فان الأمر كما قال الإمام أبو الفتح ابن جنى فى كتابه المحتسب[13] فى توجيه[14] "لما يهبط من خشية الله[15]"

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اوجده (٢) من م و مد ، و فى الأصل : لدعواها ، و فى ظ : لدعوة - كذا (٣) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : لجميع . (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انى (٥) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : تداخلها (٦) بالحسن و عمرو بن عبيد - كما صرح به فى البحر ٥/٤٢٠ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: ليكون (٨) سورة ١٠٨ آية ١ و ٢ ؛ و زيد بعده فى الأصل « و انحر ان شانئك هو الابتر » و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سواه (١٠) سورة ٤٨ آية ١ و ٢ . (١١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فلا تبغى (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : توجهه (١٣) ١/٩٣ (١٤) فى ظ : توجيهه (١٥) سورة ٢ آية ٧٤ .

أن كلام العرب[1] لمن[2] عرفه - [و من الذى يعرفه؟ -[3]] - ألطف من السحر، و أنق[4] ساحة من مشوف الفكر، و أشد تساقطا بعضا على بعض، و[5]أمس تساندا[5] نفلا إلى فرض. ﴿ تحيتهم ﴾ أى فيما بينهم و تحية الملائكة لهم؛ و التحية: التلق بالكرامة فى المخاطبة، فهى إظهار شرف المخاطب ﴿ فيها سلٰم ﴾ أى عافية و سلامة و بقاء، و قول من كل منهم للآخر: أدام الله سلامتك، و نحو هذا من الإخبار بدوام العافية، كما أن حال أهل الباطل فى النار عطب و آلام[6].

و لما تقرر بما مضى أن الحق ما قاله [الله -[7]] أو فعله أو أذن فيه، و أن الباطل ما كان على غير أمره مما ينسب إلى الشيطان أو غيره من قول أو فعل، و أنه لا يصلح فى الحكمة أن ينفى الحق و لا [أن -[8]] يبقى الباطل [[9]"ان الله لا يصلح عمل المفسدين"[9]، "و يحق الله الحق بكلمته"[10]، "[11]ليحق الحق[11] و يبطل الباطل -[7]"] ، و قص سبحانه كلام أوليائه الذى هو من كلامه، فهو[12] أثبت الأشياء و أطيبها و أعظمها ثمرة[13]،

(١) من ظ و م و مد و المحتسب، و فى الأصل: القرب (٢) فى ظ: كما، و فى مد: كن (٣) زيد من ظ و م و مد و المحتسب (٤) من ظ و م و المحتسب، و فى الأصل و مد: ابقى (٥-٥) من م و المحتسب، و فى الأصل و مد: امش تسايدا، و فى ظ: امش تساندا (٦) من م و مد، و فى الأصل: الالم، و فى ظ: الامر - كذا (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد من ظ و مد (٩) سورة ١٠ آية ٨١ (١٠) سورة ١٠ آية ٨٢ (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ، و راجع سورة ٨ آية ٨ (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هو (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غيره.

وكلام أعدائه الذى هو من كلام الشيطان، فهو أبطل الأشياء وأخبثها، قرب سبحانه [ذلك -[1]] بمثل يتعارفه المخاطبون فقال: ﴿ الم تر ﴾ أى يا من لا يفهم عنا هذا المثل حق الفهم سواه! ﴿ كيف ضرب الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة وعلما ﴿ مثلا ﴾ أى سيره بحيث يعم نفعه؛ والمثل: قول سائر يشبه فيه حال الثانى بالأول؛ ثم بينه بقوله: ٥ ﴿ كلمة طيبة ﴾ أى جمعت أنواع الكرم فليس فيها شىء من الخبث، وتلك الكلمة ﴿ كشجرة طيبة ﴾.

ولما كانت لا تسر[2] إلا بالثبات، قال: ﴿ اصلها ثابت ﴾ أى راسخ[3] فى الأرض آمن[4] من الاجتثاث بالرياح ونحوها ﴿ وفرعها ﴾ عالٍ *صاعد مهتز* ﴿ فى ﴾ جهة ﴿ السماء ﴾ لحسن منبتها وطيب ١٠ عنصرها؛ فالآية من الاحتباك: ذكر "ثابت" أولا دال على "عال صاعد[6]" ثانيا، وذكر "السماء" ثانيا دال على "الارض" أولا.

ولما ذكر حالها، ذكر ثمرتها فقال: ﴿ تؤتى اكلها ﴾ أى ثمرتها بحسن أرضها ودوام ريها[7] ﴿ كل حين ﴾ على أحسن ما يكون من الإيتاء، لأن علوها منعها من عفونات[8] [الأرض -[9]] وقاذورات الأبنية، ١٥

(١) زيد من م ومد (٢) من م ومد، وفى الاصل: لاتر، وفى ظ: لا تسعر (٣) فى ظ: راجح (٤) فى ظ: اى (٥ - ٥) من ظ وم، وفى الأصل: صايد تهتز، ولا يتضح ما بين الرقمين فى مد (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: صاعدا. (٧) من م، وفى الأصل وظ ومد: ربها (٨) من م، وفى الأصل وظ ومد: عقوبات (٩) زيد من ظ وم ومد.

فكانت ثمرتها نقية من شوائب الأدناس .

ولما كان الشيء لا يكمل إلا بكمال مربيه[1] قال : ﴿ باذن ربها[1] ﴾ فهي[2] بحيث لا يستجيز عاقل أن يتسبب فى إفسادها ، ومن سعى فى ذلك منعه أهل العقول ولو وصلوا إلى بذل النفوس ؛ روى / البخارى ١٦٣ / فى التفسير وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال : أخبرونى بشجرة كالرجل المسلم لا يتحات ورقها ولا [3] ولا ولا [3] ، تؤتى أكلها كل حين ، قال ابن عمر رضى الله عنهما : فوقع فى نفسى أنها النخلة ، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان ، فكرهت أن أتكلم ، فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : هى النخلة ، فلما قمنا قلت لعمر : [4] يا أبتاه[4] ! والله لقد كان وقع فى نفسى أنها النخلة ، فقال[5] : ما منعك أن تكلم[6] ؟ قال : لم أركم[7] تكلمون[8] فكرهت [أن -[9]] أتكلم ، قال عمر : لأن تكون[10] قلتها أحب إلى من كذا وكذا .

ثم نبه سبحانه على عظم هذا المثل ليقبل[11] على تدبره[12] ليعلم المراد

---

(١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : مربه (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل: فهو (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) من ظ وم ومد وصحيح البخارى ، وفى الأصل : ياه - كذا (٥) فى ظ : قال (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : تتكلم (٧) فى ظ : لم اركما (٨) من م ومد والصحيح ، وفى الاصل وظ : تتكلمون (٩) زيد من ظ وم ومد والصحيح (١٠) من ظ وم ومد والصحيح ، وفى الأصل : يكون (١١) فى ظ : يقبل (١٢) فى ظ : تدبيره .

منه فيلزم ، فقال : ﴿ و يضرب الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ الامثال للناس ﴾ أى الذين يحتاجون إلى ذلك لاضطراب آرائهم ، لأن فى ضربها زيادة إفهام و تصوير للمعانى ، لأن المعانى الصرفة إذا ذكر مناسبها[1] من المحسوسات ارتسمت فى الحس و الخيال و الوهم ، و تصورت فتركت هذه [القوى -[2]] المنازعة فيها ، فيحصل الفهم التام و الوصول إلى المطلوب ﴿ لعلهم يتذكرون ﴾ أى ليكون[3] حالهم حال من يرجى له غاية التذكر - بما أشار إليه الإظهار ، فهذا مثل كلام الأولياء ، فكلمتهم الطيبة كلمة التوحيد التى لا أطيب منها ، و هى أصل كل سعادة راسخة فى قلوبهم ، معرفة[4] فى كل عرق منهم أوجب إعراقها[5] أن بسقت[6] فروعها التى هى الأعمال الدينية من أعمال القلوب و الجوارح ، فصارت كلما [هزيته -[2]] اجتنى الفائز ثمراتها التى لا نهاية لها ، عالما بأنها من فتح مولاه لا صنع له فيها بوجه ، بل له سبحانه المن[7] عليه فى جميع ذلك و كما[8] أن الشجرة لا تتم إلا [بعرق راسخ و أصل قائم و فروع عالية ، فكذلك الإيمان لا يتم إلا -[2]] بمعرفة القلب و قول اللسان و عمل الأركان ، ثم أتبعه مثل حال الأعداء فقال : ﴿ و مثل كلمة خبيثة ﴾ [أى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : مناسبتها (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيكون (٤) من م ، و فى الأصل : معرفة ، و فى ظ و مد : معرفة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : غرانها ، و فى مد : اغرانها (٦) فى ظ و مد : سبقت (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لن .
(٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما .

عريقة فى الخبث لاطيب فيها -[١] ﴿[٢] كشجرة خبيثة[٢]﴾ .

و لما كان من أنفع الأمور[٣] إعدامها و الراحة من وجودها على أىّ حالة كانت، بنى للمفعول قوله: ﴿ اجتثت ﴾ أى استؤصلت بقلع جثتها[٤] من أصلها ﴿ من فوق الارض ﴾ برأى كل من له رأى؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ ما[٥] لها ﴾ و أعرق فى النفى بقوله: ﴿من قرار﴾ أى عند من له أدنى لب، لأنه لا نفع لها بل وجودها ضار و لو بشغل الأرض، فكذلك الكلمة الخبيثة الباطلة[٦] لا بقاء لها [أصلا -[٧]] و إن علت وقتا، لأن حجتها داحضة لجنودها منهزمة .

فلما برز الكلام إلى هذين المثالين، حصل التعجب ممن[٨] يترك ممثّل الأول و[٩]يفعل ممثول[٩] الثانى، فوقع التنبيه على أن ذلك بفعل القاهر، فقال تعالى - جوابا لمن كأنه [قال -[١٠]]: إن هذا الصريح الحق، ثم إنا نجد النفوس مائلة إلى الضلال، و طائشة فى أرجاء المحال[١١]، فكيف لنا بالامتثال[١٢]؟-: ﴿يثبت الله﴾ أى الذى له الجلال [١٣]والجمال[١٣] ﴿الذين امنوا﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من الأصل فقط (٣) من م و مد، و فى الأصل: الشىء، و فى ظ: الاشياء (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خبثها (٥) سقط من ظ (٦) و من هنا إلى ما سننبه عليه يعتور نسخة مد من الغموض و الغباشة ما يشكل عائقه كبيرة لإجراء المقابلة عليها (٧) زيد من م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: بمن (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: مفعل الممثول (١٠) زيد من ظ و م (١١) فى ظ: للحال (١٢) من م، و فى الأصل و ظ: بالامثال (١٣-١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أي أوجدوا هذه الحقيقة و لو على أقل درجاتها ﴿ بالقول الثابت ﴾ أي الذى [هو -[1]] متابعة الدليل ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ بمثل ما تقدم من محاورات[2] أنبيائه ﴿ و فى الأخرة ج ﴾ و يهديهم عند كل سؤال إلى أحسن الأقوال حيث تطيش العقول و تدهش الأفكار لشدة[3] الأهوال ﴿ و يضل الله ﴾ أي الذى له الأمر كله ﴿ الظلمين ۙ ﴾ أي العريقين[4] فى الظلم ، و يزلزلهم لتقلبهم فى الظلمات التى من شأن صاحبها الضلال و الخبط ، فيفعلون ما لا يرضاه عاقل . فالآية من الاحتباك : ذكر الثبات أولا دليلا[5] على ضده ثانيا ، و الإضلال ثانيا دليلا على الهدى أولا ﴿ و يفعل الله ﴾ أي الذى له الأمر / كله ، فلا يسئل عما يفعل ﴿ ما يشآء ﴾ لأن الكل[6] بحكمه و قضائه و هو القادر القاهر ، فلا يتعجب من شيء ، و فى هذا إرشاد إلى الإقبال عليه و إلقاء أزمّة الافتقار إليه ؛ روى البخارى فى التفسير و غيره و مسلم فى أواخر صفة الجنة و النار عن البراء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم قال : المسلم إذا سئل فى القبر يشهد أن لا إله الا الله ، و أن محمدا رسول الله ، فذلك قوله تعالى "يثبت الله" - الآية .

/ ١٦٤

و لما أخبر سبحانه أنه هو الفاعل وحده ، أتبعه الدليل عليه و على إضلال الذين بدلوا الكلمة الطيبة من التوحيد بالإشراك و زلزلتهم و اجتثاث كلمتهم فقال : ﴿ الم تر ﴾ و أشار إلى بعدهم[7] عن مقامه صلى الله عليه

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لمحذرات (٣) فى ظ : لشره (٤) فى ظ : العريقين (٥) فى ظ : دليل (٦) فى ظ : الكلمة (٧) من ظ ، و فى الأصل و م : تعمدهم .

و على آله و سلم بقوله : ﴿ الى الذين بدلوا ﴾ و التبديل : جعل الشيء مكان غيره ﴿ نعمت الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال التى أسبغها عليهم من كلمة التوحيد ، [1]و ما أورثهم من دين أبيهم إسماعيل عليه السلام و من جميع النعم الدنيوية من أمن البلد[1] و تيسير الرزق و غير ٥ ذلك ، بأن جعلوا مكان شكرها ﴿ كفرا ﴾ و هم يدعون أنهم أشكر الناس للاحسان ، و أعلاهم همما[2] فى الوفاء ، و أبعدهم عن الخناء ﴿ و احلوا قومهم ﴾ بذلك ﴿ دار البوار ﴾ أى[3] الهلاك ، مع[4] ادعائهم أنهم أذب الناس[5] عن الجار فضلا عن الأهل ، روى البخارى فى التفسير أنهم كفار أهل مكة . و البوار : الهلاك الزائد[6] ، و الإحلال : جعل الشيء فى محل ، ١٠ فان كان جوهرا فهو إحلال[7] مجاورة ، و إن كان عرضا فهو إحلال[7] مداخلة .

و لما أفاد أنها مهلكة ، بينها بما يفهم أنها تلقاهم بالعبوسة كما كانوا يلقون أولياء الله من الرسل و غيرهم بذلك فقال : ﴿ جهنم ج ﴾ حال كونهم ﴿ يصلونها ﴾ أى يباشرون حرها مع انغماسهم فيها بانعطافها عليهم ؛ و لما كان ١٥ التقدير : فبئس الإحلال أحلوه أنفسهم و قومهم ، عطف عليه[8] قوله :

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هما . (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عن . (٥) فى ظ : النار (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الزايدة (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : اخلال (٨) سقط من ظ .

﴿ و بئس القرار ﴾ ذلك المحل الذى أحلوهم[1] به .

و لما كان هذا فعل من لا عقل له ، بينه بقوله : ﴿ و جعلوا لله ﴾ الذى[2] يعلمون أنه لا شريك له فى خلقهم و لا رزقهم لأن له الكمال كله ﴿ اندادا ﴾ و قال : ﴿ ليضلوا ﴾ أى بأنفسهم على قراءة ابن كثير و أبى عمرو ، و يعموا غيرهم على قراءة الباقين[3] ﴿ عن سبيله[4] ﴾ لأنهم ٥ [إن -[4]] كانوا عقلاء [فانهـــم -[4]] يعلمون أن هذا لازم لفعلهم فهم قاصدون له ، و إلا فلا عقول لهم ، لأنه لا يقدم على ما لا يعلم عاقبته إلا أبله ، و هم يقولون : إنهم أبصر الناس قلوبا[6] ، و أصفاهم عقولا ، و أنفذهم أفكارا ، و أمتنهم آراء ، فمن ألزم منهم [بطريق النجاة -[7]] و من أحذر منهم لطرق[8] الهلاك ؟ مع ما أوقعوا أنفسهم فيه من هذا ١٠ الداء العضال .

و لما تقرر أنهم على الضد من جميع ما يدعونه فكانوا بذلك أهلا للاعراض عنهم ، و كان صلى الله عليه و على آله و سلم بمعرض أن[9] يقول : فما ذا أفعل بهم و قد أمرتنى باخراجهم إلى صراطك ؟ أمره[10] أن يدق أعناقهم باخبارهم أن ما أضلهم من النعم إنما هو استدراج ، ١٥ فقال : ﴿ قل ﴾ أى تهديدا لهم فانهم لا يشكون فى قولك و إن عاندوا : ﴿ تمتعوا ﴾ و بالغوا فى فعل البهائم مهما قدرتم ، فان ذلك ضائركم[11]

---

(١) فى ظ : احلوه (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : الذين (٣) راجع نثر المرجان ٣ / ٣٠٨ (٤) زيد من ظ و م (٥) و من هنا استأنفت نسخة مد (٦) فى ظ : قلوبهم (٧) زيد من م (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لطرف (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (١٠) فى ظ : اخره (١١) فى ظ : ضاركم .

غير نافعكم ﴿ فان مصيركم ﴾ أى صيرورتكم ﴿ الى النار ﴾ بسبب تمتعكم على هذا الوجه .

و لما ذكر كفرهم و ضلالهم عن السبيل و ما أمره صلى الله عليه
١٦٥ / و على آله و سلم بأن يقول لهم ، / و كان ذلك محركا لنفس السامع
٥ إلى الوقوف على ما يقال لمن خلع الأنداد ، و كان أوثق عرى السبيل بعد الإيمان و أعمها الصلاة الناهية عن الفحشاء و المنكر ، و النفقة الشاملة لوجوه البر ، أمره تعالى أن يندب أولياءه [1]إلى الإقبال[1] إلى [ما - [2]] أعرض[3] [عنه - [2]] أعداؤه ، و الإعراض عما أقبلوا[4] بالتمتع عليه من ذلك ، فقال : ﴿ قل لعبادى ﴾ فوصفهم بأشرف أوصافهم ، [5]و أضافهم[5]
١٠ إلى ضميره الشريف تحببا لهم فيه ، ثم أتبع هذا الوصف ما يناسبه من إذعانهم لسيدهم فقال : ﴿ الذين امنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف .

و لما كان قوله صلى الله عليه و على آله و سلم أحسن قول ، فهو [6]جالٍ لصدإ[6] القلوب ، و موجب لتهذيب[7] النفوس ، قال جازما[8] : ﴿ يقيموا الصلوٰة ﴾ التى[9] هى زكاة القوة و صلة العبد بربه ﴿ و ينفقوا ﴾
١٥ و خفف عنهم بقوله : ﴿ مما رزقنٰهم ﴾ [أى - [10]] بعظمتنا ، فهو لنا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعراض (٤) فى ظ : اقبلوه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حال لصد - كذا (٧) فى ظ و مد : لتهديد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جازما (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أى (١٠) زيد من ظ و م و مد .

دونهم

دونهم ، من أنواع النفقات المقيمة لشرائعه من الصدقات وغيرها ، إتقانا لما بينهم و بينه [من الأسباب - [1]] لينقذوا أنفسهم من النار ، و اقتصر[2] على هاتين الخلتين لأنه لم يكن فرض فى مكة غيرهما[3] مع ما تقدم من فضلهما و عمومهما ، و لعله سيق سياق الشرط[4] تنبيها [لهم - [5]] على أن مجرد قوله صلى الله عليه و على آله و سلم أقوى الأسباب فيجب ٥ عليهم ألا يتخلفوا عنه أصلا ؛ ثم أشار إلى المداومة على هاتين الخصلتين بقوله : ﴿ سرا و علانية ﴾ و يجوز أن يراد بالسر النافلة ، و بالعلانية الفرض ؛ ثم رهب من تهاون فى خدمته من اليوم الذى كان الإعراض [عنه - [1]] سبب الضلال ، فقال مشيرا بالجار إلى قصر[6] مدة[7] أعمالهم : ﴿ من قبل ان يأتى يوم ﴾ أى عظيم جدا ليس هو كشىء من الأيام ١٠ التى تعرفونها ﴿ لا بيع فيه ﴾ لأسير بفداء ﴿ و لا خلل ﴾ أى مخالات [و موادات - [1]] يكون عنها شفاعة أو نصر ، جمع[6] خلة كقلة و قلال ، أو هو مصدر ، و ذلك إشارة إلى أنه لا يكون شىء منهما[8] سببا لخلاص هالك .

و لما نفى جميع[9] الأسباب النافعة فى الدنيا فى ذلك [اليوم - [1]] ، ١٥ كان كأنه[6] قيل : فمن[10] الحكم فيه حتى أنه يسير[11] سيرة لا نعرفها ؟

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : اقتصروا . (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غيرهنا (٤) فى ظ : الشروط (٥) زيد من م و مد (٦) سقط من ظ (٧) تكرر فى ظ (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : منها (٩) فى م : نفع (١٠) فى ظ : فما (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يشير .

فقيل : ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعلى المحيط بكل شىء ؛ ثم اتبعه بصفات تدل على ما دعا[1] إليه [الرسل -[2]] من وحدانيته و ما أخبروا به من قدرته على كل شىء فلا يقدر أحد على مغالبته ، و على المعاد و على غناه[3] فلا يبايع . فقال : ﴿ الذى خلق السمٰوٰت و الارض ﴾ و هما أكبر خلقا منكم و أعظم شأنا . ثم عقبه بأدل[4] الأمور على الإعادة مع ما فيه من[5] عظيم[6] المنة بأن به[7] الحياة . فقال : ﴿ و انزل من السمآء مآء ﴾ و لما كان ذلك سبب النمو قال : ﴿ فاخرج به ﴾ أى بالماء الذى جعل منه كل شىء حى ﴿ من الثمرٰت ﴾ أى [8]الشجرية و[8] غيرها ﴿ رزقا لكم ج ﴾ بعد يبس [الأرض -[9]] و جفاف نباتها . و ليس ذلك بدون إحياء الموتى ؛ ثم أتبعه ما ادخره فى الأرض من مياه البحار و الأنهار ، [و ذكر أعم ما يظهر من البحار -[2]] فقال[10] : ﴿ و سخر لكم[11] الفلك ﴾ و علل ذلك بقوله : ﴿ لتجرى فى البحر ﴾ و لما كان ذلك أمرا باهرا للعقل ، بين عظمته بقوله : ﴿ بامره ج ﴾ و لما كانت الأنهار من النعم الكبار بعد نعمت البحار ، قال : ﴿ و سخر لكم[11] الانهر ج ﴾ ثم أتبعه ما جعله سببا لكمال التصرف و إنضاج

(١) فى ظ : ادعاه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : غنه (٤) فى ظ : بادراك (٥) زيد بعده فى مد : جميع (٦) فى ظ : عظم . (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيه (٨-٨) فى ظ : الشجر به او (٩) زيد من م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قال (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من الأصل فقط و زيد من غيره .

الثمار المسقيّة بالماء [النازل -[1]] من السماء و النابع من الأرض فقال: ﴿ و سخر لكم الشمس و القمر ﴾ حال كونهما ﴿ دآئبين ج ﴾ أى فى سيرهما و إنارتهما[2] و ما ينشأ عنهما من الإصلاح بالطبخ و الإنضاج فى المعادن و النبات و الحيوان[3]؛ قال الرمانى: و الدؤب[4]: مرور الشىء فى العمل على عادة جارية فيه؛ ثم ذكر تعالى ما ينشأ عن وجود الشمس و عدمها ٥ فقال: ﴿ و سخر لكم الّيل ﴾ أى الذى القمر آيته ﴿ و النهار ﴾ [أى -[1]] الذى الشمس آيته. / يوجد كل منهما بعد تصرمه، و لو كان أحدهما /١٦٦أ سرمدا لاختل الحال بعدم[5] النبات و الحيوان كما هو كذلك[6] حيث لاتغرب الشمس [7]فى الجنوب[7] و حيث لا تطلع [7] فى الشمال[7]؛ ثم عم [بعد -[1]] أن خص فقال: ﴿ و آتىكم ﴾. ١٠

و لما كان الكمال[8] لا يكون إلا فى الجنة قال: ﴿ من كل ما سألتموه[1] ﴾ أى ما أنتم محتاجون[9] إليه فأنتم سائلوه بالقوة؛ ثم حقق وجه العظم بفرض ما يوجب العجز فقال: ﴿ و ان تعدوا ﴾ أيها الناس كلكم ﴿ نعمت الله ﴾ أى ترووا عد إنعام الملك الأعلى الذى له الكمال المطلق أو تأخذوا فى عدّه، و عبر عنه بالنعمة إرشادا إلى الاستدلال بالأثر ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى م: انارتها (٣) فى من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحيوانات؛ و زيد بعده فى الأصل: كما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى ظ: الداب (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعد. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لذلك (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) فى ظ: الجمال (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يحتاجون.

[1]على المؤثر[1] ﴿لاتحصوها[2]﴾ أى لاتحيطوا بها [2]و لاتعرفوا عد[2] الحصى المقابلة لها إن عددتموها [بها -[3]] - كما كانت عادة العرب ، أو لا [تجدوا -[4]] من الحصى ما يوفى[5] بعددها ، هذا فى النعمة الواحدة فكيف بما زاد ! فهذا شرح قوله أول السورة [" الله -[6]] الذى له ما ٥ فى السمٰوٰت و ما فى الارض" و قد ظهر به أنه[7] لايوجد شىء [إلا و هو ملك الله فضلا عن أن يوجد شىء -[3]] يدانيه فضلا عن شىء يماثله ، فثبت[8] أنه لابيع و لا خلال يوم دينونة العباد ؛ و تقريب العجز عن العد للافهام أن السلامة من كل داء ذكره الأطباء فى كتبهم - على كثرتها و طولها - نعمة على العبد ، و ذلك متعسر الحصر ، و كل ما ١٠ ذكروه صريحا - فى جنب ما دخل تحت كلياتهم تلويحا - قليل ، فكيف[8] بما لم يطلعهم الله عليه و لم يهدهم بوجه إليه ، هذا فى الجسم ، و أما فى العقل فالسلامة من[9] كل عقد زائغ ، و دين باطل [و ضلال -[3]] مائل ، و ذلك لا يحصيه إلاخالق الفكر[10] و فاطر الفطر سبحانه ، ما أعزه و أعظم شأنه !

١٥ و لما كان أكثر هذه السورة فى بيان الكفرة[11] و مآلهم ، و بيان أن أكثر الخلق هالك معرض عما يأتيه من نعمة الهداية على أيدى الرسل

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالموثر (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا تفرقوا بمد (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من ظ و م و مد. (٥) فى ظ : يوفى (٦) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : عن (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذكر (١١) فى ظ : الفكرة .

الدعاة إلى من له جميع النعم للحياة الطيبة بسعادة[1] الدارين ، ختم الآية بيان ما اقتضى ذلك من صفات الإنسان فقال : ﴿ ان الانسان ﴾ أى هذا النوع لما له من الأنس بنفسه ، و النسيان لما ينفعه و يضره ، و الاضطراب بسبب ما يغمه و يسره ﴿لظلوم كفار ۝﴾ أى بليغ الظلم و الكفر حيث يهمل الشكر ، و يتعداه إلى الكفر ، و ختم مثل ذلك فى سورة النحل ٥ بـ"غفور رحيم[2]" لأن تلك سورة النعم ، بدئت[3] بالنهى عن استعجال[4] العذاب ، لأن الرحمة أسبق ، و من الرحمة إمهال الناس و إمتاعهم بالمنافع ، فالتقدير إذن هناك : "و ان تعدوا نعمت الله لا تحصوها ان الانسان [لظلوم -[5]] كفار" و لكن ربه لا يعاجله بالعقوبة لأنه غفور رحيم ، و أما هذه السورة فبدئت بأن الناس فى الظلمات . ١٠

و لما انقضى المأمور به من القول لكافر[6] النعمة و شاكرها و سبب ذلك و الدليل عليه ، و بان أنه خالق الموجودات كلها و ربها ، فلا يصح أصلا أن يكون شىء منها شريكا ، أمره صلى الله عليه و على آله و سلم أن يذكرهم بأيام الله عند أبيهم إبراهيم عليه السلام للدلالة على تبديلهم النعمة ظلما منهم و كفرا ، فى أسلوب دال على البعث ، مشير إلى وجوب ١٥ براءتهم من[7] الأصنام حيث كان محط حالهم فيها[8] تقليد الآباء و هو

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سعادة (٢) آية ١٨ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ندب (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : استعمال . (٥) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم (٦) فى مد : الكافر (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيه .

أعظم آبائهم ، و إلى ما سنه لهم من إقامتهم[1] الصلاة و شكرهم لنعمه بالإنفاق و غيره ، فقال ناعيا عليهم - مع[2] المخالفة لصريح العقل و قاطع النقل - عقوقَ أبيهم الأعظم ، عطفا على " قل لعبادى[3] الذين آمنوا " أو[4] على " و اذ قال موسى لقومه " : ﴿و اذ﴾ أى و اذكر لهم مذكرا بأيام الله خبر إبراهيم إذ[5] ﴿قال ابرٰهيم رب﴾ أى أيها المحسن إلىّ باجابة دعائى فى جعل القفر الذى وضعت[6] به ولدى بلدا عظيما .

و لما كان السياق لإخراج الرسل[7] من محالهم ، و كان ذلك / مفهما ١٦٧ / لأن المحل الذى يقع الإخراج منه بلد يسكن فيه ، و اتبعه سبحانه بأن المتعرضين[8] بدلوا نعمة الله - بما أسكن فيه من الأمن بعد جعله له بلدا - بما أحدثوا فيه من الإخافة لخير أهله ، و من الإنذار لمن أنعم عليهم بكل ما فيه من الخير ، كان الأنسب تعريفه فقال : ﴿اجعل هذا البلد﴾ [أى -[9]] الذى يريدون إخراج الرسول منه ﴿ امنا ﴾ أى ذا أمن بأمان أهله ، و كأن هذا الدعاء [10]صدر منه[10] بعد أن سكن الناس مكة و صارت مدينة ، و الذى فى البقرة[11] كان حيث وضع ابنه[12] بها مع أمه و هى خالية عن ساكن ، فدعا أن يجعلها الله بلدا ، و أن يجعلها بعد ذلك موصوفة

(١) فى ظ : اقامة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٣) من م و القرآن الكريم ، و فى الأصل و ظ و مد : يعبادى (٤) سقط من ظ و م . (٥) سقط من مد (٦) فى ظ : وصفت (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل و م ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المعترضين . (٩) زيد من م ، و موضعه فى مد : الذى (١٠ - ١٠) فى ظ : منه صدر . (١١) آية ١٢٦ (١٢) فى ظ : امته

بالأمن ، و هو سكون النفس إلى زوال[1] الضر .

و لما دعا بالأمن من فساد الأموال و الأبدان ، اتبعه الدعاء بالأمن [من -[2]] فساد الأديان[3] ، فقال : ﴿و اجنبني﴾ أي اصرفني ﴿و بني﴾ أي لصلبي ، [4]و أسقط البنات إشارة إلى الاستقلال ، و إنما هن تابعات دائما[4] ﴿ان نعبد﴾ أي عبادة مستمرة تكون موجبة للنار ﴿الاصنام[5]﴾ أي اجعلنا ٥ في جانب غير جانب عبادتها ، و الصنم : المنحوت على خلقة البشر ، [و ما كان منحوتا على غير خلقة البشر -[2]] فهو وثن - قاله الطبري عن مجاهد[5] ؛ ثم بين زيادة الاهتمام بأمر الأصنام باعادة النداء ، و أسقط الأداة - زيادة في التملق بكونه من أهل القرب و الانقطاع إليه سبحانه معللا لما قبله - في قوله : ﴿رب﴾ بافراد المضاف إليه ليكون الكلام [الواحد -[2]] على نظام واحد ١٠ ﴿انهن اضللن﴾ إسناد[6] مجازي علاقته السببية ﴿ كثيرا من الناس ج فمن ﴾ أي فتسبب عن بعضي لهن أني[7] أقول[8] : من ﴿تبعني﴾ من جميع الناس في تجنبها ﴿فانه مني ج ﴾ أي من حزبي لكونه على طريقتي و ديني ، فأتى ما وعدتني فيه من الفوز ﴿و من عصاني﴾ فضل بها فقد استحق النار ، فان عذبته فهو عبدك ، و إن غفرت له فأنت[9] أهل لذلك ، لأن لك أن تفعل ما تشاء ١٥ ﴿فانك غفور﴾ أي بليغ الستر ﴿رحيم*﴾ أي بليغ الإكرام بعد ستر الذنوب ؛

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : حال (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الايمان (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م .
(٥) و لفظ مجاهد كما في الطبري : و الصنم : التمثال المصور ، [و] ما لم يكن صنما فهو وثن (٦) من ظ و م ومد ، و في الأصل : اسنادي (٧) في م : ان ، و في مد : أي (٨) سقط من م (٩) من م و مد ، و في الأصل و ظ : فهو .

و أكد للاعلام بزيادة رغبته فى العفو لأنه لا ينقص به شىء من عزته سبحانه و لاحكمته ـ كما أشار إليه دعاء عيسى عليه السلام فى المائدة[١] .

و لما دعا بدرء المفاسد الناشئة[٢] من نوعى الإنسان و الشيطان بأمن البلد و إيمانه[٣]، ذكر السبب الحامل[٤] له على تخصيصه بذلك مستجلبا للصالح ، فقال : ٥ ﴿ ربنآ ﴾ أى يا رب و ربّ من قضيت أنه يتبعنى بتربيتك لنا أحسن تربية ﴿ انىّ اسكنت ﴾ و كأن الله [٥]سبحانه كان[٥] قد أخبره[٦] أنه يكثر نسله حتى يكونوا كالنجوم ، و ذلك بعد البشارة باسحاق عليه السلام فقال : ﴿ من ذريتى ﴾ و ساقه مؤكدا تنبيها على أنه ـ لكونه على وجه لا يسمح به أحد ـ لا يكاد يصدق ، و للاعلام بأنه راغب فيه ﴿ بواد ﴾ ١٠ هو مكة المشرفة لكونها فى فضاء منخفض بين جبال تجرى به السيول[٧] ﴿ غير ذى زرع ﴾ .

و لما نفى عنه الرفد الدنيوى ، أثبت له الأخروى ، إشارة إلى أن الدارين ضرتان لا تجتمعان[٨] ، و كأن هذا الدعاء كان بعد بنائه البيت ـ كما تقدمت الإشارة إليه أيضا بتعريف البلد ، فقال : ﴿ عند بيتك المحرم[١] ﴾ ١٥ أى الذى حرمت التعرض إليه و منعته بالهيبة فلم يملكه أحد سواك ،

(١) آية ١١٨ (٢) فى ظ : الناسئة (٣) من مد ، و فى الأصل و م : امانه ، و فى ظ : بايمانه (٤) فى ظ و مد : الحاصل (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل : كان سبحانه ، و فى ظ : سبحانه (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اخبر . (٧) أى الوادى ترجع تسميته إلى الودى بمعنى السيل (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يجتمعان .

و جعل

وجُعل [له -[1]] حريم يأمن فيه الوحش و الطير ؛ و السكنى[2] : اتخاذ مأوى يسكن إليه متى شاء ، و الوادى : سفح الجبل العظيم ، و منه قيل للأنهار[3] : أودية ، لأن حافاتها كالجبال لها ، و الزرع : نبات ينفرش[4] من غير ساق ؛ ثم بين غرضه من إسكانهم هناك فقال : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا ﴿ ليقيموا الصلوٰة ﴾ ما أسكنتهم / فى هذا الوادى ٥ الموصوف إلا لهذا الغرض المنافى[5] لعبادة غيرك ، و لأن أولى الناس باقامتها حاضرو البيت المتوجه بها إليه . ١٦٨ /

و لما كان اشتغالهم بالعبادة وكونهم فى ذلك الوادى أمرين بعيدين عن أسباب المعاش ، تسبب عنه قوله : ﴿ فاجعل افئدة ﴾ أى قلوبا محترقة بالأشواق ﴿ من الناس ﴾ أى من[6] أفئدة الذين هم أهل للاضطراب ، ١٠ [7]بكون احتراقها بالشوق مانعا [8]من اضطرابها[8] ﴿ تهوىٓ ﴾ أى تقصدهم[9] فتسرع نحوهم برغبة و شوق إسراع من ينزل من حالق[10] ؛ و زاد المعنى وضوحا و أكده بحرف الغاية الدال على بعد لأن الشىء كلما بعد مدى[6]

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السكن .
(٣) فى ظ : الانهار (٤) من م و مد ، و فى الأصل : يتغرش ، و فى ظ : يفرش .
(٥) فى ظ : النافى (٦) سقط من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « من اضطرابها » ساقطة من م (٨ - ٨) فى ظ : بالاضطراب (٩) فى ظ : يقصدهم (١٠) فى الأصول جمعاء : خالق ؛ و الحالق من الجبال : المنيف المرتفع الذى لا نبات فيه كأنه حلق ، و يقال : هوى من الحالق : هلك .

مرماه اشتد وقعه[١] فقال[٢] : ﴿ اليهم[٣] ﴾ [و لما دعا لهم بالدين ، دعا لهم بالرزق المتضمن للدعاء لجيرانهم فقال - [٤]] : ﴿ و ارزقهم ﴾ أى على يد من يهوى إليهم ﴿ من الثمرٰت ﴾ أى التى أنبتها فى بلادهم ؛ و بين العلة الصالحة بقوله : ﴿ لعلهم يشكرون ٥ ﴾ أى ليكون حالهم حال من يرجى

٥ شكرهم لما يرون من نعمك[٥] الخارقة للعوائد فى ذلك الموضع البعيد عن الفضل لولا عنايتك [فيشتغلوا بعبادتك لإغنائك - [٦]] لهم و إحسانك إليهم ، و قد أجاب الله دعوته ؛ فالآية لتذكير قريش بهذه النعم الجليلة عليهم ببركة أبيهم الأعظم الذى نهى عن عبادة الأوثان .

و لما فرغ من الدعاء بالأهم من الإبقاء على الفطرة الأولى المشوقة

١٠ للعزائم إلى العكوف فى دارة الأنس[٦] ، و من الكفاية لهم المعاش ، المنتج للشكر بانفاق الفضل ، و تبين من ذلك أنهم خالفوا أعظم آبائهم فى جميع ما قصده [لهم - [٧]] من المصالح ، أتبعه ما يحث على الإخلاص [٨] فى ذلك و غيره [٨] له و لغيره ليكون أنجح للمراد بضمان الإسعاد و لاسيما مع تكرير النداء الدال على مزيد التضرع فقال : ﴿ ربنآ ﴾ أى أيها

١٥ المحسن إلينا المالك لجميع أمورنا ﴿ انك تعلم ما[٩] ﴾ أى جميع ما

(١) فى ظ : دفعه ، و العبارة من «و زاد المعنى» إلى هنا ساقطة من مد (٢) سقط من م (٣) من ظ و م و القرآن الكريم ، و ليس فى الأصل و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يعمل (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الامن (٧) زيد من م و مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) سقط من ظ .

﴿ نخفى و ما نعلن ﴾ ثم أشار إلى عموم[1] علمه فقال: ﴿ و ما يخفى على الله ﴾ أى الذى أحاط بكل شىء [2]قدرة و علما[2]. و بالغ فى النفى فقال: ﴿ من شىء ﴾ من ذلك و لاغيره ﴿ فى الارض ﴾ و لما كان فى سياق المبالغة، أعاد النافى تأكيدا فقال: ﴿ و لا فى السمآء ﴾ أى فهو غير محتاج إلى التعريف بالدعاء، فالدعاء إنما هو لإظهار العبودية، [3]و اسم الجنس شامل[4] لما فوق الواحد. و من فوائد التعبير[5] بالإفراد[6] الدلالة[7] على أن [من -[8]] كان محيطا [بكل ما فى المتقابلين من غير أن يحجبه أحدهما عن الآخر، كان محيطا -[9]] بغيرهما كذلك من غير فرق.

و لما تم ما دعا به من النزاهة عن رجاسة الشرك و تبين بتقديمه أن أهم المهمات البراءة منه، أتبعه الحمد على ما رزق من النعم و ما تبع ذلك من الإشارة إلى وجوب الشكر فقال: ﴿ الحمد لله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال ﴿ الذى وهب ﴾ و الهبة: عطية تمليك من غير عقد، منًّا منه ﴿ لى ﴾ حال كونى [مستعليا -[10]] ﴿ على الكبر ﴾ و متمكنا[11] منه على يأس من الولد ﴿ اسمٰعيل ﴾ الذى أسكنته هنا[12] ﴿ و اسحٰق ﴾ و هذا يدل على ما تقدم فهمى له من أن هذا الدعاء كان بعد بناء البيت

(١) فى ظ: جميع (٢ - ٢) فى ظ: علما و قدرة (٣) العبارة من هنا إلى « غير فرق » ساقطة من م (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ساما (٥) فى ظ: التعريف (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، و لم تكن فى مد فحذفناها. (٧) فى ظ: الدالة (٨) زيد لاستقامة العبارة (٩) زيد من ظ و مد (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) فى مد: تمكنا (١٢) فى ظ: هو.

و طمأنينته[1] باسحاق عليه السلام ، عن ابن عباس رضى الله عنهما[2] أن سنه[3] كان عند ولادة إسماعيل عليه السلام[4] تسعا و تسعين سنة ، و عند ولادة إسحاق عليه السلام كان مائة سنة و اثنتى عشرة[5] سنة .

و لما كان إتيان الولد [له -[6]] فى سن لايولد فيه لمثله ، و جميع[7] ما دعا [به -[6]] من الخوارق فوجوده لا يكاد يصدق ، أشار إلى ذلك بتأكيد قوله : ﴿ ان ربى ﴾ أى المحسن إلىّ ﴿ لسميع الدعآء ﴾ أى من شأنه إجابة الدعاء على الوجه الأبلغ تعريضا بالأنداد و إشارة[8] إلى ما تضمنه تأسفه على العقم[9] ، فقد تقدم فى سورة البقرة عن التوراة[10] أنه لما خلّص [11]ابن أخيه[11] [لوطا -[6]] من الأسر قال [له -[12]] الله : يا إبراهيم ! أنا أكانفك و أساعدك لأن ثوابك قد جزل[13] ، فقال إبرم : اللهم ربى ! ما الذى تنحلنى[14] و أنا خارج من الدنيا بلا نسل و يرثنى اليعازر غلامى / الدمشق ؟ فقال له الرب : لا يرثك هذا ، بل[15] ابنك /١٦٩

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بطمانينته (٢) راجع لباب التأويل ٤/٤١ .
(٣) فى ظ : سببه ، و فى م : سنته - كذا (٤) زيد بعده فى الأصل و ظ و مد : كان ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عشر (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ : جمع (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشار (٩) فى ظ : العتم (١٠) راجع الأصحاح الخامس عشر من باب التكوين (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) زيد من م (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غرك ، و زيد فى ظ : لى (١٤) من م و مد ، و فى الأصل : تنجلى ، و فى ظ : تنجلنى (١٥) زيد بعده فى كافة الأصول : يرثك ، و لم تكن الزيادة فى التوراة فحذفناها .

الذى يخرج من صلبك فهو يرثك ، و قال له : انظر إلى السماء و أحص النجوم إن كنت تقدر أن تحصيها ، فكذلك تكون[1] ذريتك ، فآمن إبرم[2] بالله .

و لما تم الحمد على النعمة بعد الدعاء بالتخلى[3] من منافى السعادة و ختمه بالحمد على إجابة الدعاء ، انتهز الفرصة فى إتباعه الدعاء بالتحلى ٥ بحلية العبادة التى أخبر أنها قصده باسكانه [4]من ذريته[4] ثم إقامتها ، إشارة إلى صعوبتها على النفس إلا بمعونة الله فقال : ﴿ رب ﴾ أى أيها الموجد لى[5] المالك لأمرى ﴿ اجعلنى مقيم الصلوٰة ﴾ أى [6]هذا النوع الدال على غاية الخضوع[6] ، دائم الإقامة لها ، و كأن الله تعالى أعلمه بأنه يكون من ذريته من يكفر فقال أدبا : ﴿ و من ذريتى ﴾ . ١٠

و لما كانت أعظم الأركان بعد الإيمان ، أفرد [الضمير -[7]] للدعاء بها متملقا لله تعالى بما عليه من النعم التى لم ينعمها على أحد كان فى ذلك الزمان غيره ، كما أشار إلى ذلك باسم الرب ، [ثم زاد -[7]] [8]فى التضرع[8] بقوله : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا ، و جمع الضمير المضاف إليه بالنظر إلى من تبعه من ذريته لأن ما بعده[9] كلام آخر ، أى رب و ربّ ١٥

(١) فى ظ و م و مد : يكون فى (٢) فى مد : ابراهيم (٣) من م ، و فى الأصل و مد : بالتحفى ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « إتباعه الدعاء » ساقطة من ظ (٤-٤) فى مد : بذريته ، و سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الى (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م . (٧) زيد من ظ و م و مد (٨-٨) فى ظ : بالتضرع (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعد .

مَن وفقته بتربيتك و إحسانك لإقامة الصلاة من ذريتى ﴿وتقبل دعآء﴾ كله بذلك و غيره ، بأن تجعله مقبولا جعلَ من كأنـــه راغب[1] فيه مفتن به .

و لما كان الإنسان - و لو اجتهد كل الاجتهاد - محل العجز الموجب للتقصير المفتقر للستر ، قال مشيرا إلى ذلك : ﴿ربنا﴾ أى أيها المالك لأمورنا المدبر لنا ﴿ اغفر لى ﴾ ثم أشرك معه أقرب الناس إليه و أحقهم بشكره فقال[2] : ﴿ ولوالدىّ ﴾ و قد كان استغفاره لها قبل أن يعلم أن أباه مات كافرا ، و قد علم من السياق أنه إذا[3] كان وحده أضاف إلى ضميره[4] ، و إذا تقدم ما يحسن جمعه [معه - ٥] جمع إن كان ما بعده مستقلا ، ثم كلَّ من تبعه فى الدين من ذريتـــه و غيرهم فقال : ﴿ و للمؤمنين ﴾ أى العريقين فى هذا الوصف ﴿ يوم يقوم ﴾ أى يظهر و يتحقق على أعلى وجوهه ﴿ الحساب[4] ﴾ .

و لما خـــتم دعاءه[6] بيوم الحساب الموجب ذكره لكل سعادة و نسيانه لكل شقاوة ، ذكر بعض ما يتفق فيه رجوعا إلى ما مضى من أحوال يوم[7] القيامة على أحسن وجه ، فقال - عاطفا [على قوله - ٥] " قل لعبـادى " و جل المقصد تهديد أهل الظلم بالإشراك و غيره ، و خاطب [الرأس - ٥] الذى لا يمكن ذلك منه ليكون أوقع فى قلب

(١) فى ظ : راغبـا (٢) فى ظ : اليـه - كذا (٣) فى ظ : ان (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غيره (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذكره (٧) سقط من ظ و م و مد .

غيره -: ﴿ولا تحسبن الله﴾ أى الملك الأعظم الذى هو أحكم الحاكمين.

ولما كان [اعتقاد -[1]] ترك الحساب يلزم منه[2] نسبة[3] الحاكم إلى العجز أو[4] السفه أو[5] الغفلة ، وكان قد أثبت قدرته وحكمته فى هذه السورة وغيرها نزهةً عن الغفلة لينتبه المنكرون للبعث من غفلتهم فقال: ﴿غافلا﴾ والغفلة : ذهاب المعنى عن النفس ﴿عما يعمل الظلمون﴾ ٥ الذين بدلوا نعمة الله كفرا ، فكانوا عريقين[6] فى الظلم وإن كان مستند ظلمهم [7]شبها علمية[7] يقيمونها ، فكأنه قيل : فما[8] الذى يفعل بهم ؟ فقال: ﴿انما يؤخرهم﴾ أى يؤخر حسابهم على النقير والقطمير سواء عذبوا فى الدنيا أو لا ﴿ليوم تشخص﴾ أى تفتح[9] فتكون بحيث لا تطرف[10] ﴿فيه﴾ منهم ﴿الابصار﴾ أى[11] حال كونهم ﴿مهطعين﴾ أى مسرعين غاية ١٠ الإسراع[12] إلى حيث دعوا [خوفا -[1]] وجزعا ، مع الإقبال بالبصر نحو الداعى لا يلفتونه[13] إلى غيره ﴿مقنعى رءوسهم﴾ أى رافعيها وناصبيها ناظرين فى ذل[14] وخشوع إلى جهة واحدة ، وهى جهة الداعى، لا يلتفتون يمينا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد بعده فى الأصل : اعتقاد ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : تشبه (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل و م «و» (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ «و» (٦) من م ، وفى الأصل و ظ و مد : غريقين (٧-٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : سا علمه - كذا (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فمن (٩) سقط من م (١٠) فى مد : لا تطرق (١١) سقط من ظ و مد (١٢) فى ظ : الاسرار (١٣) فى ظ : لا يلقونه (١٤) فى مد : ذلك .

و لا شمالا ، و هذا كناية عن أشد الذل و الصغار، ثم أتبعه ما يؤكده فقال مصرحا بمعنى الشخوص : ﴿ لا يرتد اليهم ﴾ و لما كانوا فى هيئة الأعين فى الطرف[1] و السكون قريبا من[2] السواء ، وحد فقال : ﴿ طرفهم ج ﴾ بل أعينهم شاخصة دائمة الفتح / لا تطرف كالمحتضر لما بأصحابها من الهول ﴿ و افئدتهم ﴾ جمع فؤاد ، و هو العضو الذى من شأنه أن يحمى بالغضب ؛ قال فى القاموس : و التفؤد : التحرق و التوقد ، و منه الفؤاد للقلب مذكر ، جمعه[3] أفئدة . ﴿ هوآء ط ﴾ أى عدمٌ فارغة[4] لا شيء فيها من الجرأة و الأنفة التى يظهرونها الآن كما قال حسان بن ثابت رضى الله عنه :

١٧٠ /

ألا أبلغ أبا سفيان عنى فأنت مجوف[5] نخب هواء[5]

و الهواء : الخلاء الذى لم تشغله[6] الأجرام ، و النخب : الجبان ، و كذا الهواء - قاله[7] فى القاموس . فأنذرهم [أهوال - [8]] ذلك اليوم فانه[9] لا يبقى معهم فيه شيء مما هم فيه من الإباء و[10] الاستكبار ﴿ و انذر ﴾ أى يا محمد ﴿ الناس ﴾ جميعا ، ما يحل بهم ﴿ يوم يأتيهم العذاب ﴾ و ينكشف

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الطرق (٢) من م و مد ، و فى الأصل : عن ، و سقط من ظ (٣) فى ظ : جمع (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قارعة (٥-٥) من م و ديوان حسان ، و فى الأصل : نخب هوان ، و فى ظ : تحب هواء ، و فى مد : نحب هوا - كذا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم تشتغله (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : قال (٨) زيد من ظ و م و مد . (٩) فى ظ : فانهم (١٠) فى ظ : او .

عنهم الغطاء بالموت [1]أو البعث[1] .

و لما كانوا[2] [عند -[3]] إتيان العذاب قبل الموت لا ينكسرون بالكلية ، بين[4] أنهم إذ ذاك على غير هذا ، فقال عاطفا على "ياتيهم": ﴿ فيقول الذين ظلموا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف و لو على أدنى الوجوه [منهم -[3]] و من غيرهم بسبب إتيانه من غير تمهل ، و قد زال عنهم ما يفتخرون به من الأنفة و الحمية و الشماخة و الكبر لما رأوا من الأهوال التى لا قبل لهم بها و لا صبر عليها: ﴿ ربنآ ﴾ أى أيها المحسن إلينا بالخلق و الرزق و التربية ﴿ اخرنآ ﴾ أى أمهلنا ﴿ الىٓ اجل قريب[5] ﴾ فانك إن[5] تؤخرنا إليه ﴿ نجب دعوتك ﴾ أى استدراكا لما فرطنا فيه ؛ و الإجابة : القطع على موافقة الداعى[6] بالإرادة ﴿ و نتبع ﴾ [7]أى بغاية الرغبة[7] ﴿ الرسل[1] ﴾ فيقال لهم : إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر ، [8]أ و لم تكونوا تقولون[8]: إن عرى صبركم لا تنحل ، و حد[9] عزائمكم لا يفل[10]؟ ﴿ ا و لم تكونوآ ﴾ أى كونا أنتم فيه فى غاية المكنة ﴿ اقسمتم ﴾ أى جهلا و سفها أو أشرا[11] و بطرا .

و لما لم يكن وقت إقسامهم مستغرقا للزمان قال : ﴿ من قبل ﴾

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : اى بالبعث (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : كان (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ميز (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : الداعية (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من م . (٨-٨) فى ظ : لو كنتم تعلمون - كذا (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : جد. (١٠) من م و مد ، وفى الأصل : و لا يقل ، و فى ظ : لا يفل - كذا (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شرا .

و بين الجواب المقسم عليه بقوله - حاكيا معنى قولهم لا لفظه - ليكون صريحا فى المراد من غير احتمال لتعنت لو قيل : ما لنا ؟ - : ﴿ما لكم﴾ و أكد النفى فقال : ﴿من زوال﴾ عما أنتم عليه من الكفران و عدم الإذعان للايمان ، أو من هذه[1] الدار إلى الدار الآخرة ، أو من منازلكم
٥ التى أنتم بها ، كناية عن ثبات الأمر و عدم المبالاة بالمخالف[2] كائنا من كان ﴿و﴾ الحال أنكم ﴿سكنتم﴾ [أى -[3]] فى الدنيا ﴿فى مسكن الذين ظلموا﴾ أى بوضع الأشياء فى غير مواضعها كما فعلتم أنتم ﴿انفسهم[4]﴾ فأحلوا[5] قومهم مثلكم دار البوار ﴿و تبين﴾ أى غاية البيان ﴿لكم﴾ بالخبر[6] و المشاهدة[7] .

و لما كان [حال -[8]] أحدهم فى غاية العجب ، نبه بالاستفهام
١٠ على أنه أهل لأن يسأل عنه فقال : ﴿ كيف فعلنا ﴾ أى على عظمتنا ﴿بهم﴾ حين[9] انتقمنا منهم [فلم -[3]] تعتبروا بأحوالهم ﴿ و ضربنا ﴾ [أى -[3]] على ما لنا من العظمة ﴿ لكم الامثال ﴾ المبينة أن سنة الله جرت - و لن تجد لسنة الله تبديلا - أن الظالمين كما جمعهم [اسم -[3]] الظلم يجمعهم ميسم الهلاك ، فجمعنا لكم بين طريق الاعتبار : السمع
١٥ و البصر ، ثم لم تنتفعوا[10] بشىء منهما ﴿و﴾ الحال أنه بان لكم أنهم حين

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هذا (٢) فى ظ : بالمخالفة (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) تكرر فى الأصل و م بعد "الذين ظلموا" (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاضلوا (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بالخير . (٧) العبارة من هنا إلى « عنه فقال » يعتريها إبهام و غموض فى م (٨) زيد من ظ و مد (٩) فى ظ : حتى (١٠) من مد ، و فى الأصل و م : لم ينتفعوا ، و فى ظ : لم نبتعوا - كذا .

فعلنا بهم ما فعلنا ﴿ قد مكروا مكرهم ﴾ أى[1] الشديد العظيم الذى استفرغوا[2] فيه جهدهم[3] بحيث لم يبق لهم مكر غيره فى تأييد[4] الكفر و إبطال الحق ؛ و المكر : الفتل[5] إلى الضرر على وجه الحيلة[6] ﴿ و ﴾ الحال أنه ﴿ عند الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ مكرهم[8] ﴾ هو وحده[7] به عالم[8] من جميع وجوهه[8] و إن دق . و على إبطاله قادر و إن جل ٥
﴿ و ان كان مكرهم ﴾ من القوة و الضخامة ﴿ لتزول ﴾ أى لأجل أن تزول[9] ﴿ منه الجبال ﴾ و التقدير على قراءة فتح اللام الأولى / و رفع الثانية[10] : و إن كان بحيث أنه تزول منه الجبال ، و المعنيان متقاربان ، و قيل : [9]إن[9] نافية ، و اللام لتأكيد النفى ؛ [11]و الجبال : الآيات و الشرائع ، بل هى أثبت[11] . ١٠ / ١٧١

و لما تقرر ذلك[12] من علمه سبحانه و قدرته ، تسبب عنه أن يقال - و هو[13] كما تقدم فى أن المراد الأمة لبلوغ [الأمر -[14]] منهم كل مبلغ ، خوطب به الرأس ليكون أوقع فى قلوبهم - : ﴿ فلا تحسبن الله ﴾

(١) فى ظ : من (٢) فى مد : استفرغوا (٣) فى ظ : جهدكم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تاكيد (٥) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : القتل .
(٦) من م و مد ، و فى الأصل : العجلة ، و فى ظ : الخيلة (٧) سقط من م .
(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تتزول (١٠) راجع البحر ٥/٣٣٤ (١١-١١) جاء ما بين الرقمين مطموسا فى م.
(١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فمن لك (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : هى (١٤) زيد من ظ و م و مد .

أى الذى له الكمال كله ، فان من ظن[1] ذلك كان ناقص العقل ﴿ مخلف وعده رسله[2] ﴾ فى أنه يعز أولياءه و يذل أعداءه و يهلكهم بظلمهم[3] ، و يسكن أولياءه الأرض من بعدهم ؛ ثم علل ذلك بقوله - مؤكدا لأن كثرة المخالفين و قوتهم على تمادى الأيام تعرّض السامع للانكار - : ﴿ ان الله ﴾ أى ذا الجلال و الإكرام ﴿ عزيز ﴾ أى يقدر و لا يقدر عليه ﴿ ذو انتقام[5] ﴾ ممن يخالف أمره .

و لما تقررت عظمة ذلك[3] اليوم الذى تشخص فيه الأبصار ، و كان أعظم يوم [يظهر -[4]] فيه الانتقام[5] ، بينه بقوله : ﴿ يوم تبدل ﴾ أى تبديلا غريبا عظيما ﴿ الارض ﴾ أى هذا الجنس ﴿ غير الارض ﴾ [أى -[4]] التى تعرفونها ﴿ والسمٰوٰت ﴾ بعد انتشار كواكبها و انفطارها و غير ذلك من شؤونها ؛ و التبديل : تغيير الشىء أو صفته إلى بدل ﴿ و برزوا ﴾ أى الظالمون[6] الذين كانوا يقولون : إنهم لا يعرضون على الله للحساب ؛ و البروز : ظهور الشخص مما كان ملتبسا[7] به ﴿ لله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ الواحد ﴾ الذى لا شريك له ﴿ القهار ﴾ الذى لا يدافعه شىء عن مراده ، فصاروا[8] بذلك البروز بحيث لا يشكون أنه لا يخفى[9] منهم خافية . و أما المؤمنون فلم يزالوا يعلمون ذلك ؛

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يظن (٢) فى ظ و م و مد : لظلمهم .
(٣) سقط من م (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لانتقام (٦) العبارة من هنا إلى «كان ملتبسا» ساقطة من ظ (٧) فى م : متلبسا .
(٨) فى ظ : فصار (٩) فى ظ و مد : لا تخفى .

روى مسلم [١] و الترمذى [٢] عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم عن قوله تعالى "يوم تبدل الارض" - الآية ، قلت : يا رسول الله ! فأين [٣] يكون الناس يومئذ ؟ قال [٤] : على الصراط .

و لما ذكر بروزهم [له - [٥]] ، ذكر حالهم فى ذلك البروز فقال : ﴿و ترى المجرمين﴾ [أى - [٦]] و تراهم ، و لكنه [٧] [أظهر - [٨]] لتعدد صفاتهم التى أوجبت لهم الخزى ؛ و الإجرام : قطع ما يجوز من العمل بفعل ما لا يجوز ﴿يومئذ﴾ أى إذ [٩] كانت هذه الأمور العظام ﴿مقرنين﴾ أى مجموعا [١٠] كل منهم إلى نظيره ، أو مجموعة أيديهم إلى أعناقهم جمعاً فيه شدة و ضيق ﴿فى الاصفاد ج﴾ أى القيود ، و المراد هنا الأغلال ، أى السلاسل التى تجمع الأيدى [فيها - [٨]] إلى الأعناق و يقرنون [١١] فيها مع أشكالهم ؛ ثم بين لباسهم بقوله : ﴿سرابيلهم﴾ أى قمصهم السابغة ﴿من قطران﴾ و هو ما يهنأ [١٢] به الإبل ، و من شأنه أنه [١٣] يسرع فيه

(١) فى كتاب صفة القيامة والجنة والنار - باب صفات المنافقين (٢) فى تفسير سورة إبراهيم (٣) من صحيح مسلم و جامع الترمذى ، و فى الأصل : اى ، و فى ظ و م و مد : اين (٤) فى الصحيح فقط : فقال (٥) زيد من م (٦) زيد من م و مد. (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكنهم (٨) زيد من ظ و م و مد . (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : اذا (١٠) فى ظ : مجموعها (١١) من م ، و فى الأصل : يقولون ، و فى ظ : يقومون ، و فى مد : يقربون (١٢) و الهناء: القطران ؛ وفى ظ : تدهن ، و فى م : تهنأ (١٣) فى مد : ان .

اشتعال النار ، و هو أسود اللون منتن الريح .

و لما كان هذا اللباس مع نتنه و فظاعته شديد الانفعال[1] بالنار ، بين أنه[2] يسلطها عليهم[3] فقال : ﴿ و تغشى ﴾ و لما كان الوجه أشرف ما فى الحيوان ، فاهانته إهانة عظيمة لصاحبه ، ذكره و قدمه تعجيلا لإفهام[4] الإهانة فقال : ﴿وجوههم النار﴾ أى تعلوها باشتعالها ، فعلم أنه يلزم من غشيانها لها اضطرامها[5] فيما ضمخ بالقطران من باب الأولى[6] ؛ ثم بين علة هذه الأفعال فى ذلك اليوم ، فقال[7] معبرا بالجزاء و الكسب الذى [هو -[8]] محط التكليف و ظن النفع ، لاقتضاء سياق القهر لها : ﴿ليجزى الله﴾ [9]أى الذى له الكمال كله ﴿كل نفس﴾ طائعة أو عاصية . [10]و لما عظم الأمر باسناد الجزاء إلى الاسم الأعظم الجامع لجميع صفات[11] الكمال ، اقتضى ذلك أن يكون نفس الكسب هو الجزاء ، لأن ذلك أبدع و أدق فى الصنع و أبرع[12] بأن يصور بما يحق من الصور المليحة عند إرادة الثواب ، و القبيحة عند إرادة العقاب ، / فلذلك أسقط الباء - التى /١٧٢

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاشتعال (٢) فى ظ : ان (٣) زيد فى م : و ذكر اشرف اعضائهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الافهام (٥) فى الأصل ومد : اسطرامها ، وفى ظ و م : اضطرابها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اولى (٧) العبارة من هنا إلى « القهر لها » ساقطة من م (٨) زيد من مد (٩) زيد فى مد : و الجزاء : مقابلة العمل بما يقتضيه من خير (١٠) العبارة من هنا الى « حم المؤمن و قال » ساقطة من م (١١) فى مد : الصفات (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابدع .

ستذكر فى "حم المؤمن[1]" - و قال: ﴿ ما كسبت[2] ﴾ و الجزاء: مقابلة العمل بما[3] يقتضيه من خير أو شر؛ و الكسب: فعل ما يستجلب[3] به [نفع -[4]] أو يستدفع به ضر، و من جزاء المؤمن عقوبة من عاداه فى الله .

و لما كان حساب كل نفس جديرا[5] بأن يستعظم، قال: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى [له -[4]] الإحاطة المطلقة ﴿ سريع الحساب ۝ ﴾ أى لا يشغله حساب نفس عن حساب أخرى و لا شأن عن شأن .

و لما اشتملت هذه السورة على[6] [ما -[4]] قرع سمعك من هذه المواعظ و الأمثال و الحكم التى أبكمت البلغاء، و أخرست الفصحاء، و بهرت العقول، ترجمها سبحانه [بما يصلح عنوانا لجميع القرآن فقال -[4]]: ﴿ هذا[7] ﴾ [أى الكتاب الذى[8] يخرج الناس -[4]] من الظلمات إلى النور ﴿ بلغ ﴾ أى كاف[9] غاية الكفاية فى الإيصال ﴿ للناس ﴾ ليصلوا به إلى الله بما يتحلون به من المزايا فى سلوك صراطه القويم، فان مادة "بلغ[10]" - بأىّ ترتيب كان - تدور على الوصول، و تارة [تلزمها القوة و تارة -[4]] الإعياء الناشئ عن الضعف:

(١) راجع آية ١٧ (٢) فى ظ: فيما (٣) من م و مد، و فى الأصل: يستخلب، و فى ظ: ستخلب (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى ظ: جديدا (٦) فى ظ: الى (٧) تأخر فى الأصل عن « إلى النور » و الترتيب من ظ و م و مد. (٨) ليس فى ظ (٩) من مد، و فى الأصل و ظ و م: كان (١٠) من م ومد، و فى الأصل و ظ: بلاغ .

بلغ المكان بلوغا : وصل إليه ، و بُلغ الرجل - [1] كعنى : جهد [1] ، و البليغ : الفصيح يبلغ [2] بعبارته كنه ضميره ، و البلاغ - كسحاب : الكفاية ، لأنها توصل إلى القصد ، و بالغ مبالغة - إذا اجتهد و لم يقصر ، و تبلغت [3] به العلة : اشتدت .

٥ و الغلباء [4] : الحديقة المتكاثفة ، و من القبائل : العزيزة الممتنعة ، و الأغلب : الأسد .

و لغب : أعيا - لاجتهاده فى البلوغ ، و اللغب : ما بين الثنايا من اللحم ، و اللغب - ككتف : الكلام الفاسد - يرجع إلى الإعياء ، و كذا الضعيف الأحمق ، و السهم الذى لم يحسن بريه [5] كاللغاب - بالضم ، ١٠ و التلغب [6] : طول الطرد .

و البغل من أشد الحيوان و أبلغها للقصد ، و بغل تبغيلا : بلّد و أعيا ، و الإبل : مشت [7] بين الهملجة و العنق .

و لما كان متعلق البلاغ الذى قدرتُه بالوصول يتضمن [8] البشارة ، عطف عليه النذارة بانيا للمفعول ، لأن النافع مطلق النذارة ، و كل أحد متأهل

(١-١) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : كعين جهدة ، و فى ظ : كغير جهد - كذا (٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : بلغ (٣) فى ظ : تلعت - كذا (٤) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : العليا - كذا . (٥) من القاموس ، و فى النسخ جمعاء : بربه - كذا (٦) من مد و القاموس ، و فى الأصل : اليلغب ، و فى ظ : التلعب ، و فى م : التلغب - كذا (٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل ، مشيت (٨) من ظ : و فى الأصل و م و مد : تتضمن .

لأن يكون واعظا به مقبولا ، لأن من سمعه فكأنما[1] سمعه من الله لتميزه بإعجازه عن كل كلام ، فقال : ﴿ولينذروا﴾ أى من أى منذر كان فيقوم[2] عليهم الحجة ﴿به﴾ فيحذروا عقاب الله فيتخلوا[3] عن الدنايا .

[4]و لما أشار إلى جميع[4] الفروع فعلا و تركا ، مع إشارته إلى أصل التوحيد لأنه أول الوصول ، صرح بـه على حدته لجلالته فى قوله : ﴿وليعلموآ انما هو﴾ أى الإله ﴿اله واحد﴾ فيكون همهم واحدا ؛ .

و لما تمت الإشارة إلى الدين أصلا و فرعا ، نبه على المواعظ و الأمثال بتذكر ما له من الآيات و المصنوعات ، و البطش بمن خالفه من الأمم ، و أشار إلى [أن -[5]] أدلة الوحدانية و الحشر لا تحتاج[7] إلى كبير[8] تذكر ، لأنها فى غاية الوضوح و لاسيما بعد تنبيه الرسل ، فأدغم تاء التفعل ، فقال: ﴿وليذكر﴾ أى[8] منهم ﴿اولوا الالباب[6]﴾ أى[8] الصافية ، و العقول الوافية ، فيفتحوا عيون بصائرهم فيعلموا أنه لا وصول[9] لهم مع الغفلة فيلزموا المراقبة فلا يزالوا فى رياض المقاربة ، و يعلموا - بما ركز[10] فى طبائعهم و جرى من عوائدهم - أن أقل حكامهم لا يرضى بأن[11] يدع رعيته يتهارجون

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فكان من (٢) فى ظ : فتقوا ، و فى م و مد : فتقوم (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فتحلوا (٤-٤) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لايحتاج (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كثير (٨) سقط من م (٩) فى ظ : صول (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ركن (١١) فى م : ان .

لا ينصف بينهم و لا يجزى أحدا منهم بما كسب[١]، فيكون ذلك منه[٢] انسلاخا من رتبة الحكم التى هى خاصته[٣]، فكيف يدعون ذلك فى أحكم الحاكمين، فقد[٤] تكفلت[٥] هذه الآية على وجازتها [بجميع علم الشريعة أصولا و فروعا، و علم الحقيقة نهايات و شروعا، على سبيل الإجمال -[٦]]

٥ و قد انطبق آخر السورة على[٧] أولها، لأن هذا عين الخروج من الظلمات

١٧٣ / إلى النور بهذا الكتاب الحامل على كل صواب - و الله[٨] سبحانه و تعالى[٨] الموفق [٨]للصواب و حسن المآب[٨].

(١) فى مد : كسبت (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : خاصة (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : وقد (٥) فى ظ : تكلفت (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٧) فى ظ : الى (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

خاتمة الطبع

لقد تم ـ و الحمد لله ـ طبع الجزء العاشر من تفسير " نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور " للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الثانية سنة ١٣٩٦ ﻫ = السابع عشر من يونيو ١٩٧٦ م تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها السيد شرف الدين أحمد قاضى المحكمة العليا سابقا ـ كلل الله جهوده بالنجاح و خدماته بالقبول !

و قد اضطلع بتصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة زميلى الفاضل محمد عمران الأعظمى العمرى (أفضل العلماء ـ جامعة مدراس) حفظه الله ! كما اهتم بشأن تنقيحه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة ـ كان الله له و لوالديه !

و يليه الجزء الحادى عشر إن شاء الله تعالى ، و يستهل بسورة الحجر .

و نهائيا ندعو الله سبحانه أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه و هو المسؤل لحسن الخاتمة ، و نصلى و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه ، سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الفقير إلى رحمة ربه الكبير

محمد عظيم الدين

(كامل الجامعة النظامية)

الرئيس المسؤل لقسم التصحيح من دائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحجر[1]

مقصودها وصف الكتاب بأنه فى الذروة من الجمع للمعانى الموضحة[2] للحق من غير اختلاف أصلا ، و أشكل ما فيها و أمثله فى هذا المعنى قصة أصحاب الحجر ، فان وضوح آيتهم عندهم[3] و عند كل من شاهدها أو سمع بها كوضوح[4] ما دل عليه[5] مقصود هـذه السورة فى أمر[6] الكتاب عند جميع العرب لاسيما قريش ، و أيضا آيتهم فى غاية الإيضاح للحق و الجمع لمعانيه الدائرة على التوحيد المقتضى للاجتماع على الداعى ، و من هنا يتضح و يتأيد ما اخترته[7] من الإعراب لقوله تعالى " كما انزلنا

---

(١) الخامسة عشرة من سور القرآن ، و هى مكية مع ورود استثناء الآية الأولى و غيرها ـ كما فى روح المعانى ٤ / ٢٦٧ ، و هى تحتوى على تسع و تسعين آية بالاتفاق و لا اختلاف فيها لا إجمالا و لا تفصيلا ـ كما صرح به فى نثر المرجان ٣ / ٣٧٧ (٢) فى ظ : الواضحة (٣) فى ظ : عنهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اوضوح (٥) فى مد : عليها (٦) فى ظ : آخر (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احترز .

على المقتسمين[١] " من تعليق له بـ " كانوا عنا معرضين[٢] " المقتضى لشدة الملابسة بين شأنهم فى كفرهم و شأن قريش فى مثل ذلك - كما ستراه ، على [أن -[٣]] لفظ ' الحجر ' يدل على ما دل [عليه -[٤]] مقصود السورة من الجمع و الاستدارة التى روحها الإحاطة المميزة للحاط به من غيره بلا لبس أصلا -[٦] و الله أعلم[٦] .

﴿ بسم الله ﴾ الواحد الأحد الجامع لما شتت[٧] من بدد[٨] ﴿ الرحمن ﴾ الذى [جمع -[٤]] خلقه فى رحمة[٩] البيان ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص الأبرار بما أباحهم الرضوان .

لما ختم التى قبلها بعنوان الكتاب ، ابتدأ هذه بشرح ذلك العنوان ، و أوله وصفه بأنه جامع و الخير كله فى الجمع و الشر كله فى الفرقة ، فقال تعالى : ﴿ الر تلك ﴾ أى هذه الآيات العالية المقام ، النفيسة المرام ﴿ آيات الكتاب ﴾ أى الكامل غاية الكمال الذى لا كتاب على الحقيقة غيره ، الجامع [لجميع -[٣]] ما يقوم به الوجود من الخيرات ، القاطع فى قضائه من غير شك و لا تردد ، الغالب بأحكامه القاهرة فى وعده و وعيده و أحكامه فى إعجازه لجميع من يعانده .

---

(١) آية ٩٠ (٢) آية ٨١ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من م و مد . (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : السورتين (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٧) فى ظ : سهلت . و فى م : شتت ، و فى مد : ست - كذا (٨) فى ظ : يد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رحمته .

و لما

ولما كان الغالب فى هذه السورة القطع الذى هو من لوازم الكتاب قدمه، وذلك أنه قطع بأمر الأجل والملائكة، وحفظ الكتاب والرمى بالشهب، وكفاية المستهزئين، فكان كما قال سبحانه ﴿ و ﴾ آيات ﴿ قرآن ﴾ أى قرآن جامع ناشر مفصل واصل، إذ[1] التنوين للتعظيم ﴿ مبين ﴾ لجميع ما يجمع الهمم[2] على الله فيوصل[3] إلى السعادة، وهذه الإبانة[4] - [التى -[5]] لم تدع لبسا - هو متصف بها، مع كونه جامعا للأصول ناشرا للفروع [6]لا خلل[6] فيه يدخل منه عليه، ولا فصم يؤتى منه إليه. فاعجب لأمر حاو لجمع وفرق وفصل [ووصل -[5]]: والإبانة: إظهار المعنى للنفس بما يميزه عن غيره، لأن أصل الإبانة الفصل، فهذا شرح كونه بلاغا، فمقصود هذه السورة اعتقاد / كون ١٧٤ / القرآن بلاغا جامعا للأمور الموصلة إلى الله، مغنيا عن جميع الأسباب، فلا ينبغى الالتفات إلى شىء سواه "ذرهم يأكلوا"، "لا تمدن عينيك" "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" وكان الجمع بين الوصفين الدال كل منهما على الجمع إشارة إلى الرد عليهم فى جعلهم القرآن عضين، وأن قولهم شديد المباعدة لمعناه. مع أن المفهومين - مع تصادقهما على شىء واحد - متغايران[7]، فالكتاب: ما يدون فى الطروس[8]، [والقرآن:

(١) فى مد: اذا (٢) من ظ، وفى الأصل وم ومد: الهم (٣) فى ظ: فيتوصل.
(٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الآيات (٥) زيد من ظ وم ومد.
(٦-٦) من ظ وم ومد. وفى الأصل: لانه محل (٧) سقط من ظ.
(٨) والطرس: الصحيفة عموما أو الصحيفة التى محيت ثم كتبت.

ما يقرأ باللسان ، فكأن الأول[1] إشارة إلى حفظه فى الطروس -[2]] بالكتابة ، و الثانى إلى حفظه فى الصدور بالدراسة ، و سيأتى قوله "و انا له لحفظون" [3]مؤيدا لذلك ، وكل من مادتى [4]كتب و قرأ[4] بجميع التقاليب تدور[4] على الجمع[5] .

٥ [6]أما "كتب"[6]- و تنقلب[7] إلى كبت[8] و تبك و بكت و بتك - فقال[9] فى المجمل : كتبت الكتاب [أكتبه -[10]] و هو من الجمع ، و الكتاب أيضا : الدواة - تسمية [للشىء -[10]] باسم ما هو آلته ، و المكتب - كمعظم : العنقود أكل بعض ما فيه - تشبيها له بالمكتوب ، و الكتيبة : الجيش و الجماعة المستحيزة[11] من الخيل إذا أغارت من المائة إلى الألف -

١٠ انتهى . و كتبت البغلة - إذا جمعت بين شفرى رحمها بحلقة[12] ؛ و قال القزاز : و أصله - أى الكتاب - ضمك الشىء إلى الشىء ، فكأنه سمى بذلك لضم[13] الحروف بعضها إلى بعض[14] ، كتبت المزادة - إذا خرزتها ،

---

(١) فى ظ : اول (٢) فى ظ : الطرسوس ؛ و العبارة المحجوزة استدركت من ظ وم و مد (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها. (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : يدور (٥) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : الجميع (٦ - ٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما كتبه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ينقلب (٨) من م ، و فى الأصل وظ و مد : كتب (٩) فى ظ : قال (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) من القاموس و اللسان ، و فى الأصل : المتحيزة ، و فى ظ و مد : المتحيرة ، و فى م : المتخيرة (١٢) من ظ و تاج العروس ، وفى الأصل : بحلقه ، و فى م ومد : بحلقه (١٣) من ظ و مد ، وفى الأصل وم : بضم (١٤) زيدت الواو بعده فى الأصل وظ وم ، ولم تكن فى مد فحذفناها .

يعنى : فضممت[1] بعضها إلى بعض . و الكتبة - بالضم : السير يخرز به ، و ما يكتب به حياء الناقة لئلا ينزى عليها . و الإكتاب : شد رأس القربة[2] ، و الكتيبة : جماعة تكتبوا ، أى تجمعوا ، و تكبت الرجل - بتقديم الموحدة - إذا تقبض ، و منه الكتاب - بضم الكاف و تخفيف التاء الفوقانية لسهم صغير يتعلم به الصبيان الرمى - كذا قال القزاز إنه مخفف ، و فى القاموس : وزنه كرمان - و زاد أنه مدور الرأس ، و كتبت الناقة تكتيبا : صررتها ، و اكتبت[3] بطنه : أمسك ، و المكتوب : الممتلئ و المنتفخ ؛ و يلزم الجمع القطع و الغلبة التى هى من لوازم القدرة ، فمن القطع : الكتاب بمعنى الفرض[4] و الحكم و القدر ؛ و البتك : القطع [و لذلك قيل للسيف : باتك ، أى قاطع ، و من الغلبة و القدرة : الكتاب بمعنى القدر - [5]] ، قال ابن الأعرابى : و الكاتب عندهم العالم ، و قال القزاز : و الكاتب : الحافظ ، و هذان[6] يرجعان أيضا[6] إلى نفس الجمع - لجمع الحافظ المحفوظ و العالم المعلوم ؛ و كبت الله العدو - بتقديم الموحدة : صرفه ذليلا ، و هو من تكبت الرجل - إذا تقبض[7] . و عبارة

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فضمت (٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : القرابة (٣) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : اكتبت - كذا (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : القرض . (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أيضا يرجعان (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعيض .

القزاز : كبت أعداءه : [1]ردهم بغيظهم[1]، أى فانقمعوا و انجمعوا عما كانوا انتشروا [له -[2]] ، و كبت الرجلَ - إذا صرعه على وجهه ، [و بكته -[2]] تكبيتا[3] - إذا أنبّه أو ضربه بعصى أو سيف و نحوهما ، لما يلزمه من تصاغر نفسه و تقبضها .

٥ و أما 'قرأ' مهموزا - و ينقلب[4] إلى رقأ ، و أرق ، و أقر ، [و -[5]] غير مهموز يائيا[6] و تراكيبه خمسة : قرى ، و قير ، و رقى ، و ريق ، و يرق ، و واويا و تراكيبه ستة : قرو[7] ، و قور ، و رقو ، و روق ، و وقر ، و ورق - فهو للجمع أيضا ، و يلزمه الإمساك ، و ربما كان عنه الانتشار ، فمن الجمع : قرأت القرآن ، أى تلوته فجعلت بعض حروفه

١٠ و كلماته و آياته تاليا لبعض متصلا به مجموعا معه ، و يلزم القراءة النسك ، و منه القارئ و المتقرئ و القراء - كرمان . أى الناسك ، [و يلزم عنه الفقه ، و لذا[8] قيل : تقرأ - إذا تفقه ، و هو من الجمع نفسه أيضا لأن الناسك جمع النسك -[2]] إلى القراءة و انجمع همه[9] ، و الفقيه جمع الفقه[10] إليها ؛ قال فى المجمل : و القرآن من القرء و هو الجمع ، أى وزنا و معنى ،

١٥ و فى القاموس : و قرأ عليه السلام : أبلغه كأقرأه . و لا يقال : أقرأه ، إلا إذا

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و هو يغيظهم (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تكبيتا (٤) فى ظ : يتقلب . (٥) زيدت الواو من مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثانيا (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : كذا (٩) من ظ و م مد . و فى الأصل : همة (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفقيه .

كان

كان السلام مكتوبا ؛ و قال الزبيدى فى مختصر العين : و قرأت المرأة قرءا[1] - إذا رأت دما ، و أقرأت - إذا حاضت [فهى مقرئ - انتهى . فكأنه عبر بذلك عند رؤية الدم لأنه لا يعرف أن المرأة جمعته إلا برؤيته -[2]] ، و هو من الانتشار الذى قد يلزم الجمع ، أو يكون 'فعل' [هنا -[2]] / للازالة ، فمعناه : أزالت[3] إمساك الدم كما أن هذا معنى ٥ ١٧٥ / 'أقرأت' فان 'فعل' - لخفته و كثرة دوره - يتصرف فى[4] معانى جميع الأبواب ، و قال فى المجمل : و أقرأت المرأة : خرجت من طهر إلى حيض أو حيض إلى طهر ، قلت : فالأول يكون فيه 'أفعل' للازالة ، و الثانى للدخول فى الشىء كما تقول : أتهم الرجل و أنجد - إذا دخل فى تهامة أو نجد ، قال : و القرء : "وقت يكون" للطهر مرة و للحيض مرة ، قلت : ١٠ فالأول للجمع نفسه ، و الثانى لأنه دليل الجمع ، قال : و الجمع قروء ، و يقال : "القروء" هو الطهر ، و ذلك أن المرأة الطاهرة[6] كان الدم اجتمع و امتسك فى بدنها فهو من : قريت الماء ، و قرى الآكل الطعام فى شدقه . و [قد -[2]] يختلف اللفظان فيهمز أحدهما و لا يهمز الآخر ،

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غرا - كذا ؛ و فى التاج : قال الأخفش : أقرأت المرأة - إذا صارت صاحبة حيض ، فاذا حاضت قلت : قرأت - بلا ألف .

(٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ازالة (٤) زيد بعده فى الأصل : جميع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يكون وقتا (٦) فى ظ و م و مد : الطاهر .

و المعنى واحد إذا كان الأصل واحدا ، و قوم يذهبون إلى [أن -[1]]
القرء: الحيض ، و فى القاموس: و القرء[2]- و[3] يضم : الحيض و الطهر
ضد - و قد تقدم تخريج ذلك ، و الوقت - لأنه جامع لما فيه ، و القافية[4]
- لأنها جامعة لشمل[5] الأبيات ، جمعه أقرؤ و قروء ، و جمع الحيض أقراء[6] ،
٥ و كأن العلة فى ذلك أنه لما كان جمع الكثرة[7] هو الأصل فى الجمع ،
لأن المراد بالجمع نفسه الكثرة ، فكلما[8] كان أكثر كان به أجدر ، لمّا
كان كذلك[9] ، وكان القرء بمعنى الطهر هو الأصل فى مدلول الجمع ،
[10]كان أحق بجمع الكثرة الذى هو أعرق فى الجمع[10] ، و لما كان القرء
بمعنى الحيض فرعا ، كان له جمع القلة الذى هو فرع فى باب الجمع؛
١٠ و أقرأت : حاضت [و -[11]] طهرت ، و أقرأت الرياح : هبت لوقتها -
لأن هبوبها دال على اجتماعها كظهور[12] دم الحيض ، و قرأ الشىء :
جمعه و ضمه ، و الحامل : ولدت - لأن ظهور الولد هو[13] المحقق لجمعها
إياه فى بطنها ، و أقرأ : رجع[14] و دنا و أخر و استأخر و غاب و انصرف

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : المقرء (٣) -سقطت الواو من ظ (٤) فى م : العافية (٥) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : تشمل (٦) من القاموس ، وفى الأصول كلها : اقرء (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٨) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فلما (٩) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : لذلك (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) زيد من ظ و م و مد و القاموس (١٢) فى ظ : لظهور (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل ه و ه (١٤) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : و جمع .

و تنسك كتقرأ[١] ، بعضه للايجاب و بعضه للسلب . و المقرأة - [٢]كمعظمة : التى[٣] ينتظر بها [انقضاء أقرائها -[٣]] ، و قد قرئت : حبست لذلك ، و أقراء[٤] الشعر : أنواعه و أنحاؤه - لأنها[٥] جامعة للأجزاء ، و القرءة - بالكسر : الوباء[٦] - لجمعه الهم ، و استقرأ الجمل[٧] الناقة : تاركها[٨] لينظر ألقحت أم لا - من التتبع و السبر[٩] ، و هو بمعنى جمع الأدلة ، و قرأت[١٠] الناقة - [إذا -[١١]] حملت ، فهى قارئ ، أى جمعت فى بطنها ولدا ، و أقرأت - إذا استقر الماء فى رحمها ؛ و من الإمساك : رقأ [الدم -[١١]] و الدمع رقوأ - إذا انقطعا[١٢] ، قال أبو زيد[١٣] : و الرّقوء - أى بالفتح : ما يوضع على الدم[١٤] فيسكن ، و رقأ بينهم : أصلح و أفسد ، و فى الدرجة : صعد ، و هى المرقاة و تكسر ، و رقأ العرق : ارتفع - منه ما هو بمعنى الجمع ، و منه ما هو بمعنى الانتشار و العلو الذى ربما لزماه . و من الإمساك : الأرق ، و هو السهر لأنه يمسك النوم ، و الإرقان : دود يكون فى الزرع - فكأنه يوجب الهم[١٥] الذى يكون عنه الأرق ، و يمكن أن يكون من الانتشار الذى

(١) من القاموس ، و فى الأصول برمتها : كتقر (٢ - ٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : المعظمة الذى (٣) زيد من ظ و م و مد و القاموس . (٤) من ظ و م و القاموس ، و فى الأصل : اقرات ، و فى مد : قرات (٥) فى ظ و م : لانه (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : لوما - كذا . (٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الجمع (٨) من القاموس ، و فى الأصول : باركها (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : السير (١٠) فى ظ : قراه - كذا (١١) زيد من ظ و م و مد (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انقطعها (١٣) سعيد بن أوس الأنصارى صاحب النوادر (١٤) من ظ و م و مد . و فى الأصل : الدمع (١٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهم .

ربما يلزم[1] الجمع، و يمكن أن يكون من الجمع نفسه، لأنه يجمع الهم - و الله أعلم؛ و فى القاموس: و الإرقان [بالكسر -[2]]: شجر أحمر، و الحناء، و الزعفران، و دم الأخوين - كأنه[3] سبب للعكوف عليه بالاسترواح إليه، أو أنه يجمع[4] بصبغه لونا[4] إلى لون[5]، و الإرقان أيضا:
٥ آفة تصيب الزرع و الناس كالأرقان محركة[6] و بكسرتين و بفتح الهمزة و ضم الراء، و الأرق و الأرقان - بفتحهما، و الأراق - كغراب، و اليرقان - محركة، و هذه أشهر داء يتغير منه لون البدن فاحشا إلى صفرة أو سواد - كأن ذلك لما كان سبب الأرق[7] كان هو الأرق[7] البليغ، و زرع مأروق[8] و ميروق: مؤوف[9]، و الأقر - بضمتين: واد واسع
١٠ مملوء حمضا و مياها، و هو واضح فى معنى الجمع[10]، و قد مضى من هذه
١٧٦ / المادة جملة فى آخر / سورة يوسف عليه السلام عند قوله تعالى "الا رجالا يوحى اليهم من اهل القرى" و تأتى[11] بقيتها إن شاء الله تعالى فى [سورة -[12]] سبحن عند قوله "و فى اذانهم وقرا[13]".

---

(١) فى ظ: يكون (٢) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لأنه (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بصنعه كونا (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كون (٦) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: محركا (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: ماورق (٩) من م و مد و القاموس، و فى الأصل: مرادف، و فى ظ: مورف - كذا (١٠) فى ظ: الجميع (١١) فى ظ: ياتى (١٢) زيد من ظ و م و مد (١٣) آية ٥٧.

و لما وصف سبحانه هذا القرآن [١]بما وصفه[١] من العظمة و الإبانة لجميع[٢] المقاصد التى منها سؤال الكفرة [٣]عند رؤية العذاب التأخير للطاعة فى قوله تعالى "و انذر الناس يوم ياتيهم العذاب[٤]" كان كأنه قيل: ما له لم يبين [للكفرة-[٥]] سوء عاقبتهم بيانا يردهم؟ فقال سبحانه باسطا لقوله "ولينذروا به[٦]": ﴿ربما يود﴾ أشار تعالى بكونه[٧] مضارعا إلى أن ودهم لذلك يكون كثيرا جدا متكررا، و إيلاءه لربما - و إنما يليها فى الأغلب الماضى - معلم بأنه مقطوع به كما يقطع بالماضى الذى تحقق و وقع ﴿الذين كفروا﴾ أى ولو وقتا ما؛ و الود: التمنى و هو تقدير المعنى فى النفس للاستمتاع، و إظهار[٨] ميل الطباع له إليه، و فيه اشتراك بين التمنى و الحب - قاله الرمانى، و هو هنا للتمنى فانه بين مودودهم[٩] بقوله: ﴿لو كانوا﴾ أى كونا جبليا ﴿مسلمين ه﴾ [أى -[٥]] عريقين[١٠] فى وصف الإسلام من أول أمرهم إلى آخره؛ قال الرمانى: و الإسلام: إعطاء الشىء على حال سلامة كاسلام الثوب[١١] إلى من يقصره، و إسلام الصبى إلى من يعلمه، فالإسلام

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بمن اوصفه - كذا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من - كذا (٣) العبارة من هنا إلى «لم يبين» ساقطة من ظ (٤) سورة ١٤ آية ٤٤ (٥) زيد من م و مد (٦) آخر آية من ابرهيم. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لكونه (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اظهر (٩) من ظ، و فى الأصل: يودونهم، و فى م: مورودهم، و فى مد: مردودهم (١٠) من م، و فى الأصل و ظ و مد: غريقين (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التوبة - كذا.

- الذى هو الإيمان - [إعطاء -[1]] معنى الحق فى الدين بالإقرار و العمل به - انتهى . و قد كان ما[2] أخبر الله به فقد ندم كل من أسلم من الصحابة على تأخير إسلامه لما علموا فضل[3] الإسلام و رأوا[4] فضائل السابقين - كما هو مذكور فى السير و فتوح البلدان[5] . و سيكون ما شاء الله من ذلك فى القيامة و ما قبلها ، فالمعنى أنكم إن كذبتم فى القطع - فى نحو قوله "فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا[6]" ، الآية - بأنكم ترجعون عن هذا الشمم[7] و تبرؤن من هذه السجايا و الهمم ، فتسألون[8] الله تعالى فى الطاعة ، [9]و قد[9] فات الفوت بحلول حادث الموت إلى غيره ، فلا أقل من أن يكون عندكم[10] شك فى الأمور التى يجوز كونها ، و لا ينبغى حينئذ للعاقل[11] ترك الاهتمام بالاستعداد على تقدير هذا الاحتمال ، هذا - أعنى التقليل - مدلول "رب" ، و قال بعضهم[12] : إنها قد[13] ترد للتكثير ، و قال الجمال[14]

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : مما (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : افضل (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : زاد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السكران (٦) ٤٤ من ابراهيم (٧) الشمم : البعد (٨) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : فيسلون (٩ - ٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : عنه لم ، و فى ظ : كم (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للغافل (١٢) و هو ابن درستويه - راجع التاج (رب) . (١٣) سقط من ظ (١٤) فى ظ : الحماد - خطأ . و الجمال ابن هشام هذا هو أبو محمد عبد الله بن يوسف المتوفى سنة ٧٦٢ ، ورد ذكره فى غير واحد من كتب التراجم .

ابن هشام فى كتاب المغنى[١]: إنه أغلب أحوالها ، و استدل بشواهد لا تدل عند[٢] التأمل . و لا يصح قول من نسبْ إلى الكشاف ذلك ، فان كلامه مأخوذ من الزجاج ، و عبارة الزجاج - كما نقلها الإمام جمال الدين محمد بن المكرم[٣] فى كتابه لسان العرب و من خطه نقلت: من قال: إن 'رب[٤]' يعنى بها التكثير فهو ضد ما تعرفه العرب ، فان ٥ قال قائل: [فلم -[٥]] جازت فى قوله "ربما يود الذين كفروا" و'رب'[٦] للتقليل ؟ فالجواب أن العرب خوطبت[٧] بما تعلمه فى التهدد ، و الرجل يتهدد الرجل فيقول: لعلك[٨] ستندم على فعلك ؟ و هو لايشك أنه يندم، و يقول : ربما ندم الإنسان على ما صنعت ، و هو[٩] يعلم أن الإنسان يندم كثيرا ، و لكن مجازه أن هذا لو كان مما يود فى حال واحدة من ١٠ أحوال العذاب[١٠] ، أو كان الإنسان يخاف أن يندم على الشىء لوجب عليه اجتنابه ، و الدليل على أنه معنى التهدد قوله تعالى " ذرهم ياكلوا

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: المفتى - كذا ، و هذا الكتاب - و اسمه الكامل: مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب - من أمهات الكتب التى برزت إلى الوجود فى فن النحو (٢) فى ظ : عن (٣) المشهور بابن منظور (٤) من م و مد و اللسان ، و فى الأصل: راب ، و فى ظ : ربى (٥) زيد من ظ و م و مد و اللسان (٦) فى ظ : ربما (٧) من ظ و م و مد و اللسان ، و فى الأصل: خوطب (٨) فى ظ : لك (٩) من ظ و م و مد و اللسان ، و فى الأصل : هم . (١٠) من ظ و م و مد و اللسان ، و فى الأصل : العقاب .

و يتمتعوا" انتهى . فقد علم من هذا أنهم يطلقونها بمعنى "القلة فيما" يعلمون أنه كثير إرخاء للعنان" و تنبيها على وجوب الأخذ بالأحوط ، و ذلك واقع في التهديد ، و فرق كبير" بين ما يعلم" أنه" كثير من أمر خارج عن العبارة المخبر بها عنه و بين ما تعرف كثرته من تلك العبارة ، و زيدت "ما" فيها تأكيدا من حيث أنها تفهم أن [الأمر -"] لا يكون إلا كذلك ، و لتهيئتها لمجيء الفعل بعدها ؛ قال الإمام أبو حيان": و الظاهر / أن [ما -"] في "رب" ، مهيئة ، و ذلك "أنها من حيث" هي حرف جر - على خلاف فيه - لا يليها" إلا الأسماء ، فجيء بها مهيئة" لمجيء الفعل بعدها ، و على كثرة مجيء "رب" في كلام العرب لم تجيء" في القرآن إلا في هذا الموضع - انتهى . و دخلت ههنا على المضارع - و هي للماضي - لأنه لصدق الوعد كأنه عيان قد كان ، أو لأن "ما" إذا لحقتها" سوغت دخولها على المستقبل كما تدخل على

/١٧٧

(١) و نص اللسان فيه بعض زيادات و مفارقات لفظية ذات أهمية قليلة فلذا أهملنا ذكرها (٢-٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اهله مما - كذا (٣) في ظ : العنانة (٤) في ظ : كثير (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : تعلم . (٦) زيد بعده في الأصل : أمر ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها . (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) راجع النهر على هامش البحر ٥/٤٤٣ و البحر ٥/٤٤٤ (٩) زيد من ظ و م و مد و النهر (١٠-١٠) في ظ : من حيث انها . (١١) من ظ و م و مد و النهر ، و في الأصل : لا يلهها (١٢) من ظ و م و مد و النهر ، و في الأصل : ممدودة (١٣) من م و مد و النهر ، و في الأصل و ظ : لم يجي (١٤) من ظ و مد ، و في الأصل و م : لحقها .

المعرفة ـ قاله الرماني .

و لما طرق[1] لهم سبحانه الاحتمال ، كان كأنه [قيل - [2]] : هل جوزوه فأخذوا[3] فى الاستعداد [له - [4]] ؟ فقيل[5] : بل استمروا على عنادهم ، فقال ـ مستأنفا ملتفتا إلى ما أشار إليه فى أول سورة ابرهيم فى قوله " الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الآخرة " من[6] المانع لهم عن[7] الإذعان ـ : ﴿ ذرهم ﴾ يا أعز الخلق عندنا ! كالبهائم ﴿ يأكلوا و يتمتعوا ﴾ و التمتع : التلذذ . و هو طلب اللذة حالا بعد حال كالتقرب فى انه طلب القرب حالا بعد حال ﴿ و يلههم ﴾ أى يشغلهم عن أخذ حظهم من السعادة ﴿ الامل ﴾ أى رجاءهم طول العمر و بلوغ ما يقدره[8] الوهم من الملاذ من غير سبب مهيئ لذلك .

و لما كان هذا أمرا لا يشتغل به إلا أحمق ، سبب عنه التهديد بقوله : ﴿ فسوف يعلمون ﴾ أى ما يحل بهم بعد ما فسحنا لهم من زمن التمتع .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه : لما تقدم من وعيد الكفار ما تضمنه الآى المختتم بها[7] سورة ابرهيم من لدن قوله سبحانه " و لا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظلمون " إلى خاتمتها[9] ، أعقب ذلك

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اطرق (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاخذ (٤) زيد من م (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قيل (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بل (٧) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) فى ظ : يقررهم (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خاتمها .

بقوله "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين" أى عند مشاهدة تلك الأحوال الجلائل، ثم قال تعالى تأكيدا لذلك الوعيد "ذرهم يأكلوا و يتمتعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون" ثم أعقب تعالى [هذا -[1]] بيان ما جعله سنة فى عباده من ارتباط الثواب و العقاب معجلة و مؤجلة بأوقات و أحيان، لا إنفكاك لها عنها و لا تقدم و لا تأخر، إذ[2] استعجال البطش فى الغالب إنما يكون ممن يخاف الفوت، و العالم بجملتهم لله تعالى و فى قبضته لا يفوته أحد منهم و لا يعجزه، و قال تعالى "و ما اهلكنا من قرية الا و لها كتب معلوم" و كان هذا [يزيد -[1]] إيضاحا قوله عز و جل "انما يؤخرهم[3] ليوم تشخص فيه الابصار" و قوله "و انذر الناس يوم ياتيهم العذاب" و قوله "يوم تبدل الارض غير الارض" - الآية[4]؛ و تأمل نزول قوله "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين" على هذا و عظيم موقعه فى اتصاله به و وضوح ذلك كله، و أما افتتاح السورة بقوله "الر تلك ايت الكتب و قرآن مبين" فاحالة[5] على أمرين واضحين: أحدهما ما نبه [به -[1]] سبحانه من الدلائل و الآيات كما يفسر، و الثانى ما بينه القرآن المجيد و أوضحه و انطوى عليه من الدلائل و الغيوب و الوعد و الوعيد و تصديق بعض ذلك بعضا، فكيف لا يكون

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اذا (٣) فى ظ و م و مد: نوخرهم، وما فى الأصل هو قراءة الجمهور - راجع نثر المرجان ٣/٣٦٩ (٤) سقط من م و مد (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فاحله.

المتوعد به فى قوة[1] الواقع المشاهد ، لشدة البيان فى[2] صحة [الوقوع -[3]] ، فالعجب من التوقف[4] و التكذيب ! ثم أعقب هذا بقوله "ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين" - انتهى[3] .

و لما هددوا بآية التمتع و إلهاء الأمل ، و كان من المعلوم جدا من أحوالهم الاستعجال بالعذاب تكذيبا و استهزاء ، كان الكلام فى قوة ٥ أن يقال : فقالوا : يا أيها الذى نزل عليه الذكر ! عجل لنا ما تتوعدنا به ، و كان هذا غائظا[5] موجعا حاملا على تمنى[6] سرعة الإيقاع بهم ، فقيل فى الجواب : إن لهم أجلا بكتاب معلوم لا بد من بلوغهم له ، لأن المتوعد لايخاف الفوت فهو يمهل و لا يهمل ، لأنه لا يبدل[7] القول لديه ، فليستعدوا [8]فان الأمر غيب[8] ، فما من لحظة إلا / و هى صالحة لأن يتوقع فيها ١٠ / ١٧٨ العذاب ، فانا لا نهلكهم إلا إذا بلغوا كتابهم المعلوم ﴿ و ما ﴾[9] جعلنا هذا خاصا بهم ، بل هو[2] عادتنا ، ما ﴿ اهلكنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ، و أكد النفى فقال : ﴿ من قرية ﴾ أى من القرى .

و لما كان السياق للاهلاك[10] و استعجالهم و استهزائهم به ، و كان

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قوله (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التوقع (٥) زيد بعده فى الأصل : معجزا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمعنى (٧) زيد بعده فى الأصل و ظ : فى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨ - ٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فالامر عجيب (٩) زيد بعده فى ظ : اى (١٠) فى مد : للاستهلاك .

تقديره سبحانه و كُتُبه من عالم الغيب ، اقتضى الحال التأكيد بما يدل على أنه محتوم[1] مفروغ منه سابق تقديره على زمن الإهلاك ، فأتى بالواو لأن الحال بدون الواو كالجزء من سابقها[2] كالخبر و النعت الذى لا يتم المعنى بدونه ، و التى[3] بالواو هى زيادة فى الخبر السابق ، و لذلك احتيج إلى الربط[4] بالواو كما يربط بها فى العطف ، فقال : ﴿الا و لها﴾ أى و الحال أنه لها فى الإهلاك أو[5] لإهلاكها ﴿كتب معلوم﴾ أى أجل مضروب مكتوب فى اللوح المحفوظ ، أو يكون التقدير : فسوف يعلمون إذا[6] جاءهم العذاب فى الأجل الذى كتبناه لهم : هل يودون الإسلام أم لا ؟ ثم بين الآية السابقة بقوله : ﴿ما تسبق﴾ و أكد الاستغراق بقوله : ﴿من امة﴾ و بين أن المراد بالكتاب الأجل بقوله : ﴿اجلها﴾ أى الذى قدرناه [لها -[7]] ﴿و ما يستا خرون﴾ أى عنه شيئا من الأشياء ، و لم يقل : تستأخر[8] - حملا على اللفظ كالماضى ، لئلا يصرفوه إلى خطابه صلى الله عليه و على آله و سلم تعنتا .

ثم لما أجابهم بهذا الجواب الدال على تمام القدرة و كمال العلم الدالين على الوحدانية ، عطف على ما تقدم أنه فى قوة الملفوظ قوله

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : المختوم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سابعها (٣) زيد فى ظ : هى (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرابط (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٦) فى ظ : اذ (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يستاخر .

- دالا على تركهم الجواب إلى التعنت و السفه -: ﴿ و قالوا ﴾ أى لم يجوزوا أنهم يودون ذلك ، بل استمروا على العناد و قالوا : ﴿ يآ يها الذى ﴾ و لما كان تكذيبهم بالتنزيل نفسه ، بنى للمفعول قوله : ﴿ نزل عليه ﴾ أى بزعمه ﴿ الذكر ﴾ و بينوا[1] أنهم ما سموه تنزيلا إلا تهكما ، فقالوا مؤكدين لمعرفتهم بأن قولهم منكر : ﴿ انك لمجنون[3] ﴾ أى بسبب ادعائك أن الله انزل عليك ذكرا[2] و الذى تراه جنى[2] يلقى إليك تخليطا ، فكان هذا دليلا على عنادهم ، فانهم أقاموا الشتم مقام الجواب عما مضى صنعة المغلوب المقطوع فى المناظرة ، ثم أتبعوه ما زعموا أنه دليل على قولهم فقالوا : ﴿ لو ما ﴾ أى هلا و لم لا ﴿ تاتينا بالملئكة ﴾ دليلا على صدقك إما للشهادة لك و إما لإهلاك من خالفك ﴿ [4]ان كنت[4] ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ من الصدقين[5] ﴾ فيما تقول ، أى ما وجه اختصاصك عنا[5] بنزول الملائكة عليك و رؤيتك إياهم و أنت مثلنا فى الإنسانية[6] و النسب[7] و البلد ؟ هذا بعد أن قامت على صدقه[8] الأدلة القاطعة و البراهين الساطعة التى أعظمها القرآن الداعى لهم إلى المبارزة كل حين المبكت لهم بالعجز عن المساجلة[9] كل وقت .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بين (٢) العبارة من هنا إلى « تخليطا » ساقطة من م (٣) فى ظ و مد : حتى (٤-٤) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط بعد « و طبعا » (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الانشا (٧) زيد بعده فى الأصل : و النشب ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) فى ظ : صدق (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الساحلة .

و لما كان فى قولهم أمران . أجاب عن كل منهما على طريق الاستئناف على تقدير سؤال من كأنه قال[١] : [٢]بما إذاً[٢] أجابهم ؟ فقيل : أجاب عن الثانى لأنه أقرب بقوله : ﴿ ما تنزل[٣] الملئكة ﴾ أى هذا النوع ﴿ الا ﴾ تنزلا ملتبسا[٤] ﴿ بالحق ﴾ أى بسبب عمل الأمر الثابت ،
٥ و هو معنى ما قال البخارى فى [كتاب[٥]] التوحيد[٦] : قال مجاهد : بالرسالة[٧] و العذاب . أما على الرسل فبالحق من الأقوال . و أما على المنذرين فبالحق من الأفعال من الهلاك و النجاة ، فلو نزلوا عليهم كما اقترحوا لقضى الأمر بينك و بينهم فهلكوا ﴿ و ما كانوآ ﴾ أى الكفار ﴿ اذاً ﴾ أى إذ تأتيهم الملائكة ﴿ منظرين[٨] ﴾ أى حاصلا لهم الإنظار
١٠ على تقدير من التقادير ، لأن الأمر الثابت يلزمه نجاة الطائع و هلاك العاصى فى الحال من غير إمهال ، و كان حينئذ يفوت ما قضينا به من تأخيرهم و إخراج من أردنا إيمانه من أصلابهم ، / و أجاب سبحانه عن الأول بقوله مؤكدا لتكذيبهم : ﴿ انا نحن ﴾ أى على ما لنا من العظمة /١٧٩

(١) سقط من ظ و مد (٢ - ٢) فى ظ : بما ذا (٣) بحذف إحدى التائين على التأنيث و البناء للفاعل من باب التفعل ، و أما قراءة حمزة و الكسائى و خلف و حفص فبنونين : الأولى نون المضارعة مضمومة ، و الثانية فاء الفعل مفتوحة ، و بكسر الزاى مشددة من باب التفعيل ، و روى أبو بكر : تنزل - بالبناء للمفعول - راجع نثر المرجان ٣/ ٣٨٠ (٤) فى ظ : متلبسا (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) راجع باب قول الله " فلا تجعلوا لله اندادا " و غيره (٧) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : الرسالة (٨) فى ظ : منتظرين .

لا غيرنا من جن ولا إنس ﴿ نزلنا ﴾ أى بالتدريج على لسان جبريل عليه السلام ﴿ الذكر ﴾ أى الموعظة و الشرف ﴿ و انا له ﴾ [أى بعظمتنا و إن رغمت أنوف الحاسدين ـ ٢] ﴿ لحفظون ة ﴾ أى دائما ، بقدرتنا و علمنا ، لما فى سورة [هود من ـ ٣] أن ذلك لازم للحفظ ٣ فأتى حينئذ جواز أن ينزل على مجنون مخلط لا سيما و هو على هذه الأساليب ٥ البديعة و المناهج ٤ الرفيعة ، فكأن المعنى : أرسلناك به حال كونك بشرا ٥ لا ملكا ٥ قويا سويا ، يعلمون أنك أكملهم عقلا ، و أعلاهم همة ٦ ، و أيقنهم فكرا ، و أتقنهم أمرا ، و أوثقهم رأيا ، و أصلبهم عزيمة ٧ روى البخارى فى التفسير ٢ و الفتن ٨ عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال ٩ : أرسل إلىّ أبو بكر رضى الله عنه مقتلَ أهل اليمامة و عنده عمر رضى الله ١٠ عنه ، فقال ١٠ أبو بكر : إن عمر أتانى فقال ١٠ : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس ١١ ـ و فى رواية ١٢ : بقراء القرآن ـ و إنى ١٣ أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن ، فيذهب كثير من القرآن ، إلا أن

(١) زيد فى ظ : من (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) راجع آية ١٤ (٤) من م و مد ، و فى الأصل : المناهج (٥ ـ ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هما (٧) باب قوله " لقد جاءكم رسول من انفسكم " من سورة براءة (٨) باب ما يستحب للكاتب أن يكون أمينا عاقلا ، و الحديث فيما عندنا من نسخة الصحيح مذكور فى كتاب الأحكام ، و كتاب الفتن يسبقه ، و ربما يتداخل البابان (٩) و اللفظ لكتاب التفسير (١٠ ـ ١٠) سقط ما بين الرقمين من مد (١١) من ظ و م و الصحيح ، و فى الأصل و مد : فى الناس (١٢) من كتاب الأحكام (١٣) فى ظ : انا .

تجمعوه[١]، و إنى لأرى[٢] [٣]أن تجمع[٣] القرآن، قال أبو بكر: فقلت لعمر[٤]: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم؟ فقال عمر: هو و الله خير! فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح الله[٥] لذلك صدري، و رأيت الذى رأى عمر. قال زيد بن ثابت: و عمر جالس عنده لا يتكلم، فقال أبو بكر[٥]: إنك رجل شاب عاقل و لا نتهمك[٦]، كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم، فتتبع القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفنى نقل جبل من الجبال[٧] ما كان[٧] أثقل علىّ مما أمرنى [به -[٨]] من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم؟ فقال أبو بكر: هو و الله خير! فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدرى للذى شرح الله له صدر أبى بكر و عمر، فقمت فتتبعت القرآن[٩] أجمعه من الرقاع[١٠] و الأكتاف و العسب و صدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة - أو أبى خزيمة - الأنصارى، لم أجدهما - [أى -[١١]] مكتوبتين - عند[١٢] أحد غيره "لقد جاءكم رسول من انفسكم" - إلى آخرها،

---

(١) فى مد: يجمعوه (٢) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: ارى. (٣-٣) من م و مد و نسخة من الصحيح، و فى الأصل: ان يجمع، و فى ظ: أن تجمعوا، و فى الصحيح: يجمع (٤) سقط من ظ (٥) زيدت الواو بعده فى النسخ جمعاء، و لم تكن فى الصحيح فحذفناها (٦) فى ظ: لا يتهمك (٧ - ٧) فى ظ: مكان (٨) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٩) زيد فى ظ: ان، و فى م: اى (١٠) فى ظ: القرآن - كذا (١١) زيد من ظ و مد (١٢) فى الصحيح: مع.

وكانت

وكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى توفاه الله تعالى [١]ثم عند عمر حتى توفاه الله ، ثم[١] عند حفصة بنت عمر رضى الله عنهم[٢] . و ساق هذا الأثر [أيضا -[٣]] فى فضائل القرآن[٤] ، و روى بعده عن أنس رضى الله عنه أن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قدم على عثمان رضى الله عنه ، و كان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية و آذربيجان مع[٥] أهل العراق فأفزع حذيفة رضى الله عنه اختلافهم فى القراءة ، فقال حذيفة لعثمان رضى الله عنهما : يا أمير المؤمنين ! أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف[٦] اليهود و النصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة - رضى الله عنها[٧] أن أرسلى[٨] إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، و عبد الله بن الزبير ، [و سعيد بن العاص ، و عبد الرحمن -[٩]] بن الحارث بن هشام رضى الله عنهم ، فنسخوها [فى المصاحف -[٩]] ؛ و قال عثمان رضى الله عنه للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان [قريش -[٩]] ، فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى [إذا -[٩]]

(١ - ١) ما بين الرقمين بياض فى الأصل عبأناه من ظ و م و مد و الصحيح .
(٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عنهما (٣) زيد من ظ و م و مد .
(٤) باب جمع القرآن (٥) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : من ، و فى نسخة من الصحيح : فى (٦) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : باختلاف (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عنها (٨) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : ارسل (٩) زيد من ظ و م و مد و الصحيح .

نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، و أرسل إلى كل أفق بمصحف[1] مما نسخوا ، و أمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف[2] أن يحرق . و له عن خارجة بن زيد بن ثابت أنه سمع زيد بن ثابت رضى الله عنه قال : لما نسخنا الصحف / [فى المصاحف -[3]] ١٨٠ / فقدت آية من سورة الأحزاب كنت كثيرا أسمع رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم يقرأها ، لم أجدها [مع -[4]] أحد إلا مع خزيمة الأنصارى - و فى رواية[5] : فالتمسناها فوجدناها مع خزيمة - الذى جعل رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم شهادته شهادة[6] رجلين "من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه" فألحقناها فى سورتها فى المصحف . و فى الأثر الأول دلالة على أنه كان - لما أمره الصديق رضى الله عنه - لا يكتب شيئا إلا إذا وجد ما كان [قد -[7]] كتب منه بحضرة النبى صلى الله عليه و على آله و سلم و أمره ، و قابله مع ذلك على المحفوظ فى صدور الرجال ؛ و فى الأخير دليل من قوله : نسخنا الصحف فى المصاحف - إلى آخره ، أنه أعاد التتبع كما فعل أولا ليصح

(١) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : مصحف (٢) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : صحف (٣) زيد من ظ و م و مد و الصحيح - تفسير سورة الأحزاب ، و راجع أيضا باب قول الله عز و جل " من المؤمنين رجال" من كتاب الجهاد ؛ و سقطت من ظ لفظة « فى » (٤) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٥) من فضائل القرآن (٦) من الصحيح ، و فى النسخ كافة : بشهادة (٧) زيد من ظ و م و مد .

قوله : فقدت[1] آية من سورة[2] الأحزاب . لأن افتقادها[3] فرع العلم بها ، و من أبعد البعيد أن يكون سمع النبي صلى الله عليه و على آله و سلم كثيرا[4] يقرأها و لايحفظها ، و لاسيما وَهو مذكور فيمن[5] جمع القرآن فى حياة النبي صلى الله عليه و على آله و سلم كما رواه البخارى من غير وجه عن أنس رضى الله عنه[6] ، و الظاهر من مثل هذا التتبعُ الذى لايجوِّز لمن مارس أمثال هذه الهمم[7] أن يفهم غيره أن يكون لاينقل آية إلا [إذا - [8]] وجد من حفاظها على حسب ما هى مكتوبة عددَ التواتر و الله أعلم .

و لما كان هذا الكلام الذى قالوه عليه صلى الله عليه و على آله وسلم شاقا و له غائظا موجعا ، قال تعالى[9] تسلية له على وجه راد عليهم : ﴿و لقد ارسلنا﴾ أى على ما لنا من العظمة و الجلال و الهيبة ؛ ولما كان الإرسال بالفعل[10] غير عام للزمان كله ، [قال - [8]] : ﴿ من قبلك ﴾ أى كثيرا [من الرسل - [8]] ﴿فى شيع﴾[11] أى فرق ، سموا شيعا لمتابعة بعضهم بعضا فى الأحوال التى يجتمعون عليها فى الزمن الواحد من مملكة

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقد (٢) زيد فى مد : الحساب - كذا .
(٣) فى ظ : افتقاد (٤) فى ظ : كان (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ممن .
(٦) و راجع على سبيل المثال باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم من كتاب فضائل القرآن (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حالهم ، و زيد قبله فى مد : الأمم (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) فى ظ و م و مد : سبحانه .
(١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالفصل (١١) زيد بعده فى الأصل فقط : الاولين ، فحذفناها نظرا لورودها فيما سيأتى .

أو عمارة أو ديانة [١]أو نحو ذلك[١] من الأمور الجارية فى العادة ﴿الاولين﴾ كلهم[٢]، فما أرسلنا إلا رجالا من أهـــل القرى مثلك يوحى إليهم، ولم نرسل مع أحد منهم ملائكة تراها أممهم، بل جعلنا مكاشفة الملائكة [أمرا -[٣]] خاصا بالرسل، فكذبوا رسلهم ﴿ و ما ياتيهم ﴾ عبر بالمضارع تصويرا للحال، إيذانا بما يوجب من الغضب، فان "ما" تجعـــل[٤] المضارع حالا و الماضى قريبا منه، و أكد النفى فقال: ﴿من رسول﴾ أى على أى وجه كان ﴿الا كانوا به﴾ أى جبلة و طبعا ﴿يستهزءون ۝﴾ مكررين[٥] لذلك دائما، فكأنهم تواصوا[٦] بمثل هذا، و لم ينقص هذا من عظمتنا شيئا، فلا تبتئس بما يفعلون بك؛ و الاستهزاء فى الأصل: طلب الهزوء، و المراد به هنا - و الله أعلم - الهزء، و هو إظهار ما يقصد به العيب على إيهام المدح كاللعب و السخرية، و لعله عبر عنه بالسين المفهمة[٧] للطلب إشارة إلى أن رغبتهـــم فيه لا تنقضى[٨] كما هو شأن الطالب للشىء، مع أنهم لا يقعون على مرادهم فى حق أهل الله أصلا، لأنهم لا يفعلون من ذلك فعلا إلا كان ظاهر البعد عما يريدون، لظهور ما يدعو إليه حزب الله و ثباتـــه، فكانوا[٩] لذلك كطالب[١٠]

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد. و فى الأصل: يجعل (٥) تكرر فى ظ. (٦) فى مد: تواصلوا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المهملة. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا ينقضى (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فكذبوا (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كطلب.

ما لم يقع ، و إنما كان الناس إلى ما يوجبه الجهل من الاستهزاء و نحوه أسرع منهم إلى ما يوجبه العلم من الأخذ بالحزم[1] و النظر فى العواقب، لما فى ذلك من تعجل الراحة و اللذة و إسقاط الكلفة بالزام [النفس -[2]] الانتقالَ من حال إلى حال - قاله الرمانى .

و لما كانت قلوب أهل الضلال موصوفة بالضيق و الحرج ، كان الداخل إليها لايدخل إلا بغاية العسر ، فلذلك قال جوابا لمن كأنه قال: أهذا خاص[3] بهؤلاء؟ فقيل : لا ، بل ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا السلك العجيب الشأن ، و عبر / بالمضارع [الدال -[2]] مع التجدد على الاستمرار ، لاقتضاء المقام له كما تقدم فى أولها[4] فقال : ﴿ نسلكه ﴾ أى الذكر ﴿ فى قلوب المجرمين ۝ ﴾ أى العريقين[5] فى الإجرام فى كل زمن كما يسلك[6] الخيط و الرمح[7] و نحوه فيما ينظم فيه من مخيط و غيره بغاية العسر ، فلا يتسع له المحل فلا ينفع[8] ، حال كونهم ﴿ لايؤمنون به ﴾ لشىء من الأشياء، لأن صدورهم لاتنشرح[9] له كما [رأيت -[2]] سنتنا[10] بذلك فى قومك ﴿ و قد خلت ﴾ أى[11] مضت من قبل هذا ﴿ سنة ﴾ أى طريقة ﴿ الاولين ۝ ﴾

/ ١٨١

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بالجزم (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) فى ظ : خاصا (٤) من م و مد ، و فى الأصل : ولنا ، وفى ظ : ولها - كذا .
(٥) فى ظ و مد : الغريقين (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يسلط .
(٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الربح (٨) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : فلاينتفع (٩) فى ظ : لا تنسرح (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شيئا (١١) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

بذلك ، و نحن قادرون على فعل ما نريد من تلك السنة بهذه الأمة من إهلاك[1] و تيسير[2] إيمان و غير ذلك ، فهو ناظر إلى قوله "و قرآن مبين" و الغرض بيان أنه تعالى يعمى بعض الأبصار عن الجلى ، و يبصر بعضها بالخفى ، إظهارا للقدرة و الاختيار بانفاذ[3] الأمر على خلاف القياس .

٥ و لما أخبره بهذه الأسرار منبئة[4] عن أحوالهم ، و كانت النفس أشد شيء طلبا لقطع حجة المتعنت باجابة سؤله[5] ، قال تعالى مخبرا بتحقيق ما ختم به من أنهم لا يؤمنون للخوارق و لو رأوا أعجب من الإتيان[6] بالملائكة : ﴿ و لو فتحنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ عليهم[7] ﴾ أى[8] على من قال : "لو ما تاتينا بالملئكة" ﴿بابا﴾ يناسب عظمتنا ﴿من السمآء﴾ و أشار ١٠ إلى أن ذلك حالهم - و لو كانوا فى أجلى الأوقات و هو النهار - بقوله : ﴿ فظلوا ﴾ أى الكفار ﴿ فيه ﴾ أى ذلك الباب العالى ﴿يعرجون﴾ أى يصعدون ماشين[9] [فى الصعود -[10]] مشية الفرح ﴿ لقالوآ ﴾ عنادا و إبعادا عن الإيمان : ﴿انما سكرت﴾ أى سدت و غشيت ﴿ابصارنا﴾ أى حتى ظننا ما ليس بواقع واقعا ﴿ بل نحن قوم ﴾ أى و إن كان ١٥ [لنا - [10]] غاية القوة على ما نريد محاولته ﴿مسحورون﴾ أى ثابت

(١) فى ظ : هلاك (٢) فى م : تيسر (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بانفاد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : مبنية (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سواله (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اتيان (٧) تأخر فى م عن «تاتينا بالملئكة» (٨) سقط من م (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ماشين . (١٠) زيد من ظ و م و مد .

وقوع السحر علينا حتى صرنا نرى الأشياء على خلاف ما هى عليه و تثبت[1] ما لاحقيقة له ؛ و السكر : السد بادخال اللطيف فى المسام[2] فيمنع الشيء كمال ما كان عليه ، و منه السكر بالشراب ، و السحر : خيلة خفية توهم معنى المعجزة من غير حقيقة .

و لما كان[3] ذكر هذه الآية السماوية على سبيل الفرض فى الجواب عن إنكارهم النبوة ، دليلا على مرودهم[4] على الكفر ، وكان من المعلوم أن ثبوت النبوة مترتب[5] على ثبوت الوحدانية ، توقع السامع الفهم الإخبار عما له [تعالى -[6]] من الآيات المحققة الوجود المشاهدة الدالة على قدرته ، فاتبعها بذلك استدلالا على وحدانيته بما له من المصنوعات شرحا لقوله "و ليعلموا انما هو اله واحد" و دليلا على عدم إيمانهم بالخوارق ، و ابتدأ بالسماويات لظهورها لكل أحد و شرفها و ظهور أنها من الخوارق بعدم ملابستها و الوصول إليها ، فقال مفتتحا بحرف التوقع : ﴿ و لقد جعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى لايقدر عليها سوانا عما هو مغنٍ عن فتح باب و نحوه ﴿ فى السمآء بروجا ﴾ أى منازل للقمر ، جمع برج ، و هو فى الأصل [القصر -[6]] العالى [أولها الحمل -[7]] و آخرها الحوت ، سميت بذلك لأنها للكواكب السيارة كالمنازل لسكانها ، و هى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : تثبت (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المشام (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : مرورهم (٥) فى ظ : مرتب (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد من ظ و م و مد غير أن « الحمل » ساقط من ظ .

مختلفة الطبائع، فسير الشمس و القمر بكل منها يؤثر ما لا يؤثره[1] الآخر، فاختلافها فى ذلك - مع أن نسبتها إلى السماء واحدة - دليل على الفاعل المختار الواحد، و العرب[2] أعرف الناس بها و باختلافها.

و مادة 'برج' بكل تقليب تدور على [3]الظهور الملزوم[3] [للعلو الملزوم -[4]] للقوة، و قد يفرط فيلزمه الضعف، فمن مطلق الظهور: بروج السماء، قال القزاز: سميت بروجا لأنها بيوت الكواكب، فكأنها[5] بمنزلة الحصون لها، و قيل: سميت لارتفاعها، [6]و كل[6] حصن مرتفع فهو برج، و البرج - أى محركا: سعة بياض العين / و صفاء سوادها، و قيل[7]: البرج فى العين هو أن يكون البياض محدقا[8] بالسواد، يظهر فى نظر الإنسان فلا يغيب من سوا دالعين شيء، و تبرجت المرأة: أبدت محاسنها، و الجرياء: الشمال - لعلوها[9]، و الجريب: الوادى - لظهوره، و الجريب: مكيال أربعة أقفزة، و جريب الأرض معروف، و هو ساحة مربعة كل جانب منها ستون ذراعا، و منه الجراب - لوعاء من جلود، و الجورب - للفاقة الرجل[10]، لأنهما ظاهران بالنسبة إلى ما فيهما، و كذا الجربان - لغلاف[11] السيف، و جراب[12] البئر: جوفها؛ و الأرجاب: الأمعاء - شبها

/ ١٨١

(١) من مد، وفى الأصل وظ وم: لا يوثر (٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: القرب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ وم و مد (٥) فى ظ: فانها (٦ - ٦) فى مد: فكل (٧) من صاحب القاموس (٨) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: محرقا (٩) فى النسخ: لعلوه (١٠) فى ظ: الرجال. (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كغلاف (١٢) العبارة من هنا إلى «سفن البحر» ساقطة من ظ.

بالحراب

بالجراب ؛ و البارجة : سفينة من سفن البحر تتخذ للقتال ، و البجرة : كل عقدة[1] فى [البطن ، و العجرة : كل عقدة فى - [2]] الجسد ، و البجرة : السرة الناتئة ، و سرة البعير عظمت أو لا ، و البجر و البجرى : الأمر العظيم ، و جاء فلان بالبجارة[3] ، و هى الداهية ، و فيه ما جمع إلى الظهور القوة ؛ و من ذلك رجب : اسم شهر ، و رجبت الرجل : عظمته ، و الرجبة من وصف الأدوية ، و الرجب : الحياء و العفو ، و الرجب : الهيبة ؛ و المجرب : الذى بلى بالشدائد ؛ و رجبت النخل ترجيبا : بنيت من جانبها بناء لئلا يسقط ؛ و الجبر : خلاف الكسر ، و الملك - لوجود الجبر به لقوته ، و جبرت العظم ، و الجبارة : ما يوضع على الكسر لينجبر[4] ، و جبرت الرجل : أحسنت إليه ، و أجبرته : ضممته إلى ما يريد ، و أجبرته على كذا : قهرته عليه ، أى أزلت جبره[4] ، و الجبرية : العانة من الحمير ، و هى[5] أيضا لأقوياء من الناس ، و الجبار من النخل : الطويل الفتى[6] ، و الجبار اسم من أسماء الله تعالى ، و الجبار : كل عات ، و كل ما فات اليد ، و العظيم القوى الطويل ، و المتكبر الذى لا يرى لأحد عليه حقا ، و المتجبر[7] : الأسد ، و جبار - بالضم مخففا : يوم الثلاثاء - لأن الله تعالى خلق المكروه فيه -

(١) فى ظ : عقد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ و م و مد : بالبجار - كذا ، و فى القاموس : والبجرى و البجرية بضمهما : الداعية (٤) فى ظ : جبرته (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هو (٦) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : الغنى (٧) فى ظ : المستجبر .

كما فى الصحيح[١] ، و من الضعف : الجبار - بالضم مخففا[٢] ، و هو الهدر من الدماء و الحروب و غيرها ، و قد يكون من جبر الكسر ، لأنه جبر به المهدر عنه و قوى به و أحسن إليه ، و كل ما أفسد و أهلك فهو جبار - كأنه شبه بالجبيرة التى تفسد[٣] لإصلاح الكسر ، و الجبر : العبد - لضعفه و احتياجه إلى التقوية ؛ و من الضعف أيضا الجرب بالنسبة إلى من يحل به ، و هو من القوة بالنسبة إلى نفسه ، و من الظهور و الانتشار أيضا ، و الجرباء : السماء - تشبيها بالأجرب . و أرض جرباء : مقحوطة ؛ و التربج : التجبر ، و الروبج[٤] : درهم صغير ؛ قال الزبيدى : و هو دخيل ، و مادة ' جبر ' منها بخصوص[٥] ترتيبها تدور على النفع ، و تارة تنظر إلى ما يلزمه من عدم الضر مثل الجبار بالضم مخففا لما هدر ، و تارة [تنظر -[٦]] إلى ما يلزم النفع من التكبر[٧] و القهر .

و لما ذكر البروج ، وصف سبحانه السماء[٨] المشتملة عليها فقال : ﴿ و زينها ﴾ أى السماء لأنها المحدث عنها[٩] بالكواكب ﴿ للنظرين ﴾ أى لكل من له أهبة النظر ، فى دلائل الوحدانية ، لاعائق له عن معرفة ذلك إلا عدم صرفه النظر إليه بالبصر أو بالبصيرة ﴿ و حفظناها ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ من كل شيطن ﴾ أى بعيد من الخير محترق ﴿ رجيم ﴾

---

(١) لمسلم فى باب صفة القيامة والجنة و النار من كتاب المنافقين (٢) العبارة من «يوم الثلاثاء» الى هنا ساقطة من ظ (٣) فى ظ : تشد (٤) من م و القاموس ، وفى الأصل و مد : الروع . و فى ظ : التربج - كذا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مخصوص (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ : التكبير . (٨) سقط من ظ (٩) من ظ . وفى الأصل و ظ و مد : عنه .

مستحق للرجم - [و هو رمى الشيء بالاعتماد من غير آلة مهيأة للاصابة كالقوس فانها للرمى لا للرجم -[1]] - و مستحق للشتم، لأنه قوال بالظن و ما لاحقيقة له ﴿الا من استرق السمع﴾ منهم، فانا لم نرد[2] تمام الحفظ منه ﴿فاتبعه﴾ أى تبعه تبع من هو حاث[3] لنفسه سائق لها ﴿شهاب﴾ و هو عمود من نور يمتد بشدة ضيائه كالنار ﴿مبين *﴾ يراه من فيه أهلية ٥ الرؤية حين[4] يرجم به؛ روى البخارى فى التفسير عن أبى هريرة رضى الله عنه يبلغ به النبى صلى الله عليه و على آله و سلم [5]قال: إذا قضى[5] الأمر فى السماء ضربت / الملائكة بأجنحتها[6] خضعانا لقوله[6]، كأنه سلسلة على ١٨٣ / صفوان[7] ينفذه ذلك، فاذا فزع عن قلوبهم قالوا: ما ذا قال ربكم؟ قالوا للذى قال: الحق و هو العلى الكبير، فيسمعها[8] مسترق السمع و مسترقو ١٠ السمع، هكذا واحد[9] فوق آخر - و وصف سفيان [بيده -[10]] ففرج بين أصابعه[11] اليمنى، نصبها بعضها فوق بعض - فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يرمى بها إلى صاحبه فيحرقه[12] و ربما [لم يدركه[13] حتى يرمى بها

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد. و فى الأصل: لم نرد - كذا (٣) من م و مد، و فى الأصل: جاث، و فى ظ: جاءت. (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ: فاذا (٦-٦) فى ظ: خضعانا له (٧) زيد فى الصحيح: «قال على: و قال غيره» (٨) من ظ و م و مد و نسخة من الصحيح، و فى الأصل: فسمعها، و فى الصحيح: فتسمعها (٩) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: واحدا (١٠) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (١١) فى الصحيح: أصابع يده (١٢) فى الصحيح: فتحرقه (١٣) فى الصحيح: لم تدركه.

إلى الذى يليه إلى الذى هو أسفل منه حتى بلغوها إلى الأرض، و ربما -[١]]
قال سفيان : حتى ينتهى إلى الأرض ، فتلقى[٢] على فم الساحر فيكذب
[معها -[١]] مائة كذبة فيصدق، فيقولون : ألم يخبرنا يوم كذا و كذا
[يكون كذا و كذا -[١]] فوجدناه حقا للكلمة التى سمعت من السماء .
٥ قال المفسرون[٣] رضى الله عنهم : كانت الشياطين لا تحجب عن السماوات
فيلقون ما يسمعون منها إلى الكهنة ، فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا
من ثلاث سماوات ، فلما ولد محمد صلى الله عليه و على آله و سلم منعوا من
السماوات [كلها -[٤]] - هكذا رأيت 'ولد' و لعله[٥] 'بعث' فان[٦] فى الصحيح
أن الذى منعهم نزول القرآن[٧] .

١٠ و لما ذكر آية السماء ، ثنى بآية الأرض فقال : ﴿و الارض مددنها﴾
أى بما لنا من العظمة ، فى الأبعاد [الثلاثة -[٤]] : الطول و العرض و العمق ،
على الماء ﴿و القينا﴾ أى بعظمتنا ﴿ فيها ﴾ أى الأرض ، جبالا ﴿رواسى﴾
[أى -[٤]] ثوابت . لئلا تميل بأهلها و ليكون[٨] لهم علامات ؛ ثم نبه
على إحياء الموتى بما أنعم به فى الأرض بقياس جلى بقوله : ﴿ و انبتنا فيها ﴾
١٥ أى الأرض و لاسيما الجبال[٩] بقوتنا الباهرة ﴿ من كل شىء موزون ﴾

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد و الصحيح (٢) من الصحيح ، و فى الأصول : فيلقى (٣) راجع لباب التأويل ٤ / ٤٩ ، و القول معزو إلى ابن عباس (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لعل . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و ان (٧) راجع تفسير سورة الجن (٨) فى ظ و مد : لتكون (٩) زيد فى م : اى .

أى

أى مقدر على مقتضى الحكمة من المعادن و النبات ﴿ و جعلنا لكم ﴾ أى إنعاما منا عليكم ﴿ فيها معايش ﴾ و هى[1] بياء صريحة من غير مد ، جمع معيشة ، و هى ما يحصل به العيش من المطاعم و الملابس و المعادن و غيرها ﴿ و من لستم ﴾ أى أيها الأقوياء الرؤساء ﴿ له برزقين[2] ﴾ مثلكم فى ذلك ، جعلنا [له -[3]] فيها [معايش -[3]] من العيال و الخدم و سائر الحيوانات التى تنتفعون [بها -[3]] و إن ظننتم أنكم ترزقونهم ، فان ذلك باطل لأنكم[4] لاتقدرون على رزق أنفسكم فكيف بغيركم ؟ فلما ظهر كالشمس كمال [5]قدرته و أنه واحد لاشريك له ، بين أنه - كما كانت هذه الأشياء عنده بحساب[5] قدره على حكمة دبّرها - كان غيرها كذلك[6] ، فذلك هو المانع من معاجلتهم[7] بما يهزؤن به من العذاب ، فقال : ﴿ و ان ﴾ أى و ما ﴿ من شىء ﴾ [أى -[3]] مما[8] ذكر و غيره من الأشياء الممكنة ، و هى لا نهاية لها ﴿ الا عندنا ﴾ أى لما[8] لنا من القدرة الغالبة ﴿ خزآئنه ﴾ أى كما [هو -[9]] مقرر[10] عندكم ، لاتنازعون[11] فيه ، قال فى الكشاف : ذكر الخزائن تمثيل ﴿ و ما ننزله ﴾ أى مطلق ذلك الشىء لا بقيد[12]

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : بخازنين ، وزيد بعده فى الأصل : أى . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فانكم (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لذلك (٧) فى ظ و مد : معالجتهم (٨) فى ظ : بما (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مقدر (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لاتنازعوا (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : لا يقبل .

عدم التناهى ، فان كل ما يبرز إلى الوجود متناه ، فهو استخدام ﴿ الا بقدر معلوم ﴾ على حسب التدريج كما ترونه[1]؛ و عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه[2]: ليس عام بأمطر[3] من عام، و لكن الله يقسمه و يقدره فى الأرض كيف يشاء[4]، عاما ههنا و عاما ههنا ، و ربما كان فى البحر . فهذا دليل قطعى على أن الفاعل المخصص له بوقت دون وقت و أرض دون أخرى فاعل واحد مختار .

فلما تم ما أراد من آيتى السماء و الأرض، و ختمه بشمول قدرته لكل شىء ، أتبعه ما ينشأ عنهما مما هو بينهما مودعا فى خزائن قدرته ، فقال : ﴿ و ارسلنا ﴾ أى بما لنا من التصريف الباهر[5] ﴿ الريح ﴾ جمع ريح ، و هى جسم لطف منبث فى الجو سريع المر ﴿ لواقح ﴾ أى حوامل تحمل الندى ثم تمجه فى السحاب التى تنشئها[6]، فهى حوامل للماء . لواحق[7] بالجو ، قوته على ذلك عالية[8] حسا و معنى؛ و الريح : هواء متحرك ، و حركته بعد أن كان ساكنا لابد لها[9] من سبب ، و ليس [هو -[10]] نفس كونه هواء [11]و لا شيئا[11] من لوازم ذاته ، و إلا لدامت / حركته . /١٨٤

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : برونه (٢) راجع الدر المنثور - تفسير الآية المتعلقة وهناك بعض المفارقات بالنسبة لما هنا (٣) فى ظ : بأمر (٤) من ظ و م و مد والدر، و فى الأصل: شاء (٥) من ظ و م ومد ، و فى الأصل: القاهر (٦) من م و مد، وفى الأصل: تنشا، و فى ظ : تنسيها (٧) من م ومد ، و فى الأصل : لواقح ، و فى ظ : لواقع (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد: عاليه (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل: له (١٠) زيد من ظ و م و مد . (١١ - ١١) فى ظ : الاشياء .

فليست إلا بتحريك[1] الفاعل الواحد المختار ﴿ فأنزلنا ﴾ أى بعظمتنا بسبب تلك السحائب التى حملتها الرياح ﴿ من السمآء ﴾ أى الحقيقية أو جهتها أو السحاب ، لأن الأسباب المتراقية[2] بسند الشىء تارة إلى القريب منها و تارة إلى البعيد و أخرى إلى الأبعد ﴿ مآء ﴾ و هو[3] جسم مائع سيال ، به حياة كل حيوان من شأنه الاغتذاء ﴿ فاسقيٰنكموه ج ﴾ جعلناه[4] لكم سقيا ، ٥ يقال : سقيته ماء [أى -[5]] ليشربه ، و أسقيته أى مكنته منه ليسقى به[6] ماشيته و من يريد . و نفى سبحانه عن غيره ما أثبته أولا لنفسه فقال : ﴿ و مآ انتم له[7] ﴾ [أى -[8]] ذلك الماء ﴿ بخازنين ۝ ﴾ و الخزن : وضع الشىء فى مكان مهيأ للحفظ ، فثبت أن القادر عليه واحد مختار[9] .

و مادة ' لقح ' بتقاليبها الست تدور على اللحاق[10] ، و تلزمه القوة ١٠ و العلو حسا أو معنى ، فاللقاح اسم ماء الفحل - لأنه يلحق[11] الأنثى[12] فتحمله ، و قد ألقح [الفحل - [8]] الناقـــة ، و لقحت لقاحا : حملت[13] ، و الملقوح : ما لقحته من الفحل ، أى أخذته ، و هى الملاقيح - يعنى الأجنة ،

---

(١) فى م : بتحريكى (٢) فى ظ : المراقبة (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : هى (٤) من م ، وفى الأصل و ظ و مد : جعلنا (٥) زيد من م (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منه (٧) تأخر فى الأصل عن « ذلك الماء » و الترتيب من ظ و م و مد (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : مختاره (١٠) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اللقاح (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا يلحق (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الا انثى (١٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : جملته ، و راجع أيضا القاموس .

و اللقحة : الناقة الحلوب[1] ـ لأنها أهل لأن يلحقها[2] جائع ، و ألقح القوم النخل[3] و لقحوها ـ إذا ألحقوها[4] بالفحالة فعلقوها عليها .

و القاحل : اليابس من الجلود ، لأن أجزاءه تلاحق[5] بعضها ببعض فضمرت ، و منه شيخ قاحل .

٥ و اللحق : كل شيء لحق شيئا أى أدركه ، و الملحق : الدعى[6] ـ لأنه متهيئ[7] لأنه يستلحقه[8] كل من يريده ، و الملحاق : الناقة التى لا يفوتها الإبل ؛ قال الزبيدى فى مختصر العين : و فى القنوت : إن عذابك بالكفار ملحق ـ بالكسر ، أى لاحق ـ لغة .

و الحقل : القراح الطيب ـ لتهيئها لمن[9] يلحق بها ، و قيل : هو ١٠ الزرع إذا تشعب ورقه ، و هو من ذلك أيضا و من لحوقه بالحصاد فيصير كالمحلوق[10] ، و الحقيل : نبت ، و الحقيلة : الماء[11] الرطب ، أى الأخضر من البقل و الشجر فى الأمعاء منه ، و الحقيلة : حشافة التمر ـ للحاق كل من أراده به ، و الحوقلة : الغرمول اللين ـ كأنه مشبه بالنبت الأخضر ، أو لإمكان تثنيه كل وقت و لحوق بعض أجزائه ببعض ، و الحوقل :

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : المحلوب (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يلقحها (٣) زيد فى مد : لحقوها (٤) فى ظ : القحوها . (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلاحق (٦) فى ظ : الداعى (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : منتهى (٨) فى ظ : يلحقه (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : كالملحوق (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الماء .

الشيخ الضعيف النكاح - كأنه منه، والحوقلة: سرعة المشى، وحقل الفرس - إذا وجع من أكل التراب - كأنه مأخوذ من الحقل، و حوقل الشيخ: اعتمد بيديه على خصره إذا تمشى - كأنه للحاق يديه خصره.

و الحلق[1] مساغ الطعام و الشراب، و حلوق الأرض[2]: أوديتها و[3] مجاريها - للحاق المياه بها، و لشبهها بالحلوق، و الحلق: حلق الشعر بالموسى، [4]من اللحاق[4] و القوة، و المحالق: الأكسية الخشنة التى تحلق الشعر من خشونتها، و الحالق: المشؤوم الذى يحلق قومه؛ و الحلق: ضرب من النبات، لورقه حموضة - كأنه لسرعة لحاق الماشية به لأنه كالفاكهة [لها-[5]]، و الحلقة: الخاتم بلا فص - لتلاحق أجزائها بعضها ببعض، و منه حلقة القوم، و الحلقة: السلاح كله[6]، إما من هذا لأن منها الدروع ذات الحلق[7]، تسمية للشيء باسم جزئه، و إما من القوة و العلو المعنوى لما يلزم عنها، و الحلق: المال الكثير، إما من ذلك و إما من لحاق صاحبه بمراده، و الحالق: الجبل[8] المنيف - لظهوره و علوه و لحاقه بالجو، و الحوقلة: القارورة الطويلة العنق، و حلق الطائر: ارتفع فى الهواء، من هذا؛ و اللقحة[9]: الغراب؛ و الحالق من الكرم و الشرى: ما تعلق منه بالقضبان، فهو ظاهر فى اللحاق، و حلق الضرع - إذا ارتفع إلى البطن و انضم، فهو من العلو

(١) فى ظ و م و مد: اللحق - كذا (٢) فى ظ: الراس (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: او (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باللحاق (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كلها (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حلق (٨) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: بالجبل (٩) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: اللحقة.

١٨٥/ واللحاق، وقيل: إذا كثر لبنه فهو إذاً من اللحاق، وتحلق القمر: صارت حوله دارة، وحلق قضيب الفرس حلقا - إذا تقشر، /كأنه شبه بما حلق شعره، وحى لقاح: لم يملكوا قط - كأنه من القوة والعلو المعنوى[1]؛ والقلح: صفرة تعلو الأسنان، فهو من اللحاق مع العلو، ويسمى الجعل أقلح من هذا.

٥ فلما تقرر تفصيل الخبر عما هو سبب للاحياء فى الجملة، فتهيأت[2] النفس للانتقال منه إلى الإحياء [الحقيقى -[3]] قياسا، قال تعالى: ﴿وإنا لنحن نحيي﴾ أى لنا هذه الصفة على وجه العظمة، فنحيي [بها -[3]] ما نشاء من الحيوان بروح البدن، ومن الروح بالمعارف، ومن النبات بالنمو، وإن كان أحدها حقيقة، والآخران مجاز إلا أن الجمع بينهما

١٠ جائز ﴿ونميت﴾ أى لنا هذه الصفة. فنبرز بها من عظمتنا ما نشاء ﴿ونحن الوارثون﴾ أى الإرث التام إذا مات الخلائق، الباقون بعد كل شيء كما كنا ولا شيء، [ليس -[6]] لأحد فينا تصرف بإماتة ولا إحياء، فثبت بذلك الواحدانية والفعل بالاختيار، فلما ثبت بهذا كمال قدرته، وكانت آثار القدرة لا تكون محكمة إلا بالعلم، قال تعالى:

١٥ ﴿ولقد علمنا﴾ أى بما لنا من الإحاطة المعجزة ﴿المستقدمين منكم﴾ وهم[7] من قضينا بموته أولا، فيكون فى موته كأنه يسارع إلى التقدم

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: فهيات (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) ليست الواو فى الأصل فقط (٥) فى م: بالنماء (٦) زيد من ظ و مد؛ والعبارة من بعده إلى «ولا إحياء» ساقطة من م (٧) من م، وفى الأصل وظ ومد: هو.

إليه و إن كان هو و كل من أهله مجتهدا بالعلاج فى تأخيره ﴿ولقد علمنا﴾ بعظمتنا ﴿المستاخرين ٥﴾ أى الذين نمد فى أعمارهم فنؤخر موتهم حتى يكونوا[1] كأنهم يسابقون[2] إلى ذلك و إن عالجوا الموت بشرب سم و غيره، أو [3]عالجه لهم[3] غيرهم بضربهم بالسيف أو غيره، فعرف[4] بذلك قطعا أن الفاعل واحد مختار، و كذا كل متقدم و متأخر فى وصف من الأوصاف غير الموت، و المعنى على الأول: فنحن لا نميت أحدا قبل أجله فلا تستعجلونا بالوعيد و تهيأوا لدفاعه إن كنتم رجالا، فانه لابد أن [5]يأتى لانه[5] لا يبدل القول لدىّ.

و لما تم الدليل على تمام القدرة و شمول العلم، ثبت قطعا إحياء الموتى لانتفاء المانع من جهة القدرة، و اقتضاء الحكمة له من جهة العلم للعدل بين العباد بالمقابلة على الصلاح و الفساد، فقال تعالى مؤكدا لإنكارهم: ﴿و ان ربك﴾ أى[6] المحسن إليك بالانتقام لك ممن يعاديك، و إقرار عينك من مخالفيك[7] ﴿هو﴾ أى وحده ﴿يحشرهم[8]﴾ أى يجمعهم[9] إلى أرض القيامة بعد إعادتهم؛ قال الرمانى: و أصله جمع الحيوان إلى

(١) من م، و فى الأصل و مد: يكون، و سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يساقون (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عالجهم اسم - كذا (٤) من م، و فى الأصل و ظ و مد: يعرف (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل: يتاتى فانه، و فى ظ: يتاتى لانه (٦) سقط من م (٧) فى ظ: مخالفتك. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نحشرهم (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نجمعهم.

مكان ؛ ثم علل ذلك فقال مؤكدا لأجل اعتقادهم ما يستلزم الإنكار : ﴿ انه حكيم ﴾ أى يفعل الأشياء فى أتم مواضعها بحيث لا يقدر أحد على نقضها ﴿ عليم ﴾ بالغ العلم فلا يخفى عليه شىء ، و هو يريد أن ترى حكمته بكشف[1] الغطاء[2] عند[3] تمييز أهل السعادة و الشقاء[4] ؛ و الحكمة : العلم الذى يصرف عما لا ينبغى ، و أصلها المنع .

و لما جرت سنته[5] الإلهية أنه يذكر ابتداء الخلق دليلا على الإعادة سابقا و لاحقا ، و ابتدأ هنا بذكر الحشر لما قام عليه من الدليل باحياء الأرض ، توقع السامع تفصيل ابتداء الخلق الذى هو أدل دليل على البعث بعد إجماله فى قوله " و انا لنحن نحيي[6] " فقال مفتتحا بحرف التوقع : ﴿ و لقد خلقنا ﴾ أى بالعظمة الباهرة ﴿ الانسان ﴾ [أى -[7]] الآنس بنفسه ، الناسى[8] لغيره ﴿ من صلصال ﴾ أى طين يابس ، له عند النقر صلصلة [[9]- أى صوت شديد متردد فى الهواء ، فان كان فيه مد من غير ترجيع فهو صلل[10]] ، فالمراد شديد يبسه[11] و لكنه غير مطبوخ ، و أما

(١) فى مد : بالكشف (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : عنه (٤) فى ظ : الشقاوة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : سنة (٦) زيد بعده فى الأصل و ظ : و نميت ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) زيد من م (٨) من م و مد ، و فى الأصل : الناس ، و فى ظ : الناشى (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من م - و راجع أيضا القاموس و اللسان - و فى ظ : صلصيل ، و فى مد : صلصل (١١) من م ، و فى الأصل و ظ : نسبه ، و لا يتضح فى مد .

المطبوخ فهو فخار[١]؛ [٢]ثم بين أصل الصلصال فقال[٢]: ﴿ من حما ﴾ [٣]أى طين أسود منتن[٣] ﴿ مسنون ﴾ [٣]أى مصبوب مهيأ لعمل ما يراد منه بالدلك و التحسين من الذهاب و الاضطراب و الجعل على[٤] طبع و طريقة[٥] مستوية، و كل ذلك على غاية السهولة و الطواعية و الهوان، / فذكر / ١٨٦ أصل الإنسان و ما وقع له مع إبليس - الذى هو أصل الجن كما أن آدم عليه السلام أبو البشر - من الكيد حتى أخرجه من دار الصفاء إلى دار الكدر، ليحذره العقلاء من بنى آدم، و فى التنبيه بابتداء الخلق على وصول البشر إلى أصلٍ كان بمحض[٦] القدرة مخالفٍ لهم فى[٧] التكوين بين أبوين، و انتهاء الجن إلى أصل ليس خلقه كخلقهم تنبيه عظيم على انتهاء الموجودات [٨]إلى موجود[٨] لا يجانسهم[٩]، بل [هو -[١٠]] خالق غير مخلوق، فاعل بالاختيار، واحد لاشريك له، و لا اعتراض عليه، قادر على ما يريد [سبحانه، و فى خلقه من الماء - الذى هو كالأب - و الطين - الذى هو كالأم - بمساعدة النار و الهواء -[١٠]] من الحكمة أن يكون ملائما لما فى هذا العالم، فيكون بقاءه بذلك الذى خلق منه[١١] فى مأكله و مشربه و ملبسه و سائر أموره، و ذلك أدل على حكمة الخالق و علمه و وحدانيته.

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فخاره (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) العبارة من هنا إلى « و الهوان » ساقطة من م (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: طرقه (٦) فى ظ و مد: تمحض (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من. (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يجانبهم (١٠) زيد مابين الحاجزين من ظ و م ومد (١١) زيدت الواو فى ظ.

و مادة "صل" تدور على الصلصال الذى هو الطين مطلقا ، أو[1] الطين الحر يخلط بالرمل ، أو[1] الطين ما لم يجعل خزفا ، و يتفرع[2] جميع معانى[3] المادة منه ، لأن من لوازمه فى أوله الماء و اللين بنداوته و سهولة خلطه لغيره ، فيأتى الخفاء لأنه يغرز فيه بغير[4] صوت ، و منها قبول التصفية من الغش ، و منها فى آخره[5] الصلابة لشدة اليبس ، فيلزم تضامّ الأجزاء و تضايقها على انتظام[6] أو غير انتظام ، [والصوت -[7]] ، و شدة [8]الانفصال بالتشقق[8]، و من لوازمه التغير بالنتن ، فيأتى الخبث و الفساد ، و من لوازمه شدة الاختلاط بحيث إذا نشب فيه شيء عسر خلاصه ، و من لوازمه تميزه[9] عما عداه ، و محل يصنع فيه .

فمن الصوت و اليبس : صليل الحديد و الإبل و نحو ذلك ، يقال : صل الحديد و اللجام : امتد صوته ، فان توهم ترجيع الصوت قيل : صلصل ، و صل البيض : سمع له طنين عند القراع ، و المسمارُ صليلا : ضرب فأكره أن يدخل فى الشيء ، و الإبلُ صليلا[10] : يبست أمعاؤها من العطش[11] فسمع لها صوت عند الشرب .

---

(١) من ظ و م ومد ، و فى الأصل « و » (٢) فى ظ و مد : تتفرع (٣) فى مد : حال (٤) فى ظ : من غير (٥) فى مد : آخر (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : الانتظام (٧) زيد من ظ و م ومد (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الانفعال بالشقق - كذا (٩) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : تميزه (١٠) من ظ و م و مد والقاموس ، و فى الأصل : صله لا - كذا (١١) من ظ و م ومد و القاموس ، و فى الأصل : تعطش .

و من الصوت : صلصل : أوعد و تهدد[١] ، و قتل[٢] سيد العسكر - لظهور الصيت[٣] بذلك ، و صلصل الرعد : صفا صوته ، و الكلمة : أخرجها متحذلقا[٤] ، و طائر أو الفاختة ، و الراعي الحاذق ، و [٥]المصلل - كمحدث[٥]: السيد الكريم الحسيب ، الخالص النسب[٦] ، و الأسكف و [هو -[٧]] الإسكاف عند العامة ، و تصلصل[٨] الغدير : جفت حمأته[٩] ، فتهيأ لأن يصوت يبسه ، و الحلي : صوت ، و حمار صُلصُل و صُلاصِل - بضمهما ، و صَلصال و مُصلصِل[١٠] : مصوت .

و من النتن : صلول اللحم و الماء ، يقال : صل اللحم صلولا : أنتن ، و الماء : أجن[١١] ، و الصليان - بكسرتين مشددة[١٢] اللام : ما[١٣] تغير من اللحم[١٤] ، و الصلة - بالضم : الريح المنتنة .

(١) من ظ وم و مد والقاموس ، وفي الأصل : تهدده (٢) من القاموس ، و في الأصول جمعاء : قيل - كذا (٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : العست - كذا (٤) من م و القاموس ، و في الأصل و ظ و مد : متحزلقا ؛ و من بعده يبتدئ معنى الصَلصلة والصُلصلة والصُلصل (٥-٥) من ظ و م ومد والقاموس ، وفي الأصل : المصلصل المحدث؛ وزيد بعده في الأصول : بيت ، ولم تكن الزيادة في القاموس و لا في اللسان فحذفناها (٦) من القاموس ، و في النسخ : النسيب .
(٧) زيد من ظ وم و مد والقاموس (٨) في ظ : تصليل (٩) من ظ وم ومد و القاموس ، وفي الأصل : ضماته (١٠) في ظ : متصلصل (١١) من ظ وم ومد و القاموس ، و في الأصل : اجبن (١٢) من م و مد و القاموس ، و في الأصل وظ : مشدة (١٣) سقط من مد (١٤) وأما في القاموس فهذا التعريف ينسحب على الصُل ، و معنى الصليان فيه : نبت .

و من اليبس : الصلة ، و هى الجلد[1] اليابس قبل الدباغ ، و النعل ، و الأرض ، أو اليابسة - و صل السقاء صليلا : يبس ، أو أرض لم تمطر بين ممطورتين ، و الصل - بالكسر : القرن ، و شجر[2] ، و السيف القاطع .

و من النداوة : الصلة ، و هى التراب الندى ؛ و[3] من الماء أعم من أن يكون كثيرا أو قليلا : [الصلة -[4]] للمطرة الواسعة و المتفرقة القليلة[5] ، و الصلة - بالضم : بقية الماء و غيره ، و كذا الصلصلة و الصلصل - بضمهما : بقية الماء فى الغدير ، و كذا من الدهن و الزيت ، و أما التفرق فمن التشقق ، و الصلة : القطعة من العشب ، سميت باسم المطر تسمية للسبب باسم السبب .

و من اللين : الصلالة - بالكسر - لبطانة الخف أو ساقها ، و الصلصل - كهدهد : ناصية الفرس و يفتح ، أو بياض فى شعر معرفته ، و ما ابيض من شعر ظهره[6] ، و هذا من التميز أيضا ؛ و من المحل[7] : القدح أو الصغير منه ، و المصلة - بالكسر : [الإناء يصفى فيه الشراب ؛ و من الخبث : الصل - بالكسر -[8]] للحية مطلقا ، أو الدقيقة[9] / الصفراء ، و الداهية ، /١٨٧

(١) زيد فى القاموس : أو (٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : السحر (٣) سقطت الواو من ظ (٤) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٥) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : القلة (٦) من م و مد ، و فى الأصل : طيره ، و فى ظ : ظفره ؛ و راجع أيضا القاموس (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحل (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من القاموس ، و فى النسخ كلها : الرقيقة .

و السيف القاطع - شبه[1] بذلك لإهلاكه ، و إنه لصل [أصلال -[2]] : داهٍ منكر فى الخصومة و غيرها ، و[2] صلتهم الصالة[3] : أصابتهم الداهية ، و هذا أيضا من شدة الانتشاب[4] ، و من التشقق : الصال و هو الماء يقع على الأرض فتشقق[5] .

و من التصفية : صللنا الحب المختلط بالتراب : صببنا فيه ماء فعزلنا[6] كلا على حياله[7] ، و صل الشراب صلاء صفاه ، و المصلة - بالكسر : الإناء يصفى فيه .

و من تضام الأجزاء و تضايقها ، و قد يكون[8] مع الانتظام و منه : تلصيص البنيان ، أى ترصيصه[9] ، و قد لا يشترط فيه الانتظام و منه : التص بمعنى الزق[10] ، و اللص[11] و هو تقارب المنكبين ، و تقارب الأضراس ، و تضام مرفق[12] الفرس إلى زوره ، و اللصاء من الجباه : الضيقة ، و المرأة الملتزقة[13] الفخذين لا فرجة بينهما ، و الزنجى : ألص[14] الإليتين ،

(١) فى م و مد : مشبه (٢) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٣ - ٣) فى ظ : صلة الصال - كذا (٤) فى النسخ كلها : الانتساب ، و التصحيح بناء على ما تقدم من ذكر لوازم المادة (٥) فى القاموس : فتنشق (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : يعرلنا - كذا (٧) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : حالة ، و فى ظ : صياله (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : تراصيصه (١٠) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الزق (١١) فى القاموس : اللصص . (١٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : مربعى (١٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الملتزمة (١٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : اللص .

و إغلاق الباب ؛ و من إطلاقه على ما ليس منتظما و إن لم يكن تقارب : اللصاء من الغنم ، و هى ما أقبل أحد قرنيها و أدبر الآخر . و من الخفاء الذى هو من لوازم الطين و هو ندى : اللص - بالفتح ، و هو[1] فعل الشىء فى ستر ، و السارق ، و يثلث .

٥ و مادة "سن" تدور على الدلك ، و يلزمه التحسين ، فمن الدلك : السن - بالكسر - [و هو -[2]] الضرس و الحية من الثوم[3] - تشبه به ، و الثور الوحشى ، و سنان الرمح ، و مكان البرى من القلم[4] ، و الأكل الشديد[5] ، و القرن ، و شعبة المنجل ، و مقدار العمر - لأنه لما مر على صاحبه كان كأنه دلكه ، و المسان[6] من الإبل : الكبار ، و سن السكين

١٠ و غيره فهو[7] مسنون ، و المسن - بالكسر : آلة السن ، و سنن رمحه إليه : سدده ، و سن الأضراس : سوكها[8] ، و الإبل : ساقها سريعا - لتدالكها عند الازدحام[9] ، و سن الأمر : بينه - فكأنه هيأه لأن[10] يركب فيدلك بالأفكار[11] أو غيرها ، و سن الطين : عمله فخارا ، و فلانا : طعنه بالسنان أو عضه بالأسنان ، و الفحل الناقة : كبها[12] على وجهها ، و عليه

---

(١) زيد فى ظ : فى (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ : الهوم ، و فى القاموس : رأس الثوم (٤) فى ظ و مد : العلم (٥) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الشديدة (٦) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل و م : البيان . (٧) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : وهو (٨) فى ظ : سواكها . (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الزحام (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لانه (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالافكال - كذا . (١٢) من القاموس ، و فى الأصول كلها : ركبها .

[1]الدرع أو[1] الماء: صبه، و الطريقة: سارها[2]، و استن: امتاك، و الفرس: قمص، و السراب: اضطرب، و السنة - بالكسر: الفأس لها خلفان[3]، و السنة[4] - بالضم: السيرة أو الطبيعة - كأنها عولجت حتى انقادت، و السنة من الله: حكمه و أمره و نهيه، و سنن الطريق - مثلثة و بضمتين: نهجه وجهته، و جاءت الريح سنامن[5]: على طريقة واحدة، و الحأ المسنون: المنتن - لأنه[6] تهيأ لأن يدلك بالآلة جبلا[7] حتى يصلح لما[8] يستعمل فيه، و الفحل[9] يسان الناقة: يكدمها و يطردها حتى ينوخها ليسفدها[10]، و السنين - كأمير: ما يسقط من الحجر إذا حككته، و الأرض التي أكل نباتها كالمسنونة، و السنين - بالكسر: العطش - كأنه سن الأمعاء حتى أحرقها، و رأس المحالة: أي البكرة العظيمة، و حرف فقار الظهر كالسن ١٠ و السنسنة، و رأس عظام الصدر[11]، أو طرف الضلع التي في الصدر[12]، و المستسن: الطريق المسلوك، و المستن[13]: الأسد، و السنن - محركة:

(١-١) من م ومد والقاموس، وفي الأصل: الزرع و، وفي ظ: الدرع و.
(٢) في القاموس: سار فيها (٣) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: حافان (٤) في ظ: السن (٥) من القاموس، و في الأصل: سنامن، و في ظ و م و مد: سناين - كذا (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: لانها (٧) جبل التراب: صب عليه الماء و دعكه طينا (٨) من ظ و م، و في الأصل: الماء، و في مد: كما (٩) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: العمل.
(١٠) في ظ: ليصعدها (١١) من القاموس، و في الأصول: الظهر (١٢) في ظ: الصدور (١٣) من م و القاموس، و في الأصل و ظ و مد: السنن.

الإبل تسنّن فى عدوها، و السَّنينة - كسفينة : الرمل[1] المرتفع المستطيل على وجه الأرض، و [هو -[2]] من المسنون بمعنى المصبوب[3]: و سنّى[4] هذا الشيء : شهى إلىّ الطعام - كأنه سن المعدة حتى قطعت بعد كلالها[5]، و تسانت الفحول: تكادمت، و النَّس[6]: سرعة الذهاب، و يلزمه تدالك[7] الأعضاء، و نسيس الإنسان : مجهوده[8] - لأن ذلك لا يكون إلا بعد أشد الاضطراب، و النسيسة : الحشاشة[9]، و هى بقية الروح من المريض و الجريح - كأنها صدمت حتى ذهب[10] أكثرها، و نس اللحم: ذهب بلله من شدة الطبخ / - لأن إحراق النار أعظم دلك، و كذا نس الحطب - إذا أخرجت [النار -[2]] زبده على رأسه - لقيام الإحراق مقام الرضخ فيما يستخرج دهنه، و نس من العطش: جف[11]، [من ذلك -[2]]؛ و من التحسين : سنن المنطق - إذا حسنه، و سن الأمر : بينه، و الطين : عمله فخارا، و المال: أرسله فى الرعى أو[12] أحسن القيام [عليه -[13]] حتى

/١٨٨

(١) فى ظ : الوبل (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : المسنوب (٤) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل : اسنى - كذا (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ملاتها (٦) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل : التسن - كذا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بذلك (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : محمودة، و فى القاموس : غاية جهد الإنسان (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الحباسة (١٠) فى ظ : ذهبت (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : حيف (١٢) فى ظ « و ».
(١٣) زيد من ظ و م و مد و القاموس.

كأنه

كأنه صقله ، و الشيء : صوره ، و السنة - بالضم : الوجه ، أو حُرُّه ، أو دائرته ، أو الصورة أو[1] الجبهة ، و رجل مسنون الوجه : مملسه حسنه سَهْلُه ، أو فى وجهه و أنفه طول ، و كل ذلك يرجع إلى الدالك أيضا - و الله أعلم . و قال أبو حيان[2]: قال ابن عباس رضى الله عنهما : المسنون : الرطب ، و معناه المصبوب ، لأنه لا يكون مصبوبا إلا و هو رطب ؛ و قال الرازى فى اللوامع : و هذا إشارة[3] إلى درجات خلق آدم عليه السلام و مراتبه ، و أشار الله تعالى إلى ذلك فى مواضع مختلفة حسبما اقتضته الحكمة فقال فى موضع "خلقه من تراب" [4] إشارة إلى المبدإ الأول ، و فى آخر "من طين" إشارة إلى الجمع بين الماء و التراب[4]، و[5] فى آخر "من حما مسنون" إشارة إلى الطين المتغير المستقر على حالة من الاعتدال تصلح[6] لقبول الصورة ، [و فى آخر "من صلصال" إشارة إلى يبسه و سماع صلصلة منه -[7]] ، و فى آخر "من صلصال كالفخار" و هو الذى قد أصلح بأثر من النار [فصار -[7]] كالخذف ، [8]و بهذه[8] القوة النارية حصل فى[9] الإنسان أثر من الشيطنة - انتهى . [و -[7]] قال الرمانى : و قد تضمنت الآيات البيان عما يوجبه تقليب الحيوان من حال إلى حال

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل «و» (٢) فى النهر - راجع هامش البحر المحيط ٥/٤٥٢ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشارت - كذا . (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقطت الواو من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يصلح (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٨-٨) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٩) فى مد : من .

من جاعل[1] قادر قلّبه من أصل هو أبعد شيء من حال الحيوان إلى الحيوان ، و قال : إن الحكمة فى جعله من الحمأة العبرة فى أنه قلب من تلك [الحال -[2]] الحقيرة فى الصفة إلى هذه الحال[3] الجليلة .

و لما ذكر سبحانه خلق الإنسان ، [أتبعه -[4]] ذكر ما خلقه قبله[5] من الجان فقال : ﴿ و الجآن ﴾ [أى -[4]] الذى هو للجن[6] كآدم عليه السلام للناس ؛ و قيل[7] : هو إبليس ﴿ خلقنٰه ﴾ و عبر عن تقليل زمان سبق خلقه و تقريبه باثبات الجار فقال : ﴿ من قبل ﴾ أى[8] قبل خلق الإنسان ﴿ من نار السموم ٥ ﴾ أى الحر الشديد ، قيل[9] : هى نار لا دخان لها ، يكون[10] منها الصواعق ، و هى بين السماء و بين الحجاب ، فاذا أراد الله تعالى خرقت الحجاب ، فهدت إلى ما أمرت به ، فالهدة التى يسمعها الناس هى خرق ذلك الحجاب ؛ و قال الرازى فى اللوامع : نار لطيفة تناهت[11] فى الغليان فى أفق الهواء ، و هى بالإضافة إلى النار التى جعلها الله تعالى [متاعا -[4]] كالجمد إلى الماء و الحجر إلى التراب - انتهى . و قال الرمانى : و قال عبد الله : هذه السموم[12] جزء من سبعين جزءا من السموم[12]

(١) فى ظ : عاجل (٢) زيد من م (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الحالة .
(٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قبل (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الجن (٧) من قتادة - كما صرح به فى لباب التأويل ٤/٥٣ (٨) زيد فى ظ : من (٩) من ابن عباس - راجع النهر على هامش البحر ٥/٤٥٢ (١٠) فى ظ و م و مد : تكون (١١) فى ظ : ناهت .
(١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

التى خلق الله[1] منها الجان ، وهى مأخوذة من دخولها بلطفها فى[2] مسام البدن ، ومنه السم القاتل - انتهى .

ولما كانت نعمة الإيجاد كافية فى إخلاص العبادة للوجد ، ثم لم يعتبرها[3] أهل الضلال ، أشار تعالى إلى نعمة [هى -[4]] أكبر منها ، [وهى التفضيل -[4]] على جميع المخلوقات[5] على وجه مبين لسبب[6] الضلال ، فقال ٥ عاطفا على ما تقديره : اذكر هذا فانه كافٍ فى المراد لكل ذى لب : ﴿واذ﴾ أى واذكر قول ربك إذ ﴿قال ربك﴾ أى المحسن إليك بتشريف أبيك آدم عليه السلام لتشريفك ﴿للملئكة﴾ ولما كان مما يتوقف فيه ، أكده فقال : ﴿انى خالق بشرا﴾ أى حيوانا غير [7]مُلبَس البشرة[7] بما جعله عليه من الطبيعة على الصورة الإنسانية ﴿من صلصال﴾ ١٠ أى طين شديد اليبس ﴿من حما﴾ أى طين أسود منتن ﴿مسنون ه﴾ أى مصور [بصورة -[4]] الآدمى فى تجويفه وأعضائه كأنه[8] مصبوب فى قالب ؛ قال الرمانى : وأصله الاستمرار / فى جهة من قولهم : على ١٨٩ / سَنن واحد ﴿فاذا سويته﴾ أى[9] عدلته وأتممته وهيأته لنفخ الروح تهيئة قريبة من الفعل ﴿ونفخت فيه من روحى﴾ أى خلقت[10] الحياة فيه ١٥

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لم يعتبر (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) فى مد : المخلوقين . (٦) من م ، وفى الأصل وظ و مد : بسبب (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ملتبس البشر (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لأنه (٩) سقط من م (١٠) فى ظ : جعلت .

كما تعلق النار بالفتيلة بالنفخ، و هو تمثيل، و أضاف الروح إليه تشريفا، و هو ما يصير به الجسم[1] حيا، و أشرف منه ما يصير به [الروح عالما، و أشرف منه ما يصير به -[2]] العالم عاملا خاشعا ﴿فقعوا له﴾ أى تعظيما، حال كونكم ﴿سجدين﴾ أى اسجدوا [له -[2]] سجود من كان فى مبادرته به و سهولة انقياده كأنه وقع من غير اختياره ﴿فسجد الملئكة﴾ أى بسبب هذا الأمر من غير توقف لما جاء الوقت الذى[3] أمرتهم فيه[4] لذلك البشر، و هو أبوكم آدم عليه السلام و أنتم فى صلبه ﴿كلهم اجمعون﴾.

و لما أبلغ فى تأكيد ما أفهمه الجمع، استثنى[5] فقال: ﴿الا ابليس[6]﴾ قيل: هو [من -[6]] قوم من الملائكة، و قيل: بل - لكونه كان واحدا بينهم منضافا إليهم عاملا[7] بأعمالهم - كان معمورا فيهم، فكان كأنه منهم، فصح استثناءه لذلك، فكأنه قيل: ما فعل؟ فقيل استعظاما لمخالفته: ﴿ابى ان يكون﴾ أى لشكاسة فى جبلته[8] ﴿مع السجدين﴾ أو[9] إنه لم يقل: فأبى - بالعطف، لأن الاستثناء منقطع، فان إبليس من نار و الملائكة من نور، [و -[2]] هم لا يأكلون و لا يشربون و لا ينكحون بخلافه. فكأنه قيل: فما[10] فعل به الملك؟ فقيل: لم يعاجله بالعقوبة، بل

(١) زيد فى ظ و مد: به (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ.
(٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: به (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المستثنى (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عالما.
(٨) من ظ وم ومد، و فى الأصل: جلبته (٩) من ظ وم ومد، و فى الأصل «و» (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما.

أخره إلى أجله المحكوم به فى الأزل كما أنه لم يعاجلكم لذلك، فكأنه قيل: فما[1] قال له؟ فقيل[2]: ﴿قال﴾ له ليقيم [3]الحجة عليه[3] عند الخلائق ظاهرا كما قامت عليه الحجة فى العلم باطنا: ﴿يآبليس﴾ اختار هذا الاسم هنا لأن الإبلاس معناه اليأس من كل خير، و السكون و الانكسار، و الحزن و التحير، و انقطاع الحجة و الندم ﴿ما لك﴾ أيّ شيء لك من الأعذار فى ﴿الّا تكون﴾ [أى -[4]] بقلبك[5] و قالبك ﴿مع السجدين﴾ لمن أمرتك بالسجود له و أنت تعلم مما أنا عليه من العظمة و الجلال ما لا يعلمه كثير من الخلق ﴿قال لم اكن﴾ و أكد إظهارا للاصرار[6] و الإضرار بالكبر فقال: ﴿لاسجد لبشر﴾ أى ظاهر[7] البدن، لا قدرة له على التشكل و التطور ﴿خلقته من صلصال﴾ أى طين يابس لا منعة فيه، بل إذا نقر أجاب بالتصويت ﴿من حما﴾ [أى - [8]] طين متغير أسود كدر ﴿مسنون﴾ أى مصور بصورة الفخار متهيئ للدلك، لا يرد[9] يد لامس، و أنا خير منه لأنك خلقتنى من نار نافعة بالإشراق[10]، ممتنعة ممن يريدها بالإحراق، فخضوعى له منافٍ لحالى و ممتنع منى، و إلزامى به جور، فكأنه قيل: فبماذا أجيب؟ فقيل: ﴿قال فاخرج[11]﴾ أى تسبب عن كبرك

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قيل (٣-٣) فى م: عليه الحجة (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى ظ: قلبك.
(٦) من مد، و فى الأصل: لاضرار، و فى ظ و م: لاصرار (٧) فى م: طاهر.
(٨) زيد من ظ (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لاترد (١٠) فى ظ: بالاسراف (١١) فى ظ: اخرج.

أنى أقول لك : اخرج ﴿منها﴾ أى من[1] دار القدس[2] ، قيل : السماء ، و قيل : الجنة ﴿فانك رجيم[3]﴾ [أى -[4]] مطرود إذ[4] الرجم لا يكون إلا لمن[5] هو بعيد يراد الزيادة فى إبعاده بل إهلاكه ، و علة الإخراج أنها دار لا يقيم بها متكبر عاصٍ بمخالفة أمرى ، فان لى الحكم النافذ و العظمة التامة المقتضية لوجوب الطاعة ، لا [ينبغى لمن أمرته بما مر أن -[6]] يتخلف عن أمرى فضلا عن أن يضرب لى[7] الأمثال ، و يواجهنى بالجدال ، طاعنا فيما لى من الجلال و الجمال ؛ ثم أكد بُعده بالإخبار باستمراره فقال : ﴿و ان عليك﴾ أى خاصة ﴿اللعنة﴾ أى الكاملة للقضاء[8] بالمباشرة لأسباب[9] البعد ﴿الى يوم الدين﴾ [أى -[6]] إلى يوم انقطاع التكليف و طلوع صبح الجزاء بفناء الخلق أجمعين و فوات الأمد التى تصح فيه التوبة التى هى سبب القرب ، فذلك[10] إيذان بدوام الطرد ، و توالى البعد و المقت ، فلا يتمكن[11] فى هذا الأمد من عمل يكون سببا للقرب من حضرة الأنس ، و جناب القدس ، و من منع من التوبة عن الكفر فى وقتها يعلم قطعا أنه لا يغفر له ، فهو معذب أبدا .

١٩٠ / ٥! و لما علم من هذا دوام لعنه ، لأنه منع التقرب فى دار / العمل ،

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد فى م : به (٣) زيد من ظ (٤) فى مد « و ».
(٥) زيد بعده فى الأصل : يكون . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الى (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القضاء (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : باسباب.
(١٠) فى ظ و مد : فلذلك (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ولا يتمكن .

و ما بعد ذلك محل الجزاء لا العمل ، وكان ذلك مفهما لإنظاره إلى ذلك الحد ، [1]وكان ظاهره أن لعنه معنى به[1] ، كان[2] كأنه قيل : فما ذا قال حين سمع ذلك ؟ فقيل : ﴿قال﴾ ذاكرا[3] صفة الإحسان و التسبب[4] فى سؤال الإنظار[5] : ﴿رب﴾ فاعترف بالعبودية و الإحسان إليه ، و لم يحمله ذلك على التوبة للحكم بدوام لعنه فلا يطمع[6] طامع فى إيمان من ختم بكفره ٥ بالإجابة إلى ما يقترح ، و أتى بفاء السبب لما فهم من الإملاء فقال : ﴿فانظرنى﴾ و الإنظار : تأخير[7] المحتاج للنظر فى أمره ﴿الى يوم يبعثون﴾ فحمل يوم الدين على حقيقته ، و أراد التصريح بالإنظار إليه ليأمن الموت . فكأنه قيل : ما ذا قيل له ؟ فقيل : ﴿قال﴾ له ربه : ﴿فانك﴾ أى[8] بسبب ما تقدم من الحكم ﴿من المنظرين﴾ و قطع عليه ما دبج به من ١٠ المكر فقال : ﴿الى﴾ [9]و لما كان اليوم ما يتم فيه أمر ظاهر ، و كانت الأيام الهائلة ثلاثة : زمان موت الأحياء الخارجين من دار الخلد ، ثم بعث الأموات ، ثم الفصل بينهم باحلال كل فريق فى داره ، قال[9] : ﴿يوم﴾ [1]و لما كان الوقت أدل ألفاظ الزمان على الأجل ، قال[1] : ﴿الوقت﴾ [10]و لما كان قد دبج فى سؤاله [هذا - [11]] تدبيجا أوهم تجاهله بتحتم[12] ١٥

(١-١) سقط مابين الرقمين من م (٢) سقط من ظ و م (٣) فى مد : ذكرا (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : السبب (٥) العبارة من « ذاكرا » إلى هنا ساقطة من م . (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : يعمل (٧) فى ظ : تاريخ (٨) سقط من م (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (١٠) العبارة من هنا إلى « لايجهل فقال » ساقطة من م (١١) زيد من ظ و مد (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : بتحتيم .

الموت على كل مكلف ، بين تعالى أنه[1] مما لا يجهل فقال : ﴿المعلوم ۝﴾ أى الذى قدرت عليك[2] الموت فيـــه ، [3]و هو النفخة الأولى و ما يتبعها من موت كل مخلوق[4] لم يكن[5] فى دار الخلد .

و لما أفهم ما تقدم - كما قلنا - الحكم باغوائه ، كان السامع كأنه قال : فما ذا قال[6] ؟ فقيل : ﴿قال﴾ منسوبا[7] نفسه بالمعبود العلى - الذى لا يسئل عما يفعل ، و كل أفعاله عدل و حكمة[8] - بعد أن رفع نفسه على[9] العبد البشرى : ﴿رب﴾ أى أيها الموجد[10] و المربى [لى - [11]] و عزتك ! ﴿بما أغويتنى﴾ أى بسبب إغوائك [لى -[12]] من أجلهم ، و للاهتمام[13] بهذا السبب قدمه على جواب القسم الدال على المقسم به ، و هو قوله : ﴿لازينن لهم﴾ [أى -[14]] تزيينا عظيما ، المعاصى و المباحات الجارة إليها [الشاغلة -[14]] عن الطاعة الصارفة عنها ﴿فى الارض﴾ أى التى هى محل الغفلة [10]و هم منها ، و الشىء إلى ما هو منه أميل[10] ، فهى بهذا التقدير

(١) زيد فى ظ و مد : تعالى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٣) العبارة من هنا إلى « دار الخلد » ساقطة من م (٤) زيدت الواو بعده فى ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم تكن (٦) زيد فى الأصل : ربكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : منسوب ؛ و العبارة بما فيها هذه الكلمة إلى « العبد البشرى » ساقطة من م (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : حكم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (١٠) زيد فى م : لى . (١١) زيد من مد (١٢) زيد من م و مد (١٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الاهتمام (١٤) زيد من ظ و م و مد (١٥ - ١٥) سقط ما بين الرقمين من م .

مساوية لآية[١] "ص" "فبعزتك[٢]"؛ و التزيين: جعل الشيء متقبلا فى النفس من جهة الطبع و العقل بحق أو بباطل ﴿و لاغوينهم﴾ أى بالإضلال عن[٣] الطريق الحميدة ﴿اجمعين[٥]﴾ انتقاما لنفسى ﴿الا عبادك منهم﴾ أى[٤] المشرفين[٥] بالإضافة إليك، فهم [لذلك -[٦]] لايميلون عنك إلى شيء سواك، فلذلك أبدل منهم ﴿المخلصين[٧]﴾ فزاد بهـــذا الكلام فى الضلال، و لم يقدر أن يقول بدل ذلك: ربّ تب على - و نحوه من الاستعطاف كما قال آدم عليه السلام لما حفه اللطف و داركه[٨] العفو، فارعوا هذه النعمة! و الإخلاص: إفراد الشيء عما يشوبه[٩] من غيره، فكأنه قيل: فبما ذا[١٠] أجيب؟ فقيل: ﴿قال﴾ الله فى جوابه، رادا[١١] [١٢] على ما[١٣] أوهمه كلامه من أن له فعلا يستقل[١٣] به، مكذبا له: ﴿هذا﴾ أى الذى ذكرته من حال المستثنى و المستثنى منه ﴿صراط علىّ مستقيم﴾ لأنى[١٤] قضيت به و لو لم تقله أنت و حكمت به عليك و عليهم، فلا محيص لكم عنه، فكأنه قيل: علىّ إقامته، أو هو وارد علىّ ألا عوج لسالكيه عن الرجوع إلىّ [و -[٦]] المرور علىّ - يعنى أنه لايقدر أحد أن يعمل شيئا

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بآية (٢) من ظ و م و مد وآية ٨٢، وفى الأصل: وعزتك (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: من (٤) سقط من م.
(٥) من م و مد، و فى الأصل: بالمشرفين، و فى ظ: المسرفين (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) فى ظ: ادركه (٩) من م، و فى الأصل و ظ و مد: يسويه (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فيما (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ردا (١٢ - ١٢) فى ظ: على، و فى م و مد: ما.
(١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مستقل (١٤) فى ظ: اى.

بغير إرادتى ، فانى بالمرصاد ؛ ثم شرح[1] ذلك بقوله - مضيفا جميع العباد إليه كما[2] هو الحقيقة ، نافيا ما قد يوهمه الكلام من أن لإبليس [3]عملا مستقلا[3] - : ﴿ ان عبادى ﴾ أى عامة ﴿ ليس لك ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ عليهم سلطن ﴾ أى لتردهم[4] كلهم عما يرضينى ﴿ الا من اتبعك ﴾ أى[2] بتعمد منه و رغبة فى اتباعك ﴿ من الغوين ﴾ / و مات عن غير توبة ، فانى جعلت لك عليهم سلطانا بالتزيين[5] و الإغواء ، و قيل و هو ظاهر: إن الإضافة للتشريف ، فلا تشمل[6] إلا الخلص ، فحينئذ يكون الاستثناء منقطعا ، و فائدة سوقه بصورة الاستثناء - على تقدير الانقطاع - الترغيب فى رتبة التشرف بالإضافة [إليه ..[7]] و الرجوع عن اتباع العدو إلى الإقبال عليه ، لأن ذوى الأنفس الأبية و الهمم العلية ينافسون فى ذلك المقام ، و يرونه - كما هو الحق - أعلى[8] مرام ﴿ و ان جهنم لموعدهم ﴾ أى الغاوين من إبليس و من شايعه ﴿ اجمعين ﴾ ثم بين أنهم متفاوتون فيها فقال: ﴿ لها سبعة ابواب ﴾ قال الرمانى : و هى أطباق[9] بعضها فوق بعض - عن على بن أبى طالب رضى الله عنه و الحسن و قتادة و ابن جريج رحمهم الله[10] ﴿ لكل باب منهم ﴾ أى الغاوين خاصة ، لا يشاركهم

١٩١ /

(١) فى ظ : شرع (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) فى الأصول كلها : عمل مستقل - كذا (٤) فى ظ و مد : لترددهم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للتزيين (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فلا يشمل (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٨) فى ظ و مد : على (٩) فى ظ : طباق (١٠) راجع لباب التأويل ٤/٥٥ .

فيه مخلص ﴿جزء مقسوم ع﴾ معلوم لنا من القدم لتقديرنا [1]إياه، لا يزيد شيئا و لا ينقص شيئا، فلا فعل فيه بغير[2] التسبيب الذى أظهرناه، لنربط[3] [به -[4]] الأحكام على ما يقتضيه عقولكم و مجارى عاداتكم، و عن ابن جريج[5] أن العليا جهنم، ثم لظى، ثم الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية، [6]و فى نسخة تقديم سقر على لظى[6]، و عن الضحاك[7] أن العليا لأهل التوحيد، ثم يخرجون، و الثانية للنصارى، و الثالثة لليهود، و الرابعة للصابئة، و الخامسة للمجوس، و السادسة لمشركى العرب، و السابعة للمنافقين، و السبب فى تصاعدها [اختلافُ -[4]] أنواع الكفر فى الغلظ و الخفة "و لا يظلم ربك احدا" رحمة منه سبحانه، و لعلها كانت سبعة باعتبار أصناف الكفار، لأنهم إما معطلة أو مثبتة، و المثبتة إما يهود أو صابئة أو نصارى أو مجوس أو عباد أوثان. و الكل إما مصارحون أو منافقون. و لما كان المنافق لا يعرف ظاهرا من أيّها هو[8]؟ عُدّ قسما واحدا [و -[9]] وكل أمره فى[10] مَيزه إلى العليم الخبير، و لما كان الكل عاملين بما لم يأذن به [الله -[11]] كانوا فى حكم المعطلة. لوصفهم الله بغير صفته[12]، فرجعت

(١) العبارة من هنا إلى « الذى أظهرناه » ساقطة من ظ (٢) من م و مد، و فى الأصل: لغيرنا (٣) من م، و فى الأصل و ظ و مد: لتربط (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) راجع لباب التأويل ٤/٥٥ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م. (٧) راجع لباب التأويل ٤/٥٦ (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يتو - كذا (٩) زيد من م (١٠) فى ظ: سيره (١١) زيد من م و مد (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صلته.

الأقسام إلى ستة ، فأضيفت إليها[1] العصاة من كل فرقة فجعلت جزءا الطبقة العليا من النار مقابلة لقسم المنافقين [2]من كل[2] أمة ، لعملهم أعمال الكفار مع الإيمان ، كما[3] أن عمل المنافقين عمل المؤمنين مع الكفران ، فكانوا أخفى الكفار فكان لهم الدرك الأسفل من النار ؛ ثم رأيت في "رشف[4] النصائح الإيمانية وكشف الفضائح[5] اليونانية" للعارف بالله تعالى شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي رحمه الله أنها جعلت سبعة على وفق[6] الأعضاء السبعة من العين ، و الأذن ، و اللسان ، و البطن ، و الفرج ، و اليد ، و الرجل ، لأنها مصادر السيئات ، فكانت مواردها [الأبواب =[7]] السبعة - [8]و هو مأخوذ من كتاب المحاسبة من كتاب الإحياء[9] للامام الغزالي - و لما[10] كانت هي بعينها مصادر الحسنات بشرط النية ، و النية من أعمال القلب ؛ زادت الأعضاء واحدا ، فجعلت أبواب الجنان [ثمانية =[7]] - هذا معنى قوله ، قال : و أعمال القلوب من السيئات غير مؤاخذ بها .

و لما ذكر الكافرين و ما جرهم إلى الضلال[11] ، و جرأهم على قبائح الأعمال ، ذكر المخلصين فقال - مؤكدا لإنكار المكذبين بالبعث - : ﴿ان المتقين﴾ [أي -[7]] العريقين[12] في هذا الوصف ؛ و المتقي : من جعل

(١) زيد في الأصل : بعده : أو ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .
(٢-٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لكل (٣) في ظ : على (٤) في ظ : رشفة (٥) من ظ و م و مد وكشف الظنون ، وفي الأصل : الصفائح - كذا .
(٦) في ظ : وفقة (٧) زيد من ظ و م ومد (٨) العبارة من هنا إلى «الغزالي» ساقطة من م (٩) ٤ / ٢٦١ (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اما .
(١١) في ظ : الضال (١٢) في ظ و مد : الغريقين .

الإيمان بإخلاصه حاجزاً بينه [وبين-[1]] العقاب ﴿ فى جنّٰت وعيون ﴾ ؛

و لما كان المنزل لا يحسن إلا بالسلامة و الأنس و الأمن ، قال تعالى:

﴿ادخلوها﴾ أى يقال لهم / ذلك[2] ﴿بسلٰم﴾ أى سالمين من كل آفة ، ١٩٢/

مرحباً بكم و مسلماً عليكم حال الدخول ﴿امنين﴾ من ذلك دائماً .

و لما كان الأنس لا يكمل إلا بالجنس مع كمال المودة و صفاء ٥

القلوب عن الكدر ، قال : ﴿ و نزعنا ﴾ أى بما لنا من العظمة

﴿ما فى صدورهم من غل ﴾ [أى حقد-[1]] [3]ينغل أى ينغرز[3] فى القلب

حال كونهم ﴿اخوانا ﴾ [أى متصافين ، حال كونهم-[1]] ﴿على سرر﴾

جمع سرير ، و هو مجلس رفيع موطأ للسرور ﴿متقبلين﴾ لا يرى بعضهم

قفا بعض ؛ فى آخر الثقفيات[4] عن الجنيد رحمه الله أنه قال : ما أحلى ١٠

الاجتماع مع الأصحاب ! و ما أمرّ الاجتماع مع الأضداد !

و لما كان النظر فى الدوام و المآل بعد[5] ذلك، قال : ﴿لا يمسّهم فيها نصب﴾

أى إعياء[6] و تعب و جهد و مشقة ﴿ و ما هم منها ﴾ و لما كان المنكى فى كل

شىء إنما هو الإكراه[7]، بنى للمفعول قوله : ﴿ بمخرجين ﴾ ؛

و لما كان المفهوم من هذا السياق أن الناجى إنما هو المتقى المخلص ١٥

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهم (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مفعل و يغرز - كذا (٤) طائفة من أجزاء الحديث هى للحافظ أبى عبد الله القاسم بن الفضل الثقفى الأصفهانى المتوفى سنة ٤٨٩ - كما فى كشف الظنون (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مع (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عيا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للاكراه .

الذى ليس [للشيطان - [١]] عليه سلطان ، و كان مفهوم المخلص من لا شائبة فيه ، و كان الإنسان محل النقصان ، و كان وقوعه فى النقص منافيا[٢] للوفاء بحق التقوى و الإخلاص ، و كان ربما أيأسه ذلك من الإسعاد ، فأوجب له التمادى فى البعاد[٣] ، قال سبحانه - جوابا لمن كأنه قال:

٥ فما حال من لم [يقم - [١]] بحق التقوى ؟ -: ﴿ نبىء عبادىَ ﴾ أى أخبرهم إخبارا جليلا ﴿ انىَ انا ﴾ [أى - [١]] وحدى ﴿الغفور الرحيم ۝﴾ أى الذى أحاط - محوه للذنوب[٤] و إكرامه لمن يريد - بجميع *ما يريد* ، لا اعتراض لأحد عليه .

و لما كان ذلك ربما كان سببا للاغترار الموجب للاصرار[٦] ، قال

١٠ تعالى : ﴿و ان عذابى هو ﴾ أى[٧] وحده ﴿ العذاب الاليم ۝ ﴾ أى الكامل فى الإيلام ، فعلم أن الأول لمن استغفر ، و الثانى لمن أصر ، و عرف [من - [١]] ذلك أن المتقين إنما دخلوا الجنة بعفوه ، و الغاوين إنما عذبوا بعدله ، فهو لف و نشر مشوش - على ما هو الأفصح .

و لما أتم سبحانه شرح قوله " و ليعلموا انما هو اله واحد " و ما تبعه

١٥ من الدلالة على البعث ، شرع[٨] فى شرح "و ليذكر اولوا الالباب " بقصة الخليل[٧] عليه السلام و ما بعدها مع الوفاء بذكر[٩] المعاد ، تارة تلويحا

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : موافيا (٣) فى ظ : الابعاد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذنوب (٥ - ٥) تكرر ما بين الرقمين فى ظ . (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : للاضرار (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شرح (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يذكر .

و تارة تصريحا ، و الزجر عن الاجتراء[1] على طلب الإتيان بالملائكة عليهم السلام ، و الالتفات إلى قوله " الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمٰعيل و اسحٰق " فى أسلوب شارح لما تعقبه[2] هذه القصة ، فان حصول القنوط سبب لآية المغفرة ، و الإخبار بعذاب الأمم تمثيل لآية العذاب ليزدجر المخاطبون ، و أفرد لهم ذكر من هو أقرب إلى بلادهم[3] ممن يعرفونه من المعذبين لأنه [أوقع - [4]] فى النفس ، فقال تعالى : ﴿ و نبئهم ﴾ أى خبرهم[5] إخبارا عظيما ﴿ عن ضيف ابرٰهيم ۝ ﴾ و الضيف هو المنضم إلى غيره لطلب القرى ، فهؤلاء سموا[6] بهذا الاسم لأنهم[7] على صورة الضيف ، فهو من دلالة التضمن ﴿ اذ دخلوا عليه ﴾ أى إبراهيم عليه السلام ﴿ فقالوا ﴾ أى[8] عقب الدخول ﴿ سلٰما[9] ﴾ .

و لما[9] كان طلبهم فى هذه الصورة للملائكة على وجه أوكد مما فى سورة هود عليه السلام ، أشار لهم إلى ما فى رؤية[10] الملائكة من الخوف - و لو[11] كانوا مبشرين و فى أحسن صورة من صور البشر - بقوله : ﴿ قال ﴾ بلسان الحال أو[12] القال : ﴿ انا ﴾ أى أنا و من عندى ﴿ منكم وجلون ۝ ﴾ و أسقط ذكر جوابه بالسلام ، و لا يقدح ذلك فيما فى سورة هود و غيرها

(١) فى ظ : الاجزاء (٢) فى م و مد : تعقبته (٣) فى ظ : بلادها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اخبرهم (٦) فى ظ : سمعوا . (٧) فى ظ : فهم (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : على (٩) زيد فى الأصل بعده : كان هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) فى ظ و مد : رواية (١١) فى ظ : لما (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » .

من ذكره ، فان 'إذ' ظرف زمان بمعنى حين ، و الحين قد يكون واسعا ، فيذكر عا فيه تارة جميعه على ترتيبه ، و أخرى على غير ذلك ، و تارة بعضه مع[1] إسقاط البعض مع صدق جميع / وجوه [الإخبار ـ[2]] لكونه كان مشتملا على الجميع ، و تكون هذه التصرفات على هذه الوجوه لمعان يستخرجها من أراد الله . ١٩٣ /

و لما أخبر أنه أخبرهم بوجله منهم ، تشوف السامع إلى جوابهم فقال : ﴿قالوا﴾ مريدين أمنه[3] : ﴿لا توجل﴾ و الوجل : اضطراب النفس لتوقع ما يكره[4] ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم مؤكدين لقلع ما فى نفسه من الوجل المنافى[5] للبشرى ﴿ انا نبشرك بغلم ﴾ أى ولد ذكر هو فى غاية القوة و ليس [هو ـ[6]] كأولاد الشيوخ ضعيفا . و لما [كان ـ[2]] خوفه لخفاء أمرهم عليه ، كان للوصف[7] بالعلم فى هذا[7] السياق مزيد مزية فقالوا : ﴿ عليم ﴾ فكأنه[8] قيل : فما قال ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ مظهرا[9] للتعجب إرادة[9] تحقيق الأمر و تأكيده[10] : ﴿ ابشرتمونى ﴾ أى بذلك ﴿ على ان مسنى الكبر ﴾ أى الذى لا حركة معه يأتى منها ولد ، أم على أن أعود شابا[11] ؟ و لذلك سبب عنه قوله[12] : ﴿ فبم تبشرون[13] ﴾ بينوا لى ذلك بيانا شافيا[14]

(١) فى ظ : من (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ و م ومد : لامنه (٤) فى ظ : يمكن (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : النافى (٦) زيد من م . (٧ ـ ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : للعلم بهذا ، وفى مد : للعلم فى هذا (٨) فى ظ : فكان (٩ ـ ٩) من م و مد ، و فى الأصل : للتعجل زاده ، وفى ظ : للتعجل ارادة (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعجيله (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شبابا (١٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بقوله (١٣) زيد فى ظ : اى (١٤) فى ظ : ثابتا .

قالوا

﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ أى الأمر الثابت المقطوع به الواقع لا محالة الذى يطابق خبرنا ﴿فلا تكن﴾ أى بسبب تبشيرنا لك بالحق ﴿من القانطين ٥﴾ أى الآئسين[1] الذين ركنوا إلى يأسهم، لقولك نحو أقوالهم .

فلما ألهبوه بهذا النهى ﴿قال﴾ منكرا لأن[2] يكون من القانطين : ﴿و من يقنط﴾ أى ييأس هذا اليأس ﴿من رحمة ربه﴾ أى الذى لم يزل إحسانه دارًا عليه ﴿الا الضآلون ٥﴾ [3]أى المخطئون[3] طريق الاعتقاد الصحيح فى ربهم من تمام القدرة و أنه لا تضره معصية و لا تنفعه طاعة، و هذا إشارة إلى أنه ما كان قانطا، و إنما كان مريدا لتحقيق الخبر، و فى هذا تلويح إلى أمر المعاد .

فلما تحقق البشرى و رأى إتيانهم مجتمعين على غير الصفة التى يأتى عليها الملك للوحى، وكان هو و غيره من العارفين بالله عالمين بأنه ما تنزل[4] الملائكة إلا بالحق، كان ذلك سببا لأن يسألهم عن أمرهم ليزول وجله كله، فلذلك ﴿قال فما﴾ [بفاء - [5]] السبب ﴿خطبكم﴾ قال أبو حيان : و الخطب لا يكاد[6] يقال إلا فى الأمر الشديد - انتهى . و قال الرمانى : إنه الأمر الجليل ﴿ايها المرسلون ٥﴾ فانكم ما جئتم إلا لأمر عظيم يكون فيصلا بين هالك[7] و ناج ﴿قالوآ انآ﴾ و لما كان عالما بمرسلهم، بنوا للمفعول

(١) من م ومد، و فى الأصل: لابسين، و فى ظ : الايتين (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لا ان (٣-٣) من ظ و م ومد، و فى الأصل : الا المخيطون (٤) فى ظ ومد : ماينزل (٥) زيد من ظ و م ومد (٦) زيد بعده فى الأصل : ان، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد و البحر ٤٥٩/٥ فحذفناها (٧) فى ظ : هالح - كذا .

قولهم : ﴿ ارسلنآ ﴾ أى بارسال العزيز الحكيم الذى أنت أعرف الناس فى هذا الزمان به ﴿ الى قوم ﴾ أى ذوى منعة ﴿ مجرمين ﴾ أى عريقين[1] فى الإجرام كلهم .

و لما كان إرسالهم للعذاب ، قالوا[2] مستثنين من الضمير فى "مجرمين"، أى قد أجرموا كلهم إجراما عظيما ﴿ الآ ال لوط ﴾ فاستثنوهم[3] من أن يكونوا مجرمين ، المستلزم لكونهم ما أرسلوا لتعذيبهم ، فكان ذلك محركا للنفس[4] إلى السؤال عن حالهم ، فانهم ممن وقع الإرسال بسببه ، فأجابوا بقولهم : ﴿ انا لمنجوهم ﴾ أى تنجية عظيمة بتدريج الأسباب على العادة ﴿ اجمعين ﴾ الا امراته ﴾ .

فلما استثنوها [من أن ينجوها -[5]] فكان أمرها محتملا لأن تعذب و لأن ينجيها الله تعالى بسبب غيرهم ، تشوفت النفس للوقوف على ما قضى[6] الله به[6] من ذلك ، فقيل باسناد الفعل إلى أنفسهم لما لهم[7] من الاختصاص[7] بالمقدر سبحانه : ﴿ قدرنآ ﴾ و لما كان فعل التقدير متضمنا للعلم ، علقه عن قوله[8] : ﴿ انها ﴾ أى [امرأته -[5]] ، [9] و أكد لأجل ما أشير إليه هنا من عظيم تشوف الخليل عليه السلام إلى معرفة أمرهم

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : غريقين (٢) من م ، وفى الأصل و ظ و مد : كانوا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاستثنوا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للفعل (٥) زيد من ظ و م ومد (٦ - ٦) فى م و مد : به ، و سقط ما بين الرقمين من ظ (٧ - ٧) فى ظ : بالاختصاص (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) العبارة من هنا إلى « عن ذلك » ساقطة من م .

و تشديد[1] سؤاله، فى نجاة لوط عليه السلام و جميع آله - كما مضى التصريح به فى هود - فطما له عن السؤال فى نجاتها بخلاف ما فى النمل، فان سياقها عار عن ذلك ﴿لمن الغٰبرين ع﴾ أى الباقين الذين لا ينجون مع لوط عليه السلام، بل تكون[2] فى الهلاك و العبرة[3]؛ و الآل - قال الرمانى: /أهل من يرجعون إلى ولايته، و لهذا يقال: أهل البلد، ولا يقال: آل البلد، ٥ /١٩٤ و التقدير: جعل الشىء على مقدار غيره لتظهر [4]المساواة و[4] المباينة، و الغابر: الباقى [5]فيمن يهلك[5].

فلما [تم - [6]] ما أريد الإخبار عنه من تحاورهم[7] مع إبراهيم عليه السلام، أخبر[8] عن أمرهم مع لوط عليه السلام، فقال: ﴿ فلما ﴾ بالفاء الدالة على سرعة وصولهم إليه، وكأنه ما اشتد [9]إنكاره لهم[9] إلا بعد ١٠ الدخول إلى منزله، إما لخوفه عليهم وهم لا يخافون، أو غير ذلك من أحوال لا تشبه[10] أحوال البشر فلذا قال[11]: ﴿جآء ال لوط﴾ أى فى منزله ﴿ المرسلون ع ﴾ أى لإهلاك قومه ﴿ قال[11] انكم قوم ﴾ أى أقوياء ﴿ منكرون ﴾ لا بد [أن يكون - [6]] عن إتيانكم إلى هذه البلدة

(١) من مد، و فى الأصل: شديد، و فى ظ: سديد (٢) من ظ و مد. و فى الأصل و م: يكون (٣) فى م: الغبرة (٤-٤) فى ظ: المواساة و، و فى مد: المساواة او (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل: الباقى ومن يهلك، و فى ظ: فيملنه الملك - كذا (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ: تجاوزهم (٨) فى ظ: اخبرهم. (٩-٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انكارهم (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يشبه (١١) سقط من ظ.

شر[١] كبير لأحد[٢] من أهل الأرض ، و هو معنى "سيء بهم" - الآية، فقدم حكاية إنكاره إياهم و إخبارهم عن العذاب لمثل ما تقدم [٣]في قصة[٣] إبراهيم عليه السلام من الزجر عن قولهم "لو ما تاتينا بالملئكة[٤]" المحتمل لإرادة[٥] جميع الملائكة "ان كنت من الصدقين" تعريفا لهم بأن[٦] بعض الملائكة

٥ أتوا من[٧] كانا[٨] أكمل أهل ذلك الزمان على أجمل صور البشر ، مبشرين لهما[٩] ، و مع ذلك خافهم كل[١٠] منهما، فكيف لو كان منهم[١١] جمع كثير؟ أم كيف لو كانوا على صورهم؟ أم كيف لو كان الرائى لهم غيرهما؟ أم كيف لو كان كافرا ["يوم - [١٢]] يرون الملئكة لا بشرى يومئذ للمجرمين و يقولون حجرا محجورا" و يجوز أن يكون قوله لهم هذه المقالة إنما

١٠ كان عند إخبارهم[١٣] له بأنهم رسل الله ، و يكون المعنى حينئذ أنكم لستم على صفة الآتى بالوحى ، فقد اشتد علىّ أمركم ، لكونى لا أعرفكم مع

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سو - كذا (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لاهل (٣ - ٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لقصة (٤) من م و مد والقرآن الكريم ، و فى الأصل و ظ : الملايكة، و العبارة من بعده إلى «بعض الملائكة» ساقطة من مد (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : لاراة (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لمن . (٨) فى ظ و مد : كان (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهم (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كلا (١١) من ظ و م ، وفى الأصل و مد : معهم . (١٢) زيد من ظ و م و مد والقرآن الكريم - سورة ٢٥ آية ٢٢ (١٣) من م و مد، و فى الأصل : اجازة ، و فى ظ : احباهم - كذا .

الاستيحاش منكم ، و ذلك [بعد -[1]] محاورته لقومه ثم مقارعتهم[2] عنهم ، فكان خائفا عليهم ، فلما أخبروه أنهم ملائكة خاف[3] منهم أن يكونوا [أتوا -[1]] بشيء يكرهه ، و قد تقدم آنفا أن الإخبار عما كان فى حين من الأحيان لا يضر تقديم بعضه على بعض و لا إسقاط [بعض -[1]] و ذكر آخر ، [4]و لم يزد هنا الحرف[5] الذى أصله المصدر ، و هو ٥ [4]أن[4] كما فى العنكبوت[6] ، لأن استنكاره لهم و إن كان مرتبا على مجيئهم إلا أنه ليس متصلا بأوله بخلاف المساءة[7].

و لما كانت حقيقة المنكر ما خرج عن عادة أشكاله ، و لم يكن على طريقة أمثاله ، أضربوا عن قوله ، وكان جوابهم أن ﴿ قالوا بل ﴾ أى لسنا منكرين لأنا ﴿جئناك﴾ لنفرج عنك ﴿ بما ﴾ أى بسبب إيقاع ١٠ ما ﴿ كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ فيه يمترون ۝ ﴾ بما جرت عادتنا أن نأتى بمثله من العذاب[8] الذى[9] [كانوا -[1]] يشكون فيه [شكا -[1]] عظيما ، يحملون نفوسهم عليه و يكذبون به ، و الجاهل يوصف بالشك و إن كان مكذبا من جهة ما يعرض [له منه -[1]] ، من حيث أنه لا يرجع إلى ثقة فيما هو عليه ﴿و أتيناك بالحق﴾ الفاصل بينك و بينهم ، الواقع بهم مطابقا ١٥ لإخبارنا ؛ و الإتيان : الانتقال إلى جهة الشيء ، و الذهاب : الانتقال عنه

---

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : لمقارعتهم (٣) فى ظ : خافوا (٤) العبارة من هنا إلى « بخلاف المساءة » ساقطة من م (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخوف (٦) راجع آية ٣٣ (٧) فى ظ : المسألة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العقاب (٩) سقط من مد .

﴿ و انا لصدقون ﴾ فى الإخبار بما يطابق[1] الواقع .

و لما أخبروه بوقوع العذاب بهم[2] ، أمروه بما يكون سببا فيما أمروا به من إنجائه ، فقالوا : ﴿ فاسر ﴾ فأتوا بالفاء لأن ما بعدها مسبب[3] عما قبلها ﴿ باهلك بقطع ﴾ أى طائفة ﴿ من الّيل و اتبع ﴾ أى كلف نفسك أن تتبع ﴿ ادبارهم ﴾ لتكون[4] أقربهم إلينا و إلى محل العذاب ، لأنك أثبتهم قلبا و أعرفهم بالله ، و الشر من ورائكم ، و قد جرت عادة الكبراء أن يكونوا أدنى جماعتهم إلى الأمر[5] المخوف سماحا بأنفسهم و تثبيتا لغيرهم[6] ، و علما منهم بأن مداناة[7] ما فيه وجل لا يقرب من أجل ، و ضده لايغنى من قدر ، و لايباعد من ضرر ، و لئلا يشتغل[8] قلبك بمن خلفك ، و ليحتشموك[9] فلا يلتفتوا ، أو يتخلف أحد منهم - و غير ذلك من المصالح ؛ و الدبر : جهة / الخلف و هو ضد القبل ١٩٥ / ﴿ و لايلتفت ﴾ أى أصلا ﴿ منكم احد ﴾ إذ لافائدة [فيه -[10]] لأن الملتفت غير ثابت ، لأنه إما غير مستيقن لخبرنا أو متوجع لهم ، فمن التفت ناله[11] العذاب ، و ذلك أيضا [أجد -[10]] فى الهجرة[12] ، و أسرع فى السير،

(١) فى ظ : يطابع (٢) فى ظ و م : لهم (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بسبب (٤) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : ليكون (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاسر (٦) فى ظ : تغيرهم (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : من اتاه (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لئلايشغل (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليختتموك - كذا (١٠) زيد من ظ و م و مد . (١١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بالة (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البحرة - كذا .

و أدل على إخراج ما خلفوه من منازلهم و أمتعتهم من[1] قلوبهم ، و على أنهم لا يرقون لمن غضب الله عليهم مع أنهم ربما رأوا ما لا تطيقه أنفسهم ﴿و امضوا حيث﴾ و تعبيره بالمضارع يشعر[2] بأنـــه يكون معهم بعض الملائكة عليهم السلام فى قوله : ﴿ تؤمرون ﴾ .

و لما تقرر بهذا أمر إهلاكهم من غير تصريح [3]و لا[3] تعيين لوقت ، قال تعالى : ﴿ و قضينآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ، موحين ﴿ اليه ﴾ أى خاصة ﴿ ذلك الامر ﴾ [و أشار إلى تعظيمه بالإشارة إليه بأداة البعد ، ثم فسره[4] بقوله -[5]] : ﴿ان دابر﴾ [أى آخر -[5]] ﴿ هٰؤلآء﴾ أى الحقيرين[6] عند قدرتنا ، و أشار بصيغة المفعول إلى عظمته سبحانه و سهولة الأمر عنده فقال تعالى : ﴿مقطوع﴾ حال كونهم ﴿مصبحين ﴾ [7]و لا[7] يقطع الدابر حتى يقطع ما دونه ، لأن العدو يكون مستقبلا لعدوه ، فهو كناية عن الاستئصال بأن آخرهم و أولهم فى الأخذ سواء ، لأن الآخذ قادر ، لا كما يفعل بعض الناس مع بعض من[8] أنهم يملون[9] فى آخر الوقائع فيفوتهم البعض .

فلما تم ما[10] دار بينه و بين الرسل مقدما[11] لما بيّن ، أتبعه البيان عن

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بين (٢) فى ظ : يشير (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلا (٤) فى ظ : فسر (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المحقرين (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلا (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : مع (٩) فى ظ : يميلون (١٠) سقط من مد (١١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : متقدما .

حال قومه[1] إشارة إلى أن الملائكة إن كانوا بصفات البشر لم يعرفهم الكفرة، و إن كانوا بصفاتهم أو باظهار شيء من خوارقهم لم تحتمله[2] قواهم، فلا نفع [لهم - [3]] فى مكاشفتهم فى حالة من الحالات، فسؤالهم الإتيان بهم جهل عظيم، فقال تعالى: ﴿ و جآء اهل المدينة ﴾ [أى - [3]] التى[4] كان هذا الأمر فيها - قالوا: و هى مندوم - لإرادة عمل الفاحشة [بالأضياف - [3]] ﴿ يستبشرون ٥ ﴾ أى يلوح[5] على بشراتهم السرور، فهم يوجدونه لأنفسهم إيجاد من هو شديد الرغبة فى طلبه، فكان حال لوط عليه السلام أن ﴿ قال ﴾ لهم: ﴿ ان هؤلآء ﴾ [أى - [3]] الأقرباء منى ﴿ ضيفى ﴾.

و لما كان إكرام الضيف إكراما لمن هو عنده و إهانته إهانته، سبب عن ذلك ما أشار إليه الكلام[6] فقال: ﴿ فلا تفضحون ٦ ﴾ فى إصابتهم بفاحشة، و كان ذلك قبل معرفته أنهم ملائكة ﴿ و اتقوا الله ﴾ [أى - [3]] الذى له جميع العظمة ﴿ و لا تخزون ٥ ﴾ أى بإهانة ضيفى، فيكون ذلك عارا علىّ مدى الدهر، فلم يكفهم ذلك بل ﴿ قالوآ ﴾ بفظاظة[7]، عاطفين على ما تقديره: ألم تعلم أنا لا نترك هذا الأمر لشيء من الأسباب: ﴿ اولم ننهك ﴾ أى من قبل هذا ﴿ عن العٰلمين ٥ ﴾ أن تجير علينا[8]

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قريبه (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم يحتملهم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ: الذى (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تلوح (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عليه السلام (٧) فى ظ: بفظاعة (٨) فى مد: عليها.

أحدا منهم . فلما[1] وصلوا إلى هذا الحد من الوقاحة ، ذكر لهم[2] الحريم ليحملهم ذلك على الحياء ، لأنه دأب[3] من له أدنى مروءة و لاسيما ذكر[4] الابكار فى سياق يكاد يصرح بمراده ، بأن ﴿قال هؤلاء﴾ مشيرا إلى بيته الذى[5] فيه بناته صلى الله عليه و سلم و رضى عنهن ﴿ بنتى ان كنتم﴾ و لا [بد -[6]] ﴿ فعلين ﴾ [أى قد عزمتم عزما ماضيا على هذا الفعل ، ٥ إشارة بأداة الشك إلى أن هذا الفعل مما لاينبغى أن يفعل ، يعنى -[6]] و أنتم عالمون بأنى لا أسلم بناتى أبدا ، فعلم من ذلك أن وصولكم إلى أضيافى دون هلاكى محال .

و لما[7] ذكر ما ذكر[2] من أمورهم و عظيم فجورهم ، و هم قد فرغ من أمرهم و قضى باستئصالهم ، كان [كل -[6]] من يعلم ذلك قاضيا ١٠ بأنهم[8] لا عقول لهم ، فأتبع سبحانه [ذلك -[6]] ما يدل عليه بقوله : ﴿ لعمرك ﴾ أى و حياتك يا كريم الشمائل ، و أكد لأن الحال قاض فى ذاك الحين [9]استبعاد ردهم[9] ، و لتحقيق أن ذلك ضلال منهم صرف و تعنت محض ، فقال : ﴿ انهم لفى سكرتهم ﴾ أى غوايتهم الجاهلية ﴿يعمهون ﴾ أى يتحيرون و[10] لايبصرون طريق الرشد ، فلذلك لايقبلون قول ١٥ النصوح ، فان كان المخاطب لوطا عليه السلام ، كان ضمير الغيبة

(١) فى ظ : كلما (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك (٣) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : ذات (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : التى (٦) زيد من ظ و م ومد (٧-٧) فى الأصل : ذكر من ذكر ، و فى ظ ومد : ذكر ، و فى م : كان ما ذكر (٨) فى م : بانه (٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : باعسا درهم - كذا (١٠) سقط من م .

١٩٦ / لقومه. و إن كان / المخاطب نبينا صلى الله عليه وعلى آله و سلم-[1] و هو الظاهر- كان الضمير لقومه[2]، وكان التقدير أنهم فى خبط بعيد عن السنن فى طلبهم إتيان الملائكة كما كان قوم لوط عليه السلام يقصدون الالتذاذ بالفاحشة بمن مكن من هلاكهم[3]، فشتان ما بين القصدين! و هيهات لما بين الفعلين!

٥ فصار المعنى أن ما قذفوك به أول السورة بهم لا بك[4]، لأن[5] من يطلب إتيان الملائكة - مع جواز أن يكون حاله حال قوم لوط عليه السلام عند إتيانهم - هو[6] المجنون؛ و العمر- بالفتح[7]: العمر- بالضم، و هو مدة بقاء الشيء حيًا، لكنه لا يقال فى القسم إلا بالفتح لخفته مع كثرة دور القسم، و لذلك[8] حذفوا الذى تقديره[9]: قسمى، و السكرة: غمور[10]

١٠ السهو للنفس.

و لما تم ذلك، سبب عن القضاء بقطع دابرهم قوله تعالى: ﴿ فاخذتهم ﴾ أى أخذ انتقام و غلبة ﴿ الصيحة ﴾ أى[11] التى هى لعظمها و هولها هى الصيحة، وغيرها عدم بالنسبة إليها؛ و الأخذ: [12]فعل يصير[12] به الشيء فى جهة الفاعل، و الصيحة: صوت يخرج من الفم بشدة[13]؛

١٥ [و قوله-[14]]: ﴿مشرقين ۝﴾ أى داخلين فى الإشراق، و هو ضياء الشمس

---

(١) العبارة من هنا إلى « قومه » ساقطة من مد (٢) فى ظ: قوله (٣) من ظ و م ومد، و فى الأصل: هدالهم (٤) من م، و فى الأصل وظ و مد: تك. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اول (٦) فى ظ: هم (٧) فى ظ: بفتح العين (٨) من ظ و م ومد، و فى الأصل: كذلك (٩) فى ظ: تقريره (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غموم (١١) سقط من ظ وم و مد (١٢-١٢) من م و مد، و فى الأصل: قيل ان يعبر، و فى ظ: يصير ((١٣) سقط من ظ. (١٤) زيد من م و مد.

عند بزوغها. و تبين به أن وقته يسمى[1] صبحا لغة؛ فان[2] الصبح و الصباح [و الإصباح -[3]] أول النهار، و لعله يطلق عليه إلى وقت الغداء أو الزوال، أو تكون[4] الصيحة وقت الإشراق آخر أمرهم، و قلع المدائن من أماكنها وقت الصبح ابتداء أمرهم؛ ثم بين سبحانه ما تسبب[5] عن الصيحة متعقبا لها[6] فقال: ﴿ فجعلنا عاليها ﴾ أى مدائنهم ﴿ سافلها و امطرنا ﴾ . ٥

و لما كان الزجر فى هذه السورة أعظم من الزجر فى سورة هود عليه السلام، لطلبهم أن يأتى بجميع الملائكة، أعاد الضمير على المعذبين لا على مدنهم - كما مضى فى سورة هود عليه السلام[7] - لأن هذا أصرح، فقال: ﴿ عليهم ﴾ أى أهل المدائن التى قلبت المدائن لأجلهم ﴿ حجارة من سجيل ۝ ﴾ ثم حقق أن ذلك كله شرح لقوله "و ليذكر اولوا الالباب" بقوله: ١٠ ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم جد ﴿ لآيات ﴾ أى عدة من جهة غمرها بالماء بعد خسفها، و من جهة كونه مخالفا لمياه الأرض بالنتن والخباثة، و عدم عيش الحيوان [فيه -[3]]، و عدم النفع به، و من جهة فظاعة منظره - و غير ذلك من أمره ﴿ للمتوسمين ۝ ﴾ جمع[8] متوسم، و هو الناظر فى السمة الدالة - و هى الأثر الدال[9] فى الوجه - و القرائن القاضية بالخير ١٥

---

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: كان (٢) من ظ و مد، وفى الأصل وم: وان (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) من ظ ومد. وفى الأصل وم: يكون. (٥) من ظ و م ومد، وفى الأصل: كتب (٦) من ظ وم ومد. وفى الأصل: له (٧) آية ٨٢؛ و العبارة من "لطلبهم" إلى هنا ساقطة من ظ (٨) من ظ و م ومد. وفى الأصل: رجع (٩) فى مد: الهلاك

و الشر ، و كانوا يدعون أنهم [أبصر الناس -[1]] بمثل ذلك ، فهو إلهاب لهم و تبكيت ؛ ثم بين أن ذلك غير خفى عنهم و لا بعيد [2]عمن أراد[2] الاتعاظ به ، فقال جعلا [لهم -[1]] - لعدم اعتبارهم بها مع رؤيتهم إياها فى كل حين - فى عداد المنكرين : ﴿ و انها ﴾ أى هذه المدائن ٥ ﴿لبسبيل مقيم ۝﴾ أى ثابت ، و [هو -[1]] مع ذلك مبين ، فالاعتبار بها فى غاية السهولة لقومك ، و كانوا[3] يمرون عليها فى بعض أسفارهم إلى الشام ۝ .

و لما أشار سبحانه إلى الاستدلال بالتوسم الدال - بما[4] [هى -[1]] عليه من المخالفة لسائر مياه الأرض العذبة الواردة إليها على كثرتها ١٠ [و -[1]] مع أن البلاد التى هى[5] بها من أبهج[6] البلاد فى عذوبة المياه و طراوة الأرض و حسن الأشجار و غير ذلك - على أن لها نبأ هو [فى -[1]] غاية الغرابة ، و أتبع ذلك سهولة الوصول إليها حثا على إتيانها بقصد نظرها و الاعتبار بها و السؤال عن سبب كونها كذلك ، قال تعالى مشيرا إلى زيادة الحث بالتأكيد : ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر العظيم من حالها ١٥ ﴿لآية﴾ أى علامة عظيمة فى الدلالة علينا ﴿للمؤمنين ۝﴾ أى الراسخين فى الصدق و التصديق ، فاذا أخبروا أن سبب كونها هكذا أن الله أمر بعض جنده فرفعها ثم قلبها ثم أتبعها الحجارة ثم خسف / بها و غمرها /١٩٧

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن اداة .
(٣) فى ظ : كان (٤) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : بها (٥) سقط من ظ .
(٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اهيج .

بهذا الماء - الذى هو فى القذارة و عدم الثمرة مناسب لأفعال أهلها - لأجل عصيانهم رسوله صلى الله عليه و على آله و سلم ، آمنوا حذرا من مثل هذا العذاب [١]إيمانا بالغيب .

و لما ذكر هذه القصة ، ضم إليها ما هو على طريقها مما[٢] عذب قومه بنوع آخر من العذاب يشابه[٣] عذاب قوم لوط فى كونه نارا من السماء، ٥ فقال مؤكدا لأجل إنكار الكفار أن يكون عذابهم لأجل التكذيب، أو عدّا لهم - لأجل تماديهم على[٤] الغواية مع العلم به - عداد المنكرين : ﴿و ان﴾ أى و إنه ﴿كان﴾ أى جبلة و طبعا ﴿اصحب الايكة﴾ و هم قوم شعيب عليه السلام ؛ و الأيكة : الشجرة - عن الحسن ، و جمعه الأيك كشجرة و شجر ، و قيل : الأيكة : الشجر الملتف[٥] ﴿لظلمين﴾ أى ١٠ العريقين[٦] فى الظلم ﴿فانتقمنا منهم﴾ أى بسبب ذلك ؛ ثم أخبر عن البلدين لتقاربهما فى العذاب و المكان و كونهما على طريق واحدة من طرق[٧] متاجر قريش [فقال -[٨]] : ﴿و انهما﴾ أى قرى قوم لوط و محال[٩] أصحاب الأيكة ﴿لبامام﴾ أى طريق يؤم و يتبع و يهتدى [به -[١٠]] ﴿مبين﴾ واضح لمن أراده ، بحيث أنه من شدة وضوحه موضح لعظمة الله ١٥

(١) العبارة من هنا إلى « من العذاب » ساقطة من ظ (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بما (٣) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : لسانه (٤) فى ظ : عن . (٥) راجع أيضا لباب التأويل ٤ / ٥٩ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الفريقين (٧) فى ظ : طريق (٨) زيد من ظ و م ومد (٩) من م و مد ، و فى الأصل : اصحاب ، و فى ظ : من آل (١٠) زيد من م و مد .

و انتصارة لأنبيائه ممن يكذبهم ، و هو مع وضوحه مقيم فى مكانه لم تندرس أعلامه ، و لم تنطمس آثاره ، فالآية من الاحتباك : ذكر فى الأولى[1] "مقيم" دلالة على حذف مثله ثانيا ، و فى الثانية "مبين" [دلالة -[2]] على حذف مثله أولا .

د و لما كان ربما قيل : إنه[3] لو كان لأصحاب[4] الأيكة بيوت متقنة لمنعتهم من العذاب ؟ عطف عليهم[5] من هم على طريق أخرى من متاجرهم إلى الشام ، و كانوا[6] قد طال اغترارهم بالأمل حتى اتخذوا الجبال بيوتا ، و كانت آيتهم فى غاية الوضوح فكذبوا بها ، تحقيقا لأن "المتعنتين لو رأوا[7] كل آية لقالوا "انما سكرت ابصارنا" فقال : ﴿ و لقد كذب ﴾ .

١٠ و لما كان السياق للمكذبين و ما وقع لهم بتكذيبهم ، قدم الفاعل ، فقال مشيرا إلى إتقان بيوتهم : ﴿ اصحب الحجر ﴾ و هم ثمود قوم صالح عليه السلام ، و ديارهم بين المدينة الشريفة و الشام ﴿ المرسلين ﴾ أى كلهم بتكذيب رسولهم كما كذب هؤلاء المرسلين بتكذيبك ، لأن الرسل يشهد[8] بعضهم لبعض بالصدق ، فمن كذب واحدا منهم فقد كذب

١٥ الجميع ، و هم [فى -[2]] إثبات الرسالة بالمعجزة على حد[9] سواء ؛ ثم أتبع ذلك قوله : ﴿ و آتيناهم ﴾ أى بعظمتنا على يد رسولهم صالح عليه السلام

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاول (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) فى ظ : لأنه (٤) فى ظ و مد : أصحاب (٥) فى ظ : عليه (٦) فى ظ : كان .
(٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المتقنين ارأوا (٨) فى ظ و م : تشهد .
(٩) سقط من ظ .

﴿ ايتنا[1] ﴾ أى كلها ، بإتيان الناقة و[2]سقيها و درها[2] و شربها ، لأن الممكنات كلها بالنسبة إلى قدرته على حد سواء ، فمن كذب بواحدة[3] [منها -[4]] فقد كذب بالجميع[5] ﴿فكانوا﴾ أى كونا هو كالجبلة ﴿عنها﴾ أى الآيات كلها خاصة ، لا عن زينة الدنيا التى تجر إلى الباطل ﴿معرضين﴾ أى راسخين فى الإعراض . لم يؤمنوا بها ، التفاتا إلى قوله تعالى "و لو فتحنا عليهم بابا من السماء" - الآيتين ، و تمثيلا له ردا للقطع على المطلع ؛ ثم أخبر أنهم كانوا [6]مثل هؤلاء [فى الأمن -[7]] من العذاب و الغفلة عما يراد بهم مع أنهم [كانوا -[7]] أشد منهم فقال[8] : ﴿ و كانوا ينحتون﴾ و النحت : قلع جزء بعد جزء من الجسم على سبيل المسح ﴿من الجبال﴾ التى تقدم أنا جعلناها[9] رواسى ﴿بيوتا امنين﴾ عليها من الانهدام ، و بها من لحاق ما يكره ، [10]لا كبيوتكم[10] التى لا بقاء لها على أدنى درجة ﴿فاخذتهم﴾ أى فتسبب عن تكذيبهم[11] أن أخذتهم أخذ العذاب و الانتقام ﴿الصيحة[12]﴾ حال كونهم ﴿مصبحين﴾ أى داخلين فى الصبح ﴿فما﴾ أى فتسبب عن

(١) فى مد : بآياتنا (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سقيا و رودها .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بواحد (٤) زيد من ظ و م و مد .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجميع (٦) العبارة من هنا إلى « مع أنهم » ساقطة من ظ و مد (٧) زيد من م (٨) فى ظ : فقالوا (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جعلنا (١٠-١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : الا لبيوتهم ، و فى مد : لا لبيوتهم - كذا (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تكذبهم (١٢) زيد بعده فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

/ ١٩٨ الصيحة / أنه ما ﴿اغنى[1]﴾ أى أجزأ ﴿عنهم ما كانوا﴾ أى بجبلاتهم ﴿يكسبون[1]﴾ من البيوت و الأعمال و العدد و الآلات الخبيثة ، لأنه لايعجزنا شيء لأنه لا كلفة علينا فيما نفعل " انما نقول له كن فيكون " و فعلنا بهم ذلك لأنهم كانوا على باطل . فكان تعذيبنا لهم [حقا-[1]] .

٥ و لما كان المتعنت[2] ربما قال : ما له[3] يخلقهم ثم يهلكهم و هو عالم حين خلقهم أنهم يكذبون ؟ و كانت هذه الآية ملتفتة - مع ما فيها من ذكر الأرض - إلى تلك التى أتبعها ذكر الخافقين ، استدلالا على الساعة ، قال [على -[1]] ذلك النمط : ﴿و ما خلقنا﴾ أى على عظمتنا ﴿السمٰوٰت﴾ أى على ما لها من العلو و السعة ﴿و الارض﴾ على ما بها من المنافع

١٠ و الغرائب ﴿و ما بينهما﴾ من هؤلاء المكذبين و عذابهم ، و من المياه و الرياح و السحاب المسبب عنه النبات و غير ذلك ﴿الا بالحق[4]﴾ أى خلقا ملتبسا[4] بالحق ، فيتفكر فيه من وفقه الله فيعلم النشأة الآخرة[5] بهذه النشأة الأولى ، أو بسبب[6] الحق من إثبات ثوابت الأمور و نفى مزلزلها ، لتظهر[7] عظمتنا بانصاف المظلوم [8]من الظالم[8] ، و إثابة الطائع و عقاب

١٥ العاصى فى يوم الفصل - إلى غير ذلك من الحكم كما قال تعالى "و لله ما فى السمٰوٰت و ما فى الارض ليجزى الذين اساءوا بما عملوا و يجزى

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : المتعقب (٣) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : لهم (٤) فى ظ : متلبسا (٥) فى ظ : الاخرى (٦) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : لسبب (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليظهر (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

الذين احسنوا بالحسنى[١]" فمن أمهلناه فى الدنيا أخذنا [منه -[٢]] الحق بعد قيام الساعة ، فلا بد من فعل ذلك ﴿و ان الساعة لآتية﴾ لأجل إقامة الحق لا شك فى إتيانها لحكم علمها [سبحانه -[٣]] فيظهر فيها كل ذلك ، و يمكن أن يكون التقدير : فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ، و ما فعلنا ذلك إلا بالأمر[٤] من قولنا [«كن» -[٢]] و هو الحق " و ما خلقنا السمٰوٰت و الارض و ما بينهما الا بالحق" أى بالأمر " الا له الخلق[٥] و الامر" يعنى أنه لا مشقة علينا فى[٦] شىء من ذلك ، و سنعدم[٦] ذلك بالحق إذا أردنا قيام الساعة ، و أن الساعة لآتية ، لأنا قد وعدنا بذلك ، و ليس بينكم و بين كونها إلا أن نريد فتكون[٧] كما كان غيرها مما[٨] أردناه ﴿فاصفح الصفح﴾ أى فأعرض[٩] - بسبب تحقق الأخذ بثأرك - الإعراض ﴿الجميل﴾ بالحلم و الإغضاء و سعة الصدر ، فى مثل قولهم " يأيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون" فانه لا بد من الأخذ لك منهم بالحق و لو لم يكن[١٠] لك نصرة إلا فى ذلك [اليوم -[٢]] لكانت كافية ؛ ثم علل هذا الأمر بقوله : ﴿ان ربك﴾ أى المحسن [إليك الآمر -[٢]] لك بهذا ﴿هو﴾

(١) سورة ٥٣ آية ٣١ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من م (٤) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بأمر (٥) من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٧ آية ٥٤ ، و فى الأصل : الحق (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك من شىء و ستقدم - كذا (٧) فى ظ : فيكون (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ممن (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعرض (١٠) فى ظ و مد : لم تكن .

أى وحده ﴿الخلّق﴾ المتكرر[1] منه هذا الفعل فى كل وقت بمجرد الأمر، فلا عجب فى إيجاد ما ينسب إليه من إبداع الساعة أو [غيرها -[2]]، و هو لذلك[3] عالم بأحوالكم أجمعين و ما يكون منها صلاحا لك على غاية الحكمة، لأن المصور أعلم بالصورة من ناظرها و المتبصر فيها، و صانع الشيء أدرى[4] به من مشتريه، و بانى البيت أخبر به من ساكنه، و هو الذى خلق [كل -[2]] ما تراه منهم فهو فعله فسلم له.

و لما كان إحكام المصنوعات لا يتم إلا بالعلم، قال تعالى: ﴿العليم﴾ أى البالغ العلم بكل المعلومات، فلا ترى أفعالهم و[5] أقوالهم إلا منه سبحانه لأنه خالقها، و قد علمت أنه لا يضيع مثقال ذرة فاعتمد [عليه -[2]] فى أخذ حقك، فانه نعم المولى و نعم النصير. و لا يخفى عليه شيء منه[4] و يدل على ما قلته آية يس[6] "ا و ليس الذى خلق السمٰوٰت و الارض بقدر على ان يخلق مثلهم بلى و هو الخلّق العليم" أو يقال: فما أغنى [عنهم -[2]] ما كانوا يكسبون شيئا مما أردنا من الحق، لأنا ما خلقنا عذابهم إلا بالحق كما خلقناهم بالحق، فلم[7] يمتنع علينا شيء من ذلك "و ما خلقنا السمٰوٰت و الارض و ما بينهما الا بالحق" أى بسبب إقامة الحق و إظهار أمرنا فى العدل /. و لولا أن سلطنا بعض الناس على بعض [لم -[2]] يظهر /١٩٩

(١) فى مد: المتكبر (٢) زيد من ظ و م مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كذلك (٤) من ظ و م، و فى الأصل و مد: ادر (٥) زيد بعده فى الأصل: لا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) ٨١ (٧) فى ظ: فلا.

لهم منا هذه الصفة غاية الظهور ، فنحن نعجل - من الحق الذى خلقنا ذلك بسببه على قيام الساعة - ما شئنا من الابتلاء والانتقام كما فعلنا بمن قصصنا أمرهم ، ونؤخر من ذلك ما بقى إلى قيام الساعة "وان الساعة لآتية" لا شك فيها ، فلا ندع هناك شيئا من الحقوق إلا أقناه "فاصفح الصفح الجميل" فلا بد من الأخذ لك بحقك إما فى الدنيا وإما فى الآخرة ["ان"[1]] أى لأن "ربك هو الخلّق" أى الفاعل للخلق مرة بعد مرة ، لا تنفذ[2] قدرته ولا تهن كلمته "العليم" التام العلم ، فهو قادر على ذلك [عالم -[3]] بوجه الحكمة فيه فى وقته وكيفيته ، فهو يعيد الخلائق فى الساعة كما بدأهم[4] ، ويستوفى إذ ذاك جميع الحقوق ، ويؤتيك[5] فى ذلك اليوم ما يقر[6] به عينك .

ولما ذكر صفة[7] العلم بصيغة [المبالغة ، أتبعها ما آتاه فى هذه الدار من مادة العلم بصيغة -[1]] العظمة ، فقال عطفا على [ما -[1]] قدرته مما دل عليه السياق : ﴿ولقد آتيناك﴾ مما[8] يدل على علمنا ﴿سبعا من المثانى﴾ وهى[9] الفاتحة الجامعة على وجازتها جميع معانى القرآن [10]فتثنى فى النزول[10] فانها[11] نزلت مرتين ، وتثنى فى كل ركعة من الصلاة ، وهى ثناء على الله

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) فى م : لا ينفد - كذا (٣) زيد من م وموضعه فى ظ : عالما ، وفى مد : على عالم - كذا (٤) فى ظ وم ومد : ابتداهم (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : يريك (٦) فى ظ ومد : تقر (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : صيغة (٨) فى ظ : بما (٩) من م ومد ، وفى الأصل وظ : هو . (١٠ - ١٠) فى ظ : تثنى بالنزول (١١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لأنها .

و الصالحين [من عباده -[1]] ، و هي مقسومة بين الله و عبده ، و تثنى فيه مقاصدها ، و يورد كل معنى من معانيها فيه بطرق[2] مختلفة في إيضاح الدلالة عليه في قوالب الألفاظ و جواهر التراكيب الهادية إليه - و غير ذلك من التثنية ﴿و القرآن العظيم ۝﴾ أي[3] الحاوي لجميع علوم[4] الأولين و الآخرين مما[5] في جميع الكتب السالفة و غيره .

و لما كان ما أوتيه و ما سيؤتاه أعظم ما أوتيه مخلوق[6] ، اتصل به قوله : ﴿لا تمدن عينيك﴾ أي مدا عظيما بالتمني و الاشتهاء المصمم ، و لذلك ثنى العين احترازا[7] عن حديث النفس ﴿ الى ما متعنا ﴾ أي على عظمتنا ﴿ به ازواجا ﴾ أي أصنافا ﴿منهم﴾ أي أهل الدنيا ، أو يقال : إنه لما كان المقصود لكل[8] ذي لب إنما[9] هو التبلغ[10] بدار الفناء إلى دار البقاء ، المؤكد إتيانها في الآية السابقة ، و كان القرآن - كما تقدم - كفيلا [بذلك -[1]] ، و سلاه صلى الله عليه و على آله و سلم عما يؤذونه من أقوالهم ، و تبين "من ذلك"[11] علو درجته ، توقع السامع ذكر ما

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل و م : بطريق (٣) سقط من مد (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و م ، و في الأصل : بما ، و في مد : عما (٦) زيدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٧) في مد : احتراز (٨) من م و مد ، و في الأصل و ظ : من كل (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : انه (١٠) من م ، و في الأصل و ظ و مد : التبليغ (١١ - ١١) من م ، و في الأصل و ظ و مد : ذلك من .

أسبغ

أسبغ عليه من النعم فقال تعالى ؛ أو يقال : إنه لما أمره سبحانه بالصبر على أذاهم ، علل ذلك بما معناه أنهم خلقه ، و أنه منفرد بالخلق ، و هو بليغ العلم بأفعالهم [٢]مريد لها[٢] ، فليس الفعل في الحقيقة إلا له ، و على المحب أن يرضى بفعل حبيبه من حيث أنه فعله ، و لما كان التقدير : فهو الذي خلقهم ، و علم قبل خلقهم ما يفعلون ، عطف عليه تسلية له صلى الله عليه و على آله و سلم قوله "و لقد [٣]آتيناك[٣]" أي بما لنا من العظمة كما آتينا صالحا [ما -[٤]] تقدم "سبعا من المثاني" يكون كل سبع منها كفيلا بأغلاق [باب من -[٥]] أبواب النيران السبعة ، و هي أم القرآن الجامعة لجميع معاني القرآن التي أمرنا باعادتها في كل ركعة ، زيادة في حفظها ، و تبركا بلفظها ، و تذكرا[٦] لمعانيها ، تخصيصا[٧] لها عن بقية الذكر الذي تكلفنا بحفظه "و" آتيناك "القرآن العظيم" الجامع لجميع معاني الكتب السماوية المتكفلة بخيري الدارين مع زيادات لا تحصى ، المشار إلى عظمته أول السورة بالتنوين و وصفه بأنه مبين للبراهين الساطعة على نبوتك ، و الأدلة القاطعة على رسالتك ، الدالة على الله الموصلة إليه ، و الآية مع ذلك [دليل -[٥]] على[٨] العلم المختتم به ما قبلها ، فكأنه قيل : فماذا[٩] أعمل ؟

(١) في ظ : انه (٢-٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : مريدا لهم (٣) زيد بعده في الأصل : سبعا ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من م و مد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و في الأصل : تذكر ، و في ظ : تذكيرا (٧) في ظ : تحصينا (٨) سقط من مد (٩) في ظ : فما ،

فقيل فى معنى "ذرهم ياكلوا": "لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم" اكتفاء بهذا البلاغ العظيم الذى من تحلى[1] [به -[2]] و أشربه[3] قلبه أراه معايبه هذه الدار فبغّضه / فيها[4] و أشرف به على ما أمامه ٢٠٠ / ﴿ و لا تحزن عليهم ﴾ لكونهم لم يؤمنوا فيخلصوا أنفسهم من النار، و يقوى بهم جانب الإسلام، و كأن هذا هو الصفح المأمور به، و هو الإعراض عنهم أصلا و رأسا إلا فى أمر البلاغ.

و لما أمره[5] فى عشرتهم بما أمر، أتبعه أمره بعشرة أصحابه رضى الله عنهم بالرفق و اللين [6]فقال تعالى[6]: ﴿ و اخفض ﴾ أى طاطئ ﴿ جناحك للمؤمنين ﴾ [أى -[7]] العريقين[8] فى هذا الوصف، و اصبر نفسك معهم، و اكتف بهم، فان الله جاعل فيهم البركة، و ناصرك و معز دينك بهم، و غير محوجك إلى غيرهم. فمن[9] أراد شقوته فلا تلتفت إليهم، و هذا كناية عن اللين، و أصله أن الطائر إذا ضم الفرخ إليه بسط جناحه ثم قبضه عليه - قاله[10] أبو حيان[11]؛ و فى الجزء العاشر من الثقفيات[12] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و على

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يحلى (٢) زيد من م (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اسربه (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امرهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) زيد من ظ و م و مد. (٨) فى ظ و مد: الغريقين (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مما (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قال (١١) فى البحر ٥ / ٤٥٦ (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الثقيات.

آله و سلم قال: المؤمن لين حتى تخاله من اللين أحمق .

و لما كان الغالب على الخلق التقصير ، قال له : ﴿ و قل ﴾ أى للفريقين ، مؤكدا لما[1] للكفار من التكذيب ، و لما للمؤمنين به من طيب النفس : ﴿ انى انا ﴾ أى لا غيرى من المنذرين بالأعداء الدنيوية ﴿ النذير المبين ﴾ لمن تعمد التقصير[2] ، إنذارى منقذ له من ورطته[3] ، لأنه محتف[4] بالأدلة القاطعة .

و لما ذكر ما التحم بقصة أصحاب [الحجر -[5]] المقتسمين على قتل رسولهم ، و ختمه بالإنذار الذى هم أهله ، عاد إلى تتميم أمرهم فشبههم[6] بمن كذب من هذه الأمة فقال : ﴿ كما ﴾ [أى - [5]] كذب أولئك و آتيناهم آياتنا فأعرضوا عنها ففعلنا بهم من العذاب ما هم أهله مثل ما ﴿ انزلنا ﴾ أى بعظمتنا من الآيات ﴿ على المقتسمين ﴾ أى مثلهم من قريش حيث اقتسموا شعاب مكة ، ينفرون الناس عنك و يفرقون القول فى القرآن ، فلا تأس[7] عليهم لتكذيبهم[8] و عنادهم مع رؤيتهم الآيات البينات ، فان سنتنا جرت بذلك فيمن أردنا شقوته كقوم صالح ؛ ثم قال : ﴿ الذين ﴾ أى مع أنهم تقاسموا على قتلك و اقتسموا طرق مكة للتنفير عنك ﴿ جعلوا القرآن[9] ﴾ بأقوالهم ﴿ عضين ﴾ أى قسموا القول فيه و الحال

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : لتقصير . (٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ورطة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مختلف (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تشبههم (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلا باس (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لتكذيبهم (٩) تأخر فى الأصل فقط عن « بأقوالهم » .

أنه جامع المعانى، لا متفرق المبانى - منتظم التأليف أشد [1]انتظام، متلائم[1] الارتباط أحكم التئام[2]، كما قدمنا الإشارة [إليه[3]] بتسميته كتابا وقرآنا، وختمنا بأن ذلك على وجه [4]الإبانة لا الإخفاء[4] فيه، فقولهم كله عناد[5]، فقالوا: سحر، وقالوا: شعر، وقالوا: كهانة، وقالوا: أساطير الأولين - وغير ذلك، أنزلنا عليهم آياتنا البينات وأدلتنا الواضحات، فأعرضوا عنها واشتغلوا بما لا ينفعهم من التعنت وغيره دأب أولئك فليرتقبوا[6] مثل ما حل بهم، ومثلهم[7] كل من تكلم فى القرآن بمثل ذلك مما لا ينبغى من العرب وغيرهم؛ وروى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما "جعلوا القرآن عضين" قال: هم أهل الكتاب: اليهود والنصارى، جزأوه [أجزاء[8]] فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه. وسيأتى معنى هذه اللفظة ﴿فوربك﴾ أى فتسبب عن فعلهم هذا أنا نقسم بالموجد لك، المدبر لأمرك، المحسن إليك بإرسالك[9] ﴿لنسئلنهم أجمعين ۝﴾ أى[10] هؤلاء وأولئك ﴿عما كانوا﴾ أى كونا هو[11] جبلة لهم ﴿يعملون ۝﴾ أى[12] من تعضية[13] القرآن وغيرها لأنا[14] نسأل كلا عما صنع ﴿فاصدع﴾

(١-١) فى ظ: انتظاما متلازم (٢) من م، وفى الأصل وظ ومد: القيام. (٣) زيد من ظ وم ومد (٤-٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الاباحة الاحقا - كذا (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: عنادا (٦) فى ظ: فليقترحوا (٧) فى ظ: مثل، وفى م: هم (٨) زيد من الصحيح (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل: باربهالك (١٠) سقط من ظ وم ومد (١١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: او (١٢) سقط من م ومد (١٣) من ظ وم، وفى الأصل ومد: تغطية (١٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: انا.

أى لجهر بعلو وشدة ، فارقا بين الحق و الباطل بسبب ذلك ﴿ بما تؤمر ﴾ به من القرآن و كتاب مبين ﴿ و اعرض ﴾ أى إعراض من لا يبالى ﴿عن المشركين ۝ ﴾ بالصفح الجميل عن[1] الأذى و الاجتهاد فى الدعاء ، و يؤيد أن قوله "كما" راجع إلى قصة صالح و متعلق بها - و إن لم أر من سبقنى إليه - ذكرُ الوصف الذى به تناسبت الآيتان و هو / الإقسام ، ٢٠١ / ٥
ثم وصف المقتسمين بالذين جعلوا القرآن عضين ، لئلا يظن أنهم الذين تقاسموا فى بيات[2] صالح ، أى آتينا أولئك الآيات المقتضية للإيمان فما كان منهم إلا [التكذيب و التقاسم كما أنزلنا على هؤلاء الآيات فما كان منهم إلا -[3]] ذلك ، و إنما عبر فى أولئك بـ "آتيناهم" لأن آياتهم الناقة و ولدها[4] و البئر ، و هى معطاة[5] محسوسة ، لا منزلة معقولة ، و قال فى ١٠
هؤلاء "أنزلنا" إشارة إلى القرآن الذى هو أعظم الآيات ، أو إلى الجميع و غلب عليها القرآن لأنه أعظمها ، و إلى أنهم مبطلون فى [6]جحدهم و أنه[6] لا ينبغى لهم أن يتداخلهم نوع شك فى أنه منزل لأنه[7] أعظم من تلك الآيات مع كونها محسوسات ، و أما اعتراض ما بينهما من الآيات فمن أعظم أفانين البلاغة ، فانه لما أتم قصة صالح عليه السلام ، ١٥
علم أن المتعنتين[8] ربما قالوا : لأىّ شىء يخلقهم ثم يهلكهم مع علمه بعدم

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٢) فى ظ : بتات (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م مد (٤) فى ظ : لها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مغطاة (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حجرهم و انهم (٧) فى مد : الآية - كذا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المتصفين .

إجابتهم؟ فرد عليهم بانه ما خلق[1] "السمٰوٰت و الارض و ما بينهما" من هؤلاء المعاندين و من أفعالهم و عذابهم و غير ذلك "الا بالحق و ان الساعة لآتية" فيعلم[2] ذلك كله بالعيان من يشك[3] فيه الآن ، و ذلك حين يكشف الغطاء عن البصائر و الأبصار "فاصفح" عنهم ، فانه لا بد من الأخذ لك بحقك ، إن لم يكن فى الدنيا ففى [يوم - [4]] الجمع ، [ثم - [5]] أكد التصرف بالحكمة بقوله "ان ربك هو الخلّٰق العليم[6]" ثم سلاه - عما يضيّقون به صدره من التكذيب بالساعة ، و أن الوعد بها إنما هو سحر ، و نحو ذلك من القول ، و من افتخارهم بأموالهم و نسبته إلى الحاجة إلى المشى بالأسواق - بما آتاه من كنوز القرآن ، و أمره بأن يزيد فى التواضع و اللين للمؤمنين لتطيب[7] نفوسهم فلا يأسوا على ما فاتهم من الدنيا ، و أن ينذر الجميع و يحذرهم[8] من سطوات الله أمثال ما أنزل[9] بالأقدمين ، ثم عاد[10] إليهم فشبههم بهؤلاء فى التكذيب ليعلم أنهم أجدر منهم بالعذاب[11] لأنهم[12] مشبه بهم ، و المشبه به أعلى من المشبه ، و ذلك لكونهم أشد كفرا لأن نبيهم أعظم و آياته[13] أجل و أكثر ، و أجلى و أبهر ، فيكون ذلك

(١) فى ظ : خلقنا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليعلم (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يسئل - كذا (٤) زيد من م و مد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) فى ظ : العلام (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لتطييب . (٨) فى ظ : ينذرهم (٩) زيد فى م : من (١٠) فى م : اعاد (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى العذاب (١٢) فى ظ : لأنه (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : آياتهم .

بسبب اشتداد[1] حذرهم، ولك أن تقول ولعله أحسن: إنه [تعالى -[2]] لما[3] ذكر أن ثمود سكنوا الأرض سكنى الآمنين، فأزعجتهم عنها صيحة سلبت أرواحهم، وقلبت أشباحهم، كما سيكون لأهل الأرض قاطبة بنفخة الصور، عند نفوذه[4] المقدور، وكان قد قدم[6] ذكر كثير مما في السماوات والأرض من الآيات والعبر بقوله تعالى "ولقد جعلنا في السماء بروجا"[5] وما بعد ذلك من الجن والإنس وغيرهما مما جعل ذكر اختراعه دليلا على الساعة، اتبع ذلك ان سبب خلق ذلك كله وما حواه من الخافقين إنما هو الساعة فقال "وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق" أي بالأمر الثابت لا بالتمويه والسحر كما أنتم تشاهدون، أو بسبب إقامة الحق وإبانته من الباطل إبانة لا شك فيها يوم الجمع الأكبر، ومن إقامة الحق تعميم الطائع وتعذيب العاصي، وذلك بعد إتيان الساعة بنفختي الصور "وان الساعة لآتية بالحق" أيضا، وليست سحرا[7] كما[8] تظنون، ولما كان إتيانها لهذا الغرض مما يشفي القلب لإدراك الثأر وهو حق لا بد منه، تسبب[9] عنه قوله تعالى "فاصفح الصفح الجميل".

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: استبداد (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) من ظ و م و مد، وفي الاصل: كما (٤-٤) من ظ و م و مد، وفي الاصل: سنين آمنين - كذا (٥) في م و مد: نفود (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: تقدم (٧) من ظ و م و مد، وفي الأصل: سحر (٨) في ظ: بما.
(٩) من ظ و م و مد، وفي الأصل: سبب.

و لما كانت النفس بخبر الأعلم أوثق[1]، و كان صانع الشيء أعلم به من غيره، فكيف إذا كان مع ذلك تام العلم. قال الله[2] تعالى معللا لذلك "ان ربك" أي المحسن إليك "هو الخلّق" أي التام القدرة على الإيجاد و الإعدام، الفعال لذلك "العليم" البالغ العلم؛ و لما ختم بهذين الوصفين بعد تقدم الأخبار عما أوتي أهل الحجر من الآيات، و أنه خلق الوجود بالحق[3] لا بالتمويه، و كان ذلك موجبا لتوقع الإخبار عما أوتي هذا النبي الكريم منها لإرشاد امته. و كانت الآيات إما أن تكون من قسم الخلق كآية صالح، أو من قسم الأمر[4] الذي هو مدار العلم؛ أشار إلى تفضيله صلى الله عليه و سلم بفضل[5] آيته، فقال عاطفا على ذلك "و لقد آتيناك" أي [إن[5]] كنا آتينا صالحا أو غيره آية مضت فلم يبق إلا ذكرها فقد آتيناك[6] "سبعا من المثاني" هي الفاتحة التي[7] خصصت بها[7]، ثني فيها[8] البسملة للبادئ[9]، و الحمدلة للكمالات[10]، و الرحمانية و الرحيمية فيها للابداع الأول و المرضي من الإعمال، و ملك الدنيا المسمى بالربوبية لكونه[11] مستورا. و ملك يوم الدين، و بينهما رحمانية الإيجاد الثاني بالمعاد و رحيمية الثواب للمرضي[12] من الأسباب،

/٢٠٢

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: الاوثق (٢) سقط من ظ و م و مد.
(٣) في ظ: بالخلق (٤) من ظ و م و مد، و في الاصل: الا (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و في الاصل: كما.
(٧-٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: خصصت بهما (٨) في ظ: بها (٩) من ظ و م و مد، و في الأصل: للبارى (١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ: للكيلات.
(١١) في ظ: لكنه (١٢) من مد، و في الأصل و ظ: م: للرض مد (٥)

والعبادة التي لا تكون الا مع القدرة والاختيار، والاستعانة الناظرة إلى العجز[1] عن كمال الاقتدار، والهداية بالهادي والمهدي، والضلال في مقابل ذلك بالمضل والضال، وفي ذلك أسرار لا تسعها الأفكار "والقرآن العظيم" الجامع لجميع الآيات مع كونه حقا ثابتا لا سحرا وخيالا، بل هو آية باقية على وجه الدهر، مستمرا أمرها، دائما تلاوتها وذكرها، تفنى[2] الجبال الرواسي وهي باقية، وتزول السماوات والأراضي[3] وهي جديدة، إذا اصطف عسكر الفجرة قالت كل آية منها: هل من مبارز؟ وإن رام[4] عد ومطاولة لتحققه بالضعف[5] صاحت لدوام قوتها: إني أناجز[6]! فلا يقوم لها قائم، ولا يحوم[7] حول حماها حائم، ولا يروم خوض بحرها راثم.

ولما كانت هذه الآية لصاحبها مغنية، ولمن فاز بقبولها معجبة مرضية، حسن كل الحسن اتباعها بقوله "لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم"[8] ولما كان كفرهم بعد بيانها إنما هو عناد، قال تعالى "ولا تحزن عليهم" ولما كان الغنى بها ربما ظن حسن أنفة الغنى، عقبه قوله "واخفض جناحك للمؤمنين" ولما كان ربما ظن أن تلاوتها تغني عن الدعاء لاسيما لمن أعرض، نفى ذلك بقوله "وقل اني انا النذير

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: السحر (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: يفني (٣) في ظ: الارض (٤) من م، وفي الأصل و ظ و مد: دام.
(٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: الضعف (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اناضره - كذا (٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ: لايحول.
(٨) في ظ: بقوله، والعبارة من «حسن» إلى هنا تكررت في مد بعد «كان ربما ظن»

المبين" تحريضا على الاجتهاد في التحذير، تثبيتا للمؤمنين وإرغاما للعاندين، واستجلابا لمن أراد الله إسعاده[1] من الكافرين، إعلاما بأن القلوب بيد الله سبحانه وتعالى، فلا وثوق مع ذلك بمقبل، ولا يأس عن مدبر:

٥ ولما تم ذلك على هذا النظم الرصين، والربط الوثيق المتين، التفت الخاطر إلى حال من ينذرهم، وكان كفار قريش - في تقسيمهم[2] القول في القرآن واقتسامهم طرق مكة لإشاعة ذلك البهتان، تنفيرا[3] لمن أراد الإيمان - أشبه شيء بالمقتسمين على صالح عليه السلام، قال تعالى "كما" أي آتينا أولئك المقتسمين آياتنا فكانوا عنها معرضين، مثل ١٠ ما "انزلنا" آياتنا "على المقتسمين" أي الذين تقاسموا برغبة كبيرة واجتهاد في ذلك[4] "الذين جعلوا القرآن عضين" أي ذا[5] أعضاء أي أجزاء متفاصلة متباينة مثل[6] أعضاء الجزور إذا قطعت، جمع عضة مثل عدة[7] وأصلها عضوة "فوربك لنسئلنهم اجمعين" أي لا يمتنع علينا منهم أحد "عما كانوا يعملون فاصدع" أي[8] بسبب أمرنا لك بالإنذار ٥ وإخبارك أنا نسأل كل واحد عما عمل "بما تؤمر واعرض عن المشركين".

---

(١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: استبعاده (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: انفسهم (٣) من ظ و م و مد، وفي الأصل: متغيرا (٤) زيد بعده في الأصل: الى، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، وفي الأصل: اذا (٦) من ظ و م و مد، وفي الأصل: شيئا - كذا (٧) من م و مد، وفي الأصل و ظ: عده - كذا (٨) سقط من م و مد.

و لما كان هذا الصدع فى غاية الشدة عليه صلى الله عليه و على آله و سلم لكثرة ما يلقى عليه من الأذى / ، خفف عنه سبحانه بقوله معللا / ٢٠٣ له : ﴿ انا كفيناك ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ المستهزءين ﴾ أى شر الذين هم عريقون[1] فى الاستهزاء بك و بما جئت به ، فأقررنا عينك باهلاكهم ، و زال عنك ثقل ما آذوك به ، و بقى لك أجره ، و سنكفيك غيرهم كما كفيناكهم ، ثم وصفهم بقوله : ﴿ الذين يجعلون مع الله ﴾ أى مع ما رأوا من آياته الدالة على جلاله[2] ، و عظيم إحاطته و كماله ﴿ الها ﴾ .

و لما كانت المعية تفهم الغيرية ، ولا سيما مع التعبير بالجعل[3] ، وكان ربما تعنت [منهم متعنت - [4]] باحتمال التهديد على تألهه[5] سبحانه على سبيل التجريد[6] ، أو على دعائه باسم غير الجلالة ، لما ذكر المفسرون فى [قوله -[7]] "قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن" - [الآية - [4]] آخر سبحن ، زاد فى الصراحة بنفى كمال [كل - [4]] احتمال بقوله : ﴿ اخرج ﴾ قال البغوى[8] : قال ابن عباس رضى الله عنهما : سجد رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم بمكة ذات ليلة فجعل يقول فى سجوده : [يا الله -[9]] يا رحمن ،

---

(١) من م ، وفى الأصل : عريقين ، و فى ظ : غريقين ، وفى مد : غريقون (٢) فى مد : خلاله (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالجهل (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الهه (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : التجديد (٧) زيد من م (٨) راجع معالم التنزيل على هامش اللباب ١٥٤/٤ (٩) زيد من المعالم .

فقال ابوجهل : إن محمدا ينهانا[1] عن آلهتنا و هو يدعو إلهين ؟ فأنزل الله هذه الآية - يعنى آية سبحن ، و تسبب[2] عن أخذنا للمستهزئين - و كانوا أعتاهم[3] - أن يهدد الباقون بقولنا : ﴿فسوف يعلمون ۝﴾ أى يحيط علمهم بشدة بطشنا و قدرتنا على ما نريد ، ليكون وازعا لغيرهم ، أو يعلم المستهزؤن[4] و غيرهم عاقبة أمورهم فى الدارين[5] .

و لما كان صدعه صلى الله عليه و على آله و سلم بذلك على حد من المشقة عظيم و إن أربح من المستهزئين ، لكثرة من بقى ممن هو على مثل رأيهم ، قال يسليه و يسخى[6] بنفسه فيه : ﴿ و لقد نعلم ﴾ أى تحقق وقوع علمنا على ما لنا من العظمة ﴿ انك ﴾ أى على ما[7] لك من الحلم و سعة البطان[8] ﴿ يضيق صدرك ﴾ أى يوجد ضيقه و يتجدد ﴿ بما يقولون ۝ ﴾ عند صدعك لهم بما تؤمر ، فى حقك من قولهم : " يايها الذى نزل عليه الذكر " - إلى آخره ، و فى حق الذى أرسلك من الشرك و الصاحبة و الولد و غير ذلك ﴿فسبح﴾ بسبب ذلك ، ملتبسا ﴿ بحمد ربك ﴾ أى نزهه عن صفات النقص[9] التى منها الغفلة عما يعمل

(١) من ظ و م و مد و المعالم ، و فى الأصل : نهانا (٢) من م و مد ، و فى الأصل وظ : بسبب (٣) من م و مد ، وفى الأصل : اعياهم ، و فى ظ : اعناهم . (٤) من م و مد ، وفى الأصل وظ : المستهزيين (٥) فى م : القيامة ؛ و فى البحر ٥/٤٧ : " فسوف يعلمون " وعيد لهم بالمجازاة على استهزائهم وجعلهم إلها مع الله فى الآخرة كما جوزوا فى الدنيا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يسجن . (٧) سقط من م (٨) فى ظ : البطلان (٩) فى مد : النقض .

الظالمون ، مثبتا له صفات الكمال التى منها إعزاز الولى و إذلال العدو ﴿ وكن ﴾ أى كونا جبليا لا انفكاك له ﴿ من السجدين[1] ﴾ له ، أى[2] المصلين ، أى العريقين[3] فى الخضوع الدائم له بالصلاة التى هى[3] أعظم الخضوع له و غيرها من عبادته ، ليكفيك ما أهمك [فانه -[4]] لا كافى غيره ، فلا ملجأ[5] إلى سواه ، و عبر عنها بالسجود إشارة إلى شرفه و ما ينبغى من الدعاء فيه[6] لاسيما عند الشدائد ، فقد قال تعالى "و استعينوا بالصبر و الصلوة[7]" و روى أن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة - ذكره البغوى[8] بغير سند ، و هو فى مسند أحمد[9] و [سنن -[4]] أبى داود[10] عن حذيفة رضى الله عنه قال: كان النبى صلى الله عليه و على آله و سلم إذا حزبه أمر صلى . و فى سنن النسائى الكبرى و مسند أحمد[11] عن على رضى الله عنه [قال -[12]]: لقد رأيتنا ليلة بدر و ما فينا إنسان إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم فانه كان يصلى إلى شجرة[13] و يدعو حتى أصبح . و فى لفظ لأحمد[14]: [لقد رأيتنا و ما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه و سلم تحت

(١) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (٢) فى مد : الغريقين (٣) زيد فى مد : من (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى مد : فلا تلجا (٦) فى ظ : فيها (٧) سورة ٢ آية ٤٥ (٨) فى معالم التنزيل - راجع هامش اللباب ٤/٦٤ (٩) ٥/٣٨٨ (١٠) باب وقت قيام النبى صلى الله عليه و سلم من الليل - كتاب الصلاة (١١) ١ / ١٣٨ (١٢) زيد من ظ و م و مد و المسند (١٣) من م و مد و المسند ، و فى الأصل و ظ : سحره (١٤) ١/١٢٥ .

شجرة يصلى - [1]] و يبكى حتى أصبح . و لأحمد[2] و مسلم[3] و أبى يعلى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و على آله و سلم قال : أقرب ما يكون العبد من ربه و هو / ساجد . /٢٠٤

و لما أمره بعبادة خاصة ، اتبعه بالعامة فقال : ﴿ و اعبد ربك ﴾ أى دم على عبادة المحسن إليك بهذا القرآن الذى هو البلاغ بالصلاة و غيرها ﴿ حتى ياتيك اليقين ﴾ بما يشرح صدرك من الموت أو ما يوعدون به من الساعة أو[4] غيرها مما "يود الذين كفروا معه لو كانوا مسلمين" قال الرازى فى اللوامع : و هذا دليل على أن[5] شرف العبد فى العبودية ، و أن العبادة لا تسقط عن العبد بحال ما دام حيا - انتهى .

و قال البغوى[6] : و هذا معنى ما فى سورة مريم عليها السلام "و اوصنى بالصلوة و الزكوة ما دمت حيا[7]" . فقد انطبق آخر السورة - فى الأمر باتخاذ القرآن بلاغا لكل خير و الإعراض عن الكفار - على أولها [أتم -[8]] انطباق[9] ، و اعتنق كل من الطرفين[10] : الآخر و الأول أىّ اعتناق - و الله الموفق [11]للصواب ، و إليه المرجع و المآب[11] .

---

(١) زيد من ظ و م و مد و المسند (٢) راجع ٢/٤٢١ من مسنده (٣) راجع باب ما يقال فى الركوع و السجود من كتاب الصلاة (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل «و» (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : انه (٦) فى معالم التنزيل - راجع هامش اللباب ٤/٦٤ (٧) آية ٣١ (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انطبق (١٠) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

سورة النحل[1]

و تسمى سورة النعم

مقصودها الدلالة على أنه تعالى تام[2] القدرة و العلم، فاعل بالاختيار، منزه عن شوائب النقص، و أدل ما فيها على هذا المعنى أمر النحل لما ذكر من شأنها من[3] دقة الفهم فى ترتيب بيوتها و رعيها و سائر أمرها من اختلاف ألوان ما يخرج منها من أعسالها[4]، و جعله شفاء مع أكلها من الثمار النافعة و الضارة - و غير ذلك من الأمور، و وسمها [بالنعم - [5]] واضح فى ذلك - و الله أعلم.

﴿ بسم الله ﴾ المحيط بدائرة الكمال فما شاء فعل ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمت نعمته[6] جليل خلقه و حقيره[7] صغيره و كبيره ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص من شاء بنعمة النجاة مما يسخطه بما يرضاه.

لما ختم الحجر بالإشارة إلى إتيان اليقين، و هو صالح لموت الكل، و لكشف الغطاء باتيان ما يوعدون مما يستعجلون به استهزاء من العذاب

---

(١) السادسة عشرة من سور القرآن، و هى مكية مع الاختلاف الدائر حول استثناء بعض الآيات - كما فى روح المعانى ٤ / ٣٣٤، و تحتوى على مائة و ثمان و عشرين آية بالاتفاق - كما فى ثمر المرجان ٣ / ٤١٣ (٢) زيد فى مد: اكبر. (٣) فى ظ و مد: فى (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اغتيالها (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نعمة (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها.

فى الآخرة بعد ما يلقون فى الدنيا ، ابتدأ هذه بمثل [ذلك -[1]] سواء، غير أنه ختم تلك باسم الرب المفهم للاحسان لطفا بالمخاطب ، و افتتح هذه باسم الأعظم الجامع لجميع معانى الأسماء لأن ذلك أليق بمقام التهديد ، و لِما ستعرفه من المعانى المتنوعة فى أثناء السورة ، و سيكرر[2] هذا الاسم فيها تكريرا تعلم[3] منه صحة هذه [4]الدعوى . و عبر[4] عن الآتى بالماضى إشارة إلى تحققه تحقق ما وقع و مضى ، و إلى[5] أن كل آتٍ و لا بد قريب ، فقال تعالى : ﴿ اتى[6] امر الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الأسماء الحسنى، و الصفات العلى[7] ، بما يذل الأعداء ، و يعز الأولياء ، و يشفى صدورهم ، و يقر / أعينهم . /٢٠٥

و لما كانت العجلة نقصا[8] ، قال مسببا عن هـــذا الإخبار : ﴿ فلا تستعجلوه[1] ﴾ أيها الأعداء استهزاء ، و أيها الأولياء استكفاء [و استشفاء -[1]] ، و ذلك مثل ما أفهمه العطف فى قوله تعالى " و ما اهلكنا من قرية الا و لها كتب معلوم " كما تقدم ؛ و الضمير يجوز أن يكون لله و أن يكون للأمر .

و لما كان الجزم بالأمور المستقبلة لا يليق إلا عند نفوذ الأمر ، و لا نفوذ إلا لمن لا كفوء له ، و كانت العجلة[8] - و هى الإتيان بالشىء

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى مد : سيذكر (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعلم (٤-٤) فى ظ : الدعوة و (٥) فى ظ : ان (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العليا (٧) زيد فى ظ : قيل (٨) زيد بعده فى الأصل : و هى العجلة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

قبل

قبل حينه الأولى به - نقصا ظاهرا لا يحمل عليها إلا ضيق الفطن ، و كان التأخير لا يكون إلا عن منازع مشارك ، نزه نفسه [سبحانه -[1]] تنزيها مطلقا جامعا بقوله تعالى : ﴿ سبحنه ﴾ أى تنزه عن الاستعجال و عن جميع صفات النقص ﴿و تعلى﴾ أى تعاليا عظيما جدا ﴿عما يشركون ۝﴾ أى يدعون أنه شريك [له -[2]] ، فلا مانع له مما يريد فعله ، و ساقه ٥ - [3]فى غير قراءة حمزة و الكسائى[3] - فى[4] أسلوب الغيبة ، إظهارا[5] للاعراض الدال على شدة الغضب ، و هى ناظرة إلى قوله آخرَ التى قبلها "و اعرض عن المشركين" و قوله " الذين يجعلون مع الله الها اٰخر" و قد آل الأمر فى نظم الآية إلى أن[6] صار كأنه قيل : إنه لا يعجل لأنه منزه[7] عن النقص ، و لا بد من إنفاذ أمره لأنه متعالٍ عن الكفوء ؛ أو يقال : لا[8] تستعجلوه ١٠ لأنه تنزه عن النقص فلا يعجل ، و تعالى عن أن يكون له كفوء يدفع ما يريد فلا بد من وقوعه ، فهى واقعة موقع التعليل لصدر الآية كما أن صدر الآية تعليل لآخر سورة[9] الحجر .

و لما تقرر بذلك تنزهه عن كل نقص : شرك و غيره ، شرع يصف نفسه سبحانه بصفات الكمال من الأمر و الخلق ، و لما كان[9] الأمر أقدم ١٥ و أعلى ، بدأ به ، و لما كان من[10] أمره إنزال الملائكة على الصورة التى

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقين من م .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اظهار (٦) فى مد : انما (٧) من م و مد ، و فى الأصل : نزهه ، و فى ظ : منزله .
(٨) فى م : فلا (٩) سقط من ظ (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ممن .

طلبوها فى قولهم ["لو - [1]] ما تأتينا بالملئكة" - الآية ، و قص عليهم فى سورة ابرهيم و لوط عليهما السلام ما يترتب على إنزالهم مجتمعتين ، و فهم منه أن [لهم - [2]] فى نزولهم حالة أخرى لاتنكرها الرسل ، و هى حالة الإتيان إليهم بالعلم الذى نسبته إلى الأرواح [نسبة الأرواح - [2]] إلى الأشباح ، وكان ذلك ربما أثار لهم اعتراضا يطلبون [به - [2]] الفرق[3] بينهم و بين الرسل فى إنزالهم عليهم دونهم - كما تقدم فى الحجر ، وكان ما يشركون به لاتصرف له[4] [أصلا - [5]] بانزال و لاغيره ، قال تعالى مشيرا إلى ذلك و إلى [أن - [2]] الوحى[6] بواسطة الملك ، و أن النبوة عطائية [7] لاكسبية [7] : ﴿ ينزل الملئكة ﴾ الذين[8] هم الملأ الأعلى ﴿ بالروح ﴾ أى المعنى الأعظم الذى هو للأرواح[9] بمنزلة الأرواح للأشباح ﴿ من امره ﴾ الذى هو كلامه[10] المشتمل على الأمر و النهى "الا له الخلق و الامر" و هو [مما - [2]] تميز[11] به لحقيته[12] و إعجازه عن جميع المخلوقات ، فكيف [بما - [13]] لا يعقل منها كالأصنام !

(١) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الغرض (٤) فى مد : لهم (٥) زيد من مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الموصى (٧-٧) فى ظ : عطا منه لا كسبيه ، و فى مد ، عطاء الله لا كسبه (٨) فى مد : الذى (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الأرواح (١٠) فى ظ : كلام (١١) من م و مد ، و فى الأصل : يميز ، و فى ظ : مشميز (١٢) فى ظ و مد : لحقيقته (١٣) زيد من م و مد .

﴿على من يشآء من عبادهٖ﴾ دون بعض ، لأن ذلك نتيجة فعله بالاختيار[١] ، و أبدل من الروح أو فسر الإنزال بالوحى لأنه متضمن معنى القول [فقال -[٢]] : ﴿ان انذروآ﴾ أى الناس سطواتى ، فانها[٣] لامحالة نازلة بمن أريد إنزالها به ، بسبب ﴿انه لآ اله الآ انا﴾ و عبر بضمير المتكلم[٤] لأنه أدل على المراد لكونه أعرف ؛ و سبب عن وحدانيته التى هى منتهى ٥ كمال القوة[٥] العلمية قوله آمرا بما هو أقصى كمال القوة العملية[٦] : ﴿فاتقون﴾ أى فليشتد خوفكم منى و أخذكم لما[٧] يكون وقاية لكم من عذابى ، فانه لا مانع مما أريد ، فمن علمت أنه أهل للنقمة[٨] أنزلتها به ، و من علمته[٩] أهلا لتلقى الروح[١٠] منحته إياه .

و لما وحد نفسه ، دل على ذلك بقوله ، شارحا لإيجاده أصول ١٠ العالم و فروعه على وجه الحكمة[١١] : ﴿خلق السمٰوٰت﴾ أى [١٢]التى هى[١٢] السقف المظل ﴿و الارض﴾ / أى [التى -[٢]] هى البساط المقل[١٣] / ٢٠٦

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالاخبار (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فانه (٤) فى م و مد : التكلم (٥) زيد بعده فى مد : له - كذا (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العلمية (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للنعمة (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : علمه انه - كذا (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الارواح (١١) فى ظ : الحكم (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المضل .

﴿ بالحق ﴾ اى بالأمر المحقق الثابت ، لا بالتمويه و التخييل " الا له الخلق و الامر " .

و لما كان ذلك من صفات الكمال المستلزمة لنفى النقائص ، و كان قاطعا فى التنزه عن الشريك ، لأنه لو كان ، لزم إمكان الممانعة ، فلزم العجز[1] عن المراد ، [2]أو وجود[2] الضدين المرادين لهما ، و كل منهما محال ، فامكان الشريك محال ، و لأنهما[3] و كل ما فيهما[4] ملكه و فى تصرفه ، لا نزاع لمن أثبت الإله فى ذلك ، تلاه بقوله - نتيجة لذلك دالة[5] على أنه تعالى ليس من قبيل الأجرام[6] : ﴿ تعلى ﴾ أى تعاليا فات[7] الوصف ﴿ عما يشركون ٥ ﴾ - عريا عن افتتاحه بالتنزيه كالأولى .

و لما كان [خلق السماوات و الأرض غيبا لتقدمه ، و كان - [8]] خلق الإنسان على هذه الصفة شهادة ، مع كونه أدل على ذلك من حيث أنه أشرف من كل ما يعبده من دون الله ، و لن[9] يكون [الرب - [8]] أدنى من العبد أصلا ، قال معللا : ﴿ خلق الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى خلقه أدل ما يكون على الوحدانية و الفعل بالاختيار ، لأنه أشرف[10] ما فى

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المعجز (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : اوجود (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لانها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيها (٥) من م و مد ، و فى الأصل : دال ، و فى ظ : دالا (٦) العبارة من « و لأنهما و كل » إلى هنا تقدمت فى ظ على « لأنه لو كان » بالإضافة إلى تقديم و تأخير فيها (٧) فى ظ : فاته (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : ان (١٠) فى ظ : لاشرف .

العالم السفلى من الأجسام لمشاركته للحيوان الذى هو أشرف من غيره بالقوى الشريفة من الحواس الظاهرة و الباطنة[١]، و الشهوة و الغضب، [و-[٢]] اختصاصه بالنطق الذي هو إدراك الكليات و التصرف فيها بالقياسات ﴿ من نطفة ﴾ أى آدم عليه السلام من مطلق[٣] الماء، و من تفرع منه بعد زوجه من ماء مقيد بالدفق . ٥

و لما كان - مع مشاركته لغيره من الحيوان فى كونه من نطفة - متميزا بالنطق المستند إلى ما فى نفسه من عجائب الصنع و لطائف الإدراك، كان ذلك أدل دليل على كمال قدرة الفاعل و اختياره، فقال تعالى: ﴿فاذا هو﴾ أى[٤] الإنسان المخلوق من الماء المهين ﴿ خصيم﴾ أى منطيق عارف بالمجادلة ﴿ مبين ﴾ أى بين القدرة على الخصام، و موضح لما ١٠ يريده غاية الإيضاح بعد أن كان ما لا حس به و لاحركة اختيارية عنده بوجه، أفلا[٥] يقدر الذى ابتدأ [ذلك -[٢]] على إعادته!

و لما صار التوحيد بذلك كالشمس، وكان كل[٦] ما فى الكون - مع أنه دال على الوحدانية - نعمة على الإنسان يجب عليه شكرها، شرع يعدد[٧] ذلك تنبيها له على وجوب الشكر بالتبرؤ من الكفر، فقال مقدما ١٥ الحيوانات لأنها أشرف من غيرها، و قدم منها ما ينفع الإنسان لأنه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الباهرة (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نطفة (٤) سقط من م (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلا (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لكل (٧) من م، و فى الأصل و ظ و مد: بعد.

أجلّ من غيره. مبتدئا بما هو[1] أولاها بالذكر لأنه أجلّها منفعة فى ضرورات المعيشة و ألزمها[2] لمن أنزل الذكر بلسانهم: ﴿ و الانعام ﴾ أى الأزواج الثمانية: الضأن و المعز و الإبل و البقر ﴿خلقها ج﴾ غير ناطقة و لا مبينة مع كونها أكبر منكم خلقا و أشد قوة.

٥ و لما كان أول ما يمكن أن يلقى الإنسان عادة من نعمها اللباس، بدأ به، فقال على طريق الاستئناف: ﴿لكم فيها دفء﴾ أى ما يدفأ به فيكون منه[3] حر معتدل من حر البدن الكائن بالدثار بمنع[4] البرد، و ثنى بما يعم جميع نعمها التى منها اللبن فقال: ﴿ و منافع ﴾ ثم ثلث بالأكل لكونه بعد ذلك فقال تعالى[5]: ﴿و منها تاكلون ج ﴾ و قدم الظرف دلالة

١٠ على أن الأكل من غيرها بالنسبة إلى الأكل منها مما لا يعتد به، ثم ثلاه بالتجمل لأنه النهاية لكونه للرجال فقال تعالى[5]: ﴿ و لكم ﴾ أى أيها الناس خاصة ﴿ فيها ﴾ أى[6] الأنعام ﴿ جمال ﴾ أى عظيم.

و لما كان القدوم أجل نعمة و أبهج[7] من النزوح، قدمه فقال: ﴿ حين تريحون ﴾ بالعشى من المراعى[8] و هى عظيمة الضروع طويلة

١٥ الأسنمة ﴿و حين تسرحون ج﴾ بالغداة من المُراح[9] إلى المراعى، فيكون

---

(١) سقط من ظ (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انزلها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معه (٤) فى ظ و مد: يمنع (٥) سقط من ظ و م و مد.
(٦) زيد بعده فى الأصل: انها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٧) من م و مد، و فى الأصل: انهج، و فى ظ: اباج (٨) فى ظ: المرعى.
(٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المراحى.

لها فى هاتين الحالتين من الحركات منها و من رعاتها و من الحلب و التردد لاجله و تجاوب الثغاء و الرغاء أمر عظيم و أنس لاهلها[1] كبير .

و لما كانت الأسفار بعد ذلك ، تلاه بقوله تعالى[2] : ﴿ و تحمل ﴾ أى الأنعام ﴿ اثقالكم ﴾ / أى أمتعتكم مع[3] المشقة ﴿ الى بلد ﴾ أى غير بلدكم أردتم[4] السفر إليه ﴿ لم تكونوا ﴾ - أى كونا أتم مجبولون عليه - قادرين على حملها إليه ، و تبلغكم - [5]بحملها لكم[5] - إلى بلد لم تكونوا ﴿ بلغيه ﴾ بغير الإبل ﴿ الا بشق ﴾ أى بجهد و مشقة و كلفة ﴿ الانفس[6] ﴾ و يجوز أن يكون المعنى : لم تبلغوه بها ، فكيف لو لم تكن موجودة ؛ و الشق : أحد نصفى الشىء ، كأنه كناية عن ذهاب نصف القوة لما يلحق من الجهد و الآية من الاحتباك : ذكر حمل الأثقال أولا دليلا على حمل الأنفس ثانيا ، و ذكر مشقة البلوغ ثانيا دليلا على مشقة [الحمل -[6]] أولا .

/ ٢٠٧

و لما كان [هذا -[6]] كله من الإحسان [فى -[6]] التربية ، و لا يسخره للضعيف[7] إلا البليغ فى الرحمة ، و كان من الناس من [له من -[6]] أعماله سبب لرضى[8] ربه ، و منهم من أعماله[9] كلها فاسدة ،

---

(١) من ظ و م و مد ، فى الأصل : لاجلها (٢) سقط من م و مد (٣) فى ظ : من ، و هذه الكلمة مع ما يتلوها ساقطة من م (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ادركتم (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للضيف (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كرضى (٩) و العبارة من « سبب لرضى » إلى هنا متكررة فى ظ .

قال: ﴿ ان ربكم ﴾ أى الموجد [لكم - ٣] و المحسن إليكم ﴿ لرءوف ﴾ أى بليغ[٢] الرحمة لمن يتوسل إليه بما يرضيه ﴿ رحيم ﴾ أى بليغ الرحمة بسبب و بغير سبب .

و لما كانت الأنعام أكثر أموالهم ، مع أن منافعها [٣] أكثر ، بدأ بها ، ثم ثنى بما [هو - ١] دونها ، مرتبا له على الأشرف فالأشرف ، فقال تعالى : ﴿ [٤] و الخيل [٤] ﴾ أى الصاهلة ﴿ و البغال ﴾ أى المتولدة [٥] بينها و بين [٥] الحمر ﴿ و الحمير ﴾ أى الناهقة .

و لما كان الركوب فعل المخاطبين ، و هو المقصود بالمنفعة ، ذكره باللام التى هى الأصل فى التعليل فقال : ﴿ لتركبوها ﴾ و لما كانت الزينة تابعة للنفعة ، و كانت فعلا[٦] لفاعل[٧] الفعل[٨] المعلل ، نصبت عطفا على محل ما قبلها فقال : ﴿ و زينة [٤] ﴾ .

و لما دل على[٩] قدرته بما ذكر فى سياق الامتنان ، دل[١٠] على أنها لا تتناهى فى ذلك السياق ، فنبه على أنه خلق لهم أمورا لو عدها لهم لم يفهموا المراد منها لجهلهم بها ، و لعلها[١١] أجل منافع مما ذكر فقال : ﴿ و يخلق ﴾ [أى - ١٢] على سبيل التجديد[١٣] و الاستمرار فى الدنيا

---

(١) زيد من م و مد (٢) فى ظ : لبليغ (٣) العبارة من هنا إلى « فالأشرف فقال تعالى » ساقطة من ظ (٤-٤) تأخر فى الأصل عن « الصاهلة » (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و بين بينهما - كذا (٦) فى ظ : فعل (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الفاعل (٨) سقط من ظ (٩) زيد فى الأصل بعده : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ادل (١١) فى ظ : لعل (١٢) زيد من ظ و م و مد (١٣) من م و مد ، و فى الأصل : التحذير ، و فى ظ : التجريد .

و الآخرة ﴿ما لا تعلمون ﴾ فلا تعلمون[1] [له - [2]] موجدا غيره و لا مدبرا سواه.

و لما كانوا فى أسفارهم و اضطرابهم فى المنافع بهذه الحيوانات و غيرها يقصدون أسهل الطرق و أقومها و أوصلها إلى الغرض، و من عدل عن ذلك كان عندهم ضالا سخيف[3] العقل غير مستحق للعد فى ٥ عداد النبلاء، نبههم على [أن - [2]] ما تقدم فى هذه السورة قد بين الطريق الأقوم الموصل إليه سبحانه بتكفله[4] ببيان أنه واحد قادر عالم مختار، و[5] أنه هو المنعم، فوجب اختصاصه بالعبادة، و أخبرهم سبحانه أنه أوجب هذا البيان على نفسه فضلا منه فقال تعالى[6]: ﴿ و على ﴾ أى قد[6] بين لكم الطريق الأمم[7] و على ﴿ الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء ١٠ ﴿ قصد السبيل ﴾ أى بيان الطريق العدل، و على الله بيان الطريق الجائر حتى لا يشك فى شىء منهما، فان الطريق المعنوية كالحسية، منها مستقيم من سلكه اهتدى ﴿ و منها جآئر[8] ﴾ من سلكه ضل عن الوصول فهلك " و ما كان الله ليضل قوما بعد اذ هدٰهم " - الآية[8] " و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا[9] " فالآية من الاحتباك: ذكر أن عليه بيان القصد ١٥ أولا دلالة على حذف أن عليه بيان الجائر ثانيا، و ذكر أن من الطرق

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يعلمون (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ: خسيف (٤) من م، و فى الأصل و ظ و مد: بتكلفه (٥) فى ظ «او». (٦) سقط من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاتم (٨) ١١٥ من سورة ٩ (٩) آية ١٥ سورة ١٧.

الجائر ثانيا دلالة على حذف أن منها المستقيم أولا ، [1] و تعبير الأسلوب . لبيان أن المقصود بالذات إنما هو بيان[2] النافع . و مادة [قصد - [3]] تدور على العدل السواء . و منه القصد ، أى الاستقامة ، و استقامة الطريق من غير تعريج[4] ، و ضد الإفراط كالاقتصاد . و رجل ليس بالجسيم ٥ و لا بالضئيل ، و ذلك لا يكون إلا عن إرادة و توجه ، فاطلاق القصد على العزم مستقيما كان أو جائرا ، إذا قلت : قصدته - بمعنى أتيته أو أممته و نويته ، من دلالة الالتزام ، و كذا القصد بمعنى الكسر بأىّ / وجه كان ، ٢٠٨ / و قيل : لا يقال : قصد ، إلا إذا كان بالنصف ، و القصيد[5] : ما تم شطر أبياته ، لأن ذلك أعدل حالاته ، قال فى القاموس : ثلاثة أبيات فصاعدا ١٠ أو[6] ستة عشر فصاعدا[7] ؛ و قال الإمام أبو الفتح عثمان بن جنى فى آخر كتابه المغرب[8] فى شرح القوافى : فالبيت على ثلاثة أضرب : قصيد ، و رمل ، و رجز . فأما القصيد فالطويل التام ، و البسيط التام ، [9] و الكامل التام ، و المديد التام ، و الوافر التام ، والرجز التام ، و الخفيف التام[9] ، و هو كل ما تغنى به الركبان ، و[10] معنى قولنا : المديد التام و الوافر التام[11] :

---

(١) العبارة من هنا إلى « بيان النافع » ساقطة من م و مد (٢) من ظ ، و فى الأصل : لبيان (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ : تصريح (٥) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : القصد (٦) من ظ و القاموس . و فى الأصل و ظ و مد « و » (٧) العبارة إلى هنا من «قال فى» ساقطة فى م ، و من « أو ستة » ساقطة من مد (٨) من هدية العارفين ١ / ٦٥٢ ، و فى النسخ كلها : المعرب (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من م و مد و لسان العرب [قصد] . و فى الأصل و ظ : هو (١١) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد و اللسان فحذفناها .

تزيد أتم[1] ما جاء منهما فى الاستعمال، أعنى الضربين الأولين منهما، فأما أن يجيئا[2] على أصل وضعهما[3] فى دائرتيهما[4] فذلك مرفوض مطرح؛ و القصيد: المخ[5] السمين أو دونه، و العظم الممخ، و الناقة السمينة بها نقى، و السمين من الأسنمة - لأن[6] بهذا الحال [استقامة -[7]] كل ما ذكر، و كذا القاصد[8]: القريب، و بيننا و بين الماء ليلة قاصدة، أى هينة السير[9]، لأنه أقرب إلى الاستقامة، و منه قصدت كذا - إذا اعتمدته و أممته و توجهت إليه سواء كان [ذلك -[10]] عدلا أو جورا، و انقصد الرمح - إذا انكسر على السواء، كأنه مطاوع قصده، [و الواحدة من تلك الكسر قصدة -[7]] بالكسر، و رمح قصد - ككتف[11]: متكسر، و القصد - بالتحريك: العوسج - لأنه سريع التكسر، و الجوع - لأن الجائع قاصد لما يأكله[12] متوجه إليه، و القصد[13]: مشرة[14] العضاه تخرج فى أيام الخريف لدنة[15] تثنى فى أطراف الأغصان، و هى خوصة تخرج

(١) من ظ و م و مد و اللسان، و فى الأصل: انه (٢) من مد و اللسان، و فى الأصل و ظ و م: يجى (٣) من م و مد و اللسان، و فى الأصل و ظ: وصفهما (٤) من اللسان، و فى النسخ: دائرتها (٥) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: الحم (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: القاصل (٩) فى مد: السرير (١٠) زيد من م و مد (١١) فى القاموس، و فى النسخ كلها: ككتب (١٢) فى ظ و م و مد: ياكل (١٣) فى ظ و م و مد: القصدة - كذا (١٤) من م و مد و القاموس، و فى الأصل: مشر، و فى ظ: المشرة (١٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لمدته.

فيها ، و في كثير من الشجر في تلك الأيام ، أو هي الأغصان ، أو هي الأغصان الرطبة قبل أن تتلون و تشتد[١] - سميت بذلك لخروجها و توجهها إلى منظر العين ، أو[٢] توجه النظر إليها للسرور بها ، و القصيد[٣]: العصا - لأنها تقصد و يقصد بها ، و أقصد السهم: أصاب فقتل مكانه، و أقصد فلانا: طعنه فلم يخطئه ، و الحية: لدغت فقتلت - يمكن ان يكون ذلك من الاستقامة لأن قصد فاعله القتل ، فكأنه استقام قصده بنفوذه، و يمكن أن يكون من السلب [أي -[٤]] أنه أزال[٥] الاستقامة لأن من مات فقد زالت استقامة حياته ، و منه المقصد كمخرج ، و هو من يمرض و يموت سريعا ، و القصيد بمعنى اليابس من اللحم - فعيل بمعنى مفعل ، أي أقصد فزالت استقامته بأن هلك جفافا يبسا .

و الصدق ضد الكذب ، و هو من أعدل العدل و [٦]اقوم القصد[٦] ، [و الصدق -[٧]]: الشدة[٨] ، إذ بها يمتحن الصادق من الكاذب ، و منه رجل صدق ، أي يصدق[٩] ما يعزم [عليه -[٤]] أو يقوله بفعله ، فهو شديد العزم سديد[١٠] الأمر ، و الصديق - كأمير: الحبيب الذي يصدق قوله في الحب بفعل ، والمصادقة و الصداق - بالكسر: المخالة كالتصادق ، والصيدق - كصيقل:

---

(١) زيدت الواو بعده في الأصل و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل «و» (٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : القصد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) في ظ : إزاله (٦-٦) في ظ : الصدق (٧) زيد من ظ و م (٨) من م و مد و القاموس ، و في الأصل : الشر ، و الكلمة ساقطة من ظ (٩) من م و مد ، و في الأصل : مصدق ، و في ظ : تصدق (١٠) من م ، و في الأصل و ظ و مد : شديد .

الأمين - لأنه مصدق في[1] قوله، و الملك - لأن[2] محله يقتضي الصدق لعدم حاجته إلى الكذب، و القطب - لأنه أصدق النجوم دلالة لثباته، و قال أبو عبد الله القزاز: هو اسم للسها، و هو النجم الخفي الذي منع بنات نعش، و الصدق - بالفتح: الصلب المستوي من الرماح - لأنه يصدق ظن الطاعن به، و كذا من الرجال، و الكامل من كل شيء؛ ٥ و[3] رجل صدق اللقاء و النظر، و[4] مصداق الشيء: ما يصدقه، و شجاع[5] ذو مصدق - كمنبر: صادق الحملة، أي شديدها، و الصدقة - محركة: ما أعطيته في ذات الله لأنها تصدق دعوى الإيمان لدلالتها على شدة العزم فيه، [و الصدقة - بضم الدال و سكونها: مهر المرأة لأنه يصدق العزم فيه -[6]] و كسكيت: الكثير الصدق، و صدقت الله حديثا إن[7] / لم أفعل كذا - ١٠ / ٢٠٩ يمين لهم، أي لا صدقت، و فعله غب صادقة، أي بعد ما تبين له الأمر، و صدقه تصديقا - ضد كذبه، و الوحشي: عدا و لم يلتفت لما حمل عليه، و المصدق - كمحدث: آخذ الصدقات، و المتصدق: معطيها.

و لما كان أكثر الخلق ضالا، كان ربما توهم متوهم أنه خارج عن الإرادة، فنفى هذا التوهم بقوله - عطفا على ما تقديره: فمن شاء ١٥ هداه قصد السبيل، و من شاء أسلكه[8] الجائر، و هو قادر على ما يريد

(١) في مد: من (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: لانه (٣) من م و مد و القاموس، و في الأصل و ظ: هو (٤) سقطت الواو من ظ (٥) في م: شجاع (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: اذا (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: سلكه.

من الهداية و الإضلال[1] - : ﴿ و لو شآء ﴾ هدايتكم ﴿ لهديكم اجمعين ﴾ بخلق الهداية فى قلوبكم بعد بيان الطريق القصد ، و لكنه لم يشأ ذلك لحكمكم قسمين .

و لما كان ما مضى [كفيلا -] بيان [أنه -] الواحد المختار ، شرع[4] يوضح ذلك بتفصيل الآيات إيضاحا يدعه[5] فى أتم انكشاف فى سياق مجدد للنعم مذكر[6] بها داع إلى شكرها ، فقال بعد ما دل به من[7] الإنسان و ما يليه فى[8] الشرف من الحيوان مبتدئا بما يليهما فى[8] الشرف من النبات الذى هو قوام حياة الإنسان و ما به قوام حياته من الحيوان : ﴿ هو ﴾ لا غيره[9] مما تدعى[9] فيه الإلهية ﴿ [10]الذى انزل[10] ﴾ [أى بقدرته الباهرة -] ﴿ من السمآء ﴾ قيل : نفسها ، و قيل : جهتها ، و قيل : السحاب - كما هو مشاهد[11] ﴿ مآء ﴾ أى واحدا تحسونه[12] بالذوق و البصر ﴿ لكم[13] منه ﴾ [أى خاصة -] ﴿ شراب ﴾ ظاهر على وجه الأرض من العيون و الأنهار و الغدران و غيرها .

---

(١) فى ظ : الضلال (٢) فى ظ : لكن (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شرح (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يدعيه . (٦) فى ظ : مذكور (٧) زيد بعده فى الأصل و ظ و مد : ان ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما يدعى (١٠-١٠) ما بين الرقمين تقدم فى الأصل فقط على « لا غيره » (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شاهد (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : محسوبه (١٣) تقدم فى الأصل فقط على « تحسونه » .

و لما كان أول ما يقيم الآدمى شراب اللبن الناشئ عن[1] الماء فقدمه[2]، أتبعه ما ينشأ منه أشرف أغذيته و هو الحيوانى[3]، فقال تعالى[4]: ﴿و منه شجر﴾ لسريانه فى الأرض الواحدة و اختلاطه[5] بها، فينعقد من ذلك نبات[6] ﴿فيه تسيمون ۝﴾ أى ترعون على سبيل الإطلاق ليلا و نهارا ما خلق لكم من البهائم، و الشجر هنا - بما أفهمته الإسامة - [عام -[7]] لما يبقى فى الشتاء حقيقة، و لغيره مجازا؛ قال القزاز: الشجر ما بقى له ساق [فى الشتاء[8] إلى الصيف، ثم يورق، و البقل ما لا يبقى له ساق -[9]]، قال الخليل: جل الشجر عظامه و ما يبقى منه فى الشتاء، و دقه صنفان: أحدهما تبقى له أرومة فى الأرض [فى -[7]] الشتاء، و ينبت[10] فى الربيع، و منه ما ينبت من الأرض كما تنبت البقلة، و الفرق بينه و بين البقل أن الشجر يبقى[11] له أرومة على الشتاء و لا يبقى للبقل، و عن أبى حنيفة رضى الله عنه أن النبات ثلاثة أقسام: شجر و هو ما يبقى فى الشتاء، و لا يذهب فرعه و لا أصله، و ما نبت فى بزر و لم ينبت فى أرومة ثابتة فهو[12] البقل، و ما نبت فى أرومة - أى أصل - و كان مما يهلك فرعه [و أصله -[13]] فى الشتاء فهو الجنبة، لأنه فارق الشجر الذى

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٢) سقط من ظ (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحيوان (٤) سقط من م و مد (٥) فى ظ: انخلاطه (٦) فى م: شجر (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد فى ظ: حقيقة و (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تنبت (١١) فى مد: تبقى (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و هو (١٣) زيد من مد.

يبقى[1] فرعه و أصله ، و البقل[2] الذى يبيد[3] فرعه و أصله ، فكان جنبة بينهما .

و لما كان الشجر عاما ، شرع سبحانه يفصله [تنويعا ـ[4]] للنعم و تذكيرا بالتفاوت[5] ، إشارة إلى [أن ـ[4]] الفعل بالاختيار ، فقال مبتدئا بالأنفع فالأنفع فى القوتية و الائتدام و التفكه : ﴿ ينبت ﴾ أى [هو ـ[4]] سبحانه ﴿ لكم ﴾ أى خاصة ﴿ به ﴾ مع كونه واحدا فى أرض واحدة ﴿ الزرع ﴾ الذى تشاهدونه من [أقل الشجر مكثا و أصغره قدرا ﴿ و الزيتون[6] ﴾ الذى ترونه من ـ[4]] أطول[7] الأشجار عمرا و أعظمها قدرا .

و لما كانت[8] المنافع كثيرة فى شجر التمر ، سماه باسمه فقال تعالى : ﴿ و النخيل ﴾ و لما كانت المنفعة فى الكرم بغير ثمرته تافهة ، قال تعالى : ﴿ و الاعناب ﴾ و هما من أوسط ذلك ﴿ و من كل الثمرت[9] ﴾ و أما كلها فلا يكون إلا فى الجنة ، و هذا الذى فى الأرض بعض من ذلك الكل مذكر به و مشوق إليه ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الماء العظيم المحدث عنه و عن فروعه[9] ، أو فى إنزاله على الصفة المذكورة ﴿ لأية ﴾ بينة على أن / فاعل ذلك تام القدرة يقدر[10] على الإعادة كما قدر على الابتداء ، ٢١٠ /

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبقى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الفعل (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بينه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التفاوت (٦) لا يتضح فى ظ . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طول (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان (٩) بياض فى ظ (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعدد .

و أنه مختار يفعل ذلك فى الوقت الذى يريده . .

و لما كان ذلك مما يحس ، و كان شغل الحواس بمنفعته[1] - لقربه و سهولة ملابسته - ربما[2] شغل عن[3] الفكر فى المراد [به-[4]] ، فكان التفطن لدلالته يحتاج إلى فضل تأمل و دقة نظر ، قال تعالى : ﴿ لقوم يتفكرون ﴾ أى فى أن وحدته و[5] كثرة ما[5] يتفرع عنه دليل على وحدة صانعه و فعله بالاختيار ، [6]و أفرد[6] الآية لوحدة المحدث عنه ، و هو الماء - كما قال تعالى فى آية[7] "تسقى بماء واحد" و سيأتى فى آية النحل كلام [الإمام - [4]] أبى الحسن الحرالى فى هذا .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : هذه السورة فى التحامها بسورة الحجر [8]مثل الحجر[8] بسورة ابرهيم من غير فرق ، لما قال [تعالى - [9]] "فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون" و قال تعالى بعد ذلك فى وعيد المستهزئين "فسوف يعلمون" أعقب هذا ببيان تعجيل الأمر فقال تعالى "أتى امر الله فلا تستعجلوه" و زاد هذا بيانا قوله "سبحنه و تعلى عما يشركون" فنزه سبحانه نفسه عما فاهوا به فى استهزائهم و شركهم و عظيم بهتهم . و أتبع ذلك تنزيها و تعظيما فقال تعالى "خلق السموت

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : منفعته (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و ما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٤) زيد من ظ و م و مد (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل : كثرته مما ، و فى ظ : كثرته ما - كذا (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فافرد (٧) ٤ من الرعد . (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) [illegible] من م و مد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : تنكرهم ، و فى ظ : شكرهم .

و الارض بالحق تعلى عما يشركون" ثم اتبع ذلك بذكر[1] ابتداء [خلق الإنسان و ضعف جبلته -[2]] "خلق الانسان من نطفة" ثم أبلغه تعالى حدا يكون فيه الخصام و المحاجة ، كل ذلك ابتلاء منه و اختبارا[3] ليميز[4] الخبيث من الطيب ، و أعقب هذا بذكر بعض ألطافه فى خلق الأنعام

٥ و ما جعل[5] فيها من المنافع المختلفة . و ما هو سبحانه [عليه -[2]] من الرأفة و الرحمة اللتين بهما أخر العقوبة عن مستوجبها[6] ، و هدى من لم يستحق الهداية [بذاته -[2]] بل كل هداية فبرأفة الخالق و رحمته[7] ، ثم أعقب ما ذكره بعدُ من[8] خلق الخيل و البغال و الحمير و ما فى ذلك كله بقوله "و لو شاء لهديكم اجمعين" فبين أن كل الواقع من هداية

١٠ و ضلال خلقه و فعله[9] ، و أنه أوجد الكل من واحد . و ابتدأهم ابتداء واحدا "خلق الانسان من نطفة" [10]فلا بعد فى[10] اختلاف غاياتهم بعد ذلك ، فقد أرانا سبحانه مثال هذا الفعل و نظيره فى قوله "هو الذى[11] انزل من السماء ماء لكم منه شراب و منه شجر - إلى قوله : لآية لقوم يتفكرون" - [انتهى -[2]] .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مذكر (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣) فى مد : اختبار (٤) من م و مد ، و فى الأصل : لتميز ، و فى ظ : لتميز . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حصل (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مستوجبها (٧) من م و مد . و فى الأصل و ظ : برحمته (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فضله . (١٠ - ١٠) من م و مد ، و فى الأصل : فلا بد من ، و فى ظ : فلا بعد من . (١١) سقط من ظ .

و لما كان [ربما -[1]] قال بعض الضلال : إن هذه الأشياء مستندة إلى تأثير الأفلاك ، نبه على أنها لاتصلح لذلك بكونها متغيرة فلا بد لها من قاهر أثر [فيها -[1]] التغير ، و لايزال الأمر كذلك إلى أن ينتهى إلى واحد قديم فاعل بالاختيار ، لما تقرر من بطلان التسلسل . فقال تعالى : ﴿وسخر لكم﴾ أى أيها الناس لإصلاح أحوالكم ﴿اللَّيل﴾ للسكنى ٥ ﴿و النهار﴾ للابتغاء ؛ ثم ذكر آية النهار فقال تعالى : ﴿و الشمس﴾ أى لمنافع [2]اختصها بها[2] ، ثم [ذكر -[3]] آية الليل [فقال -[4]] : ﴿و القمر﴾ لأمور علقها به ﴿و النجوم﴾ أى لآيات نصبها لها ، ثم نبه على تغيرها بقوله : ﴿مسخرٰت﴾ أى بأنواع التغير لما خلقها له على أوضاع دبرها ﴿ بامره﴾ سببا لصلاحكم و صلاح ما به قوامكم ، دلالة على ١٠ وحدانيته و فعله بالاختيار ، و لو شاء لأقام أسبابا غيرها أو أغنى عن الأسباب .

و لما كان أمرها - مع كونه محسوسا - ليس فيه من المنافع القريبة الأمر السهلة الملابسة ما يشغل عن الفكر فيه ، لم يحل[8] أمره[6] [إلى -[1]] غير مطلق العقل ، إشارة إلى وضوحه و إن كان لا بد فيه من استعمال ١٥ القوة المفكرة ، و لأن الآثار العلوية [أدل -[1]] على القدرة [الباهرة -[1]] ، و أبين شهادة للكبرياء و العظمة ، فقال : ﴿ أن فى ذلك ﴾ أى التسخير

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : اختصاصها .
(٣) زيد من ظ (٤) زيد من م (٥-٥) فى ظ : بين ما (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امر .

/٢١١/ العظيم ﴿لآيٰت﴾ اى كثيرة متعددة[1] عظيمة ﴿لقوم يعقلون﴾ و جمع[2] الآيات لظهور تعدادها بالتحديث عنها مفصلة .

و لما كان ما مضى موضعا[3] للتفكر المنتج[4] للعلم بوحدة الصانع و اختياره ، و كان التفكر فى ذلك مذكرا بما بعده من سر التفاوت فى اللون الذى لايمكن ضبط أصنافه على التحرير ، و كان فى ذلك تمام إبطال القول بتأثير الأفلاك و الطبائع ، لأن نسبتها إلى جميع [أجزاء - [5]] الورقة الواحدة و الحبة الواحدة واحدة ، قال تعالى عطفا على الليل : ﴿ و ما ذرأ ﴾ أى خلق و بث و فرق [من التراب و الماء ﴿ لكم[6] ﴾ أى خاصة . فاشكروه و اعلموا أنه ما خصكم بهذا التدبير العظيم إلا لحكم كبيرة أجلّها إظهار جلاله يوم الفصل ﴿ فى الارض ﴾ أى مما ذكر و من غيره حال كونه ﴿مختلفا الوانه[1] ﴾ حتى فى - [5]] الورقة الواحدة ، فترى أحد وجهيها - بل[7] بعضه - فى غاية الحمرة ، و الآخر [8]فى غاية السواد[8] أو الصفرة - و نحو ذلك ، فلو كان المؤثر موجبا بالذات لامتنع حصول هذا التفاوت فى[9] الآثار ، فعلم قطعا أنه إنما هو قادر مختار ، و لم يذكر

(١) زيدت الواو فى م (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : جميع (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موضع (٤) من ظ و م ومد . و فى الأصل : المنهج . (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٦) تقدم فى الأصل على «أى خلق» و الترتيب من ظ و م و مد (٧) سقط من م (٨-٨) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « فى غاية الحمرة » و الترتيب من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و».

اختلاف الصور لأن دلالتها - لأجل اختلاف أشكال النجوم من السماء و صور الجبال و الروابي و الوهاد من الأرض - ليست على إبطال الطبيعة كدلالة[1] اختلاف اللون .

و لما كان ذلك - و إن كان خارجا عن الحد فى الانتشار - واحدا من جهة كونه لونا ، وحد الآية فقال : ﴿ ان فى ذلك ﴾ الذى ٥ ذرأه فى هذه[2] الحال على هذا الوجه العظيم ﴿لآية﴾ و لما نبه فى التى قبلها [3]على أن الأمر وصل فى الوضوح إلى حد لا يحتاج معه إلى غير بديهة العقل ، نبه هنا[3] على أن ذلك معلوم طرأ عليه النسيان و الغفلة ، حثا[4] على بذل الجهد فى تأمل ذلك ، و إشارة[5] إلى [أن -[6]] دلالته على المقصود فى غاية الوضوح فقال: ﴿لقوم يذكرون *﴾ و لو [7]لم يمعنوا - بما أفاده[7] ١٠ الإدغام ؛ و التذكر : طلب المعنى بالتفكر فى متعلقه ، فلا بد من حضور معنى يطلب به غيره ، و قد رتب سبحانه ذلك أبدع ترتيب ، فذكر الأجسام المركبة عموما ، ثم خص الحيوان ، ثم مطلق الجسم النامى و هو النبات ، ثم البسائط من الماء و نحوه ، ثم الأعراض من الألوان .

و لما دل على قدرته و اختياره سبحانه دلالة على القدرة على كل ١٥ ما أخبر به لاسيما الساعة . بخلق السماوات و الأرض الذى هو أكبر

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لدلالة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حيا (٥) فى مد : اشارته (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل : لم يمنعوا من افادة ، و فى ظ : لم يمنعوا بما افاده .

من خلق الناس ، ثم ذكر بعض[1] ما فى المكشوف من الأرض المحيط به الهواء من التفاوت الدال على تفرد الصانع و اختياره ، و ختمه باللون ، اتبع ذلك بالمغمور بالماء الذى لا لون له فى الحقيقة ، إشارة إلى أنه ضمنه - من المنافع و الحيوانات[2] التى لها من المقادير و الكيفيات و الأشكال و الألوان البديعة التخطيط ، الغريبة الصباغ - ما هو أدل من[3] ذلك فقال : ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذى سخر البحر ﴾ أى[4] ذلّله و هيأه لعيش ما فيه من الحيوان و تكون الجواهر ، و غير ذلك من المنافع ، [5]و المراد به السبعة الأبحر الكائنة فى الربع[6] المرتفع عن الماء ، و هو المسكون من كرة الأرض المادّة من البحر المحيط الغامر لثلاثة أرباع الأرض ، فجعله بالتسخير بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به بالركوب و [7]الغوص و غيرهما[7] ﴿ لتأكلوا منه ﴾ أى بالاصطياد و غيره من لحوم الأسماك ﴿ لحما طريا ﴾ لا تجد[8] أنعم منه و لا ألين ، و هو أرطب اللحوم فيسرع إليه الفساد فيبادر إلى أكله عذبا لذيذا مع نشبه[9] فى ملح زعاق ﴿ و تستخرجوا منه ﴾ أى بجهدكم فى الغوص و ما يتبعه ﴿ حلية تلبسونها[ج] ﴾

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحيوات (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٤) زيد فى ظ : الذى (٥) العبارة من هنا إلى « من الانتفاع » ساقطة من ظ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المربع . (٧-٧) فى ظ : الحوض و غيرها (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا تجدوا . (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نسبه .

أى نساؤكم، و هن بعضكم لكم، فكأن اللابس أنتم، و هى من الحجارة التى لا ترى أصلب منها و لا أصفى [١]من اللؤلؤ و كذا[١] من المرجان و غيره، مع نسبة هذا الصلب و ذاك الطرى إلى الماء، فلو أنه / فاعل بطبعه لاستويا. ٢١٢/

و لما ذكر[٢] المنافع العامة مخاطبا لهم بها، و كان المخر[٣] - و هو أن تجرى[٤] السفينة مستقبلة الريح، فتشق الماء، فيسمع لجريها صوت معجب، و ذلك مع الحمل الثقيل - آية عظيمة لا يتاملها[٥] إلا أرباب القلوب خص بالخطاب أعلى أولى الألباب[٢]، و من قاربه فى ابتغاء[٦] الصواب، فقال: ﴿و ترى الفلك﴾ و لما كان النظر إلى تعداد النعم [هنا -[٧]] أتم منه فى سورة فاطر[٨]، قدم المخر[٩] فى قوله: ﴿مواخر فيه﴾ أى جوارى تشق الماء مع صوت، لتركبوها فتستدلوا - بعدم رسوبها فيه مع ميوعه و رقته و شدة لطافته - على وحدانية الإله و قدرته.

و لما علل التسخير بمنفعة [البحر -[٧]] نفسه من الأكل و ما تبعه[١٠]، عطف على ذلك النفع [به -[٧]]، فقال تعالى: ﴿و لتبتغوا﴾ أى تطلبوا

(١-١) تكرر ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المخبر (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يجرى (٥) من م و مد، و فى الأصل: لايامها، و فى ظ: لاتيانها.. كذا (٦) من ظ و م ومد، و فى الأصل: ايتاء (٧) زيد من ظ وم ومد (٨) راجع آية ١٢ (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: البحر (١٠) من ظ وم ومد، و فى الأصل: يتبعه.

طلبا عظيما بركوبه ﴿ من فضله ﴾ أى الله بالتوصل بها إلى البلدان الشاسعة للتاجر و غيرها ﴿ و لعلكم تشكرون ﴾ هذه النعم التى أنتم عاجزون عنها لولا تسخيره ؛ و المخر : شق الماء عن يمين و شمال ، و هو أيضا صوت هبوب الريح إذا اشتد هبوبها ، و قد ابتدئ فيه بما يغوص تارة و يطفو أخرى بالاختيار ، و ثنى بما طبعه الرسوب ، و ثلث بما من طبعه الطفوف .

و لما ذكر الأغوار ، الهابطة الضابطة[1] للبحار ، أتبعها الأنجاد الشداد ، التى هى كالأوتاد ، تذكيرا [بما -[2]] فيها من النعم فقال : ﴿ و ألقى فى الارض ﴾ أى وضع فيها وضعا ، كأنه قذفه فيها [قذفا -[2]] ، جبالا[3] ﴿ رواسى ﴾ مماسة [لها -[2]] و مزينة لنواحيها . كراهة ﴿ ان تميد ﴾ أى تميل مضطربة يمينا و شمالا ، أى فيحصل لكم الميد ، و هو دوار يعترى راكب البحر ﴿ بكم ﴾ فهى[4] ثابتة لأجل ذلك الإلقاء ، ثابتة مع اقتضائها بالكرية التحرك .

و لما ذكر الأوهاد ، و أتبعها الأوتاد ، تلاها بما تفجره[5] غالبا منها ، عاطفا على "رواسى" لما تضمنه العامل من معنى "جعل" ، فقال : ﴿ و انهرا ﴾ و أدل دليل على ثبات الأرض ما سبقها من ذكر البحار ، و لحقها من الحديث عن الأنهار ، فانها لو تحركت و لو بمقدار شعرة فى كل يوم لأغرقت البحارُ مَن[6] إلى جانب الانخفاض ، و تعاكست مجارى الأنهار ،

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ : جبلا (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و هى (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يفجره (٦) زيد فى الأصل : جانب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

فعادت

فمادت[1] منافعها أشد المضار ، و لو زادت البحار ، بما تصب فيها الأنهار ، على مر الليل و كر النهار ، لأغرقت الأرض ، و لكنه تعالى دبر الأمر[2] بحكمته تدبيرا تعجز عن الاطلاع على كنهه أفكار الحكماء ، بأن سلط حرارة الشمس على الأرض فى جميع مدة الصيف و بعض غيره من الفصول . فسرت فى أغوارها ، و حميت فى أعماقها فى الشتاء ، فأسخنت ٥ مياه البحار و غيرها فتصاعدت[3] منها بخارات[4] كما يتصاعد من القدر المغلى بقدر ما [صبت فيها الأنهار ، فانعقدت تلك البخارات فى الجو مياها لما - [5]] بردت ، فنزل منها المطر ، [فأحيي الأرض بعد موتها ، و تخلل أعماقها منه ما شاء الله ، فأمد الأنهار ، و لذلك تزيد بزيادة المطر - [5]] وتنقص[6] بنقصه ، و هكذا فى كل عام ، فأوجب ذلك [7]بقاء البحر على حاله من ١٠ غير زيادة ، فسبحان المدبر الحكيم العزيز العليم ! و لما ذكر ذلك[7] ، أتبعه ما يتوصل به إلى منافع كل منه فقال تعالى : ﴿ و سبلا ﴾ .

و لما كانت الجبال و البحار و الأنهار أدلة على السبل الحسية و المعنوية ، قال تعالى : ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ أى يحصل لكم[7] الاهتداء فتهتدوا إلى مقاصدكم . ١٥

و لما كانت الأدلة فى الأرض غير محصورة فيها ، قال : ﴿ و علمت[8] ﴾

---

(١) فى ظ : فعادلت - كذا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عدت (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بخار (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ينقط - كذا (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

أى من الجبال و غيرها ، جمع علامة و هى[1] صورة يعلم بها المعنى من خط ، أو[2] لفظ أو[2] إشارة أو هيئة . و قد تكون علامة وضعية[3] ، و قد تكون برهانية[4] .

و لما كانت الدلالة بالنجم أنفع الدلالات و أعمها و أوضحها [5]برا و بحرا[5] ليلا و نهارا ، نبه على عظمها / بالالتفات إلى مقام الغيبة لإفهام العموم لئلا يظن أن المخاطب مخصوص ، و أن الأمر لا يتعداه ، فقال تعالى : ﴿ و بالنجم هم[6] ﴾ أى أهل [الأرض -[7]] كلهم ، و أولى الناس بذلك أول المخاطبين ، و هم قريش ثم العرب كلها ، [8]لفرط معرفتهم بالنجوم[8] ﴿يهتدون ۝﴾ و قدم الجار تنبيها على أن دلالة غيره بالنسبة إليه سافلة . ٢١٣/ ٥ ١٠

و لما لم يبق[9] - بذكر الدلائل على الوحدانية على الوجه الأكمل ، و الترتيب الأحسن ، و النظم الأبلغ - شبهة فى أن الخالق إنما هو الله ، لما ثبت من وحدانيته ، و تمام علمه و قدرته ، و كمال حكمته ، [10]لجعله تلك[10]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هو (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : صيغة ، و فى مد : وضيعة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : برهانه (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بحرا و برا (٦) بعده فى الأصل و ظ و م : و يهتدون ، و سيأتى - فحذفناها (٧) زيد من ظ و م و مد (٨ - ٨) - سقط ما بين الرقمين من م (٩) فى ظ و م و مد : لم تبق (١٠ - ١٠) فى ظ : لجعله لتلك ، و فى م : لجعله تلك .

الدلائل نعما عامة، ومننا تامة، مع اتضاح[1] العجز فى كل ما يدعون فيه الإلهية من دونه، واتضاح أنه سبحانه فى جميع صنعه مختار، للفاوتة فى الوجود والكيفيات بين ما لا مقتضى للتفاوت فيه غير الاختيار، فثبت بذلك أنه قادر على الإتيان بما يريد، قال مسببا عن ذلك: ﴿ أفمن يخلق ﴾ [أى -[2]] يجـــدد[3] ذلك حيث أراد ومتى أراد ٥ [4]فلا يمكن[4] عجزه بوجه لتمكن شركته ﴿ كمن[5] ﴾ شركته[6] ممكنة، [7]فهو أصل[7] فى ذلك بسبب أنه ﴿ لا يخلق[8] ﴾ أى لا يقع ذلك منه وقتا ما من الأصنام وغيرها، فى العجز عن الإتيان بما يقوله، المستلزم لأن يكون [ممكنا -[9]] مخلوقا، [8]ولو كان التشبيه [9]معكوسا كما[9] قيل لم يفد ما أفاد هذا التقدير من الإبلاغ فى ذمهم بانزال الأعلى عن درجته، وعبر بـ "من" لأنهم ١٠ سموها آلهة، وأنهى أمرها أن تكون عاقلة[10]، فاذا انتفى عنها وصف الإلهية معه لعدم القدرة على شىء انتفى بدونه من باب الأولى[11].

ولما سبب عن هذه الأدلة إنكار تسويتهم الخالق بغيره فى العجز،

---

(١) فى ظ: اتصال (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: يجوز (٤-٤) فى مد: فلما تمكن، والعبارة من هنا إلى «بسبب أنه» ساقطة من م (٥) تأخر فى مد عن «بسبب أنه» (٦) سقط من مد. (٧-٧) فى ظ: وهو اصيل، وفى مد: وهو أصل (٨) العبارة من هنا إلى «عن درجته» ساقطة من م (٩-٩) من مد، وفى الأصل: معلوما ساكنا -كذا. وفى ظ: معلوما (١٠) فى ظ: عاقلا (١١) من م ومد. وفى الأصل وظ: أولى.

سبب عن هذا الإنكار إنكار تذكرهم ، حثا [لهم - [1]] على التذكر المفيد لترك الشرك [فقال - [2]] : ﴿ افلا تذكرون ﴾ بما تشاهدونه من ذلك و لو من بعض الوجوه - بما أفاده الإدغام - لتذكروا[3] ما يحق اعتقاده ،

و لما كانت المقدورات لاتحصر ، و أكثرها نعم على العباد مذكرة لهم بخالقهم ، قال تعالى ممتنا عليهم[4] باحسانه من غير سبب منهم : ﴿ و ان تعدوا ﴾ أى كلكم ﴿ نعمة الله ﴾ أى إنعام الملك الأعظم الذى لا رب غيره ، عليكم و إن كان فى واحدة فان شعبها تفوت الحصر ﴿ لاتحصوها[5] ﴾ أى لاتضبطوا عددها و لاتبلغه طاقتكم مع كفرها و إعراضكم جملة عن شكرها[6] . فلو شكرتم لزادكم من فضله .

و لما كانوا مستحقين لسلب النعم بالإعراض عن التذكر ، و العمى عن التبصر ، أشار إلى سبب إدرارها ، فقال تعالى : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال [بجميع صفات الإكرام و الانتقام - [1]] ﴿ لغفور رحيم ﴾ فلذلك هو[4] يدر عليكم نعمه و أنتم منهمكون فيما يوجب نقمه .

و لما جرت العادة بأن المكفور إحسانه يبادر إلى قطعه عند علمه [بالكفر - [2]] ، فكان ربما توهم متوهم أن سبب مواترة الإحسان عدم العلم بالكفران ، أو[6] عدم العلم بكفران لا يدخل تحت المغفرة ، قال

---

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وا - كذا (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و مد : شركها (٦) من م ، و فى الأصل « و » ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « بكفران » ساقطة من ظ و مد .

مهددا

مهددا مبرزا للضمير بالاسم الأعظم الذى بنيت عليه السورة للفصل بالفرق بين الخالق و غيره[1] و لئلا يتوهم تقيد التهديد بحيثية المغفرة [إيماء إلى -[2]] أن ذلك نتيجة ما مضى : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بجميع صفات[3] الإكرام و الانتقام ﴿ يعلم ﴾ أى على الإطلاق ﴿ ما تسرون ﴾ [4] أى كله[4] . و لما كان الإسرار ربما[5] حمل على حالة الخلوة[6] ، فلم يكن عليه دالا على الإعلان ، قال تعالى : ﴿ و ما تعلنون ﴾ ليعلم مقدار المضاعفة لموجبات الشكر و قباحة الكفر ، و أما الأصنام فلا تعلم شيئا فلا أسفه ممن عبدها . / ٢١٤

و لما أثبت لنفسه تعالى كمال القدرة و تمام العلم و أنه المنفرد بالخلق ، شرع يقيم[7] الأدلة على[8] بعد ما يشركونه [به -[2]] من الإلهية بسلب[9] تلك الصفات فقال تعالى : ﴿ و الذين يدعون[10] ﴾ أى دعاء عبادة ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ لا يخلقون شيئا ﴾ و لما كان ربما ادعى مدع فى شيء أنه لا يخلق و لا يخلق ، قال : ﴿ و هم يخلقون ﴾ .

---

(١) زيد فى مد بعده : بجميع صفات الكمال الإكرام و الانتقام إيماء إلى أن ذلك نتيجة ما مضى و الله أى الذى له الاحاطة الكاملة - كذا ، و هذه الزيادة أشبه شيء بالتكرار (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد فى مد : الكمال و (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : بما (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الخلو (٧) فى ظ : يعلم (٨) زيد فى ظ : ما (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تسبب - كذا (١٠) فى ظ : تدعون - بالخطاب ، و هى قراءة غير يعقوب و عاصم - راجع نثر المرجان ٣/٤٢٥ .

و لما كان من المخلوقات الميت و الحى ، و كان الميت أبعد شيء عن صفة الإله ، قال نافيا عنها الحياة - بعد أن نفى القدرة و العلم - المستلزم لأن يكون عبدتها[1] أشرف منها [المستلزم -[2]] لأنهم بخضوعهم لها فى غاية السفه : ﴿ اموات ﴾ و لما كان الوصف قد يطلق على غير ٥ الملتبس به مجازا[3] عن عدم نفعه بضده و إن كان قائما به عريقا[4] فيه قال : ﴿غير احيآء ج﴾ مبينا أن المراد بذلك حقيقة سلب الحياة على ضد ما عليه الله " الا له الحق " من كونه حيا لا يموت ، و لعله اقتصر على وصفهم - مع أنهم مَوات - [بأنهم أموات -[2]] لأن ذلك مع كونه كافيا فى المقصود من السياق - و هو إبعادهم عن الإلهية - يكون صالحا ١٠ لكل مخلوق ادعى فيه الإلهية و إن اتصف بالحياة ، لأن حياته زائلة يعقبها الموت ، و من كان كذلك كان بعيدا عن صفة الإلهية .

و لما كانوا - مع علمهم بأن الأصنام حجارة لاحياة لها - يخاطبون من أجوافها بألسنة الشياطين - كما هو مذكور فى السير و غيرها من الكتب المصنفة فى هواتف الجان ، فصاروا يظنون أن لها علما بهذا ١٥ الاعتبار ، و لذلك[6] [كانوا -[2]] يظنون أنها تضر و تنفع ، احتيج إلى نفى العلم عنها ، و لما كانوا يخبرون على ألسنتها[7] ببعض ما يسترقونه من السمع ،

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : عبدها (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مجاز (٤) فى ظ و مد : غريقا (٥) فى ظ : الخلق (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كذلك (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السنتنا .

فيكون كما أخبروا، لم ينف[1] عنها مطلق العلم، بل نفى ما لا علم لأحد غير الله به، لأنهم لايخبرون عنه بخبر إلا بان كذبه، فقال تعالى [2]عادًا للبعث عدادَ المتفق[2] عليه: ﴿ وما يشعرون ﴾ أى فى هذا[3] الحال كما هو مدلول [ما -[4]] ﴿ ايان ﴾ أى أىّ حين ﴿ يبعثون ﴾ فنفى[5] عنهم مطلق الشعور الذى هو أعم من العلم، فينتفى بنفيه كل ما هو أخص منه.

و لما كانت أدلة البعث قد ثبت قيامها، و اتضحت أعلامها، و علا منارها، و انتشرت أنوارها، ساق الكلام فيها مساق ما لاخلاف إلا فى العلم بوقته مع الاتفاق على أصله، لأنه[6] من لوازم التكليف، و لما اتضح بذلك كله عجز[7] شركائهم، أشار إلى [أن -[8]] منشا العجز قبول التعدد، إرشادا إلى برهان التمانع، فقال على طريق الاستئناف لأنه نتيجة ما مضى قطعا: ﴿ الهكم ﴾ أى أيها الخلق كلكم[9]. المعبود بحق ﴿ اله ﴾ أى متصف بالإلهية على الإطلاق بالنسبة إلى كل أحد وكل زمان و كل مكان ﴿ واحد ﴾ لايقبل التعدد - الذى هو مثار النقص - بوجه من الوجوه، لأن التعدد يستلزم إمكان التمانع المستلزم للعجز المستلزم[10]

(١) فى ظ: لم ينفه (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اعادا له للبعث اعاد الميت - كذا (٣) فى ظ: هذه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بنفى (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لان (٧) زيد بعده فى الأصل: عن، و لم تكن الزيادة فى غيره فحذفناها (٨) زيد من م و مد. (٩) من م، و فى الأصل: لكلكم، و فى ظ و مد: كلهم (١٠) زيد فى مد: للعلم المستلزم.

للبعد عن رتبة الإلهية ﴿ فالذين ﴾ أى فتسبب عن هذا أن الذين ﴿لا يؤمنون بالآخرة﴾ أى دار الجزاء و محل إظهار الحكم الذى [هو -[1]] ثمرة الملك و العدل الذى هو مدار العظمة ﴿ قلوبهم منكرة ﴾ أى جاهلة بأنه واحد، لما لها من القسوة [لا -[2]] لاشتباه الأمر - لما تقدم فى هود من أن مادة 'نكر' تدور على القوة و[3]هى تستلزم[3] الصلابة فتأتى القسوة ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم بسبب إنكار الآخرة ﴿مستكبرون ﴾ أى صفتهم الاستكبار عن كل ما لايوافق أهواءهم و هو طلب الترفع بالامتناع من قبول الحق أنفة من / أهله، فصاروا بذلك إلى حد يخفى عليهم معه الشمس [كما -[1]] قال تعالى "ما كانوا يستطيعون السمع و ما كانوا يبصرون[4]" و ربما دل " مستكبرون" على أن "منكرة" بمعنى «جاحدة[5] ما [هى -[1]] به عارفة» .

/ ٢١٥

و لما كانوا - لكون الإنسان أكثر شيء جدلا - ربما أنكروا الاستكبار، و ادعوا أنه لو ظهر لهم الحق لآمنوا، قال على طريق الجواب لمن كأنه قال: إنهم لا يأبون استكبارا ما لا يشكون[6] معه فى[7] أن هذا كلام الله: ﴿لا جرم﴾ أى لا ظن فى ﴿ان الله﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة [و علما -[1]] ﴿ يعلم ﴾ علما غيبيا و شهاديا ﴿ ما يسرون ﴾ أى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م (٣ - ٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هو يستلزم (٤) سورة ١١ آية ٢٠ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حاجرة (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لايشركون (٧) من ظ و م ومد، و فى الأصل «و».

يخفون[1] مطلقا أو بالنسبة إلى بعض الناس . و لما كان[2] علم السر لا يستلزم علم الجهر - كما مضى غير مرة ، قال : ﴿ و ما يعلنون[4] ﴾ فهو ما أخبر بذلك[3] إلا عن أمر قطعي لا يقبل المراء .

و لما كان في ذلك معنى التهديد ، لأن المراد : فليجازينهم[5] على دق ذلك وجله من غير أن يغفر منه شيئا - كما يأتي التصريح به في قوله " ليحملوا اوزارهم كاملة " علل هذا[6] المعنى بقوله : ﴿ انه ﴾ أي العالم بالسر و العلن ﴿ لا يحب المستكبرين ﴾ أي على الحق ، كائنا ما كان .

و لما كان الطعن في القرآن - بما ثبت من[6] عجزهم عن معارضته - دليل الاستكبار ، قال تعالى عاطفا على [قوله -[7]] " قلوبهم منكرة " : ﴿ و اذا قيل ﴾ أي من أي قائل كان [في أي وقت كان -[8]] و لو تكرر ﴿ لهم ﴾ أي لمنكري الآخرة : ﴿ ما ذآ ﴾ أي[9] أي شيء ﴿ انزل ربكم ﴾ أي المحسن إليكم المدبر لأموركم ﴿ قالوآ ﴾ مكابرين في إنزاله[10] عادين "ذا" [11]موصولة لا مؤكدة[11] للاستفهام : الذي تعنون[12] أنه منزل ليس منزلا ، بل هو[13] ﴿ اساطير الاولين ﴾ مع عجزهم بعد تحديهم عن معارضة

(١) في مد : يخفونه (٢) زيد في الأصل بعده : في ذلك ، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (٣) تكرر في الأصل فقط (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : فليجازيهم (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : ذلك (٦) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : عن (٧) زيد من م (٨) زيد من ظ وم ومد (٩) سقط من م . (١٠) العبارة من هنا إلى « للاستفهام » ساقطة من م (١١-١١) في ظ : موصولا لا موكدا (١٢) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : يعنون (١٣) سقط من ظ .

سورة منه مع علمهم بأنهم[1] أفصح الناس [2]و أنه[2] لا يكون من أحد من الناس متقدمٍ أو متأخرٍ قولٌ إلا قالوا أبلغ منه .

و لما كان الكتاب هو الصراط المستقيم المنقذ من الهلاك ، و كان قولهم هذا صدا عنه ، فكان - مع كونه ضلالا - إضلالا ، و من المعلوم أن من ضل كان عليه [3]إثم ضلاله ، و من أضل كان عليه[3] وزر إضلاله - هذا ما لايخفى على ذى عقل صحيح ، فلما[4] كان هذا بينا ، و كانوا يدعون أنهم أبصر الناس بالخفيات فكيف بالجليات ، حسن جدا قوله : ﴿ليحملوآ﴾ فانهم يعلمون أن هذا لازم لهم قطعا و إن قالوا بألسنتهم غيره ، أو يقال : إنه قيل ذلك لأنه - مع أن الجهل [5]أولى لهم منه - أخف[6] أحوالهم لأنهم إما أن يعلموا أنهم فعلوا بهذا الطعن ما ليس لهم أو لا ، فعلى الثانى هم أجهل الناس ، و على الأول فاما أن يكونوا ظنوا أنهم يؤخذون به أو لا ، فعلى الثانى يكون الخلق سدى ، وليس هو من الحكمة فى شىء ، فمعتقد[7] هذا من الجهل بمكان عظيم ، و على الأول فهم يشاهدون كثيرا من الظلمة لايجازون[8] فى الدنيا ، فيلزمهم فى الحكمة اعتقاد الآخرة ، ليجازى بها[9] المحسن و المسىء . و هذا أخف الأحوال المتقدمة ، و لا يخفى ما فى الإقدام

(١) فى ظ : بأنه (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بانه (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و لما (٥) العبارة من هنا إلى «يؤخذون به» ساقطة من ظ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اخفى (٧) من م و مد ، و فى الأصل : فيعتقد ، و فى ظ : فمعتفر (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايجاوزون (٨) فى ظ : به .

عـــلى مثله من الغباوة المناقضة لادعائهم أنهم أبصر الناس، فقد آل الأمر إلى التهكم بهم لأنهم نُسِبوا[1] إلى علم الجهلُ خير[2] منه ﴿اوزارهم﴾ التى باشروها لنكوبهم عن الحق تكبرا لا عن شبهة .

[3]ولما كان الله من فضله يكفر عن أهل الإيمان صغائرهم[4] بالطاعات وباجتناب [الكبائر-[5]] فكان التكفير مشروطا بالإيمان، وكان هؤلاء قد كفروا بالتكذيب بالكتاب ، قال تعالى : ﴿كاملة﴾ لاينقص منها وزر شيء مما أسروا ولا مما أعلنوا ، لخفاء ولا ذهول[6] بتكفير ولا غيره[6] من دون خلل فى وصف من الأوصاف ، فهو أبلغ من ' تامة ' لأن التمام[7] قد يكون فى العدة مع خلل فى بعض الوصف ﴿يوم القيٰمة[1]﴾ الذى لاشك / فيه ٢١٦/
ولا محيص عن إتيانه ﴿و﴾ ليحملوا ﴿من﴾ مثل ﴿اوزار﴾ الجهلة الضعفاء ﴿الذين يضلونهم﴾ فيضلون بهم[8] كما بين أولئك الذين ضلوا ﴿بغير علم[9]﴾ يحملون من أوزارهم من غير أن يباشروها لما لهم فيها من التسبب[9] من غير أن ينقص من أوزار الضالين بهم شيء وإن كانوا جهلة ، لأن لهم عقولا هى بحيث تهدى إلى سؤال [أهل -[10]] الذكر ، وفطرا أولى تنفر من الباطل "أول[11]" مايعرض عليها فضيعوها؛ ثم استأنف التنبيه

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : انسبوا (٢) فى ظ : خيرا (٣) العبارة من هنا إلى «بالكتاب قال تعالى» ساقطة من م (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : بتغايرهم. (٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : التام (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : به ، والعبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « الذين ضلوا » ساقطة من م (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل: النهب - كذا (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١-١١) من ظ و م و مد، وفى الأصل : الباطن اولى .

على عظيم ما يحصل لهم من مرتكبهم من الضرر وعيدا لهم فقال تعالى : ﴿ الا ساء ما يزرون ﴾ فأدخل همزة الإنكار على حرف النفى فصار إثباتا على أبلغ وجه .

و لما كان المراد من هذا الاستكبار محو[1] الحق و إخفاء أمره من غير تصريح بالعناد ، بل مع إقامة شبه ربما راجت - و إن اشتد ضعفها - على عقول هى أضعف منها ، و كأن هذا حقيقة المكر[2] التى هى التغطية و الستر كما بين فى الرعد عند قوله تعالى " بل زين للذين كفروا مكرهم[3] " شرع يهدد الماكرين و يحذرهم وقوع ما وقع بمن كانوا أكثر منهم عددا و أقوى يدا ، و يرجى المؤمنين[4] [فى - [5]] نصرهم عليهم ، بما له من عظيم القوة و شديد السطوة ، فقال تعالى : ﴿ قد مكر الذين ﴾ و لما كان المقصود بالإخبار ناسا مخصوصين لم يستغرقوا زمان القبل ، أدخل [الجار - [6]] فقال تعالى : ﴿ من قبلهم ﴾ ممن رأوا آثارهم و دخلوا ديارهم ﴿ فأتى الله ﴾ أى بما [له - [6]] من مجامع العظمة ﴿ بنيانهم ﴾ أى إتيان بأس و انتقام ﴿ من القواعد ﴾ التى[7] بنوا عليها مكرهم ﴿ فخر ﴾ أى سقط مع صوت عظيم لهدته[8] ﴿ عليهم السقف ﴾ .

و لما كانت العرب تقول : خر علينا سقف و وقع علينا حائط -

---

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : نحو (٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : الكفر (٣) آية ٣٣ (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : المومنون (٥) زيد من م و مد (٦) زيد من ظ و م ومد (٧) فى ظ : اى (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهو به .

إذا كان بملكه[1] و إن لم يكن وقع عليه - كما نقله أبو حيان عن ابن الأعرابي[2]، قال تعالى صرفا عن هذا إلى حقيقة السقوط المقيد بالجار: ﴿من فوقهم﴾ و كانوا تحته فهلكوا كما هو شأن البنيان إذا زالت قواعده .

و لما كان المكر هو الضر فى خفية، لأنه القتل بالحيلة إلى جهة منكرة، بين أن ما حصل لهم من العذاب هو من باب ما فعلوا بقوله: ﴿و اتيهم العذاب﴾ أى الذى اتفقت كلمة الرسل على الوعيد به لمن أبى ﴿من حيث لايشعرون ۝﴾ لأن السبب الذى [3]أعدوه لنصرهم[3] كان بعينه سبب قهرهم، و هذا على سبيل التمثيل، و قيل: إنه [على -[4]] الحقيقة فيما بناه نمرود[5] من الصرح .

ذكر قصته من[6] التوراة :

قال[7] فى السفر الأول[8] منها فى تعداد أولاد نوح[9] عليه السلام: و كوش[10] - يعنى ابن حام بن نوح - ولد[11] نمرود، [12]و كان أول جبار فى الأرض، و هو كان مخوفا ذا صيد بين يدى الرب، و لذلك[13] يقال[14]:

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بملكه (٢) راجع البحر ٥/٤٨٥ (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اوعدوه لضرهم (٤) زيد من ظ و م و مد. (٥) فى ظ: ثمود (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كما (٨) راجع الأصحاح العاشر (٩) أى أولادبنى نوح حسبما يتضح من نص التوراة (١٠) فى ظ و م: كوس (١١) من ظ و م و مد و التوراة، و فى الأصل: والد (١٢) العبارة من هنا إلى « مثل نمرود » ساقطة من ظ (١٣) من م و مد و التوراة، و فى الأصل: كذلك (١٤) تكرر فى الأصل فقط .

هـذا مثل نمرود الجبار القناص ، فكان مبدأ ملكه بابل[١] و الكوش[٢] و الأهواز و الكوفة التى بأرض شنعار[٣] ، و من تلك الأرض خرج الموصلى[٤] فابتنى نينوى و رحبوت القرية ـ و فى نسخة : [٥]قرية الرحبة[٥] ـ و الإيلة و المدائن ؛ ثم قال بعـد أن عد أحفاد[٦] نوح عليـه السلام

٥ و ممالكهم : هؤلاء قبائل بنى نوح و أولادهم و خلوفهم و شعوبهم ، و من هؤلاء تفرقت الشعوب فى الأرض بعد الطوفان ، [٧]و إن أهل الأرض كلهم كانت لغتهم واحدة ، و منطقهم واحدا[٨] ، فلما ظعنوا فى المشرق انتهوا إلى قاع فى أرض شنعار[٣] ـ و فى نسخة : العراق ـ فسكنوه ، فقال كل امرئ منهم لصاحبه : هلم بنا نلبن اللبن و نحرقه بالنار ، فيصير اللبن مثل الحجارة

٢١٧ / ١٠ و يصير[٩] الجص[١٠] بدل / الطين للملاط[١١] ، ثم قال : هلموا ! نبن لنا قرية نتخذها ، و صرحا مشيدا لاحقا بالسماء . و نخلف لنا شيئا نذكر به ، لعلنا ألا نتفرق على الأرض كلها . فنظر الرب القرية و الصرح الذى يبنيه الناس . فقال الرب[١٢] : إنى أرى هذا الشعب رأيهم واحد[١٣] و لغتهم واحدة

---

(١) من م و مد و التوراة ، و فى الأصل و ظ : كابل (٢) فى ظ و م و مد : الكوس (٣) من التوراة ، و فى النسخ كلها : شنغار (٤) فى ظ : المصلى ، و فى التوراة : أشور (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل : حبة القرية ، و فى ظ : قرية الرهبة (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اجناد (٧) و من هنا يبتدئ الأصحاح الحادى عشر (٨) من ظ و م و مد و التوراة ، و فى الأصل : واحد . (٩) فى م : نصير (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اللبن ، و فى التوراة : الحمر (١١) أى للطلاء ، و الكلمة ليست فى التوراة (١٢) سقط من ظ (١٣) فى م و مد : واحدا .

و قد هموا أن يصنعوا هذا الصنيع[١] فهم الآن غير مقصرين فيما هموا أن يفعلوه ، فلأورد أمرا أشتت به[٢] لغتهم حتى لايفهم المرء [منهم -[٣]] لغة صاحبه ، ثم فرقهم الرب [من -[٤]] هنالك[٥] على وجه الأرض كلها ، و لم يبنوا القرية التى هموا ببنائها ، و لذلك[٦] سميت بابل [لأن -[٧]] هنالك فرق الرب لغة أهل الأرض كلها - انتهى . قال لى بعض علماء اليهود : إن بابل معرب بوبال ، و معنى بوبال[٨] بالعبرانى الشتات - هذا ما فى التوراة ، و أما المفسرون فانهم ذكروا أن الصرح بنى على هيئة طويلة [فى الطول -[٩]] و الإحكام ، و أن الله تعالى هدمه ، فكانت له رجة تفرقت لعظم هولها لغة أهل الارض إلى أنحاء كثيرة لايحصيها إلاخالقها - فالله أعلم .

و لما بين سبحانه و تعالى حال المكرة المتمردين عليه فى الدنيا ، أخذ يذكر حالهم فى[١٠] الآخرة [١١]تقريرا للآخرة[١١] و بيانا لأن[١٢] عذابهم [غير -[٩]] مقصور على الدنيوى ، فقال تعالى : ﴿ ثم يوم القيٰمة يخزيهم ﴾ أى الله تعالى الذى فعل بهم فى الدنيا ما تقدم ، [خزيا -[٩]] يشهده جميع الخلائق

(١) فى ظ : الصنع (٢) فى ظ و مد : بهم (٣) زيد من ظ و م و مد ، وسياق التوراة مختلف بعض الشىء عما هنا (٤) زيد من م و مد و التوراة (٥) فى ظ و التوراة : هناك (٦) من ظ و م و مد و التوراة ، و فى الأصل : كذلك . (٧) زيد من ظ و م و مد و التوراة (٨) فى مد : بوبابل (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) زيد بعده فى مد : الدنيا (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) فى م : ان .

الوُقوف فى ذلك اليوم ، فيحصل [لهم -[1]] من الذل - جزاء على تكبرهم - ما يجل[2] عن الوصف ، و عطفه بـ "ثم" لاستبعادهم له[3] و لما له من الهول و العظمة التى يستصغر لها كل هول[4] ﴿و يقول﴾ أى لهم فى ذلك الجمع[5] تبكيتا و توبيخا : ﴿اين شركآءى﴾ على ما كنتم تزعمون ، و أضاف سبحانه إلى نفسه المقدس[6] لأنه أقطع[6] فى توبيخهم و أدل على تناهى الغضب ﴿ الذين كنتم ﴾ أى كونا لا تنفكون عنه[7] ﴿ تشآقون فيهم[8] ﴾ أوليائى ، فتكونون[9] بمخالفتهم فى شق غير شقهم ، فتخضعون لما لا ينبغى [الخضوع -[1]] له ، [و تتكبرون على من[9] لا ينبغى -[1]] الإعراض عنه ، ما لهم لا يحضرونكم و يدفعون[10] عنكم فى هذا اليوم ؟ و قرئ بكسر النون[11] لأن مشاققة المأمور[12] مشاققة الآمر .

و لما كان المقام للجلال و العظمة المستلزم لزيادة الهيبة التى يلزم

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : يخل - كذا .
(٣) زيد بعده فى الأصل : رتبته و عظمته ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهو (٥) فى ظ : المجمع .
(٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لانهم اعظم (٧) سقط من ظ .
(٨) فى ظ : فيكون ، و فى الأصل و مد : فيكونون ، و فى م : فكونون (٩) فى مد : ما (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لايدفعون (١١) فى نثر المرجان ٣/٤٣٠ : قرأه نافع بكسر النون مخففة بمعنى تشاقوننى ، حذفت ياء الإضافة اجتزاء بكسر نون الوقاية و حذفت نون الرفع للتخفيف (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الامور .

عنها غالبا خرس المخزى[1] عن جوابه لو كان له جواب ، وكان من أجل المقاصد فى تعذيبهم العدل[2] بتفريح الأولياء و إشماتهم بهم[3] ، جزاء لما كانوا يعملون بهم فى الدنيا ، وكانت الشماتة أعلى محبوب للشامت و أعظم مرهوب للشموت فيه ، وأعظم مسلّ[4] للظلوم ، دل على [5]سكوتهم رغبا[5] عن المبادرة بالجواب بتأخير الخبر عنه و تقديم الخبر عن شماتة أعدائهم فيهم[3] فى سياق الجواب[6] عن سؤال من قال : هل علم بذلك المؤمنون ؟ فقيل[7] : ﴿ قال الذين ﴾ و لما كان العلم شرفا للعالم مطلقا ، بنى للمفعول قوله : ﴿ اوتوا العلم ﴾ أى انتفعوا به فى سلوك سبيل النجاة من الأنبياء عليهم السلام و من أطاعهم من أممهم ، إشارة إلى أن الهالك يصح سلب العلم عنه و إن كان أعلم الناس ، و عدل عن أن يقول : أعداؤهم أو[8] المؤمنون و نحوه[9] ، إجلالا لهم بوصفهم بالعلم الذى هو أشرف الصفات لكونه[10] منشأ كل فضيلة ، و تعريضا بأن الحامل للكفار[11] على الاستكبار الجهل الذى هو سبب كل رذيلة ﴿ ان الخزى ﴾ أى[12] البلاء المذل ﴿ اليوم ﴾ أى يوم الفصل الذى يكون للفائز فيه العاقبة المأمونة ﴿ و السوء ﴾ أى كل ما يسوء ﴿ على الكفرين ﴾ أى العريقين[13] فى الكفر الذين

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الخزى (٢) زيد فى مد : العلم (٣) سقط من مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مسد (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شكوتهم دعيا (٦) فى ظ و م و مد : لجواب (٧) فى ظ : فقال . (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : «و» (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل نحوهم (١٠) فى ظ : لانه (١١) العبارة من «أشرف الصفات» إلى هنا تكررت فى مد بعد «الجهل الذى هو» (١٢) سقط من ظ (١٣) فى ظ و مد : الغريقين .

/٢١٨ تكبروا فى غير / موضع التكبر، لا على غيرهم؛ ثم رغبهم[1] فى التوبة بقوله: ﴿الذين تتوفّهم﴾ بالفوقية[2] فى قراءة الجمهور لأن الجمع مؤنث، و بالتحتية فى قراءة حمزة لأن المجموع[3] غير مؤنث، و[4]كان وفاتهم على وجهين: وجه خفيف - بما [أشار -[5]] إليه التأنيث لخفة[6] كفر صاحبه، و آخر [7]ثقيل شديد[7] لشدة كفر صاحبه، و لم يحذف[8] شيء من التائين للاشارة إلى نقصان حالهم لأنه لا يمكن خيرها لموتهم على الكفر بخلاف ما تقدم فى تارك الهجرة[9] فى النساء[10] ﴿الملئكة﴾ أى المؤكلون بالموت[11]، حال كونهم ﴿ظالمى انفسهم ص﴾ بوضعها[12] من الاستكبار على الملك الجبار غير موضعها.

فلما تم ذلك على هذا الوجه البديع، و الأسلوب الرفيع المنيع، ابتدأ الخبر عن جوابهم على وجه معلم[13] بحالهم فقال: ﴿فالقوا﴾ أى من أنفسهم عقب قول الأولياء و بسبب[14] سؤال ذى الكبرياء ﴿السلم﴾ [أى -[15]] المقادة و الخضوع بدل ذلك التكبر و العلو قائلين

(١) فى ظ: رغبوا (٢) فى ظ و م ومد: بالفوقانية (٣) من ظ و م ومد، و فى الأصل: الجموع (٤) العبارة من هنا إلى «فى النساء» ساقطة من م (٥) زيد من ظ و مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: تحته (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: شديد ثقيل (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: لم تحدث (٩) فى ظ: الجهرة (١٠) آية ٩٥ (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فالموت (١٢) فى مد: بوصفها (١٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: معلوم (١٤) من م و مد، و فى الأصل: لسبب، و فى ظ: تسبب (١٥) زيد من ظ و م و مد.

ارتكابا للكذب من غير احتشام: ﴿ ما كنا نعمل ﴾ و أعرقوا فى النفى فقالوا: ﴿من سوء[٤] ﴾ فكأنه قيل: إن هذا [لبهتان عظيم فى ذلك اليوم الجليل، فما ذا[١] قيل لهم؟ فقيل: ﴿بلى﴾ ! قد عملتم[٢] أعظم السوء -[٣]]؛ ثم علل تكذيبهم بقوله: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بكل شىء ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم من كل وجه ﴿ بما كنتم ﴾ [أى -[٤]] جبلة و طبعا ﴿ تعملون ﴾ ٥ [أى -[٤]] من الضلال[٥] و الإضلال، فلا يسعكم الإنكار، أفما[٦] آن لكم أن تنزعوا عن الجهل فيما يضركم و لا ينفعكم و يخفضكم و لا يرفعكم!

و لما كان هذا الفعل مع هذا العلم سببا لدخول جهنم من غير أن يقام لهم وزن، لأنه لا وزن لما ضيع أساسه، قال معقبا مسببا: ﴿فادخلوآ﴾ أى أيها الكفرة ﴿ ابواب جهنم ﴾ أى أبواب[٧] طبقاتها و دركاتها[٧] ١٠ ﴿ خلدين ﴾ أى مقدرين الخلد ﴿ فيها[٤] ﴾ أى فى جهنم التى دأبها تجهم من دخلها.

و لما كان هذا المقام للشاقة. وكان أمرها زائد القباحة. كان هذا الدخول أقبح دخول، و كان سببا لأن يقال: ﴿ فلبئس ﴾ بالأداة[٨] الجامعة لمجامع الذم ﴿ مثوى المتكبرين ﴾ على وجه التأكيد و بيان ١٥ الوصف الذى استحقوا به ذلك. لتقدم[٩] كذبهم فى قولهم[١٠] " ما كنا

(١-١) فى ظ: الجيل فما (٢) فى ظ: علمتم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الطلاك (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فما (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دركاتها و طبقاتها. (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: باداة (٩) فى ظ: لقدم، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « اليوم كذب » ساقطة من م (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: قوله.

نعمل من سوء"، تعريضا بأنهم جديرون ـ لغاية ما لهم من البلادة ـ أن يستحسنوا النار كما كذبوا مع العلم التام بأنه لا يروج فى ذلك اليوم كذب

و لما تم الخبر عن المنكر لما[1] أنزل الله على ألسنة الملائكة من الروح من أمره على الأنبياء[2] عليهم السلام، إنكارا لفضلهم و تكبرا بما ليس لهم، بالاعتراض على خالقهم، ابتدأ الخبر عن المقرين تصديقا لهداتهم و اعترافا بفضلهم و تسليما لمن هم عبيده فى تفضيل من يشاء، منبها على الوصف الذى أوجب لهم الاعتراف بالحق، فقال حاذفا لـ «إذا» دلالة على الرضى بأيسر[3] شىء من الخير و المدح عليه و لو لم يتكرر: ﴿ و قيل[4] للذين اتقوا ﴾ [أى خافوا عقاب الله ﴿ ما ذآ ﴾ [5]أى أىّ شىء[5] ﴿ انزل ربكم[6] ﴾ أى المحسن إليكم من روحه المحيى للأرواح، على رسوله ﴿ قالوا ﴾ -[6]] معترفين بالإنزال، غير متوقفين فى المقال، فاهمين[7] أن 'ذا' مؤكدة للاستفهام لا بمعنى 'الذى[8]': أنزل ﴿ خيرا[6] ﴾ و إنما أطبق[9] القراء على نصب هذا و رفع الأول[10] فرقا بين جوابى[11] المقر و الجاحد بمطابقة المقر بين الجواب و السؤال، و عدول الجاحد بجوابه

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: بما (٢) فى ظ: الملائكة (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باليسير (٤) فى ظ: قل (٥-٥) ليس فى م و مد. (٦) العبارة المحجوزة زيدت من ظ و م و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: قايمين. و العبارة من هنا ـ بما فيها هذه الكلمة ـ إلى «أنزل» ساقطة من م. (٨) زيد فى الأصل: بمجتهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) فى ظ: انطبق (١٠) راجع آية ٢٤ (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مران ـ كذا.

عن

عن السؤال ؛ ثم أخذ يرغب بما لهم[1] من حسن المآل على وجه الجواب لسؤال من[2] كأنه قال : ما لهم على ذلك ؟ فقيل مظهرا موضع الإضمار مدحا لهم و تعميما لمن اتصف بوصفهم : ﴿ للذين احسنوا ﴾ فبين أن اعترافهم بذلك إحسان ؛ [ثم أخبر عنه بقوله - [3]] : ﴿ فى هذه الدنيا حسنة[4] ﴾ أى جزاء لهم على إحسانهم[4] " هل جزاء الاحسان الا الاحسان[5] " .

و لما كانت هذه الدار سريعة الزوال ، أخبر عن حالهم فى الآخرة فقال : ﴿ و لدار الآخرة خير[4] ﴾ أى جزاء و مصيرا ؛ ثم مدحها / و مدحهم بقوله تعالى : ﴿ و لنعم دار المتقين ﴾ أى هى ، مرغبا فى الوصف الذى كان سبب[5] حيازتهم لها ، و هو الخوف المنافى لما[6] وصف به[6] الأشرار من الاستكبار ، باظهاره موضع الإضمار و حذف المخصوص بالمدح لتقدم ما يدل عليه ، و هو صالح لتقدير الدنيا - أى لمن عمل فيها بالتقوى - و لتقدير الآخرة ، و هو واضح .

/ ٢١٩

و لما كان هذا المدح مشوقا[7] لتفصيل ذلك قيل : ﴿ جنّٰت عدن ﴾ أى إقامة لا ظعن فيها ﴿ يدخلونها ﴾ حال كونها ﴿ تجرى من تحتها ﴾ أى من تحت غرفها ﴿ الانهر ﴾ ثم أجيب من كأنه سأل عما فيها من

(١) زيد فى الأصل و ظ : بمن لهم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .
(٢) زيد فى ظ : سوال (٣) زيدت من م (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احسانه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بسبب (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : به وصف (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مشرفا .

الثمار و غيرها بقوله تعالى : ﴿ لهم فيها ﴾ [١] أى خاصة . لا فى شىء [٢] سواها من غير أن يجلب إليهم من غيرها ﴿ ما يشآءون [١] ﴾ ثم زاد فى الترغيب [بقوله ـ [٣]] : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء العظيم ﴿ يجزى الله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ المتقين ﴾ أى الراسخين فى صفة التقوى ، ثم حث على ملازمة التقوى بالتنبيه على أن العبرة بحال الموت ، فقال تعالى : ﴿ الذين تتوفٰهم ﴾ أى تقبض أرواحهم وافية [٤] من نقص شىء من الروح أو [٥] المعانى ـ بما أشار إليه إثبات [٦] التائين [٧] و الإظهار ﴿ الملٰئكة طيبين ﴾ أى طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر [٨] متحلين بحلية الإيمان ، فكأنه قيل : ما ذا تقول لهم الملائكة ؟ فقيل : ﴿ يقولون ﴾ أى مكررين [٩] للتأكيد تسكينا لما جبلوا عليه من تعظيم جلال الله بالتقوى ﴿ سلم عليكم ﴾ و يقال لهم لتحقق [١٠] فوزهم : ﴿ ادخلوا الجنة ﴾ أى دار التفكه التى لا مثل [لها ـ [٣]] ﴿ بما كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ تعملون ﴾ ترغيبا لهم فى الأعمال التى لا يستطيعونها إلا برحمة الله [لهم ـ [٣]] بتوفيقهم لها .

---

(١) العبارة من هنا إلى « من غيرها » ساقطة من م (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) العبارة من هنا إلى « و الإظهار » ساقطة من م (٥) فى مد « و » (٦) من مد ، و فى الأصل : اسباب ، و الكلمة ساقطة من ظ (٧) فى الأصل و ظ : الناس ، و فى مد : الالباس (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالكسر (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مكرين (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لتحقيق ، و هذه الكلمة و ما يليها ساقطة من م .

و لما أخبر تعالى عن أحوال الكفار السائلين فى نزول الملائكة بعد أن وهّى شبههم ، و أخبر عن توفى الملائكة لهم و لأضدادهم المؤمنين ، مشيرا بذلك إلى [أن -[1]] سنته[2] جرت بأنهم لا ينزلون إلا لإنزال الروح من أمره على من يختصه[3] لذلك أو لأمر [فيصل-[1]] لا مهلة فيه ، قال منكرا[4] عليهم : ﴿ هل ينظرون ﴾ أى هؤلاء الكفار فى تقاعسهم عن تصديق الرسل فى الإخبار بما أنزل ربهم ، و جرد الفعل إشارة إلى قرب ما ينتظرونه[5] ﴿ الآ ان تاتيهم ﴾ أى بأمر الله ﴿ الملٓئكة ﴾ [6] و هم[6] لا يأتونهم إلا بمثل ما أتوا به[7] من قبلهم ممن[8] قصصنا أمرهم من الظالمين إن لم يتوبوا[9] ﴿ او ياتى امر ربك[10] ﴾ أى المحسن إليك المدبر لأمرك بأمر يفصل النزاع من غير واسطة ملك أو غيره .

و لما كان هذا أمرا مفزعا ، كان موجبا[11] لمن له فهم أن[11] يقول : هل فعل [هذا -[1]] أحد[12] غير هؤلاء ؟ فقيل : نعم[13] ! ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الفعل البعيد لبشاعته عن مناهج العقلاء ، مكرا فى تدبير الأذى ،

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سنة (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يجتلبه (٤) فى ظ : منكر (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ينظرونه (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بهم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٩) من م و مد ، و فى الأصل : لم يكونوا ، و فى ظ : لم يقولوا - كذا (١٠) فى ظ : واجبا (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او (١٢) فى ظ : احدا (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهم .

و اعتقادا و قولا ﴿ فعل الذين ﴾ و لما كان الفاعلون مثل أفعالهم فى التكذيب لم يستغرقوا الزمان، أدخل الجار فقال تعالى : ﴿ من قبلهم و ما ﴾ أى و الحال أنه ما ﴿ ظلمهم الله ﴾ أى الذى له الكمال كله فى تقديره ذلك عليهم ، لأنه المالك المطلق التصرف [و - [1]] الملك الذى [2] لا يسئل عما يفعل ﴿ و لكن كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ انفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ يظلمون ﴾ فاستحقوا العقاب لقيام الحجة عليهم على السنن الذى [3] جرت به عوائدكم فيمن باشر سوء من غير أن يكره عليه إكراها ظاهرا ، و هذا بعينه هو العلة فى إرسال الرسل ، و نصب [4] الشرائع و الملل ﴿ فاصابهم ﴾ أى فتسبب عن ظلمهم لأنفسهم أن أصابهم ﴿ سيئات ﴾ أى عقوبات أو جزاء سيئات ﴿ ما عملوا و حاق ﴾ أى أحاط إحاطة ضابطة ﴿ بهم ﴾ من العذاب و المرسل به من الملائكة ﴿ ما كانوا به ﴾ أى خاصة / ﴿ يستهزءون ﴾ تكبرا عن قبول الحق . /٢٢

و مادة 'حاق' ، اوية و يائية - بتراكيبها الست : حوق [6] ، حقو [6] ، قحو [6] ، [7]قوح ، وقح [7] ، حيق - تدور على الإحاطة ، و يلزمها صلابة المحيط و لين المحاط [8] به : [9]حاق به [9] الشيء - إذا نزل بـه فأحاط ، و الحيق :

(١) زيد من م و مد (٢) زيد بعده فى الأصل و ظ : له . و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التى (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هى (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نطلب . (٦) زيد فى م : ثم (٧ - ٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وقح قوح . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحائط (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ما يشتمل[1] على الإنسان من مكروه فعله ، و حاق فيه[2] السيف : حاك ، أى عمل ـ من التسمية باسم الجزء ، و لأنه فى الأغلب يكون فى عمله الموت المحيط بالأجل ، و حاق بهم[3] الأمر : لزمهم و وجب عليهم و نزل بهم ، و الحيقة : شجرة كالشيح يؤكل بها التمر[4] ـ كأنه يحيط بالتمرة ، و حايقه : حسده و أبغضه ـ لإحاطة ذلك . ٥

و الحوق - بالضم : ما أحاط بالكمرة من حروفها ، و بالضم و الفتح [معا ـ[5]] : استدارة فى الذكر ، و الحوق - بالفتح فقط : الإحاطة ، و الأحوق و المحوق ـ كمعظم : الكمرة ـ كأنها مختصة بذلك لكبرها ، و منه فيشلة حوقاء : عظيمة[6] ـ كأنها لعظمها هى التى ظهر حرفها[7] دون غيرها ، و أرض محوقة - بضم الحاء : قليلة النبت لقلة المطر ـ كأنه تشبه بالكمرة ١٠ فى ملاستها ، و تركت[8] النخلة حوقاء - إذا أشعل[9] فى الكرانيف - لاستدارة النار بها أو لشبهها بعد حريق السعف بالذكر أو رأسه ، و الحوقة - بالفتح : الجماعة الممخرقة - لأن الجماعة لها قوة الاستدارة ، و الممخرق إن كان من الكذب فمن لازمه العوج ، و إن كان من المخراق - و هو المنديل الذى يلف للعب به[10] ـ فاللعب به على هيئة الاستدارة ، و حوق[11] ١٥

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : يشمل (٢) فى ظ : به . (٣) زيد بعده فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (٤) فى ظ و مد : الثمر (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : عظيما ـ كذا (٧) فى ظ و مد : حرقها (٨) من القاموس ، و فى الأصول : ترك (٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : اشكل (١٠) سقط من ظ (١١) فى مد : حق .

عليه تحويقا : عوج عليه الكلام ، و الحوق ـ بالفتح أيضا : الكنس و الدلك و التمليس[1] لأن كلا منها ترد[2] فيه اليد إلى قريب من مكانها فيشبه الإحاطة و لو بالتعويج .

و الحقو : الكشح ، و هو ما بين عظم [رأس ـ[3]] الورك إلى الضلع[4] الخلف لأنه موضع [إحاطة الإزار ، و الإزار نفسه حقو لأنه آلته أو الحقو معقد الإزار ، و الحقو : موضع ـ[3]] غليظ مرتفع عن السيل ـ من الصلابة و الاستدارة لأن السيل يحيط به أو يكاد ، و من السهم : موضع الريش ـ لأنه يشبه الحقو[5] فى استدارته و[6] غلظ بعض و دقة بعض ، و فى إحاطة الريش به ، و من الثنية[7] : جانباها ـ من الإحاطة أو مطلق العوج ، و الحقوة : وجع[8] فى البطن من أكل اللحم ـ للحوق[9] وجعه الحقو .

و الأقحوان : نبت يستدير به زهره ، و أقاحى الأمر : تباشيره ـ لأنها تحيط به غالبا ، و قحا المال : أخذه ـ لما يلزمه [من ـ[3]] الإحاطة ، و المقحاة : المجرفة ـ لأنها تحيط بالمجروف .

و من اللين : قاح[10] الجرح يقوح : صارت فيه مدة خالصة لا يخالطها

(١) فى ظ : التلميس (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يرد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصفح (٥) فى ظ : الحكم . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى (٧) من م و القاموس ، و فى الأصل و ظ و مد : الثنية (٨) فى ظ : وقع (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للحقوق (١٠) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : اقاح .

دم كفاح يقيح - واوية [١] و يائية [١] ، و لما يلزمه من الاستدارة غالبا ، و قوّح [٢] الجرح : انتبر [٣] - إما من الموضع الغليظ المرتفع عن السيل ، و إما من استدارته ، و قاح البيت : كنسه كقوّحه ، و القاحة : الساحة [٤] - لاستدارتها غالبا ، و أقاح : صمم على المنع بعد السؤال - إما من الإزالة - أى [٥] أزال اللين - و إما من الصلابة . ٥

و من الصلابة : الوقاح - للحافر الصلب ، و هو من الاستدارة أيضا ، و رجل وقاح الوجه [٦] : قليل الحياء - منه ، و الموقح - كمعظم : المجرب ، و توقيح [٧] الحوض : إصلاحه [٨] بالمدر و الصفائح - للاستدارة و الصلابة .

و لما تم ما هو عجب من مقالهم و مآلهم ، فى سوء أحوالهم ، ١٠ و ختم بتهديدهم ، عطف على قوله " و اذا قيل [لهم -[٩]] ما ذا انزل ربكم " موجبا آخر للتهديد ، معجبا من حالهم فيه ، فقال : ﴿وقال الذين اشركوا﴾ أى الراسخ منهم فى هذا الوصف و التابع له ، على سبيل الاعتراض على من يدعوهم إلى التوحيد من نبى و غيره ، محتجين بالقدر عنادا منهم ، و معترضين على من لا يسأل عما يفعل بأنه - لقدرته على كل شىء - ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) و فى اللسان : تقوح (٣) من ظ و م و مد و اللسان، و فى الأصل : استبر -كذا (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الساعة (٥) فى مد : التى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصلب (٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : توقح (٨) من القاموس ، و فى النسخ : اخلاصه (٩) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم .

/٢٢١ غير / محتاج [إلى بعث - [1]] الرسل ، فارسالهم عبث - تعالى الله الحكيم عن قولهم ، فهو قول من يطلب[2] العلة فى أحكامه تعالى و فى أفعاله ، و هو قول باطل ، لأنه سبحانه الفعال لما يريد سواء اطلع العباد على حكمته أم لا : ﴿ لوشآء الله ﴾ أى الملك الأعظم المحيط بكل شىء قدرة و علما ، عدمَ عبادتنا لغيره ﴿ ما عبدنا ﴾ .

و لما كانت الرتب كلها متقاصرة عن رتبته و كانت متفاوته ، و كان ما يعبدونه من الأصنام فى أدناها رتبة ، [3]أدخلوا الجار فقالوا[3]: ﴿ من دونه ﴾ و أعرقوا فى النفى فقالوا : ﴿ من شىء ﴾ [أى من الأشياء ﴿ نحن و لآ[4] ابآؤنا ﴾ من قبلنا ! و لما ذكروا الأصل أتبعوه الفرع فقالوا : ﴿ و لا حرمنا ﴾ أى على أنفسنا ﴿ من دونه ﴾ أى دون أمره ﴿ من شىء[5] ﴾ - [1]] لأن ما شاء لا يتخلف على[5] زعمكم ، لكنه لم يشأ العدم ، فقد شاء وجود[6] ما نحن عليه ، فنحن نتبع ماشاءه لا تتغير[7] عنه ، لأنه[4] لا يشاء إلا ما هو حق ، و ضل [عن - [1]] الأشقياء - بكلمتهم هذه الحق التى أرادوا بها الباطل - أن مدار السعادة و الشقاوة إنما هو موافقة الأمر لا موافقة الإرادة ، فما كان من الفعل و الكف على وفق الأمر سعد فاعله ، و ما خالفه قامت به الحجة على فاعله على

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : طلب (٣-٣) فى ظ : ادخلوها فى فقال - كذا (٤) ليس فى ظ (٥) فى ظ : عن (٦) من م و مد . و فى الأصل و ظ : وحودا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا يتغير .

ما

ما جرت به[1] عوائد الناس فشق .

فلما انهتك[2] ستر هذه المقالة المموهة[3] ، وكان كأنه قيل استبعادا لها : هل قالها غيرهم ؟ فقيل : نعم ! ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الفعل البعيد من السداد ، و القول الخارج عن الهداية و الرشاد ، و هو الاعتراض على ربهم فى إرسال الرسل ، مانعين[4] لجواز الإرسال بهذه الشبهة الضعيفة ، فانه تعالى يريد إظهار ثمرة الملك بالحكم [على -[5]] ما يتعارفه العباد من إقامة الحجة بالأفعال الاختيارية و إن كانت بقضائه ، لأن ذلك مستور عن العباد ﴿ فعل ﴾ أى كذب بدليل الانعام[6] ﴿ الذين ﴾ و دل[7] على عدم الاستغراق للزمان بقوله : ﴿ من قبلهم ﴾ و[8] كان تكذيبا ، لأن قولهم اقتضى أن يكون ما هم عليه مما يرضاه[9] الله ، و الرسل يقولون : لا يرضاه[10] ، و لا يرضى إلا ما[11] أخبروا بأن صاحبه مثاب عليه أو غير معاقب ، فكان ذلك سببا للانكار عليهم بقوله : ﴿ فهل ﴾ أى فما ﴿ على الرسل ﴾ أى الذين لا رسل فى الحقيقة غيرهم ، و هم الذين أرسلهم الله لدعاء العباد خلفا عن سلف ؛ و لما كان الاستفهام

---

(١) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : فيه (٢) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : انتهك (٣) من م و مد ، و فى الأصل : الموهة ، و فى ظ : الموهومة (٤) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : مايعين (٥) زيد من ظ وم و مد (٦) راجع آية ١٤٨ (٧) فى ظ : دليل (٨) زيد بعده فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (٩) فى ظ : يرضى (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل : لا نرضاه. (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما .

بمعنى النفى - كما تقدم - إلا أنه صور بصورتـه ليكون كدعوى[1] الشىء بدليلها [فقال -[2]] : ﴿ الا البلٰغ المبين ﴾ و قد بلغوكم و أوضحوا لكم ، فصار وبال العصيان خاصا بكم .

و لما كان جمع الرسل مفهما لتوزيعهم على الأمم ، كان موضع ٥ [توقع -[2]] التصريح بذلك ، فقال - دافعا لكرب هذا الاستشراف ، نافيا لطروق احتمال ، دالا[3] على أن هذا القول السابق منصب إنكاره بالذات إلى اعتراضهم على الإرسال ، و مسليا لنبيه صلى الله عليه و على آله و سلم ، و حاثا لهم على الاعتبار ، عطفا على ما تقديره : فلقد بعثناك[4] فى أمتك هذه لأن يعبدوا الله وحده و يجتنبوا الطاغوت ، فنهم من ١٠ هدينا ، و منهم من حقت عليه الضلالة ، فكان[5] من غير شك بعضهم[6] مرضٍ[7] لله و بعضهم مغضب له ، فانه لا يكون حكم المتنافيين[8] واحدا أبدا : ﴿ و لقد ﴾ أى و الله لقد ﴿ بعثنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة التى[9] من اعترض عليها أخذ ﴿ فى كل امة ﴾ من الأمم الذين[10] قبلكم ﴿ رسولا ﴾ [11]فما بقى فى الأرض أحد لم تبلغه الدعوة[11] ، و لأجل أن[12]

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ : دال (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعثنا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وكان (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعطيهم - كذا (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : مرضى (٨) فى ظ : المتنافين (٩) فى ظ : الذى (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التى (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من م . (١٢) سقط من ظ .

الرسل قد تكون من غير المرسل إليهم كلوط و شعيب عليهما السلام في أصحاب الأيكة و سليمان عليه السلام في غير بني إسرائيل من سائر من وصل [إليه -[1]] حكمه من أهل الأرض لم يقيد بـ « منهم » .

و لما كان البعث متضمنا معنى القول، كان المعنى : فذهبوا إليهم قائلين : ﴿ ان اعبدوا الله ﴾ أي الملك الأعلى وحده ﴿ و اجتنبوا ﴾ ٥ أي بكل جهدكم[2] ﴿الطاغوت ج﴾ كما أمركم رسولنا ﴿فمنهم﴾ [أي] فتسبب عن إرسال الرسل أن كانت الأمم قسمين : منهم ﴿ من هدى الله ﴾ أي الذي له الإحاطة الكاملة ، للحق [3]فحقت له الهداية فأبصر الحق و عمل به[3] باتباع الدعاة الهداة[4] فيما أمروا به عن الله ، [5]فحقت [له -[6]] الجنة ﴿ و منهم من حقت ﴾ أي ثبتت[7] غاية الثبات ﴿ عليه الضلالة[8] ﴾ بأن ١٠ أضله الله فنابذ الأمر فلم يعمل به و عمل بمقتضى الإرادة ، فان الأمر قد لا يكون [3]ما تعلق[3] به[4] ، و الإرادة لا بد أن يكون [3]ما تعلقت[3] به ، و قد [9]يكون موافقها[9] عاملا بالضلالة فحق عليه عذابها [3]فحقت له النار[3] فهلك ، لأنه لم تبق[10] له حجة يدفع بها عن نفسه ، فلو كان كل[11] ما شاءه

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م ، و في الأصل و مد : جندكم .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) في ظ : الهداية (٥) العبارة من هنا إلى « الجنة » ساقطة من م (٦) زيد من ظ و مد (٧) في ظ : فثبت (٨) العبارة من هنا إلى « تعلقت به » ساقطة من ظ (٩-٩) في الأصل : يكون بموافقها ، و في م و مد : تكون موافقتها (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لم يبق .
(١١) في ظ : يأكل - كذا .

حقا كان الفريقان محقين فلم يعذب أحدهما ، لكنه لم يكن الأمر كذلك ، بل عذب العاصي و نجى الطائع فى كل أمة على حسب ما قال[1] الرسل ، و هذا هو معنى رضى الله ، إطلاقا[2] لاسم الملزوم على اللازم ، فدل ذلك قطعا[3] على صدق الرسل و كذب[3] مخالفيهم ، [4]فالآية من الاحتباك : ٥ ذكر[5] فعل الهداية أولا دليلا على فعل الضلال ثانيا ، و حقوق الضلالة ثانيا [دليلا[6]] على حقوق الهداية أولا .

ثم التفت إلى مخاطبتهم إشارة إلى أنه لم يبق بعد هذا الدليل القطعى فى نظر[7] البصيرة إلا الدليل المحسوس للبصر فقال : ﴿ فسيروا ﴾ أى فان كنتم أيها المخاطبون فى شك من إخبار الرسل فسيروا ١٠ ﴿ فى الارض ﴾ [8]أى جنسها[8] ﴿ فانظروا ﴾ أى إذا سرتم و مررتم بديار المكذبين و آثارهم ، و عبر هنا بالفاء المشيرة إلى التعقب دون تراخ لأن المقام للاستدلال المنقذ من الضلال الذى تجب المبادرة إلى الإقلاع عنه بخلاف "ثم انظروا[9]" فى الانعام لما تقدم ، و أشار[10] بالاستفهام إلى أن أحوالهم مما يجب أن يسأل عنه للاتعاظ به فقال : ١٥ ﴿ كيف كان ﴾ أى كونا لا قدرة على الخلاص منه ﴿ عاقبة ﴾ أى

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : نال (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عذب (٤) العبارة من هنا إلى « حقوق الهداية أولا » ساقطة من م (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكره . (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نظير (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩) راجع آية ١١ (١٠) فى ظ : اشارة .

آخر أمر ﴿المكذبين ٥﴾ أى من عاد و من بعدهم الذين تلقيتم أخبارهم عمن قلدتموهم فى الكفر من أسلافكم ، فانهم كذبوا الرسل فيما أمرتهم[١] بابلاغه مخالفة لأمرى و عملا بمشيئتى ، فأوقعت بهم لأنهم خالفوا أمرى[٢] باختيارهم مع جهلهم بارادتى ، فقامت عليهم الحجة على ما يتعارفه الناس بينهم . ٥

و لما كان المحقق أنه ليس بعد الإيصال فى الاستدلال إلى الأمر المحسوس إلا العناد ، أعرض عنهم ملتفتا إلى الرؤف بهم الشفيق عليهم ، فقال[٣] مسليا له صلى الله عليه و على آله و سلم : ﴿ ان تحرص على هدٰيهم ﴾ فتطلبه بغاية جدك[٤] و اجتهادك ﴿ فان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ لا يهدى ﴾[٥] أى هو بخلق الهداية فى القلب - هذا على قراءة الكوفيين ١٠ بفتح الياء و كسر الدال ، و من هادٍ[٦] ما بوجه[٧] من الوجوه - على قراءة الجمهور بالبناء للمفعول ﴿ من يضل ﴾[٨] أى من يحكم بضلاله[٩] ، و هو الذى أضلهم فلا يمكن غيره أن يهديهم لأنه لا غالب لأمره ؛ و قرئ شاذا بفتح الياء من ضل بمعنى نسى ، أى فلا تمكن[١٠] هداية من نسيه ، أى[١١]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امرتم (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : جده . (٥) العبارة من هنا إلى « بالبناء للمفعول » ساقطة من م (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : توجه (٨) العبارة من هنا إلى « لسلوكه غير سبيل القصد » ساقطة من م (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالضلالة (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : لا يمكن (١١) فى ظ : بل .

تركه من[1] الهداية ترك المنسى فانه[2] ليس فى يد غيره شىء ، و نقل الصغانى[3] فى مجمع البحرين[4] أنه يقال : ضل فلان البعير أى أضله ، و الضلال عند العرب سلوك غير سبيل القصد ، فالمعنى أنه كان سببا لسلوك البعير غير المقصود ، فمعنى الآية : لا يهدى من يضله الله - بفتح الياء ، أى[5] يكون سببا لسلوكه[6] غير سبيل القصد ، فلا تحزن و لا يضق صدرك من عدم تأثرهم[7] بنصحك و إخلاصك فى الدعاء ، و لا يقع فى فكرك أن فى دعائك نقصا ، إنما النقص فى مراثيهم العمياء / ، و ليس عليك الا البلاغ . و قوله تعالى - : ﴿ و ما لهم ﴾ أى هؤلاء الذين أضلهم الله و جميع من يضله ﴿ من نصرين ﴾ أى ينصرونهم عند مجازاتهم على الضلال ، لينقذوهم مما لحقهم عليه من الوبال ، كما فعل بالمكذبين من قبلهم - عطف على نتيجة ما قبله ، و هو فلا هادى لهم ما أراد الله ضلالهم ، و تبكيت لهم و تقريع و حث و تهييج على أن يقوموا بأنفسهم و يستعينوا بمن شاؤا على نصب دليل على ما يدعونه من أنهم أتبع الناس للحق ، إما بأن يبرهنوا على صحة معتقدهم أو يعينوهم على الرجوع عنه عند العجز عن ذلك ، أو يكفوا عنهم العذاب إذا حاق بهم .

/٢٢٣

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٢) فى ظ : كانه (٣) فى ظ : الصاغانى .
(٤) فى ظ : النحرير ؛ و هذا الكتاب - و هو لحسن بن محمد الصغانى - يجمع بين كتاب تاج اللغة و صحاح العربية للجوهرى و بين كتاب التكملة و الذيل و الصلة من تأليفه ، يحتوى على اثنى عشر مجلدا - كما ألم به فى كشف الظنون .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٦) فى ظ : لسلوك (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تاثير .

و لما كان من حقهم - بعد قيام الأدلة على كمال قدرته و شمول علمه و بلوغ حكمته فى إبداع جميع المخلوقات مما نعلم و مما لا نعلم على أبدع ترتيب[1] و أحسن نظام - تصديقُ الهداة[2] فى إعلامهم بأنه سبحانه يعيدهم للبعث و أنهم لم يفعلوا و لا طرقوا لذلك احتمالا ، بل حلفوا على نفيه من غير شبهة عرضت لهم و لا إخبار عن علم وصل إليهم ٥ فعلّ الجلف الجافى الغبى العاسى، أتبع ذلك سبحانه تعجيبا آخر من حالهم ، فقال - عاطفا على " و قال الذين اشركوا "، لأن كلا من الجملتين لبيان تكذيبهم الرسل و التعجيب[3] منهم فى ذلك[4]، دالا [5]على أن[5] اعتقادهم مضمون هذه الجملة هو الذى جرأهم على قول الأولى و ما تفرع منها -: ﴿ و اقسموا بالله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ جهد ايمانهم ﴾ جعلت الأيمان ١٠ جاهدة لكثرة [ما -[6]] بالغوا فيها : ﴿ لا يبعث الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿ من يموت[1] ﴾ أى لا يحيي أحدا[7] بعد موته ، استنادا منهم إلى مجرد استبعاد ما لم تجر به نفسه عندهم عادةٌ ، جمودا منهم عن حلها بأن النشأة الأولى كانت من غير عادة ، مع ادعائهم أنهم أعقل الناس و أحدهم أذهانا و أثقبهم أفهاما . ١٥

ثم رد عليهم بقوله تعالى : ﴿ بلى ﴾ أى ليبعثنهم[8] لأنه لا مانع له

---

(١) فى ظ: الترتيب (٢) فى ظ: الهداية (٣) فى ظ : التعجب (٤) سقط من ظ .
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) زيد من ظ و م ومه (٧) زيد فى الأصل و ظ : منهم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ . ليبعثهم .

من ذلك و قد وعد به ﴿ وعدا ﴾ و بين[1] أنه لا بد منه بقوله : ﴿عليه﴾ و زاده تأكيدا فى مقابلة اجتهادهم فى أيمانهم بقوله : ﴿حقا﴾ أى لأنه قادر [عليه -[2]] و هو لا يبدل القول لديه ، فصار واجبا فى الحكمة كونه ، [و أمر البعث -[2]] معلوم عند كل عاقل سمع أقوال الهداة[3] تاركا لهواه ﴿ و لكن اكثر الناس ﴾ أى [بما -[2]] لهم من الاضطراب ﴿لا يعلمون﴾ أى لا علم لهم يوصلهم[4] [إلى -[5]] ذلك لأنه من عالم الغيب لا يمكن عقولهم الوصول إليه بغير إرشاد من الله ، و[6] لا هم[6] يقبلون أقوال الدعاة إليه الذين أيدهم بروح منه لتقيدهم [بما توصلهم -[2]] إليه عقولهم ، و هى مقصورة على عالم الشهادة[7] لا يمكنها الترقى منه إلى [عالم -[2]] الغيب بغير وساطة[8] منه [سبحانه -[2]] تعالى ، فلذلك ترى الإنسان منهم يأبى ذلك استبعادا لأن يكون شىء معقول لا يصل إليه بمجرد عقله و هو خصيم مبين .

و لما بين أنه لا بد من ذلك لسبق الوعد به من القادر ، بين حكمته بأمر مبين أنه[9] لا يسوغ تركه بوجه ، و هو أنه لا يجوز فى عقل عاقل أن أحدا ملكا فما دونه يأمر عبيده بشىء ثم يهملهم فلا يسألهم و لا سيما إن اختلفوا و لا سيما إن أدى اختلافهم إلى المقاطعة و المقاتلة

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لامى - كذا (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) فى ظ : الهداية (٤) فى ظ : بوصولهم (٥) زيد من م (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هم لا (٧) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : الغيب (٨) فى ظ : واسطة (٩) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ان .

فكيف

فكيف إن كان حاكما فكيف إذا[1] كان حكيما فكيف و هو أحكم الحاكمين ! فقال معلقا بما دل عليه "بلى" : ﴿ ليبين ﴾ أى فعله و وعد به فهو يبعثهم ليبين ﴿ لهم ﴾ أى للناس[2] ﴿ الذى يختلفون ﴾ أى يوجد اختلافهم ﴿ فيه ﴾ من البعث و غيره ، و يجزى كلا بما عمل لأن ذلك من العدل الذى هو فعله ﴿ و ليعلم الذين كفروآ ﴾ أى جهلوا الآيات الدالة عليه ، فكأنهم ستروها لأنها لظهورها / لا تجهل ﴿ انهم كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ كٰذبين ۝ ﴾ أى عريقين فى الكذب فى إنكارهم للعاد و زعمهم أنهم المختصون بالمفاز علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين .

٢٢٤ /

و لما بين تحتمه و حكمته ، بين إمكانه و يسره عليه و خفته لديه ، فقال تعالى : ﴿ انما قولنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ لشىء ﴾ إبداء و إعادة ﴿ اذآ اردنٰه[3] ﴾ أى أردنا كونه ﴿ ان نقول له ﴾ ثم ذكر محكى القول النفسى فقال - بانيا من 'كان' التامة ما دل على موافقة الأشياء المرادة موافقة المأمور للآمر المطاع - : ﴿ كن ﴾ أى احدث ﴿ فيكون ۝ ﴾ أى فيتسبب[4] عن ذلك القول أنه يكون حين تعلق القدرة به من غير مهلة أصلا ، فنحن خلقنا الخلق لنأمرهم و ننهاهم .

و لما كان التقدير تفصيلا لفريق المبين[5] لهم و ترغيبا فى الهجرة لأنها بعد الإيمان أوثق عرى الإسلام : فالذين [كفروا -[6]]

(١) فى ظ : ان (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الناس (٣) من ظ و م و القرآن الكريم ، و فى الأصل و مد : اردنا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فتسبب (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المؤمنين (٦) زيد من ظ و م و مد .

واغتروا بما شاهدوه من العرض الفانى لنخزينهم[1] فى الدنيا والآخرة ولنجازينهم[2] بجميع ما كانوا يعملون ، عطف عليه قوله تعالى : ﴿ والذين هاجروا ﴾ أى أوقعوا المهاجرة فرارا بدينهم فهجروا[3] آباءهم وأبناءهم وأقاربهم من الكفار وديارهم وجميع ما نهوا عنه ﴿ فى الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له صفات الكمال ، بعد ما[4] تمادى[5] المكذبون بالبعث على إيذائهم ، فتركوا لهم بلادهم .

ولما كانت هجرتهم لم تستغرق[6] زمان البعد لموت [بعض -[7]] من هجروه وإسلام آخرين بعد احتمالهم لظلمهم ما شاء الله ، قال تعالى : ﴿ من بعد ما ظلموا ﴾ أى وقع[8] ظلمهم من[9] الكفار ، بناه للمفعول لأن المحذور وقوع الظلم لا كونه من معين ﴿ لنبوئنهم ﴾ أى نوجد لهم منزلا هو أهل لأن يرجع إليه ، بما لنا من الملائكة وغيرهم من الجنود وجميع العظمة ﴿ فى الدنيا ﴾ مباءة[10] ﴿ حسنة[11] ﴾ كبيرة عظيمة ، جزاء لهم على خدمتنا ، بأن نعلى[11] أمرهم وإن كره المشركون ، كما يراه من يتدبر بمعنى[12] لأوليائى على قلتهم ، وسينكشف الأمر عما[13] قريب انكشافا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليجزينهم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليجازيهم (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليهجروا (٤) سقط من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل وظ : به ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها. (٦) فى مد : لم يستغرق (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) فى مد : اوقع (٩) فى ظ : اى (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هباء (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فعل (١٢) من م و مد ، و فى الأصل : بمعنى ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى « فالآية دليل » ساقطة من ظ (١٣) من م ومد ، و فى الأصل وظ : عن.

لا يجهله أحد . فالآية دليل على ما قبلها .

ولما كان التقدير : ولنبوئنهم[١] فى الآخرة أجرا كبيرا ، عطف عليه قوله تعالى : ﴿ ولاجر الاخرة ﴾ المعد لهم ﴿ اكبر ﴾ مما جعلته لهم فى الدنيا ﴿ لو كانوا يعلمون ﴾ أى لو كان الكفار لهم بجبلاتهم علم بأن يكون لهم عقل يتدبرون به لعلموا[٢] - باحسانى إلى أوليائى فى الدنيا من منعى لهم [منهم -[٣]] فى عنادهم مع كثرتهم وقلتهم ، وإسباغى لنعمى عليهم لا سيما فى الأماكن التى هاجروا إليها من الحبشة والمدينة وغيرهما مع اجتهادهم فى منعها عنهم - أنى أجمع لأوليائى[٤] الدارين ، وأن إحسانى إليهم فى الآخرة[٥] أعظم - روى[٦] أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين [عطاء -[٧]] قال[٨] : خذ بارك الله لك فيه ، هذا ما وعدك الله فى الدنيا ، وما ادخر لك فى الآخرة أكثر وأفضل - ثم تلا هذه الآية .

ولما نبه على إحسانه إليهم . وكان فيه من أول الأمر نوع غموض لظهور الكفرة فى بادى الرأى ، وصفهم بما يحتاج إليه[٩] فى الاستجلاب[٩] لتمامه حثا وإلهابا ، فقال تعالى - واصفا للمهاجرين بيانا لأصل ما حملهم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليوفيهم (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد: يعلموا (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى ظ : فى (٥) زيد فى مد : احسن . (٦) و هذا الأثر رواه البغوى فى معالمه بصيغة المجهول - راجع هامش اللباب ٧٥/٤ (٧) زيد من ظ و م و مد و المعالم (٨) زيد فى مد و رواية اللباب : له . (٩ - ٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و استجلاب .

على ما استحقوا به هذا الأجر الجزيل -: ﴿الذين صبروا﴾ أى استعملوا الصبر على ما نابهم من المكاره من الكفار و غيرهم [١]فى الإقامة بين أظهرهم مدة ثم[١] فى الهجرة بمفارقة الوطن الذى هو حرم الله المشرب حبه لكل قلب، فكيف بقلوب من هو مسقط رؤسهم و مألف أبدانهم و نفوسهم، و فى بذل الأرواح فى الجهاد و غير ذلك، و لفت الكلام إلى وصف الإحسان تنبيها على [ما -[٢]] يحمل على[٣] التوكل فقال تعالى: ﴿و على ربهم﴾ أى المحسن إليهم بإيجادهم و هدايتهم / وحده ﴿يتوكلون*﴾ [٤]فى كل حالة يريدونها رضى[٥] بقضاء الله تعالى. ٢٢٥

و لما أخبر تعالى أنه بعث الرسل، و كان عاقبة من[٦] كذبهم الهلاك، بدلالة آثارهم، و كانوا [قد -[٢]] قدحوا فى الرسالة بكون[٧] الرسول بشرا ثم بكونه ليس معه ملك يؤيده[٨]، رد ذلك بقوله - مخاطبا لأشرف خلقه صلى الله عليه و على آله و سلم لكونه أفهمهم عنه مع أنه أجل من توكل و صبر، [٩]عائدا إلى مظهر الجلال [بيانا -[١٠]] لأنه يظهر من يشاء على من يشاء -: ﴿و ما أرسلنا﴾ أى بما لنا من العظمة.

و لما كان الإرسال بالفعل إنما كان فى بعض الأزمنة، دل[١١] عليه

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من مد (٤) زيد فى ظ: اى (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وهى (٦) سقط من ظ (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لكون (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يريده (٩) العبارة من هنا إلى «على من يشاء» ساقطة من م. (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: حل.

بالجار فقال: ﴿ من قبلك ﴾ إلى الأمم من طوائف البشر ﴿ الا رجالا ﴾ لا ملائكة بل آدميين، هم[1] فى غاية الاقتدار على التوكل و الصبر الذى هو محط [الرجلة -[2]] ﴿ نوحىّ اليهم ﴾ بواسطة الملائكة، و ما أحسن تعقيب ذلك للصابرين، لأن الرسل أصبر الناس .

و لما كانوا قد فزعوا إلى سؤال أهل الكتاب فى بعض الأمور، ٥ وكانوا قد أوتوا علما من عندالله، سبب عن هذا الإخبار الأمر بسؤالهم عن ذلك، فقال مخاطبا لهم و لكل من أراد الاستثبات من غيرهم: ﴿ فسئلوآ ﴾ أى أيها المكذبون و من أراد من سواهم ﴿ اهل الذكر ﴾ أى العلم بالكتاب، سمى[3] ذكرا لأن الذكر - الذى هو ضد السهو - بمنزلة السبب المؤدى إليه فأطلق عليه، كأن الجاهل ١٠ ساه و إن لم يكن ساهيا، وكذا الذكر - [الذى -[2]] هو الكلام المذكور - سبب للعلم .

و لما كان عندهم حسّ من ذلك بسماع أخبار الأمم قبلهم، أشار إليه بقوله تعالى: ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ لا تعلمون ﴾ أو هو التنفير[4] من الرضى بالجهل . ١٥

و لما كانت رسل الملوك تقترن[5] بما يعرف بصدقهم، قال - جوابا لمن كأنه قال: بأى دلالة أرسلوا؟ -: ﴿ بالبينٰت ﴾ المعرفة بصدقهم

(١) من م و مد، و فى الأصل: هو، و الكلمة ساقطة من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى مد: ثم (٤) من م و مد، و فى الأصل: المصغير، و فى ظ: للتغير (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يقترن .

﴿ و الزبر[1] ﴾ أى الكتب الهادية إلى أوامر مرسلهم .

و لما كان القرآن أعظم الأدلة ، أشار إلى ذلك بذكره مدلولا على غيره من المعجزات بواو العطف ، فقال - عاطفا على ما تقديره : و كذلك أرسلناك[1] بالمعجزات الباهرات - : ﴿ و انزلنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ٥ ﴿ اليك ﴾ أى و أنت أشرف الخلق ﴿ الذكر ﴾ أى الكتاب الموجب للذكر ، المعلى للقدر ، الموصل إلى منازل[2] الشرف ﴿ لتبين للناس ﴾ كافة بما أعطاك[3] [الله - [4]] من الفهم الذى فقت[5] فيه جميع الخلق ، و اللسان الذى هو أعظم الألسنة [و - [4]] أفصحها و قد أوصلك الله فيه إلى رتبة لم يصل إليها أحد ﴿ ما نزل ﴾ أى وقع تنزيله ﴿ اليهم ﴾ ١٠ من هذا الشرع الهادى[6] إلى سعادة الدارين بتبيين[7] المجمل ، و شرح ما أشكل . من علم أصول الدين الذى رأسه التوحيد ، و من البعث و غيره ، [8]و هو شامل لبيان الكتب القديمة لأهلها ليدلهم على ما نسخ ، و على ما بدلوه[9] فنسخ .

و لما كان التقدير : لعلهم [10]بحسن بيانك[10] يعملون ! عطف عليه بيانا

---

(١) فى مد : انزلناك (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣) فى ظ : اعطيناك (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م ، و فى الأصل : انت ، و فى ظ : فتقت ، و لا يتضح فى مد (٦) من م و مد . و فى الأصل : الحاوى ، و فى ظ : الهادى . (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بتبين (٨) العبارة من هنا إلى « بدلوه فنسخ » ساقطة من م (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يدلونه (١٠-١٠) من ظ و م و مد . و فى الأصل : حسن ثيابك - كذا .

لشرف العلم قوله تعالى : ﴿ و لعلهم يتفكرون ﴾ إذا نظروا أساليبه الفائقة ، و معانيه [العالية -[1]] الرائقة ، فيصلوا بالفكر فيه - بسبب ما فتحت لهم من أبواب البيان - إلى حالات الملائكة ، بأن تغلب أرواحهم على أشباحهم فيعلموا أنه تعالى واحد قادر فاعل بالاختيار ، و أنه يقيم الناس للجزاء[2] فيطيعونه رغبة و رهبة ، فيجمعون[3] بين شرفى الطاعة الداعية إليها الأرواح ، و الانكفاف عن المعصية الداعية إليها النفوس بواسطة الأشباح .

و لما نبه سبحانه على التفكر ، و كان داعيا للعاقل إلى تجويز الممكن و [البعد من -[1]] الخطر ، سبب عنه إنكار الأمن من ذلك / فقال تعالى : ٢٢٦ /
﴿ افامن ﴾ [أى أتفكروا فتابوا ، أو استمروا على عتوهم ؟ أفأمن -[1]] ﴿ الذين مكروا ﴾ بالاحتيال فى قتل الأنبياء و إطفاء نور الله الذى أرسلهم به ، المكرات ﴿ السيات ان ﴾ يجازوا من جنس عملهم بأن[4] ﴿ يخسف الله ﴾ أى المحيط بكل شىء ﴿ بهم ﴾ أى خاصة ﴿ الارض ﴾ فاذا هم فى بطنها ، لايقدرون على نوع تقلب بمدافعة و لاغيرها ، كما فعل بقارون و أصحابه و بقوم لوط عليه السلام من قبلهم ﴿ او ياتيهم العذاب ﴾ على غير تلك الحال ﴿ من حيث لايشعرون ﴾ به فى حالة من هاتين الحالتين شعورا ما ، وهم فى حال سكون و دعة بنوم أو غفلة ﴿ او ياخذهم ﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالجزاء .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فجمعوا (٤) من ظ و م مد ، و فى الأصل : ان .

أى الله بعذابه[١] ﴿فى﴾ حال ﴿تقلبهم﴾ و تصرفهم و مشاعرهم حاضرة و قواهم مستجمعة .

و لما كانت هذه الأحوال الثلاثة مفروضة فى حال أمنهم من العذاب . و كان الأمن [من - [٢]] العدو يكون عن ظن عدم قدرته عليه[٣] ، علل ذلك بقوله تعالى : ﴿فما هم بمعجزين﴾ أى فى حالة من هذه الأحوال ، سواء علينا غفلتهم و يقظتهم ، و لم يعلل ما بعده بذلك [لأن - [٢]] المتخوف [٤]مجوّز للعجز[٤] ، فقال تعالى : ﴿او ياخذهم﴾ أى الله أخذ غضب ﴿على تخوف[٤]﴾ منهم من العذاب و تحفظ[٥] من أن يقع بهم[٦] ما وقع بمن قبلهم من عذاب الاستئصال ، و يجوز أن يراد بما[٧] مضى[٨] عذاب الاستئصال ، [٩]و بهذا الأخذ شيئا فشيئا ، فان[١٠] التخوف التنقص[١١] عند هذيل[١٢] ، روى[١٣] أن عمر رضى الله عنه سأل الناس عنها فسكتوا فاجابه شيخ من هذيل بأنه التنقص[١] ، فقال عمر رضى الله عنه : هل تعرف [العرب - [١٤]] ذلك فى أشعارها ؟ قال : نعم ! قال شاعرنا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعذاب (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليهم (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يجوز للعجز (٥) من ظ و م و مد . و فى الأصل : حفظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهم (٧) من م و مد ، و فى الأصل : بهاما ، و فى ظ : لما (٨) زيد فى الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل و ظ : و هذا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فكان (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: النقص (١٢) راجع لباب التأويل ٤ / ٧٦ ؛ و زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (١٣) راجع روح المعانى ٤ / ٣٨١ و البحر المحيط ٥ / ٤٩٥ . (١٤) زيد من ظ و م و مد و الروح .

[أبو كثير الهذلى - [١]] يصف ناقة :

تخوف الرحل[٢] منها تامكا [٣] قردا

كما[٣] تخوف عود النبعة السفن [٤]

فقال عمر رضى الله عنه : أيها الناس ! عليكم بديوانكم لا يضل[٥] ، قالوا[٦] : و ما ديواننا ؟ قال : شعر الجاهلية ، فان[٧] فيه تفسير كتابكم و معانى كلامكم . ٥

و لما كان التقدير : لم يأمنوا [٨] ذلك فى نفس الأمر ، و لكن جهلهم بالله - لطول أناته و حلمه - غرهم ، سبب عنه [قوله - [٩]] التفاتا إلى الخطاب استعطافا : ﴿ فان ربكم ﴾ أى المحسن إليكم باهلاك [من يريد - [١٠]] و إبقاء[١١] من يريد ﴿لرءوف﴾ أى بليغ الرحمة لمن يتوسل إليه بنوع وسيلة ، و كذا لمن[١٢] قاطعه أتم مقاطعة ، و إليه أشار بقوله تعالى : ١٠

---

(١) زيد من ظ و م و مد و البحر ، و موضعه فى الروح : أبو كبير ؛ و فى التاج : و قد روى الجوهرى هذا الشعر لذى الرمة ، و رواه الزجاج و الأزهرى لابن مقبل ، قال الصاغانى : و ليس لهما ، و روى صاحب الأغانى فى ترجمة حماد الراوية أنه لابن مزاحم الثمالى ، و يروى لعبد الله بن العجلان الهذلى ، قلت : و عزاه البيضاوى فى تفسيره إلى أبى كبير الهذلى و لم أجد فى ديوان شعر هذيل له قصيدة على هذا الروى (٢) فى ظ و مد و البحر : الرجل ، و فى التاج و اللسان (تمك) : السير (٣-٣) من ظ و م و مد و الروح و غيرها ، و فى الأصل : بردا لما - كذا (٤) فى البحر : السقر (٥) فى الرو : ح لا تضلوا ، و فى الكشاف كما فى النسخ (٦) من ظ و م و مد و الروح ، و فى الأصل : قال (٧) من ظ و م و مد و الروح ، و فى الأصل : كان (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهم فامنوا (٩) زيد من م و مد (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) فى مد : بقاء (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من .

﴿ رحيم * ﴾ أى فتسبب عن إمهاله[1] لهم فى كفرهم و طغيانهم مع القدرة عليهم العلم بأن تركه لمعاجلتهم[2] ما هو إلا لرأفته[3] و رحمته .

و لما خوفهم ، دل على تمام قدرته على ذلك [و غيره - [4]] بقوله - عاطفا على [ما -[4]] تقديره : أو[5] لم يروا إلى عجزهم عما[6] يريدون و [7]قسره لهم[7] على ما [لا -[4]] يريدون ، فيعلموا بذلك قدرته و عجزهم ، فيعلموا أن عفوه عن جرائمهم إحسان منه إليهم و لطف بهم -: ﴿ ا و لم ﴾ و لما كان حقهم المبادرة بالتوبة فلم يفعلوا ، أعرض عنهم فى قراءة الجماعة تخويفا فقال تعالى : ﴿ يروا ﴾ بالياء التحتية ، و قرأ[8] حمزة و الكسائى بالخطاب على نسق ما قبله ، أى[9] ينظروا بعيون الأبصار متفكرين بالبصائر ، و بين بعدهم عن[10] المعارف الإلهية بحرف الغاية فقال تعالى[11] ﴿ الى ما خلق الله ﴾ أى الذى له جميع الأمر ﴿ من شىء ﴾ أى له ظل ﴿ يتفيؤا ﴾ أى تترجع إلى جهة الشاخص ﴿ ظلله ﴾ و هو ما ستره[12] الشاخص عن الشمس متجاوزة له ﴿ عن اليمين ﴾ و هى[13] ما على يمين المستدبر للشمال ، المستقبل للجنوب ، الذى هو ناحية الكعبة لمن فى بلاد الشام التى هى مسكن الأنبياء عليهم السلام ، و أفرد لأن

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امتهاله (٢) فى ظ : لمعالجتهم (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لترافته (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى م ومد « ا » (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (٧-٧) فى مد : قسرهم له . (٨) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : قراة (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ ومد : على (١١) هذا ما قرأ به أهل الحجاز و ابن عامر و الكوفيون ، و غيرهم بغيره (١٢) من م و مد ، و فى الأصل : سيره ، و فى ظ : بصيره (١٣) فى ظ : هو .

الظل يكون أول ما تشرق[١] الشمس مستقيما إلى تلك الجهة على استواء، وجمع فى قوله: ﴿ و الشمآئل ﴾ لأن الشمس كلما[٢] ارتفعت تحول ذلك الظل راجعا إلى جهة ما وراء الشاخص[٣]، و لا يزال / كذلك إلى أن ينتصب[٤] عند الغروب إلى جهة يساره قصدا على ضد ما كان انتصب إليه عند الشروق، فلما كان بعد انتصابه إلى جهة اليمين طالبا فى تفيئه[٥] جهة اليسار[٦]، سميت تلك الجهات التى تفيأ فيها باسم ما هو طالبه تنبيها على ذلك، و فيه إشارة إلى قلة الجيد المستقيم و كثرة المنحرف الردىء. /٢٢٧

و لما كانت كثرة الخاضعين أدل على القهر و أهيب، [جمع -[٧]] بالنظر إلى معنى "ما" [فى -[٧]] قوله: ﴿ سجدا ﴾ أى حال[٨] كونهم خضعا ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعلى بما فيهم من الحاجة إلى مدبرهم.

و لما كان امتداد [الظل -[٧]] قسريا[٩] لا يمكن أحدا الانفصال عنه، قال جامعا بالواو و النون تغليبا: ﴿ و هم داخرون ﴾ ذلا و صغارا، لا يمتنع شىء منهم على تصريفه، و خص الظل بالذكر لسرعة تغيره، و التغير دال على المغير.

و لما حكم على الظلال بما عم أصحابها من جماد و حيوان، و كان الحيوان

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تشهق (٢) فى ظ: كلها (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: الشخص (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ينصب.
(٥) زيد فى الأصل: الى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٦) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٧) زيد من ظ و م ومد (٨) فى ظ: حالة (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: فبسريما - كذا.

أشرف من الجماد ، رقى الحكم إليه بخصوصه فقال تعالى : ﴿ و لله ﴾ أى[1] الذى له الأمر كله ﴿ يسجد ﴾ أى يخضع بالانقياد للقادير و الجرى تحت الأقضية ، وعبر بما هو ظاهر فى غير العقلاء مع شموله لهم فقال تعالى : ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ و لما كان المقام للمبالغة فى إثبات[2] الحكم على الطائع و العاصى ، أعاد الموصول فقال تعالى : ﴿ و ما فى الارض ﴾ ثم بين ذلك بقوله تعالى : ﴿ من دآبة ﴾ أى عاقلة و غير عاقلة . و لما كان المقرب قد يستهين بمن يقربه ، قال مبينا لخضوع[3] المقربين تخصيصا لهم و إن كان الكلام قد شملهم : ﴿ و الملٰئكة ﴾ .

و لما كان الخاضع قد يحكم بخضوعه و إن كان باطنه مخالفا لظاهره ، قال ـ دالا على أن فى غيرهم من يستكبر فيكون انقياده للارادة كرها ، و عبر عن السجودين[4] : الموافق للأمر و الإرادة طوعا ، و الموافق للارادة المخالف للأمر كرها ، بلفظ واحد ، لأنه يجوز الجمع بين مفهومى المشترك و الحقيقة و المجاز بلفظ ـ : ﴿ و هم ﴾ أى الملائكة ﴿ لا يستكبرون ۝ ﴾ ثم علل خضوعهم بقوله دلالة على أنهم كغيرهم[5] فى الوقوف بين الخوف و الرجاء : ﴿ يخافون ربهم ﴾ أى الموجد لهم ، المدبر لأمورهم ، المحسن إليهم ، خوفا مبتدئا ﴿ من فوقهم ﴾ إشارة إلى علو الخوف عليهم و غلبته[6] لهم ، أو حال كون ربهم مع إحسانه [7]إليهم له[7] العلو و الجبروت ، فهو المخوف المرهوب ،

---

(١) زيد بعده فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ايات ـ كذا (٣) فى م : بخضوع (٤) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : السجود (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لغيرهم . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليهم (٧-٧) فى ظ : اليهم ، و فى مد : و لما ـ كذا .

[1]فهم عما نهوا عنه ينتهون[1] ﴿ و يفعلون ﴾ أى بداعية عظيمة علما منهم بما عليهم لربهم من الحق مع عدم منازع من حظ أو شهوة أو غير ذلك ، و[2] دل على أنهم مكلفون بقوله تعالى: ﴿ما يؤمرون ۩﴾ [1]فهم لرحمته لهم يرجون ، فالآية من الاحتباك : ذكر الخوف أولا دال على الرجاء ثانيا ، و ذكر الفعل ثانيا دال على الانتهاء أولا[1] . ٥

و لما كان التوحيد أعظم المأمورات ، و كان العصيان فيه أعظم [العصيان -[3]] ، و كان سبحانه قد أكثر التخويف من عصيانه ، و أبلغ الأمر إلى نهايته بالإخبار بأن الملائكة تخافه ، و كان الملائكة من أعظم الموحدين ، كما كانوا من أعظم الساجدين ، من أهل السماوات و الأرضين ، و كانت هذه الآيات من أعظم أدلة التوحيد ، أتبعها - عطفا على " و انزلنا ١٠ اليك الذكر " ليتظافر[4] على ذلك أدلة العقل و النقل [و-[5]] تسليكا بأحوال الملائكة - قوله تعالى : ﴿و قال الله﴾ فعبر لأجل تعظيم[6] المقام بالاسم الأعظم الخاص الذى بنيت عليه السورة : ﴿لا تتخذوا﴾ أى لا[7] تكلفوا فطركم الأولى السليمة المجبولة على معرفة أن الإله واحد إلى أن تأخذ فى اعتقادها ﴿ الهين ﴾ و يجوز أن يكون معطوفا على ما علم من المقدمات ١٥ المذكورة أول السورة إلى قوله " و ما يشعرون ايان يبعثون " من النتيجة و هى " الهكم اله واحد " لاحتمال أن يقول متعنت : إنه لم يأمرنا

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) سقطت الواو من ظ (٣) زيد من م ومد (٤) فى مد: لتتظافر (٥) زيد من م (٦) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : تعبير (٧) سقط من ظ و م ومد.

/٢٢٨ بذلك و إن دلت عليه الأدلة، و يجوز / - و هو أقرب - أن يعطف على قوله "و قال الذين اشركوا" تبكيتا لهم بأنهم احتجوا بحكمه، و لم يبادروا إلى امتثال أمره .

و لما [كان -[1]] قد فهم المراد من التثنية، و [كان -[1]] ربما قال المتعنت: إن المنهي عنه تكثير الأسماء، قال مؤكدا و محققا[2]: ﴿اثنين ج﴾ تنبيها على أن الألوهية لأنه موضع لإمكان[4] التنازع الملزوم للعجز المنافي لتلك الرتبة مطلق[3] [العدد -[1]] ينافي المنيفة الشماء، و في ذلك أيضا - مع كون معبوداتهم كانت كثيرة - إشارة إلى [أن -[5]] ما يسمى آلهة[6] - و إن زاد عدده - يرجع[7] بالحقيقة إلى اثنين: خالق و مخلوق، و من المعلوم لكل ذي لب أن المخلوق غير صالح للألوهية، فانحصر الأمر في الخالق، و إن لم يكن فيه الخالق كان منقسما لا محالة، و أقل ما ينقسم إلى اثنين، و باب الاتخاذ[8] إذا كان مفعوله نكرة، [9]اكتفى بواحد[9] كما تقول: اتخذت بيتا، و اتخذت زوجة - و نحو ذلك، ثم علل ذلك النهي بما اقتضاه السياق من الوحدانية فقال تعالى: ﴿انما هو﴾ أي الإله المفهوم من لفظ "الهين" الذي لا يستحق غيره أن يطلق عليه هذا الضمير إلا مجازا، لأنه لا يطلق إطلاقا حقيقيا إلا على ما وجوده[10] من ذاته ﴿اله﴾ أي يستحق هذا الوصف على الإطلاق .

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد في م: امره و قال (٣) من ظ و م و مد، و في الاصل: طلق (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: امكان (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م، و في الأصل و مد: الهية (٧) زيد بعده في الأصل: عدده، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٨) في م و مد: الاتحاد. (٩-٩) من ظ و م ومد، و في الأصل: النفي بواحد (١٠) في مد: وجدوه .

و لما كان السياق مفهما للوحدانية من النهى عن التثنية ، و[1]كان ربما[1] [تعنت -[2]] متعنت بأن المراد إثبات الإله الدال على[3] الجنس ، قال رافعا لكل شبهة : ﴿واحد﴾ [أى -[4]] لا يمكن أن يثنى بوجه و لا أن يجزأ لغناء المطلق عن كل شيء و احتياج كل شيء إليه ، فكونوا[5] ممن يسجد له طوعا و لاتكونوا ممن [لا -[2]] يسجد[6] له إلا كرها . ٥

و لما كان أسلوب الغيبة لا يعين[7] الإله فى المتكلم ، التفت إلى أسلوب التكلم[8] فقال تعالى : ﴿ فاياى ﴾ أى[9] ذلك الواحد أنا وحدى لا شريك لى ، فمن لم يوحدنى أوقعت به [بقوتى -[2]] ما لايطيقه لعجزه .

و لما كانت الوحدانية مما لا يخفى على عاقل ، و كانت مركوزة فى كل فطرة بدليل الاضطراب عند المحن ، و الشدائد و الفتن ، و كانت ١٠ الرهبة - كما مضى[10] عن الحرالى فى البقرة - خاصة بالخوف مما خالف العاصى فيه العلم ، [عبر -[2]] بها فقال تعالى : ﴿فارهبون*﴾ مختصا بذلك و لا تخافوا شيئا غيرى من صنم ولا غيره ، فانه ليس لشيء من ذلك قدرة ، و إن أودعته قدرة فانه لا يتمكن من إنفاذها . فالأمر كله إلىّ وحدى .

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ربما كان (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) زيد فى الأصل : انه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : فلوكانوا (٦) من م و مد ، و الأصل وظ: يسجدوا (٧) من ظ و م ومد، وفى الاصل: لا تعين (٨) من ظ و م ومد، وفى الاصل : المتكلم (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) راجع نظم الدرر ١/٣١٥ .

و لما كان أسلوب الغيبة من الحاضر دالا على التردى بحجاب الكبر المؤذن[١] بشدة البطش و سرعة الانتقام و بعد المقام[٢]، رجع إليه فقال تعالى: ﴿ و له ﴾ فأعاد الضمير على الله الاسم العلم الجامع لجميع الأسماء الحسنى ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ .

٥ و لما كان الأمر قد تأكد و تأطد[٣]. و ظهر المراد منه غاية الظهور، لم يحتج إلى تأكيده[٤] باعادة النافى[٥]، فقال تعالى: ﴿ و الارض ﴾ أى مما تعبدونه و غيره، فكيف يتصور أن يكون شىء [من ذلك إلها و هو ملكه، مع كونه محتاجا إلى الزمان و المكان و غيرهما -[٦]] ﴿[٧]و له الدين[٧] ﴾ [أى -[٦]] الخضوع[٨] و التذلل من كل ما[٩] فيهما و من فيهما بالطوع

١٠ و الكره، بانفاذ القضاء و القدر، بالصحة و السقم، و الغنى و الفقر، و الحياة و الموت، و الإيجاد و الإعدام، و الإذلال [و الإعزاز -[٦]]، و الإقبال و الإعراض - كما بين آنفا، و له الدينونة بالمجازاة ﴿واصبا[٤]﴾ [أى -[٦]] دائما ثابتا [عاما لا -[٦]] كالملوك الذين[١٠] تنقطع ممالكهم مع خصوصها، و المعبودات التى تنقطع عبادتها فى وقت [من -[٦]] الأوقات

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المودى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الانتقام (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ناظر (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تاكيد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الثانى.
(٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٧ - ٧) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «بالمجازاة» و الترتيب من ظ و م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الخضوع (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (١٠) فى ظ: الذى.

فتصير كاسدة بعد أن كانت رابحة و إن طال المدى ، مع خصوصها بناس[1] دون غيرهم ، و لا يخلو يوم من الأيام لملك غيره من جرى أمور على غير مراده و إن عظم سلطانه ، و علا شأنه ، و كثرت أعوانه ، فكيف يتصور من له أدنى بصر أن يكون غيره إلها ، و قد تقدم فى "ان ربى على صراط / مستقيم" فى هود[2] ما ينفع استحضاره هنا . ٥ / ٢٢٩

و لما تقرر هذا الدليل على هذه الصفة ، و كان من مفهومات الدين الجزاء الناظر إلى الأفعال الواقية مما يضر ، تسبب عنه الإنكار الشديد على من[3] يلتفت بشىء من أفعاله إلى غيره بعد علمه بأنه دائم لايزول ، و أن[4] كل ما سواه زائل ، فقال معبرا بالتقوى التى هى نتيجة[5] الرهبة : ﴿ افغير الله ﴾ [أى -[6]] الذى له العظمة [كلها -[6]] ﴿ تتقون ﴾ ١٠ و أتبع ذلك ما يوجب [تعظيم -[6]] الإنكار عليهم ، فقال مبينا أنه لا ينبغى أن يتعلق خوف و لا رجاء إلا به : ﴿ و ما بكم ﴾ أى التبس[7] بكم أيها الناس عامة مؤمنكم و كافركم ! ﴿ من نعمة ﴾ أى[8] جليلة أو حقيرة ﴿ فمن الله ﴾ أى المحيط بكل شىء وحده لا من غيره .

و لما كان إخلاصهم له - مع ادعائهم ألوهية غيره - أمرا مستبعدا ، ١٥ عبر بأداة التراخى و البعد فى قوله تعالى : ﴿ثم اذا مسكم﴾ أى أدنى مس

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يباس - كذا (٢) آية ٥٦ (٣) سقط من ظ (٤) زيد فى ظ : كان (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النتيجة .
(٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : النفس .
(٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : او .

﴿ الضر ﴾ بزوال نعمة مما[1] أنعم به عليكم ﴿ فاليه ﴾ أى وحده ﴿ تجئرون ﴾ أى ترفعون أصواتكم بالاستعانة لما ركز[2] فى فطركم الأولية السليمة من أنه لا ملجأ و لا منجى منه إلا إليه .

و لما كان الرجوع إلى الإشراك بعد الإخلاص مستبعدا أيضا لاستهجانهم سرعة الاستحالة ، قال تعالى : ﴿ ثم اذا كشف ﴾ سبحانه عما تشركون[3] ﴿ الضر[4] ﴾ أى الذى مسكم ﴿ عنكم ﴾ و نبه على مسارعة الإنسان فى الكفران فقال تعالى: ﴿ اذا فريق ﴾ أى جماعة هم أهل فرقة و ضلال ﴿ منكم[5] ﴾ أيها العباد ! ﴿ بربهم ﴾ الذى تفرد بالإنعام [عليهم -[6]] ﴿ يشركون ﴾ أى يوقعون الإشراك [به -[7]] بعبادة غيره تغيرا منهم عما كانوا عليه عند الاستغاثة به فى الشدة ، فكان منطبقا عليهم ما ضربوا المثل بكراهته بقولهم :

و إذا [تكون -[8]] كريهة[9] ادعى لها
و إذا يحاس الحيس يدعى جندب

و هذا أجهل الجهل .

و لما كان هذا ملزوما بجحد النعمة . و كان من شأن العاقل البصير

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ركن (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يشركون (٤) تأخر فى ظ عن « مسكم » (٥) زيد فى ظ : اى (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد من م . (٨) زيد من ظ و م و مد و اللسان (حيس) (٩) من ظ و م و مد و اللسان ، و فى الأصل : كرهه .

بالأمور - كما يدعونه لأنفسهم - أن لا يغفل عن شيء من لوازم ما يقدم[1] عليه، قال: ﴿ليكفروا﴾ أي يوقعوا التغطية لأدلة التوحيد التي دلتهم[2] [عليها -[3]] غرائز عقولهم ﴿بما آتيناهم[4]﴾ أي من النعمة، تنبيها على أنهم ما أقدموا على ذلك الشرك إلا لهذا الغرض إحلالا[5] لهم محل العقلاء البصراء الذين يزعمون أنهم أعلاهم، ورفعا لهم عن أحوال من يقدم على ما لا يعلم عاقبته، ولاخزى[6] أعظم من هذا، لأنه أنتج أن الجنون[6] خير من عقل يكون هذا مآله، فهو[7] من باب التهكم ﴿فتمتعوا قف﴾ أي فتسبب عن هذا أن يُقبَل على هذا الفريق إقبالَ [عالم -[7]] قادر عليه قائلا: تمتعوا ﴿فسوف﴾ أي فإن تمتعكم على هذا الحال سبب لأن[8] يقال لكم تهديدا: سوف[9] ﴿تعلمون ه﴾ غب[10] تمتعكم، فهو إقبال الغضب والتهديد بسوء المنقلب، وحذف المتهدد به أبلغ وأهول لذهاب النفس في تعيينه كل مذهب.

ولما هددهم[11] باشراكهم المستلزم لكفر النعمة، أتبعه عجبا آخر من أمرهم[12] فقال عاطفا على قوله تعالى "واقسموا [بالله -[13]] جهد ايمانهم":

---

(١) من ظ وم ومد، وفي الأصل: تقدم (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد (٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: اجلالا (٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: جزى (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: الحيوان (٧) زيد من ظ وم ومد (٨) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لانه (٩) من ظ وم ومد، وفي الأصل: فسوف (١٠) والغب: العاقبة (١١) في ظ وم ومد: تهددهم (١٢) من ظ وم ومد، وفي الأصل: امورهم (١٣) زيد من ظ وم ومد والقرآن الكريم.

﴿ ويجعلون ﴾ أى على سبيل التكرير ﴿ لما لا يعلمون ﴾ مما[1] يعبدونه من الأصنام و غيرها لكونه فى حيز العدم فى نفسه و عدما محضا بما وصفوه به [كما -[2]] قال تعالى" ام تنبئونه بما لا يعلم[3]" ﴿نصيبا مما رزقنهم[4]﴾ بما لنا من العظمة ، من الحرث و الأنعام و غير ذلك ، تقربا إليها كما مضى شرحه فى الأنعام ، و لك أن تعطفه - و هو أقرب - على "يشركون" فيكون داخلا فى حيز " اذا" [أى -[2]] فاجأوا[5] مقابلة نعمته فى الإنجاء بالإشراك و التقرب برزقه إلى ما الجهل[6] به خير من العلم به ، لأنه عدم[6] لأنه لاقدرة له و لا نفع فى المقام الذى أقاموه فيه ؛ ثم التفت إليهم / التفاتا مؤذنا بما يستحق على هذا الفعل من الغضب فقال تعالى : ﴿تالله﴾ / ٢٣٠ أى الملك الأعظم ﴿ لتسئلن ﴾ يوم الجمع ﴿عما كنتم﴾ أى كونا هو فى جبلاتكم ﴿تفترون﴾ أى تتعمدون[7] فى الدنيا من هذا الكذب ، سؤال توبيخ ، و هو الذى لا جواب لصاحبه إلا بما فيه فضيحته .

و لما بين سفههم فى صرفهم مما آتاهم إلى ما هو فى عداد العدم الذى لا يعلم ، بين لهم سفها هو[8] أعظم من ذلك بجعلهم لمالك الملك و ملكه أحقر ما يعدونه مما أوجده[9] لهم ، لافتقارهم إليه و غناه عنه[10] على وجه

(١) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : بما (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) سورة ١٣ آية ٣٣ (٤) من م و مد ، و فى الأصل : فاجازوا ، و فى ظ : فاجابوا (٥) زيد فى ظ : خير (٦) سقط من مد (٧) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : تغمدون. (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هم (٩) فى ظ : اوجدوه (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عنهم .

التوالد المستحيل عليه مع كراهته لأنفسهم ، فصار ذلك أعجب العجب ، فقال تعالى : ﴿ و يجعلون لله ﴾ أى[1] الذى لا معلوم على الحقيقة سواه[2] لاستجماعه لصفات[3] الجلال و الإكرام . [4]و لما كان المراد تقريعهم ، و كانت الأنوثة ربما أطلقت على كرائم الأشجار ، نص على المراد بقوله[4] : ﴿ البنات ﴾ فلا أعجب منهم حيث يجعلون الوجود للعدوم المجهول ، و يجعلون العدم للوجود المعلوم ؛ ثم نزه نفسه عن ذلك معجبا من وقوعه من عاقل بقوله تعالى : ﴿ سبحنه و ﴾ .

و لما ذكر ما جعلوا له مع الغنى المطلق ، بين ما نسبوا لأنفسهم مع لزوم الحاجة و الضعف فقال : ﴿ و لهم ما يشتهون ﴾ من البنين ، و ذلك فى جملة اسمية مدلولها الثبات ، ليكون[5] [مناديا -[6]] عليهم بالفضيحة ، لأنهم [7]لا يبقون[7] لأبنائهم [و -[6]] لا يبقى أبناؤهم لهم ، و قد يكونون أعدى أعدائهم ؛ ثم بين حالهم إذا حصل لهم نوع [ما -[6]] جعلوه[8] له سبحانه فقال تعالى : ﴿ و اذا ﴾ أى جعلوا كذا و الحال أنه إذا ﴿ بشر احدهم ﴾ ولما تعين المراد[9] و زال المحذور[10] ، جمع بين الخساستين كما بين فى آخر الصافات فقال تعالى[11] : ﴿ بالانثى ﴾ أى قابل هذه البشرى

(١) سقط من م (٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : سواء (٣) فى مد : بصفات .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : فيكون .
(٦) زيد من ظ و م و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : جعلوا (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ ومد ، و فى الأصل : المعذور (١١) العبارة من « و لما تعين » إلى هنا ساقطة من م .

-[١]التى تستحق[١] السرور بحصول نسمة تكون سببا لزيادة هذا النوع ، و قد تكون[٢] سبب سعادته ، دالة على عظمة الله - بضد ما تستحق[٣] مما لايفيده شيئا بأن ﴿ ظل وجهه ﴾ و كنى عن[٤] العبوس و التكدر و الغبرة بما يفور فيه من الغيظ بقوله تعالى : ﴿ مسودا ﴾ أى من الغم و الكراهة ، و لعله اختير لفظ 'ظل' الذى معناه العمل نهارا و إن كان المراد العموم[٥] فى النهار و غيره دلالة[٦] على شهرة هذا الوصف شهرة ما يشاهد نهارا ﴿ و هو كظيم ﴾ ممتلئ غيظا على المرأة ولا ذنب لها بوجه ، و البشارة فى أصل اللغة : الخبر الذى يغير البشرة من حزن أو سرور ، ثم خص فى عرف اللغة بالسرور ، و لا تكون[٧] إلا بالخبر الأول ، و لعله عبر عنه بهذا اللفظ تنبيها على تعكيسهم للأمور فى جعلهم و سرورهم و حزنهم و غير ذلك من أمرهم .

و لما كان سواد الوجه و الكظم قد لا يصحبه الخزى ، وصل به قوله تعالى : ﴿ يتوارى ﴾ أى يستخفى[٨] بما يجعله[٩] فى موضع كأنه الوراء لا اطلاع [لأحد - [١٠]] عليه ﴿ من القوم ﴾ أى الرجال الذين هو[١١]

(١ - ١) من م و مد ، وفى الأصل : الذى يستحق ، و فى ظ . الذى تستحق.
(٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل: يكون (٣) من م ومد، و فى الأصل وظ: لا يستحق (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: الغموم (٦) فى ظ : دالا (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : لا يكون.
(٨) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : يستحلى (٩) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : جعله (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) فى ظ : هم .

فيهم ﴿ من سوء ما بشر به ﴾ لعده[1] له خزيا ، ثم بين ما يلحقه من الحيرة فى الفكر عند ذلك بقوله تعالى : ﴿ ايمسكه على هون ﴾ أى ذل و سفول أمر ، و لما كانوا يغيبون المؤودة فى الأرض على غير هيئة الدفن ، عبر عنه بالدس فقال تعالى : ﴿ ام يدسه فى التراب ﴾ قال [ابن -[2]] ميلق[3] : قال المفسرون : كانت المرأة إذا أدركها المخاض احتفرت حفيرة و جلست على شفيرها ، فان وضعت ذكرا أظهرته ، و ظهر السرور على أهله ، و إن وضعت أنثى استأذنت مستولدها ، فان شاء أمسكها على هون و إن شاء أمر بالقائها فى الحفيرة و رد / التراب عليها و هى حية لتموت[4] - انتهى . قالوا : و كان الوأد فى مضر و خزاعة و تميم[5] . / ٢٣١

و لما كان حكمهم هذا بالغا فى القباحة ، وصفه بما يستحقه فقال مؤكدا لقبحه : ﴿ الا ساء ما يحكمون ﴾ أى بجعل ما يكرهونه لمولاهم الذى لا نعمة عندهم إلا منه ، و جعل ما يختارونه لهم خاصا[6] بهم .

و لما كان [7]شرح هـذا[7] أنهم تكلموا بالباطل فى جانبه تعالى و جانبهم ، بين ما هو الحق فى هذا المقام ، فقال تعالى على تقدير الجواب لمن كأنه قال : فما يقال فى ذلك ؟ مظهرا فى موضع الإضمار ، تنبيها على الوصف الذى أوجب الإقدام على الأباطيل من غير خوف :

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معدة (٢) زيد من م و مد (٣) فى ظ : مليق - كذا ؛ و ابن الميلق هذا هو محمد بن عبد الدائم بن محمد أبو المعالى ناصر الدين المعروف بابن بنت الميلق ، و فى الأعلام للزركلى : و يختصر فيقال : ابن الميلق . (٤) فى م : ليموت (٥) كما فى معالم التنزيل للبغوى - راجع اللباب ٤/٧٩ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خاصة (٧-٧) فى ظ : هذا شرح .

﴿ للذين لا يؤمنون ﴾ أى لا يوجدون الإيمان أصلا ﴿ بالآخرة مثل ﴾ أى حديث ﴿ السوء ﴾ من الضعف و الحاجة و الذل و الرعونة ﴿ و لله ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ المثل ﴾ أى الحديث أو المقدار أو الوصف أو القياس ﴿ الاعلى ﴾ من الغنى و القوة و جميع صفات الكمال بحيث لا يلحقه[1] حاجة و لا ضعف و لا شائبة نقص أصلا، و أعدل العبارات[2] عن ذلك لا إله إلا الله ، و [3]يتأتى تنزيل[3] المثل على الحقيقة كما سيأتى إيضاحه إن شاء الله تعالى فى سورة الروم .

و لما كان أمره سبحانه و تعالى أجل مما تدركه العقول ، و تصل إليه الأفهام ، أشار إلى ذلك بقوله تعالى : ﴿ و هو ﴾ لا غيره ﴿ العزيز ﴾ الذى لا يمتنع عليه شىء فلا نظير له ﴿ الحكيم ﴾[4] الذى لا يوقع شيئا إلا فى محله ، فلو عاملهم بما يستحقونه من هذه العظائم التى[5] تقدمت عنهم لأخلى[6] الأرض منهم ﴿ و لو يؤاخذ الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له صفات الكمال ﴿ الناس ﴾ كلهم .

و لما كان السياق للحكمة ، و كان الظلم - الذى هو إيقاع [الشىء -[7]] فى غير موقعه[8] - شديد المنافاة لها ، [9]و كان الشرك - الذى هذا[10] سياقه -

(١) فى م : لا تلحقه (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العبادات - (٣ - ٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بانى تاويل (٤) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لاجلى (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موضعه (٩) العبارة من هنا إلى "بالفعل قال" ساقطة من م (١٠) من مد ، و فى الأصل : كان ، و فى ظ : هو .

أظلم

أظلم الظلم، قال معبرا[1] بالوصف الشامل لما وقع منهم[2] منه بالفعل [و لما هم منطوون عليه و هو وصف لهم و لم يباشروه إلى الآن بالفعل - [3]] قال: ﴿ بظلمهم ﴾ أى يعاملهم معاملة الناظر لخصمه المعامل[4] له بمحض العدل من غير نظر إلى الفضل، و عبر بصيغة المفاعلة لأن دلالتها على المناقشة أبلغ ﴿ما ترك﴾ [و لما - [5]] اقتضى الحال ذكر الظلم، وكان سياق هذه الآية أغلظ[6] من سياق فاطر[7]، عبر بما يشمل كل محمول الأرض[8] سواء كان على الظهر أو[9] فى البطن مغمورا بالماء أو لا [10]فقال تعالى[10]: ﴿عليها﴾ أى الأرض المعلوم أنها مستقرهم المدلول عليها بالتراب، و أعرق[11] فى النفى فقال تعالى: ﴿ من دآبة ﴾ أى نفس تدب على وجه الأرض، لأن الكل إما ظالم يعاقب بظلمه، و إما من مصالح الظالم[12] فيهلك عقوبة للظالم، [13]أو لأنه[13] ما خلقهم إلا للبشر. فاذا أهلكهم أهلكهم كما وقع قريب [منه -[14]] فى زمن نوح عليه السلام ﴿ و لكن ﴾[15] لا يفعل بهم ذلك، فهو ﴿ يؤخرهم ﴾ إمهالا بحكمته و حلمه ﴿ الىٰ اجل مسمىج ﴾ ضربه لهم فى الأزل.

---

(١) زيد فى مد: اقتضى (٢) فى ظ: فيهم (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: المعاجل (٥) زيد لاستقامة العبارة، و هى من هنا إلى « أولا فقال تعالى » ساقطة من م (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اغلاظ. (٧) راجع آخر آية (٨) من مد، وفى الأصل و ظ: للارض (٩) فى ظ: ام. (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من مد (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اغرب (١٢) من ظ وم و مد. و فى الأصل: للظالم (١٣ - ١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ولانهم (١٤) زيد من ظ و م ومد (١٥) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

و لما قطع العلم بالغاية عما يكون، سبب عن ذلك الإعلام بما يكون فيه فقال: ﴿ فاذا جآء اجلهم ﴾ الذى حكم بأخذهم عنده ﴿ لا يستاخرون ﴾ أى عنه ﴿ساعة﴾ أى وقتا[1] هو عام التعارف بينكم؛ ثم عطف على جملة الشرط من أولها قوله تعالى: ﴿ و لا يستقدمون ه ﴾ أى عن الأجل شيئا.

و لما كان ما تقدم أمارة على كراهتهم لما نسبوه إلى الله تعالى، أتبعه التصريح بعد التلويح بقوله تعالى: ﴿ و يجعلون لله ﴾ [أى -[2]]. و هو الملك الأعظم ﴿ما يكرهون ﴾ أى لأنفسهم، من البنات و الأموال و الشركاء فى الرئاسة، و من الاستخفاف[3] برسلهم و جنودهم و التهاون برسالاتهم، ثم وصف جراءتهم مع ذلك، الكائنة فى محل الخوف، المقتضية لعدم التأمل اللازم لعدم العقل [فقال -[4]]: ﴿ و[5] تصف ﴾ أى تقول[6] معتقدة مع القول الصفاء، و لما كان قولا لا[7] حقيقة له بوجه، أسنده إلى اللسان فقال: ﴿ السنتهم ﴾ أى مع ذلك مع أنه قول لا ينبغى[8] أن يتخيله عاقل ﴿ الكذب ﴾ ثم بينه بقوله: ﴿ان لهم الحسنى[9] ﴾ أى عنده، و لا جهل أعظم و لا حكم[9] أسوأ من أن تقطع بأن من تجعل[10] له ما تكره يجعل لك[11] ما[12] تحب، فكأنه قيل: فما لهم

/٢٣٢

(١) فى م: ما (٢) زيد من م و مد (٣) فى ظ: الاستحقاق (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) ليست الواو فى الأصل و ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يقول (٧) سقط من ظ (٨) زيد فى مد: اى (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: احكم (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يجعل (١١) فى ظ: له. (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من.

عنده؟ فقيل: ﴿لا جرم﴾ أى لا ظن ولا تردد فى ﴿ان لهم النار﴾ التى هى جزاء الظالمين ﴿وانهم مفرطون ه﴾ أى مقدمون معجلون إليها بتقديم من يسوقهم و إعجاله لهم؛ [و قال الرمانى: متروكون فيها، من قول العرب: ما أفرطت ورائى أحدا، أى ما خلفت ولا تركت، و قرأ نافع بالتخفيف و الكسر، أى مبالغون فى الإسراف[1] و الجراءة على الله. ٥ و لما بين مآلهم، وكانوا يقولون: إن لهم من يشفع فيهم، بين لهم -[2]] ما يكون من حالهم، بالقياس على أشكالهم تهديدا، و تسلية للنبى صلى الله عليه و على آله و سلم، فقال تعالى: ﴿تالله﴾ أى الملك الأعلى[3] ﴿لقد ارسلنآ﴾ أى بما لنا من العظمة، رسلا من الماضين ﴿الىٓ امم﴾ و لما كان[4] الإرسال بالفعل لم يستغرق زمان القبل، قال: ﴿من قبلك﴾ ١٠ [كما -[2]] أرسلناك[5] إلى هؤلاء ﴿فزين لهم الشيطن﴾ أى المحترق بالغضب، المطرود باللعنة ﴿اعمالهم﴾ كما زين لهؤلاء فضلوا كما ضلوا[6] فأهلكناهم ﴿فهو﴾ لا غيره ﴿وليهم اليوم﴾ بعد إهلاكهم حال كونهم فى النار و لا قدرة له على نصرهم ﴿و لهم عذاب اليم ه﴾ فلا ولى لهم لأنه لو قدر على نصرهم لما أسلمهم للهلاك و قد أطاعوه، بل لو عدموا ولايته ١٥ كان ذلك أولى لهم، فهو نفى لأن يكون لهم ولى على أبلغ الوجوه.

---

(١) فى مد: الاشراف (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاعظم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جاء. (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ارسلنا (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اضلوا.

و لما كان حاصل ما مضى الخلاف و الضلال و النقمة ، كان كأنه قيل : فبين لهم و خوفهم ليرجعوا ، فانا ما أرسلناك إلا لذلك[١] ﴿و ما انزلنا﴾ [أى -[٢]] بما لنا من العظمة من جهة العلو ﴿عليك الكتب[٣]﴾ أى الجامع لكل هدى. و لما كان فى سياق الدعاء و البيان عبر ، بما يقتضى الإيجاب فقال : ﴿الا لتبين﴾ أى غاية البيان ﴿لهم﴾ أى لمن أرسلت إليهم و هم[٤] الخلق كافة ﴿الذى اختلفوا فيه[٥]﴾ من جميع الأمور دينا و دنيا لكونك أغزرهم علما و أثقبهم[٦] فهما ، و عطف على موضع «لتبين» ما هو فعل المنزل ، فقال تعالى : ﴿و هدى﴾ أى بيانا شافيا ﴿و رحمة﴾ أى و[٦] إكراما بمحبه .

و لما كان ذلك ربما شملهم[٧] و هم على ضلالهم ، نفاه بقوله تعالى : ﴿لقوم يؤمنون ه﴾ و التبيين[٨] : معنى يؤدى[٩] إلى العلم بالشىء [١٠]منفصلا عن[١٠] غيره ، و قد يكون عن المعنى نفسه ، و قد يكون عن[١١] صحته ، و البرهان لا يكون إلا عن صحته فهو أخص ، و الاختلاف : ذهاب كل[١٢] إلى [غير -[١٣]] جهة صاحبه ، و الهدى : بيان طريق العلم المؤدى إلى الحق .

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كذلك (٢) زيد من ظ و مد . (٣) ليس فى الأصل فقط (٤) فى ظ : هو (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اتقبهم (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشملهم (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التبين (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نودى . (١٠ - ١٠) من ظ و م و مد . و فى الأصل : مفصلا على (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (١٢) زيد بعده فى الأصل : شىء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٣) زيد من ظ و م و مد .

و لما انقضى الدليل على أن قلوبهم منكرة[1] استكبارا و ما يتعلق به، و ختمه بما أحيي[2] به القلوب بالإيمان و العلم بعد موتها بالكفر و الجهل، و كان المقصود الأعظم من القرآن تقرير[3] أصول أربعة : الإلهيات، و النبوات، و المعاد، و إثبات القضاء و القدر و الفعل بالاختيار، [4]و كان أجل هذه المقاصد الإلهيات، شرع فى أدلة الوحدانية و القدرة و الفعل بالاختيار[4] المستلزم للقدرة على البعث على وجه غير المتقدم ليعلم أن أدلة ذلك أكثر من أوراق الأشجار، و أجلى من ضياء النهار[5]، فعطف على قوله "و الله يعلم ما تسرون و ما تعلنون" قوله جامعا فى الدليل بين العالم العلوى و العالم السفلى : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ انزل من السمآء ﴾ فى الوقت الذى / يريده ﴿ مآء ﴾ بالمطر و الثلج ١٠ / ٢٣٣ و البرد ﴿ فاحيا به الارض ﴾ الغبراء . و لما كانت عادته بذلك مستمرة، و كان[6] السياق لإثبات دعائم الدين، و كان[6] الإحياء بالماء لا يزال أثره قائما فى زرع أو شجر فى بعض[7] الأراضى، أعرى[7] الظرف من الجار لأن المعنى به أبلغ فقال: ﴿ بعد موتها[4] ﴾ باليبوسة و الجدب و تفتت النبات أصلا و رأسا . ١٥

و لما كان ما أقامه على ذلك فى هذه السورة من الأدلة قد صار إلى

---

(١) فى ظ : منك (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : هو حى ـ كذا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تقدير (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الانهار (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الارض اعرض .

حد لايحتاج معه السامع العاقل إلى أكثر[1] من السماع، قال تعالى: ﴿ان فى ذلك﴾ [الماء -[2]] المؤثر بتدبيره هذا الأثر العظيم ﴿ لآية لقوم يسمعون ﴾ هذا التنبيه فى هذا الأسلوب المتضمن[3] لما مضى من التشبيه، فيعلمون أنه ينزل[4] من أمره ما يريده[5] فيحيي به أجساد العباد بعد موتها كما أحيي أجساد النبات بالماء [6]بعد موتها و أرواح[7] الأشباح بالعلم بعد موتها، و الحاصل أن هذه الأدلة لا تحتاج[8] مع الحس إلى كبير عمل بالقلب غير الانقياد إلى الحق، و ترك العناد و الجهل، فهو من سماع الأذن و ما ينشأ عنه من الإجابة، استعمالا للشيء فى حقيقته و مجازه، و لعله لم يختمها بـ'يبصرون' لئلا يظن أن ذلك من البصيرة، فيظن أنه يحتاج فيها إلى كبير فكر فيفوت ما أريد من الإشارة إلى شدة الوضوح.

و لما ذكر سبحانه هذا الأمر العام، و نبه على ما فيه من غريب [الصنع -[9]] الذى غفل عنه لشدة الألف به، أتبعه [بعض -[2]] ما ينشأ عنه من تفاصيل الأمور، المحتوية على عجائب المقدور. و بدأ بأعمها و أشدها[10] ملابسة لهم، و أكثرها فى نفسه و أعظمها منفعة و دخلا فى قوام عيشهم. فقال: ﴿ و ان لكم ﴾ أى أيها المخاطبون المغمورون فى النعم! ﴿فى الانعام﴾ و لما كانت الأدلة يعبر بها من الجهل

(١) فى ظ: كثرة (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ و م و مد: المضمن.
(٤) من ظ و م و مد، و فى الاصل: منزل (٥) فى ظ و م و مد: يريد.
(٦) العبارة من هنا إلى «لا تحتاج» ساقطة من ظ (٧) فى مد: ارباح (٨) من م و مد، و فى الأصل: لا يحتاج (٩) زيد من م و مد، و فى ظ موضعه: صنعه (١٠-١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باهمها و ارشدها.

إلى العلم [قال -[1]]: ﴿لعبرة[1]﴾ فكأنه قيل: ما هى؟ فقيل: ﴿نسقيكم﴾ بضم النون فى قراءة الجماعة من أسقاه[2] - إذا أعد له ما يشربه دائما من نهر أو لبن و غيرهما، و بالفتح فى قراءة نافع و ابن عامر و عاصم فى رواية شعبة: من سقاه - إذا ناوله شيئا فشربه.

و لما كان الأنعام اسم جمع، فكان مفردا[3] - كما نقل ذلك عن سيبويه، و ذكر المسقى و هو اللبن، لما اقتضاه سياق السورة من تعداد النعم فتعينت إرادة[4] الإناث لذلك[5]، فانتفى الالتباس مع تذكير[6] الضمير، قال تعالى: ﴿مما﴾ أى من بعض الذى ﴿فى بطونه﴾ فذكر الضمير لأمن اللبس[7] و الدلالة على قوة[8] المعنى لكونها[9] سورة النعم بخلاف ما فى المؤمنون[10].

و لما كان[11] موضع العبرة تخليص اللبن من غيره، قدم قوله تعالى: ﴿من بين فرث﴾ و هو الثفل الذى ينزل إلى الكرش، فاذا خرج منه لم يسم فرثا ﴿و دم لبنا خالصا﴾ من مخالط منهما[12] أو من غيرهما

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل و مد: استقاه (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منفردا (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥) من م و مد، و فى الأصل: كذلك، و فى ظ: لك (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التذكير. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اللبن (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قراة (٩) فى ظ: لكونه (١٠) آية ٢١ (١١) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معهما.

يبغى[1] عليه بلون[2] أو رائحة ؛ عن ابن عباس رضى الله عنهما[3] : إذا أكلت البهيمة العلف و استقر فى كرشها طبخته[4] ، فكان أسفله فرثا ، و أوسطه لبنا ، و أعلاه دما . و الكبد مسلطة[5] على هذه الأصناف الثلاثة[6] تقسمها ، فيجرى الدم فى العروق ، و اللبن فى الضرع ، و يبقى الفرث فى الكرش .

٥ ﴿ سآئغا ﴾ أى سهل المرور فى الحلق ﴿ للشربين ه ﴾ ثم عطف عليه ما هو أنفس منه عندهم و أقرب إليه فى المعانى المذكورة ، فقال تعالى معلقا بـ " نسقيكم " : ﴿ و من ثمرٰت النخيل و الاعناب ﴾ .

و لما كان لهم مدخل فى اتخاذ[7] ما ذكر منه بخلاف اللبن الذى لا صنع لهم فيه أصلا ، أسند [الأمر -[8]] إليهم [9]و ليكون ذلك[10]

١٠ إشارة إلى كراهة السكر و توطئة للنهى عنه فى قوله مستأنفا :

/ ﴿ تتخذون ﴾ أى باصطناع منكم و علاج ، [11]و لأجل استئناف هذه الجملة كان لا بد من قوله[11] : ﴿ منه ﴾ أى من مائه ، و عبر عن السكر /٢٣٤

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سعى ـ كذا ؛ و زيد قبله فى الأصل و ظ و مد : مما ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : يكون (٣) رواه الكلبي عن أبي صالح كما فى روح المعانى ٤ / ٤٠١ ، و أورده فى اللباب و المعالم موقوفا على ابن عباس ـ راجع ٤ / ١٨١ (٤) فى ظ و المعالم : طحنته (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : مسلط ، و الكبد مما يذكر و يؤنث .
(٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاتخاذ .
(٨) زيد من ظ و م و مد (٩) العبارة من هنا إلى « للنهى عنه » ساقطة من م .
(١٠) سقط من ظ و مد (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من م .

بالمصدر إبلاغا فى تقبيحه، و زاد فى الإبلاغ بالتعبير بأثقل المصدرين و هو المحرك، يقال: سكر سُكرا و سَكَرا[1] مثل رشد رشْدا و رشَدا، [2]و نحل نحْلا و نحَلا[2]، فقال تعالى[3]: ﴿سكرا﴾ أى [4]ذا سكر[4] منشّيا مطربا [5]سادّا لمجارى العقل قبيحا غير مستحسن[6] للرزق ﴿و رزقا حسنا[7]﴾ لا ينشأ عنه ضرر فى بدن و لا عقل من [7]الخل و الدبس[7] و غيرهما[8]، ٥ و لا يسد شيئا من المجارى، بل ربما فتحها كالحلال الطيب، فانه ينير[9] القلب، و يوسع العقل، و الأدهان كلها تفتح سدد البدن، و هذا كما منحكم[10] سبحانه العقل الذى لا أحسن منه فاستعمله قوم على صوابه[11] فى الوحدانية، و عكس آخرون فدنسوه بالإشراك؛ قال الرمانى: قيل: السكر ما حرم من الشراب، و الرزق الحسن: ما أحل منه - عن ١٠ ابن عباس رضى الله عنهما و سعيد بن جبير و إبراهيم و الشعبى وأبى رزين و الحسن و مجاهد و قتادة رضى الله عنهم. و السكر فى اللغة على أربعة أوجه: الأول ما أسكر[12]. الثانى ما أطعم [13]من الطعام[13]. الثالث السكون.

---

(١) من مد، وفى الأصل وظ: سكر (٢-٢) فى ظ: بخل بخلا و بخلا (٣) العبارة من «و عبر» ص ١٩٤ س ١٢ إلى هنا ساقطة من م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) العبارة من هنا إلى «للرزق» ساقطة من م (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: محسن (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحس و الدنس - كذا (٨) فى الأصل وظ ومد: غيرها، و التصحيح من م، و سقطت العبارة فيه من هنا إلى «فد نسوه بالإشراك» (٩) فى ظ: يثير (١٠) من ظ و مد. وفى الأصل: سيحكم. (١١) فى ظ: جوابه (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اسكره. (١٣-١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.

الرابع المصدر من سكر ، و أصله[1] انسداد المجارى مما يلقى فيها[2] ، و منه السكر - يعنى[3] بكسر ثم سكون ، و من حمل السكر على السكر قال : إنها منسوخة بآية المائدة ، و التعبير عنه بما يفهم سد المجارى يفهم كراهته عند ما كان حلالا ؛ [4]و الآية من الاحتباك : ذكر السكر[5] أولا دال على الفتح ثانيا ، و ذكر الحسن دال على القبيح أولا ، فالآية أدل ما فى القرآن على المعتزلة فى أن الرزق يطلق على الحرام ، و لتقارب آيتى الأنعام و الأشجار[6] جمعها[7] سبحانه فقال تعالى : ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر العظيم من هذه المنافع ﴿لآية﴾ و لوضوح أمرهما فى كمال قدرة الخالق و وحدانيته قال تعالى : ﴿لقوم يعقلون﴾ .

و لما كان أمر النحل فى الدلالة على [تمام -[8]] القدرة و كمال الحكمة[9] أعجب مما تقدم و أنفس ، ثلث به و أخره لأنه أقل الثلاثة عندهم ، و غير الأسلوب و جعله من وحيه إيماء[10] إلى ما فيه من غريب الأمر و بديع الشأن فقال تعالى : ﴿و اوحى ربك﴾ أى المحسن إليك بجعل العسل فى مفاوز البرارى المقفرة المفرطة المرارة[11] و غيرها

(١) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمعنى . (٤) العبارة من هنا إلى «على الحرام» ساقطة من م (٥) فى ظ : الرسل (٦) فى ظ : الاسحار (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : جمعها (٨) زيد من ظ و م و مد. (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : القدرة (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : دائما (١١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الحرارة .

من الأماكن و بغير ذلك من المنافع، الدال على الفعل بالاختيار و تمام الاقتدار ﴿ الى النحل ﴾ أى بالإلهام ؛ قال الرازى فى اللوامع : فالله تعالى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى ، فبعضها بالتسخير المجرد كالجمادات ، و بعضها بالإلهام و التسخير كالنحل و السرفة - أى بضم و سكون ، و هى دويبة تتخذ بيتا[1] من دقاق العيدان فتدخله [2]و تموت[2] - و العنكبوت ، و بعضها [3]بالتسخير و الإلهام و العقل المتفق[4] على نظام واحد كالملائكة ، و بعضها[5] بكل ذلك و الفكر و التميز و الأعمال المختلفة المبنية على الفكر[6] كالإنسان .

و لما كان فى الإيحاء معنى القول ، أتى بـ « أن » المفسرة فقال تعالى : ﴿ ان اتخذى ﴾ أى افعلى ما يفعله المتكلف من[7] أن يأخذ ﴿ من الجبال بيوتا ﴾ أىّ بيوت[8] ! ما أعجبها ! ﴿ و من الشجر ﴾ أى الصالحة لذلك فى الغياض و الجبال و الصحارى ﴿ و مما يعرشون ﴾ أى يرفع الناس من السقوف[9] و الجدران و غيرها ، و بدأ بالبيوت لأنها من عجب الدهر[10] فى حسن الصنعة و بداعة[11] الشكل و براعة الإحكام و تمام التناسب .

---

(١) سقط من مد (٢ - ٢) فى مد : فيموت (٣) العبارة من هنا إلى « كالملائكة و بعضها » ساقطة من ظ (٤) من م و مد ، وفى الأصل : المتخذ (٥) زيد فى الأصل : لك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذكر (٧) فى ظ و مد : فى (٨) فى ظ : بيوتا (٩) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : السفول (١٠) زيد فى الأصل ومد : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : براعة .

/ ٢٣٩ و لما كان أهم شيء للحيوان / بعد الراحة من همّ المقيل الأكل، ثنى[1] به، و لما كان عاما فى كل ثمر، ذكره بحرف التراخى إشارة إلى عجيب [الصنع - [2]] فى ذلك و تيسيره[3] لها، فقال تعالى: ﴿ ثم كلى ﴾ و أشار إلى كثرة[4] الرزق بقوله تعالى: ﴿ من كل الثمرٰت ﴾ قالوا: من أجزاء لطيفة[5] تقع على أوراق الأشجار من الظل، و قال بعضهم: من نفس الأزهار و الأوراق.

و لما أذن لها فى ذلك كله، و كان من المعلوم عادة أن تعاطيه لا يكون إلا بمشقة عظيمة فى معاناة السير إليه، نبه على خرقه للعادة فى تيسيره لها فقال تعالى: ﴿ فاسلكى ﴾ أى فتسبب عن الإذن فى الأكل الإذن فى السير إليه ﴿ سبل ربك ﴾ أى المحسن إليك بهذه التربية العظيمة لأجل الأكل ذاهبة إليه و راجعة[6] إلى بيوتك حال[7] كون السبل ﴿ ذللا[8] ﴾ أى موطأة للسلوك مسهلة كما قال تعالى "هو الذى جعل لكم الارض ذلولا[8]" و أشار باسم الرب إلى أنه لولا عظيم إحسانه فى تربيتها لما اهتدت إلى ذلك؛ ثم أتبعه نتيجة ذلك جوابا لمن كأنه قال: ما ذا يكون عن هذا كله؟ فقال تعالى: - ﴿ يخرج من بطونها ﴾ - بلفت[9] الكلام لعدم قصدها[10] إلى هذه النتيجة ﴿ شراب ﴾ أىّ شراب! و هو العسل لأنه مع كونه من أجلّ المآكل هو "مما يشرب[11] ﴿ مختلف الوانه ﴾

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: شيء (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) من ظ و م و مد. و فى الأصل: سص - كذا (٤) فى ظ: ثمرة (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الطبيعة (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: راجعك (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حالة (٨) سورة ٦٧ آية ١٥.
(٩) من م، و فى الأصل و ظ و مد: لفت (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مقيدها (١٠ - ١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مابشر.

من

من أبيض و أحمر و أصفر و غير ذلك[1]، اختلافا دالا على أن فاعله مع[2] تمام قدرته مختار، ثم أوضح ذلك بقوله تعالى: ﴿فيه﴾ أى مع كونه من الثمار النافعة و الضارة[3] ﴿شفآء للناس[4]﴾ قال الإمام[4] الرازى فى اللوامع: إذ المعجونات كلها بالعسل، و قال إمام الأولياء محمد بن على الترمذى[5]: إنما كان [ذلك - [6]] لأنها ذلت لله مطيعة و أكلت من كل الثمرات: حلوها و مرها محبوبها و مكروهها، تاركة لشهواتها، فلما ذلت لأمر الله، صار هذا الأكل[7] لله، فصار ذلك شفاء للأسقام، فكذلك إذا ذل العبد [لله -[6]] مطيعا، و ترك هواه، صار كلامه شفاء للقلوب السقيمة - انتهى. و كونه شفاء - مع ما ذكر - أدل على القدرة و الاختيار من اختلاف الألوان، لا جرم وصل به قوله تعالى: ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر العظيم من أمرها [كله -[8]] ﴿لآية﴾ و كما أشار فى ابتداء الآية إلى غريب الصنع فى أمرها، أشار إلى مثل ذلك فى الختم بقوله تعالى: ﴿لقوم يتفكرون﴾ أى فى اختصاص النحل بتلك العلوم[9] الدقيقة و اللطائف الخفية بالبيوت المسدسة، و الاهتداء إلى تلك الأجزاء اللطيفة

(١) سقط من ظ و مد (٢) فى ظ: من (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الصادرة (٤) ليس فى ظ و م و مد (٥) هو محمد بن على بن الحسن بن بشير الحكيم الترمذى أبو عبد الله، محدث حافظ صوفى - راجع لترجمته طبقات السبكى و تذكرة الذهبى (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد فى ظ: كله (٨) زيد من م. (٩) فى ظ: المطعوم - كذا.

من أطراف الأشجار و الأوراق - و غير ذلك من الغرائب حيث ناطه بالفكر المبالغ[1] [فيه -[2]] من الأقوياء، تأكيدا لفخامته و تعظيما لدقته و غرابته فى دلالته على تمام العلم و كمال القدرة، و قد كثر فى هذه السورة إضافة الآيات إلى المخاطبين، تارة بالإفراد و تارة بالجمع، و نوطها[3] تارة بالعقل و تارة بالفكر، [و تارة بالذكر -[2]] و تارة بغيرها.

و قد جعل الإمام الربانى أبو الحسن الحرالى فى كتابه المفتاح لذلك بابا بعد أن جعل أسنان الألباب مثل أسنان الأجساد[4] ما بين تمييز و احتلام و شباب و كهولة و غيرها كما تقدم نقله عنه فى سورة براءة عند [5]قوله تعالى[5] "و منهم الذين يؤذون النبى[6]" فقال: الباب التاسع فى وجوه إضافات الآيات و اتساق الأحوال لأسنان[7] القلوب فى القرآن -أى فان لذلك مراتب فى العلم و الأفهام -: اعلم أن الآيات و الأحوال تضاف و تتسق لمن اتصف بما به [8]أدرك معناها[8]، و يؤنب عليها[9] من [10]تقاصر عنها[10]، و ينفى منالها عمن لم يصل إليها، و هى أطوار / أظهرها[11] ٢٣٦ /

(١) فى ظ: البالغ (٢) زيدمن ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد، و فى الأصل: نوطا - كذا (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ وم ومد فحذفناها.
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٦) آية ٦١ (٧) من م و مد، و فى الأصل وظ: الاسنان (٨-٨) من م ومد، و فى الأصل: ادراك معناه، و فى ظ: ادراك معناها (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عنها.
(١٠-١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تقاصرها - كذا (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ظهرها.

آيات الاعتبار البادية لأولى الأبصار ، لأن الخلق كله إنما هو عَلَم للاعتبار [منه - [1]] ، لا أنه موجود للاقتناع[2] به " و رضوا بالحيٰوة الدنيا و اطمانوا بها و الذين هم عن اٰيٰتنا غٰفلون اولٰئك ماوٰهم النار بما كانوا يكسبون " اتخذوا ما خلق للعبرة به إلى ربه كسبا لأنفسهم حتى صار عندهم و عند أتباعهم آيتهم ، لا آية خالقه " اتبنون بكل ريع اٰية تعبثون " ، " و الله خلقكم و ما تعملون " ثم يلي آيات الاعتبار ما ينال إدراك[3] آيته العقل الأدنى[4] ببداهة نظره[5] " و سخر لكم اليل و النهار و الشمس و القمر و النجوم مسخرٰت بامره ان فى ذلك لاٰيٰت لقوم يعقلون " جمع[6] الآيات لتعدد وجوهها فى مقصد البيان[7] ، ثم يلي ما يدرك ببداهة العقل ما يحتاج إلى فكر يثيره[8] العقل الأدنى لشغل الحواس بمنفعته عن التفكر فى وجه آيته " هو الذى انزل من السماء ماء لكم منه شراب و منه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع و الزيتون و النخيل و الاعناب و من كل الثمرٰت ان فى ذلك لاٰية لقوم يتفكرون " أفرد الآية لاستناد كثرته إلى وحدة الماء ابتداء و وحدة [الانتفاع - [1]] انتهاء[9] ، ثم يلي ما يدرك[10] بفكر[11] العقل الأدنى ما يقبل

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : للافتتاح (٣) من م و مد ، و فى الأصل : كالدراك ، والكلمة ساقطة من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: للادنى.
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فطرة (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: جميع (٧) زيد فى الأصل: مايقصده، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يشيره (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الانتهاء (١٠) من ظ و م و مد . و فى الاصل : يدل (١١) زيد فى مد : الاذن

بالإيمان[1] و يكون آية أمر قائم على خلق، و هو مما يدرك سمعا لأن الخلق مرئى و الأمر مسموع " و ما انزلنا عليك الكتب الا لتبين لهم [الذى - [2]] اختلفوا [فيه - [3]] و هدى و رحمة لقوم يؤمنون و الله انزل من السماء [ماء - [4]] فاحيا به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون" هذه آية حياة القلوب بنور العلم و الحكمة الذى أخذ سمعا عند تقرر الإيمان، و عند هذا الحد يتناهى العقل إلى فطرة الأشد و تعلو بداهته [5] و تترقى فطره[5] إلى نظر ما يكون آية فى نفس الناظر لأن محار غيب [الكون - [6]] يرد إلى وجدان نقص الناظر، و كما أن الماء آية حياة القلوب صار الشرابان[7]: اللبن و الخمر، آيتين على أحوال تخص القلوب بما يغذوها من[8] الله غذاءَ اللبن و[9] ينشيها نشوةَ السكر، منبعثا من بين فرث و دم نزولَ الخلق المقام عن الأمر القائم عليه " و ان لكم فى الانعام لعبرة[10] - الآيتين إلى قوله تعالى: ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون" و هذا هو العقل الأعلى، و أفرد الآية لانفراد موردها فى وجد[11] القلب،

---

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الايمان (٢) زيد من ظ و م ومد والقرآن الكريم ١٦ / ٦٤ (٣) زيد من مد و القرآن الكريم (٤) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم ١٦/٦٥ (٥-٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يترقى نظره. (٦) زيد من ظ و م ومد (٧) من م، وفى الأصل: الرمان، وفى ظ: السربان، وفى مد: السرابان (٨) زيد فى الأصل: امر، ولم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هو (١٠) سقط من ظ و م و مد (١١) من م و مد، و فى الأصل: وجه.

وكما

وكما للعقل الأدنى فكرة تنبئ عن بداهته فكذلك للعقل الأعلى[1] فكرة تنبئ عن علىّ فطرته[2] " و اوحى ربك الى النحل ان اتخذى من الجبال بيوتا [3]و من الشجر[3] - إلى قوله : لأية لقوم يتفكرون" و هذا[4] العقل الأعلى هو اللب الذى عنه يكون التذكر بالأدنى من الخلق للأعلى من الأمر[5] " و ما ذرا لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لأية لقوم يذكرون[6] " و فى مقابلة كل من هذه الأوصاف أضداد يرد البيان فيها بحسب مقابلتها ، وكذلك[7] حكم وصف المسلمين فيما يظهر أن « لا أنجى للعبد من إسلامه نفسه لربه » و وصف المحسنين فيما يظهر قيام ظاهر العبد بربه ، و وصف الموقنين فيما وجد يقينه العبد[8] [من نفسه -[9]] أو عاين ابتداءه[10] بظاهر حسه " الم ذلك الكتب لا ريب فيه هدى للمتقين" من[11] استغنى بما عنده من وجدٍ لم يتفرغ لقبول غيب " يايها الذين امنوا اتقوا الله و امنوا برسوله"، " اذا ما اتقوا و امنوا و عملوا الصلحت ثم اتقوا و امنوا ثم اتقوا و احسنوا"، "و من يبتغ غير الاسلام / دينا فلن يقبل منه "، " ثم اتقوا [و احسنوا -[12]] و الله يحب المحسنين"، / ٢٣٧

(١) من م و مد ، و فى الأصل : الادنى ، و العبارة من « و أفرد الآية » إلى هنا ساقطة من ظ (٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : فكرته (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) زيد بعده فى الأصل: هو ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) فى ظ : الامور (٦) فى ظ : يتذكرون (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لذلك (٨) فى ظ : بالعبد (٩) زيد من ظ و م ومد. (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابتدا (١١) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : بما (١٢) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٥ آية ٩٣ .

« فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، و بصره الذى يبصر به »
"و فى خلقكم و ما يبث من دابة آيٰت لقوم يوقنون". "وكذلك نرى
ابرٰهيم ملكوت السمٰوٰت و الارض و ليكون من الموقنين" و لجملة[1] هذه
الأوصاف أيضا[2] أضداد يرد بيان القرآن فيها بحسب تقابلها و يجرى معها
٥ إفهامه ، و ما أوصله [3]خفاء المسمع[3] و المرآى إلى القلب هو فقهه ، و من
فقد ذلك وصف سمعه بالصمم و عينه[4] بالعمى ، و نفى الفقه عن قلبه ،
و نسب إلى البهيمية[5] ، و من[6] لم تنل فكرته أعلام ما غاب عنه عيانه[7]
نفى عنه العلم " الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى و كانوا لايستطيعون
سمعا ". "لهم قلوب لايفقهون بها و لهم اعين لايبصرون بها و لهم
١٠ اذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل [هم - [8]] اضل اولئك هم
الغفلون"، "يقولون لئن رجعنا إلى المدينة - إلى قوله : و لكن المنفقين
لايعلمون"، " يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا
- الآية إلى قوله تعالى : و لكن المنفقين لايفقهون" نفى العلم فيما ظهرت
أعلامه و الفقه فيما خفى أمره ، و مراد البيان عن أضدادها[9] هذه
١٥ الأوصاف بحسب تقابلها[10] ، و هذا الباب لمن يستفتحه[11] من أنفع فواتح

(١) فى ظ و مد : لجمله (٢) سقط من ظ (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل : صفا السمع ، و فى ظ : خفاء السمع (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عينيه (٥) من م ومد ، و فى الأصل وظ : البهيمة (٦) سقط من مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عماية - كذا (٨) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٧ آية ١٧٩ (٩) زيد فى ظ : ما ، و العبارة يعتورها بعض الغموض.
(١٠) فى ظ : تقابلها (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يستقبحه .

الفهم فى القرآن - انتهى .

و لما أيقظهم من رقدتهم ، و نبههم على عظيم[1] غفلتهم عن عموم القدرة و شمول العلم ، المقتضى للفعل بالاختيار ، المحقق للبعث و غيره من كل ما يريده[2] سبحانه ببعض آياته المبثوثة فى الآفاق من جماد ثم حيوان ، و ختم [ذلك -[3]] بما هو شفاء ، ثنى ببعض ما فى أنفسهم من الأدلة على ذلك [4]مذكرا بمراتب[4] عمر الإنسان الأربع ، و هى سن الطفولية و النمو ، ثم سن الشباب الذى يكون عند انتهائه الوقوف ، ثم سن الكهولة و فيه يكون الانحطاط مع بقاء القوة ، ثم سن الانحطاط مع ظهور الضعف و هو الشيخوخة ، مضمنا ما لايغنى عنه دواء ، حثا على التفكر فى آياته و التعقل لها قبل حلول[5] ذلك الحادث ، فيفوت الفوت ، و يندموا[6] حيث لاينفع الندم ، فقال : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ خلقكم ﴾ فجعلكم بعد[7] العدم أحياء فهما خصما ﴿ ثم يتوفكم ﴾ على اختلاف الأسنان[8] ، فلا يقدر الصغير على أن يؤخر ، و لا الكبير على أن يقدم ، فمنكم من يموت حال قوته ﴿ و منكم من يرد ﴾ أى بأيسر أمر [منا ، لايقدر[3]] على مخالفته بوجه ﴿ الى[3] ارذل العمر ﴾ لأنه يهرم[9] فيصير [إلى -[3]] مثل حال الطفولية

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عظايم (٢) فى ظ و م و مد : يريد .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤ - ٤) فى م : ذاكرا مراتب (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حلوك (٦) فى م : تندموا (٧) فى ظ : بعدم (٨) سقط من مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يهدم .

[1]فى الضعف مع استقذار غيره له[1]، و لا يرجى بعده ﴿ لكى لا يعلم ﴾ .

و لما كان مقصود السورة الدلالة[2] على تمام القدرة و شمول العلم و التنزه عن كل شائبة نقص، و كان السياق هنا لذلك[3] [أيضا - [4]] بدليل ختم الآية، نزع الخافض للدلالة على استغراق الجهل لزمن ما بعد العلم، فيتصل بالموت، و لا ينفع فيه دواء و لا تجدى[5] معه حيلة فقال: ﴿ بعد علم شيئا[6] ﴾ [7]لا يوجد فى شىء من ذلك عند إحلاله شفاء، و لا يمنعه دواء، فبادروا إلى التفكر[7] و الاعتبار قبل حلول أحد هذين، ثم علل ذلك بقوله تعالى: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ عليم قدير ﴾ أى بالغ العلم شامل القدرة، فهما أراد كان، و مهما أراد غيره و لم يرده[8] هو، أحاط به علمه، فسبب[9] له بقدرته ما يمنعه .

/٢٣٨ و لما ذكر المفاوتة / فى الأعمار المنادية بابطال الطبائع الموجبة للسابقة إلى الاعتبار لأولى الأبصار للخوف كل لحظة من مصيبة الموت، ثنى[10] بالمفاوتة فى الأرزاق[11] فقال تعالى: ﴿ و الله ﴾ أى لذى له الأمر كله

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الدالة.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كذلك (٤) زيد من ظ و م و مد.
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا تجزى (٦) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (٧) من ظ وم ومد، و فى الأصل: الاعتبار (٨) من ظ و م ومد، و فى الأصل: لم يرد (٩) من م، و فى الأصل و ظ و مد: فتسبب (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شىء (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاوراق.

فضل

﴿ فضل بعضكم ﴾ [1]أيها الناس ﴿على بعض﴾ .

و لما كانت وجوه التفضيل كثيرة ، و كان التفضيل فى المعاش الذى يظن الإنسان أن له قدرة على تحصيله[2] ، وكانت المفاوتة فيه أدل على تمام القدرة و الفعل بالاختيار الذى السياق له ، قال تعالى : ﴿فى الرزق﴾ أى و لربما جعل الضعيف العاجز الجاهل [3]أغنى من القوى[3] المحتال العالم ، فاتقوا الله و أجلوا فى الطلب ، و أقبلوا بجميع قلوبكم على ما ينفعكم من الاستبصار ؛ قال [الإمام -[4]] أبو نعيم فى الحلية[5]: حدثنا سليمان بن أحمد ثنا[6] أحمد [ثنا أحمد بن أحمد -[7]] بن عمرو الخلال [قال -[7]] : سمعت ابن أبى[8] عمر يقول : كنا عند سفيان بن عيينة فذكروا الفضل ابن الربيع و دهاءه ، فأنشأ [سفيان -[9]] يقول :

كم من قوىّ قوى فى تقلبه مهذب الرأى عنه الرزق منحرف
و من[10]ضعيف ضعيف[11]العقل مختلط[11] كأنه من خليج البحر[12] يغترف

و عن نوادر أبى[13] على القالى أنه قال : قال أبو بكر ابن الأنبارى : و حدثنى

---

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تخليصه (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اقوى من الغنى (٤) زيد من م (٥) ٧ / ٢٧٦ (٦) من ظ و م و مد والحلية ، و فى الأصل «و» (٧) زيد من الحلية (٨) سقط من ظ (٩) زيد من ظ و م و مد و الحلية (١٠) فى الحلية : كم (١١-١١) من م و مد و الحلية ، و فى الأصل : فى تخلطه ، و فى ظ : العقل تخليط - كذا (١٢) زيد فى الأصل : بحر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد والحلية فحذفناها (١٣) فى مد : ابن .

أبي قال : بعث سليمان المهلبي[١] إلى الخليل بن[٢] أحمد بمائة ألف درهم وطالبه[٣] بصحبته فرد عليه[٤] المائة ألف[٥] ، وكتب إليه هذه[٥] الأبيات :

أبلغ سليمان أني عنه في سعة[٦] وفي غنى غير أني لست ذا مال
سخي[٧] بنفسي أني لا أرى أحدا يموت هزلا[٨] ولا يبقى على حال
فالرزق[٩] عن قدر لا العجز ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال تعرفه[١٠] ومثل ذاك الغنى [في[١١]] النفس لا المال

ولما كان جعل المملوك[١٢] في رتبة المالك مما يتعاظمهم[١٣] في حقوقهم مع أنه في الحقيقة لا مِلك ولا مُلك ، فلا يدينون لذلك ولا يدانونه وإن جل الخطب وأدى إلى ذهاب الأرواح ، بل من كانت أمه مملوكة حطوا رتبته وإن[١٤] كان أبوه من كان ، وإن كانت العبرة عندهم في

(١) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : المتنبي (٢) سقط من ظ (٣) في ظ ومد : طالبته (٤) في مد : الالف (٥) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : بهذه ، والأبيات الآتية ـ بالإضافة إلى هذه الواقعة ـ قد ألم بها ببعض مفارقات في نزهة الألباء وإنباه الرواة ومعجم الأدباء ووفيات الأعيان (٦) في ظ : وسعة ، وفي الإنباه : دعة (٧) من م ومد وثلاثة المراجع ، وفي الاصل : سخن ، وفي ظ : شجي ، وفي الوفيات : شحا (٨) من م ومد والمراجع كلها ، وفي الأصل : هدلا ، وفي ظ : هولا (٩) في الوفيات والإنباه : الرزق (١٠) في الوفيات والمعجم : نعرفه (١١) زيد من ظ وم ومد والمراجع (١٢) من م ومد ، وفي الأصل وظ : الملوك (١٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : يتواكلهم ـ كذا (١٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : اذ .

النسب بالأب ، و هذا [هو -[1]] الذى أحوج[2] عنترة إلى قوله :

إنى[3] امرؤ من خـــير[4] عبس منصبا شطرى[5] و أحمى سائرى بالمنصل[6]

إلى غير ذلك مما كان يعتذر به عن[7] جهة أمه ، نبههم سبحانه على ما وقعوا فيه فى حقه من ذلك بسبب[8] الإشراك مع أنه مالك الملك و ملك[9] الملوك بعد[10] ما اجترأوا عليه فى تفضيل أنفسهم فى نسبة البنات إليه ، فقال تعالى : ﴿ فما الذين فضلوا ﴾ أى فى الرزق ﴿ برآدّى رزقهم ﴾ أى الذى[11] اختصوا[12] به ﴿ على ما ملكت ايمانهم ﴾ و إن جل نفعهم و تعاظم عندهم وقعهم ﴿فهم فيه سوآء[13] ﴾ أى فيكون بذلك الرد المالك[14] و المملوك سواء ، فهو جواب للنفى - نقله الرمانى عن ابن عباس و مجاهد و قتادة رضى الله عنهم .

و لما وضح ذلك وضوح الشمس و ظهر حتى ما به أصلا نوع لبس ، تسبب عنه[15] الإنكار فى قوله على وجه الإعراض[16] عن خطابهم

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اخرج .
(٣) من ظ و م و الأغانى ٨/٢٤٠ ، و فى الأصل و مد : فانى (٤) من م و مد و الأغانى ، و فى الأصل : غير ، و سقط من ظ (٥) من م و مد و الأغانى ، و فى الأصل و ظ : سطرى (٦) من م و مد و الأغانى ، و فى الأصل و ظ : بالمتصل (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٨) فى ظ : سبب (٩) فى ظ : مالك ، و سقط من م (١٠) فى ظ : مع (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذين (١٢) فى ظ : اختلفوا (١٣) تكرر فى الأصل فقط (١٤) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٥) سقط من مد .

المؤذن بالمقت : ﴿ افبنعمة الله ﴾ أى الذى لا رب غيره ﴿ يجحدون ﴾ في جعلهم له شركاء يضيفون إليهم بعض ما أنعم به عليهم ، فيسوون بينهم و بينه فى ذلك و بنعمتهم يعترفون و لها يحفظون في إنزال ما ملكت أيمانهم عنهم فى المراتب و الأموال .

٢٣٩/ ٥ و لما ذكر الخلق و الرزق ، أتبعهما / الالتذاذ بالتأنس بالجنس من الأزواج و الأولاد و غيرهما[١] اللازم له القيام بالمصالح فقال تعالى : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له تمام القدرة و كمال[٢] العلم ﴿ جعل لكم ﴾ و لما[٣] كان الأزواج من الجنس ، قال : ﴿ من انفسكم ﴾ لأن الشيء آلف لنوعه و أقرب إلى جنسه ﴿ازواجا﴾ أي تتوالدون[٤] [بها -[٥]] و يكون ١٠ السكون إليها سببا لبقاء نوعكم ﴿ و جعل لكم ﴾ [أى أيها الناس الذين يوجهون رغباتهم إلى غيره -[٥]] ! ﴿[٦]من ازواجكم بنين[٦]﴾ و لعله قدمهم للشرف ؛ ثم عطف على ذلك ما هو أعم فقال : ﴿ وحفدة ﴾ [أى -[٥]] من البنات و البنين و أولادهم و الأصهار و الأختان ، جمع حافد ، يخفون فى أعمالكم و يسرعون فى خدمكم طاعة و موالاة ، لا كما يفعل الأجانب ١٥ و بعض العاقين ، و هذا معنى[٣] ما نقله الرمانى عن ابن عباس رضى الله عنهما من[٧] أنه فسرهم بالخدام و الأعوان ، و هو الصواب[٨] لأن مادة ' حفد '

(١) فى م : غيرها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تمام (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تتولدون (٥) زيد من ظ و م و مد. (٦ - ٦) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « أعم فقال » و الترتيب من ظ و م و مد (٧) فى ظ : مع (٨) و قال فى لباب التأويل بعد الانتهاء من =

تدور على الإسراع و الخفة .

حفد : خفّ فى العمل و أسرع ، و الحفد - محركة[1] : الخدم[2] - لخفتهم ، و مشى دون[3] الخبب ، و الحفدة : البنات و أولاد الأولاد أو الأصهار - لذلك ، و صناع الوشى - لإسراعهم فيه و إسراع لابسه[4] إلى لبسه منبسط النفس ، و المحفد - كمجلس و منبر : شىء يعلف[5] فيه الدواب - لإسراعها إليه ، و كمنبر : طرف[6] الثوب[7] لإسراع حركته ، و قدح يكال به - لخفته ، و كمجلس : الأصل - لدوران الأمور عليه و إسراعها إليه ، و سيف محتفد : سريع القطع ، و أحفده : حمله على الإسراع ، و الفادحة : النازلة ، و فوادح[8] الدهر : خطوبه - لإسراعها بالمكروه و إسراع المنزول[9] به و من يهمه شأنه إلى مدافعتها[10] ، و من ذلك فدحه الأمر[11] : أثقله - لأن المكروه يسرع[12] فيثقل فيكثر اضطراب المنزول به .

= أقوال المفسرين فى الموضوع : وكل هذه الأقوال متقاربة لأن اللفظ يحتمل الكل بحسب المعنى المشترك - راجع ٤/٨٦ .

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (٢) فى مد : الخدام (٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : دونه (٤) فى ظ : الالبسة - كذا (٥) من م ومد والقاموس ، وفى الأصل وظ : تعلف (٦) من ظ وم ومد والقاموس ، وفى الأصل : طرق (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من م ومد والقاموس ، و فى الأصل وظ : قوادوح - كذا (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المتروك (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مرافقها (١١) زيد فى الأصل : اى اثقله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (١٢) فى ظ : يشرع .

و لما ذكر [ذلك -[1]] سبحانه، أتبع ما لا يطيب العيش إلا به، فقال تعالى: ﴿ و رزقكم ﴾ [أى - [1]] لإقامة[2] أودكم و إصلاح[3] أحوالكم؛ و لما كان كل النعيم إنما هو فى الجنة، بعّض[4] فقال: ﴿من الطيبت[5] ﴾ بجعله ملائما للطباع، شهيا للأرواح[6]، نافعا للأشباح[7]، فعلم من هذا قطعا أن صاحب هذه الأفعال، هو المختص بالجلال، و من أنكر شيئا من حقه فقد ضل أبعد الضلال، فكيف بمن أنكر خيره، و عبد غيره، و هو باسم العدم أحق منه باسم الوجود، فلذلك[7] تسبب عنه قوله معرضا عن خطابهم إعراض المغضب: ﴿ افبالباطل ﴾ [أى من الأصنام و ما جعلوا لهم من النصيب -[8]] ﴿ يؤمنون ﴾ أى على سبيل التجديد و الاستمرار ﴿و بنعمت الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ هم ﴾ و له عليهم خاصة - غير ما يشاركون فيه الناس - من المنن ما له ﴿ يكفرون[9] ﴾ حتى[9] أنهم يجعلون مما[10] أنعم به عليهم من السائبة و الوصيلة و الحامى و غيرها[11] لأصنامهم، و ذلك متضمن لكفران[12] النعمة الكائنة منه، و[13] متضمن لنسبتها[13] إلى غيره، لأنه لم يأذن لهم فى شىء مما حرموه،

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للاقامة (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: صلاح (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معين (٥) من ظ و م ومد، و فى الأصل: للازواج (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للاشباع (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فكذلك (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) فى ظ: على (١٠) فى ظ: ما (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غيرهما (١٢) فى ظ: للكفران (١٣ - ١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يتضمن نسبتها.

و لا يحل التصرف فى مال المالك إلا باذنه ؛ ثم قال عطفا على ما[1] أنكره عليهم هناك : ﴿ و يعبدون ﴾ و أشار إلى سفول المراتب كلها عن[2] رتبته سبحانه فقال تعالى : ﴿ من دون الله ﴾ أى من غير من له الجلال و الإكرام مما هو فى غاية السفول من الأصنام و غيرها ﴿ ما لا يملك ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ لهم رزقا ﴾ تاركين [من -[3]] بيده جميع الرزق ، ٥ و هو ذو العلو المطلق الذى رزقهم من الطيبات ؛ ثم بين جهة الرزق فقال تعالى : ﴿ من السمٰوٰت و الارض ﴾ [ثم -[4]] أكد تعميم هذا / النفى ٢٤٠ / بقوله - مبدلا من " رزقا[5] " ، مبينا[6] أن تنوينه[7] للتحقير - : ﴿ شيئا ﴾ ثم أكد حقارتهم بقوله جامعا لأن ما عجز عند الاجتماع فهو عند الانفراد أعجز[8] : ﴿ و لا يستطيعون ج ﴾ أى و ليس لهم نوع استطاعة أصلا ، و لك[9] ١٠ أن تجعله معطوفا على ما مضى من المعجب منه من أقوالهم و أفعالهم فى قوله " و يجعلون لله ما يكرهون "[10] و نحوه .

و لما دحض[11] بهذه الحجة جميع ما أقاموه من الشبه و ضربوه من الأمثال فيما ارتكبوه من قولهم إن الملك لا يتوصل إليه إلا

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من م و مد (٥) فى ظ : رزق (٦) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م ، و فى الأصل : تقويته ، و فى ظ و مد : تفويته - كذا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عجز (٩) فى مد : لكن (١٠) العبارة من هنا إلى « من قولهم » ساقطة من ظ (١١) من م و مد ، و فى الأصل : رخص .

[بأعوان من حاجب و نائب و نحو ذلك ، و لايتوصل إليه إلا -[1]] بأنواع القربان[2] ، فعبدوا الأصنام ، و فعلوا [لها -[1]] ما يفعل له تشبيها به عز شأنه ، و تعالى سلطانه ، لأن الفرق أن ملوك الدنيا المقيس عليهم إنما أقاموا مَن ذُكر[3] لحاجتهم و ضعف مُلكهم و مِلكهم ، فحالهم مخالف لوصف[4] من لا تأخذه سنة و لا نوم ، و لايشغله شأن عن شأن ، و كل شيء في قبضته و تحت قهره و عظمته ، فلذلك تسبب عنها قوله[5] تعالى : ﴿فلا تضربوا لله﴾ أي الذي له الإحاطة الكاملة ﴿الامثال[6]﴾ أي فتشبهوه تشبيها بغيره[7] و إن ضرب لكم هو[7] الأمثال ؛ قال أبو حيان[8] و غيره : قال ابن عباس رضي الله عنهما : أي[9] لا تشبهوه بخلقه - انتهى . و هو - كما قال في الكشاف[10] - تمثيل للاشراك بالله و التشبيه به ، لأن من يضرب الأمثال مشبه حالا بحال و قصة بقصة - انتهى . و هذا النهي عام في كل مثل لخطر الأمر خشية أن يكون ذلك المثل غير لائق بمقداره[11] ، و قد تقرر أن[12] درء المفاسد أولى من جلب المصالح ، لاسيما في هذا لأن الخطأ فيه كفر . و يدل على ذلك تعليل الحكم بقوله تعالى : ﴿ان الله﴾ أي الذي له الأمر كله و لا أمر لغيره ﴿يعلم﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : القربات .
(٣) في ظ : ذلك (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : وصف (٥) في ظ : بقوله (٦) في ظ : بغيرها (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : هذا (٨) راجع البحر ٥/٥١٧ (٩) من ظ و م و مد و البحر ، و في الأصل : ان (١٠) ١/٥٣٢ .
(١١) في مد : بمقدره (١٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بان .

أى[1] له [جميع -[2]] صفة [العلم -[2]]، فاذا ضرب مثلا أتقنه باحاطة علمه بحيث لا يقدر غيره أن يبدى فرقا ما بين الممثل و الممثل به فى الأمر الممثل له ﴿وانتم لا تعلمون ه﴾ أى ليس لكم علم أصلا، فلذلك تعمون عن الشمس و تلبّس[3] عليكم ما ليس فيه لبس[4]، و هذا المقام عال و مسلكه وعر، و سالكه على غاية من الخطر. ٥

و لما ختم سبحانه بذلك تأكيدا[5] لإبطال مذهب عبدة الأصنام بسلب العلم الذى هو مناط السداد عنهم، حسن أن يصل به قوله - إقامة للدليل على علمه بأن أمثاله لايتطرق إليها الطعن، و لايتوجه[6] نحوها الشكوك -: ﴿ضرب الله﴾ أى [الذى -[2]] له كمال العلم و تمام القدرة ﴿مثلا﴾ بالأحرار و العبيد [له -[2]] و لما[7] عبدتموه معه؛ ثم أبدل من "مثلا": ١٠ ﴿عبدا﴾ و لما كان العبد يطلق على الحر بالنسبة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿مملوكا﴾ لا مكاتبا و لا فيه شائبة للحرية ﴿لايقدر على شىء﴾ باذن سيده و لا غيره، و هذا مثل شركائهم، ثم عطف على "عبدا"[8] قوله: ﴿و من رزقنه منا[9]﴾ من الأحرار ﴿رزقا حسنا﴾ واسعا [طيبا -[2]] ﴿فهو ينفق منه﴾ دائما، و هو معنى ﴿سرا و جهرا[9]﴾ و هذا[10] مثل ١٥ الإله و له المثل الأعلى: ثم بكتهم إنكارا عليهم بقوله تعالى:

---

(١) زيد فى الأصل: الذى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ ومد: يلبس (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منكم (٥) من ظ و م، و فى الأصل و مد: تاكيد (٦) فى ظ و مد: لاتتوجه. (٧) فى مد: كما (٨) فى ظ: عبده (٩) ليس فى الأصل و ظ (١٠) فى ظ: هو.

﴿ هل يستوون ﴾ أى هذان[1] الفريقان الممثل بهما ، لأن المراد الجنس ، فاذا كان لا يسوغ فى عقل أن يسوى بين مخلوقين : أحدهما حر مقتدر و الآخر مملوك عاجز ، فكيف [يسوى -[2]] بين حجر موات أو غيره و بين الله الذى له القدرة التامة على كل شىء ؟ .

٥ و لما كان الجواب قطعا : لا . و علم أن الفاضل ما كان مثالا له سبحانه ، علم أن من[3] سوى بينهما أو فعل ما يؤول إلى التسوية أجهل الجهلة ، فثبت[4] مضمون " ان الله يعلم و انتم لا تعلمون " وأن غيره تعالى لا يساوى / شيئا ، فثبت بلا ريب أنه المختص بالمثل الأعلى ، فعبر عن ذلك بقوله تعالى : ﴿ الحمد لله ﴾ أى[5] له الإحاطة بالعلم و جميع صفات الكمال التى ١٠ منها اختصاصه بالشكر ، لكونه هو المنعم و ليس لغيره إحاطة بشىء من ذلك و لا غيره ، فكأنهم قالوا : [نحن -[2]] نعلم ذلك . فقيل : ﴿ بل اكثرهم ﴾ أى فى الظاهر و الباطن - بما أشار إليه الإضمار ﴿ لا يعلمون ﴾ لكونهم يسوون به غيره ، و من نفى عنه العلم - الذى هو أعلى صفات الكمال - كان فى عداد الأنعام ، فهم لذلك يشبهون ١٥ به ما ذكر ، و يضربون الأمثال الباطلة ، و يضيفون نعمه إلى ما لا يعد ، و لعله أتى بضمير الغيبة لقصر ذلك على من ختم بموته على الضلال . أو يقال و هو أرشق : لما كان الجواب قطعا : لا يستوون و الفاضل مثالك ، فقد[6] علم كل ذى لب أن لك المثل الأعلى ، فترجم عن وصفه

/ ٢٤١ /

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذا (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) فى ظ : ما (٤) سقط من مد (٥) زيد فى الأصل : الذى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وقد .

بقوله "الحمد لله" أى[1] الإحاطة بصفات الكمال للملك الأعظم ، و عن نسبتهم إلى علم ذلك بقوله تعالى " بل اكثرهم لا يعلمون " أى ليس لهم علم بشىء أصلا ، لأنهم يعملون[2] فى هذا[3] بالجهل ، فنسبتهم إلى الغباوة أحسن فى حقهم من نسبتهم إلى الضلال على علم ، [و سيأتى فى سورة لقمان إن شاء الله تعالى ما يكون نافعا فى هذا المقام ، وإنما فسرت الحمد بما تقدم - [4]] ٥ لأنه قد مضى فى سورة الفاتحة أن مادة 'حمد' تدور على بلوغ الغاية ، و يلزم منه الاتساع و الإحاطة و الاستدارة ، فيلزمها مطأطأة الرأس [5]و قد[5] يلزم الغاية الرضى فيلزمه الشكر ، و بيانه أن الحمد بمعنى[6] الرضا و الشكر لأنهما[7] يكونان غالبا عن غاية الإحسان ، و يرجع إلى ذلك الحمد بمعنى الجزاء و قضاء[8] الحق ، و حماداك - بالضم ، أى غايتك[9] ، و يوم ١٠ محتمد : شديد الحر ، و حمد النار - محركة : صوت التهابها[10] ، و أما يتحمد [علىّ - [11]] - بمعنى يمتن - فأصله : يذكر ما يلزم منه حمده[12] ، و منه المدح : و هو حسن الثناء ، و تمدح بمعنى تكلف أن يمدح و افتخر[13]

(١) زيد فى الأصل : الذى له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : يعلمون (٣) فى ظ : ذلك (٤) زيد من ظ و م و مد (٥ - ٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فقد (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : معنى (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لان ما .
(٨) من م و مد و القاموس ، وفى الأصل و ظ : قضى (٩) من ظ و م و مد و القاموس ، وفى الأصل : غايته (١٠) و هو قول الفراء - راجع القاموس [حدم] (١١) زيد من ظ و م و مد و القاموس (١٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : حمد (١٣) من ظ و م و مد و القاموس ، وفى الأصل : اقتحم .

و تشبع بما ليس عنده ، فانه فى كل ذلك بذل[٢] جهده ، و دحمه - كمنع : دفعه شديدا . و المرأة : نكحها - لما فى ذلك من بلوغ الغاية فى الشهوة و ما يلزمها من الدفع ونحوه ، و الدحم - بالكسر : الأصل - لأنه غاية الشيء الذى ينتهى إليه ، و حدم[٣] النار - و يحرك : شدة احتراقها
٥ و حميها ، و احتدم الدم : اشتدت حمرته حتى يسود ، و الحدمة - محركة : النار - لأنها غاية الحر ، و الحدمة أيضا : صوتها - لدلالته على قوة التهابها ، و من ذلك الحدمة أيضا لصوت جوف الحية ، أو صوت[٤] فى الجوف كأنه تغيظ[٥] - لأنه يدل على غاية التهاب الباطن ، و الحدمة - كفرحة : السريعة الغلى من[٦] القدور ؛ و من الاتساع : تمدحت [الأرض - [٧]]
١٠ أى اتسعت ؛ و من الاستدارة : الداحوم لحبالة الثعلب - لأنها بلغت الغاية من مراد الصائد ، [و - [٨]] لأنه [لما - [٩]] لم يقدر على الخلاص منها كانت كأنها قد أحاطت به ، و الدحمح[١٠] : المستدير الململم ، و دمح تدميحا : طأطأ رأسه - لأن الانعطاف مبدأ الاستدارة - و الله سبحانه و تعالى الموفق .

و لما انقضى هذا المثل كافيا فى المراد ، ملزما لهم[١] لاعترافهم
١٥ بأن الأصنام عبيد الله فى قولهم « لبيك اللهم لبيك لا شريك لك

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يدل على - كذا (٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : حمد (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : جوف (٥) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : يغيض . (٦) من القاموس ، و فى النسخ كلها : فى (٧) زيد من ظ و م و مد و القاموس . (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) زيد من م (١٠) كسفرجل .

إلا

[1]إلا شريكا[1] هو لك، تملكه و ما ملك[2]، و[3] كان ربما كابر مكابر فقال: إنهم[4] ليسوا[5] ملكا له، أتبعه مثلا آخر لا تمكن[6] المكابرة فيه، فقال تعالى: ﴿و ضرب الله﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة أيضا ﴿مثلا﴾ ثم أبدل [منه -[7]] ﴿رجلين﴾ ثم استأنف البيان لما أجمل / فقال تعالى: ٢٤٢ / ﴿احدهما ابكم﴾ [أى -[7]] ولد أخرس؛ ثم ترجم بكمته التى أريد بها ٥ أنه لا يَفهم و لا يُفهِم[8] بقوله: ﴿لا يقدر على شىء﴾ أى أصلا ﴿و هو كل﴾ أى ثقل و عيال، و الأصل فيه الغلظ الذى يمنع من النفوذ[9]، كلت السكين كلولا - إذا غلظت شفرتها فلم تقطع، و كل لسانه - إذا لم ينبعث فى القول[10]، لغلظه و ذهاب حده - قاله الرمانى ﴿على مولٰه[1]﴾ الذى يلى أمره؛ ثم بين ذلك بقوله تعالى: ﴿اينما يوجهه﴾ أى يرسله و يصرفه ١٠ ذلك المولى ﴿لا يات بخير[4]﴾ و هذا مثل شركائهم الذين[11] هم عيال و وبال على عبدتهم.

(١-١) من صحيح مسلم - باب التلبية و صفتها و وقتها من كتاب الحج، و فى الأصل و ظ: لاشريك، و فى م و مد: الا شريك - كذا (٢) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: نسئلك - كذا (٣) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انه (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يمكن (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يعلم (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السقوط - كذا (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: البول - كذا (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الذى.

و لما انكشف ضلالهم فى تسويتهم الأنداد - الذين لا قدرة لهم على شيء ما - بالله[1] [الذى -[2]] له الإحاطة بكل شيء قدرة و علما ، حسن كل الحسن توبيخهم و الإنكار عليهم بقوله تعالى : ﴿ هل يستوى هو ﴾ أى هذا المذكور ﴿ و من ﴾ أى و رجل آخر على ضد صفته ، فهو عالم

٥ فطن قوى خبير مبارك [الأمر -[2]] ميمون النقيبة ﴿ يامر ﴾ بما له من العلم و القدرة ﴿ بالعدل ﴾ أى ببذل النصيحة لغيره ﴿ و هو ﴾ فى نفسه ظاهرا و باطنا ﴿ على صراط ﴾ أى طريق واضح واسع ﴿ مستقيم ﴾ أى عامل بما يأمر به ، و هذا مثال للمعبود بالحق [3]الذى يكفى عابده جميع[4] المؤن ، و هو دال على كمال علمه و تمام قدرته .

١٠ و لما تم هذان المثلان[5] الدالان على تمام [علمه -[2]] و شمول قدرته ، [القاضيان بأن غيره عدم ، عطف على قوله "ان الله يعلم" قوله مصرحا بتمام علمه و شمول قدرته -[2]] : ﴿ و لله ﴾ أى هذا علم الله فى[6] المشاهدات الذى علم من هذه الأدلة أنه[7] مختص به ، و لذى الجلال و الإكرام وحده ﴿ غيب السموٰت و الارض ﴾ كما أن له وحده شهادتهما[8] ، فما أراد

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بال الله (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) العبارة من هنا إلى « تمام قدرته » ساقطة من مد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بجميع (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المثالان (٦) زيد فى الأصل : الثنا و - كذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) فى ظ : لهمه ، و فى مد : لهم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مشاهدتها .

من ذلك كانت قدرته عليه كقدرته على الشهادة من الساعة التي تنكرونها استعظاما لها، و من غيرها بما فصله لكم من أول السورة إلى هنا من خلق السماوات و الأرض و ما فيهما ﴿ و ما أمر الساعة ﴾ و هي[1] الوقت الذي يكون فيه البعث، على[2] اعتقادكم أنها لا تكون استبعادا لها و استصعابا لأمرها في سرعته عند الناس لو رأوه، و لذا[3] عبر عنه بالساعة ﴿ الا كلمح البصر ﴾ أي كرجع[4] الطرف المنسوب إلى البصر أيّ بصر كان ﴿ او هو اقرب[5] ﴾ و إذا الخلق قد قاموا من قبورهم مهطعين إلى الداعي - هذا بالنسبة إلى علمهم و قياسهم، و أما بالنسبة إليه سبحانه فأمره [6]في الجلالة[6] و العظم و السرعة و الإتقان يجل عن الوصف، و تقصر[7] عنه العقول، و لا شك فيه و لا تردد، [8]و لذلك علله بقوله تعالى: ﴿ان الله﴾ أي الملك الأعظم ﴿ على كل شيء ﴾ أي ممكن ﴿ قدير ﴾.

و لما انقضى توبيخهم على إيمانهم بالباطل و كفرانهم[9] بالحق و ما استتبعه، و ختم بأمر الساعة، عطف على قوله تعالى "و الله جعل لكم من انفسكم ازواجا" ما هو[10] من أدلة الساعة و كمال القدرة و الفعل بالاختيار من النشأة الأولى، فقال تعالى: ﴿و الله﴾ أي الذي له العظمة كلها

(١) في ظ: هو (٢) من ظ وم ومد، و في الأصل: في (٣) من ظ و م ومد، و في الأصل: كذا (٤) من ظ وم و مد، و في الأصل: لرجع (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦ - ٦) من ظ وم ومد، و في الأصل: بالجلال (٧) من م ومد، و في الأصل وظ: يقصر (٨) ومن هنا تعرضت نسخة مد لسقطة منتهية إلى ما سننبه عليه (٩) في ظ: كفرهم (١٠) سقط من ظ.

﴿ اخرجكم ﴾ بعلمه و قدرته ﴿ من بطون امهتكم ﴾ [1]و الذى أخرجكم منها قادر على إخراجكم من بطن[2] الأرض بلا فرق بل بطريق الأولى، حال كونكم [3]عند الإخراج[3] ﴿ لا تعلمون شيئا ﴾ من الأشياء قل أو جل، و عطف على "اخرجكم[4]" قوله : ﴿ و جعل لكم ﴾ بذلك أيضا ٥ ﴿ السمع و الابصار و الافئدة[5] ﴾ آلات لإزالة [الجهل -[6]] الذى وقعت الولادة عليه[1]، و فتق مواضعها و سواها و عدلها و أنتم فى البطون حيث[6] [لاتصل -[7]] إليه يده[8]، و لا يتمكن من شق شيء [منه -[7]] بآلة، فالذى قدر على ذلك فى البطون[9] إبداعا قادر على إعادته فى بطن الأرض، بل بطريق الأولى، و لعله جمعها[10] دون السمع، لأن التفاوت فيها[11] ١٠ أكثر من التفاوت فيه بما لا يعلمه إلا الله[12]؛ و الأفئدة هى / القلوب التى هيأها للفهم و إصلاح [البدن -[6]] بما أودعها من الحرارة اللطيفة القابلة للمعانى الدقيقة ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ أى[13] لتصيروا - بمعارف القلوب التى وهبكموها إذا سمعتم المواعظ و أبصرتم الآيات - فى حال يرجى فيها شكركم لما أفاض عليكم من لطائف صنعه، بأن تعرفوا ما له من العلم ١٥ و القدرة و حسن التعرف، فتعترفوا[14] له بجميع ما أتتكم به رسله، و أهمه

٢٤٣ /

(١) العبارة من هنا إلى « بطريق الأولى » ساقطة من م (٢) فى ظ : بطون .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) فى ظ: اخراجكم (٥) زيد من ظ و م .
(٦) فى ظ : حتى (٧) زيد من ظ (٨) من ظ ، وفى الأصل: يده (٩) من ظ ، و فى الأصل : البطن (١٠) من ظ وم ، و فى الأصل : جمعها (١١) من ظ وم، و فى الأصل : فيها (١٢) تكرر فى ظ (١٣) من م ، و فى الأصل و ظ : او .
(١٤) من ظ وم ، وفى الأصل : فتعرفوا .

الذى

الذى تبنى عليه جميع مقاصد الأصول أن المنعم عليكم بهذه النعم إله واحد عالم بكل شيء [١]قادر على كل شيء[١] فاعل بالاختيار، و أن الطبائع من جملة مقدوراته، لافعل لها إلا بتصريفه[٢].

و لما كان المقصود من تعداد هذه النعم الإعلام بأنه الفاعل بالاختيار وحده لا الطبائع و لا غيرها، دلهم على ذلك [مضموما -[٣]] ٥ إلى ما مضى بقوله مقررا لهم: ﴿ألم يروا﴾ بالخطاب و الغيبة - على اختلاف القراءتين[٤] لأن سياق الكلام و سباقه يحتمل المقبل[٥] و المعرض بخلاف سياق الملك[٦] فانه للمعرض فقط، فلذا اختلف القراء هنا [و -[٣]] أجمعوا هناك ﴿الى الطير مسخرات﴾ [٨]أى مذللات للطيران[٩] بما أقامهن[١٠] الله فيه من المصالح و الحكم بالطيران و غيره ﴿فى جو السماء[٧]﴾ فى الهواء ١٠ بين الخافقين بما لا تقدرون عليه بوجه من الوجوه مع مشاركتكم [لها -[٣]] فى السمع و البصر[١١] و زيادتكم عليها بالعقول، فعلم قطعا ما وصل بذلك من قوله: ﴿ما يمسكهن﴾ أى فى الجو عن الوقوع.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بتصديقه. (٣) زيد من ظ و م (٤) فى نثر المرجان ٣ / ٤٧١: قرأ يعقوب و ابن عامر وحمزة و خلف بالتاء الفوقانية مفتوحة و فتح الراء على الخطاب و البناء للفاعل، و قرأ الباقون بالياء التحتانية على الغيب و البناء للفاعل (٥) من ظ. و فى الأصل: الفعل (٦) راجع آية ١٩ (٧) زيد من ظ (٨) العبارة من « لأن السياق » إلى هنا ساقطة من م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: الطيران (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: اقامها (١١) من ظ و م، و فى الأصل: النظر.

[1]و لما كان للسياق هنا مدخل عظيم [في الرد على أهل الطبائع وهم الفلاسفة ، و لهم وقع عظيم - [2]] في قلوب الناس ، عبر بالاسم الأعظم ، إشارة إلى أنه لا يقوى على رد شبههم إلا من أحاط[3] علما بمعاني الأسماء الحسنى ، فكان متمكنا من علم أصول الدين فقال[4] : ﴿الا الله[5] ﴾ أي الملك الأعظم . لأن نسبتكم و إياها إلى الطبيعة واحدة ، فلو كان ذلك فعلها لاستويتم ؛ ثم نبههم على ما في ذلك من الحكم بقوله : ﴿ان في ذلك﴾ أي الأمر العظيم من إخراجكم على تلك الهيئة ، و الإنعام عليكم بما ليس لها ، و تقديرها على ما لم تقدروا[6] عليه مع نقصها عنكم ﴿لآيت﴾ و لما كان من لم ينتفع[6] بالشيء كأنه لم يملكه ، قال تعالى : ﴿ لقوم يؤمنون ﴾ أي هيأهم الفاعل المختار للايمان .

و لما ذكرهم سبحانه بنعمة الإدراك بعد ابتداء الخلق ، و أتبعه ما منّ به على الطير من الارتفاع الحامي لها من الحر ، أتبعه ما يسكنون[7] إليه فيظلهم و [8]يجمعهم لأنه[8] أهم الأشياء للحيوان ، فقال تعالى : ﴿و الله﴾ أي الذي له الحكمة البالغة و القدرة الشاملة ﴿ جعل لكم ﴾ أي أيها الغافلون ﴿ من بيوتكم ﴾ أصل[9] البيت المأوى ليلا ثم اتسع فيه ﴿ سكنا ﴾ هو

(١) العبارة من هنا إلى « أصول الدين فقال » ساقطة من م (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : احتاط (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م ، و في الأصل : لم يقدروا (٦) من ظ و م ، و في الأصل : لم ينفع . (٧) في ظ : يسلكون (٨-٨) من م ، و في الأصل : يجمعهم لانهم ، و في ظ : يحميهم لأنه - كذا (٩) من ظ و م ، و في الأصل : اهل .

مصدر بمعنى مفعول ، و لم يسلط عليكم فيها [١]الحشرات و الوحوش[١] كما سلطكم عليهم ؛ ثم أتبع ما يخص الحضر ما يصلح له[٢] و للسفر بما ميزهم به عن الطير[٣] و غيرها من سائر الحيوانات[٤] ، فقال تعالى : ﴿و جعل لكم﴾ أى إنعاما عليكم ﴿ من جلود الانعام ﴾ التى سلطكم عليها .

و لما كانت الخيام ، التى من جلود الأنعام ، فى ظلها الظليل تقارب ٥ بيوت القرى ، جمعها جمعا[٥] فقال تعالى[٦] : ﴿ بيوتا ﴾ [٧]فانهم قالوا : إن هذا الجمع بالمسكن أخص ، و الأبيات بالشعر أخص ﴿ تستخفونها ﴾ أى تطلبون بالاصطناع خفها[٨] فتجدونها كذلك ﴿ يوم ظعنكم ﴾ أى[٩] وقت ارتحالكم ، و عبر به لأنه[١٠] فى النهار أكثر ﴿ و يوم اقامتكم[لا] ﴾ ثم أتبعه ما به كمال السكن فقال تعالى : ﴿و من اصوافها ﴾ أى الضأن منها ١٠ ﴿ و اوبارها ﴾ و هى للابل كالصوف[١١] للغنم ﴿ و اشعارها ﴾ و هى ما كان من المعز و نحوه من المساكن و الملابس و المفارش و الأخبية و غيرها ﴿ اثاثا ﴾ أى متاعا من متاع البيت كثيرا ، من قولهم : شعر أثيث[١٢] أى كثير ، [١٣]و أث النبت[١٣] - إذا كثر ﴿ و متاعا ﴾ [١٤]تتمتعون به

(١ - ١) فى الأصل : الوحوش و الحشرات ، و الترتيب من ظ و م (٢) فى ظ : به (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الطيرة (٤) فى ظ و م : الحيوان (٥) سقط من ظ (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد فى ظ : اى (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : منها (٩) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (١٠) فى ظ : لانها (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : فالصوف (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : نبت - كذا (١٣-١٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اوان البيت - كذا (١٤) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

٢٤٤/ ﴿ الى حين ﴾ أى وقت غير معين / بحسب [كل - ١] إنسان٢ فى فقد ذلك ، و أعرض عن ذكر الحرير و الكتان و القطن لأنها لم تكن من صناعتهم ، و إشارة إلى الاقتصاد و عدم الإسراف .

و لما ذكر ما يخصهم ، أتبعه ما يشاركون فيه سائر الحيوانات فقال :

٥ ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿ جعل لكم ﴾ أى من٣ غير حاجة٤ منه سبحانه ﴿ مما خلق ظلالا ﴾٥ من الأشجار و الجبال و غيرها ﴿ و جعل لكم ﴾ أى مع غناه المطلق ﴿ من الجبال اكنانا ﴾ جمع كن و هو ما يستكن به - أى يستتر - من الكهوف و نحوها ، و لو كان الخالق غير مختار لكانت على سنن واحد لا ظلال و لا أكنان٦ ؛ ثم أتبع

١٠ ذلك ما هداهم٧ إليه عوضا٨ مما جعله لسائر الحيوان فقال : ﴿ وجعل لكم ﴾ أى مَنّا منه عليكم ﴿ سرابيل ﴾ أى ثيابا٩ ﴿ تقيكم الحر ﴾ و [هى - ١] كل ما لبس من قميص و غيره١٠ - كما قال الزجاج .

و لما كانت السرابيل نوعا واحدا ، لم يكرر "جعل" فقال تعالى١١: ﴿ و سرابيل ﴾ أى دروعا و مغافر و غيرها ﴿ تقيكم باسكم ١ ﴾ أضافه

١٥ إليهم إفهاما لأنه الحرب ، و ذلك كما جعل لبقية الحيوان - من الأصواف١٢ و نحوها [و الأنياب - ١] و الأظفار و نحوها - ما هو نحو ذلك يمنع

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الانسان (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : خاصة (٥) زيد فى ظ : اى (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كنان (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : هم (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : عرضا (٩) زيد فى الأصل : نوعا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) فى ظ : غير (١١) سقط من ظ و م (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الاموات .

من

من الحر و البرد ، و من سلاح العدو ، و لم يذكر [1]سبحانه هنا وقاية البرد لتقدمها فى قوله تعالى "لكم فيها دفء[2]" .

و لما تم ذلك [كان -[3]] كأنه قيل : نبهنا سبحانه بهذا[4] الكلام على تمام نعمة الإيجاد ، فهل[5] بعدها من نعمة ؟ فقال : نعم ! ﴿ كذلك ﴾ أى كما أتم نعمة الإيجاد عليكم هذا الإتمام العظيم بهذه الأمور و نبهكم[6] عليها ﴿ يتم[7] نعمته عليكم ﴾ فى الدنيا و الدين [8]بالهداية و البيان[8] لطريق النجاة و المنافع ، و التنبيه على دقائق ذلك بعد جلائله ﴿ لعلكم تسلمون ﴾ أى ليكون حالكم - بما ترون من كثرة[9] إحسانه بما لا يقدر عليه غيره مع وضوح الأمر - حال من يرجى منه[10] إسلام قياده لربه ، فلا يسكن و لا يتحرك إلا فى طاعته .

فلما صار هذا البيان ، إلى أجلى من العيان ، كان ربما وقع فى الوهم أنهم إن[11] لم يجيبوا ليحق الداعى بسبب إعراضهم حرج ، فقال تعالى نافيا لذلك معرضا عنهم إعراض المغضب ، مقبلا عليه

---

(١) العبارة من هنا إلى «قيل نبهنا» ساقطة من ظ (٢) و فى البحر المحيط ٥/٥٢٤ : و اقتصر على ذكر الحر إما لأن ما يقى الحر يقى البرد - قاله الزجاج ، أو حذف البرد لدلالة ضده عليه - قاله المبرد (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فهو (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ينبهكم (٧) تقدم فى الأصل على « أى كما » و الترتيب من ظ و م . (٨ - ٨) من م ، و فى الأصل و ظ : بالبيان و الهداية (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : كثر (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : له (١١) سقط من ظ .

صلى الله عليه و على آله و سلم إقبال المسلى، معبرا بصيغة التفعل المفهمة لأن الفطر الأولى داعية إلى الإقبال على[1] الله فلا يعرض صاحبها[2] عما يرضيه[3] سبحانه إلا بنوع معالجة: ﴿فان تولوا﴾ أى كلفوا أنفسهم الإعراض و متابعة الأهواء فلا تقصير عليك بسبب توليهم و لاحرج ٥ ﴿فانما﴾ أى بسبب أنه[4] إنما ﴿عليك البلٰغ المبين ۝﴾ و ليس عليك أن تردهم عن العناد، فكأنه قيل: فهل كان إعراضهم عن جهل أو عناد؟ فقيل فيهم[5] [و فيهم -[6]]: ﴿يعرفون﴾ [أى -[7]] كلهم ﴿نعمت الله﴾ أى الملك الأعظم، التى[8] تقدم عد بعضها فى هذه السورة و غيرها ﴿ثم ينكرونها﴾ بعبادتهم غير المنعم بها [أو -[9]] بتكذيب الآتى بالتنبيه ١٠ عليها، بعضهم لضعف معرفته، و بعضهم عنادا، و كان بعضهم يقول: هى من الله و لكن بشفاعة آلهتنا ﴿و اكثرهم﴾ أى المدعوين[10] بالنسبة إلى جميع أهل الأرض الذين أدركتهم[11] دعوته صلى الله عليه و على آله و سلم ﴿الكٰفرون ۝﴾ أى المعاندون الراسخون فى الكفر.

و لما كان من أجلّ المقاصد بهذه الأساليب التخويف من البعث، ١٥ و كان من المعلوم أنه ليس بعد الإعراض عن البيان و الإصرار على كفران المعروف من الإحسان إلا المجازاة لأن الحكيم يمهل و لا يهمل،

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٢) فى ظ: صاحبه (٣) و إلى هنا انتهت السقطة من مد (٤) سقط من ظ (٥) أى فى الجاهلين (٦) أى فى المعاندين، و الكلمة زيدت من ظ و م و مد (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الذى (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المدعون (١١) فى مد: ادركته.

قال تعالى[1] ، عاطفا على ثمرة "فانما عليك البلغ المبين" و هى : فبلغهم و بين لهم و لاتيأس / من رجوعهم : ﴿و يوم﴾ أى و خوفهم يوم ﴿ نبعث ﴾ بعد[2] البعث ﴿ من كل امة شهيدا ﴾ يحكم [بقوله -[3]] الملك إجراءً للأمر على ما يتعارفون و إن كان غنيا عن شهيد . / ٢٤٥

و لما كان الإذن لهم فى الاعتذار فى بعض المواقف الطويلة فى ذلك اليوم متعذرا ، عبر عنه سبحانه بأداة البعد فقال تعالى[1] : ﴿ثم لا يؤذن﴾ [أى -[4]] لايقع إذن على تقدير من التقادير ﴿ للذين كفروا ﴾ أى بعد شهادة الشهداء فى الاعتذار كما يؤذن فى هذه الدار للشهود[5] عليه عند السؤال فى الإعذار[6] ، لأنه لا عذر هناك فى الحقيقة ﴿ و لا هم ﴾ أى خاصة ﴿ يستعتبون ﴾ [أى -[7]] و لا يطلب منهم الإعتاب المؤثر للرضى و هو إزالة العتب و هو الموجدة[8] المعبر بها عن الغضب المعبر به عن آثاره من السطوة و الانتقام ، و أخذ العذاب لأهل الإجرام [9]من قبيح[9] ما ارتكبوا ، لأن تلك الدار ليست بدار تكليف ؛ ثم[10] وصل به أن ما يوجبه[11] الغضب يدوم عليهم فى ذلك اليوم ، فقال تعالى[1] عاطفا على

(١) سقط من مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يوم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للشهود (٦) فى ظ : الاعتذار (٧) زيد من م و مد (٨) زيد فى الأصل و ظ : و هو ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لقبيح (١٠) فى ظ : بل (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يوجب .

ما بعد "ثم" : ﴿ و اذا رآ ﴾ و أظهر موضع الإضمار تعميما فقال تعالى[١] : ﴿ الذين ظلموا ﴾ فعبر بالوصف الموجب للعذاب ﴿ العذاب ﴾ بعد الموقف[٢] و شهادة الشهداء ، و جزاء الشرط محذوف لدلالة ما قرن بالفاعلية تقديره : لابسهم ﴿ فلا يخفف ﴾ أى يحصل[٣] تخفيف بنوع من الأنواع و لا بأحد من الخلق ﴿ عنهم ﴾ شيء منه ﴿ و لا هم ينظرون ﴾ بالتأخير و لا لحظة بوجه من الوجوه على تقدير من التقادير من أحد ما .

و لما بين سبحانه حاصل أمرهم فى البعث و ما بعده ، و كان من أهم المهم[٤] أمرهم فى الموقف مع شركائهم الذين كانوا يترجونهم ، عطف على ذلك قوله تعالى[٥] : ﴿ و اذا رآ ﴾ أى بالعين يوم القيامة ﴿ الذين اشركوا ﴾ فأظهر أيضا الوصف المناسب للقام ﴿ شركآءهم ﴾ أى الآلهة التى كانوا يدعونها[٦] شركاء ﴿ قالوا ربنا ﴾ [يا -[٧]] من أحسن إلينا و ربانا ! ﴿ هـٰؤلآء شركآؤنا ﴾ أضافوهم[٨] إلى أنفسهم لأنه لاحقيقة لشركتهم سوى تسميتهم لها الموجب لضرهم ؛ ثم بينوا المراد بقولهم : ﴿ الذين كنا ندعوا ﴾ أى نعبد .

و لما كانت المراتب متكثرة دون رتبته سبحانه لأن علوه غير منحصر ، أدخل الجار فقال تعالى[١] : ﴿ من دونك ج ﴾ ليقربونا إليك ، فأكرمنا لأجلهم

---

(١) سقط من مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الوقف (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يجعل (٤-٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : امرهم المتهم (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) فى ظ : يعبدونها (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) فى ظ : اضافهم .

جريا على منهاجهم فى الدنيا فى الجهل و الغباوة ، فخاف الشركاء [٢] من عواقب هذا القول و الإقرار عليه سطوات الغضب ﴿فالقوا﴾ أى الشركاء [٢] ﴿ اليهم ﴾ أى المشركين ﴿ القول ﴾ أى [٣] بادروا به حتى كان إسراعه إليهم إسراع شيء ثقيل يلقى [٤] من علو ؛ و أكدوا قولهم لأنه مطاعنة لقول المشركين فقالوا : ﴿انكم لكذبون ج﴾ فى جعلنا شركاء و أنا نستحق العبادة ٥ أو نشفع أو يكون لنا أمر [٥] نستحق به أن نذكر [٦] ﴿و القوا﴾ أى الشركاء ﴿ الى الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿يومئذ﴾ أى يوم القيامة إذ نبعث من كل أمة شهيدا ﴿ السلم ﴾ أى الانقياد و الاستسلام بما علم به الكفار أنهم من جملة العبيد لا أمر لهم أصلا ، فأصلد زندهم [٧] ، و خاب [٨] قصدهم ، و قيد بذلك اليوم لأنهم كانوا فى الدنيا - بتزيين [٩] الشياطين لأمورهم ١٠ و نطقهم على ألسنتهم - بحيث [يظن - [١٠]] عابدوهم أن لهم منعة ، و بهم قوة و يجوز أن يكون ضمير " القوا " للمشركين ﴿و ضل عنهم﴾ أى [عن - [١١]] الكفار ﴿ما كانوا﴾ أى بجبلاتهم ﴿يفترون ه﴾ أى يتعمدون من دعوى النفع لهم و الضر كذبا و فجورا ، فكأنه قيل : هذا للذين أشركوا ، فما للذين كانوا دعاة إلى الشرك مانعين من الانتقال عنه ؟ فقيل : ﴿الذين كفروا﴾ أى أوجدوا ١٥

(١) سقط من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) سقط من م (٤) فى ظ : تلقى (٥) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها. (٦) فى ظ : يذكر (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بريدهم (٨) فى مد : خاف (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بتزين (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) زيد من م .

الكفر فى أنفسهم ﴿ و صدوا ﴾ [1]مع ذلك غيرهم ﴿ عن سبيل الله ﴾
/٢٤٦ أى الذى له الإحاطة / كلها ﴿زدناهم﴾ أى بما لنا من العظمة، بصدهم غيرهم
﴿ عذابا فوق العذاب ﴾ الذى استحقوه على مطلق [الشرك -[2]]
﴿بما كانوا﴾ أى كونا جبليا ﴿يفسدون﴾ أى يوقعون الفساد و يجددونه؛
٥ ثم كرر التحذير من ذلك اليوم على[3] وجه يزيد على ما أفهمته الآية
السالفة، و هو[4] أن الشهادة تقع على الأمم لا لهم، و تكون[5] بحضرتهم،
فقال تعالى[6]: ﴿ و يوم ﴾ أى و خوفهم يوم ﴿ نبعث ﴾ أى بما لنا من
العظمة ﴿ فى كل امة ﴾ من الأمم ﴿ شهيدا ﴾ أى هو فى أعلى رتب
الشهادة ﴿ عليهم ﴾ . و لما كانت بعثة الأنبياء السابقين عليهم السلام
١٠ خاصة بقومهم إلا قليلا، قال: ﴿ من انفسهم ﴾ و هو[7] نبيهم .

و لما كان لذلك اليوم من التحقق ما لا شبهة فيه بوجه و كذا شهادة[8]
النبي صلى الله عليه و على آله و سلم، عبر بالماضى إشارة إلى ذلك، و إلى
أنه صلى الله عليه و على آله و سلم لم يزل من حين[9] بعثه متصفا بهذه
الصفة العلية فقال تعالى[10]: ﴿و جئنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿بك شهيدا﴾
١٥ أى شهادة هى مناسبة لعظمتنا ﴿على هؤلاء﴾ أى الذين[11] بعثناك

(١) زيد فى الأصل: اى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ: الذى (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هى (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يكون (٦) سقط من مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هم (٨) من م، و فى الأصل و ظ و مد: الشهادة (٩) فى مد: حتى. (١٠) سقط من ظ و م و مد (١١) فى ظ: الذى .

إليهم و هم أهل الأرض ، و أكثرهم ليس من قومه صلى الله عليه و على آله و سلم ، و لذلك لم يقيد بعثته[1] بشيء ؛ ثم بين أنه لا إعذار فى شهدائه فانه لا حجة فى ذلك اليوم[2] لمن خالف أمره اليوم ، لأنه سبحانه أزاح العلل ، و ترك الأمر[3] على بيضاء نقية ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، فقال عاطفا على قوله " و ما انزلنا عليك الكتب " - الآية ، المتعقب ٥ لقوله " لاجرم " - الآيتين : ﴿ و نزلنا ﴾ أى بعظمتنا[4] بحسب التدريج و التنجيم ﴿ عليك الكتب ﴾ الجامع للهدى ﴿ تبيانا ﴾ أى لأجل البيان التام ، قالوا[5] : و هو اسم و ليس بمصدر كتلقاء[6] ﴿ لكل شيء ﴾ ورد عليك من أسئلتهم و وقائعهم و غير ذلك ، و هو فى أعلى طبقات البيان كما أنه فى أعلى طبقات البلاغة ، لأن المعنى به أسرع إلى الأفهام ١٠ [و أظهر فى الإدراك ، و النفس أشد تقبلا له لما هو عليه من حسن النظام و [7]القرب إلى الأفهام - [8]] ، و إنما احتيج إلى تفسيره مع أنه فى نهاية البيان لتقصير الإنسان فى العلم بمذاهب العرب الذين هم الأصل فى هذا اللسان . و تقصير العرب عن جميع مقاصده[9] كما قصروا عن درجته فى البلاغة ، فرجعت الحاجة إلى تقصير الفهم لا إلى تقصير ١٥ الكلام فى البيان ، و لهذا تفاوت[10] الناس فى فهمه لتفاوتهم فى درجات البلاغة و معرفة طرق العرب فى جميع أساليبها ؛ قال الإمام[11] الشافعى

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : بعثه (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الامم. (٤) زيد فى ظ : اى (٥) راجع البحر ٥/٢٧ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كلفا - كذا (٧) ليس فى ظ (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مقاصره (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تفاوتت (١١) سقط من ظ و م و مد .

رضى الله عنه فى آخر خطبة الرسالة[1] بعد أن دعا الله تعالى أن يرزقه فهما فى كتابه [2]ثم فى[2] سنة نبيه صلى الله عليه و على آله و سلم : فليست[3] تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا و فى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها[4]، و احتج بآيات منها هذه، و ذلك لأنه[5] سبحانه بين فيه التوحيد و المبدأ و المعاد و الأمر و النهى و [6]الحلال و الحرام[6] و الحدود و الأحكام بالنص على بعضها، و بالإحالة[7] على السنة فى الآخر، و على الإجماع فى نحو قوله تعالى "و يتبع غير سبيل المؤمنين[8]" و على الاقتداء بالخلفاء الراشدين فى قوله صلى الله عليه و على آله و سلم « عليكم بسنتى و سنة الخلفاء الراشدين من بعدى » و بالاقتداء بجميع[9] أصحابه رضى الله عنهم فى قوله صلى الله عليه و على آله و سلم « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » و قد اجتهدوا و قاسوا و وطأوا طرق القياس و الاجتهاد و لم يخرج أحد منهم عن الكتاب و السنة، فهو من دلائل النبوة فى[10] كونه صلى الله عليه و على آله و سلم شهيدا لكونه ما أخبر عنهم إلا بما هم أهله .

---

(١) ص ٤ (٢-٢) من م و مد و الرسالة، و فى الأصل و ظ « و » (٣) من ظ و م و مد و الرسالة، و فى الأصل : فلست (٤) زيد فى الأصل : واضح، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و الرسالة فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بانه (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الحرام و الحلال. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بالاحاطة (٨) سورة ٤ آية ١١٥ (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : من جميع (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ : من .

و لما

و لما / كان التبيان قد يكون للضلال ، قال[1] تعالى : ﴿و هدى﴾ /٢٤٧
أى موصلا إلى المقصود . و لما كان ذلك قد لا يكون على سبيل الإكرام ،
قال تعالى : ﴿و رحمة﴾ و لما كان الإكرام قد لا يكون [بما هو -[2]] فى[3]
أعلى طبقات السرور[4] ، قال سبحانه : ﴿و بشرى﴾ أى بشارة عظيمة جدا
﴿للمسلمين ع﴾ و يجوز أن يكون التقدير " فى كل امة شهيدا عليهم " و[3] هو ٥
رسولهم الذى أرسلناه إليهم فى الدنيا " و جئنا بك شهيدا على هؤلاء "
لكوننا أرسلناك إليهم و جعلناك[5] أمينا عليهم " و نزلنا عليك الكتب
تبيانا لكل شىء " فلا عذر لهم ، فيكون معطوفا على ما دل [6]الكلام
السابق[6] دلالة واضحة على تقديره .

و لما بين تعالى فضل هـذا القرآن بما يقطع حجتهم ، و كان قد ١٠
[قدم -[2]] فضل من يأمر بالعدل و هو على صراط مستقيم ، أخذ يبين[8]
اتصاف القرآن [ببيان -[2]] كل شىء ، و تضمنه لذلك الطريق الأقوم ،
فقال تعالى جامعا لما يتصل[9] بالتكاليف فرضا و نفلا ، و ما يتصل بالأخلاق
و الآداب عموما و خصوصا : ﴿ان الله﴾ أى الملك المستجمع لصفات
الكمال ﴿يامر بالعدل﴾ و هو الإنصاف الذى لا[10] يقبل عمل بدونه ، ١٥

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقال (٢) زيد من م (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد فى الأصل و مد : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) فى ظ :
جعلنا (٦ - ٦) فى ظ : عليه السياق (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م
و مد ، و فى الأصل : منه من - كذا (٩) من م و مد ، و فى الأصل : يصل ،
و فى ظ : يتكلم (١٠) سقط من مد .

و أول درجاته التوحيد الذى بنيت السورة عليه، و العدل يعتبر تارة فى المعنى فيراد به هيئة فى الإنسان تطلب بها المساواة ، و تارة فى العقل فيراد به التقسيط القائم على الاستواء، و تارة يقال: هو الفضل كله من حيث أنه لا يخرج[1] شيء من الفضائل عنه ، و تارة يقال: هو[2] أكمل الفضائل من حيث أن صاحبه يقدر على استعماله فى نفسه و فى غيره ، و هو ميزان الله المبرأ من كل زلة [و به -[3]] يستتب[4] أمر العالم، و به قامت السماوات و الأرض، و هو وسط كل أطرافه جور[5]، و بالجملة الشرع مجمع العدل، و به تعرف حقائقه، و من استقام على نهج[6] الحق فقد استتب[7] على منهج العدل - ذكره الرازى فى اللوامع [و فيه تلخيص -[8]]، و فى آخر الجزء الخامس عشر[9] من الثقفيات[10] أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال لمحمد بن كعب القرظى رضى الله عنه : صف لى العدل ، فقال: كن لصغير الناس أبا، و لكبيرهم[11] ابنا ، و للمثل أخا ، و للنساء كذلك[12]، و عاقب الناس بقدر ذنوبهم على قدر أجسامهم[13]، و لا تضربن

(١) زيد فى مد : عن (٢) زيد بعده فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بسبب (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جوره (٦) فى ظ : منهج . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اسب - كذا (٨) زيد من ظ - و فيه : به ، موضع : فيه - و م و مد (٩) سقط من م (١٠) قد أسلفنا الكلام عليها . (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للكبير (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بذلك (١٣) فى ظ : اجسادهم .

لغضبك سوطا واحدا فتعدى فتكون [من العادين - ١] - انتهى .
﴿ و الاحسان ﴾ و هو فعل الطاعة على أعلى الوجوه ، فالعدل فرض ،
و الإحسان فضل ، و هو مجاوزة النصفة إلى التحامل على النفس ، لأنه
[ربما - ٢] وقع فى الفرض نقص فجبر بالنفل ، و هو [فى - ١] التوحيد
الارتقاء عن أول الدرجات ، و من أعلاه الغنى عن الأكوان ، و تكون ٥
الأكوان فى غيبتها ٣ عند انبساط نور الحق كالنجوم فى انطماسها ٤ عند
انتشار [نور - ١] الشمس ، و غايته الفناء ٥ حتى ٦ عن هذا الغنى ،
و شهود الله وحده ، و هو التوحيد على الحقيقة كما فى حديث أبى هريرة
رضى الله عنه المتفق عليه « الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك ٧ » و هو روح الإنسانية ، ففى الجزء الثامن ٨ من الثقفيات ١٠
عن عاصم بن كليب الجرمى قال : حدثنى أبى كليب أنه شهد مع أبيه
جنازة شهدها رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم ، قال : و أنا
غلام أعقل و أفهم ، قال : فانتهى بالجنازة إلى القبر و لما يمكن لها
فجعل رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم يقول : سوّ ذا أو خذ ذا !
[قال - ١] : حتى ظن الناس أنها سنة ، فالتفت إليهم فقال ٦ : أما ! إن ١٥
هذا لا ينفع الميت و لا يضره ، و لكن الله تعالى يحب من العامل إذا

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) زيد من م (٣) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : غيبها (٤) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : انضمامها (٥) من م ومد ، و فى الأصل وظ : الغنا (٦) سقط من ظ (٧) و الحديث من الشهرة بحيث لا يفتقر إلى التعليق عليه (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الخامس .

/ ٢٤٨ عمل أن يحسن[١]. / ﴿و ايتآئ ذى القربىٰ﴾ فانه من الإحسان، و هو أولى الناس بالبر، و ذلك جامع للاحسان فى صلة[٢] الرحم.

و لما أمر بالمكارم، نهى عن المساوئ و الملائم فقال تعالى: ﴿و ينهى عن الفحشآء﴾ و هى[٣] ما اشتد تقصيره عن العدل فكان ٥ ضد الإحسان ﴿و المنكر﴾ و هو ما قصر عن العدل فى الجملة ﴿و البغى﴾ و هو الاستعلاء على الغير ظلما؛ و قال البيضاوى فى سورة الشورى[٤]: هو طلب تجاوز الاقتصاد فيما يتجزأ كمية أو كيفية. و هو من المنكر، صرح به اهتماما، و هو أخو قطيعة الرحم و مشارك لها فى تعجيل العقوبة «ما من ذنب أحرى[٥] أن يعجل الله لصاحبه العقوبة مع[٦] ما[٧] يدخر له[٧] فى ١٠ الآخرة من البغى و قطيعة الرحم» رواه أحمد و أبو داود[٨] و الترمذى[٩] عن أبى بكرة رضى الله عنه رفعه، و أصل البغى الإرادة، كأنه صار - بفهم[١٠] هذا المعنى [١١]المحظور - المحذورَ عند[١١] حذف مفعوله، لأن الإنسان - لكونه مجبولا على النقصان - [١٢]لايكاد يصلح[١٢] منه إرادة، فعليه أن يكون مسلوب الاختيار، مع الملك الجبار، الواحد القهار، فتكون[١٣] إرادته ١٥ تابعة لإرادته، و اختياره من وراء طاعته، و عن الحسن أن الخلقين

(١) أخرجه الثلاثة مختصرا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اصله (٣) فى ظ: هو (٤) آية ٢٧ (٥) من ظ و م و مد و مسند الإمام أحمد ٥/٣٨، و راجع أيضا ٥/٢٦، و فى الأصل: اخروى (٦) سقط من ظ (٧-٧) من م و مد و المسند، و فى الأصل و ظ: يدخله (٨) فى باب فى النهى عن البغى - كتاب الآداب (٩) خلال باب من أبواب القيامة - راجع ٢/٣٠٣ (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بفيهم (١١-١١) فى ظ: المحذور المحذر عنه (١٢-١٢) فى م و مد: لاتكاد تصلح. (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيكون.

الأولين ما تركا طاعة إلا جمعاها و الأخيرين[1] ما تركا معصية إلا جمعاها .

و لما دعا هذا الكلام على وجازته إلى أمهات الفضائل التى هى [العلم و -[2]] العدل و العفة[2] و الشجاعة ، و زاد من الحسن ما شاء ، فان الإحسان من ثمرات العفة[3] ، و النهى عن البغى الذى هو من ثمرات الشجاعة المذمومة إذن فيما سواه منها ، و لا يقوم شىء من ذلك إلا بالعلم و[4] كان هذا[5] أبلغ وعظ ، نبه عليه سبحانه بقوله تعالى: ﴿يعظكم﴾ أى يأمركم[6] بما يرقق قلوبكم من مصاحبة ثلاثة [و مجانبة ثلاثة -[2]] ﴿لعلكم تذكرون﴾ أى ليكون[7] حالكم حال من يرجى تذكره ، لما فى ذلك من المعالى بما وهب الله من العقل ، الداعى إلى كل خير ، الناهى عن كل ضير ، فان كل أحد من طفل و غيره يكره ان يفعل معه شىء من هذه المنهيات ، فمن كان له عقل و اعتبر بعقله علم أن غيره يكره منه ما يكره[8] هو منه ، و يعلم [أنه -[2]] إن لم يكف[9] عن فعل[10] ما يكره أخوه وقع التشاجر ، فيحصل الفساد المؤدى إلى خراب الأرض ، هذا فى الفعل[11] مع أمثاله من المخلوقين ، فكيف بالخالق بأن يصفه بما لا يليق به سبحانه ، و عز اسمه ، و تعالى جده ، و عظم أمره !

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الآخرين (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصفة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او (٥) فى ظ : من (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) فى م : لتكون .
(٨) زيدت الواو فى مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم يكن (١٠) فى ظ : فعله (١١) فى مد : الفضل .

و لما تقررت هذه الجمل التى جمعت - بجمعها للأمورات و المنهيات - ما تضيق عنه[1] الدفاتر و الصدور، و شهد [لها -[2]] المعاندون من بلغاء العرب أنها بلغت قاموس البحر و تعالت عن طوق البشر، عطف على ما أفهمه السياق - من نحو: فتذكروا أو فالزموا ما أمرتم به و نابذوا ما نهيتم عنه - بعض ما أجملته، و بدأ بما هو مع جمعه أهم، و هو الوفاء بالعهد الذى يفهم منه العلماء بالله ما دل عليه العقل من الحجج القاطعة بالتوحيد و صدق الرسل و وجوب اتباعهم، فكانت أعظم العهود[3]، و يفهم منه غيرهم ما يتعارفونه مما[4] يجرى بينهم من المواثيق، فاذا ساروا[5] فيها بما أمر[6] سبحانه و تحروا رضاه [علما منهم -[2]] بأنه العدل، قادهم ذلك إلى رتبة الأولين فقال تعالى: ﴿و اوفوا﴾ أى أوقعوا الوفاء الذى لا وفاء[7] فى الحقيقة غيره ﴿بعهد الله﴾ أى الملك الأعلى الذى عاهدكم عليه بأدلة العقل و النقل من التوحيد و غيره من أصول الدين و فروعه "الذين يوفون بعهد الله و لا ينقضون الميثاق[8]". "و ما يضل به الا الفاسقين[9] الذين / ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه[10]" ﴿اذا عاهدتم﴾ بتقبلكم[11] له باذعانكم لأمثاله من الأدلة فيما عرف من عوائدكم، و صرحتم به

/٢٤٩

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عند (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٥) فى مد: اشاروا (٦) فى مد: امروا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وفاة - كذا (٨) سورة ١٣ آية ٢٠ (٩) فى ظ: الفاسقون (١٠) سورة ٢ آية ٢٦ و ٢٧ (١١) فى ظ: بتقلبكم.

عند شدائدكم[1] "ثم اذا مسكم الضر فاليه تجئرون" [2] ثم عطف عليه ما هو من جنسه و أخص [منه -[3]] فقال تعالى: ﴿ و لا تنقضوا الايمان ﴾ و احترز عن لغو اليمين بقوله تعالى: ﴿ بعد توكيدها ﴾ و حذف الجار لأن المنهى عنه إنما هو استغراق زمان البعد بالنقض، و ذلك لا يكون إلا بالكذب الشامل له كله، بعضه بالقوة و بعضه بالفعل، و لعله جمع إشارة إلى أن المذموم استهانتها من غير توقف على كفارة، لأن من فعل ذلك و لو فى واحدة كان فاعلا [ذلك -[3]] فى الجميع، بخلاف من ينقض ما نقضه خير[5] بالكفارة فانه ناقض للبعض لا للكل، لأنه دائر مع الخير[6] [و -[3]] الأول دائر مع الهوى؛ ثم حذرهم من النقض بأنه مطلع[7] قادر، فقال تعالى مقبحا حالهم إذ ذاك: ﴿ و قد جعلتم الله ﴾ أى الذى له العظمة كلها ﴿ عليكم كفيلا[8] ﴾ أى شاهدا و رقيبا.

و لما كان من شأن الرقيب حفظ أحوال من يراقبه، قال تعالى مرغبا مرهبا: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ يعلم ما تفعلون ﴾ فلم تفعلوا شيئا إلا بمشيئته و قدرته. فكانت كفالته[8] [مجعولة بهذا الاعتبار و إن لم يصرح بالجعل، فمتى نقضتم فعل بكم فعل الكفيل -[3]] القادر

(١) فى مد: اشدائكم (٢) العبارة من هنا إلى « الضرر بفعلهم » ص ٢٤٢ س ١٣ تقدمت فى ظ على « صراط مستقيم » ص ٢٣٥ س ١١ (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل: له (٥) فى الأصول: جبر؛ و ما أثبتناه مستفاد من قوله صلى الله عليه و سلم: من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذى هو خير و ليكفر عن يمينه (٦) من م، و فى الأصل: الجبر، و فى ظ ومد: الجبر (٧) زيدت لواو فى م (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: كفالة.

بالمكفول[1] المماطل من أخذ الحق و العقوبة .

و لما أمر بالوفاء و نهى عن النقض ، شرع [فى - [2]] تأكيد وجوب الوفاء و تحريم النقض و تقبيحه[3] تنفيرا منه فقال تعالى : ﴿ و لا تكونوا ﴾ أى فى نقضكم لهذا الأمر المعنوى ﴿ كالتى نقضت غزلها ﴾ و لما كان النقض لم يستغرق زمان البعد ، قال تعالى : ﴿ من بعد قوة ﴾ عظيمة حصلت له ﴿ انكاثا[4] ﴾ أى أنقاضا ، جمع نكث و هو كل شىء نقض [4] بعد الفتل [4] سواء كان حبلا أو غزلا ، فهو مصدر بمجموع من نقضت ، لأنه بمعنى نكثت ، قال فى القاموس : النكث - بالكسر - أن تنقض أخلاق الأكسية لتغزل ثانية . فيكون[5] مثل جلست قعودا ، أى فتكونوا[6] بفعلكم ذلك كهذه[7] المرأة التى ضربتم المثل بها فى الخرق[8] مع ادعائكم[9] أنه يضرب بأدناكم المثل فى العقل ، [ثم - [2]] وصل بذلك ما يعرف أنهم[10] أسفه[11] من تلك المرأة بسبب أن ضررها لا يتعداها ، و أما[12] الضرر بفعلهم فانه مفسد لذات البين فقال تعالى : ﴿ تتخذون ﴾

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالمقدور (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بحقه (٤-٤) من م . و فى الأصل وظ : هذا للفتل ، و فى مد : بعد للفتل - كذا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فتكون (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيكون (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هكذا (٨) أى الحمق (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعاديكم (١٠) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : انه (١١) فى ظ : اسفل (١٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ما .

أى

أي بتكليف[1] الفطرة الأولى ضد ما تدعو[2] إليه [3]من الوفاء[3] ﴿ايمانكم دخلا﴾ [أي - [4]] فيضمحل كونها أيمانا إلى كونها ذريعة إلى الفساد بالخداع[5] و الغرور ﴿بينكم﴾ من حيث أن المحلوف له يطمئن فيفجأه الضرر، و لو كان على حذر لما نيل منه و لا جسر عليه، وكل ما أدخل فى الشيء[6] على فساد فهو دخل ﴿ان﴾ أى تفعلون[7] ذلك بسبب أن[8] ﴿تكون امة﴾ ٥ أى و هى[9] الخادعة أو المخدوعة لأجل سلامتها ﴿هى﴾ أى خاصة ﴿اربى﴾ أي أزيد و أعلى ﴿من امة[4]﴾ فى القوة أو العدد، فاذا وجدت نفادا لزيادتها غدرت.

و لما عظم عليهم النقض، و بين أن[5] من أسبابه الزيادة، حذرهم غوائل البطر فقال تعالى: ﴿انما يبلوكم﴾ أى يختبركم ﴿الله﴾ أى الذى ١٠ له الأمر كله ﴿به[4]﴾ أى يعاملكم معاملة المختبر بالأيمان و الزيادة ليظهر للناس تمسككم بالوفاء أو انخلاعكم منه اعتمادا على كثرة أنصاركم و[10] قلة أنصار من نقضتم عهده من المؤمنين [11]أو غيرهم[11] مع قدرته سبحانه على ما يريد، فيوشك أن يعاقب[12] بالمخالفة فيضعف القوى و يقلل

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تكليف (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تدعون (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد من ظ و م و مد. (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: شيء (٧) من م، وفى الأصل و ظ و مد: يفعلون (٨) سقط من مد (٩) فى ظ: هو (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: او (١١-١١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: و غيره (١٢) فى ظ: يوقع.

الكثير ﴿ و ليبين لكم ﴾ أى إذا تجلى لفصل القضاء ﴿ يوم القيمة ﴾ مع
٢٥٠/ هذا كله ﴿ ما كنتم ﴾ أى بجبلاتكم ﴿ فيه / تختلفون ٥ ﴾ فاحذروا يوم
العرض على ملك الملوك [بحضرة الرؤساء و الملوك - [1]] و جميع
المعبودات و الكل بحضرته الشماء [2] داخرون ، و لديه صاغرون ، و من
٥ نوقش الحساب يهلك .

و لما أمر و نهى ، و خوف من العذاب فى القيامة ، [3] و كان ربما ظن
من لا علم له - و هم الأكثر - من كثرة التصريح بالحوالة على القيامة [3] نقص
القدرة فى هذه [4] الدار ، صرح بنفى ذلك بقوله تعالى : ﴿ و لو شآء الله ﴾
أى الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه ، أن يجعلكم [5] أمة واحدة [6]
١٠ لا خلاف بينكم فى أصول الدين و لا فروعه ﴿ لجعلكم امة واحدة ﴾ متفقة
على أمر واحد لا تؤم [7] غيره ، منفيا عنها أسباب [8] الخلاف ﴿ و لكن ﴾
لم يشأ ذلك و شاء اختلافكم ، فهو ﴿ يضل من يشآء ﴾ عدلا منه ، لأنه
تام الملك عام الملك و لو [9] كان الذى أضله على أحسن الحالات
﴿ و يهدى ﴾ بفضله ﴿ من يشآء [1] ﴾ و لو كان على أخس [10] الأحوال ،

(١) زيد من ظ و م و مد بيد أن كلمة « الرؤساء » ليست فى ظ (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : السما (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من م و مد ، و فى الأصل : هذا ، و الكلمة ساقطة من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نجعلكم (٦) زيدت الواو فى ظ (٧) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لا يؤم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انشاء (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكن (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احسن .

فبذلك يكونون[1] مختلفين فى المقاصد، يؤم هذا غير ما يؤمه هذا، فيأتى الخلاف مع تأدية العقل إلى[2] أن الاجتماع[3] خير من الافتراق، فالاختلاف[4] مع هذا من[5] قدرته الباهرة.

و لما تقرر [بهذا -[6]] أن الكل فعله وحده فلا فعل لغيره أصلا، كان ربما أوقع فى الوهم أنه لا حرج على أحد فى شىء يفعله بين أن السؤال يكون عن المباشرة ظاهرا على ما يتعارف الناس فى إسناد الفعل إلى من ظهر اكتسابه له، فقال تعالى مرغبا مرهبا مؤكدا لإنكارهم البعث فضلا عما ينشأ عنه: ﴿ و لتسئلن عما كنتم ﴾ أى كونا أنتم مجبولون عليه ﴿ تعملون ﴾ و إن دق، فيجازى كلا[7] منكم على عمله و إن كان غنيا عن السؤال، فهو بكل شىء عليم.

و لما بين أن الكذب و ما جر إليه أقبح القبائح، و أبعد الأشياء عن المكارم، وكان من أعظم أسباب الخلاف، [8]فكان أمره جديرا بالتأكيد[8]، أعاد[9] الزجر عنه بأبلغ مما مضى بصريح النهى مرهبا مما يترتب على ذلك، فقال[10] معبرا بالافتعال إشارة إلى [أن -[11]] ذلك لا يفعل

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يكون (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاحتمال (٤) فى ظ و مد: بالاختلاف (٥) من م ومد، وفى الأصل: فى، و فى ظ: مع (٦) زيد من م و مد. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كل (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م. (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل: عاد (١٠) العبارة من هنا إلى « نفارها منه» ص ٢٤٦ س ١ ساقطة من م (١١) زيد من ظ و مد.

إلا بعلاج شديد من النفس لأن الفطرة السليمة يشتد نفارها منه : ﴿ ولا تتخذوا أيمانكم دخلا ﴾ أى فسادا و مكرا و داء و خديعة ﴿ بينكم ﴾ أى فى داخل عقولكم [1] و أجسامكم [1] ﴿ فتزل ﴾ أى فيكون ذلك سببا [2] لأن تزل ﴿ قدم ﴾ هى فى غاية العظمة بسبب الثبات ﴿ بعد ثبوتها ﴾ عن مركزها الذى كانت به من دين أو دنيا ، فلا يصير لها قرار [3] فتسقط عن مرتبتها ، و زلل القدم تقوله [4] العرب لكل [5] ساقط فى ورطة بعد سلامة ﴿ و تذوقوا السوء ﴾ مع تلك الزلزلة ﴿ بما صددتم ﴾ أى بأنفسكم [و منعتم غيركم بأيمانكم التى [6] أردتم بها الإفساد لإخفاء الحق ﴿ عن سبيل الله ج ﴾ أى الملك - [7]] الأعلى ، يتجدد لكم [هذا - [7]] الفعل ما دمتم على هذا الوصف ﴿ و لكم ﴾ مع ذلك ﴿ عذاب [8] عظيم ه ﴾ ثابت غير منفك إذا متم على ذلك .

و لما كان هذا خاصا بالأيمان ، أتبعه النهى عن الخيانة فى عموم العهد [تأكيدا بعد - [7]] تأكيد [1] للدلالة على عظيم النقض [1] فقال تعالى : ﴿ و لا تشتروا ﴾ أى [9] تكلفوا أنفسكم [لجاجا - [7]] و تركا للنظر فى

(١-١) سقط مابين الرقمين من م (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سبب.
(٣) فى مد : قرارا ؛ و العبارة فيها من هنا إلى ما سننبه عليه غير واضحة لدرجة أن إجراء المقابلة عليها فى قمة الصعوبة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بقوله .
(٥) فى ظ : فى (٦) فى ظ : الذى (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م .
(٨) ليس فى الأصل (٩) زيد فى ظ : و لا .

العواقب أن تأخذوا و تستبدلوا ﴿ [1]بعهد الله[1] ﴾ أى الذى له الكمال كله ﴿ [2]ثمنا قليلا[2] ﴾ أى من حطام الدنيا و إن كنتم ترونه كثيرا ، ثم علل قلته[3] بقوله تعالى : ﴿ انما عند الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام من ثواب الدارين ﴿ هو خير لكم ﴾ و لايعدل عن الخير إلى ما دونه إلا لجوج ناقص العقل ؛ ثم شرط علم[4] خيريته بكونهم من ذوى العلم فقال ٥ تعالى : ﴿ ان كنتم ﴾ أى بجبلاتكم ﴿ تعلمون ﴾ أى ممن يتجدد له علم و لم[5] تكونوا فى عداد البهائم ، فصار العهد الشامل للأيمان مبدوءا فى هذه الآيات بالأمر بالوفاء به و مختوما بالنهى عن نقضه ، و الأيمان التى هى أخص منه وسط بين [الأمر و النهى المتعلقين به ، فصار الحث عليها على غاية من التأكيد[6] عظيمة و رتبة -[7]] /من التوثيق جليلة ، ثم ١٠ /٢٥١ [بين -[7]] خيريته و كثرته بقوله تعالى على سبيل التعليل : ﴿ ما عندكم ﴾ أى من أعراض الدنيا ، و هو الذى تتعاطونه[8] بطباعكم[9] ﴿ ينفد ﴾ أى يفنى[10] ، فصاحبه منغص[11] العيش أشد ما يكون به اغتباطا بانقطاعه أو بتجويز انقطاعه إن كان فى عداد من يعلم ﴿ و ما عند الله ﴾ أى الذى

(١-١) فى ظ : ثمنا قليلا (٢-٢) فى ظ : بعهد الله (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : على (٥) فى ظ : لا (٦) زيدت الواو فى ظ (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : يتعاطونه (٩) من م ، و فى الأصل بياض ، و فى ظ : لطبائعكم (١٠) فى ظ : ينفى (١١) فى ظ : منقبض .

له الأمر كله من الثواب ﴿ باق[1] ﴾ فليؤتينكم منه[1] إن ثبتم[2] على عهده؛ ثم لوح بما فى ذلك من المشقة عطفا على هذا المقدر فقال تعالى مؤكدا لأجل تكذيب المكذبين : ﴿ و لنجزين[3] ﴾ [4]أى الله - على قراءة الجماعة بالياء ، و نحن - على قراءة ابن كثير و عاصم بالنون التفاتا إلى [التكلم -[5]] للتعظيم ﴿ الذين صبروآ ﴾ على الوفاء بما يرضيه من الأوامر و النواهى ﴿ اجرهم ﴾ و لما كان كرماء الملوك يوفون[6] الأجور بحسب الأعمال من الأحسن و ما دونه ، أخبر بأنه يعمد إلى الأحسن[7] فيرفع الكل إليه و يسوى الأدون به فقال : ﴿ باحسن ما كانوا ﴾ أى كونا هو جبلة لهم ﴿ يعملون ۝ ﴾

ولما وعد بعد أن توعد ، أتبعه ما يبين أن ذلك لا يخص شريفا و لا وضيعا، و إنما هو دائر مع الوصف الذى رمز إليه فيما مضى بالعدل تارة ، و بالعهد أخرى ، و هو الإيمان ، فقال تعالى جوابا لمن كأنه قال : هذا خاص [بأحد دون أحد -[8]] ، مرغبا فى عموم شرائع الإسلام : ﴿ من عمل صالحا ﴾ و لما[9] كانت [عامة ، وكانت -[8]] ربما خصت الذكور[10]، بين المراد من عمومها بقوله تعالى : ﴿ من ذكر او انثى ﴾ [فعم -[8]] ثم قيد [11]مشيرا بالإفراد إلى قلة الراسخين[11]

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢) فى الأصل و ظ : يتم ، و فى م : تتم - كذا (٣) فى ظ و م : ليجزين (٤) العبارة من هنا إلى « للتعظيم » ساقطة من م (٥) زيد من ظ (٦) فى ظ : يوتون (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : المحسن (٨) زيد من ظ و م (٩) زيد بعده فى الأصل : كان و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) فى ظ : النكول - كذا (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من م .

بقوله تعالى: ﴿و هو مؤمن﴾ .

و لما كان الإنسان كلما علا فى درج الإيمان، كان جديرا بالبلاء و الامتحان، بين تعالى أن ذلك لاينافى سعادته، و لذلك أكد قوله: ﴿ فلنحيينه ﴾ دفعا لما يتوهمه المستدرجون [١]بما يعجل لهم من طيباتهم فى الحياة الدنيا[١] ﴿حيوة طيبة ج﴾ أى فى الدنيا بما تؤتيه من ثبات القدم، و طهارة الشيم ﴿ و لنجزينهم﴾ [٢]كلهم ﴿ اجرهم ﴾ [٣]فى الدنيا و الآخرة ﴿ بأحسن ما كانوا ﴾ أى كونا جبليا ﴿يعملون ۝ ﴾ قال العلماء[٤] رضى الله عنهم[٥]: المطيع فى عيشة هنيئة، إن كان موسرا فلا كلام فيه، و إن كان معسرا فبالقناعة و الرضى بحكم النفس المطمئنة، و الفاجر بالعكس، إن كان [معسرا -[٦]] فواضح، و إن كان موسرا فحرصه لا يدعه يتهنأ[٧] فهو لايزال فى عيشة ضنك .

و لما تقررت هذه الأحكام على هذه الوجوه الجليلة، و[٨] أشارت بحسن[٨] ألفاظها و شرف سياقها إلى أغراض هى مع جلالتها[٩] غامضة دقيقة، فلاح بذلك أن[١٠] القرآن تبيان لكل شىء فى حق من سلم من غوائل الهوى و حبائل الشيطان، و ختم ذلك بالحث على العمل الصالح، و كان القرآن تلاوة و تفكرا و عملا بما ضمن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) و من هنا استأنفت نسخة مد (٤) منهم البيضاوى - راجع روح المعانى ٤/٤٣٩ (٥) فى الأصل: عنه، و « رضى الله عنهم » ساقطة من ظ و م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى م: منهنئا (٨-٨) فى ظ: اشارة لحسن (٩) فى ظ: جبلاتها (١٠) سقط من ظ .

أجلّ[١] الأعمال الصالحة ، تسبب عن ذلك الأمر بأنه إذا قرئ هذا القرآن المنزل على مثل تلك الأساليب الفائقة يستعاذ[٢] من الشيطان لئلا يحول بوساوسه بين القارئ و بين مثل تلك الأغراض و العمل بها ، و حاصله الحث على التدبر و صرف جميع الفكر إلى التفهم و الالتجاء إليه تعالى فى كل ٥ عمل صالح لئلا يفسده الشيطان بوساوسه ، أو يحول بين الفهم و بينه ، بيانا لقدر الأعمال الصالحة ، و حثا على الإخلاص فيها و تشمير الذيل عند قصدها ، لاسيما أفعال القلوب[٣] التى هى أغلب[٤] ما تقدم هنا ، فقال تعالى مخاطبا لأشرف خلقه ليفهم غيره من باب الأولى فيكون أبلغ فى حثه و أدعى إلى اتباعه : ﴿ فاذا قرات ﴾ أى أردت أن تقرأ مثل ١٠ "وكم من /قرية اهلكنها فجاءها باسنا[٥]" ﴿القرآن﴾ [٦]الذى هو قوام العمل الصالح و الداعى إليه و الحاث عليه ، مع كونه تبيانا لكل شىء ، و هو اسم جنس يشمل القليل منه و الكثير ﴿ فاستعذ﴾ أى إن شئت جهرا و[٧] إن شئت سرا ؛ قال الإمام[٨] الشافعى : و الإسرار أولى فى الصلاة ، و فى قول[٩]: يجهر كما يفعل خارج الصلاة . ﴿بالله﴾ أى سل[١٠] الذى له ١٥ الكمال كله أن يعيذك ﴿من الشيطن﴾ أى المحترق باللعنة ﴿ الرجيم ﴾ أى المطرود عن الرحمة من أن يصدك بوساوسه عن اتباعه، فانه لا عائق

٢٥٣

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احل (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيستعاذ (٣) زيد فى ظ : الصالحة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابلغ (٥) سورة ٧ آية ٤ ، و هى ساقطة من م بما فيها كلمة « مثل » (٦) زيد فى ظ : اى (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : او (٨) سقط من ظ و م و مد . (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قوله (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مثل .

عن

عن الإذعان، لأساليه الحسان، إلا خذلان الرحمن، بوساوس الشيطان، فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لأن ذلك أوفق للقرآن، و قد ورد به بعض الأخبار[١] عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه مرفوعا و هو المشهور و[٢] نص عليه الإمام[٢] الشافعى رضى الله عنه، و الصارف لهذا الأمر عن الوجوب أحاديث كثيرة فيها القراءة بدون ذكر تعوذ كحديث[٣] البخارى[٤] و غيره[٥] عن أبى سعيد بن[٦] المعلى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و على آله و سلم قال له: ما منعك أن تجيبنى؟ قال: كنت أصلى، قال: ألم يقل الله "استجيبوا لله و للرسول اذا دعاكم" ثم قال: لأعلمنك سورة هى أعظم سورة فى القرآن "الحمد لله رب العلمين" و فى رواية الموطأ[٧] أنه صلى الله عليه و على آله و سلم نادى أبيا و أنه قال: كيف تقرأ إذا افتتحت الصلاة؟ قال أبى: فقرأت[٨] "الحمد لله رب العلمين" حتى أتيت على آخرها. و من طالع كتابى "مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور[٩]" رأى[١٠] مثل هذا أحاديث كثيرة جدا من أحسنها حديث

(١) راجع باب الاستعاذة فى الصلاة - من كتاب الصلاة لأبن ماجه (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لحديث (٤) راجع أوائل سورة الأنفال من كتاب التفسير (٥) كالإمام أحمد فى مسنده ٤/ ٢١١. (٦) سقط من مد (٧) راجع باب ما جاء فى أم القرآن من افتتاح الصلاة. (٨) من ظ و م و مد و الموطأ، و فى الأصل: بقراءة (٩ - ٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مصاعد السورة - خطأ، و قد ذكر هذا الكتاب غير مرة. (١٠) من م، و فى الأصل و ظ و مد: اى.

[نزول - [١]] سورة الكوثر[٢]، و قيل: التعوذ بعد القراءة لظاهر الآية، و ختام القرآن بالمعوذتين موافق[٣] لهذا القول بالنسبة إلى[٤] الحال، و القول الأول الصحيح بالنسبة إلى ما ندب إليه المرتحل من قراءة الفاتحة و أول البقرة[٥].

٥ و لما كان ذلك ربما أوهم تعظيمه، نفى ذلك بقوله جوابا لمن كأنه قال: هل له سلطان؟: ﴿انه ليس له سلطن﴾ [أى -[١]] بحيث لا يقدر المسلط عليه على الانفكاك عنه ﴿على[٦] الذين امنوا﴾ بتوفيق ربهم لهم ﴿و على ربهم﴾ أى وحده ﴿يتوكلون ه﴾ و يجوز أن يكون المعنى أنه لما تقرر فى الأذهان أنه لا نجاة من الشيطان، [لأنه سلط -[١]] علينا بأنه

١٠ يرانا من حيث لا نراه، و يجرى فينا[٧] مجرى الدم، وكانت فائدة الاستعاذة الإعاذة، أشير إلى حصولها بقوله على سبيل التعليل "انه" أى استعذ بالله يعذك منه، لأنه ليس له سلطان على الذين آمنوا بالله ليردهم كلهم عما

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) رواه البغوى فى تفسيره عن طريق أنس أنه قال: بينا رسول الله صلى الله عليه و سلم ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت علىّ آنفا سورة، فقرأ "بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطينك الكوثر" إلى آخر الآية - راجع هامش لباب التأويل ٧/٢٥٠ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مناسب (٤) فى ظ: لهذا (٥) العبارة من «و قيل التعوذ» إلى هنا ساقطة من م (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيها.

يرضى الله ، و على ربهم وحده يتوكلون ، ثم وصل بذلك[1] ما أفهمه من أن له سلطانا على غيرهم فقال تعالى : ﴿ انما سلطنه ﴾ أى الذى يتمكن به غاية التمكن بامكان الله له ﴿ على الذين يتولونه ﴾ أى تولوه و أصروا على ذلك بتجديد ولايته[2] كل حين ﴿ و الذين هم ﴾ أى بظواهرهم و بواطنهم ﴿ به ﴾ أى بالشيطان[3] ﴿ مشركون ﴾ [4]دائما لأنهم إذا تبعوا وساوسه و أطاعوا أوامره فقد عبدوه فجعلوه[5] بذلك شريكا ، فهم لايتأملون [دقائق القرآن -[6]] بل و لايفهمون ظواهره على ما هى عليه لما أعماهم بـه الشيطان من وساوسه ، و حبسهم به عن هذه الأساليب من محابسه[7] ، فهم لايزالون يطعنون[8] فيه بقلوب عمية و ألسنة بذية ؛ ثم عطف على هذا المقدر[9] - الذى دل عليه الكلام - ما أنتجه تسلط الشيطان عليهم فقال تعالى : ﴿ و اذا بدلنآ ﴾ أى بعظمتنا بالنسخ ﴿ اٰية ﴾ سهلة كالعدة بأربعة أشهر / و عشر ، و قتال الواحد من المسلمين لاثنين[10] من الكفار، [11]أو شاقة كتحريم[11] الخمر و إيجاب [12]صلوات خمس[12] ، فجعلناها / ٢٥٣

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك (٢) زيد فى الأصل و ظ : على ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الشيطان (٤) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يجعلوا (٦) زيد من ظ و م و مد . (٧) من م و مد ، و فى الأصل : مجالسه ، و فى ظ: مجالسة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يطيعون (٩) فى ظ : القدر ، و فى مد : المقدور (١٠) فى مد : الاثنين (١١ - ١١) من م ، و فى الأصل : و ساقه لتحريم ، و فى ظ : أو شاقة لتحريم ، و فى مد : او ساقه كتحريم - كذا (١٢-١٢) فى م : خمس صلوات.

﴿ مكان آية ﴾ [شاقة -[1]] كالعدة بحول ، و مصابرة عشرة[2] من الكفار ، أو سهلة كالآيات المتضمنة لإباحة الخمر و إيجاب ركعتين أول النهار و ركعتين آخره ، فكانت[3] الثانية مكان الأولى[4] و بدلا منها[4] ، أو يكون المعنى : نسخنا آية صعبة فجعلنا[5] مكانها آية سهلة ؛ و التبديل : رفع الشيء مع وضع غيره مكانه ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة ﴿ اعلم بما ينزل ﴾ [6]من المصالح بحسب الأوقات و الأحوال بنسخ أو بغيره ﴿ قالوآ ﴾ أى الكفار ﴿ انمآ انت[7] ﴾ أى يا محمد ! ﴿ مفتر[8] ﴾ أى فانك[8] تأمر اليوم بشيء و غدا تنهى عنه و تأمر بضده ، و ليس الأمر كما قالوا ﴿ بل اكثرهم ﴾ و هم[9] الذين يستمرون على الكفر ﴿ لايعلمون ۝ ﴾ أى لايتجدد لهم علم ، بل هم فى عداد البهائم ، لعدم[10] انتفاعهم بما وهبهم الله من العقول ، لانهماكهم فى اتباع[11] الشيطان ، حتى زلت أقدامهم فى هذا الأمر الواضح بعد إقامة البرهان بالإعجاز على أن كل ما كان معجزا كان من عند الله ، سواء كان ناسخا أو منسوخا أو لا ، فصارت معرفة أن هذا قرآن و هذا غير قرآن بعرضه على هذا البرهان من أوضح الأمور و أسهلها تناولا لمن[12] أراد ذلك منهم أو من غيرهم من فرسان البلاغة

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى م : عشر (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وكانت (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) فى مد : فجعلناها (٦) زيد فى مد : اى (٧) تأخر فى الأصل عن « يا محمد » و الترتيب من ظ و م و مد .
(٨) فى ظ : فكانك (٩) فى ظ : هو (١٠) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : بعد .
(١١) فى مد : انتفاع (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كن .

فكأنه

فكأنه قيل: فما أقول؟ فقال: ﴿قل﴾ لمن واجهك بذلك منهم: ﴿نزله﴾ أى القرآن بحسب التدريج لأجل اتباع المصالح لإحاطة[1] علم المتكلم به ﴿روح القدس﴾ الذى هو روح كله، ليس فيه داعٍ إلى هوى، فكيف يتوهم فيما ينزله[2] افتراء لاسيما مع إضافته إلى الطهر البالغ، فهو ينزله ﴿من ربك﴾ أيها المخاطب الذى أحسن إليك بانزاله ثم بتبديله بحسب المصالح كما أحسن تربيتك بالنقل من حال إلى حال لايصلح[3] فى واحدة منها ما يصلح فى غيرها من الظهر إلى البطن، ثم من الرضاع إلى الفطام فما بعده، فكيف تنكر تبديل الأحكام للصالح ولا تنكر تبديل الأحوال لذلك، حال كون ذلك الإنزال ﴿بالحق[4]﴾ أى الأمر الثابت الذى جل عن دعوى الافتراء بأنه لايستطاع نقضه ﴿ليثبت﴾ [5]أى تثبيتا عظيما[5] ﴿الذين آمنوا﴾ فى دينهم بما يرون من إعجاز البدل والمبدَل مع تضاد الأحكام، وما فيه من الحكم والمصالح بحسب تلك الأحوال - [6]مع ما كان فى المنسوخ من مثل ذلك بحسب الأحوال[6] السالفة - وليتمرنوا على حسن الانقياد، ويعلم بسرعة انقيادهم فى ترك الألف تمام استسلامهم وخلوصهم عن شوائب الهوى؛ ثم عطف على[7] محل "ليثبت" قوله: ﴿وهدى﴾ أى بيانا [واضحا -[8]] ﴿وبشرى﴾ أى بما فيه من تجدد العهد

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: الاحاطة (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: نزله (٣) فى ظ: لا تصلح (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: عن (٨) زيد من ظ وم ومد.

بالملك الأعلى و تردد الرسول بينه و بينهم بواسطة نبيهم صلى الله عليه و على آله و سلم ﴿للمسلمين﴾ المنقادين المبرئين من الكبر الطامس للأفهام ، المعمى للأحلام ، و لو لا مثل هذه الفوائد لفاتت حكمة تنجيمه .

٥ و لما نقض شبهتهم هذه إشارة و عبارة بما فضحهم ، نقض لهم[1] شبهة أخرى بأوضح من ذلك و أفضح فقال تعالى : ﴿و لقد نعلم﴾ أى علما مستمرا ﴿انهم يقولون﴾ أى أيضا قولا متكررا لا يزالون[2] يلهجون به ﴿انما يعلمه بشر[3]﴾ و هم يعلمون أن ذلك سفساف من القول ؛ ثم استأنف الرد عليهم فقال تعالى : ﴿لسان﴾ أى لغة و كلام ﴿الذى يلحدون﴾

١٠ أى يميلون أو يشيرون ﴿اليه﴾ بأنه[3] علمه إياه ، مائلين عن القصد جائرين عادلين عن الحق ظالمين ﴿اعجمى﴾ أى غير لغة العرب ، و هو[4] مع ذلك ألكن فى النادية غير بين ، و هو غلام كان نصرانيا لبعض قريش اختلف فى اسمه[5] ، و هذا التركيب وضع فى لسان العرب للابهام[6] / و الإخفاء ، و منه[7] عجم الزبيب - لاستتاره[8] ، و العجماء : البهيمة - لأنها ٢٥٤ /

١٥ لا تقدر على إيضاح ما فى نفسها ، و أما أعجمت الكتاب فهو للازالة .

---

(١) تأخر فى الأصل و ظ عن « شبهة أخرى » و الترتيب من م و مد (٢) فى ظ : لا يكادون (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بان (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هم (٥) و للتفصيل ترجى مراجعة لباب التأويل ٤ / ٩٥ (٦) من م و مد . و فى الأصل : للافهام ، و فى ظ : للايهام (٧) فى ظ : هو (٨) من م و مد ، و فى لأصل : للاستشارة ، و فى ظ : للاستتاره .

﴿و هذا﴾ أى القرآن ﴿لسان عربى مبين ۝﴾ أى هو من شدة بيانه مظهر لغيره أنه ذو بيان عظيم، فلو أن المعلم عربى للزمهم أن لا يعجزوا عن الإتيان بمثل ما علم، فكيف و هو أعجمى ۝

فلما بانت بهذا فضيحتهم، كان كأنه قيل: إن من العجب إقدامهم على مثل هذا العار و هم يدعون النزاهة ؟ فأجاب بقوله تعالى: ﴿ان الذين لا يؤمنون﴾ أى يصدقون كل تصديق معترفين ﴿بآيٰت الله﴾ أى الذى له العظمة كلها ﴿لا يهديهم الله﴾ أى الملك الأعلى الذى له الغنى المطلق، بل يضلهم عن القصد، فلذلك يأتون بمثل هذه الخرافات فأبشر لمن بالغ فى العناد، بسد باب الفهم و السداد ۝

و لما كان ربما توهم أنه لكونه هو المضل لا يتوجه اللوم عليهم، نفى ذلك بقوله: ﴿و لهم عذاب اليم ۝﴾ أى بذلك، لمباشرتهم له مع حجب[1] المراد عنهم و خلق القدرة[2] لهم، إجراءً على عوائد بعض الخلق مع بعض ۝

و لما زيف شبههم، أثبت لهم ما قذفوه[3] به و هو برىء [منه -[4]] مقصورا[5] عليهم، فقال تعالى: ﴿انما يفترى﴾ أى يتعمد ﴿الكذب الذين لا يؤمنون﴾ أى لا يتجدد منهم الإيمان ﴿بآيٰت الله﴾ أى الذى له الكمال كله، فان ردهم لما قام الدليل على أنه حق و عجزوا

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تعجب (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القدر (٣) فى ظ: قدموا (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مقصودا ۝

عنه تعمدٌ منهم للكذب[١]؛ ثم قصر مطلق الكذب عليهم [فقال -[٢]] : ﴿ و اولٰئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ هم ﴾ [٣]أى خاصة[٣] ﴿ الكٰذبون ٥ ﴾ أى العريقون[٤] فى الكذب ظاهرا و باطنا .

و لما ذكر الذين لا يؤمنون مطلقا ، أتبعهم صنفا منهم هم أشدهم

٥ [كفرا -[٥]] فقال تعالى : ﴿ من ﴾ أى أىّ[٦] مخلوق وقع له أنه[٧] ﴿ كفر بالله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ، بأن قال أو عمل ما يدل على الكفر ؛ [٨]و لما كان الكفر[٨] كله ضارا[٩] و إن قصر زمنه ، أثبت الجار فقال تعالى : ﴿ من بعد ايمانه ﴾ بالفعل أو بالقوة ، لما قام على الإيمان من الأدلة التى أوصلته إلى حد [لا يلبس -[٥]] فصار استكباره عن الإيمان ارتدادا عنه ،

١٠ وجواب الشرط [١٠]دل ما[١٠] قبله و ما بعده على أنه : فهو الكاذب ، أو فعليه غضب من الله ﴿ الا من اكره ﴾ أى وقع إكراهه على قول كلمة الكفر[١١] ﴿ و قلبه ﴾ أى و الحال أن قلبه ﴿ مطمئن بالايمان ﴾ فلا شىء عليه ، و أجمعوا[١٢] - مع إباحة ذلك له - أنه لا يجب عليه التكلم بالكفر ، بل إن ثبت[١٣] كان ذلك أرفع درجة ، و الآية نزلت فى عمار بن ياسر رضى الله

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكذب (٢) زيد من م (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٤) فى ظ و مد : الغريقون (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : من ، و الكلمة ساقطة من مد (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ضار (١٠-١٠) فى ظ : ما دل (١١) العبارة من «أى وقع» إلى هنا تقدمت فى مد على " الامن " وسقطت من م ، ومن هنا إلى «أن قلبه» سقطت من مد (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رجحوا (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثبتت .

عنه[1] أكرهوه فتابعهم و هو كاره ، فأخبر النبي صلى الله عليه و على آله و سلم بأنه كفر . فقال النبي صلى الله عليه و على آله و سلم : [كلا ! إن عمارا ملىء إيمانا من قرنه إلى قدمه[2] و اختلط الإيمان بلحمه و دمه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم -[3]] و هو يبكى ، فجعل رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم يمسح عينيه و يقول : إن عادوا فعد لهم بمثل ما قلت . ﴿ و لكن من شرح ﴾ أى[4] فتح فتحا صار يرشح به ﴿ بالكفر صدرا ﴾ [5]أى منه أو[6] من غيره بالتسبب فيه ، لأن حقيقة الإيمان و الكفر يتعلق بالقلب دون اللسان ، و إنما[7] اللسان معبر و ترجمان معرف بما فى القلب لتوقع الأحكام الظاهرة ﴿ فعليهم ﴾ لرضاهم به ﴿ غضب ﴾ [أىّ غضب -[8]] ؛ ثم بين جهة عظمه[9] بكونه ﴿ من الله ج ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ و لهم ﴾ أى بظواهرهم و بواطنهم ﴿ عذاب عظيم ۝ ﴾ لارتدادهم على أعقابهم .

و لما كان من يرجع إلى[10] الظلمات بعد خروجه منها[11] إلى النور جديرا بالتعجب منه ، كان كأنه قيل : لم يفعلون[12] ، أو [لم -[13]] يفعل

(١) و القصة بتفصيلها مذكورة فى لباب التأويل ٤ / ٩٦ (٢) فى ظ : قدميه . (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م ومد واللباب (٤) زيد بعده فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم و مد فحذفناها (٥) العبارة من هنا إلى «بالتسبب فيه» ساقطة من م (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل « و » (٧) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : ان (٨) زيد من ظ وم ومد (٩) فى ظ : عظيمة ، وفى مد : عظمة - كذا (١٠) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : من (١١) فى ظ : منه (١٢) من ظ وم ومد . و فى الأصل : يفعلوا (١٣) زيد من م .

بهم ذلك؟ فقال تعالى: ﴿ ذلك ﴾[1] الارتداد أو[2] الوعيد العظيم ﴿ بانهم ﴾ أى بسبب أنهم ﴿ استحبوا ﴾ أى أحبوا حبا عظيما ﴿ الحيوة الدنيا ﴾ [أى -[3]] الدنيئة[4] الحاضرة الفانية، فآثروها ﴿ على الأخرة[5] ﴾ الباقية الفاخرة / لأنهم رأوا ما فيه [المؤمن -[6]] من ٢٥٥ / الضيق و الكافر من السعة ﴿ و ﴾ بسبب ﴿ ان الله ﴾ أى الملك[6] الذى له الغنى الأكبر ﴿ لا يهدى القوم[7] الكفرين ﴾ الذين[8] علم استمرارهم عليه، بل يخذلهم و يسلط الشيطان عليهم يحتالهم عن دينهم.

و لما كان استمرارهم على الكفر أعجب من ارتدادهم، أتبعه سببه فقال تعالى: ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ الذين طبع ﴾ أى ختم ختما هو كفيل بالعطب ﴿ الله ﴾ أى الملك الذى لا أمر لأحد معه ﴿ على قلوبهم ﴾ و لما كان التفاوت فى السمع نادرا[9]، وحده فقال تعالى: ﴿ و سمعهم و ابصارهم ج ﴾ فصاروا - لعدم انتفاعهم بهذه المشاعر - كأنهم لا يفهمون[10] و لا يسمعون و لا يبصرون ﴿ و اولئك ﴾ أى الأباعد[11] من كل خير ﴿ هم الغفلون ﴾ أى [12]الكاملو الغفلة[12]؛ ثم أتبع ذلك جزاءهم

(١) زيد فى الأصل و ظ: أى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها. (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٣) زيد من م و مد (٤) فى ظ: الكائنة (٥) زيد من ظ و م و مد غير أن فى ظ «المؤمنين» (٦) سقط من ظ و م و مد (٧) ليس فى الأصل فقط (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الذى (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قادرا (١٠) فى ظ: لايفقهون (١١) فى مد: البعداء (١٢ - ١٢) من م و مد، و فى الأصل: الكاملون لغفله، و فى ظ: الكاملوا الغافلة - كذا.

عليه فقال تعالى: ﴿ لا جرم ﴾ أى لا شك ﴿ انهم فى الآخرة هم ﴾ أى خاصة[1] ﴿الخسرون﴾ أى أكمل الناس خسارة لأنهم خسروا رأس المال و هو[2] نفوسهم، فلم يكن لهم مرجع يرجعون إليه .

و لما قدم الفاتن و المفتون، أتبع ذلك ذكر حكمهما على القراءتين فقال تعالى: بحرف التراخى إشارة [3]إلى تقاصر[3] رتبتهما عن رتبة من لم يفعل ذلك: ﴿ ثم ان ربك ﴾ أى[4] المحسن إليك بالعفو عن أمتك و تخفيف الآصار عنهم فى قبول توبة من ارتد بلسانه أو قلبه ﴿ للذين هاجروا ﴾ أهلَ الكفر بالنزوح من بلادهم توبة إلى الله تعالى مما كانوا فيه .

و لما كان سبحانه يقبل اليسير من العمل فى أىّ وقت كان، أشار[5] إلى ذلك بالجار فقال [3]تعالى مبينا[3] أن[6] الفتنة بالأذى - و إن كان[2] بالغا - غير قادحة فى الهجرة [3]و ما تبعها، فيفيد ذلك[3] [فى الهجرة -[8]] بدونها من باب الأولى ﴿ من بعد ما فتنوا ﴾ [9]بالبناء للمجهول - على قراءة الجماعة، لأن المضر[10] هو الفتنه [مطلقا -[11]]، و للفاعل على قراءة ابن عامر، [أى -[8]] ظلموا بأن فتنوا من آمن بالله حين كانوا كفارا،

(١) زيد بعده فى الأصل: هم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) فى ظ: هم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من م و مد .
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشارة (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الى (٧) فى ظ: كانت (٨) زيد من م و مد (٩) زيد فى الأصل، أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الضر (١١) زيد من ظ و م و مد .

أو أعطوا الفتنة من أنفسهم ففتنوها بأن أطاعوا فى كلمة الكفر ، أو فى الرجوع مع[1] من ردهم إلى بلاد الكفر بعد الهجرة من بعد إيمانهم ﴿ ثم جاهدوا ﴾ [2] أى أوقعوا جهاد الكفار مع النبى صلى الله عليه و على آله و سلم[2] توبة إلى الله تعالى ﴿ و صبروآ لا ﴾ على ذلك إلى أن ماتوا عليه ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بتسخير مَن هذه صفاتهم[3] لك .

و لما كان له سبحانه أن يغفر الذنوب كلها [4]ما عدا الشرك ، و أن يعذب[5] عليها كلها و على بعضها ، و أن يقبل الصالح كله ، و أن يرد بعضه ، أشار إلى ذلك بالجار فقال تعالى: ﴿من بعدها﴾ أى هذه الأفعال الصالحة الواقعة بعد تلك الفاسدة و هى الفتنة ﴿ لغفور﴾ [2]أى بليغ المحو للذنوب[2] ﴿ رحيم ع﴾ أى بليغ الإكرام فهو[6] يغفر لهم و يرحمهم .

و لما تقدم كثير من التحذير و التبشير ، و تقدم أنه لا يؤذن للذين كفروا و لا هم يستعتبون ، و ختم ذلك بانحصار الخسار[7] فى الكفار ، بيّن اليوم[8] الذى تظهر[9] فيه تلك الآثار ، و وصفه بغير الوصف المقدم باعتبار المواقف ، فقال تعالى مبدلا من " يوم نبعث من كل امة شهيدا "

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: بصفاتهم (٤) العبارة من هنا إلى « عليها كلها » ساقطة من ظ .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل : يعد (٦) سقط من مد (٧) فى ظ : الخسارة .
(٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: القوم (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يظهر .

﴿يوم تاتى﴾ أى فيه ﴿كل نفس﴾ أى إنسان و إن عظم جرمها ﴿تجادل﴾ أى تعتذر ، و عبر بالمجادلة إفهاما للدفع بأقصى ما تقدر[1] عليه ، و أظهر فى قوله: ﴿عن نفسها[2]﴾ أى ذاتها بمفردها لايهمها غير ذلك لما يوهم الإضمار من أن كل أحد يجادل عن جميع الأنفس . و لما كان مطلق الجزاء مخوفا مقلقا ، بنى للمفعول قوله : ﴿و توفى كل نفس﴾ صالحة و غير صالحة[3] ﴿ما عملت﴾ أى جزاء[4] من جنسه ﴿و هم﴾ و لما كان المرهوب[5] مطلق الظلم ، وكان البناء للمفعول أبلغ / فى نفيه[6] قال تعالى: ﴿لايظلمون﴾ أى لايتجدد عليهم [ظلم -[7]] لا ظاهرا و لاباطنا ، ليعلم بابدال "يوم" من ذلك المتقدم أن الخسارة باقامة الحق عليهم لا بمجرد إسكاتهم .

/ ٢٥٦

و لما عقب سبحانه ما ضرب سابقا من الأمثال بقوله تعالى "و رزقكم من الطيبت" و تلاه بذكر الساعة بقوله تعالى "و ما امر الساعة" إلى آخره ، و استمر فيما مضت مناسباته آخذا بعضه بحجز بعض حتى ختم بالساعة و آمن من الظلم فيها ، و بين أن الأعمال هناك [هى -[7]] مناط الجزاء ، عطف على ما مضى - من الأمثال المفروضة المقدرة المرغبة[8] - مثلا محسوسا موجودا ، مبينا أن الأعمال فى هذه

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقدر (٢) فى ظ : نفسه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك (٤) فى مد : جزاءه (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الموهوب (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نفعه (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المرعية .

الدار [أيضا -[١]] مناط الجزاء، مرهبا من المعاجلة فيها [بسوط -[١]] من العذاب فقال تعالى: ﴿ و ضرب الله ﴾ أى الملك المحيط بكل شىء قدرة و علما لكم أيها المعاندون ! ﴿ مثلا قرية ﴾ من قرى الماضين التى تعرفونها كقرية هود أو صالح أو لوط[٢] أو شعيب عليهم السلام كان حالها[٣] كحالهم، و عن ابن عباس[٤] رضى الله عنهما [٥] أنها مكة[٥] ﴿ كانت آمنة ﴾ أى ذات أمن يأمن[٦] به أهلها فى زمن الخوف ﴿ مطمئنة ﴾ أى تارة بأهلها، لا يحتاجون فيها إلى نجعة و انتقال بسبب زيادة الأمن بكثرة العدد و قوة المدد، و كف الله الناس عنها، و وجود ما يحتاج إليه أهلها ﴿ يأتيها ﴾ أى على سبيل التجدد و الاستمرار ﴿ رزقها رغدا ﴾ أى[٧] واسعا طيبا ﴿ من كل مكان ﴾ برا و بحرا بتيسير الله تعالى لهم ذلك.

و لما كانت السعة تجر إلى البطر غالبا، نبه تعالى على ذلك بالفاء فقال تعالى: ﴿ فكفرت ﴾ و نبه سبحانه على سعة فضله بجمع[٨] القلة الدال على أن كثرة فضله عليهم تافهة بالنسبة إلى ما عنده سبحانه وتعالى [فقال -[٩]]: ﴿ بانعم الله ﴾ [أى -[١]] الذى له الكمال كله كما كفرتم ﴿ فاذاقها الله ﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هود (٣) من م، و فى الأصل و ظ و مد: حالهم (٤) و قال ابن الجوزى: فى هذه القرية قولان: أحدهما أنها مكة - قاله ابن عباس و مجاهد و قتادة و الجمهور و هو الصحيح، و الثانى أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بالخبز فبعث الله عليهم الجوع - قاله الحسن، راجع لباب التأويل ٤/٩٨ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) سقط من ظ (٧) سقط من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بجميع (٩) زيد من م و مد.

أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ لباس الجوع ﴾ بعد رغد العيش ﴿ و الخوف ﴾ بعد الأمن و الطمأنينة حتى صار [لهم - [1]] ذلك بشموله لهم لباسا ، و بشدة[2] عركهم ذواقا ، فكأن النظر إلى المستعار [له ، و هو هنا أبلغ لدلالته على الإحاطة و الذوق ، و لو نظر إلى المستعار - [1]] لقال : فكساها ، فكان يفوت الذوق ، و ذلك كما نظر إليه كثيّر فى قوله :

غمر الرداء [3]إذا تبسم[3] ضاحكا غلقت لضحكته[4] رقاب المال[5]

استعار الرداء للمعروف لأنه يصون العرض صونَ الرداء لما يلقى عليه ، و وصفه بالغمر[6] الذى هو وصف المعروف و النوال ، لا وصف الرداء الذى هو المستعار ، [7]و لو[7] نظر إليه لوصفه بالسعة أو[8] الطول مثلا كما نظر إليه [من - [1]] قال ذاكرا السيف الذى يصون به الإنسان نفسه :

ينازعنى ردائى عبد عمرو رويدك يا أخا بكر بن عمرو
لى الشطر[9] الذى ملكت يمينى و دونك فاعتجر[10] منه بشطر

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بشرة .
(٣-٣) من ظ و م و مد و روح المعانى ٤/٤٥١ و البحر المحيط ٥/٥٤٣ ، و فى الأصل : الذاتبتم - كذا (٤) فى م و مد : بضحكته (٥) من ظ و م و مد و الروح و البحر ، و فى الأصل : الماء (٦) سقط من ظ (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلو (٨) فى ظ «و» (٩) فى ظ : الشط (١٠) من ظ و م و مد و البحر ، و فى الأصل : ماعتجر - كذا .

فنظر إلى المستعار و هو الرداء فى لفظ الاعتجار ، فبانت فضيحة[1] ابن الراوندى فى زندقته إذ قال لابن الأعرابى : هل يذاق اللباس ؟ فقال له[2] : لا بأس يا أيها النسناس[3] اهب أن محمدا ما كان نبيا ، أما[4] كان عربيا ؟ ﴿ بما كانوا ﴾ أى بجبلاتهم ﴿ يصنعون ﴾ من الكفر و الكبر ، قد مرنوا عليه بكثرة المداومة مرونَ الإنسان[5] على صنعته .

و لما كان تعالى لا يعذب حتى يبعث رسولا ، حقق ذلك بقوله تعالى : ﴿ و لقد جآءهم ﴾ أى أهل هذه القرية ﴿ رسول منهم ﴾ كما وقع لكم ﴿ فكذبوه ﴾ كما فعلتم ﴿ فاخذهم العذاب ﴾ كما سمعتم ، و إن كان المراد بها مكة فالمراد به الجوع الذى دعا عليهم به النبى صلى الله عليه و على آله و سلم لما قال « اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف[6] » و أما الخوف فما كان من جهاد النبى صلى الله / عليه و على آله و سلم [لهم - [7]] ﴿ و هم ظلمون ﴾ أى عريقون[8] فى وضع[9] الأشياء فى غير مواضعها ، لأنهم استمروا على كفرهم مع الجوع ، و سألوا النبى صلى الله عليه و على آله و سلم فى الإغاثة فدعا لهم . /٢٥٧

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نصيحة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الساتر - كذا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الا (٥) زيد فى الأصل : على صفة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (٦) راجع باب الدعاء على المشركين من دعوات البخارى (٧) زيد من م و مد . (٨) فى ظ و مد : غريقون (٩) فى ظ : وصف .

و لما تقرر بما مضى من أدلة التوحيد ، فثبت ثباتا لايتطرق إليه[١] شك أن الله هو الإله وحده كما أنه هو الرازق[٢] وحده ، و نبههم على دقائق فى تقديره[٣] للأرزاق تدل[٤] على عظمته و شمول علمه و قدرته و اختياره ، فثبت أنهم[٥] ظالمون فيما جعلوا للأصنام من رزقه ، و أنه ليس لأحد أن يتحرك إلا بأمره سبحانه ، و ختم ذلك بهذا المثل المحذر[٦] من كفران النعم ، عقبه بقوله تعالى صادا لهم عن أفعال الجاهلية : ﴿فكلوا﴾ أى فتسبب عن جميع ما مضى أن يقال لهم : كلوا ﴿مما رزقكم الله﴾ أى الذى له الجلال[٧] و الجمال[٨] مما عده لكم فى هذه السورة و غيرها ، حال كونه ﴿حلالا طيبا ص﴾ أى لا شبهة فيه و لا مانع بوجه ﴿و اشكروا نعمت الله﴾ أى[٩] الذى له صفات الكمال حذرا من أن يحل بكم ما أحل بالقرية الممثل بها ﴿ان كنتم اياه﴾ أى وحده ﴿تعبدون ه﴾ كما اقتضته هذه الأدلة ، لأنه وحده هو الذى رزقكم و إلا عاجلكم بالعقوبة لأنه ليس بعد العناد[١٠] عن البيان إلا الانتقام ، فصار الكلام فى الرزق و التقريع على عدم [الشكر -[١١]] مكتنفا الأمثال قبل و بعد .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اليك (٢) فى ظ : الرزاق (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تقريره (٤) فى مد : دل (٥) زيد فى الأصل : فى انهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) فى ظ : المحذور (٧) فى ظ : الكمال (٨) زيد فى الأصل : و الكمال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) سقط من ظ و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العباد (١١) زيد من ظ و م و مد .

و لما كان الإذن[1] إنما هو فى بعض الرزق فى الحال المذكور فاحتيج إلى معرفته ، و كانت المباحات أكثر من المحظورات ، حصر القليل ليعلم منه الكثير ، لأن كل ضدين معروفين إجمالا عُين أحدهما ، عرف من تعيينه الآخر ، فقال تعالى : ﴿ انما حرم ﴾ أى الله الذى لا أمر لأحد معه ﴿ عليكم الميتة ﴾ [2]التى بينت[2] على لسان الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم أنها ميتة و إن ذكيت ﴿ [3]و الدم و لحم الخنزير[3] ﴾ خصه بالذكر بعد دخوله فى الميتة لاتخاذ النصارى أكله كالدين ﴿ و ما اهل ﴾ أى بأىّ إهلال كان من أىّ مهل كان . و لما كان مقصود السورة لبيان[4] الكمال ، كان تقديم غيره لتقبيح حال المعنى به أولى فقال تعالى : ﴿ لغير الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا ملك سواه ﴿ به[5] ج ﴾ .

و لما كان الإنسان قد يضطر إلى أكل كلّ[6] ما يمكن أكله ، بين لهم أنه رفق بهم فأباح لهم سد الرمق من الحرام فقال تعالى : ﴿ فمن اضطر ﴾ [أى -[7]] كيفما وقع له الاضطرار ﴿ غير باغ ﴾ على مضطر آخر ﴿ و لا عاد ﴾ سدّ الرمق .

[و لما كان -[7]] الإذن فى الأكل من هذه الأشياء[8] حال الضرورة

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : الادنى (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذى ثبتت (٣-٣) تقدم ما بين الرقمين فى ظ على « التى بينت » والعبارة من بعده إلى « أكله كالدين » ساقطة منه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البيان (٥) ليس فى الأصل فقط (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى غيره فحذفناها .

إنما هو رخصة ، و كانت الشهوة داعية إلى ما فوق المأذون فيه [1]قال تعالى[1] : ﴿فان الله﴾ أى المختص بصفات الكمال ، بسبب تناوله منها على ما حده ﴿غفور رحيم ٥﴾ فمن[2] زاد على ما أذن [له -[3]] فيه[4] فهو جدير بالانتقام .

و لما تبين بهذه الآية -كما مضى تقريره فى الأنعام[5]- جميع المحرم ٥ أكله من الحيوانات ، فعلم بذلك جهلهم فيما حرموه على أنفسهم لأجل أصنامهم ، صرح بالنهى عنه إبلاغا فى تأكيد ذلك الحصر فقال تعالى : ﴿و لا تقولوا﴾ أى بوجه من الوجوه فى وقت ما .

و لما كان تحليلهم و تحريمهم قولا فارغا ليس له حقيقة أصلا ، لأنه لا دليل عليه ، عبر عنه بأنه وصف باللسان لايستحق أن يدخل إلى ١٠ القلب فقال تعالى : ﴿لما تصف﴾ أى لأجل الذى تصفه ﴿السنتكم﴾ أى من الأنعام و الحروث و الزروع . و لما حرك النفس إلى[6] معرفة ما يقال لأجل ذلك ، بين مقول ذلك القول فقال تعالى : ﴿الكذب﴾ أى القول الذى هو عين الكذب .

و لما اشتد التشوف[7] إلى تعيين / ذلك المقول[8] ، أبدل منه فقال ١٥ / ٢٥٨ تعالى : ﴿هذا حلل و هذا حرام﴾ و يجوز أن يكون "الكذب" مفعول "تصف" فتكون[9] "ما" مصدرية ، أى لوصفها إياه ، فكأن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى مد : فما (٣) زيد من م (٤) سقط من م (٥) آية ١٤٥ و ١٤٦ (٦) فى مد : فى (٧) فى ظ : التشوق (٨) من مد ، و ظ و م : القول (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيكون .

حقيقة الكذب كانت مجهولة فلم تعرف إلا بوصف ألسنتهم لها ، فهو مبالغة فى وصف كلامهم بالكذب ، و ما بعده مقول القول .

و لما كانوا - كما تقدم - يدعون أنهم أعقل الناس ، فكان[1] اللائق [بهم -[2]] إرخاء للعنان النسبة إلى معرفة اللوازم عند الإقدام على الملزومات ، قال[3] تعالى : ﴿ لتفتروا على الله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ الكذب[4] ﴾ لأن من قال على أحد ما لم يأذن فيه كان قوله كذبا ، و كان كذبه لقصد افتراء الكذب ، و إلا لكان فى غاية الجهل ، فدار أمرهم فى مثل هذا بين الغباوة المفرطة أو قصد ما لايقصده[4] عاقل ، و هذا باب من التهكم عجيب ، فكأنه قيل : فما يستحقون على ذلك؟ فأجاب بقوله تعالى : ﴿ ان الذين يفترون ﴾ أى يقتطعون عمدا ﴿ على الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ الكذب ﴾ منكم و من غيركم ﴿ لا يفلحون[4] ﴾ .

و لما كان الفلاح عندهم هو العيش الواسع فى هذه الدنيا ، أجاب من كأنه قال : فانا[5] ننظرهم بنعمة و رفاهة[6]؟ فقال تعالى : ﴿ متاع قليل[5] ﴾ أى ما هم فيه[7] لفنائه و إن امتد ألف عام ﴿ و لهم ﴾ بعده ﴿ عذاب اليم[5] ﴾ [و -[2]] من ألمه العظيم دوامه فأىّ متاع هذا .

و لما بين لهم نعمته بتوسعته عليهم بما ضيقوا به على أنفسهم ، بين لهم نعمة أخرى بتميزهم[8] على بنى إسراءيل فقال تعالى :

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وكان (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) فى ظ : فقال (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لم يقصده . (٥) فى ظ : فاننا (٦) فى ظ : رفاهية (٧) سقط من ظ و مد (٨) فى ظ : بتميزهم .

﴿ و على الذين هادوا ﴾ أى اليهود ﴿ حرمنا ﴾ أى بعظمتنا عقوبة لهم بعدوانهم و كذبهم على ربهم ﴿ ما قصصنا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى كان المقصوص بها معجزا ﴿ عليك ج ﴾ .

و لما لم يكن قص ذلك عليه صلى الله عليه و على آله و سلم[1] مستغرقا زمان القبل، أدخل الجار فقال: ﴿ من قبل ج ﴾ أى فى الأنعام ﴿ وما ظلمنهم ﴾ ٥ [أى -[2]] الذين[3] وقع منهم الهود بتحريمنا عليهم [ما حرمنا -[2]] ﴿ و لكن كانوآ ﴾ أى دائما طبعا لهم و خلقا مستمرا ﴿ انفسهم ﴾ أى خاصة ﴿ يظلمون ه ﴾ أى[4] بالبغى و الكفر، فضيقنا عليهم معاملة بالعدل، و عاملناكم أنتم حيث ظلمتم بالفضل، فاشكروا النعمة [و احذروا غوائل النقمة.

و لما بين هذه النعمة -[2]] الدنيوية عطف عليها [نعمة -[2]] هى ١٠ أكبر منها جدا، استجلابا لكل ظالم، و بين عظمتها بحرف التراخى فقال تعالى: ﴿ ثم ان ربك ﴾ أى[5] المحسن إليك ﴿ للذين عملوا السوٓء ﴾ و هو كل ما من شأنه أن يسوء، و هو ما لا ينبغى[6] فعله ﴿ بجهالة ﴾ كما عملتم[7] و إن عظم فعلهم و تفاحش جهلهم ﴿ ثم تابوا ﴾ .

و لما كان سبحانه يقبل اليسير من العمل، أدخل الجار فقال تعالى: ١٥ ﴿ من [8]بعد ذلك[8] ﴾ أى الذنب و لو كان عظيما، فاقتصروا على ما أذن

(١) زيد فى الأصل: كما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ: الذى (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) سقط من م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يغنى (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: علمتم (٨-٨) من ظ و م و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: بعدها.

فيه خالقهم ﴿و اصلحوآ﴾ بالاستمرار [على -[1]] ذلك ﴿ان ربك﴾ أى المحسن إليك بتسهيل دينك و تيسيره . و لما كان إنما يغفر بعد التوبة ما عدا الشرك الواقع بعدها ، أدخل الجار فقال تعالى: ﴿من بعدها﴾ أى التوبة و ما تقدمها من أعمال السوء ﴿لغفور﴾ أى بليغ الستر لما عملوا[2] من السوء ﴿رحيم ع﴾ أى محسن[3] بالإكرام فضلا و نعمة .

و لما دعاهم[4] إلى مكارم الأخلاق و نهاهم[5] عن مساوئها بقبوله لمن أقبل إليه [6]و إن عظم[6] جرمه ، إجابة لدعوة أبيهم[7] إبراهيم عليه السلام فى قوله "فمن تبعنى فانه منى و من عصانى فانك غفور رحيم[8]" أتبع ذلك ذكره[9] ترغيبا فى اتباعه فى التوحيد و الميل مع[10] الأمر و النهى إقداما و إحجاما إن كانوا ممن يتبع الحق أو يقلد الآباء ، فقال على سبيل [التعليل -[1]] لما قبله : ﴿ان ابرٰهيم﴾ أى أباكم الأعظم إمام الموحدين ﴿كان امة﴾ فيه من المنافع الدنيوية و الأخروية / ما يوجب أن يؤمه و يقصده[11] كل أحد يمكن انتفاعه به ﴿قانتا﴾ أى مخلصا ﴿لله﴾ أى الملك الذى له الأمر كله ليس فيه شىء من الهوى ﴿حنيفا[1]﴾ ميالا مع الأمر و النهى بنسخ أو بغيره ، فكونوا حنفاء أتباعا للحق ،

/٢٥٩

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٢) فى ظ : علموا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حسن (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دعاكم . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نهاكم (٦-٦) فى ظ : لمن عظم ، و فى مد : و ان (٧) سقط من ظ و مد (٨) سورة ١٤ آية ٣٦ (٩) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) فى ظ : من (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعضده .

لما قام عليه من الأدلة[١]، و استنانا بأعظم آبائكم .

و لما كان السياق لإثبات[٢] الكمال لإبراهيم عليه السلام، و كانت الأوصاف الثبوتية قريبة المأخذ سريعة الوصول إلى الفهم، و أتى بعدها[٣] وصفٌ سلبي بجملة، حذف نون " يكن " منها إيجازا و تقريبا للفهم تخفيفا[٤] عليه و حفظا له من أن يذهب قبل تمامها إلى غير المراد[٥]، [٦]و إعلاما بأن الفعل منفي عنه عليه السلام على أبلغ وجوه النفي لا ينسب إليه شيء منه و لو قل[٦]، فقيل: ﴿ و لم يك ﴾ و لما كانوا مشركين[٧] هم و كثير من أسلافهم، قبح عليهم[٨] ذلك بأن أعظم[٩] من يعتقدون عظمته من آبائهم ليس من ذلك القبيل، فقال تعالى[١٠]: ﴿ من المشركين ﴾ الواقفين مع الهوى، فلا تكونوا منهم؛ ثم بين حاله[١١] [فقال -[١٢]]: ﴿ شاكرا ﴾ و لما كان لله على من جعله [أمة -[١٢]] من النعم ما لا يحصى، بين أن ذلك [كله -[١٢]] قليل في جنب فضله، فقال مشيرا إلى ذلك بجمع القلة و إلى أن الشاكر على القليل يشكر إذا أتاه الكثير من باب الأولى: ﴿ لانعمه ﴾ فهو لا يزال يزيده من فضله، [١٣]فتقبل دعاءه[١٣] لكم

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: الدليل (٢) في ظ: في الاثبات (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: بها (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: تحقيقا.
(٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: مراد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م.
(٧) من مد، و في الأصل: اشركير، و في ظ بياض يمتد إلى الكلمتين التاليتين.
(٨) في ظ: اليهم (٩) من ظ و مد، و في الأصل: عظم (١٠) العبارة من « و لما كانوا مشركين » إلى هنا ساقطة من م (١١) من ظ و م و مد، و في الأصل: ماله (١٢) زيد من ظ و م و مد (١٣-١٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: و قد دعا.

فاشكروا الله اقتداء به ليزيدكم، فكأنه قيل: فما أثابه [على -[1]] ذلك؟ أو[2] علل ما قبل، فقال تعالى: ﴿اجتبٰه﴾ أى اختاره اختيارا تاما ﴿وهدٰه﴾ أى بالبيان الأعظم و التوفيق الأكمل ﴿الى صراط مستقيم﴾ و هو الحنيفية السمحة. فكان ممن يأمر بالعدل و هو على صراط مستقيم، و كان مخالفا للأكم الموصوف فى المثل السابق؛ [ثم -[1]] قال: ﴿و اٰتينٰه﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿فى الدنيا﴾ بلسان الصدق و الثناء الجميل الذى ذللنا له[3] ألسنة الخلق ﴿حسنة[4]﴾ و نبه بالتعبير عن المعطى بنون العظمة على جلالته حيث جعله إماما معظما لجميع أهل الملل، فجمع القلوب على محبته، و جعل له فيهم لسان صدق، و رزقه فى[4] أولاده من النبوة و الصلاح و الملك و الكثرة ما هو مشهور.

و لما كانت عظمة الدنيا لا تعتبر إلا مقرونة[5] بنعمة الآخرة، قال[6] تعالى: ﴿و انه فى الاٰخرة﴾ و[7] قال تعالى-: ﴿لمن الصٰلحين ۝﴾ أى له ما لهم من الثواب العظيم - معبرا بـ «من» تعظيما لمقام الصلاح و ترغيبا فيه.

و لما قرر من عظمته [فى الدنيا و الآخرة ما هو داع إلى اتباعه، صرح بالأمر به تنبيها على زيادة عظمته -[1]] بأمر متباعد فى الرتبة على سائر النعوت التى أثنى عليه بها، و ذلك كونه صار مقتدى لأفضل ولد آدم، مشيرا إلى ذلك بحرف التراخى الدال على علو رتبته بعلو رتبة من أمر باتباعه فيما مهده مما أمر به من التوحيد و الطريق الواضح

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ «و» (٣) فى مد: بـه (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مس (٥) فى م: مقترنة (٦) من م و مد، و فى الأصل: و ظ: فقال (٧) سقطت الواو من ظ.

السهل فقال سبحانه : ﴿ ثم اوحينآ ﴾ أى ثم[1] زدناه تعظيما و جلالة بأن أوحينا ﴿ اليك ﴾ و أنت أشرف الخلق ، و فسر الإيحاء بقوله عز و جل ترغيبا فى تلقى هذا الوحى أحسن التلقى باقتفاء الأب[2] الأعظم : ﴿ ان اتبع ﴾ أىَ بغاية جهدك و نهاية همتك .

و لما كان المراد أصل الدين و حسن الاقتضاء[3] فيه بسهولة الانقياد ٥ و الانسلاخ [4]من كل[4] باطل ، و الدعوة بالرفق مع الصبر ، و تكرير الإيراد للدلائل [و - [5]] كل ما يدعو إليه العقل الصرف و الفطرة السليمة ، عبر بالملة فقال تعالى : ﴿ ملة ابرٰهيمَ ﴾ و لا بعد فى أن يفهم ذلك الهجرة أيضا .

و لما كانت الحنيفية أشرف أخلاق إبراهيم عليه السلام . فكانت مقصودة بالذات ، صرح بها فقال تعالى : ﴿ حنيفا[6] ﴾ أى حال كونك ١٠ أو كونه شديد الانجذاب مع الدليل [الحق - [5]] ؛ و رغب العرب فى التوحيد و نفرهم[6] [7]منَ الشرك[7] بقوله[8] تعالى : ﴿ و ما كان ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ من المشركين ٥ ﴾ / [9]و لما دعا سبحانه فيها[10] إلى معالى / ٢٦٠ الشيم و عدم الاعتراض ، و ختم بالأمر[11] بالملة الحنيفية التى [هى - [12]] سهولة الانقياد للدليل ، و عدم الكون مع الجامدين ، اقتداء بالأب ١٥

(١) سقط من مد (٢) فى ظ : الرب (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الانتفا (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكل (٥) زيد من ظ و م و مد. (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعدهم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى قوله (٩) العبارة من هنا إلى « لا يجر إلى خير » س ١ ص ٢٧٦ ساقطة من م (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الامر (١٢) زيد من ظ و مد .

الأعظم ، و كان الخلاف و العسر مخالفا لملته ، فكان لا يجر إلى خير ، و[1] كان من المعلوم أن كل حكم[2] حدث بعده ليس من ملته ، و كان اليهود يزعمون جهلا أنه كان على دينهم ، و كان السبت من أعظم[3] شعائرهم ، أنتج[3] ذلك قوله تعالى جوابا لمن قد يدعى من اليهود أنه كان على دينهم[4] ،

٥ و تحذيرا من العقوبة على الاختلاف فى الحق بالتشديد فى الأمر : ﴿ انما جعل ﴾ أى يجعل من لا أمر لغيره ﴿ السبت ﴾ أى تحريمه و احترامه [5]أو وباله[5] ﴿ على الذين اختلفوا فيه[5] ﴾ حين أمرهم[6] نبيهم بالجمعة فقبل ذلك بعضهم و أراد السبت آخرون ، فبدلوا بالجمعة[7] [السبت -[8]] . و شدد عليهم فى أمره انتقاما منهم بما تفهمه[9] التعدية بـ"على" فكان ذلك

١٠ وبالا عليهم ، و فى ذلك تذكير[10] بنعمة التيسير علينا ؛ قال البغوى[11] : قال الكلبى : أمرهم موسى عليه السلام بالجمعة فقال : تفرغوا [فيه -[12]] فى كل سبعة أيام يوما ، فاعبدوه يوم الجمعة ، و لا تعملوا فيه عملا[13] لصنعتكم ، و ستة أيام لصناعتكم[14] ، فأبوا[15] إلا شرذمة منهم[15] و قالوا :

(١) زيد فى م : لما (٢) سقط من ظ (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل : شعايرابيح . (٤) العبارة من « و كان السبت » إلى هنا ساقطة من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) من م . و فى الأصل و ظ و مد : امر (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجمعة (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يفهمه (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تيسير (١١) فى معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٤ / ١٠١ و هامشه (١٢) زيد من المعالم و اللباب (١٣) فى اللباب : شيئا ، و الكلمة ساقطة من المعالم (١٤) من ظ و المعالم ، و فى الأصل و م و مد : نصاعاتكم (١٥-١٥) ليس ما بين الرقمين فى المعالم و لا اللباب .

لا نريد إلا اليوم الذى فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت ، فجعل ذلك اليوم عليهم و شدد عليهم فيه[1] ، ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا : لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا ، فأخذوا[2] الأحد ، فأعطى الله الجمعة هذه[3] الأمة فقبلوها [4]و بورك لهم فيها[4] . [و قال عبد الرزاق فى تفسيره : أخبرنى معمر أخبرنى من سمع -[5]] مجاهدا يقول فى قوله تعالى "انما جعل السبت" فقال : ردوا الجمعة و أخذوا السبت مكانه . و روى الشيخان[6] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و على آله و سلم قال : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا و أوتيناه من بعدهم ، فهذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له[7] . فهم لنا فيه تبع ، فاليهود غدا و النصارى بعد غد .

و لما [كان -[8]] الإشراك واضحا فى أمر النصارى ، استغنى[9] بنفيه عنه عن التصريح بأنه ليس على دينهم ؛ ثم حذر من الاختلاف مثبتا أمر البعث فقال تعالى : ﴿ و ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بطواعية أصحابك لك ﴿ ليحكم بينهم ﴾ أى هؤلاء المختلفين ﴿ يوم القيمة ﴾ و اجتماع جميع

(١) زيد فى ظ : الله (٢) فى المعالم و اللباب : فاتخذوا (٣) من المعالم و م و مد ، و فى الأصل و ظ و اللباب : لهذه (٤-٤) من ظ و م و مد و المعالم و اللباب ، و فى الأصل بياض (٥) زيد من ظ و مد (٦) رواه البخارى فى بداية كتاب الجمعة و فى العديد من الأبواب و مسلم فى باب فضيلة الجمعة على باقى الأيام من كتاب الجمعة (٧) فى ظ : لهم (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) زيد فى الأصل : عنه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

الخلائق ﴿ فيما كانوا ﴾ أى بجبلاتهم ﴿ فيه يختلفون ﴾ من قبول الجمعة و ردها ، و من الإذعان لتحريم[1] الصيد و إبائه و غير ذلك ، فيجازى كل فريق منهم بما يستحقه .

و لما قدم سبحانه فى هذه السورة حكاية كثير من استهزائهم بوعده ٥ و وعيده ، و تكذيبهم[2] لرسله على أبشع[3] وجه ، و التفتير[4] عن حرقة الحرص عليهم ، المفضى[5] إلى شدة التأسف على ضلالهم و غير ذلك مما ربما أيأس منهم فأقعد عن دعائهم ، و أتبعه ضرب الأمثال ، و نصب الجدال - على تلك المناهيج المعجزة بما[6] يسبق من ظواهرها إلى الفهم عند قرع السمع[7] من المعانى الجليلة ، و المقاصد الجميلة - لعامة الخلق ١٠ ما يجل عن الوصف ، و إذا تأملها الخواص وجدوا فيها من دقائق الحقائق ، و مشارع الرقائق[8] ، و محكم الدلائل ، و متقن المقاصد و الوسائل ، ما يوضح - بتفاوت الأفهام و تباين الأفكار[9] - أنه بحر لا ساحل له و لا قرار ، و لا منتهى لما تستخرج منه الأنظار ، و ختم باتباع الأب[10] الأعظم ، لما كان ذلك ، و أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه و على آله و سلم ١٥ و هو السميع المطيع أن يسن بآثاره ، و يقتدى باضماره و إظهاره ، فسر

(١) فى ظ : كتحريم (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تكذبهم (٣) فى ظ : اشنع ، و فى مد : اسنع (٤) من م و مد ، و فى الأصل : التعبير ، و فى ظ : التغيير (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المغنى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (٧) من م و مد ، و فى الأصل : السهم ، و فى ظ : سمع (٨) فى مد : الدقائق (٩) زيد فى مد : و محكم الدلائل (١٠) فى ظ : الرب .

له تلك الملة التى أمره باتباعها فقال تعالى: ﴿ادع﴾ [أى-[1]] كل من تمكن دعوته ﴿الى سبيل ربك﴾ أى المحسن إليك، بتسهيل السبيل الذى تدعو إليه و اتساعه، و هو الإسلام الذى هو الملة الحنيفية ﴿بالحكمة﴾ و هى المعرفة بمراتب الأفعال فى الحسن و القبح و الصلاح و الفساد، و قيل لها[2] حكمة لأنها بمنزلة المانع من الفساد و ما لا ينبغى أن يختار، فالحكيم[3] هو العالم بما يمنع من الفساد - قاله الرمانى[4]، و هى فى الحقيقة الحق الصريح، فمن كان أهلا له[5] دعا به ﴿و الموعظة﴾ بضرب الأمثال و الوعد و الوعيد مع خلط[6] الرغبة بالرهبة و الإنذار بالبشارة ﴿الحسنة﴾ أى التى يسهل[7] على كل فهم ظاهرها، و يروق[8] كل تحرير ما ضمنته[9] سرائرها، مع اللين فى مقصودها و تأديتها هذا لمن لا يحتمل إلا[5] ذلك ﴿و جادلهم﴾ أى الذين[10] يحتملون ذلك منهم افتلهم[11] عن مذاهبهم الباطلة إلى مذهبك[12] الحق بطريق الحجاج ﴿بالتى هى[13] احسن[1]﴾ من الطرق بالترفق و اللين و الوقار و السكينة، و لا تعرض [عنهم-[1]]

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فالحكم (٤) فى ظ: الرازى (٥) سقط من ظ. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غلظ (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تسهل (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مزاق - كذا (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تضمنه (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الذى (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اقبلهم (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مذاهبك. (١٣) ليس فى الأصل فقط.

يأسا منهم ، و لا تجازهم بسيئ[1] مقالهم و قبيح فعالهم صفحا عنهم و رفقا بهم ، فهو بيان لأصناف[2] الدعوة بحسب عقول المدعوين ، لأن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بأن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم ، و قيل : الدعوة إن كانت لتقرير الدين[3] و تثبيت الاعتقاد فى قلوب أهله - و هى مع ذلك يقينية مطهرة[4] عن احتمال نقيض - فهى الحكمة و هى *لطالب الحق المذعن إن كان مستعدا للقبول بفكره الثاقب*، و إن [6]كانت مقارنة[6] لاحتمال النقيض مفيدة للظن و الإقناع فهى الموعظة و هى للمذعن الذى لا استعداد له ، و إن كانت لإلزام الجاحدين و إفحام المعاندين فهى المجادلة ، فان كانت مركبة من مقدمات مسلمة[8] عند الجمهور أو عند الخصم فقط فهى الحسنة ، و إن كانت من مقدمات كاذبة غير مسلمة يراد ترويجها بالحيل الباطلة و الطرق الفاسدة فهى السيئة التى لا تليق بمنصف ؛ ثم علل الملازمة لدعائهم على هذا الوجه بقوله تعالى : ﴿ان ربك﴾ أى المحسن إليك بالتخفيف عنك ﴿هو﴾ أى وحده ﴿اعلم﴾ أى[8] من كل من يتوهم فيه علم ﴿بمن ضل عن سبيله﴾ *فكان فى أدنى درجات الضلال - و هو أعلم بالضالين الراسخين فى الجور عن الطريق* -

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بشىء (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاصناف (٣) فى ظ : الذى (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مظهرة . (٥-٥) سقط مابين الرقمين من م (٦-٦) فى ظ : كان مقارنه - كذا (٧) من ظ و م و مد . و فى الأصل : متسلمة (٨) سقط من ظ .

فلا انفكاك له[1] عن الضلال، [2]و هو أعلم بمن اهتدى لسبيله فكان فى أدنى درجات الهداية[2] ﴿ و هو ﴾ أى خاصة ﴿ اعلم بالمهتدين ﴾ [2]أى الذين هم فى النهاية منها، فالآية من الاحتباك: ذكر أولا "من ضل" دليلا على حذف ضده ثانيا، و "المهتدين" ثانيا دليلا على حذف ضدهم أولا[2]. و أما أنت فلا علم لك بشىء من ذلك إلا باعلامنا، و قد ألزمناك البلاغ المبين، فلا تفتر عنه معرضا عن الحرص المهلك و اليأس فانه ليس عليك هداهم.

و لما بين أمر الدعوة[3] و أوضح طرقها و[4] قدم أمر الهجرة و الإكراه[5] فى الدين و الفتن فيه المشير إلى ما سبب ذلك من[6] المحن و البلاء [7]من الكفار[2] ظلما، و ختم ذلك بالأمر بالرفق [بهم-[8]]، [1]عم - بعد ما خصه صلى الله عليه و على آله و سلم به من الأمر بالرفق، بالأمر لأشياعه بالعدل و الإحسان كما تقدم و لو مع أعدى الأعداء، و[2] النهى[9] عن مجازاتهم إلا على [10]وجه العدل[10] - فقال تعالى: ﴿ و ان عاقبتم ﴾ أى كانت [لكم-[8]] عاقبة عليهم تتمكنون فيها من أذاهم ﴿ فعاقبوا بمثل ما ﴾

(١) من م، و فى الأصل وظ و مد: لهم (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الدعوى (٤) العبارة من « بين أمر » إلى هنا ساقطة من م (٥) من ظ و م و مد. و فى الأصل: الالزام (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) فى م: نهى (١٠-١٠) من م، و فى الأصل وظ و مد: ذلك الوجه.

و لما كان الأمر عاما فى كل فعل من المعاقبة من أىّ فاعل كان فلم يتعلق بتعيين الفاعل غرض، بنى للمفعول قوله تعالى: ﴿ عوقبتم به[1] ﴾ و فى ذلك إشارة - على[1] ما جرت به عوائد الملوك فى كلامهم - إلى[2] إدالتهم عليهم و إسلامهم فى يديهم، و جعله بأداة الشك إقامة[3] بين
٢٦٢/ ٥ / الخوف و الرجاء.

و لما أباح لهم درجة العدل، رقاهم إلى رتبة الإحسان بقوله[4] تعالى: ﴿ و لئن صبرتم ﴾ بالعفو عنهم ﴿ لهو ﴾ أى الصبر ﴿ خير للصٰبرين ﴾ و أظهر فى موضع الإضمار تعميما و تعليقا بالوصف.

و لما كان التقدير: فاصبروا[5]، عطف عليه إفرادا له صلى الله عليه
١٠ و على آله و سلم بالأمر، إجلالا له و تسلية فيما كان سبب نزول الآية[6] من التمثيل بعمه حمزة رضى الله عنه، و تنويها بعظم[7] مقام الصبر زيادة فى حث الأمة، لأن أمر الرئيس أدعى لامتثال أتباعه، فقال تعالى: ﴿ و اصبر ﴾ ثم اتبع [ذلك - [8]] بما يحث على دوام الالتجاء إليه المنتج للرقية و الفناء عن الأغيار ثم الفناء عن الفناء، [9]لئلا يتوهم أن
١٥ لأحد فعلا مستقلا[9] فقال تعالى: ﴿ و ما صبرك ﴾ أى أيها الرسول

(١) من م و مد. و فى الأصل و ظ: الى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اقامته (٤) فى ظ: قوله (٥) فى ظ: فاصبر (٦) العبارة من «من الأمر بالرفق» ص ٢٨١ س ١١ إلى هنا متكررة فى الأصل فقط (٧) من م، و فى الأصل و ظ و مد: بعظيم (٨) زيد من ظ و م و مد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من م.

الأعظم ! ﴿ الا بالله ﴾ أى الملك الأعظم الذى شرع لك هذا الشرع الأقوم و أنت قائم فى نصره ، و لقد قابل هذا الأمر صلى الله عليه و على آله و سلم بأعلى مقامات[1] الصبر ، [2]و ذلك أنهم[3] مثلوا بقتلى المسلمين فى غزوة أحد إلا حنظلة الغسيل رضى الله عنه فان أباه كان معهم[4] فتركوه له[5]. فلما وقف النبى صلى الله عليه و على آله و سلم على عمه حمزة رضى الله عنه فوجدهم[6] قد جدعوا أنفه و قطعوا أذنيه و جبوا مذاكيره و بقروا بطنه ، نظر إلى شيء لم ينظر [قط -[7]] إلى أوجع لقلبه منه فقال : رحمة الله عليك ، فانك كنت فعالا للخير وصولا[8] للرحم ، و لولا أن تحزن صفية لسرنى أن أدعك حتى تحشر من أجواف شتى ، أما و الله ! لئن أظفرنى الله بهم لأمثلن بسبعين منهم ، و قال[9] الصحابة رضى الله عنهم : لنزيدن على صنيعهم ، فلما نزلت الآية بادر صلى الله عليه و على آله و سلم الامتثال[10] ، و كان لا يخطب خطبة إلا نهى عن المثلة ، و أحسن يوم الفتح بأن نهى[11] عن قتالهم و أعتقهم بعد أن صاروا فى قبضته - [12]صلى الله عليه و على آله و سلم و شرف و كرم و بجل و عظم دائما أبدا[12] .

(١) زيد فى مد : هذا (٢) و التفاصيل الآتية مصدرها معالم التنزيل للبغوى - راجع هامش اللباب ٤/١٠٢ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لانهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معه (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فوجدوا (٧) زيد من م (٨) فى ظ : وصالا (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قالت (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الامثال (١١) زيد فى مد : عنه (١٢-١٢) ليس ما بين الرقمين فى ظ و م و مد .

و لما كان ـ بعد توطين[1] النفس على الصبر و تفريغ القلب من الآحنة - يرجع إلى الأسف على إهلاكهم [أنفسهم -[2]] بتماديهم على العتو[3] على الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ و لا تحزن عليهم ﴾ أى فى شدة كفرهم فتبالغ[4] فى الحرص الباخع للنفس .

٥ و لما كان سبحانه فى مقام التبشير، بالمحل الكبير و الموطن الخطير، الذى ما حازه قبل نبينا صلى الله عليه و آله و سلم بشير و لا نذير، و ذلك هو الإسراء إلى الملكوت الأعلى، و المقام الأسمى[5] من السماوات العلى، فى حضرات القدس، و محال الأنس، و وطأ لذلك فى سورة النعم بمقامات الكرم إلى أن قارب الوصول إليه، أوجز فى العبارة بحذف

١٠ حرف مستغنى عنه دلالة عليه فقال: ﴿ و لا تك ﴾ بحذف النون إشارة إلى ضيق الحالة عن أدنى إطالة[6]:

و أبرح ما يكون الشوق يوما إذا دنت الديار من الديار

و هذا بخلاف ما يأتى فى سورة النمل[7] إن شاء الله تعالى ﴿ فى ضيق ﴾ [8]و لو قل - كما لوح إليه تنوين التحقير بما يشير إليه حذف النون. فان

١٥ أذى الكفار الذى السياق للتسلية عنه[9] لا يضرك فى المقصود الذى بعثت لأجله، و هو إظهار الدين و قمع المفسدين بوجه من الوجوه ﴿ مما يمكرون ﴾ أى من استمرار[10] مكرهم بك[11] "و اعبد ربك حتى

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تواطين (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) فى مد: الفسق (٤) من ظ و م و مد. و فى الأصل: فبالغ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاسنى (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحالة (٧) آية ٧٠. (٨) العبارة من هنا إلى «بوجه من الوجوه» ساقطة من م (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: منه (١٠) فى مد: استمران ـ كذا (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بل.

ياتيك اليقين" وكأنك به، وقد أتى فاصبر فان الله تعالى معزك ومظهر دينك وإن كرهوا؛ ثم علل [1]ذلك بقوله[1] تعالى: ﴿ان الله﴾ أى الجامع لصفات الكمال بلطفه وعونه ﴿مع الذين اتقوا﴾ أى وجد[2] منهم الخوف من الله تعالى، [3]فكانوا فى أول منازل التقوى، وهو مع المتقين الذين كانوا فى النهاية منها[3]، [4]فعدلوا فى[4] أفعالهم من التوحيد وغيره عملا بأمر الله فى الكتاب الذى هو تبيان لكل شىء، [3]وهو مع الذين أحسنوا وكانوا فى أول درجات الإحسان[3] ﴿والذين هم﴾ أى بضمائرهم وظواهرهم ﴿محسنون ع﴾ أى صار الإحسان صفة لهم غير منفكة عنهم، [3]فهم فى حضرات الرحمن[3]، وأنت رأس المتقين المحسنين، فالله معك، ومن كان [الله -[5]] معه كان غالبا، وصفقته رابحة، وحالته صالحة، وأمره عال، وضده فى أسوإ الأحوال. فلا تستعجلوا[6] قلقا كما استعجل الكفار استهزاء[7]، تخلقا فى التأنى والحلم[8] بصفة من تنزه عن نقص الاستعجال، وتعالى عن ادعاء الأكفاء والأمثال. فقد عانق اخرها أولها، ووافق مقطعها مطلعها، [3]وآخرها احتباك: ذكر "الذين اتقوا" أولا دليلا على حذف 'الذين أحسنوا' ثانيا، "والمحسنين" ثانيا دليلا على حذف 'المتقين' أولا[3] - والله الموفق [9]للصواب. وإليه المرجع والمآب[9].

/ ٢٦٣

(١ - ١) فى ظ: بذلك قوله (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: اوجد. (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤ - ٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: فعدا الى (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) فى ظ: فلا تستعجلوه (٧) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ وم ومد فحذفناها (٨) من م ومد، وفى الأصل وظ: الحكم (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ وم.

سورة الإسراء[1]

و تسمى سبحان[2] و بنى إسراءيل

[3]المقصود بها الإقبال على الله وحده ، و خلع كل ما سواه ، لأنه وحده المالك لتفاصيل الأمور ، و تفضيل بعض الخلق على بعض ، و ذلك هو العمل بالتقوى التى[4] أدناها التوحيد الذى افتتحت به النحل ، و أعلاها الإحسان الذى اختتمت به ، و هو[5] الفناء عما سوى الله ، و هى من أوائل ما أنزل ، روى البخارى[6] فى فضائل [القرآن -[7]] و غيره[8] عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : بنو إسراءيل و الكهف ومريم و طه و الأنبياء إنهن من العتاق الأول ، و هن[9] من تلادى[10] . و كل من أسمائها واضح الدلالة على ما ذكر أنه مقصودها ، أما "سبحان" الذى هو علم[11] للتنزيه فمن أظهر ما يكون فيه ، لأن من كان على غاية النزاهة عن [كل -[7]] نقص ، كان جديرا بأن لانعبد[12] إلا إياه ، و أن نعرض عن كل ما سواه ، لكونه متصفا بما ذكر[13] ، و أما بنو إسراءيل فمن أحاط أيضا بتفاصيل

(١) السابعة عشرة من سور القرآن ، و الجمهور على أنها مكية بتمامها ، و هى مائة و عشر آيات عند الجمهور و إحدى عشرة عند الكوفيين - كما فى روح المعانى ٤/٤٦٦ (٢) فى م : الاسراء - كذا (٣) زيدت الواو فى ظ (٤) فى ظ : الذى (٥) فى ظ : هى (٦) باب تأليف القرآن (٧) زيد من ظ و م و مد . (٨) فى تفسير سورة الإسراء (٩) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : هى . (١٠) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : بلادى (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعلى (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يعبد . (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذكره .

أمرهم

أمرهم فى سيرهم إلى الأرض المقدسة الذى[1] هو كالإسراء و إيتائهم الكتاب و ما ذكر مع ذلك من أمرهم فى [هذه -[2]] السورة عرف ذلك ﴿بسم الله﴾ [3]الملك المالك لجميع الأمر ﴿الرحمن﴾ لكل ما أوجده [بما رباه -[4]] ﴿الرحيم ۝﴾ لمن خصه بالتزام العمل بما يرضاه :

لما[5] كان مقصود النحل التنزه عن الاستعجال و غيره من صفات النقص، و الأتصاف بالكمال المنتج لأنه قادر على الأمور الهائلة، و منها[6] جعل الساعة كلمح البصر أو أقرب، و ختمها بعد تفضيل إبراهيم عليه السلام و الأمر باتباعه بالإشارة إلى نصر أوليائه - مع ضعفهم فى ذلك الزمان و قلتهم - على أعدائه على كثرتهم و قوتهم، و كان ذلك من خوارق العادات و نواقض المطردات، و أمرهم بالتأنى و الإحسان، افتتح هذه بتحقيق ما أشار ذلك الختم إليه بما خرقه[7] من العادة فى الإسراء، و تنزيه نفسه الشريفة من توهم استبعاد ذلك، تنبيها على أنه [8]قادر على أن يفعل الأمور العظيمة الكثيرة الشاقة فى[9] أسرع وقت، دفعا لما قد يتوهم أو[10] يتعنت به من يسمع نهيه عن الاستعجال و أمره بالصبر، و بيانا

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التى (٢) زيد من م (٣) زيد فى ظ: اى (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و لما. (٦) فى ظ: منه (٧) فى ظ: خرق (٨) العبارة من هنا إلى «يتوهم أو» ساقطة من مد (٩) من ظ و م، و فى الأصل: من (١٠) زيد فى الأصل: قد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

لأنه مع المتقى المحسن ، و تنويها بأمر محمد صلى الله عليه و على آله و سلم،
و إعلاما بأنه رأس المحسنين و أعلاهم رتبة / و أعظمهم منزلة ، بما آتاه ٢٦٤/
من الخصائص التى منها المقام المحمود ، و تمثيلا لما أخبر [به - ١] من
أمر الساعة فقال تعالى : ﴿ سبحن ﴾ [و هو علم للتنزيه ، دال على
٥ أبلغ ما يكون من معناه ، منصوب بفعل متروك إظهاره ، فسد - ١] مسده
﴿ الذى اسرى ﴾ فنزه نفسه الشريفة عن كل شائبة نقص يمكن أن
يضيفها إليه أعداؤه بهذا اللفظ الأبلغ عقب الأمر بالتأنى آخر النحل ،
كما نزه نفسه الشريفة ٢ بذلك اللفظ عقب النهى عن الاستعجال فى أولها ،
و هو راد لما علم من ردهم عليه و تكذيبهم له إذا حدثهم عن الإسراء ،
١٠ و فيه مع ذلك إيماء إلى التعجيب ٣ من هذه القصة للتنبيه على أنها من
الأمور البالغة فى العظمة إلى حد لا يمكن استيفاء وصفه .

و لما كان حرف الجر مقصورا على إفادة التعدية فى ' سرى ' الذى
بمعنى ' أسرى ' ، وكان ' أسرى ' يستعمل متعديا و قاصرا عبر به ، و اختير
القاصر [للدلالة - ١] على المصاحبة زيادة فى التشريف فقال تعالى :
١٥ ﴿ بعبده ﴾ [أى - ١] الذى هو أشرف عباده و أحقهم بالإضافة إليه
الذى لم يتعبد قط لسواه من صنم و لا غيره لرجاء شفاعة و لا غيرها .

و لما كان الإسراء هو السير فى الليل ، وكان الشىء قد يطلق على
جزء معناه بدلالة التضمن مجازا ٤ مرسلا ، نفى هذا بقوله تعالى : ﴿ ليلا ﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) فى ظ : التعجب .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مجاز .

و ليدل [بتنوين - [1]] التحقير على أن [2]هذا الأمر[2] الجليل كان فى جزء يسير من الليل ، و على أنه عليه الصلاة و السلام لم يحتج - فى الإسراء و العروج إلى سدرة المنتهى و سماع الكلام من العلى الأعلى - إلى رياضة بصيام و لاغيره ، بل كان مهيئا[3] لذلك متأهلا له ، فأقامه تعالى من الفرش إلى العرش ﴿من المسجد الحرام﴾ أى من الكعبة المشرفة مسجد إبراهيم ٥ عليه السلام ، قيل: كان نائما فى الحطيم ، و قيل : فى الحجر ، و قيل : فى بيت أم هانئ[4] - و هو قول الجمهور ، فالمراد بالمسجد [5]حينئذ الحرم[5] لأنه فناء [المسجد ﴿ الى المسجد الاقصى ﴾ أى الذى هو أبعد المساجد حينئذ و أبعد - [1]] المسجدين الأعظمين مطلقا من مكة المشرفة ، بينهما أربعون ليلة ، فصلى بالأنبياء كلهم : إبراهيم و موسى و من سواهما - على ١٠ جميعهم أفضل الصلاة و السلام ، و[6] رأى من آياتنا[7] ما قدرناه له ، و رجع إلى بين أظهركم إلى المسجد[8] الأقرب منكم فى ذلك الجزء اليسير من الليل و أنتم تضربون أكباد الإبل فى هذه المسافة شهرا ذهابا و شهرا

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متهيا (٤) راجع لكل ذلك لباب التأويل ٤ / ١٠٤ .
(٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مسجد الحرام (٦) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) فى ظ : آياته (٨) زيد فى الأصل : الاقصى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

إيابا ، ثم[1] وصفه بما يقتضى تعظيمه و أنـــه أهل للقصد فقال تعـالى : ﴿ الذى بـركنا ﴾ أى بما لنـا من العظمة[2]، بالمياه و الأشجار و بأنه[3] مقر الأنبياء و مهبط الملائكة و موطن العبادات و معدن الفواكه و الأرزاق و البركات ﴿ حوله ﴾ أى لأجله[4] فما ظنك بـه نفسه ! فهو أبلغ من « باركنا فيه » ثم منه إلى السماوات العلى إلى سدرة المنتهى إلى [ما -[5]] لم ينله بشر غيره صلى الله عليه و على آله و سلم [6]و شرف وكرم و بجل و عظم دائما أبدا[6] ؛ و لعله حذف ذكر المعراج من القرآن هنا لقصور فهومهم[7] عن إدراك أدلته لو[8] أنكروه بخلاف الإسراء ، فانه أقام دليله عليهم بما شاهدوه من الأمارات [9]التى وصفها لهم و هم قاطعون بأنه صلى الله عليه و على آله و سلم لم يرها قبل ذلك ، فلما بان صدقه بمـا ذكر من الأمارات[9] أخبر [بعد ذلك -[10]] من أراد الله بالمعراج ؛ ثم ذكر سبحانه الغرض من الإسراء بما يزيد فى تعظيم المسجد فقـال : ﴿ لنريه ﴾ بعينه و قلبه ﴿ من آيـاتنا[1] ﴾ السماوية و الأرضية كما أرينا أباه الخليل عليه السلام ملكوت السماوات و الأرض ، و جعل الالتفات

(١) سقط من ظ (٢) زيد فى الأصل : مرى ، و لم تكن الزيـادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) فى ظ : لانه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاجلك . (٥) زيد من ظ و م و مد (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد . (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فهو مبهم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) زيد من م و مد .

لتعظيم

لتعظيم الآيات و البركات؛ روى البخارى[1] عن ابى هريرة رضى الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه و على آله و سلم ليلة أسرى به [بايلياء -[2]] بقدحين من خمر و لبن، فنظر إليهما فأخذ اللبن فقال جبرئيل عليه السلام: الحمد لله الذى هداك للفطرة، لو أخذت [الخمر -[2]] غوت أمتك. و عن جابر[3] رضى الله عنه سمعت النبى صلى الله عليه و على آله و سلم يقول: لما كذبتني[4] قريش قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته و أنا أنظر إليه.

و لما كان المعول[5] عليه غالبا فى إدراك الآيات حس[6] [السمع -[2]] و البصر، و كان تمام الانتفاع بذلك إنما هو بالعلم، و كان سبحانه قد خص هذا النبي صلى الله عليه و على آله و سلم من كمال الحس بما يعد معه حس غيره عدما، عبر عن ذلك كله بقوله تعالى: ﴿انه﴾ أى هذا[8] العبد الذى اختصصناه بالإسراء ﴿هو﴾ أى خاصة ﴿السميع﴾ أى أذنا و قلبا بالإجابة لنا و الإذعان لأوامرنا ﴿البصير﴾ بصرا[9] و بصيرة بدليل ما أخبر [به -[7]] من الآيات. و صدقه من الدلالات، حين نعت[10]

(١) فى باب قوله "اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام" من كتاب التفسير، و فى أوائل كتاب الأشربة (٢) زيد من ظ و م و مد والصحيح (٣) فى باب قوله "اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام" من كتاب التفسير (٤) هكذا فى الأصل و م و نسخة من الصحيح، وفى ظ و مد والصحيح: كذبنى (٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: القول (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحسن (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و م و مد. و فى الأصل: لهذا (٩) فى ظ: بصيرا. (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بلغت.

ما سألوه عنه من بيت المقدس و من أمر عيرهم و غيرهما[1] مما هو مشهور في قصة الإسراء[2] مما كان يراه و هو ينعت لهم و هم لا يرونه و لا يقاربون ذلك و لا يطمعون فيه، و قال من كان دخل منهم إلى بيت المقدس: أما النعت و الله فقد أصاب[3]، أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم بعدد جمالها، و أحوالها و قال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل أورق[4]، فخرجوا ذلك [اليوم -[5]] نحو الثنية يشتدون، فقال قائل: هذه[6] و الله الشمس قد طلعت، فقال آخر: و هذه و الله العير قد أقبلت، يقدمها جمل أورق[4] كما قال محمد، ثم لم يؤمنوا و[7] قالوا: إن هذا إلا سحر مبين.

قال الإمام[8] الرازي في اللوامع: و كان صلى الله عليه و على آله و سلم أبصر جميع ما في الملكوت بالعين المبصرة[9] مشاهدة لم يسترب فيه حتى روى أنه [قال -[5]]: رأيت ليلة أسرى بي إلى العلى الذرة تدب[10] على وجه الأرض من سدرة المنتهى[11]، و ذلك لحدة بصره، و البصر على أقسام: بصر الروح، و بصر العقل الذي منه التوحيد، و بصر القربة الذي خص به الأولياء و هو نور الفراسة، و بصر النبوة، و بصر الرسالة. و هذه الأبصار كلها مجموعة لرسولنا صلى الله عليه و على آله و سلم [12]و شرف و كرم و بجل و عظم دائما أبدا[12]، [و له -[5]] زيادة بصر قيادة[13] الرسل و سيادتهم، فانه سيد المرسلين و قائدهم،

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: غيرها (٢) راجع لباب التأويل ٤/١١١ و ١١٢ (٣) تكرر في مد؛ و زيد في اللباب: ثم قالوا: يا محمد (٤) من ظ و م و مد و اللباب، و في الأصل: ازرق (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) في ظ: هذا. (٧) في ظ: ثم (٨) سقط من ظ و م مد (٩) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (١٠) في مد: تدر (١١) سقط من مد. (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (١٣) في ظ: قيامة.

وكان مطلعا على الملك و الملكوت كما قال: زويت لى الأرض مشارقها و مغاربها - انتهى . و هذا الأخير رواه مسلم[١] و أبو داود[١] و الترمذى[٢] عن ثوبان رضى الله عنه أنه[٣] صلى الله عليه و على آله و سلم قال « إن الله تعالى زوى لى[٤] الأرض فرأيت مشارقها و مغاربها » و كان يبصر من ورائه [٥]كما يبصر من أمامه[٥] - كما أخرجه الشيخان[٦] و غيرهما[٧] من حديث أنس رضى الله عنه ، و فى كثير من طرقه عدم التقييد بالصلاة ، [٨]و هذا صريح فى أن بصره لم يكن متقيدا بالعين ، بل خلق الله تعالى الأبصار فى جميع أعضائه و كذا السمع . [٩]فان كون[٩] العين محلا لذلك و كذا الأذن إنما هو بجعل[١٠] الله ، و لوجعل ذلك فى غيرهما لكان كما يريد سبحانه و لا مانع ، و لم يكن الظلام يمنعه من نفوذ البصر ففى مسند أحمد[١١] عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : فقدت رحلى ليلة فمررت على رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم و هو يشد[١٢] لعائشة

(١) فى كتاب الفتن (٢) فى باب سؤال النبى صلى الله عليه و سلم ثلاثا فى أمته - من كتاب الفتن (٣) فى ظ : ان (٤) من ظ وم و مد و المراجع الثلاثة ، و فى الأصل : الى (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) راجع باب إقبال الإمام على الناس عند تسوية الصفوف - كتاب الأذان من صحيح البخارى ، و باب الأمر بتحسين الصلاة و إتمامها و الخشوع فيها - كتاب الصلاة من صحيح مسلم . (٧) راجع مسند الإمام أحمد ٢ / ٣١٩ و ٥٠٠ (٨) العبارة من هنا إلى « و لا مانع » ساقطة من م (٩-٩) فى ظ : فان لم تكن - كذا (١٠) من ظ ومد، و فى الأصل : كجعل (١١) ٣ / ٣٥٨ (١٢) سقط من ظ .

رضى الله عنها ، فقال : ما لك يا جابر؟ فقلت : فقدت جملى[1] أو[2] ذهب فى ليلة ظلماء ، فقال لى : هذا جملك ، اذهب[3] فخذه ، فذهبت نحو ما قال لى ، فلم أجده فرجعت إليه فقلت : بأبى و أمى يا رسول الله ! /ما وجدته ، فقال لى[4] : على رسلك ، حتى إذا فرغ أخذ بيـــدى فانطلق حتى أتينا الجمل فدفعه إلىّ ، قال : هذا جملك - الحديث . و روى البيهقى فى دلائل النبوة[5] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم يرى بالليل فى الظلمة كما يرى بالنهار فى الضوء ، و روى مثل ذلـك[6] عن عائشة رضى الله عنها ، و قال القاضى عيـاض فى الشفا[7] : [حكى -[8]] بقى بن مخلد عن عائشة رضى الله عنها[9] قالت : كان النبى صلى الله عليه وعلى آله و سلم يرى فى الظلمة كما يرى فى الضوء[9] ، و أسند عن أبى هريرة[7] رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و على آله و سلم أنه قال : لما تجلى الله لموسى عليه الصلاة و السلام كان يبصر النملة على الصفا فى الليلة الظلماء[10] مسيرة عشرة فراسخ . و جوز أن يكون اختصاص نبينا صلى الله عليه و على آله و سلم [بذلك -[11]] بعد الإسراء - انتهى . و قد أخرج حديث

/٢٦٦

(١) من المسند ، و فى النسخ كلها : رحلى (٢) من م و مد و المسند ، و فى الأصل و ظ « و » (٣) من ظ و م و مد و المسند ، و فى الأصل : فاذهب (٤) العبارة من « هذا جملك » إلى هنا متكررة فى المسند (٥) و رواية البيهقى هذه قد أوردها السيوطى فى الخصائص الكبرى - باب المعجزة و الخصائص فى عينيه الشريفتين . (٦) راجع نفس الباب من الخصائص (٧) راجع الفصل الثانى من الباب الثانى ص ٣٣ (٨) زيد من م و مد و الشفا (٩ - ٩) تكرر ما بين الرقمين فى مد قبل « و قال القاضى عياض » (١٠) فى مد : الظلمة (١١) زيد من ظ و م و مد .

أبى

أبي هريرة هذا الحافظ نور الدين الهيثمي في زوائد[1] المعجمين : الأوسط و الأصغر للطبراني ، و لعل هذا من مناسبة تعقيب هذه الآية بذكر موسى عليه السلام .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم قوله "ان ابرٰهيم كان امة قانتا لله حنيفا - إلى قوله تعالى : ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرٰهيم حنيفا" [الآية -[2]] ، كان ظاهر ذلك تفضيل إبراهيم عليه السلام على محمد صلى الله عليه و على آله و سلم و على جميع الأنبياء لاسيما مع الأمر بالاتباع ، فأعقب[3] ذلك بسورة الإسراء ، و قد تضمنت من خصائص نبينا صلى الله عليه و على آله و سلم ، [4]و انطوت على ما حصل منه المنصوص في الصحيح و المقطوع [به -[5]] و المجمع عليه [من -[2]] أنه - صلى الله عليه و على آله و سلم و شرف و كرم و بجل و عظم - سيد ولد آدم ، فاستفتحت[6] السورة بقصة الإسراء و قد تضمنت - حسبما وقع في صحيح مسلم[7] و غيره - إمامته بالأنبياء عليهم الصلاة و السلام و فيهم إبراهيم و موسى و غيرهما من الأنبياء من غير استثناء ، هذه رواية ثابت عن أنس رضي الله عنه ، و[8] في حديث أبي هريرة رضي الله عنه[9] ، أنه - صلى الله

(١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : رواية (٢) زيد من م و مد (٣) في مد : فاعجب (٤) العبارة من هنا إلى « بجل و عظم » ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : و استفتحت (٧) باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات و فرض الصلوات - كتاب الإيمان (٨) سقط من ظ (٩) و هذا حديث طويل رواه البزار - راجع مجمع الزوائد ١ / ٦٩ .

عليه و على آله و سلم و شرف و كرم و بجل و عظم دائما أبدا - أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين، و كافة للناس بشيرا و نذيرا، و أنزل علىّ القرآن فيه تبيان كل شىء، و جعل أمتى خير أمة أخرجت للناس[1]، و جعل أمتى وسطا و جعل أمتى هم الأولون و هم الآخرون، و شرح[2] لى صدرى، و وضع عنى وزرى، و رفع لى ذكرى، و جعلنى فاتحا و خاتما. فقال إبراهيم عليه السلام: بهذا فضلكم محمد صلى الله عليه و على آله و سلم؛ و فى رواية أبى هريرة رضى الله عنه من طريق الربيع بن أنس[3] و ذكر سدرة المنتهى [و -[4]] أنه تبارك و تعالى[5] قال له: سل! فقال: إنك[6] اتخذت إبراهيم خليلا، و أعطيته ملكا عظيما، و كلمت موسى تكليما، و أعطيت داود ملكا عظيما، و ألنت له الحديد، و سخرت له الجبال، و أعطيت سليمان ملكا عظيما، [و -[7]] سخرت له الجن و الإنس و الشياطين و الرياح، و أعطيته ملكا لاينبغى لأحد من بعده، و علمت عيسى التوراة و الإنجيل، و جعلته يبرئ الأكمه و الأبرص، و أعذته[8] و أمه من الشيطان الرجيم، فلم يكن له عليهما سبيل[9]، فقال له ربه تبارك و تعالى: قد اتخذتك حبيبا[10] فهو مكتوب فى التوراة

(١) زيد فى مد: بشيرا (٢) زيد فى مد: الله (٣) راجع مجمع الزوائد ١ / ٧١.
(٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى الأصل: لما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و مجمع الزوائد فحذفناها (٦) سقط من ظ (٧) زيد من مجمع الزوائد.
(٨) من ظ و م و مد و مجمع الزوائد، و فى الأصل: اخذته (٩) من م و مد و مجمع الزوائد، و فى الأصل و ظ: سبيلا (١٠) فى مجمع الزوائد: خليلا.

"[محمد -[1]] حبيب الرحمن" و أرسلتك[2] إلى الناس كافة ، و جعلت أمتك هم الأولون و الآخرون . و جعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدى و رسولى ، و جعلتك أول النبيين خلقا / و آخرهم بعثا ، و أعطيتك [سبعا من المثانى و لم أعطها نبيا قبلك ، و أعطيتك -[1]] خواتيم[3] سورة[4] البقرة من كنز تحت العرش[5] لم أعطها نبيا قبلك ، و جعلتك [6]فاتحا و خاتما[6] . و فى حديث شريك[7] أنه رأى موسى عليه السلام فى السماء السابعة[8] قال: بتفضيل كلام الله ، [9]قال : ثم علا به فوق ذلك ما لا يعلمه إلا الله[9]، فقال [موسى -[10]] : لم أظن أن يرفع علىّ أحد . و فى حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه خرجه البزار[11] فى ذكر تعليمه عليه الصلاة و السلام الأذان و خروج[12] الملك فقال صلى الله عليه و على آله و سلم : يا جبريل ! من هذا ؟ قال[13] : و الذى بعثك بالحق ! إنى لأقرب الخلق مكانا ، و إن هذا الملك

/ ٢٦٧

---

(١) زيد من ظ و م و مد و مجمع الزوائد (٢) من م و مجمع الزوائد ، و فى الأصل و ظ و مد : ارسلناك (٣) فى م و مد : خواتم (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد و مجمع الزوائد ، و فى الأصل : عرشى . (٦ - ٦) فى ظ : خاتما و فاتحا (٧) راجع باب قول الله " و كلم الله موسى تكليما " كتاب التوحيد من صحيح البخارى (٨) من ظ و م و مد و الصحيح ، وفى الأصل : السادسة (٩-٩) تأخر ما بين الرقمين فى الصحيح عن «على أحد» . (١٠) زيد من م و الصحيح (١١) راجع مجمع الزوائد ٣٢٨/١ (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خرج (١٣) زيد فى ظ : فقال.

ما رأيته [قط -[1]] منذ خلقت قبل ساعتى هذه . و فيه[2]: ثم أخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه و على آله و سلم فقدمه، فأم بأهل السماء فيهم آدم و نوح، و فى هذا الحديث قال أبو جعفر محمد بن على بن الحسين راويه[3]: [فيومئذ -[1]] أكمل [الله -[4]] لمحمد - صلى الله عليه و على آله و سلم[5] و شرف و كرم و بجل و عظم[5] - [الشرف -[1]] على أهل السماوات و الأرض؛ قال ابن الزبير: و قد حصل منه تفضيله صلى الله عليه و على آله و سلم -[6] و شرف و كرم و بجل و عظم دائما أبدا[6] - بالإسراء و خصوصه بذلك، ثم قد انطوت السورة على ذكر المقام المحمود، و هو مقامه فى الشفاعة الكبرى، و ذلك مما خص به حسبما ثبت فى الصحيح و انعقد عليه إجماع أهل السنة، و لا أعلم فى الكتاب العزيز سورة تضمنت من خصائصه صلى الله عليه و على آله و سلم - و شرف و كرم و بجل و عظم دائما أبدا - الذى فضل به كافة الأنبياء عليهم أفضل الصلاة و السلام مثل ما تضمنت هذه و الحمد لله - انتهى.

و لما ثبت بهذه الخارقة ما أخبر به عن نفسه المقدسة من عظيم القدرة على كل ما يريد، و ما حباه صلى الله عليه و على آله و سلم به[7] من الآيات البينات فى هذا الوقت اليسير، أتبعه ما منح فى المسير من مصر إلى الأرض المقدسة من الآيات فى مدد طوال[8] جدا موسى عليه السلام الذى كان أعظم الأنبياء [بركة -[9]] على هذه الأمة ليلة الإسراء

(١) زيد من مجمع الزوائد (٢) راجع ص ٣٢٩ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رواية (٤) زيد من ظ و م و مد و مجمع الزوائد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) ما بين الرقمين ساقط حيثما ورد من ظ و م و مد (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد. و فى الأصل: طويل (٩) زيد من ظ و م و مد.

لما[1] أرشد النبي صلى الله عليه و على آله و سلم [إليه -[2]] من مراجعة الله تعالى فى تخفيف الصلاة حتى رجعت من خمسين إلى خمس مع أجر[3] خمسين ، و الذى كان أنهى العروج به إذ[4] ناجاه [الله -[2]] و قربه رأس جبل الطور [5]بعد الأمر[5] بالرياضة بالصوم و التخلى[6] أربعين يوما ، و الذى تقدم فى آخر النحل[7] أن قومه اختلفوا عليه فى السبت ، تنفيرا من مثل حالهم ، و تسلية عمن تبعهم فى تكذيبهم و ضلالهم ، و ذلك فى سياق محذر للمكذبين عظائم البلاء ، فقال تعالى - عاطفا على ما تقديره ، فآتينا عبدنا محمدا صلى الله عليه و على آله و سلم الكتاب المفصل المعجز ، و جعلناه هدى للخلق كافة ، و تولينا حفظه فكان آية باقية حافظا لدينه دائما - : ﴿ و آتينا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ موسى الكتب ﴾ أى الجامع لخيرى[8] الدارين لتقواه و إحسانه ، معظما له بنون العظمة ، فساوى بين النبيين فى تعظيم الإراءة [و الإيتاء -[2]] و خص محمدا صلى الله عليه و على آله و سلم باضافة آياته إلى مظهر العظمة ، و كان إيتاء موسى عليه السلام الكتاب فى نيف و أربعين سنة بعد أن أخرج معه بنى إسرائيل من خبائل فرعون و جنوده الذين كانوا لا يحصون كثرة بتلك[9] الآيات الهائلة التى لا يشك عاقل أن من قدر عليها لا يمتنع عليه شىء أراده ، و فى هذه المدة الطويلة

(١) فى ظ : كما (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : اخر (٤) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : اذا (٥-٥) تكرر مابين الرقمين فى الأصل فقط (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل : التجلى (٧) راجع ص٢٧٦ و٢٧٧ من هذا الجزء (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لخير (٩) فى ظ : تلك .

- بل[1] بزيادة - كان وصول بنى إسرائيل من مصر إلى هذا المسجد الذى أوصلنا عبدنا إليه و رددناه إليكم فى بعض ليلة راكبا البراق الذى كان يركبه الأنبياء قبله ، يضع حافره فى[2] منتهى طرفه ، و بنو إسرائيل كانوا يسيرون[3] جميع النهار مجتهدين [ثم يبيتون -[4]] فى الموضع الذى أدلجوا منه فى التيه / لايقدرون أن يجوزوه[5] أربعين سنة - على ما قال كثير من العلماء[6] ، أو أنهم كانوا فى هذه المدة يدورون حول جبل أدوم[7] - كما فى التوراة[8] ، فثبت أنا إنما نفعل بالاختيار على حسب ما نراه من الحكم ، ثم ذكر ثمرة[9] كتاب موسى عليه السلام فقال تعالى : ﴿وجعلنه﴾ أى الكتاب ، بما لنا من العظمة ﴿هدى﴾ .

٢٦٨/ ٥

١٠ و لما كان هذا التنوين يمكن أن يكون للتعظيم يستغرق الهدى ، بين الحال بقوله : ﴿لبنى اسرآءيل﴾ بالحمل على العدل فى التوحيد و الأحكام ، و أسرينا بموسى عليه السلام [و -[10]] بقومه من مصر إلى بلاد المسجد الأقصى ، فأقاموا سائرين إليها أربعين سنة و لم يصلوا ، و مات كل من خرج منهم من مصر إلا [11]النقيبين الموفيين[11] بالعهد ، فقد بان الفصل[12]

(١) سقط من مد (٢) فى ظ : عند (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل : يجوزوا ، وفى ظ : يجوزون (٦) راجع لباب التأويل ٢/٢٨ و الكشاف ١/٢٥٣ (٧) فى ظ : ادم (٨) راجع الأصحاح الحادى و العشرين من باب العدد. (٩) سقط من ظ (١٠) زيد من م و مد (١١ - ١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السبعين الموقنين - كذا ، و هما يوشع بن نون و كالب بن يوفنا - كما فى لباب التأويل ٢/٢٨ (١٢) فى م و مد : الفضل .

بين الإسرائين[1] كما بان الفصل[2] بين الكتابين ، فذكر الإسراء أولا دليل على حذف مثله لموسى عليه السلام ثانيا ، و ذكر إيتاء الكتاب ثانيا [دليل -[3]] على حذف مثله أولا . فالآية من الاحتباك ؛ ثم نبه على أن المراد من ذلك كله التوحيد اعتقادا و عبادة بقوله تعالى : ﴿ الآ ﴾ أى لئلا ﴿ تتخذوا[4] ﴾ بالياء [التحتية -[3]] فى قراءة أبى عمرو ، و بالفوقانية[5] فى قراءة الباقين ، فنبه بصيغة الافتعال على أنه - لكثرة ما على وحدانيته من الدلائل ، و له إلى خلقه[6] من المزايا و الفضائل - لا يعدل عنه إلى غيره إلا بتكلف[7] عظيم من النفس ، و منازعة بين الهوى و العقل و ما فطر سبحانه عليه النفوس من الانقياد إليه و الإقبال عليه ، و نفر من له همة علية و نفس أبية من الشرك بقوله - منبها بالجار على تكاثر الرتب دون رتبة عظمته سبحانه و عدم الاستغراق لها ، تاركا[8] نون العظمة للتنصيص على المراد من دون لبس بوجه - : ﴿ من دونى ﴾ و قال تعالى - : ﴿ وكيلا[9] ﴾ [أى -[3]] ربا يكلون أمورهم [إليه -[9]] و يعتمدون عليه من صنم و لا غيره ، لتقريب إليه بشفاعة و لا غيرها[10] - منبها بذكر الوكالة[11] على سفه آرائهم فى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاسرين - كذا (٢) فى م و مد : الفضل.
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ و م و مد : يتخذوا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالتحتانية (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حكمته .
(٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بتكليف (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : باركا (٩) زيد من مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بغيرها.
(١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الوقاية - كذا .

ترك من يكفى[1] فى كل شىء إلى من لا كفاية[2] عنده لشىء، ثم أتبعه ما يدل على شرفهم بشرف أبيهم، و أنه لم ينفعهم إدلاءهم[3] إليه - عند إرادة الانتقام - بما ارتكبوا من الإجرام، فقال - منبها على الاهتمام بالتوحيد و الأمر بالإخلاص [بالعود إلى مظهر العظمة حيث لا لبس، ناصبا على الاختصاص -[4]] فى قراءة أبى عمرو، و على النداء عند الباقين، تذكيرا بنعمة الإنجاء من الغرق - : ﴿ذرية من حملنا﴾ أى فى السفينة بعظمتنا، على ظهر ذلك الماء الذى طبق ما تحت أديم السماء، و نبه على شرفهم و تمام نعمتهم بقوله تعالى: ﴿مع نوح[5]﴾ أى من أولاده و أولادهم الذين أشرفهم إبراهيم الذى كان شاكرا[6] ثم إسرائيل عليهما السلام، لأن الصحيح أن من كان معه من غيرهم ماتوا و لم يعقبوا، و لم يقل: ذرية نوح، ليعلم أنهم[6] عقب أولاده [المؤمنين لتكون تلك منة أخرى؛ ثم نبه على تقواه و إحسانه حثا على الاقتداء به بقوله -[4]] : ﴿انه كان﴾ أى كونا جبليا ﴿عبدا شكورا*﴾ أى مبالغا[7] فى الشكر الذى هو صرف جميع ما أنعم الله به فيما[8] خلقه له فأحسن[9] إليه لشكره بأن

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يكن (٢) زيد فى الأصل و ظ : له، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اولادهم (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شاكر (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : انه (٧) فى ظ : مبالغة (٨) فى ظ : ما (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : و حسن .

جعل فى ذريته النبوة و الكتاب[١] كما فعل بابراهيم عليه السلام لأنه كان شاكرا ، فاقتدوا بهذين الأبوين [العظيمين -[٢]] فى الشكر يزدكم[٣] ، و لا تقلدوا غيرهما فى الكفر يعذبكم ، و خص نوحا عليه السلام لأنه ما أملى [لأحد ما أملى -[٢]] لقومه و لا[٤] أمهل أحدا ما أمهلهم ، ثم أهلكهم أجمعين[٥] -[كما -[٢]] أومأ إليه قوله " حملنا " - إهلاك نفس واحدة . ثم أذهب الماء بعد إغراقهم بالتدريج فى مدة طويلة ، فثبت أنه منزه عن العجلة ، و أنه سبحانه تارة يفعل الأمور الكثيرة الشاقة فى أسرع وقت ، و تارة يعمل ما هودونها فى أزمان طوال ، فبان كالشمس أنه [إنما -[٢]] يفعل على حسب ما يريد مما تقتضيه حكمته ؛ روى البخارى فى التفسير[٦] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : أتى رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم بلحم فرفع[٧] إليه الذراع [٨]و كانت / تعجبه فنهش[٨] منها [نهشة -[٩]] ثم قال : أنا سيد الناس يوم القيامة ، و هل تدرون مما[١٠] ذلك ؟ يجمع الله الناس : الأولين و الآخرين فى صعيد واحد ، يسمعهم الداعى[١١] ، و ينفذهم

٢٦٩/أ

(١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) زيد فى مد : الله (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جميعا (٦) بمناسبة هذه الآية (٧) من ظ و م و مدو الصحيح ، و فى الأصل : قرع (٨-٨) من م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : كان يعجبه فنهس ، و فى ظ : كانت يعجبه فنهش - كذا (٩) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (١٠) فى ظ و م و مد : مم (١١) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : الداعون .

البصر ، و تدنو الشمس ، فبلغ الناس من الغم و الكرب ما لا يطيقون و لا يحتملون ، فيقول[١] الناس[٢] : ألا ترون ما قد بلغكم ؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى[٣] ربكم ؟ ـ فذكر حديث الشفاعة العظمى و إتيانهم[٤] الأنبياء آدم و بعده أولى العزم عليهم الصلاة و السلام ، و أنهم يقولون لنوح ٥ عليه السلام : [و ـ[٥]] قد سماك الله عبدا شكورا ، و كلهم يتبرأ و يحيل على من بعده إلى أن وصل الأمر إلى نبينا صلى الله عليه و على آله و سلم فيقولون[٦] : يا محمد ! أنت رسول الله و خاتم الأنبياء ، و قد غفر [الله ـ[٧]] لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر ، اشفع لنا إلى ربنا[٨] ، ألا ترى إلى ما نحن فيه . فأنطلق فآتى [تحت ـ[٩]] العرش فأقع ساجدا لربى ، ثم يفتح الله ١٠ علىّ من محامده و حسن الثناء عليه [شيئا ـ[٧]] لم يفتحه على أحد قبلى ، ثم يقال : يا محمد ! ارفع رأسك ! سل تعط[١٠] و اشفع تشفع ! فأرفع رأسى فأقول : أمتى يا رب [أمتى يا رب ـ[٩]] . فيقال[١١] : يا محمد[١٢] ! أدخل من أمتك من لا حساب عليهم[١٣] من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، و هم شركاء الناس فيما [سوى ـ[٧]] ذلك من الأبواب ، ثم قال : و الذى

(١) من ظ و م و مد و الصحيح . و فى الأصل : فتقول (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : عند (٤) من ظ و م و مد . و فى الأصل: ايتايهم(٥) زيد من م و الصحيح (٦) فى ظ: فيقول. (٧) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٨) فى الصحيح : ربك (٩) زيد من م و مد و الصحيح (١٠) فى الصحيح : تعطه (١١) فى م و مد : فقال: (١٢) العبارة من «ارفع رأسك» إلى هنا ساقطة من ظ (١٣) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : عليه .

نفسى بيده ! [إن -[1]] ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة و حمير أو[2] كما [بين -[3]] مكة و بصرى . ثم أتبع ذلك ما يدل على شرف كتاب موسى و صحة نسبته إليه تعالى بما يقتضى شمول العلم و تمام القدرة بما كشف[4] عنه الزمان من صدق إخباره ، و فظاظة وعيده و إنذاره ، تنبيها على أن من كذب بكتابه أهلكه كائنا من كان و إن طال إمهاله ، فلا تغتروا بحلمه لأن الملوك لا تقر على أمر يقدح فى ملكها ، فقال تعالى : ﴿ و قضينآ ﴾ أى بعظمتنا بالوحى المقطوع به ، منزلين و منهين[5] ﴿ الى بنىٓ اسرآءيل ﴾ أى عبدنا يعقوب عليه السلام الذى كان أطوع[6] أهل زمانه لنا ﴿ فى الكتـٰب ﴾ الذى أوصلناه إليهم [على لسان موسى عليه السلام -[7]] ﴿ لتفسدن ﴾ [8] أكد بالدلالة على القسم باللام لأنه يستبعد[9] الإفساد مع الكتاب المرشد ﴿ فى الارض ﴾ أى المقدسة التى كأنها[10] لشرفها [هى الأرض -[7]] بما يغضب الله ﴿ مرتين و لتعلن ﴾ أى بما صرتم إليه من البطر لنسيان المنعم ﴿ علوا كبيرا ﴾ بالظلم و التمرد ، و لا ينتقم منكم إلا على حسب ما تقتضيه[11] حكمتنا فى الوقت الذى نريد بعد إمهال طويل ؛ و القضاء : فصل الأمر على إحكام ﴿ فاذا جآء وعد اولـٰهما ﴾

(١) زيد من الصحيح (٢) من الصحيح ، و فى النسخ كلها « و » (٣) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٤) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مبينين (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طوع (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد فى مد : اى (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يسبقه (١٠) فى ظ : كانت (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقتضيه .

أى وقته الذى حددناه[1] [له -[2]] للانتقام فيه ﴿ بعثنا ﴾ أى بعظمتنا ؛ و نبه على أنهم أعداء بقوله : ﴿عليكم﴾ و نبه على عظمته و قدرته و سعة ملكه بقوله تعالى : ﴿ عبادا لنآ ﴾ أى لا يدان لكم بهم لما وهبنا لهم [من -[3]] عظمتنا ﴿اولى باس﴾ أى عذاب و شدة فى الحرب شديدة ٥ ﴿ شديد[4] فجاسوا ﴾ أى ترددوا مع الظلم و العسف و شديد السطوة ؛ و الجوس[5] : طلب الشيء باستقصاء ﴿خلل﴾ [أى بين -[6]] ﴿الديار[7]﴾ الملزوم لقهر[8] أهلها و سفولهم[9] بعد ذلك العلو الكبير ؛ و الخلال : انفراج ما بين الشيئين و أكثر - لضرب[10] من الوهن ﴿ و كان ﴾ أى ذلك البعث[11] و وعد العقاب به ﴿ وعدا مفعولا﴾ أى لاشك فى وقوعه ١٠ و لابد أن يفعل لأنه[12] لاحائل بيننا[13] و بينه ، و لايبدل القول إلا عاجز أو جاهل ؛ عن ابن عباس[14] رضى الله عنهما أنهم جالوت و جنوده ؛ و عن سعيد بن المسيب أنهم بختنصر و جنوده ؛ [و عن الحسن : العمالقة ؛ و عن سعيد ابن جبير : سنجاريب و جنوده - [6]] ؛ قال فى السفر الخامس[15] من التوراة

(١) فى ظ : حدده . و الكلمة ساقطة من مد (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م (٤) تكرر فى الأصل فقط بعد « اولى باس » (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحوس (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لتعمر (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سفوكهم (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تضرب (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البحث (١٢) سقط من مد (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بينها (١٤) و راجع أيضا الكشاف و معالم التنزيل و روح المعانى - تفسير هذه الآية (١٥) راجع الأصحاح الثامن و العشرين .

إشارة

إشارة إلى هذه المرة الأولى - و الله أعلم: و إن أنتم لم تسمعوا قول الله ربكم [و لم تحفظوا -[1]] و لم تعملوا[2] بجميع سننه التى آمركم بها اليوم، ينزل بكم[3] هذا اللعن الذى أقص[4] عليكم كله، و يدرككم العقاب، و تكونوا [ملعونين -[5]] فى القرية و السفر[6] و فى الحضر، و يلعن نسلكم و ثمار أرضكم، و تكونوا ملعونين إذا دخلتم. و ملعونين إذا / خرجتم، ينزل ٥ / ٢٧٠ بكم الرب البلاء و الحشرات، و ينزل بكم الضربات الشديدة و بكل شىء تمدون أيديكم [إليه -[1]] لتعملوه حتى يهلككم و يتلفكم سريعا، من أجل سوء أعمالكم و تركم لعبادتى، يسلط الله عليكم الموت فيهلككم من الأرض التى تدخلونها لترثوها. يضربكم[7] الله[8] بحيران العقل و البهق و البرص، و بالحريق باشتمال[9] النار، و باليرقان و الجرب و السموم، و يسلط عليكم ١٠ هذه الشعوب حتى تهلكوا. و تكون السماء التى فوقكم عليكم شبه النحاس، و الأرض التى تحتكم شبه الحديد. و يصير الرب مطر أرضكم غبارا، و يكسركم الرب بين يدى أعدائكم. تخرجون إليهم فى طريق واحدة و تهربون فى سبعة طرق. و تكونون[10] مثلا و فزعا لجميع مملكات[11] الأرض،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم تعلموا. (٣) فى مد: لكم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اقض (٥) زيد بناء على نص التوراة. و العبارة من بعده إلى «أرضكم و تكونوا» ساقطة من ظ. (٦) من م و مد، و فى الأصل: السعة (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فضربكم (٨) سقط من ظ (٩) من مد، و فى الأصل: باسماك، و فى ظ: بانتمال، و فى م: باستمال (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يكون (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ملكات.

و تكون[١] جيفكم [طعاما -[٢]] لجميع السباع و طيور السماء ، و لا يذب أحد[٣] عنكم ، و يضربكم[٤] الرب بالجراحات التى [ضرب -[٥]] بها أهل مصر ، و يبليكم بالبرص و الزحير و بالحكة ، و لا يكون لكم شفاء من ذلك ، و يضربكم الرب بالعمى[٦] و الكمه و رعب القلب ، و تكونون[٧] تجسسون
٥ فى الظهيرة مثل ما يتجسس العميان ، و لا يتم شىء[٨] مما تعملون ، و لا يكون له[٩] تمام ، و تكونون مقهورين مظلومين مغصوبين [كل أيام حياتكم -[٥]] و لا يكون لكم منقذ ، تخطبون المرأة فيتزوجها غيركم ، و تبنون بيتا و يسكنه غيركم ، و تغرسون كروما و لا تعصرون منها ، و تذبحون ثيرانكم بين أيديكم و لا تأكلون[١٠] منها شيئا . و يؤخذ حمارك ظلما و لا تقدر أن تخلصه ،
١٠ و يسوق العدو أغنامكم و لا يكون لكم[١١] [منقذ -[٥]] ، و يسبى[١٢] بنيك و بناتك شعب آخر و تنظر إليهم و لا تقدر[١٣] لهم على خلاص ، و[١١] تشق و تغتم[١٤] نهارك كله أجمع و لا يكون لك حيلة ، و ثمار أرضك و كل كدك يأكله شعب لا تعرفه[١٥] . و تكون مضطهدا مظلوما[١٦] طول عمرك[١٦] ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يكون (٢) زيد من التوراة (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احدنا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يضرب (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالعمه. (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يكونون (٨) فى النسخ كلها : شيئا (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكم (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا تأكلوا . (١١) فى مد : لهم (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تسبي (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يقدر (١٤ - ١٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يسعى و يقيم (١٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يعرفه (١٦-١٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لون عملك .

و يضربك الرب بجرح[1] ردىء على ركبتيك و ساقيك و لايكون لك ،
و يسلط عليك الجراحات من قرنك[2] إلى قدمك . و يسوقك الرب ،
و يسوق ملكك الذى ملكته عليك إلى شعب لم يعرفه أبوك ، و تعبد
هناك آلهة عملت من خشب و حجارة . و تكون[3] مثلا و عجبا و يفكر فيك
كل من يسمع خبرك - ثم قال[4] : و يولد لك بنون و بنات و لايكونون[5] ٥
لك ، بل يسبون ، و ينطلق بهم مسبيين . ثم قال[6] : و يسلط الرب عليك
شعبا يأتيك و أنت جائع ظمآن ، و تخدم[7] أعداءك الذين يسلطهم[8] الله
عليك من بعيد من أقصى الأرض . و يسرع إليك مثل طيران النسر
شعب لاتعرف لغتهم . شعب وجوههم صفيقة لاتستحيي من الشيوخ ،
و لاترحم الصبيان . و يضيق عليك فى جميع قراك حتى يظفر بسوراتك[9] ١٠
المشيدة التي تتوكل عليها و تثق بها . و تضطر حتى تأكل[10] لحم ولدك[11]
من الحاجة و الضيق الذى يضيق عليك عدوك ، و الرجل المدلل [منكم -[12]]
المتلذذ المفيق تنظر عيناه إلى أخيه و حليلته و إلى من بقي من ولده جائعا ،
و لايعطيهم من لحم ابنه الذى يأكل ، لأنه لايبقى عنده شيء من الاضطهاد

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بجرج (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فرقك (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يكون (٤) بعد آيتين . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يكون (٦) بعد خمس آيات (٧) من ظ و م و مد . و فى الأصل : يخدم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يسلط (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بسواراتك (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يأكل (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مولدك . (١٢) زيد من م و مد .

و الضيق الذى يضيق عليك عدوك[1] فى كل قراك ، و المرأة المخدرة[2] المدللة المفيقة التى لم تطأ الأرض قدماها[3] من الدلال[4] تنظر عيناها[5] إلى زوجها و إلى ابنها[6] و بنتها[6] و إلى ولدها التى[7] تلد ، و هى تأكلهم ، و ذلك من الحاجة و[8] الفقر و عدم الطعام مما يضيق عليك عدوك و يضطهدك فى جميع قراك .

و لما بين سبحانه أنه قادر على إذلال العزيز بعد ضخامة عزه ، بين أنه مقتدر على إدالته[9] [على -[10]] من قهره بعد طول ذله إذا نقاه من درنه و هذبه من ذنوبه ، فقال تعالى مشيرا بأداة التراخى إلى عظمة هذه الإدالة[11] بخرقها للعوائد : ﴿ثم رددنا﴾ أى بما لنا من العظمة /، و عجل لهم[12] البشرى بقوله تعالى : ﴿لكم﴾ أى خاصة ﴿الكرة﴾ أى العودة[13] و العظمة ؛ و بين أن ذلك مع السطوة بقوله سبحانه : ﴿عليهم﴾ قال بعض المفسرين[14]: فى زمان داود عليه السلام ﴿و امددناكم﴾ أى أعنّاكم

/ ٢٧١

(١) العبارة من « و الرجل المدلل » ص ٣٠٩ س ١٢ إلى هنا ساقطة من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المتخدرة (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قدماك (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الدلالة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عيناك (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) فى مد : الذى (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل ؛ فى (٩) من م و مد ، و فى الأصل : ازالته ، و الكلمة ساقطة من ظ (١٠) زيد من م و مد (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الادلة (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكم (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العود (١٤) راجع روح المعانى ٤/٤٧٨ .

بعظمتنا

بعظمتنا ﴿بأموال﴾ تستعينون بها على قتال أعدائكم ﴿و بنين﴾ أى تتقوون[1] بهم[2] ﴿و جعلنٰكم﴾ أى بعظمتنا ﴿اكثر﴾ أى من عدوكم ﴿نفيرا ٥﴾ أى ناسا[3] ينفرون معـــكم[4] إذا استنفرتموهم للقتال و نحوه من المهمات ، [و الظاهر ـ[5]] أنه ليس المراد[6] بهذه المرة ما كان على يدى[7] داود عليه السلام لأن الله يقول فى هذه[8] المرة الثانية "و ليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة" و داود عليه السلام أسس المسجد و لم يكمله ، إنما أكمله[9] ابنه سليمان عليهما السلام من بعده[10] ، و الذى غر من قال [ذلك ـ[3]] أن بنى إسراءيل كانوا قهروا قبل داود عليه السلام من الفلسطينيين[11] و غيرهم ، ثم كان خلاصهم على يده[12] عليه السلام ـ كما مضت الإشارة إليه فى سورة البقرة ، قال فى الزبور فى المزمور الثالث[13] عشر[14]: من يعطى صهيون الخلاص لإسراءيل ؟ إذا رد الرب سبى شعبه[15] يتهلل يعقوب و يفرح إسراءيل ؛ و فى الثالث و الأربعين : اللهم ! إنا قد سمعنا بآذاننا

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : تتقون (٢) فى ظ : بها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ناس (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منكم (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : يد (٨) سقط من م (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كلمه ـ كذا (١٠) وفى الروح : ودفع بأن حقيقة المسجد الأرض لا البناء ، أو يحمل قوله تعالى «دخلوه» على الاستخدام (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الفلسطين (١٢) فى ظ : يديه (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الثلاث (١٤) و فى الأسفار القديمة التى بحيازتنا : فى المزمور الرابع عشر ؛ و نفس الزيادة تنسحب على كل من المزامير الآتية (١٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شعبة .

و أخبرنا آباؤنا بالأعمال التى صنعت فى أيامهم الأولى، فلنسبحك يا إلهنا كل يوم، و نشكر اسمك إلى الدهر، الآن[1] أضعفتنا و أقصيتنا، و لم تكن يا رب [تصحب -[2]] جيوشنا، لكن رددتنا[3] على أعقابنا عن[4] أعدائنا، و [5]اختطفنا مبغضونا[5]، جعلتنا مأكلة كالغنم، مددتنا[6] بين الشعوب، بعت شعبك بلا ثمن، أقللت كثرة عددهم، صيرتنا عارا فى جيرتنا، هزءا و طنزا[7] لمن حولنا، صرنا مثلا فى الشعوب، و هزا[8] للرؤس فى الأمم، حزنى[9] بين[10] يدىّ النهار كله، الخزى [غطى -[2]] وجهى، من صوت المعير، اللهم! إن هذا كله قد نالنا و لم ننس اسمك، و لا نكثنا عهدك[11]، و لا صرفنا قلوبنا عنك، عدلت بتصدنا عن سبلك، أنزلتنا[12] محال وعرة، غشيتنا بظلال الموت، و لم ننسك يا رب؛ و قال فى المزمور الثامن و السبعين و الذى بعده: اللهم! إن الأمم دخلت ميراثك و نجست هيكل قدسك، جعلوا أورشليم خرابا كالحرس[13]، و صيروا جثث عبيدك

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لان (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رددنا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: احفظتنا منعمونا - كذا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يدتنا، و فى مد: بدونتا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: طهرا (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هذا (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حرى - كذا (١٠) زيد فى الأصل: الناس، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عندك (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انزلنا (١٣) من م، و فى الأصل و مد: كالمجوس، و فى ظ: كالحرس.

طعاما لطير السماء ، و لحوم أصفيائك لوحوش الأرض ، سفكوا دماءهم كالماء حول أورشليم[1] و ليس لهم دافن ، صرنا عارا فى جيراننا[2] ، هزءً و طنزا لمن حولنا ، حتى متى تسخط يا رب ، دائما يشتعل[3] مثل النار غضبك ، أفِض[4] رجزك على الأمم الذين لا يعرفونك و على الملوك الذين لم يدعوا اسمك ، فانهم أكلوا يعقوب و أخربوا دياره ، [5]لا تذكر خطايانا الأولى[5] بل تغشانا رأفتك سريعا ، لأنا قد تمسكنا جدا ، فكن لنا معينا يا إلهنا و مخلصنا ، و نمجد اسمك يا رب ، نجنا و اغفر لنا[6] خطايانا لأجل اسمك الكريم ، لئلا تقول الأمم : أين إلههم ؟ عند ذلك تعلم الشعوب و تنظر عيوننا انتقام دماء[7] عبيدك المسفوكة ، و ليدخل إليك تنهد الأسارى ، و كمثل عظمة ذراعك أنقذ بنى[8] المقتولين ، جازِ جيراننا فى حضنهم[9] للواحد سبعة بالعار الذى عيروك يا رب ! نحن شعبك و غنم رعيتك ، نشكرك إلى الأبد و نخبر[10] بتسابيحك من جيل إلى جيل . [11]أنصت يا راعى

(١) من م و مد ، و فى الأصل : ارسليم ، و فى ظ : اورسليم (٢) فى ظ و م و مد : جيرتنا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يشعل (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : انفضى (٥-٥) من م . و فى الأصل : لا يذكر خطايانا الاول ، وفى ظ : لا تذكر خطايانا الاول (٦) العبارة من « لا تذكر » إلى هنا ساقطة من مد. (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دم (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : من (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جعلهم (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تجهر (١١) و من هنا يبتدئ المزمور الثمانون عندنا .

إسرائيل الذى هدى يوسف كالخروف . انظر أيها الجالس على الكروبين ، استعلن قدام [إفرام -[1]] و بنيامين [و منشا -[1]] . و أظهر جبروتك و تعال لخلاصنا ، اللهم ! أقبل و أشرق وجهك علينا و خلصنا ، اللهم ربنا القوى ! حتى متى تسخط على صلاة عبيدك ، و تطعمهم الخبز بدموعهم

٥ و تسقيهم / الدموع بالكيل ، جعلتنا عارا لجيراننا[2] ، و استهزأ بنا أعداؤنا ، اللهم[3] رب القوات ! أقبل بنا و أشرق وجهك علينا و خلصنا ، أنت نقلت الكرمة من مصر ، طردت الشعوب و غرستها ، سهلت طريقا أمامها ، مكنت أصولها ، امتلأت الأرض منها ، ظلل الجبال ظلها[4] و أغصانها على أرز الله ، كذلك[5] امتدت عروقها إلى البحر و إلى الأنهار

١٠ فروعها ، ثم إنك هدمت سياجها ، و قطعها كل عابرى السبيل ، خنزير الغاب أفسدها ، و حيوان الوحش رعتها ، اللهم رب القوات ! اعطف علينا ، و اطلع من السماء ، و انظر و تعاهد هذه الكرمة ، و أصلح[6] الغرس الذى غرسته يمينك[7] و ابن الإنسان الذى قويته ، و لتهلك الذين أحرقوها بالنار برجزك[8] . و لتكن يدك على رجل يمينك و ابن الإنسان [الذى -[9]]

/٢٧٢

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى م : لجيرتنا (٣) سقط من ظ (٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ظلما (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لذلك . (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اطلع (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بيمينك (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حرك (٩) زيد من م .

اصطفيته[1] لك ، لاتبعدنا منك [2]و أنقذنا لنمجد[2] اسمك ، اللهم رب القوات ! اعطف علينا و أشرق وجهك علينا [3]و خلصنا[3] ؛ و فى الرابع و الثمانين : رضيت يا رب عن[4] أرضك ، و رددت [سبى يعقوب ، غفرت ذنوب شعبك ، سترت جميع خطاياهم ، سكنت كل رجزك ، و رددت -[5]] شدة غضبك ؛ و فى الثامن و الثمانين[6] : قدوس إسراءيل ملكنا[7] بالوحى ، كلمت نبيك و قلت : إنى جعلت عونا للقوى ، رفعت مختارا من شعبى ، و وجدت داود عبدى ، مسحته بدهن قدسى ، يدى أعانته ، و ذراعى قوته ، عدوه لا يضره ، و ابن الخطيئة لايذله ، و قطعت أعداءه من بين يديه ، و لمغضبيه[8] قهرت ، أماتى و رحمتى معه ، و باسمى [9]يرتفع قرنه[9] ، جعلت فى البحار طريقه ، و فى الأنهار يمينه ، هو يدعونى : أنت [أبى و -[10]] إلهى ، ناصرى و خلاصى ، و أنا أجعله بكرا رفيعا على جميع ملوك الأرض و أحفظ[11] عليه رحمتى إلى الأبد ؛ ثم قال[12] : و أنت رفضت و أقصيت

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل : اصفيته ، و فى ظ : اصلته (٢ - ٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : انقذ لمجدت (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ وم و مد. (٦) راجع آية ١٨ و ما بعدها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ملكا. (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لمتعيه (٩ - ٩) من م و مد ، و فى الأصل وظ : ترتفع قوته (١٠) زيد من م (١١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : احفظه (١٢) راجع آية ٣٩ و ما بعدها .

مسيحك ، و نقضت عهد عبدك فى الأرض ، و دنست[1] قدسه ، و هدمت جميع سياجه ، وكل حصونه أخفت ، اختطفه[2] عابرو السبيل ، صار عارا فى جيرته ، [رفعت -[3]] يمين أعدائه ، فرحت جميع مبغضيه ، رددت نصرة سيفه ، لم تعنه فى الحرب ، أبطلت شجاعته ، طرحت[4] فى الأرض كرسيه ، صغرت[5] أيام سنيه[6] ، صببت حزنا عليه ، فحتى متى تسخط يا رب ؟ إلى الأبد يتقد مثل النار رجزك ، اذكر خلقك لى ، فانك لم تخلق الإنسان باطلا . من هو الإنسان الذى[7] يعيش و لايعاين الموت أو ينجى[8] نفسه من الجحيم ؟ اللهم ! أين رحمتك القديمة التى حلفت[9] بحقك لداود عليه السلام ؟ اللهم[10] ! أعداؤك عيروا[11] آثار مسيحك ، تبارك الرب إلى الأبد ، [يكون يكون -[12]] ؛ و فى الخامس بعد المائة[13] : خلصنا يا إلهنا[14] و اجمعنا من الأمم لنشكر[15] اسمك القدوس ، و نفتخر بتسبيحك ، تبارك

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دلت (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احتفظه (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كرمت (٥) زيد فى مد : آيات (٦) من م و مد و ظ ، وفى الأصل : سنته ، و فى المزمور : شبيبته (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : بالذى (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سجن - كذا (٩) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : خلقت (١٠) سقط من ظ (١١) من المزمور ، و فى النسخ كلها : غيروا (١٢) زيد من ظ و م ومد ، وموضعه فى المزمور : آمين فآمين . (١٣) راجع آية ٤٨ و ما بعدها (١٤) زيد فى الأصل : و ارحمنا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م ومد و لا المزمور فحذفناها (١٥) من م ومد ، وفى الأصل : ليشكر ، و فى ظ : انشرك - كذا .

الرب إله إسرائيل من الآن و إلى الأبد ، يقول جميع الشعب : يكون[١] ؛
و فى الخامس و العشرين بعد المائة : إذا رد[٢] الرب سبى صهيون صرنا
كالمتعزيين[٣] ، حينئذ تمتلئ أفواهنا فرحا و ألسنتنا تهليلا ، هناك يقال فى
الأمم : قد أكثر [الرب -[٤]] الصنيع إلى هؤلاء ، أكثر الرب[٥] الصنيع
إلينا فصرنا فرحين ، يا رب اردد سبينا[٦] كأودية اليمن[٧] ، الذين يزرعون ٥
بالدموع و يحصدون بالفرح[٨] ، كانوا[٩] ينطلقون يبذرون زرعهم[١٠] باكين
و يأتون مقبلين بالتهليل حاملين غلاتهم ؛ و فى السادس و الثلاثين بعد
المائة : على أنهار بابل جلسنا هناك [و بكينا -[٤]] حين[١١] ذكرنا صهيون ،
و علقنا قيتاراتنا على الصفصاف الذى فى وسطها ، لأن الذين سبونا
سألونا [هناك -[٤]] قول التمجيد ، و الذين انطلقوا قالوا : سبحوا / لنا من ١٠
٢٧٣ / تسابيح صهيون ! كيف نسبح لكم[١٢] تسابيح الرب فى أرض غريبة ؟ إن
نسيتك يا يروشليم فتنسانى يمينى ، و يلصق لسانى [١٣]بحنكى إن لم أذكرك[١٣]
و إن لم أسبق و أصعد إلى يروشليم فى ابتداء فرحى ، اذكر يا رب بنى أدوم[١٤].

---

(١) زيد فى م و مد : يكون (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اراد .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كالمتعذبين - كذا (٤) زيد من ظ
و م و مد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : سيدنا (٧) فى م : التيمن (٨) من ظ
و م و مد ، و فى الأصل : بالفزع (٩) فى ظ : كما (١٠) سقط من مد .
(١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حتى (١٢) زيد فى الأصل و ظ : من ،
و لم تكن الزيادة فى م و مد و المزمور فحذفناها (١٣-١٣) من ظ و م و مد ،
و فى الأصل : يحبك ان اذكرنى - كذا (١٤) فى ظ : بنى اسرائيل .

فى يوم [١]أورشليم تقائلين[١] : اهدموا إلى الأساس . يا ابنة بابل الشقية! طوبى لمن يجازيك جزاء صنيعك[٢] بنا . طوبى لمن أخذ أطفالك[٣] و ضرب بهم الصخرة .

و هذا الذى فى هذا المزمور إيذان بما[٤] يحل بهم من بختنصر[٥] ، و قد تقدم غير مرة أن ما كان فيما ينقل من هذه الكتب القديمة من لفظة توهم[٦] نقصا كالأب و نحوه فانها على تقدير صحتها عنهم لا يجوز إطلاقها فى شرعنا ، و الظاهر أن هذه [٧]الإدالة المذكورة[٧] فى القرآن فى هذه [٨]الكرة هى[٨] التى كانت فى أيام عزير عليه السلام على يد كورش ملك الفرس - كما سيأتى إن شاء الله تعالى ، و أن الذين[٩] كانوا قهروهم [١٠]أولاً هم[١٠] أجناد بختنصر - كما تقدم ، ففى سفر أنبياء [بنى -[١١]] إسرائيل الذين كانوا بعد موسى عليه السلام[١٢] أن الله تعالى أوحى إلى إرميا بن حلقيا[١٣]

(١ - ١) من المزمور ، و فى الأصل و ظ : اوبروسليم القائلون ، و فى م : اورشليم القائلون ، و فى مد : اروشليم القائلون (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : صنعيك (٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل : اصفالك (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تحقير . (٦) فى ظ : يوهم (٧ - ٧) من م و مد ، و فى الأصل : الادالة المذكور ، و فى ظ : الادالة المذكورة (٨-٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : المرة هى الكرة. (٩) من م و مد ، و فى الأصل : الذى ، و الكلمة ساقطة من ظ (١٠-١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اولادهم (١١) زيد من ظ و م و مد (١١) راجع سفر إرميا - الاصحاح الأول (١٣) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : خلفيا .

من

من[١] الأحبار الذين كانوا فى عناثوث[٢] فى أرض بنيامين على عهد يوشيا ملك يهوذا فى السنة الثالثة عشرة[٣] من ملكه يتوعدهم بأنهم إن لم يرجعوا عما أحدثوا من الضلالات سلط [عليهم -[٤]] ملك بابل ، و لم [يزل -[٤]] يحذرهم مثل ذلك و يخبرهم[٥] بما يحصل لهم من الشر بذنوبهم إلى أن تمت أيام يواكيم بن يوشيا ، [٦]و فى إحدى عشرة سنة لصديقيا[٧] ابن يوشيا إلى يوم سبيت[٨] أورشليم[٩] فى الشهر الخامس ، و هو شهر آب ، و كان يخبرهم بأن ملك بابل يأسر صديقيا ملك اليهود ، و يسوقه مع الأسرى إلى بابل ، و يستمرون فى أسرهم [سبعين -[٤]] سنة ثم يردهم الله تعالى إلى بيت المقدس .

قال إرميا عليه السلام : إن الله تعالى قال لى : من قبل أن أصورك فى البطن عرفتك ، و خصصتك لى نبيا من قبل أن تخرج [من الرحم -[٤]] و جعلتك[١٠] نبيا للشعوب ، فقلت : أطلب إليك يا رب و إلهى أن تعفينى ، لأنى لست أعلم أن أنطق[١١] لأنى حدث ، فقال لى الرب : لا تقل : إنى حدث . لأنك [١٢]تتوجه إلى[١٢] كل ما أرسلك فيه و تجمع ما آمرك به

(١) من السفر ، و فى النسخ كلها : بن (٢) من م و مد ، و فى الأصل : عنا بوت ، و فى ظ : عناتوب (٣) فى م : عشر (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نخبرهم (٦) العبارة من هنا إلى « لصديقيا بن يوشيا » ساقطة من مد (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بصرما - كذا (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : السبت (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و يرسليم (١٠) زيد فى الأصل : لى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و سفر إرميا فحذفناها (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انطلق (١٢ - ١٢) فى م : متوجه فى .

من القول ، فأدّه ، و لاتخف لأنى أنا معك أنقذك من كل آفة ، و إن الرب مد يده و قربها إلى فىّ [١] ، و قال [لى - [٢]] الرب : قد صيرت أقوالى [فى - [٣]] فيك ، فاعلم أنى قد سلطتك اليوم على جميع مملكات الأمم لتهدم و تنقض و تهلك ، و تستأصل [٤] و تبكت و تتنبأ [٤] و تقدسنى ،
٥ ثم أوحى إلىّ الرب [٥] و قال [٦] : ما الذى رأيت يا إرميا ؟ فقلت : رأيت غصنا [٧] من شجر اللوز ، فقال لى [الرب - [٨]] : ما أحسن ما رأيت ، لأنى معجل فصل أقوالى ؛ ثم أوحى [إلىّ الرب - [٩]] ثانية : ما الذى رأيت ؟ فقلت : رأيت منجلا منصوبا و وجهه إلى ناحية الجربياء - أى [١٠] الشمال - فقال لى [١١] الرب : من ناحية الجربياء [١٢] ينفتح الشر [١٢] و ينزل فى
١٠ جميع الأرض التى [١٣] ليهوذا ، فهأنا مرسلك أن تدعو جميع عشائر [١٤] مملكات الجربياء ، يقول الرب . فيأتون و يلقى كل رجل [منهم - [٩]] كرسيه فى مدخل [أبواب - [٩]] أورشليم ، و يحوطون بسورها كما

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : أنى (٢) زيد من مد و السفر (٣) زيد من السفر (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل : و تكسب رسا - كذا ، و ما بين الرقمين ساقط من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « اللوز فقال لى » ساقطة من ظ . (٦) زيد فى الأصل و م و مد : لى ، و لم تكن الزيادة فى السفر فحذفناها (٧) من م و مد ، و فى الأصل : قضبا (٨) زيد من م و السفر (٩) زيد من ظ و م و مد . (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الى (١١) سقط من م (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الذى (١٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شعاير .

يدور ، و بجميع[1] قرى يهوذا ، و أنتقم منهم بأحكامى و قضائى من أجل[2] جميع سرورهم و بسوء أعمالهم ، لأنهم اجتنبونى و[3] بخروا لآلهة[3] غريبة بالبخور ، و سجدوا لصنعة أيديهم . فأما أنت فشد على ظهرك ، و قم فقل عليهم[4] جميع[5] الأقوال التى آمرك[6] بها و لا تخفهم و لا تحابهم لئلا أكسرك / بين أيديهم و أذلك ، [و - [7]] قد جعلتك [اليوم - [7]] كالقرية[8] ٥ / ٢٧٤ العزيزة الممتنعة ، و مثل قضيب من حديد ، و صيرتك مثل سور من نحاس على الأرض كلها ، و على جميع ملوك يهوذا و على عظمائهم و على أحبارهم و آبائهم . و على جميع شعب الأرض ، فان[9] جاهدوك لم يقهروك لأنى معك و أنا منقذك منهم .

و لم يزل يقوم فيهم بمثل هذا من كلام فى غاية البلاغة و الرقة ١٠ بحيث يفتت[10] الأكباد ، و يصدع القلوب ، و يفيض العيون ، نحو أربع كراريس[11] ، و لو لا خوف الملالة و كراهة الإطالة لأتيت بكثير منه ، و كان المتنبئون الكذبة يقومون فيهم بخلاف ذلك مما يؤمنهم إلى أن

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يجمع (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اجلهم (٣-٣) من م ومد ، و فى الأصل : يحرسوا الآلهة ، و فى ظ : بخروا الآلهة - كذا (٤) من م و مد ، و فى الأصل : عظهم ، و فى ظ : عظيم (٥) فى ظ : هذه (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : آمرهم (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالقرية (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاذا (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تفتت (١١) فى ظ : كراديس .

ضربوا إرميا ليترك[1] عنهم مثل ذلك . فلم يكن يستطيع تركه و قال لشخص من المتنبئين اسمه حنينا[2]: إن الرب [لم يرسلك، أنت وكلت هذا الشعب على الزور ، و من أجل هذا يقول الرب - [3]] : [4]هو ذا[4] أطرحك عن وجه الأرض ، و فى هذه السنة تموت ، لأنك تكلمت بالإثم قدام الرب ، فمات حنينا النبى الكذاب فى تلك السنة فى الشهر السابع . ثم زاد تحذير إرميا لهم إلى أن حبسوه[5]، ثم[6] إن الله تعالى أمره أن يكتب لهم ما يوحيه إليه فى صحيفة و يرسلها إليهم . فدعا باروخ[7] بن ناريا[8] الكاتب و أمره بكتابة[9] ما أنطقه به لرب و قال له . هأنا [محبوس - [3]] و لست أستطيع [أن - [3]] أدخل بيت الرب ، فخذ[10] هذه الصحيفة و ادخل انت [إلى - [3]] بيت الرب فى يوم الصوم و اقرأها عليهم ، فانها كلام الرب ، لعلهم يرجعون عن طريقة السوء ، و يكف الرب عن الشر الذى قاله عليهم . لأنه عظيم الرجز[11] و الغضب الذى تكلم[12] به الرب على هذا الشعب . ففعل باروخ[7] ذلك ، فأخذوا الصحيفة من يده[13] و أوصلوها[13]

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ليتزل (٢) راجع أخريات الأصحاح الثامن والعشرين (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) فى الأصل : هو هوذا (٥) راجع الأصحاح الثانى و الثلاثين (٦) راجع الأصحاح السادس و الثلاثين (٧) من م و مد و سفر إرميا ، و فى الأصل و ظ : باروح (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بارنيا ، و فى السفر : نيريا (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان يكتب (١٠) فى ظ : فخذوا ، و فى م : خذ (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الزجر (١٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : يتكلم (١٣-١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاوصلوها .

إلى

إلى الملك يواقيم [ن يوشيا -[١]] فشققها[٢] و أحرقها بالنار . فأمره الله[٣] أن يكتب صحيفة أخرى مثلها و يزيد ما يأمره[٤] الله به[٥] ، و منه أن يواقيم ملك يهوذا لا يكون له من[٦] يجلس على كرسى داود عليه السلام ، و جيفته تكون مطروحة فى السموم بالنهار و فى الجليد بالليل ، و آمر به و[٧] بذريته و بعبيده ، و آتى على أورشليم و على [كل -[٨]] سكانها و على بيت يهوذا بكل الشر الذى قلت عليهم ، لأنهم لم يسمعوا صوتى .

[٩]و لما ملك صاديقيا[١٠] على اليهود ، و كانت السنة العاشرة من ملكه ، و هى الثامنة عشرة[١١] لبختنصر ملك بابل ، أحاطت جيوش [ملك -[١٢]] بابل بأورشليم ، و كان إرميا النبى محبوسا فى دار حرس الملك ، حبسه فيها صاديقيا ملك يهوذا . و قال له : ما لك تتنبأ و تقول : هكذا يقول الرب : هوذا أدفع هذه القرية و صديقيا ملك يهوذا فى يدى ملك بابل[١٣] و يضبطها ، و لا ينجو من أيدى الكلدانيين ، لأن الرب دفاع يدفعه فى يدى ملك بابل[١٣]

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فشقها (٣) راجع آية ٢٧ و ما بعدها من نفس الأصحاح (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يامر (٥) سقط من م (٦) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) سقطت الواو من ظ (٨) زيد من م و مد (٩) راجع الأصحاح الثانى و الثلاثين (١٠) مر قبل ذلك بصديقيا ، و فى السفر : صدقيا (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عشرَ (١٢) زيد من ظ و م و مد . و العبارة من بعده إلى « فيها صاديقيا ملك » ساقطة من ظ (١٣ - ١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و يكلمه فمه لفمه و عيناه [١]إلى عينيه[٢]. و ينطلق به إلى بابل ؟ [٣]فأوحى الله إلى إرميا و هو محبوس فقال: يقول الرب : هوذا أدفع هذه القرية [إلى -[٤]] ملك بابل فيحرقها بالنار ، و أنت فلا تفلت من[٥] يديه ، و لكنك أخذاً[٦] تؤخذ [و تدفع إليه - [٤]] و عيناك إلى عينيه تنظر ، و فمك إلى فمه يكلم ، و إلى بابل تذهب ، و لكن [اسمع -[٧]] يا صديقيا ملك يهوذا قول الرب[٨] ، هكذا يقول الرب[٩] عليك : إنك [لست -[٧]] تموت بالحرب ، و لكنك موت سلامة تموت ، وكالذى ناحوا على آبائك الملوك الأولين الذين كانوا قبلك ينوحون عليك و يقولون[١٠]: وا سيداه ! لأن هذا القول [الذى -[٧]] تكلمت به قاله[١١] الرب ، [١٢]هذا كله[١٢] ، و أجناد ملك بابل تحاصر أورشليم و تقاتلها .

[١٣]ثم إن صديقيا أرسل إلى فرعون بمصر ليستنجد به فخرج جنده ، فلما سمع بهم الكلدانيون انصرفوا عن أورشليم ، و حل قول الرب على

(١) العبارة من هنا إلى « و عيناك » ساقطة من ظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل : عينه (٣) راجع الأصحاح الرابع و الثلاثين (٤) زيد من م و مد. (٥) زيد فى الأصل : بين ، ولم تكن الزيادة فى م و مد والسفر فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل : اخذ (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد فى ظ و م و مد : ان (٩) زيد فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى غيره فحذفناها (١٠) فى ظ : يقول (١١) فى ظ : قال (١٢ - ١٢) موضع الرقمين فى السفر : فكلم إرميا النبي صدقيا ملك يهوذا بكل هذا الكلام فى أورشليم (١٣) و من هنا ينتقل السياق إلى الأصحاح السابع و الثلاثين .

إرميا أن هكذا يقول الرب إله إسرائيل لملك[1] يهوذا الذى بعث إلى جند فرعون ليعينوه : هوذا الآن جند فرعون / يرجعون إلى أرض ٢٧٥/ مصر ، و يرجع الكلدانيون و يقاتلون هذه القرية و يحتوون عليها و يحرقونها بالنار ، هكذا يقول الرب ، لا تظنوا فى أنفسكم أن[2] الكلدانيين[3] الذين انصرفوا عنكم ليس يرجعون ، بل إنهم يرجعون[4] و يحرقون القرية بالنار[5] ثم إن اليهود اتهموا إرميا بأنه يريد أن يفر إلى الكلدانيين فجلدوه و طرحوه فى السجن[6] ، فأخرجه[7] الملك صديقيا و سأله[8] فى البيت سرا عن قول الرب فقال له : فى يد ملك بابل تدفع ، و قال له : ما ذا أخطأت إليك و إلى عبيدك و إلى هذا الشعب إذ طرحتمونى فى السجن ؟ و أين [الذين -[9]] كانوا يتنبأون[10] لكم أنه لا يأتى عليكم ملك بابل و لا على هذه الأرض[11] ؟ فرده إلى السجن و لم ينزله إلى الجب لأنه كان لا يقدر على مخالفة أشراف مملكته.[12] ثم قال إرميا : هكذا[13] يقول الرب : من يسكن هذه القرية بالحرب

---

(١) من مد و السفر ، و فى الأصل و ظ و م : الملك (٢) من م و مد ، و فى الأصل : الا ، و فى ظ : الى (٣) فى ظ : الكلدانيون (٤) زيد فى الأصل : الى مصر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و السفر فحذفناها (٥) راجع آية ١٣ وما بعدها من نفس الأصحاح (٦) زيد فى الأصل و م و مد : فى الجب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و السفر فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و اخرجه. (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سال (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سقيالون (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القرية (١٢) راجع الأصحاح الثامن و الثلاثين (١٣) تكرر فى الأصل فقط.

فبالجوع و الموتان يذهب ، فأما من يخرج إلى الكلدانيين فانه يحيي نفسه و يعيش ، هكذا يقول الرب ، فقال الأشراف : يقتل[١] هذا الرجل لأنه[٢] يسقط أيادى المقاتلة الذين بقوا فى القرية و أيادى الشعب إذا قال هذا الكلام ، فقال الملك صديقيا : هوذا[٣] منذ وقع فى أيديكم[٤] لا يستطيع أن يغير هذا الكلام ، و لم يكن الملك يقدر يقول لهم شيئا ، فأخذوا إرميا [٥]و طرحوه[٥] فى جب إمليخيا[٦] بن الملك [فى دار السجن -[٧]] ، و الجب لم يكن فيه [ماء -[٧]] و لكن حمأة ، فغرق إرميا فى الحمأة ، و سمع عبد الملك[٨] حبشى و كان رجلا مؤمنا فقال للملك : يا سيدى ! بئس ما صنع هؤلاء القوم بالنبى إذ[٩] طرحوه فى جب ، و هو ذا يموت ، فقال الملك : خذ معك من ههنا ثلاثين رجلا ، و انطلقوا أصعدوا إرميا من الجب قبل أن يموت ، و إن عبد الملك أخذ رجالا و دخل إلى الخزانة[١٠] التى أسفل بيت الملك ، و أخذ من ثَمّ خلقانا فسبسبها[١١] [إلى إرميا -[٧]] بالحبل و قال [له -[٧]] : خذ هذه الخلقان ، و اجعلها [تحت -[٧]] إبطيك ، لئلا

(١) فى ظ و مد : نقتل (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لان (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هو هذا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ايديهم. (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فطرحوه (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اتا املحا - كذا ، و فى السفر : ملكيا (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الملك (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اذا (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الخرابة (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فسيها .

يعقرك

يعقرك الحبل ، ففعل إرميا كذلك و أصعدوه من الجب و أجلسوه فى [دار -[1]] السجن ، و أرسل الملك فأدخل إرميا إليه و جعله فى داخل ثلاثة أبيات ، مخدع[2] داخل مخدع [3]و قال[3] [له -[1]] : إنى أسألك أن لاتكتمنى شيئا ، قال إرميا لصديقيا : إنى أخاف أن تقتلنى ، و إن[4] أنا أشرت عليك لم تطعنى ، فقال صديقيا : حىّ هو[5] الرب الذى خلقنى ! إنى لا أقتلك و لاأدفعك[6] إلى الناس الذين [يريدون -[1]] نفسك ، فقال إرميا: هكذا يقول الرب إله[7] إسرائيل: لئن[8] خرجت إلى أشراف ملك بابل لتحيين نفسك. و هذه القرية تسلم و لاتحرق بالنار ، و تعيش أنت و بنوك ، و إن أنت لم تخرج إليهم فستدفع هذه القرية إلى الكلدانيين و يحرقونها [بالنار -[1]] و أنت فلا تنجو من أيديهم . [فقال الملك لإرميا: إنى أخشى من اليهود أن أخرج إلى الكلدانيين فلعلهم يدفعوننى فى أيديهم -[1]] و يهزأون بى . قال إرميا: إنهم ليس يدفعونك [فى أيديهم -[1]] ، اسمع [إلى -[1]] كلمة الرب لمنفعتك لتحيي نفسك .

[9]و حل على إرميا قول الرب إذ كان محبوسا فى دار الحرس : انطلق فقل للعبد[10] الحبشى الذى للملك: هكذا يقول الرب القوى إله

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل : فرج ، و الكلمة ساقطة من ظ (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقال (٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل «و» (٦) فى ظ : لا ادفع (٧) زيد فى ظ : بنو (٨) فى م : ان (٩) راجع آية ٥ ، وما بعدها من الأصحاح التاسع و الثلاثين .
(١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: لعبد .

إسرائيل[1]: هو ذا آتى على هذه القرية بالشر. و يكونون قدامك فى ذلك اليوم، و أنجيك، قال الرب: و لا تدفع فى يد القوم الذين لا يخشون الله، و لا [2]تسقط [فى الحرب - [3]]، و لكنك تنجو بنفسك لأنك توكلت على ما قال [لك - [3]] الرب. [4]و جلس إرميا فى دار السجن حتى اليوم الذى أخذ فيه الكلدانيون أورشليم فى السنة التاسعة لصديقيا ملك يهوذا فى الشهر العاشر، و فى تسعة من الشهر أتى بختنصر[5] ملك بابل فى[6] كل أجناده إلى أورشليم و حلوا عليها، و فى إحدى عشرة[7] سنة لصديقيا فى الشهر الخامس انثلمت القرية. فأتى كل أشراف [ملك - [3]] بابل إلى الباب[8] الأوسط، فلما رأى صديقيا أنهم / قد جلسوا فى الباب الأوسط ٢٩،٦ / و قد هرب المقاتلة و خرجوا بالليل[9]، خرج الملك أيضا من الباب الذى بين السورين فى طريق نيسان. فلما صار إلى الصحراء طلبه جند الكلدانيين[10] على الأثر. فأدركوه فى صحراء أريحا و افترق عنه أجناده[11] فساقوه حتى أصعدوه إلى بختنصر[5] ملك بابل فى ديلاب من أرض حماة، و ذبح

(١) زيد فى الأصل: سيد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٢) زيد فى الأصول: تخشى، و لم تكن الزيادة فى السفر فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) راجع الآية الأخيرة من الأصحاح الثامن و الثلاثين والأصحاح التاسع والثلاثين بالإضافة إلى الأصحاح الثانى و الخمسين (٥) من ظ، و فى غيره: بخت ناصر (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م، مد، و فى الأصل: عشر (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باب (٩) فى م و مد: فى الليل (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الكندانيين (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اخباره.

[ملك بابل -[١]] بنى[٢] صديقيا وكل أشراف يهوذا ، و أعمى عينى صديقيا و أوثقه فى السلاسل لكى يذهب به إلى بابل ، و أحرق بيت الملك و بيوت الشعب بالنار ، و استأصل السور المحيط بأورشليم ، و كذا بقية الشعب الذين بقوا[٣] فى القرية و الذين هربوا إليه سباهم و دفعهم إلى وازردان[٤] صاحب شرطتـــه ، فانطلق بهم إلى بابل ، و مساكين الشعب - الذين ٥ [ليس -[١]] لهم[٥] شىء[٦] - تركهم فى أرض يهوذا ، و استعمل عليهم أخيقام ابن شافان ، و أمر بختنصر[٧] صاحب شرطته أن يأخذ إرميا و قال : لتكن عينك عليه ، و لا تفعل به[٨] بأسا[٩] ، و ما قال لك [من شىء -[١]] فافعله ، فأرسل إلى إرميا فأخذه من دار الحبس ، و دفعه إلى أجدليا بن أخيقام ابن شافان ليرده إلى بيته ، [١٠] و قال وازردان صاحب الشرطة لإرميا : إلهك ١٠ الذى قال هذا الشر على [هذه البلدة ، و فعل كالذى قال ، لأنكم أخطأتم للرب و لم تسمعوا صوته ، فأنزل بكم -[١]] هـــذا الأمر ، و أما أنت فهأنذا [قد -[١]] أحللتك من السلاسل التى كانت فى يديك ، فان شئت أن تأتى معى إلى بابل [فتعال -[١١]] ، و إن شئت فأقم[١٢] ، فهذه الأرض

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بين (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعثوا (٤) فى السفر : بنوزرادان (٥) فى ظ و مد : هم (٦) من السفر ، و فى أصولنا : شيئا (٧) من ظ ، و فى غيره : بختناصر . (٨) سقط من مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ماشا - كذا (١٠) راجع الأصحاح الأربعين (١١) زيد من السفر (١٢) من ظ و م و مـــد ، و فى الأصل : فاتهم .

فى يديك كلها ، فحيثما كان خيرا[١] لك و حيث يحسن فى عينيك[٢] فانطلق إليه ، و إلا فاجلس عند [جدليا بن -[٣]] أخيقام بن شافان الذى سلطه بختنصر[٤] فى يهوذا ، و أعطاه صاحب الشرطة مواهب فى الطريق و سرحه[٥] بسلام ، فأتى إرميا[٦] إلى أجدليا بن أخيقام إلى مسفيا[٧] ، و جلس عنده مع الشعب الذين خلفهم ملك بابل فى الأرض .

هذا ما دل على أولى البأس الشديد الذين سلطهم الله عليهم ، و أما ما دل على رحمة الله لهم ففى[٨] تأريخ يوسف بن كريون[٩] أن الروم لما بلغهم أن بختنصر[٤] ملك بابل فتح[١٠] مدينة بيت المقدس ازداد خوفهم من الكسدانيين[١١] ، فأرسلوا إلى بختنصر رسلا و هدايا ، و طلبوا[١٢] منه الأمان و المسالمة ، فآمنهم و عاهدهم على طاعته[١٣] و موالاته ، فاطمأنوا و أمنوا[١٤] و انقطعت عنهم تلك الحروب إلى زمان[١٥] دارا الملك ، و كان

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خير (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عينك (٣) زيد من السفر (٤) من ظ ، و فى غيره : بختناصر (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شرحه (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بارميا . (٧) فى السفر : مصفاة (٨) من ظ م و مد ، و فى الأصل : من (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كرمون ؛ و يوسف هذا أحد أكابر اليهود ، و سيأتى ذكره مفصلا (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : افتتح (١١) من م و مد ، و فى الأصل : الكندانيين ، و فى ظ : الكلدانيين (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طلب (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: طاعاته (١٤) من م و مد ، و فى الأصل : تهنوا ، و فى ظ : انفوا - كذا (١٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : زمن .

سبب [الحروب - ١] بين الروم و بين الكسدانيين ٢ أن الكسدانيين٣ كانوا يعادون اليونانيين ، فأعان الروم اليونانيين فغضب الكسدانيون ٤ من ذلك فحاربوا أهل رومية ، و اتصلت الحروب بينهم إلى هذا الحد ، فلما انتقد٥ الله العزيز العليم على الكسدانيين٣ طول تجبرهم [و حكم -١] بزوال٦ ملكهم و انقضاء دولتهم [كما = ١] أخبرت به الأنبياء عليهم السلام ، أثار عليهم من ملوك الأمم ملكين عظيمين : أحدهما دارا ٧ ملك ماداى٨ ، و الآخر كورش ملك الفرس ، [فتزوج كورش ملك الفرس -١] بنت دارا٩ و اتفقا على معصية الكسدانيين٣ ، و أظهرا الخلاف على بلتشصار١٠ بن بختنصر ملكهم . ثم سار إلى بابل فى عساكر قوية١١ ، فأرسل إليهم بلتشصر١٢ عسكرا كبيرا ، فجرت بينهم حرب عظيمة ، قتل فيها من الفريقين خلق كثير ، ثم انهزم عسكر بلتشصر١٢ و هربوا ، فتبعهم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل : الكسرانين و ، و فى ظ : الكلدانين و - كذا (٣) من م و مد ، و فى الأصل : الكسرانين ، وفى ظ : الكلدانين (٤) فى ظ : الكلدانيون (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اسعل - كذا (٦) من م و مد ، وفى الأصل وظ : زوال (٧) فى ظ ومد : دار . (٨) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : نادا ، و أما أسفار الأنبياء فورد فيها اسمه : داريوس المادى - راجع على سبيل المثال نهاية الأصحاح الخامس من سفر دانيال . (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دار (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : بلعار ، و فى مد : بلقشعار ، و فى سفر دانيال : بيلشاصر (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : قومه (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بلعسر ، و فى مد : بلقشعر .

كورش و دارا إلى مسيرة يوم عن بابل ، و قتلا كثيرا منهم ، و أقام دارا و كورش فى ذلك الموضع ، ثم إن بلتشصر[1] بعث إليهما بألف قائد من قواده[2] و معهم[3] جميع خاصته و جبابرته ، فخرجوا من بابل آخر النهار ، و ساروا ليلتهم فانتهوا إلى عسكر دارا و كورش [عند الصباح -[4]]

٥ فكبسوهم و قتلوا [منهم مقتلة عظيمة ، فانهزم دارا و ثبت كورش فقاتل الكسدانيين و منعهم أن يتبعوا عسكر دارا ، و قامت الحرب بينهم طول النهار ، ثم استظهر الكسدانيون على الفرس و قتلوا -[4]] جماعة / منهم ، فانهزم الفرس / ٢٧٧

و عاد[5] قواد بلتشصار إليه ظافرين غانمين ، [6]فعظم سرور بلتشصار بذلك ، و صنع لقواده صنيعا عظيما أحفل فيه و أحضر[7] الآلات الحسنة من الفضة

١٠ و الذهب ، و بالغ فى إكرامهم و حضر معهم مجلس الشراب ، فأكل و شرب و عظم سرورهم و سروره ، فلما أخذ الشراب منه أراد أن يزيد فى إكرام أصحابه و سرورهم ، فأمر باحضار آلات الذهب و الفضة التى[8] كان جده بختنصر الملك قد أخذها من هيكل بيت المقدس ، و نقلها مع جالية بنى إسرائيل إلى بابل ، فأحضرت تلك الآلات بحضرة بلتشصر فشرب فيها الخمر و سقى [فيها -[4]]

١٥ قواده و نساءه و جواريه ، و أقبلوا يسبحون لأصنامهم و يحمدونها ، قال : فسخط الله سبحانه من ذلك و كره ما فعله بلتشصار من ابتذال آلات القدس[9]

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بلعسر ، و فى مد : بلقشعر (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فوايده (٣) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : معه . (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : عادوا (٦) ومن هنا يتصل السياق بالأصحاح الخامس من سفر دانيال (٧) فى م : اظهر - كذا (٨) فى ظ : الذى (٩) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : بيت المقدس .

و لم يخف من الله و لم يشكره على ما ظفره بأعدائه ، فأرسل ملاكا و أمره أن يكتب بحضرة بلتشصار ألفاظا[1] بأحمر تتضمن[2] [ذكر -[3]] ما حكم الله به عليه و على مملكته ، فحل الملاك بأمر الله عز و جل و كتب الألفاظ على حائط المجلس مقابل المنارة ، و كان يرى أصابع الملاك و هي[4] تكتب و ما رأى بقية شخصه ، و كانت تلك الأصابع شديدة البهار[5] و النور ، فلما رآها ذهل و لحقه رعب شديد [و فزع -[3]] و ارتعد جميع جسمه[6] رعدة شديدة ، و رعب جميع جنده[6] ، و لم يفهم تلك الكتابة و لا وجد فى أصحابه من يقرأها ، لأن الخط كان كسدانيا[7] و كان اللفظ عبرانيا ، فأمر[8] باحضار دانيال النبي - صلى الله على نبينا محمد و عليه و سلم - فقرأها و فسرها و قال : أيها الملك ! قد أخطأت خطأ عظيما بابتذالك آلات قدس الله بأيدى جندك[9] و جواريك فنجسوها ، و لذلك سخط الله و أرسل ملاكه حتى كتب[10] هذه الألفاظ ليعلمك ما يريد أن يفعله ، فأما هذه الألفاظ المكتوبة فهى "حسب و وزن و نقل" و تفسيرها أن الله حسب مدة دولتكم التى "قد جعلها[11] لكم فوجدها[12] قد انقضت

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفاظه (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتضمن (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ : هو (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البلاء (٦) فى ظ : جسده (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كسرانيا (٨) حسبما أشارت به عليه ملكته - كما فى سفر دانيال (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عبيدك (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كتبت (١١-١١) فى ظ : جعلوها ، و فى م : جعلها (١٢) فى ظ : فوجدوها .

و انتهت و لم يبق منها شيء ، و وزنك فى الميزان فوجدك ناقصا ، يريد[1] أنه جربك بالإحسان إليك و الظفر بأعدائك فوجدك غير شاكر لإحسانه و لم تحمده ، بل سبحت الأصنام ، و أما تفسير ' نقل ' فان الله قد قضى و حكم بزوال الملك عنك و نقله إلى[2] كورش و دارا ؛ قال : فلما سمع بلتشصار ما قال دانيال ازداد خوفه و فزعه [و اضطرب قواده أيضا و فزعوا فزعا شديدا ، و انصرفوا إلى منازلهم -[3]] و هم خائفون ، فلما نام بلتشصر فى تلك الليلة جاء إليه خادم من خدمه[4] فقتله على فراشه ، و أخذ رأسه و مضى إلى دارا و كورش ، و أخبرهما بخبر بلتشصار و ما فعل من ابتذال آنية القدس[5] ، و خبر الكتابة التى كتبها الملاك قدامه و تفسير دانيال لها ، و ما أخبره به من انقضاء ملكه و انتقال دولته[6] إلى ملوك مادى و فارس بسبب ابتذاله آنية القدس[5] ، فلما سمع دارا و كورش ما أخبرهما به و نظرا رأس بلتشصار شكرا الله عز و جل و اعترفا بقدرته و أكثرا تسبيحه و تمجيده[7] ، و نذر كورش أنه يبنى بيت[7] الله بأورشليم ، و يرد تلك الآنية ، و يطلق جالية اليهود أن يرجعوا إلى بلادهم ، [ثم -[3]] سار كورش و دارا[8] من مواضعهما ، و دخلا بابل و قتلا جميع أهلها بأشد

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تريد (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خدامه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المقدس (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ملكه (٧) فى ظ : تحميده (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دار .

القتل و أعظم العذاب ، فتم[1] عند ذلك ما أخبرت به الأنبياء عليهم[2] الصلاة و السلام من انتقام الله تعالى من الكسدانيين[3] و أهل بابل و مجازاتهم بما فعلوه[4] بآنية[5] قدسه ، ثم اقتسم دارا[6] و كورش مملكة الكسدانيين[3] فأخذ دارا مدينة بابل و أعمالها / و تسلم قصر بلتشصار و جلس على سريره ، / ٢٧٨
و أخذ كورش جميع مملكة الكسدانيين[7] التي هي[8] غير بابل و أعمالها[9] ، ٥
و استقر الأمر بينهما على ذلك ، و كان دارا[6] في ذلك الوقت شيخا فلم تطل مدته ، فلما مات اتفق عظماء مادي و فارس [على أن ملكوا عليهم كورش ، و منذ ذلك الوقت صار ملك مادي و فارس -[10]] واحدا ، و بقي الأمر على ذلك و لم يتغير ، و لما[11] تسلم كورش مملكة الكسدانيين[3] . و جلس على كرسي بابل و ملك على مادي و فارس حركه الله تعالى في ١٠ السنة الأولى من ملكه ، فذكر نذره الذي كان [قد -[10]] نذر أنه [يطلق -[10]] لجالية بني إسرائيل الرجوع إلى بلدهم ، و أنه يبني قدس الله ، و يرد آلاته[12] إليه ، فأمر باحضار شيوخ [الجالية -[10]] و كبرائهم ، فأخبرهم بما قد عزم عليه من بناء بيت المقدس و إطلاقهم و قال [لهم -[10]] : من اختار من[13]

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : قيم (٢) زيد في م : افضل (٣) من ظ و م و مد ، وفي الأصل: الكسرانيين (٤) من م ، وفي الأصل و ظ و مد : فعلوا . (٥) زيد بعده في ظ : و اهل بابل ، و زيدت الواو في مد (٦) من ظ و م و مد ، وفي الأصل : دار (٧) من م و مد . وفي الأصل : الكسرانين (٨) من م و مد ، وفي الأصل : من (٩) العبارة من « و تسلم قصر » إلى هنا ساقطة من ظ (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) في مد : لم (١٢) في ظ : الانية (١٣) سقط من ظ .

جالية اليهود أن يمضى إلى مدينة القدس لبناء الهيكل الذى[1] أخربه بختنصر فليمض و يستعن بالله عز و جل فانه يعينه ، و أنا كورش عبد الإله العظيم أطلق من خزائنى جميع ما يحتاج إليه من المال و العدد لعمارة بيت الرب الذى ظفرنى بالكسدانيين[2] ، و أعطانى[3] ملكهم ، قال : فلما سمع شيوخ الجالية مقالة كورش عظم [4]سرورهم بذلك[4] و شكروا الله عز و جل على إحسانه ، و طلعوا [إلى -[5]] مدينة بيت المقدس ، و معهم جماعة كثيرة ، و معهم عزرا[6] الكاهن [عليه السلام -[5]] و نحميا[7] و مردخاى و يشوع[8] و سائر رؤساء الجالية و مقدميهم ، فبنوا بيت الله على المقدار الذى رسم لهم كورش ، و بنوا المذبح على واجبه و حدوده ، و قربوا القرابين على واجبها ، و كان كورش يطلق [لهم -[5]] كل سنة ما يحتاجون إليه لخدمة بيت الله من المال و الحنطة و الزيت و الخمر و [9]الغنم و البقر[9] ، و أطلق لهم مالا كثيرا ، و لم يزل الأمر [يجرى -[5]] على ذلك طول مملكة الفرس ، قال : ثم عظم أمر كورش و بسط الله يده على جميع الأمم و الممالك ، و فتح[10] له الحصون المنيعة و أعطاه كنوز الأرض

(١) زيد فى الأصل : قد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالكسرانيين (٣) فى ظ : اعطاك (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بذلك سرورهم (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غرر ؛ و راجع للتفاصيل الآتية سفر عزرا من أسفار الأنبياء (٧) من ظ و م مد ، و فى الأصل : نحا - كذا (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يسوع (٩ - ٩) فى ظ : البقر و الغنم (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : افتتح .

و ذخائرها ، و لم يزل مقبلا مظفرا حيثما توجه كما أخبر الله تعالى على يد أشعيا[1] النبي عليه السلام أنه يفعل ذلك بكورش[2] [من أجل -[3]] إحسانه[4] إلى بنى إسرائيل ؛ قال فى سفر الأنبياء فى نبوة *أشعيا بن آموص[5] : هكذا يقول الرب : أنا الذى [أبطل -[3]] آيات العرافين ، و أصير كل تعريفهم جهلا ، و أرد الحكماء إلى خلفهم ، و أعرف أعمالهم للناس ، ٥ و أثبت كلمة عبيدى ، و أتمم قول رسلى ، لأنه قال لأورشليم : إنها تعمر ، و لقرى يهوذا : إنها [6] تبنى و تعمر[6] خراباتها ، و يقول للغور أن يخرب و تيبس[7] أنهاره ، و يقول لكورش : ارع لتتم جميع إرادتى ، و تأمر ببناء أورشليم و تقيم هياكلها ، [8] هكذا يقول الرب[9] لمسيحه و كورش الذى آخذ[10] بيمينه لتخضع له الشعوب و يظهر على الملوك أبدا : أفتح ١٠ الأبواب بين يديه ، و لا تغلق الأبواب أمامه ، أنا أسير قدامه ، و أسهل له العسر ، أكسر[11] أبواب النحاس ، و أحطم أمخال[12] الحديد ، و أعطيه الذخائر

(١) من م و مد ، و فى الأصل : شعيا ، و فى ظ : شعيبا (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لكورش (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاحسانه (٥ - ٥) من ظ و م و مد و سفر الأنبياء ، و فى الأصل : شعيا بن اعوض ؛ و راجع المواد الآتية آية ٢٥ من الأصحاح الرابع و الأربعين .

(٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعمر و تبنى (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تنسى (٨) و من هنا يبتدئ الأصحاح الخامس و الأربعون .

(٩) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى غيره فحذفناها (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : اخذه (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكسير (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : محال ؛ و الأمخال : آلات ترفع أو تقلع بها الحجارة.

التى فى الظلمات ، و الأشياء المطمورة المستورة ، ليعلم أنى أنا الرب الذى[1] دعوته قبل مولده [إله -[2]] إسرائيل[3] ، من أجل عبدى يعقوب و إسرائيل صفيي دعوتك باسمك ، و كنيتك من قبل أن تعرفنى ، أنا الرب و لا إله غيرى - انتهى ما فى سفر الأنبياء . و لم يزل كورش يحسن إلى بنى إسرائيل حتى مات و ملك[4] بعده ابنه تمكيشه[5] فأنفذ[6] ما كان صنعه أبوه من البر إلى اليهود و إطلاق الأموال الكثيرة لهم[7] تعظيما لبيت الله ، و كان من بعده من ملوك الفرس على ذلك ، و يطلقون ما كان كورش يطلقه للقرابين و غيرها ، و يجلون بيت الله و يعظمونه و يتبركون به ، حتى[8] كان أحشويرش - و هو أردشير الملك - فتغيرت حال اليهود فى زمانه بسبب وزير استوزره من العماليق يسمى هامان ، ثم إن الله تعالى عطفه عليهم [9]بسبب زوجة[9] [له -[2]] من اليهود ، و لم يزل أمرهم مستقيما و هم تحت طاعة الفرس إلى أن ملك / الإسكندر الثانى ، قال ابن كثير[10] فى سورة الكهف[11] : و هو الذى يؤرخ له من مملكة الروم ، و قد كان قبل المسيح بنحو [من -[12]] ثلاثمائة [سنة -[12]] - [انتهى -[2]] . و هو

/ ٢٧٩

(١) فى ظ : التى (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ : بنى اسرائيل (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تملك (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تمليشه. (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : و انفذ (٧) سقط من ظ (٨) زيد فى الأصل : اذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩-٩) فى م : بزوجة . (١٠) سقط من مد (١١) راجع آية ذى القرنين (١٢) زيد من ظ و م و مد و تفسير ابن كثير .

الماقيدونى اليونانى الرومى ، ملك بعد قتل أبيه فليفوس ، و كان عمره حين ملك عشرين سنة ، وكان حكيما غارفا بسائر العلوم ، وكان الذى علمه الحكمة أرسطاطاليس الحكيم ، وكان الإسكندر يشاوره فى أموره و يرجع إلى رأيه و يتدرب[1] بتدبيره ، و لم يكن يشبه أباه و لا أمه ، و كان وجهه كوجه الأسد و عيناه مختلفتين[2] : اليمنى سوداء تنظر إلى أسفل ، و اليسرى[3] صافية اللون كعين السنور[4] تنظر إلى فوق ، و أسنانه دقيقة حادة كأسنان الكلب ، و كان شجاعا جريئا مقداما من صباه ، فلما فتح بلاد المغرب و رجع منها قصد بلاد الشام و توجه إلى بيت المقدس [فلقيه ملاك الرب فأمره أن يعظم القدس و أهلها ، ففعل ثم قصد دارا الثانى ملك الفرس -[5]] ، فلما حاذى نابلس خرج إليه سنبلاط[6] السامرى صاحبها و حمل إليه أموالا كثيرة و هدايا ، ثم سار إلى دارا فقتله ، ثم إلى ملك الهند فكذلك ، [ثم -[5]] إلى مطلع الشمس ، ثم أحب أن يرى أطراف الأرض فضرب فيها ، و رأى من الأمم و العجائب ما هو مذكور فى سيره ، و رجع فمات ببابل ، ثم كان أمر اليهود تارة [و تارة -[5]] و هم تحت حكم اليونان الذين ملكوا بعد الإسكندر ، ثم غلب الروم فكان اليهود تحت أيديهم ، وكانوا يقومون و يقعدون تارة و تارة إلى أن كثرت فيهم الأحداث ، وعظمت المصائب و الفتن ، وعم الفساد ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتدبر (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مختلفين (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاخرى (٤) فى ظ : النسور (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٦) فى ظ : سنباط .

وكثرت فيهم الخوارج[1]، واتصل القتل والغدر[2] والنهب والغارات، وقتلوا زكريا ويحيى ابنه عليهما السلام، وأطبقوا على إرادة[3] قتل المسيح ابن مريم عليهما السلام، فرفعه الله تعالى [إليه -[4]] ثم سلط عليهم طيطوس[5] قيصر [فأهلكهم -[4]] وأخرب البيت الخراب الثانى - كما سيأتى، ثم لم يقم لليهود أمر إلى الآن.

٥ [6]فلما ثبت بكون ما توعد [به -[7]] سبحانه فى أوقاته كما أخبر به بطشه وحلمه[8]، فثبتت قدرته وعلمه، أشار إلى [أن -[7]] من سبب إذلاله لمن يريد به الخير المعصية، وسبب[9] [إعزازه -[4]] الطاعة، فقال تعالى: ﴿ان احسنتم﴾ أى بفعل الطاعة على حسب الأمر فى الكتاب

١٠ الداعى إلى العدل والإحسان ﴿احسنتم لانفسكم ق﴾ فان ذلك يوجب كونى معكم[10] فأكسبكم عزا[10] فى الدنيا أو فى الآخرة أو فيهما ﴿وان اسأتم﴾ أى بارتكاب المحرمات والإفساد ﴿فلها ط﴾ الإساءة، وذكرها باللام تنبيها على أنها[11] أهل لزيادة النفرة لأن [كل -[4]] أحد يتطير من نسبتها إليه بأى عبارة كانت، فاذا تطير مع العبارة المحبوبة فكيف يكون حاله

١٥ مع غيرها.

---

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: الخوارق (٢) سقط من ظ و م و مد. (٣) زيد فى الأصل: على، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: طيلوش (٦) العبارة من هنا إلى «أشار إلى» ساقطة من ظ (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد، وفى الأصل: علمه (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ثبت (١٠-١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بالسنتكم غدا (١١) فى ظ: ان.

و لما انتهزت فرصة الترغيب فى الطاعة و الترهيب من المعصية ، عطف الوعيد الثانى بالفاء إشارة إلى أنه بعد نصر بنى إسراءيل على أهل المرة الأولى ، و لعلها أيضا مؤذنة[1] بقرب مدتها من مدة الإدالة فقال تعالى : ﴿ فاذا جآء ﴾ أى أتى إتيانا هو كالملجأ إليه قسرا على خلاف ما يريده[2] الآتى إليه ﴿ وعد الأخرة ﴾ أى وقته ، فاستأهلتم البلاء لما ٥ أفسدتم و أحدثتم من البلايا التى أعظمها قتل زكريا و يحيى عليهما السلام و العزم على قتل عيسى عليه السلام ﴿ ليسوٓءا ﴾ أى بعثنا عليكم عبادا لنا ليسوءوا ﴿ وجوهكم ﴾ أى بجعل[3] آثار المساءة بادية فيها ، و حذف متعلق اللام لدلالة الأول عليه ﴿ و ليدخلوا المسجد ﴾ أى الأقصى الذى سقناكم إليه من مصر فى تلك المدد الطوال[4] و أعطيناكم بلاده بالتدريج ، ١٠ و جعلناه محل أمنكم [و عزكم -[5]] ، ثم جعلناه محلا لإكرام أشرف خلقنا بالإسراء به إليه و جمع أرواح النبيين كلهم فيه و صلاته بهم ثَمَّ ، و هذا تعريض بالتهديد لقريش بأنهم إن لم يرجعوا[6] أبدل أمنهم[6] فى الحرم / خوفا و عزهم ذلا ، فأدخل عليهم جنودا[7] لا قبل لهم بها ، و قد فعل ذلك / ٢٨٠ عام الفتح لكنه فعل إكرام لا إهانة ببركة هذا النبى الكريم صلى الله عليه ١٥ و على آله و سلم و شرف و كرم و بجل و مجد و عظم دائما أبدا ﴿ كما دخلوه ﴾

(١) فى ظ : مودية (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نريده (٣) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : تجعل (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الطول .
(٥) زيد من ظ وم و مد (٦-٦) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : ابدلامنهم.
(٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جنود .

أى الأعداء ﴿ اول مرة ﴾ بالسيف ، و يقهروا[1] جميع جنودكم دفعة واحدة ﴿ و ليتبروا ﴾ أى يهلكوا و يدمروا مع التقطيع و التفريق ﴿ ما علوا ﴾ أى عليه من ذلك ، و قيل : 'ما' مصدرية ، أى مدة علوهم فيكون "يتبروا" قاصرا فيعظم مدلوله ، و أكد الفعل و حقق الوعد فقال : ﴿ تتبيرا * ﴾ .

٥ و قال فى التوراة إشارة إلى هذه المرة الأخيرة - و الله أعلم - بعد ما مضى من الإشارة إلى المرة الأولى سواه[2] : و إن [لم -[3]] تحفظ و تعمل بجميع الوصايا و السنن التى كتبت فى هذا الكتاب [لتتق[4] الله ربك و تهاب اسمه المحمود المرهوب ، يخصك الرب بضربات موجعة و يبتليك بها و يبتلى نسلك من بعدك ، و ينزل بك جميع الضربات التى

١٠ أنزلها بأهل مصر و تدوم عليك ، وكل وجع و كل ضربة لم تكتب فى هذا الكتاب -[3]] يبتليك الله بها حتى[5] تهلك و يبقى[6] من نسلك عدد قليل من بعد كثرتهم التى كانت قد صارت مثل نجوم السماء . لأنك لم تسمع قول الله ربك ، فيكون كما فرحكم الرب و أنعم عليكم و كثركم يستأصلكم بالعقاب و النكال ، و يدمر عليكم و يتلفكم ، و تجلون عن[7]

١٥ الأرض التى تدخلونها لترثوها ، و يفرقكم الرب بين جميع الشعوب من أقطار السماء إلى أقطارها ، و تعبدون [هناك -[3]] الآلهة الأخرى التى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يقهر (٢) راجع آية ٥٩ و ما بعدها من الأصحاح الثامن و العشرين من تثنية (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٤) فى الأصول : و تتقى ، و التصحيح بناء على نص التوراة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبقى . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على .

عملت من الحجارة و الخشب لم تعرفوها أنتم و لا آباؤكم، و لا تسكنون أيضا بين تلك الشعوب و لا تكون[1] راحة لأقدامكم، [و لكن -[2]] يصير[3] الله قلوبكم فزعة مرتجفة، و يبتليكم بظلمة العين و سيلان الأنفس، و تكون[4] حياتكم معلقة حيالكم من بعيد، و تكونون[5] فزعين الليل و النهار، و لا تصدقون أنكم تعيشون، بالغداة تقولون: متى [نمسى ؟ و بالعشى تقولون: متى -[2]] نصبح ؟ و ذلك من فزع قلوبكم و خوفكم و[6] من ظلمة أبصاركم و قلة حيلتكم، و يردكم الله إلى أرض مصر فى سفن على الحال الذى قلت لكم، لا تعودون أن تروها أبدا، و تباعون[7] هناك عبيدا و إماء، و لا يكون من يشتريكم. هذه أقوال[8] العهد التى أمر الله بها موسى[9] أن يعاهد بنى إسرائيل فى أرض موآب سوى العهد الذى عاهدهم بحوريب - انتهى.

و إنما قلت: إن هذا إشارة إلى المرة الثانية، لأنه تكرير لذلك [الذى -[2]] قدمته فى الأولى، فحمله على أن يكون مشيرا إلى غير ما أشار إليه الأول أولى. بل ربما كان متعينا، ثم أخبرنى بعض فضلاء اليهود أن علماءهم قالوا كذلك، و كان الخراب فى هذه المرة على يد طيطوس

(١) من ظ - و قد زيد فيه: من - و م و مد، و فى الأصل: لا يكون (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يضرب (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يكون (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تكون (٦) سقطت الواو من ظ (٧) فى ظ: تباعدون (٨) فى ظ: الاقوال (٩) زيدت الواو فى النسخ كلها، و لم تكن فى التوراة فحذفناها.

بعد أن تملك أبوه أسفسيانوس على الروم و رجع من الأرض المقدسة بعد موت ملكهم تيروس الذى كان أرسله لقتال اليهود لما خرجوا عن طاعته ، وكان معه يوسف بن كريون أحد أكابر اليهود ، وكان أحد من ندبه اليهود لقتال أسفسيانوس و من معه ، فأسروه و أحسنوا إليه فاستمر عندهم ، فلما مات تيروس و ملكه أصحابه[1] رجع إلى رومية و بعث ابنه للفراغ من القدس و بعث يوسف معه بعد أن استمر البيت عامرا[2] من عمارة العزير عليه السلام أربعمائة [سنة -[3]] و عشرين سنة ، و لم يدخل [بعد -[4]] هذا الخراب فى أيدى اليهود ، وكان هذا لثلاثمائة[5] سنة[6] و ثمانين سنة من ولاية الإسكندر ، و قال[7] مؤرخهم فى شرح هذا الخراب : إن طيطوس كان فى قيسارية ، فسار منها حتى انتهى [إلى -[3]] يالو فأخذ[8] من نقاوة عسكره ستمائة رجل ، و سار إلى بيت المقدس ليقف على أحوال المدينة ، و ينظر الحصن ، و يعلم ما يحتاج إلى علمه ، و يدبر[9] الأمور[10] بحسب ذلك ، و عمل على أن يراسل أهل بيت المقدس بالجميل و يدعوهم إلى المسالمة و يبذل[11] لهم الأمان ، فلما قرب / [من -[3]] المدينة /٢٨١

(١) زيدت الواو فى مد (٢) فى ظ : عمارا (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من م (٥) من م و مـد ، و فى الأصل : الثلثمائة (٦) العبارة من « و عشرين سنة » إلى هنا ساقطة من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم يدخل . (٨) من ظ و م و مـد ، و فى الأصل : قاحة ـ كذا (٩) من ظ و م و مـد ، و فى الأصل : يدمر (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : الامر (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقول .

وجد[1] الأبواب مغلقة، و ليس يخرج من المدينة و لا يدخل إليها أحد لما بين الخوارج من الحروب المتصلة، فما وجد من خاطبه من القوم، فانصرف راجعا إلى عسكره.

قال: و كان قوم من أصحاب الخوارج لما علموا بمجيء طيطوس قد خرجوا من المدينة، فكمنوا له فى بعض الطريق، فلما اجتاز بهم ٥ و هو راجع أحاطوا به و حالوا بينه و بين أصحابه[2]، فقاتلهم قتالا شديدا حتى خلص بعد أن أشرف على الهلاك، فعلم ما القوم عليه من النجدة و الشر فأعد لذلك عدته لما أراد الله من خراب القدس، و كان الله سبحانه و تعالى ملكه و عز سلطانه قد أظهر لبنى إسرائيل أمورا دلتهم على زوال أمرهم لو أنهم تبصروا[3]، منها شبه كوكب كبير له نور قوى ١٠ و ضوء شديد كان القدس يضيء منه [4]البلد كله[4] طول الليل قريبا من ضوء النهار، فأقام كذلك سبعة أيام مدة عيد الفصح[5]، ففرح به الجهال و اغتم العلماء، و منها أنهم أحضروا فى هذا العيد بقرة ليقربوها، فولدت خروفا فاستنكر الناس ذلك، و منها أن باب القدس الشرقى كان عظيما ثقيلا لا يعالجه إلا جماعة، فلما كان [فى -[6]] تلك الأيام كانوا ١٥ يجدونه كل يوم مفتوحا من غير فاتح، فيجتمع[7] الرجال المعتادون له فيغلقونه ثم يعودون إليه فيجدونه مفتوحا، فكان الجهال يفرحون و العلماء

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فوجد (٢) فى ظ: عسكره (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يبصروا (٤-٤) فى م: جميع البلد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الفصيح (٦) زيد من م (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيجتمعون.

يغتمون ، و منها أنه ظهر على بيت قدس الأقداس فى الهواء صورة وجه الإنسان شديد الحسن عظيم البهاء[١] و النور ، و منها أنه ظهر أيضا فى الجو صور[٢] ركبان من نار يطيرون فى الهواء قريبا من الأرض على بيت المقدس و على جميع أرض اليهود ، و منها أنه سمع الكهنة فى ليلة عيد العنصرة[٣] فى القدس حس جماعة كثيرة يذهبون و يجيئون فى الهيكل من غير أن يروهم[٤] بل كانوا يسمعون وطأهم فقط ، ثم سمعوا صوتا عظيما يقول[٥] : امضوا بنا حتى نرتحل عن هذا البيت ، و منها أنه [كان -[٦]] قد ظهر قبل هـذا بأربع سنين فى المدينة رجل يمشى كالمجنون و يصيح بأعلى صوت يقول : صوت من المشرق[٧] ، صوت من المغرب ، صوت من أربع جهات الدنيا ، صوت على[٨] أورشلام ، و صوت على الهيكل ، صوت على الحصن ، و صوت على الفروس[٩] ، و صوت على جميع الناس ، الويل على أورشلام ، الويل على أورشلام ، و كان لا يهدأ[١٠] من هذا الكلام ، و كان الناس يبغضونه و يزجرونه و يتصورونه بالجنون ، فلم يزل على ذلك إلى أن أحاط العدو بالمدينة ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البلاء (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : صورة (٣) هو عيد تذكار حلول الروح القدس على التلاميذ يقع بعد عيد الفصح بخمسين يوما ، و عند اليهود هو عيد تذكار نزول الشريعة فى طور سيناء . (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يرون (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقال (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل : اكد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) فى ظ : العروس ، و فى م : الغروس ، و فى مد : القروس ، و لم نتمكن من ضبط الكلمة (١٠) فى ظ : لا يهدى .

فابتدأ [فى - [1]] بعض الأيام يتكلم على عادته . فأتاه حجر فى رأسه فمات و وجد فى حائط قدس الأقداس حجر قديم مكتوب عليه « إذا صار بنيان الهيكل مربعا ملك على [أرض - [2]] بنى إسراءيل ملك عظيم ، و يتسلط على سائر الأرض » فقال قوم : هو ملك بنى إسراءيل ، وقال الحكماء والكهنة : بل ملك الروم ، و وجد أيضا حجر قديم مكتوب عليه « إذا كمل بنيان القدس و صار مربعا فانه عند ذلك يخرب » فلما وقع الحصار و انهدم أنطونيا[3] سدوا السور فصار الهيكل مربعا كما سيأتى ، و أعظم الأمارات ما كان عليه خوارجهم من[4] القتال ، و سفك دماء الخاص و العام ، و الحريق و الجوع ، بحيث أنه أحاط البلاء بهم [و بجميع الناس - [1]] و لا يجدون مهربا حتى كرهوا الحياة .

و لما خلص طيطوس من الخوارج بات فى عسكره ، ثم سار بالليل من يالو[5] ، فأصبح على[6] بيت المقدس و نزل على رأس جبل الزيتون الذى فى[7] شرقى المدينة أورشليم ، ليحجز[8] الوادى بينه و بينها و لا يخفى عليه من / يخرج إليه منها ، ثم رتب عسكره و وصاهم بالتعاون و التظافر / ٢٨٢ و اليقظة و الحذر ، و أن لا يفارق بعضهم بعضا ، و قال : إنكم تقاتلون قوما لم تقاتلوا[9] مثلهم فى البأس و الشجاعة و الصبر على القتال و البصر

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) اسم لسور موضع متصل بالقدس - كما سيأتى (٤) فى م : فى (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يالوا - و قد مر (٦) زيد فى الأصل : راس ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليحجزوا (٩) من م و مد ، و فى الأصل : لم يقاتلوا ، و فى ظ : لم يقاتلون .

بالحرب[١]، فلما رآه اليهود اصطلح رؤساء[٢] الخوارج يوحانان[٣] و شمعون و العازار على أن [لا -[٤]] يحارب بعضهم بعضا و يتفقوا على محاربة الروم، و اجتمعوا و فتحوا باب المدينة و لقوا من كان قرب من الروم، فقاتلوهم و اشتد الحرب فانهزم[٥] الروم، فردهم طيطوس و شجعهم فعادوا فكانت[٦] بينهم حرب عظيمة قتل فيها خلق كثير، و انهزم اليهود فوقفوا عند السور و بعثوا جريدة من[٧] أصحابهم فى عدد كثير من جهة أخرى، فداروا من وراء عسكر الروم، و زحف أولئك من أمامهم، فكان الروم بين العسكرين[٨] فقتل منهم خلق كثير فانهزموا، و ثبت طيطوس فى جمع[٩] من أصحابه فاشتد الأمر حتى كاد[١٠] يقتل، فقال أصحابه: امض إلى الجبل، فاختار الموت على الهزيمة و لم يزل يقاتلهم حتى تخلص بعد أن استظهر عليه اليهود ثلاث دفعات، و لما عاد[١١] اليهود إلى المدينة نقضوا عهودهم و حارب بعضهم بعضا كما كانوا، [١٢]لأن يوحانان[١٢] كان يريد الرئاسة، و كان شمعون و العازار يأبيان ذلك، و حضر عيد الفصح - و هو الفطير - فدخل يوحانان[٣] فى أصحابه إلى القدس

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى الحرب (٢) زيد فى الأصل: اليهود، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يوماتان (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و انهزم. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و كانت (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عسكرين (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جميع (١٠) فى ظ: كان (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عاهد (١٢-١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يوماتان - كذا.

فى اليوم الأول ، فلقيهم الناس بالجميل و سروا بهم ، فنزعوا[١] ما ظهر من ثيابهم فاذا تحتها السلاح ، و أخذوا على الناس الأبواب ، فقتلوا خلقا كثيرا من الكهنة و غيرهم و لم يرحموا صغيرا و لا كبيرا ، فقتل العازار و شمعون من كان خارج [القدس -[٢]] من جماعة يوحانان[٣] ، فخرج إليهم و اشتد الأمر و اتصلت الحرب ، فلما علم طيطوس زحف إلى المدينة فقال له قوم من اليهود الذين على السور : نفتح لك الباب على أن تؤمننا و تريحنا من هؤلاء الخوارج ، فلم يثق [بهم -[٢]] لما ظهر لهم من شرهم و غدرهم ، و علت الأصوات فى المدينة ، لأن بعضهم كان يريد أن يفتح لطيطوس و بعضهم[٤] يمنع ، [٥]و تبادروا[٥] إلى حفظ الأبواب [و السور ، فتقدم جماعة من الروم إلى المدينة طمعا فى أن يفتح لهم الباب -[٢]] فرماهم الخوارج بالحجارة و النشاب ، و أعانهم الذين كانوا استدعوا الروم للدخول ، ثم خرج جماعة من اليهود فهزموا الروم و أنكوا فيهم و تبعوهم إلى قرب عسكرهم ، و شرعوا يهزأون بهم و يعيرونهم[٦] بالهزيمة ، فأراد من فى العسكر أن يلاقوهم فمنعهم طيطوس و اشتد غضبه على [٧]أصحابه و[٧] قال : لست أعجب من اليهود فى غدرهم ، و لكن أعجب منكم مع بصركم [بالحرب -[٢]] و كثرة تجاربكم كيف خدعوكم ؟

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و نزعوا (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يوماثان (٤) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فتبادروا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعيرون (٧-٧) فى ظ : الصحابة .

فمضيتم إلى المدينة بغير أمرى و خالفتم وصيتى ، و لذلك انهزمتم لأنه لا يجوز للرعية أن تخالف أمر الملك ، و قد علمتم أن بعض ملوكنا قتل ابنه لأنه مضى إلى الحرب بغير أمره ، فأنتم مستحقون للقتل بعصيانى ، مستوجبون لما جرى عليكم من الهزيمة ، فسجد أصحاب طيطوس [له -[1]] و اعترفوا بخطأهم و قالوا : لا نعاود ، فأمرهم أن يعدلوا ما حول المدينة من المعاثر و الوهدات ، و يسدوا الآبار[2] ليسهل عليهم القتال و يهدم السور ، ففعلوا [ذلك -[1]] و قطعوا كل ما حول المدينة من الشجر و النبات ، و كان حولها من سائر الجهات بساتين كثيرة فيها أنواع الأشجار و الفواكه مسيرة أميال من كل جهة . فكان إذا أقبل إنسان عليها يرى أحسن منظر فلم يبق الروم من ذلك شيئا ، و كان من يعرف تلك البساتين إذا رآها بعد إتلافها يبكى و يستوحش ، و اشتغل اليهود بخوارجهم ، و اتفق[3] شمعون و العازار على يوحانان[4] و كان قد ملك القدس / و معه ثمانية آلاف و أربعمائة رجل من الشجعان ، و كان / ٢٨٣ [مع -[1]] شمعون عشرة آلاف من اليهود و خمسة آلاف من أدوم[5] - أى[6] النصارى - و كان الكهنة و جماعة من أهل المدينة مع العازار ، و حصل الناس[7] بين هؤلاء بأسوأ حال ، و كانوا إذا استظهر الروم على المدينة اتفقوا و حاربوهم . [8] فاذا دفعوهم[8] عادوا إلى الشر فيما بينهم .

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : الابواب (٣) فى ظ : اشتغل (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : يوماثان (٥) فى ظ : ازوم (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للناس (٨-٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : و اذا دفعوا .

ثم إن طيطوس أحضر كبش[١] الحديد و غيره من [٢]آلات القتال[٢] ليهدم السور ، و صنع [أبراجا -[٣]] عظيمة من الخشب توازى[٤] سور المدينة و تحتها بكر ليدفعها الرجال و تصعد عليها المقاتلة ، و أرسل إليهم رجلا من أصحابه يدعوهم إلى المسالمة فرماه بعض من على السور فقتله ، و اصطلح الخوارج [و خرجوا -[٣]] إلى الروم فقاتلوهم[٥] و أحرقوا الكبش و جميع تلك الآلات و أبعدوهم و رجعوا إلى المدينة يتقاتلون ، فلما علم[٦] طيطوس بذلك دفع الكبش على السور فهدم منه قطعة كبيرة ، فهرب من كان وراءه إلى السور الثانى ، فأبعد[٧] الروم ما سقط من حجارة السور ليتسع لهم المجال ، فاصطلح الخوارج و فرقوا أصحابهم على جهات المدينة ، و اشتد القتال بينهم و بين الروم ، [٨]و صدق الفريقان[٨] ، و تولى طيطوس الحرب بنفسه ، و أقبل يشجع أصحابه و يعدهم بالأموال و الصلات ، و شجع الخوارج أصحابهم و نادى [شمعون -[٣]] : من انهزم قتل و هدم منزله .

فلما رأى طيطوس ثبات أصحاب شمعون مال[٩] إلى جهة يوحانان ، و لأنها معتدلة وطيئة ، و أراد أن ينطح[١٠] السور الثانى ، فناداه رجل

(١) فى ظ : لبس - كذا (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : آلالات للقتل (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : توارى (٥) فى ظ : فقتلوهم (٦) زيد فى الأصل : بذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و ابعد (٨-٨) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قال (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : ينظح ، و فى ظ : نطح .

اسمه قصطور[١] من فوق السور : أسألك يا سيدى أن تشفق [على -[٢]]
هذه المدينة و الأمر يجرى على ما تحب ، فظن طيطوس صدقه فتوقف
[٣]و شرع[٣] يكلمه ، و أطال المراجعة احتيالا منه ليتمكن أصحابه من
إحراق الكبش ، ثم سأله أن يبعث [له -[٢]] شخصا من أصحابه ليتفق
٥ معه ، فأرسل إليه شخصا من وجوه الروم فقال [له -[٢]] : اقرب حتى
ألقى إليك ما لى ثم[٤] انزل ، فألقى [عليه -[٢]] صخرة فأخطأته و قتلت[٥]
رجلا كان معه ، فغضب طيطوس و دفع الكبش على [السور -[٢]]
الثانى فانهدم[٦] منه قطعة كبيرة ، فاشتد أسف قصطور فقتل نفسه ،
و تبادر اليهود فمنعوا الروم من الدخول من الموضع الذى انثلم ،
١٠ و حاربوهم إلى أن أخرجوهم عن السور الأول و قتلوا جماعة منهم ،
و اتصلت [الحرب -[٢]] بين الفريقين أربعة أيام ، و ورد على طيطوس
فى اليوم الرابع عسكر كبير من أمم مختلفة تعينه على اليهود ، فخرج
اليهود على عادتهم[٧] [فقاتلوهم -[٢]] فلم تكن لهم بهم طاقة [فانهزموا -[٢]]
و دخلوا إلى الحصن الثالث ، فأمر طيطوس برفع الحرب و كف عنهم
١٥ خمسة أيام ، [٨]و ركب[٨] فى اليوم الخامس و تقدم إلى قرب[٩] السور ،

(١) فى ظ : قسطور (٢) زيد من ظ و م و مد (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فشرع (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قتل (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فهدم (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عاداتهم (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلما كان .
(٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اقرب .

فوجد يوحانان و شمعون و أصحابهما قد خرجوا من المدينة ليحرقوا الكبش، فابتدأهم طيطوس بالسلام و خاطبهم بالجميل و الملاطفة و قال: قد رأيتم ما جرى من [هدم -[1]] هذين السورين، و ليس يتعذر هدم السور[2] الثالث، و قد علمتم أنكم ما انتفعتم فى هذه المدة بما فعلتموه، و كذلك لا تنتفعون أيضا بدوامكم على ما أنتم عليه من اللجاج فى[3] مخالفتنا. فارجعوا عن ذلك قبل أن أهدم[4] هذا السور الباقى، و أستبيح المدينة، و أخرب الهيكل، و لست أختار ذلك و لا أريده، فان رجعتم إلى طاعتنا كنا لكم على أفضل ما عهدتموه منا، و دامت لكم السلامة، و زال عنكم ما أنتم فيه من المكروه.

و أمر يوسف بن كريون أن يقرب منهم و يبلغ معهم[5] الغاية فى القول و يستدعيهم إلى المسالمة و يبذل [لهم-[6]] من الأمان و العهود ما يثقون به و يسكنون[7] إليه، فوقف قدام باب المدينة و قال: اسمعوا [منى -[8]] يا معشر بنى إسرائيل ما أنا مخاطبكم به، فانى [إنما -[9]] أخاطبكم بما ينفعكم و يعود بصلاحكم إن قبلتموه، [و -[8]] اعلموا أن محاربة الأعداء و مقاومتهم قد كانت تحسن بكم حين كانت بلدانكم عامرة، و عساكركم متوافرة[9]، و أحوالكم مستقيمة، فأما بعد[10] أن

/ ٢٨٤

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) فى م: من.
(٤) فى ظ: انهدم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منهم (٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تسكنون (٨) زيد من م (٩) من م و مد، و فى الأصل: مواقرة، و فى ظ: متواترة (١٠) سقط من ظ.

بلغتم إلى هذه [١]الحال، من[١] خراب البلدان و فناء الرجال، و ذهاب النعم و اختلال الأحوال، فكيف تطمعون فى مقاومة هذه الأمة العظيمة القوية التى قد[٢] قهرت الممالك و الأمم و استولت عليهم، فعلى أىّ شىء تعتمدون؟ [٣]فان قلتم[٣]: إنا نعتمد على الله عز و جل و نرجو أن ينصرنا كما جرت عادته مع آبائنا، فيجب أن تعلموا أنه هو الذى سلط عليكم[٤] هذه الأمة لسوء أفعالكم[٥] و كثرة ذنوبكم، لأنكم ارتكبتم المحارم، و سفكتم الدماء، و نجستم هيكل الله المقدس، و قتلتم كهنته و صلحاء أمته ظلما، فكيف ترجون من الله النصر و المعونة مع هذه الأفعال[٦] القبيحة و الله لا ينصر من عصاه، و إن كنتم تتكلون على الحصون و العدد و العساكر فأنتم تعلمون [أن -[٧]] جميع ذلك قد ذهب[٨] أكثره، و لم يبق [منه -[٧]] إلا القليل، و هذه المدينة قد هدم[٩] سوران [١٠]من أسوارها[١٠] و لم يبق غير[١١] واحد و هم[١٢] مجدون فى هدمه، و أنتم كل يوم فى نقصان و ضعف و عدوكم فى زيادة و قوة، فان دمتم على ما أنتم [عليه -[٧]] هلكتم و لم [١٣]يبق منكم باقية، فان

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المحال لمن (٢) سقط من م (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فقلتم (٤) من ظ، و فى الأصل: عليهم، و الكلمة ساقطة من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فعالكم (٦) زيد فى م: القديمة (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) فى ظ: ذكر (٩) فى ظ: ذهب. (١٠-١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منها (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الا (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انتم (١٣) و من هنا إلى ما سننبه عليه تعرضت نسخة مد لا نطماس يصعب معه إجراء المقابلة عليها.

قلتم

قلتم : إنا نختار القتل على الذل للأمم و طاعتهم ، فقد علمتم أن آباءنا و أصولنا - و هم السادة الذين يجب علينا أن نقتدى بهم - لم يمتنعوا من مسالمة الأمم الذين جاوروهم و مداراتهم ، و لو كان أمرا مكروها [1] لقد كانوا [1] أولى بكراهته منكم ، و المتقدمون منا أطاعوا المصريين فى أزمان كثيرة و ملوك الموصل و الكسدانيين [2] و الفرس ثم اليونانيين ٥ الذين جاروا عليهم و أساءوا إليهم و صبروا على ظلمهم لهم إلى أن أذن الله بخلاصهم [منهم - [3]] على أيدى [بنى - [3]] حشمناى الكهنة ، ثم أطاعوا بعد ذلك ملوك الروم إلى هذه الغاية ، و لم يروا أن عليهم نقصا فى طاعتهم ، و كذلك أنتم [إن - [3]] أطعتموهم كان ذلك أولى بكم من أن تعرضوا أنفسكم للهلاك ، و نعمتكم للزوال ، و بلدكم للخراب ، ١٠ و تحصلوا [4] بعد ذلك فى أضعاف ما كرهتموه من الذل ، و لا يعذركم فى ذلك عاقل و لا يحمد رأيكم ، على أن الروم ما زالوا محسنين إليكم ، كفوكم أمر أعدائكم من اليونانيين ، و أزالوا سلطانهم عنكم ، و أعانوكم على كثير من الأمم الذين يعادونكم [حتى غلبتموهم - [5]] و استوليتم عليهم ، فأنتم بطاعتهم [6] أولى منكم بمعصيتهم ، و قد علمتم أن الله عز و جل ١٥ قد جعل لكل أمة دولة و سلطانا سلطها فيه ، فاذا [انقضى - [3]] ذلك الزمان زالت دولتها و سلطانها فذلت لغيرها و خضعت [7] لمن كان يخضع لها ،

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : لكان وا (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : الكسرانيين (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : تخلصوا (٥) زيد من م ، و موضعه فى ظ : غلبتموها (٦) من م ، و فى الأصل : بطاعتكم ، و فى ظ : بطاعته (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : خضت - كذا .

و قد بسط الله أيديكم زمانا ، و سلطكم على غيركم دهرا ، ثم جعل الدولة و السلطان لسواكم ، و أراد أن يذلكم لهم ، فمتى خالفتم مراد الله و لم تقبلوا حكمه هلكتم ، و ليس يشك فى أن الله أراد فى هذا الزمان أن يرفع الروم و يبسط[1] أيديهم ، لأنه قد أذل [لهم -[2]] الملوك و ظفرهم بالأمم حتى أطاعهم من فى سائر جهات الدنيا ممن هو أشد منكم بأسا ، و أكثر عددا ، و أقوى سلطانا ، و كيف تطمعون فى أن تغلبوهم و أنتم تشاهدون إقبالهم و قوة[3] أمرهم و معونة الله لهم ، و ترون أنفسكم بخلاف ذلك ، و ليس يعيب الإنسان و لاينقصه طاعته لمن هو أقوى منه و أعلى يدا ، لأن الله عز و جل قد جعل أمر الخلق فى الدنيا مبنيا على أن يكون بعضهم تابعا لبعض ، و بعضهم قاهرا لبعض ، و بعضهم محتاجا إلى / بعض ، و كل صنف يخضع لمن هو أقوى منه و يذل له و يطيعه ، و ذلك ظاهر موجود فى الناس على طبقاتهم ، و فى الحيوانات على اختلافها ، و ليس يستغنى عن ذلك أحد ، و لا يذمه عاقل . و إذ[4] كان الأمر كذلك فليس ينقصكم طاعة الروم ، و لا الروم بأول من أطعتموهم و قد تقدمت[5] طاعتكم لهم منذ سنين ، و قد ابتدأوكم فى هذا الوقت بالجميل ، و دعوكم إلى المسالمة ، و بذلوا لكم الأمان ، و ضمنوا لكم الإحسان ، و ظهر منهم الإشفاق[6] على مدينتكم و قدسكم فاتقوا الله ،

/٢٨٥

(١) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : قراة (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : ان .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قدمت (٦) زيد فى الأصل و ظ : عليكم ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

و تلافوا أمركم ، و أحسنوا النظر[1] لمن بقى منكم ، فارجعوا إلى ما كنتم عليه[2] من طاعتهم[3] لتبقوا و تماسك أحوالكم ، و تسلم[4] هذه المدينة و هذا القدس الجليل قبل أن يهدم هذا الحصن الباقى فتهلكوا .

فصاح الخوارج بشتم يوسف و الفرية [4]عليه و رموه[4] بالسهام و الحجارة ، فتباعد[5] قليلا و أغلظ لهم فى الكلام و قال : يا معشر العصاة ! أخبرونى [6]ما الذى[6] حملكم على قتال [الروم - [7]] إن كنتم تقصدون بذلك صيانة القدس عن[8] الأعداء [فأنتم - [7]] قد ابتذلتموه[9] بالمعاصى و نجستموه بما سفكتم فيه من الدماء الكثيرة[10] [ظلما - [11]] ، و إن كنتم تريدون نصرة الأمة و إعزازها[12] فأنتم تقتلونها بأيديكم و تبالغون فى ظلمها و الإساءة إليها ، و هل يفعل الأعداء بكم أكثر مما فعلتموه؟[13] أو يبلغون[13] فيكم أكثر مما [قد - [11]] بلغتموه فى أنفسكم؟ أخبرونى متى كان من تقدم من أمتنا أو تأخر يغلبون من يحاربهم و يستظهرون على أعدائهم[14] بالعساكر[15] و العدد دون الصلاح

(١) فى ظ : الظن (٢) من ظ و م . و فى الأصل : اليه (٣) فى ظ : طاعتكم .
(٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عليهم و رموا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : و تباعد (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بالذى (٧) زيد من ظ و م (٨) فى ظ : على (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : ابتداتموه . و من بعده تستأنف نسخة مد .
(١٠) من ظ و م و مد . و فى الأصل : الكثير (١١) زيد من ظ و م و مد .
(١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعذارها (١٣-١٣) فى ظ : و تبالغون .
(١٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعدايكم (١٥) فى ظ و م : بالعسكر .

و التقوى ؟ و هل تخلص[1] من تخلص[1] من الشدائد إلا بطاعة الله و الدعاء له ؟ و هل [كانوا - [2]] يغلبون[3] إلا بنصر[4] الله لهم و معونته إياهم ؟ و هل كان ينصرهم[5] إلا إذا أطاعوه و اتقوه ؟ فلما عصوه سلط عليهم الأعداء و مكنهم منهم حتى قهروهم و أذلوهم ، و لم ينتفعوا بعددهم و سلاحهم و لا قدروا على مقاومة الأعداء بأسهم و قوتهم ، و قد علمتم أن الله عز و جل كفى الصالحين فى كل زمان أمر أعدائهم ، فمنهم من دعا الله عز و جل عند الشدائد فاستجاب له بلا حرب ، و أظهر[6] الآيات العظيمة فى معونتهم و كفايتهم ، فبلغوا بذلك ما لم يكونوا يبلغون إليه بحولهم و قوتهم ، و منهم من حارب الأعداء و استعان بالله عز و جل فأعانه على عدوه و ظفره به ، و لم يفعل الله مثل ذلك مع [7] العصاة ليظهر[7] فضيلة الصالحين ، اعتبروا بأبيكم إبراهيم عليه السلام ، لما أخذ فرعون إمرأته[8] ألم يضرب الله فرعون و أهله بالبلاء العظيم حتى خضع فانكسر و رد امرأة إبراهيم عليه السلام و هى سليمة ، ثم أحسن إليه و أكرمه ، فهل قدر إبراهيم عليه السلام على ذلك بالسيف و المحاربة أو[9] بالصلاح

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يخلص (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تغلبون (٤) فى م : بنصرة (٥) زيد فى الأصل : بعددهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) فى ظ : استجاب (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العصا ليظهره (٨) راجع أخريات الأصحاح الثانى عشر فى باب التكوين من التوراة ؛ و أغلب الأمثلة الآتية مستفادة من التوراة و غيرها من الأسفار القديمة (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » .

و الدعاء

و الدعاء إلى الله عز و جل ؟ و كذلك[1] فعل الله مع إسحاق عليه السلام لما أخذ أبيمالخ ملك فلسطين امرأته[2]، و قد علمتم أن موسى عليه السلام [لم يستظهر -[3]] على فرعون و عساكر المصريين حتى هلكوا و تخلصت أمة بنى إسرائيل منهم بحرب و لا عدة، بل بالدعاء و كفاية الله له، و لما[4] حارب عماليق بنى إسرائيل هل غلبوه إلا بدعاء موسى عليه السلام ٥ و صلاته ؟ و يوشع بن نون عليه السلام[5] لما عبر الأردن مع بنى إسرائيل قد كان فى جمع[6] كبير [و قوة -[3]] فهل فتح [يريحا -[3]] بالحرب أو بالآية العجيبة فى سقوط الحصن ؟ و لما أخطأ عاخان[7] بما أخذه من يريحا من الغنيمة التى نهى الله عنها بنى إسرائيل ألم يسخط الله على الأمة بسببه[8] حتى[9] غلبهم أهل مدينة[10] عاى و هم قليل . فلم يقدر بنو إسرائيل مع ١٠ كثرتهم على مقاومتهم إلى أن صلى يوشع بن نون عليه السلام و دعا إلى[11] الله عز و جل فاستجاب الله / [دعاءه -[3]] و نصر بنى إسرائيل على عاى ؟ و جدعون[12] لما غلب عسكر مدين و عماليق مع كثرتهم

/ ٢٨٦

(١) من ظ و م . و فى الأصل و مد : لذلك (٢) راجع آية ٧ و ما بعدها من الأصحاح السادس و العشرين من باب التكوين (٣) زيد من ظ و م و مد . (٤) ورد ذكر العمالقة فى عدة أصحاحات من باب العدد (٥) راجع أوائل سفر يوشع (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جميع (٧) فى الأصل : عماطار ، و فى ظ و م و مد : عاجان ، و فى سفر يوشع - الأصحاح السابع : عخان . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لسببه (٩) فى ظ : هل (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المدينة (١١) سقط من ظ (١٢) راجع آية ١١ و ما بعدها من الأصحاح السادس من سفر القضاة .

هل غلبهم إلا بمعونة الله [لهم - [١]] ؟ و اذكروا[٢] كيف انهزم عسكر الأرمن العظيم عن سبسطية[٣] بصلاة اليشع [النبي - [١]] عليه السلام و دعائه ، و قد كان أهل المدينة أشرفوا على الهلاك من الجوع ، فأوقع الله [الخوف - [١]] فى قلوب الأرمن فانهزموا بغير حرب و لا قتال ،

٥ [٤]و خرج[٤] أهل المدينة فغنموا عسكرهم و زال عنهم الجوع ، و اذكروا[٥] ما فعل الله مع نساء الملك و يوشافاط لما ظفرهما بأعدائهما بالدعاء و الصلاة ، و قد علمتم أن شمشون[٦] قبل أن يخطئ كان جبارا مظفرا ، فلما أخطأ أسره أعداؤه فصار ذليلا فى أيديهم مثل أقل الناس و أضعفهم و طحنوه بالرحى مثل الإماء ، و كذلك شاوول[٧] - و فى نسخة : طالوت - الملك لما كان طائعا لله [٨]تعالى كان الله[٨] ينصره ، فلما عصاه أسلمه الله إلى أعدائه فظفروا به ، و لم ينتفع بعساكره و عدده ، و أمصيا[٩] لما حارب أدوم غلبهم[١٠] و ظفر[١١] بهم ، فلما أخذ أصنامهم و نصبها فى بيت المقدس

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : انظروا (٣) فى ظ : سبسطته ، و فى الأصحاح السادس من الملوك ٢ : السامرة ، و فى معجم البلدان : قلت : المشهور أن سبسطية بلدة من نواحى فلسطين بينها و بين بيت المقدس يومان (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فخرج (٥) راجع الملوك والأيام من الأسفار القديمة . (٦) من القضاة - الأصحاح الرابع عشر ، و فى الأصل و م و مد : سمسون ، و فى ظ : شمسون (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ساوول ، و فى صموئيل - الأصحاح التاسع : شاول (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) مثله فى الأصحاح الرابع عشر من الملوك ٢ ، و فى ظ فقط : امضيا (١٠) سقط من ظ . (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ظفره .

سخط الله عليه ، فلما حارب يواش ملك بنى إسرائيل بعد ذلك انهزم أقبح هزيمة لخذلان الله له و تركه معونته ، و اذكروا[1] هلاك عسكر[2] سنجاريب ملك الموصل العسكر العظيم بغير[3] حرب و لا قتال بل بصلاة حزقيا الملك و الأنبياء عليهم السلام [و دعائهم ، و اعتبروا[4] بصدقيا الملك لما عصى الكسدانيين و ظن أنهم يغلبهم بعساكره و بعدته و خالف الأنبياء عليهم السلام -[5]] فى مسالمتهم ، هل[6] انتفع بذلك ؟ و هل كانت عاقبته و عاقبة الأمة إلا إلى الهلاك ؟ فهذا و غيره مما لم أذكره لكم يدلكم على عناية الله بالأخيار ، و خذلانه للعصاة الأشرار .

و ساق لهم [7]من مثل هذا[7] كلاما كثيرا بليغا ، ثم رغبهم فى طاعة أسفسيانوس بالخصوص بما[8] اشتهر من حسن سيرته ، و قال : و لو لم تعلموا ذلك إلا بما عاملنى[9] [به -[10]] من الجميل ، و قد كنت أستوجب [منه -[10]] غير ذلك لكفاكم[11] ، لأنى كنت أول من اجتهد فى محاربته ، و قتلت خلقا كثيرا من أصحابه ، و لقد كنت أعلم أنى[11] خالفت الصواب ، و لكنى لما رأيتكم بأجمعكم قد اتفقتم على

(١) راجع الأصحاح الثامن عشر من الملوك ٢ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عساكر (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بلا (٤) راجع الأصحاح السادس و الثلاثين من الأيام ٢ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قيل (٧ - ٧) ما بين الرقمين تكرر فى الأصل فقط . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عاملين (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فكفاكم (١١) فى م : انى .

محاربتهم و بعثتمونى لم أخالفكم، و بذلت المجهود فى مناصحتكم، و ثبتُّ
فى[1] حصن[2] يودنات إلى [أن -[3]] فنى أصحابى، و غلبنى الأمر،
ولم يبق لى حيلة، ثم حصلت مع الروم فما أساءوا إلىّ بل أحسنوا
و أجملوا و عفوا عنى[4] و أنا معهم إلى[5] هذه الغاية على[6] ما أحب،
٥ و قد [كنت -[3]] اجتهدت قبل حصولى معهم أن أهرب إليكم فما
تم لى ذلك، و أنا الآن أحمد الله تعالى إذ لم يسهل لى ذلك. فانى
لو كنت معكم لكنت إما أن أشارككم فى أفعالكم هذه فأكون مخطئا،
أو أخالفكم فتقتلونى ظلما، فتأملوا ما خاطبتكم [به -[3]] و لا تظنوا
أن الله ينصركم، فانكم لا تستحقون [ذلك -[3]] لأنكم قد أسخطتموه،
١٠ و استدلوا على ذلك بآية[7] عين سلوان، فانها قد كانت قريبة من الجفاف
قبل أن ينزل[8] بكم هذه العساكر، فلما[9] نزلوا غزرت فصارت كالنهر
لتعلموا أن الله تعالى يريد معونة أعدائكم عليكم، و أنا أعلم أن كلامى
لا يؤثر فيكم ليتم ما قد حكم الله به[10] من هلاك هذه المدينة و خراب
هذا القدس الجليل، و لذلك[11] قد قست قلوبكم فصارت كالحجارة بل
١٥ هى أقسى و أصلب من الحجارة، لأن الحجر قد يؤثر فيه [الماء -[3]]

(١) سقط من ظ (٢) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ: عليهم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الى (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بانه (٨) فى ظ و م: تنزل (٩) زيد فى الأصل: نزل بكم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) زيد فى الأصل: ليتم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كذلك.

إذا دام انصبابه عليه ، و أنتم لا تؤثر فيكم المواعظ الكثيرة ، ولا تلين قلوبكم ولا تنكسر ، و لكنى قد بلغت الغاية فيما يلزمنى من نصيحتكم ، فاقبلوا نصحى و أشفقوا على هـذا/ القدس [الجليل - ١] الذى بنته الأنبياء المقدسون و الملوك العظماء ، فان بقاء عزكم و ثبات أمركم مقرون ببقائه و عمارته ، و إن خرب لم يبق لكم عز و لا إقبال و لا دولة ، فاقبلوا ما بذله لكم ابن الملك من الأمان ، و ثقوا بعهده و ما ضمنه من الإحسان ، و أنا الضامن لكم عنه ، و إن اتهمتمونى بأنى[٢] أخدعكم و أريد معاونة الروم عليكم فأنتم[٣] [تعلمون - ١] أن أبى و أمى و زوجتى الكريمة علىّ و[٤] أولادى معكم ، فان ظهر لكم من طيطوس بعد مسالمتكم له ما تكرهون فاقتلوهم و اقتلونى فقد وهبتكم دماءهم و دمى [على ذلك - ١] .

/٢٨٧

ثم بكى يوسف بكاء شديدا ، و كان طيطوس يسمع كلامه فرق له و أمر باطلاق من كان من[٥] السبى فى عسكره ، و أطلق لهم أن يمضوا حيث شاءوا فمال[٦] أكثر[٧] أهل المدينة إلى طاعة طيطوس ، فمنعهم الخوارج و وكلوا بأبواب المدينة من يحفظها ، و أمروا الموكلين أن يقتلوا كل من أراد الخروج ، و لما طال الحصار اشتد الجوع ، و كان الخوارج يفتشون منازل الناس و ينهبون الطعام و يقتلون من مانعهم عنه ، فكان الناس يموتون فى المدينة [بالجوع - ١] ، و من أراد الخروج إلى ظاهر

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد فى ظ : و كما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و انتم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سو - كذا .
(٥) فى ظ : فى (٦) فى مد : فما مال - كذا (٧) سقط من م .

المدينة ليأخذ شيئا من نبات الأرض قتله الخوارج ، و إن قدر على الخروج قتله الروم ، فأفناهم ذلك . و كان طيطوس إذا سمع ذلك[1] رق لهم[2] و استعطفهم ، فلا يزيد استعطافه الخوارج إلا قسوة ، و يخاطبونه بالقبيح ليكف عن ذلك لئلا يميل معه الناس . [3]فلما رأى[3] ذلك جد[4] في إخراب[5] [السور - [6]] الثالث ليخلص[7] الناس من الخوارج ، فقسم [8]عسكره أربعة أقسام[8] و نصب كباشا على الجهات الأربع ، فخرج إليهم الخوارج فقاتلوهم قتالا شديدا[9] ، و قتلوا من الروم خلقا كثيرا ، و كانوا قد ندبوا أربعة من أشدائهم لإحراق الكباش إذا اشتغلوا بالقتال . و لم يزالوا يقاتلونهم حتى تم لهم ما أرادوا و أحرقوا الكباش و جميع آلاتها ، و نظر الروم من شجاعة اليهود و بأسهم ما هالهم[10] فانهزموا ، فردهم طيطوس و جعل يشجعهم و قال : أما[11] تأنفون أن يغلبكم اليهود بعد أن استظهرنا عليهم ، و هدمنا سورين من أسوار المدينة ، و لم يبق غير[12] سور واحد ، و قد هلك أكثرهم و ليس لهم من ينصرهم ، و نحن فعساكرنا متوافرة ، و معنا أمم كثيرة تعيننا عليهم ، ثم أمرهم أن يتركوا قتالهم حتى يهلكوا من الجوع . فضبطوا جميع

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بذلك (٢) سقط من م (٣ - ٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ليلا يرى (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : جدا . (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اخراج (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) في ظ : لخلصت (٨ - ٨) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : كثيرا (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : هالوا (١١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ما (١٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الا .

طرق المدينة ، فضاق الأمر بهم جدا و اشتد الجوع ، و لم يكن أحد[١] يقدر أن يطحن قمحا لئلا ينهب ، و لا يخبز لئلا يفضحه الدخان . فكان من عنده شيء يستقون القمح و الدقيق ، فمات كثير من الناس ، و اشتغل الأحياء بأنفسهم ، فما كانوا يدفنون موتاهم ، و كان الحي[٢] ربما أخذ ميته فألقاه فى بئر ثم يلقى نفسه بعده ليموت ، و كان بعضهم يحفر [له-[٣]] قبرا ثم يضطجع فيه[٤] حتى يموت ، و امتلأت الشوارع بالموتى . فكان الخوارج يلقونهم من السور إلى الوادى الشرقى ، فلما رآهم طيطوس اغتم و رق لهم ، و كان [٥]ببيت المقدس[٥] امرأة من أهل النعم ، أصلها من مدينة فى حيرة الأردن ، فلما كثرت الفتن هناك انتقلت فى جملة من انتقل إلى بيت المقدس بجميع عبيدها و سائر نعمتها ، و لم يكن[٦] لها غير ابن واحد صغير و هى تحبه حبا شديدا ، فلما قويت المجاعة ، و نهب الخوارج جميع ما عندها ، اشتد بها[٤] الأمر و كان ابنها يتضور[٧] من الجوع . فلما زاد بها الجوع و ما يؤلم قلبها من تضور ابنها[٨] ، أرادت قتل ابنها لتأكله ، فبقيت حائرة لا تدرى على أىّ الأمرين[٩] تحمل نفسها ، هل تقتل ولدها العزيز عليها [بيدها-[٣]] ، و ذلك من أعظم الأمور و أشنعها ، أم تصبر

(١) زيد فى ظ : ان (٢) فى مد : الميت (٣) زيد من ظ و م و مد .
(٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بيت (٦) فى ظ : لم تكن (٧) أى يتلوى ؛ و فى ظ : يتضرر (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ولدها (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الأمر .

/٢٨٨ [١]على ما[١] تراه به و بنفسها من البلاء/ و قد فارقها[٢] الصبر و عدمت الجلد، ثم زاد بها الجوع فزال عنها[٣] التمييز فقالت: يا ابنى و واحدى! قد [كنت -[٤]] آمل [٥]أن تعيش[٥] حتى تبرنى، و[٦]كنت أخاف أن تموت قبلى فأفجع بموتك، فيا ليتنى [٧]كنت قد[٧] ثكلتك فدفنتك و احتسبتك عند الله، و الآن يا ولدى فقد[٨] أحاط بنا المكروه و أيقنا بالهلاك، فالحى لا يرجو[٩] الحياة و الميت لا يدفن، و أنا و أنت هالكان، و إن مت يا بنى لم يدفنك أحد و كنت كغيرك ممن أكلته[١٠] الكلاب و طيور [١١]السماء، وقد رأيت أن أقتلك لتستريح مما أنت فيه ثم آكلك فأجعل بطنى التى[١٢] حملتك فيها[١٣] قبرا لك، و أسد بك جوعى، فيكون ذلك عوض [برك -[١٤]] بى الذى كنت أرجوه، و تنال بذلك الأجر العظيم، و يكون [٥]ذلك عارا[٥] على هؤلاء الخوارج الذين أوقعونا فى هذا البلاء، و زيادة فى سخط الله عليهم، و يذكر ذلك على ممر الدهر[١٥]، و يتحدث به بعدنا الأجيال، و يعتبر به ذوو الألباب. ثم قبضت على ابنها بيدها الواحدة و أخذت الحديدة بالأخرى و هى كالمجنونة، و حولت

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عما (٢) زيد فى ظ: من (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد فى ظ: قد. (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل: قد كنت، و فى ظ: كنت (٨) فى مد: قد. (٩) زيد فى الأصل: له، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) تكرر فى الأصل فقط (١١) و من هنا إلى ما سننبه عليه تعرضت نسخة مد لانطماس يعوق إجراء المقابلة عليها (١٢) فى ظ: الذى؛ والبطن تأنيثه أيضا لغة (١٣) فى ظ: فيه. (١٤) زيد من ظ و م (١٥) من ظ و م، و فى الأصل: الدهور.

وجهها عنه لئلا تراه و ضربته بالحديدة فمات ، ثم أخذت منه و شوته و أكلته ، فلما شم الخوارج ريح ذلك اللحم هجموا عليها فقالوا [لها -[1]]: من أين لك هذا اللحم؟ و لم[2] استأثرت به علينا؟ فقالت : ما كنت بالتى[3] أوثر نفسى عليكم فاجلسوا ، فجاءت بالمائدة و أخرجت ما بقى من جسم ابنها و قالت : هذا ولدى و أعز الناس عندى ، قتلته بيدى لإفراط الجوع و أكلت[4] من لحمه ، و هذا[5] بقية جسمه عزلتها لكم[6] ، فكلوا و اشبعوا و لا تكونوا أشد رحمة[7] لولدى منى ، و[8] لا تضعف قلوبكم عن ذلك فانه قبيح[9] لشجعان مثلكم أن تكون امرأة أقوى[10] قلبا منكم ، و أنتم أحق بأن ترضوا بهذا منى . لأنكم الذين[11] سببتم علينا البلاء حتى بلغنا هذا المبلغ ، ثم رفعت صوتها تبكى[12] و تنتحب و تنوح على ابنها ، فلما رأوا ذلك هالهم و خرجوا مذعورين و اشتهر خبرها ، فقلق الناس قلقا شديدا ، و تحققوا صحة[13] الوعيد الذى سبق من الله ، و انكسر الخوارج [لذلك -[1]] و استعظموه و أطلقوا للناس الخروج ، فخرج فى ذلك الوقت خلق كثير .

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لما (٣) فى ظ : بالذى (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اكلته (٥) فى ظ : هذه (٦) فى ظ : لها (٧) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) العبارة من هنا إلى « بهذا منى » ساقطة من ظ (٩) زيد فى الأصل : منكم ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (١٠) من م ، و فى الأصل : احوى (١١) فى ظ : الذى (١٢) زيد فى الأصل : و تنوح ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٣) من ظ و م ، و فى الأصل : شدة .

فلما اتصل ذلك بطيطوس استعظمه و اشتد خوفه من الله تعالى، فرفع يديه إلى السماء و قال: اللهم! أنت العالم بالخفيات، و المطلع على السرائر و النيات، أنت تعلم أنى لم أجئ إلى هذه المدينة لأسيء[1] إلى أهلها و لقد ساءنى أمر هذه المرأة فلا تؤاخذنى به، و طالب هؤلاء الخوارج و انتقم منهم، و ظفرنى بهم و لاتمهلهم. و أمر بالإحسان إلى من خرج إليه من اليهود، فكان كثير منهم لايقدرون على فتح أفواههم، و كثير منهم مات لما أكل الطعام، و كان الصبيان و غيرهم يختطفون الخبز إذا نظروه و ينهشونه بلا عقل، فاذا أكلوا ماتوا، فقال طيطوس ليوسف ابن كريون: ما الحيلة فى هؤلاء حتى لايموتوا؟ فقال: ينبغى أن يسقوا اللبن و الحساء الرقيق[2] أياما حتى تلين[3] أمعاؤهم، ثم الطعام بعد ذلك، ففعل ذلك فسلم منهم جماعة. و تقدم الروم إلى السور الثالث ليهدموه فخرج [إليهم -[4]] يوحانان[5] و شمعون و أصحابهما مع ما هم [فيه -[4]] من الضر فقاتلوهم قتالا شديدا، و قتلوا منهم جماعة، فأمر طيطوس بدفع[6] الكبش على[7] السور، فدفع[8] عليه فى الليل فهدم، و كبر[9] الروم تكبيرا[10] عظيما و كبر[9] اليهود من داخل المدينة، فلم يجسر[11] الروم على

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لا شيء (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الدقيق (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يلين (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يوحاثان (٦) من ظ و م، و فى الأصل: برفع. (٧) فى ظ: الى (٨) من ظ و م، و فى الأصل: فرفع (٩) فى ظ: كثر. (١٠) فى ظ: تكثيرا (١١) من ظ و م، و فى الأصل: فلم تيسر - كذا.

دخول المدينة ، فلما أصبحوا إذا سور جديد بازاء الهدم قد بناه اليهود تلك الليلة / و هم قيام عليه ، فاستعظم [الروم -[1]] ذلك و [2]أيسوا من[2] الفتح ، فقال طيطوس : هذا رطب لم يستحكم ، و إذا ضربه الكبش أسرع[3] الانهدام ، فطلع الروم على السور[4] الذى هدموه ، و وقف اليهود على الجديد [5]و اشتد[5] القتال ، فهزمهم اليهود بعد أن [6]قتلوا كثيرا منهم فضجر[6] الروم و عزموا على الرحيل ، فجمع طيطوس أصحابه و قال : اعلموا أن كل من يعمل عملا فانما[7] قصده إلى الغاية . و لذلك يصبر على التعب ليبلغ ما أراد ، و ربما كان آخر العمل [8]أشق من أوله ، فان تركه ذهب تعبه ضائعا و [بقى -[9]] عمله ناقصا لاينتفع به . و ضرب لهم أمثالا [فى ذلك -[9]] ثم قال : و أنتم قد صبرتم على محاربة هؤلاء القوم و استظهرتم عليهم[10] إلى هذه الغاية حتى هلك رؤساؤهم و جبابرتهم . و خربت[11] حصونهم و فنوا بالجوع و السيف ، و لم يبق منهم غير شرذمة يسيرة كالموتى ، فان انصرفتم كنتم [قد -[9]] ضيعتم تعبكم و أعنتم[12] على أنفسكم و أهنتموها

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) فى ظ : عظم عليهم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : سرع (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الردم (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فاشتد (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : قتل منهم كثيرا فضجروا - كذا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : و انما (٨) و من هنا استأنفت نسخة مد (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليه (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ضربت (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعبتم .

عند كل من يسمع خبركم[١] ، و لو كنتم انصرفتم عنهم قبل هذا كان أحسن بكم[٢] ، و أما الآن فلا عذر لكم فى عجزكم عن محاربة قوم[٣] قد بلغ بهم الضر و الجوع هذا المبلغ ، فان رجعتم عنهم طمع [فيكم -[٤]] كل أحد ، و اجترأ عليكم كل من يخافكم ، و لم لاتتأسون[٥] [باليهود -[٤]] فى الصبر
٥ [و الشجاعة -[٤]] مع فناء رجالهم ، و اجتماع المكاره عليهم ، و انقطاع رجائهم ، فصبرهم إما طمعا فى الظفر ، أو أنفة من الغلبة ، أو رغبة فى بقاء الذكر ، فأنتم أحق بذلك منهم لتدفعوا العار عن أنفسكم على أنكم قد صبرتم فى أيام[٦] تيروس قيصر[٦] على محاربة هؤلاء القوم ، و عملتم [على -[٤]] أن لا[٧] ترجعوا عنهم إلا بعد الظفر ، فلما ملك أسفسيانوس الذى هو أشجع من
١٠ تيروس[٨] و أعظم بأسا ، [٩]أردتم أن ترجعوا عنهم قبل أن تظفروا ، فأىّ عذر لكم . [٩]فلما سمعوا[٩] هذا[١٠] ثبتوا .

ثم مضى جماعة منهم ليلا ، فصعدوا[١١] من تلك الثلمة و دخلوا إلى المدينة فكبروا ، فانتبه اليهود و كانوا قد ناموا لطول[١٢] تعبهم[١٣] و ضرهم ، و لزم كل منهم مكانه ، و مضى[١٤] طيطوس إلى أصحابه فوقف عند السور

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : خبرها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكم (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل : لايتاسون ، و فى ظ : لاتنلسون (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تيروس قيصر - كذا .
(٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يروس (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك .
(١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و صعدوا (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الطول (١٣) فى ظ : تبعهم (١٤) فى ظ : مضوا .

إلى

إلى أن أصبحوا ، فانهزم اليهود إلى القدس و تبعهم الروم فاقتتلوا فى الصحن البرانى ، و لم يكن إلا السيوف[1] لضيق الموضع ، فكان[2] بينهم قتال لم يكن فيما مضى لاستقبال الجميع ، لأنهم حصلوا فى موضع لامطمع فيه بالسلامة إلا بالصدق فى القتال ، وكان الكل رجالة ، فعظمت الحرب بينهم و علت أصواتهم و ضجيجهم حتى سمعت من البعد ، و كثرت القتلى[3] فى الفريقين و استظهر[4] اليهود آخراً و أخرجوا الروم قرب ربع النهار ، و أمر طيطوس بهدم سور موضع متصل بالقدس يسمى أنطونيا ليتسع المجال لأصحابه[5] ، فلما هدم ذلك انثلم سور القدس و سهلت الطريق إليه ، فبادر اليهود و بنوه و أدخلوه[6] فى جملة القدس فصار مربعا ، [7]فكان [ذلك -[8]] تصديق[9] ما رأوه قبل [ذلك -[8]] مكتوبا على الحجر القديم المقدم ذكره «إذا كمل بنيان القدس فصار مربعا فعند[10] ذلك يخرب بيت المقدس» وكان اليهود قد نسوا ذلك ، فلما رأوه تذكروا و علموا أن المدة قد تمت و أنه سيخرب .

وكان يوم هذه الحرب العظيمة عيد العنصرة ، فقرب طيطوس من القدس[11] وكلمهم و رغبهم فى المسالمة ليتمكنوا من العبادة فى هذا العيد ، و وعدهم بالإحسان إليهم و قال : قد علمتم أن ملككم بخنيا[12] لما حاصره

(١) زيد فى الأصل : الا . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وكان (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القتل (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : استظهرت (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و اصحابه (٦) فى ظ : ادخله (٧) العبارة من هنا إلى « فصار مربعا » ساقطة من ظ (٨) زيد من م و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل : تصديقا . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فصعد (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القد - كذا (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : محسنا - كذا .

[بختنصر ملك - [1]] بابل و خرج إليه مستأمنا ، انتفع بذلك و نفع قومه و بلده فسلموا ، و أن صدقيا[2] الملك لما لج فى محاربة بختنصر و لم يسالمه كما[3] أمرته الأنبياء ، أهلك المدينة و الأمة و أساء إلى نفسه و إليهم ، فسبيلكم أن تعتبروا بهما و تهتدوا[4] بأصوبهما فعلا و أحدهما[5] عاقبة ، فاقبلوا نصيحتى ، و اكتفوا بما جرى ، و وعدهم أن يعفو عن جميع ما تقدم / و يحسن إليهم - و أطال الكلام . ٢٩٠ /

وكان يوسف بن كريون يترحم لهم و يبكى بكاء شديدا ، ثم قال لهم يوسف : إنى لست أعجب من خراب هذه المدينة ، لعلمى بأن مدتها قد انتهت ، و لكنى أتعجب منكم و أنتم تقرأون كتاب دانيال النبى عليه السلام و تعلمون[6] ما ذكره من بطلان القرابين و عدم الكاهن المسيح ، و أنتم مع ذلك لا تنكسرون و لا تخضعون[7] لله ، و لا تستسلمون لمن قد سلطه الله عليكم . فلم يقبل الخوارج و لا رجعوا غير أن جماعة من الكهنة و الرؤساء تم لهم الخروج إلى الروم فآمنهم و أحسن إليهم ، فمنع الخوارج من بقى ، و ضبطوا الطرق ، فبكى اليهود و شكوا منع الخوارج لهم من الخروج ، فأراد الخوارج [قتلهم - [8]] فبادر الروم ليخلصوهم فهجموا إلى القدس فقاتلوهم قتالا شديدا فانهزم الروم . و أدتهم الهزيمة

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : صديقيا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما (٤) فى ظ : تعتبروا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خيرهما . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعلموا (٧) فى ظ : لا تنخضعون (٨) زيد من م و مد .

إلى داخل القدس الأعظم قدس الأقداس، فقتلهم اليهود فيه، فاختار طيطوس من عسكره ثلاثين ألفا و أمرهم أن يدخلوا إلى صحن القدس لمحاربتهم، و أراد هو الدخول معهم فمنعه أصحابه و قالوا: قف على موضع عال لتقوى قلوب أصحابك، و يبذلوا المجهود فى القتال، و لا تخاطر بنفسك و بنا، و اتفق رأيهم على بيات، فعلم بذلك اليهود فلم يناموا ٥ تلك الليلة، فلما أصبحوا افترق اليهود على أبواب صحن القدس و أقاموا على مقاتلة الروم سبعة أيام، فقتلوا[١] منهم جماعة كثيرة و أبعدوهم عن القدس، فأمر طيطوس أصحابه بالكف عنهم ليفنيهم الجوع، و كان بقرب القدس قصر عظيم من بناء سليمان بن داود عليهما السلام، ثم زاد فيه ملوك البيت الثانى طبقة عالية من الخشب[٢] الحسن و وزروا[٣] جميع ١٠ الجدر بالخشب، فطلوا جميع ما فيه من الخشب بالنفط والكبريت و الزفت، ثم أخفوا فيه رجلا منهم ليشعل النار فى مواضع من ذلك الخشب [٤]إذا دخله[٤] الروم، و كان فيه باب خفى يخرج إلى موضع[٥] آخر لا يفطن [له -[٦]] إلا من يعرفه، ثم مضوا إلى عسكر الروم ليلا و هم فى القدس فناوشوهم، فاجتمع عليهم من الروم خلق كثير فقاتلوهم ساعة، ثم انهزموا ١٥ فدخلوا هذا القصر، فدخل الروم وراءهم فلم يجدوا أحدا منهم، فصعدوا

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فقتل (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحسن (٣) من ظ و م، و فى الأصل: وزدوا، و فى مد: وردوا.
(٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ان دخل فيه (٥) فى ظ: مواضع.
(٦) زيد من ظ و م و مد.

إلى الطبقة العالية ، فخرج اليهودى[1] الذى كان قد اختفى ، فاختلط [بهم -[2]] و أطلق النار فى تلك المواضع ، فاضطرمت النار فى جميع جوانبه فبادر[3] الروم إلى الباب فوجدوا اليهود قد سدوه بسيوفهم فهلكوا ، و كان فيهم جماعة من وجوه الروم ، فخاف الروم من اليهود و[4] لم يأمنوا أن يحتالوا عليهم بأمر آخر ، فخرجوا من القدس و المدينة و رجعوا إلى معسكرهم ، فأمر طيطوس بضبط الطرق و التضييق[5] عليهم ليهلكهم [الجوع -[2]] فمات أكثرهم ، و خرج كثير من أصحاب الخوارج إلى طيطوس فقتلهم ، ثم دخلت الروم إلى بيت الله فلم يجدوا من يمانعهم ، و كان طيطوس قد أكد على أصحابه فى أن لا يحرقوا القدس فقال له رؤساء أصحابه : إنك إن لم تحرقه لم تتمكن من اليهود ، لأنهم لا يزالون يقاتلون ما كان باقيا ، فاذا أحرق ذهب عزمهم فانكسرت قلوبهم فلم يبق لهم ما يقاتلون عنه . فقال : لا تحرقوه إلا أن آمركم[6] ، و كان فى طريقه باب مغشى بصفائح الفضة و هو مغلق ، فأحرقه بعض الروم ليأخذوا الفضة ، فلما احترق وجدوا الطريق إلى القدس الأجل[7] ، فدخلوه و حملوا أصنامهم فنصبوها فيه ، فخرج قوم ممن بقى من اليهود فى الليل إلى / أولئك الذين فى القدس فقتلوهم . فلما بلغ ذلك طيطوس جاء إلى القدس فقتل أكثر من وجد فيه من اليهود ، و هرب من بقى منهم إلى

/ ٢٩١

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : اليهود (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فبادرت (٤) سقطت الواو من ظ (٥) فى ظ : التضيق (٦) فى ظ : آمرهم (٧) فى ظ : الاصل .

جبل صهيون، فلما كان الغد أحرق الروم ابواب قدس الأقداس، و كانت[1] مغشاة بالذهب، فلما سقطت كبروا و صرخوا صراخا عظيما، فجاء طيطوس مسرعا ليمنع من إحراقه فلم يتم له ذلك. و يقال: إنه صاح حتى انقطع صوته، فلما علم أن الأمر قد خرج عن[2] يده دخل لينظره قبل أن يحترق، فلما رأى حسنه و بهجته تحير و تعجب و قال: حقا ٥ إن هذا البيت الجليل ينبغي أن يكون بيت الله إله السماء و مسكن جلاله و نوره، و إنه ليحق[3] لليهود أن يحاربوا عنه و يستقتلوا[4] [عليه -[5]]، و لقد أصابت الأمم و أحسنت فيما كانت تفعله من إعظام هذا البيت و إكرامه و حمل الهدايا إليه، و إنه لأعظم [من -[6]] هيكل رومية و من جميع [هيا كل -[7]] الأمم التي شاهدناها و بلغنا خبرها، و ما أردت ١٠ إحراقه و[8] لكن هم[8] فعلوا ذلك بشرهم و لجاجهم، و كان من[9] بقي من الكهنة لما رأوا الحريق حاربوا الروم عنه، فلما علموا أنهم عاجزون عن دفعهم قالوا: ما نريد أن نبقى بعده. فطرحوا أنفسهم [في النار -[10]] فهلكوا، و مضى عند ذلك من بقي من اليهود إلى جميع ما في المدينة من القصور الجليلة و المنازل الحسنة فأحرقوها بجميع ما فيها من الذخائر ١٥

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: كان (٢) من م و مد، و في الأصل: من، و الكلمة مع ما يتلوها ساقطة من ظ (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: يحق. (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: يستقلوا (٥) زيد من مد (٦) زيد من م و مد (٧) زيد من م و مد، و زيد موضعه في ظ: هنالك (٨-٨) في ظ: لكنهم (٩) في ظ: ممن (١٠) زيد من ظ و م و مد.

و الآلات[١]، و كان حريق القدس فى اليوم العاشر من الشهر الخامس و هو آب، و ذلك نظير اليوم الذى أحرق[٢] فيه الكسدانيون[٣] البيت الأول.

و لما كان فى غد[٤] هذا اليوم ظهر من اليهود رجل متنبئ[٥] فقال لهم: اعلموا أن [هذا -[٦]] القدس سيعود عن قليل مبنيا[٧] كما كان من غير أن يبنيه الآدميون، بل بقدرة الله تعالى، فدوموا على ما أنتم عليه من محاربة الروم و الامتناع من طاعتهم، فاجتمع[٨] عليه جماعة فقاتلوا، فظفر بهم الروم فقتلوهم بأسرهم، و قتلوا كثيرا من عوام اليهود و ضعفائهم ممن كانوا[٩] قد رحموه[١٠] قبل ذلك، و راسل[١١] يوحانان و شمعون طيطوس يطلبان منه الأمان فقال: قد كنت طلبت إليكما[١٢] ذلك [قبل -[١٣]]. فأما الآن فأنتما فى قبضتى و ليس لى عذر عند الله و لا [عند -[١٤]] أحد من الناس[١٥] فى استبقائكما[١٦]. فانحدرا ليلا إلى القدس بأصحابهما فقتلوا قائدين[١٧] من الروم فأمر طيطوس بقتل من بقى فى المدينة من اليهود ممن كان [قد -[١٤]] رحمه، فلما [رأى -[١٤]]

---

(١) فى ظ: آلات (٢) فى ظ: احترق (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الكسرانيون (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غير (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منتبى (٦) زيد من م و مد (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: فامتنع. (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كان (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رجموه (١١) فى ظ: ارسل (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منكما. (١٣) زيد من م (١٤) زيد من ظ و م و مد (١٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الله (١٦) فى ظ: استبقائكم (١٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قايد.

أصحاب شمعون [١]ذلك خافوا على أنفسهم، فأرسلوا[١] إلى طيطوس [أن يؤمنهم، فقتل شمعون رؤساءهم و هرب الباقون إلى طيطوس -[٢]] فآمنهم و كف أصحابه عمن بقى من اليهود [٣]فى المدينة[٣]؛ ثم هرب شمعون و يوحانان من جبل صهيون [إلى موضع استترا فيه، فتم استيلاء طيطوس على جميع البلد و هدم سور جبل صهيون -[٤]]. و لما طال عليهما[٥] الاستتار و اشتد بهما[٦] الجوع خرجا إلى طيطوس فقتلهما، ثم رحل متوجها إلى رومية و معه السبى و الغنائم، و كان كلما نزل منزلا يقدم جماعة ممن ظفر به[٦] من الخوارج إلى السباع التى معه حتى أفناهم، و كان العازر لما رأى إفساد شمعون و قتله من[٧] لم يكن له ذنب من اليهود [قد -[٢]] علم أن لا مخلص لهم من البلاء، فخرج عنه قبل استيلاء الروم على[٨] البلد عنها و أقام فى بعض المواضع، فلما رحل طيطوس مضى إلى قرية [٩]مصيرا فعمر[٩] حصنها، فسمع به طيطوس و هو بأنطاكية فرد إليه قائدا من قواده فحاصره، فلما عاين الهلكة دعا أصحابه إلى قتل من خلفهم[١٠] من العيال و الاستقتال ليموتوا أعزة، فأجابوه[١١] إلى ذلك و قاتلوا حتى قتلوا كلهم - فسبحان القوى الشديد، [الفعال -[٢]] لما يريد.

(١-١) موضع ما بين الرقمين فى مد: روساءهم و هرب الباقون (٢) زيد من ظ و م و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عليهم (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بهم. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ممن (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن (٩-٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مصر ليعمر (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خلفه (١١) فى ظ: فاجابوا.

و لما انقضى ذلك[1] ، كان كأنه قيل : أما لهذه المرة من كرة كالأولى ؟ فأطمعهم بقوله سبحانه و تعالى : ﴿عسى ربكم﴾ أى الذى عودكم باحسانه ﴿ان يرحمكم﴾ [فيتوب عليكم و يكرمكم -[2]] ، ثم أفزعهم بقوله تعالى : ﴿و ان عدتم﴾ أى [3]بما نعلم[3] من دبركم إلى المعصية مرة / ثالثة فما فوقها ٢٩٢/ ٥ ﴿عدنا م﴾ أى بما تعلمون لنا من العظمة ، إلى عذابكم فى الدنيا ، و قد عادوا غير مرة بما[4] أشار إليه الكلام ، و إن كان فى سياق الشرط ، ليظهر الفرق بين كلام العالم و غيره ، و أشار إلى ذلك قوله فى التوراة عقب ما مضى[5] : و إذا تمت عليك هذه الأقوال كلها و الدعاء و اللعن الذى تلوت عليك فتب فى قلبك و أنت متفرق بين الشعوب التى يفرقك[6] الله ١٠ فيها ، و أقبل إلى ربك و اسمع قوله ، و اعمل بجميع ما آمرك به اليوم أنت و بنوك من كل قلبك ، فيرد الرب سبيك و يرحمك ، و يعود فيجمعك من جميع الشعوب التى فرقك فيها ، و إن كان المبددون[7] يا آل إسرائيل فى أقطار الأرض يجمعك [الله -[8]] ربك من هناك و يقربك من ثم و يردك إلى الأرض التى ورثها أبوكم و ترثون ، و ينعم عليكم و تكثرون ١٥ أفضل من آبائكم ، و يختن[9] الله الرب قلوبكم و قلوب نسلكم إلى الأبد ،

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من م و مد (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يمانعكم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثم (٥) راجع الأصحاح الثلاثين من تثنية (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعثرك (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المدون (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من التوراة ، و فى الأصول : يحتن .

و تتقون الله ربكم من كل قلوبكم و أنفسكم لما يريحكم و ينعمكم و ينزل الله كل هذا اللعن بأعدائكم و شنأتكم[1] الذين آذوكم . ﴿ و جعلنا ﴾ أى[2] بعد ذلك بعظمتنا ﴿ جهنم ﴾ [3]التى [تلقى -[4]] داخلها بالتجهم و الكراهة ﴿ للكفرين ﴾ و هذا الوصف[5] الظاهر موضع ضمير لبيان[6] تعليق الحكم به على سبيل الرسوخ سواء فى ذلك [هم -[7]] و غيرهم ، و فيه إشارة ٥ إلى أنهم يعودون إلى الإفساد ، و إلى أن منهم من يؤمن و منهم من يكفر ﴿حصيرا ﴾ أى محبسا[8] يحصرهم[9] غاية الحصر ، و عن الحسن أن الحصير هو الذى يفرش و يبسط[10] ، فالمعنى أنه يجعلها[11] مهادهم .

و لما ثبت أن كتاب موسى عليه السلام الذى أنزل عليه فيما بين مصر و بيت المقدس فى تلك المدة المتطاولة هو هدى لبنى إسرائيل ، ١٠ صادق الوعد و الوعيد فيما قضى فيه إليهم من أمرهم و أمر بيت المقدس من ترقية[12] حال من أطاعه و إعلائهم و أخذ من عاداهم[13] و من تعكيس أحوال العصاة مرة بعد أخرى بتسليط الأعداء عليهم بالقتل[14] و الأسر

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سياتكم (٢) سقط من م (٣) العبارة من هنا إلى « والكراهة » ساقطة من م (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : الوضع . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البيان (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مجلسا (٩) فى ظ : تحصرهم (١٠) و مثله ذكر البغوى عن الحسن فى المعالم - راجع هامش لباب التأويل ٤ / ١٢٣ (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جعلها (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : برفيه . (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عاداكم (١٤) زيد فى الأصل : عليهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و النهب و تخريب البلاد ، تنبيها على أن طاعة الله تجلب كل خير و كرامة ، و معصيته[1] توجب كل بلية ، كما كشف عنه الزمان على ما هو معروف من[2] تواريخ اليهود و غيرها ، لاح أن القرآن يزيد عليه فى كل معنى حسن و أمر شريف فيما أتى به من الوعود[3] الصادقة ، و الأحكام المحكمة ، و المعانى الفائقة ، فى النظوم العذبة الرائقة ، مع الإعجاز عن الإتيان بآية من مثله لجميع[4] الإنس و الجان بنسبة ما زاد المسير[5] المحمدى إلى بيت المقدس - الذى أراه [فيه -[6]] من آياته - على المسير[5] الموسوى الذى آتاه فيه الكتاب ، فقال - فى جواب من كأنه قال : قد علم أن كتاب موسى عليه السلام الذى أنزل فى مسيره لقصد محل المسجد الأقصى قيم[7] فى الهداية و الوعود الصادقة ، فما حال كتاب محمد صلى الله عليه و على آله و سلم الذى أنزل عليه منه[8] فى سبب مسيره إليه فى ذلك ؟ : ﴿ ان هذا القرآن ﴾ أى الجامع لكل حق [و الفارق بين كل -[6]] ملتبس[9] ﴿ يهدى ﴾ .

و لما كان صاحب الذوق السليم يجد لحذف الموصوف هزة و روعة ، لما يجد من الفخامة بابهامه[10] لايجدها عند ذكره و إيضاحه ، قال : ﴿ للتى ﴾

(١) من م و مد ، و فى الأصل : معصية الله ، و فى ظ : معصية (٢) فى م : فى .
(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الوعد (٤) فى مد : بجميع (٥) فى ظ : المشير (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قتم .
(٨) سقط من ظ (٩) من م و مد ، و فى الأصل : تلتبس ، وفى ظ : متلبس .
(١٠) فى ظ : بايهامه .

أى للطرائق و الأحوال و السنن التى ﴿ هى اقوم ﴾ من كل طريقة[1] و سنة و حال دعا إليها [كتاب -[2]] من الكتب السماوية ، أما فى الصورة فباعتبار ما علا به من البيان ، و أما فى الوعود فباعتبار العموم لجميع الخلق فى الدارين ، و أما فى الأصول فبتصريف الأمثال و تقريب الوسائل، و حسم مواد الشبه و إيضاح وجوه الدلائل ، و أما فى الفروع فباعتبار ٥ الأحسنية / تارة فى السهولة و الخفة ، و تارة فى غير ذلك - كما هو واضح عند من[3] تأمل ما بين الأمرين ، / ٢٩٣

و لما انقسم الناس إلى مهتد به و ضال[4] ، أتبع [5]سبحانه ذلك بيانه[5] ، و كان التعبير عن حالها بالبشرى فى قوله تعالى - : ﴿ و يبشر المؤمنين ﴾ [أى -[2]] الراسخين فى هذا الوصف ، و لهذا قيدهم بيانا لهم بقوله تعالى : ١٠ ﴿ الذين ﴾[6] يصدقون[7] إيمانهم بأنهم ﴿ يعملون ﴾ أى على سبيل التجديد[8] و الاستمرار و البناء على العلم ﴿ الصٰلحت ﴾ من التقوى و الإحسان ﴿ان لهم﴾ أى جزاء لهم فى ظاهرهم و بواطنهم ﴿اجرا كبيرا ۝﴾ - إشارة إلى صلاح هذه الأمة و ثباتهم على دينهم [و أنه لا يزال أمرهم ظاهرا كما كان إنذار كتاب موسى عليه السلام قومه إشارة إلى إفسادهم و تبديلهم دينهم -[2]]. ١٥

ولما بشرهم بما لهم فى أنفسهم ، أتبعه ما لهم فى أعدائهم[9] فقال تعالى:

---

(١) فى ظ : طريق (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : خال (٥ - ٥) فى ظ : ذلك سبحانه ببيانه . (٦) زيد فى الأصل و ظ : اى، و لم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٧) زيد فى الأصل وظ : فى ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : التحذير (٩) فى ظ : اعدائه .

﴿وان﴾ أى[1] ويبشر المؤمنين [أيضا -[2]] بأن ﴿الذين لا يؤمنون﴾ أى لا يتجدد منهم إيمان ﴿بالآخرة﴾ حقيقة أو مجازا ، المسبب [3]عنه أنهم[3] لا يعملون الصالحات حقيقة لعدم مباشرتها ، أو مجازا ببنائها[4] على غير أساس الإيمان ؛ و عبر بالعتاد تهكما بهم ، فقال تعالى : ﴿ اعتدنا ﴾ أى أحضرنا و هيأنا ما هو فى غاية الطيب و النفاسة و الملاءمة على سبيل الوعد الصادق الذى لا يتخلف بوجه ، و هو مع ذلك منظور[5] إليه ، لعظمتنا ﴿ لهم ﴾ من عندنا بواسطة المؤمنين أو بلا واسطة .

و لما استشرف الأعداء إلى هذا الوعد استشراف المغتبط المسرور[6] ، أتاهم فى تفسيره[7] بما خلع قلوبهم على طريقة «تحية بينهم ضرب وجيع» و سر قلوب الأولياء سرورا عظيما ، فقال تعالى : ﴿عذابا اليما ﴾ فانه لا بشرى لذوى الهمم أعلى و لا أسر[8] من الانتقام من مخالفيهم ، فصار فضل الكتاب على الكتاب كفضل الذهاب على الذهاب ، و حذف المؤمنين الذين [لا -[2]] يعملون الصالحات ، لتمام البشارة بالإشارة إلى أنهم من القلة فى هذه الأمة الشريفة بحيث لا يكادون أن يوجدوا .

و لما ذكر سبحانه ما لكلامه من الدعاء [إلى الأقوم -[2]] ، أتبعه

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣-٣) من م ، و مد و فى الأصل و ظ : عنهم لانهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لبقايها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منظورا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السرور (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تفسيرهم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشرف .

ما عليه الإنسان[1] من العوج الداعى له إلى العدول عن التمسك بشرائعه القويمة و الإقدام على ما لا فائدة فيه، تنبيها على ما يجب عليه من التأنى للنظر فيما يدعو[2] إليه نفسه و وزنه بمعيار الشرع، فقال تعالى: ﴿و يدع﴾ [حذف -[3]] واوه - الذى هو لام الفعل - خطا [4]فى جميع[4] المصاحف - و لا موجب لحذفه لفظا فى العربية - مشير إلى أنه يدعو بالشر لسفهه و قلة عقله، و هو لا يريد علو الشر عليه - بما أشير إليه بحذف ما معناه عند أهل الله الرفعة و العلو، و إلى [أن -[5]] غاية فعله الهلاك إلى أن يتداركه الله، [6]و قد ذكرت حكم الوقف عليه [و على -[7]] أمثاله فى سورة القمر ﴿الانسان﴾ أى عند الغضب و نحوه على نفسه و على من يحبه، لما له من الأنس بنفسه و النسيان لما يصلحه ﴿بالشر﴾ أى ينادى ربه و يتضرع إليه بسبب إيقاع الشر به ﴿دعآءه﴾ أى مثل دعائه ﴿بالخير[8]﴾ [8]أى بحصول[8] الخير له و لمن يحبه؛ ثم نبه على الطبع الذى هو منبع ذلك، فقال تعالى: ﴿و كان الانسان﴾ أى هذا النوع بما له من قلة التدبر [لاشتغاله -[5]] بالنظر فى عطفيته[9] و الأنس بنفسه، كونا هو مجبول[10] عليه ﴿عجولا ۝﴾ أى مبالغا فى العجلة يتسرع إلى طلب كل ما يقع فى

(١) فى ظ: انحصان - كذا (٢) فى ظ و مد: تدعو (٣) زيد من م و مد.
(٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بجميع (٥) زيد من ظ و م و مد.
(٦) العبارة من هنا إلى «سورة القمر» ساقطة من م (٧) زيد من ظ و مد.
(٨ - ٨) من م و مد، و فى الأصل: الذى بحصوله، و فى ظ: اى بحصوله.
(٩) من م، و فى الأصل و ظ و مد: عطفيه (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مجبولا.

قلبه و يخطر بباله من غير أن يتأنى [فيه -[1]] تأنى المتبصر[2] الذى لا يريد أن يوقع شيئا إلا فى أتم مواقعه ، و لذلك يستعجل العذاب لنفسه استهزاء ، و لغيره استضعافا ؛ و العجلة : طلب الشىء فى غير وقته الذى لا يجوز تقديمه عليه ، و أما السرعة فهى عمله فى أول وقته الذى هو أولى[3] به .

و لما ثبت ما لصفته تعالى من العلو ، و لصفة الإنسان[4] من السفول تلاه بما لأفعاله [تعالى -[1]] من الإتقان ، ذاكرا ما هو الأقوم من دلائل التوحيد و النبوة فى العالمين : العلوى[5] و السفلى[6] ، ثم ما لأفعال الإنسان من[7] العوج جريا مع طبعه ، أو من الإحسان[8] بتوفيق اللطيف المنان ، فقال تعالى مبينا ما منحهم به من نعم[9] الدنيا بعد ما أنعم عليهم به من نعم الدين : ﴿و جعلنا﴾ [أى -[1]] بما لنا من العظمة ﴿الّيل و النهار ايتين﴾ دالتين على تمام العلم و شمول القدرة . آية الليل كالآيات المتشابهة ، و آية النهار كالمحكمة ، فكما أن المقصود من التكليف[10] لا يتم إلا بذكر المحكم و المتشابه فكذلك الزمان لا يتيسر الانتفاع به إلا بهاتين الآيتين ﴿فمحونآ﴾

/ ٢٩٤ /

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من م و مد ، و فى الأصل : المبصر ، و فى ظ : لمتبصر ـ كذا (٣) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : اول (٤) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : الأنبياء ـ كذا (٥) فى ظ : العلو (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السفل (٧) من م ومد ، و فى الأصل وظ : مع (٨) من م ومد ، و فى الأصل : الانسان ، و فى ظ : الاحيان (٩) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : هم . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التكاليف .

أى بعظمتنا الباهرة ﴿ آية الليل ﴾ باعدام الضياء [1]فجعلناها لا تبصر[1] بها المرئيات كما لا يبصر[2] الكتاب إذا محى ﴿ و جعلنآ ﴾ أى بعظمتنا ﴿ آية النهار ﴾ و لما كانت فى غاية الضياء يبصر بها كل من له بصر، أسند الإبصار إليها مبالغة فقال: ﴿ مبصرة ﴾ أى بالشمس التى جعلها منيرة[3] فى نفسها، فلا تزال هذه الدار الناقصة فى تنقل[4] من نور إلى ٥ ظلمة و من ظلمة إلى نور [كما -[5]] للانسان - بعجلته التى يدعو إليها طبعه و تأنيه الداعى إليه عقله - من انتقال من نقصان إلى كمال و من كمال إلى نقصان، كما أن القمر الذى هو أنقص من الشمس كذلك؛ [ثم -[5]] ذكر بعض المنافع المترتبة[6] على ذلك فقال تعالى: ﴿لتبتغوا﴾ أى تطلبوا[7] طلبا شديدا ﴿ فضلا من ربكم ﴾ [أى -[5]] المحسن إليكم ١٠ فيهما بضياء هذا تارة و برد هذا أخرى ﴿ و لتعلموا ﴾ بفصل هذا من هـذا ﴿ عدد السنين ﴾ أى من غير حاجة إلى حساب، لأن النيرين يدلان على تحول[8] الحول بمجرد تنقلهما[9].

و لما كانا أيضا يدلان على حساب المطالع و المغارب، و الزيادة و النقصان، و غير ذلك من الكوائن، لمن أمعن النظر، و بالغ فى الفكر، ١٥

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: فجعلنا لا يبصر، و فى مد: فجعلناها لا يبصر.
(٢) من ظ و م، و فى الأصل و مد: لا تبصر (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مسيرة (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تفعل (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المرتبة (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فتطلبوا (٨) فى ظ: تحويل (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نقلهما.

قال[1] تعالى: ﴿ و الحساب[1] ﴾ أى جنسه، فصلناهما لذلك على هذا الوجه المتقن بالزيادة و النقصان، و تغير الأحوال فى أوقات معلومة، على [2]نظام لا يختل[2] على طول الزمان مقدار ذرة، و لا ينحل[3] قيس شعرة إلى أن يريد الله خراب العالم و فناء الخلق، فيبيد ذلك كله فى أسرع وقت و أقرب زمن، و لولا اختلافهما لاختلطت الأوقات و تعطلت الأمور ﴿ و كل شىء ﴾ غيرهما مما تحتاجون إليه فى دينكم أو دنياكم ﴿ فصلنه ﴾ أى بعظمتنا، و أزلنا[4] ألباسه؛ و أكد الأمر تنبيها على تمام القدرة، و أنه لا يعجزه شىء يريده، فقال تعالى: ﴿ تفصيلا ٥ ﴾ فانظروا بأبصاركم و بصائركم، و تتبعوا فى علانياتكم [5]و سرائركم، تجدوا أمرا[6] متقنا و نظاما محكما "ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا و هو حسير".

و لما كان هذا أمرا دقيقا جدا، أتبعه ما هو أدق منه و أغرب فى القدرة و العلم من تفاصيل أحوال الآدميين، بل كل مكلف بعضها من بعض من قبل أن يخلقهم، فقال تعالى: ﴿ و كل انسان ﴾ أى مَن [فى - [7]] طبعه التحرك و الاضطراب ﴿ الزمنه ﴾ أى بعظمتنا ﴿ طـٓئره ﴾ أى عمله الذى قدرناه عليه من خير و[8] شر، و لعله عبر به

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فقال (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اوقات لا تختل (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا محل (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انزلنا (٥) العبارة من هنا إلى «أمرا متقنا» ساقطة من ظ (٦) من م و مد، و فى الأصل: امر (٧) زيد من ظ و م و مد. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أو.

لأنهم

لأنهم كانوا لا يقدمون و لا يحجمون فى المهم من أعمالهم إلا بالطائر فيقولون : جرى لفلان الطائر بكذا[1] . ﴿فى عنقه[1] ﴾ أى[2] الذى محل الزين [بالقلادة -[3]] و نحوها ، و الشين بالغل[4] و نحوه ، إلزاما لا يقدر أن ينفك عن شىء منه كما لا يقدر على الانفكاك عن[5] العنق ، و ذلك كما ألزمنا بنى إسرائيل ما قضينا إليهم فى الكتاب ، فكان كما قلنا ، و هم ٥ يعلمون أنه من السوء بمكان ، فلم يقدروا على الاحتراز منه و الانفصال عنه ، فلا يمكن أن يظهر فى الأبد إلا ما قضى به فى الأزل ، جف القلم بما هو كائن ، ﴿و نخرج﴾ أى بما لنا من العظمة و شمول [العلم و تمام -[3]] القدرة ﴿له يوم القيمة ﴾ / أى الذى لا بد من إيجاده ﴿كتبا﴾ بجميع[6] ٢٩٥/ ما عمل ﴿يلقه ﴾ حال كونه ﴿منشورا ﴾ تكتبه حَفَظَتُنا كل يوم ، ١٠ ثم إذا صعدوا قابلوا ما فيه على ما سطرناه قديما فى اللوح المحفوظ فيجدونه كما هو ، لا خلاف فيه أصلا ، فاذا لقى كتابه يوم العرض قيل له : ﴿ اقرا كتبك[7] ﴾ أنت بنفسك غير ملزم[8] بما يقرأه غيرك ﴿ كفى ﴾ و حقق الفاعل بزيادة الباء فقال تعالى : ﴿بنفسك اليوم ﴾ أى فى جميع هذا اليوم الذى تكشف فيه[8] الستور ، و تظهر جميع الأمور ١٥ ﴿عليك حسيبا[9] ﴾ أى حاسبا[9] بليغا ، فانك تعطى القدرة على قراءته

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكذا (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالفعل (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالجميع (٧) فى ظ : ملزوم (٨) زيد فى الأصل : جميع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حاسبنا .

أميا كنت[1] أو قارئا ، و لاترى فيه[2] زيادة و لا نقصا[3] ، و لاتقدر أن تنكر منه حرفا ، إن أنكره لسانك شهدت عليك أركانك ، فيا لها من قدرة باهرة ، و قوة قاهرة[4] ، و نصفة ظاهرة !

و لما كان ما مضى ، أنتج قطعا معنى ما قلنا لبنى إسراءيل " ان احسنتم "- الآية ، لكل أحد منهم و من غيرهم ، و ذلك قوله تعالى : ﴿من اهتدى﴾ فتبع الهدى ﴿فانما يهتدى لنفسه ج﴾ لأن ثوابه لايتعداه ﴿و من ضل﴾ بالإعراض عما أنزلنا من البيان ﴿فانما يضل عليها[5]﴾ لأن عقابه عليه ، لايتجاوزه ﴿و لاتزر وازرة﴾ أى [أىّ -[5]] وازرة كانت ﴿وزر اخرى[6]﴾ لتخفف[6] عنها ، بل لكل جزاء عمله لايتعداه إلى غيره ، فنثيب[7] من اهتدى و نعذب[8] من ضل ﴿و ما كنا﴾ أى على عظمتنا ﴿معذبين﴾ أحدا ﴿حتى نبعث﴾ أى بعثا يناسب عظمتنا ﴿رسولا[9]﴾ فمن بلغته دعوته فخالف أمره و استكبر[10] عن اتباعه عذبناه بما يستحقه ، و هذا أمر قد تحقق بارسال آدم عليه السلام "و من بعده من الأنبياء الكرام عليهم الصلاة و السلام فى جميع الأمم كما قال تعالى : "و لقد بعثنا[12] فى كل [امة -[13]] رسولا" ، "و ان من امة الاخلا فيها نذير[14]"

(١) فى ظ : كان (٢) زيد فى ظ : من (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نقصان (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : باهرة (٥) زيد من م (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : ليخفف (٧) من م و مد ، وفى الأصل وظ : فيثبت . (٨) من م و مد ، و فى الأصل وظ : يعذب (٩) زيد فى ظ : اى (١٠) فى ظ : استكثر ، و فى مد : استنكر (١١) العبارة من هنا إلى «فيها نذير» ساقطة من م و مد (١٢) فى ظ : ارسلنا (١٣) زيد من ظ و القرآن الكريم سورة ١٦ آية ٣٦ (١٤) سورة ٣٥ آية ٢٤ .

فان دعوتهم إلى الله تعالى قد انتشرت ، و عمت الأقطار و اشتهرت ، انظر إلى قول قريش الذين لم يأتهم نبي بعد إسماعيل عليه السلام "ما سمعنا [بهذا -[1]] فى الملة [2]الآخرة" فانه يفهم أنهم سمعوه فى الملة[2] الأولى ، فمن بلغته دعوة أحد منهم بوجه من الوجوه فقصر فى البحث عنها فهو كافر مستحق للعذاب ، فلا تغتر بقول كثير من الناس فى نجاة أهل الفترة ٥ مع إخبار النبي صلى الله عليه و على آله و سلم أن آباءهم الذين مضوا فى الجاهلية فى النار[3] ، و أن ما يدحرج الجعل خير منهم[4] - إلى غير ذلك من الأخبار ، قال الإمام أبو عبد الله الحليمى[5] أحد أجلاء الشافعية و عظماء أئمة الإسلام [2]رضى الله عنهم[2] فى أوائل منهاجه[6] فى باب من لم تبلغه الدعوة : و إنما قلنا : إن من كان منهم عاقلا مميزا إذا رأى و نظر إلا ١٠ أنه لا يعتقد دينا فهو كافر ، لأنه و إن لم يكن سمع دعوة نبينا صلى الله عليه و على آله و سلم فلا شك أنه سمع دعوة أحد من الأنبياء الذين كانوا قبله صلى الله عليه و آله و سلم على كثرتهم ، و تطاول أزمان دعوتهم ، و وفور عدد الذين آمنوا بهم و اتبعوهم و الذين كفروا بهم و خالفوهم ،

(١) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٣٨ آية ٧ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) و هذا المبحث قد استوعبه السيوطى من مختلف النواحى فى رسالته «الدرج المنيفة فى الآباء الشريفة» فراجعها ايضا (٤) راجع مسند الإمام أحمد ١/٣٠١ (٥) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخارى الشافعى ، فقيه ، محدث ، متكلم ، أديب ، توفى سنة ٤٠٣ ، و راجع لمصادر ترجمته معجم المؤلفين ٤/٣ (٦) و اسمه الكامل : منهاج الدين ، وهو كتاب جليل فى نحو ثلاثة مجلدات - راجع كشف الظنون .

فان الخبر قد يبلغ على لسان المخالف كما يبلغ على لسان الموافق ، و إذا سمع آية دعوة كانت إلى الله فترك أن يستدل بعقله على صحتها و هو من أهل الاستدلال و النظر ، [١]كان بذلك معرضا عن الدعوة فكفر - و الله أعلم ، و إن أمكن أن يكون لم يسمع قط بدين و لا دعوة نبي و [٢]لا عرف أن[٢] فى العالم من يثبت إلها - و ما نرى[٣] أن ذلك يكون - فان كان فأمره على الاختلاف - يعنى عند من يوجب الإيمان بمجرد العقل و من لا يوجبه إلا بانضمام النقل . / [٤]و ما قاله الحليمى نقل نحوه[٥] عن الإمام الشافعى نفسه[٦] رضى الله عنه ؛ قال الزركشى[٧] فى آخر باب الديات من شرحه على المنهاج : و قد أشار الشافعى إلى [٨]عسر قصور[٨] - أى عدم بلوغ - الدعوة حيث قال : و ما أظن أحدا إلا بلغته الدعوة إلا أن يكون قوم من وراء النهر بكوننا ، و قال الدميرى[٩] : [و - [١٠]] قال الشافعى : و لم يبق من لم[٥] تبلغه الدعوة .

/٢٩٦

و لما أشار إلى عذاب المخالفين ، قرر أسبابه و عرف أنها بقدره ،

---

(١) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا اعترف الا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما يرى (٤) العبارة من هنا إلى « لم تبلغه الدعوة » ساقطة من م (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : بنفسه (٧) هو محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشى الشافعى - راجع المصادر ترجمته معجم المؤلفين ١/٢٠٥ (٨-٨) فى ظ : عدم تصوره (٩) هو إلياس ابن عبد الله الدميرى فقيه شافعى ، وله أيضا شرح على المنهاج - راجع معجم المؤلفين ٢/٣١٤ (١٠) زيدت الواو من ظ و مد .

و أن قدره لا يمنع حقوق العذاب ، لبناء الأمر على ما يتعارفه ذوو[1] العقول [بينهم -[2]] فقال تعالى : ﴿ و اذآ ﴾ أى فنبعث[3] الرسل بأوامرنا و نواهينا ، و إذا أردنا أن نحيي قرية الحياة الطيبة فى الدنيا و الآخرة ، ألقينا فى قلوب أهلها امتثال أوامرنا و التقيد باتباع رسلنا ، و إذا ﴿ اردنآ ﴾ و إرادتنا لا تكون إلا عظيمة جدا ﴿ ان نهلك ﴾ ٥ أى بعظمتنا ﴿ قرية ﴾ فى الزمن المستقبل ﴿ امرنا ﴾ أى بما لنا[4] من العظمة التى لايقدر أحد على مخالفتها ﴿ مترفيها ﴾ الذين لهم الأمر و النهى بالفسق ، أى استدرجناهم بادرار النعم و دفع النقم على ما يعملون[5] من المعاصى ، الذى كان - بكونه سببا لبطرهم و مخالفتهم - كالأمر بالفسق ﴿ ففسقوا فيها ﴾ بعد ما أزال[6] الرسول معاذيرهم بتبليغ[7] الرسالة كما قال ١٠ تعالى " فلما نسوا ما ذكروا به - أى على ألسنة الرسل - فتحنا عليهم أبواب كل شىء[8] " - الآية " و كذلك جعلنا فى كل قرية اكبر مجرميها ليمكروا فيها[9] " و خص المترفين لأن غيرهم لهم تبع . و لأنهم أحق الناس بالشكر[10] و أولى بالانتقام عند الكفر ، و يجوز أن يكون : أمرناهم بأوامرنا ففسقوا فيها ، أى الأوامر[11] [بالطاعات -[2]] التى يعلم قطعا ١٥

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ذوى (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فبعث (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : يعلمون (٦) فى ظ : زال (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لتبليغ (٨) سورة ٦ آية ٤٤ (٩) سورة ٦ آية ١٢٣ (١٠) فى مد : بالشعر (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اوامرنا .

أن أوامرنا [١]تكون بها و لا تكون[١] بغيرها، لأنا لا نأمر بالفحشاء، و قد جرت العادة بأن المترف عسر الانقياد، لا تكاد تسمح نفسه بأن يصير تابعا بعد ما[٢] كان متبوعا، فعصوا فتبعهم غيرهم لأن الأصاغر تبع للأكابر فأطبقوا على المعصية فأهلكناهم، و قرأ يعقوب: آمرنا - بمد الهمزة

٥ بمعنى كثرنا، من آمرت الشيء و أمّرته فأمر - إذا كثرته، و فى الحديث[٣] خير المال سكة مأبورة[٤] و مهرة مأمورة، أى كثيرة النتاج؛ و روى البخارى فى التفسير[٥] عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: كنا نقول للحى إذا كثروا فى الجاهلية: أمِر بنو فلان. و الكثرة راجعة إلى الأمر الذى [هو -[٦]] ضد النهى، فانه نتيجة العز الذى هو لازم

١٠ الكثرة، و يجوز أن يكون من المؤامرة، أى أمرناهم بأوامرنا فما امتثلوا و أمرونا بأوامرهم، أى[٧] سألونا ما يريدون فأعطيناهم ذلك استدراجا فأبطرهم نيل الأمانى ففسقوا ﴿ فحق ﴾ أى وجب وجوبا لاشك فى وقوعه ﴿عليها القول﴾ الذى توعدناهم [به -[٦]] على لسان الرسول بمباشرة البعض للفسق و سكوت الباقين على حسب ما

١٥ تتعارفونه[٨] بينكم فى أن من خالف الأمر الواجب عليه استحق العقاب[٩] ﴿فدمرناها[١٠]﴾ أى أهلكناها [إهلاكا -[٦]] شديدا بغتة غير مبالين بها فجعلناها

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قطعا ولا يكون (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ان (٣) راجع مسند الإمام أحمد ٣/ ٤٦٨ (٤) من ظ و م و مد و المسند، و فى الأصل: مامورة (٥) على هذه الآية (٦) زيد من ظ و م و مد. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٨) فى ظ: يتعارفونه (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العذاب (١٠) من ظ و م و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: فدمرناهم.

كالمدرة المفتتة ، و كان أمرها على عظمتنا هينا ، و لذلك أكد فقال تعالى : ﴿ تدميراه ﴾ .

و لما قرر أن هذا شأنه إذا أراد أن يهلك[1]، أخبر أنه فعل ذلك بمن لا يحصيهم العد من القرون . و لا يحيط بهم الحد من الأمم ، لأن الاعتبار بالمشاهد أوقع في القلب و أهول[2] عند النفس ، فكأنه قال : كم [فعلنا - [3]] ذلك بالقرى و لم نستعجل في[4] إهلاك قرية منهم و لا أخذناهم من غير إنذار ، بل أرسلنا فيهم و أملينا لهم إلى أن كان ما علمناه في الأزل ، و جاء الوقت الذي قدرناه ، و بلغوا في الذنوب ما يستحقون به الأخذ . و لقد / أهلكنا قوم نوح على هذا السنن . ٢٩٧/

و كانوا أهل الأرض - كما مضت الإشارة إليه و وقع التنبيه عليه ، و إهلاكهم كان في إبلاغ أهل الأرض ما أرسلنا به رسلنا من التوحيد[5] . لأن ذلك لم يخف على أحد بعدهم ، و عطف على هذا المقدر قوله تعالى : ﴿ و كم اهلكنا ﴾ أي بما[6] لنا من العظمة ، و بين مدلول ' كم ' بقوله تعالى : ﴿ من القرون ﴾ على هذا السنن .

و لما كان الإهلاك بعذاب الاستئصال لم يستغرق ما بعده ، أدخل الجار فقال تعالى : ﴿ من بعد نوح ﴾ الذي أنتم ذرية[7] من أنجيناه[8]

---

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : نهلك (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اهون (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : من (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : التوجيه (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ما (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ذريته (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : انجينا .

بالحمل معه بذنوبهم. أمهلناهم حتى أعذرنا إليهم [ثم - [1]] أخذناهم[2] فى مدد متفاوتة، فكان بعضهم أقصر [3]مدة من[3] بعض و بعضهم أنجيناه[4] بعد أن أحطنا به مخايل العذاب، و أما من قبل نوح فالظاهر من عبارة التوراة و سكوت القرآن أنهم لم يكونوا [كفارا - [5]]، و بـه صرح كثير من المفسرين فى تفسير " كان الناس امة واحدة[6] ".

و لما كان ذلك[7] ربما أوجب أن يقال: كيف يعذب الساكت مع إمكان عذره بعجز[8] أو غيره؟ قال دافعا لذلك تاركا مظهر العظمة، تلطفا بهذا النبى الكريم، عليه أفضل الصلاة و التسليم، فى جملة[9] حالية: ﴿ و كفى بربك ﴾ أى المحسن إليك بالعفو عن أمتك و أعقابهم من[10] الاستئصال ﴿ بذنوب عباده ﴾ أى لكونه خلقهم و قدر ما فيهم من جميع الحركات و السكنات ﴿ خبيرا ﴾ من القدم، فهو يعلم السر و أخفى، و أما أنتم فلستم هناك، فكم من إنسان كنتم ترونه من أكابر الصالحين ثم أسفرت عاقبته عند الامتحان عن أنه من أضل الضالين[11] ﴿ بصيرا ﴾ بها، إذا وقعت لا يخفى[12] عليه شىء منها، و أما أنتم فكم من شخص

(١) زيد من م (٢) فى ظ : اخذنا (٣-٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل : من مدة (٤) من ظ و م، وفى الأصل ومد : انجينا (٥) زيد من ظ و م و مد. (٦) سورة ٢ آية ٢١٣ (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من م ومد، وفى الأصل وظ: لعجز (٩) من ظ و م و مد، وفى الأصل : حملية (١٠) من ظ و م ومد، وفى الأصل : عن (١١) فى ظ : الصالحين (١٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل : لا تخفى.

كنتم

كنتم ترونه مجتهدا فى العبادة ؛ فاذا خلا بارز ربه بالعظائم .

و لما تقرر أنه سبحانه خبير بذنوبهم بعد تزهيده فى الدنيا بما ذكر من مصارع الأولين ، أتبعه الإخبار بأنه[1] يعاملهم على حسب علمه على وجه متعرف بعلمه بجميع طوياتهم من خير و شر ، مرغب فى الآخرة ، مرهب من الدنيا ، لأنها المانعة من اتباع الرسل و التقيد بطاعتهم ، خوفا من نقص الحظ من الدنيا بزوال ما [هو -[2]] فيه من الرئاسة و المال و الانهماك فى اللذة [3]جهلا بأن[3] ما قدر لا يكون غيره سواء كان صاحبه فى طاعة أو معصية فقال تعالى : ﴿ من كان يريد ﴾ أى إرادة هو فيها فى غاية الإمعان بما اقتضاه طبعه المشار إليه بفعل الكون .

[4]و لما كان مدار مقصود السورة على الإحسان الذى هو العبادة على المشاهدة ، و كان ذلك منافيا لحال من يلتفت إلى الدنيا ، عبر بقوله تعالى[4] : ﴿ العاجلة ﴾ أى فقط ﴿ عجلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ له فيها ﴾ [4]أى العاجلة[4] ﴿ ما نشآء ﴾ مما يريده[5] لا جميع ما يريده ؛ ثم أبدل من "له" قوله تعالى : ﴿ لمن نريد[6] ﴾ أى لا لكل من أراد ذلك ، تنبيها على أن[7] ذلك بقوتنا لا بقوة ذلك المريد ﴿ ثم جعلنا ﴾

(١) فى ظ : بان (٢) زيد من ظ و م و مد (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جهلا على ان (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من ظ و م و مد ، فى الأصل : تريده (٦) من ظ و م و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : يريد. (٧) زيد فى الأصل : من اراد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

أى بما لنا من العظمة ﴿ له ﴾ أى لظاهره و باطنه[1] ﴿ جهنم ج ﴾ أى الدركة النارية التى تلقى[2] بالتجهم من كان يلقى الدنيا و أهلها بالتبسم ﴿ يصلها ﴾ فى الآخرة ﴿ مذموما ﴾ أى مفعولا به الذم ، و هو ضد المدح ﴿ مدحورا ه ﴾ مدفوعا مطرودا مبعدا ، فينبغى لمريد[3] الدنيا أن لا يزال على حذر لأنه لا ينفك من[4] عذاب الآخرة ، *فان لم يعط شيئا من مناه - كما أشار إليه "لمن نريد" - اجتمع له العذابان كاملين : فقر الدنيا و عذاب الآخرة* ، و إن أعطى فهو لا يعطى كل ما يريد - بما أشار إليه "ما نشاء" - فيجتمع له عذاب ما منعه منها مع[6] عذاب الآخرة .

و لما ذكر / الجاهل . ذكر العالم العامل فقال تعالى : ﴿ و من اراد الآخرة ﴾ / ٢٩٨

أى مطلق إرادة - بما أشار إليه التجريد "من كان" ﴿ و سعى ﴾ أى و ضم إلى نيته العمل بأن سعى ﴿ لها سعيها ﴾ أى الذى هو لها ، و هو ما كانت جديرة به من العمل بما يرضى الله *بما شرعه فى كتابه و سنة رسوله صلى الله عليه و على آله و سلم ، لا أىّ سعى كان *بما لم[8] يشهد ظاهر الكتاب و السنة ، إعلاما بأن النية لا تنفع [إلا مع[9] العمل ، إما بالفعل عند التمكن ، و إما بالقوة عند عدمه ؛ ثم ذكر شرط السعى الذى لا يقبل إلا -[10]] به . فقال تعالى : ﴿ و هو مؤمن ﴾ أى راسخ فى هذا الوصف

(١) زيد فى ظ : له (٢) فى ظ : يلقى (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لمن يريد (٤) زيد فى ظ : الدنيا و - كذا (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٧) العبارة من هنا إلى « الكتاب و السنة » ساقطة من م (٨- ٨) من مد ، و فى الأصل : ممن ، و فى ظ : فالم . (٩) فى ظ : من (١٠) زيد من ظ و م و مد .

كما جاء عن بعض السلف: من لم يكن له ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت، ونية صادقة، وعمل مصيب - وتلا هذه الآية[1]، وهذا الرسوخ [2]هو الإحسان الذى يدور عليه مقصود السورة[2]؛ ثم رتب عليه الجزاء فقال: ﴿فأولئك﴾ أى[3] العالو الرتبة لجمعهم الشرائط الثلاثة ﴿كان﴾ أي كونا لابد منه ﴿سعيهم مشكورا﴾ أى مقبولا مثابا عليه بالتضعيف مع أن بعضهم نفتح[4] عليه أبواب الدنيا كداود وسليمان عليهما الصلاة والسلام ونستعمله فيها بما يحب، وبعضهم نزويها[5] عنه كرامة له لا هوانا[6]، فالحاصل أنها[7] إن وجدت عند الولى لم تشرفه، وإن عدمت عنه لم تحقره، وإنما الشرف وغيره عند الله بالأعمال.

ولما أخبر عن نفسه الشريفة بما يشير إلى التوسعة على من يريد من أهل الباطل، أخبر بأنه قضى بذلك[8] فى الأزل تفضلا فقال تعالى: ﴿كلا﴾ أى من الفريقين: [مريد -[9]] الدنيا ومريد الآخرة ﴿نمد﴾ أى بالعطاء؛ ثم أبدل[10] من "كلا" قوله تعالى: ﴿هؤلاء﴾ أى الذين طلبوا[11] الدنيا نمد ﴿وهؤلاء﴾ الذين طلبوا الآخرة نمد ﴿من عطاء ربك﴾ أى المحسن إليه بجميع قضائه، إن ضيق على مؤمن فبالحماية من الدنيا

(١) ذكره فى لباب التأويل ٤/١٢٥ وروح المعانى ٤/٥٠ أيضا بدون التعيين.
(٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) سقط من م (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بفتح (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: يرويها (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: هوانة (٧) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م و مد، وفى الأصل و ظ: ذلك (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: من ابدلا - كذا.
(١١) فى ظ: طلبوا.

الفانية التى إنما هى[1] لهو و لعب ، و إن وسع فبالاستعمال فيها على حسب ما يرضيه و يعلى كلمته ﴿ و ما كان عطآء ربك ﴾ [2]أى الموجد لك المدبر لأمرك[2] ﴿ محظوراه ﴾ أى ممنوعا فى الدنيا عن مؤمن و لا كافر ، بل هو ملء السهل و الجبل من الذهب و الفضة و الحديد و النحاس ٥ و الجواهر و الثمار و أقوات الناس و البهائم ، و غير ذلك مما لا يحصيه إلا الله حتى [لو - [3]] اجتمع كل الناس على جمعه ليلا و نهارا ، و لم يكن لهم شغل سوى ذلك ، لأعياهم و لم يقدروا عليه ، فسبحان الجواد [الواسع - [3]] المعطى المانع ، ثم أمر بالنظر فى عطائه[4] هذا على وجه مرغب فى الآخرة مزهد فى الدنيا ، فقال تعالى آمرا بالاعتبار : ١٠ ﴿ انظر ﴾ و بين أن حالهم لغرابته أهل لأن يسأل عنه فقال تعالى : ﴿ كيف فضلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة القاهرة ﴿ بعضهم على بعض[5] ﴾ فى هذه الحياة الدنيا بالعطاء ، فصار الفاضل يسخر المفضول ، و المفضول يرغب فى خدمة المفضل و يتشرف بالتقرب إليه ، مع أن رزق الله - و هو عطاءه - بالنسبة إلى الكل على حد سواء ، خلق ما هو ١٥ موجود فى هذه الدنيا للبر و الفاجر ، و كل حريصون على أن يأخذوا فوق كفايتهم من الأرزاق التى هى أكثر منهم[5] ، فما كان هذا التفاضل إلا بقسر[6] قادر قهرهم على ذلك ، و هو من تنزه عن النقص [و - [3]] حاز

(١) سقط من ظ (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط بعد « من عطاء ربك » (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ : اعطايه (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سر .

كل كمال، فاستحق أن لا توجه رغبة راغب إلا إليه.

و لما نبه على أن ما نراه من التفضيل إنما هو بمحض قدرته، أخبر أن ما بعد الموت كذلك من غير فرق فقال: ﴿و للآخرة﴾ أكد الإخبار عما فيها المستلزم لتأكيد الإعلام بوجودها[1] لما لهم من إنكاره ﴿اكبر درجت﴾ من هذه الحياة[2] الدنيا ﴿و اكبر تفضيلا﴾ أولا بالجنة و النار أنفسهما، و ثانيا بالدرجات فى الجنة و الدركات فى النار؛ و لما كان العلم هنا مقيدا بالذنوب، ذكر[3] بعد المفاضلة[3] فى الدنيا، و لعل [فى-[4]] ذلك إشارة إلى أن أكثر من[5] يزاد فى الدنيا تكون / زيادته نقصا من آخرته بسبب ذنب اكتسبه أو تقصير ارتكبه، و لما كان العلم فيما يأتى فى قوله تعالى "و ربك اعلم" مطلقا، طوى بعده الرذائل. و عطف على ذلك المطوى الفضائل، فقال تعالى "و لقد فضلنا بعض، النبيّن على بعض" - الآية، فمن كانت له نفس أبية و همة علية كان عليه أن يزهد فى علو فان لأجل العلو الباقى.

/ ٢٩٩

و لما تقرر بما مضى أن له سبحانه الأمر كله، و أنه متصف بجميع الكمال منزه عن شوائب النقص، أنتج أنه لا إله غيره، فقال تعالى يخاطب الرأس لأن ذلك أوقع فى أنفس[6] الأتباع، و إشارة[7] إلى أنه لا يوحده

(١) من ظ و م و مد، و فى الاصل: لوجودها (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الدنيا (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعده الفاصلة. (٤) زيد من م و مد (٥) فى ظ: ما؛ و زيد بعده فى الأصل: ان، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) فى ظ: النفس (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشار.

حق توحيده سواه، و يجوز أن يكون خطابا عاما لكل من يصح أن يخاطب به: ﴿لا تجعل مع الله﴾ الذى له [جميع -[1]] صفات الكمال[2] ﴿ الها ﴾ و سيأتى قريبا سر[3] قوله: ﴿ أخر ﴾ أنه مفهوم من المعية ﴿ فتقعد ﴾ أى فيتسبب عن ذلك أن تقعد أى تصير فى الدنيا قبل ٥ الآخرة ﴿مذموما﴾ .

و لما كان الذم قد يحتمله[4] بعض الناس [مع -[1]] بلوغ الأمل، بين أنه مع الخيبة فقال تعالى: ﴿ مخذولا ﴾ أى غير منصور فيما اردته من غير أن يغنى عنك أحد بشفاعة أو غيرها . و لما قرع الأسماع بهذا النهى المحتم لتوحيده، أتبعه الإخبار بالأمر بذلك جمعا فى ذلك بين صريحى ١٠ الأمر و النهى تصريحا بعد التنزيه له عن الشريك بالإفراد له فى العبادة فى أسلوب الخبر، إعلاما بعظم المقام فقال تعالى: ﴿ و قضىٰ ﴾ أى نهاك عن ذلك و أمر ﴿ربك﴾ أى[5] المحسن إليك أمرا حتما مقطوعا به ماضيا لا يحتمل النزاع ؛ ثم فسر هذا الأمر بقوله تعالى: ﴿ الا تعبدوآ ﴾ أى أنت و جميع أهل دعوتك، و هم جميع الخلق ١٥ ﴿ الآ اياه ﴾ فان ذلك هو الإحسان .

و لما أمر[6] بمعرفة الحق المحسن المطلق منبها على وجوب ذلك باسم الرب، أتبعه الأمر بمعرفة الحق لأول المربين[7] من الخلق فقال:

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : الملك .
(٣) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : شرح (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : يحتمل (٥) سقط من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اخبر .
(٧) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : الحزبين .

﴿و بالوالدين﴾ أى و أحسنوا ، أى أوقعوا الإحسان بهما ﴿احسانا[١]﴾ بالاتباع فى الحق إن كانا حنيفين[١] شاكرين لأنعمه كابراهيم و نوح عليهما السلام فان ذلك [يزيد - [٢]] فى حسناتهما ، و بالبراءة منهما فى الباطل فان ذلك يخفف من وزرهما و اللطف بهما ما لم يجر إلى فساد ليكون الله معكم[٣] فانه مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون . ٥

و لما كان سبحانه عليما بما فى الطباع من [٤]ملال الولد[٤] لهما عند أخذهما فى السن ، قال تعالى : ﴿ اما ﴾ مؤكدا بادخال ' ما ' على الشرطية لزيادة التقرير للمعنى اهتماما بشأن الأبوين ﴿ يبلغن عندك ﴾ [أى - [٥]] بأن يضطر [إليك - [٦]] فلا يكون لهما كافل غيرك ﴿ الكبر ﴾ و نفى كل احتمال يتعلق به المتعنت بقوله تعالى : ﴿احدهما او كلاهما ﴾ فيعجزا[٧] ١٠ بحيث يكونان فى كفالتك ﴿فلا تقل لهما اف﴾ أى [٨]لا تتضجر منهما[٨]، و فى سورة الأحقاف[٩] ما ينفع كثيرا هنا ؛ ثم صرح بما ينهى عنه[١٠] الكلام من باب الأولى[١١] تعظيما للمقام [فقال - [١٢]] : ﴿و لا تنهرهما﴾ فيما لا ترضاه ؛ و النهر : زجر باغلاظ و صياح . و قال الأستاد أبو الحسن الحرالى رحمه الله[١٠] فى كتابه فى أصول الفقه : و قد أولع الأصوليون بأن يذكروا ١٥

(١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : حقيقين (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : معهم (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مال الوالد (٥) زيد من مد (٦) زيد من م (٧) فى ظ : فيعجز (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: لا تضجرنهما (٩) آية ١٧ (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اولى (١٢) زيد من ظ و م و مد .

فى جملة هذا الباب[١] ـ أى باب الاستدلال بالملزوم على اللازم و الأدنى على الأعلى - قوله تعالى " و لاتقل لهما [اف ـ[٢]] " بناء على أن التأفيف عندهم أقل شيء يعق به الأب ، و ذلك حائد عن سنن [البيان - [٣]] و وجه[٤] الحكمة ، لأنه ليس فى العقوق شيء أشد من التأفيف[٥] لأنه إنما يقال للمستقذر المسترذل ، و لذلك عطف عليه " و لاتنهرهما " لأنه لايلزم منه لزوم سواه و لا لزوم أحرى ، و لايصلح فيما يقع أدنى أن يعطف عليه ما يلزمه سواه ، أو[٦] أحرى ، كما لو قال قائل : من يعمل[٧] ذرة خيرا يره ،[٨] و من يعمل قيراطا يره ، لم يصلح عطفه عليه لإفادة الأول إياه ، و لعل ذلك / شيء وهل فيه واهل [٩] فسلك إثره[٩] من غير اعتبار لقوله - انتهى .

/٣٠٠

و لما نهاه عن عقوقهما تقديما لما تدرأ به المفسدة ، أمره ببرهما جلبا للمصلحة ، فقال تعالى : ﴿ و قل لهما ﴾ أى بدل النهر و غيره ﴿قولا كريما ٥﴾ أى حسنا جميلا يرضاه الله و رسوله مع ما يظهر فيه من اللين و الرقة و الشفقة و جبر الخاطر و بسط النفس ، كما يقتضيه حسن الأدب و جميل المروءة ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكتاب (٢) زيد من ظ و م و مد و القرآن (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل وظ : درجة. (٥) من م و مد ، و فى الأصل : التاقيف ، و فى ظ : العقوق (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٧) زيد فى مد : خيرا (٨) زيد فى الأصل بعده : و من يعمل مثقال شرا يره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يسلك فيه .

و من ذلك أنك لا تدعوهما بأسمائهما[١] ، بل يا أبتاه و يا أمتاه - و نحو هذا ﴿ و اخفض لهما ﴾ و لما كان الطائر يخفض جناحه عند الذل ، استعار لتعطفه عليهما رعيا لحقوقهما قوله تعالى : ﴿جناح الذل﴾ أى جناح ذلك ، و بين المراد بقوله تعالى : ﴿من الرحمة﴾ أى [لا -[٢]] من أجل امتثال الأمر و خوف العار فقط ، بل من أجل الرحمة لهما ، بأن لا تزال ٥ تذكر نفسك بالأوامر و النواهى و ما تقدم لهما من الإحسان إليك ، فصارا مفتقرين إليك و قد كنت أفقر خلق الله إليهما ، حتى يصير ذلك خلقا[٣] لازما لك فان[٤] النفس لأمارة[٥] بالسوء ، و إن لم تقد إلى الخير بأنواع الإرغاب و الإرهاب و الإمعان فى النظر فى حقائق الأمور و عجائب المقدور ، و لذلك أتبعه قوله تعالى آمرا بأن لا يكتفى برحمته التى لا بقاء لها ، فان ١٠ ذلك لا يكافئ حقهما بل يطلب لهما الرحمة الباقية : ﴿ و قل رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ بعطفهما علىّ حتى ربيانى و كانا يقدمانى على أنفسهما ﴿ ارحمهما ﴾ بكرمك برحمتك الباقية [وجودك -[٦]] كما رحمتهما أنا برحمتى القاصرة مع بخلى [٧]وما فىّ من طبع اللوم[٧] ﴿ كما ربيانى ﴾ برحمتهما لى[٨] ﴿ صغيرا[٥] ﴾ وهذا مخصوص

(١) فى ظ : باسمائهما (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل : لك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : لان (٥) من مد ، و فى الأصل وظ و م : امارة (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الى .

بالمسلمين بآية[1] «ما كان للنبي[2]» لا منسوخ . و لقد أبلغ سبحانه فى الإيصاء بهما حيث بدأه بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده و نظمه فى سلكه ، و ختمه بالتضرع فى نجاتهما ، جزاء على فعلهما و شكرا لهما ، و ضيق الأمر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى [أدنى - [3]] شيء من امتهانهما ، مع موجبات الضجر و مع أحوال لا يكاد [4] يدخل الصبر إليها [4] فى حد الاستطاعة إلا بتدريب كبير .

و لما كان ذلك عسرا جدا ، حذر من التهاون به بقوله[5] تعالى : ﴿ ربكم ﴾ أى المحسن إليكم فى الحقيقة ، فانه هو الذى عطف عليكم من يربيكم و هو الذى أعانهم على ذلك ﴿ اعلم ﴾ أى منكم ﴿ بما فى نفوسكم ﴾ من قصد البر بهما و غيره ، فلا يظهر أحدكم غير ما يبطن ، فان ذلك لا ينفعه و لا ينجيه إلا أن يحمل نفسه على ما يكون سببا لرحمتهما ﴿ ان تكونوا ﴾ أى كونا هو جبلة لكم ﴿ صلحين ﴾ أى متقين أو محسنين فى نفس الأمر ؛ و الصلاح : استقامة [الفعل - [3]] على ما يدعو إليه[6] الدليل ، و أشار إلى أنه لا يكون ذلك إلا بمعالجة النفس و ترجيعها كرة بعد فرة[7] بقوله تعالى : ﴿ فانه كان للاوابين ﴾ أى الرجاعين[8]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بانه (٢) سورة ٩ آية ١١٣ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصبر يدخل اليها . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قوله (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كرة (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الراجعين .

إلى الخير مرة إثر مرة بعد جماح أنفسهم عنه ﴿غفورا ۝﴾ أى بالغ الستر، تنبيها لمن وقع منه تقصير، فرجع عنه على أنه مغفور.

و لما حث على الإحسان إليهما بالخصوص، عم بالأمر به لكل ذى رحم و غيره، فقال تعالى: ﴿و آت ذا القربى﴾ من جهة الأب أو الأم و إن بعد ﴿حقه و﴾ آت ﴿المسكين﴾ و إن لم يكن قريبا ٥ ﴿و ابن السبيل﴾ و هو المسافر المنقطع عن ماله لتكون متقيا[1] محسنا.

و لما رغب فى البذل، و كانت النفس قلما يكون فعلها قواما بين الإفراط و التفريط، أتبع ذلك قوله تعالى: ﴿و لا تبذر﴾ بتفريق المال سرفا، و هو بذله فيما لا ينبغى، و فى قوله: ﴿تبذيرا ۝﴾ تنبيه على أن الارتقاء نحو ساحة التبذير أولى من الهبوط إلى مضيق الشح و التقتير؛ ١٠ و التبذير: بسط اليد فى المال على حسب الهوى جزافا، و أما الجود فبمقدار[2] معلوم، لأنه اتباع أمر الله فى الحقوق المالية، و منها معلوم / بحسب القدر، و منها معلوم بحسب الوصف كمعاضدة[3] أهل الملة ٣٠١ / و شكر أهل الإحسان [إليك -[4]] و نحو ذلك، و قد سئل ابن مسعود رضى الله عنه عن التبذير فقال: إنفاق المال فى غير حقه، و عن ١٥ مجاهد [5]رضى الله عنه[5]: لو أنفق الإنسان ماله كله فى الحق ما كان تبذيرا، و لو أنفق مدا فى باطل كان تبذيرا[6]. ثم علل ذلك بقوله:

(١) فى ظ: متحققا (٢) فى ظ: فمقدار (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لمعاضدة (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.
(٦) ألم بالقولين فى معالم التنزيل أيضا - راجع لباب التأويل ١٢٨/٤.

﴿ ان المبذرين ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ كانوآ ﴾ أى كونا هم راسخون فيه ﴿ اخوان الشيطين[1] ﴾ أى كلهم، البعيدين من الرحمة، المحترقين فى اللعنة، فان فعلهم فعل النار التى هى أغلب أجزائهم، و هو إحراق ما وصلت إليه لنفع و غير نفع، فاذا لم يجدوا أخذوا ما ليس لهم، و العرب تقول لكل ملازم سنة قوم و تابع أمرهم: هو أخوهم.

و لما كان الاقتصاد أدعى إلى الشكر، و التبذير أقود إلى الكفر، قال تعالى: ﴿ و كان الشيطن ﴾ أى هذا الجنس البعيد من كل خير، المحترق من كل شر ﴿ لربه ﴾ أى الذى أحسن إليه بايجاده و تربيته ﴿ كفورا * ﴾ أى ستورا لما يقدر على ستره من آياته الظاهرة، و نعمه الباهرة، مع الحجة.

و لما أمر بما هو الأولى فى حالة الوجدان، أمر بمثل ذلك حالة العدم، فقال مؤكدا تنبيها على أنه ينبغى أن يكون الإعراض عنهم فى حيز الاستبعاد و الاستنكار: ﴿ و اما تعرضن عنهم ﴾ أى عن جميع من تقدم ممن أمرت بالبذل له، لأمر[1] اضطرك[2] إلى ذلك لا بد لك منه، لكونك لا تجد ما تعطيه، فأعرضت حياء لا لإرادة المنع، بل ﴿ ابتغآء ﴾ أى طلب ﴿ رحمة ﴾ أى إكرام و سعة ﴿ من ربك ﴾[3] الكثير الإحسان ﴿ ترجوها ﴾ فاذا أتتك واسيتهم فيها ﴿ فقل لهم ﴾ فى حالة الإعراض ﴿ قولا ميسورا * ﴾ أى ذا يسر يشرح صدورهم، و يبسط رجاءهم، لأن ذلك أقرب إلى طريق المتقين المحسنين الذين أنا

(١) فى ظ: الامر (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اضطر (٣) زيد فى مد: اى.

معهم ؛ قال أبو حيان: و روى أنه عليه الصلاة و السلام كان بعد نزول هذه الآية إذا لم يكن عنده ما يعطى و سئل قال: يرزقنا الله و إياكم من فضله - [انتهى -[1]] . و قد وضع هنا الابتغاء موضع الفقر لأنه سببه، فوضع المسبب موضع السبب .

و لما أمر بالجود الذى هو لازم الكرم، نهى عن البخل الذى هو لازم اللوم، فى سياق ينفر[2] منه و من الإسراف، فقال ممثلا لهما بادئا بمثال الشح: ﴿ و لا تجعل يدك ﴾ بالبخل ﴿ مغلولة ﴾ أى كأنها بالمنع مشدودة بالغل ﴿ الى عنقك ﴾ لا تستطيع مدها ﴿ و لا تبسطها ﴾ بالبذل ﴿ كل البسط ﴾ فتبذر ﴿ فتقعد ﴾ أى توجد كالمقعد، بالقبض ﴿ ملوما ﴾ أى بليغ الرسوخ فيما تلام[3] بسببه عند الله، لأن ذلك مما نهى عنه، و عند الناس، و بالبسط ﴿ محسورا * ﴾ منقطعا بك لذهاب ما تقوى[4] به و انحساره عنك، و كل من الحالتين مجاوز لحد الاعتدال.

و لما كان سبب البخل خوف الفقر، و سبب البسط محبة إغناء المعطى، قال مسليا لرسوله[5] صلى الله عليه و سلم عما[6] كان يرهقه من الإضافة عن التوسعة على من يسأله بأن ذلك إنما هو لتربية العباد[7] بما يصلحهم، لا لهوان بالمضيق عليه، و لا لإكرام للموسع عليه: ﴿ان ربك﴾

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ينفى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يلام (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يقوى . (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لرسول الله (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المعاد .

أى المحسن إليك ﴿ يبسط الرزق لمن يشآء ﴾ البسط له دون غيره ﴿ و يقدر[1] ﴾ أى يضيق كذلك[1] سواء قبض يده أو بسطها ، و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ، و لكنه تعالى لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ، و لا بالمقبوض عنه أقصى مكروهه ، فاستنوا[2] فى إنفاقكم على عباده بسنته[3] فى الاقتصاد ﴿ انه كان ﴾ أى كونا هو فى غاية المكنة ﴿ بعباده / خبيرا ﴾ أى بالغ الخبر ﴿ بصيرا ٣٠ ﴾ أى بالغ البصر بما يكون من كل القبض و البسط لهم مصلحة أو مفسدة .

/٣٠٢

و لما أتم سبحانه ما أراد [4]من الوصية[4] بالأصول و ما تبع ذلك ، و ختمه بما قرر من أن قبض الرزق و بسطه [منه -[5]] من غير أن ينفع فى ذلك حيلة . أوصاهم بالفروع ، لكونهم فى غاية الضعف وكانوا يقتلون بناتهم خوف الفقر ، وكان اسم البنت قد صار عندهم لطول ما استهجنوه موجبا للقسوة ، فقال فى النهى عن ذلك مواجها لهم ، إعلاما بعده صلى الله عليه و على آله و سلم عن هذا الخلق قبل الإسلام و بعده : ﴿ و لا تقتلوآ اولادكم ﴾ معبرا بلفظ الولد الذى هو داعية إلى الحنو و العطف ﴿ خشية املاق[1] ﴾ أى فقر متوقع لم يقع بعد ؛ ثم وصل بذلك استئنافا [قوله -[5]] : ﴿ نحن نرزقهم و اياكم[1] ﴾ مقدما ضمير الأولاد لكون الإملاق مترقبا من الإنفاق عليهم غير حاصل [فى حال القتل ، بخلاف

(١) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : ذلك (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : فآمنوا (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : لسنة (٤-٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بالوصية (٥) زيد من ظ و م و مد .

آية الأنعام[1] فان سياقها يدل على أن الإملاق حاصل -[2]] عند القتل ، و القتل للعجز عن الإنفاق ، ثم علل ذلك بما هو أعم منه فقال تعالى : ﴿ان قتلهم ﴾ أى مطلقا لهذا أو[3] غيره ﴿ كان خطئا ﴾ أى إثما ﴿ كبيرا ٥﴾ قال الرمانى : و الخطأ - أى بكسر ثم سكون - لا يكون[4] إلا تعمدا إلى خلاف الصواب ، و الخطأ - أى محركا - قد يكون من غير تعمد . ٥

و لما كان فى قتل الأولاد حظ من البخل ، و فى فعل الزنا داعٍ من الإسراف ، اتبعه به فقال تعالى : ﴿ و لا تقربوا ﴾ أى أدنى قرب بفعل [شىء -[5]] من مقدماته و لو باخطاره بالخاطر ﴿ الزنى[6] ﴾ [6]مع أن[7] السبب[8] الغالب فى فعل النساء له الحاجة و طلب التزيد ، و فيه معنى قتل الولد بتضييع نسبه . [و فيه تسبب -[7]] فى إيجاد نفس بالباطل ، كما أن ١٠ القتل تسبب فى إعدامها بالباطل ، و عبر بالقربان تعظيما له لما فيه من المفاسد الجارّة إلى الفتن بالقتل و غيره ؛ ثم علله بقوله مؤكدا إبلاغا فى التنفير عنه لما للنفس[9] من شدة الداعية إليه : ﴿ انه كان ﴾ أى كونا لا ينفك عنه ﴿ فاحشة[10] ﴾ أى زائدة القبح ، و قد نهاكم عن الفحشاء فى آية العدل و الإحسان[10] ﴿و ساء﴾ الزنا ﴿ سبيلا ٥ ﴾ أى ما أسوأه[11] من طريق ! ١٥

(١) آية ١٥١ (٢) زيد من م ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٤) فى ظ : لا تكون (٥) زيد من م و مد (٦) زيد فى ظ : اى (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المسبب (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى النفس (١٠) من سورة النحل (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما امنوا .

و التعبير عنه بالسبيل يدل على كثرة متعاطيه بالدلالة على سعة[1] منهجه .

و لما أتم النهى عن هذين الأمرين المتحدين فى وصف الفحش و فى السبب على تقدير[2] ، و فى إهلاك الولد بالقتل و ما فى معناه ، أتبعهما مطلق القتل الذى من أسبابه تحصيل المال فقال تعالى : ﴿ و لا تقتلوا النفس ﴾ أى بسبب ما جعل خالقها لها من النفاسة ﴿ التى حرم الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله بالإسلام أو[3] العهد ﴿ الا بالحق[4] ﴾ أى بأمر يحل[5] الله به تلك الحرمة التى كانت ، فصارت الأسباب المنهى عنها بتحريم مسبباتها منع [6]الموجود بخلا[6] ثم بذله إسرافا[7] ثم تحصيل المفقود بغيا[7] ؛ ثم عطف على ما أفهم السياق تقديره و هو : فمن قتل نفسا بغير حق فقد عصى الله و رسوله ﴿ و من قتل ﴾ أى وقع قتله من أىّ قاتل كان ﴿ مظلوما ﴾ أى بأىّ ظلم كان ، من غير أن يرتكب إحدى ثلاث : الكفر ، و الزنا بعد الإحصان ، و قتل المؤمن عمدا[8] ، عدوانا ﴿ فقد جعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ لوليه ﴾ أى سواء كان قريبا أو [سلطانا -[9]] ﴿ سلطانا ﴾ أى أمرا متسلطا ﴿ فلا يسرف ﴾ الولى، أوفلا تسرف أيها الولى ﴿ فى القتل[5] ﴾ بقتل غير القاتل . ولا يزد على حقه بوجه ﴿ انه ﴾ أى القتيل ﴿ كان منصوراه ﴾

(١) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : سخة - كذا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تقديره (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٤) من م و مد ، و فى الأصل : تحل ، و فى ظ : يجعل (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الوجود بخلاف (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : استشرافا (٧) من ظ و م ومد ، و فى الأصل: ايضا (٨) زيدت الواو فى ظ (٩) زيد من ظ و م و مد .

فى الدنيا بما جبل[1] الله فى الطباع من فحش القتل، وكراهة كل أحد له، و بغض القاتل و النفرة [منه -[2]]، و الأخذ على يده، و فى الآخرة بأخذ حقه منه[3] من غير ظلم و لا غفلة، فمن وثق بذلك ترك الإسراف، فانه لخوف الفوت أو[4] للتخويف[5] من العود.

/ و لما نهى [عن -[2]] الإغارة[6] على الأرواح و الأبضاع التى هى[7] سببها، أتبعه النهى عن نهب ما هو عديلها، لأن به قوامها، و هو الأموال، و بدأ بأحق ذلك بالنهى لشدة الطمع فيه لضعف مالكه فقال تعالى: ﴿ و لا تقربوا ﴾ أى فضلا عن أن تأكلوا ﴿مال اليتيم ﴾ فعبر بالقربان الذى هو قبل الأخذ [تعظيما -[2]] للقام ﴿ الا بالتى هى احسن ﴾ من طرائق القربان[8]، و هو التصرف فيه بالغبطة تثميرا[9] لليتيم ﴿ حتى يبلغ ﴾ اليتيم ﴿اشده[ص]﴾ و هو إيناس الرشد منه بعد بلوغه. /٣٠٣

و لما كانت الوصية نوعا من أنواع العهد، أمر بوفاء ما هو أعم منها[10] فقال تعالى: ﴿ و اوفوا ﴾ [11]أى أوقعوا هذا الجنس فى الزمان والمكان. وكل ما يتوقف عليه الأمر المعاهد عليه و يتعلق به[11] ﴿ بالعهد[12] ج ﴾

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جعل (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل « و » (٥) فى ظ: التخويف. (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاعادة (٧) زيد فى الأصل و ظ: مس، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: القرآن. (٩) من ظ و م و مد، فى الأصل: تشميرا (١٠) فى ظ: منه (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من م (١٢) تأخر فى الأصل عن « من المخالفة » و الترتيب من ظ و م و مد؛ و العبارة من بعده إلى « نقص ما » ساقطة من م.

أى بسببه[1] ليتحقق الوفاء به و لا يحصل فيه نقص ما[2]، و هو العقد الذى يقدم للتوثق .

و لما كان العلم بالنكث و الوفاء متحققا ، كان العهد نفسه كأنه هو المسؤل عن ذلك ، فيكون رقيبا على الفاعل به ، فقال تعالى مرهبا من المخالفة : ﴿ ان العهد كان ﴾ أى كونا مؤكدا عنه[2] ﴿ مسؤلا ﴾ أى عن كل من عاهد [هل -[3]] وفى به ؟ أو مسؤلا عنه من كل من يتأتى منه السؤال .

و لما كان[2] التقدير بالكيل أو الوزن من جملة الأمانات الخفية كالتصرف لليتيم ، و كان الائتمان [عليه -[3]] كالمعهود فيه ، [أتبعه -[3]] قوله : ﴿ و اوفوا الكيل ﴾[4] أى نفسه فانه أمر محسوس لايقع فيه إلباس و اشتباه ؛ و لما كان[5] صالحا لمن أعطى و من أخذ ، [قال -[6]] : ﴿اذا كلتم﴾ أى لغيركم ، [7] فان اكتلتم[7] لأنفسكم فلا جناح عليكم إن نقصتم عن حقكم و لم توفوا الكيل ﴿و زنوا﴾ أى وزنا متلبسا[8] ﴿ بالقسطاس ﴾ أى ميزان العدل الذى هو أقوم الموازين ، و زاد فى تأكيد معناه فقال تعالى : ﴿المستقيم[1] ﴾ دون شىء من الحيف على ما مضى فى الكيل سواء ﴿ذلك﴾

(١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) سقط من ظ .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) العبارة من هنا إلى « من أخذ » ساقطة من م .
(٥) سقط من مد (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاذ اكلتم (٨) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : ملتبسا .

أى الأمر العالى الرتبة[1] الذى أمرناكم به ﴿خير﴾ لكم فى الدنيا و الآخرة و إن ترا آى لكم أن غيره خير ﴿و احسن تاويلا﴾ أى عاقبة فى الدارين ، و هو تفعيل من الأول و هو الرجوع ، و أفعل التفضيل[2] هنا لاستعمال [النصفة لإرخاء -[3]] العنان ، أى على تقدير أن يكون فى كل منهما خير ، فهذا الذى ذكرناه أزيد خيرا و العاقل لا [ينبغى أن -[4]] يرضى لنفسه بالدون . ٥

و لما كان ذلك مما تشهد القلوب[5] بحسنه ، و أضداده مما تتحقق النفوس قبحه ، لأن الله تعالى جبل الإنسان على ذلك كما قال صلى الله عليه و على آله و سلم « البر ما سكن إليه القلب و اطمأنت إليه النفس ، و الإثم ما حاك فى القلب و تردد فى الصدر و إن أفتاك المفتون و أفتوك[6] » و قال « إن مما[7] أدرك الناس من كلام النبوة [الأولى -[8]] : إذا لم تستحى ١٠ فاصنع ما شئت » [9]و كان قد جمع الضمائر سبحانه[9] ، تلاه[10] سبحانه بما يعمه و غيره فقال تعالى [11]مفردا الضمير ليصوب[12] النهى إلى كل من الجمع[13]

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : التفعيل (٣) زيد من ظ وم و مد (٤) زيد من م ومد (٥) من م و مد . و فى الأصل وظ : العقول .

(٦) راجع مسند الدارمى باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك من كتاب البيوع ، ومسند الإمام أحمد ٤/١٩٤ و ٢٢٨ (٧-٧) من ظ و م و مد وصحيح البخارى - باب ما ذكر فى بنى إسرائيل من كتاب الأنبياء ، وفى الأصل : انما ، و رواه أيضا أبو داود فى الأدب وابن ماجه فى الزهد (٨) زيد من ظ و م ومد و الصحيح .

(٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من م (١٠) فى ظ : تلا (١١) العبارة من هنا إلى « حد سواء » ساقطة من م (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتصوب .

(١٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : الخم .

و الإفراد فى حالتى الاجتماع و الانفراد على حد سواء: ﴿ و لا ﴾ أى[1] افعلوا ما أمرتم به من ذلك ، و انتهوا عما نهيتم عنه منه ، لما تقرر فى الجبلات من العلم الضرورى بخيريته و حسنه ، و لا ﴿ تقف ﴾ أى تتبع أيها الإنسان مجتهدا[2] بتتبع الآثار ﴿ ما ليس لك به علم[3] ﴾ من ذلك و غيره ، كل
٥ شىء[3] بحسبه ، لاسيما البهت[4] و القذف ، فما كان المطلوب فيه القطع لم يقنع فيه بدونه ، و ما اكتفى فيه بالظن وقف عنده ؛ ثم علل ذلك[5] مخوفا بقوله : ﴿ ان السمع و البصر ﴾ و هما طريقا الإدراك ﴿ و الفؤاد ﴾ الذى هو آلة الإدراك ؛ ثم هوّل الأمر بقوله تعالى : ﴿ كل اولئك ﴾ أى هذه الأشياء العظيمة ، العالية المنافع ، البديعة التكوين ، و أولاء
١٠ و جميع أسماء الإشارة يشار بها للعاقل و غيره كقوله[6] :

ذم المنازل بعد منزلة اللوى و العيش بعد أولئك الأيام

﴿ كان ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿ عنه ﴾ أى وحده ﴿ مسؤلا ﴾ بسؤال يخصه ، هل استعمله / صاحبه فى طلب العلم مجتهدا فى ذلك ، ٣٠٤/
ليعمل عند الوقوف على الحقائق بما يرضى الله ، و يجتنب[7] ما يسخطه
١٥ أو لا ؟ و أول حديث النفس السابح ثم الخاطر ثم الإرادة و العزيمة ، فيؤاخذ بالإرادة و العزيمة لدخولها تحت الاختيار فيتعلق بهما التكليف[8] ،

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مجدا (٣) فى ظ : ذلك .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السب (٥) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) و هذا القول لجرير على ما رواه غير واحد - كما فى روح المعانى ٤ / ٥٢١ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يحتسب (٨) فى ظ : التكلف .

و لعدم دخول الأولين خفف عنا بعدم المؤاخذة [بهما - [1]] ، كما قال صلى الله عليه و على آله و سلم « إن الله [2] تجاوز لأمتى عما حدثت بـه أنفسها [3] ما لم تعمل به أو تكلم [4] » .

و لما كان الكبر و الأنفـة أعظم موقف عن العلم الداعى إلى كل خير ، و مرض [5] بمرض الجهل الحامل على كل شر ، قال تعـالى : ٥ ﴿ و لا تمش ﴾ أى مشيا ما ، و حقق المعنى بقوله تعالى : ﴿ فى الارض ﴾ أى جنسها ﴿ مرحا ﴾ و هو شدة الفرح التى يلزمها الخيلاء ، لأن ذلك من رعونات [النفس - [1]] بطيش الهوى و داعى الشهوة و ما طبعت [6] عليه من النقـائص ، فانه لا يحسن إلا بعد [بلوغ - [1]] جميع الآمال التى [7] تؤخذ بالجد و لن [8] يكون ذلك لمخلوق ، و لذلك علله بقوله تعالى : ١٠ ﴿ انك لن تخرق ﴾ أى و لو بأدنى الوجوه ﴿ الارض [9] ﴾ أى تقطعها سيرا من مكانك إلى طرفها ﴿ و لن تبلـغ ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ الجبال طولا ﴾ أى طول الجبـال كلها بالسير فيها ، فاذا كـنت [تعجز - [1]] فى قدرتك و علمك عن خط مستقيم من عرض الأرض

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انفسها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تتكلم ، و راجع أيضا مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٩٣ ، و الحديث قد رواه غير واحـد فى غير مناسبة .
(٥) فى م : مومن (٦) من ظ و م و مـد ، و فى الأصل : طبقت (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان .
(٩) تكرر فى الأصل فقط بعد " تخرق " .

مع الجد و الاجتهاد و[1] عن التطاول[2] على أوتادها فبما ذا تفخر[3] ؟ و بأيّ شيء تتكبر [حتى تتبختر - [4]] ؟ و ذلك من فعل من بلغ جميع ما أمل ؛ ثم عظم جميع ما مضى من المنهيات و أضداد[5] المأمورات بقوله تعالى : ﴿ كل ذلك ﴾ أى الأمر البعيد من المكارم ﴿ كان ﴾
٥ أى كونا غير مزايل .

و لما كانت السيئة قد صارت فى حكم الأسماء[6] كالإثم و الذنب و زال عنها حكم الصفات ، حملها على المذكر و وصفها به فقال[7] تعالى : ﴿سيئه﴾ و زاد بشاعته بقوله تعالى : ﴿عند ربك﴾ أى[8] المحسن إليك إحسانا لا ينبغى أن يقابل عليه إلا بالشكر ﴿ مكروها ﴾ أى يعامله معاملة المكروه
١٠ من النهى عنه و الذم لفاعله و العقاب ، و العاقل لا يفعل ما يكرهه المحسن إليه حياء منه ، فان لم يكن مخوفا[9] من قطع إحسانه ، و خضوعا لعز سلطانه ، [10]ويجوز أن يكون المراد بهذا الإفراد النبى صلى الله عليه و آله و سلم إشارة إلى أنه لا يقدر أحد غيره على امتثال هذا المعنى على ما ينبغى ، لأنه لا يعلم أخذ العلم على ما هو عليه سواه ، و لأن الرأس[11] إذا خوطب بشيء

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الطال (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تفتخر (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اضداده (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاسيما (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قال (٨) سقط من م (٩) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : مخوفا (١٠) العبارة من هنا إلى « و به أعنى » ساقطة من م .
(١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الداين .

كان الاتباع له أقبل و به أعنى .

و لما تمت هذه الأوامر [و - [1]] الزواجر على هذا الوجه الأحكم و النظام الأقوم ، أشار إلى عظيم[2] شأنه و محكم إتقانه بقوله على طريق الاستئناف ، تنبيها للسامع[3] على أن يسأل عنه : ﴿ذلك﴾ أى الأمر العالى جدا ﴿مما اوحى[3]﴾ أى بعث فى خفية ﴿اليك ربك﴾ أى المحسن إليك ٥ ﴿من الحكمة[4]﴾ التى لا يستطاع نقضها و لا الإتيان بمثلها من الدعاء إلى الخير و النهى عن الشر ، و من حكمة هذه الأشياء المشار إليها من الأوامر [و النواهى - [1]] أنها لم تقبل النسخ فى شريعة من الشرائع ، بل كانت هكذا فى كل ملة .

و لما بين أن الجهل سبب لكل سوء ، وكان الشرك أعظم جهل ، ١٠ أتبعه - ليكون النهى[4] عنه بدءا و ختاما ، دلالة على فرط شناعته عطفا على ما مضى من النواهى - قوله تعالى : ﴿ولا تجعل﴾ أو[5] يقدر له ما يعطف عليه نحو : فالزمه و لا تجعل ﴿مع الله﴾ أى الملك الأعظم الذى له الأمر كله ﴿الها﴾ .

و لما كانوا لتعنتهم ربما جعلوا [6]تعداد الأسماء[6] تعددا للمسميات ١٥ كما ورد فى سبب نزول "قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن[7]" قال تعالى مع إفهام المعية للغيرية : ﴿اخر﴾ فان ذلك أعظم الجهل الذى نهى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عظم (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السايل (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعدادا للاسماء .
(٧) سورة ١٧ آية ١١٠ .

/٣٠٥ عن قفوه ﴿ فتلقى ﴾ أى فيفعل بك فى الآخرة فى / الحبس ﴿ فى جهنم ﴾ من الإسراع فيه و عدم القدرة على التدارك فعل من ألقى من عالٍ، حال كونك ﴿ ملوما ﴾ أى معنفا على ما فعلت بعد الذم ﴿ مدحورا ﴾ أى مطرودا بعد الخذلان ، فهذان الوصفان أشنع من وصفى الذم و الخذلان فى الآية الأولى كما هى سنته تعالى أن يبدأ بالأخف تسليكا لعباده ، و إنما كان الشرك أجهل الجهل لأن من الواضح أن الإله لا يكون إلا واحدا بالذات فلا ينقسم ، و بالاعتبار فلا يجانس ؛ و عن ابن عباس [1] رضى الله عنهما أن هذه الثمانى عشرة آية كانت فى ألواح موسى عليه السلام أولها " لا تجعل مع الله الها آخر " و هى [2] عشر آيات فى التوراة ، جعل فاتحتها و خاتمتها النهى عن الشرك ، لأن التوحيد رأس كل حكمة و ملاكها [3] ، و من عدمه لم تنفعه حكمه و علومه و إن [4] بذ فيها [5] الحكماء ، و حك بيافوخه [6] السماء ، ما أغنت عن الفلاسفة أسفار [6] الحكم ، و هم عن دين الله أضل من النعم .

و لما كان ادعاءهم أن الملائكة بنات الله ادعاء لأن له مناسبا و مجانسا فى أخص الصفات و هى الإلهية [7] ، و كانت عبادتهم لهم تحقيقا لذلك ، و كان ذلك أزيد من مجرد الشرك فى الجهل ، ساقه مساق التقريع و التوبيخ تنبيها على ظهور فساده متصلا بما مضى من النهى عن الشرك

(١) ذكره فى لباب التأويل ٤ / ١٣١ غير معزو إلى ابن عباس ، ومعزوا إليه فى الكشاف ١ / ٥٥٠ (٢) فى ظ : هو (٣) من ظ و م و مد و الكشاف ، و فى الأصل : هلاكها (٤-٤) من م و مد و الكشاف ، و فى الأصل : يدقها ، و فى ظ : ند فيها (٥) من الكشاف ، و فى الأصل و م و مد : يافوخه ، و فى ظ : يافوخ (٦) من ظ و م و مد و الكشاف ، و فى الأصل : اشعار (٧) فى ظ : الآية .

بالعطف

بالعطف بفاء السبب على "ما[١]" بعد الاستئناف بهمزة الإنكار[٢]، فكان كأنه قيل: لا تفعل ذلك كما فعل هؤلاء الذين أفرطوا فى الجهل فنسبوا إليه من خلقه أدنى الجزءين كما تقدم [فى النحل - [٣]] فى قوله تعالى[٤] "و يجعلون لله البنات" - الآية، ثم عبدوا ذلك الجزء و هم لا يرضونه لأنفسهم؛ ثم التفت إليهم مخاطبا بما دل على تناهى الغضب [فقال - [٥]]: ﴿ا فاصفكم ربكم﴾ أى أخلق المحسن إليكم بنين و بنات فأصفاكم إحسانا إليكم و أنتم تكفرون به[٦] ﴿ بالبنين ﴾ الذين هم أفضل صنفى الأولاد، ﴿و﴾ لم يحسن إلى نفسه [بأن - [٥]] شارككم فى البنين، بل ﴿ اتخذ ﴾ عبر بالافتعال لأن من عدل إلى أحد[٧] الصنفين مع التمكن[٨] من الآخر لا يكون إلا شديد الرغبة فيما عدل إليه ﴿ من الملئكة ﴾ الذين هم أقرب [٩]عباده أولادا[٩]، ثم ما كفاه نقص الولدية و معالجة أسبابها حتى جعل ما اتخذه ﴿اناثا[٤] ﴾ فرضى[١٠] لنفسه - و هو إلهكم الخالق الرازق - بما لا ترضونه[١١] لأنفسكم، و وصلتم فى كراهته فى بعض الحالات إلى القتل، فصار مشاركا لكم[١٢] فى البنات مخصصا لكم دونه بالبنين، و ذلك خلاف

(١) سقط من م (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاستنكار (٣) زيد من م و مد (٤) راجع آية ٥٧ (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) سقط من ظ. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التمكين (٩-٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عبادك اولاد (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فرض (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يرضونه (١٢) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها.

عادتكم ، فان العبيد لا يؤثرون بالأجود و يكون الأدون للسادات ، [1]و عبر أولا بالبنين دون الذكور لأن اسم الابن ألذ فى السمع ، مرضٍ[2] لمن بشر به من غير نظر فى العاقبة ، و قد يكون أنثى الأفعال ، و لأن اسم الذكر مشترك المعنى ، و عبر فى الثانى بالإناث لإفهام الرخاوة بمدلول اللفظ ، و لأنهن بنات بالمعادلة ، و يمكن أن تنزل الآية على[3] الاحتباك ، فيكون التقدير : بالبنين و رضى لنفسه بالبنات ، و خصكم[4] فى نوعكم الذى هو أضعف ما يكون بالذكور ، و اتخذ من الملائكة الذين منهم من يقدر على حمل الأرض و قلب أسفلها على أعلاها إناثا فى غاية الرخاوة ، و لذلك استأنف[5] الإنكار عليهم معظما [لذلك -[6]] بقوله تعالى : ﴿ انكم لتقولون ﴾ و أكده لما[7] لهم من التهاون به و الاجتراء [عليه - [6]] بقوله تعالى : ﴿قولا﴾ و زاد فى ذلك بقوله : ﴿عظيما ۝﴾ أى فى الجهل و الإفك[8] ، عليه و على ملائكته الذين لا يعصونه[9] ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون ، فتضيفون[10] إليه الأولاد و هم من خصائص[11] الأجسام ثم [12]تفضلون أنفسكم[12] عليه

(١) العبارة من هنا إلى « الرخاوة و لذلك » ساقطة من م (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يرضى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٤) فى ظ : حكم (٥) فى م : ثم استأنف (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ و مد و لم تكن فى م فحذفناها (٩) من م و مد ، و فى الأصل : لا يعصون الله ، و فى ظ : لا يعصون . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيضيفون (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : خصاص (١٢ - ١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يفضلون انفسهم - كذا .

فتجعلون[1] له ما تكرهون[2].

و لما كان فى هذا [من -[3]] البيان ما لا يخفى على إنسان و لم يرجعوا، أشار إلى أن لهم[4] أمثال هذا الإعراض عن أمثال هذا البيان فقال تعالى: / ﴿و لقد صرفنا﴾ أى طرقنا تطريقا عظيما بأنواع طرق البيان من العبر / ٣٠٦
و الحكم، و الأمثال و الأحكام، و الحجج و الأعلام، فى قوالب الوعد ٥
و الوعيد، و الأمر و النهى، و المحكم و المتشابه - إلى غير ذلك ﴿فى هذا القرآن﴾ من هذه الطرق ما لا غبار عليه، و نوعناه من جهة إلى جهة، و من مثال إلى مثال؛ و التصريف لغة: صرف الشىء من جهة إلى أخرى، ثم صار كناية عن التبيين - قاله أبو حيان.

و لما كان [ذلك -[5]] مركوزا[6] فى الطباع، و له فى العقول أمثال ١٠
تبرز عرائسها[7] من خدورها بأدنى التفات من النفس، سمى[8] الوعظ بها تذكيرا بما[9] هو معلوم فقال تعالى: ﴿ليذكروا[1]﴾ أى نوعا من التذكر - بما أشار إليه الإدغام، فانه سبحانه كريم يرضى باليسير - هذا فى قراءة الجماعة، و قرأ حمزة و الكسائى باسكان الذال و ضم الكاف إشارة إلى أن جميع ما فى القرآن لا يخرج شىء منه عن العقل، بل هو مركوز ١٥
فى الطباع، و له شواهد فى الأنفس و الآفاق، يستحضرها الإنسان بأدنى إشارة و أيسر تنبيه، إذا أزيل عنها ما سترها عن العقل من الحظوظ

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيجعلون (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يكرهون (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انهم. (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مذكور (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غرائبها (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ثم. (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لما.

و الشواغل ، و أتبعه قوله تعالى معجبا منهم : ﴿ و ما يزيدهم ﴾ التصريف ﴿ الا نفورا ﴾ عن السماع فضلا عن[1] التذكر ، لاعتقادهم أن ذلك ليس ببراهين ، بل [هو -[2]] شبه و خيل إلى صرفهم عما هم فيه مما ألفوه و تلقوه عن[1] آبائهم و[3] تمادت عليهم الدهور فى اعتقاد كونه حقا ، ٥ فكأنه قيل : فما يفعل بهم ؟ فقال تعالى : ﴿قل﴾ [لهم -[2]] و لا تيأس من رجوع بعضهم : ﴿ لو كان معه ﴾ أى ربكم الذى تقدم وصفه بالإحسان و التنزيه ﴿ الهة كما يقولون[4] ﴾ من هذه الأقوال[5] التى لو قالها أعظمكم[6] فى حق أدناكم وهو يريد بها حقيقتها لصار ضحكة للعباد ﴿ اذا لابتغوا ﴾ أى طلبوا طلبا عظيما ﴿ الى ذى العرش ﴾ ١٠ أى صاحب السرير الأعظم المحيط الذى من ناله كان منفردا بالتدبير ﴿ سبيلا ﴾ أى طريقا سالكا يتوصلون به إليه ليقهروه و يزيلوا ملكه كما ترون من فعل ملوك الدنيا بعضهم مع بعض ، أو[7] ليتخذوا عنده[7] يدا تقربهم إليه ، و صرح بالعرش تصويرا لعظمته و تعيينا للمبتغى و المبتغى ؛ ثم نزه نفسه تعظيما عن ذلك و عن كل نقص فقال تعالى : ﴿ سبحنه ﴾ ١٥ أى تنزه التنزه[8] الأعظم عن كل شائبة نقص ﴿و تعلى ﴾ أى علا

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : من (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقطت الواو من ظ (٤) فى ظ و م و مد : تقولون ، والياء قراءة ابن كثير وحفص .
(٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اوعظكم .
(٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل : ليتخذ عندهم ، و فى ظ : ليتخذ عنده .
(٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تنزه .

أعظم العلو بصفات الكمال ﴿ عما يقولون[١] ﴾ من هذه النقائص التى لا يرضاها[٢] لنفسه أحد من عقلاء خلقه فضلا [٣]عن رئيس من[٣] رؤسائكم، فكيف بالعلى الأعلى ! و أتى بالمصدر[٤] المجرد فى قوله تعالى: ﴿ علوا ﴾ إيذانا بأن الفعل مجرد فى الحقيقة و إن أتى به على صيغة التفاعل إيذانا بالمبالغة ﴿ كبيرا ﴾ لا تحتمل عقولكم الوقوف على حقيقته و لا تدركون[٥] منه أكثر من مفهوم هذا الوصف عندكم بحسب ما تتعارفونه[٦]

و الأمر أعظم من مقالة قائل إن رقق البلغاء أو[٧] إن فخموا[٨]

ثم استأنف بيان عظمة هذا التنزيه مقرونا بالوصف بالكمال فقال تعالى: ﴿ تسبح ﴾ أى توقع التنزيه [الأعظم -[٩]] ﴿ له ﴾ [أى الإله -[٩]] الأعظم الذى تقدم وصفه بالجلال و الإكرام خاصة ﴿ السموت السبع ﴾ كلها ﴿ و الارض ﴾ أيضا ﴿ و من فيهن[١] ﴾ من ذوى العقول ﴿ و ان ﴾ أى و ما، و أعرق فى النفى فقال تعالى: ﴿ من شىء ﴾ أى ذى عقل و غيره ﴿ الا يسبح ﴾ أى ينزه له متلبسا[١٠] ﴿ بحمده[١١] ﴾ [أى بوصفه بما له من صفات الكمال -[٩]] بما له تعالى فى ذلك الشىء من الآيات الدالة

(١) قرأه حمزة و الكسائى و خلف و أبو الطيب بالتاء الفوقانية (٢) من ظ وم ومد، و فى الأصل: لا يرضى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من م ومد، و فى الأصل و ظ: بالمقصد (٥) من ظ و م ومد، و فى الأصل: لا يذكرون. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يتعارفونه (٧) من ظ وم ومد، و فى الأصل «و» (٨) زيدت الواو هنا فى الأصل، ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها. (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ، و فى الأصل و م و مد: ملتبسا. (١١) ليس فى الأصل فقط.

على كل من السلب و الإيجاب ، و هذا تسبيح بلسان المقال ممن يصح منه ، و بلسان الحال منه و من غيره ، كما قال[1] الجدار للوتد : لم تشقنى ؟ فقال : سل من يدقنى . و هو تسبيح من جهات شتى ليسمعها العارفون بسمع / الفهم و صفاء الذهن من جهة ذاتها فى خلقها[2] ثم فى معنى صفتها بحاجتها من جهة حدوثها إلى صانع أحدثها قديم غير مصنوع ، و من جهة إتقانها إلى كونه مدبرا حكيما ، و من جهة فنائها إلى كونه مع ذلك قادرا مختارا ، قاهرا[3] جبارا - إلى غير ذلك ، [4]بخلاف ما لو قصر التسبيح على لسان المقال فانه يكون من نوع واحد ، و أوضح مرشدا إلى ذلك[4] قوله تعالى : ﴿ و لكن لا تفقهون ﴾ دون ' تسمعون ' ﴿ تسبيحهم[5] ﴾ لإعراضكم[5] عن النظر و نفوركم[6] عن سماع [الذكر -[7]] الذى هو أعظم أسبابه ، على أن هذا إنما هو بالنسبة لعامة الخلق ، و أما الخاصة فانهم يسمعون تسبيح الجمادات : روى البخارى[8] عن عبد الله رضى الله عنه قال : كنا نعد الآيات بركة و أنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم فى سفر فقل الماء فقال : اطلبوا فضلة من ماء ، فجاؤا باناء فيه ماء قليل ، فأدخل يده فى الإناء و[9] قال :

٣٠٧/

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقال (٢) زيد فى الأصل : ثم وصفها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) فى ظ : قهارا (٤-٤) سقط مابين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاعراضهم . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نفورهم (٧) زيد من ظ و م و مد . (٨) راجع باب علامات النبوة فى الإسلام - المناقب (٩) فى الصحيح : ثم .

حيّ على الطهور المبارك[١] و البركة من الله ، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم - و شرف و كرم و بجل و عظم - و لقد كنا نسمع تسبيح الطعام[٢] و هو يؤكل . و تسبيح الحصى مشهور[٣] ، و فى زبور داود عليه السلام تكرير[٤] كثير لهذه الآية و حث على تأملها ، قال فى المزمور الثامن[٥] و الستين : تسبح ٥ له السماوات و الأرض و البحار و كل ما يدب فيها[٦] . و فى المزمور الخامس و الثمانين[٧] : فليس مثلك يا ربى و إلهى و لا مثل أعمالك ، لأن جميع الأمم الذين خلقت يأتون و يسجدون أمامك يا رب و يسبحون لاسمك ، لأنك عظيم صانع الآيات . و فى الثامن و الثمانين[٨] : بذراعك العزيزة فرقت أعداءك ، لك السماوات و لك الأرض ، أنت أسست الدنيا ١٠ بكمالها ، خلقت البر و البحر ، تابور[٩] و حرمون باسمك[١٠] يسبحان[١١] ، لك القوة و الجبروت ، تعتز[١٢] يدك ، و تعلو يمينك ، بالعدل و الحكم أتقنت كرسيك ، الرحمة و العدل ينطلقان أمامك ، طوبى للشعب الذى يعرف

(١) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : المتبارك (٢) فى ظ : القصعة . (٣) راجع على سبيل المثال الخصائص الكبرى ٢/٧٤ (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تكبير (٥) فى مد : الثانى ؛ و فى النسخة التى لدينا : التاسع - كذا بزيادة الواحد كما نبهنا عليه قبل ، و راجع آية ٣٤ (٦) فى ظ : فيه . (٧) راجع آية ٨ و ما بعدها (٨) راجع آية ١١ و ما بعدها (٩) من م و مد والمزمور ، و فى الأصل و ظ : نابور (١٠) فى مد : لاسمك (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نسجان (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تغير .

تسبيحك . و فى الخامس [و التسعين -[١]] : سبحوا الرب تسبيحا جديدا[٢]، الأرض كلها تسبح الرب[٣]، امجدوا للرب فى هيا كل قدسه لأن جميع الأرض تتزلزل بين يديه ، قولوا فى الشعوب : إن الله هو الملك أتقن الدنيا [٤]لكيـــلا تزول ، يقضى[٤] بين الشعوب بالعدل ، تفرح[٥] السماوات
٥ [و -[٦]] تبتهج الأرض ، ينقلب البحر فى عمقه ، تتهلل البقـاع و ما فيها ، هنالك يسبح[٧] جميع شجر الغياض قـــدام الرب . و فى السابع[٨] و التسعين[٩] : [و لله -[١٠]] تسبح كل الأرض ، مجدوا و هللوا و سبحوا الرب . و[١١] فى الثامن و الأربعين بعد المائة[١٢] : سبحوا الرب من السماوات ، سبحوه من العلى يا[١٣] جميع ملائكته ! وكل جنوده تسبحه ،
١٠ الشمس و القمر يسبحانه ، و جميع الكواكب و النور تسبحه[١٤] ، يسبح الرب سماء الدنيا و المياه التى فوق السماوات ، تسبح جميعا اسم الرب لأنه قال فكانوا ، و أمر فخلقوا ، و أقامهـــم إلى الأبد و الدهر ، جعل لها مقدارا لا تتجاوزه ، يسبح الرب من فى الأرض[١٥] : [التنانين -[١٠]]

(١) زيد من ظ و م و مد ، و راجع الآيـة الأولى فما بعدها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جديرا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للرب . (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لكن لا تزول يقض (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يفرح (٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تسبح (٨) فى ظ : الثامن (٩) راجـع آيـة ٤ فما بعدها (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) سقط من ظ (١٢) راجع الآية الأولى فما بعدها ؛ و هذا الباب مع ما يأتى يتفق عددا مع أبواب نسختنا (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (١٤) فى ظ : يسبحه (١٥) من ظ ـ و قد زيد فيه قبله : السماوات ـ و م و مد ، و فى الأصل : الدنيا .

و جميع

و جميع الأعماق[١]، النار و البرد و الثلج و الجليد و الريح العاصفة عملت[٢] كلمته، الجبال و كل الآكام، الشجر المثمرة و جميع الأرز، السباع و كل البهائم و الوحوش و كل حيوان و كل طائر ذى جناح، ملوك الأرض و سائر الشعوب العظماء و جميع حكام[٣] الأرض، الشبان و العذارى و الشيوخ و الصبيان يسبحون اسم الرب، لأن اسمه قد تعالى ٥ وحده. و فى[٤] الخمسين بعد المائة[٥]: سبحوا الله فى كل قديسيه[٦]، سبحوه ٣٠٨/ فى جلد قوته، سبحوه كمثل جبروته، سبحوه بكثرة عظمته، سبحوه بصوت القرن[٧]، و سبحوه بأصوات عالية، كل نسمة تسبح الرب.

و لما كان تسبيح جميع المخلوقات أمرا واضح الفهم ظاهر الشأن، فكانوا مستحقين للعقاب فى عدم فهمه بعدم[٨] التأمل فى المصنوعات ١٠ حق التأمل، نبههم على أن عافيتهم[٩] إنما هى لحلمه[١٠] عنهم، فهو ينظرهم [إلى المدة التى ضربها لهم لأنه لا يعجل لتنزهه عن شوائب النقص الذى نطق -[١١]] كل شىء بتنزيهه عنها[١٢] فقال تعالى: ﴿ انه كان حليما ﴾ حيث لا يعاجلكم [بالعقوبة -[١١]] على إعراضكم عن صرف الأفكار فيما

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاعمال (٢) فى الأصل: علت، و فى ظ و م و مد: عمل، و فى المزمور: الصانعة (٣) فى ظ: حكماء (٤) زيد فى م: المزمور. (٥) راجع الآية الأولى فما بعدها (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قدسيه، و فى المزمور: قدسه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القرون (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بعد (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عاقبتهم. (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحكمة (١١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (١٢) سقط من مد.

أمركم بصرفها إليه .

و لما كان الغالب على أحوال البشر أن حليمهم إذا غضب لا يغفر ، و إن عفا كان عفوه[1] مكدرا ، قال[2] تعالى : ﴿غفورا ه﴾ مشيرا بصيغة المبالغة إلى أنه على غير ذلك ترغيبا فى التوبة .

٥ و لما قرر فى سياق التوحيد أنهم فى الحضيض من الغباوة ، التفت إلى سيد أولى الفهم ، فقال مشيرا إلى النبوة عاطفا على "لا تفقهون" منبها على أنهم لا يفهمون[3] لسان القال فضلا عن لسان الحال : ﴿ و اذا قرات القرآن ﴾ الذى لا يدانيه واعظ ، و لا يساويه مفهم ، و هو تبيان لكل شىء ﴿جعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿بينك﴾ و بينهم ،

١٠ و لكنه أظهر هذا المضمر بالوصف المنبه على إعراضهم عن السماع على الوجه المفهم فقال تعالى : ﴿ و بين الذين لا يؤمنون ﴾ أى لا يتجدد لهم إيمان ﴿ بالأخرة ﴾ [أى -[4]] التى هى قطب الإيمان ﴿ حجابا ﴾ مالئا لجميع ما بينك و بينهم مع كونه ساترا لك عن أن يدركوك حق الإدراك على ما أنت عليه ﴿ مستورا ه ﴾ عنهم و عن غيرهم ، لا يراه

١٥ إلا من أردنا ، و ذلك أبلغ فى العظمة و أعجب فى نفوذ الكلمة ﴿ و جعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ على قلوبهم اكنة ﴾ أى أغطية ، كراهة ﴿ان يفقهوه﴾ أى يفهموا القرآن حق فهمه ﴿و فى اذانهم وقرا ﴾ أى[6] [شيئا ثقيلا -[4]] يمنع سماعهم السماع النافع بالقصور فى إدراكهم

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عفوا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقال (٣) فى ظ : لا يفقهون (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) سقط من ما بين الرقمين من م (٦) سقط من م .

لا فى بيانه ، فرؤيتهم للنبى صلى الله عليه و على آله و سلم حال التلاوة غير صحيحة كما أن سمعهم و إدراكهم لما يقرأه كذلك كما قال تعالى "ختم الله[١] على قلوبهم [وعلى سمعهم-[٢]] و على ابصارهم غشاوة" ﴿واذا ذكرت ربك﴾ أى المحسن إليك و إليهم ﴿فى القرآن﴾ حال كونه[٣] ﴿وحده﴾ مع الإعراض عن آلهتهم ﴿ولوا﴾ و حقق المعنى و صوره بما يزيد فى بشاعته تنفيرا عنه [فقال - [٤]] : ﴿على ادبارهم نفورا﴾ مصدر من غير اللفظ مؤكد لأنه محصّل[٥] لمعناه ، أو جمع نافر كقاعد و قعود .

و مادة ' وقر ' بجميع تقاليبها الخمسة عشر تدور على الجمع كما مضى فى آخر يوسف و أول الحجر ، فالوقر - بالفتح : ثقل فى الأذن أو ذهاب [السمع - [٦]] كله - لأن ذلك يوجب اجتماعا فى النفس و سكونا يحمل على الوقار الذى هو السكينة بفقد بعض ما كان يشعّب الفكر من[٧] السمع ، و من ذلك الوقر - بالكسر : الحمل مطلقا أو الثقيل ، أو لأن الحمل جامع لما[٨] فيه و الأذن جمعت ما سدها ، فكأنه جمع خرقها[٩] فصيرها صلدا[١٠] كالصخرة الصماء لا ينفذ فيها شىء ، و لذلك يسمى الطرش الصمم[١١] . و نخلة موقرة ، أى مستجمعة حملا ، و استوقرت الإبل : سمنت أى[١٢] جمعت

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٢ آية ٧ (٣) فى ظ : كونك (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يحصل (٦) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٧) من م و مد ، و فى الأصل : فى ، و فى ظ : عن (٨) العبارة من هنا إلى «لا ينفذ» ساقطة من مد . (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : جرفيها (١٠) زيدت الواو فى ظ (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصميم (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او .

الشحم و اللحم ، و وقر كوعد : جلس - لاستجماع بعض أعضائه[1] إلى بعض ، و الوقير : القطيع من الغنم أو صغارها أو خمسمائة منها أو عام ، أو الغنم بكلبها و حمارها و راعيها كالقرة - لاستجماع بعضها إلى بعض ، و الوقرى - محركة : راعى الوقير أو مقتنى[2] الشاء و صاحب الحمير و ساكنو المصر ، و القرة - كعدة[3] : العيال و الثقل و الشيخ الكبير - لأن الكبر[4] و الثقل يثمران الوقار الناشئ عن استجماع النفس [و العزم -[5]] و ترك الانتشار بالطيش ، و [ما -[6]] قبلهما واضح فى الجمع ، و الموقر - كمعظم : المجرب العاقل قد حنكته الدهور - لأن ذلك يثمر استجماع العقل ، و وقرت الرجل توقيرا : بجلته و رزنته ، و الدابة : سكنتها - فكان كأنه جمع إليها حمل ثقيل ، و التيقور فيعول من الوقار تاءه مبدلة من واو ، يقال : وقر فى بيته يقر ، أى جمع نفسه فيه لاجتماع همه ، و الموقر - كمجلس[7] : الموضع السهل عند سفح الجبل - لعله شبه بالرجل[8] الوقور المطمئن الساكن النفس . و الحامل الذى يوطئه الحمل ، و الوقرة : و كتة - أى حفرة - تكون فى[9] الحافر و العين و الحجر - لأن من شأن

/٣٠٩

(١) فى ظ : اغصانه (٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : مقتنا . (٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : كعدم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكبرية (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) زيد من م و مد (٧) زيد فى الأصل بعده : الموضح ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرجل (٩) العبارة من هنا إلى « الحزمة تكون فى العظم و » ساقطة من ظ .

الحفرة

الحفرة أن تجمع ما تودعه ، و منه توقير الشيء : أن تصيّر له وقرات ، أى آثارا ، و الوقر : الصدع فى الساق و كالوكتة أو الهزمة[٢] تكون فى العظم[٣] و الحجر و العين ، و أوقر الله الدابة : أصابها بوقرة ، و فقير[٤] وقير ، أى مكسور العظام أو الفقار ، أو تشبيه بصغار الشاء أو إتباع ، أو المعنى أن الدين أوقره ، و الوقير : النقرة العظيمة فى الصخرة تمسك الماء - و هو واضح فى الجمع . ٥

و الروق : القرن - لشدة اجتماعه لصلابته و استدارته ، و لأنه يجمع إقدام صاحبه و عزمه ، [٥]و الروق أيضا : عزم الرجل و فعاله - لجمعها أمره ، و الروق من الليل : طائفة - لاجتماع ساعاتها[٥] ، و الروق من البيت : رواقه ، أى [شقته -[٦]] التى دون الشقة العليا - لأنها تكمل[٧] جمعه لما يقصد منه من الستر ، و رواق البيت - ككتاب و غراب : ما أطاف ١٠ به ، قال القزاز : و قيل : الرواق كالفسطاط يحمل على عمود واحد فى وسطه ، قال فى القاموس : أو سقف فى مقدم البيت و حاجب العين - و لعله شبه بالستر[٨] ، و من الليل : مقدمه و جانبه - شبه بجانب البيت ، و الروق من الشباب : أوله كالريق[٩] بالفتح ، و الريق ككيس ، و أصله ريوق[١٠] - لأنه ينبنى عليه ما بعده و يجتمع إليه كأنه الأصل الذى يجمع ١٥

---

(١) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : تكون (٢) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الهدمة (٣) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل : المعظم . (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : قصير (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكل (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالسير (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الريق (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يريوق - كذا .

جميع الفروع ، و الريق أيضا أن يصيبك من المطر شيء يسير - كأنه أول المطر ، و الروقة : الشيء اليسير ، و هي من ذلك . و الروق أيضا : العمر - لأنه الجامع للحال ، و راقني الشيء : أعجبني - لأن الفكر يجمع الخواطر لأجله فلا يظهر له وجه ما صار به معجبا ، و وصيف روقة - إذا أعجبك ، و جارية[1] روقة و غلمان روقة ، جمع رائق ، و الروقة : الشيء الجميل جدا ، و الروق - بالفتح : العجب و الإعجاب بالشيء ، و من الخيل : الحسن الخلق يعجب الرائي ، و الجمال الرائق ، و الريق و الروق و الرواق : الستر - لأنه يجمع البصر و الهم عما وراءه ، و هو أيضا موضع الصائد - لأنه يجمعه على ما يريد و يوصله إليه ، و الروق[2] : الرواق و مقدم البيت و الشجاع لا يطاق - لاجتماع همه لما يريد ، و الفسطاط و السيد - لجمع الفضائل ، و الصافي من الماء و غيره - لأن الصفاء أجدر باجتماع[3] الأجزاء ، و الروق : الجماعة و الحب الخالص و مصدر راق[4] عليه ، أي زاد عليه فضلا - لأن الزيادة لا تكون إلا عن جمع ، و الروق : البدن[5] من الشيء - لجمعه له ، و الحية[6] - لتحويها[7] أي تجمعها ، و داهية ذات روقين ، أي عظيمة مشبهة

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : حمارته (٢) زيدت الواو في الأصل ، و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بالاجتماع (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : رواق (٥) في القاموس : البدل ، و راجع أيضا اللسان (٦) في القاموس : الجثة (٧) في ظ : لتحريها .

بالثور ، و رمى بأرواقه على الدابة : ركبها ، أى بجميع أعضائه . و رمى بأرواقه عنها : نزل ، و ألقى أرواقه : عدا[1] فاشتد عدوه - كأنه خرج من جميع أعضائه - فعدا روحا بلا بدن فصار أعظم من الطائر ، أى[2] غلبت روحه على بدنه ، و ألقى أرواقه : أقام بالمكان مطمئنا ؛ قال فى القاموس : كأنه ضد - انتهى . و المفعول [فيه -[3]] فى هذا محذوف ، كأنه قال : فى مكان كذا ، و من المعلوم أن بدنه إذا كان فى مكان /وهو حى فقد أقام به[4]، و ألقى عليك أرواقه ، و هو أن تحبه[5] شديدا ، / ٣١٠ و المعنى أنه ألبسك بدنه فصارت روحك مديرة له فصرت إياه[6] . و تعبير القزاز بقوله « و هو أن تحبه حتى تستهلك فى حبه » يدل على ذلك ، و ألقت السحابة أرواقها . أى مطرها و وبلها أو[7] مياهها الصافية - و ذلك هو مجموع ما فيها ، و أرواق الليل : أثناء ظلمته - شبه بالخيمة . و من العين : جوانبها - لأنها حاوية لها ، و عبارة القزاز : ضرب الليل بأرواقه - إذا قام[8] و ثبت ، و قيل : أرواقه : مقاديمه ، و أسبلت[9] العين[10]

(١) من القاموس ، و فى الأصول : جدا ؛ و هذا المعنى حكاه أبو عبيد ، و أنكره شمر و قال : لا أعرفه بهذا المعنى . و لكنه أعرفه بمعنى الجد فى الشىء - راجع التاج (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أو (٣) زيد من ظ و م و مد . (٤) زيد فى مد : وقام (٥) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : يحبه . (٦) سقط من ظ (٧) من القاموس ، و فى الأصول : اى (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اقام (٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : اسلبت (١٠) ليس فى القاموس .

أرواقها : سالت دموعها ، أى جميع ما فيها - كأن ذلك كناية عن اشتداد البكاء ، و روق الفرس : الذى يمده الفارس من رمحه بين أذنيه - تشبيه[1] له بقرن الثور ، و ذلك الفرس أروق[2] ، و منه الروق - محركة ، [و -[3]] هو طول الأسنان[4] - [تشبيها لها بالروق أى القرن - قال القزاز : و قيل : الروق : طول الأسنان -[5]] و انثناءها إلى داخل الفم ، و إشراف[6] [7]العليا على السفلى[7] ، و القوم روق - إذا كانوا كذلك ، و هو يصلح لأن[8] يكون تشبيها بما ذكر ، و لأن يكون من الجمع من أجل الانثناء ، و منه أكل فلان روقه[9] - إذا أسن فطال عمره حتى تتحات أسنانه - المشبهة بالقرن ، و الترويق : التصفية - و قد تقدم أن الشيء إذا خلص من الأغيار كانت أجزاؤه أشد تلاصقا ، و الترويق : أن يبيع سلعة و يشترى أجود منها - مشبهة[10] بالتصفية ، و الراووق : المصفاة يروق بها الشراب بلا عصر[11] و الكأس بعينها ، و الباطية و ناجود[12] الشراب الذى يروق به - لأنها تجمع الشراب .

و القرو : القصد و التتبع كالاقتراء[13] و الاستقراء و الطعن -

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فشبيه (٢) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : ارواق (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للاسنان (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اشرف (٧-٧) من اللسان ، و فى الأصل و ظ : العلى على السفلى ، و فى م و مد : العلى على السفل (٨) فى م : ان (٩) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : ورقه (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مشبها (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عصير (١٢) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : باجود . (١٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : و الافتراء .

و هو

و هو واضح فى الجمع ، و القرو : حوض طويل ترده الإبل ، و عبارة القزاز : شبه حوض ممدود مستطيل إلى جنب الحوض ، يفرغ منه فى الحوض الأعظم ، ترده الإبل و الغنم ، و كذا إن كان من خشب . و القرو : الأرض لا تكاد[1] تقطع - كأنها حمت اجتماع أجزائها عن أن يفرقها أحد ، و القرو : مسيل[2] المعصرة و مثعبها[3] - لاجتماع ما يسيل فيه ، و أسفل النخلة[4] ينقر فينتبذ[5] فيه أو يتخذ منه المركن و الإجانة للشرب ، و قدح أو إناء صغير ، و ميلغة الكلب ، و حق عليه طبق ، و منقع الماء ، و العرب تقول : أصبحت الأرض قروا واحدا - إذا كثر الخصب و المطر ، و كل ذلك واضح فى الجمع ، و أن يعظم جلد البيضتين[6] لريح أو ماء ، أو نزول الأمعاء كالقروة ، و ذلك إما لشبهها[7] بالقدح أو لجمعها[8] ما أوجب كبرهما ، و قرّى[9] كفعلى : ماء بالبادية - لجمعه[10] الناس ، و القرى : القرع يؤكل - لأنه صالح لأن يجعل إناء ، و القرا : الظهر - لجمعه الأعضاء ، و ناقة قرواء : طويلة السنام ، و المقرورى : الطويل الظهر ، و أقرى : اشتكى - إما أن يكون من شكاية القرا ، و إما أن يكون للسلب ، أى أزال اجتماع همه و عزمه ، و القرواء[11] :

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : لا يكاد (٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : مشبل (٣) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : شعبها (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : النخل. (٥) فى القاموس : فينبذ (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : البيضين (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لشبهها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لجمعها (٩) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : قر . (١٠) من ظ و م مد ، و فى الأصل : بجمعه (١١) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : القرو .

العادة - لجمعها أهلها ، و الدبر - لجمعها ما فيها ، و أقرى : طلب القرى ، و لزم القرى ، و أقرى الجمل على الفرس : ألزمه ، و المقارى : رؤس الإكام - لأنها تجمع ، و تركتهم قروا واحدا على طريقة واحدة - أي مجتمعين ، و شاة مقروة[1] : جعل رأسها في خشبة لئلا ترضع نفسها - أي جمع فكاها ، و قروة الرأس : [طرفه ، و عبارة القزاز : و قروان الرأس و قروة الرأس -[2]] : أعلاه - كأنه مجتمع[3] أمره لأنه موضع المفكرة ، و قروة الأنف : طرفه - لأنه آخر جامع لجماله[4] ، و استقرى الدمل : صارت فيه المدة - أي اجتمعت ، و القيروان : / معظم العسكر و معظم القافلة - و سيأتي إن شاء الله تعالى بقية المادة /٣١١ في "بورقكم [هذه "-[5]] في الكهف[6] .

و لما كانوا [ربما -[2]] ادعوا[7] السمع و الفهم فشككوا [بعض -[2]] من لم يرسخ [إيمانه -[2]] ، أتبعه تعالى ما يؤكد[8] ما مضى و يثبت السامعين فيه فقال تعالى على طريقة الجواب[9] مهددا و دالا على أن مداركهم معروفة[9] : ﴿ نحن اعلم ﴾ أي [من -[10]] كل عالم ﴿ بما يستمعون ﴾ أي يبالغون في الإصغاء و الميل لقصد السمع ﴿به﴾ من الآذان و القلوب ، أو بسببه

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : مقرواى - كذا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يجتمع (٤) في ظ : الجمال . (٥) زيد من م و القرآن الكريم (٦) آية ١٩ (٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : اودعوا (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يوكده (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من م (١٠) زيد من م و مد .

من إرادة الوقوع على سقطة يجعلونها موضع تكذيبهم و استهزائهم ﴿اذ﴾ [أى حين -[1]] ﴿يستمعون﴾ أى يصغون بجهدهم ؛ و بين بعدهم[2] المعنوى بقوله تعالى : ﴿اليك و اذ﴾ [3] أى و حين[3] ﴿هم﴾ ذوو ﴿نجوى﴾ أى يتناجون بأن يرفع كل منهم سره على صاحبه بعد إعراضهم عن الاستماع ؛ ثم ذكر ظرف النجوى فقال تعالى : ﴿اذ يقول﴾ مبرزا لضميرهم بالوصف الدال على [حملهم على -[4]] ما تناجوا به ، و هم ﴿الظلمون﴾ و مقولهم[5] : ﴿ان تتبعون[6] ﴾ أى أيها التابعون له بغاية[7] جهدكم ﴿الا رجلا مسحورا﴾ مختلط العقل ، فامتطوا فى هذا الوصف ذروة الظلم ، و سيأتى فى آخر السورة سر استعمال اسم[8] المفعول موضع اسم الفاعل ؛ ثم وصل بذلك الدليل على نسبته سبحانه لهم إلى الجهل الذى كان نتيجة قولهم هذا فقال تعالى : ﴿انظر﴾ و لما كان أمرهم بما يزيد العجب منه و تتوفر الدواعى على السؤال [عنه -[4]] قال تعالى : ﴿كيف ضربوا﴾ أى هؤلاء الضلال ﴿لك الامثال﴾ التى هى أبعد شىء عن[9] صفتك من قولهم : ساحر و شاعر و مجنون و نحوه ﴿فضلوا﴾ عن الحق فى جميع ذلك ﴿فلا﴾ أى فتسبب عن ضلالهم أنهم لا ﴿يستطيعون سبيلا﴾ أى يسلكون فيه ، إلى إصابة المحن[10]

(١) زيد من م (٢) فى ظ : بعهدهم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بقولهم (٦) من م و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل و ظ : يتبعون (٧) سقط من م (٨) سقط من ظ . (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : المجر ، و فى م : المحز - كذا .

فى مثل ، أو[1] إحكام الأمر فى عمل ، و هذا بعد أن نهاهم الله بقوله تعالى " فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم و انتم لاتعلمون " فكأن هذا أدل دليل على ما وصفناهم به من عدم الفهم و السمع فضلا عن أن يكون لهم إلى مقاومة هذا القرآن - الذى يدعون أنه قول البشر - سبيل [2]أو يعبروا[2] فى وجهه بشبهة فضلا عن دليل .

و لما جرت عادة القرآن باثبات التوحيد و النبوة و المعاد ، و قدم الدلالة على الأولين ، و ختم باثبات جهلهم فى النبوة مع ظهورها[3] ، أتبع ذلك أمرا جليا فى ضلالهم عن السبيل فى أمر المعاد و قرره غاية التقرير ، و حرره أتم تحرير . فقال تعالى معجبا منهم : ﴿ و قالوآ ﴾ أى المشركون المنكرون للتوحيد و النبوة و البعث مع اعترافهم بأنا ابتدأنا خلقهم و مشاهدتهم فى كل وقت أنا نحيي الأرض بعد موتها : ﴿ ء اذ ﴾ استفهاما إنكاريا كأنهم[4] على ثقة من عدم ما ينكرونه ، و العامل فى " إذا " فعل من لفظ " مبعوثون " لا هو . فان ما بعد " إن " لا يعمل[5] فيما قبلها . فالمعنى : أ نبعث إذا ﴿ كنا ﴾ أى بجملة أجسامنا كونا لازما ﴿ عظاما و رفاتا ﴾ أى حطاما مكسرا مفتتا و غبارا ﴿ ء انا لمبعوثون ﴾ حال كوننا مخلوقين ﴿ خلقا جديدا ٥ ﴾ فكأنه قيل : فما ذا يقال لهم فى الجواب ؟ فقيل : ﴿ قل ﴾ لهم : لا تكونوا[6] رفاتا ، بل ﴿ كونوا ﴾

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن ان نصروا (٣) زيد فى م : اتبعه ثم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فانهم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا تعمل (٦) فى ظ : لا تقولوا .

ترابا ، بل كونو أصلب التراب ﴿ حجارة ﴾ أى هى فى غاية اليبس ﴿ او حديدا ﴾ زاد على يبس الحجارة شدة اتصال الأجزاء ﴿ او خلقا ﴾ غيرهما ﴿ مما يكبر ﴾ أى يعظم عظمة كبيرة ﴿ فى صدوركم ﴾ عن قبول الحياة و لو أنه الموت ، حتى تعلموا حال الإعادة ، كيف يكون حالكم فى الإجابة إلى ما يريد ؟ فان الكل أصله التراب ، فالذى[1] فضل طينكم - الذى خلقتم منه على سائر الطين بالنمو ثم بالحياة ثم بالنطق و فضل بعض / الناطقين على بعض بمواهب لا تحصى[2] - قادر أن ينقل تلك الفضيلة إلى الطين الذى نقله طورا بعد طور إلى أن جعله حجرا أو حديدا ﴿ فسيقولون ﴾ تماديا فى الاستهزاء : ﴿ من يعيدنا ﴾ إذا كنا كذلك ﴿ قل الذى فطركم ﴾ أى ابتدأ[3] خلقكم ﴿ اول مرة ﴾ و لم تكونوا شيئا يعيدكم بالقدرة التى ابتدأكم بها ، فكما لم تعجز تلك القدرة عن[4] البداءة فهى لا تعجز عن الإعادة ﴿ فسينغضون ﴾ أى مصوبين بوعد لا خلف فيه مشيرين[5] ﴿ اليك رءوسهم ﴾ أى يحركونها من شدة التعجب و الاستهزاء كأنهم فى شدة جهلهم على غاية البصيرة من العلم بما يقولون ؛ و النغض و الإنغاض : تحريك بارتفاع و انخفاض

/ ٣١٢

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فان الذى .

(٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا تخفى .

(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابدا .

(٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على .

(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مسيرين .

﴿ و يقولون ﴾ استهزاء : ﴿ متى هو[1] ﴾ ثم وصل[1] به قوله تعالى : ﴿ قل ﴾ قول مقتصد غير ممتعض بحالهم و لا ضيق بقولهم : ﴿ عسى ان يكون ﴾ أى كونا لا انفكاك عنه ﴿ قريبا ﴾ مطرقا[2] إليه الاحتمال لإمكانه غير جازم ، ثم استأنف جازما بقوله : ﴿ يوم ﴾ أى يكون ذلك يوم ﴿ يدعوكم ﴾ أى يناديكم[3] المنادى من قبله بالنفخة أو بغيرها كأن يقول : يا أهل القبور ! قوموا إلى الجزاء - أو نحو ذلك ﴿ فتستجيبون ﴾ أى توافقون الداعى فتفعلون ما أراد[4] بدعائه و تطلبون إجابته و توجدونها[5] ، أو استعار الدعاء و الاستجابة[6] للبعث و الانبعاث تنبيها على سرعتهما[7] و تيسر أمرهما ، أو أن القصد بهما الإحضار للحساب - [8]] ﴿ بحمده ﴾ أى باحاطته سبحانه بكل شىء قدرة و علما من غير تخلف أصلا ، بل لغاية الإذعان كما يرشد إليه صيغة استفعل ، و أنتم مع سرعة الإجابة تحمدون الله تعالى ، أى تثبتون له صفة الكمال ﴿ و تظنون ﴾ مع استجابتكم و طول لبثكم[9] ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ لبثتم ﴾ ميتين[10] ﴿ الا قليلا ﴾ لشدة ما ترون من [الأهوال التى أحاطت بكم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فصل (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : متطرقا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ينادى لكم (٤) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزياده فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موخذونها ؛ و العبارة من بعده إلى « الإحضار للحساب » ساقطة من م (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاجابة (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : سرعتها (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مكثكم . (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سنين .

و التى تستقبلكم ، أو جهلا منكم بحقائق الأمور كما هى حالكم اليوم كما ترون من -[1]] جدة خلقكم و عدم تغيره .

و لما أمره[2] سبحانه بابلاغهم هذا [الكلام -[3]] ، و فيه من التهكم بهم و التبكيت لهم و الاستخفاف بعقولهم ما لا يعلم مقداره إلا مثلهم من البلغاء والعرب العرباء ، و كان - لكونه كلام العليم بالعواقب ، الخبير بما تجن الضمائر - ٥ ربما[4] استن به المؤمنون فخاطبوهم بنحوه من عند أنفسهم ، نهاهم عن ذلك لئلا يقولوا ما يهيج[5] شرا أو تثير ضرا[6] ، فقال تعالى : ﴿ و قل ﴾ أى قل لهم ذلك من الحكمة و الموعظة الحسنة . و قل ﴿ لعبادى ﴾ أى الذين هم أهل[7] للاضافة إلىّ ، واعظا لهم لئلا يتجاوزوا الحد من شدة غيظهم من المشركين ، [8]إن تقل[9] [لهم -[1]] ذلك ﴿ يقولوا ﴾ الموعظة و الحكمة ١٠ و المجادلة ﴿ التى هى احسن[1] ﴾ لأكون معهم لأنى مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون ؛ ثم علل ذلك بقوله تعالى : ﴿ ان الشيطن ﴾ أى البعيد من الرحمة ، المحترق باللعنة ﴿ ينزغ بينهم[1] ﴾ أى يفسد و يغرى و يوسوس ، و أصل النزغ الطعن ، و هم غير معصومين ، فيوشك أن

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م (٢) فى الأصل فراغ قدر كلمة سددناه من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نهج (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خيرا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اصل (٨) العبارة من هنا إلى ما سننبه عليه مطموسة فى مد (٩) من ظ و م ، فى الأصل : يقل .

يأتوا بما لا يناسب الحال أو[1] الوقت بأن يذكروا مساوئ غيرهم أو محاسن أنفسهم فيوقع فى شر ؛ ثم علل هذه العلة بقوله تعالى : ﴿ ان الشيطٰن ﴾ ﴿ كان ﴾ أى فى قديم[2] الزمان و أصل الطبع كونا هو مجبول عليه ﴿ للانسان عدوا ﴾ أى بليغ العداوة ﴿ مبينا ﴾ ثم فسره التى هى ٥ احسن ، مما علمهم ربهم من النصفة[3] بقوله تعالى : ﴿ ربكم اعلم بكم ﴾ ثم استأنف فقال تعالى : ﴿ ان يشا ﴾[4] رحمتكم ﴿ يرحمكم ﴾ بأن ييسر لكم أفعال الخير ﴿ او ان يشا ﴾ عذابكم[5] ﴿ يعذبكم ﴾ بأن ييسركم لأفعال الشر ، فاذا قالوا لهم ذلك كانوا جديرين بأن يعرضوا - أو من أراد الله منهم - أفعالهم على ما يعلمونه[6] من الخير و الشر فينظروا[7] ٣١٣/ ١٠ أيهما أقرب إليها ، و ربما ردهم ذلك / من أنفسهم عن[8] الفساد ، لحسم[9] مادة العناد ، ويجوز - [و هو -[10]] عندى أحسن - أن تكون[11] الآية استئنافا واقعا موقع التعليل للامر بقول الأحسن ، أى "ربكم" أيها العباد "اعلم بكم" و بما يؤول أمركم إليه من سعادة و شقاوة "ان يشا يرحمكم" بهدايتكم "او ان يشا يعذبكم" باضلالكم ، فلا تحتقروا أيها ١٥ المؤمنون المشركين فتقطعوا بأنهم من أهل النار فتعيروهم بذلك ، فانه يجر إلى الإحن و حر الصدور و غيظ القلوب بلا فائدة ، لأن الخاتمة

(١) من م ، و فى الأصل و ظ « و » (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تقديم .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الصنعه (٤) زيد فى م : اى (٥) من م ، و فى الأصل وظ : عذابا (٦) فى ظ : يعملونه (٧) فى ظ : فينتظروا (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : لختم (١٠) زيد من ظ و م .
(١١) من ظ و م ، و فى الأصل : يكون .

مجهولة ، و لا تتجاوزوا [فيهم -[1]] ما آمركم به من قول و[2] فعل فانه الأحسن ؛ ثم رقى الخطاب إلى أعلى الخلق و رأس أهل الشرع ليكون من دونه أولى بالمعنى [منه -[1]] فقال تعالى: ﴿ و ما ﴾ أى فما أرسلناك إلا للدعاء بمثل ذلك على حسب ما نأمرك بـه ، و ما ﴿ ارسلنك ﴾ أى مـع ما لنا من العظمة الغنية عن كل شىء ٥ ﴿ عليهم وكيلا ﴾ أى حفيظا و كفيلا لغيرهم على ما يرضى الله ، و إنما أرسلناك بشيرا و نذيرا فدارهم و أمر[3] أصحابك بمداراتهم[4] .

و لما أمرهم بأن ينسبوا الأعلية بهم إليه سبحانه ، أخبر بما هو أعم من ذلك فقال تعالى عاطفا على "ربكم" إعلاما بأن علمه ليس مقصورا عليهم ، بل هو محيط ، قاصرا الخطاب على أعلم الخلق به سبحانه ١٠ إشارة إلى أنه لا يعلم هذا حق علمه غيره : ﴿ و ربك ﴾ أى المحسن إليك بأن جعلك أكمل الخلق ﴿ اعلم[5] ﴾ [6]أى من كل عالم[6] ﴿ بمن فى السمٰوٰت ﴾ أى كلها ﴿ و الارض[5] ﴾ منهم و من غيرهم ، بأحوالهم و مقاديرهم و آجالهم و ما يستأهل كل واحد منهم . لأنه هو الذى خلقهم و فاوت بينهم فى أخلاقهم و هيئاتهم فكيف يستبعدون[7] أن ١٥ يكون يتيم أبى طالب - على ما كانوا يقولون - [6]نبيا ، و أن يكون أصحابه العراة الجياع أفضل منهم .

و لما كان قد فهم من هذا السياق[6] تفضيل بعض الأشياء على بعض

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٣) فى ظ و م : مر .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بماداراتهم - كذا (٥) تقدم فى ظ على «أى المحسن» (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : يستبعد .

حتى تصير قابلة [1]لروح الحياة[1] بدءا و إعادة، بعد أن فهم من أول السورة و آخر التى قبلها اختصاص بعض الأنبياء بفضائل من روح العلم و الحكمة لم يحزها غيره، صرح بهذا هنا فقال تعالى عطفا على ما أرشد إليه سياق الإخبار بالأعلمية، ملتفتا إلى مقام العظمة الداعى إليه الحال، و هو الوصف بالأعلمية: ﴿و لقد﴾ أى فميزنا بينهم بالرذائل و الفضائل تفضيلا لبعضهم على بعض [2]على حسب [3]إحاطة علمنا [بهم -[4]] و شمول قدرتنا لهم[5] فى تأهلهم للسعادة و الشقاوة ففضلنا[6] بعض الناس على بعض، ففضلنا العلماء على غيرهم، و فضلنا النبيين منهم على غيرهم، و لقد ﴿فضلنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿بعض النبيّين﴾ أى سواء كانوا رسلا أو لا ﴿على بعض﴾ بعد أن جعلنا الكل فضلاء لتقوى كل منهم و إحسانه، فلا ينكر[7] أحد من العرب أو بنى إسرائيل أو غيرهم تفضيلنا لهذا النبى الكريم الذى[8] صدرنا السورة بتفضيله على جميع الخلائق، فانا نفعل ما نشاء، بما[9] لنا من القدرة التامة و العلم الشامل، و الحاصل أن من أعظم ثمرات العلم التفضيل باعطاء كل واحد بل[10] كل شىء ما يستحقه، و بذلك يستدل على [تمام -[11]] حكمته فى شمول [علمه -[11]] و كمال قدرته، فلذلك[12] ذكر

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: الروح الحيا (٢) العبارة من هنا إلى «على بعض» ساقطة من ظ (٣) و من هنا تستأنف نسخة مد (٤) زيد من م و مد (٥) فى مد: لنا (٦) من م، و فى الأصل و ظ و مد: فضلنا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلا ينظر (٨) زيد فى الأصل و ظ: هو، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) فى م: لما (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على.
(١١) زيد من ظ و م و مد (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: =

التفضيل هنا بعد ذكر العلم المطلق ، و صرح بتفضيل أشرف الخلائق و طوى ذكر غيرهم ، كما ذكر التفضيل فى الدنيا بعد إثبات العلم المقيد بالذنوب فى قوله "من كان يريد العاجلة - إلى قوله تعالى : انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض" .

/ و لما كان القصد[1] إلى بنى إسراءيل فى هذه السورة سابقها و لاحقها ٥ / ٣١٤ ظاهرا ، و التعريض بهم فى كثير منها بينا ، و كان داود عليه السلام هو المؤسس للمسجد الأقصى الذى وقع الإسراء إليه ، و كان قد خص بأن ألين له الحديد الذى[2] أمر المشركون[3] أن يكونوه[4] ، لاستبعادهم الإعادة ، و كان - مع كونه ملكا[5] - من أشد الناس تواضعا ، و أكثرهم بكاء ، و أبعدهم من المرح فى الأرض ، قال تعالى : ﴿ و آتينا ﴾ أى بما لنا ١٠ من العظمة ﴿ داود ﴾ [أى -[6]] الذى هو من أتباع موسى الذى آتيناه الكتاب و جعلناه هدى لبنى إسراءيل ألا يتخذوا من دونى وكيلا ﴿ زبورا ﴾ لأنهم قاطعون بأن[7] مَن بين موسى و عيسى من أنبياء بنى إسراءيل دون موسى فى الرتبة ، وكل منهم داعٍ إلى شريعته ، عامل بحكم التوراة التى شرفه[8] الله بها ، غير خارج عن شىء من سنتها[9] ، فكان القياس ١٥

= فكذلك .

(١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الفضل (٢) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الذين (٣) فى ظ : المشركين (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : يكونوا (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : لان .
(٨) من م ومد ، فى الأصل وظ : شرفها (٩) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : متنها .

يقتضى أن يكونوا[١] فى الفضيلة سواء ، فلم يجر ذلك على مقتضى عقول الناس ، بل فاوت سبحانه بينهم على حسب علمه بأحوالهم[٢] حتى فى الوحى ، فخص من بينهم داود عليه السلام بكتاب كله مواعظ ، و المواعظ أشد شىء منافاة للشى فى الأرض مرحا ، و نهيا عنه ، و أعظم شىء أمرا بالقول الذى هو أحسن من الإخلاص و المراقبة و الإحسان ، هذا [إلى -[٣]] ما ذكر فيه من التسبيح من كل شىء الذى هو من[٤] أعظم مقاصد السورة كما تقدم نص الزبور به[٥] قريبا ، فكان ذكر تفضيله [به -[٦]] هنا أنسب شىء لهذا المقام[٧] ، و فى[٨] ذلك أعظم إشارة و أجل تنبيه على فضل بيت المقدس الذى جعله سببا لتفضيل الأنبياء تارة بالهجرة إليه كابراهيم عليه السلام و تارة بقصد[٩] تطهيره من الشرك و تنويره بالتوحيد كموسى عليه السلام ، و تارة بتأسيس بنيانه و تشييد أركانه كداود عليه السلام ، و تارة بالإسراء إليه و الإمامة بالأنبياء عليهم السلام به و العروج منه إلى سدرة المنتهى و المقام الأعلى ، و أما تفضيله و تفضيل ابنه سليمان - على نبينا محمد و عليهما الصلاة و السلام - بالملك و سعة الأمر فدخل فى قوله تعالى " انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض " [و -[٦]] روى البخارى فى التفسير

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يكون (٢) فى مد : باعمالهم (٣) زيد من م و مد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيه . (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : المقال (٨) زيد فى الأصل : كل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) فى ظ : بتاسيس .

عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : خفف على داود [القراءة - [1]] فكان يأمر بدوابه[2] لتسرج ، فكان يقرأ قبل أن يفرغ - يعنى القرآن ، و من أعظم المناسبات لتخصيص داود عليه السلام و زبوره بالذكر هنا ذكر البعث الذى هذا مقامه فيه صريحا ، و كذا ذكر النار مع خلو التوراة عن ذلك ، أما البعث فلا ذكر له فيها أصلا ، و أما النار فلم يذكر شيء[3] مما يدل عليها إلا الجحيم فى موضع واحد ، و أما الزبور فذكر فيه[4] النار و الهاوية و الجحيم فى غير موضع ، و أما البعث فصرح به ، و هو ظاهر فى كونه بالروح و الجسد ، قال فى المزمور الثالث بعد المائة[5] : نفسى تبارك الرب ، [الرب -[6]] إلهى عظيم جدا ، لبس المجد ، و عظيم البهاء ، و تجلل بالنور كالرداء ، و مد السماء كالخباء ، جعل الماء أساسها ، و استوى على السحاب ، و مشى على أجنحة الرياح ، خلق ملائكته أرواحا[7] و خدمه نارا واقدة ، و تجلل بالغمر كالرداء ، و على الجبال تقف المياه ، و من رجزك[8] قهرت ، و من صوت رعدك تجزع الجبال عالية ، و البقاع منهبطة فى الأماكن التى أسست ، جعلت حدا لا تتجاوزه ، لا تعود[9] [تغطى -[6]] الأرض ، أرسل الماء عيونا فى الأودية ، و بين / الجبال ٣١٥/

(١) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٢) كذا فى جميع أصولنا و كتاب الأنبياء من الصحيح ، و فى كتاب التفسير منه : بدابته (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شيئا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيها (٥) راجع الآية الأولى فما بعدها (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى المزمور : رياحا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : زجرك (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا تعوظ .

تجرى المياه لتسقى حيوان البر ، و تروى [عطاش -[١]] الوحوش ، يقع[٢] عليها طائر السماء - إلى أن قال[٣] : و كل بحكمة صنعت ، امتلأت الأرض من خليقتك . هذا البحر العظيم السعة فيه حيتان لا تحصى كبار و صغار ، و فيه تسلك [السفن -[١]] ، و هذا التنين[٤] الذى خلقته ليتعجب منه ، و الكل إياك يرجون لتعطيهم[٥] طعامهم فى حينه ، فاذا أنت[٦] أعطيتهم يعيشون ، و عند بسط يدك بالطيبات يشبعون ، و حين[٧] تصرف وجهك يجزعون ، تنزع أرواحهم فيموتون ، و إلى التراب يرجعون ، ترسل روحك فيخلقون ، و تجدد وجه الأرض دفعة أخرى ، و يكون مجد الرب إلى الأبد[٨] - انتهى . فكأن ذلك جواب لقول من [٩]لعله يقول للعرب[٩] من اليهود : إن الأمر كما تقولون فى[١٠] أنه لاقيامة[١١] - كما يقوله بعض زنادقتهم كما ذكر عنهم فى نص[١٢] الإنجيل و كما[١٣] نقل عنهم فى سورة النساء أنهم قالوا : أنتم أهدى سبيلا[١٤] ، و دينكم خير من دين محمد ، و فى الزبور - كما تقدم فى[١٥] أول السورة عن توراة موسى عليه الصلاة

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ ومد : تقع (٣) راجع آية ٢٤ فما بعدها. (٤) فى ظ : التين ، و فى مد : الثنى - كذا (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يروحون لتعظيم (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انتهت (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عند (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرب (٩ - ٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فعله تقول العرب - كذا . (١٠) سقط من ظ (١١) فى م : قيمة (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بعض (١٣) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : بما (١٤) راجع آية ٥١ (١٥) سقط من م و مد .

و السلام - ألا تتخذوا من دون الله وكيلا ، و ذلك من أعظم مقاصد السورة ؛ قال فى المزمور الخامس و الأربعين بعد المائة[1]: لاتتوكلوا على الرؤساء و لا على بنى البشر الذين ليس عندهم خلاص ، فان أرواحهم تفارقهم و يعودون إلى ترابهم ، فى ذلك اليوم تبطل[2] أعمالهم .

و لما أثبت أن شأنه تعالى فعل ذلك و أمثاله من التفضيل و التحويل على حسب علمه و قدرته ، ثبت بغير شبهة أن لا مفزع إلا إليه ، فأمره صلى الله عليه و على آله و سلم تحقيقا لذلك أن يأمرهم بما يظهر به عجز شركائهم ، ردا عليهم فى قولهم[3] : لسنا بأهل لعبادته استقلالا ، فنحن نعبد بعض المقربين ليشفع لنا [عنده -[4]] ، فقال تعالى : ﴿ قل ادعوا الذين ﴾ و أشار إلى ضعف عقولهم و عدم تثبتهم بالتعبير بالزعم فقال تعالى : ﴿ زعمتم ﴾ أنهم آلهة ؛ و بين سفول رتبتهم بقوله تعالى : ﴿ من دونه ﴾ أى من سواه كالملائكة و عزير و المسيح و الأصنام ، ليجلبوا لكم خيرا ، أو يدفعوا عنكم ضرا ﴿ فلا ﴾ أى فان[5] دعوتموهم أو لم تدعوهم [فانهم لا -[4]] ﴿ يملكون كشف الضر ﴾ أى البؤس الذى[6] من شأنه أن [7]يرض الجسم[7] كله ﴿ عنكم ﴾ حتى لايدعوا شيئا منه ﴿ و لا تحويلا ﴾[5] له من حالة إلى ما هو أخف منها ، فضلا عن أن يبدلوه بحالة حسنة أو يحولوه إلى عدوكم ، و الآية نحو قوله تعالى "فما يستطيعون

(١) راجع الآية الثالثة و الرابعة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابطل .
(٣) فى ظ : قوله (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان (٦) فى مد : اى (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يرضى بجسم .

صرفا و لانصرا[1]" فكيف يتخذ أحد[2] منهم دونى[3] وكيلا ؟ قالوا[4] : و سبب نزولها شكوى قريش إلى النبى صلى الله عليه و على آله و سلم ما نزل بهم من القحط حين[5] دعا عليهم بسبع كسبع يوسف عليه السلام . و لم ينصب "يملكون" لئلا يظن أن النفى[6] مسبب عن الدعاء فيتقيد به .

و لما بين أنه لا ضر لهم و لا نفع ، بين أنهم يتسابقون إلى القرب إليه رجاء أن ينفعهم و خوف أن يضرهم فقال تعالى : ﴿ اولئك ﴾ أى الذين أعلوا مراتبهم بالإقبال [7]على طاعة الله ، و كان المشركون يعلون مراتبهم[7] بتألههم ، و عبر عن ذلك واصفا للمبتدإ بقوله تعالى : ﴿الذين يدعون﴾ أى يدعوهم الكفار و يتألهونهم ؛ ثم أخبر عن المبتدإ بقوله تعالى : ﴿ يبتغون ﴾ أى يطلبون طلبا عظيما ﴿ الى ربهم ﴾ المحسن إليهم وحده ﴿ الوسيلة ﴾ أى المنزلة و الدرجة و القربة بالأعمال الصالحة ﴿ ايهم اقرب ﴾ أى يتسابقون بالأعمال مسابقة من يطلب كل منهم أن يكون إليه أقرب و لديه أفضل ﴿ و يرجون رحمته ﴾ رغبة فيما عنده ﴿ و يخافون عذابه[8] ﴾ تعظيما لجنابه ، المكلف منهم كالملائكة و المسيح و عزير بالفعل ، و غيرهم[8] كالأصنام بالقوة من حيث / أنه قادر /٣١٦

(١) سورة ٢٥ آية ١٩ (٢) من م و مد ، وفى الأصل وظ : أحدا (٣) سقط من ظ (٤) راجع روح المعانى ٤/٥٣٩ (٥) فى مد : عند (٥) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : لنفس (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : غيره .

[على -[1]] أن يخلق فيها قوة الإدراك للطاعة و العذاب[2] فتكون كذلك[2] فالعابدون لهم[3] أجدر بأن يعبدوه[4] و يبتغوا إليه الوسيلة ؛ و روى البخارى فى التفسير عن عبد الله رضى الله عنه "الى ربهم الوسيلة" قال : كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن فأسلم الجن و تمسك هؤلاء بدينهم .

ثم علل خوفهم بأمر عام فقال تعالى : ﴿ ان عذاب ربك ﴾ أى المحسن ٥ إليك برفع انتقام الاستئصال منه عن أمتك[5] ﴿ كان ﴾ أى كونا[6] ملازما له ﴿ محذورا ﴾ أى جديرا بأن يحذر لكل[7] أحد من ملك مقرب و نبى مرسل فضلا عن غيرهم[8] ، لما شوهد من إهلاكه للقرون و من صنائعه العظيمة .

و لما كان المعنى : فاحذرونا فانا أبدنا[9] الأمم السالفة و دمرنا القرى ١٠ المشيدة ، عطف عليه قوله تعالى : ﴿ و ان ﴾ أى و ما ؛ و أعرق فى النفى فقال تعالى : ﴿ من قرية ﴾ من القرى[10] هذه[11] التى أنتم بها و غيرها ﴿ الا نحن ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ مهلكوها ﴾ بنوع من الهلاك ، لما هم عليه من الكفر أو العصيان ، و عن مقاتل[12] أنها عامة للصالحة بالموت

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيكون لذلك (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : له (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعبدوا (٥) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد فى ظ : هو (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كل (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غيره (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اندرنا . (١٠) فى ظ : قرى (١١) زيد فى الأصل : القرية ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٢) و ذكر معناه عن مقاتل فى المعالم - راجع اللباب ٤/١٣٥ .

و الطالحة بالعذاب .

و لما كان الممكن ليس له من ذاته إلا العدم ، و ذلك مستغرق لزمان القبل ، حذف الجار فقال تعالى : ﴿ قبل يوم القيٰمة ﴾ [الذى -[1]] أنتم به مكذبون ، كما فعلنا فى بيت المقدس فى المرتين المذكورتين أول[2] السورة لإفساد أهلها فاحذروا مثل ذلك ﴿ او معذبوها ﴾ أى القرية بعذاب أهلها ﴿ عذابا شديدا[3] ﴾ مع بقائها .

و لما أكد ذلك بالاسمية ، زاده تأكيدا فى جواب من كأنه قال : هل فى ذلك من ثُنْيا[3] لأن مثله لا يكاد يصدق ؟ فقال تعالى : ﴿ كان ذلك ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ فى الكتٰب ﴾ الذى عندنا ﴿ مسطورا ﴾ على وجه الخبر ، و الأخبار لا تنسخ ، فلو لم يكن حشر كان أمرنا[4] جديرا بأن يمتثل[5] حذرا من سطواتنا ، و لا بد من أن نخيفكم[6] بعد طول أمنكم[7] و نهلك كثيرا من أعزائكم[8] على يد هذا الرجل الواحد الذى أنتم كلكم متمالؤن[9] عليه مستهينون بأمره ، مع أنا أرسلناه لعزكم[10] و علو ذكركم ، و لا بد أن ندخله[11] إلى بلدكم هذا بجنود

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شىء (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امر (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يتمثل (٦) من م و مد ، و فى الأصل : يخيفكم ، و فى ظ : يخففكم . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منكم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعدايكم (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متمايلون (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعزكم (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يدخل .

أولى بأس شديد ، لإفسادكم فيه و استهانتكم [١] به كما فعلنا [١] ببنى إسرائيل حين أفسدوا [٢] فى مسجدهم [كما تقدم - [٣]] ؛ قال الإمام الحافظ أبو عمرو عثمان بن [٤] سعيد الدانى فى كتاب الفتن : حدثنا [٥] عبد بن أحمد [٥] بن محمد الهروى فى كتابه ثنا [٦] عمر [٧] بن أحمد بن عثمان بن شاهين ثنا محمد [٨] ابن هارون الحضرمى ثنا على [٩] بن عبد الله التيمى ثنا عبد المنعم [١٠] بن إدريس قال [١١] : أخبرنا أبى عن وهب [١٢] بن منبه قال : الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب [إرمينية . و إرمينية آمنة من الخراب حتى تخرب مصر ، و مصر آمنة من الخراب حتى تخرب - [١٣]] الكوفة [١٤] ، و لا تكون [١٥] الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة ، فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يدى [١٦] رجل من بنى هاشم ، و خراب الأندلس من قبل الزنج ، و خراب إفريقية من قبل الأندلس ، و خراب مصر من انقطاع النيل و اختلاف الجيوش [فيها - [١٧]] ، و خراب العراق من قبل الجوع

(١ - ١) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فسدوا (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الشهير بابن . (٥-٥) فى ظ : عبد الله أحمد بن ؛ و راجع لترجمته تذكرة الحفاظ ١١٠٣ (٦) من ظ ، و فى الأصل : اخبر ، و فى م : نا ، و فى مد : انبانا (٧) راجع لترجمته تذكرة الحفاظ ٩٨٧ (٨) ذكره مختصرا فى تذكرة الحفاظ ٧٨٧ و تاريخ بغداد ٣/٣٥٧ . (٩) لم نتأكد منه (١٠) راجع تاريخ بغداد ١١ / ١٣١ (١١) سقط من ظ و م و مد (١٢) من الأعلام المشاهير (١٣) زيد من ظ و م و مد (١٤) العبارة من هنا إلى « تخرب الكوفة » ساقطة من ظ (١٥) من م و مد ، و فى الأصل : لا يكون (١٦) فى ظ : يد (١٧) زيد من م و مد .

و السيف ، و خراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحقرهم حتى لا يستطيعوا[1] أن يشربوا من الفرات قطرة ، و خراب البصرة من قبل[2] العراق ، و خراب الأبلة[3] من قبل عدو يحفزهم[4] مرة برا و مرة بحرا ، و خراب الرىّ من قبل الديلم ، و خراب خراسان من قبل تبت ، و خراب تبت من قبل الصين ، و خراب الصين [من قبل الهند ، و خراب اليمن من قبل الجراد و السلطان . و خراب مكة -[5]] من قبل الحبشة ، و خراب المدينة من قبل الجوع ؛ [6] حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد حدثنا علي بن محمد بن نصير حدثنا محمد بن خلف أخبرنا / سالم بن جنادة أخبرنا أبي عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم : آخر قرية من قرى الإسلام خرابا المدينة - انتهى . و قد أخرجه الترمذى[7] من هذا الوجه .

/٣١٧

و لما كانت كفار قريش قد تكرر اقتراحهم للآيات بعد أن اشتد أذاهم ، و كان صلى الله عليه و على آله و سلم - لشدة حرصه على إيمان كل أحد فكيف بقومه العرب فكيف بنى عمه منهم - ربما أحب [أن -]

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا يستطيعون (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الايلتين (٤) من م و مد ، و فى الأصل : يحفرنهم ، و فى ظ : يحقهم (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) لم نتمكن من ضبط هذا الطريق ، و الطريق المذكور فى جامع الترمذى هو عن أبى السائب عن سالم بن جنادة و هلم جرا (٧) فى باب ما جاء فى فضل المدينة - كتاب المناقب .

الله تعالى يجيبهم إلى مقترحهم طمعا[١] فى إيمانهم و إراحة[٢] [له -[٣]] و لأتباعه من أذاهم ، و كان ما رأواه[٤] من آية[٥] الإسراء أمرا باهرا ثم لم يؤمنوا ، بل[٦] ارتد بعض من كان آمن منهم ، [٧]كان المقام[٧] فى قوة اقتضائه أن يقال بعد ذكر آية العذاب : ما لهم لا يعجل عذابهم أو يجابون إلى مقترحاتهم ليقضى الأمر؟ فيقال فى الجواب : ما منعنا من تعجيل عذابهم إلا أنا ضربنا لهم أجلا لا بد من بلوغه ﴿ و ما منعنآ ﴾ [أى -[٨]] على ما لنا من العظمة التى لا يعجزها شىء و لا يمنعها مانع ﴿ ان نرسل ﴾ أى إرسالا يظهر عظمتنا على وجه العموم ﴿ بالأيٰت ﴾ [أى -[٩]] التى اقترحتها[١٠] قريش ، فكان كأنه لا آيات عندهم سواها ﴿ الآ ﴾ علمنا فى عالم الشهادة بما وقع من[١١] ﴿ ان كذب بها ﴾ أى المقترحات[١٢] ﴿ الاولون[٤] ﴾ و علمنا فى عالم الغيب [أن -[٩]] هؤلاء مثل الأولين فى أن الشقى منهم لا يؤمن بالمقترحات كما لم يؤمن[١٣] بغيرها ، و أنه يقول فيها ما قال فى غيرها من أنها سحر و نحو هذا ، و السعيد لا يحتاج فى إيمانه إليها ، فكم أجبنا أمة[١٤] إلى مقترحها فما زاد ذلك أهل الضلالة منهم إلا كفرا ، فأخذناهم لأن سنتنا جرت أنا لا نمهل بعد الإجابة إلى المقترحات من كذب بها ، و نحن قد قضينا برحمة هذه الأمة و تشريفها على الأمم السالفة بعدم[١٥] استئصالها ، لما يخرج من أصلاب

(١) من م و مد . و فى الأصل و ظ : طبعا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : راحة (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : رآه ، و فى مد : رواه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليلة (٦) فى ظ : ثم (٧-٧) فى مد : كالمقام (٨) زيد من مد (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اقترحها (١١) سقط من مد (١٢) فى م : بالمقترحات (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم يومنوا (١٤) سقط من ظ (١٥) فى ظ : بعد .

كفرتها من خلص عبادنا ؛ و المنع هنا مبالغة مراد بها نفى إجابتهم إلى مقترحاتهم ، و لا يجوز أخذه على ظاهره ، لأنه وجود ما يتعذر معه وقوع الفعل[1] من القادر عليه ، ثم عطف على ما دل عليه المقام [2]و هو: فكم[2] أجبنا - إلى آخر ما ذكرته . [3]قوله تعالى[3]: ﴿ و آتينا ﴾ أى بما لنا من العزة الباهرة ﴿ ثمود الناقة ﴾ حال كونها ﴿ مبصرة ﴾ أى مضيئة ، جديرة بأن يستبصر بها كل من شاهدها ﴿ فظلموا بها[4] ﴾ أى فوقعوا فى الظلم الذى هو كالظلام بسببها ، بأن لم يؤمنوا و لم يخافوا عاقبتها . و خص آية ثمود بالذكر تحذيرا بسبب أنهم عرب اقترحوا ما كان سببا لاستئصالهم . و لأن لهم من علمها[5] و علم مساكنهم بقربها إليهم و كونها فى بلادهم ما ليس لهم من علم غيرها . و خص الناقة لأنها حيوان أخرجه من حجر ، و المقام لإثبات القدرة على الإعادة و لو كانوا حجارة أو حديدا ؛ و دل على سفههم فى كلا الأمرين على طريق النشر المشوش بذكر[6] داود عليه السلام إشارة إلى الحديد ، و الناقة إشارة إلى الحجارة ، فلله هذه الإشارة ما أدقها ! و هذه العبارة ما أجلها و أحقها ! ﴿ و ما نرسل ﴾ أى بما[7] لنا من الجلالة التى هى بحيث تذوب لها الجبال ﴿ بالآيت ﴾ أى المقترحات و غيرها ﴿ الا تخويفا ﴾ أى للرسل إليهم بها ، فان خافوا نجوا و إلا هلكوا[8] فاذا كشف الأمر لكم فى عالم الشهادة عن أنهم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النسل (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فهو كم (٣-٣) فى ظ : قال (٤) فى ظ : عملها (٥) فى ظ : اخرجنا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بذكره (٧) فى ظ و مد : على ما (٨) فى ظ : اهلكوا .

لا يخافونها وفق ما كان عندنا[1] فى عالم الغيب، علم أنه لا فائدة لكم فيها .

و لما كان التقدير للتعريف بمطابقة[2] الخبر [الخبرَ -[3]] : اذكر[4] أنا قلنا لك "ان الذين[5] حقت عليهم كلمت ربك لايؤمنون و لو جاءتهم كل اٰية" و اذكر ما وقع من ذلك ماضيا من آيات الأولين و حالا من قصة الإسراء، عطف عليه قوله تعالى: ﴿ و اذ ﴾ أى [و -[3]] اذكر إذ ﴿ قلنا[6] ﴾ على ما لنا من العظمة المحيطة ﴿ لك / ان ربك ﴾ المتفضل بالإحسان إليك بالرفق بأمتك ﴿ احاط بالناس[7] ﴾ علما و قدرة، تجد ذلك إذ طبقت[7] بعضه على بعض أمرا سويا حذو[8] القذة بالقذة لا[8] تفاوت فيه، و اعلم أنه[9] مانعك[10] منهم و حائطك و مظهر دينك [كما وعدك -[3]]؛ ثم عطف على "و ما نرسل" قوله تعالى: ﴿ و ما جعلنا ﴾ أى بما لنا من القوة الباهرة التى لها الغنى المطلق ﴿ الرءيا التى اريناك ﴾ أى بتلك العظمة التى شاهدتها ليلة الإسراء ﴿ الا فتنة ﴾ أى امتحانا و اختبارا ﴿ للناس ﴾ ليتبين بذلك فى عالم الشهادة المتقى المحسن و الجاهل المسىء كما هو عندنا فى عالم الغيب، فنقيم[11] بها عليهم الحجة . [لا -[3]] ليؤمن أحد ممن حقت عليهم[12] الكلمة و لا لنزداد نحن علما

/ ٣١٨

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عندها (٢) سقط من مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ: اذ (٥) من ظ و م و مد و آية ٩٦ سورة ١٠، و فى الأصل: الذى (٦) زيد بعده فى الأصل و ظ: لك، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اطبقت (٨-٨) من ظ و م و مد. و فى الأصل: القدرة بالقدرة لان (٩) فى ظ: انك (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ما منعك (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لنقيم (١٢) فى مد: عليه.

بسرائرهم[1]، و لا شك [2]فى أن[2] قصة الإسراء إلى بيت المقدس ثم إلى السماوات العلى كان يقظة لا مناما بالدليل[3] القطعى المتواتر من تكذيب من كذب و ارتداد من ارتد، و هذا مذهب الجمهور و أهل السنة و الجماعة، و قد ورد فى صحته[4] ما لايحصى من الأخبار - هذا النقل، و أما الإمكان العقلى فثابت غير محتاج إلى بيان، فان كل[5] ذرة من ذرات الموجودات فيها من العجائب و الغرائب و الدقائق [و الرقائق -[6]] ما يتحير فيه العقول، لكن لما كان على وفق العادة ألفته الطباع، فلم تنكره الأبصار و لا الأسماع، و أما مثل هذا فلما[7] كان على خلاف العادة استنكره ضعفاء العقول الذين لايتجاوز فهمهم المحسوسات، على ما ألفوا من العادات، و أما أولو الألباب الذين سلموا من نزغات الشيطان و وساوس العادة، و نظروا بأعين البصائر إلى آثار رحمة الله فى صنع المصنوعات و إحداث المحدثات فى الملك و الملكوت، و الشهادة و الغيب، و الخلق و الأمر، فاعترفوا به، و أنه من عظيم الآيات، و بدائع الدلائل[8] النيرات، و أدل [دليل -[6]] على ذلك قوله تعالى "فتنة" [لأنه -[6]] لو كان رؤيا منام لم يكن بحيث يستبعده[9] أحد فلم يكن فتنة، و لعله إنما سماه رؤيا - و هى للمنام - على وجه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بشرايهم (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ان فى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الدليل (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صحة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قل (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ: فما (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الدلالات (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يستبعد.

التشبيه و الاستعارة ، لما فيه من الخوارق التى هى بالمنام[١] أليق فى مجارى العادات[٢] ؛ روى البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما "و ما جعلنا الرءيا[٣] التى اريناك[٣]" - الآية ، قال : هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم ليلة أسرى به .

و لما كان كل ما خفى سببه و خرج عن العادة [فتنة -[٤]] يعلم به من فى طبعه الحق و من [فى -[٥]] طبعه الباطل ، و من هو سليم الفطرة و من هو معكوسها ، و كان قد أخبر أن شجرة الزقوم تنبت فى أصل الجحيم[٦] . و كان ذلك فى غاية الغرابة ، ضمه[٧] إلى الإسراء فى ذلك فقال تعالى : ﴿و الشجرة﴾ عطفا على الرؤيا ﴿الملعونة فى القرآن[٤]﴾ بكونها ضارة ، و العرب تسمى كل ضار ملعونا ، و بكونها فى دار اللعنة ، وكل من له عقل يريد بعدها عنه . و هى -[٨] كما رواه[٨] البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما - شجرة [الزقوم -[٩]] . جعلناها[١٠] أيضا فتنة للناس نقيم[١١] بها عليهم الحجة فى الكفر و الإيمان، فنثبتهم أى من أردنا إيمانه منهم بالأول و هو الإسراء ﴿و نخوفهم[٤]﴾ بالثانى و أمثاله ﴿فما يزيدهم﴾ أى الكافرين منهم التخويفُ حال التخويف ، فما بعده من أزمنة الاستقبال أجدر بالزيادة

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فى المنام (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المناجات (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) زيد من م (٦) راجع آية ٦٤ سورة ٣٧ (٧) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : ختمه (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رواية (٩) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (١٠) فى ظ : جعلناه (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقيم .

﴿ الا طغيانا ﴾ أى تجاوزا للحد هو فى غاية العظم ﴿ كبيرا ٤ ﴾ فيقولون فى [الأول ما تقدم فى - [1]] أول السورة ، و فى الثانى : إن محمدا يقول : إن وقود النار [2] الناس و الحجارة . ثم يقول : إن فيها شجرا ، و قد علمتم أن النار تحرق الشجر ، و لم يقولوا ما هم أعلم الناس به من أن [3] الذى جعل / لهم من الشجر الأخضر نارا قادر على أن يجعل فى النار شجرا ، و من أنسب الأشياء استحضارا هنا ما ذكره [3] العلامة شيخ مشايخنا زين الدين أبو بكر ابن الحسين المراغى [بمعجم العين -[4]] المدنى [5] فى تأريخ المدينة الشريفة [6] فى أوائل الباب الرابع فى ذكر الأودية فانه قال : وادى الشظاة [7] - أى بمعجمتين [8] مفتوحتين - يأتى من شرقى المدينة من أماكن بعيدة عنها إلى أن يصل [إلى - [4]] السد الذى أحدثته نار الحرة التى ظهرت فى جمادى الآخرة سنة أربع و خمسين و ستمائة - يعنى : [و هى - [1]] المشار إليها بقول النبى صلى الله عليه و على آله و سلم « لا تقوم الساعة حتى تخرج [نار - [1]] بالحجاز تضىء لها أعناق الإبل ببصرى [9] » قال : و كان ظهورها من واد [10] يقال له [11] أحيلين فى الحرة الشرقية [11] ، و صارت من مخرجها إلى جهة الشمال مدة [12] ثلاثة أشهر

٣١٩/ ٥ ١٠ ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذكر (٤) زيد من م و مد (٥) المتوفى سنة ٨١٦ هـ . و راجع لمصادر ترجمته معجم المؤلفين ٣/ ٦ (٦) اسمه تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شظاة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معجمتين . (٩) و الحديث رواه البخارى فى كتاب الفتن - باب خروج النار ، كما رواه مسلم فى نفس الكتاب (١٠) من ظ و م و مد . و فى الأصل : وادى (١١-١١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : حمليين بالحرة الشريفة (١٢) من ظ و م و مد و فى الأصل : تدب .

تدب دبيب النمل ، تأكل كل[1] ما مرت عليه من جبل و حجر و لا تأكل الشجر ، فلا تمر على شيء من ذلك إلا صار سدا لا مسلك لإنسان فيه و لا دابة إلى[2] منتهى الحرة من جهة الشمال - فذكر القصة و هي غريبة[3] ، و أسند فيها عن[4] المطرى[5] فيما يتعلق بعدم أذاها للخشب .

و لما تقدم أنهم استبعدوا الإعادة من أجل صيرورتهم بعد الموت رفاتا ، و أخبر تعالى بقدرته على ذلك و لو[6] صاروا إلى ما هو أعسر عندهم فى الإعادة من الرفات بأن يكونوا حجارة أو حديدا ، و أشار إلى قدرته على التصرف بخرق[7] العادة فى الحديد بالانته لعبد من عبيده ، [ثم فى الحجارة على سبيل الترقى فى النشر المشوش بما هو أعجب من ذلك ، و هو إفاضة[8] الحياة عليها لعبد آخر من عبيده -[9]] ، أشار إلى تصرفه فى التراب الذى هو نهاية الرفات الذى حملهم على الاستبعاد بما هو أعجب من كل ما تقدمه ، و ذلك بافاضة[10] الحياة الكاملة بالنطق عليه

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الا (٣) و راجع لمزيد التفاصيل فتح البارى - باب خروج النار كتاب الفتن (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٥) هو محمد بن أحمد بن خالد بن عيسى الأنصارى السعدى المطرى المدنى ، أبو عبد الله ، مؤرخ ، كان أحد الرؤساء المؤذنين بالمسجد النبوى ، توفى بالمدينة سنة ٧٤١ ، من آثاره التعريف بما أسست الهجرة من معالم دار الهجرة فى تأريخ المدينة المنورة - و راجع لمصادر ترجمته معجم المؤلفين ٨/٣٥٧ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما (٧) فى ظ : خلق (٨) من م و مد ، و فى ظ : اضافة (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : باضافة .

[من غير -[1]] أن تسبق له حالة[2] حياة أصلا ، و ذلك بخلق آدم عليه السلام [الذى هو أصلهم ، مع ما فى ذلك من حفظ السياق فى[3] التسلية بأن الآيات لاتنفع المحكوم بشقاوته و بأن آدم عليه السلام -[4]] قد سلط عليه الحاسد [5]و اشتد أذاه له مع أنه صفى الله و أول أنبيائه ، مع البيان لأن أغلب أسباب الطغيان الحسد[5] الذى حمل إبليس على ما فعل[5] فقال تعالى : ﴿و اذ﴾ أى و اذكر أيضا ما وقع من الطغيان مع رؤية الآيات فى أول هذا الكون من[6] إبليس الذى [هو -[1]] من أعلم[7] الخلق بآيات الله و عظمته ، ثم ممن[8] اتبعه من ذرية آدم عليه السلام بعد تحقق عداوته فى مخالفة ربهم المحسن إليهم مع ادعاء ولايته إذ ﴿قلنا﴾ أى بما لنا من العظمة التى لايعصى[9] مرادها شىء[10] ﴿للملئكة﴾ حين خلقنا أباكم آدم و فضلناه[11] : ﴿اسجدوا لأدم﴾ امتثالا لأمرى ﴿فسجدوآ الآ ابليس[5]﴾ [أبى أن يسجد -[1]] لكونه ممن حقت[12] عليه الكلمة و لم ينفعه ما يعلمه من قدرة الله و عظمته ، و ذلك معنى قوله : ﴿قال﴾ أى لنا منكرا متكبرا : ﴿ءاسجد﴾ [أى -[1]] خضوعا ﴿لمن خلقت﴾ [13] حال كون[13] أصله

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٢) فى ظ : حال (٣) فى ظ : لا .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : حمل .
(٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مع (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعظم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبين - كذا (٩) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : لا يحصى (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : فضلنا (١٢) فى ظ : خلقت (١٣-١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى كونه .

﴿طيناً﴾ فكفر[1] بنسبته لنا إلى الجور و[2] عدم الحكمة، متخيلا أنه أكرم من آدم عليه السلام من حيث أن الفروع [ترجع -[3]] إلى الأصول، و أن النار التى هى أصله أكرم من الطين، و ذهب عليه أن الطين أنفع من النار فهو أكرم، و على تقدير التنزل فان الجواهر كلها من جنس واحد، و الله تعالى الذى أوجدها من العدم يفضل بعضها على بعض بما ٥ يحدث[4] فيها من الأعراض، كما تقدمت الإشارة إليه فى "و لقد فضلنا بعض النبيّين [على بعض -[5]]".

و لما أخبر تعالى بتكبره، كان كأنه قيل: إن هذه لوقاحة عظيمة و اجتراء على الجناب الأعلى، فهل كان غير هذا؟ فقيل: نعم! ﴿قال ارءيتك﴾ أى أخبرنى ﴿هذا الذى كرمت علىّ[6]﴾ بم[6] كرمته علىّ مع ضعفه و قوتى؟ ١٠ فكأنه [قيل -[3]]: لقد[7] أتى بالغاية فى إساءة الأدب، فما كان بعد هذا؟ فقيل[8]: قال مقسما لأجل استبعاد أن يجترئ أحد هذه [الجراءة -[3]] على الملك الأعلى: ﴿لئن اخرتنِ﴾ أى أيها الملك الأعلى تأخيرا ممتدا[9] ﴿الى يوم القيٰمة﴾ / حيا متمكنا ﴿لاحتنكن﴾ [أى -[3]] بالإغواء ﴿ذريته﴾ ٣٢٠/ أى لأستولين عليهم بشدة احتيالى كما يستولى الآكل على ما[10] أخذه فى ١٥

(١) فى مد: فكيف (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ و مد و القرآن الكريم سورة ١٧ آية ٥٥ (٦) من م و مد، و فى الأصل: ثم، و فى ظ: بما (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لو (٨) زيد فى الأصل: له، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مبتدا (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من.

حنكه، بتسليطك لى عليهم ﴿ الا قليلا ﴾ و هم أولياؤك الذين حفظتهم منى، فكأنه قيل : لقد أطال فى الاجتراء فما قال له ربه بعد الثالثة ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ مهددا[1] له : ﴿ اذهب ﴾ أى امض لشأنك الذى ذكرته بارادتى لا بأمرى . فانك لن تعدو أمرنا فيك و قد حكمنا بشقاوتك و شقاوة من أردنا طاعته لك ، و لذلك سبب عنه[2] قوله تعالى :- ﴿ فمن تبعك ﴾ أى أدنى اتباع ﴿ منهم ﴾ أى أولاد آدم عليه السلام ، و يجوز أن يراد بتجريد الفعل [3]أن من تبعه[3] بغير معالجة من فطرته الأولى لا يكون إلا عريقا فى الشر .

و لما كان التقدير : أذقته [4]من خزيك[4] ، عبر عنه بقوله تعالى : ﴿ فان جهنم ﴾ أى الطبقة النارية التى تتجهم داخلها ﴿ جزآؤكم ﴾ أى جزاءك و جزاءهم ، تجزون ذلك ﴿ جزآء موفورا ﴾ مكملا وافيا بما تستحقون على أعمالكم الخبيثة .

و مادة 'وفر' بجميع تراكيبها - و هى خمسة عشر[5] ، فى الواوى ستة : وفر ، ورف ، فور ، فرو ، رفو ، روف ، و فى اليائى ثلاثة : فرى[6] ، رفى ، ريف ، و فى المهموز ستة : رفأ ، رأف ، فرأ ، فأر ، أفر ، أرف - تدور على السعة ، و المجاوزة للحد ، و العلو على المقدار ، و الفضل عن الكفاية ؛ فالوفر : المكان الكبير ، و سقاء وفر : لم ينقص من أديمه شىء ، و إداوة[7] وفراء ، و الوفرة : ما بلغ الأذنين من الشعر ، و الوافر :

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل : ممرا ، و فى ظ : ممدودا (٢) فى ظ : عن .
(٣-٣) فى ظ : ممن يتبعه (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : زجرتك .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عشرة (٦) سقط من ظ (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : اداه ، و فى مد : ادوة .

ضرب من العروض وزنه مفاعلتن[1] ست مرات ، و الوفر : الغنى ، و من المال : الكثير الواسع ، و العام[2] من كل شيء ، و وفره توفيرا : أكثره ، و وفر له عرضه : لم يشتمه ، و وفر[3] عطاءه : رده عليه و هو راض ، و وفره توفيرا : أكمله و جعله وافرا - لأن الكمال لا يكاد يتحقق إلا مع زيادة ، و الثوب[4] : قطعه وافرا ، و الوافرة : ألية الكبش إذا عظمت ، و الدنيا ، و الحياة ، و كل شحمة مستطيلة ، و هم متوافرون : فيهم كثرة ، و استوفر عليه حقه : استوفاه .

[و - [5]] ورف النبت [يرف - [5]] - إذا رأيت له بهجة من ريّه ، و لا يكون ذلك إلا من[6] نضارته و اتساعه و كونه ملء العين ، و ورف الظل يرف ورفا [و - [7]] وريفا و وروفا[8] : اتسع و طال و امتد كأورف و ورّف ، و الورف : ما رق من نواحي الكبد - لزيادته[9] و استرخائه ، و الرفة - كعدة : الناضر من النبت ، و ورفته توريفا : مصصته ، و الأرض : قسمتها - كأنه من الإزالة .

و فارت القدر - إذا غلت حتى يعلو ما فيها فتفيض ، و كل حارّ يفور فورا ، و فار[10] العرق - إذا انتفخ ، زاد في القاموس : و ضرب ،

(١) من م و مد و القاموس ، و في الأصل : متفاعلتين ، و في ظ : مفاعلتين (٢) من م و مد و القاموس ، و في الأصل و ظ : العلم (٣) في القاموس : و وفره (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : الثواب (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : في (٧) زيد من م و مد و القاموس (٨) في ظ : ورفا (٩) من ظ و م و مد ، و في الأصل : من زيادة (١٠) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : فارت .

و المسكُ : انتشر ، و فارة الإبل : فوح جلودها إذا نديت بعد الورد ، و الفائر : المنتشر العصب من الدواب و غيرها ، و أتوا من فورهم : من وجههم أو قبل أن يسكنوا - لأن حركتهم توسع و انتشار فسميت فورا ، و الفار : عضل[1] الإنسان - لأنه أثخن [مما دونه -[2]] ، و الفور - بالضم : الظباء ، جمع فائر - لأنه من أسرع الحيوان نفارا ، و أشدها وثبا ، و أوسعها عدوا ، و قال القزاز : و الفارة و الفورة : ريح [تكون -[2]] في رسغ الفرس تنفش[3] إذا مسحت و تجتمع[4] إذا تركت ، و قال في فأر : فاذا[5] مشى انفشت ، و أعاده في القاموس في المهموز فقال : و الفأرة له - أي للذكر من الحيوان المعروف - و للأنثى ، و ريح في رسغ الدابة تنفش إذا مسحت و تجتمع[4] إذا تركت كالفورة بالضم ، و الفور : ولد الحمار[6] - لخفته و سرعة حركته و وثبه . و فوارتا الكرش[7] : غدتان في جوف لحمتين ، و قيل : الفوارة : اللحمة[7] - التي في[8] داخلها الغدة ، و قيل : تكونان لكل[9] ذي لحم ، و ذلك لوجوب[10] الزيادة سواء قلنا : إنها لحمة أو غدة ،

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : عضد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد والقاموس ، و في الأصل : ينفش (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : يجتمع (٥) من ظ و م ومد ، وفي الأصل : اذا (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الحمام (٧) من ظ وم و مد ، و في الأصل : اللحمية (٨) سقط من مد (٩) من ظ وم و مد ، وفي الأصل : كل - (١٠) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الوجوب .

و قال

و[١] قال القزاز : و قالوا[٢] : ماء الرجل إنما يقع فى الكلية [ثم -[٣]] فى الفوارة[٤] ثم فى[٥] / الخصية ، فعلى هذا سمى لأنه يقذف ما فيه إلى الخصية، و الفياران - [بالكسر -[٦]] : حديدتان تكتنفان[٧] لسان الميزان - [لاتساعهما عن اللسان -[٨]] ، و الفيرة - بالكسر بالهمز و بغيره : تمر[٩] يغلى و يمرس و يطبخ بحلبة تشربها النفساء - قاله القزاز ، [و -[١٠]] فى مختصر العين : حلبة تطبخ ؛ فاذا فارت فوارتها ألقيت فى معصرة ثم صفيت[١١] و تحسيها النفساء ، و أعاده فى القاموس فى المهموز و قال : و الفئرة[١٢] - بالكسر - و الفؤارة كثمامة[١٣] و الفئيرة و الفئرة[١] كعنبة و يترك همزها : [١٤]حلبة تطبخ[١٤] للنفساء - سميت إما لغليانها و إما[١٥] للاتساع بجمع التمر و الحلبة .

/ ٣٢١ /

و الفرو و الفروة : لبس معروف - لخروج صوفها و زيادة الرفق به ، كأنها[١٦] أصل المادة كلها ، و فروة الرأس : جلدته بشعرها ، و الفروة : الأرض البيضاء ليس بها نبات - لأنه أوسع لها من حيث هى ، و الفروة[١٧] :

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقالوا (٣) زيد من تاج العروس (٤) من تاج العروس ، و فى الأصول : الفوار (٥) سقط من مد. (٦) زيد من ظ وم و مد والقاموس (٧) من ظ وم ومد والقاموس ، وفى الأصل : يكتنفان (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ثمر (١٠) زيد من م و مد (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : صفت (١٢) من ظ و م و مد و القاموس ، وفى الأصل : الفير (١٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : كساسة - كذا (١٤-١٤) فى القاموس : حلبة وتمر يطبخ (١٥) فى ظ : الا (١٦) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : لانها. (١٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الفورة .

الغنى و الثروة وقطيعة نبات مجتمعة يابسة، و جبة شمر كماها - لأنه لولا زيادتها[1] ما[2] شمرا، و نصف كساء يتخذ من أوبار الإبل - كأنه شبه بالفروة لطول وبره[3]. و خريطة[4] يجعل السائل فيها صدقته، و التاج - لاتساعه[5] و علوه و كماله و لغنى صاحبه، و خمار المرأة - لزيادته على كفايتها و لسبوغه[6] و فضله عن[7] رأسها.

و رفا الثوب يرفوه: أصلحه و لأم خرقه، و قال فى القاموس: [فى المهموز: و ضم بعضه إلى بعض، قال القزاز: و الهمز أكثر؛ و الرفاء - ككساء: الالتحام و الاجتماع و الاتفاق، و منه ما يدعى به للمتزوج: بالرفاء و البنين، و أعادوه فى المهموز. و قال فى القاموس -[8]]: أى بالالتئام و جمع الشمل[9]، قال القزاز: [و معنى -[10]] رفا: تزوج؛ و الأرفى: العظيم الأذنين فى استرخاء، قال القزاز: و الأذن الرفواء هى التى تقبل على الأخرى حتى تكاد تماس أطرافهما[11]؛ و رفوت الرجل: إذا سكنته من رعب، و أعاده فى القاموس فى المهموز - لأن ذلك

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: زيادتها (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وفره (٤) فى القاموس: الوفضة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اتساعه (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اوسعه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد. (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م فحذفناها، و العبارة من هنا بما فيها الواو إلى «فى استرخاء» ساقطة من مد (١٠) زيد من ظ و م (١١) من م و مد و تاج العروس. و فى الأصل و ظ: اطرافها.

أوسع لفكره لأنه أقر لعينه[1] .

و الروف : السكون - و هو أوسع من الاضطراب لأنه لا يكون إلا عن قرار العين ، قال فى القاموس : و ليس من الرأفة ، و الروفة : الرحمة ، و راف يراف لغة فى رأف يرأف - و ستأتى[2] بقيتها قريبا إن شاء الله تعالى .

و لما بدأ سبحانه بالوعيد لطفا بالمكلفين ، عطف على " اذهب " قوله ممثلا حاله فى تسلطه على من[3] يغويه بمغوار أوقع بقوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من أماكنهم ، و يقلعهم عن مراكزهم ، و أجلب عليهم بجنده من خيالة و رجالة حتى استأصلهم : ﴿ و استفزز ﴾ أى استخف ، و الفز أصله القطع ، أى استزله بقطعه عن الصواب - قاله الرمانى ﴿ من استطعت منهم ﴾ و هم الذين سلطناك[4] عليهم ﴿ بصوتك ﴾ أى دعائك بالغنى و المزامير وكل ما تزينه بالوساوس ﴿ و اجلب ﴾ أى اجمع أو[5] سق بغاية ما يمكنك[6] من الصياح ﴿ عليهم[7] بخيلك ﴾ أى ركبان جندك ﴿ و رجلك ﴾ أى و مشاتهم[8] ؛ و المعنى : افعل جميع ما تقدر عليه ، و لا تدع شيئا من قوتك ، فانك لا تقدر على شىء لم أقدره لك .

و لما كان الشيطان طالبا شركة الناس فى جميع أمورهم بوساوسه الحاملة

(١) فى ظ : لعينيه (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل : سياتى (٣) فى مد : ما (٤) فى ظ : سلطانك (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل « و » (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يمسكك (٧) زيد بعده فى الأصل فقط : واجلب عليهم (٨) من م و مد ، و فى الأصل : مشايهم ، و فى ظ : مساتهم .

[لهم -[1]] على إفسادها ، فان أطاعوه كانوا طالبين لأن يشركوه و إن كانوا لا شعور لهم بذلك ، عبر بصيغة المفاعلة فقال تعالى : ﴿ و شاركهم ﴾ أى بوثوبك على مخالطتهم عند مايشاركونك بفعل ما يوافق هواك ﴿ فى الاموال ﴾ أى التى[2] يسعون فى تحصيلها ﴿ و الاولاد ﴾ أى التى ينسلونها ، إن اقتنوها بوجه محرم أو لم يذكروا اسمى عليها ، و كذا قرابينهم لغير الله و إنفاقهم فى المحرمات و تعليمهم أولادهم المعاصى و الكفر مشاركة فيها[3] ﴿ و عدهم[4] ﴾ من المواعيد[5] الباطلة ما يستخفهم و يغرهم من شفاعة الآلهة و الكرامة على الله تعالى و تسويف[6] التوبة - و نحو ذلك ؛ ثم التفت إلى الصالحين من عباده فأخبرهم تثبيتا[7] [لهم -[8]] و تنبيها لغيرهم / على أنه ليس بيده شىء ، / ٣٢٢ فقال تعالى مظهرا لضميره بما يدل على تحقيره ، تقبيحا لأمره و تنفيرا منه : ﴿ و ما يعدهم الشيطن ﴾ أى المحترق المطرود باللعنة من عدم البعث و طول الأجل و شفاعة الآلهة و نحو ذلك ﴿ الا غرورا ه ﴾ و الغرور : تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب ، ثم رجع إلى مواجهته بما يحقر [أمره -[8]] ، فان المواجهة بالتحقير أنكأ ، مصرحا بنتيجة[9] ذلك ، و هى أنه غير قادر إلا باذنه سبحانه ، و ممنوع عنه بما لم يقدره له ، دفعا لما قد يوهمه ما مضى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : الذين ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى «الاولاد أى» ساقطة من مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيه (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الوعيد (٥) فى ظ و م : التشويف . (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : فاخبر (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شيئا (٨) زيد من م (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نتيجة .

من

من أنه يؤثر شيئا[1] استقلالا فقال تعالى: ﴿ ان ﴾ أى اجهد جهدك، لأن أهل الشهوات سلطتك عليهم زيادة فى شقائك بما أردته منهم قبل خلقك و خلقهم، لا تقدر أن تتعدى شيئا منه إلى خالصتى [و - [2]] من ارتضيته لعبادتى، إن ﴿ عبادى ﴾ الذين أهّلتهم للاضافة إلىّ فقاموا بحق عبوديتى[3] بالتقوى و الإحسان ﴿ ليس لك ﴾ أى بوجه من الوجوه ٥ ﴿ عليهم سلطن[4] ﴾ أى فلا تقدر أن تغويهم و تحملهم على ذنب لا يغفر، فانى وفقتهم للتوكل علىّ فكفيتهم أمرك ﴿ وكفى بربك ﴾ [أى -[5]] الموجد لك المدبر لأمرك ﴿ وكيلا ﴾ يحفظ ما هو وكيل فيه من كل ما يمكن[6] أن يفسده.

و لما ذكر أنه[6] الوكيل الذى لا كافى غيره فى حفظه، لاختصاصه ١٠ بشمول علمه و تمام قدرته، أتبعه بعض أفعاله الدالة على ذلك فقال تعالى، عودا إلى دلائل التوحيد الذى هو المقصود الأعظم بأحوال [البحر -[7]] الذى يخلصون فيه، فى[7] أسلوب الخطاب استعطافا لهم إلى[8] المتاب: ﴿ ربكم ﴾ أى المحسن إليكم، هو ﴿ الذى يزجى ﴾ أى يسوق و يدفع و ينفذ ﴿ لكم ﴾ أى لمنفعتكم ﴿ الفلك ﴾ التى[9] حملكم فيها مع أبيكم نوح عليه السلام ١٥ ﴿ فى البحر لتبتغوا ﴾ أى تطلبوا طلبا عظيما بذلك أنواع المنافع التى يتعذر[10] أو يتعسر الوصول إليها فى البر ﴿ من فضله[4] ﴾ ثم علل فعله

---

(١) فى ظ: شرعا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عبادتى (٤) زيد من م (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: ان (٧) من م و مد، و فى الأصل: الى، و الحرف ساقط من ظ (٨) فى مد: على (٩) فى ظ: اى (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تتعذر.

ذلك بقوله تعالى : ﴿ انه ﴾ أى فعل ذلك لكم لأنه ﴿ كان ﴾ أى أزلا و أبدا ﴿ بكم ﴾ أى أيها المؤمنون[1] خاصة ﴿ رحيما ﴾ أى مكرما بالتوفيق إلى فعل ما يرضيه فى المتجر و غيره ، لا لشىء غير ذلك ، أو يكون [ذلك -[2]] خطابا لجميع النوع فيكون المعنى : خصكم به من بين الحيوانات .

و لما كان المراد المؤمنين خاصة و إن كان خطابا للمجموع ، خص المشركين كذلك[3] [فقال -[4]] : ﴿ و اذا ﴾ أى فاذا نعمكم بأنواع الخير كنتم على إشراككم [بـه -[3]] سبحانه ، و إذا ﴿ مسكم ﴾ و لم يقل : أمسكم - بالإسناد إلى نفسه ، تأديبا لنا[5] فى مخاطبته بنسبة الخير دون الشر إليه ، مع اعتقاد أن الكل فعله ، و تنبيها على أن الشر مما ينبغى التبرؤ منه و البعد عنه ﴿ الضر فى البحر ﴾ من هيج الماء و اغتلامه لعصوف الريح و طمو الأمواج ﴿ ضل ﴾ أى ذهب و بطل[6] عن ذكركم و خواطركم ﴿ من تدعون ﴾ من الموجودات كلها ﴿ الآ اياه ﴾ وحده ، فأخلصتم له الدعاء علما منكم أنه لاينجيكم سواه ﴿ فلما نجـٰكم ﴾ من الغرق و أوصلكم بالتدريج ﴿ الى البر اعرضتم[7] ﴾ عن الإخلاص له و رجعتم إلى الإشراك ﴿ و كان الانسان ﴾ أى هذا النوع ﴿ كفورا ﴾ أى بليغ التغطية لما حقه أن يشهر ، فأظهر فى موضع الإضمار تنبيها على أن هذا الوصف لا يخصهم ، بل يعم[7] هذا النوع لطبعه على النقائص إلا من أخلصه الله له .

---

(١) فى النسخ : المؤمنين (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ و م ومد ، و فى الأصل: لذلك (٤) زيد من م (٥) سقط من ظ (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ : يظل (٧) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

ولما كان التقدير : أعرضتم بعد [إذ - [1]] أنجاكم فكفرتم بذلك وكان الكفر وصفا لكم لازما ، فتسبب عن ذلك أنكم أمنتم ، أى فعلتم بذلك[2] فعل الآمن ، أنكر عليهم[3] هذا الأمر لكونه من أجهل الجهل فقال تعالى : ﴿ افامنتم ﴾ أى أنجوتم من البحر فأمنتم بعد خروجكم منه ﴿ ان نخسف[4] ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ بكم ﴾ ودل على شدة ٥ إسراعهم [بالكفر - [5]] عند وصولهم إلى أول الساحل بقوله تعالى[6] : ﴿ جانب البر ﴾ [أى - [1]] فنغيبكم[7] فيه فى أىّ جانب كان منه ، لأن قدرتنا على التغييب فى التراب فى جميع الجوانب كقدرتنا على التغييب / فى الماء سواء ، فعلى العاقل أن يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب ٣٢٣ / ﴿ او ﴾ أمنتم إن غلظت أكبادكم عن تأمل مثل هذا أن[8] ﴿ نرسل[4] عليكم[9] ﴾ ١٠ من جهة الفوق شيئا من أمرنا ﴿ حاصبا ﴾ أى[10] يرمى بالحصباء[11] ، أى بالحصى الصغار - قاله الرازى فى اللوامع ، وقال الرمانى : حجارة يحصب بها ، أى يرمى بها ، حصبه - إذا رماه رميا متتابعا - انتهى . يرميكم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لذلك .
(٣) فى ظ : اليهم (٤) قراءة أهل المدينة ويعقوب وابن عامر والكوفيين بالياء ، وقرأ الباقون بالنون - راجع نثر المرجان ٤/ الآية المتعلقة (٥) زيد من ظ و مد .
(٦) العبارة من « ودل على » إلى هنا ساقطة من م (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فغيبكم (٨) تكرر فى ظ (٩) سقط من ظ (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالحصى - كذا .

ذلك الحاصب فى وجوهكم أو فوق رؤسكم رميا يهلك مثله كما وقع لقوم لوط[١] أنا أرسلنا عليهم حاصبا[٢]، و قيل : الحاصب : الريح ، و لم يقل : حاصبة[٣] لأنه وصف لزمها ، و لم يكن لها، [٤]مذكر تنتقل[٤] إليه فى حال[٥] فكان بمنزلة حائض[٦] ﴿ ثم لا تجدوا ﴾ أيها الناس ﴿ لكم ﴾ [٧]و أطلق ليعم فقال تعالى[٧] : ﴿ وكيلا ﴾ ينجيكم من ذلك و لا من غيره كما لم تجدوا فى البحر وكيلا غيره ﴿ ام امنتم ﴾ إن[٨] جاوزت بكم الغباوة حدها فلم تجوزوا ذلك ﴿ ان نعيدكم[٩] فيه ﴾ أى[١٠] البحر بما لنا من العظمة التى تضطركم إلى ذلك فتقركم[١١] عليه و إن كرهتم ﴿ تارة اخرى ﴾ بأسباب تضطركم إلى ذلك ﴿ فنرسل[٩] عليكم ﴾ أى بما لنا من صفة الجلال ﴿ قاصفا ﴾ و هو الكاسر بشدة ﴿ من الريح ﴾ كما عهدتم أمثاله يا من وقفت أفكارهم مع المحسوسات فرضوا بذلك أن يكونوا كالبهائم لا يفهمون إلا الجزئيات المشاهدات ﴿ فنغرقكم[٩] ﴾ أى فى البحر الذى أعدناكم فيه ، لعظمتنا ﴿ بما كفرتم[١] ﴾ كما يفعل

(١) سقط من ظ (٢) راجع سورة ٥٤ آية ٣٤ (٣) فى ظ : حاصبا (٤-٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مركز ينتقل (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل : ذلك . (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل: خايض (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م . (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اى (٩) هنا أيضا نفس الاختلاف الذى أسلفناه عند « نخسف » (١٠) زيد فى ظ : من (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : مصركم .

أحدكم

أحدكم إذا ظفر بمن كفر إحسانه ﴿ ثم لا تجدوا لكم ﴾ و إن أمعنتم في الطلب ، و طالت أزمانكم في إتقان السبب . و لما كان [1] إطلاق النفي في ختام الآية الماضية - و إن كان لإرادة [2] التعميم - يحتمل [3] أن يدعى تقييده بما يخالف المراد ، و كان المقصود هنا التخويف بسطوته سبحانه تارة بالخسف و تارة بغيره ، [4] قيد بما عين [5] المراد ، و قدم قوله تعالى : ﴿ علينا ﴾ دلالة على باهر العظمة ﴿ به ﴾ أي بما فعلنا بكم ﴿ تبيعا ﴾ أي مطالبا يطالبنا به .

و لما قرر بهذه الجمل ما يسر لهم من البر ، و سهل من شدائد البحر في معرض التهديد ، أتبعه أنه [6] فعل ذلك تكريما لهم [6] على سائر مخلوقاته ، كما هو شأنه في القدرة على ما يريد من المفاوتة بين الأمور التي كانت متساوية عند أول خلقه لها ، ليستدلوا بذلك على سهولة الإعادة ، مشيرا إلى أنه ركب جوهر الإنسان من نفس هي أشرف النفوس بما فضلها [7] على قوى [6] النفس النباتية من الاغتذاء و النمو و التوليد بالحس ظاهرا و باطنا و بالحركة بالاختيار ، و خصه على سائر الحيوان بالقوة العاقلة المدركة لحقائق الأشياء كما هي ، و يتجلى بها نور معرفة الله ، و يشرق فيها ضوء كبريائه و تطلع على عالمي الخلق و الأمر ، [8] و تحيط بأقسام [8] المخلوقات من الأرواح

(١) العبارة من هنا إلى « المراد و كان » ساقطة من م (٢) في ظ : الارادة .
(٣) من ظ و مد ، و في الأصل : تحتمل (٤) العبارة من هنا إلى « المراد » ساقطة من م (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : علق (٦) سقط من ظ (٧) في ظ : فضلنا (٨-٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : يحيط باجسام .

و الأجسام كما هى ، فكانت بذلك النفس الإنسانية أشرف نفوس هذا العالم ، و بدنه كذلك[1] باختصاصه باعتدال القامة و امتدادها و التناول باليد و غير ذلك ، فقال تعالى [عاطفا -[2]] على ما يرشد إليه السياق من مثل أن يقال : فلقد كرمناكم بذلك من إزجاء الفلك و إنجائكم فى وقت الشدائد ، أو على : [" و لقد فضلنا " -[2]] : ﴿و لقد كرمنا﴾ أى[3] بعظمتنا تكريما عظيما ﴿بنى آدم﴾ [أى -[2]] على سائر الطين بالنمو ، و على سائر النامى بالحياة ، و على سائر الحيوان بالنطق ، فكان حذف متعلق التكريم دالا على عمومه لجميع الخلق ، و ذلك كله تقديرا للقدرة على البعث ﴿و حملنهم فى البر﴾ على الدواب و غيرها ﴿و البحر﴾ على السفن و غيرها ﴿و رزقنهم﴾ أى رزقا يناسب عظمتنا ﴿من الطيبت﴾ أى المستلذات من الثمرات و الأقوات التى يأكل غيرهم من الحيوان قشها[4] ﴿و فضلنهم﴾ فى أنفسهم باحسان الشكل ، و فى صفاتهم بالعلم المنتج لسعادة الدارين ، و فى رزقنا لهم بما تقدم .

/ ٣٢٤ و لما حذف متعلق التكريم دلالة على التعميم / ، و كان أغلب أفرادهم ضالا ، قال لذلك : ﴿على كثير ممن خلقنا﴾ أى بعظمتنا التى خلقناهم بها ، و أكد الفعل بالمصدر إشارة إلى إعراقهم فى الفضيلة فقال تعالى : ﴿تفضيلا ۝﴾ هذا ما للمجموع ، و أما الخلص فهم أفضل الخلائق لما علمنا من معالجتهم بالإخلاص و جهادهم لأهويتهم ، لما طبعت عليه نفوسهم من النقائص ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لذلك (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فشهاه .

و لما لها من الدسائس حتى امتطوا بعد رتبة الإيمان درجتى التقوى و الإحسان، و تقديم الأمر للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام توطئة لهذه الآية أدل دليل على هذا .

و لما قرر سبحانه قدرته على التفضيل فى الحياة الحسية و المعنوية، و المفاضلة بين الأشياء فى الشيئين فثبتت[1] بذلك قدرته على البعث، و ختم ٥ ذلك[2] بتفضيل البشر، و كان يوم الدين أعظم يوم يظهر فيه التفضيل، أبدل من قوله "يوم يدعوكم" مرهبا من سطواته فى ذلك اليوم، و مرغبا فى اقتناء الفضائل فى هذا اليوم قوله تعالى: ﴿يوم ندعوا﴾ أى بتلك العظمة ﴿كل اناس﴾ أى منكم ﴿بامامهمج﴾ أى بمتبوعهم الذى كانوا يتبعونه، فيقال: يا أتباع نوح! يا أتباع إبراهيم! يا أتباع موسى! يا أتباع ١٠ عيسى! يا أتباع محمد! فيقومون فيميز بين محقيهم و مبطليهم[3]، و يقال: يا أتباع الهوى! يا أتباع النار! يا أتباع الشمس! يا أتباع الأصنام! و نحو هذا. أو[4] يكون المراد بسبب أعمالهم التى ربطناهم [بها -[5]] ربط المأموم[6] بامامه[7] كما قال تعالى "و كل انسان الزمنه طٰئره فى عنقه" و سماها إماما لكونهم أموها و اجتهدوا فى قصدها، و ندفع[8] إليهم الكتب التى أحصت ١٥

(١) من ظ وم و مد، وفى الأصل: فثبت (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لذلك (٣) من م و مد، و فى الأصل: مبطلهم، و فى ظ: مثلهم (٤) من ظ وم و مد، وفى الأصل «و» (٥) زيد من ظ وم و مد (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: المومن (٧) فى ظ: بالامام (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يدفع.

حفظتنا فيها تلك الأعمال ﴿فمن اوتى﴾ منهم من [1]مؤتٍ ما[1] ﴿كتبه بيمينه﴾ فهم البصراء القلوب لتقواهم و إحسانهم ، و هم البصراء فى الدنيا ، و من كان فى هذه [الدنيا -[2]] بصيرا فهو فى الآخرة أبصر و أهدى سبيلا ﴿فاولئك﴾ أى العالو المراتب ﴿ يقرءون كتبهم ﴾ أى يجددون قراءته و يكررونها سرورا بما فيه كما هو دأب كل من سر[3] بكتاب ﴿ و لا يظلمون﴾ بنقص حسنة ما من ظالم ما ﴿ فتيلا ﴾ أى شيئا هو فى غاية القلة و الحقارة ، بل يزادون[4] بحسب إخلاص النيات و طهارة الأخلاق و زكاء الأعمال ، و من أوتى كتابه بشماله فهو لا[5] يقرأ كتابه لأنه أعمى فى هذه الدار ﴿و من كان﴾ منهم ﴿فى هذه﴾ الدار ﴿اعمى﴾ أى ضالا[6] يفعل فى الأعمال فعل الأعمى فى أخذ الأعيان ، لا يهتدى إلى أخذ ما ينفعه و ترك ما يضره[7] ، و لا يميز بين حسن و قبح ﴿ فهو فى الأخرة ﴾ لأن كل أحد يقوم على ما مات عليه ﴿اعمى﴾ أى أشد عمى مما كان عليه فى هذه الدار ، لا ينجح له قصد ، و لا يهتدى لصواب ، و لا يقدر على قراءة كتاب ، لما فيه من موجبات العذاب ، و لم يقل : أشد عمى ، كما يقولونه فى الخلق اللازمة [8]لحالة واحدة[8] من العور و الحمرة و السواد و نحوها ، لأن هذا مراد به عمى القلب الذى من شأنه التزايد و الحدوث فى كل لحظة شيئا بعد شىء ، فخالف

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مومن (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شر (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يزدادون . (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اضل لا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يضر (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى الحالة الواحدة .

ما [١]لايزيد ؛ و لم يمله[١] أبوعمرو مع إمالة الأول ليدل على أن معناه : أفعل[٢] من كذا ، فهو وسط ، و الإمالة إنما يحسن فى الأواخر[٣]، [٤]و لأن[٤] هذا معناه ، عطف عليه قوله تعالى : ﴿ و اضل سبيلا ﴾ لأن هذه الدار دار الاكتساب و الترقى بالأسباب ، و إما تلك فليس فيها[٥] شىء من ذلك ؛ فالآية من الاحتباك : أثبت الإيتاء باليمين و القراءة أولا دليلا على حذف ضدهما ثانيا ، و أثبت العمى ثانيا دليلا على حذف ضده أولا .

و لما قرر أن من ترك سبيل الرشد كان كالأعمى ، و من تبعها[٦] كان كالبصير ، أتبعه دليله فقال محذرا للبصراء[٧] عن الاغترار بوساوس الأشقياء / : ﴿ و ان ﴾ أى و أكثر هؤلاء أعمى ، قد افتتن فى نفسه بهواه[٨] / ٣٢٥ مع [٩]بياننا لطريق[٩] الرشد بما[١٠] أوحينا إليك من هذه الحكمة حتى صارت[١١] أوضح من الشمس و إن الأعداء ﴿ كادوا ﴾ أى قاربوا فى هذه الحياة الدنيا لعماهم فى أنفسهم عن عصمة الله لك بسبب عماهم عما جبلت عليه من الفطنة ، و جودة الفطرة[١٢]، و ذكاء القريحة ، و ثقوب[١٣] الفهم ، و بعد المرمى فى الوقوف على خداع المخادعين ، و مكر الماكرين ،

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لايزيده و لم يميله - كذا (٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : العلى (٣) و نفس المبحث ساقه أيضا فى روح المعانى ٥٥٨/٤ (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلان (٥) فى ظ : لها (٦) فى مد : اتبعها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للبصر (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى هواه (٩-٩) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : بيانا بطريق . (١٠) سقط من مد (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لصارت (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفكرة (١٣) فى ظ : تقرب .

لتجلى الدقائق فى مرآة [قلبك -[1]] الصقيلة [و صافى فكرتك الشفافة .
و لما كانت « إن » مخففة من الثقيلة - [1]] أتى باللام الفارقة بينها و بين
النافية [2] فقال تعالى : ﴿ ليفتنونك ﴾ أى ليخالطونك [3] مخالطة تمليك إلى
جهة قصدهم بكثرة خداعهم باطماعهم لك فى الموافقة لما يعلمون من ظاهر
٥ الحياة الدنيا ﴿ عن الذى اوحينا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ اليك ﴾ من الحكمة
﴿ لتفترى ﴾ أى تقطع [4] متعمدا ﴿ علينا ﴾ على عظمتنا ﴿ غيره ﴾ [5] من
طرد [5] من [6] أوحينا إليك الأمر بمصابرتهم ، إطماعا منهم فى إسلام من
هو بحيث [7] يرجى باسلامه [7] إسلام الجم الغفير منهم لشرفه و نحو ذلك
مما عناه الله [سبحانه - [8]] و هو أعلم بمراده ؛ قال الرمانى : و أصل
١٠ الفتنة ما [9] يطلب به خلاص الشىء مما [10] لابسه ﴿ و اذا ﴾ أى لو ملت
إليهم ﴿ لاتخذوك ﴾ أى بغاية الرغبة ﴿ خليلا ﴾ و من كان خليل
الكفار لم يكن خليل الله ، و لكنك أبصرت رشدك فلزمت أمر الله ،
و استمروا على عماهم إتماما لتفضيلنا لك على كل مخلوق ، و قد تقدم قريبا [11]
ما تدور عليه مادة « فرا » و أنه السعة . و قد [12] بقى من تقاليبها اليائى
١٥ و المهموز ، فمعنى فريت الأديم : شققته فاسدا أو صالحا - لأنه يتسع بذلك ،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م . و فى الأصل : اللام ، و فى ظ و مد : الباقية - كذا (٣) فى مد : يخالطونك (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بقطع .
(٥ - ٥) فى ظ : بطرد (٦) سقط من مد (٧ - ٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ترجى اسلامه (٨) زيد من م و مد (٩) من ظ و م و مد . و فى الأصل : مما (١٠) فى ظ : ما (١١) عند " جزاء موفورا " (١٢) سقط من م .

وقال القزاز: الفرى مصدر فريت الأديم - إذا[1] شققته للاصلاح، وأفريته - إذا شققته للافساد - كأن همزته للازالة، وحكى أبو عبيدة: فريت الشيء [و -[2]] أفريته: قطعته، وفرى الكذب و افتراه: اختلقه - لأنه اتساع فى القول وزيادة على ما يكفى من الصدق وتجاوز للحد، وفرى المزادة: خلقها وصنعها[3]، وقال القزاز: خرزها - لأنها تسع[4] ٥ [ما لا تسعه -[5]] قبل الخرز، قال: وأصل الفرى الشق - يعنى: والخرز واقع فى الشق، فالعلاقة المخل، وفرى الأرض: سارها[6] وقطعها - تشبيها لها بالأديم، وفرى - كرضى: تحير ودهش - من التسمية باسم السبب، لأن سبب الدهش[7] كثرة وعظم فى المحسوس، وأفراه: أصلحه أو[8] أمر باصلاحه - لأن الإصلاح [سعة -[5]] بالنسبة إلى[9] ١٠ الإفساد، وأفرى فلانا: لامه - لأنه يلزم [منه -[5]] الزيادة فى الكلام لما يحاج به الملوم، والفرية: الجلبة - لأنها زيادة عن الكلام المعتاد، وبالكسر: الكذب، وكغنى: الأمر المختلق المصنوع أو[8] العظيم، والواسعة من الدلاء كالفرية، والحليب ساعة تحلب - لارتفاع الرغوة، وتفرى الشيء: انشق، والعين: انبجست، وهو يفرى الفرى كغنى: ١٥

(١) فى ظ: كما (٢) زيد من م (٣) فى ظ: منعها (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تتسع (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) من م ومد والقاموس، وفى الأصل وظ: ساوها (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الرهب (٨) من ظ وم ومد والقاموس، وفى الأصل «و» (٩) فى مد: الا.

يأتى بالعجب فى عمله . وقال القزاز : و تركت فلانا يفرى و يقد[1] ، أى حادّ فى الأمر ، و فلانا يفرى منذ اليوم - إذا جاء بالعجب ، لأنه لايعجب إلا ما زاد على الكفاية .

و الرفه : التبن[2] - لأنه ما فضل عن الحب[3] ، و الرفه : دويبة تصيد تسمى عناق الأرض - لأن حالها أوسع من حال ما لايصيد ، ذكر هذا[4] صاحب مختصر العين فى المعتل بالياء فوزنه ثيبة ، و ساقه صاحب القاموس فى الهاء وقال فيما مدلوله [التبن -[5]] : إنه كصرد ، ثم ساقه فى المعتل الواوى فى و رف[6] [و قال -[7]] : و الرفة كثبة : التبن ، فاضطرب كلامه فوجب قبول مختصر العين ، لكن ذكره الإمام أبو غالب ابن التبانى[8] - و هو من يخضع له - فى كتابه الموعب فى مقلوب رهف فقال ناسبا له إلى كتاب[9] العين / ما نصه : و الرفه : التبن ، قال غيره : و يقال فى مثل من الأمثال : استغنت التفه عن الرفه ، و التفه[10] : عناق الأرض ، و هى دويبة كالثعلب خبيثة ، تصيد كل شىء ، و[11] ذلك أنها لا تأكل[12] /٣٢٦

(١) من م و مد و اللسان ، و فى الأصل و ظ : يقر (٢) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : البر (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الجب . (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هنا (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ورق (٧) زيد من م و مد (٨) قد سبقت ترجمته غير مرة (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كلام (١٠) ذكره أبو حنيفة فى كتاب الأنواء كما فى تاج العروس [تفه] (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او (١٢) فى مد : لا يوكل .

إلا اللحم - أبو حنيفة بمثله، كله انتهى بحروفه ، و قال صاحب القاموس في المعتل : و التفة ذكر في ت ف ف ، و قال في الجام : و التفه كثبة : عناق الأرض ، و قال في الفاء : و التفة - كقفة[1] : دويبة كجرو الكلب أو كالفأرة[2] ، و استغنت التفة عن الرفة ، و يخففان . يضرب[3] للشيم إذا شبع . فلعل هذا الاختلاف لغات - و الله أعلم . ٥

قال في مختصر العين : و الأرفى مثل كركى[4] : اللبن [المحض - ٥] الطيب - لفيضه كالغائر[6] ، جعله المختصر يائيا ، و القاموس واويا ، ثم أعاده في المهموز فقال : و الأرفى - كقمرى : اللبن الخالص ، و ساق القزاز في اليائي : رافيت الرجل أرافيه مرافاة - إذا وافقته - لأن ذلك أوسع في العشرة ، و الريف [بالكسر - ٥] : الخصب ، و قال [في القاموس - ٥] : ١٠ أرض فيها زرع و خصب ، و السعة في المأكل و المشرب ، و ما قارب الماء من أرض العرب . أو حيث الخضر و المياه و الزروع ، و راف البدوى : أتى الريف ، و الراف : الخمر - و هو لا يكون إلا عن سعة ، و أرض ريفة ككيسة : خصبة ، و أرافت الأرض : أخصبت .

و من المهموز : رفأ السفينة - كمنع و أرفأها : أدناها[6] من الشط - ١٥

---

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : كعفه (٢) في ظ : الفارة .
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الركى ، و في القاموس : التركى (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و في الأصل : عن العابر ، و في ظ : العامر - كذا (٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و في الأصل : ادنا .

لاتساع من فيها بالبر، و بالنسبة إليها يكون للسلب، و الموضع مرفأ، و يضم، و رفأ بينهم: أصلح، و أرفأ، جنح، و امتشط و دنى و أدنى و حانى و دارأ كرافأ و إليه لجأ، و ترافؤا[1]: توافقوا و تواطؤا، و اليرفئ[2] كاليلمعى: راعى الغنم و الظليم النافر و الظبى[3] القفوز المولى و المنتزع القلب فزعا - كأنه شبه بالظليم فى اتساع حركته و عدم ثباته، و ذلك شبيه أيضا بفوران القدر فى مجاوزة الحد، و رفأت العروس ترفئة و ترفيئا - تقدم فى الواوى[4]، و الرأف: الخمر و الرجل الرحيم، أو الرأفة: أشد الرحمة أو[5] أرقها، و لا شك فى دخول ذلك فى السعة، و رأف: موضع أو رملة - و لعلهما واسعان، و الفرأ - كجبل و سحاب[6]: حمار الوحش أو[7] الفتىّ منه - لشدة نفاره كالقدر فى فورانها، و أمر[8] فرىء كفرىّ، و كل الصيد فى جوف الفرا، أى كله دونه، و فرأ - محركة: جزيرة باليمن - لعله بها بكثرة[9]، و الفأر معروف. و الواحدة فأرة، و الجمع فئران - سمى لقفزه فى جريه، و لأنه من أوسع الحشرات تصرفا بالمشى فى الجدر و السقوف و نحوها، و الفأرة: شجرة و ناقجة

(١) زيد فى الأصل: تواطوا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و لا فى القاموس فحذفناها (٢) من م مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: المرفاى - كذا. (٣) زيدت الواو بعده فى الأصول، و لم تكن فى القاموس فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الواو (٥) من و م و مد و القاموس، و فى الأصل و ظ «و» (٦) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: حجاب (٧) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل «و» (٨) من م و مد و القاموس، و فى الأصل و ظ: امرء (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تكثرة - كذا.

المسك ، [قال - [1]] فى [2] القاموس : أو الصواب إيراد فارة المسك فى ف و ر [2] لفوران رائحتها ، أو [3] يجوز همزها لأنها على هيئة الفأرة ، و فأر - كمنع : حفر و خبأ و دفن - يمكن أن يكون من السعة و من سلبها ؛ و ابن فئر - ككتف : وقعت فيه الفأرة ، [و أرض فئرة و مفأرة : كثيرة الفأر - [4]] ، و أفرت القدر بالفتح تأفر أفرا : اشتد غليانها ، و الإنسان : وثب و عدا ، و البعير : نشط و سمن بعد الجهد كأفر كفرح فيهما ، و خف فى الخدمة ، و الذى يسعى بين يدى الإنسان و يخدمه [5] مئفر ، و الأفرة - بضمتين و تشديد الراء : الجماعة - و قيدها فى مختصر العين بذات الجلبة - و البلية [6] و الاختلاط ، و كل ذلك واضح فى الاتساع و الزيادة على الكفاية ، و الأفرة أيضا : شدة الشر - لشدة فورانه كالقدر ، و شدة الشتاء أو [7] مطلق الشدة ، و من الصيف : أوله - لأنه يتسع به ، قال فى القاموس : و يفتح أولها و يحرك فى الكل ؛ و الأرفة - بالضم : الحد بين الأرضين و العقدة [8] - و كأن هذا من سلب الاتساع ، /و الأرفى كقمرى : الماسح ، و أرف على الأرض تأريفا : جعلت لها حدود و قسمت ، /٣٢٧

(١) زيد من م و مد (٢-٢) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و م ومد (٣) من وم و مد و القاموس ، فى الأصل وظ « و » (٤) زيد من ظ و م ومد و القاموس ، غير أن فيه : كثيرها (٥) فى الأصل فراغ قدر كلمة ، و العبارة متصلة فى غيره (٦) من القاموس ، و فى الأصول : الثلثة (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٨) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : المعفرة .

. تأريف الحبل : عقده ، و هو مؤارفى[1] [حده -[2]] إلى حدى فى السكنى و المكان - و الله الموفق .

و لما ذكره سبحانه بما كان فى ذلك من رشده صلى الله عليه و على آله و سلم ، اتبعه ببيان أنه إنما كان بعصمة الله له ليزداد شكرا ، فقال تعالى : ﴿ و لولآ ان ثبتنك ﴾ أى بما لنا من العظمة على أمرنا لما تقدم من أنا مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون ، و أنت رأس المتقين و المحسنين ﴿لقد كدت﴾ أى قاربت ﴿تركن اليهم﴾ أى الأعداء ﴿شيئا قليلا ق﴾ لمحبتك فى هدايتهم[3] و حرصك على منفعتهم ، و لكنا عصمناك فلم تركن إليهم لا[4] قليلا و لا كثيرا ، و لا قاربت ذلك ، كما أفادته " لولا " لأنها تدخل على جملة اسمية لجملة[5] فعلية [لربط -[6]] امتناع الثانية بوجود الأولى[7] ، فامتناع قرب الركون مرتبط بوجود التثبيت ، و ذلك لأن " لولا " لانتفاء[8] الثانى لأجل انتفاء الأول ، و هى هنا داخلة على " لا " النافية ، فتكون لانتفاء[9] قرب الركون لأجل انتفاء نفى التثبيت ، و انتفاء النفى وجود ، فاذن التثبيت موجود ، و قرب الركون منتف ، و يجوز أن يكون المراد الدلالة على شدة مكرهم و تناهى خداعهم إلى حالة لايدرك[10] وصفها ،

(١) من ظ و م و مد و القاموس . و فى الأصل : رفى (٢) زيد من ظ و م و مد و القاموس (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هدايتك (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جملة (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى مد : الاول (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انتفاء . (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انتفاء (١٠) زيد فى الأصل : تناهى ، لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

فيكون الفعل مسندا إليه صلى الله عليه و على آله و سلم ، و المراد إسناده إليهم ليكون المعنى : كادوا أن يجعلوك مقاربا للركون إليهم ، كما تقول [لصاحبك - [١]] : لقد كدت تقتل نفسك ، أى فعلت ما قاربت به أن يقتلك غيرك لأجل فعلك ، و هذه الآية من الأدلة الواضحة على ما خص به النبي صلى الله عليه و على آله و سلم من الفضائل فى شرف جوهره ، و زكاء عنصره ، و رجحان عقله ، و طيب [٢] أصله . لأنها دلت على أنه صلى الله عليه و على آله و سلم لو وكل إلى نفسه و ما خلق الله فى طبعه و جبلته من الغرائز الكاملة و الأوصاف الفاضلة ، و لم يتداركه بما منحه من التثبيت زيادة على ذلك حال النبوة [٣] لم يركن [٣] إليهم ، و هم أشد الناس [٤] أفكارا ، و أصفاهم [٥] [أفهاما - [٦]] ، و أعلمهم بالخداع ، مع كثرة عددهم ، و عظم صبرهم و جلدهم - ركونا ما أصلا ، و إنما [كان - [٦]] قصاراهم أن يقارب الركون شيئا قليلا ، فسبحان من يخص من يشاء بما يشاء ، و [هو - [١]] ذو الفضل العظيم ﴿ اذاً ﴾ أى لو قاربت الركون الموصوف إليهم ﴿ لاذقناك ﴾ أى بعظمتنا ﴿ ضعف ﴾ عذاب ﴿ الحيوة و ضعف ﴾ عذاب ﴿ الممات ﴾ أى ذلك العذاب مضاعفا .

و هذه المادة تدور على الوهى ، و يلزمه التقوية بالضعف - بكسر الضاد أى المثل و [٧] ما زاد [٨] ، و كل شيء له مكاثر فهو ضعيف بدونه ،

---

(١) زيد من م و مد (٢) فى ظ : طلب ، و فى مد : اطيب (٣ - ٣) فى ظ : و لم يكن (٤) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صافهم (٦) زيد من ظ و م و مد .
(٧) فى القاموس : الى (٨) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : زاده .

و يلزم الضعف الذى هو المثل المضموم إلى[1] مثله : القوة ، فمن الوهى : الضعف و الضعف - بالفتح و الضم ، و هو خلاف القوة ، و قيل : الضعف بالفتح فى العقل و الرأى ، و بالضم فى الجسد ، و الضعيف : الأعمى - حيرية ، و أرض مضعفة للمفعول : أصابها مطر ضعيف ، و ضعف الشىء بالكسر : مثله - لأن كل ما له مثل فهو ضعيف ، و ضعفاه مثلاه[2] . و يقال : لك ضعفه ، أى مثلاه ، و ثلاثة أمثاله - لأن أصل الضعف زيادة غير محصورة ، و ضاعفت الشىء ، أى ضممت إلى الشىء شيئين فصار ثلاثة ، و أضعاف الكتاب : أثناء سطوره - لأنها أمثال للسطور من البياض و زيادة عليها . و[3] من القوة التى تلزم المثل : أضعاف[4] البدن و هى أعضاؤه - لأن غالبها مثنى ، أو[5] هى عظامه - لأنها أقوى ما فيه ، و من الضعف أيضا مقلوبه الذى /هو ضفع[6] - إذا أحدث و ضرط ، [و كذا -[7]] مقلوبه فضع ، و الضفع نجو الفيل ، و الضفعانة[8] : ثمرة السعدانة ذات الشوك مستديرة - كأنها فلكة ، فالمعنى - و الله أعلم : أذقناك وهى الحياة و وهى الممات مضاعفا أضعافا كثيرة .

/ ٣٢٨

و لما كانت القوة بعد هذا فى غاية البعد ، عبر بأداة التراخى فى قوله تعالى : ﴿ ثم لا تجد لك ﴾ أى و إن كنت أعظم الخلق و أعلاهم همة

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : اى (٢) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : مثلا (٣) سقطت الواو من مد (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : اضعف (٥) من م و مد و القاموس . و فى الأصل و ظ « و » . (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : صع - كذا (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الضعفانة .

﴿ علينا نصيرا ﴾ و الآية دالة على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظيم شأن مرتكبه و ارتفاع منزلته . و على أن أدنى مداهنة للغواة مضادة لله و خروج عن ولايته ، فعلى من تلاها أن يتدبرها و أن يستشعر الخشية و عظيم التصلب فى الدين .

و لما بين أنهم استمالوه بالرفق حتى كادوا - لولا العصمة - أن ٥ يميلوه ، دل على أنهم أخافوه[1] بعد ذلك حتى كادوا أن يخرجوه من وطنه قبل الإذن الخاص بالهجرة فقال تعالى : ﴿ و ان ﴾ أى و إنهم ﴿ كادوا ﴾ أى الأعداء ﴿ ليستفزونك ﴾ أى يستخفونك بكثرة الأذى الذى من شأنه ذلك فيما جرت به العوائد ﴿ من الارض ﴾ [أى المكية التى هى الأرض -[2]] كلها لأنها[3] أمها ﴿ ليخرجوك منها ﴾[4] مع ١٠ أن وجودك عندهم رحمة لهم ، فلا أعمى منهم ! و أصل الفز القطع بشدة - قاله الرمانى ﴿ و اذاً ﴾ أى و إذا أخرجوك ﴿ لايلبثون خلفك[5] ﴾ أى بعد إخراجك لو أخرجوك ﴿ الا قليلا ﴾ و سيعلمون إذا[6] أذنا لك فى النزوح كيف نصبّ عليهم العذاب بعد خروجك بقليل ، برمحك[7] الطويل ، و سيفك الصقيل . و سيوف[8] أتباعك[9] المؤمنين ، لثبوت هذا ١٥ الدين ، و قد حقق الله سبحانه هذا الوعيد بقتل صناديدهم فى غزوة

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خافوه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ : كانها (٤) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٥) ليس فى الأصل وظ (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : انا (٧) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : ريحك (٨) فى ظ : سياف (٩) زيد فى الأصل وظ : على ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

بدر [فى رمضان - [١]] من السنة الثانية من الهجرة بعد ثمانية عشر شهرا من مهاجرته[٢] صلى الله عليه و على آله و سلم ، و حرم على المشركين الذين أخرجوه صلى الله عليه و على آله و سلم من مكة المشرفة الدخول إليها و الإقامة فى حريمها من جزيرة العرب ، إكراما له صلى الله عليه ٥ و على آله و سلم ، و انتقاما ممن يعتقد شيئا من كفر من أخرجوه ؛ و رفع " يلبثون " لأن " إذن " إذا وقعت بعد الواو و الفاء جاز فيها الإلغاء . لأنها متوسطة فى الكلام كما أنه لا بد [من - [١]] أن تلغى فى آخر الكلام ، و فى الآية بيان لأن الجاهل لا يزال[٣] ينصب للعالم الحبائل[٤] ، و يطلب له الغوائل . فيعود ذلك عليه بالوبال ، فى ١٠ الحال و المآل .

و لما أخبره بذلك ، أعلمه [أنه سنته - [١]] فى جميع الرسل فقال تعالى : ﴿ سنة ﴾ أى كسنة أو سنتنا بك سنة ﴿ من قد ارسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة .

و لما كان الإرسال قد عمت بركته بهذه العظمة جميع الأزمان ١٥ بما حفه به[٥] من قويم الفطرة ، أسقط الجار فقال تعالى : ﴿ قبلك ﴾ أى فى الأزمان الماضية كلها[٦] ﴿ من رسلنا ﴾ بأن جعلنا وجودهم بين ظهرانى قومهم رحمة لقومهم[٧] ، فاذا أخرجوهم عاجلناه[٨] من رضى باخراجهم

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى مد : مهاجرة (٣) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نحابل - كذا (٥) سقط من ظ (٦) سقط من م (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهم (٨) فى ظ : عاجلنا .

بالعقوبة ﴿ ولا تجد لسنتنا ﴾ أى لما لها من العظمة[1] ﴿ تحويلا ﴾ أى بمحول غيرنا يحولها ، لكنهم خصوا عن الأمم السالفة بأنهم لا يعذبون عذاب الاستئصال تشريفا لهم بهذا النبي الكريم .

ولما قرر [أمر - [2]] أصول[3] الدين بالوحدانية والقدرة على المعاد ، وقرر أمرهم أحسن تقرير ، واستعطفهم بنعمه ، وخوفهم من نقمه ، وقرر أنه سبحانه عصمه عليه الصلاة والسلام من فتنتهم بالسراء والضراء بما أنار به من بصيرته ، وأحسن من علانيته [وسريرته - [1]] ، صار من المعلوم أنه قد تفرغ للعبادة ، وتهيأ للراقبة ، فبدأ بأشرفها فوصل بذلك قوله تعالى : ﴿ اقم ﴾ / أى حقيقة بالفعل ومجازا بالعزم ٣٢٩/ عليه ﴿ الصلوٰة ﴾ بفعل جميع شرائطها وأركانها ومبادئها وغاياتها ، بحيث تصير كأنها قائمة بنفسها ، فانها لب العبادة بما فيها من خالص المناجاة بالإعراض عن[4] كل غير ، وفناء كل سوى ، بما أشرق من أنوار الحضرة التى اضمحل لها كل فانٍ ، وفى ذلك إشارة عظيمة إلى أن الصلاة أعظم ناصر على الأعداء الذين يريدون بمكرهم استفزاز الأولياء ، وأدفع[5] الأشياء للضراء ، وأجلبها لكل سراء ، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة كما تقدم[6] تخريجه فى آخر الحجر ؛ ثم عين له الأوقات بقوله تعالى :

(١) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الحكمة (٢) زيد من م ومد (٣) فى ظ : اصل (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : من (٥) من م ومد ، وفى الأصل وظ : انفع (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : تقدمها .

﴿ لدلوك الشمس ﴾ أى زوالها و اصفرارها و غروبها ، قال فى القاموس : دلكت الشمس : غربت أو اصفرت أو مالت أو زالت عن كبد السماء . فحينئذ فى هذه اللفظة دلالة على الظهر و العصر و المغرب من استعمال المشترك فى معانيه ، أما فى الظهر و المغرب فواضح ، و أما فى العصر فلأن أول وقتها أول أخذ الشمس فى الاصفرار . و أدل دليل على ذلك أنه غيّا الإقامة بوقت العشاء فقال تعالى : ﴿ الى ﴾ حثا على نية أن يصلى كلما جاء الوقت ليكون مصليا دائما ، لأن [الإنسان فى - [1]] صلاة [2] ما كان ينتظر الصلاة ، فهو بيان لأن وقت المغرب من الدلوك الذى هو الغروب إلى أن يذهب الشفق ﴿ غسق الّيل ﴾ فالغسق : ظلمة أول الليل ، و هو وقت النوم ؛ [و - [3]] قال [الرازى - [3]] فى اللوامع : و هو استحكام ظلمة الليل ، و قال الرمانى : ظهور ظلامه ؛ ثم عطف عليه بتغيير السياق قوله تعالى : ﴿ و قرآن ﴾ فكأنه قال : ثم نم و أقم قرآن ﴿ الفجر ﴾ إشارة إلى [4] الصبح ، و قيل : نصب على الإغراء ، و كأنه عبر عنها بالقرآن لأنه مع كونه أعظم أركان الصلاة يطول فيها [5] القراءة ما لا يطول فى غيرها ، و يجهر به فيها دون أختها [العصر - [3]] و تشويقا بالتعبير به إليها لثقلها بالنوم .

و لما كان القيام من [6] المنام صعبا ، علل مرغبا مظهرا غير مضمر

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الصلاة (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (٦) فى م : عن .

لأن المقام مقام تعظيم فقال تعالى: ﴿ ان قرآن الفجر كان مشهودا ﴾ يشهده فريقا الملائكة، و هو أهل لأن يشهده كل أحد، لما له من اللذة فى السمع، و الإطراب[1] للقلب، و الإنعاش للروح، فصارت الآية جامعة للصلوات؛ روى البخارى فى التفسير عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس و عشرون[2] درجة، و تجتمع ملائكة الليل و ملائكة النهار فى صلاة الفجر[3]، يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم "ان[4] قرآن الفجر" - الآية. قالوا: و هذا دليل على وجوب الصلاة بأول الوقت، و أن[5] التغليس بصلاة الفجر أفضل؛ ثم حث بعدها على التهجد لأفضليته و أشديته[6] فقال تعالى: ﴿و من﴾ أى و عليك [بعض - [7]]، أو[8] قم بعض ﴿ الّيل فتهجد ﴾ أى اترك الهجود - و هو النوم - بالصلاة ﴿ به ﴾ أى بمطلق القرآن، فهو من الاستخدام الحسن ﴿نافلة لك﴾ أى زيادة مختصة بك؛ قال عبد الغافر[9] الفارسى فى مجمع الغرائب: و أصل النفل الزيادة، و منه الأنفال الزائدة على الغنائم التى أحلها الله لهذه الأمة، [و -[10]] قال أبو عبد الله القزاز: النوافل: الفواضل، و من هذا يقولون: فلان ممن ترجى نوافله - انتهى. فهو زيادة للنبى

(١) فى ظ: الاضطراب (٢) فى ظ: عشرين (٣) فى الصحيح: الصبح (٤) سقط من ظ (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لان (٦) فى ظ: ارشديته. (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و». (٩) هو ابن إسماعيل بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسى ثم النيسابورى الشافعى المتوفى سنة ٥٢٩ هـ - و راجع لمصادر ترجمته معجم المؤلفين ٥ / ٢٦٧ (١٠) زيد من م و مد.

صلى الله عليه و على آله و سلم فى الفرض و للأمة فى التطوع ، و خص
به ترغيبا للأمة لأنهم يعلمون أنه لا يخص إلا بخير الخير ، / [١] لأنه الوقت /٣٣٠
الذى كنى فيه عن استجابة الدعاء بالنزول إلى السماء الدنيا اللازم
[منه - [٢]] القرب الوارد فى الأحاديث الصحيحة [أنه يكون - [٢]]
٥ فى جوف الليل ، لأن من عادة الملوك فى الدنيا أن يجعلوا فتح الباب
و القرب منه و رفع الستر و النزول عن محل الكبرياء أمارة على [٣] قضاء
الحوائج ، و كل ما يعبر به عن الله تعالى مما ينزه سبحانه عن ظاهره يكون
كناية [٤] عن لازمه [٤] ، و بين ذلك حديث رويناه فى جزء العبسى [٥] عن
عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و على
١٠ آله و سلم قال : إن فى الليل ساعة يفتح فيها أبواب السماء فينادى مناد :
هل من داع فيستجاب له ؟ إلى آخره ، فهذا شاهد عظيم لهذا التأويل .

و لما أمره سبحانه بالتهجد و التذلل ، و كان السياق للعظمة رجاء
فى النوال بما يليق بالسياق فقال تعالى : ﴿عسى ان﴾ أى لتكون
بمنزلة الراجى لأن ﴿ يبعثك ﴾ و لما كان السياق [٦] قد انصرف [٦] للترجية ،
١٥ عبر بصفة [٧] الإحسان فقال تعالى : ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك بعد
الموت الأكبر و قبله ، كما بعث نفسك من الموت الأصغر إلى خدمته
﴿مقاما﴾ نصب على الظرف ﴿ محمودا ﴾ و ذلك لأن ' عسى ' للترجى

---

(١) العبارة من هنا إلى «يليق بالسياق فقال تعالى» س ١٣ ساقطة من م (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل وظ : عن (٤ - ٤) فى ظ : الازمة .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : العيش ، و العبسى يبدو أنه عبيد بن عمر بن أحمد العبسى الشافعى (٦ - ٦) ما بين الرقمين ساقط من م ، و زيد فى مد بعده : للتجرئة (٧) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : بصيغة .

فى

فى المحبوب و الإشفاق [فى المكروه - ١] ، و قد يضعف ذلك فيلزم الشك فى الأمر ، و قد يقوى فيأتى اليقين ، و هى[٢] هنا لليقين ، قالوا: [إن - ١] عسى تفيد الإطماع ، [و من أطمع أحدا فى شىء ثم حرمه كان عارا ، و الله تعالى أكرم من أن يفعل ذلك ، و عبر بها دون ما يفيد القطع لأن ذلك أقعد فى كلام الملوك لأنه أدل على العظمة - ١] ، ٥ و للبخارى [فى التفسير - ١] عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : إن الناس يصيرون يوم القيامة [جثى - ٣] ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون: يا فلان اشفع ! [يا فلان اشفع - ٣] ! حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى صلى الله عليه و على آله و سلم ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود . أى فيظهر ما له من الحظ من اسمه أحمد و محمد فى ذلك الحين بحمد كل ١٠ ذى روح بإيصال الإحسان إلى كل منهم بالفعل[٤] ، و له فى التفسير و غيره عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و آله و سلم قال : من قال حين يسمع النداء "اللهم رب هذه الدعوة التامة و الصلاة القائمة ! آت محمدا الوسيلة و الفضيلة و ابعثه مقاما محمودا الذى وعدته" حلت له شفاعتى يوم القيامة . يعنى - و الله أعلم - الشفاعة ١٥ الخاصة ، و أما العامة فللكل بغير[٥] شرط .

و لما كان هذا المقام صالحا للشفاعة و لكل مقام يقومه ، وكان كل مقام يحتاج إلى التوفيق فى مباشرته و الانفصال عنه ، تلاه حاثا[٦]

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هو (٣) زيد من ظ و م و مد والصحيح (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى الفعل. (٥) فى ظ : بلا (٦) فى ظ : حثا .

على دوام المراقبة و [١] استشعار الافتقار [١] بقوله مقدما المدخل لأنه أهم :
﴿ و قل رب ﴾ أى أيها الموجد لى ، المدبر لأمرى ، المحسن إلىّ
﴿ ادخلنى ﴾ فى كل مقام تريد إدخالى فيه حسى و معنوى دنيا و أخرى
﴿ مدخل صدق ﴾ يستحق الداخل فيه أن يقال له : أنت صادق فى
٥ قولك و فعلك ، فان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها ﴿ و اخرجنى ﴾
من كل ما تخرجنى منه ﴿ مخرج صدق ﴾ .

و لما كان الصدق فى الأمور قد لا يقارنه الظفر ، قال تعالى :
﴿ و اجعل لى ﴾ أى خاصة ﴿ من لدنك ﴾ أى عندك من الخوارق
التى هى أغرب الغريب ﴿ سلطنا ﴾ أى حجة و عزا ﴿ نصيرا ﴾ و فيه
١٠ إشعار بالهجرة و أنها تكون على الوجه الذى كشف عنه الزمان من
العظمة [٢] التى ما لأحد بها من يدان .

و لما كان الدعاء قد لا يستجاب ، قال مبشرا له بأنه ليس بين دعائه
و بين استجابته إلا قوله ، و محققا لتلك البشرى بالأمر بأن يخبر بها :
﴿ و قل ﴾ أى لأوليائك و أعدائك : ﴿ جآء الحق ﴾ و [هو - [٣]]
١٥ كل ما أمرنى به ربى و أنزله إلىّ ﴿ و زهق ﴾ أى اضمحل و بطل و [٤] هلك
﴿ الباطل [٤] ﴾ و هو / كل ما خالفه ؛ ثم علل زهوقه بقوله : ﴿ ان الباطل كان ﴾ /٣٣١
فى نفسه بجبلته و طبعه ﴿ زهوقا ﴾ قضاء قضاه الله تعالى من الأزل ؛
روى البخارى فى التفسير و غيره [٥] عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

(١-١) فى ظ: استشار الافتراق (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد.
(٤) زيد فى مد: هو (٥) راجع على سبيل المثال باب أين ركز النبي صلى الله عليه و سلم الراية يوم الفتح - المغازى .

دخل النبي صلى الله عليه و على آله و سلم و حول البيت[1] ستون و ثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود فى يده و يقول "[2]جاء الحق و زهق الباطل ان الباطل كان زهوقا[2]"، "جاء الحق و ما يبدئ الباطل و ما يعيد" .

و لما كان القرآن الذى نوه به فى آية "اقم الصلوٰة" هو السبب الأعظم فى إزهاق الباطل[3] الذى هو كالسحر خيال و تمويه ، و هو الجامع لجميع [ما مضى - ٤] من الإلٰهيات و البعث و ما تبع ذلك ، قال عاطفا [على - ٤] "و لقد كرمنا" : ﴿ و ننزل ﴾ أى بعظمتنا ؛ ثم بين المنزل بقوله تعالى : ﴿ من القرآن ﴾ أى الجامع الفارق الذى هو أحق الحق ﴿ ما هو شفآء ﴾ للقلوب و الأبدان ﴿ و رحمة ﴾ أى إكرام و قوة ﴿للمؤمنين﴾ أى الراسخين فى الإيمان ، لإنارته لقلوبهم من صدإ الجهل ، و حمله لهم على سبيل الرشد الذى هو سبب الرحمة . و لحراسته لهم من كل شيطان و مرض و محنة إذا وقع الصدق فى الاستشفاء به ، هو كله كذلك[7] و كذا جميع أبعاضه ؛ قال الرازى فى اللوامع : و هو أنس المحبين ، و سلوة المشتاقين . و إنه النور [المبين - ٤] ، الذى[8] من

(١) زيد فى الأصل : ثلاثمائة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و الصحيح لحذفناها (٢ - ٢) تأخرت هذه الآية فى النسخ كلها عن الآية التى بعدها فرتبناها على وفق الصحيح (٣) زيد فى الأصل و ظ : ان ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اكراما (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لذلك (٨) زيد فى الأصل و ظ : هو ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفناها

استبصر به انكشف له[1] من الحقائق ما كان مستورا، و انطوى عنه من البوائق[2] ما كان منشورا، كما أن الباطل[3] داء و نقمة للكافرين ﴿و﴾ من أعجب العجب أن هذا الشفاء ﴿لا يزيد الظلمين﴾ أى الراسخين فى هذا الوصف، و هم الذين يضعون الشيء فى غير موضعه، باعراضهم[4] عما يجب ٥ قبوله ﴿الا خسارا ۝﴾ أى نقصانا، لأنهم إذا جاءهم و قامت به الحجة عليهم، أعرضوا عنه، فكان إعراضهم ذلك زيادة فى كفرانهم، كما أن قبول [المؤمنين -[5]] له و إقبالهم على تدبره [زيادة فى إيمانهم -[5]]، و فى الدارمى[6] عن قتادة قال: ما جالس [القرآن -[7]] أحد فقام عنه إلا بزيادة أو نقصان - ثم قرأ هذه [الآية -[5]]؛ ثم عطف على هذا ١٠ المقدر المعلوم تقديره ما هو أعم منه و ابين فى الفتنة و الاجتراء فقال تعالى: ﴿و اذآ انعمنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿على الانسان﴾ أى هذا النوع هؤلاء و غيرهم بأىّ نعمة كانت، [8]من إنزال[8] القرآن و غيره[9] ﴿اعرض﴾ أى عن ذكر[10] المنعم كاعراض هؤلاء[11] عند مجيء [هذه -[5]] النعمة التى لانعمة مثلها ﴿و نا﴾ أى تباعد تكبرا

(١) سقط من مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: البواريق (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: للباطل (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باعراضه (٥) زيد من ظ و م ومد (٦) فى باب تعاهد القرآن - كتاب فضائل القرآن (٧) زيد من ظ و م ومد و الدارمى (٨ - ٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بانزال (٩) سقط من ظ (١٠) من م و مد، وفى الأصل و ظ: ذلك. (١١) زيد فى الأصل: لا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

بجانبه

﴿بجانبه﴾ بطرا وعمى عن الحقائق ﴿و اذا مسه الشر﴾ أى هذا النوع و إن قل ﴿كان يئوسا﴾ أى شديد اليأس هلعا و قلة ثقة بما عنده من رحمة الله إلا من حفظه [الله - ١] و شرفه بالإضافة إليه فليس للشيطان عليه سلطان .

و لما كان المفرد المحلى[٢] باللام يعم ، كان هذا ربما [٣]اقتضى من بعض[٢] المتعنتين اعتراضا[٤] بأن يقال : إنا نرى [بعض - ١] الإنسان إذا أعطى شكر ، و إذا ابتلى صبر ، وكان هذا الاعتراض ساقطا لا يعبأ به ، أما أولا فلأنه[٥] قد تقدم الجواب عنه فى سورة يونس عليه السلام فى قوله تعالى "كذلك زين للمسرفين ماكانوا يعملون[٦]" بأن هذا فى المسرفين دون غيرهم ، و بقوله تعالى فى سورة هود عليه السلام "الا الذين صبروا[٧]" ، و لعله طواه فى هذا المقام إشارة إلى أنه لقلة أفراده كأنه عدم ، و أما ثانيا فلأن المحلى باللام سواء كان مفردا أو جمعا فى قوة الجزئى[٨] حتى يرد ما يدل على أنه كلى[٩] ، فلذلك أعرض تعالى عنه / و أجزه ٣٣٢/
بالجواب عن القسمين المشار إليه و المنصوص عليه فقال تعالى : ﴿قل﴾ أى يا أشرف خلقنا ! ﴿كل﴾ من الشاكر و الكافر ﴿يعمل[١٠] على شاكلته[٤]﴾

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المحل (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اقتصر ببعض (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اعراضا (٥) فى ظ : فانه (٦) آية ١٢ (٧) آية ١١ (٨) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : الخزى (٩) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : كل (١٠) تكرر فى الأصل فقط .

أى[1] طريقته التى تشاكل روحه و تشاكل ما طبعناه عليه من خير أو شر ﴿ فربكم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن الذى خلقكم و درجكم فى أطوار النمو ، لا غيره ﴿اعلم﴾ مطلقا ﴿بمن هو﴾ منكم ﴿اهدى سبيلا ۝﴾ أى [2]أرشد و أقوم[2] من جهة المذهب بتقواه و إحسانه ، فيشكر و يصبر احتسابا فيعطيه[3] الثواب ، [4]و من هو[4] أضل سبيلا ، فيحل به العقاب ، لأنه يعلم ما طبعهم عليه فى أصل الخلقة و غرزه فيهم من الخلائق ، و غيره إنما يعلم أمور الناس فى طرائقهم بالتجربة ؛ و قد روى الإمام أحمد -لكن بسند منقطع- عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و على آله و سلم قال : إذا سمعتم بجبل زال عن[6] مكانه فصدقوا ، و إذا سمعتم برجل تغير عن خلقه فلا تصدقوا به ، فانه[7] يصير إلى ما جبل عليه . هذا كله إذا كان الإعراض بالفعل ، و إن كان بالقوة الترمنا[8] أنها كلية ، و الله أعلم بالمهتدى فيحفظه من الإعراض و اليأس بالفعل بما هو فيه بالقوة .

و لما بين سبحانه - بعد التعجيب من إنكارهم البعث - جهل الإنسان ، و ما هو عليه من الضلال و النسيان ، إلا من فضله[9] على أبناء نوعه

(١) زيد فى الأصل وظ : على ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشد و اقوى (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما يعطيه - كذا (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هو من ه (٥) فى المسند ٦/٤٤٣ (٦) من المسند ، و فى النسخ : من (٧) فى المسند : و انه . (٨) من ظ و م و مد و فى الأصل : الترمناه (٩) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

كما فضل طينته[1] على سائر الطين ، و ختم بآية المشاكلة التى منها مشاكلة [بعض الأرواح -[2]] لبعض و مشاكلتها للطباع . و بان بذلك أنه سبحانه و تعالى قادر على فعل ما يشاء عالم بكل معلوم . رجع إلى التعجب منهم بما هو من شأن الأرواح التى من شأنها التشاكل فقال تعالى عاطفا على " و قالوا ء اذا كنا عظاما " : ﴿ و يسئلونك ﴾ أى تعنتا و امتحانا ﴿ عن الروح[4] ﴾ الذى تقدم أنها تعاد إلى أجسادهم يوم البعث و لو كانوا حجارة أو حديدا : ما هى؟ هل هى جسم أم[3] لا ؟ و هل هى متولدة من امتزاج الطبائع التى فى البدن أم امتزاجه[4] مبتدأ ؟ و هل هى قديمة أم حادثة ؟

و لما كان ذلك تعنتا ، مع أنه لا يفتقر إليه فى صحة اعتقاد ، أمره بأن يجيبهم عنه[5] بما يليق بحالهم بقوله تعالى : ﴿ قل الروح ﴾ أى هذا النوع الذى تصير به الأجسام حية ﴿ من امر ربى ﴾ أضافها إلى الأمر و هو الإرادة و إن كانت من جملة خلقه ، تشريفا لها و إشارة إلى أنه لا سبب من غيره يتوسط بينها و بين أمره ، بل هو يبدعها من العدم ، أو يقال - و هو أحسن : إن الخلق قسمان : ما كان بتسبيب و تنمية و تطوير ، و هو الذى يترجم فى القرآن[6] بالخلق ، و ثانى ما كان إخراجا من العدم بلا تسبيب و لا تطوير ، و هو المعبر عنه بالأمر ، و منه هذه الروح المسؤل عنها و كل روح فى القرآن[6] ، و كذا ما هو للحفظ و التدبير

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : طينه (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : او (٤) من ظ و م و مد . و فى الأصل : امر آخر (٥) من ظ و م و مد . و فى الأصل : عنهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

كالأديان، و الجامع لذلك القيومية كما مضى عن الحرالى عند روح القدس في البقرة، فأفادت هذه العبارة أنها محدثة، و أنها غير مطورة و لا مسببة، و هى جسم لطيف سارٍ فى البدن كماء الورد [فى الورد -[1]] على الصحيح عند أهل السنة، و أمسك السلف عن الإمعان فى الكلام على الروح أدبا، لأنهم علموا أن فى عدم الجواب لسؤالهم بغير هذا إشارة إلى أن السكوت عنه أولى لهم؛ ثم أتبعه التنبيه على جهلهم لتعكيسهم فى الأسئلة بتركهم الإقبال على ما يفهمونه بلا شك و ينفعهم فى الدارين [2]من هذا الروح المعنوى و هو القرآن، و إقبالهم على ما لا يفهمونه[2] /من الروح المحسوس لقلة علمهم، و من فهمه منهم لا يفهمه إلا بعسر /٣٣٣ عظيم، و فيه أسئلة كثيرة جدا لا برهان على أجوبتها، منها أنه متحيز أم لا؟ و أنه مغاير للنفس أم لا؟ و هل تبقى بعد الموت أم لا؟ فعلمنا به أنه[3] إنما هو على الإجمال، ولا يلزم من عدم العلم بحقيقته المخصوصة نفيه، فان أكثر حقائق الأشياء مجهولة، و هى موجودة. فالسكنجبين خاصيته قمع الصفراء، و حقيقة تلك الخاصية مجهولة، و هى معلومة الوجود، و ليس وراء العلم بما سألوا عنه من الروح بعد فهمه من الفائدة ما لذلك الذى تركوه ولا قريب[4] منه، فقال تعالى دالا على حدوثه بتغيره، فانه يكون فى المبدإ جاهلا ثم[5] يحدث له العلم شيئا بعد شىء،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢ - ٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل و ظ فقط مع سقوط كلمة « المعنوى » فيما تكرر (٣) سقط من مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قريبا (٥) زيد فى مد: بغتة.

وكل

و كل متغير حادث : ﴿ و ما اوتيتم ﴾ أى من أىّ مؤت كان بعد أن كنتم لا تعلمون شيئا ﴿ من العلم ﴾ أى مطلق هذه الحقيقة ، فكيف بالمشكل منها ﴿ الا قليلا ٥ ﴾ و مما تجهلونه أمور ضرورية[1] لكم ، لأن تماديكم على الجهل بها سبب لهلاككم فى الدارين ، فمن أجهل الجهل و أضل الضلال أن تسألوا عما لا يضركم الجهل [به -[2]] ، و يتوقف إثباته على أمور دقيقة ، و مقدمات صعبة ، و تتركوا ما يضركم الجهل به فى الدين و الدنيا ، مع كونه فى غاية الوضوح ، لكثرة ما قام عليه من الأدلة ، و له بحضرتكم من الأمثلة ، و الذى سألتموه منزه عن الغش و الضيق ، فهو ينبهكم على[3] عيبكم نصيحة [لكم -[4]] و يعدل عن جوابكم عنه إلى ما ينفعكم رفقا بكم ، و لفهم [هذا -[4]] سكت[5] السلف عن الخوض فى أمره ، و الخطاب لليهود و العرب ، أما العرب فواضح ، و أما اليهود فانهم و إن كانوا أهل الكتاب[6] فذلك إشارة إلى تلاشى علمهم فى جنب علم الله ؛ كما ستأتى الإشارة إليه بقول الخضر لموسى عليهما الصلاة و السلام فى العصفور الذى نقر من البحر نقرة أو نقرتين ، فحيث ورد تعظيم علم أحد و تكثيره فهو بالنسبه إلى غيره من الخلق ، و حيث ورد تقليله[7] - كما فى هذه الآية - فهو[8] من حيث إضافته إلى

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ضروريات (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) فى ظ : عن (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد . و فى الأصل و ظ : سكن (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كتاب (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : تقليده (٨) سقط من مد .

علم الله تعالى . و هذه الآية ورد فى سبب نزولها ما يظن أنه متناقض ، فانه روى فى الصحيح [١] عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه كان يمشى مع النبى صلى الله عليه و على آله و سلم فى المدينة ، فسأله اليهود عن الروح فأوحى إليه ، فلما انجلى عنه الوحى تلا عليهم - الآية . و فى السيرة [٢] الهشامية [٣] و الدلائل للبيهقى [٤] و تفسير البغوى [٥] و غيره من التفاسير [٦] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن قريشا أرسلت إلى اليهود قبل الهجرة تسألهم عن النبى صلى الله عليه و على آله و سلم لأنهم أهل الكتاب الأول و عندهم من علم الأنبياء ما ليس عند قريش . فأمروهم أن يسألوه عن الروح . و عن قصتى أصحاب الكهف و ذى القرنين . فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم : أخبركم بما سألتم عنه غدا - و لم يستثن ، فانصرفوا عنه ، فمكث فيما يذكرون خمس [٧] عشرة ليلة ، لا يحدث الله إليه فى ذلك وحيا ، حتى أرجف به أهل مكة ، و حتى حزن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم ، و شق عليه ما يتكلم به أهل مكة ، و روى [أيضا - [٨]] أن لبث الوحى كان أربعين ليلة [٩] . و روى : اثنتى عشرة

(١) رواه فى غير مناسبة ، راجع على وجه المثال باب قوله تعالى « و ما اوتيتم من العلم الا قليلا » من كتاب العلم (٢) ١/١٠٢ و ١٠٣ (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الهاشمية (٤) راجع الخصائص الكبرى للسيوطى باب امتحانهم إياه بالسؤال ، حيث أورد الحديث عن البيهقى (٥) راجع هامش لباب التأويل ٤/١٤٧ (٦) كالكشاف للزمخشرى (٧) فى ظ : خمسة (٨) زيد من ظ و م و مد . (٩) قاله عكرمة - راجع معالم التنزيل .

ليلة [١] ، و فى مسند أبى يعلى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قالت قريش ليهود : أعطونا شيئا نسأل [٢] عنه هذا الرجل ! فقالوا : سلوه / عن الروح ، فسألوه ، و نزلت " و يسئلونك " - الآية . و ليس ذلك و أمثاله بحمد الله بمشكل ، فانه محمول على أنه نزل للسبب الأول ، فلما سئل عنه [النبى - [٣]] صلى الله عليه و على آله و سلم ثانيا لم يجب فيه بالجواب الأول ، إما لرجاء أن يؤتى [٤] بأوضح منه ، أو خشية أن يكون نسخ - أو نحو ذلك لأمر رآه [٥] صلى الله عليه و على آله و سلم ، فيعيد الله سبحانه إنزاله عليه تثبيتا له و إعلاما بأنه هو الجواب ، و فيه مقنع [٦] ، و فى تأخير الجواب فى هذا الأمر برهان قاطع لقريش و كل من له أدنى لب على صدق النبى صلى الله عليه و على آله و سلم فى أن هذا القرآن من عند الله ، لا يقدر عليه غيره ، لأنه لو كان قادرا على الإتيان بشىء منه من عند نفسه أو من عند أحد من الخلق لبذل جهده فى ذلك ، تنزيها لنفسه الشريفة ، و همته المنيفة ، و عرضه الطاهر ، عن مثل ما خاضوا فيه بسبب إخلاف موعدهم . و لما كانت الروح من عالم الأمر الذى هو من سر الملكوت ، ضمت إلى سورة الإسراء الذى هو [من - [٣]] أبطن سر الملكوت لا سيما بما علا به من المعراج الذى جعل لغرابته كالرؤيا [٧]

/ ٣٣٤

(١) قاله مجاهد - راجع معالم التنزيل (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فسئل (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يرى . (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اره (٦) فى مد : مقلع - كذا (٧) سقط من ظ .

" و ما جعلنا الرءيا التى اريـنك الا فتنة للناس " و لذلك[1] فصلت عن السؤالين الآخرين ، لأنهما من عالم الملك ، و سيأتى بقيـة الـكلام على هذا فى سورة الـكهف إن شاء الله تعالى .

و لما شرح إرادتهم الفتنة عما جاءهم [من -[2]] العلم بتبديل المنزل ، و إخراج المرسل ، و ماتبع ذلك حتى ختم بتجهيلهم إذ سألوا تعنتا عن الروح الحسى ، و كان الأنفـع لهم سؤالهم استفادة و تفهما عن دقائق الروح المعنوى الذى أعظم الله شرفهم به بانزاله إليهم على لسان رجل [منهم -[3]] هو أشرفهم مجدا ، و أطهرهم نفسا ، و أعظمهم مولدا ، و أزكاهم عنصرا ، و أعلاهم همة ، و ختم بتقليل [علمهم[3] -] إشارة إلى أنهم لا يفهمون[4] [إلا أن يفهمهموه -[3]] سبحانه [و[3] -] هو أعلم بمـا يفهمونه و ما لا يفهمونه ، قال عاطفا على " و ان كادوا ليفتنونك " تنبيها [لهم -[3]] على أنه لو شاء لذهب بسبب هذا العلم القليل الذى وهبهموه ، فعمهم الجهل كما كانوا ، و على أنه لم يكفهم ترك السؤال عما يعنيهم حتى [سألوا عما -[3]] لا يعنيهم ، و أرادوا تبديل ما ينفعهم [و يعنيهم بما بيدهم -[3]] و يفنيهم ، فضلوا قولا و فعـلا : ﴿ و لئن شئنـا ﴾ و مشيئتنا لا يتعاظمها شىء ، و لامه موطئة[5] للقسم ، و أجاب عن القسم بما أغنى عن جواب الشرط فقال تعالى : ﴿ لنذهبن ﴾ أى بما لنا من العظمـة ذهابا محققا ﴿ بالذىٓ اوحينآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ اليك ﴾ مما أرادوا الفتنة

(١) زيد فى الأصل و ظ : ما ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يفهمونه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : توطئة .

فيه

فيه من القرآن على أن فيه من العلم ما يغنيهم - لو أقبلوا على تفهمه - عن شيء من الأشياء فلا تبق [عندك - ١] نحن و لا وحينا، و لإفادة هذا لم يقل: لأذهبنا. ﴿ ثم ﴾ أى بعد الذهاب به ﴿ لا تجد لك ﴾ [و لما - ١] كان السياق هنا للروح الذى هو الوحى، فكانت ٢ العناية [به - ١] أشد، قدم قوله: ﴿ به ﴾ و لما كان السياق لمن يأخذ ما يريد ٥ طوعا أو كرها، قال تعالى: ﴿ علينا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى لا تعارض ﴿ وكيلا ﴾ يأتيك به أو بشيء ٣ منه.

و لما كان لا ملجأ منه سبحانه إلا إليه، قال تعالى: ﴿ الا ﴾ أى لكن تجد ﴿ رحمة ﴾ مبتدئة و كائنة ﴿ من ربك ٤ ﴾ أى المحسن إليك بأن أوجدك و رباك، و لم يقطع إحسانه قط عنك، يعيد بها إليك ٤ و يأتيك ١٠ بما يقوم مقامه، و عبر عن أداة الانقطاع بأداة الاتصال إشارة إلى [أن - ١] رحمته سبحانه [له - ٥] - التى اقتضتها صفة إحسانه [إليه - ١] لعظمها - كالوكيل الذى يتصرف بالغبطة على كل حال.

و لما / كان فى إنزاله [إليه - ١] ثم إبقائه لديه من النعمة [عليه - ٦] / ٣٣٥ و على أمته ما لا يحصى، نبه على ذلك بقوله تعالى مستأنفا مؤكدا ١٥ لأن كون ٧ الرحمة هكذا من أغرب ٨ الغريب، فهو [بحيث - ١] لا يكاد

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: وكانت.
(٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لشيء (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: ذلك (٥) زيد من مد (٦) زيد من م و مد (٧) فى ظ: يكون (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: اغراب.

يصدق ، و هو مما يتلذذ بذكره ﴿ ان فضله كان ﴾ أى كونا ثابتا ﴿ عليك ﴾ أى خاصة ﴿ كبيرا ﴾ أى بالغ الكبر ، و قد ورد أنه يذهب بالقرآن فى آخر الزمان ، يسرى بما فى المصاحف و بما فى القلوب ، و قد أفهمت ذلك هذه الآية لأن كلام الملوك يفهم أصل الشىء ولو كان فى سياق الشرط .

و لما كان بمعرض أن يقولوا : إن ذهب عليك [منه شىء -[1]] فأتت بمثله من عند[2] نفسك و مما اكتسبته منه من الأساطير[3] ، أمره أن يجيبهم عن هذا بقوله [4]دلالة على مضمون ما قبله[4] : ﴿ قل ﴾ .

و لما أريد هنا المماثلة فى كل التفصيل إلى جميع السور فى المعانى الصادقة ، و النظوم الرائقة ، كما دل عليه التعبير بالقرآن ، زاد فى التحدى قيدَ[5] الاجتماع من الثقلين و صرف الهمم للتظاهر و التعاون و التظافر بخلاف ما مضى فى السور السابقة ، فقال تعالى مؤكدا باللام الموطئة للقسم لادعائهم أنهم لو شاؤا أتوا بمثله ، و الجواب حينئذ للقسم ، و جواب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم : ﴿ لئن اجتمعت الانس ﴾ الذين تعرفونهم و تعرفون ما أتوا من البلاغة و الحكمة و الذين لا تعرفونهم ، و قدمهم لسهولة اجتماعهم بهم و لأنهم عندهم الأصل فى البلاغة ﴿ و الجن ﴾ [6]الذين يأتون كهانكم و يشجعون لهم و يعلمونهم ببعض المغيبات عنهم ،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عندك .
(٣) فى ظ : اساطير الاولين (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : قبل (٦) زيد فى مد : اى .

و ترك الملائكة لأنهم لا عهد لهم بشيء من كلامهم ﴿ على ان ياتوا ﴾ أى يجددوا إيتاءً ما فى وقت ما فى حال اجتماعهم ﴿ بمثل هذا القرآن ﴾ أى جميعه على ما هو عليه من التفصيل ، و خصه بالإشارة تنبيها على أن ما يقوله صلى الله عليه و على آله و سلم عن الله وحى من الله ، ليس فيه شيء من عند نفسه ، و أن المراد فى هذا السياق المتحدى به الذى اسمه[1] القرآن خاصة ﴿ لا ياتون ﴾ .

و [لما -[2]] كانت هذه السورة مكية ، فكان[3] أكثر ما يمكن فى هذه الآية أن يكون آخر المكى فيختص التحدى به ، وكان المظهر إذا أعيد مضمرا أمكن فيه الخصوص ، و كان المراد إنما هو الشمول ، و متى أريد الشمول استؤنف له إحاطة باستئناف إظهار محيط كما يأتى عن الحرالى فى أواخر سورة الكهف ، لم يقل هنا " به " لذلك ، و لئلا يظن أنه يعود على القرآن لا على مثله ، بل أظهر فقال دالا على أن المراد جميع المكى و المدنى : ﴿ بمثله ﴾ أى لا مع التقيد بمعانيه [4]الحقة الحكيمة[4] حتى يأتوا[5] بكلام فى أعلى طبقات البلاغة ، مبينا لأحسن المعانى بأوضح المبانى ، و لا مع الانفكاك عنها إلى معانٍ مفتراة[6] ؛ ثم أوضح أن المراد الحكم لعجزهم مجتمعين و منفردين متظاهرين و غير متظاهرين فقال تعالى : ﴿ و لو ﴾ [و لما كان -[2]] المكلفون[7] مجبولين على المخالفة

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشهر (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و كان (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الخفة الحكمة (٥) فى ظ : ياتى (٦) فى ظ : منقاة (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المكلفين .

و تنافى الأغراض قال[1] تعالى : ﴿ كان ﴾ أى جبلة و طبعا على خلاف العادة ﴿ بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ أى معينا بضم أقوى ما فيه إلى أقوى ما فى صاحبه ، و قد تقدم فى السور المذكور فيها التحدى ما يتم هذا المعنى .

٥ و لما تمت هذه الجمل على هذا الوجه الجميل ، و الوصف الجليل ، نبه على ذلك سبحانه بقوله عطفا على نحو : صرفنا هذه الأمثال كما ترون على أعلى منهاج[2] و أبلغ سياق فى [3]أبدع انتظام[3] : ﴿ و لقد صرفنا ﴾ [4]أى رددنا و كررنا تكريرا كثيرا بما لنا من العظمة[4] ؛ و لما كان مبنى السورة على بيان العناية بالناس الذين اتقوا و الذين هم /محسنون ، اقتضى /٣٣٦

١٠ المقام لمزيد الاهتمام تقديم قوله تعالى : ﴿ للناس ﴾ أى الذين هم [ناس -[5]] ﴿ فى هذا القرآن ﴾ الهادى للتى هى أقوم ﴿ من كل مثل ﴾ أى من كل ما هو فى غرابته و سيره فى أقطار الأرض و بلاغته و وضوحه و رشاقته كالمثل الذى يجب الاعتبار به ؛ و التصريف : تصيير[6] المعنى دائرا[7] فى الجهات المختلفة بالإضافة [و الصفة -[5]] و الصلة و نحو

١٥ ذلك ﴿ فأبى ﴾ أى فتسبب عن ذلك الذى هو سبب للشفاء و الشكر و الهدى ، تصديقا لقولنا "و لا يزيد الظالمين الا خسارا" أنه أبى

---

(١) فى مد : فقال (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منها (٣-٣) من م و مد ، و فى ظ : ابتدع انتظام ، و فى الأصل : ابدع نظام (٤-٤) ما بين الرقمين تكرر فى مد بعد « الذين هم » (٥) زيد من م و مد (٦) فى مد : تطريق . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : داير .

أكثر

﴿اكثر الناس﴾ و هم من هم [فى -١] صورة الناس و قد سلبوا معانيهم . و لما كان ' أبى ' متأولا بمعنى النفى ، فكان المعنى : فلم يرضوا مع الكبر و الشماخة ، استقبله بأداة الاستثناء فقال تعالى : ﴿ الا كفورا ﴾ لما لهم من الاضطراب .

و لما كان [هذا -١] أمرا معجبا ، عجب منهم تعجيبا آخر ، عاطفا له [على -١] " و يسئلونك " إن كان المراد بالناس فى قوله " فابى اكثر الناس " الكل ، و على " فابى " إن كان المراد بهم قريشا فقال تعالى : ﴿ و قالوا ﴾ أى كفار قريش و من والاهم تعنتا بعد ما لزمهم من الحجة ٢بيان عجزهم عن المعارضة و لغير ذلك فعلَ المبهوت المحجوج المعاند ، مؤكدين لما لزمهم من الحجة٢ التى صاروا بها فى حيز من يؤمن قطعا من غير توقف : ﴿ لن نؤمن ﴾ أى نصدق بما تقول مذعنين ﴿ لك حتى تفجر٣ ﴾ أى تفجيرا عظيما ﴿ لنا ﴾ أى٤ أجمعين ﴿من الارض ينبوعا﴾ أى عينا٥ لا ينضب ماءها ﴿ او تكون لك ﴾ أى أنت وحدك ﴿جنة من نخيل و ﴾ أشجار٦ ﴿ عنب﴾ عبر عنه بالثمرة لأن الانتفاع منه بغيرها قليل ﴿ فتفجر ﴾ أى بعظمة زائدة ﴿ الانهر﴾ الجارية ﴿ خلٰلها تفجيرا﴾ و هو تشقيق عما يجرى من ماء أو ضياء أو نحوهما ؛ فالفجر : شق الظلام عن عمود الصبح ، و الفجور :

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى النسخ كلها: يفجر - كذا بالياء ، و القراءة بالتاء مما لا خلاف فيه (٤) سقط من مد. (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يمينا (٦) زيدت الواو فى ظ .

شق جلباب الحياء بما يخرج إلى الفساد ﴿ او تسقط السمآء ﴾ أى نفسها ﴿ كما زعمت ﴾ فيما تتوعدنا به ﴿ علينا كسفا ﴾ أى قطعا جمع كسفة وهى القطعة ، ويجوز أن يكون المراد بذلك الحاصب الآتى من جهة العلو وغيره مما توعدوا به فى[1] نحو قوله "ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم[2]" وتسمية ذلك سماء كتسمية المطر[3] بل والنبات[3] سماء :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا[4]

﴿ او تاتى ﴾ معك ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعظم[5] ﴿ والملٰئكة قبيلا ﴾ أى إتيانا عيانا ومقابلة ينظر إليه لا يخفى على أحد منا شىء منه ، وكان أصله الاجتماع الذى يلزم منه المواجهة بالإقبال من قبائل الرأس الجامعة ﴿ او يكون لك ﴾ أى خاصا بك ﴿ بيت من زخرف ﴾ أى ذهب كامل الحسن والزينة ﴿ او ترقى ﴾ أى تصعد ﴿ فى السمآء[6] ﴾ درجة درجة ونحن ننظر إليك صاعدا ﴿ ولن نؤمن ﴾ أى نصدق مذعنين[6] ﴿ لرقيك ﴾ أى أصلا ﴿ حتى تنزل ﴾ وحققوا معنى كونه "من السماء" بقولهم : ﴿ علينا كتٰبا ﴾ ومعنى كونه ، "فى رق" أو نحو قولهم [بقولهم -[7]] : ﴿ نقرؤه[6] ﴾ يأمرنا فيه باتباعك .

فلما تم تعنتهم فكان لسان الحال طالبا من الله تعالى الجواب عنه ، أمره الله تعالى بجوابهم بقوله : ﴿ قل سبحان ربى ﴾ أى تنزه عن أن

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٢) سورة ٦ آية ٦٥ (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالمنابات - كذا (٤) البيت لمعاوية بن مالك كما فى اللسان [سما] (٥) فى ظ : الاعلى (٦) زيد فى ظ : اليك (٧) زيد من ظ و م و مد .

يكون له شريك فى ملكه[1] يطلب منه ما [لا -[2]] يطلب إلا من الإله .
فهو تنزيه لله و تعجيب منهم لوضوح[3] عنادهم بطلبهم[4] ما لا قدرة عليه
إلا للإله ممن [لا - [2]] قدرة [له - [2]] على شيء منه إلا باذن الله ،
و لم يدّع قط أنه قادر على شيء منه ، فحسن الاستفهام جدا فى قوله تعالى:
﴿هل كنت الا بشرا﴾ لا يقدر على غير ما يقدر عليه البشر ﴿رسولا ۝﴾ ٥
كما كان من قبلى /من الرسل ، لا أتعدى ما أمرت به من التبليغ ، فلا[5] آتى ٣٣٧ /
بشيء إلا باذن الله ، و لم أقل[6] : إنى إله ، حتى يطلب منى ما يطلب من
الإله و رتبوا أنفسهم هذا الترتيب لأنهم حصروا حاله فى دعوى أن يكون
عظيما بالرسالة أو غيرها ليتبعه الناس ، فان كان الأول كان [7]مقبول القول[7]
عند مرسله ، و حينئذ فاما أن يسأله فى نفع عام بالينبوع ، أو خاص ١٠
به بالجنة إن بخل بالعام ، أو ضر[8] بالكشف أو يسأله فى[9] الإتيان مع
جنده لأن يصدقه ، و إن كانت عظمته بغير ذلك فاما أن يكون ملكا
ليكون له البيت المذكور بما جرت العادة أن يكون تابعا له ، أو يكون
[ممن - [2]] يجتمع بالملك الذى أرسله فيرقى على ما قالوا .

و لما أمر بما تضمن أنه[10] كاخوانه من الرسل فى كونه [بشرا - [2]] ، ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الملك (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لوضوع (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بطلب ؛ و زيد بعده فى ظ : منه (٥) فى مد : و لا (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لم يقل (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مقبولا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عبر (٩) سقط من ظ (١٠) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

أتبعه قوله تعالى عطفا على : " فابى " أو "فقالوا": ﴿و ما منع الناس﴾ أى قريشا و من قال بقولهم لما[1] لهم من الاضطراب ﴿ ان يؤمنوآ ﴾ أى لم يبق لهم مانع من الإيمان ، و الجملة مفعول 'منع' ﴿اذ جآءهم الهدىٓ ﴾ أى الدليل القاطع على الإيمان و هو القرآن و غيره من الأدلة ﴿ الآ ﴾

٥ و فاعل منع ﴿ ان قالوآ ﴾ أى منكرين غاية الإنكار متعجبين متهكمين : ﴿ ابعث الله ﴾ أى بما له[2] من العظمة الباهرة من صفات الجلال و الإكرام ﴿ بشرا رسولا ﴾ وسبب اتباع الضلال - مع [وضوح -[3]] ضره - و ترك الهدى - مع ظهور نفعه - وقوع[5] الشبهة أو الشهوة لضعفاء العقول - و هم أكثر الناس - فى أوله ثم تقليد الرؤساء و تمكن

١٠ العادة السيئة فيما بعد ذلك ، فلما أنكروا كون الرسول بشرا بعد أن جعلوا الإله حجرا ، علمه جوابهم بقوله تعالى : ﴿قل﴾ لهم : قال ربى سبحانه و تعالى : ﴿ لو كان ﴾ أى كونا متمكنا ﴿ فى الارض ﴾ التى هى مسكن الآدميين ﴿ملٓئكة يمشون ﴾ عليها كالآدميين من غير طيران كالملائكة إلى السماء ﴿ مطمئنين ﴾ باتخاذهم لها قرارا كما فعل البشر ﴿ لنزلنا ﴾

١٥ أى بما لنا من العظمة ﴿ عليهم ﴾ مرة[6] بعد مرة كما فعلنا فى تنزيل جبريل عليه السلام على الأنبياء من البشر ، و حقق الأمر بقوله تعالى : ﴿ من السمآء ملكا رسولا ﴾ لتمكنهم من التلقى منه لمشاكلتهم له بخلاف

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد : لنا (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) و نسخة مد كعادتها مطموسة من هنا إلى ما سننبه عليه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : و قرع (٦) فى ظ : من .

البشر كما هو مقتضى الحكمة ، لأن رسول كل جنس ينبغى أن يكون منهم ، إذ الشىء عن شكله أفهم ، و به آنس ، و إليه أحسن ، و له آلف ، إلا من فضله بتغليب نفسه و عقله على شهوته فأقدره بذلك على التلقى من الملك .

و لما نصب البرهان القاطع على أن القرآن الموحى إليه من عند الله ، ٥ و نفى شبهتهم فى إنكار كون الرسول بشرا ، بأنه ما خرج عن عادة من قبله ممن كانوا مقرين بأنهم أنبياء ، و بأن الجنس لا يفهم عن جنس آخر ، فالبشر لا يفهم عن الملك إلا بخارقة ، و لا يكون ذلك إلا للرسل[1] و من أراد الله من أتباعهم ، لم يبق إلا محض العناد الذى لا رجوع فيه إلا إلى السيف عند[2] القدرة ، و إلى الله عند فقدها ، و كان فى مكة ١٠ المشرفة غير قادر على السيف ، أمره الله تعالى بالرجوع إلى السيف فقال تعالى : ﴿ قل كفى بالله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ شهيدا ﴾ أى فيصلا يكون ﴿ بينى و بينكم[4] ﴾ يعامل كلا منا بما يستحق ؛ ثم علل كفايته لذلك بقوله تعالى : ﴿ انه كان بعباده ﴾ قبل أن يخلقهم ﴿ خبيرا ﴾ بما يؤول إليه أمرهم[3] بعد إيجاده لهم ﴿ بصيرا ﴾ بما يكون ١٥ منهم بعد وجوده .

و لما تقدم أنه سبحانه و تعالى أعلم بالمهتدى و الضال ، و كان ختم هذه الآية مرشدا[4] إلى أن المعنى : فمن علم منه / بجوابه قابلية للخير وفقه للعمل على تلك المشاكلة ، و من علم منه قابلية للشر أضله ، عطف ٣٣٨ /

(١) فى ظ : الرسول (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الى (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : امر (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : راشدا .

عليه قوله تعالى : ﴿ و من يهد الله ﴾ أى الذى له الأمر كله لأنه لا شريك له ، بخلق الهداية فى قلبه ، و أشار إلى قلة المهتدى على طريقة الإحسان بافراد ضميره ، و إلى كثرة الضال بجمعه فقال تعالى : ﴿ فهو ﴾ أى لا غيره ﴿ المهتد ج ﴾ لا يمكن أحدا[1] غيره أن يضله ﴿ و من يضلل ﴾ فهو الضال لا هادى له ، و ذلك معنى قوله تعالى : ﴿ فلن تجد لهم ﴾ أى للضالين ﴿ اولياء ﴾ أى أنصارا فى هذه الدنيا ﴿ من دونه ﴾ يهدونهم و لا ينفعونهم بشىء أراد الله غيره ، و لذلك نفوا أصلا و راسا ، لأنهم إذا انتفى نفعهم كانوا كالعدم ، و إذا انتفى [2] عن الجمع[2] انتفى عن المفرد من باب الأولى ؛ فالآيـة من الاحتباك : خبر الأول يدل على حذف ضده ثانيا ، و نتيجة الثانى تدل على حذف ضدها من الأول .

و لما كان يوم الفصل يوما يظهر فيه لكل أحد فى كل حالة[3] من عظمته تعالى ما يضمحل معه كل عظمة قال تعالى : ﴿ و نحشرهم ﴾ بنون العظمة أى نجمعهم بكره ﴿ يوم القيٰمة ﴾ أى الذى هو محط الحكمة ﴿ على وجوههم ﴾ يمشون أو مسحوبين عليها إهانة لهم فيها كما لم يذلوها بالسجود لنا ﴿ عميا و بكما و صما ﴾ كما كانوا فى الدنيا لا ينتفعون بأبصارهم و لا نطقهم و لا أسماعهم ، بل يكون ضررا عليهم لما ينظرون [4]من المعاطب ، و يسمعون من المصائب ، و ينطقون به من المعايب ؛ قال الرازى فى اللوامع : إذ[5] يحشر المرء[6] على ما مات عليه ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : احد (٢-٢) فى ظ : الشى (٣) فى ظ : حـال .
(٤) و من هنا استأنفت نسخة مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » .
(٦) سقط من ظ .

فلم يكن له فى الآخرة شيء إلا حصل أوله و مبدأه فى الدنيا و تمامه فى الآخرة - انتهى .

و لما كان المقام للانتقال من مقام إلى آخر ، قدم البصر لأنه[1] العمدة فى ذلك ، و ثنى بالنطق [لأنه يمكن -[2]] الأعمى الاسترشاد ، و ختم بالسمع لأنه يمكن معه [وحده -[2]] نوع رشاد ، و عطفها بالواو إن كان ٥ لتشريك الكل فى كل من الأوصاف فللتهويل ، لأن المتكلم إذا نطق بالعاطف ظن السامع [الانتقال -[2]] إلى شيء آخر ، فاذا أتى بالوصف كان أروع للعلم بأن صاحبه عريق فيه ، لما تقدم فى براءة ، و إن كان للتنويع فلتصويرهم بأقبح صورة من حيث أنه لا ينتفع فريق منهم بالآخر كبير[3] نفع . فكأنه قيل : إلى أىّ مكان يحشرون ؟ فقال تعالى : ١٠ ﴿ ماوٰىهم جهنم[4] ﴾ تستعر عليهم و تتجهمهم[4] ، كل واحد [منهم -[2]] يقاسى عذابها وحده و إن كان وجهه إلى وجه صاحبه ، لأنه لا يدرك سوى العذاب للختم على مشاعره ، فيا طولها من غربة ! و يا لها من كربة ! فكأنه قيل : هل يفتر عنهم عذابها ؟ فقيل : لا ! بل هم كل ساعة فى زياده ، لأنها ﴿ كلما خبت ﴾ [أى -[2]] أخذ لهبها فى السكون عند إنضاجها لجلودهم ١٥ ﴿ زدنٰهم ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ سعيرا ٥ ﴾ باعادة الجلود ؛ ثم بين علة تعذيبهم ليرجع منهم من قضى بسعادته فقال تعالى : ﴿ ذٰلك ﴾ أى العذاب[5] العظيم ﴿ جزآؤهم بانهم ﴾ أهل الضلالة ﴿ كفروا بايٰتنا ﴾

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لان (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كثير (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تتجهم .
(٥) تكرر فى الأصل فقط .

القرآنية و غيرها . مع[1] ما لها من العظمة بنسبتها إلينا ، و كانوا كل يوم يزدادون كفرا ، و هم عازمون على الدوام [على ذلك -[2]] ما بقوا ﴿و قالوا﴾ إنكارا لقدرتنا ﴿ء اذا كنا عظاما و رفاتا﴾ ممزقين فى الأرض : [ثم -[2]] كرروا الإنكار كأنهم[3] على ثقة من أمرهم هذا الذى بطلانه أوضح من الشمس بقولهم : ﴿ء انا لمبعوثون﴾ أى ثابت بعثنا ﴿خلقا جديدا ء﴾ فنحن نريهم جزاء على هذا الإنكار [المكرر الخلقَ الجديد فى جلودهم مكررا كل لحظة " كلما نضجت جلودهم بدلنهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب[4] " ثم اتبعه بقاطع فى بيان جهلهم فقال منبها على أنهم أولى بالإنكار -[2]] عاطفا على ما تقديره : ألم يروا أن [الله -[2]] الذى ابتدأ خلقهم قادر على أن يعيدهم ﴿او لم يروا﴾ أى يعلموا بعيون بصائرهم علما هو كالرؤية بعيون أبصارهم لما قام عليه من الدلائل ، و نادى / بصحته من الشواهد الجلائل ﴿ان الله﴾ أى الملك الأعلى المحيط بكل شىء قدرة و علما لاغيره ﴿الذى خلق السمٰوٰت﴾ جمعها لما دل على ذلك من الحسن ، و لما لم يكن للأرض [مثل -[2]] ذلك أفردها مريدا الجنس[5] الصالح للجمع فقال تعالى : ﴿و الارض﴾ على كبر أجرامها ، و عظم[6] أحكامها ، و شدة أجزائها . و سعة أرجائها ، و كثرة ما فيها من المرافق و المعاون التى يمزقها و يفنيها ثم يجددها و يحييها ﴿قادر على[7] ان يخلق﴾ أى يجدد فى

/٣٣٩

(١) فى ظ : على (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هم (٤) راجع سورة ٤ آية ٥٦ (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: مرتبا للجنس (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عظيم .

أيّ وقت أراد ﴿مثلهم﴾ بدءاً فكيف بالإعادة و هم أضعف أمرا و أحقر شأنا ﴿و﴾ أنه ﴿ جعل لهم اجلا ﴾ لعذابهم أو[1] موتهم أو بعثهم لأنه معلوم فى نفسه ﴿ لا ريب فيه[2] ﴾ بوجه من الوجوه لما تكرر لهم من مشاهدة أنه[3] لاتؤخر نفس إذا جاء أجلها ، و كذا[3] لاتقدم على أجلها ، فكم ممن اجتهد الضراغمة الأبطال و فحول الرجال فى ضره أو[4] قتله ؛ و هم قاطعون أنه ٥ فى قبضتهم فلم يقدروا على ذلك ، ثم كان ذلك بأضعف الناس أو بأوهى[5] سبب فعلم بذلك أنه المنفرد بالقدرة على الإيجاد و الإعدام ﴿ فابى ﴾ أى بلى قد علموا ذلك علما كالمحسوس المرئى فتسبب عن ذلك السبب للايمان أن أبوا - هكذا كان الأصل فأظهر تعميما و تعليقا بالوصف [فقال -[5]] : ﴿الظلمون﴾ أى أبى هؤلاء المتعنتون لظلمهم ﴿ الا كفورا ﴾ ١٠ أى جحودا[6] لعدم الشركة .

و لما قدم فى هذه السورة أنه هو المعطى و أن عطاءه الجم - الذى فات الحصر ، و فضل عن الحاجة ، و قامت به الحجة على العباد فى تمام قدرته و كمال علمه - غير محظور عن أحد ، و أنهم يقتلون أولادهم مع ذلك خشية الإملاق ، و هم يطلبون أن يظهر لهم من جنس ما خلق من ١٥ الينابيع و الجنات و الذهب و الزخرف على كيفيات مخصوصة لغير حاجة ما تقدم ذكره ، و قد امتنعوا بخلا و أنفة[7] و جهلا عن الاعتراف له بما أوجبه عليهم شكرا لنعمته ، و استدفاعا لنقمته ، بعد قيام الدلائل و زوال

---

(١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل « و » (٢) من ظ و م ومد ، وفى الأصل: انها (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ « و » (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و الأصل : جحود (٧) فى ظ : نفقة .

الشبه[1] . فلا أبخل[2] منهم لأنهم بخلوا مما يجب عليهم من الكلام كما قال النبي صلى الله عليه و على آله و سلم : أبخل الناس من بخل بالسلام[3] . أمره أن ينبههم على سفههم فى ذلك بقوله تعالى : ﴿ قل لو ﴾ .

و لما كان من حق 'لو' الدخول على الأفعال ، علم أن بعدها فعلا[4] من جنس ما بعد تقديره : تملكون . و لكنه حذفه و فصل[5] الضمير لأن المقصود الحكم عليهم بادئ بدء فقال تعالى : ﴿ انتم ﴾ أى دون غيركم ﴿ تملكون خزآئن ﴾ عبر بصيغة منتهى الجموع ، لأن المقام جدير بالمبالغة ﴿ رحمة ﴾ أى إرزاق و إكرام ﴿ ربى ﴾ المحسن إلىّ بايتائى جميع ما ثبت أمرى و أوضحه ، و هى مقدوراته التى يرحم بها عباده باضافتها[6] عليهم ﴿ اذا لامسكتم ﴾ أى لوقع منكم الإمساك عن الإنفاق[7] فى بعض الوجوه التى تحتاجونها ﴿ خشية ﴾ عاقبة ﴿ الانفاق[8] ﴾ أى الموصل إلى الفقر ، ثم استدل على صحة هذا المفروض بالمشاهد من مضمون قوله تعالى : ﴿ و كان ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ الانسان ﴾ أى الذى من شأنه [الإنس - [9]] بنفسه ، فهو لذلك لا يعقل الأمور حق عقلها ﴿ قتورا ع ﴾ أى بخيلا ممسكا غاية الإمساك لإمكان أن يكون فقيرا فلا تراه إلا مضيقا [فى النفقة - [9]] على نفسه ، و من

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الشك (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بخل (٣) راجع معناه فى مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/٣٢٨ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صقلا - كذا (٥) فى مد : صفلا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بافاضلها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الامساك . (٨) زيد من ظ و م و مد .

تلزمه نفقته ، شديدا فى[1] ذلك [و إن -[2]] اتسعت أحواله ، و زادت على الحد[3] أمواله ، لما فيه من صفة النقص اللازمة [بلزوم -[2]] الحاجة له ، طبع على ذلك فهو فى غريزته بالقوة ، فكلهم يفعله إلا من وفقه الله تعالى فغلب عقله على هواه و قليل[4] ما هم ! أى فاذا كان هذا أمركم فيما تملكونه[5] مع الحاجة إلى الوجوه المنفق فيها فكيف تطلبون من النبى ٥ صلى الله عليه و على آله و سلم ما لا يملكه ، و لا ادعى القدرة عليه ؟ أو من الخالق الحكيم أن يفعل ما تتعنتون به عبثا بغير[6] حاجة أصلا ، لأنه إن كان / لإثبات قدرته فأنتم لا تمترون فيها ، و إن كان لإثبات رسالة / ٣٤٠ نبيكم فقد ثبت بأمور أعظمها هذا القرآن الذى مر آنفا إقامة الدليل عليها به ، و هتك أستار شبهتكم فى استبعاد كون الرسول بشرا ، و الله تعالى ١٠ قد أكرمكم بنبيكم عن أن يعاجلكم بالاستئصال عند العصيان بعد كشف الغطاء كما جرت به سنته فى جميع الأمم ، و إن كان لإثبات غناكم فهو شىء لا يغنى نفوسكم فيردها عن طلب المزيد و عن التقتير لما طبعتم عليه ، بل تكونون[7] عند حصول ذلك لكم لحصول الغنى كالمستجير من الرمضاء بالنار ، و هو قد قضى أنه يظهر أمره على كل من ناواه ١٥ و إن كره الكافرون ، و قد علم من يؤمن فييسر[8] له الإيمان و يجعله

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فمن (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤) من م و مد ، و فى الأصل : جليل ، و فى ظ : قيل (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يملكونه (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لغير . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يكونون (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيسير .

عونا لحزب الرحمن ، و من لا يؤمن [1] فهو يجعله مع[1] اولياء الشيطان ، و يذيق[2] الكل الهوان ، و يجعلهم[3] وقودا للنيران ، فلم يبق بعد هذا كله فى إجابتكم إلى تعنتكم إلا العبث[4] الذى هو سبحانه متعال عنه ، فلا وجه يحصل به الإنسان الغنى إلا اتباع السنة و الانسلاخ عن الهوى ، فمن ٥ وصل إلى ذلك استوى عنده الذهب و الحصباء .

و لما قدم سبحانه أن أكثر الناس جحد الآيات لكونه حكم بضلاله[5] ، و من حكم بضلاله[6] لا يمكن هداه ، و ختم بأن من جبل على شىء لم ينفك عنه ، شرع يسلى[7] نبيه عليه الصلاة و السلام بما اتفق لمن قبله من إخوانه[8] الأنبياء ، مع التنبيه على أنه يجود بالآيات على حسب ١٠ المقتضيات ، و على أن خوارق العادات لا تنفع فى إيمان من حكم عليه بالضلال ، و توجب[9] - كما سنه الله - إهلاك من عصى بعد ذلك بعذاب الاستئصال ، فقال عاطفا على قوله "و لقد صرفنا للناس": ﴿و لقد آتينا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ موسى ﴾ ابن عمران المتقى المحسن عليه السلام لما أرسلناه إلى فرعون ﴿ تسع آيٰت بينٰت﴾ و هى - كما فى التوراة: ١٥ العصى ، ثم الدم ، ثم الضفادع ، ثم القمل ، ثم موت البهائم ، ثم البرد

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل : فيجعله مع ، و فى ظ : فهو مع (٢) فى ظ : نذيق (٣) فى ظ : نجعلهم (٤) فى ظ : البعث (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لضلالهم (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لضاله (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يسيل (٨) فى ظ : اخواننا (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يوجب .

الكبار التى أنزلها الله مع النار المضطرمة ، فكانت تهلك كل ما مرت[1] عليه من نبات و حيوان ، ثم الجراد ، ثم الظلمة ، ثم موت الأبكار من الآدميين و جميع الحيوان - كما مضى [ذلك - ٢] فى[3] هذا الكتاب عن التوراة فى سورة الأعراف[4] ، و كأنه عد[5] اليد مع العصى آية ، ولم يفرد اليد لأنه ليس فيها ضرر[6] عليهم ، و قد نظمتها ليهون حفظها فقلت :

عصى قمل موت البهائم ظلمة جراد دم ثم الضفادع و البرد
و موت بكور الآدمى و غيره من الحىّ آتاها الذى عز و انفرد

و هى ملخصة فى الزبور فانه قال فى المزمور السابع و السبعين[7] : صنع آياته و عجائبه فى مصارع صاعان ، و جعل أنهارهم دما و صهاريجهم لكيلا يشربوا الماء ، أرسل عليهم الهوام و ذباب الكلاب فأكلهم[8] الضفادع و أفسدهم ، أطعم[9] القمل ثمارهم و الجراد كدهم ، كسر بالبرد كرومهم . و بالجليد تبنهم ، أسلم للبرد[10] مواشيهم و للحريق أموالهم ، أرسل عليهم شدة حنقه سخطا و غضبا ، أرسل ملائكة الشر ، فتح طرق سخطه ، و لم يخلص من الموت أنفسهم ،

(١) فى ظ : امرت (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ : عن (٤) راجع نظم الدرر ٨/٤٥ و ما بعدها (٥) زيد بعده فى الأصل : مع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شى برز - كذا (٧) عندنا : الثامن و السبعين ، و تطرد هذه الزيادة فيما يأتى أيضا كما أسلفنا التنبيه عليه ، و راجع الآية ٤٣ فما بعدها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاحملهم . (٩) سقط من مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالبرد .

أسلم للموت دوابهم ، قتل جميع أبكار مصر و أول أولادهم فى مساكن حام .
و قال فى المزمور الرابع بعد المائة [بعد-[1]] أن ذكر صنائع الله عند بنى
/٣٤١ إسراءيل و آبائهم[2] / : بعث جوعا على الأرض ، حطم زرع أرضهم ، أرسل
أمامهم [رجلا -[1]] ، بيع يوسف للعبودية ، و أوثقوا بالقيود رجليه ،
٥ صارت [نفسه -[1]] فى الحديد حتى جاءت كلمته ، و قول الرب ابتلاه ،
أرسل الملك فأطلقه ، و جعله رئيسا على شعبه ، و أقامه ربا على بنيه ،
و سلطانه على كل ما له ، ليؤدب أراجينه كنفسه و يفقه[3] مشايخه ، دخل
إسراءيل مصر ، و تغرب يعقوب فى أرض حام ، و كثر شعبه جدا ،
و علا على أعدائه ، صرف[4] قلبه ليبغض شعبه و يغدر بعبيده ، أرسل موسى
١٠ عبده و هارون صفيه ، فصنعا[5] فيهم آياته و عجائبه فى أرض حام ، بعث
ظلمة فصار ليلا ، و أسخطوا كلامه ، فحول مياههم دما ، و أمات حيتانهم ،
و انبعثت[6] أرضهم ضفادع فى قياطين[7] ملوكهم ، أمر الهوام فجاء و ذباب
الكلب و القمل فى جميع تخومهم ، جعل أمطارهم بردا[8] ، و اشتعلت النار فى
ارضهم ، ضرب كرومهم و تينهم ، و كسر شجر تخومهم ، أذن للجراد فجاء
١٥ و ذباب لا يحصى ، فأكل جميع عشب الأرض و ثمارها ، و قتل كل أبكار
مصر و أول ولد [ولد -[1]] لهم غير أنه لم يذكر العصى ، و كأن ذلك لشهرتها

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) راجع آية ١٦ فما بعدها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: بفيفه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فترك (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فصنع (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انبعث . (٧) جمع قيطون : المخدع (٨) من م و مد، و فى الأصل: برد، و فى ظ : قطرا ،

جدا عندهم ، و لأن جميع الآيات كانت بها ، فهى فى الحقيقة الآية الجامعة للكل ، و إنما قلت : إن الآيات هذه ، لأن السياق [يدل -[1]] على أن فرعون رآها كلها ، و عاند بعد رؤيتها ، و ذلك إشارة إلى أنه لو أعطى كفار قريش ما اقترحوه من تفجير الينبوع و ما [معه -[1]] ، لم يكفهم عن العناد ، فالإتيان به عبث لا مصلحة فيه : ٥

و لما كان اليهود الذين أمروا قريشا بسؤال النبى صلى الله عليه و على آله و سلم عن الروح التى مضى الجواب عنها - كما فى بعض الروايات - و عن أهل الكهف و[2] ذى القرنين الآتى [3]شرح قصتيهما[3] فى الكهف ، نبههم على سؤالهم - إن كانوا يقبلون كلامهم - عن أمر موسى عليه السلام فى كونه كهذا[4] النبى الكريم فى أنه بشر مع كونه رسولا ١٠ [و فى كونه -[1]] أتى بالخوارق فكذب بها المعاندون فاستوصل المكذب ، فقال تعالى : ﴿فسئل﴾ أى يا أعظم خلقنا ! ﴿بنى اسرآءيل﴾ أى عامة الذين نبهوا قريشا على أمر الروح عن حديث موسى عليه السلام أو المؤمنين كعبد الله بن سلام و أصحابه ﴿اذ﴾ أى عن ذلك حين ﴿جآءهم﴾ أى جاء آباءهم ، فوقع له من التكذيب[5] بعد إظهار المعجزات الباهرات ١٥ ما وقع لك ؛ و لم يكذب[6] لخلل من أمره و لا لقوة من عدوه على مدافعة

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد بعده فى الأصل و ظ : عن ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣ - ٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بشرح قضيتها . (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهذا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثم تكذب .

العذاب ، و إنما كان جهـــلا و عنادا ، ليكون [ذلك -[1]] مسلاة لك و علما على خبث طباعهم و حجة قاطعة عليهم ﴿ فقال ﴾ أى فذهب إلى فرعون فأمره بارسالهم معه فأبى فأظهر له الآيات واحدة بعد أخرى ، فتسبب عن ذلك ضد ما يقتضيه الحال ، و هو أن قال ﴿ له[2] فرعون ﴾ عتوا و استكبارا : ﴿انى لاظنك﴾ أكدقوله لما أظهر موسى عليه السلام مما يوجب الإذعان له و الإيمان و الإنكار لأن يكذبه أحد ﴿يٰموسى مسحوراه﴾ أى فكل ما ينشأ عنك فهو من آثار السحر الذى بك ، خيال لا حقيقة له ، و أنت فى الحقيقـــة مسحور ، و لوجود السحر عنك ساحر ، قال أبو عبيد : كما يقال : ميمون - بمعنى يأمن . و كأنه موه[3] على جنوده لما أراهم[4] آية اليد بهذه الشبهة ، و هذا كما قالت قريش " ان تتبعون الا رجلا مسحورا[5] " و قالوا[6] فى موضع آخر : ساحر[7] ، فانهم[8] ربما أطلقوا اسم المفعول مريدين اسم الفاعل مبالغة فى أنه كالمجبر على الفعل ، و فى الأمر بسؤال اليهود[9] تنبيه على ضلالهم[10] ، قال الشيخ ولى الدين الملوى[11] : و لعل منه اقتباس الأئمة فى المناظرة مطالبة اليهود و النصارى و نحوهم باثبات نبوة أنبيائهم ، فكل طريق يسلكون يسلك مثله فى تقرير

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) ليس فى الأصل فقط (٣) فى ظ : موهمهم . (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : راهم (٥) سورة ٢٥ آية ٤٧ (٦) فى ظ : قال (٧) راجع آية ٤ من سورة ٣٨ (٨) فى ظ : لانهم (٩) تكرر فى الأصل فقط (١٠) فى مد : اضلالهم (١١) هو محمد بن أحمد بن عثمان العثمانى الديباجى الملوى أبو عبد الله فقيه صوفى مفسر نحوى توفى سنة ٧٧٤ هـ - راجع معجم المؤلفين ٨ / ٢٨٩ .

نبوة محمد صلى / الله عليه و على آله و سلم ، و كل اعتراض يوردونه يورد / ٣٤٢
عليهم مثله ، و ما كان جوابا [لهم فهو جواب لنا ، و من تفطن للآية
الكريمة رأى منها العجب فى ذلك - انتهى -[1]] و لم يؤمن فرعون على تواتر
تلك الآيات و عظمها ، فكأنه قيل : فما قال موسى عليه السلام ؟ فقيل :
﴿قال﴾ لفرعون : ﴿لقد علمت﴾ أى أنا - بضم التاء على قراءة الكسائى و
ليفيد أن عنده[2] العلم القطعى بأن ما أتى[3] به منزل من ربه ، فهو أعقل أهل
ذلك الزمان و ليس على ما ادعاه فرعون ، أو بفتح التاء - على قراءة الباقين
أى أنك يا فرعون صرت بما أظهرته أنا من الأدلة فى عداد من يعلم أنه
﴿ما أنزل﴾ على يدى ﴿هؤلاء﴾ الآيات ﴿الا رب السموت و الارض﴾
أى خالقها و مدبرهما حال كون هذه الآيات ﴿بصآئر﴾ أى ١٠
بينات ثابتا أمرها عليا قدرها ، [4]يبصربها[4] صدق ، و أما السحر
فانه لا يخفى على أحد[5] أنه خيال لا حقيقة له ﴿و انى﴾ أى و إن ظننتنى
يا فرعون مسحورا ﴿لاظنك﴾ أكد لما كان مع فرعون من ينكر قوله[6]
و يظهر القطع بسعادة فرعون ﴿يفرعون مثبورا﴾ أى ملعونا مطرودا
مغلوبا[7] مهلكا ممنوعا من الخير فاسد العقل ، و ظنى قريب إلى الصحة ١٥
بخلاف ظنك لعنادك لرب العالمين ، لوضوح مكابرتك للبصائر التى كشف
عنها و بها الغطاء ، فهى أوضح من الشمس ، و ذلك لإخلادك إلى الحال

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عندهم (٣) فى ظ : اوتى (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يبصرها .
(٥) سقط من ظ (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) فى مد : مقلوبا .

التى أنت بها و كسلك عن الانتقال عنها إلى ما هو أشرف منها ؛ و قد بينت مدار[1] 'ثبر' فى "لاتثريب" فى سورة يوسف عليه السلام[2] ، فاذا راجعتها اتضح لك ما أشرت[3] إليه ﴿ فاراد ﴾ أى فما تسبب عن هذا الذى هو موجب[4] الإيمان فى العادة إلا أن فرعون أراد ﴿ان يستفزهم﴾ أى يستخف موسى و من آمن[5] معه و يخرجهم فيكونوا كالماء إذا سال، من قولهم: فز الجرح: سال ﴿ من الارض ﴾[6] بالنفى و القتل للتمكن[7] من استعباد[8] الباقين كما أراد هؤلاء أن يستفزوك من الأرض ليخرجوك منها للتمكن مما هم[9] عليه من الكفر و العناد ؛ ثم أخذ يحذرهم سطواته بما فعل بمن كانوا أكثر منهم و أشد فقال: ﴿ فاغرقنه ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن رددنا - بما لنا من العظمة - كيده فى نحره: فلم نقدره[10] على مراده و استفززناه نحن فلم يقدر[11] على الامتناع، بل خف غير عالم بما نريد[12] به حتى أدخلناه فى البحر حيث أدخلنا بنى إسراءيل فأنجيناهم و أغرقناه ﴿و من معه جميعا﴾ كما جرت به سنتنا فيمن عاند بعد أن

(١) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : مادة (٢) آية ٩٢ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اثرت (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يوجب (٥) سقط من ظ (٦) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للتمكن (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : استبعاد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هو (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلم يقدره (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلم نقدر (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يريد .

رأى الخوارق و كفر النعمة و أفرط (١في البغي١) بعد ظهور الحق . فليحذر هؤلاء مثل ذلك و لاسيما إذا أخرجنا رسولنا من بين ظهرانيهم ، ففي هذه الآية و أمثالها بشارة له باسلاكنا(٢) له في النصرة و التمكن سبيل إخوانه من الرسل عليهم السلام ﴿ و قلنا ﴾ أي بما لنا من العظمة التي لا يتعاظمها شيء .

و لما كان هذا القول غير مستغرق لزمان البعد ، أثبت الجار فقال تعالى : ﴿ من بعده ﴾ أي الإغراق ﴿ لبني اسرآءيل ﴾ الذين كانوا تحت يده أذل من العبيد لتقواهم و إحسانهم : ﴿ اسكنو الارض ﴾ أي مطلق الأرض - إشارة إلى أن فرعون كان يريد محوهم(٣) عن الأرض أو(٤) إلى أن سكناهم مع وجوده كانت عدما ، لما بهم من الذل - و الأرض التي أراد أن يستفزهم منها ، و هي أرض مصر ، أي صيروا بحيث تسكنونها لا يد لأحد عليكم ، و لامانع لكم مما تريدون منها ، كما كان فرعون و جنوده إذا شئتم ملكين فيها بعد أن كنتم عبيدا تسامون سوء العذاب ﴿ فاذا جآء ﴾ أي مجيئا محققا ﴿ وعد الأخرة ﴾ أي القيامة بعد أن سكنتم الأرض أحياء و دفنتم فيها أمواتا ﴿ جئنا ﴾ أي بما لنا / من العظمة ﴿ بكم ﴾ ٣٤٣ / منها ﴿ لفيفا ﴾ أي بعثناكم و إياهم مختلطين ، لا حكم لأحد على آخر ، و لادفع لأحد عن آخر على غير الحالة التي كانت في الدنيا ، ثم ميزنا

(١-١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : النعمة (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : باسلاكا (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : نحوهم (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل « و » .

بعضكم عن بعض ، و نعمنا الطيب منكم باهانة الخبيث ، إن يسأل بنو إسراءيل - الذين يقبل[1] هؤلاء المشركون[2] الجهلة كلامهم و يستنصحونهم[3] فى أمورهم - عن هذا الذى تلوناه عليك يخبروا به كما أخبرناك ، فيثبت حينئذ عندهم أمر الآخرة ، و إلا كان قبولهم لبعض كلامهم دون بعض بغير دليل تحكما و ترجيحا من غير مرجح .

و لما [ثبت -[4]] أمر الحشر باثبات القدرة على كل ممكن تارة ، و باخبار بنى إسراءيل الذين ألزموا أنفسهم قبول كلامهم و قطع المفاوز إليهم لسؤالهم عن بعض الأمور أخرى ، ثبت أن هذا القرآن المخبر بذلك حق ، و كانوا قد سألوه عن المسائل المذكورة فأجابهم عن أولها - و هى الروح - بأمر مجمل و عقبه[5] بأنهم سألوه فى أشياء اقترحوها و قالوا : لن نؤمن لك حتى تفعلها ، و أشار [تعالى -[6]] بالإخبار عن آيات موسى عليه السلام إلى أنه لم يترك إجابتهم بخلا و لا عجزا ، فانها من جنس ما سألوا من التصرف[7] فى المياه تارة بانزالها و تارة بتبديلها دما الموجب للقدرة على إنبات الأشجار بها ، و من إسقاط السماء كسفا باسقاط البرد المهلك ، [8]فثبت بذلك[8] صحة الإخبار بتصريف الأمثال فى هذا الكتاب ،

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : مثل (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المشركين (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يستصحبونهم (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عقبهم (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى مد : المقترف (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيثبت ذلك .

فعطف

فعطف على قوله "و لقد صرفنا" قوله تعالى: ﴿و بالحق﴾ أى من المعانى الثابتة التى لا مرية [فيها -[1]] لا بغيره ﴿انزلنه﴾ نحن أى القرآن أو هذا الذى أخبر منه بالحشر لبنى اسراءيل ملتفين بالقبط و بما قبله على ما لنا من العظمة ﴿و بالحق﴾ لابغيره ﴿نزل[1]﴾ هو و وصل إليهم على لسانك[2] بعد إنزاله عليك كما أنزلنا سواه غضا طريا محفوظا لم يطرأ عليه طارئ، فليس ٥ فيه شيء من تحريف و لا تبديل كما وقع فى كتاب اليهود الذين يسألهم قومك، فأفاد هذا أن القرآن معجز بكونه[3] مع إعجازه بالبلاغة فى تصريف الأمثال، و غيرها من نظم المقال ﴿و ما ارسلنك﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿الامبشرا و نذيرا﴾ على غاية التمكن فى كل من الوصفين - بما[4] أشار إليه الواو و الصيغة، تبلغهم ما[5] فيه من بشارة لمن آمن بذلك اليوم، ١٠ و نذارة لمن لم يؤمن به، فان قبلوا فهو حظهم، و إن لم يقبلوا كان عليهم وزرهم، و لم يكن عليك لوم، فانا ما أرسلناك عليهم وكيلا، و سنزهق باطلهم بهذا الحق لامحالة، فلا تستعجل لهم "ان الباطل كان زهوقا" و لم نرسلك لتفجير [الأنهار -[1]] و لا إنبات الأشجار؛ ثم أخبر أن الحكمة فى إنزال القرآن منجما فقال تعالى: ﴿و قرانا﴾ أى ١٥ و فصلنا أو و أنزلنا قرآنا ﴿فرقنه﴾ أى أنزلناه[6] منجما فى أوقات

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ: احسانك (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لكونه (٤) فى ظ: كما (٥) زيد فى الأصل و ظ: هم، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) من م و مد، و فى الأصل وظ: انزلنا.

متطاولة و ميزناه[1] بالحقيقة عن كل باطل ، و بالإعجاز عن كل كلام ﴿ لتقراه على الناس ﴾ أى عامة كل من أمكنك منهم ، فانك مرسل إليهم كلهم .

و لما كانوا لما لهم من النوس فى غاية الزلزلة ، لا يتهذبون [إلا -[2]] فى أزمان طويلة و علاج كبير ، قال مشيرا إلى ذلك : ﴿ على مكث ﴾ أى تؤدة و ترسل بأن تقرأ منه كل نجم فى وقته [الذى أنزلناه فيه -[2]] فى مدة[3] ثلاث و عشرين سنة ﴿ و نزلنه ﴾ من عندنا بما لنا من العظمة ﴿ تنزيلا ﴾ بعضه فى إثر بعض ، مفرقا بحسب الوقائع لأنه أتقن فى فصلها ، و أعون على ألفهم لطول التأمل لما نزل من نجومه فى مدة ما بين النجمين لغزارة ما فيه من المعانى ، و كثرة ما تضمنه من الحكم ، و ذلك أيضا أقرب للحفظ ، و أعظم تثبيتا للفؤاد ، و أشرح للصدر ، لأن أخبار الحبيب إذا كانت متواصلة كان المحب[4] كل يوم فى[5] عيد ، بهناه[6] جديد[7] . فعلنا بك ذلك لما[8] / تقدم من أن الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون ، فلما طالت الدلائل ، و زالت الشبه[9] ، و علم أن الحظ لمن أقبل . و الخيبة لمن أدبر ، أمره أن يقول منبها لهم على ذلك

/ ٣٤٤

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نزلناه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مرة (٤) زيد فى ظ : فى (٥) سقط من م (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هنا (٧) فى ظ : جيد (٨) سقط من ظ ، و زيد فيه و فى الأصل : من ان ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الشبهة .

مبكتا[1] لهم بتقاعسهم عنه و عنادهم فيه بقوله تعالى: ﴿ قل آمنوا به ﴾ أى القرآن[2] ﴿ او لا تؤمنوا ﴾ فالإيمان به غير محتاج إليكم ولا موقوف عليكم لأنكم إن آمنتم به كان الحظ لكم، و إلا لم تضروا إلا أنفسكم، و هو احتقار لهم حيث صرف لهم من كل مثل فأبوا إلا كفورا، ثم علل ذلك بما [يقبل -[3]] بكل ذى لب إليه، فان كان ٥ لـ « قل » فهو تسلية له صلى الله عليه وعلى آله وسلم، و إن كان لما بعدها فهو تبكيت [لهم -[3]] و تحقير، فقال تعالى: ﴿ ان الذين اوتوا العلم ﴾ و بنى للمفعول دلالة على [أن -[4]] العلم الربانى - و هو العلم فى الحقيقة - من أىّ مؤتٍ كان، حاث على الإيمان بهذا[5] القرآن، و تنبيها على أن من كان يعلم - [ولا يحمله علمه على الإيمان بهذا الكتاب -[4]] الذى ١٠ لا شىء أبين من حقيقته بمصادقته لكتب الأنبياء الذين ثبتت رسالاتهم و مضت عليها الدهور، و اطمأنت بها النفوس، و زيادته عليها بما أودعه الله من الإعجاز و الحكم - فعلمه كلا[6] علم بل هو أجهل الجهلة، سواء كان ممن سألتموه عنى أو من غيرهم - كما سيأتى إن شاء الله تعالى تحقيقه فى الزمر.

و لما كان المراد [أن -[4]] من اتصف بهذا الوصف و لو زمنا ١٥ يسيرا نفعه، أدخل الجار فقال مرغبا فى العلم ليحمل على الإيمان بالقرآن: ﴿ من قبله ﴾ أى قبل إنزاله ممن آمن من [بنى -[3]] إسرائيل

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مبتكا (٢) زيد فى الأصل: العظيم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من م و مد (٥ - ٥) ما بين الرقمين متكرر فى الأصل و ظ، و ليس فيهما « مؤت ».
(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بلا.

الذين أمرني[1] الله [بسؤالهم -[2]] تسميعا لكم و تثبيتا لكونكم أقبلتم عليهم بالسؤال و جعلتموهم محط الوثوق: ﴿اذا يتلى﴾ أى من أىّ تالٍ كان ﴿عليهم﴾ فى وقت من الأوقات، ينقلهم من حال إلى حال، فيرقيهم فى مدارج القرب و معارج الكمال، إلى أعلى الرتب، بأنهم ﴿يخرون﴾ أى يسقطون بسرعة؛ و أكد السرعة و أفاد الاختصاص بقوله تعالى: ﴿للاذقان﴾ باللام دون إلى [3]أو على[3]، دالا بالأذقان على أنهم من شدة ما يحصل لهم من الخشوع يسقطون سقوط[4] من ليس له اختيار، و أول ما يلاقى الأرض ممن يسقط كذلك[5] ذقنه، و هو مجتمع اللحيين من منبت لحيته - فان الإنسان مجبول بالطبع على صيانة وجهه، فهو[6] يرفع رأسه فتصير[7] ذقنه و فمه[8] أقرب ما فى وجهه إلى الأرض حال السقوط، و لهذا قال شاعرهم: خر سريعا لليدين و للفم[9].

ثم بين أن ذلك ليس سقوطا اضطراريا من كل جهة[10] بقوله تعالى: ﴿سجدا﴾ أى يفعلون ذلك لما يعلمون من حقيته[11] بما أوتوا من العلم السالف[12]، و ما فى قلوبهم من الإذعان، و الخشية للرحمن ﴿و يقولون﴾ أى [على -[13]] وجه التحديد المستمر: ﴿سبحن ربنآ﴾ أى تنزه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امرك (٢) زيد من م و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لذلك (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فانه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيصير (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: راسه (٩) من ظ و م و مد و الكشاف / ٥٦٢، و فى الأصل: الفم (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: وجهة (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حقية (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: السالك (١٣) زيد من ظ و م و مد.

الموجد لنا ، المدبر لأمورنا ، المحسن إلينا ، عن شوائب النقص ، لأنه وعد على ألسنة رسلنا أن يبعثنا بعد الموت و وعده الحق ، فلا بد أن يكون ، و وعد أن يأتى بهذا الكتاب على لسان هذا النبي العربى ، و أوصل [هذا -[1]] الوعد إلينا فى الكتب السالفة فأنجز ما سبق به وعده ﴿ ان ﴾ أى إنه ﴿كان﴾ [[أى -[2]] كونا لاينفك[3] ﴿ وعد ربنا ﴾ أى المحسن إلينا ٥ بالإيمان ، و ما تبعه من وجوه العرفان ﴿لمفعولا﴾ دون خلف ، و لا بد أن يأتى جميع ما وعد به من الثواب و العقاب[4] . و هو تعريض بقريش حيث كانوا يستهزؤن بالوعيد فى قولهم "او تسقط / السماء كما زعمت علينا ٣٤٥ / كسفا" و نحوه مما معناه الطعن فى قدرة الله القادر على كل شىء ﴿و يخرون﴾ عند تكرار سماعه ﴿للاذقان﴾ مع سجودهم ﴿يبكون و يزيدهم﴾ تكراره ١٠ ﴿خشوعا السجدة﴾ أى خضوعا و تواضعا و إخباتا ، فان كان سؤالكم إياهم لتؤمنوا إذا أخبروكم أنى على الحق فآمنوا ، و إن كان لغير ذلك فقد تبين سفهكم و ضعف أمركم و سوء رأيكم ، و عبر فى البكاء بالفعل إشارة[5] إلى تجدده فى بعض الأحيان لما لهم فى بعضها من السرور ببعض[6] ما أبيح من الملاذ ، و فى السجود بالاسم إشارة إلى دوام ذلهم[7] بالسجود المشروع ، أو بمطلق ١٥ الخضوع[8] ، و سيأتى فى سورة [مريم -[1]] ما يزيده[9] وضوحا .

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : لا ينفعك (٤) فى مد : العذاب (٥) سقط من ظ (٦) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : بعض (٧) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : لهم (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الخشوع (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يزيدهم .

و لما كان إيمان أهل العلم الأول به و إذعانهم [له -[1]] و[2] تركهم لأديانهم - التى أخذوها عن الأنبياء الآتين إليهم بالكتب لأجله بعد إقامة الدليل القاطع على أنه من عند الله - موجبا لكل من له أدنى إنسانية أن يؤمن به و يقبل عليه و يدعو من[3] أنزله دون غيره دائما ، لا فى أوقات الشدة فقط " و اذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه " و كانت أوقات الإجابة أولى بالدعاء من غيرها ، و كانت حالة السجود لا سيما مع البكاء و الخشوع أولاها ، أقرب ما يكون [العبد -[1]] من ربه و هو ساجد ، كان المعاندون[4] من العرب كأنهم قالوا لأن ذلك من شأنهم و من حقهم بعد ما قام من الأدلة : آمنا فعلّمنا كيف ندعو و بأىّ اسم نهتف ؟ و لما كان الجلالة هو الاسم الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى ، و كان قد ورد فى النحل من التنويه [به -[1]] ما لم يرد فى غيرها لما تقدم من الأسرار مع [أنه -[5]] عد فيها من النعم ما لم يعد فى غيرها ، و منها تعليم الإنسان البيان ، و ذلك أليق باسم الرحمن " الرحمن[6] علم القرآن " - الآيات ، و كانت الرحمة دنيوية و أخروية من الخالق و من الخلائق قد كررت فى هذه السورة ثمانى مرات " عسى ربكم ان يرحمكم " ، " جناح الذل من الرحمة " ،

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : او (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بمن (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العابدون . (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد و أول سورة الرحمن ، و فى الأصل و ظ : الرحيم .

"وقل رب ارحمهما"، "ابتغاء رحمة [من ربك"، "ربكم اعلم بكم ان شاء يرحمكم"، "انه كان بكم رحيما"، "الا رحمة من ربك"، "خزائن رحمة -[1] ربي" وكان ذلك ظاهرا في إرادة عمومها، فكان اسم الرحمن به أليق، وقع الجواب بقوله تعالى: ﴿قل ادعوا الله﴾ أي الملك الأعظم ذا[2] الجلال والإكرام في ذات إحاطته ﴿او ادعوا[3] الرحمن﴾ في معنى استغراقه بالرحمة، أي ٥ سموا - أي أوقعوا الدعاء مسمين في حال دعائكم - ربكم الذي سبحتموه في السجود بأيّ[4] اسم أردتم مما أذن فيه، فاهتفوا بهذا الاسم الدال على الجلال، و استحقاق مسماه الدعاء لذاته، أو بهذا الاسم الدال على الجمال و استحقاقه الدعاء لإنعامه، مطلقا و في حالة[5] السجود ﴿ايا ما تدعوا﴾ أي به من أسمائه فقد حصلتم[6] به على القصد، فان المسمى واحد و إن تعددت ١٠ أسماؤه الدالة على الشرف. و لما كان [في -[7]] الرحمن جمال ظاهر في باطنه جلال، لأن عموم الرحمة لبعض نعمة، و [لبعض -[7]] استدراج [و -[1]] نقمة، فكان لذلك جامعا لجميع الأسماء الحسنى و الصفات العلى، سبب عن ذكر[8] كل من الاسمين: العلم الجامع، والوصف الواقع موقعه، قوله: ﴿فله﴾ أي[9] المسمى بهذين الاسمين[3] ١٥ وحده، و هو الواحد الأحد ﴿الاسماء الحسنى﴾ هذان الاسمان

---

(١) زيد من م و مد (٢) في ظ: ذو (٣) سقط من ظ (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: اى (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: حال (٦) في ظ: خلصتم (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) في ظ: ذلك (٩) تكرر في الأصل فقط.

وغيرهما مما ورد عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهو دال[1] على التحميد [والتمجيد -[2]] والتقديس والتعظيم ، فهذا الضمير استخدام ، وقد تضمن هذا القول أن معنى اسم الرحمن أشمل من اسم الرحيم وإن كان بناء كل منهما[3] للمبالغة ؛ قال الإمام أبو الحسن / الحرالي رحمه الله في شرحه ٣٤٦/
٥ للأسماء الحسنى : الرحمانية استغراق الخلق بالرحمة في إنشائهم ، والرحيمية إجراء[4] الخلق على ما يوافق حسهم ويلائم خَلقهم[5] وخُلقهم[5] ومقصد أفئدتهم ، فاذا اختص ذلك[6] بالبعض كان رحيمية ، وإذا استغرق كان رحمانية ، ولاستغراق معنى [اسم -[7]] الرحمن لم يكن لتمام معناه وجود في الخلق ، فلم يجر بحق على أحد منهم ، وإنما يوجد فيهم حظ
١٥ خاص من معناه يجرى عليهم به اسم الرحيم لا اسم الرحمن ، فلذلك لحق اسم الرحمن في معنى استغراقه باسم الله في ذات إحاطته فقال تعالى " قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن " فاذا تحقق القلب اختصاصه بالله علما [8] كان أصلا للفظ به قولا فعلمت أنه لا رحمن إلا الله كما أنه لا إله إلا الله[8] ، ولحق باسم الإله فقد علم فقد التمام لمعناه في الخلق
١٥ كما قد[9] فقد أصل علم الاعتبار من معناه في [8] اسم إله ، والتوحيد في[8] اسم الرحمن واجب لاحق بالفرض في توحيد الإله ، ولذلك ولى اسم الله في[10] موارده في الكتب وفي هذا التعديد[11] أي الوارد في

(١) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : وارد (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : منهم (٤) من ظ وم ومد ، وفي الأصل : احد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) زيد في مد : بالفعل (٧) زيد من م ومد (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) تكرر في الأصل فقط (١٠) في ظ : من (١١) من م ومد ، وفي الأصل : التقدير ، وفي ظ : التقليد .

حديث الترمذى و البزار و غيرهما من أسماء [الله - [1]] الحسنى عن أبى هريرة رضى الله عنه - انتهى . و قد مر فى آخر الحجر ما ينفع هنا.

و لما ذكر السجود و عقبه بالدعاء، أشار إلى أنه فى كل حالة حسن، و فى الصلاة أولى و أحسن، بعد أن ذكر قريبا الصلوات الخمس، و كان ربما فهم من قوله " ان قرآن الفجر كان مشهودا " و من قوله " اذا يتلى عليهم " قوة الجهر به قال تعالى: ﴿و لا تجهر بصلاتك﴾ أى بقراءتك فيها، أو سمى القراءة صلاة لأنها[2] شرط فيها جهرا قويا[3] حتى تسمعه المشركون، فان المخالفين قد عرف عنادهم فلا يؤمن سبهم للقرآن و لمن أنزله و لمن جاء به، بل كانوا يفعلون ذلك و يلغون[4]، و ربما صفقوا و صفروا ليغلطوا[5] النبى صلى الله عليه و على آله و سلم و يخلطوا عليه قراءته ﴿و لا تخافت﴾ أى تسر ﴿بها﴾ إسرارا بليغا كأنك تناظر فيه آخر بحيث لا تسمع[6] من وراءك[7] ليأخذوه عنك ﴿و ابتغ﴾ أى اطلب بغاية جهدك ﴿بين ذلك﴾ أى الجهر و المخافتة التى[8] أفهمت أداة البعد عظمة شأنهما ﴿سبيلا﴾ أى طريقا وسطا؛ روى البخارى فى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال: نزلت و رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم مختف[9] بمكة، كان[9] إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن،

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لانه (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قوما (٤) فى ظ: يلعنون (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ليغلط (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لايسمع (٧) زيد فى الأصل وظ: لياخذوك، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٨) يمكن كونها: اللتين - بحسب إرجاع الضمير (٩ - ٩) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: باصحابه كلما.

فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن و من أنزله و من جاء به فقال الله عز و جل لنبيه صلى الله عليه و على آله و سلم "و لا تجهر بصلاتك" أى بقراءتك ، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن "و لا تخافت [بها" -[1]] عن أصحابك فلا تسمعهم - انتهى . أطلق هنا اسم الكل على الجزء إشارة إلى أن المقصود الصلاة و فيما تقدم اسم الجزء على الكل لأن المقصود الأعظم هناك القراءة فى الفجر ، و روى البخارى[2] عن عائشة رضى الله عنها أن هذه الآية نزلت فى الدعاء ، و قد تقدم غير مرة أنه ليس ببدع أن يكون للشىء أسباب كثيرة .

و لما تقدم إحاطة هذين [الاسمين -[3]] ، أما الله فبجميع معانى الأسماء الحسنى ، و أما الرحمن فبالرحمانية . المأمور بالدعاء بهما كل مخاطب ، [خصه -[3]] صلى الله عليه و على آله و سلم بالأمر بالتحميد الذى معناه الإحاطة و اسمه صلى الله عليه و على آله و سلم مشتق منه لاتصافه [به -[3]] حامدا و محمودا ، و بالتكبير عن كل ما يفهمه العباد من أسمائه الحسنى فقال تعالى : ﴿و قل الحمد﴾ أى الإحاطة / بالأوصاف الحسنى ٣٤٧ / ﴿لله﴾ أى الملك الأعظم ﴿الذى لم يتخذ﴾ لكونه محيطا بالصفات الحسنى ﴿ولدا﴾ فان ذلك لايكون إلا للحاجة و بالحاجة و هى من أسوأ الأوصاف ﴿و لم يكن﴾ [أى يوجد بوجه من الوجوه -[3]] ﴿له شريك فى الملك﴾

(١) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم (٢) فى نفس الباب من التفسير .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) ما بين الرقمين ليس فى الأصل فقط .

[و لا ولد و لا غيره فان ذلك لا يكون إلا للعجز-[1]] ﴿[2]و لم يكن له[2] ولى﴾ ناصر أعم من أن يكون ذلك الناصر ولدا أو شريكا أو غيره ؛ ثم قيده واصفا بقوله تعالى: ﴿ من الذل ﴾ إفهاما بأن له أولياء جاد عليهم بالتقريب و جعلهم أنصارا لدينه[3] رحمة منه لهم لا احتياجا منه إليهم ﴿ و كبره ﴾ عن أن يشاركه أحد فى شىء من الأشياء و عن ٥ كل ما يفهمه فاهم، و يصفه به واصف، و التكبير أبلغ لفظ للعرب[4] فى معنى التعظيم و الإجلال- قاله أبو حيان. قال: و أكد بالمصدر تحقيقا له و إبلاغا فى معناه، أى فقال: ﴿تكبيرا ع﴾ عن أن يدرك أحد كنه معرفته أو يجهله أحد من كل وجه، بل احتجب سبحانه بكبريائه و جلاله فلا يعرف، و تجلى با كرامه و كماله فلا ينكر[5]، فكان صريح اتصافه بالحمد ١٠ أنه تعالى متصف بجميع صفات الكمال، و صريح وصفه بنفى ما ذكر أنه منزه عن شوائب النقص و أنه أكبر من كل ما يخطر للعباد المطبوعين على النقص المجبولين[3] على غرائز العجز، [1]و لذلك و غيره من المعانى العظمى سمى النبى صلى الله و على آله و سلم هذه الآية [آية -[7]] العز - كما رواه الإمام أحمد[8] عن سهل عن أبيه رضى الله عنهما، و ذلك عين[9] ما افتتحت[10] ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) ما بين الرقمين ليس فى الأصل فقط (٣) سقط من ظ (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : العرب (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ينكره (٦) العبارة من هنا إلى « رضى الله عنهما » ساقطة من م .
(٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ٣/٤٣٩ من مسنده (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : نحن (١٠) من ظ و م و مد. و فى الأصل : انفتحت .

به السورة من التنزيه و زيادة - و الله [1]سبحانه و تعالى أعلم بالصواب ، و إليه المرجع و المآب[1] .

(١ - ١) ما بين الرقمين فى ظ و م و مد : الموفق؛ و زيد بعده فى ظ : تم الجزء المبارك من مناسبات البقاعى رحمة الله تعالى عليه آمين و صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه و سلم ، وفى م : و الحمد لله رب العالمين وافق الفراغ من كتابة هذا الجزء المبارك فى سادس عشر شهر الله المحرم الحرام أول شهور عام أحد و سبعين و ثما نمائة . أحسن الله تقصيها على يد عبد القادر بن محمد بن عبد الله العريانى حامدا لله و مصليا على نبيه و حسبى الله و نعم الوكيل ، يتلوه إن شاء الله تعالى فى الجزء الخامس سورة الكهف .

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الحادى عشر من تفسير " نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور " للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى ، يوم الأربعاء مستهل ربيع الثانى سنة ١٣٩٧ هـ = الثانى و العشرين من مارس ١٩٧٧ م . تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها السيد شرف الدين أحمد قاضى المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده و ضاعف له أجوره .

و قد تقلد مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الأعظمى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس) ، و ساعده على المقابلة وقت الطبع مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله ، و اهتم بتنقيحه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء الثانى عشر باذن الله و مشيئته و يستهل بسورة الكهف .

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه و هو المسؤل لحسن الخاتمة ، و نصلى و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

(كامل الجامعة النظامية)

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكهف

مقصودها وصف الكتاب بأنه قيم، لكونه زاجرا عن الشريك الذى هو خلاف ما قام عليه [الدليل] فى "سبحن" من أنه لا وكيل دونه، و لا إله إلا هو، و قاصًا بالحق أخبار قوم قد فضلوا فى أزمانهم وفق ما وقع الخبر به فى "سبحن" من أنه يفضل من يشاء، و يفعل ما يشاء، و أدل ما فيها على هذا المقصد قصة أهل الكهف لأن خبرهم أخفى ما فيها من القصص مع أن سبب فراقهم لقومهم الشرك، و كان

---

(١) زيد قبله فى ظ: «بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يسر يا كريم، قال سيدنا ومولانا الشيخ الإمام العالم العامل العلامة الحبر البحر الفهامة المحقق المدقق الرحلة الحافظ الأوحد الأمة برهان الدين لسان المتكلمين حجة المناظرين أبو الحسن إبراهيم البقاعى الشافعى لطف الله تعالى به فى الدارين و حشره فى زمرة المصطفى جد الحسن و الحسين، و نفعنا بعلومه آمين»؛ و أما نسخة م فتنقطع من هنا إلى نهاية سورة النمل (٢) الثامنة عشرة من سور القرآن، و هى مكية كلها فى المشهور، و هى مائة و إحدى عشرة آية عند البصريين، و مائة و عشرة عند الكوفيين، و مائة و ست عند الشاميين، و مائة و خمس عند الحجازيين - كما فى روح المعانى ٥/٣ (٣) زيد فى الأصل: بما، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ ومد، و فى الأصل: بالذى (٥) زيد من ظ و مد.

أمرهم موجبا - بعد طول رقادهم - للتوحيد و إبطال الشرك ﴿بسم الله﴾ الذى لا كفوء له و لا شريك ﴿الرحمن﴾ الذى أقام عباده على أوضح الطرق بقيم الكتاب ﴿الرحيم ۝﴾ بتفضيل من اختصه[1] بالصواب .

لما ختمت تلك بأمر الرسول صلى الله عليه و على آله و سلم بالحمد عن التنزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك ، بدئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التى منها البراءة عن كل نقص ، منبها بذلك على وجوب حمده بما شرع من الدين على هذا[2] الوجه الأحكم[3] بهذا الكتاب[4] القيم الذى خضعت لجلاله[5] العلماء الأقدمون ، و عجز عن معارضته الأولون و الآخرون ، الذى هو الدليل على ما ختمت به تلك من العظمة و الكمال ، و التنزه و الجلال ، فقال[6] ملقنا لعباده حمده ، معلما لهم كيف يثنون عليه ، مفقها لهم فى اختلاف العبارات باختلاف المقامات[6] : ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة / بصفات الكمال ﴿لله﴾ أى المستحق لذلك لذاته . /٣٤٨

و لما أخبر باستحقاقه ذلك لذاته ، أخبر بأنه يستحقه أيضا لصفاته و أفعاله ، فقال تعالى : ﴿الذى﴾[7] و لما كان المراد وصف جملة الكتاب

(١) من مد . و فى الأصل و ظ : اختص (٢) سقط من مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : لاحكم (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الدين (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بجلالة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « دون التنزيل فقال » متأخرة فى الأصل و ظ عن « سورة البقرة فقال » و الترتيب من مد .

بالإعجاز[1] من غير نظر إلى التفريق و التدريج ، عبر[2] بالإنزال دون التنزيل فقال: ﴿ انزل ﴾ و عدل عن الخطاب بأن يقول: عليك ، كما يقول: فلعلك باخع نفسك ، كما فى ذلك من الوصف بالعبودية و الإضافة إليه سبحانه من الإعلام بتشريفه صلى الله عليه و على آله و سلم و التنبيه على علة[3] تخصيصه بالإنزال عليه كما تقدم فى سورة البقرة ، فقال - مقدما له على المنزل لأن المراد الدلالة على صحة رسالته بما لا يحتاج[4] فيه قريش إلى سؤال اليهود و لا غيرهم من تخصيصه بما لا يقدر عليه غيره - : ﴿ على عبده ﴾ و إشارة إلى أنه الذى أسرى به إلى حضرات مجده ليريه من آياته ﴿ الكتب ﴾ الجامع لمعانى الكتب المشار إليه فى آخر التى قبلها بما أشير إليه من العظمة كما آتى موسى التوراة الآمرة بالعدل فى الأحكام ، و داود الزبور الحادى إلى[5] الزهد و الإحسان ، على ما أشير إليه فى[6] "سبحن" .

و لما كان الجامع لا يخلو من عوج أو قابلية له إلا أن كان من علام الغيوب . نفى القابلية و الإمكان دلالة على أنه من عنده ليتفى [العوج -[7]] بطريق الأولى فقال تعالى : ﴿ و لم ﴾ [8]أى و الحال[8] [أنه لم -[7]] ﴿ يجعل له ﴾ و لم يقل: فيه ﴿ عوجا ﴾ أى شيئا من عوج ، [9]أى بل هو مستقيم فى جميع معانيه من غير اختلاف أصلا ، هادٍ إلى كل

(١) زيد فى الأصل و ظ : فلم يكن ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .
(٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : عليه (٣) سقط من ظ (٤) فى مد : لا تحتاج .
(٥) من ظ ، و فى الأصل و مد : على (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : من .
(٧) زيد من مد (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى « الأعيان » ساقطة من ظ .

صواب ، لأن العوج - بالكسر : فقد الاستقامة فى المعانى ، و بالفتح فى[1] الأعيان؛ و أتبعه [2]حالا أخرى له بقوله تعالى[2] : ﴿ قيما ﴾ تصريحا باللازم [3]تأكيدا له[3] ، و مقيدا أنه مهيمن على ما قبله من الكتب [3]مقيم لغيره[3] ، و قد مضى فى الفاتحة ثم فى الأنعام عن الإمام سعد الدين التفتازانى الشافعى رحمه الله أن كل سورة افتتحت [بالحمد - [4]] فللاشارة إلى نعمة من أمهات النعم التى هى[5] إيجاد و إبقاء أولا ، و إيجاد و إبقاء ثانيا ، و أنه أشير فى الفاتحة لكونها أم الكتاب[6] إلى الأربع ، و فى الأنعام إلى الإيجاد الأول [3]و هو ظاهر ، و فى هذه السورة إلى الإبقاء الأول[3] ، فان نظام العالم و بقاء النوع الإنسانى يكون بالنبى و الكتاب - انتهى . و يؤيده أنه فى هذه السورة ذكر أنه انتظم بأهل الكهف أمر من اطلع عليهم من أهل زمانهم ثم بالخضر عليه السلام كثير من الأحوال ، ثم بذى القرنين أمر جميع أهل الأرض بما يسر له من الأسباب التى منها السد الذى بيننا و بين ياجوج و ماجوج الذين يكون بهم - إذا أخرجهم الله تعالى - فساد الأرض كلها ، ثم ذكر فى التى تليها من أهل وده و اصطفائه من اتبعهم لنظام العالم بما وفقهم له من طاعته ، و بصرهم به من معرفته ، و استمر كذلك فى أكثر السور حتى ذكر السورة التى أشار فيها إلى الإيجاد الثانى ، و اتبعها بالتى أشار فيها إلى الإبقاء الثانى . و لما كان إبقاء الأول يقتضى مهلة لبلوغ حد التكليف[7] [و إجراء القلم - [4]]

---

(١) من مد . و فى الأصل : من (٢-٢) فى ظ : بصلة (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد فى مد : من (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : القرآن (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : التمييز .

ثم مهلة أخرى يكون فيها العمل و الاستعداد لما لأجله كان هذا[1] الوجود من العرض على الرحمن، للجزاء بالإساءة أو[2] الإحسان، و مهلة أخرى يحبس فيها السابق من الخلائق إلى ورود مشرع الموت لانتظار اللاحق، إلى بلوغ ما ضرب سبحانه من الآجال، لأزمان الإمهال، و قيام الناس أجمعين، لرب العالمين، و هو البرزخ، و كان ما قبل التكليف شبيها بالعدم إلا فى تعلم / الكتاب و التوحيد و الاجتماع على أهل الدين، و الوفاء بما تقدموا فيه بالعهد [من الأحكام -[3]]، و دوبوا عليه من الحلال و الحرام، أشير إليه بما بين الفاتحة و الأنعام التى هى سورة الإيجاد الأول من السور الأربع، و كأن سن[4] الاحتلام كان أول الإيجاد من الإعدام، و أشير إلى بقية العمر - و هو زمان التكليف - بما بين الأنعام و هذه السورة من السور التى ذكر فيها مصارع الأولين و أخبار الماضين تحذيرا من مثل أحوالهم، لمن نسج على منوالهم، [5]و ختمت بالتحميد مقترنا بالتوحيد [إشارة -[6]] إلى أنه يجب الاجتهاد فى أن يختم الأجل فى أعلى ما يكون من خصال [الدين -[6]]. و أشير إلى مهلة البرزخ بما بين هذه و سورة الإيجاد الثانى من السور التى ذكر فى غالبها مثل ذلك، و أكثر فيها [كلها من -[3]] ذكر الموت و ما بعده من البرزخ الذى يكون لانقطاع [العلائق -[3]] باجتماع الخلائق، لأجل التخلى فى رد العظمة، و الكشف البليغ عن نفوذ الكلمة،

٣٤٩ /

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : هنا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل « و ».
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : بين (٥) العبارة من هنا إلى « من خصال الدين » ساقطة من ظ (٦) زيد من مد.

و التحلي بالحكم باستقرار الفريقين في دار النعيم أو غار[1] الجحيم، وأكثر فيما بين هذه و بين سبأ من أمر البعث كثرة ليست فيما مضى حتى صدر بعضها به، و بناها عليه كسورتي الأنبياء "اقترب للناس حسابهم" و الحج "ان[2] زلزلة الساعة شيء عظيم" و لما [لم -[3]] يكن بين البعث و ما بعده مهلة لشيء من ذلك، عقب سورة الإيجاد الثاني بسورة الإبقاء الثاني من غير فاصل و لاحاجز و لاحائل - و الله أعلم.

و لما وصف الكتاب بما له من العظمة في[4] جميع ما مضى من أوصافه من الحكمة و الإحكام، و التفصيل و البيان، و الحقية، و الإخراج من الظلمات إلى النور، و الجمع لكل معنى و التبيان لكل شيء، أتبعه ذكر فائدته *مقدما ما هو الأهم من درء المفسدة بالإنذار، لأنه مقامه كما هو ظاهر من "سبحن"* فقال: ﴿لينذر﴾ [6]و قصره على[7] المفعول الأول ليعم كل من يصح قبوله الإنذار و لو تقديرا، و ليفيد أن الغرض بيان المنذر به لا المنذر ﴿ باسا شديدا ﴾ كائنا ﴿ من لدنه ﴾ *أي أغرب ما عنده من الخوارق بما في هذا الكتاب من الإعجاز* لمن خالف أمره من عذاب الدنيا و الآخرة كوقعة[8] بدر و غيرها [9]المفيد لإدخال الإسلام[10]

(١) من ظ و مد. و في الأصل: دار (٢) من ظ و مد و القرآن الكريم، و في الأصل: اى (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: من. (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) العبارة من هنا إلى «لا المنذر» ساقطة من ظ (٧) في مد: عن (٨) من ظ و مد، و في الأصل: لوقعة (٩) العبارة من هنا إلى «من الضعف» ساقطة من ظ (١٠) من مد، و في الأصل: من سلام

عليهم و هم كارهون ، بعد ما كانوا فيه من القوة و هو من الضعف ﴿ و بشر المؤمنين ﴾ أي الراسخين في هذا الوصف ﴿ الذين يعملون الصلحت ﴾ و هو[1] ما أمر به خالصا [له - [2]] ، [3] و ذلك من[4] أسنان مفتاح الإيمان ﴿ ان لهم ﴾ أي من حيث هم عاملون ﴿ اجرا حسنا[5] ﴾ و هو النعيم ، حال كونهم ﴿ ماكثين فيه ابدا[5] ﴾ بلا انقطاع أصلا ، [6] فان الأبد زمان لا آخر له[6] ، فجمعت هاتان العلتان جميع معاني الكتاب[7] فانه لا يكون كذلك إلا و قد جمع أيضا جميع شرائع الدين و أمر المعاش [و أمر المعاد - [2]] و ما يعنيهم فعله أو تركه أو اعتقاده ، و ما يتبع ذلك ، [8] و ذلك[8] هو القيم ، أي المستقيم في نفسه ، المقيم لغيره .

و لما[9] كان الغالب على[10] الإنسان المخالفة للاوامر ، لما جبل عليه من النقائص ، كان [11] الانذار فأهم أعاده[11] [12] لذلك و[12] لأن المقام له كما مضى ، ذاكرا فيه بعض المتعلق[13] المحذوف من الآية التي قبلها ، تبكيتا لليهود المضلين لهؤلاء العرب و لمن قال بمقالتهم فقال تعالى : ﴿ و ينذر ﴾

---

(١) في ظ : هي (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى «مفتاح الإيمان» ساقطة من ظ (٤) سقط من مد (٥ - ٥) ما بين الرقمين متقدم في مد على «و بشر المؤمنين» (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : الكتب (٧) زيد من ظ و مد . (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من مد (٩) من ظ و مد . و في الأصل : ما ه (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : غسل (١١ - ١١) من ظ و مد ، و في الأصل : لانذارهم و اعاده (١٢ - ١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد ، و تستمر سقطة ظ إلى «كما مضى» (١٣) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .

[1]واقتصر هنا على المفعول الأول ليذهب[2] الفكر فى الثانى - الذى عبر عما يحتمل تقديره [به -[3]] فيما مضى بـ «لدنه» - كل مذهب فيكون أهول ﴿ الذين قالوا اتخذ الله ﴾ [4]أى تكلف ذو العظمة التى لا تتناهى كما يتكلف غيره أن أخذ[4] ﴿ ولدا ﴾ وهم بعض اليهود / والنصارى ٣٥٠/
٥ والعرب ؛ [5]قال الأصبهانى : وعادة القرآن [مجارية -[3]] بأنه إذا ذكر قصة كلية عطف عليها بعض جزئياتها تنبيها على كون ذلك البعض أعظم جزئيات ذلك الكل ، ولم أجعل الآية من الاحتباك لنقص المعنى ، ثم استأنف معللا فى جواب[6] من كأنه قال : ما لهم خصوا بهذا الوعيد الشديد ؟ فقال تعالى : ﴿ ما لهم به ﴾ [4]أى القول[4] ﴿ من علم ﴾ أصلا[7]
١٠ لأنه مما لا[8] يمكن أن يعلق العلم به لأنه لا وجود له ولا يمكن وجوده ؛ ثم قرر هذا المعنى وأكد بقوله تعالى : ﴿ ولا لآبائهم[4] ﴾ الذين هم مغتبطون بتقليدهم [4]فى الدين حتى فى هذا الذى لا يتخيله عاقل ، ولو أخطأوا فى تصرف دنيوى لم يقبحوهم فيه[4] ، تنبيها على أنه لا يحل لأحد أن يقول على الله تعالى ما لا علم له به ، ولا سيما فى أصول الدين ؛
١٥ ثم هول أمر ذلك بقوله تعالى : ﴿ كبرت ﴾[4] أى مقالتهم هذه[4] ﴿ كلمة ﴾

(١) العبارة من هنا إلى «فيكون أهول» ساقطة من ظ (٢) من مد ، وفى الأصل : ليذكر (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) العبارة من هنا إلى «لنقص المعنى» ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل وظ : جوابه (٧) العبارة من هنا إلى «وأكد بقوله تعالى» ساقطة من ظ .
(٨) من مد ، وفى الأصل : لم .

أى ما أكبرها من كلمة! [1]وصوّر فظاعة اجترائهم على النطق بها بقوله تعالى[1]: ﴿ تخرج من افواههم[2] ﴾ أى لم يكفهم خطورها فى نفوسهم، وترددها فى صدورهم، حتى تلفظوا بها، [1]وكان تلفظهم بها على وجه التكرير - بما أشار إليه التعبير بالمضارع[1]؛ ثم بين [2]ما أفهمه[3] الكلام من أنه كما أنهم لا علم لهم بذلك لا علم لأحد به أصلا، لأنه لا وجود له فقال تعالى: ﴿ ان ﴾ [أى ما -[4]] ﴿ يقولون الا كذبا ﴾ أى قولا لا حقيقة له بوجه من الوجوه.

وقال ابن الزبير فى برهانه: من الثابت المشهور أن قريشا بعثوا إلى يهود بالمدينة يسألونهم فى أمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأجابت يهود بسؤاله عن ثلاثة أشياء، [قالوا -[5]]: فان أجابكم[6] فهو نبى، وإن عجز فالرجل متقول[7] فروّا فيه رأيكم، وهى الروح، وفتية ذهبوا[8] فى الدهر الأول وهم أهل الكهف، وعن[9] رجل طواف[10] [بلغ -[5]] مشارق الأرض ومغاربها. فأنزل الله عليه جواب ما سألوه، وبعضه فى سورة الإسراء "ويسئلونك عن الروح[11]" - الآية، واستفتح سبحانه وتعالى سورة الكهف بحمده، وذكر نعمة الكتاب

(١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى «الكلام من» ساقطة من ظ (٣) من مد، وفى الأصل: الهم (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ ومد. (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: جاء بذلك (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: متبول (٨) سقط من ظ (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: من (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: طاف (١١) زيد فى ظ: قل الروح من امر ربى.

و ما أنزل بقريش و كفار العرب من البأس يوم بدر و عام الفتح ، و بشارة المؤمنين [بذلك -[1]] و ما منحهم الله تعالى من النعيم الدائم ، و إنذار القائلين بالولد من النصارى و عظيم مرتكبهم و شناعة قولهم " ان يقولون الا كذبا " و تسلية نبي الله صلى الله عليه و على آله و سلم في أمر جميعهم " فلعلك باخع نفسك " - الآية ، و التحمت الآى أعظم التحام ، و أحسن التئام ، إلى ذكر ما سأل عنه الكفار من أمر الفتية " ام حسبت ان اصحٰب الكهف و الرقيم كانوا من اٰيٰتنا عجبا " ثم بسطت الآى قصتهم ، و أوضحت أمرهم ، و استوفت خبرهم ؛ ثم ذكر سبحانه أمر ذى القرنين و طوافه و انتهاء أمره ، فقال تعالى " و يسئلونك عن ذى القرنين "- الآيات ، و قد فصلت بين القصتين بمواعظ و آيات مستجدة على أتم ارتباط ، و أجل اتساق[2] ، و من جملتها قصة الرجلين و جنتى أحدهما و حسن الجنتين و ما بينهما و كفر صاحبهما و اغتراره ، و هما من بنى إسراءيل ، و لهما قصة ، و قد أفصحت هذه الآى منها[3] باغترار أحدهما بما لديه و ركونه إلى توهم البقاء ، و تعويل صاحبه على[4] ما عند ربه و رجوعه إليه و انتهاء أمره - بعد المحاورة الواقعة فى الآيات بينهما[5] - إلى إزالة ما تخيل المفتون بقاءه ، و رجع ذلك كأن لم يكن ، و لم يبق بيده / إلا الندم ، و لا صح له من جنته بعد عظيم تلك البهجة سوى التلاشى و العدم ، و هذه حال من ركن [إلى ما -[1]] سوى المالك ، و من كل شيء إلا وجهه سبحانه و تعالى فان و هالك " انما الحيٰوة الدنيا لعب و لهو "، " ففروا الى الله "

/٣٥١

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : انتشاق (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهما (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بينها .

ثم أعقب ذلك بضرب مثل الحياة الدنيا لمن اعتبر و استبصر ، و عقب تلك الآيات بقصة موسى و الخضر عليهما [السلام -[١]] إلى تمامها ، و فى كل ذلك من تأديب بني إسرائيل و تقريعهم و توبيخ مرتكبهم فى توقفهم عن الإيمان و تعنيفهم فى توهمهم عند فتواهم لكفار قريش بسؤاله عليه السلام عن القصص [الثلاث -[١]] أن[٢] قد حازوا العلم[٣] و انفردوا بالوقوف على ما [لا -[٤]] يعلمه غيرهم ، فجاء جواب قريش بما يرغم الجميع و يقطع دابرهم ، و فى ذكر قصة موسى و الخضر إشارة لهم لو عقلوا ، و تحريك لمن سبقت له منهم السعادة ، و تنبيه لكل موفق فى تسليم الإحاطة لمن هو العليم الخبير ، و بعد تقريعهم و توبيخهم بما أشير إليه عاد الكلام إلى بقية سؤالهم فقال تعالى " و يسئلونك عن ذى القرنين " - إلى آخر القصة ، و ليس بسط هذه القصص من مقصودنا و قد حصل ، و لم يبق إلا السؤال عن وجه انفصال جوابهم و وقوعه فى السورتين مع أن السؤال واحد ، و هذا ليس من شرطنا فلننسأه بحول الله إلى موضعه إن[٢] قدر به - انتهى . و قد تقدم فى سورة الإسراء من الجواب [عن هذا أن -[١]] الروح ضمت إليها ، لأنها من سر الملكوت كالإسراء ، و بقى أنه لما أجمل سبحانه أمرها لما ذكر من عظيم السر ، و عيب عليهم اشتغالهم بالسؤال و ترك ما هو من عالمها ، و هو أعظم منها و من كل ما برز إلى الوجود من ذلك العالم من الروح

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لعلم (٤) زيد من مد .

المعنوى الذى به صلاح الوجود كله ، و هو القرآن العظيم ، و [1]عظم أمره[1] بما ذكر فى الإسراء إلى أن اقتضى [الحال -[2]] فى إنهاء عظمته أن يدل على إصلاح الوجود به بما حرره و فصله و قرره من أمر السؤالين الباقيين اللذين هما من ظاهر الملك فيما ضم إليهما مما تم به الأمر ، و اتضح به [ما له -[2]] من جليل القدر ، كان الأكمل فى ذلك أن يكون ما انتظم به ذلك سورة على حدتها ، و لما كان أمر أهل الكهف من حفظ الروح فى الجسد على ما لم يعهد مثله ثم إفاضتها ، قدم الجواب عن[3] السؤال عنهم ليلى أمر الروح ، و ختم بذى القرنين لإحاطة أمره بما[4] طاف من الأرض ، و لما جعل من السد علما على انقضاء شأن هذه الدار و ختام أمرها ، و طى ما برز من نشرها - و الله سبحانه و تعالى أعلم .

و لما كان صلى الله عليه و على آله و سلم شديد الحرص على إيمانهم شفقة عليهم و غيرة على المقام الإلهى الذى ملأ قلبه تعظيما له ، خفض عليه سبحانه بقوله تعالى : ﴿ فلعلك باخع ﴾ أى فتسبب عن قولهم هذا ، المباين جدا لما تريد[5] لهم ، الموجب لإعراضهم عنك أنك تشفق أنت و من يراك على تلك الحالة من أتباعك من أن تكون[6] قاتلا ﴿ نفسك ﴾ من شدة الغم[7] و الوجد ، و أشار إلى شدة نفرتهم و سرعة مفارقتهم و عظيم مباعدتهم بقوله تعالى[7] : ﴿ على آثارهم ﴾ اى حين تولوا

(١-١) من مد . و فى الأصل و ظ : عظيم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : لمن (٤) فى مد : ما (٥) من ظ ، و فى الأصل و مد : يزيد. (٦) زيد فى ظ : باخعا اى (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

عن إجابتك [1]فكانوا كمن قوضوا خيامهم و أذهبوا أعلامهم[1] ﴿ان لم يؤمنوا﴾ .

[1]و لما صور بعدهم ، صور قرب ما دعاهم إليه و يسر تناوله بقوله تعالى[1] : ﴿ بهذا الحديث ﴾ أى القيم [1]المتجدد تنزيله على حسب التدريج[1] ﴿اسفا ه﴾ منك على ذلك ، و الأسف : أشد الحزن [1]و الغضب[1]، ثم بين ٥ علة إرشاده / إلى الإعراض عنهم بغير [1]ما يقدر عليه من[1] التبليغ [1]للبشارة ٣٥٢/ و النذارة[1] بأنهم لم يخرجوا عن مراده سبحانه ، [1]و أن الإيمان لا يقدر على إدخاله قلوبهم غيره[1] فقال تعالى: ﴿انا﴾ أى[2] لانفعل ذلك لأنا ﴿جعلنا﴾ [1]بما لنا من العظمة[1] ﴿ما على الارض﴾ من [1]المواليد الثلاثة[1]: الحيوان و المعدن و النبات ﴿ زينة لها ﴾ بأن حسنّاه[3] فى العيون ، و أبهجنا بـه ١٠ النفوس ، [1]و لو لا مضرة الحيوانات المؤذية من الحشرات و غيرها كانت الزينة بها ظاهرة ، و الظاهر أنه لو أطاع الناس كلهم لذهبت مضرتها فبدت زينتها ، كما يكون على زمن عيسى عليه السلام حيث تصير لعبا للولدان .

و لما أخبر بتزيينها ، أخبر بعلته فقال تعالى[1] : ﴿لنبلوهم﴾ أى نعاملهم ١٥ معاملة المختبر الذى يسأل لخفاء[4] الأمر عليه بقوله تعالى[5]: ﴿ايهم احسن عملا ه﴾ [1]أى باخلاص الخدمة لربه[1]، فيصير ما كنا نعلمه منهم ظاهرا بالفعل

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : حسنا (٤) من مد ، و فى الأصل : لخلف (٥) العبارة من « الذى يسأل » إلى هنا ساقطة من ظ .

تقام به عليهم الحجة على ما يتعارفونه بينهم بان من أظهر موافقة الأمر[1] فيما نال من الزينة حاز المثوبة، و من اجترأ على مخالفة الأمر بما آتيناه منها [2]فعمل على أنها للتنعم بها فقط[2] استحق العقوبة . و لما كان دعاء الزينة إلى حقيقة الحياة الدنيا من اللهو و اللعب ظاهرا لموافقتـه لما
٥ [طبعت ـ[3]] عليه النفوس من الهوى لم يحتج إلى التنبيه[4] عليه أكثر من لفظ الزينة .

و لما كان دعاءها إلى الزهد فيها و الإعراض عنها جلة و الاستدلال بها على تمام علم صانعها و شمول قدرته على إعادة الخلائق كما ابتدأهم و غير ذلك خفيا، لكونه مستورا عن العقول بهوى النفوس[5]، نبه عليه
١٠ بقوله تعالى: ﴿و انا لجاعلون﴾ أى بما لنا من العظمة [2]ثابت لنا هذا الوصف دائما[2] ﴿ ما عليها ﴾ [2]من جميع تلك الزينة لايصعب علينا شيء منه[2] ﴿صعيدا﴾ أى ترابا بأن نهلك تلك الزينة بازالة اخضرارها فيزول المانع من استيلاء التراب عليها ثم نسلط عليها الشموس و الرياح فيردها بذلك إلى أصلها ترابا ﴿جرزا ۝﴾ أى يابسا لاينبت شيئا بطبعه، [2]و كذا نفعل
١٥ بمن سبب تسليط البلاء عليه من الحيوان آدميا كان أو غيره سواه[2] .
و لما كان من المشاهد إعادة النبات باذن الله تعالى بانزال الماء عليه إلى الصورة النباتية التى هى الدليل على إحياء الموتى مرة بعد مرة ما دامت

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لامر (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: التعنية (٥) فى مد: النفس .

الأرض موجودة على هذه الصورة ، طوى ذكر ذلك سترا لهذا البرهان المنير عن الأغبياء[١] المشغولين بالظواهر ، علما منه سبحانه بظهوره لأولى البصائر .

و لما كان هذا من العجائب [التى تضاءل عندها العجائب -[٢]] ، و الغرائب التى تخضع لديها الغرائب ، و إن صارت مألوفة بكثرة التكرار ، و التجلى على الأبصار ، هذا إلى[٣] ما له من الآيات التى تزيد على العد ، و لا يحصر بحد ، من خلق السماوات و الأرض ، و اختلاف الليل و النهار ، و تسخير الشمس و القمر و الكواكب - و غير ذلك ، حقر آية أصحاب[٣] الكهف - و إن كانت من أعجب العجب - لاضمحلالها فى جنب ذلك ، لأن الشىء إذا كان كذلك كثر ألفه فلم يعد عجبا ، فنبه على ذلك بقوله تعالى عطفا على ما تقديره[٤] : أعلمت أن هذا و غيره من عجائب قدرتنا ؟ : ﴿ ام حسبت ﴾ [٤]على ما لك من العقل الرزين و الرأى الرصين[٤] ﴿ان اصحب الكهف﴾ أى الغار الواسع المنقور فى الجبل كالبيت ﴿و الرقيم[٥] ﴾ أى القرية أو الجبل ﴿ كانوا ﴾ هم فقط ﴿من ايتنا عجبا[٥] ﴾ [٤]على ما لزم من تهويل السائلين من الكفرة من اليهود و العرب[٤] ، / و الواقع أنهم - و إن كانوا من العجائب - ليسوا بعجب بالنسبة إلى كثرة آياتنا ، و بالنسبة إلى هذا العجب [النبأى -[٢]] الذى أعرضتم[٥] عنه بألفكم[٦] له من كثرة تكرره فيكم ، فانه سبحانه أخرج نبات الأرض على تباين

٣٥٣ / ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاغنياء (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعرضتهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالفكر .

أجناسه ، و اختلاف ألوانه و أنواعه ، و تضاد طبائعه ، من مادة واحدة ، يهتز[1] بالينبوع ، يبهج الناظرين و يروق المتأملين ، ثم يوقفه ثم يرده باليبس و التفرق إلى التراب فيختلط به حتى لا يميزه عن بقية التراب ، ثم يرسل الماء فيختلط بالتراب فيجمعه فيخرج أخضر يانعا يهتز بالنمو على أحسن ما كان ، و هكذا كل سنة ، فهذا بلا شك أعجب حالا ممن حفظت أجسامهم مدة [عن التغير -[2]] ثم ردت أرواحهم فيها ، و قد كان فى سالف الدهر يعمر بعض [الناس -[2]] أكثر [من مقدار -[2]] ما لبثوا ، و هذا الكهف - قيل : هو [فى جبال -[2]] بمدينة طرسوس و هو المشهور ، و قال أبو حيان[3] : قيل : هو فى الروم ، و قيل : فى الشام ، و قيل : فى الأندلس[4] ، قال : فى جهة غرناطة بقرب قرية [تسمى -[5]] لوشة كهف فيه موتى[6] و معهم كلب [رمة ، و أكثرهم -[7]] قد انجرد لحمه ، و بعضهم متماسك[8] و قد مضت القرون [السالفة -[5]] و لم نجد من عرف شأنهم ، و يزعم ناس أنهم أصحاب الكهف . و نقل عن ابن عطية قال : دخلت إليهم سنة أربع و خمسمائة فرأيتهم بهذه الحالة و[9] عليهم مسجد و قريب منهم[10] بناء رومى يسمى الرقيم ، [و هو -[7]] فى فلاة من الأرض ، و بأعلى حضرة غرناطة مما يلى القبلة آثار مدينة قديمة يقال لها مدينة دقيوس ، و نقل أبو حيان

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مهتز (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى البحر المحيط ٦/١٠١ و ١٠٢ (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد من البحر (٦) من ظ و مد و البحر ، و فى الأصل : سوى . (٧) زيد من ظ و مد و البحر (٨) من مد و البحر ، و فى الأصل و ظ : متماسكا . (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد و البحر ، و فى الأصل : منه .

عن أبيه أنه [١]حين كان[١] بالأندلس كان الناس يزورون هذا الكهف ويذكرون أنهم يغلطون[٢] فى عدتهم[٣] إذا عدوهم وأن معهم كلبا. قال: وأما ما ذكرت[٤] من مدينة دقيوس التى بقبلى[٥] غرناطة، فقد مررت عليها مرارا لا تحصى، قال: ويترجح كون[٦] أصحاب الكهف بالأندلس - انتهى ملخصا. قلت: وفيه نظر، والذى يرجح المشهور ما نقل البغوى[٧] [وغيره -[٨]] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: غزونا مع معاوية بحر الروم[٩] فمررنا بالكهف [الذى فيه أصحاب الكهف -[١٠]] فان معاوية لم يصل إلى بلاد الأندلس - والله أعلم.

ولما صغر أمرهم بالنسبة إلى جليل آياته وعظيم بيناته وغريب مصنوعاته، لخص قصتهم التى عدوها عجبا وتركوا الاستبصار على وحدانية الواحد القهار بما هو العجب العجيب. والنبأ الغريب. فقال تعالى: ﴿ اذ اوى ﴾ أى كانوا على هذه الصفة حين أووا، ولكنه أبرز الضمير لبيان أنهم شان ليسوا بكثيرى العدد فليست [لهم -[٨]] أسنان استفادوا بها من التجارب والتعلم ما اهتدوا إليه من الدين والدنيا،

(١-١) من مد، وفى الأصل وظ: كان حين (٢) من مد والبحر، وفى الأصل وظ: يغلطوا (٣) من البحر، وفى الأصل ومد: عددهم، وفى ظ: عدهم. (٤) من البحر، وفى النسخ: ذكر (٥) من ظ ومد والبحر، وفى الأصل: بمدينة (٦) من البحر، وفى النسخ: ان (٧) فى معالم التنزيل - راجع هامش اللباب ٤/١٦٧ (٨) زيد من ظ ومد (٩) زيد فى الأصل: قال، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد والمعالم فحذفناها (١٠) زيد من ظ ومد والمعالم.

و لا كثرة حفظوا بها ممن يؤذيهم أيقاظا و رقودا فقال تعالى: ﴿ الفتية ﴾ و هم أصحاب الكهف المسؤل عنهم، و الشبان أقبل للحق و أهدى للسبيل من الشيوخ ﴿ الى الكهف ﴾ المقارب لقريتهم [1]المشهور ببلدتهم[1] فرارا بدينهم كما أويت[2] أنت و الصديق إلى غار ثور فرارا بدينكما[3] ﴿ فقالوا ﴾ عقب[4] استقرارهم فيه: ﴿ ربنآ [1]اتنا ﴾ و لما كانت الموجودات - كما مضى عن الحرالى فى آل عمران - على ثلاث رتب: حكميات جارية على قوانين العادات، و عنديات خارقة للطردات، و لدنيات مستغرقة[5] فى الأمور الخارقات، طلبوا أعلاها فقالوا: ﴿ من لدنك ﴾ أى من[6] مستبطن الأمور التى عندك و مستغربها ﴿ رحمة ﴾ [1]أى إكراما تكرمنا به كما يفعل / الراحم بالمرحوم[1] ﴿ و هيئ لنا ﴾ [1]أى جميعا لا تخيب منا أحدا[1] ﴿ من امرنا رشدا[5] ﴾ [1]أى وجها ترشدنا فيه إلى الخلاص فى الدارين[1]، لاجرم صارت قصتهم على حسب ما أجابهم ربهم [2]بديعة الشأن[2] فردة فى الزمان، يتحدث بها فى سائر البلدان، فى كل حين و أوان.

٣٥٤/ ١٠

و لما أجابهم سبحانه، عبر عن ذلك بقوله تعالى: ﴿ فضربنا ﴾ أى عقب هذا القول و بسببه ﴿ على [1]اذانهم ﴾ أى سددناها و أمسكناها عن

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل و مد: تاوى. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بدينك (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: مستعربة (٦) سقط من مد (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يدفعه الماتى.

السمع ، وكان أصله : ضربنا عليها حجابا بنوم ثقيل [١]لا تزعج منه الأصوات ، لأن من كان مستيقظا أو نائما نوما خفيفا وسمعه صحيح سمع الأصوات [١] ﴿ فى الكهف ﴾ أى المعهود [٢] .

[١]و لما كانت مدة لبثهم نكرة بما كان لأهل ذلك الزمان من الشرك ، عبر بما يدل على النكرة فقال تعالى[١] : ﴿ سنين ﴾ : [٢]و لما كان ربما ظن أنه[٣] ذكر السنين للمبالغة لأجل بعد هذا النوم عن[٤] العادة ، حقق الأمر بأن قال مبدلا منها معرفا لأن[٣] المراد بجمع القلة هنا الكثرة : ﴿ عددا[١] ﴾ أى[٥] متكاثرة ؛ [٦]قال الزجاج[٧] كل [٨]شىء مما[٨] يعد إذا ذكر فيه العدد ووصف أريد كثرته لأنه إذا قل فهم مقدار عدده بدون التقدير فلم يحتج إلى أن يعد .[٦] ﴿ ثم بعثنهم ﴾ أى[٥] نبهناهم من[٩] ذلك النوم ﴿ لنعلم ﴾ علما مشاهدا[١٠] لغيرنا كما كنا نعلم غيبا [١]ما جهله من يسأل فيقول[١] : ﴿ اى الحزبين ﴾ هم أو من عثر عليهم من أهل زمانهم ﴿ احصى ﴾ [١]أى حسب وضبط[١] ﴿ لما ﴾ [١١]أى لأجل [علم -[١٢]] ما

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « هنا الكثرة » ساقطة من ظ (٣) فى مد : ان (٤) فى مد : على (٥) سقط من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « إلى أن يعد » ساقطة من ظ (٧) و ذكر قوله أيضا فى الكشاف ١/٥٦٤ مختصرا .
(٨-٨) من مد . وفى الأصل : منها (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : بعد .
(١٠) من مد ، وفى الأصل و ظ : شاهدا (١١) العبارة من هنا إلى « علم ما » ساقطة من ظ (١٢) زيد من مد .

﴿لبثوا امداً﴾ أى وقع إحصاءه لمدة[1] لبثهم [فانهم هم أحصوا لبثهم -[2]] فقالوا : لبثنا يوما أو بعض يوم ، ثم تبرأوا من [علم -[2]] ذلك [و ردوه إلى عالمه و أهل البلد ، أحصوا ذلك بضرب النقد الذى وجد معهم أو غير ذلك -[2]] من القرائن التى دلتهم عليه ، و لكنهم و إن صادق قولهم ما فى نفس الأمر أو[3] قريبا منه فعلى سبيل الظن و التقريب ، لا القطع و التحديد ، بقوله تعالى " قل الله اعلم بما لبثوا "[4] فاذا علم - بجهل كل من الحزبين بأمرهم - [أن -[5]] الله هو المختص بعلم ذلك ، علم أنه المحيط بصفات الكمال ، و أنه لم يتخذ ولدا ، و لا له شريك فى الملك ، و أنه أكبر من كل ما يقع فى الوهم .

و لما كان الكلام على اختلاف وقع فى مدتهم ، و[6] كان الحزبان معا هم و من خالفهم متقاربين فى الجهل باحصائه على سبيل القطع ، و كان اليهود[7] الذين أمروا قريشا بالسؤال عن أمرهم تشكيكا فى الدين لا يعلمون أمرهم على الحقيقة ، نبه على ذلك بقوله - جوابا لمن كأنه قال : أيهما أحصاه ؟ - : ﴿ نحن ﴾ أو يقال : [و -[2]] لما أخبر الله[8] سبحانه عن مسألة قريش الثانية . و هى قصة أهل الكهف ، مجملا لها بعض الإجمال بعد إجمال الجواب عن المسألة الأولى ، و هى الروح ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مدة (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٤) العبارة من هنا إلى « فى مدتهم » ساقطة من ظ .
(٥) زيد من مد (٦) زيد فى ظ : لما (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨) سقط من ظ و مد .

كان السامع جديرا بأن تستشرف نفسه إلى بيان أكثر من ذلك فيضيق[١] صدره خشية الاقتصار على ما وقع من ذلك من الأخبار ، فقال جوابا لمن كأنه قال : اسأل الإيضاح [٢]و بيان الحق من خلاف الحزبين[٢] : نحن ﴿ نقص ﴾ [٢]أى نخبر إخبارا تابعا لآثارهم قدما فقدما[٢] ﴿ عليك ﴾ على وجه التفصيل ﴿ نباهم بالحق[٣] ﴾ [٢]أى خبرهم العظيم[٢] [و ليس أحد غيرنا يقصه إلا -[٣]] قصا ملتبسا بباطل : زيادة أو نقص ، فكأنه قيل : ما كان نبأهم ؟ فقال تعالى : ﴿ انهم فتية ﴾ أى شبان ﴿ امنوا بربهم ﴾[٤] المحسن إليهم الناظر فى مصالحهم الذى تفرد بخلقهم و رزقهم ، و هداهم بما وهب لهم فى أصل الفطرة من العقول الجيدة النافعة[٥] .

و لما[٦] دل على الإحسان باسم الرب ، و كان فى فعله معهم من باهر القدرة ما لا يخفى ، التفت إلى مقام العظمة فقال [٢]تعالى عاطفا على ما تقديره : فاهتدوا / بايمانهم[٢] : ﴿ و زدنهم ﴾ بعد أن آمنوا ﴿ هدى ﴾ بما قذفنا فى قلوبهم من المعارف ، و شرحنا لهم صدورهم من المواهب التى حملتهم على ارتكاب المعاطب ، و الزهد فى الدنيا و الانقطاع إليه ﴿ و ربطنا ﴾ [٢]بما لنا من العظمة[٢] ﴿ على قلوبهم ﴾ [٢]أى قويناها[٢] ، فصار ما فيها من القوى مجتمعا غير مبدد ، فكانت حالهم فى الجلوة كحالهم

/ ٣٥٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيشق (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : السامعة (٦) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

فى الخلوة ﴿ اذ قاموا ﴾ [1] لله تعالى حق القيام[1] فى ذلك [الجيل - [2]]
الكافرين بين يدى طاغيتهم دقيانوس ﴿فقالوا﴾ مخالفين لهم: ﴿ربنا﴾ الذى
يستحق أن نفرده بالعبادة لتفرده بتدبيرنا ، هو ﴿رب السموٰت و الارض﴾
أى [1]موجدهما و[1] مدبرهما ﴿ لن ندعوا من دونه الها ﴾ بعد أن ثبت
٥ عجز كل من سواه ، و الله ! ﴿ لقد قلنآ اذاً ﴾ [أى - [2]] إذا دعونا
من دونه غيره ﴿ شططا ﴾ أى قولا ذا بعد مفرط[3] عن الحق جدا[4] ؛
ثم شرعوا يستدلون على كونه شططا بأنه لا دليل عليه ، و يجوز أن
يكونوا لما قالوا ذلك عرض لهم الشيطان بشبهة التقليد فقالوا مجيبين
عنها[5]: ﴿ هٰؤلآء ﴾ [6]و أن يكونوا[7] قالوا ذلك للملك إنقاذا له من شرك
١٠ الجهل ، و بين المشار إليهم بقولهم : ﴿ قومنا ﴾ أى[3] و إن كانوا أسن
منا [1]و أقوى[1] و أجل فى[8] الدنيا ﴿ اتخذوا ﴾ [1]أى مخالفين مع منهاج
العقل داعى الفطرة الأولى[1] ﴿من دونه الهة[1]﴾ أشركوهم [معه - [2]]
لشبهة واهية استغواهم بها الشيطان ؛ ثم استأنفوا على طريق التخصيص
ما ينبه على أنهم من حين عبادتهم[9] إلى الآن لم يأتوا على ذلك بدليل ،
١٥ فقالوا [1]منبهين على فساد التقليد فى أصول الدين و أنه لا مقنع فيه بدون
القطع[1] : ﴿ لولا ﴾ أى هلا ﴿ يأتون ﴾ الآن .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
(٤) من مد، و فى الأصل و ظ : حسدا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : عن.
(٦) العبارة من هنا إلى « إليهم بقولهم » ساقطة من ظ (٧) زيد فى مد : لما .
(٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٩) زيدت الواو فى ظ .

[١] و لما كانوا بعبادتهم لهـم قد أحلوهم محل العلماء، قال تعالى[١]: ﴿ عليهم ﴾ [١]أى على عبادتهم إياهم، و حققوا ما أرادوا من الاستعلاء بقولهم[١]: ﴿ بسلطن ﴾ أى دليل قاهر[٢] ﴿ بين[٤] ﴾ مثل ما نأتى نحن على تفرد معبودنا بالأدلة الظاهرة، و البراهين الباهرة، فان مثل هذا الأمر لا يقنع [فيه -[٣]] بدون ذلك، و قد جمعنا الأدلة كلها فى[٤] الاستدلال على تفرد الله باستحقاقه للعبادة بأنه[٥] تفرد بخلق الوجود، فتسبب عن عجزهم عن دليل أنهم أظلم الظالمين لافتعالهم الكذب عن ملك الملوك و مالك الملك، فلذلك قالوا: ﴿ فمن اظلم ممن افترى ﴾ أى تعمد ﴿ على الله ﴾ [١]أى الملك الأعظم[١] ﴿ كذبا[٥] ﴾ [١]فالآية دالة على فساد التقليد فى الوحدانية[١].

و لما استدلوا على معتقدهم، و علموا سفه من خالفهم، و هم قوم لايدان لهم بمقاومتهم، لكثرتهم و قلتهم[٦]، تسبب عن ذلك هجرتهم ليسلم لهم دينهم، [١]فقال تعالى شارحا لما بقى من أمرهم، عاطفا على ما تقديره[٩]: [٧]و قالوا[٧] أو من شاء الله منهم [٨]حين خلصوا من قومهم نجيا: لا ترجعوا إلى قومكم أبدا ما داموا على ما هم عليه، هذا إن كان المراد قيامهم [بين يدى دقيانوس، و إن كان المراد من القيام -[٩]] الانبعاث بالعزم الصادق لم يحتج إلى هذا التقدير: ﴿ و اذ ﴾ [١]أى حين[١] ﴿ اعتزلتموهم ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لانه.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لقلتهم (٧-٧) فى ظ: فقالوا (٨) العبارة من هنا إلى «إلى هذا التقدير» ساقطة من ظ (٩) زيد من مد.

أى قومكم ﴿ و ما ﴾ أى و اعتزلتم ما ﴿ يعبدون الا الله ﴾ [1]أى الذى له صفات الكمال[1]، و هذا دليل على أنهم[2] كانوا يشركون ، و يجوز أن يكونوا سموا الانقياد كرها لمشيئته و الخضوع بزعمهم لاقضيته عبادة ﴿فاوٓا﴾ [1]أى بسبب هذا الاعتزال[1]، و هذا دليل[3] العامل فى "اذ[4]"

٥ ﴿الى الكهف﴾ أى الغار الذى فى الجبل ﴿ينشر﴾[1] أى يحيي و يبعث[1] ﴿لكم ربكم﴾ [5]الذى لم يزل يحسن إليكم ﴿من رحمته﴾ ما يكفيكم به المهم من أمركم ﴿و يهيئ لكم من امركم﴾ [5] الذى / من شأنه أن يهمكم ٣٥٦/ ﴿مرفقا﴾ ترتفقون به[6]. [1]و هو بكسر الميم و فتح الفاء فى قراءة الجماعة، و بفتحها و كسر الفاء للنافع و ابن عامر[1]، و هذا الجزم من آثار الربط

١٠ على قلوبهم بما علموا من قدرته على كل شيء، و حمايته من لاذ به و لجأ إليه و عبده و توكل عليه ، ففعلوا ذلك ففعل[7] الله ما رجوه[8] فيه ، فجعل لهم أحسن مرفق بأن أنامهم ثم أقامهم بعد [مضى -[9]] قرون و مرور دهور[10] ، و هدى بهم ذلك[11] الجيل الذى أقامهم فيه ﴿ و ترى ﴾ لو رأيت كهفهم ﴿ الشمس اذا طلعت ﴾ .

١٥ و لما كان حالهم خفيا ، و كذا حال انتقال الشمس عند من لم يراقبه ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : انما (٣) فى ظ : هو (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذا (٥) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) سقط من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بفعل (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : رجوا (٩) زيد من ظ و مد (١٠) زيد فى الأصل: دهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١١) سقط من ظ .

أدغم تاء التفاعل نافع و ابن كثير و أبو عمرو ، و أسقطها عاصم و حمزة و الكسائى ، فقال تعالى[1]: ﴿ تزور ﴾ أى تمايل [2]و تنحرف ، و لعل قراءة ابن عامر و يعقوب تزور بوزن تحمر ناظرة إلى الحال عند[3] نهاية الميل ﴿ عن كهفهم ﴾ [4]بتقلص شعاعها[4] بارتفاعها [5]إلى أن تزول[5] ﴿ذات اليمين﴾ إذا كنت[6] مستقبلا القبلة و أنت متوجه إليه [5]أو مستقبلا الشمس[5] فيصيبهم[7] من حرها ما يمنع عنهم التعفن و يمنع سقف الكهف شدة الحرارة المفسدة[8] فى بقية النهار ﴿و اذا غربت﴾ [5]أى أخذت فى الميل إلى الغروب[5] ﴿تقرضهم﴾ أى تعدل فى مسيرها عنهم ﴿ذات الشمال﴾ كذلك[9] ، لئلا يضرهم[10] شدة الحرارة ، و يصيبهم من منافعها[11] مثل ما كان عند الطلوع ، [5]فلا يزال كهفهم رطبا ، و يأتيه من الهواء الطيب و النسيم الملائم ما يصونهم عن التعفن و الفساد[5]. فتحرر بذلك[12] أن باب الغار مقابل لبنات نعش ، و أن الجبل الذى هم فيه شمالى مكة المشرفة ، [13]و يجوز أن يكون المراد يمين من يخرج من الكهف و شماله ، فلا يلزم ذلك ، [و -[14]] قال الأصبهانى : قيل : إن [باب -[14]] ذلك كان مفتوحا

(١) العبارة من « و لما كان » إلى هنا ساقطة من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « نهاية الميل » ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : عنه (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل و مد : تتقاص بشعاعها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كانت (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فتصيبهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل: المفيدة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل: لذلك (١٠) فى ظ : لئلا تضرهم (١١) فى ظ و مد : نافعها (١٢) فى مد: ذلك (١٣) العبارة من هنا إلى « على شماله » ساقطة من ظ (١٤) زيد من مد .

إلى جانب الشمال إذا طلعت الشمس عن يمين الكهف، و إذا غربت كانت على شماله .

و مادة " قرض، - و ليس لها إلا هذا التركيب - تدور على القطع، و يلزمه[1] الميل عن الشيء و العدول و الازورار عنه، قرضت الشيء - بالفتح - أقرضه - بالكسر : قطعته بالمقراض أو بغيره - لأنك إذا وصلت إليه " فقد حاذيته[2] فاذا قطعته تجاوزته فانحرفت عنه ، و القرض : قول الشعر خاصة - لأنه لا شيء من الكلام يشبهه فهو مقطوع منه مائل عنه[3] بما خص به من الميزان، [4]و هل مررت بمكان كذا ؟ فتقول : قرضته ذات اليمين ليلا ، أى كان عن يمينى ، و القرض : ما تعطيه من المال لتقضاه - لأنك قطعته من مالك ، و القرض - بالكسر : لغة فيه عن الكسائى ، و القرض : ما سلفت من إحسان أو إساءة - على[5] التشبيه ، و التقريض : المدح و الذم - لأنه يميز الكلام[6] فيه تمييزا ظاهرا ، و هما يتقارضان كذا - كأن كلا منهما مقرض لصاحبه و موف له على ما أقرضه[7]، و المقارضة : المضاربة - لأن صاحب المال قطع من ماله ، و العامل قطع من عمله حصة[8] لهذا المال ، و[9] قرض فلان الرباط - إذا مات ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يلزم (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقاد حاذيته (٣) سقط من ظ (٤) و قبله فى التاج : قال الجوهرى : و يقول الرجل لصاحبه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٦) فى ظ : المتكلم (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : اقترضه (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : قصة (٩) زيد فى الأصل : قد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

لأنه إذا انقطعت حياته انقطع كل رباط له فى الدنيا ، و جاء فلان و قد قرض رباطه - إذا جاء مجهودا قد أشرف على الموت - كأنه أطلق عليه ذلك للقاربة ، و المقارضة : المشاتمة - [1] لقطعها العرض [1] و ما بين المتشاتمين [2] ، و الاقتراض : الاغتياب - من ذلك و من القرض أيضا ، لأن من اغتاب اغتيب ، و قرض - بالكسر - إذا زال من شيء إلى شيء - لأنه بوصل الثانى /قطع الأول ، و قرض - إذا مات ، و المقارض: الزرع القليل - إما للازالة على الضد من الكثير ، أو تشبيه بمواضع الاستقاء [3] فى البئر القليلة الماء ، فان المقارض [أيضا - [4]] المواضع التى يحتاج المستقى إلى أن يقرض منها الماء ، أى يميح ، أي يدخل الدلو فى البئر فيملأها لقلة الماء - لأنها مواضع قطع الماء برفعه [5] عن البئر ، و المقارض أيضا : الجرار الكبار - كأنها لكبرها و قطعها كثيرا من الماء هى التى قطعت دون الصغار ، و ما عليه قراض ، أى ما يقرض عنه العيون فيستره [6] لتعدل عنه العيون - لعدم نفوذها إلى جلده ، و القرض فى السير [7] هو أن تعدل عن الشيء فى مسيرك ، فاذا عدلت عنه فقد [8] قرضته ، و المصدر القرض و أصله من القطع ، و ابن مقرض - كمنبر : دويبة تقتل الحمام - كأنها سميت لقطعها حياة الحمام ، و قرض البعير جرته :

/ ٣٥٧

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتقطعها القرض (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المشاتمين (٣) فى مد : الاستسقاء (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : برفعها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيسره (٧) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨) فى مد : عند.

مضغها فهى[1] قريض - لتقطيعها بالمضـــغ و لقطعها من[2] بطنه بردها إلى حنكه للضغ[3] .

و لما بين تعالى أنه حفظهم من حر الشمس ، بين أنه أنعشهم بروح الهواء ، و ألطفهم بسعة الموضع فى فضاء الغار فقال : ﴿ و هم فى فجوة منه[4] ﴾ أى فى وسط الكهف و متسعه . و لما شرح هذا الأمر الغريب ، و النبأ العجيب ، وصل به نتيجته فقال تعالى : ﴿ ذلك ﴾ أى المذكور العظيم من هدايتهم ، و ما دبروا لأنفسهم ، و ما دبر لهم من هذا الغار المستقبل[5] للنسيم الطيب المصون عن كل مؤذ ، و ما حقق به رجاءهم مما[6] لا يقدر عليه سواه ﴿ من ءايت الله[4] ﴾ [6] أى الملك الأعلى المحيط بكل شىء علما و قدرة[6] ، و إن كان إذا قيس إلى هذا القرآن القيم[7] و غيره مما خصت به هذه الأمة كان يسيرا .

و لما كان انفرادهم بالهدى عن أهل ذلك القرن كلهم عجبا ، وصل به ما إذا تؤمل زال عجبه فقال تعالى : ﴿ من يهد[8] ﴾ [6] و لو أيسر هداية - بما دل عليه حذف الياء فى الرسم[6] ﴿ الله[9] ﴾ [6] أى الذى له الأمر كله[6] بخلق الهداية فى قلبه للنظر فى آياته التى لا تعد و الانتفاع بها ﴿ فهو ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فهو (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمن . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالمضغ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المستقل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : العظيم (٨) فى الأصل فقط : يهدى (٩) وقع فى الأصل و ظ بعد « من يهد » و الترتيب من مد .

خاصة ﴿ المهتد ج ﴾ فى أى زمان كان ، فلن تجد له مضلا مغويا ﴿ و من يضلل ﴾ [1] إضلالا ظاهريا بما دل عليه الإظهار - [2]] باعمائه عن طريق الهدى ، فهو لا غيره الضال ﴿ فلن تجد له ﴾ أصلا من دونه ، لأجل أن الله الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه أضله ﴿ وليا مرشدا ع ﴾ فتجده يرى الآيات بعينه ، و يسمعها بأذنه ، و يحسها بجميع حواسه ، ٥ و لا يعلم أنها آيات فضلا عن أن يتدبرها و ينتفع بها ، فالآية من الاحتباك : ذكر الاهتداء أولا دليلا على حذف الضلال ثانيا ، و المرشد ثانيا دليلا على حذف المضل أولا .

و لما نبه سبحانه هذا التنبيه تسلية للنبي صلى الله عليه و على آله و سلم و تثبيتا أن يبخع نفسه ، عطف على ما مضى بقية أمرهم [فقال - [3]] : ١٠ ﴿ و تحسبهم ايقاظا ﴾ لانفتاح أعينهم للهواء ليكون أبقى لها ، و لكثرة حركاتهم ﴿ و هم رقود ج ﴾ بعظمتنا [3] فى حال نومهم تقليبا كثيرا بحسب ما ينفعهم كما يكون النائم ﴿ ذات ﴾ [4] أى فى الجهة التى هى صاحبة [4] ﴿ اليمين ﴾ منهم ﴿ و ذات الشمال ج ﴾ لينال روح النسيم جميع أبدانهم و لا يتأثر ما يلى الأرض منها بطول المكث ﴿ و كلبهم باسط ﴾ ١٥ [4] و أعمل اسم الفاعل هذا ، لأنه ليس بمعنى الماضى بل هو حكاية حال ماضية فقال [4] : ﴿ ذراعيه بالوصيد ط ﴾ أى بباب الكهف [4] و فنائه [4] كما هى عادة الكلاب ، و ذكر هذا الكلب على [طول - [3]] الآباد

(١) العبارة من هنا إلى « طريق الهدى » ساقطة من ظ (٢) زيد من ظ و مد .
(٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بجميل هذا الرقاد[1] من بركة صحبة الأمجاد[2] .

/٣٥/ و لما / كان هذا مشوقا[3] إلى رؤيتهم ، وصل به ما يكف عنه بقوله تعالى : ﴿ لو اطلعت عليهم ﴾ و هم على تلك الحال ﴿ لوليت منهم فرارا ﴾ أى[4] حال وقوع بصرك عليهم ﴿ و لملئت ﴾ [1]فى أقل وقت بأيسر أمر[1] ﴿ منهم رعبا ﴾ لما ألبسهم الله من الهيبة ، و جعل لهم من الجلالة ، تدبيرا منه لما أراد منهم ﴿ و كذلك ﴾ [أى -[5]] [6]فعلنا بهم[7] هذا من آياتنا [1]من النوم و غيره[1] ، و مثل ما فعلناه بهم ﴿ بعثنهم ﴾ [1]بما لنا من العظمة[1] ﴿ ليتساءلوا ﴾ [1]و أظهر بالافتعال إشارة إلى أنه فى غاية الظهور . و لما كان المراد تساؤلا عن أخبار لاتعدوهم قال تعالى[1] : ﴿ بينهم[8] ﴾ أى[4] عن أحوالهم فى نومهم و يقظتهم [1]فيزدادوا إيمانا ، و ثباتا و إيقانا ، بما ينكشف لهم من الأمور العجيبة ، و الأحوال الغريبة[1] فيعلم[9] أنه لاعلم لأحد غيرنا ، و لا قدرة لأحد سوانا ، و أن قدرتنا تامة ، و علمنا شامل ، فليعلم ذلك من أنكر قدرتنا على البعث و سأل اليهود البعداء البغضاء عن نبيه[9] الحبيب الذى أتاهم بالآيات ، و أراهم البينات . فان كانوا يستنحصون اليهود فليسئلوهم عما قصصنا[10]

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : الاخيار (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : مشوقا (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى « ومثل ما » متكررة فى الأصل فقط (٧) زيد فى العبارة المتكررة من الأصل : من (٨) من ظ ، وفى الأصل ومد : و يعلم (٩) زيد فى ظ : العرب - كذا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : قصصناهم .

من

من هذه القصة ، فان اعترفوا [به - [1]] لزمهم جميعا[2] الإيمان و الرجوع عن الغى و العدوان ، و إن لم يؤمنوا علم قطعا أنه لايؤمن إلا من أردنا هدايتـــه بالآيات البينات كأهل الكهف و غيرهم ، لا بانزال الآيات المقترحات .

و لما كان المقام مقتضيا لأن يقال : ما كان تساؤلهم ؟ أجيب بقوله ٥ تعالى : ﴿ قال قآئل منهم ﴾ [3]مستفهما من إخوانه[3] : ﴿ كم لبثتم[4] ﴾ نائمين [3]فى هـذا الكهف[3] من ليلة أو يوم ، [4]و هذا يدل على أن هذا[5] القائل استشعر طول لبثهم بما رأى من هيئتهم أو لغير ذلك من الأمارات ؛ ثم وصل [به فى - [1]] ذلك الأسلوب أيضا قوله تعالى : ﴿ قالوا لبثنا يوما ﴾ [3]و دل على أن هذا الجواب مبنى على الظن بقوله دالا حيث أقرهم عليه ١٠ سبحانه على جواز الاجتهاد و القول بالظن المخطئ ، و أنه لا يسمى كذبا و إن كان مخالفا للواقع[3] ﴿ او بعض يوم[4] ﴾ كما تظنون أنتم عند قيامكم من القبور إن لبثتم إلا قليلا ، لأنه لا فرق بين صديق و زنديق فى الجهل بما غيبه الله تعالى ، فكأنه قيل : على أى شىء استقر أمرهم فى ذلك ؟ فأجيب بأنهم ردوا الأمر إلى الله بقوله[6] : ﴿ قالوا ﴾ أى قال ١٥ بعضهم [3]إنكارا على أنفسهم[3] و وافق الباقون بما عندهم [من - [1]] التحاب فى الله و التوافق [فيه - [1]] فهم فى الحقيقة إخوان الصفا[7]

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بـذلك (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « من الأمارات » ساقطة من ظ . (٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعالى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الضعفاء .

و خلان الألفة و الوفا ﴿ ربكم ﴾ المحسن إليكم ﴿ اعلم ﴾ [1]أى من كل أحد[1] ﴿ بما لبثتم[1] فابعثوا ﴾ أى فتسبب عن إسناد العلم إلى الله تعالى أن يقال : اتركوا الخوض[2] فى هـذا و اشتغلوا بما ينفعكم بأن تبعثوا ﴿ احدكم بورقكم ﴾ [1]أى فضتكم ﴿ هذه ﴾[1] التى جمعتموها لمثل هذا[1] ﴿ الى المدينة ﴾ التى خرجتم منها و هى طرسوس[3] [1]ليأتينا بطعام فانا جياع[1] ﴿ فلينظر ايها ﴾ [2]أى أى أهلها[2] ﴿ ازكى ﴾ أى أطهر [1]و أطيب[1] ﴿ طعاما فلياتكم ﴾ [1]ذلك الأحد[1] ﴿ برزق منه ﴾ لنأكل ﴿ وليتلطف ﴾ فى التخفى بأمره حتى لا يتفطنوا له ﴿ و لا يشعرن ﴾ أى[4] هذا المبعوث منكم فى هذا الأمر ﴿ بكم احدا ﴾ أن فطنوا [له -[5]] فقبضوا عليه ، [6]و إن المعنى : لا يقولن و لا يفعلن ما يؤدى من غير قصد منه إلى الشعور بكم فيكون قد أشعر بما كان منه من السبب ، و فى قصتهم دليل على أن حمل المسافر ما يصلحه من المنفعة رأى المتوكلين لا المتآكلين المتكلين على الإنفاقات على ما فى أوعية[7] القوم من النفقات ، و فيها صحة الوكالة ؛ و مادة 'ورق' بجميع تراكيبها الخمسة عشر / قد تقدم فى سورة ٣٥٩/ سبحان و غيرها أنها [تدور -[8]] على الجمع ، [9]فالورق مثلثة و ككتف

(١-١) سقط مابين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخواض. (٣) وكان اسمها يوم خرجوا منها أفسوس - كما فى روح المعانى ٥/٢٦ (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « صحة الوكالة » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : اوطية (٨) زيد من ظ و مد (٩) العبارة من هنا إلى « أول الجمع » ساقطة من مد .

و جبل : الدراهم المضروبة - تشبيها بالورق فى الشكل و فى الجمال ، و بها جمع حال الإنسان ، [١]و حالها مقتض للجمع[١]، و الورّاق : الكثير الدراهم و هو أيضا مورّق الكتب ، و حرفته الوراقة ، و ما زلت منك موارقا ، أى قريبا مدانيا - أى كالذى يساجلك فى قطاف الورق من شجرة واحدة فهو يأخذ من ناحية و أنت من أخرى ، و المداناة : أول الجمع ٥ و الورق - محركة : جمال الدنيا و بهجتها - لأنها تجمع ألوانا و أنواعا ، و لعل منه الورقة ، قال [فى -[٢]] مختصر العين : إنها سواد فى غبرة. و حمامة ورقاء - أى منه ، و فى القاموس : و الأورق من الإبل : ما فى لونه بياض إلى سواد ، و رأى رجل الغول على جمل أورق فقال : جاء[٣] بأم الريق على أريق ، [أى -[٤]] بالداهية العظيمة ، صغر الأورق ١٠ كسويد فى أسود ، و الأصل وريق فقلبت واوه همزة ، و الأورق أيضا : الرماد و عام [٥]لا مطر[٥] فيه ، و اللبن ثلثاه ماء - كل ذلك جامع للونين فأكثر ، و الورق [٦]محركة أيضا[٦] من الكتاب و الشجر[٧] معروف - لأنك لا [تكاد -[٢]] تجد واحدة منه على لون واحد ، و لأنه يجمع الواحدة منه إلى الأخرى و يجمع معنى [ما -[٨]] يحمله ، قال فى مختصر العين : ١٥ و الورق : أدم [رقاق -[٢]] منه ورق المصحف ، و الورق أيضا : الخبط -

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى القاموس : جاءنا (٤) زيد من ظ و مد و القاموس (٥-٥) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل: امطر (٦-٦) فى ظ : ايضا محركة (٧) زيد بعده فى الأصل: أيضا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد من مد .

لأنه لما كانت الإبل تعلفه كان كأنه هو الورق لا غيره ، و الورق : الحى من كل حيوان - لأن الحياة هى الجمال ، و بها جماع الأمور ، و لأن الورق[1] دليل على حياة الحى من الشجر ، فهو من إطلاق اسم الدال على المدلول ، و الورق أيضا : ما استدار من الدم على الأرض ، أو ما سقط من الجراحة - لأن الاستدارة أجمع[2] الأشكال ، و هو تشبيه بورق الشجر فى[3] الشكل ، و الورق : المال من إبل و دراهم و غيرها - لأن جماع حياة الإنسان و كمالها بذلك كما أن كمال حياة الشجر بالورق ، و لرعى المال من الحيوان الورق ، و الورق : حسن القوم و جمالهم - من ذلك ، لأنه يجمع أمرهم و يجمع إليهم غيرهم ، و الورق [من القوم -[4]] : [5]أحداثهم أو الضعاف[5] من الفتيان - تشبيه بالورق لأنه لايقيم [غالبا -[6]] أكثر من عام ، و لأنه ضعيف فى نفسه ، و ضعيف النفع بالنسبة إلى الثمر[7] ، و الورقة - بهاء : الخسيس[8] و الكريم ، ضد - للنظر[9] تارة إلى كونه نافعا[10] للرعى و دالا على الحياة ، و إلى كونه غير مقصود بالذات أخرى ، و[11] رجل ورق و امرأة ورقة : خسيسان أى لا ثمرة لهما ، و من ذلك أورق الصائد - إذا رمى فأخطأ أى لم يقع

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ورق (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجم.
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٤) زيد من ظ و مد و القاموس .
(٥-٥) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل: احوالهم و الورق (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الاصل: الشجر (٨) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل : الحشيش (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : النظير (١٠) تكرر فى الأصل فقط (١١) فى مد : او .

على

على غير الورق ، أى لم تحصل له ثمرة ، بل وقع على شجرة غير مثمرة ، و كذا أورق القوم : [1]أخفقوا فى حاجتهم ، أى رجعوا بلا[2] ثمرة ، و من ذلك أيضا أورقوا : كثر[3] مالهم و دراهمهم - ضد ، هذا بالنظر إلى أن فى الورق جمال الشجر و حياته ، و التجارة مؤرقة للمال كمجلبة أى مكثرة ؛ و منه قول القزاز فى ديوانه : هذا رجل مؤرق له دراهم[4] ، و المؤرق : الذى لاشىء له - ضد ، أو أنه تارة يكون للايجاب و الصيرورة نحو أغدّ البعير ، و تارة للسلب نحو أشكيته[5] ، و الوراق - ككتاب : وقت خروج [الورق -[6]] من الشجر ، و شجرة وريقة و ورقة[7] : كثيرة الورق ، و الوارقة[8] : الشجرة الخضراء [9]الورق الحسنته[9] ، و الوراق - كسحاب : خضرة الأرض من الحشيش ، و ليس من الورق فى شىء ، و ذلك أن تلك الخضرة لا تخلو[10] عن لون آخر ، و الرقة - كعدة : أول نبات النصى و الصليان و هما نباتان أفضل مراعى الإبل ، لأنهما سبب لجمع المال للرعى ، و الرقة : الأرض / التى يصيبها المطر فى الصفرية[11] - أى[12] أول الخريف - أو فى القيظ فتنبت

/ ٣٦٠

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : كثرت (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بدراهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : شكيته (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : ورقيه (٨) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : الوراقة (٩-٩) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : الورقة الخشنة - كذا (١٠) زيد فى مد : لانهما سبب بجمع المال للرعى و الرقة الأرض عن لون آخر - كذا (١١) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : الصغربه (١٢) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

فتكون خضراء - كأن ذلك النبات يكون أقل خضرة من نبات الربيع ، و يكون اختلاطه لغيره من الألوان أكثر مما فى الربيع ، و فى القوس ورقة - بالفتح : عيب ، [1]و الورقاء : الذئبة[1] - من أجل أن الورق الخالى عن الثمر تقل الرغبة فى شجره و هو دون المثمر ، و لأن الورق مختلط اللون ، و الاختلاط فى كل شيء عيب بالنسبة إلى الخالص ، و تورقت الناقة : أكلت الورق . و قار الرجل يقور : مشى على أطراف قدميه لئلا يسمع صوتها - لأن فاعل ذلك جدير بالوصول إلى ما أراد مما يجمع شمله ، و منه قار [2]الصيد : ختله[2] - لأن أهل الخداع أولى بالظفر ، ألا ترى الأسود تصاد به[2] ، و لو غولبت عز أخذها ، و قار الشيء : قطعه من وسطه خرقا مستديرا كقوّره - لأن الثوب يصير بذلك الخرق يجمع [ما يراد - [4]] منه ، و الاستدارة أجمع[5] الأشكال كما سلف ، و القوارة - كثمامة : ما قور من الثوب و غيره ، أو يخص[6] بالأديم ، و ما قطعت من جوانب الشيء ، و الشيء الذى قطع[7] من جوانبه - ضد ، و هو من تسميه [موضع - [4]] الشيء باسمه ، و القارة : الجبل[8] الصغير الصلب المنقطع عن الجبال - لشدة اجتماع أجزائه بالصلابة

(١ - ١) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : الورقة الدينية (٢ - ٢) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : المصيد خلته (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : جم (٦) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : تحصى (٧) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : قطعت . (٨) فى القاموس : الجبيل .

و اجتماعه فى نفسه بانقطاعه عن غيره مما لو خالطه لفرقه ، و لم يعرف حده على ما هو ، و القارة [١] : الصخرة العظيمة ، و الأرض ذات الحجارة السود ـ لاجتماعها فى نفسها بتميزها عن غيرها [بتلك الحجارة -[٢]] ، و دار قوراء : واسعة - تشبيها بقوارة الثواب ، و لأنها كلما [٣] اتسعت كانت أجمع ، و القار : الإبل أو [٤] القطيع الضخم منها ، و الاقورار : تشنج الجلد و انحناء الصلب هزالا و كبرا - لأن كلا من التشنج و الانحناء اجتماع ، و الاقورار [٥] : الضمر ـ لأن الضامر اجتمعت أجزاؤه ، و الاقورار : السمن - ضد ، لأن السمين جمع اللحم و الشحم ، و الاقورار : ذهاب نبات الأرض - لأنها تصير بذلك قوراء فتصير [٦] أجدر بأن تسع الجموع ، و يمكن أن يكون الاقورار كله من السلب إلا ما للسمن ، و القور : القطن الحديث أو ما زرع من عامه ـ [لأنه ـ [٢]] يلبس فيجمع [٧] البدن ، و لقيت منه الأقورين ـ بكسر الراء ، و الأقوريات أى الدواهى القاطعة ـ تشبيها بما قور من الثوب ، فهى [٨] للسلب ، و القور ـ محركة : العين [٩] - لأن محلها يشبه القوارة ، و المقور [١٠] ـ كمعظم : المطلى بالقطران ـ لاجتماع أجزائه بذلك ، و اقتار : احتاج ، أى صار أهلا لأن يجمع ،

(١) زيد فى ظ : هو (٢) زيد من ظ و مد (٣) تكرر فى مد (٤) من ظ و مد والقاموس ، و فى الأصل « و » (٥) فى مد : الاقوار (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : فيصير (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : فيجتمع (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : فهو (٩) فى مد : الغنى ، و فى القاموس : العور (١٠) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : المقورة .

و تقور الليل[١] : تهور ، أى مضى ، من القطع ، و تقورت الحية : تثنت أى تجمعت ، و القار : شجر مر - كأنه الذى تطلى به السفن ، و هذا أقير من هذا : أشد مرارة[٢] - لأن المرارة تجمع اللهوات عند الذوق ، و القارة قبيلة - لأن [٣]ابن الشداخ[٣] أراد أن يفرقهم[٤] فقال شاعرهم :

٥ دعونا قارة لا تذعرونا[٥] فنجفل مثل إجفال الظليم

فسموا القارة بهذا[٦] و كانوا رماة ، و فى المثل : قد أنصف القارة من راماها .

و الرقوة : [٧]فويق الدعص[٧] من الرمل ، و يقال رقو ، بلاهاء - كأنه لجمعه[٨] الكثير من الرمل ، أو لجمعه من يطلب الإشراف على الأماكن

١٠ البعيدة بالعلو عليه لترويح النفس - و الله الموفق .

و لما نهوا رسولهم عن الإشعار بهم عللوا ذلك فقالوا : ﴿انهم﴾ أى أهل المدينة ﴿ان يظهروا﴾ [٩]أى يطلعوا عالين[٩] ﴿عليكم يرجموكم﴾ أى يقتلوكم [١٠]أخبث قتلة[١٠] إن استمسكتم بدينكم ﴿او يعيدوكم﴾ قهرا[١١]

---

(١) زيد فى الأصل : أى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد و القاموس فحذفناها .
(٢) زيدت الواو فى ظ و مد (٣ - ٣) من مد و تاج العروس ، و فى الأصل وظ : من السداخ (٤) فى بنى كنانة و قريش - كما صرح فى التاج ، وفى الأصل : يقرهم ، والتصحيح من ظ ومد والتاج (٥) من التاج ، و فى النسخ : لا تجفلونا ، و فى اللسان و المستقصى ٢/١٨٩ ، لا تنفرونا (٦) تكرر فى مد (٧-٧) من مد و القاموس ، و فى الأصل : فريق الدعمص ، و فى ظ : فريق الدعص (٨) من مد ، وفى الأصل وظ : يجمعه (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠-١٠) من مد ، و فى الأصل : خبث قتله ، و ما بين الرقمين ساقط من ظ (١١) سقط من ظ .

فى

﴿ فى ملتهم ﴾ إن لتم لهم ﴿ و لن تفلحوآ اذاً ﴾ أى إذا عدتم فيها [١]مطمئنين بها ، لأنكم و إن / أكرهتم ربما استدرجكم الشيطان بذلك إلى الإجابة حقيقة[١] ﴿ ابداه ﴾ [أى -[٢]] فبعثوا أحدهم فنظر الأزكى و تلطف فى الأمر ، فاستراحوا منه لأنهم أنكروا ورقه لكونها من ضرب ملك لا يعرفونه فجهدوا[٣] به فلم[٤] يشعر بهم أحدا[٥] من المخالفين ، و إنما أشعر بهم[٦] الملك لما رآه موافقا لهم فى الدين لأنه لم يقع النهى عنه ﴿ وكذلك ﴾ أى فعلنا[٧] بهم ذلك[١] الأمر العظيم[١] من الربط على قلوبهم ، و الستر لأخبارهم و الحماية من الظالمين و الحفظ لأجسامهم [٨]على مر الزمان ، و تعاقب الحدثان ، و مثل ما فعلنا بهم ذلك ﴿ اعثرنا ﴾ اى أظهرنا [١]إظهارا اضطراريا[١] ، أهل البلد [٩]و أطلعناهم ، و أصله أن الغافل عن الشيء ينظر إليه إذا عثر به نظر إليه فيعرفه[١٠] ، فكان العثار سببا لعلمه به فأطلق اسم السبب على المسبب ﴿ عليهم ليعلموآ ﴾ أى أهل البلد بعد أن كان حصل لبعضهم شك فى حشر [الأجساد -[٢]] [١] لأن اعتقاد اليهود و النصارى أن البعث إنما هو للروح فقط[١] ﴿ ان وعد الله ﴾ [١] الذى له صفات الكمال بالبعث للروح و الجسد معا[١]

/ ٣٦١

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : يجهلوا (٤) فى ظ : و لم ؛ و العبارة فيه من « فاستراحوا » إلى ما قبل هذه الكلمة ساقطة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : احد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : به (٧) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٨) و قد طرأ الانطماس على نسخة مد من هنا إلى ما سننبه عليه (٩) العبارة من هنا إلى « المسبب » ساقطة من ظ (١٠) و العبارة يعتورها بعض الغموض .

﴿ حق ﴾ لأن قيامهم بعد نومهم نيفا و ثلاثمائة سنة مع خرق العادة بحفظ أبدانهم عن الفناء من غير أكل و لا شرب مثل قيام من مات بجسمه الذى كان سواء على أن مطلق النوم دال على ذلك كما قال بعض العارفين « علمك باليقظة بعد النوم علم بالبعث بعد الموت ، و البرزخ واحد غير أن للروح[1] بالجسم فى النوم تعلقا لا يكون بالموت ، و تستيقظ على ما نمت عليه كذلك تبعث على ما مت عليه » .

و لما كان من الحق ما قد يداخله شك قال تعالى : ﴿ و ان ﴾ أى و ليعلموا أن ﴿ الساعة لا ريب فيها ﴾ مبينا أنها ليست موضع شك[2] أصلا لما قام عليها من أدلة العقل ، المؤيد فى كل عصر بقواطع النقل ، [3]و من طالع تفسير " الزيتون " من كتابى هذا حصل له هذا ذوقا[3] ؛ ثم بين أن هذا الإعثار أتاهم بعلم نافع حال تجاذب و تنازع فقال : ﴿ اذ ﴾ أى ليعلموا ذلك ، [4]و أعثرنا حين[4] ﴿ يتنازعون ﴾ أى أهل المدينة .

و لما كان التنازع فى الغالب إنما يكون بين الأجانب ، و كان تنازع هؤلاء مقصورا عليهم كان الأهم بيان محله فقدمه فقال تعالى : ﴿ بينهم امرهم ﴾ أى أمر أنفسهم فى الحشر فقائل يقول : تحشر الأرواح مجردة ، و قائل يقول[5] : بأجسادها ، أو أمر الفتية فقائل يقول : ناس[6] صالحون ، و [7]ناس يقولون[7] : لا ندرى من أمرهم غير أن الله تعالى

(١) من ظ ، و فى الأصل : الروح (٢) فى ظ : ريب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) فى ظ : اذ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : الناس (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : قائل يقول .

أراد هدايتنا[١] بهم ﴿ فقالوا ﴾ أى فتسبب عن هذا الإعثار أو التنازع أن قال أكثرهم: ﴿ ابنوا عليهم ﴾ على كل حال ﴿ بنيانا[٢] ﴾ يحفظهم، و اتركوا التنازع فيهم؛ ثم عللوا ذلك بقولهم: ﴿ ربهم ﴾ [٢]أى المحسن إليهم بهدايتهم و حفظهم و هداية الناس بهم[٢] ﴿ اعلم بهم[٢] ﴾ أن كانوا صالحين أو لا، و أما أنتم فلا طريق لكم إلى علم ذلك؛ ثم استأنف على ٥ طريق الجواب لمن كأنه قال: ما ذا فعلوا؟ فقال: ﴿قال الذين غلبوا على[٣]﴾ [٢]أى وقع أن كانوا غالبين على[٢] ﴿ امرهم ﴾ أى ظهروا [عليه -[٣]] و علموا أنهم ناس صالحون[٤] فروا بدينهم من الكفار [٢]و ضعفت من ينازعهم[٢]؛ و يجوز - و هو أحسن - أن يكون الضمير لأهل البلد أو للغالبين أنفسهم، إشارة إلى أن الرؤساء منهم و أهل القوة كانوا ١٠ أصلحهم [إيماء -[٣]] إلى أن الله تعالى أصلح بهم [أهل -[٣]] ذلك[٥] الزمان ﴿ لنتخذن عليهم ﴾ ذلك البنيان الذى / اتفقنا عليه ﴿ مسجدا[٥] ﴾ / ٣٦٢ و هذا دليل على أنهم حين ظهروا عليهم وكلوهم أماتهم الله بعد أن علموا أن لهم مدة طويلة لا يعيش مثلها أحد فى ذلك الزمان، و قبل أن يستقصوا جميع أمرهم، و فى قصتهم ترغيب فى الهجرة. ١٥

و لما ذكر تعالى تنازع أولئك الذين هداهم [الله -[٣]] بهم، ذكر [٢]ما يأتى من[٢] إفاضة من علم قريشا أن تسأل النبى صلى الله عليه و على آله و سلم منهم فى[٦] الفضول الذى ليس لهم إليه سبيل، و لا يظفرون

(١) من ظ، و فى الأصل: هذا تثبتا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: صالحين (٥) من ظ، و فى الأصل: بذلك (٦) من ظ، و فى الأصل: «و».

فيه [بدليل -[1]] [2]علما من أعلام النبوة[2] فقال تعالى : ﴿سيقولون﴾[3] أى أهل الكتاب و من وافقهم فى الخوض فى ذلك بعد اعترافهم بما قصصت عليك من نبأهم [2]بوعد لا خلف فيه[2]: هم ﴿ثلثة﴾ أشخاص ﴿رابعهم كلبهم ج﴾ و لا علم لهم بذلك ، [2]و لذلك أعراه عن الواو فدل إسقاطها على أنهم ليسوا ثلاثة و ليس الكلب رابعا[2] ﴿و يقولون﴾ أى و سيقولون أيضا : ﴿خمسة سادسهم كلبهم﴾ .

و لما تغير قولهم حسن جدا قوله تعالى : ﴿رجما بالغيب ج﴾ أى رميا[4] بالأمر الغائب[5] عنهم الذى لا اطلاع لهم عليه بوجه ﴿و يقولون﴾ أيضا دليلا على أنه لا علم لهم بذلك : ﴿سبعة و ثامنهم كلبهم[5]﴾ و تأخير هذا عن الرجم - و إن كان ظنا[6] - مشعر بأنه حق[7]، و يؤيده [8]هذه الواو التى تدخل[8] على الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل الواو حالا عن المعرفة فى نحو "الا و لها كتب معلوم[9]" فان فائدتها[10] توكيد لصوق الصفة بالموصوف ، و الدلالة على أن اتصاف الموصوف بالصفة أمر ثابت مستقر ، فدلت هذه الواو على أن أهل هذا القول قالوه عن ثبات علم و طمأنينة نفس ، و لم يرجموا[11] بالظن ، و فيه براءة ،

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « فى ذلك » ساقطة من ظ ، و من هنا استأنفت نسخة مد (٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ ، و فى الأصل و مد : الغالب (٦) فى ظ : منه (٧) العبارة من هنا إلى « مجردا عنها » ساقطة من ظ (٨ - ٨) فى مد : هذا الواو الذى يدخل .
(٩) سورة ١٥ آية ٤ (١٠) من مد ، و فى الأصل : فائدة (١١) من مد ، و فى الأصل : لم يرجعوا .

كلام نفيس عن[1] اتباع الوصف تارة بواو و تارة مجردا عنها . فلما ظهر كالشمس أنه لاعلم لهم[2] بذلك كان كأنه قيل[3] : ما ذا يقال لهم ؟ فقيل : ﴿قل ربي﴾ [4]أى المحسن إلىّ باعلامى بأمرهم و غيره[4] ﴿اعلم بعدتهم﴾ [أى -[5]] التى لا زيادة فيها و لانقص، فكان كأنه قيل : قد فهم من صيغة [6]أعلم[6] أن[7] من الخلق من يعلم أمرهم فقيل : ﴿ما يعلمهم الا قليل ۝ قف﴾ ٥ أى[7] من الخلق [4]و هو مؤيد لأنهم أصحاب القول الغالب، و هو قول ابن عباس رضى الله عنهما ، و كان يقول : أنا من ذلك القليل[4] . ﴿فلا﴾ أى فتسبب عن ذلك أن يقول لك على سبيل البت الداخل تحت النهى عن قفو ما ليس لك به علم : لا ﴿ تمار ﴾ [4]أى تجادل و تراجع[4] ﴿فيهم﴾ أحدا ممن يتكلم بغير ما أخبرتك به ﴿ الا مراء ظاهرا ص﴾ أدلته ، [4]و هو ١٠ ما أوحيت إليك به[4] و لاتفعل فعلهم من الرجم بالغيب ﴿و لاتستفت﴾ [4]أى تسأل سؤال مستفيد[4] ﴿ فيهم ﴾ أى أهل الكهف ﴿ منهم ﴾ أى من الذين يدعون العلم من بنى إسرائيل أو غيرهم ﴿ احدا ع ﴾ .

و لما كان نهيه عن استفتائهم موجبا لقصر همته على ربه سبحانه فكان من المعلوم أنه إذا سئل عن شيء ، التفتت نفسه إلى[6] تعرفه من ١٥ قبله ، فربما قال لما يعلم[7] من إحاطة علم الله سبحانه و كرمه لديه : سأخبركم به [غدا -[8]] ، كما وقع من هذه القصص ، علمه الله ما يقول فى كل أمر

(١) فى مد : على (٢) سقط من ظ (٣) زيد فى الأصل : لهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من مد . (٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : ان (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : لا يعلم . (٨) زيد من ظ و مد .

مستقبل يعزم عليه بقوله تعالى : ﴿ولا تقولن لشائ﴾ [١]أى لأجل شىء[١] من الأشياء [١]التى يعزم عليها[١] جليلها و حقيرها ، عزمت على فعله : عزما صادقا من غير تردد و إن كنت عند نفسك فى غاية القدرة عليه :

/٣٦٣ ﴿انى فاعل ذلك﴾ أى[٢]الشىء [١]و إن كان / مهما[١] ﴿غدا﴾ أى فيما يستقبل

٥ [١]فى حال من الأحوال[١] ﴿الا﴾ قولا كائنا معه ﴿ان يشآء﴾ [١]فى المستقبل ذلك الشىء[١] ﴿الله﴾ أى مقرونا بمشيئة[٣] الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه[٣] سبحانه تعظيما لله أن يقطع شىء دونه و[٤] اعترافا بأنه لاحول و لاقوة إلا به ، [٥]و لأنه إن قيل ذلك دون استثناء فات قبل الفعل أو عاقه[٦] عنه عائق كان كذبا منفرا عن القائل .

١٠ و لما كان النسيان من شأن الإنسان و هو غير مؤاخذ به قال تعالى : ﴿و اذكر ربك﴾ أى المحسن إليك برفع المؤاخذة حال النسيان ﴿اذا نسيت﴾ الاستثناء بالاستعانة و التوكل عليه و تفويض الأمر كله إليه بأن تقول : إن شاء الله ، و نحوها فى أىّ وقت تذكرت ؛ و أخرج الطبرانى فى معجمه الأوسط فى ترجمة محمد بن الحارث الجبيلى - بضم الجيم و فتح الموحدة - عن

١٥ ابن عباس رضى الله عنهما أن هذا خاص برسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم و ليس [٧]لأحد منا[٧] أن يستثنى إلا بصلة اليمين . ثم عطف

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : بمشيئته . (٤) من مد ، و فى الأصل وظ : او (٥) العبارة من هنا الى « عن القائل » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : عاق (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لأحد ، و فى روح المعانى ٥ /٤١ حيث ذكر هذه الرواية : لأحدنا .

على ما أفهمه الكلام و هو : فقل إذا نسيت : إنى فاعل [ذلك - [١]] غدا إن شاء الله - و نحو ذلك من التعليق بالمشيئة المؤذن بأنه لاحول و لاقوة إلابالله و لامشيئة لأحد معه [قوله - [٢]] : ﴿ و قل عسى[٣] ان يهدين ربى ﴾ أى[٣] المحسن إلىّ ﴿ لاقرب ﴾ أى إلى أشد قربا ﴿ من هذا ﴾ أى الذى عزمت على فعله و نسيت الاستثناء فيه فقضاه الله و لم يؤاخذنى ، أو[٤] فاتنى أو[٤] تعسر علىّ لكونى لم أقرن العزم عليه[٥] بذكر الله ﴿ رشدا ﴾ أى من جهة الرشد بأن يوفقنى للاستثناء[٦] فيه عند العزم عليه مع كونه أجود أثرا و أجل عنصرا فأكون كل يوم فى ترق بالأفعال الصالحة فى معارج القدس[٧] ، و "اقرب" أفعل تفضيل من قرب - بضم الراء - من الشيء ، لازم ، لا من المكسور الراء المتعدى نحو[٨] "و لاتقربوا الزنى[٩]" ، "و لا تقربوا مال اليتيم[١٠]" - الآية ، و الأقرب من رشد الاستدلال بقصة أهل الكهف التى الحديث عنها على صحة نبوة النبى صلى الله عليه و على آله و سلم ، و نحو ذلك الاستدلال على وحدانية الصانع و قدرته على البعث و غيره بالأمور[١١] الكلية أو الجزئيات القريبة المتكررة ، لا بهذا الأمر الجزئى النادر المتعب و نحو هذا من المعارف الإلهية .

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٥) زيد فى مد : مع كونه اجود اثرا و اجل عنصرا . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاستثناء (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : القدير (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بحرف (٩) سورة ١٧ آية ٣٢ . (١٠) سورة ٦ آية ١٥٢ (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالامر .

و لما فرغ من هذه التربية فى أثناء القصة و ختمها بالترجية فى الهداية للأرشد، وكان علم مدة لبثهم أدق و أخفى من علم عددهم، شرع فى إكمالها مبينا لهذا الأخفى، عاطفا على قوله " قالوا ربكم اعلم بما لبثتم " أو على «فاووا إليه» الذى أرشد إلى تقديره[1] قولهم " فأووا الى الكهف" كما مضى، [2]المختوم بنشر الرحمة و تهيئة المرفق بعد قوله تعالى "اذ اوى الفتية" المختوم بقولهم " و هيئ لنا من امرنا رشدا "، فقال بيانا لإجمال "سنين عددا" محققا لقوله تعالى "قل الله اعلم بما لبثوا[2]": ﴿ و لبثوا فى كهفهم ﴾ نياما ﴿ ثلث ﴾ [أى -[3]] مدة ثلاث ﴿ مائة سنين ﴾ شمسية بحساب اليهود الآمرين بهذا السؤال، و عبر بلفظ السنة إشارة إلى ذمها بما وقع فيها من علو أهل الكفر[4] و طغيانهم بما أوجب خوف الصديقين و هجرتهم و إن كان وقع فيها خصب فى النبات و سعة فى الرزق، [2]و ذلك يدل على استغراق الكفر لمدة نومهم[2].

و لما كان المباشرون للسؤال هم العرب قال: ﴿و ازدادوا تسعا ﴾ [أى -[3]] من السنين القمرية [2]إذا حسب الكل بحساب القمر[2]، لأن تفاوت ما بين السنة الشمسية و القمرية عشرة أيام و إحدى و عشرون ساعة و خمسا / ساعة كما تقدم فى النسىء من برآءة[5]، فاذا حسبت زياده [6]السنى القمرية على الثلاثمائة الشمسية[6] باعتبار نقص أيامها /٣٦٤

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تقريره (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الكهف (٥) راجع نظم الدرر ٨/ ٤٦١ (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: السنين الثلاثمائة الشمسية على القمرية.

عنها

عنها كانت تسع سنين ، و كأن[1] مدة لبثهم كانت عند اليهود أقل من ذلك أو أكثر ، فقال على طريق الجواب لسؤال[2] من يقول : فان قال أحد غير هذا فما يقال له ؟ : ﴿ قل الله ﴾ [3]أى الذى له الإحاطة الكاملة[3] ﴿ اعلم ﴾ منكم ﴿ بما لبثوا ج ﴾ ثم علل ذلك بقوله تعالى : ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ غيب السمٰوٰت و الارض[4] ﴾ يعلمه كله على ما هو عليه ، ٥ و لا ينسى شيئا من الماضى و لا يعزب عنه شىء من الحاضر ، و لا يعجز عن شىء من الآتى ، فلا ريب فيما يخبر به .

و لما كان السمع و البصر مناطى العلم ، و كان متصفا منهما بما لا يعلمه حق علمه غيره ، عجب [من ذلك -[4]] بقوله تعالى : ﴿ ابصر به و اسمع[4] ﴾ و لما كان القائم [بشىء -[4]] قد يقوم غيره مقامه[5] إما بقهر أو شرك ، ١٠ نفى ذلك فانسد باب العلم[6] عن غيره إلا من جهته[7] فقال تعالى : ﴿ ما لهم ﴾ أى لهؤلاء السائلين و لا المسؤلين الراجمين بالغيب فى أصحاب الكهف ﴿ من دونه ﴾ [3]و أعرق بقوله تعالى[3] : ﴿ من ولىّ ﴾ يجيرهم منه أو يخبرهم بغير ما أخبر به ﴿ و لا يشرك ﴾ أى الله ﴿ فى حكمه احدا ه ﴾ فيفعل شيئا بغير أمره أو يخبر بشىء من غير طريقه . ١٥

و لما تقرر أنه لا شك فى قوله : و لا يقدر أحد أن يأتى[8] بما

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كانت (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : السوال (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مقاومة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : القلم (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : جهة (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقدر .

يماثله فكيف بما ينافيه مع كونه مختصا بتمام العلم و شمول القدرة، حسن تعقيبه بقوله عطفا على "قل الله اعلم": ﴿ و اتل ﴾ [1]أى اقرأ على وجه الملازمة[1] ﴿ ما اوحى اليك ﴾ [1]و بنى الفعل للمجهول لأن الخطاب مع النبي صلى الله عليه و على آله و سلم و هو على القطع بأن الموحى إليه هو الله سبحانه و تعالى[1] ﴿من كتاب ربك ج﴾ الذى أحسن تربيتك فى قصة أهل الكهف و غيرها، على من رغب فيه غير ملتفت إلى غيره و اتبعوا ما فيه واثقين بوعده و وعيده و إثباته و نفيه [1]و على غيرهم[1].

و لما كان الحامل على الكف عن إبلاغ رسالة المرسل[2] وجدان من ينقضها أو عمى على المرسل، قال تعالى: ﴿ لا مبدل لكلمته ج ﴾ فلا شك فى وقوعها فلا عذر فى التقصير فى إبلاغها، [1]و النسخ ليس بتبديل بهذا المعنى بل هو غاية لما كان[1] ﴿ و لن تجد ﴾ [1]أى بوجه من الوجوه[1] ﴿ من دونه ﴾ [1]أى أدنى منزلة من رتبته الشماء إلى آخر المنازل[1] ﴿ ملتحدا ه ﴾ أى ملجأ [1]و متحيزا[1] تميل إليه فيمنعك منه إن قصرت فى ذلك.

و لما كان صلى الله عليه و على آله و سلم شديد الحرص على إيمانهم كثير[3] الأسف على توليهم عنه يكاد يبخع نفسه حسرة عليهم وكانوا يقولون [له -[4]] إذا رأوا مثل هذا الحق الذى لا يجدون له مدفعا:

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الرسل.
(٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) زيد من ظ و مد.

لو طردت هؤلاء الفقراء و أبعدتهم عنك مثل عمار و صهيب و بلال فانه[1] يؤذينا ريح جبابهم و نأنف[2] من مجالستهم جلسنا إليك و سمعنا منك و رجونا أن نتبعك ، قال رغبه فى أتباعه مزهدا فيمن عداهم كائنا من كان ، معلما أنه ليس فيهم ملجأ لمن خالف أمر الله و أنهم لا يريدون إلا تبديل كلمات الله فسيذلهم عن قريب و لا يجدون لهم ملتحدا : ٥ ﴿ و اصبر نفسك ﴾ أى احبسها و ثبتها[3] فى تلاوته و تبيين معانيه ﴿مع الذين يدعون ربهم ﴾ شكرا لإحسانه . و اعترافا بامتنانه ، و كنى عن المداومة [بما -[4]] يدل على البعث الذى كانت قصة أهل الكهف دليلا [عليه -[4]] فقال تعالى[5] : ﴿بالغدوة﴾ [6] أى [التى -[4]] الانتقال فيها من النوم إلى اليقظة كالانتقال من الموت إلى الحياة ﴿ و العشى ﴾ [7] أى ١٠ [التى -[4]] الانتقال فيها من اليقظة إلى [النوم كالانتقال من الحياة إلى -[4]] الموت ؛ ثم مدحهم بقوله [8]تعالى معللا لدعائهم[8] : / ﴿يريدون﴾ أى بذلك ٣٦٥ / ﴿وجهه﴾ لا غير ذلك من رجاء ثواب أو خوف عقاب[9] و إن كانوا[10] فى غاية الرثاثة ؛ و أكد ذلك بالنهى عن ضده فقال[8] مؤكدا للمعنى لقصر الفعل و تضمينه فعلا آخر[8] : ﴿و لا تعد عينك ﴾ [8]علوا و نبوا و تجاوزا[8] ١٥

(١) تكرر فى مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تانق (٣) سقط من ظ .
(٤) زيد من مد (٥) العبارة من « وكنى عن » إلى هنا ساقطة من ظ (٦) العبارة من هنا إلى «الحياة» ساقطة من ظ (٧) العبارة من هنا إلى «الموت» ساقطة من ظ (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى « غاية الرثاثة » ساقطة من ظ (١٠) من مد ، و فى الأصل : كان .

﴿ عنهم ﴾ [1] إلى غيرهم ، أى لا تعرض عنهم [1] ، حال كونك ﴿ تريد زينة الحيوة الدنيا ﴾ التى قدمنا فى هذه السورة أنا زينا بها [2] الأرض لنبلوهم بذلك ، فانهم و إن كانوا اليوم عند [3] هؤلاء مؤخرين [4] فهم عند [4] الملك الأعلى مقدمون [5] ، و ليكونن عن قريب - إذا بعثنا من نريد من العباد بالحياة من برزخ الجهل - فى [6] الطبقة العليا من أهل العز ، و أما بعد البعث الحقيقى فلتكونن لهم مواكب يهاب الدنو منها كما كان لأهل الكهف بعد بعثهم من هذه الرقدة بعد أن كانوا فى حياتهم قبلها هاربين مستخفين فى غاية الخوف و الذل ، [7] و أما إن عدت العينان أحدا لما غفل عنه من الذكر ، و أحل به من الشكر ، فليس ذلك من النهى فى شىء لأنه لم يرد [به - [8]] إلا الآخرة .

و لما بالغ فى أمره صلى الله عليه و على آله و سلم بمجالسة المسلمين [9] ، نهاه عن الالتفات إلى الغافلين ، و [10] أكد الإعراض عن الناكبين فقال تعالى : ﴿ و لا تطع من اغفلنا ﴾ بعظمتنا [11] ﴿ قلبه ﴾ أى جعلناه غافلا ، [1] لأن الفعل فيه لنا لا له [1] ﴿ عن ذكرنا ﴾ بتلك الزينة .

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ومد . و فى الأصل : بهما .
(٣) من مد ، وفى الأصل وظ : عنه (٤-٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : فعند .
(٥) فى ظ : مقدمين (٦) فى مد « و » (٧) العبارة من هنا إلى « إلى الغافلين » ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩) من مد ، و فى الأصل : المجالسين .
(١٠) فى ظ : ثم (١١) سقط من ظ .

و لما

[1]و لما كان التقدير : فغفل ، لأن عظمتنا لا يغلبها شيء فلا يكون إلا ما نريد ، عطف على فعل المطاوعة قوله تعالى[1] : ﴿ و اتبع هوىٰه ﴾ بالميل إلى ما استدرجناه به منها[2] و الأنفة من مجالسة أوليائنا الذين أكرمناهم بالحماية منها لأن ذكر الله مطلع الأنوار ، فاذا أفلت[3] الأنوار تراكمت الظلمة فجاء الهوى فأقبل على الخلق[4] ﴿ و كان امره فرطا ﴾ أى متجاوزا للحد مسرفا فيه متقدما على الحق ، فيكون الحق منبوذا به [وراء -[5]] الظهر [1]مفرطا فيه بالتقصير[1] [6]فان ربك سبحانه سينجى [أتباعك -[5]] على ضعفهم منهم كما أنجى أصحاب الكهف ، و يزيدك بأن يعليهم عليهم و يدفع الجبابرة فى أيديهم[7] [1]لأنهم مقبلون على الله معرضون عما سواه ، و غيرهم مقبل على غيره معرض عنه[1] .

و لما رغبه[8] فى أوليائه ، و زهده فى أعدائه ، ترضية بقدره[9] بعد [أن -[10]] قص الحق من قصة أهل الكهف للتعنتين ، [1]علمه ما يقول لهم[1] على وجه يعمهم و يعم غيرهم و يعم القصة و غيرها فقال[11] تعالى مهددا و متوعدا - كما نقل عن على رضى الله عنه و كذا عن غيره[12] :

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بها (٣) من مد ، و فى الأصل : قلت (٤) العبارة من «و الأنفة» إلى هنا ساقطة من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد قبله فى مد : عما لا يحق له (٧) فى ظ و مد : يديهم . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : رغب (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى قدره (١٠) زيد من مد (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : قال (١٢) زيد فى ظ : فقال .

﴿و قل﴾ أى لهم[1] و لغيرهم: هذا الذى جئتكم به من هذا الوحى العربى العرى عن العوج، الظاهر الإعجاز، الباهر[2] الحجج ﴿الحق﴾ [3]كائنا ﴿من ربكم قف﴾ المحسن [إليكم -[4]] فى أمر أهل الكهف [و غيرهم -[5]] من صبر نفسى مع المؤمنين، و الإعراض عمن سواهم و غير ذلك، لا ٥ ما قلتموه فى أمرهم، و يجوز أن يكون الحق مبتدأ[6] ﴿فمن شآء﴾ [7]أى منكم و من غيركم[7] ﴿فليؤمن﴾ [8]بهذا الذى قصصناه فيهم و فى غيرهم[8]، فهو مقبول مرغوب فيه و إن كان فقيرا زرىء[9] الهيئة [8]و لم ينفع إلا نفسه[8] ﴿و من شآء﴾ منكم [8]و من غيركم[8] ﴿فليكفر﴾ فهو أهل لأن[10] يعرض عنه و لا يلتفت إليه و إن كان أغنى الناس و أحسنهم هيئة، و إن تعاظمت ١٠ هيبته لما اشتد من أذاه، و أفرط من ظلمه، و سنشفى قلوب المؤمنين [8]فى الدارين[8] بالانتقام منه[11]، و الآية[12] دالة على أن كلا من الكفر و الإيمان موقوف على المشيئة بخلق[13] الله تعالى، لأن الفعل الاختيارى يمتنع حصوله بدون القصد إليه و ذلك القصد إن كان بقصد آخر يتقدمه / لزم أن /٣٦٦

(١) زيد فى ظ: هذا كله، و العبارة من هنا إلى «الباهر الحجج» ساقطة منه.
(٢) من مد، و فى الأصل: الباهرة (٣) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من مد (٦) العبارة من «فى أمر» إلى هنا ساقطة من ظ (٧-٧) فى ظ: منهم (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: زوى (١٠) من ظ، و فى الأصل: ان لا، و فى مد: لا - كذا (١١) العبارة من هنا إلى «التهديد تفصيلا» ساقطة من ظ.
(١٢) من مد، و فى الأصل: لانه (١٣) من مد، و فى الأصل: خلق.

يكون كل قصد مسبوقا بقصد آخر إلى غير النهاية و هو محال ، فوجب أن تنتهى [تلك - [1]] القصود إلى قصد يخلقه الله فى العبد على سبيل الضرورة يجب به الفعل[2] ، فالإنسان مضطر فى صورة مختار ، فلا دليل للمعتزلة فى هذه الآية .

و لما هدد السامعين بما حاصله : ليختر كل امرئ لنفسه ما يجده غدا عند الله تعالى ، اتبع هذا التهديد - تفصيلا لما أعد للفريقين من الوعد [و الوعيد - [3]] لفا و نشرا مشوشا - بما يليق بهذا الأسلوب المشير إلى أنه لا كفوء له من نون العظمة فقال تعالى : ﴿ انآ اعتدنا ﴾ [4]أى هيأنا بما لنا من العظمة تهيئة قريبة جدا ، و أحضرنا على وجه ضخم شديد تام التقدير[4] ﴿ للظلمين ﴾ أى لمن لم يؤمن ، و لكنه وصف إشارة إلى تعليق الحكم به ﴿ نارا ﴾ [4]جعلناها معدة لهم[4] ﴿ احاط بهم ﴾ كلهم ﴿ سرادقها [5] ﴾ أى حائطها الذى يدار حولها كما يدار الحظير حول الخيمة [4]من جميع الجوانب[4] .

و لما كان المحرور شديد الطلب للماء قال تعالى : ﴿ و ان يستغيثوا ﴾ من حر النار فيطلبوا الغيث - و هو ماء المطر - و الغوث باحضاره[5] لهم ؛ و شاكل استغاثتهم تهكما بهم فقال تعالى[6] : ﴿ يغاثوا بمآء ﴾ ليس كالماء الذى قدمنا الإشارة إلى أنا نحيي به الأرض بعد صيرورتها صعيدا جرزا ،

---

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : الا لفعل (٣) زيد من ظ و مد .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : باحضار .
(٦) العبارة من « و الغوث » إلى هنا ساقطة من ظ .

[بل -[1]] ﴿ كالمهل ﴾ و هو القطران الرقيق و ما ذاب من صفر أو حديد [و الزيت -[2]] أو دردّيه[3] - قاله فى القاموس. و شبهه به من أجل تناهى الحر مع كونه ثخينا ، و بين وجه الشبه بقوله تعالى : ﴿ يشوى الوجوه[4] ﴾ أى إذا قرب إلى الفم[4] فكيف بالفم و الجوف ! ثم وصل بذلك ذمه ٥ فقال تعالى : ﴿ بئس الشراب[5] ﴾ أى هو ، فانه أسود منتن غليظ حار ، و عطف عليه ذم النار المعدة [لهم -[1]] فقال تعالى : ﴿ و ساءت مرتفقا ﴾ أى منزلا يعد للارتفاق[6] . فكأنه قيل : فما لمن آمن ؟ فقال تعالى : ﴿ ان الذين امنوا ﴾ و لما كان الإيمان هو الإذعان للأوامر ، عطف عليه ما يحقق ذلك فقال تعالى : ﴿ و عملوا الصلحت ﴾ ثم[7] عظم جزاءهم ١٠ بقوله تعالى : ﴿ انا لانضيع ﴾[8] أى بوجه من الوجوه لما يقتضيه عظمتنا[8] ﴿ اجر من احسن عملا ﴾ مشيرا باظهار ضميرهم إلى أنهم استحقوا بذلك الوصف بالإحسان . فكأنه قيل : فما لهم ؟ فقال[8] مفصلا لما أجمل من وعدهم[8] : ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ لهم جنت عدن ﴾ أى إقامة ، فكأنه قيل : ما لهم فيها ؟ فقيل[9] : ﴿ تجرى من تحتهم ﴾ أى[10] ١٥ تحت منازلهم ﴿ الانهر ﴾ فكأنه قيل : ثم ما ذا ؟ فقيل : ﴿ يحلون فيها ﴾

(١) زيد من مد (٢) زيد من القاموس (٣) من القاموس ، و فى الأصول : دردبة - كذا (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الفهم (٥) العبارة من هنا إلى « فكأنه قيل » متكررة فى مد بعد « الذين امنوا » (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الارتفاق . (٧) سقط من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : قيل (١٠) زيد فى ظ : من .

[1]و بنى الفعل للمجهول لأن القصد وجود التحلية، و هى لعزتها إنما[2] يؤتى بها من الغيب فضلا من الله تعالى .

و لما كان [الله - [3]] أعظم من كل شيء، فكانت نعمه لايحصى نوع منها، قال تعالى مبعضا : ﴿من اساور﴾ جمع أسورة جمع سوار، [4]كما يلبس ذلك ملوك الدنيا من جبارة الكفرة فى بعض الأقاليم كأهل فارس . و لما كان لمقصودها نظر إلى التفضيل و الفعل بالاختيار على الإطلاق، وقع الترغيب فى طاعته بما [هو - [3]] أعلى من الفضة فقال مبعضا أيضا : ﴿ من ذهب ﴾ أى ذهب هو فى غاية العظمة . و لما كان اللباس جزاء [العمل -[3]] و كان موجودا عندهم، أسند الفعل إليهم فقال تعالى[5] : ﴿ و يلبسون ثيابا خضرا ﴾ ثم وصفها بقوله تعالى : ﴿من سندس﴾ و هو ما رقّ من الديباج ﴿و استبرق﴾ و هو ما غلظ منه ؛ ثم استأنف الوصف عن حال جلوسهم فيها[6] بأنه جلوس الملوك المتمكنين من النعيم[6] فقال تعالى : ﴿متكئين فيها﴾ [6]أى لأنهم / فى غاية الراحة[6] ﴿على الارآئك[6]﴾ أى الأسرة عليها[7] [الحجل -[3]] ، ثم مدح هذا فقال تعالى : ﴿نعم الثواب[6]﴾ أى هو لو[8] لم يكن لها وصف غير ما سمعتم فكيف و لها من الأوصاف

٣٦٧/

(١) العبارة من هنا إلى « قال تعالى مبعضا » ساقطة من ظ (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : او (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى «مبعضا أيضا» ساقطة من ظ (٥) العبارة من « هو فى غاية » إلى هنا ساقطة من ظ (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من مد . و فى الأصل : عليهم، و الكلمة ساقطة من ظ .
(٨) سقط من مد .

ما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى ! و إلى ذلك أشار بقوله تعالى : ﴿وحسنت﴾ [1]أى الجنة كلها ، و ميز ذلك بقوله تعالى[1] : ﴿مرتفقا ﴾ .

و لما كان إنما محط حال المشركين العاجل ، و كان قد تقدم قولهم "او يكون لك جنة من نخيل و عنب" - الآية ، و قوله تعالى "انا جعلنا ما على الارض زينة لها" - الآية ، و قوله تعالى فى حق فقراء[2] المؤمنين الذين تقذروهم[3] "و لا تعد عينك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا" - الآية ، و استمر إلى أن ختم بأن جنات المؤمنين عظيم حسنها من جهة الارتفاق ، عطف على قوله تعالى "و قل الحق من ربكم" [1]قوله تعالى كاشفا بضرب المثل أن ما فيه الكفار من الارتفاق العاجل ليس أهلا لأن يفتخر به لأنه إلى زوال[1] : ﴿ و اضرب لهم ﴾ أى لهؤلاء[4] الضعفاء[5] و المتجبرين الذين يستكبرون على المؤمنين ، و يطلبون طردهم لضعفهم و فقرهم : ﴿ مثلا ﴾ لما آتاهم الله من زينة الحياة الدنيا ، فاعتمدوا عليه و ركنوا إليه و لم يشكروا[6] من آتاهم إياه عليه ، بل أداهم إلى الافتقار و التكبر على من زوى ذلك [عنه -[7]] إكراما له و صيانة عنه ﴿ رجلين ﴾ فكأنه قيل : فما[8] مثلهما ؟ فقيل : ﴿ جعلنا ﴾ [1] أى بما لنا من العظمة[1] ﴿ لاحدهما ﴾ [1] و هو المجعول مثلا لهم[1] ﴿جنتين﴾[9] أى بساتين يستر ما

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : فقر . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقذروهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : احوال (٥) سقط من ظ (٦) من ظ . و فى الأصل و مد : لم يشركوا (٧) زيد من ظ و مد (٨) من مد . وفى الأصل و ظ : ما (٩) العبارة من هنا إلى « من يدخلهما » ساقطة من ظ .

فيهما[١] من الأشجار من يدخلهما على أى وضع من الأوضاع كانتا . و من جملة الأوضاع أن تكون إحداهما فى السهل و الأخرى فى الجبل ، ليبعد عموم عاهة لهما لأنها إما من برد أو حر ﴿ من اعناب ﴾ لأنها من أشجار البلاد الباردة و تصبر على الحر ، [٢]و هى فاكهة و قوت بالعنب و الزبيب و الخل و غيرها[٢] ﴿ و حففناهما ﴾ [٢]أى حطناهما بعظمتنا[٢] ﴿ بنخل ﴾ ٥ لأنها [من -[٣]] أشجار البلاد الحارة ، و تصبر على البرد ، و ربما منعت عن الأعناب بعض أسباب العاهات ، [٤]و ثمرها فاكهة بالبسر و الرطب و قوت بالتمر و الخل . فكأن النخل كالإكليل من وراء العنب ، و [هو -[٥]] مما يؤثره الدهاقين لأنه فى غاية البهجة و المنفعة ﴿ و جعلنا بينهما ﴾ أى أرضى[٦] الجنتين ﴿ زرعا ﴾ لبعد شمول الآفة للكل ، لأن زمان ١٠ [٢]الزرع و مكانه غير زمان[٧] أثمار الشجر المقدم و مكانه ،[٢]و ذلك هو العمدة فى القوت ، فكانت الجنتان أرضا جامعة لخير الفواكه و أفضل الأقوات ، و عمارتهما متواصلة متشابكة لم يتوسطهما ما يقطعها و يفصل بينها ، مع سعة الأطراف ، و تباعد الأكناف . و حسن الهيئات و الأوصاف[٢] .

و لما كان الشجر قد يكون فاسدا من جهة أرضه ، نفى ذلك بقوله ١٥ تعالى ، جوابا لمن كأنه قال : ما حال أرضهما المنتج لزكاه[٨] ثمرهما[٩] ؟ :

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : بينهما (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٣) زيد من ظ و مد (٤) العبارة من هنا إلى « البهجة و المنفعة » ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : ارض (٧-٧) تكرر فى مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ازكا - كذا (٩) زيد فى الأصل : اوجنته ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

﴿ كلتا ﴾ [1]أى كل واحدة من[1] ﴿الجنتين﴾ المذكورتين ﴿اتت اكلها﴾ [1]أى ما يطلب منها و يؤكل من ثمر و حب[1]، كاملا غير منسوب شيء منهما إلى نقص[2] و لا رداءة[3]، و هو معنى: ﴿و لم تظلم﴾ [1]أى تنقص حسا و لامعنى كمن يضع الشيء فى غير موضعه[1] ﴿ منه شيئا[4] ﴾.

٥ و لما كان الشجر ربما أضر بدوامه قلة السقى قال تعالى: ﴿و فجرنا﴾ [1]أى تفجيرا يناسب عظمتنا[1] ﴿خلالهما نهرا[5] ﴾ [4]أى يمتد فيتشعب فيكون كالأنهار[5] لتدوم طراوة[6] الأرض و يستغنى عن المطر عند القحط؛ ثم زاد[7] فى ضخامة هذا الرجل فبين أن له غير هاتين الجنتين [و الزرع -[8]] بقوله تعالى: ﴿ و كان له ﴾ أى صاحب الجنتين ﴿ثمر ج﴾ أى مال

٣٦٨/ ١٠ مثمر غير ما /[تقدم -[8]] كثير، [1]ذو أنواع ليكون متمكنا من العمارة بالأعوان و الآلات و جميع ما يريد[1] ﴿ فقال ﴾ [1]أى هذا الكافر[1] ﴿ لصاحبه ﴾ [1]أى المسلم المجعول مثلا لفقراء المؤمنين[1] ﴿ و هو ﴾ أى صاحب الجنان ﴿ يحاورة ﴾ [9]أى يراجعه الكلام. [من - [10]] حار يحور - إذا رجع. افتخارا عليه و تقبيحا لحاله[11] بالنسبة إليه. و المسلم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: زادة - كذا (٤) العبارة من هنا إلى «كالأنهار» ساقطة من ظ.
(٥) من مد، وفى الأصل: بالابصار (٦) من مد. و فى الأصل و ظ: حلاوة.
(٧) من ظ و مد، و فى الاصل: اراد (٨) زيد من ظ و مد (٩) العبارة من هنا إلى «إلى الدنيا» ساقطة من ظ (١٠) زيد من مد (١١) من مد، وفى الأصل: له.

يحاوره بالوعظ و تقبيح [١] الركون إلى الدنيا: ﴿ انا اكثر منك مالا ﴾ لما ترى من جناني و ثماري ﴿ و اعز نفرا ﴾ [٢]أي ناسا يقومون معي في المهمات ، و ينفرون عند الضرورات [٢] . لأن ذلك لازم لكثرة المال ﴿ و دخل جنته ﴾ وحد لإرادة الجنس [٣] و دلالة على ما أفاده [٤] الكلام من أنهما لاتصالهما كالجنة الواحدة ، و إشارة إلى أنه لاجنة له غيرها ٥ لأنه لا حظ له في الآخرة ﴿ وهو ﴾ [٢]أي و الحال [٢] [أنه -٥] ﴿ ظالم لنفسه ج ﴾ بالاعتماد على ماله و الإعراض عن ربه ؛ ثم استأنف [٦]بيان ظلمه بقوله [٦] : ﴿ قال ﴾ [٢]لما استولى عليه من طول أمله و شدة حرصه و تمادي غفلته و اطراحه للنظر في العواقب بطول المهلة و سبوغ النعمة [٢] : ﴿ ما اظن ان تبيد ﴾ أي تهلك [٢]هلاكا [ظاهرا -٥] مستوليا ﴿ هذه ابدا ﴾ ثم زاد [٨] في ١٠ الطغيان و البطر بقصر النظر على الحاضر فقال [٩] : ﴿ و ما اظن الساعة قائمة ﴾ استلذاذا بما هو فيه و إخلادا [إليه -١٠] و اعتمادا عليه .

[١١]و لما كان الإنسان مجبولا على غلبة الرجاء عليه ، فاذا حصل له من دواعي الغنى و طول الراحة و بلوغ المأمول [١٢] و الاستدراج بالظفر بالسؤل ما يريه ، و يثبت أصوله و يقويه ، اضمحل الخوف [١٣] فلم يزل [١٣] ١٥ يتضاءل حتى يتلاشى فكان عدما . فقال تعالى حاكيا عن هذا الكافر

---

(١) من مد ، و في الاصل : يفسح (٢-٢) ساقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « في الآخرة » ساقطة من ظ (٤) من مد . و في الأصل : اعاده .
(٥) زيد من مد (٦-٦) في ظ : قوله (٧) العبارة من هنا إلى «مستوليا» ساقطة من ظ (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : ازداد (٩) زيد في الأصل : تعالى ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (١٠) زيد من ظ و مد (١١) العبارة من هنا إلى « القدر مقسما» ساقطة من ظ (١٢) من مد . و في الأصل : الامل .
(١٣-١٣) من مد ، و في الأصل : فلم .

ما أثمر له الرجاء من أمانه من سوء ما يأتى بـه القدر مقسما : ﴿ و لئن رددت ﴾ [أى ردنى راد - [1]] ﴿ الى ربى ﴾ المحسن إلى فى هذه الدار ، فى الساعة على تقدير قيامها الذى يستعمل فى فرضه أداة الشك ﴿ لاجدن خيرا منها ﴾ أى هذه الجنة ؛ [2] و قرأ [3] ابن كثير و ابن عامر [3] بالتثنية للجنتين ﴿ منقلبا ﴾ [4] أى من جهة الانقلاب و زمانه و مكانه [4] ، لأنه ما أعطانى ذلك إلا باستحقاق [5] ، و هو وصف لى غير منفك فى الدارين ، [6] و إن لم يقولوا [نحو - [1]] [7] هذا بألسنة [7] مقالهم فان ألسنة أحوالهم ناطقة بـه ، فكأنه قيل : إن هذا لفى عداد البهائم حيث قصر النظر على الجزئيات ، و لم يجوز أن يكون التمويل استدراجا . فما قال له الآخر ؟ فقيل : ﴿ قال له صاحبه و هو ﴾ أى [4] و الحال إن [4] ذلك الصاحب ﴿ يحاوره ﴾ منكرا [8] [عليه - [1]] : ﴿ اكفرت ﴾ .

[4] و لما كان كـفره بانـكار البعث . دل عليـه بقوله تعـالى [4] : ﴿ بالذى خلقك من تراب ﴾ [9] بخلق أصلك ﴿ ثم من نطفة ﴾ متولدة من أغذية [10] أصلها تراب ﴿ ثم سواك ﴾ بعد [11] أن أولدك [4] و طورك فى أطوار النشأة [4]

---

(١) زيد من مد (٢) العبارة من هنا إلى « للجنتين » ساقطة من ظ (٣-٣) من مد ، و فى الأصل : ابن عامر و ابن كثير (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاستحقاق (٦) العبارة من هنا إلى « ناطقة به » ساقطة من ظ (٧-٧) من مد ، و فى الأصل . هذه السنة (٨) سقط من ظ (٩) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : غذايه (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثم .

﴿رجلا[٥]﴾ حيث نفيت إعادته لمن ابتدأ خلقهم على هذا الوجه تكذيبا للرسل و استقصارا للقدرة ، و لم تثبت[١] لها فى الإعادة ما ثبت لها بعلمك فى الابتداء ، ثم لم تجوزها[٢] بعد القطع بالنفى إلا على سبيل الفرض بأداة الشك ، و هى[٣] من دعائم أصول الدين الذى لا يقتنع [فيه -[٤]] إلا بالقطع ، [٥]و نسبتَه إلى العبث الذى لا يرضاه عاقل إذ[٦] جعلت غاية هذا الخلق البديع فى هذا التطوير العظيم الموتَ [الذى -[٧]] لو كان غاية - كما[٨] زعمت - لفوّت على المطيع الثواب ، و على العاصى العقاب .

و لما أنكر على صاحبه ، أخبر عن اعتقاده بما[٩] يضاد اعتقاد صاحبه ، فقال [١٠]مؤكدا لأجل إنكار صاحبه مستدركا لأجل كفرانه[١٠] : ﴿لكنا﴾ [١٠]لكن أنا . و لما كان سبحانه لا شىء أظهر منه و لا شىء أبطن منه ، أشار إلى ذلك جميعا باضماره قبل الذكر فقال تعالى[١٠] : ﴿هو﴾ [١١]أى الظاهر أتم ظهور / فلا يخفى أصلا ، و يجوز أن يكون الضمير للذى[١٢] خلقك ﴿الله﴾ [١٠]أى المحيط بصفات الكمال[١٠] ﴿ربى﴾ وحده ، لم يحسن إلىّ [١٣]خلقا و رزقا أحـــد[١٣] غيره ، هذا اعتقادى فى الماضى و الحال

/ ٣٦٩

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : لم يثبت (٢) من مـد ، و فى الأصل و ظ : لم يجوزها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى « العاصى العقاب » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : اذا . (٧) زيد من مد (٨) من مـد ، و فى الأصل : لما (٩) من مد ، و فى الأصل : عما ، و فى ظ : لما (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) العبارة من هنا إلى « للذى خلقك » ساقطة من ظ (١٢) من مد ، و فى الأصل : الذى (١٣-١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : و يرزقنى - كذا .

﴿ و لآ اشرك بربى ﴾ المحسن إلىّ فى عبادتى ﴿ احدا ﴾ كما لم يشاركه فى إحسانه إلىّ أحد ، فان الكل خلقه و عبيده ، و أنىّ يكون العبد شريكا للرب ! [1]فانى لا أرى الغنى و الفقر إلا منه ، و أنت - لما اعتمدت على مالك - كنت مشركا به[1] .

٥ و لما كان المؤمنون على طريق الأنبياء فى إرادة[2] الخير و الإرشاد إلى سبيل النجاة و عدم الحقد على أحد بشر[3] أسلفه و[4] جهل قدمه ، قال له مصرحا بالتعليم بعد أن لوح له[5] به فيما ذكره عن نفسه مما يجب عليه : ﴿ و لولآ اذ ﴾ [1]أى و هلا حين[1] ﴿ دخلت جنتك قلت ﴾ ما يدل على تفويضك الأمر فيها و فى غيرها[6] إلى الله تعالى كما تقدم الإرشاد[7]

١٠ إليه فى آية "و لا تقولن لشىء" تاركا للافتخار بها ، و مستحضرا لأن الذى وهبكها قادر على سلبك إياها ليقودك[8] ذلك إلى التوحيد و عدم الشرك ، فلا تفرح بها و لا بغيرها مما يفنى لأنه[9] لا ينبغى الفرح إلا بما يؤمن عليه الزوال ﴿ ما شآء الله ﴾ [1]أى الذى له الأمر كله[1] ، كان ، [1]سواء كان حاضرا أو ماضيا أو مستقبلا ، و لذلك أعراها عن الجواب[1]،

١٥ لا ما يشاؤه غيره [و لا يشاؤه -[10]] [1]هو سبحانه[1]؛ [ثم -[10]] علل ذلك بقوله تعالى : ﴿ لا قوة ﴾ أى لأحد [1]على بستان و غيره[1] ﴿ الا بالله ج ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اراة .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لشر (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : او .
(٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : غيره (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاشارة (٨) فى ظ : ليقود (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (١٠) زيد من مد .

[أى -[1]] [2]المتوحد بالكمال، فلا شريك له ، و أفادت هذه الكلمة إثبات القوة لله و براءة العبد منها ، و التنبيه على أنه لا قدرة [لأحد -[1]] من الخلق إلا بتقديره ، فلا يخاف من غيره ، و التنبيه على فساد قول الفلاسفة فى الطبائع [3]من أنها[3] مؤثرة بنفسها .

و لما قدم[4] ما يجب عليه فى نفسه منبها به لصاحبه، ثم ما يجب عليه [من -[5]] التصريح بالإرشاد فى أسلوب مقرر أن الأمر كله لله، لا شىء لأحد غيره ، أنتج قوله تعالى : ﴿ ان ترن ﴾ أى أيها المفتخر بماله علىّ ! ﴿انا﴾ [6]و لما ذكر ضمير الفصل ، ذكر مفعول "ترى" الثانى فقال[6] : ﴿اقل منك﴾ [6]و ميز القليل[6] بقوله : ﴿ مالا و ولدا ﴾ أى من جهة المال و الولد الذى هو أعز نفر الإنسان .

و لما أقر هذا المؤمن بالعجز و الافتقار ، فى نظير ما أبدى الكافر من التقوى و الافتخار ، سبب عن ذلك ما جرت به[7] العادة [فى -[1]] كل جزاء، داعيا[8] بصورة التوقع فقال تعالى[9] : ﴿فعسىٰ ربىّ﴾ المحسن إلىّ ﴿ ان يؤتين ﴾ من خزائن رزقه ﴿ خيرا من جنتك ﴾ فيحسن إلىّ بالغنى كما أحسن إلىّ بالفقر المقترن بالتوحيد، المنتج للسعادة ﴿ويرسل عليها﴾

(١) زيد من مد (٢) العبارة من بعده إلى « مؤثرة بنفسها » ساقطة من ظ .
(٣-٣) من مد، و فى الأصل : بانها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : تقدم .
(٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) سقط من مد .
(٨) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٩) العبارة من « و لما أقر » إلى هنا ساقطة من ظ .

أى جنتك ﴿ حسبانا ﴾ أى مرامى من الصواعق [1] و البرد الشديد [1] ﴿ من السمآء ﴾ .

[1] و لما كانت المصابحة بالمصيبة أنكى ما يكون ، قال تعالى [1] : ﴿ فتصبح ﴾ بعد كونها قرة للعين [2] بما تهتز به من الأشجار و الزروع ﴿ صعيدا زلقا ﴾ [3] أى أرضا يزلق عليها لملاستها [3] باستئصال نباتها ، فلا ينبت فيها نبات ، و لايثبت فيها قدم ﴿ او يصبح مآؤها غورا ﴾ وصف بالمصدر لأنه أبلغ ﴿ فلن تستطيع ﴾ أنت ﴿ له طلبا ﴾ .

[1] و لما كان من المعلوم أن هذا المؤمن المخلص بعين الرضى ، كان من المعلوم أن التقدير [1] : فاستجيب لهذا الرجل المؤمن ، [1] أو : فحقق له ما توقعه فخيب ظن المشرك ، فعطف عليه قوله [1] : ﴿ و احيط ﴾ [4] أى أوقعت الإحاطة بالهلاك ، [بنى للمفعول - [5]] لأن الفكر حاصل باحاطة الهلاك من غير نظر إلى فاعل مخصوص ، و للدلالة على سهولته ﴿ بثمره ﴾ أى الرجل المشرك [6] . كله ، فاستؤصل هلاكا [ما - [7]] فى السهل منه و ما فى الجبل ، و ما يصبر منه على [8] البرد و الحر [8] و ما لايصبر ﴿ فاصبح / يقلب كفيه ﴾ ندما ، و يضرب إحداهما على الأخرى تحسرا ﴿ على مآ انفق فيها ﴾ لعمارتها [9] و نمائها ﴿ و هى خاوية ﴾ أى

/٣٧٠

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : العين .
(٣-٣) فى ظ : ارضا ملساء (٤) العبارة من هنا إلى «على سهولته» ساقطة من ظ .
(٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : المشترك (٧) زيد من ظ ومد (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحر و البرد (٩) فى مد : بعمارتها .

ساقطة [1]مع الخلو[1] ﴿على عروشها﴾ أى دعائمها التى كانت تحملها فسقطت على الأرض و سقطت هى فوقها ﴿و يقول﴾ تمنيا لرد ما فات لحيرته و ذهول عقله و دهشته: ﴿يٰليتنى﴾[1] تمنيا لاعتماده على الله من غير إشراك بالاعتماد على الفانى[1] ﴿لم اشرك بربى احداه﴾ كما قال له صاحبه، فندم حيث لم ينفعه الندم على ما فرط فى الماضى لأجل ما فاته من الدنيا، ٥ لا حرصا على الإيمان لحصول الفوز فى العقبى، لقصور عقله و وقوفه مع المحسوسات المشاهدات ﴿و لم تكن له فئة﴾ أى جماعة لا من نفره الذين[2] اعتز بهم و لا من غيرهم ﴿ينصرونه﴾ مما وقع فيه[3] ﴿من دون الله﴾ [أى بغير عون من -[4]] الملك الأعظم ﴿و ما كان﴾ هو ﴿منتصرا[5]﴾ بنفسه، بل ليس الأمر[5] فى ذلك إلا لله وحده. ١٠

و لما أنتج هذا[6] المثل قطعا أنه لا أمر لغير الله المرجو لنصر أوليائه بعد ذلهم، و لإغنائهم بعد فقرهم، [و لإذلال أعدائه بعد عزهم و كبرهم -[4]]، و إفقارهم[7] بعد إغنائهم وجبرهم[8]، و أن غيره إنما هو كالخيال لا حقيقة له، صرح بذلك فى قوله تعالى: ﴿هنالك﴾ أى فى مثل هذه الشدائد العظيمة ﴿الولاية﴾ أى النصرة -على قراءة الفتح، و السلطان -على الكسر، [و هى قراءة حمزة ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى.
(٣) زيد فى الأصل: أى يهرعون عون - كذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: كما مر.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: هنا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: افتقارهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: حصرهم.

و الكسائى ، و الفتح لغيرهما ، و هما بمعنى واحد ، و هو المصدر كما صدر به فى القاموس - [1]] . ﴿ لله ﴾ [أى - [1]] [2]الذى له الكمال كله[2] ﴿ الحق[4] ﴾ [أى - [1]] الثابت الذى لا يحول يوما و لا يزول ، و لا يغفل ساعة و لا ينام ، [3]و لا ولاية لغيره بوجه - هذا على قراءة الجماعة بالجر [على الوصف - [4]] و هو فى قراءة أبى عمرو و الكسائى بالرفع على الاستئناف و القطع تقليلا ، تنبيها على أن فزعهم[5] فى مثل هذه الأزمات[6] إليه دون غيره برهان قاطع على أنه الحق و ما سواه باطل ، و أن الفخر بالعرض الزائل من أجهل الجهل ، و أن المؤمنين لا يعيبهم فقرهم و لا يسوغ[7] طردهم لأجله[8] ، و أنه[9] يوشك أن يعود فقرهم غنى و ضعفهم قوة .

و لما علم من ذلك أنه آخذ بأيدى عبيده [الأبرار - [10]] و على أيدى عصاته[11] الأشرار ، قال تعالى : ﴿ هو خير ثوابا ﴾ لمن أثابه[12] ﴿ و خير عقبا ﴾ أى عاقبة [2]عظيمة ، فان فعلا - بضمة و بضمتين - من صيغ جموع الكثرة فيفيده ذلك مبالغة و إن لم يكن جمعا[2] ، و المعنى

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «و القطع تقليلا» متكررة فى الأصل فقط بعد «فى القاموس» و ساقطة من ظ .
(٤) زيد من مد والعبارة المتكررة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فروعهم .
(٦) فى ظ بعلامة النسخة : أى الشدائد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يشوع (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاجل (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : انما هو (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : عصابة .
(١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : انابه .

أنه

أنه - [أى ثوابه -[١]] - لأوليائه خير ثواب و عقباه[٢] خير عقبى .

و لما أتم المثل لدنياهم الخاصة [بهم التى -[١]] أبطرتهم ، فكانت سبب إشقائهم و هم يحسبون أنها عين إسعادهم ، ضرب لدار الدنيا العامة لجميع الناس فى[٣] قلة بقائها و سرعة فنائها ، و أن من تكبر بها[٤] كان أخس منها فقال تعالى : ﴿و اضرب لهم﴾ [٥]أى لهؤلاء الكفار المغترين بالعرض الفانى ، المفتخرين بكثرة الأموال و الأولاد و عزة النفر[٦] ﴿ مثل الحيوة الدنيا ﴾ [٧]أى التى صفتها - التى هم بها ناطقون - تدل على [٨]أن ضدها[٨] الأخرى ، فى ينوعها[٩] و نضرتها ، و اختلابها[١٠] للنفوس ببهجتها[١١] ، و استيلائها على الأهواء بزهرتها ، و اختداعها لذوى الشهوات بزينتها ، ثم اضمحلالها و سرعة زوالها ، أفرح ما كانوا بها ، و أرغب ما كانوا [فيها -[١٢]] مرة بعد أخرى ، على مر الأيام و [كر -[١٢]] الشهور ، و توالى الأعوام و تعاقب الدهور ، بحيث نادت على نفسها بالتحذير منها و التنفير عنها للعاقل اللقن ، [١٣]و الكيس الفطن ، رغبة إلى الباقى الذى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عداه (٣) من مد ، و فى الأصل : من ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى «أخس منها» ساقطة من ظ .
(٤) من مد ، و فى الأصل : فيها (٥) العبارة من هنا إلى « عزة النفر » ساقطة من ظ (٦) فى مد : المفخرة (٧) العبارة من هنا إلى « الأخرى » ساقطة من ظ .
(٨ - ٨) من مد ، و فى الأصل : صدتها - كذا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : تنوعها (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : اختلاسها (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : و بهجتها (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) بهامش ظ : اللقن : الذى فى غاية الفطنة .

يدوم سروره ، و يبقى نعيمه و حبوره ، وذلك المثل ﴿ كماء انزلنه ﴾ بعظمتنا و اقتدارنا[1] بعد / يبس الأرض و جفاف ما فيها و زواله ، /٣٧١
و بقلعه[2] كما تشاهدونه و استئصاله ، و قال : ﴿ من السمآء ﴾ تنبيها على بليغ القدرة فى إمساكه فى العلو و إنزاله فى وقت الحاجة. على الوجه
٥ النافع ﴿ فاختلط ﴾ أى فتعقب و تسبب عن[3] إنزاله أنه اختلط ﴿ به نبات الارض ﴾ [4]أى التراب الذى كان نباتا ارفتّ بطول العهد[4] فى بطنها ، [5]فاجتمع بالماء و التفّ[6] و تكاثف ، فهيأناه بالتخمير و الصنع الذى لا يقدر عليه سوانا حتى أخرجناه من الأرض أخضر يهتز على ألوان مختلفة و مقادير متفاوتة ثم أيبسناه ﴿ فاصبح هشيما ﴾ [4]أى يابسا[4] مكسرا
١٠ مفتتا[7] ﴿ تذروه ﴾ أى [4]تثيره و[4] تفرقه [4]و تذهب به[4] ﴿ الريح[4] ﴾ حتى يصير عما قليل كأنه بقدرة الله تعالى لم يكن ﴿ و كان الله ﴾ [4]أى المختص بصفات الكمال[4] ﴿ على كل شىء ﴾ من ذلك و غيره إنشاء و إفناء و إعادة ﴿ مقتدرا ۝ ﴾ أزلا و أبدا ، فلا تظنوا أن ما تشاهدونه من قدرته حادث .

١٥ و لما تبين بهذين المثلين و غيرهما أن الدنيا - التى أوردت أهلها [الموارد -[8]] و أحلتهم أودية المعاطب - سريعة الزوال . وشيكة الارتحال ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قدرتنا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقلعه (٣) من ظ ومد ، و فى الأصل : على (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٥) العبارة من هنا إلى « و تكاثف » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : النعت (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ و مد .

مع كثرة الأنكاد، و دوام الأكدار، من الكد[1] و التعب، و الخوف و النصب [2]كالزرع سواء، تقبل أولا فى غاية النضرة و البهجة، تتزايد نضرتها و بهجتها شيئا فشيئا. ثم تأخذ فى الانتقاص و الانحطاط إلى[3] أن تنتهى إلى الفناء، فهى جديرة لذلك بالزهد فيها و الرغبة عنها، [4]و أن لا يفتخر بها عاقل فضلا عن أن يكاثر بها غيره[4]، قال[5] تعالى: ٥ ﴿ المال و البنون ﴾ [4]الفانيان الفاسدان[4] و هما أجلّ ما فى هذه الدار من متاعها ﴿ زينة الحيوٰة الدنيا ج ﴾ التى لو عاش الإنسان جميع أيامها لكان حقيقا لصيرورة ما هو فيه [منها -[6]] إلى زوال بالإعراض عنها و البغض[7] لها، و أنتم تعلمون ما [فى -[6]] تحصيلهما من التعب، و ما لهما بعد الحصول من سرعة العطب، و هما مع ذلك قد يكونان[8] خيرا إن ١٠ عمل فيهما بما يرضى الله، و قد يكونان [9]شرا و يخيب الأمل[9] فيهما، [4]و قد يكون كل منهما سبب هلاك صاحبه و كدره، و سوء حياته و ضرره[4] ﴿ و الٰبٰقيٰت الصٰلحٰت ﴾ [4]و هى أعمال الخير المجردة التى يقصد بها وجه الله تعالى[4] التى رغبنا فيها بقولنا " لنبلوهم ايهم احسن عملا " و ما بعده ﴿ خير ﴾ [4]أى من الزينة الفانية[4]. و لما كان أهم ما إلى من حصل ١٥

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: النكد (٢) العبارة من هنا إلى « إلى الفناء » ساقطة من ظ (٣) سقط من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ: فقال (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: النقص (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: يكون (٩ - ٩) من ظ و مد، و فى الأصل: سرا و تخييبا لامل لا - كذا.

النفائس لكفايته من يحفظها[١] له لوقت حاجته قال: ﴿ عند ربك ﴾ أي[٢] الجليل المواهب، العالم بالعواقب، [٣]و خير[٣] من المال و البنين في العاجل و الآجل ﴿ثوابا و خير﴾ [٣]من ذلك كله[٣] ﴿ املا ه﴾ [٣]أي من جهة ما يرجو فيها من الثواب و يرجو فيها من الأمل[٣]، لأن ثوابها ٥ إلى بقاء، و أملها كل ساعة في تحقق و علو و ارتقاء، [٤]و أمل[٥] المال و البنين يختان أحوج ما يكون إليهما.

و لما ذكر المبدأ و نبه على زواله. و ختم بأن المقصود [٦]منه الاختبار[٦] للرفعة بالثواب أو الضعة[٧] بالعقاب، و[٨]كان الخزي و الصغار، أعظم شيء ترهبه النفوس الكبار، لاسيما إذا عظم الجمع و اشتد الأمر، فكيف ١٠ إذا انضم[٩] إليه الفقر[١٠]! فكيف إذا صاحبها الحبس! و كان يوم الحشر يوما يجمع[١١] فيه[١٢] الخلائق. فهو بالحقيقة المشهود، و تظهر فيه العظمة فهو وحده المرهوب، عقب ذكر الجزاء ذكره، لأنه أعظم يوم يظهر فيه. فقال تعالى عاطفا على "و اضرب": ﴿و يوم﴾ أي و اذكر[١٣] لهم يوم ﴿ تسير[١٤] الجبال ﴾ عن وجه الأرض بعواصف القدرة كما ١٥ يسير[١٥] نبات الأرض - بعد أن صار هشيما - بالرياح " فترى الجبال

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: يحفظ (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « بالعقاب » ساقطة من ظ (٥) من مد، وفي الأصل: لعل (٦-٦) تكرر في مد (٧) من مد. وفي الأصل: الصحة - كذا. (٨) زيد في ظ: لما (٩) من ظ و مد، و في الأصل: ضم (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل: الفقير (١١) في مد: تجمع (١٢) زيد في ظ: جميع (١٣) في مد: ذكرهم. (١٤) هذه قراءة ابن كثير و أبي عمرو و ابن عامر، و قرأ الباقون بالنون - راجع نثر المرجان ٤/٤٥، (١٥) من ظ و مد، و في الأصل: يصير.

تحسبها جامدة و هى تمر مر السحاب" ﴿و ترى الارض﴾ / بكمالها ٣٧٢ /
﴿بارزة﴾ لا غار فيها و لا صدع و لا جبل و لا نبت و لا شجر[1] و لا ظل
﴿و﴾ الحال أنا قد ﴿حشرنٰهم﴾ [2]أى الخلائق بعظمتنا قبل التسيير[2]
بتلك الصيحة ، قهرا إلى الموقف الذى[3] ينكشف فيه المخبآت ، و تظهر
الفضائح و المغيبات ، و يقع الحساب فيه على النقير و القطمير ، و النافذ ٥
فيه بصير ، فينظرون و يسمعون[4] زلازل الجبال عند زوالها ، و قعاقع
الأبنية و الأشجار فى هدها و تباين أوصالها ، و فنائها بعد عظيم مرآها
و اضمحلالها ﴿فلم نغادر﴾ أى نترك [2]بما لنا من العظمة[2] ﴿منهم﴾
[2]أى الأولين و الآخرين[2] ﴿احداً﴾ لأنه لا ذهول و لا عجز .

[5]و لما ذكر سبحانه حشرهم[6] ، و كان من المعلوم أنه للعرض ، ذكر ١٠
كيفية ذلك العرض ، فقال بانيا الفعل للمفعول على طريقة كلام القادرين ،
و لأن المخوف العرض لا كونه من معين : ﴿و عرضوا على ربك﴾
أى[2] المحسن إليك برفع أوليائك و خفض أعدائك ﴿صفاً﴾ لاتساع
الأرض و المسايقة إلى داره ، لعرض أذل شىء و أصغره ، و أطوعه
و أحقره ، يقال لهم تنبيها على مقام العظمة : ﴿لقد جئتمونا﴾ أحياء سويين ١٥
حفاة عراة غرلا ﴿كما خلقنٰكم﴾[2] بتلك العظمة[2] ﴿اول مرة﴾ منعزلين من

(١) فى مد : شجرة (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ : التى .
(٤) زيد فى الأصل : فيه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) العبارة من هنا إلى « من معين » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : حشرناهم .
(٧) سقط من ظ .

كل شيء كنتم تجمعونه و تفاخرون[1] به منقادين مذعنين فتقولون "هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون" فيقال لكم: ﴿بل زعمتم﴾ أى ادعيتم جهلا بعظمتنا ﴿ان﴾ [2]أى أنا[2] ﴿لن نجعل لكم﴾ [2]على ما لنا من العظمة[2] ﴿موعدا﴾ [2]أى مكانا و وقتا[2] نجمعكم فيه هذا الجمع [2]فننجز ما وعدناكم به على ألسنة الرسل[2] ﴿و وضع﴾ [2]بأيسر أمر[2] بعد العرض المستعقب للجمع [2]بأدنى إشارة[2] ﴿الكتب﴾ المضبوط فيه دقائق الأعمال و جلائلها على وجه بين لا يخفى على قارئ و لا غيره شيء منه ﴿فترى المجرمين﴾ لتقر عينك منهم بشماتة لا خير بعدها [[3] ﴿مشفقين مما فيه﴾ من قبائح أعمالهم، و سيئ أفعالهم و أقوالهم [2]أى خائفين دائما خوفا عظيما من عقاب الحق و الفضيحة عند الخلق[2] ﴿و يقولون﴾ [2]أى يجددون] و يكررون قولهم[2]: ﴿يا ويلتنا﴾ كناية عن[4] أنه لا نديم لهم إذ ذاك إلا الهلاك ﴿ما ل هذا الكتب﴾ [2]أى أى شيء له حال كونه[2] على غير حال الكتب فى الدنيا، [5]و رسم لام الجر وحده إشارة إلى أنهم صاروا من قوة الرعب و شدة الكرب يقفون على بعض الكتب، و فسروا حال الكتاب التى أفظعتهم[6] و سألوا عنها بقولهم: ﴿لا يغادر﴾ [7]أى يترك [أى يقع -[8]] منه غدر، أى عدم وفاء

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تتفاخرون (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٥) العبارة من هنا إلى «عنها بقولهم» ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: قطعتهم (٧) العبارة من هنا إلى «تركها الراعى» ساقطة من ظ. (٨) زيد من مد.

[و هو من غادر الشيء: تركه - كأن كلا منهما يريد غدر الآخر ، أى عدم الوفاء بـه ، من الغدير - لقطعة من -[1]] الماء يتركها السيل كأنه لم يوف لها بأخذ ما معه ، و كذا الغديرة - لناقة تركها الراعى ﴿صغيرة﴾ أى[2] من أعمالنا .

و لما هالهم إثبات[3] جميع الصغائر ، بدأوا بها ، و صرحوا بالكبائر ٥ - و إن كان إثبات الصغائر يفهمها - تأكيدا لأن المقام للتهويل و تعظيم التفجع ، [4]و إشارة إلى أن الذى جرهم إليها هو الصغائر - كما قال الفضيل ابن عياض رضى الله عنـه[4] - فقالوا[5] : ﴿و لا كبيرة الآ احصٰها ج﴾ و لما كان الإحصاء قد لا يستلزم اطلاع صاحب الكتاب و جزاءه عليه ، نفى ذلك بقوله تعالى : ﴿و وجدوا ما عملوا حاضرا[5] ﴾ كتابة[6] و جزاء ١٠ من غير أن يظلمهم [سبحانه-[7]] أو يظلم من عادوهم فيه ﴿و لا يظلم ربك﴾ [4]الذى رباك بخلق القرآن[4] ﴿ احدا ع﴾ منهم و لا من غيرهم فى كتـاب و لا عقاب و لا ثواب ، بل يجازى الأعداء بما يستحقون ، تعذيبا لهم و تنعيما لأوليائه الذين عادوهم فيه للعدل بينهم : روى الإمام أحمـد فى المسند[8] عن جابر [9]بن عبد الله[9] رضى الله عنهما أنـه سافر إلى عبد الله ١٥ ابن أنيس رضى الله عنه مسيرة شهر فاستأذن عليه قال : فخرج يطأ ثوبه فاعتنقنى و اعتنقته ، قلت : حديث[10] بلغنى عنك أنك سمعته من

(١) زيد من مد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اثباته .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : فقال (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كناية (٧) زيد من ظ و مد (٨) ٣ / ٤٩٥ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من مد (١٠) فى المسند : حديثا .

رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم فى القصاص. فخشيت أن تموت[1] قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله / صلى الله عليه و على آله و سلم ٢٧٣/ يقول: يحشر[2] الله عز و جل[2] الناس[3] - أو قال: العباد - حفاة عراة بهما، قلت: و ما بهما؟ [قال -[4]]: ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه [5]من بعد كما يسمعه[5] من قرب: أنا الملك أنا الديان، لا ينبغى لأحد [من أهل النار أن يدخل النار و له عند أحد من أهل الجنة حق [6]حتى أقصه منه[6]، و لا ينبغى لأحد من أهل الجنة -[4]] أن يدخل الجنة و له عند أحد من أهل النار حق حتى أقصه منه [حتى اللطمة -[4]]، قال: قلنا: كيف و إنما [نأتى الله -[4]] حفاة عراة بهما؟ قال: بالحسنات و السيئات.

و لما ذكر البعث و ختمه[6] باحسانه بالعدل المثمر لإعطاء كل أحد ما يستحقه، أتبعه - [7]بما له من الفضل[7] - بابتداء[8] الخلق الذى هو دليله، فى سياق مذكر بولايته الموجبة للاقبال عليه، و عداوة الشيطان الموجبة للادبار عنه، مبين لما قابلوا به عدله فيهم و فى عدوهم من الظلم [9]بفعلهم كما فعل من التكبر على آدم عليه السلام بأصله، فتكبروا على فقراء المؤمنين بأصلهم و أموالهم و عشائرهم، فكان فعلهم فعله[10] سواء، فكان

(١) زيد فى المسند: أو أموت (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من المسند (٣) سقط من مد (٤) زيد من ظ و مد و المسند (٥-٥) ليس ما بين الرقمين فى ظ ومد. (٦) سقط من ظ (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ما نبدا (٩) العبارة من هنا إلى «الناس به» ساقطة من ظ (١٠) من مد، و فى الأصل: فعل.

قدوتهم

قدوتهم و هو عدوهم، و لم يقتدوا بخير خلقه و هو وليهم و هم أعرف الناس به، فقال تعالى عاطفا على "و اضرب": ﴿و اذ﴾ أى و اذكر لهم إذ ﴿قلنا﴾ [1]بما لنا من العظمة[1] ﴿للملئكة﴾ الذين هم أطوع شيء لأوامرنا و إبليس فيهم، قال ابن كثير: و ذلك أنه كان قد ترسم بأفعال الملائكة و تشبه بهم و تعبد و تنسك، و لهذا دخل فى خطابهم ٥ و عصى بالمخالفة ﴿اسجدوا لآدم﴾ أبيهم[2] نعمة منا عليه[3] يجب عليهم شكرنا فيها ﴿فسجدوآ﴾ كلهم ﴿الآ ابليس[4]﴾ فكأنه قيل: ما له لم يسجد؟ فقيل: ﴿كان﴾ [أى لأنه كان -[4]] ﴿من الجن﴾ المخلوقين من نار، و لعل النار [لما -[5]] كانت نيرة و إن كانت نورانيتها مشوبة بكدورة و إحراق، عد من الملائكة لاجتماع العنصرين فى مطلق النور، ١٠ مع ما كان غلب عليه من العبادة، فقد روى مسلم فى صحيحه[6] عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم: خلقت الملائكة من نور، و خلق الجان - و فى رواية: إبليس - من مارج من نار، و خلق آدم مما وصف لكم. [1]و فى مكائد الشيطان لابن أبى الدنيا عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الجن كانت قبيلة ١٥ من الملائكة[1].

و لما كان أكثر الجن مفسدا، رجوعا إلى الأصل[7] الذى هو

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: ابيكم (٣) زيد فى الأصل: عليهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) باب فى أحاديث متفرقة - كتاب الزهد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الارض.

النار المحرقة لما لاصقها، المفسدة له، سبب فسقه عن كونه منهم فقال تعالى: ﴿ ففسق ﴾ أى خرج، يقال: فسقت الفأرة من جحرها - إذا خرجت للعيث[1] و الفساد. ﴿ عن امر ربه[1] ﴾ أى سيده و مالكه المحسن إليه بابداعه، و غير ذلك من اصطناعه، فى شأن أبيكم، إذ تكبر عليه فطرده ربه من أجلكم، فلا تستنوا به فى الافتخار و التكبر على الضعفاء، [2]فان من كانت[3] خطيئته فى كبر لم يكن صلاحه مرجوا، و من كانت خطيئته فى معصية كان صلاحه مرجوا، ثم سبب عن هذا ما هو جدير بالإنكار فقال تعالى [فى أسلوب الخطاب لأنه أدل على تناهى الغضب و أوجع فى التبكيت، و التكلم لأنه أنص على المقصود من التوحيد - [4]]: ﴿ افتتخذونه ﴾ أى أيفسق باستحقاركم فيطرده لأجلكم[4] [5]فيكون ذلك سببا لأن تتخذوه[5] ﴿ و ذريته ﴾ شركاء لى ﴿ اولياء ﴾ لكم ﴿ من دونى ﴾ [6]أى [7] اتخاذا مبتدئا من غيرى [8]أو من أدنى[8] رتبة من رتبتى، ليعم الاتخاذ استقلالا و شركة، و لو كان المعنى: من دون - أى غير - اتخاذى، لأفاد الاستقلال فقط، و لو كان الاتخاذ مبتدئا منه بأن كان هو الآمر به لم [9]يكن ممنوعا، و أنا وليكم المفضل عليكم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: للبعث (٢) العبارة من هنا إلى «صلاحه مرجوا» ساقطة من ظ (٣) من مد، و فى الأصل: كان (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد، إلا أنه ورد فى ظ بعد "و هم لكم" (٥-٥) فى ظ: فتتخذونه. (٦) العبارة من هنا إلى «لم يكن ممنوعا» ساقطة من ظ (٧) زيد فى مد: غيرى. (٨-٨) من مد، و فى الأصل: لادى (٩) من مد، و فى الأصل: لن.

﴿ و هم لكم ﴾ [و لما كان بناء فعول للمبالغة و لا سيما و هو شبيه بالمغالاة في نحو القول ، أغنى عن صيغة الجمع فقال -[1]] : ﴿ عدو[1] ﴾[2] إشارة [إلى أنهم -[1]] في شدة العداوة على قلب واحد . و لما كان هذا / الفعل ٣٧٤/ أجدر شيء بالذم ، وصل به قوله تعالى : ﴿ بئس ﴾ [3]و كان الأصل[3] : لكم ، و لكنه[4] أبرز هذا الضمير لتعليق الفعل بالوصف [3]و التعميم[3] فقال ٥ تعالى : ﴿للظالمين بدلا ٥﴾ إذا استبدلوا من ليس لهم شيء من الأمر و هم لهم[5] عدو بمن له الأمر كله و هو لهم ولي .

و لما كان الشريك لا يستأثر بفعل أمر عظيم في المشترك فيه من غير علم لشريكه به ، قال معللا للذم على هذا الظلم بما يدل على[6] حقارتهم عن هذه الرتبة ، عادلا في أسلوب التكلم [3]إلى التجريد[3] عن مظهر العظمة ١٠ لئلا يتعنت من أهل الإشراك متعنت [3]كما عدل في "دوني" لذلك[3] : ﴿ ما اشهدتهم ﴾ أي إبليس و ذريته ﴿ خلق السموٰت و الارض ﴾ نوعا من أنواع الإشهاد ﴿ و لا خلق انفسهم ص ﴾ إشارة إلى أنهم مخلوقون و أنه لا يصح في عقل عاقل أن يكون مخلوق شريكا لخالقه أصلا ﴿ و ما كنت ﴾ [3]أي أزلا و أبدا[3] متخذهم . هكذا الأصل و لكنه أبرز ١٥ إرشادا إلى أن المضل لا يستعان به ، لأنه مع عدم نفعه[7] يضر ، فقال تعالى : ﴿ متخذ المضلين عضدا ٥﴾ إشارة إلى أنه لا يؤسف على فوات

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) العبارة من هنا إلى «قلب واحد» ساقطة من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) في ظ : انما (٥) في مد : له .
(٦) من ظ و مد ، و في الأصل : عن (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : تبعه .

إسلام أحد، فان من علم الله فيه خيرا أسمعه، و من لم يسمعه فهو مضل ليس أهلا لنصرة الدين .

و لما أقام البرهان القاطع على بعد رتبتهم عن المنزلة التى أحلوهم بها من الشرك، أتبعه التعريف بأنهم مع عدم نفعهم لهم فى الدنيا يتخلون[1] عنهم فى الآخرة أحوج ما يكونون إليهم تخييبا لظنهم أنهم يقربونهم إلى الله زلفى، فقال تعالى عاطفا على "اذ قلنا" عادلا إلى مقام الغيبة، إشارة إلى بعدهم عن حضرته الشماء و تعاليه عما قد يتوهم من قوله تعالى "و عرضوا على ربك صفا[2] لقد جئتمونا" فى حجب الجلال و الكبرياء، [3]و جرى حمزة فى قراءته بالنون على أسلوب التكلم الذى كان فيه مع زيادة العظمة[3]: ﴿و يوم﴾[3] أى و اذكر يوم[3] ﴿يقول﴾ الله لهم تهكما بهم: ﴿نادوا شركآءى﴾ [3]و بين أن الإضافة ليست على حقيقتها، بل هى توبيخ لهم فقال تعالى[3]: ﴿الذين زعمتم﴾ أنهم شركاء ﴿فدعوهم﴾ تماديا فى الجهل و الضلال ﴿فلم يستجيبوا لهم[4]﴾ أى لم يطلبوا و يريدوا أن يجيبوهم[5] إعراضا عنهم استهانة بهم و اشتغالا بأنفسهم فضلا عن أن يعينوهم .

و لما كانوا فى غاية الاستبعاد لأن يحال بينهم و بين معبوداتهم، قال فى مظهر العظمة: ﴿و جعلنا بينهم﴾ أى المشركين و الشركاء ﴿موبقا﴾

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يتخلفوك (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: لكم. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تجيبهم .

أى[١] هلاكا أو[٢] موضع هلاك، فاصلا حائلا بينهم، مهلكا قويا عميقا ثابتا حفيظا، لايشذ عنه منهم أحد. و إنما فسرته بذلك لأنه مثل قوله تعالى "فزيلنا بينهم" أى بالقلوب أى جعلنا ما كان بينهم من الوصلة عداوة، و مثل قوله تعالى "ربنا [٣]هؤلاء اضلونا فاتهم عذابا ضعفا من النار" "[٣]هؤلاء [شركاؤنا] الذين كنا ندعوا من دونك" و نحوه، لأن معنى ذلك كله أنه يبدل ما كان بينهم من الود فى الدنيا و الوصلة ببغض و قطيعة كما قال تعالى[٣] "ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضا[٤]" و أن كل فريق يطلب للآخر[٥] الهلاك، فاقتضى ذلك اجتماع الكل فيه، هذا ما يرشد إلى المعنى من آيات الكتاب، و نقل ابن كثير عن عبد الله ابن عمرو رضى الله عنهما[٦] أنه قال: هو واد عميق فرق به يوم القيامة بين أهل الهدى و أهل الضلالة، و قال الحسن البصرى: [عداوة - [٧]].

و أما أخذه من اللفظ فلأن مادة 'وبق'[٨] - يائية و واوية[٩] مهموزة و غير مهموزة، و لها[١٠] أحد عشر تركيبا: [واحد - [١١]] يائى: بق، و ستة واوية: قبو، قوب، بقو، بوق، وقب، وبق، و أربعة مهموزة: قبأ، قأب، بأق، أبق - كلها تدور على الجمع، و خصوصا ترتيب وبق

(١) العبارة من هنا إلى «موضع هلاك» ساقطة من ظ (٢) من مد، و فى الأصل «و» (٣) زيد فى ظ: حكاية (٤) سورة ٢٩ آية ٢٥ (٥) فى مد: الآخر. (٦) راجع أيضا البحر المحيط ٦ / ١٣٧ (٧) زيد من ظ و مد و البحر (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: موبق (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) فى ظ: لهذا (١١) زيد من ظ و مد.

يدور على الحائل بين شيئين ، و يلزمه القوة و الثبات و الحفظ و الهلاك
/ قوة أو فعلا ، لأن [١] من حيل[١] بينه و بين شيء فقد هلك بفقد ذلك /٣٧٥
الشيء بالفعل إن كان الحائل موتا ، و بالقوة إن كان غيره ، يقال : قبا
الشيء : جمعه[٢] بأصابعه ، و البناء : رفعه ، و الزعفران : جناه ، و القبا - بالقصر :
٥ نبت - لأنه سبب الاجتماع لرعيه و الانتفاع به و هو يجمع أيضا ، و القبا :
تقويس[٣] الشيء - لأنه أقرب إلى اجتماع بعض أجزائه ببعض ، و القبوة :
انضمام ما بين الشفتين ، و منه القباء من الثياب ، و قباه تقبية : عباه ،
أي جمعه حتى صار كأنه في مكان مقبو ، و قبي [عليه -[٤]] تقبية : عدا عليه
في أمره - لأنه [كان -[٥]] كأنه أوقعه في حفرة ، و الثوب : جعل منه قباء ،
١٠ و تقبى القباء : لبسه ، و زيدا : أتاه من قفاه - لأن من يريد رمى أحد
في حفرة كذلك يأتيه مخاتلة ، و تقبى الشيء : صار كالقبة ، و امرأة قابية[٦] :
تلقط العصفر و تجمعه ، [و -[٤]] القابياء : اللئيم - لأنه بناء مبالغة ، فيدل
على كثرة الجمع و الحرص اللازمين للؤم[٧] ، و بنو قابياء : المجتمعون لشرب
الخمر - لأنها حالة تظهر لؤم اللئام ، و قباء - بالضم و يذكر و يقصر -

(١-١) من ظ و مد ، و في الأصل : معنى احتمل - كذا (٢) زيد في الأصل : بالشيء ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد و القاموس فحذفناها (٣) من ظ و مد و القاموس ، و في الأصل : مقولش - كذا (٤) زيد من ظ و مد و القاموس . (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد في الأصل : تجمع ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد و القاموس فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : اللوم - كذا .

موضع قرب المدينة الشريفة ، و موضع بين مكة و البصرة ، و انقبى : استخفى ، و قبَى قوسين و قباء قوسين - ككساء : قاب قوسين[١] ، و المقبى : الكثير الشحم - كأنه جمع لنفسه منه بالراحة ما صار كالبناء ، و القبابة : المفازة - لأنها تجمع ما فيها كما تجمع القبة و القباء و الوقبة ما فيها .

و من مهموزه : قبأ الطعام - كجمع[٢] : أكله ، و من الشراب : امتلأ ، و القباءة[٣] : حشيشة ترعى[٤] - لأن المال يجتمع على رعيها .

و من الواوى : قاب الأرض يقوبها و قوّبها[٥] : حفر فيها شبه التقوير - لأن الدائرة أجمع ما يكون لغيرها و فى نفسها ، لأنه لا زوايا فيها فاصلة ، و قوبت الأرض : أثرت فيها ، و القوبة : ما يظهر فى الجسد و يخرج عليه - لأنه[٦] يكون غالبا[٦] على هيئة الدائرة ، و تقوب جلده : تقلع عنه الجرب ، و انحلق عنه الشعر - إما من الإزالة ، و إما [لأن -[٧]] آثاره تكون كالدوائر ، و قوب الشيء : قلعه من أصله - لأن أثره[٨] إذا انقلع يكون حفرا مستديرا ، و تقوب هو : تقلع ، و القائبة و القابة : البيضة - لأنها لتدويرها[٩] تشبه ذلك الحفر ، و القوب - بالفتح : فلق

(١) تكرر ما بين الرقمين فى مد (٢) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : لجمع (٣) من ظ ومد و القاموس ، و فى الأصل : القبا (٤) من مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : مرعى (٥) زيد فى الأصل : الارض ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : غالبا يكون (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشيء (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : كتدويرها .

الطير بيضه ، و بالضم : الفرخ - لأنه[1] منها ، و فى المثل : تخلصت قائبة من قوب - يضرب لمن انفصل من صاحبه ، و القوبىّ : المولع بأكل الأقواب أى الفراخ ، و القوب - كصرد : قشور البيض ، و تقوبت البيضة : انقابت أى انحفرت ، و أم قوب : الداهية - لجمعها ما تأتى عليه كأنه ٥ ابتلعه حفر ، و قاب : قرب - لأن القرب مبدأ الجمع ، و قاب : هرب ، أى[2] سلب القرب - ضد . و قاب : فلق ، أى شق[3] الجمع فهو من الإزالة أيضا ، و قاب قوس و قيبه ، أى قدره - لأن القوس شبه نصف دائرة من ذلك الحفر ، و القاب : ما بين المقبض و السية - لأنه بعض ذلك ، و لكل قوس قابان ، و الأسود المتقوب : الذى انسلخ جلده من ١٠ الحيات - لتدوّر ذلك الجلد و شبهه بالحفرة ، و اقتاب الشيء : اختاره ، أى جمعه إليه ، و رجل ملىء[4] قوبة - كهمزة : ثابت الدار مقيم - من الثبات الذى هو لازم الجمع ، و قوب من الغبار : اغبر - إما لأن من يحفر ذلك يغبر ، و إما لأن الغبار كثر عليه حتى غطاه فصار له مثل تلك الحفرة . و من مهموزه : قأب الطعام - كمنع : أكله ، و الماء : شربه ١٥ كقئبه - كفرح ، أو شرب كل ما فى الإناء ، و قئب من الشراب : تملأ ، و هو مقأب[5] - كمنبر : كثير الشرب[6] للماء ، و إناء قوأب : كثير الأخذ

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : لانها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : سبق (٤) من ظ و مد و تاج العروس ، و فى الأصل : ملء (٥) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : مقتبا (٦) من مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : الشراب .

للماء - فهو كما ترى جمع مخصوص بالأكل / و الشرب ، أو أنه جمعه فى ٣٧٦ /
وقبة[1] بطنه .

و من الواوى : بقاه بعينه : نظر إليه - فهو من الحفظ اللازم للجمع ، و ابقُه بَقْوَتَك مالَك و بقاوتك مالك ، أى احفظه حفظك[2] مالك ، و بقوته : انتظرته - و هو يرجع إلى الثبات و المراقبة التى ترجع إلى الحفظ ، و يلزم ٥ الحفظ الثبات . و من اليائى : بقى الشىء بقاء : ثبت و دام ضد فنى ، و الاسم البقوى - كدعوى . و يضم ، و البقيا - بالضم و البقية ، و قد توضع الباقية موضع المصدر .

و من واويّه : البوقة : الجمع[3] و الدفعة من المطر الشديدة أو المنكرة تنباق - لأنها[4] نزلت من وقبة لشدتها ، و البوائق : العوائد - لأنها جامعة ١٠ لمن اعتادها ، و البوائق : الشر - لأنه مهلك ، فكأنه موقع فى المهالك ، و البوق - بالضم : شبه منقاب[5] ينفخ فيه الطحان ، أو[6] الذى ينفخ فيه مطلقا و يزمر - لأنه لتجويفه يشبه الوقبة ، و البوق أيضا : الباطل و الزور - لأن صوته أشبه شىء بذلك ، و المبوق[7] - كمعظم : الكلام الباطل ، و البوق - و يفتح : من لايكتم السر - لأن البوق متى نفخ فيه صوّت ، و البوقة : ١٥ شجرة دقيقة - لأنها لدقتها يسرع إليها الهلاك كمن[8] وقع فى وقبة ،

---

(١) بهامش ظ : أى حفرة (٢) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : حفظت (٣) و هذا المعنى لم يلم به ما عندنا من القواميس (٤) من ظ و مد ، فى الأصل : كانها (٥) فى مد : مثقاب (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » . (٧) فى مد : الموبق (٨) من مد ، و فى الأصل : يكون ، و فى ظ : لمن .

و الباثقة[1] : الداهية - كأنها تدفع من أتته[2] فى الوقبة ، و انباقت عليه باثقة : انفتقت ، و باق : جاء بالشر و الخصومات - [من ذلك -[3]] ، و كذا باق ، أى تعدّى على إنسان ، و انباق به : ظلمه ، و الباثقةُ القومَ : أصابتهم ، كانباقت عليهم ، أى خرجت لشدتها من وقبة ، و الباقة : الحزمة[5] من بقل - لاجتماعها ، و باق بك : طلع عليك من غيبة[6] - كأنه كان فى حفرة فخرج ، و منه باق فلان : هجم على قوم بغير إذنهم ، و باق القوم : سرقهم ، و باق به : حاق [به -[7]] ، أى أحاط كما تحيط الوقبة ، و باق القوم عليه : اجتمعوا فقتلوه ظلما ، و باق المال : فسد و بار كحال[8] من وقع فى حفرة ، و منه متاع باثق : لا ثمن له ، و تبوّق فى الماشية : وقع فيها الموت و فشا ، و الحاق باق : صوت الفرج عند الجماع - لأنه من الجمع ، و لأن الفرج وقبة ، و من مهموزه : بأقتهم الداهية بؤوقا : أصابتهم ، و انبأق عليهم الدهر : هجم عليهم بالداهية .

و من الواوى ، الوقبة : كوة عظيمة فيها ظل ، و الوقب و الوقبة : نقرة فى الصخرة يجتمع فيها الماء ، و قيل : هى نحو البئر فى الصفا تكون قامة أو قامتين يستنقع فيها ماء السماء ، و كل نقر فى الجسد وقب كنقر العين و الكتف[9] ، و الوقبان من الفرس : هزمتان[10] فوق عينيه ، و وقب

---

(١) فى مد : الباقية (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اتت (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : بعد عن (٥) زيدت الواو فى مد (٦) من مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : غيبته (٧) زيد من مد و التاج (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لحال (٩) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : الكشف (١٠) فى مد : لهزمتان .

المحالة : الثقب الذى يدخل فيه المحور ، و وقبة[1] الدهن : أنقوعته ، و كذا وقبة الثريد ، و وقب الشيء : دخل [فى الوقب ، و أوقب الشيء : أدخله[2]] فيه ، و ركية وقباء : غامرة الماء ، و امرأة ميقاب : واسعة الفرج و بنو الميقاب نسبوا إلى أمهم ، يريدون سبهم[3] بذلك ، و الميقاب : الرجل الكثير الشرب للماء ، و الحمقاء أو[4] المحمقة ، و سير الميقاب : أن تواصل سير يوم و ليلة - كأن ذلك سير الأحمق الذى لا يبقى على ظهره ، و وقب القمر وقوبا : دخل فى الظل الذى يكسفه[5] - كأنه[6] حفرة ابتلعته ، و وقبت الشمس وقوبا : غابت كذلك . و قيل : كل ما [غاب - ٧] فقد وقب . و وقب[8] الظلام : أقبل . أى فصار كالوقبة ، فابتلع الضياء أو ابتلع ما فى الكون فحجبه عن الضياء . و رجل وقب[9] : أحمق - كأنه وعاء لكل ما يسمع . لا أهلية له فى تمييز جيده من رديئه ، و الأنثى : وقبة ، و قال ثعلب : الوقب : الدنىء ، أى لأنه[10] يتبع نفسه هواها فيصير كأنه الوقبة لا ترد شيئا مما يلقى فيها . / و وقب الفرس وقبا و هو صوت قنبه ، أى وعاء قضيبه ، و قيل : صوت تقلقل جردان الفرس فى قنبه - لأن وعاء جردانه كالوقبة ، فهو من اطلاق اسم المحل على ما فيه ، و القبة -

٣٧٧ /

(١) من ظ و مد والقاموس ، وفى الأصل : وقب (٢) زيد لفظا من ظ و مد و معنى من القاموس (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : نسبهم (٤) من القاموس وفى الأصول : « و » من مد ، وفى الأصل وظ : يكشفه (٦) فى ظ : لانه (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ و مد : وقت - كذا (٩) زيد فى الأصل : اى و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و القاموس فحذفناها (١٠) فى ظ : انه .

[كعدة - [١]] : الإنفحة إذا عظمت من الشاة[٢] ، قال ابن الأعرابي : و لا يكون ذلك فى غير الشاء - لأن شبه الإنفحة بالوقبة ظاهر ، و الوقباء : موضع يمد و يقصر ، و الوقبي : ماء لبنى مازن - لأنه يجمعهم كما تجمع الوقبة [ما -[٣]] فيها ، و الأوقاب : قماش البيت كالبرمة و الرحيين و العمد - لأن البيت لها كالوقبة لجمعها[٤] أو لأنها جامعة[٥] لشمل من فيه ، و الميقب : الودعة ، و أوقب القوم : جاعوا ، أى تهيأوا لإدخال الطعام فى وقبة الجوف ، و ذكر أوقب : ولّاج فى الهنات - لأنها كالأوقاب أى الحفر . و الوقب : الإقبال و المجيء ، و هو سبب الجمع .

و وبق[٦] - كوعد و وجل و ورث وبوقا [٧]و موبقا[٧] : هلك ، أى وقع فى [وقبة ، أى - [٣]] حفرة[٨] كاستوبق ، و كمجلس : المهلك و المحبس ، و واد فى جهنم ، و كل شيء حال بين شيئين - لأن الوقبة تحول بين ما فيها و بين غيره . و منه قيل للوعد : موبق ، و أوبقه : حبسه أو أهلكه[٩] .

و من مهموزه : أبق العبد - كسمع و ضرب و منع[١٠] - أبقا

---

(١) زيد من ظ و مد و القاموس (٢) من مد و القاموس ، و فى الأصل وظ : الشياه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ ، و فى الأصل : جمعها ، و فى مد : بجمعها (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : طامعة (٦) من مد و القاموس ، و فى الأصل وظ : وقب (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : حفر (٩) فى مد : هلكه (١٠) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : منه .

ويحرك - وإباقا - ككتاب: ذهب بلاخوف ولا كد عمل، أو[1] استخفى ثم ذهب - وكل ذلك يرجع إلى جعله كأنه نزل[2] فى وقبة، ومن شأنه حينئذ أن يخفى، ومنه تأبق: استتر أو احتبس، وتأبق الشيء: أنكره - لأن سبب الإنكار الخفاء. وتأبق: تأثم، [أى جانب الإثم -[3]]، فهو لسلب الجمع أو لسلب الهلاك فى الوقبة، والأبق - محركة: القنب - لشبهه لتجويفه بالوقبة، والأبق: قشره - لقوته اللازمة للجمع أو لأنه خيوط مجتمعة. ٥

ولما قرر سبحانه [4]ما لهم[4] مع[5] شركائهم، [ذكر حالهم -[6]] فى استمرار جهلهم، فقال تعالى: ﴿ورأ المجرمون﴾ [7]أى العريقون فى الإجرام[7] ﴿النار﴾ أى ورأوا، ولكنه أظهر للدلالة على تعليق الحكم بالوصف ﴿فظنوآ﴾ ظنا ﴿انهم مواقعوها ولم﴾ أى والحال أنهم [لم -[3]] ﴿يجدوا عنها مصرفا ج﴾ أى مكانا ينصرفون إليه، فالموضع موضع التحقق، ولكن ظنهم جريا على عادتهم فى الجهل كما قالوا "اتخذ الله ولدا" بغير علم "وما اظن ان تبيد هذه ابدا"، "وما اظن الساعة قائمة"، "ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين" مع قيام الأدلة التى لاريب فيها. ١٠ ١٥

ولما كان الكلام فى قوة أن يقال: صرفنا هذه الأخبار بما[8] أشارت

---

(١) من ظ ومد والقاموس، وفى الأصل «و» (٢) من مد، وفى الأصل: ترك، وفى ظ: يزل (٣) زيد من ظ ومد (٤-٤) فى ظ: حالهم (٥) من مد، وفى الأصل وظ: من (٦) زيد من مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: ربما.

إليه من الأسرار الكبار، فقامت دلائل الشريعة الجلائل، و أضاءت بها جواهر المعانى الزواهر. عطف على ذلك: ﴿ و لقد صرفنا ﴾ [1]أى بما لنا من العظمة[1]. و لما كانت هذه السورة فى وصف الكتاب، اقتضى الاهتمام به تقديمه فى قوله تعالى: ﴿ فى هذا القرآن ﴾ أى القيم الذى لاعوج فيه، [1]مع جمعه للمعانى و نشره الفارق بين الملبسات[1] ﴿ للناس ﴾ [1]أى المزلزلين فضلا عن الثابتين[1] ﴿ من كل مثل[2] ﴾ أى حوّلنا الكلام و طرقناه فى كل وجه[3] من وجوه المعانى و ألبسناه من العبارات الرائقة، و الأساليب المتناسقة، ما سار بها فى غرابته كالمثل، يقبله كل من يسمعه، و تضرب به آباط[4] الإبل فى سائر البلاد، بين العباد، فتبشر به قلوبهم، و تلهج[4] به ألسنتهم، فلم يتقبلوه و جادلوا فيه؛ ثم نبه على الوصف المقتضى لذلك بقوله تعالى: ﴿ و كان الانسان ﴾ [1]الذى جعل خصيما و هو آنس بنفسه جبلة و طبعا[1] ﴿ اكثر شىء ﴾ [1]و ميز الأكثرية بقوله تعالى[1]: ﴿ جدلا ﴾ [1]لأنه لم ينته عن الجدل بعد هذا البيان، الذى أضاء جميع الأكوان[1].

و لما بين إعراضهم، بين موجبه عندهم فقال: ﴿ و ما منع ﴾ [1]و لما كان / الناس تبعا لقريش قال[1]: ﴿ الناس ﴾ أى الذين جادلوا بالباطل، [1]الإيمان - هكذا كان الأصل، و لكنه عبر عن هذا المفعول الثانى بقوله تعالى[1]: / ٣٧٨

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: وجوه.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الاباط (٤) فى ظ: بهج.

﴿ ان[1] يؤمنوآ ﴾ [2]ليفيد التجديد و ذمهم على الترك[2] ﴿اذ﴾ [2]أى حين[2] ﴿ جآءهم الهدٰى ﴾ بالكتاب على لسان الرسول. و عطف على المفعول الثانى - معبرا بمثل ما مضى [3]لما مضى[3] - قولَه تعالى[4]: ﴿و يستغفروا[5] ربهم﴾ أى[6] المحسن إليهم.

[2]و لما كان الاستثناء مفرغا، أتى بالفاعل فقال تعالى[2]: ﴿الآ [2]ان﴾ أى[2] طلب أن ﴿ تاتيهم سنة الاولين ﴾ فى إجابتهم إلى ما اقترحوه على رسلهم، المقتضى للاستئصال لمن استمر على الضلال، [7]و من ذلك طلبهم أن يكون النبى[8] ملكا، و ذلك نقمة فى صورة[9] نعمة و[10]إتيان بالعذاب[10] دبرا، أى مستورا ﴿او﴾ طلب أن ﴿ياتيهم العذاب قبلا ﴾ أى مواجهة [11]و معاينة و مشاهدة من غير ستر له[12]، هو فى قراءة من كسر القاف و فتح الباء[13] واضح، من قولهم: لقيت فلانا قبلا، أى معاينة، و كذا فى قراءة من ضمهما[14]، من قولهم: أنا آتيك قبلا لا دبرا، أى[15] مواجهة

(١) فى ظ: من ان (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) العبارة من «وعطف على» إلى هنا ساقطة من ظ (٥) فى ظ: من ان يستغفروا (٦) سقط من ظ (٧) العبارة من هنا إلى «أى مستورا» ساقطة من ظ (٨) من مد، و فى الأصل: الشىء (٩) من مد، و فى الأصل: وصول (١٠-١٠) من مد، و فى الأصل: ايتاونا لعذاب - كذا (١١) العبارة من هنا إلى «الأولين فمعناه» ساقطة من ظ (١٢) زيد بعده فى الأصل و فى نسخة أخرى من مد - من نفس المكتبة و نفس الخط و قد نرجع إليها عند اشتداد الحاجة -: فى سنة الاولين، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (١٣) راجع نثر المرجان ٤ / ١٥٥ (١٤) من مد، و فى الأصل: ضمها (١٥) سقط من مد.

من جهة وجهك[١] لا من جهة قفاك، قال تعالى "ان كان قميصه قد من قبل[٢]"، و يصح أن يراد بهذه القراءة الجماعة، لأن المراد بالعذاب [الجنس -[٣]] أى[٤] يأتيهم أصنافا مصنفة صنفا صنفا و نوعا نوعا، و قد مضى فى الأنعام بيانه، و هذا "الشق قسيم" الإتيان بسنة الأولين، فمعناه: من غير أن يجابوا إلى[٦] ما اقترحوا كما تقدم فى التى قبلها "فابى اكثر الناس الا كفورا و قالوا لن نؤمن لك - إلى قوله تعالى: او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا[٧]" - الآية؛ [٨]و هذه الآية من[٩] الاحتباك: ذكر "سنة الاولين" أولا يدل على ضدها ثانيا، و ذكر المكاشفة ثانيا يدل على المساترة أولا.

و لما كان ذلك ليس إلى الرسول، إنما هو إلى الإله، بينه[١٠] بقوله تعالى: ﴿ و ما نرسل ﴾ على ما لنا من العظمة التى لا أمر لأحد معنا فيها ﴿المرسلين الا مبشرين﴾ بالخير على أفعال الطاعة ﴿ و منذرين ج ﴾ بالشر على أفعال المعصية، فيطلب منهم الظالمون من أممهم ما ليس إليهم[١٠] من فصل الأمر ﴿ و يجادل الذين كفروا ﴾ أى يجددون الجدال كلما[١١]

(١) زيد بعده فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) سورة ١٢ آية ٢٦ (٣) زيد من مد (٤) من مد، و فى الأصل: ان (٥-٥) من مد، و فى الأصل: السق قيم - كذا (٦) زيد فى الأصل: غير، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) سورة ١٧ آية ٨٩-٩٢ (٨) العبارة من هنا إلى «المساترة أولا» ساقطة من ظ (٩) من مد، و فى الأصل: لمن (١٠) سقط من مد (١١) فى مد: كما.

أتاهم أمر من قبلنا ﴿ بالباطل ﴾ من قولهم: لو كنتم صادقين لأتيتم بما نطلب[1] منكم، مع أن [ذلك -[2]] ليس كذلك لأنه ليس لأحد غير الله من الأمر شيء[3] ﴿ ليدحضوا ﴾ أي ليزلقوا فيزيلوا و يبطلوا ﴿ به الحق ﴾ الثابت من المعجزات المثبتة لصدقهم .

ولما كان لكل مقام مقال، و لكل مقال [حد و -[4]] حال، فأتى في الجدال بصيغة الاستقبال، و كان اتخاذ الاستهزاء أمرا واحدا، أتى به ماضيا فقال تعالى: ﴿ و اتخذوآ ﴾ أي كلفوا أنفسهم أن أخذوا ﴿ ايٰتى ﴾ بالبشارات التي هي المقصودة بالذات لكل ذي روح ﴿ و مآ انذروا ﴾ من آياتي، °بني للمفعول لأن الفاعل معروف و المخيف الإنذار° ﴿ هزوا ﴾ مع[6] بعدهما جدا عن ذلك، فلا بالرغبة أطاعوا، و لا للرهبة ارتاعوا، فكانوا شرا من البهائم .

°و لما حكى عنهم هذا الجدال، و الاستهزاء و الضلال، وصفهم بما يوجب الخزي فقال - عاطفا على ما تقديره°: فكانوا بذلك أظلم الظالمين: ﴿ و من اظلم ﴾ منهم - °استفهاما على سبيل التقرير°، و لكنه أظهر للتنبيه على الوصف الموجب للانكار على من شك في أنهم أظلم. فقال تعالى: ﴿ممن ذكر ﴾ °أي من أيّ مذكر كان° ﴿ بايٰت ﴾ أي علامات ﴿ ربه ﴾ المحسن إليه بها؛ قال الأصبهاني: و هذا من أفصح

(١) من ظ ومد، و في الأصل: يطلب (٢) زيد من ظ ومد (٣) في مد: شيئا.
(٤) زيد من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد، و في الأصل: بعد.

التقرير أن يوقف الرجل على ما لاجواب له فيه إلا الذى يريد خصمه .

و لما كان التذكير سببا[1] للاقبال فعكسوا فيه / قال تعالى[2] : /٣٧٩

﴿فاعرض عنها﴾ تاركا لما يعرف من تلك العلامات العجيبة[3] و ما يوجبه ذلك [الإحسان -[4]] من الشكر ﴿و نسى ما قدمت يداه[5]﴾ من الفساد

٥ الذى هو عارف - لو صرف عقله إلى الفكر فيما ينفعه - أن الحكمة تقتضى جزاءه عليه ، و أفرد الضمير فى جميع هذا على لفظ "من" إشارة إلى أن من فعل مثل هذا - و لو أنه واحد - كان هكذا ، و الأحسن أن يقال : إنهم لما كانوا قد سألوا اليهود عنه صلى الله عليه و على آله و سلم كما أشير إليه عند[5] "و يسئلونك عن الروح[6]" فأمروهم بسؤاله عما جعلوه

١٠ أمارة على صدقه ، فلم يؤثر ذلك فيهم ، و استمروا بعد إخباره بالحق على التكذيب ، شرح حالهم بالتعقيب بالفاء ، فكان المعنى : من أظلم منهم ، لأنهم ذكروا فأعرضوا و نسوا ما اعتقدوا أنه دليل الصدق ، و أنه لاجدال بعده ، [7]و سيأتى لموقع الفاء فى آخر السجدة مزيد[8] بيان ، و إسناد الفعل فى الإعراض و ما بعده إليهم حقيقة بما لهم من [الكسب

١٥ كما أن إسناد الجعل و ما بعده إلى الله حقيقة بما له من -[9]] الخلق .

و لما كان كأنه قيل : ما لهم فعلوا ذلك ؟ أيجهل قبح هذا أحد ؟ قيل :

---

(١) فى مد : مسببا (٢) العبارة من « قال الأصبهانى » إلى هنا ساقطة من ظ .
(٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنه .
(٦) سورة ١٧ آية ٨٥ (٧) العبارة من هنا إلى « الخلق » ساقطة من ظ (٨) سقط من مد (٩) زيد ما بين الحاجزين من مد .

﴿ انا جعلنا ﴾ [١]بما لنا من القدرة[١] على إعماء البصائر و الأبصار ﴿على قلوبهم﴾ لجمع رجوعا إلى أسلوب "و اتخذوا ايتى" لأنه أنص على[٢] ذم كل واحد ﴿ اكنة[٤] ﴾ [٥]أى أغطية[٥] [٦]مستعلية عليها استعلاء يدل سياق العظمة على أنه لايدع شيئا من الحيز يصل إليها ، فهى لا تعى شيئا من آياتنا ، و دل بتذكير الضمير على أن المراد بالآيات القرآن فقال تعالى : ٥ ﴿ان﴾ أى[٦] كراهة أن ﴿يفقهوه﴾ أى يفهموه ﴿ و فى اذانهم وقرا[٤] ﴾ أى ثقلا فهم لايسمعون حق السمع ، ولايعون حق الوعى ﴿ و ان تدعهم ﴾ أى تكرر دعاءهم[٧] كل وقت ﴿ الى الهدى ﴾ لتنجيهم بما عندك من الحرص على ذلك و الجد ﴿ فلن يهتدوا ﴾ [٦]أى كلهم بسبب دعائك[٦] ﴿اذا﴾ أى إذا دعوتهم ﴿ ابدا ﴾ لأن من له العظمة التامة - و هو ١٠ الذى إذا عبر عن نفسه بنونها كانت على حقيقتها - حكم عليهم بالضلال ، أى أنه[٨] لا يكون الدعاء وحده هاديا لأكثرهم ، بل لا بد معه من السيف كما سنأمرك به فتقطع الرؤوس فيذل غيرهم[٩] ، و قد يكون المراد أن من كان هكذا معاندا على هذا الوجه كان[١٠] مؤبد الشقاء ، و قد نفى

(١) العبارة من هنا إلى « و الأبصار » ساقطة من ظ (٢) فى مد : العظمة . (٣) زيد فى الأصل و ظ : كل ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) تأخر مع الكلمتين التاليتين فى الأصل عن « من آياتنا » و الترتيب من ظ و مد . (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل: لانه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : عزهم ، و العبارة من بعده إلى «أو التفويض» ساقطة من ظ (١٠) من مد ، و فى الأصل : كما .

آخر هذه الآية الفعل عن العباد و اثبته لهم اولها ، و قلما نجد فى القرآن آية تسند الفعل إليهم إلا قارنتها أخرى تثبته لله و تنفيه عنهم ، ابتلاء من الله لعباده ليتميز الراسخ - الذى ينسب للمكلفين الكسبَ[1] المفيد لأثر التكليف ، و لله الخالق المفيد لأنه سبحانه لا شريك له فى خلق و لا غيره - من الطائش[2] الذى يقول بالجبر[3] أو التفويض .

و لما كان هذا مقتضيا لأخذهم ، عطف على ما اقتضاه السياق مما ذكرته من العلة قولَه تعالى : ﴿ و ربك ﴾ مشيرا بهذا الاسم إلى ما اقتضاه الوصف من الإحسان بأخذ من يأخذ منهم و إمهال غيره لحكم دبرها ؛ ثم أخبر عنه بما ناسب ذلك من أوصافه فقال : ﴿ الغفور ﴾ أى هو وحده الذى يستر الذنوب إما بمحوها و إما بالحلم[4] عنها إلى وقت ﴿ ذو الرحمة[5] ﴾ أى[6] [الذى -[6]] يعامل - و هو قادر - مع موجبات الغضب معاملة الراحم بالإكرام[7] ؛ ثم استشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ لو يؤاخذهم ﴾ أى هؤلاء الذين[8] عادوك و آذوك ، و هو عالم بأنهم لا يؤمنون لو يعاملهم معاملة المؤاخذ ﴿ بما كسبوا ﴾ حين كسبهم ﴿ لعجل لهم العذاب[4] ﴾ واحدا بعد واحد ، و لكنه لا يعجل لهم ذلك ﴿ بل لهم موعد ﴾ يحله[9] بهم فيه ، [10]و دل على أن موعده ليس كموعد غيره

(١) فى مد : الكسف - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : الطاش (٣) من مد ، و فى الأصل : بالخير (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالحكم (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : محله - كذا (١٠) العبارة من هنا =

من العاجزين بقوله دالا على كمال قدرته: ﴿ لن يجدوا من دونه ﴾ [أى -[1]] الموعد ﴿ موئلا ﴾ أى ملجأ ينجيهم منه ، فاذا [جاء -[1]] موعدهم أهلكناهم فيه بأول ظلمهم ، آخره .

و لما كانت هذه سنته[2] فى / القرون الماضية و الأمم الخالية ، قال ٣٨٠ /
تعالى عاطفا على قوله "لهم موعد" [3]مروعا لهم بالإشارة إلى ديارهم ٥
المصورة لدمارهم[2] : ﴿ وتلك القرى ﴾ [3]أى الماضية من عاد و ثمود و مدين و قوم لوط و أشكالهم[2] ﴿ اهلكنهم ﴾ أى حكمنا باهلاكهم بما لنا من العظمة ﴿ لما ظلموا ﴾ أى[4] أول ما ظلموا ، أو[5] أهلكناهم بالفعل حين ظلمهم لكن لا فى أوله . بل أمهلناهم إلى حين تناهيه و بلوغه الغاية ، [2]فليحذر هؤلاء مثل ذلك[2] ﴿ و جعلنا ﴾ [3]أى بما لنا من العظمة[3] ١٠
﴿ لمهلكهم ﴾ أى إهلاكهم بالفعل ﴿ موعدا ﴾ أى وقتا نحله[6] بهم فيه و مكانا لم نخلفه[7] ، كما أنا[8] جعلنا لهؤلاء موعدا فى الدنيا بيوم بدر و الفتح و حنين و نحو ذلك ، و فى الآخرة لن نخلفه[9] ، و كذا كل أمر يقوله[10] نبى من الأنبياء عنا لا يقع[11] فيه خلف[11] [3]و إن كان يجوز لنا ذلك ، بخلاف ما يقوله من نفسه غير مسند إلينا فانه يمكن وقوع الخلف فيه[3] ، كما ١٥

= إلى قوله « كمال قدرته » ساقطة من ظ .

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ستة (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يخلد (٧) من مد ، و فى الأصل : لم يخلفه .
(٨) من مد ، و فى الأصل : ان (٩) العبارة من « و مكانا » إلى هنا ساقطة من ظ (١٠) زيد فى مد : من نفسه غير مسند الينا (١١-١١) فى ظ : الخلف فيه .

وقع فى الوعد بالإخبار عن هذه المسائل التخلف أربعين ليلة أو ما دونها على حسب فهمهم أن "غدا" على حقيقته .

و لما قدم الكلام على البعث ، و استدل عليه بابتداء الخلق ، ثم ذكر بعض أحواله ، ثم عقبه بما ضرب لذلك و غيره من الأمثال ، و صرف من وجوه الاستدلال ، و ختم ذلك بأنه يمهل عند المساءة ، عقب ذلك بأنه كذلك يفعل عند المسرة ، فلكل شيء عنده كتاب ، و كل قضاء بقدر و حساب ، فذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام و ما اتفق له فى طلبه ، و جعله سبحانه له الحوت آية و موعدا للقائه ، و لو أراد سبحانه لقرب المدى و لم يحوج[1] إلى عناء ، مع ما فيها من الخارق[2] الدال على البعث ، و من الدليل على أن من ثبت فضله [و علمه -[3]] لا يجوز أن يعترض عليه إلا من كان على ثقة مما يقوله من ربه و[4] لا أن[4] يمتحن ، [و -[3]] من الإرشاد إلى ذم الجدل بغير علم ، و وجوب الانقياد للحق عند بيانه ، وظهور برهانه ، و من إرشاد من استنكف أن يجالس فقراء المؤمنين بما اتفق لموسى عليه السلام من[5] أنه - و هو كليم الله - اتبع الخضر عليه السلام ليقتبس من علمه ، و من تبكيت اليهود[6] بقولهم لقريش لما أمروهم بسؤال النبى صلى الله عليه و على آله و سلم «إن

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يخرج (٢) فى مد : الخوارق (٣) زيد من ظ ومد (٤-٤) فى مد : لان . و فى النسخة الأخرى من مد مثل ما فى الأصل .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مع (٦) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

لم يخبركم فليس بنبي ، الموهم للعرب الذين لا يعلمون شيئا أن من شرط النبي[1] [أن لا -[2]] يخفى عليه شيء ، مع [3] ما يعلمون من أن موسى عليه السلام خفى عليه جميع[3] ما فعله الخضر عليه السلام ، و إلى نحو هذا أشار الخضر عليه السلام بقوله إذ وقع العصفور على حرف السفينة و نقر من البحر نقرة أو نقرتين : ما نقص علمي و علمك يا موسى من علم الله ٥ إلا كما نقص هذا العصفور من البحر . و باعلامهم[4] بما يعلمونه من أن موسى عليه السلام جعل نفسه تابعا للخضر عليه السلام ، تكذيبا لهم فى ادعائهم أنه ليس أحد أعلى من موسى عليه السلام فى وصف من الأوصاف ، و أنه لا ينبغى لأحد اتباع غيره ، و من جوابهم عما لعلهم يقولون للعرب بهتا[5] و حسدا ، لو كان نبيا ما قال : أخبركم غدا ، و تأخر عن ذلك ، بما ١٠ اتفق لموسى فى وعده الخضر عليهما السلام بالصبر ، و بما خفى عليه مما اطلع عليه الخضر عليهما السلام ، فقال تعالى عاطفا على قوله سبحانه " و اذ قلنا للملئكة " : ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكر لهم حين[6] ﴿ قال موسى ﴾ أى[7] ابن عمران المرسل إلى بنى إسرائيل ، أى [قوله -[8]] الذى كان فى ذلك الحين[9] ﴿ لفتٰه ﴾ يوشع بن نون عليهما السلام : ﴿ لآ ابرح ﴾ [10]أى لا أزال سائرا[10] فى طلب ١٥ العبد الذى أعلمنى ربى بفضله -كما دل عليه ما يأتى ﴿ حتىٰٓ ابلغ مجمع البحرين ﴾

(١) زيد فى الأصل : صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٤) فى مد : باعلامه ، وفى نسخة أخرى من مد مثل ما فى الأصل وظ (٥) من مد ، وفى الأصل : تهما ، وفى ظ : بهنتا - كذا (٦) فى ظ : اذا (٧) سقط من ظ (٨) زيد من مد .
(٩) العبارة من « أى قوله الذى » إلى هنا ساقطة من ظ (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

/ ٣٨١

[1]أى ملتقاهما و موضع اختلاطهما الذى سبق / إليه فهمى ، فتعينت البداءة به[1] فألقاه ثَمَّ ﴿ او امضى حقبا ﴾ إن لم أظفر بمجمع البحرين الذى جعله ربى موعدا [لى فى لقائه -[2]] ؛ و الحقب - قال فى القاموس - ثمانون سنة أو أكثر و الدهر و السنة أو السنون - انتهى . [3]و ما أنسب التوقيت بمجمع بحرى الماء بمجمع بحرى العلم و تزودهما[4] بالنون الذى قرنه [الله -[5]] بالقلم و ما يسطرون ، و عين الحياة لأن العلم حياة القلوب ، فسارا وتزودا حوتا مشويا فى مكتل [1] كما أمرا به [1] ، فكانا يأكلان منه إلى أن بلغا المجمع ﴿ فلما بلغا مجمع بينهما ﴾ أى البحرين ، [1]فلم يكن هناك بين أصلا لصيروتهما شيئا واحدا[1] ﴿ نسيا حوتهما ﴾ فلم يعلم موسى عليه السلام شيئا من حاله و نسى أن يسأل عنه ، و علم يوشع عليه السلام [1]بعض حاله[1] فنسى أن يذكر ذلك له ﴿فاتخذ﴾ أى[6] الحوت [1]معجزة فى معجزة[1] ﴿سبيله﴾ أى طريقه [1]الواسع الواضح[1] ﴿ فى البحر سربا ﴾ أى[7] خرقا فى الماء غير ملتئم ، من السرب الذى [هو -[2]] جحر الوحشى ، و الحفير[8] تحت الأرض ، و القناة يدخل منها[9] الماء الحائط . و قد ورد فى حديثه فى الصحيح[10] أن الله تعالى [11]أحياه و أمسك عن[11] موضع جريه فى

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا إلى « حياة القلوب » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : ترودها (٥) زيد من مد (٦) سقط من ظ (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من القاموس ، و فى النسخ : الحفر (٩) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : منه .
(١٠) راجع باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام - كتاب الانبياء .
(١١-١١) من مد . وفى الأصل : احياء فامسك ، و فى ظ : امسك عن .

الماء

الماء، فصار طاقا لا يلتئم . و يوشع عليه السلام ينظر ذلك، و كأن المجمع كان ممتدا، فظن موسى عليه السلام أن المطلوب أمامه [١]أو ظن أن المراد بمجمع آخر فسار[١] ﴿ فلما جاوزا ﴾ [١]أى موسى و فتاه عليهما السلام[١] ذلك الموضع [١]من المجمع[١] تعب، و لم يتعب حتى جاوز المكان الذى أمر به [١]معجزةً أخرى[١]، فلما جاع و تعب ﴿ قال لفتٰه اٰتنا ﴾ [١]أى أحضر لنا[١] ﴿غداءنا﴾ أى لنتقوى [به -[٢]] على ما حصل لنا من الإعياء، و لذلك وصل به قوله تعالى: ﴿لقد لقينا من سفرنا﴾ أى[٣] الذى سافرناه فى هـذا اليوم خاصة، و لذلك أشار إليه بأداة القرب فقال تعالى: ﴿هذا نصبا ه﴾ و كان الحوت زادهم فلم يكن معه، فكأنه قيل: فما [٤]كان عن أمره[٤]؟ فقيل: ﴿قال﴾ لموسى عليه السلام [١]معجبا له[١]: ﴿ ارءيت ﴾ ما دهانى؟ ﴿اذ اوينآ الى الصخرة﴾ التى بمجمع البحرين ﴿فانى﴾ أى[٣] [بسبب أنى -[٥]] ﴿نسيت الحوت ذ﴾ أى نسيت أن أذكر لك أمره الذى كان هناك؛ [١]ثم زاد التعجيب من هذا النسيان بالاعتراض بين الإخبار به مجملا و بين تفصيل أمره و بإيقاع النسيان عليه ثم على ذكره فقال تعالى[١]: ﴿ و مآ انسٰنيه ﴾ مع كونه عجيبا ﴿ الا الشيطٰن ﴾ بوساوسه .

و لما كان المقام للتدريب فى عظيم تصرف الله تعالى [فى القلوب -[٥]] باثبات العلم و نفيه و إن كان ضروريا، ذكر نسيانه، ثم أبدل من ضميره

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
(٤-٤) فى ظ : قال (٥) زيد من مد .

قوله تعالى[١] : ﴿ ان اذكره ج ﴾ لك فانه عاش فانساب من المكتل فى البحر ﴿ واتخذ سبيله ﴾ [٢]أى طريقه الذى ذهب فيه[٢] ﴿ فى البحر ه عجبا ه ﴾ و ذكره [له -[٣]] الآن مانع من أن يكون للشيطان عليه سلطان على أن هذا الإنساء ليس مفوتا لطاعة ، بل فيه ترقية لهما فى معارج المقامات العالية لوجدان التعب بعد المكان الذى فيه البغية ، و حفظ الماء منجابا على طول الزمان و غير ذلك من آيات الإيقان[٤] ، و قوله تعالى " انما سلطنه على الذين يتولونه[٥] " مبين أن السلطان الحمل على المعاصى ، و قد كان فى هذه [القصة -[٣]] خوارق حياة الحوت و إيجاد ما كان أكل منه ، و إمساك الماء عن مدخله ، و قد اتفق لنبينا صلى الله عليه و على آله و سلم نفسه أو أتباعه ببركته مثل ذلك .

أما إعادة ما أكل من الحوت المشوى - و هو جنبه - فقد روى البيهقى[٦] فى أواخر دلائل النبوة عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم إلى الحجة التى حجها حتى إذا كنا ببطن الروحاء - فذكر قصة المرأة التى أبرأ / النبى صلى الله عليه و على آله و سلم ولدها من الجنون إلى أن قال : فلما قضى رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم حجته[٧] انصرف حتى إذا نزل ببطن[٨] الروحاء

/ ٣٨٢

(١) العبارة من « و لما كان المقام » إلى هنا ساقطة من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : الايمان (٥) سورة ١٦ آية ١٠٠ .
(٦) بسند حسنه ابن حجر فى المطالب العالية - راجع الخصائص الكبرى ٢/٣٦ .
(٧) زيدت الواو فى النسخ كلها و لم تكن فى الخصائص فحذفناها (٨) فى ظ و مد : بطن .

أتته تلك المرأة بشاة قد شوتها[١] ، فأمر بأخذ تلك[٢] الشاة منها ثم قال : يا أسيم - وكان إذا دعاه رخمه ! ناولنى ذراعا[٣] ، و كان أحب الشاة[٤] إلى رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم مقدمها ، ثم قال : يا أسيم ! ناولنى ذراعا[٥] ! فناولته ، [٦]ثم قال[٦] : [[٧]يا أسيم[٧] ! ناولنى ذراعا ! فقلت : يا رسول الله ! إنما هما ذراعان و قد ناولتك ، فقال -[٨]] : و الذى نفسى بيده لو سكتَّ [ما زلت تناولنى ذراعا ما قلت لك : ناولنى ذراعا -[٨]] . [فقد أخبر صلى الله عليه و سلم أنه لو سكت -[٩]] أوجد الله لها ذراعا ثم ذراعا و هكذا ، و قوله الحق الذى لا فرق [بينه -[٩]] و هو فى عالم الغيب و بين ما وجد فى عالم الشهادة .

و أما حياة [الحوت -[٩]] المشوى فقد مضى عند[١٠] " و الله يعصمك من الناس[١١]" ما هو أكبر من ذلك فى قصة الشاة المشوية[٢] المسمومة ، و هو أن ذراعها أخبر النبى صلى الله عليه و على آله و سلم [أنه مسموم -[٩]] فهو أعظم من عود الحياة من غير نطق ، و كذا حنين الجذع[١٢] ، و سلام الحجر ، و تسبيح الحصا[١٣] ، و تأمين أسكفة [الباب -[٩]] و حوائط

(١) و من هنا يطرأ بعض الاختلاف على سياق ما هنا وسياق الخصائص (٢) سقط من مد (٣) من الخصائص، و فى الأصول : ذراعها (٤) فى ظ : الشياه (٥) من مد و الخصائص ، و فى الأصل : ذراعها (٦-٦) فى مد : فقال (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من الخصائص (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد و الخصائص . (٩) زيد من ظ ومد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : عنه (١١) سورة ٥ آية ٦٧ . (١٢) راجع الخصائص الكبرى ٢/٧٥ (١٣) راجع الخصائص الكبرى ٢/ ٧٤ .

البيت[١] و نحو ذلك أعظم من عود الحياة إلى ما كان حيا، فقد روى البيهقى[٢] فى الدلائل عن عمرو بن سواد قال: قال لى الشافعى: ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا صلى الله عليه و على آله و سلم، فقلت: أعطى عيسى عليه السلام إحياء الموتى؟ فقال: أعطى محمدا[٣] صلى الله عليه و على آله و سلم [٤]الجذع - [٥]الذى كان يخطب إلى جنبه حتى هيئ له المنبر، فلما هيئ له المنبر[٦] حن الجذع حتى سمع صوته - فهذا أكبر من ذاك[٧] - انتهى. على أنه قد تقدم فى آل عمران و فى آخر البقرة[٦] فى قصة إبراهيم عليه السلام أشياء من إحياء الموتى له صلى الله عليه و على آله و سلم و لبعض أمته.

و أما آية الماء فرجعها إلى صلابته، و لا فرق بين جموده بعدم[٨] الالتئام بعد الانخراق و بين جموده و صلابته بالامتناع من الانخراق، و قد روى البيهقى[٩] فى ذلك ما فيه آية من[١٠] الإحياء بسند منقطع عن

(١) راجع الخصائص الكبرى ٢/٧٧ (٢) و قد أخرجه السيوطى فى خصائصه عن البيهقى - راجع ٢/ ٧٦ و ٧٧ (٣) من الخصائص، و فى النسخ كلها: محمد. (٤) زيد فى الخصائص: حنين (٥) العبارة من هنا إلى «سمع صوته» ليست فى الخصائص (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ولم تكن فى ظ ومد فحذفناها. (٧) من ظ و الخصائص، و فى الأصل و مد: ذلك (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بعد (٩) والحديث أخرجه عنه السيوطى فى باب آياته صلى الله عليه وسلم فى إحياء الموتى و كلامهم - الخصائص الكبرى (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: فى.

أنس رضى الله عنه قال: كنا فى الصفة عند رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم فأتته امرأة [مهاجرة -[١]] و معها ابن لها [قد بلغ -[٢]] فأضاف المرأة إلى النساء و أضاف ابنها إلينا، فلم يلبث أن أصابه وباء المدينة فمرض أياما ثم قبض فغمضه النبى صلى الله عليه و على آله و سلم و أمر بجهازه، [فلما -[٣]] أردنا أن نغسله قال: ائت أمه فأعلمها، فجاءت ٥ حتى جلست عند قدميه فأخذت بهما، ثم قالت: اللهم [إنى أسلمت لك طوعا، و خلعت[٤] الأوثان زهـدا، و هاجرت إليك رغبة، اللهم -[٣]] لا تشمت بى عبدة الأوثان، و لا تحملنى من هذه المصيبة ما لا طاقة لى بحملها، قال: فوالله ما تقضى كلامها حتى حرك قدميه، و ألقى الثوب عن وجهه، [و عاش -[٣]] حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه و على ١٠ آله و سلم و حتى هلكت أمه؛ ثم جهز عمر بن الخطاب رضى الله عنه - يعنى جيشا، و استعمل عليه العلاء بن الحضرمى، قال: و كنت فى غزاته، فأتينا مغازينا[٥] فوجدنا القوم قـد تدروا بنا، فعفوا آثار الماء، قال: و [كان -[١]] حر شديد، فجهدنا العطش و دوابنا، و ذلك يوم الجمعة فلما مالت الشمس لغروبها صلى بنا ركعتين، ثم مد يده و ما نرى فى ١٥ السماء شيئا، فوالله ما حط [يده -[٣]] حتى بعث الله ريحا و أنشأ سحابا فأفرغت[٦] حتى ملأت الغدر و الشعاب، فشربنا و سقينا [٧]و استقينا[٧]

(١) زيد من الخصائص (٢) زيد من ظ و الخصائص (٣) زيد من ظ و مد و الخصائص (٤) فى مد: جعلت (٥) من الخصائص، و فى الأصل: مغازنا، و فى ظ و مد: مغارنا (٦) فى مد: فرغت (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد.

ثم أتينا عدونا و قد جاوزوا خليجا فى البحر إلى جزيرة ، فوقف على الخليج و قال : يا على يا عظيم يا حليم يا كريم ! ثم قال : أجيزوا باسم الله ! فأجزنا ما يبل الماء حوافر دوابنا ، [1] فأصبنا العدو غيلة فقتلنا و أسرنا و سبينا ثم أتينا الخليج فقال مثل مقالته فأجزنا [2] ما يبل / الماء حوافر ٣٨٣ / دوابنا . وأخبرنا أبو الحسين ابن بشران أنا إسماعيل الصفار نا الحسن بن على بن عفان [أنبانا - [3]] ابن نمير عن الأعمش عن بعض أصحابه ، قال : انتهينا إلى دجلة و هى مادة ، و الأعاجم خلفها ، فقال رجل من المسلمين : بسم الله ، ثم أقحم فرسه فاندفع على الماء ، فقال الناس : بسم الله بسم الله ، ثم اقتحموا فارتفعوا على الماء ، فلما نظر إليهم [الأعاجم - [4]] قالوا : ديوان [5] ديوان ، ثم ذهبوا على وجوههم ، فما فقدوا إلا قدحا كان معلقا بعذبة سرج ، فلما خرجوا أصابوا الغنائم فاقتسموها . أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمى أنا أبو محمد عبد الله بن محمد السمذى [6] ثنا أبو العباس السراج ثنا الفضل بن سهل و هارون بن عبد الله قالا : ثنا سليمان بن المغيرة [7] أن أبا مسلم الخولانى جاء إلى الدجلة و هى ترمى بالخشب [8] من مدها ، فمشى على الماء و التفت إلى [9] أصحابه و قال : هل تفقدون من متاعكم شيئا

(١) و من هنا يتغير السياق عما فى الخصائص (٢) فى ظ : و اجزنا (٣) زيد من ظ و مد إلا أن فى الأول : ثنا ، و ابن نمير هو عبد الله بن نمير يروى عنه الحسن ابن على بن عفان العامرى (٤) زيد من مد (٥) كلمة فارسية معناها الشياطين - راجع الأخبار الطوال ١٢٦ (٦) من ظ و مد و الأنساب ٧/٢١٦ ، و فى الأصل : السميدى (٧) زيد فى الخصائص ٢ / ٢٨٣ : عن حميد (٨) من الخصائص ، و فى النسخ كلها : الحسب (٩) فى مد : فى .

فندعو الله[1] - قال البيهقي : [هذا -[2]] إسناد صحيح .

و فى هذا الأمر من هذه القصة قاصمة للسائلين و الآمرين لهم بالسؤال ، لأن المراد - و الله أعلم - أن هذا الأمر وقع لنبى هؤلاء المضلين ، فرّ قريشا[3] أن يسألوهم عن هذه القصة ، فان أخبروهم[4] عنها بمثل ما أخبرتهم فصدقوهم ، لزمهم أن يؤمنوا بالبعث لأمر هذا الحوت الذى أحياه الله بعد أن كان مشويا و صار كثير منه فى البطون ، و إن [5]لم يصدقوهم[5] فى هذا و صدقوهم فى غيره مما يتعنتون به عليك فهو تحكم ، و إن كانوا يتهمونهم فى كل أمر كان سؤالهم [لهم -[6]] عبثا ، ليس [من -[6]] أفعال من يعقل ، فكأنه قيل : [فما -[7]] قال موسى حينئذ ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ [8]منبها على أن ذلك ليس من الشيطان ، و إنما هو إغفال من الله تعالى بغير واسطة ليجدا[9] العلامة التى أخبره الله بها كما قال النبى صلى الله عليه و على آله و سلم «إنى لأنسى - أى[10] ينسينى الله تعالى - لأسن[11]» : ﴿ ذلك ﴾ أى [12]الأمر العظيم من[12] فقد الحوت ﴿ ما كنا نبغ ق ﴾

(١) زيد فى الخصائص : فيرده (٢) زيد من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : قريش (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اخبرهم (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تصدقوهم (٦) زيد من مد (٧) زيد من ظ و مد .
(٨) العبارة من هنا إلى «لأسن» ساقطة من ظ (٩) من مد ، و فى الأصل : ليجدوا .
(١٠) من مد ، و فى الأصل : ان ؛ و الحديث قد ذكره الإمام مالك فى الموطأ فى باب العمل فى السهو من كتاب الصلاة و لفظه : إنى لأنسى أو أنسى لأسن .
(١١) زيد بعده فى الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

[1] أى نريد من هذا الأمر المغيب عنا [1]، فان الله تعالى جعله موعدا لى[2] فى لقاء الخضر ﴿فارتدا على[3] آثارهما﴾ يقصانها ﴿قصصا[4]﴾ و هذا يدل على أن الأرض كانت رملا، لا[3] علم فيها، فالظاهر - و الله أعلم - أنه مجمع النيل و الملح الذى عند دمياط، أو رشيد من بلاد مصر، و يؤيده نقر العصفور فى البحر الذى ركبا فى سفينته للتغذية - كما فى الحديث، فان الطير لا يشرب من الملح، [1]و من المشهور فى بلاد رشيد أن الأمر كان عندهم. و أن عندهم سمكا ذاهب الشق يقولون: إنه من نسل تلك السمكة - و الله أعلم[1]. فاستمرا يقصان حتى انتهيا إلى موضع فقد الحوت ﴿فوجدا عبدا من عبادنا﴾ [1]مضافا إلى حضرة عظمتنا[1] و هو الخضر عليه السلام ﴿آتيناه﴾ بعظمتنا[4] ﴿رحمة﴾ [5]أى وحيا و نبوة، وكونه نبيا قول[6] الجمهور ﴿من عندنا﴾ أى مما لم يجر على قوانين العادات غير أنه ليس بمستغرب عند أهل الاصطفاء[7] ﴿و علمناه من لدنا﴾ أى من الأمور المستبطنة المستغربة التى عندنا مما[8] لم يحدث عن الأسباب المعتادات، فهو مستغرب عند أهل الاصطفاء ﴿علما[9]﴾ قذفناه فى قلبه بغير واسطة؛ [و - [10]] قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى: 'عند' فى لسان العرب لما ظهر، و 'لدن' لما بطن، فيكون المراد بالرحمة ما ظهر من كراماته، و بالعلم الباطن الخفى المعلوم قطعا أنه[11] خاص بحضرته سبحانه، [11] فأهل

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : الى (٣) سقط من مد (٤) سقط من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « الجمهور » ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: قاله (٧) زيد فى ظ : نبوة ووحيا (٨) من ظ ومد، وفى الأصل : بما. (٩) زيد من ظ ومد (١٠) فى ظ : بانه (١١) العبارة من هنا إلى «هو العلم اللدنى» ساقطة من ظ.

التصوف سموا العلم بطريق المكاشفة العلم اللدنى ، فاذا سعى العبد فى الرياضات يتزين[1] الظاهر بالعبادة ، و تتخلى النفس عن الأخلاق الرذيلة ، و تتحلى بالأخلاق / الجميلة ، و تصير القوى الحسية و الخيالية و الوهمية فى غاية ٣٨٤/
القوة ، [و حينئذ تصير القوة -[2]] العقلية قوية[3] [صافية ، و ربما كانت النفس بحسب أصل الفطرة نورانية إلهية علوية قليلة التعلق -[2]] بالحوادث ٥ البدنية ، شديدة الاستعداد لقبول الأمور الإلهية ، فتشرق فيها الأنوار الإلهية و تفيض عليها من عالم القدس على وجه الكمال فتحصل[4] المعارف و العلوم من غير تفكر و تأمل ، فهذا هو العلم اللدنى .

ثم أورد سبحانه و تعالى القصة على طريق الاستئناف على تقدير سؤال سائل عن كل كلام يرشد[5] إليه ما قبله ، و ذلك أنه من المعلوم ١٠ أن الطالب للشخص[6] إذا لقيه كله ، لكن لا يعرف عين ذلك الكلام فقال لمن كأنه سأل عن ذلك : ﴿قال له موسى﴾ [7]طالبا منه على سبيل التأدب و التلطف باظهار ذلك فى قالب الاستئذان[7] : ﴿ هل اتبعك ﴾ [7]أى اتباعا بليغا[7] حيث توجهت ؛ و الاتباع : الإتيان لمثل فعل الغير لمجرد كونه [8] آتيا به[8] ؛ و بين أنه لا يطلب منه غير العلم بقوله[9] : ﴿على[7] ان تعلمن﴾ ١٥

---

(١) زيد فى مد : من (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : القوية .
(٤) من مد ، وفى الأصل : لتحصل (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : يرسل .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتشخص (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨-٨) من مد ، وفى الأصل : اتيانه (٩) العبارة من « والاتباع الإتيان» إلى هنا ساقطة من ظ .

[1]و زاد فى التلطف بالإشارة إلى أنه لا يطلب جميع ما عنده ليطول عليه الزمان بل جوامع منه يسترشد بها إلى باقيه فقال[1] : ﴿مما علمت﴾ [1]و بناه للمفعول لعلم المخاطبين - لكونهم من الخاص - بأن الفاعل هو الله سبحانه و تعالى ، و للاشارة إلى سهولة كل أمر على الله عز و جل[1] ﴿رشدا﴾ أى علما يرشدنى إلى الصواب فيما أقصده ، و لا نقص فى تعلم نبى من نبى حتى يدعى أن موسى هذا ليس موسى بن عمران عليه السلام فانه قد ثبت كونه ابن عمران فى الصحيح . و أتى صلى الله عليه و على آله و سلم فى سؤاله [له -[2]] بهذه الأنواع من الآداب و الإبلاغ فى التواضع لما[3] هو عليه من الرسوخ فى العلم ، لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر ، كان علمه بما فيها من البهجة و السعادة أكثر ، فكان طلبه لها أشد . فكان تعظيمه[4] لأرباب العلوم أكمل .

و لما أتم العبارة عن السؤال ، استأنف جوابه [له -[2]] بقوله تعالى[5] : ﴿قال﴾ أى[6] الخضر عليه السلام: ﴿انك لن تستطيع﴾ يا موسى ﴿معى صبرا﴾ أى[6] هو من العظمة على ما أريد لما يحثك على عدم الصبر من ظاهر الشرع الذى أمرت [به -[7]] ، فالتنوين للتعظيم بما تؤذن به[6] [8]تاء الاستفعال[8] ، و أكد لما فى سؤال موسى عليه السلام من التلطف المؤذن بأنه يصبر

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفى الأصل : كما (٤) من مد ، وفى الأصل : تعظيما (٥) العبارة من «ولا نقص» إلى هنا ساقطة من ظ (٦) سقط من مد (٧) زيد من ظ ومد ، والعبارة من بعده إلى «من التعلم» ساقطة من ظ (٨-٨) من مد ، وفى الأصل : بالاستفعال .

عليه و لا يخالفه فى شيء أصلا . و يؤخذ منه أن العالم إن رأى فى التغليظ على المتعلم[1] ما يفيده نفعا و إرشادا إلى الخير كان عليه ذكره ، فان السكوت عنه يوقع المتعلم فى الغرور و النخوة ، و ذلك يمنعه من التعلم .

و لما كان المقام صعبا جدا لأنه بالنسبة إلى أوامر الله تعالى ، بينه على وجه أبلغ من نفى الأخص ، و هو الصبر البليغ ، بالتعجيب من مطلق [الصبر -[2]] معتذرا عن موسى فى الإنكار ، و عن نفسه فى الفعل ، بأن ذلك بالنسبة إلى الظاهر و الباطن ، فقال [3]عاطفا على ما تقديره : فكيف تتبعنى الاتباع البليغ[3] : ﴿ وكيف تصبر ﴾ يا موسى ﴿ على ما لم تحط به خبرا ﴾ [4]أى من جهة العلم به ظاهرا و[5] باطنا ، فأشار بالإحاطة إلى أنه كان يجوز أن يكون على صواب ، و لكن تجويزا لا يسقط عنه وجوب الأمر ، [6]و يجوز أن يكون هذا تعليلا لما [قبله -[7]] ، فيكون الصبر الثانى هو الأول ، و المعنى أنك لا تستطيع [الصبر الذى أريده -[2]] لأنك لا تعرف [8]فعلى على[8] ما هو عليه فتراه فاسدا ﴿قال﴾ أى[9] موسى [3]عليه السلام ، آتيا بنهاية التواضع لمن هو أعلم منه ، إرشادا لما ينبغى فى طلب العلم رجاء تسهيل الله له[3]

(١) زيد فى الأصل : على ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) زيد من ظ ومد . (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « و باطنا » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : او (٦) العبارة من هنا إلى « فتراه فاسدا » ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨-٨) من مد ، و فى الأصل : فعل (٩) سقط من ظ .

/٣٨٥ [١و النفع / به١: ﴿ ستجدنى ﴾ فأكد الوعد بالسين؛ ثم أخبر عنه سبحانه أنه قوى تأكيده[٢] بالتبرك بذكر الله تعالى [١لعلمه بصعوبة الأمر١] على الوجه الذى تقدم الحث[٣] عليه فى هذه [السورة ـ[٤]] فى قوله تعالى "و لاتقولن لشىء [٥انى فاعل٥]" ـ الآية . ليعلم أنه[٦] منهاج الأنبياء و سبيل الرسل . فقال تعالى : ﴿ان شآء الله﴾ [١أى الذى له صفات الكمال١] ﴿صابرا﴾ على ما يجوز الصبر عليه؛ [ثم ـ[٤]] زاد التاكيد بقوله [١عطفا بالواو على "صابرا" لبيان التمكن فى كل من الوصفين١] : ﴿ و لآ اعصى ﴾ [١أى و غير عاص١] ﴿ لك امرا ٥﴾ تأمرنى به غير مخالف [٧لظاهر أمر٧] الله ﴿ قال ﴾ أى[٨] الخضر عليه السلام : ﴿ فان اتبعتنى ﴾ يا موسى [١ اتباعا بليغا١] ﴿ فلا تسئلنى عن شىء ﴾ أقوله أو أفعله ﴿حتى احدث لك﴾ خاصة[٨] ﴿ منه ذكرا ٤﴾ يبين لك وجه صوابه ، فانى لا أقدم على شىء إلا و هو صواب جائز فى نفس الأمر و إن كان ظاهره غير ذلك .

[١و لما تشارطا وتراضيا على الشرط سبب قوله تعالى١. ﴿ فانطلقا وقفة﴾ [١أى موسى و الخضر عليهما السلام١ على الساحل . يطلبان سفينة يركبان فيها و استمرا ﴿ حتى اذا ركبا فى السفينة ﴾ [١و أجاب الشرط بقوله تعالى١ : ﴿خرقها ﴾ و عرفها لإرشاد السياق بذكر مجمع البحرين إلى أن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل: توكيده .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : البحث (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انها (٧-٧) فى ظ : لامر (٨) سقط من ظ .

انطلاقهما [كان - ١] لطلب سفينة ، فكانت لذلك كأنها مستحضرة فى الذهن ، و لم يقرن " خرق " بالفاء لأنه لم يكن مسببا عن الركوب و لا كان فى أول أحيانه ؛ ٢ثم استأنف قوله تعالى٢ : ﴿قال﴾ أى٣ موسى عليه السلام ، منكرا لذلك لما فى ظاهره من الفساد باتلاف المال المفضى إلى فساد أكبر منه باهلاك النفوس . [ناسيا - ١] لما عقد على نفسه لما دهمه ٥ مما عنده من الله - و هو الإله العظيم - من العهد الوثيق المكرر فى جميع أسفار التوراة بعد إثباته فى لوحى الشهادة فى العشر كلمات٤ التى نسبتها من التوراة كنسبة الفاتحة من القرآن بالأمر القطعى أنه٥ لا يقر على منكر ، و من المقرر أن النهى واجب على الفور ، على أنه لو لم ينس لم يترك الإنكار ، كما فعل عند قتل الغلام ، لأن مثل ذلك غير داخل ١٠ فى الوعد ، لأن المستثنى شرعا كالمستثنى وضعا ، ففى الأولى نسى الشرط ، و فى الثانية نسى - لما دهمه من فظاعة القتل الذى لم [يعلم - ١] فيه من الله أمرا - أنه٦ ينبغى تقليده لشاء الله تعالى عليه٧ : ﴿ اخرقتها ﴾ و بين عذره فى الإنكار بما فى غاية الخرق٨ من الفظاعة فقال : ﴿ لتغرق اهلها ج ﴾ و الله ! ﴿لقد جئت شيئا امرا ٥﴾ أى عظيما [منكرا عجيبا شديدا - ٩] ١٥ ﴿ قال ﴾ أى١٠ الخضر عليه السلام : ﴿ الم اقل انك ﴾ يا موسى !

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ .
(٤) فى مد : الكلمات (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٧) زيد فى ظ : قال (٨) من مد ، و فى الأصل : الحريق .
(٩) زيد من مد (١٠) سقط من ظ و مد .

﴿ لن تستطيع معى صبرا ﴾ فذكره بما قال له عند الشرط ﴿قال﴾ موسى : ﴿ لا تؤاخذنى ﴾ يا خضر ﴿بما نسيت﴾ من ذلك الاشتراط ﴿و لا ترهقنى﴾ أى تلحقنى [1]بما لا أطيقه و تعجلنى عن مرادى باتباعك على وجه القهر ناسبا لى إلى[2] السفه و الخفة و ركوب الشر ﴿من امرى عسرا﴾ بالمؤاخذة على النسيان ، فكل منهما صادق فيما قال ، موفٍ بحسب ما عنده ، أما موسى عليه السلام فلأنه ما خطر [له -[3]] قط أن يعاهد على أن لا ينهى عما يعتقده [منكرا -[3]] ، و أما الخضر فانه عقد على ما فى نفس الأمر لأنه لا يقدم على منكر ، و مع ذلك فما نفى [إلا -[3]] الصبر البليغ الذى دل عليه بزيادة تاء الاستفعال ، و قد حصل ما يطلق عليه صبر . لأنه لما ذكره كف عنه لما تذكر بثناء الله عليه أنه لا يفعل باطلا ، و لم يحصل الصبر البليغ الذى / فى نفس الخضر بالسكوت فى أول الأمر و آخره ﴿ فانطلقا وقفة ﴾ بعد نزولهما من السفينة و سلامتها من الغرق و الغصب ﴿حتى اذا لقيا غلما﴾ لم يبلغ الحلم [4]وهو فى غاية القوة[4] ﴿ فقتله[5] ﴾ حين لقيه - كما دلت عليه الفاء العاطفة على الشرط . [6]ثم أجاب[6] الشرط بقوله مشعرا بأن شروعه فى الإنكار فى هذه أسرع[6] : ﴿قال﴾ أى[7] موسى عليه السلام : ﴿ا قتلت﴾ يا خضر ﴿نفسا زاكية[8] ﴾

/ ٣٨٦

(١) العبارة من هنا إلى « ركوب الشر » ساقطة من ظ (٢) سقط من مد .
(٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٦) العبارة من « ثم أجاب » إلى هنا ساقطة من ظ .
(٧) سقط من ظ (٨) و أما قراءة ابن عامر و الكوفيين فهى على زنة فعيلة ، و قال البيضاوى : قال أبو عمرو : الزاكية التى لم تذنب قط ، و الزكية التى = بكونها

بكونها على الفطرة الأولى من غير أن تدنس بخطيئة توجب القتل ﴿بغير نفس[١]﴾ قتلتها ليكون قتلك[١] لها قودا ؛ [٢]و هذا يدل على أنه كان بالغا حتى إذا قتل قتيلا أمكن قتله به إلا أن يكون شرعهم لا يشترط البلوغ ؛ ثم استأنف قوله[٢] : ﴿لقد جئت﴾ فى قتلك إياها ﴿شيئا﴾ و صرح [بالإنكار -[٣]] فى قوله : ﴿نكرا[٥]﴾ لأنه مباشرة . و الخرق ٥ تسبب [٢]لا يلزم منه الغرق[٢] .

و لما كانت هذه ثانية ﴿[٤]قال﴾ الخضر عليه السلام : ﴿الم اقل﴾ و زاد قوله : ﴿لك انك﴾ يا موسى ﴿لن تستطيع معى﴾ [٢]اى خاصة[٢] ﴿صبرا[٥] قال﴾ موسى عليه السلام حياء منه لما أفاق بتذكره مما[٥] حصل من فرط الوجد لأمر الله فذكر أنه ما تبعه إلا بأمر الله : ١٠ ﴿ان سالتك عن شيء بعدها﴾ يا أخى ! [٢]و أعلم بشدة ندمه على الإنكار بقوله[٢] : ﴿فلا تصحبنى ج﴾ بل فارقنى ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿قد بلغت﴾ [٢]و أشار إلى أن ما وقع منه من الإخلال بالشرط من أعظم الخوارق التى اضطر إليها فقال[٢] : ﴿من لدنى عذرا[٥]﴾ باعتراضى مرتين [٢]و احتمالك لى فيهما[٢] . و قد أخبرنى الله بحسن حالك[٦] فى غزارة علمك ﴿فانطلقا وقفة﴾ ١٥ بعد قتله ﴿حتى[٢] اذآ اتيآ اهل قرية﴾ [٢]عبر عنها هنا بالقرية دون المدينة[٢]

= أذنبت ثم غفرت له - راجع نثر المرجان ٤/١٧٠ .

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : قتلها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) و من هنا يبتدئ الجزء السادس عشر من القرآن الكريم .

(٥) من ظ و مد، و فى الأصل : بما (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : تهلك .

[1]لأنه أدل على الذم، لأن مادة "قرا" تدور على الجمع الذى يلزمه الإمساك كما تقدم فى آخر سورة يوسف عليه السلام[1]؛ ثم وصفها [2]ليبين [أن -[3]] لها مدخلا فى لؤم أهلها بقوله تعالى: ﴿ استطعما ﴾ و أظهر و لم يضمر فى قوله: ﴿ اهلها ﴾ لأن [4]الاستطعام لبعض من أتوه، ٥ أو كل[5] من الإتيان و الاستطعام لبعض و لكنه غير متحد، و هذا هو[6] الظاهر، لأنه هو الموافق للعادة.

قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى كتابه مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل: و لتكرار الأسماء بالإظهار و الإضمار بيان سنين[7] الأفهام فى[8] القرآن: اعلم أن لوقوع الإظهار و الإضمار فى بيان القرآن وجهين: ١٠ أحدهما يتقدم فيه الإظهار و هو خطاب المؤمنين بآيات الآفاق و على نحوه هو خطاب الخلق[9] بعضهم لبعض لا يضمرون إلا بعد أن يظهروا، و الثانى يتقدم فيه الإضمار و هو خطاب المؤقنين بآية الأنفس، و لم يصل إليه تخاطب الخلق. فاذا كان البيان عن إحاطة، تقدم الإضمار "قل هو الله احد" و إذا كان عن اختصاص، تقدم [الإظهار -[10]] "الله الصمد" ١٥ و إذا رد عليه بيان على حدة أضمر "لم يلد [و لم يولد و لم يكن له كفوا احد -[11]]"، [1]أى هذا الذى عم بأحديته و خص بصمديته[1]، و إذا

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « لؤم أهلها » ساقطة من ظ (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى « الموافق للعادة » ساقطة من ظ (٥) من مد، و فى الأصل: لكل (٦) سقط من مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: متين (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٩) فى ظ: الاظهار. (١٠) زيد من مد، و موضعه فى ظ: الاضمار (١١) زيد من ظ و مد و القرآن.

أحاط

أحاط البيان بعد اختصاص استؤنف له إحاطة باستئناف إظهار محيط أو باضمار، أو بجمع المضمر و المظهر[1] "يايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدى الله و رسوله و اتقوا الله ان الله سميع عليم[2]"، "ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ و يعيد[3]"، "هو الله الذى لا اله الا هو عٰلم الغيب و الشهادة[4]" و التفطن لما اختص به بيان القرآن[5] عن بيان الإنسان من هذا النحو من مفاتيح أبواب الفهم، و من نحوه "اتيا اهل قرية استطعما / اهلها" استأنف للمستطعمين[6] إظهارا[7] غير إظهار عموم المأتيين[8] - انتهى. [و جعل السبكى الإتيان للبعض، و الاستطعام للكل، لأنه أشد ذما لأهل القرية و أدل على شر طبعها، و من قال بالأول مؤيد بقول الشافعى فى كتاب الرسالة[9] فى باب ما نزل من الكتاب عاما[10] يراد به العام و يدخلها الخصوص و هو بعد البيان الخامس فى قول الله عز و جل "حتى اذا اتيا قرية استطعما اهلها": و فى هذه الآية أدل[11] دلالة على أنه[12] لم يستطعما كل أهل القرية و فيها خصوص - انتهى. و بيان ذلك أن نكرة إذا أعيدت كانت الثانية غير الأولى، و إذا أعيدت معرفة كانت عينا فى الأغلب. و لما أسند

/ ٣٨٧

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: المضمر (٢) سورة ٤٩ آية ١ (٣) سورة ٨٥ آية ١٢ و ١٣ (٤) سورة ٥٩ آية ٢٢ (٥) زيد بعده فى الاصل: أى المحش المذكور، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: المستطعمين (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اظهار (٨) العبارة من هنا إلى «المستطعمون» ص ١١٦ س ٦ ساقطة من ظ (٩) ص ١١ (١٠) من الرسالة، و فى مد: على ما (١١) ليس فى الرسالة (١٢) من الرسالة، و فى مد: ان.

الإتيان إلى أهل القرية كان ظاهره تناول الجميع ، فلو قيل : استطعماهم لكان المراد بالضمير عين المأتيين ، فلما عدل عنه - مع أنه أخصر - إلى الظاهر و لاسيما إن جعلناه نكرة كان غير الأولى و إلا لم يكن للعدول فائدة ، و قد كان الظاهر أن الأول للجميع فكان الثانى للبعض ، و إلا لم يكن غيره و لا كان للعدول فائدة -[1]] . ﴿فابوا[2]﴾ أى فتسبب عن استطعامهما أن أبى المستطعمون [3]من أهل القرية ﴿ان يضيفوهما﴾ [4]أى ينزلوهما و يطعموهما[4] فانصرفا عنهم ﴿ فوجدا فيها ﴾ أى القرية ، [4]و لم يقل : فيهم ، إيذانا بأن المراد وصف القرية بسوء الطبع[4] ﴿جدارا﴾ مشرفا على السقوط ، و كذا[5] قال مستعيرا لما لا يعقل صفة ما[6] يعقل : ﴿يريد ان ينقض﴾ [4]أى يسقط سريعا[4] فمسحه الخضر[7] بيده ﴿فاقامه[4]﴾ .

[4]و لما انقضى وصف القرية و ما تسبب عنه أجاب 'إذا' بقوله[4] : ﴿قال﴾ [2]أى له موسى عليه السلام : ﴿لو شئت لتخذت﴾ لكوننا لم يصل إلينا منهم شىء ﴿ عليه ﴾ [4]أى على إقامة الجدار[4] ﴿ اجرا ﴾ نأكل به ، فلم يعترض عليه فى هذه المرة لعدم ما ينكر فيها ، و إنما ساق ما يترتب عليها من ثمرتها مساق العرض و المشورة غير أنه يتضمن السؤال ﴿قال﴾

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) تأخر فى الأصل عن « المستطعمون » والترتيب من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل: اى ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى « أهل القرية » ساقطة من ظ . (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : لذا ، و العبارة فيه من بعده إلى « ما يعقل » ساقطة (٦) زيد فى مد : لا (٧) سقط من مد .

الخضر عليه السلام : ﴿هذا﴾ أى الوقت [١]أو السؤال . و لما كان ذلك سبب الفراق أو محله ، سماه به مبالغة فقال[١] : ﴿فراق بينى و بينك ج﴾ يا موسى ! [٢]بعد أن كان البينان بينا واحدا لاتصالهما فلا[٢] بين ، فهو فى الحقيقة فوق ما كان متصلا من بينهما ، أو فراق التقاول الذى كان بيننا ، أى الفراق الذى سببه السؤال ، و إذا نزل[٤] على الاحتباك ازداد ظهورا ، ٥ تقديره : فراق بينى من بينك كما أخبرت ، و فراق بينك من بينى كما شرطت ، و قد أثبتت هذه العبارة [الفراق -[٥]] على أبلغ وجه ، و ذلك أنه إذا وقع فراق بينى من بينك بحائل يحول بينهما فقد وقع منك بطريق الأولى ، و حقيقته أن البين هو الفراغ المنبسط الفاصل بين الشيئين و هو موزع بينهما ، فبين كل منهما من منتصف[٦] ذلك الفراغ إليه ، فاذا دخل ١٠ فى ذلك الفراغ شىء فصل بينهما ، و صار بين كل منهما ينسب إليه ، لأنه صار[٧] بين ما ينسب إلى كل منهما من البينين ، و حينئذ يكون بينهما مباينة ، أى أن [بين -[٥]] كل منهما غير بين الآخر ، و من قال : إن معنى "هذا فراق[٨] بيننا" زوال الفصل و وجود الوصل ، كذبه أن معنى «هذا اتصال بيننا» المواصلة . فلو كان هذا معنى ذاك أيضا لاتحد ١٥ معنى ما يدل على الوصل بمعنى ما يدل على الفصل ، و قد نبه الله سبحانه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى «يدل على الفصل» ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : فلما (٤) من مد ، و فى الأصل : ترد . (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل : متصف (٧) زيد فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) سقط من مد .

و تعالى موسى عليه السلام - [١] كما فى تفسير الأصبهانى [٢] و غيره - بما فعل الخضر عليه السلام على ما وقع له هو [٣] من مثله سواء بسواء، فنبهه - بخرق [٤] السفينة الذى ظاهره هلك و باطنه نجاة من يد الغاصب - [على التابوت الذى أطبق عليه و ألقى فى اليم خوفا عليه من فرعون الغاصب - [٥]] فكان [٦] ظاهره [هلكا - [٥]] و باطنه نجاة، و بقتل الغلام على أنه كان معصوم الحركة فى نفس الأمر فى قتله [٧] القبطى و إن لم يكن إذ ذاك يعلمه لكونه [٨] لم ينبأ، و باقامة الجدار من غير أجر على سقيه لبنات شعيب عليهم السلام من غير أجر مع احتياجه [٩] لذلك.

و لما كان من المعلوم شدة استشراف موسى عليه السلام إلى الوقوف على باطن هذه الأمور، قال مجيبا له عن هذا السؤال: ﴿ سانبئك ﴾ يا موسى! [١٠] بوعد لا خلف فيه إنباء عظيما [١٠] ﴿ بتأويل ﴾ أى بترجيع ﴿ ما لم تستطع عليه صبرا ﴾ - لمخالفته عندك الحكمة - [إلى الحكمة - [٥]] [١٠] و هو أن عند تعارض الضررين يجب ارتكاب الأدنى لدفع الأقوى بشرط التحقق [١٠]، و أثبت تاء الاستفعال [١١] هنا و فيما قبله إعلاما بأنه

(١) العبارة من هنا إلى « و غيره » ساقطة من ظ (٢) هو العلامة شمس الدين أبو الثناء محمود بن عبد الرحمن الشافعى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ - كشف الظنون ١/٤٤٢ و ٤٤٣ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: هذا (٤) فى ظ: بخرقه (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد فى مد: من (٧) فى ظ: قتل (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بكونه (٩) فى ظ: فقره (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ.

(١١) سقط من ظ.

ما نفى إلا القدرة البليغة على الصبر[1]، إشارة / إلى صعوبة ما حمل موسى ٣٨٨ /
من ذلك، لامطلق القدرة على الصبر ﴿ اما السفينة ﴾ التى أحسن إلينا
[أهلها - [2]] فخرقتها ﴿ فكانت لمسكين ﴾ [3]وهو دليل للشافعى على
أن الفقير أسوأ حالا من المسكين، لأن هؤلاء يملكون سفينة[3]
﴿ يعملون فى البحر ﴾ ليستعينوا بذلك على معاشهم. ٥

و لما كان التعييب من فعله، أسنده إليه [3]خاصة، تأدبا مع الله
تعالى[3] فقال: ﴿ فاردت ان اعيبها ﴾ [4]فان تفويت منفعتها [بذلك -[5]]
ساعة من نهار و تكليف[6] أهلها لوحا يسدونها به أخف ضررا من تفويتهم
منفعتها أخذا و رأسا بأخذ الملك لها، و لم أرد إغراق أهلها كما هو
المتبادر إلى الفهم؛ ثم عطف على ذلك علة فعله فقال: ﴿ و كان وراءهم ﴾ ١٠
أى أمامهم. [و لعله -[7]] عبر بلفظ 'وراء' كناية عن الإحاطة بنفوذ
الأمر فى كل وجهة وارتهم و[7] واردوها، و فسره الحرالى فى سورة البقرة[8]
بأنه وراءهم فى غيبته عن علمهم و إن كان أمامهم فى وجهتهم، لأنه
فسر الوراء بما لايناله الحس و لا العلم حيثما[9] كان من المكان، قال:
فربما اجتمع أن يكون الشيء وراء من حيث أنه لايعلم، و يكون أماما ١٥
فى المكان. ﴿ ملك ياخذ ﴾ فى ذلك الوقت ﴿ كل سفينة ﴾ ليس
فيها عيب ﴿ غصبا ﴾ من أصحابها[10] و لم يكن عند أصحابها علم[11] به.

(١) زيد فى الأصل و مد: لا مطلق القدرة على الصبر، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « الملك لها » ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من مد. و فى الأصل: تكلف (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: او (٨) راجع نظم الدرر ٢/٤٧و٤٨.
(٩) من النظم، و فى النسخ: حيث (١٠) العبارة من هنا إلى « علم به » ساقطة من ظ (١١) من مد، و فى الأصل: علما.

و لما كان كل من الغصب و المسكنة سببا لفعله، قدمها على الغصب، إشارة إلى أن أقوى السببين الحاملين على فعله الرأفة بالمساكين ﴿و اما الغلٰم﴾ [١]أى الذى قتلته[١] ﴿فكان ابواه مؤمنين﴾ وكان هو مطبوعا على الكفر - كما [٢]يأتى فى[٢] حديث أبى رضى الله عنه .

٥ و لما كان يحتمل عند الخضر عليه السلام أن يكون هذا الغلام مع كفره فى نفسه سببا لكفر أبويه إن كبر، و كان أمر الله له بقتله مثل[٤] فعل من يخشى ذلك، أسند الفعل إليهما[٥] فى قوله: ﴿فخشينآ ان يرهقهما﴾ [١]أى يغشيهما[١] و يلحقهما إن كبر بمحبتهما له[٦] أو بجراءته[٧] و قساوته ﴿طغيانا﴾ أى تجاوزا فى الظلم[٨] و إفراطا فيه [٩]﴿وكفرا﴾[٩] لنعمتهما

١٠ فيفسد دنياهما أو يحملهما حبهما له على الطغيان و الكفر بالله طاعة فيفسد دينهما، روى مسلم فى القدر[١٠] و أبو داود فى السنة[١١] و الترمذى فى

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « رضى الله عنه » وقعت فى ظ على النمط الآتى: رواه مسلم و أبو داود و الترمذى عن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم (٣) من مد، و فى الأصل: من (٤) زيد فى الأصل: ما، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) العبارة من هنا إلى «قساوته» ساقطة من ظ (٧) من مد. وفى الأصل: بجرابه (٨) زيد فى الأصل: لهما، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل: عليهما، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) باب معنى كل مولود يولد على الفطرة و حكم موتى أطفال الكفار و أطفال المسلمين (١١) باب فى القدر .

التفسير[١] عن ابن عباس عن أبي بن كعب رضى الله عنهم أن النبي صلى الله عليه و على آله و سلم قال: إن الغلام الذى قتله الخضر طبع كافرا، و لو عاش لأرهق أبويه طغيانا و كفرا. و هذا وحديث «الله أعلم بما كانوا عاملين[٢]» يدل على أن العذاب - على ما [٣] لو وجد شرطه لوقع[٣] - إنما يكون على ما كان جبلة و طبعا، لا ما كان عارضا، و إلا لعذب الأبوان[٤] °على تقدير أن يكون المعلوم من الكفر منهما°.

و لما ذكر ما يلزم °على تقدير° بقائه من الفساد، سبب عنه قوله: ﴿فاردنآ﴾ °أى بقتله و إراحتهما من شره°. و لما كان التعويض[٦] عن هذا الولد لله وحده[٧]، أسند الفعل إليه فى قوله: ﴿ان يبدلهما ربهما﴾ أى[٧] المحسن إليهما باعطائه و أخذه ﴿خيرا منه زكوٰة﴾ طهارة[٨] و بركة، [أى -[٩]] °من جهة كونه كان ظاهر الزكاء فى الحال، و أما فى المآل فلو عاش كان فيه خبيثا ظاهر الخبث، و هذا البدل يمكن أن يكون الصبر، و يمكن أن يكون ولدا آخر، و هو المنقول و أنها كانت بنتا° ﴿و اقرب رحما﴾ برا بهما و عطفا عليهما و رحمة لهما [١٠]فكان الضرر اللاحق لهما بالتأسف عليه أدنى[١١] من الضرر اللاحق لهما / عند ١٥ / ٣٨٩

(١) ٢ / ٣٨٣ (٢) راجع كتاب القدر من الصحيحين (٣-٣) فى ظ: سيقع.
(٤) من مد، و فى الأصل وظ: الابوين (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: التعريض (٧) سقط من ظ (٨) فى مد: طاهرة (٩) زيد من مد (١٠) العبارة من هنا إلى «أودنياهما» ص ١٢٢ س ١ ساقطة من ظ (١١) من مد، و فى الأصل: اذى.

كبره بافساد دينهما أو دنياهما ﴿ و اما الجدار ﴾ الذى أشرت بأخذ الأجر عليه ﴿ فكان لغلمين ﴾ [1]و دل على كونهما دون البلوغ بقوله[1] : ﴿ يتيمين ﴾ .

[2]و لما كانت القرية لا تنافى التسمية بالمدينة ، و كان التعبير بالقرية[3] أولًا أليق ، لأنها مشتقة من معنى الجمع ، فكان أليق بالذم فى ترك الضيافة لإشعاره ببخلهم حالة الاجتماع ، و بمحبتهم للجمع و الإمساك ، و كانت المدينة بمعنى الإقامة ، فكان التعبير بها أليق للاشارة به إلى أن الناس يقيمون فيها ، فينهدم[4] الجدار و هم مقيمون فيأخذون[5] الكنز ، قال : ﴿ فى المدينة ﴾ فلذلك أقمته احتسابا ﴿ و كان تحته كنز ﴾ [1]أى مال مدخور[1] ﴿ لهما ﴾ لو وقع لكان أقرب إلى ضياعه ﴿ و كان ابوهما صالحا ج ﴾ ينبغى مراعاته و خلفه فى ذريته بخير .

و لما كان الإبلاغ إلى حد البلوغ و الاستخراج فعل الله وحده ، أسند إليه خاصة فقال : ﴿ فاراد ربك ﴾ أى[6] المحسن إليك بهذه التربية ، إشارة إلى ما فعل بك من مثلها قبل النبوة كما بين ﴿ ان يبلغا ﴾ [2]أى الغلامان[2] ﴿ اشدهما ﴾ أى رشدهما [1]و قوتهما[1] ﴿ و يستخرجا كنزهما ﷺ ﴾ لينتفعا به و ينفعا الصالحين ﴿ رحمة ﴾ بهما ﴿ من ربك ج ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى «الكنز قال» ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : لقرية (٤) من مد ، و فى الأصل : فهدم . (٥) من مد ، و فى الأصل : فياخذوا (٦) سقط من ظ .

أى

أى[١] الذى أحسن تربيتك و أنت فى حكم [اليتيم - [٢]] [٣]فكان التعب فى إقامة الجدار مجانا أدنى من الضرر اللازم من سقوطه لضياع الكنز و فساد الجدار ، و قد دل هذا على أن صلاح الآباء داعٍ إلى العناية بالأبناء ، روى عن الحسن[٤] بن على رضى الله عنهما أنه قال لبعض الخوارج [فى كلام - [٥]] جرى بينهما : بم[٦] حفظ الله كنز الغلامين ؟ قال : بصلاح أبيهما ، قال : فأبى و جدى خير منه ، قال : أنبأنا الله أنكم قوم خصمون . ﴿ و ما فعلته ﴾ أى شيئا من ذلك ﴿ عن امرى[٤] ﴾ بل عن أمر [٧]من له الأمر ، و هو[٧] الله .

[٨]و لما بان سر تلك القضايا ، قال [٩]مقدرا للأمر[٩] : ﴿ ذٰلك ﴾ [٧]أى الشرح العظيم[٧] ﴿ تاويل ما لم تسطع ﴾ يا موسى ﴿عليه صبرا[٤] ﴾ و حذف تاء الاستطاعة هنا لصيرورة ذلك - بعد كشف الغطاء - فى حيز ما يحمل[١٠] فكان منكره غير صابر أصلا لو كان عنده مكشوفا من أول[١١] الأمر ، و سقط - و لله الحمد - بما قررته فى هذه القصة ما يقال من أن النبى صلى الله عليه و على آله و سلم أخبر فى قول سليمان

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا إلى « قوم خصمون » ساقطة من ظ (٤) فى الكشاف ١/٥٧٨ : الحسين (٥) زيد من مد و الكشاف . (٦) من مد و الكشاف ، و فى الأصل : ثم (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) العبارة من هنا إلى « مقدرا للأمر » ساقطة من ظ (٩ - ٩) من مد ، و فى الأصل : معذر كمال لامر - كذا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : عمل (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : امر .

عليه السلام المخرج فى[1] الصحيحين[2] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه «لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تلد فارسا [يجاهد -[3]] فى سبيل الله ، فلم تلد منهن إلا واحدة جاءت[4] بشق آدمى» أنه[5] لو قال: إن شاء الله ، لجاهدوا فرسانا أجمعون . فأفهم ذلك أن كل نبى استثنى فى خبره صدقه الله تعالى كما وقع للذبيح أنه قال ستجدنى ان شاء الله من الصٰبرين[6] " فوفى ، فما لموسى عليه السلام - و هو من أولى العزم - فعل مع[7] الاستثناء ما فعل ؟ فان[8] الذبيح صبر على ما هو قاطع بأنه بعينه أمر الله ، بخلاف موسى عليه السلام فانه كان ينكر ما ظاهره منكر قبل العلم بأنه من أمر الله ، فاذا نبه صبر ، و أما قول النبى صلى الله عليه و على آله و سلم «يرحم الله أخى موسى ! وددنا [9]لو أنه[9] صبر حتى[10] يقص علينا من أمرهما[11]» فمعناه: صبر عن الإذن للخضر عليه السلام فى مفارقته فى قوله " فلا تصحبنى " و يدل عليه أن فى رواية لمسلم «رحمة الله علينا و على موسى ! لولا أنه عجل لرأى العجب و لكنه

(١) تكرر فى ظ (٢) راجع باب من طلب الولد للجهاد - كتاب الجهاد من صحيح البخارى و اللفظ له ، وباب الاستثناء فى اليمين و غيرها - كتاب الأيمان من صحيح مسلم ، و الحديث فيه بعض المفارقات بالنسبة لما هنا (٣) زيد من ظ و مد و صحيح البخارى (٤) سقط من مد (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٣٧ آية ١٠٢ (٧) من مد . و فى الأصل و ظ : من (٨) فى ظ : بان (٩ - ٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه لو (١٠) فى ظ : حين (١١) رواه الكثيرون بما فيهم البخارى - راجع باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام كتاب الأنبياء .

أخذته [من صاحبه -[1]] ذمامة " قال ان / سالتك عن شيء بعدها[2] ٣٩٠ /
فلا تصحبني[2]". فتحرر أنه و فى بمقام الشرع الذى أقامه الله [فيه -[3]]
فلم يخل بمقام الصبر الذى [ليس -[3]] فيه ما يخالف ما يعرف و يستحضر
من الشرع ، و كيف لا و هو من أكابر أولى العزم الذين قال الله تعالى
لأشرف [خلقه -[3]] فى التسليك بسيرهم " فاصبر كما صبر اولوا العزم من ٥
الرسل[4] " و قال تعالى " اولئك الذين هدى الله فبهدٰهم اقتده[5] " و قال
عليه السلام فيما خرجه الشيخان[6] عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى
صلى الله عليه و على آله و سلم أوذى من بعض من كان معه فى حنين
فتلوّن وجهه و قال : يرحم الله أخى موسى ! لقد أوذى بأكثر من هذا
فصبر . و علم أن فى قصته هذه حثا كثيرا على المجاهرة بالمبادرة بالأمر ١٠
بالمعروف و النهى عن المنكر و المصابرة عليه ، و أن لا يراعى فيه
[7] كبير و لا صغير [7] إذا كان الإمرء على ثقة من أمره فى الظاهر بما
عنده فى ذلك من العلم عن الله و رسوله و أئمة دينه[8] ، و تنبيها على أنه
لا يلزم من العلم اللدنى - سواء كان صاحبه نبيا أو وليا - معرفة كل شيء
كما يدعيه أتباع بعض الصوفية ، لأن الخضر سأل موسى عليهما السلام : ١٥

(١) زيد من صحيح مسلم - كتاب الفضائل باب من فضائل الخضر عليه السلام (٢) تقدم فى الأصل على « عن شيء » و الترتيب من مد و القرآن الكريم ، و الكلمة ساقطة من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) سورة ٤٦ آية ٣٥ (٥) سورة ٦ آية ٩٠ (٦) أما البخارى فخرجه فى عدة المناسبات و أما مسلم فخرجه فى أبواب الزكاة (٧ - ٧) فى ظ : صغير و لا كبير (٨) العبارة من هنا إلى « كما سيأتى » ص ١٢٦ س ١ ساقطة من ظ .

من أنت؟ و هل هو موسى نبي[١] بني إسرائيل - كما سيأتي . [٢]روى البخاري في التفسير[٣] من روايات مختلفة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أبي بن كعب رضي الله عنه حدثه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم: موسى رسول الله - عليه و على آله و سلم - ذكر الناس [يوما -[٤]] حتى إذا فاضت العيون و رقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال: أي رسول الله! هل في الأرض [أحد -[٤]] أعلم منك؟ قال[٥]: لا! فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، [٦]فأوحى إليه: بلى[٧]! عبد من عبادي بمجمع البحرين، قال: أي رب! كيف السبيل إليه؟ [قال -[٤]]: تأخذ حوتا في مكتل فحيث ما فقدته فاتبعه - و في رواية: خذ نونا ميتا حيث ينفخ فيه الروح - فخرج و معه فتاه يوشع بن نون حتى[٨] انتهيا إلى الصخرة، فوضع موسى رأسه [٩]فنام في ظل الصخرة[١٠] في مكان ثريان[١١] إذ تضرب الحوت - و في رواية: [و -[٤]] في أصل تلك الصخرة عين يقال له[١٢] الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين فانسل من المكتل فدخل البحر - فأمسك الله عنه جرية

(١) سقط من مد (٢) زيدت الواو في ظ (٣) و يبتدئ السياق برواية يعلى بن مسلم عن ابن عباس عن أبي بن كعب (٤) زيد من ظ و مد و الصحيح (٥) من ظ و مد و الصحيح، و في الأصل: فقال (٦) و من هنا يرجع السياق إلى حديث قتيبة بن سعيد (٧) من مد و الصحيح، و في الأصل و ظ: بل (٨) في ظ: حين (٩) و من هنا يرجع السياق إلى الحديث الأول (١٠) زيد في الأصل: فنام، و لم تكن الزيادة في ظ و مد و الصحيح فحذفناها (١١) بهامش ظ: ندى (١٢) من ظ و مد و الصحيح، و في الأصل: لها.

البحر حتى كان أثره فى حجر ، فقال فتاه : لا أوقظه ، حتى إذا استيقظ نسى أن يخبره ، فذكر سفرهما و[1] قول موسى عليه السلام " لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا " قال : قد قطع الله عنك النصب ، فرجعا فوجدا خضرا على طنفسة خضراء على كبد البحر مسجى[2] بثوبه ، قد جعل طرفه تحت رجليه ، و طرفه تحت رأسه ، فسلم عليه موسى فكشف[3] عن وجهه ٥ و قال : هل بأرضى من سلام ؟ من أنت ؟ قال : أنا موسى ! قال : موسى بنى إسراءيل ؟ قال : نعم ! قال : فما شأنك ؟ قال : جئت لتعلمنى ، قال : أما يكفيك أن التوراة بيديك[4] و أن الوحى [يأتيك -[5]] ؟ يا موسى ! إن لى علما لا ينبغى لك أن تعلمه ، و إن لك علما لا ينبغى لى أن أعلمه - أى لا ينبغى لك أن تعمل بالباطن و لا ينبغى [لى أنا -[6]] أن أقف مع[7] الظاهر ، أطلق ١٠ العلم على العمل لأنه سببه - فانطلقا يمشيان على الساحل ، فوجدا معابر صغارا تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل[8] هذا الساحل الآخر ، فعرف الخضر فقالوا : عبد الله الصالح ! لا تحمله بأجر ، فحملوهم فى سفينتهم بغير نول[9] - يقول : بغير أجر - فركبا السفينة ، و وقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره فى البحر ؛ [10]و فى رواية[10] : فأخذ / بمنقاره[11] من البحر ، ١٥ / ٣٩١

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٢) فى مد : مثجى (٣) من ظ و مد و الصحيح ، وفى الأصل : و كشف (٤) من الصحيح ، وفى النسخ : بيدك .
(٥) زيد من ظ و مد و الصحيح (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : قول (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) من مد =

و فى رواية : فنقر نقرة أو نقرتين فقال : و الله ما نقص علمى و علمك من علم الله إلا كما نقص هذا من البحر ، فلم يفجأ[1] موسى إلا الخضر عمد[2] إلى قدوم فخرق السفينة و وتد فيها وتدا فذكر[3] إنكاره و جوابه ثم قال : و كانت الأولى من موسى نسيانا ، و الوسطى شرطا ، و الثالثة عمدا - فذكر القصة ، و قال فى آخرها : فقال رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم : ودهنا أن موسى صبر حتى يقص علينا من أمرهما .

و لما فرغ من هذه القصة التى حاصلها أنها طواف فى الأرض لطلب العلم ، عقبها بقصة من طاف الأرض لطلب الجهاد . و قدم الأولى إشارة إلى علو درجة العلم لأنه أساس كل سعادة ، و قوام كل أمر ، فقال عاطفا على "و يجادل الذين كفروا بالباطل" : ﴿و يسئلونك عن﴾ الرجل الصالح المجاهد ﴿ذى القرنين﴾ [4]سمى لشجاعته أو لبلوغه قرنى مغرب الشمس و مشرقها ، أو لانقراض قرنين من الناس فى زمانه ، أو لأنه كان له ضفيرتان من الشعر أو[5] لتاجه [قرنان -[6]] ، و هو الإسكندر الأول - نقل ابن كثير عن الأزرقى[7] أنه كان على زمن الخليل عليه السلام ، و طاف معه بالبيت ، و من المناسبات الصورية

= و الصحيح ، و فى الأصل و ظ : منقاره .

(١) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : فلم تفجا (٢) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : غدا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فذكره (٤) العبارة من هنا إلى « لتاجه قرنان » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل « و » (٦) زيد من مد و البحر المحيط ٦/١٥٨ (٧) فى ظ : الازربى .

أن في قصة[1] كل منهما ثلاثة أشياء آخرها بناء جدار لاسقف له ، و إنما هو لأجل حفظ ما يهتم به خوف المفسد ، و صدّرها بالإخبار عن سؤالهم إشارة إلى أنهم لم يسألوا عن التي قبلها على ما فيها من العجائب و اللطائف ، و الأسرار و المعارف ، تبكيتا لليهود في إغفال الأمر بالسؤال عنها إن كان مقصودهم [الحق -[2]] ، و إن لم يكن مقصودا لهم كانوا بالتبكيت أجدر ، أو تكون معطوفة على مسألتهم الأولى و هي الروح ، و صدرها بالإخبار بالسؤال تنبيها على ذلك لطول الفصل ، إشارة إلى أن ذلك كله مرتبط بجوابهم ارتباط الدر بالسلك .

و لما كان من المعلوم أنه يقول صلى الله عليه و على آله و سلم : [3]فبما ذا أجيبهم[3]؟ قال : ﴿قل﴾ [4]أي لهم[4]: ﴿سأتلوا﴾ [4]أي أقص قصا متتابعا في مستقبل الزمان إن أعلمني الله به[4] ﴿عليكم﴾ [4]أيها المشركون و أهل الكتاب المعلمون لهم[4] مقيدا بان شاء الله كما سلف لك الأمر به ﴿منه ذكرا[5]﴾ كافيا لكم في تعرف أمره ، جامعا لمجامع ذكره .

و لما كانت قصته من أدل دليل على عظمة الله ، جلاها في ذلك المظهر فقال : ﴿انا﴾ [4]مؤكدا لأن المخاطبين بصدد التعنت و الإنكار[4] ﴿مكنا﴾ [5]أي بما لنا من العظمة ، قيل[6] : بالملك وحده ، و قيل : مع

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) من مد ، و في الأصل و ظ : فيما اذا اجبتهم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « بمظهر العظمة» ص ١٣٠ س ٢ ساقطة من ظ (٦) راجع أيضا البحر المحيط ٦/١٥٩ .

النبوة ، لأن ما ينسب إلى[1] الله تعالى على سبيل الامتنان و الإحسان جدير بأن يحمل على النهاية لاسيما إذا عبر عنه بمظهر العظمة ﴿له فى الارض﴾ مكنة يصل بها إلى جميع مسلوكها ، و يظهر بها على سائر ملوكها ﴿و اٰتينٰه﴾ بعظمتنا[2] ﴿من كل شىء﴾ يحتاج إليه فى ذلك ﴿سببا ۝﴾

٥ قال أبو حيان[3]: و أصل السبب الحبل ، ثم توسع فيه حتى صار يطلق على ما يتوصل به إلى المقصود . فأراد بلوغ المغرب ، [4]و لعله[4] بدأ به لأن باب التوبة فيه ﴿فاتبع﴾ [5]أى بغاية جهده - هذا على قراءة ابن كثير و نافع و أبى عمرو بالتشديد ، و المعنى على قراءة الباقين بقطع الهمزة و إسكان الفوقانية : ألحق بعض الأسباب ببعض ، و ذلك تفسير

١٠ لقراءة التشديد[5] ﴿سببا ۝﴾ يوصله إليه ، و استمر متبعا له ﴿حتىٰٓ اذا بلغ﴾ [5]فى ذلك المسير[5] ﴿مغرب الشمس﴾ أى[6] الحد الذى لا يتجاوزه آدمى فى جهة الغرب ﴿وجدها﴾ فيما يحس بحاسة لمسه ﴿تغرب﴾ كما أحسه بحاسة / بصره من حيث أنه متصل بما وصل إليه بيده ، لاحائل / ٣٩٢

بينه و بينه ﴿فى عين حمئة﴾ أى ذات حمأة أى طين أسود ، و هى مع

١٥ ذلك حارة [5] كما ينظر من فى وسط البحر أنها تغرب فيه و تطلع منه و عنده القطع بأن الأمر ليس كذلك[5] ﴿و[7] وجد عندها﴾ أى على الساحل المتصل بتلك العين ﴿قوما[5]﴾ كفارا [5]لهم قوة على ما يحاولونه و منعة[5] ،

---

(١) من مد ، وفى الأصل: مع (٢) سقط من ظ (٣) فى البحر المحيط ٦/١٥٩.
(٤-٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : فلعله (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٦) فى مد : الى (٧) ليست الواو فى الأصل فقط .

فكأنه

فكأنه قيل : ما ذا أمر فيهم ؟ فأجيب بقوله : ﴿قلنا﴾ [1]بمظهر العظمة[1]: ﴿يٰذا القرنين﴾ إعلاما بقربه من الله و أنه لا يفعل إلا ما أمره به ، إما بواسطة الملك إن كان نبيا - [1]و هو أظهر الاحتمالات[1]، أو بواسطة نبي زمانه ، أو باجتهاده فى شريعته الاجتهادَ المصيب ﴿امآ ان تعذب﴾ أى هؤلاء القوم ببذل السيف فيهم بكفرهم ﴿و امآ ان تتخذ﴾ [1]أى بغاية جهدك[1] ﴿فيهم حسناه﴾ أمرا[2] له حسن عظيم ، و ذلك هو البداءة بالدعاء ، إشارة إلى أن القتل و إن كان جائزا فالأولى أن لا يفعل إلا بعد اليأس من الرجوع عن موجبه ﴿قال اما من ظلم﴾ باستمراره على الكفر فانا نرفق به حتى نيأس منه [ثم - [3]] نقتله ، و إلى ذلك أشار بقوله : ﴿فسوف نعذبه﴾ [1]بوعد لا خلف فيه بعد طول الدعاء و الترفق[1] ﴿ثم يرد﴾ بعد الحياة بالموت ، أو بعد البرزخ بالبعث ، ردا[4] هو فى غاية السهولة ﴿الى ربه﴾ الذى تفرد بتربيته ﴿فيعذبه عذابا نكراه﴾ شديدا جدا لم يعهد مثله لكفره لنعمته . و بذل خيره فى عبادة غيره ، و فى ذلك إشارة بالتهديد الشديد لليهود الغارين[5] لقريش ، و إرشاد لقريش إلى أن يسألوهم عن قوله هذا ، ليكون قائدا [لهم - [3]] إلى الإقرار بالبعث ﴿و اما من امن و عمل صالحا﴾ تصديقا لما أخبر به من تصديقه

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : امر .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من مد ، و فى الأصل : ردله ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة من ظ إلى « غاية السهولة » (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المفازين - كذا .

﴿ فله ﴾ فى الدارين ﴿ جزآء[1] ﴾ طريقتيه ﴿ الحسنى ج ﴾ منا و من الله بأحسن[2] [منها -[3]] ﴿ و سنقول ﴾ بوعد لا خلف فيه بعد اختباره بالأعمال الصالحة ﴿ له ﴾ أى لأجله ﴿ من امرنا ﴾ الذى نأمر به فيه ﴿ يسرا ۝ ﴾ أى قولا غير شاق من الصلاة و الزكاة و الخراج و الجهاد و غيرها ، و هو ما يطيقه و لا يشق عليه مشقة كبيرة ﴿ ثم اتبع ﴾ لإرادته بلوغ مشرق الشمس ﴿ سببا ۝ ﴾ من جهة الجنوب يوصله إلى المشرق و استمر فيه لا يمل و لا تغلبه أمة مر عليها ﴿ حتى[4] اذا بلغ ﴾ فى مسيره ذلك ﴿ مطلع الشمس ﴾ أى الموضع الذى تطلع عليه أولا من المعمور من الأرض ﴿ وجدها تطلع على قوم ﴾ على ساحل البحر لهم قوة شديدة ﴿ لم نجعل لهم ﴾ [و لما كان المراد التعميم ، أثبت الجار فقال -[3]] : ﴿ من دونها ﴾ أى من أدنى الأماكن إليهم أول ما تطلع ﴿ سترا ۝ ﴾ يحول بينهم و بين المحل الذى [يرى -[5]] طلوعها منه [من البحر -[5]] من جبل و لا أبنية و لا شجر و لا غيرها[6] .

و لما كان أمره مستغربا فى نفسه و فى الاطلاع عليه لا سيما عند القرب[7] ، قال تعالى : ﴿ كذلك ﴾ أى أمره كما ذكرنا[8] لكم على

(١) راجع لاختلاف القراءة فيه نثر المرجان ٤ / ١٤٨ (٢) سقط من ظ .
(٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و مد .
(٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : غيره (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الغرب (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكرناه .

سبيل الاقتصار ﴿ و قد احطنا ﴾ [١] بما لنا من العظمة! ﴿ بما لديه ﴾ أى [٢] كله من الأمور التى [هى - [٣]] أغرب المستغرب ﴿ خبرا ﴾ [١] أى من جهة بواطن أموره فضلا عن ظواهرها [١]. فلا يستغرب إخبارنا عن ذلك و لا عن أمر أصحاب الكهف، و لا يظن أن تفصيل أمر الروح خفى عنا، لأنا مطلعون على خفايا الأمور و ظواهرها، شواهدها ٥ و غوائبها، [١] و كيف لا و نحن أوجدناها [١] و لكنا لا نذكر [٤] من ذلك [٤] إلا [ما نريد على - [٥]] ما تدعو إليه الحكمة، فلو شئنا لبسطنا هذه القصة و قصة أهل الكهف و فصلنا أمر الروح [تفصيلا - [٢]] يعجز عن حفظه الألباء ﴿ ثم اتبع ﴾ [١] فى إرادته ناحية السد مخرج ياجوج و ماجوج [١] ﴿ سببا ﴾ من جهة الشمال، و استمر أخذاً فيه ١٠ ﴿ حتى [٢] اذا بلغ ﴾ [١] فى مسيره ذلك [١] ﴿ بين السدين ﴾ أى الجبلين المانعين من وراءهما / من الوصول منهما [١] إلى من أمامهما [١] و هما بمنقطع / ٣٩٣ أرض الترك مما يلى [٦] بلاد أرمينية و آذربيجان، أملسان يزلق عليهما كل شىء؛ [١] قرأ ابن كثير و أبو عمرو و حفص عن عاصم بفتح السين. و الباقون بضمهما، فقيل: هما بمعنى واحد، و قيل: المضموم من فعل ١٥ الله، و المفتوح من فعل الناس [١]. ﴿ وجد من دونهما ﴾ أى بقربهما [٢] من الجانب الذى هو أدنى منهما إلى الجهة التى أتى منها ذو القرنين

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد.
(٤-٤) فى ظ: منه (٥) زيد من ظ (٦) زيد فى الأصل: من. و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و البحر المحيط ٦ / ١٦٣، فحذفناها.

﴿ قوما لا ﴾ [١] أى أقوياء [١] لغتهم فى غايه البعد من لغات بقية الناس لبعد بلادهم من بقية البلاد ، فهم لذلك ﴿ لا يكادون يفقهون قولا ٥ ﴾ أى [٢] لا يقربون من أن يفهموه ممن مع ذى القرنين فهما جيدا كما يفهم غيرهم ، و دل وصفهم بما يأتى على أنهم يفهمون فهما ما [٢] بعد بُعد ٥ و محاولة طويلة ، لعدم ماهر بلسانهم ممن مع ذى القرنين ، و عدم ماهر منهم بلسان أحد ممن معه ، و هذا يدل على أن بينهم و بين بقية سكان الأرض غير ياجوج و ماجوج برارى شاسعة ، و فيافى واسعة ، منعت من اختلاطهم بهم ، [٣] و أن تطبّعهم بلسان غيرهم بعيد جدا لقلة حفظهم لخروج بلادهم عن حد الاعتدال ، أو لغير ذلك ، و يلزم من ١٠ ذلك أنهم لا يكادون يفهمون غيرهم شيئا من كلامهم ، و ذلك معنى قراءة حمزة و الكسائى بضم التحتانية و كسر القاف [٤] ؛ و دل على [أن - [٥]] عدم فهمهم و إفهامهم مقيد بما مضى قولُه [٦] : ﴿ قالوا ﴾ أى مترجموهم أو جيرانهم - الذين من دونهم [٧] - كما فى مصحف ابن مسعود [٨] ممن يعرف بعض كلامهم ، [١] أو بالإشارة كما يخاطب إليكم [١] : ﴿ يٰذا القرنين ﴾ مسنا

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢ - ٢) موضع ما بين الرقمين فى ظ : لا يفهمونه ممن مع ذى القرنين إلا (٣) العبارة من هنا إلى « بما مضى قوله » ساقطة من ظ (٤) راجع نثر المرجان ٤ / ١٨٦ (٥) زيد من مد (٦) زيد فى ظ : فكأنه قيل : هل قالوا له شيئا ؟ فقيل : نعم (٧) فى مد : دونه (٨) و فى روح المعانى أيضا ما يقارب ما عندنا : و لعل هذا المترجم كان من قوم بقرب بلادهم و يؤيد ذلك ما وقع فى مصحف ابن مسعود « قال الذين من دونهم » .

الضر ﴿ ان ياجوج و ماجوج ﴾ و هما قبيلتان من الناس من أولاد يافث ، لايطاق أمرهم ، و لا يطفأ جمرهم ، و قد ثبت فى الصحيح [١] فى حديث بعث النار أنهم من ذرية آدم عليه السلام ﴿مفسدون فى الارض﴾ بأنواع الفساد ﴿فهل نجعل لك خرجا﴾ نخرجه لك من أموالنا - [٢]هذا على قراءة الجماعة ، و زاد حمزة و الكسائى ألفا [٣] ، فقيل [٤] : هما بمعنى واحد ، و قيل : بل الخرج ما تبرعت بـه ، و الخراج بالألف ما لزمك . ﴿على [٣] ان تجعل﴾ [٥]فى جميع ما [٥] ﴿ بيننا و بينهم﴾ [٥]من الأرض التى يمكن توصلهم إلينا منها [٥] بما آتاك الله من المكنة ﴿ سدا ﴾ يصل بين هذين الجبلين ﴿قال﴾ بعفة و ديانة و قصد للخير : ﴿ ما مكنى ﴾ .

[٦]و لما كان لمكنته حالتان : إحداهما ظاهرة ، و هى ما شوهد من فعله بعد وقوعه ، و باطنة و لا يقع احـــد عليها بحدس و لا توهم ، لأنها مما لم يؤلف مثله ، فلا يقـع المتوسم عليه ، قرأ ابن كثير [٧] باظهار النون فى ''مكننى'' و غيره بالإدغام ، إشارة إليهما . و لما كان النظر إلى ما يقع المكنة [فيه -[٨]] أكثر ، قدم ضميره فقال : ﴿ فيه ربى ﴾ أى [٩] المحسن إلىّ بما ترون من الأموال و الرجال ، [٥]و الفهم فى إتقان [٥]

(١) كتاب الأنبياء - قصة ياجوج و ماجوج حديث إسحاق بن نصر (٢) العبارة من هنا إلى « ما لزمك » ساقطة من ظ (٣) راجع نثر المرجان ٤/١٨٨ (٤) وهو قول أبى عمرو - راجع معالم التنزيل (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٦) العبارة من هنا إلى « ضميره فقال » ساقطة من ظ (٧) زيد فى مد : وقدم ضميره فقال (٨) زيد من ظ (٩) سقط من ظ .

[1] الأمور، و التوصل إلى جميع الممكن للخلوق [1] ﴿ خير ﴾ أى [2] من خرجكم الذى تريدون بذله لمكنتى كما قال سليمان عليه السلام " فما اتنى الله خير مما اتكم [3] " ﴿ فاعينونى بقوة ﴾ أى آلات و عمال أتقوى بها فى فعل ذلك. فان [1] أهل البلاد أخبر بما يصلح فى هذا العمل من بلادهم و [1] ما معى إنما هو للقتال و ما يكون من أسبابه، لا لمثل [4] هذا ﴿ اجعل بينكم ﴾ [5] أى بين ما تختصون به ﴿ و بينهم ردما ﴾ أى حاجزا حصينا موثقا [2] بعضه فوق بعض، مع التلاصق [6] المتلاحم الموجب لأن لا يميز بعضه من بعض [1] و هو أعظم من السد [1]؛ قال البغوى [7] فحفر [8] له الأساس حتى بلغ الماء / [و - [9]] جعل حشوه /٣٩٤
[10] الصخر و طينه النحاس يذاب فيصب عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض. ﴿ اتونى ﴾ بفتح الهمزة و مدها على قراءة الجماعة [10] [أى أعطونى - [11]] و بهمزة وصل و همزة بعدها ساكنة، أى جيئونى و تعالوا إلىّ فقد أجبتكم إلى سؤالكم [12]، ثم ابتدأ مغريا على هذه القراءة فقال [13]: ﴿ زبر الحديد ﴾ أى [1] عليكم به فأحضروا إلىّ [1] قطعة، فأتوه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) سورة ٢٧ آية ٣٦.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مثل (٥) العبارة من هنا إلى « تختصون به » ساقطة من ظ (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها.
(٧) فى معالم التنزيل - راجع اللباب ٤/١٨٨ (٨) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: حفر (٩) زيدت الواو من المعالم (١٠) راجع نثر المرجان ٤/١٨٩.
(١١) زيد من مد (١٢) فى مد: سولكم (١٣) العبارة من « بفتح الهمزة » إلى هنا ساقطة من ظ.

بذلك فردم [١]ما فوق الأساس[١] بعضه على بعض صفا من الحديد[٢] وصفا من الحطب، قال البغوى[٣]: فلم يزل يجعل قطع[٤] الحديد على الحطب والحطب على الحديد. ﴿حتى[٢] اذا ساوى﴾ [١]أى بذلك البناء[١] ﴿بين الصدفين﴾ أى أعلى[٥] منقطع الجبلين الموصوفين، سميا لتصادفهما - أى تقابلهما وتقاربهما - بالبناء على تلك الحالة عرضا وطولا، [٦]وقراءة من فتح الصاد والدال[٧] - وهم نافع وحمزة والكسائى وحفص عن عاصم - [دالة - [٨]] على أن تقابلهما فى غاية الاستقامة، فكأنهما[٩] جدار فتح فيه باب، وقراءة ابن كثير وأبى عمرو وابن عامر بضمهما دالة على أنه مع ذلك فى غاية القوة حتى أن أعلاه وأسفله سواء[١٠]، وقراءة شعبة عن عاصم بالضم وإسكان الدال دالة على أشد ثبات وأتقنه فى كل منهما، فلا ينتخر شىء منهما على طول الزمان بريح ولا غيرها من فساد فى أحد الجانبين برخاوة من سياخ أو غيره ﴿قال﴾ أى[٥] للصناع: ﴿انفخوا[٤]﴾ فى الأكوار فنفخوا[١١] فأضرم فيه النار، واستمر كذلك ﴿حتى[٢] اذا جعله﴾[١٢]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: حديد. (٣) فى معالم التنزيل - راجع اللباب ٤/١٨٩ (٤) ليس فى المعالم (٥) سقط من ظ (٦) العبارة من هنا إلى «سياخ أو غيره» ساقطة من ظ (٧) راجع نثر المرجان ٤/١٩٠ (٨) زيد من مد (٩) من مد، و فى الأصل: فكانه (١٠) زيد فى الأصل: فلا ينحر شىء - كذا، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: فانفخوا (١٢) زيد فى الأصل: نارا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

أى[1] كله ﴿نارا لا قال﴾ للقوم: ﴿اتونى﴾ بالنحاس ﴿افرغ عليه﴾ [2]أى الحديد المحمى[2] ﴿قطرا ۝﴾ منه بعد إذابته، فان القطر: النحاس الذائب، [2]هذا فى قراءة حمزة و أبى بكر عن عاصم باسكان الهمزة، و قراءة الباقين بفتح الهمزة و مدها بمعنى أعطونى النحاس[2]. ففعلوا ذلك فاختلط[3] و التصق بعضه ببعض و صار جبلا صلدا، ثم قال الله تعالى: ﴿فما﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه[4] لما أكمل عمله و أحكمه ما ﴿اسطاعوا﴾ أى ياجوج و ماجوج و غيرهم ﴿ان يظهروه﴾ أى يعلو ظهره لعلوه و ملاسته ﴿و ما استطاعوا له نقبا ۝﴾ [2]لثخنه و صلابته[2]، و زيادة التاء هنا تدل على أن العلو عليه أصعب من نقبه[5] لارتفاعه و صلابته و التحام بعضه ببعض حتى صار سبيكة واحدة من حديد و نحاس فى علو الجبل، و قد حكى ابن خرداذبه[6] عن سلام[7] الترجمان الذى أرسله أمير المؤمنين الواثق إليه حتى رآه أن ارتفاعه مد البصر[8].

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من مد، و فى الأصل: واختلط، والعبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - إلى «قال الله تعالى» ساقطة من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لانه (٥) فى ظ: ثقبه (٦) من الأعلام للزركلى ٤/٣٤٣، و فى الأصول: خزداربه - كذا، و راجع الأعلام أيضا للعثور على الاختلاف الدائر حول تحقيق ضبطه (٧) زيد فى الأصل: ابن، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و روح المعانى ٥/١٤٠ فحذفناها (٨) و فى روح المعانى ما ملخصه: وأما ما ذكره بعضهم من أن الواثق بالله العباسى أرسل سلاما الترجمان للكشف عن هذا السد فثقات المؤرخين على تضعيفه. و ذكر فى غرائب القرآن للنيسابورى أن الواثق رأى فى المنام كأنه فتح هذا الردم فبعث بعض الخدم إليه - راجع هامش الطبرى ١٦/٢١ و راجع أيضا تاريخ الإسلام ٢/٤٧.

و لأنهم

و لأنهم[1] لو احتالوا ببناء درج من جانبهم أو وضع تراب حتى ظهروا عليه لم ينفعهم [ذلك -[2]] لأنه لا حيلة لهم على النزول من الجانب الآخر ، و يؤيده أنهم إنما يخرجون فى آخر الزمان بنقبه لا بظهوره[3] ، و لا ينافى نفى الاستطاعة لنقبه ما رواه الإمام أحمد[4] و الترمذى فى التفسير[5] و ابن ماجه فى الفتن[6] عن أبى رافع عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم قال : إن ياجوج و ماجوج ليحفرن[7] السد كل يوم حتى إذا كادوا[8] يرون شعاع الشمس قال الذى[9] عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا ، فيعودون إليه كأشد ما كان حتى [إذا -[10]] بلغت مدتهم و أراد الله أن يبعثهم على الناس حفروا حتى [إذا -[10]] كادوا يرون شعاع الشمس قال الذى[9] عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله فيستثنى فيعودون إليه و هو كهيئته حين تركوه فيحفرونه و يخرجون على الناس - الحديث . و فى حديث الصحيحين[11] عن زينب بنت جحش رضى الله عنها عن النبى صلى الله

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لوانهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يظهروه (٤) فى المسند ٢/٥١٠ (٥) ص ٣٨٣ (٦) باب فتنة الدجال و خروج عيسى ابن مريم و خروج ياجوج و ماجوج ، و أغلب السياق لمسند أحمد و ابن ماجه (٧) من المسند ، و فى الأصل و ابن ماجه : يحفرون ، و فى ظ ومد : ليحفرون (٨) من ظ و مد و المسند و ابن ماجه ، و فى الأصل : كادون - كذا (٩) من ظ و مد و المسند و ابن ماجه ، و فى الأصل :الذين (١٠) زيد من ظ و مد و المسند و ابن ماجه (١١) البخارى=

عليه و على آله و سلم : فتح اليوم من ردم ياجوج و ماجوج مثل هذا[1]، و حلق رسول الله صلى الله عليه و على آله و سلم . و رواه عن أبي هريرة رضى الله عنه و فيه[2] : مثل / هذا[1] و عقد تسعين . فكأنه قيل : فما قال حين أفرغه ؟ قيل : ﴿ قال هذا ﴾ [3] أى السد[3] ﴿رحمة من ربى ج﴾ المحسن إلىّ باقدارى عليه و منع الفساد به ﴿ فاذا جآء وعد ربى ﴾ بقرب قيام الساعة ﴿جعله دكآء ج﴾ باقدارهم على نقبه و هدمه و تسهيل ذلك عليهم ، [4]و التعبير بالمصدر المنون فى قراءة الجماعة للمبالغة فى دكه هو الذى أشارت إليه قراءة الكوفيين[5] بالمد ممنوعا من الصرف .

/٣٩٥

و لما كان هذا أمرا مستعظما خارقا للعادة، علله بقوله : ﴿ و كان وعد ربى ﴾ الذى وعد به فى خروج ياجوج و ماجوج و اختراقهم الأرض و إفسادهم لها ثم قيام الساعة ﴿ حقا ٥﴾ كائنا لا محالة ، فلذلك أعان على هدمه ، و عن قتادة[6] قال : ذكر لنا أن

= فى عدة مناسباته بما فيها الفتن و مسلم فى أوائل الفتن .

(١) فى بعض الروايات : هذه (٢) فى ظ : منه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « من الصرف » ساقطة من ظ (٥) راجع نثر المرجان ١٩٢/٤ (٦) ذكر فى المعالم قول قتادة على وجه الاختصار - راجع اللباب ١٨٩/٤ ، و الحديث أخرجه فى روح المعانى ٥ / ١٤٠ عن ابن جرير و ابن مردويه ، و ذكره فى روح المعانى ٦ / ١٦٤ أيضا كما ذكره فى الكشاف ٥٨٠/١ .

رجلا - و فى رواية : عن رجل من أهل المدينة قال : يا رسول الله ! قد رأيت سد ياجوج و ماجوج ، قال : انعته لى ، قال : كالبرد المحبر : طريقة سوداء و طريقة حمراء ، و فى رواية : طريقة حمراء من حديد و طريقة سوداء من نحاس ، و فى رواية أنه قال : انتهيت إلى أرض ليس لهم إلا الحديد يعملونه[1] - رواه الطبرى و ابن أبى عمر و الطبرانى ٥ فى مسند الشاميين و ابن مردويه عنه و البزار من وجه آخر من طريق أبى بكرة رضى الله عنه - ذكر ذلك شيخنا ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف ، و فى حديث فتح الباب من سيرة الحافظ أبى الربيع ابن سالم[2] الكلاعى و شيخه ابن حبيش[3] - و كان أميرُ تلك الجيوش التى بها عبدَ الرحمن بن ربيعة فى أيام عمر رضى الله عنه - ما نصه[4] : و حدث ١٠ مطر بن ثلج التميمى قال : دخلت على عبد الرحمن بن ربيعة بالباب و شهر براز عنده - يعنى : و كان ملك الباب من جهة آل كسرى - فأقبل رجل عليه شحوبة[5] حتى جلس إلى شهر براز قساءلا ، ثم إن شهر براز قال لعبد الرحمن : أيها الأمير ! أ تدرى من إين جاء هذا الرجل ؟ إنى[6] بعثته منذ سنين نحو السد لينظر لى ما حاله و من دونه ، ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعلمونه (٢) هو سليمان بن موسى بن سالم المتوفى سنة ٦٣٤ ، و اسم سيرته « الاكتفا بسيرة المصطفى و الثلاثة الخلفا » - راجع الأعلام ٣/١٩٩ و تذكرة الحفاظ ١٤١٧ (٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله أبو القاسم الأنصارى الأندلسى المتوفى سنة ٥٨٤ راجع الأعلام ٤/١٠٤ و التذكرة. (٤) راجع أيضا تاريخ الطبرى ٤/٢٥٨ بالإضافة إلى تاريخ الإسلام ٢/٤٦ (٥) من الطبرى ، و فى الأصل و مد : سحوب ، و فى ظ : سحوت (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى .

و زودته مالا عظيما ، و كتبت له إلى من يليني[1] و أهديت له و سألته أن يكتب إلى من وراءه ، و زودته لكل ملك هدية ، ففعل ذلك بكل ملك[2] يلي و بينه حتى انتهى إلى الملك الذى السد فى ظهر أرضه ، فكتب له إلى عامله على ذلك[3] البلد ، فأتاه فبعث معه بازياره و معه عقابه ، فذكر أنه أحسن إلى البازيار ، قال : فتشكر[4] لى البازيار ، فلما انتهينا إذا جبلان بينهما سد مسدود حتى ارتفع على[5] الجبلين بعد ما استوى بهما ، و إذا دون السد خندق أشد سوادا من الليل لبعده ، فنظرت إلى ذلك و تفرست فيه ، ثم ذهبت لأنصرف فقال لى البازيار : على رسلك ! أكافيك أنه لا يلي ملك بعد ملك إلا تقرب إلى الله تعالى بأفضل ما عنده من الدنيا فيرمى به فى هذا اللهب ، فشرح[6] بضعة [لحم -[7]] معه فألقاها فى ذلك الهواء و انقضت عليها العقاب و قال : إن أدركتها قبل أن تقع فلا شيء ، و إن لم تدركها حتى تقع فذلك شيء ، فخرجت علينا باللحم فى مخالبها و إذا فيه[8] ياقوتة فأعطانيها ، وهى هذه ، فتناولها منه شهربراز و هى حمراء فناولها عبد الرحمن فنظر[9] إليها ثم ردها إليه فقال شهر براز : هـذه خير من هذه البلدة - يعنى الباب - و أيم الله ! لأنتم أحب إلىّ ملكة من / آل كسري ، و لو كنت فى سلطانهم ثم بلغهم خبرها

(١) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : ينبئنى (٢) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : مكث (٣) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : تلك (٤) من مد و الطبرى ، و فى الأصل و ظ : فشكر (٥) من مد و الطبرى ، و فى الأصل و ظ : الى (٦) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : فشدخ (٧) زيد من الطبرى. (٨) من الطبرى ، و فى الأصول : فيها (٩) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : فنزر (١٠) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : مكة .

لانتزعوها

لاتنزعوها[1] منى ، و أيم الله ! لايقوم لكم شيء ما وفيتم أو وفى ملككم الأكبر ، فأقبل عبد الرحمن[2] على الرسول و قال : ما حال الردم[3] و ما [4]شبهه ؟ فقال[4]: هذا الثوب الذى على هذا الرجل ، و أشار إلى مطر بن ثلج وكان عليه قباء برود يمنية [5]أرضه حمراء و وشيه[5] أسود ، أو وشيه أحمر و أرضه سوداء ، فقال مطر : صدق و الله الرجل ! لقد نفذ و رأى ، قال ٥ عبد الرحمن : أجل ! و وصف صفة الحديد و الصفر و قرأ "ا[6]تونى زبر الحديد" إلى آخر الآية ، و قال عبد الرحمن لشهربراز : كم كانت هديتك ؟ قال : قيمة مائة ألف فى بلادى هـــذه ، و ثلاثة آلاف [ألف -[6]] أو[7] أكثر فى تلك البلدان - انتهى . و قد ظهر أن [ما -[8]] تعنتوا به - من [9]قصتى أصحاب[9] الكهف و ذى القرنين و ما أدرج بينهما تبكيتا لليهود ١٠ الآمرين بذلك - دال [من قصة موسى عليه السلام -[8]] على قيام الساعة فصار كله أعظم ملزم لهم[10] إن قبلوه ، و أوضح فاضح لعنادهم إن تركوه .

و لما انقضى ما سألوا عنه على أحسن وجه فى أبلغ سياق و أبدع تناسب ، و أدرج فى خلاله ما أدرج من التذكير و الوعظ ، و الأمر و النهى ، ١٥

(١) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : الا تنزعوها (٢) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : عبدا (٣) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : الرى. (٤-٤) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : شمهه قال (٥-٥) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : حمراء ارضه دوسه (٦) زيد من ظ و مد و الطبرى. (٧) من الطبرى ، و فى الأصول « و » (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) من مد ، و فى الأصل : قصص اهل ، و فى ظ : قصصى اهل (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : له .

و الوعد و الوعيد ، و الترغيب و الترهيب ، و التبكيت للكاتمين لما عندهم من العلم ، [1] الناكبين عما [1] استبان لهم من الطريق اللاحب و المنهج الواضح صنع القادر الحكيم الذى لا يستخفه ضجر فيستعجل ، و لا يعييه أمر فيستمهل ، و ختمه بما هو علم عظيم للساعة ، ذكر ما يكون إذ ذاك و ما يكون بعده إلى حصول كل من الفريقين فى داره و محل استقراره ؛ و لما كان ذلك أمرا عظيما ، دل عليه بالنون فقال [2] عاطفا على ما تقديره : فقد بان أمر ذى القرنين أى بيان ، و صدق فى قوله "فاذا جاء وعد ربى" فانه إذا جاء وعدنا جعلناه بقدرتنا التى تؤتيها لياجوج و ماجوج دكاء فأخرجناهم على الناس بعد خروج الدجال [2] : ﴿ و تركنا بعضهم ﴾ أى بعض من خلف السد و من أمامه ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ جعلنا السد دكاء [3] و خرجوا مقدمتهم بالشام [4] و ساقطتهم بخراسان ، و هم - كما قال الله تعالى - من كل حدب ينسلون . ﴿ يموج ﴾ [2] أى يضطرب [2] ﴿ فى بعض ﴾ كما يموج البحر ، فأهلكوا ما مروا عليه من شىء إلا ما [5] أراد الله ، ثم أبادهم الذى خلقهم و بقرب ذلك أفنى الخلائق أجمعين ﴿ و نفخ فى الصور ﴾ أى النفخة الثانية لقوله : ﴿ فجمعنهم ﴾ و يجوز أن تكون هذه الفاء الفصيحة فيكون المراد النفخة الأولى ، أى و نفخ [فى الصور - [6]] فمات الخلائق

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : العاملين على ما (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « حدب ينسلون » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : الشام (٥) فى ظ : من (٦) زيد من ظ .

كلهم ، فبليت أجسامهم ، و تفتتت[1] عظامهم ، كما كان من تقدمهم ، ثم نفخ [فيه -[2]] النفخة الثانية فجمعناهم من التراب بعد تمزقهم فيه ، و تفرقهم فى أقطار الأرض [3]بالسيول و الرياح[3] و غير ذلك ﴿ جمعا[4] ﴾ فأقناهم دفعة واحدة كلمح البصر ، و حشرناهم إلى الموقف للحساب ثم العقاب أو الثواب ﴿ و عرضنا ﴾ أى أظهرنا ﴿ جهنم يومئذ ﴾ أى إذ[4] جمعناهم لذلك ﴿ للكٰفرين عرضا ﴾ ظاهرا لهم كل ما فيها من الأهوال و هم لا يجدون عنها مصرفا ؛ ثم وصفهم / بما أوجب سجنهم فيها ٣٩٧/
° و تجهمها لهم ° فقال : ﴿ الذين كانت ﴾ ° كونا كأنه جبلة لهم ° ﴿ اعينهم ﴾ الوجهية و القلبية ﴿ فى غطآء عن ذكرى ﴾ بعدم النظر فيما جعلنا على الأرض من زينة دليلا على الساعة بافنائه[6] إثر إحيائه و إعادته بعد إبدائه ﴿ وكانوا ﴾ ° بما جبلناهم عليه ° ﴿ لا يستطيعون ﴾ ° أى استطاعة عظيمة تسعدهم ° ، لضعف عقولهم ، و غرق استبصارهم فى فضولهم ﴿ سمعا[4] ﴾ لآياتى[7] التى تسمع الصم و تبصر الكمه ، و هو أبلغ فى التبكيت بالغباوة[8] و التقريع بالبلادة من مجرد نفى البصر و السمع ، ° لأن ذلك لاينفى الاستطاعة ° ؛ ثم عطف على ما أفهمه ذلك

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : تفتت (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) فى ظ : فى حواصل الطيور و بطون السباع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذا .
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بافناه .
(٧) من ظ ومد، وفى الأصل : كما ياتى - كذا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالعبارة .

قوله [1]موبخا لهم و مبكتا[1]: ﴿ افحسب ﴾ أى أغطوا أعينهم عن آياتى و أصموا أسماعهم عن كلماتى، و عبدوا عبادى فحسبوا [1]لضعف عقولهم[1]، و إنما قال: ﴿ الذين كفروآ ﴾ دلالة على الوصف الذى أوجب لهم ذلك ﴿ ان يتخذوا ﴾ [1]أى و لو بذلوا الجهد[1] ﴿ عبادى ﴾ من الأحياء كالملائكة و عزير و المسيح، و الأموات كالأصنام.

[1]و لما كان كل شىء دونه سبحانه، و كان لا يستغرق شىء من الأشياء جميع ما دون رتبته من المراتب، أثبت الجار فقال[1]: ﴿ من دونى اولياء ﴾ [1]أى مبتدئين اتخاذهم من دون إذنى، و المفعول الثانى لـ "حسب" محذوف تقديره[1]: ينصرونهم و يدفعون عنهم و يجعلون بعضهم ولدا لى و [2]لا أعذبهم[2]. و لما كانت غاية اتخاذ الولى أن يفعل ما يفعل القريب من النصر و الحماية من كل مؤذ، جاز كون هذا سادا مسد مفعولى "حسب" لأن معناه: أحسبوا اتخاذهم مانعهم منى؟ و لما كان معنى الاستفهام الإنكارى: ليس الأمر كذلك، بل أصلد زندهم، و خاب جدهم، و غاب سعدهم، حسن جدا قوله مؤكدا [1]لأجل إنكارهم[1]: ﴿ انآ اعتدنا جهنم ﴾ التى تقدم أنا عرضناها[3] لهم ﴿ للكفرين نزلا ﴾ نقدمها لهم أول قدومهم[4] كما يعجل للضيف، فلا يقدر أحد على منعها عنهم، و لهم وراءها ما يحتقر بالنسبة إليه كما هو شأن ما بعد النزل بالنسبة إليه.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢ - ٢) من مد، وفى الأصل: لاعذبهم، و العبارة من هنا إلى «مانعهم منى» ساقطة من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عرضنا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: قدمهم.

و لما تبين بذلك الذى لا مرية فيه أنهم خسروا خسارة لا ربح معها ، و خاب ما كانوا يؤملون ، أمره أن ينبههم[1] على ذلك فقال : ﴿ قل هل ننبئكم[2] ﴾ [3] أى نخبركم أنا و كل عبد لله[4] ليست عينه فى غطاء عن الذكر ، و لا فى سمعه عجز عن الوعى ، إخبارا عظيما أيها التاركون من لا خالق و لا رازق لهم سواه ، و المقبلون[5] على من ليس بيده شىء من خلق و لا رزق و لا غيره ﴿ بالاخسرين ﴾ و لما كانت أعمالهم مختلفة ، فمنهم من يعبد الملائكة ، و منهم من يعبد النجوم ، و منهم من يعبد بعض الأنبياء ، و منهم من يعبد الأوثان ، و منهم من كفر بغير ذلك ، جمع المميز فقال : ﴿ اعمالا[5] ﴾ ثم وصفهم بضد ما يدعونه لأنفسهم من نجاح السعى[6] و إحسان الصنع فقال : ﴿ الذين ضل سعيهم ﴾ أى حاد[7] عن القصد فبطل ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ بالإعراض عمن[8] لا ينفعهم و لا يضرهم إلا هو ، و الإقبال على ما لا نفع فيه و لا ضر ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم مع ظهور ذلك كالشمس / ٣٩٨ ﴿ يحسبون ﴾ [9] لضعف عقولهم[9] ﴿ نهم يحسنون صنعا ﴾ [9] أى فعلا هو فى غاية الإحكام و هم فى غاية الدربة به[9] ؛ و روى البخارى فى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينبئهم (٢) فى ظ : انبئكم (٣) العبارة من هنا إلى « إخبارا عظيما » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : الله (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المبتلون (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : السي (٧) فى ظ و مد : جار (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : عما (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

التفسير عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه أن الأخسرين اليهود و النصارى، قال : أما اليهود فكفروا [1] بمحمد صلى الله عليه و سلم ، و أما النصارى فكفروا [1] بالجنة و قالوا : لا طعام [فيها - [2]] و لا شراب - انتهى . قلت : وكذا قال اليهود لأن الفريقين أنكروا الحشر الجسمانى

٥ و خصوه بالروحانى .

و لما كانوا ينكرون أنهم على ذلك ، لملازمتهم لكثير من محاسن الأعمال ، البعيدة عن الضلال ، بين لهم السبب فى بطلان سعيهم بقوله : ﴿ اولئك ﴾ [أى -[3]] [4]البعداء البغضاء[4] ﴿ الذين كفروا ﴾ [4]أى أوقعوا الستر و التغطية لما من حقه أن يظهر و يشهر ، مستهينين[4] ﴿ بايت ربهم ﴾

١٠ من كلامه و أفعاله ، و بين سبب هذا[5] الكفر بقوله : ﴿ و لقائه ﴾ أى فصاروا لا يخافون فلا يردهم شيء عن أهوائهم ﴿ فحبطت ﴾ أى سقطت [4]و بطلت و فسدت بسبب جحدهم للدلائل[4] ﴿ اعمالهم ﴾ لعدم بنائها على أساس الإيمان ﴿ فلا ﴾ أى فتسبب عن سقوطها أنا لا ﴿ نقيم لهم ﴾ بما لنا من [6]الكبرياء و العظمة[6] المانعين من اعتراض أحد علينا أو شفاعته[7]

١٥ بغير إذننا لدينا ﴿ يوم القيمة وزنا ﴾ [4]أى لا نعتبرهم[4] لكونهم جهلوا أمرنا الذى لا شيء أظهر منه ، و آمنوا مكرنا و لا شيء أخطر منه .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) زيد من ظ و الصحيح (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : العظمة و الكبرياء (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : شفاعة .

و لما كان هذ السياق فى الدلالة على أن لهم جهنم أوضح من الشمس قال : ﴿ذلك﴾ [1]أى الأمر العظيم الذى بيناه من وعيدهم[1] ﴿جزآؤهم﴾ لكن لما كان حاكما بضلالهم و غباوتهم ، بين الجزاء بقوله : ﴿ جهنم ﴾ و صرح بالسببية بقوله : ﴿ بما كفروا ﴾ [1]أى أوقعوا التغطية للدلائل[1] ﴿ و اتخذوآ ايٰتى ﴾ التى هى مع إنارتها أجد الجد و أبعد شىء عن ٥ الهزل ﴿و رسلى﴾ المؤيدين بباهر أفعالى مع ما لهم من الشهامة و الفضل ﴿ هزواه ﴾ فلم يكتفوا بالكفر الذى هو طعن فى الإلهية حتى ضموا إليه الهزء الذى هو أعظم احتقار .

و لما بين[2] ما لأحد قسمى أهل[3] الجمع [1]تنفيرا عنهم[1] ، بين ما للآخر على تقدير الجواب لسؤال تقتضيه الحال [1]ترغيبا فى اتباعهم ١٠ و الاقتداء بهم[1] ، فقال : ﴿ ان الذين امنوا ﴾ [1]أى باشروا الإيمان[1] ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لإيمانهم ﴿ الصٰلحٰت ﴾ [1]من الخصال[1] ﴿ كانت لهم ﴾ لبناء أعمالهم على الأساس ﴿ جنٰت ﴾ [4]أى بساتين[4] ﴿الفردوس﴾ أى [1]أعلى الجنة ، و أصله[1] البستان الذى هو الجنة بالحقيقة لانخفاض ما دونه عنه ، [1]و ستر من يدخله بكثرة أشجاره[1] ﴿ نزلا ﴾ ١٥ كما كان السعير و الأغلال لأولئك نزلا ، [1]يعد لهم حين الدخول[1] ﴿ خٰلدين فيها ﴾ بعد دخولهم ﴿ لا يبغون ﴾ [1]أى يريدون أدنى إرادة[1]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : ذكر (٣) فى ظ : احد ـ كذا .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و زيد بعده فى الأصل : اشجارها . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

﴿عنها حولا﴾ [أى تحولا -[1]] [2]لأنه لا مزيد عليها[2]، دفعا لما قد يتوهم [2]من أن الأمر كما فى الدنيا من[2] أن [2]كل أحد فى أىّ نعيم كان يشتهى ما هو أعلى / منه لأن[2] طول الإقامة قد يورث[3] السآمة، بل هم فى غاية الرضى بها، لما فيها من أنواع الملاذ التى لا حصر لها و لا انقضاء، لا يشتهى أحد منهم غير ما عنده سواء كان فى الفردوس أو فيما دونه، و هو تعريض بالكفرة[4] فى أنهم يصطرخون فى النار "ربنا اخرجنا منها[5]" و ذلك عكس ما كان فى الدنيا من ركون الكفار إليها، و محبتهم فى طول البقاء فيها، و عزوف المؤمنين عنها، و شوقهم إلى ربهم بمفارقتها.

/٣٩٩

و لما تم الجواب عن أسئلتهم على أحسن الوجوه مخللا بما تراه من [2]الحجج البينة[2] و النفائس الملزمة[6] لهم بفصل النزاع، و[2] اتبع ذلك بقص الأمر الذى باغفاله تجرأوا على الكفر، و هو أمر البعث إلى أن ختمه بما يقتضى أن معلوماته لا تحد، لأن مقدوراته فى تنعيم أهل الجنة لا آخر لها فلا تعد، و كان اليهود قد اعترضوا على قوله فى أولها[8] "و ما اوتيتم من العلم الا قليلا[9]" بأنهم أوتوا التوراة، و كان لكل ما[10] سألوا عنه من الفصول الطويلة الذيول أمور تهول، [و كان ربما -[11]] قال قائل: ما له لا يزيد ذلك شرحا؟ قال تعالى آمرا

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يودى (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الكفرة (٥) سورة ٢٣ آية ١٠٧ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الملازمة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل «او» (٨) بهامش ظ: أى الأسئلة (٩) سورة ١٧ آية ٨٥ (١٠) فى ظ: مما (١١) زيد من ظ و مد.

بالجواب

بالجواب عن ذلك كله، معلما لهم بأنهم لا يمكنهم الوقوف على تمام شرح شيء من معلوماته، وآخر استفصال شيء من مقدوراته، قطعا لهم عن السؤال، وتقريبا إلى أفهامهم بضرب من المثال[1]: ﴿قل﴾ أي يا أشرف [2]الخلق لهم[1]: ﴿لو كان البحر﴾ [1]أي ماؤه[1] على عظمته عندكم ﴿مدادا﴾ [1]وهو اسم لما يمد به الدواة من الحبر[1] ﴿لكلمت﴾ أي لكتب كلمات ﴿ربي﴾ أي[2] المحسن إليّ في وصف ذلك و[3] غيره مما تعتنوه في السؤال عما سألتم عنه أو غير ذلك ﴿لنفد﴾ أي فني [1]مع الضعف فناء لا تدارك له[1] ﴿البحر﴾ لأنه جسم متناه.

[4]ولما كانت المخلوقات - لكونها ممكنة - ليس لها من ذاتها إلا العدم، وكانت الكلمات من صفات[5] الله، وصفات الله واجبة الوجود، فكان نفادها محالا، فكان نفاد الممكن من البحر وما يمده بالنسبة إليها مستغرقا للأزمنة كلها، جرد الظرف من حرف الجر فقال: ﴿قبل ان تنفد﴾ [1]أي تفنى وتفرغ[1] ﴿كلمت ربي﴾ لأنها لا تتناهى لأن معلوماته ومقدوراته لا تتناهى، وكل منها له شرح طويل، وخطب جليل؛ [6]ولما لم يكن أحد غيره يقدر على إمداد[7] البحر قال: ﴿ولو جئنا﴾ أي[8] بما لنا من العظمة التي لا تكون لغيرنا ﴿بمثله مددا﴾ أي[8] له يكتب منه [9]لنفد أيضا، وهذا كله كناية عن عدم النفاد، لأنه تعليق

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ و مد (٣) في ظ: او.
(٤) العبارة من هنا إلى «البحر فقال» ساقطة من ظ (٥) في مد: صفة (٦) العبارة من هنا إلى «البحر قال» ساقطة من ظ (٧) من مد، وفي الأصل: مداد (٨) سقط من ظ (٩) العبارة من هنا إلى «ونحو هذا» ص ١٥٢ س ٢ ساقطة من ظ.

على محال عادة كقولهم : لا تزال على كذا ما بل بحر صوفة[1] و ما دجى الليل ، ونحو هذا ، ولعله عبر بجمع السلامة إشارة إلى أن قليلها بهذه الكثرة فكيف بما هو أكثر منه ، و ذلك أمر لا يدخل تحت وصف ، [2]و عبر بالقبل دون أن يقال «و لم تنفد» ونحوه ، لأن ذلك كاف فى قطعهم عن الاستقصاء فى السؤال و لأن التعبير بمثل ذلك ربما فتح بابا من التعنت و هو أن يجعلوا الواو للحال فيجعلوا النفاد مقيدا / بذلك ، و أما سورة لقمن[3] فاقتضى سياقها فى تأسيس ما فيها على "الغنى الحميد" و مقصودها أن يكون التعبير فيها بغير ما ههنا ، فما فى كل سورة أبلغ بالنسبة إلى سياقه ، مع أنه ليس فى إفصاح واحدة منهما ما يدل على نفاد الكلمات و لا[5] عدمه ، [و -[6]] فى إفهام كل منهما بتدبر القرائن فى السياق[7] و غيره ما يقطع بعدم نفادها ، و لا تخالف بين الآيتين و إن كان التعبير فى هذه السورة أدخل فى التشابه[8] ، و يجاب عنه بما قالوا فى مثل قول الشاعر «على لاحب[9] لا يهتدى بمناره» من أن ما فى حيز السلب لا يقتضى الوجود ، و لعل التعبير بمثل ذلك من الفتن المميزة بين من فى قلبه مرض و بين الراسخ الذى يرد المتشابه إلى المحكم ، و هو ما دل عليه البرهان القاطع من أن الله تعالى لا نهاية لذاته ، و لا لشىء من

٤٠٠ /

(١) من مد و اللسان [صوف] ، و فى الأصل : صفوفه (٢) العبارة من هنا إلى «والله أعلم» ص١٥٣ س١ ساقطة من ظ (٣) آية ٢٧ (٤) من مد و سورة لقمان آية ٢٦ ، و فى الأصل : معنى (٥) من مد ، و فى الأصل : ما (٦) زيد من مد. (٧) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) من مد ، و فى الأصل : الثناء (٩) من مد ـ و هو الطريق الواسع ، و فى الأصل : النصب .

صفاته ، بل هو الأول[١] و الآخر الباقى بلا زوال - و الله أعلم .

و لما كانوا ربما قالوا : ما لك لا تحدثنا من هذه الكلمات بكل ما نسألك عنه حيثما سألناك[٢] ؟ و كانوا قد استنكروا[٣] كون النبي بشرا، و جوزوا كون الإله[٤] حجرا ، [٥]و غيوا إيمانهم به بأمور سألوه فى الإتيان بها كما تقدم بعد أول مسائلهم ، و هى الروح آخر سبحن ، و كان قد ٥ ثبت باجابتهم عن المسائل على هذا الوجه أنه رسول[٥] . أمره سبحانه أن[٦] يجيبهم عن ذلك كله[٧] بما يرد عليهم [٨]غلطهم ، و يفضح شبههم[٨]، إرشادا لهم إلى أهم ما يعنيهم [٥]من الحرف الذى النزاع كله دائر عليه و هو التوحيد[٥] فقال : ﴿ قل انما انا ﴾ [٩]أى فى الاستمداد بالقدرة على إيجاد المعدوم و الإخبار[١٠] بالمغيب ﴿ بشر مثلكم ﴾ [١١]أى لا أمر لى و لا قدرة ١٠ إلا على ما يقدرنى عليه ربى ، و لا استبعاد لرسالتى من الله فان ذلك سنته فيمن قبلى[١١] ﴿يوحىٰ الىّ ﴾ [أى -[١٢]] من الله الذى خصنى بالرسالة كما أوحى إلى الرسل قبلى ما لا غنى لأحد عن علمه و اعتقاده ﴿ انما الهكم ﴾

(١) من مد . و فى الأصل : الايق له (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : سائلتك . (٣) فى ظ : استذكروا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : آلهة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (٧) سقط من ظ و مد (٨ - ٨) فى ظ : الامرين معا (٩) العبارة من هنا إلى « بالمغيب » ساقطة من ظ (١٠) زيد فى الأصل : و لااستبعاد ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها . (١١ - ١١) تكرر ما بين الرقمين فى مد بعد « قل انما انا » (١٢) زيد من مد .

[1]و أشار إلى أن إلهيته بالإطلاق لا بالنظر إلى[2] جعل جاعل و لا غير ذلك فقال: ﴿الله واحد ج﴾ أى[3] لا ينقسم بمجانسة و لا غيرها، قادر على ما يريد، لا منازع له، لم يؤخر جواب ما سألتمونى عنه من عجز و لا جهل و لا[4] هوان [بى - [5]] عليه - هذا هو الذى يعنى كلّ أحد
٥ علمه، و أما ما سألتم عنه من أمر الروح و القصتين تعنتا فأمر لو جهلتموه ما ضركم جهله، و إن اتبعتمونى علمتموه الآن و ما دل عليه من أمر الساعة إيمانا بالغيب علم اليقين، و علمتموه بعد الموت بالمشاهدة عين اليقين، و بالمباشرة حق اليقين، و إن لم تتبعونى لم ينفعكم علمه ﴿فمن﴾ أى فتسبب عن وحدته المستلزمة لقدرته أنه من ﴿كان يرجوا﴾
١٠ [6]أى يؤمن بمجازاته له على أعماله فى الآخرة برؤيته وغيرها[6]، و إنما قال: ﴿لقآء ربه﴾ تنبيها على أنه هو المحسن إلى كل أحد بالتفرد بخلقه و رزقه، لا شريك له فى شىء من ذلك على قياس ما نعلمه من أنه لا مالك إلا و هو قاهر لمملوكه على لقائه، مصرف له فى أوامره فى صباحه و مسائه.

/٤٠١/ [6]و لما كان الجزاء من جنس العمل، كان الواجب على العبد
١٥ الإخلاص فى عمله، كما كان عمل ربه فى تربيته بالإيجاد و ما بعده، فقال[6]: ﴿فليعمل﴾ [6]و أكده للاعلام بأنه لا بد مع التصديق من الإقرار فقال[6]: ﴿عملا﴾ أى[3] و لو كان قليلا ﴿صالحا﴾ و هو ما [7]يأمره به[7]

(١) العبارة من هنا إلى «ذلك فقال» ساقطة من ظ (٢) زيد فى الأصل: ما، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣) سقط من ظ (٤) سقط من مد (٥) زيد من ظ ومد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧-٧) من ظ ومد، وفى الأصل: يومن ربه - كذا.

من

[1]من أصول الدين و فروعه من التوحيد و غيره من أعمال القلب و البدن و المال[1] ليسلم من عذابه ﴿ و لايشرك ﴾ أى و ليكن ذلك العمل مبنيا على الأساس و هو أن لايشرك و لو بالرياء ﴿ بعبادة ربه احدا ﴾ فاذا عمل [ذلك -[2]] فاز فحاز علوم الدنيا و الآخرة ، و قد انطبق آخر السورة على أولها بوصف كلمات الله ثم ما يوحى إليه ، وكل منهما أعم من الكتاب بالأقومية للدعاء إلى الحال الأسلم ، فى الطريق الأقوم ، وهو التوحيد عن الشريك الأعم من الولد و غيره ، و الإحسان فى العمل ، مع البشارة لمن آمن ، و النذارة لمن أعرض عن الآيات و الذكر ، فبان بذلك أن لله[3] تعالى - بوحدانيته و تمام علمه و شمول قدرته صفات - الكمال ، فصح أنه المستحق لجميع الحمد - و الله الموفق ، [4]و الحمد لله على إتمام سورة الكهف من كتاب نظم الدرر من تناسب الآى و السور[4] .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الله (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و موضعه فى مد « تم الجزء الثانى من المناسبات للبقاعى آخر سورة الكهف ، و يتلوه أول الثالث سورة مريم عليها السلام ، و الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و على آله و صحبه و سلم ، و حسبنا الله و نعم الوكيل » .

سورة[1] مريم عليها السلام[2]

[3]مقصودها بيان اتصافه سبحانه بشمول الرحمة بافاضة[4] النعم على جميع خلقه، المستلزم للدلالة على اتصافه لجميع صفات الكمال، المستلزم لشمول القدرة على إبداع المستغرب، المستلزم [لتمام القدرة -[5]] الموجب للقدرة على البعث و التنزه[6] عن الولد [لأنه لا يكون إلا لمحتاج، و لا يكون إلا مثل الوالد -[5]]، و لا سمىّ له سبحانه فضلا عن مثيل[7]، و على هذا دلت تسميتها بمريم. لأن قصتها أدل ما فيها على تمام القدرة و شمول العلم، لأن أغرب ما فى المخلوقات و أجمعه خلقا الآدمى، و أعجب أقسام توليده [الأربعة -[8]] - بعد [9]كونه آدميا[9] - ما كان من أنثى بلا توسط ذكر، لأن ذلك أضعف الأقسام، و أغرب ذلك أن يتولد منها على ضعفها أقوى النوع و هو الذكر، و لاسيما إن أوتى قوة الكلام و العلم و الكتاب فى حال الطفولية، و أن يخبر بسلامته الكاملة فيكون الأمر كذلك، لم يقدر أحد - مع كثرة الأعداء - على[10] أن يمسه بشىء من أذى، هذا إلى[11] ما جمعته[12] من

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: السورة التى يذكر فيها (٢) هى التاسعة عشرة من سور القرآن، مكية مع الاختلاف الدائر حول استثناء بعض الآيات، و عدد آيها ثمان و تسعون عند العراقيين و الشاميين، و تسع و تسعون عند المكيين، و أما المدنيون فلهم قولان - راجع روح المعانى ٥ / ١٥١ (٣) زيد قبله فى الأصل: بسم الله الرحمن الرحيم و به الإعانة. و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: باضافة (٥) زيد من ظ و مد. (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الفترة (٧) فى مد: مثيله (٨) زيد من ظ. (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) سقط من مد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: اذا (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: جمعه.

إخراج الرطب فى غـير حينه من يابس الحطب ، و من إنباع الماء فى غير موضعه ، و على مثل ذلك أيضا دلت تسميتها بما فى أولها من الحروف ، بيان ذلك أن مخرج الكاف من أقصى اللسان مما يلى الحلق و يحاذيه من أسفل الحنك ، و هى أدنى من مخرج القاف قليلا إلى مقدم الفم ، و لها من الصفات الهمس و الشدة و الانفتاح و الاستفال ، و مخرج ٥ الهاء من أقصى الحلق لكنها أدنى من الهمزة إلى جهة اللسان قليلا ، و لها من الصفات [الهمس و الرخاوة و الانفتاح و الاستفال و الخفاء ، و مخرج الياء من وسط اللسان و وسط الحنك الأعلى ، و لها من الصفات الجهر و الرخاوة و الانفتاح و الاستفال ، و هو أغلب صفاتها ، و مخرج العين من وسط الحلق ، و لها من الصفات - [1]] /الجهر و بين الشدة و الرخاوة ١٠ / ٤٠٢ و الانفتاح و الاستفال ، و مخرج الصاد من طرف رأس اللسان و بين أصول الثنيتين السفليين ، و له من الصفات الهمس و الرخاوة و الإطباق و الاستعلاء و الصفير ، فالافتتاح بهذه الأحرف هنا إشارة - و الله أعلم - إلى أن أهل الله عامة - من ذكر منهم فى هـذه السورة و غيرهم - يكون أمرهم عند المخالفين أو لا - كما تشير إليه الكاف - ضعيفا مع شدة ١٥ و انفتاح كما كان حال النبى صلى الله عليه و سلم أول ما دعا ، فانه اشتهر أمره و لكنه كان ضعيفا بانكار قومه إلا أنهم لم يبالغوا فى الإنكار ، ثم يصير الأمر فى أوائل العراك - كما تشير إليه الهاء - إلى[2] استفال[3] ،

(١) زيد مابين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى مد : مع (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : استقبال .

ثم يزداد بتمالؤ المستكبرين عليهم ضعفا و خفاء ، و إلى هذا تشير قراءتها بالإمالة ، و لابد مع ذلك من نوع ظهور - كما يشير إليه انفتاح الهاء و إليه تشير قراءة الفتح ، و هذا كما كان النبي صلى الله عليه و على آله و سلم حين صرح بسب آلهتهم و تسفيه أحلامهم و تضليل آبائهم فقاموا عليه إلبا واحدا ، فهاجر[1] أكثر الصحابة رضى الله عنهم إلى الحبشة ، و خاف أبو طالب دهماء العرب فقال قصيدته اللامية[2] فى ذلك ، و تمادى الحال حتى ألجأتهم قريش إلى الشعب ، و[3] تكون فى وسط أمرهم - كما يشير إليه الياء و قراءتها بالفتح - لهم قوة مع رخاوة و اشتهار و استفال ، و هو الأغلب عليهم ظاهرا كما تشير إليه قراءة الإمالة ، فيكون ذلهم من وراء عز و عزهم فى ثوب ذل ، يعرف ذلك من عاناه ، و نظر إليه بعين الحقيقة و اجتلاه ، و هذا كما كان عند قيام من قام من قريش فى نقض الصحيفة الظالمة و إخراجهم من الشعب ، ثم عند موت خديجة رضى الله عنها و أبى طالب ، و خرج صلى الله عليه و سلم إلى الطائف فردوه - بأبى هو و أمى و نفسى و ولدى و عينى ، فلما قرب من مكة المشرفة لم يستطع دخولها بغير جوار ، فاختفى فى غار حراء و أرسل [إلى -[4]] من يجيره ، ثم أرسل حتى أجاره المطعم بن عدى ، و لبس السلاح هو و من أطاعه و أدخله صلى الله عليه و سلم حتى طاف بالبيت ، ثم قضى سبحانه أن قتل المطعم فى بدر كافرا - بعد اجتهاد النبي صلى الله عليه و سلم [فى سلامته -[4]] و الإيصاء به أن لا يقتل - ليعلم أنه سبحانه

(١) من ظ ، و مد و فى الأصل : فهم (٢) راجع سيرة ابن هشام ١/٩١ (٣) سقطت الواو من مد (٤) زيد من ظ و مد .

مختار فى عموم رحمته و خصوصها ، لئلا ييأس عاصٍ أو يأمن طائع ؛ ثم إذا علا أمرهم عن الوسط صاعدا قوى - كما تشير إليه العين ، فصار بين الشدة و الرخاوة ، و فيه انفتاح بشهرة مع استفال فى بعض الأمر كما كان حاله صلى الله عليه و سلم عند مبايعة الأنصار رضوان الله عليهم ، و أما آخر أمرهم فهو و إن كان فيه نوع من الضعف ، و ضرب ٥ من الرخاوة و اللين كما كان فى غزوة حنين و الطائف ، فانه تعقبه قوة عظيمة بالإطباق ، و استعلاء[1] و اشتهار يملأ الآفاق ، كما يشير إليه الصفير - هذا فى أهل الله عامة المذكورين فى هذه السورة و غيرهم ، و أما ما يخص عيسى عليه الصلاة و السلام الذى هو صورة سورتها و مطمح إشارتها [و سيرتها -[2]] فجعل الحروف / اللسانية من هذه ١٠ / ٤٠٣ الحروف أغلبها ثلاثة أحرف منها إشارة إلى أن إبراهيم عليه السلام بما أعطى فى نفسه و فى ذريته و لسان الصدق المذكور به هو لسان هذا الوجود ، و أن دولة آله الذين [عيسى عليه السلام من أعيانهم هى وسط هذا الوجود حقيقة و خيارا -[3]] . فموسى[5] عليه السلام أول أصحاب شرائعهم بمنزلة القاف التى هى من أقصى اللسان و له حظ كبير ١٥ منها ، فانه من أجله قتل أبناء[5] بنى إسراءيل و ولد فى سنة القتل ، و كان سبب هجرته و ابتداء سيره إلى الله تعالى قتله القبطى ، و قرب نجيا ، و من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاستعلاء (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : موسى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : انبياء .

صفاتها الجهر و الشدة و الانفتاح ، و[1] الاستعلاء و القلقلة[1] ، و هو عريق
فى كل من خيرات ذلك ، و داود عليه السلام ثانى ذوى كتبهم بمنزلة
الهمزة التى هى أبعد من مخرج الهاء إحدى هذه الحروف ، و هو أول
من جمع من بنى إسراءيل بين الملك و النبوة ، و له حظ من[2] صفاتها :
٥ الجهر و الشدة و الانفتاح ، بما كان فيه من الملك و الظهور ، و النصر
على الأعداء و عجائب المقدور ، و له حظ من وصفها بالاستفال فى أول
أمره و فى آخره بما كان من بكائه و تواضعه[3] و إخباته لربه و صلاحه ،
فالكاف هنا إشارة إلى أن عيسى عليه الصلاة و السلام هو ثانى الشارعين[4]
فى الوجود ، و الهاء عبارة عن أنه من عقب داود عليهما السلام ، و كل
١٠ منهما له حظ من صفات الحرف المشير إليه الدال عليه ، و الصاد التى
هى من طرف اللسان و هى خاتمة هذه الحروف إشارة بما فيها من
الإطباق المشير [إلى تطبيق الرسالة لجميع الوجوه ، و من الاستعلاء المشير -[5]]
إلى نهاية العظمة ، و الصفير المشير إلى غاية الانتشار و الشهرة إلى محمد
صلى الله عليه و سلم و إلى مقرر دينه و مجدده عيسى عليه السلام ،
١٥ [و تشير الكاف أيضا بما فيها[6] من الصفات إلى أن أول أمر عيسى عليه
السلام -[5]] يكون فيه مع الشدة ضعف ، ثم تشير أيضا الهاء - التى
هى[7] من أقصى الحلق - إلى أن أمره يبطن بعد ذلك الظهور و يخفى
بارتفاعه إلى السماء ، و يدل الاستفال على أنها قريبة إلى[8] السفلى ، و هو

(١-١) فى مد : الغلظة (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : فى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : نواحه (٤) فى ظ : السارحين (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى مد : فيه (٧) سقط من مد (٨) زيد فى الأصل : الذى هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

كذلك فإنه فى[1] الثانية بدلالة[2] رتبة الكاف و الهاء فى مخرجيهما، و تشير الياء بجهرها إلى ظهوره بنزوله ، و تدل بكونها من وسط اللسان على تمكنه فى أموره ، و باعتلائها على شىء فى ذلك و هو ضعف الأتباع و حصرهم[3] فى ذلك الوقت ، و تدل بانفتاحها و رخاوتها على ظهوره على الدجال فى أولئك القوم الذين قد جهدهم البلاء عند نزوله ، و مسهم الضر قبل حلوله ، و [4]تليح غلبةُ[4] الاستفال عليها إلى أمر ياجوج و ماجوج لما يوحيه الله إليه و إنى قد[5] أخرجت عبادا لى لا يدان لأحد بهم ، فحرز عبادى إلى الطور ، و تدل العين بكونها من وسط الحق على[6] انحصارهم ، و بجهرها على أنه لا سبيل للعدو عليهم و لا وصول بوجه إليهم ، و بما[7] فيها من البينية[8] و الاستفال على جهدهم مع[9] حسن العاقبة ، و تبشر[10] - بما فيها من الانفتاح - بحصول الفتح الذى ليس وراءه فتح ، و تدل الصاد بمخرجها على القوة الزائدة ، و بالهمس و الرخاوة على أنها قوة لا بطش فيها ، و بالإطباق و الاستعلاء على عموم الدين جميعَ الناس ، و بالصفير على أنه ليس وراء ذلك إلا النفخ فى الصور لعموم الهلاك لكل موجود مفطور . ثم لبعثرة القبور ، و تحصيل ما فى الصدور ، و كل هذا من ترتيب سنته سبحانه فى المصطفين من عباده على

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بدليل .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : حصره (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تمليح عليه (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٨) من ظ و مد . و فى الأصل : التنبيه (٩) فى مد : من (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : تشير .

٤٠٤ / هذا النحو البديع ، و ترتيب هذه الحروف على هذا / النظم الدال عليه دائر على القدرة التامة و العلم الشامل و الحكمة الباهرة ، رحمهم سبحانه بان نكّبهم[1] طريقَ الجبارين التى أوصلتهم إلى القسوة ، و جنّبهم سننَ المستكبرين التى تلجئ و لا بد إلى الشقوة ، فجعل نصرهم فى لوامع انكسار ، ٥ و كسرهم فى جوامع انتصار ، و حماهم من فخامة دائمة تجر إلى بذخ و علو و استكبار ، و من رقة ثابتة تحمل على ذل و سفول و صغار ، فلقد انطبق الاسمان[2] على المسمى ، و اتضحا غاية الاتضاح[3] فى أمره و نما ، [4]و هذا معنى ما قال الكلبى : هو ثناء أثنى الله به على نفسه[4] . ﴿بسم الله﴾ المنزه عن كل شائبة نقص ، القادر على كل ما يريد ﴿الرحمن﴾ الذى ١٠ عم[5] نواله سائر مخلوقاته ﴿الرحيم﴾ الذى اختص الصالحين من عباده ، بما يسعد من مراده .

لما كان مقصود التى[6] قبلها الدلالة على أن القرآن قيم لا عوج فيه ، و به تمام الانتظام فى نعمة الإبقاء الأول ، و دل على ذلك بأنه ساق المسؤل عنه من القصص أحسن سوق ، و كشف عن مخبأته ١٥ القناع[7] أبدع كشف - إلى غير ذلك مما خلله[8] به من بدائع الحكم وغرائب

(١) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : الاسماء (٣) من مد ، وفى الأصل وظ : الايضاح (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و تأخر فى الأصل عن « كل ما يريد » و الترتيب من مد ؛ و أما قول الكلبى هذا فذكره بصيغة المجهول فى المعالم - راجع اللباب ٤ / ١٩٣ .
(٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : يعم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى .
(٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : الفتاح (٨) من مد ، وفى الأصل وظ : جلله .

المعانى فاضحةً لمن ادعى لله سبحانه ولدا ، و ختمها بمثل ذلك من وصف الكتاب و التوحيد - النافى لقبول التعدد بولد أو غيره بكل اعتبار - و العمل الصالح ، ابتدأ هذه بالكشف عن أغرب من تلك القصص ، تحقيقا[1] لآية "ام حسبت ان اصحب الكهف و الرقيم كانوا من اٰيٰتنا عجبا" بسياق غير ما تقدم فيما مضى من السور ، و جزئيات لم تذكر إلا فيها مع عدم ٥ المخالفة لما مضى ، تأييدا لأن كلماته لا تنفد ، و عجائبه لا تعد و لا تحد ، و أنه لو كان من عند غيره لاختلف ، مع أن أهلها سادة الموحدين ، و قادة المصلحين المتقين الذين عملوا الصالحات ، و نفوا الشرك و شرعوا ذلك للناس ، فرحمهم ربهم سبحانه ، و كلهم ممن يعتقده اليهود الآمرون لقريش بالسؤال عن أصحاب الكهف و ذى القرنين تعنتا . أما من عدا عيسى عليه ١٠ الصلاة و السلام فواضح ، و أما عيسى عليه السلام فيعتقدون أنه ما أتى بعد و أنه سيأتى ، و يكون الناس فى أيامه على دين واحد تصديقا لوعد التوراة الآتى بيانه ، و ذلك على وجه مستلزم فى أكثرها تنزهه تعالى عن الولد ، و قدرته على البعث ، و بدأها بقصة من خرق له العادة فى الولد على وجه مبين أنه لا يحتاجه إلا فانٍ حسا أو معنى يريد أن يخلفه فيما تعسر ١٥ عليه فعله أو تعذر ، و كان تقديم قصته اولى لأن التبكيت به أعظم لمباشرتهم لقتله و قتل ابنه يحيى عليهما الصلاة و السلام ، و إشارة إلى أن العمل الصالح المؤسس[2] على التوحيد ضامن لإجابة الدعاء و إن كان فيه خرق العادة ، و ثنى بأمر من نسبوه إليه و افتروه[3] عليه و قصدوا قتله على

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : تصديقا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الموسر (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : افتروا .

وجه معرب عن شأنه غاية الإعراب. مبين فيه وجه الصواب، متمما لتبكيت اليهود الآمرين لقريش بالتعنت بالسؤال بالإشارة إلى قتل زكريا و يحيى عليهما الصلاة و السلام و ادعاء صلب[1] المسيح الذى بشرت به التوراة، و هم الآن ينتظرونه و يدعون أنهم /أخص الناس به، و قذف /٤٠٥
٥ أمه - و حاشاها - دالا بذلك على القدرة على البعث؛ قال فى التوراة فى آخر السفر الأول[2]: إن يعقوب عليه الصلاة و السلام أخبر بقرب وفاته و قال لبنيه: اجتمعوا إلىّ فأبين لكم ما هو كائن من أمركم فى آخر الأيام، اجتمعوا و اسمعوا يا بنى يعقوب! أنصتوا لإسرائيل أبيكم! ثم قال: يا يهوذا! لك يعترف[3] إخوتك بتعالى يدك على رقاب أعدائك. و ليسجد[4]
١٠ لك بنو أبيك، شبل الليث يهوذا، كما أنه خلص ابنى من القتل، ربض و جثم مثل الضرغام و مثل شبل الليث، من ذا يقيمه عن فريسته، لا يزول[5] القضيب من آل يهوذا، لا يعدم سبط يهوذا ملكا مسلطا و أفخاذه نبيا مرسلا حتى يأتى الذى له الملك - و فى نسخة: الكل - و إياه تنتظر الشعوب، يربط[6] بالجبلة[7] جحشه، عيناه أشد شهولة من الخمر،
١٥ و أسنانه أشد بياضا من اللبن - هذا نصه، و عند اليهود أنه المسيح، و يسمونه مع ذلك المنتظر و المهدى. و عندهم أنه ينصرهم و يخلصهم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لصلب (٢) راجع الأصحاح التاسع و الأربعين (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تقرف (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: لتسجد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يزال (٦) فى مد: تربط (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها.

مما هم فيه من الذل ، فقلت لبعضهم : أشهد أنه المسيح ابن مريم الذى أتى و تبعه النصارى و عاديتموه حتى رفعه الله تعالى ، [فقال - [1]] الذى فى التوراة أنه [2] يكون له الكل ، و عيسى ما كان كذلك ، فقلت : إنه يكون له الكل حين ينزل تابعا لدينا من حيث أنه لا يقبل إلا الإسلام ، فيُطبِق أهلُ الأرض على اتباعه عليه ، و يسعد به منكم من يتبعه ، و يزول عنه الذل ، و هذا لا ينافى كلام التوراة فانه لم يقيد ذلك بساعة إتيانه . فلم يقبل ذلك ، ثم إنه أتى إلىّ يوما بكتاب من كتبهم فى شرح سفر الأنبياء فقال فى الكلام على [3] البشائر المتعلقة بالمسيح « و لا يبعد أن يبدو لإسرائيل ثم يختفى ثم يظهر فيكون له الكل » فقلت له : انظر و تبصر ! هذا عين ما ذكرته لك من قبل . فبهت لذلك فقلت : أطعنى و أسلم ! ففكر ثم قال : حتى يريد الله تعالى .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه : لما قال تعالى "ام حسبت ان اصحٰب الكهف و الرقيم كانوا من اٰيٰتنا عجبا" ثم أورد خبرهم و خبر الرجلين و موسى و الخضر عليهما السلام و قصة ذى القرنين ، اتبع سبحانه ذلك بقصص تضمنت من العجائب [ما هو اشد عجبا - [1]] و أخفى سببا ، فافتتح سورة مريم بيحيى بن زكريا و بشارة زكريا به بعد الشيخوخة و قطع الرجاء و عقر [4] الزوج حتى سأل زكريا مستفهما و متعجبا "انّى يكون لى غلٰم و كانت امراتى عاقرا و قد بلغت من الكبر عتيا"

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : الذى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عقد .

فأجابه تعالى بأن ذلك عليه هين ، و أنه يجعل ذلك آية للناس . و أمر هذا اعجب من القصص المتقدمة ، فكان قد قيل : أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف و الرقيم كانوا من آياتنا عجبا ، نحن نخبرك [بخبرهم و نخبرك -[1]] بما هو أعجب و أغرب و أوضح آية ، و هو قصة زكريا فى ابنه ٥ يحيى عليهما الصلاة و السلام ، و قصة عيسى[2] فى كينونته بغير أب ، ليُعلَم أن الأسباب فى الحقيقة لا يتوقف عليها شىء من مسبياتها إلا بحسب سنة الله ، و إنما الفعل له سبحانه لا بسبب ، و إلى هذا أشار قوله تعالى لزكريا عليه الصلاة و السلام " و قد خلقتك من قبل و لم تك شيئا " ثم[3] اتبع سبحانه / بشارة زكريا بيحيى بايتائه[4] الحكم صبيا ، ثم بذكر /٤٠٦ ١٠ مريم[5] و ابنها عليهما الصلاة و السلام ، و تعلقت الآى بعد إلى انقضاء السورة - انتهى .

و لما كانت هذه السورة تالية[6] للسورة الواصفة للكتاب - الذى به نعمة الإبقاء الأول - بالاستقامة البالغة . افتتحها بالأحرف المقطعة ، كما افتتح السورة التى تلى أم الكتاب ، الداعيةَ إلى الصراط المستقيم ، ١٥ الواصفةَ[7] الكتابَ بالهدى الضامن للاستقامة ، و التى تلى واصفته ، و [التى -[8]]

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : و امه عليهما الصلاة و السلام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : باتيانه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمريم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : خالية (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : و واصفة (٨) زيد من مد .

تلى الأنعام المشيرة إلى نعمة الإيجاد الأول، فقال: ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ و هى خمسة أحرف على عددها مع تلك السور[1]، و هى جامعة النعم، و واصفة الكتاب، و ذات النعمة الأولى، و ذات النعمة الثانية، كما افتتحت الأعراف التالية لذات النعمة الأولى بأربعة على عددها مع [ما قبلها من -[2]] الأم [الجامعة -[2]] و الواصفه [و ذات النعمة الأولى، و كما افتتحت آل عمران التالية للواصفة بثلاثة على عددها مع الأم و الواصفة -[2]] ﴿ ذكر ﴾ أى هذا الذى أتلوه عليكم ذكر ﴿ رحمت ربك ﴾ [أى -[3]] المحسن إليك بالتأييد بكشف الغوامض و إظهار الخبء ﴿عبده﴾ منصوب برحمة[4]، لأنها مصدر بنى على التاء[5]، لا أنها دالة على الوحدة ﴿زكريا﴾ [أى -[3]] ابن ماثان[6]، جزاء له على توحيده و عمله الصالح الذى حمله عليه الرجاء للقاء ربه، و الرحمة منه سبحانه المعونة و الإجابة و الإيصال[7] إلى المراد و نحو ذلك من ثمرات الرحمة المتصف بها العباد ﴿اذ نادى﴾

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: السورة (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤) فى مد: برحمته (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الياء (٦) فى الكشاف: و كان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب بن إسحاق، و قيل: هو يعقوب بن ماثان أخو زكريا، و قيل: يعقوب هذا و عمران أبو مريم أخوان من نسل سليمان بن داود. و فى روح المعانى ٥/١٥٣: و زكريا عليه السلام من ولد سليمان بن داود عليهما السلام، و أخرج الحاكم و صححه عن ابن مسعود أنه آخر أنبياء بنى إسرائيل و هو ابن آزر بن مسلم من ذرية يعقوب، و أخرج إسحاق بن بشر و ابن عساكر عن ابن عباس أنه ابن دان (٧) زيد فى الأصل: منه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

ظرف الرحمة ﴿ربه﴾ .

و لما قدم تشريفه بالذكر و الرحمة و الاختصاص بالإضافة إليه فدل ذلك[1] على كمال القرب ، قال : ﴿نداء خفيا ٥﴾ أى كما يفعل المحب القريب مع حبيبه المقبل عليه فى قصد[2] خطاب السر الجامع بين شرف المناجاة[3] و لذاذة الانفراد بالخلوة ، فاطلع سبحانه عليه لأنه يعلم السر و أخفى ، فكأنه قيل : ما ذلك النداء ؟ [4]فقيل : ﴿قال رب﴾ بحذف الأداة للدلالة على غاية القرب ﴿انى وهن﴾ أى ضعف جدا ﴿العظم منى﴾ [5]أى هذا الجنس الذى[5] هو أقوى ما فى بدنى ، [6]و هو أصل بنائه[6] ، فكيف بغيره ! [و لو جمع لأوهم أنه وهن مجموع عظامه لا جميعها - [7]] ﴿و اشتعل الراس﴾ أى شعره[8] منى ﴿شيبا و لم اكن﴾ فيما مضى قط مع صغر السن ﴿بدعآئك﴾ [6]أى بدعائى إياك[6] ﴿رب شقيا ٥﴾ فأجرنى[9] فى هذه المرة[10] أيضا على عوائد فضلك ، [11]فان المحسن يربى[12] أول إحسانه بآخره [12]و إن[13] كان ما ادعوا به فى غاية البعد فى العادة ، لكنك فعلت مع أبى إبراهيم عليه السلام مثله ، [6]فهو دعاء و شكر و استعطاف[6] ؛ ثم عطف

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تلك (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : قصده (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المناداة (٤) زيد بعده فى الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥-٥) فى ظ « و » (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد من مد (٨) سقط من ظ (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : فاخبرنى (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : المدة . (١١) العبارة من هنا إلى « بآخره » ساقطة من ظ (١٢) من مد ، و فى الأصل : ربى (١٣-١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فان .

على " انى وهن " قوله : ﴿ و انى خفت الموالى ﴾ أى فعل[1] الأقارب أن يسيئوا الخلافة ﴿ من ورآءى ﴾ أى [2]فى بعض الزمان الذى [3]بعد موتى[3] ﴿ و كانت امرأتى عاقرا ﴾ لاتلد [أصلا - بما دل عليه فعل الكون -[4]] ﴿ فهب لى ﴾ أى فتسبب - عن شيخوختى و ضعفى و تعويدك[5] [لى -[4]] بالإجابة ، و خوفى من سوء خلافة أقاربى ، و يأسى عن الولد عادة بعقم امرأتى ، و بلوغى من الكبر حدا لاحراك بى معه - أنى أقول لك يا قادرا على كل شىء : هب لى ﴿ من لدنك ﴾ أى من الأمور المستبطنة المستغربة التى عندك ، لم تجرها على مناهج العادات و الأسباب المطردات ، لا من جهة سبب أعرفه ، فان أسباب ذلك عندى معدومة . و قد تقدم فى آل عمران لذلك مزيد بيان ﴿ وليا ﴾ ٤٠٧ / ١٠ [أى -[4]] من صلبى بدلالة " ذرية " فى السورة الأخرى[6] ﴿ يرثنى ﴾ فى جميع ما أنا فيه من العلم و النبوة و العمل ﴿ و يرث ﴾ زيادة على ذلك ﴿ من آل يعقوب عليه السلام ﴾ جدنا مما خصصتهم به من المنح . و فضلتهم به من النعم ، من محاسن الأخلاق و معالى الشيم ، و خص اسم يعقوب اقتداء به نفسه إذ قال ليوسف عليهما الصلاة و السلام " و يتم نعمته عليك ١٥ و على آل يعقوب[7] " و لأن إسرائيل صار علما على الأسباط كلهم ،

---

(١) من مد ، و فى الأصل : فعلة ، و الكلمة ساقطة من ظ (٢) العبارة من هنا إلى «بعد موتى» ساقطة من ظ (٣ - ٣) فى مد : بعدى (٤) زيد من مد (٥) من مد ، و فى الأصل : يعويدك ، و فى ظ : تعويدى (٦) راجع سورة ٣ آية ٣٨ . (٧) آية ٦ .

و كانت قد غلبت عليهم الأحداث ؛ و قد استشكل القاضى العضد[1] فى «الفوائد الغياثية» كونَ "يرث" على قراءة الرفع صفة بأنه يلزم عليه عدم إجابة دعائه عليه الصلاة و السلام لأن يحيى عليه السلام قتل فى حياته، و لا يكون وارثا إلا إذا تخلف بعده، و قد قال تعالى "فاستجبنا له و وهبنا له يحيى[2]" قال: فتجعل[3] استئنافية، و لا يلزم حينئذ إلا خلف ظنه عليه السلام - هكذا نقل لى عنه، و أنا أجلّه[4] عن ذلك، لأنه [لا -[5]] يلزم تخلف دعائه، و لا يتجرأ على على[6] مقامه باخلا ف ظنه، لأن الإخبار عن قتله قبله إن كان عن النبى صلى الله عليه و سلم وصح السند، كان [تسمية -[5]] العلم الذى أخذه عنه فى حياته إرثا مجازا مرسلا باعتبار ما يؤل إليه فى الجملة، لاسيما مع جواز أن يكون يحيى عليه السلام علّمه لمن عاش بعد أبيه عليهما الصلاة و السلام. و ذلك لأن النبى صلى الله عليه و سلم سمى العلم إرثا على وجه الاستعارة التبعية بقوله عليه الصلاة و السلام «العلماء ورثة الأنبياء[7]»، و لا شك أن[8] من ضرورة تعلم العلم حياة المأخوذ عنه. و لم يرد منعٌ من تسميته إرثا حال الأخذ. هذا إذا صح

(١) هو القاضى عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجى المتوفى سنة ٧٥٦، و كتابه منسوب إلى غياث الدين وزير سلطان محمد خدا بنده - راجع كشف الظنون.

(٢) سورة ٢١ آية ٩٠ (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: فيجعل (٤) فى هامش ظ: الضمير فى «أجله» يرجع إلى القاضى العضد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: علو (٧) و الحديث من الاستفاضة بحيث لا يفتقر إلى تعليق.

(٨) من مد، و فى الأصل و ظ: أنه.

أن

أن يحيى عليه السلام مات قبل زكريا عليه السلام ، و حينئذ يأول " من وراءى " بما غاب عنـــه ، أى عجزت عن تتبع[1] أفعال الموالى بنفسى فى حال الكبر ، و خفت سوء فعلهم إذا خرجوا من عندى و غابوا عنى ، فهب لى ولدا يكون متصفا بصفاتى ، فكان ما سأله ، و إن لم يصح موته قبله بالطريق المذكور[2] لم يصح أصلا ، و ينتفى الاعتراض رأسا ، فان ٥ التواريخ القديمة إنما هى عن اليهود فهى لا شىء ، مـع أن البغوى نقل فى أول [تفسير[3]] سورة بنى إسراءيل[4] ما يقتضى موت زكريا قبل يحيى عليهما الصلاة و السلام فانه قال : آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا و يحيى و عيسى عليهم الصلاة و السلام ، و كانوا من بيت آل داود عليه السلام فمات زكريا عليه السلام ، و قيل : قتل ، فلما رفع الله ١٠ عيسى عليه الصلاة و السلام من بين أظهرهم و قتلوا يحيى ابتعث[5] الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش[6] فسار إليهم[7] بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤس جنوده يدعى بيوزردان[8] صاحب الفيل فقال : إنى كنت قد حلفت بالهى : لئن أنا ظهرت[9]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسع (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤) راجع معالم التنزيل على هامش اللباب ٤/١١٦ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : انبعث ، و فى المعالم : بعث (٦) من المعالم ، و فى النسخ كلها : خردوس (٧) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : فيهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بيوزوان ، و فى المعالم : بيورزاذان . (٩) فى المعالم : ظفرت .

على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى إلا أن لا أجد أحدا أقتله ، فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ، و أن بيوزردان[1] دخل بيت المقدس فقام فى البقعة / التى كانوا يقربون فيها قربانهم ، فوجد فيها دما يغلى فقال : يا بنى إسرائيل ! ما شأن هذا الدم [يغلى -[2]] ؟ قالوا : هذا دم قربان لنا قربناه فلم يقبل منا ، فقال : ما صدقتمونى ، قالوا : لو كان كأول[3] زماننا لتقبل منا ، و لكن قد انقطع منا الملك و الوحى فلذلك لم يقبل منا ، فذبح منهم بيوزردان على ذلك الدم سبعمائة[4] و سبعين رجلا[5] من رؤسهم فلم يهدأ ، فأتى بسبعمائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من شيبهم[6] و أزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ، فلما رأى بيوزردان أن الدم لا يهدأ قال لهم : يا بنى إسرائيل ! ويلكم ! اصدقونى و اصبروا على[7] أمر ربكم . فقد طال ما ملكتم الأرض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافخ نار أنثى و لا ذكر إلا قتلته ، فلما رأوا الجد و شدة القتل [صدقوا الخبر - [8]] فقالوا : إن هذا دم نبى كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله عز و جل ، فلو أطعناه[9] فيها لكان أرشد لنا ،

/٤٠٨

(١) هنا و فيما يأتى من المعالم: بيورزادان (٢) زيد من ظ و مد و المعالم (٣) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : اول (٤) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : ماية (٥) من المعالم ، و فى الأصل و مد : زوجا ، و فى ظ : رجلا - كذا (٦) من المعالم ، و فى النسخ كلها : سبيهم (٧) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و المعالم فحذفناها (٨) زيد من مد و المعالم (٩) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : طعناه - كذا .

وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه فقتلناه[1] فهذا دمه ، فقال لهم بيوزردان : ما كان اسمه؟ قالوا : يحيى بن زكريا ، قال : الآن صدقتمونى ، بمثل هذا ينتقم[2] منكم ربكم ، فلما رأى بيوزردان أنهم صدقوه خر ساجدا[3] و قال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة و أخرجوا من كان ههنا من جيش خردوش ، و[4]خلا فى بنى إسرائيل[4] ، ثم قال : يا يحيى بن زكريا ! قد علم ربى ٥ و ربك ما قد أصاب قومك من أجلك و ما قتل منهم فاهدأ باذن الله قبل أن لا أبقى من قومك أحدا ، فهدأ الدم باذن الله تعالى ، و رفع بيوزردان عنهم القتل و قال : آمنت بالذى[5] آمن به بنو إسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره . و قال لبنى إسراءيل : إن خردوش[6] أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره ، و إنى لست أستطيع أن ١٠ أعصيه[7] ، قالوا له[8] : افعل ما أمرت به ، فأمرهم فحفروا خندقا و أمر بأموالهم من الخيل و البغال و الحمير و الإبل و البقر و الغنم ، فذبحها حتى سال الدم فى العسكر ، و أمر بالقتلى الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم ، فلم يظن خردوش إلا أن ما فى الخندق من بنى إسراءيل ، فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى بيوزردان أن ارفع عنهم القتل ، ثم انصرف ١٥ إلى بابل و قد أفنى بنى إسراءيل أو كاد .

---

(١) سقط من ظ (٢) فى المعالم : انتقم (٣) زيد فى الأصل : لله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد و المعالم فحذفناها (٤-٤) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : خلى من بنى (٥) من المعالم ، و فى النسخ : بما (٦) من المعالم ، و فى النسخ هنا و فيما يأتى : خردوس (٧) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : اغضبه (٨) سقط من مد .

فهذا كما ترى ظاهر فى أن يحيى تخلف بعد أبيه عليهما الصلاة و السلام وكذا ما تقدم فى آل عمران عن الإنجيل فى قصة ولادته .

و لما ختم دعاءه بقوله : ﴿ و اجعله رب ﴾ [أى أيها المحسن إلى - [1]] ﴿ رضياه ﴾ أى [2]بعين الرضا منك[2] دائما حتى يلقاك على ذلك ، قيل فى جواب من كأنه قال : ما ذا قال له ربه الذى أحسن الظن به ؟ : ﴿ يٰزكريآ انا ﴾ أى[3] على ما لنا من العظمة ﴿ نبشرك ﴾ إجابة لدعائك ؛ و قراءة[4] الجماعة غير حمزة بالتشديد أوفق من قراءة حمزة للتأكيد الذى جىء به ، لأن المبشر به لغرابته جدير بالإنكار ﴿ بغلٰم [5]اسمه يحيىٰ[5] ﴾ ثم وصفه بما عرف به أن مما شرفه به أن ادخر له هذا الاسم فقال : ﴿ لم نجعل له ﴾ فيما مضى ، [6]و لعله أتى بالجار الدال على التبعيض تخصيصا لزمان بنى إسراءيل قومه[6] [فقال -[5]] : ﴿ من قبل سمياه ﴾ فكأنه قيل : ما قال فى جواب هذه البشارة العظمى ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ عالما بصدقها طالبا لتأكيدها ، و التلذيذ بترديدها ، و هل ذلك من امرأته أو غيرها ؟ و هل إذا كان منها[6] يكونان على حالتهما من الكبر أو غيرها غير طائش و لا عجل : ﴿ رب ﴾ أى[7] المحسن إلىّ باجابة دعائى دائما ﴿ انىٰ ﴾ أى

/ ٤٠٩ /

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من مد ، و العبارة من هنا بما فيها « أى » إلى « من العظمة » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : قرأ ، و العبارة من هنا بما فيها « و قراءة » إلى « جدير بالإنكار » ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) زيد فى ظ : فهل (٧) سقط من مد ، و العبارة من هنا بما فيها « أى » إلى « دائما » ساقطة من ظ .

من أين [١]وكيف و على أىّ حال[١] ﴿ يكون لى غلٰم ﴾ يولد لى [٢]على غاية القوة و النشاط و الكمال فى الذكورة[٢] ﴿ وكانت ﴾ [أى -[٣]] و الحال أنه كانت ﴿ امراتى ﴾ إذا [٤] كانت شابة ﴿ عاقرا ﴾ غير قابلة للولد عادة [٥]و أنا و هى شابان فلم يأتنا ولد لاختلال أحد السببين[٥] فكيف بها و قد أسنت ! ﴿ و قد بلغت ﴾ أنا ﴿ من الكبر عتيا ﴾ أى أمرا ٥ [فى اليبس -[٦]] مجاوزا للحد هو غاية [٧]فى الكبر[٧] ما بعدها غاية ، و قد حصل من ذلك من [٨]الضعف و يبس[٨] الأعضاء و قحلها ما يمنع فى العادة من حصول الولد [٥]مطلقا لاختلال السببين معا فضلا عن أن يصلح لأن يعبر عنه بغلام[٥]؛ قال [البغوى -[٣]] فى آل عمران[٩]: و قال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما: كان ابن عشرين و مائة سنة ، ١٠ و كانت امرأته بنت ثمان و تسعين سنة[١٠]؛ و قال الرازى فى اللوامع : إن هذا على الاستخبار [١١]أيعطيه[١١] الله الولد بتلك الحال أم يقلبه شابا؟ ولله تعالى فى كل صنع تدبيران : أحدهما المعروف الذى يسلكه الناس من

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و تأخر فى الأصل عن «يولد لى» و الترتيب من مد (٢-٢) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على «يكون لى » و الترتيب الذى رتبناه هو الأوفق للسياق (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ ، و فى الأصل و مد : اذ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من مد (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : للكبر (٨-٨) من مد ، و فى الأصل : الياس و الضعف فى ، و فى ظ : يبس (٩) راجع المعالم على هامش اللباب ١/٢٩٠ (١٠) سقط من مد (١١-١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعطيه .

توجيه الأسباب إلى المسببات ، و الآخر يتعلق بالقدرة المحضة ، و لا يعرفه إلا أهل الاستبصار - انتهى . ﴿قال كذلك ج﴾ أى[1] الأمر ؛ ثم علله[2] بقوله : ﴿قال ربك﴾ [أى -[3]] الذى عودك بالإحسان ، [و ذكر مقول القول فقال -[3]] : ﴿ هو ﴾ [4]أى [5]خلق يحيى منكما على هذه الحالة[5]

٥ [6]﴿عـلىّ﴾ أى خاصـة ﴿ هين ﴾ لا فرق عندى بينه و بين غيره ﴿ و قد خلقتك ﴾ أى قدرتك[6] و صورتك [و أوجدتك -[3]] .

و لما كان القصد تشبيه حاله بالإتيان منه بولد على ضعف السبب بتقديره من النطفة على ضعف سببيتها [لكونها -[3]] تارة تثمر و تارة لا ، و هو الأغلب ، أتى بالجار إشارة إلى ذلك فقال : ﴿من قبل﴾ [أى

١٠ قبل -[7]] [8]هذا الزمان[8] ﴿و لم﴾ أى و الحال أنك لم . و لما كان عليه السلام شديد التشوف لما يلقى عليه من المعنى فى هذه البشرى ، أوجز له حتى بحذف النون [و ليثبت أنه ليس له من ذاته إلا العدم المحض ، و ينفى أن يكون له من ذاته وجود و لو على أقل درجات الكون لاقتضاء حاله فى هذا التعجب لتـذكيره فى ذلك فقال -[9]] : ﴿ تك شيئا ﴾

---

(١) سقط من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : علل (٣) زيد من مد .

(٤) العبارة من هنا إلى « ذلك فقال » ساقطة من ظ (٥-٥) ما بين الرقمين ورد فى الأصل قبل « من قبل » . و فيه « بخلق » موضع « خلق » . و الترتيب من مد .

(٦-٦) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « ذلك فقال » و الترتيب من مد .

(٧) زيد من ظ و مد (٨-٨) فى ظ : وجودك (٩) زيد ما بين الحاجزين من مد ، و زيد فى ظ : فقال - فقط .

أى[1] [يعتد به -[2]] ، [3]ثم أبرزتك[3] على ما أنت عليه حين أردت ، فتحقق بهذا أنه من امرأته هذه العاقر فى حال كونهما شيخين ، ثم قيل جوابا لمن كأنه قال : ما قال بعد علمه بذلك ؟ : ﴿ قال رب ﴾ [4]أى [أيها -[2]] المحسن إلىّ[5] بالتقريب ! ﴿ اجعل لىّ ﴾ على ذلك ﴿ آية[6] ﴾ [5]أى علامة[5] تدلنى على وقوعه ﴿ قال ﴾ [5]أى الله[5] : ﴿ آيتك ﴾ على وقوع ذلك ٥ ﴿ الا تكلم الناس ﴾ أى لا تقدر على كلامهم .

[5]و لما بدئت السورة بالرحمة ، و كان الليل محل تنزلها « ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فيقول » - الحديث ، قال :[5] ﴿ ثلث ليال ﴾ [أى بأيامها - كما دل عليه التعبير بالأيام[6] فى آل عمران -[2]] حال كونك ﴿ سويا ﴾ من غير خرس و لا مرض و لا حبسة عن مطلق الكلام ، بل تناجى ١٠ ربك فيها بتسبيحه و تحميده و تلاوة كتابه وكل ما أردت من مثل ذلك وكذا من عدا الناس من الملائكة و غيرهم من صالح عباد الله ، [7]و جعلت الآية الدالة عليه سكوتا عن[8] غير ذكر الله دلالة على إخلاصه و انقطاعه بكليته إلى الله دون غيره ﴿ فخرج ﴾ عقب إعلام الله له بهذا ﴿ على قومه ﴾ [أى عاليا على العلية منهم -[2]] ﴿ من المحراب ﴾ [9]الذى كان[9] / فيه ١٥ / ٤١٠ و هو صدر الهيكل و أشرف ما فيه ، و هو منطلق اللسان بذكر الله منحبسه

(١) سقط من ظ (٢) زيد من مد (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم ابرزبك (٤) العبارة من هنا إلى « بالتقريب » ساقطة من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) آية ٤١ (٧) العبارة من هنا إلى « دون غيره » ساقطة من ظ .
(٨) من مد ، و فى الأصل : من (٩-٩) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط .

عن كلام الناس ﴿فأوحى إليهم﴾ أى اشار بشفتيه من غير نطق: قال الإمام أبو الحسن الرمانى فى آل عمران: و الرمز: الإيماء بالشفتين، و قد يستعمل فى الإيماء بالحاجبين و العينين و اليدين، و الأول أغلب: قال: و أصله الحركة. و سبقه إلى ذلك الإمام أبو جعفر ابن جرير الطبرى[1] فقال: و أما الرمز فان الأغلب من معانيه عند العرب الإيماء بالشفتين، و قد يستعمل فى الإيماء بالحاجبين و العينين أحيانا، و ذلك غير كثير فيهم، و قد يقال للخفى من الكلام الذى مثل الهمس بخفض الصوت [الرمز -[2]]. ثم نقل أن المراد به هنا تحرك الشفتين عن مجاهد - انتهى. و هو ظاهر أيضا فى الوحى لأنه مطلق الإشارة و الكناية و الكلام الخفى، فيجوز أن يكون وحيه بكل منهما، لا يقدر على غير ذلك فى مخاطبته للناس، فاذا توجه إلى مناجاة ربه سبحانه انطلق أحسن انطلاق ﴿ان سبحوا﴾[4] أى أوجدوا التنزيه و التقديس لله تعالى بالصلاة و غيرها[4] ﴿بكرة و عشيا[5]﴾ فحملت امرأته كما قلنا فولدت ولدا فسماه يحيى كما بشرناه به[5] فكبر حتى ميز فقلنا: ﴿يا يحيى خذ الكتب﴾ أى التوراة ﴿بقوة[6]﴾.

و لما كانت النبوة لا يستضلع بأمرها و يقوى على حملها إلا عند استحكام العقل ببلوغ الأشد. و كان التطويق على أمرها قبل ذلك من العظمة بمكان. دل عليه بالنون فى قوله: ﴿و آتيناه﴾ بما[6] لنا من

(١) راجع جامع البيان ٦/٣٨٨ طبعة دار المعارف (٢) زيد من جامع البيان (٣) من مد، وفى الاصل وظ: تركه (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من مد. (٦) فى مد: بمناسبة ما. و العبارة من هنا - بما فيها «بما» - ساقطة من ظ إلى «العظمة».

العظمة ﴿الحكم﴾ أى النبوة [و الفهم للتوراة - [1]] ﴿صبيا ۝[2]﴾ لغلبة الروح عليه . [3]و هذه الخارقة لم تقتض الحكمة أن تكون لنبينا صلى الله عليه و سلم لأن قومه لا عهد لهم بالنبوة ، فكانوا إذا كذبوا لا يكون لهم من أنفسهم ما يلزمهم [4]من التناقض ، فعُوّض[4] أعظم من ذلك بغرائز الصدق التى أوجبت لهم تسميته بالأمين[5] ليكونوا بذلك مكذبين ٥ لأنفسهم فى تكذيبهم له . و بمزيد إبقاء معجزته القرآنية بعده تدعو الناس إلى دينه [دعاء لامرد له - [1]] ﴿و﴾ آتيناه ﴿حنانا﴾ أى رحمة و هيبة و وقارا و رقة قلب و رزقا و بركة ﴿من لدنا﴾ من[6] مستقرب المستغرب من عظمتنا بلا واسطة تعليم و لا تجربة ﴿و زكوة[8]﴾ أى طهارة فى نيته تفيض على أفعاله و أقواله ﴿و كان﴾ [7]أى جبلة و طبعا[7] ١٠ ﴿تقيا ۝[9]﴾ خوافا لله تعالى ﴿و برا﴾ أى واسع الأخلاق محسنا[8] ﴿بوالديه و لم يكن﴾ [7]جبلة و طبعا[7] ﴿جبارا﴾ عليهما[9] و لا على غيرهما ؛ ثم قيده بقوله : ﴿عصيا ۝﴾ إشارة إلى أنه يفعل فعل الجبارين من الغلظة و القتل و البطش بمن يستحق ذلك كما قال تعالى لخاتم النبيين صلى الله عليه و سلم "جاهد الكفار و المنفقين و اغلظ عليهم[10]" فكان مطيعا ١٥ لله قائما بحقوقه و حقوق عباده على ما ينبغى ، فهنيئا له ما أعطاه من

(١) زيد من مد (٢) تأخر فى الأصل عن « إلى دينه » والترتيب من ظ و مد .
(٣) العبارة من هنا إلى « إلى دينه » ساقطة من ظ (٤-٤) فى مد : التناقض بعوض (٥) من مد ، و فى الاصل : الامين (٦) فى مد : فى ، و العبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة من ظ إلى « من عظمتنا » (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) سقط من ظ (٩) سقط من مد (١٠) سورة ٩ آية ٧٣ .

هذه الخلال القاضية بالكمال . [1]و التعبير بصيغة المبالغة يفهم أن المنفى
/٤١١ الجبل[2] عليها ، و ما دونها يذهبه الله[3] بغسل / القلب أو غيره ﴿ و سلم ﴾
[أى -[4]] أىّ سلام[5] ﴿ عليه ﴾ منا ﴿ يوم ولد ﴾ من كل سوء يلحق بالولادة
و ما بعدها فى شىء من أمر الدين ﴿ و يوم يموت ﴾ من كرب الموت
٥ و ما بعده ، و لعله نكر[6] السلام لأنه قتل فما سلم بدنه بخلاف ما يأتى فى
عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ و يوم يبعث ﴾ من كل ما يخاف بعد
ذلك ﴿ حيا ﴾ حياة هى الحياة للانتفاع بها ، إجابة لدعوة أبيه فى أن
يكون رضيا ، [7]و خص هذه الأوقات لأن من سلم فيها[8] سلم فى غيرها
لأنها أصعب منه ؛ أخرج الطبرانى[9] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال :
١٠ قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : كل بنى آدم يلقى [الله -[10]] يوم
القيامة بذنب وقد[11] يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه إلا يحيى بن زكريا عليهما
السلام فانه كان سيدا و حصورا و نبيا من الصالحين ، و أهوى النبى
صلى الله عليه و سلم إلى قذاة من الأرض فأخذها و قال : ذكره مثل هذه
القذاة . قال الهيثمى : و فيه حجاج بن سليمان الرعينى وثقه ابن حبان
١٥ [و غيره و ضعفه أبو زرعة و غيره ، و بقية رجاله ثقات - [10]] ، و أخرجه
أيضا عن عبد الله بن عمرو و ابن عباس رضى الله عنهم ، لكن ليس فيه

(١) العبارة من هنا إلى « أو غيره » ساقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : الجهل (٣) زيد فى مد : بالعظمة (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : سلامه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكر (٧) العبارة من هنا إلى « أصعب منه » ساقطة من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل : منها (٩) راجع مجمع الزوائد ٨/٢٠٩ (١٠) زيد من ظ و مد و المجمع (١١) زيد فى النسخ : أذنبه ، و لم تكن الزيادة فى المجمع فحذفناها .

ذكر الذكر ، و لفظ ابن عباس رضى الله عنهما : كنت فى حلقة [فى -[1]] المسجد نتذاكر فضائل الأنبياء - فذكره حتى قال : فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ما ينبغى أن يكون أحد خيرا من يحيى بن زكريا ، قلنا : يا رسول الله ! و كيف ذاك ؟ قال : ألم تسمعوا الله[2] كيف نعته فى القرآن؟ «يٰيحيى خذ الكتٰب - إلى قوله : [حيا -[1]]» ، «مصدقا بكلمة من الله و سيدا و حصورا و نبيا من الصٰلحين » لم يعمل سيئة و لم يهم بها . و رواه أيضا البزار و فيه على بن زيد بن جدعان ضعفه الجمهور - و قد [وثق -[3]] ، و بقية رجاله ثقات . و أشار سبحانه بالتنقل فى هذه الأطوار إلى موضع الرد على من ادعى لله ولدا من حيث أن ذلك قاضٍ على الولد نفسه و على أبيه بالحاجة ، [4] و ذلك مانع لكل من الولد و الوالد من الصلاحية لمرتبة الإلهية المنزهة عن الحاجة[4] ، [5] و قد مضى فى آل عمران ما تجب مراجعته[5] .

و لما كان حاصل القصة أنه ولد أخرجه الله تعالى عن سبب هو فى ضعفه قريب من العدم ، أما من جهته فلبلوغه[6] إلى حد من السن و حال فى المزاج لا يقبل حركة الجماع عادة ، و أما من جهة[7] زوجته[8] فلزيادتها مع يأسها ببلوغها إلى نحو ذلك[9] السن بكونها عاقرا[10] لم تقبل حبلا قط ،

(١) زيد من ظ و مد و المجمع (٢) ليس فى المجمع (٣) زيد من ظ و مد .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فبلوغه (٧) سقط من مد (٨) فى ظ و مد : زوجه .
(٩) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : عاقر .

اتبعه[1] بقصة هي أغرب من قصته بكونها ليس فيها إلا سبب واحد و هو المرأة، و عدم فيها سبب الذكورية أصلا، إشارة إلى أنه تعالى يخلق ما يشاء تارة بسبب قوى، و تارة بسبب ضعيف، و تارة بلا سبب، و من كان كذلك كان مستغنيا عن الولد؛ و لما كان على اليهود الآمرين بالسؤال تعنتا عن قصتى أصحاب الكهف و ذى القرنين أن ينصحوا العرب بالإعلام بأن دينهم باطل لشركهم[2]، فلم يفعلوا فكانوا جديرين بالتبكيت. و كانت قصة زكريا أعظم فى[3] تبكيتهم بمباشرتهم لقتله و قتل ولده يحيى عليهما السلام، قدمها فى الذكر، و توطئة لأمر عيسى عليه السلام كما مضى بيانه فى آل عمران إلزاما لهم بالاعتراف[4] به، و للنصارى بالاعتراف بأنه عبد، كما اعترف كل منهما[5] بأمر يحيى عليه السلام، و ذلك بما جمع بينهما من خرق العادة / . و كانت قصة يحيى أولى ٤١٢/ من قصة إسحاق عليهما السلام لما تقدم، و لمشاهدة[6] الذين[7] اختلفوا فى عيسى عليه السلام من الفريقين لأمره و أمر يحيى عليهم الصلاة و السلام لما لهما من الاتحاد فى الزمن مع ما لهما من قرب النسب.

و لما كانت قصة عيسى[8] عليه السلام أغرب، أشار إلى ذلك بتغيير السياق [9]فقال عاطفا على ما تقديره: اذكر هذا لهم[9]: ﴿و اذكر﴾ - بلفظ الأمر ﴿فى الكتب مريم﴾ ابنة عمران خالة يحيى - كما فى الصحيح

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تبعه (٢) من ظ و مد. و فى الأصل: بشركهم. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الاعتراف (٥) فى ظ: منهم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اما هذه (٧) فى ظ: اللذين (٨) من مد. و فى الأصل و ظ: يحيى (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ.

من حديث أنس بن مالك [عن مالك -[1]] بن صعصعة الأنصارى رضى الله عنهما فى حديث الإسراء: فلما خلصت[2] فاذا يحيى و عيسى و هما ابنا خالة . [3]ثم أبدل من "مريم" بدل اشتمال قوله[3]: ﴿ اذ ﴾ أى اذكر ما اتفق لها حين[4] ﴿ انتبذت ﴾ أى [3]كلفت نفسها أن[3] اعتزلت [3] وانفردت[3] ﴿ من اهلها ﴾ حالة[5] ﴿ مكانا شرقيا ﴾ عن مكانهم، [3]فكان انفرادها ٥ فى جهة مطالع الأنوار إشارة إلى ما يأتيها من الروح الإلهى[3] ﴿فاتخذت﴾ أى[3] أخذت بقصد و تكلف ، و دل على قرب المكان بالإتيان بالجار فقال[3]: ﴿من دونهم﴾ [3]أى أدنى مكان من مكانهم[3] لانفرادها[5] للاغتسال أو غيره ﴿ حجابا ﴾ يسترها ﴿ فارسلنآ ﴾ [3]لأمر يدل على عظمتنا[3] ﴿ اليها روحنا﴾ جبريل عليه السلام ليعلمها بما[6] يريد الله بها من الكرامة ١٠ بولادة عيسى عليه السلام من غير أب ، لئلا يشتبه عليها الأمر ، [و -[7]] يتشعب بها الفكر ، فتقتل نفسها غما ﴿ فتمثل لها ﴾ أى تشبح و هو روحانى بصورة الجسمانى ﴿ بشرا سويا ﴾ فى خلقه حسن الشكل لئلا تشتد نفرتها [و روعها -[8]] منه ؛ ثم أخرج القصة مخرج الاستئناف فقال [3]دالا على حزمها و خلوص تعبدها لله و التجائها إليه و شهودها له بحيث لا تركن ١٥ إلى سواه[3] : ﴿ قالت ﴾ .

---

(١) زيد من ظ و مد و الصحيح - باب المعراج ، بنيان الكعبة (٢) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : تخصصات (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) فى ظ : اذ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما .
(٧) زيد من ظ ومد (٨) زيد من مد .

[1]و لما كان[2] على أنهى ما يكون من الجمال و الخلال الصالحة و الكمال ، فكان بحيث يستبعد غاية الاستبعاد أن يتعوذ منـــه أكدت فقالت : ﴿ انى اعوذ بالرحمن ﴾ ربى[3] الذى رحمته عامة لجميع عباده فى الدنيا و الآخرة[4] ، و له بنا خصوصية فى إسباغ الرحمة و إتمام النعمة ﴿ منك ﴾ و لما تفرست فيه - بما أنار الله من بصيرتها و أصفى [من -[5]] سريرتها - التقوى ، ألهبته[6] و هيجتـــه للعمل بمضمون هذه الاستعاذة بقولها : ﴿ ان كنت تقيا ﴾ قال ﴾ جبريل عليه السلام مجيبا لهـا بما معناه : إنى لست ممن تخشين [أن يكون متهما -[7]] ، [8]مؤكدا لأجل استعاذتها[8] ، ﴿ انما انا رسول ربك ﷺ ﴾ [8]أى الذى عذت به[8] أى[9] فأنا [لست متهما -[7]] ، متصف بمـا ذكرت و زيادة الرسلية ، و عـــبر باسم الرب المقتضى للاحسان لطفا بها ، و لأن هذه السورة مصـدرة بالرحمة ، و من أعظم مقاصدها تعداد النعم على خلص عباده ﴿ لاهب ﴾ بأمره [8]أو ليهب هو على القراءة الأخرى[8] ﴿ لك ﴾ و قدم المتعلق تشويقا [10]إلى المفعول[10] ليـكون أوقع فى النفس ؛ ثم بينه معبرا بما هو أكثر خيرا و أقعد فى باب البشرى و أنسب لمقصود السورة مع أنه لا ينافى ما ذكر فى آل عمران بقوله :

---

(١) العبارة من هنا إلى « أكدت فقالت » ساقطة من ظ (٢) فى مد : كانت .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : مربى (٤) بهامش ظ : أما المؤمن فواضح ، و أما الكافر فلكونه لا يعذب أحدا فوق ما يستحق ، و لذا جعل النار دركات لكل منها جزء (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : التهلته .
(٧) زيد من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) سقط من مد .
(١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : للمفعول .

﴿ غلما ﴾ أى ولدا ذكرا فى [غاية -[1]] القوة و الرجولية ﴿ زكياه ﴾ طاهرا من كل ما يدنس البشر : ناميا على الخير و البركة ﴿ قالت ﴾ مريم : ﴿ انى ﴾ أى من أين [2] و كيف [2] ﴿ يكون لى غلم ﴾ ألده ﴿ و لم يمسسنى بشر ﴾ بنكاح أصلا حلال [2] و لاغيره بشبهة و لاغيرها .

و لما هالها هذا الأمر ، أداها الحال إلى غاية الإسراع فى إلقاء ما تريد [4] من المعانى لها [لعلها -[1]] تستريح / مما تصورتـــه ، فضاق عليها المقام ، فأوجزت حتى بحذف النون من ' كان ' و [2] لتفهم أن هذا المعنى منفى كونه على أبلغ وجوهه [2] فقالت [5] ﴿ و لم اك ﴾ . و لما كان المولود سر من يلده ، و كان التعبير عنه بما هو من مادة الغلمة دالا على [6] غايـــة الكمال فى [7] الرجولية المقتضى لغاية القوة فى أمر النكاح نفت أن يكون فيها شىء من ذلك فقالت : ﴿ بغيا ﴾ أى [6] [ليكون -[8]] دأبى الفجور ، [2] و لم يأت ' بغية ' لغلبة إيقاعه على النساء ، فكان مثل حائض و عاقر فى عـــدم الإلباس [2] [و لأن بغية ، لايقال إلا للتلبسة به -[8]] ﴿ قال ﴾ [أى -[8]] [2] جبريل عليه السلام [2] ﴿ كذلك ج ﴾ [9] القول الذى قلت [لك -[1]] يكون .

/ ٤١٣

---

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من مد .
(٤) بهامش ظ : قوله « فى إلقاء ما تريد - الخ » لاينافيه قوله فى آل عمران داخل هذا الكلام خطرلها و لم تلفظ به ، فعلم الملك أنه شغل فكرها فأجابها عنه لتفريغ الفهم ، لأن ذاك احتمال حملا لها على الكمال و هذا الظاهر و لاينافى الكمال و الله أعلم تدبر (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقال (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ « و » (٨) زيد من مد (٩) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

و لما كان لسان الحال قائلا : كيف يكون بغير سبب ؟ أجاب بقوله : ﴿قال﴾ و لما بنيت هذه السورة على الرحمة و اللطف و الإحسان بعباد الرحمن ، عبر باسم الرب الذى صدرت به بخلاف سورة التوحيد آل عمران المصدرة بالاسم الأعظم فقال : ﴿ربك هو﴾ [1]أى المذكور و هو إيجاد الولد على هذه الهيئة[1] ﴿علىّ﴾ أى وحدى لا يقدر عليه [أحد غيرى -[2]] ﴿هين[4]﴾ [أى -[2]] خصصناك به ليكون شرفا به [لك -[2]] .

و لما كان [ذلك -[2]] من أعظم الخوارق ، نبه عليه بالنون فى قوله ، عطفا على ما قدرته مما أفهمه السياق : ﴿و لنجعله﴾ [بما لنا من العظمة -[2]] ﴿اية للناس﴾ [1]أى علامة[1] على كمال قدرتنا على البعث أدل من الآية فى يحيى عليه السلام . و به تمام القسمة الرباعية فى خلق البشر ، فانه أوجده من أنثى بلا ذكر ، و حواء من ذكر بلا أنثى ، و آدم عليه السلام لا من ذكر و لا أنثى ، و بقية أولاده من ذكر و أنثى معا ﴿و رحمة منا﴾ لمن آمن به فى أول زمانه ، و لأكثر الخلق بالإيمان و الإنجاء من المحن فى آخر زمانه ، [3]لا كآية[4] صالح عليه السلام لأنها كانت آية استئصال لأهل الضلال ﴿و كان﴾ ذلك كله ﴿امرا مقضيا﴾ [1]أى محكوما به مبتوتا[1] هو فى غاية السهولة لامانع منه أصلا ، [5]و نبه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا إلى «لأهل الضلال» ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : كانه (٥) العبارة من هنا إلى «هذه السورة» ساقطة من ظ .

على سرعة تسبيب[1] الحمل عن هذا القول و إن كان التقدير بما أرشد إليه فى غير هذه السورة: فنفخ فى درعها فوصل النفخ إلى جوفها ﴿ فحملته ﴾ [2] و عقب بالحمل قوله[2]: ﴿ فانتبذت به ﴾ أى فاعتزلت - - و هو فى بطنها - حالة[3] ﴿مكانا قصيا ه﴾ أى بعيدا[4] من أهلها أو[5] من المكان الشرقى، و أشار إلى قرب الولادة من الحمل بفاء التعقيب فى قوله: ﴿فاجآءها﴾ أى فأتى بها و ألجأها ﴿المخاض﴾ و هو تحرك الولد فى بطنها للولادة ﴿ الى جذع النخلة ج﴾ و هو ما برز [منها -[6]] من الأرض و لم يبلغ الأغصان. و كان تعريفها لأنه لم يكن فى تلك البلاد الباردة غيرها، فكانت كالعلم لما فيها من العجب[7]، لأن النخل من أقل الأشجار صبرا[8] على البرد، و لعلها[9] ألجئت إليها دون غيرها من الأشجار[10] على كثرتها لمناسبة حال النخلة لها، لأنها لاتحمل إلا بالقاح من ذكور النخل، فحملها بمجرد هزها أنسب شيء لإتيانها بولد من غير والد، فكيف إذا كان ذلك فى غير وقته! فكيف إذا كانت يابسة! مع ما لها فيها من المنافع بالاستناد إليها و الاعتماد عليها[2]، و كون رطبها خرسة للنفساء و غاية فى نفعها[2] و غير ذلك.

---

(١) من مد، و فى الأصل: تسبب (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « المكان الشرقى » ساقطة من ظ (٥) من مد، والأصل « و » (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى مد: العجيب (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: بصيرا (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: لها (١٠) زيدت الواو بعدها فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها.

ولما كان ذلك أمرا صعبا عليها جـــدا ، كان كأنه قيل : يا ليت شعرى ! ما كان حالها ؟ فقيل : ﴿ قالت ﴾ لما حصل عندها من خوف العار : ﴿ يٰليتنى مت ﴾ و[1]لما كانت تذلك[1] أشارت إلى استغراق الزمان بالموت بمعنى عدم الوجود فقالت من غير جار[2]: ﴿ قبل هذا ﴾ [أى -[3]] الأمر العظيم[4] ﴿ وكنت نسيا ﴾ أى شيئا من شأنه أن[5] ينسى ﴿ منسيا ﴾ [6]أى متروكا[6] / بالفعل لا يخطر على بال ، فولدته ﴿ فناداها من تحتها ﴾ ٤١٤/
وهو عيسى عليه السلام ﴿ الا تحزنى ﴾ قال الرازى فى اللوامع : والأصح أن مدة حملها [7]له وولادته[7] ساعة لأنه كان مبدعا ، ولم يكن من نطفة تدور فى أدوار الخلقة - انتهى . ونقله ابن كثير [8]وقال : غريب[8] عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ويؤيده أنه لم ينقل فى كتابنا ولا عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنهم أنكروا عليها زمن الحمل ، ولو علموا به لأنكروه [ولو أنكروه -[9]] لنقل كما نقل إنكار الولادة .

[6]ولما أنكروا الولادة[6] فكأنها قالت : لم لا أحزن ؟ [وتوقعت ما يعلل به -[10]] ؟ قال[11] : ﴿ قد جعل ربك ﴾ [أى -[10]] المحسن إليك ﴿ تحتك ﴾ [6]فى هذه الأرض التى لا ماء جاريا بها[6] ﴿ سريا ﴾ جدولا من

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) العبارة من « ولما كانت » إلى هنا ساقطة من ظ (٣) زيد من مد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : أى متروكا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧-٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : وولادتها له (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٩) زيد من ظ ومد . (١٠) زيد من ظ (١١) فى النسخ : فقال ؛ وهو جواب « لما » .

الماء جليلا[١] آية لك تطيب[٢] نفسك ﴿و هزّى اليك﴾ أى أوقعى الهز، و هو جذب بتحريك .

و لما كان المقصود التهويل لصرف فكرها عما دهمها من الهم جعله قاصرا فكأنها قالت : ما أهز ؟ إذ[٣] لم يكن فى الجذع ما يتوقع نفعه بهزه ، فقال مصرحا بالمهزوز : ﴿ بجذع النخلة ﴾ [التى أنت تحتها مع يبسها و كون الوقت ليس وقت حملها فكأنها[٤] قالت : و لم ذاك ؛ فقال -[٥]] : ﴿ تساقط عليك ﴾ من أعلاها ﴿رطبا جنيا[٦]﴾ طريا آية أخرى عظيمة تطيب النفس و تذهب بالحزن ، و تدل على البراءة . [٦]و التعبير بصيغة التفاعل [فى قراءة الجماعة و حمزة -[٧]] للدلالة على [أن -[٨]] التمر يسقط منها ، و من حقه أن يكون منتفيا لأنها غير متأهلة لذلك . فهو ظاهر فى أنه على وجه خارق للعادة . و قراءة الجماعة بالإدغام تشير [مع ذلك -[٨]] إلى أنه مع شدته يكاد أن يخفى كونه[٩] منها ليسها و عدم إقنائها[١٠] ، و قراءة حمزة بالفتح و التخفيف تشير إلى سهولة تساقطه و كثرته ، و قراءة[١١] حفص عن عاصم بالضم و كسر القاف من فاعل ،

(١) سقط من ظ (٢) فى مد : تطب (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذا .
(٤) سقط من مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى «المعلوم أنها» ص ١٩٠ س ٢ ساقطة من ظ (٧) زيد من مد ، و الفرق بين قراءة الجماعة و حمزة أن الجماعة قرأوها بفتح التاء الفوقانية و تشديد السين و فتح القاف بينما قرأها حمزة بفتح التاء و القاف و تخفيف السين بحذف إحدى تائى التفاعل - راجع نثر المرجان ٤ / ٢١٨ (٨) زيد من مد (٩) من مد ، و فى الأصل : بكونه (١٠) من مد ، و فى الأصل : اخفائها (١١) من مد ، و فى الأصل : قرا .

تدل على الكثرة و أنه ظاهر فى كونه من فعلها .

و لما كان من المعلوم أنها هزت[1] فتساقط الرطب . [2]سبب عنه قوله[2] : ﴿فكلى﴾ أى فتسبب عن الإنعام عليك بالماء و الرطب أن يقال لك [3]تمكينا من كل منهما[3] كلى من الرطب ﴿و اشربى﴾ من ماء السرى ٥ ﴿و قرى﴾ أى استقرى ﴿عيناً﴾ بالنوم ، فان المهموم لا ينام ، و العين لا تستقر ما دامت يقظى[4] ، وعن الأصمعى أن المعنى : و لتبرد دمعتك ، لأن دمعة [الفرح باردة و دمعة - [5]] الحزن حارة ، و اشتقاق "قرى" من القرور ، و هو الماء البارد - انتهى .

و قال الإمام أبو عبد الله القزاز[6] فى ديوانه : و حكى الفراء أن قريشا ١٠ و من حولهم يقولون : قررت به[7] عينا - أى بكسر العين - [8]أقر ، و أن أسدا و قيسا[8] و تميما يقولون : قررت به عينا - أى بالفتح - [أقر ، قال - يعنى الفراء : فمن قال : قررت - أى بالكسر - قرا ، و قرى عينا - أى بالفتح - [5]] ، و هى القراءة المعروفة ، و من قال : قررت ، - أى بالفتح قرا و قرى عينا - بكسر القاف أى و هى [الشاذة ، قال - أى القزاز : هى - [5]] لغة ١٥ [كل - [5]] من لقيت من أهل نجد ، و المصدر قرة[9] و قرور .

(١) فى ظ : فهزت (٢-٢) فى ظ : فقيل لها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : تغطى ؛ و العبارة من بعده إلى «ما ينفع هنا» ص ١٩١ س ١ ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل : البزار (٧) سقط من مد (٨-٨) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد .
(٩) زيد بعده فى الأصل : و قرى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

وسيأتى فى القصص ما ينفع هنا ، و هو [على كل حال - [1]] كناية عن طيب النفس و تأهلها [2] لأن تنام [3] بالكفاية فى الدنيا بطعام البدن و غذاء الروح بكونه آية باهرة ، و الآخرة بالكرامة [3] [و ذلك على أنفع الوجوه ، قيل : ما للنفساء خير من الرطب و لا للمريض خير من العسل ؛ ثم سبب عن ذلك قوله مؤكدا إيذانا بأن أكثر رؤيتها فى تلك الأوقات الملائكة عليهم السلام - [1]] ﴿ فاما ترين ﴾ [أى - [1]] يا مريم ﴿ من البشر احدا ﴾ [2] لا تشكين أنه من البشر [3] ينكر عليك ﴿ فقولى ﴾ لذلك المنكر جوابا له [4] مع التأكيد تنبيها على البراءة لأن البرىء [5] يكون ساكنا لاطمئنانه و المرتاب يكثر كلامه و حلفه : ﴿ انى نذرت للرحمن ﴾ أى الذى عمت رحمته فأدخلنى فيها على ضعفى و خصنى بما رأيت من الخوارق ﴿ صوما ﴾ أى صمتا [ينجى من كل وصمة - [1]] [6] و إمساكا عن الكلام [6] ﴿ فلن ﴾ أى فتسبب عن النذر أنى لن ﴿ اكلم اليوم انسيا ﴾ فان كلامى يقبل الرد و المجادلة [و - [7]] لكن يتكلم عى المولود الذى كلامه لا يقبل الدفع ، و أما أنا [8] فأنزه نفسى عن [9] مجادلة السفهاء فلا أكلم إلا الملائكة أو الخالق بالتسبيح و التقديس و سائر أنواع الذكر . [10] قالوا : و من أذل الناس سفيها لم يجد مسافها ، و من

/ ٤١٥

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : أهلها ، وزيدت الواو بعده فى ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « كلامه و حلفه » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) زيد من ظ و مد (٨) العبارة من هنا إلى « السفهاء » ساقطة من ظ (٩) زيد بعده فى الأصل : كلام ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها . (١٠) العبارة من هنا إلى « مجرد » ص ١٩٢ س ٢ ساقطة من ظ .

الدلالة عليه بالصمت عن كلام الناس مع ما تقدم الإشارة إلى أنه ردع مجرد ﴿ فاتت ﴾ أى فلما سمعت هذا الكلام اشتد قلبها ، و زال حزنها ، و أتت ﴿به﴾ أى بعيسى ﴿قومها﴾ [و إن كان فيهم قوة المحاولة لكل ما يريدونه إتيان البرىء الموقن بأن الله معه - ١] ﴿ تحمله ٤ ﴾ [غير مبالية بأحد و لا مستخفية - ١] فكأنه قيل : فما قالوا لها ؟ فقيل : ﴿ قالوا يٰمريم ﴾ ٢ما هذا ٢ ؟ ٢مؤكدين لأن حالها فى إتيانها يقتضى إنكار كلامهم ٢﴿لقد جئت﴾ بما نراه ﴿شيئا فرياه﴾ قطيعا منكرا ﴿ يٰأخت هٰرون ﴾ فى زهده و ورعه و عفته [و هو صالح كان فى زمانها أو أخو موسى عليه السلام - ٤] ﴿ ما كان ابوك ﴾ [أى - ١] عمران ٢ساعة من الدهر ٢ ﴿ امرا سوء ﴾ لنقول : نزعك عرق منه ﴿ و ما كانت امك ٥ ﴾ ٢فى وقت من الأوقات ٢ ﴿ بغيا ٥ ﴾ [أى ذات بغى أى عمد - ١] لتتأسى بها ﴿فاشارت﴾ امتثالا لما أمرت به ﴿ اليه ٦ ﴾ [أى عيسى ليكلموه فيجيب عنها - ٧] ﴿ قالوا كيف نكلم ﴾ يا مريم ﴿ من كان فى المهد ﴾ أى قبيل إشارتك ﴿صبيا ٥﴾ لم يبلغ سن [هذا - ١] الكلام . [الذى لا يقوله إلا الأكابر العقلاء بل الأنبياء - ١] و التعبير بـ " كان " يدل على أنه حين ٨ الإشارة إليه لم يحوجهم إلى أن يكلموه ، بل حين سمع المحاورة و تمت الإشارة بدا منه قول

(١) زيد من مد (٢-٢) تأخر فى الأصل عن « إنكار كلامهم » و الترتيب من مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من مد ؛ و بعده فى البحر المحيط ٦/١٨٦ : إذ كانت من نسله (٥) تأخر فى الأصل عن « الأوقات » و الترتيب من مد (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى مد : عند .

خارق لعادة الرضعاء [و الصبيان ، و يمكن أن تكون تامة مشيرة إلى تمكنه في حال ما دون سن الكلام ، و نصب " صبيا " على الحال -[1]] ، فلما كانت هذه العبارة مؤذنة بذلك استأنف قوله : ﴿ قال ﴾ [أى -[2]] واصفا نفسه بما ينافى أوصاف الأخابث[3] ، مؤكدا لإنكارهم[4] أمره فقال[5] : ﴿ انى عبد الله ﴾[6] أى الملك الأعظم الذى له صفات الكمال لا أتعبد لغيره[6] ، إشارة إلى الاعتقاد الصحيح فيه ، و أنه لا يستعبده شيطان و لا هوى ﴿ اٰتٰنى الكتٰب ﴾ أى التوراة و الإنجيل[6] و الزبور و غيرها من الصحف[6] على صغر سنى ﴿ و جعلنى ﴾[6] أى فى علمه[6] ﴿ نبيا ﴾ ينبىء[7] بما يريد فى الوقت الذى يريد ، و قيل فى ذلك[8] : فأنبئكم به ﴿ و جعلنى مبٰركا ﴾ بأنواع البركات ﴿ اين ما ﴾ فى أى مكان ﴿ كنت ﴾ فيه .

و لما سبق علمه سبحانه أنه[9] يدعى فى عيسى الإلهية أمره أن يقول : ﴿ و اوصٰنى بالصلوٰة ﴾ له طهرة للنفس ﴿ و الزكوٰة ﴾ طهرة للمال فعلا فى نفسى و أمرا لغيرى ﴿ ما دمت حيا ﴾ ليكون ذلك حجة على من أطراه لأنه لا شبهة فى أن من يصلى لإله ليس بإله ﴿ و برا ﴾ أى [و -[1]] جعلنى برا ، أى واسع الخلق طاهره .

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الأحاديث ، و العبارة من بعده إلى «أمره» ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : لانكار .
(٥) سقط من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : ينبئنى (٨) العبارة من فى الوقت إلى هنا ساقطة من ظ ؛ و تكرر بعده فى الأصل فقط : الوقت الذى يريد (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : أن .

[1] و لما كان السياق [1]براءتها فبين الحق فى وصفه ، صرح ببراءتها فقال[1] : ﴿ بوالدتى[2] ﴾ أى[2] التى أكرمها الله باحصان الفرج و الحمل بى من غير ذكر ، [1]فلا والد لى غيرها[1] ﴿ و لم يجعلنى جبارا شقيا ﴾ بأن أفعل فعل الجبارين بغير استحقاق، إنما أفعل ذلك بمن يستحق، و فيه ٥ إيماء إلى أن التجبر المذموم فعل أولاد الزنا ، و ذلك أنه يستشعر ما عنده من النقص فيريد أن يجبره بتجبره ، ثم أخبر بما له من الله من الكرامة الدائمة مشيرا إلى أنه لا يضره [عدو - [3]] ، و إلى أنه عبد لا يصلح أن يكون إلها و إلى البعث فقال : ﴿ و السلم ﴾ أى جنسه ﴿ علىّ ﴾ فلا يقدر أحد على ضررى ﴿ يوم ولدت ﴾ [1]فلم يضرنى / الشيطان[1] و من يولد ٤١٦ / ١٠ لا يكون إلها ﴿ و يوم اموت ﴾ كذلك أموت كامل البدن و الدين ،لا يقدر أحد على انتقاصها[4] منى كائنا من كان ﴿ و يوم ابعث حيا ﴾ يوم القيامة كما تقدم [فى - [5]] يحيى عليه السلام ، إشارة إلى أنه فى البشرية مثله سواء لم يفارقه أصلا إلا فى كونه من [غير - [3]] ذكر ، و إذا كان جنس السلام عليه كان اللعن على أعدائه ، فهو بشارة لمن صدقه فانه منه ، و نذارة ١٥ لمن كذبه ، [6]و لم يكن لنبينا صلى الله عليه و سلم مثل هذه الخارقة لئلا يلتبس[7] حاله بالكهان . لأن قومه لا عهد لهم بالخوارق إلا عندهم ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من مد (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انتفاعها (٥) زيد من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى «اليابس و غيرها» ص١٩٥ س٤ ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفى الأصل: يلبس.

و إذا

و إذا تقرر ذلك فى نفوسهم من[1] الصغر صعب زواله ، و لم يكن هناك ما ينفيه حال الصغر ، فعوض عن ذلك إنطاق الرضعاء كمبارك اليمامة[2] و غيره ، و إنطاق الحيوانات العجم ، بل و الجمادات كالحجارة و ذراع الشاة المسمومة و الجذع [اليابس -[3]] و غيرها .

و لما كان فى ذلك من أقوال عيسى و أحواله - المنادية بالحاجة للتنقل فى أطوار غيره من البشر [4]و الكرامة من الله[4] - أعظم البيان عن بعده عما ادعى فيه النصارى من الإلهية و اليهود من أنه لغير رشده ، نبه على ذلك مشيرا إليه بأداة[5] البعد فقال مبتدئا[6] : ﴿ ذٰلك ﴾ أى [6]الولد العظيم الشأن ، العلى الرتبة ، الذى هذه أحواله و أقواله البعيدة عن صفة الإله [و صفة من ارتاب فى أمره -[3]] ؛ ثم[7] بين اسم الإشارة أو أخبر فقال : ﴿ عيسى ابن مريم ج ﴾ أى[6] وحدها ليس لغيرها فيه بنوة أصلا ، و هى من أولاد آدم ، فهو[8] كذلك ؛ ثم عظم هذا البيان تعظيما آخر فقال : ﴿ قول ﴾ أى هو - أى نسبته إلى مريم فقط - قول ﴿ الحق ﴾ أى الذى يطابقه الواقع ، أو يكون القول عيسى نفسه كما أطلق عليه فى غير هذا الموضع " كلمة " من تسمية المسبب باسم السبب و هو على هذه

(١) من مد ، و فى الأصل : فى (٢) قد مر عليه التعليق فيما مضى (٣) زيد من مد.
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد فى الأصل : الفعل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) سقط من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل « و » ، والعبارة من هنا بما فيها الواو ساقطة من ظ إلى «أخبر فقال» (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فهى .

القراءة خبر بعد خبر أو بدل أو خبر مبتدأ محذوف[١]، [و على قراءة عاصم و ابن عامر بالنصب، هو اغراء، أى الزموا ذلك و هو نسبته إلى مريم عليها السلام وحدها - [٢]] ثم عجب من ضلالهم فيه بقوله: ﴿الذى فيه يمترون﴾ أى يشكون [شكا - يتكلفونه و يجادلونه به -[٣]] مع أن أمره فى غاية الوضوح، ليس موضعا للشك أصلا[٤]؛ ثم دل على كونه حقا فى كونه ابن مريم لا غيرها بقوله ردا على من ضل: ﴿ما كان﴾ أى ما صح و لا تأتى و لا تصور فى العقول و لا يصح و لا يتأتى[٦] لأنه من المحال لكونه يلزم منه الحاجة ﴿لله﴾ الغنى عن كل شىء ﴿ان يتخذ﴾ و لما كان المقام يقتضى النفى العام، أكده بـ "من" فقال: ﴿من ولد﴾.

و لما كان اتخاذ الولد من النقائص، أشار إلى ذلك بالتنزيه العام بقوله: ﴿سبحنه[٥]﴾ أى تنزه عن كل نقص من احتياج إلى ولد أو[٧] غيره ثم علل ذلك بقوله: ﴿اذا قضى[٣] امرا﴾ [٨]أىّ أمر كان ﴿فانما يقول له كن﴾ أى يريده و يعلق قدرته به ﴿فيكون﴾ من غير حاجة إلى شىء أصلا،

(١) العبارة من «وهو على هذه» ص ١٩٥ س ١٥ إلى هنا ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد من مد، و زيد فى ظ: و يجادلون - فقط (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) العبارة من هنا إلى «منه الحاجة» ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: لا ياتى (٧) فى ظ «و» (٨) بهامش ظ: المراد بالأمر هنا العموم لأن النكرة إذا وقعت فى سياق الشرط افادت ذلك فتنبه لهذا.

فكيف ينسب إلى الاحتياج إلى الأحبال و الإيلاد و التربية شيئا فشيئا - كما أشار إليه الاتخاذ[١] .

و لما كان لسان الحال ناطقا عن عيسى عليه الصلاة و السلام بأن يقول: و قد قضانى الله فكنت كما أراد ، فأنا عبد الله و رسوله فاعتقدوا ذلك و لا تعتقدوا سواه من الأباطيل ، عطف عليه [٢]فى قراءة الحرميين[٣] و أبى عمرو قوله : ﴿و ان الله﴾ [٤]أى الذى له الأمر كله[٤] ﴿ربى و ربكم﴾ أى[٥] أحسن إلى كل منا[٦] بالخلق و الرزق ، لا فرق بيننا فى أصل ذلك ﴿ فاعبدوه[٤] ﴾ وحده لتفرده بالإحسان كما أعبده ، [٧]و قراءة الباقين بالكسر على [أنه -[٨]] مقول عيسى عليه السلام الماضى ، و يكون اعتراض ما تقدم من كلام الله بينهما للتأكيد و الاهتمام .

و لما كان اشتراك الخلائق فى عبادة الخالق بعمل القلب و الجوارح علما و عملا أعدل الأشياء ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ هذا ﴾ أى الذى أمرتكم به ﴿ صراط مستقيم ﴾ لأنا بذلنا الحق لأهله بالاعتقاد[٩] الحق

( ) من مد ، و فى الأصل : الايجاد ؛ و العبارة من « كما أشار » إلى هنا ساقطة من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « أبى عمرو » ساقطة من ظ (٣) من مد و البحر المحيط ٦ / ١٨٩ ، و فى الأصل : الحرمى (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٧) العبارة من هنا إلى « و الاهتمام » ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى مد فحذفناها .

و العمل الصالح، و لم يتفض أحد منا فيه على صاحبه .

و لما كان المنهج القويم بحيث[1] يكون سببا للاجتماع عند كل صحيح المزاج، عجب منهم فى استثمار غير ذلك منه فقال: ﴿فاختلف﴾ أى فتسبب عن هذا السبب للاجتماع أنه اختلف ﴿الاحزاب﴾ الكثيرون[2] . و لما كان الاختلاف لم يعم جميع المسائل التى[3] فى شرعهم [قال -[4]] : ﴿من بينهم ج﴾ أى بنى إسراءيل المخاطبين بذلك خاصة لم تكن فيهم[5] فرقة من غيرهم فى هذه المقالة القويمة التى لاتنبغى لمن له أدنى مسكة أن يتوقف فى قبولها، فمنهم من علم أنها الحق فاتبعها و لم يحد عن صوابها، و منهم من أبعد فى الضلال عنها بشبه لا شىء أوهى منها؛ روى عن قتادة أنه اجتمع من أحبار بنى إسراءيل أربعة[6] : يعقوب و نسطور و ملكا و إسراءيل، فقال يعقوب : عيسى هو الله نزل[7] إلى الأرض فكذبه الثلاثة و أتبعه اليعقوبية، و قال نسطور عيسى ابن الله، فكذبه الاثنان و اتبعه النسطورية، و قال ملكا : عيسى أحد

(١) بهامش ظ : خبر « كان » إذ المعنى : كائنا بحيث (٢) بهامش ظ : إنما قال الشيخ : الكثيرون، مع أن الأحزاب جمع، فلو نظر إلى المفرد إذ 'حزب' يصدق على الجماعة الكثيرة و الجمع فيه ما فى المفرد و زيادة - انتهى . و العبارة من بعده إلى « فى شرعهم » ساقطة من ظ (٣) من مد، و فى الأصل : الذى . (٤) زيد من مد (٥ - ٥) من مد، و فى الأصل و ظ : لم يكن فيه (٦) تقدم فى ظ على « من أخبار » (٧) من ظ و مد و البحر المحيط، و فى الأصل : نزل . ثلاثة

ثلاثة[1] : الله إله، و مريم إله، و عيسى إله ، فكذبه الرابع و اتبعه طائفة ، و قال إسرائيل : عيسى عبد الله كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه . فاتبعه فريق من بني إسرائيل ، ثم اقتتل الأربعة فغلب المؤمنون و قتلوا[2] و ظهرت اليعقوبية على الجميع - ذكر معناه أبو حيان[3] و ابن كثير و رواه عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة . ﴿ فويل ﴾ أي فتسبب عن اختلافهم أنا نقول : ويل ٥ ﴿ للذين كفروا ﴾ منهم و من غيرهم ﴿ من مشهد يوم عظيم ﴾ في جمعه لجميع[4] الخلائق ، و ما فيه من الأهوال و القوارع[5].

و لما كان ذلك المشهد عظيم الجمع ، شديد الزحام ، مستوى الأرض ، بعيد الأرجاء ، كان حاله مقتضيا لئلا يطلعوا على غير ما يليهم من أهواله ، فقال في جواب من يقول : و ما عسى أن يسمعوا أو[6] يبصروا فيه ، [7]معلما ١٠ بأن حالهم في شدة السمع و البصر جديرة[8] بأن يعجب منها : ﴿ اسمع بهم و ابصر ﴾ أي ما أشد سمعهم و ما أنفذ بصرهم ! ﴿ يوم يأتوننا ﴾ سامعين لكل أهواله ، مبصرين لسائر أحواله ، فيطلعون بذلك على جميع ما أدى عمله[9] في الدنيا إلى ضرهم في ذلك اليوم ، و جميع ما كان ينفعهم لو عملوه ، فيندمون حيث لا ينفعهم الندم . و يتمنون المحال من الرجوع ١٥ إلى الدنيا و نحوه ليتداركوا فلا يجابون إلى ذلك ، بل يسلك بهم في كل

---

(١) زيد في مد : يعني (٢) ليس في البحر (٣) راجع البحر ٦ / ١٩٠ (٤) من مد ، و في الأصل : الجميع . و هذه الكلمة مع ما يتلوها ساقطة من ظ (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : القواع (٦) من ، و في الأصل و ظ « و » (٧) العبارة من هنا إلى « يعجب منها » ساقطة من ظ (٨) من مد ، و في الأصل: كل جدير . (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : عمه .

٤١٨ / ما يؤذيهم و يهلكهم و يرديهم ، فيكونون بسلوك ذلك - و هم / يعلمون ضرره[١] عميا و بكما و صما ، لأنهم لا ينتفعون بمداركهم كما كانوا في الدنيا كذلك ، لكنهم - هكذا كان الأصل ، و إنما[٢] أظهر فقال : ﴿ لكن الظلمون ﴾ تنبيها على الوصف الذى أحلهم ذلك المحل ٥ ﴿ اليوم فى ضلل مبين ﴾ [لا -[٣]] يسمعون و لا يبصرون .

و لما كان هذا [الذى -[٤]] تقدم إنذارا بذلك المشهد ، كان التقدير : "أنذر قومك" ذلك المشهد و ما يسمعونه فيه و يبصرونه ﴿ وانذرهم يوم الحسرة ﴾ نفسه فى ذلك المشهد العظيم ، يوم تزل القدم ، و لا ينفع الندم ،[٦] للمسيء على إساءته ، و للمحسن على عدم ازدياده ١٠ من الإحسان[٦] .

[و لما كان " يوم " مفعولا ، لا ظرفا ، أبدل منه ، أو علل الإنذار فقال -[٣]] : ﴿ اذ ﴾ أى حين ، أو لأنه [و عبر عن المستقبل بالماضى ، إيذانا بأنه أمر حتم لا بد منه فقال -[٣]] : ﴿ قضى الامر ﴾ أى أمره و فرغ منه بأيسر شأن و أهون أمر ، و قطعنا[٧] أنه لا بد من كونه ﴿ و هم ﴾ ١٥ حال من " انذرهم[٨] " أى و الحال أنهم [الآن -[٣]] ﴿ فى غفلة ﴾ عما قضينا [أن يكون فى ذلك الوقت -[٣]] من أمره ، لا شعور لهم بشيء منه ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضررهم (٢) فى مد : لكنه (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : انذرهم للمسيء على اساءته و المحسن على ازدياده من الاحسان فى - كذا ، و سيأتى بفرق يسير .
(٦-٦) سقط مابين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : قطعناه .
(٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : انذارهم .

بل يظنون أن الدهر هكذا حياة و موت بلا آخر[١] ﴿ وهم لا يؤمنون ﴾ بأنه لابد من كونه ؛ [و فى -[٢]] الصحيح ما يدل على أن يوم الحسرة حين يذبح الموت فقد روى مسلم[٣] عن أبى سعيد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيقال : يا أهل الجنة ! هل تعرفون هذا ؛ فيشرئبون[٤] و ينظرون ٥ و يقولون : نعم ! هذا الموت ، و يقال : يا أهل النار ! هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون[٤] و ينظرون و يقولون : نعم ! هذا الموت ، فيؤمر به فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة ! خلود فلا موت ، و يا أهل النار ! خلود فلا موت ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم - و فى رواية : فذلك قوله[٥] "و انذرهم يوم الحسرة[٦] اذ قضى الامر[٦]" الآية . و أما الغفلة ففى[٧] ١٠ الدنيا . روى ابن حبان فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه و سلم "اذ قضى الامر و هم فى غفلة" قال : فى الدنيا . قال المنذرى : و هو فى مسلم بمعناه فى آخر حديث[٨] .

و لما كان الإرث[٩] هو حوز الشيء بعد موت أهله ، و كان سبحانه

---

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : آخرة (٢) زيد من ظ و مد (٣) باب جهنم - أعاذنا الله منها ، كتاب الجنة و صفة نعيمها و أهلها (٤) فى مد : فيسرئبون . (٥) من ظ و مد و صحيح مسلم حديث عثمان بن أبى شيبة ، و فى الأصل : قولهم . (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى . (٨) راجع حديث أبى بكر بن أبى شيبة باب جهنم - أعاذنا الله منها (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحوز .

قد قضى بموت الخلائق أجمعين ، و أنه يبقى وحده ، عبر عن ذلك بالإرث مقررا به مضمون الكلام السابق ، فقال مؤكدا تكذيبا لقولهم : إن الدهر لايزال هكذا ، حياة لقوم[1] و موت لآخرين[2] ﴿انا نحن﴾ [3]بعظمتنا التى قتضت ذلك و لابد ، و أفاد [الأصبهانى أن -[4]] تأكيد اسم [5]إن ، [أفاد -[4]] أن الإسناد إليه سبحانه لا إلى أحد من جنده ﴿نرث الارض﴾ فلا ندع بها عامرا [5]من عاقل و لا غيره . و لما كان العاقل أقوى من غيره ، صرح به بعد دخوله فقال[5] : ﴿و من عليها﴾ [5]أى من العقلاء[5] ، بأن نسلبهم جميع ما فى أيديهم ﴿و الينا﴾ لا إلى [5]غيرنا من[5] الدنيا[6] [5]و جبابرتها[5] [إلى غير ذلك -[4]] ﴿يرجعون ع﴾ معنى[7] فى الدنيا [وحسا -[4]] بعد الموت .

و لما ذم الضالين فى أمر المسيح ، و علق تهديدهم بوصف دخل فيه مشركو العرب ، فأنذرهم بصريح تكذيبهم بالبعث ، و غيرهم بأنهم لسوء[8] أعمالهم كالمكذبين به ، و ختم ذلك بأنه الوارث و أن الرجوع إليه ، و دخل فى ذلك الإرث بغلبة أنبيائه و أتباعهم على أكثر أهل

(١) من مد ، و فى الأصل : لنا (٢) من مد ، فى الأصل : لاخرى ؛ والعبارة من « مؤكدا تكذيبا » إلى هنا ساقطة من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « من جنده » ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى الأصل : أهل الدنيا ، و التصحيح من ظ و مد (٧) من مد ، و فى الأصل : من ؛ و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ مع الكلمتين التاليتين .
(٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بسوء .

الأرض برجوع أهل الأديان [١]الباطلة إليهم[١] حتى يعم ذلك جميع أهل الأرض فى زمن عيسى عليه الصلاة و السلام[٢]، وكان إبراهيم عليه السلام لكثرة / أولاده من العرب و الروم و أهل الكتابين وارثا لأكثر[٣] الأرض، و كان مثل زكريا فى هبة الولد على كبر سنه و عقم زوجه، أتبع ذلك قوله: ﴿و اذكر﴾ [٤]أى يا محمد[٤] ﴿فى الكتٰب﴾ [٥]أى الذى أنزل عليك [و -[٦]] تبلغه للناس و تعلمهم أن [هذه -[٦]] القصة من القرآن ﴿ابرٰهيم﴾ أعظم آبائكم الذى نهى أباه عن الشرك يا من يكفرون تقليدا للآباء ثم علل تشريفه بذكره [له على سبيل التأكيد المعنوى بالاعتراض بين البدل و المبدل منه، و اللفظى بـ "إن" بقوله منبها على أن مخالفتهم له بالشرك و الاستقسام بالأزلام و نحو ذلك تكذيب بأوصافه الحسنة -[٧]]: ﴿انه كان﴾ [أى جبلة و طبعا -[٦]] ﴿صديقا﴾ أى بليغ الصدق [٤]فى نفسه فى أقواله و أفعاله[٤]، و التصديق بكل ما يأتيه [مما -[٨]] هو أهل لأن يصدق [لأنه -[٦]] مجبول[٩] على ذلك [و لا يكون كذلك إلا و هو عامل به حق العمل فهو أبلغ من المخلص -[٨]]

/ ٤١٩

(١-١) من مد، و فى الأصل: الى ادناهم -كذا (٢) العبارة من «وأن الرجوع» إلى هنا ساقطة من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لأهل اكثر.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) العبارة من هنا إلى «من القران» ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧) زيد من مد، و زيد فى ظ: له بقوله - فقط.
(٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: مجبولا.

﴿ نبياء ﴾ [أى يخبره الله بالأخبار العظيمة جدا التى يرتفع بها فى الدارين - [1]] و هو أعظم الأنبياء بعد محمد - على جميعهم أفضل الصلاة و السلام [[2]كما رواه الحافظ أبو البزار بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه [3]و أكده و كذا أكد فيما بعده - [3]] [4]من الأنبياء عليهم السلام و إن كانوا مقرين بنبواتهم تنزيلا لهم منزلة المنكر . لجريهم فى إنكارهم نبوة البشر على غير مقتضى علمهم .

و لما [4]تكفل ما تقدم من هذه السورة بنفى الشريك بقيد كونه ولدا ، أتبع ذلك من قصته ما ينفى الشريك ليقتدى به أولاده فى ذلك إذ كانوا يقلدون الآباء و ليس فى آبائهم مثله ، فقال مبدلا [5] من " ابراهيم " ﴿ اذ قال ﴾ [3]أى اذكر وقت قوله[3] ﴿ لابيه ﴾ هاديا له من تيه الضلال [3]بعبادة الأصنام مستعطفا له فى كل جملة بقوله[3] : ﴿ يأبت ﴾ .

و لما كان العاقل لا يفعل فعلا إلا لثمره[6]، نبهه على عقم فعله[7] بقوله : ﴿ لم تعبد ﴾ [3]مريدا بالاستفهام المجاملة ، و اللطف و الرفق و اللين و الأدب الجميل فى نصحه له كاشفا الأمر غاية الكشف بقوله[3] : ﴿ ما لا يسمع و لا يبصر ﴾ أى ليس عنده قابلية لشىء من هذين الوصفين ليرى ما أنت فيه من خدمته أو يجيبك إذا[8] ناديته حالا أو مآلا . [3] و لما كان الأعمى الأصم[3]

---

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤-٤) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « نبيا » و الترتيب من مد ، و سقط من ظ (٥) سقط من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل وظ : لثموه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعلمه (٨) من مد ، و فى الأصل وظ : اذ .

[1]قد ينفع بكلام أو غيره ، قال[1] : ﴿ ولا يغنى عنك شيئا ﴾ [2]من الإغناء .

ولما نبهه على أن ما يعبده لا يستحق العبادة ، بل لا تجوز عبادته ، لنقصه مطلقا ثم نقصه عن عابده ، ولن يكون المعبود دون العابد أصلا ، وكان أقل ما يصل إليه بذلك مقام الحيرة ، نبهه على أنه أهل للهداية ، فقال مكررا لوصفه المذكور بالعطف والود : ﴿ يـآبت ﴾ [3]وأكد علما منه أنه ينكر أن يكون ابنه أعرف[4] منه بشيء فقال : ﴿ انى قد جآءنى ﴾ من المعبود الحق ﴿ من العلم ما لم ياتك ﴾ [2]منه ﴿ فاتبعنى ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنى أقول لك وجوبا على النهى عن المنكر ونصيحة لما لك على من الحق : [5]اجتهد فى تبعى[5] ﴿ اهدك صراطا سويا ﴾ لاعوج فيه ، [6]كما أنى لو كنت معك فى طريق محسوس وأخبرتك أن أمامنا مهالك[7] لا ينجو منها أحد ، وأمرتك أن تسلك مكانا غير ذلك ، لأطعتنى ، ولو عصيتنى فيه عدك كل أحد غاويا .

ولما بين أنه لا نفع فيما يعبده ، ونبهه[8] على الوصف المقتضى لوجوب الاقتداء به ، بين له ما فى عبادة معبوده من الضر فقال : ﴿ يـآبت لا تعبد الشيطن ﴾ فان الأصنام ليس لها دعوة أصلا ، والله تعالى قد حرم عبادة غيره مطلقا على لسان كل

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد فى مد : أى (٣) العبارة من هنا إلى «بشيء فقال» ساقطة من ظ (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل: عرف (٥-٥) فى ظ : اتبعنى (٦) العبارة من هنا إلى «أحد غاويا» ساقطة من ظ (٧) فى مد : مهلكا . (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : نبه .

ولى له ، فتعين أن يكون الآمر بذلك الشيطان ، فكان هو المعبود بعبادتها فى الحقيقة ؛ ثم علل هذا النهى فقال : ﴿ان الشيطن﴾ البعيد من كل خير [المحترق باللعنة -[1]] ، [2]و ذكر الوصف الموجب / للاملاء للعاصى فقال[2] : ﴿ كان للرحمن ﴾ المنعم بجميع النعم القادر على سلبها ، [2]ولم يقل : للجبار - لئلا يتوهم أنه ما أملى لعاصيه مع جبروته إلا للعجز عنه[2] ﴿ عصيا ﴾ بالقوة من حين خلق ، و بالفعل من حين[3] أمره بالسجود لأبيك آدم فأبى فهو عدو لله و له ، و المطيع للعاصى لشىء عاص لذلك الشىء ، لأن صديق العدو عدو .

/ ٤٢٠

فلما بين له أنه بذلك عاص للنعم ، خوفه من إزالته لنعمته فقال : ﴿ يأبت أنى اخاف ﴾ لمحبتى لك و غيرتى عليك ﴿ ان يمسك عذاب ﴾ [أى عذاب كائن[2] ﴿ من الرحمن ﴾ [4]أى الذى هو ولى كل من يتولاه[4] لعصيانك إياه ﴿ فتكون ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن تكون ﴿ للشيطن ﴾ وحده [و هو عدوك المعروف العداوة -[1]] ﴿ وليا ﴾ فلا يكون لك نصرة أصلا ، [2]مع ما يوصف به من السخافة باتباع العدو الدنى ، و اجتناب الولى العلى[2] .

فلما وصل إلى هذا الحد من البيان ، كان كأنه قيل : ما ذا كان جوابه ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ مقابلا لذلك الأدب العظيم و الحكمة البالغة

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : حيث (٤-٤) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «وحده» و سقط من ظ .

الناشئة عن لطافة العلم بغاية الفظاظة الباعث عليها كثافة الجهل ، منكرا عليه فى جميع ما قال بانكار ما بعثه عليه من تحقير آلهته : ﴿ اراغب ﴾ قدم[1] الخبر لشدة عنايته و التعجيب من تلك الرغبة و الإنكار لها ، إشارة إلى أنه لايفعلها أحد ؛ ثم صرح له[2] بالمواجهة بالغلظة فقال : ﴿ انت ﴾ و قال : ﴿ عن الهتى ﴾ باضافتها إلى نفسه فقط ، إشارة إلى مبالغته فى تعظيمها ؛ و الرغبة عن الشيء : تركه عمدا . ثم ناداه باسمه لا بلفظ النبوة المذكر بالشفقة و العطف زيادة فى الإشارة إلى المقاطعة و توابعها فقال : ﴿ يٰابرٰهيم ﴾ ثم استأنف قوله مقسما : ﴿ لئن لم تنته ﴾ عما أنت عليه ﴿ لارجمنك ﴾ أى لأقتلنك ، فان ذلك جزاء المخالفة فى الدين ، فاحذرنى و لا تتعرض لذلك منى [3]و انته[3] ﴿ و اهجرنى ﴾ أى ابعد عنى ﴿ مليا ﴾ أى زمانا طويلا [لأجل ما صدر منك هذا الكلام -[4]] ، و فى ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه و سلم و تأسية فيما كان يلقى من الأذى ، و يقاسى من قومه من العناء ، [3]و من عمه أبى لهب من الشدائد و البلايا[3] - بأعظم آبائه و أقربهم به شبها ﴿ قال ﴾ [أى -[4]] إبراهيم عليه السلام مقابلا لما كان منه من طيش الجهل بما[5] يحق لمثله من رزانة العلم : ﴿ سلٰم عليك ج ﴾ أى أنت سالم منى ما لم أومر فيك بشيء ؛ ثم استأنف قوله : ﴿ ساستغفر ﴾ [3]بوعد لا خلف فيه[3] ﴿ لك ربى[4] ﴾ [أى -[4]]

(١) فى مد : فقدم ؛ و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى «لا يفعلها أحد» (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : به (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لما .

المحسن إلى بأن أطلب لك منه غفران ذنوبك بان يوفقك للاسلام الجاب لما قبله، لأن هذا كان قبل أن يعلم أنه عدو لله محتوم[1] بشقاوته بدليل عدم جزمه بعذابه فى قوله "انى اخاف أن يمسك".

ثم علل إقدامه على ذلك إشارة إلى أنه مقام خطر بما له من الإذلال لما له من مزيد القرب فقال: ﴿انه كان بى﴾ أى [فى-[2]] جميع أحوالى ﴿حفيا﴾ [أى-[3]] مبالغا[4] فى إكرامى مرة بعد مرة وكرة[5] إثر كرة، ثم عطف على وعده بالإحسان وعده بما سأل فيه من الهجرة فقال: ﴿و اعتزلكم﴾ [أى-[3]] جميعا بترك بلادكم؛ [6]و أشار إلى أن من شرط المعبود أن يكون أهلا [7]للناداة فى الشدائد[7] بقوله:

٤٢١ / ١٠ ﴿و ما تدعون﴾ أى تعبدون ﴿من دون الله﴾ [8]الذى له / الكمال كله، فمن أقبل عليه وحده أصاب، و من أقبل على غيره فقد خاب[8] ولم يقيد الاعتزال بزمن، بل أشار إلى أنهم ما داموا على هذا الدين فهو معتزل لهم ﴿و ادعوا﴾ أى أعبد ﴿ربى﴾ وحده لاستحقاقه ذلك منى بتفرده بالإحسان إلى، ثم دعا لنفسه بما نبههم به على خيبة مسعاهم

١٥ فقال [غير-[3]] [8]جازم باجابة دعوته و قبول عبادته إجلالا لربه و هضما لنفسه[8]: ﴿عسى ألا اكون﴾ [8]أى كونا ثابتا كأنه احترز بذلك[8]

---

(١) فى ظ: مختوم (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مبالغة (٥) زيد فى مد: فى (٦) العبارة من هنا إلى «الشدائد بقوله» ساقطة من ظ (٧-٧) من مد، و فى الأصل: لنا واكد فى الشديد - كذا. (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

[1]عما لابد للأولياء منه فى الدنيا من البلاء[1] ﴿بدعآء ربى﴾ [1]المتفرد بالإحسان إلى[1] ﴿شقيا﴾ كما كنتم أنتم أشقياء بعبادة ما عبدتموه، لأنه لا يجيب دعاءكم و لاينفعكم [2]و لا[2] يضركم[2].

و لما رأى من أبيه و معاشريه ما رأى، عزم على نشر شقة النوى مختارا للغربة فى البلاد على غربة الأضداد، فكان كما قال [الإمام -[4]] ٥ أبو سليمان[5] الخطابى رحمه الله :

و ما غربة[1] الإنسان فى شقة النوى ولكنها و الله فى عدم الشكل
وإنى غريب بين بست[و -[7]] أهلها و إن كان فيها أسرتى و بها أهلى[8]

[1]و حقق ما عزم عليه[1]؛ ثم بين سبحانه و تعالى تحقيق رجائه و إجابة دعائه فقال: ﴿ فلما اعتزلهم ﴾ أى بالهجرة إلى الأرض المقدسة ١٠ ﴿ و ما يعبدون ﴾ [1]أى على الاستمرار[1] ﴿من دون الله﴾ الجامع لجميع معانى العظمة التى لاينبغى العبادة لغيره ﴿ وهبنا ﴾ [1]أى على ما لنا من العظمة[1] ﴿لهٗ﴾ كما هو الشأن فى كل من [ترك -[4]] شيئا لله ﴿ اسحٰق ﴾ ولدا له لصلبه من زوجته العاقر العقيم بعد تجاوزها سن اليأس و أخذه هو فى السن إلى حد لا يولد لمثله ﴿و يعقوب[6]﴾ ولدا لإسحاق و خصهما ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) من مد، و فى الأصل: بل (٣) العبارة من «لأنه لا يجيب» إلى هنا ساقطة من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد و يتيمة الدهر ٤/٢٣١، و اسمه أحمد بن محمد بن إبراهيم البستى، و فى الأصل: أبو موسى (٦) فى اليتيمة: عمة (٧) زيدت الواو من ظ و مد و اليتيمة (٨) من ظ و مد و اليتيمة، و فى الأصل: اهل.

بالذكر للزومهما محل إقامته و قيامهما بعد موته بخلافته فيه و أما إسماعيل عليه السلام فكان الله سبحانه هو المتولى لتربيته بعد نقله رضيعا إلى المسجد الحرام و إحيائه به تلك المشاعر العظام [فأخروه بالذكر جاعلا له أصلا برأسه -[1]]؛ ثم صرح [بما وهب -[2]] لأولاده جزاء على هجرته فقال:

٥ ﴿ و كلا ﴾ أى منهما ﴿جعلنا نبيا ه﴾ عالى المقدار، و بخبر بالأخبار كما جعلنا إبراهيم عليه السلام نبيا ﴿ و وهبنا لهم ﴾ كلهم ﴿ من رحمتنا ﴾ [3] أى شيئا عظيما جدا [3]، بالبركة فى الأموال و الأولاد و إجابة الدعاء، و اللطف فى القضاء [3] و غير ذلك من خيرى الدنيا و الآخرة [3] ﴿ و جعلنا لهم ﴾ [3] بما لنا من العظمة [3] ﴿ لسان صدق عليا ع ﴾ [4] أى ذكرا صادقا رفيع

١٠ القدر جدا [5] يحمدون به و يثنى عليهم من جميع [أهل -[2]] الملل على كر الأعصار، و مر الليل و النهار، و عبر [3] باللسان عما يوجد به [3]، و فى ذلك ترغيب فى الهجرة ثانيا بعد ما رغب فيها بقصة أهل الكهف أولا، و أشار إليها بقوله فى "سبحن" "و قل رب ادخلنى مدخل صدق" - الآية [6].

١٥ و لما كان موسى أول من نوه الله بأسمائهم، على لسانه فى التوراة، و أظهر محامدهم، و شهر مناقبهم، و توارث ذلك أنباؤهم منه حتى شاع أمرهم و ذاع، و ملأ الأسماع، و طار فى الأقطار، حتى عم البرارى و البحار، عقب ذكرهم بذكره فقال: ﴿ و اذكر فى الكتب ﴾

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) زيد فى ظ: اى لسانا (٥) سقط من ظ (٦) ٨٠.

[١]أى الذى لا كتاب مثله فى الكمال[١] ﴿موسى[٢]﴾ أى الذى أنقذ الله به بنى إسراءيل من العبودية و الذل حتى تمكنوا من آثار[٢] آبائهم ، و كان موافقا لأبيه إبراهيم عليهم السلام فى أن كلا منهما أراد ملك زمانه الذى ادعى الربوبية قتله خوفا على / ملكه منه ، فأنجاه الله منه ، و أمر موسى ٤٢٢ / أعجب لأنه سبحانه أنجاه من الذبح بالذباح ، ثم علل ذكره له بقوله : ﴿انه كان﴾ أى كونا عريقا فيه[٣] ﴿مخلصا﴾ [لله تعالى-[٤]] فى توحيده و جميع أعماله [-كما أشارت إليه قراءة الجمهور- من غير كلفة فى شىء، فى ذلك-[٥]] لأن الله أخلصه له[٦] كما فى[٦] قراءة الكوفيين بالفتح ﴿و كان رسولا﴾ إلى بنى إسراءيل و القبط ﴿ نبيا ﴾ ينبئه الله بما يريد من وحيه لينبىء به المرسل إليهم ، فيرفع بذلك قدره ، فصار الإخبار بالنبوة عنه مرتين : إحداهما فى ضمن " رسولا " و الأخرى صريحا مع إفهام العلو باشتقاقه من النبوة ، و بكون النبأ لايطلق غالبا إلا على خبر عظيم ، فصار المراد : رسولا عاليا مقداره و يخبر بالأخبار الجليلة ، و فيه دفع لما قد يتوهم من أنه رسول عن بعض رسله كما فى أصحاب يس ؛ و عطف على ذلك دليله الدال على ما صدرت به السورة من الرحمة ، فرحمه بتأنيس وحشته و تأهيل غربته بتلذيذه بالخطاب و إعطائه الكتاب

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اظهار .
(٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من مد (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : لأن ، والعبارة من هنا - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة من ظ إلى « الكوفيين بالفتح » .

فقال: ﴿و ناديناه﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿من جانب الطور﴾ أى[1] الجانب ﴿الايمن﴾ فأنبأناه هنالك - حين كان متوجها إلى مصر - بأنه رسولنا، ثم واعدناه إليه بعد إغراق آل فرعون، فكان لبنى إسرائيل به من العجائب فى رحمتهم بانزال الكتاب، و الإلذاذ بالخطاب، من جوف السحاب. و فى إماتتهم لما طلبوا الرؤية، ثم إحيائهم و غير ذلك ما يجل عن الوصف على ما هو مذكور فى التوراة، و تقدم كثير منه فى هذا الكتاب ﴿و قربناه﴾ [2]بما لنا من العظمة[2] تقريب تشريف [2]حال كونه[2] ﴿نجيا﴾ نخبره من أمرنا بلا واسطة [من النجوى و هى السر و الكلام بين الاثنين كالسر، و التشاور كما فى يوسف و يأتى فى المجادلة -[3]] ﴿و وهبنا له﴾ [4]أى هبة تليق بعظمتنا[4] ﴿من رحمتنا﴾ له لما سألنا[5] ﴿اخاه﴾ أى معاضدة أخيه [2]و بينه بقوله[2]: ﴿هرون﴾ حال كونه ﴿نبيا﴾ [2]أو هو بدل أى نبوته[2] شددنا به أزره، و قوينا به أمره، و كان يخلفه فى قومه عند ذهابه إلى ساحة المناجاة، و مع ذلك فأشركوا فى صورة عجل. فلا تعجب من غرورهم للعرب مع مباشرتهم لهذه العظائم.

و لما كان إسماعيل عليه الصلاة و السلام هو الذى ساعد أباه

---

(١) زيد من ظ: جبل الطور (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد (٤-٤) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «رحمتنا» و الترتيب من مد، و كان موضعه فى الأصل: بمالنا من العظمة، و لم يكن فى ظ و مد فحذفناه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: سالناه.

إبراهيم عليه السلام فى بناء البيت الذى كان من الأفعال التى أبقى الله بها ذكره ، و شهر أمره ، و كان موافقا لموسى عليه السلام فى ظهور آية الماء الذى به حياة كل شىء و إن كانت آية موسى عليه السلام انقضت بانقضائه ، و آيته هو باقية إلى أن يرث الله الأرض و من عليها ، و هى التى كانت سبب حياته و ماؤها[1] ببركته أفضل مياه الأرض ، و جعل ٥ سبحانه آية الماء التى أظهرها له سبب حفظه من الجن و الإنس و الوحش و سائر المفسدين ، إشارة إلى أنه سبحانه يحيى بولده محمد صلى الله عليه و سلم - الذى غذاه بذلك الماء و رباه عند ذلك البيت إلى أن اصطفاه برسالته ، فحسدته اليهود و أمرت بالتعنت عليه - ما لم يحيى بغيره ، و يجعله قطب الوجود [كما خصه - [2]من بين آل إبراهيم عليه السلام[2] - بالبيت ١٠ الذى هو كذلك قطب الوجود -[3]] ، و يشفى به من داء الجهل ، و يغنى به من مرير الفقر ، كما جعل ماء زمزم طعام طعم و شفاء سقم ، و كان صلى الله عليه و سلم آخر من شيد قدرهم ، و أعظم من أعلى ذكرهم ، عقب ذكره بذلك فقال : ﴿ و اذكر فى الكتب ﴾ أباك الأقرب ﴿ اسمٰعيل ذ ﴾ ابن إبراهيم عليهما السلام [2]الذى هم معترفون بنبوته ، و مفتخرون ١٥ برسالته و أبوته ، فلزم بذلك فساد تعليلهم إنكار نبوتك بأنك من البشر[2] ، ثم علل ذكره و التنويه[4] بقدره / بقوله معلما بصعوبة[5] الوفاء بالتأكيد : / ٤٢٣

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما هو (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد ما بين الحاجزين من مد و ظ (٤) فى ظ : التنزيه (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : بمضمونه ـ كذا .

﴿ انه كان ﴾ [١]جبلة و طبعا[١] ﴿ صادق الوعد ﴾ [١]فى حق الله و غيره[١] لمعونة الله له على ذلك ، بسبب أنه لا يعد وعدا إلا مقرونا بالاستثناء كما قال لأبيه حين أخبرهم بأمر ذبحه "ستجدنى ان شاء الله من الصٰبرين" [فكن أبى كذلك -[٢]] "و لاتقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله"، [١]و خصه بالمدح به - و إن كان الأنبياء كلهم كذلك - لقصة الذبح فلا يلزم منه تفضيله[١] ﴿ وكان رسولا نبياً ﴾ نبأه الله بأخباره ، و أرسله إلى قومه جرهم[٣] قاله الأصبهانى . و أتى أهل تلك البرارى بدين أبيه إبراهيم عليهما الصلاة و السلام فأحياها الله[٤] بنور الإيمان الناشئ عن روح العلم و وصفه بالرسالة[٥] زيادة على وصف أخيه إسحاق عليهما السلام[٦] و تقدم فى[٧] أمر موسى عليه السلام سر الجمع بين الوصفين ؛ و فى صحيح مسلم[٨] و جامع الترمذى[٩] - عن واثلة بن الأسقع رضى الله عنه أن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل عليه السلام . و فى رواية الترمذى أن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل . ﴿ وكان يامر اهله بالصلوٰة ﴾ التى هى طهرة البدن و قرة العين و خير العون على جميع المآرب

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) موضعه فى الأصل بياض ملأناه من ظ ومد ، و إرساله إلى جرهم قد ذكره البغوى أيضا فى المعالم - راجع هامش اللباب ٤ / ٢٠٢ (٤) زيد فى الأصل و ظ : به ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالرئاسة (٦) العبارة من هنا إلى « الوصفين » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : من (٨) العبارة من هنا إلى « رواية الترمذى » ساقطة من ظ (٩) راجع باب ما جاء فى فضل النبي صلى الله عليه و سلم - المناقب راجع باب فضل نسب النبي صلى الله عليه و سلم - الفضائل .

﴿ و الزكوة ﴾ التى هى طهرة المال ، كما أوصى الله بذلك جميع الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ، و تقدم فى هذه السورة أنه سبحانه و تعالى أوصى بذلك عيسى عليه السلام ﴿ و كان عند ربه ﴾ [1]لعبادته على حسب ما أقامته ربوبيته[1] ﴿ مرضيا ﴾ فاقتد أنت به فانه من أجل آبائك ، لتجمع بين طهارة القول و البدن و المال ، فتنال رتبة الرضا . ٥

و لما كان إسماعيل عليه السلام قد رفع بالسكنى حيا إلى أعلى مكان فى الأرض رتبة ، و كان أول نبى رمى بالسهام ، و كان إدريس عليه السلام - [1]مع رفعته إلى المكان العلى[1] - أول من اتخذ السلاح و قاتل الكفار ، و أول من نظر فى علم النجوم [1]و الحساب[1] ، و خط بالقلم ، و خاط الثياب [1]و لبس[1] [الجبة - [2]] . و كان أغربهم قصة ، و أعجبهم ١٠ أمرا ، و أقدمهم زمنا ، ختم به هذه القصص [تأييدا لهذا النبى الكريم ، بما بين له من القصص - [3]] التى هى أغرب مما أمر اليهود بالتعنت فيه ، و إشارة إلى أن الله تعالى يؤتى أتباعه من علوم إدريس الأرضية و السماوية[4] مما يستحق أن يحفظ بالخط و يودع بطون الكتب لضيق الصدور عن حفظه ما لم يؤته أمة من الأمم ، و أنه يجمع شملهم ، و ترهيبا ١٥ للمتعنتين بأنهم إن لم ينتهوا وضع فيهم السلاح كما فعل إدريس عليه السلام بكفار زمانه فقال : ﴿ و اذكر فى الكتب ﴾ [أى -[5]] [6]الجامع

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد ؛ و هذه المزايا قد ذكرها البغوى أيضا - راجع هامش اللباب ٤/ ٢٠٢ (٣) زيد من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : السماوية (٥) زيد من مد (٦) العبارة من هنا إلى «المتأخرين» ص ٢١٦ س . سقطت من ظ .

لكل ما يحتاج إليه من قصص المتقدمين و المتأخرين ﴿ ادريس ﴾ أى الذى هو أبعد ممن تعنت بهم اليهود زمانا ، و أخفى منهم شأنا ، و هو جد أبى نوح عليه السلام و اسمه حنوخ بمهملة[1] و نون و آخره معجمة ﴿ إنه كان صديقا ﴾ أى صادقا فى أقواله و أفعاله ، و مصدقا بما أتاه عن الله من آياته على ألسنة الملائكة ﴿ نبيا ﴾ ينبئه الله تعالى بما يوحيه [إليه -[2]] [3]من الأمر العظيم ، رفعة لقدره[3]، فينبئ به الناس الذين أرسل إليهم ﴿ و رفعنه ﴾ جزاء منا له على تقواه و إحسانه ، [3]رفعة تليق بعظمتنا ، فأحللناه[3] ﴿ مكانا عليا ﴾ أى الجنة أو السماء الرابعة ، و هى التى رآه النبى صلى الله عليه و سلم بها ليلة الإسراء ؛ قال ابن قتيبة فى المعارف[4] : و فى التوراة أن / أخنوح[5] أحسن قدام الله فرفعه[6] إليه - انتهى . و فى نسخة ترجمة التوراة[7] [3]و هى قديمة جدا[3] و قابلتها مع بعض فضلاء الربانيين من اليهود و على ترجمة سعيد الفيومى[8] بالمعنى - [و كان هو القارئ - [9]] ما نصه : و كانت جميع حياة حنوخ ثلاثمائة و خمسا و ستين سنة[10] ، فأرضى حنوخ الله ففقد لأن الله غيبه ، و فى نسخة

٤٢٤ / ١٠

(١) و أغلب ، ما ضبطه النسابون بالمعجمة المسبوقة بألف (٢) زيد من ظ و مد . (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) ص ٨ (٥) من المعارف ، و فى الأصول : حنوخ - كما اختاره البقاعى (٦) زيد فى الأصل و مد : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و المعارف فحذفناها هنا (٧) و راجع لتفاصيل نسخ التوراة نظم الدرر ١/٢٧٧ - ٢٧٩ (٨) و هى عندهم أحسن التراجم - كما صرح به المؤلف (٩) زيد من مد (١٠) راجع الأصحاح الخامس من سفر التكوين .

أخرى: لأن الله قبله، و فى أخرى[1] : لأن الله أخذه. و هو قريب مما قال ابن قتيبة، لأن أصل الكلام عبرانى، و إنما نقله إلى العربى المترجون، فكل ترجم على قدر فهمه من ذلك اللسان، و يؤيد أن المراد الجنة [ما-[2]] فى مجمع الزوائد[3] للحافظ نور الدين الهيثمى عن معجمى الطبرانى - الأوسط و الأصغر إن لم يكن موضوعا : حدثنا محمد بن واسط ثنا ٥ إبراهيم بن عبد الله بن خالد المصيصى ثنا حجاج بن محمد عن أبى غسان محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن عبيد الله بن أبى رافع عن أم سلمة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: إن إدريس عليه السلام كان صديقا لملك الموت فسأله أن يريه الجنة و النار، فصعد بادريس فأراه النار ففزع منها، و كاد يغشى عليه فالتف عليه ملك ١٠ الموت بجناحه، فقال ملك الموت: أليس قد رأيتها؟ قال: بلى! و لم أر كاليوم قط، ثم انطلق به حتى أراه الجنة فدخلها فقال له ملك الموت: انطلق! قد رأيتها، قال: إلى أين؟ قال [ملك الموت -[4]]: حيث كنت، قال إدريس: لا و الله! لا أخرج منها بعد إذ دخلتها، فقيل لملك الموت: أليس أنت أدخلته [إياها -[5]] و أنه ليس لأحد دخلها أن ١٥ يخرج منها.

و قال: لا يروى عن أم سلمة إلا بهذا الإسناد، و قال الحافظ نور الدين: إبراهيم المصيصى متروك.

---

(١) و هى نسختنا (٢) زيد من ظ و مد (٣) ٨ / ١٩٩ - ٢٠٠ (٤) زيد من ظ و مد و المجمع (٥) زيد من المجمع.

قلت و فى لسان الميزان[1] لتلميذه شيخنا حافظ العصر ابن حجر عن الذهبى أنه كذاب ، و عن ابن حبان أنه كان يسوى الحديث ، أى يدلس تدليس التسوية . و فى تفسير البغوى[2] عن وهب قريب من هذا ، و فيه أنه سأل ملك الموت أن يقبض روحه و يردها إليه بعد ساعة ، فأوحى الله إليه أن ٥ يفعل ، و فيه أنه احتج فى امتناعه من الخروج بأن كل نفس ذائقة الموت و قد ذاقه ، و أنه لابد من ورود النار[3] و قد وردها ، و أنه ليس أحد يخرج من الجنة ، فأوحى الله إلى ملك الموت : باذنى دخل الجنة - يعنى : فخل سبيله - فهو حى هناك . و فى تفسير البغوى[4] أيضا عن كعب و غيره أن إدريس عليه السلام مشى ذات يوم فى حاجة فأصابه وهج الشمس فقال : ١٠ يا رب ! فكيف بمن يحملها ؟ اللهم ! خفف عنه[5] من ثقلها ، فخفف عنه فسأل[6] ربه عن السبب فأخبره فسأل أن يكون بينهما خلة . فأتاه فسأله إدريس عليه السلام أن يسأل ملك الموت[7] أن يؤخر أجله ، فقال[8] : لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها ، و أنا مكلمه ، فرفع إدريس عليه السلام فوضعه عند مطلع الشمس ، ثم أتى ملك الموت و كلمه ١٥ فقال : ليس ذلك إلىّ ، و لكن [إن - [9]] أحببت أعلمته أجله

(١) ١/٧١-٧٢ (٢) راجع هامش اللباب ٣/٢٠٣ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الناس (٤) راجع هامش اللباب ٤/٢٠٣ (٥) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : عند (٦) أى الملك؛ و الرواية هنا مسرودة فى غاية الوجازة (٧) زيد فى الأصل و ظ : فى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) بهامش ظ : فاعل « قال » ضمير يرجع إلى الملك الذى خفف عنه من حملها (٩) زيد من ظ و مد و المعالم .

فيتقدم

[1]فيتقدم فى نفسه[1]، قال: نعم! فنظر فى ديوانه فقال: إنك كلمتنى فى إنسان / ما أراه يموت أبدا، قال: وكيف [ذلك-[2]]؟ قال: لا أجده يموت إلا عند مطلع الشمس، قال: فانى أتيتك[3] و تركته[3] هناك، قال: انطلق فلا أراك تجده إلا [و - [4]] قد مات، فو الله ما بقى من أجل إدريس - عليه السلام - شىء، فرجع الملك[5] فوجده ميتا. و من جيد المناسبات أن إسماعيل و إدريس عليهما الصلاة و السلام اشتركا فى البيان بالعلم و اللسان، فاسماعيل عليه السلام أول [من أجاد البيان باللسان، و إدريس عليه السلام أول-[6]] من أعرب الخطاب بالكتاب، فقد روى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: أول من فتق لسانه بهذه العربية إسماعيل عليه السلام[7]. و لأحمد عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام[8].

/ ٤٢٥

و لما انقضى كشف هذه الأخبار، العلية المقدار، الجليلة الأسرار، شرع سبحانه ينسب أهلها بأشرف نسبهم، و يذكر أمتن سببهم[9] [10]هزا

(١-١) فى المعالم: فيقدم لنفسه (٢) زيد من المعالم (٣) من مد والمعالم، و فى الأصل: تركه، و فى ظ: اتيته (٤) زيد من ظ و مد والمعالم (٥) فى مد: ملك الموت. (٦) زيد من ظ ومد (٧) وأيضا رواه الشيرازى فى الألقاب عن على وزاد بعده: و هو ابن أربع عشرة سنة - راجع الجامع الصغير ١ / ٩٧ (٨) لم نقف به فى مظانه فى مسند أحمد. ورواه الحكيم عن أبى ذر بأكثر من هنا - راجع الجامع الصغير ١/٩٨ (٩) بهامش ظ: المراد بالسبب الوصلة بين الله و بينهم (١٠) العبارة من هنا إلى «فى السبب» ص ٢٢٠ س ١ ساقطة من ظ.

لمن وافقهم فى النسب إلى الموافقة فى السبب فقال : ﴿ اولٓئك ﴾ أى العالو الرتب ، الشرفاء النسب ﴿ الذين انعم الله ﴾ بما له من صفات الكمال التى بها أقام آدم عليه السلام و هم فى ظهره ، مع ما طبعه عليه من الأمور المتضادة حتى نجاه من مكر إبليس ، و نجى بها نوحا عليه السلام و هم فى صلبه من ذلك الكرب العظيم ، و إبراهيم عليه السلام و هم فى قواه مع اضطرام النار و إطفاء السن و إصلاد العظم ، و أعلى بها إسراءيل عليه السلام و بنيه فى سوط الفراق و امتهان العبودية و انتهاك الاتهام حتى كان أبناؤه معدن الملوك و الأنبياء ، و محل الأتقياء و الأصفياء ، إلى غير ذلك من جليل الأنبياء [1]و عظيم الاصطفاء و الاجتباء[1] ﴿عليهم﴾ بما خصهم به من مزيد القرب إليه ، و عظيم المنزلة لديه ؛ و بين الموصول بقوله : ﴿من النبين﴾ أى المصطفين للنبوة الذين أنبأهم الله بدقائق الحكم ، [1]و رفع محالهم بين الأمم[1] ، و أنبأوا الناس بجلائل الكلم ، و أمروهم بطاهر الشيم .

[1]و لما كانوا بعض بنى آدم الذين تقدم أنا كرمناهم ، قال إشارة إلى ما فى ذلك من النعمة عليهم و هم يرونها[1] : ﴿من ذرية [1]ادم[1] ﴾ صفينا أبى البشر الذى خلقه الله من التراب بيده ، و أسجد له ملائكته ، و إدريس أحقهم بذلك .

و لما كان فى إنجاء نوح عليه السلام و إغراق قومه من القدرة الباهرة ما لا يخفى ، نبه عليه بنون العظمة فى قوله [2]مشيرا إلى أعظم النعمة عليهم

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « إلى ذلك » ص ٢٢١ س ٣ ساقطة من ظ .

بالتبعيض، و إلى أن نبيهم من ذريته كما كان هو من ذرية إدريس عليه السلام الذى هو من ذرية آدم، فكما كان كل منهم رسولا فكذلك[1] هو و إبراهيم أقربهم إلى ذلك: ﴿و ممن حملنا مع نوح﴾ صفينا أول رسول أرسلناه بعد افتراق أهل الأرض و إشراكهم، من خلص العباد، و أهل الرشاد، و جعلناه شكورا، و إبراهيم أقربهم إلى ذلك ﴿و من ذرية إبرٰهيم﴾ ٥ خليلنا [2]الذى كان[2] له فى إعدام الأنداد ما[4] اشتهر به من فضله بين العباد، و إسماعيل و إسحاق أولاهم بذلك، ثم يعقوب / ﴿و اسرآءيل﴾ / ٤٢٦ صفينا، و هم الباقون: موسى و هارون و زكريا و يحيى و عيسى ابن مريم بنت داود - على جميعهم أفضل الصلاة و السلام - [فكما كان هؤلاء رسلا و هم من ذرية إبراهيم الذى هو من ذرية نوح فكذا نبيكم الذى هو ١٠ من ذرية إسماعيل الذى هو من إبراهيم لصلبه و هو أول أولاده كما كان إسرائيل من ذريته. فالإرسال من ذرية من هو ابنه لصلبه أولى من الإرسال من ذرية من بينه و بينه واسطة، و إلا كان بنو إسرائيل أشرف منكم و أبوهم أشرف من أبيكم، فلا تردوا الكرامة، يا من يتنافسون فى المفاخر و الزعامة -[5]] ﴿و ممن هدينا﴾ إلى أقوم الطرق[6] ﴿و اجتبينا[4]﴾ ١٥ أى فعلنا بهم فعل من يتخير الشىء و ينتقيه بأن أسبغنا عليهم من النعم ما يجل عن الوصف؛ [7]و عطف الأوصاف بالواو إشارة إلى التمكن فيها[7].

(١) من مد، و فى الأصل: و كذلك (٢) العبارة: من هنا إلى « بين العباد » ساقطة من ظ (٣) من مد، و فى الأصل: قال (٤) من مد، و فى الأصل: لما (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الطريق. (٧ - ٧) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « و ممن » مع سقوطه من ظ، =

و لما ذكر ما حباهم به، ذكر ما تسبب عن ذلك فقال [مستأنفا -١] ﴿اذا تتلى عليهم آيٰت الرحمن﴾ العام النعمة، فكيف بهم إذا أعلاهم [جلال أو خصتهم رحمة -٢] من جلائل النعم، من فيض الجود و الكرم٣، [فسمعوا خصوص هذا القرآن -٤] ﴿خروا سجدا﴾ للنعم عليهم تقربا إليه، لما لهم من البصائر المنيرة فى ذكر نعمه عليهم و إحسانه إليهم ﴿و بكيا ٥﴾ خوفا منه و شوقا إليه. فوصفهم بسرعة الخشوع من ذكر الله الناشئ عن دوام الخضوع و الناشئ عنه الإسراع بالسجود فى حالة البكاء، و جعلهما حالتين ٤ بالعطف بالواو ٤ لعراقة المتحلى بهما فى كل منهما على انفراده، و عبر بالاسم ٥ فى كل من السجود و البكاء، إشارة إلى أن خوفهم دائم كما أن خضوعهم دائم لعظمة الكبير الجليل، لأن تلك الحضرة لا تغيب عنهم أصلا، و إن حصل غير البكاء فللتأنيس لمن٦ أرسلوا إليه ليوصلوه إلى قريب من رتبتهم بحسن عشرتهم على تفاوت المراتب، و تباين المطالب، و حذف ذكر الأذقان لدلالتها

= و الترتيب من مد، و زيد هنا فى الأصل: الذى هو من إبراهيم تسلية و هو أول أولاده، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

(١) زيد من مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد بعده فى الأصل: الأعظم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لين.

- كما تقدم فى سبحن [١] - على نوع دهشة . فهى - و إن أعلت صاحبها عمن لم يبلغها - حالة دون مقام الراسخين فى حضرة الجلال ، لأنهم - مع كونهم فى الذروة من مقام الخوف - فى أعلى درجات الكمال من حضور الفكر و انشراح الصدر - لتلقى واردات الحق و إلقائها إلى الخلق ، انظر إلى ثبات الصديق رضى الله عنه - لعلو مقامه عن غيره - عند ٥ وفاة النبى صلى الله عليه و سلم مع أنه أوفاهم من المحبة مشربا ، و أصفاهم موردا ، و أوفرهم حزنا ، و أكثرهم غما و هما ، حتى أنه اعتراه لذلك مرض السل حتى مات به وجدا و أسفا [و من هنا تعلم السر فى إرسال النبى صلى الله عليه و سلم الأنبجانية التى ألهت فى الصلاة بأعلامها فى الصلاة إلى أبى جهم لأنه رضى الله عنه ربما كان من أهل الجمع فى الصلاة فلا ١٠ يرى غيره سبحانه فناء عن كل فان بخلاف النبى صلى الله عليه و سلم فانه لكماله متمكن فى كل من مقامى الجمع و الفرق فى كل حالة و لهذا يرى من خلفه فى الصلاة و لا يخفى عليه خشوعهم - [٢]] .

و لما كان من المقاصد العظيمة تبكيت اليهود ، لأنهم أهل الكتاب و عندهم من علوم الأنبياء [ما - [٣]] ليس عند العرب و قد استرشدوهم [٤] ١٥ و استنصحوهم ، فقد كان أوجب الواجبات عليهم محض النصح لهم ، فأبدى سبحانه من تبكيتهم ما تقدم إلى أن ختمه بأن جميع الأنبياء كانوا لله

(١) راجع آية ١٠٧ (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : استرشدهم العرب .

سجدا و لأمره خضعا. عقب ذلك بتوبيخ هو أعظم داخل فيه و هو أشد مما تقدم لمن خاف الله و رسله فقال: ﴿فخلف من بعدهم﴾ أى [1]فى بعض[1] الزمان الذى بعد هؤلاء الأصفياء سريعا ﴿خلف﴾ هم فى غاية الرداءة ﴿اضاعوا الصلوٰة﴾ الناهية عن الفحشاء و المنكر التى هى طهرة الأبدان، و عصمة الأديان، و أعظم الأعمال، بتركها أو تأخيرها عن وقتها و[2] الإخلال بحدودها، فكانوا لما سواها أضيع، فأظلمت قلوبهم فأعرضوا عن داعى العقل ﴿و اتبعوا﴾ [3]أى بغاية جهدهم[3] ﴿الشهوٰت﴾ التى توجب العار فى الدنيا / و النار فى الآخرة، فلا يقربها من يستحق أن يعد بين الرجال، من تغيير أحكام الكتاب و تبديل ما فيه مما تخالف الأهواء كالرجم فى الزنا، و تحريم الرشى و الربا، و نحو ذلك، و أعظمه كتم البشارة بالنبى العربى الذى هو من ولد إسماعيل ﴿فسوف يلقون﴾ أى يلابسون - [3]وعدا لاخلف فيه[3] بعد طول المهلة - جزاء فعلهم هذا ﴿غيا[5]﴾ أى [3]شرا يتعقب[3] ضلالا عظيما. فلا يزالون فى عمى عن طريق الرشاد[4] لا يستطيعون إليه سبيلا، و هم على بصيرة من أنهم على خطأ و ضلال، و لكنهم مقهورون على ذلك بما زين لهم منه حتى صارت لهم فيه أتم رغبة. و ذلك أعظم الشر[5]، و لم يزل سبحانه يستدرجهم بالنعم إلى

/ ٤٢٧

(١ - ١) من مد، و فى الأصل: من بعد؛ و العبارة من هنا - بما فيها هاتان الكلمتان ساقطة من ظ إلى «الذى» (٢) فى ظ: او (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيدت الواو فى الأصل. و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) من مد، و فى الأصل: اثر؛ و العبارة من «وذلك» إلى هنا - بما فيها هذه الكلمة - ساقطة من ظ

أن قطعوا بالظفر و الغلبة حتى أناخت بهم سطوات العزة ، فأخذوا على غرة ، و لا أنكأ من الأخذ على هذه الصفة بعد توطين النفس على الفوز ، و هو من وادى قوله "و نحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا و بكما و صما[1]" مع قوله "اسمع بهم و ابصر" و جزاء من كان هذا ديدنه فى الدنيا و الآخرة معروف لكل من له أدنى بصيرة أنه العارثم النار ، و أيضا فان من ضل أخطأ طريق الفلاح من الجنة و غيرها فخاب ، و من خاب فقد هلك ؛ قال أبو على الجبائى[2] : و الغى هو الخيبة فى اللغة - انتهى . و يجوز أن يراد بالغى الهلاك ، إما من قولهم - أغوية - وزن أثفية - أى مهلكة ، و إما من تسمية الشيء باسم ما يلزمه .

و لما أخبر تعالى عنهم بالخيبة ، فتح لهم باب التوبة ، و حداهم إلى غسل هذه الحوبة . بقوله : ﴿ الا من تاب ﴾ أى مما [هو -[3]] عليه من الضلال ، بايثار سفساف الأعمال ، على أوصاف الكمال ، [فحافظ على الصلاة ، و كف نفسه عن الشهوات -[4]] ﴿ و امن ﴾ بما أخذ عليه [به -[3]] العهد ﴿ و عمل ﴾ بعد إيمانه تصديقا له[5] ﴿ صالحا ﴾ من الصلوات و الزكاة و غيرها ، [و لم يؤكدهما لما أفهمته التوبة من إظهار عمل الصلاة التى هى أم العبادات -[4]] ﴿ فاولئك ﴾ العالو الهمم ، الطاهرو[6] الشيم ﴿ يدخلون الجنة ﴾ التى وعد المتقون ﴿ و لا يظلمون ﴾ [7]من ظالم ما[7]

(١) سورة ١٧ آية ٩٧ (٢) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام أبو على الجبائى البصرى المعتزلى المتوفى سنة ٣٠٣ هـ ، و كان متكلما مفسرا - راجع معجم المؤلفين ١٠/٢٦٩ .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : به .
(٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : الطاهر (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿ شيئا ﴾ من أعمالهم ؛ ثم بينها[1] بقوله : ﴿ جنت عدن ﴾ أى إقامة لا ظعن عنها بوجـــه من الوجوه ﴿ التى وعد الرحمن ﴾ الشامل النعم ﴿عباده﴾ الذين[2] هو أرحم بهم من الوالدة بولدها ؛ و عبر عنهم بوصف العبودية للاشعار بالتحنن ، وعدا كائنا[3] ﴿ بالغيب[4] ﴾ الذى لا اطلاع لهم عليه أصلا إلا من قبلنا ، فآمنوا به فاستحقوا ذلك بفضله سبحانه على إيمانهم بالغيب .

و لما كان من شأن الوعود الغائبة - على ما يتعارفه الناس بينهم - احتمال عدم الوقوع ، بين أن وعده ليس كذلك بقوله : ﴿ انه كان ﴾ [4]أى كونا هو سنة ماضية[4] ﴿وعده مأتيا﴾ أى مقصودا بالفعل ، فلا بد من وقوعه ، فهو كقوله تعالى "ان كان وعد ربنا لمفعولا[5]" .

و لما كانت الجنة دار الحق ، وكان أنكأ شيء لذوى الأقدار الباطل ؛ وكان أقل ما ينكأ منه سماعه ، نفى ذلك عنها على أبلغ وجـــه فقال : ﴿لا يسمعون فيها لغوا﴾ أى شيئا ما من الباطل الذى لا ثمرة له . و لما كانت السلامة ضد الباطل / من كل وجه ، قال : ﴿الا﴾ [أى لكن -[6]] ٤٢٨ / ﴿ سلاما[7] ﴾[7] لا عطب معه[8] و لا[9] عيب و لا نقص أصلا[9] فيه ، و أورد على صورة الاستثناء من باب [10]قول الشاعر[10] :

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب[11]

(١) فى ظ : وصفها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٣) فى ظ : ثانيا .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سورة ١٧ آية ١٠٨ (٦) زيد من ظ .
(٧) زيد فى مد : اى (٨) العبارة من هنا إلى «أصلا فيه» ساقطة من ظ (٩-٩) من مد ، و فى الأصل : لا نقص ولا عيب ابتلا (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (١١) قد مر التعليق على هذا البيت .

و يحسن أن يراد باللغو مطلق الكلام ؛ قال فى القاموس : لغا لغوا : تكلم . أى لا يسمعون فيها[1] كلاما [إلا -[2]] كلاما يدل على السلامة ، و لا يسمعون شيئا يدل على عطب أحد منهم و لا عطب شيء فيها .

و لما كان الرزق من أسباب السلامة قال : ﴿ و لهم رزقهم ﴾ [3]أى على قدر ما يتمنونه و يشتهونه على وجه لابد من إتيانه و لا كلفة عليهم ٥ فيه و لا يمن عليهم به[3] ﴿ فيها بكرة و عشياه ﴾ أى دواما ، لايحتاجون إلى طلبه فى وقت من الأوقات ، و فى تفسير عبد الرزاق عن مجاهد : و ليس فيها بكرة و لا عشى ، لكنهم يؤتون به على ما كانوا يشتهون فى الدنيا . أى أنهم خوطبوا بما يعرفون [كما أشار إليه تأخير الظرف إذ لو قدم لأوهم بعدهم عن ذلك بالجنة -[4]] . ١٠

و لما باينت بهذه الأوصاف دار الباطل ، أشار إلى علو رتبتها و [ما -[2]] هو سببها بقوله : ﴿ تلك الجنة ﴾ بأداة البعد لعلو قدرها ، و عظم أمرها ﴿ التى نورث ﴾ أى نعطى عطاء الإرث الذى لا نكد فيه [3]من حين التأهل له بالموت[3] و لا كد و لا استرجاع ﴿ من عبادنا ﴾ الذين أخلصناهم لنا ، فخلصوا عن الشرك نية و عملا ﴿ من كان ﴾ أى جبلة ١٥ و طبعا ﴿ تقياه ﴾ أى مبالغا فى التقوى ، فهو فى غاية الخوف منا لاستحضاره أنه عبد ؛ قال الرازى فى اللوامع : و ما تقرب أحد إلى ربه بشيء أزين عليه من ملازمة العبودية و إظهار الافتقار ، و العبد يكون ذليلا بأوصافه ،

(١) زيد فى الأصل : الا لغوا اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من مد .

عزيزا بأوصاف الحق تعالى-انتهى. و ذلك[1] إشارة إلى سبب إيراثها التقوى.

و لما كرر سبحانه الوصف بالتقى فى هذه السورة ثلاث مرات، و ختمه بأنه سبب للمقصود بالذات، و هو الراحة الدائمة بالوراثة لدار الخلد على وجه الإقامة المستمرة، و صفة الملك الذى لا كدر فيه بوجه و لا تخلف[2] عن مراد، أتبعه مابعده إشارة إلى[3] ما تنال به التقوى، و هو الوقوف مع الأمر مراقبة للآمر عطفا على " و بالحق انزلنه " لأنه لما كان العلم واقعا بأن جميع سورة الكهف شارحة لمسألتين من مسائل قريش، و بعض سورة سبحان شارح للثالثة، و لطول الفصل صدرت قصة ذى القرنين بقوله " و يسئلونك " إعلاما بعطفها على مسألة الروح المصدرة بمثل ذلك. و جاءت سورة مريم كاشفة - تبكيتا لأهل الكتاب الكاتمين للحق - عن أغرب من تلك القصص [و أقدم زمانا -[4]] و أعظم شأنا من أخبار[5] الأنبياء المذكورين و من أسرع التبديل بعدهم باضاعة الصلاة و اتباع الشهوات، فثبت بذلك أن هذا كله مرتب لإجابة سؤالهم و أنه كلام الله قطعا، إذ لو كان من عند النبى صلى الله عليه و سلم ما وعدهم الإجابة فى الغد إلا و هو قادر عليها، لما هو معلوم قطعا من رزانة عقله، و غزارة فطنته، و متانة رأيه، و لو قدر على ذلك ما تركهم يتكلمون فى عرضه بما الموت أسهل منه. [لما علم منه -[4]] من الشهامة و الأنفة /و البعد عما يقارب الشين، و بان بذلك أن الله سبحانه و عز شأنه ما أجمل أمر[6] الروح / ٤٢٩

(١) بهامش ظ : اى قوله : من كان تقيا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : يخلف.
(٣) زيد فى الأصل : ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و مد (٥) بهامش ظ : « من أخبار » بيان لأغرب (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : من.

و لا أخر الإجابة خمس عشرة ليلة أو أقل أو أكثر من عجز و لا جهل ، و ثبت بذلك كله و بما بين من صنعه لأهل الكهف و لذى القرنين وإفى ولادة يحيى و عيسى و إسحاق عليهم الصلاة و السلام[1] تمامُ قدرته المستلزم لكمال علمه ، و كان الإخبار عن ذلك مطابقا للواقع الذى ثبت بعضه بالنقل الصحيح و بعضه بأدلة العقل القاطعة ، ثبت مضمون قوله تعالى ٥ " و بالحق انزلنه و بالحق نزل " و أن هذا الكتاب قيم لا عوج فيه ، فعطف عليه الجواب عن قول النبى صلى الله عليه و سلم لجبرئيل عليه الصلاة و السلام « لقد أبطات علىّ يا جبرئيل حتى سؤت ظنا » و نحوه مما ذكر فى أسباب النزول ، فقال على لسان جبرئيل عليه الصلاة و السلام : ﴿ و ما نتنزل ﴾ أى أنا ولا أحد من الملائكة بانزال الكتاب و لا غيره ١٠ ﴿ الا بامر ربك ج ﴾ المحسن إليك [2]فى جميع الأمر فى التقديم و التأخير[2] لئلا يقع فى بعض الأوهام أنه حق فى نفسه ، و لكنه نُزل بغير أمره سبحانه ، و وقع الخطاب مقترنا بالوصف المفهم لمزيد الإكرام تطييبا لقلبه صلى الله عليه و سلم و إشارة إلى أنه محسن إليه ، و لفظ التنزل مشير إلى الإكرام ، و هو التردد مرة بعد مرة [2]و وقتا غب وقت[2] ، و لا يكون إلا لذلك لأن ١٥ النزول للعذاب يقضى به الأمر فى مثل لمح البصر ، و كان هذا عقب ذكر القيامة بذكر الجنة كما كان المعطوف عليه عقب " فاذا جاء وعد الأخرة " و [كما -[3]] كان ختام مسائلهم بذكر الآخرة فى قوله

(١) زيدت الواو فى الأصل . و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و مد .

" فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء " - إلى آخر السورة ليكون ذلك أشد تثبيتا للبعث و أعظم تأكيدا ، و إن استطلت هذا العطف مع بعد ما بين المعطوف و المعطوف عليه و استعظمته واستنكرته لذلك و استبعدته فقل : لما كشفت هذه السورة عن هذه القصص الغريبة ، وكان المتعنتون ٥ ربما قالوا : نريد أن يخبرنا هذا الذى ينزل عليك بجميع أنباء الأقدمين و أخبار الماضين ، قال جوابا عن ذلك أن قيل : ما أنزلنا[1] عليك بأخبار هؤلاء إلا بأمر ربك ، و ما تنزل فيما يأتى أيضا إلا بأمر ربك ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ له ما بين ايدينا ﴾ أى من المكان و الزمان و ما فيهما ﴿ و ما خلفنا ﴾ من ذلك ﴿ و ما بين ذلك ج ﴾ و هو نحن و المكان و الزمان ١٠ اللذان[2] نحن بهما و ما فوقه و تحته ، و نحن نعلم ذلك و نعمل على حسب ما نعلم ، فلا نتصرف فى ملكه إلا بأمره ﴿ و ما كان ﴾ [3]على تقدير من التقادير[3] ﴿ ربك نسيا ﴾ أى ذا نسيان لشىء من الأشياء فيترك تفصيل أمر الروح ، و يؤخر الجواب عن الوقت الذى وعدتهم فيه لخفاء شىء من ذلك عليه ، و لا ينسى ما يصلحك فيحتاج إلى مذكر به ، و لا ينسى ١٥ أحدا منا فينزل فى وقت نسيانه له بل هو دائم الإطلاع على حركاتنا و سكناتنا ، فنحن له فى غاية المراقبة ، و هو سبحانه يصرفنا بحسب الحكمة فى كل وقت تقتضيه حكمته ، لا يكون شىء من ذلك إلا فى الوقت الذى حده له و أراده فيه ، و لا يخرج شىء من الأشياء و إن دق عن مراده . و يجوز أن / يقال فى التعبير بصيغة 'فعيل' [أنه لا يتمكن العبد من الغيبة / ٤٣٠

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : نزل (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذين.
(٣ - ٣) سقط مابين الرقمين من ظ .

عن

عن السيد بغير إذنه إلا إن كان بحيث يمكن أن يغفل و أن تطول غفلته و تعظم لكونه مجبولا عليها، أو أنه -[١] لما استلبث الوحى فى أمر الأسئلة التى سألوا عنها من الروح و ما معها خمس عشرة ليلة أو أكثر أو أقل - على اختلاف الروايات، فكان ذلك موهما للأغبياء[٢] أنه نسيان، وكان مثل ذلك لا يفعله إلا كثير النسيان، نفى هذا الوهم بما اقتضاه من الصيغة و نفى قليل ذلك وكثيره فى السورة التى بعدها ضما لدليل النقل إلى دليل العقل بقوله "لا يضل ربى و لا ينسى[٣]" لما اقتضاه السياق، فأتى فى كل أسلوب بما يناسبه مع الوفاء بما يجب من حق الاعتقاد، و هذه الآية مع "و بالحق انزلناه" و "قل لئن اجتمعت الانس و الجن" مثل "قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات" - الآيتين[٥] فى سورة هود عليه السلام، على ما قدمت فى بيانه غير أن ما جمع هناك فصل هنا فى أول الجواب عن أسئلتهم بآية "قل لئن اجتمعت" و أثنائه[٦] بآية "و بالحق انزلناه" و آخره بهذه الآية، لتكون الآيات رابطة على هذه الأجوبة و توابعها و ضابطة لها كالشهب و الحرس الشديد بالنسبة إلى السماء، فلا يبغيها متعنت من جهة من جهاتها كيدا إلا رد خاسئا، و لا يرميها بقادح إلا كان رميه خاطئا.

و لما وصف سبحانه و تعالى بنفوذ الأمر و اتساع العلم على وجه ثبت

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: للانبياء.
(٣) سورة ٢٠ آية ٥٢ (٤) سورة ١٧ آية ٨٨ (٥) ١٣ و ١٤ (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: اتيانه.

به ما أخبر به عن الجنة . فثبت أمر البعث . أتبع ذلك ما يقرره على وجه أصرح منه و أعم فقال [1]مبدلا من "ربك"[1]: ﴿رب السمٰوٰت و الارض﴾ اللتين نحن من جملة ما فيهما من عباده ﴿ و ما بينهما ﴾ منا و من غيرنا من الأحياء و غيرها ﴿ فاعبده ﴾ بالمراقبة الدائمة على ما ينبغى له من مثلك ﴿ و اصطبر ﴾ أى [اصبر صبرا عظيما - [2]] [3]بغاية جهدك[3] على كل ما ينبغى[4] الاصطبار عليه كذلك ﴿ لعبادته[5] ﴾ [اى لأجلها فانها لا تكون إلا عن مجاهدة شديدة : [5]م علل ذلك - [5]] بقوله : ﴿هل تعلم له سميا[6] ﴾ أى متصفا بوصف من أوصافه اتصافا حقيقيا ، أو مسمى باسمه ، العلَم الواقع موقع[6] لأنه[7] لا مماثل له حتى و لا فى مجرد الاسم ، و إيراده بصورة الاستفهام كالدعوى بدليلها .

و لما تبين بذلك و بما ذكر فى هاتين السورتين مما سألوا عنه و من غيره شمولُ علمه و تمام قدرته لاسيما فى إيجاد البشر تارة من التراب ، و تارة من ذكر و أنثى فى حكم العدم ، و تارة من أنثى بلا ذكر ، و ثبت ذلك كله . فانكشفت الشبه . و تضاءلت موجبات المراء[8] . و انقمعت مخيلات الفتن . عجب منهم فى إنكارهم البعث و هم يشاهدون

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد فى الأصل : له من . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٥) زيد من ظ و مد (٦) بهامش ظ ما خلاصته : « فانه لا مماثل له » مضاف إليه ، و مضافه « موقع » (٧) فى ظ و مد : فانه (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المرء .

ما ذكر من قدرته و علمه ، عاطفا على التعجب فى قولهم "و قالوا ءاذا كنا" تعجبيا أشد من ذلك فقال : ﴿ و يقول ﴾ بلفظ المضارع المؤذن بالتجدد بعد هذا البيان المقتضى حتما لاعتقاد البعث فضلا عن إنكاره مرة من المرات ، ليخبر عنها بصيغة الماضى . فكيف بالمداومة على ذلك المشار إليها بصيغة المضارع ؛ [1]و عبر بالمفرد و إن كان للجنس لأن الإنكار على الواحد يستلزم الإنكار على المتعدد فقال[1]: ﴿ الانسان ﴾ أى الذى خلقناه و لم يك شيئا ، مع ما فضلناه به من العقل ، و نصبنا له من الدلائل ، [1]فشغله الأنس بنفسه عن التأمل فى كمال ربه[1] منكرا مستبعدا : ﴿ ءاذا ما مت ﴾ ثم دل على شدة استبعاده لذلك بقوله [2]مخلصا / للام ٤٣١ الابتداء إلى التوكيد سالخا[3] لها عما من شأنها الدلالة عليه من الحال لتجامع ما يخلص للاستقبال : ﴿ لسوف اخرج ﴾ [1]أى يخرجنى مخرج[1] ﴿حيا ﴾ أى بعد طول الرقاد ، و تفتت الأجزاء و المواد ، [1]و جاء بهذه التأكيدات لأن ما بعد الموت وقت كون الحياة منكرة على زعمه ، و العامل فى [1]إذا[1] فعل من معنى [1]أخرج[1] لا هو ، لمنع لام الابتداء لعمله فيما قبله[1] ؛ ثم قابل إنكاره[4] الباطل بانكار هو الحق[5] فقال عطفا على "يقول" [1]أو على ما تقديره : ألا يذكر ما لنا من تمام القدرة بخلق ما هو أكبر من ذلك من جميع الأكوان[1]: ﴿ اولا يذكر ﴾ [6]باسكان الذال

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى «للاستقبال» ساقطة من ظ (٣) هكذا يبدو فى مد ، و فى الأصل : شاكا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انكار (٥) بهامش ظ : الإنكار الحق هو إنكار الله عليه (٦) العبارة من هنا إلى « تأمل شديد » ساقطة من ظ .

على قراءة نافع و ابن عامر و عاصم[1] إشارة إلى أنه أدنى ذكر من هذا يرشده إلى الحق ، و قراءة الباقين بفتح الذال و الكاف و تشديدهما يشير إلى أنه - لاستغراقه فى الغفلة - يحتاج إلى تأمل شديد ﴿ الانسان ﴾ [2]أى الآنس بنفسه[2] ، المجترئ بهذا الإنكار على ربه وقوفا مع نفسه ٥ ﴿ انا خلقنه ﴾ [2]و أشار باثباته الجار إلى سبقه بالعدم فقال[2] : ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل جدله هذا أى[3] بما لنا من القدرة و العظمة .

و لما كان المقام لتحقيره بكونه عدما ، أعدم من التعبير عن ذلك ما أمكن إعدامه ، و هو النون ، لتناسب العبارة المعتبر فقال : ﴿ و لم يك شيئا ﴾ أصلا . و إنا بمقتضى ذلك قادرون على إعادته فلا ١٠ ينكر ذلك .

و لما كان [2] كلام الكافر صورته صورة استفهام ، و هو جحد فى الحقيقة و إنكار ، و كان[2] إنكار المهدَّد لشىء يقتدر عليه المهدد سببا لأن يحققه له مقسما عليه ، قال تعالى مجيبا عن إنكاره مؤذنا بالغضب عليهم بالإعراض عنهم مخاطبا لنبيه صلى الله عليه و سلم [2]تفخيما لشأنه و تعظيما لأمره[2] : ١٥ ﴿ فوربك ﴾ المحسن إليك بالانتقام منهم .

و لما كان الإنكار للبعث يلزم منه الاحتقار ، أتى بنون العظمة ، و استمر فى هذا التحلى بهذا المظهر إلى آخر وصف هذا اليوم فقال : ﴿ لنحشرنهم ﴾ بعد البعث ﴿ و الشيطين ﴾ الذين يضلونهم [2]بجعل كل واحد[2]

---

(١) راجع نثر المرجان ٤/٢٤٤ و ٢٤٥ (٢ - ٢) سقط مابين الرقمين من ظ .

(٣) سقط من ظ . و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من مد إلى « و العظمة » .

[1]منهم مع قرينه الذى أضله[1]، [فى سلسلة - [2]] ﴿ ثم لنحضرنهم ﴾ [بعد طول الوقوف - [2]] ﴿ حول جهنم ﴾ التى هم بها مكذبون ، [1]يحيطون بها لضيق رأسها و بعد قعرها[1] ، حال كونهم ﴿ جثياً[4] ﴾ على الركب من هول المطلع و شدة الذل ، مستوقرين تهيئوا للمبادرة إلى امتثال الأوامر ﴿ ثم لننزعن ﴾ [1]أى لنأخذن أخذا بشدة و عنف[1] ٥ ﴿ من كل شيعة ﴾ أى فرقة مرتبطة بمذهب واحد .

[1]و لما كان التقدير : لننزعن أغناهم ، و هم الذين إذا نظرت إلى كل واحد منهم بخصوصه حكمت بأنه أغنى الناس ، علم أنهم بحيث يحتاج إلى السؤال عنهم لإشكال أمرهم فقال[1] : ﴿ ايهم اشد على الرحمن ﴾ الذى غمرهم بالإحسان ﴿ عتياً ﴾ أى تكبرا [متجاوزا - [3]] للحد ، انتزاعا يعلم به أهل ١٠ الموقف أنه أقل من القليل ، و أوهى أمرا من القتيل ، و أن له سبحانه - مع صفة الرحمة التى غمرهم إحسانها و برها - صفات أخرى من الجلال و الكبرياء و الجبروت و الانتقام .

[1]و لما تقدم ما هو فى صورة الاستفهام ، أتبعه ما يزيل ما قد يقع بسببه من بعض الأوهام ، فقال[1] : ﴿ ثم ﴾ و عزتنا ! ﴿ لنحن ﴾ لشمول ١٥ / علمنا و كمال قدرتنا و عظمتنا ﴿ اعلم ﴾ [من كل عالم - [2]] ﴿ بالذين هم[1] ﴾ ٤٣٢ / [1]لظواهرهم و بواطنهم[1] ﴿ اولى بها ﴾ [أى جهنم - [3]] ﴿ صلياً ﴾ [و - [3]] بالذين هم أولى بكل طبقة من دركاتها من جميع الخلق من المنتزعين و غيرهم ، فلايظن بنا أنا نضع أحدا فى غير دركته أو غير طبقته من دركته ؛

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) ليس فى الأصل فقط .

و عطف هذه الجمل بأداة البعد مقرونة بنون العظمة لبعد مراتبها و تصاعدها في ذرى العليا و ترقيها، تهويلا للمقام و تعظيما للأمر لاستبعادهم له. على أنه يمكن أن تكون الحروف الثلاثة للترتيب الزماني، و هو في الأولين واضح. و أما في الثالث فلأن العلم كناية عن الإصلاء[1]، لأن من علم ذنب عدوه - و هو قادر - عذبه[2]، فكأنه قيل: لنصلين كلا منهم النار على حسب استحقاقه لأنا أعلم بأولويته لذلك.

و لما كانوا بهذا الإعلام، المؤكد بالإقسام، من ذي الجلال و الإكرام، جديرين باصغاء الأفهام، إلى ما يوجه إليها من الكلام، التفت إلى مقام الخطاب، إفهاما للعموم فقال: ﴿ و ان ﴾ أي و ما ﴿ منكم ﴾ أيها الناس أحد[3] ﴿ الا واردها ج ﴾ أي داخل جهنم؛ [4]ثم استأنف قوله[4]: ﴿ كان ﴾ هذا الورود؛ [4]و لما كان المعنى أنه لابد من إيقاعه، أكده غاية التأكيد فأتى بأداة الوجوب فقال[4]: ﴿ على ربك ﴾ الموجد لك [4]المحسن إليك بانجاء أمتك لأجلك[4] ﴿ حتما ﴾ [4]أي واجبا مقطوعا به[4] ﴿ مقضيا ج ﴾ [4]لابد من إيقاعه[4]؛ قال الرازي في اللوامع: ما من مؤمن - إلا الأنبياء - إلا و قد تلطخ بخلق سوء. و لاينال السعادة الحقيقية إلا بعد تنقيته، و تخليصه من ذلك إنما يكون بالنار.

و لما كان الخلاص منها بعد ذلك مستبعدا. قال مشيرا إليه بأداة البعد:

---

(١) من ظ و مد. و في الأصل: الاصل (٢) من ظ و مد، و في الأصل: عزيز - كذا (٣) من ظ و مد. و في الأصل: احدا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

﴿ ثم ننجى ﴾ [١] أى تنجية عظيمة على قراءة الجماعة ، و مطلق إنجاء على قراءة الكسائى[٢] ، و كأن ذلك باختلاف أحوال الناس مع أن المطلق لاينافى المقيد ﴿ الذين اتقوا ﴾ أى كانوا متقين منها [٣]بأن تكون عليهم حال الورود بردا و سلاما[٣] ﴿ و نذر الظلمين ﴾ [٣]أى نترك على أخبث الأحوال[٣] الذين وضعوا الأشياء فى غير مواضعها [٤]و استمروا على ذلك[٤] فكانوا فى أفعالهم خابطين كالأعمى ﴿ فيها جثيا ﴾ كما كانوا جولها لايهتدون إلى وجه يخلصون به منها .

و لما كان هذا جديرا بالقبول لقيام الأدلة على كمال قدرة قائله ، و تنزهه عن إخلاف القول ، لبراءته من صفات النقص ، قال معجبا من منكره عاطفا على قوله "و يقول الانسان" : ﴿ و اذا تتلى عليهم ﴾ [٣]أى الناس ، من أىّ تالٍ كان[٣] ﴿ ءايتنا ﴾ حال كونها ﴿ بينت ﴾ لا مرية فيها ، [٣]بأن تكون محكمات ، أو متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات ، أو ببيان النبى صلى الله عليه و سلم ، فهى حال مؤكدة أو كاشفة[٣] ﴿ قال الذين كفروا ﴾ بآيات ربهم البينة ، [٥]جهلا منهم و نظرا[٦] إلى ظاهر الحياة الدنيا الذى هو مبلغهم من العلم ﴿ للذين ءامنوآ ﴾ [٣]أى لأجلهم أو مواجهة لهم[٣] ، إعراضا عن الاستدلال بالآيات ، و وجوه دلالتها

(١) العبارة من هنا إلى « لاينافى المقيد » ساقطة من ظ (٢) راجع نثر المرجان ٢٤٨/٤ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) تقدم فى الأصل على « و نذر » و الترتيب من مد (٥) العبارة من هنا إلى « من العلم » ساقطة من ظ (٧) زيد فى الأصل : منهم ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

/٤٣٣ البينات . بالإقبال على هذه الشبهة الواهية / - و هى المفاخرة بالمكاثرة فى الدنيا - من قولهم : ﴿ أى الفريقين ﴾ نحن - [1]بما لنا من الاتساع[1] ، أم أنتم - [2]بما لكم من خشونة العيش و رثاثة[3] الحال ﴿ خير مقاما ﴾ أى موضع قيام أو إقامة - [1]على قراءة ابن كثير بضم الميم و الجماعة بفتحها[1] : ٥ ﴿ و احسن نديا ﴾ مجمعا و متحدثا باعتبار ما فى كل من[4] الرجال ، و ما لهم من الزى و الأموال ، و يجعلون ذلك الامتحان بالإنعام و الإحسان دليلا على رضى الرحمن . مع التكذيب و الكفران . و يغفلون عن أن فى ذلك - مع التكذيب بالبعث - تكذيبا مما يشاهدونه منا من القدرة على العذاب باحلال النقم ، و سلب النعم ، و لو شئنا لأهلكناهم و سلبنا ١٠ جميع ما يفتخرون به ﴿ و كم اهلكنا ﴾ [1]بما لنا من العظمة .

و لما كان المراد استغراق الزمان ، لم يأت بالجار إعلاما بأن المتقدمين كلهم كانوا أرغد عيشا و أمكن حالا فقال[1] : ﴿ قبلهم من قرن ﴾ أى شاهدوا ديارهم ، و رأوا آثارهم ؛ [ثم - [5]] [1]وصف [1]كم[1] بقوله[1] : ﴿ هم ﴾ أى أهل تلك القرون ﴿ احسن ﴾ من هؤلاء ﴿ اثاثا ﴾ أى أمتعة ١٥ ﴿ و رئيا ﴾ أى منظرا . فكأنه قيل : فما يقال لهم؟ فقال : ﴿ قل ﴾ أى[6] لهم [1]ردا عليهم و قطعا لمعاذيرهم و هتكا لشبههم[1] : هذا الذى افتخرتم به لايدل على حسن الحال فى الآخرة ، بل على عكس ذلك . فقد جرت عادته سبحانه أنه ﴿ من كان فى الضلالة ﴾ مثلكم كونا راسخا[7] بسط له

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « الحال » ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : رثاية (٤) سقط من مد (٥) زيد من مد . (٦) سقط من ظ (٧) من مد . و فى الأصل : و امتحانا ، و الكلمة مع سابقتها ساقطة من ظ .

فى الدنيا و طيب عيشه [فى ظاهر الحال -[1]] فيها ، و نعم بأنواع الملاذ ، و عبر عن أن ذلك لايكاد يتخلف عن غير من حكم[2] بالزامه المسكنة من اليهود بلام الأمر ، إيذانا [3]بوجوده وجودَ المأمور بـه الممتثل[3] فى قوله : ﴿ فليمدد ﴾ و أشار إلى التحلى لهم بصفة الإحسان بقوله : ﴿ له الرحمن ﴾ أى العام الامتنان ﴿ مدا ﴾ فى العاجلة بالبسط فى الآثار ، و السعة فى الديار ، و الطول فى الأعمار ، و إنفاقها فيما يستلذ من الأوزار الكبار ، [4]فيزيده العزيز الجبار بذلك ضلالة[4] ، فيا له من خسار ، و تباب و تبار ، لمن [له -[5]] استبصار ، و لا نزال نمد له استدراجا ﴿ حتى ﴾ [5]و حقق أخذهم بأداة التحقيق[6] فقال : ﴿ اذا راوا ﴾ أى كل من كفر بالله بأعينهم[7] و إن ادعوا أنهم يتعاضدون و يتناصرون ، [و لذ لك جمع باعتبار المعنى -[1]] ﴿ ما يوعدون ﴾ من قبل الله ﴿ اما العذاب ﴾ فى الدنيا بأيدى المؤمنين أو غيرهم ، أو فى البرزخ ﴿ و اما الساعة[8] ﴾ التى هم بها مكذبون ، و عن الاستعداد لها معرضون ، و لا شىء يشبه أهوالها ، و خزيها و نكالها .

و لما كان الجواب : علموا أن مكانهم شر الأماكن ، و أن

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يحكم (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى « التحقيق فقال » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : التحقق (٧) فى الأصل و ظ بياض عبأناه من مد .

جندهم أضعف الجنود، عبر عنه بقوله تهديدا : ﴿فسيعلمون﴾ إذا رأوا ذلك ﴿من هو شر مكانا﴾ [1]أى من جهة المكان الذى قوبل [به -[2]] المقام ﴿و اضعف جندا﴾[3] [هم أو المؤمنون -[3]]، [4]أى [أضعف -[2]] من جهة الجند الذى أشير به إلى الندى، لأن القصد من فيه، و كأنه عبر بالجند لأن قصدهم المغالبة و ما[5] كل من فى الندى يكون مقاتلا .

و لما كان هذا لكونه استدراجا زيادة فى الضلال، قابله بقوله، [6]عطفا على ما تقدم[7] تقديره [تسبيبا عن قوله "فليمدد" و هو : فيزيده ضلالا، أو على موضع «فليمدد» -[2]] : ﴿و يزيد الله﴾ و عبر بالاسم العلم إشارة إلى التجلى لهم بجميع الصفات العلى ليعرفوه حق معرفته ﴿الذين اهتدوا هدى[8]﴾ عوض ما زوى عنهم [و منعهم -[2]] من الدنيا لكرامتهم / عنده مما بسطه[8] للضلال لهوانه عليه؛ فالآية من الاحتباك : ذكر السعة بالمد للضال أولا دليلا على حذف الضيق [بالمنع للهتدى ثانيا، و زيادة الهداية ثانيا دليلا على حذف زيادة الضلال أولا -[3]]، و أشار إلى أنه مثل ما خذل [9]أولئك بالنوال، وفق هؤلاء لمحاسن الأعمال، [10]باقلال الأموال[10] فقال : ﴿و الباقيت﴾ ثم وصفها احترازا من أفعال أهل الضلال بقوله : ﴿الصلحت﴾ أى من الطاعات و المعارف التى شرحت لها الصدور،

/ ٤٣٤

(١) العبارة من هنا إلى «المقام» ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) العبارة من هنا إلى «يكون مقاتلا» ساقطة من ظ (٥) من مد، و فى الأصل : فى (٦) العبارة من هنا إلى «تقديره» ساقطة من ظ (٧) فى مد : مر . (٨) من ظ و مد، وفى الأصل : بسط (٩) من مد، و فى الأصل و ظ : اخذل . (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

فأنارت بها القلوب ، و سلمت من إحباط الذنوب ، فأوصلت إلى علام الغيوب ﴿خير عند ربك﴾ مما متع به الكفرة و مدوا به - على تقدير التنزل[1] إلى تسميته خيرا ، [2]و إضافة الرب إليه صلى الله عليه و سلم إشارة إلى أنه يربيها تربية تبلغ أقصى ما يرضيه فى كل تابعيه[2] ؛ ثم بين جهة خيرية هذا بقوله : ﴿ ثوابا ﴾ أى من جهة الثواب ﴿ و خير مردا ﴾ ٥ أى من جهة العاقبة يوم الحسرة [3]و هو كالذى قبله ، أو على قولهم : الصيف أحر من الشتاء - بمعنى أنه فى حره أبلغ [4]منه فى[4] برده . فالكفرة[5] يردون إلى [6]خسارة و فناء[6] ، و المؤمنون إلى ربح و بقاء .

و لما تضمن [هذا -[7]] من التهديد بذلك اليوم ما يقطع القلوب ، فيوجب الإقبال على [ما -[7]] ينجى منه ، عجب من حال من كفر به ، ١٠ موبخا له ، منكرا عليه ، عاطفا على ما أرشد إليه السياق فقال[8] [2]معبرا عن طلب الخبر بالرؤية التى هى الطريق إلى الإحاطة بالأشياء علما و خبرة ، و إلى صحة الخبر عنها[2] : ﴿افرءيت﴾ أى أرأيت الذى يعرض عن هذا اليوم فرأيت ﴿الذى﴾ زاد على ذلك بأن ﴿ كفر بايتنا ﴾ الدالات على عظمتنا بالدلالات البينات ﴿و قال﴾ جراءة منه و جهلا ؛ أو يقال : ١٥

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : التبرك (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) العبارة من هنا إلى « ربح و بقاء » ساقطة من ظ (٤-٤) من مد ، و فى الأصل : من (٥) من مد ، و فى الأصل : فالعرب (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : فناء و خسران و خسارة (٧) زيد من ظ و مد (٨) تأخر فى الأصل عن « الخبر عنها » و الترتيب من ظ و مد .

إنه لما هول أمر ذلك اليوم . وهتك أستار مقالاتهم ، و بين وهيها[1] ، تسبب عن ذلك التعجيبُ ممن يقول : ﴿ لاوتين ﴾ [2]أى و الله[2] فى الساعة على تقدير قيامها [2]ممن له الإيتاء هنا لك[2] ﴿مالا و ولدا[3]﴾ [أى عظيمين - [2]] ، فلم يكفه فى جهله تعجيز القادر حتى ضم إليه إقدار العاجز .

و لما كان ما ادعاه لا علم له به إلا بأحد أمرين لا علم له بواحد منهما ، أنكر عليه قوله ذلك بقوله : ﴿اطلع الغيب﴾ الذى هو غائب عن كل مخلوق[4] ، [2]فهو فى بعده عن الخلق كالعالى الذى لايمكن أحدا منهم الاطلاع عليه ، و تفرد به الواحد القهار[2] ﴿ ام اتخذ ﴾ [2]أى بغاية جهده[2] ﴿ عند الرحمن ﴾ العام[5] الرحمة بالإنعام على الطائع و الانتقام من العاصى ثوابا للطائع ﴿ عهدا[6] ﴾ عاهده عليه [2]بأنه يؤتيه ما ذكر بطاعة فعلها له على وجهها[2] ليقف سبحانه فيه عند قوله[1] .

و لما كان كل من الأمرين : اطلاع الغيب و اتخاذ العهد ، و كذا ما ادعاه لنفسه . و ما يلزم عن[6] اتخاذ العهد من القرب ، منتفيا قال : ﴿ كلا[7] ﴾ أى لم يقع شىء من هذين الأمرين ، و لا يكون ما ادعاه [2]فليرتفع عنه صاغرا[2] .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : وحيها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من مد (٤) بهامش ظ : تفسير الشيخ للغيب بما ذكره للاعلام بأن الألف و اللام فى الغيب للكمال (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : العلم .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عند (٧-٧) من مد ، وفى الأصل : للتوكيد =

ولما كان النفي هنا عن الواحد مفهما للنفي عما فوقه اكتفى بـه ، ولما رد ذلك استأنف الجواب لسؤال من كأنه قال : فما ذا يكون له ؟ بقوله مثبتا السين[1] للتوكيد في هذا التهديد : ﴿ سنكتب ما يقول ﴾ أي نحفظه عليه حفظ من يكتبه لنوبخه به و نعذبه عليه [2]بعد الموت / فيظهر له بعد طول الزمان أن ما كان فيه ضلال يؤدي إلى الهلاك لا محالة[2] . و يجوز أن تكون السين على بابها من المهلة ، وكذا الكتابة . و الإعلام بذلك للحث[3] على التوبـة قبل الكتابـة ، و ذلك من عموم الرحمة ﴿ و نمد له من العذاب مدا ﴾ باستدراجه بأسبابه من كثرة النعم من الأموال و الأولاد[4] المحببة له في الدنيا ، المعذبة له فيها ، بالكدح في جمعها والمخاصمة عليها الموجبة له التمادي في الكفر الموجب لعذاب الآخرة ، [5]و إتيان بعضه في إثر بعض "انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم و هم كفرون[5]" ﴿ و نرثه ﴾ بموته عن جميع ذلك ؛ ثم أبدل من ضميره قوله : ﴿ ما يقول ﴾ أي من المال و الولد فنحول بينـه و بينهم بعد البعث كما فعلنا بالموت كحيلولة الوارث بين الموروث و بين الموروث عنه ﴿ و يأتينا ﴾ في القيامة ﴿ فردا ﴾ [2]مسكينا منعزلا عن كل شيء[2] لا قدرة له على مال و لا ولد ، فلا عز له . و لا قوة بشيء منهما ؛ روى

/ ٤٣٥

= في هذا التهديد ، و ما بين الرقمين ساقط من ظ .

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : للنفي (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

(٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : الحث (٤) من ظ ومد ، وفي الأصل : الاموال .

(٥) سورة ٩ آية ٨٥ .

البخاري في التفسير[1] عن خباب رضي الله عنه قال: كنت قينا بمكة فعملت للعاص[2] بن وائل السهمي سيفا، فجئت أتقاضاه فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، [قلت: لا أكفر بمحمد -[3]] حتى يميتك الله ثم يحييك، وفي رواية: حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت؟ قلت: نعم! قال: فذرني حتى أموت ثم أبعث فسوف أوتى مالا وولدا فأقضيك، فنزلت هذه الآية "أفرأيت الذي - إلى قوله: فردا".

ولما أخبر تعالى [4]بالبعث، وذكر[4] أن هذا الكافر يأتيه على صفة الذل، [5]أتبعه حال المشركين مع معبوداتهم، فقال[5] معجبا منهم عاطفا على قوله "ويقول الانسان": ﴿ واتخذوا ﴾ أي الكفار، وجمع لأن نفي العز عن الواحد قد لا يقتضي نفيه عما زاد ﴿ من دون الله ﴾ وقد تبين لهم أنه [4]الملك الأعلى الذي لا[4] كفوء له ﴿ آلهة ليكونوا لهم ﴾ أي الكافرين ﴿ عزا ﴾ [4]لينقذوهم من العذاب[4].

ولما بين أنه لايعزه[6] مال ولا ولد، وكان نفع الأوثان دون ذلك بلا شك، نفاه بقوله: ﴿ كلا ﴾ بأداة الردع، لأن ذلك طلب للعز من معدن الذل من العبيد الذين من اعتز بهم ذل، فانهم مجبولون على الحاجة، ومن طلب العز للدنيا طلبه من العبيد لامحالة، فاضطر قطعا

(١) من عدة طرق كما رواه أيضا في البيوع والخصومات (٢) من ظ ومد والصحيح، وفي الأصل: للقاضي (٣) زيد من ظ ومد والصحيح (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) ما بين الرقمين في ظ: قال (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: لا يعجزه.

- لبناءهم على النقص - إلى ترك الحق و اتباع الباطل ، فكانت[1] عاقبة أمره الذل و إن طال المدى ، فان الله تعالى ربما أمهل المخذول إلى أن ينتهى فى خذلانه إلى أن يستحق لباس الذل ؛ ثم بين [سبحانه -[2]] ذلك[3] بما يكون منهم يوم البعث فقال : ﴿ سيكفرون ﴾ أى الآلهة [4]بوعد لا خلف فيه و إن طال الزمان[4] ﴿ بعبادتهم ﴾ [4]أى المشركين[4] ، فيقولون ٥ لهم[5] "ما كنتم ايانا تعبدون" "اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا" ﴿ و يكونون عليهم ﴾ [4]أى الكفار ؛ و وحد إشارة إلى إتفاق الكلمة بحيث أنهم لفرط تضامهم [4]كشىء واحد فقال[4] : ﴿ ضداً ﴾ [4]أى أعداء فيكسبونهم الذل[4] ، و كذا يفعل الكفار مع شركائهم و يقولون "و الله ربنا ما كنا مشركين" فيقع بينهم العداوة كما قال تعالى "ثم ١٠ يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض و يلعن بعضكم بعضا[6]" .

و لما كان من المستبعد عندهم جواز رجوعهم عنهم فضلا / عن ٤٣٦/ كفرهم بهم ، دل على وقوعه بما يشاهد منهم من الأفعال المنافية لرزانة الحلم الناشئة عن وقار العلم ، فقال : ﴿ الم تر انآ ﴾ [4]بما لنا من العظمة[4] ﴿ ارسلنا الشيطين ﴾ الذين خلقناهم من النار ، [إرسالا مستعليا -[7]] ١٥ بالإبعاد[8] و الإحراق ﴿ على الكفرين ﴾ [4]أى العريقين فى الكفر[4]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فكان (٢) زيد من ظ و مد (٣) بهامش ظ : أى عدم العز (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ (٦) سورة ٢٩ آية ٢٥ (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل : بالارسال ، و الكلمة مع « والإحراق » ساقطة من ظ .

﴿تؤزهم ازا﴾ أى تحركهم تحريكا شديدا، و تزعجهم فى المعاصى و الدنايا التى لا يشكون فى قباحتها و عظيم شناعتها و هم أشد الناس عيبا لفاعليها و ذما لمرتكبيها إزعاجا عظيما بحيث يكونون فى تقلبهم ذلك مثل الماء الذى يغلى فى القدر ، و مثل الشرر المتطاير الذى هو أشد شىء منافاة لطبع الطين و ملاءمة لطبع النار ، فلما ثبت بذلك المدعى ، تسبب عنه النهى عما اتصفوا به من خفة السفه و طيش الجهل [فقال - ١] : ﴿فلا تعجل عليهم﴾ بشىء مما تريد به الراحة منهم .

و لما كانت مراقبة [ناصر - ٢] الإنسان لعدوه فى الحركات و السكنات أكبر شاف للولى و مفرح ، و أعظم غائظ للعدو و مزعج و مخيف و مقلق ، علل ذلك ٣ بقوله ٤ دالا على أن زمنهم قصير جدا بذكر ٥ العد : ﴿انما نعد لهم﴾ بامهالنا [لهم - ٦] و إدرارنا النعم عليهم ﴿عدا﴾ لأنفاسهم فما فوقها لا نغفل ٧ عنهم بوجه ، فاذا جاء أجلهم [الذى - ٢] ضربناه لهم ، محونا آثارهم ، و أخلينا منهم ديارهم ، لا يمكنهم أن يفوتونا ، فاصبر فما أردنا باملائنا لهم إلا إشقاءهم و إرداءهم لا تنعيمهم و إعلاءهم ، فهو من قصر الموصوف على صفته إفرادا .

و لما بين مآل حال الكافرين فى ألهتهم و دليله ، اتبعه بوقته فقال : ﴿يوم﴾ أى يكفرون بعبادتهم يوم ﴿نحشر المتقين﴾ ٨أى العريقين ٨

(١) زيد من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) العبارة من هنا إلى « العد » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : مدار (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا نضل (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

فى

[1]فى هذا الوصف[1]؛ و لما تقدمت سورة النعم العامة النحل، و أتبعت سورة النعم الخاصة بالمؤمنين و بعض العامة، مثل "و لقد كرمنا بنى آدم" الإسراء، ثم سورتى[2] الخاصة بالصالحين الكهف و هذه، قال: ﴿الى الرحمن﴾ [1]فيدخلهم دار الرضوان[1]، فذكر الاسم الدال على عموم الرحمة. و كرره فى هذه السورة تكريرا دل على ما فهمته. و ربما أيد ذلك افتتاح النحل بنعمة البيان على هذا الإنسان التى عبر عنها بالخصيم، و ختام هذه بالقوم اللد[3] من حيث رد مقطع هذه التى كانت بالنظر إلى النعم شيئا واحدا على مطلعها ﴿وفدا ۝﴾ أى القادمين فى إسراع و رفعة [1]و على، كما تقدم الوفود على الملوك، فيكونون فى الضيافة و الكرامة[1]

و لما ذكر ما يدل على كرامة أوليائه، أتبعه ما يدل على إهانة أعدائه فقال: ﴿و نسوق المجرمين﴾ [1]أى بالكفر و غيره من المعصية[1]، كالبهائم سوقا عنيفا مزعجا حثيثا ﴿الى جهنم﴾ [1]بسطوة المنتقم الجبار[1] ﴿وردا ۝﴾ أى عطاشا ﴿لايملكون الشفاعة﴾ أى لايملك أحد من القسمين أن يَشْفَع و لا أن يشفَّع فيه ﴿الا من اتخذ﴾ أى كلف نفسه و اجتهد فى أن أخذ ﴿عند الرحمن عهدا ۝﴾ بما وفقه له من [1]الإيمان و[1] الطاعة التى وعده عليها أن يشفع[1] أو أن يشفع[4] فيه؛ [1]فالآية من الاحتباك: ذكر الرحمن أولا دليلا على المنتقم ثانيا، و جهنم ثانيا دليلا[1]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بهامش ظ: سورتى، مثنى أصله سورتين حذفت النون للاضافة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الد (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: تشفع.

'على حذف الجنة أولا' .

و لما أبطل مطلق الشفعاء ، و كان الولد أقرب شفيع ، و كانوا قد ادعوا له ولدا ، أبطل دعواهم فيه لينتفى كل شفيع خاص و عام ، فينتفى كل عز راموه بشفاعة آلهتهم و غيرها . فقال عاطفا على قوله "و اتخذوا من دون الله آلهة" موجبا منهم : ﴿و قالوا﴾ أى الكفرة ﴿اتخذ الرحمن﴾ أى الذى لامنعم غيره ، فكل أحد محتاج إليه و هو غنى عن كل أحد ﴿ولدا﴾ 'قالت اليهود : عزير ، و النصارى : المسيح ، و المشركون : الملائكة' ، مع قيام الأدلة على استحالته عليه سبحانه ؛ ثم استأنف الالتفات إلى خطابهم بأشد الإنكار ، إيماء إلى تناهى الغضب فقال : ﴿لقد﴾ أى و عزتى ! لقد ﴿جئتم شيئا ادا ۝﴾ أى عظيما ثقيلا منكرا[٢] ؛ ثم بين ثقله بقوله : ﴿تكاد السمٰوٰت﴾ على إحكامها ، 'مع بعدها من أصحاب هذا القول' ﴿يتفطرن﴾ 'أى يأخذن فى الانشقاق' ﴿منه﴾ أى من هذا الشىء الإد ﴿و تنشق الارض﴾ على تحتها 'شقا نافذا واسعا' ﴿و تخر﴾ 'أى تسقط سريعا' ﴿الجبال﴾ على صلابتها ﴿هدا ۝﴾ 'كما ينفسخ السقف تحت ما لا يحتمله من الجسم الثقيل' ، لأجل ﴿ان دعوا﴾ 'أى سموا' ﴿للرحمن﴾ الذى كل ما سواه نعمة منه ﴿ولدا ۝﴾ 'هذا المفعول الثانى ، و حذف الأول لإرادة العموم' ﴿و ما ينبغى﴾ أى ما يصح و لايتصور ﴿للرحمن ان يتخذ ولدا ۝﴾ لأنه غير محتاج إلى الولد بوجه ،

٤٣٧ / ٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منيرا .

و مع ذلك فهو محال ، لأن الولد لايكون إلا مجانسا للوالد . و لا شيء من النعم بمجانس للنعم المطلق الموجد لكل ما سواه ، فمن دعا له ولدا فقد جعله كبعض خلقه ، و أخرجه عن استحقاق هذا الاسم ، ثم أقام الدليل على غناه عن ذلك و استحالته عليه ، تحقيقا لوحدانيته ، و بيانا لرحمانيته ، فهدم بذلك الكفر بمطلق الشريك بعد أن هدم الكفر بخصوص الولد ٥ فقال : ﴿ ان ﴾ [١] أى ما [١] ﴿ كل من ﴾ [١] أى شيء من العقلاء ، فهو نكرة موصوفة لوقوعها بعد كل وقوعها بعد رب [١] ﴿ فى السمٰوٰت و الارض ﴾ الذين ادعوا أنهم ولد و غيرهم ﴿ الآ ﴾ . [و لما كان من العبد من يعصى على سيده ، عبر بالإتيان فقال -[٢]] : ﴿ اتى الرحمٰن ﴾ العام بالاحسان ، أى منقاد له [طوعا أو كرها -[٢]] فى كل حالة و كل وقت ﴿ عبدا ﴾ ١٠ مسخرا مقهورا [١] خائفا راجيا [١] ، فكيف يكون العبد ابنا أو شريكا ؟ [١] فدلت الآية على التنافى بين العبودية و الولدية ، فهى من الدليل على عتق الولد و الوالد إذا اشتريا [١] .

و لما كان من المستبعد معرفة الخلائق كلهم ، اتبعه بقوله : ﴿ لقد ﴾ أى و الله لقد [٣] ﴿ احصٰهم ﴾ كلهم إحاطة بهم [٤] ﴿ و عدهم ﴾ [١] و لما كان ١٥ ذلك لايكاد يصدق ، أكده بالمصدر فقال [١] : ﴿ عدا ﴾ قبل خلقهم من جميع جهات العبد و لوازمها ، فلم يوجد و لم يولد ، و لم يعدم أو يصب

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) سقط من مد (٤) و من هنا تتعرض نسخة مد لانطماس إلى ما سننبه عليه .

أحد منهم إلا فى حينه الذى عده له ، [1]و قد يكون الإحصاء قبل الوجود فى عالم الغيب و العد بعد الوجود[1] ﴿وكلهم﴾ أى وكل واحد منهم ﴿اتيه يوم القيٰمة﴾ بعد بعثه من الموت ﴿فرداه﴾ على صفة الذل، موروثا ماله و ولده الذى كنا أعطيناه فى الدنيا قوة له و عزا ، لأنه لا موجود غيره يقدر على حراسة نفسه من الفناء ، فهو لاشك فى قبضته ، فكيف يتصور فى بال أو يقع فى خيال أن يكون شىء من ذلك له ولدا أو معه شريكا .

و لما عم بهذا الحكم الطائع و العاصى ، وكان ذلك محزنا لأهل الطاعة باستشعار الذل فى الدارين ، تحركت النفس إلى معرفة ما أفادتهم الطاعة ، و استأنف الجواب لذلك مبشرا لهم بقوله : ﴿ان الذين امنوا وعملوا[2]﴾ تصديقا لادعائهم الإيمان ، الأعمال ﴿الصٰلحٰت / سيجعل﴾ تحقيقا عما قليل عند[3] بيعة العقبة ﴿لهم الرحمٰن﴾ الذى خصهم بالرضا بعد أن عمهم بالنعمة ، جزاء على انقيادهم له ، لأنه كان إما باختيارهم و إما برضاهم ﴿ودا ه﴾ أى حبا عظيما فى قلوب العباد ، دالا على ما لهم عندهم من الود؛ [1]قال الأصبهانى : من غير تودد منهم و لا تعرض للأسباب التى تكسب بها الناس مودات القلوب من قرابة أو صداقة أو اصطناع غيره أو غير ذلك ، و إنما هو اختراع ابتدأ اختصاصا منه لأوليائه بكرامة خاصة كما

/ ٤٣٨

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد فى الأصل : الصالحات ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) فى الأصل بياض عبأناه من ظ .

قذف

[1]قذف فى قلوب أعدائهم الرعب و الهيبة إعظاما لهم و إجلالا لمكانهم - انتهى[1] . و المراد - و الله أعلم - أنه لا يجعل سبحانه فى قلب أحد من عباده الصالحين[2] عليهم أحنة ، لأن الود - كما قال الإمام أبو الحسن الحرالى : خلو عن إرادة المكروه ، و سيأتى إن شاء الله تعالى فى سورة الروم[3] ما يزيد ذلك وضوحا ؛ روى الشيخان[4] و غيرهما[5] عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال : إن الله إذا أحب عبدا دعا جبرئيل فقال : يا جبرئيل ! إنى أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبرئيل ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله يحب فلانا [فأحبوه] ، [1]فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض ، و إن الله إذا أبغض عبدا دعا جبرئيل فقال : [يا جبرئيل[6]] ! إنى أبغض فلانا فأبغضه ، فيبغضه جبرئيل ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ، فيبغضه أهل السماء ثم يوضع له البغضاء فى الأرض .

و لما كان إنزال هذا القول الثقيل ثم تيسيره حفظا و عملا سببا لما جعل لأهل الطاعة فى الدنيا من الود بما لهم من التحلى و التزين بالصالحات ، و التخلى و التصون من السيئات ، الدال على ما لهم عند مولاهم من عظيم العز و القرب ، و كان التقدير : و الذين كفروا ليكسبنهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) آية ٢١ (٤) البخارى فى عدة المناسبات ، و مسلم فى كتاب البر و الصلة - باب إذا أحب الله عبدا أمر جبرئيل فأحبه و أحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض (٥) مثل الترمذى و الإمام أحمد (٦) زيد من ظ .

الجبار بغضا و ذلا ، فأخبر[1] كلا من الفريقين بما له بشارة و نذارة ، [2]قال مسببا عن إفصاح ذلك و إفهامه[2] : ﴿ فانما يسرنه ﴾ أى هذا القرآن ، الذى عجز عن معارضته الإنس و الجان ، و الكتاب القيم و الوحى الذى لا مبدل له بسبب إنزالنا إياه ﴿ بلسانك ﴾ هذا العربى المبين ، العذب الرصين ﴿ لتبشر به المتقين ﴾ و هم الذين يجعلون بينهم و بين ما يسخط الله وقاية ، فلا يبطلون حقا و لايحقون باطلا ، و متى حصلت لهم هفوة بادروا الرجوع عنها [بالمتاب -[3]] ، بما لهم عندنا من العز الذى هو ثمرة العز المدلول عليه بما لهم منه فى الدنيا . لا لتحزنهم بأن ينزل فيه ما يوهم تسويتهم بأهل المعصية فى كلتا[4] الدارين ﴿ و تنذر به قوما لدا ه ﴾ أشد فى الخصومة ، يريدون العز بذلك ، لما لهم عندنا من الذل و الهوان الناشئ عن المقت المسبب عن مساوئ الأعمال ، و أنا نهلكهم إن لم يرجعوا عن لددهم ، و الألد هو الذى يتمادى فى غيه و لايرجع لدليل ، و يركب فى عناد الحق ما يقدر عليه من الشر ، و لا يكون هذا إلا ممن يحتقر من يخاصمه و يريد أن يجعل الحق باطلا ، تكبرا عن قبوله ، فينطبق عليه ما رواه مسلم فى الإيمان[5] عن صحيحه ، و أبو داود فى اللباس[6] من سننه ، و الترمذى فى البر[6] من جامعه . و ابن ماجه[7] فى السنة[8] من سننه عن ابن مسعود

(١) من ظ ، و فى الأصل : خبر (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ (٤) فى ظ : ذل (٥) باب تحريم الكبر و بيانه (٦) باب ما جاء فى الكبر (٧) من ظ ، و فى الأصل : حبان (٨) أى المقدمة ، و راجع « باب فى الإيمان » .

رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: لايدخل الجنة أحد فى قلبه [1]مثقال حبة / من كبر، فقال رجل: [إن الرجل-[2]] يحب أن يكون ٤٣٩ / ثوبه حسنا و نعله حسنة، فقال: إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق و غمط - و فى رواية: و غمص - الناس. و كلاهما بمعنى الاحتقار، و من كان هذا سبيله مرن على ذلك و مرد عليه، فكان جديرا بأن ٥ يركبه الله أبطل الباطل: الكفر عند الموت، فتحرم عليه الجنة، فان من يرتع حول الحمي يوشك أن يواقعه "ساصرف عن آيتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق" - الآية[3]. فيا ذل من تكبر على الحق! و يا عز من تشرف بالذل للحق و العز على الباطل! و لعمرى لقد أجرى الله عادته - و لن تجد لسنة الله تحويلا - [أن -[4]] من تعود الجراءة بالباطل ١٠ كان ذليلا فى الحق، و إليه يشير قوله تعالى فى وصف أحبابه " اذلة على المؤمنين اعزة على الكفرين[5]".

و لما كان التقدير بعد ما أرشد إليه السياق من مفعول " ينذر": فانا قادرون على إهلاكهم و جميع ما نريد منهم. عطف عليه قوله: ﴿وكم أهلكنا﴾[6] بما لنا من العظمة. و لما كان المراد التعميم، أثبت الظرف[6] ١٥

(١) و من هنا تستأنف نسخة مد (٢) زيد من ظ و مد وصحيح مسلم.
(٣) ٤٩: من الأعراف (٤) زيد من ظ و مد (٥) سورة ٥ آية ٥٤ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.

[1]عريا عن[1] الجار . و أكد [الخبر -[2]] باثبات 'من' بعده فقال[3]: ﴿قبلهم من قرن[4]﴾ كانوا أشد منهم شدة، و أكثر عدة، و أوثق عدة، فلم يبق إلا سماع أخبارهم، و مشاهدة آثارهم؛ ثم قال تصويرا لحالهم، و تقريرا لمضمون ما مضى من مآلهم: ﴿هل تحس منهم من احد﴾ ٥ بصر أو لمس ﴿او تسمع لهم ركزا[5]﴾ أى صوتا خفيا فضلا عن أن يكون جليا، فقد ختمت السورة بما بدئت به من الرحمة لأوليائه، و الود لأصفيائه، و النعمة للذين خلفوا بعدهم من أعدائه، بعد الرحمة للفريقين بهذا الكتاب بشارة و نذارة. فحلت الرحمة عـــلى أوليائه، و زلت عن أعدائه و الله الموفق.

* * * *

* * *

* *

*

(١-١) من مد، و فى الأصل: عن نافى - كذا (٢) زيد من مد (٣) العبارة من «عريا» إلى هنا ساقطة من ظ.

سورة طه[1]

عليه أفضل الصلاة و أتم التسليم

مقصودها الإعلام بامهال المدعوين [و الحلم عنهم -[2]] و الترفق بهم إلى أن يكونوا أكثر الأمم . زيادة فى شرف داعيهم صلى الله عليه و سلم ، و على هذا المقصد الشريف دل اسمها بطريق الرمز و الإشارة ، لتبين ٥ أهل الفطنة و البصارة ، و ذلك بما فى أولها من الحروف المقطعة ، و ذلك أنه لما كان ختام سورة مريم حاملا على الخوف من أن تهلك أمته صلى الله عليه و سلم قبل ظهور أمره الذى أمره الله به و اشتهار دعوته ، لقلة من آمن به منهم ، ابتدأه سبحانه بالطاء إشارة بمخرجها الذى هو من رأس اللسان و أصول الثنيتين العليين إلى قوة أمره و انتشاره ، ١٠ و علوه و كثرة أتباعه ، لأن هذا المخرج أكثر المخارج حروفا ، و أشدها حركة ، و أوسعها انتشارا ، و بما فيها من صفات[3] الجهر و الإطباق و الاستعلاء و القلقلة إلى انقلاب ما هو فيه من الاسرار جهرا ، و ما هو فيه من الرقة فخامة ، لأنها من حروف التفخيم ، و أنه يستعلى أمره ، و ينتشر ذكره ، حتى يطبق جميع الوجود / و يقلقل[4] سائر الأمم ، و لكن يكون ١٥ /٤٤٠ ذلك - بما تشير إليه الهاء بمخرجها من أقصى الحلق - على [حد -[2]] بعده

(١) العشرون من سور القرآن ، مكية و آياتها - كما قال الدانى : مائة و أربعون آية شامى ، و خمس و ثلاثون كوفى ، و أربع حجازى ، و آيتان بصرى - راجع روح المعانى ٥ / ٢١٨ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : صفة (٤) من ظ و مد . و فى الأصل : تقليل .

من طرف اللسان مع طول كبير و تماد كثير ، و بما فيها من صفات الهمس و الرخاوة و الانفتاح و الاستفال و الخفاء مع مخافة و ضعف كبير ، و هدوء و خفاء عظيم ، و مقاساة شدائد كبار . مع نوع فخامة و اشتهار . و هو و إن كان اشتهارا يسيرا يغلب هذا الضعف

٥ [كله و إن كان قويا شديدا . و قراءة الإمالة للهاء تشير إلى شدة الضعف -[١]] ، و قرءاة التفخيم - و هى لأكثر القراء - مشيرة إلى فخامة القدر و قوة الأمر[٢] . بما لها من الانفتاح ، و إن رئى أنه[٣] ليس كذلك " إنه ليخافه ملك بنى الأصفر[٤] " و إن كان معنى الحرفين : يا رجل ، فهو إشارة إلى قوته و علو قدره ، و فخامة ذكره ، و انتشار أتباعه و عموم

١٠ أمره ، و إن كانا إشارة إلى وطئ الأرض فهو إلاحة إلى[٥] قوة التمكن و عظيم القدرة و بعد الصيت حتى تصير[٦] كلها ملكا له و لأتباعه ، و ملكا لأمرائه و أشياعه - و الله أعلم . و ذكر ابن الفرات[٧] فى تأريخه أن هجرة الحبشة كانت فى السنة الثامنة[٨] من المبعث فالظاهر - على ما يأتى فى إسلام عمر رضى الله عنه - أن نزول هذه السورة أو أولها كان قرب

١٥ هجرة الحبشة ، فيكون سبحانه قد رمز له صلى الله عليه و سلم على ما هو

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : القدر. (٣) بهامش ظ : أى أن الأمر (٤) أى الروم - كما فى اللسان (٥) سقط من ظ (٦) فى مد : تكون (٧) هو محمد بن عبد الرحيم بن على بن الحسن المصرى المتوفى سنة ٨٠٧هـ - راجع معجم المؤلفين ١٠/١٥٩ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الثانية .

ألذ فى محادثه الأحباب ، من صريح الخطاب ، بعدد مسمى الطاء[1] إلى أن وهن الكفار - [الوهنَ -[2]] الشديد - يقع فى السنة التاسعة من نزولها ، و ذلك فى [غزوة بدر الموعد فى سنة أربع من الهجرة ، و بعدد اسمها إلى أن الفتح الأول يكون فى السنة الحادية عشرة من نزولها ، و ذلك فى -[2]] عمرة الحديبيـــة فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة عند نزول سورة الفتح ، و رمز له بعدد مسمى الهاء إلى أن مبدأ النصرة بالهجرة فى السنة الخامسة من نزولها ، و بعدد اسمها إلى أن نصره بالفعل يقع فى السنة السابعة من نزولها ، و ذلك فى غزوة بدر الكبرى فى السنة الثانية من الهجرة ، و بعدد حرفى اسمها[3] لا بعدد اسميهما إلى أنه فى السنة الثالثة عشرة من نزولها يكون بفتح الأكبر بالاستعلاء على مكة المشرفة التى كان سببا قريبا للاستعلاء على جميع الأرض ، و ذلك فى أواخرها فى رمضان سنة ثمان من الهجرة ، وكان تمامه بفتح الطائف بارسال وفدهم و إسلامهم و هدم طاغيتهم فى سنة تسع ، و هى السنة الرابعة عشرة ، و بعدد اسميهما[4] إلى أن تطبيق أكثر الأرض بالإسلام يكون فى السنة الثامنة عشرة من نزولها ، و ذلك بخلافة عمر رضى الله عنه فى السنة الثالثة عشرة من الهجرة - و الله أعلم .

﴿بسم[5]﴾ الواسع الحلم التام القدرة [6]﴿ الله ﴾ الملك الأعظم[6] ﴿ الرحمن ﴾

(١) بهامش ظ: أعنى الحرف الأول منها . والاسم طاء مشتمل على ط ومدة و همزة فظهر أن المسمى الأول (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) بهامش ظ : أى السورة (٤) بهامش ظ : أى الحرفين (٥) زيد فى ظ : الله (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

الذى استوى فى أصل نعمته جميع خلقه ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الذى أتم النعمة على أهل توفيقه و لطفه ﴿ طه ج ﴾ أى تخلص بالغ من كل[٢] ما يخشى و ظهر عظيم و طيب منتشر فى كل قطر إلى نهايـة الوطن الذى هو التاسع ، ممن له الإحاطة التامة بكل غيب ، و إليه [٣]يرجع الأمر كله[٣] ،
٥ كما اجتمعت أسماؤه كلها فى غيب[٤] هو الذى جعل العزة[٥] للمهتدين /و الهدى للمتقين . /٤٤١

هذه السورة[٦] و التى قبلها من أقدم السور المكية ، قال ابن هشام فى تهذيب السيرة[٧] : قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى عن أم سلمة
١٠ بنت أم أمية بن المغيرة زوج النبى صلى الله عليه و سلم قال : قالت : لما نزلنا بأرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى . أمنا على ديننا و عبدنا الله تبارك و تعالى لا نؤذى و لانسمع شيئا نكرهه ، فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم - فذكر إرسالهم إليه بهدايا ليردهم إليه ، و أن بطارقته كلموه فى ذلك ، و أنه أبى حتى يسمع كلامهم ، و أنه طلبهم فاجمع
١٥ أمرهم على أن[٨] يقولوا الحق كائنا فيه ما كان ، فدخلوا و قد دعا النجاشى أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله فقال لهم : ما هذا الدين الذى فارقتم به

(١) العبارة من هنا إلى « للمتقين » ساقطة من ظ (٢) زيد فى مد : شىء .
(٣ - ٣) فى مد : ترجع الأمور المنعمه ، ووقع بعده فى الأصل بياض قدر كلمة .
(٤) من مد . و فى الأصل : ناب (٥) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : السورتين (٧) ١ / ١١٥ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : انهم .

قومكم

قومكم و لم تدخلوا به فى دين أحد من هذه الملل. قالت: فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه فقال: أيها الملك! كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، و نأكل الميتة، و نأتى الفواحش، و نقطع الأرحام، و نسىء الجوار، و يأكل القوى [منا - ١] الضعيف. فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا ٢ رسولا منا نعرف نسبه و صدقه و أمانته و عفافه. ٥ فدعانا إلى الله لنوحده و نعبده و نخلع ما كنا نعبد نحن و آباؤنا من دونه من الحجارة و الأوثان، و أمرنا بصدق الحديث، و أداء الأمانة، و صلة الرحم و حسن الجوار، و الكف عن المحارم و الدماء، و نهانا عن الفواحش، و قول الزور، و أكل مال اليتيم، و قذف المحصنة، و أمرنا أن نعبد الله [وحده - ١] و لا نشرك به شيئا، و أمرنا بالصلاة و الزكاة ١٠ و الصيام - [قالت - ١]: فعدد عليه أمور الإسلام - فصدقناه ٣ و آمنا به، فعدا علينا قومنا فعذبونا و فتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان. فلما قهرونا و ظلمونا خرجنا إلى بلادك، و اخترناك على من سواك، و رجونا أن لانظلم عندك أيها الملك! فقال [له - ٤] النجاشى: هل معك مما جاء به عن الله شىء؟ فقال له جعفر: نعم! فقال له النجاشى: ١٥ فاقرأه علىّ! فقرأ عليه صدرا من كهيعص. فبكى و الله النجاشى حتى اخضل لحيته و بكى أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا

(١) زيد من السيرة (٢) زيد فى الأصل: نبيا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و السيرة فحذفناها (٣) من ظ و مد و السيرة، و فى الاصل: فصدقنا (٤) زيد من ظ و مد و السيرة.

عليهم ؛ ثم قال النجاشي : إن هذا و الذى جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ، ثم ذكر تأمينه لهم و رد هدايا قريش و رسلهم خائبين . و قال ابن هشام[1] : و قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله ابن عياش بن أبي ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة
٥ عن أمه أم عبد الله بنت أبي حثمة رضى الله عنها قالت : و الله ! إنا لنترحل إلى أرض[2] الحبشة و قد ذهب عامر رضى الله عنه فى بعض حاجاتنا إذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف علىّ و هو على شركه ، و كنا نلقى منه البلاء أذى لنا و شدة علينا ، فقال : إنه الانطلاق يا أم عبد الله ؟ قلت : نعم ! و الله لنخرجن فى أرض الله ، آذيتمونا و قهرتمونا حتى يجعل / الله ٤٤٢ /
١٠ لنا مخرجا ، فقال : صحبكم الله ، و رأيت له رقة لم أكن أراها ، ثم انصرف و قد أحزنه[3] فيما أرى خروجنا ، فجاء عامر رضى الله عنه بحاجته تلك فقلت له : يا أبا عبد الله ! لو رأيت عمر آنفا و رقته و حزنه علينا ! قال : أطمعت فى إسلامه ؟ قلت : نعم ! قال : لا يسلم الذى رأيت حتى يسلم حمار الخطاب - يأسا منه - لما كان يرى من غلظته و قسوته - عن الإسلام ، قال ابن إسحاق[1] :
١٥ و كان إسلام عمر فيما بلغنى أن أخته فاطمة بنت الخطاب ، و كانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل رضى الله عنهم ، و كانت قد أسلمت و أسلم زوجها سعيد بن زيد و[4] هم مستخفون باسلامهم[4] من عمر ، و كان نعيم بن عبد الله بن النحام - رجل من قومه بنى عدى بن كعب - قد أسلم رضى الله عنه ،

---

(١) فى السيرة ١/١١٩ (٢) من السيرة ، و فى النسخ : الارض (٣) من السيرة ، و فى النسخ : حزنه (٤ - ٤) فى السيرة : هما مستخفيان باسلامهما .

وكان أيضا يستخفى باسلامه فرقا من قومه. وكان خباب بن الأرت رضى الله عنه يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب رضى الله عنها يقرئها القرآن، فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه رضى الله عنهم قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا فى بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء. ومع رسول الله صلى الله وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وابو بكر بن أبى قحافة الصديق وعلى بن أبى طالب فى رجال من المسلمين رضى الله عنهم أجمعين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج إلى ارض الحبشة. فلقيه نعيم بن عبد الله رضى الله عنه فقال: أين تريد يا عمر؟ قال: أريد محمدا هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها[1] فأقتله، فقال له نعيم رضى الله عنه: والله! لقد غرتك نفسك [2]من نفسك[2] يا عمر! أترى بنى عبد مناف[3] تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال: وأىّ أهل بيتى؟ قال: ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما. فرجع عمر عامدا إلى أخته وختنه وعندهما خباب بن الأرت رضى الله عنه وعنهما، معه صحيفة فيها طه يقرئهما إياها. فلما سمعوا حس عمر تغيب

(١) من مد والسيرة، وفى الأصل وظ: الهتنا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى الأصل: هو، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد والسيره فحذفناها.

خباب بن الأرت رضى الله عنه فى مخدع لهم او فى بعض البيت ، و اخذت فاطمة بنت الخطاب رضى الله عنها الصحيفة فجعلتها تحت فخذها . و قد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب عليهما ، فلما دخل قال : ما هذه الهينمة التى سمعت ؟ قالا له : ما سمعت شيئا ؟ قال : بلى ! و الله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه ، و بطش بختنه سعيد بن زيد رضى الله عنه فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها . فلما فعل ذلك قالت له أخته و ختنه رضى الله عنهما : نعم ! قد أسلمنا و آمنا بالله و رسوله ، فاصنع ما بدا لك ! فلما رأى عمر [ما -[1]] بأخته من الدم ندم على [ما -[1]] صنع [فارعوى -[1]] و قال لأخته : أعطيى هذه الصحيفة التى سمعتكم تقرأون آنفا أنظر ما هذا[2] الذى جاء به محمد ؟ و كان عمر كاتبا . فلما قال ذلك قالت له أخته : إنا نخشاك عليها ، قال : لاتخافى ، و حلف لها بآلهته ليردنها إذا قرأها إليها ، فلما قال ذلك طمعت فى إسلامه فقالت له : يا أخى ! إنك نجس على شركك ، و إنه لايمسها إلا الطاهر . فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة و فيها طه فقرأها ، فلما قرأ منها صدرا قال : ما أحسن هذا الكلام و أكرمه ! فلما سمع ذلك خباب رضى الله عنه خرج إليه فقال له : [يا -[1]] عمر ! و الله إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه و سلم فانى سمعته [أمس -[1]] و هو يقول : اللهم ! أيد الإسلام بأبى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر ! فقال له عمر عند ذلك : فدلنى

/ ٤٤٣

(١) زيد من ظ و مد و السيرة (٢) من ظ و مد و السيرة ، و فى الأصل : فيها .

يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم، فقال له خباب: هو فى بيت عند الصفا، معه فيه نفر من أصحابه، فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه فضرب عليهم الباب، فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ و هو فزع فقال: يا رسول الله! هذا عمر بن الخطاب [1]متوشحا السيف[1]! فقال حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه: فأذن له، فان كان جاء يريد خيرا بذلناه[2] له، و إن كان جاء يريد شرا قتلناه بسيفه، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ائذن له، فأذن له الرجل و نهض إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى لقيه فى الحجرة فأخذ[3] بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه ١٠ جبذة شديدة [4]و قال[4]: ما جاء بك يا ابن الخطاب! فو الله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة. فقال عمر: يا رسول الله! جئتك لأومن بالله و برسوله و بما جاء من عند الله، فكبر رسول الله صلى الله عليه و سلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم أن عمر قد أسلم. فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من مكانهم، و قد ١٥ عزّوا فى أنفسهم حين أسلم عمر بن الخطاب مع إسلام حمزة رضى الله عنهما، و عرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه و سلم و ينتصفون

(١-١) من ظ و مد و السيرة، و فى الأصل: متوشح سيفه (٢) من ظ و مد و السيرة، وفى الأصل: بذلنا (٣) من مد و السيرة، وفى الأصل و ظ: فاخذه. (٤-٤) من ظ و مد و السيرة، و فى الأصل: فقال.

بهما من عدوهم . فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن إسلام عمر رضى الله عنه حين أسلم . وكان إسلام عمر بعد إسلام حمزة رضى الله عنهما بثلاثة أيام ، كما ثبت ذلك فى حاشية شرح العقائد عن فوائد تمام الرازى[1] . وصفوة[2] الصفوة لابن الجوزى[3] ؛ قال ابن هشام[4] : قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : لما أسلم عمر قال : أى قريش أنقل للحديث؟ قال : قيل له : جميل بن معمر الجمحى ، فغدا عليه . قال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : وغدوت أتبع أثره وأنظر ما يفعل وأنا غلام أعقل كل ما رأيت حتى جاءه فقال له : أعلمت يا جميل أنى أسلمت ودخلت فى دين محمد؟ قال : فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه . واتبعه عمر رضى الله عنه واتبعت أبى حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ! - وهم فى أنديتهم حول الكعبة - ألا ! إن ابن / الخطاب قد صبأ . قال : يقول عمر رضى الله عنه من خلفه : كذب ولكنى قد أسلمت ، شهدت أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وثاروا إليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم . [قال -[6]] : وطلح[7] فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول : افعلوا ما بدا لكم ، فأحلف

٤٤٤ /

(١) هو تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر البجلى محدث دمشق المغربى المتوفى سنة ٤١٤ - راجع كشف الظنون ١٢٩٦ (٢) طبعها الدائرة باسم صفة الصفوة (٣) راجع حديث ابن عباس (٤) راجع السيرة ١٢٠ / ١ من السيرة . وفى الأصول : حاه (٥) زيد من ظ و مد و السيرة (٧) بهامش ظ : أى أعيا .

بالله أن لو [كنا - [1]] ثلاثمائة رجل لقد تركناها[2] لكم أو تركتموها لنا ، قال : فبينما هو على ذلك إذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة و قميص موشى حتى وقف عليهم فقال : ما شأنكم ؟ قالوا : صبا عمر ، قال : فمه[3] ! رجل اختار لنفسه أمرا فما ذا تريدون ؟ أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم[4] ؟ هكذا[5] عن الرجل ! قال : فوالله لكأنما كانوا ثوبا كشط عنه . و فى الروض الأنف[6] للامام أبى القاسم السهيلى أن يونس روى عن ابن إسحاق أن عمر قال حين أسلم رضى الله عنه :

الحمد لله ذى المن الذى وجبت ... له علينا أياد ما لها غير
و قد بدأنا[7] فكذبنا فقال لنا ... صدق الحديث [8] نبى عنده[8] الخبر
و قد ظلمت ابنة الخطاب ثم[9] هدى ... ربى عشية قالوا قد صبا عمر
و قد ندمت على ما كان من زلل ... بظلمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة ... و الدمع من عينها عجلان يبتدر[6]
أيقنت أن الذى تدعوه خالقها ... فكاد يسبقنى من عبرة درر
فقلت أشهد أن الله خالقنا ... و أن أحمد فينا اليوم مشتهر
نبى صدق أتى بالحق من ثقة ... وافى الأمانة ما [فى -[10]] عوده خور

إذا تقرر هذا ، علم أن المقصود من السورة - كما تقدم - تشريف

(١) زيد من ظ و مد و السيرة (٢) بهامش ظ : أى مكة (٣) بهامش ظ : ما استفهامية و إلا للسكت (٤) من ظ و مد و السيرة ، و فى الأصل : صاحبكم .
(٥) زيد فى السيرة : خلوا ، و بهامش ظ : أى تنحوا عنه هكذا (٦) ١/٢١٨ .
(٧) من الروض ، و فى الأصول : برانا (٨-٨) من ظ و مد و الروض ، و فى الأصل : النبى عبده (٩) من مد و ظ و الروض ، و فى الأصل : حين (١٠) زيد من ظ و مد و الروض .

هذا النبي الكريم صلى الله عليه و سلم باعـــلامه بالرفق بأمته . و الإقبال بقلوبهم حتى يملأوا الأرض كثرة ، [1]كما أنزل عليهم السكينة و هم فى غاية الضعف و القلة ، و حماهم ممن يريد قتلهم ، و لين قلب عمر رضى الله عنه بعد ما كان فيه من الغلظة و جعله وزيرا ، ثم حماه بعدوه[1] ، و تأمينه صلى الله عليه و سلم من أن يستأصلوا بعذاب ، و بأنه يموت نبيهم قبلهم لا كما وقع للهلكين من قوم نوح و هود عليهما السلام و من بعدهم - [2]بما دل عليه افتتاح هذه بنفى الشقاء و ختم تلك بجعل الود و غير ذلك ، و الداعى إلى هـــذا التأمين[2] أنه سبحانه لما ختم تلك باهلاك القرون و إبادة الأمم بعد إنذار القوم اللد ، و لم[3] يختم سورة من السور الماضية بمثل ذلك ، [كان -[4]] ربما أفهم أنه قد انقضت مدتهم ، و حل بوارهم ، و أتى دمارهم ، و أنه لايؤمن منهم - لما [5]هم فيه[5] من اللدد - إلا من قد آمن ، فحصل بذلك من الغم و الحزن ما لايعلم قدره إلا الله ، لأن الأمر كان فى ابتدائه ، و لم يسلم منهم إلا نفر يسير جدا ، فسكن سبحانه الروع بقوله : ﴿ما أنزلنا﴾ بعظمتنا[6] ﴿عليك﴾ [1]أى و أنت أعلم الخلق[1] ﴿القرآن﴾ أى [1]أعظم الكتب[1] ، الجامع لكل خير ، و الدافع لكل ضير[7] ، الذى يسرناه بلسانك ﴿لتشقى﴾ أى بتعب قلبك بكونك من أقل المرسلين تابعا بعد استئصال قومك و شقائهم بانذارك ﴿الا﴾ أى لكن أنزلناه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) فى ظ : وذلك (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) فى مد : فيهم (٦) سقط من ظ (٧) بهامش ظ : الضير هو الضر .

﴿ تذكرة ﴾ [أى -[1]] [2]تذكيرا / عظيما[2] ﴿ لمن يخشى ﴾ ممن أشرنا فى ٤٤٥/م
آخر التى قبلها إلى بشارته إيماء إلى أنه سيكون فيهم من المتقين من تناسب
كثرته إعجاز هذا القرآن و دوامه ، و ما فيه من الجمع[3] المشار إليه بالتعبير
بالقرآن لجميع [2]ما فى[2] الكتب السالفة من الأحكام أصولا و فروعا ،
و المواعظ و الرقائق ، و المعارف و الآداب ، و أخبار الأولين و الآخرين ، ٥
و مصالح الدارين ، [2]و زيادته عليها بما شاء الله[2] ، لأن كثرة الأمة على
قدر جلالة الكتاب ، و التعبير عن ' لكن ' بالإشارة إلى أنه يمكن أن
يكون من باب :

و لاعيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

و أشار بالمصدر الجارى على غير الفعل فى قوله : ﴿ تنزيلا ﴾ إلى أنه ١٠
يتمهل عليهم ترفقا بهم ، و لا ينزل هذا القرآن إلا تدريجا ، إزالة لشبههم ،
و شرحا لصدورهم ، و تسكينا لنفوسهم ، و مدا لمدة البركة فيهم بتردد
الملائكة الكرام إليهم ، كما أنه لم يهلكهم بمعاصيهم اكتفاء ببينة[4] ما فى
الصحف الأولى ، بل أرسل إليهم رسولا لئلا يقولوا : ربنا لولا - كما
اقتضته حكمته و تمت به كلمته ، و لما كان رجوعهم إلى الدين على ما ١٥
يشاهد منهم من الشدة و الأنفة و الشماخة التى سماهم الله بها قوما لدا فى
غاية البعد ، شرع سبحانه يذكر بقدرته إشارة إلى أن القلوب بيده يقلبها
كيف شاء كما صورها كيف شاء ، و أن شأنه الرفق و الأناة ، فقال
ملتفتا من التكلم إلى الغيبة ليدل على ما اقتضته النون من العظمة

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) بهامش ظ : القرآن مشتق من القرأ و هو الجمع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما فى بينة .

[مقدما ما اقتضى الحال تقديمه من سكن المدعوين المعتنى بتذكرتهم و هداية من أريد منهم - [١]] : ﴿ ممن خلق الارض ﴾ المنخفضة[٢] .

و لما[٣] قدم الأرض إعلاما بالاعتناء برحمها بالترفق بسكانها ليملأها بالإيمان منهم تحقيقا لمقصود السورة تشريفا [للمنزل عليه -[٤]] ، أتبعها محل الإنزال على سبيل الترقى من بيت العزة إلى ما كنزه فى خزانة العرش فقال : ﴿ و السمٰوٰت العلىٰ ﴾ فى ستة أيام ، و لوشاء كانتا فى لحظة .

و لما كان القادر قد لا يكون ملكا ، قال دالا على ملكه [٥]مادحا له بالقطع خبرا لمبتدإ محذوف[٥] : ﴿ الرحمن ﴾ مفتتحا بالوصف[٦] المفيض للنعم[٦] العامة للطائع و العاصى : [ثم ذكر خبرا ثانيا دالا على عموم الرحمة فقال -[١]] : ﴿ على العرش ﴾ الحاوى لذلك كله ﴿ استوىٰ ﴾ [٥]أى أخذ فى تدبير ذلك منفردا[٥] ، فخاطب العباد بما يفهمونه من قولهم : فلان استوى . أى جلس معتدلا على سرير الملك ، فانفرد بتدبيره[٧] و إن لم يكن هناك سرير و لا كونٌ عليه أصلا ، هذا روح هذه العبارة ، كما أن روح قوله عليه الصلاة و السلام الذى رواه مسلم[٨] عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما « القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاء » أنه سبحانه و تعالى عظيم القدرة على ذلك . و هو عليه يسير خفيف كخفته على من هذا

(١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا إلى « العرش فقال » ساقطة من ظ .
(٣) زيد فى مد : كان (٤) زيد من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفيض المنعم (٧) من مد ، و فى الأصل : بتدبير ، و الكلمة مع سابقتها ساقطة من ظ (٨) فى باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء كتاب القدر ، و لفظه : إن قلوب بنى آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه كيف يشاء .

حاله ، و ليس المراد أن هناك إصبعا أصـــلا - نبه على ذلك حجة الإسلام الغزالى ، [1]و منه أخذ الزمخشرى[2] أن يد فلان مبسوطة كناية عن جواد و إن لم يكن هناك يد و لا بسط أصلا .

و لما كان الملك قد لا يكون مالكا، قال [مقدما الأشرف على العادة -[3]] :

﴿ له ما فى السمٰوٰت ﴾ أى كله من عاقل و غيره ﴿ و ما فى الارض ﴾ ٥ جميعه ﴿ و ما بينهما ﴾ أى السماوات و الأرض ﴿و ما / تحت الثرٰى ۝﴾ / ٤٤٦ [4]و هو التراب الندى ، سواء قلنا : إنه آخر العالم فما تحته العدم المحض أم لا ؟ فيكون تحته النور أو الحوت أو غيرهما[4] .

ولما كان الملك [5]لا ينتظم غاية الانتظام إلا باحاطة العلم . و كان الملك من الآدميين[4] قد لا يعلم أحوال أقصى ملكه كما يعلم أحوال أدناه لا سيما إذا ١٠ كان واسعا [4]و لذلك يختل بعض أمره[4] ، أعلم أنه سبحانه بخلاف ذلك . فقال حثا على مراقبته و الإخلاص له : ﴿ و ان تجهر بالقول ﴾ أى بهذا القرآن للبشارة و النذارة أو لغير ذلك أو بغيره ، فانه عالم به و غير محتاج إلى الجهر ، [4]فلا يتكلف ذلك فى غير ما أمرت بالجهر به لغرض غير الإسماع[4] ﴿فانه يعلم السر﴾ و هو ما يناجى به الاثنان مخافتة ﴿و اخفٰى ۝﴾ ١٥ من ذلك ، و هو ما فى الضمائر مما تخيلته الأفكار و لم يبرز إلى الخارج

---

(١) العبارة من هنا إلى «لا بسط أصلا» ساقطة من ظ (٢) راجع الكشاف ٨٤٥ .

(٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و غيره من الغيب الذى لم يعلمه غيره تعالى بوجه من الوجوه، [1] و منه ما [2] سيكون من [2] الضمائر. [3] - و لما كان من هو بهذه الأوصاف [4] من تمام العلم و القدرة [4]] ربما ظن أن له منازعا، نفى ذلك بقوله [4] معلما أن هذا الظن باطل قطعا لا شبهة له و أن ما مضى ينتج قطعا [4] : ﴿ الله ﴾ مفتتحا بالاسم الأعظم الحاوى لصفات الكبر و غيرها ﴿ لآ اله الا هو [5] ﴾ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ الاسمآء الحسنى [5] ﴾ أى صفات الكمال التى لا يصح و لا يتصور أن يشوبها نقص ما، بل هو متصف بها دائما اتصافا حقيقيا لا يمكن انفكاكه [6]، كما يكون لغيره من الاتصاف ببعض المحاسن فى بعض الأحايين ثم يعجز عنه فى وقت آخر أو بالنسبة إلى زمان آخر.

و لما أتبع ذلك قصة موسى عليه السلام مصدرة باستفهام مقترن بواو عطف، أرشد ذلك إلى أن المعنى: هل تعلم له سميا، أى متصفا بأوصافه أو بشىء منها له بذلك [6] الوصف مثل فعله، و لما كان الجواب قطعا: لا، ثبت أن لا متصف بشىء من أوصافه، فعطف على هذا المقدر قصة موسى عليه السلام. و يكون التقدير: هل علمت بما ذكرناك به فى هذه الآيات أن نريد ما هو علينا يسير بما لنا من القدرة التامة و العلم الشامل من إسعادك فى الدارين بتكثير اجرك، و تفخيم أمرك، بتكثير

(١) العبارة من هنا إلى «الضمائر» ساقطة من ظ (٢-٢) من مد، و فى الأصل: يكون فى (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) بهامش ظ: الضمير فى انفكاكه يرجع إلى الاتصاف الحقيقى (٦) فى ظ: بل.

أتباعك ، و عطف عليه القصة شاهدا محسوسا على ما له من الاتصاف بما انتفى عن غيره من الأسماء الحسنى ، و لاسيما ما ذكر هنا من الاتصاف بتمام القدرة و التفرد بالعظمة ، و أنه يعلى هذا المصطفى بانزال هـذا الذكر عليه و إيصاله منه إليه النصرة عـلى الملوك و سائر الأضداد ، و التمكين فى أقطار البلاد ، و كثرة الأتباع ، و إعزاز الأنصار [1]و الوزراء[1] ٥ و الأشياع ، و غير ذلك بمقدار ما بين ابتداء أمرهما من التفاوت ، فان بتداء أمر موسى عليه السلام أنه أتى النار ليُقبس أهله منها نارا أو يجد عندها هدى . فمنح بذلك من هدى الدارين و النصرة على الأعداء كما سيقص هنا ما منح ، و هذا النبى الكريم كان ابتداء أمره[2] أنه يذهب إلى غار حراء فيتعبد الليالى ذوات العدد ، و يتزود لذلك اجتذابا من الحق ١٠ له قبل النبوة بمدد ، تدريبا له و تقوية لقلبه ، فأتته النبوة و هو فى مضمارها سائر[3] ، و إلى أوجها [4]بعزمه صائر بل طائر[4] ، و موسى عليه السلام / رأى حين أتته النبوة آية العصا و اليد . و محمد صلى الله عليه و سلم كان ٤٤٧ / قبل النبوة لايمر بحجر و لاشجر[5] إلاسلم عليه - كما أسنده ابن إسحاق فى السيرة . و روى مسلم[6] و غيره[7] عن جابر بن سمرة رضى الله عنه أن النبى ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الاصل : امرا .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : سايرا (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعزمها صايرا بل طايرا (٥) زيد فى الأصل : ولامدر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و لافى السيرة ١/٨٠ فحذفناها (٦) فى أول الفضائل (٧) مثل الترمذى فى المناقب و الدارمى فى المقدمة .

صلى الله عليه وسلم قال: إني لأعرف حجرا كان يسلم عليّ قبل ان أبعث. فقال تعالى مقررا[1] تنبيها على أنه يذكر له منه ما يكفي في تسليته و تقوية قلبه، و تبكيت اليهود الذين توقفوا في أمره صلى الله عليه وسلم، وغشوا قريشا حين تكلفوا طيّ شقة البين إليهم و رضوا بقولهم لهم [و -[2]] عليهم ليكون فائدة الاستفهام أن يفرغ أذنه الشريفة للسماع و قلبه للوعي العظيم: ﴿ وهل اتاك ﴾ أي يا أشرف الخلق! ﴿حديث موسى﴾[3] نادبا إلى التأسي بموسى عليه السلام في تحمل أعباء النبوة و تكليف الرسالة و الصبر على مقامات الشدائد[3]. و شارحا بذكر ما في هذه السورة من سياق قصة ما أجمل منها في سورة مريم، و مقررا بما نظمه في أساليبها ما تقدم أنه مقصد السورة من أنه يسعده و لا يشقيه، و يعزه على جميع شانئيه[4] باعزازه على أهل بلده بعد إخراجهم له، كما أعز موسى عليه السلام على من خرج[5] من بلادهم خائفا يترقب، ترغيبا في الهجرة ثالثا بعد ما رغب فيها أولا بقصة أصحاب الكهف [و -[2]] ثانيا بقصة [أبيه -[6]] إبراهيم عليه السلام، و أنه[7] يعلي قومه على جميع أهل الأرض، و ينقذهم به بعد ضعفهم من كل شدة، و يغني فقرهم و يجعلهم ملوك الأرض، و يذل بهم الجبابرة، و يهلك من علم شقاوته منهم كما فعل [بقوم -[6]] موسى، و أشار بالجاء موسى عليه السلام على

(١) العبارة من هنا إلى «للوعي العظيم» ساقطة من ظ (٢) زيد من مد.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، و في الأصل: صانعه.
(٥) بهامش ظ: فاعل 'خرج' ضمير يرجع إلى موسى (٦) زيد من ظ و مد
(٧) بهامش ظ: معطوف على 'من أنه يسعده'.

يد عدوه و إلقائه المحبة عليه و هداية السحرة دون فرعون و قومه ، و عبادة بنى إسرائيل العجل بعد ما رأوا من الآيات و النعم و النقم ، ثم رجوعهم عنها إلى عظيم قدرته على التصرف فى القلوب لمن كاد[1] يخمع نفسه لكفرهم بهذا الحديث أسفا ، و كذا ما فى قصة آدم عليه السلام من قوله "فنسى و لم يجد له عزما" و قوله "ثم اجتبله ربه فتاب عليه و هدى" و لعله أشار بقوله "و احلل عقدة من لسانى" إلى ما أنعم الله به عليه من تيسير هذا الذكر[2] بلسانه ، و أرشد بدعاء موسى عليه السلام بشرح الصدر و تيسير الأمر و طلب وزير من أهله إلى الدعاء بمثل ذلك حتى دعا المنزل عليه هذا القرآن بأن يؤيد الله الدين بأحد الرجلين، فأيده بأعظم وزير: عمر بن الخطاب رضى الله عنه - كما مضى هذا إلى تمام ما اشتمل عليه سياق قصة موسى عليه السلام هنا ، إتماما لتبكيت اليهود على تعليمهم قريشا أن يسألوا النبى صلى الله عليه و سلم عن الروح ، و ما ذكر معها من دقائق ، من أمر قصة نبيهم صلى الله عليه و سلم ، لا يعلمها أحد منهم أو إلا حذّاقهم . منها أن الموعد كان يوم الزينة ، و منها إيمان السحرة إيمانا كاملا ، و منها التهديد بتصليبهم فى جذوع النخل . و منها إلقاء السامرى لأثر الرسول ، فانى لم أر أحدا من اليهود يعرف ذلك ، و أخبرنى بعض فضلائهم أنه لا ذكر لذلك عندهم .

و قال الإمام أبو جعفر / ابن الزبير فى برهانه : لما ذكر سبحانه قصة إبراهيم عليه السلام و ما منحه و أعطاه . و قصص الأنبياء بعده بما خصهم به ، /٤٤٨

(١) بهامش ظ : لمن كاد - موقعه تعليل لقوله: و أشار بانجاء موسى - إلى أن ذكر: إلى عظيم قدرته (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : الحديث .

و أعقب ذلك بقوله تعالى " اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم " و كان ظاهر الكلام تخصيص هؤلاء بهذه المناصب العلية، و الدرجات المنيفة الجليلة. لاسيما و قد اتبع ذلك بقوله " فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوٰة و اتبعوا الشهوٰت فسوف يلقون غيا " كان ٥ هذا مظنة إشفاق و خوف. فاتبعه تعالى بملاطفة نبيه محمد صلى الله عليه و سلم ملاطفة المحبوب المقرب [المجتبى -١] فقال "ما انزلنا عليك القرآن لتشقى " و أيضا فقد ختمت سورة مريم بقوله " و كم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا " بعد قوله " و تنذر به قوما لدا " و قد رأى عليه الصلاة و السلام من تأخر قريش عن ١٠ الإسلام و لددها ما أوجب إشفاقه و خوفه عليهم. و لا شك أنه عليه الصلاة و السلام يحزنه تأخير[٢] إيمانهم، و لذلك قيل له[٣] " فلا تحزن عليهم" فكأنه عليه الصلاة و السلام ظن أن[٤] يستصعب المقصود من استجابتهم، أو ينقطع الرجاء من إنابتهم فيطول العناء و المشقة. فبشره سبحانه و تعالى بقوله "ما انزلنا عليك القرآن لتشقى" فلا عليك ١٥ من لدد هؤلاء و توقفهم. فيستجيب من انطوى على الخشية إذا ذكر و حرك إلى النظر فى آيات الله كما قيل [له -١] فى موضع آخر " فلا يحزنك قولهم " ثم أتبع ذلك سبحانه تعريفا و تأنيسا بقوله " الرحمن على العرش استوى " إلى أول قصص موسى عليه السلام. فأعلم سبحانه أن الكل خلقه و ملكه. و تحت قهره و قبضته، لا يشذ شيء عن ملكه.

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد بعده فى الاصل : اسلامهم و، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : لهم (٤) من ظ و مد. و فى الأصل : به.

فاذا شاهد آية من وفقه لم يصعب أمره. ثم اتبع ذلك بقصة موسى عليه السلام، وما كان منه فى إلقائه صغيرا فى اليم، وما جرى بعد ذلك من عجيب الصنع وهلاك فرعون وظهور بنى إسرائيل، وكل هذا مما يؤكد[1] القصد[2] المتقدم، وهذا الوجه الثانى أولى من الأول - والله أعلم. انتهى. ﴿ إذ ﴾ [3]أى حديثه حين[3] ﴿ رأى نارا ﴾ وهو راجع من بلاد مدين ﴿ فقال لأهله امكثوا ﴾ أى مكانكم واتركوا ما أنتم عليه من السير؛ ثم علل أمره بقوله: ﴿ إنى آنست ﴾ أى أبصرت فى هذا الظلام إبصارا بينا لا شبهة فيه من إيناس العين الذى تبين به الأشياء، وهو مع ذلك مما يسر من الإنس الذين هم ظاهرون ما ترك بهم ﴿ نارا ﴾ فكأنه قيل: فكان ماذا؟ فقال معبرا بأداة الترجى لتخصيصه[4] الخبر الذى عبر به[5] فى النمل بالهدى: ﴿ لعلى آتيكم ﴾ أى أترجى أن أجيئكم ﴿ منها بقبس ﴾ أى بشعلة من النار [3]فى رأس حطبة[3] فيها جمرة تعين على برد هذه الليلة ﴿ أو أجد على ﴾ مكان ﴿ النار هدى ﴾ [3]أى ما[3] أهتدى به لأن الطريق كانت قد خفيت عليهم ﴿ فلما أتاها ﴾.

[3]ولما كان فى الإبهام ثم التعيين تشويق ثم تعظيم، بنى للمفعول قوله[3]: ﴿ نودى ﴾ من الهدى الذى لا هادى غيره؛ ثم بين النداء بقوله:

---

(١) فى مد: يؤيد (٢) بهامش ظ: أى بشارته بقوله: ما أنزلنا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) بهامش ظ: قول الشيخ رحمه الله ولا أخذه: لتخصيصه الخبر - إلى آخره. فيه نظر فانه يقول: إنما عبر هنا بالترجى حيث قال له: آتيكم منها قبس، لأن الهدى الذى ذكر هنا خص بالخبر الذى عبر به فى سورة النمل (٥) بهامش: ظ الضمير فى «به» راجع إلى الخبر.

﴿ يموسى ﴾ و لما كان المقام للتعريف بالأيادى تلطفا ، قال [1]مؤكدا ،
٤٤٩/ تنبيها [له -[2]] على تعرف أنه كلامه سبحانه من جهة / أنه يسمعه من غير
جهة معينة [و -[2]] على غير الهيئة التى عهدها فى مكالمة المخلوقين ، مسقطا
الجار فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و أبى حفص بالفتح ، و حاكيا
٥ [بقول -[2]] مقدر عند الباقين : ﴿ انى انا ربك ﴾ أى المحسن إليك بالخلق
و الرزق و غيرهما من مصالح الدارين ﴿ فاخلع نعليك ﴾ كما يفعل
بحضرات الملوك أدبا[3] ، [4]و لتنالك بركتها و لتكون مهيئا للاقامة غير
ملتفت إلى ما وراءك من الأهل و الولد ، و لهذا قال أهل العبارة : النعل
يدل على الولد[4] .

١٠ ثم علل بما يرشد إلى أنه تعالى لا يحويه مكان و لا يجرى[5] عليه
زمان فقال : ﴿ انك بالواد المقدس ﴾ أى المطهر عن كل ما لا يليق بأفنية
الملوك ؛ ثم فسره بقوله : ﴿ طوى ﴾ و لما كان المعنى : فانى اخترته تشريفا
له من بين البقاع لمناجاتك ، عطف عليه قوله : ﴿ و انا اخترتك ﴾ أى
للنبوة ﴿ فاستمع ﴾ أى أنصت ملقيا سمعك معملا قلبك للسماع
١٥ ﴿ لما ﴾ أى[6] اخترتك للذى . و قدم[7] ' استمع ' اهتماما به ﴿ يوحى ﴾
أى يقال لك منى سرا مستورا عن غيرك [سماعه -[2]] و إن كان فى
غاية الجهر ، كما يفعل الحبيب مع حبيبه من صيانة حديثهما عن ثالث

(١) العبارة من هنا إلى « عند الباقين » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذابا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لايجريه (٦) من مد ، و فى الأصل : او ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى « اهتماما به » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : قلنا .

بما يجعل له من الخلوة إعلاما بعلو قدره و فخامة أمره؛ ثم فسر الموحى بأول الواجبات و هو معرفة الله تعالى، فقال [مؤكدا لعظم الخبر و خروجه عن العادات -[1]] : ﴿ انني انا الله ﴾ فذكر الاسم العلم لأن هذا مقامه إذ الأنسب للملطوف به - بعد التعرف إليه بالإكرام - الإقامة فى مقام الجلال [2]و الجمال[2] . ٥

و لما كان هذا الاسم العلم جامعا لجميع معانى الأسماء الحسنى التى علت عن[3] أن يتصف بها أو بشىء منها حق الاتصاف غيره تعالى، حسن تعقيبه بقوله : ﴿ لآ اله الآ انا ﴾ و لما تسبب عن ذلك وجوب إفراده بالعبادة، قال : ﴿ فاعبدنى[4] ﴾ [2]أى وحدى[2] : ثم خص من بين العبادات معدن الأنس و الخلوة، و آية الخضوع و المراقبة و روح الدين ١٠ فقال : ﴿ و اقم الصلوٰة ﴾ أى التى أضاعها خلوف السوء، إشارة إلى أنها المقصود بالذات من الدين، لأنها أعلى شرائعه لأنها حاملة على المراقبة، بما فيها من دوام الذكر و الإعراض عن كل سوء، و ذلك معنى ﴿ لذكرى ٥ ﴾ و ذلك أنسب الأشياء لمقام[4] الجلال، بل هى الجامعة لمظهرى الجمال و الجلال؛ ثم علل الأمر بالعبادة بأنه لم يخلق الخلق سدى، بل لابد ١٥ من إماتتهم، ثم بعثهم لإظهار العظمة و نصب موازين العدل، فقال [مؤكدا لإنكارهم معبرا بما يدل على سهولة ذلك عليه جدا -[1]] : ﴿ ان الساعة اٰتية ﴾ أى لاريب فى إتيانها، فهى أعظم باعث على الطاعة .

---

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : بمقام .

و لما كان بيان حقيقة الشيء مع إخفاء [١]شخصه و وقته[١] و جميع أحواله موجبا في الغالب لنسيانه و الإعراض عنه، فكان غير بعيد من إخفائه أصلا و رأسا، قال مشيرا إلى هذا المعنى: ﴿[١]كاد اخفيها﴾ [أي أقرب من أن أجدد إخفاءها، فلذا يكذب بها الكافر بلسانه و العاصي بعصيانه فالكافر لايصدق بكونها و المؤمن لايستعد غفلة عنها -[٢]]، فراقبني فان الأمر يكون بغتة، ما من لحظة إلا و هي صالحة للترقب؛ ثم بين سبب الإتيان بها بقوله: ﴿لتجزى﴾ [٣]أي بأيسر أمر و أنفذه[٣] ﴿كل نفس﴾ كائنة من كانت ﴿بما تسعى﴾ [٤]أي توجد من السعي في كل وقت كما يفعل من[٥] [٦]أمر ناسا بعمل من النظر في أعمالهم و مجازاة كل بما يستحق[٦]

و لما كانت - لما تقدم - في حكم المنسي عند أغلب الناس قال: ﴿فلا يصدنك عنها﴾ أي عن إدامة / ذكرها ليثمر[٧] التشمير في الاستعداد لها ﴿من لايؤمن بها﴾ باعراضه عنها و حمله غيره على ذلك بتزيينه[٨] بما أوتي من المتاع الموجب للكاثرة المثمر لامتلاء القلب بالمباهاة و المفاخرة، فان من انصد عن ذلك غير بعيد الحال ممن كذب بها[٩]. /٤٥٠

(١-١) من ظ و مد، و في الأصل: وقته وشخصه (٢) زيد من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى «بما يستحق» ساقطة من ظ. (٥) من مد، و في الأصل: كل من له (٦-٦) ما بين الرقمين بياض في الأصل ملأناه من مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: يستمر (٨) من ظ و مد، و في الأصل: بقرينة (٩) العبارة من بعده إلى «عليه الكشاف» ساقطة من ظ.

و المقصود من العبارة نهى موسى عليه السلام عن التكذيب ، فعبر عنه بنهى من لا يؤمن عن الصد إجلالا لموسى عليه السلام ، و لأن [صد -[1]] الكافر عن التصديق سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب ، و لأن صد الكافر مسبب[2] عن رخاوة الرجل فى الدين و لين شكيمته فذكر المسبب[3] ليدل على السبب[4] ، فكأنه قيل : كن شديد الشكيمة صليب المعجم ؛ لئلا يطمع أحد فى صدك و إن كان الصاد هم الجم الغفير ، فان كثرتهم تصل إلى الهوى لا إلى البرهان ، و فى هذا حث عظيم على العمل بالدليل ، و زجر بليغ عن التقليد ، و إنذار بأن الهلاك و الردى مع التقليد و آهله - نبه عليه الكشاف . ثم بين العلة فى التكذيب بها و الكسل عن التشمير لها بقوله : ﴿و اتبع﴾[5] أى بغاية جهده[5] ﴿هوىٰه﴾ فكان حاله حال البهائم التى لا عقل لها ، تنفيرا عن مثل حاله ؛ ثم أعظم التحذير بقوله [مسببا -[6]] : ﴿فتردىٰ ٥﴾ أى فتهلك ، إشارة إلى أن من ترك المراقبة لحظة حاد عن الدليل ، و من حاد عن الدليل هلك .

و لما كان المقام مرشدا إلى أن يقال : ما جوابك يا موسى عما سمعت ؟ و كان تعالى عالما بأنه يبادر إلى الجواب بالطاعة فى كل ما تقدم ، طوى هذا المقال مؤميا إليه بأن عطف عليه قوله : ﴿و ما تلك﴾[7] أى العالية المقدار[7]

(١) زيد من مد و الكشاف ٨٤٨ (٢) من مد و الكشاف ، و فى الأصل : سبب .
(٣) من مد و الكشاف ، و فى الأصل : السبب (٤) من مد و الكشاف ، و فى الأصل : المسبب (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من مد .
(٧-٧) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « بيمينك » و الترتيب من مد ، و سقط من ظ .

﴿بيمينك يـموسى ٥﴾ مريدا - بعد تأنيسه بسؤاله عما هو أعلم به منه - إقامة البينة لديه بما يكون دليلا على الساعة من سرعة القدرة على إيجاد ما لم يكن، [1]بقلب العصى حية بعد تحقق[2] أنها عصاة بقرب النظر إليها عند[3] السؤال عنها ليزداد بذلك ثباتا و يثبت من يرسل إليهم ﴿قال هى﴾ [4]أى ظاهرا و باطنا[4] ﴿عصاىۚ﴾ ثم وصل به مستأنسا بلذيذ المخاطبة قوله [4]بيانا لمنافعها خوفا من الأمر بالقائها كالنعل[4]: ﴿اتوكؤا﴾ [4]أى أعتمد و أرتفق و أتمكن[4] ﴿عليها﴾ أى إذا أعييت أو عرض لى ما يحوجنى[5] إلى ذلك من زلق أو هبوط أو صعود [4]أو طفرة[4] أو ظلام و نحو ذلك؛ ثم ثنى بعد مصلحة نفسه بأمر رعيته فقال: ﴿و اهش﴾ أى أخبط[6] الورق. قال ابن كثير: قال عبد الرحمن بن القاسم عن الإمام مالك: و الهش أن يضع الرجل المحجن فى الغصن ثم يحركه حتى يسقط ورقه و ثمره و لايكسر العود و لايخبط [فهذا الهش -[7]]، قال: و كذا قال ميمون بن مهران، و قال أبو حيان[8]: و الأصل فى هذه المادة الرخاوة. يقال: رجل هش. ﴿بها على غنمى﴾.

و لما كان أكمل [أهل -[7]] ذلك الزمن، خاف التطويل على الملك فقطع على نفسه ما هو فيه من لذة المخاطبة كما قيل: اجلس على

(١) العبارة من هنا إلى «السؤال عنها» ساقطة من ظ (٢) من مد، و فى الأصل: تحقيق (٣) من مد. و فى الأصل: عن (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد. و فى الأصل: يخرجنى (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: اهبط (٧) زيد من ظ و مد (٨) راجع النهر من البحر المحيط ٦/٢٢٨؛ و فى مد: أبو عمر - خطأ.

البساط و إياك و الانبساط . [1]و طمعا فى سماع كلامه سبحانه و تعالى[1] ، فقال مجملا : ﴿ و لى فيها مآرب ﴾ [2]أى حوائج و منافع يفهمها الألبّاء[2] .

[و لما كان المحدث عنه لا يعقل ، و أخبر عنه بجمع كثرة ، كان الأنسب معاملته معاملة الواحدة المؤنثة فقال -[3]] : ﴿ اخرىٰ ﴾ تاركا للتفصيل ، فكأنه قيل : فما ذا قيل له ؟ / فقيل : ﴿ قال القها ﴾ أى العصا ، ٥ / ٤٥١ [1]و أنسه بقوله سبحانه و تعالى[1] : ﴿ يٰموسىٰ ۝ فالقىٰها ﴾ أى فتسبب عن هذا الأمر المطاع انه ألقاها و لم يتلعثم ﴿ فاذا هى ﴾ أى فى الحال ظاهرا و باطنا ﴿ حية ﴾ عظيمة جدا يطلق عليها لعظمها [1]بنهاية أمرها[1] اسم الثعبان ، [4]و الحية اسم جنس يقع[5] على الذكر و الأنثى و الصغير و الكبير ﴿ تسعىٰ ۝ ﴾ سعيا حفيفا[6] يطلق عليها لأجله[7] [1]فى أول أمرها[1] ١٠ اسم الجان ، [1]فعن ابن عباس رضى الله عنهما أنها صارت حية صفراء لها عرف كعرف الفرس ، و جعلت تتورم حتى صارت ثعبانا - انتهى . فهى فى عظم الثعبان و سرعة الجان[1] .

و لما كان ذلك أمرا مخيفا ، [استشرف السامع إلى ما يكون من حاله عند مثل هذا بعد ذلك ، فاستأنف إخباره بقوله -[3]] : ﴿ قال ﴾ ١٥ [1]أى الله تبارك و تعالى على ما يكون منها عند فرعون[1] [8]لأجل التدريب[8] :

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢ - ٢) فى ظ : حاجات (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى « و الكبير » ساقطة من ظ (٥) فى مد : تقع . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : خفيا (٧) من ظ و مد . و فى الأصل : لاجلها. (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

﴿خذها ولا تخف﴾ مشيرا إلى أنه خاف منها [1]على عادة الطبع البشرى[1]؛ ثم علل له النهى عن الخوف بقوله: ﴿سنعيدها﴾ [1]أى بعظمتنا عند أخذك لها بوعد لاخلف فيه[1] ﴿سيرتها﴾ أى طريقتها ﴿الاولى[5]﴾ من كونها عصى، فهذه آية بينة على أن الذى يخاطبك هو ربك الذى له الأسماء الحسنى، [1]فنزلت عليه السكينة، وبلغ من طمأنينته أن أدخل يده فى فمها وأخذ بلحيتها، فاذا هى عصاه. ويده بين شعبتيها[1].

[ولما أراه آية فى بعض الآفاق، أراد أن يريه آية فى نفسه فقال -[2]]: ﴿واضمم يدك﴾ من جيبك الذى يخرج منه عنقك ﴿الى جناحك﴾ أى جنبك [1]تحت العضد[1] تنضم على ما هى[3] عليه من لونها[1] وما بها من الحريق[1]، وأخرجها ﴿تخرج﴾ فالآية من باب الاحتباك. والجناح: اليد، والعضد. والإبط، والجانب - قاله فى القاموس. فلا يعارض هذا ما فى القصص[4] لأنه أطلق الجناح هناك على اليد[5] وهى أحق بـه، وهنا على الجنب الذى هو موضعها تسمية للحل باسم الحال ﴿بيضآء﴾ بياضا[6] كالشمس[7] تتعجب منه.

[1]ولما كان البرص ابغض شىء إلى العرب، قال نافيا له ولغيره، ولم يسمه باسمه لأن أسماءهم له مجاجة، ولأن نفى الأعم من الشىء[1]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: هو (٤) راجع آية ٣٢ (٥) بهامش ظ: حيث قال: واضمم اليك جناحك من الرهب (٦) موضعه فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد. (٧) سقط من ظ.

أبلغ

[1]أبلغ من نفيه بخصوصه[1]: ﴿من غير سوء﴾ أى مرض لا برص و لاغيره، حال كونها ﴿ءاية اخرى ۝﴾ افعل ما أمرتك به من إلقاء العصا و ضم اليد، أو فعلنا ذلك من إحالة العصا و لون اليد من مناداتك لمناجاتك ﴿لنريك﴾ فى جميع أيام[2] نبوتك ﴿من ءايتنا الكبرى ۝﴾ ليثبت بذلك جنانك، و يزداد إتقانك. فكأنه قيل: لما ذا يفعل بى هذا؟ فقيل: لنرسلك إلى بعض المهمات ﴿اذهب الى فرعون﴾ أى لترده عن عتوه: ثم علل الإرسال إليه بقوله، [مؤكدا لأن طغيان أحد بالنسبة إلى شىء مما للملك الأعلى مما يستبعد -[3]]: ﴿انه طغى ۝﴾ أى تجاوز حده من العبودية فادعى الربوبية، و أشار إلى ما حصل له من الضيق من ذلك بما عرف [1]من أنه أمر عظيم، و خطب جسيم، يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش رابط و صدر فسيح[1] [و قلب ضابط -[3]] - كما صرح به فى سورة الشعراء[4] - بقوله: ﴿قال رب اشرح﴾ أى وسع ﴿لى﴾ [5]و لما أبهم المشروح ليكون الكلام أوكد بتكرير[6] المعنى فى طريق الإجمال و التفصيل، قال رافعا لذلك الإبهام: ﴿صدرى ۝﴾ للاقدام على ذلك، و إلى استصعابه بقوله: ﴿و يسر لى﴾ [ثم بين ذلك الإبهام بقوله -[3]]: ﴿امرى ۝﴾ [و إلى استعجازه نفسه عن الإبانة لهم عن المراد بقوله -[7]]:

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) تكرر فى مد (٣) زيد من مد.
(٤) راجع آية ١٣ (٥) العبارة من هنا إلى «ذلك الإبهام» ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: من تكرير (٧) زيد من ظ و مد.

﴿[1]و احلل[1]﴾ و لما كان المعنى [هنا -[2]] ما لا يحتمل غيره [إذ أنه لم يسأل بقاءه فى غير حال الدعوة -[2]] ، عدل عن طريق الكلام الماضى فقال : ﴿عقدة من لسانى*﴾ أى مما فيه من / الحبسة عن الإتيان بجميع المقاصد من الجمرة التى وضعها فى فيه ، هو عند فرعون ، [3] كما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما ؛ و لما كان سؤاله هذا إنما هو لله ، و لذلك اقتصر على قدر الحاجة فلم يطلب زوال الحبسة كلها ، أجابه بقوله[3]: ﴿يفقهوا قولى*﴾ و إلى اعتقاد صعوبة المقام مع ذلك كله بطلب التأييد بنصير يهمه أمره بقوله[4] : ﴿و اجعل لى﴾[5] أى [مما -[2]] تخصنى به ؛ و بين اهتمامه بالإعانة كما يقتضيه الحال فقدم قوله : ﴿وزيرا﴾ أى ملجأ يحمل عنى بعض الثقل [3] يعاونى[3] ﴿من اهلى*﴾ لأنى[6] به أوثق لكونه علىّ أشفق ؛ ثم أبدل منه قوله : ﴿هرون﴾ و بينه بقوله[7] : ﴿اخى*﴾ [أى -[8]] لأنه أجدر أهلى بتمام مناصرتى ؛ [3]و أجاب الدعاء فى قراءة ابن عامر فقال[3]: ﴿اشدد﴾ [بقطع الهمزة مفتوحة -[2]] ﴿به ازرى*﴾ أى قوتى [3]و ظهرى[3] ﴿و اشركه﴾ [9]بضم الهمزة مسندا الفعلين إلى ضميره على أنهما مضارعان[10]،

/ ٤٥٢

(١ - ١) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « الماضى فقال » و الترتيب من ظ و مد (٢) زيد من مد (- - -) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من مد . و فى الأصل و ظ : فى قوله (٥) العبارة من هنا إلى « فقدم قوله » ساقطة من ظ . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لأنه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقولى (٨) زيد من ظ و مد (٩) العبارة من هنا إلى «على الدعاء» ساقطة من ظ (١٠) من مد ، و فى الأصل : مضار عمل - مصحفا .

و قراءة الباقين بوصل الأول و فتح همزة الثانى على أنهما أمران . مستندين إلى الله تعالى على الدعاء ﴿فى امرى﴾ أى النبوة .

و لما أفهم سؤاله هذا أن له فيه أغراضا ، أشار إلى أنها ليست مقصودة له لأمر يعود على نفسه بذكر العلة الحقيقية . فقال : ﴿كى نسبحك﴾ [1]أى بالقول و الفعل بالصلاة و غيرها[1] ﴿كثيرا﴾ فأفصح عن أن المراد ٥ بالمعاضدة إنما هو لتمهيد الطريق إليه سبحانه .

و لما كان التسبيح ذكرا خاصا لكونه بالتنزيه الذى أعلاه التوحيد ، أتبعه العام فقال : ﴿و نذكرك﴾ أى بالتسبيح و التحميد ﴿كثيرا﴾[1] فان التعاون و التظاهر أعون على تزايد العبادة لأنه مهيج للرغبات[1] ؛ ثم علل طلبه لأخيه لأجل هذا الغرض بقوله : ﴿انك كنت بنا بصيرا﴾ قبل ١٠ الإقامة فى هذا الأمر فى أنك جبلتنا على ما يلائم ذكرك و شكرك[2] . [1]و أن التعاضد مما يصلحنا[1] ، و كل ذلك تدريب لمن أنزل عليه هذا الذكر على مثله . و تذكير بنعمة تيسيره بلسانه ليزداد ذكرا و شكرا .

و لما تم ذلك ، كان[3] موضع [توقع -[4]] الجواب ، فأتبعه قوله : ﴿قال﴾ [1]أى الله[1] : ﴿قد اوتيت﴾ [1]بأسهل أمر[1] ﴿سؤلك﴾ أى ما ١٥ سألته ﴿يموسى﴾ من حل عقدة لسانك و غير ذلك و لو شئت لم أفعل ذلك . و لكنى فعلته منة منى عليك .

و لما كان إيجاؤه من يد فرعون حيث ولد فى السنة التى يذبح

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : شكرت .
(٣) بهامش ظ : اسم ' كان ' ضمير يرجع إلى ' ذلك ' (٤) زيد من ظ و مد .
(٥) فى مد : ولد .

فيها الأبناء - [١]قالوا: و هى الرابعة من ولادة[٢] هارون عليه السلام - بيد فرعون و فى بيته أمرا عظيما، التفت إلى مقام العظمة مذكرا له بذلك [٣]تنويرا لبصيرته و تقوية لقلبه[٣]، إعلاما بأنه ينجيه منه الآن، كما أنجاه فى ذلك الزمان، و يزيده بزيادة السن و النبوة خيرا، فيجعل عزه[٤] فى هلاكه كما جعل إذ ذاك عزه فى وجوده فقال: ﴿و لقد منا﴾ [٥]أى أنعمنا إنعاما مقطوعا[٦] به [٧]على ما[٧] يليق بعظمتنا ﴿ عليك[٨] ﴾ فضلا منا ﴿مرة اخرى﴾ [٩]غير هذه[٩]؛ ثم ذكر وقت المنة فقال: ﴿اذ﴾ [٣]أى حين[٣] ﴿ اوحينآ ﴾ [أى بما لنا من العظمة -[١٠]] ﴿ الىٓ امك ﴾ أى بالإلهام ﴿ما﴾ يستحق لعظمته[١١] أن ﴿يوحىٓ﴾ به، [٣]و لا يعلمه إلا نبى أو من هو قريب من درجة النبوة[٣]؛ ثم فسره بقوله: ﴿ ان اقذفيه ﴾ أى ألقى ابنك ﴿فى التابوت﴾ و هو الصندوق، فعلوت من التوب [٣]الذى معناه الرجوع تفاؤلا بـه[٣]، و قال الحرالى: هو وعاء ما يعز قدره، و القذف مجاز عن المسارعة إلى وضعه[١٢] من غير / تمهل لشىء أصلا، إشارة إلى أنه فعل مضمون السلامة كيف ما كان، [٣]و التعريف لأنه نوع من الصناديق أشد الناس معرفة بـه بنو إسراءيل[٣] ﴿ فاقذفيه ﴾ أى

/ ٤٥٣

(١) العبارة من هنا إلى « عليه السلام » ساقطة من ظ (٢) فى مد: مولد. (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) بهامش ظ: الضمير فى قوله « عزه » يرجع لموسى أى يجعل عزموسى فى هلاك فرعون (٥) العبارة من هنا إلى « بعظمتنا » ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: مقطوع (٧-٧) فى مد: كما (٨) تقدم فى الأصل على «انعمنا» و الترتيب من مد (٩-٩) من ظ و مد. و فى الأصل: غيره (١٠) زيد من مد (١١) سقط من ظ (١٢) فى ظ: القائه.

[موسى عليه السلام -[1]] عقب ذلك بتابوته ، [2] أو التابوت الذى فيه موسى عليه السلام[2] ﴿في اليم﴾ أى البحر و هو النيل .

و لما كانت سلامته فى البحر من العجائب ، لتعرضه للغرق بقلب الريح للتابوت ، أو بكسره فى بعض الجدر أو غيرها ، أو بجريه مستقيما مع أقوى جرية من الماء إلى البحر الملح و غير ذلك من الآفات ، أشار إلى ٥ تحتم تنجيته بلام الأمر[2] عبارة عن معنى الخبر[2] فى قوله ، [2] جاعلا البحر كأنه ذو تمييز ليطيع الأمر[2] : ﴿ فليلقه ﴾ [2] أى التابوت الذى فيه موسى عليه السلام أو موسى بتابوته[2] ﴿اليم بالساحل﴾ [2] أى شاطئ النيل ، سمى بذلك لأن الماء يسحله ، أى ينشره[2] إلى جانب البيت الذى الفعل كله هربا من شرصاحبه ، و هو فرعون ، و هو المراد بقوله : ﴿ياخذه[3]﴾ ١٠ [2] جوابا للأمر ، أى موسى[2] ﴿عدو لى﴾ و نبه على محل العجب باعادة لفظ العدو فى قوله : ﴿و عدو له[4]﴾ فانه ما عادى بنى إسراءيل بالتذبيح إلا من أجله ﴿و القيت عليك محبة﴾ أى عظيمة ؛ ثم زاد الأمر فى تعظيمها إيضاحا بقوله : ﴿منى[5]﴾ [أى -[4]] ليحبك كل من[5] رآك لما جبلتك عليه من الخلال الحميدة ، و الشيم السديدة . لتكون أهلا لما اريدك له ﴿و لتصنع﴾ ١٥ أى تربى[2] بأيسر أمر تربية بمن هو ملازم لك لاينفك عن الاعتناء بمصالحك عناية شديدة[2] ﴿على عينى[5]﴾ أى مستعليا على حافظيك غير مستخفى

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ .

فى تربيتك[1] من أحد ولا مخوف عليك منه، وأنا حافظ لك حفظ من يلاحظ الشيء بعينه[2] لا يغيب عنها، فكان كل ما أردته[3]، فلما رآك هذا العدو أحبك[4] وطلب[4] لك المراضع، فلما [لم -[5]] تقبل واحدة منهن بالغ فى الطلب. كل ذلك إمضاء لأمرى وإيقافا لأمره به نفسه لا بغيره

٥ ليزداد العجب من إحكام السبب؛ ثم ذكر ظرف الصنع فقال: ﴿إذ﴾ [6]أى حين[6] ﴿تمشى اختك﴾[6] أى فى الموضع الذى وضعوك به ليظروا لك مرضعة[6] ﴿فتقول﴾ بعد إذ رأتك، لآل فرعون: ﴿هل ادلكم على من يكفله[1]﴾ [6]أى يقوم بمصالحه من الرضع والخدمة[6]، [7]ناصحاله، فقالوا: نعم[7]! [6]فجاءت بأمك فقبلت ثديها[6] ﴿فرجعناك﴾ أى فتسبب عن قولها هذا أن رجعناك ﴿الى امك﴾ حين دلتهم عليها ﴿كى تقر﴾ [6]أى تبرد وتسكن[6] ﴿عينها﴾ وتريك أمة عليك غير خائفة. ظاهرة غير مستخفية ﴿ولا تحزن[5]﴾ بفراقك أو بعدم تربيتها [لك -[5]] وبذلها الجهد فى نفعك ﴿وقتلت نفسا﴾ أى[8] بعد أن صرت رجلا من القبط دفعا عن رجل من قومك فظلمت بها وأرادوا قتلك ﴿فنجيناك﴾[6] [6]ثم لنا من العظمة[6] ﴿من الغم﴾

١٥ الذى كان قد نالك بقتله خوفا من جريرته، بأن أخرجناك مهاجرا لديارهم نحو مدين ﴿وفتنك فتونا[5]﴾ أى خلصناك من محنة بعد محنة مرة بعد مرة،

---

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: تربيتك (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: ارادته (٤-٤) من ظ ومد، وفى الأصل: تطلب (٥) زيد من ظ ومد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧-٧) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «ثديها» والترتيب من ظ ومد (٨) سقط من ظ.

[1]على أنه جمع فتن أو فتنة . [على ترك الاعتداد بالتاء -[2]] ، و يجوز أن يكون مصدرا كالشكور ، إذن الفتون ولادته عام الذبح و إبقاؤه فى البحر ثم منعه الرضاع من غير ثدى أمه ثم جره لحية فرعون ، ثم تناوله الجمرة بدل الدرة ، ثم قتله القبطى ، ثم خروجه إلى مدين فى الطريق الهيع خائفا يترقب ، ثم إيجار / نفسه عشر سنين ، ثم إضلاله الطريق ، ثم تفرق ٥ غنمه فى ليلة مظالمة ﴿فلبثت سنين﴾ أى كثيرة ﴿فى[1] اهل مدين[1]﴾ مقيما عند نبينا شعيب عليه السلام يربيك بآدابه ، و صاهرته على ابنته ﴿ثم جئت﴾ أى الآن ﴿على قدر﴾ أى وقت قدّرته فى الأزل لتكليمى لك ، و هو بلوغ الأشد و الاستواء ، و إرسالك إلى فرعون لأمضى فيه قدرى الذى ذبح أبناء بنى إسراءيل خوفا منه ، [3]فجئت غير مستقدم و لا مستأخر[3] ١٠ ﴿يٰموسى ۝ و اصطنعتك﴾ أى ربيتك بصنائع [3]المعروف تربية من يتكلف تكوين المربىّ على طريقة من الطرائق[3] ﴿لنفسى[4]﴾ أى لتفعل من مرضاتى فى تمهيد شرائعى و إنفاذ أوامرى ما[4] يفعله من يصنع للنفس من غير مشارك ، [3]فهو تمثيل لما حوله من منزلة التقريب و التكريم[3] .

فلما تمهد[5] ذلك كله بعد علم نتيجته[6] ، أعادها فى قوله : ﴿اذهب انت﴾ ١٥ كما تقدم أمرى لك به ﴿و اخوك﴾ كما سألت ﴿بٰاٰيٰتى﴾ التى أريتك

(١) العبارة من هنا إلى « ليلة مظلمة » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد .
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد فى الأصل : يصنعه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تمهيك - كذا .
(٦) بهامش ظ : أعنى بها قوله : لنرسلك إلى بعض المهمات المتضمن ذلك اذهب إلى فرعون .

و غيرها مما أظهره على يديك ﴿و لا تنيا﴾ أى تفترا [1]و تضعفا[1] ﴿فى ذكرى ج﴾ الذى تقدم أنك جعلته غاية دعائك، بل لتكن - مع كونه ظرفا محيطا بجميع أمرك - فى غاية الاجتهاد فيه و إحضار القلب له، و ليكن أكثر ما يكون عند لقاء فرعون أن عبدى كل عبدى للذى يذكرنى عند لقاء قرنه[2]، [1]فان ذلك أعون شىء على المراد[1]، ثم بين المذهوب إليه بقوله، [1]مؤكدا لنفس الذهاب لأنه لشدة الخطر لايكاد طبع البشر يتحقق جزم الأمر به فقال[1]: ﴿اذهبآ الى فرعون﴾ ثم علل الإرسال إليه بقوله، [3]مؤكدا لما مضى، و لزيادة التعجيب من قلة عقله، فكيف بمن[4] تبعه ﴿انه طغى صلى ج﴾ ثم أمرهما بما ينبغى[5] لكل آمر بالمعروف من الأخذ بالأحسن فالأحسن و الأسهل فالأسهل، [1]فقال مسببا عن الانتهاء إليه و معقبا[1]: ﴿فقولا له قولا لينا﴾ لئلا يبقى له حجة، و لايقبل له معذرة ﴿لعله يتذكر﴾ ما مر له من[6] تطوير الله [له -[7]] فى أطوار مختلفة، و حمله فيما[8] يكره على ما لم يقدر على الخلاص منه بحيلة، فيعلم بذلك أن الله ربه، و أنه قادر على ما يريد منه، فيرجع عن غيّه فيؤمن[9] ﴿او يخشى﴾ أى أو يصل إلى حال من يخاف عاقبة قولكما [10]لتوهم الصدق

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بهامش ظ: حديث سبكه؟ الشيخ.
(٣) العبارة من هنا إلى «بمن تبعه» ساقطة من ظ (٤) من مد، وفى الأصل: من (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: تبتغى (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: فى.
(٧) زيد من ظ و مد (٨) فى مد: على ما (٩) سقط من ظ (١٠) العبارة من هنا إلى «بنى إسرائيل» ساقطة من ظ.

فيكون

[فيكون قولكما تذكرة له -[1]] فيرسل معكما بنى إسرائيل، و معنى الترجى أن يكون حاله حال من يرجى منه ذلك، لأنها من ثمرة اللين فى الدعاء، جرى الكلام فى هذا و أمثاله على ما يتعارفه العباد فى محاوراتهم، و جاء القرآن على لغتهم و على ما يعنون، فالمراد: اذهبا[2] أنتما على رجائكما[3] و طمعكما و مبلغكما من العلم، و ليس لهما أكثر من ذا ما لم يعلما، و أما علمه تعالى فقد أتى من وراء ما يكون - قاله سيبويه فى باب من النكرة يجرى مجرى ما فيه الألف و اللام من المصادر و الأسماء.

و لما كان فرعون فى غاية الجبروت، و كان حاله حال من يهلكهما إلا أن يمنعهما الله، و أرادا علم ما يكون من ذلك ﴿قالا ربنآ﴾ أى أيها المحسن إلينا. [4]و لما كان مضمون إخبارهما [بالخوف - مع -[1]] كونهما [5]من جهة الله[5] - من شأنه أن لا يكون و أن ينكر، أكدا فقالا مبالغين فيه باظهار النون الثالثة إبلاغا فى إظهار الشكوى ليأتى الجبر على قدر ما يظهر من الكسر: ﴿انا نخاف﴾ لما [هو -[6]] فيه من المكنة ﴿ان يفرط﴾ أى يعجل ﴿علينآ﴾ بالعقوبة قبل إتمام البلاغ [5]عجلة من يطفر و يثب إلى الشىء[5] ﴿او ان يطغى﴾ فيتجاوز / إلى أعظم ١٥ / ٤٥٥ مما هو فيه من الاستكبار ﴿قال لاتخافآ﴾ ثم علل ذلك بما هو مناط النصرة و الحياطة للولى و الإهلاك للعدو، فقال [7]مؤكدا إشارة إلى عظم الخبر[7]،

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد و كتاب سيبويه ٣/١٦٧، و فى الأصل: هنا.
(٣) من ظ و مد و الكتاب، و فى الأصل: رجالكما (٤) العبارة من هنا إلى «من الكسر» ساقطة من ظ (٥-٥) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد.
(٦) زيد من ظ و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

[1]و تنبيها لمضمونه لأنه خارج عن العوائد[1] ، [2]و أثبت النون الثالثة على وزان تأكيدهما[2] : ﴿ انني معكما ﴾ لا أغيب كما تغيب الملوك إذا أرسلوا رسلهم ﴿اسمع و ارى ﴾ [3]أى لى هاتان الصفتان[3] ، لا يخفى على شيء من حال رسولى و لا حال عدوه ، و أنتما تعلمان من قدرتى ما لا يعلمه غيركما .

و لما تمهد ذلك ، تسبب عنه تعليمهما[4] ما يقولان ، فقال [5]مؤكدا للذهاب أيضا لما مضى[5] : ﴿فاتيه فقولا ﴾ أى له : [6]و لما كان فرعون[6] ينكر ما تضمنه قولهما ، أكد سبحانه فقال : ﴿ انا[6] ﴾ و لما كان التنبيه على معنى المؤازرة هنا - كما تقدم - مطلوبا ، ثنى فقال : ﴿رسولا ربك﴾ الذى رباك فأحسن تربيتك بعد أن أوجدك من العدم ، إشارة إلى تحقيره بأنه من جملة عبيد مرسلهما[7] تكذيبا له فى ادعائه الربوبيـــة ؛ [8]ثم سبب [عن -[9]] إرسالكما إليه قولكما : ﴿ فارسل معنا ﴾ عبيده ﴿بنى اسرآءيل ﴾ ليعبدوه ، فانه لا يستحق العبادة غيره ﴿و لا تعذبهم[4]﴾ بما تعذبهم به من الاستخدام و التذبيح ؛ ثم علل دعوى الرسالة بما يثبتها ، فقال [5]مفتتحا بحرف التوقع لأن حال السامع لادعاء الرسالة أن يتوقع دلالة على الإرسال[5] : ﴿قد جئنك بايـة ﴾ [5]أى علامة عظيمة و حجة و برهان[5]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل: تعليمهما (٤) العبارة من هنا إلى «سبحانه فقال» ساقطة من ظ (٥) سقط من مد (٦) تقدم فى الأصل على «و لما كان فرعون» و الترتيب من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : من ارسلهما . (٨) العبارة من هنا إلى « قولكما » ساقطة من ظ (٩) زيد من مد .

﴿ من ربك ﴾ [1] الذى لا إحسان عليك إلا منه [1]، موجبة لقبول ما ادعيناه من [2] العصى و اليد و غيرهما ، فأسلم [3] تسلم ، و فى تكرير مخاطبته بذلك تأكيد [4] لتبكيته فى ادعاء الربوبية ، و نسبته إلى كفران الإحسان . فسلام عليك خاصة إن قبلت هدى الله ﴿ و السلم ﴾ أى جنسه ﴿ على ﴾ جميع ﴿ من اتبع ﴾ [1] بغاية جهده [1] ﴿ الهدى ﴾ عامة ، و إذا كان هذا الجنس عليهم كان من المعلوم أن العطب على غيرهم ، فالمعنى [5] : [و - [6]] إن أبيت عذبت ﴿ انا ﴾ أى لأنا ﴿ قد اوحى الينآ ﴾ من ربنا ﴿ ان العذاب ﴾ [1] أى كله ، لأن اللام للاستغراق أو الماهية . و على التقديرين يقتضى قدر ثبوت هذا الجنس و دوامه لما تفهمه الاسمية [1] ﴿ على ﴾ كل ﴿ من كذب و تولى ﴾ [1] أى أوقع التكذيب و الإعراض ، و ذلك يقتضى أنه إن كان منه شىء على مصدق كان منقضيا ، و إذا انقضى كان كأنه لم يوجد [1] . و فى صرف الكلام عنه تنبيه على أنه ضال مكذب [1] و تعليم للأدب [1] .

و لما كان التقدير : فأتياه فقولا : إنا رسولا ربك - إلى آخر ما أمرا به ، و تضمن قولهما أن لمرسلهما القدرة التامة و العلم الشامل ، فتسبب عنه سؤاله عن تعيينه ، [1] استأنف الإخبار عن جوابه بقوله [1] : ﴿ قال ﴾ [1] أى فرعون مدافعا لهما بالمناظرة لا بالبطش ، لئلا ينسب إلى [1]

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بهامش ظ : بيان لقوله « آية » أى التى هى العصى و اليد و غيرهما (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : واسلم (٤) من ظ ، و فى الأصل : تاكيدا ، و فى مد : تذكير (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : و المعنى (٦) زيدت الواو من ظ و مد .

[1]السفه و الجهل[1] : ﴿ فمن ﴾ [2]أى تسبب عن[3] كلامكما هذا الذى لا يجترئ على مواجهتى به أحد من أهل الأرض أن أسألكما : من ﴿ ربكما ﴾ الذى أرسلكما ، و لم يقل : ربى ، حيدة عن سواء النظر / و [4]صرفا للكلام[4] على الوجه الموضح لخزيه . ٤٥٦ /

٥ و لما كان موسى عليه السلام هو الأصل فى ذلك ، [1]و كان ربما طمع فرعون بمكره و سوء طريقه فى حبسة تحصل فى لسانه[1] ، أفرده بقوله : ﴿ يموسى ﴾ قال ﴾ له موسى [1]على الفور[1] : ﴿ ربنا ﴾ [1]أى موجدنا و مربينا و مولانا[1] ﴿ الذى اعطى كل شىء ﴾ مما تراه فى الوجود ﴿ خلقه ﴾ أى ما هو عليه مما هو به أليق [1] فى المنافع المنوطة به ، و الآثار التى تتأثر

١٠ عنه[1] من الصورة و الشكل و المقدار و اللون و الطبع ، و غير ذلك مما يفوت الحصر ، و يجل عن الوصف .

و لما كان فى إفاضة الروح من الجلالة و العظم ما يضمحل عنده غيره من المفاوتة[5] ، أشار إلى ذلك بحرف التراخى فقال : ﴿ ثم هدى ﴾ أى كل حيوان منه[6] مع أن فيها العاقل و غيره إلى جميع منافعه فيسعى لها ،

١٥ و مضاره فيحذرها ، فثبت بهذه المفاوتة و المفاصلة[7] مع اتحاد نسبة الكل إلى الفاعل أنه واحد مختار ، و ان ذلك لو كان بالطبيعة المستندة إلى النجوم أو غيرها كما كان يعتقده فرعون و غيره لم يكن هذا التفاوت

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى «أسألكما من» سقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : من (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : صرف الكلام (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المفارقة (٦) بهامش ظ : الضمير فى « منه » يرجع إلى « كل شىء » (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : المفاوضة .

ولما لم يكن لأحد بالطعن فى هذا الجواب قبل لأنه لا زلل فيه ولا خلل - [1]مع رشاقته واختصاره وسبقه بالجمع إلى غاية مضماره[1] - صرف الكلام عنه بسرعة خوف من الاتضاح، بزيادة موسى عليه السلام فى الإيضاح. فيظهر الفساد من الصلاح، إلى شىء يتسع فيه المجال، ولا يقوم عليه دليل، فيمكن فيه الرد، [2]فأخبر عنه سبحانه على طريق الاستئناف بقوله[2]: ٥ ﴿قال فما﴾ أى تسبب عما تضمن هذا من نسبة ربك إلى العلم بكل موجود أنى أقول لك: فما[3] ﴿بال﴾ أى خبر ﴿القرون الاولى﴾ الذى هو فى العظمة بحيث أنه [4]خالط أحدا إلا أحاله وأماله -[4]، وهو وإن كان حيدة، هو من أمارات الانقطاع، غير أنه فعل راسخ القدم فى المكر والخداع.

١٠

ولما فهم عنه موسى عليه السلام ما أراد أن ترتب على الخوض فى ذلك مما لا طائل تحته من الرد والمطاولة، [5]ولم تكن التوراة نزلت عليه إذ ذاك، وإنما نزلت بعد هلاك فرعون لم يمش معه فى ذلك[5] ﴿قال﴾ قاطعا له عنه: ﴿علمها عند ربى﴾ [5]أى المحسن إلىّ بإرسالى وتلقينى الحجاج[5].

١٥

ولما كانت عادة المخلوقين إثبات الأخبار فى الكتب، وكان تعالى قد وكل بعباده من ملائكته[6] من يضبط ذلك، قال مخاطبا لهم بما يعرفون من أحوالهم: ﴿فى كتب﴾ [5]أى اللوح المحفوظ[5]، ولما كان ربما وقع

(١-١) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «فى ذلك» س ١٢ والترتيب من مد (٢-٢) فى ظ: أن (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: ما (٤) زيد من مد. (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) بهامش ظ: قوله: من ملائكته - متعلق بيضبط مقدم عليه و من للتمييز.

فى وهم واهم أن الكتاب لا يكون إلا خوفا من نسيان الشىء أو الجهل بالتوصل إليه مع ذكر عينه، نفى ذلك بقوله: ﴿لا يضل ربى﴾ [1]أى الذى ربانى كما علمت و نجانى من جميع ما قصدتموه لى من الهلاك ولم يضل عن وجه من وجوهه، و لا نسى وجها يدخل منه شىء من خلل[1] ﴿و لا ينسى[3]﴾ [1]أى لا يقع منه نسيان لشىء أصلا من أخباره و لا لغيرهم[1]، و فى ذلك[2] إشارة إلى تبكيت اليهود بأن ثبوت النبوة إن كان يتوقف على أن يخبر النبى عن كل ما يسأل عنه لزم أن يتوقفوا فى نبوة نبيهم عليه السلام لأنه لم يخبر فرعون عما سأله عنه من أمر القرون؛ ثم / وصل بذلك[2] ما كان فيه قبل من الدليل العقلى على وحدة الصانع و اختياره فقال: ﴿الذى جعل لكم﴾ أيها الخلائق ﴿الارض﴾ أى أكثرها ﴿مهدا﴾ تفترشونها، و جعل بعضها جبالا لا يمكن القرار عليها، و بعضها رخوا تسرح فيه الأقدام و بعضها جلدا - إلى غير ذلك مما تشاهدون فيها من الاختلاف ﴿و سلك لكم فيها سبلا﴾ [1]أى سهّل طرقا تسلكونها[4] فى أراضى سهلة و حزنة[1] وسطها بين الجبال و الأودية و الرمال[1]، و هيأ لكم فيها من المنافع من[3] المياه و المراعى ما يسهل ذلك[2]، و جعل فيها[5] ما لا يمكن استطراقه أصلا، مع أن نسبة الكل إلى الطبيعة واحدة، فلولا أن الفاعل واحد مختار لم يكن هذا التفاوت و على هذا النظام البديع ﴿و انزل من السماء ماء﴾ تشاهدونه واحدا فى اللون و الطعم. و لما كان ما ينشأ عنه أدل على العظمة و أجلى للناظر و أظهر للعقول.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بين سطرى ظ: أى قوله: لا يضل ربى و لا ينسى (٣) من ظ و مد، و فى الأصل «و»، و بين سطرى ظ: بيان للمنافع. (٤) بين سطرى ظ: أى السلوك فى هذه (٥) بهامش ظ: الضمير يرجع إلى الأرض.

استغرق[1] صلى الله عليه و سلم فى بحار الجلال ، فاستحضر أن الآمر له بهذا الكلام هو المتكلم به فى الحقيقة فانيا[2] عن نفسه و عن جميع الأكوان ، فعبر عن ذلك[3] ، [4]عادلا عن الغيبة إلى لفظ المتكلم المطاع بما له من العظمة[4] بقوله : ﴿فاخرجنا﴾ [4]أى بما لنا من العظمة التى تنقاد لها الأشياء المختلفة[4] ﴿بهِ ازواجا﴾ [أى -[5]] أصنافا [4]متشاكلة ليس فيها شىء يكون واحدا لا شبيه له[4] ﴿من نبات شتى ۝﴾ أى مختلفة جدا فى الألوان و المقادير و المنافع و الطبائع و الطعوم ؛ ثم أشار إلى تفصيل ما فيها من الحكمة بقوله [6]حالا من فاعل "اخرجنا"[6]: ﴿كلوا﴾ أى ما دبره لكم بحكمته منها ﴿و ارعوا﴾ [4]أى سرحوا فى المراعى[4] ﴿انعامكم[4]﴾ ما أحكمه لها و لا يصلح لكم ، [4]فكان من متقن تدبيره أن جعل أرزاق العباد بعملها تنعيما لهم ، و جعل علفها مما يفضل عن حاجتهم ، و لا يقدرون على أكله[4] ، و قد دلت هذه الأوصاف على تحققه سبحانه قطعا بأنه لا يضل و لا ينسى من حيث أنه تعالى أبدع هذا العالم شاملا لكل ما يحتاجه مَنْ فيه [7]لما خلقهم له[7] من السفر إليه و العرض عليه فى جميع تقلباتهم على اختلافها ، و تباين أصنافها ، و تباعد أوصافها ، و على كثرتهم ، و تنائى أمزجتهم ، و لم يدعه ناقصا من شىء من ذلك بخلاف غيره ،

(١) بهامش ظ : قول المفسر سامحه الله ولا آخذه ، استغرق صلى الله عليه وسلم - إلى أن قال : فعبر عن ذلك ، فيه نظر ؛ و يتلوه تعقيب مطول لا يفيده القلم لسوء الخط (٢) بهامش ظ : قوله « فانيا » هو حال من الضمير فى « استغرق » أى استغرق حال كونه فانيا (٣) بين سطرى ظ : أى الاستطراق فى . . . الجنة . (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكل ما خلقه لهم و خلقه له .

فانه لو عمل شيئا و اجتهد كل الاجتهاد فى تكميله فلا بد أن يظهر له فيه نقص و يصير يسعى فى إزالته وقتا بعد وقت .

و لما كمل هـــذا البرهان القويم ، دالا على العليم الحكيم ، قال منبها على انتشار أنواره ، و جلالة مقداره ، [1]مؤكدا لأجل إنكار المنكرين[1] :

٥ ﴿ان فى ذلك﴾ أى الإنشاء على هذه الوجوه المختلفة ﴿لآيٰت﴾ على منشئه ﴿لاولى النهىٰ ۝﴾ أى العقول التى من شأنها أن تنهى صاحبها عن الغىّ ، و من عمى عن ذلك فلا عقل له أصلا ، لأن عقله لم ينفعه ، و ما لا ينفع فى حكم العدم ، و ذكر ابن كثير هنا ما عزاه ابن إسحاق فى السيرة[2] لزيد بن عمرو بن نفيل ، و ابن هشام لأمية بن أبى الصلت[3] :

١٠ و أنت الذى من فضل منّ و رحمة بعثت إلى موسى رسولا مناديا
فقلت[4] ألا يا[4] اذهب وهارون فادعوا إلى الله فرعون الذى كان باغيا[5]
فقولا له آأنت سويت هـــذه بلا وتد حتى استقلت[6] كما هيا
و قولا له آأنت رفعت هـــذه بلا عمد أرفق إذن بك بانيا
و قولا له آأنت سويت وسطها منيرا إذا ما جنه الليل هاديا
١٥ و قولا له من[7] يخرج الشمس بكرة[7] فيصبح ما مست من الزرع ضاحيا
و قولا له من ينبت الحب فى الثرى فيخرج[8] منـــه البقل يهتز رابيا
و يخرج منه حبـــه فى رؤسه و فى ذاك آيات لمن كان واعيا

و لما أخبر سبحانه و تعالى عما خلق فى الأرض من المنافع الدالة

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) ١/٧٧ و ٧٨ (٣) زيد فى الأصل : فقال هذه الأبيات ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤-٤) فى ظ : له يا ، و فى السيرة : له ـ كذا (٥) فى السيرة : طاغيا (٦) فى السيرة : اطمأنت (٧-٧) فى السيرة : يرسل الشمس غدوة (٨) فى السيرة : فيصبح .

على

على تمام علمه [و باهر قدرته ، على وجه دال على خصوص القدرة على البعث -[1]] ، [وكان من الفلاسفة تناسخيتهم و غيرهم من يقر لله بالوحدانية و لايقر بقول أهل الإسلام : إن الروح جسم لطيف سار فى الجسم سريان النار فى الفحم . بل يقول : إنها ليست بجسم و لاقوة فى جسم و لاصورة لجسم و ليست متصلة به اتصال انطباع و لاحلول فيه ، بل ٥ اتصال تدبير و تصرف ، و أنها إذا فارقت البدن اتصلت بالروحانيين من العالم العقلى الذى هو عالم المجردات و انخرطت فى سلك الملائكة المقربين ، أو اتصلت ببعض الأجرام السماوية من كوكب أو غيره كاتصالها بالبدن الأول و انقطع تعلقها بـــه فلم تعد إليه حتى و لايوم البعث عند من يقول منهم بالحشر -[2]] ، وصل بذلك قوله [تعالى ، رد عليهم ، معبرا ١٠ بالضمير الذى يعبر به عن الهيكل المجتمع من البدن و النفس -[2]] : ﴿منها﴾ [أى الأرض لامن غيرها -[2]] ﴿خلقناكم﴾ إذ أخرجناكم منها [3]بالعظمة الباهرة[3] فى النشأة الأولى بخلق أبيكم آدم عليه السلام ﴿و فيها﴾ [لا فى غيرها كما أنتم كذلك تشاهدون -[2]] ﴿ نعيدكم ﴾ بالموت [كذلك أجساما و أرواحا -[2]] ، فتصيرون ترابا كما كنتم ، [وللروح مع ذلك ١٥ و إن كانت فى عليين تعلق ببدنها بوجه ما ، يدرك البدن به اللذة بالتذاذها و الألم بتألمها ، و قد صح أن الميت يقعد فى قبره و يجيب سؤال الملكين عليهما السلام -[2]] ، لا[4] يقدر أحد منكم أن يخلص من تلك العظمة

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : لم ، و العبارة من هنا إلى « بدقيق حكمته » ساقطة من ظ .

المحيطة بجليل عظمته و لابدقيق حكمته ﴿ و منها ﴾ [لامن غيرها - [1]] ﴿نخرجكم﴾ يوم البعث [2]بتلك العظمة بعينها[2] ﴿تارة اخرى﴾ كما بدأناكم [أول مرة - [1]] مثل ما فعلنا فى النبات سواء ، فقد علم أن هذا فعل الواحد المختار ، لا فعل الطبائع ، فمرة جعلكم أحياء من شيء ليس له أصل فى الحيوانية أصلا ، وكرة[3] ردكم إلى ما كنتم عليه قبل الحياة ترابا لا روح فيه و لا ما يشبهها ، فلا ريب أن فاعل ذلك قادر على أن يخرجكم منها أحياء كما ابتدأ ذلك ، بل الإعادة أهون فى مجارى العادة .

و لما كان ما ذكر [4]مما علق [5]بالأرض من المرافق[5] و غيره على غاية من الوضوح ، ليس وراءها مطمح ، فكان المعنى : أرينا فرعون هذا الذى ذكرنا لكم من آياتنا و غيره ، وكان المقام لتعظيم القدرة ، عطف عليه[6] قوله : ﴿ و لقد اريناه ﴾ أى بالعصى و اليد و غيرهما[7] مما تقدم من مقتضى عظمتنا[8] ﴿ اٰيٰتنا ﴾ [أى التى عظمتها من عظمتنا - [1]] ﴿ كلها ﴾ [بالعين و القلب - [1]] لأن من قدر على مثل ذلك فهو قادر على غيره من أمثاله من خوارق العادات ، لأن الممكنات بالنسبة إلى قدرته على حد سواء ، لاسيما و الذى ذكر أمهات الآيات كما سيؤما

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد ، فى الأصل : مرة (٤) العبارة من هنا إلى « غيره » ساقطة من ظ (٥-٥) من مد ، و فى الأصل : من الارض من المنافق (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليها . (٧) العبارة من هنا إلى «مقتضى عظمتنا» ساقطة من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل: عظمته .

إليه [1]إن شاء الله تعالى[1] فى سورة الأنبياء ﴿فكذب﴾ أى بها ﴿وابى﴾ أى أن يرسل بنى إسراءيل ؛ و هذا أبلغ من تعديد ما ذكر فى الأعراف، فكأنه قيل: كيف صنع فى تكذيبه و إبائه؟ فقيل: ﴿قال﴾ حين لم يجد مطعنا مخيلا للقبط [2]بما يثيرهم[2] حمية لأنفسهم لأنه علم حقية[3] ما جاء به موسى و ظهوره، و تقبل العقول له، فخاف أن يتبعه الناس ٥ و يتركوه، و وهن[4] فى نفسه وهنا عظيما بتأمل كلماته مفردة و مركبة يعرف مقداره: ﴿اجئتنا لتخرجنا من ارضنا﴾ هذه التى نحن مالكوها ﴿بسحرك يموسى﴾ فخيل إلى أتباعه أن ذلك سحر، فكان ذلك - مع ما الفوه من عادتهم فى الضلال[5] - صارفا لهم[6] عن اتباع ما رأوا من البيان، ثم وصل به بالفاء السببية قوله [1]مؤكدا إيذانا بعلمه أن ما أتى به ١٠ موسى ينكر كل من يراه أن يقدر غيره على معارضته[1]: ﴿فلناتينك﴾ أى[7] [و الإله الأعظم -[8]] ! [1]بوعد لاخلف / فيه[1] ﴿بسحر مثله﴾ / ٤٥٩ تأكيدا [1]لما خيل به[1]؛ ثم أظهر النصفة و العدل إيثاقا لربط قومه فقال: ﴿فاجعل بيننا و بينك موعدا﴾ أى من الزمان و المكان ﴿لانخلفه﴾ أى لا نجعله خلفنا ﴿نحن و لآ انت﴾ بأن نقعد عن إتيانه. ١٥

و لما كان كل من الزمان و المكان لاينفك عن الآخر قال: ﴿مكانا﴾ و آثر ذكر المكان لأجل وصفه بقوله: ﴿سوى﴾ أى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) من ظ. و فى الأصل: بما يغيرهم، و فى مد: كما يثيرهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: حقيقة (٤) بهامش ظ: أى فرعون (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الضلالة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لكم (٧) سقط من ظ ومد (٨) زيد من مد.

عدلا بيننا ، لاحرج على واحد منا فى قصده أزيد من حرج الآخر ، فانظر هذا الكلام الذى زوقه و صنعه[1] و نمقه فأوقف به قومه عن السعادة و استمر يقودهم بأمثاله حتى أوردهم البحر فأغرقهم ، [ثم -[2]] فى غمرات النار أحرقهم ، فعلى الكيس الفطن أن ينقد الأقوال و الأفعال ، و الخواطر

٥ و الأحوال ، و يعرضها على محك الشرع : الكتاب[3] و السنة ، فما وافق لزمه و ما لا تركه .

و لما كان مجتمع سرورهم الذى اعتادوه حاويا لهذه الأغراض زمانا و مكانا و غيرهما ، اختاره عليه السلام [لذلك -[4]] ، فاستؤنف الخبر عنه فى قوله تعالى[5] : ﴿قال موعدكم﴾ أى الموصوف ﴿يوم الزينة﴾ [6] أى

١٥ عيدكم[6] الذى اعتدتم الاجتماع فيه فى المكان الذى اعتدتموه ، فآثر هنا ذكر الزمان و إن كان يتضمن المكان لما فيه من عادة الجمع كما آثر فيما تقدم المكان لوصفه[7] بالعدل ﴿و ان يحشر﴾ [بناه -[4]] [6] للمفعول لأن القصد الجمع ، لا كونه من معين[6] ﴿الناس[8]﴾ [أى إغراء و لو بكره -[4]] ﴿ضحى ۝﴾ ليستقبل[9] النهار من أوله ، فيكون أظهر لما يعمل و أجلى ،

١٥ و لا يأتى الليل إلا و قد قضى الأمر ، و عرف المحق من المبطل ، و أنتم أجمع ما تكونون و أفرغ ، [10]فيكل حد المبطلين و أشياعهم ، و المتكبرين[11]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : صنفه (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ . (٤) زيد من مد (٥) العبارة من « اختاره » إلى هنا ساقطة من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لوصف (٨) تقدم فى الأصل على « بناه » و الترتيب من مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيستقبل ، و زيد قبله فى مد عبارة لا تتضح أصلا (١٠) العبارة من هنا إلى « الوبر و المدر » ساقطة من ظ (١١) من مد . و فى الأصل : المنكرين .

على الحق و أتباعهم، و يكثر المحدث بذلك الأمر العلم فى كل بدو و حضر، و يشيع فى جميع أهل الوبر و المدر ﴿فتولى فرعون﴾ عن موسى إلى تهيئة ما يريد من الكيد بعد توليه عن الانقياد لأمر الله ﴿فجمع كيده﴾ [1]أى مكره و حيلته و خداعه[1]، الذى دبره على موسى بجمع من يحصل بهم الكيد، و هم السحرة، حشرهم من كل أوب[2]، و كان أهل مصر أسحر أهل الأرض و أكثرهم ساحرا، و كانوا فى ذلك الزمان أشد اعتناء بالسحر و أمهر ما كانوا و أكثر ﴿ثم أتى﴾ للميعاد الذى وقع القرار عليه بمن حشره من السحرة و الجنود و من تبعهم من الناس، مع توفر الدواعى على الإتيان للعيد، و النظر إلى تلك المغالبة التى لم يكن مثلها.

[3]و لما تشوف[4] السامع إلى ما كان من موسى عليه السلام عند ذلك، استأنف سبحانه الخبر عنه بقوله: ﴿قال لهم﴾ [1]أى لأهل الكيد و هم السحرة و غيرهم[1] ﴿موسى﴾ حين رأى اجتماعهم ناصحا لهم: ﴿ويلكم﴾ يا أيها الناس الذين خلقهم[5] الله لعبادته ﴿لا تفتروا﴾ أى لا تتعمدوا [1]أن تصنعوا استعلاء[1] ﴿على الله كذبا﴾ بجعلكم آياته العظام الثابتة سحرا لا حقيقة له، و ادعائكم أن ما تخيلون به حق و ليس بخيال، [1]و إشراككم به[1]؛

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ادب.
(٣) العبارة من هنا إلى «عنه بقوله» ساقطة من ظ (٤) من مد، و فى الأصل: تشوق (٥) فى ظ: خلقكم.

[1]و سبب عنه قوله[1]: ﴿فيسحتكم﴾ أى يهلككم؛ قال الرازى: و أصله الاستئصال ﴿بعذاب ج﴾ أى عظيم تظهر به خيبتكم ﴿و قد خاب﴾ / كل ﴿من افترى ه﴾ أى تعمد كذبا على الله أو على غيره ﴿فتنازعوآ﴾ أى تجاذب السحرة ﴿امرهم بينهم﴾ لما سمعوا هذا الكلام، علما منهم بأنه لا يقدر أن يواجه فرعون بمثله فى جميع[2] جنوده و أتباعه لم[3] يسلم منه [إلا -[4]] مَنِ الله معه ﴿و اسروا النجوى ه﴾ [5]أى كلامهم[6] الذى تناجوا به و بالغوا فى إخفائه، فان النجوى الإسرار، لئلا يظهر فرعون و أتباعه على عوارهم[7] [فى -[4]] اختلافهم الذى اقتضاه لفظ التنازع، فكأنه قيل: ما قالوا حين انتهى[8] تنازعهم؟ [فقيل -[4]]: ﴿قالوآ﴾ أى السحرة بعد النظر و إجالة[9] الرأى ما خيلهم به فرعون تلقنا منه و تقربا إليه بما ينفر الناس عن موسى و هارون عليهما السلام [و يثبطهم عن اتباعهما و إن غلبا، لأنه لا ينكر غلبة ساحر على ساحر آخر[10]]: ﴿ان هذن﴾ أى موسى و هارون. و قرئ: هذان - بالألف، على لغة من يجعل ألف المثنى لازما فى كل حال؛ قال أبو حيان[11]: و هى لغة لطوائف[12] من العرب: بنى الحارث بن كعب و بعض كنانة و خثعم و زبيد و بنى العنبر

(١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد فى الأصل: امورهم و، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ثم (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى «النجوى الإسرار» ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: الكلام (٧) بهامش ظ: خللهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: انقضى (٩) بهامش ظ: إدارة (١٠) زيد من مد (١١) فى النهر الماد من البحر المحيط ٦/٢٥٠ (١٢) من ظ و مد و النهر، و فى الأصل: طوائف.

و بنى الهجيم و مراد و عذرة . ﴿ لسحران ﴾ لا شك فى ذلك منهما ﴿ يريدان ﴾ [1]أى [بما -[2]] يقولان من دعوى الرسالة و غيرها ﴿ان يخرجكم﴾ أيها الناس ﴿من ارضكم﴾ هذه التى ألفتموها ، و هى وطنكم خلفا عن سلف ﴿ بسحرهما ﴾ الذى أظهراه لكم و غيره[3] .

[و لما كان كل حزب بما لديهم فرحون قالوا -[2]] : ٥

﴿ و يذهبا بطريقتكم ﴾ هذه السحرية التى تعبتم فى تمهيدها ، و أفنى فيها أسلافكم أعمارهم ، حتى بلغ أمرها الغاية ، [4]و بدينكم الذى به قوامكم[4] ﴿ المثلى[5] ﴾ أى[5] التى هى أمثل الطرق ، فيكونا آثر بما يظهرانه منها عند الناس [منكم -[6]] ، [7]و يصرفان وجوه الناس إليها عنكم[7] ، و يبطل ما لكم بذلك من الأرزاق و العظمة عند الخاص و العام و غير ذلك من الأغراض ١٠

﴿فاجمعوا كيدكم﴾ [7]أى لا تدعوا منه شيئا إلا جئتم به[7] و لا تختلفوا تضعفوا ﴿ ثم ائتوا ﴾ إلى لقاء موسى و هارون لمباراتهما ﴿ صفا ﴾ أى متسابقين متساوين فى السباق ليستعلى أمركم عليهما فتفلحوا ، [8]و الاصطفاف أهيب فى صدور الرائين .

و لما كان التقدير : [فمن -[2]] أتى كذلك [فقد -[2]] استعلى ، عطف ١٥

(١) العبارة من هنا إلى « و غيرها » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) بهامش ظ : قوله «و غيره» معطوف على «الذى» أو محله جر على الضد لمجاراتهما - فافهم ذلك (٤ - ٤) وقع ما بين الرقمين فى الأصل قبل « ويذهبا » و الترتيب من مد . (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٨) العبارة من هنا إلى « محققا » ساقطة من ظ .

عليه قولهم[1] محققا : ﴿ و قد فلح اليوم ﴾ فى هذا الجمع الذى ما اجتمع مثله قط ﴿ من استعلى ﴾ أى غلب و وجد[2] علوه، أى ففعلوا ما تقدم و أتوا صفا، فلما أتوا [3]و كانوا خبيرين بأن يقولوا ما ينفعهم فى مناصبة موسى عليه السلام ، استؤنف الإخبار عنه بقوله تعالى[3] : ﴿ قالوا ﴾ أى السحرة منادين ، لأن لين القول مع الخصم إن لم ينفع لم يضر : ﴿ يـموسى[3] اما ان تلقى ﴾ ما معك مما تناظرنا به أولا ﴿ و اما ان نكون ﴾ أى نحن ﴿ اول من القى ﴾ ما معه ﴿ قال ﴾ أى موسى [4]مقابلا لأدبهم [بأحسن منه -[5]] و لأنه فهم أن مرادهم الابتداء، و ليكون هو الآخر فيكون العاقبة بتسليط معجزته على سحرهم فلا يكون بعدها شك : لا ألقى أنا أولا ﴿ بل القوا ﴾ أنتم أولا، فانتهزوا[6] الفرصة . لأن ذلك كان مرادهم بما أفهموه من تعبير السياق و التصريح بالأول، فألقوا ﴿ فاذا حبالهم وعصيهم ﴾ التى ألقوها ﴿ يخيل اليه ﴾ و هو صفينا [تخييلا مبتدئا -[5]] ﴿ من سحرهم ﴾ الذى كانوا [قد -[7]] فاقوا به أهل الأرض ﴿ انها ﴾ لشدة اضطرابها ﴿ تسعى[1] ﴾ / سعيا . و إذا كان هذا حاله مع أنه أثبت الناس بصرا و أنفذهم بصيرة فما ظنك بغيره ! ﴿ فاوجس ﴾ أى أضمر بسبب ذلك . و حقيقته : أوقع واجسا أى خاطرا و ضميرا . /٤٦١

(١) من مد ، و فى الأصل : قوله (٢) بهامش ظ : و استفيد وجود أعلو من السين إذ هى تدل على الوجود (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) العبارة من هنا إلى «بعدها شك» ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فانتهز (٧) زيد من ظ و مد .

و لما كان المقام لإظهار الخوارق على يديه، فكان ربما فهم أنه أوقعه فى نفس أحد غيره، كان المقام للاهتمام بتقديم[1] المتعلق، فقال لذلك لا لمراعاة الفواصل: ﴿فى نفسه﴾ [2]أى خاصة[2]. [و قدم ما المقام له و الاهتمام به فقال -[3]]: ﴿خيفة موسى﴾ مثل ما خاف من عصاه أول ما رآها كذلك على ما هو طبع البشر، [4]و للنظر إلى الطبع عبر ٥ بالنفس لا القلب مثلا.

و لما كان ذلك، و كان المعلوم أن الله معه، و أنه [جدير -[3]] بابطال سحرهم، استأنف الخبر عنه بقوله: ﴿قلنا﴾ [بما لنا من العظمة -[3]]: ﴿لا تخف﴾ من شىء من أمرهم [5]و لا غيره[5]، ثم علل ذلك بقوله، [2]و أكده أنواعا من التأكيد لاقتضاء الحال[2] [إنكارَ أن يغلب أحد ما ١٠ أظهروا من سحرهم لعظمه[3]]: ﴿انك انت﴾ [أى خاصة -[3]] ﴿الاعلى﴾ [6]أى الغالب غلبة ظاهرة لاشبهة فيها[6] ﴿و الق﴾ [2]و أشار إلى يمن العصى و بركتها بقوله[2]: ﴿ما فى يمينك﴾ أى[7] من هذه العصى التى قلنا لك أول ما شرفناك بالمناجاة "و ما تلك بيمينك يموسى" ثم أريناك منها ما أريناك ﴿تلقف﴾ [2]بقوة و اجتهاد مع سرعة لا تكاد تدرك - بما ١٥ أشار إليه حذف التاء[2] ﴿ما صنعوا﴾ [أى فعلوه بعد تدرب كبير عليه

(١) فى مد: لتقديم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد.
(٤) العبارة من هنا إلى «عنه بقوله» ساقطة من ظ (٥-٥) من مد، و فى الاصل: و لاغيرهم، و سقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) فى ظ: وحدك لاغيرك.
(٧) سقط من مد.

و ممارسة طويلة -[١]] : ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انما ﴾ [أى أن الذى -[١]] ﴿ صنعوا ﴾[٢] أى[٣] [أن -[١]] صنعهم [مما -[١]] رأيته و هالك أمره .

و لما كان المقصود تحقير هذا الجيش أفرد و[٤] نكر لتنكير[٥] المضاف و تحقيره فقال : ﴿ كيد سحر ﴾ أى[٦] كيد سحرى[٦] لاحقيقة له و لاثبات ، [سواء كان واحدا أو جمعا ، و لو جمع لخيل أن المقصود العدد ، و لما كان التقدير -[١]] : فهم لا يفلحون ،[٧] عطف عليه قوله[٧] : ﴿ ولا يفلح السحر ﴾ أى هذا الجنس ﴿ حيث اتى[٨] ﴾[٦] أى كيف ما سار و أيّه[٦] [سلك -[١]] فانه إنما يفعل ما لاحقيقة له . فامتثل ما أمره به [ربه -[٩]] من إلقاء عصاه ، فكان ما وعده به سبحانه من تلقفها لما صنعوا من غير أن يظهر عليها زيادة فى ثخن و لا غيره مع أن حبالهم و عصيهم كانت شيئا كثيرا ، فعلم كل من رأى ذلك حقيته[١٠] و بطلان ما فعل السحرة ، فبادر السحرة منهم إلى الخضوع لأمر الله ساجدين مبادرة من كأنه ألقاه ملق[١١] على وجهه ، و لذلك قال تعالى بعد أن ذكر مكرهم و اجتهادهم فى معارضة موسى عليه الصلاة و السلام [و -[١]] حذف ذكر الإلقاء و ما سببه من

---

(١) زيد من مد (٢) العبارة من هنا إلى « و تحقيره فقال » ساقطة من ظ .
(٣) فى مد « و » (٤) زيد بعده فى الأصل : لكن ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) من مد ، و فى الأصل : تنكير (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٧-٧) ما بين الرقمين سقط من ظ و تقدم فى الأصل على « فهم » ، و الترتيب من مد (٨) تأخر فى الأصل عن « سلك » و الترتيب من مد (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : حقيقته (١١) فى ظ : احد .

التلقف لأن مقصود السورة القدرة على تليين القلوب القاسية[1] : ﴿فألقى السحرة﴾ أى فألقاهم ما رأوا من أمر الله [2]بغاية السرعة و بأيسر أمر[2] ﴿سجدا﴾ على وجوههم ؛ [2]قال الأصبهانى : سبحان الله ! ما أعظم شأنهم ! ألقوا حبالهم و عصيهم للكفر و الجحود ، ثم القوا رؤسهم بعد ساعة للشكر و السجود ، فما أعظم الفرق بين الإلقائين[2] . فكأن قائلا قال : هذا فعلهم فما قالوا ؟ فقيل : ﴿قالوآ امنا﴾ أى صدقنا .

و لما كان سياق هذه السورة مقتضيا لتقديم هارون عليه السلام قال : ﴿برب هرون و موسى﴾ بشارة للنبى صلى الله عليه و سلم بأنه سبحانه لا يشقيه بهذا القرآن بل يهدى الناس [به -] و يذلهم له ، فيجعل العرب على شماختها[4] أذل شىء / لوزرائه و أنصاره و خلفائه ٤٦٢ / و إن كانوا أضعف الناس ، و قبائلهم أقل القبائل ، مع ما فى ذلك من الدليل على صدق إيمانهم و خلوص ادعائهم بتقديم الوزير المترجم ترقيا فى درج المعرفة ممن أوصل ذلك إليهم إلى من أمره بذلك ثم إلى من أرسله شكرا للمنعمين بالتدريج « لا شكر الله من لم يشكر الناس » و هذا لما أوجب تقديمه هنا لا لهذا فقط . و ذكروا اسم الرب إشارة إلى أنه سبحانه أحسن إليهما باعلاء شأنهما على السحرة ، و على من كانوا يقرون له بالربوبية . و هو فرعون الذى لم يغن عنهم شيئا ، فكانوا أول النهار سحرة ، و آخره شهداء[6] بررة ، و هذه الآية فى أمثالها من آى هذه السورة

(١) العبارة من « بعد أن » إلى هنا ساقطة من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : سماحتها (٥) فى مد : لا (٦) بهامش ظ : =

و غيرها مما قدم فيه ما يتبادر ان حقه التأخير و بالعكس لانحاء[1] من المعانى دقيقة ، هى التى حملت بعض من لم يرسخ إلى أن يقول : إن القرآن يراعى الفواصل كما يتكلف بلغاء العرب السجع ، و تبعه جمع من المتأخرين تقليدا ، و قد عاب النبى صلى الله عليه و سلم ذلك[2] حين قال « سجع كسجع الجاهلية أو قال : الكهان » و قد علم مما ذكرته أن المعنى الذى بنيت عليه السورة ما كان ينتظم إلا بتقديم هارون ، و يؤيد ذلك أنه قال هنا " انا رسولا " و فى الشعراء " رسول " ، و قد قال الإمام فخر الدين الرازى كما حكاه عنه الشيخ أبو حيان فى سورة فاطر من النهر[3] : لا يقال فى شىء من القرآن : إنه قدم أو أخر لأجل السجع ، لأن معجزة القرآن ليست فى مجرد اللفظ ، بل فيه و فى المعنى ، [و ...] قال القاضى أبو بكر الباقلانى[5] فى كتاب إعجاز القرآن : ذهب أصحابنا[6] كلهم إلى نفى السجع من القرآن و ذكره[7] أبو الحسن الأشعرى فى غير موضع من كتبه ، ثم رد على المخالف بأن قال : و الذى يقدرونه أنه سجع فهو وهم ، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع و إن لم يكن سجعا لأن

= و مراد الشيخ بالشهداء ليس المقتولين لما ينص عليه بعد ، بل هؤلاء بمنزلة الشهداء فى العلو و الرفعة فليفهم ذلك .

(١) بين سطرى ظ : لوجوه (٢) بين سطرى ظ : أى السجع (٣) المداد من البحر المحيط ، و بهامش ظ : قوله « من النهر » المضاف إليه ... سورة أى سورة فاطر هو النهر - كذا (٤) زيد من ظ و مد (٥) هو محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ابن القاسم البصرى ثم البغدادى المتوفى سنة ٤٠٣ هـ - راجع معجم المؤلفين ١٠/١٠٩ .

(٦) بين سطرى ظ : أى الأشاعرة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكر .

السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذى يؤدى السجع . و ليس كذلك ما اتفق مما هو فى تقدير السجع من القرآن . لأن اللفظ يقع فيه تابعا للمعنى ، و فصل[1] بين أن ينتظم الكلام فى نفسه بألفاظه التى تؤدى المعنى المقصود فيه و بين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ . و متى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره . و متى انتظم المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى ، ثم استدل على ذلك بأشياء نفيسة أطال فيها و أجاد - رحمه الله . و قد تقدم فى آخر سورة التوبة[2] ما ينفع جدا فى هذا المرام .

ولما كان موسى عليه السلام هو المقصود بالإرسال [إلى فرعون ، استأنف تعالى الإخبار عن فرعون عند ما فجئه ذلك فقال -[3]] : ﴿ قال ﴾ أى فرعون للسحرة منكرا عليهم . [و اضمر اسمه هنا و لم يظهره كما فى الأعراف لأن مقصود السورة الرفق بالمدعوين و الحلم عنهم ، و هو غير متأهل لذكر اسمه فى هذا المقام -[4]] : ﴿ آمنتم ﴾ أى بالله ﴿ له ﴾ أى مصدقين أو متبعين لموسى ﴿ قبل ان آذن لكم ﴾ فى ذلك ، إيهاما بأنه سيأذن [فيه -[5]] ليقف الناس عن المبادرة إلى الاتباع بين خوف العقوبة و رجاء الإذن ؛ ثم استأنف قوله معللا مخيلا لأتباعه صدا لهم عن الاقتداء بهم : ﴿ انه لكبيركم ﴾ أى فى العلم ﴿ الذى علمكم السحر ﴾ فلم تتبعوه لظهور الحق ، بل لإرادتكم شيئا من المكر وافقتموه عليه قبل حضوركم ٤٦٣

(١) بين سطرى ظ : فرق (٢) فى ظ و مد : براءة (٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و مد .

فى هذا الموطن ، و هـذا على عادته فى تخييل أتباعه فيما يوقفهم عن اتباع الحق .

و لما خيلهم ، شرع يزيدهم حيرة بتهديد[1] السحرة فقال : ﴿ فلاقطعن ﴾ [2] أى بسبب ما فعلتم [2] ﴿ ايديكم ﴾ على سبيل التوزيع ﴿ و ارجلكم ﴾ أى من كلٍ يدا و رجلا [3] ﴿ من خلاف ﴾ فاذا قطعت اليد اليمنى قطعت الرجل اليسرى ﴿ و لاوصلبنكم ﴾ [و عبر عن الاستعلاء بالظرف إشارة إلى تمكينهم من المصلوب فيه تمكين المظروف فى ظرفه فقال - [4]] : ﴿ فى جذوع النخل [5] ﴾ تبشيعا لقتلكم ردعا لأمثالكم ﴿ و لتعلمن اينآ ﴾ أنا و رب موسى الذى قال : إنه اوحى إليه أن العذاب على من كذب و تولى ﴿ اشد عذابا و ابقى ﴾ [2] أى من جهة العذاب ، أى أينا عذابه أشد و اطول زمانا[2] .

و لما علموا ما خيل به على عقول الضعفاء . نبهوهم [6] [فأخبر تعالى عن ذلك بقوله مستأنفا - [4]] : ﴿ قالوا لن نؤثرك ﴾ أى [نقدم اثرك - [4]] بالاتباع [لك - [4]] لنسلم من عذابك الزائل ﴿ على ما جآءنا ﴾ [6] به موسى عليه السلام [6] ﴿ من البينت ﴾ التى عايناها و علمنا أنه لايقدر أحد على مضاهاتها . و لما بدأوا بما يدل على الخالق [من الفعل - [7]] الخارق . ترقوا إلى ذكره بعد معرفته بفعله ، إشارة إلى علىّ قدره فقالوا :

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تهديد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : رجل (٤) زيد من مد (٥) زيد فى ظ : بأن .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و فى مد : أى على لسان موسى عليه السلام .
(٧) زيد من ظ و مد .

﴿ و الذى ﴾ أى و لا تؤثرك بالاتباع على الذى ﴿ فطرنا ﴾ أى ابتدأ خلقنا ، إشارة إلى شمول [1]ربوبيته سبحانه[1] و تعالى لهم و له[2] و لجميع الناس ، و تنبيها على [3]عجز فرعون[3] عند من استحقه ، و فى جميع أقوالهم هذه من تعظيم الله تعالى عبارة و إشارة و تحقير فرعون أمر عظيم .

و لما تسبب عن ذلك أنهم لا يبالون به . علما بأن ما فعله فهو ٥ باذن الله ، قالوا : ﴿ فاقض ما ﴾ أى فاصنع فى حكمك الذى ﴿ انت قاض ﴾ ثم عللوا ذلك بقولهم : ﴿ انما تقضى ﴾ أى تصنع بنا ما تريد [إن قدرك الله عليه -[4]] ﴿ هذه الحيوة الدنيا ﴾ أى إنما حكمك [5]فى مدتها[5] على الجسد خاصة ، فهى ساعة تعقب راحة[6] ، و نحن لا نخاف إلا ممن يحكم على الروح و إن فنى الجسد . فذاك هو الشديد العذاب ، الدائم الجزاء ١٠ بالثواب[7] أو العقاب ، [و لعلهم أسقطوا الجار تنزلا إلى أن حكمه لو فرض أنه يمتد إلى آخر الدنيا لكان أهلا لأن لايخشى لأنه زائل و عذاب الله باق -[4]] . ثم عللوا تعظيمهم لله و استهانتهم بفرعون بقولهم : ﴿ انآ امنا بربنا ﴾ أى المحسن إلينا طول أعمارنا[8] مع إساءتنا بالكفر و غيره ﴿ ليغفر لنا ﴾ [من غير نفع يلحقه بالفعل أو ضرر يدركه بالترك -[4]] ١٥

(١-١) فى ظ و مد : ربوبية الله (٢) بين سطرى ظ : فرعون (٣-٣) فى ظ : عجزه ، و بين سطريه : فرعون (٤) زيد من مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : دارحة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بان الثواب (٨) من ظ و مد و فى الأصل : الاعمار .

﴿خطايانا﴾ التي[1] قابلنا بها إحسانه؛ ثم خصوا بعد العموم فقالوا: ﴿وما أكرهتنا عليه﴾ [وبينوا ذلك بقولهم -[2]]: ﴿من السحر[3]﴾ لتعارض به المعجزة. فإنه كان الأكمل لنا عصيانك فيه لأن الله أحق بأن يتقى. [3]روى أن الذي كان من القبط من السحرة اثنان فقط، والباقون من بني إسرائيل. أكرههم فرعون على تعلم السحر، وروى أنهم رأوا موسى عليه السلام نائما[4] وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون: إن الساحر إذا نام بطل سحره، فهذا[5] لا يقدر على[5] معارضته، فأبى عليهم وأكرههم على المعارضة.

[ولما كان التقدير: فربنا أهل التقوى وأهل المغفرة، عطفوا عليه مستحضرين لكماله -[2]]: ﴿والله﴾[6] أي الجامع لصفات الكمال[6] ﴿خير﴾ جزاء منك فيما وعدتنا به ﴿وأبقى[5]﴾ ثوابا وعقابا، والظاهر أن الله تعالى سلمهم من فرعون، ويؤيده قوله تعالى "إنما ومن اتبعكما الغلبون" - قاله[7] أبو حيان[8]. [وسيأتي في آخر الحديد ما هو صريح في نجاتهم -[2]]؛ ثم عللوا هذا الختم بقولهم: ﴿إنه من يأت ربه﴾[6] أي الذي رباه وأحسن إليه بأن أوجده وجعل له جميع ما يصلحه[6] ﴿مجرما[9]﴾ أي قاطعا ما أمره به أن يوصل ﴿فإن له جهنم[6]﴾ / دار الإهانة ﴿لا يموت فيها﴾ أبدا مع شدة عذابها. بخلاف عذابك الذي [إن -[10]] /٤٦٤

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: الذي (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى «على المعارضة» ساقطة من ظ (٤) في مد: قائما (٥ - ٥) من مد، وفي الأصل: لا ينبغي (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: قال (٨) في البحر المحيط ٦/٢٦٢ (٩) تكرر في الأصل فقط بعد «ربه». (١٠) زيد من ظ ومد.

اشتد أمات فزال سريعا، وإن خف لم يخف وكان آخره الموت، إن طال ﴿ولا يحيى﴾ فيها حياة ينتفع بها ﴿ومن يأته﴾ [1] أى ربه الذى أوجده [2] ورباه ﴿مؤمنا﴾ أى مصدقا به.

[ولما قدم أن مجرد الكفر يوجب العذاب، كان هذا محلا يتوقع فيه الإخبار عن الإيمان بمثل ذلك فقال -[3]]: ﴿قد﴾ [أى -[3]] ٥ ضم [إلى ذلك تصديقا لإيمانه أنه ﴿عمل﴾ [4] أى فى الدنيا [4] ﴿الصلحت﴾ التى أمر بها -[5]] فكأن [صادق -[3]] الإيمان مستلزم لصالح الأعمال [6] ﴿فأولئك﴾ [4] أى العالو الرتبة [4] ﴿لهم﴾ [أى لتداعى ذواتهم بمقتضى الجبلة -[3]] ﴿الدرجت العلى﴾ التى لا نسبة [7] لدرجاتك التى وعدتنا بها منها؛ ثم بينوها بقولهم: ﴿جنت عدن﴾ أى أعدت للاقامة وهيئت ١٠ فيها أسبابها ﴿تجرى من تحتها الانهر﴾ أى من تحت غرفها وأسرتها وأرضها؛ فلا يراد موضع منها لأن يجرى فيه نهر إلا جرى؛ ثم بين بقوله: ﴿خلدين فيها﴾ أن أهلها هيئوا أيضا الاقامة.

[8] ولما أرشد السياق [و -[3]] العطف على غير [معطوف عليه -[3]] ظاهر إلى أن التقدير: ذلك الجزاء العظيم والنعيم المقيم جزاء الموصوفين ١٥ لتزكيتهم أنفسهم، [4] عطف عليه قوله [4]: ﴿وذلك جزاؤا﴾ كل ﴿من تزكى﴾ أى طهر نفسه بما ذكر من الإيمان والأعمال الصالحة، وفى هذا تسلية للصحابة رضوان الله عليهم فيما كان يفعل بهم عند نزول

(١) العبارة من هنا إلى «ورباه» ساقطة من ظ (٢) من مد، وفى الأصل: أوعده (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ ومد (٦) العبارة من «فكأن» إلى هنا ساقطة من ظ (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: نسبتك (٨) العبارة من هنا إلى «أن التقدير» ساقطة من ظ.

هذه السورة إذ[1] كانوا مستضعفين .

و لما بين سبحانه استكبار فرعون المدعى فى قوله " فكذب و ابى" و ختمه سبحانه بأنه يهلك العاصى كائنا من[2] كان ، و ينجى الطائع ، أتبع ذلك[3] شاهدا محسوسا عليه[4] كفيلا ببيان أنه لم يغن عن فرعون شيء من قوته و لا استكباره . فقال عاطفا على " و لقد ارينه ايتنا ": ﴿ و لقد اوحينآ ﴾ أى بعظمتنا لتسهيل ما يأتى من الأمور الكبار ﴿ الى موسى ﴾ غير مكترثين[6] لشيء من أقوال فرعون و لا أفعاله ، و هذا الإيحاء بعد ما تقدم من أمر السحرة بمدة مديدة جرت فيها خطوب طوال كانت بسببها الآيات الكبار ، و كأنها حذفت لما تدل عليه من قساوة القلوب . و المراد هنا الانتهاء لما تقدم من مقصود السورة ﴿ ان اسر ﴾ أى ليلا ، لأن السرى سير الليل ؛ و شرفهم بالإضافة إليه فقال : ﴿ بعبادى ﴾ أى بنى إسراءيل[7] الذين لفت قلب فرعون حتى أذن فى مسيرهم بعد أن كان قد أبى[8] أن يطلقهم أو يكف عنهم العذاب ، فاقصد بهم ناحية بحر القلزم ﴿ فاضرب لهم ﴾ أى[9] اعمل

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : ادا (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : بمن .
(٣) بين سطرى ظ : الختم بالإهلاك و الإنجاء (٤) بين سطرى ظ : الإهلاك و الإنجاء (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) بهامش ظ : الاكتراث : الاهتمام (٧) زيد فى الأصل : إلى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٨) زيد فى ظ : فرعون (٩) من مد ، و فى الأصل : و لما ان ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى « ضربا » .

بضرب البحر بعصاك ، و لذلك سماه ضربا .

و لما كان ضرب البحر بالعصا سببا لوجود الطريق الموصوفة ، أوقع الفعل عليها فقال : ﴿طريقا فى البحر﴾ [1] و وصفها بالمصدر [مبالغة -[2]] فقال : ﴿ يبسا لا﴾ حال كونها أو كونك [2] ﴿ لا تخف ﴾ و المراد بها الجنس ، فانه كان لكل سبط طريق ﴿دركا﴾ أى [4] أن يدركك شىء [4] ٥ من طغيان البحر أو [5] بأس العدو [أو غير ذلك -[2]] .

و لما كان الدرك مشتركا بين اللحاق و التبعة ، اتبعه بقوله : ﴿ و لا تخشى [5] ﴾ أى شيئا غير ذلك أصلا إنفاذا [6] لأمرى و إنقاذا لمن أرسلتك لاستنقاذهم ، و سوقه على هذا الوجه من [7] إظهار القدرة و الاستهانة بالمعاند مع كبريائه و مكنته استدلالا شهوديا على ما قرر أول السورة ١٠ من شمول القدرة و إحاطة العلم للبشارة باظهار هذا الدين بكثرة الاتباع و إبارة [8] الخصوم و الإسعاد برد [9] الأضداد و جعل بغضهم ودا ، و إن كانوا قوما / لدا ؛ ثم أتبع ذلك قوله [عطفا على ما تقديره : فبادر / ٤٦٥

(١) العبارة من هنا إلى « فقال » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) بهامش ظ : قوله «حال كونها أو كونك» أى لا تخاف إما أن تجعلها حالا من المفعول أعنى طريقا أو من الفاعل و هو الضمير فى اضرب - فافهم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : ولا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ايقانا (٧) بين سطرى ظ : بيان هذا الوجه (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثارة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : « و » .

امتثال الأمر فى الإسراء و غيره -] : ﴿ فاتبعهم ﴾ أى [أوجد التبع و المسير وراء - ١] بنى إسراءيل على ذلهم و ضعفهم ﴿ فرعون بجنوده ﴾ على كثرتهم و قوتهم و علوهم و عزتهم ٢، فكانوا ٣ كالتابع الذى لا معنى له بدون متبوعه ﴿ فغشيهم ﴾ أى فرعون و قومه ﴿ من اليم ﴾ أى البحر

٥ [الذى من شأنه أن يؤم ؛ و أوجز فهول فقال - ١] : ﴿ ما غشيهم ٥ ﴾ أى أمر لا تحتمل العقول وصفه حق وصفه ، فأهلك أولهم و آخرهم ؛ و قطع دابرهم ، لم يبق منهم أحدا ، و ما شاكت أحدا من عبادنا المستضعفين شوكة ﴿ و اضل فرعون ﴾ على تخذلقه ﴿ قومه ﴾ ٤ مع ما لهم من قوة الأجساد و معانيها ٤ .

١٠ و لما كان إثبات الفعل لا يفيد العموم ، نفى ضده ليفيده مع كونه أوكد و أوقع فى النفس و أروع لها فقال : ﴿ و ما هدى ٥ ﴾ أى ما وقع منه شىء من الهداية ، لا لنفسه و لا لأحد من قومه . فتم الدليل الشهودى على تمام القدرة على إنجاء الطائع و إهلاك العاصى .

و لما كان هذا موجبا للتشوف إلى ما وقع لبنى إسراءيل بعده ،

١٥ قال تعالى شافيا لهذا الغليل ، أقبلنا على بنى إسراءيل ممتنين بما مضى و ما يأتى قائلين : ﴿ يـٰبنى اسرآءيل ﴾ ٥ معترفين لهم أنا نظرنا إلى السوابق فأكرمناهم ٦

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : غرهم (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : و كانوا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « المنافع قال » ساقطة من ظ (٦) من مد . و فى الأصل : فالزمناهم .

لأجل

لأجل أيهم .

و لما كان درء المفاسد و إزالة الموانع قبل جلب المصالح و استدرار المنافع قال : ﴿ قد انجيناكم ﴾ بقدرتنا الباهرة ﴿ من عدوكم ﴾ الذى كنتم أحقر شيء عنده .

[1] و لما تفرغوا لإنفاذ ما يراد منهم من الطاعة قال[1] : ﴿ و وعدناكم ﴾ أى[2] كلكم - كما مضى فى البقرة عن نص التوراه - للمثول بحضرتنا و الاعتزاز بمواطن رحمتنا ﴿ جانب الطور الايمن ﴾ أى الذى على أيمانكم فى توجهكم هذا الذى وجوهكم فيه إلى بيت [أبيكم -[3]] إبراهيم عليه السلام ، [و هو جانبه الذى يلى البحر و ناحية مكة و اليمن -[3]] .

[1] و لما بدأ بالمنفعة الدينية ، ثنى بالمنفعة الدنيوية[1] [فقال -[3]] : ﴿ و نزلنا عليكم ﴾ بعد إنزال هذا الكتاب فى هذه المواعدة لإنعاش أرواحكم ﴿ المن و السلوى[5] ﴾ لإبقاء أشباحكم ، فبدأ بالإنجاء الممكن من العبادة ، ثم اتبعه بنعمة الكتاب الدال عليها[4] ، ثم بالرزق المقوى ، [5] و دل على [نعمة -[3]] الإذن فيه بقوله : ﴿ كلوا ﴾ [1] و دل على سعته بقوله[1] : ﴿ من طيبت ما ﴾ [1] و دل على عظمته بقوله[1] : ﴿ رزقناكم ﴾ من ذلك و من غيره .

[1] و لما كان الغنى و الراحة سبب السماحة ، قال[1] : ﴿ و لا تطغوا فيه ﴾

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد .
(٤) بين سطرى ظ : العبادة (٥) العبارة من هنا إلى « فيه بقوله » ساقطة من ظ .

بالادخار إلى غد فى غير يوم الجمعة و لا بغير ذلك من البطر و إغفال الشكر بصرفه فى غير الطاعة ﴿ فيحل ﴾ [1] أى ينزل [و يجب فى حينه الذى هو أولى الأوقات به -[2]] - على قراءة الجماعة بالكسر . و نزولا[3] عظيما و بروكا شديدا - على قراءة الكسائى بالضم ﴿ عليكم غضبى ﴾ فتهلكوا لذلك ﴿ و ﴾ كل ﴿ من يحلل عليه غضبى ﴾ منكم و من غيركم ﴿ فقد هوى ﴾ أى كان حاله حال من سقط من علو .

و لما كان الإنسان محل الزلل و إن اجتهد ، رجاه [4] و استعطفه [4] بقوله : ﴿ و انى لغفار ﴾ أى ستار باسبال ذيل العفو ﴿ لمن تاب ﴾ أى رجع عن ذنوبه من الشرك و ما يقاربه ﴿ و آمن ﴾ بكل ما يجب الإيمان به ﴿ و عمل صلحا ﴾ تصديقا لإيمانه .

و لما كانت رتبة[5] الاستمرار على الاستقامة فى غاية العلو ، عبر عنها بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم اهتدى ﴾ أى استمر على العمل الصالح متحريا به إيقاعه على حسب أمرنا و على أقرب الوجوه/ المرضية[6] لنا ، له إلى ذلك[7] غاية التوجه كما يدل[8] عليه صيغة افتعل ، و كأنه لما رتب الله سبحانه منازل قوم موسى عليه السلام عامة و السبعين المختارين منهم خاصة[9] فى الجبل - كما مضى عن نص التوراة فى سورة البقرة ، و واعده الكلام

/ ٤٦٦

(١) العبارة من هنا إلى « بالضم » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : نزول (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : زينة (٦) سقط من مد (٧) بين سطرى ظ : أى العمل الصالح . (٨) فى مد : تدل (٩) سقط من ظ .

بعد ثلاثين ليلة و لم يعين له أجلها[1] ، و كأنه لاشتياقه إلى ما رأى من التعرف إليه بمقام الجمال لم يتوقف على خصوص إذن من الله تعالى فى أول وقت الإتيان اكتفاء بمطلق الأمر السابق فى الميعاد ، فتعجل بعشرة أيام عن الوقت الذى علم الله أن الكلام يقع فيه[2] بعد الثلاثين التى[3] ضربها لذلك ، و أمر موسى عليه السلام قومه [عند -[4]] نهوضه ، ٥ و تقدم إليهم فى اتباعه و الكون فى أثره للحلول فى الأماكن التى حدها الله لهم وأمر السبعين المختارة بمثل ذلك ، و كأنهم لما مضى تلبثوا لما رأوا من مقام الجلال ، فلما مضت الثلاثون بعد ذهاب موسى لم يكن أتى الوقت الذى أراد الله أن تكون المناجاة فيه ، فزاده عشرا فظن بنو إسرائيل الظنون فى تلك العشرة ، و وقع لهم[5] ما وقع من اتخاذ العجل . ١٠

و لما كان ذلك - و الله أعلم بما كان ، و كان أعظم ما مضى فى آية الامتنان عليهم و التعرف بالنعم إليهم الموعدة لهدايتهم بالآيات المرئية و المسموعة ، و ختم ذلك بالإشارة إلى الاجتهاد [6]فى الإقبال[6] على الهدى ، أتبع ذلك ذكر ضلالهم بعد رؤية ما يبعد [معه -[7]] كل البعد إلمام من رآه[8] بشىء من الضلال . كل ذلك لإظهار القدرة التامة ١٥ على التصرف فى القلوب بضد ما يظن بها ، و[9]كان تنجز المواعيد ألذ شىء للقلوب و أشهاه إلى النفوس . و كان السياق مرشدا حتما إلى أن

(١) بين سطرى ظ : الثلاثين (٢) فى مد : به (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهم (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاقبال (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تراه (٩) زيد فى ظ : لما .

التقدير: فأتوا إلى الطور لميعادنا، و تيمموا جانبه الأيمن بأمرنا و مرادنا، و تعجل موسى صفينا الصعود فيه [١ـ مبادرا لما عنده من الشوق إلى ذلك المقام الشريف و تأخر مجيء قومه عن الإتيان معه. فقلنا: ما أخر قومك عن الإتيان معك؟ ٢فعطف عليه قوله٢]: ﴿و ما أعجلك﴾ ٣أي أيّ شيء أوجب لك العجلة٣ في المجيء٣ ﴿عن قومك﴾ و إن كنت بادرت مبادرة المبالغ في الاسترضاء، [أما علمت أن حدود الملوك لا ينبغي تجاوزها بتقدم و لا تأخر ـ١]؟ ﴿يـموسى﴾ فهلا أتيتم جملة و انتظرتم أمرا جديدا بخصوص الوقت الذي استحضركم فيه ﴿قال﴾ موسى ظنا منه٥ أنهم أسرعوا وراءه: ﴿هم﴾ [و أتى باسم الإشارة و أسقط منه هاء التنبيه لأنه لا يليق بخطاب الله. قال ابن هبيرة: و لم أر أحدا من الأصفياء خاطب ربه بذلك، و إنما خاطب به الكفار لغباوتهم "قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك" في أمثالها. و آخر الظرف لتقدم ذكر التعبير بها في وصفه ـ٦] ﴿أولاء﴾ أي هم في القرب بحيث يسار إليهم، كائنين ﴿على أثري﴾ أي ماشين على آثار٧ مشيي قبل أن ينطمس٨ لم أسبقهم إلا بشيء جرت العادة في السبق [بمثله ـ٦] بين الرفاق. و هذا بناء منه على ما كان عهد إليهم، و أكد فيه عليهم: ثم اعتذر عن فعله فقال: ﴿و عجلت﴾

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد؛ و زيد قبله في ظ: كان كأنه قيل: فأتى موسى لميعادنا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد، و في الأصل: شيء (٤) زيد من ظ (٥) من مد. و في الأصل و ظ: منهم. (٦) زيد من مد (٧) من مد. و في الأصل: اثر (٨) في الأصل بياض ملأناه من مد، و العبارة من «أي ماشين» إلى هنا ساقطة من ظ.

أنا بالمبادرة ﴿اليك﴾ [1]و جرى على عادة أهل القرب كما يحق له فقال[1]: ﴿رب﴾ أى أيها المسارع فى إصلاح شأنى و الإحسان إلىّ ﴿لترضى[5]﴾ عنى[2] رضا أعظم مما كان ﴿قال﴾ الرب سبحانه: ﴿فانا﴾ أى [قد -[3]] تسبب عن عجلتك عنهم أنا ﴿قد فتنا﴾ أى خالطنا بعظمتنا مخالطة[4] [5]مميلة محيلة[5] ﴿قومك﴾ بتعجلك. ٥

و لما كانت الفتنة لم تستغرق / جميع الزمن الذى كان بعده، و إنما كانت فى بعضه، أدخل الجار فقال: ﴿من بعدك﴾ [أى خالطناهم بأمر من أمرنا مخالطة أحالتهم عما عهدتهم عليه -[3]]، و كان ذلك[6] بعد تمام المدة التى ضربتها[7] لهم، و هى الثلاثون بالفعل و بالقوة فقط، من أول ما فارقتهم [بضربك لتلك المدة -[8]] [باعتبار أن أول إتيانك -[3]] ١٠ هو الذى كان سبب الفتنة لزيادة أيام الغيبة بسببه[9] لأنا زدنا فى آخر[10] المدة بمقدار ما عجلت به فى اولها، فلما تأخر رجوعك إليهم حصل لهم الفتون بالفعل، فظنوا مرجمات الظنون. /٤٦٧

[1]و لما عمتهم الفتنة إلا اثنى عشر ألفا من أكثر من ستمائة ألف[1]،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عن. (٣) زيد من ظ (٤) سقط من مد (٥-٥) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد، و العبارة من «أى خالطنا» إلى هنا ساقطة من ظ (٦) بين سطرى ظ: بالقوة، و العبارة من بعده إلى «فقط من» ساقطة من ظ (٧) من مد. و فى الأصل: ضربناها (٨) زيد من مد (٩) بين سطرى ظ: بالفعل (١٠) فى مد: زيادة.

[1]أطلق الضلال على الكل فقال[1] : ﴿و اضلهم السامرى ٥﴾ اى[2] عن طريق الرشد [1]بما سبب لهم[1] ؟ روى النسائى فى التفسير من[3] سننه ، و أبو يعلى فى مسنده[4] و [5]ابن جرير[5] و ابن أبى حاتم فى تفسيريهما عن ابن عباس رضى الله عنهما فى حديث الفتون أن موسى عليه السلام لما وعده ربه أن يكلمه استخلف على قومه أخاه هارون عليه السلام ، و أجلهم ثلاثين[6] يوما ، و ذهب فصامها[7] ليلها و نهارها ، ثم كره أن يكلم ربه و ريح فمه متغير ، فمضغ شيئا من نبات الأرض فقال له ربه : أو ما علمت أن ريح الصائم أطيب من ريح المسك ؟ ارجع فصم عشرا ، فلما رأى قوم موسى أنه لم يرجع إليهم ساءهم ذلك ، و كان هارون قد خطبهم و قال : إنكم خرجتم من مصر ، و لقوم[8] فرعون عندكم عوارى و ودائع ، و لكم فيها مثل ذلك ، و أنا أرى أن تحسبوا ما لكم عندهم ، و لا أحل لكم وديعة[9] استودعتموها و لا عارية ، و لسنا برادين إليهم شيئا من ذلك و لا ممسكه لأنفسنا ، فحفر حفيرا و أمر كل قوم عندهم من ذلك من [10]متاع أو حلية أن[10] يقذفوه فى ذلك[11] الحفير ، ثم أوقد عليه النار فأحرقه

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) فى مد : فى .
(٤) ص١٦٧/ب من نسخة خطية محزونة بالدائرة (٥-٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : بن خزيمة ؛ و رواه ابن جرير فى مناسبة آية الفتون مختصرا (٦) من ظ و مد و مسند أبى يعلى ، و فى الأصل : ثلاثون (٧) من و ظ مد و المسند ، و فى الأصل : فصام (٨) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل : تقوم (٩) فى مد : ودايعة (١٠-١٠) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل : حلية او متاع و .
(١١) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل : تلك .

فقال: لا يكون[1] لنا و لا لهم، و كان السامرى من قوم يعبدون البقر، جيران لبنى إسراءيل و لم يكن من بنى إسراءيل، فاحتمل مع موسى و بنى إسراءيل حين احتملوا. فقضى له أن رأى أثرا فقبض منه [قبضة -[2]] فمر بهارون فقال له هارون عليه السلام: يا سامرى! ألا تلقى ما فى يدك - و هو قابض عليه لايراه أحد طوال ذلك اليوم، فقال: هذه ٥ قبضة من أثر الرسول الذى جاوز بكم البحر، [و -[2]] لا ألقيها لشىء إلا أن تدعو الله إذا ألقيتها أن يكون ما أريد، فألقاها و دعا له هارون، فقال: أريد أن يكون عجلا. فاجتمع ما كان[3] فى الحفرة من متاع أو[4] حلية أو نحاس أو حديد، فصار عجلا أجوف ليس فيه[5] روح، له خوار. قال ابن عباس رضى الله عنهما: لا و الله! ما كان له صوت ١٠ قط، إنما كانت الريح تدخل فى[6] دبره فتخرج من فيه. فكان ذلك الصوت من ذلك، فتفرق بنو إسراءيل فرقا، فقالت فرقة: يا سامرى! ما هذا و أنت أعلم به؟ قال: هذا ربكم، و لكن موسى أضل[7] الطريق، فقالت فرقة: لا نكذب بهذا حتى يرجع إلينا موسى. فان كان ربنا لم نكن ضيعناه و عجزنا فيه حين رأيناه. و إن لم يكن ربنا فانا نتبع قول ١٥ موسى، و قالت فرقة: هذا عمل الشيطان، و ليس بربنا /، و لن نؤمن /٤٦٨

(١) زيد فى الأصل: لا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و المسند فحذفناها.
(٢) زيد من ظ و مد و المسند (٣) سقط من مد (٤) من المسند، و فى الأصول «و» (٥) فى مد: له (٦) فى المسند: من (٧) بهامش ظ: الهمزة فى أضل للصيرورة.

به و لن نصدق ، و أشرب[1] فرقة فى قلوبهم الصدق بما قال السامرى فى العجل و أعلنوا التكذيب به[2] - الحديث .

[3] ثم سبب عن إخباره سبحانه له بذلك قوله[3]: ﴿فرجع موسى[3]﴾ أى[4] لما أخبره ربه بذلك ﴿الى قومه﴾ [3] أى الذين لهم قوة عظيمة على ما يحاولونه [3] ﴿غضبان اسفا[5]﴾ أى شديد الحزن أو[5] الغضب ؛ [و استأنف قوله - [6]] : ﴿قال﴾ لقومه لما رجع إليهم مستعطفا لهم : ﴿يٰقوم﴾ و أنكر عليهم بقوله : ﴿الم يعدكم ربكم﴾ الذى طال إحسانه إليكم ﴿وعدا حسنا[5]﴾ [3] أى بأنه ينزل عليكم كتابا حافظا ، و يكفر عنكم خطاياكم ، و ينصركم على أعدائكم - إلى غير ذلك من إكرامه[3] .

و لما جرت العادة بأن طول الزمان ناقض للعزائم ، مغير للعهود ، كما قال أبو العلاء أحمد بن سليمان المعرى [3]فى هذا البيت[3] :

لا أنسينك إن طال الزمان بنا و كم حبيب تمادى عهده فنسى

و كان عليه الصلاة و السلام قريب العهد بهم ، أنكر طول العهد بقوله ، مستانفا[7] [عما تقديره : هل ترك ربكم موعيده لكم و قطع معروفه عنكم - [6]] : ﴿افطال عليكم العهد﴾ أى [زمن - [6]] لطفه بكم ، فتغيرتم عما

(١) بهامش ظ : من الشرب ، أى كأن صدقهم به شرب (٢) بين سطرى ظ : بما قال هارون ، أو بسبب ما قال السامرى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٤) سقط من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٦) زيد من مد . (٧) سقط من ظ .

فارقتكم

فارقتكم عليه كما يعترى أهل الرذائل الانحلال فى العزائم لضعف العقول[1] و قلة التدبر ﴿ ام اردتم ﴾ بالنقض مع قرب العهد و ذكر الميثاق ﴿ ان يحل عليكم ﴾ بسبب عبادة العجل ﴿ غضب من ربكم ﴾ [أى -[2]] المحسن إليكم[3] ، وكلا الأمرين لم يكن . أما الأول فواضح ، و أما الثانى فلا يظن بأحد إرادته[4] ، و الحاصل أنه يقول : إنكم فعلتم ما لا يفعله عاقل ٥ ﴿ فاخلفتم ﴾ أى فتسبب عن فعلكم ذلك أن أخلفتم ﴿ موعدى ﴾ فى إجلال الله و الإتيان إلى الموضع الذى ضربه لكم لكلامه لى و إنزال كتابه علىّ إحسانا إليكم و إقبالا عليكم ، وكأنه أضاف الموعد إليه أدبا مع الله تعالى و إعظاما له ، *أو أنه لما كان إخلاف الموعد المؤكد المعين الذى لاشبهة فيه . لما نصب عليه من الدلائل الباهرة[6] ، و أوضحه من ١٠ البراهين الظاهرة ، لا يكون إلا بنسيان لطول عهد ، أو عناد بسوء قصد ، وكان من أبلغ المقاصد و أوضح التقرير إلجاء الخصم بالسؤال إلى الاعتراف بالمراد ، سألهم عن تعيين أحد الأمرين مع أن طول العهد لا يمكن ادعاءه ، فقال ما معناه : أطال عليكم العهد بزيادة عشرة أيام فنسيتم فلم يكن عليكم فى الإخلاف[7] جناح ؟ أم اردتم أن يحل عليكم الغضب فعاندتم ؟ ١٥ فكانت الآية من الاحتباك : ذكر طول العهد الموجب للنسيان أولا دليل

(١) بهامش ظ : لضعف العقول تعليل ليعترى اهل الرذائل (٢) زيد من مد . (٣) زيد فى ظ : اى (٤) بين سطرى ظ : اى حلول غضب ربه (٥) العبارة من هنا إلى « ذكره فقال » ص ٣٢٨ س ٥ ساقطة من ظ (٦) فى مد : الواضحة . (٧) من مد ، و فى الأصل : الاخلاق .

على حذف العناد ثانيا ، و ذكر حلول الغضب ثانيا دليل على انتفاء الجناح أولا ، و سر ذلك أن ذكر السبب الذى هو طول العهد أدل على[1] النسيان الذى هو المسبب ، و إثبات الغضب - [و -[2]] هو المسبب - أنكأ[3] من إثبات سببه الذى هو العناد .

٥ و لما تشوف السامع إلى جوابهم ، استأنف ذكره فقال : ﴿ قالوا ﴾ : [لم يكن شيء من ذلك -[4]] .

و لما كان المقصود من هذا السياق -كله إظهار عظيم القدرة ، عبر عن ذلك بقوله ، حكاية [5]عنهم للاعتراف بما قررهم موسى عليه السلام به من العناد[6] معتذرين عنه بالقدرة[7] ، و الاعتذار به لا يدفع العقوبة

٤٦٩/ ١٠ المرتبة / على الذنب : ﴿ مآ اخلفنا موعدك بملكنا ﴾ أى لقد صدقت فيما قلت ، و لكنا لم نفعل ذلك و نحن بملك أمرنا - [8]هذا على قراءة الجماعة بالكسر ، و على قراءة نافع و عاصم بالفتح المعنى : و لنا ملكة نتصرف بها فى أنفسنا ، و على قراءة حمزة و الكسائى بالضم كأنهم قالوا : و لنا سلطان قاهر[9] لأمورنا - على أنهم قد ذكروا أن القراءات الثلاث لغات

١٥ لمعنى واحد ، قال فى القاموس : ملكه يملكه ملكا مثلثة : احتواه قادرا

---

(١) زيد فى الأصل : نفى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) زيد من مد .
(٣) من مد ، و فى الأصل : انكار (٤) زيد من ظ (٥) العبارة من هنا إلى « على الذنب » ساقطة من ظ (٦) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى مد فحذفناها (٧) فى مد : بالقدر (٨) العبارة من هنا إلى « من عبده » ص ٣٢٩ س ٤ ساقطة من ظ (٩) من مد ، و فى الأصل : ظاهر .

على الاستبداد به ، و المعنى أن السامرى زين لهم ذلك ، و وسوس به الشيطان [١]فما دروا[١] إلا و قد تبعوه حتى [كانوا -[٢]] كأنهم يقادون إليه بالسلاسل ، و قيل : هذا كلام من لم يعبده ، اعتذروا بأنهم كانوا قليلا ، لا قدرة لهم على مقاومة[٣] من عبده[٤] . و هذا كله[٥] إشارة إلى أنه تعالى هو المتصرف فى القلوب ، فهو قادر على أن يرد كفار قريش و العرب من ٥ بعد عنادهم ، و لددهم و فسادهم ﴿و لكنا﴾ كنا ﴿حملنآ اوزارا﴾ أى أثقالا من النقدين[٦] هى أسباب الآثام ، كما تقدم فى الأعراف أن الله أمرهم فى التوراة أن يستعيروها من القبط فخربوهم بها ، و كأن هذا ما كان خيانة فى ذلك الشرع ، او[٧] أن الله تعالى أباح لهم ذلك فى القبط خاصة ﴿من زينة القوم﴾ الذين لم نكن نعرف قوما غيرهم ، و غيرهم ١٠ ليس حقيقا باطلاق هذا اللفظ [عليه -[٨]] و هم القبط ، [٩]فقضى لنا[٩] أن نقذفها فى النار ، و توفرت الدواعى على ذلك و اشتدت بحيث لم نتمالك ﴿فقذفنها فكذلك﴾ أى فتعقب[١٠] هذا [انه -[٨]] مثل ذلك الإلقاء

(١-١) من مد ، و فى الأصل : فبادروا (٢) زيد من مد (٣) من مد . و فى الأصل : مقارنة (٤) من مد ، و فى الأصل : يعبده (٥) سقط من ظ . (٦) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) موضعه فى ظ : فسولت لنا أنفسنا (١٠) بهامش ظ : إنما جعل الشيخ الفاء هنا للتعقيب لأن « قذفنا » لا يصح أن يكون سببا لإلقاء السامرى فليفهم ذلك .

﴿ألقى السامري﴾ وهو لصيق انضم إليهم من قبط مصر . ألقى ما كان معه . إما من المال وإما من أثر الرسول ، كما [1]مضى و[1] يأتي ، وكأن إلقاءه كان آخرا .

ولما كان خروج التمثال عقب إلقائه ، جعل كأنه المتسبب في ذلك[2] ، فقيل مع العدول عن أسلوب التكلم استهجانا لنسبة أمر العجل إلى المتكلم : ﴿فأخرج لهم﴾ [أي لمن شربه وعبده - [3]] ، [1]وجعل الضمير للغيبة يؤيد قول من جعل هذا كلام من لم يعبد العجل ، والمعنى عند من جعله من كلام العابدين أنهم دلوا بذلك على البراءة منه والاستقذار له[1] .

ولما كان شديد الشبه للعجول ، قيل : ﴿عجلا﴾ وقدم[4] قوله - : ﴿جسدا﴾ - المعرف أن عجليته صورة لا معنى - على قوله : ﴿له خوار﴾ لئلا يسبق إلى وهم أنه حي[5] ، فتمر عليه لمحة على اعتقاد الباطل ﴿فقالوا﴾ أي فتسبب عن ذلك[6] أن السامري قال[7] فتابعه عليه من أسرع في الفتنة [1]أول ما رآه[1] : ﴿هذا﴾ مشيرين إلى العجل الذي هو على صورة [ما هو-[3]]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بين سطري ظ : إخراج التمثال.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) بهامش ظ : قوله و قدم 'جسدا' على 'له خوار' أي 'له خوار' صفة ، و « جسدا » كذلك ، فما حكمة تقديم أحد الوصفين ، والجواب ما قرره الشيخ (٥) من ظ و مد . وفي الأصل : هي (٦) سقط من ظ (٧) بين سطري ظ : فالسبب هو قوله والمتسبب متابعتهم له .

مثل

مثل فى الغباوة ﴿ الهكم و اله موسى لا ج فنسى ٥ ﴾ [١]أى فتسبب [عن -[٢]] أنه إلهكم أن موسى نسى - بعدوله عن هذا المكان - موضعه فذهب يطلبه فى مكان غيره، او نسى أن يذكره لكم .

و لما كان هذا سببا للانكار على من قال هذا ، قال : ﴿ افلا يرون ﴾ أى أقالوا ذلك[٣] ؟ فتسبب عن قولهم عماهم عن رؤية ﴿ ان ﴾ أى أنه ٥ ﴿ لايرجع اليهم قولا ج ﴾ و الإله لا يكون أبكم ﴿ و لايملك لهم ضرا ﴾ فيخافوه كما كانوا يخافون فرعون فيقولوا ذلك خوفا من ضره ﴿ ولا نفعا ج ﴾ فيقولوا ذلك رجاء له . ٤٧٠ /

و لما كان الذنب مع العلم [٤]أبشع ، و الضلال[٤] بعد البيان أشنع ، قال عاطفا على قوله " قال يقوم الم يعدكم " [٥]أو على قوله " قالوا ما اخلفنا[٥] " : ﴿ و لقد قال لهم هرون ﴾ [٦]أى مع أن من لم يعبده لم يملكوا رد من عبده . ١٠

و لما كان قولهم[٧] فى بعض ذلك الزمان . قال : ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل رجوع موسى، مستعطفا لهم : ﴿ يقوم ﴾ [٨]ثم حصر أمرهم ليجتمع فكرهم

---

(١) العبارة من هنا إلى « هذا المكان » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) بين سطرى ظ : أى هذا إلهكم و إله موسى (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل: انبشع و الضلالة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) العبارة من هنا إلى «الزمان قال» ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : قوله لهم (٨) العبارة من هنا إلى « فقال » ص ٣٣٢ س ١ ساقطة من ظ .

[ونظرهم -[1]] فقال : ﴿إنما فتنتم﴾ أي [وقع اختباركم -[1]] فاختبرتم[2] في صحة إيمانكم وصدقكم فيه وثباتكم عليه ﴿به﴾ أي بهذا التمثال في إخراجه لكم على هذه الهيئة الخارقة للعادة. وأكد لأجل[3] إنكارهم فقال[4] : ﴿وإن ربكم﴾ [5]أي الذي أخرجكم من العدم وربأكم بالإحسان[5] ﴿الرحمن﴾ وحده الذي فضله عام ونعمه شاملة ، فليس على بر ولا فاجر نعمة إلا وهي منه قبل أن يوجد العجل . وهو كذلك بعده . ومن رحمته قبول التوبة ، فخافوا نزع[6] نعمه بمعصيته . وارجوا إسباغها بطاعته ﴿فاتبعوني﴾ [7]بغاية جهدكم[7] في الرجوع إليه ﴿وأطيعوا أمري﴾ في دوام الشرف بالخضوع لديه ، ودوام الإقبال عليه . يدفع عنكم ضيره[8] . ويفيض عليكم خيره .

ولما كان هذا [موضع أن يسأل من جوابهم لهذا -[9]] الأمر الواضح الذي لا غبار عليه . قيل : ﴿قالوا﴾ بفظاظة وجمود : ﴿لن نبرح عليه﴾ أي على هذا العجل ﴿عاكفين﴾ أي مقيمين[9] مستديرين مجتمعين [9]وإن حاربنا في ذلك[9] ﴿حتى يرجع إلينا موسى﴾ فدافعهم .

---

(١) زيد من مد (٢) من مد . وفي الأصل وظ : اختبرتم ؛ وبهامش ظ : إن قيل : كيف للشيخ أن يقول فيما تقدم حيث فسر الفتنة : خالطناهم من أمرنا - إلى آخره ، وقال هنا : اختبرتم في صحة إيمانكم - إلى آخره . وكلا التفسيرين غير الآخر ، فيتناقض . فالجواب أن التفسير الاول مبدأ الفتنة والآخر غايتها فليفهم ذلك (٣) من مد ، وفي الأصل : لاجز (٤) العبارة من «وأكد» إلى هنا ساقطة من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ ومد ، وفي الأصل : نوع (٧) من ظ ومد . وفي الأصل : ضره (٨) زيد من ظ ومد (٩) سقط من ظ .

فهمّوا به ، و كان معظمهم قد ضل ، فلم يكن معه من يقوى بهم ، فخاف أن يجاهد بهم الكافرين فلا يفيد ذلك[1] شيئا ، و يقتل[2] بعضهم فيحمى له آخرون من ذوى رحمه الأقربين ، فيصير بين بنى إسراءيل فرقة يبعد ضم شتاتها و تلافى دهمائها ، و كانوا قد غيوا الرجوع [برجوع -[3]] موسى عليه السلام مع أنه لم يأمره بجهاد من ضل ، إنما قال له ٥ " و اصلح و لاتتبع سبيل المفسدين " فرأى من الإصلاح اعتزالهم إلى أن يأتى ، فلما ذكر ما قال هارون عليه السلام ، [التفتت النفس إلى علم ما قال له موسى عليه السلام -[3]] لأنه خليفته عليهم ، مع كونه[4] رأسا فى نفسه ، فدفع هذا العناء بقوله ، [5]مسقطا [أخذه -[6]] برأس أخيه لما تقدم من ذكره و يأتى هنا من[7] الدلالة عليه ، و لم تدع إليه ضرورة ١٠ فى هذه السورة التى من أعظم مقاصدها الدلالة[8] على تليين القلوب : ﴿ قال ﴾ أى موسى : ﴿ يٰهرون ﴾ أنت نبى الله و أخى و وزيرى و خليفتى فأنت أولى الناس بأن ألومه ، و أحقهم بأن أعاتبه ﴿ ما منعك اذ ﴾ [9]أى حين[9] ﴿ رأيتهم ضلوآ ۝ ﴾ عن طريق الهدى ، و اتبعوا سبيل الردى ، من اتباعى فى سيرتى فيهم من[10] الأخذ على يد الظالم طوعا أو كرها ، ١٥

(١) بين سطرى ظ : الجهاد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقبل (٣) زيد من ظ ومد (٤) بين سطرى ظ : هارون (٥) العبارة من هنا إلى « تليين القلوب » ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و فى الأصل : فى (٨) من مد ، و فى الأصل : الدال (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) بين سطرى ظ : بيان سيرتى .

اتباعا لا زيغ فيه عما نهجته لك بوجه من الوجوه شيئا من زيغ ، و عبر عن هذا التأكيد بزيادة ' لا ' فى قوله : ﴿ ألّا تتبعن ﴾ كما تقدم غير مرة أن النافى إذا زيد فى كلام كان نافيا لضد مضمونه فيفيد إثباتا للمضمون و نفيا لضده ، فيكون ذلك فى غاية التأكيد ﴿ افعصيت ﴾ أى أتكبرت عن اتباعى فتسبب عن ذلك أنك عصيت ﴿ امرى ﴾ و أخذ بلحيته و برأسه يجره إليه غضبا لله تعالى ، فكأنه / قيل : ما قال له ؟ فقيل : ٤٧١ /

﴿ قال ﴾ مجيبا له مستعطفا بذكر أول وطن ضمها بعد نفخ الروح مع ما له من الرقة و الشفقة : ﴿ يبنؤم ﴾ فذكره بها خاصة و إن كان شقيقه لأنه يسوءها ما يسوءه ، و هى أرق من الأب

﴿ لا تأخذ بلحيتى و لا براسى ﴾ أى بشعره ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انى خشيت ان تقول ﴾ إن اشتددت عليهم حتى يصل الأمر إلى القتال ﴿ فرقت بين بنى اسرآءيل ﴾ بفعلك هذا الذى لم يجد شيئا لقلة من كان معك و ضعفكم عن ردهم ﴿ و لم ترقب قولى ﴾ " اخلفنى فى قومى و اصلح و لا تتبع سبيل المفسدين " و لم تقل : و اردهم و لو أدى الأمر إلى السيف ، و هذا كما كان النبى صلى الله عليه و سلم مأمورا بالصفح و الحلم و المدافعة باللين عند ضعف الناصر و قلة المعين .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تراع (٢) فى مد : على (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) بهامش ظ : أى كونه لم يأخذ بسيرته التى هى الأخذ على يد الظالم .

و لما

و لما فرغ من نصيحة أقرب الناس إليه و أحقهم بنصيحته و حفظه على الهدى إذ كان رأس الهداة ، تشوف[1] السامع إلى ما كان من غيره ، فاستأنف تعالى ذكره بقوله : ﴿ قال ﴾ [2]أى موسى عليه السلام[2] لرأس أهل الضلال معرضا عن أخيه بعد قبول عذره . [2]جاعلا ما نسب إليه سببا لسؤاله عن الحامل له عليه[2] : ﴿ فما خطبك ﴾ أى أمرك هذا العجيب العظيم الذى [2]حملك على ما صنعت[2] و أخبرنى العزيز العليم أنك [أنت -[3]] أضللتهم به ﴿ يسامرى ۝ قال ﴾ السامرى مجيبا له : ﴿ بصرت ﴾ من البصر و البصيرة ﴿ بما لم يبصروا به ﴾ من أمر الرسول الذى أجاز بنا البحر ﴿ فقبضت ﴾ [4]أى فكان ذلك [سببا -[3]] لأن قبضت ﴿ قبضة ﴾ [2]أى مرة من القبض ، أطلقها على المقبوض تسمية للمفعول بالمصدر[2] ﴿ من اثر ﴾ [2]فرس ذلك[2] ﴿ الرسول ﴾ [2]أى المعهود[2] ﴿ فنبذتها ﴾ فى الحلى الملقى فى النار . [2]او فى العجل[2] ﴿ و كذلك ﴾ أى و كما سولت لى نفسى أخذ أثره ﴿ سولت ﴾ أى حسنت و زينت ﴿ لى نفسى ۝ ﴾ نبذها فى الحلى فنبذتها . فكان منها ما كان ، [2]و لم يدعنى إلى ذلك داع و لا حملنى عليه حامل غير التسويل[2] .

و لما كان فعله هذا مفرقا لبنى إسرايل عن طريق الحق

(١) من مد ، و فى الأصل : تشرف ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى « ذكره بقوله » ساقطة من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى « قبضت » ساقطة من ظ .

التى[١] كانوا عليها ، و جامعا لهم على تمثال حيوان هو من أخس الحيوانات ، و على نفسه بكونه صار متبوعا فى ذلك الضلال ، لكونه كان سببه ، عوقب بالنفرة من الإنسان الذى هو أشرف الحيوان ، ليكون ذلك سببا لضد ما تسبب عن[٢] فعله ، فيعاقب فى الدنيا بعقوبة لا شىء أشد منها و ذلك أنه منع من[٣] مخالطة الناس منعا كليا[٤] فلا يتصل بأحد و لا يتصل به أحد ، بل يكون وحيدا طريدا ما دام حيا ، فلذلك [٥]استؤنف الإخبار عن هذا بقوله تعالى[٥] : ﴿قال﴾ أى[٦] له موسى عليه السلام : ﴿فاذهب﴾ أى تسبب عن فعلك أنى أقول لك : اذهب [من بيننا . أو -[٧]] حيث ذهبت[٨] ﴿فان لك فى الحيوة﴾ أى ما دمت حيا ﴿ان تقول﴾ لكل من رأيته : ﴿لا مساس﴾ أى لا تمسنى و لا أمسك ، فلا تقدر أن تنفك عن ذلك لإرادة الإله الحق ذلك بك [٥]و ترغيبك فيه - بما أفادته اللام[٥] ، لتعلم أنت و من تبعك أنكم كنتم على أعظم ضلال فى ترك القادر على كل شىء ، و اتباع ما لا قدرة له على شىء ﴿و ان لك﴾ بعد الممات ﴿موعدا﴾ للثواب إن تبت ، و للعقاب إن أبيت

(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٢) بهامش ظ : الذى تسبب عن فعله هو الاجتماع عليه فعوقب بضده ، أى النفرة من الإنسان (٣) سقط من مد . (٤) العبارة من « فيعاقب » إلى هنا ساقطة من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيد من مد (٨) بهامش ظ : إنما قال الشيخ « حيث ذهبت » لأن الفعل نكرة فيفيد التعميم .

﴿ لن تخلفه ﴾ مبنيا للفاعل و للمفعول[1] . أى لا يكون خلفك و لا تكون أنت خلفه ، بل يكون كل منكما[2] مواجها لصاحبه . لا انفكاك له عنه ، كما أنك فى الحياة لا تقدر أن تنفك عن النفرة/ من الناس ، فاختر لنفسك ما يحلو[3] . /٤٧٢

و لما ذكر ما للاله الحق من القدرة التامة فى الدارين ، أتبعه عجز العجل فقال : ﴿ و انظر الى الهك ﴾ أى بزعمك ﴿ الذى ظلت ﴾ أى دمت [فى مدة يسيرة جدا - بما أشار إليه تخفيف التضعيف -[4]] ﴿ عليه عاكفا[5] ﴾ أى[6] مقبلا مقاربا مواظبا [جهارا -[4]] ﴿ لنحرقنه ﴾ أى بالنار و بالمبرد - كما سلف عن نص التوراة ، وكان معنى ذلك أنه أحماه حتى لان فهان على المبارد ﴿ ثم لننسفنه ﴾ [7] أى لنذرينه[6] [إذا صار سحالة -[7]] ﴿ فى اليم ﴾ أى البحر الذى[8] [أغرق الله فيه آل فرعون و -[4]] [6] هو أهل لأن يقصد[6] [فيجمع الله سحالته التى هى من حليهم و أموالهم فيحميها فى نار جهنم و يكويهم و يجعلها من أشد العذاب عليهم ، و أكد الفعل إظهارا لعظمة الله الذى أمره بذلك ، و تحقيقا للصدق فى الوعد فقال -[4]] : ﴿ نسفا ﴾ .

و لما أراهم بطلان ما هم عليه بالعيان ، أخبرهم بالحق على وجه الحصر

(١) بين سطرى ظ : ذكر على الترتيب : الأول للفاعل و الثانى للمفعول .
(٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : منهما (٣) بهامش ظ : و اختر لنفسك ما يحلو - مثل من الأمثال : أى قد تبين لك الحق و غيره فاختر لنفسك أيهما شئت ، و أصل هذا المثل لابن العارض حيث قال : نصحتك علما فى الهوى ... أرى مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو (٤) زيد من مد (٥) سقط من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ .

فقال : ﴿ انما الهكم ﴾ جميعا ﴿ الله ﴾ [1] أى الجامع لصفات الكمال ؛ ثم كشف المراد من ذلك و حققه بقوله[1] : ﴿ الذى لآ اله الا هو[1] ﴾ أى لا يصلح لهذا المنصب أحد غيره لأنه ﴿ وسع كل شىء علما ﴾ [1] تمييز محول عن الفاعل ، أى أحاط علمه بكل شىء[1] ، فكان على كل [شىء -[2]] ممكن قديرا ، فكان[3] كل شىء إليه فقيرا ، و هو غنى عن كل شىء ، [1]وجوده يباين وجود غيره ، و ذاته تباين ذات غيره ، و صفاته تباين صفات غيره[1] ، و أما العجل الذى عبدوه[4] فلو كان حيا كان مثلا فى الغباوة ، [5]فلا يصلح للالهية بوجه و لا [فى -[6]] عبادته شىء من حق ، و كان القياس [7]على ما[7] يتبادر إلى الذهن حيث نفى عنه[8] العلم بقوله "الا يرجع اليهم قولا" و القدرة بقوله "و لا يملك لهم ضرا و لا نفعا" أن يثبتا هنا للاله الحق ، و لكنه اعتنى باثبات العلم الواسع لاستلزامه للقدرة على كل ما يمكن أن يتعلق به . بافادة الأسباب للشىء المراد ، و منع الموانع عنه فيكون لا محالة ، و لو لم يكن[9] كذلك لكان التخلف للجهل إما[10] بما يفيد مقتضيا أو يمنع مانعا[11] ، و أدل دليل على ذلك قوله تعالى "و لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسنى السوء[12]" و لا يستلزم إثبات القدرة المحيطة العلم الشامل لخروج قسم

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عبده (٥) العبارة من هنا إلى « من حق » ساقطة من ظ . (٦) زيد من مد (٧-٧) فى مد : كما (٨) بين سطرى ظ : العجل (٩) زيد فى مد : الكل (١٠) بين سطرى ظ : تفصيل للجهل (١١) العبارة من هنا إلى « مسنى السوء » ساقطة من ظ (١٢) سورة ٧ آية ١٨٨ .

المحال الذى ليس من شأن القدرة أن تتعلق به .

و لما تمت هذه القصة[1] على هذا الأسلوب الأعظم ، و السبيل الأقوم ، متكفلة[2] بالدلالة على القدرة على ما وقعت إليه الإشارة من البشارة أول السورة بتكثير هذه الأمة و رد العرب عن غيهم بعد طول التمادى فى العناد ، و التنكب عن سبيل الرشاد ، إلى ما تخللها من التسلية بأحوال السلف الصالح و التأسية ، مفصلة من أدلة التوحيد و البعث ، و غير ذلك من الحكم ، بما يبعث الهمم ، على[3] معالى الشيم ، كان كأنه قيل : هل يعاد شيء من القصص على هذا الأسلوب البديع و المثال الرفيع ؟ فقيل : نعم ! ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا القص العالى ، فى هذا النظم العزيز الغالى ، لقصة موسى و من ذكر معه ﴿ نقص عليك ﴾ [4]أى بما لنا من العظمة التى لا يعجزها شيء ؛ و أشار إلى جلالة علمه بقوله[4] : ﴿ من انبآء ﴾ أى أخبار ﴿ ما قد سبق ج ﴾ من الأزمان و الكوائن الجليلة ، زيادة فى علمك ، و إجلالا لمقدارك ، و تسلية لقلبك ، و إذهابا لحزنك ، بما اتفق للرسل من قبلك [و تكثيرا لأتباعك و زيادة فى معجزاتك ، و ليعتبر السامع و يزداد المستبصر فى دينه بصيرة و تأكد الحجة على من عابه -[5]] : ﴿ و قد اتيناك ﴾ [4]من عظمتنا[4]

(١) بين سطرى ظ : أى قصة موسى و هارون (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : متكلفة (٣) من ظ و مد ، و فى الاصل : عن (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من مد .

تشريفا لك و تعظيما لقدرك ﴿ من لدنا ﴾ أى من عندنا من الأمر الشريف بمزيد خصوصيته[1] بنا و لطيف اتصاله[2] بحضرتنا [من -[3]] [4]غيب غيبا[4] ﴿ذكرا ﴿٩٩﴾﴾ عظيما جليلا جامعا لما أظهرناه من أمرنا فى التوراة، و ما أبطناه من سرنا / فى الإنجيل، و ما أودعناه من سكينتنا فى الزبور، ٤٧٣ / مع ما خصصناه[5] به من لطائف المزايا، و عظائم الأسرار، يعرف بمجرد تلاوته أنه من عندنا لما يُشهَدَ له من الروح، و يُذاقُ له من الإخبات و السكون، و يرى له من الجلالة فى الصدور مع[6] القطع بأن أحدا لا يقدر أن يعارضه، و ضمناه تلك القصص مع ما زدنا فيه على ذلك من المواعظ و الأحكام و دقائق إشارات الحقائق، متكفلا بسعادة الدارين وحسنى الحسنيين، فمن أقبل عليه كان مذكرا له بكل ما يريد من العلوم النافعة.

و لما اشتمل هذا الذكر على جميع أبواب الخير، فكان كل ما ليس له[7] فيه أصل شقاوة محضة و ضلالا بعيدا، قال يقص عليه من أنباء ما يأتى كما قص من أنباء ما قد[7] سبق: ﴿ من اعرض عنه ﴾ أى عن ذلك الذكر، و هو عام فى جميع من يمكن دخوله فى معنى 'من' من العالمين ﴿ فانه يحمل ﴾ [8]و لما كان المراد استغراق الوقت قال[8]:

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: خصوصية (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اتصال (٣) زيد من مد (٤ - ٤) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على «و قد اتيناك» و الترتيب من مد مع سقوطه عن ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: خصصنا (٦) بين سطرى ظ: متعلق بيعرف (٧) سقط من مد. (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

﴿ يوم القيمه وزرا ﴾ أى حملا ثقيلا من العذاب الذى سببه الوزر و هو الذنب ، جزاء لإعراضه عنه [و اشتغاله بغيره ـ[٢]] ﴿[٣]خلدين فيه[٣] ﴾ و جمع هنا حملا على المعنى بعد الإفراد للفظ ، تنبيها على العموم لئلا يغفل عنه بطول الفصل ، أو يظن أن الجماعة يمكنهم المدافعة ، و يمكن أن يراد بالوزر الحمل الثقيل من الإثم ، و يكون الضمير فى 'فيه' للعذاب المسبب عنه فيكون استخداما كقوله[١] :

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه[٥] و إن كانوا غضابا

و لما كانوا منكرين ليوم القيامة ، صرح بذكره ثانيا مع قرب العهد ، قارعا لأسماعهم به ، مجريا له إجراء ما هو به جدير من[٦] أنه متحقق لا مرية فيه فقال : ﴿ و ساء ﴾ أى و بئس ؛ [٢]و بين أصحاب السوء فقال[٧] : ﴿ لهم[٨] ﴾ أى ذلك الحمل[٩] ﴿ يوم القيمة حملا ﴾ ثم شرح لهم بعض أحوال ذلك اليوم من ابتدائه ، فقال مبدلا من "يوم القيمة" : ﴿ يوم ينفخ ﴾ [٢]أى بعظمتنا ـ على قراءة ابى عمرو بالنون مبنيا للفاعل ، و دل على تناهى العظمة بطريقة كلام القادرين فى قراءة الباقين بالياء[٢]

(١) بهامش ظ : فأطلق السبب على المسبب (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « مرية فيه فقال » و الترتيب من ظ و مد (٤) البيت لعود الحكماء معاوية بن مالك ـ راجع لسان العرب [سمو] (٥) من مد و اللسان ، و فى الأصل و ظ : دعيناه (٦) بين سطرى ظ : بيان ما هو جدير (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) بهامش ظ : و أجراه مجرى "ما هو به جدير من أنه متحقق" حيث قال : ساء لهم ـ بصيغة الماضى غير مؤكد ذلك كأنه قال : قد فرغ الأمر من ذلك فلا بد منه (٩) من مد ، و فى الأصل : الحميل ، و فى ظ : الوزر .

[1]مبنيا للمفعول[1] ﴿ فى الصور ﴾ فيقوم الموتى من القبور ﴿ و نحشر ﴾ أى بعظمتنا ﴿ المجرمين ﴾ منهم الذين قطعوا ما أمر الله به أن يوصل، و عدل عن أن يقول : و نحشرهم - لبيان الوصف الذى جره لهم : الإعراض عن الذكر ﴿ يومئذ ﴾ [1]أى يوم القيامة ، و يكون لهم ما تقدم[1] ٥ ﴿ زرقا ﴾ أى زرق العيون و الجسوم على هيئة من ضرب فتغير جسمه ، حال كونهم ﴿ يتخافتون[2] ﴾ .

[3]و لما كان التخافت - و هو المسارة بالكلام - قد يكون بين اثنين من قبيلتين . فيكون كل منهما خائفا من قومه أقل عارا [4]مما لو كانا[4] من قبيلة واحدة ، لأنه يدل على أن ذلك الخوف طبع لازم ، قال ١٠ دالا على لزومه و عمومه : ﴿ بينهم ﴾ أى يتكلمون خافضى أصواتهم من الهيبة و الجزع .

[5]و لما كانت الزرقة أبغض[6] ألوان العيون إلى العرب [لعدم ألفهم لها -[7]] ، و المخافتة أبغض[6] الأصوات إليهم لأنها تدل عندهم على سفول الهمة و الجبن . [و كانوا من الزرقة أشد نفرة لأن المخافتة قد يتعلق ١٥ بها غرض . رتبها سبحانه كذلك -[7]] ، ثم بين ما يتخافتون به فقال :

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بهامش ظ : يتخافتون حال من المجرمين . (٣) العبارة من هنا إلى « و عمومه » ساقطة من ظ (٤ - ٤) من مد . و فى الأصل : من كان - كذا (٥) العبارة من هنا إلى « و الجبن » ساقطة من ظ . (٦) من مد . و فى الأصل : بعض (٧) زيد من مد .

﴿ ان ﴾ [1]أى يقول بعضهم لبعض: ما[1] ﴿ لبثتم ﴾ أى فى الدنيا [استقصارا لمدة إقامتهم فى غيب ما بدا لهم من المخاوف، أو غلطا و دهشة-[2]] ﴿ الا عشراء ﴾ [2]أى عقدا واحدا، لم يزد على الآحاد إلا بواحد، و هو -[لو أنه سنون-[2]]- سن من لم يبلغ الحلم، [فكيف إذا كان شهورا أو أياما-[2]] فلم يعرفوا لذة العيش بأىّ تقدير كان. ٥

و لما كان / علم ما يأتى اخفى من علم ما سبق، أتى [فيه-[4]] بمظهر العظمة فقال: ﴿ نحن اعلم ﴾ [1]من كل أحد[1] ﴿ بما يقولون ﴾ أى فى ذلك اليوم ﴿ اذ يقول امثلهم طريقة ﴾ فى الدنيا فيما يحسبون، [أى أقربهم إلى أن تكون طريقته مثل ما يطلب منه-[2]]: ﴿ان﴾ [أى ما-[2]] ﴿لبثتم﴾ [و دل على أن المعدود المحذوف من الأول الأيام بقوله-[2]]: ﴿الا يوما ع﴾ [1]أى مبدأ الآحاد، لا مبدأ العقود[1] كما قال فى الآية الأخرى "قالوا لبثنا يوما او بعض يوم[5]"، "يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون[6]" فلا يزالون فى إفك و صرف عن الحق فى الدارين، لأن الإنسان يموت على ما عاش عليه، و يبعث على ما مات عليه، و يجوز أن يكون المراد [أن-[2]] من قال: إن لبثهم يوم واحد، امثلهم فى نفس الأمر[7]، لأن الزمان و إن طال إنما هو يوم متكرر، ليس مرادا لنفسه، و إنما هو مراد

٤٧٤ /

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى « تقدير كان » ساقطة من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) سورة ٢٣ آية ١١٣.
(٦) سورة ٣٠ آية ٥٥ (٧) بين سطرى ظ: فى الحقيقة.

لما يكون فيه ، فان[1] كان خيرا كان صاحبه محمودا [و -[2]] لم يضره قصره ، و إن كان[3] شرا كان مذموما و لم ينفعه طوله ، [و يجوز أن يكون أنث أولا إرادةً للبالى ، لأنها محل الراحة المقصودة بالذات ، فكان كأنهم قالوا : لم يكن لنا راحة إلا بزمن يسير جدا أكثر أول العقود ، و نص الأمثل على اليوم الذى يكون الكد فيه للراحة فى الليل إشارة إلى أنهم ما كان لهم فى اللبث فى الدنيا راحة أصلا ، و لم يكن سعيهم إلا نكدا كله كما يكون السعى فى يوم لا ليلة يستراح فيها . و إن كانت فيه راحة فهى ضمنية لا أصلية - [2]] .

و لما أخبر عن بعض ما سبق ثم عن بعض ما يأتى من أحوال المعرضين عن هذا الذكر فيما ينتجه لهم إعراضهم عنه ، و ختم ذلك باستقصارهم مدة لبثهم فى هذه الدار[4] . أخبر عن بعض أحوالهم فى الإعراض فقال : ﴿ و يسئلونك عن الجبال ﴾ [5] ما يكون حالها[5] يوم ينفخ فى الصور ؟ شكا منهم فى البعث وقوفا مع الوهم فى أنها تكون موجودة على قياس جمودهم لامحالة ، لأنها اشد الأشياء قوة ، و أطولها لبثا ، و ابعدها مكثا . فتمنع بعض الناس من سماع النفخ فى الصور ، و تخيل للبعض بحكم رجع الهواء الحامل للصوت أنه آتٍ من غير جهته فلا يستقيم [6] القصد إلى الداعى[6] ﴿ فقل ﴾ أى فتسبب عن علمنا بانهم يسئلونك هذا

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٢) زيد من مد (٣) زيد فى مد : عماد - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المدار (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : المقصد الى المداهى - كذا .

السؤال أنا نقول لك : قل ، أو يكون على تقدير شرط ، أى فاذا[1] سألوك فقل لهم ، [و -[2]] هذا بخلاف ما نزل بعد وقوع السؤال عنه مثل الروح [و -[3]] قصة ذى القرنين فان الأمر بجوابه على طريق الاستئناف لما هناك من استشراف النفس للجواب ﴿ينسفها﴾[4] أى يقلعها من أماكنها و يذريها بالهواء[4] ﴿ربى﴾ المحسن إلىّ بنصرى فى [يوم -[2]] القيامة نصرا ٥ لايبلغ كنهه ﴿نسفا ۝﴾ عند النفخة الاولى ﴿ فيذرها ﴾[4] أى أماكنها[4] ﴿قاعا﴾ أى أرضا ملساء[5] ﴿صفصفا ۝﴾ أى مستويا[6][4] كأنه صف واحد[4] [لا أثر للجبال فيه -[2]] ﴿لاترى﴾[7] أى بالبصر [و-[2]] لا بالبصيرة ﴿فيها﴾[4] أى مواضع الجبال[4] ﴿عوجا﴾ بوجه من الوجوه ، و عبر هنا بالكسر و هو للمعانى ، و لم يعبر بالفتح الذى[8] يوصف [به -[2]] الأعيان ، و مواضع الجبال أعيان ١٠ لامعانى ، نفيا للاعوجاج على أبلغ وجه ، بمعنى أنك لو جمعت أهل الخبرة بتسوية الأراضى لاتفقوا على الحكم باستوائها ، ثم لو جمعت أهل الهندسة لحكموا مقاييسهم العلمية فيها لحكموا بمثل ذلك[9] ﴿و لا امتا ۝﴾ أى شيئا مرتفعا كالكدية[4] أو نتوا يسيرا أو شقا[4] [أو اختلافا -[2]] ؛ و قال البيضاوى و الزمخشرى : الأمت النتو[10] اليسير ، قال الغزالى فى الدرة الفاخرة : ١٥

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فان (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد.
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مستوما - كذا (٧) العبارة من هنا إلى «بالبصيرة» ساقطة من ظ (٨) زيد فى مد : هو (٩) العبارة من « و عبر هنا » إلى هنا ساقطة من ظ (١٠) من مد و الكشاف ، و فى الأصل و ظ : النمو .

ينفخ فى الصور فتطار الجبال، و تفجر الأنهار بعضها فى بعض، فيمتلئ عالم الهواء [ماء -[1]]، و تنتثر الكواكب و تتغير[2] السماء و الأرض، و يموت العالمون فتخلو[3] الأرض و السماء[3]؛ قال: ثم يكشف سبحانه عن بيت فى سقر فيخرج لهيب النار فيشتعل فى البحور فتنشف، و يدع الأرض جمرة سوداء[4]، و السماوات كأنها عكر الزيت و النحاس المذاب. ثم يفتح تعالى خزانة من خزائن العرش فيها بحر الحياة، فيمطر به الأرض، و هو كمنى الرجال / فتنبت الأجسام على هيئتها، الصبى صبى، و الشيخ شيخ، و ما بينهما، ثم تهب من تحت العرش نار لطيفة فتبرز الأرض ليس فيها جبل و لا عوج و لا أمت، ثم يحيى الله إسرافيل فينفخ فى الصور[5] من صخرة القدس، فتخرج الأرواح من ثقب فى الصور بعددها[6] كل روح إلى جسدها حتى الوحش و الطير فاذا هم بالساهرة.

/ ٤٧٥

و لما أخبر سبحانه بزوال ما يكون منه العوج فى الصوت قال: ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ ينفخ فى الصور فتنسف[7] الجبال ﴿ يتبعون ﴾ أى أهل المحشر [بغاية جهدهم -[8]] ﴿ الداعى ﴾ أى بالنفخ[9] منتصبين إليه على الاستقامة ﴿ لاعوج له ﴾ [10]أى الداعى[10] فى شىء من قصدهم إليه،

(١) زيد من ظ و مد (٢) بيض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد (٣-٣) فى مد: السماء و الأرض؛ و زيد بعده فى الأصل و ظ: ثم، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) من ظ و مد و فى الأصل: سواد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) بين سطرى ظ: الارواح (٧) فى ظ: بعد نسف (٨) زيد من مد. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: النفخ (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ.

لأنه

لأنه ليس فى الأرض ما يحوجهم إلى التعريج[١] و لايمنع الصوت من النفوذ على السواء؛ و قال أبو حيان[٢]: أى[٣] لا عوج لدعائه، بل يسمع جميعهم فلا يميل إلى ناس دون ناس.

و لما أخبر بخشوعهم فى الحديث و الانقياد للدعوة، أخبر بخشوع غير ذلك من الأصوات التى جرت العادة بكونها عن الاجتماع فقال: ﴿ و خشعت الاصوات ﴾ أى ارتخت و خفيت و [خفضت و -[٤]] تطامنت لخشوع أهلها ﴿ للرحمن ﴾ أى [الذى -[٦]] عمت نعمه، فيرجى كرمه، و يخشى نقمه ﴿ فلا ﴾ أى فيتسبب[٧] عن رخاوتها أنك لا ﴿ تسمع الا همسا ﴾ أخفى ما يكون من الأصوات، [و قيل: أخفى شيء من أصوات الأقدام -[٤]].

[و لما تقرر ما للأصوات -[٦]] من الانخفات، و كان قد أشير [فيما مضى -[٨]] إلى وقوع الشفاعة من بعض أخصائه باذنه، و كان الحشر للحساب بمعرض التقريب لبعض و التبعيد لبعض، و كانت العادة جارية بأن المقرب يشفع للبعد، لما بين أهل الجمع من الوصل و الأسباب المقتضية لذلك[٩]، و كان الكفار يزعمون أن آلهتهم تشفع لهم

(١) من ظ و مد، و فى الاصل: التعويج (٢) فى البحر المحيط ٦/٢٨٠.
(٣) سقط من ظ ومد (٤) زيد من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فتسبب (٨) زيد من ظ و مد، و بهامش ظ: أى فى سورة مريم حيث قال "لايملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا" (٩) بهامش ظ: أى الشفاعة.

قال نافيا لأن تقع شفاعة [بغير إذنه -[١]] ، [معظما ذلك اليوم بالإنذار منه مرة بعد مرة -[٢]] : ﴿ يومئـذ ﴾ [أى إذ كان ما تقدم -[٣]] ﴿ لا تنفع الشفاعة ﴾ أى لا تكون شفـاعة [٣]ليكون لها نفع ، لأنه قد ثبت بما مضى أنه لا صوت ، و تقرر[٤] فى تحقيق المحصورات من علم الميزان أن السالبة[٥] الحقيقية لا تستدعى وجود الموضوع فى الخارج ، و إنما حول العبارة لأن المقصود بالذات النفع ، فنفيه بادئ بدأ أفظع ، و قرع السمع به أولا أهول و أفزع ﴿ الا ﴾ أى إلا شفاعة ﴿ من اذن له الرحمن ﴾ العام النعمة ﴿ و رضى له قولا ﴾ و لو[٦] الإيمان المجرد .

و لما نفى أن تقع الشفاعة بغير إذنه . علل ذلك[٧] - كما سلف فى آية الكرسى - بقوله : ﴿ يعلم ما بين ايديهم ﴾ [٨]أى الخلائق[٨] [و هو كل ما يعلمونه -[٢]] ﴿ و ما خلفهم ﴾ [٨]و هو كل ما غاب عنهم علمه[٨] ، أى علمه [سبحانه -[٢]] محيط بهم ، فهو يمنع قلوبهم فى[٩] ذلك اليوم بما يوجد من الأسباب أن تهم بما لا يرضاه ﴿ و لا يحيطون به علما ﴾ ليحترزوا عما[١٠] يقدره عليهـم ، و "علما" تمييز منقول من الفاعل ،

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى « أهول و أفزع » متكررة فى الأصل فقط قبل « يومئذ » (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يقرر (٥) فى ظ : الكلية (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لولا (٧) بين سطرى ظ : علم وقوع الشفاعة (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من مد ، و فى الأصل : من ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى « اليوم » (١٠) من مد . و فى الأصل و ظ : مما .

[أى -[1]] و لا يحيط علمهم به - قاله أبو حيان[2] . و الأقرب عندى[3] كونه منقولا عن المفعول الذى تعدى إليه الفعل بحرف الجر ، أى و لا / يحيطون بعلمه ؛ فيكون ذلك أقرب إلى ما فى آية الكرسى[4] . /٤٧٦

و لما ذكر خشوع الأصوات ، أتبعه خضوع[5] دونها فقال : ﴿ وعنت الوجوه ﴾ أى ذلت[6] و خضعت و استسلمت[6] [وجوه الخلائق كلهم -[7]] ، و خصها لشرفها و لأنها أول ما يظهر فيه الذل ﴿ للحى ﴾ الذى هو مطلع على الدقائق و الجلائل ، وكل ما سواه جماد حيث ما نسبت حياته إلى حياته ﴿ القيوم[1] ﴾ الذى لا يغفل عن التدبير و مجازاة كل نفس بما كسبت ﴿ و قد خاب ﴾ أى خسر [خسارة ظاهرة -[7]] ﴿ من حمل ﴾ منهم [أو من غيرهم -[7]] ﴿ ظلما ﴾ .

و لما ذكر الظالم، أتبعه الحكيم[8] فقال : ﴿ و من يعمل ﴾ و لما كان الإنسان محل العجز و إن اجتهد ، قال : ﴿ من الصالحت ﴾ أى التى أمره[9] الله بها بحسب استطاعته ، لأنه « لن يقدر الله أحد حق قدره » « و لن يشاد الدين أحد إلا غلبه » ﴿ و هو مؤمن ﴾ ليكون بناؤها على الأساس ، [و عبر بالفاء إشارة إلى قبول الأعمال و جعلها سببا لذلك الحال فقال -[7]] : ﴿ فلا يخف ظلما ﴾ [بأن ينسب إليه سوء لم يقترفه -[7]]

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى البحر المحيط ٦/٢٨٠ (٣) و بهامش ظ : تعقيب مطول على ما وصفه المؤلف بالأقرب (٤) بهامش ظ : أعنى " و لا يحيطون بشىء من علمه " (٥) فى مد : خشوع (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٧) زيد من مد (٨) فى مد : الحليم ، و بهامش ظ : و هو من يضع الأشياء فى محالها و الظالم عكسه (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : امر .

لأن الجزاء من جنس العمل : [1] و قراءة ابن كثير بلفظ النهى محققة للمبالغة فى النفى [1] ﴿ و لا هضما ﴾ أى نقصا من جزائه و إن كان هو لم يوف المقام حقه لأنه لا يستطيع ذلك [2] ، [1] و أصل الهضم الكسر ، و أما غير المؤمن فلو عمل أمثال الجبال من الأعمال لم يكن لها وزر [1] .

٥ و لما اشتملت هذه الآية على الذروة من حسن المعانى ، فبشرت و يسرت ، و أنذرت و حذرت ، و بينت الخفايا ، و أظهرت الخبايا [3] ، مع ما لها من جلالة السبك و براعة النظم ، كان كأنه قيل [1] تنبيها على جلالتها [1] : أنزلناها على هذا المنوال العزيز المثال ﴿ وكذلك ﴾ أى و مثل هذا الإنزال ﴿ انزلنه ﴾ أى هذا الذكر كله بعظمتنا [4] ﴿ قرآنا ﴾ جامعا

١٠ لجميع المعانى المقصودة ﴿ عربيا ﴾ مبينا لما أودع فيه لكل من له ذوق فى أساليب العرب .

و لما كان أكثر هذه الآيات محذرا ، قال : ﴿ و صرفنا ﴾ [1] أى بما لنا من العظمة [1] ﴿ فيه من الوعيد ﴾ أى ذكرناه مكررين له محولا فى أساليب مختلفة ، و [5] فانين متنوعة مؤتلفة .

١٥ و لما ذكر الوعيد ، أتبعه ثمرته فقال : ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أى ليكون الناظر لهم بعد ذلك على رجاء من أن يتقوا [6] و يكونوا به فى عداد من يجدد التقوى كل حين ، بأن تكون [له - [6]] وصفا مستمرا ، و هى الحذر الحامل

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بين سطرى ظ : توفية المقام حقه (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخفايا (٤) سقط من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : تبقى ، و العبارة من « ليكون » إلى هنا ساقطة من ظ (٦) زيد من مد .

على اتخاذ الوقاية مما يحذر ﴿ او ﴾ فى عداد من ﴿ يحدث ﴾ أى يجدد هذا التصريف[1] ﴿ لهم ذكراه ﴾ أى ما يستحق أن يذكر من طرق الخير ، فيكون سببا للخوف الحامل على التقوى ، فيردهم عن بعض ما تدعو إليه النفوس من النقائص و البؤس .

و لما بلغت هذه الجمل نهاية الإعجاز ، فاشتملت على غاية الحكمة ، دالة على أن لقائلها تمام العلم و القدرة و العدل فى أحوال الدارين ، تسبب عن سوقها كذلك أن بان له من العظمة ما أفهمه[2] قوله ، [3]معظما لنفسه [الأقدس بما هو له أهل - [4]] بعد تعظيم كتابه [تعليما لعباده ما يجب له من الحق - [4]] دالا بصيغة التفاعل على مزيد العلو : ﴿ فتعلى الله ﴾ أى [بلغ - [4]] الذى لا يبلغ الواصفون وصفه [5]حق وصفه من العلو[6] أمرا لا تحتمله العقول ، فلا يلحقه شىء من إلحاد الملحدين و وصف المشركين ﴿ الملك ﴾ الذى لا يعجزه / شىء ، فلا ملك فى الحقيقة غيره ﴿ الحق ج ﴾ أى الثابت الملك ، فلا زوال لكونه ملكا فى زمن ما ؛ [و - [4]] لعظمة ملكه و حقية[7] ذاته و صفاته صرف خلقه على ما هم عليه من الأمور المتباينة[8] .

/ ٤٧٧

(١) فى الأصل بياض ملأناه من مد ، و العبارة من « أى يجدد » إلى هنا ساقطة من ظ (٢) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٣) العبارة من هنا إلى «مزيد العلو» ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥) العبارة من هنا إلى « وصف المشركين » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : الظواهر (٧) من مد ، و فى الأصل : حقيقة (٨) العبارة من « لعظمة » إلى هنا ساقطة من ظ .

ولما كانت هذه الآيات فى ذم من أعرض عن هذا الذكر، كان التقدير: فلا تعرض عنه، [بل أقبل عليه -[1]] لتكون من المتقين الذاكرين، ولما كان هذا الحث[2] [العظيم -[3]] ربما اقتضى[4] للسابق فى التقوى المبالغة فى المبادرة إليه فيستعجل بتلقفه قبل الفراغ من إيحائه، قال عاطفا على هذا المقدر[5]: ﴿ ولا تعجل بالقرآن ﴾ أى بتلاوته.

ولما كان النهى عاما لجميع الأوقات القبلية، دل عليه بالجار لئلا يظن أنه خاص بما يستغرق زمان القبل [جملة واحدة -[1]] فقال: ﴿ من قبل ان ﴾ [6] ولما كان النظر هنا إلى فراغ الإيحاء لا إلى موح معين، بنى للمجهول قوله[6]: ﴿ يقضى[7] ﴾ أى ينهى ﴿ اليك وحيه[8] ﴾ من الملك النازل إليك من حضرتنا به كما أنا لم نعجل بانزاله عليك جملة، بل رتلناه لك ترتيلا، ونزلناه[7] إليك تنزيلا مفصلا تفصيلا، وموصلا توصيلا - كما أشرنا إليه أول السورة[4]، فاستمع له ملقيا جميع تأملك إليه [6] ولا تساوقه بالقراءة[6]. فاذا فرغ[9] فاقرأه فانا نجمعه فى قلبك ولا نسقيك بانسائه وأنت مصغ إليه، ولا بتكليفك للساوقة[10] بتلاوته

(١) زيد من مد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: الحديث (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: افضى (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: المقدار (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: نزلنا. (٨) بهامش ظ: حيث قلنا «تنزيلا من خلق الارض» (٩) بين سطرى ظ: أى الملك (١٠) بهامش ظ: أى تساوى الملك فى التلفظ بحيث تكونان حال اللفظ سواء.

﴿و قل رب﴾ [١]أى المحسن إلىّ بافاضة العلوم علىّ[١] ﴿زدنى علما ٥﴾ أى بتفهيم ما أنزلت إلىّ منه[٢] و إنزال غيره كما زدتنى بانزاله و تحفيظه، لتتمكن[٣] من معرفة الأسباب المفيدة لتبع الخلق لك، فانه كما تقدم على قدر إحاطة العلم يكون شمول القدرة، و فى هذا[٤] دليل على أن التأنى فى العلم بالتدبر و بالقاء[٥] السمع أنفع من الاستعجال المتعب للبال المكدر للحال، و أعون على الحفظ، [فمن وعى شيئا حق الوعى حفظه غاية الحفظ - [٦]]؛ و روى الترمذى[٧] و ابن ماجه[٨] و البزار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: اللهم انفعنى بما علمتنى و علمنى ما ينفعنى و زدنى علما و الحمد لله على كل حال، و أعوذ بالله من حال أهل النار - أفاده ابن كثير فى تفسيره. ١٠

و لما قرر سبحانه بقصة موسى عليه السلام ما أشار إليه أول السورة بما هو عليه من الحلم و التأنى على عباده، و امهال لهم فيما هم عليه من النقص بالنسيان للعهود و النقض للمواثيق، و أتبعها [ذكر - [٩]] مدح

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بين سطرى ظ: الذكر (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ليتمكن (٤) بين سطرى ظ: أى قوله «فلا تعجل» (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: القاء (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى الدعوات؛ و بهامش ظ: قوله «و روى الترمذى» موقعه دليل على الدعوى التى ادعاها الشيخ من كون التأنى فى العلم بالتدبر إلى آخره، و ذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم سأل ربه فى أن ينفعه بما علمه فأرشده إلى قوله «فلا تعجل» و الواو فى «و روى» للعطف، أعنى عطف الدليل على الدعوى (٨) فى المقدمة (٩) زيد من مد.

هذا الذكر الذى تأدت[1] إلينا به ، و ذم من أعرض عنه ، و ختمه بما عهد إليه صلى الله عليه و سلم فى أمره نهيا و أمرا ، أتبع ذلك سبحانه قصة آدم عليه السلام تحذيرا من الركون إلى ما يسبب النسيان ، و حثا على رجوع من نسى إلى طاعة الرحمن ، و بيانا لأن ذلك الذى قرره من حلمه و إمهاله عادته سبحانه من القدم ، و صفته التى كانت و نحن فى حيز العدم ، و أنه جبل الإنسان على النقص ، فلو أخذهم[2] بذنوبهم ما ترك عليها من دابة ، فقال عاطفا على قوله "و كذلك انزلنه حكما عربيا" أو "كذلك نقص عليك من انباء ما قد / سبق" مؤكدا لما تقدم فيه و عهد به من أمر القرآن ، و محذرا من الإخلال بذلك و لو على وجه النسيان ، [3]و منجزا لما وعد به من قص أنباء المتقدمين مما[4] يوافق هذا السياق : ﴿و لقد عهدنآ﴾ • بما لنا من العظمة• ﴿الىٓ اٰدم﴾ أبى البشر الذى[6] أطلعناه على كثير منها فى النهى عن الأكل من الشجرة ﴿من قبل﴾ أى •فى زمن• من •الأزمان الماضية• قبل هؤلاء الذين تقدم فى هذه السورة ذكر نسيانهم و إعراضهم ﴿فنسى﴾ عهدنا و أكل منها مع[7] علمه من تلك العظمة بما لا ينبغى أن ينسى معه ذلك العهد المؤكد بذلك الجلال ، فعددنا عليه وقوعه فى ذلك المنهى ناسيا ذنبا لعلو رتبته عندنا ، فهو

/ ٤٧٨

(١) بين سطرى ظ : وصلت القضية (٢) بهامش ظ : الضمير فى « أخذهم » يرجع إلى المعنى الذى يفهمه الإنسان، أى لو أخذ جميع الناس (٣) العبارة من هنا إلى « هذا السياق » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : بما (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : بعظمتنا التى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : به .

من[1] باب « حسنات الأبرار[2] سيئات المقربين » فكيف بما فوق ذلك ! ﴿ ولم نجد ﴾ بالنظر [3]إلى ما لنا من العظمة[3] ﴿ له عزما ﴾ أي [قصدا صلبا ماضيا و إرادة نافذة لا تردد فيها كارادات الملائكة عليهم السلام ، و المعنى أنه -[4]] [5]لم يتعلق علمنا بذلك[6] موجودا ، و مع ذلك[7] عفونا عنه و لم نزحزحه[8] عن رتبة الاصطفاء .

و لما كان المقصود من السورة - كما سلف - الإعلام بالحلم و الأناة و التلطف بالنائي[9] و القدرة على المعرض ، ذكر فعلة[10] آدم عليه السلام هذه في هذه السورة بلفظ المعصية مع التصريح بأنها على وجه النسيان ، و ذكر ذلك أولا مجملا ثم أتبعه تفصيله ليكون ذلك مذكورا مرتين ، تأكيدا للمعنى المشار إليه ، تقريرا و تحذيرا من الوقوع في منهى ، و إرشادا لمن [11]غلب عليه[11] طبع النقص إلى المبادرة إلى الندم و تعاطى أسباب التوبة ليتوب الله عليه كما فعل بآدم عليه السلام فقال : ﴿ و اذ ﴾ أي اذكر هذا و اذكر حين[12] ﴿ قلنا ﴾ بما لنا من العظمة ، [3]أي اذكر قولنا في ذلك الوقت[3] ﴿ للملئكة ﴾ [13]أي المجبولين على مضى العزم

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : في (١) بهامش ظ : أي فوق المقربين وهم الأنبياء (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من مد . (٥) زيد قبله في الأصل : فيه ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٦) من مد ، و في الأصل و ظ : به (٧) بين سطرى ظ : أي و مع عدنا وقوعه في ذلك ذنبا (٨) في مد : لم يزحزحه (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : بالتاني ؛ و بين سطرى ظ : البعيد (١٠) من مد ، و في الأصل : قوله ، و في ظ : زلة . (١١ - ١١) في مد : غلبه (١٢) في ظ : اذ (١٣) العبارة من هنا إلى « فتور » ساقطة من ظ .

والتصميم[1] على القصد[2] من غير مانع تردد[3] ولا عائق فتور ﴿اسجدوا لآدم﴾ الذى خلقته بيدى ، فلم نأمرهم بذلك إلا بعد أن اصطفيناه ونحن عالمون بما سيقع منه ، وأنه لا يقدح فى رتبة اصطفائه ، فان الحلم والكرم من صفاتنا ، والرحمة من شأننا ، فلا تيأس من عودنا بالفضل والرحمة على من بالغ فى مقاطعتنا من قومك الذين وصفناهم باللدد ﴿فسجدوا﴾ [أى الملائكة[4]] ﴿الا ابليس[4]﴾ [5]الذى نسب الله إلى الجور والإخلال بالحكمة[6] فكفر فأيس من الرحمة وسلب الخير فأصر على إضلال الخلق بالتلبيس ، فكأنه قيل : ما كان من حاله [7]فى عدم سجوده[7]؟ فقيل : ﴿ابى[5]﴾ أى تكبر على آدم فعصى أمر الله ﴿فقلنا﴾ [7]بسبب ذلك[7] بعد أن حلمنا عنه ولم نعاجله بالعقوبة : ﴿يآدم ان هذا﴾ الشيطان الذى تكبر عليك ﴿عدو لك﴾ دائما لأن الكبر[8] الناشئ عن الحسد لا يزول ﴿ولزوجك﴾ لأنها منك ﴿فلا يخرجنكما﴾ [9]أى لا تصغيا إليه بوجه فيخرجكما ، ووجه النهى[10] إليه والمراد : هما ، تنبيها على أن لها من الجلالة [ما ينبغى أن تصان عن أن يتوجه إليها نهى ، وأسند الإخراج إليه لزيادة التحذير والإبلاغ فى التنفير ، وزاد[4]] فى

(١) من مد ، وفى الأصل : التعميم (٢) من مد ، وفى الأصل : المقصد (٣) زيد بعده فى الأصل : مانع ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) زيد من مد . (٥) العبارة من هنا إلى « بالتلبيس » ساقطة من ظ (٦) من مد ، وفى الأصل : بالحكم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : المتكبر (٩) العبارة من هنا إلى « التنبيه بقوله » ساقطة من ظ (١٠) من مد ، وفى الأصل : المنهى .

التنبيه بقوله : ﴿ من الجنة ﴾ أى[1] فانـــه لا يقصر فى ضركما و إرادة إنزالكما عنها .

و لما نص سبحانه على شركتها له[1] فى الإخراج فكان من المعلوم شركتها له فى آثاره ، و كانت المرأة تابعة للرجل ، فكان هو المخصوص فى هذه الدار بالكل فى الكد و السعى ، و الذب و الرعى ، و كان أغلب تعبه فى أمر المرأة . أفرد بالتحذير من التعب لذلك و عدّا لتعبها / بالنسبة إلى تعبه عدما ، و تعريفا بأن أمرها بيده ، و هو إن تصلب قادها[2] إلى الخير ، و إلا قادته إلى الضير . و عبر عن التعب بالشقاء زيادة فى التحذير [منه -[3]] فقال : ﴿ فتشقى ﴾ أى فتتعب ، و لم يرد[4] شقاوة الآخرة ، لأنه لو أرادها ما دخل الجنة بعد ذلك[5] ، لأن الكلام المقدر بعد الفاء خبر ، و الخبر لا يخلف . ثم علل شقاوته على تقدير الإخراج بوصفها بما لا يوجد فى غيرها [6]من الأقطاب التى يدور عليها كفاف الإنسان ، و هى الشبع و الرىّ و الكسوة و الكن . ذاكرا[7] لها بلفظ النفى لنقائضها ليطرق سمعه بأسماء أصناف الشقوة التى حذره منها ليصير[8] بحيث يتحامى السبب الموقع فيها كراهة لها ، فاذا مضت عليه القدرة الباهرة علم أنه لا يغنى حذر من قدر ، فقال : ﴿ ان لك ﴾ أى[9] علينا ﴿ الا تجوع فيها ﴾ أى يوما ما ﴿ و لا تعرى ﴾ فلا يتجرد باطنك و لا ظاهرك ﴿ و انك لا تظمؤا ﴾

/ ٤٧٩

(١) سقط من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تارها (٣) زيد من مد .
(٤) بين سطرى ظ : أى الله (٥) بين سطرى ظ : الإخراج (٦) العبارة من هنا إلى «من قدر» ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : ذكرا (٨) من مد ، و فى الأصل : ليصيره (٩) سقط من مد .

[1]بالتهاب القلب[1] ﴿فيها ولا تضحى﴾ أى لا يكون بحيث يصيبك حر الشمس، و المعنى أنه لا يصيبك حر فى الباطن و لا فى الظاهر ﴿فوسوس﴾ أى فتعقب تحذيرنا هذا من غير بعد فى الزمان أن وسوس ﴿اليه الشيطن﴾ المحترق المطرود، و هو إبليس. أى ألقى إليه على وجه الخفاء بما مكناه من الجرى فى[2] هذا النوع مجرى الدم، و قذف المعانى فى قلبه، و كأنه[3] عبر بـ «الى»، لأن المقام لبيان سرعة[4] قبول هذا النوع للنقائص و إن أتته من بعد، أو لأنه ما أنهى إليه ذلك إلا بواسطة زوجه، لذلك عدى الفعل عند ذكرهما باللام، و كأنه قيل: ما دس إليه؟ فقيل: ﴿قال يـٰادم﴾ ثم ساق له الغش مساق العرض، إبعادا لنفسه من التهمة [1]و الغرض[1]؛ و شوقه إليه أولا بقوله: ﴿هل ادلك﴾ فان النفس شديدة الطلب لعلم ما تجهله؛ و ثانيا بقوله: ﴿على شجرة الخلد﴾ [1]أى التى من أكل منها خلد[1]، فان الإنسان أحب شىء فى طول البقاء؛ و ثالثا بقوله: ﴿و ملك لا يبلى﴾ أى لا يخلق أصلا، فكأنه قال له بلسان الحال أو القال[5]: نعم، فقال: شجرة الخلد هذه - مشيرا إلى التى نهى عنها - ما بينك و بين الملك الدائم إلا أن تأكل منها. ﴿فاكلا﴾ أى فتسبب عن قوله و تعقب أن أكل ﴿منها﴾ هو و زوجه[6]، متبعين لقوله ناسيين ما عهد إليهما ﴿فبدت لهما﴾ لما خرقا من ستر النهى و حرمته

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: من.
(٣) من ظ و مد، وفى الأصل: لانه (٤) من مد، وفى الأصل وظ: شرعة.
(٥) فى مد: المقال (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: زوجته.

سوأتهما

﴿ سوآتهما ﴾ وقوعا لما حذرا منه من إخراجهما مما كانا فيه ﴿ وطفقا ﴾ أى شرعا ﴿ يخصفن ﴾ [أى - [1]] يخيطان [2] أو يلصقان [2] ﴿ عليهما من ورق الجنة ﴾ ليسترا عوراتهما ﴿ وعصى [3] آدم ﴾ وإن كان إنما فعل المنهى نسيانا ، لأن عظم [3] مقامه وعلو رتبته يقتضيان له مزيد الاعتناء ودوام المراقبة مع ربط الجأش ويقظة الفكر ﴿ ربه ﴾ أى المحسن إليه بما لم ينله [4] أحدا من نبيه من تصويره له بيده وإسجاد ملائكته له ومعاداة من عاداه ﴿ فغوى ﴾ [من - [1]] الغواية [5] [وهى الضلال ، ولذلك قالوا : المعنى : فضلّ - [6]] عن طريق السداد ، [7] فأخطأ طريق التوصل إلى الخلد [7] بمخالفة أمره ، وهو صفيه ، لم ينزله عن رتبة الاصطفاء ، لأن رحمته / واسعة ، وحلمه عظيم ، وعفوه شامل ، / ٤٨٠ فلا يهمنك أمر القوم اللد ، فانا قادرون على أن نقبل بقلوب من شئنا منهم فنجعلهم من أصفى الأصفياء ، ونخرج من أصلاب من شئنا منهم من نجعل قلبه معدن الحكمة والعلم .

ولما كان الرضى عنه - مع هذا الفعل الذى أسرع [8] فيه فى اتباع العدو وعصيان الولى [9] بشىء لا حاجة به إليه - مستبعدا [10] جدا ، أثبت

---

(١) زيد من مد (٢-٢) فى مد : أو يلزقان ، وما بين الرقمين ساقط من ظ (٣) فى مد : عظيم (٤) بين سطرى ظ : يعطه (٥) سقط من ظ (٦) زيد من مد ، وزيد فى ظ موضعه : أى فضل (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) بهامش ظ : يقال : أسرع الشىء : أى جد فيه فيكون متعديا (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : المولى (١٠) من مد ، وفى الأصل وظ : مستبعد .

ذلك تعالى مشيرا إليه بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم اجتبه ربه ﴾ أى المحسن إليه ﴿ فتاب عليه ﴾ أى [1]بسبب الاجتباء[1] بالرجوع إلى ما كان عليه من طريق السداد[2] ﴿ وهدى ﴾ بالحفظ فى ذلك كما هو الشأن فى أهل الولاية والقرب .

٥ ولما كانت دور الملوك لا تحتمل مثل ذلك ، وكان قد قدم سبحانه عنايته بآدم عليه السلام اهتماما به ، وكان الخبر عن زوجه وعن إبليس لم يذكر ، فكانت نفس السامع لم تسكن عن تشوفها إلى سماع بقية الخبر . أجاب عن ذلك بأنه أهبط من داره المقدسة الحامل على المخالفة والمحمول[3] وإن كان قد هيأه بالاجتباء لها ، فقال على طريق

١٠ الاستئناف : ﴿ قال ﴾ أى الرب الذى انتهكت حرمة داره : ﴿ اهبطا منها ﴾ أيها الفريقان : آدم وتبعه ، وإبليس ﴿ جميعا ﴾ .

ولما كان السياق لوقوع النسيان وانحلال العزم بعد أكيد العهد ، حرك[4] العزم وبعث الهم بإيقاع العداوة التى تنشأ عنها المغالبة . فتبعث الهمم وتثير العزائم ، فقال فى جواب من كأنه قال : على أىّ حال

١٥ يكون الهبوط[5] : ﴿ بعضكم لبعض عدو ﴾ وهو صادق بعداوة كل من الفريقين للفريق[6] الآخر : فريق إبليس - الذين[7] هم الجن - بالإضلال ، وفريق

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد فى الأصل : وهدى الرشاد فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٣) بهامش ظ : الحامل على المخالفة إبليس ، والمحمول آدم وزوجه (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : حرام لى . (٥) زيد فى ظ : قيل (٦) ونسخة مد يعتورها من ههنا سقطة تنتهى إلى ما سننبه عليه (٧) فى ظ : الذى .

الإنس بالاحتراز منهم بالتعاويذ و الرقى و غير ذلك ، و بعداوة بعض كل فريق لبعضه[1] ﴿ فاما ﴾ أى فتسبب عن ذلك العلم بأنه لاقدرة لأحد منكم على التحرز من عدوه إلا بى و لاحرز لكم من قبلى إلا اتباع أمرى ، [فاما -[2]] ﴿ ياتينكم ﴾ [3]أى أيها الجماعة الذين هم أضلّ ذوى الشهوات من المكلفين[3] ﴿ منى هدى[4] ﴾ تحترزون به عن استهواء العدو و استزلاله ﴿ فمن اتبع ﴾ ٥ عبر بصيغة 'افتعل' التى فيها تكلف و تتميم للتبع الناشئ عن شدة الاهتمام ﴿ هداى ﴾ الذى أسعفته به من أوامر الكتاب[4] و الرسول المؤيد بدلالة العقل ، و للتعبير بصيغة 'افتعل' قال : ﴿ فلا يضل ﴾ أى [3]بسبب ذلك[3] ، عن طريق السداد فى الدنيا و لا فى الآخرة أصلا ﴿ و لا يشقى[5] ﴾ أى فى شىء من سعيه فى واحدة منهما ، فان الشقاء عقاب ١٠ الضلال ، و يلزم [5]من نفيه[5] نفى الخوف و الحزن بخلاف العكس ، فهو أبلغ[6] مما فى البقرة[7] ، فان[8] المدعو إليه فى تلك مطلق العبادة ، و المقام فى هذه للخشية و البعث على الجد بالعداوة "الا تذكرة لمن يخشى" و للاقبال على الذكر "من اعرض عنه فانه يحمل يوم القيمة وزرا" و التحفظ من المخالفة و لو بالنسيان "فنسى / و لم نجد [له عزما"-[9]]. ١٥ / ٤٨١ قال الرازى فى اللوامع : و الشقاء : فراق العبد من الله ، و السعادة وصوله

(١) زيد فى الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ . (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) بهامش ظ : أعنى « فمن تبع هداى فلاخوف عليهم ولاهم يحزنون» (٥-٥) فى ظ : منه (٦) فى ظ : انفع (٧) راجع آية ٣٨ (٨) فى ظ : لان (٩) زيد من ظ و القرآن الكريم .

إليه ؛ [1]و قال الأصبهانى عن ابن عباس رضى الله عنهما : ضمن الله عز و جل لمن اتبع القرآن أن لا يضل فى الدنيا و لا يشقى فى الآخرة[1]. ﴿و من اعرض﴾ [1]أى فعل دون فعل الرضيع بتعمد الترك لما ينفعه بالمجاورة [1]﴿عن ذكرى﴾ الذى هو الهدى ﴿ فان له ﴾ ضد ذلك ﴿ معيشة ﴾ [1] حقرها سبحانه بالتأنيث ثم وصفها بأفظع وصف و هو مصدر يستوى فيه المذكر و المؤنث و الجمع و غيره فقال[1] : ﴿ضنكا﴾ أى ذات ضنك أى ضيق ، لكونه على ضلال و إن رأى أن حاله على غير ذلك فى السعة و الراحة ، فان ضلاله لابد أن يرديه ، فهو ضنك لكونه سببا للضيق و آئلا إليه ، من تسمية السبب باسم المسبب ، مع أن المعرض عن الله لا يشبع و لا يضل إلى أن يقنع ، [1]مستولٍ عليه الحرص الذى لا يزال أن يطيح بال من يريد الازدياد من الدنيا ، مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن الإنفاق[1] ، عن مناواة الخصوم ، و تعاقب الهموم ، مع أنه لا يرجو ثوابا ، و لا يأمن عقابا ، فهو لذلك فى أضيق الضيق ، لا يزال همه أكبر من وجده « لو كان لابن آدم واد من ذهب لابتغى إليه ثانيا ، و لو أن له واديين لابتغى لهما ثالثا ، و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، و يتوب الله على من تاب » - متفق عليه عن أنس رضى الله عنه ، و هكذا حال من أتبع نفسه هواها ، و أما المقبل[2] على الذكر بكليته فهو قانع راض بما هو فيه ، مستكثر من ذكر الله الشارح للصدور الجالى للقلوب فهو فى أوسع سعة ، فلا تغتر بالصور[3] و انظر إلى المعانى .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : القبل (٣) من ظ ، و فى الأصل : بالفتور .

و لما ذكر حاله فى الدنيا ، أتبعه قوله : ﴿و نحشره يوم القيمة اعمى ه﴾ و كان ذلك فى بعض أوقات ذلك اليوم ، [1]قال ابن عباس[2] رضى الله عنهما : إذا خرج من القبر خرج بصيرا ، فاذا سيق إلى المحشر عمى ، أو يكون ذلك - [3]و هو أقرب مفهوم العبارة[3] - فى بعض أهل الضلال ليجتمع مع قوله " اسمع بهم و ابصر يوم ياتوننا " و حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فى الصحيح[4] من هذا أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : الظلم ظلمات يوم القيامة . [5]ثم استأنف قوله[5] : ﴿قال﴾ [5]مذكرا بالنعمة السابقة استعطافا لأن من شأن مسلف نعمة أن يربيها و إن قصر المنعم عليه ، و غاية ذلك إنما يكون مهما بقى للصلح موضع[5] : ﴿رب﴾ أى[6] أيها المحسن إلىّ المسبغ نعمه علىّ ﴿لم حشرتنى﴾ فى هذا اليوم ﴿اعمى و قد كنت﴾ أى فى الدنيا ، أو فى أول هذا اليوم ﴿بصيرا ه﴾ فكأنه قيل : بم أجيب ؟ فقيل : ﴿قال﴾ له ربه : ﴿كذلك﴾ أى مثل [7]هذا الفعل الشنيع[7] فعلت فى الدنيا ، [5]و المعنى : مثل ما قلت كان ؛ ثم فسر على الأول ، و علل على الثانى ، فقال[5] : ﴿اتتك ايتنا﴾ [5]على عظمتها التى هى من عظمتنا[5] ﴿فنسيتها ج﴾ أى فعاملتها[8] باعراضك عنها معاملة المنسى الذى لا يبصره صاحبه ، فقد جعلت نفسك أعمى البصر

(١) العبارة من هنا إلى « يكون ذلك » ساقطة من ظ (٢) راجع البحر ٦/٢٨٧ .
(٣ - ٣) فى ظ : أو (٤) كتاب المظالم باب الظلم ظلمات يوم القيامة.
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) سقط من ظ (٧-٧) فى ظ : ذلك .
(٨) من ظ ، و فى الأصل : فعاملتك .

/ ٤٨٢ و البصيرة عنها ، كما قال تعالى " الذين كانت / اعينهم فى غطاء عن ذكرى " ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ذلك النسيان [1]الفظيع ، و قدم الظرف ليسد سوقه للظروف و يعظم اختباره لفهمه فقال[1] : ﴿ اليوم تنسى ۝ ﴾ [1]أى تترك على ما أنت عليه بالعمى و الشقاء بالنار[1] ، فتكون كالشيء الذى لا يبصره أحد و لا يلتفت إليه ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل [ذلك -[2]] الجزاء الشديد[3] ﴿ نجزى من اسرف ﴾ فى متابعة هواه فتكبر[4] عن متابعة أوامرنا ﴿ و لم يؤمن بايٰت ربه[1] ﴾ [1]فكفر إحسانه[1] إما بالتكذيب و إما بفعله فعل المكذب .

و لما ذكر أن هذا الضال كان[5] فى الدنيا [6]معذبا بالضنك[6] ، و ذكر بعض ما له فى الآخرة ، قال مقسما لما له من التكذيب : ﴿ و لعذاب الأخرة ﴾ بأىّ[7] نوع كان ﴿ اشد ﴾ من عذاب الدنيا ﴿ و ابقى ۝ ﴾ منه ، فان الدنيا دار زوال ، و موضع قلعة[8] و ارتحال .

و لما كان ما مضى من هذه السورة و ما قبلها من ذكر مصارع الأقدمين ، و أحاديث المكذبين ، بسبب العصيان على الرسل ، سببا عظيما للاستبصار و البيان ، كانوا أهلا لأن ينكر عليهم لزومهم لعماهم[9] فقال تعالى : ﴿ افلم يهد ﴾ أى يبين ﴿ لهم كم اهلكنا قبلهم ﴾ أى كثرة إهلاكنا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : للتكبر (٥) من ظ ، و فى الأصل : كانه (٦-٦) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : اى (٨) من ظ . و فى الأصل : قطعة (٩) من ظ ، و فى الأصل : لغيهم .

لمن تقدمهم[1] ﴿ من القرون ﴾ بتكذيبهم لرسلنا ، حال كونهم ﴿ يمشون فى مسكنهم[1] ﴾ و يعرفون خبرهم بالتوارث خلفا عن سلف أنا ننصر أولياءنا و نهلك أعداءنا و نفعل ما شئنا ! و الأحسن ان لا يقدر مفعول ، و يكون المعنى : أو لم يقع لهم البيان[2] [3]الهادى ، و يكون ما بعده استئنافا عينا كما وقع البيان[3] بقوله استئنافا : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الإهلاك [4]العظيم الشأن[4] المتوالى فى كل أمة ﴿ لآيت ﴾ عظيمات البيان ﴿ لاولى النهى[5] ﴾ أى العقول التى من شأنها النهى عما لا ينفع فضلا[5] عما يضر ، فانها تدل بتواليها على قدرة الفاعل ، و بتخصيص الكافر بالهلاك و المؤمن بالنجاة على تمام العلم [مع -[6]] عموم القدرة ، و على أنه تعالى لا يقر على الفساد و إن أمهل - إلى غير ذلك ممن له وازع من عقله .

و لما هددهم باهلاك الماضين ، ذكر سبب التأخير عنهم ، عاطفا على ما أرشد إلى تقديره السياق ، و هو مثل ان يقال : فلو أراد سبحانه لعجل عذابهم : ﴿ و لو لا كلمة ﴾ [4]أى عظيمة ماضية نافذة[4] ﴿ سبقت ﴾ [4]أى فى الأزل[4] ﴿ من ربك ﴾ الذى عودك بالإحسان بأنه يعامل بالحلم[7] و الأناة ، و أنه لا يستأصل مكذبيك ، بل يمد لهم ، ليرد من شاء

(١) من ظ ، و فى الأصل : تقدم (٢) من ظ ، و فى الأصل : البينات .
(٣-٣) موضع ما بين الرقمين فى ظ : ثم عظم ما فى ذلك (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : اصلا (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : بالحكم .

منهم و يخرج من أصلاب بعضهم من يعبده ، و إنما ذلك إكراما لك و رحمة لأمتك لأنا كما قلنا أول السورة "ما انزلنا عليك القرآن لتشقى" باهلاكهم و إن كانوا قوما لدا ، و لا بغير ذلك ، و ما أنزلناه إلا لتكثر أتباعك ، فيعملوا الخيرات ، فيكون ذلك زيادة فى شرفك ، و إلى ذلك الإشارة بقوله[1] صلى الله عليه و سلم « و إنما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله إلىّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا[2] » ﴿ لكان ﴾ أى العذاب ﴿ لزاما ﴾ [3]أى لازما أعظم لزوم[3] لكل من أذنب عند أول ذنب يقع منه لشرفك عنده و قربك لديه ﴿ و ﴾ لو لا ﴿ اجل مسمى[4] ﴾ ضربه [4]لكل شىء لكان الأمر كذلك أيضا ، لكنه سبقت رحمته غضبه فهو لا يعجل ، و ضرب الأجل فهو لا يأخذ قبله ، و كلٌّ من سَبْقِ / الكلمةِ و تسميةِ الأجل مستقل[5] بالإمهال فكيف إذا اجتمعا . فتسبب عن العلم بأنه لا بد من استيفاء الأجل و إن زاد العاصى فى العصيان تسليمُ الأمور إلى الله و عدم القلق فى انتظار الفرج فقال : ﴿ فاصبر على ما يقولون ﴾ لك من الاستهزاء و غيره .

٤٨٣ /

و لما كان الصبر شديدا على النفس منافرا للطبع ، لأن النفس مجبولة على النقائص ، مشحونة بالوساوس ، أمر منه لأجل من يحتاج إلى الكمال بما ينهض بها من حضيض الجسم إلى أوج الروح بمقامى

(١) رواه البخارى فى صحيحه - باب كيف نزل الوحى ، من كتاب فضائل القرآن (٢) زيد فى الصحيح : يوم القيامة (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٤) و من هنا استأنفت نسخة مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فهو مستقبل .

التحلى [بالكمالات و التخلى عن الرعونات ، و بدأ بالأول لأنه العون على الثانى ، و ذكر أشرف الحلى -[1]] فقال : ﴿ و سبح بحمد ربك ﴾ أى اشتغل بما ينجيك من عذابه ، و يقربك من [2]جنابه ، بأن[2] تنزه من أحسن إليك عن كل نقص ، حال كونك حامدا له بإثبات كل كمال ، و ذلك بأن تصلى له خاصة [3]و تذكره بالذكرين[3] ، غير ملتفت إلى شىء سواه ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ صلاة الصبح ﴿ و قبل غروبها ﴾ صلاة [4]العصر و الظهر[4] ؛ و غير السياق فى قوله : ﴿ و من [5]آناء الليل ﴾ أى ساعاته[5] ، [جمع إنو - بكسر ثم سكون ، أى ساعة -[1]] ، [لأن العبادة حينئذ أفضل لاجتماع القلب و هدوء الرجل و الخلو بالرب ، و لأن العبادة إذ ذاك أشق و أدخل فى التكليف فكانت أفضل عند الله -[1]] ﴿ فسبح ﴾ أى بصلاة[7] المغرب و العشاء ، إيذانا بعظمة صلاة الليل ، و كرر الأمر بصلاتى الصبح و العصر إعلاما بمزيد فضلهما ، لأن ساعتيهما أثناء الطى و البعث فقال : ﴿ و اطراف النهار ﴾ و يؤيد ما فهمته من أن ذلك تكرير لهما ما فى الصحيحين[8] عن جرير بن عبدالله البجلى رضى الله عنه قال : كنا جلوسا عند

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : جنانه بل (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الظهر و العصر (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ساعته (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : صلاة (٨) البخارى فى عدة مناسبات بما فيها المواقيت ، و إليها يرجع السياق ، و مسلم فى باب بيان أن أول وقت المغرب عند غروب الشمس - كتاب المساجد .

رسول الله صلى الله عليه و سلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لاتضامون[1] فى رؤيته ، فان استطعتم أن لاتغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس و قبل غروبها فافعلوا[2] ، ثم قرأ هذه الآية . و إلا لم يكن فى الآية مزيد حث عليها خاصة ، على أن لفظ ' آناء و أطراف ' صالح لصلاة التطوع من الرواتب و غيرها ليلا و نهارا ، و أفاد بذكر الجار فى الآناء التبعيض ، لأن الليل محل الراحة ، و نزعه من الأطراف لتيسر استغراقها بالذكر ، لأن النهار موضع النشاط و اليقظة ، و يجوز - و هو أحسن - أن يكون المراد بما قبل [الطلوع -[3]] الصبح ، و ما قبل الغروب العصر فقط ، و ببعض الآناء المغرب و العشاء ، و أدخل الجار لكونهما وقتين ، و بجميع الأطراف الصبح و الظهر و العصر ، لأن النهار له أربعة أطراف : أوله ، و آخره ، و [آخر -[3]] نصفه الأول ، و [أول -[3]] نصفه الثانى ، و الكل مستغرق بالتسبيح ، و لذلك نزع الجار ، أما الأول و الآخر فبالصبح و العصر ، و أما الآخران فبالتهيؤ للصلاة ثم الصلاة نفسها ، و حينئذ تكون الدلالة على فضيلة الصبح و العصر من وجهين[4] : التقديم[5] و التكرير ، و إلى ذلك الإشارة بالحديث ، و إذا أريد إدخال النوافل حملت الأطراف على الساعات - و الله الهادى .

---

(١) بهامش ظ : روى : تضامون - بفتح التاء و تخفيف الضاد مع تشديد الميم من التضام ، و بضم التاء و تخفيف الضاد مع تخفيف الميم من الضيم (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : وجهى . (٥) زيد فى الأصل : و التاخير ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

و لما كان الغالب على الإنسان النسيان فكان[1] الرجاء عنده أغلب، ذكر الجزاء بكلمة الإطماع لئلا يأمن فقال: ﴿ لعلك ترضى ﴾ أى افعل هذا لتكون على رجاء [2]من أن[2] يرضاك ربك فيرضيك فى الدنيا و الآخرة[3]، باظهار دينك و إعلاء أمرك، و لا يجعلك فى عيش ضنك فى الدنيا و لا فى الآخرة - [4]هذا على قراءة الكسائى و أبى بكر عن عاصم ٥ بالبناء للمفعول، و المعنى على قراءة الجماعة بالبناء للفاعل: لتكون / على رجاء ٤٨٤ / من أن تكون راضيا دائما فى الدنيا و الآخرة. و لا تكون كذلك إلا و قد أعطاك ربك جميع ما تؤمل[4].

[[5] - و لما كانت النفس ميالة إلى الدنايا، مرهونة بالحاضر من فانى العطايا، و كان تخليها عن ذلك هو الموصل إلى حريتها المؤذن بعلو همتها، ١٠ قال [4]مؤكدا إيذانا بصعوبة ذلك[4]]: ﴿ و لا تمدن ﴾ مؤكدا [له - [5]] بالنون الثقيلة ﴿ عينيك ﴾ أى لا تطوّل نظرهما بعد النظرة الأولى المعفو عنها قاصدا[6] النظر للاستحسان ﴿ الى ما متعنا به ﴾ [7]بما لنا من العظمة التى لا ينقصها[8] تعظم أعدائنا[9] به فى هذه الحياة الفانية ﴿ ازواجا ﴾ أى أصنافا متشاكلين[10] ﴿ منهم ﴾ أى من الكفرة ﴿ زهرة ﴾ أى تمتيع ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: و كان (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بان (٣) فى مد: الاخرى (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) من ظ و مد. و فى الأصل: هذا (٧) العبارة من هنا الى «أعدائنا» ساقطة من ظ (٨) من مد، و فى الأصل: تنقصها. (٩) من مد. و فى الأصل: اعدا (١٠) سقط من ظ.

﴿الحيوٰة الدنيا﴾ لا ينتفعون به فى الآخرة لعدم صرفهم[1] له فى أوامر الله. فهو مصدر من المعنى مثل جلست قعودا ؛ ثم علل تمتيعهم بقوله تعالى: ﴿لنفتنهم فيه﴾ أى لنفعل بهم فعل المختبر، فيكون سبب عذابهم فى الدنيا بالعيش الضنك لما مضى[2]، و فى الآخرة بالعذاب الأليم، فصورته تغر[3] من لم يتأمل[4] معناها حق التأمل، فما أنت فيه خير مما هم فيه ﴿و رزق ربك﴾ الذى عود به أولياءه - و هو [5] فى دار السفر[5] - الكفاف الطيب المقرون بالتوفيق ﴿خير﴾ من زهرتهم، لأنه يكفى و لا يطغى و زادك ما يدنى إلى جنابه فيعلى ﴿و ابقى[6]﴾ فانه وفقك لصرفه فى الطاعة فكتب لك من أجره ما توفاه يوم الحاجة [6]على وجه لا يمكن أحدا من الخلق حصره، و يكون الدنيا كلها[7] فضلا عما فى أيديهم [أقل من قطرة - [8]] بالنسبة إلى بحره[9]، و إضافة رزقه دون رزقهم إليه سبحانه - و إن كان الكل منه - للتشريف، [10]و فى التعبير[11] بالرب إيذان[12] بالحل؛ و فيه[13] إشارة إلى ظهوره عليهم و حياته بعدهم كما هو الشأن فى الصالحين و الطالحين.

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مصرفهم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: خير (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يتالم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) العبارة من هنا إلى «بحره» ساقطة من ظ (٧) فى الأصل بياض ملأناه من مد (٨) زيد من مد (٩) فى مد: بحر (١٠) العبارة من هنا إلى «بالحل» ساقطة من ظ (١١) من مد، و فى الأصل: التقيد (١٢) من مد، و فى الأصل: الايقان (١٣) بين سطرى ظ: الكلام السابق.

و لما

و لما أمر بتزكية النفس أتبعه الإعلام بأن منها تزكية الغير ، لأن ذلك أدل على الإخلاص ، و أجدر بالخلاص ، كما دل عليه مثل السفينة[1] الذى ضربه رسول الله صلى الله عليه و سلم لمن يأمر بالمعروف و من يتركه فقال : ﴿ و امر اهلك بالصلوٰة ﴾ كما كان أبوك إسماعيل عليه السلام ، ليقودهم إلى كل خير " ان الصلوٰة تنهى عن الفحشاء و المنكر " و لم يذكر الزكاة لدخولها فى التزهيد بالآية[2] التى قبلها .

و لما كانت شديدة على [3]النفس عظيمة[3] النفع . قال : ﴿ و اصطبر ﴾ بصيغة الافتعال ﴿ عليها[5] ﴾ [أى -[4]] على فعلها ، مفرغا نفسك لها و إن شغلتك عن بعض [أمر -[4]] المعاش ، لأنا ﴿ لانسئلك رزقا[5] ﴾ أى لا نكلفك طلبه لنفسك و لا لغيرك ؛ فان ما لنا من العظمة [يأبى -[5]] أن نكلفك أمرا ، و لانكفيك ما يشغلك عنه .

و لما كانت النفس بكليتها مصروفة إلى أمر المعاش ، كانت كأنها تقول : فمن أين يحصل الرزق ؟ فقال : ﴿ نحن ﴾ بنون العظمة ﴿ نرزقك[5] ﴾ لك و لهم ما قدرناه لكم من أى[6] جهة شئنا من ملكنا الواسع و إن كان يظن أنها[7] بعيدة ، و لاينفع فى الرزق حول محتال ، فاتقوا الله و أجملوا فى الطلب ، و لاتدأبوا فى تحصيله و السعى فيه ، فان كلا من الجاد فيه و المتهاون به لايناله أكثر مما قسمناه[8] له فى الأزل و لا أقل ،

(١) راجع مسند الإمام أحمد ٤/٢٦٩ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : فى الآية.
(٣ - ٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : آية (٧) بين سطرى ظ : أى الجهة .
(٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : قسمنا .

فالمتقى لله المقبل على ذكره واثق بوعده[1] قانع راض فهو فى أوسع سعة، و المعرض متوكل على سعيه فهو فى كد و شقاء و جهد و عناء أبدا

٤٨٥ / ﴿و العاقبة﴾ [2]أى الكاملة، و هى التى لاعاقبة / فى الحقيقه غيرها، و هى الحالة الجميلة المحمودة التى تعقب الأمور، أى تكون بعدها[2] ﴿للتقوىٰ ٥﴾

٥ أى لأهلها، و لامعولة[3] على الرزق و غيره توازى[4] الصلاة، فقد كان [رسول الله -[5]] صلى الله عليه و سلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة - أخرجه أحمد[6] عن حذيفة و علقه البغوى فى [آخر -[7]] سورة الحجر[8]، و قال الطبرانى فى معجمه الأوسط[9]: ثنا أحمد - هو ابن يحيى الحلوانى - ثنا سعيد - هو ابن سليمان - عن عبد الله بن [المبارك عن معمر عن

١٠ محمد بن حمزة عن عبد الله بن -[7]] سلام رضى الله عنه قال: كان النبى صلى الله عليه و سلم إذا نزل بأهله الضيق[10] أمرهم بالصلاة، [2]ثم قرأ "و امر اهلك بالصلوة[2]" - الآية. لا يروى هذا الحديث عن عبد الله بن سلام إلا بهذا الإسناد، [11]تفرد به معمر، و قال الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير فى تفسيره: و قال ابن أبى حاتم: حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن أبى زياد

١٥ القطران نا سيار نا جعفر عن ثابت قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بوحده (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من مد، و فى الأصل وظ: معوته (٤) من مد، و فى الأصل وظ: يوازى. (٥) زيد من مد (٦) راجع المسند ٥/٣٨٨ (٧) زيد من ظ و مد (٨) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٤/٦٤ (٩) راجع مجمع الزوائد ٧/٦٧ (١٠) فى المجمع: الضيف (١١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها.

إذا أصابته خصاصة نادى أهله : يا أهلاه ! صلوا صلوا ، قال ثابت : وكان الأنبياء إذا نزل بهم أمر فزعوا إلى الصلاة ، وقد روى الترمذى[1] وابن ماجه[2] كلاهما فى الزهد - وقال الترمذى : حسن غريب - من حديث عمران بن زائدة عن أبيه عن أبى خالد الوالبى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى وأسد فقرك ، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلا ولم أسد فقرك . وروى ابن ماجه[2] من حديث الضحاك عن الأسود عن ابن مسعود رضى الله عنه : سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : من جعل الهموم هما واحدا هم المعاد ، كفاه الله هم دنياه ، ومن تشعبت به الهموم[3] أحوال الدنيا لم يبال الله فى أىّ أوديتها[4] هلك . وروى[5] أيضا من حديث عمر بن سليمان عن عبد الرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت رضى الله عنه : سمعت[6] رسول الله[6] صلى الله عليه وسلم يقول : من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره ، وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب[7] له ، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره ، وجعل غناه فى قلبه ، وأتته الدنيا وهى راغمة .

ولما قدم فى هذه السورة ما ذكر من قصص الأولين[8] وأخبار

---

(١) ١/٢٩٨ (٢) باب الهم بالدنيا (٣) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد وسنن ابن ماجه فحذفناها (٤) فى السنن : اوديته (٥) بين سطرى ظ : اى ابن ماجه (٦-٦) من مد والسنن ، وفى الأصل وظ : نبيكم (٧) من ظ ومد والسنن ، وفى الأصل : كتبت (٨) زيد فى الأصل : والآخرين ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها .

الماضين ، مبكتا بذلك من أمر قريشا بالتعنت من اليهود ، فلم يقدروا على إنكار شيء منه و لا توجيه طعن إليه ، و خلله بدائع الحكم ، و غرائب المواعظ فى أرشق الكلم ، و ختم ذلك بأعظم داع إلى التقوى ، عجب منهم فى كونهم لا يذعنون للحق أنفة من المجاهرة بالباطل . أو خوفا من سوء العواقب ، فقال : ﴿ و قالوا ﴾ و لعله عطف على ما يقدر فى حيز قوله "افلم يهد لهم - [إلى قوله : ان فى ذلك لآيات" من أن يقال : و قد أبوا ذلك و لم يعدوا شيئا منه آية -[1]] : ﴿ لولا ﴾ [أى هلا و لم لا -[2]] ﴿ يأتينا ﴾ [أى محمد رسول الله صلى الله عليه و سلم -[2]] ﴿ بآية ﴾ [أى مثل آيات الأولين -[2]] ﴿ من ربه ﴾ المحسن إليه ، دالة على صدقه .

و لما تضمن هذا أنهم لم يعدوا شيئا من هذه البينات -[3] التى أدلى بها على من تقدمه - آية مكابرة[3] ، استحقوا الإنكار ، فقال : ﴿ او لم ﴾ أى ألم يأتهم من الآيات فى هذا القرآن مما خصصتك[4] به من الأحكام والحكم فى أبلغ المعانى بأرشق النظوم ما أعجز بلغاءهم ، و أبكم فصحاءهم ، فدل[5] / قطعا على أنه كلامى ، أو لم ﴿ تاتهم بينة ما ﴾ أى الأخبار التى ﴿ فى الصحف الاولى ﴾ من صحف إبراهيم و موسى و عيسى و داود عليهم السلام فى التوراة و الإنجيل و الزبور و غير ذلك من الكتب الإلهية

٤٨٦ / ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣-٣) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد ، و ما فى ظ إلا : آية (٤) فى مد : خصصك (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فدلت .

كقصتى آدم و موسى المذكورتين فى هذه السورة و غيرهما مما تقدم قصه لها[1] كما هى عند أهلها على وجوه[2] لايعلمها إلا قليل من حذاقهم من غير أن يخالط عالما منهم أو من غيرهم، و من غير أن يقدر أحد منهم على معارضة ما أتى به فى قصتها من النظم المنتج قطعا أنه[3] [لا -[4]] معلم له إلا الله المرسل له، و أن ما أتى به منها شاهد لما فى الصحف الأولى من ذلك ٥ بالصدق. لأنه كلام الله، فهو بينة على غيره لإعجازه، فجميع الكتب الإلهية مفتقرة إلى شهادته افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة، و لا افتقار له بعد العجز عنه إلى شىء أصلا، [5]فهو أعظم من آيات جميع [الأنبياء -[6]] اللاتى يطلبون مثلها بما لا يقايس.

و لما تبين بذلك أنهم يطعنون بما لاشبهة [7]لهم فيه[7] أصلا، أتبعه ما ١٠ كان لهم فيه نوع شبهة[8] لو وقع، فقال عاطفا [على -[6]] "و لولا كلمة": ﴿و لو انآ اهلكنٰهم﴾ معاملة لهم فى عصيانهم بما يقتضيه مقام العظمة[9] ﴿بعذاب من قبله﴾ أى من قبل هذا القرآن [المذكور فى الآية الماضية[10]

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: لها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: وجوحها. (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: لانه (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى «لايقايس» ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: له عليه (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: شبهته (٩) بين سطرى ظ: كقوله: من اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا، فان الذكر يصدق على القرآن. (١٠) بهامش ظ: أعنى: بينة ما فى الصحف الأولى، لأن هذا يدل على أن القرآن أتى بذلك.

وما قاربها. وفى قوله "ولا تعجل بالقرآن" صريحا، وكذا فى مبنى السورة "فما انزلنا عليك القرآن -[1] لتشقى" ﴿لقالوا﴾ [2]يوم القيامة[2]: ﴿ربنا﴾ يا من هو متصف بالإحسان إلينا ﴿لولآ﴾ [2]أى هلا ولم لا[2] ﴿ارسلت﴾ [2]ودلوا على عظمته وعلو رتبته بحرف الغاية فقالوا[2]: ٥ ﴿الينا رسولا﴾ [2]أى يأمرنا بطاعتك[2] ﴿فنتبع﴾ أى فيتسبب عنه أن نتبع ﴿ايتك﴾ التى يجيئنا بها.

[2]ولما كان اتباعهم لا يستغرق زمان القبل قالوا[2]: ﴿من قبل ان نذل﴾ بالعذاب هذا الذل ﴿ونخزى ۝﴾ بالمعاصى التى عملناها على جهل هذا الخزى فلأجل ذلك أرسلناك إليهم وأقمنا بك الحجة عليهم، [2]ونحن نترفق[2] ١٠ بهم، ونكشف عن قلوب من شئنا منهم ما عليها من الرين بما ننزل من الذكر ونجدد من الآيات حتى نصدق أمرك ونعلى شأنك [ونكثر أتباعك -[1]] وننصر أشياعك.

ولما علم بهذا أن إيمانهم كالممتنع، وجدالهم لا ينقطع، بل إن جاءهم الهدى طعنوا فيه، وإن عذبوا قبله تظلموا، كان كأنه قيل: ١٥ فما الذى أفعل معهم؟ فقال: ﴿قل كل﴾ أى منى ومنكم ﴿متربص﴾ أى منتظر حسن عاقبة أمره ودوائر الزمان على عدوه ﴿فتربصوا﴾ فانكم كالبهائم ليس لكم تأمل، ولا تجوزون

(١) زيد من ظ ومد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط بعد «ما عليها».

الجائز إلا عند وقوعه ﴿ فستعلمون ﴾ [1]أى عما قريب[1] بوعد لا خلف فيه عند[2] كشف الغطاء ﴿من اصحب الصراط﴾ [اى الطريق الواضح الواسع -[3]] ﴿ السوىّ ﴾ أى الذى [1]لاعوج فيه و لا تتو، فهو[1] من شأنه أن يوصل إلى المقاصد .

و لما كان صاحب الشىء قد لا يكون عالما بالشىء و لا عاملا ٥ بما يعلم منه، قال: ﴿ و من اهتدىٰ ﴾ أى [1]من الضلالة[1] فحصل على جميع ما ينفعه و اجتنب جميع ما يضره . نحن أم أنتم ؟ و لقد علموا يقينا ذلك يوم فتح مكة المشرفة . و اشتد اغتباطهم بالإسلام، و دخلوا رغبة فى الحلم و الكرم، و رهبة من السيف و النقم[4] . و كانوا بعد ذلك يعجبون من توقفهم عنه و نفرتهم منه، و هذا[5] معناه أنه صلى الله عليه و سلم ١٠ و من اتبعه هم السعداء الأغنياء الراضون فى الدنيا و الآخرة، و هو عين قوله تعالى "ما انزلنا عليك القرآن لتشقىٰ" فقد / انطبق الآخر على ٤٨٧ / الأول، و دل على أن العظيم يعامل بالحلم فلا يعجل - [6]و الله أعلم[6] .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من مد (٣) زيد من مد . (٤) بهامش ظ : أى طائفة منهم دخلت راغبة و أخرى راهبة فعلى هذا الواو فى قوله « و رهبة من السيف » بمعنى « أو » و المراد منه التقسيم (٥) بين سطرى ظ : أى قوله «من اصحب الصراط السوى» (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد.

* * * * *

سورة الأنبياء[1]

عليهم الصلاة و السلام

مقصودها الاستدلال على تحقق الساعة و قربها و لو بالموت ، و وقوع الحساب فيها على الجليل و الحقير ؛ لأن موجدها لا شريك له يعوقه عنها ، و هو من لا يبدل القول لديه ، و الدال على ذلك أوضح دلالة مجموع قصص جماعة ممن ذكر فيها من الأنبياء عليهم السلام ، و لا يستقل قصة منها استقلالا ظاهرا بجميع ذلك كما سنبين ، و لا يخلو قصة من قصصهم عن دلالة على شيء من ذلك فنسبت[2] إلى الكل - و الله الموفق .

﴿ بسم ﴾ الحكيم العدل الذى تمت قدرته و عم[3] أمره ﴿ الله[4] ﴾ [5]الملك الذى لا كفوء له[5] ﴿ الرحمن ﴾ الذى ساوى بين خلقه فى رحمة [إيجاده -[6]] ﴿ الرحيم ﴾ الذى ينجى من شاء من عباده فى معاده .

لما ختمت طه بانذارهم بأنهم سيعلمون الشقى و السعيد ، و كان هذا العلم تارة يكون فى الدنيا بكشف الحجاب بالإيمان ، و تارة بمعاينة ظهور الدين ، و تارة باحلال العذاب بازهاق الروح بقتل أو غيره ، و تارة ببعثها يوم الدين ، افتتحت هذه بأجلى ذلك و هو[7] اليوم الذى

---

(١) الحادية و العشرون من سور القرآن ، مكية مع الخلاف ، و هى مائة و اثنتا عشرة آية فى عد الكوفى و إحدى عشرة فى عد الباقين كما قاله الطبرسى و الدانى - روح المعانى ٥/٣٢٣ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فتسب ، و بين سطرى ظ : أى السورة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٤) تقدم فى ظ و مد على « الحكيم » (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم .

يتم

يتم فيه كشف الغطاء فينتقل فيه الخبر من علم اليقين إلى عين اليقين و حق اليقين و هو يوم الحساب ، فقال تعالى : ﴿ اقترب للناس ﴾ أى عامة أنتم و غيركم ﴿ حسابهم ﴾ أى فى يوم القيامة ؛ و أشار بصيغة الافتعال إلى مزيد القرب لأنه لا أمة بعد هذه ينتظر أمرها ، [1] و أخر الفاعل تهويلا لتذهب النفس فى تعيينه [2] كل مذهب ، و يصح أن يراد بالحساب الجزاء ، فيكون ذلك تهديدا بيوم بدر و الفتح و نحوهما ، و يكون المراد بالناس حينئذ قريشا أو جميع العرب ، و الحساب : إحصاء الشيء و المجازاة عليه بخير أو شر ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم [3] من أجل ما فى جبلاتهم من النوس ، و هو الاضطراب الموجب لعدم الثبات على حالة الأمن ، أنقذه الله منهم من هذا النقص و هم قليل جدا [1] ﴿ فى غفلة ﴾ فهى [4] تعليل لآخر تلك على ما تراه ، لأنهم إذا نشروا علموا ، و إذا أبادتهم الوقائع علموا هم بالموت ، و من بقى منهم بالذل المزيل لشماخة [5] الكبر ، أهلَ الحق من [أهل - [6]] الباطل . و قوله [1] : ﴿ معرضون ﴾ كالتعليل للغفلة ، أى أحاطت بهم الغفلة بسبب إعراضهم عما يأتيهم منا ، و سيأتى [ما يؤيد - [6]] هذا [3] فى قوله [3] آخرها " بل كنا ظلمين " [3] و إلا فالعقول قاضية بأنه لا بد من جزاء المحسن و المسيء [3] .

و قال الإمام أبو جعفر [ابن - [6]] الزبير فى برهانه : لما تقدم قوله

---

(١) العبارة من هنا إلى « كل مذهب » ساقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : تكيفه - كذا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) بين سطرى ظ : أى السورة (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : الشماخة (٦) زيد من مد (٧) زيد فى الأصل : و هم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

سبحانه "لا تمدن عينيك - إلى قوله : فستعلمون من اصحب الصراط السوى و من اهتدى" قال تعالى "اقترب للناس حسابهم و هم فى غفلة معرضون" أى لا تمدن عينيك إلى ذلك فانى جعلته فتنة لمن ناله بغير حق ، و نسأل عن قليل ذلك و كثيره "[و -[1]] لتسئلن يومئذ عن النعيم" و الأمر قريب "اقترب للناس حسابهم" و أيضا فانه تعالى لما قال "و تنذر به قوما لدا" و هم الشديدو / الخصومة فى الباطل ، [ثم -[2]] قال "و كم اهلكنا قبلهم من قرن" - إلى آخرها[3] ، استدعت[4] هذه الجملة بسط حال ، فابتدئت بتأنيسه عليه الصلاة و السلام و تسليته ، حتى لا يشق عليه لددهم ، فتضمنت سورة طه من هذا الغرض بشارته بقوله "ما انزلنا عليك القران لتشقى" و تأنيسه بقصة موسى عليه السلام و ما كان من حال بنى إسراءيل و انتهاء أمر فرعون و مكابدة موسى عليه السلام لرد فرعون و مرتكبه إلى أن وقصه الله و أهلكه ، و أورث عباده أرضهم و ديارهم ، ثم اتبعت بقصة آدم عليه السلام [ليرى نبيه صلى الله عليه و سلم سنته فى عباده حتى أن آدم عليه السلام -[2]] - و إن لم يكن امتحانه بذريته و لا مكابدتُه من[5] أبناء جنسه - فقد كابد من إبليس ما قصه الله فى كتابه ، و كل هذا تأنيس للنبى صلى الله عليه و سلم ، فانه إذا تقرر لديه أنها سنة الله تعالى فى عباده هان عليه لدد قريش

/ ٤٨٨

(١) زيدت الوا و من ظ و القرآن الكريم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : آخره (٤) فى ظ : استونت (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى .

و مكابدتهم ، ثم ابتدئت سورة الأنبياء ببقية هذا التأنيس ، فبين اقتراب الحساب و وقوع يوم الفصل المحمود فيه ثمرةُ ما كوبد فى ذات الله و المتمنى فيه أن لو كان ذلك أكثر و المشقة أصعب لجليل الثمرة و جميل الجزاء ، ثم اتبع ذلك سبحانه بعظات ، و دلائل و بسط آيات ، و أعلم أنه سبحانه قد سبقت سنته باهلاك من لم يكن منه الإيمان من متقدمى ٥ القرون و سالفى الأمم " ما آمنت قبلهم من قرية اهلكنها " و فى قوله " افهم يؤمنون " تعزية لرسول الله صلى الله عليه و سلم فى أمر قريش و من قبل ما[1] الكلام بسبيله . و قد تضمنت هذه السورة إلى ابتداء قصة إبراهيم عليه السلام من المواعظ و التنبيه على الدلالات و تحريك العباد إلى الاعتبار بها ما يعقب لمن اعتبر به التسليم و التفويض[2] لله سبحانه ١٠ والصبر على الابتلاء وهو من مقصود السورة ، و فى قوله " ثم صدقنهم الوعد فانجينهم و من نشاء و اهلكنا المسرفين " إجمال لما فسره النصف الأخير من هذه السورة[3] من تخليص الرسل عليهم السلام من قومهم و إهلاك من أسرف [و أفك - [4]] و لم يؤمن ، و فى ذكر تخليص الرسل و تأييدهم[5] الذى تضمنه النصف الأخير من لدن قوله " و لقد آتينا ابرهيم رشده " ١٥ إلى آخر السورة كمال الغرض المتقدم من التأنيس و ملاءمة ما تضمنته سورة طه و تفسير لمجمل " و كم اهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : التعريض .
(٣) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : تابدهم .

من احد او تسمع لهم ركزا" - [انتهى - [1]] .

و لما أخبر سبحانه عن غفلتهم و إعراضهم ، علل [2] ذلك بقوله : ﴿ ما ياتيهم ﴾ [3] و أعرق فى النفى بقوله [3] : ﴿ من ذكر ﴾ أى وحى يذكر [4] بما جعل فى العقول من الدلائل عليه سبحانه [3] و يوجب [3] [5] الشرف لمن اتبعه [5] ﴿ من ربهم ﴾ المحسن إليهم بخلقهم و تذكيرهم ، قديم [6] لكونه صفة له ﴿ محدث ﴾ إنزاله ﴿ الا استمعوه ﴾ أى قصدوا سماعه [3] و هو أجد الجد و أحق الحق [3] ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ يلعبون ﴾ أى يفعلون فعل اللاعبين بالاستهزاء به و وضعه [فى - [7]] غير مواضعه و جعلهم استماعهم له لإرادة الطعن فيه ، فهو [8] قريب من قوله " لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه [9] " ﴿ لاهية قلوبهم ﴾ أى غارقة [10] قلوبهم فى اللهو ، مشغولة به عما حداها إليه القرآن ، و نبهها عليه [11] الفرقان ، و حذرها منه البيان ؛ قال الرازى فى اللوامع : لاهية / : مشتغلة من لهيت ألهى ، أو طالبة للهو ، من لهوت ألهو - انتهى . و يمكن أن يراد بالناس مع هذا كله العموم و يكون من باب قوله تعالى " و ما قدروا الله حق قدره " / ٤٨٩

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى مد : دل على (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : مذكر (٥-٥) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد (٦) بهامش ظ : قول الشيخ « قديم » إشارة لقول من قال : يجوز أن الله تعالى تكلم بالقرآن غير مرتب الحروف دفعة واحدة فيكون قديما بحروفه (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : وهو (٩) سورة ٤١ آية ٢٦ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : فارقة (١١) فى مد : اليه .

و قوله صلى الله عليه و سلم « لا أحصى ثناء عليك » و أن يخص بالكفار .

و لما ذكر ما يظهرونه[1] فى حالة الاستماع من اللهو و اللعب ، ذكر ما يخفونه من التشاور فى الصد عنه[2] و إعمال الحيلة فى[3] التنفير منه و التوثق من بعضهم لبعض فى الثبات على المجانبة له فقال عاطفا[4] على "استمعوا": ﴿و اسروا﴾ [5]أى الناس المحدث عنهم[5] ﴿النجوى ق﴾ ٥ أى بالغوا فى إسرار كلامهم بسبب الذكر ، لأن المناجاة فى اللغة السر - كذا فى القاموس ، و قال الإمام أبو عبد الله القزاز فى ديوانه : و النجوى : الكلام بين اثنين كالسر و التشاور[6] .

[7]و لما أخبر بسوء ضمائرهم ، أبدل من ضميرهم ما دل على العلة[7] الحاملة لهم على ذلك فقال : ﴿الذين ظلموا ق﴾ ثم بين ما تناجوا به فقال : ١٠ ﴿هل﴾ أى فقالوا فى تناجيهم هذا ، معجبين من ادعائه النبوة مع مماثلته[8] لهم فى البشرية : هل ﴿هذآ﴾ الذى أتاكم بهذا الذكر ﴿الا بشر مثلكم ج﴾ أى فى خلقه و أخلاقه من الأكل و الشرب و الحياة و الموت ، فكيف يختص عنكم بالرسالة ؟ ما هذا الذى جاءكم به مما لا تقدرون على مثله

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يظهرون (٢) العبارة من هنا إلى « المجانبة له » ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل « و » (٤) فى مد : عطفا ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى « استمعوا » (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : التساول (٧-٧) ما بين الرقمين فى ظ : ثم وصفهم بالعلة (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : مماثلة .

إلا سحر لاحقيقة له ، فحينئذ تسبب عن هـذا الإنكار فى قولهم : ﴿ افتاتون السحر و انتم ﴾ أى و الحال أنكم ﴿ تبصرون ﴾ بأعينكم أنه بشر مثلكم ، و ببصائركم أن هذه الخوارق التى يأتى بها يمكن أن تكون[1] سحرا ، فيا لله العجب من قوم رأوا ما أعجزهم فلم يجوزوا أن يكون عن الرحمن الداعى إلى الفوز بالجنان[2] و جزموا بأنه من الشيطان الداعى إلى الهوان ، باصطلاء[3] النيران ، و العجب أيضا أنهم أنكروا الاختصاص بالرسالة مع مشاهدتهم لما يخص الله به بعض الناس عن بعض من الذكاء و الفطنة ، و حسن الخلائق و الأخلاق ، و القوة و الصحة ، و طول العمر و سعة الرزق - و نحو ذلك من القيافة و العيافة و الرجز و الكهانة ، و يأتون أصحابها لسؤالهم عما عندهم من ذلك من العلم[4] .

و لما كان الله تعالى لايقر من كذب عليه ، فضلا عن أن يصدقه و يؤيده ، و لا يخفى عليه كيد حتى يلزم منه[5] نقص ما أراده ، قال [4]دالا لهم على صدقه و منبها على موضع الحجة فى أمره - على قراءة حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم ، و[4]جوابا لمن كأنه قال : فما ذا يقال لهؤلاء؟ - [4]على قراءة الباقين[4] : ﴿ قال ربى ﴾ المحسن إلىّ[6] بتأييدى بكل ما يبين صدقى و يحمل على اتباعى ﴿ يعلم القول ﴾ سواء كان[7]

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : يكون (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الجنان (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : باصلا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى مد : عليه (٦) زيد فى الأصل : بتأييده و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كانه .

سرا أو جهرا .

[1] و لما كان من [2] يسمع من هاتين [2] المسافتين يسمع من أىّ مسافة فرضت غيرهما قطعا ، لم يحتج إلى جمع على أنه يصح إرادة الجنس فقال : ﴿ فى السمآء و الارض ﴾ على حد سواء ، لأنه لا مسافة بينه و بين / شىء من ذلك ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ السميع العليم ﴾ يسمع ٥ / ٤٩٠ كل ما يمكن سمعه ، و يعلم كل ما يمكن علمه من القول و غيره ، فهو يسمع سركم ، و يبطل مكركم ، و يسمع ما انسبه إليه من هذا الذكر ، [3] فلو لم يكن [3] عنه لزلزل [4] بى ، و قد جرت سنته القديمة فى الأولين ، باهلاك المكذبين ، و تأييد الصادقين ، و إنجائهم من زمن [5] نوح عليه السلام إلى هذا الزمان و لعلمه بحال الفريقين ، و ستعلمون لمن تكون له [6] العاقبة ، ١٠ و قد أشار إلى هذا فى هؤلاء الأنبياء عليهم السلام [7] الذين دل بقصصهم فى هذه السورة على ما تقدمها من الأحكام و القضايا " و كنا به علمين " " اذ قال لابيه و قومه و كنا لحكمهم شهدين " و " كنا بكل شىء علمين " " و ان ادرى اقريب ام بعد ما توعدون " " انه يعلم الجهر من القول و يعلم ما تكتمون " " ان الارض يرثها عبادى ١٥ الصلحون " " ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم " .

---

(١) العبارة من هنا إلى « الجنس فقال » ساقطة من ظ (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : يستمع ما بين (٣-٣) من ظ و مد ، فى الأصل : فلم يكن (٤) من مد ، و فى الأصل وظ : تزلزل (٥) سقط من مد (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .

و لما كانت أقوالهم فى أمر القرآن قد اضطربت، و الاضطراب من أمارات الباطل، و كان وصفهم له بأنه سحر مما يهول السامع و يعلم منه[1] أنه معجز، فربما أدى إلى الاستبصار فى أمره، أخبر أنهم نزلوا به عن رتبة السحر على سبيل الاضطراب فقال: ﴿بل قالوآ﴾ أى عن هذا الذكر الحكيم أنه ﴿اضغاث احلام﴾ أى تخاليط نائم مبناه الباطل و إن كان ربما صدق بالإخبار ببعض المغيبات التى كشف الزمان عن أنها كما أخبر القرآن، ثم نزلوا عن ذلك إلى وصف موجب لأعظم النفرة عنه [و -[2]] عمن ظهر عنه فقالوا: ﴿بل افتراه﴾ [أى -[2]] [3]تعمد وصفه[3] من عند نفسه و نسبه إلى الله.

١٠ و لما كان ذلك[4] لا ينافى كون مضمونه[5] صادقا فى نفسه، قالوا: ﴿بل هو شاعر﴾ أى يخيل ما لا حقيقة له كغيره من الشعراء، تربص[6] به ريب المنون لأنه بشر كما تقدم، فلا بد أن يموت و نستريح بعد موته، و إليه أشار فى[1] آخر التى قبلها "قل كل متربص" إلى آخره، فاضطربت أقوالهم و عولوا أخيرا على قريب من السحر فى نفى الحقيقة.

١٥ و لما كانوا يصفون القرآن بجميع هذه الأوصاف جملة، يقولون لكل شخص ما رأوه أنسب له منها، نبه الله سبحانه كل من له لب على بطلانها كلها[1] بتناقضها بحرف الإضراب[7] إشارة إلى أنه كان يجب على

(١) سقط من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) بين سطرى ظ: أى كونه مفترى (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: مضمون.
(٦) من مد، و فى الأصل: يتربص، وفى ظ غير منقوط (٧) فى ظ: الاضطراب.

من

من قالها على قلة عقله و عدم حيائه أن لا ينتقل إلى قول منها إلا بعد الإعراض عن الذى قبله ، و أنه مما يضرب عنه لكونه غلطا ، ما قيل إلا عن سبق لسان و عدم تأمل[1]، سترا لعناده و تدليسا لفجوره ، و لو فعل ذلك لكانت جـديرة بانكشاف بطلانها بمجرد الانتقـال فكيف عند اجتماعها[2] . و لما كانت نسبته إلى الشعر أضعفها شأنا ، و أوضحها بطلانا ، لم يحتج إلى إضراب[3] عنه ، و عبروا فى الأضغاث بوصف القرآن تأكيدا لعيبه[4] ، و فى الافتراء و الشعر بوصفه صلى الله عليه و سلم لذلك[5] .

و لما أنتج لهم ذلك على زعمهم القدح فى أعظم المعجزات ، سببوا عن هـذا القدح طلب آية فقالوا : ﴿ فلياتنا ﴾ أى دليلا على رسالته / ﴿ بآية ﴾ أى لأنا قد بينا بطعننا أن القرآن ليس بآية ؛ ثم خيلوا النصفة ١٠ / ٤٩١ بقولهم : ﴿ كما ﴾ [6] أى مثل ما ، و بنوا الفعل للمفعول إشارة إلى أنه متى صحت الرسالة كان ذلك بزعمهم من غير تخلف لشىء أصلا فقالوا[6] : ﴿ ارسل الاولون ﴾ [6] أى بالآيات مثل تسبيح الجبال ، و تسخير الريح ، و تفجير الماء ، و إحياء الموتى ، و هذا تناقض آخر فى اعترافهم برسالة الأولين مع معرفتهم أنهم بشر ، و إنكارهم رسالته صلى الله عليه و سلم ١٥ لكونه بشرا ، و لم يستحيوا [6]بعد التناقض[6] من المكابرة فيما أتاهم به من

(١) فى مد : التامل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجتماعهما (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اضطراب (٤) بين سطرى ظ : القرآن (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بذلك ؛ و بين سطرى ظ : للتأكيد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

انشقاق القمر ، و تسبيح الحصى ، و نبع الماء . و القرآن المعجز ، مع كونه أميا - إلى غير ذلك .

و لما أشار سبحانه إلى فساد طعنهم بما جعله هباء منثورا ، و تضمن قولهم الذى سببوه عنه[1] القرار بالرسل البشريين و آياتهم ، أتبعه بيان ما عليهم فيه ، فبين أولا أن الآيات تكون سببا للهلاك ، فقال جوابا لمن[2] كأنه قال : رب أجبهم [3] إلى ما [3] اقترحوه ليؤمنوا : ﴿ ما آمنت ﴾ أى بالإجابة إلى الآيات المقترحات .

[4] و لما كان المراد استغراق الزمان ، جرد الظرف عن الخافض فقال[4] : ﴿ قبلهم ﴾ [4] أى قبل كفار مكة المقترحين عليك ، و أعرق فى النفى فقال[4] : ﴿ من قرية ﴾ [5] و لما كان المقصود التهويل فى الإهلاك ، و كان إهلاك القرية دالا على إهلاك أهلها من غير عكس[5] ، دل على إهلاك جميع المقترحين تحذيرا من مثل حالهم بوصفها بقوله [6] فى مظهر العظمة [المقتضى - [7]] لإهلاك المعاندين : ﴿ اهلكناها ﴾ أى على كثرتهم " و كم اهلكنا من القرون من بعد نوح " ، " و ما اهلكنا من قرية الا لها منذرون " ، " و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " [8] و ما من الأنبياء

---

(١) بين سطرى ظ : الطعن (٢) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥ - ٥) ما بين الرقمين فى ظ : ثم (٦) العبارة من هنا إلى «المعاندين» ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨) سقطت الواو من مد ، و الحديث رواه البخارى و قد مر عليه التعليق .

نبي إلا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر » و أشار بذلك[1] إلى أنه لم يسلم عند البأس إلا قرية واحدة و هم قوم يونس لأنهم آمنوا عند رؤية المخايل[2] و قيل الشروع فى الإهلاك . [و هو إشارة إلى أن سبب الإيمان مشيئته سبحانه لا الآيات -[3]] .

و لما كانوا كمن قبلهم إن لم يكونوا دونهم ، حسن الإنكار فى قوله : ٥ ﴿افهم يؤمنون ۝﴾ أى كلا ! بل لا يؤمنون و لو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم حين لا ينفع الإيمان ، [4]و قد قضينا فى الأزل أن لا نستأصل هذه الأمة إكراما لنبيها ، فنحن لا نجيبهم إلى المقترحات لذلك[4] .

و لما بين أولا أن الآيات تكون سببا للهلاك ، فلا فائدة [لهم -[5]] فى الإجابة إلى ما اقترحوه منها بعد بطلان ما قدحوا به [فى -[5]] القرآن، بين ١٠ ثانيا بطلان ما قدحوا به فى الرسول بكونه بشرا ، بأن الرسل الذين كانوا من قبله كانوا باقرارهم من جنسه ، فما لهم أن ينكروا رسالته و هو مثلهم ، بل عليهم أن يعترفوا[6] له عند ما أظهر من المعجز كما اعترفوا لأولئك ، كل ذلك فطما[7] عن أن يتمنى أحد إجابتهم إلى التأييد بملك ظاهر ، فقال عاطفا على "ما[8] امنت" : ﴿و ما ارسلنا﴾ . ١٥

و لما كان السياق لإنكار أن يكون النبى بشرا ، و كان الدهر كله ما خلا قط جزء منه [9]من رسالة[9] ، إما برسول قائم . و إما بتناقل أخباره ،

(١) بين سطرى ظ : أى بتقييدها بالإهلاك (٢) بين سطرى ظ : المظان (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعتروا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظيما ؛ و بين سطرى ظ : منعا (٨) سقط من مد (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : برسالة .

كان تعميم الزمان أنسب فقال من غير حرف [جر -[1]] : ﴿ قبلك ﴾ أى فى جميع الزمان الذى[2] تقدم زمانك فى جميع طوائف البشر ﴿ الا رجالا نوحىّ اليهم ﴾ بالملائكة سرا من غير أن يطلع / على ذلك ٤٩٢ / الملك غيرهم [3] كما اقتضته العظمة من التخصيص و الاختيار[4] و الإسرار عن الأغيار ، و ذلك من نعم الله على خلقه ، لأن جعل الرسل من البشر أمكن للتلقى منهم و الأخذ عنهم .

و لما لم يكن لهم طريق فى علم هذا إن لم يقبلوا خبره عن القرآن إلا سؤال من كانوا يفزعون إليهم من أهل الكتاب ليشايعوهم[5] على ما هم عليه من الشك و الارتياب ، قال : ﴿ فسئلوآ اهل الذكر ﴾ ثم نبه على أنهم غير محتاجين فيه[6] إلى السؤال بما كان قد بلغهم على الآجال من أحوال موسى و عيسى و إبراهيم و إسماعيل و غيرهم عليهم الصلاة و السلام بقوله ، معبرا بأداة الشك محركا لهم إلى المعالى : ﴿ ان كنتم ﴾ [7] أى بجبلاتكم[7] ﴿ لا تعلمون ﴾ أى لا أهلية لكم فى اقتناص علم ، بل كنتم أهل تقليد محض و تبع صرف .

و لما بين أنه على سنة من مضى من الرسل فى كونه رجلا ، بين

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل بعده : تقدم زمان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) العبارة من هنا إلى « الأغيار » ساقطة من ظ . (٤) من مد ، و فى الأصل : الاخيار (٥) من مد ، و فى الأصل : ليتابعوهم ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى « و الارتياب » (٦) بين سطرى ظ : العلم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أنه على سنتهم فى جميع الأوصاف التى حكم بها على البشر من العيش والموت فقال: ﴿ وما جعلناهم ﴾ [١] أى الرسل الذين اخترنا بعثهم إلى الناس ليأمروهم بأوامرنا . ولما كان السبب فى الأكل ترتيب هذا الهيكل الحيوانى على ما هو عليه لا كونه متكثرا ، وحد فقال[١]: ﴿ جسدا ﴾ [أى ذوى جسد لحم ودم -[٢]] متصفين بأنهم ﴿ لا يأكلون الطعام ﴾ ٥ بل جعلناهم أجسادا يأكلون ويشربون ، وليس ذلك بمانع من إرسالهم ؛ [٣]قال ابن فارس فى المجمل: [و -[٢]] فى كتاب الخليل: إن[٤] الجسد لا يقال لغير[٥] الإنسان من خلق الأرض . ثم عطف على الأول[٦] قوله: ﴿ وما كانوا خالدين ﴾ [١]أى بأجسادهم[١]، بل ماتوا كما مات الناس قبلهم وبعدهم . [١]أى لم يكن ذلك فى جبلتهم[١] وإنما تميزوا عن الناس ١٠ بما يأتيهم عن الله سبحانه . ورسولكم صلى الله عليه وسلم ليس بخالد ، فتربصوا كما أشار إليه ختم طه فانه متربص بكم وأنتم عاصون للملك الذى اقترب حسابه لخلقه وهو مطيع له ، فأيكم أحق بالأمن ؟

ولما بين أن الرسل كالمرسل إليهم بشر غير خالدين ، بين سنته فيهم وفى أممهم ترغيبا لمن اتبع . وترهيبا لمن امتنع ، فقال عاطفا بأداة ١٥ التراخى فى مظهر العظمة على ما [٢] أرشد إليه[٧] التقدير من مثل : بل جعلناهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى « خلق الأرض » ساقطة من ظ (٤) من مد ، وفى الأصل : لان (٥) من مد ، وفى الأصل : بغير (٦) بين سطرى ظ : أى الكلام الأول (٧-٧) من ظ ومد ، وفى الأصل « ارسل عليه .

جسدا يأكلون و يشربون ، و يعيشون إلى انقضاء آجالهم و يموتون ، و أرسلناهم إلى أممهم فحذروهم و أنذروهم و كلموهم[1] كما أمرناهم ، و وعدناهم أن من آمن بهم أسعدناه ، و من كفر و استمر أشقيناه ، و أنا نهلك من أردنا من المكذبين ، فآمن بهم بعض و كفر آخرون ؛ فلم نعاجلهم بالأخذ بل صبرنا عليهم ، و طال بلاء رسلنا بهم ﴿ ثم صدقناهم ﴾ [2]بما اقتضت عظمتنا ، و أكد الأمر بتعدية الفعل من غير حرف الجر فقال[2] : ﴿ الوعد ﴾ [2]أى بإنجائهم[2] ؛ و أشار بأداة التراخى إلى أنهم طال بلاؤهم بهم و صبرهم عليهم ، ثم احل بهم سطوته ، و أراهم عظمته ، و لذا قال مسببا عن ذلك : ﴿ فأنجيناهم ﴾ أى الرسل بعظمتنا[3] ، [ولكون السياق لأنهم فى غاية الغفلة التى نشأ عنها التكذيب البليغ الذى اقتضى تنويع القول به إلى سحر و أضغاث و افتراء و شعر ، فاقتضى مقابلته بصدق الوعد منه سبحانه ، عبر بالإنجاء الذى هو إقلاع من وجدة العذاب فى غاية السرعة - [4]] ﴿ و من نشاء ﴾ أى من تابعيهم . [5]إشارة إلى أن سبب الإنجاء المشيئة [1]لا أن[6] التصديق موجب له ، لأنه لا يجب عليه سبحانه و تعالى شىء[7] ﴿ و اهلكنا ﴾ [أى بما يقتضيه الحكمة -[4]] ﴿ المسرفين ﴾ كلهم الذين علمنا أن الإسراف لهم وصف لازم لا ينفكون / عنه . ٤٩٣ /

(١) من مد ، و فى الاصل و ظ : علموهم (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) سقط من ظ (٤) زيد من مد (٥) العبارة من هنا إلى « و تعالى شىء » ساقطة من ظ (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : لان (٧) من مد ، و فى الأصل : شيئا .

و لما انقضى ما لزمهم بسبب الإقرار برسلية البشر من الإقرار برسلية رسولهم صلى الله عليه و سلم لكونه مساويا لهم فى النوع و الإتيان بالمعجز، و ما فعل بهم و بأممهم ترغيبا و ترهيبا. و ختم ذلك بأنه أباد المسرفين، و محا ذكرهم إلا بالشر، التفت إلى الذكر الذى طعنوا فيه. فقال مجيبا لمن كأنه قال: هذا الجواب عن الطعن فى الرسول قد عرف، فما الجواب عن الطعن فى الذكر؟ معرضا عن جوابهم لما تقدم من الإشارة بحرف الإضراب[1] إلى أن ما طعنوا به فيه لايقوله عاقل، مبينا لما[2] لهم فيه من الغبطة التى هم لها رادون، و النعمة التى هم بها كافرون: ﴿لقد﴾ أى و عزتنا لقد[3] ﴿ انزلنآ ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ اليكم ﴾ يامعشر قريش بل العرب قاطبة ﴿ كتبا ﴾ أى جامعا لجميع المحاسن لايغسله الماء و لايحرقه[4] النار ﴿فيه ذكركم[5] ﴾ طوال الدهر بالخير إن أطعتم، و الشر إن عصيتم، و به شرفكم على سائر الأمم بشرف ما فيه من مكارم الأخلاق التى كنتم تتفاخرون بها و بشرف نبيكم الذى تقولون عليه الأباطيل، و تكثرون فيه القال و القيل.

و لما تم ذلك[6] على هذا الوجه، نبه أنه يتعين على كل ذى لب الإقبال عليه و المسارعة إليه. فحسن جدا قوله منكرا عليهم منبها على أن علم ذلك لا يحتاج إلى غير العقل المجرد عن الهوى: ﴿ افلا تعقلون ﴾.

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الاضطراب (٢) فى مد: ما (٣) سقط من مد (٤) بين سطرى ظ: لرسوخه فى القلوب (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) بين سطرى ظ: أى الجواب عن القرآن.

ولما كان التقدير : فإن عدلتم بقبوله[1] شرفناكم . وإن ظلمتم برده عنادا أهلكناكم كما أهلكنا من كان قبلكم ، عطف عليه قوله : ﴿ وكم قصمنا ﴾ [2]أي بعظمتنا[2] ﴿ من قرية ﴾ جعلناها كالشيء اليابس الذي كسر فتباينت أجزاؤه ، والإناء الذي فت فانكب ماؤه ؛ وأشار بالقصم[3] الذي هو[4] أفظع الكسر إلى أنها كانت باجتماع الكلمة وشدة الشكيمة كالحجر الرخام في الصلابة والقوة . و'كم' في هذا السياق يقتضي الكثرة ، ثم علل إهلاكها [وانتقالها -[5]] بقوله : ﴿ كانت ظالمة ﴾ ثم بين الغنى عنها بقوله : ﴿ وأنشأنا ﴾ [6]أي بعظمتنا .

ولما كان الدهر لم يخل[7] قط بعد آدم من إنشاء[8] وإفناء[8] ، فكان المراد أن الإنشاء بعد الإهلاك يستغرق الزمان على التعاقب ، بيانا لأن المهلكين ضروا أنفسهم من غير افتقار إليهم ، أسقط الجار فقال : ﴿ بعدها قوما ﴾ [2]أي أقوياء ، وحقق أنهم لا قرابة قريبة بينهم بقوله[2] : ﴿ آخرين ﴾ ثم بين[9] حالها عند إحلال البأس بها فقال : ﴿ فلما أحسوا ﴾ أي أدرك أهلها بحواسهم ﴿ بأسنا ﴾ أي بما فيه[10] من العظمة ﴿ إذا هم ﴾

---

(١) زيد في الأصل : بقوله ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ ومد ، وفي الأصل : بالقصى ، والعبارة من بعده إلى « أفظع الكسر » ساقطة من ظ (٤) زيد في الأصل : اعظم ، ولم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٥) زيد من مد (٦) العبارة من هنا إلى « الجار فقال » ساقطة من ظ (٧) من مد ، وفي الأصل : لم يخلوا (٨-٨) بياض في الأصل ، ملأناه من مد (٩) زيد في الأصل : اهلاكها ، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها (١٠) سقط من مد .

[1]أى من غير توقف[2] أصلا ﴿ منها ﴾ [3]أى القرية[3] ﴿ يركضون[4] ﴾ هاربين عنها [3]مسرعين كمن يركض الخيل - أى يحركها - للعدو[3]، بعد تجبرهم على الرسل و قولهم لهم "لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن فى ملتنا" فناداهم لسان الحال [3]تقريعا و تبشيعا لحالهم و تفظيعا[3]: ﴿ لا تركضوا ﴾ [4]و صور التهكم بهم بأعظم صوره فقال[4]: ﴿ و ارجعوا ﴾ إلى قريتكم ٥ ﴿ الى ما ﴾ .

[5]و لما كان التأسيف إنما هو على العيش الرافه[2] لا على كونه من معط معين، بنى للفعول قوله: ﴿ اترفتم فيه ﴾ أى[6] منها، [7]و يجوز أن يكون بنى للجهول إشارة إلى [غفلتهم عن العلم لمن أترفهم أو إلى -[8]] أنهم كانوا ينسبون [نعمتهم -[8]] إلى قواهم، و لو عدوها من الله ١٠ [9]لشكروه فنفعهم[9] /٥ [و لما كان أعظم ما يؤسف عليه بعد العيش الناعم المسكن، قال -[8]]: ﴿ و مسكنكم ﴾ أى[6] التى كنتم تفتخرون بها على الضعفاء من عبادى بما[10] أتقنتم من بنائها، و أوسعتم من فنائها، و عليتم من مقاعدها، و حسنتم من مشاهدها و معاهدها ﴿ لعلكم تسئلون ٥ ﴾ فى /٤٩٤

(١) العبارة من هنا إلى « أصلا » ساقطة من ظ (٢) بياض فى الأصل، ملأناه من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد (٥) العبارة من هنا إلى « للفعول قوله » ساقطة من ظ (٦) سقط من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « فنفعهم » ساقطة من ظ (٨) زيد من مد. (٩-٩) من مد، و فى الأصل: ليشكروه فنفعتهم؛ و العبارة من « بنى للجهول» إلى هنا متكررة فى الأصل فقط (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: ما.

الإيمان بما[1] كنتم تسالون . فتابوا بما عندكم من الأنفة و مزيد الحمية و العظمة ، أو تسألون فى الحوائج و المهمات ، كما يكون الرؤساء فى مقاعدهم العلية ، و مراتبهم البهية ، فيجيبون سائلهم بما شاؤا على تؤودة و أحوال مهل تخالف أحوال الراكض العجل " او لم تكونوا اقسمتم من قبل ما لكم من زوال " .

و لما كان كأنه قيل : بما اجابوا هذا المقال ؟ قيل : ﴿ قالوا ﴾ حين لا نفع لقولهم عند نزول البأس : ﴿ يٰويلنآ ﴾ [2]إشارة إلى أنه حل بهم لأنه لا ينادى إلا القريب ، و ترفقا له كما يقول الشخص[2] لمن يضربه[2] : ياسيدى - كأنه يستغيث به ليكف عنه ، و ذلك غباوة منهم ، و عمى عن الذى أحله بهم ، لأنهم كالبهائم لا ينظرون إلا السبب الأقرب[4] ؛ ثم علالوا [5]حلوله بهم[5] تأكيدا لترفقهم[6] بقولهم : ﴿ انا كنا ﴾ [7] أى جبلة [لنا - [8]] و طبعا ﴿ ظٰلمين ﴾ [9]حيث كذبنا الرسل ، و عصينا أمر ربنا . فاعترفوا حيث لم ينفعهم الاعتراف لفوات محله[9] ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن إحلالنا ذلك البأس بهم أنه ما ﴿ زالت تلك ﴾ [9] أى الدعوة البعيدة عن الخير و السلامة . و هى قولهم : يا ويلنا[9] ﴿ دعوٰهم ﴾ [10]يرددونها لا يكون

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كما (٢ - ٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط بعد «جبلة لنا و طبعا» (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : حربه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاقربون (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : حلولهم به (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتوقفهم (٧) العبارة من هنا إلى « و طبعا » ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) العبارة من هنا إلى « غيرها » ساقطة من ظ .

[دعوى-[1]] لهم غيرها ، لأن الويل ملازم لهم غير منفك عنهم ، و ترفقهم له غير نافعهم ﴿حتى جعلناهم﴾ [2] بما لنا من العظمة [2] ﴿حصيدا﴾ كالزرع المحصود .

[3] و لما كان هذا و ما بعده [مثل -[1]] حلو حامض فى الرمان ، جعلا خبرا واحدا ليكون 'جعل' مقتصرا على مفعولين فقال: ٥ ﴿خامدين﴾ [4] أى جامعين [5] للانقطاع و الخفوت ، لاحركة لهم و لاصوت ، كالنار المضطرمة [6] إذا بطل لهيبها ثم جمرها و صارت رمادا ، و لم يك [7] ينفعهم إيمانهم و اعترافهم بالظلم و خضوعهم لما رأوا بأسنا .

و لما ذمهم باللعب و بين أنه يفعل فى [8] إهلاك الظالم و إنجاء العدل [9] فعل الجاد [10] باحقاق الحق بالانتقام لأهله ، و إزهاق الباطل باجتثاثه [11] من ١٠ أصله ، فكان التقدير : و ما ينبغى لنا أن نفعل غير ذلك من أفعال الحكمة العرية عن اللعب ، [فلم نخلق الناس عبثا يعصوننا و لا يؤاخذون -[1]] ، عطف عليه قوله : ﴿و ما خلقنا﴾ [1] أى بعظمتنا التى تقتضى الجد و لا بد .

و لما كان خلق سماء واحدة يكفى فى الدلالة على الحكمة فكيف با كثر منها ! وحد فقال [2] : ﴿السماء﴾ أى على علوها و إحكامها ١٥

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «مفعولين فقال» ساقطة من ظ (٤) العبارة من هنا إلى «و الخفوت» ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل :جامعة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل: المضرمة.
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل: لم يكن (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بى .
(٩) بهامش ظ : أى الرجل العدل (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : الجار .
(١١) بين سطرى ظ : اقتطاعه .

﴿ و الارض ﴾ على عظمها و اتساعها ﴿ و ما بينهما ﴾ مما دبرناه لتمام المنافع من أصناف البدائع و غرائب الصنائع[1] ﴿ لعبين ٥ ﴾ غير مريدين بذلك[2] تحقيق الحقائق و إبطال الأباطيل ، بل خلقنا [لكم -[3]] ذلك آية عظيمة كافية فى الوصول إلينا ليظهر العدل فى جزاء كل بما يستحق ، مشحونة بما يقوت الأجسام ، و يهيج النفوس ، و يشرح الصدور ، و يروح الأرواح و يبعث إلى الاعتبار . كلّ من له استبصار ، [4] للدلالة على حكمتنا و وجوب وحدانيتنا[4] فاتخذتم أنتم ما زاد[5] على الحاجة لهوا صادا عن الخير ، داعيا إلى الضير .

/٤٩٥ و لما نفى عنه اللعب ، أتبعه دليله فقال : ﴿ لواردنا ﴾ / [6] أى [على -[7]] عظمتنا ﴿ ان نتخذ لهوا ﴾ يكون لنا و منسوبا فى لهوه إلينا ، [8] و اللهو - قال الأصفهانى[9] : صرف الهم عن النفس بالقبيح . ﴿ لاتخذناه ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ من لدنآ ﴾ أى مما يليق أن ينسب إلى حضرتنا [4] بما لنا من تمام القدرة و كمال العظمة ، و باهر الجلالة و الحكمة[4] ، و ذلك بأن يكون محض لهو لا جد فيه أصلا ، و لا يخلطه شىء من الكدر ،

(١) من مد . و فى الأصل : المنافع ؛ و العبارة من « من أصناف » إلى هنا ساقطة من ظ و متكررة فى الأصل بعد « ولا يؤاخذون » ص ٣٩٧ س ١٢ (٢) بين سطرى ظ : أى خلق السماوات و الأرض و ما بينهما (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما زال (٦) العبارة من هنا إلى « عظمتنا » ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨) العبارة من هنا إلى « بالقبيح » ساقطة من ظ (٩) من مد ، و فى الأصل : الاصبهانى .

و لا يتوقف من يراه فى تسميته لهوا[1] . لا يكون له عنده اسم غير ذلك كما لو أن شمسا أخرى وجدت لم يتوقف أحد فى تسميتها شمسا كما قال تعالى فى السورة الماضية " و قد آتيناك من لدنا ذكرا " أى فهو بحيث لا يتوقف أحد فى أنه من عندنا . و أنه ذكر و موعظة كما مضى ، لكنا لم نرد ذلك فلم يكن . و ما اتخذتموه لهوا فانا خلقناه لغير ذلك بدليل ما فيه من الشواغل و المنغصات و القواطع فاتخذتموه أنتم من عند أنفسكم لهوا . فكان أكثره اكم ضرا و عليكم شرا ، و خص الحرالى "عند" بما ظهر . و " لدن " بما بطن . فعلى هـذا يكون المراد : من حضرتنا الخاصة بنا الخفية التى لا يطلع عليها غيرنا . لأن ما للملك لا يكون مبتذلا ، و كذلك لم يذكر إلا ما يتحقق المكذبون بالبعث رؤيته[2] فوحد السماء هنا و جمعها فى غير هذا الموضع لاقتضاء الحال ذلك .

و لما كان هذا مما ينبغى أن تنزه الحضرة القدوسية عنه و عن مجرد ذكره و لو على سبيل الفرض ، أشار إلى ذلك بأداة شرط أخرى فقال : ﴿ ان كنا فعلين ﴾ أى له . و لكنه[1] لا يليق بجنابنا فلم نفعله و لا نكون فاعلين له ﴿ بل ﴾[3] و إشعار لهذا المعنى بالقذف[4] و الدمغ تصويرا للحق بجعل الحق كأنه جرم[5] صلب كالصخرة قذف بها على [6]جرم رخو[6]

(١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : برويته (٣) العبارة من هنا إلى « أجوف فقال » ساقطة من ظ .
(٤) فى مد : بالحذف (٥) من مد ، و فى الأصل : حزم (٦ - ٦) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد .

يف فقال: ﴿نقذف﴾ أى إنما شأننا أن نرمى رميا شديدا ﴿بالحق﴾ الذى هو هذا الذكر الحكيم الذى أنزلناه جدا كله و ثابتا جميعه لا لهو فيه و لاباطل . و لاهو مقارب لشىء منهما ، [1]و لاتقدرون أن تتخذوا شيئا منه[1] لهوا اتخاذا يطابقكم عليه منصف ، فنحن نقذف به ﴿على الباطل﴾ الذى أحدثتموه من عند أنفسكم ﴿فيدمغه﴾ أى فيمحقه محق المكسور الدماغ ﴿فاذا هو﴾ فى الحال ﴿زاهق[4]﴾ أى ذاهب الروح أى هالك ؛ ثم عطف على ما أفادته "إذا" قوله: ﴿و لكم﴾ أى و إذا لكم [2]أيها المبطلون[2]! ﴿الويل مما تصفون ٥﴾ أى من وصفكم لكل شىء [3]بما تهوى أنفسكم من غير إذن منا[3] [لكم - [3]] ، لأنكم لا تقفون على حقائق الأمور . فان وصفتم القرآن بشىء مما تقدم ثم قذفنا عليه بما يبين[4] بطلانه ، بان لكل عاقل أنه يجب عليكم ان تنادموا الويل بميلكم[5] كل الميل ، و إن وصفتم الله أو الدنيا أو غيرهما[6] فكذلك إنما انتم متعلقون بقشور و ظواهر لايرضاها إلا بعيد عن العقل محجوب عن الإدراك ؛ ثم عطف أيضا على ما لزم من ذلك القذف قوله: ﴿و له من فى السمٰوٰت﴾ اى الأجرام العالية و هى ما تحت العرش . و جمع السماء هنا[7] لاقتضاء تعميم الملك ذلك .

و لما كانت عقولهم لاتدرك تعدد الأراضى ، وحد فقال[8]:

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لايقدروا ان يتخذوا منه شيئا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد . و فى الأصل : تبين . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يميل بكم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرها . (٧) سقط من ظ (٨) زيد فى مد : معيدا للوصول تأكيدا للاشارة إلى ما يلزمهم من ادعاء أن ما دعوه شريكا إما أن لايكون له ، و إما أن يكون المملوك شريكا . و كلاهما لايعقل ، و من ف .

﴿ و الارض ﴾ [أى و من فيها -[١]] ، و ذلك شامل - على أن التعبير [بمن -[٢]] لتغليب العقلاء - للسماوات و الأرض ، لأن الأرض فى السماوات ، / وكل سماء فى التى فوقها ، و العليا فى العرش و هو سبحانه ذو العرش العظيم - كما سيأتى قريبا ، فدل ذلك دلالة عقلية على أنه مالك الكل و ملكه[٣] . ٤٩٦ /

٥

و لما كانوا يصفون الملائكة بما لهم[٤] الويل من وصفه ، خصهم بالذكر معبرا عن خصوصيتهم و قربهم بالعندية *تمثيلا بما نعرف من أصفياء الملوك عند التعبير بعند من مجرد القرب فى المكانة لا فى المكان* فقال : ﴿ و من عنده[٥] ﴾ أى [هم له -[٦]] حال كونهم لا ﴿ يستكبرون عن عبادته ﴾ بنوع كبر طلبا و لا إيجادا ﴿ و لا يستحسرون ﴾ أى و لا يطلبون أن ١٠ ينقطعوا عن ذلك *فأنتج ذلك قوله* : ﴿ يسبحون ﴾ أى ينزهون[٧] المستحق للتنزيه *بأنواع التنزيه من الأقوال و الأفعال* [التى هى عادة ، فهى مقتضية مع نفى النقائص إثبات الكمال -[٦]] ﴿ الّيل و النهار ﴾ أى [فى جميع آناتهما -[٦] [دائما . [و لما لم يصرح هنا بانكار منهم ، و لا ما يستلزمه من الاستكبار ، لم يؤكد و لا عطف ١٥ بالواو فقال -[٦]] : ﴿ لا يفترون ﴾ عن ذلك فى وقت من الأوقات [بخلاف ما فى "فصلت[٨]" فان الأمر فيها مبنى على حد استكبارهم المستلزم

(١) زيد من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى ظ : ملكها (٤) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسبحون . (٨) آية ٣٨ .

لانكارهم المقتضى للتأكيد -[1]] ، وكل هذا فى حيز 'إذا' أى إذا أنزلنا شيئا من القرآن منبها على أقاويلكم مبينا لاباطيلكم ، فاجأه ظهور الزهوق للباطل ، والويل لكم والملك له سبحانه منزها عن كل نقص [ثابتا له بالعبادة كل كمال -[1]] ، ويجوز أن يعطف على "نقذف" .

٥ ولما كانوا عند هـذا البيان جديرين بأن يبادروا إلى التوحيد فلم يفعلوا ،كانوا حقيقين -[2]بعد الإعراض عنهم[2]- بالتوبيخ والتهكم والتعنيف[3] فقال تعالى : ﴿ ام اتخذوآ ﴾ أى أعلموا أن كل شيء تحت قهره نافذ فيه أمره فرجعوا عن ضلالهم ، أم لم يعلموه ، أو علموا[4] ما ينافيه فاتخذوا ﴿ آلهة ﴾ .

١٠ [2]ولما كانت معبوداتهم أصناما أرضية من حجارة ونحوها قال[2]: ﴿ من الارض ﴾ [أى -[1]] التى هم مشاهدون لانها وكل ما فيها طوع مشيئته ﴿ هم ﴾ [2]أى خاصة[2] ﴿ ينشرون ﴾ أى يحيون شيئا مما فيها من الأجسام الناميـة حتى يستحقوا بذلك صفة الإلهية ، [5]وإفادة[6] السياق الحصر تفيد أنه لو وقع الإنشاء لأحد على وجه يجوّز مشاركة[7] غيره له

١٥ لم يستحق العبادة ، وفى هذا الاستفهام تهكم بهم بالإشارة إلى أنهم عبدوا ما هو[8] [من -[1]] أدنى ما فى الأرض مع أنه ليس فى الأرض ما يستحق أن يعبد ، لأن الإنسان أشرف ما فيها ، ولا يخفى ما له من

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : التضييق (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : علموه (٥) العبارة من هنا إلى « الرتبة الشامخة » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : افـاد (٧) من مد ، و فى الأصل : بمشاركة (٨) من مد ، و فى الأصل : هم .

الحاجة المبعدة من تلك الرتبة الشماء .

و لما كان الجواب قطعا : لم يتخذوا آلهة بهذا الوصف ، و لاشيء غيره سبحانه يستحق وصف الإلهية ، أقام البرهان القطعي على صحة نفي إله غيره ببرهان التمانع ، و هو أشد برهان لأهل الكلام فقال : ﴿ لو كان فيهما ﴾ أي [في -[1]] السماوات و الأرض ، أي في تدبيرهما . ٥

[2]و لما كان الأصل فيما بعد كل من 'إلا' و 'غير' أن يكون من جنس ما قبلهما و إن كان مغايرا له في العين ، صح وضع كل منهما موضع الآخر ، و اختير هنا التعبير بأداة الاستثناء و المعنى للصفة إذ هي تابعة لجميع منكور غير محصور الإفادة إثبات الإلهية له سبحانه مع النفي عما عداه ، لأن 'لولا'- لما فيها من الامتناع - مفيدة للنفي ، فالكلام في قوة أن يقال «ما فيهما[2] ١٠ ﴿ آلهة الا الله ﴾ أي مدبرون غير من تفرد بصفات الكمال[2] ، و لو[4] كان فيهما آلهة غيره / ﴿ لفسدتا ﴾ لقضاء العادة بالخلاف بين المتكافئين المؤدي إلى ٤٩٧ / ذلك ، و لقضاء العقل بامكان الاختلاف اللازم منه [إمكان التمانع اللازم منه إمكان عجز أحدهما اللازم منه -[5]] أن لايكون إلها لحاجته ، [و إذا انتفى الجمع ، انتفى الاثنان من باب الأولى ، لأن الجمع كلما زاد حارب ١٥ بعضهم بعضا فقل الفساد كما نشاهد -[1]] .

[2]و لما أفاد هذا لدليل أنه لايجوز أن يكون المدبر لها إلا واحدا ، و أن ذلك الواحد لا يكون إلا الله قال[2] : ﴿ فسبحن الله ﴾ أي فتسبب عن

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « غيره » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و في الأصل : لما (٥) زيد من ظ و مد .

ذلك تنزه المتصف[1] بصفات الكمال ﴿ رب العرش ﴾ [أى -[2]]
[3]الذى هو نهاية المعلومات من الأجسام[4] . [و رب ما دونه من السماوات
و الأراضى و ما فيهما -[2]] المتفرد بالتدبير ، كما يتفرد الملك الجالس على
٥ السرير ﴿ عما يصفون ﴾ عما[5] يوهم نقصا ما ، ثم علل ذلك بقوله :
﴿ لا يسئل ﴾ [1] أى من سائل[6] [ما -[2]] ﴿ عما يفعل ﴾ أى لا يعترض
عليه لأنه لا كفوء له فى علم و لا حكمة ولا قدرة [ولا عظمة -[2]] ولا غير
ذلك ، [فليس فى شىء من أفعاله لإتقانها موضع سؤال -[2]] ، فمهما أراد كان
و مهما قال فالحسن الجميل ، فلو شاء لعذب أهل سماواته و أهل أرضه ،
١٠ و كان ذلك منه عدلا حسنا ، و هذا مما يتمادح به أولو الهمم العوال ،
كما قال عامر الخصفى[8] فى هاشم بن حرملة بن الأشعر :

أحيا أباه هاشم بن حرمله يوم الهباءات ويوم اليعمله
ترى الملوك عنده مغربله[9] يقتل ذا الذنب و من لاذنب له

قال ابن هشام فى مقدمة السيرة [10]قبل « أمر البسل[10] » بقليل : أنشدنى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المنعم (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد .
(٣) العبارة من هنا إلى « نهاية الأجسام » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : الاجساد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عما (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى سيرة ابن هشام ١/٣٥ : خصفة بن قيس بن عيلان ، و راجع أيضا تعليق المعلمى فى الأنساب ٥ /١٠٠ (٩) من ظ و مد و السيرة ، و فى الأصل : مغريه (١٠-١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : قتل الله الشاعر - كذا .

أبو عبيدة هذه الأبيات و حدثني أن هاشما قال لعامر : قل فيّ بيتا جيدا أثبك عليه ، فقال عامر البيت الأول فلم يعجب هاشما ، ثم قال البيت [١] الثاني فلم يعجبه ، [٢]ثم قال الثالث فلم يعجبه[٢] ، فلما قال [الرابع -[٣]] « و يقتل ذا الذنب و من لا ذنب له » أعجبه فأثابه عليه . [و من أعجب ما رأيت في حكم الأقدمين أن الشهرستاني قال في الملل : و قد سأل بعض الدهرية أرسطاطاليس فقال : إذا كان لم يزل و لا شيء غيره ثم أحدث العالم فلم أحدثه ؟ فقال : « لِمَ » غير جائز عليه ، لأن "لم" تقتضي علة و العلة محمولة فيما هي علة له من معلّ فوقه و لا علة فوقه ، و ليس بمركب فتحمل ذاته الملل ، فلم عنه منفية -[٤]] . ﴿[٥]و هم يسئلون[٥]﴾ [٦]من كل سائل لما في أفعالهم[٧] من الاختلال[٨] بل يمنعون[٩] عن أكثر ما يريدون .

و لما قام الدليل ، و وضح السبيل ، و اضمحل كل قال و قيل ، فانمحقت الأباطيل ، قال منبها لهم على ذلك : ﴿ ام ﴾ أي أرجعوا عن ضلالهم لما بان [لهم -[١٠]] غبهم فيه فوحدوا الله أم ﴿اتخذوا﴾ [١١]و نبه[١٢] على أن كل شيء دونه و أثبت أن آلهتهم بعض من ذلك باثبات

(١) سقط من السيرة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) زيد من السيرة .
(٤) زيد ما بين الحاجزين من مد (٥-٥) تأخر ما بين الرقمين في الأصل عن «من الاختلال» و الترتيب من مد (٦) العبارة من هنا إلى « الاختلال» ساقطة من ظ .
(٧) من مد ، و في الأصل : حالهم (٨) من مد . و في الأصل : الاختلاف .
(٩) من ظ و مد ، و في الأصل : يعفون (١٠) زيد من ظ و مد (١١) العبارة من هنا إلى « التهديد » ساقطة من ظ (١٢) من مد ، و في الأصل : فيه .

الجار فقال [منبها لهم -[1]] مكررا لما مضى على وجه أعم، طالبا البرهان تلويحا إلى التهديد: ﴿من دونه آلهة[4]﴾ من السماء أو[2] الأرض وغيرهما.

ولما كان جوابهم: اتخذنا[3]، ولا يرجع أمره بجوابهم فقال: ﴿قل هاتوا برهانكم ج﴾ على ما ادعيتموه من عقل أو نقل كما أثبت أنا ٥ ببرهان النقل المؤيد بالعقل.

ولما كان الكريم سبحانه لا يؤاخذ بمخالفة العقل ما لم ينضم إليه دليل النقل، أتبعه قوله [4]مشيرا إلى ما بعث الله به الرسل من الكتب[4]: ﴿هذا ذكر﴾ أي موعظة [وشرف -[1]] ﴿من معي﴾ ممن آمن بي وقد ثبت[5] أنه كلام الله بعجزكم عن معارضته فانظروا هل تجدون فيه شيئا ١٠ يؤيد أمركم ﴿وذكر﴾ أي وهذا ذكر ﴿من قبلي[4]﴾ فاسألوا أهل الكتابين هل في كتاب منهما برهان لكم.

ولما كانوا لا يجدون شبهة لذلك فضلا عن حجة اقتضى[6] الحال الإعراض عنهم غضبا، فكان كأنه قيل: لا يجدون لشيء من ذلك برهانا ﴿بل أكثرهم﴾ [أي هؤلاء المدعوين -[1]] ﴿لا يعلمون[1] الحق﴾ بل هم جهلة ١٥ والجهل أصل الشر والفساد[7]، [8]- فهم يكفرون تقليدا ﴿فهم﴾ أي فتسبب عن جهلهم ما افتتحنا به السورة من أنهم ﴿معرضون ه﴾ عن ذكرك وذكر

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفي الأصل «و» (٣) من ظ و مد، وفي الأصل: اتخذوا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد، وفي الأصل: أثبت (٦) من ظ و مد، وفي الأصل: اقتضت بذلك (٧) من مد، وفي الأصل: القساوة، والعبارة من «بل هم» إلى هنا ساقطة من ظ (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد.

من

من قبلك غفلة منهم عما يراد بهم و فعلا باللعب فعلَ القاصر عن درجة العقل، و بعضهم معاند مع علمه الحق]، [1]و بعضهم يعلم فيفهم - كما أفهمه التقييد بالأكثر[1].

و لما كان التقدير [بيانا لما فى الذكرين -[2]]: و لو أقبلوا على الذكر لعلموا أنا أوحينا إليك فى هذا الذكر أنه لا إله إلا أنا، [3]ما أرسلناك ٥ إلا لنوحى إليك[4] ذلك، عطف عليه قوله: ﴿و ما ارسلنا﴾ أى بعظمتنا.

و لما كان الإرسال بالفعل[5] غير مستغرق للزمان المتقدم لأنه كما أن الرسالة لا يقوم بها كل[6] أحد، فكذلك الإرسال لا يصلح له كل زمن، أثبت الجار فقال: ﴿من قبلك﴾ [7]و أعرق فى النفى فقال[7]: ﴿ من رسول ﴾ فى شيع الأولين ﴿ الا يوحى[8] اليه﴾ من عندنا ١٠ ﴿ انه لآ اله الا انا ﴾ و لم يقل: نحن، لئلا يجعلوها وسيلة إلى شبهة. و لذا قال: ﴿ فاعبدون ٥ ﴾ [9]بالإفراد، و ترك التصريح بالأمر /بالتخصيص ٤٩٨/ بالعبادة لفهمه من المقام و الحال، فانهم كانوا قبل ذلك يعبدونه و لكنهم يشركون[9] تنبيها على أن كل عبادة فيها شوب شرك عدم.

و لما دل على نفى مطلق الشريك عقلا و نقلا، فانتفى بذلك كل فرد ١٥ يطلق عليه هذا الاسم، عجب من ادعائهم الشركة المقيدة بالولد، فقال

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ، و تأخر فى الأصل عن « كان التقدير »، و الترتيب من مد (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى « إليك ذلك » ساقطة من ظ (٤) من مد، و فى الأصل: اليه (٥) سقط من ظ (٦) سقط من مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) و قراءة عاصم: نوحى (٩-٩) ما بين الرقمين متكرر فى الأصل فقط.

عاطفا على قوله "واسروا النجوى": ﴿ وقالوا ﴾ [1] قيل: الضمير لخزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، وقيل: لليهود [حيث - [2]] قالوا: إنه سبحانه صاهر الجن فكانت منهم الملائكة: ﴿ اتخذ ﴾ [3] أي تكلف كما يتكلف من يكون له ولد [3] ﴿ الرحمن ﴾ [أي - [2]] الذي كل موجود [4] من فيض نعمته ﴿ ولدا ﴾ .

[5] ولما كان ذلك أعظم الذنب، نزه نفسه سبحانه عنه بمجمع [6] التنزيه فقال: ﴿ سبحنه [4] ﴾ أي تنزه [عن - [2]] أن يكون له ولد، فان ذلك يقتضي المجانسة بينه وبين الولد، ولا يصح مجانسة النعمة للمنعم الحقيق [8] ﴿ بل ﴾ الذين جعلوهم له ولدا وهم الملائكة ﴿ عباد ﴾ من عباده، أنعم عليهم بالإيجاد كما أنعم على غيرهم [3] لا أولاد، فان العبودية تنافي الولدية [3] ﴿ مكرمون ﴾ [9] بالعصمة من الزلل، ولذلك فسر الإكرام بقوله: ﴿ لا يسبقونه ﴾ [أي لا يسبقون إذنه - [2]] ﴿ بالقول ﴾ أي [بقولهم، لأنهم - [2]] لا يقولون شيئا لم يأذن لهم فيه ويطلقه لهم .

ولما كان الواقف عما لم يؤذن له فيه قد [9] لا يفعل ما أمر به قال: ﴿ وهم بامره ﴾ [3] أي خاصة [3] إذا أمرهم ﴿ يعملون ﴾ لا بغيره [10] لأنهم

---

(١) العبارة من هنا إلى « منهم الملائكة » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد .
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من مد، وفي الأصل وظ : شيء .
(٥) العبارة من هنا إلى « التنزيه فقال » ساقطة من ظ (٦) من مد، وفي الأصل : ليجمع (٧) زيد من ظ ومد (٨) بهامش ظ : وجه العجز أنه سبحانه نفى المطلق فلزم منه نفي المقيد، فكيف يثبت المقيد مع نفي مطلقه (٩) من ظ ومد، وفي الأصل « و » (١٠) بهامش ظ : فالحصر استفيد من تقديم الجار أعني "بامره" .

فى غاية المراقبة له [١]فجمعوا فى الطاعة بين القول و الفعل و ذلك غاية الطاعة[١]؛ ثم علل[٢] إخباره بذلك[٣] بعلمه بما هذا المخبر به مندرج فيه فقال: ﴿ يعلم ما بين ايديهم ﴾ أى مما [لم -[٤]] يعملوه[٥] ﴿ و ما خلفهم ﴾ مما عملوه، [٦]أو يكون[٧] الأول لما عملوه و الثانى لما لم يعملوه، لأنك تطلع على ما قدامك و يخفى عليك ما خلفك. أى أن علمه محيط بأحوالهم ماضيا و حالا و مآلا. لا يخفى عليه خافية؛ ثم صرح بلازم الجملة الأولى[٨] فقال: ﴿و لايشفعون لا﴾ [أى -[٩]] [١]فى الدنيا و لا فى الآخرة[١] ﴿ الا لمن ارتضىٰ ﴾ فلا تطمعوا فى شفاعتهم لكم بغير رضاه، و بلازم الجملة الثانية[١٠] فقال: ﴿و هم من خشيته﴾ [١]أى لا من غيرها[١] ﴿مشفقون ه﴾ [١]أى دائما[١].

و لما نفى الشريك مطلقا ثم مقيدا بالولدية، أتبعه التهديد[١١] على ادعائه بتعذيب المتبوع الموجب لتعذيب التابع فقال: ﴿ و من يقل منهم ﴾ أى من كل من قام الدليل على أنه لايصلح للالهية [١٢]حتى العباد المكرمون الذين وصف كرامتهم[١٣] و قرب منزلتهم عنده و أثنى عليهم كما رواه البيهقى فى الخصائص من الدلائل عن ابن عباس رضى الله عنهما:

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) بهامش ظ: الإشارة فى قوله «بذلك» يرجع الى «و هم بأمره يعملون» (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ. و فى الأصل و مد: يعلموه (٦) العبارة من هنا إلى «ما خلفك» ساقطة من ظ (٧) من مد، و فى الأصل: ان (٨) بهامش ظ: أعنى «لايسبقونه بالقول» (٩) زيد من مد. (١٠) بهامش ظ: أى «وهم بأمره يعملون» (١١) فى مد: لتهديب (١٢) العبارة من هنا إلى «عنهما» ساقطة من ظ (١٣) من مد، و فى الأصل: كرمهم.

﴿ انى اله ﴾ [1] و لما كانت الرتب [2] التى تحت [3] رتبة الإلهية كثيرة ، بعّض ليدل على [4] من استغرق [4] بطريق الأولى فقال : ﴿ من دونه ﴾ أى من دون الله ﴿ فذلك ﴾ [أى - [5]] اللعين الذى لا يصلح للتقريب أصلا ما دام على ذلك ﴿ نجزيه ﴾ [أى - [5]] بعظمتنا [6] ﴿ جهنم [7] ﴾ لظلمه [8] ،

٥ فأفهم تعذيب مدعى الشرك تعذيب أتباعه من باب الأولى [9] ، [9] و هو على سبيل الفرض و التمثيل فى الملائكة من إحاطة علمه بأنه لا يكون . و ما ذاك إلا لقصد تفظيع أمر الشرك و تعظيم شأن التوحيد [9] .

[و فى دلائل النبوة للبيهقى فى باب التحدث بالنعمة و الخصائص أن هذه الآية مع قوله تعالى "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك" دليل على

١٠ فضله صلى الله عليه و سلم على أهل السماء - [5]] .

و لما كان مقتضيا للسؤال عن [10] غير هذا من الظلمة ، قيل :

٤٩٩ / ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء الفظيع جدا ﴿ نجزى الظلمين ﴾ [6] / كلهم ما داموا على ظلمهم .

و لما أنكر سبحانه اتخاذهم آلهة من دونه تارة بقيد كونها أرضية .

١٥ و تارة [11] بقيد كونها [11] سماوية ، و تارة مطلقة ، لتعم كلا من القسمين

---

(١) العبارة من هنا إلى « الأولى فقال » ساقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : المراتب (٣) من مد ، و فى الأصل : تجب (٤ - ٤) من مد ، و فى الأصل : الاستغراق (٥) زيد من مد (٦) سقط من ظ و مد ، و فى الأصل : لمظلمه (٨) بهامش ظ : لأن العظيم إذا عذب فكيف بأتباعه؟ (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (١١-١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بكونها .

وغيرهما، واستدل على ذلك كله بما لم تبق معه شبهة، فدل تفرده على أنه لا مانع له مما[1] يريد من بعث ولاغيره، وكان علمهم لايتجاوز ما فى السماوات والأرض، قال مستدلا على ذلك أيضا مقررا بمايعلمونه. أو ينبغى أن[2] يسألوا عنه حتى يعلموه لتمكنهم من ذلك "فاسئلوا اهل الذكر" جاليا له فى أسلوب العظمة: ﴿ اولم ﴾ أى ألم يعلموا ذلك بما أوضحنا من أدلته[3] و[4] لم يروا، ولكنه أظهر للدلالة على أنهم يغطون[5] أنوار الدلائل عنادا فقال: ﴿ يرو ﴾ أى يعلم علما هو كالمشاهدة ﴿ الذين كفروآ ﴾ أى ستروا ما يعلمون من قدرة الله فأدى ذلك إلى الاستهانة والتنقص[6] فصار ذنبهم غير مغفور[7]، وسعيهم غير مشكور، وحذف[8] ابن كثير[9] الواو العاطفة على ما قدرته مما هدى إليه السياق أيضا، لا للاستفهام بما دل عليه ختام الآية التى قبل من البعث والجزاء المقتضى للانكار على من أنكره، فكان المعنى على قراءته[10]: نجزى كل ظالم بعد البعث، ألم ير المنكرون لذلك قدرتنا عليه بما أبدعنا من الخلائق، وإنما أنكر عليهم عدم الرؤية بسبب أن الأجسام وإن تباينت لاينفصل بعضها عن بعض إلا بقادر يفصل بينها، فمن البديهى الاستحالة أن يرتفع شىء منها

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مما (٢) تكرر فى مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: دلالته (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: او (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يعظمون (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: النقص (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: مقصور (٨) فى ظ: اسقط (٩) بين سطرى ظ: المقرى (١٠) فى مد: ما قراته.

عن الآخر منفصلا عنه بغير رافع [١]لا سيما إذا كان المرتفع ثابتا[١] من غير عماد ، فكيف و هو عظيم الجسم كبير الجرم؟ و ذلك دال على تمام القدرة و الاختيار و التنزه عن كل شائبة نقص من مكافئ و غيره ، فصح الإنكار عليهم فى عدم علم ذلك بسبب أنهم عملوا بخلاف ما يعلمونه[٢]

٥ ﴿ ان السمٰوٰت و الارض ﴾ .

[٣]و لما كان المراد الإخبار عن الجماعتين لا عن الأفراد قال[٣] : ﴿ كانتا ﴾ [٤]و لما [٥]كان المراد[٥] شدة الاتصال و التلاحم ، أخبر عن ذلك بمصدر مفرد وضع موضع الاسم فقال : ﴿ رتقا ﴾ أى ملتزقتين[٦] زبدة واحدة على وجه الماء ، و الرتق فى اللغة : السد ، و الفتق : الشق[٧]

١٠ ﴿ ففتقنٰهما[٨] ﴾ [٣]أى بعظمتنا[٣] [أى -[٨]] بأن ميزنا إحديهما عن الأخرى بعد التكوين المتقن و فتقنا السماء بالمطر ، و الأرض بأنواع النبات بعد أن لم يكن شيء من ذلك ، و لا كان مقدورا على شيء منه لأحد غيرنا ؛ [٩]عن ابن عباس[١٠] رضى الله عنهما و عطاء و الضحاك و قتادة : كانتا شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله تعالى بينهما بالهواء . و عن مجاهد و أبى صالح

١٥ و السدى : كانتا [٩]تلفة طبقة[١١] واحدة ففتقها فجعلها سبع [٩]سماوات ، و كذلك

(١ - ١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط بعد «تمام القدرة» (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعلمون (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٤) العبارة من هنا إلى «الاسم فقال» ساقطة من ظ (٥ - ٥) فى مد : كانتا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ملتصقين (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشد . (٨) زيد من مد (٩) العبارة من هنا إلى «طبقات» ساقطة من ظ (١٠) راجع البحر المحيط ٦/٣٠٨ (١١) من مد و البحر ، و فى الأصل : طينة .

الأرض[١] كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع -[٢]] طبقات .

و لما كان خلق الماء سابقا على خلق السماوات و الأرض، قال: ﴿ و جعلنا ﴾ [أى بما اقتضته عظمتنا - [٣]] ﴿ من الماء ﴾ أى الهامر ثم الدافق[٤] ﴿ كل شيء حيّ[٤] ﴾ مجازا من النبات و حقيقة من الحيوان، خرج الإمام أحمد و غيره عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال للنبى ٥ صلى الله عليه و سلم: أخبرنى عن كل شيء، /فقال: كل شيء خلق من ماء[٥] . و لذلك أجاب النبى صلى الله عليه و سلم ذلك الذى وجده على ماء بدر [٦]و سأله[٦]: ممن هو؟ بقوله: نحن من ماء . /٥٠٠

و لما كان هذا من تصرفه فى هذين الكونين ظاهرا و منتجا لأنهما و كل ما فيهما[٧] و من فيهما بصفة العجز عن أن يكون له تصرف ما، ١٠ تسبب عنه إنكار عدم إيمانهم فقال: ﴿ افلا يؤمنون ﴾ أى بأن شيئا منهما أو فيهما لا يصلح للالهية، لا على وجه الشركة[٨] ولا على وجه الانفراد، و بان صانعهما و مبدع النامى من حيوان و نبات منهما بواسطة الماء قادر على البعث للحساب للثواب أو العقاب، بعد أن صار الميت ترابا بماء يسببه لذلك .

١٥

و لما كان من القدرة الباهرة ثبات الأرض من غير حركة، و كان الماء أدل دليل على ثباتها، و كانت الأرض أقرب فى

(١) فى البحر: الأرضون (٢) زيد من مد و البحر إلا أن فى البحر «سبعا» مع حذف «طبقات» (٣) زيد من مد (٤) بهامش ظ: أى الذى (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: الماء (٦-٦) من ظ و مد. وفى الأصل: فسأله (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: عنهما (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الشرك .

الذكر من السماء ، أتبع ذلك قوله : ﴿ و جعلنا ﴾ [1] بما لنا من العظمة [1] ﴿ فى الارض ﴾ جبالا ﴿ رواسى ﴾ أى ثوابت ، كراهة ﴿ ان تميد بهم ﴾ و تضطرب فتهلك المياه كل شيء حى فيعود نفعها ضرا و خيرها شرا .

و لما كان المراد من المراسى [2] الشدة و الحزونة لتقوى على الثبات و التثبيت ، و كان ذلك مقتضيا لإبعادها و حفظها عن [الذلة و - [3]] الليونة ، بين أنه خرق [4] فيها العادة ليعلم أنه قادر مختار لكل ما يريد فقال: ﴿ و جعلنا ﴾ [1] بما لنا من القدرة الباهرة و الحكمة البالغة [1] ﴿ فيها ﴾ أى الجبال مع حزونتها ﴿ فجاجا ﴾ أى مسالك واسعة سهلة ؛ ثم أبدل منها قوله : ﴿ سبلا ﴾ أى مذللة للسلوك ، و لو لا ذلك لتعسر [5] أو تعذر الوصول إلى بعض البلاد ﴿ لعلهم يهتدون ﴾ إلى منافعهم [1] فى ديارهم و غيرها ، و إلى ما فيها من دلائل الوحدانية و غيرها [1] فيعلموا أن وجودها لو كان بالطبيعة كانت على نمط واحد مساوية للأرض متساوية [6] فى الوصف ، و أن كونها على غير ذلك دال على أن صانعها قادر مختار متفرد بأوصاف الكمال .

و لما دلهم بالسماوات و الأرض على عظمته ، ثم فصل بعض ما فى الأرض لملابستهم [7] له ، و خص الجبال لكثرتها فى بلادهم ، أتبعه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المواشى .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الاصل : خرق (٥) من مد ، و فى الأصل : لقصر، و فى ظ : ليعسر (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مساوية .
(٧) بين سطرى ظ : لمخالطتهم .

السماء فقال : ﴿ و جعلنا ﴾ [1]أى بعظمتنا[1] ﴿ السماء ﴾ و أفردها [2]بارادة الجنس[2] لأن أكثر الناس لا يشاهدون منها إلا الدنيا [1]و لأن الحفظ للشيء الواحد أتقن[1] ﴿ سقفا ﴾ [3]أى للأرض لا فرق بينها و بين ما يعهد من السقوف إلا أن ما يعهد منها لا يسقط منه إلا ما يضر ، و هذه مشحونة بالمنافع فأكثر ما ينزل منها ما لا غنى للناس عنه من آلات ٥ الضياء و علامات الاهتداء و الزينة التى لا يقدر قدرها[3] .

و لما كان ما يعرفون من السقوف على صغرها لا تثبت إلا بالعمد ، [1]و يتمكن منه المفسدون[1]، و تحتاج كل قليل إلى إصلاح و تعهد ، بين أن هذا السقف على سعته و علوه على غير ذلك فقال : ﴿ محفوظا ﴾ [1]أى عن السقوط بالقدرة و عن الشياطين بالشهب[1] ، فذكّر باعتبار السقف ، ١٠ و أشار إلى كثرة ما حوى من الآيات مؤنثا باعتبار السماء أو العدد الدال عليه الجنس ، [1]لأن العدد أولى بالدلالة على كثرة الآيات[1] [و النجوم مفرقة فى الكل - [4]] فقال : ﴿ و هم ﴾ [1]أى أكثر الناس[1] ﴿ عن آيتها ﴾ [1]أى من /الكواكب الكبار و الصغار ، و الرياح والأمطار، / ٥٠١ و غير ذلك من الدلائل التى تفوت الاحصار[1] ، أى[5] الدالة على قدرتنا ١٥ على كل ما نريد من البعث و غيره [و - [6]] على عظمتنا بالتفرد بالإلهية

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) فى مد : مع ارادة الجنس ، و ما بين الرقمين ساقط من ظ (٣ - ٣) ما بين الرقمين تأخر فى الأصل عن « على كثرة الآيات » و الترتيب من مد ، وسقط من ظ (٤) زيد من مد (٥) سقط من مد. (٦) زيد من ظ و مد .

و غير ذلك من أوصاف الكمال، من الجلال و الجمال ﴿ معرضون ٥ ﴾ [1]لا يتفكرون فيما فيها من التسيير و التدبير بالمطالع[2] و المغارب و الترتيب القويم الدال على الحساب الدائر عليه سائر المنافع .

و لما ذكر السماء، ذكر ما ينشأ عنها فقال : ﴿ و هو ﴾ أى لاغيره ٥ ﴿ الذى خلق الّيل و النهار ﴾ ثم أتبعهما آيتيهما فقال : ﴿ و الشمس ﴾ التى هى آية النهار و بها وجوده ﴿ و القمر ﴾ الذى هو آية الليل . [3]و لما[3] ذكر أعظم آياتها فأفهم بقية الكواكب ، استأنف لمن كأنه قال : هل هى كلها فى سماء واحدة ؟ : ﴿ كل ﴾ [أى -[4]] [5]من ذلك[5] ﴿ فى فلك ﴾ [6]فكأنه قيل : ما ذا تصنع ؟ فقيل[6] [تغليبا لضمير العقلاء... و نقلهم ١٠ إليها -[4]] : ﴿ يسبحون ٥ ﴾ [أى كل واحد يسبح فى الفلك الذى جعل به -[4]] .

و لما ذكر الصارم البتار[7] ، للأعمار الطوال و القصار ، من الليل و النهار ، [كان كأنه -[8]] قيل : فيفنيان كل شديد ، و يبليان كل جديد ، فعطف[9] عليه قوله : ﴿ و ما جعلنا ﴾ [6]أى بما لنا من العظمة التى اقتضت ١٥ تفردنا بالبقاء[6] ﴿ لبشر ﴾ [و حقق عدم هذا الجعل باثبات الجار فقال -[4]] : ﴿ من قبلك الخلد[5] ﴾ ناظرا[9] إلى قوله "و ما كانوا خالدين" بعد قوله

---

(١) العبارة من هنا إلى «سائر المنافع» ساقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : و المطالع (٣-٣) من مد ، و فى الأصل : ثم ؛ و العبارة من هنا إلى «سماء واحدة» ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥-٥) فى ظ : منها (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : النهار (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : عطف (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ناظر .

"هل هذا الا بشر مثلكم" و هذا من أقوى الأدلة على أن الخضر عليه السلام مات ، و يجاب بأن الحياة الطويلة ليست خلدا كما فى حق عيسى عليه السلام ، [١]لكن قوله صلى الله عليه و سلم[٢] «اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد فى الأرض بعد اليوم» و قوله[٣] «لايبقى على رأس مائة سنة ممن هو على ظهر الأرض اليوم أحد» و قوله «وددنا[٤] أن موسى عليه السلام ٥ [٥]صبر فقص علينا من أمرهما» فى أمثال ذلك ، يدل على موته دلالة لا تقبل ادعاء حياته بعدها إلا بأظهر منه[٥] .

و لما كان قولهم "بل هو شاعر" مشيرا إلى أنهم قالوا نتربص به ريب المنون كما اتفق لغيره من الشعراء ، وكان ينبغى أن لاينتظر أحد لآخر من الأذى إلا ما يتحقق سلامته هو منه ، توجه الإنكار عليهم ١٠ [٦]و التسلية [له -[٧]] بمنع شماتتهم فى قوله : ﴿افائن﴾ أى[٨]أيتمنون موتك فان[٨] ﴿مت فهم﴾ [٨]أى خاصة[٨] ﴿الخلدون ٥﴾ فالمنكر تقدير خلودهم على تقدير موته الموجب لإنكار تمنيهم لموته، [٩]فحق الهمزة دخولها على الجزاء ، و هو : فهم ، و إنما [قارنت الشرط لأن -[٧]] الاستفهام له الصدر .

---

(١) العبارة من هنا إلى « بأظهر منه » ساقطة من ظ (٢) راجع سيرة ابن هشام ٢/١٧ و مسند الإمام أحمد ١/٣٠ (٣) راجع مسند الإمام أحمد ٢/٨٨ (٤) زيد فى مد : لو ، و راجع حديث موسى فى كتاب الأنبياء من صحيح البخارى .
(٥ - ٥) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٦) العبارة من هنا إلى « شماتتهم » ساقطة من ظ (٧) زيد من مد (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى « له الصدر » ساقطة من ظ .

و لما تم ذلك ، أنتج قطعا : ﴿ كل نفس ﴾ أى منكم و من غيركم[1] ﴿ ذآئقة الموت[2] ﴾ أى فلا يفرح أحد و لا يحزن بموت أحد ، بل يشتغل بما يهمه ، و إليه الإشارة بقوله : ﴿ و نبلوكم ﴾ أى [نعاملكم -[3]] معاملة المبتلى المختبر [المظهر فى عالم الشهادة الشاكر و الصابر و المؤمن و الكافر كما هو عندنا فى عالم الغيب -[3]] بأن نخالطكم ﴿ بالشر ﴾ الذى هو طبع النفوس ، فهى أسرع شىء إليه ، فلا ينجو منه إلا من [4]أخلصناه لنا[4] ﴿ والخير ﴾ مخالطة كبيرة ، [و أكد فعل البلاء بمصدر من معناه مقرون بالهاء تعظيما له فقال -[3]] : ﴿ فتنة[5] ﴾ أى [كما يفتن الذهب إذا أريدت تصفيته بمخالطة النار له ، على حالة عظيمة -[3]] محيلة مميلة لكم لا يثبت لها إلا الموفق ﴿ و الينا ﴾ [5]أى بعد الموت[5] لا إلى غيرنا ﴿ ترجعون[5] ﴾ للجزاء[6] حيث لا حكم لأحد أصلا لا ظاهرا و لا باطنا [كما -[3]] فى هذه الدار [7]بنفوذ الحكم فلا يكون إلا ما نريد[7] فاشتغلوا بما ينجيكم منا ، و لا تلتفتوا إلى غيره ، فان الأمر صعب ، وجدوا فان الحال جد .

و لما أخبر سبحانه عن إعراضهم عن الساعة تكذيبا ، و استدل على[8] كونها منزهة عن الغيب فى خلق هذا العالم و تعاليه عن[9] [جميع -[3]] صفات النقص و اتصافه بأوصاف الكمال إلى أن ختم ذلك بمثل / ما ابتدأ به على وجه أصرح ، [10]و كان فيه تنبيههم على الابتلاء[11] /٢٠٥

(١) من مد ، و فى الأصل : غيرهم ، و العبارة من « أى منكم » إلى هنا ساقطة من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اخلصنا لك (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) سقط من ظ (٧ - ٧) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (١٠) العبارة من هنا إلى «من آياته» ساقطة من ظ (١١) من مد ، و فى الأصل : الامتطى - كذا .

[وكان الابتلاء - [1]] على قدر النعم[2]، فكان صلى الله عليه وسلم أعظم شيء ابتلوا به لأنه لانعمة أعظم من النعمة به، ولا شيء أظهر من آياته عطف على قوله "واسروا النجوى" قوله: ﴿ واذا رأك ﴾ [3] أي وأنت أشرف الخلق [وكلك - [1]] جد وجلال وعظمة وكمال ﴿ الذين كفروآ ﴾ فأظهر منبها[4] على أن ظلمهم الذى أوجب لهم ذلك هو الكفر [5] وإن كان فى أدنى رتبة، تبشيعا له وتنبيها على أنه يطمس الفكر مطلقا[5].

ولما كان من المعلوم أنه صلى الله عليه وسلم فى غاية البعد عن الهزء، قال منبها على أنهم أعرقوا فى الكفر حتى بلغوا الذروة: ﴿ ان ﴾ [5] أي ما [5] ﴿ يتخذونك ﴾ أي حال الرؤية، وسيعلم من يبقى[6] منهم عما قليل أنك جد كلك[7] ﴿ الا هزوا[1] ﴾ أي جعلوك [5] بحمل أنفسهم على ضد ما يعتقد [5] عين[8] ما ليس فيك شيء منه؛ ثم بين استهزاءهم به بأنهم يقولون إنكارا واستصغارا: ﴿ اهذا الذى يذكر ﴾ [أي - [9]] بالسوء ﴿ الهتكم ﴾ [قال أبو حيان - [10]]: والذكر[11] يكون بالخير والشر، [فاذا لم يذكر متعلقه فالقرينة تدل عليه - [12]] - [انتهى - [13]]. فاذا[14]

(١) زيد من مد (٢) من مد، وفى الأصل: المنعم (٣) العبارة من هنا إلى «عظمة وكمال» ساقطة من ظ (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: تنبيها. (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من مد. وفى الأصل: بقى (٧) بياض فى الأصل ملأناه من مد، والعبارة من «أي حال» إلى هنا ساقطة من ظ (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: غير (٩) زيد من ظ ومد (١٠) زيد من ظ، وراجع البحر المحيط ٦ / ٣١٢ (١١) من ظ ومد والبحر، وفى الأصل: فالذى. (١٢) زيد من ظ والبحر (١٣) زيد من ظ (١٤) من مد، وفى الأصل: فما، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى «أطلق عليه».

دلت القرينة على أحدهما أطلق عليه ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم [١]على حال كانوا بها أصلا فى الهزء، و هى أنهم[١] ﴿ بذكر الرحمن ﴾ الذى لا نعمة عليهم و لا على غيرهم إلا منه، [١]و كرر الضمير تعظيما بما أتوا به من القباحة فقال[١]: ﴿ هم ﴾ [٢]أى بظواهرهم و بواطنهم[٢] ﴿ كٰفرون ﴾ أى ساترون لمعرفتهم به، فلا أعجب ممن [١]هو محل للهزء لكونه[١] أنكر ذكر[٤] من لا نعمة منه و لا نقمة أصلا بالسوء، و هو يذكر من كل نعمة منه بالسوء [١]و يهزأ به[١].

و لما كان من آيات الأولين التى[٥] طلبوها العذاب بأنواع الهول، و كانوا هم أيضا قد طلبوا ذلك و استعجلوا به "عجل لنا قطنا" و نحو ذلك، و كان الذى جرأهم على [١]هذا حلم[٦] الله عنهم بامهاله لهم، قال معللا[٧] لذلك: ﴿خلق﴾ [١]و بناه للمفعول لأن المقصود بيان ما جبل عليه و الخالق معروف[١] ﴿ الانسان ﴾ [٨]أى هذا النوع.

و لما كان مطبوعا على العجلة[٩] قال: ﴿ من عجل[٨] ﴾ فلذا يكفر، لأنه إذا خولف بادر إلى الانتقام عند القدرة فظن بجهله أن خالقه كذلك، و أن التأخير ما هو إلا عن عجز[١٠] او عن رضى: ثم قال تعالى مهددا[١١]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من هنا إلى « بواطنهم » ساقطة من ظ (٣) فى مد: ضمائرهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك (٥) فى ظ: الذين (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلك علم (٧) بين سطرى ظ: أى لجرأتهم على ذلك بسبب إمهاله (٨) العبارة من هنا إلى «العجلة قال» ساقطة من ظ (٩) من مد، و فى الأصل: العجل (١٠) من ظ ومد، و فى الأصل: عجل (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: ممهدا.

للمكذبين : ﴿ سأوريكم ﴾ حقا ﴿ آيتي ﴾ القاصمة و العاصمة . [1]بهجرة النبي صلى الله عليه و سلم و من عندكم من أتباعه المستضعفين و خلافتهم بين أيديكم و جعلهم شجا في حلوقكم حتى يتلاشى ما أنتم عليه و غير ذلك من العظائم[1] ﴿ فلا تستعجلون ﴾ [1]أي تطلبوا أن أوجد العجلة بالعذاب أو غيره[1] ، فاني منزه عن العجلة [التي هي من جملة نقائصكم . ٥

و لما ذم العجلة و هي إرادة شيء قبل أوانه ، و نهى عنها ، قال دالا عليها عاطفا على عامل "اهذا" [2] : ﴿ و يقولون ﴾ [أي -[2]] في استهزائهم بأولياء الله : ﴿ متى هذا ﴾ [1]و تهكموا بقولهم[1] : ﴿ الوعد ﴾ [أي -[2]] بإتيان الآيات من الساعة و مقدماتها و غيرها . و زادوا[3] في الإلهاب و التهييج تكذيبا فقالوا[4] : ﴿ ان كنتم صدقين ﴾ [1]أي عريقين في هذا ١٠ الوصف جدا - بما دل عليه الوصف و فعل تكون[1] .

و لما غلوا في الاستهزاء فكانوا أجهل الجهلة باستحالة الممكن ، استأنف الجواب عن كلامهم بنفي العلم عنهم / في الحال و المآل دون ٥٠٣/ المعاينة على طريق التهكم و الاستهزاء بهم : ﴿ لو يعلم الذين كفروا ﴾ [1]و ذكر المفعول به فقال[1] : ﴿ حين ﴾ أي لو تجدد لهم علم ما بالوقت الذي ١٥ [1]يستعجلون به : و ذكر[6] ما أضيف إليه ذلك الوقت فقال : ﴿ لا يكفون ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و في الأصل : زاد (٤) من مد ، و في الأصل : فقال ، و العبارة من «و زادوا» إلى هنا ساقطة من ظ (٥) عبارة من هنا إلى « الوقت فقال » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و في الأصل : ذكر .

أى[1] فيه بأنفسهم [﴿عن وجوههم﴾ التى هى أشرف أعضائهم ﴿النار﴾ استسلاما و - [2]] ضعفا و عجزا ﴿ولا عن ظهورهم﴾ التى هى أشد أجسادهم . فعرف من هذا أنها قد أحاطت بهم و أنهم لا يكفون عن غير هذين من باب الأولى ﴿ولا هم ينصرون ٥﴾ أى و لا يتجدد لهم نصر [3] ظاهرا و لا باطنا [4] بأنفسهم و لا بغيرهم ، لم يقولوا شيئا من ذلك [5] الكفر و الاستهزاء و الاستعجال [5] . و لكنهم لا يعلمون ذلك بنوع من أنواع العلم إلا عند الوقوع [4] لأنه لا أمارة لها قاطعة بتعيين وقتها و لا تأتى بالتدريج كغيرها [4] . و هذا معنى ﴿بل تأتيهم﴾ [اى - [6]] الساعة التى هى ظرف لجميع تلك الأحوال [4] و هى معلومة لكل أحد فهى مستحضرة فى كل ذهن [4] ﴿بغتة فتبهتهم﴾ [4] أى تدعهم باهتين حائرين [4] ؛ ثم [6] سبب عن بهتهم قوله [7] : ﴿فلا يستطيعون ردها﴾ - أى [4] لا يطلبون طوع ذلك لهم [4] فى ذلك الوقت [4] لأيأسهم عنه [4] ﴿ولا هم ينظرون ٥﴾ - أى يمهلون [من يمهل ما - [6]] ليتداركوا ما اعد لهم فيها ، فيا شدة أسفهم على التفريط فى الأوقات التى أمهلوا فيها فى هذه الدار ، و صرفهم إياها فى لذات اكثرها اكدار .

و لما كان التقدير [4] حاق بهم [4] هذا [4] باستهزائهم بك ، تبعه ما يدل

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من مد (٦-٦) فى ظ : عالل .
(٧) فى ظ : بقوله (٨) بين سطرى ظ : أى كونهم لا يكفون عن وجوههم النار و هم لا ينظرون .

على أن الرسل فى ذلك شرع واحد ، تسلية له صلى الله عليه و سلم و تأسية ، فقال [عاطفا على " و اذا رأك " - ١] : ﴿ و لقد ﴾ مؤكدا له لمزيد التسلية ٢ بمساواة إخوانه من الرسل و بتعذيب أعدائه . و لما كان المخوف نفس الاستهزاء لا كونه من معين ، بنى للمفعول قوله ٣ : ﴿ استهزئ برسل ﴾ [أى ١] كثيرين . ٥

٢ و لما كان معنى التنكير عدم الاستغراق ، أكده بالخافض فقال ٣ : ﴿ من قبلك فحاق ﴾ أى ٣ فأحاط ﴿ بالذين سخروا منهم ﴾ لكفرهم ﴿ ما كانوا ﴾ ٢ بما هو لهم كالجبلة ٢ ﴿ به يستهزءون ﴾ من الوعود الصادقة كبعض من ٤ سألوه الإتيان بمثل آياتهم كقوم نوح و من بعدهم .

و لما هددهم بما مضى مما قام الدليل على قدرته عليه ، و ختمه ٥ - لوقوفهم مع المحسوسات - بما وقع لمن قبلهم ، و كان الأمن عن مثل ذلك لا يكون إلا بشىء يوثق به . أمره ان يسألهم عن ذلك بقوله : ﴿ قل من يكلؤكم ﴾ أى يحفظكم ٢ و يؤخركم و يكثر رزقكم ٢ . و هو استفهام توبيخ . ١٠

و لما استوى بالنسبة إلى قدرته حذرهم و غفلتهم ٦ . قال : ﴿ بالليل ﴾ ١٥

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى مد : احال و نزل (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما (٥) من ظ و مد ، و فى الاصل : كتمه (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : غفلتهم .

أى[1] و أنتم نائمون . [2]و لما كانت مدافعة عذابه سبحانه غير ممكنة لنائم و لا يقظان قال[2]: ﴿ و النهار ﴾ [أى -[3]] و أنتم مستيقظون . [4]و لما كان لا منعم[5] بكلاية و لا [6]غيرها سواه[6] سبحانه . ذكرهم بذلك بصفة الرحمة فقال : ﴿من الرحمن[4] ﴾ الذى لا نعمة بحراسة و لا غيرها إلا منه حتى أمنتم مكره [7]و لو بقطع إحسانه . فكيف إذا ضربكم بسوط جبروته و سطوة قهره و عظموته[8] .

و لما كان الجواب قطعا : ليس لهم من يكلؤهم منه[9] و هو معنى الاستفهام الإنكارى ، قال مضربا عنه : ﴿ بل هم ﴾ أى فى أمنهم من سطواته ﴿ عن ذكر ربهم ﴾ الذى لا يحسن إليهم غيره ﴿ معرضون ﴾ [2]فهم لا يذكرون أصلا فضلا عن أن يخشوا بأسه و هم يدعون أنهم أشكر / الناس للاحسان[2] . /٥٠٤

و لما أرشد السياق إلى أن [10]التقدير : أصحيح[10] هذا الذى أشرنا إليه من أنه لا مانع لهم منا . عادله بقوله [2]إنكارا عليهم[2] : ﴿ أم لهم آلهة ﴾ موصوفة بأنها ﴿ تمنعهم ﴾ [11]نوب الدهر . [12]و لما كانت جميع الرتب

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد . (٤) العبارة من هنا إلى « الرحمة فقال » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : منعهم (٦-٦) من مد . و فى الأصل : غيرهما الا هو (٧) العبارة من هنا إلى «و عظموته» ساقطة من ظ (٨) فى مد : عظمته (٩) سقط من مد؛ و العبارة من هنا إلى «الإنكارى» ساقطة من ظ (١٠-١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : تقدير الصحيح (١١) زيد فى الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (١٢) العبارة من هنا إلى « الابتداء فقال » ساقطة من ظ .

تحت رتبته[١] سبحانه ، أثبت[٢] حرف الابتداء فقال [محقرا لهم -[٣]] : ﴿من دوننا[٤]﴾ أى [من -[٤]] [٥]مكروه هو تحت[٥] إرادتنا و من جهة غير جهتنا .

و لما كان الجواب قطعا : [ليس -[٤]] لهم ذلك ، [٦]و هو بمعنى الاستفهام[٦]، استانف الإخبار بما يؤيد هذا الجواب ، و يجوز أن يكون تعليلا . فقال : ﴿ لا يستطيعون ﴾ أى الآلهة التى يزعمون أنها تنفعهم ، أو هم - لأنهم لامانع لهم من دوننا - ﴿نصر انفسهم﴾ من دون إرادتنا فكيف بغيرهم ، أو يكون ذلك صفة لآلهة على طريق التهكم ﴿ و لا هم ﴾ [٧]أى الكفار أو[٨] الآلهة ﴿ منا ﴾ [٦]أى بما لنا من العظمة[٦] ﴿ يصحبون ﴾ [بوجه من وجوه الصحبة -[٢]] حتى يصير لهم استطاعة بنا ، فانسدت عليهم ابواب الاستطاعة أصلا و رأسا .

و لما لم يصلح[٩] هذا لأن يكون سببا لاجترائهم ، أضرب[١٠] عنه قائلا فى مظهر العظمة ، إشارة إلى أن اغترارهم به سبحانه - مع ما له من دلائل الجلال - من أعجب العجب ، [بانيا على نحو « لا كالىّ لهم منه و لامانع » -[٣]] : ﴿بل متعنا﴾ [٦]اى بعظمتنا[٦] ﴿ هؤلاء﴾ [٦]اى الكفار[٦]

(١) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : اشهر . (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) من مد ، و فى الأصل : يمكروه هو عن ، و فى ظ : دون (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « الآلهة » ساقطة من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل « و » (٩) من ظ و مد . و فى الأصل : لم يصح (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضرب .

[1]على حقارتهم[1]، أو الإضراب عن عدم استطاعتهم للنصر، [2]و المعنى أن ما هم فيه من الحفظ إنما هو منا لأجل تمتيعهم بما لا يغتر به إلا مغرور[2]، [لا من مانع يمنعهم -[3]] ﴿و [1]آباءهم﴾ من قبلهم بالنصر و غيره ﴿حتى طال عليهم العمر[4]﴾ فكان طول سلامتهم غارا لهم بنا، [1]فظنوا أنه لا يغلبهم على ذلك التمتيع شيء، و لا ينزع عنهم ثوب النعمة[1].

و لما أقام الأدلة و نصب الحجج على أنه لا مانع لهم من الله، تسبب عن ذلك الإنكار عليهم فى اعتقاد[4] غيره فقال: ﴿ا فلا يرون﴾ أى يعلمون علما [1]هو فى وضوحه[1] مثل الرؤية بالبصر ﴿انا﴾ [1] بما لنا من العظمة. و صور ما كان يجريه من عظمته على أيدى أوليائه فقال[1]: ﴿نأتى الارض﴾ [أى -[3]] التى أهلها كفار، [1]إتيانَ غلبة لهم[1] بتسليط أوليائنا [عليهم -[5]]. و لما كان الإتيان على ضروب شتى، بينه بقوله: ﴿ننقصها من اطرافها[1]﴾ بقتل بعضهم و رد[6] من بقى عن دينه إلى الإسلام، فهم فى نقص، و أولياؤنا فى زيادة.

و لما كانت مشاهدتهم لهذا مرة بعد مرة قاضية بأنهم المغلوبون، تسبب عنه[7] إنكار غير ذلك فقال: ﴿ا فهم﴾ [1]أى خاصة[1] ﴿الغلبون﴾ [1]أى مع مشاهدتهم لذلك[1] أم أولياؤنا.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) ما بين الرقمين فى ظ: أى بل منعناهم. (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد. و فى الأصل: اعتقادهم (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد. و فى الأصل: برد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: عن.

و لما

و لما تبين [الخلف - ١] فى قولهم على كثرته و ادعائهم الحكمة و البلاغة ، و فعلهم على كثرتهم و زعمهم القوة و الشجاعة ، ثبت أن ٢ أقواله الناقضة ٢ لذلك من عند الله بما ثبت ٣ من استقامة معانيها و إحكامها ، بعد ما اتضح من إعجاز نظومها و حسن التئامها ، فأمره أن يبين لهم ذلك بقوله : ﴿قل انما انذركم﴾ ٤ أيها الكفار ٤ ﴿ بالوحى ﴾ أى الآتى به الملك [عن الله - ١] فلا قدح فى شىء من نظمه و لا معناه و الحال أنكم لا تسمعون - ٥ على قراءة الجماعة ، و الحال ، أنك لا تسمعهم ٦ - على قراءة ابن عامر بضم الفوقانية و كسر ٧ الميم ٨ و نصب الصم خاصة ٨ ، و لكنهم لما كانوا لا ينتفعون بانذاره ٤ لتصامّهم و جعلهم أصابعهم فى آذانهم وقت الإنذار ٤ عدهم صما ، و أظهر الوصف لتعليق الحكم به فقال : ﴿و لا يسمع الصم الدعآء﴾ أى ممن يدعوهم ، او يكون معطوفا على ما تقديره : فان كانت أسماعكم صحيحة سمعتم فأجبتم ٩ ، و نبه بقوله : ﴿ اذا ما ينذرون ﴾ على أن المانع لهم مع الصمم كراهة الإنذار ، و بالبناء للمفعول على منذر - ١٠] .

و لما كان المنذر لا يترك الاستعداد لما ينذر به من العذاب

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اقوالهم المناقضة .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثبتت (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) العبارة من هنا إلى « خاصة » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : تسمع (٧) من مد ، و فى الأصل : بكسر (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من مد .
(٩) من مد ، و فى الأصل : فاصبتم ، و العبارة من « أو يكون » إلى هنا ساقطة من ظ (١٠) زيد من مد .

إلا إذا كان قويا على دفعه . بين أنهم على غير ذلك فقال : ﴿ ولئن ﴾ أى لا يسمعون و الحال أنه لا قوة بهم ، بل إن ﴿ مستهم ﴾ أى لاقتهم أدنى ملاقاة ﴿ نفحة ﴾ أى رائحة يسيرة مرة من المرات ﴿ من عذاب ربك ﴾ المحسن إليك بنصرك عليهم ﴿ ليقولن ﴾ و قد أذهلهم أمرها عن نخوتهم . و شغلهم قدرها عن كبرهم و حميتهم : ﴿ يـٰويلنا ﴾ الذى لا نرى الآن بحضرتنا غيره ﴿ انا كنا ﴾ [أى - [1]] بما لنا مما[2] هو فى ثباته كالجبلات[3] ﴿ ظلمين ﴾ [4] أى عريقين فى الظلم [5] فى إعراضنا و تصامّنا[5] ترفقا و تذللا لعله يكف عنهم .

و لما بين ما افتتحت السورة من اقتراب[6] الساعة بالقدرة عليه و اقتضاء الحكمة له ، و ان كل أحد[7] ميت لا يستطيع شيئا من الدفع عن نفسه فضلا عن غيره ، و ختمت الآيات باقرار الظالم بظلمه ، و كانت عادة كثير من الناس الجور عند القدرة ، بين أنه سبحانه بخلاف ذلك فذكر بعض ما يفعل فى حساب الساعة من العدل فقال عاطفا على قوله " بل تاتيهم بغتة " : ﴿ و نضع ﴾ فأبرزه فى مظهر العظمة إشارة إلى هوانه عنده و إن كان لكثرة الخلائق و أعمال كل منهم متعذرا عندنا ﴿ الموازين ﴾ [8] المتعددة لتعدد الموزونات أو أنواعها . و لما كانت الموازين آلة العدل ، وصفها به مبالغة فقال[8] ﴿ القسط ﴾ أى العدل[9] المميز للأقسام على السويه .

---

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : بما (٣) العبارة من «بما لنا» إلى هنا ساقطة من ظ (٤) عبارة من هنا إلى «يكف عنهم» ساقطة من ظ (٥-٥) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد (٦) فى ظ : اضراب (٧) فى ظ : واحد. (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) العبارة من هنا إلى « فيه فقال » ص ٤٢٩ س ٢ ساقطة من ظ .

و لما كان يوم الجزاء علة فى وضع المقادير ، عبر باللام ليشمل - مع ما يوضع [فيه -[1]] - ما وضع الآن لأجل الدينونة فيه[2] فقال : ﴿ ليوم القيمة ﴾ الذى أنتم عنه - لإعراضكم عن الذكر - غافلون .

[3]و لما جرت العادة بأن الملك قد يكون عادلا فظلم بعض أتباعه ، بين أن عظمته فى إحاطة علمه و قدرته تأبى[4] ذلك ، فبنى الفعل للمجهول فقال : ٥ ﴿ فلا ﴾ أى فتسبب عن هذا الوضع أنه لا ﴿ تظلم ﴾ [أى من ظالم ما -[1]] ﴿ نفس شيئا[5] ﴾ من عملها ﴿ و ان كان ﴾ أى[6] العمل ﴿ مثقال حبة ﴾ [7]هذا على قراءة الجماعة بالنصب . و التقدير على قراءة نافع بالرفع : و إن وقع أو[7] وجد ﴿ من خردل ﴾ أو[8] أحقر منه ، و إنما مثل به لأنه غاية عندنا فى القلة ، [و زاد فى تحقيره بضمير التأنيث لإضافته إلى المؤنث ١٠ فقال -[1]] : ﴿ اتينا بها[5] ﴾ بما لنا من العظمة فى العلم و القدرة و جميع صفات الكمال فحاسبناه /عليها ، [9]و الميزان حقيق . و وزن الأعمال على صفة يصح /٥٠٦ وزنها معها بقدرة من لا يعجزه شىء .

و لما كان حساب الخلائق كلهم على كل ما صدر منهم أمرا باهرا للعقل ، حقره عند عظمته فقال[9] : ﴿ و كفى بنا ﴾ [10]أى بما لنا من العظمة[10] ١٥

(١) زيد من مد (٢) تقدم فى الأصل على «لأجل» و الترتيب من مد (٣) العبارة من هنا إلى « للمجهول فقال » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : فا .
(٥) سقط من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « أو وجد » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : اى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و تقدم فى الأصل على« اتينا بها » و الترتيب من مد .
(١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿حسبين ه﴾ أى لا يكون فى الحساب أحد مثلنا . ففيه [توعد من جهة أن معناه أنه لا يروج عليه شىء من خداع و لا يقبل -[1]] غلطا ، و لا يضل و لا ينسى . إلى غير ذلك من كل ما يلزم منه نوع لبس أو شوب نقص ، [و وعد من جهة أنه يطلع على كل حسن فقيد و إن دق و خفى -[2]] .

٥ و لما قدم [فى قوله -[1]] "ما يأتيهم من ذكر من ربهم" - الآية و غيره[3] أنهم أعرضوا عن هذا الذكر تعللا[4] بأشياء منها طلب آيات الأولين . و نبه على إفراطهم فى الجهل بما ردوا من الشرف بقوله "لقد انزلنا اليكم كتبا فيه ذكركم" و مر إلى أن ختم بالتهديد بعذابه ، و أنه يحكم بالقسط ، و كان كتاب موسى عليه السلام بعد القرآن أعظم

١٠ الكتب السماوية ، و كان أهل الكتاب قد أعرضوا عنه غير مرة على زمن موسى عليه السلام بعبادة العجل و غيره و بعد موته مع كون[5] المرسل به اثنان تعاضدا على إبلاغه و تقرير أحكامه بعد أن بهرا العقول[6] بما أتيا به من الآيات التى منها - كما بين فى سورة البقرة و الأعراف - التصرف فى العناصر الأربعة التى هى أصل الحيوان الذى بدأ الله منها

١٥ خلقه . و مقصود السورة الدلالة على إعادته[7] ، و منها ما عذب به من أعرض عن ذكر موسى و هارون عليهما السلام الذى هو ميزان العدل لما نشر من الضياء الموروث للنصرة الماحقة للظلام ، فلا يقع متبعه فى

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) فى ظ : غيرها (٤) فى مد : تعليلا .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كونه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : المصقول (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعادتها .

ظلم[1]، و كان الحساب تفصيل الأمور و مقابلة كل منها بما يليق بـه، و ذلك بعينه هو الفرقان، قال سبحانه بعد آية الحساب عاطفا على "لقد انزلنا": ﴿و لقد آتينا﴾ أى [2]بما لنا من العظمة[2] ﴿موسىٰ و هٰرون﴾ [3]أى أخاه الذى سأل [3]أن يشد أزره به ﴿الفرقان﴾ الذى تعاضدا على إبلاغه و الإلزام بما دعا إليه حال كونه مبينا لسعادة الدارين، لا يدع ٥ لبسا فى أمر من الأمور ﴿و ضيآء﴾ لا ظلام معه، فلا ظلم للمستبصر به، لأن من شأن من كان فى الضياء أن لا يضع شيئا إلا فى موضعه ﴿و ذكرا﴾ [2]أى وعظا و شرفا.

و لما كان من لا ينتفع بالشىء لا يكون له منه شىء، قال[3]: ﴿للمتقين﴾ أى[4] الذين صار [هذا -[5]] الوصف لهم شعارا حاملا [لهم -[4]] ١٠ على التذكر لما يدعو إليه الكتاب من التوحيد الذى هو أصل المراقبة؛ ثم بين التقوى [بوصفهم -[6]] بقوله: ﴿الذين يخشون﴾ [3]أى يخافون خوفا عظيما[3] ﴿ربهم﴾ [2]أى المحسن إليهم بعد الإيجاد بالتربية و أنواع الإحسان[2] ﴿بالغيب﴾ أى فى ان ينكشف لهم الحجاب ﴿و هم من الساعة﴾ التى نضع فيها الموازين و قد اعرض عنها الجاهلون مع كونها أعظم ١٥ حامل على كل خير، [3]و مبعد من كل ضير[3] ﴿مشفقون﴾ لأنهم لقيامها متحققون، و بنصب الموازين فيها عالمون.

---

(١) زيد فى الاصل: ظلام، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٢-٢) فى ظ: بعظمتنا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) سقط من ظ.
(٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد من مد.

و لما ذكر فرقان موسى عليه السلام . و كان العرب يشاهدون إظهار اليهود للتمسك به و المقاتلة[1] على ذلك و الاغتباط ، حثهم على كتابهم الذى هو أشرف منه فقال : ﴿ و هذا ﴾ فأشار إليه بأداة القرب [إيماءا -[2]] إلى سهولة تناوله عليهم ﴿ ذكر ﴾ أى عظيم . و دلهم على أنه أثبت الكتب و أكثرها فوائد / بقوله : [﴿ مبرك ﴾ و دلهم على زيادة عظمته بما له من قرب الفهم و[3] الإعجاز و غيره بقوله -[2]] : ﴿ انزلنه[4] ﴾ ثم أنكر عليهم رده و وبخهم[5] فى سياق دال على أنهم أقل من أن يجترئوا على ذلك ، منبه على أنهم أولى بالمجاهدة فى هذا الكتاب من أهل الكتاب فى كتابهم فقال : ﴿ افانتم له ﴾[4] أى لتكونوا دون أهل الكتاب برد ما أنزل لتشريفكم عليهم و على غيرهم[5] مع أنكم لا تنكرون كتابهم ﴿ منكرون ﴾ أى أنه لو أنكره غيركم لكان ينبغى لكم مناصبته ، فكيف يكون الإنكار منكم ؟

/٥٠٧

و لما كان مقصود[6] السورة الدلالة على القدرة على ما استبعده العرب من إعادة الحيوان بعد كونه ترابا ، و بدأ ذكر الأنبياء بمن صرفه فى العناصر الأربعة كما تقدم قص ذلك من التوراة فى سورتى[7] البقرة و الأعراف إشارة إلى أن من استعد عليه ما جعله إلى بعض عبيده

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المقابلة (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « كتابهم » ساقطة من ظ . (٥) من مد ، و فى الأصل : عيوبهم (٦) فى مد : مقصد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : سورة .

أعمى الناس ، تلاه من الأنبياء بمن سخر له واحـــدا من تلك العناصر ، مرتبا لهم على الأخف فى ذلك فالأخف على سبيل الترقى ، فبدأهم بذكر من سخر له عنصر النار ، مع التنبيه للعرب على عماهم عن الرشد بانكاره للشرك بعبادة الأوثان على أبيه و غيره ، و دعائهم إلى التوحيد ، و المجاهدة فى الله عـــلى ذلك حق الجهاد ، و هو أعظم آباء الرادين لهذا الذكر ، ٥ و المستمسكين[1] بالشرك تقليدا للآباء ، إثباتا للقدرة الباهرة الدالة على التوحيد الداعى إليه جميع هؤلاء الأصفياء ، هذا مع مشاركته بانزال الصحف عليه لموسى و محمد عليهما الصلاة و السلام و مشاركته لهما[2] فى الهجرة ، و إذا تأملت ما فى سورتى[3] الفرقان و الشعراء ازداد ما قلته وضوحا ، فانه لما أخبر تعالى أنهم قالوا "لو لا نزل[4] عليه القرآن جملة واحدة" ١٠ بدأ بقصة موسى الذى كتب له ربه فى الألواح من كل شىء ، و[5] قومه مقرّون بعظمة كتابه و أنه أوتى من الآيات ما بهر العقول ، و كفر به مع ذلك [كثير منهم -[6]] . و لما قال فى الشعراء "ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث" - الآية[7] كما هنا ، صنع كما صنع هنا من البداءة بقصة موسى عليه السلام و إيلائها ذكر إبراهيم عليه السلام فقال تعالى : ١٥ ﴿و لقد آتينا﴾ [بما لنا من العظمة -[8]] ﴿ابراهيم رشده﴾ أى صلاحه

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المتمسكين (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لها (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : سورة (٤) فى ظ : انزل (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) آية ه (٨) زيد من مد .

و إصابته وجه الأمر و اهتداءه[1] إلى عين الصواب و أدل الدلالة و أعرف العرف و أشرف القصد [2]الذى جبلناه عليه[2]؛ و قال الرازى فى اللوامع: و الرشد قوة بعد الهداية ـ انتهى . و أضافه[3] إليه إشارة إلى أنه رشد يليق به على علو مقامه و عظم شأنه لا جرم ظهر عليه أثر ذلك من بين ٥ أهل ذلك الزمان كلهم فآثر الإسلام على غيره من الملل ﴿ من قبل ﴾ أى قبل موسى و هارون عليهما السلام ﴿و كنا﴾ [بما لنا من العظمة ـ[4]] ﴿ به ﴾ [2]ظاهرا و باطنا[2] ﴿ عٰلمين ج ﴾ بأنه جبلة خير يدوم على الرشد و يترقى فيه إلى أعلى درجاته لما طبعناه عليه بعظمتنا من طبائع الخير؛ و تعليقُ ﴿ اذ قال ﴾ [أى إبراهيم ـ[4]] ﴿ لابيه و قومه ﴾ بـ "عٰلمين"

٥٠٨/ ١٠ إشارةٌ إلى أن قوله لما كان باذن منا / و رضى لنا نصرناه[5] ـ و هو وحده ـ على قومه كلهم ، و لو لم يكن [6]رضينا لمنعناه[6] منه بنصر قومه عليه و تمكين النار منه ، فهو مثل ما مضى فى[1] قوله " قل ربى يعلم القول فى السماء و الارض" [2]و مفهوم هذا القيد لا يضر لأنه لا يحصى ما ينفيه من المنطوقات ، و إن شئت فعلقه[8] بـ "ايتنا" ؛ [9]ثم ذكر مقول القول فى قوله منكرا ١٥ عليهم محقرا لأصنامهم فى أسلوب التجاهل[9] [10]الإثبات دعوى جهلهم بدليل[10] :

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : اهتدا (٢ ـ ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اضاف (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل: فنصرناه (٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : مرضيا لمعناه ـ كذا . (٧) العبارة من هنا إلى «بايتنا» ساقطة من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل : فعلت ـ كذا (٩ ـ ٩) سقط ما بين الرقمين من مد (١٠ ـ ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

﴿ ما هذه التماثيل ﴾ أى الصور التى صنعتموها تماثلين[1] بها ما فيه روح، [2]جاعلين بها ما لا يكون إلا لمن لا مثل له[2]، وهى الأصنام ﴿ التى انتم لها ﴾ [2]أى لأجلها[2] وحدها، مع كثرة ما يشابهها وما هو أفضل منها ﴿ عكفون ﴾ أى [3]موقعون الإقبال[3] عليها مواظبون على ذلك، فبأى معنى استحقت منكم هذا الاختصاص، وإنما هى [4]مثال للحى[4] فى الصورة وهو اعلى منها بالحياة التى أفاضها الله عليه. ٥

ولما أتاهم بهذا القاصم، [2]استأنف الخبر سبحانه عن جوابهم بقوله[2]: ﴿ قالوا ﴾ مسوين أنفسهم[5] بالبهائم التى تقاد ولا علم لها بما قيدت له: ﴿ وجدنا آباءنا لها ﴾ خاصة ﴿ عبدين ﴾ فاقتدينا بهم لا حجة لنا غير ذلك. ولما غلوا فى الجهل غير محتشمين [1]من إقرارهم على أنفسهم به، ١٠ بالاستناد إلى محض التقليد بعد إفلاسهم من أدنى شبهة فضلا عن دليل[7]، استأنف الله تعالى الإخبار عن جوابه بقوله: ﴿ قال ﴾ أى[8] منبها لهم بسوط التقريع على أن الكلام مع آبائهم كالكلام معهم: ﴿ لقد كنتم ﴾ وأكد بقوله: ﴿ انتم ﴾ [9] لأجل صحة العطف لأن الضمير [المرفوع -[10]] المتصل حكمه حكم [11]جزء الفعل[1]، هذا مع الإشارة إلى [12]الحكم على[12] ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ماثلين (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣ - ٣) فى ظ: مقبلون (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تمثال الحى.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: نفسهم (٦) العبارة من هنا إلى «جوابه بقوله» ساقطة من ظ (٧) من مد، و فى الأصل: الميل (٨) سقط من ظ (٩) العبارة من هنا إلى «و أبو اطنهم» ساقطة من ظ (١٠) زيد من مد (١١ - ١١) من مد. و فى الأصل: الجزء للفعل (١٢-١٢) من مد، و فى الأصل: حكم الى.

ظواهرهم و بواطنهم ﴿ و آباؤكم ﴾ أى من قبلكم ﴿ فى ضلل ﴾ قد أحاط بكم إحاطة الظرف بالمظروف و المسلوك بالسلك ﴿ مبين ﴾ ليس به[1] نوع من الخفاء .

و لما لم تكن عادته مواجهة أحد بما يكره . [2]استأنف الإخبار عنهم بما يدل عليه فقال[2] : ﴿ قالوا ﴾ ظنا منهم أنه لم يقل ذلك على ظاهره : ﴿ اجئتنا ﴾ فى هذا الكلام ﴿ بالحق ﴾ الذى يطابقه الواقع ﴿ ام انت من اللّعبين ﴾ فظاهر كلامك غير حق ﴿ قال ﴾ [بانيا على ما تقديره -[3]] : ليس [4]كلامى لعبا[4] . بل هو جد ، و هذه التماثيل ليست أربابا ﴿ بل ربكم ﴾ الذى يستحق منكم اختصاصه بالعبادة ﴿ رب السمٰوٰت و الارض ﴾ أى مدبرهن القائم بمصالحهن ﴿ الذى فطرهن ﴾ [5]أى أوجدهما و[6]شق بهما[6] ظلمة[7] العدم ، و أنتم و تماثيلكم مما[8] فيهما من مصنوعاته[9] أنتم تشهدون بذلك إذا رجعتم إلى عقولكم مجردة عن الهوى ﴿ و انا على ذلكم ﴾ الأمر البين من أنه ربكم وحده فلا تجوز عبادة غيره ﴿ من الشهدين ﴾ [10]أى الذين يقدرون[11] على إقامة الدليل

( ) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من مد (٤-٤) من ظ و مد . و فى الأصل : كلام العمل (٥) العبارة من هنا إلى « شق بهما » ساقطة من ظ (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : سواهما .
(٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : من (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما .
(٩) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (١٠) العبارة من هنا إلى « الضلال » ساقطة من ظ (١١) من مد ، و فى الأصل : يقررون .

على ما يشهدون به لأنهم لم يشهدوا [1]إلا على[1] ما هو عندهم مثل الشمس ، لا كما فعلتم أنتم حين اضطركم السؤال إلى الضلال .

و لما أقام البرهان على إثبات الإله الحق ، أتبعه البرهان على إبطال الباطل [فقال -[2]] : ﴿ و تالله ﴾ [3]و هو قسم . و الأصل فى القسم الباء الموحدة ، و الواو بدل منها ، و التاء بدل من الواو ، و فيها - مع كونها بدلا - زيادة على التأكيد بالتعجب[4] : قال الأصبهانى : كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده انتهى . و فيها أيضا أنها تدل على رجوع التسبب باطنا ، فكأنها إشارة إلى انه بعد[5] أن تسبب فى ردهم عن عبادتها ظاهرا بما خاطبهم[6] به . تسبب من ذلك ثانيا [باطنا -[7]] بافسادها ﴿ لأكيدن ﴾ [8]أكد لأنه مما ينكر لشدة عسره ؛ و الكيد : الاحتيال[9] فى الضرر ﴿ اصنامكم ﴾ أى هذه التى عكفتم عليها ناسين الذى خلقكم و إياها ، أى لأفعلن بها ما يسوءكم بضرب من الحيلة .

[10]و لما كان عزمه على إيقاع الكيد فى جميع الزمان الذى يقع فيه توليهم فى أىّ جزء تيسر له منه ، اسقط الجار فقال[10] : ﴿ بعد ان تولوا ﴾ أى [10]توقعو التولى[10] عنها . [10]و حقق مراده بقوله[10] ﴿ مدبرين ﴾

/ ٥٠٩

(١-١) من مد ، و فى الأصل : الى (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا إلى «بافسادها» ساقطة من ظ (٤) فى مد : بالتعجيب (٥) من مد ، و فى الأصل : يبعد (٦) فى مد : خالطهم (٧) زيد من مد (٨) العبارة من هنا إلى « فى الضرر » ساقطة من ظ (٩) من مد و فى الأصل : الاختيار (١٠-١٠) اسقط ما بين الرقمين من ظ .

لأنزلكم من الدليل العقلى على تحقيق الحق إذ لم تكونوا من أهله إلى الدليل الحسى على إبطال الباطل .

و لما كانوا فى غاية التعظيم لأصنامهم لرسوخ أقدامهم فى الجهل ، لم يقع فى أوهامهم قط أن إبراهيم عليه السلام يقدم على ما قال ، و على تقدير إقدامه الذى هو عندهم من[1] قبيل المحال لا يقدر على ذلك ، فتولوا إلى عيدهم ، و قصد هو ما كان عزم عليه فشمر فى إنجازه تشميرا يليق بتعليقه[2] اليمين بالاسم الأعظم ﴿ فجعلهم ﴾ [أى -[3]] [4]عقب توليهم[4] ﴿ جذذا ﴾ قطعا مهشمة مكسرة مفتتة ، من الجذ و هو القطع ﴿ الا كبيرا ﴾ واحدا ﴿ لهم ﴾ أى للأصنام[5] [4]أو لعبادها[4] فانه لم يكسره و جعل الفاس معه ﴿ لعلهم ﴾ [4]أى أهل الضلال[4] ﴿ اليه ﴾ وحده ﴿ يرجعون ﴾ عند إلزامه لهم بالسؤال فتقوم عليهم الحجة ، إذ لو ترك غيره معه لربما زعموا أن كلا[6] يكل الكلام إلى الآخر عند السؤال لغرض من الأغراض ، فلما عادوا إلى أصنامهم فوجدوها على تلك الحال علم[7] أنه لا بد لهم عند ذلك من أمر هائل ، فاستؤنف[8] الإخبار عنه بقوله : ﴿ قالوا ﴾ [4]أى أهل الضلال[4] : ﴿ من فعل هذا ﴾[9]

---

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : فى (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتعليق .
(٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاصنام (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كل (٧) من مد ، و فى الأصل : ثم ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى «عنه بقوله» .
(٨) من مد ، و فى الأصل : فاستانف (٩) زيد فى الأصل بعده : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

الفعل الفاحش ﴿بآلهتنا﴾ ثم استأنفوا[1] الخبر عن الفاعل فقالوا [2]مؤكدين لعلمهم أن ما أقامه الخليل عليه السلام على بطلانها يميل القلوب إلى اعتقاد أن هذا الفعل حق[2] : ﴿ انه لمن الظلمين ﴾ حيث وضع الإهانة فى غير موضعها، فان الآلهة حقها الإكرام ، لا الإهانة و الانتقام ﴿قالوا﴾ [2]أى بعضهم لبعض[2] : ﴿ سمعنا ﴾ و لم يريدوا تعظيمه مع شهرته و شهرة أبيه و عظمتهما فيهم ليجترئ[3] عليه من لا يعرفه فنكروه[4] [بقولهم -[5]] : ﴿ فتى ﴾ [أى -[6]] شابا من الشبان ﴿يذكرهم﴾ أى بالنقص و العيب ﴿يقال له ابرهيم﴾ [2]يعنون : فهو الذى يظن أنه فعله[2] ﴿قالوا﴾ [2]مسببين عن هذا[2] كارهين لأن يأخذوه سرا فيقال : أخذ بغير بينة ، و هم كفرة و هو[7] قد خالفهم فى دينهم فالى الله المشتكى من قوم يأخذون أكابر أهل دينهم بغير بينة بل و لا ظنة ﴿ فاتوا به﴾ إلى هنا أى إلى بيت الأصنام ﴿على اعين الناس﴾ أى جهرة . و الناس ينظرون [2]إليه نظرا لا خفاء معه حتى[2] كانه ماش على أبصارهم ، [2]متمكنا منها تمكن الراكب على المركوب ، و عبر بالعين عن البصر ليفهم الأكابر . و بجمع القلة لإفادة السياق الكثرة ، فيفيد الأمران قلة ما ، لئلا يتوهم من جمع الكثرة جميع الناس مطلقا[2] ﴿لعلهم﴾ إذا رأوه ﴿يشهدون﴾ أى أنه فعل بالآلهة هذا

---

(١) من ظ ومد ، و فى الأصل : استانف (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) من مد . و فى الأصل : ليجتروا (٤) من مد . و فى الأصل : فنكره ، و العبارة من « و لم يريدوا » إلى هنا ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) سقط من مد .

الفعل، أو أنه ذكرها بسوء. فيكون ذلك مسوغا لأخذه بذلك،
أو يشهد بفعله بعضهم، لأن / الشيء إذا حضر كانت[1] أحواله بالذكر /٥١٠
أولى منها إذا كان غائبا، وكان هذا عين ما قصده الخليل عليه السلام
أن يبين - في هذا المحفل[2] الذي لا يوجد مثله - ما هم عليه من واضح[3]
٥ الجهل المتضمن قلة العقل.

[4]ولما كان إحضاره معلوما أنهم لا يتأخرون عنه، استأنف
اخبار لما يقع التشوف له فقال[4]: ﴿قالوا﴾ منكرين عليه [5]مقررين،
له بعد حضوره على تلك الهيئة[5]: ﴿ءانت فعلت هذا﴾ الفعل
الفاحش ﴿بالهتنا يـٰإبرٰهيم[5] قال﴾ متهكما بهم[6] وملزما بالحجة:
١٠ ﴿بل فعله[7] كبيرهم﴾ غيرة من أن يعبد معه من هو دونه، [7]وهذا على
طريق إلزام[8] الحجة؛ وتقييده بقوله: ﴿هذا﴾ إشارة إلى الذي تركه
بغير كسر يدل على أنه كان فيهم كبير غيره. وكذا التنكير فيما مضى
من قوله "الا كبيرا لهم" وهذا[9] - مع كونه تهكما بهم [8]وكناية عن أنهم
لا عقل لهم لعبادتهم من يعلمون أنه لا يقدر على فعل ما[8] - تنبيه على
١٥ قباحة الشرك، وأنه لا يرضى به إله بل يهلك من عبد غيره وكل
ما عبد من دونه إن كان قادرا. غيرة على مقامه العظيم، ومنصبه الجسيم.

ولما أخبرهم بذلك، ولم يكن أحد رآه حتى يشهد على فعله. وكانوا

---

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: كانه (٢) بين سطري ظ: المجتمع (٣) من ظ ومد، وفي الأصل: اوضح (٤-٤) في ظ: فلما احضروه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من مد، وفي الأصل: لهم، والكلمة ساقطة من ظ. (٧) العبارة من هنا إلى «الحجة» ساقطة من مد (٨) من ظ، وفي الأصل: الزمام - كذا (٩) بين سطري ظ: أي قوله "بل فعله كبيرهم".

قد أحلوهم بعبادتهم و وضع الطعام لهم محل من يعقل، سبب[1] عنه أمرهم بسؤالهم فقال: ﴿ فسئلوهم ﴾ [2]أى عن الفاعل ليخبروكم به[2] ﴿ان كانو اينطقون ۝﴾ على زعمكم أنهم آلهة يضرون و ينفعون، [1]فان قدروا على النطق أمكنت منهم القدرة و إلا فلا[2]، أما سؤال الصحيح فواضح، و أما غيره فكما يسأل الناس من جرح أو قطعت يده أو رجله أو ضرب وسطه و بقيت فيه بقية من رمق. و إسناده الفعل إلى ما لا يصح إسناده إليه و أمره بسؤاله بعد الإضراب عن فعله [2]متضمن لأنه هو الفاعل.

و لما كان روح الكلام إقراره بالفعل[2] و جعلهم موضع الهزء لأنهم عبدوا ما لا قدرة له على دفاع أصلا، تسبب عنه[3] قوله تعالى الدال على خزيهم[4]: ﴿ فرجعوآ ﴾ [2]أى الكفرة[1] ﴿ الىٓ انفسهم ﴾ بمعنى أنهم فكروا فيما قال فاضطرهم الدليل إلى أن تحققوا أنهم على محض الباطل و أن هذه الشرطية الممكنة عقلا غير ممكنة عادة ﴿ فقالوآ ﴾ يخاطب بعضهم بعضا [مؤكدين لأن حالهم يقتضى إنكارهم لظلمهم -[5]]: ﴿ انكم انتم ﴾ خاصة ﴿ الظلمون ۝ ﴾ لكونكم وضعتم العبادة فى غير موضعها، لا إبراهيم فانه أصاب فى إهانتهم سواء المحزّ و وافق عين الغرض[6]،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تسبب (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) من مد، و فى الأصل: عن (٤) فى الأصل بياض ملأناه من مد، و العبارة من « و لما كان » إلى هنا ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد.

[1]وفى أنكم بعد أن عبدتموها و لا قدرة لها تركتموها بلا حافظ[1] .

و لما كان رجوعهم إلى الضلال بعد هذا الإقرار الصحيح الصريح فى غاية البعد[2] ، عبر بأداته مشيرا إلى ذلك فقال : ﴿ ثم نكسوا ﴾ أى انقلبوا [3]فى الحال غير مستحيين مما يلزمهم من الإقرار بالسفه[4] حتى كأنهم قلبهم قالب لم يمكنهم دفعه ﴿على رءوسهم ج﴾ فصار أعلاهم أسفلهم برجوعهم عن الحق إلى الباطل ، من قولهم : نكس المريض - إذا رجع إلى حاله الأول ، قائلين فى مجادلته عن شركائهم : ﴿ لقد علمت ﴾ يا إبراهيم ! ﴿ما [3]هؤلآء﴾ [1]لا صحيحهم و لا جريحهم[1] ﴿ينطقون ه ﴾ فكانوا بما فاهوا به ظانين أنه ينفعهم ، ممكنين لإبراهيم عليه السلام من جلائل المقاتل .

٥١١ / ١٠ و لما تسبب / عن قولهم هذا إقرارهم بأنهم لا فائدة فيهم ، فاتجهت لإبراهيم عليه السلام الحجة عليهم ، [1]استأنف سبحانه الإخبار عنها بقوله[1] : ﴿ قال ﴾ منكرا عليهم موبخا لهم [1]مسببا عن إقرارهم هذا[1] : ﴿ أفتعبدون ﴾ و نبههم على أن جميع الرتب تتضاءل دون رتبة الإلهية بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ [1]أى من أدنى رتبة من تحت رتبة الملك[1] الذى لا ضر و لا نفع إلا بيده لاستجماعه[5] صفات الكمال[6] . و لما كانوا فى محل ضرورة بسبب تكسير

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : البصر . (٣) العبارة من هنا إلى « دفعه » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : بالسقيم (٥) زيد فى مد : لجميع (٦) العبارة من « لاستجماعه » إلى هنا ساقطة من ظ .

أصنامهم ، راجين من ينفعهم فى ذلك[١] ، قدم النفع فقال : ﴿ ما لا ينفعكم شيئا ﴾ لترجوه ﴿ و لا يضركم[٥] ﴾ شيئا لتخافوه .

[٢]و لما أثبت أن معبوداتهم هذه فى حيز العدم ، فكانوا لعبادتها دونها ، استأنف تبكيتهم لذلك بأعلى كلمات التحقير التى لا تقال إلا لما هو غاية فى القذارة فقال[٢] : ﴿ اف ﴾ أى تقذر و تحقير منى . [٣]و فى الأحقاف[٤] ما يتعين استحضاره هنا ، ثم خص ذلك بهم بقوله : ﴿ لكم و لما تعبدون ﴾ [و لما كانت - [٥]] عبادتهم على وجه الإشراك ، [٦]و كانت[٦] [جميع الرتب تحت رتبته تعالى ، و كانت أصنامهم هذه فى رتب منها سافلة جدا أثبت الجار فقال -[٧]] : ﴿ من دون الله[٦] ﴾ [٢]أى الملك الأعلى[٢] لدناءتكم و قذارتكم .

و لما تسبب عن فعلهم هذا وضوح أنه لا يقربه عاقل ، أنكر عليهم و وبخهم على ترك الفكر[٨] تنبيها على أن فساد ما هم عليه يدرك ببديهة العقل فقال : ﴿ أ فلا تعقلون ﴾ أى و انتم شيوخ قد مرت بكم الدهور و حنكتكم التجارب[٩] .

و لما وصل بهم إلى هذا الحد من البيان ، فدحضت حجتهم ، و بان عجزهم ، و ظهر الحق ، و اندفع الباطل ، فانقطعوا انقطاعا فاضحا ، [٢]أشار سبحانه إلى الإخبار عن ذلك بقوله استئنافا[٢] : ﴿ قالوا ﴾ عادلين إلى

---

(١) زيد فى الأصل : اليوم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «هنا» ساقطة من ظ (٤) راجع آية ١٧ .
(٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) فى ظ : قال (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذكر (٩) بهامش ظ : التجارب بكسر الراء جمع تجربة .

العناد و استعمال القوة الحسية : ﴿ حرقوه ﴾ بالنار لتكونوا قد فعلتم فيه فعلا هو أعظم مما فعل بآلهتكم ﴿ و انصروآ آلهتكم ﴾ التى جعلها جذاذا ؛ [1]و أشار التعبير - بأداة الشك و فعل الكون و اسم الفاعل إلى أن أذاه لا يسوغ ، و ليس الحامل عليه إلا حيلة غلبت على الفطرة الأولى السليمة - فى قوله[1] : ﴿ ان كنتم فعلين ﴾ أى النصرة لها ، فان النار أهول المعاقبات[2] و أفظعها ، فهى أزجر لمن يريد مثل هذا الفعل ، و اتركوا الجدال فانه يورث ضد ما تريدون ، و يؤثر عكس ما تطلبون ، فعزموا على ذلك فجمعوا الحطب شهرا و وضعوه فى جوبة[3] من الأرض [4]أحاطوا بها جدارا كما[5] فى الصافات[6] حتى كان [1]ذلك الحطب[1] كالجبل ، و أضرموا فيه النار حتى كان على صفة لم يوجد فى الأرض قط مثلها ، حتى أن كان الطائر ليمر بها فى الجو فيحترق[7] ، ثم ألقوه فيها بالمنجنيق فقال : حسبى الله و نعم الوكيل - أخرجه البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، و لأبى يعلى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : لما ألقى إبراهيم عليه السلام فى النار قال : اللهم ! إنك فى السماء واحد و أنا فى الأرض واحد ، عبدك[8] . و قال البغوى[9] : أتاه خازن المياه فقال : إن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) بهامش ظ : المعاقبات بفتح القاف جمع معاقبة وهى مصدر (٣) أى حفرة (٤) العبارة من هنا إلى « الصافات » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : كل (٦) راجع آية ٩٧ (٧) حسب قول ابن إسحق - راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٤ / ٢٤٣ (٨) فى ظ : اعبدك (٩) فى المعالم - راجع اللباب ٤ / ٢٤٣ .

أردت أخمدت النار ، و أتاه خازن الرياح فقال : إن شئت طيرت النار في الهواء ، فقال إبراهيم : لا حاجة [لى -[1]] إليكم / " حسبي الله و نعم الوكيل " . فأراد الله الذى له القوة جميعا سلامته منها ، فعبر عن ذلك بقوله سبحانه [2] استئنافا لجواب من زاد تشوفه إلى ما كان من[3] أمره بعد الإلقاء فيها : ﴿ قلنا ﴾ [4] أى بعظمتنا [4] ﴿ يـنار كونى ﴾ بارادتنا التى لا يتخلف عنها مراد ﴿ بردا ﴾ . و لما كان البرد قد يكون ضارا قال : ﴿ و سلـما ﴾ فكانت كذلك ، فلم تحرق[5] [منه -[6]] إلا وثاقه[7] . /٥١٢

و لما كان المراد اختصاصه عليه السلام بهذا قيده به ، و لما كان المراد حياته و لا بد ، عبر بحرف الاستعلاء فقال : ﴿ على[7] ابرٰهيم[8] ﴾ أى فكان ما أردنا من سلامته ، و روى البغوى[8] من طريق البخارى عن أم شريك رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمر بقتل الوزغ و قال : كان ينفخ [النار -[9]] على إبراهيم . و قال ابن كثير : و قال ابن [أبى -[6]] حاتم : حدثنا عبيد الله بن أخى ابن وهب [ثنا عمى -[6]] عن جرير بن حازم أن نافعا حدثه قال : حدثتنى مولاة الفاكه ابن المغيرة المخزومى قالت[10] : دخلت على عائشة رضى الله عنها فرأيت فى

(١) زيد من ظ و مد و المعالم (٢) العبارة من هنا إلى «الإلقاء فيها» ساقطة من ظ .
(٣) من مد ، و فى الأصل : عن (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلم نحر - كذا (٦) زيد من ظ و مد (٧) حسب ما قال كعب - راجع المعالم (٨) راجع المعالم على هامش اللباب ٤ / ٢٤٣ (٩) زيد من المعالم (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : قال .

بيتها ريحا فقلت : يا أم المؤمنين ! ما تصنعين بهذا الريح ؟ فقالت : نقتل [1]به هذه[1] الأوزاغ ، إن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار لم يكن فى الأرض دابة إلا تطفئ عنه غير الوزغ ، فانه كان ينفخ على إبراهيم فأمرنا رسول الله صلى الله عليه و سلم بقتلة .

[2]و لما قدم ما نبه على شدة الاهتمام به [لإفهامه - [3]] أنه حكم بسلامته من كيدهم عند همهم به فكيف بما بعده ! قال عاطفا على ما تقديره : فألقوه فيها : ﴿ و ارادوا به كيدا ﴾ [أى مكرا باضراره - [3]] بالنار و بعد خروجه منها ﴿ فجعلنهم ﴾ [أى - [3]] [4]بما لنا من الجلال[4] .

[و لما كانوا قد أرادوا بما صنعوا له من العذاب أن يكون أسفل منهم أهل ذلك الجمع ، وكان السياق لتحقيق أمر الساعة الذى هو مقصود السورة ، و كان الصائر إليها المفرط فيها بالتكذيب بها قد خسر خسارة لا جبر لها لفوات محل الاستدراك ، قال - [3]] : ﴿ الاخسرين ﴾ لأن فضيحتهم فى الدنيا الموجبة للعذاب فى الأخرى كانت بنفس فعلهم الذى كادوه به ، و لم يذكر سبحانه شعيبا عليه السلام مع أنه سخر له النار فى يوم الظلة فأحرقت من عصاه ، لأن فعل النار بقومه كان على ما هو المعهود من أمرها بخلاف فعلها مع إبراهيم عليه السلام ، فانه على خلاف

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهذه (٢) العبارة من هنا إلى « فألقوه فيها » ساقطة من ظ (٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .

المعتاد ، [1]و قد وقع مثل هذا[2] لبعض أتباع نبينا[3] صلى الله عليه و سلم ، و هو أبو مسلم الخولانى ، طلبه الأسود العنسى لما ادعى النبوة فقال له : أتشهد أنى رسول الله ؟ قال : ما أسمع ، قال[4] : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ! فأمر بنار فألقى فيها فوجدوه قائما يصلى فيها و قد صارت عليه بردا وسلاما ، و قدم المدينة بعد موت النبى صلى الله عليه و سلم فأجلسه ٥ عمر بينه و بين أبى بكر رضى الله عنهما و قال : الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أرانى من أمة محمد صلى الله عليه و سلم من فعل به كما فعل بابراهيم خليل الله.

و لما كان إنجاؤه - و هو وحده - ممن أرادوا به هذا[5] الأمر العظيم من العجائب فكيف إذا انضم إليه غيره ، و لم يكن فى ذلك الغير آية تمنعهم [عنه -[6]] كما كان فى إبراهيم عليه السلام ، قال : ﴿ و نجيناه ﴾ ١٠ [7]أى بعظمتنا[7] ﴿ و لوطا ﴾ [أى -[6]] ابن أخيه و صديقه لكونه آمن به[8] و صدقه، من[9] بلادهما كوثى بلاد[10] العراق ، منتهيين إلى الأرض المقدسة ، و لعله عبر بالى الدالة على تضمين / [11]انتهى[11] للدلالة على أن هناك غاية طويلة ، ٥١٣/ فانهما خرجا من كوثى[11] من [7]أرض العراق[7] إلى حران ثم [12]من حران[12]

(١) العبارة من هنا إلى «خليل الله» ساقطة من ظ (٢) راجع الاستيعاب فى معرفة الأصحاب ٢/٦٨٦ (٣) من مد ، و فى الأصل : النبى (٤) من مد و الاستيعاب ، و فى الأصل : فقال (٥) فى ظ : بهذا (٦) زيد من ظ و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ ومد ، و فى الأصل : له (٩) فى ظ : فى (١٠) تكرر فى الأصل فقط (١١) بهامش ظ : قوله « فانهما خرجا من كوثى » فيه نظر ، فان القرطبي نقل فى تفسيره عن القاضى أبى بكر ابن الفسوى ما نصه : لقد دخلت ضيفا على ألف قرية فما رأيت نساءا أصون عينا ولا أعف فما من نساء بابلس التى رمى بها الخليل عليه السلام - إلى آخره ، فطالع ذلك إن أردته - و الله الموفق . (١٢ - ١٢) سقط ما بين الرقمين من مد .

﴿ الى الارض ﴾ المقدسة ﴿ التى بركنا فيها ﴾ بأن ملأناها من الخيرات الدنيوية و الأخروية [1]بما فيها من المياه التى بها حياة كل شيء من الأشجار و الزروع[2] و غيرها ، و ما ظهر منها من الأنبياء عليهم السلام الذين ملأوا الأرض نورا ﴿ للعلمين ٥ ﴾ كما أنجيناك أنت يا أشرف أولاده و صديقك أبا بكر رضى الله عنه إلى طيبة التى شرفناها بك ، و بثثنا من أنوارها فى أرجاء الأرض و أقطارها ما [لم -[3]] نبث مثله قط ، و باركنا فيها للعالمين . بالخلفاء الراشدين و غيرهم من العلماء و الصالحين ، الذين انبثت خيراتهم العلمية و العملية و المالية فى جميع الأقطار .

و لما أولد له فى حال شيخوخته و عجز امرأته مع كونها عقيما ، و كان ذلك دالا على الاقتدار على البعث الذى السياق كله له ، قال : ﴿ و وهبنا ﴾ دالا على ذلك بنون العظمة ﴿ لهَ اسحق[4] ﴾ أى من شبه العدم ، و ترك شرح حاله لتقدمه ، أى فكان ذلك دالا[4] على اقتدارنا على ما نريد لاسيما من إعادة الخلق فى يوم الحساب ؛ و لما كان قد يظن أنه -لتولده بين شيخ فان و عجوز مع يأسها عقيم- كان على حالة من الضعف ، لا يولد لمثله معها ، نفى ذلك بقوله : ﴿ و يعقوب نافلة[4] ﴾ أى [5]ولد إسحاق[5] [6]زيادة على ما دعا به إبراهيم عليهما السلام[6] ؛ ثم نمى سبحانه أولاد يعقوب - و هو إسرائيل- و ذرياتهم إلى أن ساموا النجوم عدة ، و باروا الجبال شدة ﴿ و كلا ﴾ من هؤلاء الأربعة ؛ [6]و عظم رتبتهم بقوله[6] : ﴿ جعلنا صلحين ٥ ﴾

(١) العبارة من هنا إلى « نورا » ساقطة من ظ (٢) فى مد : الزرع (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى مد : دليلا (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ولدا لاسحاق (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أى مهيئين - لطاعتهم لله - لكل ما يريدونه أو يرادون له أو يراد منهم ، وهذا إشارة إلى أن العاصى هالك ، لا يصلح لشىء وإن طال عمره ، واشتد أمره ، لأن العبرة بالعاقبة .

ولما ذكر انه أعطاهم رتبة الصلاح فى أنفسهم ، ذكر أنه أعطاهم رتبة الإصلاح لغيرهم ، فقال [١]معظما لإمامتهم[١] : ﴿ وجعلنهم ائمة ﴾ ٥ أى أعلاما ومقاصد يقتدى بهم [١]فى الدين بما أعطاهم من النبوة[١] . ولما كان الإمام قد يدعو إلى الردى ، ويصد عن الهدى ، إذا[٢] كانت إمامته ظاهرة لا يصحبها صلاح باطن ، احترز عن ذلك بقوله : ﴿ يهدون ﴾ أى يدعون إلينا من وفقناه للهداية ﴿ بامرنا ﴾ وهو الروح الذى هو العمل المؤسس على العلم باخبار الملائكة به [عنا - ٣] ، ولإفهام ذلك عطف عليه ١٠ قوله [١]معظما لوحيه[١] [إليهم - ٤] : ﴿[٥]وأوحينآ[٥] اليهم ﴾ [أى - ٣] أيضا ﴿ فعل ﴾ [١]أى أن يفعلوا[١] ﴿ الخيرٰت ﴾ كلها [٦]وهى شرائع الدين[٦] ، ولعله عبر بالفعل دلالة على أنهم امتثلوا [كل - ٣] ما أوحى إليهم .

ولما كانت الصلاة أم الخيرات ، خصها بالذكر فقال : ﴿ وإقام الصلوٰة ﴾ [١]قال الزجاج : الإضافة عوض عن تاء التأنيث[١] . ١٥ [يعنى فيكون من الغالب لا من القليل - ٤] ، [٨]وكان سر الحذف تعظيم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذ . (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد من مد (٥-٥) تقدم فى الأصل على « معظما » و الترتيب من مد (٦) العبارة من هنا إلى « أوحى إليهم » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : النبوة (٨) العبارة من هنا إلى « الظن بصلاتنا » وقعت و فى الأصل بعد " ايتاء الزكوٰة " و الترتيب من مد ، و سقطت من ظ .

الصلاة لأنها مع نقصها عن صلاتنا - [لما أشار إليه الحذف - ١] - بهذه المنزلة من العظمة فما الظن بصلاتنا .

٢ولما كانت الصلاة بين العبد والحق، وكان روحها الإعراض عن كل فان، عطف عليها قوله٢: ﴿ وإيتآء الزكوٰة ﴾ [أى التى هى مع كونها إحسانا إلى الخلق بما دعت الصلاة إلى الانسلاخ عنه من الدنيا، ٥ ٥١٤/ ففعلوا ما أوحيناه إليهم - ٣] ﴿ وكانوا لنا ﴾ دائما / ٤ جبلة وطبعا ٤ ﴿ عٰبدين ﴾ أى فاعلين لكل ما يأمرون به غيرهم، فعل العبد مع مولاه من كل ما يجب له من الخدمة، ويحق له من التعظيم والحرمة .

ولما كان سبحانه قد سخر لصديقه لوط عليه السلام إهلاك من عصاه فى أول الأمر بحجارة الكبريت التى هى من النار، وفى آخره ١٠ بالماء الذى هو أقوى من النار، تلاه به فقال: ﴿ ولوطا ﴾ ٤أى واتينا٤ أو ٥واذكر لوطا؛ ثم استأنف قوله: ﴿ ءاتينٰه ﴾ ٤أى بعظمتنا٤ ﴿ حكما ﴾ أى نبوة٦ [و٦ عملا محكما بالعلم - ٣] ﴿ وعلما ﴾ ٧مزينا بالعمل ﴿ ونجينٰه ﴾ ٤بانفرادنا بالعظمة .

ولما كانت مادة ٤قرا٤ تدل على الجمع، قال٤: ﴿ من القرية ﴾ ١٥ ٨المسماة سدوم، [أى من عذابهم وجميع شرورهم، وأفرد تنبيها على عمومها بالقلع والقلب وأنه كان فى غاية السهولة والسرعة - ١]، و٦ قال

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) وقع ما بين الرقمين فى الأصل قبل « وكانوا لنا » والترتيب من ظ ومد (٣) زيد من ظ ومد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من مد، وفى الأصل وظ: اى (٦) سقط من ظ (٧) زيد فى الأصل: وعملا محكما بالعمل. ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها.

أبو حيان [١] : وكانت سبعا ، عبر عنها بالواحدة لاتفاق أهلها على الفاحشة .
﴿ التى كانت ﴾ قبل إنجائنا له منها ﴿ تعمل الخبٓئث [٤] ﴾ بالذكران ،
[٣] وغـير ذلك من الطغيان [٢] . فاستحقوا النار التى هى أمر المؤلمات ،
بما ارتكبوا من الشهوة المحظورة لعدمهم لهـا أحلى [٣] الملذذات . والغمر
بالماء القذر المنتن الذى جعلناه - مع أنا جعلنا من الماء كل شىء حى - ٥
لا يعيش فيه حيوان ، فضلا عن أن يتولد منه ، ولا ينتفع به ، لما خامروا
من القذر الذى لا ثمرة له .

ولما كان فى هذا إشارة إلى إهلاك القرية ، وأن التقدير : ودمرنا
عليهم بعد انفصاله عنهم ، علله بقوله : ﴿ انهم كانوا ﴾ [٢] أى بما جبلوا
عليه [٢] ﴿ قوم سوء ﴾ [٢] أى ذوى قدرة على الشر [٢] بانهماكهم فى الأعمال ١٠
السيئة ﴿ فسقين ﴾ خارجين من كل خير ، ثم زاد الإشارة وضوحا
بقوله : ﴿ وادخلنه ﴾ أى دونهـم بعظمتنا [٤] ﴿ فى رحمتنا [٤] ﴾ أى فى
الأحوال السنية ، والأقوال العلية ، والأفعال الزكية . التى هى سبب
للرحمة العظمى [٤] ومسببة عنها ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انه من الصلحين ﴾
[أى - [٥]] لما جبلناه عليه من الخير . ١٥

ولما أتم سبحانه قصة لوط المناسبة لقصة الخليل عليهما السلام بحجارة
الكبريت ، ولقصة نوح عليه السلام بالماء الذى غمرت به قراه السبع ،
أتبع ذلك قصة نوح عليه السلام الذى سخر له [من - [٥]] الماء ما لم يسخره

(١) راجع البحر المحيط ٦/٣٢٩ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ ومد .

لغيره [1]لغمره لجميع[1] الأرض دانيها و قاصيها، واطيها و عاليها، فقال: ﴿ و نوحا اذ ﴾ [2]أى اذكره حين[2] ﴿ نادىٰ ﴾ أى[3] دعا ربه "انى مغلوب فانتصر" "[2]و لا تذر على الارض من الكٰفرين ديارا[2]" و نحوه من الدعاء.

[4]و لما كان دعاؤه لم يستغرق الأزمنة الماضية، أثبت الجار فقال[4]: ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل لوط و من تقدمه ﴿ فاستجبنا ﴾ [2]أى أردنا الإجابة و أوجدناها بعظمتنا[2] ﴿ له ﴾ فى[5] ذلك النداء؛ [ثم سبب عن ذلك قوله -[6]]: ﴿ فنجيٰنه ﴾ [أى بعظمتنا تنجية عظيمة -[6]] ﴿ و اهله ﴾ الذين أدام ثباتهم على الإسلام و صلتهم به ﴿ من الكرب العظيم ﴾ من الأذى و الغرق؛ قال أبو حيان[7]: و الكرب: أقصى الغم، و الأخذ بالنفس، و هو هنا الغرق، عبر عنه بأول أحوال ما يأخذ الغريق. ﴿ و نصرنٰه ﴾ أى [8]مخلصين له و مانعين[8] [و منتقمين -[6]] ﴿ من القوم ﴾ [2]أى المتصفين بالقوة[2] ﴿ الذين كذبوا ﴾ أى أوقعوا التكذيب له ﴿ بايٰتنا ﴾ أى بسبب إتيانه بها. [2]و هى من العظمة على أمر لا يخفى[2].

و لما كان التقدير: ثم أهلكناهم، علله بقوله: ﴿ انهم كانوا قوم سوء ﴾ لا عمل لهم إلا ما يسوء ﴿ فاغرقنٰهم ﴾ [1]أى بعظمتنا التى أتت عليهم كلهم[1] ﴿ اجمعين ﴾ / حتى من قطع[9] الكفر بين نوح عليه السلام و بينه /٥١٥

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: يغمرن بجميع (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من مد (٤-٤) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «ذلك النداء» والترتيب من مد. وسقط من ظ (٥) سقط من ظ (٦) زيد من مد. (٧) راجع البحر المحيط ٦ / ٣٣٠ (٨-٨) فى ظ: خلصناه (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يطع.

من أهله فصار لايعد من أهله ، لاختلاف الانتساب بالدين .

و لما كان ربما قيل : لم قدم إبراهيم و من معه على نوح و هو أبوهم و من أولى العزم ، و موسى و هارون على إبراهيم و هو كذلك ، أشار بقصة داود و سليمان - على[1] جميعهم الصلاة و السلام - إلى أنه ربما يفضل الابن الأب فى أمر ، فربما قدم لأجله و إن ن لايلزم منه تقديمه مطلقا ، مع ما فيها من أمر الحرث[2] الذى هو أنسب شىء لما بعد غيض الماء فى قصة نوح عليه السلام . هـــذا فى أوله و أما فى آخره [3]فما يُنبته[3] مثال للدنيا فى بهجتها و غرورها ، و انقراضها[4] و مرورها ، و من تصريف داود عليه السلام فى الجبال و هى أشد التراب الذى هو أقوى من الماء ، و فى الحديد و هو[5] أقوى تراب[6] الجبال . و سليمان عليه السلام فى الريح و هى[7] أقوى من التراب فقال : ﴿ و داود ﴾ [أى أول من ملك ابنه من أنبياء بنى إسرائيل -[8]] ﴿و سليمن﴾ ابنه . أى[9] اذكرهما [10]و اذكر شأنهما[10] ﴿اذ﴾ [أى حين -[8]] ﴿يحكمن فى الحرث﴾ الذى أنبت الزرع ، و هو من إطلاق اسم السبب عـــلى المسبب كالسماء على المطر و النبت ، [11]قيل : كان ذلك كرما ، و قيل : زرعا[11] ﴿اذ نفشت﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحرب .
(٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تنبيه - كذا (٤) زيد فى الأصل : و غرورها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : هى .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل: اتراب (٧) من مد . و فى الأصل و ظ : هو .
(٨) زيد من مد (٩) سقط من مد (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(١١ - ١١) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد .

أي انتشرت ليلا بغير راع ﴿فيه غنم القوم﴾ الذين لهم قوة على حفظها فرعته ؛ قال قتادة : النفش بالليل ، و الهمل [1] بالنهار . ﴿ و كنا ﴾ [2] أي بعظمتنا التي لا تقر على خلاف الأولى في شرع من الشروع [2] ﴿لحكمهم﴾ أي الحكمين و المتحاكمين إليهما ﴿شهدين قط﴾ لم يغب عنا ذلك و لا شيء من أمرهم هذا و لا غيره . فلذلك غيرنا على داود عليه السلام تلك الحكومة مع كونه ولينا [2] و هو مأجور في اجتهاده [لأن الأولى خلافها ، فانه حكم بأن يتملك صاحب الحرث الغنم بما أفسدت من الكرم . فكأنه رأى قيمة الغنم قيمة ما أفسدت - [4]] ﴿ ففهمناها ﴾ [2] أي الحكومة [2] [بما لنا من العلم الشامل و القدرة الكاملة على رفع من نشاء - [4]] ﴿سليمن﴾ [5] فقال : تسلم الغنم [6] لصاحب الكرم [6] ليرتفق بلبنها و نسلها و صوفها و منافعها ، و يعمل صاحبها في الكرم حتى يعود كما كان فيأخذ حرثه ، و [7] ترد الغنم إلى صاحبها ، و هذا أرفق بهما . و هذا أدل دليل على ما تقدمت الإشارة إليه عند " قل ربي يعلم القول " ، و " كنا به عالمين اذ قال لابيه " و فيه رد عليهم في غيظهم من النبي صلى الله

(١) من ظ و مد و معالم التنزيل بهامش اللباب ٤/٢٤٦ . و في الأصل : المهمل .
(٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من مد . و في الأصل و ظ : وليا .
(٤) زيد ما بين الحاجزين من مد (٥) العبارة من هنا إلى « أرفق بهما » ساقطة من ظ (٦-٦) وقع ما بين الرقمين في الأصل مكررا فحذفناها (٧) من مد ، و في الأصل : ثم .

عليه و سلم فى تسفيه الآباء و الرد عليهم كما فى قصه إبراهيم عليه السلام لأنه ليس بمستنكر أن يفضل الابن أباه و لو فى شيء ، [و الآية تدل على أن الحكم ينقض بالاجتهاد إذا ظهر ما هو أقوى منه - ١] .

و لما كان ذلك ربما أوهم شيئا فى أمر داود عليه السلام ، نفاه بقوله ٢دالا على أنهما على الصواب فى الاجتهاد٢ ٣و إن كان المصيب فى الحكم ٥ إنما هو أحدهما٣ ﴿ و كلا ﴾ ٢أى منهما٢ ﴿ آتينا ﴾ ٢بما لنا من العظمة٢ ﴿ حكما ﴾ أى [نبوة - ١] و٤ عملا مؤسسا على حكمة العلم ، [و هذا معنى ما قالوه فى قول النبى صلى الله عليه و سلم : إن من الشعر حكما٢ - أى قولا صادقا مطابقا للحق - ١] ﴿ و علما ﴾ مؤيدا بصالح العمل ، ٦و عن الحسن٧ رحمه الله : لولا هذه الآية لرأيت القضاة قد هلكوا ، ١٠ و لكنه أثنى على سليمان عليه السلام بصوابه ، و عذر داود عليه السلام باجتهاده - انتهى . و أتبعه من الخوارق ٨ما يشهد له٨ [بالتقدم و الفضل - ١] فقال : ﴿ و سخرنا ﴾ ٣أى بعظمتنا التى لا يعييها شيء٣ .

و لما كان هذا الخارق فى التنزيه ، لم يُعَدَّ الفعل باللام زيادة فى

---

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣-٣) من مد ، و ما بين الرقمين ساقط من ظ ، و فى الأصل : لا فى الحكم (٤) سقطت الواو من ظ (٥) راجع مسند الإمام أحمد ١/٢٦٩ (٦) العبارة من هنا إلى «انتهى» ساقطة من ظ (٧) من مد و معالم التنزيل بهامش للباب ٤/٢٤٦ ، و فى الأصل : يحيي .
(٨ - ٨) ما بين الرقمين تقدم فى الأصل على «من الخوارق» و الترتيب من ظ و مد .

التنزيه و إبعادا عما ربما أوهم غيره فقال [1]مقدما ما هو أدل على القدرة
فى ذلك لأنه أبعد عن النطق[1] : ﴿مع داود الجبال﴾ أى التى هى أقوى
من الحرث ، [1]حال كونهن[1] ﴿يسبحن﴾ معه ، و لو شئنا لجعلنا الحرث
/٥١٦ أو الغنم يكلمه بصواب الحكم . / و لم يذكر ناقة صالح لأنها مقترحة موجبة
٥ لعذاب الاستئصال ، فلم يناسب ذكرها هنا ، لما أشار إليه قوله تعالى
"لقد انزلنا اليكم كتبا فيه ذكركم" ، "و ما ارسلنك الا رحمة للعلمين"
و هذه الآيات التى ذكرت هنا ليس فيها شىء مقترح ﴿و الطير[4]﴾ التى
سخرنا[2] لها الريح التى هى اقوى من الجبال [و-[2]] أكثر سكناها الجبال ،
سخرناها معه تسبح ﴿و كنا [5]فعلين﴾ اى من شأننا الفعل لأمثال[5] هذه
١٠ الأفاعيل ، و لكل شىء نريده [1]بما لنا من العظمة المحيطة[1] . فلا تستكثروا
علينا أمرا و إن كان عندكم عجبا ، [6]و قد اتفق نحو هذا لغير واحد من
هذه الأمة . كان مطرف بن عبد الله بن الشخير إذا دخل بيته سبحت
معه ابنته[6] ، هذا مع أن الطعام كان يسبح بحضرة النبى صلى الله عليه
و سلم و الحصى و غيره .

١٥ و لما ذكر التسخير بالتسبيح ، أشار إلى تسخير الحديد الذى هو

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : سخرناها .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الامثال (٥) العبارة من
هنا إلى « الحصى و غيره » ساقطة من ظ (٦) و فى الإصابة : ابنة ابنته - راجع
ترجمة مطرف فى القسم الثانى من حرف الميم .

أقوى تراب الجبال و أصلبه و أصفاه[1] فقال: ﴿و علمناه﴾ [أي بعظمتنا -[2]] ﴿صنعة لبوس﴾ قال البغوي[3]: و هو في اللغة اسم[4] لكل ما[4] يلبس و يستعمل في الأسلحة كلها. و هو كالجلوس[5] و الركوب. ﴿لكم[6]﴾ أي لتلبسوه في حربكم، و ألنا له في عمله الحديد ليجتمع له إلى العلم سهولة العمل فيأتي كما يريد ﴿لتحصنكم﴾ أي[7] اللبوس أو داود أو الله[8] على قراءة الجماعة[9] في حصن مانع، و هو معنى قراءة النون[10] الدال على مقام العظمة عند أبي بكر عن عاصم و رويس عن يعقوب، و قراءة أبي جعفر و ابن عامر و حفص بالفوقانية للدروع نظرا إلى الجنس[10] ﴿من باسكم﴾ الكائن مما يحصل من بعضكم لبعض من شدائد الحرب لا من البأس كله ﴿فهل انتم شاكرون﴾ لنا على ذلك لتوحدونا[11] و تؤمنوا بأنبيائنا؛ قال البغوي[3]: قال قتادة: أول من صنع الدروع و سردها[12] و حلقها داود عليه السلام، و كانت من قبل صفائح. و الدرع[13] يجمع الخفة و الحصانة[14].

و لما كان قد سخر لابنه سليمان عليه السلام الريح التي هي أقوى

---

(١) من ظ و مد، و في الأصل: اصفا (٢) زيد من مد (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٤/٢٤٧ (٤-٤) من ظ و مد و المعالم. و في الاصل: لما (٥) من المعالم، و في النسخ: كالحلوب (٦) تكرر في الأصل فقط بعد "صنعة لبوس". (٧) سقط من ظ (٨) العبارة من هنا إلى «مانع» ساقطة من ظ (٩) بالياء - راجع نثر المرجان ٤/٤١٦ (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) في ظ: لتوحدنا. (١٢) بهامش ظ: السرد: الخرز في الأديم و الثقب و نسج الدرع و اسم جامع للدروع و سائر الحلق (١٣) من ظ و مد و المعالم. و في الأصل: الدروع. (١٤) في ظ: الحصافة. و بهامشه: الحصافة: الإحكام.

من بقية العناصر قال : ﴿ و لسليمن ﴾ معبرا باللام لأنها كانت تحت أمره لنفعه و لا إبهام فى العبارة ﴿ الريح ﴾ قال البغوى[1] : و هى جسم لطيف يمتنع [2]باطفه من القبض[2] عليه ، و يظهر للحس بحركته ، وكان سليمان عليه السلام يأمر بالخشب فيضرب له ، فاذا حمل عليه ما يريد من الدواب ، الناس و آلة الحرب أمر العاصفة فدخلت تحت الخشب فاحتملته حتى إذا استقلت به أمر الرخاء تمر به شهرا فى غدوته و شهرا فى روحته - انتهى ملخصا . فكان الريحان مسخرتين له . و لكن لما كان السياق هنا لبيان الإقدار على الأفعال الغريبه الهائلة ، قال : ﴿ عاصفة ﴾ أى شديدة الهبوب ، هذا باعتبار عملها . و وصفت بالرخاء باعتبار لطفها بهم فلا يجدون لها مشقة[3] ﴿ تجرى بامره ﴾ إذا أمرها غادية و رائحة ذاهبة [4]إلى حيث أراد[4] و عائدة على[5] حسب ما يريد ، آية فى آية .

و لما كان قد علم مما مضى من القرآن لحامله المعتنى / بتفهم[6] معانيه ، و معرفة أخبار من ذكر فيه ، أنه[7] من بنى إسرائيل ، و أن قراره بالأرض المقدسة ، فكان من المعلوم أنه يجريها إلى غيره[8] . و كان الحامل إلى مكان ربما تعذر عوده مع[9] المحمول ، عبر بحرف الغاية ذاكرا محل القرار دلالة على أنها

/ ٥١٧

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٤/٢٤٨ (٢ - ٢) من المعالم ، و فى النسخ : من لطفه بالقبض (٣) من مد . و فى الأصل : شفة ، و العبارة من « هذا باعتبار » إلى هنا ساقطة من ظ ، ٤ - ١٤ سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : الى . و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى «أياما فقال» ص ٤٥٩ س ١ (٦) من مد ، و فى الأصل : فيفهم (٧) من مد . و فى الأصل : اية . (٨) من مد . و فى الأصل : غيرها (٩) من مد ، و فى الأصل : من .

كما

-كما تحمله ذهابا إلى حيث أراد من قاص و دان - تحمله إلى قراره أياما فقال: ﴿الى الارض التى بـركنا﴾ [١]أى بعزتنا[١] ﴿فيها[١]﴾ و هى الشام ﴿و كنا﴾ [١]أى أزلا و أبدا باحاطة العظمة[١] ﴿ بكل شىء ﴾ من هذا و غيره [١]من أمره و غيره[١] ﴿عٰلمين﴾ فكنا على كل شىء قادرين ، فلولا رضانا به لغيرناه عليه كما غيرنا[٢] على من قدمنا أمورهم ، و هذا من طراز "قل ربى يعلم القول" كما مضى . و تسخير الريح [له -[٣]] كما سخرت للنبى صلى الله عليه و سلم ليالى الأحزاب . قال حذيفة رضى الله عنه : حتى كانت تقذفهم بالحجارة ، ما تجاوز عسكرهم . فهزمهم الله بها و ردوا بغيظهم لم ينالوا خيرا . [٤]و أعم من جميع ما أعطى الأنبياء عليهم السلام أنه أعطى صلى الله عليه و سلم التصرف فى العالم العلوى الذى جعل سبحانه منه الفيض على العالم السفلى بالاختراق لطباقه بالإسراء تارة ، و بامساك المطر لما دعا بسبع كسبع[٥] يوسف ، و بارساله أخرى كما فى أحاديث كثيرة ، و أتى مع ذلك بمفاتيح خزائن الأرض كلها فردها صلى الله عليه و سلم .

و لما ذكر تسخير الريح له ، ذكر انه سخر له ما أغلب عناصره النار و الريح للعمل فى الماء ، مقابلة لارتفاع الحمل فى الهواء باستفال[٦] الغوص فى الماء فقال: ﴿و من﴾ أى و سخرنا له من ﴿الشيٰطين﴾ الذين هم أكثر شىء تمردا و عتوا ،

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى مد : غير (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) العبارة من هنا إلى « فردها صلى الله عليه و سلم » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : كسنى ، و الحديث رواه البخارى فى الدعوات و الترمذى فى التفسير ، و قد مر التعليق عليه (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : باشتغال .

و ألطف شيء أجساما ﴿من﴾ [1] و عبر بالجمع لأنه أدل على عظم التصرف فقال[1]: ﴿يغوصون له﴾ في المياه لما يأمرهم به من استخراج الجواهر و غيرها من المنافع. و ذلك بأن أكثفنا أجسامهم مع لطافتها لتقبل الغوص في الماء معجزة في معجزة، [و قد خنق نبينا صلى الله عليه و سلم العفريت الذي جاء بشهاب من نار و أسر جماعة من أصحابه رضي الله عنهم عفاريت أتوا إلى ثمر الصدقة[2] و أمكنهم الله منهم -[3]] [4] ﴿و﴾ يعملون عملا [5] أي عظيما جدا[4].

[6] و لما كان إقدارهم على الغوص أعلى [ما -[3]] يكون في أمرهم، و كان المراد استغراق إقدارهم على ما هو أدنى من ذلك مما يريده منهم، نزع[6] الجار فقال: ﴿دون ذلك﴾ [1] أي تحت هذا الأمر العظيم أو غيره[1] من بناء ما يريد، و اصطناع ما يشاء[1] من الصنائع العجيبة و الآثار الغريبة[1]، و في ذلك تسخير الماء و التراب بواسطة الشياطين. فقد ختم - عند انتهاء الإشارة إلى تسخير العنصر - بمن[7] سخر له العناصر الأربعة كما ابتدأ بذلك ﴿و كنا﴾ [1] أي بعظمتنا التي تغلب كل شيء[1] ﴿لهم حافظين﴾ [1] من أن يفعلوا غير ما يريد، و لم يذكر هودا عليه السلام هنا، إن كان قد سخر له الريح، لأن عملها له كان على مقتضى

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ. و عده الأحاديث من الشهرة بحيث تغنينا عن التعليق عليها. (٢-٢) زيد ما بين الحاجزين من مد. (٤-٤) تأخر ما بين الرقمين في الأصل عن «الجار فقال». و ترتيب من ظ و مد. (٥) العبارة من هنا إلى «الجار فقال» ساقطة من ظ. (٦) من مد، و في الأصل: نزع. (٧) من ظ و مد، و في الأصل: ممن.

العادة فى التدمير[1] و الأذى عند عصوفها[2] و إن كان خارقا بقوته . و التى[2] لسليمان عليه السلام للنجاة و المنافع . هذا مع تكررها فأمرها أظهر[3] . و فعلها أزكى و أطهر

و لما اتم سبحانه ذكر من سخر لهم العناصر الأربعة التى منها الحيوان المختوم ببعثه [تحقيقا - ٥] لذلك ، ذكر بعدهم من وقع له أمر من الخوارق يدل على ذلك . إما بإعادة أو حفظ أو ابتداء . و بدأهم بمن أعاد[6] له ما كان اعدمه من أهل و مال . و سخر له عنصر الماء فى إعادة لحمه و جلده ، لأن الإعادة هى المقصودة بالذات فى هذه السورة فقال : ﴿ و ايوب ﴾[7] أى و اذكر أيوب ، قالوا : / و هو ابن أموص[8] بن روم ابن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام . و كان صاحب البثنية[9] من بلاد الشام . و كان الله قد بسط عليه الدنيا فشكره[10] سبحانه ثم ابتلاه [فصبر - ٥] ﴿ إذ نادى ربه ﴾ فى المحسن إليه فى عافيته ، ضره بما آتاه[1] من صبره ﴿ انى مسنى الضر ﴾ بتسليطك الشيطان علىّ فى بدنى و اهلى و مالى و قد طمع الآن فى دينى . و ذلك انه زين لامرأة أيوب

/ ٥٨

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : التدبير (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٣) من ظ و مد . و فى الأصل : اذكر (٤) العبارة من هنا إلى « على ذلك » ساقطة من مد (٥) زيادة من ظ (٦) من ظ و مد . و فى الاصل : ادعا (٧) العبارة من هنا إلى « ثم ابتلاه » ساقطة من ظ (٨) من مد و معالم التنزيل بهامش اللباب ٤ ٢٤٩ . و فى الأصل : موصر و زيد فى المعالم : بن تارخ (٩) راجع معجم البلدان - [illegible] من مد . و فى الأصل : لشكرة (١٠) من ظ و مد . و فى الأصل : اتقه .

عليه السلام ان تامره[1] أن يذبح لصنم[2] فانه يبرأ ثم يتوب ، ففطن لذلك و حلف : ليضربنها إن برأ . و جزع من ذلك ، [3]و الشكوى إلى الله تعالى ليست من الجزع فلا تنافى الصبر ، و قال سفيان بن عيينة : و لا من شكا [إلى -[4]] الناس و هو فى شكواه راض بقضاء الله تعالى .

٥ ﴿ و انت ﴾ أى و الحال أنك أنت ﴿ارحم الرّٰحمين ۝ ﴾ فافعل بى ما يفعل الرحمان بالمضرور ، [5]و هذا تعريض بسؤال الرحمة حيث ذكر نفسه بما يوجب[6] الرحمة ، و ربّه بأبلغ صفاتها و لم يصرح ، فكان ذلك ألطف فى السؤال ، فهو أجدر بالنوال ﴿ فاستجبنا له ﴾ [7]أى أوجدنا إجابته إيجاد من كأنه طالب لها بسبب ندائه[7] . هذا بعظمتنا فى قدرتنا على

١٠ الأمور الهائلة ، [8]و سبب عن ذلك قوله[8] : ﴿ فكشفنا ﴾ [8]أى بما لنا من العظمة[8] ﴿ ما به من ضر ﴾ بأن أمرناه أن يركض برجله ، فتنبع له عين من ماء ، فيغتسل فيها . فينبت لحمه و جلده أحسن ما كان و أصحه [8]و دل على تعاظم هذا الأمر بقوله[8] : ﴿ و اٰتينٰه اهله ﴾ [8]أى أولاده و ما تبعهم من حشمه[8] ، أحييناهم له بعد أن كانوا ماتوا ﴿ و مثلهم ﴾

١٥ أى و اوجدنا له مثلهم [9]فى الدنيا ، فان[9] قوله : ﴿ معهم ﴾ يدل على

---

(١) زيد فى الأصل : لى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : لغم (٣) العبارة من هنا إلى « بقضاء الله تعالى » ساقطة من ظ (٤) زيد من مد و معالم التنزيل بهامش اللباب ٤/٢٥٥ (٥) العبارة من هنا إلى « بالنوال » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : يوجبه (٧-٧) فى ظ : نداءه (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩-٩) ما بين الرقمين فى ظ « و » .

أنهم وجدوا عند[1] وجدان الأهل ، حال كون ذلك الكشف و الإيتاء
﴿رحمة﴾ أى نعمة عظيمة تدل على شرفه بما من شأنه العطف و التحنن ،
و هو من تسمية المسبب[2] باسم السبب[3] ، و فخمها بقوله : ﴿من عندنا﴾
بحيث لايشك من ينظر ذلك أنا ما فعلناه إلا رحمة منا له و أن غيرنا لم يكن
يقدر على ذلك ﴿و ذكرى﴾ [4]أى عظة عظيمة[4] ﴿للعبدين[5]﴾ كلهم ، ٥
ليتأسوا به فيصبروا إذا ابتلوا بفتنة الضراء و لايظنوا أنها لهوانهم ، و يشكروا
إذا ابتلوا بنعمة السراء لئلا تكون[6] عين شقائهم ، و اتبعه سبحانه بمن
أنبع له من زمزم ماء اباقيا شريفا ، إشارة إلى شرفه و شرف ولده خاتم
الرسل ببقاء رسالته و معجزته [فقال -[7]] : ﴿ اسمعيل ﴾ أى [4]ابن
إبراهيم عليهما السلام[4] الذى سخرنا له من الماء بواسطة الروح الأمين ١٠
ما عاش به صغيرا بعد أن كان هالكا لامحالة ، [4]ثم جعلناه طعام طعم
و شفاء سقم دائما[4] ، و صناه[7] - و هو كبير - من الذبح فذبحه أبوه
و اجتهد فى إتلافه امتثالا لأمرنا فلم ينذبح كما اقتضته إرادتنا
﴿ و ادريس ﴾ أى [4]ابن شيث بن آدم عليهم السلام[4] الذى احييناه
بعد موته و رفعناه مكانا عليا . [4]و هو أول نبى بعث من بنى آدم عليهما السلام[4] ٥١

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنه (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : السبب .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المسبب (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكون (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ
و مد ، و فى الأصل : صيناه - كذا .

[illegible]

﴿ و ذا الكفل ﴾ [الذى -[1]] قدرناه على النوم الذى هو الموت الأصغر ، فكان يغلبه فلا ينام أو إلا قليلا ، يقوم الليل و لا يفتر ، و يصوم النهار و لا يفطر ، و يقضى بين الناس و لا يغضب . فقدره الله على الحياة الكاملة فى الدنيا التى هى سبب الحياة الكاملة فى الأخرى[2] ، [و هو خليفة اليسع[3] عليه السلام تخلفه على أن يتكفل له بصيام النهار و قيام الليل و أن لا يغضب ، قيل : إنه ليس بنبى ، و عن الحسن أنه نبى ، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه إلياس . و قيل : هو يوشع بن نون ، و قيل : زكريا - عليهم السلام -[4]] .

و لما قرن[5] بينهم لهذه المناسبة ، استأنف مدحهم فقال : ﴿ كل ﴾ اى كل واحد منهم / ﴿ من الصبرين ﴾ على ما ابتليناه به ، فآتيناهم ثواب الصابرين ﴿ و ادخلنهم ﴾[6] و دل على عظمة ما لهم عنده سبحانه بقوله[6] : ﴿ فى رحمتنا ﴾ [ففعلنا بهم من الإحسان ما يفعله الراحم بمن يرحمه[7] على وجه عمهم من جميع جهاتهم ، فكان ظرفا لهم[7] ؛ ثم علل بقوله -[8]] : ﴿ انهم من الصلحين ﴾ لكل ما يرضاه الحكيم منهم . بمعنى أنهم جبلوا جبلة خير فعملوا على مقتضى ذلك ؛ ثم أتبعهم من هو أغرب حالا منهم

٥١٩ / ٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : منهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) راجع لكل ذلك معالم التنزيل بهامش الباب ٤/٢٥٦ و ٢٥٧ (٤) زيد من مد ، من ظ و مد و فى الأصل [illegible]) تأخر ما بين الرقمين - مع سقوطه فى ظ - فى الأصل عن « رحمتنا » ، و الترتيب من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ

فى الحفظ [فقال -[1]] : ﴿ وذا النون ﴾ أى اذكره ﴿ اذ ذهب مغاضبا ﴾ أى على[2] هيئة الغاضب لقومه بالهجرة عنهم ، و لربه بالخروج عنهم دون الانتظار لإذن خاص منه بالهجرة ، و روى [عن الحسن -[1]] أن معنى ﴿ فظن ان لن نقدر عليه ﴾ أن لن نعاقبه[3] بهذا الذنب ، أى ظن أنا نفعل معه فعل من لايقدر . و هو تعبير عن اللازم بالملزوم مثل التعبير عن العقوبة بالغضب ، و عن الإحسان بالرحمة . و فى أمثاله كثرة . فهو أحسن الأقوال و أقومها - رواه البيهقى فى كتاب الأسماء و الصفات[4] عن قتادة عنه و عن مجاهد مثله و اسند[5] من غير طريق عن ابن عباس رضى الله عنهما معناه ، و [كذا -[6]] قال الأصبهانى [عنه -[6]] أن معناه : ان نقضى عليه بالعقوبة ، [7]و أنه قال أيضا ما[7] معناه : فظن أن لن نضيق عليه الخروج ، من القدر الذى معناه الضيق ، لا من القدرة . و منه "فقدر عليه رزقه" و روى البيهقى أيضا[8] عن الفراء أن نقدر بمعنى نقدر - مشددا و بحكم ، و أنشد عن ابن الأنبارى عن أبى صخر الهذلى :

و لا عائدا ذاك الزمان الذى مضى تباركت ما نقدر يقع [و -[1]] لك الشكر

﴿ فنادى ﴾ أى فاقتضت حكمتنا أن عاتبناه حتى استسلم فألقى نفسه فى البحر فالتقمه الحوت و غاص به إلى قرار البحر و منعناه من أن يكون

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لن نعافيه (٤) راجع أيضا المعالم بهامش اللباب ٢٥٨/٤ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اسنده (٦) زيد من مد (٧-٧) من مد . و فى الاصل : و رواية ايضا قال - كذا (٨) العبارة من « و كذا قال » إلى هنا ساقطة من ظ .

له طعاما، فنادى ﴿ فى الظلمت ﴾ من[1] بطن الحوت [الذى -[2]] فى أسفل البحر فى الليل، فهى ظلمات ثلاث - نقله ابن كثير[3] عن ابن مسعود و ابن عباس و غيرهما رضى الله عنهم . ﴿ان لآ اله الآ انت﴾ .

و لما نزهه عن الشريك عم فقال: ﴿ سبحنك صلح ﴾ أى تنزهت عن كل نقص، فلا يقدر على الإنجاء من مثل ما أنا فيه غيرك؛ ثم أفصح بطلب الخلاص بقوله ناسبا إلى نفسه من النقص ما نزه الله عن مثله: ﴿ انى كنت ﴾ أى كونا كبيرا[4] ﴿ من الظلمين صلح ﴾ أى فى خروجى من بين قومى قبل الإذن، فاعف عنى كما هى شيمة القادرين، و لذلك قال تعالى [5]مسببا عن دعائه[5]: ﴿ فاستجبنا له ﴾ أى أوجدنا الإجابة إيجاد من هو طالب لها تصديقا[6] لظنه أن لن نعاقبه «أنا عند ظن عبدى بى» و الآية تفهم أن شرط الكون مع من يظن الخير دوام[7] الذكر و صدق الالتجاء[8]. و قال الرازى فى اللوامع: و شرط كل من يلتجئ إلى الله أن يبتدئ بالتوحيد ثم بالتسبيح و الثناء. ثم بالاعتراف و الاستغفار و الاعتذار، و هذا شرط كل دعاء - انتهى .

و لما كان التقدير: فخلصناه مما كان فيه، عطف عليه [5]قوله، تنبيها[5]

---

(١) من ظ و مد. و فى الأصل: فى (٢) زيد من مد (٣) فى تفسيره ٣/١٩٢.
(٤) من مد، و فى الأصل: كثيرا. و الكلمة مع «اى كونا» ساقطة من ظ.
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: تصدرها - كذا (٧) فى الأصل بياض ملأناه من مد (٨) من مد، و فى الأصل: الالتها، و العبارة من «أى أوجدنا» إلى هنا ساقطة من ظ.

[1]على أنهما نعمتان لأن أمره مع صعوبته كان فى غاية الغرابة[1] : ﴿ونجيناه﴾ [1]أى بالعظمة البالغة[1] [تنجية عظيمة ، و أنجيناه إنجاء عظيما -[2]] ﴿من الغم[4]﴾ الذى كان ألجأه إلى المغاضبة و من غيره ، قال الرازى : و أصل الغم الغطاء على القلب - انتهى . فألقاه الحوت على الساحل و أظله الله بشجرة القرع .

٥

و لما كان هذا و ما تقدمه أمورا غريبة . / أشار إلى القدرة على أمثالها من جميع الممكنات ، و أن ما فعله من إكرام أنبيائه عام لأتباعهم بقوله : ﴿وكذلك﴾ أى و مثل ذلك الإنجاء العظيم الشأن [و التنجية -[2]] ﴿ننجى﴾ [1]أى بمثل ذلك العظمة[1] ﴿المؤمنين ۝﴾ [إنجاء عظيما و ننجيهم تنجية عظيمة ، [3]ذكر التنجية أولا يدل على مثلها ثانيا ، و ذكر الإنجاء ثانيا يدل على مثله أولا ، و سر ذلك الإشارة إلى شدة العناية بالمؤمنين لأنهم ليس لهم كصبر الأنبياء عليهم الصلاة و السلام - بما أشار إليه بحديث « أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل » . « يبتلى المرء على قدر دينه » فيسلهم سبحانه من البلاء كما تسل الشعرة من العجين ، فيكون ذلك مع السرعة فى لطافة و هناء - بما أشارت إليه قراءة ابن عامر و أبى بكر عن عاصم رضى الله عنه بتشديد الجيم لإدغام النون الثانية فيه[4] ، أو يكون المعنى أن من دعا منهم بهذا الدعاء أسرع نجاته -[2]] ، فان المؤمن

٥٢٠ /

١٠

١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) أى فالآية من الاحتباك (٤) راجع للتفصيل نثر المرجان ٤/٤٢٢ و ٤٢٣ .

متى حصلت له هفوة[١] راجع ربه فنادى [٢]معترفا بذنبه[٢] هذا النداء[٣]، و لاسيما إن مسه[٤] بسوط الأدب . فبادر إليه الهرب .

و لما كان حاصل أمر يونس عليه السلام أنه خرج من بطن لم يعهد الخروج من[٥] مثله ، عطف عليه قصة زكريا عليه السلام فى هبته له ولدا من بطن لم يعهد [الحمل من - [٦]] مثله فى العقم و اليأس ناظرا إلى أبيه إبراهيم عليه السلام أول من ذكر تصريفه فى أحاد العناصر فيما اتفق له من مثل ذلك فى ابنه إسحاق عليه السلام تكريرا[٧] لأعلام القيامة وتقريرا[٨] للقدرة التامة فقال : ﴿ و زكريآ ﴾ أى اذكره ﴿ اذ نادى ربه ﴾ نداء الحبيب القريب فقال : ﴿ رب ﴾ باسقاط أداة البعد ﴿ لا تذرنى فردا ﴾ [أى - [٩]] من غير ولد يرث ما آتيتنى من الحكمة .

و لما كان من[١٠] الوراث[١] من يحب من يحجبه [من الإرث أو يشاركه فيه ، و منهم من لا يحب ذلك و يسعى فى إهلاك من يحجبه - [٩]] أو ينقصه . و منهم من يأخذ الإرث فيصرفه فى المصارف القبيحة على ما تدعوه إليه شهوته و حاجته ، و منهم من يأخذه بعفة فينفذ وصايا الموروث

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عفوة (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد فى الأصل : بعد الاعتراف بالذنب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : بطنه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تكريما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقديرا (٩) زيد من مد (١٠) زيد فى الأصل : الحكمة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها
(١١) العبارة من هنا إلى «ينقصه و منهم» ساقطة من ظ .

و يصل ذا قرابته[1] و أهل وده ، و يتصدق عنه ، و يبادر إلى كل ما كان يحبه و ينفعه . كل ذلك لغنى نفسه و كرم طبعه مع كونه مجبولا على الحاجة و النقص ، وكان الله هو الغنى الحميد . الحكيم المجيد . قال ملوحا بمقصده[2] فى أسلوب الإلهاب و التهييج : ﴿ و انت ﴾ [أى و الحال أنك -[3]] ﴿خير الوارثين ج ﴾ لأنك أغناهم عن الإرث و أحسنهم تصرفا ، ٥ و كثيرا ما تمنح إرث بعض[4] عبيدك عبيدا آخرين ، فأنت الحقيق بأن تفعل فى إرثى من العلم و الحكمة ما أحبه[5] ، فتهنى ولدا تمن عليه بذلك ﴿فاستجبنا له[6]﴾ بعظمتنا و إن كان فى حد من السن لا حراك [به -[6]] معه و زوجه فى حال من العقم لا يرجى معه حبلها ، فكيف و قد جاوزت سن اليأس ، [7]و لذلك [عبر -[6]] بما يدل على العظمة فقال : ١٠ ﴿و وهبنا له يحيى﴾ وارثا حكيما نبيا عظيما[8] ﴿و اصلحنا له﴾ خاصة [9]من [بين -[6]] أهل ذلك الزمان ﴿ زوجه[10] ﴾ أى جعلناها صالحة لكل خير ، خالصة له[10] و لاسيما لما منا عليه [11]به من هذه الهبة[11] بعد أن كانت بعقمها و كبرها غير صالحة له بوجه يقدر عليه غيرنا ؛ ثم استأنف البيان لخيرية الموروث و الوارث و المصلحة للولادة فقال ، مؤكدا[4] [ترغيبا فى مثل ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل: قربته (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : بقصده . (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و مد : احب (٦) زيد من مد (٧) العبارة من هنا إلى «العظمة فقال» ساقطة من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليما (٩) العبارة من هنا إلى «الزمان» ساقطة من ظ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : لك (١١ - ١١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل وحده بعد « يقدر عليه » .

أحوالهم و أنها مما يلتذ بذكره و يعجب من أمره -[1]] : ﴿ انهم كانوا ﴾ مجبولين فى أول ما خلقناهم جبلة خير ، مهيئين لأنهم ﴿ يسرعون فى الخيرت ﴾ أى يبالغون فى الإسراع بهـا مبالغة من يسابق آخر ، [2]و دل على عظيم أفعالهم بقوله[2] : ﴿ و يدعوننا ﴾ [2] مستحضرين لجلالنا و عظمتنا و كمالنا[2] ﴿ رغبا ﴾ فى رحمتنا / ﴿ و رهبا[4] ﴾ من سطوتنا ﴿ و كانوا ﴾ [2]أى جبلة و طبعا[2] ﴿ لنا ﴾ خاصة[2] ﴿ خشعين ٥ ﴾ أى خائفين خوفا عظيما يحملهم على الخضوع و الانكسار .

٥٢١ / ٥

و لما استدل على الساعة بما وهب لهؤلاء القوم من أهل الطاعة من التصرف فى العناصر و غيرها إلى أن ذكر أنـه خرق العادة فى إبداع يحيى عليه الصلاة و السلام بين والدين لا يولد لمثلهما لأن أباه زكريا عليه السلام كان قد صار إلى[5] حالة من الكبر و يبس[6] من[7] الأعضاء عظيمة ، و أمه كانت - مع وصولها إلى مثل[7] تلك الحال - عاقرا فى حال شبابهـا ، تلاه بابداع ابن خالته عيسى عليه السلام الذى هو علم للساعة على حال أغرب من حاله ، فأخرجه من أنثى بلا ذكر ، إشارة إلى قرب الوقت لضعف الأمر ، كضعف الأنثى بالنسبة إلى الذكر ، فقـال : ﴿ و التى احصنت فرجها ﴾ أى حفظته من الحلال و الحرام

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : على (٦) من مد . و فى الأصل و ظ : ياس (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مثلك .

حفظا

حفظا يحق له أن يذكر و يتحدث به، لأنه غاية فى العفة و الصيانة، و التخلى عن الملاذ إلى الانقطاع إلى الله تعالى بالعبادة، مع ما جمعت إلى ذلك من الأمانة و الاجتهاد فى متانة الديانة ﴿ فنفخنا ﴾ [1]أى بما[1] لنا من العظمة التى لايدانى [2]أوجها نقص[2]، و لايقرب من ساحتها حاجة و لا وهن ﴿فيها﴾ أى فى فرجها - كما فى التحريم[3]، [نفخا هو من جناب عظمتنا؛ و دل على عظم خلوصه و صفائه بقوله -[4]]: ﴿ من روحنا ﴾ أى من روح يحق له أن يضاف إلينا لجلالته و طهارته، فكان من ذلك النفخ[5] حبل و ولد. [6]و لعله أضاف [هنا -[4]] النفخ إليها، لا إلى فرجها وحده، ليفيد أنه - مع خلق عيسى عليه السلام به و إفاضة الحياة عليه حسا و معنى[7] - أحياها هى به معنى[8] بأن قوى به معانيها[9] القلبية حتى كانت صديقة متأهلة لزواجها بخير البشر فى الجنة، و خصت هذه السورة بهذا لأن[10] مقصودها الدلالة على البعث الذى هو إفاضة الأرواح على الأموات، قال الرازى: و على الجملة هذه عبارة عن إبداع عيسى عليه السلام فى

(١ - ١) فى مد: على ما، و العبارة من هنا بما فيها هاتان الكلمتان ساقطة فى ظ إلى « ولا وهن » (٢ - ٢) فى الأصل بياض ملأناه من مد (٣) راجع آية ١٢. والعبارة من « أى فى » إلى هنا ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥) سقط من مد، و زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) العبارة من هنا إلى « على الأموات » ساقطة من ظ (٧) زيد فى الأصل: احيايها، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) من مد، و فى الأصل: يعنى (٩) من مد، و فى الأصل: معا - كذا رسمه - من مد، و فى الأصل: لا.

رحم مريم عليها السلام من غير نطفة .

[و لما قدمته من السر فى إفاضة النفخ إلى حملتها ، أتبع ذلك قوله - [1]] : ﴿ و جعلنها [2] و ابنها [2] ﴾ [3] أى تلك العظمة العظمى [3] ﴿ آية ﴾ جعلهما نفس الآية لكثرة ما كان فيهما [4] من الأعاجيب .

٥ و لما كان ما فيهما [4] من ذلك ليس مقصودا [5] لذاته ، بل لتقرير [6] أمر عيسى عليه السلام [7] ، لم يقل : آيتين ، أو لئلا يظن أن نفس العدد مقصود فينقص المعنى ﴿ للعلمين ٥ ﴾ أى فى [8] أن الله [8] قادر على كل شىء [3] لاسيما البعث الذى هو آيته [3] ، يتحدث بذلك بعدهما جيل بعد جيل ، و عالم بعد عالم ، و أمة بعد أمة ، إلى قيام الساعة التى هو عليها ، و حفظنا ابنها

١٠ بعلمنا و حكمتنا و قدرتنا و عظمتنا ممن كاده ، و رفعناه إلى محل قدسنا ، و ختم به الأنبياء المذكورين هنا لأنه خاتم المجددين لهذا الدين المحمدى ، و هو دليل الساعة ، و كتابه أعظم كتاب بعد التوراة التى ابتدأ بصاحبها ذكر هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة و السلام . حاشى القرآن الذى عجزت لبلاغته الإنس و الجان .

---

(١) زيد من مد (٢-٢) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « العظمى » و الترتيب من مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : فيها (٥) من ظ و مد . وفى الأصل : مقصود (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : لتقدير (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه .

ذكر شيء من دلائل كونه آية من الإنجيل :

قال متى[1] أحد المترجمين الأربعة للانجيل و أغلب السياق له بعد / أن ذكر مقتل يحيي بن زكريا عليهما السلام كما مضى فى آل عمران : / ٥٢٢
فلما سمع يسوع مضى من هناك فى سفينة إلى البرية مفردا ، و سمع الجمع فتبعوه ماشين من المدينة ، فلما خرج أبصر جمعا كثيرا فتحنن عليهم ٥ و أبرأ أعلاءهم و مرضاهم ، و قال مرقس[2] : فلما خرج يسوع أبصر جمعا كثيرا فتحنن عليهم لأنهم كانوا كخراف لا راعى[3] لها فبدأ يعلمهم ، و بعد ساعات كثيرة جاء تلاميذه إليه ، و قال متى : و لما كان المساء أتى تلاميذه و قالوا : إن المكان قفر[4] ، و الساعة قد جازت ، [أطلق - [5]] الجمع يذهبوا إلى القرى المحيطة فيبتاعوا لهم طعاما ، فقال لهم : أعطوهم ١٠ أنتم ليأكلوا ، فقالوا : ليس ههنا إلا خمس خبزات و حوتان ، فقال [لهم - [6]] : قدموهم إلى ههنا ، و أمر باجلاس الجميع على العشب[7] . و قال مرقس : الأخضر أحزابا أحزابا ، فجلسوا رفاقا رفاقا مائة مائة و خمسين خمسين ، و قال يوحنا[8] : فقال لفيلبس : من أين نبتاع لهؤلاء خبزا ؟ قاله ليجربه ، فقال فيلبس : ما يكفيهم خبز بمائتي دينار ، و قال ١٥

---

(١) راجع الآية ١٣ فما بعدها من الأصحاح الرابع عشر (٢) راجع الآية ٣٤ فما بعدها من الأصحاح السادس (٣) من ظ و مد و مرقس ، و فى الأصل : رعى .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : خفر (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد و الإنجيل ، و فى الأصل : الحشب (٨) راجع الآية ٥ فما بعدها من الأصحاح السادس .

إندراوس أخو شمعون الصفاء : إن ههنا حدثا معه خمسة أرغفة شعير و سمكتان ، فقال يسوع : مروا الناس بالجلوس ، و قال[١] متى : و أخذ الخمس خبزات و الحوتين ، و نظر إلى السماء و بارك و قسم و أعطى الخبز لتلاميذه . و قال مرقس : و قسم الحوتين و ناول[٢] التلاميذ الجميع فأكل
٥ جميعهم و شبعوا و رفعوا من فضلات الكسر اثنى عشر سلا مملوءة[٣] ، و من السمك ، وكان عدد[٤] الآكلين خمسة آلاف رجل ، [و قال متى -[٥]] : سوى النساء و الصبيان ، و قال يوحنا : فقالوا : حقا إن هذا هو النبى الجائى إلى العالم ، فعلم يسوع أنهم اجتمعوا ليحتفظوا به و يصيروه ملكا ، فتحول إلى الجبل[٦] ، و قال متى : و للوقت أمر تلاميذه ان يصعدوا إلى السفينة
١٠ و يسبقوه إلى العبر ليطلق الجموع . و قال يوحنا : ليعبروا إلى كفرناحوم و كان ظلاما ، و قال متى : فأطلق الجمع و صعد إلى الجبل[٧] منفردا يصلى ، و قال مرقس : و للوقت تقدم إلى تلاميذه بركوبهم السفينة و [أن] يسبقوه إلى العبر عند بيت صيدا ليطلق [هو الجماعة -[٨]] . فلما ودعهم و ذهب إلى الجبل[٩] ليصلى ، قال متى : فلما كان المساء و كان وحده[١٠] هناك

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قام (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ناوله . (٣) زيد فى النسخ : و قال مرقس . فحذفنا الزيادة نظرا إلى تكرارها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عدة (٥) زيد نظرا إلى السياق (٦) من يوحنا ، و فى الأصول : الجليل (٧) من ظ و مد و متى ، و فى الأصل : الجيل (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مرقس ، و فى الأصول . الجليل (١٠) من ظ و مد و متى ، و فى الأصل : وعده .

و السفينة

و السفينة فى وسط البحر، فضربتها الأمواج لمعاندة الريح لها، قال يوحنا: فمضوا نحو خمسة و عشرين غلوة[1] أو ثلاثين، و قال متى: و فى الهجعة الرابعة من الليل جاءهم ماشيا على البحر فاضطربوا و قالوا: [2]إنه خيال[2]، و من خوفهم صرخوا، فكلمهم قائلا: أنا هو، لا تخافوا. أجابه بطرس و قال: إن كنت أنت هو فمرنى أن [3]آتى إليك[3] على الماء، فقال له: تعال! ٥ فنزل بطرس من السفينة و مشى على الماء، فرأى قوة الريح فخاف، و كاد أن يغرق فصاح قائلا: يا رب نجنى! فالوقت مد يسوع يده و أخذه و قال له[4]: يا قليل الأمانة! لم شككت؟ فلما صعد السفينة سكنت الريح، قال يوحنا: و للوقت صارت إلى الأرض التى أرادوها، و فى الغد نظرت الجموع الذين كانوا معه فى عبر البحر أن ليس هناك سوى ١٠ سفينة واحدة، و أن يسوع لم يركبها مع تلاميذه لكن تلاميذه مضوا وحدهم، و كانت سفن أخر وافت من طبرية حتى انتهت إلى الموضع الذى أكلوا فيه الخبز الذى بارك عليه. فحين لم ير الجماعة يسوع هناك و لا تلاميذه. ٥٢٣ / ركبوا تلك السفن، و أتوا إلى كفرناحوم يطلبون يسوع. فلما قصدوه فى عبر البحر قالوا له: يا معلم! متى صرت ههنا؟ أجاب يسوع و قال: ١٥ الحق الحق أقول لكم! إنكم لم تطلبونى لنظركم الآيات بل لأكلكم الخبز فشبعتم، اعملوا لا للطعام الزائل بل للطعام الباقى فى الحياة المؤبدة

(١) من ظ و مد و يوحنا، و فى الأصل: علوه (٢-٢) من ظ و مد و متى، و فى الأصل: انهم حبال (٣-٣) من ظ و مد و متى، و فى الأصل: اتيك.
(٤) سقط من مد (٥) من متى، و فى الأصول: سكن.

[1]الذى يعطيكموه[1] ابن البشر ، ثم قال : لست أعمل بمشيئتى ، لكن بمشيئة الذى أرسلنى ، ثم قال : قد كتب فى الأنبياء أنهم يكونون بأجمعهم معلمين ، الحق أقول لكم ! من يؤمن بى فله[2] الحياة الدائمة ، قالوا : ما نصنع حتى نعمل أعمال الله ؟ قال : عمل الله هو أن تؤمنوا بمن[3] أرسله ، قال متى : ٥ و لما عبروا جاءوا إلى أرض جاناشر[4] ، قال مرقس : فأرسوا و خرجوا من السفينة ـ انتهى[5] . فعرفه أهل ذلك المكان و أرسلوا إلى جميع تلك الكور فقدموا إليه [كل المسقومين و طلبوا إليه ـ[6]] أن يلمسوا طرف ثوبه فقط . و كل من لمسه[7] خلص .

و لما دل ما مضى من قصص هؤلاء الأنبياء و غيرهم على أن الله ١٠ القدرة الباهرة ، و القوة البالغة الشاملة للبعث و غيره ، وكان ذلك[8] دالا على التوحيد الذى هو أصل الدين ، و أنهم كلهم متفقون عليه بالتصريح من البعض هنا و من الباقين فيما سبق ، كان إثباته[9] فذلكة هذه القصص و ما تقدمها من هذه السورة ، فلذلك اتصل به قوله مخاطبا لمن قال لهم : أفأنتم له منكرون : ﴿ و ان هذه ﴾ أى الأنبياء الذين أرسلناهم ١٥ قبل نبيكم صلى الله عليه و سلم رجالا نوحى إليهم كما أنه رجل نوحى إليه

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى يعطيكموها ، و فى يوحنا : الذى يعطيكم (٢) من يوحنا ، و فى الأصول : له (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن . (٤) فى متى : جنسيارت (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابتى (٦) زيد من ظ و مد ومتى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمس (٨) بين سطرى ظ : أى القدرة الباهرة (٩) بين سطرى ظ : التوحيد .

[لا آباؤكم و لا ما وجدتموه عليه - [١]] ﴿ امتكم ﴾ أى مقصودكم [٢] أيها الخلق [٣] بالاقتداء فى الاهتداء، حال كونها ﴿ امة ﴾ قال البغوى [٤] : و أصل الأمة الجماعة التى [هى - [٥]] على مقصد واحد - انتهى . و أكد سبحانه هذا المعنى فقال: ﴿ واحدة ﴾ كما فى الخبر [٦] أنهم [٧] أولاد علات . أمهاتهم شتى و دينهم واحد . لا اختلاف بينهم أصلا فى التوحيد الذى هو الأصل و لا فى توجيه الرغبات إلينا، و قصر النظر علينا . علما منهم بما لنا من صفات الكمال . و أن كل شىء فالينا مفتقر . و لدينا خاضع منكسر . فاتبعوهم فى ذلك، . لا تحيدوا عنهم تضلوا، و إنما فرقناهم و جعلناهم [عددا - [٨]] بحسب الأمم المتشعبة فى الأزمان المتطاولة، و أنا لم نجعل لأحد منهم الخلد، [و - [٨]] لغير ذلك من الحكم، فبثثناهم فى الأقطار، حتى ملأوها من الأنوار .

و لما كان المقصود تعيين المراد من غير لبس، عدل عن صيغة العظمة فقال: ﴿ و انا ربكم ﴾ اى لا غيرى، فى كل زمان و كل مكان، لكل أمة . لأنى لا اتغير على طول الدهر . و لا يشغلنى شأن عن شأن ﴿ فاعبدون ﴾ دون غيرى فانه لا كفوء لى .

و لما كان من المعلوم أنهم لم يفعلوا، أعرض إلى أسلوب الغيبة

---

(١) زيد من مد (٢) من مد . و فى الأصل و ظ : مقصدكم (٣-٣) سقط ما الرقمين من ظ (٤) فى المعالم - راجع اللباب ٤/٦٠ (٥) زيد من ظ و مد و المعالم . (٦) راجع مسند الإمام أحمد ٢/٤٠٦ (٧) زيد فى الأصل : كانوا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و المسند فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد .

[1] و أن يكون مستغرقا لظرفه[1]. [2] - قال: ﴿بينهم[4]﴾ أي[3] فكانوا فرقا كل فرقة على شعبة من ضلال، زينها لها هواها، [1]فلم يدعوا شيئا من الأمر بغير تقطيع[1]]. و كان العطف بالواو دون الفاء كما [1]في المؤمنون[1] لأن ترك العبادة ليس سببا للتقطع، بل ربما كان عنه الاجتماع على الضلال، كما يكون في آخر الزمن [5]و كما قال تعالى "كان الناس امة واحدة" - الآية [6]"و ما تفرق الذين اوتوا الكتب[6] الا من بعد ما جاءتهم البينة".

و لما كان كأنه قيل: فماذا يفعل بهم؟ قال ما هو غاية في الدلالة على باهر[7] العظمة و تام القدرة [1]ليكون أشد في الوعيد، و صادع التهديد[1]: ﴿كل﴾ أي من هذه الفرق و إن بالغ في التمرد ﴿الينا﴾ [1]على عظمتنا التي لايكافئها شيء، لا إلى غيرنا[1] ﴿راجعون﴾ فنحكم بينهم فيتسبب عن ذلك أنا نجازيهم إقامة للعدل فنعطي [كلا من -[2]] المحق التابع[8] لاصفيائنا و المبطل المائل إلى الشياطين أعدائنا ما يستحقه، و ذلك هو معنى قوله تعالى، فارقا بين المحسن و المسيء تحقيقا للعدل و تشويقا بالفضل[9]: ﴿فمن يعمل﴾ اي منهم الآن ﴿من الصالحت و هو﴾ أي

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد. (٣) سقط من ظ (٤-٤) من ظ و مد. و في الأصل: هو الموصول؛ و راجع آية ٥٣ (٥) العبارة من هنا إلى «البينة» ساقطة من ظ (٦-٦) من مد و القرآن الكريم - سورة ٩٨ آية ٤، و في الأصل: ما تفرقوا (٧) من ظ و مد، و في الأصل: ما هو (٨) من ظ و مد، و في الأصل: البالغ (٩) من مد، و في الأصل: للفضل، و العبارة من «فارقا» إلى هنا ساقطة من ظ.

و الحال أنه ﴿ مؤمن ﴾ أى بان لعمله[1] على الأساس الصحيح ﴿ فلا كفران ﴾ أى إبطال بالتغطية[2] ﴿ لسعيه ﴾ بل نحن[3] نجزيه عليه بما يستحقه و نزيده من فضلنا ﴿ انا له ﴾ أى لسعيه الآن [4]على عظمتنا[4] ﴿ كاتبون ﴾ [5]ما كتبناه فهو غير ضائع، بل باق[5]، لنطلعه عليه يوم الجزاء بعد أن نعطيه قدرة على تذكره، فلا يفقد منه شيئا قل أو جل، و من المعلوم ان قسميه «و من يعمل من السيئات و هو كافر فلا نقيم له وزنا»، و «من عمل منها و هو مؤمن فهو فى مشيئتنا»، و لعله حذف هذين القسمين ترغيبا فى الإيمان

و لما كان هذا غير صريح فى ان هذا الرجوع بعد الموت، بينه بقوله: ﴿ و حرام ﴾ أى و ممنوع و محجور ﴿ على قرية ﴾ أى اهلها ﴿ اهلكناها ﴾ أى[2] بالموت بعظمتنا ﴿ انهم لا يرجعون ﴾ أى إلينا بأن يذهبوا تحت التراب باطلا من غير إحساس، بل إلينا بموتهم [رجعوا -[5]] فحبسناهم فى البرزخ منعمين أو معذبين نعيما و عذابا دون النعيم و العذاب الأكبر، و لقد دل على ما قررته قوله: ﴿ حتى[3] اذا فتحت ﴾ بفتح السد الذى تقدم[3] وصفنا له، [و أن فتحه لا بد منه و قراءة ابن عامر بالتشديد تدل على كثرة التفتيح أو على كثرة الخارجين من الفتح و إن كان فرجة واحدة كما أشار إليه إطلاق قراءة الجماعة بالتخفيف -[5]]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: عمله (٢) سقط من ظ (٣) سقط من مد.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و مد.

﴿ ياجوج وماجوج ﴾ فخرجوا على الناس ؛ [1]و عبر[1] عن كثرتهم التى لايعلمها إلاهو سبحانه بقوله : ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ من كل حدب ﴾ أى نشز[2] عال من الأرض ﴿ ينسلون ﴾ أى يسرعون ، من / النسلان و هو تقارب الخطا مع السرعة كمشى الذئب[3] ، و فى العبارة إيماء [إلى -[4]] أن الأرض كرية ﴿ و اقترب الوعد الحق ﴾ و هو حشر الأموات [5]الذى يطابقه الواقع ، [6]إذا وجد[6] قربا عظيما ، كأن الوعد طالب له و مجتهد فيه . ٥٢٥ / ٥

و لما دلت صيغة ' افتعل ' على شدة القرب كما فى الحديث[7] أن الساعة إذ ذاك مثل الحامل المتم ، علم أن التقدير جوابا [8]لإذا : كان ذلك الوعد[8] فقام الناس من قبورهم : ﴿ فاذا هى شاخصة ﴾ [9]أى واقفة جامدة لا تطرف لما دهمهم من الشدة ، [و يجوز -[4]] و هو أقرب أن تكون إذا هذه الفجائية [هى جواب إذا الشرطية . و هى تقع فى المجازات سادة مسد الفاء ، فاذا جاءت الفاء معها متفاوتة على وصل الجزاء بالشرط فيتأكد . فالمعنى -[4]] : إذا كان الفتح و وقع ما تعقبه فاجأت الشخوص ﴿ ابصار الذين كفروا[9] ﴾ أى منهم ، لما بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبونه من ١٠

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعبر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسر ، و بهامش ظ : قاموس : النشز ، المكان المرتفع . و النشز - محركا ، جمع نشوز . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : القريب ؛ و العبارة من بعده إلى « كرية » ساقطة من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من مد (٥) العبارة من هنا إلى « جوابا » ساقطة من ظ (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : و الوعيد اى - كذا (٧) راجع مسند الإمام أحمد ١/٣٧٥ (٨ - ٨) ما بين الرقمين فى ظ : أى و كان (٩) العبارة من هنا إلى «الشخوص» ساقطة من ظ .

الأهوال، قائلين: ﴿ يـٰويلنا ﴾ أى حضرنا الويل فهو نديمنا فلا مدعو لنا غيره ﴿ قد كنا ﴾ [1] أى فى الدنيا [1] ﴿ فى غفلة من هذا ﴾ أى مبتدئة من اعتقاد هذا البعث فكنا نكذب به فعمتنا الغفلة .

ولما كان من الوضوح فى الدلائل والرسوخ فى الخواطر بحيث لا يجهله أحد، أضربوا عن الغفلة فقالوا: ﴿ بل كنا ظـٰلمين ۝ ﴾ أى بعدم اعتقاده واضعين الشىء فى غير موضعه [2] حيث أعرضنا عن تامل دلائله، والنظر فى مخايله، وتقبل كلام الرسل فيه، فأنكرنا ما هو أضوأ من الشمس

ولما كان هذا محلا يخطر بالبال فيه آلهتهم بما يترجونه منها [3] من النفع. قال مخاطبا لهم إرادةَ التعنيف والتحقير: ﴿ انكم ﴾ [1] وأكده لإنكارهم مضمون الخبر [1]: ﴿ وما تعبدون ﴾ [4] أيها المشركون من الأصنام والشياطين [4]؛ ولما كانوا يتعبدون له سبحانه طوعا وكرها مع الإشراك، قيد بقوله دالا [1] على أن رتبة ما عبدوه من أدنى المراتب الكائنة تحت رتبته سبحانه [1]: ﴿ من دون الله ﴾ [1] أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له [1]؛ ولما كانوا يرمى بهم فى جهنم رمى الحجارة الصغار التى تسمى الحصباء إلى المحصوب إسراعا وإكراها، فيكونون وقودها من غير إخراج، قال: ﴿ حصب جهنم [5] ﴾ [1] أى الطبقة التى تلقى المعذب بها بالتجهم والعبوسة والتكره [1]؛ ثم أكد ذلك بقوله استئنافا: ﴿ انتم لها واردون ۝ ﴾ أى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: منهما (٤-٤) بياض فى الأصل ملأناه من مد، و سقط ما بين الرقمين من ظ .

داخلون

داخلون[1] [2]دخولَ ورد الحمى على حالة هي بين السواد بالدخان والاحمرار باللهب[2] .

و لما قرعهم من هذا الكلام بما لاجواب لهم [عنه -[3]] غير المكابرة، أعرض عنهم الخطاب استهانة بهم و احتقارا لهم فقال[4] : ﴿لو كان هؤلاء﴾ أى الذين أهلوهم لرتبة الإلهية و هم فى الحقارة بحيث يقذف بهم فى النار ٥ قذفا ﴿ آلهة ﴾ [2]أى كما زعم العابدون لهم[2] ﴿ ما وردوها[5] ﴾ [2]أى جهنم[2] أصلا ، فكيف على[6] هذه الصفة ؛ ثم أخبر عنهم [و عنها -[3]] بقوله : ﴿و كل﴾ أى منهم و منها ﴿فيها﴾ [2]أى جهنم[2] ﴿ خلدون ٥ ﴾ لا انفكاك لهم عنها ، بل يحمى بكل منهم فيها على الآخر ﴿لهم﴾ أى ان فيه الحياة من المذكورين العابدين مطلقا و المعبودين الراضين كفرعون ١٠ ﴿ فيها زفير ﴾ أى تنفس عظيم على غاية من الشد و المد . تكاد تخرج معه النفس ، [6]و يقرنون بآلهتهم زيادة فى عذابهم حيث جعل[7] المعبود الذى كان يطلب منه[8] / السعادة زيادة فى الشقاوة فصار[9] عدوا ولا يكون أنكأ من مقارنة[10] العدو . ٥٢٦ /

و لما كانت تعمية الأخبار مما يعدم القرار ، و يعظم الإكدار ، ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : داخلين (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) سقط من مد (٦) العبارة من هنا إلى «العدو» ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : كان (٨) من مد ، و فى الأصل : من (٩) من مد ، و فى الأصل : اصار (١٠) من مد و فى الأصل : مقاربة .

قال: ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾ [1]حذف المتعلق[2] تعميما لكل مسموع.

قال ابن كثير[3]: قال ابن أبي حاتم: حدثنا علي بن محمد الطنافسي ثنا ابن فضيل ثنا عبد الرحمن - يعني المسعودي - عن أبيه قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: إذا بقي من يخلد[4] في النار جعلوا في توابيت من نار فيها مسامير من نار فلا يرى أحد منهم أنه يعذب في النار غيره، ثم تلا عبد الله - يعني هذه الآية، قال: ورواه ابن جرير من حديث حجاج ابن محمد عن المسعودي عن يونس بن خباب[5] عن ابن مسعود فذكره.

ولما ذكر حالهم وحال معبوديهم[6] بغاية الويل، كان موضع السؤال عمن عبدوهم[7] من الصالحين من نبي أو ملك وغيرهما من جميع من عبده سبحانه لا يشرك به شيئا، فقال مبينا أنهم ليسوا مرادين لشيء[8] من ذلك على وجه يعمهم وغيرهم من الصالحين: ﴿إن الذين سبقت لهم منا﴾ [9]أي ولنا العظمة التي لا يحاط بها[9] ﴿الحسنى[2] لا﴾ أي الحكم [10]بالموعدة البالغة في الحسن[10] في الأزل سواء ضل[11] بأحد منهم الكفار فأطروه أو لا ﴿أولئك﴾ [9]أي العالو الرتبة[9] ﴿عنها﴾ [أي جهنم - [12]]. [13]ولما كان الفوز مطلق الإبعاد عنها[14]، لا كونه من[15] مبعد معين. قال:

---

(١) العبارة من هنا إلى «مسموع» ساقطة من ظ (٢) من مد، وفي الأصل: المطلق (٣) راجع تفسيره ٣/١٩٧ (٤) من ظ ومد والتفسير، وفي الأصل: مخلد.
(٥) في التفسير: حبان - خطأ (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: معبودهم.
(٧) زيدت الواو في ظ (٨) سقط من ظ (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(١٠-١٠) في ظ: بها (١١) من ظ ومد، وفي الأصل: منا (١٢) زيد من ظ ومد (١٣) العبارة من هنا إلى «معين قال» ساقطة من ظ (١٤) من مد، وفي الأصل: منها (١٥) سقط من مد.

﴿مبعدون﴾ برحمة الله[1] لأنهم أحسنوا فى العبادة و اتقوا، و هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؛ قال ابن كثير فى تفسيره[2]: قال أبو بكر بن مردويه: [حدثنا - [3]] محمد بن على بن سهل[4] ثنا محمد بن حسن الأنماطى ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة ثنا يزيد بن [أبى -[3]] حكيم نا الحكم -يعنى ابن أبان- عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: جاء عبد الله بن الزبعرى[5] إلى النبى صلى الله عليه و سلم فقال: تزعم[4] أن الله أنزل عليك هذه الآية "انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون" قال ابن الزبعرى: قد عبدت الشمس و القمر و الملائكة و عزير و عيسى ابن مريم أكل هؤلاء فى النار مع آلهتنا؟ فنزلت "و لما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون و قالوا ءالهتنا خير ام هو ما ضربوه لك الاجدلا بل هم قوم خصمون" ثم نزلت "ان الذين سبقت لهم[6] منا الحسنى اولئك عنها مبعدون[6]" رواه الحافظ أبوعبد الله فى كتابه[7] الأحاديث المختارة[8] - انتهى. [9]و فى السيرة[10] النبوية[11] أن النبى صلى الله عليه وسلم لما بلغه اعتراض ابن الزبعرى قال: [12]كل من أحب[12]

(١) من ظ و مد. و فى الأصل: له (٢) راجع ٣/١٩٨ (٣) زيد من ظ و مد و التفسير (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد و التفسير (٥) من ظ و مد و التفسير، وفى الأصل: الزبيرى (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد، و موضعه فى ظ: الآية (٧) فى مد: كتاب (٨) من ظ و مد و التفسير، وفى الأصل: المختار (٩) و العبارة من هنا إلى «بعبادته» ساقطة من ظ (١٠) راجع ابن هشام ١/١٢٥ (١١) سقط من مد (١٢-١٢) فى الأصل بياض ملأناه من مد و السيرة.

أن يعبد من دون الله فهو [مع - [1]] من عبده ، [2]إنهم إنما [2] يعبدون الشياطين و من [3] أمرتهم بعبادته [3] . و قد أسلم ابن الزبعرى بعد ذلك و مدح النبى صلى الله عليه و سلم .

و لما كان أقل ما ينكى من المكروه سماعه ، قال : ﴿ لا يسمعون حسيسها ج ﴾ أى حركتها البالغة و صوتها الشديد ، فكيف بما دونه لأن الحس مطلق [4] الصوت أو الخفى منه كما [5] قال البغوى [6] ، فاذا زادت حروفه زاد معناه ﴿ و هم ﴾ [7] أى الذين سبقت لهم منا [5] الحسنى ﴿ فى ما ﴾ [8] و لما كانت الشهوة - و هى طلب النفس اللذة - لا تكون إلا بلبغة ، عبر بالافتعال دلالة على عظيم ما هم فيه من اللذة فقال [8] : ﴿ اشتهت [9] انفسهم ﴾ فى الجنة ﴿ خلدون ﴾ [8] أى دائما أبدا [8] .

/ و لما كان معنى ذلك أن سرورهم ليس له زوال ، أكده بقوله : ﴿ لا يحزنهم ﴾ أى يدخل عليهم حزنا - على قراءة الجماعة حتى [10] نافع بالفتح ، عن حزنه ، أو جعلهم حزينين - على قراءة أبى جعفر بضم ثم كسر ، من أحزنه - رباعيا ، فهى أشد ، فالمنفى فيها كونه يكون لهم صفة - [11]] /٥٢٧

---

(١) زيد من مد و السيرة (١-٢) من السيرة . و فى الأصل : انهم و ما . و فى مد : انهم (٢-٣) من السيرة . و فى الأصل و مد : امرهم بالعبادة (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطلق على (٥) سقط من مد (٦) راجع المعالم على هامش اللباب ٤/٢٦٢ (٧) العبارة من هنا إلى « الحسنى » ساقطة من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) بهامش ظ . قال الأصبهانى : و الشهوة طلب النفس اللذة (١٠) كذا (١١) زيد ما بين الحاجزين من مد .

﴿ الفزع الاكبر ﴾ أى فما[1] الظن بما[1] دونه ﴿ و تتلقهم ﴾[2] أى تلقيا بالغا فى الإكرام[2] ﴿ الملئكة[3] ﴾ حيثما توجهوا ، قائلين بشارة لهم : ﴿ هذا يومكم ﴾ إضافة إليهم لأنهم المنتفعون به[3] ﴿ الذى كنتم ﴾ فى الدنيا. [و لما تطابق على الوعد فيه الرسل و الكتب و الأولياء من جميع الأتباع ، بنى الفعل للمفعول إفادة للعموم فقال - [4]] : ﴿ توعدون ﴾ أى ٥ [5]بحصول ما تتمنون[5] فيه من النصر و الفوز العظيم ، و النعيم المقيم ، فأبشروا فيه بجميع ما يسركم .

و لما كانت هذه الأفعال على غاية من[6] الأهوال ، تتشوف بها النفس إلى معرفة اليوم الذى تكون فيه ، قال[7] تعالى شافيا لعىّ هذا السؤال ، زيادة فى تهويل ذلك اليوم لمن له وعى : ﴿ يوم ﴾ أى تكون هذه ١٠ الأشياء يوم ﴿ نطوى ﴾[2] أى بما لنا من العظمة الباهرة[2] ﴿ السمآء ﴾ طيا فتكون كأنها لم تكن ؛ ثم صور طيّها بما يعرفون فقال مشبها للصدر[8] الذى دل عليه الفعل : ﴿ كطى السجل ﴾ أى الكاتب[2] الذى له العلو و القدرة على مكتوبه[2] ﴿ للكتب[3] ﴾ أى القرطاس الذى يكتبه و يرسله

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيما (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) من مد . و فى الأصل : مع ، و العبارة من « إضافة » إلى هنا ساقطة من ظ .
(٤) زيد ما بين الحاجزين من مد (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : حصول ما تتمنوا (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : عن (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقال (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالصدر .

إلى أحد ، و إنما قلت ذلك لأن السجل يطلق على الكتاب و على الكاتب - قاله فى القاموس ، و اختير للفاعل لفظ السجل لما مضى فى سورة هود من أن هذه المادة تدور على العلو ، و للطوى لفظ الكتاب الدال على الجمع ، لكونه لازما للطى ، مع أن ذلك أنسب لما جعل كل منهما مثالا له ، و قراءة المفرد لمقابلة لفظ السماء ، و الجمع للدلالة على أن المراد الجنس ، فجميع السماوات تطوى ؛ قال ابن كثير[1] : قال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى ثنا محمد بن أحمد بن الحجاج الرقى حدثنا محمد بن سلمة عن أبى الواصل عن أبى المليح عن الأزدى عن أبى الجوزاء الأزدى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : يطوى الله السماوات السبع بما فيها من الخليقة ، و الأرضين السبع بما فيها من الخليقة ، يطوى ذلك كله بيمينه حتى يكون ذلك[2] بمنزلة خردلة .

و لما كان هذا عند من لا يعلم أعظم استبعادا من استبعادهم إعادة الموتى ، قال[3] [4]دالا عليه[4] مقربا له إلى العقول بتشبيه الإعادة بالإبداء ، فى تناول القدرة لهما على السواء . فانه كما أخرجه بعلم من خزائن قدرته كذلك يرده بعلمه فى خزائن قدرته ، كما يصنع فى نور السراج و نحوه إذا أطفئ ، فكذا فى غيره من جميع الأشياء - [5]] ﴿ كما ﴾ أى مثل ما

(١) راجع تفسيره ٣/١٩٩ (٢) زيد فى التفسير : كله فى يده (٣) زيد فى الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد .

﴿بدانا﴾ [١]أى بما عُلم لنا من العظمة[١] ﴿اول خلق﴾ [[٢]- أى تقدير أىّ تقدير كان ، [١]نكره ليفيد التفصيل واحدا واحدا ، بمعنى أن كل خلق جل أو قل سواء فى هذا الحكم ، و هو أنا[١]] ﴿نعيده[٤]﴾ [١]أى بتلك العظمة بعينها[١]، [٣]غير ناسين له و لا غافلين و لاعاجزين عنه[٣]، فما كان متضامّ الأجزاء فمددناه نضمه بعد امتداده ، و ما كان ميتا فأحييناه نميته بعد حياته . و ما كان حيا فأمتناه نحييه بعد موته ، و نعيد منهم من التراب من بدأناه[٤] منه ، و الحاصل أن من أوجد شيئا لايبعد عليه التصرف فيه كيفما كان ؛ روى البخارى فى التفسير[٥] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : خطب النبى صلى الله عليه و سلم فقال[٦] : إنكم محشورون إلى الله عراة غرلا "كما بدانا اول خلق نعيده" - الآية ، أول من يكسى[٧] يوم القيامة[٧] إبراهيم عليه السلام ، ألا إنه يجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : يا رب ! أصحابى ! فيقال : لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح "كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم - إلى قوله : شهيد" فيقال[٨] : إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم . ثم أعلم أن ذلك أمر لا بد منه بالتعبير بالمصدر

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ ، (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) ورد ما بين الرقمين فى ظ بعد « أى تقدير كان » سطر (٤) من ظ و مد . و فى الأصل : بدانا .
(٥) راجع الصحيح ٢/٦٩٣ (٦) من الصحيح ، و فى النسخ : قال (٧-٧) تأخر فى النسخ عن «إبراهيم عليه السلام» . والتوبيب من الصحيح (٨) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : فقال .

[1]تأكيدا لما أنكروه و بالغوا فى إنكاره[1] فقال: ﴿وعدا﴾ و أكد ذلك بقوله: ﴿علينا[2]﴾ و زاده[2] بقوله: ﴿انا كنا﴾ [3]أى أزلا و أبدا، على حالة لا تحول[3] ﴿فعلين ٥﴾ أى شأننا / أن نفعل ما نريد، لا كلفة علينا فى شىء من ذلك بوجه. ٥٢٨/

و لما ذكر صدقه فى الوعد و سهولة الأفعال عليه، و كان من محط كثير[4] مما مضى أن من فعل [ما لا يرضى الله غيّر عليه، كائنا من كان، و من فعل - [5]] ما أمره به نصره و أيده و لو بعد حين، كما أشير إليه بقوله تعالى "قل ربى يعلم القول فى السماء و الارض" و ما بعده [من أشكاله -[5]]، [حتى ختم بقوله "او لم يروا انا نأتى الارض ننقصها"- الآية -[6]]، قال تعالى عاطفا على "لقد انزلنا اليكم كتبا فيه ذكركم[7]" و ما عطف عليه من أشباهه مذكرا[8] بما وعد على لسان داود عليه السلام: ﴿و لقد كتبنا﴾ [أى -[6]] [9]على عظمتنا التى نفوذها محقق لا تخلف له أصلا[9] ﴿فى الزبور﴾ أى الذى أنزلناه على داود عليه السلام.

[و لما كان المكتوب المشار إليه لم يستغرق ما بعد الذكر المراد من هذا الزبور -[6]]، [أشار[10] إلى التبعيض باثبات الجار فقال -[5]]:

(١-١) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد «انا كنا» سطر ٢، و الترتيب من مد، و سقط من ظ (٢) فى مد: زاد (٣-٣) وقع فى الأصل قبل «فقال وعدا» سطر ١، و الترتيب من مد، وسقط من ظ (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: كثيرة. (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: ذكر (٨) من ظ و مد. و فى الأصل: فذكرا (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) فى ظ: و أشار.

﴿ من بعد الذكر ﴾ أى الكلام الداعى إلى الله تعالى الدال عليه من الدعاء و المواعظ و التسبيح و التمجيد [1] الذى ابتدأنا [به - [2]] الزبور ﴿ ان الارض ﴾ أى جنسها الشامل لبقاع أرض الدنيا كلها و لأرض المحشر و الجنة و غير ذلك مما يعلمه الله ﴿ يرثها عبادى ﴾ [3] و حقق ما أفادته [4] إضافتهم إليه من الخصوص [5] بقوله : ﴿ الصلحون ﴾ أى المتخلقون بأخلاق [أهل - [2]] الذكر، المقبلين على ربهم ، الموحدين [له - [2]]، المشفقين من الساعة ، الراهبين من سطوته ، الراغبين فى رحمته ، الخاشعين له - كما أشرنا إليه بقولنا " قل ربى يعلم القول " و ما ضاهاه و بذكر ما سلف فى هذه السورة من شاهد ذلك من قصص هؤلاء الأنبياء الذين ضمّناها بعض أخبارهم دلالة على أن العاقبة [6] لمن أرضانا " لنهلكن الظلمين و لنسكننكم الارض من بعدهم "، " ان الارض [لله - [7]] يورثها [8] من يشاء من عباده "، " اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس " و فى هذا إشارة بالبشارة بأنه تعالى يورث هذه الأمة على ضعفها ما أورث داود و ابنه سليمان عليهما الصلاة و السلام على ما أعطاهما من القوة [من - [2]] إلانة الحديد و الريح و الحيوانات كلها من الجن و الإنس و الوحش

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : التحميد (٢) زيد من ظ ومد (٣) العبارة من هنا إلى «الخصوص بقوله» ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : ادانه - كذا (٥) من مد ، و فى الأصل : المخصوص (٦) فى مد : الآخرة (٧) زيد من ظ ومد والقرآن الكريم سورة ٧ آية ١٢٨ (٨) من ظ ومد والقرآن الكريم ، و فى الأصل : يرثها .

[1]و الطير[1] و غير ذلك ، و المراد بهذا الكلام - و الله أعلم - ظاهره ، فانه ابتدأ سبحانه الزبور بالأذكار و المواعظ إلى أن قال فى المزمور[2] السادس و الثلاثين[3] - و هو قبل ربعه - هذا اللفظ بعينه . بيان ذلك[4] :

المزمور الأول : طوبى للرجل الذى لا يتبع رأى المنافقين ، و لم يقف فى طريق الخاطئين ، و لم يجلس فى مجالس المستهزئين ، لكن فى ناموس الرب مشيئته[5] ، و فى سننه يتلو ليلا و نهارا . فيكون كمثل الشجرة المغروسة على مجارى المياه التى تعطى ثمرتها فى حينها ، و ورقها لا[6] ينتثر ، و كل ما يعمل يتم ، [ليس -[7]] كذلك[8] المنافقون ، بل كالهباء الذى تذريه الرياح عن وجه الأرض ، فلهذا لايقوم المنافقون فى القضاء و لا الخطأة فى مجمع الصديقين . لأن الرب عالم بطريق الأبرار ، و طريق المنافقين[9] تبيد .

المزمور الثانى : لما ذا ارتجت الشعوب ؟ و هدت الأمم بالباطل ؟ قامت ملوك الأرض و رؤساؤها و ائتمروا جميعا على الرب و على مسيحه [قائلين -[10]] : لنقطع اغلالهما[11] و نلقى عنا سيرهما[12] . الساكن فى السماء

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الزبور (٣) السابع والثلاثين فيما لدينا من نسخة التوراة (٤) زيد فى الأصل : قال فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) فى الزبور : مسرته . (٦) من ظ و مد . و فى الاصل : كما (٧) زيد من مد و الزبور (٨) من ظ و مد و الزبور . وفى الأصل : ذلك (٩) من ظ ومد ، و فى الأصل : الابرار ، و فى الزبور ، الأشرار . (١٠) زيد من الزبور (١١) فى النسخ : اعلالهم . و فى الزبور : قيودهما (١٢) فى النسخ : ثيرهم . و فى الزبور : ربطهما .

يضحك بهم، و الرب يمقتهم، حينئذ يكلمهم بغضبه[1]، و بسخطه يذهلهم، أنا أقمت ملكا منهم على صهيون جبل قدسه[2]. لأخبر ميثاق الرب، الرب قال لى: أنت[3] [4]ابنى، أنا اليوم ولدتك[4]، سلنى فأعطيك الشعوب، ميراثك و سلطانك على أقطار الأرض، ترعاهم[5] بقضيب من حديد، /ومثل آنية الفخار تسحقهم، من الآن تفهموا أيها الملوك[6]! تأدبوا يا جميع ٥ / ٥٢٩ قضاة الأرض! اعبدوا الرب بخشية، سبحوه برعدة، [7]الزموا الأدب[7] لئلا يسخط الرب عليكم فتضلوا عن سبيله[8] العادلة، إذا ما توقد رجزه[9] عن قليل، طوباهم[10] المتوكلين عليه.

المزمور الخامس: استمع يا رب قولى داعيا، و كن لدعائى مجيبا، و أنصت إلى صوت تضرعى، فانك ملكى و إلهى، [1]و إنى لك أصلى ١٠ فى غدواتى، استمع[11] يا رب طلبتى لأقف أمامك بالغـــداة و ترانى، لأنك إله لاترضى الإثم، و لايحل فى مساكنك شرير، و لايثبت مخالفو وصاياك بين يديك، أبغضت جميع عاملى الإثم، و أبدت كل الناطقين بالكذب، الرجل السافك الدماء الغاش[12] الرب يرذله[13]، و انا بكثرة

(١) من ظ و مد و الزبور، و فى الأصل: بغضب (٢) فى الزبور: قدسى. (٣) سقط من ظ و مد (٤ - ٤) من الزبور، و فى الأصل: ولا اليوم، و ما بين الرقمين ساقط من ظ و مد (٥) فى الزبور: تحطمهم (٦) فى مد: الملاك. (٧ - ٧) فى الزبور: قبلوا الابن (٨) فى مد: سبله (٩) من ظ و مد و الزبور معنى، و فى الأصل: رحوه (١٠) فى الزبور: طوبى لجميع (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: اتسمع، و فى الزبور: تسمع (١٢) من ظ و مد و الزبور معنى، و فى الأصل: الفتن (١٣) من ظ و مد و الزبور، و فى الأصل: يرزله.

رحمتك أدخل بيتك ، و أسجد[1] فى هيكل قدسك مستشعرا بخشيتك ، اهدنى يا رب بعدلك ، و من أجل أعدائى سهل أمامك طريقى ، فانه ليس فى أفواههم صدق ، بل الإثم فى قلوبهم ، حناجرهم قبور مفتحة ، و ألسنتهم غاشة ، دنهم يا الله ! و مثل كثرة نفاقهم[2] ارفضهم لأنهم
٥ أسخطوك[3] يا رب ، و يفرح بك جميع المتوكلين عليك ، و إلى الأبد يسرون ، و فيهم تحل بركتك ، و يفتخر بك كل محبى اسمك ، لأنك يا رب تبارك الصديق ، و كمثل سلاح ، المسرة كللتنا[4] .

المزمور السادس : يا رب ! لا تبكتنى بغضبك ، و لا تؤدبنى[5] بزجرك ، ارحمنى يا رب فانى ضعيف ، اشفنى يا رب فان عظامى قلقت[6] ، و نفسى
١٠ جزعت جدا ، و أنت يج نفسى و خلصنى برحمتك ، فليس فى الموتى من يذكرك ، و لا فى الجحيم من يشكرك ، تعبت فى تنهدى ، أحمم[7] فى كل ليلة سريرى[8] ، ز بدموعى أبلّ فراشى ، ذبلت من السخط عيناى ، ابعدوا عنى يا جميع عاملى الإثم ، فان الرب سمع صوت بكائى ، الرب سمع صوت تضرعى ، الرب قبل صلاتى ، يخزون و يبهتون جميع أعدائى ،
١٥ و يتضرعون و يسقطون جدا عاجلا .

(١) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : ادخل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعامهم ، و فى الزبور : ذنوبهم (٣) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : يسخطوك (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : كلتنا ، و فى الزبور : تحيطه (٥) فى ظ و مد : تردينى (٦) فى ظ : خلقت ، و فى الزبور : رجفت . (٧) فى الزبور : أعوم (٨) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : سريرتى .

و فى

و فى المزمور التاسع[1]: أشكرك يا رب من كل قلبى، و أقص جميع عجائبك، أفرح و أسر بك، و أرتل لاسمك العلى حين تولى أعدائى على أدبارهم يضعفون و يبيدون من بين يديك. لأنك قضيت لى و انتقمت لى، استويت على العرش يا ديان الحق. زجرت الشعوب، أبدت المنافق أسقطت[2] اسمه[3] إلى الأبد و إلى أبد الأبد. لأنك أبدت سلاح العدو، ٥ و أفنيت مدائنه، و أزلت ذكرها، الرب دائم إلى الأبد، أعدّ كرسيه للقضاء ليقضى للمسكونة بالعدل، و[4] يدين الشعوب بالاستقامة.

المزمور الثانى عشر[5]: حتى متى يا رب تنسانى إلى التمام؟ حتى متى يا رب تصرف وجهك عنى؟ حتى متى تترك هذه الأفكار فى نفسى و الهموم و الأوجاع فى قلبى النهار كله؟ حتى متى يعلو عدوى على؟ انظر ١٠ إلىّ و استجب لى يا ربى و إلهى! أنر عينى لئلا أنام ميتا، و لئلا يقول عدوى: إنى عليه قد قدرت. و المضطهدون[6] [لى -[7]] يفرحون إذا أنا زللت. و أنا على رحمتك توكلت، فلى بخلاصك يفرح، أرتل الرب الذى صنع لى حسنا، و أسبح اسم الرب العالى.

المزمور الرابع عشر: يا رب من يسكن فى / مسكنك أو من يحل ١٥ / ٥٣٠ فى طور قدسك؟ ذاك الذى يمشى بلاعيب و يعمل البر و يتكلم[8] فى قلبه

(١) فى مد: العاشر، و ربما يكون هو الأصح (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: اسمك، و فى الزبور: اسمهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: او، وليس فى الزبور (٥) الثالث عشر فيما عندنا من نسخة الزبور، و نفس الزيادة تطرد إلى آخر المزامير (٦) بهامش ظ: قاموس: ضهده كمنعه: قهره كاضطهده. (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: تكلم. وفى الزبور: المتكلم.

بالحق، و لايغش بلسانه أحدا، و لايصنع بقريبه سوءا، و لايلتمس لجيرانه عارا، عيناه تشنأ الأثمة، يمجد أتقياء الرب، يحلف لقريبه ولا يكذب، و لايعطى فضته بالربا، و لا يقبل الرشوة على الأزكياء، الذى يفعل هذا يدوم و لا يحول إلى الأبد.

٥ المزمور السادس عشر: استمع يا الله بِرّى. و انظر إلى تواضعى، و أنصت لصلاتى [من شفتين[1] غير غاشتين، من قدامك يخرج قضائى، عيناك[2] تنظران الاستقامة، بلوت قلبى و تعاهدتنى، جربتنى فلم تجد فىّ ظلما، و لم يتكلم فمى بأعمال الشر، من أجل كلام شفتيك حُفظت طرق صعبة لكيما يشتد فى سبلك نهوضى و لا تزل[3] خطاى، و إذا ما دعوتك ١٠ استجب لى، اللهم أنصت إلىّ سمعك، و تقبل دعائى يا مخلص المتوكلين عليك، خلصنى بيمينك من المضادين [لى - [4]]. احفظنى مثل حدقة العين، و بظلال جناحك ظللنى، من وجه المنافقين الذين أجهدونى، و أعدائى الذين اكتنفوا نفسى، [5]نفقدت شحومهم[5]، و تكلمت أفواههم بالكبرياء، عند ما أخرجونى أحاطوا بى، نصبوا عيونهم ليضربوا بى الأرض، ١٥ استقبلونى مثل الأسد المستعد للفريسة. و مثل الشبل الذى يأوى فى خفية، قم يا رب! أدركهم و عرقلهم، و نج نفسى من المنافقين، و من سيف

(١-١) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد و الزبور إلا أن كلمة «من» ليست فى الأولين (٢) من الزبور. و فى النسخ: عيناى (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لايزل، و فى الزبور: ما زلت (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) فى الزبور: و قلبهم السمين قد أغلقوا.

أعدائك ، اللهم عن قرب شتتهم فى الأرض ، اقسمهم فى حياتهم .

المزمور السابع عشر : أحبك يا رب قوتى ! الرب رجائى و ملجأى و مخلصى إلهى عونى ، عليه توكلى ، ساترى و خلاصى و ناصرى ، أسبح الرب و أدعوه ، أنجو من أعدائى ، لأن غمرات الموت اكتنفتنى ، و أودية الأثمة أفزعتنى ، أحاطت بى أهوال الجحيم ، شباك الموت أدركتنى ، ٥ و عند شدتى دعوت الرب ، و إلى إلهى صرخت ، سمع من هيكل قدسه صوت دعائى ، أمامه يدخل إلى مسامعه ، تزلزلت الأرض وارتعدت ، تحركت أساسات الجبال و تزعزعت[1] من أجل أن الرب غضب عليها ، صعد الدخان من رجزه و التهبت النار أمامها ، اشتعل منه[2] جمر نار ، طأطأ السماوات ، و الضباب تحت رجليه ، طار على أجنحة الرياح ، جعل الظلمة ١٠ حجابه ، تحوط مظلته مياه مظلمة فى سحب الهواء من الزمهرير ظلاله ، و من بريق نور وجهه جعل الغمام يجرى بين يديه ، بردا و جمر نار ، أرعد الرب من السماء ، و أبدى العلى صوته ، أرسل سهاما و فرقهم ، و أكثر البرق و أفزعهم و أقلقهم ، ظهرت عيون المياه ، و انكشفت أساسات المسكونة من انتهارك يا رب ! و من هبوب ريح سخطك . أرسل من ١٥ العلى و أخذنى ، نشلنى من المياه الغزيرة ، و خلصنى من أعدائى الأشداء ، و من المبغضين لى . لأنهم تقووا أكثر منى . سبقونى فى يوم حزنى ، نجانى فى يوم جزعى . الرب صار لى سندا ، أخرجنى إلى السعة ، و أنقذنى لأنه ترأف لى ، خلصنى من أعدائى الأشداء المبغضين ، جازانى الرب

(١) فى ظ و مد : تزعزت (٢) سقط من ظ .

مثل برى ، و مثل طهر يدى يعطينى ، لأنى حفظت سبل الرب ، و لم أبعد من إلهى ، إذ كل أحكامه[1] قدامى ، و عدله لم ابعده عنى ، أكون معه بلا عيب ، و لم تزدحف خطاى ، جازانى الرب مثل برى ، و مثل طهر يدى أمامه ، مع العفيف عفيفا [تكون -[2]] ، و مع البار بارا تكون ، و مع الملتوى / ملتويا تكون ، و مع المختار مختارا تكون ، من أجل أنك تنجى الشعب المتواضع و تذل أعين المتعظمين ، و أنت يا رب تضىء سراجى ، لأنى بك أنجو من الرصد ، و بالهى أعبر السور[3] ، و الله لا ريب فى سبله ، كلام [الرب -[2]] مختبر ، يخلص جميع المتوكلين عليه ، إله مثل الرب ، و لاعزيز مثل إلهنا . [الإله -[2]] الذى عضدنى بقوته ، جعل سبلى بلاعيب ، ثبت قدمى ، و على المشارق رفعنى ، علم يدى القتال ، شدد ذراعى مثل قوس نحاس ، أعطانى[4] الخلاص ، يمينه نصرتنى[5] ، و أدبه أقامنى إلى التمام ، حكمتك علمتنى ، وسعت خطاى تحتى ، و لم تضعف قدماى ، أطلب أعدائى و أدركهم ، و لا أرجع حتى أفنيهم ، أرميهم فلا يستطيعون القيام ، يسقطون تحت قدمى ، عضدتنى بقوة فى الحرب ، جعلت كل الذين قاموا علىّ تحتى ، أبدت أعدائى ، استأصلت الذين شنأونى ، صرخوا فلم يكن لهم مخلص ، رغبوا إلى الله فلم يستجب لهم ، أسحقهم مثل الثرى

٥٣١/ ٥

(١) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : احكامى (٢) زيد من ظ و مد و الزبور (٣) من ظ و مد و فى الأصل : السو ، و فى الزبور : أسوارا (٤) زيد فى ظ و مد : نصرة (٥) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : نصرنى .

[1]أمام الريح ، و كمثل طين الطرق أطأهم ، نجنى من مقاومة الألسن ، سيرنى رأسا على الشعوب ، الشعب الذى لا أعرفه تعبد لى ، سمع لى سماع الأذن ، بنوا الغرباء [أقبلوا - [2]] و أطاعونى ، [3]و لم يؤمن بى بنو الغرباء[3]. حى هو الله ، و تبارك إله خلاصى . تعالى الرب الذى أنقذنى ، الله الذى ثبت لى الانتقام . أخضع الشعوب تحتى ، و نجانى من أعدائى ، و رفعنى على الذين قاموا[4] علىّ ، [و - [2]] من الرجال الأثمة نجانى ، لذلك أشكرك يا رب بين الشعوب ، و أرتل لاسمك .

المزمور الحادى و العشرون : إلهى إلهى لما ذا تركتنى ؟ تباعدت عن خلاصى لقول جهلى ، إلهى دعوتك بالنهار فلم تستجب لى ، و فى الليل[5] [6]فلم يكن منى جهلا[6] ، انت كائن فى القديسين يا فخر إسرائيل ، بك آمن آباؤنا ، و توكلوا[7] عليك فنجيتهم ، و صرخوا إليك فخلصتهم ، رجوك فلم يخزوا[8] ، و أنا فدودة و لست إنسانا ، عار فى الناس ، مرذول فى الشعب ، كل من رآنى يمقتنى ، تكلموا بشفاههم و هزوا رؤسهم [و - [9]] قالوا : إن كان آمن أو توكل على الرب فلينجه ، و يخلصه إن

(١) زيدت الواو قبله فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد و الزبور فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) فى الزبور : بنو الغرباء يبلون و يزحفون من حصونهم (٤) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : اقاموا (٥) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : النهار (٦ - ٦) فى الزبور : فلا هدو لى (٧) فى ظ : تواكلوا (٨) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : فلم تخزرا - كذا .
(٩) زيد من مد .

كان يحبه ، و أنت من البطن أخرجتنى ، و مذ كنت أرتضع من بطن أمى[1] ألقيت إليك ، و عليك من الرحم توكلت ، و من بطن أمى أنت إلهى فلا تبعد عنى ، فان الشدة قريبة ، و ليس [من -[2]] يخلصنى ، أحاطت بى عجول كثيرة ، اكتنفتنى ثيران سمان ، فتحت أفواهها على مثل الأسد الزائر المفترس ، و مثل الماء انهرقت عظامى ، و صار قلبى مثل الشمع المذاب فى وسط بطنى ، يبست[3] قواى مثل الفخار ، لصق لسانى بحنكى ، و إلى تراب الموت أنزلتنى ، أحاطت بى كلاب كثيرة ، اكتنفتنى جماعة الأشرار[4] ، ثقبوا يدى و رجلى ، و زعزعوا جميع عظامى ، نظروا إلىّ و شتمونى[5] ، و اقتسموا بينهم ثيابى ، و اقترعوا على لباسى ، و أنت يارب فلا تبعد من معونتى ، انظر إلى تضرعى ، نج من السيف نفسى ، و من يد الكلاب التى / احتوشتنى[6] ، و من فم الأسد خلصنى ، و من القرن المتعالى على تواضعى ، لأبشر باسمك إخوتى ، و بين الجماعة أمجدك . أيها الخائفون من الرب مجدوه ! يا جميع ذرية يعقوب سبحوه ! يخشاه كل زرع إسرائيل ، لأنه لم يهن و لم يرذل دعوة المسكين ، /٥٣٢

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : امتى . و ليس فى الزبور (٢) زيد من ظ و مد (٣) من الزبور ، و فى النسخ : يبس (٤) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : الاسرار (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : شمتونى ، و فى الزبور : يتفرسون فى ؛ و زيد بعده فى الأصل و ظ : به ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجتوشت ، و الجملة فى الزبور : من يد الكلب وحيدتى .

ولا صرف وجهه عنى ، و عند دعائى استجاب لى ، يأكل المساكين و يشبعون ، و يسجد قدامه جميع قبائل الشعوب ، لأن الملك الرب ، و سلطانه على الأمم ، تأكل و تسجد قدام الرب جميعُ ملوك الأرض ، و بين يديه يجثو جميع هابطى التراب لله ، يحى نفسى[1] ، و ذريتى له تتعبد ، أخبروا بالرب أيها الجيل[2] الآتى ، و حدثوا بعدله ، ليرى الشعب الذى ٥ يولد صنعَ الرب .

المزمور الثلاثون : عليك يا رب توكلت[3] فلا أخزى إلى الأبد ، خلصنى و أنقذنى بعدلك ، أنصت لى بسمعك ، و استنقذنى عاجلا ، كن لى إلها نصيرا و ملجأ و مخلصا لأنك عونى و ملجأى ، و باسمك يا رب تهدينى و تعيننى و تخرجنى من هذا الفخ الذى أخفى[4] لى ، [5]لأنك ناصرى ، ١٠ و فى يدك أسلم روحى[6] ، نجنى يا رب إله الحق ، شنأت الذين يعتبطون بالأوثان الباطلة ، و أنا على الرب توكلت ، افرح و اسر برحمتك لأنك نظرت إلى تواضعى ، و خلصت نفسى من الشدائد ، و لم تسلمنى فى أيدى الأعداء ، اقمت رجلى فى السعة ، ارحمنى يا رب فانى حزين . جزعت[7]

---

(١) كذا ، و الجملة فى الزبور : ... التراب و من لم يحى نفسه (٢) من ظ و مد و الزبور . و فى الأصل : الجليل (٣) زيد فى الأصل : يا رب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى مد : انخفى (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد و الزبور فحذفناها (٦) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : روح (٧) فى الزبور : خسفت .

عيناى من سخطك ، و نفسى و قواى ، فنى عمرى بالأحزان ، و سنى بالزفرات ، ضعفت بالمسكنة قوتى و قلقت عظامى ، صرت عارا فى أعدائى و جيرتى ، و رهبة لمن عرفنى ، من عاينى[1] تباعد عنى ، و نسونى فى قلوبهم مثل الميت . صرت مثل إناء مكسور[2] ، لأنى سمعت سب جميع من حولى ، هموا بى و عند اجتماعهم[3] علىّ جميعا تآمروا لأخذ نفسى ، فأنا يا رب عليك توكلت . قلت : أنت إلهى ، وفى يدك[4] قسمى ، نجنى من يد أعدائى و الطاردين لى . أضئ[5] وجهك على عبدك ، و خلصنى برحمتك ، يا رب لا تخزنى فانى دعوتك ، تخزى المنافقون و يهبطون إلى الجحيم ، تبكم الشفاه الغاشة المتقولة على الصديق بالزور و البهتان ، ما أكثر[6] رحمتك يا رب لجميع خائفيك . أعددتها لمن اعتصم بك أمام بنى البشر ، سترهم فى كنفك[7] من[8] أشرار الناس و فى ظلال وجهك ، و قهم من مقاومة الألسن ، تبارك الرب الذى[9] انتخب له[9] الأصفياء فى المدينة العظيمة ، أنا قلت فى تحيرى : إنى سقطت من حذاء عينيك ، و لذلك سمعت صوت تضرعى حين دعوتك ، حبوا الرب يا جميع

(١) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : عافنى (٢) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : مسكون (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اخفايهم (٤) فى ظ : يديك (٥) من الزبور ، و فى الأصول : يضى (٦) من ظ و مد و الزبور معنى ، و فى الأصل : اكثرت (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كفنك ، و فى الزبور : ستر وجهك (٨) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : بين (٩ - ٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : انتجت الاولياء ، و فى الزبور : قد جعل عجبا رحمته لى .

أصفيائه ، فان الرب يبتغى الحق ، و يكافئ المستكبرين بفعلهم ، تشتد قلوبكم و تقوى أيها المتوكلون على الرب .

المزمور الثالث و الثلاثون : أبارك[1] الرب فى / كل حين ، و كل ٥٣٣ / أوان تسبيحه فى فمى ، بالرب تفتخر نفسى . فليسمع أهل الدعة و يفرحوا ، عظموا معى الرب و شرفوا اسمه أجمعون ، أنا طلبت[2] الرب فأجابنى ، ٥ و من شدائدى نجانى ، أقبلوا إلى الرب و استتروا به ، فان وجوهكم لا تخزى ، إن المسكين دعا فاستجاب له الرب ، و من جميع أحزانه خلصه ، ملك الرب يحوط أتقياءه و ينجيهم ، ذوقوا و تيقنوا طيب الرب ، طوبى للرجل المتوكل عليه ، اتقوا الرب يا جميع قديسيه[3] لأنه لامنقصة لأتقيائه[4] ، الأغنياء افتقروا و جاعوا ، و الذين يطلبون الرب لايعدمون ١٠ كل الخيرات ، هلموا أيها الأبناء و اسمعوا منى لأفهمكم مخافة الرب ، من هو الرجل الذى يهوى الحياة و يحب أن يرى[6] الأيام الصالحة . اكفف لسانك من الشر و شفتيك ، لاتتكلم بالغدر ، ابعد عن الشر ، و اصنع الخير ، اطلب السلامة و اتبعها ، فان عين الرب على الأبرار . و سمعه إلى تضرعهم . وجه الرب على صانعى الشر ليمحو ذكرهم من ١٥ الأرض ، الأبرار دعوا فاستجاب لهم الرب[7] . من جميع شدائدهم نجاهم ،

(١) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : اباك (٢) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : طلب (٣) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : قديشيه . (٤) زيد فى مد : الاتقياء (٥) فى مد : الرب ـ خطأ (٦) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : يربى (٧) ـ فقط من مد .

الرب[1] قريب من مستقيمى القلوب ، يخلص متواضعى الأرواح ، كثيرة[2] هى أحزان الصديقين ، و من جميعها ينجيهم الرب ، الرب[3] يحفظ جميع عظامهم ، و واحد منها لا ينكسر ، موت الخطأة سيئ ، و مبغضو البار يهلكون ، الرب ينجى نفوس عبيده ، و لا يخيب المتوكلين عليه .

٥ المزمور الرابع و الثلاثون : حاكم يا رب الذين يظلموننى ، قاتل الذين يقاتلوننى ، خذ سلاحا و ترسا و قم لمعونتى . استل سيفا و رد به أعدائى الذين يرهقوننى . و قل لنفسى : أنا مخلصك ، يخزى و يبهت طالبو نفسى ، يرتدون[4] على أعقابهم و يخزى الذين يتفكرون بى الشر ، و يكونون كالغبار أمام[5] الريح ، و ملك الرب [يخزيهم ، تكون طريقهم

١٠ زلقة ظلمة عليهم و ملك الرب -[6]] يطاردهم ، لأنهم أخفوا لى فخا . بغير حق عيروا نفسى ، فليأتهم الشر بغتة ، و المصيدة التى أخفوها تأخذهم ، و فى الحفرة التى حفروها يسقطون ، نفسى تبتهج بالرب ، و تنعم بخلاصه ، عظامى كلها تقول : يا رب من مثلك منجى المسكين من يد القوى ، و الفقير و البائس من يد الذين يختطفونه ، قام علىّ شهود الزور ،

٥ و عما لم أعلم ساءلونى ، جازونى بدل الخير شرا ، و أبادوا نفسى و أنا عند ما لجوا علىّ لبست مسحا ، و بالصيام أذللت نفسى ، و صلاتى عادت إلى حضنى ، مثل قريب و أخ كنت لهم ، صرت كالحزين الكئيب

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : كبيرة .
(٣) ليس فى الزبور (٤) من ظ و مد و الزبور ، و فى الأصل : يردون .
(٥) فى مد : ايام (٦) زيد من ظ و مد و الزبور معنى .

فى تواضعى. اجتمعوا علىّ و فرحوا، اجتمع علىّ الأشرار ولم أشعر، أثموا[١] ولم يندموا، أحزنونى و هزأوا بى و صروا أسنانهم علىّ، [٢]يا رب[٢] إلى متى تنتظر! نج نفسى من شر ما نصبوا، و من الأسد نج وحدتى. لأشكرك يا رب فى الجموع الكثيرة و [فى -[٣]] الشعب الصالح أرتل لك، لا يسر بى المعادون لى ظلما، الذين يشنأوننى باطلا و يتغامزون بعيونهم، ٥ / لأنهم يتكلمون[٤] بالسلام و بالدغل يفكرون، و على المتواضعين فى الأرض يقولون الكذب، فتحوا علىّ أفواههم، [٥]و قالوا[٥]: نعما نعما! قد قرت به عيوننا، اللهم قد رأيت، لا تغفل. لا تبعد عنى يا رب! انظر سريعا فى قضائى إلهى و ربى، كن[٦] فى ظلامتى، و احكم لى مثل برك يا ربى و إلهى، لا تسرهم بى، لئلا يقولوا فى قلوبهم: تفتحت[٧] نفوسنا، و لا يقولوا: ١٠ قد ابتلعناه[٨]، يخزون و يهنون[٩] جميعا الذين يفرحون باساءتى، يلبس الخزى و البهت[١٠] المتعظمون بالقول علىّ، يسر و يفرح الذين يهوون برى، و يقولون فى كل حين: عظيم هو الرب، الذين يريدون سلامة عبدك، لسانى يتلو عدلك و تمجيدك النهار كله.

/ ٥٣٤

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اسمعوا، و فى الزبور: مزقوا (٢ - ٢) من ظ ومد والزبور. وفى الأصل: ترتب - كذا (٣) زيد من ظ ومد والزبور. (٤) فى الزبور: لايتكلمون (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فقالوا، و فى الزبور: قالوا (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: احكم، و الجملة فى الزبور: استيقظ و انتبه إلى حكمى يا إلهى و سيدى إلى دعواى (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: تفتحب - كذا، و الجملة فى الزبور: هه شهوتنا. (٨) من ظ ومد و الزبور، و فى الأصل: ائتلفناه (٩) من ظ ومد و الزبور معنى، وفى الأصل: يتهنون - كذا (١٠) من ظ و مد و الزبور معنى، و فى الأصل: البيت.

المزمور السادس و الثلاثون: لاتغبط الأشرار و لاتتأسّ بفاعلى الإثم، لأنهم مثل العشب سريعا يجفون، و مثل البقل الأخضر عاجلا يذبلون، توكل على الرب و اصنع الخير، و اسكن فى الأرض، و عش من نعيمها، استبشر بالرب يعطيك مطلوبات قلبك، و اكشف سبلك للرب و توكل عليه و هو يصنع لك، يخرج مثل النور عدلك، و مثل الظهيرة أحكامك. اخضع للرب و اضرع إليه، لاتغبط الرجل المستقيم[1] فى طريقه المقيم على إثمه، و لارجلا يعمل بخلاف الناموس، اكفف من السخط، و دع الغضب، لاتبار الشرير، فأن الأشرار جميعا يبيدون، و الذين يرجون الرب يرثون الأرض عن قليل. لايوجد الخاطئ، و يطلب[2] مكانه فلا يوجد، أهل الدعة[3] يرثون الأرض، و يتنعمون بكثرة السلامة، المنافق يرصد الصديق و يصر عليه أسنانه، و الرب يهزأ به، لأنه قد علم أن يومه يدركه. استل الخطأة سيوفهم، و أوتروا قسيهم. ليصرعوا المسكين و البائس، و يقتلوا[5] المستقيم القلب، تدخل سيوفهم إلى قلوبهم، و تنكسر قسيهم[5]. اليسير للصديق خير من كثرة غنى الخطأة، لأن سواعد الخطأة تنكسر، و الرب يحفظ الأبرار، الرب يعرف أيام صديقيه [6]الذين لا عيب فيهم[6] و ميراثهم إلى الأبد. و لا يخزون فى

(١) من ظ و مد. و فى الأصل: السقيم، و فى الزبور: الذى ينجح (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بطلت، و فى الزبور: تطلع فى (٣) من ظ و مد و الزبور معنى، و فى الأصل «و» (٤) من ظ و مد و الزبور معنى، و فى الأصل: يقتل (٥) من ظ و مد و الزبور معنى، و فى الأصل: قسيمهم. (٦-٦) فى الأصول: التى لاعيب فيها، و فى الزبور: الكملة.

زمان

زمان سوء. و فى أيام الشدائد يشبعون، لأن الأئمة يبيدون، أعداء الرب حين يرتعون و يتمجدون يذهبون مثل الدخان و يضمحلون، الخاطئ يقترض و لايوفى، و البار يترأف و يعطى، لأن مباركيه يرثون[1] الأرض، و لاعنيه يستأصلون، الرب يقوّم خطأ الإنسان و يهديه فى الطريق، إن سقط البار لم يجزع. لأن الرب ممسك بيده. كنت صبيا و شخت و لم أر صديقا رفض، و لا ذريته طلبت خبزا. النهار كله يترحم و يقرض[2] و نسله مبارك، ابعد عن الشر و افعل الخير، و اسكن إلى أبد الأبد، [لأن الرب -[3]] يحب العدل، و لايضيع أصفياءه، يحفظهم إلى أبد الأبد، الأئمة يهلكون و نسل الخطأة / يستاصلون، الصديقون / ٥٣٥
يرثون[4] الأرض و يسكنون فيها إلى أبد الأبد، فم الصديق ينطق بالحكمة و لسانه يقول العدل، سنة إلهه فى قلبه، و لا تزدحف قدماه، الخاطئ يرصد البار و يهم بقتله، و الرب لايسلمه فى يديه، و لايدخله فى الحكم، ترج الرب و احفظ طرقه، و هو يرفعك لترث الأرض و تعاين الخطأة يبيدون، رأيت المنافق يتعالى و يتطاول مثل أرز لبنان، مررت به فلم أجده و طلبت موضعه فلم أصبه. تمسك بالدعة و ستترى الاستقامة. فان عاقبة الرجل المستقيم سلامة، الخطأة جميعا يبيدون، و بقايا الأشرار يستأصلون، خلاص الأبرار من عند الرب و هو ناصرهم فى زمان الشدائد.

(١) من ظ و مد و الزبور. و فى الأصل: يورثون (٢) من ظ و مد و الزبور، و فى الأصل: يفترض (٣) زيد من ظ و مد و الزبور (٤) من ظ و مد و الزبور. و فى الأصل: يسكنون.

الرب عونهم و منجيهم و منقذهم من الخطأة . و يخلصهم لأنهم توكلوا عليه .

و لما كان ما ذكر فى هذه السورة من الحكم و الدلائل و القصص واعظا شافيا حكيما ، و مرشدا هاديا عليما ، قال واصلا بما تقدم إشارة إلى أنه نتيجته[1] : ﴿ ان فى هذا ﴾ أى الذى ذكرناه هنا من الأدلة على قدرتنا على قيام الساعة و غيرها من الممكنات ، و على أن من ادعى علينا أمرا فأيدناه عليه و جعلنا العاقبة له [فيه -[2]] فهو صادق محق ، و خصمه كاذب مبطل ﴿ لبلغا ﴾ لأمرا عظيما كافيا فى البلوغ إلى معرفة[3] الحق فيما ذكرناه من قيام الساعة و الوحدانية و جميع ما تحصل به البعثة ﴿ لقوم ﴾ أى لأناس[4] أقوياء على ما يقصدونه ﴿ عبدين[5] ﴾ أى معترفين بالعبودية لربهم الذى خلقهم اعترافا تطابقه الأفعال بغاية الجد و النشاط .

و لما كان هذا مشيرا إلى رشادهم ، فكان التقدير : فما أرسلناك إلا لإسعادهم و الكفاية [لهم -[2]] فى البلاغ إلى جنات النعيم ، عطف عليه ما يفهم سبب التأخير لإنجاز ما يستعجله[6] غير العابدين من العذاب فقال : ﴿ و ما ارسلنك ﴾ أى [7]بعظمتنا العامة[7] على حالة من الأحوال ﴿ الا ﴾ على حال كونك ﴿ رحمة للعلمين ﴾ كلهم ، اهل السماوات و أهل الأرض

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : نتيجة (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الاصل : تعرفة (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : ناس (٥) العبارة من هنا إلى «النعيم» ساقطة من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يستعمله (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

من الجن و الإنس و غيرهم ، طائعهم بالثواب[1] ، و عاصيهم بتأخير العقاب .
[الذى كنا نستأصل به الأمم -[2]] ، فنحن نمهلهم و نترفق بهم ، إظهارا
لشرفك و إعلاء لقدرك ، حتى نبين أنهم مع كثرتهم و قوتهم و شوكتهم
و شدة تمالؤهم عليك لا يصلون إلى ما يريدون منك ، ثم نرد كثيرا منهم
إلى دينك ، و نجعلهم من أكابر أنصارك و أعاظم أعوانك ، بعد طول ٥
ارتكابهم الضلال ، و ارتباكهم فى أشراك المحال ، و إيضاعهم فى الجدال
و المحال ، فيعلم قطعا أنه لا ناصر لك إلا الله الذى يعلم القول فى السماء
و الأرض ، و من أعظم ما يظهر فيه هذا الشرف فى عموم الرحمة وقت
الشفاعة العظمى يوم يجمع الأولون و الآخرون ، و تقوم الملائكة صفوفا
و الثقلان وسطهم ، و يموج بعضهم فى بعض من شدة ما هم / فيه ، يطلبون ١٠ / ٥٣٦
من يشفع لهم فى أن يحاسبوا ليستريحوا من ذلك الكرب إما إلى جنة
أو نار ، فيقصدون أكابر الأنبياء نبيا نبيا عليهم الصلاة و السلام ، و التحية
و الإكرام ، فيحيل بعضهم على بعض ، و كل منهم يقول : لست لها ،
حتى يأتوه صلى الله عليه و سلم فيقول : أنا لها . [و يقوم -[3]] و معه لواء
الحمد فيشفعه الله و هو المقام[4] المحمود الذى يغبطه [به -[3]] الأولون ١٥
و الآخرون و قد سبقت[5] أكثر الحديث بذلك فى سورة غافر عند
" و لا شفيع يطاع[6] " .

---

(١) سقط من مد (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اللواء (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : مضت (٦) آية ١٨ .

و لما كان[1] البلاغ الذى رتب[2] هذا لأجله هو التوحيد الملزوم لتمام القدرة، أتبع الإشارة إلى تأخيرهم الإيمان[3] إلى تحذيرهم[4] فقال: ﴿قل﴾ أى لكل من يمكنك [5]له القول[5]: ﴿انما يوحى[6] الىّ﴾ [أى -[6]] [7]ممن لا موحى بالخير[8] سواه و هو الله[9] الذى خصنى بهذا الكتاب المعجز ٥ ﴿انما الهكم﴾.

[10]و لما كان المراد إثبات الوحدانية[10]. [لإله مجمع على إلهيته منه و منهم، كرر ذكر الإله فقال -[6]]: ﴿اله واحد﴾[11] لاشريك له، لم يوح إلىّ [10]فى أمر الإله إلا الوحدانية، و ما إلهكم إلا واحد لم يوح إلىّ[10] فيما تدعون من الشركة غير ذلك، فالأول من قصر الصفة على ١٠ الموصوف، أى [12]الحكم على الشىء، أى[12] الموحى[13] [به -[6]] إلىّ مقصور على [14]الوحدانية لا يتعداها[15] إلى الشركة، و الثانى

(١) زيد فى الأصل: هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: وجب (٣) فى ظ و مد: الايماء (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تحذيره (٥ - ٥) فى ظ: القول له (٦) زيد من مد (٧) العبارة من هنا إلى «سواه و هو» ساقطة من ظ (٨) من مد، و فى الأصل: الخير (٩) فى ظ: من الله (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) العبارة من هنا إلى «إلا واحد» وردت فى الأصل فى غاية الإقحام و التداخل بالإضافة إلى بعض الزيادة و الحذف فرتبناها حسب ظ و مد (١٢-١٢) فى الأصل بياض ملأناه من مد (١٣) فى ظ: الوحى (١٤) العبارة من هنا إلى «مقصور على» ص ١١٥ س ١ ساقطة من مد (١٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يعدادها - كذا.

من قصر الموصوف على الصفة ، أى الإله مقصور على الوحدة لايتجاوزها إلى التعدد ، و المخاطب بهما من يعتقد الشركة ، فهو قصر قلب .

و لما انضم إلى ما مضى من الأدلة العقلية فى أمر الوحدانية هذا الدليل السمعى ، و كان ذلك موجبا لأن يخشى إنجاز ما توعدهم به [1]فيخلصوا العبادة لله[1] ، أشار إلى ذلك مرهبا و مرغبا بقوله : ﴿ فهل انتم مسلمون ﴾ ٥ أى مذعنون له ملقون إليه مقاليدكم متخلون[2] عن جميع ما تدعونه[3] من دونه لتسلموا من عذابه و تفوزوا بثوابه ، [فى الآية أن هذه الوحدانية يصح أن يكون طريقها السمع -[4]] .

و لما كان توليهم بعد هذه القواطع مستبعد ، أشار إلى ذلك بإيراده بأداة الشك فقال : ﴿ فان تولوا ﴾ أى لم يقبلوا ما دعوتهم إليه ١٠ ﴿ فقل ﴾ [أى لهم -[5]] : ﴿ [1]اذنتكم ﴾ أى أعلمتكم ببراءتى منكم و أنى غير راجع إليكم أبدا كما أنكم تبرأتم منى و لم ترجعوا إلىّ ، فصار عليكم أن لاصلح بيننا مع التولى كعلمى و علم من اتبعنى . [6] لتتأهبوا لجميع ما تظنونه[6] ينفعكم . [فهو كمن بينه و بين أعدائه هدنة فأحس منهم بغدره ، فنبذ إليهم العهد ، شهر ذلك النبذ و اشاعه فلم يخفه عن أحد ١٥ منهم ، و هو مما اشتهر انه بلغ النهاية فى الفصاحة و الوجازة -[4]] ، أو أبلغتكم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : متخلفون .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تدعون (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ و مد إلا أن « أى » ليست فى ظ (٦-٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : لتاهبوا جميع ما تظنون .

جميع ما أرسلت به و لم أخص به أحدا دون أحد ، و هذا كله معنى[1] ﴿ على سوآء[1] ﴾ أى إيذانا مستعليا على أمر نصف وطريق عدل ، ليس فيه شيء من خفاء و لا غش و لا خداع و لا غدر ، بل نستوى فيه نحن و أنتم .

٥ و لما كان من لازم البراءة من شخص الإيقاع [به -[2]] كان موضع أن يقولوا هزؤا على عادتهم : نبذت إلينا على سواء فعجل[3] لنا ما تتوعدنا[4] به ، فقال : ﴿ و ان ﴾ أى و ما ﴿ ادرى اقريب ﴾ جدا بحيث يكون قربه على ما تتعارفونه ﴿ ام بعيد ما توعدون ﴾ من عذاب الله فى الدنيا بأيدى المسلمين أو بغيره ، او فى الآخرة مع العلم بأنه كائن

١٠ لا محالة ، *و أنه لا بد ان يلحق من أعرض عن الله الذل و الصغار* .

و لما كان من المقطوع به من / كون الشك إنما هو فى القرب ٥٣٧/
أو البعد أن يكون التقدير : لكنه محقق الوجود ، لأن الله واحد لاشريك له ، و قريب عند الله ، لأن كل ما حقق إيجاده قريب . علله بقوله : ﴿ انه ﴾ * أى الله تعالى * ﴿ يعلم الجهر ﴾ *و لما كان الجهر قد يكون

١٥ فى الأفعال ، بينه بقوله* : ﴿ من القول ﴾ مما تجاهرونه [به -[6]] من العظائم و غير ذلك ، [و نبه تعالى على ذلك لأن من أحوال الجهر أن ترتفع الأصوات جدا بحيث تختلط و لا يميز بينها و لا يعرف كثير من حاضريها ما قاله أكثر القائلين . فأعلم سبحانه أنه لايشغله صوت

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : منى (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فجعل (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : شهدنا (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

عن آخر و لا يفوته شيء عن ذلك و لو كثر -[١]] ﴿و يعلم ما تكتمون ۝﴾ مما تضمرونه من المخازى كما قال تعالى أولها " قل ربى يعلم القول فى السماء و الارض " و من لازم ذلك المجازاة عليه بما[٢] يحق لكم من تعجيل و تأجيل ، فستعلمون كيف يخيب ظنونكم و يحقق ما أقول ، فتقطعون بأنى صادق عليه و لست بساحر ، و لا حالم و لا كاذب [و لا شاعر -[٣]] ، ٥ [٤]فهو من أبلغ التهديد فانه لا أعظم[٥] من التهديد بالعلم .

و لما كان الإمهال قد يكون نعمة . و قد يكون نقمة ، قال : ﴿و ان﴾ أى و ما ﴿ادرى﴾ أى أيكون تأخير عذابكم نعمة لكم كما تظنون أو لا . و لما كان إلى كونه نقمة أقرب . قال معبرا عما قدرته : ﴿لعله﴾ [٦]أى تأخير العذاب و[٧] إبهام الوقت ﴿فتنة لكم﴾ أى اختبار من الله ليظهر ما ١٠ يعلمه منكم من الشر لغيره ، لأن حالكم حال من يتوقع منه ذلك ﴿و متاع﴾ لكم تتمتعون به ﴿الى حين ۝﴾ أى بلوغ مدة آجالكم التى ضربها لكم فى الأزل ، ثم يأخذكم بغتة أخذة يستأصلكم بها .

و لما كان اللازم من هذه الآيات تجويز أمور تهم سامعها و تقلقه للعلم بأن الله تعالى له أن يفعل ما يشاء من عدل و فضل ، و كان من ١٥ العدل جواز تعذيب الطائع و تنعيم العاصى[٨] ، كان كأنه قيل : فما قال

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) العبارة من هنا إلى « بالعلم » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : ابلغ .
(٦) العبارة من هنا إلى « الوقت » ساقطة من ظ (٧) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٨) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

الرسول الشفوق على الأمة حين[1] سمع هذا الخطاب ؟ فقيل : [2]قال مبتهلا إلى الله تعالى ـ هذا على قراءة حفص ، و على قراءة الجمهور : لما علم[3] سبحانه أن ذلك مقلق[4] ، أمره صلى الله عليه و سلم بما [5]يرجى من[5] يقلق[6] من أتباعه فقال : ﴿ قل رب ﴾ أى [أيها -[7]] المحسن إلىّ فى نفسى و اتباعى بامتثال أوامرك و اجتناب نواهيك ﴿ احكم ﴾ أى أبرز الحكم [8]بينى و بين هؤلاء المخالفين[8] ﴿ بالحق ﴾ أى بالأمر الذى يحق لكل منا من نصر و خذلان على ما أجريته من سنتك القديمة فى أوليائك و أعدائك " ما ننزل الملئكة الا بالحق " أى الأمر الفصل الناجز ، قال ابن كثير[9] : و عن مالك عن زيد بن أسلم : كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا شهد قتالا[10] قال " رب احكم بالحق ". [و فى الآية أعظم حث على لزوم الإنسان بالحق ليتأهل لهذه الدعوة -[7]] .

و لما كان التقدير : فربنا المنتقم الجبار له أن يفعل ما يشاء و هو قادر على ما توعدون ، عطف عليه [قوله -[7]] : ﴿ و ربنا ﴾ أى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : حيث (٢) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل . الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : متعلق (٥ - ٥) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لعلق - كذا . (٧) زيد من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) راجع تفسيره ٣/٢٠٣ . (١٠) فى التفسير : غزاة .

المحسن إلينا أجمعين؛ ثم وصفه بقوله: ﴿ الرحمن ﴾ أي العام الرحمة لنا و لكم بادرار النعم علينا، و لو لا عموم رحمته لأهلكنا أجمعين و إن كنا نحن أطعناه، لأنا لا نقدره حق قدره "و لو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة" و الحاصل أنه لما سأل "الحق"، المراد به الهلاك للعدو و النجاة للولى. أفرد الإضافة إشارة إلى تخصيصه ٥ بالفضل، و إفرادهم بالعدل، و لما سأل العون عم بالإضافة و الصفة قنوعا بترجيح جانبه بالعون و إن شملتهم الرحمة، [و لأن من رحمتهم خليتهم عما هم عليه من الشر] فقال: ﴿ المستعان ﴾ أي المطلوب منه العون و هو خبر المبتدأ الموصوف ﴿على ما تصفون ﴾ مما هو ناشئ عن غفلتكم الناشئة عن إعراضكم عن هذا الذكر من الاستهزاء و القذف بالسحر و غيره، ١٠ و المناصبة[2] بالعداوة و التوعد[3] بكل شر[4]، فقد انطبق آخر السورة على أولها بذكر الساعة ردا على قوله "اقترب للناس حسابهم" و ذكر غفلتهم و إعراضهم و ذكر القرآن الذى هو البلاغ، و ذكر الرسالة بالرحمة لمن نسبوه إلى السحر و غيره. و تفصيل ما استعجلوا به من آيات الأولين و غير ذلك، و قام الدليل بالسمع بعد العقل على تحقق أمر ١٥ الساعة بأنه سبحانه لا شريك له يمنعه من ذلك. و أنه يعلم السر و أخفى، و هو رحمن. فمن رحمته إيجاد يوم الدين ليجازى فيه المحسن باحسانه،

٥٣٨ /

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الناصبة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: المتوعد (٤) من ظ و مد. و فى الأصل: شيء.

و المسيء بكفرانه ، و فى ذلك أعظم ترهيب[1] فى أعلى حاث على التقوى للنجاة فى ذلك اليوم ، و هو أول[2] التى تليها - و الله الموفق.

* * *

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ترهب (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ازل .

خاتمة الطبع

لقد تم ـ و الحمد لله ـ طبع الجزء الثانى عشر من تفسير "نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى . يوم السبت ١٠ ربيع الأول سنة ١٣٩٨ هـ = ١٨ شباط سنة ١٩٧٨ م ، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد ، قاضى المحكمة العليا سابقا ـ بارك الله جهوده و ضاعف له أجوره .

و قد تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الأعظمى الأنصارى العمرى (أفضل العلماء ـ جامعة مدراس) ، و ساعده على المقابلة وقت الطبع مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) ـ حفظهما الله .

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة ـ كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء الثالث عشر باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الحج .

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه و هو المسؤل لحسن الخاتمة . و نصلى و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين . و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

«سورة الحج[1]»

مقصودها الحث على التقوى المعلية عن دركة الاستحقاق للحكم بالعدل إلى درجة استئهال[2] الإنعام بالفضل، فى يوم الجمع للفصل، و انسب ما فيها لذلك الحج و هو ظاهر ﴿بسم الله﴾ الذى اقتضت عظمته خضوع كل شىء ﴿الرحمن﴾ الذى عم برحمته [و -[3]] عدله ٥ كل موجود ﴿الرحيم ه﴾ الذى خص بفضله من شاء من ذوى عدله.

لما ختمت التى قبلها بالترهيب من الفزع الأكبر، و طى السماء و إتيان ما يوعدون، و الدينونة بما يستحقون، و كان أعظم ذلك يوم الدين، افتتحت هذه بالأمر بالتقوى المنجية من هول ذلك اليوم فقال: ﴿يا أيها الناس﴾ أى الذين تقدم أول تلك أنه اقترب لهم حسابهم ١٠ ﴿اتقوا ربكم ج﴾ أى [احذروا عقاب -[3]] المحسن إليكم بأنواع الإحسان بأن تجعلوا بينكم و بينه وقاية الطاعات[4]

---

(١) الثانية و العشرون من سور القرآن، مدنية مع الاختلاف الدائر حول ذلك، و عدة آياتها ثمان و تسعون فى الكوفى، و سبع و تسعون فى المكى، و خمس و تسعون فى البصرى، و أربع و تسعون فى الشامى - راجع روح المعانى ٥/٤٠٣ (٢) من ظ و مد. و فى الأصل: استهال، و بهامش ظ: أى التأهيل. (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: طاعة.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما افتتحت سورة الأنبياء بقوله تعالى " اقترب للناس حسابهم " و كان واردا فى معرض التهديد ، و تكرر فى مواضع منها كقوله تعالى "و الينا ترجعون[1]" ، " ساوريكم آيتى فلا تستعجلون و يقولون متى هذا الوعد" ، "لو يعلم الذين كفروا حين[2] يكفون عن وجوههم النار" ، " و لئن مستهم نفحة من عذاب ربك" "و نضع الموازين القسط ليوم القيمة" ، "و هم من الساعة مشفقون" ، "كل الينا راجعون" ، "و اقترب الوعد الحق" ، " انكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم" ، " يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب" إلى مما تخلل هذه الآى من التهديد ، و شديد الوعيد ، حتى لاتكاد تجد أمثال هذه الآى فى الوعيد و الإنذار بما فى الساعة و [ما -[3]] بعدها و ما بين يديها فى نظائر هذه السورة ، و قد ختمت من ذلك بمثل ما به ابتدئت ، اتصل بذلك ما يناسبه من الإعلام بهول / الساعة و عظيم أمرها ، فقال تعالى " يا ايها الناس اتقوا ربكم - إلى قوله : و لكن عذاب الله شديد " ثم اتبع هذا ببسط الدلالات على[4] البعث الأخير و إقامة البرهان " يا ايها الناس ان كنتم فى ريب من البعث " - الآيات ، ثم قال " ذلك بان الله هو الحق " أى اطرد هذا الحكم العجيب و وضح من تقلبكم من حالة إلى حالة فى الأرحام [و -[3]] بعد خروجكم إلى

/٥٣٩

(١) من مد و القرآن الكريم آية ٣٥ . و فى الأصل وظ : يرجعون (٢) من ظ و مد و القرآن الكريم آية ٣٩ . وزيد فى الأصل : ان (٣) زيد من ظ ومد . (٤) فى مد : حتى (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : اقام .

الدنيا و أنتم تعلمون ذلك من أنفسكم، و تشاهدون الأرض على صفة من الهمود و الموت إلى حين نزول الماء [١]فنحيي و نخرج[١] أنواع النبات و ضروب[٢] الثمرات "يسقى بماء واحد ذلك بان الله هو الحق و انه يحيي الموتى" كما أحياكم أولا و أخرجكم من العدم إلى الوجود و أحيا الأرض بعد موتها و همودها، كذلك تأتى الساعة من غير ريب و لا شك، و يبعثكم ٥ لما وعدكم من حسابكم و جزائكم "فريق فى الجنة و فريق فى السعير" - انتهى.

و لما أمرهم بالتقوى. علل ذلك مرهبا لهم[٣] بقوله: ﴿ان زلزلة الساعة﴾ [أى - [٤]] التى تقدم التحذير منها فى الأنبياء بدأ و ختما و ما بين ذلك، أى شدة اضطرابها و تحركها العنيف [المزيل ١٠ للأشياء عن مقارها إزالة عظيمة -[٥]]، بما يحصل فيها من الأصوات المختلفة، و الحركات المزعجة المتصلة، من النفخ فى الصور، و بعثرة القبور، و ما يتسبب عن ذلك من[٦] عجائب المقدور، وقت القيام، و اشتداد الزحام، و ذلك لأن 'زلزل' مضاعف زل - إذا[٧] زال عن مقره بسرعة، ضوعف لفظه لتضاعف معناه؛ قال البغوى[٨]: الزلزلة و الزلزال: شدة الحركة على ١٥ الحال الهائلة - انتهى. و هو من إضافة المصدر إلى الفاعل أو المفعول فيه

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: فيحي و يخرج (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ضروبات (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: له (٤) زيد من مد. (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ممن (٧) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٨) راجع معالم التنزيل على هامش لباب التأويل ٥/٢.

﴿ شيء عظيم ﴾ أى لا تحتمل العقول وصفه ؛ قال ابن كثير[١] : أى أمر كبير ، و خطب جليل ، و طارق مفظع ، و حادث هائل ، و كائن عجيب - انتهى . و هذا للزلزلة نفسها ، فكيف بجميع[٢] ما يحدث فى ذلك اليوم الذى لا بد لكم من الحشر فيه إلى الله ليجازيكم على ما كان منكم ، لا ينسى منه نقير و لا قطمير ، و لا يخفى قليل و لا كثير ، مما تطير له[٣] القلوب ، و لا تثبت له النفوس ، فاعتدوا[٤] و جاهدوا أعداءكم من الأهواء و الشياطين .

و لما كان المراد بالساعة القيام و ما والاه[٥] ، جعل[٦] مظروفا لذلك اليوم الذى هو من ذلك الوقت إلى افتراق الفريقين إلى دارى الإبعاد و الإسعاد ، و الهوان و الغفران ، فقال تعالى : ﴿ يوم ترونها ﴾ أى الزلزلة أو كل مرضعة ، أضمرها قبل الذكر ، تهويلا للأمر و ترويعا للنفس ﴿ تذهل ﴾ أى تنسى و تغفل حائرة مدهوشة ، [و هو العامل فى « يوم » و يجوز أن يكون عامله معنى الكلام ، أى تستعظمون جدا ذلك اليوم عند المعاينة و إن كنتم الآن تكذبون ، و يكون ما بعده استئنافا -[٧]] ، و دل بالسور[٨] على عموم تأثيره اشدة عظمته [فقال -[٧]] : ﴿ كل مرضعة ﴾

(١) راجع تفسيره ٣/٢٠٥ (٢) من ظ ومد . وفى الأصل : يجتمع (٣) فى مد : اليه (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : فاعتذروا (٥) بين سطرى ظ : أى وليه . (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : فجعل ، و بين سطرى ظ : أى القيامة و ما والاه . (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : السوال - كذا .

[١]أى بالفعل[١] ﴿ عمآ ارضعت ﴾ من ولدها و غيره[٢]، و هى من ماتت مع ابنها رضيعا؛ قال البغوى[٣]: يقال: مرضع، بلا هاء - إذا أريد [به -[٤]] الصفة مثل حائض و حامل، فاذا أرادوا الفعل أدخلوا الهاء[٥] - يعنى: فيدل حينئذ على أنها متلبسة[٦] به ﴿ و تضع كل ذات حمل حملها ﴾ أى تسقطه[٧] قبل التمام رعبا و فزعا، و هى من ماتت[٨] حاملا - و الله أعلم، / فان كل أحد يقوم على ما مات عليه، قال الحسن[٣]: تذهل المرضعة عن ولدها بغير فطام، و تضع الحامل ما فى بطنها بغير تمام - انتهى. و يؤيد[٩] أن هذه الزلزلة تكون[١٠] بعد البعث ما فى الصحيحين و غيرهما: مسلم فى الإيمان[١١] و هذا لفظه، و البخارى[١٢] عند تفسير هذه الآية عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه [رفعه -[١٣]]: يقول الله عز و جل: يا آدم! فيقول: لبيك و سعديك! و الخير فى يديك، قال: يقول: أخرج بعث النار، قال: و ما بعث النار؟ قال: من [كل -[١٤]] ألف تسعمائة و تسعة و تسعون، فذلك حين يشيب الصغير، و تضع كل ذات حمل حملها - الحديث. و الأحاديث فى ذلك كثيرة، و معارضها

/ ٥٤٠

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: غيرها. (٣) راجع المعالم بهامش اللباب ٥ / ٢ (٤) زيد من المعالم (٥) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: انها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ملتبسة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يسقطه (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مات (٩) زيد بعده فى الأصل: هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) سقط من ظ (١١) باب بيان كون هذه الأمة نصف أهل الجنة (١٢) ٢/٦٩٣ (١٣) زيد من ظ و مد (١٤) زيد من الصحيحين.

ضعيف . و المناسب أيضا لما فى آخر تلك من قوله "فاذا هى شاخصة ابصار الذين كفروا" و ما تبعه أن[1] هذه الزلزلة بعد القيام من القبور "يوم نطوى السماء[2]" "اذا السماء انفطرت - إلى قوله : علمت نفس ما قدمت و اخرت" و يمكن أن يكون المراد هذا و ما قبله لأن يوم الساعة طويل ، فنسبة الكل إليها على حد سواء .

و لما كان الناس كلهم يرون الزلزلة ، و لا يرى الإنسان السكر - إلا من غيره[3] قال فى الزلزلة "ترونها" و [قال - [4]] فى "السكر" : ﴿ و ترى الناس سكرى ﴾ [أى - [4]] لما هم فيه من الدهش و الحيرة و البهت لما شاهدوا من حجاب العز و سلطان الجبروت و سرادق الكبرياء ، ثم دل على أن ذلك[5] ليس على حقيقته[6] بقوله ، نافيا لما يظن إثباته[7] بالجملة الأولى : ﴿ و ما هم بسكرى ﴾ أى من الخمر .

و لما نفى أن يكونوا سكارى من الخمر ، أثبت ما أوجب لهم تلك الحالة فقال : ﴿ و لكن عذاب الله ﴾ [8]ذى العز[9] و الجبروت ﴿ شديد ﴾ فهو الذى أوجب أن يظن بهم السكر ، لأنه أذهب خوفه حولهم[10] ، و طير هوله عقولهم .

و لما أفهم العطف الآتى [11]أن الناس قسمان ، و[11] أن التقدير : فان

---

(١) بين سطرى ظ خبر «المناسب» (٢) سقط من مد (٣) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من مد (٥) بهامش ظ : أى السكر . (٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : حقيقة (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : اثباتها . (٨) العبارة من هنا إلى «الجبروت» ساقطة من ظ (٩) فى مد : العزة (١٠) بهامش ظ : قاموس : الحول - بالضم : العزة (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ .

منكم من يؤمن فيتق[1] فينجو من شر ذلك اليوم [2]الذى اقتضت الحكمة إظهار العظمة فيه لإزداد حزب الله فرحا ، و حزب الشيطان غما و ترحا[2] ، عطف عليه قوله : ﴿ و من الناس ﴾ [أى -[3]] [2]المذبذبين المضطربين ﴿من﴾ لا يسعى فى إعلاء نفسه و تهذيبها[2] فيكذب فيوبق بسوء أعماله ، لأنه ﴿ يجادل فى الله ﴾ [أى -[4]] فى قدرة الملك الأعظم على ذلك اليوم ٥ و فى غير ذلك من شؤونه بعد أن جاءه العلم بها اجتراء على سلطانه العظيم ﴿ بغير علم ﴾ بل بالباطل الذى هو جهل صرف ، فيترك اتباع الهداة النصحاء ﴿و يتبع﴾ [2]بغاية جهده[2] فى جداله ﴿ كل شيطن ﴾ أى محترق بالشر[5] مبعد باللعن[6] .

و لما كان السياق لذم متبعه ، أشار إلى أنه لا قصد له فى اتباعه ١٠ إلا الشر ، لأنه لا لبس فى أمره بصيغة المبالغة كما مضى فى النساء و يأتى[7] فى الصافات ، فقال : ﴿ مريد ﴾ أى متجرد للفساد لا شغل له غيره ، / فهو فى غاية الضراوة عليه ؛ قال البيضاوى[8] : و أصله العرى . ﴿ كتب ﴾ أى قضى و قدر [2]على سبيل الحتم الذى لا بد منه[2] ، [تعبير -[4]] باللازم عن الملزوم ﴿ عليه ﴾ أى على ذلك الشيطان ١٥ /٥٤١

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيبقى (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى الأصل بياض ملأناه من مد ، و العبارة من هنا إلى ما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى «اللعن» (٦) من مد ، فى الأصل : بالكفر (٧) بهامش ظ : أى يأتى فى الصافات أن المراد ليس لذم المتبع (٨) راجع أنوار التنزيل ٤٣٩ .

﴿ انه من تولاه ﴾ أى فعل معه فعل الولى مع وليه، باتباعه و الإقبال على ما يزينه ﴿ فانه يضله ﴾ بما يبغض إليـــه من الطاعات فيخطئ سبيل الخير .

و لما نفّر[1] عن توليه باضلاله لأن الضلال مكروه إلى كل أحد ، ٥ [2]بين أنه إضلال[2] لاهدى معه أصلا فقال : ﴿ و يهديه ﴾ أى بما يزين له من الشهوات ، الحاملة على الزلات ، إعلاما بأنه إن كان له هدى إلى شيء فهو ﴿ الى عذاب السعير ﴾ . و لما حذر الناس من ذلك اليوم ، و أخبر أن منهم من [يكذب ، و عرف بمآله ، فأفهم ذلك أن منهم من -[3]] يصدق به فيكون له ضد حاله ، و كان كثير من المصدقين[4] ١٠ يعملون عمل المكذبين ، أقبل عليهم سبحانه إقبالا ثانيا رحمة لهم[5] ، منبها على أنه ينبغى أن لا يكون عندهم نوع من الشك فى ذلك اليوم لما عليه من الآيات فى الآفاق و فى أنفسهم[6] ، فقال دالا عليه بالأمرين : ﴿ يـٰأيها الناس ﴾ أى كافة ، و يجوز أن يراد المنكر فقط ، و عبر بالناس الذى هو من أسفل الأوصاف لذلك ، و إشارة إلى أن المنكر و العامل ١٥ عمله - و إن كان مصدقا - هم أكثر الناس ، و عبر بأداة الشك إشارة إلى أن الذى يقتضيه الحال جزمهم به فقال : ﴿ ان ﴾ و بين[2] أنه ما

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقرر (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : من ان الضلال (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المتصدقين (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : له (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انفسكم (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : من .

عبر بها إلا للتوبيخ ، لا للشك فى أمرهم . بجعل الشرط ماضيا ، و دل بـ "كان" و بالظرف على تمكن الريب منهم فقال : ﴿ كنتم فى ريب ﴾ أى شك [و تهمة و حاجة إلى البيان -[1]] ﴿ من البعث ﴾ و هو قيام الأجسام بأرواحها كما كانت قبل مماتها سواء ، استعظاما لأن نقدر عليه ﴿ فانا خلقنكم ﴾ بقدرتنا التى لا يتعاظمها شىء ﴿ من تراب ﴾ لم يسبق له اتصاف بالحياة ﴿ ثم من نطفة ﴾ حالها أبعد شىء عن حال التراب ، فانها بيضاء[2] سائلة لزجة صافية كما قال "من ماء دافق"، و أصلها الماء القليل - قاله البغوى[3] . و أصل النطف الصب - قاله البيضاوى[4] . ﴿ ثم من علقة ﴾ اى قطعة دم حمراء جامدة ، ليس فيها أهلية للسيلان ﴿ ثم من مضغة ﴾ أى قطعة لحم صغيرة جدا تطورت إليها النطفة ﴿ مخلقة ﴾ بخلقة الآدمى التمام ﴿ و غير مخلقة ﴾ أى أنشأناكم من تراب يكون هذا شأنه ، و هو أنا ننقله فى هذه الأطوار إلى أن يصير مضغة ، فتارة يخلقها و يكون منها [آدميا -[1]] ، و تارة لا يخلقها بل يخرجها من الرحم فاسدة ، أو تحرقها حرارته ، أو غير مخلقة تخليقا تاما بل ناقصا مع وجود الروح كشق[5] الذى كان شق آدمى ، و سطيح الذى كان علوا [6]بلا سفل[6] و نحوهما ﴿ لنبين لكم[7] ﴾ كمال قدرتنا ، و تمام حكمتنا ، و أن

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بيضة (٣) راجع المعالم بهامش اللباب ٥ / ٣ (٤) راجع أنوار التنزيل ٤٣٩ (٥) راجع لحديث شق و سطيح سيرة ابن هشام ١/٦ و الروض الأنف ١/١٨ و ما بعدها (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاسفل .

ذلك ليس كائنا عن الطبيعة ، لأنه لو كان عنها لم يختلف ، فدل اختلافه على أنه عن فاعل مختار ، قادر قهار ، و حذف المفعول إشارة إلى أنه يدخل فيه / كل ما يمكن أن يحيط به العقول . /٥٤٢

و لما كان التقدير : فنجهض منه ما لا نشاء إتمامه ، عطف عليه قوله[1] : ﴿و نقر فى الارحام﴾ أى من ذلك الذى خلقناه ﴿ما نشآء﴾ إتمامه ﴿الى[2] اجل مسمى﴾ قدرناه لإتمامه ما بين ستة أشهر إلى ما نريد من الزيادة على ذلك ، بحسب قوة الأرحام و ضعفها ، و قوة المخلقات[3] و ضعفها و كثرة ما تغتذيه من الدماء و قلته[3] ، و زكائه و خبثه ، إلى غير ذلك من أحوال و شؤون لا يعلمها إلا بارئها ، جلت قدرته ، و تعالت عظمته ، و أما ما لم نشأ إتمامه فان الأرحام تمجه بقدرتنا و تلقيه دون التمام أو[4] تحرقه فيضمحل ﴿ثم نخرجكم﴾ بعد ذلك ﴿طفلا﴾ أى فى حال[5] الطفولة[6] من صغر الجثة و ضعف البدن و السمع و البصر وجميع الحواس ، لئلا تهلكوا أمهاتكم بكبر[7] أجرامكم ، و عظم أجسامكم ، و هو يقع على الجمع ، و عبر به دونه للتساوى فى ضعف الظاهر و الباطن .

و لما ذكر أضعف الضعف ، ذكر أقوى القوة عاطفا [له -[8]]

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المخلقات (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : قلبه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٥) من و ظ مد ، و فى الأصل : حالة (٦) فى ظ : الطفولية (٧) من ظ و مد ، و فى الاصل : بكسر (٨) زيد من ظ و مد .

عليه لما بينهما من المهلة بأداة التراخي فقال: ﴿ثم﴾ أي[1] بمد أجلكم ﴿لتبلغوآ﴾ بالانتقال في[2] أسنان الأجسام فيما بين الرضاع، إلى حال اليفاع، إلى زمان الاحتلام، و قوة الشباب و التمام ﴿اشدكم ج﴾ أي[3] نهاية كل شدة قدرناها لكل واحد منكم ﴿و منكم من يتوفى﴾ قبل ما بعد ذلك من سن الشيخوخة ﴿و منكم من يرد﴾ بالشيخوخة، و بناه ٥ للمجهول إشارة إلى سهولته عليه مع استبعاده لو لا تكرر المشاهدة عند الناظر لتلك القوة و النشاط و حسن التواصل بين أعضائه و الارتباط ﴿الى[3] ارذل العمر﴾ و هو سن الهرم فينقص جميع قواه ﴿لكيلا يعلم﴾.

و لما كان السياق للقدرة على البعث الذي هو التحويل من حال الجمادية إلى ضده[4] بغاية السرعة، أثبت 'من' الابتدائية للدلالة على قرب ١٠ زمن الجهل من زمن العلم، فربما بات الإنسان في غاية الاستحضار لما يعلم و الحذق فيه فعاد في صبيحة ليلته أو بعد أيام يسيرة جدا من غير كبير تدريج لا يعلم شيئا، و أفهم إسقاط حرف الانتهاء أنه ربما عاد إليه علمه، و ربما اتصل جهله بالموت بخلاف ما مضى في النحل[5] فقال: ﴿من بعد علم﴾ كان أوتيه ﴿شيئا﴾ بل يصير كما كان طفلا في ١٥ ضعف الجواهر و الأعراض، لتعلموا أن ذلك كله فعل الإله الواحد المختار، و أنه لو كان فعل الطبيعة لازداد بطول البقاء نموا في جميع ذلك، و قد علم - بعود الإنسان في ذهاب العلم و صغر الجسم إلى نحو

(١) سقط من مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: من (٣) في مد: الى.
(٤) في مد: شدة (٥) راجع آية ٧٠.

ما كان عليه فى ابتداء الخلق - قطعا أن الذى أعاده إلى ذلك قادر على إعادته بعد الممات ، و الكون على حال الرفات .

٥٤٣/ و لما تم هذا الدليل على الساعة محكم المقدمات واضح / النتائج ، وكان أول الإيجاد فيه غير مشاهد[1] فعبر عنه بما يليق به ، أتبعه دليلا آخر محسوسا ، وعطفه على ما أرشد إليه التقدير من نحو قوله : تجدون أيها الناس ما ذكرناه فى أنفسكم ، فقال : ﴿ و ترى ﴾ فعبر بالرؤية ﴿ الارض ﴾ [و لما كان فى سياق البعث ، عبر بما هو أقرب إلى الموت فقال -[2]] : ﴿ هامدة ﴾ أى يابسة مطمئنة ساكنة [3]سكون الميت ليس بها[4] شىء من نبت ، و لعله أفرد الضمير توجيها إلى كل من يصلح أن يخاطب بذلك ﴿ فاذآ ﴾ [أى -[5]] فنزل[6] عليها ماء من مكان لا يوجد فيه ثم ينزل منه إلا بقدرة عظيمة و قهر باهر ، فاذا ﴿ انزلنا ﴾ [7]بما لنا من العظمة[7] ﴿ عليها المآء اهتزت ﴾ أى تحركت بنجوم النبات [7]اهتزاز الحى[7] ، و تأهلت لإخراجه ؛ قال الرازى : و الاهتزاز : شدة الحركة فى الجهات المختلفة . ﴿ و ربت ﴾ أى انتفخت ، و ذلك أول ما يظهر منها للعين و زادت و نمت بما يخرج منها من النبات الناشئ عن التراب و الماء ﴿ و انبتت ﴾ بتقديرنا ﴿ من كل زوج ﴾ أى صنف عادلناه بصنف

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مجاهد (٢) زيد من مد (٣) العبارة من هنا إلى « من نبت » ساقطة من ظ (٤) فى مد : فيها (٥) زيد من ظ و مد . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تترك - كذا (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

آخر جعلناه[1] تمام نفعه به ﴿ بهيج ﴾ أى مؤنق[2] من أشتات النباتات فى اختلاف ألوانها و طعومها ، و روائحها و أشكالها ، و منافعها و مقاديرها رائقة المناظر ، لائقة فى العيون و البصائر ، قال الرازى : فكما أن النبات يتوجه من نقص إلى كمال ، [فكذلك الآدمى يترقى من نقص إلى كمال [3]] ، فنى المعاد يصل إلى كماله الذى أعد له من البقاء و الغنى و العلم و الصفاء و الخلود ، أى السعيد منه فى دار السلام مبرأ عن عوارض هذا العالم - انتهى .

و لما قرر سبحانه هذين الدليلين ، رتب عليهما ما هو المطلوب و النتيجة فقال على طريق[4] التعليل : ﴿ ذلك ﴾ أى الذى تقدم [5]من الأمر[5] بالتقوى ، و الترهيب من جلال الله بالحشر ، و الاستدلال عليه بالتصرف فى[6] تطوير الإنسان و النبات إلى ما فى تضاعيفه من انواع الحكم و أصناف اللطائف ﴿ بان ﴾ أى بسبب ان تعلموا أن ﴿ الله ﴾ اى الجامع لأوصاف الكمال ﴿ هو ﴾ [أى وحده - [7]] ﴿ الحق ﴾ أى الثابت آتم ثبات ، بحيث يقتضى ذلك أنه يكون[7] كل ما يريد ، فانه لا ثبات مع العجز ﴿ و انه يحيى الموتى ﴾ أى قادر على ذلك بأنه - كما سيأتى - هو العلى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : جعلنا (٢) من و ظ مد ، و فى الأصل : مونقة (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : طريقة . (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالامر (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٧) بين سطرى ظ : يوجد .

الكبير ﴿وانه على كل شيء﴾ من الخلق وغيره ﴿قدير﴾ "انما امره اذا اراد شيئا ان يقول [له -[1]] كن فيكون" ﴿وان الساعة﴾ التي[2] تقدم التحذير منها، وهي[3] وقت حشر الخلائق كلهم ﴿آتية لا ريب فيها﴾ بوجه من الوجوه لما دل عليها مما لا سبيل إلى إنكاره بقول من لا مرد[4] لقوله، وهو حكيم فلا يخلف ميعاده، ولا يسوغ بوجه أن يترك عباده بغير[5] حساب ﴿وان الله﴾ [6]لما له من الجلال والحكم[6] ﴿يبعث﴾ بالإحياء ﴿من في القبور﴾ لحضوره[7] و[8] الفصل بينهم فيها في كل ما اختلفوا فيه لأن ذلك من العدل الذي أمر به، وبه يظهر كثير من صفاته سبحانه أتم ظهور، والحاصل أن المراد أنه سبحانه قادر على ما تقدم وفعل ما ذكر / من إيجاد الإنسان والنبات في هذه الأطوار ليعلم أنه قادر على هذه الأمور وعلى كل شيء ﴿ومن﴾ أي فمن الناس الذين كانوا قد وقفوا عن الإيمان قبل هذا البيان من[9] آمن عند سماع هذه القواطع، [ومن -[10]] ﴿الناس﴾ - [وهم -[10]] من اشتد تكاثف طبعه ﴿من يجادل﴾ [6]أي بغاية جهده[6] ﴿في الله﴾ أي في قدرته وما

/٥٤٤

(١) زيد من ظ ومد والقرآن الكريم سورة ٣٦ آية ٨٢ (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: الذي (٣) زيد في الأصل: في، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها. (٤ - ٤) من ظ ومد، وفي الأصل: ذلك (٥) من مد، وفي الأصل وظ: من غير (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من مد، وفي الأصل وظ: لحضورها (٨) في مد «او» والعبارة من هنا فيها الواو إلى «اختلفوا فيه» ساقطة في ظ (٩) من ظ ومد، وفي الأصل: ممن (١٠) زيد من ظ ومد.

يجمعه هذا الاسم الشريف من صفاته بعد هذا البيان الذى لا مثل له و لاخفاء فيه ﴿بغير علم﴾ أتاه عن الله على لسان أحد من أصفيائه أعم من أن يكون كتابا أو غيره ﴿ و لاهدى ﴾ أرشده إليه من عقله أعم من كونه بضرورة أو استدلال ﴿ و لا كتب منير ﴾ صح لديه أنه من عند الله[1] ، و من المعلوم أنه بانتفاء هذه الثلاثة لا يكون جدا له إلا بالباطل ٥ ﴿ ثانى عطفه ﴾ أى رخىّ البال معرضا متكبرا متماثلا لاويا عنقه لذلك كما قال تعالى "و اذا تتلى عليه ايتنا ولى مستكبرا" و العطف فى الأصل الجانب و موضع الميل .

و لما دل السياق على أنه أكثف الأقسام طبعا ، عبر عن قصده بقوله : ﴿ ليضل ﴾ أى غيره ﴿ عن سبيل الله[2] ﴾ إفهاما لذلك ، لأن ١٠ هذا لايقصده عاقل ، فالقسم الأول تابع ضال ، و هذا داع لأهل الضلال ، هذا على قراءة الضم للجمهور[3] : و على قراءة الفتح لابن كثير و أبى عمرو و رويس[4] عن يعقوب بخلاف عنه من ضل ، تكون من باب التهكم كما تقدم غير مرة ، أى أنه من الحذق بحيث لايذهب عليه[5] أن هذا ضلال ، فما وصل إليه إلا بقصده له . ١٥

و لما ذكر فعله و ثمرته ، ذكر ما أعد له عليه فقال : ﴿ له فى الدنيا خزى ﴾ أى إهانة و ذل و إن طال زمن استدراجه

(١) سقط من مد (٢) سقط من ظ (٣) العبارة من هنا إلى « بخلاف عنه » ساقطة من ظ (٤) من مد و نثر المرجان ٤/٤٠١ ، وفى الأصل : درشى - كذا. (٥) من مد ، وفى الأصل و ظ : عنه .

بتنعيمه ، حق[1] على الله أن لا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه ، ﴿ونذيقه﴾ [2]أي بما لنا من العظمة[2] ﴿يوم القيمة﴾ الذي يجمع فيه[2] الخلائق بالإحياء بعد الموت ﴿عذاب الحريق ٥﴾ أي بجعله[4] يحس بألم العذاب بالحريق كما يحس الذائق بالشيء كما أحرق قلوب المهتدين بجداله بالباطل ، و يقال حقيقة أو مجازا : ﴿ذلك﴾ [أي -[3]] العذاب العظيم ﴿بما﴾ أي بسبب ما ﴿قدمت يداك﴾ أي بعملك[6] ، و لكنه جرت عادة العرب أن تضيف الأعمال إلى اليد لأنها آلة أكثر العمل ، [2]و إضافة ما يؤدي إليهما أنكأ[2] ﴿و ان﴾ أي [و -[7]] بسبب أن ﴿الله﴾ [2]أي الذي له الكمال كله[2] ﴿ليس بظلام﴾ أي بذي ظلم ما ﴿للعبيد ٦﴾ و لو [8]تركهم بغير ذلك[8] لكان في مجاري عاداتكم ظلما أولا بتسوية المحسن بالمسيء ، و ثانيا بترك الانتصار للذين عادوك فيه و أذيتهم من أجلك . [و يجوز أن تكون الصيغة للمبالغة لتفهم أنه لو تركه لكان الظلم ، و ذلك في غاية البعد عن حكمته و ... نفي أصل الظلم من آياته الباهرة -[9]] .

و لما بين قسمي المصارحين بالكفر الكثيف و الأكثف صريحا ، و أفهم المؤمن المخلص ، عطف على ذلك المذبذب فقال : ﴿و من الناس﴾

(١) من ظ و مد . و في الأصل : حقا ، و الحديث أورده البخاري في صحيحه باب التواضع كتاب الرقاق (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : يجعله (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : بعلمك (٧) زيد من ظ (٨ - ٨) من مد ، و في الأصل و ظ : تركه بغير عذاب (٩) زيد من مد ، و موضع النقاط مطموس .

و لذلك عبر بالناس الذى مدلوله الاضطراب و التردد [1]دون أن يضمر[1] ﴿ من يعبد الله ﴾ أى يعمل على سبيل الاستمرار و التجدد بما أمر به [1]الإلـه / الأعظم[1] من طاعته[2] ﴿على حرف ج﴾ فهو مزلزل كزلزلة من يكون على حرف شفير أو جبل أو غيره، لا استقرار له، و كالذى على طرف من العسكر، فان رأى غنيمة قر، و إن توهم خوفا طار و فر، [1]و ذلك معنى قوله[1]: ﴿فان اصابه خير﴾ أى من الدنيا ﴿ اطمان به ج﴾ أى بسببه. و ثبت على ما هو عليه ﴿ و ان اصابته فتنة ﴾ أى مصيبة [1]و لو قلت - بما يشير إليه التأنيث[1] - فى جسده أو معيشته يختبر بهـا و يظهر خبأه للناس ﴿انقلب على وجهه ج﴾ لتهيئه للانقلاب بكونه على شفا جرف فسقط عن ذلك الطرف من الدين سقوطا لا رجوع له بعده إليه[3] و لاحركة له معه، فان الإنسان مطبوع على المدافعة بكل عضو من أعضائه عن[4] وجهه فلا يمكن منه إلا بعد نهاية العجز، و المعنى أنه رجع إلى الوجه الذى كان عليه من الكفر أو الشك رجوعا متمكنا، و هذا بخلاف الراسخ فى إيمانه، فانه إن أصابته سراء شكر، و إن أصابته ضراء حمد و صبر. فكل قضاء الله له[5] خير.

و لما كان انقلاب هذا مفسدا لآخرته بما ناله من الوزر، و غير نافع له فى استدراك ما فاته من الدنيا، كانت فذلكة[6] ذلك قوله:

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى مد: طاعاته (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: البتة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٥) سقط من ظ. (٦) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و مد.

﴿ خسر الدنيا ﴾ أى بسبب ان ذلك لايزد ما فاته منها و يكون سبب التقتير عليه و ذهاب بركته "و لو انهم اقاموا التورٰة و الانجيل و ما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم و من تحت ارجلهم"، «إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»[1] ﴿ و الأخرة ﴾ بفوات أجر الصبر و حصول إثم الجزع، ثم عظم مصيبته بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ هو ﴾ [2]أى لا غير[2] ﴿ الخسران المبين ﴾ روى البخارى فى التفسير[3] عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال : [كان -[4]] الرجل يقدم المدينة ، فان ولدت امرأته غلاما و نتجت خيله قال : هذا دين صالح ، و إن لم تلد امرأته و لم تنتج خيله قال : هذا دين سوء . ثم بين هذا الخسران الذى رده إلى ما كان فيه قبل الإيمان الحرفى بقوله : ﴿ يدعوا ﴾ أى يعبد حقيقة أو مجازا مع التجدد و الاستمرار بالاعتماد على غير الله و منابذة "و اياك نستعين" . و لما كان [كل -[6]] ما سوى الله دونه ، نبه على ذلك بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى عن أدنى رتبة من رتب المستجمع لصفات الكمال .

و لما كان المقتضى للعبادة إنما هو الفعل بالاختيار ، و أما الفعل الذى يقتضيه الطبع و القسر عليه فلا عبرة به فى ذلك ، فانه لاقدرة على الانفكاك عنه فلا حمد لفاعله ، نبه على ذلك بقوله : ﴿ ما لا يضره ﴾ أى بوجه

(١) راجع مسند الإمام أحمد ٥/٢٧٧ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) راجع الصحيح ٢/ ٦٩٤ (٤) زيد من الصحيح (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الغرف (٦) زيد من ظ و مد .

من الوجوه [1]حتى و لايقطع النفع إن كان يتصور منه .

و لما قدم الضر لأنه من الأعذار المقبولة فى ارتكاب الخطأ ، أتبعه النفع قطعا لكل مقال فقال : ﴿و ما لاينفعه[1]﴾ بوجه من / الوجوه ٥٤٦ / و لايترك[2] الضر إن وجد منه ، و لو أسقطت "ما" من الثانى لظن أن الذم يشترط فيه انتفاء الضر و النفع معا حتى أن من ادعى ما انتفى عنه أحدهما لم يذم [3] ﴿ذلك﴾ أى الفعل الدال على أعظم السفه و هو دعاء شىء انتفى عنه القدرة على النفع ، أو شىء انتفى عنه القدرة على الضر[3] ﴿هو﴾ [أى - [4]] وحده ﴿الضلل البعيد﴾ عن الحق و الرشاد الذى أوصل إلى فياف[5] مجاهل لايتأتى الرجوع منها ، و ذلك لأن[6] الأول لو ترك عبادته ما قدر على منع إحسانه ، و الثانى لو تقاداه[7] ما وصل إلى نفعه و لايترك ضره ، فعبادتهما عبث ، لأنه استوى فعلها و تركها .

و لما كان الإحسان جالبا للانسان ، من غير نظر إلى مُورده ، لأن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها ، بين أن ما قيل فى جانب النفع إنما هو على سبيل الفرض فقال : ﴿يدعوا[1]﴾ و لما كان ما فرض أو لا فيما عبر عنه بـ « ما » قد يكون غير عاقل ، فيكون ما صدر منه لعدمه[8]

(١ - ١) فى مد : ولا يقطع (٢) فى مد : لايترك (٣ - ٣) وقع ما بين الرقمين فى الأصل قبل «ولو أسقطت» مع التقديم و التأخير ، و الترتيب من ظ و مد .
(٤) زيد من مد (٥) بهامش ظ : جمع فيفاء : صحراء (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٧) فى ظ : عاداه (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لعدم .

العقل ، أزال هذا الإبهام بقوله : ﴿ لمن ﴾ [1] أى زاعما [2] أن من ﴿ ضرّه ﴾ و لو بعبادته الموجبة لأعظم الشقاء ﴿ اقرب من نفعه [4] ﴾ - الذى يتوقع منه - إله [3] .

و لما كانت الولاية الكاملة لا تنبغى إلا لمن يكون توقع النفع منه و الضر على حد سواء ، لقدرته على كل منهما باختياره ، و كان العشير لا يصلح إلا إن كان مأمون العاقبة ، و كان هذا المدعو إن نظر إليه فى جانب الضر وجد غير قادر عليه ، أو [4] فى جانب النفع فكذلك ، و إن فرض توقع نفعه أو ضره كان [5] خوف ضره [5] أقرب من رجاء نفعه [6] ، استحق غاية الذم ، فلذلك استأنف تعالى وصفه بقوله معبرا فى ذمه بالأداة الموضوعة لجامع الذم : ﴿ لبئس المولى ﴾ لكونه ليس مرجو النفع كما هو مخشى الضر ﴿ و لبئس العشير ﴾ لكونه ليس مأمون الضر فهو غير صالح لولاية و لا لعشرة بوجه .

و لما أفهم ما تقدم أن هذا الإله المدعو إليه قادر على كل من النفع و الضر بالاختيار ، و أن تجويز الوقوع لكل منهما منه على حد سواء ، نبه على ذلك بقوله مستأنفا : ﴿ ان الله ﴾ أى الحائز لجميع صفات الكمال المنزه عن جميع شوائب النقص ﴿ يدخل الذين آمنوا ﴾ برسله و ما دعت إليه من شأنه ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لإيمانهم ﴿ الصلحت ﴾ الخالصة

(١) العبارة من هنا إلى « أن من » ساقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : على (٣) سقط من ظ ؛ و هو خبر « أن » (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » . (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : خوفه ضر (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : خوفه .

الشاهدة بثباتهم فى الإيمان بعد ما ضرهم فى الدنيا بأنواع المعايب ، تطهيرا لهم مما اقترفوه من الزلات ، و أهوتهم إليه[1] الهفوات ﴿جنت تجرى من تحتها﴾ أى من أىّ مكان [أردت -[2]] من أرضها ﴿الانهر[1]﴾ و لما كان هذا أمرا باهرا دل على سهولته بقوله ، تصريحا بما أفهمه السياق من وصف الاختيار : ﴿ان الله﴾ [3]أى المحيط بكل شىء قدرة و علما[3] ﴿يفعل ما يريد﴾ ٥ من كل نفع و ضر .

و لما أتم الدليل على خسران هذا المنقلب و ربح الثابت ، و كان هذا مفهما لأن من رجاه لما وعد به بادر الإقبال عليه و لم ينفع إلا نفسه ، و من لم يرج[4] / ذلك أعرض عن الله سبحانه منقلبا على وجهه فلم يضر ٥٤٧ / إلا نفسه ، ترجم عن حال هـــذا الثانى العابـــد على حرف بقوله : ١٠ ﴿من كان يظن﴾ أى ممن أصابته فتنة ﴿ان لن ينصره الله﴾ ذو الجلال و الإكرام فى حال[5] من أحواله ﴿فى الدنيا و الأخرة﴾ فأعرض عنه انقلابا على وجهه فانه لايضر إلا نفسه و إن ظن [6]أنه لايضرها[6] ﴿فليمدد بسبب﴾ أى حبل [3]أو شىء من الأشياء الموصلة[3] له ﴿الى السمآء﴾ التى يريدها من سقف أو سحاب أو غيرهما . ١٥

و لما كان مده ذلك متعسرا أو متعذرا ، عبر عما يتفرع عليه بأداة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اليهم (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يرم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : حالة (٦ - ٦) فى ظ : غير ذلك ، و فى مد : لاغيره .

التراخى فقال: ﴿ثم ليقطع﴾ أى ليوجد منه وصل و قطع، أى ليبذل جهده فى دفع القضاء و القدر عنه، [1]و هى لام أمر عند من حركها بالكسر إفهاما لشدة الحركة فى المزاولة[2] للذهاب إلى السفل الدال على عدم العقل، و هم أبو عمرو و ابن عامر و ورش عن نافع و رويس عن يعقوب، أو أسكنها و هم الباقون[1] ﴿فلينظر﴾ ببصره و بصيرته ﴿هل يذهبن﴾ و إن اجتهد ﴿كيده ما يغيظ﴾ أى شيئا يحصل له منه غيظ، أو يكون المعنى: فليفعل ما يفعله من بلغ منه الغيظ بأن يربط حبلا بسقف بيته ثم ليربطه فى عنقه ثم ليقطع ما بين رجليه و بين الأرض ليختنق، و هذا كما يقال لمن أدبر عنه [3]أمر فجزع[3]: اضرب برأسك الجدار إن لم ترض هذا، مت غيظا - و نحو ذلك، و الحاصل أنه إن لم يصبر على المصائب لله طوعا صبر عليها كرها مع ما ناله من أسباب الشقاء.

و لما بين سبحانه هذه الآيات المرئية[4]، فى هذه الأساليب العلية، هذا البيان الشافى الهادى[5] بإعجاز حكمه[6]، بين أنه معجز أيضا بنظمه، فقال: ﴿و كذلك﴾ أى و مثل ما بينا هذه الآيات المرئية التى[7] أنزلنا كلامنا لبيان حكمها و إظهار[8] أسرارها ﴿انزلنه﴾ أى الكلام كله بما لنا

(١) العبارة من هنا إلى «الباقون» ساقطة من ظ (٢) من مد، و فى الأصل: المداولة (٣ - ٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مرجوع (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: المرتبة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الهادو (٦) من ظ مد، و فى الأصل: محكمة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٨) فى مد: بيان.

من

من العظمة الباهرة ﴿ آيات بينات ﴾ معجزا نظمها ، كما كان معجزا حكمها .

و لما كان الكلام بينا فى أن التقدير : ليعلم إذا ضل ضال مع هذا البيان أن الله يضل من يريد ، عطف عليه قوله : ﴿ و ان ﴾ أى و ليعلم أن ﴿ الله ﴾ أى الموصوف بالإكرام ، كما هو موصوف بالانتقام ﴿ يهدى ﴾ أى بآياته ﴿ من يريد ﴾ أى لتبين[1] قدرته و اختياره إزاحة لغم من يقول : إذا كانت الآيات المرئية و المسموعة[2] فى هذا الحد من البيان فما لأكثر الناس على ضلالهم يتخلف[3] فيهم المسببات عن أسبابها .

و لما كان ذلك موجبا للسؤال عن حال الفريقين : المهدى و الضال ، أجاب عن ذلك ببيان جميع فرق الضلال ، لأن لهذه [السورة - ٤] أتم نظر إلى يوم الجمع الذى هو مقصود السورة التى قبلها ، فقصد إلى استيعاب الفرق تصويرا لذلك اليوم بأليق صورة ، و قرن بكل من فريق أهل الكتاب موافقة فى معناه فقال : ﴿ ان الذين آمنوا ﴾ أى من أىّ فرقة كانوا ، و عبر بالفعل ليشمل الإقرار باللسان ، الذى هو أدنى وجوه الإيمان ﴿ و الذين هادوا ﴾ أى انتحلوا اليهودية ، على أىّ حال كانوا من إيمان أو[6] كفران .

و لما كان اليهود / قد عبدوا الأصنام متقربين بها إلى النجوم / ٥٤٨

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليبين (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المسموع .
(٣) فى مد : تتخلف (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : معه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » .

كما مضى [فى المائدة - [1]] ، أتبعهم من شابهوه فقال : ﴿ و الصابئين ﴾ ثم تلا بثانى فريق أهل الكتاب فقال : ﴿ و النصٰرى ﴾ ثم أتبعهم من أشبهه بعض فرقهم فى قولهم بالهين[2] اثنين فقال : ﴿ و المجوس ﴾ [و - [1]] هم عبدة النار ؛ ثم ختم بأعم الكل فى الضلال كما فتح بأعمهم فى الهدى فقال : ﴿ و الذين اشركوا ﴾ لشموله[3] كل شرك حتى الأصغر من الربا و غيره ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الملك كله و هو أحكم الحاكمين ﴿ يفصل بينهم يوم القيٰمة [4] ﴾ فيجازى كلا بعمله على ما يقتضيه فى مجارى عاداتكم ، و يقتص لبعضهم من بعض ، و يميز الخبيث منهم من الطيب ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لجميع صفات الكمال ﴿ على كل شىء ﴾ من الأشياء كلها ﴿ شهيد ﴾ فلا شىء إلا و هو به عليم ، فهو [لذلك - [1]] على كل شىء قدير ، كما مضى بيانه فى "وسع كل شىء علما" فى طه ، و قال الحرالى فى شرح الأسماء الحسنى : الشهادة رؤية خبرة بطية[4] الشىء و دخلته ممن له غنى فى أمره ، فلا شهادة إلا بخبرة و غنى ممن له اعتدال فى نفسه بأن لايحيف على غيره ، فيكون ميزان عدل بينه و بين غيره ، فيحق له أن يكون ميزانا بين كل متداعيين ممن يحيط[5] بخبرة أمرهما " و كذلك جعلنٰكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا " و بحسب إحاطة علم الشهيد

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى مد : الهين (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بظنه . (٥) فى مد : تحيط .

ترهب شهادته ، و لذلك أرهب [شهادة -[٩]] شهادة الله على خلقه "قل أى شىء أكبر شهادة قل الله" . و لما كان أيما الإحاطة و الخبرة و الرقبة[٤] لله كان بالحقيقة لا شهيد إلا هو - [انتهى - [٤]] .

و لما كان جميع ما تقدم فى هذه السورة دالا على أنه على كل شىء قدير ، و أنه يفعل ما يريد ، و ختم ذلك بأنه بكل شىء عليم[٦] ، لم يغب و لا يغيب شىء عنه ، فاقتضى ذلك قيوميته ، وكان بحيث يستعظم لكثرة الخلائق فكيف بأحوالهم ، قرر ذلك فى جواب من كأنه سأل فهى[٧] فى معنى العلة ، فقال : ﴿ الم تر ان الله ﴾ أى[٨] الحائز لجميع الكمال المبرأ عن كل نقص ﴿ يسجد له ﴾ أى يخضع منقادا لأمره مسخرا لما يريد منه تسخير من هو فى غاية الاجتهاد فى العبادة و الإخلاص فيها ﴿ من فى السموت ﴾ .

و لما كان السياق مقتضيا للابلاغ فى صفة القيومية بشهادة ذكر الفصل بين جميع الفرق ، أكد باعادة الموصول فقال[٩] : ﴿ و من فى الارض ﴾ إن أدخلت غير العاقل فبالتغليب ، و إن خصصت فبالعاقل أفهم خضوع غيره من باب الأولى . و لما ذكر ما يعم العاقل و غيره ، أتبعه بأشرف

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الرغبة (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) زيد من مد (٥) زيد فى الأصل : احاط ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : علما (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : وهو (٨) سقط من ظ و مد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ما ذكر مما لا يعقل لأن كلا منهما[1] عبد من دون الله أو عبد شيء منه فقال: ﴿و الشمس و القمر و النجوم﴾ من الأجرام العلوية فعبد الشمس حمير، و القمر كنانة، و الدبران تميم، و الشعرى لخم[2]. و الثريا طي و عطاردا أسد، و المرزم[3] ربيعة - قاله[4] أبو حيان. ثم أتبع ذلك أعلام الذوات السفلية فقال: ﴿و الجبال﴾ أي التي تنحت منها الأصنام ﴿و الشجر﴾ التي عبد بعضها ﴿و الدواب﴾ التي عبد منها البقر، كل هذه الأشياء تنقاد لأمر الله، و من المعلوم /- لكون هذه لا تعقل - أن أمره لها هو مراده منها. /٥٤٩

و لما كان العقلاء من المكلفين قد دخلوا في "قوله" "و من في الارض" دخولا أوليا، [و كان السجود الممدوحون عليه إنما هو الموافق للأمر، لا الموافق للإرادة المجردة عن الأمر -[6]]، قال دالا على إرادته هنا بتكريمهم و تقسيمهم بعد إدخالهم في سجود الإرادة و تعميمهم: ﴿و كثير من الناس[5]﴾ أي يسجد سجودا هو منه عبادة شرعية لحق له الثواب ﴿و كثير﴾ أي منهم ﴿حق عليه العذاب[5]﴾ بقيام الحجة عليه بكونه لم يسجد، فجحد الأمر الذي[7] من جحده كان كافرا و إن كان ساجدا عابدا بالمعنى اللغوي الذي هو الجري مع المراد، [8]و على القول بأن[8]

(١) في ظ: منها (٢) من ظ و مد و البحر المحيط ٦/٣٥٩، و في الأصل: لحم، و زيد بعده في البحر: و قريش (٣) بهامش ظ: قاموس: مرزم كنبر (٤) من ظ و مد، و في الأصل: قال (٥) في مد: الى (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد في الأصل: هو، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨-٨) في ظ «و».

هذا فى تقدير عامل من لفظ الأول بغير معناه [هو -[1]] قريب من الاستخدام الذى يعاد فيه ضمير على لفظ مراد منه معنى آخر، و الآية من الاحتباك: إثبات السجود فى الأول دليل على انتفائه فى الثانى، و ذكر العذاب فى الثانى دليل على حذف الثواب فى الأول.

و لما علم بهذا أن الكل جارون مع الارادة منقادون أتم انقياد تحت طوع المشيئة، و أنه إنما جعل الأمر و النهى للمكلفين سببا لإسعاد السعيد منهم و إشقاء الشقى، لإقامة الحجة عليهم على[2] ما يتعارفونه من أحوالهم فيما بينهم، كان المعنى: فمن يكرم الله بتوفيقه لامتثال أمره فما له من مهين، فعطف عليه: ﴿و من يهن الله﴾ أى الذى له الأمر كله بمنابذة أمره[3] ﴿فما له من مكرم[4]﴾ لأنه لا قدرة لغيره أصلا، و لعله إنما ذكره و طوى الأول[4] لأن السياق لإظهار القدرة، و إظهارها فى الإهانة أتم، مع أن أصل السياق للتهديد؛ ثم علل أن الفعل له لا لغيره بقوله: ﴿ان الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿يفعل ما يشآء[5]﴾ أى كله، فلو جاز أن يمانعه غيره و لو فى لحظة [5]لم يكن[5] فاعلا لما يشاء، فصح أنه لافعل لغيره، قال [6]ابن كثير[6]: قال ابن أبى حاتم: حدثنا أحمد بن شيبان الرملى نا القداح عن جعفر بن محمد عن أبيه عن على رضى الله عنه

(١) زيد من مد (٢) سقط من ظ (٣) من مذ، و فى الأصل و ظ: الامر.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الاصل (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لن يكن (٦-٦) من ظ و مد. و فى الأصل: ابن أبى كثير - خطأ، و راجع تفسيره ٢/٢١١.

أنه قيل له : إنّ ههنا رجلا يتكلم فى المشيئة، فقال له على : يا عبد الله[1] خلقك الله كما شاء[2] أو كما شئت ؟ قال : بل كما شاء[3]، قال : فيمرضك إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء، قال : فيشفيك[4] إذا شاء أو إذا شئت ؟ قال : بل إذا شاء ، قال : فيدخلك حيث شئت أو حيث يشاء[5] ؟ قال : بل حيث يشاء ، قال : والله لو قلت غير ذلك لضربت الذى فيه عيناك بالسيف . و قد مر فى سورة يوسف عند "ان الحكم [الا -[5]] لله عليه توكلت" ما ينفع هنا .

و لما قسم الناس إلى مخالف و موالف ، أتبعه جزاءهم بما يرغب الموالف و يرهب المخالف على وجه موجب للأمر بالمعروف الذى من جملته الجهاد لوجهه خالصا[6] فقال : ﴿هذان﴾ أى الساجد و الجاحد من جميع الفرق ﴿خصمان﴾ [7]لا يمكن منهما المسالمة الكاملة إذ كل منهما[7] فى طرف .

[و لما أشار بالتثنية إلى أن كل فرقة منهم صارت - مع كثرتها و انتشارها باتحاد الكلمة فى العقيدة - كالجسد الواحد ، صرح بكثرتهم بالتعبير بالجمع فقال -[8]] : ﴿اختصموا﴾ [9]أى أوقعوا الخصومة بغاية الجهد[9] ، و لما كانت الفرق المذكورة كلها مثبتة[10] و قد جحد أكثرهم

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و التفسير : يشاء (٢) من التفسير ، و فى النسخ : يشاء (٣) من ظ و مد و التفسير، وفى الأصل : بل يشفيك (٤) فى التفسير : شاء. (٥) زيد من ظ و مد و القرآن الكريم آية ٦٧ (٦) زيد فى الأصل : لوجهه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط. (٨) زيد من مد (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) بهامش ظ : أى غير معطلة للآلهة.

النعمة ، قال : /﴿ فى ربهم[د] ﴾ أى الذى هم باحسانه إليهم معترفون ، لم يختصموا / ٥٥٠
بسبب غيره أصلا ، و حمزة [بن - [١]] عبد المطلب أسد الله و أسد
رسوله و عبيدة بن[٢] الحارث و على بن أبى طالب - [الذين - [١]] هم أول
من برز للخاصمة بحضرة رسول الله - صلى الله عليه و سلم و رضى عنهم -
للكفرة من بنى عمهم : عتبة بن ربيعة و شيبة بن ربيعة و الوليد بن عتبة ، ٥
فى غزوة بدر - أولى الناس بهذه الآية لما روى فى الصحيح[٣] عن أبى
ذر رضى الله عنه أنه كان يقسم أنها نزلت فيهم ، و لذلك قال على
رضى الله عنه : أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن عزو جل يوم القيامة
للخصومة - أخرجه البخارى فى صحيحه[٣] ، [٤] و لعله رضى الله عنه أول
الثلاثة ، قام لمنابذتهم النبى صلى الله عليه و سلم [٥]لذلك ، فانه[٥] كان أشبهم . ١٠

و لما ذكر خصومتهم و شرطها ، ذكر جزاءهم عليها فى فصل الأمر
الذى قدم ذكره ، و بدأ بالترهيب لأن الإنسان إليه أحوج فقال :
﴿ فالذين كفروا ﴾ منابذين لأمر ربهم ﴿ قطعت ﴾ [٦] تقطيعا لا يعلم
كثرته إلا الله ، بأيسر أمر ممن لا أمر لغيره[٦] ﴿ لهم ﴾ الآن و هيئت
و إن وافقوا مراد ربهم بمخالفتهم أمره ﴿ ثياب من نار[٤] ﴾ تحيط ١٥
بهم و هى على مقاديرهم سابغة عليهم كما كانوا يسبلون الثياب فى الدنيا

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد فى الأصل فقط : عبد - خطأ (٣) راجع ٢/٦٩٤ .
(٤) العبارة من هنا إلى « أشبهم » ساقطة من ظ (٥-٥) من مد ، و فى الأصل :
لانه (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

تعاظما و تكبرا[١] حال كونهم ﴿ يصب ﴾ [إذا دخلوها -[٢]]
﴿من فوق رءوسهم الحميم[٤]﴾ أى الماء الحار حرارة لا يدرى مقدارها
إلا بالذوق - أعاذنا الله منه ؛ و استأنف الإخبار عنه بقوله : ﴿يصهر﴾
أى يذاب ، و أصله المخالطة الشديدة ﴿ به ﴾ من شدة حرارته
٥ ﴿ما فى بطونهم﴾ من شحم و غيره ﴿و الجلود[٥]﴾ فيكون أثره فى الباطن
و الظاهر سواء ﴿ و لهم مقامع ﴾ جمع مقمعة بكسر ثم فتح ، و هى
عمود حديد يضرب به الرأس و الوجه ليرد المضروب عن مراده ردا عنيفا ،
ثم نفى[٣] المجاز بقوله : ﴿ من حديد ﴾ أى يقمعون بها ﴿ كلما اراذوا ﴾
[٤] أى كلهم فالبعض بطريق الأولى[٤] ﴿ ان يخرجوا منها ﴾ أى من تلك
١٠ الثياب أو [من -[٥]] النار .

[و لما كان السياق لخصومة أولياء الله المتصفين بما هو مقصود
السورة من التقوى للكفار ، المنابذين لها بكل اعتبار ، اقتضى ذلك
- بشارة للأولياء و نذارة للأعداء - قوله زيادة على ما فى السجدة -[٢]] :
[﴿ من غم ﴾ عظيم لا يعلم قدر عظمه إلا الله ﴿اعيدوا﴾ -[٥]] ، [كل
١٥ آمن ﴿فيها[٦]﴾ -[٢]] كأنهم[٦] يضربون بلهيب النار فيرفعهم حتى إذا كانوا
فى أعلاها ضربوا بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا - قاله الحسن[٧] ،
أو أنهم يضطربون[٨] [٩]فى تلك الثياب المقطعة من النار[٩] إلى أن يكادوا

(١) زيد فى الأصل : أى مقدرة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقى (٤ - ٤) سقط ما بين
الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) راجع الكشاف
٢/٩٠٣ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يضربون (٩-٩) وقع فى الأصل قبل
« لهيب النار » و الترتيب من ظ و مد .

أن

أن ينفصلوا منها و هم فى النار ثم يردون كما كانوا ، و ذلك أشد فى العـــذاب ، [1]مقولا لهم : ارجعوا صاغرين [مقاسين لغمومها -[2]] ﴿و ذوقوا عذاب الحريق﴾ أى العذاب البالغ فى الإحراق .

و لما ذكر ما لأحد الخصمين و هم الكافرون ، أتبعه ما للآخر و هم المؤمنون ، و غيز السياق بالتأكيد لمن كأنه سأل عنه ، معظما له باثبات الاسم العلم الجامع إيذانا بالاهتمام فقال : ﴿ان الله﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿يدخل الذين امنوا﴾ عبر فى الإيمان بالماضى ترغيبا فى المبادرة إلى إيقاعه ﴿و عملوا الصلحت﴾ تصديقا لإيمانهم ، [و -[3]] عبر بالماضى إشارة إلى أن من عمل[4] الصالح انكشف له ما كان محجوبا عنه من / حسنه ٥٥١ / فأحبه و لم ينفك عنه ﴿جنت تجرى﴾ [5]أى دائما[5] ﴿من تحتها الانهر﴾ [5]أى المياه الواسعة[5] ، أينما أردت من أرضها جرى لك نهر فى مقابلة ما يجرى من فوق رؤس أهل النار ﴿يحلون فيها﴾ فى مقابلة ما[6] يزال من بواطن الكفرة و ظواهرهم ﴿من اساور﴾ .

[7]و لما كان مقصودها الحث على التقوى المعلية[8] إلى الإنعام بالفضل ، شوّق إليه باعلى ما نعرف من الحلية فقال : ﴿من ذهب و لؤلؤ[9]﴾ و قراءة نافـــع و عاصم[9] بنصبه دليل على عطفه بالجر على " اساور " ﴿و لباسهم فيها حرير﴾ فى مقابلة ثياب الكفار كما كان لباس الكفار

(١) زيد فى ظ : وذوقوا أى (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد . (٤) زيد فى الأصل : العمل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٧) العبارة من هنا إلى « الحلية فقال » ساقطة من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل : العلية (٩) راجع نثر المرجان ٤/٤٦٤ .

فى الدنيا حريرا ، و لباس المؤمنين دون ذلك ، و قد ورد فى الصحيحين[١] [عن عبد الله بن الزبير عن عمر رضى الله عنهم -[٢]] أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : لا تلبسوا الحرير فان من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة . قال ابن كثير[٣] : قال عبد الله بن الزبير : و من لم يلبس الحرير
٥ فى الآخرة لم يدخل الجنة ، قال الله تعالى "و لباسهم فيها حرير" - انتهى . [٤]و ذلك[٤] أن فى الصحيحين[٥] و غيرهما عن عمر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : إنما يلبس هذه من لا خلاق له فى الآخرة . فيوشك - لتشبهه بالكفار فى لباسهم - أن يلحقه الله بهم فلا يموت مسلما - و الله الهادى.[٦]﴿ و هدوآ ﴾ أى [بأسهل أمر -[٧]] بهداية الله
١٠ أعم من أن يكون السبب القريب لذلك العقل وحده أو مع الرسول أو الكتاب أو غير ذلك [و هو-[٢]] حال من " الذين آمنوا "، و ما بعدها ختم به لئلا يطول الفصل بين الفعل و مفعوله و لتكون[٨] محاسنهم محيطة بذكر دخولهم الجنة إشارة إلى دوامها ﴿ [٩]الى الطيب من القول[٩] ﴾ [فلم يزالوا فى حال حسن -[٢]] ﴿ و هدوا ﴾ [و بنى الفعل أيضا للمفعول إشارة إلى سهولة
١٥ الهداية لهم و للأتقياء منهم ، و لذلك لم يذكر العزة ، و اكتفى بذكر الحمد فقيل -[٢]] : ﴿ الى صراط الحميد ﴾ الذى وفقهم[١٠] لسلوك ما يحمدون عليه

(١) راجع صحيح البخارى ٦/٨٦٧ و الصحيح لمسلم ٢/١٩١ و اللفظ له (٢) زيد من ظ و مد (٣) راجع التفسير ٣/٢١٣ (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فذلك (٥) نفس الإحالة التى أسلفنا الآن ذكرها (٦) العبارة من هنا إلى «دوامها» واقعة فى الأصل بين تقدم و تأخر (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل: تكون (٩-٩) تقدم - مع «و هدوا» - فى الأصل عن «السبب القريب» س ١٠ ، و الترتيب من ظ و مد (١٠) من ظ ، و فى الأصل و مد : واقفهم .

فيحمدون عاقبة ، فكان فعلهم حسنا كما كان قولهم حسنا ، فدخلوا الجنة التى هى اشرف دار عند خير جار و حلوا فيها أشرف الحلى كما تحلوا فى الدنيا بأشرف الطرائق ، هذا بعد أن حازوا أشرف الذكر فى الدنيا عكس حال الكفار فى اقتراف ما أدخلهم ما كلما أرادوا الخروج منه أعيدوا فيه ، مع ما نالهم من سوء الذكر ، باقبالهم كالبهائم على الفانى مع خسته ٥ لحضوره ، و إعراضهم عن الباقى مع شرفه لغيابه .

و لما بين [ما - ١] للفريقين ، [و تضمن ما للفريق - ١] الثانى بيان أعمالهم الدالة على صدق إيمانهم ، كرر ذكر ٢ الفريق الأول لبيان ما يدل على استمرار كفرهم ، و يؤكد بيان جزائهم ، فقال : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى أوقعوا هذا الفعل الخبيث . و لما كان المضارع ١٠ قد لايلحظ منه زمان معين من حال أو استقبال ، بل يكون المقصود منه الدلالة على مجرد الاستمرار كقولهم : فلان يعطى و يمنع ، قال عاطفا ٣ له ٤ على الماضى : ﴿ و يصدون ﴾ أى و يديمون الصد ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى ٤ الملك الأعظم ، باقتسامهم طرق مكة ، و قول بعضهم لمن يمر به : خرج فينا ساحر ، و آخر يقول : شاعر ، و آخر : كاهن ، فلا تسمعوا ١٥ منه ، فانه يريد أن يردكم عن دينكم ؛ قال بعض من أسلم : لم يزالوا بى حتى جعلت فى اذنى الكرسف ٥ مخافة أن أسمع شيئا من كلامهم . و كانوا يؤذون من أسلم - إلى غير ذلك من أعمالهم ، و لعله إنما عبر بالمضارع رحمة منه ٤ [لهم - ٦] ليكون كالشرط فى الكفر فيدل على

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عطفا (٤) سقط من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكوسف (٦) زيد من مد .

/٥٥٢ أن من ترك / الصد زال عنه الكفر و إن طال ذلك منه ﴿و﴾ يصدون عن ﴿المسجد الحرام﴾ أن تقام شعائره من الطواف فيه بالبيت و الصلاة و الحج و الاعتمار ممن هو أهل ذلك من أوليائنا . ثم وصفه بما يبين شديد ظلمهم فى الصد عنه فقال: ﴿الذى جعلنه﴾ [1]بما لنا من العظمة[1] ٥ ﴿للناس﴾ أى كلهم؛ ثم بين جعله لهم بقوله: ﴿سوآء ن العاكف فيه﴾ أى المقيم ﴿و البادٖ﴾ أى الزائر له من البادية؛ قال الرازى فى اللوامع: "سواء" رفع بالابتداء، "و العاكف" خبره، و صلح من تنكيره للابتداء، لأنه كالجنس فى إفادة العموم الذى هو أحسن العهد .

و لما ذكر الكفار و دليل كفرهم بما استعطفهم ، و زاد فى ١٠ الاستعطاف بحذف الخبر عنهم ، و دل آخر الآية على أنه يذيقهم العذاب الأليم ، عطف عليه ما ينفر عن وصفهم فقال: ﴿و من يرد فيه﴾ أى شيئا من أفعال الكفار من الصد المذكور و غيره ، أى [2]يقع منه إرادة لشىء من ذلك ﴿بالحاد﴾ [أى [2]مصاحبة تلك الإرادة و ملتبسة[2] بجور عن الأمر المعروف -[3]] و ميل و اعوجاج . و لما كان ذلك يقع ١٥ على مطلق هذا المعنى ، بين المراد بقوله: ﴿بظلم﴾ أى فى غير موضعه ، و أما صد الكفار عنه فانه بحق ، لأنهم [4]نجس لاينبغى قربانهم المحال المقدسة[5] ، و كذا صد الحائض و الجنب و الخائن ﴿نذقه﴾ و لما كان المشروط نوعا من [6]الإلحاد[6] لا الإلحاد [الكامل -[7]] ، عبر بقوله:

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل و مد: او . (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : لانه (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : القدسية (٦) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٧) زيد من مد .

﴿من عذاب اليم ع﴾ و دل هذا الخبر [١]عمن أراد شيئا مما فعله الكفار[١] أن الخبر عن الكفار الفاعلين لما[٢] رتب هذا الجزاء على إرادته ما[٣] قدرته .

و لما ذكر الفريقين و جزاء كل و ختمه بذكر البيت ، أتبعه التذكير به و بحجه ، لما فيه من التذكير بالقيامة الحاملة على التقوى التى هى مقصد السورة ، بما فيه من الوفادة على الله ، مع التجرد من المخيط ، و الخضوع للرب ، و الاجتماع فى المشاعر موقفا فى أثر موقف ، و لما فيه من الحث على التسنن بأبيهم الأعظم إبراهيم عليه السلام فقال ، مقرعا و موبخا لمن أشرك فى نفعه «أسست على التوحيد من[٤] أول يوم» عطفا على قوله أول السورة "اتقوا" : ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكروا[٥] إذ ﴿ بوانا ﴾ [[٦] بما لنا من العظمة[٦] ، و لما لم يجعله سبحانه سكنه بنفسه ، قصر الفعل عن التعدية إلى مفعوله الأول فقال - [٧]] : ﴿ لابرٰهيم ﴾ [٨]أى قدرنا له[٨] ﴿ مكان البيت ﴾ أى الكعبة و جعلناه له مباءة ، أى منزلا يبوء إليه أى يرجع ، لأنه - لما نودعه[٩] فيه من اللطائف - أهل لأن يرجع إليه من فارقه و يحن إليه ، و يشتاق من باعده و ينقطع إليه بعض ذريته ، من

(١ - ١) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « نذقه » و الترتيب من ظ و مد ، وموضع ما بين الرقمين هنا بياض فى الأصل (٢) بهامش ظ : اللام فى « لما رتب» للتعدية فافهم (٣) بهامش ظ : خبر « أن الخبر عن الكفار » (٤) من مد ، و فى الأصل : و بين ، و فى ظ : فى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذكر . (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) زيد من ظ و مد (٨ - ٨) وقع فى الأصل قبل « لابرٰهيم » و الترتيب من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : نوعده .

المباءة بمعنى المنزل ، و بوأه إياه و بوأه له ، أى أنزله . قال فى ترتيب المحكم : و قيل : هيأته و مكنت له [فيه - [1]] . و يدل على أن إبراهيم عليه السلام أول بانٍ للبيت[2] ما فى الصحيح عن أبى ذر رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ! أىّ مسجد وضع أول ؟ قال : المسجد الحرام . قلت : ثم أىّ ؟ قال : بيت المقدس . قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة . و لما كان إبراهيم عليه الصلاة السلام نبيا . كان من المعلوم أن نبوته له لأجل العبادة ، فكان المعنى : قلنا له : أنزل أهلك[4] ههنا و تردد إلى هذا المكان للعبادة . فلذلك فسره بقوله : ﴿ ان لاتشرك بى شيئا ﴾ فابتدأ بأس العبادة و رأسها ، و عطف على النهى قوله : ﴿ و طهر بيتى ﴾ عن كل ما لا يليق به من قذر / حسى و معنوى من شرك و وثن و طواف عريان به . كما كانت العرب تفعل ﴿ للطآئفين ﴾ [5] به .

٥٥٣/

و لما تقدم العكوف فاستغنى عن إعادته ، قال[6] : ﴿ و القآئمين ﴾ أى حوله تعظيما لى كما يفعل حول عرشى ، أو فى الصلاة ، [و لأن العكوف بالقيام أقرب إلى مقصود السورة - [7]] . ﴿ و الركع ﴾ و لما كان كل من الطواف و القيام عبادة برأسه ، و لم يكن الركوع و السجود كذلك . عطف ذاك ، و أتبع هذا لما بينهما من كمال الاتصال ، إذ [8]

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الاصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) ١ / ٤٧٧ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : اهليك (٥) زيد فى الاصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) فى ظ و مد : قيل . (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى .

لا ينفك أحدهما عن الآخر فى الصلاة فقال : ﴿السجود﴾ أى المصلين [1]صلاةَ أهل الإسلام الأكمل[1] ﴿و اذن فى الناس﴾ أى أعلمهم و ناد فيهم ﴿بالحج﴾ و هو قصد البيت [1]على سبيل التكرار[1] للعبادة المخصوصة بالمشاعر[2] المنصوصة ﴿ياتوك﴾ أى يأتوا بيتك الذى بنيته لذلك ، مجيبين لصوتك باذننا سامعين طائعين[3] مخبتين خاشعين من أقطار الأرض كما يجيبون صوت الداعى من قبلنا إذا دعاهم [1]بمثل ذلك بعد الموت[4] ﴿رجالا﴾ أى مشاة على أرجلهم ﴿و على كل ضامر﴾ أى هزيل من طول السير من الإبل لبعد الشقة[5] و عظم المشقة[6] .

[7]و لما كان الضامر يطلق على كل من الذكر و الأنثى من الجمال ، و كانت الأنثى أضعف النوعين ، فكان الحكم عليها بالإتيان المذكور حكما على الذكر الذى هو أشد بطريق الأولى ، أسند إلى ضميرها فقال معبرا بما يدل على التجدد و الاستمرار ، واصفا الضوامر التى أفهمتها "كل"[7] : ﴿ياتين﴾ أى الضوامر ﴿من كل فج﴾ أى طريق واسع بين جبلين ﴿عميق﴾ أى بعيد منخفض بالنسبة إلى علو جباله . قال أبو حيان[8] : و أصله البعد سفلا - انتهى[9] . حفاة عراة . يتفلون من مشعر من مشاعر

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل: بالمشاعرة . (٣) من ط و مد ، وفى الأصل : مطيعين (٤-٤) فى ظ و مد : بعد الموت بمثل ذلك (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المشقة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : المسافة (٧ - ٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : ثم وصف الضوامر بما يقتضى التجدد و الاستمرار فقال (٨) البحر المحيط ٦/٣٤٧ (٩) سقط من ظ .

الحج إلى مشعر ، و من مشهد إلى مشهد ، مجموعين بالدعوة ، خاشعين للهيبة ، خائفين من السطوة ، راجين للغفرة ، ثم يتفرقون إلى مواطنهم ، و يتوجهون إلى مساكنهم ، كالسائرين إلى مواقف الحشر ، يوم البعث و النشر ، المتفرقين إلى دارى النعيم و الجحيم ، فيا أيها المصدقون بأن خليلنا إبراهيم عليه السلام نادى بالحج فأجابه بقدرتنا كرامة له مَنْ أراد الله حجه على بعد أقطارهم ، و تنائى ديارهم ، ممن كان موجودا فى ذلك الزمان ، و ممن كان فى ظهور الآباء الأقربين أو الأبعدين ! صدّقوا أن الداعى من قبلنا بالنفخ فى الصور يجيبه كل من كان على ظهرها ممن حفظنا له جسده ، أو سلطنا عليه الأرض فمزقناه حتى صار ترابا ، و ما بين ذلك ، لأن الكل علينا يسير .

و لما كان الإنسان ميالا إلى الفوائد ، مستشرفا إلى جميل العوائد ، علل الإتيان بما يرغبه مبيحا من فضله ما يقصده من أمر المعاش فقال : ﴿ ليشهدوا ﴾ أى يحضروا حضورا تاما ﴿ منافع لهم ﴾ أى [لا -] للعبود ، دينية و دنيوية ، فانه كما جعل سبحانه تلك المواطن ماحية للذنوب ، جالبة للقلوب ، جعلها جالبة للفوائد ، جارية على أحسن العوائد ، سالبة للفقر ، جابرة للكسر . و لما كانت المنافع لا تطيب و تثمر إلا بالتقوى ، و كان الحامل على التقوى الذكر ، قال : ﴿ و يذكروا اسم الله ﴾ أى الجامع لجميع الكمالات / بالتكبير و غيره عند الذبح و غيره ، إعلاما /٥٥٤

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : من .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : دينه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكمال .

بأنه

بأنه المقصود الذى يتبعه جميع المقاصد [1]لأنه ما جمعهم على ما فيه من تلك الأرض الغراء و الأماكن الغبراء إلا هو بقدرته الكاملة، و قوته الشاملة[1]. لا اسم شيء من الأصنام كما كانت الجاهلية تفعل ﴿ فى أيام معلومٰت ﴾ [أى علم -[2]] أنها أول عشر فى ذى الحجة الذى يوافق اسمه مسماه، لا ما سموه به و مسماه غيره على ما حكم به النسيء، و فى هذا إشارة إلى أن المراد به الإكثار إذ مطلق الذكر مندوب إليه فى كل وقت. و فى التعبير بالعلم إشارة إلى وجوب استفراغ الجهد بعد القطع بأن الشهر ذو الحجة اسما و مسمى فى تحرير أوله، و أما أيام التشريق فانها لما كانت مبنية على العلم بأمر الشهر الذى أمر به هنا، فأنتج العلم بيوم العيد[3]، لم يحتج فى أمرها إلى غير العد فلذا[4] عبر عنها به دون العلم.

و لما كانت النعم أجل أموالهم، قال تعالى مرغبا لهم و مرهبا: ﴿ على ﴾ [1]أى مركين بذكره و حامدين على[1] ﴿ ما رزقهم ﴾ و لوشاء محقه ﴿ من بهيمة ﴾ و لما كانت البهيمة مبهمة فى كل ذات أربع فى البر و البحر، بينها بقوله: ﴿ الانعام ج ﴾ من الإبل و البقر [و الغنم -[5]] بالتكبير عند رؤيته، ثم عند ذبحه، و فيه حث على التقرب بالضحايا و الهدايا، و لذلك التفت إلى الإقبال عليهم، [1]و تركيب 'بهم' يدور على الاستعجام و الخفاء و الانغلاق و عدم التمييز، و تركيب 'نعم' على الرفاهية و الخفض و الدعة[1].

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: العلم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فكذا (٥) زيد من ظ و مد.

و لما ذكر سبحانه العبادة فخاطب بها إبراهيم عليه الصلاة و السلام، تنبيها على أنها لعظم المعبود لا يقوم بها على وجهها إلا الخلص، أقبل على العابدين كلهم بالإذن فى [ما يسرهم من منحة -[1]] التمتيع، تنبيها على النعمة، حثا على الشكر، فقال مبينا عما اندرج فى ذلك من الذبح:

٥ ﴿ فكلوا منها ﴾ أى إن شئتم إذا تطوعتم[2] بها و لا تمتنعوا كأهل الجاهلية، فالأكل من المتطوع به لا يخرجه عن كونه قربانا فى[3] هذه الحنيفية السمحة منة على أهلها، تشريفا لنبيها صلى الله عليه و سلم، و الأكل من الواجب لا يجوز لمن وجب عليه، لأنه إذا أكل منه لم يكن مخرجا لما وجب عليه بكماله ﴿ و اطعموا البآئس ﴾ أى [الذى -[4]] اشتدت حاجته، من يئس

١٠ [كسمع -[4]] إذا ساءت حاله و افتقر، و بين أنه من ذلك، لا من بؤس - ككرم الذى معناه: اشتد فى الحرب، بقوله: ﴿ الفقير ﴾ و أكد هذا الحث و نفى عنه الريب بعوده إلى الأسلوب الأول فى قوله: ﴿ ثم ليقضوا ﴾ أى يقطعوا و ينهوا يوم النحر بعد طول الإحرام ﴿ تفثهم ﴾ أى شعثهم بالغسل و قص الأظفار و الشارب و حلق العانة

١٥ و نحو ذلك ﴿ و ليوفوا نذورهم ﴾ أخذا من الفراغ من الأمر و الخروج من كل واجب ﴿ و ليطوفوا ﴾ فيكون ذلك أخر أعمالهم.[6] و حث

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تطوعتهم (٣) من مد، و فى الأصل: من، و العبارة من هنا بما فيه هذه الكلمة إلى « و سلم » ساقطة من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) العبارة من هنا إلى « الإسكان » ساقطة من ظ.

على الإكثار منه و الاجتهاد فيه بصيغة التفعل ، و على الإخلاص بالإخفاء بحسب الطاقة بالإدغام ، و اللام إن كسرت - كما هي[١] قراءة أبي عمرو و ابن عامر و ورش [عن نافع و قنبل عن ابن كثير و رويس -[٢]] عن يعقوب في "ليقضوا[٣]" و قراءة ابن ذكوان عن ابن عامر وحده في "ليوفوا و ليطوفوا[٤]" - يصح أن تكون للعلة عطفا على "ليشهدوا" ٥ و يكون / عطفها بأداة التراخي لطول المدة على ما هو مفهومها مع الإشارة / ٥٥٥ إلى التعظيم في الرتبة ، و يصح أن تكون للأمر كقراءة الباقين بالإسكان ، و قوله : ﴿ بالبيت ﴾ أي من ورائه ، ليعم[٥] الحجر ،[٦] و متى نقص عن إكمال الدوران حوله أدنى جزء لم يصح لأنه لم يوقع[٧] مسمى الطواف ، فلا تعلق بالباء في التبعيض ؛ و وصفه [بقوله -[٨]] : ﴿ العتيق[٩] ﴾ ١٠ [إشارة إلى استحقاقه للتعظيم بالقدم و العتق من كل سوء ، ثم أشار إلى تعظيم الحج و أفعاله هذه بقوله -[٨]] : ﴿ ذلك ق ﴾ أي الأمر الجليل العظيم الكبير[١٠] المنافع دنيا و أخرى ذلك . و لما كان التقدير : فمن فعله سعد ، و من انتهك شيئا منه شقي ، عطف عليه قوله : ﴿ و من يعظم ﴾ [١١] أي بغاية جهده[١١] ﴿ حرمت الله ﴾ [أي ذي الجلال و الإكرام -[٢]] كلها من هذا ١٥ و من غيره ، و هي الأمور التي جعلها له فحث على فعلها أو تركها ﴿ فهو ﴾

---

(١) من مد ، و في الأصل : هو في (٢) زيد من مد (٣) راجع نثر المرجان ٤/٤٧١ .
(٤) راجع نثر المرجان ٤/٤٧٢ (٥) بين سطري ظ خبر « قوله » (٦) العبارة من هنا إلى « التبعيض » ساقطه من ظ (٧) من مد ، و في الأصل : لم يرفع (٨) زيد من ظ و مد (٩) وقع في الأصل بعد « بالبيت » و الترتيب من ظ و مد .
(١٠) في مد : الكثير (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أى التعظيم الحامل له على امتثال الأمر فيها على وجهه و اجتناب المنهى عنه كالطواف عريانا و الذبح بـــذكر اسم غير الله ﴿ خير ﴾ كائن[١] ﴿له عند ربه[١] ﴾ الذى أسدى [إليه -[٢]] كل ما هو فيه من النعم فوجب عليه شكره فان ذلك يدل على تقوى قلبه ، لأن تعظيمهـا من تقوى القلوب ، و تعظيمها لجلال الله ، [٢]و انتهاكها شر عليه عند ربه[٣] .

و لما كان التقدير : فقد حرمت عليكم أشياء أن تفعلوها ، و أشياء أن تتركوها ، عطف عليه قوله بيانا لأن الإحرام لم يؤثر فيها كما أثر فى الصيد : ﴿ و احلت لكم الانعام ﴾ و هى الإبل و البقر و الغنم كلها ﴿ الا ما يتلىٰ ﴾ [٣]أى على سبيل التجديد مستمرا[٣] ﴿ عليكم ﴾ تحريمه من الميتة و الدم و ما أهل لغير الله به ، خلافا للكفار فى افترائهم على الله بالتعبد بتحريم الوصيلة و البحيرة و السائبة و الحامى و إحلال الميتة و الدم.

و لما أفهم ذلك حل السوائب و ما معها و تحريم المذبوح للأنصاب ، و كان سبب ذلك كله الأوثان ، سبب عنه قوله : ﴿ فاجتنبوا ﴾ أى بغاية الجهد اقتداءً بالأب الأعظم إبراهيم عليه الصلاة و السلام الذى تقدم الإيصاء له بمثل ذلك عند جعل[٤] البيت له مباءة[٥] ﴿ الرجس ﴾ أى القذر الذى من حقه أن يجتنب من غير أمر ؛ ثم بينـــه و ميزه بقوله : ﴿ من الاوثان ﴾ [٣]أى القذر الذى من حقه أن يجتنب من غير أمر[٣]، فانه إذا اجتنب السبب اجتنب المسبب .

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعل (٥) فى مد : مثابة .

و لما كان ذلك كله [من -[1]] الزور ، أتبعه النهى عن جميع الزور ، و زاد فى تبشيعه و تغليظه إذ عدله - كما قال النبى[2] صلى الله عليه و سلم - بالشرك فقال : ﴿ و اجتنبوا ﴾ [3]أى بكل اعتبار[3] ﴿ قول الزور[4] ﴾ أى جميعه ، و هو الانحراف عن الدليل كالشرك المؤدى إلى لزوم عجز الإله و تحريم ما لم ينزل الله به سلطانا من السائبة و ما معها ، و تحليل الميتة ٥ و نحوها مما قام الدليل [السمعى على تحريمه كما أن الحنف الميل مع الدليل -[1]] ، و لذلك أتبعه قوله : ﴿ حنفاء لله ﴾ الذى له الكمال كله ، فلا ميل فى شىء من فعله ، و إنما كانا كذلك مع اجتماعهما فى مطلق الميل ، لأن الزور تدور مادته على القوة و الوعورة ، و الحنف - كما مضى فى البقرة - على الرقة و السهولة ، فكان ذو الزور معرضا عن ١٠ الدليل بما فيه من الكثافة و الحنيف مقبلا على الدليل بما له من اللطافة .

و لما أفهم[4] ذلك التوحيد ، أكده[5] بقوله : ﴿ غير مشركين به[6] ﴾ أى شيئا من إشراك ، بل[6] مخلصين له الدين ، و دل على عظمة التوحيد و علوه ، و فظاعة الشرك و سفوله ، بقوله زاجرا عنه عاطفا على ما تقديره : فمن امتثل ذلك أعلاه اعتداله إلى الرفيق الأعلى : / ﴿ و من يشرك ﴾ ١٥ / ٥٥٦ [7]أى يوقع شيئا من الشرك[7] ﴿ بالله ﴾ [[1]- أى[8] الذى له العظمة كلها ، لشىء[9]]

(١) زيد من ظ و مد (٢) راجع روح المعانى ٥/٤٣٢ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل أفهمه (٦) سقط من ظ (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) سقط من مد . (٩) فى ظ : شيئا .

من الأشياء فى وقت من الأوقات ﴿ فكأنما خر من السمآء ﴾ لعلو ما كان فيه من أوج التوحيد و سفول ما انحط إليه من حضيض الإشراك .

و لما كان الساقط من هذا العلو متقطعا لا محالة إما بسباع الطير أو بالوقوع على جلد ، عبر عن ذلك بقوله : ﴿ فتخطفه الطير ﴾ أى [1]قطعا بينها[1] ، و هو نازل فى الهواء [قبل أن يصل إلى الأرض - [2]] [3]﴿ او تهوى به الريح ﴾ أى حيث لم يجد فى الهواء ما يهلكه ﴿فى مكان﴾ [1]من الأرض[1] ﴿ سحيق ﴾ أى بعيد فى السفول ، [1]فيتقطع حال وصوله إلى الأرض بقوة السقطة و شدة الضغطة لبعد المحل الذى خر منه و زل عنه ، فالآية من الاحتباك : خطف الطير الملزوم للتقطع أولا دال على حذف التقطع ثانيا ، و المكان السحيق الملزوم لبلوغ الأرض ثانيا دليل على حذف ضده أولا[1] ؛ ثم عظم[4] ما تقدم من التوحيد و ما هو مسبب عنه بالإشارة بأداة البعد فقال : ﴿ذلك ق﴾ أى الأمر العظيم الكبير [ذلك -[3]] ، فمن راعاه فاز ، و من حاد عنه خاب ؛ ثم عطف عليه ما هو أعم من هذا المقدر فقال : ﴿ و من ﴾ [1]و يجوز أن يكون حالا ، أى أشير إلى الأمر العظيم و الحال أنه من[1] ﴿يعظم شعآئر الله﴾ أى معالم دين الملك

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) العبارة من هنا إلى « فى السفول » وقعت فى الأصل و ظ بعد « حذف ضده أولا » ص ١٢ ، و الترتيب من مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عطف على .

الأعظم التى[1] ندب إليها و أمر بالقيام بها فى الحج ، جمع شعيرة و هى المنسك و العلامة فى الحج ، و الشعيرة أيضا : البدنة المهداة إلى البيت الحرام ، قال البغوى[2] : و أصلها من الإشعار و هو إعلامها ليعرف أنها هدى - انتهى . و لعله مأخوذ من الشعر لأنها إذا جرحت[3] قطع شيء من شعرها أو أزيل عن محل الجرح ، فيكون من الإزالة ، و تعظيمها ٥ استحسانها ، فتعظيمها خير له لدلالته على تقوى قلبه ﴿فانها﴾ أى تعظيمها ﴿من﴾ أى مبتدئ من ﴿تقوى القلوب ۝﴾ التى من شأنها الشعور بما هو أهل لأن يعظم ، فمعظمها متق ، و قد علم بما ذكرته أنه حذف من هذه جملة الخير [و -[4]] من قوله "و من يعظم حرمت الله" سبب كونه خيرا له ، و هو التقوى ، و دل على إرادته هناك بذكره هنا . [و حذف ١٠ هنا كون التعظيم خيرا ، و دل عليه بذكره هناك -[4]] ، فقد ذكر فى كل جملة ما دل على ما حذف[5] من الأخرى كما تقدم فى "قد كان لكم اية فى فئتين" فى آل عمران ، و أنه يسمى الاحتباك ، و تفسيرى للشعائر بما ذكرته من الأمر العام جائز الإرادة ، و يكون إعادة الضمير على نوع منه[6] نوعا من الاستخدام ، فقوله : ﴿لكم فيها﴾ معناه[7] : البدن ١٥ أو النعم المهداة أو مطلقا ﴿منافع﴾ بالدر و النسل و الظهر و نحوه ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٢) راجع المعالم على هامش اللباب ٥/١٤٠ .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : خرجت (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : خذ - كذا (٦) بين سطرى ظ : و هو البدن (٧) زيد فى ظ : اى .

فكلما كانت سمينة حسنة كانت منافعها أكثر دينا و دنيا ﴿الى اجل مسمى﴾ و هو الموت الذى قدرناه على كل نفس ، أو النحر إن كانت مهداة ، أو غير ذلك ، و هذا تعليل للجملة التى قبله ، فان المنافع [1]حاملة لذوى[1] البصائر/ على التفكر[2] فيها لاسيما مع تفاوتها ، و التفكر فيها موصل إلى التقوى بمعرفة أنها من الله ، و أنه قادر على ما يريد ، [و أنه -[3]] لا شريك له .

/٥٥٧

و لما كانت هذه المنافع دنيوية ، و كانت منفعة نحرها[4] إذا أهديت دينية ، اشار إلى تعظيم الثانى بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم محلها ﴾ أى وقت حلول نحرها بانتهائكم بها ﴿الى البيت العتيق﴾ أى إلى فنائه و هو الحرم كما قال تعالى "هديا بالغ الكعبة" .

و لما كان التقدير : جعل لكم سبحانه هذه الأشياء مناسك، عطف عليه قوله : ﴿ و لكل امة ﴾ اى من الأمم[5] السالفة و غيرها ﴿جعلنا﴾ بعظمتنا التى لا يصح أن تخالف ﴿منسكا﴾ أى عبادة أو[6] موضع عبادة أو قربانا ، فانه يكون مصدر نسك - كنصر و كرم - نسكا [و -[3]] منسكا ، و يكون بمعنى الموضع الذى يعبد فيه ، و الذى يذبح فيه النسك و هو الهدى ، و قال ابن كثير[7] : و لم يزل ذبح المناسك و إراقة الدماء

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : حاصلة الذى (٢) فى مد : الفكر . (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : نحوها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الامور (٦) من ظ و مد . و فى الأصل : اى (٧) راجع تفسيره ٣/٢٢١ .

على اسم الله مشروعا فى جميع الملل . ثم أتبع هذا الجعل علته بيانا لأنه ليس مقصودا فى نفسه فقال : ﴿ ليذكروا ﴾ [1]و لما كان الدين سهلا سمحا ذا يسر ، رضى بالدخول فيه بالظاهر فقال[1] : ﴿ اسم الله ﴾ أى الملك الأعلى وحده ، على ذبائحهم و قرابينهم و عبادتهم كلها ، لأنه الرازق لهم وحده ؛ ثم علل الذكر بالنعمة تنبيها على التفكر فيها فقال : ٥ ﴿على ما رزقهم﴾ فوجب شكره [به -[2]] عليهم ﴿من بهيمة الانعام[3] ﴾.

و لما علم أن الشارع لجميع الشرائع الحقة واحد ، و أن علة[3] نصبه لها ذكره وحده ، تسبب عنه قوله : ﴿ فالهكم ﴾ أى الذى شرع هذه المناسك كلها . [4]و لما كان الإله ما يحق[5] له الإلهية بما تقرر من أوصافه ، لا ما سمى إلها ، قال : ﴿ اله ﴾ [6]و وصفه[7] بقوله : ﴿واحد﴾ [أى -[2]] ١٠ و إن اختلفت فروع شرائعه و نسخ بعضها بعضا ، [1]و لو اقتصر على " واحد " لربما قال متعنتهم : إن المراد اقتصارنا على واحد مما نعبده[1] . و التفت إلى الخطاب لأنه أصرح [1]و أجدر بالقبول[1] .

و لما ثبت[8] كونه واحدا[9] ، وجب اختصاصه بالعبادة ، فلذا قال : ﴿ فله ﴾ أى وحده ﴿اسلموا[3] ﴾ أى انقادوا بجميع [10]ظواهركم و بواطنكم[10] ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : علمه (٤) العبارة من هنا إلى « إلها قال » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : تحقق (٦) العبارة من هنا إلى « بقوله » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : وصله (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اثبت (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : واحد (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ظواهرهم و بواطنهم .

فى كل ما أمر بـــه أو نهى عنه ناسخا كان أو لا و إن لم تفهموا معناه كغالب مناسك الحج .

و لما أمر بالإسلام من يحتاج إلى ذلك إيجادا أو تكميلا أو إدامة، وكان الإسلام هو سهولة الانقياد من غير كبر و لا شماخة، و كان منشأ الطمأنينـــة[1] و التواضـــع اللذين هما[2] أنسب شيء لحال[3] الحاج المتجرد من المخيط المكشوف الرأس الطالب لوضع أوزاره، و تخفيف آصاره، لستر عواره، أقبل سبحانه و تعالى على الرأس من[4] المأمورين، الحائز لما يمكن المخلوقين ان يصلوا إليه من رتب الكمال، و خلال الجمال و الجلال، إشارة إلى أنه لا يلحقه أحد فى ذلك فقال: ﴿و بشر المخبتين[5]﴾ أى المتواضعين، المنكسرين /، من الخبت - الارض المنخفضة الصالحة للاستطراق و غيره من المنافع؛ ثم بين علاماتهم فقال: ﴿الذين اذا ذكر الله﴾ أى الذى له الجلال و الجمال[6] ﴿وجلت﴾ أى خافت خوفا مزعجا ﴿قلوبهم﴾ .

/ ٥٥٨

و لما كان فى ذكر الحج، و كان ذلك مظنة لكثرة الخلطة الموجبة لكثرة الأنكاد [و -[6]] لاسيما و قد كان أكثر المخالطين مشركين، لأن السورة مكية، قال [عاطفا غير مُتبِع، إيذانا بالرسوخ فى الأوصاف -[7]]: ﴿والصابرين﴾[8] الذين صار الصبر عادتهم[8] ﴿على ما أصابهم﴾

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بحال (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الكمال (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

[١] كائنا ما كان[١] .

و لما كان ذلك شاغلا عن الصلاة ، قال : ﴿ و المقيمى الصلوٰة[٢] ﴾ أى و إن حصل لهم من المشاق بأفعال الحج و غيره ما عسى أن يحصل ، [و لذلك عبر بالوصف دون الفعل إشارة إلى أنه لايقيمها على الوجه المشروع مع ذلك المشاق و الشواغل إلا الأراسخ فى حبها ، فهم - لما تمكن من حبها فى قلوبهم و الخوف من الغفلة عنها - كأنهم دائما فى صلاة -[٢]] .

و لما كان ما يحصل فيه من زيادة النفقة ربما كان مقعدا عنه ، رغب فيه بقوله : ﴿ و مما رزقنٰهم ﴾ فهم[٣] لكونه نعمة منا لا يبخلون به ، و لأجل عظمتنا يحسنون ظن الخلف ﴿ ينفقون * ﴾ أى يجددون بذله على الاستمرار ، بالهدايا التى يغالون فى أثمانها و غير ذلك ، إحسانا إلى خلق الله ، امتثالا لأمره كالخبت[٤] الباذل لما يودعه تعالى فيه من الماء و المرعى .

و لما قدم سبحانه الحث على التقرب بالأنعام كلها ، و كانت الإبل أعظمها خلقا ، و أجلها فى أنفسهم أمرا ، خصها بالذكر فى سياق تكون فيه مذكورة مرتين [٥]معبرا بالاسم الدال على عظمها ، أو أنه خصها لأنه خص العرب بها دون الأمم الماضية[٥] ، فقال عاطفا على قوله "[٦]جعلنا منسكا"، أو يكون[٦] التقدير - و الله أعلم : فأشركناكم مع الأمم الماضية

(١-١) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « و الصٰبرين » و الترتيب من مد ، و سقط من ظ (٢) زيد من مد (٣) سقط من مد (٤) من مد ، و فى الأصل وظ : كالجب (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦-٦) فى ظ : منسكا فكان .

فى البقر و الغنم ﴿و البدن﴾ أى الإبل [أى المعروفة بعظم الأبدان -[1]]
﴿ جعلنها ﴾ أى بعظمتنا ، و زاد فى التذكير بالعظمة بذكر الاسم العلم
فقال: ﴿ لكم من شعآئر الله﴾ أى أعلام دين الملك الأعظم و مناسكه
التى شرعها لكم و شرع فيها الإشعار ، و هو أن يطعن بحديدة فى
٥ سنامها ، تمييزا لما يكون منها هديا عن غيره .

و لما نبه[2] على ما فيها من النفع الدينى ، نبه على ما هو أعم
منه فقال: ﴿ لكم فيها خير ق﴾ بالتسخير الذى هو من منافع الدنيا ،
و التقريب الذى هو من منافع الآخرة ؛ روى الترمذى[3] و حسنه و ابن
ماجه[4] عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : ما
١٠ عمل ابن آدم يوم النحر عملا أحب إلى الله من هراقة الدم ، و أنه
ليؤتى يوم القيامة بقرونها و أظلافها و أشعارها ، و أن الدم ليقع من الله
بمكان قبل أن يقع من[5] الأرض فطيبوا[6] بها نفسا . وللدارقطنى[7] فى السنن
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :
ما أنفقت الورق[8] فى شىء أفضل من نحيرة فى يوم عيد .

١٥ و لما ذكر ما فيها ، سبب عنه الشكر فقال : ﴿فاذكروا اسم الله ﴾
أى الذى لا سمى له ﴿ عليها ﴾ أى على ذبحها بالتكبير ، حال كونها

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان (٣) ١ / ١٩١ .
(٤) ٢٣٣ (٥) فى مد : الى ، وساقط من سنن ابن ماجه (٦) من ظ و مد
و الجامع و السنن . و فى الأصل : و طيبوا (٧) و الحديث أورده ابن كثير عن
الدارقطنى فى تفسيره ٣/٢٢٢ (٨) من ظ و مد والتفسير ، و فى الأصل: الرزق .

﴿صوآف ج﴾ قياما معقلة[1] الأيدى اليسرى، [فلولا تعظيمه بامتثال شرائعه، ما شرع لكم ذبحها و سلطكم عليها مع أنها أعظم منكم جرما و أقوى -[2]] ﴿ فاذا وجبت جنوبها ﴾ أى سقطت سقوطا بردت به بزوال أرواحها فلا حركة لها أصلا، قال ابن كثير[3]: و قد جاء فى حديث مرفوع «ولا تعجلوا النفوس أن تزهق»، و قد رواه الثورى فى جامعه عن أيوب عن يحيى بن أبى كثير عن فراصة /الحنفى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال ذلك. / ٥٥٩

و لما كان ربما ظن أنه يحرم الأكل منها للأمر بتقريبها لله تعالى، قال نافيا لذلك: ﴿ فكلوا منها ﴾ إذا كانت تطوعا إن شئتم الأكل، فان ذلك لا يخرجها عن كونها قربانا ﴿ و اطعموا القانع ﴾ أى المتعرض للسؤال بخضوع و انكسار ﴿و المعتر[1] ﴾ أى السائل، و قيل: بالعكس، و هو قول الشافعى رحمه الله، [قال -[2]] فى كتاب اختلاف الحديث: و القانع هو السائل، و المعتر هو الزائر و المار، قال الرازى فى اللوامع: و أصله فى اللغة أن القاف و النون و العين تدل على الإقبال على الشىء، ثم تختلف معانيه مع اتفاق القياس. فالقانع: السائل، لإقباله على من يسأله، و القانع: الراضى الذى لا يسأل، كأنه مقبل على الشىء الذى هو راض به.

و لما كان تسخيرها لمثل هذا القتل على هذه الكيفية مع قوتها

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: معلقة (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى تفسيره ٣/٢٢٢.

و كبرها أمرا باهرا للعقل عند التأمل ، نبه عليه بالتحريك للسؤال عما هو أعظم منه فقال : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا التسخير العظيم المقدار ﴿ سخرنها ﴾ بعظمتنا التى لولاها ما كان ذلك ﴿ لكم ﴾ وذللناها ليلا و نهارا مع عظمها[1] و قوتها ، و لو شئنا جعلناها وحشية ﴿ لعلكم تشكرون ﴾ أى لتتأملوا ذلك فتعرفوا أنه ما قادها لكم إلا الله فيكون [حالكم[2]] حال من يرجى شكره ، فتوقعوا الشكر بأن لا تحرموا منها إلا ما حرم ، و لا تحلوا إلا ما أحل ، و تشهدوا منها ما حث[3] على إهدائه ، و تتصرفوا فيها بحسب ما أمركم .

و لما حث على التقرب بها مذكورا اسمه عليها ، و كان ذلك من مكارم الأخلاق ، و كان أكثرهم يفعله[4] ، وكانوا ينضحون البيت و نحوه بدماء قرابينهم ، و يشرحون اللحم ، و يضعونه حوله ، زاعمين أن ذلك قربة ، و قد كان بعض ذلك شرعا قديما ، نبه سبحانه على نسخ ذلك بأن نبه على أن المقصود منه روحه لا صورته فقال[5] : ﴿ لن ينال ﴾ أى يصيب[6] و يبلغ و يدرك .

و لما كان السياق للحث على التقريب له سبحانه ، كان تقديم[7] اسمه على الفاعل أنسب للاسراع[8] بنفى ما قد يتوهم من لحاق نفع أو ضر ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظمتها (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : حدث (٤) فى ظ : يفعل ذلك (٥) سقط من ظ . (٦) العبارة من هنا إلى « بكل اعتبار » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : يقدم (٨) من مد ، و فى الأصل : الاسراع .

فقال معبرا بالاسم العلم الذى حمى عن الشركة بكل اعتبار : ﴿ الله ﴾ أى رضا الملك الذى له صفات الكمال فلا يلحقه نفع و لا ضر ﴿لحومها﴾ المأكولة ﴿و لا دماؤها﴾ المهراقة ﴿و لكن يناله التقوى﴾ [أى عمل القلب و هى الصفة المقصود بها أن تقى صاحبها سخط الله ، و هى التى استولت على قلبه حتى حملته على امتثال الأوامر التى هى نهايات لذلك -[1]] ، ٥ الكائنة ﴿منكم[2]﴾ الحاملة على التقرب التى بها يكون له روح القبول ، المحصلة للأمول ؛ قال الرازى فى اللوامع : و هذا دليل على أن النية الخالصة خير من الأعمال الموظفة - انتهى . فاذا نالته سبحانه النية قبل العمل فتلقى اللقمة « فرباها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل » « و وقع الدم منه بمكان » فالنفى لصورة لا روح لها [و -[2]] الإثبات ١٠ لذات الروح ، [فقد تفيد النية من غير عمل كما قال صلى الله عليه و سلم فى غزوة تبوك ما معناه أن بالمدينة رجالا ما نزلنا منزلا و لا قطعنا واديا إلا كانوا فيه حبسهم العذر ، و لا يفيد العمل بغير نية ، و النية هى التى تفيد الجزاء سرمدا -[1]] - و الله الموفق ؛ ثم كرر التنبيه على عظيم تسخيرها منبها على ما أوجب عليهم به فقال : / ﴿ كذلك ﴾ [أى التسخير ١٥ / ٥٦٠ العظيم -[1]] ﴿سخرها﴾ [أى الله الجامع لصفات الكمال -[2]] ﴿ لكم ﴾ بعظمته و غناه عنكم ﴿ لتكبروا ﴾ .

و لما ذكر التكبير ، صوره بالاسم الأعظم فقال : ﴿الله﴾ و ضمن التكبير فعل[3] الشكر ، [4]فكان التقدير[4] : شاكرين له ﴿ على ما هداكم[4]﴾

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بمعنى (٤-٤) فى ظ : « فقال : على ، أى » .

أى على هدايتكم [له -[1]] و[2] الأمور العظيمة التى هداكم إليها .

[3]و لما كان الدين لايقوم إلابالنذارة و البشارة ، و كان السياق - لأجل ما تقدم من شعائر الحج ، و معالم العج و الثج - بالبشارة أليق ، ذكرها مشيرا إلى النذارة بواو العطف ليؤذن أن التقدير[3] : فأنذر[4] أيها الداعى المسيئين[5] : ﴿ و بشر المحسنين ٥ ﴾ أى [6]الذين أوجدوا الإحسان[6] لأفعالهم صورة و معنى .

و لما ذكر سبحانه الحج المذكر[7] للمهاجرين بأوطانهم[8] بعد المخاصمة التى أنزلت فى غزوة بدر ، و ذكر ما يفعل فيه من القربات ، عظم اشتياق النفوس إلى ذلك و تذكرت علو المشركين الذين يصدون عن سبيل الله و المسجد الحرام و ظهورهم و منعهم لمن أراد هذه الأفعال ، على هذه الأوصاف الخالصة ، و الأحوال الصالحة ، و فتنتهم له ، فأجابها سبحانه عن هذا السؤال بقوله : ﴿ ان الله ﴾ [أى الذى لا كفوء له -[9]] ﴿ يدفع عن الذين 'امنوا' ﴾ [[9] - لأنهم بدخولهم فى الإيمان لم يكونوا مبالغين فى الخيانة و لا فى الكفر فهو يحبهم ، فكيف بالمحسنين الذين ختمت بهم الآية السالفة ، أى فيظهرهم على عدوهم -[6]هذا فى قراءة ابن كثير -[6]]

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : او .
(٣ - ٣) موضع ما بين الرقمين فى ظ : و لما كان التقدير : فاشكروا الله على ما أنعم عليكم وهداكم أو (٤) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها .
(٥) زيد فى ظ : عطف عليه قوله (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : المذكور (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوطانهم .
(٩) زيد من ظ و مد .

و أبى

[[1]و أبى عمرو و يعقوب بغير ألف ، و فى قراءة الباقين مبالغة باخراج الفعل على المغالبة[1] ، فكأنه قال : بشرهم بأن الله يدفع عنهم ، و لكنه تعالى أظهر الأوصاف ليفهم أنها مناط الأحكام و التعبير ، فعبر بالفعل الماضى ترغيبا ، أى كل من أوقع هذا الوصف فى الخارج إيقاعا ما دفع عنه ؛ ثم علل ذلك بقوله -[2]] : ﴿ ان الله ﴾ أى[3] الذى له صفات ٥ الكمال ﴿ لا يحب ﴾ أى لا يكرم كما يفعل المحب ﴿ كل خوان ﴾ فى أمانته ، مانع لعباده من بيته الذى هو للناس سواء العاكف فيه و البادى[4] ﴿ كفور ﴾ لنعمته بالتقرب[5] إلى غيره ، فهو يفعل مكارم الأخلاق صورة ليس فيها معنى أصلا ، لا يصححها بذكر الله وحده ، و لا يجملها بالإحسان ، و أتى بالصفتين على صيغة المبالغة لأن نقائص الإنسان لا يمكنه[6] أن ١٠ يفعلها خالية عن المبالغة ، لأنه يخون نفسه بالعزم أولا ، و الفعل ثانيا ، و غيره من الخلق ثالثا ، و كذا يخون ربه سبحانه [و هكذا فى الكفر و غيره -[2]] ، و لما كانت الخيانة منبع[7] النقائص ، كانت المبالغة فيها أكثر .

و لما كان كأنه [قد -[8]] قيل : كيف تكون المدافعة[9] و بمن ؟ ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : ان (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الباد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالتقريب (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : لايمكن (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تتبع (٨) زيد من مد (٩) زيد بعده فى الأصل : و فى المدافعة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

فقيل : بعباده المؤمنين ، عبر عن ذلك بقوله : ﴿ اذن ﴾ [1] و أشار بقراءة من بناه للمجهول[2] إلى سهولة ذلك عليه سبحانه ﴿ للذين يقتلون ﴾ أى للذين فيهم قوة المدافعة ، فى المدافعة بالقتال بعد أن كانوا يمنعون منه بمكة و يؤمرون بالصفح ؛ ثم ذكر[3] سبب الإذن فقال : ﴿ بانهم ظلموا[4] ﴾

٥ [4]أى وقع ظلم الظالمين لهم[4] بالإخراج من الديار ، و الأذى بغير حق .

و لما كان التقدير : فان الله أراد إظهار دينه بهم[5] ، عطف عليه قوله[6] : ﴿ و ان الله ﴾ أى الذى هو الملك الأعلى ، و كل شىء فى قبضته ، و يجوز عطفه[7] على قوله "ان الله يدفع" أى باذنه لهم فى القتال و أنه ﴿ على نصرهم ﴾ و أبلغ فى التأكيد لاستبعاد النصرة[8] إذ ذاك

١٠ بالكفار من الكثرة و القوة ، و للمؤمنين من الضعف و القلة ، فقال : ﴿ لقدير[5] ﴾ ثم وصفهم بما يبين مظلوميتهم على وجه يجمعهم و يؤنقهم / ٥٦١ بالله فقال : ﴿ الذين اخرجوا من ديارهم ﴾ إلى الشعب و الحبشة و المدينة ﴿ بغير حق ﴾ أوجب ذلك ﴿ الآ ان يقولوا ﴾ أى غير قولهم ، أو إلا قولهم : ﴿ ربنا الله[4] ﴾ المحيط بصفات الكمال / ، الموجب لإقرارهم فى ديارهم ،

١٥ [9]و حبهم و مدحهم[9] و اقتفاء آثارهم ، فهو[10] من باب[11] :

---

(١) العبارة من هنا إلى «عليه سبحانه» ساقطة من ظ (٢) و هم نافع و أبو جعفر و أبو عمرو و يعقوب و عاصم - راجع نثر المرجان ٤/٤٨٢ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : كرر (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من مد . (٦) سقط من ظ (٧) زيد فى ظ : على «بانهم ظلموا» (٨) من ظ ومد ، و فى الأصل : بالنصرة (٩-٩) من مد ، وفى الأصل وظ : مدحهم وحبهم (١٠) بهامش ظ : أى يجعل للاستثناء مراتب المدح يشبه انهم (١١) قد مر البيت غير مرة .

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

و فى سوق ذلك مساق الاستثناء [١]عند من يجعله منقطعا[١] إشارة إلى أن من أخلص لله ، صوب الناس إليه سهام مكرهم ، و لم يدعوا فى أذاه شيئا من جهدهم .

و لما ذكر مدافعته ، و ذكر أنها بالمؤمنين ، بين سرها عموما ليفهم منها هذا الخاص ، و[٢] صورها تقريبا لفهمها ، فقال عاطفا على ما تقديره : فلو لا إذن الله لهم [٣]لاستمر الشرك ظاهرا[٣] ، و الباطل - باستيلاء الجهلة على مواطن الحج - قاهرا : ﴿و لو لا دفع الله﴾ أى المحيط بكل شىء علما و قدرة فى كل شريعة ، و فى زمن كل نبى أرسله ﴿ الناس ﴾ أى عموما ﴿ بعضهم ببعض ﴾ أى بتسليط بعضهم على بعض ﴿لهدمت صوامع﴾ و هى معابد صغار مرتفعة للرهبان ﴿ و بيع ﴾ للنصارى ﴿و صلوٰت﴾ أى كنائس لليهود ﴿ و مسجد ﴾ أى للمسلمين ، [٤]أخرها لتكون بعيدة من الهدم[٥] قريبة من الذكر ﴿ يذكر فيها اسم الله ﴾ أى الملك الذى لا ملك غيره ، و لعل العدول عن الإضمار إلى الإظهار للاشارة إلى اختلاف ذكره تعالى فى الأماكن المذكورة بالإخلاص و غيره ﴿كثيرا[٤] ﴾ لأن كل فرقة تريد هدم ما للأخرى ، بل ربما أراد بعض أهل [٦]ملة إخراب[٦]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : من ، و العبارة من هنا بما فيها الواو ساقطة إلى « قاهرا » فى ظ غير «فقال» (٣ - ٣) من مد ، و فى الأصل : لايتمر الشكر ظاهر (٤) العبارة من هنا إلى «الذكر» ساقطة من ظ (٥) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ماصه اغراب - كذا .

بعض معابد أهل ملته ، فبدفعه الله بمن يريد من عباده ، و إذا تأملت[1] ذلك وجدت فيه من الأسرار . ما يدق عن الأفكار ، فانه تعالى لما أراد بأكثر الناس الفساد[2] ، نصب لهم من الأضداد ، ما يخفف كثيرا من العناد .

٥ و لما كان التقدير : و لكن لم تهدم[3] المذكورات ، لأن الله دفع بعضهم ببعض ، و جعل بعضهم فى نحور[4] بعض ، عطف عليه [5]أو على قوله "اذن"[5] [قوله -[6]] : ﴿و لينصرن الله﴾ أى الملك الأعظم ، [5]و أظهر و لم يضمر تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال[5] : ﴿من ينصره[5]﴾ كائنا من كان منهم و من غيرهم ، بما يهيء[5] له من الأسباب ، إجراء[5] له على

١٠ الأمر المعتاد ، و بغير أسباب خرقا للعادة ، كما وقع فى كثير من الفتوحات[7] ، كخوض العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه البحر الملح إلى جواثاء بالبحرين ، و اقتحام[8] سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه الدجلة [5]مع عظمها فى ذلك العام و طموها ، و زيادتها و علوها[5] . و زلزلة أسوار[9] حمص بالتكبير و تهدّم كثير[10] من بيوتها ، [على إتقان بنيانها ، و إحكام قواعدها و أركانها -[6]]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قامت (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يهدم (٤) زيد فى الأصل : بعضهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من مد (٧) راجع لأكثر ما يأتى أواخر الخصائص الكبرى للسيوطى و قدمر بعض ما هنا فيما تقدم (٨) فى ظ : خوض (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : اسوان (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : كثيرا .

و نحو ذلك؛ ثم علل نصره و إن ضعف المنصور ، بقوله : ﴿ان الله﴾ أى الذى لا كفوء له ﴿ لقوى ﴾ أى على ما يريد ﴿ عزيز ﴾ لا يقدر أحد على مغالبته ، و من كان ناصره فهو المنصور ، و عدوه المقهور ، و لقد صدق سبحانه فيما وعد به ، فأذل بأنصار دينه - رضى الله عنهم - جبابرة أهل الأرض و ملوكهم ، و من أصدق من الله حديثا . ٥

و لما وصف نفسه سبحانه بما يقتضى تمكين[1] منصوره الذى ينصره ، و صفهم[2] بما يبين أن قتالهم له ، لا لهم ، بعد أن وصفهم بأنهم اوذوا / بالإخراج من الديار الذى يعادل القتل ، فقال : ﴿الذين﴾ و لما كان ٥٦٢/ [وقت -[3]] النصرة مبهما آخره يوم الفصل ، عبر بأداة الشك ليكون ذلك أدل على إخلاص المخلص فى القتال : ﴿ ان مكنهم ﴾ بما لنا من ١٠ العظمة ﴿ فى الارض ﴾ باعلائهم على أضدادهم[4] ﴿ اقاموا الصلوٰة ﴾ [أى -[5]] التى هى عماد الدين ، الدالة على المراقبة و الإعراض عن تحصيل الفانى ﴿و اٰتوا الزكوٰة﴾ المؤذنة بالزهد فى الحاصل منه ، المؤذن بعمل النفس للرحيل[6] ﴿و امروا بالمعروف﴾ و هو ما عرفه الشرع و أجاره ﴿و نهوا عن المنكر[1] ﴾ المعرف[7] بأنه لا أنس لهم إلا به سبحانه ، ١٥ و لاخوف لهم إلامنه ، و لارجاء إلا فيه . و الآية دالة على صحة خلافة الأئمة الأربعة .

---

(١) فى ظ : امكان (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : وصفه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعدائهم (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : للترحيل (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : المعروف .

و لما كان هذا ابتداء الأمر بالجهاد ، و كان عقب ما آذى أعداؤه أولياءه ، فطال أذاهم لهم ، فكان التقدير كما أرشد إليه العطف على غير مذكور ، عطفا على "و لولا دفع": فلله بادئة الأمور ، عطف عليه قوله : ﴿ و لله ﴾ [أى - [1]] الملك الأعلى المحيط بكل شىء ٥ ﴿ عاقبة الامور ﴾ فتمكينهم كأن لا محالة ، لكن ذكره للعاقبة و طيّه للبادئة منبه على أنه تعالى يجعل للسيطان - كما هو المشاهد[2] فى الأغلب - حظا فى البادئة ، ليتبين الصادق من الكاذب ، و المزلزل من الثابت ، و أما العاقبة فهى متمحضة له إلى أن يكون آخر ذلك القيامة التى لا يكون لأحد فيها أمر ، حتى أنه لا ينطق أحد إلا باذن خاص . و لما كان فى ١٠ ترغيب هذه الآيات و ترهيبها ما يعطف العاقل ، و يقصف الجاهل ، طوى حكم العاقل لفهمه مما سبق ، و هو : فان يؤمنوا بك مكناهم فى الأرض ، و دل عليه بعطف حكم الجاهل على غير مذكور فى سياق يسلى به نبيه صلى الله عليه و سلم و يعزيه ، و يؤنسه و يواسيه ، فقال : ﴿ و ان يكذبوك ﴾ أى أخذتهم و إن كانوا أمكن الناس ، فقد فعلت بمن قبلهم ذلك ، فلا ١٥ يحزنك أمرهم ﴿ فقد كذبت ﴾ و أتى سبحانه بتاء التأنيث تحقيرا للمكذبين فى قدرته و إن كانوا أشد الناس .

و لما كانت هذه الأمم لعظمهم[3] و تمادى أزمانهم كأنهم[4] قد استغرقوا الزمان كله ، لم يأت بالجار فقال : ﴿ قبلهم قوم نوح ﴾ و كانوا

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : مشاهد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعظهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : كانوا .

أطول الناس أعمارا، و أشدهم اقتدارا؛ و لما لم يتعلق فى هذا السياق غرض بالمخالفة فى ترتيبهم، ساقهم على حسب ترتيبهم فى الوجود فقال: ﴿و عاد﴾ أى ذوو[1] الأبدان الشداد ﴿و ثمود﴾ أو لو الأبنية الطوال، فى السهول و الجبال ﴿و قوم ابرٰهيم﴾ المتجبرون المتكبرون ﴿و قوم لوط﴾ الأنجاس، بما لم يسبقهم إليه أحد من الناس [﴿و اصحٰب مدين﴾ ٥ أرباب الأموال، المجموعة من خزائن الضلال -[2]].

و لما كان موسى عليه السلام قد أتى من الآيات المرئية ثم المسموعة بما لم يأت بمثله[3] أحد ممن تقدمه، فكان تكذيبه فى غاية من البعد، غير سبحانه الأسلوب تنبيها على ذلك، و على أن الذين أطبقوا على تكذيبه القبط، و أما قومه فما كذبه منهم إلا ناس/ يسير، فقال: ﴿و كذب موسى﴾ ١٠ / ٥٦٣ و فى ذلك أيضا تعظيم للتأسية و تفخيم للتسلية ﴿ فامليت للكفرين﴾ أى [4] فتعقب عن تكذيبهم أنى[4] أمهلتهم بتأخير عقوبتهم إلى الوقت الذى ضربته لهم، و عبر عن طول الإملاء بأداة [5]التراخى لزيادة[5] التأسية فقال: ﴿ثم اخذتهم﴾ و نبه سبحانه و تعالى على أنه كان فى أخذهم عبر و عجائب، و اهوال و غرائب، بالاستفهام [فى -[2]] قوله: ١٥ ﴿فكيف كان نكير﴾ أى إنكارى لأفعالهم، فليحذر هؤلاء الذين أتيتهم بأعظم ما أتى به رسول قومه مثل ذلك.

و لما كانت هذه الأمم السبعة أكثر أهل الأرض، بل كانت أمة

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ذو (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: به.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط.

منهم أهل الأرض - كما مضى [بيانه -[1]] فى الأعراف ، فكيف بمن عداهم ممن كان فى أزمانهم و بعدهم ، و أخبر[2] سبحانه و تعالى أن عادته فيهم الإملاء ثم الإهلاك ، تسبب عن ذلك تهويل الإخبار عنهم و تكثيرهم ، فقال تعالى شارحا للأخذ و الإمهال على طريق النشر المشوش :

٥ ﴿فكاين من قرية اهلكنها﴾ كهؤلاء المذكورين و غيرهم ، و فى قراءة الجماعة[3] غير أبى عمرو بالنون إظهارا للعظمة[4] ﴿ و هى ﴾ أى و الحال أنها ﴿ ظالمة فهى ﴾ أى[5] فتسبب عن إهلاكها أنها ﴿ خاوية ﴾ أى متهدمة[6] ساقطة أى جدرانها ﴿على عروشها﴾ أى سقوفها ، بأن تقصفت الأخشاب ولا من كثرة الأمطار ، و غير ذلك من الأسرار ، فسقطت

١٠ ثم سقطت عليها الجدران . أو[7] المعنى : خالية ، قد ذهبت أرواحها بذهاب سكانها على بقاء سقوفها ، ليست محتاجة إلى غير السكان ﴿و﴾ كم من ﴿بئر معطلة﴾ من أهلها مع بقاء بنائها[8] ، و فوران مائها ﴿و قصر مشيد﴾ أى عال متقن [مجصص -[9]] لأنه لايشيد - اى يجصص - إلا الذى يقصد رفعه ، فخلت القصور من أربابها ، و أقفرت موحشة من جميع

١٥ أصحابها ، بعد كثرة التضام فى نواديها[10] ، و عطلت الآبار من و رّادها[11]

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اخر (٣) راجع نثر المرجان ٤/٤٨٨ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : العظمة (٥) سقط من مد . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مهتدمة (٧) من ظ ، و فى الأصل و مد « و » (٨) فى ظ : بنيانها (٩) زيد من مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بوادتها (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : واردها .

بعد الازدحام بين رائحها و غاديها ، دانية و نائية ، حاضرة و بادية ؛ و لما كان خراب المشيد يوهى من أركانه ، و يخلق من جدرانه ، لم يحسن التشديد فى وصف القصر ، كما حسن فى وصف البئر .

و لما كان هذا واعظا لمن له استبصار ، و عاطفا له إلى العزيز الغفار ، تسبب عنه الإنكار عليهم فى عدم الاعتبار ، فعد أسفارهم - التى كانوا يرون فيها هذه القرى على الوجه الذى أخبر به سبحانه لما كانت على غير ذلك الوجه - عدما ، فقال تعالى : ﴿افلم يسيروا فى الارض﴾ أى و هم بصراء ينظرون بأعينهم ما يمرون عليه ، من الآيات المرئية من القرى الظالمة المهلكة و غيرها ، و قرينة الحث على السير دل على البصر .

و لما كان الجواب منصوبا ، علم أنه منفى لأنه مسبب عن همزة الإنكار التى معناها النفى ، و قد دخلت على نفى السير [فنفته -[1]] ، فأثبتت السير عريا عما أفاده الجواب ، و هو قوله : ﴿ فتكون ﴾ أى فيتسبب/عن سيرهم أن تكون ﴿لهم قلوب﴾ واعية ﴿يعقلون بها﴾ ما رأوه بأبصارهم فى الآيات المرئيات من الدلالة على وحدانية الله تعالى و قدرته على الإحياء و الإماتة متى[2] أراد [فيعتبروا به -[1]] ، فانتفاء القلوب الموصوفة متوقف على نفى[3] السير الذى هو إثبات السير ، و كذا الكلام فى الآذان من[4] قوله : ﴿او﴾ أى أو تكون[5] لهم إن كانوا عمى الأبصار

/٥٦٤

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : انتفاء (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكون .

كما دل عليه جعل هذا قسيما ﴿ [1]اذان يسمعون بها[4] ﴾ الآيات المسموعة المترجمة[1] عن تلك القرى و غيرها [2]سواء ساروا أو لم يسيروا[2] ، إن كانت بصائرهم غير نافذة الفهم بمجرد الرؤية فيتدبروها بقلوبهم ، فانه لا يضرهم فقد الأبصار عند وجود البصائر .

٥ و لما كان الضار للانسان إنما هو عمى البصائر دون الأبصار ، نفى العمى أصلا عن الأبصار لعدم ضرره مع إنارة[3] البصائر ، [و خصه بالبصائر -[4]] لوجود الضرر به و لو وجدت الأبصار ، مسببا عما مضى مع ما أرشد إليه من التقدير ، فقال : ﴿ فانها لا تعمى الابصار ﴾ أى لعدم الضرر بعماها [5]المستنير البصيرة[5] ﴿ و لكن تعمى القلوب ﴾ و أكد

١٠ المعنى بقوله : ﴿ التى فى الصدور ﴾ لوجود الضرر بعماها [المبطل لمنفعة صاحبها -[6]] و إن كان البصر[7] موجودا ، فاحتيج فى تصوير عماها إلى زيادة تعيين لما تعورف [من -[4]] أن العمى إنما هو للبصر ، إعلاما بأن القلوب ما ذكرت غلطا ، بل عمدا ، تنبيها على أن عمى البصر عدم بالنسبة إلى عماها ، [والمراد بالقلب لطيفة ربانية روحانية مودعة فى اللحم الصنوبرى

١٥ المودع فى الجانب الأيسر من الصدر ، لديه تعلق ... عقول الأكثر فى أنه يضاهى تعلق العرض بالجسم ، أو الصفة بالموصوف ، أو المتمكن بمكان

(١) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و ظ : افادة (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : وان كان البصر موجودا (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الضرر .

و هذه اللطيفة على حقيقة الإنسان سميت قلبا للمجاورة و التعلق ، و هي كالفارس و البدن كله كالفرس ، و عمى الفارس أضر على الفارس من عمى الفرس ، بل لا نسبة لأحد الضررين بالآخر ، فلذلك نفى عمى الأبصار أصلا و رأسا ، فلا شيء ضرره بالنسبة إلى عمى البصائر - [١] .

و لما قدم سبحانه أن الضال المضل له خزى فى الدنيا ، و قدم أنه يدفع عن الذين آمنوا و ينصرهم ، و ساق الدليل الشهودى على ذلك لمن كان جامد الفهم ، مقيدا بالوهم ، بالقرى الظالمة التى أنجز هلاكها ، و ختم بانكار عماهم عن ظاهر الآيات البينات ، قال عاطفا على "و من الناس من يجادل[٢]" معجبا منهم و موضحا لعماهم : ﴿ و يستعجلونك ﴾ و يجوز - و هو أحسن - أن تكون هذه الجملة حالا من فاعل "يسيروا" فيكون مما[٣] أنكر عليهم ﴿ بالعذاب ﴾ الذى[٤] تتوعدهم به تكذيبا و استهزاء ، ﴿ و ﴾ الحال أنه ﴿ لن يخلف الله ﴾ الذى لا كفوء له ﴿ وعده[٤] ﴾ [فلا بد من وقوعه -[٥]] . لكن الطويل عندهم من الزمن قصير عنده[٦] ، و قد ينجز الوعد و قد يؤخره بعد الوعيد إلى حين يوم [٧]أو أقل أو أكثر[٧] ، لأن قضاءه سبق أنه لايكون إلا فيه [٨]لحكم يظهرها لمن يشاء من عباده[٨] ﴿ و ان يوما ﴾ أى واحدا ﴿ عند ربك ﴾ أى المحسن إليك بتاخير

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) زيد فى الأصل بعده : فى، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل بعده : كما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ: التى (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى مد : عندهم (٧-٧) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

العذاب عنهم إكراما لك ﴿ كألف سنة ﴾ [و لما كان المقصود هنا التطويل . فعبر بالسنة تنبيها عليه -[1]] ؛ [2]و لما كانت السنون [قد -[1]] تختلف قال : ﴿ مما تعدون ﴾ لأن أيامكم تناسب أوهامكم ، و أزمانكم تناسب شأنكم ، و هو حليم لايستطيل الزمان ، و قادر لايخاف الفوت .

٥ و لما دل على نصر أوليائه ، و قصر أعدائه ، بشهادة تلك القرى ، و ختم بالتعجيب من استعجالهم ، مع ما شاهدوا من إهلاك أمثالهم ، و أعلمهم ما هو عليه من الأناة ، و اتساع العظمة ، و كبر المقدار ، عطف على " فكاين " محـــذرا من نـــكاله ، بعد طويل[3] إمهاله ، قوله : ﴿ و كاين / من قرية ﴾ [أى -[4]] من أهلها ﴿ امليت لها ﴾ أى أمهلتها /٥٦٥

١٠ كما أمهلتكم ﴿ و هى ظالمة ﴾ كظلمكم بالاستعجال و غيره ﴿ ثم اخذتها ﴾ أى بالعذاب ﴿ و الىّ المصير ﴾[5] بانقطاع كل حكم دون حكمى ، كما كان منى البدء ، فلم يقدر أحد أن يمنع من خلق ما أردت خلقه ، و لا أن يخلق ما لم أرد خلقه ، فلا تغتروا بالإمهال ، و إن تمادت الأيام و الليالى ، و احـذروا عواقب الوبال ، و إن بلغتم ما أردتم من الآمال ، و لعله

١٥ إنما طوى ذكر البدء ، لأنه احتجب فيه بالأسباب فغلب فيه اسمه الباطن ، و لذلك ضل فى هذه الدار أكثر الخلق وقوفا مع الأسباب .

و لما كان الاستعجال بالأفعال لايطلب من الرسول ، و كان الإخبار باستهزائهم و شدة عمائهم ربما أفهم الإذن [6]فى الإعراض[6] عنهم أصلا

---

(١) زيد من مد (٢) العبارة من هنا إلى « تختلف قال » ساقطة من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : طول (٤) زيد من ظ و مد (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاعراض .

و رأسا

و رأسا. قال سبحانه و تعالى مزيلا لذلك منبها على أن مثله إنما يطلب من المرسل، لا من الرسول: ﴿قل﴾ أى لهم، و لا يصدنك عن دعائهم ما أخبرناك به من عماهم ﴿يا أيها الناس﴾ أى جميعا من قومى و غيرهم ﴿انما انا لكم نذير﴾ أى و بشير، و إنما طواه لأن المقام للتخويف، و يلزم منه الأمن للمنتهى فتأتى البشارة، [1]و لأن النذارة هى المقصود الأعظم من الدعوة، لأنه لا يقدم عليها إلا المؤيدون بروح من الله[1] ﴿مبين ع ه﴾ أى لكل ما ينفعكم لتلزموه، و يضركم فتتركوه، لا إله، أعجل لكم العذاب[2]؛ ثم تسبب عن كونه مبينا [3]العلمُ بأن[3] وصف البشارة مراد و إن طوى، [4]فدل [عليه - [5]] سبحانه بقوله، تفضيلا لأهل البشارة و النذارة: ﴿فالذين آمنوا﴾ أى أقروا بالإيمان ﴿و عملوا﴾ أى تصديقا لدعواهم ذلك[6] ﴿الصالحات لهم مغفرة﴾ لما فرط منهم من التقصير [7]لأنه لن[8] يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره.

و لما كان هذا أول الإذن فى القتال، الموجب لمنابذة الكفار، و مهاجرة الأهل و الأموال و الديار، و كان ذلك - مع كونه فى غاية الشدة - موجبا للفقر عادة، قال محققا [له - [9]] و منبها على أنه سبب الرزق: ﴿و رزق﴾ أى فى الدنيا بالغنائم و غيرها، و الآخرة بما[10]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: بالعذاب.
(٣-٣) فى ظ: قوله موضحا لأن (٤) العبارة من هنا إلى «النذارة» ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) بين سطرى ظ: أى الإيمان (٧) العبارة من هنا إلى «قدره» ساقطة من ظ (٨) من مد، و فى الأصل: لا (٩) زيد من ظ و مد.
(١٠) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و مد.

لا عين رأت ، و لا أذن سمعت ، و لا خطر على قلب بشر ﴿ كريم ٥ ﴾ لاخسة[1] فيه و لا دناءة بانقطاع و لا غيره أصلا ما داموا على الاتصاف بذلك ، هذا فعل ربهم بهم[2] عكس ما وصف به [3]مدعو الكفار[3] من أن ضره أقرب من نفعه .

٥ و لما كان فى سياق الإنذار ، قال معبرا بالماضى زيادة فى التخويف : ﴿ و الذين سعوا ﴾ أى أوقعوا السعى و لو مرة واحدة بشبهة من الشبه و نحوها ﴿ فى آيتنا ﴾ [أى -[4]] التى نصبناها للدلالة علينا مرئية أو مسموعة ﴿ معجزين ﴾ أى مبالغين فى فعل ما يلزم - فى زعمهم - منه عجزنا ، و معجزين ، أى مقدرين أنهم يعجزوننا باخفائهم آياتنا ، و إضلال الناس

١٠ و صدهم عنها بالقاء الشبه و الجدال ، اتباعا للشيطان المريد ، من غير علم و لا هدى و لا كتاب منير [5]كشبه الاتحادية الذين راج أمرهم على كثير من الناس ، مع أنه لا شىء أوهى من شبههم و لا أظهر بطلانا ، و لذلك /راج أمرها على أهل الغباوة ، فان الداعية منهم يقول لمن يغره : هذا /٥٦٦ الظاهر من الكلام لايقول [به -[4]] عاقل ، فالمراد به أسرار دقيقة ، وراء

١٥ طور العقل ، لايوصل إليه[6] إلا بالرياضة و الكشف ، و ما درى[7] المغرور أن أبا طالب كان أعقل من هذا الذى ينسب[8] إليه ذلك الكفر الظاهر ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : خشية (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل «و»
(٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل « مدعوا للكفار (٤) زيد من مد .
(٥) العبارة من هنا إلى « ظهور سلطانها » ص ٦٩ س ١٠ ساقطة من ظ .
(٦) من مد ، و فى الأصل : اليها (٧) من مد ، و فى الأصل : ارد (٨) من مد ، و فى الأصل : ينسبه .

فان شعره أحسن من شعره، و بديهته أعظم من بديهته، و رؤيته أحكم[1] من رؤيته، و قد رأى من الآيات من النبي صلى الله عليه و سلم ما لا مزيد عليه، مع أن له من القرابة ما هو معروف، و من المحبة ما يفوت الحصر، و مع ذلك فقد أصرّ من الضلال ما لا يرضاه حمار لو نطق، على أن هذا المغرور قد لزمه - بتحسين الظن بهؤلاء الكفرة[2] - إساءة الظن بأشرف الخلق: النبي صلى الله عليه و سلم في قوله: من رأى منكم[3] منكرا - الحديث الذي في بعض رواياته: و ليس وراء ذلك - [أي -[4]] الإنكار بالقلب - مثقال حبة من إيمان. و قد أفردت لبيان ضلالهم كتبا لما استطار[5] من شرهم، و مس من ضرهم، منها المطول و المختصر، لا مزيد على بيانها و ظهور سلطانها ﴿ اولٓئك ﴾ [البعداء البغضاء -[4]] ﴿ اصحٰب الجحيم ۝ ﴾ أي[6] استحقاقا بما سعوا، فان شاء تاب عليهم، و إن شاء كبهم فيها، ليعلموا أنهم [هم -[7]] العاجزون. هذا في الآخرة، و سيظهر سبحانه في الدنيا أيضا عجزهم، بكشف شبههم، و مج القلوب النيرة لها، مع ذلهم و انكسارهم، و هوانهم و صغارهم، حتى لا يقدروا أن ينطقوا من ذلك[8] [9]ببنت شفة[9]، علما منهم أن مثلها لا يقوله عاقل.

و لما لاح من ذلك أن الشيطان ألقى للكفار شبها، يعاجزون بها بجدالهم في دين الله الذي أمر رسوله محمدا صلى الله عليه و سلم باظهاره،

(١) من مد، و في الأصل: اعظم (٢) في مد: الكفار (٣) سقط من مد، و الحديث مشهور (٤) زيد من مد (٥) من مد، و في الأصل: استطارهم. (٦) سقط من مد (٧) زيد من ظ و مد (٨) بهامش ظ: أي بكلمة من الشبه. (٩ - ٩) من ظ و مد، و في الأصل: نسب سفه.

و تقريره و إشهاره[1] ، عطف عليه تسلية له صلى الله عليه و سلم قوله :
﴿و ما ارسلنا﴾ أى بعظمتنا ﴿من قبلك﴾ ثم أكد الاستغراق بقوله :
﴿من رسول﴾ أى[2] من ملك أو بشر بشريعة جديدة يدعو إليها
﴿و لا نبى﴾ [سواء كان رسولا أو لا -[3]] ، مقرر[4] بالحفظ لشريعة
٥ سابقة - كذا قال البيضاوى[5] و غيره [فى الرسول -[3]] و هو منقوض[6]
بأنبياء بنى إسرائيل الذين بين موسى و عيسى عليهم الصلاة و السلام ،
فان الله تعالى سماهم رسلا فى غير آية منها " و لقد آتينا موسى الكتب
و قفينا من بعده بالرسل " فالصواب أن يقال : النبى إنسان أوحى إليه
بشرع جديد أو مقرر ، فان أمر بالتبليغ فرسول أيضا ، و التقييد بشرع
١٠ لإخراج مريم و غيرها من الأولياء ﴿الا اذا تمنى[7]﴾ أى تلا على الناس
ما أمره الله به أو حدثهم به و اشتهى فى نفسه أن يقبلوه حرصا منه
على إيمانهم شفقة عليهم ﴿القى الشيطن فى امنيته ج﴾ أى ما تلاه أو[7] حدث
به و اشتهى أن يقبل ، من الشبه و التخيلات ما يتلقفه منه أولياؤه
فيجادلون[8] به أهل الطاعة ليضلوهم " و ان الشيطين ليوحون الى اوليئهم
٥٦٥ / ١٥ ليجادلوكم " . " و كذلك جعلنا لكل نبى عدوا / شيطين الانس و الجن
يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا " كما يفعل هؤلاء فيما

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشتهاره ؛ و زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٣) زيد من مد (٤) فى مد : مقررا (٥) راجع تفسيره ٤٤٧ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مدخول (٧) فى ظ و مد « و » (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيجادلوا .

يغيرون به فى وجه الشريعة أصولا و فروعا من قولهم: إن القرآن شعر و سحر و كهانة، و قولهم "لو شاء الله ما اشركنا" و قولهم "هؤلاء شفعاؤنا [1]عند الله[1]" و قولهم: إن ما قتله الله بالموت حتف أنفه أولى بالأكل مما ذبح، و قولهم: نحن أهل الله و سكان حرمه، لانخرج من الحرم فنقف فى الحج بالمشعر الحرام و يقف الناس بعرفة، و نحن نطوف فى ثيابنا و كذا من ولدناه، و أما غيرنا فلا يطوف إلا عريانا ذكرا كان أو أنثى إلا أن يعطيه أحد منا ما يلبسه، و نحو ذلك مما يريدون[2] أن يطفأوا به نور الله، [3]و كذا تأويلات[4] الباطنية و الاتحادية و أنظارهم التى ألحدوا فيها، يضل بها من يشاء الله ثم يمحوها من أراد من عباده و ما أراد من أمره ﴿ فينسخ ﴾ أى فيتسبب عن إلقائه أنه ينسخ ﴿الله﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ما يلقى الشيطن ﴾ فيبطله[5] بإيضاح أمره و مج القلوب له.

و لما كان إبطاله سبحانه للشبه إبطالا محكما، لايتطرق إليه - لعلو رتبة بيانه - شبهة أصلا، عبر بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم يحكم الله ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له ﴿ ايٰته[6] ﴾ أى يجعلها جلية فيما أريد منها، و أدل دليل على أن هذا هو المراد - مع الافتتاح بالمعاجزة فى الآيات - الختام بقوله [عطفا على ما تقديره: فالله على ما يشاء قدير - [6]]:

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: يريدو.
(٣) العبارة من هنا إلى «من أمره» ساقطة من ظ (٤) من مد، و فى الأصل: تاويل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يبطله (٦) زيد من مد.

﴿ والله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ عليم ﴾ أى بنفى الشبه ﴿ حكيم ﴾ بإيراد الكلام على وجه لا تؤثر[1] فيه عند[2] من له أدنى بصيرة ، و كذا ما مضى فى السورة و يأتى من ذكر الجدال .

و لما ذكر سبحانه ما حكم به من تمكين الشيطان من هذا الإلقاء ، ذكر العلة فى ذلك فقال : ﴿ ليجعل ما يلقى الشيطن ﴾ أى فى المتلو أو[3] المحدث بـه من تلك الشبه فى قلوب أوليائه ﴿ فتنة ﴾ أى اختبارا و امتحانا ﴿ للذين فى قلوبهم مرض ﴾ لسفولها عن حد الإعتدال من[4] اللين حتى صارت مائيته تقبل كل صورة و لايثبت فيها صورة ، و هم أهل النفاق المتلقفون للشبه الملقون لها ﴿ و القاسية قلوبهم[5] ﴾ عن فهم الآيات ، و هم من علت قلوبهم عن ذلك الجدالى[5] أن صارت حجرية ، و هم المصارحون بالعداوة ، فهم فى ريب من أمرهم و جدال للمؤمنين ، [6]قد انتقشت فيها الشبه ، فصارت[7] أبعد شىء عن الزوال . [و لما كان التقدير : فانهم حزب الشيطان ، و أعداء الرحمن ، عطف عليه قوله : و إنهم - هـكذا الأصل - [8]] ، و لكنه أظهر تنبيها على وصفهم فقال : ﴿ و ان الظلمين ﴾ أى الواضعين لأقوالهم و أفعالهم فى غير مواضعها كفعل من هو فى الظلام ﴿ لفى شقاق ﴾ أى خلاف بكونهم فى شق

(١) أى الشبه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنه (٣) فى ظ و مد « و » .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل: ماء (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الجدال .
(٦) العبارة من هنا إلى « الزوال » ساقطة من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل : وصارت (٨) زيد من مد ، و فى ظ : و انهم - فقط .

غير شق حزب الله بمعاجزتهم فى الآيات بتلك الشبه التى تلقوها من الشيطان ، و جادلوا بها أولياء الرحمن ﴿بعيد ۢ﴾ عن الصواب "و لتصغىٰ اليه افئدة الذين لايؤمنون بالأخرة و ليرضوه و ليقترفوا ما هم مقترفون" ﴿و ليعلم الذين اوتوا العلم﴾ باتقان[1] حججه ، و إحكام براهينه ، و ضعف شبه المعاجزين ، و بنى /فعله للجهول تعظيما لثمرته فى حد ذاته لا بالنسبة ٥ / ٥٦٨ إلى معطٍ معين ﴿انه﴾ أى الشيء الذى تلوته أو حدثت[2] به ﴿الحق﴾ أى الثابت الذى لايمكن زواله ﴿من ربك﴾ أى المحسن إليك بتعليمك إياه ، فان الحق كلما جودل أهله ظهرت حججه[3] ، و أسفرت وجوهه ، و وضحت براهينه ، و غمرت لججه ، كما قال تعالى "يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا" ﴿فيؤمنوا به﴾ لما ظهر لهم من صحته بما ظهر من ضعف ١٠ تلك الشبه ﴿فتخبت﴾ أى تطمئن و تخضع ﴿له قلوبهم[4]﴾ و تسكن [به -[4]] قلوبهم ، فان الله جعل فيها السكينة فجعلها زجاجية صلبة صافية رقيقة بين المائية و الحجرية ، نافعة بفهم العلم و حفظه و الهداية به لمن يقبل عنهم من الضالين كما ينفع الخبت بقبول طائفة [منه -[4]] لطائفة من الماء ، و إنبات ما يقدره الله من الكلاء و غيره و حفظ طائفة أخرى ١٥ لطائفة أخرى منه لشرب الحيوان ﴿و ان الله﴾ بجلاله و عظمته لهاديهم ، و لكنه أظهر تنبيها على سبب العلم فقال : ﴿لهاد الذين امنوآ﴾ فى

(١) من مد ، و فى الأصل : باتفاق ، و فى ظ : بايقان (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : احدثت (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : حجته (٤) زيد من ظ و مد .

جميع ما يلقيه أولياء الشيطان ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ يصلون به إلى معرفة بطلانه، فيوصلهم ذلك إلى سعادة الدارين ﴿ ولا يزال الذين كفروا ﴾ أى وجد منهم الكفر و طبعوا عليه ﴿ فى مرية ﴾ أى شك [1]يطلبون السكون إليه[1] ﴿ منه ﴾ أى من أجل إلقاء الشيطان و ما ألقاه، أو مبتدئ منه ﴿ حتى تاتيهم الساعة ﴾ أى الموت أو القيامة ﴿ بغتة ﴾ أى فجاءة بموتهم حتف الأنف[2] ﴿ او ياتيهم عذاب يوم عقيم ﴾ يقتل[3] فيه جميع أبنائه منهم و لا يكون لهم فيه شيء مما يترجونه[4] من نصر أو غيره كما سعوا بجدلهم و إلقاء الضلالات فى إعقام الآيات، فاذا انكشف لهم الغطاء بالساعة أو بالعذاب الموصل إلى حد الغرغرة آمنوا دأب البهائم التى لا ترى إلا الجزئيات، فلم ينفعهم ذلك لفوات شرطه، و قد زالت بحمد الله عن هذه الآية - بما قررته - الشكوك، و انفضحت مخيلات الشبه، و انقمعت مضلات الفتن، من قصة الغرانيق[5] و ما شاكلها مما يتعالى[6] عنه ذلك الجناب الرفيع، و الحمى العظيم المنيع، و لم يصح شيء من ذلك، كما صرح به [1]الحافظ عماد الدين[1] ابن كثير[7] و غيره[8]، وكيف و قد منع الشيطان من مثاله[9] صلى الله عليه و سلم فى المنام،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لانف. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: نقيل (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يترجون (٥) راجع رواية سعيد بن جبير فى تفسير ابن كثير ٣/٢٢٩ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يتعلى (٧) راجع تفسيره ٣/ ٢٢٩ (٨) مثلا القاضى عياض فى الشفاء (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: امثاله.

كما

كما قال صلى الله عليه و سلم فيما أخرجه الشيخان[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه «من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لايتمثل بي» و قد تولى الله سبحانه حفظ الذكر الحكيم[2] بحراسة السماوات و غيرها "انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحفظون" "الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسلت ربهم" . ٥

و لما كانوا من الكثرة [3]و القوة[3] بمكان، كان كأنه قيل: كيف يغلبون؟ فقال جوابا عن / ذلك: ﴿الملك يومئذ﴾ أي يوم إذ[4] يأتيهم ذلك. إما في القيامة أو في الدنيا ﴿لله[4]﴾ أي المحيط بجميع[5] صفات الكمال وحده، بتغليب اسمه الظاهر، بأن يجري أمره فيه على غير الأسباب التي تعرفونها . ٥٦٩ / ١٠

و لما كان كأنه قيل: ما معنى اختصاصه به و كل الأيام له؟ قيل[6]: ﴿يحكم بينهم[4]﴾ أي [بين -[7]] المؤمنين و الكافرين بالأمر الفيصل، لاحكم فيه ظاهرا و لاباطنا لغيره، كما ترونه الآن، بل يمشي فيه الأمر على أتم قوانين العدل. و لذلك سبب ظهورُ العدل[8] عنه قوله مفصلا[9] بادئا. [إظهارا لتفرده بالحكم باكرام من كانوا قاطعين بهوانهم في الدارين ١٥

(١) رواه البخاري في عدة المناسبات و مسلم في الرؤيا (٢) في مد: العظيم.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: ان
(٥) من ظ ومد، و في الأصل: لجميع (٦) من مد، و في الأصل و ظ: فقيل.
(٧) زيد من ظ (٨) من و ظ مد، و في الأصل: الحكم (٩) سقط من ظ.

مع أن تقديمهم أوفق لمقصود السورة - [١] : ﴿فالذين آمنوا و عملوا﴾ أى و صدقوا دعواهم الإيمان بأن عملوا ﴿الصٰلحٰت﴾ و هى ما أمرهم الله به .

و لما كانت إثابته تعالى لأهل طاعته [٢] تفضلا منه ، نبه على ذلك باعراء الخبر عن الفاء السببية بخلاف ما يأتى فى حق الكفار فقال : ﴿فى جنٰت النعيم ۝﴾ فى الدنيا مجازا ، لمآلهم إليهم مع ما يجدونه من لذة المناجاة و استشعار القرب ، و فى الآخرة حقيقة بما رحمهم الله به من توفيقهم للأعمال الصالحة ﴿و الذين كفروا﴾ أى غطوا ما أعطيناهم من المعرفة بالأدلة على وحدانيتنا ﴿و كذبوا بايٰتنا﴾ ساعين - بما أعطيناهم من الفهم - فى تعجيزها [٣] بالمجادلة بما يوحى إليهم أولياؤهم من الشياطين من الشبه ، و قرن الخبر بالفاء إيذانا بأنه مسبب عن كفرهم فقال : ﴿فاولٰئك﴾ أى البعداء عن أسباب الكرم ﴿لهم عذاب مهين ۝﴾ بسبب ما سعوا فى إهانة آياتنا مريدين إعزاز أنفسهم بمغالبتها و التكبر عن اتباعها .

و لما كان المشركون يمنعون بهذه الشبه و غيرها كثيرا من الناس الإيمان ، و كانوا لا يتمكنون بها إلا ممن يخالطهم ، رغب سبحانه فى الهجرة فقال : ﴿و الذين هاجروا﴾ أى أوقعوا هجرة ديارهم و أهليهم ﴿فى سبيل الله﴾ أى طريق ذى الجلال و الإكرام التى [٤] شرعها ، فكانت [٥]

(١) ما بين الحاجزين زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : طاعة .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعجزها (٤) زيد فى الأصل : جعلها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : و كانت .

ظرفا لمهاجرتهم ، فلم يكن لهم بها غرض آخر . و لما كان أكثر ما يخاف من الهجرة القتل[١] . لقصد الأعداء للهاجر بالمصادمة ، عند تحقق المصارمة ، قال معبرا بأداة التراخي إشارة إلى طول العمر و علو الرتبة بسبب الهجرة[٢] : ﴿ ثم قتلوا ﴾ أي بعد الهجرة ، و ألحق به مطلق الموت فضلا منه فقال : ﴿او ماتوا﴾ [أي -[٣]] من غير قتل ﴿ليرزقنهم الله﴾ ٥ أي الملك الأعلى ﴿رزقا حسنا[٤] ﴾ من حين تفارق أرواحهم أشباحهم لأنهم أحياء عند ربهم ، و ذلك لأنهم أرضوا الله بما انخلعوا منه مما أثلوه طول أعمارهم ، [٤]و أثله آباؤهم[٤] من قبلهم[٥] ، و أموالهم[٦] و أهليهم و ديارهم .

و لما كان التقدير : فان الله فعال لما يريد من إحيائهم و رزقهم و غيره ، عطف عليه قوله : ﴿و ان الله﴾ أي الجامع لصفات الكمال بعظمته ١٠ و قدرته على الإحياء كما قدر على الإماتة ﴿لهو خير الرازقين ه﴾ يرزق الخلق عامة البر منهم و الفاجر ، فكيف بمن هاجر إليه ! و يعطى عطاء لا يدخله عد ، و لا يحويه حد ، و كما دلت الآية على تسوية من مات في سبيل الله برباط أو غيره في الرزق بالشهيد ، دلت السنة أيضا / من حديث ٥٧٠ / سلمان و غيره رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال[٧] : ١٥ من مات مرابطا أجرى عليه الرزق و أمن الفتانين[٨] .

و لما كان الرزق لا يتم إلا بحسن الدار ، و كان ذلك من أفضل

(١) سقط من مد (٢) زيد في الأصل : التي شرعها ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد ، و في الأصل : و هم (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : قتلهم (٦) بين سطري ظ : عطف على « ما أثلوه » (٧) راجع سنن ابن ماجه كتاب الجهاد باب فضل الرباط في سبيل الله (٨) في ابن ماجه : الفتان .

الرزق ، قال دالا على ختام التى قبل : ﴿ ليدخلنهم مدخلا ﴾ أى دخولا و مكان دخول على قراءة نافع [و أبى جعفر بفتح الميم -[1]] ، و إدخالا و مكان إدخال على قراءة الباقين ﴿ يرضونه[4] ﴾ لايبغون بـه بدلا ، بما أرضوه به مما خرجوا منه .

٥ و لما كان التقدير : فان الله لشكور حميد ، وكان من المعلوم قطعا أنه لايقدر أحد أن يقدر الله حق قدره و إن اجتهد ، لأن الإنسان محل الخطأ و النسيان ، فلو أوخذ[2] بذلك هلك ، وكان ربما ظن ظان أنه لو علم ما قصروا فيـه لغضب عليهم ، عطف على ما قدرته قوله : ﴿ و ان الله ﴾ أى الذى عمت رحمته و تمت عظمته ﴿ لعليم ﴾ [أى -[3]]

١٠ بمقاصدهم و ما عملوا مما يرضيه و غيره ﴿ حليم ﴾ عما[4] قصروا فيه من طاعته ، و ما فرطوا فى جنبه سبحانه .

و لما ختم هذه الآيات - التى فيها الإذن للظلومين فى القتال للظالمين - بصفة الحلم[5] ، فكان ذلك مخيلة لوجوب العفو عن حقوق العباد كما فى شريعة عيسى عليه الصلاة و السلام ، نفى ذلك بقوله إذنا

١٥ للجهارين فيمن أخرجهم من ديارهم أن يخرجوه من دياره و يذيقوه بعض ما توعده[6] الله به من العذاب [المهين -[3]] : ﴿ ذلك ج ﴾ أى الأمر المقرر من صفة الله تعالى [ذلك -[7]] ﴿ و من عاقب ﴾ من العباد بأن

(١) زيد من مد ، و راجع أيضا نثر المرجان ٤/٥٠٠ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اخذ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : مما (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحكم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : توعدوه (٧) زيد من مد .

أصاب

أصاب خصمه ، لمصيبة[1] يرجو فيها العاقبة ﴿بمثل ما عوقب﴾ أى عوجل علاج من يطلب حسن العاقبة ﴿ به ﴾ [من أىّ معاقب كان -[2]] فلم يتجاوز إلى ظلم ﴿ ثم بغى ﴾ أى من أىّ باغ كان ﴿ عليه ﴾ بالعود إلى خصومته لأخذه[3] حقه .

و لما كان ما يحصل للبغى عليه بالكسر عودا على بدء من الذل و الهوان مبعدا لأن ينجبر ، أكد وعده فقال : ﴿ لينصرنه الله[4] ﴾ أى الذى لا كفوء له .

و لما قيد ذلك بالمثلية ، و كان [ذلك -[5]] أمرا خفيا ، لايكاد يوقف عليه ، فكان ربما وقعت المجاوزة خطأ ، فظن عدم النصرة لذلك ، أفهم تعالى أن المؤاخذة إنما هى بالعمد ، بقوله : و يجوز أن يكون التقدير ندبا إلى العفو بعد ضمان النصرة : "إن الله" لعزيز حكيم ، و من عفا و أصلح فقد تعرض لعفو الله عن تقصيره ، و مغفرته لذنوبه ، فهو[6] احتباك : ذكر النصرة دليل العزة[7] و الحكمة ، و ذكر العفو منه سبحانه دليل[8] حذف العفو من[9] العبد ﴿ ان الله ﴾ أى الذى أحاط بكل شىء قدرة و علما ﴿لعفو﴾ أى عمن[10] اقتص ممن ظلمه أول مرة ﴿غفور ٥ ﴾ لمن اقتص ممن بغى عليه .

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمصيبة (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل: باخذه (٤) زيد من ظ ومد (٥-٥) فى مد : انه (٦) من ظ ومد، و فى الأصل « و» (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ : فى (١٠) فى ظ : لمن .

و لما ختم بهذين الوصفين ، ذكر من الدليل عليهما أمرا جامعا للصالح ، عاما للخلائق ، يكون فيه و به الإحسان بالخلق و الرزق فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى معرفة اتصافه سبحانه بهذين الوصفين ﴿ بان الله ﴾ المتصف بجميع صفات الكمال[1] ﴿ يولج ﴾ لأجل مصالح العباد المسىء ٥ و المحسن ﴿ اليل فى النهار ﴾ فيمحو ظلامه بضيائه . و لو شاء مؤاخذة الناس / لجعله سرمدا فتعطلت[2] مصالح النهار ﴿ و يولج النهار فى اليل ﴾ /٥٧١ فينسخ[3] ضياءه بظلامه ، و لولا[4] ذلك لتعطلت مصالح الليل ، أو يطوّل أحدهما حيث يراد استيلاء ما طبع عليه على ضد ما طبع عليه الآخر لما يراد من المصالح التى جعل ذلك لأجلها ﴿ و ان الله ﴾ بجلاله ١٠ و عظمته ﴿ سميع ﴾ لما يمكن أن يسمع ﴿ بصير ﴾ أى مبصر عالم لما يمكن أن يبصر دائم الاتصاف بذلك ، فهو غير محتاج إلى سكون الليل ليسمع ، و لا لضياء النهار ليبصر ، لأنه منزه عن الأعراض ، و هو لتمام قدرته و علمه لا يخاف فى عفوه غائلة ، و لا يمكن أن يفوته أمر ، أو يكون التقدير : ذلك النصر و العفو بأنه قادر و بأنه عالم .

١٥ و لما وصف نفسه سبحانه [بما ليس لغيره فبان بذلك تقصير ما سواه بفعله -[5]] علله بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الاتصاف بتمام القدرة و شمول العلم ﴿ بان الله ﴾ الحاوى لصفات الكمال ، القادر على إخراج المعدوم

(١) فى مد : الكمالات (٢) فى ظ : فتعاطت (٣) زيد فى مد : به (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لو (٥) زيد من ظ و مد .

و تجديد ما فات ، من نشر الأموات و غيره ﴿هو﴾ وحده ﴿الحق﴾ أى الواجب الوجود ﴿و ان ما يدعون﴾ [أى دعاء عبادة و هم لا يسمعون - [1]] .

[2] و لما كان سبحانه فوق كل شيء بقهره و سلطانه ، قال محقرا لهم[2] : ﴿من دونه﴾ [أى - [1]] من هذه الأصنام و غيرها ، [و لم يتقدم هنا من الدليل على بطلان الأوثان مثل ما ذكره فى لقمان[3] لداعى الحال إلى التأكيد بضمير الفصل فقال - [1]] : ﴿هو الباطل﴾ لأنه ممكن وجوده و عدمه ، فليس له من ذاته إلا العدم كغيره من الممكنات ﴿و ان الله﴾ لكونه هو الحق الذى لا كفوء له [﴿هو﴾ وحده - [1]] ﴿العلى الكبير﴾ وكل ما سواه سافل حقير ، تحت قهره و أمره ، فهو يحيي الموتى كما تقدم أول السورة .

و لما دل ما تضمنه رزقه سبحانه للميت فى سبيله بقتل أو غيره على إحيائه له ، و دل سبحانه على ذلك[4] و على أنه خير الرازقين بما له من العظمة ، و ختم بهذين الوصفين ، أتبعه دليلا آخر على ذلك كله بآية مشاهدة جامعة بين العالم العلوى و السفلى ، قاضية بعلوه و كبره ، فقال : ﴿الم تر﴾ أى أيها المخاطب ﴿ان الله﴾ أى المحيط قدرة و علما ﴿انزل من السماء ماء﴾ بأن يرسل رياحا فتثير سحابا فيمطر على الأرض الملساء .

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و وقع فى الأصل بعد «الواجب الوجود» س ، و الترتيب من مد (٣) آية ٣٠ (٤) بين سطرى ظ : أى الإحياء .

و لما كان هذا الاستفهام المتلو بالنفى فى معنى الإثبات لرؤية الإنزال لكونه فيه معنى الإنكار، عطف [1]على "انزل[1]" [2]معقبا له[2] [على حسب العادة -[3]] قوله، معبرا بالمضارع تنبيها على عظمة النعمة بطول زمان أثر المطر و تجدد نفعه: ﴿فتصبح الارض﴾ أى بعد أن كانت مسودة[4] يابسة، ٥ ميتة هامدة ﴿مخضرة[4]﴾ حية يانعة، مهتزة نامية، بما فيه رزق العباد، و عمارة البلاد، و لم ينصب على أنه جوابه لئلا يفيد نفى الاخضرار، و ذلك لأن الاستفهام من حيث[5] فيه معنى الإنكار نفى لنفى رؤية الإنزال الذى هو إثبات الرؤية، فيكون ما جعل جوابا له منفيا، لأن الجواب متوقف على ما هو جوابه، فاذا نفى ما عليه التوقف انتفى المتوقف عليه، ١٠ أى إذا نفى الملزوم انتفى اللازم، و إذا[6] نفى السبب انتفى المسبب - كما تقدم فى "فتكون لهم قلوب[7]"، فلو نصب "يصبح" على أنه جواب الاستفهام لكان المعنى أن عدم الاخضرار متوقف على نفى النفى للانزال [الذى -[3]] هو إثبات الإنزال، و هو واضح الفساد - أفاده شيخنا الإمام أبو الفضل[8] رحمه الله.

١٥ و لما كان هذا إنتاجا للأشياء[8] من أضدادها. لأن كلا من الماء فى

(١ - ١) فى ظ: عليه، و زيد بعده فى الأصل: عليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢ - ٢) فى ظ: مسببا عنه (٣) زيد من مد (٤) سقط من ظ. (٥) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٧) آية ٤٦ (٨) ابن حجر العسقلانى (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لك شيئا - كذا.

رقته و ميوعه / و التراب فى كثافته و جموده فى غاية البعد عن النبات فى ٥٧٢ /
تنوعه و خضرته ، و نموه و بهجته ، قال سبحانه و تعالى منبها على ذلك :
﴿ان الله﴾ أى[1] الذى له تمام العز و كمال العلم ﴿لطيف﴾ أى يسبب
الأشياء عن أضدادها ﴿خبير﴾ أى مطلع على السرائر و إن دقت ، فلا
يستبعد عليه إحياء من أراد بعد موته ، و الإحسان فى رزقه . ٥

و لما اقتضى ذلك أنهى التصرف ، لأنه لا بد بعد اختلاط الماء
بالتراب من أمور ينشأ عنها النبات ، على تلك الهيئات الغريبة المختلفة ،
فأوجب ذلك أن يكون هو المالك المطلق . قال : ﴿له ما فى السمٰوٰت﴾
أى التى أنزل منها الماء ؛ [2]و لما كان السياق لإثبات البعث و الانفراد بالملك
و الدلالة على ذلك ، اقتضى الحال التأكيد باعادة الموصول فقال[2] : ١٠
﴿و ما فى الارض[4]﴾ [أى -[3]] التى استقر فيها ، و ذلك يقتضى ملك
السماوات و الأرضين ، فان[4] كل واحدة منها[1] فى التى فوقها حتى ينتهى
الأمر إلى عرشه سبحانه الذى لا يجوز أصلا أن يكون لغيره .

و لما كان من المألوف عندنا أن المالك فقير إلى ما فى يده ،
مذموم على إمساكه بالتقتير ، و على بذله بالتبذير ، بين أنه بخلاف ذلك ١٥
فقال : ﴿ و ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة التامة ﴿ لهو ﴾ أى وحده
﴿ الغنى ﴾ أى عنهما و عما فيهما ، ما خلق شيئا منهما أو فيهما لحاجة له
إليه بل لحاجتكم أنتم إليه ﴿ الحميد ﴾ فى كل ما يعطيه أو يمنعه ، لما فى

(١) سقط من مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد (٤) فى ظ و مد : لان .

ذلك من الحكم الخفية و الجلية ؛ ثم استدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ الم تر ﴾ أى أيها المخاطب ﴿ ان الله ﴾ أى الحائز لصفات الكمال ، من الجلال و الجمال ﴿ سخر لكم ﴾ فضلا منه ﴿ ما فى الارض ﴾ [كله -[1]] من مسالكها و فجاجها و ما فيها من حيوان و جماد ، و زروع و ثمار ، فعلم أنه غير محتاج إلى[2] شىء منه .

و لما كان تسخير السلوك فى البحر من أعجب العجب ، قال : ﴿ و الفلك ﴾ أى و [3]سخرها لكم[3] موسقة بما تريدون من البضائع . ثم بين تسخيرها بقوله : ﴿ تجرى فى البحر ﴾ أى العجاج ، المتلاطم بالأمواج ، بريح طيبة على لطف و تؤدة .

و لما كان الراكب فيها - مع حثيث السير و سرعة[4] المر - مستقرا كأنه على الأرض ، عظم الشأن فى سيرها بقوله : ﴿ بامره[5] ﴾ و لما كان إمساكها على وجه الماء مع لطافته عن الغرق أمرا غريبا كامساك السماء على متن الهواء عن الوقوع ، أتبعه قوله : ﴿ و يمسك السمآء ﴾ ثم فسر ذلك بقوله مبدلا[5] : ﴿ ان تقع ﴾ أى[6] مع علوها و عظمها و كونها بغير عماد ﴿ على الارض ﴾ التى هى تحتها .

و لما اقتضى السياق أنه لا بد أن تقع لانحلاله إلى [7]أن يمنع[7]

---

(١) تأخر فى الأصل عن « ما فيها » و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى (٣-٣) فى ظ : سخر الفلك (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : شرعة (٥) سقط من ظ (٦) سقط من مد (٧ - ٧) فى ظ : تمسك ، و فى مد : يمنع - كذا .

وقوعها لأنها[1] جسم كثيف عظيم، ليس له من طبعه إلا[2] السفول، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿[3]الا باذنه[3]﴾ [أى فيقع إذا أذن فى وقوعها حين يريد طى هذا العالم و إيجاد عالم البقاء. و لما كان هذا الجود الأعظم و التدبير المحكم محض كرم من غير حاجة أصلا، أشار إليه بقوله -[4]]: ﴿ان الله﴾ [أى -[4]] الذى له الخلق و الأمر. ٥

[5]و لما كان الجماد كله متاعا[6] للحيوان، اقتضى تقديم قوله: ﴿بالناس﴾ أى على ظلمهم ﴿لرءوف﴾ أى [بما -[4]] يحفظ من سرائرهم عن الزيغ بارسال الرسل، و إنزال الكتب، و نصب المناسك، التى يجمع معظمها البيت الذى بوأه لإبراهيم عليه السلام، و هو التوحيد و الصلاة و الحج الحامل على التقوى التى بنيت عليها السورة، فان الرأفة ١٠ - كما / قال الحرالى: ألطف الرحمة و أبلغها، فالمرؤف به تقيمه عناية / ٥٧٣ الرأفة حتى تحفظ[7] بمسراها فى سره ظهورَ ما يستدعى العفو، و تارة يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الأدلة، و تارة يضم إلى ذلك الفعل بخلق الهداية فى القلب، [8]و هذا خاص بمن له بالمنعم نوع وصلة[8]. ﴿رحيم﴾ بما يثبت لهم عموما[9] من الدرجات على ما منحهم [به -[4]] من ثمرات ١٥

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: لانه (٢) زيد فى الأصل: به، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣ - ٣) تقدم ما بين الرقمين على «أشار» س، و الترتيب من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) العبارة من هنا إلى «تقديم قوله» ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: متاع (٧) بين سطرى ظ: أى الرأفة (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) سقط من ظ.

ذلك الحفظ من[1] الأعمال المرضية لما تقدم فى الفاتحة من أن الرحيم خاص [الرحمة -[2]] بما ترضاه الإلهية ، [3]و تقدم فى البقرة تحقيق هذا الموضع[3] .

و لما بين سبحانه جملا من أمهات الدين ، و أتبعها الإعانة لأهله على المعتدين ، و ختم بما بعد الموت للهاجرين ، ترغيبا فى منابذة الكافرين ، و عرّف بما له من تمام العلم و شمول القدرة ، و مثل ذلك بأنواع من التصرف فى خلق السماوات و الأرضين ، و أنهاه[4] بالدلالة على أنه كله لنفع[5] الآدميين نعمة منه ، تلا ذلك بما هو أكبر منه نعمة عليهم فقال : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى احياكم ﴾ أى [3]عن الجمادية بعد أن أوجدكم[3] من العدم بعد أن لم تكونوا شيئا ، منة منه عليكم مستقلة ، لزم منها المنة بما تقدم [ذكره من المنافع الدنيوية لتستمر حياتكم أولا ، و الدينية -[2]] لتنتفعوا[6] بالبقاء ثانيا ﴿ ثم يميتكم ﴾ ليكون الموت واعظا لأولى البصائر منكم ، و زاجرا[7] لهم عما طبعوا عليه من الأخلاق المذمومة ﴿ ثم يحييكم ﴾ للتحلى بفصل القضاء و إظهار العدل فى الجزاء .

و لما علم أن كل ما فى الوجود من جوهر و عرض نعمة على

(١) بيان لذلك الحفظ (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انها (٥) زيد فى الأصل : المسلمين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : لينتفعوا .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : زواجرا .

الإنسان حتى الحياة و الموت ، و كان من أجلى الأشياء ، و كانت أفعاله معرضة عن رب هذه النعم بالعبادة لغيره ، أو التقصير فى حقه على عموم فضله و خيره ، ختم الآية سبحانه بقوله : ﴿ان الانسان لكفور﴾ أى بليغ الكفر حيث لم يشكر على هذه النعم المحيطة به .

و لما تقدم ذكر المناسك ، و كان لكثرة الكفار قد يقع فى النفس أن إقامتها معجوز عنها ، و كشف سبحانه غمة [هذا -[1]] السؤال بآية "ان الله يدفع عن الذين آمنوا" و ما بعدها ، فأنتج ذلك علمنا بتصرفه التام بقدرته الباهرة ، و علمه الشامل المقتضى لإقبال العباد إليه ، و اجتماعهم كلهم عليه ، فمن شك فى قدرته على إظهار دينه بمدافعته عن أهله ، أو نازع فيه فهو كفور ، ذكر باظهار[2] أول هذا الخطاب بآخر ذلك الخطاب[3] مؤكدا لما أجاب به عن ذلك السؤال من [4]تمام القدرة و شمول العلم[4] أنه[5] هو الذى مكن لكل قوم ما هم فيه من[6] المناسك التى بها انتظام الحياة ، فان وافقت الأمر الإلهى كانت سببا للحياة الأبدية ، و إلا كانت سببا للهلاك الدائم ، و هو سبحانه الذى نصب من الشرائع لكل قوم ما يلائمهم ، لأنه بتغيير الزمان بايلاج الليل فى النهار على مر الأيام ، و توالى الشهور و الأعوام ، بسبب من الأسباب - لأجل امتحان العباد ، و إظهار ما خبأ فى جبلة كل منهم من طاعة و عصيان ، و شكر و كفران

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : باظلما - كذا .
(٣) سقط من مد (٤ - ٤) فى مد : شمول العلم و تمام القدرة (٥) بين سطرى ظ : مفعول ذكر (٦) زيد فى ظ : تمام .

/٥٧٤ - ما يصير الفعل / مصلحة بما يقتضيه من الأسباب بعد أن كان مفسدة و بالعكس ، لاقتداره على كل شيء و إظهار اقتداره كما قال تعالى عند أول ذكره للنسخ "الم تعلم ان الله على كل شيء قدير" - الآيات ، فعلم أن منازعتهم فيه كفر ، فلذلك أتبع هذا قوله من غير عاطف لما بينهما من تمام الاتصال : ﴿لكل امة﴾ أى فى كل زمان ﴿جعلنا﴾ [1]أى بما لنا من العظمة[1] ﴿منسكا﴾ أى شرعا لاجتماعهم به على خالقهم حيث وافق أمره ، و لاجتماعهم على أهوائهم إذا[2] لم يوافقه ، و عن ابن جرير[3] أن أصل المنسك[4] فى كلام العرب هو الموضع الذى يعتاده الإنسان و يتردد إليه إما لخير أو لشر .

و لما كان بحيث أن ما أراده سبحانه كان لا محالة ، قال : ﴿هم ناسكوه﴾ أى متعبدون به ، لأنا ندافع عنهم من يعاديهم فيه حتى يستقيم لهم أمره ، لإسعادهم به أو إشقائهم ، فمن شك فى قدرتنا على تمكينهم[5] منه فهو كفور ، فان وافق الأمر كان ربحا و إيمانا ، و إن خالفه كان كفرا و خسرانا .

و لما كان قد حكم باظهار دينه على الدين كله ، و بأن الكفار على كثرتهم يغلبون بعد ما هم فيه من البطر ، أعلم بذلك بالتعبير بصيغة الزجر لهم بقوله مسببا[6] عن هذه العظمة : ﴿فلا ينازعنك فى الامر﴾

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذ .
(٣) راجع جامع البيان ١٧ / ١٢٥ (٤) من ظ و مد و الجامع ، و فى الأصل : للنسك (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تمكنتهم (٦) فى مد : تسبيبا ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى « العظمة » .

أى بما يلقيه الشيطان إليهم من الشبه ليجادلوا به ، من طعنهم فى دينك بالنسخ بقولهم : لو كان من عند الله لما أمر اليوم بشىء و نهى عنه غدا . لأنه يلزم منه البدء ، فليس الأمر كما زعموا ، بل هو دال على العلم بالعواقب و الاقتدار التام على شرع المذاهب ، و غير ذلك من الشبه كما مضت الإشارة إليه ، فلا يلتفت إليهم فى شىء نازعوا فيه كائنا ما كان ، و روى[1] أنها نزلت بسبب جدال الكفار بديل بن ورقاء و بشر ابن سفيان الخزاعيين و غيرهما فى الذبائح ، و قولهم للمؤمنين : تأكلون ما ذبحتم[2] و هو من قتلكم ، و لا تأكلون ما قتل الله - يعنون[2] الميتة .

و لما كان النهى عن المنازعة فى الحقيقة له صلى الله عليه و سلم إلهابا و تهييجا إلى الإعراض عنهم لأنهم أهل لذلك ، لأن[3] كيدهم فى تضليل ، و الإقبال على شأنه ، و كان التعبير بما تقدم من تحويله إليهم لتأكيد الأمر مع دلالته على إجلاله صلى الله عليه و سلم عن المواجهة بالنهى[4] ، عطف عليه قوله : ﴿و ادع﴾ [5]أى أوقع الدعوة لجميع الخلق[5] ﴿الى ربك[4]﴾ [أى - [6]] المحسن إليك بارسالك ، بالحمل [لهم - [6]] على كل ما أمرك به [7]متى ما[7] أمرك ، و لا يهولنك قولهم ، فانهم مغلوبون لامحالة ، و لا تتأمل عاقبة من العواقب ، بل أقدم على الأمر و إن ظن

(١) راجع البحر المحيط ٦/٣٨٧ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعنوان . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بان (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من مد (٧ - ٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : منى .

أن فيه الهلاك ، فانه ليس عليك إلا ذلك ، و أما نظم[1] الأمور على نهج السداد فى إظهار الدين ، و قهر المعاندين ، فالى الذى أمرك بتلك الأوامر ، و أحكم[2] الشأن فى جميع الزواجر ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انك ﴾ مؤكدا له بحسب ما / عندهم من الإنكار ﴿لعلى هدى مستقيم ۝﴾ فانه تأصيل العليم القدير و إن طرقه التغيير .

/٥٧٥

و لما أمره بالإقبال على ما يهمه ، و الإعراض عن منازعتهم ، فى صيغة نهيهم عن منازعته ، علمه الجواب إن ارتكبوا منهيه بعد الاجتهاد فى دفعهم ، لما لهم من اللجاج و العتو ، فقال : ﴿ و ان جدلوك ﴾ أى فى شىء من دينك بشىء مما تقدم من أقوالهم السفسافة أو بغيره ﴿فقل﴾ معرضا عن عيب دينهم الذى لا أبين فسادا منه : ﴿الله﴾ أى الملك المحيط بالعز و العلم ﴿اعلم بما تعملون ۝﴾ مهددا لهم بذلك ، مذكرا لنفسك بقدرة[3] ربك ، قاطعا بذلك المنازعة من حيث رقّب ، متوكلا على الذى أمرك بذلك فى حسن تدبيرك و المدافعة عنك و مجازاتهم بما سبق علمه بـه مما يستحقونه ؛ قال الرازى فى اللوامع : و ينبغى أن يتأدب[4] بهذا كل أحد ، فان أهل الجدل قوم جاوزوا حد العوام بتحذلقهم ، و لم يبلغوا درجة الخواص الذين عرفوا الأشياء على ما هى عليه ، فالعوام منقادون للشريعة . و الخواص يعرفون أسرارها و حقائقها ، و أهل الجدل قوم فى قلوبهم اضطراب و انزعاج .

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : تعلم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : حكم .
(٣) من ظ ومد ، و فى الأصل : قدره (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : يثاب .

و لما

و لما أمره بالإعراض عنهم ، وكان ذلك شديدا على النفس لتشوفها إلى النصرة ، رجاه [1]في ذلك بقوله[1] ، مستأنفا[2] [مبدلا من مقول الجزاء -[3]] تحذيرا لهم : ﴿ الله﴾ أى الذى لا كفوء له ﴿يحكم بينكم﴾ أى بينك مع أتباعك و بينهم ﴿يوم القيمة﴾ الذى هو يوم التغابن ﴿فيما كنتم﴾ [4]أى بما [هو -[5]] لكم كالجبلة[6] ﴿فيه﴾ [7]أى خاصة[7] ﴿تختلفون ۝﴾ فى أمر الدين ، و من نصر ذلك اليوم لم يبال بما حل به قبله "و سيعلم الذين ظلموا اى منقلب ينقلبون" قال البغوى[8] : و الاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين إلى خلاف ما ذهب إليه الآخر .

و لما كان حفظ ما يقع بينهم[9] على كثرتهم فى طول الأزمان أمرا هائلا ، أتبعه قوله : ﴿الم تعلم ان الله﴾ بجلال عزه و عظيم سلطانه ﴿يعلم ما فى[10]﴾ و لما كان السياق لحفظ أحوال الثقلين للحكم بينهم ، [و -[11]] كان أكثر ما يتخيل أن بعض الجن يبلغ استراق السمع من السماء الدنيا ، لم تدع حاجة إلى ذكر أكثر منها ، فأفرد معبرا بما يشمل - لكونه جنسا - الكثيرَ أيضا فقال : ﴿ السمآء و الارض ﴾ مما يتفق[12]

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بذلك فى قوله (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « كالجبلة » ساقطة من ظ (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل : فى الجبلة (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٤/٢٢ (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهم .
(١٠) تأخر فى الأصل و ظ عن « أيضا فقال » س ١٤ و الترتيب من مد .
(١١) زيد من ظ و مد (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تنفق .

منهم و من غيرهم من جميع الخلائق الحيوانات و غيرها .

و لما كان الإنسان محل النسيان، لايحفظ الأمور إلا بالكتاب، خاطبه بما يعرف، مع ما فيه من عجيب القدرة، فقال: ﴿ان ذلك﴾ [1]أى الأمر العظيم[1] ﴿فى كتب[1]﴾ كتب فيه كل شىء حكم بوقوعه قبل وقوعه و كتب جزاءه؛ و لما كان جمع ذلك فى كتاب أمرا بالنسبة إلى الإنسان متعذرا، أتبعه التعريف بسهولته عنده فقال: ﴿ان ذلك﴾ أى [2]علم ذلك الأمر العظيم[2] بلا كتاب، و جمعه فى كتاب قبل كونه و بعده ﴿على الله﴾ أى الذى لا [حد -[3]] لعظمته، وحده ﴿يسير﴾ .

و لما أخبر سبحانه أن الشك لايزال ظرفا لهم - لما يلقى الشيطان من شبهه فى قلوبهم القابلة[4] لذلك بمالها من المرض و ما فيها من الفساد - إلى إتيان الساعة، و عقب ذلك بما ذكر من الحكم المفصلة، و الأحكام المشرفة المفضلة، إلى أن ختم بأنه وحده الحكم فى الساعة، مرهبا من تمام علمه / و شمول قدرته، قال معجبا ممن[5] لاينفعه الموعظة و لايجوّز الواجب و هو يوجب المحال، عاطفا على "و لا يزال": ﴿و يعبدون﴾ [1]أى على سبيل التجديد و الاستمرار[1] ﴿من دون الله﴾ [1]أى من أدنى رتبة من رتب[1] الذى قامت جميع الدلائل على احتوائه على جميع صفات الكمال، و تنزهه عن شوائب النقص ﴿ما لم ينزل به سلطنا﴾

/ ٥٧٦

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) فى ظ: علمه (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: المقابلة (٥) من ظ، و فى الأصل و مد: مما .

أى حجة واحدة من الحجج .

و لما كان قد يتوهم أن عدم إنزال السلطان لاينفيه ، قال مزيلا لهذا الوهم : ﴿و ما ليس لهم به علم[1] ﴾ أى أصلا ﴿و ما﴾ أى و الحال أنهم ما لهم ، و لكنه أظهر إشارة إلى الوصف الذى استحقوا به الهلاك فقال : ﴿ للظالمين ﴾ أى الذين وضعوا التعبد فى غير موضعه بارتكابهم ٥ لهذا الأمر العظيم الخطر ؛ و أكد النفى [و استغرق المنفى -[1]] باثبات الجار فقال : ﴿من نصير ﴾ [أى -[1]] ينصرهم من الله ، لا بما أشركوه به و لا من غيره ، لا فى مدافعة عنهم و لا فى إثبات حجة لمذاهبهم ، فنفى أن يكون أحد يمكنه أن يأتى بنصرة تبلغ القصد بأن [يغلب -[2]] المنصور عليه ، و أما مطلق نصر لا يفيد بما تقدم من شبه [الشيطان -[2]] فلا . ١٠

و لما ذكر اعترافهم بما لايعرف [بنقل و لاعقل -[2]] ، ذكر إنكارهم لما لايصح أن ينكر فقال : ﴿ و اذا تتلى[1] ﴾ أى على سبيل التجديد و المتابعة من أىّ تالٍ كان ﴿ عليهم آيتنا ﴾ أى المسموعة على ما لها من العظمة و العلو[3] ، حال كونها ﴿بينت﴾ لا خفاء بها عند من له بصيرة فى شىء مما دعت إليه من الأصول و الفروع ﴿ تعرف ﴾ بالفراسة فى ١٥ وجوههم - هكذا كان الأصل ، و لكنه أبدل الضمير بظاهر يدل على عنادهم فقال : ﴿فى وجوه الذين كفروا ﴾ أى تلبسوا بالكفر ﴿ المنكر[1] ﴾ أى الإنكار الذى هو منكر فى نفسه لما حصل لهم من

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .

الغيظ ؛ ثم بين [1]ما لاح[1] فى وجوههم فقال : ﴿ يكادون يسطون ﴾ أى يوقعون السطوة بالبطش و العنف ﴿ بالذين يتلون عليهم [1]ايتنا[1] ﴾ أى[2] الدالة على أسمائنا الحسنى ، و صفاتنا العلى ، القاضية بوحدانيتنا ، مع كونها بينات فى غاية الوضوح فى أنها كلامنا ، لما فيها من الحكم و البلاغة التى عجزوا عنها .

و لما استحقوا - بانكارهم [و - [3]] ما أرادوه من الأذى لأولياء الله - النكال ، تسبب عنه إعلامهم بما استحقوه ، فقال مؤذنا بالغضب بالإعراض عنهم[4] ، آمرا له صلى الله عليه و سلم بتهديدهم : ﴿ قل افانبئكم ﴾ أى أتعون[5] فأخبركم خبرا عظيما ﴿ بشر من ذلكم[1] ﴾ [6]الأمر الكبير من الشر الذى أردتموه بعباد الله التالين[7] عليكم للآيات و ما حصل لكم من الضجر من ذلك ، فكأنه قيل : ما هو ؟ فقيل : ﴿ النار[1] ﴾ ثم استأنف قوله متهكما[8] بهم بذكر الوعد : ﴿ وعدها الله ﴾ العظيم الجليل ﴿ الذين كفروا[1] ﴾ جزاء لهم على همهم هذا ، فبئس الموعد هى ﴿ و بئس المصير ﴾ .

و لما أخبر تعالى عن أنه لاحجة لعابد غيره ، و هدد من عاند[9] ، أتبعه بأن الحجة قائمة على أن ذلك الغير فى غاية الحقارة ، و لا قدرة

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كاح (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنهما (٥) من الوعى (٦) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : التالين . (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : تهكما (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : عانه .

له على دفع ما هدد به عابدوه و لا على غيره، فكيف بالصلاحية لتلك[1] الرتبة الشريفة، و الخطة العالية المنيفة، فقال مناديا أهل العقل منبها تنبيها عاما: ﴿يا أيها الناس﴾. / ٥٧٧

[2]و لما كان المقصود من المثل تعقله[3] لا قائله، بنى للمفعول قوله: ﴿ضرب مثل﴾ [4]حاصله أن من عبدتموه أمثالكم، بل هم[5] أحقر منكم ﴿فاستمعوا﴾ أى أنصتوا متدبرين ﴿له[6]﴾ ثم فسره بقوله: ﴿ان الذين تدعون﴾ أى فى حوائجكم، و تجعلونهم آلهة ﴿من دون الله﴾ أى الملك الأعلى من هذه الأصنام التى أنتم بها مغترون، و لما تدعون فيها مفترون، [6]لأن سلب القدرة عنها يبين أنها فى[7] أدنى المراتب ﴿لن يخلقوا ذبابا﴾ أى لا قدرة لهم على ذلك الآن، و لا يتجدد لهم هذا الوصف أصلا فى شىء من الأزمان، على حال من الأحوال، مع صغره، فكيف بما هو أكبر منه ﴿و لو اجتمعوا﴾ [أى الذين زعموهم شركاء -[8]] ﴿له[6]﴾ أى الخلق، فهم فى هذا أمثالكم ﴿و ان﴾ أى و أبلغ من هذا أنهم عاجزون عن[9] مقاومة[10] الذباب فانه إن ﴿يسلبهم الذباب﴾ أى الذى تقدم أنه لا قدرة لهم على خلقه و هو فى [غاية -[11]] الحقارة

(١) من ظ و مد، و فى الأصل «فتلك» (٢) العبارة من هنا إلى «للمفعول قوله» ساقطة من ظ (٣) من مد، و فى الأصل: معقله (٤) زيد فى مد: اى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: هى (٦) العبارة من هنا إلى «المراتب» ساقطة من ظ (٧) من مد، و فى الأصل: من (٨) زيد من مد (٩) سقط من مد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: مقاربة (١١) زيد من ظ و مد.

﴿شيئا﴾ من الأشياء جل أو قل مما تطلونهم[1] به من الطيب أو تضعونه بين أيديهم من الأكل أو غيره ﴿لا يستنقذوه﴾ أى يوجدوا[2] خلاصه أو[3] يطلبوه ﴿منه[4]﴾ فهم فى هذا أحقر منكم،[4] و جهة التمثيل به فى الاستلاب الوقاحة، و لهذا يجوز عند الإبلاغ فى الذب، فلو كانت وقاحته[5] فى الأسد لم ينج منه أحد، و لكن[6] اقتضت الحكمة أن تصحب[7] قوة الأسد النفرة، و وقاحة الذباب الضعف، [و هو واحد لا جمع، فى الجمع بين العباب و المحكم أن ابن عبيدة قال: إنه الصواب، ثم قال: و فى «كتاب ما تلحن فيه العامة» لأبى عثمان المازنى: و يقال: هذا ذباب واحد، و ثلاثة أذبة، لأقل العدد و لأكثره ذباب، و قول الناس: ذبابة - خطأ، فلا تقله -[8]].

[و لما كان هذا ربما أفهم قوة الذباب -[9]]، عرف أن المقصود غير ذلك بقوله، فذلكة للكلام من[10] أوله: ﴿ضعف الطالب﴾ أى للاستنقاذ من الذباب، و هو الأصنام و عابدوها ﴿و المطلوب﴾ أى الذباب و الأصنام، اجتمعوا فى الضعف و إن كان الأصنام أضعف بدرجات[11].

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تطلبونهم (٢) فى ظ: يستخلصوه، و العبارة فيه من بعده إلى «يطلبوه» ساقطة (٣) من مد، و فى الأصل «و». (٤) العبارة من هنا إلى «الذباب الضعف» ساقطة من ظ (٥) من مد، و فى الأصل: رقاحته (٦) من مد، و فى الأصل: لكنها (٧) من مد، و فى الأصل: يصحف (٨) زيد من مد (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: فى (١١) سقط من ظ.

ولما أنتج هذا جهلهم بالله، عبر عنه بقوله: ﴿ما قدروا الله﴾ أي الذي له الكمال كله ﴿حق قدره﴾ في وصفهم بصفة غيره كائنا من كان، فكيف وهو أحقر الأشياء. ولما كان كأنه قيل: ما قدره؟ قال: ﴿ان الله﴾ أي الجامع لصفات الكمال ﴿لقوي﴾ على خلق كل ممكن ﴿عزيز﴾ لا يغلبه شيء، وهو يغلب كل شيء بخلاف ٥ أصنامهم وغيرها.

ولما نصب الدليل على أن ما دعوه لا يصلح أن يكون شيء منه إلها بعد أن أخبر أنه لم ينزل إليهم حجة بعبادتهم لهم، وختم بما له سبحانه من وصفي القوة والعزة بعد أن أثبت أن له الملك كله، تلا ذلك بدليله الذي تقتضيه[1] سعة الملك وقوة السلطان من إنزال الحجج ١٠ على ألسنة الرسل بأوامره ونواهيه الموجب[2] لإخلاص العبادة [له[3]] المقتضي لتعذيب تاركها، فقال: ﴿الله﴾ أي الملك الأعلى ﴿يصطفي﴾ أي يختار ويخلص[4] ﴿من الملائكة رسلا﴾ إلى ما ينبغي الإرسال فيه من العذاب والرحمة، فلا يقدر أحد على صدهم عما أرسلوا له، ولا شك أن قوة الرسول من قوة المرسل ﴿ومن الناس[5]﴾ أيضا رسلا يأتون ١٥ عن الله بما يشرعونه لعباده، لتقوم عليهم بذلك حجة النقل، مضمومة[6] إلى سلطان العقل. فمن عاداهم خسر وإن طال استدراجه. ولما كان ذلك لا يكون إلا بالعلم، قال: ﴿ان الله﴾ أي الذي له [7]الجلال والجمال[7]

(١) في ظ: يقتضيه (٢) بين سطري ظ: أي الدليل (٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: عند (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: مضمونه (٧-٧) من ظ ومد، وفي الأصل: الجمال والكمال.

﴿ سميع ﴾ أى لما يمكن أن يسمع من الرسول و[1] غيره ﴿ بصير ﴾ أى مبصر عالم بكل ما يمكن عقلا أن يبصر و يعلم ، بخلاف أصنامهم .

و لما كان المتصف بذلك قد يكون وصفه مقصورا على / بعض الأشياء ، أخبر أن صفاته محيطة فقال : ﴿ يعلم ما بين ايديهم ﴾ أى الرسل ﴿ و ما خلفهم[1] ﴾ أى علمه محيط [2]بما هم مطلعون عليه و بما غاب عنهم[2] ، فلا يفعلون شيئا إلا باذنه ، فانه يسلك من بين أيديهم و من خلفهم رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم و إن ظن الجاهلون غير ذلك ، لاحتجابه سبحانه و تعالى فى الأسباب ، فلا يقع فى فكر أصلا أن المحيط [3]علما بكل شىء[3] الشامل القدرة لكل شىء يكل رسولا[4] من رسله إلى نفسه ، فيتكلم بشىء لم يرسله به ، و لا أنه يمكن شيطانا أو غيره أن يتكلم على لسانه بشىء ، بل كل[5] منهم محفوظ فى نفسه " لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى " محفوظ عن تلبيس غيره " انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحفظون " ﴿ و الى الله ﴾ أى الذى لا كفوء له ، وحده ﴿ ترجع ﴾ [6]أى بغاية السهولة بوعد فصل لا بد منه[6] ﴿ الامور ﴾ يوم يتجلى[7] لفصل القضاء ، فيكون أمره[8] ظاهرا لاخفاء فيه ، و لا يصدر[9]

(١) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢-٢) فى ظ : بهم (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بكل شىء علما (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : رسول (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينجلى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعتذر .

شيء من الأشياء إلا على وجه العدل الظاهر لكل أحد أنه منه . و لا يكون لأحد التفات إلى غيره ، و الذى [هو -[1]] بهذه الصفة له أن يشرع ما يشاء ، و ينسخ من الشروع ما يشاء ، و يحكم بما[2] يريد .

و لما أثبت سبحانه أن الملك و الأمر له وحده ، و أنه قد أحكم شرعه ، و حفظ رسله ، و أنه يمكن لمن[3] يشاء أىّ دين شاء ، و ختم ذلك بما يصلح للترغيب و الترهيب ، و كانت العادة جارية بأن الملك إذا برزت أوامره و انبثت[4] دعاته ، أقبل إليه مقبلون ، خاطب المقبلين إلى دينه ، و هم الخلص من الناس ، فقال : ﴿ يـٰأيها الذين آمنوا ﴾ أى قالوا[5] : آمنا ﴿اركعوا﴾ تصديقا لقولكم ﴿و اسجدوا﴾ أى صلوا الصلاة التى شرعتها للآدميين ، فانها رأس العبادة ، لتكون دليلا على صدقكم فى الإقرار بالإيمان ، و خص هذين الركنين فى التعبير عن الصلاة بهما ، لأنهما - لمخالفتهما الهيئات المعتادة - هما الدالان على الخضوع ، فحسن التعبير بهما عنها[6] جدا فى السورة التى جمعت جميع الفرق الذين [فيهم -[1]] من[7] يستقبح - لما غلب عليه من العتو - بعض الهيئات الدالة على ذل[8] .

و لما خص أشرف[9] العبادة ، عم بقوله : [10]﴿و اعبدوا﴾ أى بأنواع

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اثبتت (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كانوا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنهما (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعرف (١٠) العبارة من هنا إلى « بلانية فقال » ساقطة من مد .

العبادة ﴿ربكم﴾ المحسن إليكم بكل نعمة دنيوية و دينية . و لما ذكر عموم العبادة ، أتبعها ما قد يكون أعم منها مما صورته صورتها ، و قد يكون بلا نية ، فقال : ﴿و افعلوا الخير﴾ أى كله من القرب كصلة الأرحام و عيادة المرضى و نحو ذلك ، من معالى الأخلاق بنية و بغير نية ، حتى ٥ يكون [1]ذلك لكم[1] عادة فيخف[2] عليكم عمله لله ، و هو قريب منه ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا[3] ، قال أبو حيان[4] : بدأ بخاص ثم بعام ثم بأعم - ﴿لعلكم تفلحون ج﴾ أى ليكون حالكم حال من يرجو الفلاح ، و هو الفوز بالمطلوب ؛ قال ابن القطاع[5] : أفلح الرجل : فاز بنعيم الآخرة ، و فلح أيضا لغة فيه . و فى الجمع بين العباب و المحكم : الفلح و الفلاح : ١٠ الفوز و البقاء /٥٧٩/ ، و فى التنزيل "قد افلح المؤمنون" أى نالوا البقاء الدائم ، و فى الخبر[6] : أفلح الرجل : ظفر . و يقال لكل من أصاب خيرا : مفلح .

و لما كان الجهاد أساس العبادة ، و هو - مع كونه حقيقة فى قتال الكفار - صالح[7] لأن يعم كل أمر بمعروف و نهى عن منكر بالمال ١٥ و النفس بالقول و الفعل بالسيف و غيره ، و كل اجتهاد[8] فى تهذيب

(١ - ١) فى مد : لكم ذلك ، و فى ظ : لكم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيخفف (٣) و الحديث رواه ابن ماجه فى مناسبات الإقامة و الزهد (٤) راجع البحر المحيط ٦ / ٣٩١ (٥) فى كتاب الأفعال ٢ / ٣٦١ (٦) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها ، و الحديث رواه البخارى فى غير موضع . (٧) فى ظ : صالحا (٨) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .

النفس و إخلاص العمل ، ختم به فقال : ﴿ و جاهدوا فى[1] الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له فى كل ما ينسب إليه سبحانه ، لايخرج منه[2] شىء عنه[3] ، كما لا يخرج شىء من المظروف عن الظرف ﴿ حق جهاده[4] ﴾ باستفراغ الطاقة [1] فى إيقاع[5] كل [ما[6] -] أمر به من جهاد العدو[7] و النفس على الوجه الذى أمر به من الحج و الغزو و غيرهما جهادا يليق بما أفهمته الإضافة إلى ضميره سبحانه من الإخلاص و القوة ، فانه يهلك[8] جميع من يصدكم عن شىء منه .

و لما أمر سبحانه بهذه الأوامر ، أتبعها[9] بعض ما يجب به شكره ، و هو كالتعليل لما قبله ، فقال : ﴿ هو اجتبىكم ﴾ أى اختاركم لجعل[9] الرسالة فيكم و الرسول منكم و جعله[10] أشرف الرسل ، و دينه أكرم الأديان ، و كتابه أعظم الكتب ، و جعلكم - لكونكم أتباعه - خير الأمم ﴿ و ما جعل عليكم فى الدين ﴾ الذى اختاره لكم ﴿ من حرج[1] ﴾ أى ضيق يكون به[11] نوع عذر لمن توانى فى الجهاد الأصغر و الأكبر كما جعل على من كان قبلكم كما تقدم ذكر بعضه فى[12] البقره و غيرها ، أعنى ﴿ ملة ﴾ .

(١) زيد فى الأصل : سبيل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) بين سطرى ظ : أى الجهاد (٣) بين سطرى ظ : أى عن الله (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل: بايقاع (٥) زيد من ظ و مد (٦) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل: بها اشد - كذا (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: اتبعه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بجعل (١٠) من ظ ومد ، و فى الأصل: حعل (١١) سقط من مد (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل: « و » .

و لما كان أول مخاطب بهذا قريشا ، ثم مضر ، و كانوا كلهم أولاد إبراهيم عليه الصلاة و السلام حقيقة ، قال : ﴿ ابيكم ابرهيم[1] ﴾ أى الذى ترك عبادة الأصنام و نهى عنها ، و وحدالله[2] و أمر[2] بتوحيده ، يا من تقيدوا بتقليد الآباء ! فالزموا دينه لكونه أبا ، و لكونه أمرت به ، و هو أب لبعض المخاطبين من الأمة حقيقة ، و لبعضهم مجازا بالاحترام و التعظيم ، فيعم الخطاب الجميع ، و لذلك[3] حثهم على ملته بالتعليل بقوله : ﴿ هو ﴾ أى إبراهيم عليه السلام ﴿ سمّكم المسلمين[4] ﴾ فى الأزمان[5] المتقدمة ﴿ من قبل ﴾ أى قبل إنزال هذا القرآن ، فنوّه بذكركم و الثناء عليكم فى سالف الدهر و قديم الزمان [6]فكتب ثناءه[6] فى كتب الأنبياء يتلى على الأحبار و الرهبان ، و سماكم أيضا مسلمين ﴿ و فى هذا ﴾ الكتاب الذى أنزل عليكم من بعد إنزال تلك الكتب كما أخبرتكم عن دعوته فى قوله " و من ذريتنا امة مسلمة لك " لأنه بانتفاء الحرج يطابق الاسم المسمى ، و يجوز - و لعله أحسن - أن يكون " هو سمّكم " تعليلا للأمر بحق الجهاد بعد تعليله[6] بقوله " هو اجتبكم " فيكون الضمير لله تعالى ، و يشهد له بالحسن قراءة أبى رضى الله عنه بالجلالة عوضا عن الضمير ، أى أن كل أمة تسمت باسم من تلقاء نفسها ، و الله تعالى خصكم باسم الإسلام مشتقا له من اسمه "السلام" مع ما خصكم به من

(١) ليس فى الأصل فقط (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كما مر .
(٣-٣) فى ظ : ثم (٤) فى ظ : الكتب (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعليل .

اسم

اسم الإيمان اشتقاقا من اسمه المؤمن، فأثبت لكم هذا الاسم في كتبه، و اجتباكم لاتباع رسوله.

[1]و لما كان الاسم إذا كان ناشئا عن الله تعالى سواء كان بواسطة نبي من أنبيائه أو بغير واسطة يكون مخبرا عن كيان المسمى، وكان التقدير: رفع عنكم الحرج و سماكم بالإسلام / لتكونوا أشد الأمم انقيادا ٥ ٥٨٠ / لتكونوا خيرهم، علل هذا المعنى بقوله[1]: ﴿ليكون الرسول﴾ يوم القيامة ﴿شهيدا عليكم﴾ لأنه خيركم، و الشهيد يكون خيرا [2]و لمكون[2] السياق لإثبات مطلق وصف الإسلام فقط، لم يقتض الحال تقديم[3] الظرف بخلاف آية البقرة[5]، فانها لإثبات ما هو أخص منه ﴿و تكونوا﴾ [بما في جبلاتكم من الخير -[6]] ﴿شهداء على الناس﴾ بأن رسلهم بلغتهم ١٠ رسالات ربهم، لأنكم قدرتم الرسل حق قدرهم، و لم[7] تفرقوا بين أحد منهم، و علمتم أخبارهم من كتابكم على لسان رسولكم صلى الله عليه و سلم، فبذلك [كله -[8]] صرتم خيرهم، فأهلتم للشهادة و صحت شهادتكم و قبلكم الحكم العدل،[9] و قد دل [هذا -[6]] على أن شهادة غير المسلم ليست مقبولة.

و لما ندبهم لأن[10] يكونوا خير الناس، تسبب عنه قوله[11]: ﴿فاقيموا﴾ ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) العبارة من من هنا إلى «أخص منه» ساقطة من ظ (٣) من مد، و في الأصل: ليكون (٤) من مد، و في الأصل: تقدم ٥) ١٤٣ (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: لا (٨) زيد من ظ و مد (٩) العبارة من هنا إلى «عنه قوله» ساقطة من ظ (١٠) من مد، و في الأصل: ان (١١) من مد، و في الأصل: بقوله.

أى فتسبب عن إنعامى عليكم بهذه النعم و إقامتى لكم فى هذا المقام الشريف أنى أقول لكم : أقيموا ﴿الصلوٰة﴾ التى هى زكاة قلوبكم ، و صلة ما بينكم و بين ربكم ﴿و اتوا الزكوٰة﴾ التى هى طهرة[1] أبدانكم ، و صلة ما بينكم و بين إخوانكم ﴿و إعتصموا بالله[2]﴾ [اى -[3]] المحيط بجميع صفات الكمال ، فى جميع ما أمركم به ، من المناسك التى[3] تقدمت و غيرها لتكونوا متقين ، فيذب عنكم من يريد أن يحول بينكم و بين شىء منها و يقيكم هول الساعة ؛ ثم علل أهليته لاعتصامهم به بقوله : ﴿هو﴾ أى وحده ﴿مولىكم ج﴾ أى المتولى لجميع أموركم ، فهو ينصركم على كل من يعاديكم ، بحيث تتمكنون[4] من إظهار هذا الدين[5] من مناسك الحج و غيرها ؛ ثم علل الأمر بالاعتصام و توحده بالولاية[6] بقوله : ﴿فنعم المولى﴾ أى هو ﴿و نعم النصير ج﴾ لأنه إذا تولى أحدا[7] كفاه كل ما أهمه ، و إذا نصر أحدا أعلاه على كل من خاصمه « و لا يزال العبد يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته » - الحديث ، « إنه لا يذل من واليت و لا يعز من عاديت » [و -[7]] هذا نتيجة التقوى ، و ما قبله من أفعال الطاعة دليلها . فقد انطبق آخر السورة على أولها ، و رد مقطعها على مطلعها - و الله[8] أعلم بمراده و أسرار كتابه و هو الهادى للصواب[8] .

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : طهارة (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتمكنون (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المناسك (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : احد (٨-٨) فى ظ : الهادى للصواب ، و فى مد : الهادى .

سورة[1] المؤمنون

مقصودها اختصاص المؤمنين بالفلاح ، و اسمها واضح الدلالة على ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الأمر كله ، فلا راد لأمره ﴿ الرحمن ﴾ الذى من عموم رحمته الإبلاغ فى البيان ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص من أراد بالإيمان . ٥

لما ختمت الحج بنداء[2] "الذين آمنوا" و أمرهم بأمور الدين خاصة و عامة ، و ختم بالصلاة و الزكاة و العصمة به سبحانه موصوفا بما ذكر ، أوجب ذلك توقع المنادين كل خير ، فابتدأت هذه بما يثمر الاعتصام به سبحانه فى الصلاة و غيرها من خلال الدين فى الدارين ، فقال تعالى مفتتحا بحرف التوقع : ﴿ قد ﴾ و هى نقيضة لما تثبت المتوقع[3] و تقرب ١٠ الماضى من الحال و لما تنفيه ﴿ افلح ﴾ أى فاز و ظفر الآن بكل ما يريد ، و نال البقاء الدائم فى الخير ﴿ المؤمنون ﴾ و عبر بالاسم إشارة إلى أن من أقر بالإيمان و عمل بما أمر به فى آخر التى قبلها ، استحق الوصف / الثابت[4] لأنه اتقى و أنفق مما[5] رزق فأفلح "و من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون" ؛ ثم قيدهم بما يلزم من الصدق فى الإيمان فقال : ﴿ الذين هم ﴾ ١٥ أى بضمائرهم و ظواهرهم ﴿ فى صلاتهم ﴾ أضيفت إليهم ترغيبا لهم فى

/ ٥٨١

(١) الثالثة و العشرون من سور القرآن ، مكية ، و هى مائة و ثمان عشرة آية فى الكوفى ، و مائة و سبع عشرة آية فى الباقى (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : مبدا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : التوقع (٤) العبارة من هنا إلى « المفلحون » ساقطة من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : بما .

حفظها، لأنها بينهم و بين الله تعالى، و هو غنى عنها، فهم المنتفعون بها[1] ﴿خاشعون[2]﴾ أي أذلاء ساكنون متواضعون مطمئنون قاصرون[3] بواطنهم بظواهرهم[4] على ما هم فيه؛ قال الرازي: خائفون خوفا يملأ القلب حرمة، و الأخلاق تهذيبا، و الأطراف تأديبا، أي خشية[5] أن ترد عليهم صلاتهم، و من ذلك خفض البصر إلى موضع السجود. قال الرازي: فالعبد إذا دخل في الصلاة رفع الحجاب، و إذا التفت أرخي، قال: و هو خوف ممزوج بتيقظ و استكانة، ثم قد يكون في المعاملة إيثارا و مجاملة و إنصافا و معدلة، و في الخدمة حضورا و استكانة، و في السر تعظيما و حياء و حرمة، و الخشوع في الصلاة بجمع الهمة لها، و الإعراض عما سواها، و ذلك بحضور القلب و التفهم و التعظيم و الهيبة و الرجاء و الحياء، و إذا كان هذا حالهم[6] في الصلاة التي هي أقرب القربات، فهم به فيما سواها أولى. قال ابن كثير[5]: و الخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن[6] فرغ قلبه لها، و اشتغل بها عما عداها، و آثرها على غيرها، و حينئذ تكون راحة له و قرة عين[7] «و جعلت قرة عيني في الصلاة» رواه أحمد [و النسائي عن أنس رضي الله عنه «يا بلال! أرحنا بالصلاة» - رواه أحمد -[8]] عن رجل من أسلم رضي الله عنه.

(١) سقط من مد (٢ - ٢) من ظ و مد، و في الأصل: ظواهرهم و بواطنهم.
(٣) زيد في الأصل و ظ: من، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٤) العبارة من هنا إلى «الخشوع في الصلاة» ساقطة من مد (٥) راجع تفسيره ٣/٣٣٨.
(٦) من ظ و مد و التفسير، و في الأصل: من (٧) سقط من مد (٨) زيد من ظ و مد و التفسير خلاصة.

و لما كان كل من الصلاة و الخشوع صادا عن اللغو ، أتبعه قوله: ﴿و الذين هم﴾ [1] ضمائرهم التي [2] تبعها ظواهرهم ﴿عن اللغو﴾ أي ما لا يعنيهم . و هو كل ما يستحق أن يسقط و يلغى ﴿معرضون﴾ [3] أي تاركون عمدا . فصاروا جامعين فعل ما يعني و ترك ما لا يعني .

و لما جمع بين قاعدتي بناء التكاليف : فعل الخشوع و ترك اللغو ، و كان الإنسان محل العجز و مركز التقصير ، فهو لا يكاد يخلو عما لا يعنيه ، و كان المال مكفرا لما [4] قصد من الإيمان فضلا عما ذكر منها على سبيل اللغو فكان مكفرا للغو في غير اليمين من باب الأولى "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها" أتبعه قوله : ﴿و الذين هم﴾ و أثبت اللام [5] تقوية لاسم الفاعل فقال : ﴿للزكوة﴾ أي التزكية [6] ، و هي إخراج الزكاة ، أو لأداء الزكاة التي هي أعظم مصدق للإيمان ﴿فاعلون﴾ [7] ليجمعوا في طهارة الدين بين القلب و القالب و المال ؛ قال ابن كثير [8] : هذه مكية ، و إنما فرضت [الزكاة -] بالمدينة [في سنة اثنتين من الهجرة ، و الظاهر أن التي [8] فرضت بالمدينة -] إنما هي ذات النصب ، و أن أصل الزكاة كان واجبا بمكة كما قال تعالى في سورة الانعام "و آتوا حقه يوم حصاده" .

/ ٥٨٢

---

(١) العبارة من هنا إلى «ظواهرهم» ساقطة من ظ (٢) من مد ، و في الأصل : الذي (٣) زيد في الأصل : وصل ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها . (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : الكلام (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : المزكية (٦) راجع تفسيره ٣/٢٣٨ (٧) زيد من ظ و مد و التفسير (٨) في ظ : الذي .

و لما أشار إلى أن بذل[1] المال على وجهه طهرة، و أن حبسه عن ذلك تلفة ، أتبعه الإيماء إلى أن بذل الفرج فى غير وجهه نجاسة ، و حفظه طهرة . فقال : ﴿ و الذين هم لفروجهم ﴾ فى الجماع و ما داناه [2]بالظاهر و الباطن[2] ﴿ حفظون ۝ ﴾ أى دائما لا يتبعونها شهوتها ، بل هم قائمون عليها

٥٨٢/ ٥ يذلونها / و يضبطونها ، و ذكرها بعد اللغو الداعى إليها و بذل المال الذى هو من أعظم أسبابها عظيم المناسبة ؛ ثم استثنى من ذلك فقال : ﴿ الا على ازواجهم ﴾ اللاتى ملكوا أبضاعهن بعقد[3] النكاح ، و لعلو الذكر عبر به على ﴿ او ما ملكت ايمانهم ﴾ رقابه[4] من السرارى ، و عبر بـ ما لقربهن مما لا يعقل لنقصهن عن الحرائر الناقصات عن الذكور

١٠ ﴿ فانهم غير ملومين ۝ ﴾ أى على بذل الفرج فى ذلك إذا كان على وجهه .

و لما كان من لم يكتف بالحلال مكلفا نفسه طلب ما يضره ، سبب عن ذلك قوله مخبرا بما يفهم العلاج : ﴿ فمن ابتغى ﴾ أى تطلب[5] متعديا ﴿ وراء ذلك ﴾ [العظيم المنفعة -[6]] الذى وقع استثناؤه بزنا أو لواط أو استمناء بيد أو بهيمة أو غيرها ﴿ فاولئك ﴾ البعيدون من الفلاح

١٥ ﴿ هم العدون ۝ ﴾ أى المبالغون فى تعدى الحدود ، لما يورث ذلك من اختلاط الانساب ، و انتهاك الأعراض . و إتلاف الأموال ، و إيقاد الشر بين العباد .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الاصل : ابدال (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عقد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : وقاية .

(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطلب (٦) زيد من مد .

و لما كان ذلك من الأمانات العظيمة ، أتبعه عمومها فقال : ﴿ و الذين هم لأمنتهم ﴾ أى فى الفروج و غيرها ، سواء كانت بينهم و بين الله كالصلاة و الصيام و غيرهما ، أو فى المعانى الباطنة كالإخلاص و الصدق ، أو بينهم و بين الخلق كالودائع و البضائع ، فعلى العبد الوفاء بجميعها -[قاله الرازى -[1]] . و لما كان العهد أعظم أمانة ، تلاها به تنبيها على عظمه فقال : ﴿ و عهدهم راعون ﴾ اى حافظون بالقيام و الرعاية و الإصلاح .

و لما كانت الصلاة أجلّ ما عهد فيه من أمر الدين و آ كد ، و هى من الأمور الخفية التى وقع الائتمان عليها ، لما خفف الله فيها على هذه الأمة بإيساع زمانها و مكانها ، قال : ﴿ و الذين هم على صلوتهم ﴾ التى وصفوا بالخشوع فيها ﴿ يحافظون ﴾ أى يجددون تعهدها[2] بغاية جدهم[3] ، لا يتركون شيئا من مفروضاتها و لا مسنوناتها ، و يجتهدون فى كمالاتها ، وحّدت[4] فى قراءة حمزة و الكسائى للجنس ، و جمعت عند الجماعة إشارة إلى أعدادها و أنواعها ، و لا يخفى ما فى افتتاح هذه الأوصاف و اختتامها بالصلاة من التعظيم لها ، كما قال صلى الله عليه و سلم[5] : و اعلموا أن خير أعمالكم الصلاة .

و لما ذكر مجموع هذه الأوصاف العظيمة ، فخم جزاءهم فقال : ﴿ اولئك ﴾ أى[6] البالغون من الإحسان أعلى مكان ﴿ هم ﴾ خاصة

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعهدها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : جهدهم (٤) راجع نثر المرجان ٤/٥٢١ (٥) راجع أبواب الطهارة من سنن ابن ماجه (٦) سقط من ظ .

﴿الوارثون ۝﴾ أى المستحقون لهذا الوصف المشعر ببقائهم بعد أعدائهم[١] فيرثون دار الله لقربهم منه و اختصاصهم به بعد إرثهم أرض الدنيا التى قارعوا عليها على قلتهم و ضعفهم أعداءنا الكفار على كثرتهم و قوتهم، فكانت العاقبة[٢] فيها لهم كما كتبنا فى الزبور "ان الارض يرثها عبادى الصلحون" "لنهلكن الظلمين و لنسكننكم الارض من بعدهم" ﴿الذين يرثون الفردوس[٣]﴾ التى هى أعلى الجنة، و هى [فى الأصل -[٣]] البستان العظيم الواسع، يجمع محاسن النبات و الأشجار من العنب و ما ضاهاه من كل ما يكون [فى البساتين و الأودية التى تجمع ضروبا من النبت -[٣]]: فيحوزون منها بعد البعث ما أعد الله لهم فيها من المنازل و ما كان أعد للكفار لو آمنوا / أو[٤] لو لم يخرجوا بخروج أبويهم من الجنة ﴿هم﴾ خاصة ﴿فيها﴾ أى[٥] لا فى غيرها ﴿خلدون ۝﴾ و هذه الآيات أجمع ما ذكر فى وصف المؤمنين، روى الإمام أحمد فى مسنده[٦] و الترمذى فى التفسير[٧] من[٨] جامعه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: كان إذا نزل على رسول الله صلى الله عليه و سلم الوحى يسمع[٩] عند وجهه[١٠] كدوى النحل[١١] فنزل عليه يوما[١١] فمكثنا ساعة[١٢] فاستقبل[١٣] القبلة

/٥٨٣

(١) من ظ ومد، و الأصل: اعدامهم (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: العافية. (٣) زيد من ظ ومد (٤) من مد، وفى الأصل وظ «و» (٥) سقط من مد، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى «غيرها» ساقطة من ظ (٦) ١/٣٤. (٧) ٢/٣٨٦ (٨) من مد، وفى الأصل وظ: فى (٩) فى مد: فيسمع، وفى الجامع: سمع (١٠) زيد فى المسند: دوى (١١-١١) ليس ما بين الرقمين فى المسند، و فى الجامع: فانزل عليه يوما (١٢) زيد فى الجامع: فسرى عنه (١٣) من ظ و مد و المسند و الجامع، و فى الأصل: و استقبل.

و رفع

[١] و رفع [١] يديه فقال: اللهم زدنا و لا تنقصنا، و أكرمنا و لا تهنا، و أعطنا و لاتحرمنا، و آثرنا و لاتؤثر علينا، [٢] و ارض عنا و أرضنا [٢]، ثم قال: [٣] لقد أنزلت [٣] علىّ عشر آيات من أقامهن دخل الجنة، ثم قرأ "قد افلح المؤمنون" حتى ختم العشر - و رواه النسائى فى الصلاة و قال: منكر لايُعرَف أحد رواه غير يونس بن سليم و يونس لانعرفه، و عزى ٥ أبو حيان آخر الحديث للحاكم فى المستدرك.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: فصل [٤] فى افتتاحها ما أجمل فى قوله تعالى "يٰأيها الذين [٤] امنوا اركعوا و اسجدوا و اعبدوا ربكم و افعلوا الخير" و أعلم بما ينبغى للراكع و الساجد التزامه من الخشوع، و لالتحام [٥] الكلامين ما ورد الأول أمرا و الثانى مدحة و تعريفا بما به كمال ١٠ الحال، و كأنه لما أمر المؤمنين، و أطمع بالفلاح جزاء لامتثاله، كان مظنة لسؤاله عن تفصيل ما أمر به من العبادة و فعل الخير الذى [٦] به يكمل [٦] فلاحه فقيل له: المفلح من التزم كـذا و كذا، و ذكر سبعة أضرب من العبادة هى أصول لما وراءها [و - [٧]] مستتبعة سائر التكاليف، و قد بسط حكم كل عبادة منها و ما يتعلق بها فى الكتاب و السنة؛ ١٥ و لما كانت المحافظة على الصلاة منافرة إتيان المآثم جملة "ان الصلوة

(١-١) من ظ و مد و المسند و الجامع، و فى الأصل: فرفع (٢-٢) فى الجامع: أرضنا و ارض عنا (٣-٣) فى الجامع: انزل (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: وصل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الالتحام (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يكمل به (٧) زيد من ظ و مد.

تنهى عن الفحشاء و المنكر" لذلك ما ختمت بها هذه العبادات بعد التنبيه[1] على محل الصلاة من هذه العبادة بذكر الخشوع فيها أولا ، و اتبعت هذه الضروب السبعة بذكر أطوار سبعة يتقلب فيها الإنسان قبل خروجه إلى الدنيا فقال تعالى "و لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين - إلى قوله : ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين" و كأن قد قيل له : إنما كمل خلقك و خروجك إلى الدنيا بعد هذه التقلبات السبعة . و إنما تتخلص من دنياك بالتزام هذه العبادات السبع ، و قد وقع [عقب -[2]] هذه الآيات قوله تعالى "و لقد خلقنا فوقكم سبع طرائق" و لعل ذلك مما يقرر هذا الاعتبار [و -[2]] وارد لمناسبته - و الله أعلم ، و كما أن صدر هذه السورة مفسر لما أجمل فى الآيات قبلها فكذا الآيات بعد مفصلة لمجمل ما تقدم فى قوله تعالى "يأيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة" - الآية ، و هذا كاف فى التحام السورتين و الله سبحانه المستعان - انتهى .

و لما ذكر سبحانه الجنة المتضمن ذكرها للبعث ، استدل على القدرة
٥٨٤/ ١٥ / عليه بابتداء الخلق للإنسان ، ثم لما هو أكبر منه من الأكوان ، و ما فيهما من المنافع ، فلما ثبت ذلك شرع يهدد من استكبر عنه باهلاك الماضين . و ابتدأ بقصة نوح عليه الصلاة و السلام لأنه أول ، و لأن[3] نجاته كانت فى الفلك المختوم به الآية التى قبله ، و فى ذلك تذكير بنعمة النجاة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشبيه (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانه .

فيه[١] لأن الكل من نسله ، فلما ثبت بالتهديد باهلاك الماضين القدرة التامة بالاختيار ، خوف العرب مثل ذلك العذاب ، فلما تم زاجر الإنذار بالنقم[٢] شرع فى الاستعطاف إلى الشكر بالنعم ، بتميز الإنسان على سائر الحيوان و نحو ذلك ، ثم عاد إلى دلائل القدرة على البعث بالوحدانية و التنزه[٣] عن الشريك و الولد - إلى آخرها ، ثم ذكر[٤] فى أول التى بعدها على ما ذكر هنا من صون الفروج ، فذكر حكم[٥] من لم يصن فرجه و أتبعه ما يناسبه من توابعه .

و لما كان التقدير : فلقد حكمنا ببعث جميع العباد[٦] بعد الممات ، فريقا منهم إلى النعيم ، و فريقا إلى الجحيم ، فانا قادرون على الإعادة [و إن تمزقتم و صرتم ترابا فانه تراب له أصل فى الحياة -[٧]] ، كما قدرنا على البداءة [فلقد خلقنا أباكم آدم من تراب الأرض قبل أن يكون للتراب أصل فى الحياة -[٧]] . عطف عليه قوله ، دلالة على هذا المقدر[٨] و استدلالا على البعث مظهرا له فى مقام العظمة ، مؤكدا[٩] إقامة لهم بانكارهم للبعث[١٠] مقام المنكرين : ﴿و لقد خلقنا الانسان﴾ أى هذا النوع الذى تشاهدونه آنسا بنفسه مسرورا بفعله و حسه ﴿من سلالة﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : منه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالنعم .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لعو (٤) فى مد : كره (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : العبد (٧) زيد من مد .
(٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المقدور (٩) العبارة من هنا إلى « المنكرين » ساقطة من ظ (١٠) سقط من مد .

أى شىء قليل ، بما تدل عليه الصيغة كالقلامة و القمامة ، انتزعناه و استخلصناه برفق ، فكان على نهاية الاعتدال ، و هى طينة آدم عليه الصلاة و السلام ، سلّها - بما له من اللطف - ﴿ من طين ﴾ أى جنس طين الأرض ، روى الإمام أحمد[1] و أبو داود[2] و الترمذى[3] عن أبى موسى رضى الله عنه عن[4] النبى صلى الله عليه و سلم قال : إن الله خلق آدم عن قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء بنو آدم [على -[5]] قدر الأرض ، جاء منهم الأحمر و الأبيض و الأسود و بين ذلك ، و الخبيث و الطيب و بين ذلك .

و لما ذكر سبحانه أصل الآدمى الأول الذى هو الطين الذى شرفه به لجمعه الطهورين ، و عبر فيه بالخلق لما فيه من الخلط ، لأن الخلق - كما مر عن الحرالى فى أول البقرة : تقدير أمشاج ما يراد إظهاره بعد الامتزاج و التركيب صورة ، مع أنه ليس مما[6] يجرى على حكمة التسبيب[7] التى نعهدها[8] أن يكون من الطين إنسان ، أتبعه سبحانه أصله الثانى الذى هو أطهر الطهورين : الماء الذى منه كل شىء حى ، معبرا[9] عنه بالجعل[10] لأنه كما مر أيضا إظهار أمر عن سبب و تصيير ، [11]و ما هو من الطين

(١) فى مسنده ٤/٤٠٠ و ٤٠٢ (٢) فى أبواب السنة من سننه (٣) فى أبواب التفسير من جامعه (٤) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل : ان (٥) زيد من ظ و مد و المسند (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عما (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : التسبب (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعدها (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل جمعوا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالجهل . (١١) زيد فى ظ : و الطين .

مما

مما يتسبب عنه من[1] الماء و يستجلب منه [2]و هو[2] بسيط لاخلط فيه فلا تخليق له ، [و -[3]] عبر بأداة التراخي[4] لأن[5] جعل الطين ماءا مستبعد جدا فقال: ﴿ ثم جعلنه ﴾ أى الطين أو هذا النوع المسلول [من -[6]] المخلوق من الطين بتطوير أفراده [7]بيديع الصنع و لطيف الوضع[7] ﴿نطفة﴾ أى ماء دافقا [8]لا أثر للطين[8] فيه ﴿ فى قرار ﴾ أى [من -[6]] الصلب ٥ و الترائب ثم الرحم ، مصدر جعل اسما[9] للوضع ﴿مكين﴾ أى مانع من الأشياء المفسدة .

/ و لما كان تصيير[10] الماء دما أمرا بالغا خارجا عن التسبيب[11]، و كانت النطفة التى هى مبدأ[12] الآدمى تفسد تارة و تأخذ فى التكون أخرى ، عبر بالخلق لما يخلطها به مما تكتسبه من الرحم عند التحمير[13] و قرنه ١٠ بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم ﴾ أى بعد تراخ فى الزمان و علو فى الرتبة و العظمة ﴿ خلقنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿النطفة﴾ أى البيضاء جدا ﴿ علقة ﴾ حمراء دما عبيطا شديد الحمرة جامدا غليظا .

/ ٥٨٥

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط من مد (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى « جدا » وقعت فى الأصل بعد « أفراده » و الترتيب من ظ و مد (٥) فى ظ : لما كان (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و تقدم فى الأصل على « فقال » و الترتيب من مد (٨-٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : لاثر الطين (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : اسم (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : تفسير (١١) من مد ، و فى الأصل وظ : التسبب (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : جهة (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : التحمر .

و لما كان ما بعد العلقة من الأطوار المتصاعدة مسببا كل واحد منه عما قبله بتقدير [1]العزيز العليم الذى اختص به من غير تراخ ، و ليس تسببه من العادة التى يقدر عليها [2]غيره سبحانه[2] ، عبر بالفاء و الخلق فقال : ﴿ فخلقنا العلقة مضغة ﴾ أى قطعة لحم صغيرة لاشكل فيها و لاتخطيط ﴿ فخلقنا المضغة ﴾ بتصفيتها و تصليبها بما سببنا لها من الحرارة و الأمور اللطيفة الغامضة ﴿ عظما ﴾ من رأس و رجلين و ما بينهما ﴿ فكسونا ﴾ بما لنا من قدرة الاختراع ، تلك ﴿ العظم لحما ﴾ بما ولدنا منها ترجيعا لحالها قبل كونها عظما ، فسترنا تلك العظام و قويناها و شددناها بالروابط و الأعصاب .

و لما كان التصوير و نفخ الروح من الجلالة بمكان أىّ مكان ، أشار إليه بقوله : ﴿ ثم انشأناه ﴾ أى هذا المحدث عنه بعظمتنا ﴿ خلقا آخر[1] ﴾ أى عظيما جليلا متحركا ناطقا خصيما مبينا بعيدا من الطين جدا ؛ قال الرازى : و أصل [3] النون و الشين و الهمزة يدل [4] على ارتفاع شىء و سموه .

و لما كان هذا التفصيل لتطوير الإنسان سببا لتعظيم الخالق قال : ﴿ فتبارك ﴾ أى ثبت ثباتا لم يثبته شىء ، بأن حاز جميع صفات الكمال ، و تنزه عن كل شائبة نقص ، فكان قادرا على كل شىء ، و لو داناه

(١) العبارة من هنا إلى « و الخلق فقال » ساقطة من ظ (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : سبحانه غيره (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاصل فى (٤) من ظ و مد . و فى الأصل : تدل .

شيء من عجز لم يكن تام الثبات ، و لذلك قال: ﴿ الله ﴾ فعبر بالاسم العلم الجامع لجميع الأسماء الحسنى ؛ و أشار إلى جمال الإنسان بقوله: ﴿ احسن الخالقين ﴾ أى المقدرين ، أى قدر هذا الخلق العجيب هذا التقدير ، ثم طوره فى أطواره ما بين طفل رضيع ، و محتلم شديد ، و شاب نشيط ، و كهل عظيم ، و شيخ هرم - إلى ما بين ذلك من شؤون لايحيط بها إلا اللطيف الخبير .

و لما كانت إماتة ما صار هكذا - بعد القوة العظيمة و الإدراك التام - من الغرائب ، و كان وجودها فيه و تكررها عليه فى كل وقت قد صيرها[1] أمرا مألوفا ، و شيئا ظاهرا مكشوفا ، و كان عتو الإنسان على خالقه و تمرده و مخالفته لأمره[2] نسيانا لهذا المألوف كالإنكار له ، أشار إلى ذلك كله بقوله تعالى مسببا[3] مبالغا فى التأكيد: ﴿ ثم انكم ﴾ [4]و لما كان الممكن ليس له من ذاته إلا العدم ، نزع الجار فقال[4]: ﴿ بعد ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من[5] الوصف بالحياة[6] و المد فى العمر [فى آجال متفاوتة -[7]] ﴿ لميتون ﴾ [8]و أشار[8] بهذا النعت إلى أن الموت أمر [4]ثابت للانسان حىّ فى حال حياته[4] لازم له[9] ، بل ليس لممكن من ذاته / إلا العدم. ١٥ / ٥٨٦

و لما تقرر بذلك القدرة على البعث تقررا[10] لا يشك فيه عاقل ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : صدرها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لامر (٣) سقط من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من مد ، و فى الأصل : فى ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى «فى العمر» ساقطة من ظ . (٦) من مد ، و فى الأصل : فى الحياة (٧) زيد من ظ ومد (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاشار (٩) فى ظ : لهم (١٠) من ظ ومد ، و فى الأصل : مقررا .

قال [1]نافيا ما يوهمه إعراء الظرف من الجار[1]: ﴿ثم انكم﴾ و عين البعث الأكبر التام ، الذى هو محط الثواب و العقاب ، لأن من أقر [به أقر -[2]] بما هو دونه من الحياة فى القبر و غيرها ، فقال : ﴿يوم القيٰمة﴾ [أى -[2]] الذى يجمع فيه جميع الخلائق ﴿ تبعثون ه ﴾ فنقصه[3] عن تأكيد الموت تنبيها على ظهوره ، و لم يخله عن التأكيد لكونه على خلاف العادة ، و ليس فى ذكر هذا نفى للحياة فى القبر عند السؤال .

و لما بين لهم أن فكرهم[4] فيهم يكفيهم ، و لاعتقاد البعث يعنيهم ، أتبعه دليلا آخر بالتذكير بخلق ما هو أكبر منهم ، و بتدبيرهم بخلقه و خلق ما فيه من المنافع لاستبقائهم ، فقال : ﴿ و لقد خلقنا فوقكم ﴾ [1]فى جميع جهة الفوق[1] فى ارتفاع لا تدركونه حق الإدراك ﴿ سبع ﴾ [و لارادة التعظيم أضاف إلى جمع كثرة فقال -[5]] : ﴿ طرائق ﴾ أى سماوات لا تتغير عن حالتها[6] التى دبرناها عليها إلى أن نريد ، و بعضها فوق بعض متطابقة ، و كل واحدة منها على طريقة تخصها ، و فيها طرق لكواكبها ؛ قال الإمام عبد الحق الاشبيلى فى كتابه الواعى : سميت طرائق لأنها مطارقة بعضها فى أثر بعض - انتهى . و هذا من قولهم : فلان على طريقة - أى حالة - واحدة ، و هذا مطراق هذا ، أى تلوه و نظيره ، و ريش طراق - إذا كان بعضه فوق بعض . و قال ابن القطاع[7]:

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : منقصه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : مكرهم (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : حالها (٧) راجع كتاب الأفعال ٢/٢٨٨ .

و أطرق

و أطرق[1] جناح الطائر - أى مبنيا للمجهول: ألبس الريش الأعلى الأسفل.
و قال أبو عبيد الهروى: و أطرق جناح الطير - إذا وقعت ريشة على التى
تحتها فألبستها، و فى ريشه طرق - إذا ركب[2] بعضه بعضا[2]. و قال الصغانى
فى مجمع البحرين: و الطرق أيضا بالتحريك فى الريش أن يكون بعضها
فوق بعض، و قال ابن الأثير فى النهاية[3]: طارق النعل - إذا صيرها ٥
[4]طاقا فوق طاق[4] و ركب بعضها على بعض، و فى القاموس: و الطراق -
ككتاب: كل[5] خصفة يخصف بها النعل و تكون حذرها سواء و أن
يقور جلد على مقدار الترس فيلزق بالترس، و قال القزاز: يقال: ترس
مُطرَق[6] - إذا جعل له ذلك، و قال الصغانى فى المجمع: و المجان المطرقة
التى يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة - أى المخصوفة بعضها على ١٠
بعض، و يقال: أطرقت بالجلد و العصب، أى[7] ألبست، و قال أبو عبيد:
طارق النعل - إذا صير خصفا فوق خَصف، و قال فى الخصف: هو
إطباق طاق على طاق، و أصل الخصف: الضم و الجمع، و قال القزاز:
[و -[8]] طارقت بين النعلين و الثوبين: جعلت أحدهما فوق الآخر -
انتهى. و أصل الطرق الضرب، و مع كون السماوات مطارقة بعضها ١٥
فوق بعض فهى طرق للملائكة يتنزلون فيها بأوامره سبحانه و تعالى.

(١) من ظ و مد و كتاب الأفعال، و فى الأصل: اطراق (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بعضها بعض (٣) ٣/٤٠ (٤-٤) من ظ و مد و النهاية، و فى الأصل: طارقا فوق طارق (٥) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: على. (٦) فى مد: منطرق (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٨) زيد من ظ و مد.

و لما كان إهمال الشيء بعد إيجاده غفلة عنه ، وكان البعث إحداث تدبير لم يكن كما أن الموت كذلك ، بين أن مثل تلك [1]الأفعال الشريفة[1] عادته سبحانه إظهارا للقدرة و تنزها عن العجز و الغفلة فقال : ﴿و ما كنا﴾ [1]أي على ما لنا من العظمة[1] ﴿عن الخلق﴾ أي الذى خلقناه و فرغنا من إيجاده و عن إحداث / ما لم يكن ، بقدرتنا التامة و علمنا الشامل ٥٨٧/ ٥ ﴿غفلين ٥﴾ بل دبرناه تدبيرا محكما ربطناه بأسباب تنشأ[2] عنها مسببات يكون بها صلاحه ، و جعلنا فى كل سماء ما ينبغى أن يكون فيها من المنافع ، و فى كل أرض كذلك ، و حفظناه من الفساد إلى الوقت الذى نريد فيه طيّ هذا العالم و إبراز غيره ، و نحن مع ذلك كل يوم فى شأن ، ١٠ و إظهار برهان ، نعلم ما يلج فى الأرض و ما يخرج منها ، و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها ، إذا شئنا أنفذنا السبب [فنشأ عنه المسبب -[3]] ، و إذا شئنا منعناه مما هيئ له ، فلا يكون شيء من ذلك إلا بخلق جديد ، فكيف يظن بنا أنا نترك الخلق بعد موتهم سدى ، مع أن فيهم المطيع الذى لم نوفه ثوابه ، و العاصى الذى لم ننزل به عقابه ، أم كيف لا نقدر على ١٥ إعادتهم إلى ما كانوا عليه بعد ما قدرنا على إبداعهم و لم يكونوا شيئا .

و لما ساق[4] سبحانه هذين الدليلين على القدرة على البعث ، أتبعهما بما هو من جنسهما و مشاكل للأول منهما ، و هو مع ذلك دليل على ختام الثانى من[5] أنه من أجلّ النعم التى يجب شكرها ، فقال : ﴿و انزلنا﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى مد : ينشا (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) تكرر فى الأصل فقط (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مع .

أى بعظمتنا ﴿من السمآء﴾ أى من جهتها ﴿مآء بقدر﴾ لعله - و الله أعلم - بقدر ما يسقى[1] الزروع[2] و الأشجار، و يحيى البرارى و القفار، و ما تحتاج إليه البحار، مما تصب فيها الأنهار، إذ لو كان فوق ذلك لأغرقت البحار الأقطار، و لو كان دون ذلك لأدى إلى جفاف النبات و الأشجار ﴿فاسكنّٰه﴾ بعظمتنا[3] ﴿فى الارض ج﴾ بعضه على ظهرها و بعضه فى[4] بطنها، و لم نعمها بالذى على ظهرها و لم نغور[5] ما فى بطنها[6] ليعم نفعه و ليسهل الوصول إليه ﴿و انا﴾ [7]على ما لنا من العظمة[7] ﴿على ذهاب به﴾ أى على إذهابه بأنواع الإذهاب بكل طريق بالإفساد و الرفع و التغوير و غير ذلك، [7]مع إذهاب البركة التى تكون لمن كنا معه[7] ﴿لقدرون ج﴾ قدرة هى فى نهاية العظمة. فاياكم و التعرض لما يسخطنا.

و لما ذكر إنزاله، سبب[8] عنه الدليل الأقرب على البعث فقال: ﴿فانشانا﴾ أى فأخرجنا و أحيينا ﴿لكم﴾ [7]خاصة، لا لنا[7] ﴿به﴾ اى بذلك الماء الذى جعلنا منه كل شىء حي ﴿جنّٰت﴾ أى بساتين تجن - أى تستر - داخلها بما فيها ﴿من نخيل و اعناب﴾ صرح بهذين الصنفين لشرفهما، و لأنهما أكثر ما عند العرب من الثمار، [9]سمى الأول باسم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تسقى (٢) فى مد: الزرع (٣) سقط من ظ.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يقدر.
(٦) زيد فى الأصل: الا الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى مد: تسبب (٩) العبارة من هنا إلى «من شجرته» ص ١٢٢ س ٢ ساقطة من ظ.

شجرته[١] لكثرة ما فيها من المنافع المقصودة بخلاف الثانى فانه المقصود من شجرته ؛ و أشار إلى غيرهما بقوله: ﴿ لكم ﴾ [٢]أى خاصة[٢] ﴿فيها﴾ أى الجنات ﴿ فواكه كثيرة ﴾ [٢]و لكم فيها غير ذلك[٢] .

و لما كان التقدير: منها - و هى طرية - تتفكهون ، عطف عليه[٣]

٥ [قوله -[٤]] : ﴿و منها﴾ [أى -[٥]] بعد اليبس و العصر ﴿ تاكلون ﴾ [٦]أى يتجدد لكم الأكل بالادخار ، و لعله[٦] [٢]قدم الظرف تعظيما للامتنان بها[٢].

و لما ذكر سبحانه ما إذا عصر كان ماء لاينفع للاصطباح[٧] ، أتبعه ما إذا عصر[٨] كان دهنا يعم الاصطباح و الاصطباغ ، و فصله عنه لأنه أدل على القدرة فقال : ﴿ و شجرة ﴾ أى و أنشأنا به شجرة ، أى زيتونة

١٠ ﴿ تخرج من طور ﴾ .

و لما كان السياق للامداد[٩] بالنعم ، ناسبه المد فقال : ﴿سيناء﴾ قال الحافظ عماد الدين ابن كثير[١٠]: و هو طور سينين ، و هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى بن عمران عليه السلام و ما حوله / من الجبال التى فيها شجر الزيتون. و قال صاحب القاموس[١١]: و الطور : الجبل ، و جبل /٥٨٨

(١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليها (٤) زيد من مد . (٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٧)من ظ و مد ، وفى الأصل : للاستصباح (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : حصر (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : لامداء (١٠) راجع تفسيره ٣/٢٤٣ (١١) راجع ١/٧٨ .

قرب أيلة يضاف إلى سيناء و [سينين ، و جبل بالشام ، و قيل : هو المضاف إلى سيناء ، و -[1]] جبل بالقدس عن يمين المسجد ، و آخر عن قبليه ، [به -[2]] قبر هارون عليه السلام ، و جبل برأس العين ، - و آخر مطلّ على طبريـــة - انتهى . و هو اسم مركب من الاسمين ، و قيل : بل هو مضاف إلى سيناء ، [و معنى سيناء -[3]] الحسن ، و قيل : المبارك ، و قيل : هو[4] حجارة معروفة ، و قيل : شجر ، و لعله[5] خصه من بين الأطوار لقربه من المخاطبين أولا بهذا القرآن ، و هم العرب ، و لغرابة[6] نبت الزيتون به[7] لأنه فى بلاد الحر و الزيتون من نبات الأرض الباردة ، و لتمحضه لأن يكون نبته مما أنزل من السماء من الماء لعلوه جدا ، و[8] بعده من أن يدعى أن ما فيه من النداوة من الماء من البحر لأن الإمام أبا العباس أحمد ابن القاص[9] من قدماء أصحاب الشافعى حكى فى كتابه أدلة القبلة أنه يصعد إلى أعلاه فى ستة آلاف مرقاة و ستمائة و [ست و -[2]] ستين مرقاة ، قال : و هى مثل الدرج من الصخر ، فاذا انتهى إلى مقدار النصف من الطريق يصير إلى مستواه من الأرض فيها أشجار و ماء عذب ، و فى هذا الموضع كنيسة على اسم ايليا النبى عليه السلام ، و فيه مغار ، و يقال : إن ايليا عليه السلام لما هرب من إزقيل[9] الملك اختفى فيه ؛ ثم يصعـــد من هذا الموضـــع فى الدرج حتى ينتهى إلى قلة الجبل ،

(١) زيد من مد و القاموس (٢) زيد من القاموس (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : هى (٥) من مد . و فى الأصل و ظ : كانه .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لقرابة (٧) سقط من مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٩) الوفيات ١/٥١ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ارض - كذا .

و فى قلبه كنيسة بنيت على اسم موسى عليه السلام بأساطين رخام ، أبوابها من الصفر و الحديد ، و سقفها من خشب الصنوبر ، و أعلى سقوفها أطباق رصاص قد أحكمت بغاية الإحكام ، و ليس [فيها -[1]] إلا رجل راهب يصلى و يدخن و يسرج قناديلها ، و لا يمكن أحدا أن ٥ ينام فيها البتة ، و قد اتخذ هذا الراهب لنفسه خارجا من الكنيسة بيتا صغيرا يأوى فيه ، و هذه الكنيسة بنيت فى المكان الذى كلم الله فيه موسى عليه الصلاة و السلام ، و حواليه - أى حوالى الجبل - من أسفله ستة آلاف ما بين دير و صومعة للرهبان و المتعبدين ، كان يحمل إليهم خراج مصر فى أيام ملك الروم للنفقة على الديارات و غيرها ، و ليس ١٠ اليوم بها إلا مقدار سبعين راهبا يأوون [فى] الدير الذى داخل الحصن ، و فى أكثرها يأوى أعراب بنى رمادة . و على الجبل مائة صومعة ، و أشجار هذا الجبل اللوز و السرو ، و إذا هبطت من الطور أشرفت على عقبة تهبط منها فتسير خطوات فتنتهى إلى دير[2] النصرانى : محصن عليه سور من حجارة منحوتة ذات شرف[3] عليه بابان من حديد ، و فى جوف هذا ١٥ الدير عين ماء عذب ، و على هذه العين درابزين من نحاس لئلا يسقط فى العين أحد . و قد هيء براتج رصاص يجرى فيها الماء إلى كروم لهم حول الدير ، و يقال : إن هذا الدير هو الموضع الذى رأى موسى عليه السلام فيه النار فى شجرة العليق . [و قبلة -[1]] من بها دير الكعبة ، و فيه

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بر (٣) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفها .

يقول القائل :

عجب الطور من ثباتك[1] موسى حين ناجاك بالكلام الجليل

و الطور من جملة كور مصر[2]، منه إلى بلد قلزم على البر مسيرة أربعة أيام، و منه إلى فسطاط مصر مسيرة[3] سبعة أيام - انتهى كلام ابن القاص، و سألت أنا من له خبرة بالجبل المذكور : هل به أشجار الزيتون ؟ فأخبرني أنه لم ير به شيئا / منها، و إنما رآها فيما حوله في قرار الأرض، و هي كثيرة و زيتونها مع كبره أطيب من غيره. فان كان ذلك كذلك فهو أغرب مما لو كانت به، لأنه لعلوه أبرد مما سفل من الأرض، فهو بها أولى، و ظهر لي - و الله أعلم - أن حكمة تقدير الله تعالى أن يكون عدد الدرج ما ذكر موافقة زمان[4] الإيجاد الأول لمكان الإبقاء الأول، و ذلك أن الله تعالى خلق السماوات و الأرض في ستة أيام و هو الإيجاد الأول، و كلم[5] موسى عليه الصلاة و السلام، و كتب له الألواح في هـذا الجبل، ثم أتم له التوراة و هي أعظم الكتب بعد القرآن. و بالكتب السماوية و الشرائع الربانية انتظام البقاء الأول، كما سلف في الفاتحة و الأنعام و الكهف.

و لما ذكر سبحانه إنشاء هذه الشجرة بهذا الجبل البعيد عن مياه البحار لعلوه و صلابته أو بما حوله من الأرض الحارة، ذكر تميزها عن

(١) من ظ و مد، و في الأصل : ثباتك (٢) زيدت الواو في الأصل و ظ، ولم تكن في مد فحذفناها (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل : زمن.
(٥) زيد في الأصل : الله، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها.

عامة الأشجار بوجه آخر عجيب فقال : ﴿ تنبت ﴾ أى بالماء الذى لا دهن فيه أصلا ، نباتا[1] على قراءة الجمهور[1] ، أو[2] إنباتا على[3] قراءة ابن كثير[3] و أبى عمرو و ورش[4] [عن يعقوب بضم الفوقانية -[5]] ، ملتبسا ثمره ﴿ بالدهن ﴾ و هو فى الأصل مائع لزج خفيف يتقطع[6] و لايختلط بالماء الذى هو أصله فيسرج و يدهن به . و كأنه عرّفه لأنه أجلّ الأدهان و أكملها .

و لما كان المأكول منها الدهن و الزيتون قبل العصر ، عطف إشعارا بالتمكن فقال : ﴿ و صبغ ﴾ أى و تنبت بشىء يصبغ - أى يلون - الخبز[7] إذا غمس فيه أو أكل به ﴿ للآكلين ﴾ و كأنه نكره لأن فى الإدام ما هو أشرف منه و ألذ و إن كانت بركته مشهورة ؛ روى الإمام أحمد[8] عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى الأنصارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : كلوا الزيت و ادهنوا [به -[9]] فانه من شجرة مباركة . و للترمذى[10] و ابن ماجه[10] و عبد بن حميد فى مسنده و تفسيره كما نقله [11]ابن كثير عن[11] ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ائتدموا بالزيت و ادهنوا به فانه يخرج من

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل « و ».
(٣) من مد ، و فى الأصل : فى ، و العبارة من هنا إلى « ورش » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل : عرش (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقطع (٧) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و مد (٨) فى مسنده ٣ / ٤٩٧ (٩) زيد من ظ و مد و المسند (١٠) فى أبواب الأطعمة .
(١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و راجع ابن كثير ٣/٢٤٣ .

شجرة مباركة . و قال أبو حيان[1] : و خص هـذه الأنواع الثلاثة من النخل و العنب و الزيتون لأنها أكرم الشجر و أجمعها للنافع .

و [لما -[2]] دل سبحانه و تعالى على قدرته بما أحيا بالماء [حياة -[2]] قاصرة عن الروح ، أتبعه ما أفاض عليه بـه حياة كاملة فقال : ﴿و ان لكم فى الانعام﴾ و هى الإبل و البقر و الغنم ﴿لعبرة[4] ﴾ تعبرون بها من ظاهر أمرها إلى باطنه بما له سبحانه فيها من القدرة التامة على البعث و غيره ؛ ثم استأنف [3]تفصيل ما فيها من العبرة[3] قائلا : ﴿تسقيكم﴾ و لما كان الأنعام مفردا لكونه اسم جمع ، و لم يذكر ما يسقى[4] منه ، أنث الضمير بحسب المعنى و علم أن المراد ما يكون منه اللبن خاصة و هو الإناث ، [فهو استخدام -[5]] [6]لأنه لو أريد جميع[7] ما يقع عليه الاسم لذكر / الضمير . فلذلك قال : ﴿مما فى بطونها﴾ أى[8] نجعله لكم شرابا [نافعا للبدن موافقا للشهوة -[2]] تلتذون به مع خروجه من بين الفرث و الدم كما مضى فى النحل ﴿ و لكم فيها ﴾ أى فى[9] جماعة[10] الأنعام ، [2]و قدم الجار[3] [11]تعظيما لمنافعها حتى كأن غيرها عدم[11]

/ ٥٩٠

(١) فى البحر المحيط ٦/٤٠٠ (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : نسقى (٥) زيد من مد (٦) زيد قبله فى الأصل الواو ، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل: جمع (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٩) سقط من مد (١٠) زيد فى الأصل : منها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١١ - ١١) فى الأصل بياض ملأناه من مد .

﴿منافع كثيرة﴾ باستسلامها لما يراد منها[1] مما لا يتيسر من أصغر منها، و بأولادها و أصوافها و أوبارها، و غير ذلك من آثارها.

و لما كان التقدير: تصرفونها فى تلك المنافع، عطف عليه مقدما للجار تعظيما لمأكولها[2] فقال: ﴿و منها تأكلون﴾ بسهولة من غير امتناع ما عن شيء من ذلك، و لو شاء لمنعها [من ذلك -[3]] و سلطها عليكم، و لو شاء لجعل لحمها لا ينضج، أو جعله قذرا لا يؤكل، و لكنه بقدرته و علمه هيأها لما ذكر و ذللها له.

و لما كانت المفاوتة بين الحيوانات فى القوى و سهولة الانقياد [دالة على -[4]] كمال القدرة، و كان الحمل للنفس و المتاع عليها و على غيرها من الحيوان من أجلّ المنافع بحيث لولا هو لتعطلت أكثر المصالح، ذكره فيها مذكرا بغيرها[5] فى البر تلويحا، و ذاكرا[6] لمحامل البحر تصريحا، فقال مقدما للجار عدا لحمل غيرها بالنسبة إلى حملها [7]لعظيم وقعه[7] عدما: ﴿و عليها﴾ أى الأنعام الصالحة للحمل من الإبل و البقر فى البر ﴿و على الفلك﴾ فى البحر. و لما كان من المعلوم [8]من تذليلها على كبرها[9] و قوتها و امتناع غيرها على صغره و ضعفه أنه لا فاعل لذلك

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فيها (٢) فى ظ: لمنافعها (٣) زيد من ظ.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الى غيرها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ذكرا (٧ - ٧) من ظ و مد، و فى الأصل: العظيم رفعه (٨) العبارة من هنا إلى «للفعول قوله» ساقطة من ظ (٩) من مد، و فى الأصل: كبر.

إلا الله مع أن الممتن به نفس الحمل لا بالنظر إلى شيء آخر ، بنى للمفعول قوله : ﴿تحملون ۝﴾ بانعامه عليكم بذلك ، و لو شاء لمنعه ، فتذكروا عظيم قدرته و كمال صنعته ، و عظموه حق[1] تعظيمه ، و اشكروه على ما أولاكم من تلك النعم ، و أخلصوا له الدين ، لتفلحوا فتكونوا من الوارثين .

و لما كان التقدير : فلقد حملنا نوحا و من أردنا ممن آمن به من ٥ أولاده و أهله و غيرهم على الفلك ، و أغرقنا من عانده من أهل الأرض قاطبة بقدرتنا ، و نصرناه عليهم بعد ضعفه عنهم بأيدينا و قوتنا ، و جعلناه و ذريته هم الوارثين ، و كنتم ذرية فى أصلابهم ، و كثرناهم حتى ملأنا منهم الأرض ، دلالة على ما قدمنا من تفردنا كما أجرينا[2] عادة هذا الكتاب الكريم بذكر عظيم البطش بعد أدلة التوحيد ، و أتبعنا بعده ١٠ الرسل الذين سمعتم بهم ، و عرفتم بعض أخبارهم ، يا من أنكر الآن رسالة البشر لإنكار رسالة هذا النبي الكريم ! عطف عليه يهدد[3] باهلاك الماضين ، للرجوع عن الكفر ، و يذكر بنعمة النجاة للاقبال على الشكر ، و يسلي[4] هذا النبي الكريم و من معه من المؤمنين لمن كذب قبله من النبيين و أوذى[5] من اتباعهم ، و يدل على أنه يفضل من عباده من يشاء بالرسالة ، ١٥ كما فضل طينة الإنسان على سائر الطين ، و على أن الفلاح بالإرث و الحياة الطيبة فى الدارين مخصوص بالمؤمنين كما ذكر أول السورة ، فذكر نوحا

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : جرينا (٣) من مد ، و فى الأصل : تهددا . و فى ظ : تهدد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسيل (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ارذق .

لأن قصته أشهر القصص ، و لأن قومه كانوا ملء الأرض ، و لم تغن عنهم كثرتهم و لا نفعتهم قوتهم ، و لأنه الأب الثانى بعد [الأب -[1]] الأول المشار إليه بالطين ، و لأن نجاته و نجاة المؤمنين / معه كانت بالفلك المختوم به الآية قبله ، فقال : ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ إشارة بصيغة العظمة إلى زيادة التسلية بأنه « أتاه من الآيات ما مثله آمن عليه البشر[2] » و قام هو صلى الله عليه و سلم بذلك حق القيام ﴿ نوحا ﴾ أى و هو الأب الثانى بعد آدم عليهما السلام ﴿ الى قومه ﴾ و هم[3] جميع أهل الأرض لتواصل ما بينهم لكونهم على لغة واحدة ﴿ فقال ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن قال : ﴿ يٰقوم ﴾ [ترفقا بهم -[4]] ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له ، وحده ، لأنه إلٰهكم وحده لاستحقاقه لجميع خلال الكمال ؛ و استأنف على سبيل التعليل قوله : ﴿ ما لكم ﴾ و أغرق فى النفى بما هو حق العبادة فقال : ﴿ من الٰه ﴾ أى معبود[3] بحق ﴿ غيره[5] ﴾ فلا تعبدوا سواه .

/٥٩١

و لما كانت أدلة الوحدانية و العظمة باعطاء الثواب و إحلال العقاب فى غاية الظهور لا تحتاج[5] إلى كبير تأمل ، تسبب عن ذلك إنكاره لأمنهم من مكره ، و الخوف من ضره ، فقال : ﴿ افلا تتقون ﴾ [أى تخافون -[6]] ما[7] ينبغى الخوف منه[8] فتجعلوا لكم وقاية من عذابه[8] فتعملوا

(١) زيد من ظ و مد (٢) اقتباس من الحديث و من غير مرة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يحتاج . (٦) زيد من ظ و مد غير أن فى ظ : تخافونه (٧) من مد ، و فى الأصل : مما ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة إلى « الخوف منه » فى ظ (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتخافوا معطوفة .

بما تقتضيه التقوى من إفراده بالعبادة خوفا من ضركم و رجاء لنفعكم ﴿فقال﴾ [1]أى فتسبب عن ذلك أن كذبوه فقال[1]: ﴿الملؤا﴾ [أى الأشراف الذين تملأ رؤيتهم الصدور عظمة ، و لما كان أهل الإيمان كلهم إذ ذاك قبيلة واحدة لاجتماعهم فى لسان واحد قدم قوله - [2]]: ﴿الذين كفروا﴾ [أى بالله لأن التسلية ببيان التكذيب أتم ، و الصلة هنا قصيرة لا يحصل بها لبس و لا ضعف فى النظم بخلاف ما يأتى ، و كأن أفخاذهم[3] كانت متمايزة فزاد فى الشناعة عليهم بأن عرف أنهم من أقرب الناس إليه بقوله - [2]] : ﴿من قومه ما هذآ﴾ أى نوح عليه الصلاة و السلام ﴿الا بشر مثلكم﴾ أى فلا يعلم ما لا تعلمون ، فأنكروا أن يكون بعض البشر نبيا ، و لم ينكروا أن يكون بعض الطين إنسانا ، و بعض الماء علقة ، و بعض العلقة مضغة - إلى آخره ، فكأنه قيل : فما حمله على ذلك ؟ فقالوا : ﴿يريد ان يتفضل﴾ أى يتكلف الفضل بادعاء مثل هذا ﴿عليكم﴾ لتكونوا أتباعا له ، و لاخصوصية له به دونكم .

و لما كان التقدير : فلم يرسله الله كما ادعى ، عطف عليه قولهم : ﴿و لو شآء الله﴾ اى الملك الأعلى الإرسال إليكم و عدم عبادة غيره ﴿لأنزل﴾ لذلك ﴿ملئكة﴾ و ما علموا أن القادر على [تفضيل -[2]] بعض الجواهر بجعلها ملائكة قادر على تفضيل ما شاء [و من شاء -[2]] بما

(١-١) وقع فى الأصل بعد «من قومه» والترتيب من ظ و مد إلا أن فى الأصل: بان قال - موضع : فقال (٢) زيد من ظ و مد (٣) جمع فخذ : حى الرجل .

يشاء من الملائكة و غيرها[1] .

[2]و لما كان هذا متضمنا لإنكار رسالة البشر ، صرحوا به فى قولهم كذبا[2] و بهتانا كما كذب فرعون و آله حين[3] قالوا مثل هذا القول[4] و كذبهم المؤمن برسالة يوسف عليه الصلاة و السلام : ﴿ما سمعنا بهذا﴾ أى بارسال نبى من البشر يمنع أن يعبد غير الله بقصد التقريب إليه ، فجعلوا الإله حجرا ، و أحالوا كون النبى بشرا ﴿فى آبائنا الاولين ج﴾ و لا سمعنا[5] بما دعا إليه من التوحيد .

و لما نفوا عنه الرسالة و حصروا أمره فى قصد السيادة ، و كانت سيادته لهم بمثل هـذا عندهم من المحال ، قالوا : ﴿ان﴾ أى ما ﴿هو الا رجل به جنة﴾ أى جنون فى قصده التفضل بما يورث بغضه و هضمه [و ـ[6]] لانعرف له وجها مخصصا به ، فلا نطيع له فيه أبدا ﴿فتربصوا به﴾ اى فتسبب عن الحكم بجنونه أنا نأمركم بالكف عنه لأنه لاحرج عـلى مجنون ﴿حتى﴾ أى إلى[7] ﴿حين ه﴾ لعله يفيق أو يموت ، فكأنه قيل : فما قال ؟ فقيل : ﴿قال﴾ عند ما أيس من فلاحهم : ﴿رب انصرنى﴾ أى أعنى عليهم ﴿بما كذبون ه﴾ أى بسبب تكذيبهم لى ، فان تكذيب الرسول استخفاف[8] بالمرسل ﴿فاوحينآ﴾ /٥٩٢

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهم (٢-٢) وقع فى الأصل بعد « و الصلاة و السلام » و الترتيب من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيره . (٤) سقط من مد (٥) زيد فى الأصل : بهذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : استخفافا .

أى فتسبب عن دعائه[1] أنا أوحينا ﴿ اليه ان اصنع الفلك ﴾ [2]أى السفينة[2] .

و لما كان يخاف من أذاهم له فى عمله بالإفساد وغيره قال : ﴿ باعيننا ﴾ أى أنه لايغيب عنا شىء [من أمرك و لامن أمرهم و أنت تعرف قدرتنا عليهم -[3]] فثق بحفظنا و لاتخف شيئا من أمرهم -و لما كان لايعلم تلك الصنعة، قال : ﴿ و وحينا ﴾ ثم حقق له[4] هلاكهم و قربه بقوله : ﴿ فاذا جآء امرنا ﴾ أى بالهلاك عقب فراغك منه ﴿ و فار التنور[5] ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما[6] : وجه الأرض. و فى القاموس[6] : التنور : الكانون يخبز فيه ، و وجه الأرض، و كل مفجر ماء ، و جبل قرب المصيصة - [انتهى. و الأليق بهذا الأمر صرفه إلى ما يخبز فيه ليكون آية فى آية-[7]] ﴿ فاسلك ﴾ أى فأدخل ﴿ فيها ﴾ أى السفينة ﴿ من كل زوجين ﴾ من الحيوان ﴿ اثنين ﴾ ذكرا و أنثى ﴿ و اهلك ﴾ من أولادك و غيرهم ﴿ الا من سبق عليه ﴾ لا له ﴿ القول منهم ج ﴾ بالهلاك لقطع ما بينك و بينه من الوصلة بالكفر .

و لما كان التقدير : فلا تحمله معك و لا تعطف عليه لظلمه ، عطف عليه قوله : ﴿ و لا تخاطبنى ﴾ أى بالسؤال فى النجاة ﴿ فى الذين ظلموا ج ﴾ عامة ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انهم مغرقون ۝ ﴾ أى قد ختم القضاء عليهم ، و نحن نكرمك عن سؤال لايقبل .

---

(١) فى مد : و قاية (٢-٢) -سقط ما بين الرقمين من مد (٣) زيد من ظ و مد . (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم (٥) راجع الكشاف ٢ / ٩٩٢ (٦) راجع ١/٣٧٧ (٧) زيد من مد .

و لما قدم ذلك ، لأن درء المفاسد - بالنهى عما لا يرضى - أولى من جلب المصالح ، أتبعه الأمر بالشكر فقال : ﴿ فاذا استويت ﴾ أى اعتدلت ﴿ انت و من معك ﴾ أى من البشر و غيرهم ﴿ على الفلك ﴾ ففرغت من امتثال الأمر بالحمل[1] ﴿ فقل ﴾ لأن علمك بالله ليس كعلم غيرك فالحمد منك أتم ، و إذا قلت اتبعك من معك ؛ فانك قدوتهم و هم فى غاية الطاعة لك ، و لهذا أفرد فى الجزاء بعد العموم فى الشرط ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال فى الإيجاد و الإعدام ﴿ لله ﴾ أى الذى لا كفوء له لأنه المختص بصفات المجد ﴿ الذى نجّنا ﴾ بحملنا فيه ﴿ من القوم ﴾ الأشداء الأعتياء ﴿ الظالمين ﴾ الذين[2] حالهم - لوضعهم الأشياء فى غير مواضعها - حال من يمشى فى الظلام ، فلك الحمد بعد إفنائهم كما كان [لك -[3]] الحمد فى حال إبدائهم و إبقائهم ؛ و الحمد فى هذه السورة المفتتحة بأعظم شعيرة بها الإبقاء الأول ؛ و هى الصلاة الموصوفة بالخشوع كالحمد فى سورة الإيجاد الأول : الأنعام بقوله تعالى[4] "فقطع دابر القوم الذين ظلموا و الحمد لله رب العلمين"[5] .

و لما أشار له بهذا القول إلى السلامة بالحمل ، أتبعه الإشارة إلى الوعد باسكان الأرض فقال : ﴿ و قل رب انزلنى ﴾ فى الفلك[5] ثم فى الأرض و فى كل منزل تنزلنى به و تورثنى إياه ﴿ منزلا ﴾ موضع نزول ، أو إنزالا ﴿ مباركا ﴾ أى أهلا لأن يثبت فيه أو به . و لما كان

(١) من مد . و فى الأصل و ظ : فى الجمل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٣) زيد من مد (٤) آية ٤٥ (٥) فى مد : الملك .

الثناء أعظم مهيج[1] على إجابة الدعاء، وكان التقدير: فأنت خير الحاملين؛ عطف عليه قوله: ﴿ وأنت خير المنزلين ﴾ لأنك تكفي نزيلك[2] كل ملم، وتعطيه كل مراد.

ولما كانت هذه القصة من أغرب[3] القصص، حث على تدبرها بقوله: ﴿ إن في ذلك ﴾ أي الأمر العظيم الذي ذكر من أمر نوح ٥ وقومه وكذا ما هو مهاد له ﴿ لآيات ﴾ أي علامات دالات على صدق الأنبياء في أن المؤمنين هم المفلحون، وأنهم الوارثون للأرض بعد الظالمين وإن عظمت شوكتهم، واشتدت صولتهم ﴿ وإن ﴾ /[4]أي ٥٩٣/ وإنا بما لنا من العظمة[4] ﴿ كنا ﴾ بما[5] لنا من الوصف الثابت الدال على تمام[6] القدرة ﴿ لمبتلين ﴾ أي فاعلين فعل المختبر لعبادنا بإرسال الرسل ١٠ ليظهر في عالم[7] الشهادة الصالحُ منهم من غيره، ثم نبتلي الصالحين منهم بما يزيد حسناتهم، وينقص سيئاتهم، ويعلي درجاتهم، ثم نجعل لهم العاقبة فنبلي بهم الظالمين بما يوجب دمارهم، ويخرب ديارهم، ويمحو آثارهم، هذه عادتنا المستمرة إلى أن نرث الأرض ومن عليها فيكون البلاء المبين. ١٥

ولما بين سبحانه وتعالى تكذيبهم وما عذبهم به، وكان القياس موجبا لأن من يأتي بعدهم يخشى مثل[8] مصرعهم، فيسلك غير سبيلهم،

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: مبيح (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: بذلك (٣) في مد: أعظم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) العبارة من هنا إلى «القدرة» ساقطة من ظ (٦) من مد، وفي الأصل: اتمام (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: علم (٨) سقط من مد.

و يقول غير قيلهم ، بين أنه لم تنفعهم العبرة ، فارتكبوا مثل أحوالهم[1] ، و زادوا على أقوالهم و أفعالهم ، لإرادة ذلك من الفاعل المختار ، الواحد القهار ، و أيضا فانه لما كان المقصود - مع التهديد و الدلالة على القدرة و الاختيار - الدلالة على تخصيص المؤمنين بالفلاح و البقاء بعد الأعداء ، ٥ وكان إهلاك المترفين أدل على ذلك ، اقتصر على ذكرهم و أبهمهم ليصح تنزيل قصتهم على كل من ادعى فيهم[2] الإتراف من الكفرة ، و يترجح إرادة عاد لما أعطوا مع ذلك من قوة الأبدان و عظم الأجسام ، و بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما[3] ، و إرادة ثمود لما فى الشعراء و القمر مما يشابه بعض قولهم هنا ، و للتعبير عن عذابهم بالصيحة و لموافقتهم[4] ١٠ لقوم نوح فى تعليل ردهم بكونه بشرا ، و طوى[5] الإخبار عمن[6] بعدهم بغير التكذيب و الإهلاك لعدم[7] الحاجة إلى ذكر شىء غيره ، فقال : ﴿ثم انشانا﴾ أى أحدثنا و أحيينا و ربينا[8] بما لنا من العظمة[8] . و لما لم يستغرقوا زمان البعد ، أتى بالجار فقال : ﴿من بعدهم قرنا﴾ أى [أمة -[9]] [10]و جيلا . و لما كان ربما ظن ظان أنهم فرقة من المهلكين ١٥ نجوا من عذاب سائرهم كما يكون فى حروب سائر الملوك ، عبر عن

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اموالهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهم (٣) راجع روح المعانى ٥/٤٩٩ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمواقتهم . (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطوى (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٧) من ظ و مد ، و فى الاصل : لقدم (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٩) زيد من ظ ومد (١٠) العبارة من هنا إلى « بعدهم فقال » ساقطة من ظ .

إنجائهم[1] بانشائهم، حقق أنهم أحدثوا [بعدهم -[2]] فقال: ﴿آخرين[4] فارسلنا﴾ أى فتعقب إنشاءنا لهم [3]و تسبب عنه[3] أن أرسلنا.

و لما كان المقصود الإبلاغ فى التسلية، عدى الفعل بـ «فى» دلالة على أنه عمهم بالإبلاغ[4] كما يعم المظروف الظرف، حتى لم يدع واحدا [منهم -[5]] إلا أبلغ فى أمره فقال[6]: ﴿فيهم رسولا منهم﴾ فكان القياس [يقتضى -[5]] مبادرتهم لاتباعه لعلمهم بما حل بمن قبلهم لأجل التكذيب، و لمعرفتهم غاية المعرفة لكون النبى منهم، بما جعلناه عليه من المحاسن، و ما زيناه به من الفضائل، و لأن [7]عزه عزهم[7]، و لدعائه لهم إلى ما لا يخفى حسنه على عاقل، و لا يأباه منصف؛ ثم بين ما أرسل به بقوله: ﴿ان اعبدوا الله﴾ أى وحده لأنه[8] لا مكافئ[9] له، و لذا[9] حفظ اسمه فكان لا سمى له[10]؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ما لكم﴾ و دل على الاستغراق بقوله: ﴿من اله غيره[4]﴾.

و لما كانت المثلات قد خلت من قبلهم فى المكذبين، و أناخت صروفها بالظالمين، فتسبب عن علمهم بذلك / إنكار قلة مبالاتهم فى عدم تحرزهم من مثل مصارعهم، قال: ﴿افلا تتقون[4]﴾ [أى تجعلون

/ ٥٩٤

(١) من مد، و فى الأصل: ايجابهم (٢) زيد من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بابلاغ (٥) زيد من ظ و مد. (٦) سقط من مد (٧ - ٧) من ظ و مد، و فى الأصل: عزهم غيره (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بانه (٩) من مد، و فى الأصل: كذا (١٠) العبارة من «و لذا» إلى هنا ساقطة من ظ.

لكم وقاية مما ينبغى الخوف منه فتجعلوا وقاية تحول بينكم و بين سخط الله - [١] .

و لما كان التقدير : فلم يؤمنوا و لم يتقوا دأب قوم نوح ، عطف عليه قوله : ﴿و قال الملا﴾ أى الأشراف [الذين تملأ رؤيتهم الصدور ، فكأن ما اقترن بالواو أعظم فى التسلية مما خلا منها على تقدير سؤال لدلالة هذا على ما عطف عليه - [٢]] . و لما كانت القبائل قد تفرقت بتفرق الألسن ، قدم قوله : ﴿من قومه﴾ اهتماما و تخصيصا للابلاغ فى التسلية [و لأنه لو أخر لكان بعد تمام الصلة و هى طويلة - [١]] ؛ ثم بين الملأ بقوله : ﴿الذين كفروا﴾ أى غطوا ما يعرفون من أدلة التوحيد و الانتقام من المشركين ﴿و كذبوا بلقآء الأخرة﴾ لتكذيبهم بالبعث .

و لما كان من لازم الشرف الترف ، صرح به إشارة إلى أنه - لظن كونه سعادة فى الدنيا - قاطع فى الغالب عن سعادة الآخرة ، لكونه حاملا على الأشر[٣] و البطر و التكبر حتى على المنعم ، فقال : ﴿و اترفنهم﴾ أى و الحال أنا - [٤] بما لنا و على ما لنا من العظمة[٤] - نعمناهم ﴿فى الحيوة الدنيا﴾ أى الدانية الدنيئة[٥] ، بالأموال و الأولاد و كثرة السرور ، يخاطبون أتباعهم : ﴿ما هذآ﴾ أشاروا [إليه - [٢]] تحقيرا له عند المخاطبين ﴿الا بشر مثلكم﴾ أى فى الخلق و الحال ؛ ثم

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاشد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من مد .

وصفوه بما يوهم المساواة فى كل وصف فقالوا : ﴿يأكل مما تأكلون منه﴾ من طعام الدنيا ﴿و يشرب مما تشربون ۝﴾ أى منه من شرابها فكيف يكون رسولا دونكم !

و لما كان التقدير : فلئن اتبعتموه[1] إنكم لضالون ، عطف عليه : ﴿ولئن اطعتم بشرا مثلكم﴾ فى جميع ما ترون ﴿انكم اذا﴾ أى إذا أطعتموه ٥ ﴿لخسرون ۝﴾ أى مغبونون لكونكم فضلتم مثلكم عليكم بما يدعيه مما نحن له منكرون ؛ ثم بينوا إنكارهم بقولهم : ﴿ايعدكم انكم اذا متم﴾ ففارقت أرواحكم أجسادكم ﴿و كنتم﴾ أى و كانت أجسادكم ﴿ترابا﴾ باستيلاء التراب على ما دون عظامها[2] ﴿و عظاما﴾ مجردة ؛ ثم بين الموعود به بعد أن حرك النفوس إليه ، و بعث بما قدمه أتم بعث عليه ، فقال [مبدلا ١٠ من "أنكم" الأولى إيضاحا للمعنى -[3]] : ﴿أنكم مخرجون ۝﴾ أى من تلك الحالة التى صرتم إليها ، فراجعون إلى ما كنتم [عليه -[4]] من الحياة على ما كان لكم من الأجسام ؛ ثم استأنفوا التصريح بما دل عليه الكلام من استبعادهم ذلك فقالوا : ﴿ هيهات هيهات ﴾ أى بعد بعد جدا بحيث صار ممتنعا ، و لم يرفع ما بعده به بل قطع عنه تفخيما له ، فكان كأنه ١٥ قيل : لأىّ شىء هذا الاستبعاد ؟ فقيل : ﴿ لما توعدون ۝﴾ .

و لما كانوا بهذا التأكيد فى التبعيد كأنهم قالوا : إنا لانبعث أصلا ، اتصل به : ﴿ان هى﴾ أى الحالة التى لايمكن لنا سواها ﴿ الاحياتنا الدنيا ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اتبعتموهم (٢) فى مد : عظاما (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد .

أى التى هى أقرب الأشياء إلينا و هى ما نحن فيها ، ثم فسروها بقولهم : ﴿نموت و نحيا﴾ أى يموت منا من هو موجود ، و ينشأ آخرون بعدهم ﴿و ما نحن بمبعوثين ۝﴾ [1]بعد الموت ، فكأنه قيل : فما هذا الكلام الذى يقوله ؟ فقيل : كذب ؛ ثم حصروا أمره[2] فى الكذب فقالوا : ﴿ان﴾ أى ما ﴿هو الا﴾ و ألهبوه على ترك [مثل -[3]] ما خاطبهم به بقولهم : ﴿رجل افترى﴾ أى تعمد ﴿على الله﴾ أى الملك الأعلى ﴿كذبا﴾ و الرجل لا ينبغى له مثل ذلك ، [4]أو هو واحد وحده ، أى لا يلتفت إليه[4] ﴿و ما نحن / له بمؤمنين ۝﴾ أى بمصدقين فيما[5] يخبرنا به من البعث و الرسالة ؛ ٥٩٥ /

ثم استأنف قوله : ﴿قال رب﴾ أى أيها المحسن إلىّ[6] بارسالى إليهم و غيره من أنواع التربية ﴿انصرنى﴾ [عليهم -[7]] أى أوقع[8] لى النصر[9] ﴿بما كذبون ۝﴾ فأجابه ربه بأن ﴿قال عما قليل﴾ أى [10]من الزمن[10] . [و أكد قلته بزيادة « ما » -[3]] ﴿ليصبحن نـدمين ۝﴾ على تخلفهم عن اتباعك .

و لما تسبب عن دعائه[11] أن تعقب هلاكهم ، وعد الله له بذلك ، قال تعالى : ﴿فاخذتهم الصيحة﴾ أى التى كأنها لقوتها لا صيحة إلا هى ،

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لى (٧) زيد من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل : ارفع (٩) العبارة من « أى أوقع » إلى هنا ساقطة من ظ (١٠ - ١٠) فى ظ : زمن (١١) فى مد : ادعائه .

و يمكن أن تكون على بابها فتكون صيحة جبريل عليه الصلاة و السلام و يكون القوم ثمود، و يمكن أن تكون[1] مجازا عن العذاب الهائل ﴿بالحق﴾ أى بالأمر الثابت من العذاب الذى أوجب لهم الذى لا تمكن مدافعته لهم و لا لأحد غير الله، و لا يكون كذلك إلا و هو عدل ﴿فجعلنهم﴾ بعظمتنا التى لا تدانيها عظمة، بسبب الصيحة ﴿غثآءً﴾ ٥ كأنهم أعجاز نخل خاوية، جاثمين أمواتا يطرحون كما يطرح الغثاء، و هو ما يحمله السيل من نبات و نحوه فيسود و يبلى فيصير[2] بحيث لا ينتفع به، و نجينا رسولهم و من معه من المؤمنين، فخاب الكافرون، و أفلح المؤمنون، و كانوا هم [3]الوارثين للأرض[3] من بعدهم.

و لما كان هلاكهم على هذا الوجه سببا لهوانهم، عبر عنه بقوله: ١٠ ﴿فبعدا﴾ أى هلاكا و طردا. و لما كان كأنه قيل: لمن؟ قيل: لهم! و لكنه أظهر الضمير تعميما و تعليقا للحكم بالوصف تحذيرا لكل من تلبس به فقال: ﴿للقوم﴾ أى الأقوياء الذين لا عذر لهم فى التخلف عن اتباع الرسل و المدافعة عنهم ﴿الظلمين﴾ الذين وضعوا قوتهم التى كان يجب عليهم بذلها فى نصر الرسل فى خذلانهم.

و لما كانت عادة المكذبين أن يقولوا تكذيبا: هذا تعريض لنا ١٥ بالهلاك، فصرّح و لا تدع[4] جهدا فى إحلاله [بنا -[5]] و التعجيل به

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يكون (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الوارثون الارض (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لا تجد (٥) زيد من ظ و مد.

إلينا، فانا لا ندع ما نحن عليه لشيء، و كان العرب أيضا قد ادعوا أن العادة بموتهم و إنشاء من بعدهم شيئا فشيئا لاتنخرم، قال تعالى رادعا لهم: ﴿ثم انشانا﴾ أى بعظمتنا التى لايضرها تقديم و لا تأخير، و أثبت الجار لما تقدم فقال: ﴿من بعدهم﴾ أى [من -[1]] بعد من[2] قدمنا ذكره من نوح و القرن[3] الذى بعده ﴿قرونا[4] اخرين[5]﴾ ثم أخبر بأنه لم يعجل على أحد منهم قبل الأجل الذى حده[6] له بقوله: ﴿ما تسبق﴾ و لعله عبر بالمضارع إشارة إلى أنه ما كان شيء من ذلك و لايكون، و أشار إلى الاستغراق بقوله: ﴿من امة اجلها﴾ أى الذى قدرناه لهلاكها ﴿و ما يستاخرون[5]﴾ عنه، و كلهم أسفرت عاقبته عن[7] خيبة المكذبين و إفلاح المصدقين، و جعلهم بعدهم الوارثين، [و عكس هذا الترتيب فى غيرها من الآيات فقدم الاستئخار لأنه فرض هناك مجيء الأجل فلا يكون حينئذ نظر إلا إلى التأخير -[1]].

و لما كان قد أملى لكل قوم حتى طال عليهم الزمن[7]، فلما لم يفهم عقولهم لما نصب لهم من الأدلة، و أسبغ عليهم من النعم، و أحل بالمكذبين قبلهم من النقم، أرسل فيهم رسولا، دل على ذلك بأداة التراخى فقال: ﴿ثم ارسلنا﴾ / أى بعد إنشاء كل قرن منهم و طول إمهالنا له، /٥٩٦

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ما (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: القرون (٤) من ظ و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: قوما.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: حد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: من.
(٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الزمان.

و من هنا يعلم أن بين كل رسولين فترة[1] ، و أضاف الرسل إليه لأنه فى مقام العظمة و زيادة فى التسلية فقال : ﴿ رسلنا تترا[4] ﴾ أى واحدا بعد واحد ؛ قال الرازى : من وتر القوس لاتصاله . و قال البغوى[2] : واترت الخبر : أتبعت بعضه بعضا و بين الخبرين هنيهة[3] . و قال الأصبهانى : و الأصل : وترى ، فقلبت الواو تاء كما قلبوها فى التقوى . فجاء كل ٥ رسول إلى أمته قائلا : اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

و لما كان كأنه قيل : فكان ما ذا ؟ قيل : ﴿ كلما جآء امة ﴾[4] و لما كان فى [4]بيان التكذيب[4] ، [5]أضاف الرسول[5] إليهم[6] ، ذما لهم لأن يخصوا بالكرامة فيأبوها و لقصد التسلية أيضا فقال : ﴿ رسولها ﴾ أى بما أمرناه [به -[7]] من التوحيد . ١٠

و لما كان الأكثر من كل أمة مكذبا ، أسند الفعل إلى الكل فقال : ﴿ كذبوه ﴾ أى كما فعل هؤلاء بك لما أمرتهم بذلك ﴿فاتبعنا﴾ القرون بسبب تكذيبهم ﴿بعضهم بعضا﴾ فى الإهلاك ، فكنا نهلك الأمة كلها فى آن واحد ، بعضهم بالصيحة ، و بعضهم بالرجفة ، و بعضهم بالخسف ، و بعضهم بغير ذلك ، فدل أخذنا لهم على غير العادة - من إهلاكنا لهم ١٥

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فوترة ، و العبارة فى ظ من بعده إلى «فقال» ساقطة (٢) نقلا عن الأصمعى - راجع المعالم على هامش اللباب ٥/٣١ (٣) فى المعالم : مهلة (٤-٤) فى ظ : مقام العظمة (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اضافه (٦) فى ظ : اليه (٧) زيد من مد .

جميعا و إنجاء الرسل و من صدقهم و المخالفة بينهم فى نوع العذاب - أنا نحن الفاعلون بهم ذلك باختيارنا لا[1] الدهر . و أنا ما فعلنا ذلك إلا بسبب التكذيب .

و لما كانوا قد ذهبوا لم يبق عند الناس منهم إلا أخبارهم ، جعلوا إياها ، فقال : ﴿و جعلنهم احاديث ج﴾ أى أخبارا يسمر بها و يتعجب منها ليكونوا عظة للمستبصرين فيعلموا أنه لايفلح الكافرون و لايخيب المؤمنون ، و ما أحسن قول القائل :

ولاشىء يدوم فكن حديثا جميل الذكر فالدنيا حديث

و لما تسبب عن تكذيبهم هلاكهم المقتضى لبعدهم فقال : ﴿فبعدا لقوم﴾ أى أقوياء على ما يطلب منهم ﴿لا يؤمنون *﴾ [2] أى لا يتجدد[3] منهم إيمان و إن جرت عليهم الفصول الأربعة ، لأنه لا مزاج لهم معتدل .

و لما كان آل فرعون قد أنكروا الإيمان لبشر مثلهم كما قال من تقدم ذكره من قوم نوح و القرن الذى بعدهم[4] ، وكانوا أترف أهل زمانهم ، و أعظمهم قوة ، و أكثرهم عدة ، و كانوا يستعبدون بنى إسرائيل ، و كان قد نقل إلينا من الآيات التى أظهر رسولهم ما لم ينقل إلينا مثله لمن تقدمه ، صرح سبحانه بهم ، و كأن الرسالة إليهم كانت بعد فترة طويلة ، فدل عليها بحرف التراخى فقال : ﴿ثم ارسلنا﴾ [5] أى بما لنا

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : الا (٢) العبارة من هنا إلى «لهم معتدل» ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : لايجدد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعد (٥) العبارة من هنا إلى « العظمة » ساقطة من ظ .

من العظمة ﴿ موسى[1] ﴾ و زاد فى التسلية بقوله : ﴿ و اخاه هرون ﴾ أى عاضدا له[2] و بيانا لأن إهلاك فرعون و آله جميعا مع إنجاء الرسولين معا و من آمن بهما لإرادة الواحد القهار لإفلاح المؤمنين و خيبة الكافرين ﴿ بآيتينا ﴾ [أى -[3]] المعجزات ، بعظمتنا[4] - لمن يباريها[5] ﴿ و سلطن مبين ﴾ أى حجة ملزمة عظيمة[6] واضحة ، و هى حراسته و هو وحده ، و أعلاه على كل من ناواه و هم مع قوتهم ملء الأرض و عجزهم عن كل ما يرومونه من كيده ، و هذه و إن كانت من جملة الآيات لكنها أعظمها / ، و هى وحدها كافية فى إيجاب التصديق ﴿ الى فرعون و ملائه ﴾ أى و قومه[7] . / ٥٩٧

و لما[8] كان الأطراف لا يخالفون الأشراف ، عدهم عدما ، و من الواضح أن التقدير : أن اعبدوا الله ، ما لكم من إله غيره ، و أشار بقوله ﴿ فاستكبروا[9] ﴾ إلى أنهم أوجدوا الكبر عن الاتباع فيما دعوا إليه عقب الإبلاغ من غير تأمل و لا تثبت [و طلبوا أن لا يكونوا تحت أمر من دعاهم -[3]] ، و أشار بالكون إلى فساد جبلتهم فقال : ﴿ و كانوا قوما ﴾ أى أقوياء ﴿ عالين ﴾ على جميع من يناويهم من أمثالهم

(١) وقع فى الأصل بعد « ارسلنا » و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم (٣) زيد من مد (٤) فى مد : بعظمتها ، و ساقطة من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يبادرها (٦) سقط من ظ (٧) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكن (٩) ليس فى الأصل نقط .

و لما تسبب عن استكبارهم و علوهم إنكارهم للاتباع قال: ﴿ فقالوآ اتؤمن ﴾ أى بالله مصدقين[1] ﴿ لبشرين ﴾ و لما كان 'مثل' و 'غير' قد يوصف بهما المذكر و المؤنث و المثنى و الجمع [2]دون تغيير[2]، و لم تدع حاجة إلى التثنية[2] قال: ﴿مثلنا﴾ أى[3] فى البشرية و المأكل و المشرب و غيرهما مما يعترى البشر كما قال من تقدمهم ﴿و قومهما﴾ أى و الحال أن قومهما ﴿ لنا عبدون ج ﴾ أى فى غاية الذل و الانقياد كالعبيد فنحن أعلى منهما بهذا، و يا ليت شعرى ما لهم لما جعلوا هذا شبهة لم يجعلوا عجزهم عن إهلاك[4] الرسل و عما يأتون به من المعجزات فرقانا و ما جوابهم عن أن من الناس الجاهل الذى لا يهتدى لشىء و العالم الذى يفوق الوصف من فاوت بينهما؟ و إذا جاز التفاوت بينهما فى ذلك فلم لايجوز فى غيره؟. و لما تسبب عن هذا الإنكار التكذيب، فتسبب عنه الهلاك[5] قال: ﴿ فكذبوهما ﴾ أى فرعون و ملاؤه موسى و هارون عليهما الصلاة و السلام ﴿فكانوا﴾ أى فرعون و آله، [و نبه بصيغة المفعول على عظيم القدرة فقال-[5]] : ﴿من المهلكين﴾ باغراقنا لهم على تكذيبهم إشارة إلى أنهم لم يهلكوا بأنفسهم من غير مهلك مختار بدليل إغراقهم كلهم بما كان سبب إنجاء بنى إسراءيل كلهم و لم تغن عنهم قوتهم فى أنفسهم ثم قوتهم على خصوص بنى إسراءيل

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ماص، مع البياض قبل الكلمة و بعدها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: التنبيه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اهلال (٥) زيد من مد.

باستعبادهم

باستعبادهم إياهم، و لا ضر بنى إسراءيل ضعفهم عن دفاعهم، و لا ذلهم لهم و صغارهم فى أيديهم .

و لما كان ضلال قومها الذين استنقذناهم من عبودية فرعون و قومه أعجب، وكان السامع متشوفا[1] إلى ما كان من أمرهم بعد نصرهم، ذكر ذلك مبتدئا له بحرف التوقع مشيرا إلى حالهم فى ضلالهم تسلية للنبى ٥ صلى الله عليه و سلم فقال : ﴿ و لقد ءاتينا ﴾ [أى - [2]] بعظمتنا ﴿ موسى الكتب ﴾ [أى - [2]] الناظم لمصالح البقاء الأول بل و الثانى. و لما كان كتابهم لم ينزل إلا بعد هلاك فرعون كما هو واضح لمن تأمل أشتات قصتهم فى القرآن، و كان حال هلاك القبط معرفا أن الكتاب لبنى إسراءيل، اكتفى بضميرهم فقال : ﴿ لعلهم ﴾ أى قوم موسى و هارون ١٠ عليهما السلام ﴿ يهتدون ﴾ أى ليكون حالهم عند[3] من لا يعلم العواقب حال من ترجى[4] هدايته، فأفهم جعلهم فى ذلك فى مقام الترجى أن فيهم من لم يهتد؛ قال ابن كثير[5] : و بعد أن أنزل التوراة لم تهلك أمة بعامة بل أمر المؤمنين بقتال الكافرين - انتهى . و لا يبعد على هذا أن يكون الضمير فى "لعلهم" للقرون الحادثة المدلول / عليها[6] بقوله "قرونا" ١٥ / ٥٩٨ و ربما[7] أرشد إلى ذلك قوله تعالى "و لقد ءاتينا موسى الكتب من بعد

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : متشرفا (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : عن (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : يرجى (٥) راجع تفسيره : ٢/٢٤٥ (٦) من ظ ومد، و فى الأصل : عليهما (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : لما .

ما اهلكنا القرون الاولى بصائر للناس و هدى و رحمة لعلهم يتذكرون "
و قد ختم الهلاك العام بالإغراق[1] كما فتح به ، و النيان اللذان وقع
ذلك لهما[2] دعا كل منهما على[2] من عصاه ، وكلاهما[2] مثله النبي[2] صلى الله
عليه و سلم فى غزوة بدر فى الشدة على العصاة بعمر رضى الله عنه الذي
٥ أطاعه النيل و أطاع جيشه الدجلة[3] .

[و لما كان من ذكر كلهم قد ردوا من جاءهم لإشعارهم استبعادهم
لأن -[4]] يكون الرسل بشرا ، و كان بنو إسراءيل [الذين -[4]]
أعزهم الله و نصرهم على عدوهم و أوضح لهم الطريق بالكتاب[5] قد اتخذوا
عيسى - مع كونه بشرا - إلها ، أتبع ذلك ذكره تعجيبا من حال المكذبين
١٠ فى هذا الصعود بعد ذلك النزول فى أمر من أرسلوا إليهم ، و جرت
على أيديهم الآيات لهدايتهم ، فقال : ﴿ و جعلنا ﴾ أي بعظمتنا ﴿ ابن مريم ﴾
نسبه إليها تحقيقا لكونه لا أب له ، و كونه بشرا محمولا فى البطن مولودا
لايصلح لرتبة الإلهية ؛ و زاد فى تحقيق ذلك بقوله : ﴿ و امه ﴾ [و -[4]]
قال : ﴿ آية ﴾ إشارة إلى ظهور الخوارق على أيديهما حتى كأنهما نفس
١٥ الآية ، فلا يرى منهما شيء إلا و هو آية ، و لو قال : آيتين ، لكان ربما
ظن أنه يراد حقيقة هذا العدد ، و لعل فى ذلك إشارة إلى أنه تكملت
به آية القدرة على إيجاد[6] الإنسان بكل اعتبار من غير ذكر و لا أنثى

(١) فى مد : بالإهلاك (٢-٢) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٣) راجع
أواخر الخصائص الكبرى للسيوطى (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيدت الواو
فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٦) فى ظ : الايجاد .

كآدم عليه السلام ، و من ذكر بلا أنثى كحواء عليها السلام ، و من أنثى بلا ذكر كعيسى عليه السلام ، و من الزوجين كبقية الناس ، و المراد أن بني إسراءيل - مع[1] الكتاب الذى هو آية مسموعة و النبي الذى هو آية مرئية - لم يهتد أكثرهم .

و لما كان أهل[2] الغلو فى عيسى و أمه عليهما الصلاة و السلام ربما تشبثوا من هذه العبارة بشيء ، حقق بشريتهما و احتياجهما المنافى لرتبة الإلهية فقال : ﴿ و آويناهما ﴾ [أى -[3]] بعظمتنا لما قصد ملوك البلاد الشامية إهلاكهما ﴿ الى ربوة ﴾ أى مكان عال [4]من الأرض[4] ، و أحسن ما يكون النبات فى الأماكن المرتفعة ، و الظاهر أن المراد بها عين شمس فى بلاد مصر ؛ قال ابن كثير[5] : قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : ليس الربى إلا بمصر و الماء حين يرسل[6] تكون الربى عليها القرى ، و لو لا الربى[7] غرقت القرى ، و روى عن وهب بن منبه نحو هذا - انتهى . ﴿ ذات قرار ﴾ [أى -[3]] منبسط صالح لأن[8] يستقر فيه لما فيه من المرافق ﴿ و معين[4] ﴾ أى ماء ظاهر للعين ، و نافع كالماعون ، فرع اشتق من أصلين ، و لم يقدر من خالفه من الملوك و غيرهم على كثرتهم وقوتهم على قتله[9] لا فى حال صغره ، و لا فى حال كبره ، كما مضى نقله عن

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٢) فى مد : اكثر (٣) زيد من مد .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) راجع تفسيره : ٣/٢٤٦ (٦) فى التفسير : يسيل (٧) من ظ و مد و التفسير ، و فى الأصل : الذى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٩) فى ظ : قلته .

الإنجيل و صدقه عليه القرآن ، مع كونه مظنة لتناهى الضعف بكونه[١] من أنثى فقط و لا ناصر له إلا الله ، و مع ذلك فأنجح الله أمره و أمر من اتبعه ، و خيب[٢] به الكافرين ، و رفعه إليه ليؤيد به هذا الدين فى آخر الزمان ، و يكون[٢] للمؤمنين حينئذ فلاح لم يتقدمه مثله ، [٢]و كان ٥ ذلك من إحسان خالقه و نعمته عليه[٢] .

ذكر شيء من دلائل[٤] [كونه -[٥]] آية من الإنجيل :

قال يوحنا[٦] أحد المترجمين للانجيل و أغلب السياق لمى فانى خلطت كلام المترجمين الأربعة : و لما قرب عيد المظال قال إخوة يسوع - أى الاثنى عشر تلميذا - له : تحول من ههنا إلى يهودا ليرى تلاميذك ١٠ الأعمال التى تعمل [لأنه ليس أحد يعمل شيئا سرا فيجب أن يكون علانية إذ كنت تعمل -[٧]] هذه الأشياء فأظهر نفسك للعالم ، فقال لهم يسوع[٨] : أما وقتى فلم يبلغ ، و أما وقتكم فانه[٩] مستعد فى كل حين ، لم يقدر العالم أن يبغضكم و هم يبغضوننى لأنى أشهد عليهم[١٠] أن أعمالهم شريرة[١١] ، اصعدوا أنتم إلى هذا العيد ، فانى لا أصعد الآن ، ثم قال[١٢] : ١٥ و لما انتصف أيام العيد صعد يسوع[٨] إلى الهيكل فبدأ يعلم ، و كان اليهود

(١) فى ظ : من كونه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : دلايله (٥) زيد من ظ و مد . (٦) راجع آية ٢ فما بعدها من الأصحاح السابع (٧) زيد من ظ و مد و الإنجيل (٨) فى مد : يشوع (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : فانا . (١٠) فى ظ : عليكم (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : سريره (١٢) راجع آية ١٤ فما بعدها من الأصحاح السابع .

يتعجبون و يقولون: كيف يحسن هذا الكتاب و لم يعلمه أحد، فقال: تعليمى ليس هو لى، بل للذى أرسلنى، فمن أحب أن يعمل مرضاته فهو يعرف تعليمى هل هو من الله أو من عندى؟ من[1] يتكلم من عنده إنما يطلب المجد لنفسه، [2]و أما[2] الذى يطلب مجد الذى أرسله فهو صادق و ليس فيه ظلم، أليس موسى[3] أعطاكم الناموس و ليس فيكم أحد يعمل بالناموس؛ ثم[4] قال[5]: و فى اليوم العظيم الذى هو آخر العيد كان يسوع قائما ينادى: كل من يؤمن بى كما قالت الكتب تجرى من بطنه أنهار ماء الحياة، و إن الجمع الكثير سمعوا كلامه فقالوا: هذا نبى حقا، و آخرون قالوا: هذا هو المسيح، [و آخرون قالوا: ألعل المسيح -[5]] من الجليل يأتى؟ أليس قد قال الكتاب: إنه من نسل داود، من بيت لحم قرية داود خاصة يأتى المسيح، فوقع بين الجموع خوف من أجله. قال متى[6]: حينئذ جاء إلى يسوع من يروشليم كتبة و فريسيون قائلين: لما ذا تلاميذك يتعدون[7] وصية المشيخة إذ لا يغسلون أيديهم عند أكلهم؛ و قال مرقس[8]: ثم اجتمع إليه الفريسيون و بعض الذين جاؤا من يروشليم فنظروا إلى تلاميذه يأكلون الطعام بغير غسل أيديهم، لأن الفريسيين

(١) من ظ و مد و الإنجيل، و فى الأصل: ان (٢ - ٢) من مد و الإنجيل، و فى الأصل و ظ: فاما (٣) سقط من مد (٤) راجع آية ٣٧ فما بعدها من الأصحاح السابع (٥) زيد من ظ و مد و الإنجيل (٦) راجع آية ١ و ٢ من الأصحاح الخامس عشر (٧) من ظ و مد و الإنجيل، و فى الأصل: يتعبدون. (٨) راجع آية ١ فما بعدها من الأصحاح السابع.

و كل اليهود لا يأكلون إلا بغسل أيديهم تمسكا بتعليم شيوخهم و الذين يشترونه من الأسواق إن لم يغسلوه[١] لا يأكلونه، و أشياء أخر كثيرة تمسكوا بها من غسل كؤوس و أواني و مصاغ[٢] و أسرة[٣]، و سأله الكتبة و الفريسيون: لم تلاميذك لا يسيرون[٤] [على -[٥]] ما وصت به المشيخة

٥ قال متى[٦]: فأجابهم [و قال -[٧]]: لما ذا أنتم تتعدون[٨] وصية الله من أجل سننكم، ألم يقل الله: أكرم أباك و أمك، و الذى يقول كلاما رديئا في أبيه و أمه يستأصل[٩] بالموت، و أنتم تقولون: من[١٠] قال لأبيه أو لأمه. [إن -[١١]] القربان شيء ينتفع به، [فلا يكرم أباه و أمه -[١١]]، فأبطلتم كلام الله من تلقاء روايتكم؛ قال مرقس[١٢]: و تفعلون[١٣] كثيرا

١٠ مثل هذا - انتهى. يا مراؤن[١٤] حسنا يثنى[١٥] - و قال مرقس[١٦]: نعما [١٧]يثنى عليكم[١٧] أشعيا قائلا[١٨]: إن هذا الشعب قرب منى و يكرمنى بشفتيه،

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يغسلونه، و فى الإنجيل: لم يغتسلوا (٢) فى ظ: مصاع (٣) زيد فى الأصل: وكتبه، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد والإنجيل فحذفناها (٤) من ظ و مد و الإنجيل معنى، و فى الأصل: لا يشترون (٥) زيد من مد (٦) راجع آية ٣ فما بعدها من الأصحاح الخامس عشر (٧) زيد من ظ ومد والإنجيل (٨) من ظ و مد و الإنجيل، و فى الأصل: تبعدون - كذا. (٩) من ظ و مد و الإنجيل معنى، و فى الأصل: يستاهل (١٠) فى ظ: ما. (١١) زيد من الإنجيل (١٢) راجع آية ١٣ من الأصحاح السابع (١٣) من ظ ومد والإنجيل، و فى الأصل: يفعلون (١٤) من ظ ومد و انجيل متى آية ٧، و فى الأصل: مروان (١٥) فى الإنجيل: تنبأ عنكم (١٦) راجع آية ٦ من الأصحاح السابع (١٧-١٧) فى الإنجيل: تنبأعنكم (١٨) من ظ ومد و الإنجيل، و فى الأصل: قال.

و قلبه بعيد عنى ، يعبدوننى باطلا و يعلّمون تعليم وصايا الناس . و دعا الجمع / و قال لهم[١] : اسمعوا و افهموا ، ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان ، لكن الذى يخرج من الفم ينجس الإنسان . حينئذ جاء إليه تلاميذه و قالوا : اعلم[٢] أن الفريسيين لما سمعوا الكلام شكوا ، فأجابهم و قال : كل غرس لا يغرسه أبى السماوى يقلع ، دعوهم فانهم عميان يقودهم [عميان -[٣]] ، أجابه بطرس و قال : فسر لنا المثل ! فقال : حتى أنتم لا تفهمون ؟ أما[٤] تعلمون أن كل ما يدخل إلى الفم يصل إلى البطن و ينطرد إلى المخرج ، فأما الذى يخرج من[٥] الفم فهو يخرج من القلب ، هذا الذى ينجس الإنسان ، لأنه يخرج من القلب الفكر الشرير : القتل الزنا الفسق[٦] السرقة و شهادة الزور التجديف[٧] ، هذا هو الذى ينجس الإنسان ، [٨]و أما[٨] الأكل بغير غسل [الأيدى -[٩]] و فليس ينجس الإنسان ، و قال مرقس[١٠] : إن كل ما كان خارجا يدخل إلى فم الإنسان لا يقدر أن ينجسه لأنه لا يصل إلى القلب ، بل إلى الجوف و يذهب إلى خارج ، و الذى يخرج من[١١] الإنسان هو الذى ينجس الإنسان ، لأنه من داخل تخرج أفكار سوء : فجور زنا قتل سرقة

/ ٦٠٠

(١) من الإنجيل ، و فى الأصول : نعم (٢) فى الإنجيل : أتعلم (٣) زيد من مد و الإنجيل (٤) زيد فى الأصل : أنتم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و الإنجيل فحذفناها (٥) فى مد : الى (٦) من ظ و مد و الإنجيل ، و فى الأصل : العيسق . (٧) من ظ و مد و الإنجيل ، و فى الأصل : التخديف (٨ - ٨) من ظ و مد و الإنجيل ، و فى الأصل : فانما (٩) زيد بناء على الإنجيل (١٠) راجع آية ١٨ فما بعدها من الأصحاح السابع (١١) زيد فى الأصول : فم ، و لم تكن الزيادة فى الإنجيل فحذفناها .

شره شر غش فسق عين شريرة تجديف[1] تعاظم جهل، هذا كله شر من داخل يخرج [2] و ينجس [2] الإنسان - [انتهى . و فيه مما لايجوز إطلاقه فى شرعنا : الأب - كما تقدم غير مرة - [3]] .

و لما بين أن عيسى عليه السلام على منهاج إخوانه من الرسل فى الأكل و العبادة، و جميع الأحوال، زاد فى تحقيق ذلك بيانا لمن ضل بأن اعتقد فيه ما لايليق به . فقال مخاطبا لجميعهم بعد إهلاك من عاندهم من قومهم على وجه يشمل ما قبل ذلك ردا لمن جعله موجبا لإنكار الرسالة، و تبكيتا لمن ابتدع الرهبانية من أمة عيسى عليه السلام، إعلاما بأن كل رسول قيل له معنى هذا الكلام فعمل به، فكانوا كأنهم نودوا به فى وقت واحد، فعبر بالجمع ليكون أفخم له فيكون أدعى لقبوله : ﴿ يٰأيها الرسل ﴾ من عيسى و غيره ﴿ كلوا ﴾ أنتم و من نجيناه معكم بعد إهلاك المكذبين .

و لما علوا عن رتبة الناس، فلم يكونوا أرضيين[4]، لم يقل "مما فى الارض" و عن رتبة الذين آمنوا، لم يقل "من طيبت ما رزقنكم" ليكونوا عابدين نظرا إلى النعمة أو حذرا من النقمة، كما مضى بيانه فى سورة البقرة، بل قال : ﴿ من الطيبٰت ﴾ أى الكاملة التى منت عليكم بخلقها لكم و إحلالها و إزالة الشبه عنها و جعلها[5] شهية للطبع، نافعة

(١) من ظ و مد و الإنجيل، و فى الأصل : تحذيف (٢ - ٢) فى ظ و مد : مينجس (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : ارضين (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : جعلتها .

للبدن، منعشة للروح، و ذلك ما كان حلا غير مستقذر لقوله تعالى "يحل لهم الطيبت و يحرم عليهم الخبئث[1]". و دل سبحانه على [أن -[2]] الحلال عون[3] على الطاعة بقوله: ﴿و اعملوا صالحا[4]﴾ أى سرا و جهرا غير خائفين من أحد، فقد أهلكت عدوكم و أورثتكم أرضهم، و لم يقيد عملهم بشكر و لا غيره، إشارة إلى أنه لوجهه ليس غير، فانهم دائما فى ٥ مقام الشهود، فى حضرة المعبود، و الغنى عن كل سوى حتى عن الغنى؛ ثم حثهم على دوام المراقبة بقوله: ﴿ انى بما ﴾ أى بكل شىء ﴿ تعملون عليم[5]﴾ أى بالغ العلم.

و لما كان هذا تعليلا لما سبقه من الأمر، عطف على لفظه قوله: ﴿و ان﴾ بالكسر فى قراءة / الكوفيين[6]، و على معناه لما كان يستحقه لو ١٠ / ٦٠١ أبرزت لام العلة من الفتح فى قراءة غيرهم ﴿ هذه ﴾ أى دعوتكم أيها الأنبياء المذكورون إجمالا و تفصيلا و ملتكم المجتمعة على التوحيد أو الجماعة التى أجبتها معكم من المؤمنين ﴿ امتكم ﴾ أى مقصدكم الذى تنبغى أن لا توجهوا هممكم إلى غيره أو [جماعة -[1]] أتباعكم حال كونها ﴿ امة واحدة ﴾ لا شتات فيها أصلا، فما دامت متوحدة فهى مرضية ١٥ ﴿ و انا ربكم ﴾ أى المحسن إليكم بالخلق و الرزق وحدى، فمن وحدنى نجا، و من كثر الأرباب هلك.

---

(١) سورة ٧ آية ١٥٧ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: نوع (٤) راجع نثر المرجان ٤ / ٥٥٠.

و لما كان الخطاب فى هذه السورة كلها للخاص[1] من الأنبياء و من تبعهم من المؤمنين ، قال : ﴿ فاتقون ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين غضبى وقاية من جمع عبادى بالدعاء إلى وحدانيتى بلا فرقة أصلا ، بخلاف سورة الأنبياء المصدرة بالناس [2] فان مطلق العبارة أولى بدعوتها[2] .

٥ و لما كان من المعلوم قطعا أن التقدير : فاتقى الأنبياء الله[3] الذى ارسلهم و تجشموا حمل[4] ما أرسلهم به من عظيم الثقل ، فدعوا العباد إليه و أرادوا جمعهم عليه ، عطف عليه بفاء السبب [5]قوله معبرا بفعل التقطع لأنه يفيد التفرق[5] : ﴿ فتقطعوآ ﴾ أى الأمم ، و إنما أضمرهم لوضوح إرادتهم لأن الآيـة التى قبلهـا قد صرحت بأن الأنبياء و من

١٠ نجا معهم[6] أمة واحدة لا اختلاف بينها ، فعلم قطعا أن الضمير للأمم و من نشأ بعدهم[7] ، و لذلك كان النظر إلى الأمر الذى[8] كان واحدا أهم ، فقدم قوله : ﴿امرهم﴾ أى فى الدين بعد أن كان مجتمعا متصلا ﴿بينهم﴾ فكانوا شيعا ، و هو معنى[9] ﴿ زبرا[4] ﴾ أى قطعا ، كل قطعة منها فى غاية القوة و الاجتماع و الثبات على ما صارت إليه من الهوى و الضلال ،

١٥ بكل شيعة[10] طريقة فى الضلال عن الطريق الأمم ، و المقصد المستقيم ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تتخلص (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالله (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجل .
(٥ - ٥) فى ظ : نقال (٦) فى ظ : منهم (٧) العبارة من هنا إلى «فقدم قوله» ساقطة من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل : الدنى (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمعنى (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : شريعة .

[و كتاب زبروه فى أهويتهم -[1]] و لم يرحموا أنفسهم بما دعتهم إليه الهداة[2] من الاجتماع[3] و الألفة فأهلكوها بالبغضاء و الفرقة[4] ، و هو منصوب بأنه مفعول ثان لتقطع على ما مضى تخريجه فى الأنبياء ، و قد ظهر كما ترى ظهورا بينا أن هذه إشارة إلى الناجين من أمة كل نبى بعد إهلاك أعدائهم، أى أن هذه الجماعة الذين[5] أنجيتهم معكم أمتكم[6] ، حال كونهم أمة واحدة متفقين فى الدين ، لا خلاف بينهم ، [و -[1]] كما أن جماعتكم واحدة فانا ربكم لا رب [لكم -[1]] غيرى فاتقون . و لا يخالف أحد منكم أمرى و لا[7] تختلفوا و تفترقوا لئلا أعذب العاصى منكم كما عذبت أعداءكم .

و لما كان هذا مما لا يرضاه عاقل ، أجيب من كأنه قال : هل رضوا بذلك مع انكشاف ضرره[8] ؟ بقوله : ﴿ كل حزب ﴾ أى فرقة ﴿ بما لديهم ﴾ أى من ضلال و[9] هدى ﴿ فرحون ﴾ أى مسرورون فضلا عن أنهم راضون غير معرج الضالّ منهم على ما جاءت به الرسل من الهدى ، و [لا -[1]] على الاعتبار بما اتفق لأممهم بسبب تكذيبهم من الردى .

و لما أنتج هذا أن الضلال و إن وضح لا يكشفه إلا ذو الجلال ،

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : الهداية (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاجماع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المفرقة (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : امة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لان (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضررهم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : او .

/٦٠٢ سبب عنه /سبحانه قوله تسلية لرسوله[1] صلى الله عليه و سلم: ﴿فذرهم﴾ أى اتركهم على شر حالاتهم ﴿فى غمرتهم﴾ أى الضلالة التى غرقوا فيها ﴿حتى حين ه﴾ أى إلى وقت ضربناه لهم من قبل أن نخلقهم و نحن عالمون بكل ما يصدر منهم على أنه وقت يسير .

٥ و لما كان الموجب لغرورهم ظنهم أن حالهم - فى بسط الأرزاق من الأموال و الأولاد - حال الموعود لا المتوعد ، أنكر ذلك عليهم تنبيها لمن سبقت له السعادة ، و كتبت له الحسنى و زيادة ، فقال : ﴿ايحسبون﴾ [أى - [2]] لضعف عقولهم ﴿انما﴾ أى الذى[3] ﴿نمدهم﴾ على عظمتنا ﴿به﴾ أى نجعله مددا لهم ﴿من مال﴾ نيسره ١٠ لهم ﴿و بنين[4]﴾ نمتعهم بهم ، [5]ثم أخبر عن «ان» بدليل قراءة السلمى[5] بالياء التحتية فقال: ﴿نسارع لهم﴾ [أى - [2]] به[6] بادرارنا له عليهم فى سرعة من يبارى[7] آخر ﴿فى الخيرت[4]﴾ التى لا خيرات إلا هى لأنها محمودة العاقبة ، ليس كذلك بل هو وبال عليهم لأنه استدراج إلى الهلاك لأنهم غير عاملين بما يرضى الرحمن ﴿بل﴾ هم يسارعون فى ١٥ اسباب الشرور ، و لا يكون عن السبب إلا مسببه ، و لكنهم كالبهائم ﴿لا يشعرون ه﴾ أنهم فى غاية البعد عن الخيرات "سنستدرجهم من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لرسول الله (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : الذين ، و الكلمة مع سابقتها ساقطة من ظ (٤) العبارة من هنا إلى « التحتية فقال » ساقطة من ظ (٥) فى مد : الشامى - خطأ - راجع البحر المحيط ٦ / ٤١٠ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تجازى .

حيث لا يعلمون" .

و لما ذكر أهل الافتراق ، أتبعهم أهل الاتفاق ، فكان كأنه قيل: فمن الذى يكون[1] له الخيرات؟ فأجيب بأنه الخائف من الله ، فقيل معبرا بما يناسب أول السورة من الأوصاف ، [2]بادئا بالخشية لأنها الحاملة على تجديد الإيمان[2] : ﴿ ان الذين هم ﴾ أى بيواطنهم ﴿ من خشية ربهم ﴾ ٥ أى الخوف العظيم من المحسن إليهم المنعم عليهم ﴿مشفقون﴾ أى دائمو الحذر ﴿ و الذين هم بآيات ربهم ﴾ المسموعة و المرئية ، [لا ما كان من جهة غيره -[3]] ﴿يؤمنون﴾ لا يزال إيمانهم [بها -[4]] يتجدد شكرا لإحسانه إليهم .

و لما كان المؤمن قد يعرض له [ما تقدم - [4]] فى إيمانه من ١٠ شرك جلى أو خفى ، قال: ﴿و الذين هم بربهم﴾ أى الذى لا محسن إليهم غيره . وحده[5] ﴿لا يشركون﴾ أى شيئا من شرك فى وقت من الأوقات كما لم يشركه فى إحسانه[6] إليهم أحد .

و لما أثبت لهم الإيمان الخالص ، نفى عنهم العجب[7] بقوله: ﴿ و الذين يؤتون ما آتوا ﴾ أى يعطون[8] ما أعطوا من الطاعات ، ١٥ و كذا قراءة يحيى بن الحارث و غيره[2]: ياتون ما اتوا ، أى يفعلون

(١) سقط من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من مد . و فى الأصل و ظ : الاحسان . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : التعجبية (٨) فى مد : يعطوا .

ما فعلوا من أعمال البر لتتفق القراءتان فى الإخبار عنهم بالسبق : ثم ذكر حالهم فقال : ﴿ و قلوبهم وجلة ﴾ أى شديدة الخوف ، [1]قد وجل فى دواخلها و جال فى [كل -[2]] جزء منها لأنهم[3] عالمون بأنهم لا يقدرون الله حق قدره و إن اجتهدوا ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انهم الى ربهم ﴾ أى الذى طال إحسانه إليهم ﴿ راجعون ﴾ بالبعث فيحاسبهم على[4] النقير و القطمير ، و يجزيهم بكل قليل و كثير . و هو النافذ البصير ، قال الحسن البصرى[5] : [6]إن المؤمن[6] جمع[7] إيمانا و خشية ، و المنافق جمع[7] إساءة و أمنا . ثم أثبت لهم ما أفهم أن ضده لأضدادهم فقال : ﴿ اولئك ﴾ أى خاصة ﴿ يسارعون ﴾ / أى يسبقون سبق من يساجل آخر ﴿ فى الخيرت ﴾ /٦٠٣ فأفهم ذلك[8] ضد ما ذكر لأضدادهم بقوله : ﴿ و هم لها ﴾ أى إليها [خاصة -[2]] ، أى إلى ثمراتها ، و لكنه عبر باللام إشارة إلى زيادة القرب منها و الوصول إليها مع الأمن لجعل الخيرات ظرفا للمسارعة من أخذها على حقيقتها للتعدية ﴿ سبقون ﴾ لجميع الناس ، لأنا [نحن -[2]] نسارع لهم فى المسببات أعظم من مسارعتهم فى الأسباب ، و يجوز أن يكون "سبقون" بمعنى : عالين[9] ، من وادى « سبقت رحمتى غضبى »

(١) العبارة من هنا إلى « جزء منها » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : كانهم (٤) فى مد : عن (٥) راجع البحر المحيط ٦/٤١١ . (٦ - ٦) فى البحر : المؤمن ، و ما بين الرقمين ساقط من ظ (٧) فى البحر : يجمع (٨) سقط من ظ (٩) فى مد : عالمين .

أى أنهم مطيقون لها و معاونون عليها ﴿ و لا ﴾ أى و الحال أنا لانكلفهم ، و لكنه عم فقال : ﴿ نكلف نفسا ﴾ أى كافرة أو مؤمنة[1] ﴿ الا وسعها ﴾ فلا يقدر عاص[2] على[3] أن يقول : كنت غير قادر على الطاعة ، و لا يظن بنا[4] مؤمن أنا نؤاخذه بالزلة و الهفوة ، فان أحدا لايستطيع أن يقدرنا حق قدرنا لأن[5] مبنى المخلوق[6] على العجز . ٥

و لما كانت الأعمال إذا تكاثرت و امتد زمنها تعسر أو تعذر حصرها إلا بالكتابة ، عامل العباد سبحانه بما يعرفون مع غناه عن ذلك فقال : ﴿ و لدينا ﴾ أى عندنا [7]على وجه هو أغرب الغريب[7] ﴿ كتب ﴾ [7]و عبر عن كونه سببا للعلم بقوله[7] : ﴿ ينطق ﴾ بما كتب فيه من أعمال العباد من خير و شر . صغير و كبير ﴿ بالحق ﴾ أى[8] الثابت الذى يطابقه ١٠ الواقع ، قد كتب فيه أعمالهم من قبل خلقهم ، لا زيادة [فيها -[9]] و لانقص ، تعرض الحفظة كل يوم عليه ما كتبوه مما شاهدوه بتحقيق القدر له فيجدونه محررا بمقاديره و أوقاته و جميع أحواله فيزدادون به إيمانا ، و من حقيته أنه لايستطاع إنكار شيء منه .

و لما أفهم ذلك نفى الظلم ، صرح به فقال : ﴿ و هم ﴾ أى الخلق ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مومن (٢) تكرر فى ظ (٣) سقط من مد . (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : منه (٥) فى مد : لانه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : المخلوقات (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) سقط من ظ (٩) زيد من ظ و مد .

كلهم ﴿ لايظلمون ﴾ [1]من ظالم[1] [ما - [2]] بزيادة و لا نقص فى عمل و لا جزاء .

و لما كان التقدير : و لكنهم بذلك لايعلمون ، قال : ﴿بل قلوبهم﴾ أى الكفرة[3] من الخلق ، و يجوز أن يكون هذا الإضراب بدلا من قوله "بل لايشعرون" ﴿فى غمرة﴾ أى جهالة قد أغرقتها ﴿ من هذا﴾ أى الذى أخبرنا به من الكتاب الحفيظ فهم به كافرون ﴿و لهم اعمال﴾ [و أثبت الجار إشارة إلى أنه لاعمل لهم يستغرق الدون فقال -[2]] : ﴿ من دون [4] ذلك ﴾ أى مبتدئة من أدنى رتبة التكذيب من سائر المعاصى لأجل تكذيبهم بالكتاب [المستلزم لتكذيبهم بالبعث المستلزم لعدم الخوف - [5]] المستلزم للاقدام على كل معضلة ﴿ هم لها ﴾ أى دائما ﴿ عملون ﴾ لاشىء يكفهم إلا عجزهم عنها .

و لما كانوا كالبهائم لايخافون من المهلكة [إلا - [5]] عند المشاهدة ، غي عملهم للخبائث بالأخذ فقال : ﴿حتى اذآ اخذنا﴾ [1]أى بما لنا من العظمة[1] ﴿مترفيهم﴾ الذين هم الرؤساء القادة ﴿ بالعذاب ﴾ فبركت عليهم كلا كله ، و أناخت بهم[6] أعجازه و أوائله ﴿اذا هم﴾ كلهم المترف و من تبعه من باب الأولى ﴿يجئرون[7]﴾ أى يصرخون ذلا و انكسارا و جزعا من غير مراعاة لنخوة[7] ، لا استكبارا ، و أصل الجأر رفع الصوت

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكثرة (٤) ليس فى الأصل فقط (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : النخوة .

بالتضرع

بالتضرع - قاله البغوى[1]، فكأنه قيل: فهل يقبل اعتذارهم أو[2] يرحم إنكسارهم؟ فقيل: لا بل يقال لهم بلسان الحال أو القال: ﴿لا تجئروا اليوم﴾ بعد تلك الهمم، فان الرجل [من -[3]] لا يفعل شيئا عبثا، ثم علل ذلك بقوله: ﴿انكم منا﴾ / أى خاصة ﴿لا تنصرون ۝﴾ أى [4]بوجه من الوجوه[4]، ٦٠٤ /
[5]و من عدم نصرنا لم يجد له ناصرا، فلا فائدة لجؤاره إلا إظهار الجزع[5]، ٥
ثم علل عدم نصره لهم [6]بقوله: ﴿قد كانت آيتى﴾.

[7]و لما كانت عظمتها التى استحقت بها الإضافة إليه تكفى فى[8] الحث على الإيمان بمجرد سماعها، بنى للمفعول قوله: ﴿تتلى عليكم﴾ [أى -[9]] و هى أجلى الأشياء، من أولياتى و هم الهداة النصحاء ﴿فكنتم﴾[4] أى كونا هو كالجبلة[4] ﴿على اعقابكم﴾ عند تلاوتها ﴿تنكصون﴾[4] أى ترجعون ١٠
القهقرى إما حسا أو معنى، و الماشى كذلك لا ينظر ما وراءه، [و مضارعه فيه مع الكسر الضم و لم يقرأ به و لو شاذا، دلالة على أنه رجوع كبر و بطر فهو بالهوينا، و لو قرئ بالضم لدل على القوة فأفهم النفرة و الهرب، قال فى القاموس[10]: نكص على عقبيه ينكص و ينكص: رجع عما كان عليه من خير، و فى الشر قليل، و عن الأمر نكصا و نكوصا و نكاصا[11]. ١٥

---

(١) فى معالم التنزيل - راجع الباب ٥/٣٣ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٦) زيد قبله فى الأصل: فبين ذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) العبارة من هنا إلى «للمفعول قوله» ساقطة من ظ (٨) من مد، و فى الأصل: على (٩) زيد من مد (١٠) راجعه مع شرحه (١١) فى القاموس: منكصا.

أو على ما ذكرت دلالة على ما تقديره -[1] : حال كونكم[2] ﴿ مستكبرين به ﴾ أى بذلك النكوص ، لا شىء[3] غير الاستكبار من هرب أو غيره ، ذوى سمر فى أمرها بالقول الهجر ، و هو الفاحش ، و لعله إنما قال : ﴿ سمرا ﴾ بلفظ المفرد[4] لأن كلا منهم يتحدث فى أمر الآيات مجتمعا مع غيره و منفردا مع نفسه حديثا كثيرا[5] كحديث المسامر الذى من شأنه أن لا يمل ؛ و قال : ﴿ تهجرون ﴾ أى تعرضون[6] عنها و تقولون[7] فيها القول الفاحش ، فأسنده إلى الجمع لأن بعضهم كان[8] يستمعها ، و لم يكن يفحش القول فيها ، [9]أو تعجيبا من أن يجتمع جمع على مثل ذلك لأن الجمع جدير بأن يوجد فيه من يبصر الحق فيأمر به[9] .

و لما كانت الآيات - لما فيها من البلاغة المعجزة ، و الحكم المعجبة - داعية إلى تقبلها بعد تأملها ، و كانوا يعرضون عنها و يفحشون فى وصفها تارة بالسحر و أخرى بالشعر ، و كرة بالكهانة و مرة بغيرها ، تسبب عن ذلك الإنكار عليهم فقال معرضا عنهم إيذانا بالغضب[9] مسندا إلى الجمع الذى هو أولى بالقاء السمع[9] : ﴿ افلم يدبروا القول ﴾ أى المتلو عليهم بأن ينظروا فى أدباره و عواقبه [10]و لو لم يبلغوا[11] فى نظرهم

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : كونهم (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : لشىء (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفرد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : كبيرا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعرضون (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقولون (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) العبارة من هنا إلى « الإدغام » ساقطة من ظ . (١١) من مد ، و فى الأصل : لم يبلوا .

الغاية بما أشار إليه الإدغام ، ليعلموا أنه موجب الاقبال و الوصال ، و الوصف بأحسن المقال ، و لعله عبر بالقول إشارة إلى أن من لم يتقبله ليس بأهل لفهم شيء من القول بل هو فى عداد البهائم ﴿ ام جآءهم ﴾ فى هذا القول من الأوامر بالتوحيد الآتى بها الرسول الذى هو من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام و ما ترتب على ذلك من الأوامر التى لا يجهل ٥ حسن فعلها عاقل ، و النواهى التى - كما يشهد بقبح إتيانها العالم - يقطع[1] بها الجاهل ، و بالرسالة[2] برسول من البشر ﴿ما لم يات آباءهم الاولين ۝﴾ الذين[3] بعد إسماعيل و قبله .

و لما كان الرجل الكامل من عرف الرجال بالحق ، بدأ بما أشار إليه ثم أعقبه بمن يعرف الشيء للالف به ، ثم[4] بمن يعرف الحق ١٠ بالرجال فقال : ﴿ ام لم يعرفوا رسولهم ﴾ أى الذى اتاهم بهذا القول الذى لا قول مثله ، و يعرفوا نسبه و صدقه و أمانته ، و ما فاتهم به من معالى الأخلاق حتى أنهم لا يجدون فيه - إذا حقت الحقائق - نقيصة يذكرونها ، و لا صمة يتخيلونها ، كما دلت عليه الأحاديث الصحاح منها حديث أبى سفيان بن حرب رضى الله عنه الذى فى أول البخارى / فى سؤال ١٥ / ٦٠٥ هرقل ملك الروم له عن شأنه صلى الله عليه و سلم ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب عن جهلهم به أنهم ﴿ له ﴾ أى نفسه أو للقول الذى أتى به ﴿منكرون ۝﴾ فيكونوا[5] ممن جهل الحق لجهل حال الآتى به ، فلم يحرز

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يقطع (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : من الرسالة (٣) فى ظ : التى (٤) زيد بعده فى الأصل : بين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليكونوا .

شيئا من رتبتى الناس ، لا رتبه العلماء الناقدين ، و لا رتبة الجهال المتقلدين ، و فى هذا غاية التوبيخ لهم بجهلهم و بعنادهم بأنهم يعرفون أنه أصدق الخلق و أعلاهم فى كل معنى جميل ثم يكذبونه .

و لما فرغ بما قد يجر إلى الطعن فى القول أو القائل ، أشار إلى العناد فى أمر القائل و القول و الرسول بقوله: ﴿ام يقولون﴾ أى بعد تدبر ما أتى به و عدم عثورهم فيه على وجه من وجوه الطعن ﴿به﴾ أى برسولهم[1] ﴿جنة[2]﴾ أى[2] فلا يوثق به لأنه قد يخلط فيأتى بما فيه مطعن و إن خفى وجه الطعن فيه فى الحال .

و لما كانت جميع هذه الأقسام منتفية و لاسيما الأخير المستلزم [عادة للتخليط المستلزم - [3]] للباطل ، فانهم أعرف الناس بهذا الرسول الكريم و انه أكملهم خلقا ، و أشرفهم خلقا ، و أطهرهم شيما ، و أعظمهم همما ، و أرجحهم عقلا ، و أمتنهم رأيا ، و أرضاهم قولا ، و أصوبهم فعلا ، [أضرب عنها - [3]] و قال : ﴿بل﴾ أى لم ينكصوا عند[4] سماع الآيات و يسمروا و يهجروا لاعتقاد شىء مما مضى ، و إنما فعلوا ذلك لأن هذا الرسول الكريم ﴿جآءهم بالحق﴾ الذى لا تخليط فيه بوجه ، و لا شىء أثبت منه و لا أبين مما فيه من التوحيد و الأحكام ، و لقد أوضح ذلك تحديهم بهذا الكتاب فعجزوا فهو بحيث لايجهله منصف ﴿و اكثرهم﴾ أى و الحال أن أكثرهم ﴿للحق كرهون ه﴾ متابعة

(١) فى مد : رسولهم (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن .

للأهواء الرديئة و الشهوات البهيمية عنادا ، و بعضهم يتركونه جهلا و تقليدا أو خوفا من أن يقال : صبا ، و بعضهم يتبعه توفيقا من الله و تأييدا .

و لما كان ربما قيل : ما له ما[1] كان بحسب أهوائهم فكانوا يتبعونه و يستريح و يستريحون من هذه المخالفات ، التى جرت إلى المشاحنات ، فأوجبت أعظم المقاطعات ، قال مبينا فساد ذلك ، [و لعله حال من فاعل ' كاره ' -[2]] ، [فان جزاءه خبرى مسوغ لكونه حالا كما ذكره الشيخ سعد الدين فى بحث المسند ، أو هو معطوف على ما تقديره : فلو تركوا الكره لأحبوه و لو أحبوه لاتبعوه و لو اتبعوه لانصلحوا و أصلحوا -[3]] ﴿و لو اتبع الحق﴾ أى فى الأصول والفروع و الأحوال و الأقوال ﴿اهوآءهم﴾ أى شهواتهم التى تهوى بهم [4]لكونها أهواء - بما أشار إليه الافتعال[4] ﴿لفسدت السمٰوٰت﴾ على علوها و إحكامها ﴿و الارض﴾ على كثافتها و انتظامها ﴿و من فيهن[5]﴾ على كثرتهم و انتشارهم و قوتهم ، بسبب ادعائهم تعدد الآلهة ، و لو كان ذلك حقا لأدى ببرهان التمانع إلى الفساد[5] . و بسبب اختلاف أهوائهم و اضطرابها[6] المفضى إلى النزاع كما ترى من الفساد[7] عند اتباع بعض الأغراض فى بعض الأزمان إلى أن يصلحها الحق بحكمته ، و يقمعها بهيبته و سطوته ، و[8]لكنا لم نتبع[8] الحق

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى مد : التمانع (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اضطرابهم. (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : انساء (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكن لم يتبع .

أهواءهم ﴿ بل اتينهم ﴾ بعظمتنا ﴿ بذكرهم ﴾ و هو الكتاب الذى فى غاية الحكمة[٢] ، ففيه صلاح العالم و تمام انتظامه ، فاذا تأمله الجاهل صده عن جهله فسعد فى أقواله و أفعاله ، و بان له الخير فى سائر أحواله ، و إذا تدبره العالم عرج به إلى نهاية كماله / ، فحينئذ يأتى السؤال[٣] عمن /٦٠٦
٥ أنزله ، فتخضع[٤] الرقاب ، و عمن أنزل عليه فيعظم فى الصدور ، و عن قومه فتجلهم النفوس ، و تنكس لمهابتهم الرؤس ، فيكون لهم[٥] أعظم ذكر و أعلى[٥] شرف .

و لما جعلوا ما يوجب الإقبال سببا للادبار ، قال معجبا منهم : ﴿ فهم عن ذكرهم ﴾ أى[٦] الذى هو شرفهم ﴿ معرضون[٦] ﴾ لايفوتنا
١٠ باعراضهم مراد ، و لا يلحقنا به ضرر ، إنما ضرره عائد إليهم ، و راجع فى كل حال عليهم .

و لما أبطل تعالى وجوه طعنهم فى المرسل به و المرسل من جهة جهلهم مرة ، و من جهة ادعائهم البطلان أخرى ، نبههم على وجه آخر هم[٧] أعرف الناس ببطلانه ليثبت المدعى من الصحة إذا انتفت وجوه المطاعن
١٥ فقال منكرا : ﴿ ام تسئلهم ﴾ أى على ما جئتهم[٨] به ﴿ خرجا ﴾ قال

(١) زيد فى ظ : هو (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : الحكم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : السوالك (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيخضع (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكر و اعظم - كذا (٦) زيد فى الاصل و ظ : الذكر ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : جيتكم .

البغوى[1] : أجرا و جعلا ، و قال ابن مكتوم فى الجمع بين[2] العباب و المحكم : و الخرج و الخراج شيء يخرجه القوم فى السنة من مالهم بقدر معلوم ، و الخراج غلة العبد و الأمة ، و قال الزجاج : الخراج : الفيء ، و الخرج[3] : الضريبة و الجزية ، و قال الأصبهانى : سئل أبو عمرو ابن العلاء فقال : الخراج ما لزمك و وجب عليك أداؤه ، و الخرج ما تبرعت به من غير وجوب .

و لما كان الإنكار معناه النفى ، حسن موقع فاء السبب فى قوله : ﴿ خرجا ﴾ أى أم تسألهم ذلك ليكون سؤالك سببا لاتهامك و عدم سؤالك ، بسبب أن خراج ﴿ ربك ﴾ الذى لم تقصد غيره قط و لم تخل عن بابه وقتا ما ﴿ خير ﴾ من خراجهم ، لأن خراجه غير مقطوع و لا ممنوع عن أحد من عباده المسيئين فكيف بالمحسنين ! و كأنه سماه خراجا إشارة إلى أنه أوجب رزق كل أحد على نفسه بوعد لاخلف فيه ﴿ و هو خير الرازقين ﴾ فانه يعلم ما يصلح كل مرزوق و ما يفسده ، فيعطيه على حسب ما يعلم منه و لا يحوجه إلى سؤال .

و لما كانت عظمة الملك مقتضية لتقبل ما أتى به و التشرف به على أىّ حال كان ، نبه على أنه حق يكسب قبوله الشرف لو لم يكن من عند الملك فكيف إذا كان [من عنده ، فكيف إذا كان ملك الملوك و مالك الملك فكيف إذا كان - [5]] الآتى به خالصة العباد و أشرف

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/٣٤ (٢) فى مد : فى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخراج (٤) سقط من مد (٥) زيد من ظ و مد .

الخلق ، كما أقام عليه الدليل بنفى هذه المطاعن كلها ، فقال عاطفا على "اتينهم": ﴿ و انك ﴾ أى مع انتفاء هذه المطاعن كلها ﴿ لتدعوهم ﴾ أى بهذا الذكر مع ما قدمنا من الوجوه الداعية إلى اتباعك بانتفاء جميع المطاعن عنك و عما جئت به ﴿ الى صراط مستقيم ﴾ لا عوج فيه و لا طعن أصلا كما تشهد به[1] العقول الصحيحة . فمن سلكه أوصله إلى الغرض فحاز كل شرف ، و الحال أنهم ، و لكنه عبر بالوصف الحامل لهم على العمى فقال : ﴿ و ان الذين لا يؤمنون بالاخرة ﴾ فلذلك[2] لا يخشون القصاص فيها ﴿ عن الصراط ﴾ أى الذى لا صراط غيره لأنه لا موصل[3] إلى القصد[4] غيره ﴿ لناكبون ﴾ أى عادلون متنحون مائلون منحرفون فى سائر أحوالهم سائرون على غير منهج أصلا ، بل خبط عشواء لأنه يجوز أن يراد مطلق الصراط و أن يراد النكرة الموصوفة بالاستقامة .

/٥٠٧ و لما وصفوا بالميل ، و كان / ربما قال قائل : أن جؤارهم المذكور آنفا سلوك فى الصراط ، بين أنه لا اعتداد به لعروضه فقال : ﴿ و لو رحمنهم ﴾ أى عاملناهم معاملة المرحوم فى إزالة ضرره و هو معنى ﴿ و كشفنا ﴾ [5]أى بما لنا من العظمة[5] ﴿ما بهم من ضر﴾ و هو الذى عرض جؤارهم بسببه[6] ﴿ للجوا ﴾ [[7]أى تمادوا [5]تماديا عظيما[5]]

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لكونهم (٣) من ظ و مد . و فى الأصل: لا يوصل.
(٤) فى مد : المقصد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : يسبب .
(٧) زيد من ظ و مد .

﴿ فى طغيانهم ﴾ [الذى كانوا عليه قبل هذا الجؤار -[١]] [٢]و هو[٢] إفراطهم فى منابذة الحق و الاستقامة ﴿ يعمهون ﴾ أى يفعلون من التحير و التردد فعل من لابصيرة له فى السير المنحرف عن القصد ، الجائر عن الاستقامة ، قال ابن كثير[٣] : فهذا من باب علمه بما لايكون[٤] لو كان كيف كان يكون ، قال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما : كل ما فيه ' لو ' فهو مما لا يكون [أبدا -[٥]] . ثم أتبع هذا الدليل تأييدا له ما يدل على أنهم لايسلكون الصراط إلا اضطرارا فقال: ﴿ و لقد اخذنٰهم ﴾ [أى -[٦]] بما لنا من العظمة ﴿ بالعذاب ﴾ أى بمطلقه كاظهار حزب الله عليهم فى بدر و غيرها ﴿ فما استكانوا ﴾ [أى -[٦]] خضعوا [٧]خضوعا هو كالجبلة لهم[٧] ﴿ لربهم ﴾ المحسن إليهم عقب[٨] المحنة ، و حقيقته ما طلبوا أن يكونوا له ليكرموا مقام العبودية من الذل و الخضوع و الانقياد لأوامره[٩] تاركين حظوظ أنفسهم ، و الحاصل أنه لما ضربهم بالعذاب كان من حقهم أن يكونوا له لا لشركائهم ، فما عملوا بمقتضى [٧]ذلك إيجادا و لا طلبا[٧] ﴿ و ما يتضرعون ﴾ أى يجددون الدعاء بالخضوع و الذل و الخشوع فى كل وقت بحيث يكون لهم عادة ، بل هم على ما جبلوا عليه من الاستكبار و العتو إلا إذا التقت حلقتا البطان[١٠] ، و لم يبق لهم نوع

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى (٣) راجع تفسيره : ٣/٢٥١ (٤) زيدت الواو فى الأصل ،و لم تكن فى ظ و مد و التفسير فحذفناها (٥) زيد من التفسير (٦) زيد من مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل: قبل (٩) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : البطلان .

اختيار، بدليل [1]ما أرشد إليه حرف[1] [الغاية من أن التقدير ـ[2]]: بل[3] استمروا على عتوهم ﴿حتى اذا فتحنا﴾ أى[4] بما لنا من العظمة، و دل على أنه فتح عذاب فقال: ﴿عليهم بابا﴾ [5]من الأبواب التى تُقهر بها من شئنا بحيث يعلوه أمرها و لايستطيع دفعها ﴿ذا عذاب شديد﴾ يعنى القتل و الأسر يوم بدر - قاله[6] ابن عباس رضى الله عنهما، أو القحط الذى سلطه عليهم إجابة لدعوة النبى صلى الله عليه و سلم فى قوله[7] «اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف» ﴿اذا هم فيه﴾ أى ذلك الباب مظروفون لايقدرون منه على [نوع - [2]] خلاص ﴿مبلسون ع﴾ أى متحيرون ساكنون على ما فى أنفسهم آئسون لا يقدرون أن ينطقوا بكلمة، داخلون فى الإبلاس و هو عدم الخير، متأهلون لسكنى [5]بولس[5] و هو سجن جهنم، لعدم جعلهم التضرع وصفا لهم لازما غير عارض، و الخوف من الله شعارا دائما غير مفارق، استحضارا لقدرته و استكبارا لعظمته؛ ثم التفت إلى خطابهم، استعطافا بعتابهم، لأنه عند التذكير بعذابهم أقرب إلى إيابهم، فقال: ﴿و هو﴾ أى ما استكانوا لربهم و الحال أنه هو لا غيره ﴿الذى انشا لكم﴾ [5]يا من يكذب بالآخرة، على غير مثال سبق ﴿السمع و الابصار﴾ و لعله جمعها لأن التفاوت فيها

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) فى ظ: قوله حتى أى.
(٤) سقط من مد، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى «عذاب فقال» (٥) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٦) راجع لباب التأويل ٥/٣٤ (٧) تقدم التعليق عليه.

أكثر من التفاوت فى السمع ﴿و الافئدة﴾ التى هى مراكز العقول، فكنتم بها أعلى من بقية الحيوانات، [1]جمع فؤاد، و هو القلب لتوقده و تحرقه، من التفؤد و هو التحرق، و عبر به هنا لأن السياق للاتعاظ و الاعتبار، و جمعه جمع القلة إشارة إلى عزة من هو بهذه/ الصفة، و لعله جمع الأبصار كذلك لاحتمالها للبصيرة[1]. /٦٠٨

و لما صور لهم هذه النعم، و هى بحيث لايشك عاقل فى أنه لامثل لها، و أنه لو تصور أن يعطى شيئا منها آدمى لم يقدر على مكافأته، حسن تبكيتهم فى كفر المنعم بها فقال: ﴿قليلا ما تشكرون﴾ لمن أولاكم هذه النعم التى لا مثل لها، و لايقدر غيره على شىء منها، مع إدعائكم أنكم أشكر الناس لمن أسدى إليكم أقل ما يكون من النعم التى يقدر[2] على مثلها كل أحد، فكنتم بذلك أنزل من الحيوانات العجم صما بكما عميا.

و لما ذكرهم بهذه النعم التى هى دالة على خلقهم، صرح به فى قوله: ﴿و هو﴾ أى وحده ﴿الذى ذرأكم﴾ أى خلقكم و بثكم[3] ﴿فى الارض﴾ و لما ذكرهم بابدائهم المتضمن للقدرة على إعادتهم مع ما فيها من الحكمة و فى تركها من الإخلال بها، صرح بها[4] فقال: ﴿و اليه﴾ أى وحده ﴿تحشرون﴾ يوم النشور.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لايقدر.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: معكم - كذا (٤) فى مد: به.

و لما تضمن ذلك إحياءهم و إماتتهم، صرح به على وجه عام فقال: ﴿و هو﴾ أى وحده ﴿الذى﴾ من شأنه أنه ﴿يحيى و يميت﴾ فلا مانع له من[1] البعث و لا غيره مما يريده. و لما كانت حقيقة البعث إيجاد الشيء كما هو بعد إعدامه، ذكرهم بأمر طالما لابسوه و عالجوه و مارسوه فقال: ﴿و له﴾ أى وحده، لا لغيره[2] ﴿اختلاف اليل و النهار﴾[3] أى التصرف[4] فيهما على هذا الوجه، يوجد كلا منهما بعد أن أعدمه كما كان سواء، فدل تعاقبهما على تغيرهما، و تغيرهما بذلك و بالزيادة و النقص على أن لهما مغيرا لايتغير و أنه لا فعل لهما[5] و أنما الفعل له وحده، و أنه قادر على إعادة المعدوم كما قدر على ابتدائه بما دل على قدرته و بهذا الدليل الشهودى للجاحدين، و لذلك ختمه بقوله[6] منكرا تسبيبَ ذلك لعدم عقلهم[6]: ﴿افلا تعقلون﴾ أى يكون لكم عقول[7] لتعرفوا ذلك فتعملوا[8] بما تقتضيه من اعتقاد البعث الذى يوجب سلوك الصراط.

و لما كان معنى الاستفهام الإنكارى النفى، حسن بعده كل الحسن قوله: ﴿بل﴾ [و -[9]] عدل إلى أسلوب الغيبة للايذان بالغضب بقوله: ﴿قالوا﴾ أى هؤلاء العرب ﴿مثل ما قال الاولون﴾ من قوم نوح و من بعده؛ ثم استأنف قوله: ﴿قالوآ﴾ أى منكرين للبعث متعجبين

---

(١) سقط من ظ (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: غيره (٣) العبارة من هنا إلى «على هذا الوجه» ساقطة من ظ (٤) من مد، و فى الأصل: بالتصرف. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لها (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ: عقل (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فتعلموا (٩) زيد من ظ و مد.

من أمره: ﴿ءاذا متنا و كنا﴾ أى بالبلى بعد الموت ﴿ترابا و عظاما﴾ نخرة، ثم أكدوا الإنكار بقولهم: ﴿ءانا لمبعوثون ۝﴾[1] أى من [3]باعث ما[2].

و لما كان محط العناية [3]فى هذه السورة الخلق و الإيجاد، و التهديد لأهل العناد، حكى عنهم أنهم قالوا[3]: ﴿لقد وعدنا﴾ مقدما قولهم: ٥ ﴿نحن و ءابآؤنا﴾ على قولهم[4]: ﴿هذا﴾ أى البعث[5] ﴿من قبل﴾ بخلاف النمل[6]، فان محط العناية فيها[7] الإيمان بالآخرة فلذلك قدم قوله "هذا"، و المراد وعد آبائهم على ألسنة من أتاهم من الرسل [8]غير أن الإخبار بشموله[9] جعله وعدا للكل على حدٍ سواء، ثم استأنفوا قولهم: ﴿ان﴾ [10]أى ما[10] ﴿هذآ الآ اساطير الاولين ۝﴾ أى كذب لاحقيقة ١٠ له، لأن ذلك معنى الإنكار المؤكد.

و لما أنكروا البعث هذا الإنكار المؤكد، و نفوه هذا النفى المحتم، أمره أن يقررهم بأشياء هم بها مقرون /، و لها عارفون، يلزمهم من ٦٠٩ / تسليمها الإقرار بالبعث قطعا، فقال: ﴿قل﴾ [أى -[11]] مجيبا لإنكارهم

(١) العبارة من هنا إلى «باعث ما» ساقطة من ظ (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل: اى باعثنا (٣-٣) تكرر فى الأصل فقط بعد «فان محط العناية» (٤) فى ظ: قوله (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: بالبعث (٦) راجع آية ٦٨ (٧) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) العبارة من هنا إلى «حد سواء» ساقطة من ظ (٩) من مد، و فى الأصل: لشموله (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) زيد من مد.

البعث ملزما لهم : ﴿ لمن الارض ﴾ أى [1] على سعتها و كثرة عجائبها ﴿ و من فيها ﴾ على كثرتهم و اختلافهم ﴿ ان كنتم ﴾ [2]أى بما [3] هو كالجبلة لكم ﴿ تعلمون ٥ ﴾ أى أهلا للعلم ، و كأنه تنبيه لهم [1] على أنهم [4]أنكروا شيئا [4] لا ينكره عاقل .

٥ و لما كانوا مقرين بذلك ، أخبر عن جوابهم قبل جوابهم ، ليكون من دلائل النبوة و أعلام الرسالة [5] بقوله استئنافا [6] : ﴿ سيقولون ﴾ أى قطعا : ذلك كله ﴿ لله [1] ﴾ أى المختص بصفات الكمال . و لما كان ذلك دالا على الوحدانية و التفرد بتمام القدرة من وجهين : كون ذلك كله له ، و كونه يخبر عن عدوه بشىء فلا يمكنه التخلف عنه ، قال : ﴿ قل ﴾

١٠ أى لهم إذا قالوا لك ذلك منكرا عليهم [7]تسبيبه لعدم تذكرهم [و لو -[8]] على أدنى الوجوه بما أشار إليه الإدغام : ﴿ افلا تذكرون ٥ ﴾ أى بذلك المركوز فى طباعكم المقطوع به عندكم ، ما غفلتم [9] عنه من تمام قدرته و باهر عظمته ، فتصدقوا ما أخبر به من البعث الذى هو دون ذلك ، و تعلموا أنه لايصلح شىء منها - و هو ملكه - أن يكون شريكا له

(١) سقط من مد (٢) العبارة من هنا إلى « كالجبلة لكم » ساقطة من ظ (٣) من مد ، و فى الأصل : ما (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انكر اشياء (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الرسل له (٦) سقط من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « الإدغام » ساقطة من ظ (٨) زيد من مد (٩) فى ظ : عطفتم - خطأ .

[1] و لا ولدا ، و تعلموا[2] انه لايصح فى الحكمة اصلا أنه يترك[3] البعث لأن أقلكم لايرضى بترك حساب عبيده[4] و العدل بينهم .

و لما ذكرهم بالعالم السفلى لقربه ، تلاه بالعلوى لأنه أعظم فقال على ذلك المنوال مرقيا لهم إليه : ﴿قل من رب﴾ [5]أى خالق و مدبر[5] ﴿السمٰوٰت السبع﴾ [6] كما تشاهدون من حركاتها و سير نجومها ٥ ﴿و رب العرش العظيم ٥﴾ الذى أنتم به معترفون ﴿سيقولون لله [1]﴾ [أى -[7]] الذى له[8] كل شىء [9]هو رب[9] [ذلك -[7]] - على قراءة البصريين[10] ، [و التقدير -[11]] لغيرهما : ذلك كله لله ، لأن معنى من رب الشىء : لمن الشىء ، فتفيد اللام الملك صريحا مع إفادة الرب التدبير .

و لما تأكد الأمر و زاد الوضوح ، حسن التهديد على التمادى فقال : ١٠ ﴿قل﴾ [5]منكرا عليهم عدم تسببه لهم التقوى[5] : ﴿افلا تتقون ٥﴾ أى تجعلون بينكم و بين حلول السخط من هذا الواسع الملك التام القدرة وقاية بالمتاب من إنكار شىء يسير بالنسبة إلى هذا الملك العظيم هين عليه .

و لما قررهم بالعالمين : العلوى و السفلى ، أمره بأن يقررهم بما هو أعم منهما[12] و أعظم ، فقال : ﴿قل من بيده﴾ [أى خاصة -[7]] ١٥ ﴿ ملكوت كل شىء ﴾ [أى -[7]] من العالمين و غيرهما ، و الملكوت

(١) العبارة من هنا إلى « و العدل بينهم » ساقطة من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل : تعلمون (٣) من مد ، و فى الأصل : يترك (٤) من مد ، و فى الأصل : عباده (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد فى ظ : مبدعها ثم مدبرها - كذا (٧) زيد من مد (٨) سقط من مد (٩ - ٩) فى ظ : ربه (١٠) راجع نثر المرجان ٤/٥٧٠ (١١) زيد من ظ و مد (١٢) فى ظ : منها .

الملك البليغ[1] الذى لا نقص فيه بوجه ؛ قال ابن كثير[2] : كانت العرب إذا كان السيد فيهم فأجار أحدا لا يخفر فى جواره و ليس لمن دونه أن يجير عليه لئلا يفتات عليه . و لو أجار ما أفاد ، و لهذا قال الله تعالى : ﴿و هو يجير﴾ أى يمنع و يغيث من يشاء فيكون فى حرزه ، لايقدر ٥ أحد على الدنو من ساحته ﴿ و لايجار عليه ﴾ أى و لايمكن أحدا أبدا أن يجير جوارا يكون مستعليا عليه بأن يكون / على غير مراده، ٦١٠ / بل يأخذ من أراد و إن نصره جميع الخلائق ، و يعلى من أراد و إن تحاملت عليه كل المصائب ، فتبين كالشمس أنه لا شريك يمانعه ، و لا ولد يصانعه [أو يضارعه - [3]] ؛ و قال ابن كثير[2] : و هو السيد العظيم[4] ١٠ الذى لا أعظم منه الذى له الخلق و الأمر ، و لامعقب لحكمه الذى لايمانع و لايخالف ، و ما شاء كان ، و ما لم يشأ لم يكن .

و لما كان هذا برهانا مع أنه ظاهر لا يخفى على أحد ، قد يجمح فيه من له غرض فى اللدد ، ألهبهم إلى المبادرة إلى الاعتراف به و هيجهم بقوله[5] : ﴿ان كنتم ﴾ [أى كونا راسخا - [6]] ﴿ تعلمون ٥ ﴾ أى فى ١٥ عداد من يعلم ، [5]و لذلك استأنف قوله[5] : ﴿سيقولون لله [5] ﴾ [أى - [6]] الذى بيده ذلك ، خاصا به ، [7]و التقدير لغير البصريين : ذلك كله لله ،

---

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) راجع تفسيره : ٣/٢٥٣ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : الكبير (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من مد (٧) العبارة من هنا إلى « استأنف قوله » ص ١٧٩ س٣ » ساقطة من ظ .

لأن اليد أدل شيء على الملك .

و لما كان جوابهم [بذلك -[1]] يقتضى [إنكار -[1]] توقفهم فى الإقرار بالبعث ، استأنف قوله : ﴿قل﴾ [2]منكرا عليهم تسبيب ذلك لهم[2] ادعاء أنه سحر ، أو الصرف عن الحق كما يصرف المسحور ﴿فأنى تسحرون ٥﴾ أى فكيف بعد إقراركم بهذا كله تدعون أن الوعيد بالبعث سحر [4]فى قولكم[4] : افتاتون السحر و انتم تبصرون ، و من أين صار لكم هذا الاعتقاد و قد أقررتم بما يلزم[5] منه شمول العلم و تمام القدرة ؟ و من أين تتخيلون الحق باطلا ، أو كيف تفعلون فعل المسحور بما تأتون به من التخليط فى الأقوال و الأفعال ، و تخدعون و تصرفون عن كل ما دعا إليه ؟ .

و لما كان الإنكار بمعنى النفى ، حسن قوله : ﴿ بل ﴾ أى ليس الأمر كما يقولون ، لم نأتهم بسحر بل ، أو يكون المعنى : ليس هو أساطير ، بل ﴿ اتينهم ﴾ فيه على عظمتنا ﴿ بالحق ﴾ [أى -[1]] الكامل الذى لاحق بعده ، كما دلت عليه « ال[6] » فكل ما أخبر[7] به من التوحيد و البعث و غيرهما فهو حق ﴿و انهم لكـٰذبون ٥﴾ فى قولهم : إنه سحر لاحقيقة له ، و فى كل ما ادعوه من الولد و الشريك و غيرهما مما بين القرآن فساده

(١) زيد من مد (٢) العبارة من هنا إلى « المسحور » ساقطة من ظ (٣) سقط من مد (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : و قوله (٥) فى ظ : يلزمه (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجتر .

كما لزمهم بما[1] أقروا به فى جواب هذه الأسئلة الثلاثة .

و لما كان من أعظم كذبهم ما[2] أشار إليه قوله تعالى "و قالوا اتخذ الرحمن[3] ولدا" [قال -[4]] : ﴿ ما اتخذ الله ﴾ أى الذى لا كفوء له ، و أعرق فى النفى بقوله : ﴿ من ولد ﴾ لا من الملائكة و لا من غيرهم ، لما قام من الأدلة على غناه ، و أنه لا مجانس له ، و لما لزمهم باقرارهم أنه يجير و لا يجار عليه ، و أن له السماوات و الأرض[5] و من فيهما .

و لما كان الولد أخص من مطلق الشريك قال : ﴿ و ما كان ﴾ [أى بوجه من الوجوه -[4]] ﴿ معه ﴾ فأفاد بفعل الكون نفى الصحة لينتفى الوجود بطريق الأولى ﴿ من اله ﴾ و زاد[6] "من" لتأكيد النفى ؛ و لما لزمهم الكذب فى دعوى الإلهية بولد أو غيره[7] من إقرارهم هذا ، أقام عليه دليلا عقليا ليتطابق الإلزامى و العقلى فقال : ﴿ اذا ﴾ أى إذ لو كان معه إله آخر ﴿ لذهب كل اله بما خلق ﴾ بالتصرف فيه وحده ليتميز ما له عما لغيره ﴿ و لعلا بعضهم ﴾ أى بعض الآلهة ﴿ على بعض[4] ﴾ إذا تخالفت أوامرهم ، فلم يرض أحد منهم أن يضاف ما خلقه / إلى غيره ، و لا أن يمضى فيه أمر على غير مراده ، كما هو مقتضى العادة ، فلا يكون المغلوب إلها لعجزه ، و لا يكون مجيرا غير مجار

/٦١١

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٢) من مد ، و فى الأصل : مما ، و فى ظ : بما (٣) من ظ و مد و القرآن الكريم سورة ٢١ آية ٢٦ ، و فى الأصل : الله . (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : وما بينهما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : زاده (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهم .

عليه، بيده وحده[1] ملكوت كل شيء، و فى ذلك إشارة إلى أنه [لو -[2]] لم يكن ذلك الاختلاف لأمكن أن يكون، فكان إمكانه كافيا فى إبطال[3] الشركة لما يلزم ذلك من [4]إمكان العجز المنافى للالهية[4]، كما بين فى الأنبياء[5].

و لما طابق الدليلُ الإلزامَ على نفى الشريك، نزه نفسه الشريفة ٥ [6]بما هو نتيجة ذلك[6] بقوله: ﴿سبحن الله﴾ أى المتصف بجميع صفات الكمال، المنزه عن كل شائبة نقص ﴿عما يصفون[7]﴾ من كل ما لا يليق بجنابه المقدس من الشريك و الولد و غيره؛ ثم أقام دليلا آخر على كماله بوصفه[8] بقوله: ﴿عٰلم الغيب﴾ [6]و لما كان العلم بذلك لا يستلزم علم الشهادة كما للنائم قال[6]: ﴿و الشهادة﴾ و لا عالم بذلك غيره. ١٠

و لما كان من الواضح الجلى أنه لا مدعى لذلك، و من ادعاه[8] غيره بان كذبه لامحالة، و [أن -[2]] من تم علمه تمت قدرته، فاتضح تفرده كما بين فى طٰه، تسبب عنه قوله: ﴿فتعٰلىٰ﴾ [9]أى علا العالم المشار إليه علوا عظيما[9] ﴿عما يشركون[7]﴾ فانه لاعلم لشيء منه فلا قدرة [10]و لا[10]

(١) زيد فى الأصل: بيده، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ابطاله (٤-٤) فى ظ: العجز. (٥) راجع آية ٢٣ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لوصفه (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ادعاه (٩-٩) وقع فى الأصل بعد «يشركون» و الترتيب من مد، و سقط ما بين الرقمين من ظ. (١٠-١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: فلا.

صلاحية لرتبة الإلهية .

و لما أقام الدليل على كذبهم بالأدلة على عظمته ، و تعاليه عن كل ما يقول الظالمون ، و بين لهم الأمر غاية البيان بعد أن هددهم بمثل قوله و ما يشعرون " حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب " و نحوه من مثل ما أنزله بالماضين ، و أحله بالمكذبين ، و كان من المعلوم أنه ليس بعد الإعذار[1] إلا إيقاع القضاء و إنزال البلاء ، و كان من الممكن أن يعم سبحانه الظالم و غيره بعذابه لأنه لا يسئل عما يفعل ، أمره أن يتعوذ من ذلك إظهارا لعظمة الربوبية و ذل العبودية فقال : ﴿ قل رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ ، و أكد إظهارا لعظمة المدعو به و إعلاما بما للنبي صلى الله عليه و سلم من مزيد الشفقة على أمته [2]مؤمنهم و كافرهم[2] ﴿ اما تريني ﴾ أى [إن كان و لا بد من أن تريني -[3]] قبل موتى ﴿ ما يوعدون ﴾ ثم نبهه[4] على الزيادة فى الضراعة بتكرير النداء بصفة الإحسان تعبدا و تخشعا ، و تذللا و تخضعا ، إشارة إلى أن الله سبحانه له أن يفعل ما يشاء ، فينبغى لأقرب خلقه إليه أن يكون على غاية الحذر منه فقال : ﴿ رب فلا تجعلنى ﴾ باحسانك إلىّ و فضلك علىّ فيهم ، هكذا كان الأصل و لكنه أظهر الوصف تعميما الدعوة و تعليقا للحكم بالوصف فقال : ﴿ فى القوم الظالمين ﴾ [أى -[5]] الذين أعمالهم أعمال من يمشى فى الظلام ، فهى فى غير مواضعها ، [6]فضلا عن أن أكون منهم[6] فانه

(١) فى ظ : الانذار (٢-٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : كافرهم و مومنهم.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : نبه (٥) زيد من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ .

يوشك أن يخصهم العذاب و يعم من جاورهم لوخامة الظلم و سوء عاقبته .

و لما أرشد التعبير بأداة الشك إلى أن التقدير: فانا على العفو عنهم و على الإملاء لهم لقادرون، عطف عليه قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب المتضمن للطعن فى القدرة و هم المقصودون بالتهديد: ﴿ و انا ﴾ [1]أى ه بما لنا من / العظمة[1] ﴿على ان نريك﴾ أى قبل موتك ﴿ ما نعدهم ﴾ من العذاب ﴿ لقدرون ه ﴾ و لما لاح من هذا أن أخذهم و تأخيرهم فى الإمكان على حد سواء، و كانوا يقولون و يفعلون ما لا صبر عليه إلا بمعونة من الله ، كان كأنه قال : فما ذا أفعل فيما تعلم من أمرهم ؟ فقال آمرا له بمداواته : ﴿ ادفع ﴾ و فخم الأمر بالموصول لما فيه من الإبهام المشوق للبيان[2] [ثم -[3]] بأفعل التفضيل فقال: ﴿ بالتى هى احسن ﴾ أى من الأقوال و الأفعال بالصفح و المداراة ﴿ السيئة[4] ﴾ ثم خفف عنه ما يجد من ثقلها بقوله: ﴿نحن اعلم﴾ [1]أى من كل عالم[1] ﴿بما يصفون ه﴾ فى حقك و حقنا، فلو شئنا منعناهم منه أو عاجلناهم بالعذاب و ليس أحد بأغير منا فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل .

و لما كان [الصبر -[4]] عليه لايطاق إلا به سبحانه ، أمره بالدعاء بذلك فقال: ﴿وقل رب﴾ أيها المحسن إلىّ ﴿اعوذ بك﴾ أى[5] ألتجئ إليك

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : بالبيان .
(٣) زيد من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من مد .

﴿ من همزت الشيطين ﴾ أى [1] أن يصلوا إلىّ بوساوسهم [1] التى هى كالنخس بالمهماز فى الإقحام فى السيئات و البعد عن [2] مطلق الحسنات، فكيف بالأحسن منها كما سلطتهم على الكافرين تؤزهم إلى القبائح أزا ﴿ و أعوذ بك رب ﴾ أى [أيها - [3]] المربى لى ﴿ ان يحضرون ﴾ [4] أى و لو لم تصل إلىّ وساوسهم [4] فان حضورهم هلكة، و بعدهم بركة، لأنهم [5] مطبوعون على الفساد لاينفكون عنه .

و لما كان أضر أوقات حضورهم ساعة الموت، و حالة الفوت، فانه وقت كشف الغطاء، [4] عما كتب من القضاء [4]، و آن اللقاء، و تحتم السفول أو الارتقاء، عقب ذلك بذكره تنبيها على بذل الجهد فى الدعاء و التضرع للعصمة فيه فقال معلقا بقوله تعالى "بل لا يشعرون" أو يمبلسون، منبها بحرف الغاية على أنه سبحانه يمد فى أزمانهم استدراجا لهم: ﴿ حتى ﴾ أو [6] يكون التقدير كما يرشد إليه السياق: فلا أكون من الكافرين المطيعين للشياطين حتى ﴿ اذا جآء ﴾ [و قدم المفعول ليذهب الوهم فى فاعله كل مذهب فقال - [7]]: ﴿ احدهم الموت ﴾ فكشف له الغطاء، و ظهر له الحق، و لاحت له بوارق العذاب، و لم يبق فى شىء من ذلك ارتياب ﴿ قال ﴾ مخاطبا للملائكة [8] العذاب على عادة جهله و وقوفه مع المحسوس [9]

(١ - ١) فى ظ : وساوسهم (٢) فى ظ : من (٣) زيد من مد، و العبارة من « أى » إلى « لى » ساقطة من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من مد (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : اى (٧) زيد من مد (٨) من ظ ومد، وفى الأصل : للائكة (٩) زيد فى الأصل : من، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

دأب البهائم: ﴿ رب ارجعون ﴾ أي إلى[1] الدنيا دار العمل؛[2] و يجوز أن يكون الجمع لله[3] تعالى و للملائكة، أو للتعظيم [على عادة في مخاطبات الأكابر لاسيما الملوك -[4]]، أو لقصد تكرير الفعل للتأكيد.

و لما كان في تلك الحالة[5] على القطع من اليأس من النجاة لليأس من العمل لفوات[6] داره [7]مع وصوله إلى حد الغرغرة[7] قال: ﴿لعلي اعمل﴾ أي لأكون على رجاء من أن أعمل ﴿ صالحا فيما تركت ﴾ من الإيمان و توابعه؛ قال البغوي[8]: قال قتادة: ما تمنى أن يرجع إلى أهله و عشيرته[9] و لا ليجمع الدنيا و يقضي الشهوات، و لكن تمنى أن يرجع ليعمل[10] بطاعة الله، فرحم الله امرءا عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب.

و قال ابن كثير[11]: كان العلاء بن زياد يقول: لينزلن أحدكم نفسه أنه [قد -[12]] حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فليعمل[13] بطاعة الله عز و جل.

/ و لما كان القضاء قد قطع بأنه لايرجع، و لو رجع لم يعمل قال ردعا له و ردا لكلامه: ﴿ كلا[1] ﴾ أي لا يكون شيء من ذلك، فكأنه / ٦١٣

(١) سقط من مد (٢) العبارة من هنا إلى « للتأكيد » ساقطة من ظ (٣) في مد: له (٤) زيد من مد (٥) زيد في الأصل: تنبيها، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و في الأصل: الفوات (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) في معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٣٦ (٩) من مد و المعالم، و في الأصل و ظ: عترته (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: لعمل، و في المعالم: فيعمل (١١) راجع تفسيره: ٣/٢٥٥ (١٢) زيد من ظ و مد و التفسير. (١٣) من ظ و مد والتفسير، و في الأصل: ليعمل.

قيل : فما حكم ما قال ؟ [1]فقال [معرضا عنه إيذانا بالغضب - [2]] :
﴿ انها كلمة ﴾ أى مقالته "رب ارجعون" - إلى آخره، كلمة [3] ﴿ هو قآئلها[4] ﴾
و قد عرف منه الخداع و الكذب فهى كما عهد منه لاحقيقة لها .

و لما كان التقدير : فهو لايجاب إليها ، عطف عليه قوله ، جامعا
٥ معه [4]كل من مائله[4] [5]لأن عجز الجمع يلزم منه عجز الواحد[6] :
﴿ و من ورآئهم ﴾ أى من خلفهم و من أمامهم محيط بهم ﴿ برزخ ﴾
أى حاجز بين ما هو فيه و بين الدنيا و القيامة مستمر[3] لايقدر أحد
على رفعه[7] ﴿ الى يوم يبعثون ﴾ أى تجدد بعثهم بأيسر أمر و أخفه
و أهونه[8] .

١٠ و لما عبّى ذلك بالبعث فتشوفت النفس إلى ما يكون بعده ، وكان
قد تقدم أن الناس - بعد أن كانوا أمة واحدة فى الاجتماع على ربهم -
تقطعوا قطعا ، و تحزبوا أحزابا ، و تعاضدوا بحكم ذلك و تناصروا ، قال
نافيا لذلك : ﴿ فاذا نفخ ﴾ أى [بأسهل أمر - [2]] النفخة الثانية و هى
نفخة النشور ، [9]أو الثالثة للصعق[9] ﴿ فى الصور ﴾ فقاموا من القبور

(١) زيد فى الأصل : فقيل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد من مد (٣) سقط من مد (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : كلما - مع وجود البياض قدر كلمتين (٥) العبارة من هنا إلى « الواحد » ساقطة من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : الواحدة ليعمل (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : دفعه . (٨) من مد ، و فى الأصل : اهون ، و العبارة من « أى تجدد » إلى هنا ساقطة فى ظ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

[١]أو من الصعق[١] ﴿ فلآ انساب ﴾ [١]و هى أعظم الأسباب[١] ﴿ بينهم ﴾ يذكرونها يتفاخرون [بها ﴿ يومئذ ﴾ لما دهمهم من الأمر و شغلهم من البأس و لحقهم من الدهش و رعبهم من الهول -[٢]] و علموا[٣] من عدم نفعها إلا ما أذن الله فيه، بل يفر الإنسان من أقرب الناس إليه، و إنما[٤] أنسابهم الأعمال الصالحة ﴿ و لا يتسآءلون ٥ ﴾ اى فى التناصر لأنه انكشف ٥ لهم أن لاحكم إلا الله و أنه لاتغنى نفس عن نفس شيئا، فتسبب عن ذلك أنه لا نصرة إلا بالأعمال التى رحم الله بالتيسير لها ثم رحم بقبولها، فلذلك قال: ﴿ فمن ثقلت موازينه ﴾ أى بالأعمال المقبولة، [٥]و لعل الجمع لأن لكل[٦] عمل ميزانا يعرف أنه لايصلح له غيره، و ذلك أدل على القدرة ﴿ فاولئك ﴾ أى خاصة، [٧]و لعله جمع للبشارة[٨] بكثرة الناجى بعد ١٠ أن أفرد الدلالة على كثرة الأعمال أو على عموم الوزن لكل فرد ﴿ هم المفلحون ٥ ﴾ لأنهم المؤمنون الموصوفون ﴿ و من خفت موازينه ﴾ لإعراضه عن تلك الأعمال المؤسسة على الإيمان ﴿ فاولئك ﴾ خاصة ﴿ الذين خسروآ انفسهم ﴾ لإهلاكهم إياها باتباعها شهواتها فى دار الأعمال و شغلها بأهوائها عن[٩] مراتب الكمال؛ ثم علل ذلك أو بينه بقوله: ١٥ ﴿ فى جهنم خلدون ﴾ و هى دار لا ينفك أسيرها، و لاينطفئ سعيرها؛

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد، إلا أن العبارة من « يومئذ » إلى « الله فيه » و قعت فى ظ بعد « الأعمال الصالحة ».
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عملوا (٤) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و مد.
(٥) العبارة من هنا إلى «على القدرة» ساقطة من ظ (٦) من مد، و فى الأصل: كل (٧) العبارة من هنا إلى «لكل فرد» ساقطة من ظ (٨) من مد، و فى الأصل: الاشارة (٩) فى مد: على.

ثم استأنف قوله : ﴿ تلفح ﴾ أى تغشى بشديد حرها و سمومها و وهجها ﴿ وجوههم النار ﴾ فتحرقها فما ظنك بغيرها ﴿ و هم فيها كالحون ﴾ أى متقلصو الشفاه عن الأسنان مع عبوسة الوجوه و تجعدها و تقطبها شغل من [1]هو ممتلئ الباطن كراهية لما دهمه من شدة المعاناة و عظيم المقاساة [فى دار التجهم -[1]] ، [كما ترى الرؤس المشوية ، و -[2]] لايناقض نفى التساؤل هنا إثباته فى غيره لأنه فى غير التناصر بل فى التلاوم و التعاتب [3]و التخاصم[3] على أن المقامات فى ذلك اليوم طويلة و كثيرة ، فالمقالات و الأحوال لأجل ذلك متباينة / و كثيرة ، و سيأتى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى سورة الصافات نحو ذلك . ٦١٤ /

و لما جرت العادة بأن المعذب بالفعل يضم إليه القيل[4] ، أجيب من قد يسأل عن ذلك بقوله : ﴿ الم ﴾ [5]أى يقال لهم[6] فى تأنيبهم و توبيخهم : ألم ﴿ تكن آيتى ﴾ [7]التى انتهى عظمها إلى أعلى المراتب باضافتها إلى[7] . [و لما كان مجرد ذكرها كافيا فى الإيمان ، نبه على ذلك بالبناء للمفعول -[1]] : ﴿ تتلى عليكم ﴾ أى تتابع لكم قراءتها فى الدنيا شيئا فشيئا . و لما كانت سببا للايمان فجعلوها سببا للكفران ، قال : ﴿ فكنتم ﴾ [أى كونا أنتم عريقون فيه -[2]] ﴿ بها تكذبون ﴾ و قدم الظرف

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) ورد فى الأصل بعد « المقاساة » س ه ، و الترتيب من مد ، و سقط من ظ (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل: المقيل (٥) العبارة من هنا إلى « ألم » ساقطة من ظ (٦) سقط من مد . (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

للاعلام بمبالغتهم فى التكذيب ؛ ثم استأنف جوابهم بقوله : ﴿قالوا ربنا﴾ [أيها -[1]] المسبغ علينا نعمه ﴿غلبت علينا شقوتنا﴾ أى أهواؤنا التى قادتنا إلى سوء الأعمال التى كانت سببا ظاهرا للشقاوة .

و لما كان التقدير : فكنا معها كالمأسورين ، توزنا إليها الشياطين أزا ، عطف عليه [قوله -[1]] ﴿وكنا﴾ أى بما جبلنا عليه ﴿قوما ضآلين ۝﴾ ٥ فى ذلك عن الهدى[2] ، [3]أقوياء فى موجبات الشقوة[3] ، فكان سببا للضلال[4] عن طريق السعادة .

و لما تضمن هذا الإقرار الاعتذار ، و كان ذلك ربما سوغ الخلاص ، وصلوا به قولهم : ﴿ربنآ﴾ يا من عودنا بالإحسان ﴿اخرجنا منها﴾ أى النار تفضلا منك على عادة فضلك ، و ردنا إلى دار الدنيا لنعمل ١٠ ما يرضيك ﴿فان عدنا﴾ إلى مثل تلك الضلالات ﴿فانا ظلمون ۝﴾ فاستؤنف جوابهم بأن ﴿قال﴾ لهم كما يقال للكلب : ﴿اخسؤا﴾ أى انزجروا زجر الكلب و انطردوا عن مخاطبتى [5]ساكتين سكوت هوان ﴿فيها﴾ أى النار ﴿ولا تكلمون ۝﴾ أصلا ، فانكم لستم أهلا[6] لمخاطبتى ، لأنكم لم تزالوا متصفين بالظلم ، و منه سؤالكم هذا المفهم لأن اتصافكم ١٥ به لا يكون إلا على تقدير عودكم بعد إخراجكم .

و لما كانت الشماتة أسر السرور[7] للشامت و أخزى الخزى للشتموت به ،

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الله (٣-٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : للحق (٥) العبارة من هنا إلى « لمخاطبتى » ساقطة من ظ (٦) فى مد : باهل (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : سرور .

علل ذلك بقوله : ﴿ انــه كان ﴾ أى كونا ثابتا ﴿فريق﴾ أى ناس[1] استضعفتموهم فهان عليكم [فراقهم لكم و ـ[2]] فراقكم لهم و ظننتم[3] أنكم تفرقون شملهم ﴿ من عبادى ﴾ أى الذين هم أهل للاضافة[4] إلى جنابى لخلوصهم[5] عن الأهواء ﴿ يقولون ﴾ مع الاستمرار : ﴿ ربنآ ﴾ أيها[6] المحسن إلينا بالخلق و الرزق ﴿امنا﴾ أى أوقعنا الإيمان بجميع ما جاءتنا به الرسل لوجوب ذلك علينا لأمرك لنا به .

و لما كان عظم المقام موجبا لتقصير العابــد ، و كان الاعتراف بالتقصير جابرا له قالوا[7] : ﴿فاغفر لنا ﴾ أى استر بسبب إيماننا [عيوبنا التى كان تقصيرنا بها ـ[2]] ﴿[8]و ارحمنا[8]﴾ [أى افعل بنا فعل الراحم من الخير ـ[2]] الذى هو على صورة الحنو و الشفقة و العطف .

و لما كان التقدير : فأنت خير الغـافرين ، فانك إذا سترت ذنبا أنسيته لكل أحد حتى للحفظة ، عطف عليه قوله : ﴿و انت خير الرٰحمين﴾ لأنك تخلص مَنْ رحمته من كل شقاء و هوان ، باخلاص الإيمان ، و الخلاص من كل كفران .

و لما تسبب عن إيمان هؤلاء [زيادة ـ[2]] كفران أولئك قال :

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بان ـ كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ظنكم (٤) فى ظ : الاضافة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لخلوصكم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : قال (٨ - ٨) تأخر فى الأصل عن « عطف عليه قوله » س ١٢ و الترتيب من ظ و مد .

فاتخذتموهم

﴿ فاتخذتموهم سخريا ﴾ أى موضعا للهزء و التلهى [و الخدمة لكم ، قال الشهاب السمين[1] فى إعرابه : و السخرة - بالضم : الاستخدام ، و سخريا - بالضم منها و السخر بدون هاء : الهزء و المكسور منه يعنى على القراءتين -[2]] و فى النسبة [دلالة على -[2]] زياده [قوة -[2]] فى الفعل كالخصوصية / و العبودية ﴿ حتى انسوكم ﴾ أى [لأنهم -[2]] كانوا السبب فى ذلك ٥ / ٦١٥ بتشاغلكم [3]بالاستهزاء بهم[3] و استعبادهم ﴿ ذكرى ﴾ أى [أن -[2]] تذكرونى فتخافونى باقبالكم بكليتكم على ذلك منهم .

[و لما كان التقدير : فتركتموه -[2]] فلم تراقبونى فى أوليائى[4] ، [عطف عليه قوله -[2]] : ﴿ و كنتم ﴾ أى[5] بأخلاق هى كالجبلة ﴿ منهم ﴾ [6]أى خاصة[6] ﴿ تضحكون ﴾ كأنهم لما صرفوا قواهم إلى الاستهزاء بهم ١٠ عد[7] ضحكهم من غيرهم عدما .

و لما تشوفت النفس بعد العلم بما فعل بأعدائهم إلى جزائهم ، قال : ﴿ انى جزيتهم ﴾ [أى -[2]] مقابلة على عملهم ﴿ اليوم بما صبروا ﴾ أى على عبادتى ، و لم يشغلهم عنها تألمهم[8] بأذاكم كما شغلكم عنها التذاذكم باهانتهم ، فوزهم دونكم ، و هو معنى قوله : ﴿ انهم هم ﴾ أى خاصة ﴿ الفائزون ﴾ أى ١٥

(١) هو أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبى أبو العباس شهاب الدين المعروف بالسمين المتوفى ٧٥٦ هـ - راجع الأعلام ١ / ٢٦٠ (٢) زيد من ظ و مد .
(٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : باستهزايهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوائك (٥) سقط من ظ (٦-٦) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : قد (٨) فى ظ : ما آلمهم .

الناجون الظافرون بالخير بعد الإشراف على الهلكة، و غير العبارة[1] لإفادة الاختصاص. و الوضوح [و الرسوخ، و كسر الهمزة حمزة و الكسائى على الاستئناف -[2]].

و لما كان الفائز - و هو الظافر - من لم يحصل له بؤس فى ذلك الأمر الذى فاز به، وكان قد أشار سبحانه بحرف الغاية و ما شاكله إلى أنه لأهل الشقاء فى الدنيا فى الأعمار و الأرزاق حتى استهانوا بعبادة السعداء[3]، فكان ربما قيل: إن أعداءهم فازوا بالاستهزاء بهم و الرفعة عليهم فى حال الدنيا، وكان سبحانه قد أسلف ما يرد ذلك من الإخبار بأنه خلدهم فى النار و أعرض عنهم و زجرهم عن[5] كلامه، وكان أنعم أهل الدنيا إذا غمس فى النار غمسة ثم سئل عن نعيمه قال: ما رأيت نعيما قط، فكان ذلك مخزيا لتقريع الأشقياء بسبب تضييع أيامهم و تندمهم عليها. تشوف السامع إلى أنه هل يسألهم عن تنعيمه لهم فى الدنيا الذى كان جديرا منهم[6] بالشكر فقابلوه بالكفر و الاستهزاء بأوليائه؟ فأجاب تشوفه ذلك مجهلا لهم و مندما[7] و منبها على الجواب [أن فوزهم فى الدنيا -[2]] - لقلته التى هى أحقر من قطرة فى جنب بحر - عدم، بقوله: (قال) [8]تأسيفا على ما أضاعوا من عبادة يسيرة تورثهم[9] سعادة لا انقضاء لها

(١) فى ظ: العبادة (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: السفلاء (٥) فى ظ: من (٦) سقط من مد (٧) من ظ و مد. و فى الأصل: تندما (٨) زيد فى الأصل: تنبيها لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل: شهامة و، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

و ارتكبوا من لذة قليلة أعقبتهم بؤسا لا آخر له - هذا على قراءة الجماعة[1]، و بين سبحانه بقراءة ابن كثير و حمزة و الكسائى أن القول بواسطة بعض عباده الذين أقامهم[2] لتعذيبهم إعراضا عنهم تحقيقا لما أشار إليه "و لا تكلمون" فقال: "قل" [أى -[3]] يا من أقناه للانتقام ممن أردنا أى لهؤلاء[4] الذين غرتهم الحياة الدنيا على ما يرون من قصر مدتها و لعبها[5] بأهلها ٥ [6]فكفروا بنا و استهزأوا[6] بعبادنا: ﴿ كم لبثتم فى الارض ﴾ على تلك الحال التى كنتم تعدونها فوزا ﴿ عدد سنين ﴾ أنتم فيها ظافرون و لأعدائكم قاهرون[7]، و لعله عبر بما منه الإسنات[8] الذى معناه القحط إشارة إلى أن أيام الدنيا ضيقة حرجة و إن كان فيها سعة، و لاسيما للكفرة بكفرهم و خبثهم و مكرهم الذى جرهم إلى أضيق الضيق و أسوء العيش ١٠ ﴿ قالوا ﴾ استقصارا له فى جنب ما رأوا من العذاب و استنقاذا لأنفسهم ظنا أن مدة لبثهم فى النار تكون بمقدار مكثهم فى الدنيا: ﴿ لبثنا يوما ﴾ و لعلهم[9] ذكروا العامل تلذذا / بطول الخطاب، أو تصريحا / ٦١٦ بالمراد دفعا للبس و الارتياب، ثم زادوا فى التقليل فقالوا: ﴿ او بعض يوم ﴾. ١٥

و لما كان المكرة فى الدنيا إذا أرادوا تمشية كذبهم قالوا لمن

(١) راجع نثر المرجان ٤/٥٨٤ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اقامه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: هولا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: نعيمها (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل: و كيف واستهزا، مع وجود البياض بين الكلمتين (٧) فى ظ: ظاهرون (٨) فى ظ: الانبات (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: املهم.

أخبروه فتوقف فى خبرهم : سل فلانا ، إيثاقا[1] باخبارهم ، و سترا لعوارهم ، جروا على ذلك تماديا منهم [2]فى الجهل[2] بالعليم القدير فى قولهم : ﴿ فسئل ﴾ [3]أى لتعلم[3] صدق خبرنا أو بسبب ترددنا فى العلم بحقيقة الحال لتحرير[4] حقيقة المدة ﴿ العآدين ٥ ﴾ و يحتمل أيضا قصد[5] الترقيق عليهم بالإشارة إلى أن ما هم فيه من العذاب شاغل لهم [عن -[6]] أن يتصوروا شيئا حاضرا محسوسا ، فضلا عن أن يكون ماضيا ، فضلا عن أن يكون فكريا ، فكيف إن[7] كان حسابا .

و لما كان ذلك على تقدير تسليمه[8] لاينفعهم لأن الجزاء بالعذاب على [عزمهم على -[6]] التمادى فى العناد على مرّ الآباد ، المصدق منهم بالانهماك فى الفساد ، أجابهم إلى قصدهم فى عدهم بعبارة صالحة صادقة على مدة لبثهم طال أو قصر ، بقوله على طريق الاستئناف لمن تشوف إلى معرفة جوابهم : ﴿ قل ﴾ أى الله على قراءة الجماعة[9] ، و بينت[10] قراءة حمزة و الكسائى أن إسناد القول إليه سبحانه مجاز[11] عن قول بعض عباده العظماء فقال على طريق الأول : "قل" [أى -[6]] لهؤلاء الذين وقع[12] الإعراض عنهم ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ لبثتم ﴾ أى فى الدنيا

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ايثاق (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الجهل (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوليعلم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل: ليخبر (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : صدق (٦) زيد من ظ و مد . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل: اذا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسليته . (٩) راجع نثر المرجان ٤/٥٨٧ (١٠) زيد فى ظ : على (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : مجازى (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : توقع .

﴿ الا قليلا ﴾ أى هو من القلة بحيث لايسمى بل هو عدم ﴿لو انكم كنتم ﴾ أى كونا هو كالجبلة ﴿ تعلمون ٥﴾ أى فى عداد[1] من يعلم فى ذلك الوقت ، لما آثرتم الفانى على الباقى ، و لأقبلتم على ما ينفعكم، و تركتم الخلاعة التى لايرضاها عاقل ، و لا يكون على تقدير الرضا بفعلها إلا بعد الفراغ من المهم ، و لكنكم [كنتم -[2]] فى عداد[1] البهائم ، ٥ و فى ذلك تنبيه للمؤمنين الذين هم الوارثون على الشكر على ما منحهم من السرور باهلاك أعدائهم و إيرائهم أرضهم و ديارهم ، مع إعزازهم[3] و البركة فى[4] أعمارهم ، بعد إراحتهم منهم فى الدنيا ، ثم بادامة سعادتهم فى الآخرة و شقاوة أعدائهم .

و لما كان حالهم فى ظنهم أن لا بعث ، حتى اشتغلوا بالفرح ، ١٠ و البطر و المرح ، و الاستهزاء بأهل الله ، حال من يظن العبث على الله الملك الحق المبين ، سبب عن ذلك عطفا على قوله " فاتخذتموهم سخريا" إنكاره عليهم فى قوله : ﴿ افحسبتم ﴾ و يجوز أن يكون معطوفا على مقدر نحو : أحسبتم أنا نهملكم فلا ننصف مظلومكم من ظالمكم ،فحسبتم ﴿ انما خلقنكم ﴾ [أى -[5]] على ما لنا من العظمة ﴿ عبثا ﴾ [أى ١٥ عابثين أو للعبث منا أو منكم -[2]] ، لا لحكمة إظهار العدل و الفضل ، حتى اشتغلتم بظلم أنفسكم و غيركم ؛ قال أبو حيان[6] : [و -[2]] العبث :

(١) فى ظ : عدد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اغزارهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : مع (٥) زيد من مد (٦) فى البحر المحيط ٦/٤١٧ (٧) زيد من ظ و مد و البحر .

اللعب الخالى عن فائدة . ﴿ و انكم ﴾ أى و حسبتم أنـكم ﴿ الينا ﴾ [أى - [1]] خاصة ﴿ لاترجعون ﴾ بوجه[2] من الوجوه لإظهار القدرة و العظمة فى الفصل ، و أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره و أبو يعلى الموصلى فى الجزء الرابع و العشرين من مسنده و البغوى[3] فى تفسيره عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه رقى رجلا مصابا بهذه الآية إلى آخر السورة فى أذنيه فبرأ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و الذى نفسى بيده ! لو أن رجلا / موقنا قرأ بها على جبل لزال . و فى سندهما[4] ابن لهيعة . قال ابن كثير[5] : و روى أبو نعيم عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبيه رضى الله عنه ، قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم فى سرية [6]و أمرنا[6] أن نقول إذا أمسينا و أصبحنا " أفحسبتم " - الآية ، [قال -[7]] : فقرأناها فغنمنا و سلمنا .

/٦١٧

و لما كان التقدير : ليس الأمر كما حسبتم ، علل ذلك بقوله : ﴿فتعلى الله﴾ [أى -[1]] علا[8] الذى له الجلال و الجمال علوا كبيرا عن العبث ؛ ثم وصفه بما ينافى العبث فقال : ﴿الملك﴾ أى المحيط بأهل مملكته علما و قدرة و سياسة ، و حفظا و رعاية .

و لما كان بعض ملوك الدنيا قد يفعل ما ينافى شيم الملوك من العبث بما فيه من الباطل[9] ، أتبع ذلك بصفة تنزهه عنه فقال : ﴿الحق﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : وجه (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٣٨/٥ (٤) فى ظ : مسندهما (٥) راجع تفسيره : ٢٥٩/٣ (٦-٦) فى ظ : فامرنا (٧) زيد من ظ و مد و التفسير (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : علله - كذا (٩) فى ظ : التباطل .

أى الذى لا تطرق للباطل إليه فى شىء من ذاته و لا صفاته ، فلا زوال له و لا لملكه فأنّى[1] يأتيه العبث .

و لما كان الحق من حيث هو قد يكون له ثان ، نفى ذلك فى حقه تعالى بقوله : ﴿لا إله إلا هو﴾ فلا يوجد له نظير أصلا فى ذات و لا صفة ، و من يكون كذلك يكون حائزا لجميع أوصاف الكمال ، و خلال الجلال و الجمال ، متعاليا عن سمات النقص ، و العبث من أدنى صفات النقص ، لخلوه عن الحكمة التى هى أس الكمال ؛ ثم زاد فى التعيين و التأكيد للتفرد بوصفه بصفة لا يدعيها[3] غيره فقال : ﴿رب العرش﴾ أى السرير المحيط بجميع الكائنات ، العالى عليها علوا لا يدانيه شىء ؛ ثم وصف العرش [لأنه فى سياق الحكم بالعدل و التنزه عن العبث بخلاف سياق براءة[2] و النمل[4] فانه للقهر و الجبروت -[5]] بقوله : ﴿الكريم﴾ أى الذى تنزل منه الخيرات الحاصلة للعباد ، مع شرف جوهره ، و على رتبته ، و مدحه أبلغ مدح لصاحبه ، و الكريم من ستر مساوئ الأخلاق باظهار معاليها و تنزه[6] عن كل دناءة ؛ قال القزاز : و أصل الكرم فى اللغة الفضل و الرفعة . و لما كان التقدير : فمن دعا الله وحده فأولئك هم المفلحون الوارثون فى الدارين ، عطف عليه [قوله -[5]] : ﴿و من يدع مع الله﴾ أى الملك الذى لا كفوء له لإحاطته بجميع[7] صفات

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فانه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يدعها (٣) آية ١٢٩ (٤) آية ٢٦ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كره (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لجميع .

الكمال ﴿ الها ﴾ و لما كانوا[1] لتعنتهم ينسبون الداعى [له -[2]] سبحانه باسمين أو أكثر إلى الشرك ، قيد بقوله : ﴿ آخر ﴾ ثم أيقظ من سنة الغفلة ، و نبه على الاجتهاد و النظر فى أيام المهلة ، بقول لا أعدل منه و لا أنصف فقال : ﴿ لا برهان له ﴾ [و لما كان المراد ما يسمى برهانا و لو على أدنى الوجوه الكافية ، عبر بالباء سلوكا لغاية الإنصاف دون « على[3] » المفهمة للاستعلاء بغاية البيان فقال -[2]] : ﴿ به لا ﴾ [أى بسبب دعائه ذلك -[2]] فانه إذا اجتهد فى إقامة برهان على ذلك لم يجد[4] ، بل وجد البراهين كلها قائمة على نفى ذلك ، داعية إلى الفلاح باعتقاد التوحيد و الصلاح ، هذا المراد ، "لا أنه" يجوز أن يقوم على شىء غيره برهان ﴿ فانما حسابه ﴾ أى جزاؤه الذى لا تمكن زيادته و لا نقصه ﴿ عند ربه[5] ﴾ الذى رباه ، و لم يربه أحد سواه ، و غمره بالإحسان ، و لم يحسن إليه أحد غيره ، الذى هو أعلم بسريرته و علانيته منه نفسه ، فلا يخفى عليه شىء من أمره .

و لما أفهم كون حسابه عند هذا المحسن أحد أمرين : إما الصفح بدوام الإحسان ، و إما الخسران بسبب الكفران[6] / ، قال على طريق الجواب لمن يسأل[7] عن ذلك : ﴿ انه لا يفلح ﴾ و وضع ﴿ الكفرون ﴾ موضع ضميره تنبيها على كفره و تعميما للحكم[8] ، فصار أول السورة

٦١٨ /

(١) فى ظ : كان (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل: لم يجدد (٥-٥) من ظ ومد ، وفى الأصل: لانه (٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : الكفر (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : يساله (٨) أى بالوصف .

و آخرها

و آخرها مفهما لأن الفلاح مختص به المؤمنون .

و لما كان الأمر كذلك ، أمر سبحانه نبيه صلى الله عليه و سلم بالاجتهاد فى إنقاذ عباده حتى بالدعاء لله فى إصلاحهم[١] ليكون الختم بالرحمة للمؤمنين ، كما كان الافتتاح بفلاحهم ، فقال عاطفا على قوله "ادفع بالتى هى احسن" فانه لا إحسان أحسن من الغفران ، أو على معنى "قال كم لبثتم" الذى بينته[٢] قراءة[٣] ابن كثير و حمزة و الكسائى بالأمر : "وقل" ، أو يكون التقدير : فأخلص العبادة له ﴿و قل﴾ لأجل أن أحدا لا يقدره حق قدره : ﴿ رب ﴾ أيها المحسن إلىّ ﴿اغفر و ارحم ﴾ أى أكثر من [تعليق -[٤]] هاتين الصفتين فى أمتى لتكثرها ، فان فى ذلك شرفا لى و لهم ، فأنت خير الغافرين ﴿و انت خير الرّحمين ﴾ فمن[٥] رحمته أفلح بما توفقه له من امتثال ما أشرت إليه أول السورة ، فكان من المؤمنين ، فكان من الوارثين الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ، فقد انطبق على الأول هذا الآخر بفوز كل مؤمن ، و خيبة كل كافر ، نسأل الله تعالى أن يكون لنا أرحم راحم و خير غافر ، إنه المتولى للسرائر[٥] ، و المرجو لإصلاح الضمائر - آمين[٦] .

---

(١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد فى ظ : فى (٣) راجع نثر المرجان ٤ / ٥٨٤ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : السراير (٦) سقط من ظ و مد .

سورة النور[١]

مقصودها مدلول اسمها المودع قلبها المراد منه أنه تعالى شامل العلم، اللازم منه تمام القدرة، اللازم منه إثبات الأمور على غاية الحكمة، اللازم منه تأكيد الشرف للنبي صلى الله عليه و سلم، اللازم منه شرف من اختاره لصحبته على منازل قربهم منه و اختصاصهم به، اللازم منه غاية النزاهة و الشرف و الطهارة لأم المؤمنين عائشة رضى الله عنها التى مات النبي صلى الله عليه و سلم و هو عنها راض، و ماتت هى رضى الله عنها صالحة محسنة، و هذا هو المقصود بالذات و لكن [٢]إثباته محتاج[٢] إلى تلك المقدمات ﴿بسم الله﴾ الذى تمت [٣]كلمته فبهرت[٣] قدرته ﴿الرحمن﴾ الذى ظهرت الحقائق كلها بشمول رحمته ﴿الرحيم﴾ الذى شرف من اختاره بخدمته[٤].

لما تقدم فى التى[٥] قبلها تحريم الزنا و الحث على الصيانة، و ختم تلك الآية بذكر الجنة المتضمن للبعث، [استدل عليه و ذكر ما يتبعه من تهديد و عمل ألى أن فرغت السورة -[٦]] و أخبر فى آخرها بتبكيت

---

(١) الرابعة و العشرون من سور القرآن الكريم، مدنية وهى اثنتان و ستون آية، و قيل: أربع وستون آية - راجع روح المعانى ٦/٢ (٢-٢) من ظ و مد، وفى الأصل: اثبات يحتاج (٣-٣) من ظ و مد، وفى الأصل: حكمته و قهرت. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لخدمته (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٦) زيد من ظ و مد.

المعاندين يوم الندم[1] بقوله "الم تكن آيتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون" و بقوله "افحسبتم انما خلقناكم عبثا" كل ذلك رحمة منه لخلقه ليرجع منهم من قضى بسعادته، ثم ختم بقوله "و انت خير الراحمين" فابتدأ سبحانه هذه السورة بأنه من على المخاطبين ببيان ما خلقوا له من الأحكام لأنهم لم يخلقوا سدى، بل لتكاليف تعبدهم بها ترفع[2] التنازع و تحسم له مادة الشر، فتوجب الرحمة و العطف بسلامة الصدر بما فيهم من الجنسية، فقال مخبرا عن مبتدإ تقديره: [هذه -[3]] ﴿سورة﴾ أى عظيمة، ثم رغب في امتثال[4] ما فيها مبينا أن تنوينها[5] للتعظيم بقوله: ﴿انزلناها﴾ [أى -[3]] بما لنا / من العظمة و تمام العلم و القدرة ﴿و فرضناها﴾ أى ٦١٩ / قررناها و قدرناها و أكثرنا فيها من الفروض و أكدناها[6] ﴿و انزلنا فيها﴾ ١٠ بشمول علمنا ﴿آيت﴾ من الحدود و الأحكام و المواعظ و الأمثال و غيرها، مبرهنا عليها ﴿بينت﴾ لا إشكال فيها رحمة منا لكم، فمن قبلها دخل في دعوة نبينا صلى الله عليه و سلم التي لقناه إياها في آخر تلك فرحمه خير الراحمين، و من أباها ضل فدخل في التبكيت بقولنا "الم تكن آيتي تتلى عليكم" و[7] نحوه، و ذلك[7] معنى قوله: ﴿لعلكم تذكرون﴾ ١٥ أى لتكونوا - إذا تأملتموها[8] مع ما قبلها[9] من الآيات المرققة و القصص

(١) من ظ و مد، و في الأصل: الندا (٢) من ظ و مد، و في الأصل: برفع.
(٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد، و في الأصل: بامتثال (٥) من ظ و مد، و في الأصل: تنويهها (٦) في ظ: اكدنا (٧ - ٧) في ظ: نحو ذلك.
(٨) زيد في ظ: أى السورة (٩) من ظ و مد، و في الأصل: فيها.

المحذرة - على رجاء[1] - عند من لا يعلم العواقب - من أن تتذكروا[2] و لو وعاً من التذكر - كما أشار إليه الإدغام - بما ترون فيها من الحكم أن الذى نصبها لكم و فصلها إلى ما ترون لا يتركك[3] سدى ، فتقبلوا على جميع أوامره ، و تنتهوا عن زواجره ، ليغفر لكم ما قصرتم فيه من طاعته ، و يرحمكم بتنويل ما لا وصول لكم إليه إلا برحمته[4] ، و تتذكروا أيضاً بما يبين لكم من الأمور ، و يكشف عنه الغطاء من الأحكام التى أغمت عنها حجب النفوس ، و سترتها ظلمات الأهوية[5] - ما جبل عليه الآدميون ، فتعلموا أن الذى تحبون أن يفعل معكم يحب غيركم أن تفعلوه[6] معه ، و الذى تكرهونه من ذلك يكرهه غيركم ، فيكون ذلك حاملاً لكم على النصفة فيثمر الصفاء ، و الألفة و الوفاء ، فتكونوا[7] من المؤمنين المفلحين الوارثين الداخلين فى دعوة البشير [النذير -[8]] بالرحمة .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه : لما قال تعالى "و الذين هم لفروجهم حفظون" - الآية ثم قال تعالى "فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون" استدعى الكلام بيان حكم العادى فى ذلك ، و لم يبين فيها فأوضحه فى سورة النور فقال تعالى "الزانية و الزانى" - الآية ثم اتبع ذلك بحكم اللعان و القذف و انجر مع ذلك الإخبار

(١) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تذكروا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يزاكم - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : برحمة منه (٥) فى ظ : الوهية (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعملوه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيكونوا (٨) زيد من ظ و مد .

بقصة الإفك [1] تحذيرا للمؤمنين من زلل الألسنة رجما بالغيب "و تحسبونه هينا و هو عند الله عظيم" و اتبع ذلك [2] بعد بوعيد [2] مجتبى شياع الفاحشة في المؤمنين بقوله تعالى "ان الذين يرمون المحصنت الغفلت المؤمنت" الآيات ، ثم بالتحذير [3] من دخول البيوت إلا بعد الاستئذان المشروع ، ثم بالأمر بغض الأبصار الرجال و النساء و نهى النساء عن إبداء الزينة إلا لمن سمى الله سبحانه في الآية ، و تكررت هذه المقاصد في هذه السورة إلى ذكر حكم العورات الثلاث ، و دخول بيوت الأقارب و ذوي الأرحام ، و كل هذا مما تبرأ ذمة المؤمن بالتزام ما أمر الله فيه من ذلك و الوقوف عند ما حده تعالى من أن يكون من العادين المذمومين في قوله تعالى "فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العدون" . و ما تخلل الآى [4] / المذكورات و نسق عليها مما ليس من الحكم المذكور فلاستجرار [5] الآى إياه و استدعائه ، و مظنة استيفاء ذلك و بيان ارتباطه التفسير ، [6] و ليس [6] من شرطنا هنا - و الله سبحانه و تعالى يوفقنا لفهم [7] كتابه - انتهى . / ٦٢٠

و لما كان مبنى هذه الدار على الأنساب في التوارث و الإمامة [8] و النكاح و غير ذلك ، و مبنى تلك الدار على الأعمال لقوله تعالى

(١) زيدت الواو في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها (٢ - ٢) في ظ : توعيد (٣) في ظ : التحذير (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : الآيات (٥) من ظ و مد . و في الأصل . فلاستجراد (٦ - ٦) من ظ و مد ، و في الأصل : من . (٧) من ظ و مد . و في الأصل : لهم (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : الاباحة .

" فلا انساب بينهم يومئذ " و كان قد حث فى آخر تلك على الستر و الرحمة ، حذر سبحانه [1]رحمة منه فى[1] أول هذه من لبس الانساب ، و كسب[2] الأعراض و قطع الأسباب ، معلما أن الستر و الرقة ليسا على عمومهما ، بل على [ما - [3]] يحده سبحانه ، فقال مخاطبا للأئمة و من يقيمونه[4] : ﴿الزانية﴾ و هى من فعلت الزنا ، و هو إيلاج فرج فى فرج مشتهى طبعا محرم شرعا ، و قدمها لأن أثر الزنا يبدو عليها من الحبل و زوال البكارة ، و لأنها أصل الفتنة بهتك[5] ما أمرت به من حجاب التستر و التصون[6] و التحذر ﴿ و الزانى ﴾ .

و لما كان " ال " بمعنى الاسم الموصول ، أدخل الفاء فى الخبر فقال : ﴿ فاجلدوا ﴾ أى فاضربوا و إن كان أصله ضرب الجلد بالسوط الذى هو جلد ﴿ كل واحد منهما ﴾ إذا لم يكن محصنا ، بل كان مكلفا بكرا - بما بينته السنة الشريفة ﴿ مائة جلدة ص ﴾ فبدأ بحد الزنا المشار إليه أول تلك بقوله تعالى " فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون " و فى التعبير بلفظ الجلد الذى هو ضرب الجلد إشارة إلى أنه لايكون مبرحا بحيث يتجاوز الألم إلى اللحم .

و لما كان هذا ظاهرا[7] فى ترك الشفقة عليهما ، صرح به

(١-١) فى ظ : رحمته من (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليست (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسمونه - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهتك (٦) فى ظ : الصون (٧) فى ظ : ظاهر .

[1]لأن من شأن كل من يجوز على نفسه الوقوع فى مثل ذلك أن يرحمها فقال[1]: ﴿ و لا تأخذكم ﴾ أى على حال من الأحوال ﴿ بهما رأفة ﴾ أى لين، و لعله عبر بها[2] إعلاما بأنه لم ينه عن مطلق الرحمة، لأن الرأفة أشد الرحمة أو أرقها و تكون[3] عن[4] أسباب من المرؤف به، و كذا قوله: ﴿ فى دين الله ﴾ أى الذى شرعه لكم الملك المحيط بصفات الكمال - إشارة ٥ إلى أن الممنوع منه رحمة تؤدى إلى ترك الحد أو شىء منه أو التهاون به أو الرضى عن منتهكه[5] لا رقة القلب المطبوع عليها البشر كما يحكى عن أبى الدرداء[6] رضى الله عنه أنه بكى يوم فتحت قبرص و ضربت رقاب ناس من أسراها فقيل له: هذا يوم سرور، فقال: هو كذلك، و لكنى أبكى رحمة لهؤلاء العباد الذين عصوا الله فخذلهم و أمكن منهم. ١٠

و لما علم سبحانه ما طبع عليه عباده من رحمة بعضهم لبعض لحث على هذا الحكم بالأمر و النهى، زاد فى التهييج إليه و الحض عليه بقوله: ﴿ ان كنتم ﴾ أى بما هو كالجبلة التى لا تنفك ﴿ تؤمنون بالله ﴾ أى الملك الأعظم الذى هو أرحم الراحمين، فما شرع ذلك إلا رحمة للناس عموما و للزانيين خصوصا، فمن نقص سوطا[7] فقد ادعى أنه أرحم منه، ١٥ و من زاد سوطا[7] فقد / ظن أنه أحكم و أعظم منه. ٦٢١ /

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: فى قوله (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بهما (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يكون (٤) فى ظ: على (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تنهكه (٦) راجع حلية الأولياء ١ / ٢١٦ و ٢١٧ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: شرطا.

[1]و لما ذكر[2] بالإيمان الذى من شرطه التزام[3] الأحكام ، و كان الرجاء غالبا على الإنسان ، أتبعه ما يرهبه فقال : ﴿ و اليوم الآخر ﴾ الذى يحاسب فيه على[4] النقير و القطمير و الخفى و الجلى . و لما كان الخزى و الفضيحة أعظم عند بعض الناس من ضرب السيف[5] فضلا عن ضرب السوط قال : ﴿ و ليشهد ﴾ أى يحضر حضورا تاما ﴿ عذابهما طآئفة ﴾ أى جماعة يمكن إطافتها أى تحلقها و حفوفها بكل[6] منهما ﴿ من المؤمنين ۝ ﴾ العريقين إشهارا[7] لأمرهما نكالا لهما ، [و -[8]] عن نصر بن علقمة أن ذلك ليدعى[9] لهما بالتوبة و الرحمة . و فى كل [هذا -[8]] إشارة ظاهرة إلى أن إقامة الحدود و الغلظة فيها من رحمته سبحانه المشار إليها بقوله "و انت خير الرحمين" .

و لما كان [فى -[8]] ذلك من الغلظة على الزانى لما[10] ارتكب [من -[8]] الحرام المتصف بالعار ما يفهم مجانبته ، صرح به ، مانعا من نكاح المتصف بالزنا من ذكر و أنثى ، إعلاما بأن وطئ من اتصف به من رجل أو امرأة لايكون إلا زنا و إن كان بعقد ، فقال واصلا له بما[11] قبله :

(١) العبارة من هنا إلى « يرهبه نقال » وقعت فى الأصل بعد « التى لاتنفك » ص ٢٠٥ س ١٤ ، و الترتيب من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : بومر - كذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) فى ظ : الزام (٤) من ظ و مد و فى الأصل : فى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : السرف (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : وكل (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشتهارا (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد و روح المعانى ٦/٩ ، و فى الأصل : الحكمة ان يدعى . (١٠) فى ظ : بما (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما .

﴿ الزانى لاينكح ﴾ أى لا يتزوج ﴿ الا زانية او مشركة ذ﴾ أى المعلوم اتصافه بالزنا مقصور[1] نكاحه على زانية أو مشركة ، و ذلك محرم ، فهذا تنفير للمسلمة عن نكاح المتصف بالزنا حيث سويت بالمشركة إن عاشرته ، و ذلك يرجع إلى أن[2] من نكحت زانيا فهى زانية أو مشركة ، أى فهى مثله أو شر منه ، و لو اقتصر على ذلك لم يكن منع من أن ينكح العفيف ٥ الزانية ، فقال تعالى مانعا من ذلك : ﴿و الزانية لاينكحها﴾ أى لايتزوجها ﴿الا زان او مشرك﴾ [أى -[3]] و المعلوم اتصافها بالزنا مقصور نكاحها على زان أو مشرك ، و ذلك محرم فهو تنفير للمسلم أن يتزوج من اتصفت بالزنا حيث سوى فى ذلك بالمشرك ، و هو يرجع إلى أن من نكح[4] زانية فهو زان أو مشرك ، أى[5] فهو مثلها أو شر منها ، و أسند النكاح ١٠ فى الموضعين إلى الرجل تنبيها إلى أن النساء لا حق لهن فى مباشرة العقد ؛ ثم صرح بما أفهمه صدر الآية بقوله مبنيا للمفعول لأن ذلك يكفى[6] المؤمن الذى[6] الخطاب معه : ﴿و حرم ذلك﴾ أى نكاح الزانى و الزانية تحريما لا مثنوية فيه ﴿على المؤمنين ه﴾ و علم من هذا أن ذكر [المشرك و -[3]] المشركة لزيادة التنفير ، ثم إن هذا الحكم فسخ كما قال إمامنا الشافعى ١٥ رحمه الله موافقة لابن المسيب[7] بقوله تعالى "و انكحوا الايامى منكم" و هو جمع أيم و هو من لازوج له من الذكور و الإناث ، فأحل للزانى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مقصود (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : ينكح (٥) فى ظ : او (٦-٦) فى ظ : المرء من (٧) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٤٠ .

أن ينكح من شاء ، و للزانية أن تنكح من[1] شاءت ، و قراءة من قرأ "لاينكح" بالنهى راجعة إلى هذا ، لأن الطلب قد يجيء للخبر كما يجيء الخبر للطلب - و الله أعلم ؛ قال الشافعى رحمه الله تعالى و رضى عنه فى الأم فى جزء مترجم بأحكام القرآن[2] و فى جزء بعد كتاب الحج الكبير و الصغير و الضحايا : ماجاء فى نكاح[3] المحدثين ، فذكر الآية و قال : اختلف أهل التفسير فى هذه الآية اختلافا متباينا ، أخبرنا مسلم ابن خالد عن ابن[4] جريج عن مجاهد أن هذه الآية نزلت فى بغايا من بغايا الجاهلية كانت على منازلهن رأيات ، قال فى الجزء الآخر : و كن غير[5] محصنات ، فأراد / بعض المسلمين نكاحهن فنزلت الآية بتحريم أن ٦٢٢ / ينكحن[6] إلا من أعلن بمثل [ما -[7]] أعلنّ به أو مشركا[8] ، و قيل : كن زوانى مشركات فنزلت[9] لاينكحهن إلا زان مثلهن [مشرك -[10]] ، أو مشرك و إن لم يكن زانيا ، و حرم ذلك على المؤمنين ، و قيل : هى عامة و لكنها نسخت ، أخبرنا سفيان عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال : هى منسوخة نسختها "و انكحوا الايامى منكم" فهى من أيامى المسلمين ، فهذا كما قال ابن المسيب إن شاء الله تعالى ، و عليه

(١) فى ظ : ما (٢) راجع مسند الإمام الشافعى بهامش الأم ٦/٢٢٤ (٣) من ظ و مد و الأم ٥/١٠ ، و فى الأصل : نشا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد والأم ، و فى الأصل : خير (٦) من ظ و مد و الأم ، وفى الأصل: ينكحهن ، و العبارة من بعده إلى « لاينكحهن » ساقطة من ظ (٧) زيد من مد و الأم . (٨) من الأم ، و فى الأصل و مد : مشرك (٩) من الأم ، و فى الأصل و مد : فنزل . (١٠) زيد من الأم .

دلائل من الكتاب و السنة ، ثم استدل على فساد غير هذا القول بأن الزانية إن كانت مشركة فهى محرمة على زناة المسلمين و غير زناتهم بقوله تعالى "و لا تنكحوا المشركت حتى يؤمن" - الآية ، و لاخلاف فى ذلك ، و إن كانت مسلمة فهى بالإسلام محرمة على جميع المشركين بكل نكاح بقوله تعالى "فان علمتموهن مؤمنت فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم و لا هم يحلون لهن" و لاخلاف فى ذلك أيضا ، و بأنه[1] لا اختلاف بين أحد من أهل العلم أيضا فى تحريم الوثنيات عفائف كن أو زوانى على من آمن زانيا كان أو عفيفا ، و بأن النبي صلى الله عليه و سلم جلد بكرا فى الزنا و جلد امرأة و لم نعلمه[2] قال للزانى : هل لك زوجة فتحرم عليك إذا زنيت ، و لايتزوج[3] هذا الزانى و لا الزانية إلا زانية أو زانيا ، [بل -[4]] قد روى[5] أن رجلا شكى من امرأته فجورا فقال : طلقها ، قال : إنى أحبها ، قال : استمتع بها - يشير إلى ما رواه أبوداود و النسائى [و غيرهما -[4]] عن ابن عباس رضى الله عنهما [6] أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقال : إن امرأتى لا تمنع يد لامس ، قال : طلقها ، قال : [إنى -[7]] لا أصبر عنها ، قال ، فأمسكها . و رواه البيهقى و الطبرانى من حديث جابر رضى الله عنه ، [و -[4]] قال شيخنا ابن حجر : إنه حديث حسن صحيح - [انتهى . قال الشافعى -[4]] : و قد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه

(١) فى ظ : بان (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم نعمله (٣) فى ظ : لاتتزوج.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : روى (٦) العبارة من هنا إلى « لا أصبر عنها » ساقطة من مد (٧) زيد من ظ و سنن النسائى ٥٤٨ .

قال لرجل[1] أراد أن ينكح امرأة أحدثت: انكحها نكاح العفيفة المسلمة - انتهى بالمعنى . و قال فى الجزء الذى بعد الحج[2]: فوجدنا الدلالة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى زانية و زان من المسلمين لم نعلمه حرم على واحد منهما أن ينكح غير زانية و لا زان، و لاحرم واحدا[3] منهما على زوجه؛ ثم قال: فالاختيار للرجل أن لاينكح زانية و للمرأة أن لا تنكح زانيا، فان فعلا فليس ذلك بحرام على واحد منهما، ليست معصية واحد منهما فى نفسه تحرم عليه الحلال إذا أتاه، ثم قال: و سواء حد الزانى منهما أو لم يحد، أو قامت عليه بينة أو اعترف، لايحرم زنا واحد منهما و لا زناهما و لامعصية من المعاصى الحلال إلا أن يختلف[4] ديناهما بشرك و إيمان - انتهى . و قد علم أنه لم يرد أن هذا الحكم نسخ بآية الأيامى فقط، بل بما انضم إليها من الإجماع و غيره من الآيات و الأحاديث بحيث صير ذلك دلالتها على ما تناولته متيقنا كدلالة الخاص على ما تناوله، فلا يقال: إن الشافعى رحمه الله خالف أصله فى أن الخاص لاينسخ بالعام، لأن ما تناوله الخاص متيقن، و ما تناوله العام / ظاهر مظنون، وكان هذا الحكم - و هو الحرمة فى أول الإسلام بعد الهجرة - لئلا يغلب حال المفسد على المصلح فيختل بعض الأمر كما أشير إليه فى البقرة عند "و لا تنكحوا المشركت" - الآية[5]، و فى

/٦٢٣

(١) زيد فى ظ: اذا (٢) ٥/ ١٠ (٣) من الأم، و فى الأصول: واحد .
(٤) من ظ و مد و الأم، و فى الأصل: يختلفا (٥) ٢٢١ .

المائدة عند " و من يكفر بالايمان فقد حبط عمله[١] " و هو من وادى قوله[٢]:

عن المرء لاتسأل و سل عن قرينه فكل خليل بالمخالل يقتدى

و الجنسية علة الضم، و المشاكلة سبب المواصلة، و المخالفة توجب المباعدة و تحرم المؤالفة، و قد روى أبو داود فى الأدب[٣] و الترمذى فى الزهد[٤] ٥ - و قال: حسن غريب - عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل. و روى الإمام أبو يعلى[٥] الموصلى فى مسنده قال: حدثنا يحيى بن معين حدثنا سعيد ابن الحكم حدثنا يحيى بن أيوب حدثنى يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت: كانت امرأة بمكة مزاحة، [يعنى -[٦]] فهاجرت إلى ١٠ المدينة الشريفة، فنزلت على امرأة شبه لها، فبلغ ذلك عائشة رضى الله عنها فقالت: صدق حبى! سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف[٧] و ما تناكر منها اختلف. قال: و لا أعلم إلا قال فى الحديث: و لانعرف[٨] تلك المرأة، و سيأتى عند " و الطيبٰت للطيبين " تخريج « الأرواح جنود مجندة » و قال ١٥ الإمام أبو بكر أحمد بن[٩] مروان[١٠] الدينورى فى كتاب المجالسة[١١]: حدثنا

(١) آية ٥ (٢) البيت لعدى بن زيد - راجع عيون الأنباء ٣/٧٩ (٣) ٢/١٨٥ . (٤) ٢٨٧ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: أبو يحيى - خطأ، و الحديث الآتى ذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ٨ / ٨٨ برواية أبى يعلى و قال: رجاله رجال الصحيح (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد و المجمع، و فى الأصل: ائتلفوا (٨) من ظ و مد و المجمع، و فى الأصل: لا تعرف (٩) سقط من ظ و مد (١٠) المتوفى ٣١٠ هـ (١١) راجع كشف الظنون ٢/٣٧٨ .

أحمد بن على الخزاز حدثنا مصعب بن عبد الله عن أبى غزية الأنصارى قال: قال الشعبى[1]: يقال: إن لله ملكا موكلا بجمع[2] الأشكال بعضها إلى بعض - انتهى. و عزاه شيخنا الحافظ أبو الفضل ابن حجر فى تخريج أحاديث مسند الفردوس[3] إلى أنس رضى الله عنه و قال: بتأليف الأشكال.

٥ و يروى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه خطب أهل الكوفة بعد ثلاثة أيام [4]من مقدمه[4] عليهم[5] فقال: يا أهل الكوفة، قد علمنا شراركم من خياركم، فقالوا: كيف و ما لك إلا ثلاثة أيام؟ فقال: كان معنا شرار و خيار، فانضم خيارنا إلى خياركم، و شرارنا إلى شراركم، فلما تقررت الأحكام، و أذعن الخاص و العام، و ضرب الدين بجرانه،

١٠ و لم يخش وهى شىء من بنيانه، نسخت الحرمة، و بقيت[6] الكراهة أو خلاف الأولى - والله الموفق. و هذا كله توطئة لبراءة عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها كما يأتى إيضاحه عند "و الطيبٰت للطيبين" لأنها قرينة خير العالمين و أتقاهم و أعفهم، و لأن كلا منها و من صفوان رضى الله عنهما بعيد عما رمى به شهير بضده، و إليه الإشارة بقول النبى

١٥ صلى الله عليه و سلم: من يعذرنى من[7] رجل بلغ أذاه فى أهلى، و الله ما علمت على أهلى إلا خيرا. و لقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا. /٦٢٤/

(١) راجع كشف الخفاء ١/٢٩٣ (٢) من ظ و مد و الكشف، و فى الأصل: مجمع (٣) راجع الحديث رقم ٣٣٨٠ (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فى تقدمه (٥) فى ظ: عليه (٦) زيد فى الأصل: اثرها، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من صحيح البخارى ٢/٦٩٧، و فى الأصول: فى.

و فى رواية[1]: ما علمت عليه من سوء قط، و لا دخل بيتى قط إلا و أنا حاضر . و بقول[2] عائشة رضى الله عنها عن صفوان رضى الله عنه: إنه قتل شهيدا فى سبيل الله . و هذا سوى الآيات المصرحة و الأعلام المفصحة[3]، فهو "و الطيبون" تلويح قبل بيان، و تصريح و إشارة بعد عبارة و توضيح، ليجتمع فى براءة الصديقة رضى الله عنها دليلان عقليان ٥ شهوديان[4] اكتفا الدليل النقلى[5] فكانا سورا عليه، و حفظا من تصويب طعن إليه، و فى ذلك من فخامة[6] أمرها و عظيم قدرها ما لا يقدره حق قدره إلا الذى خصها به .

و لما نفر[7] سبحانه من نكاح من اتصف بالزنا من رجل أو امرأة، و بدأ - لأن نكاح المرأة للزانى مظنة لزناها - بتنفير [8]الإناث بما[8] يوهم جواز ١٠ إطلاق الزنا عليهن بمجرد نكاح من علم زناه، و ذلك بعد أن ابتدأ فى حد الزنا بالأنثى أيضا لأن[9] زناها أكبر[10] شرا، و أعظم فضيحة و ضرا، عطف على ذلك تحريم القذف بما يوجب تعظيم الرغبة فى الستر و صيانة الأعراض و إخفاء الفواحش، فقال ذاكرا الجمع لأن الحكم [بإقامة الحد عليه

(١) راجع صحيح البخارى ٢/٦٩٩ (٢) راجع صحيح البخارى ٢/٧٠٠ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: المفحصة (٤) فى ظ: شهوديا (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: النقل (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فخاحية - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: تقرر (٨ - ٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الزنا كما - كذا (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: اكثر.

بهم إقامة الحد على الواحد من باب الأولى و لا إيهام فيه لأن الجمع - [1] إنما قوبل بالجمع أفهم التوزيع : ﴿و الذين يرمون﴾ أى بالزنا ﴿المحصنٰت﴾ جمع محصنة ، و هى هنا المسلمة الحرة المكلفة العفيفة ، و المراد القذف بالزنا [بما - [1]] أرشد إليه السياق سابقا و لاحقا ، ذكورا كان الرامون

٥ أو إناثا [2] بما أفهمه الموصول [2] ، و خص الإناث و إن كان الحكم عاما للرجال تنبيها على عظيم حق أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، و لأن الكلام فى حقهن أشنع .

و لما كان إقدام المجترئ على القذف - مع [ما - [1]] شرطه [3] فيه لدره [4] الحد إرادة الستر - بعيدا ، أشار إليه بأداة التراخى فقال : ﴿ثم لم ياتوا﴾

١٠ أى إلى الحاكم ﴿باربعة شهدآء﴾ ذكور [5] ﴿فاجلدوهم﴾ أيها المؤمنون من الأئمة و نوابهم ﴿ثمنين جلدة﴾ لكل واحد منهم ، لكل محصنة ، إن [6] لم يكن القاذف أصلا . إن كانوا أحرارا [7] ، و حد [8] العبد نصف ذلك لآية [9] النساء " فعليهن نصف ما على المحصنٰت من العذاب " فهذه الآية مخصوصة بتلك إذ لا فرق بين الذكر و الأنثى و لا بين حد الزنا و حد

١٥ القذف ﴿و لا تقبلوا لهم﴾ أى بعد قذفهم على هذا الوجه ﴿شهادة﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : شرط (٤) فى ظ : كدره (٥) فى مد : ذكورا . (٦) فى ظ : اذا (٧) فى مد : احرار (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : جلد . (٩) رقم ٢٥ .

[أىّ شهادة كانت -[1]] ﴿ ابداء ﴾ للحكم بافتراتهم ، و من ثبت افتراؤه سقط الوثوق بكلامه[2] .

و لما كان التقدير : فانهم قد افتروا ، عطف عليه تحذيراً من الإقدام عن غير تثبت : ﴿ و اولئك ﴾ أى الذين[3] تقدم ذمهم بالقذف فسفلت[4] رتبتهم جدا ﴿ هم الفسقون ﴾ أى المحكوم بفسقهم الثابت لهم هذا الوصف ٥ و إن كان القاذف منهم محقا فى نفس الأمر .

و لما كان من أصل الشافعى رحمه الله أن الاستثناء المتعقب للجمل المتواصلة المتعاطفة بالواو عائد[5] إلى الجميع سواء كانت من جنس أو أكثر إلا إذا منعت قرينة ، أعاد الاستثناء هنا إلى الفسق و رد الشهادة دون الحكم بالجلد، لأن من تمام التوبة الاستسلام[6] للحد و[6] الاستحلال / منه ، ١٠ / ٦٢٥ [و -[1]] لقرينة كونه حق آدمى و هو لا يسقط بالتوبة ، فى قوله تعالى : ﴿ الا الذين تابوا ﴾ أى رجعوا عما وقعوا فيه من القذف و غيره و ندموا عليه و عزموا على أن لايعودوا كما بين فى البقرة فى قوله[7] تعالى " الا الذين تابوا و اصلحوا و بينوا " و أشار إلى أن الجلد لايسقط بالتوبة بقوله مشيرا بادخال الجار إلى أن قبولها لايتوقف على استغراقها الزمان ١٥ الآتى : ﴿ من بعد ذلك ﴾ أى الأمر الذى أوجب إبعادهم و هو الرمى

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بكلام (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : كالذين (٤) من مد ، و فى الأصل : فسقت ، و الكلمة ساقطة من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عايدا (٦-٦) من مد ، و فى الأصل : للجلد او ، و فى ظ : للحد او (٧) آية ١٦٠ .

و الجلد ، فان التوبة لا تغير حكم الرامى فى الجلد ، و إنما[1] تغيره فى رد الشهادة و ما تسببت[2] عنه و هو الفسق ، و أشار إلى شروط التوبة بقوله: ﴿و اصلحوا﴾ [أى -[3]] بعد التوبة بمضى مدة يظن بها حسن الحال، و هى سنة يعتبر بها حال التائب بالفصول الأربعة التى تكشف الطباع .

٥ و لما كان استثناؤهم [من رد الشهادة و الفسق ، فكان التقدير : فاقبلوا شهادتهم و لاتصفوهم - [3]] بالفسق ، علله بقوله : ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿غفور﴾ أى ستور لهم ما أقدموا عليه لرجوعهم عنه ﴿رحيم ۝﴾ أى يفعل بهم من الإكرام فعل الراحم بالمرحوم فى قبول الشهادة .

١٠ و لما كان لفظ المحصنات عاما للزوجات ، وكان لهن حكم غير ما تقدم ، أخرجهن بقوله : ﴿ و الذين يرمون ﴾ أى بالزنا ﴿ ازواجهم ﴾ أي من المؤمنات الأحرار و الإماء و الكافرات ﴿و لم يكن لهم﴾ بذلك ﴿ شهدآء الآ انفسهم ﴾ و هذا يفهم أن الزوج إذا كان أحد الأربعة كفى ، لكن يرد هذا المفهوم كونه حكاية واقعة لاشهود فيها ، و قوله

١٥ فى الآية قبلها "ثم لم ياتوا باربعة شهداء" فانه يقتضى كون الشهداء غير الرامى ، و لعله استثناه من الشهداء لأن لعانه يكون بلفظ الشهادة ، و مذهب الشافعى رضى الله عنه أنه لايقبل فى ذلك على زوجته - قال ابن الرفعة[4] فى الكفاية : - لأمرين : أحدهما أن الزنا تعرض لمحل حق

(١) فى ظ : اما (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسبب (٣) زيد من ظ و مد (٤) هو أحمد بن محمد بن على الأنصارى أبو العباس نجم الدين المعروف =

الزوج [١]، فان الزانى مستمتع بالمنافع المستحقة له، فشهادته [٢] فى صفتها تتضمن [٣] إثبات جناية الغير على ما هو مستحق له فلم تسمع، كما إذا شهد أنه جنى على عبده، و الثانى أن من شهد بزنا زوجته فنفس شهادته تدل [٤] على إظهار العداوة، لأن زناها يوغر صدره بتلطيخ فراشه و إدخال العار عليه و على ولده، و هو أبلغ فى العداوة من مؤلم الضرب ٥ و فاحش السب، قال القاضى الحسين: و إلى هذه العلة أشار الشافعى رحمه الله و هى التى حكاها القاضى أبو الطيب فى باب حد قاطع الطريق عن الشيخ أبى حامد. ﴿ فشهادة احدهم ﴾ أى على من رماها ﴿ اربع شهٰدٰت ﴾ من خمس فى مقابلة أربعة [٥] شهداء ﴿ بالله لا ﴾ أى مقرونة بهذا الاسم الكريم الأعظم الموجب لاستحضار جميع صفات الجلال ١٠ والجمال ﴿ انه لمن الصٰدقين ٥ ﴾ أى فيما قذفها به ﴿ والخامسة ان لعنة الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ عليه ﴾ أى هذا القاذف / نفسه ﴿ ان كان من الكٰذبين ٥ ﴾ ٦٢٦ / فيما رماها به، و لأجل قطعه بهذه الأيمان الغليظة بصدقه و حكم الله بخلاصه انتفى عنه الولد، فلزم من نفيه الفرقة المؤبدة [من غير لفظ ـ [٦]] لعدم صلاحيتها أن تكون فراشا له، لأن الولد للفراش، و لا يصح [٧] ١٥

= بابن الرفعة، المتوفى ٧١٠ هـ فقيه شافعى، من مصنفاته الكفاية فى شرح التنبيه - راجع الأعلام ١/٢١٣.

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الفروج (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بشهادته (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يتضمن (٤) فى ظ و مد: دال (٥) فى ظ: اربع (٦) زيد من ظ، مد (٧) زيد فى ظ: ان.

اللعان إلا عند حاكم ، و لا يخفى ما فى هذا من الإبعاد عن القذف بوجوب مزيد الاحتياط ، لما فى ذلك من التكرير و الاقتران بالاسم الأعظم ، و الجمع بين الإثبات و ما يتضمن النفى ، و الدعاء باللعن المباعد[1] لصفة المؤمن ، فاذا فعل الزوج ذلك سقط عنه العذاب بحد القذف[2] و أوجبه[2] على المقذوفة ، فلذلك قال تعالى : ﴿ و يدرؤا ﴾ أى يدفع ﴿ عنها ﴾ أى[3] المقذوفة ﴿ العذاب ﴾ أى المعهود ، و هو الحد[4] الذى أوجبه عليها ما تقدم [5]من شهادة الزوج[5] ﴿ ان تشهد اربع شهٰدٰت ﴾ من خمس ﴿ بالله لا ﴾ [6]الذى له جميع الأسماء الحسنى و الصفات العلى كما تقدم فى الزوج ﴿ انه لمن الكٰذبين لا ﴾ فيما قاله عنها ﴿ و الخامسة ﴾ من الشهادات ﴿ ان غضب الله ﴾ الذى له الأمر كله فلا كفوء له ﴿ عليها ﴾ و هو أبلغ من اللعن الذى هو الطرد ، لأنه قد يكون بسبب غير الغضب ، و سبب التغليظ عليها الحث على اعترافها بالحق لما يعضد الزوج من القرينة من أنه لا يتجشم[7] فضيحة أهله المستلزم لفضيحته[8] إلا و هو صادق ، و لأنها مادة الفساد ، و هاتكة الحجاب ، و خالطة الأنساب ﴿ ان كان ﴾ [أى كونا راسخا - [9]] ﴿ من الصٰدقين ٥ ﴾ أى فيما رماها به ؛ روى البخارى فى التفسير[10] و غيره[11] عن ابن عباس و غيره رضى الله عنهم أن

(١) فى ظ : المتباعد (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاوجبه (٣) زيد فى الأصل : عن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى ظ : اى . (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) زيد فى ظ : اى (٧) فى ظ : يتحسم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لفضيحة (٩) زيد من ظ و مد . (١٠) ٢/٦٩١ (١١) مثلا كتاب الشهادات ١/٣٦٧ .

هلال بن أمية رضى الله عنه قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه و سلم بشريك بن سحماء[1] رضى الله عنه فقال النبي صلى الله عليه و سلم : [2]البينة و إلا[2] حدا فى ظهرك ، قال : يا رسول الله ! إذا رآى أحدنا على امرأته رجلا ينطلق يلتمس البينة ؟ فجعل النبي صلى الله عليه و سلم يقول : البينة و إلا حدا فى ظهرك ، فقال هلال : و الذى بعثك بالحق ! إنى لصادق ، ٥ [3]و لينزلن[3] الله ما يبرئ ظهرى من الحد ، فنزل جبريل عليه السلام و أنزل عليه "و الذين يرمون ازواجهم" فقرأ حتى بلغ "ان كان من الصّدقين" فانصرف النبي صلى الله عليه و سلم فأرسل إليهما[4] ، فجاء هلال فشهد و النبي صلى الله عليه و سلم يقول : إن الله يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب؟ ثم قامت فشهدت ، فلما كانت عند الخامسة وقفوها و قالوا : ١٠ إنها موجبه ، فتلكأت[5] و نكصت حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت : لا أفضح قومى سائر اليوم . فمضت ، و قال النبي صلى الله عليه و سلم : أبصروها فان جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك ابن سحماء[6] ، فجاءت به كذلك ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم : لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى و لها شأن . و قد روى البخارى[7] أيضا ١٥ عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن سبب نزولها قصة مثل هذه لعويمر ، و قد تقدم أنه لايمتنع[8] أن / يكون للآية الواحدة عدة أسباب ٦٢٧/

(١) فى ظ : سجمه - خطأ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣ - ٣) فى الصحيح : فليزلن (٤) فى الصحيح : اليها (٥) فى مد : فتكلأت (٦) فى ظ : سحمه ، و فى مد : سمحا (٧) راجع الصحيح ٢/٦٩٤ (٨) فى ظ : لا يمنع .

معا أو متفرقة[1] .

و لما حرم الله سبحانه بهذه الجمل الأعراض و الأنساب ، فصان بذلك الدماء و الأموال ، علم أن التقدير : فلولا أنه سبحانه خير الغافرين و خير الراحمين ، لما فعل بكم ذلك ، و لفضح المذنبين ، و أظهر سرائر المستخفين ، ففسد النظام ، و أطبقتم على التهاون بالأحكام ، فعطف على هذا الذى علم تقديره قوله : ﴿و لو لا فضل الله﴾ أى بما[2] له من الكرم [3]و الجمال[3] ، و الاتصاف بصفات الكمال ﴿ عليكم و رحمته ﴾ أى بكم ﴿ و ان الله ﴾ أى الذى أحاط بكل شىء [4]علما و قدرة[4] ﴿ تواب ﴾ أى رجاع بالعصاة إليه ﴿ حكيم ﴾ يحكم الأمور فيمنعها من الفساد بما يعلم من عواقب الأمور ، لفضح كل عاص ، و لم يوجب أربعة شهداء سترا لكم ، و لأمر[5] بعقوبته بما توجبه معصيته ، ففسد نظامكم ، و اختل نقضكم و إبرامكم ، و نحو ذلك مما لايبلغ وصفه ، فتذهب النفس فيه كل مذهب ، فهو كما قالوا : رب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به . ثم علل ما اقتضته "لولا" من نحو : و لكنه لم يفعل ذلك إفضالا عليكم و رحمة لكم ، بقوله على وجه التأكيد لما عرف من حال كثير ممن غضب [6]لله و لرسوله[6] من إرادة العقوبة للآفكين بضرب الأعناق ، منبها لهم على أن ذلك يجر إلى مفسدة كبيرة : ﴿ ان الذين جاءو بالافك ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : متفرقا (٢) فى ظ : ما (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤ - ٤) فى مد : قدرة و علما (٥) فى ظ : الامر . (٦ - ٦) فى ظ : الله و رسوله .

أى أسوأ الكذب لأنه القول المصروف عن مدلوله إلى ضده ، المقلوب عن وجهه إلى قفاه ، و عرّف زيادة[1] تبشيع له فى هذا المقام ، حتى كأنه لا إفك إلا هو لأنه فى حق أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها و هى من أحق الناس بالمدحة لما[2] كانت عليه من الحصانة[3] و الشرف و العفة و الكرم ، فمن رماها بسوء فقد قلب الأمر عن أحسن وجوهه إلى أقبح أقفائه[4] ، و ترك تسميتها تنزيها لها عن هذا المقام[4] ، إبعادا لمصون[5] جانبها العلى عن هذا المرام[6] ﴿عصبة﴾ أى جماعة أقلهم عشرة و أكثرهم أربعون ، فهم لكونهم عصبة يحمى بعضهم لبعض فيشتد أمرهم ، لأن مدار مادة 'عصب'[7] على الشدة ، و هم مع ذلك ﴿منكم[8]﴾ أى ممن يعد عندكم[8] فى عداد المسلمين ، فلو[9] فضحهم الله فى جميع ما أسروه و أعلنوه ، و أمركم بأن تعاقبوهم بما يستحقون على ذلك ، لفسدت ذات البين ، بحمايتهم لأنفسهم و هم كثير ، و تعصّب أوِدّائهم لهم ، إلا بأمر خارق يعصم به من ذلك كما كشفت عنه[10] التجربة حين خطب النبى صلى الله عليه و سلم و قال : من يعذرنى من رجل بلغ أذاه فى أهلى ، حين كادوا يقتتلون لولا[11] سكنهم

(١) فى ظ : بزيادة (٢) فى ظ : مما (٣) فى ظ : الخصائص (٤) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الصون .
(٦) فى ظ : المقام (٧) زيد فى الأصل : تدور ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنكم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلولا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : عند (١١) من مد ، و فى الأصل : ملوكا ، و الكلمة ساقطة من ظ .

النبي صلى الله عليه و سلم ، فالله سبحانه برحمته بكم يمنع من كيدهم ببيان كذبهم ، و بحكمته يستر عليهم و يخيفهم[١] ، لتنحسم مادة مكرهم ، و تنقطع أسباب ضرهم[٢] .

و لما كان هذا مقتضيا للاهتمام بشأنهم ، أتبعه[٣] قوله ، تحقيرا لأمرهم
٥ مخاطبا للخلص و خصوصا النبي صلى الله عليه و سلم و أبو بكر و عائشة و أمها و صفوان بن المعطل رضى الله عنهم : ﴿ لا تحسبوه ﴾ أى الإفك ﴿ شرا لكم ﴾ [٤]أيها المؤمنون / بأن[٤] يصدقه أحد [٥]أو تنشأ[٥] عنه فتنة ﴿ بل هو خير لكم ﴾ بثبوت البراءة الموجبة للفخر الذى لا يلحق ، بتلاوتها على مر الدهور بألسنة من لا يحصى من العباد ، فى أكثر البلاد ، و تسلية
١٠ الرسول صلى الله عليه و سلم و الصديقين بذلك ، مع الثواب الجزيل ، بالصبر على مرارة هذا القيل ، و ثبوت إعجاز القرآن بعد إعجازه بالبلاغة بصدقه فى صيانة من أثنى عليها فى ذلك الدهر الطويل ، الذى عاشته[٦] مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و بعده إلى أن ماتت رضى الله تعالى عنها أتقى الناس ديانة ، و أظهرهم صيانة ، و أنقاهم عرضا ، و أطهرهم[٧]
١٥ نفسا ، فهو لسان صدق فى الدنيا ، و رفعة منازل[٨] فى الآخرة[٩] إلى غير

(١) فى ظ : يخفيهم (٢) فى ظ : ضربهم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتبعه (٤ - ٤) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : و ينشأ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عاشت (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطهرهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : منازله (٩) فى ظ و مد : الاخرى .

ذلك

ذلك من [١] الحكم، التى [١] رتبها بارئ النسم، من الفوائد الدينية و الأحكام و الآداب .

و لما كان لا شفاء لغيظ الإنسان أعظم من انتصار الملك الديان له، علل ذلك بقوله: ﴿لكل امرئ منهم﴾ أى الآفكين ﴿ما﴾ أى جزاء ما ﴿اكتسب﴾ بخوضه فيه ﴿من الأثم﴾ الموجب لشقائه، و صيغة الافتعال من 'كسب' تستعمل [٢] فى الذنب إشارة إلى أن الإثم يرتب [٣] على ما حصل فيه تصميم و عزم قوى صدقه العمل بما فيه من الجد و النشاط، و تجرد فى الخير إشارة إلى أن الثواب يكتب بمجرد فعل الخير بل و نيته ﴿و الذى تولى كبره﴾ أى معظمه باشاعته و المجاهرة به ﴿منهم له﴾ بما [٤] يخصه لإمعانه فى الأذى ﴿عذاب عظيم﴾ أى [٥] أعظم من عذاب الباقين، لأنهم لم يقولوا شيئا إلا كان عليه مثل وزره من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا، و قصة الإفك معروفة فى الصحيح [٦] و السنن و غيرها شهيرة جدا، و ذلك أن النبى صلى الله عليه و سلم غزى بنى المصطلق بعد ما أنزلت آية الحجاب، و كانت معه الصديقة [بنت الصديق - [٧]] زوجته أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها تحمل فى هودج لها [٨]، فافتقدت عقدا لها ليلة فرجعت إلى الموضع الذى تخلت

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: الختم الذى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: يستعمل (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ترتب (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: بما (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الصحيحين، و راجع حديث الإفك من المغازى (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ.

فيه فالتمسته ، فرحل النبي صلى الله عليه و سلم و حمل جمالوها هودجها و هم يظنونها[1] فيه ، فلما رجعت فلم تجد أحدا اضطجعت[2] مكان هودجها رجاء أن يعلموا بها فيرجعوا ، و كان صفوان بن المعطل [3]السلمى ثم[3] الذكوانى رضى الله عنه قد عرس من وراء الجيش ، فأصبح فى مكانهم ، فلما رآها

٥ - و كان راها قبل الحجاب - استرجع و أناخ راحلته فوطئ على يدها ، و لم يتكلم بكلمة غير استرجاعه ، فركبت أم المؤمنين رضى الله عنها ، ثم أقبل بها حتى لحق بالجيش و هم نزول فى نصف النهار ، فتكلم أهل الإفك فيهما رضى الله عنهما ، و كان من سمى منهم عبد الله بن أبى المنافق ، و زيد بن رفاعة ، و مسطح بن أثاثة ، و حمنة بنت جحش ،

١٠ و حسان بن ثابت ، قال عروة بن الزبير[4] : فى ناس آخرين لا علم لى بهم غير أنهم / عصبة كما قال الله تعالى . هكذا ذكروا حسان منهم و أنا / ٣٤٩ و الله لا أظن به[5] أصلا و إن جاءت تسميته فى الصحيح فقد يخطئ الثقة لأسباب لا تحصى ، كما يعرف ذلك من مارس نقد الأخبار ، و كيف يظن به ذلك و لا شغل له إلا مدح النبى صلى الله عليه و سلم

١٥ و المدافعة عنه و الذم لأعدائه و قد شهد رسول الله صلى الله عليه و سلم أن جبريل عليه السلام معه ، فأقسم بالله أن الذى أيده بجبريل[6] ما كان

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يظنون انها (٢) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل : الشملى .
(٤) راجع حديث الإفك - المغازى من صحيح البخارى (٥) زيد فى ظ : ذلك .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جبريل .

ليكله إلى نفسه فى مثل هذه الواقعة ، و قد سبقنى إلى الذب عنه الحافظ عماد الدين ابن كثير[1] الدمشقى رحمه الله و كيف لاينافح[2] عنه و هو القائل :

فان أبى و والده[3] و عرضى لعرض محمد منكم وقاء

و هو القائل يمدح عائشة رضى الله عنه و يكذب من نقل عنه ذلك : ٥

حصان[4] رزان ما تزن بريبة و تصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا و منصبا نبى الهدى و المكرمات الفواضل
عقيلة حى من لؤى بن غالب كرام المساعى مجدها غير زائل
مهذبة قد طيب الله خيمها و طهرها من كل شين[5] و باطل
[6]فان كان ما بلغت عنى قلته[6] فلا رفعت سوطى إلىّ أناملى[7] ١٠
و كيف و ودى ما حييت و نصرتى لآل رسول [الله -[8]] زين المحافل
له رتب عال على الناس فضلها[9] تقاصر عنها سورة المتطاول

و قال الحافظ أبو عمر[10] ابن عبد البر فى الاستيعاب[11] : و أنكر قوم أن يكون حسان خاض فى الإفك و جلد فيه ، و رووا[12] عن عائشة رضى الله عنها

(١) راجع تفسيره : ٣/٢٧٢ (٢) فى ظ : يكافح (٣) من ظ و مد و ديوان حسان ، و فى الأصل : والدتى (٤) من ظ و مد و الديوان و البحر المحيط ٦/٤٣٧ ، و فى الأصل : وزان (٥) فى الديوان : سوء (٦ - ٦) فى الديوان : فان كنت قد قلت الذى قد زعمتم (٧) من مد والديوان و البحر ، و فى الأصل : انامل ، و فى ظ : الانامل (٨) زيد من ظ و مد والديوان و البحر (٩) فى الديوان : كلهم (١٠) فى ظ : ابو عمرو - خطأ (١١) راجع ١ / ١٢٧ (١٢) من ظ و مد و الاستيعاب ، و فى الأصل : ورد .

أنها برأته من ذلك - انتهى . و استمر أهل الإفك فى هذا أكثر من شهر ، و الله تعالى عالم بما يقولون ، و أن قولهم [يكاد -[1]] يقطع أكباد أحب خلقه إليه[2] ، و هو قادر على تكذيبهم عند أول ما خاضوا فيه[3] ، و لكنه سبحانه أراد لناس[4] رفعة الدرجات ، و لآخرين الهلاك ، فيا لله ما لقى النبى صلى الله عليه و سلم و الصديق و آله رضى الله عنهم و كل من أحبهم و هم[5] خير الناس ، و الله سبحانه و تعالى يملى للآفكين و يمهلهم ، و كأن الحال لعمرى كما قال أبو تمام الطائى فى قصيدة :

كذا فليجل الخطب[6] وليفدح[6] الأمر وليس لعين لم يفض دمعها عذر

و حين سمعت عائشة رضى الله عنها بقول [أهل -[1]] الإفك سقطت مغشيا عليها و أصابتها حمى بنافض ، و استأذنت رسول الله صلى الله عليه و سلم فى إتيان بيت أبيها فأذن لها فسألت أمها عن الخبر ، فأخبرتها فاستعبرت و بكت ، و كان أبو بكر رضى الله عنه فى علية يقرأ فسمع حسها فنزل فسأل أمها فقالت : بلغها الذى ذكر من شأنها ، ففاضت عيناه ، و استمرت هى رضى الله عنها تبكى حتى ظنت أن البكاء فالق كبدها ، و ساعدتها على البكاء امرأة من / أولى الوفاء و المؤاساة و الكرم و الإيثار و معالى الشيم : الأنصار رضى الله عنهم ، فكانت تبكى معها ، و سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن عائشة رضى الله عنها جاريتها

/ ٦٣٠

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الله (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الناس (٥) فى ظ : هو (٦ - ٦) من ديوان الطائى ٣٦٨ ، و فى الأصل : او يقدح ، و فى ظ و مد : او يفدح .

بريرة رضى الله عنها فاستعظمت أن يظن فى عائشة رضى الله عنها مثل ذلك [١]و قالت[١]: سبحان الله ! و الله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر ، و خطب رسول الله صلى الله عليه و سلم [الناس على -[٢]] المنبر و استعذر ممن تكلم[٣] فى أهله و ما علم عليهم إلا خيرا ، و شهد رسول الله صلى الله عليه و سلم - و هو الصادق المصدوق - بصلاح صفوان بن المعطل رضى الله عنه [٤]و أنه[٤] ما علم عليه إلا خيرا ، فكاد الناس يقتتلون فسكنهم رسول الله صلى الله عليه و سلم ، ثم دخل بعد أن صلى العصر على عائشة رضى الله عنها و هى تبكى و الأنصارية معها[٥] فوعظها ، فأجابت و أجادت ، فأنزل الله على رسول الله صلى الله عليه و سلم فى ذلك المجلس فأخذه ما كان يأخذه[٦] من البرحاء ، قالت عائشة رضى الله عنها : فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فو الله ما فزعت و ما باليت ، قد عرفت أنى بريئة ، و أن الله غير ظالمى[٧] ، و أما أبواى فوالذى نفس عائشة بيده ! ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فرقا من أن يأتى الله بتحقيق ما قال الناس ، قالت : فرفع عنه و إنى لأتبين السرور فى وجهه و هو يمسح عن جبينه العرق و يقول : أبشرى يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك ، فكنت أشد ما كنت غضبا ، فقال لى أبواى : قومى إليه ! فقلت : و الله لا أقوم إليه

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقالت (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتكلم (٤-٤) فى ظ : فانه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : منها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ياخذ (٧) فى ظ : ظالم .

و لا أحمده و لا أحمدكما و لا أحمد إلا الله الذى أنزل براءتى ، لقد سمعتموه فما أنكرتموه و لا غيرتموه ، و أنزل الله تعالى "ان الذين جاؤا بالافك" العشر الآيات[1] كلها ، قالت عائشة رضى الله عنها : و [الله -[2]] ! إن الرجل الذى قيل له ما قيل ليقول : سبحان الله ! و الذى نفسى بيده ! ما كشفت كنف[3] أنثى قط . قالت : ثم قتل بعد ذلك شهيدا فى سبيل الله .

و لما أخبر سبحانه و تعالى بعقابهم ، و كان فى المؤمنين من سمعه فسكت ، و فيهم[4] من سمعه فتحدث[5] به متعجبا من قائله ، أو[6] مستثبتا فى أمره ، و منهم من كذبه ، أتبعه سبحانه بعتابهم ، فى أسلوب خطابهم ، مثنيا على من كذبه ، فقال مستأنفا محرضا : ﴿ لولآ ﴾ أى هلا و لم لا ﴿ اذ سمعتموه ﴾ أيها المدعون للايمان . و لما كان هذا الإفك قد تمالأ عليه رجال و نساء قال : ﴿ ظن المؤمنون ﴾ أى منكم ﴿ و المؤمنت ﴾ وكان الأصل : ظننتم[7] ، و لكنه التفت إلى الغيبة تنبيها على التوبيخ ، و صرح بالنساء ، و نبه على الوصف المقتضى لحسن الظن تخويفا للذى ظن السوء من سوء الخاتمة : ﴿ بانفسهم ﴾ حقيقة ﴿ خيرا لا ﴾ و هم دون من كذب عليها ، فقطعوا ببراءتها لأن الإنسان لا يظن بالناس[8] إلا ما هو متصف به أو باخوانهم ، لأن / المؤمنين كالجسد الواحد ، أو[9] ظنوا /٦٣١

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : آيات (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : كشف (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : منهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فحدث (٦) فى مد « و » (٧) زيد فى ظ : به (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى الناس (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » .

ما يظن بالرجل لو خلا بأمه، و بالمرأة إذا خلت بابنها[1]، فان نساء النبي صلى الله عليه و سلم أمهات المؤمنين ﴿و قالوا هذآ افك﴾ أى كذب عظيم خلف منكب على وجهه ﴿مبين ه﴾ أى واضح فى نفسه، موضح لغيره، و بيانه و ظهوره أن المرتاب يكاد يقول: خذونى، فهو يسعى فى التستر جهده، فاتيان صفوان بعائشة رضى الله عنها راكبة على جمله ٥ داخلا بها الجيش فى نحر[2] الظهيرة و الناس كلهم يشاهدون و رسول الله صلى الله عليه و سلم بين أظهرهم ينزل عليه الوحى، إدلالا بحسن عمله، غافلا عما يظن به أهل الريب، أدل دليل على البراءة و كذب القاذفين، و لو كان هناك أدنى ريبة لجاء كل منهما وحده على وجه[3] من التستر و الذعر، تعرف به[4] خيانته، فالأمور تذاق، ١٠ و لا يظن الإنسان بالناس إلا ما[5] فى نفسه، و لقد عمل أبو أيوب الأنصارى و صاحبته رضى الله عنهما بما أشارت إليه هذه الآية؛ قال ابن إسحاق[6]: حدثنى أبى إسحاق بن يسار عن بعض رجال بنى النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد رضى الله عنه قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب! ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة رضى الله عنها؟ قال: بلى[7] و ذلك الكذب، ١٥ أكنت يا أم أيوب فاعلة؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال[8]: فعائشة و الله خير منك. و روى البغوى[9] أنه قال: سبحانك هذا بهتان عظيم، فنزلت الآية[10] على وفق قوله رضى الله عنه. ثم علل سبحانه

(١) فى ظ: بابيها (٢) فى ظ: نحو (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: منه (٥) فى ظ: بما (٦) راجع سيرة ابن هشام ٢/١٧٣ (٧) فى ظ: بل (٨) فى ظ: قالت، (٩) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/٥٢ (١٠) زيد فى ظ و مد: الآتية،

بيان كذب الآفكين بأن قال موبخا لمن اختلقه و اذاعه ملقنا لمن ندبه إلى ظن الخير : ﴿ لولا ﴾ أى هلا و لم لا ﴿ جآءو ﴾ أى المفترون له أولا ﴿ عليه ﴾ إن كانوا صادقين ﴿ باربعة شهدآء ﴾ كما تقدم أن القذف لا يباح إلا بها .

٥ و لما تسبب عن كونهم لم يأتوا بالشهداء كذبهم قال[1] : ﴿ فاذ ﴾ أى فحين ﴿ لم ياتوا بالشهدآء ﴾ أى الموصوفين ﴿ فاولئك ﴾ أى البعداء من الصواب ﴿ عند الله ﴾ أى فى حكم الملك الأعلى ، بل و فى هذه الواقعة بخصوصها فى علمه ﴿ هم[2] الكذبون ﴾ [أى[3]] الكذب العظيم ظاهرا و باطنا .

١٠ و لما بين لهم باقامة الدليل على كذب الخائضين فى هذا الكلام أنهم استحقوا الملام ، و كان ذلك مرغبا لأهل التقوى ، بين أنهم استحقوا بالتقصير فى الإنكار عمومَ الانتقام فى سياق مبشر بالعفو ، فقال عاطفا على " و لولا " الماضية : ﴿ و لولا فضل الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ عليكم و رحمته ﴾ أى معاملته لكم بمزيد الإنعام ، الناظر

١٥ إلى الفضل و الإكرام ، اللازم للرحمة ﴿ فى الدنيا ﴾ بقبول التوبة و المعاملة بالحلم ﴿ و الأخرة ﴾ بالعفو عمن[4] يريد أن يعفو عنه منكم ﴿ لمسكم ﴾ أى عاجلا عموما ﴿ فى ما افضتم ﴾ [5]أى اندفعتم على أىّ وجه كان ﴿ فيه ﴾ بعضكم حقيقة ، و بعضكم مجازا بعدم الإنكار ﴿ عذاب عظيم ﴾ أى[6]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : نقال (٢) زيد فى ظ : فى علمه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عما (٥) زيد فى ظ : فيه (٦) زيد فى الأصل : عاجل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

يحتقر معه اللوم و الجلد، بأن يهلك فيتصل به عذاب الآخرة ؛ ثم بين
وقت حلوله / و زمان تعجيله بقوله : ﴿ اذ ﴾ أى مسكم حين ﴿ تلقونه ﴾ ٦٣٢/
أى تجتهدون فى تلق - أى قبول - هذا الكلام الفاحش و إلقائه[1]
﴿ بالسنتكم ﴾ باشاعة البعض و سؤال آخرين [و سكوت آخرين -[2]]
﴿ و تقولون ﴾ و قوله : ﴿ بافواهكم ﴾ تصوير لمزيد[3] قبحه ، و إشارة إلى ٥
أنه [قول -[4]] لاحقيقة له ، فلا يمكن ارتسامه فى القلب بنوع دليل ؛
و أكد هذا المعنى بقوله : ﴿ ما ليس لكم به علم ﴾ [أى -[5]] بوجه
من الوجوه ، و تنكيره للتحقير ﴿ و تحسبونه ﴾ بدليل سكوتكم عن
إنكاره ﴿ هينا ﴾ و هو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ عند الله ﴾ أى الذى لا يبلغ
أحد مقدار عظمته ﴿ عظيم ﴾ أى فى حد ذاته و لو كان فى غير أم ١٠
المؤمنين رضى الله عنها ، فكيف و هو فى جنابها المصون ، و هى زوجة
خاتم الأنبياء و إمام المرسلين عليه أفضل الصلاة و أفضل التسليم .

و لما بين فحشه و شناعته ، و قبحه و فظاعته ، عطف على التأديب
الأول فى[6] قوله "لولا اذ سمعتموه" تأديبا ثانيا فقال : ﴿ و لو لا اذ ﴾
أى[7] و هلا حين ﴿ سمعتموه قلتم ﴾ أى حين السماع من غير توقف ١٥
و لا تلعثم ، و فصل بين آلة[8] التحضيض و القول المحضض عليه بالظرف لأن
الظروف تنزل من الشىء منزلة نفسه[9] لوقوعه فيها ، و أنها لا انفكاك لها

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : القايله (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى مد : مزيد (٤) زيد من ظ (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من .
(٧) سقط من ظ (٨) بمعنى الأداة (٩) فى ظ : شبه .

عنه ، و لأن[1] ذكره منبه على الاهتمام به لوجوب المبادرة إلى المحضض عليه : ﴿ما يكون﴾ أى ما ينبغى و ما يصح ﴿لنآ ان نتكلم﴾ حقيقة بالنطق و لا مجازا بالسكوت عن الإنكار ﴿بهذا سبحٰنك﴾ أى بمثله [فى -[2]] حق أدنى الناس فكيف بمن[3] اختارها العليم الحكيم لصحبة أكمل الخلق ،

٥ ثم دللتم على شدة نفرتكم منه بأن وصلتم بهذا النفى [قولكم - [2]] : ﴿سبحٰنك﴾ تعجبا [4]من أن[4] يخطر بالبال ، فى حال من الأحوال .

و لما كان تنزيه الله تعالى فى مثل ذلك و إن كان للتعجب إشارة إلى تنزيه المقام الذى وقع فيه التعجب تنزيها عظيما ، حسن أن يوصل بذلك قوله تعليلا للتعجب و النفى : ﴿هذا بهتان﴾ أى كذب يبهت[5]

١٠ من يواجه به ، و يحيره لشدة ما يفعل فى القوى الباطنة ، لأنه فى غاية الغفلة عنه[6] لكونه أبعد الناس منه ؛ ثم هوله بقوله : ﴿عظيم ٥﴾ و المراد أن الذى ينبغى للانسان أولا أن لايظن باخوانه المؤمنين و لايسمع فيهم إلا خيرا ، فان غلبه الشيطان و ارتسم شىء من ذلك فى ذهنه فلا يتكلم به ، و يبادر إلى تكذيبه .

١٥ و لما كان هذا كله وعظا لهم و استصلاحا ، [7]ترجمه بقوله[7] : ﴿يعظكم الله﴾ أى يرقق قلوبكم الذى له الكمال كله فيمهل بحلمه ، و لايهمل بحكمته و علمه ، بالتحذير على وجه الاستعطاف : ﴿ان﴾ أى كراهة لأن[8]

---

(١) فى ظ : ان (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : من (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بان (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهبت (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : منه (٧-٧) فى ظ : برحمته (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان .

﴿ تعودوا لمثله ابدا ﴾ أى ما دمتم أهلا لسماع هذا القول ؛ ثم[1] عظم هذا الوعظ ، و ألهب سامعه بقوله : ﴿ان كنتم مؤمنين ۚ﴾ أى[2] متصفين بالإيمان راسخين فيه فانكم[3] لا تعودون ، فان عدتم فأنتم غير صادقين فى دعواكم الاتصاف به ﴿و يبين الله﴾ أى بما له من الاتصاف بصفات الجلال و الإكرام ﴿لكم الأيٰت[4] ﴾ أى العلامات الموضحة للحق و الباطل، ٥ من كل أمر دينى أو دنيوى ﴿و الله﴾ أى المحيط بجميع الكمال ﴿عليم ﴾ فثقوا ببيانه ﴿حكيم ۝﴾ لا يضع شيئا إلا فى أحكم مواضعه و إن دق عليكم فهم ذلك ، / فلا تتوقفوا فى أمر من أوامره ، و اعلموا أنه لم[4] يختر لنبيه ٦٣٣ / عليه الصلاة و السلام إلا الخلص من عباده ، على حسب منازلهم عنده ، و قربهم من قلبه . ١٠

و لما كان من أعظم الوعظ[5] بيان ما يستحق على الذنب من العقاب ، أدبهم تأديبا ثالثا أشد من الأولين ، فقال واعظا و مقبحا لحال الخائضين[6] فى الإفك [و ـ[7]] محذرا و مهددا : ﴿ ان الذين يحبون ﴾ عبر بالحب إشارة إلى أنه لا يرتكب هذا مع شناعته إلا محب له ، و لا يحبه إلا بعيد عن الاستقامة ﴿ان تشيع﴾ أى تنتشر [8]بالقول أو بالفعل[8] ﴿الفاحشة﴾ ١٥ أى الفعلة الكبيرة[9] القبيح ، و يصير لها[10] شيعة يحامون[11] عليها

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بانكم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٥) فى ظ : الواعظ .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخاريضين (٧) زيد من ظ و مد .
(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكثيرة .
(١٠) من ظ و مد ، و فى لأصل : بما (١١) فى ظ : تحاموا .

﴿ فى الذين آمنوا ﴾ و لو كانوا فى أدنى[1] درجات الإيمان فكيف [بمن -[2]] تسنم ذروته ، و تبوأ غايته ﴿ لهم عذاب اليم[3] ﴾ ردعا لهم عن إرادة إشاعة مثل ذلك لما فيه من عظيم الأذى ﴿ فى الدنيا ﴾ بالحد و غيره مما[3] ينتقم الله منهم به ﴿ و الأخرة[4] ﴾ فان الله يعلم هل كفر الحد عنهم جميع ٥ مرتكبهم أم[4] لا ﴿ و الله ﴾ أى المستجمع لصفات الجلال و الجمال ﴿ يعلم ﴾ أى [له -[2]] العلم التام ، فهو يعلم مقادير الأشياء ما ظهر منها و ما بطن و ما الحكمة فى ستره أو إظهاره أو غير ذلك من جميع الأمور ﴿ و انتم لاتعلمون ﴾ أى ليس لكم علم من أنفسكم فاعملوا[5] بما علمكم الله ، و لاتتجاوزوه تضلوا .

١٠ و لما ختم بالحكم عليهم بالجهل ، و كان التقدير كما أرشد إليه ما يأتى من العطف على غير معطوف : فلولا فضل الله عليكم و رحمته بكم لعجل هلاك المحبين لشيوع[6] ذلك بعذاب الدنيا ليكون موصولا بعذاب الآخرة ، عطف عليه قوله مكررا التذكير بالمنة بترك المعاجلة حاذفا الجواب[7] ، منبها بالتكرير و الحذف على قوة المبالغة و شدة التهويل : ١٥ ﴿ و لولا فضل الله ﴾ أى الحائز لجميع الجلال و الإكرام ﴿ عليكم و رحمته ﴾ بكم ﴿ و ان ﴾ أى و لولا أن ﴿ الله ﴾ أى الذى له القدرة التامة فسبقت رحمته غضبه ﴿ رءوف ﴾ بكم فى نصب ما يزيل[8] جهلكم بما يحفظ

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعلى (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : كما .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٥) فى ظ : فاعلموا (٦) زيد فى ظ : الفاحشة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : للجواب (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يريكم .

من

من سرائركم بارسال الرسل و إنزال الكتب [١]و نصب[١] الحدود ، الزاجرة عن الجهل ، الحاملة على التقوى ، التى هى ثمرة العلم ، فان الرأفة - كما تقدم فى الحج و غيرها - تقيم[٢] المرؤف به - لأنها ألطف الرحمة و أبلغها - على أقوم سنن حتى تحفظ بمسراها فى سره ظهور ما يستدعى العفو ، و تارة يكون هذا الحفظ بالقوة بنصب الأدلة ، و تارة يضم إلى ذلك ٥ الفعل بخلق الهداية فى القلب [بما للرؤف به من الوصلة[٣] بسهولة الانقياد و قوة الاستعداد - [٤]] ﴿ رحيم ﴾ بما يثبت لكم من الدرجات على ما منحكم به من ثمرات ذلك الحفظ من الأعمال المرضية ، و الجواب محذوف تقديره : لتركبكم فى ظلمات الجهل تعمهون ، فثارت[٥] بينكم الفتن حتى تفانيتم و وصلتم إلى العذاب الدائم[٦] بعد الهم اللازم . ١٠

و لما أخبرهم بأنه ما أنزل لهم هذا الشرع على لسان هذا الرسول الرؤف الرحيم إلا رحمة لهم ، بعد أن حذرهم موارد الجهل ، نهاهم عن التمادى فيه [٧]فى سياق[٧] معلم أن الداعى إليه الشيطان العدو ، فقال سارا لهم بالإقبال عليهم بالنداء : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان ﴿ لا تتبعوا ﴾ [٨] أى بجهدكم[٨] ﴿ خطوات ﴾ أى طرق ﴿ الشيطان ﴾ أى ١٥ لا تقتدوا به و لا تسلكوا مسالكه [التى يحمل على سلوكها بتزيينها - [٤]]

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بنصب (٢) من مد ، و فى الأصل : يعم - و فى ظ : تقدم (٣) فى ظ : الوصف (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : فتارة . (٦) فى ظ : القائم (٧-٧) فى ظ : بسياق (٨-٨) تأخر فى الأصل عن «مسالكه» س ١٦ ، و الترتيب من ظ و مد.

فى شىء من الأشياء، و كأنه أشار بصيغة الافتعال إلى العفو عن الهفوات .

/ و لما كان التقدير : فانه من يتنكب عن طريقه يأت بالحسنى ٦٣٤/
و المعروف ، عطف عليه قوله : ﴿و من يتبع﴾ أى بعزم ثابت من غير[1]
أن يكون مخطئا أو ناسيا ؛ و أظهر و لم يضمر لزيادة التنفير فقال :
﴿ خطوٰت الشيطٰن ﴾ أى[2] و[3] يقتد به يقع فى مهاوى الجهل الناشئ
عنها كل شر ﴿ فانه ﴾ أي الشيطان ﴿يامر بالفحشآء﴾ و هى ما أغرق
فى القبح ﴿ و المنكر[4] ﴾ و هو ما لم يجوزه الشرع ، فهو أولا يقصد
أعلى الضلال ، فان [4]لم يصل تنزل[4] إلى أدناه ، و ربما درج بغير ذلك ،
و من المعلوم أن من اتبع من هذا سبيله عمل بعمله[5] ، فصار فى غاية
السفول ، و هذا أشد [6]فى التنفير[6] من إعادة الضمير فى "فانه على من"
- و الله الموفق .

و لما كان التقدير : فلو لا فضل الله عليكم و رحمته لاتبعتم الشيطان
مع أمره بالقبائح ، عطف عليه قوله : ﴿ و لولا فضل الله ﴾ أى ذى[7]
الجلال و الإكرام ﴿ عليكم ﴾ أى بتطهير نفوسكم و رفعها عما تعشقه

(١) سقط من ظ (٢) زيد فى الأصل : لاتقتد و به اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يصل يتنزل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعلمه (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : على التنفير ، و فى ظ : بالتنفير (٧) فى ظ : ذو .

من الدنايا إلى المعالى ﴿ و رحمته ﴾ لكم با كرامكم و رفعتكم بشرع التوبة المكفرة لما جرّ إليه الجهل من ناقص الأقوال و سفساف الأفعال ﴿ ما زكى ﴾ أى طهر و نما ﴿ منكم ﴾ و أكد الاستغراق بقوله: ﴿ من احد ﴾ و عم الزمان بقوله: ﴿ابدا و لكن الله﴾ أى بجلاله و كماله ﴿ يزكى ﴾ [1]أى يطهر و ينمى[1] ﴿ من يشآء ﴾ من عباده، من ٥ جميع أدناس نفسه و[2] أمراض قلبه، و إن كان العباد و أخلاقهم فى الانتشار و الكثرة بحيث لايحصيهم غيره، [فلذلك زكى منكم من شاء فصانه عن هذا الإفك، و خذل من شاء -[3]] . ثم ختم الآية بما لاتصح التزكية بدونه فقال: ﴿و الله ﴾ [4]أى الذى له جميع صفات الكمال[4] ﴿سميع ﴾ أى [5]لجميع أقوالهم[5] ﴿ عليم ﴾ بكل ما يخطر فى بالهم، و ينشأ عنه من ١٠ أحوالهم و أفعالهم، فهو خبير بمن هو أهل للتزكية[6] و من ليس بأهل لها، فاشكروا الله على تزكيته لكم من الخوض فى [مثل -[3]] ما خاض فيه غيركم ممن خذله[7] نوعا من الخذلان، و اصبروا على ذلك منهم، و لاتقطعوا إحسانكم عنهم، فان ذلك يكون زيادة فى زكاتكم، و سببا لإقبال من علم فيه الخير منهم، فقبلت توبته، و غسلت حوبته، و هذا المراد ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: او.
(٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على «ثم ختم» س ٨، و الترتيب من ظ و مد (٥-٥) فى ظ: لجميع اقوالكم، و فى مد: لاقوالهم.
(٦) فى ظ: التزكية (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: خذلته.

من قوله : ﴿ ولا يأتل ﴾ أى يحلف مبالغا[1] فى اليمين ﴿ اولوا الفضل منكم ﴾ الذين جعلتهم بما آتيتهم من العلم و الأخلاق الصالحة أهلا لبر غيرهم ﴿ و السعة ﴾ أى بما أوسعت عليهم فى دنياهم .

و لما كان السياق و السباق و اللحاق موضحا للمراد،[2] لم يحتج إلى ذكر أداة النفى فقال : ﴿ان يؤتوآ﴾ ثم ذكر الصفات المقتضية للاحسان فقال : ﴿اولى القربى﴾ و عددها بأداة[3] العطف تكثيرا [لها -[4]] و تعظيما لأمرها ، و إشارة[5] إلى[6] أن صفة منها كافية فى الإحسان ، فكيف إذا اجتمعت ! فقال سبحانه : ﴿ و المسكين ﴾ أى الذين لايجدون ما يغنيهم و إن لم تكن لهم قرابة ﴿ و المهجرين ﴾ لأهلهم و ديارهم و أموالهم ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الذى عم[7] الخلائق بجوده لما له من الإحاطة بالجلال و الإكرام و إن انتفى عنهم الوصفان الأولان ، فان هذه الصفات مؤذنة بأنهم /ممن زكى الله ، و تعدادها - بجعلها علة للعفو[3] - دليل على أن الزاكى من غير المعصومين قد يزل ، فتدركه الزكاة بالتوبة فيرجع كما كان ، [و قد تكون الثلاثة لموصوف واحد لأن سبب نزولها مسطح رضى الله عنه ، فالعطف إذن للتمكن فى كل وصف منها -[4]] .

/ ٦٣٥

(١) فى ظ : متابعا (٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، ولم تكن فى مد فحذفناها . (٣) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشار (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم .

و لما

و لما كان النهى عن ذلك غير صريح فى العفو ، و كان التقدير : فليؤتوهم ، عطف عليه مصرحا بالمقصود قوله : ﴿ و ليعفوا ﴾ أى عن زللهم[1] بأن يمحوه و يغطوه بما يسبلونه عليه من أستار الحلم حتى لا يبقى له أثر . و لما كان المحو لا ينفى التذكر قال : ﴿ و ليصفحوا[4] ﴾ أى يعرضوا عنه أصلا و رأسا ، فلا يخطروه لهم على بال ليثمر ذلك الإحسان ، و منه الصفوح و هو الكريم .

و لما كانت لذة الخطاب تنسى كل عتاب ، أقبل سبحانه بفضله و منّه و طوله على أولى الفضل ، مرغبا فى أن يفعلوا بغيرهم ما يحبون أن يفعل بهم ، مرهبا من أن يشدد[2] عليهم إن شددوا فقال : ﴿ الا تحبون ﴾ أى يا أولى الفضل ﴿ ان يغفر الله ﴾ [أى -[3]] الملك الأعظم ﴿ لكم[4] ﴾ أى ما [4]قصرتم فى[4] حقه ، و سبب نزولها كما فى الصحيح[5] من حديث عائشة رضى الله عنها أن أباها رضى الله تعالى عنه كان حلف بعد ما برأ الله عائشة رضى الله عنها [أن -[3]] لا ينفق على مسطح ابن[6] خالته لكونه خاض من أهل الإفك ؛ و فى تفسير الأصبهانى[7] عن ابن عباس رضى الله عنهما[8] : أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر رضى الله عنهم أن لا يتصدقوا[9] على رجل تكلم بشىء من

(١) فى ظ : زلتهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسدد (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تصدتم من - كذا (٥) ٢/٦٩٨ .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٧) راجع كشف الظنون ١ / ٤٤٢ .
(٨) و الضحاك - كما فى المعالم - راجع اللباب ٥/٥٣ (٩) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : لا ينفقوا .

الإفك و لا ينفعوهم فأنزل الله هذه الآية . و ناهيك بشهادة الله جل جلاله للصديق بأنه من أولى الفضل فيا له من شرف ما أجلاه[1] ! و من سؤدد و فخار ما أعلاه ! و لا سيما و قد صدقه رضى الله عنه بالعفو عمن شنع على ثمرة فؤاده و مهجة كبده ، و هى الصديقة[2] زوجة خاتم المرسلين ، و خير الخلائق أجمعين ، و الحلف على أنه لا يقطع النفقة[3] عنه أبدا ، فيالله من أخلاق ما أبهاها ! و شمائل ما أطهرها و أزكاها ! و أشرفها و أسناها ! .

و لما كان الجواب قطعا كما أجاب الصديق[4] رضى الله عنه : بلى و الله ! إنا لنحب أن يغفر الله لنا ، و كان كأنه قيل : فاغفروا لمن أساء إليكم ، فالله حكم عدل ، يجازيهم على إساءتهم إليكم إن شاء ، و الله عليم شكور ، يشكر لكم ما صنعتم إليهم ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى مع قدرته الكاملة و علمه الشامل ﴿غفور رحيم ۝﴾ من صفته ذلك ، إن شاء يغفر[5] لكم ذنوبكم بأن يمحوها فلا يدع لها أثرا[6] و يرحمكم بعد محوها بالفضل عليكم كما فعلتم معهم ، فان الجزاء من جنس العمل .

و لما كان الختم بهذين الوصفين بعد الأمر بالعفو ربما جرأ على مثل هذه الإساءة ، وصل به مرهبا من الوقوع فى مثل ذلك قوله معمما للحكم : ﴿ ان الذين يرمون ﴾ أى بالفاحشة ﴿ المحصنت ﴾ أى اللائى جعلن

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : احلاه كذا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الصديقية (٣) فى ظ : المنفعة (٤) راجع اللباب ٥ / ٥٣ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : غفر (٦) فى ظ : اثر .

أنفسهن من العفة فى مثل الحصن . و لما كان الهامّ بالسيئ و المقدم عليه عالما بما يرمى[1] به منه ، جاعلا له نصب عينه ، أكد معنى الإحصان[2] بقوله : ﴿ الغفلٰت ﴾ أى عن السوء حتى عن مجرد ذكره . و لما كان وصف الإيمان حاملا على كل خير / [و - [3]] مانعا من كل سوء ، نبه على أن الحامل على الوصفين المتقدمين إنما هو التقوى ، و صرف[4] ما لهن من الفطنة إلى ما لله عليهن من الحقوق فقال : ﴿ المؤمنٰت ﴾ . ٦٣٦/

و لما ثبت بهذه الأوصاف البعد عن السوء ، ذكر جزاء القاذف كفًا عنه و تحذيرا منه بصيغة المجهول ، لأن المحذور "اللعن لا كونه" من معين ، و تنبيها على وقوع [اللعن -[3]] من كل من يتأتى منه فقال : ﴿ لعنوا ﴾ أى أبعدوا عن رحمة الله ، و فعل معهم فعل المبعد من الحد و غيره ﴿ فى الدنيا و الأخرة ص ﴾ ثم زاد فى تعظيم القذف لمن هذه أوصافها فقال : ﴿ و لهم ﴾ أى فى الآخرة ﴿ عذاب عظيم لا ﴾ و قيد بوصف الإيمان لأن قذف الكافرة[6] و إن كان محرما ليس فيه هذا المجموع ، و هذا الحكم و إن كان عاما فهو لأجل الصديقة[7] بالذات و بالقصد الأول و فيما فيه من التشديد الذى قل أن يوجد مثله فى القرآن من الإعلام

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يومى (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاحسان (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضرب . (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لالهن لالكونه - كذا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الآخرة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الصديقية .

بعلى قدرها ، و جلى أمرها ، فى عظيم فخرها . [ما -[1]] يجل[2] عن الوصف :
ثم أتبع [ذلك - [1]] ذكر اليوم الذى يكون فيه أثر ذلك على وجه
زاد الأمر عظما[3] فقال : ﴿يوم تشهد عليهم﴾ أى يوم القيامة فى ذلك
المجمع العظيم ﴿السنتهم﴾ إن رفعوا عن الكذب ﴿و ايديهم و ارجلهم﴾
٥ إن أنكرت ألسنتهم[4] كذبا و[5] فجورا ظنا أن الكذب ينفعها
﴿ بما كانوا يعملون ﴾ من هذا القذف و غيره ؛ ثم زاد فى التهويل
بقوله : ﴿ يومئذ ﴾ أى[5] إذ تشهد عليهم هذه الجوارح ﴿يوفيهم الله﴾
[أى -[1]] المحيط [6]بكل شىء[6] علما و قدرة و له[7] الكمال كله ﴿ دينهم ﴾
أى جزاءهم ﴿ الحق ﴾ أى الذى يظهر لكل أحد من أهل ذلك المجمع
١٠ العظيم أنهم يستحقونه[8] ، فلا يقدر أحد على نوع طعن فيه ﴿و يعلمون﴾
أى إذ ذاك ، لانقطاع الأسباب ، و رفع كل حجاب ﴿ ان الله ﴾
[أى -[1]] الذى له العظمة [المطلقة -[1]] ، فلا كفوء له ﴿ هو ﴾ أى
وحده ﴿ الحق ﴾ [أى -[9]] الثابت أمره [10]فلا أمر[10] لأحد سواه ،
﴿المبين ﴾ الذى لا أوضح من شأنه فى ألوهيته و علمه و قدرته و تفرده
١٥ بجميع صفات الكمال ، و تنزهه عن جميع سمات النقص ، فيندمون

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكل (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظيما (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انفسهم (٥) سقط من ظ . (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) زيد فى الأصل : الجمال و ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يستحقرونه . (٩) زيد من مد (١٠-١٠) من مد ، و فى الأصل . لا أمر ، وفى ظ . لامر .

على ما فعلوا فى الدنيا مما يقدح فى المراقبة و تجرى عليه الغفلة ؛ قال ابن كثير[١]: و أمهات المؤمنين أولى بالدخول فى هذا من كل محصنة لاسيما[٢] التى كانت سبب النزول ، و هى عائشة بنت الصديق رضى الله تعالى عنهما ، و قد أجمع العلماء قاطبة على أن[٢] من سبها بعد هذا و رماها بما[٣] رماها به [بعد هذا -[٤]] [٥]الذى ذكر[٥] فى هذه الآية ، فانه كافر [لأنه -[٦]] ٥ معاند للقرآن ، و فى بقية أمهات المؤمنين رضى الله عنهن قولان أصحهما[٧] أنهن كهى ، و الله أعلم - انتهى . و قد علم من هذه الآيات و ما سبقها من أول السورة و ما لحقها إلى آخرها أن الله تعالى ما غلظ فى شىء من المعاصى ما غلظ فى قصة الإفك ، و لاتوعد فى شىء ما توعد فيها ، و أكد و بشع ، / و وبخ و قرع ، كل ذلك إظهارا [٨]لشرف رسوله[٨] ١٠ / ٦٣٧ صلى الله عليه و سلم [و غضبا له -[٩]] و إعظاما لحرمته و صونا لحجابه .

و لما تضمن ما ذكر[١٠] من وصفه تعالى علمه بالخفيات ، أتبعه ما هو كالعلة لآية " الزانى لا ينكح الا زانية او مشركة " دليلا شهوديا على براءة عائشة رضى الله تعالى عنها فقال : ﴿ الخبيثت ﴾ أى من النساء و قدم [هذا -[٩]] الوصف لأن كلامهم فيه ، فاذا انتفى ثبت الطيب ١٥

(١) راجع تفسيره : ٢٧٦/٣ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد و التفسير ، و فى الأصل : فيما (٤) زيد من التفسير (٥ - ٥) من التفسير ، و فى الأصل : الذين ذموا ، و فى ظ و مد : الذين ذكروا - كذا (٦) زيد من ظ و مد و التفسير (٧) من ظ و مد و التفسير ، و فى الأصل : اصحهن (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لرسوله (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكره .

﴿ للخبيثين ﴾ أى من الرجال . و لما كان ذلك لايفهم أن الخبيث مقصور على الخبيثة قال: ﴿ و الخبيثون ﴾ أى من الرجال أيضا[1] ﴿ للخبيثت ج ﴾ أى من النساء .

و لما أنتج هذا[2] براءتها رضى الله عنها لأنها قرينة أطيب الخلق، أكده بقوله : ﴿ و الطيبت ﴾ أى منهن ﴿ للطيبين ﴾ أى منهم ﴿و الطيبون للطيبت ج﴾ بذلك قضى العليم الخبير أن كل شكل ينضم إلى شكله، و يفعل أفعال مثله ، و هو سبحانه قد اختار لهذا[3] النبي الكريم - لكونه أشرف خلقه - خلص عباده من الأزواج و الأولاد و الأصحاب "كنتم خير امة اخرجت للناس" «خيركم قرنى» وكلما ازداد[4] الإنسان منهم من قلبه صلى الله عليه وسلم قربا ازداد طهارة ، وكفى بهذا البرهان دليلا على براءة الصديقة رضى الله عنها ، فكيف و قد أنزل الله العظيم فى براءتها صريح كلامه القديم ، و حاطه من أوله و آخره بهاتين[5] الآيتين المشيرتين إلى الدليل العادى ، و قد تقدم عند آية "[6]الزانى" ذكر[6] لحديث[7] «الأرواح جنود[8] مجندة» و ما لاءمه[9]، لكنه لم يستوعب تخريجه ،

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : هذه (٣) فى ظ : انه .
(٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : زاد (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : بهذه .
(٦-٦) من ظ ، وفى الأصل : الزانى ذا ، و فى مد : الزنى ذكر - كذا .
(٧) من ظ ، و فى الأصل و مد : الحديث (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : جند (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : للايمة - كذا .

وقد خرجه مسلم فى الأدب[1] [من صحيحه -[2]] و أبو داود فى سننه[3] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، و ما تناكر منها اختلف. وفى رواية[4] عنه رفعها: الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا، و الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، و ما تناكر منها اختلف. و هذا الحديث [5]روى أيضا[5] عن عائشة [أم المؤمنين -[2]] رضى الله عنها و على بن أبى طالب و سلمان الفارسى [5]و عبد الله بن عباس[5] و عبد الله بن مسعود و عبد الله بن عمرو و عمرو بن عبسة[6] رضى الله عنهم، و قد علق البخارى فى صحيحه[7] حديث عائشة رضى الله عنها بصيغة الجزم، و وصله فى كتاب الأدب المفرد[8] وكذا الإسماعيلى فى المستخرج، و أبو الشيخ فى كتاب الأمثال، و تقدم عزوه إلى أبى يعلى، و لفظ حديث ابن عمر رضى الله عنهما: فما كان فى الله ائتلف، و ما كان فى غير الله اختلف - أخرجه أبو الشيخ فى الأمثال، و لفظ حديث ابن مسعود رضى الله عنه "فاذا التقت تشامّ[9] كما تشامّ[9] الخيل، فما[10] تعارف منها ائتلف -

(١) ٢/٣٣١ (٢) زيد من ظ و مد (٣) ٢/١٨٥ (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ايضاروى (٥ - ٥) سقط ما بين الرقين من ظ و مد، و الرواية واردة عن ابن عباس أيضا كما فى كشف الخفاء ١/١٢١ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: عينية - خطأ (٧) ١/٤٦٩ (٨) راجع فتح البارى ١٣/٢٢٣ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: تسام (١٠) فى الأصل: فيما - خطأ.

/٦٣٨ الحديث ، و أما حديث على رضى / الله عنه فرواه الطبرانى فى الأوسط
فى ترجمة محمد بن الفضل السقطى و أبو عبد الله بن منده فى كتاب الروح[1]
عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله
عنه لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : يا أبا الحسن ! ربما شهدت و غبنا
٥ و ربما شهدنا و غبت ، ثلاث أسألك عنهن هل عندك منهن علم ؟ قال
على : و ما هن ؟ قال : الرجل يحب الرجل و لم ير منه خيرا ، و[2] الرجل
يبغض الرجل و لم ير منه شرا ، فقال على رضى الله عنه : نعم ! سمعت
رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : إن الأرواح جنود[3] مجندة ،[4] فما
تعارف منها ائتلف ، و ما تناكر منها اختلف ، قال عمر : واحدة ، [قال -[5]] :
١٠ و الرجل يحدث الحديث إذ نسيه [فبينا هو و ما نسيه -[5]] إذ ذكره ؟
فقال على رضى الله عنه : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول :
[ما -[6]] من القلوب قلب إلا وله سحابة كسحابة القمر ، بينما [7]القمر مضىء[7]
إذ علته[8] سحابة فأظلم إذ[9] تجلت [فأضاء ، و بينا القلب يتحدث إذ
تجللته سحابة فنسى إذ تجلت -[5]] عنه فذكر ، فقال عمر رضى الله عنه :

---

(١) و كتاب ابن منده اسمه الكامل : كتاب النفس و الروح ، و الحديث قد ذكره عنه ابن قيم فى كتاب الروح ٤٤ و ما بعدها (٢) فى ظ : او (٣) من ظ و مد و الروح ، و فى الأصل : جند (٤) زيد فى الروح : تلتقى فى الهواء فتشام .
(٥) زيد من الروح (٦) زيد من ظ و مد و الروح (٧-٧) فى مد : يضىء .
(٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : غلبته ، و فى الروح : تجللته (٩) فى ظ : اذا .

اثنتان ، و قال : [و -[1]] الرجل يرى[2] الرؤيا[3] ، فمنها ما يصدق و منها[3] ما يكذب ؟ قال : نعم ! سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : ما من عبد [4]أو أمة[4] ينام فيستثقل[5] نوما إلا عرج بروحه إلى العرش ، [6]فالتى لا تستيقظ[6] [[7]إلا عند[7] العرش فتلك الرؤيا التى تصدق ، و[8] [9]التى تستيقظ[9] -[10]] دون العرش [11]فتلك الرؤيا[11] التى تكذب[12]، فقال عمر رضى الله عنه : ثلاث كنت فى طلبهن فالحمد لله الذى أصبتهن[13] قبل الموت - و كذا أخرج الطبرانى حديث سلمان كحديث أبى هريرة - رضى الله عنهم أجمعين ، و أنشدوا لأبى نواس [فى المعنى -[14]] :

إن القلوب لأجناد مجندة ... لله فى الأرض بالأهواء تعترف

فما تعارف منها فهو مؤتلف ... و ما تناكر منها فهو مختلف

و لما ثبت هذا كانت نتيجته قطعا : ﴿اولئك﴾ أى العالو الأوصاف بالطهارة و الطيب ﴿ مبرءون ﴾ ببراءة الله و براءة كل من له تأمل فى مثل هذا الدليل ﴿ مما يقولون[1] ﴾ أى القذفة الأخابث[10] لأنها لا تكون

(١) زيد من الروح (٢) من ظ و مد و الروح ، و فى الأصل : يروى .
(٣) سقط من ظ (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : و لا آمة ، و ليس ما بين الرقمين فى الروح (٥) فى الروح : يتملى - كذا (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل والروح : فالذى لا يستيقظ (٧ - ٧) فى الروح : دون (٨) زيد فى ظ و مد : الرويا ، و لم تكن الزيادة فى الروح فحذفناها (٩ - ٩) فى الروح : الذى يستيقظ (١٠) زيد من ظ و مد و الروح (١١ - ١١) فى الروح : فهى .
(١٢) من ظ و مد و الروح ، و فى الأصل : يكذب (١٣) من ظ و مد و الروح ، و فى الأصل : اعيتهن (١٤) زيد من ظ و مد (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاجانب .

زوجة أطيب الطيبين إلا و هي كذلك .

و لما أثبت لهم البراءة ، استأنف الإخبار بجزائهم فقال : ﴿لهم مغفرة﴾ أي لما قصروا فيه إن قصروا . و لما كان في معرض الحث على الإنفاق على بعض الآفكين[1] قال : ﴿و رزق كريم﴾ أي يحيون به حياة طيبة ، و يحسنون به إلى[2] من أساء إليهم[3] ، و لاينقصه ذلك لكرمه في نفسه بسعته و طيبه و غير ذلك من خلال[4] الكرم .

و لما أنهى سبحانه الأمر في براءة عائشة رضي الله عنها على هذا الوجه الذي كساها به [5]من الشرف[5] ما كساها ، و حلاها برونقه من مزايا [6]الفضل ما حلاها ، و كأن أهل الإفك قد فتحوا بافكهم هذا باب الظنون السيئة عداوة من[6] إبليس لأهل هذا الدين بعد أن كانوا في ذلك و في كثير من سجاياهم -[7]إذ كان[7] قانعا [منهم -[8]] بداء الشرك - على الفطرة الأولى ، أمر تعالى ردا لما أثار بوسواسه من الداء بالتنزه / عن مواقع التهم و التلبس بما يحسم[9] الفساد فقال : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي ألزموا أنفسهم[10] هذا الدين ﴿لا تدخلوا﴾ أي واحد[11] منكم ، و لعله

/ ٦٣٩

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : الاولين (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : على (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : عليهم (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : جلال (٥-٥) سقط ما بين الرقين من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ . (٧ - ٧) في ظ : اذا كانوا (٨) زيد من ظ و مد (٩) زيد في الأصل : هذا ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : انفسكم (١١) من مد ، و في الأصل و ظ . واحدا .

خاطب[1] الجمع لأنهم فى مظنة أن يطردوا[2] الشيطان بتزين[3] بعضهم بحضرة[4] بعض بلباس التقوى ، فمن خان[5] منهم منعه إخوانه ، فلم يتمكن منه شيطانه ، فنهى[6] الواحد من باب الأولى ﴿ بيوتا غير بيوتكم ﴾ [أى -[7]] التى هى سكنكم ﴿ حتى تستانسوا ﴾ أى تطلبوا بالاستئذان أن يأنس بكم من فيها و تأنسوا به ، فلو قيل له : من ؟ فقال : أنا[8] ، لم يحصل الاستئناس لعدم معرفته ، بل الذى عليه أن يقول : أنا فلان - يسمى نفسه بما يعرف به ليؤنس به فيؤذن له أو[9] ينفر منه فيرد ﴿ و تسلموا على[2] اهلها[2] ﴾ أى الذين هم سكانها و لو بالعارية منكم فتقولوا[10] : السلام عليكم ! أأدخل ؟ أو[11] تطرقوا[12] الباب إن كان قد لا يسمع الاستئذان ليؤذن لكم ﴿ ذلكم ﴾ الأمر العالى الذى أمرتكم به ﴿ خير لكم ﴾ مما كنتم تفعلونه من الدخول بغير إذن و من تحية الجاهلية ، لأنكم إذا دخلتم بغير إذن ربما[13] رأيتم ما يسوءكم ، و إذا استأذنتم لم تدخلوا على ما تكرهون[14] ، هذا فى الدنيا ، و أما فى الأخرى[15] فأعظم ، و قد روى أبو موسى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يخاطب (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تطروا - كذا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتزيين (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : لحضرة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : خاف (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : فهى (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٩) فى ظ : ان - كذا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيقولوا .
(١١) فى مد « و » (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطرق (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : وبما (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكرهون.
(١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الآخرة .

الأشعرى[1] رضى الله عنه[2] : إذا سلم ثلاثا فلم يجبه أحد فليرجع . وكان هذا إذا ظن أن صاحب البيت سمع .

ولما كان كل إنسان لاينفك عن أحوال [يكره -[3]] أن يطلع عليها أو تقطع[4] عليه ، قال : ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ أى لتكون[5] حالكم حال من يرجى أن يتذكر برجوعه إلى نفسه عند سماع هذا النهى ، فيعرف أن ما يسوءه من غيره يسوء غيره [منه -[3]] ، فيفعل ما يجب أن يفعل معه خوفا من المقابلة ، لأن الجزاء من جنس العمل ، وكل ما يجب عليه فى غير بيته يستحب[6] [له -[7]] فى بيته بنحو النحنحة ورفع الصوت بالذكر ونحوه على ما أشار إليه حديث النهى عن الطروق لكيلا يرى من أهله ما يكره .

ولما كان السكان قد يكونون غائبين ، والإنسان لكونه عورة لا يجب أن يطلع[8] غيره على جميع أموره ، قال : ﴿ فان لم تجدوا فيها ﴾ أى البيوت التى ليس بها سكناكم[9] ﴿ احدا ﴾ قد يمنعكم ، فالله يمنعكم منها ، تقديما لدرء المفاسد ﴿ فلا تدخلوها ﴾ [أى -[3]] أبدا

(١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٥٥ (٢) زيد فى الأصل : انه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : يقطع (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : ليكون (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : يستحيا (٧) زيد من مد (٨) زيد فى الأصل : عليه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) فى ظ : سكنى ، وفى مد : سكانكم .

﴿ حتى يؤذن لكم ج ﴾ من آذن ما باذن شرعى من الساكن أو غيره ، لأن الدخول تصرف فى ملك الغير أو حقه فلا يحل بدون إذنه . و لما كان كأنه قيل : فان أذن لكم فى شىء ما[1] استأذنتم فيه فادخلوا ، عطف عليه قوله : ﴿ و ان قيل لكم ﴾ من[2] قائل [ما إذا -[3]] استأذنتم فى[4] بيت فكان خاليا أو فيه أحد : ﴿ ارجعوا فارجعوا ﴾ أى و لا تستنكفوا من أن تواجهوا بما تكرهون من صريح المنع ، فان الحق أحق أن يتبع ، و للناس عورات و أمور لا يحبون اطلاع غيرهم عليها .

و لما كان فى المنع نقص يوجب غضاضة و وحرا فى الصدر ، وعد سبحانه عليه بما[5] يجبر ذلك ، فقال على طريق الاستئناف : ﴿ هو ﴾ أى الرجوع [المعين -[6]] ﴿ ازكى ﴾ أى أطهر و أنمى ﴿ لكم ج ﴾ فان فيه طهارة من غضاضة الوقوف على باب الغير ، و نماء بما يلحق صاحب البيت من الاستحياء عند امتثال أمره فى الرجوع مع ما فى ذلك عند الله . /٦٤٠

و لما كان التقدير : فالله يجازيكم على امتثال أمره ، و كان الإنسان[7] قد يفعل فى البيوت الخالية و غيرها من الأمور الخفية ما يخالف ما أدب [به -[6]] سبحانه بما صورته مصلحة و هو مفسدة ، عطف على ذلك المقدر قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الملك الأعلى . و لما كان المراد المبالغة فى العلم ، قدم الجار ليصير كما إذا سألت شخصا[8] عن علم شىء فقال لك : ما

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما (٢) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد ، غير أن « إذا » ليست فى ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٥) فى ظ : ما (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : الاتيان - خطأ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : شيخا .

أعلم غيره ، فقال : ﴿ بما تعملون ﴾ أي و إن التبس[1] أمره على أحذق الخلق ﴿ عليم ﴾ لا يخفى عليه شيء منه و إن دق ، فاياكم[2] و مشتبهات الأمور ، فاذا وقفتم للاستئذان فلا تقفوا تجاه الباب ، و لكن على[3] يمينه أو يساره ، لأن الاستئذان إنما جعل [4]من أجل[4] البصر ، و تحاموا النظر إلى الكوى التي قد ينظر منها أحد من أهل البيت ليعرف من على الباب : هل هو ممن يؤنس به[5] فيؤذن له . أو لا فيرد ، و نحو هذا من أشكاله مما لا يخفى على متشرع فطن[6] ، يطير طائر فكره في فسيح ما أشار إليه مثل قوله صلى الله عليه و سلم : إذا حدث الرجل فالتفت فهي أمانة - رواه أحمد[7] و أبو داود[8] و الترمذي[9] عن جابر رضي الله عنه .

و لما كان من الأماكن - التي [قد -[10]] لا يوجد بها أحد - ما يباح الدخول إليه لخلوه أو عدم[11] اختصاص النازل[12] به كالخانات و الربط ، أتبع ما تقدم التعريف بأنه[13] لم يدخل [14]في النهي فقال مستأنفا : ﴿ ليس عليكم جناح ﴾ أي [15]ميل بلوم[15] أصلا ﴿ ان تدخلوا بيوتا ﴾ كالخانات و الربط ﴿ غير مسكونة ﴾ ثم وصفها بقوله : ﴿ فيها متاع ﴾

(١) في ظ : المدبس (٢) تكرر في ظ (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : عن . (٤-٤) من ظ و مد ، و في الأصل : لاجل (٥) من ظ ، مد ، و في الأصل : منه (٦) من ظ ومد ، و في الأصل : نظن (٧) ٣/٣٢٤ و غيرها (٨) ٢/١٨٨ . (٩) ٢/٢٤٢ (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من مد ، و في الأصل : لعدم ، و في ظ : علم (١٢) من ظ ومد، و في الأصل: المنازل(١٣) تكرر في مد (١٤) العبارة من هنا إلى «و الربط» ساقطة من ظ (١٥-١٥) بياض في الأصل عياناه من مد .

أى استمتاع بنوع انتفاع[1] كالاستظلال[2] و نحوه ﴿ لكم[3] ﴾ و يدخل فيه المعد للضيف إذا أذن فيه صاحبه فى أول الأمر و وضع الضيف متاعه فيه ، لأن الاستئذان لئلا يهجم على ما يراد[4] الاطلاع عليه و يراد طيه[4] عن علم الغير ، فاذا لم يخف ذلك فلا معنى للاستئذان .

و لما كان التقدير : فالله لا [يمنعكم مما -[5]] ينفعكم ، و لا يضر غيركم، عطف عليه [قوله -[5]] : ﴿ و الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ يعلم ﴾ فى كل وقت ﴿ ما تبدون ﴾ [و أكد باعادة الموصول فقال -[5]] : ﴿ و ما تكتمون ﴾ تحذيرا من أن تزاحموا أحدا فى مباح بما يؤذيه و يضيق عليه، معتلّين بأصل الإباحة ، أو يؤذن لكم فى منزل فتبطنوا فيه الخيانة [فانه و إن -[5]] وقع الاحتراز من الخونة بالحجاب فلابد من الخلطة لما بنى عليه الإنسان من الحاجة إلى العشرة ، و لذلك اتصل به على طريق الاستئناف قوله تعالى ، مقبلا على أعلى خلقه فهما[6] و أشدهم لنفسه ضبطا دون بقيتهم ، إشارة إلى صعوبة الأمر و خطر المقام ، مخوفا[7] لهم بالإعراض عنهم ، بالتردى برداء الكبر ، و الاحتجاب فى مقام القهر : ﴿ قل للمؤمنين ﴾ فعبر بالوصف إشارة إلى عدم القدرة على الاحتراز من المخالط[8] بعد الخلطة ، و أنه لا يعف فيها إلا من رسخ الإيمان فى قلبه

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاستظلال (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لايراد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليه (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيهما (٧) فى ظ : تخوفا . (٨) فى ظ : المخالطة .

لخفاء الخيانة حينئذ بخلاف ما سبق فى المنع من الدخول حيث كان التعبير بـ «الذين آمنوا» ﴿يغضوا﴾ أى يخفضوا و لا يرفعوا ، بل يكفوا عما نهوا عنه .

و لما كان الأمر فى غاية العسر ، قال: ﴿من ابصارهم﴾ باثبات ٦٤١/ ٥ 'من' التبعيضية إشارة إلى العفو عن النظرة الأولى ، و أن المأخوذ / به إنما هو التمادى . و لما كان 'البصر بريد' الزنا قدمه .

و لما كان حفظ الفرج لخطر المواقعة أسهل من حفظ البصر ، و لأنه لا يفعل به من غير اختيار ، حذف 'من' لقصد العموم' فقال': ﴿و يحفظوا فروجهم'﴾ [أى -'] عن كل حرام من كشف و غيره ، ١٠ و لم يستثن' الزوجة' و ملك اليمين استغناء عنه بما سبق فى المؤمنون ، و لأن المقام للتهويل فى أمر الحفظ و التشديد ، و رغب' فى ذلك بتعليله بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العالى العظيم من كل من الغض و الحفظ الذى أمرتهم به ﴿ازكى لهم'﴾ أى أقرب إلى أن ينموا و يكثروا و يطهروا حسا و معنى ، و يبارك لهم ، أما الحسى فهو أن الزنا مجلبة' ١٥ للموت بالطاعون . و يورث الفقر و غيرهما من البلايا: ما من قوم ظهر فيهم الزنا إلا أخذوا بالسنة - رواه أحمد' عن عمرو بن العاص رضى الله عنهما'،

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : النظر يودى الى - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : التعميم (٣) فى ظ : قال (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لهم يستثن (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : رغبة . (٧) من ظ و مد . و فى الأصل : محلية (٨) فى مسنده : ٢٠٥/٤ بلفظ فيه الزنا

و رواه

و رواه غنـــه أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم فى كتاب الفتوح[1] و لفظه : ما من قوم يظهر فيهم[2] الزنا[3] إلا أخذوا بالفنا ، و ما من قوم يظهر فيهم الربا[4] إلا أخذوا بالسنة ، و ما من قوم يظهر فيهم الرشا إلا أخذوا بالرعب . الزنا يورث[5] الفقر - رواه البيهقى عن ابن عمر[6] رضى الله عنهما . إذا ظهر الزنا ظهر الفقر و المسكنة - رواه ابن ماجة و البزار - و هذا لفظه عن ابن عمر رضى الله عنهما - و البيهقى و لفظه : الزنا يورث الفقر . و فى رواية له[7] : ما ظهرت الفاحشة فى قوم قط يعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون و الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم . و رواه عنه ابن إسحاق فى السيرة فى سرية عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه إلى دومة الجندل[8] و لفظه : إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون و الأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ، و لم ينقصوا المكيال و الميزان إلا أخذوا بالسنين و شدة المؤنة وجور السلطان ، و لم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، فلولا البهائم ما مطروا ، و ما نقضوا عهد الله و عهد رسوله إلا سلط عليهم عدو[9] من غيرهم ، فأخذ بعض ما كان فى أيديهم ، و ما

(١) أى فتوح مصر و أخبارها - راجع منها ص ٢٤٩ (٢) من ظ و مد و الفتوح . و فى الأصل : منهم (٣) فى الفتوح : الربا (٤) فى الفتوح : الزنا (٥) مكرر فى ظ (٦) راجع مسند الفردوس رقم الحديث : ٦٥٧٨ . (٧) راجع سنن ابن ماجة ص ٣٠٠ (٨) راجع سيرة ابن هشام ٣/٨٨ و سنن ابن ماجة أيضا (٩-٩) من ظ و مد و السيرة ، و فى الأصل و السنن : سلط الله عليهم عدوا .

لم يحكم[1] أئمتهم بكتاب الله و تجبروا[2] فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم . و فى الترغيب للمنذرى عن ابن ماجة و البزار و البيهقى عنه رضى الله عنه نحو هذا اللفظ ، و فى آخر السيرة[3] عن أبى بكر رضى الله عنه فى خطبته عند ما ولى الخلافة : لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، و لا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء . و فى الموطأ[4] عن مالك عن[5] يحيى بن سعيد أنه بلغه عن ابن عباس رضى الله عنهما [أنه - [6]] قال : ما ظهر الغلول فى قوم [قط - [7]] إلا ألقى[8] فى قلوبهم الرعب ، و لا فشا الزنا فى قوم [قط - [7]] إلا كثر فيهم الموت ، و لا نقص قوم قط[9] المكيال و الميزان إلا قطع[8] عنهم الرزق ، و لا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم ، و لا خفر قوم بالعهد[10] إلا سلط[8] عليهم العدو . و روى الطبرانى[11] فى الأوسط عن / أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : إذا كثرت الفاحشة كثر الفساد و جار السلطان ، و فيه : أمثلهم فى[12] ذلك الزمان المداهن . إذا[13] ظهر الربا و الزنا فى قرية أذن الله فى هلاكها - رواه الطبرانى عن ابن عباس

/٦٤٢

(١) من مد و السيرة ، و فى الأصل و السنن : لم تحكم ، و فى ظ : لم - كذا .
(٢) من السيرة ، وفى الأصول : ينجزوا ، و فى السنن : يتخيروا (٣) ٣/١٠٢ .
(٤) ص ١٧٣ (٥) فى ظ : بن - خطأ (٦) زيد من ظ و مد و الموطأ (٧) زيد من الموطأ (٨) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و الموطأ فحذفناها (٩) ليس فى الموطأ (١٠) من ظ و مد و الموطأ ، وفى الأصل : العهد .
(١١) راجع مجمع الزوائد : ٥/٣٢٥ (١٢) من ظ ومد، وفى الأصل: من (١٣) من ظ ومد ، و فى الأصل : الا .

رضى الله عنهما ، و أما المعنوى فروى الإمام أحمد[1] عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة[2] ثم يغض بصره إلا أخلف[3] الله له عبادة يجد حلاوتها . قال ابن كثير[4] : و روى هذا مرفوعا عن ابن[5] عمر و حذيفة و عائشة رضى الله عنهم و لكن فى[6] أسانيدها ضعف . و ساق له شاهدا من الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه بلفظ : إن النظرة[7] سهم من سهام إبليس مسموم ، من تركها[8] مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه . فعلم من ذلك أن من تخلق[9] بما أمره[10] الله هنا كان قلبه موضعا للحكمة ، و فعله أهلا للنجح ، و ذكره مقرونا بالقبول .

و لما كان[11] الزكاء يتضمن التكثير و التطهير ، و كان الكلام هنا فى غض البصر ، و كان ظاهرا جدا فى الطهارة ، لم يدع داع إلى التأكيد بالتصريح بالطهارة . و أما آية البقرة[12] فلما كانت فى العضل ، و كان لا يكون [إلا -[13]] عن ضغائن و إحن[14] ، فكان الولى ربما ظن أن منعها عن عضلها عنه أطهر له و لها ، أكد العبارة بفعل الزكاء بالتصريح بما[15]

(١) فى مسنده ٥ / ٢٦٤ (٢) زيد فى المسند : أول مرة (٣) فى المسند : أحدث (٤) راجع تفسيره ٣ / ٢٨٢ (٥) فى التفسير : ابى (٦) سقط من ظ (٧) فى التفسير : النظر (٨) زيد فى الأصول : من ، و لم تكن الزيادة فى التفسير فحذفناها . (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : خلق (١٠) من ظ و مد ، و فى الاصل : امر . (١١) زيد فى الأصل : عدم الزنا فى ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٢) رقم ٢٣٢ (١٣) زيد من ظ و مد (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اخر (١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما .

أفهمه من الطهارة .

و لما كان المقام صعبا لميل النفوس إلى الدنايا و اتباعها للشهوات ، علل هذا الأمر مرغبا و مرهبا بقوله : ﴿ ان الله ﴾ [أى -[1]] الذى لا يخفى عليه شيء لما له من الإحاطة الكاملة ﴿ خبير ﴾ و لما كان وازع الحياء مع ذلك مانعا عظيما فلا يخالف إلا بمعالجة و تدرب ، عبر بالصنعة فقال : ﴿ بما يصنعون ﴾ أى و إن تناهوا فى إخفائه ، و دققوا فى تدبير المكر فيه .

و لما بدأ بالقومة من الرجال ، ثنى بالنساء فقال : ﴿ و قل للمؤمنت ﴾ فرغب أيضا بذكر هذا الوصف الشريف ﴿ يغضضن ﴾ [و لما كان المراد الغض عن بعض المبصرات و هم المحارم قال -[2]] : ﴿ من ابصارهن ﴾ فلا يتبعنها[3] النظر إلى منهى عنه من رجل أو غيره ، و أجابوا عن حديث[4] عائشة رضى الله عنها فى النظر إلى لعب الحبشة فى المسجد باحتمال أنها كانت دون البلوغ لأنها قالت : فاقدروا[5] قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو . ﴿ و يحفظن فروجهن ﴾ عما لا يحل لهن من كشف و غيره .

و لما كان [النساء -[2]] حبائل الشيطان ، أمرن بزيادة الستر بقوله ،

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : و لا يتبعها (٤) رواه البخارى فى صحيحه - باب نظر المرأة إلى الحبش و نحوهم من غير ريبة : كتاب النكاح (٥) فى ظ : و اقدروا .

ناهيا عن الزينة ليكون[1] النهى عن مواقعها من الجسد أشد و أولى؛ ﴿و لا يبدين زينتهن﴾ أى كالحلى و الفاخر من الثياب فكيف بما وراءها ﴿الا ما ظهر منها﴾ أى كان بحيث يظهر فيشق التحرز[2] فى إخفائه فيدل من غير قصد كالسوار[3] و الخاتم[4] و الكحل فانها[5] لا بد لها من مزاولة حاجتها بيدها و من كشف وجهها[6] فى الشهادة و نحوها. ٥

و لما كان أكثر الزينة فى الأعناق و الأيدى و الأرجل، و كان دوام ستر الأعناق أيسر و أمكن، خصها فقال: ﴿و ليضربن﴾ من الضرب، و هو وضع الشيء بسرعة و تحامل، يقال: ضرب فى عمله: أخذ فيه، و ضرب بيده إلى كذا: أهوى، و على يده: أمسك، و ضرب الليل بأرواقه: أقبل، و الضارب: الليل الذى ذهبت ظلمته / يمينا و شمالا ١٠ / ٦٤٣ و ملأت الدنيا، و الضارب: الطويل من كل شيء و المتحرك.

و لما كان المقصود من هذا الضرب بعض الخمار، و هو ما لاصق الجيب منه، عداه بالباء فقال: ﴿بخمرهن﴾ جمع خمار، و هو منديل يوضع على الرأس، و قال أبوحيان[7]: و هو المقنعة التى[8] تلقى المرأة على رأسها. ﴿على جيوبهن﴾ جمع جيب، و هو خرق الثوب الذى ١٥

(١) فى ظ: لايكون - خطأ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بالتحرز. (٣) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الخواتم (٥) فى ظ: و انها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: وجها (٧) فى البحر المحيط ٦/ ٤٤٣ (٨) من ظ و مد والبحر، و فى الأصل: الذى.

يحيط بالعنق، فالمعنى حينئذ: [1]يهوين بها[1] إلى ما تحت العنق و يسبلنها من جميع الجوانب و يطولنها سترا للشعر و الصدر و غيرهما مما هنالك، و كأنه اختير لفظ الضرب إشارة إلى قوة القصد للستر و إشارة[2] إلى العفو عما قد يبدو عند تحرك الخمار عند مزاولة[3] شيء من الخطل، قال أبو حيان[4]: و كان النساء يغطين رؤسهن بالأخرة و يسدلنها من ورائه الظهور فيبقى النحر و العنق و الأذنان لا ستر عليهن. و روى البخاري في التفسير[5] عن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول[6] لما نزلت "و ليضربن بخمرهن" شققن مروطهن - و في رواية: أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي - فاختمرن بها. يعني تسترن[7] ما قدام. و الإزار هنا[8] الملاء.

و لما كان ذكر الجيب ربما أوهم خصوصا في الزينة، عم بقوله: ﴿ولا يبدين﴾ أو[9] كرره لبيان [10]من يحل[10] الإبداء[11] له و من لا يحل، و للتأكيد ﴿زينتهن﴾ أي الخفية في أي موضع كانت من عنق أو غيره[12]،

(١ - ١) من ظ و مد، و في الأصل: تهوين لها (٢) من ظ و مد، و في الأصل: اشار (٣) في ظ: مناولة (٤) في البحر المحيط ٦/٤٤٨ (٥) ٢ / ٧٠٠. (٦) زيدت الواو في الأصل، ولم تكن في ظ ومد و الصحيح حذفناها (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: فسترن (٨) في ظ و مد: ههنا (٩) في ظ: اى، و العبارة من هنا إلى «من لا يحل» متكررة في الأصل ببعض المفارقات (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) العبارة من هنا إلى «و للتأكيد» ساقطة من ظ. (١٢) من ظ و مد، و في الأصل: غيرها.

و هى ما عدا الوجه و الكفين ، و ظهور القدمين ، [1] بوضع الجلباب ، و هو الثوب الذى يغطى الثياب و الخمار - قاله ابن عباس رضى الله عنهما . ﴿الا لبعولتهن﴾ أى أزواجهن ، فان الزينة لهم جعلت . قال أبو حيان[2] : ثم ثنى بالمحارم و سوى بينهم فى إبداء الزينة ، و لكن تختلف مراتبهم فى الحرمة بحسب[3] ما فى نفوس البشر [فالأب [4] و الأخ[4] ليس - [5]] كابن الزوج - انتهى . فقال تعالى : ﴿ او ابآئهن ﴾ أى فان لهم عليهن من الشفقة ما يمنع النظر بالشهوة و[6] مثلهم فى هذا المعنى سواء الأعمام و الأخوال و كل منهما والد[7] مجازا [بدليل[8] " و الٰه ابائك ابرٰهم و اسمٰعيل" - [9]] ﴿ او ابآء بعولتهن ﴾ فان رحمتهم لأولادهم مانعة ﴿ او ابنآئهن ﴾ [فان لهن [10] عليهن من الهيبة ما يبعد عن ذلك ﴿او ابنآء بعولتهن﴾ - [9]] فان هيبة آبائهم[11] حائلة ﴿ او اخوانهن ﴾ فان لهم من الرغبة فى صيانتهن عن العار ما يحفظ من الريبة[12] ﴿ او بنى ﴾ [عدل به عن جمع التكسير لئلا يتوالى أربع مضمرات من غير فاصل حصين فتنقص عذوبته - [9]] ﴿اخوانهن او بنى اخواتهن﴾ فانهم كأبنائهن ﴿او نسآئهن﴾ أى المسلمات ، و أما غير المسلمات فحكمهن حكم الرجال ؛

(١) العبارة من هنا إلى « رضى الله عنهما » متكررة فى الأصل بعد « وللتأكيد » ص ٢٦٠ س ١٣ (٢) فى البحر المحيط ٦/٤٤٨ (٣) من ظ و مد و البحر ، و فى الأصل : بسبب (٤-٤) ليس فى ظ و مد (٥) زيد من ظ و مد و البحر (٦) زيد فى ظ : فى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : و اكد (٨) سورة ٢ آية ١٣٣ (٩) زيد من ظ و مد (١٠) كذا (١١) فى ظ : آبائهن (١٢) من مد ، و فى الأصل : الزينة ، و فى ظ : الرتبة .

روى سعيد بن منصور فى سننه عن عمر رضى الله عنه[١] أنه كتب إلى أبى عبيدة رضى الله عنه ينهى عن دخول الذميات الحمام مع المسلمات، و قال: فانه لايحل لامرأة تؤمن بالله و اليوم الآخر أن ينظر إلى عورتها إلا أهل ملتها؛ و فى مسند عبد بن حميد نحوه[٢] عن ابن عباس رضى الله عنهما[٣]. ﴿او ما ملكت ايمانهن﴾ أى من الذكور و الإناث و إن كن غير مسلمات لما لهن عليهن[٤] من الهيبة، و حمل ابن المسيب الآية على الإماء فقط؛ قال أبو حيان[٣]: قال الزمخشرى: و هذا / هو الصحيح، ٦٤٤ / لأن عبد المرأة بمنزلة الأجنبى منها خصيا كان أو فحلا، و عن ميسون[٥] ابنة بحدل الكلابية أن معاوية رضى الله عنه دخل عليها[٦] و معه[٧] خصى فتقنعت منه فقال: هو خصى، فقالت: يا معاوية! أترى المثلة به[٨] تحلل ما حرم الله - انتهى. و قصة مابور[٩] ترد هذا، و قوله: الكلابية، قال شيخنا[١٠] فى تخريج الكشاف: صوابه: الكلبية - باسكان اللام. ﴿ او التابعين ﴾ أى للخدمة أو غيرها ﴿ غير اولى الاربة ﴾ أى الحاجة إلى الاستمتاع بالنساء ﴿ من الرجال ﴾ كالشيوخ الفانين و من بهم علة منعت شهوتهم، و كذا من كان ممسوحا[١١] لقصة مابور ﴿ او ﴾ من

(١) راجع روح المعانى ٦/٥٤ و المعالم بهامش اللباب ٥/٥٧ (٢) سقط من مد. (٣) راجع البحر المحيط ٦ / ٤٤٨ (٤) فى مد: عليهم (٥) من ظ و مد و البحر، و فى الأصل: مسرف - كذا (٦) فى ظ: عليها (٧) فى مد: معها (٨) ليس فى البحر (٩) راجع الإصابة ٦/١٣ (١٠) أى ابن حجر، وكان فى الأصل: سهما، و التصحيح من ظ و مد (١١) فى ظ: ممسوخا.

﴿الطفل﴾ أى جنسه ، و الطفل الصغير ما لم يبلغ الحلم أو خمس عشرة سنة ، و هو فى الأصل : الرخص الناعم من كل شىء ، و كأنه سمى بذلك لأنه يخرج ملتبسا[1] بالتراب الذى تأكله[2] الحامل ، قال فى القاموس[3] : و طَفِلَ النبت كفرح و طفل بالضم تطفيلا : أصابه التراب ، و الطفال ، كغراب و سحاب : الطين اليابس . قال القزاز : و يسميه أهل نجد الكلام[4] ، و العامة تقول لجنس[5] منه : طفل . ﴿ الذين لم يظهروا ﴾ أى لم يعلوا[6] بالنظر المقصود للاطلاع ﴿على عورٰت النسآء﴾ لعدم بلوغ سن الشهوة لذلك .

و لما نهى عن الإظهار . نبه على أمر خفى منه فقال : ﴿ولا يضربن بارجلهن﴾ أى و الخلاخيل و غيرها من الزينة فيها . و لما كان ذلك لمطلق الإعلام ، بناه للمفعول فقال : ﴿ ليعلم ما يخفين ﴾ أى بالساتر الذى أمرن به ﴿ من زينتهن[4] ﴾ بالصوت الناشىء من الحركة عند الضرب المذكور ، و فى معنى ذلك التطيب ، و النهى عن ذلك يفهم النهى[7] عن موضعه من الجسد من باب الأولى .

و لما انهى[8] سبحانه ما أمره صلى الله عليه و سلم بالتقدم فيه إلى الرجال و النساء ، و كان من المعلوم أن العبد الحقير المجبول على الضعف

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : متلبسا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما كد.
(٣) ٤/٧ (٤) بالضم - كما ذكره فى تاج العروس عن ابن دريد [كلم] (٥) فى ظ : الجنس (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يعلموا (٧) فى ظ : المنهى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : نهى .

الموجب للتقصير لن يقدر على أن يقدر المولى العلى الكبير حق قدره و إن أبلغ فى الاجتهاد و زاد فى التشمير ، أتبعه التلطف بالإقبال عليهم فى الأمر باقبالهم إليه إشارة إلى أن الأمر فى غاية الصعوبة ، و أن الإنسان لكونه محل الزلل و التقصير - و إن اجتهد - لا يسعه إلا إحسان الرحيم الرحمن ، فقال : ﴿ و توبوآ الى الله ﴾ أى ارجعوا إلى طاعة الملك الأعلى مهما حصل منكم[1] زيغ كما كنتم تفعلونه[2] فى الجاهلية ﴿جميعا﴾ رجالكم و نساؤكم ﴿ ايّه المؤمنون ﴾ و التعبير بالوصف إشارة إلى علو مقام التوبة بأنه[3] لا يقدر على ملازمتها إلا راسخ القدم فى الإيمان ، عارف بأنه - و إن بالغ فى الاجتهاد - واقع فى النقصان ، [و هذا الأمر للوجوب ، و إذا كان للراسخين فى الإيمان فمن دونه من باب الأولى -[4]] ﴿لعلكم تفلحون ٥﴾ أى لتكونوا على رجاء [من -[4]] الفوز بالمطلوب[5] الذى مضى أول سورة المؤمنون تعليقه بتلك الأوصاف التى منها رعاية الأمانة و لاسيما فى الفروج ؛ [قال الغزالى فى كتاب التوبة[6] من الإحياء : إن الإنسان من حيث جبل على النقص لا يخلو عما يوجب عليه التوبة ، فان خلا فى بعض الأحوال عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب ، فان[7] خلا عنه فلا يخلو عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله ، فان خلا[8] عنه فلا يخلو عن غفلة

(١) من ظ ومد ، و فى الأصل : لكم (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : تفعلون . (٣) فى ظ : فانه (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المطلوب (٦) ٤/٧ (٧) فى مد : فلا (٨) سقط من مد .

و قصور فى العلم بالله و صفاته و أفعاله . و كل ذلك نقص ، و له أسباب ، و ترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها[1] رجوع عن طريق إلى ضده ، و المراد بالتوبة الرجوع[2] ، و لايتصور الخلو فى حق الآدمى عن هذا النقص ، و إنما يتفاوتون فى المقادير -[3]] .

و لما تقدم سبحانه إلى عباده فى الأمور العامة للأحوال و الأشخاص ٥ فى الزنا و أسبابه ، فحكم و قرر ، و وعظ و حذر ، أتبعه أسباب العصمة التى هى نعم العون على التوبة فقال مرشدا : ﴿ و انكحوا الايامى ﴾ مقلوب أيايم جمع أيم ، وزن فعيل من آم ، عينه ياء ، و هو العزب ذكرا كان أو أنثى ثيبا أو بكرا ﴿ منكم ﴾ أى من أحراركم[4] ، و أغنى لفظ الأيم عن / ذكر الصلاح لأنه لايقال لمن قصر عن درجة النكاح ١٠ / ٦٤٥ ﴿ و الصلحين ﴾ أى للنكاح ﴿ من عبادكم و امآئكم[5] ﴾ أى أرقائكم الذكور و الإناث ، احتياطا لمصالحهم و [صونا لهم عن الفساد - [6]] امتثالا لما ندب إليه حديث[6] « تناكحوا تكاثروا[7] فانى أباهى بكم الأمم يوم القيامة » .

و لما كان للزواج[8] كلف يهاب لأجلها ، لما طبع الآدمى عليه من ١٥ الهلع[9] فى قلة الوثوق بالرزق ، أجاب من كأنه قال : قد يكون الإنسان

(١) من الإحياء ، و فى الأصول : باضداده (٢) فى الإحياء ، رجوع (٣) زيد من ظ و مد و الإحياء (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : حواركم (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تناسلوا ، و فى رواية عبد الرزاق : تكثروا - راجع كنوز الدقائق (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الزواج (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الهلح - كذا .

غير قادر لكونه معدما[1]. بقوله : ﴿ ان يكونوا ﴾ أى كل من ذكر من حر أو عبد ، [2] و التعبير[3] بالمضارع يشعر بأنه قد يكون فى النكاح ضيق[3] و سعة ﴿فقرآء﴾ أى من المال ﴿يغنهم الله﴾ أى الذى له الكمال كله[4] ، إذا تزوجوا ﴿ من فضله[5] ﴾ لأنه [قد -[5]] كتب لكل نفس رزقها[6]

٥ فلا [7]يمنعكم فقرهم[7] من إنكاحهم ، و عن ابن أبى حاتم عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه [أنه قال : أطيعوا الله فيما أمركم به من -[8]] النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنا . و قال البغوى[9] : قال عمر رضى الله عنه :[10] عجبت لمن يبتغى[11] الغنا بغير النكاح - و قرأ هذه الآية . و عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : التمسوا الغنى [12]فى النكاح[12] ،

١٠ و تلا هذه الآية - رواه ابن جرير[13] . و لأحمد[14] و [الترمذى[15] و -[5]] النسائى[16] و ابن ماجة[17] عن أبى هريرة رضى الله عنه رفعه : ثلاثة حق على الله عونهم : الناكح يريد العفاف ، و المكاتب يريد الأداء ، و الغازى

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : مقدما (٢-٢) فى ظ : فالتعبير (٣) فى ظ : فى . (٤) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : رزقا (٧-٧) فى ظ : يمنعها فقركم . (٨) زيد من ظ و مد و كنز العمال ٨ / ٢٨٥ (٩) راجع المعالم على هامش اللباب ٥/٦٠ (١٠) العبارة من هنا إلى « الغنا بغير » متكررة فى الأصل بعد « الصديق رضى الله عنه » س ٦ (١١) فى المعالم : ابتغى (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٣) راجع من تفسيره الجزء ١٨/ ٨٨ (١٤) فى مسنده ٢/ ٤٣٧ . (١٥) ١/ ٢١٠ (١٦) ٢/ ٥٧ (١٧) ١/ ٨٤ .

فى

فى سبيل الله . و يؤيده ما فى الصحيح[1] من حديث الواهبة نفسها حيث زوجها رسول الله صلى الله عليه و سلم لمن [لم - [2]] يجد و لا خاتما من حديد .

و لما كان التقدير : فالله ذو فضل عظيم ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ [أى -[2]] ذو الجلال و الإكرام ﴿ واسع عليم ﴾ أى[3] فهو بسعة قدرته ٥ يسوق ما كتبه للمرأة على يد الزوج ، و بشمول علمه يسبب[4] أسبابه .

و لما أمر سبحانه بما يعصم من الفتنة من غض البصر [ثم - [2]] بما يحصن من النكاح[5] ، و جرأ[6] عليه بالوعد بالإغناء[7] ، و كان هذا الوعد فيما بعد النكاح ، و قدم الكلام فيه ترغيبا للانسان فى التوكل و الإحصان ، و كان قبله ما قد يتعذر لأجله إما بعدم وجدان المهر و ما يطلب منه تقديمه ، ١٠ أو بعدم رضى العبد و غيره بكون[8] ولده رقيقا أو غير ذلك ، أتبعه قوله حاثا على قمع النفس الأمارة عند العجز : ﴿ و ليستعفف ﴾ أى يبالغ فى [طلب - [2]] العفة [و إيجادها - [2]] عن الحرام ﴿ الذين لا يجدون نكاحا ﴾ أى قدرة عليه و باعثا[9] إليه ﴿ حتى يغنيهم الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ﴿ من فضله ﴾ فى ذلك الذى ١٥

(١) ٢/٧٦٧ (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بسبب (٥) زيد فى الأصل : و وعد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جو (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاعتنا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : و يكون . (٩) فى ظ : باحثا .

تعذر عليهم النكاح بسببه .

و لما كان من جملة الموانع كما تقدم[1] خوف الرق على الولد لمن له من الرقيق همة علية ، و نفس أبية ، أتبعه قوله : ﴿و الذين يبتغون﴾ أى يطلبون طلبا عازما ﴿الكتب﴾ أى المكاتبة ﴿مما ملكت ايمانكم﴾ ذكرا كان أو أنثى ؛ و عبر بـ «ما» إشارة[2] إلى ما فى الرقيق من النقص ﴿فكاتبوهم﴾ أى ندبا لأنه معاوضة تتضمن[3] الإرفاق على [ما -[4]] يؤدونه إليكم منجما ، فاذا أدوه عتقوا ﴿ان علمتم فيهم خيرا﴾ أى تصرفا صالحا فى دينهم و دنياهم لئلا يفسد حالهم بعد الاستقلال بأنفسهم ؛ قال ابن كثير[5] : و روى أبو داود فى كتاب المراسيل عن يحيى بن / أبى كثير قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن علمتم فيهم[6] حرفة[7] و لا ترسلوهم كلا على الناس - انتهى . و لعله عبر بالعلم فى موضع[8] الظن لذلك ﴿و اتوهم﴾ وجوبا إذا أدوا إليكم ﴿من مال الله﴾ [أى -[4]] الذى عم[9] كل شىء بنعمته[10] ، لأنه الملك الأعظم ﴿الذى اتاكم﴾ و لو بحط شىء من مال الكتابة .

٦٤٦/

و لما أمر سبحانه بالجود فى أمر الرقيق تارة بالنفس ، و تارة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقدم (٢) فى ظ : اشار (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتضمن (٤) زيد من ظ و مد (٥) راجع تفسيره ٣ / ٢٨٧ . (٦) فى ظ : فيهن (٧) من مد و التفسير ، و فى الأصل : حرفة ، و فى ظ : خيرفه - كذا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : مواضع (٩) زيد فى الأصل : جوده ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : نعمة .

بالمال ، نهاهم عما ينافيه فقال : ﴿ و لا تكرهوا فتيتكم ﴾ اى إماءكم ، و لعله عبر بلفظ الفتوة هزا لهم إلى معالى الأخلاق ، و تخجيلا من طلب الفتوة[1] من أمة ﴿ على البغآء ﴾ أى الزنا لتأخذوا[2] منهن مما يأخذنه[3] من ذلك .

و لما كان الإكراه على الزنا لايصح إلا عند العفة ، و كان ذلك نادرا من أمة ، قال : ﴿ان﴾ بأداة الشك ﴿اردن تحصنا﴾ و فى ذلك زيادة تقبيح للاكراه على هذا الفعل حيث كانت النساء مطلقا يتعففن[4] عنه مع أنهن مجبولات على حبه ، فكيف إذا لم يمنعهن مانع خوف أو حياء كالإماء ، فكيف إذا أذن لهن فيه ، فكيف إذا ألجئن إليه ، و أشار[5] بصيغة التفعل و ذكر الإرادة إلى أن ذلك لا يكون إلا عن عفة بالغة ، و زاد فى تصوير التقبيح بذكر علة التزام هذا العار[6] فى قوله : ﴿لتبتغوا﴾ أى تطلبوا طلبا حثيثا فيه رغبة قوية باكراههن على هذا الفعل الفاحش ﴿ عرض الحيوة الدنيا[1] ﴾ فان العرض متحقق فيه الزوال ، و الدنيا مشتقة من الدناءة .

و لما نهى سبحانه عن الإكراه ، رغب الموالى[7] فى التوبة عند المخالفة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : القوة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لياخذوا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ياخذونه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لعصص - كذا (٥) فى ظ : اشارة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : العام (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الوالى .

فيه فقال : ﴿ و من يكرههن ﴾ دون أن يقول[1] : و إن أكرهن ، و عبر بالمضارع إعلاما بأنه[2] يقبل التوبة ممن خالف بعد نزول الآية ، و عبر بالاسم العلم فى قوله : ﴿ فان الله ﴾ إعلاما بأن الجلال غير مؤيس من الرحمة ، و لعله عبر بلفظ « بعد » إشارة إلى[3] العفو عن الميل إلى ٥ ذلك الفعل عند مواقعته إن[4] رجعت إلى الكراهة بعده ، فان النفس لا تملك بغضه حينئذ ، فقال: ﴿ من بعد اكراههن غفور ﴾ أى لهن و للموالى[5] ، يستر ذلك الذنب إن تابوا ﴿ رحيم ٥ ﴾ بالتوفيق للصنفين[6] إلى ما يرضيه .

و لما أتم سبحانه هذه الآيات فى براءة عائشة رضى الله عنها ١٠ و مقدماتها و خواتيمها ، قال عاطفا على [قوله -[7]] أولها " و انزلنا فيها آيٰت بينٰت لعلكم تذكرون " : ﴿ و لقد انزلنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ترغيبا لكم و ترهيبا ﴿ اليكم ﴾ أى لتتعظوا ﴿ آيٰت مبينٰت ﴾ مفصل فيها[8] الحق من[9] الباطل ، موضح[10] بالنقل و العقل[10] بحيث صارت لشدة[11] بيانها تبين هى لمن تدبرها طرق الصواب كما أوضحنا[12] ذلك لمن يتدبره[13]

(١) فى مد : تقول (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٣) زيد بعده فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى (٥) فى ظ : الموالى (٦) فى ظ : للصفين (٧) زيد من ظ و مد . (٨) فى ظ : عنها (٩) فى ظ : عن (١٠ - ١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالعقل و النقل (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : شدة (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوضحا (١٣) فى ظ : تدبره .

فى

فى براءة عائشة رضى الله تعالى عنها و ما تقـــدمهـا [1] و تتبعها مما هو صلاحـــكم فى الدين و الدنيا ﴿ و مثلا ﴾ أى و[2] شبها بأحوالكم ﴿ من الذين خلوا من قبلكم ﴾ أى من [3]أحوالهم بما[3] أنزل الله[4] إليهم فى التوراة فى أحوال المخالطة و الزنـا و قذف الأبرياء كيوسف و مريم عليهما السلام و تبرئتهم[5] كما قدمت [6]كثيرا منه[6] فى سورة المائدة و غيرها ٥ مما صار فى حسن سبكه[7] فى هذا الكتاب، و بديع حبكه عند أولى الألباب، كالأمثال السائرة / ، و الأفلاك الدائرة ﴿ و موعظة للمتقين ﴾ / ٦٤٧ بما فيه من الأحكام و الفواصل المنبئة[8] عن العلل المذكرة[9] بما يقرب من الله زلفى، و ينور القلب، و يوجب الحب و الألفة، و يذهب وحر الصدر؛ ثم علل إنزاله لذلك على هذا السنن الأقوم، و النظم ١٠ المحكم، بقوله: ﴿ الله ﴾ أى[10] الذى أحاطت قدرته و علمه ﴿ نور ﴾ أى ذو نور ﴿ السمٰوٰت و الارض ﴾ لأنه[11] مظهرهما [12]بإيجادهما و أيجاد[12] أهلهما و هاديهم بالتنوير بالعـــلم الجاعل صاحبه بهدايته [13] إلى الصراط المستقيم كالماشى فى نور الشمس، لايضع [شيئا فى غير موضعه كما

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يقدمها (٢) سقطت الواو من مد (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: احوالكم مما (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: توبتهم (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: منه كثيرا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: سبله (٨) من مد، و فى الأصل: المثبتة، و فى ظ: المنبئة - كذا (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: المذكورة (١٠) سقط من مد. (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: لانها (١٢ - ١٢) فى مد: بايجاد (١٣) زيد فى الأصل: هاديا مهديا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

أن الماشى فى النور لايضع - [1]] رجلا فى غير موضعها اللائق بها ، و لا شك أن النور[2] هو ما به تظهر الأشياء و تنكشف ، فهو سبحانه مظهرهما ، و هما و ما فيهما دال على ظهوره ، و أنه تام القدرة شامل العلم حاوٍ لصفات الكمال ، منزه عن شوائب النقص ، و فى آخر الشورى ما ينفع جدا هنا .

و لما كان من المحال أن يضل عن نور هو ملء الخافقين أحد من سكانهما ، بين وجه خفائه مع ظهور ضيائه و اتساعه و قوة شعاعه ، حتى ضل عنه أكثر الناس ، فقال مبينا باضافة النور إلى ضميره أن الإخبار عنه بالنور مجاز لاحقيقة ، منبها على أن آياته الهادية[3] تلوح خلال الشبهات الناشئة عن الأوهام الغالبة على[4] الخلق التى هى كالظلمات ﴿ مثل نوره ﴾ أى الذى هدى به إلى سبيل الرشاد فى خفائه عن بعض الناس مع شدة ظهوره ، و هو آياته الدالة عليه من أقواله و أفعاله ﴿ كمشكوة ﴾ أى مثل كوة أى[5] خرق لكن غير نافذ فى جدار ؛ قال البغوى[6] : فان كان لها منفذ فهى كوة .

و لما كان دخل المشكاة فى هذا المثل خفيا فقدمها تشويقا[7] إلى شرحه ، أتبعه قوله[8] شارحا له : ﴿ فيها مصباح[1] ﴾ أى سراج ضخم ثاقب ،

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيدت الواو فى ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : النارية (٤) فى ظ و مد : عن (٥) سقط من ظ (٦) فى المعالم - راجع هامش اللباب ٥/٦٣ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تشريفا (٨) وقع فى الأصل بعد « شارحا له » و الترتيب من ظ و مد .

و هو الذبالة - أى الفتيلة - الضخمة المتقدة ، من الصباح الذى هو نور الفجر ، و المصباح الذى هو الكوكب الكبير ؛ قال البغوى[1] : و أصله[2] الضوء - انتهى . فاذا كان[3] فى المشكاة اجتمعت أشعته[4] فكان أشد إنارة ، و لو كان فى فضاء لافترقت أشعته ؛ و أتى ببقية الكلام استئنافا على تقدير سؤال تعظيما له فقال: ﴿ المصباح فى زجاجة[5] ﴾ أى قنديل . ٥

و لما كان من الزجاج ما هو فى غاية الصفاء ، بين أن هذه منه فقال : ﴿ الزجاجة كأنها ﴾ أى فى شدة الصفاء ﴿ كوكب ﴾ [6]شبهه به[6] دون الشمس و القمر لأنهما يعتريهما الخسوف ﴿ درىّ ﴾ أى متلألئ[6] بالأنوار فانه إذا كان فى زجاجة صافية[7] انعكست الأشعة المنفصلة عنه من بعض جوانب الزجاجة إلى بعض لما فيها من[8] الصفاء و الشفيف ١٠ فيزداد[9] النور [و يبلغ النهاية -[10]] كما أن شعاع الشمس إذا وقع على ماء أو زجاجة صافية تضاعف النور حتى أنه[11] يظهر فيما يقابله مثل ذلك النور ؛ و الدرى - قال الزجاج[12]: مأخوذ من درأ / - إذا اندفع منقضا فتضاعف[13] نوره . /٦٤٨

(١) فى المعالم - راجع هامش اللباب ٥/٦٣ (٢) زيد فى المعالم : من (٣) فى ظ : كانت (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اسعة (٥-٥) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : متلالا - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيه (٨) سقط من مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : و يزداد (١٠) زيد من ظ و مد (١١) سقط من ظ (١٢) ذكر قوله هذا فى اللباب ٥/٦٣ و ٦٤ غير معزو إليه (١٣) فى اللباب : فيتضاعف.

و لما كان من المصابيح أيضا ما يكون نوره ضعيفا بين أن هذا ليس كذلك فقال: ﴿ يوقد[١] ﴾ أى المصباح، بأن اشتد وقده . و لما كان هذا الضوء يختلف باختلاف ما يتقد فيه، فاذا كان دهنا[٢] صافيا خالصا كان شديدا، و كانت الأدهان التى توقد ليس فيها ما يظهر فيه الصفاء كالزيت لأنه ربما بلغ فى الصفاء و الرقة مبلغ الماء مع زيادة بياض و شعاع يتردد فى أجزائه، قال: ﴿من شجرة﴾ أى زيتها ﴿مبركة﴾ أى عظيمة الثبات[٣] و الخيرات يطيب منبتها ﴿ زيتونة ﴾ .

و لما كان الزيت[٤] يختلف باختلاف شجرته[٥] فى احتجابها عن الشمس[٥] و بروزها لها، لأن[٦] الشجر ربما ضعف و خبث[٧] ثمره بحائل[٨] بينه و بين الشمس، بين أن هذه الشجرة ليست كذلك فقال: ﴿ لا شرقية ﴾ أى ليست منسوبة إلى الشرق وحده، لكونها [بحيث - [٩]] لا يتمكن منها

(١) فى المعالم: قرأ أبوجعفر و ابن كثير و أبو عمرو و يعقوب: توقد - بالتاء و فتحها و فتح الواو و الدال و تشديد القاف على الماضى يعنى المصباح أى اتقد، يقال: توقدت النار - إذا اتقدت، و قرأ أهل الكوفة غير حفص: توقد - بالتاء و ضمها و فتح القاف خفيفا - يعنى الزجاجة، أى نار الزجاجة لأن الزجاجة لا توقد، و قرأ الآخرون بالياء و ضمها خفيفا - يعنى المصباح (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: هنا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: النبات (٤) سقط من مد (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: باحجابها من الثمن (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: كان (٧) من مد، و فى الأصل: جنت، و فى ظ: يخبث. (٨) من مد، و فى الأصل: بحامل، و فى ظ: تخايل (٩) زيد من ظ و مد .

الشمس إلا عند الشروق [لكونها -[1]] فى لحف جبل [يظلها -[1]] إذا تضيفت[2] الشمس للغروب ﴿ و لاغربية[1] ﴾ لأنها فى سفح جبل يسترها من الشمس عند الشروق[3] . بل هى بارزة للشمس من حين[4] الشروق إلى وقت الغروب ، ليكون ثمرها أنضج فيكون زيته[5] أصفى ، قال البغوى[6] : هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عكرمة و الكلبى و الأكثرين . ٥ فهى[7] لزكاء عنصرها ، و طهارة منبتها ، و بروزها للشمس و الرياح ، بحيث ﴿ يكاد زيتها ﴾ لشدة صفائه ﴿ يضىء و لو لم تمسسه نار[1] ﴾ .

و لما علم من هذا أن لهذا الممثل به أنوارا[8] متظاهرة بمعاونة[9] المشكاة و الزجاجة و المصباح و الزيت ، فلم يبق مما يقوى نوره و يزيده[10] إشراقا ، و يمده باضاءة نقية ، قال فى الممثل له : ﴿ نور على نور[1] ﴾ أى أن ١٠ العلم الربانى[11] عظيم الاتساع كلما سرحت فيه النظر[12] ، و أطلقت عنان الفكر ، أتى بالغرائب و لا يمكن أن يوقف له على حد .

و لما كان الإخبار عن مضاعفة هذا النور موجبا لاعتقاد أنه لايخفى عن أحد ، أشار إلى أنه - بشمول علمه و تمام قدرته - يعمى عنه من يريد مع شدة ضيائه ، و عظيم لألائه ، فقال : ﴿ يهدى الله ﴾ [أى -[1]] ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) أى مالت ، و فى ظ : خصفت (٣) فى ظ : الشرق . (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : حيث (٥) فى ظ : زيتها - كذا (٦) فى المعالم - راجع هامش اللباب ٥/٦٤ (٧) سقط من ظ (٨) فى الأصل وظ : انوار (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمكادنة (١٠) فى ظ : يزيدهم (١١) فى ظ : الترياقى - كذا ، خطأ (١٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : التطهر .

بعظمته المحيطة بكل[1] شيء ﴿لنوره من يشآء[4]﴾ كما[2] هدى الله من هدى من المؤمنين لتبرئة[3] عائشة رضى الله عنها قبل إنزال براءتها. بكون[5] الله اختارها لنبيه صلى الله عليه و سلم، و لا يختار له إلا طيبا طاهرا و ما شاكل ذلك، و علم أن قسيم ذلك «و يضل الله عن نوره من يشاء» و علم أن وجه كونه ضل[6] عنه [أكثر الناس -[6]] إنما هو ستر القادر له بنقص فى حس[7] من يريد سبحانه إضلاله، لا لنقص فى النور[8] كما قال الشاعر[8] :

والنجم تستصغر الأبصار صورته[9] فالذنب[10] للطرف لا للنجم فى الصغر

كما سيأتى إيضاح ذلك عند قوله تعالى "ألم تر الى ربك كيف مد الظل"، و مر آنفا فى حديث على رضى الله عنه فى الأرواح[11] ما ينفع ههنا.

و لما كان كأنه قيل: ضرب الله هذا المثل لكم لتدبروه فتنتفعوا به، عطف عليه قوله: ﴿و يضرب الله﴾ [أى -[6]] بما له [من الإحاطة -[6]] بكمال القدرة و شمول العلم ﴿الامثال[12] للناس[4]﴾ لعلمه

(١) من ظ و مد. و فى الأصل: لكل (٢) سقط من مد (٣) فى ظ: كتبرئة. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لكون (٥) فى مد: اضل (٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: حسن (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩) من ظ و مد و نظم الدرر ١/٩، و فى الأصل: رويته. (١٠) من نظم الدرر، و فى الأصول: و الذنب (١١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (١٢) تقدم فى الأصل على «أى بما له» و الترتيب من ظ و مد.

بها ، تقريبا للأفهام ، لعلهم يهتدون ﴿والله﴾ [أي[1]] الذى له جميع صفات الكمال ﴿بكل شيء﴾ أى منها / و من غيرها ﴿عليم﴾ يبين[2] كل شيء [بما[3]] يسهل سبيله [4]فثقوا بما يقول[4] ، و إن لم تفهموه فاتهموا أنفسكم و أمعنوا[5] النظر فيه يفتح لكم سبحانه ما انغلق منه . ٦٤٩ /

و لما كان كأنه قيل : فأى[6] شيء يكون هذه المشكاة ؟ قال شافيا لهى هذا السؤال : ﴿ فى بيوت ﴾ أى فى جدران بيوت ، لجمع دلالة على أن المراد بالمشكاة الجنس لا الواحد ، و فى وحدتها و وحدة آلات النور إشارة إلى عزته جدا ﴿اذن الله﴾ أى مكن بجلاله فأباح و ندب و أوجب ﴿ان ترفع﴾ حسا[6] فى البناء ، و معنى باخلاصها للعمل الصالح ، من كل رافع أذن له سبحانه فى ذلك ، فعلى المرء إذا دخلها أن يتحصن[7] من العدو بما رواه أبو داود[8] عن عبد الله بن عمرو[9] رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه كان إذا دخل المسجد قال : أعوذ بالله العظيم ، و بوجهه الكريم ، و سلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم . قال عقبة بن مسلم : فاذا قال ذلك قال الشيطان : حفظ منى سائر اليوم .

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بين (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فتقوى بما يقوك - كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : امتعنوا (٥) فى مد : اى (٦) فى ظ : حثا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : نتحصن (٨) راجع سننه ١/٤٨ (٩) من مد و السنن ، و فى الأصل و ظ : عمر .

﴿و يذكر﴾ من كل ذاكر أذن له سبحانه[1] ﴿فيها اسمه﴾ اى [ذكرا -[2]] صافيا عن شوب ، و خالصا عن[3] غش ﴿ يسبح ﴾ أى يصلى و ينزه ﴿ له ﴾ [أى -[2]] خاصة ﴿فيها بالغدو﴾ أى الابكار ، بصلاة الصبح ﴿و الأصال﴾ أى العشيات ، بقية الصلوات ، فيفتحون أعمالهم و يختمونها[4] بذكره ليحفظوا فيما بين ذلك و يبارك لهم فيما يتقلبون[5] فيه ، و جمع الأصيل لتحقق أن المراد الظهر و العصر و المغرب و العشاء ؛ قال البغوى[6] : لأن اسم الأصيل يجمعها . ﴿رجال﴾ أىّ رجال ﴿ لا تلهيهم تجارة ﴾ أى بيع أو[7] شرى أو غيرهما ، يظهر لهم فيها ربح .

و لما كان الإنسان قد يضطر إلى الخروج بالبيع عن بعض ما يملك للاقتيات [بثمنه -[2]] أو[8] التبلغ به[9] إلى بعض المهمات التى لا وصول له إليها إلا به ، [أو بتحصيل ما لا يملك كذلك مع أن البيع فى التجارة أيضا هو الطلبة الكلية لأنه موضع تحقق الربح الذى لا صبر عنه -[2]] ، قال : ﴿و لا بيع ﴾ أى و إن لم يكن على وجه التجارة ، و البيع يطلق بالاشتراك على التحصيل الذى هو الشرى و على الإزالة ﴿عن ذكر الله﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام مطلقا بصلاة و غيرها ، فهم [فى -[2]]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : شىء منه - مصحفا (٢) زيد من ظ و مد .
(٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : من (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : يختمون .
(٥) فى ظ : يتقلبونه (٦) فى المعالم على هامش اللباب ٥/ ٦٦ (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : اى (٨) فى ظ : « و » (٩) سقط من ظ .

كل وقت فى شهود و مراقبة لمن تعرف إليهم[1] بصفات الكمال ﴿ و ﴾ لا يلهيهم ذلك عن ﴿ اقام الصلوٰة ﴾ التى هى طهرة الأرواح ، أعادها بعد ذكرها بالتسبيح تصريحا بها تأكيدا لها و حثا على حفظ [2]وقتها لأنه[2] من جملة مقوماتها[3] و كذا جميع حدودها و لو بأوجز ما يكون من أدنى الكمال - بما أشار إليه حرف التاء إشعارا بأن هذا المدح[4] لا يتوقف على أنهى الكمال ﴿ و ﴾ لا عن ﴿ ايتآء الزكوٰة ﴾ التى هى زكاء[5] الأشباح و نماؤها ، و خص الرجال مع أن حضور النساء المساجد سنة شهيرة ، إشارة إلى أن صلاتهن فى بيوتهن أفضل لما روى أبو داود فى سننه[6] و ابن خزيمة فى صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : صلاة المرأة فى بيتها أفضل من [صلاتها فى -[7]] حجرتها ، و صلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها . و المخدع : الخزانة . و للامام أحمد[8] و الطبرانى[9] و ابن خزيمة و الحاكم[10] عن أم سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : خير مساجد النساء قعر بيوتهن . و لأحمد[11] و ابن خزيمة و ابن حبان فى صحيحيهما عن أم حميد امرأة أبى حميد الساعدى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اليه (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكرها كانه (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : مقدماتها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المنع (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : زكاة (٦) ١/ ٥٩ (٧) زيد من ظ و مد و السنن (٨) راجع مسنده ٦ / ٢٩٧ (٩) راجع مجمع الزوائد ٢/ ٣٣ (١٠) راجع المستدرك ١/ ٢٠٩ (١١) راجع مسنده ٦ / ٣٧١ .

٦٥٠ / رضى الله عنهما أنها قالت : يا رسول الله ! إنى أحب الصلاة / معك ، قال : قد علمت أنك تحبين الصلاة معى ، و صلاتك فى بيتك خير من صلاتك [فى حجرتك ، و صلاتك فى حجرتك خير من صلاتك -[1]] فى دارك ، و صلاتك فى دارك خير من صلاتك فى مسجد قومك ، و صلاتك فى مسجد قومك خير من صلاتك فى مسجدى ، قال[2] : فأمرت فبنى لها مسجد فى أقصى بيت[3] من بيتها[4] و أظلمه ، فكانت[5] تصلى فيه حتى لقيت الله عز و جل .

و لما وصف الرجال المذكورين بما وصفهم به[6] ، ذكر علة فعلهم لذلك زيادة فى مدحهم فقال : ﴿ يخافون يوما ﴾ و هو يوم القيامة ، هو بحيث ﴿ تتقلب فيه ﴾ أى لشدة هوله ، تقلبا ظاهرا - بما أشار إليه إثبات التائين[7] ﴿ القلوب و الأبصار ﴾ أى بين طمع فى النجاة و حذر من الهلاك ، و يمكن أن يقال : المشاكى - و الله أعلم - هى المساجد ، و الزجاج هى[8] الرجال ، و المصابيح هى القلوب ، و تلألؤها ما تشتمل عليه من المعانى الحاملة على الذكر ، و الشجرة الموصوفة هى

(١) زيد من المسند (٢) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل : قالت (٣) كذا فى الأصول و مجمع الزوائد ٢ /٣٤ حيث ذكر الحديث عن الإمام أحمد ، و فى المسند : شىء (٤) زيد فى الأصل : بين بيوتها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و المسند فحذفناها (٥) من المسند ، وفى الأصول : وكانت (٦) سقط من ظ . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : التساى - كذا (٨) فى ظ : من .

مثال الأبدان ، التى صفاها الله من الأدران ، و طبعها[1] على الاستقامة ، و الزيت مثال لما وضع سبحانه فيها من جميل الأسرار ، و قد ورد فى بعض الأخبار أن المساجد لأهل السماوات[2] كالنجوم [لأهل الأرض -[3]] ، و فى معجم الطبرانى فى الأوسط[4] عن ابن عمر رضى الله عنهما : "كمشكاة[5]" قال : جوف محمد صلى الله عليه و سلم ، و الزجاجة قلبه ، و[6] المصباح النور[7] الذى فى قلبه ، و الشجرة إبراهيم عليه السلام ، "لا شرقية و لا غربية": لا يهودى و لا نصرانى.

و لما بين تعالى أفعال هؤلاء الرجال التى أقبلوا بها عليه . و أعرضوا عما عداه ، بين غايتهم فيها فقال : ﴿ليجزيهم﴾ أى يفعلون ذلك ليجزيهم ﴿الله﴾ [أى فى دار كرامته بعد البعث -[3]] بعظمته و جلاله ، و كرمه وجماله ﴿احسن ما عملوا﴾ أى جزاءه ، و يغفر لهم سيئه ﴿و يزيدهم من فضله[8]﴾ على العدل من الجزاء ما لم يستحقوه - كما هى عادة أهل الكرم .

و لما كان التقدير : فان الله لجلاله ، و [9]عظمته و كماله[9] ، لا يرضى أن يقتصر[9] فى جزاء المحسن على ما يستحقه [فقط -[3]] ، عطف عليه بيانا لأن قدرته و عظمته لا حد لها قوله : ﴿و الله﴾ [أى -[3]] الذى

(١) فى ظ : طبها (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : السماء (٣) زيد من ظ ومد .
(٤) راجع مجمع الزوائد ٧/٨٣ (٥) سقط من ظ (٦) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد و المجمع فحذفناها (٧) زيد فى ظ : اى (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : كرمه و عظمته (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقص .

لا كفوء له فلا[1] اعتراض عليه ﴿يرزق من يشآء﴾ . و لما كان المعنى : رزقا يفوق الحد، و يفوت العد ، عبر عنه بقوله : ﴿ بغير حساب ﴾ فهو كناية عن السعة ، و يجوز أن يكون مع السعة التوفيق ، فيكون بشارة بنفي الحساب فى الآخرة أيضا أصلا و رأسا ، لأن ذلك المرزوق لم يعمل ما فيه درك عليه فلا يحاسب ، أو يحاسب و لا[2] يعاقب ؛ فيكون المراد بنفي الحساب نفي[3] عسره و عقابه ، و يجوز أن يزاد[4] الرزق كفافا ، و قد ورد أنه لا حساب فيه ؛ روى ابن كثير[5] من عند ابن أبي حاتم بسنده[6] عن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا جمع الله الأولين و الآخرين يوم القيامة جاء منادٍ فنادى بصوت يسمع الخلائق : سيعلم أهل الجمع من أولى [7]بالكرم ، ليقم[7] الذين لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله ، فيقومون و هم قليل ، ثم يحاسب سائر الخلائق .

و لما أخبر تعالى أن الذين اتبعوا نور الحق سبحانه، وصلوا - من جزائه بسبب ما هداهم[8] إليه النور من الأعمال الصالحة - إلى حقائق هى فى نفس الأمر الحقائق . أخبر عن أضدادهم الذين اتبعوا الباطل فحالت

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ولا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فنى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكون .
(٥) راجع تفسيره ٣ / ٢٩٦ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : بسنده (٧-٧) من ظ و مد و التفسير ، و فى الأصل : الكرم ليعم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : عداهم .

جباله / الوعرة الشامخة[1] بين أبصار بصائرهم و بين تلك[2] الأنوار بضد حالهم / ٦٥١
فقال: ﴿و الذين كفروآ﴾ أى ستروا بما لزموه من الضلال ما انتشر
من نور[3] الله ﴿ اعمالهم ﴾ [كائنة فى يوم الجزاء -[4]] ﴿ كسراب ﴾
و هو ما ترام نصف النهار فى البرارى لاصقا بالأرض يلمع كأنه ماء،
و كلما قربت منه بعد حتى تصل إلى جبل و نحوه فيخفى؛ قال الرازى فى ٥
اللوامع: و السراب شعاع ينكشف فينسرب و يجرى كالماء تخيلا؛ و قال
ابن كثير[5]: يرى عن بعد كأنه بحر طام، و إنما يكون ذلك بعد نصف
النهار، و أما الآل[6] فانما يكون[7] أول النهار، يرى كأنه ماء بين السماء
و الأرض - انتهى[8]. و قال البغوى[9]: و الآل ما ارتفع عن[10] الأرض،
و هو شعاع [يرى - [11]] بين السماء و الأرض بالغدوات شبه الملاءة، ١٠
يرفع [فيه -[11]] الشخوص، يرى فيه الصغير كبيرا، و القصير طويلا،
و الرقراق[12] يكون بالعشايا، و هو ما ترقرق من السراب[13]، أى جاء
و ذهب. ﴿بقيعة﴾ جمع قاع، و هو أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت

(١) زيد فى الأصل: التى. و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: ذلك (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: انوار (٤) زيد من ظ ومد (٥) راجع تفسيره ٣/٢٩٦ (٦) فى ظ: الان، و فى التفسير: الأول - خطأ.
(٧) زيد بعده فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و التفسير فحذفناها.
(٨) سقط من ظ و مد و تستمر السقطة فى الأخير إلى « السماء و الأرض ».
(٩) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/٦٧ (١٠) فى المعالم: من (١١) زيد من المعالم.
(١٢) زيد بعده فى الأصول: هو ما، و لم تكن الزيادة فى المعالم فحذفناها.
(١٣) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: التراب.

عنها الجبال و الآكام - قاله فى القاموس . و قال أبو عبد الله القزاز فى ديوانه : القيعة و القاع واحد ، و هما[1] الأرض المستوية الملساء يخفن فيها التراب[2] ، الفراء : القيعة جمع قاع كجار و جيرة . و قال الصغانى فى مجمع البحرين : و القاع : المستوى من الأرض ، و الجمع أقواع و أقوع و قيعان ، صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها ، و القيعة مثل القاع ، و هو أيضا من الواو ، و بعضهم يقول : هو جمع ؛ و قال ابن جرير[3] : و القاع ما[4] انبسط من الأرض و اتسع ، و فيه يكون السراب . و قال عبد الغافر الفارسى فى مجمع الغرائب : قال الفراء : القاع : مستنقع الماء ، و القاع : [المكان -[5]] المستوى الواسع فى وطأة[6] من الأرض يعلوه المطر فيمسكه و يستوى نباته ، و جمعه قيعة و قيعان . ﴿ يحسبه الظمآن ﴾ أى العطشان الشديد العطش[7] من ضعف العقل ﴿ ماء[8] ﴾ فيقصده[8] و لا يزال [سائرا -[5]] ﴿ حتى اذا جاءه ﴾ أى جاء الموضع الذى توهمه بـه ﴿ لم يجده شيئا ﴾ من الأشياء ، فلم يفده قصده غير زيادة العطش بزيادة التعب ، و بعده عن مواطن الرجاء ، فيشتد يأسه ، و [9]تنقطع حيله[9] فيهلك ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٢) زيد فى الأصل : و قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابو جريرة ، و راجع من تفسيره الجزء ١٨/١٠٣ (٤) من ظ و مد و التفسير ، و فى الأصل : من (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : نضاءة (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : المعطر (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيقصد . (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينقطع حبه .

و هكذا الكافر يظن أعماله تجديه شيئا فاذا هى قد أهلكته .

و لما كان الله محيطا بعلمه و قدرته بكل مكان قال: ﴿و وجد الله﴾ أى [1]قدرة المحيط[1] بكل شىء ﴿عنده﴾ أى عند ذلك الموضع الذى قصده لما تخيل فيه الخير فخاب ظنه ﴿فوفّه حسابه[2]﴾ أى جزاء عمله على ما تقتضيه أعماله على حكم العدل ، فلم يكفِ هذا الجاهل [3]خيبة و كمدا[3] أنه لم يجد ما قصده شيئا كغيره من السراب حتى وجد عنده[3] الزبانية تعتله إلى نار ، لا يفك أسيرها ، و لا يخمد سعيرها .

و لما كان سبحانه لايحتاج إلى كاتب ، و لا يدخل عليه لبس ، و لا يصعب عليه ضبط شىء [و -[4]] إن كثر ، و لا يقدر [أحد -[4]] أن يتأخر عما يريده به بنوع حيلة ، عبر عن ذلك بقوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له القدرة الكاملة و العلم الشامل ﴿ سريع الحساب[5]﴾ أى لأنه لا يحتاج إلى حفظ بقلب ، و لا عقد بأصابع ، و لا شىء غير ذلك ، / ٦٥٢ و لكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله[6] العبد و بعد عمله [له -[4]] ، لا يعزب عنه[7] منه و لا من غيره شىء .

و لما بين [سبحانه -[7]] بهذا المثال[8] أنهم لم يصلوا إلى شىء غير التعب ، المثمر للعطب ، وكان هذا لا يفعله بنفسه عاقل ، ضرب مثالا

(١-١) من مد ، و فى الأصل : قدرته المحيطة، و فى ظ : قدرته المحيط (٢-٢) من ظ و مد. و فى الأصل : صبيه و كذا - كذا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عند (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعلمه (٦) زيد فى ظ : مثقال (٧) زيد من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المال .

آخر بين فيه الحامل لهم على الوقوع فى ممثول الأول، و هو السير بغير دليل، الموقع فى خبط العشواء كالماشى فى الظلام، فقال عاطفا على "كسراب" قوله[1]: ﴿ او ﴾ [للتخيير، أى أعمالهم لكونها لا منفعة لها كسراب، و لكونها خالية عن نور الحق - [2]]

٥ ﴿ كظلمت ﴾ أو للتنويع، فانها إن كانت حسنة الظاهر فكالسراب[3]، أو قبيحة فكالظلمات[4]، أو للتقسيم باعتبار وقتين كالظلمات فى الدنيا و السراب[5] فى الآخرة ﴿فى بحر﴾ هو مثال قلب الكافر ﴿ لجى ﴾ أى[6] ذى لج هو اللج، إشارة إلى أنه عميق لا يدرك له قرار، لأن اللج معظم الماء، و يكون جمع لجة أيضا، و الأوفق هنا أن يكون منسوبا إلى الجمع،

١٠ لأنه أهول، و المقام للتهويل، قال القزاز فى ديوانه: و لجة البحر معروفة و هو الموضع الذى لاترى منه أرضا و لا جبلا، و بحر لجى: واسع اللجة، و جمع اللجة لجج و لج. ﴿يغشه﴾ أى يغطى هذا البحر و يعلوه، أو يلحق الكائن فيه ﴿ موج ﴾ و هو مثل ما يغشى قلبه من الجهل و الشك و الحيرة، كائن[7] ﴿ من فوقه ﴾ أى هذا الموج ﴿ موج ﴾

١٥ آخر ﴿ من فوقه ﴾ أى هـذا الموج الثانى المركوم على الأول ﴿ سحاب[8] ﴾ قد غطى النجوم، و هو مثال الرين[8] و الختم و الطبع

(١) فى ظ و مد: فقال (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فكالشرار (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: كالظلمات (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الشرار (٦) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الهوى - كذا.

على القلب، فلا شملة تبصر و لا أرض .

و لما كان هذا أمرا مهولا ، أشار إلى هوله و تصويره بقوله: ﴿ ظلمت ﴾ أى من البحر و الموجين و السحاب ﴿ بعضها ﴾ . [و لما كان المراد استغراق الجهة ، لم يثبت الجار فقال -[1]] : ﴿ فوق بعض[1] ﴾ متراكمة[2] ، فلذلك يبعد كل البعد أن ينفذ فيها بصر ، و لذلك[3] قال : ٥ ﴿ اذآ اخرج ﴾ أى الكائن فى [4]هذا البحر[4] [بدلالة المعنى و إن لم يجر له ذكر -[1]] ﴿ يده ﴾ [و هى أقرب شىء إليه -[1]] ﴿ لم يكد ﴾ أى الكائن فيه[5] ﴿ يرىها ﴾ أى يقرب من ذلك فضلا عن أن يكون ، لأن الله [قد -[1]] ستر عنه كل نور بهذه [الظلمات -[1]] المتكاثفة ، و هو مثال لعمله و أنه عدم لما تقدم [من أن العدم كله ظلمة ، فلا ١٠ عمل له يكون شيئا و لا يقرب من ذلك لأنه لا أهلية له بوجه -[1]] ﴿ و من لم يجعل الله ﴾ أى الملك[6] الأعظم ﴿ له نورا ﴾ من الأنوار ، و هو قوة الإيجاد و الإظهار ﴿ فما له من نور ﴾ أصلا ، لأنه سبحانه يستر نوره[7] و إن كان ملء السماوات و الأرض عمن يشاء بحجب الأهوية ، لأنه قادر على ما يريد . ١٥

و لما كان قيام الأمور ، و ظهورها كل ظهور ، إنما هو بالنور ، حسا

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : متراكبة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذا (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه الظلمات.
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيها (٦) زيد فى ظ : مقادير اعمالهم - كذا .
(٧) سقط من ظ .

بالإيجاد . و معنى بجعل الموجودات آيات مرئيات تدل على موجدها ، قال تعالى دالا على ما أخبر به من أنه وحده نور السماوات و الأرض ، أى موجدهما بعلمه و قدرته[1] و[1] من أن من كساه من نوره فاز [فى يوم البعث الذى يجازى فيه الخلق على ما يقتضيه العلم الذى هو النور فى الحقيقة من مقادير أعمالهم -[2]] ، و من أعراه[3] من النور هلك :

﴿ الم تر ﴾ أى تعلم بأرأس الفائزين برتبة الإحسان علما هو فى ثباته كما بالمشاهدة ﴿ ان الله ﴾ الحائز لصفات[4] الكمال ﴿ يسبح له ﴾ أى ينزه[5] عن كل شائبة نقص لأجله خاصة بما له [فيه -[2]] من القدرة الكاملة ﴿ من فى السموٰت ﴾ . [و لما كان مبنى السورة على شمول العلم و القدرة لم يؤكد فقال -[6]]: ﴿ و الارض ﴾ أى هما و كل ما[7] فيهما بلسان حاله ، أو آلة مقاله ، و عرف أن المراد العموم بعطفه بعض ما لا يعقل ، و عبر / بـ « من » لأن المخبر به من وظائف العقلاء . /٦٥٣

و لما كان أمر[8] الطير أدل لأنه أعجب ، قال مخصصا: ﴿ و الطير[3] صٰفّٰت[4] ﴾ أى باسطات أجنحتها فى جو السماء ، لاشبهة فى أنه لا يمسكهن إلا الله ، و إمساكه لها فى الجو مع أنها أجرام ثقيلة ، [9]و تقديره[9] لها فيه على القبض و البسط حجة[10] قاطعة على كمال قدرته .

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ط و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عراه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الصفات (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : تنزه (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : امير (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : فبقدرته . (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : علة .

و لما كان العلم يوصف به ما هو سببه كالكتاب المصنف و نحوه، و يشتق للشيء اسم فاعل مما لابسه كما يقال: ليله قائم، و نهاره صائم، "و لاتزال تطلع على خائنة منهم" و كانت أسطر القدرة مجودة على كل كائن، شديدة الوضوح فى صفحات كل شيء، فكانت الكائنات بذلك دالة على خالقها و ما له من كل صفة كمال، صح إطلاق[1] العلم ٥ عليها و إسناده إليها فقال: ﴿كل﴾ أى من المخلوقات ﴿قد علم﴾ أى بما كان سببا له من العلم بما فيه من الآيات الدالة المعلمة[2] بما لموجده[2] من صفات الكمال[3] ﴿صلاته﴾ أى الوجه الذى به وصلته بمولاه و نسبته إليه ﴿و تسبيحه[4]﴾ أى الحال الذى به براءة صانعه من الشين و تعاليه عن النقص، و[5] قد صرحت بذلك ألسن أحوالها[5]، نيابة عن ١٠ [بيان -[6]] مقالها، هذا بقيامه صامتا جامدا، و هذا بنموه مهتزا رابيا، إلجاء و قهرا، و هذا بحركته[7] بالإرادة، و قصده وجوه منافعه، و بعده عن أحوال مضاره بمجرد فطرته و ما أودع فى طبيعته، و هذا بنطقه و عقله، و نباهته و فضله، مع أن نسبة كل منهم إلى الأرض و السماء واحدة، و يدل على ذلك دلالة واضحة ما روى الإمام أحمد فى المسند[8] ١٥ عن[9] عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه و سلم أن

(١) فى ظ: اطلاقه (٢-٢) فى ظ: بالوحدة (٣) زيد فى الأصل: له سبحانه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) سقط من مد (٥) فى ظ: احواله.
(٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يحركه (٨) راجع ٢/١٧٠.
(٩) من ظ و مد، و فى الأصل: من.

نوحا عليه السلام أوصى ابنه عند موته بلا إله إلا الله. فإن السماوات السبع و الأرضين السبع لو كن حلقة مبهمة قصمتهن[1]، و سبحان الله و بحمده، [2]فانها صلاة[2] كل شيء و بها يرزق الخلق. [و قال الغزالى فى الإحياء[3]: و روى أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: تولت عنى الدنيا و قلت ذات يدى، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: فأين أنت من صلاة الملائكة و تسبيح الخلائق و بها يرزقون، قال: فقلت: و ما هي يا رسول الله؟ قال: قل «سبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله» مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلى الصبح، تاتيك الدنيا راغمة صاغرة، و يخلق الله من كل كلمة ملكا يسبح الله إلى يوم القيامة لك ثوابه. قال الحافظ زين الدين العراقى: رواه المستغفرى فى الدعوات عن ابن عمر رضى الله عنهما و قال: غريب من حديث مالك، و لا أعرف له أصلا من حديث مالك -[4]].

و لما كان التقدير: فالله قدير على جميع تلك الشؤن، [عطف عليه قوله -[4]]: ﴿و الله﴾ [أى -[4]] المحيط علما و قدرة ﴿عليم بما يفعلون ٥﴾ بما ثبت مما أخبركم[5] به فى هذه السورة عن دقائق أقوالكم و أحوالكم، و ضمائركم و أفعالكم، و قد تقدم فى الأعراف عند "او لم ينظروا فى ملكوت السمٰوٰت و الارض[6]" ما ينفع هنا.

---

(١) من مد و المسند، و فى الأصل: و ختمهن، و فى ظ: فصمتهن (٢-٢) من ظ و مد و المسند، و فى الأصل: فانها الصلاة (٣) راجع ١/٢٠٧ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اخبرهم. (٦) راجع آية ١٨٥.

و لما

و لما أخبر عما فى الكونين بما[1] يستلزم الملك[2] [على أنهى وجوه التمام المستلزم للقدرة على البعث -[3]] ، أخبر عنهما بالتصريح به فقال : ﴿و لله﴾ أى الذى لا ملك سواه ﴿ملك السمٰوٰت و الارض ج﴾ مع كونه مالكا مسخرا مصرفا لجميع ذلك ، فهو جامع للملك و الملك .

و لما كان التقدير : و من الله المبدأ للكل بالإيجاد من العدم ، عطف ٥ عليه قوله : ﴿و الى الله﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿المصير ه﴾ أى لهم[4] كلهم بعد الفناء ، و إنما طوى هذا المقدر[5] لأنه لاخلف فيه .

و[6] لما أخبر بذلك فتقرر ملكه و قدرته على البعث على حسب ما وعد به -[3]] بعد [أن -[3]] تحرر ملكه ، دل عليه بتصرفه فى العالم العلوى و السفلى بما يدل على القدرة على الإعادة فقال : ﴿الم تر ان الله﴾ ١٠ أى ذا[7] الجلال[8] و الجمال ﴿يزجى﴾ أى يسوق بالرياح ، و سيأتى الكلام عليها فى النمل / ؛ و قال أبو حيان[9] : إن الإزجاء يستعمل فى سوق الثقل برفق[10] . ﴿سحابا﴾ أى بعد أن أنشأه من العدم[11] تارة من السفل ، و تارة من العلو ، ضعيفا رقيقا متفرقا ، قال أبو حيان[9] : و هو اسم جنس واحده[12] / ٦٥٤

(١) فى ظ : ما (٢) فى ظ : المالك (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المقدار (٦) سقطت الواو من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذى (٨) زيد فى الأصل : و الكمال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) راجع البحر المحيط ٦/٤٦٤ (١٠) فى ظ : يرتق (١١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها . (١٢) فى ظ : واحدته .

سحابة ، و المعنى : يسوق سحابة إلى سحابة . و هو معنى ﴿ ثم يؤلف بينه ﴾ أى بين أجزائه بعد أن كانت[1] قطعا فى جهات مختلفة ﴿ثم يجعله ركاما﴾ فى غاية العظمة متراكبا بعضه على بعض بعد أن كان فى غاية الرقة ﴿فترى﴾ [أى فى تلك الحالة المستمرة -[2]] ﴿ الودق ﴾ أى المطر ؛ قال القزاز : و قيل : هو احتفال المطر . ﴿يخرج من خلله ج﴾ أى فتوقه التى حدثت بالتراكم و[3] انعصار بعضه من بعض ﴿و ينزل من السمآء﴾ أى من جهتها مبتدئا[4] ﴿من جبال فيها﴾ أى فى السماء ، و هى السحاب الذى صار بعد تراكمه كالجبال ؛ [5]و بعض فقال[5] : ﴿ من برد ﴾ هو[6] ماء منعقد ؛ و بين أن ذلك بارادته و اختياره بقوله : ﴿ فيصيب به ﴾ أى البرد و المطر على وجه النقمة أو[7] الرحمة ﴿ من يشآء ﴾ من الناس و غيرهم ﴿ و يصرفه عمن يشآء[8] ﴾ صرفه عنه ؛ ثم نبه على ما هو غاية فى العجب فى[8] ذلك بما فى الماء من النار التى ربما[9] نزلت منها صاعقة فأحرقت ما لا تحرق النار فقال : ﴿ يكاد سنا ﴾ أى ضوء ﴿ برقه ﴾ و هو اضطراب النور فى خلاله ﴿يذهب﴾ أى هو ، ملتبسا ﴿بالابصار[8]﴾ لشدة لمعه و تلألؤه ، فتكون قوة البرق دليلا على تكاثف السحاب و بشيرا[10]

(١) فى ظ : كان (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : او (٤) من مد ، و فى الأصل : مبتذل ، و الكلمة ساقطة من ظ (٥ - ٥) فى ظ : مبتدئا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى (٧) زيد فى الأصل : النعمة او ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٩) فى ظ : بما . (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : تبشيرا .

بقوة المطر ، و نذيرا[1] بنزول الصواعق ؛ ثم ذكر ما هو أدل على الاختيار ، فقال مترجما لما مضى بزيادة : ﴿يقلب الله﴾ أى [الذى له الأمر كله -[2]] بتحويل الظلام ضياء و الضياء ظلاما ، و النقص تارة و الزيادة أخرى ، مع المطر تارة و الصحو أخرى ﴿الليل و النهار[3]﴾ فينشأ عن ذلك التقليب من الحر و البرد و النمو و الينوع و اليبس ما يبهر العقول ؛ ٥ و لهذا قال منبها على النتيجة : ﴿ان فى ذلك﴾ أى [الأمر العظيم -[2]] الذى ذكر من جميع ما تقدم ﴿ لعبرة لاولى الابصار ﴾ أى النافذة ، و القلوب الناقدة ، يعبرون منها إلى معرفة ما لمدبر ذلك من القدرة التامة و العلم الشامل الدال قطعا على الوحدانية .

و لما ذكر أولا أحوال الخافقين دليلا على وحدانيته ، و فصل ١٠ منها الآثار العلوية ، فذكر ما يسقى الأرض ، و طوى ذكر ما ينشأ عنه من النبات للعلم به ، ذكر [أحوال -[2]] ما يتكون به من الحيوانات [دليلا ظاهرا على الإعادة ، و برهانا قاهرا للمنكرين لها -[2]] فقال : ﴿و الله﴾ [أى -[2]] الذى له العلم الكامل و القدرة الشاملة ﴿خلق كل دآبة﴾ [أى مما تقدم أنه يسبح له -[2]] . ١٥

و لما [3]ذكر أنواعا من الحيوان ، نكر بخلاف ما فى الأنبياء فقال[3] : ﴿من مآء﴾ أى دافق [هو أعظم أجزاء مادته -[2]] كما خلق النبات من ماء هامر [كذلك -[2]] ، و فاوت بينه مع كون الكل من الماء الهامر

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : جديرا (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد ، وموضع ما بين الرقمين بياض فى الأصل قدر كلمتين .

الذى لا تفاوت فيه ﴿ فنهم ﴾ أى الدواب .

و لما كان فى سياق التعظيم ، و كان قد آتى كل نفس من الإدراك ما تعرف[1] به منافعها و مضارها ، عبر عن الكل بأداة من يعقل و إن كانوا متفاوتين فى التمييز فقال : ﴿ من يمشى على بطنه ج ﴾ أى من غير رجل ؛ و قدم هذا[2] لكونه / أدل على القدرة ، و سماه مشيا استعارة و مشاكلة ﴿ و منهم من يمشى على رجلين ج ﴾ أى ليس غير ﴿ و منهم من يمشى على اربع[3] ﴾ أى من الأيدى و الأرجل ، و فى هذا تنبيه على من يمشى على أكثر من ذلك ، و إليه الإشارة بقوله : ﴿ يخلق الله ﴾ و عبر باسم الجلالة إعلاما بتناهى العظمة ؛ و قال : ﴿ ما يشآء[4] ﴾ دلالة على أنه فعله بقدرته و اختياره[5] ، لا مدخل لشىء غير ذلك فيه إلا بتقدير[4] العزيز العليم .

[- و لما كانت هذه الأدلة ناظرة إلى البعث أتم نظر ، و كانوا منكرين له ، أكد قوله[6]] : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الكمال المطلق ﴿ على كل شىء ﴾ من ذلك و غيره ﴿ قدير ﴾ .

و لما اتضح بهذا ما لله تعالى من صفات الكمال و التنزه عن كل شائبة نقص ، و قامت أدلة الوحدانية على ساق ، [7]و اتسقت[7] براهين الألوهية أىّ اتساق ، قال مترجما لتلك الأدلة : ﴿ لقد انزلنآ ﴾ أى فى

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : يعرف (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : لهذا .
(٣) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .
(٤) فى ظ : بتسخير (٥) زيد من ظ ومد (٦) زيد فى ظ بعده : بتقدير - كذا .
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

هذه السورة و ما تقدمها، بما لنا من العظمة ﴿ آيت ﴾ أى من الحكم و الأحكام و الأدلة و الأمثال ﴿ مبينت ﴾ لا خفاء فى شىء منها عند أحد من الخلق، لأن الله قد أراد هدايتكم، بعضكم بالبيان، و بعضكم بخلق الإذعان ﴿ و الله ﴾ [أى -[1]] الملك الأعظم ﴿ يهدى من يشآء ﴾ من العباد كلهم ﴿ إلى صراط مستقيم ﴾ بالقوة بإنزال الآيات، و الفعل بخلق الإيمان و الإجابات. فيؤمنون[2] إيمانا قلبيا ثابتا.

و لما كان إخفاء هذه الآيات عن البعض بعد بيانها أعجب من ابتداء نصبها، فكان السياق ظاهرا فى أن التقدير: و الله يضل من يشاء فيكفرون بالآيات و الذكر الحكيم، و كان الخروج من نورها بعد التلبس بها إلى الظلام أشد غرابة، عطف على [ما -[1]] قدرته مما دل عليه السياق أتم دلالة قوله دليلا شهوديا على ذلك المطوى، معجبا ممن عمى عن دلائل التوحيد التى أقامها تعالى و عددها و أوضحها بحيث صارت كما ذكر تعالى أعظم من نور الشمس: ﴿ و يقولون ﴾ أى الذين ظهر لهم[3] نور الله، بالسنتهم فقط: ﴿ امنا بالله ﴾ الذى أوضح لنا[4] جلاله، و عظمته و كماله ﴿ و بالرسول ﴾ الذى علمنا كمال رسالته و عمومها بما[5] أقام عليها من الأدلة ﴿ و اطعنا ﴾ أى أوجدنا الطاعة لله و للرسول؛ و عظم المخالفة بين الفعل و القول بأداة البعد[6] فقال: ﴿ ثم يتولى ﴾ أى يرتد بانكار القلب و يعرض عن[7] طاعة الله و رسوله، ضلالا منهم عن الحق ﴿ فريق منهم ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: فلو لا يملنون - كذا (٣) فى ظ: له.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لهم (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الفعل (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: على.

أى ناس يقصدون الفرقة من هؤلاء الذين قالوا هذه المقالة .

ولما كان ينبغى أن يكون وقوع الارتداد منهم - كما أشير إليه - فى غاية البعد و إن كان فى أقل زمن ، أشار إليه بأداة التراخى ، و أكد ذلك بقوله مثبتا الجار : ﴿ من بعد ذلك ﴾ أى القول السديد[1] الشديد المؤكد ، مع الله الذى هو أكبر من كل شىء ، و مع رسوله الذى هو أشرف الخلائق ﴿ و ما اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء الذين صاروا بتوليهم[2] فى محل البعد ﴿ بالمؤمنين ﴾ أى بالكاملين فى الإيمان قولا و عقدا ، و إنما هم من أهل الوصف اللسانى ، المجرد عن المعنى الإيقانى .

٦٥٦ / ١٠ / و لما فضحهم بما أخفوه من توليهم[3] ، قبح عليهم ما أظهروه ، فقال معبرا بأداة التحقيق[4] : ﴿ و اذا دعوا ﴾ أى الذين ادعوا الإيمان من أى داع كان ﴿ الى الله ﴾ أى ما نصب الملك الأعظم من أحكامه ﴿ و رسوله ليحكم ﴾ أى الرسول ﴿ بينهم ﴾ بما أراه الله ﴿ اذا فريق منهم ﴾ أى ناس[5] مجبولون على [6]الأذى المفرق[6] ﴿ معرضون ﴾ أى فاجأوا الإعراض ، إذا كان الحق عليهم ، لاتباعهم أهواءهم ، مفاجأة تؤذن بثباتهم فيه ﴿ و ان يكن ﴾ أى كونا ثابتا [جدا - [7]] ﴿ لهم ﴾ أى

(١) من مد ، و فى الأصل : اسد ، و الكلمة ساقطة من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتوليتهم (٣) فى ظ : توليتهم (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : التحقق (٥) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الادنى المعرف (٧) زيد من ظ و مد .

على سبيل الفرض ﴿الحق﴾ أي بلا شبهة ﴿يأتوا إليه﴾ أي[1] الرسول ﴿مذعنين[2]﴾ أي منقادين أتم انقياد لما وافق من أهوائهم لعلمهم[3] أنه دائر مع الحق لهم و عليهم، لا لطاعة الله و رسوله صلى الله عليه و سلم.

و لما كان سبب فعلهم هذا بعد إظهارهم الطاعة مشكلا، ناسب أن يسأل عنه، فقال تعالى مبينا[4] له بعد التنبيه على ما يحتمله من الحالات: ٥ ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ أي نوع فساد من أصل الفطرة يحملهم على الضلال ﴿أم ارتابوا﴾ بأن حدثت لهم شبهة أعمتهم عن الطريق ﴿أم﴾ ليس فيهم خلل لا أصلي و لا طارئ، بل الخلل في الحاكم فهم[5] ﴿يخافون أن يحيف﴾ أي يجور ﴿الله﴾ الغني عن كل شيء، لأن له كل شيء ﴿عليهم﴾ ينصب حكم جائر و هو منزه عن الأغراض ﴿و رسوله[6]﴾ الذي ١٠ لا ينطق عن الهوى، بضرب أمر زائغ و قد ثبتت[7] عصمته عن الأدناس.

و لما لم يكن شيء من ذلك كائنا. أضرب عنه فقال: ﴿بل أولئك﴾ أي البعداء البغضاء ﴿هم﴾ أي خاصة ﴿الظالمون﴾ أي الكاملون في الظلم، لأن قلوبهم مطبوعة على المرض و الريب، لا أن فيها نوعا واحدا منه، و ليسوا يخافون الجور[6]، بل هو مرادهم إذا كان الحق عليهم. ١٥

و[7] لما نفى[7] عنهم الإيمان الكامل بما وصفهم[8] به، كان كأنه

(١) زيد في الأصل: الى. و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ ومد، و في الأصل: بعلمهم (٣) من ظ و مد، و في الأصل: تثبيتا (٤) من ظ، و في الأصل و مد: فيهم (٥) من ظ و مد، و في الأصل: ثبت (٦) في ظ: الجوار (٧ - ٧) من ظ و مد، و في الأصل: لا يعي - كذا (٨) من ظ و مد، و في الأصل: وضعهم.

سئل[1] عن حال المؤمنين فقال : ﴿ انما كان ﴾ أى دائما ﴿قول المؤمنين﴾ أى العريقين فى ذلك الوصف ، و أطبق العشرة على نصب القول ليكون اسم " كان " أوغل[2] الاسمين فى التعريف ، و هو "أن" و صلتها[3] لأنه لاسبيل عليه للتنكير ، و لشبهه[4] - كما قال ابن جنى فى المحتسب - بالمضمر من حيث أنه لا يجوز وصفه كما لا يجوز وصف المضمر ، و قرأ على رضى الله عنه بخلاف و ابن أبى إسحاق "قول" بالرفع[5] ﴿ اذا دعوآ ﴾ أى من أىّ داع كان ﴿الى الله﴾ أى ما أنزل الملك الذى لا كفوء له من أحكامه ﴿ و رسوله ليحكم ﴾ أى الله بما نصب من أحكامه ، أو الرسول صلى الله عليه وسلم بما يخاطبهم به من كلامه[6] ﴿ بينهم ﴾ [أى -[7]] فى حكومة من الحكومات لهم أو عليهم ﴿ان يقولوا سمعنا ﴾ أى الدعاء ﴿ و اطعنا[8] ﴾ أى بالإجابة لله و رسوله صلى الله عليه و سلم . و لما كان التقدير : فأولئك هم المؤمنون . عطف عليه قوله : ﴿ و اولٓئك ﴾ أى العالو[8] الرتبة ﴿ هم ﴾ خاصة ﴿المفلحون ٥﴾ الذين تقدم فى أول المؤمنون[9] وصفهم بأنهم يدركون [جميع -[7]] مأمولهم .

و لما رتب سبحانه الفلاح على هذا النوع الخاص من الطاعة ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : سبيل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوعلى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : صلها - كذا (٤) زيد فى الأصل: بالضمير، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) راجع البحر المحيط ٦/٤٦٨ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كلامهم (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : العالى (٩) فى ظ و مد : المؤمنين .

/٦٥٧ أتبعه عموم / الطاعة فقال: ﴿ و من يطع الله ﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿ و رسوله ﴾ أى فى الإذعان للقضاء و غيره فيما ساءه و سره من جميع الأعمال الظاهرة ﴿ و يخش الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام، بقلبه لما مضى من ذنوبه ليحمله ذلك على كل خير، كما كان الصحابة رضوان الله عليهم إذا وقع أحد منهم فى تقصير يأتى إلى[1] النبى صلى الله عليه و سلم فيقول: طهرنى. و يلقن أحدهم الرجوع فلا يرجع، و فى تطهيره[2] الإتيان على نفسه، وقع ذلك لرجالهم و نسائهم - رضى الله عنهم أجمعين و أحيانا على منهاجهم و حشرنا فى زمرتهم! ﴿ و يتقه ﴾ أى الله فيما يستقبل بأن[3] يجعل[4] بينه و بينما يسخطه وقاية من المباحات فيتركها ورعا.

و لما أفرد الضمائر إشارة إلى قلة المطيع، جمع لئلا يظن أنه واحد فقال: ﴿ فأولئك ﴾ العالو الرتبة ﴿ هم الفائزون ﴾ بالملك الأبدى، و لافوز لغيرهم.

و لما ذكر سبحانه ما رتب على الطاعة الظاهرة التى هى دليل الانقياد الباطن، ذكر حال المنافقين فيه، فقال عاطفا على "و يقولون" لأنه ليس المراد منه إلا مجرد القول من غير إرادة [تقييد -[5]] بزمان معين: ﴿ و اقسموا ﴾ وكأنه عبر بالماضى إشارة إلى أنهم لم يسمحوا به أكثر من مرة[6]، لما يدل عليه من زيادة الخضوع و الذل ﴿ بالله ﴾ اى الملك الذى له الكمال المطلق؛ و استعار من جهد النفس قوله فى موضع الحال:

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: تطهير (٣) فى ظ: ان (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لايجعل (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: مدة.

﴿ جهد ايمانهم ﴾ أى غاية الإقسام : ﴿ لئن امرتهم ﴾ أى بامر من الأمور ﴿ ليخرجن ﴾ مما هم ملتبسون[1] به من خلافه . كائنا ما كان ، إلى ما أمرتهم به ، و ذلك أنهم كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه و سلم : أينما كنت نكن معك ، إن خرجت خرجنا . و إن أقمت أقمنا ، و إن أمرتنا بالجهاد جاهدنا - قاله البغوى[2] . فكأنه قيل : ما ذا تفعل فى اختبارهم ؟ فقيل : الأمر أوضح من ذلك ، فان لكل حق حقيقة ، و لكل فعل أدلة ﴿ قل ﴾ أى لهم : ﴿ لا تقسموا ﴾ أى لا تحلفوا فان العلم بما أنتم عليه لايحتاج إلى الإقسام ، و ليكن[3] المحرك لكم إلى الخروج محبة الامتثال لا إلزام[4] الإقسام . و فيه إشارة إلى أنهم أهل للاتهام[5] ، و كذا[6] قال المتنبى :

و فى يمينك فيما[7] أنت واعده ما دل انك فى الميعاد متهم

ثم علل ذلك بقوله : ﴿ طاعة ﴾ أى هذه الحقيقة ﴿ معروفة[8] ﴾ أى منكم و من غيركم[9] . و إرادة الحقيقة هو الذى سوغ[10] الابتداء بها مع تنكير لفظها . لأن[11] العموم الذى تصلح[11] له كما قالوا من أعرف المعارف .

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : متلبسون (٢) فى المعالم - راجع هامش اللباب ٥ / ٧٠ (٣) فى ظ : لكن (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لزام (٥) فى ظ : للاهتمام (٦) فى مد : لذا (٧) فى ظ : ما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهم (٩) من مد ، و فى الأصل : سرع ، و فى ظ : يسوغ (١٠) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يصلح .

و لم[1] تعرف بـ « ال » لئلا يظن أنها لعهد ذكرى أو نحوه ، و المعنى أن الطاعة و إن اجتهد العبد فى إخفائها لا بد أن تظهر مخايلها على شمائله ، و كذا[2] المعصية لأنه « ما أسر عبد سريرة[3] إلا ألبسه الله رداءها » - رواه الطبرانى[4] عن جندب رضى الله عنه ، و روى مسدد[5] عن عثمان ابن عفان رضى الله عنه قال : لو أن رجلا دخل بيتا فى جوف بيت ٥ فأدمن هناك عملا أوشك الناس أن / يتحدثوا به ، و ما من عامل ٦٥٨ / عمل عملا إلا كساه الله رداء عمله ، إن كان خيرا فخير ، و إن كان شرا فشر . و لأبى يعلى[4] و الحاكم - و قال : صحيح الإسناد و لم يخرجاه - عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب و لا كوة ١٠ لخرج عمله للناس كائنا ما[6] كان . ثم علل إظهاره للخب[5] بقوله[7] : ﴿ان الله﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿خبير بما تعملون ۝﴾ و إن اجتهدتم فى إخفائه ، فهو ينصب عليه دلائل[8] يعرفه[9] بها عباده ، فالحلف غير مغنٍ عن الحالف ، و التسليم غير ضار للمسلم .

و لما نبه على خداعهم ، و أشار إلى عدم الاغترار بإيمانهم ، و إلى ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كم (٢) فى مد : لذا (٣) فى ظ : لسريرة . (٤) راجع مجمع الزوائد ١٠/٢٢٥ (٥) راجع كنز العمال ٢ / ١٣٧ (٦) من المجمع ، و فى الأصول : من (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقال (٨) فى ظ : دليل (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعرف .

قبول شهادة التوسم فيهم . أمر بترغيبهم و ترهيبهم[1] ، مشيرا إلى الإعراض عن عقوبتهم فقال : ﴿ قل اطيعوا ﴾ أيها الذين أقروا بالإيمان ﴿الله﴾ أى الذى له الكمال المطلق ﴿ و اطيعوا الرسول[3] ﴾ أى الذى له الرسالة المطلقة ، ظاهرا و باطنا لا كالمنافقين ﴿ فان تولوا ﴾ أى توجد منكم[2] التولية عن ذلك عصيانا[4] له و لو على أدنى وجوه التولية - بما أشار إليه حذف التاء ، [4]تضلوا فلا تضروا[4] إلا أنفسكم ، و هو معنى قوله : ﴿ فانما عليه ﴾ أى الرسول ﴿ ما حمل ﴾ أى من التبليغ ممن إذا حمل أحدا[5] شيئا فلا بد من حمله له أو حمل ما هو أثقل منه ﴿و عليكم ما حملتم[6] ﴾ من القبول ، و ليس عليه أن يقسركم[6] على الهداية ؛ و أفهم بقوله - : ﴿وإن تطيعوه﴾ أى بالإقبال على كل ما يأمركم به ﴿تهتدوا[6]﴾ أى إلى كل خير - أنه لا هداية لهم بدون متابعته ؛ روى عبد الله بن الإمام أحمد فى زيادات المسند[7] عن النعمان بن بشير رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال على المنبر : من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير[8] ، و من[9] لم يشكر الناس لم يشكر الله ، و التحدث بنعمة الله شكر ، و تركه كفر ، و الجماعة رحمة ، و الفرقة عذاب . قال : فقال أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه : عليكم بالسواد الأعظم ! قال : فقال رجل : ما السواد الأعظم ؟

(١) فى ظ : تركيبهم (٢) فى مد : منهم (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : غضبا.
(٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الاصل : نظرا فلا تصرف (٥) من مد ، و فى الأصل : ابعدا ، و الكلمة ساقطة من ظ (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : يقركم.
(٧) راجع المسند ٤/٢٧٨ و ٣٧٥ (٨) الكلمة مطموسة فى مد (٩) سقط من ظ .

فنادى[1] أبو أمامة هذه الآية [فى سورة - [2]] النور " فان تولوا فانما عليه ما حمل و عليكم ما حملتم " .

و لما كان ما حمله الرسول صلى الله عليه و سلم مبهما ، عينه بقوله : ﴿ و ما على الرسول ﴾ أى[3] من جهة غيره ﴿ الا البلٰغ المبين ٥ ﴾ أى التبليغ الذى يحصل به البلاغ من غير شك ، إما بالإيضاح وحده أو مضموما إلى السيف فما دونه من أنواع الزواجر .

و لما لاح بهذا الإذن فى الكف عن قتل النبى صلى الله عليه و سلم للمنافقين لئلا يقول الناس : إن محمدا استنصر بقوم ، فلما نصره الله بهم أقبل يقتلهم[4] . فيمتنع من يسمع ذلك من الدخول فى الإسلام . فتكون مفسدة قتلهم أعظم من مفسدة إبقائهم[5] ، لأن الدين لم يكن حينئذ [تمكن -[6]] تمكنا لا يؤثر فيه مثل ذلك ، تشوفت النفوس إلى أن هذا الحال[7] هل[3] يستمر ؟ فجلى الله عنها هذا الكرب بقوله ، بيانا لأن تمكن الدين غير مفتقر إليهم سواء أقبلوا أو أدبروا : ﴿ وعد الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿ الذين امنوا ﴾ / و هو مع ذلك كالتعليل لما قبله ترغيبا[8] لمن نظر فى الدنيا [نوع نظر - [6]] ؛ و قيد بقوله : ﴿ منكم ﴾ تصريحا بأهل القرن الأول ، ليكون ظاهرا فى إخراج المنافقين المتولين

/ ٦٥٩

(١) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل : فقال (٢) زيد من ظ ومد و المسند.
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : بقتلهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ايقاعهم .
(٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : الحاصل (٨) فى ظ : ترهيبا.

بالإعراض ، إشارة إلى أنهم لايزالون فى ذل و ضعة ؛ و قدم هذا القيد اهتماما به لما ذكر بخلاف ما يأتى فى سورة الفتح[١] ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لإيمانهم ﴿الصلحت﴾ من الإذعان للأحكام و غيرها ، و أكد غاية التأكيد بلام القسم ، لما عند أكثر الناس من الريب فى ذلك فقال:

٥ ﴿ ليستخلفنهم فى الارض ﴾ أى أرض العرب و العجم ، بأن يمد زمانهم ، و ينفذ أحكامهم ﴿ كما استخلف ﴾ أى طلب و أوجد خلافة بإيجادهم ﴿ الذين من قبلهم ص ﴾ أى من الأمم من بنى إسراءيل و غيرهم من كل من حصلت له مكنة ، و ظفر على الأعداء بعد الضعف الشديد كما كتب فى الزبور "ان الارض يرثها عبادى الصلحون" و كما قال

١٠ موسى عليه السلام "ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين" ﴿ و ليمكنن لهم ﴾ أى فى الباطن و الظاهر ﴿ دينهم ﴾ أضافه[٢] إليهم إشارة إلى رسوخ أقدامهم فيه و أنه أبدى[٣] لاينسخ ﴿ الذى ارتضى لهم ﴾ حتى يقيموا[٤] الحدود فيه من قتل و[٥] غيره على الشريف و الوضيع سواء كان الواقعون[٦] فى ذلك عصبة أم لا ، لا يراعون أحدا ، و لا يخافون

١٥ لومة لائم ، لأنه لايضره إذ ذاك إدبار مدبر[٧] كما قال صلى الله عليه و سلم عن الحرورية كافة إنه إن[٨] أدركهم ليقتلنهم قتل عاد[٩] ، بعد أن كف

(١) راجع آية ٢٩ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اضافة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهدى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقيموا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الواقفون (٧) فى ظ : مدبرين (٨) فى ظ : اذا (٩) راجع مسند الإمام أحمد ٣/٦٨ .

عن قتل رأسهم و نهى عن قتله - و هو واحد - فى غزوة حنين .

و لما بشرهم بالتمكين ، أشار لهم إلى مقداره بقوله : ﴿و ليبدلنهم﴾ و أشار إلى عدم استغراق هذا الأمن[1] العام لجميع الزمان باثبات الجار فقال : ﴿من بعد خوفهم﴾ هذا الذى هم فيه الآن ﴿ امنا[1] ﴾ أى عظيما بمقدار هذا الخوف ، فى زمن النبوة و خلافتها ؛ ثم أتبع ذلك نتيجته ٥ بقوله تعليلا للتمكين و ما معه : ﴿ يعبدوننى ﴾ أى وحدى ؛ و صرح[2] بالمراد بيانا لحال العبادة النافعة بقوله : ﴿ لايشركون بى شيئا[1] ﴾ ظاهرا و لا باطنا ، لأن زمانهم يكون زمن عدل ، فلا يتحابون فيه بالرغبة و الرهبة ؛ [3]روى الطبرانى فى الأوسط[4] عن أبى بن كعب رضى الله عنه قال : لما قدم النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضى الله عنهم المدينة ، ١٠ و آوتهم الأنصار - رضى الله عنهم أجمعين[5] ، رمتهم[6] العرب من[7] قوس واحدة فنزلت " ليستخلفنهم فى الارض " - الآية - و لقد صدق الله سبحانه - و من أصدق من الله حديثا - ففتح سبحانه لهم البلاد ، و نصرهم على جبابرة العباد ، فأذلوا رقاب الأكاسرة ، و استعبدوا أبناء القياصرة ، و مكنوا شرقا و غربا مكنة لم تحصل قبلهم لأمة من الأمم ، كما قال ١٥ صلى الله عليه و سلم[8] : إن الله زوى لى[5] الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الامر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضوح (٣) زيدت الواو فى ظ (٤) راجع مجمع الزوائد ٧/٨٣ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد و المجمع ، و فى الأصل : رحتهم (٧) من ظ و مد و المجمع ، وفى الأصل : على (٨) راجع مسند الإمام أحمد ٥/٢٧٨ ، و راجع أيضا الفتن عند مسلم و أبى داود و الترمذى و ابن ماجه .

و سيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها . يعرف[1] ذلك من طالع فتوح البلاد ، و أجمعها و أحسنها النصف الثانى من سيرة الحافظ أبى[2] الربيع ابن سالم الكلاعى ، و كتاب شيخه ابن حبيش[3] أيضا جامع ، و لا أعلم شيئا أنفع فى رسوخ الإيمان ، بعد حفظ القرآن ، من مطالعة[4] السير و الفتوح ، و سيرة الكلاعى جامعة للأمرين[5] ، و نظمى للسيرة فى القصيدة التى أولها :

/٦٦٠

ما بال جفنك هامى الدمع هامره و بحر فكرك وافى الهم وافره

أجمع السير[6] - يسر الله إكمال شرحها ، آمين .

و لما قتلوا عثمان رضى الله عنه ، و خرجوا على على ثم ابنه الحسن رضى الله عنهما ، نزع[7] الله ذلك الأمن كما أشير إليه بـ « من » و تنكير " امنا " و جاء الخوف[8] و استمر يتطاول و يزداد قليلا قليلا إلى أن صار فى زماننا هذا إلى أمر عظيم - و الله المستعان .

و لما كان التقدير : فمن[9] ثبت على دين الإسلام ، و انقاد لأحكامه و استقام ، نال هذه البشرى ، عطف عليه قوله : ﴿ و من كفر ﴾ [أى -[10]] بالإعراض عن الأحكام أو غيرها ؛ أو هو عطف على "يعبدوننى"

(١) زيد فى ظ : من (٢) فى الأصل : بن ، و التصحيح من ظ و مد و تذكرة الحفاظ ١٤١٧ ، و هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الحميرى الكلاعى المتوفى ٦٣٤ هـ (٣) هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصارى الأندلسى أبو القاسم ابن حبيش المتوفى ٥٨٤ هـ (٤) فى ظ : مطالع (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : للأميرين (٦) فى ظ : الشيئين (٧) فى ظ : انزع (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : للخوف (٩) فى ظ : فما (١٠) زيد من ظ و مد .

لأن

لأن معناه: و من [لم -١] يعبدني .

و لما كان الفاسق[٢] الكامل إنما هو من مات على كفره فحبط عمله، فكان بذلك كفره مستغرقا لزمانه [دون من مات مسلما و إن كان كافرا في جميع ما مضى له قبل ذلك -١]، أسقط الجار فقال: ﴿ [٢]بعد ذلك[٢] ﴾ أي الاستخلاف العظيم على الوجه المشروح ﴿فأولئك﴾ البعداء من الخير ﴿هم﴾ خاصة ﴿الفسقون﴾ أي الخارجون من الدين خروجا كاملا، لا تقبل معه معذرة، و لا تقال لصاحبه عثرة، بل تقام عليهم الأحكام بالقتل و غيره، [و -١] لا يراعى فيهم ملام[٤]، و لا تأخذ بهم رأفة عند الانتقام[٥]، كما تقدم [في -٦] أول السورة فيمن لزمه الجلد، و لعل الآية مشيرة إلى أهل الردة .

و لما تمت هذه البشرى، و كان التقدير: فاعملوا[٧] و اعبدوا، عطف عليه قوله: ﴿ و أقيموا الصلوة ﴾ أي فانها قوام ما بينكم و بين ربكم، مع أنه يصح عطفه على قوله "اطيعوا الله" فيكون من مقول "قل" ﴿و آتوا الزكوة ﴾ فهي نظام ما بينكم و بين إخوانكم ﴿و أطيعوا الرسول﴾ [أي -١] المحيط بالرسالة[٨] في كل ما يأمركم به، فانما هو عن أمر ربكم ﴿لعلكم ترحمون﴾ أي لتكونوا [عند من يجهل العواقب -١] على

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل: الفسق (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين في الأصل دون ظ و مد بعد «من كفره» ص٣٠٦ س١٤ (٤) سقط من ظ (٥) من مد، و في الأصل و ظ: انتقام (٦) زيد من مد (٧) في مد: فاعلموا (٨) في ظ و مد: الرسالة .

رجاء من حصول الرحمة ممن لا راحم فى الحقيقة[1] غيره .

و لما كان الكفار من الكثرة و القوة بمكان ، كان الحال جديرا بتأكيد معنى التمكين ، جوابا لسؤال من كأنه قال : و هل ذلك ممكن ؟ فقال : ﴿ لا تحسبن ﴾ أى أيها المخاطب ﴿ الذين كفروا ﴾ أى و إن زادت كثرتهم[2] على العد ، و تجاوزت عظمتهم الحد ، فان ذلك الحسبان ضعف عقل ، لأن الملك لايعجزه مَن تحت قهره ، و يجوز[3] أن يكون خطابا للنبى صلى الله عليه و سلم لزيادة تحقيقه ، لأنه على قدر عظمة المخاطب يكون إنجاز الوعد[3] ﴿ معجزين ﴾ لأهل ودنا ﴿ فى الارض ﴾ فانهم مأخوذون لا محالة ﴿ و ماوٰهم ﴾[4] أى مسكنهم[4] و منزلهم بعد الأخذ ﴿ النار[5] ﴾ . و لما كانت سكنى الشىء لاتكون[5] إلا بعد الصيرورة إليه قال : ﴿ و لبئس المصير ﴾ مصيرها ! فكيف إذا كان على وجه السكنى .

/٦٦١ و لما كان الملل / من شيم النفوس ، فكان تدريج الكلام فى المقاصد لا سيما الأحكام شيئا فشيئا خلال مقاصد أخرى أوقع فى القلب ، و أشهى إلى الطبع ، لاسيما إذا كان على وجوه من المناسبات عجيبة ، و ضروب من الاتصالات هى مع دقتها غريبة ، زين الله تأصيلها [بتفصيلها[6]] فابتدأ السورة بطائفة منها ، وفصلها بدر[7] الوعظ ، وجواهر الحكم[8] ،

(١) زيد فى الأصل : احد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) فى ظ : كثرتكم (٣ - ٣) ورد ما بين الرقمين فى ظ بعد « تجاوزت عظمتهم » .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : لايكون .
(٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : بدور (٨) فى ظ : الحلم .

والحث على[1] معالى الأخلاق، و مكارم الأعمال، ثم وصلها بالإلهيات[2] التى هى أصولها. و عن على مقاماتها تفرعت فصولها، فلما ختمها بالتمكين لأهل هذا الدين[3]، و توهين أمر المعتدين، شرع فى إكمالها[4]، باثبات بقية أحوالها، تأكيدا لما حكم به من التمكين، و ما ختمه من ذلك من التوهين، و تحذيرا مما ختمه به من العذاب المهين، و تحقيقا لما ألزم به من الطاعة[5]، و لزوم السنة و الجماعة، فقال واصلا بما ختم به الأحكام الأولى، من الأمر بانكاح[6] الأيامى، و الكف عن إكراه البغايا[7]، إثر الذين لم يظهروا على عورات النساء: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أى من الرجال و النساء، إما للتغليب، و إما لأن النساء أولى بحفظ العورة ﴿ ليستأذنكم ﴾ تصديقا لدعوى الإيمان ﴿ الذين ملكت ايمانكم ﴾ من العبيد و الإماء البالغين، و من قاربهم، للدخول عليكم كراهة الاطلاع على عوراتكم و التطرق بذلك إلى مساءتكم[8] ﴿ و الذين ﴾ ظهروا على عورات النساء، و لكنهم ﴿ لم يبلغوا الحلم ﴾ و قيده بقوله: ﴿ منكم ﴾ ليخرج الأرقاء و الكفار ﴿ ثلث مرات ﴾ فى كل دور، و يمكن ان يراد: ثلاث استئذانات فى كل مرة، فان لم يحصل الإذن رجع المستأذن - كما تقدم: المرة الأولى من الأوقات

(١) فى ظ: مع (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بالهيئات (٣-٣) من ظ ومد، و فى الأصل: الدين هذا (٤) فى ظ: كمالها (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: الطاعات (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: بالنكاح (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: البقايا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مسافكم.

الثلاث ﴿ من قبل صلوٰة الفجر ﴾ لأنه وقت القيام من المضاجع و طرح ثياب[1] النوم ﴿و﴾ الثانية ﴿حين تضعون ثيابكم﴾ أى التى للخروج بين الناس ﴿من الظهيرة﴾ للقائلة ﴿و﴾ الثالثة ﴿من بعد صلوٰة العشآء﴾ لأنه وقت الانفصال من ثياب اليقظة، و الاتصال بثياب النوم، و خص[2] هذه الأوقات لأنها ساعات الخلوة[3] و وضع الثياب، و أثبت [«من» -[4]] فى الموضعين دلالة على قرب الزمن من الوقت المذكور لضبطه[5]، و أسقطها فى الأوسط دلالة على استغراقه لأنه غير[6] منضبط؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ ثلث عورٰت ﴾ أى اختلالات فى التستر[7] و التحفظ، و أصل العورة - كما قال البيضاوى: الخلل[8]. لأنه لما كانت [العورة -[9]] تبدو فيها سميت بها ﴿ لكم[10] ﴾ لأنها ساعات وضع الثياب و الخلوة بالأهل؛ و بين حكم ما عدا ذلك بقوله مستأنفا: ﴿ ليس عليكم ﴾ أى فى ترك الأمر ﴿ و لا عليهم ﴾ يعنى العبيد و الخدم و الصبيان، فى ترك الاستئذان ﴿جناح﴾ أى إثم، و أصله الميل ﴿ بعدهن[10] ﴾ أى فى جميع ما سوى هذه الأوقات / إذا هجموا[10] عليكم؛ ثم علل الإباحة فى غيرها، /٦٦٢

(١) فى ظ: ثيات - خطأ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: حصر (٣) من ظ ومد، و فى الأصل: الخلوات (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ: لضبطه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: خير (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الستر (٨) من ظ و مد و مدارك التنزيل، و فى الأصل: للخلل (٩) زيد فى الأصل: اى فى ترك الأمر، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ ومد، و فى الأصل: حجموا.

مخرجا لغيرهم ، مبينا أن حكمة الاستئذان في كل وقت كما مضى بقوله : ﴿ طوافون عليكم ﴾ أى لعمل ما[1] تحتاجونه فى الخدمة كما أنتم طوافون عليهم لعمل ما[1] يصلحهم[2] و يصلحكم فى الاستخدام ﴿ بعضكم ﴾ طواف ﴿ على بعض[1] ﴾ لعمل ما يعجز عنه الآخر أو يشق عليه . فلو عم الأمر بالإستئذان لأدى إلى الحرج . ٥

و لما أعلى سبحانه البيان فى هذه الآيات إلى حد يعجز الإنسان لاسيما [3]و هى[3] فى الأحكام ، و الكلام فيها[4] يعيي أهل البيان ، وكان السامع لما جبل عليه من النسيان ، يذهل عن أن هذا هو الشأن ، فى جميع القرآن ، قال مشيرا إلى عظم شأنها ، فى تفريقها[5] و بيانها : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا البيان ﴿ يبين الله ﴾ بما له من إحاطة العلم و القدرة ﴿ لكم ﴾ [6]أيتها ١٠ الأمة خاصة[6] ﴿ الآيٰت ﴾ فى الأحكام و غيرها ، بعلمه و حكمته[7] ﴿ والله ﴾ الذى له الإحاطة العامة بكل شيء ﴿ عليم ﴾ بكل شيء ﴿ حكيم ﴾ يتقن ما يريده ، فلا يقدر أحد على نقضه ، و[8] ختم الآية بهذا الوصف يدل على أنها محكمة لم تنسخ كما قال الشعبي و غيره - أفاده ابن كثير[9] . و حُكى مثله عن ابن عباس رضى الله عنهما و سعيد بن جبير . ١٥

(١-١) ما بين الرقمين متكرر فى ظ (٢) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فهى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيما (٥) فى ظ : تعريفها (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : حكمه (٨) زيد فى الأصل : لما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) راجع تفسيره ٣/٣٠٣ .

و لما بين حكم الصبيان و الأرقاء الذين هم أطوع للأمر، و أقبل لكل خير، أتبعه حكم البالغين من الأحرار فقال: ﴿و اذا بلغ الاطفال منكم﴾ أى من أحراركم ﴿الحلم﴾ أى السن الذى يكون فيه[1] إنزال المنى برؤية الجماع فى النوم، هذا أصله. و المراد سن مطلق الإنزال ﴿فليستاذنوا﴾ على غيرهم فى جميع الأوقات[2] ﴿كما استاذن الذين من قبلهم[3]﴾ على ما بين[4] فى أول الآيات القائلة "لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا"، و نقل ابن كثير[4] عن يحيى بن أبى كثير و سعيد بن جبير أن الغلام إذا كان رباعيا [فانه -[5]] يستأذن فى العورات الثلاث على أبويه، فاذا بلغ [الحلم-[6]] فليستأذن على كل حال.

و لما كانت آيات الاستئذان أتقن حاسم لمواد[7] الشر، و تركها أعظم فاتح لأبواب الفتن، و كان إخراج الكلام، فى أحكام الحلال و الحرام، مع التهذيب و البيان، فى النهاية من الصعوبة[8]، و كان فطم النفوس عما ألفت فى غاية من العسر شديدة، أشار سبحانه إلى ذلك بتكرير آية البيان، إشارة إلى أنها - لما لها من العلو - جديرة بالتأكيد، و إلى أن البلغاء يستبعدون [القدرة على البيان -[9]] كلما أريد[10] على هذا السنن[10]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: منه (٢) فى ظ: الاقارب - كذا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يبين (٤) راجع تفسيره ٣/٣٠٣ (٥) زيد من التفسير. (٦) زيد من ظ و مد و التفسير (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لمراد. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الضعف به (٩) زيد من ظ و مد. (١٠-١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: عن النفس - كذا.

فقال : ﴿ كذلك ﴾ أى مثـل ذلك[1] البيان الذى بينه فى[2] آيات الأحكام ﴿ يبين الله ﴾ بما له من صفات الكمال ﴿ لكم ﴾ مع ما لكم من خلال[3] النقص ﴿ آيٰته[4] ﴾ أى العلامات الدالة عليه من هذه الفرعيات و ما رقت إليه من الأصليات ، فأضافها إليه[4] سبحانه تعظيما لها ، إشارة إلى أنها مقدمة للآيات الإلهيات ، لأن من [5]لم يتفرغ عن مكدرات[5] الأفكار ، لم يطر ذلك المطار ، /وحثا على تدبر ما تقدم منها لاستحضار مادعت إليه من الحكم ، و فصلت به من المواعظ ، و تنبيها على ما فيها من العلوم النافعة دينا و دنيا ، و زاد فى الترغيب فى العلم و الحكمة إشارة إلى أن ذلك سبب كل سعادة فقال : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بكل شىء ﴿ عليم حكيم ﴾ روى الطبرانى[6] و غيره عن أنس رضى الله عنه قال : لما كانت صبيحة احتلمت دخلت على النبى صلى الله عليه و سلم فأخبرته أنى قد احتلمت ، فقال : لاتدخل على النساء . فما أتى علىّ يوم كان أشد منه .

/ ٦٦٣

و لما ذكر سبحانه اقتبال الشباب ، فى [تغيير حكم الحجاب ، أتبعه الحكم عند إدبار الشباب ، فى - [7]] إلقاء الظاهر من الثياب ، فقال : ﴿ و القواعد ﴾ و حقق الأمر بقوله : ﴿ من النسآء ﴾ جمع قاعد ، و هى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذا (٢) زيد فى الأصل : هذه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) فى ظ : خلاص (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الله (٥ - ٥) فى ظ : يتفرغ من مكدورات (٦) راجع مجمع الزوائد ٤/٣٢٦ (٧) زيد من ظ و مد .

التى قعدت عن الولد و عن الحيض كبرا و عن الزوج . و لما كان هذا الأخير قطبها قال : ﴿ اللّتى لايرجون نكاحا ﴾ أى لعدم رغبتهن فيه أو لوصولهن إلى حد لايرغب فيهن معه ﴿ فليس عليهن جناح ﴾ أى شيء من الحرج فى ﴿ ان يضعن ثيابهن ﴾ أى الظاهرة فوق الثياب

٥ الساترة بحضرة الرجال بدليل قراءة ابن مسعود[1] رضى الله عنه " من ثيابهن " قال أبوصالح : تضع[2] الجلباب ، و هو ما يغطى ثيابها من فوق كالملحفة ، و تقوم بين يدى الرجل فى الدرع و الخمار ﴿غير متبرجت بزينة[4] ﴾ أى متعمدات - بوضع ما أبيح لهن[3] وضعُه - إظهارَ وجوههن مع الزينة ، أو غير متظاهرات بالزينة ، قال فى الجمع بين العباب و المحكم : تبرجت

١٠ المرأة : أظهرت وجهها . و فى القاموس : تبرجت : أظهرت زينتها للرجال - انتهى . و مادة [برج -[4]] تدور على الظهور كما مضى فى الحجر[5] ؛ و قال البيضاوى[6] : و أصل البرج التكلف[7] فى إظهار ما يخفى - انتهى . و كأنه أشير بصيغة التفعل إلى أن ما ظهر منها[7] من وجهها أو زينتها عفوا غير مقصود به الفساد[8] لا حرج فيه .

١٥ و لما ذكر الجائز ، و كان[9] إبداء الوجه داعيا إلى الريبة ، أشار إليه

(١) و أبى بن كعب - كما ذكره فى المعالم - راجع هامش اللباب ٥/٧٣ (٢) فى ظ : يضع (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لها (٤) زيد من ظ و مد . (٥) راجع آية ١٦ (٦) راجع هذه الآية فى المدارك (٧) سقط من ظ (٨) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٩) فى ظ : كأنه .

بقوله

بقوله ذاكرا[1] المستحب، بعثا على اختيار أفضل الأعمال و أحسنها: ﴿و ان يستعففن﴾ أى يطلبن العفة بدوام الستر و عدم التخفف[2] بالقاء الجلباب و الخمار ﴿ خير لهن[4] ﴾ من الإلقاء المذكور .

و لما كان ما ذكر من حالهن من الخلطة على ذلك الوصف معلوما أنه لا يخلو عن كلام ، كان التقدير : فالله فى وضع الحرج عنهن رؤف بهن رحيم ، عطف عليه قوله : ﴿و الله﴾ [أى -[3]] الذى له [جميع -[3]] صفات الكمال ﴿ سميع ﴾ أى لكلامهن إذا خاطبن الرجال هل يخضعن فيه و[4] يتصنعن[5] فى ترخيم الصوت [به -[3]] أو يلقينه على الحالة المعروفة غير المنكرة ﴿ عليم ﴾ بما يقصدن[6] به و بكل شىء .

و لما أتم سبحانه ما ذكر من حرمات البيوت المستلزمة لصيانة الأبضاع[7] على وجه يلزم منه إحراز الأموال ، أتبعه ما يباح من ذلك للأكل الذى هو من أجلّ مقاصد الأموال اجتماعا و انفرادا ، فقال فى جواب من كأنه / سأل : [هل -[3]] هذا التحجير فى البيوت سارٍ فى الأقارب و غيرهم فى جميع الأحوال ؟ : ﴿ ليس على الاعمىٰ حرج ﴾ أى فى مؤاكلة غيره [و ما يأتى من الأحكام ، و إن كره غيره -[3]] أكله لمد يده كيفما اتفق فانه مرحوم ، و الاستئذان من أجل

/ ٦٦٤

(١) من مد ، و فى الأصل : ذكر ، و فى ظ : ذكرا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : التحقق (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٥) فى ظ و مد : يصنعن (٦) فى مد : يقصدون (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الايضاح .

البصر ﴿ولا على الاعرج﴾ [1]الذى لا يرجى ﴿حرج﴾ [و إن تقذر منه بعض المترفين -[2]] فانه يجامعه فى أنه يرحم لنقصه ﴿ولا على المريض﴾ أى مرضا[3] يرجى بعرج أو غيره ﴿حرج﴾ كذلك لمرضه ، و أخره لرجاء برئه[1] ﴿ولا على[3] انفسكم﴾ [أي -[2]] و لا على غير[4] من ذكر ، و عبر بذلك تذكيرا بأن الكل من نفس واحدة ﴿ان تاكلوا من بيوتكم﴾ أى التى فيها عيالكم ، و ذكرها سبحانه لئلا يحصل من تركها لو تركها ريبة ، و ليدخل فيها بيوت الأولاد لأنهم من كسب الأب « أطيب ما أكل الرجل من كسبه و إن ولده من كسبه » « أنت و مالك لأبيك » ﴿او بيوت [1]آبآئكم﴾ و إن بعدت أنسابكم - و لعله جمع لذلك - فانها مرباكم و حرمتها حرمتكم ﴿او بيوت امهٰتكم﴾ كذلك ، و قدم الأب لأنه أجل و هو حاكم بيته دائما و المال له[5] ﴿او بيوت اخوانكم﴾ من الأبوين أو الأب أو الأم بالنسب أو الرضاع ، فانهم من أولى من رضى بذلك بعد الوالدين ، لأنهم أشقاؤكم[6] ، و هم أولياء بيوتهم ﴿او بيوت اخوٰتكم﴾ فانهن بعدهم ، من أجل أن ولى البيت - إذا كن مزوجات - الزوج ﴿او بيوت اعمامكم﴾ فانهم شقائق آبائكم سواء كانوا أشقاء أو لأب أو أم[7] ، و لو أفرد العم لتوهم أنه الشقيق فقط فانه أحق بالاسم ﴿او بيوت عمّٰتكم﴾ فهن بعد الأعمام لضعفهن ، و لأنه ربما

(١) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : مرض (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : غيره (٥) العبارة من هنا إلى « اولياء بيوتهم » ساقطة من ظ (٦) فى مد : منكم (٧) فى ظ : لأم .

كان أولياء بيوتهن الأزواج ﴿ او بيوت اخوالكم ﴾ لأنهم شقائق أمهاتكم ﴿ او بيوت خلتكم ﴾ أخرهن لما ذكر ﴿ او ما ملكتم مفاتحه ﴾ أى التصرف فيه[1] بوجه من الوجوه كالوكالة ﴿ او صديقكم[2] ﴾ الذى[3] تعرفون رضاه بذلك و لو[3] بقرينة كما هو الغالب، و لذلك أطلقه، و إن لم يكن أمكنكم من مفتاحه بل كان عياله فيه، كل ذلك من غير إفساد ٥ و لا حمل و لا ادخار، و قد عدل الصديق هنا بالقريب، تنبيها على شريف رتبة الصداقة و لطيف سرها، و خفيف أمرها، و أفرده لعزته؛ و عن جعفر بن محمد[4]: من عظم حرمة الصديق أن جعله الله كالنفس و الأب و من معه. قال الأصبهانى: و قالوا: إذا دل ظاهر الحال على رضا المالك قام ذلك مقام الإذن الصريح، و ربما سمج[5] الاستئذان و ثقل[5] كمن قدم ١٠ إليه طعام فاستأذن صاحبه فى الأكل.

و لما ذكر معدن الأكل، ذكر حاله فقال: ﴿ليس عليكم جناح﴾ أى شىء من الإثم الذى من شأنه أن يميل بصاحبه عن السواء [فى -[6]] ﴿ان تاكلوا جميعا﴾ أى[3] مجتمعين و إن كان بينكم ناقص الخلقة، لأن من كان معرضا للآفات جدير بأن يرحم المبتلى، فلا يستقذره حذرا من ١٥ انعكاس الحال[7].

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: به (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الذين.
(٣) فى ظ: او (٤) راجع روح المعانى ٦/ ١١٢ (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بالاستيذان نقل الاذن - كذا (٦) زيد من ظ و مد (٧) وقع بعده فى الأصل « او اشتاتا فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم » فرتبنا الآية فيما سيأتى حسب وقوعها فى ظ و مد

/٦٦٥ / و لما رغب فى أول الإسلام - لما كان فيه أكثر الناس من الضيق - فى المؤاساة ، و الاجتماع مع الضيوف ، ترغيبا ظن به الوجوب ، مع [ما - [1]] كانوا عليه من الكرم[2] الباعث على الجود و[3] الاجتماع للأنس بالمحتاج[3] ، خفف عنهم بقوله : [[1]- ﴿او اشتاتا[4]﴾ أى متفرقين لغير قصد الاستقذار ، و الترفع و الإضرار[4] ، و إن كان الأكل فى جماعة أفضل و أبرك - كما يفهمه تقديمه ، فقد روى الإمام أحمد[5] و أبو داود[6] و ابن ماجه[7] عن وحشى بن حرب عن أبيه عن جده أن رجلا قال للنبى صلى الله عليه و سلم : إنا نأكل و لانشبع ، قال : فلعلكم تأكلون متفرقين ؟ اجتمعوا على طعامكم ، و اذكروا اسم الله يبارك لكم فيه . و لابن ماجه[7] عن عمر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال : كلوا جميعا و لا تفرقوا فان البركة مع الجماعة .

و لما ذكر موطن الأكل و كيفيته ، ذكر الحال التى يكون عليها الداخل إلى تلك المواطن أو غيرها ، فقال مسببا عما مضى من الإذن ، معبرا بأداة التحقيق ، بشارة بأنهم يطيعون بعد أن كانوا تحرجوا من ذلك حين أنزل تعالى « لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل[8] » : ﴿فاذا دخلتم﴾ أى بسبب ذلك أو غيره ﴿ بيوتا ﴾ أى مأذونا فيها ، أىّ بيوت كانت مملوكة أو لا ، مساجد أو غيرها ﴿فسلموا﴾ عقب الدخول ﴿على[7] انفسكم﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المكرم (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاهتمام للانفس للحتاج - كذا (٤) فى ظ : الاضطرار .
(٥) فى المسند ٣/٥٠١ (٦) فى السنن ٢/٨٧ (٧) فى السنن ٢٤٤ (٨) سورة ٤ آية ٢٩ .

أى

أى أهلها الذين هم منكم دينا و قربا ، و عبر بذلك ترغيبا فى السلام ، و الإحسان فى الإكرام ، و لتصلح العبارة لما إذا لم يكن فيها أحد فيقال حينئذ « السلام علينا و على عباد الله الصالحين » فيكون من الاستعمال] فى الحقيقة و المجاز ﴿ تحية ﴾ مصدر من المعنى دون اللفظ ، [1]أى أوقعوا الدعاء للحي بسلامة و حياة و ملك و بقاء[1] ﴿ من عند الله ﴾ أى هى ٥ جديرة لتمام حسنها أن تضاف إلى من له الكمال كله سبحانه ﴿ مبركة ﴾ أى ثابتة أعظم ثبات بكونها موافقة لما شرع الله[2] من خالص قلوبكم ﴿ طيبة[3] ﴾ تلذذ السمع ؛ ثم[3] وصف البيان ، تنبيها على ما فى هذه الآيات من الحسن و الإحسان ، فقال مستأنفا كما مر غير مرة : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا البيان ، العظيم الشأن ﴿ يبين الله ﴾ [أى -[4]] المحيط بكل ١٠ شىء ﴿ لكم الآيت ﴾ التى لا أكمل منها .

و لما كان الله تعالى ، بعلمه و حكمته ، و عزه و قدرته ، و لطفه و خبرته ، قد خلق عقلا نيرا يهدى إلى الحق ، و إلى طريق مستقيم ، و قسمه بين عباده ، و خلق فيهم أنواعا من العوائق لذلك العقل عن النفوذ على سمت الاستقامة ، من الهوى و الكسل ، و الفتور و الملل[5] ، جعلها حجبا ١٥ تحجبه[5] عن النفوذ ، و تستر[6] عنه المدارك ، و تمنعه من البلوغ ، إلا برياضات

(١-١) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد بعده فى الأصل : اكد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : الملك . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يحجبه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يستر .

مجاهدات تكل عنها القوى، و تضعف عندها[1] العزائم، فلا يكاد الماهر منهم يرتب[2] قياسا[3] صحيحا، لغلطه فى المقدمات، فتكون النتيجة حينئذ فاسدة[4] القاعدة، واهية الأساس، فكانوا لايزالون[5] لذلك مختلفين، حتى يوصلهم الاختلاف إلى الإحن، و المشاجرة و الفتن، فيجرهم[6] إلى السيف و ذهاب النفوس و تلف الأرواح، فأنزل سبحانه لهم فى كل وقت شرعا يليق بذلك الزمان على لسان رسول من رسله عليهم الصلاة و السلام، جعل ذلك الشرع[7] يطابق العقل السوى[8]، و النور الضوى، و المنهل الروى، و السبب[9] القوى، من تمسك به هدى و لم يزغ، حد فيه سبحانه[10] حدودا، و أقام فيه زواجر، لتظهر حكمته، و يتضح علمه و قدرته، فصارت شرائع متفقة الأصول، مختلفة الفروع، بحسب الأزمنة، إشارة إلى أن الفاعل [فى -[11]] تغيير الأحكام بحسب الأزمان واحد مختار، و امتحانا للعباد، تمييزا لأهل الصلاح منهم من أهل الفساد، و كأنت الإغارة على شىء من الأعراض و[12] الأموال على غير ما أذن

(١) من ظ ومد، و فى الأصل: عنها (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: بريت. (٣) زيد فى الأصل: شديدا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل: العقيدة و، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لايزال (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فتجرهم (٧) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: السرى (٩) فى ظ: البيت (١٠) زيد فى الأصل: و اقام، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١١) زيد من ظ و مد (١٢) سقط من ظ.

فيه تُذهب العقول، و تعمى البصائر، ختم الآية بقوله: ﴿لعلكم تعقلون ع﴾ أى لتكونوا على رجاء عند من يصح منه الرجاء من ثبات هذا الوصف لكم، و هو ضبط[1] النفوس و ردها عن الأهوية، باتباع آيات الشرع التى أنزلها الذى كرر وصفه هنا بأنه عليم حكيم، فلا تتولوا بعد قولكم "سمعنا و اطعنا" عن الإذعان للأحكام و أنتم معرضون. ٥

و لما كان سبحانه قد نفى عنهم الإيمان بالتولى عن الأحكام، و تلاه[2] بما رأيت أن نظمه أحسن / نظام، حتى ختم بما أومأ إلى أن من عمى عن أحكامه بعد هذا البيان مسلوب العقل، و كرر فى هذه السورة ذكر البيان، تكريرا[3] أشار إلى لمعان المعانى [4]بأمتن بنان[4]، حتى صارت مشخصات للعيان، و بين من حاز وصف الإيمان، بحسن الاستئذان، وكان أمر ١٠ الرسول صلى الله عليه و سلم أجلّ[5] موطن تجب الإقامة فيه و يهجر ما عداه من الأوطان، فتصير الأرض برحبها ضيقة لأجله، محظورا سلوكها من جرّاه، بمنزلة بيت الغير الذى لا يحل دخوله بغير إذن، قال معرفا[6] بذلك على طريق الحصر مقابلا لسلب[7] "و ما اولئك بالمؤمنين" مبينا عظيم الجناية[8] فى الذهاب عن مجلس النبى صلى الله عليه و سلم المقتضى ١٥ للجمع من غير إذن: ﴿انما المؤمنون﴾ أى الكاملون [الذين لهم الفلاح -[9]]

/ ٦٦٦

(١) فى ظ: هبط (٢) فى مد: تلا (٣) فى ظ: اشار (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: باسن بيان (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: معرضا (٧) فى ظ: للسلب (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الخيانة (٩) زيد من ظ و مد.

﴿ الذين آمنوا بالله ﴾ أى الملك الأعلى ﴿ و رسوله ﴾ ظاهرا و باطنا .
و لما كان الكلام فى الراسخين ، كان الموضع لأداة التحقيق فقال :
﴿ و اذا ﴾ أى و صدقوا إيمانهم بأنهم إذا ﴿ كانوا معه ﴾ أى الرسول
صلى الله عليه و سلم ﴿ على امر جامع ﴾ أى لهم على الله ، كالجهاد
٥ لأعداء الله ، و التشاور فى مهم ، و صلاة الجمعة ، و نحو ذلك
﴿ لم يذهبوا ﴾ عن ذلك الأمر خطوة إلى موضع من الأرض و لو
أنه بيوتهم ، لشىء من الأشياء و لو أنه أهم مهماتهم ، لأنه أخذ عليهم الميثاق
بالطاعة[1] فى العسر و اليسر و المنشط و المكره ﴿ حتى يستاذنوه[1] ﴾ فيأذن
لهم ، لأن المأمور به قد صار منزلهم و مأواهم [2]و متبوأهم[2] ، و صار كل
١٠ ما سواه من الأماكن و الأمور له عليه الصلاة و السلام دونهم ،
لا حظ لهم فيه ، فلا يحل لهم أن يدخلوه حسا أو معنى إلا باذنه ، و هذا
من عظيم التنبيه على علىّ أمره ، و شريف قدره ، و ذلك أنه سبحانه
كما أمرهم بالاستئذان عند الدخول عليه و على غيره ، أفرده بأمرهم
باستئذانه عند الانصراف عنه صلى الله عليه و سلم ، و جعل [رتبة -[3]]
١٥ ذلك [تالية -[3]] لرتبة الإيمان بالله و الرسول ، و جعلهما كالتسبيب[4]
له مع تصدير الجملة بأداة الحصر ، و إيقاع المؤمنين فى مبتدأ مخبرا عنه
بموصول أحاطت وصلته[5] بالرتب الثلاث[6] شرحا له .

(١) فى ظ : فى الطاعة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : كالتسبب (٥) من مد ، و فى الأصل : صلته ،
و فى ظ : سلته (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الثلاثة .

و لما نفى عن المؤمنين الذهاب إلى غاية الاستئذان، فأفهم أن المستأذن مؤمن، صرح بهذا المفهوم ليكون آكد، فقال تشديدا فى الإخلال بالأدب بين يديه صلى الله عليه و سلم، و تأكيدا لحفظ حرمته و الأدب معه [لئلا يتشوش فكره -[1]] فى أسلوب آخر، و[2] بيانا لأن[3] الاستئذان مصداق الإيمان: ﴿ ان الذين يستاذنونك ﴾ أى يطلبون إذنك لهم إذا ٥ أرادوا الانصراف، فى شىء من أمورهم التى يحتمل أن تمنع[4] منها ﴿اولئك﴾ العالو الرتبة خاصة ﴿الذين يؤمنون﴾ أى يوجدون الإيمان فى كل وقت ﴿بالله﴾ الذى له الأمر كله فلا كفوء له ﴿و رسوله ج﴾ و ذلك ناظم لأشتات[5] خصال الإيمان ـ

و لما قصرهم على الاستئذان، تسبب عن / ذلك إعلامه صلى الله ١٠ / ٦٦٧ عليه و سلم بما يفعل[6] إذ ذاك فقال: ﴿ فاذا استاذنوك ﴾ أى هؤلاء الذين صحت دعواهم؛ و شدد عليهم تأكيدا لتعظيم الأدب[6] معه صلى الله عليه و سلم بقوله: ﴿ لبعض شانهم ﴾ و هو ما تشتد الحاجة إليه ﴿ فاذن لمن شئت منهم ﴾ قيل: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة فمن أراد أن يخرج لعذر قام بحياله فيعرف ١٥ أنه يستأذن فيأذن[7] [لمن شاء، قال مجاهد: و إذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده، و قيل: كذلك ينبغى أن يكون الناس مع أئمتهم و مقدميهم

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بيان (٣) فى ظ و مد: يمنع (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الاشتات (٥) فى ظ: ينقل. (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: للادب (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فيكون.

فى الدين و العلم لا يخذلونهم فى نازلة من النوازل -[١]] .

و لما أثبت له بهذا التفويض من الشرف ما لا يبلغ وصفه ، أفهمهم[٢] أن حال المستأذن قاصرة عن[٣] حال المفوض الملازم كيفما كانت ، فقال : ﴿ و استغفر لهم الله[٤] ﴾ أى الذى له الغنى المطلق ، فلا تنفعه طاعة ، و لا تضره معصية ، أو يكون الكلام شاملا لمن صحت دعواه و غيره ؛ ثم علل ذلك ترغيبا فى الاستغفار ، و تطييبا لقلوب أهل الأوزار ، بقوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى له هذا الوصف فهو جدير بأن يغفر لهم ما قصروا فيه ﴿ رحيم ٥ ﴾ أى فكل ما أمرهم به فهو خير لهم و إن تراءى لهم خلافه .

و لما أظهرت هذه السورة بعمومها[٥] ، و هذه الآيات بخصوصها ، من شرف الرسول ما بهر[٦] العقول ، لأجل ما وقع للنافق من التجرؤ على[٦] ذلك الجناب الأشم ، و المنصب الأتم ، و علم منه أن له صلى الله عليه و سلم فى كل أمره و جميع شأنه خصوصية ليست لغيره ، صرح بذلك تفخيما للشأن ، و تعظيما للقام ، ليتأدب من ناضل[٧] عن المنافق ، أو توانى فى أمره فقصر عن مدى أهل السوابق ، فقال منبها على أن المصائب سبب لإظهار المناقب أو إشهار[٨] المعايب ﴿ لا تجعلوا ﴾ [أى يا أيها الذين آمنوا - [١]] ﴿ دعآء الرسول ﴾ أى لكم الذى يوقعه ﴿ بينكم ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : افهم (٣) فى ظ : على (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لعمومها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهم (٦) فى ظ : عن . (٧) فى ظ : اضل - كذا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشتهار .

و لو على سبيل العموم ، فى وجوب الامتثال ﴿ كدعآء بعضكم بعضا[1] ﴾ فان أمره عظيم ، و مخالفته استحلالا كفر ، و لا تجعلوا أيضا دعاءكم إياه كدعاء بعضكم لبعض بمجرد الاسم ، بل تأدبوا معه بالتفخيم و التبجيل و التعظيم كما سن الله[1] بنحو : يا أيها [النبى ، و يا أيها -[2]] الرسول ، [مع إظهار الأدب فى هيئة القول و الفعل بخفض الصوت و التواضع -[2]] . ٥

و لما كان بعضهم يظهر المؤالفة ، و يبطن المخالفة ، حذر من ذلك بشمول علمه و تمام قدرته ، فقال معللا مؤكدا محققا معلما بتجديد[3] تعليق العلم الشهودى كلما جدد أحد خيانة لدوام اتصافه بأحاطة العلم من غير نظر إلى زمان : ﴿ قد يعلم الله ﴾ أى الحائز لجميع صفات المجد [4]إن ظننتم[4] أن ما تفعلونه[5] من التستر يخفى أمركم على رسوله صلى الله عليه و سلم ، فهو سبحانه يعلم ﴿الذين يتسللون﴾ و عين أهل التوبيخ بقوله : ﴿ منكم ﴾ أى يتكلفون سلّ أنفسهم ليجعلوا ذهابهم فى غاية الخفاء ﴿لواذا ج﴾ أى تسللا مستخفين [به -[2]] بتستر بعضهم فيه ببعض ؛ يقال : لاذ بالشىء لوذا[1] و لواذا و ملاوذة : استتر و تحصن ، فهو مصدر لتسلل من غير لفظه ، و لعله أدخل " قد " على المضارع ليزيد أهل التحقيق تحقيقا[6] ، و يفتح لأهل الريب إلى الاحتمال طريقا ، فانه يكفى فى الخوف / من النكال طروق الاحتمال ؛ و سبب عن علمه قوله : /٦٦٨

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتجدد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : يفعلونه (٦) فى مد : تحققا .

﴿ فليحذر ﴾ أى يوقع الحذر ﴿ الذين يخالفون ﴾ أى يوقعون مخالفته بالذهاب مجاوزين معرضين ﴿ عن امره ﴾ أى أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم ، إلى خلافه ﴿ ان تصيبهم فتنة ﴾ أى شىء يخالطهم فى الدنيا فيحيل[1] أمورهم إلى غير الحالة المحبوبة التى كانوا عليها ﴿ او يصيبهم عذاب اليم ﴾ فى الآخرة ، و هذا يدل على أن الأمر للوجوب حتى يصرف عنه صارف، لترتيب[2] العقاب على الإخلال به ، لأن التحذير من العقاب إنما يكون بعد قيام المقتضى لنزول العذاب .

و لما أقام سبحانه الأدلة على أنه نور السماوات و الأرض بأنه[3] لا قيام لشىء إلا به سبحانه ، و ختم بالتحذير[4] لكل مخالف ، أنتج ذلك أن له كل شىء فقال : ﴿ الآ ان لله ﴾ أى الذى له جميع المجد جميع ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ [و لثبوت أنه سبحانه محيط العلم و القدرة ، لم يقتض المقام التأكيد باعادة الموصول فقال -[5]] : ﴿ و الارض ﴾ أى من جوهر و عرض ، و هما[6] له أيضا لأن الأرض فى السماء ، و كل سماء فى التى فوقها حتى ينتهى ذلك إلى العرش الذى صرح فى غير آية أنه صاحبه ، و هو سماء أيضا لعلوه عما دونه ، فكل ما فيه له ، و ذلك أبلغ - لدلالته بطريق المجاز - مما لو[7] صرح به ، فدل ذلك - بعد الدلالة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيحتمل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الترتب (٣) فى ظ : لانه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : التحذير ؛ و زيد قبله فى مد : الآية ، ثم ضرب عليه (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ : بما . (٧) سقط من ظ .

على

على وجوده - [1]على وحدانيته ، و كمال علمه و قدرته .

و لما كانت أحوالهم من جملة ما له ، كان من المعلوم أنها لم تقم في أصلها و لا بقاء لها إلا بعلمه [و -[2]] لأنها[3] بخلقه ، فلذلك قال محققا مؤكدا مرهبا : ﴿ قد يعلم ما أنتم ﴾ أيها الناس كلكم ﴿ عليه[4] ﴾ أي الآن ، و المراد بالمضارع هنا وجود الوصف من غير نظر إلى زمان ، ٥ و لو عبر بالماضي لتوهم الاختصاص به ، و الكلام في إدخال "قد" عليه كما مضى آنفا باعتبار / أولى[4] النفوذ في البصر ، و أهل الكلال[5] و الكدر ٦٦٩ / ﴿ و يوم ﴾ أي و يعلم ما هم عليه يوم ﴿ يرجعون ﴾ أي بقهر قاهر لهم على ذلك ، لا يقدرون له على دفاع ، و لا نوع امتناع ﴿ اليه ﴾[6] و كان[6] الأصل : ما أنتم عليه ، و لكنه أعرض عنهم تهويلا للأمر ، أو يكون ١٠ ذلك خاصا بالمتولين[7] المعرضين[8] إشارة إلى أنهم يناقشون الحساب ، و[9] يكون سر الالتفات التنبيه على الإعراض عن المكذب بالقيامة ، و الإقبال على المصدق ، صونا لنفيس الكلام ، عن الجفاة الأغبياء اللئام ﴿ فينبئهم ﴾ أي فيتسبب عن ذلك أنه يخبرهم تخبيرا عظيما ﴿ بما عملوا[4] ﴾ فليعدوا لكل شيء منه جوابا ﴿ و الله ﴾ أي الذي له الإحاطة الكاملة ﴿ بكل شيء ﴾ من ذلك و غيره ﴿ عليم ﴾ فلذلك أنزل الآيات

(١) زيدت الواو قبله في الأصل، ولم تكن في ظ و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ و مد (٣) في ظ : انها (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : الى (٥) في مد : الكلام. (٦-٦) من ظ و مد ، و في الأصل : فكان (٧) في ظ : بالمومنين (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : المعرضون (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : او .

البينات[1] ، وكان نور الأرض والسماوات ، فقد رد الختام على المبدا ، والتحم الآخر بالأول والأثنا - والله الهادى[2] .

* * *

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : المبينات (٢) زيد بعده فى ظ و مد : قال مؤلفه عفا الله عنه « هذا آخر الجزء الرابع من كتاب نظم الدرر من تناسب الآى والسور ، إنشاء كاتبه أفقر الخلائق إلى عفو الخالق أبى الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على أبى بكر البقاعى الشافعى نزيل القاهرة المعزية ، وكان الفراغ من تبييض ما نقل منه فى نصف ذى الحجة الحرام سنة ثمان وستين وثمانمائة من مسجدى من رحبة باب العبد بالقاهرة ، وكان ثالثا فى اثنين وثلاثين كراسا ، فكثرت فيه الإلحاقات فصار مسودة فنقلته فى ثمانية وأربعين كراسا فجعلته فى مجلدين فكان هذا رابعا ، وكان فراغى منه يوم الثلاثاء تاسع عشرى [فى ظ : تاسع عشر] شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وثمانمائة ["وثمانمائة" ليس فى مد] والحمد لله رب العالمين » انتهى ما وجده العبد الفقير إلى الله تعالى سالم السنهورى المالكى [وفى ظ : انتهى ما وجدته] فى آخر الجزء المنقول منه بخط مؤلفه ، وبعده فى مد : ووافق فراغ الفقير المذكور من نقل الجزء المبارك فى يوم الثلاثاء المبارك بعيد عصره فى شهر ربيع الأول من شهور سنة سبعين وتسعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل ، وفى ظ : كانت النسخة التى نقلت منها هذه النسخة والحمد لله وحده .

[1]سورة الفرقان[2]

مقصودها إنذار عامة المكلفين بما له سبحانه من القدرة الشاملة ، المستلزم للعلم التام ، المدلول عليه بهذا القرآن المبين ، المستلزم لأنه[3] / لا موجد على الحقيقة سواه ، فهو الحق ، و ما سواه باطل ، و تسميتها بالفرقان واضح الدلالة على ذلك ، فان الكتاب ما نزل إلا للتفرقة بين الملتبسات ، و تمييز الحق من الباطل " ليهلك من هلك عن بينة و يحيى من حيّ عن بينة " فلا يكون لأحد على الله حجة ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الحجة البالغة[4] ، لإحاطة عظمته ، [5]و شمول[5] علمه و قدرته ﴿ الرحمن ﴾ [6]الذى عم بنعمة الفرقان ، أهلَ الإيمان و الكفران[6] ﴿ الرحيم[5] ﴾ الذى خصّ من شاء من عباده بملابس الرضوان .

/ ٦٦٩

لما ختم سبحانه تلك بسعة الملك ، و شمول العلم ، و تعظيم الرسول ،

(١) زيد فى ظ و مد استمرارا لما مضى آنفا : قال الشيخ الإمام ، العالم العلامة ، فريد عصره ، و وحيد دهره ، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر الشافعى - لطف الله تعالى بهم أجمعين ، و أدخلهم جنان النعيم ، و أعاذهم من عذاب الجحيم - فى كتابه نظم الدرر من تناسب الآى و السور (٢) الخامسة و العشرون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياتها سبع و سبعون آية بلا خلاف - راجع روح المعانى ٦ / ١١٩ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بانه (٤) فى ظ : القاطعة (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لشمول (٦-٦) بياض فى الأصل عبأناه من ظ و مد .

و التهديد لمن تجاوز الحد ، افتتح هذه[1] بمثل ذلك على وجه - مع كونه أضخم منه - هو برهان عليه فقال : ﴿تبارك﴾ أى ثبت ثبوتا مع اليمن و الخير الذى به سبقت الرحمة الغضب ، و التعالى فى الصفات و الأفعال ، فلا ثبوت يدانيه ، و لا يكون ذلك كذلك إلا بتمام قدرته ، و لا تتم قدرته إلا بشمول علمه ، و هذا الفعل مطاوع 'بارك' و هو مختص بالله تعالى لم يستعمل لغيره ، و لذلك لم ينصرف لمستقبل[2] و لا اسم فاعل ؛ ثم وصف نفسه الشريفة بما يدل على ذلك فقال : ﴿ الذى ﴾ .

[و لما كان تكرار الإنذار - الذى هو مقصود السورة - أنفع ، و تفريقه فى أوقات متراسلة أصدع[3] للقلوب و أردع ، و كان إيضاح المشكلات ، فى الفرق بين الملتبسات[4] ، أعون بما يكون علة ، عبر بما يدل على الفرق و قدمه فقال -[5]] : ﴿ نزل الفرقان ﴾ أى الكتاب الذى [6]نزل[7] إلى سماء الدنيا فكان كتابا ، ثم نزل مفرقا بحسب المصالح ، فسمى لذلك[8] فرقانا ، و لأنه الفارق بين كل ملتبس[9] ، فلا يدع خفاء إلا بينه ، و لاحقا إلا أثبته ، و لاباطلا إلا نفاه و محقه ، فيه انتظام الحياة الأولى

(١) زيد فى الأصل : السورة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمستقبل (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : المتلبسات (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى « كتابا ثم » متكررة فى الأصل فقط (٧) زيد فى الأصل : جملة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من مد ، و فى الأصل : ذلك ، و فى ظ : بذلك .
(٩) فى ظ : متلبس .

و الأخرى ، فكان قاطعا على علم منزله[1] ، و من علمه الباهر إنزاله ﴿على عبده﴾ أى الذى لا أحق منه باضافته إلى ضميره الشريف ، لأنه خالص [له -[2]] ، لاشائبة لغيره فيه أصلا ، و لم يجز[3] مخلوق ما حاز من طهارة الشيم ، و ارتفاع الهمم ، و لا شك أن الرسول دال على مرسله فى مقدار علمه ، و كثرة جنده ، و اتساع ملكه " الله اعلم[4] حيث يجعل رسالته " ثم علل إنزاله عليه بقوله : ﴿ليكون﴾ أى العبد أو الفرقان .

[و لما كان العالم ما سوى الله ، و كان ربما ادعى مدع أن المراد البعض ، لأنه قد يطلق اللفظ على جزء معناه بدلالة التضمن ، و كان الجمع لا بد أن يفيد ما أفاده المفرد بزيادة ، جمع ليعرف أن المراد المدلول المطابق ، مع التصريح باستغراق جميع الأنواع الداخلة تحت مفهوم المفرد ، و اختار جمع العقلاء تغليبا ، إعلاما بأنهم المقصودون بالذات فقال -[2]] : ﴿ للعٰلمين ﴾ أى المكلفين كلهم من الجن و الإنس و الملائكة .

و لما كان كل من الكتاب و المنزل عليه بالغا فى معناه[5] ، عبر بما يصح أن يراد به المنذر و الإنذار على وجه المبالغة فقال : ﴿نذيرا﴾ أى و بشيرا ، و إنما اقتصر على النذارة للاشارة إلى[6] البشارة بلفظ " تبرك " و لأن المقام لها ، لما ختم [به -[2]] تلك من إعراض المتولين عن الأحكام ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : منزلة (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يجر (٤) فى ظ : يعلم - خطأ (٥) زيد فى الأصل : ثم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : على .

و نفى الإيمان عنهم بانتفاء الإسلام ، و فيه إشارة إلى كثرة المستحقين للنذارة ، و لا التفات إلى من قال : إن الرازى و البرهان النسفى نقلا الإجماع على أنه صلى الله عليه و سلم لم يرسل [إلى -[1]] الملائكة ، فان عبارة الرازى فى بعض نسخ تفسيره : لكنا أجمعنا على [أنه لم يرسل إلى الملائكة ، و فى أكثر النسخ : بينا - بدل : أجمعنا ، على -[1]] أنه[2] لو اتفقت جميع النسخ [عليها -[1]] لم تضر ، لأنها غير صريحة فى إرادة الإجماع ، و لأن الإجماع لايثبت / بنقل واحد لاسيما فى مثل هذا الذى تظافرت الظواهر على خلافه ، و لم يرد مانع منه ، و أما البرهان النسفى فمن الرازى أخذ ، و عبر بعبارته ، فصارا واحدا ، و قد بينت[3] ذلك عند قوله تعالى فى سورة الأنعام[4] "لانذركم به و من بلغ" بيانا شافيا لا ارتياب معه ، بل و لو قيل : إن الآية[5] على ظاهرها ، لاخصوص فيها بالعقلاء ، و تكليف كل شىء بحسبه ، لكان وجها ، و بذلك صرح[6] الإمام تاج الدين السبكى فى أول الترشيح فى قوله : « و أصلى على نبيه محمد المصطفى المبعوث إلى كل شىء » و كذلك المحب الطبرى فى آخر « القرى[7] لقاصدى[8] أم القرى » و ذلك لأنه صلى الله عليه و سلم ما دعا جامدا

/٦٧٠

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : امة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يثبت (٤) راجع نظم الدرر ٧/٤٢ و ٤٣ (٥) فى ظ : الملائكة . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : خرج (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفترى - كذا (٨) من كشف الظنون ، و فى الأصل : لقاصد ، و فى ظ و مد : القاصد .

و لا متحركا غير الإنسان إلا أجابه بما هو مقتضى "انا عرضنا الامانة على السمٰوٰت و الارض و الجبال فابين ان يحملنها" الآية[١]، دعا[٢] غير مرة عدة من أغصان الأشجار فأتته تسجد له، ثم أمرها بأن ترجع إلى مكانها ففعلت؛ و دعا الضب و غيره من الحيوانات العجم فأطاعته؛ و دعا الأشجار غير مرة فسمعت[٣] و سعت إليه[٣]؛ و أمر الجبل[٤] لما رجف فأذعن؛ و أرسل إلى نخل[٥] و أحجار[٦] يأمرهن بالاجتماع ليقضى[٧] إليهن حاجة ففعلن، ثم أرسل يأمرهن بالرجوع إلى أماكنهن فأجبن؛ و غمز الأرض فنبع[٨] منها الماء؛ و أرسل سهمه إلى البئر فجاشت بالرواء[٩] - إلى غير ذلك مما هو مضمن فى دلائل النبوة[١٠]، بل و لا دعا طفلا رضيعا إلا شهد له[١١] لكونه على الفطرة الأولى - إلى غير ذلك مما هو دال على ظاهر الآية المقتضى لزيادة شرفه صلى الله عليه و سلم من غير محذور يلزم عليه و لا نص يخالفه - و الله الهادى.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه: لما تضمنت سورة

(١) ٧٢ من سورة الأحزاب (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: وهى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الخيل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بحرا (٦) فى ظ و مد: اشجار، و الصواب ما فى الأصل - راجع الشفا ١٤٩ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يقضى (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فمنع (٩) من ظ و مد و مسند الإمام أحمد ٤/٣٢٣، و فى الأصل: بالردى. (١٠) راجع لمعظم ما مضى منها دلائل النبوة للأصفهانى، و الخصائص الكبرى للبيهقى، و الشفا للقاضى عياض، و مجمع الزوائد للهيثمى ج ٨ و ٩ (١١) كما مر فى قصة مبارك اليمامة.

النور بيان كثير من الأحكام كحكم الزنا ، و رمى الزوجات به ، و القذف ، و الاستئذان ، و الحجاب ، و إسعاف الفقير ، و الكتابة[1] ، و غير ذلك ، و الكشف عن مغيبات ، من تغاير حالات ، تبين[2] بمعرفتها و الاطلاع عليها الخبيث من الطيب ، كاطلاعه سبحانه نبيه و المؤمنين[3] على ما ٥ تقوّله[4] أهل الإفك ، و بيان سوء حالهم ، و اضمحلال محالهم ، فى قصة المنافقين فى إظهارهم ضد ما يضمرون ؛ ثم كريم[5] وعده للخلفاء الراشدين " وعد الله الذين آمنوا منكم " ثم ما[6] فضح به [تعالى - [7]] منافق الخندق " قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا " - إلى آخر الآية ، فكان مجموع هذا فرقانا يعتضد به الإيمان ، و لاينكره [8]مقر بالرحمن[8] ، ١٠ يشهد[9] لرسول الله صلى الله عليه و سلم بصحة رسالته ، و يوضح مضمن قوله " لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم " من عظيم قدره صلى الله عليه و سلم و علىّ جلالته ، أتبعه سبحانه بقوله تعالى " تبارك الذى نزل الفرقان على عبده " و هو القرآن الفارق بين الحق و الباطل ، و المطلع على ما أخفاه[10] المنافقون و أبطنوه من المكر و الكفر " ليكون للعالمين نذيرا " ١٥ فيحذرهم من مرتكبات المنافقين و[11] التشبه بهم ؛ ثم تناسج[12] الكلام ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكفاية (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : مبين (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المومنون (٤) فى ظ : يقوله (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كرر (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ربما (٧) زيد من ظ ومد (٨ - ٨) فى ظ : مقربا للرحمن (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليشهد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : أخفا (١١) فى ظ : فى (١٢) من مد ، و فى الأصل : تاسج ، و فى ظ : تناسخ .

و التحم

و التحم جليل المعهود من ذلك النظام ، و تضمنت هذه السورة من التعى على الكفار و التعريف ببهتهم / و سوء مرتكبهم ما لم يتضمن كثير من نظائرها كقولهم "ما لهذا الرسول يأكل الطعام" الآيات ، و قولهم "لولا انزل علينا الملئكة او نرى ربنا" و قولهم "لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة" و قولهم "و ما الرحمن" إلى ما عضد هذه و تخللها ، و لهذا ختمت[1] بقاطع الوعيد ، و أشد التهديد ، و هو قوله سبحانه "فقد كذبتم فسوف يكون لزاما" - انتهى . ٦٧١ / ٥

و لما تقدم ذكر منزل الفرقان[2] سبحانه ، [3]و ذكر[3] الفرقان و المنزل عليه على طريق الإجمال ، أتبع ذلك تفصيله على الترتيب ، فبدأ بوصف المنزل سبحانه بما هو أدل دليل على إرادة التعميم فى الرسالة لكل من يريد ، فقال : ﴿ الذى له ﴾ أى وحده ﴿ ملك السمٰوٰت و الارض ﴾ فلا إنكار لأن يرسل رسولا إلى كل من فيهما[4] ﴿ و لم يتخذ ولدا ﴾ ليتكبر على رسوله ﴿ و لم يكن له شريك فى الملك ﴾ ليناقضه فى الرسالة أو يقاسمه إياها ، فيكون بعض الخلق خارجا عن رسالته ، أو مراعيا لأمر غير أمره . ١٠ ١٥

و لما كان وقوف الشىء عند[5] حد - بحيث لايقدر أن يتعداه إلى حد [شىء -[6]] آخر سواه ، فهذا حيوان لايقدر على جعل نفسه جمادا

(١) فى ظ : ختمته (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : القرآن (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : نزل (٤) فى ظ : فيها (٥) فى ظ : عن (٦) زيد من ظ و مد .

و لا[1] أعلى من الحيوان، و هـذا جماد لا يمكنه جعل نفسه حيوانا و لا أسفل من رتبة الجماد إلى غير ذلك مما يعجز الخلق عن شرحه - دالا[2] على أنـه مخلوق مربوب، قال تعالى: ﴿ و خلق ﴾ أى أحدث إحداثا مراعى فيه التقدير و التسوية ﴿ كل شىء ﴾ أى مما[3] ادعى فيه الولدية[4] أو الشرك[4] و غيره.

و لما كان قد سوى كل شىء لما يصلح له و هيأه لذلك، قال شارحا [و محققا -[5]] لمعنى[6] «خلق»: ﴿ فقدره ﴾ فى إيجاده من غير تفاوت ﴿ تقديرا ﴾ أى لا يمكن ذلك الشىء مجاوزته فيما خلق لأجله و هيئ و يسر له إلى غيره بوجه من الوجوه.

و لما ذكرهم بما ركز[7] فى فطرهم من العلم، عجب منهم لكل ذى عقل فى جملة حالية فيما خالفوا ما لهم من المشاهدة، فقال مضمرا للفاعل إشارة إلى استهجان نسبة هذا الفعل إلى فاعل معين توبيخا لهم و إرشادا إلى المبادرة من كل سامع إلى نفيه عنه[8] فقال: ﴿ و اتخذوا ﴾ [أى كلف أنفسهم عبدة الأوثان أن -[5]] أخذوا.

و لما كان علوه لا يحد، فكانت[9] الرتب السافلة[9] عن رتبته لا تحصى، نبه على ذلك بالجار فقال: ﴿ من دونه ﴾ أى بعد ما قام من الدليل

(١) زيد فى ظ و مد: على (٢) فى ظ: دال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ما.
(٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: و الشر له - كذا (٥) زيد من ظ و مد.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: معنى (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ذكر.
(٨) فى ظ: منه (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: المرتب الناقلة.

على أنه الإله وحده من الحيثيات[1] التى تقدمت ﴿ آلهة ﴾[2] المتخذون مشاهدون لأنهم كما قال تعالى: ﴿لا يخلقون شيئا﴾ أى[3] لا أعجز منهم، [لا -[4]] يكون منهم إيجاد[5] شىء، فهم دون من عبدهم.

و لما كان المتعنت ربما ادعى أنهم مع ذلك غير مخلوقين قال: ﴿و هم يخلقون﴾ [أى بما يشاهد فيهم من التغير و الطواعية لمشيئته سبحانه، و من ذلك أن عبدتهم افتعلوهم بالنحت و التصوير. و لما قرر أنه أنعم على كل شىء، و كانت النعم أكثر وجودا، و كان أدنى نعمة على الشىء خلقه سبحانه له، أخبر أن ذلك الغير لا يقدر[6] على ضر نفسه و لا بالإعدام، فقال معبرا بأداة العقلاء تهكما بعابديهم حيث أقاموهم فى ذلك المقام، أو تغليبا لأنهم عبدوا[7] الملائكة و عزيرا و المسيح عليهم السلام -[4]]: [8]﴿و لا يملكون﴾[8] [أى لا يتجدد لهم بوجه من الوجوه أن يملكوا -[9]] ﴿لانفسهم ضرا﴾ و لذلك قدمه، و نكره ليعم.

فلما ثبت بذلك أنهم خلقه، و لكن [كان -[4]] ربما قال متعنت: إنهم يملكون ذلك و لكنهم يتركونه عمدا، لأن أحدا لا يريد ضر نفسه، قال: ﴿و لا نفعا﴾ [أى -[4]] و لو بالبقاء على حالة واحدة، و عبدتهم يقدرون على ما أراد الله من ذلك على وجه الكسب، فهم أعلى منهم،

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الحليات (٢) وقع هنا فى الأصل "وهم يخلقون ولا يملكون" فرتبناه حسبما ورد فى ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اعجاز (٦) فى ظ: لا يقدم. (٧) فى ظ: غلبوا (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من مد (٩) زيد من ظ.

و عبادة الأعلى لمن دونه ليست من أفعال العقلاء .

و لما كان / للموت و الحياة ما ليس لغيرهما من عظيم الشأن ، أعاد / ٦٧٢
العامل فقال : ﴿ و لا يملكون ﴾ و قدم الموت لأن الحياة أكثر ، فقال
مبتدئا بما هو من باب الضر على نسق ما قبله : ﴿ موتا ﴾ أى لأنفسهم
٥ و لا لغيرهم ﴿ و لا حيوة ﴾ أى[1] من العدم ﴿ و لا نشورا ﴾ أى إعادة
لما طوى من الحياة بالموت ، و عطفها بالواو و إن كان بعضها مسببا عما
قبله إشارة إلى [أن -[2]] كل واحدة منها كافية فى سلب الإلهية عنهم
بما ثبت من العجز .

و لما وصف منزل الفرقان[3] بما لا يحيط به علم أحد غيره من الشؤون ،
١٠ فاتضح بذلك إعجاز المنزل الذى أبان ذلك ، و هو [هذا -[2]] القرآن ،
و أنه وحده الفرقان ، عجب من حال المكذبين به[4] فقال موضع "و قالوا":
﴿ و قال الذين كفروآ ﴾ مظهرا الوصف الذى حملهم على هذا القول ،
و هو ستر ما ظهر لهم و لغيرهم كالشمس و الاجتهاد فى إخفائه :
﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هـذآ ﴾ أى[5] القرآن ﴿ الآ افك ﴾ أى كذب
١٥ مصروف عن[6] [7]ظاهره و وجهه[7] هو أسوأ[8] الكذب ﴿ افتراه ﴾ أى

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : القرآن (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) فى ظ : على (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : وجهه و ظاهره (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : استوا .

تعمد كذبه هذا النذير ، فكان قولهم هذا موضع العجب لكونه ظاهر الخلل .

و لما كان الإنسان مطبوعا على أنه يتكثر[1] بأدنى شيء [من المحاسن فيحب أن تظهر عنه و لاينسب شيء - [2]] منها إلى غيره ، كان أعجب من ذلك و أظهر عوارا قولهم : ﴿ و اعانه ﴾ أى محمدا ﴿ عليه ﴾ أى القرآن ﴿قوم﴾ أى ذوو كفاية [حبوه بما يتشرف به دونهم ؛ و زادوا بعدا بقولهم - [2]] : ﴿ اخرون ج ﴾ أى من غير قومه ؛ فقيل[3] : أرادوا اليهود ، و قيل : غيرهم ممن فى بلدهم من العبيد النصارى و غيرهم ، فلذلك تسبب عنه[4] قوله تعالى : ﴿ فقد جآؤ ﴾ أى الكفار فى ذلك ﴿ظلما﴾ بوضع الإفك على ما [لا - [2]] أصدق منه و لا أعدل ﴿و زورا ج﴾ أى ميلا مع جلافة عظيمة عن السنن المستقيم فى نسبة أصدق الناس و أطهرهم خليقة ، و أقومهم طريقة ، إلى هذه الدنايا التى لايرضاها لنفسه أسقط الناس ، فانها - مع كونها دنيئة فى نفسها - مضمونة الفضيحة ؛ قال ابن جرير[5] : و أصل الزور تحسين الباطل و تأويل الكلام .

و لما تبين تناقضهم أولا فى ادعائهم فى القرآن ما هو واضح المنافاة لوصفه ، و ثانيا بأنه أعين عليه بعد ما أشعرت به صيغة الافتعال من الانفراد ، أتبعه تعالى [6]تناقضا لهم[6] آخر بقوله معجبا : ﴿ و قالوآ ﴾

(١) فى ظ :يتكبر (٢) زيد من ظ و مد (٣) راجع لباب التأويل ٥/٧٧ (٤) فى ظ : عنهم (٥) راجع من تفسيره الجزء ١٨ / ١٢٤ (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لناقضكم له .

أى الكفار ﴿اساطير﴾ جمع إسطارة و أسطورة ﴿الاولين﴾ من نحو أحاديث رستم [١]و إسفنديار[١]، فصرحوا أنه ليس له فيه شيء ﴿اكتتبها﴾ أى تطلب كتابتها له ﴿فهى﴾ أى فتسبب عن تكلفه ذلك أنها ﴿تملى[١]﴾ أى تلقى [من ملق ما -[٢]] [٢]إلقاء جيدا[٢] متجددا مستمرا ﴿عليه﴾ من الكتاب[٤] الذى اكتتبها [فيه -[٢]] فى أوقات الفراغ ﴿ بكرة ﴾[٥] قبل أن ينتشر[٦] الناس ﴿و اصيلا ۝﴾ أى و عشيا حين يأوون إلى مساكنهم، أو دائما، ليتكلف حفظها بعد أن تكلف تحصيلها بالانتساخ لأنه أمى، و هذا كما ترى لايقوله من له مسكة فى عقل و لا مروءة، فان من المعلوم الذى لايخفى على عاقل أن إنسانا لو لازم شيئا عشرة أيام بكرة و عشيا لم يبق ممن يعرفه و يطلع على أحواله أحد حتى عرف ذلك منه، فلو أنكره بعد لافتضح[٧] فضيحة لايغسل عنه / عارها أبدا، فكيف و البلد صغير، و الرجل عظيم شهير، و قد ادعوا أنه مصر على ذلك إلى حين مقالتهم و بعدها لاينفك، و عيروه بأنه معدم يحتاج إلى المشى فى الأسواق، و هو يدعوهم إلى المعارضة و لو بسورة من مثله، و فيهم الكتاب و الشعراء

/٦٧٣

(١ - ١) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٢) زيد من ظ ومد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٤) من ظ ومد، و فى الأصل: الكتب (٥) زيد فى ظ: اى (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: تنتشر (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لافتضح.

و البلغاء و الخطباء ، و هم أكثر منه مالا ، و أعظم أعوانا ، فلا يقدرون .

و لما رموه بهذه الأقوال التى هم فيها فى خبط عشواء ، و كانت مع كونها ظاهرة العوار ، عند من له أدنى استبصار ، تروج على بعض العرب بعض الرواج ، مع سعة عقولهم ، و صحة أفكارهم . لشبه واهية مكنهم فيها التقليد ، و شدة الألف لما هم عليه من[1] الزمن المديد ، أمره سبحانه ٥ بجوابهم مستأنفا فقال : ﴿قل﴾ أى دالا على بطلان ما قالوه مهددا[2] لهم : ﴿انزله﴾ أى القرآن من خزائن علمه [خلافا -[3]] لجميع ما تقولتموه[4] ﴿ الذى يعلم السر ﴾ أى كله ، لايخفى عليه منه[5] خافية فكيف بالجهر ! ﴿ فى السمٰوٰت و الارض ﴾ فهو يجيبكم عن كل ما تقولتموه فىّ و فى كتابه و إن أسررتموه ، و يبين[6] جميع ما يحتاج إليه العباد فى الدارين ١٠ فى[7] [كلام -[3]] معجز لفظا و معنى[8] على وجه يتحقق كل ذى لب أنه لايقوله إلا عالم بجميع المعلومات ، و لا يحيط بجميع المعلومات سواه ، و هذا ظاهر جدا من إخباره بالماضى بما يصدقه العلماء من الماضين ، و حكمه على الآتى بما يكون ضربة لازم ، و إظهاره الخبء و إحكامه لجميع ما يقوله[9] ، و قد جرت عادته سبحانه و تعالى بالانتقام ممن كذب ١٥ عليه باظهار كذبه أولا ، ثم[10] بأخذه ثانيا ، ثم عذابه العذاب الأكبر [ثالثا -[3]] ، فستنظرون من يفعل به ذلك ، و قد بان لعمرى صدقه بما

(١) من ظ ، و فى الأصل و مد : فى (٢) فى ظ : تهددا (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) فى ظ : تعلمتموه (٥) فى ظ : شبهة (٦) من مد ، و فى الأصل : بين ، و فى ظ : تبين (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٨) زيدت الواو فى ظ (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقوله (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتم .

وقع من الأمور الثلاثة .

و لما كان من المعلوم أن العالم بكل شيء قادر على كل شيء - كما مضى تقريره فى سورة طه ، و كانت العادة جارية بأن من[1] علم استخفاف غيره به - و كان قادرا عليه - عاجله بالأخذ ، أجيب من كأنه[2] قال : فما له لايهلك المكذبين له؟ بقوله مرغبا لهم فى التوبة ، مشيرا إلى قدرته بالستر و الإنعام ، [و -[3]] مبينا لفائدة إنزاله إليهم هذا الذكر من الرجوع عما تمادت عليه أزمانهم من الكفر و أنواع المعاصى : ﴿انه كان﴾ أزلا و أبدا ﴿غفورا﴾ [أى بليغ الستر -[3]] لما يريد من ذنوب عباده ، بأن لايعاتبهم عليها و لايؤاخذهم بها ﴿رحيما﴾ بهم[4] فى الإنعام عليهم بعد خلقهم ، برزقهم[5] و تركيب العقول فيهم ، و نصب الأدلة لهم ، و إرسال الرسل و إنزال الكتب فيهم ، و إمهالهم فى تكذيبهم ، أى فليس لإمهالهم و وعظهم بما نزله[6] إليهم سبب إلا رحمته و غفرانه و علمه بأن كتابه صلاح لأحوالهم فى الدارين .

و لما أتم[7] سبحانه ما أراد من ذكر المنزل[8] و المنزل ، و أخبر عن طعنهم فى المنزل الذى هو المقصود بالذات من الرسالة ، و أقام تعالى بذلك الدليل على كذبهم ، أتبعه الإخبار عن طعنهم فى الرسول الآتى به ، فقال معجبا من عقولهم التى بعدوها أصفى العقول أفكارا ، و أعلاها

(١) فى ظ : منه (٢) فى ظ : انه (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : لهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ورزقهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينزله .
(٧) فى ظ : تم (٨) زيد فى الأصل : اليه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

آثارا ، فيما أبدوه[1] من ذلك ؛ مما ظنوا أنه دليل على عدم الرسالة ، / ٦٧٤
[2]ولا[2] شيء منه يصلح أن يكون شبهة لذى مسكة من أمره ، فضلا عن
أن يكون دليلا : ﴿ و قالوا ﴾ أى مستفهمين تهكما بوصفه ، قادحين فيه
بفعله ، قول من هو على ثقة من أن وصف الرسالة ينافيه[3] : ﴿مال هذا﴾
و الإشارة على هذا الوجه تفهم[4] الاستهانة و التصغير[5] ؛ ثم أظهروا السخرية ٥
بقولهم : ﴿الرسول﴾ أى الذى يزعم أنه انفرد عن بقية البشر فى هذا
الزمان بهذا الوصف العالى ﴿ يأكل الطعام[6] ﴾ أى مثل ما نأكل
﴿و يمشى فى الاسواق[6]﴾ [أى -[6]] التى هى مطالب الدنيا ، كما نمشى .

و لما كانت ترجمة ما مضى : ما له مثلنا [و هو يدعى الاختصاص
عنا بالرسالة -[6]] ؟ أتبعوه التعنيف على [عدم -[6]] كونه على واحد من ١٠
وجوه مغايرة على سبيل التنزل جوابا لمن كأنه قال : فماذا يفعل ؟ بقولهم :
﴿ لولآ ﴾ أى هلا ، و هى تأتى للتوبيخ ، و هو مرادهم ﴿ انزل ﴾
[أى من السماء ، من أىّ منزل كان ، منتهيا -[6]] ﴿ اليه ﴾ أى على
الهيئة التى هو عليها فى السماء ﴿ملك﴾ أى من ملائكة الله على هيئاتهم
المباينة لهيئات الآدميين ﴿ فيكون ﴾ [بالنصب جوابا للتحضيض -[6]] ١٥
[7]ذلك الملك و إن كان[8] هو إنسانا ﴿ معه نذيرا ﴾ [9]فيكون ممتازا بحال[9]

(١) فى ظ : ابرزه (٢ - ٢) فى ظ : فلا (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بفهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : التقصير (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد قبله فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٨) سقط من ظ و مد (٩-٩) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد .

[1]ليس لواحد منا[1]، ليكون أهيب فى النذارة، لما له من الهيبة و القوة، [2]و كأنهم[2] عبروا بالماضى إعلاما بأن مرادهم كونه فى الظهور لهم على غير الهيئة التى يخبرهم[3] بها من تجدد نزول الملك عليه فى كل حين مستسرا بحيث لاينظره غيره، [4]أو لأن الملك يمكن أن يكون على حالة المصاحبة له للنذارة، و إنما لايتحول عنها بصعود إلى السماء و لاغيره، بخلاف الكنز فانه للنفقة، فان لم يتعهد كل وقت نفد، و هذا سر التعبير بـ« إلى » دون « على » التى هى للتغشى بالوحى، و لذلك عبروا بالمضارع فى[4] قولهم، متنزلين عن علو تلك الدرجة: ﴿او يلقى[5]﴾ [أى من أىّ ملق كان.

و لما كان الإلقاء دالا على العلو، عدلوا عن أداة الاستعلاء التى تقدم التعبير بها فى هود[5] عليه السلام مع الإنزال إلى حرف النهاية فقالوا -[6]]: ﴿ اليه[7] ﴾ أى إن لم تكن له تلك الحالة ﴿ كنز ﴾ أى يوجد له هذا الأمر و يتجدد له إلقاؤه غير مكترث و لامعبوء به، برفعه عن مماثلتنا العامة من كل وجه[8]، [و أيضا التعبير فى هذا و الذى بعده بالمضارع أدل على تكالبهم على الدنيا و أنها أكبر همهم -[6]]. ثم تنزلوا

(١-١) بياض فى الأصل ملأناه من ظ و مد (٢-٢) فى ظ ومد: فكانهم.
(٣) من ظ و مد، وفى الأصل: تخبرهم (٤-٤) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « إلى اتباعه » ص ٣٤٥ س ٧، مع بعض المفارقات، و الترتيب من ظ و مد.
(٥) راجع آية ١٢ (٦) زيد من ظ و مد (٧) تأخر فى الأصل عن « تلك الحالة » و الترتيب من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: وجهة.

أيضا فى قولهم : ﴿ او تكون له ﴾ [أى - [1]] إن لم تكن له شيء مما مضى ﴿ جنة ﴾ أى بستان أو حديقة كما [2]لبعض أكابرنا[2] ﴿ ياكل منها[1] ﴾ فتفرغه[3] عما يتعاطاه فى بعض الأحايين من طلب المعاش ، و يكون غناه أعز له و أجلب للخواطر إليه ، و أحث لعكوف الأتباع عليه ، و أنجع[4] فيما يريده - هـذا على قراءة الجماعة[5] بالياء التحتية ، [6]و على قراءة حمزة و الكسائى بالنون [7]يكون المعنى : أنا إذا أمكنا منها ، كان ذلك أجلب لنا إلى اتباعه[7] . و ما قالوه [8]كله فاسد[8] إذ لم يدّع هو صلى الله عليه و سلم و لا أحد من أتباعه أنه هو و لا أحد من الأنبياء قبله يباين البشر ، و لا أن وصفا من أوصاف البشر الذاتية ينافى النبوة و الرسالة ، و أما الاستكثار من الدنيا فهو عائق فى الأغلب عن السفر إلى دار الكرامة ، و موطن السلامة ، و حامل على التجبر ، و لا يفرح به إلا أدنياء الهمم ، و خفة ذات اليد لاتقدح إلا فى ناقص يسأل الناس[9] تصريحا أو تلويحا إرادة لتكميل[10] نقصه بالحطام الفانى ، و قد شرف الله نبيه صلى الله عليه

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : لبعضنا من الاكابر (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيفرغه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انجمع .
(٥) راجع نثر المرجان ٦٧٨/٤ (٦) العبارة من هنا إلى « أنا إذا » وقعت فى الأصل مع بعض التكرار بعد « لا ينظره غيره » ص ٣٤٤ س ٤ و الترتيب من ظ و مد .
(٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى آخره - مع فراغ قدر خمس كلمات .
(٨-٨) فى ظ : كلمة فاسدة (٩) فى ظ : الله (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : التكيل .

٦٧٥/ و سلم / عن ذلك بما له من صفات الكمال، و الأخلاق العوال .

[1] و لما[1] كانوا بهذا واضعين الكلام[2] فى غير مواضعه، بعيدين[3] عن وجه الصواب، قال معجبا من أمرهم: ﴿ و قال الظلمون ﴾ فأظهر الوصف الموجب لهم ذلك: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ تتبعون ﴾ إن اتبعتم ٥ ﴿ الا رجلا مسحورا ﴾ أى يتكلم بما لا يجديه، فحاله لذلك حال من غلب على عقله بالسحر، أو ساحرا صار السحر له طبعا، فهو يفرق بما جاء به[4] بين المرء و زوجه و ولده و نحو ذلك، و عبروا بصيغة المفعول إشارة إلى هذا، و هو أنه - لكثرة ما يقع منه من ذلك - صار كأنه ينشأ عنه على[5] غير اختياره .

١٠ و لما أتم سبحانه ما ذكر من أقوالهم الناشئة عن ضلالهم، التفت سبحانه إلى رسوله صلى الله عليه و سلم مسليا [له -[6]] فقال: ﴿ انظر ﴾ ثم أشار إلى التعجب[7] منهم بأن ما قالوه يستحق الاستفهام[8] بقوله: ﴿ كيف ضربوا ﴾ [و قدم ما به العناية فقال -[6]]: ﴿ لك الامثال ﴾ فجعلوك تارة مثلهم[9] فى الاحتياج إلى الغذاء، و تارة نظيرهم فى التوسل إلى ١٥ التوصل إلى الأرباح و الفوائد، بلطيف الحيلة و غريز العقل، و تارة

(١-١) فى ظ و مد: فلما (٢) زيد فى الأصل: واضعين، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يعتدين - كذا (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: التعجيب (٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لهم .

مغلوب العقل مختلط المزاج تأتى بما لا يرضى به عاقل[١] ، و تارة[٢] ساحرا تأتى بما يعجز عنه قواهم ، و تحير فيه[٣] أفكارهم ﴿ فضلوا ﴾ أى عن جميع طرق العدل ، و سائر أنحاء البيان [٤]بسبب ذلك[٤] فلم يجدوا قولا يستقرون عليه و أبعدوا جدا ﴿ فلا يستطيعون ﴾ فى الحال و لا فى المآل ، بسبب هذا الضلال ﴿ سبيلا ﴾ أى سلوك سبيل من السبل الموصلة ٥ إلى ما يستحق أن يقصد ، بل هم فى مجاهل موحشة ، و فيافى مهلكة .

و لما ثبت أنه لا وجود لهم لأنهم لا علم لهم و لا قدرة ، و أنهم[٥] لا يمن لهم و لا بركة ، لا على أنفسهم و لا غيرهم ، أثبت لنفسه سبحانه ما يستحق من الكمال الذى يفيض بـــه على من يشاء من عباده ما يشاء [فقال -[٦]] : ﴿ تبارك ﴾ أى ثبت ثباتا مقترنا باليمن و البركة ، لا ثبات ١٠ إلا هو ﴿ الذى ان شاء ﴾ فانه لا مكره له ﴿ جعل لك خيرا من ذلك ﴾ أى الذى قالوه على سبيل[٧] التهكم ؛ ثم أبدل منه قوله : ﴿ جنت ﴾ فضلا عن جنة واحدة ﴿ تجرى من تحتها الانهر[٧] ﴾ اى تكون أرضها عيونا نابعة ، أى موضع أريد منه إجراء نهر جرى ، فهى لا تزال ريا تغنى[٨] صاحبها عن كل حاجة[٩] و لا تحوجه فى استثمارها إلى سقى . ١٥

و لما كان القصر - و هو البيت المشيد - ليس مما يستمر فيه الجعل

(١) فى ظ : غافل (٢) فى ظ و مد : تأتى (٣) سقط من ظ (٤-٤) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل : عن « يستقرون عليه » و الترتيب من ظ و مد (٥) فى ظ : انه (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : طريق (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعير (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : حالة .

كالجنة التى هذه صفتها ، عبر فيه بالمضارع إيذانا بالتجديد[١] كلما حصل خلل يقدح فى مسمى القصر فقال : ﴿ و يجعل لك قصورا ه ﴾ أى بيوتا مشيدة[٢] تسكنها بما يليق بها من الحشم و الخدم ؛ قال البغوى[٣] : و العرب تسمى كل بيت مشيد[٤] قصرا . و هـذه العبارة الصالحة لأن يجعل له سبحانه ذلك فى الدنيا مما فتت فى أعضادهم ، و خافوا غائلتها فسهلت[٥] من قيادهم ، لعلمهم بأن مرسله[٦] قادر على [٧]ما يريد[٧] ، لكنه سبحانه أغناه عن ذلك بتأييده بالأعوان[٨] من الملائكة و الإنس و الجان ، حتى اضمحل أمرهم ، و عيل صبرهم ، و لم يشأ سبحانه [٩]ما أشار إليه فى هذه الآية الشريفة فى هذه الدنيا الفانية ، و أخره إلى الآخرة الباقية ، و قد عرض سبحانه عليه ما شاء من ذلك فى الدنيا فأباه ؛ روى البغوى[٣] من طريق ابن المبارك ، و الترمذى[١٠] - و قال : حسن - عن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال : عرض علىّ ربى أن يجعل[١١] لى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالتحذير (٢) زيد فى الأصل : عظيمة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/٧٨ .
(٤) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : مشيدة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : و سهلت (٦) فى ظ : رسله (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل : لاعوان ، و فى ظ : الاعوان (٩) و من هنا إلى ما سننبه عليه سقطت صفحتان من الأصل : ٦٧٦ و ٦٧٧ ، و أما الفراغ فقد تمت تعبئته من ظ و مد (١٠) ٢/٢٨٤ (١١) من مد ، و فى ظ : جعل ، و فى المعالم و الترمذى : ليجعل .

بطحاء مكة ذهبا ، فقلت : لا يا رب ! و لكن أشبع يوما و أجوع يوما ، فاذا جعت تضرعت إليك و دعوتك[1] ، و إذا شبعت حمدتك و شكرتك .

و روى من طريق أبي الشيخ عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لو شئت لسارت معى جبال الذهب ، جاءنى ملك إن حجزته لتساوى الكعبة فقال[2] : إن ربك يقرأ عليك السلام و يقول لك[3] : إن شئت نبيا عبدا و إن شئت نبيا ملكا ، فنظرت إلى جبريل عليه الصلاة و السلام فأشار إلىّ أن ضع[4] نفسك ، فقلت : نبيا عبدا ، قال : فكان رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد ذلك لا يأكل متكئا و[5] يقول : آكل كما يأكل العبد ، و أجلس كما يجلس العبد .

و سيأتى فى سورة سبا عند "و ارسلنا له عين القطر[6]" ما يتم هذا ، و لا يبعد عندى أن يكون أشير بالآية الشريفة - و إن كانت فى أسلوب الشرط - إلى ما فتح عليه صلى الله عليه و سلم من الحدائق التى لم يكن مثلها فى بلاد العرب لما فتح الله عليه خيبر [و -[6]] وادى القرى ، و تصرف فى ذلك بنفسه الشريفة و آكل منه و إلى ما فتح على أصحابه من بعده من بلاد فارس و الروم ذات القصور و الجنان التى لا مثل لها و لذلك عبر فى الجنات بالماضى ، و فى القصور بالمضارع ، و أتيحوا كنوز كسرى بن هرمز ، فان اللائق بمقام الملوك أن تكون إشاراتهم أوسع من عباراتهم ، فاذا ذكروا شيئا ممكنا على سبيل الفرض كان من إرادتهم

(١) فى المعالم و الترمذى : ذكرتك (٢) من المعالم ، و فى ظ و مد : قال (٣) ليس فى المعالم (٤) من مد و المعالم ، و فى ظ : نفع (٥) آية ١٢ (٦) زيد من مد .

إيجاده ، و يحبون أن يكتفى منهم بالإيماء[1] ، و أن يعتمد على تلويحهم أعظم مما يعتمد على تصريح غيرهم ، و أن يعد المفروض منهم بمنزلة المجزوم به من غيرهم ، و الممكن فى كلامهم كالواجب ، فما ظنك بملك الملوك القادر على كل شىء ! و هو قد صرف سبحانه الخطاب إلى أعلى الناس فهما ، و أغزرهم علما ، و قد أراه سبحانه ما يكون من ذلك من بعده فى غزوة الخندق ؛ روى البيهقى فى دلائل النبوة[2] عن عمرو بن عوف المزنى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم لما خط الخندق ليحفره جعل على كل عشرة أربعين ذراعا ، و كان سلمان الفارسى رضى الله عنه رجلا قويا ، فاختلف فيه المهاجرون و الأنصار ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم: سلمان منا[3] أهل البيت ، فخرجت لهم صخرة[4] بيضاء مدورة ، قال عمرو : فكسرت حديدنا ، و شقت علينا ، فقلنا : يا سلمان ! ارق إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبره خبر هذه الصخرة ، فأخبره فأخذ صلى الله عليه و سلم المعول من سلمان فضربها[5] ثلاث ضربات صدع فيها فى كل ضربة صدعا ، و كسرها فى الثالثة ، و برقت مع كل ضربة برقة أضاءت ما بين لابتى المدينة حتى لكأن مصباحا فى جوف بيت[6] مظلم ، و كبر رسول الله صلى الله عليه و سلم مع كل برقة تكبيرة ، ثم أخذ

(١) فى مد : بالايمان (٢) و أيضا أورده البغوى فى المعالم بسياق يقارب ما هنا ، - راجع هامش اللباب ٥/١٩٤ و ١٩٥ (٣) من مد و المعالم ، وفى ظ : يا (٤) من مد و المعالم ، و فى ظ : صخرا (٥) من مد و المعالم . و فى ظ : و ضربها . (٦) من المعالم ، و فى ظ و مد : ليل .

بيد

بيد سلمان فرق فسأله سلمان فقال للقوم : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم ! يا رسول الله ! بأبينا أنت و أمنا ! قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج فرأيناك تكبر ، لا نرى شيئا غير ذلك ، فقال : أضاءت لى من البرقة الأولى قصور الحيرة و مدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب ، و من الثانية[1] القصور الحمر[1] من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب ، و من الثالثة ٥ قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، و أخبرنى جبريل عليه الصلاة و السلام أن أمتى ظاهرة عليها . فاستبشر المسلمون و قالوا : الحمد لله ! موعود صادق بأن وعدنا النصر بعد الحصر ، فطلعت الأحزاب فقال المسلمون " هذا ما وعدنا الله و رسوله و ما زادهم الا ايمانا و تسليما " و قال المنافقون فى ذلك ما أشار إليه الله تعالى فى القرآن ؛ ثم إن الله تعالى كذب المنافقين ١٠ و صدق رسوله صلى الله عليه و سلم ، فافتتح أصحابه رضى الله عنهم جميع ما ذكر ، و غلبوا على سائر مملكة[2] الفرس و اليمن و أكثر الروم ، و انتثلوا[3] من كنوز كسرى و قيصر ما يفوت الحصر ، و قد كان صلى الله عليه و سلم تصرف فى ذلك من ذلك الوقت تصرف الملوك ، لأن وعد الله لاخلف فيه ، بل غائبه أعظم من حاضر غيره ، و موعوده أوثق من ١٥ ناجز سواه ، فأعطى صلى الله عليه و سلم تميم بن أوس الدارى بلد الخليل عليه الصلاة و السلام من أرض الشام [من -[4]] مملكة الروم ، و أعطى خريم بن أوس - الذى يقال له : شويل[5] - كرامة بنت عبد المسيح

(١ - ١) فى المعالم : قصور الحيرة ، و فى اللباب : قصور قيصر (٢) من مد ، و فى ظ : ملكه (٣) من مد ، و فى ظ : انفتلوا (٤) زيد من مد (٥) راجع تاريخ الطبرى ٣/١٤ .

ابن بقيلة من سبى الحيرة من بلاد العراق من مملكة فارس ، وكل منهم قبض ما أعطاه عند الفتح كما يعرفه من طالع كتب الفتوح على أيام الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين ، فعندى أن هذا مما أشارت إليه الآية الشريفة ، نزه الله تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم عنه ، و فتحه على أصحابه ، تشريفا لهم بازالة أهل الشرك عنه ، و إنعاما عليهم به تصديقا لوعده ، و إكراما لنبيه صلى الله عليه و سلم بنصر[1] أوليائه ، و تكثير أمته ، و حضر ذلك كثير ممن كان من القائلين " ما لهذا الرسول " إلى آخره ، و قد كان قادرا على أن يقويه بجميع ذلك قبل موته ، و لكنه لم يفعل لأن ذلك أوضح فى الأمر ، لأن نصره على خلاف ما[2] ينصر به أهل الدنيا من غير جنود كثيرة ظاهرة ، و لا أموال وافرة ، و لاملوك معينة قاهرة ، بل كانت الملوك عليه ، ثم صاروا كلهم أهون شيء عليه ، بيد أصحابه من بعده و أحبابه .

و لما ثبت بما أثبت لنفسه الشريفة من الكمال أنه لا مانع من إيجاد ما ساقوه مساق التوبيخ إلا عدم المشيئة ، لا عجز من الجاعل و لا هوان بالمجعول له ، تسلية له صلى الله عليه و سلم فى أسلوب مشير بأنه يعطيه ذلك ، سلاه أيضا بأن ما نسبوه إليه لايعتقدون حقيقته ، فأضرب عن كلامهم قائلا : ﴿ بل ﴾ أى لاتظن[3] أنهم كذبوا بما جئت به لأنهم يعتقدون فيك كذبا و افتراء للقرآن ، أو نقصانا لأكلك الطعام و مشيك

(١) من مد ، و فى ظ : ثم (٢) من مد ، و فى ظ : من (٣) من مد ، و فى ظ : لايظن .

٦٧٨/ فى الأسواق[1]، /أو فى شىء من أحوالك، أو لا تظن [2]أنهم يكذبون[2] بقدرته تعالى على ما ذكر أنه إن شاء جعله[3] لك بل ، أو[4] المعنى: دع التفكر فيما قالوه من هذا فانهم لم[5] يقتصروا فى التكذيب عليه بل ﴿كذبوا بالساعة[6]﴾ أى بقدرتنا عليها، و استقر ذلك فى أنفسهم دهورا طويلة، و أخذوه خلفا عن سلف، و أشرب قلوبهم حب هذا الحطام الفانى، و تقيدت أوهامهم بهذه الظواهر كالبهائم، فعسر انفكاكهم عن ذلك بما جاءهم من البيان الذى لا يشكون فيه، فاجترأوا لذلك على العناد[7] لعدم الخوف من أهوال يوم القيامة كما قال تعالى عن أهل الكتاب "و غرهم فى دينهم ما كانوا يفترون[2]" ﴿و اعتدنا﴾ أى و الحال أنا أعتدنا، أى هيأنا بما لنا من العظمة ﴿لمن كذب﴾ من هؤلاء و غيرهم ﴿بالساعة سعيرا[8]﴾ أى نارا شديدة الاتقاد[9] بما أعظموا الحريق فى قلوب من كذبوهم من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و أتباعهم رضى الله عنهم ﴿اذا رأتهم﴾ أى إذا كانت بحيث يمكن أن يروها و تراهم لو كانت مبصرة[10] ﴿من مكان بعيد﴾ و هو أقصى ما يمكن رؤيتها منه و هم يساقون إليها ﴿سمعوا لها﴾ [أى خاصة -[10]] ﴿تغيظا﴾ أى صوتا فى غليانها

(١) و إلى هنا انتهت السقطة من الأصل (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: انكم تكذبون (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: جعل (٤) فى ظ: اذ.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لا (٦) فى ظ: العباد (٧) سورة ٣ آية ٢٤.
(٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الايقاع (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: مبصر (١٠) زيد من ظ و مد.

و فورانها كصوت المتغيظ فى تحرقه[1] و نكارته إذا غلا صدره من الغضب ﴿و زفيراه﴾ أي صوتا يدل على تناهى الغضب ، و أصله صوت يسمع من الجوف .

و لما وصف ملاقاتها[2] لهم ، وصف إلقاءهم فيها فقال : ﴿و اذآ القوا﴾ أي طرحوا طرح[3] إهانة [فجعلوا -[4]] بأيسر أمر [ملاقين -[4]] ﴿منها﴾ اى النار ﴿مكانا﴾ و وصفه بقوله : ﴿ضيقا﴾ زيادة فى فظاعتها ﴿مقرنين﴾ بأيسر أمر ، أيديهم إلى أعناقهم فى السلاسل ، أو حبال المسد ، [أو -[4]] مع من أغواهم من الشياطين ، و التقرين : جمع شيء إلى شيء فى قرن و هو الحبل ﴿دعوا هنالك﴾ أى فى ذلك الموضع البغيض البعيد عن الرفق ﴿ثبورا[5]﴾ أى هلاكا عظيما فيقولون : يا ثبوراه ! لأنه[6] لا منادم[7] لهم غيره ، و ليس بحضرة أحد [منهم -[4]] سواه ؛ قال ابن جرير[2] : و أصل الثبر[8] فى كلام العرب الانصراف عن الشيء . فالمعنى حينئذ : دعوا انصرافهم عن الجنة إلى النار[2] [الذى -[4]] تسببوا فيه بانصرافهم عن الإيمان إلى الكفر ، فلم يكن لهم[2] سمير إلا استحضارهم لذلك تأسفا و[9] تندما ، فأجيبوا على طريق الاستئناف بقوله تعالى : ﴿لا تدعوا اليوم﴾ أيها الكفار ﴿ثبورا واحدا﴾ لأنكم [لا -[4]]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عرفه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ملاقيها. (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : لانهم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : مقادم (٧) راجع من تفسيره الجزء ١٨/١٢٨ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : الثبير ، و فى التفسير : الثبور (٩) فى ظ : او .

تموتون إذا حلت بكم أسباب الهلاك ﴿ وادعوا ثبورا كثيرا[١] ﴾ لايحصره[٢] الإحصاء ولا آخر له، فانكم وقعتم فيما يوجب ذلك لأن أنواع الهلاك لاتبارحكم أصلا ولكنه لا موت .

ولما كانت عادتهم[٣] تجويز الممكن من كل ما يحذرون منه من الخلق، اقتضى الحال سؤالهم : هل[٤] أعدوا لما هددوا[٥] به من الخالق عدة أم لا ؟ فى سياق الاستفهام عن المفاضلة بينه وبين ما وعده[٦] المتقون، تنبيها على أنه أعلى رتبة من الممكن فانه واقع لامحالة، وتهكما بهم، فقال تعالى : ﴿ قل ا ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الهول[٧] الذى / أوعدتموه من السعير الموصوفة . ٦٧٩ /

و[٨] لما كانت[٨] عادة العرب فى بيان فضل الشىء دون غيره الإتيان بصيغة ' أفعل ' تنبيها على أن سلب[٩] الخير عن مقابله لايخفى على أحد، أو يكون [ذلك -[١٠]] على طريق التنزل وإرخاء العنان، تنبيها للعاقل على أنه يكفيه فى الرجوع عن الغى طروق احتمال لكون[١١] ما هو عليه مفضولا قال : ﴿ خير ام جنة الخلد ﴾ أى الإقامة الدائمة ﴿ التى وعد المتقون[١] ﴾ أى وقع الوعد[١٢] الصادق المحتم[١٣] بها، [ممن وعده هو الوعد -[١٠]]، للذين

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد : لاياخذه (٣) فى ظ : عبادتهم (٤) فى ظ : قل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : تهددوا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : عده (٧) فى ظ : القول (٨ - ٨) فى ظ : ما كان (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : سبب (١٠) زيد من ظ ومد (١١) من ظ ومد، و فى الأصل : ليكن (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل : بهالوعد (١٣) زيد فى الأصل : لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها

خافوا فصدقوا بالساعة جاعلين بينهم و بين أهوالها وقاية مما أمرتهم به الرسل ؛ ثم حقق تعالى أمرها تأكيدا للبشارة بقوله : ﴿ كانت ﴾ أى تكونت[1] و وجدت بإيجاده سبحانه ﴿لهم جزآء﴾ على تصديقهم و أعمالهم ﴿ و مصيرا ﴾ [أى مستقرا و منتهى ، و ذلك مدح لجزائهم لأنه إذا كان فى محل واسع طيب كان أهنأ له و ألذ كما أن العقاب إذا كان فى موضـــع ضيق شنيع كان أنكى و أوجع -[2]] ، و هو استفهام تقريع و توبيخ لمن كان يعقل فيجوز الممكنات .

و لما ذكر تعالى نعيمهم[3] بها ذكر ، تنعمهم[4] فيها فقال : ﴿لهم فيها﴾ أى[5] الجنة خاصة لا فى غيرها ﴿ما يشآءون﴾ من كل ما تشتهيه أنفسهم[6] ﴿خلدين[1]﴾ لا يبغون عنها حولا ﴿ كان ﴾ أى ذلك كله ﴿على ربك﴾ أى المحسن إليك بالإحسان إلى أتباعك ﴿ وعدا ﴾ .

و لما أشار سبحانه إلى إيجاب ذلك على نفسه العظيمة بالتعبير بـ «على» و الوعد ، و كان الإنسان لاسيما الكريم مجبولا على عزة النفس ، لا يكاد يسمح بأن يسأل فيما لا يحقق حصوله ، قال : ﴿ مسؤلا﴾ أى حقيقا بأن يسأل إنجازه[7] ، لأن سائله خليق بأن يجاب سؤاله ، و تحقق ظنونه و آماله ، فالمعنى أنه[8] إذا انضاف[9] إلى تحتيمه الشىء على نفسه

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تكون (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعميمهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تنعيمهم . (٥) سقط من ظ ، و ورد فى مد بعد الكلمة التالية (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انفسكم (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ايجاره (٨) فى ظ : بانه . (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : تضاف .

سؤال الموعود به إياه ، انجزه لا محالة . و هو من وادى "اجيب دعوة الداع [1]اذا دعان" و فيه حث عظيم على الدعاء ، و ترجية كبيرة للاجابة ، كما وعد بذلك سبحانه فى "اجيب دعوة الداع[1]" و"ادعونى استجب لكم" و إن لم ير الداعى الإنجاز[2] فان الأمر على ما رواه الإمام أحمد[3] و البزار[4] و أبو يعلى[4] - قال المنذرى[5]: بأسانيد جيدة - و الحاكم[6] و قال: صحيح الإسناد عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم و لاقطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث: إما أن يعجل له دعوته، و إما أن يدخرها له فى الآخرة، و إما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذن نكثر[7]؟ قال: الله أكثر. و للحاكم[8] عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: يدعو الله بالمؤمن يوم القيامة حتى يوقفه بين يديه فيقول: عبدى! إنى أمرتك أن [9] - تدعونى، و وعدتك أن أستجيب لك [10]فهل كنت] تدعونى؟ فيقول: نعم! يا رب! فيقول: أما أنك لم تدعنى[11] بدعوة إلا استجبت[12] لك؟ أليس دعوتنى يوم كذا و كذا لغم نزل بك أن أفرج عنك ففرجت عنك؟ فيقول: نعم! يا رب! فيقول: إنى عجلتها

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الايجاز (٣) فى مسنده ٣/١٨ (٤) راجع مجمع الزوائد ١٠/١٤٨ (٥) راجع الترغيب و الترهيب ٣٢٣ (٦) راجع المستدرك ١/٤٩٣ (٧) من مد و المراجع، و فى الأصل وظ: تكثر (٨) راجع المستدرك ١/٤٩٤ (٩) زيد من ظ و مد والمستدرك (١٠) العبارة من هنا إلى «استجبت لك» ساقطة من ظ (١١) من مد و المستدرك، و فى الأصل: تدعونى (١٢) من مد و تلخيص المستدرك، و فى الأصل و المستدرك: أستجيب.

لك فى الدنيا ، و دعوتنى يوم كذا و كذا لغم نزل بك [ان أفرج عنك - [١]] فلم تر فرجا ؟ قال : نعم ! [يا رب - [١]] ! فيقول : إنى ادخرت لك بها فى الجنة كذا وكذا ، [٢]و دعوتنى فى حاجة أقضيها لك [فى - [٢]] يوم كذا و كذا فقضيتها ؟ / فيقول : نعم ! يا رب ! فيقول : إنى عجلتها لك /٦٨٠

٥ فى الدنيا ، و دعوتنى يوم كذا و كذا فى حاجة أقضيها لك فلم تر قضاءها ؟ فيقول : نعم ! يا رب ! فيقول : إنى [٤]ادخرت لك بها[٤] فى الجنة كذا و كذا ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : فلا يدع[٥] الله دعوة دعا بها عبده المؤمن إلا بين له إما أن يكون عجل له فى الدنيا ، و إما أن يكون ادخر له فى الآخرة ، فيقول المؤمن فى ذلك المقام : يا ليته لم يكن

١٠ عجل له شيء[٦] من دعائه . و لابن حبان فى صحيحه و الحاكم[٧] - و قال : صحيح الإسناد - [٨]عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا تعجزوا فى الدعاء فانه لن يهلك مع الدعاء أحد . و للترمذى[٩] و الحاكم[١٠] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : ادعوا الله و أنتم[١١] موقنون بالإجابة . و للبخارى[١٢] و مسلم[١٣]

(١) زيد من ظ و مد و المستدرك (٢) العبارة من هنا إلى «فى الجنة كذا وكذا» س ٦ و ٧ ساقطة من المستدرك ثابتة فى تلخيصه (٣) زيد من ظ و مد و تلخيص المستدرك (٤-٤) فى ظ : ادخرتها - كذا (٥) من مد و المستدرك ، وفى الأصل و ظ : فلا يدعوا (٦) من ظ و مد و تلخيص المستدرك ، و فى الأصل : شيئا ، و فى المستدرك : فى شيء (٧) فى المستدرك ١/٤٩٤ (٨) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٩) فى الجامع ٢/٤٣١ (١٠) فى المستدرك ١/٤٩٣ . (١١) فى ظ . انكم (١٢) فى الصحيح ٢/٩٣٨ (١٣) فى الصحيح ٢/٣٥٢

و أبى

و أبي داود[١] و الترمذي[٢] و ابن ماجه[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : يستجاب لأحدكم ما لم يعجل ، يقول : دعوت فلم يستجب لي . و في رواية [لمسلم -[٤]] و الترمذي[٥] : لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل[٦] ، قيل : يا رسول الله ! ما الاستعجال ؟ قال : يقول : [قد -[٧]] دعوت فلم يستجب لي - فيستحسر[٨] عند ذلك و يدع الدعاء . قال المنذري[٩] : يستحسر أي [١٠]يمل و يعي فيترك[١٠] الدعاء - انتهى . و قد فهم من الآية و من الحديث في استثناء الإثم و قطيعة الرحم أن ما لا مانع من سؤاله موعود باجابته و نواله ، فليدع الإنسان به موقنا بالإجابة .

و لما ذكر لهم حالهم في الساعة معه سبحانه ، أتبعه ذكر[١١] حالهم مع معبوداتهم من دونه ، فقال بالالتفات إلى مظهر العظمة على[١٢] قراءة الجماعة : ﴿و يوم﴾ أي قل لهم ما أمرتك به ، و اذكر لهم يوم ﴿نحشرهم﴾ أي المشركين ، بما لنا من العظمة التي نبرزها في ذلك اليوم ، من القبور ؛ و قرأ أبو جعفر و ابن كثير و يعقوب و حفص عن عاصم بالياء التحتية[١٣]

(١) في السنن ١/١٤٨ (٢) في الجامع ٢/٤١٨و٤١٩ (٣) في السنن ٢٨٢ (٤) زيد من ظ و مد ، وأما الحديث فراجعه في صحيحه ٢/٣٥٢ (٥) في الجامع ٢/٤٤٦ . (٦) في ظ و مد : لم يعجل (٧) زيد من ظ و مد و الصحيح (٨) من ظ و مد و الصحيح ، و في الأصل : فستحشر (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : الترمذي (١٠-١٠) من ظ و مد و الترغيب و الترهيب ٣٢٦ ، و في الأصل : يملى ويعي و يترك - كذا (١١) من ظ و مد ، و في الأصل : الذكر (١٢) من ظ و مد ، و في الأصل : في (١٣) راجع نثر المرجان ٤/٦٨٤ .

فيكون الضمير للرب ﴿ و ما يعبدون ﴾ أى من الملائكة و الإنس و الجن و غيرهم ممن يعقل و ممن لا يعقل : و نبه على سفول رتبتهم عن ذلك و عدم أهليتهم بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له ، و ذكرها بلفظ " ما " إشارة إلى أن ناطقها و صامتها جماد بل عدم بالنسبة إليه سبحانه بما أشار إليه التعبير بالاسم الأعظم الدال على جميع الكمال ، مع أن " ما " موضوع على العموم للعقلاء و غيرهم و إن كان أكثر استعماله فى غير العقلاء ؛ و عبر سبحانه بقوله : ﴿ فيقول ﴾ باعادة[1] ضمير الغيبة [بعد التعبير بنون العظمة فى « نحشر » فى قراءة غير ابن عامر -[2]] لتقدم الجلالة الشريفة ، تحقيقا للمراد و تصريحا به ، و إعلاما بأن المراد بالنون العظمة لا[3] الجمع ، و قرأ ابن عامر بالنون موحدا الأسلوب[4] : ﴿ ءانتم ﴾ أى أيها المعبودات ! بايلاء الهمزة الضمير سؤالا عن المضل ، لأن ضلال العبدة معروف لا يسأل عنه ﴿ اضللتم ﴾ بالقهر و الخداع و المكر ﴿ عبادى هؤلآء ﴾ حتى عبدوكم كما فى الآية الأخرى " ثم / يقول للملئكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون " فى أمثالها من الآيات / ٦٨١ [5] كما فى الحديث القدسى : إنى خلقت عبادى حنفاء كلهم فاجتالهم[6] الشياطين . ﴿ ام ﴾ .

و لما كان السؤال - كما مضى - عن الفاعل لا عن الفعل ، كان لا بد من قوله : ﴿ هم ﴾ أى[6] باختيار منهم لإهمالهم استعمال ما أعطيتهم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعاد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ «و» .
(٤) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) راجع معناه فى مسند الإمام أحمد ٤/١٦٢ (٦) سقط من ظ .

من قويم العقل و سديد النظر ﴿ضلوا﴾ و أوصل الفعل بدون "عن" كما فى هداة[1] الطريق بدون "إلى" لكثرة الدور، و للاشارة[2] إلى قوة الفعل[3] فقال: ﴿السبيل[4]﴾ أى[4] الذى نهجته و نصبت عليه الأدلة القاطعة، و البراهين الساطعة ﴿قالوا﴾ أى المعبودات الجى منهم و الجماد، [5] المطيع و العاصى: ﴿سبحنك﴾ أى تنزهت عن أن ينسب إلى غيرك قدرة ٥ على فعل من الأفعال.

و لما أنتج[6] التنزيه أنه لافعل لغيره سبحانه. عبروا عنه بقولهم: ﴿ما كان ينبغى﴾ أى يصح و يتصور ﴿لنآ ان نتخذ﴾ أى نتكلف أن نأخذ باختيارنا من غير إرادة منك ﴿من دونك﴾ و كل ما سواك فهو دونك ﴿من اولياء﴾ أى ينفعوننا، فانا مفتقرون إلى من ينفعنا ١٠ لحاجتنا و فقرنا، فكيف نترك [من -[7]] بيده كل شىء [و هو أقرب إلينا فى كل معنى من معانى الولاية من كل شىء من العلم و القدرة و غيرهما -[7]] إلى من لا شىء بيده، [و هو أبعد بعيد من كل معنى من معانى الولاية، فلو تكلفنا جعله قريبا لم يكن كذلك -[7]]، و هذه عبارة صالحة سواء كانت من الصالحين ممن عبد من الأنبياء و الملائكة أو[8] غيرهم، ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: هذه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الاشارة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: العقل (٤) سقط من ظ و مد.
(٥) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ ومد فحذفناها (٦) فى ظ: ابيح.
(٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ ه و ه.

فان كانت من الصالحين فمعناها : ما كان [1]ينبغى لنا[1] ذلك فلم نفعله و أنت أعلم ، كما قال تعالى "ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتب و الحكم و النبوة ثم يقول للناس" - الآية[2] ؛ و إن كانت من الجمادات فالمعنى[3] : ما كنا فى حيز من يقدر على شىء من ذلك ، و لكن فعلوه بطرا ؛ و إن كانت من مثل فرعون فالمعنى : ما كان لنا هذا ، و لكن هم أنزلونا هذه المنزلة بمجرد دعائنا لهم - كما يقول إبليس - فما كان لنا عليهم من سلطان إلا أن دعوناهم فاستجابوا[4] ، و ذلك لعدم نظرهم فى حقائق الأمور ، فألقى [5]الكل إلى الله[5] يومئذ السلم ، فثبت أنهم ليسوا فى[6] تلك الرتبة التى أنزلوهم إياها ، و فائدة السؤال مع شمول علمه تعالى تبكيت العابدين[7] و زيادة حسراتهم[8] و أسفهم ، و تغبيط المؤمنين إذا سمعوا هذا الجواب ، هذا [مع -[9]] ما فى حكايته لنا من الموعظة البالغة ، [و قراءة أبى جعفر بالبناء للمفعول بضم النون و فتح الخاء واضحة المعنى ، أى يتخذنا أحد آلهة تولى أموره -[9]] .

و لما كان المعنى : إنا ما أضللناهم ، أما إذا قدر من الملائكة و نحوهم فواضح ، و أما من غيرهم فان المضل فى الحقيقة هو الله . و فى الظاهر بطرهم النعمة ، و اتباعهم الشهوات التى قصرت بهم عن إمعان النظر ، و أوقفتهم مع[10] الظواهر ، حسن الاستدراك بقوله : ﴿و لكن﴾ أى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) ٧٩ سورة ٣ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : و المعنى (٤) راجع سورة ١٤ آية ٢٢ (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الله الى الكل (٦) فى ظ : من (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : العابدين (٨) فى ظ : حسرتهم (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ : فى .

ما أضللناهم نحن، و إنما هم ضلوا بارادتك[1] لأنك أنت ﴿متعتهم و آباءهم﴾ في الحياة الدنيا بما تستدرجهم به من لطائف المنن، و أطلت[2] أعمارهم في ذلك ﴿حتى نسوا الذكر﴾ الذي لا ينبغي أن يطلق الذكر على غيره، و هو الإيمان بكل ما أرسلت به سبحانك رسلك[3] [برهان ما يعرفه كل عاقل من نفسه بما وهبته[4] من غريزة العقل من أنه لا يصح بوجه ان يكون الإله ٥ إلا واحداً، ما بين العاقل و بين ذكر ذلك إلا يسير تأمل، مع البراءة من شوائب الحظوظ، و -[5]] الحاصل أنك سببت لهم أسباباً لم يقدروا على الهداية معها، فأنت الملك الفعال لما تريد، لا فعل لأحد سواك ﴿و كانوا﴾ في علمك بما قضيت عليهم في الأزل / ﴿قوماً بوراً﴾ هلكى. / ٦٨٢

و لما كان هذا أمراً واقعاً لا محالة، التفت إليهم مبكتاً فقال معبراً ١٠ بالماضي بعد "قد" المقربة[6] المحققة: ﴿فقد كذبوكم﴾ أي المعبودون كذبوا العابدين بسبب[7] إلقائهم السلم المقتضي لأنهم لا يستحقون العبادة و أنهم يشفعون لكم [8]مقهورين مربوبين ﴿بما﴾ أي بسبب ما ﴿تقولون﴾ أيها العابدون من أنهم يستحقون العبادة. و أنهم يشفعون لكم، [9]و أنهم[9] أضلوكم[10]، و في قراءة ابن كثير بالتحتانية المعنى: ١٥ بما يقول المعبودون من التسبيح لله و الإذعان، في ادعائكم أنهم أضلوكم[10].

---

(١) من مد، و في الأصل و ظ: باراتك - كذا (٢) في ظ: اطالت (٣) في ظ و مد: اسئلك - كذا (٤) في مد: وهبت (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: القرية (٧) من ظ و مد، وفي الأصل: فتسبب (٨) بياض في الأصل قدر كلمتين، و العبارة من هنا إلى «يشفعون لكم» س ١٥ ساقطة من ظ و مد (٩ - ٩) في ظ: فانهم (١٠) في ظ و مد: اضلوهم.

و لما تسبب[1] عن إلقائهم السلم و تخليهم عمن عبدهم أنه لانفع فى أيديهم و لا ضر[2]، قال: ﴿فما يستطيعون[3]﴾ أى المعبودون ﴿صرفا﴾ أى لشىء من الأشياء عن أحد من الناس، لا أنتم و لا غيركم، من عذاب و لا غيره، بوجه حيلة و لا شفاعة و لا مفاداة ﴿و لا نصرا ج﴾[4] بمغالبة، و هو نحو قوله[5] تعالى "فلا[6] يملكون كشف الضر عنكم و لا تحويلا".

و لما كان التقدير: فمن يعدل منكم لسماع هذا الوعظ[7] بوضع العبادة فى موضعها نثبه ثوابا[8] جليلا، عطف عليه ما المقام له فقال: ﴿و من يظلم منكم﴾ بوضعها فى غير موضعها، و باعتقاده فى الرسل ما لا ينبغى من أنه لا ينبغى لهم أن يكونوا مثل الناس فى أكل و لا طلب معيشة و نحو ذلك ﴿نذقه﴾ [فى الدنيا و الآخرة، بما لنا من العظمة -[9]] ﴿عذابا كبيرا ه﴾.

و لما أبطل سبحانه ما وصموا به رسوله صلى الله عليه و سلم و ذكر ما جزاهم عليه، و ما أعد لهم و له و لأتباعه، و نفى ما زعموه فى[10] معبوداتهم و ختمه بتعذيب الظالم، ذكر ما ظلموا فيه من قولهم "ما لهذا الرسول" و نحوه، فبين أن ما جعلوه من ذلك وصمة فى حقه هو سنته سبحانه فى الرسل من قبله أسوة لنوعهم البشرى، و أتبعه سره فقال زيادة فى

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: ضرر (٣) على قراءة الجماعة، و قراءة حفص بالتاء.
(٤) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) سورة ١٠ آية ٥٦ (٦) فى مد: لا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الوعد (٨) زيد فى الأصل: جميلا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) زيد من ظ و مد.
(١٠) سقط من ظ و مد.

التسلية و التعزية و التأسية : ﴿ و ما ارسلنا ﴾ بما لنا من العظمة . و لما كان المراد العموم . أعراه من الجار فقال : ﴿ قبلك ﴾ أى يا محمد [أحدا -[1]] ﴿ من المرسلين الا ﴾ و حالهم ﴿ انهم ليأكلون الطعام ﴾ كما تأكل و يأكل غيرك من الآدميين ﴿ و يمشون فى الاسواق ﴾ كما تفعل و يفعلون اى إلا و حالهم الأكل و[2] المشى لطلب[3] المعاش كحال سائر الآدميين ، و هم يعلمون ذلك لما سمعوا من أخبارهم ، و هذا تأكيد من الله تعالى فانهم[4] لا يكذبونه عليه الصلاة و السلام ، و لا يعتقدون فيه نقصا ، و إبطال لحجتهم[5] بما قالوه من ذلك ، و إقامة للحجة على عنادهم ، و أنهم إنما يقولونه و أمثاله لما تقدم من رسوخ التكذيب بالساعة فى أنفسهم ﴿ و جعلنا ﴾ أي بالعطاء و المنع بما[6] لنا من العظمة ﴿ بعضكم لبعض فتنة ﴾ بأن جعلنا هذا نبيا و خصصناه بالرسالة ، و هذا ملكا و خصصناه بالدنيا ، و هذا فقيرا و حرمناه الدنيا ، ليظهر ما نعلمه من كل من الطاعة و المعصية فى عالم الغيب للناس فى عالم الشهادة ، فنختبر[7] الفقير بصبره على ما حرم مما أعطيه الغنى أو جزعه ، و الملك و من[8] فى معناه من الأشراف بصبرهم على ما[9] أعطيه الرسول من الكرامة و البلوغ بالقرب من الله إلى ما [لا -[1]] يبلغونه / مع ما هم[9] فيه من العظمة ، فلأجل ذلك [لم -[1]] أعط ٦٨٣ /

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى ظ : الشراء و (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بطلب (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانهم (٥) فى ظ : حجتهم .
(٦) فى ظ : لما (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيختبر (٨) فى ظ : ما .
(٩) سقط من ظ .

رسولى الدنيا ، و جعلته ممن[1] يختار العبودية و الكفاف بطلب المعاش فى الأسواق ، لابتليكم فى الطاعة له خالصة ، فانى لو أعطيته الدنيا ، و جعلته ممن يختار الملك ، لسارع[2] الأكثر إلى اتباعه طمعا فى الدنيا ، و هذا معنى ﴿اتصبرون ج﴾ فانه علة ما قبله ، أى لنعلم[3] علم شهادة هل[4] تصبرون فيما امتحناكم به أم لا ؟ كما كنا نعلمه علم غيب ، [5]لتقوم عليكم[5] بذلك الحجة فى مجارى عاداتكم ، و فيها مع العلّية تهديد بليغ لمن تدبر ، و يجوز أن يكون الاستفهام استئنافا للتهديد .

و لما كان الاختبار[6] ربما أوهم نقصا فى العلم ، و كان إحسانه سبحانه إلى جميع الخلق دون إحسانه إلى سيدهم و عينهم ، و خلاصتهم و زينهم[7] : محمد صلى الله عليه و سلم ، و كان أعلمهم بتنزيهه و تعظيمه ، و كان امتحانهم بجعله نبيا عبدا مع كونه فى غاية الإكرام له ربما ظنوه إهانة ، نفى ما لعله يوهمه كل من الاستفهام و الامتحان فى حق الله سبحانه و حق نبيه صلى الله عليه و سلم ، فقال [8]صارفا وجه[8] الخطاب إليه : ﴿و كان ربك﴾ أى المحسن إليك إحسانا لم يحسنه إلى أحد سواك ، لاسيما بجعلك نبيا عبدا ﴿بصيرا ج﴾

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتنازع . (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ليعلم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : و تاهل - كذا (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليقوم عليك (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاخبار (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : زمنهم (٨ - ٨) من ظ و مد ، و فى الاصل : لصارف اوجه .

بكل

بكل شيء فهو عالم بالإنسان قبل الامتحان ، لم يفده ذلك علما لم يكن ، و هو سبحانه يضع الأمور فى حاق[1] مواضعها و إن رئى[2] غير ذلك ، فينبغى على كل أحد التسليم له فى جميع الأمور فانه يجر إلى خير كبير ، و التدبر لأقواله و أفعاله بحسن الانقياد و التلقى فانه يوصل إلى علم غزير[3] ، و ما أراد بابتلائك بهم[4] و ابتلائهم بك فى هذا الأذى الكبير[5] إلا إعلاء شأنك و إسفال أمرهم "و لتعلمن نباه بعد حين" .

و لما ذكر هذا الابتلاء بعد أن ذكر أول السورة ما هو سبحانه عليه من العظمة من سعة الملك ، و كثرة الصنائع ، و الإحسان إلى جميع الخلق ، و كان من حق كل مربوب أن[6] يتعرف إلى ربه ، كائنا من كان ، لاسيما إذا كان بهذه الصفة ، لينال من إحسانه ، و يتعزز به على أقرانه ، أتبع ذلك أنه كشف الابتلاء عن أنه[7] لا بصر لهم فقال تعالى: ﴿ و قال ﴾ و أظهر فى موضع الإضمار الوصف الذى قدم أنه موجب لعماهم فقال: ﴿الذين لا يرجون﴾ أى ليست لهم عقول [8]لكونهم نسوا[8] ﴿لقآءنا﴾ فهم[9] لا يعملون عملا يطمعون فى إثابتنا لهم[9] عليه بعد الموت على ما يعلمون[10] لنا من العظمة التى من رجاها كانت له فسعد ، و من أعرض عنها

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : عاق (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : راين .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عزيز (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كثير (٦) فى ظ : اذ (٧) فى ظ : انهم (٨ - ٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانهم سوار (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم .
(١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعملون .

كانت عليه فهلك، فصارت لذلك عقولهم تبعا[1] لشهواتهم، فصاروا يتعرفون إلى جمادات سموها أربابهم، و يقصدونها و يتمسحون[2] بها رجاء للحال، و الانهماك فى الضلال، فذكر الرجاء لهذا الغرض مع أنه يلزمه عدم الخوف: ﴿لولآ﴾ أى هلا[3] و لم لا[3].

٥ و لما كان مرادهم لجهلهم أن يروهم كلهم دفعة واحدة، عبر[4] بالإنزال فقال: ﴿انزل﴾ [أى على أىّ وجه كان من أىّ منزل كان -[5]] ﴿علينا الملئكة﴾ أى كما أنزلت عليه فيما يزعم ﴿او نرى ربنا﴾ بما له إلينا من الإحسان و ما لنا نحن من العظمة بالقوة بالأموال و غيرها، فيأمرنا بما[6] يريد[7] من غير حاجة إلى واسطة.

١٠ و لما[9] كان هذا القول مما لا ينبغى لبشر أن يجترئ عليه، لأن فيه اعتراضا على من لا يحد وصف[8] عظمته، و لا تدرك مقاصد / حكمته، قال ٦٨٤ / مصدرا بحرف التوقع لما[9] أرشد إليه السياق جوابا لمن كأنه[10] سأل: ما حالهم فى هذا؟: ﴿لقد﴾ أى و عزتنا لقد ﴿استكبروا﴾ أى طلبوا بل أوجدوا الكبر. و لما لم يكن لكبرهم ثمرة فى الظاهر، لأنه لا يعود ١٥ بالضرر على أحد غيرهم، قال: ﴿فى انفسهم﴾ أى بطلب رؤية الملائكة.

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: نفعا (٢) فى ظ: يمسحون (٣ - ٣) تقدم فى الأصل على «أى هلا» و الترتيب من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ ومد (٦) من ظ ومد. و فى الأصل: مما (٧) فى ظ: يزيد، و فى مد: نريد. (٨) من ظ و مد. و فى الأصل: و هو (٩) من ظ ومد، و فى الأصل: بما. (١٠) فى ظ: كان.

و لما كان حاصل أمرهم أنهم طلبوا رتبة النبي الذي واسطته الملك، و زادوا عليه رؤية جميع[1] الملائكة الآخذين عن الله، و زادوا على [2]ذلك بطلبه[2] الرؤية، قال: ﴿ و عتو ﴾ أي و جاوزوا الحد في الاستكبار بما وراءه من طلبهم رؤية جميع الملائكة و رؤية الملك الجبار؛ و زاد في تأكيد هذا المعنى لاقتضاء المقام له بقوله: ﴿ عتوا كبيرا ﴾ ٥ و بيان أنهم ما قالوا هذا إلا عتوا و ظلما أن ما جاءهم من الآيات التي أعظمها القرآن دلهم قطعا بعجزهم عن الإتيان بشيء منه على صدقه صلى الله عليه و سلم عن الله في كل ما يقوله، و في حسن هذا الاستئناف و فحوى[3] هذا السياق دلالة على التعجب من غير [لفظ-[4]] تعجب فالمعنى: ما أشد استكبارهم و أكبر[5] عتوهم! ثم بين لهم حالهم [6]عند بعض[6] ما طلبوا ١٠ فقال: ﴿ يوم ﴾ و ناصبه[7] ما دل عليه "لا بشرى[8]" ﴿ يرون الملئكة ﴾ أي[9] يوم القيامة أو قبله [10]في الغزوات[10] أو عند الاحتضار ﴿ لا بشرى ﴾ أي من البشر أصلا ﴿ يومئذ للمجرمين ﴾ أي [11]لأحد ممن[11] قطع ما أمر الله به

(١) تأخر في الأصل عن «الملائكة» و الترتيب من ظ و مد (٢-٢) في ظ: طلب ذلك فيطلب - كذا (٣) من ظ و مد، و في الأصل: لهوى (٤) زيد من ظ (٧) من و مد (٥) في ظ ومد: اكثر (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل: عنه بعد ظ، و في الأصل: ناصبة، و في مد: ناصب (٨) زيد بعده في الكشاف: أي يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى أو يعدمونها (٩) زيد في الأصل: في، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (١٠-١٠) في ظ: بالغزوات. (١١-١١) في ظ: لا احد من.

أن يوصل ، و لبيان ذلك أظهر موضع الإضمار ﴿و يقولون﴾ أى فى ذلك الوقت: ﴿حجرا محجورا﴾ أى نطلب منعا منكم ممنوعا، أى مبالغا فى مانعيته،[1] و يجوز أن يراد بالمفعول الفاعل، و المعنى واحد فى أنهم يريدون أن يكون بينهم و بين الملائكة مانع عظيم يمنعهم منهم؛ قال أبوعبيدة[2]: و هذا عوذة[3] العرب، يقوله من خاف آخر فى الحرم أو فى شهر حرام إذا لقيه و بينهما ترة[4]. و قال سيبويه[5]: يريد البراءة من الأمر و يبعد عن نفسه أمرا، فكأنه قال: أحرم ذلك حراما محرما، و مثل ذلك أن يقول الرجل للرجل: أتفعل كذا و كذا؟ فيقول: حجرا أى سترا و براءة من هذا، فهذا ينتصب على إضمار الفعل. و عبر بالمضارع إشارة إلى [6]دوام تجديدهم[7] لهذا القول بعد مفاجأتهم به حال رؤيتهم لهم لعظيم روعتهم منهم، بخلاف ما بعده فانه عبر فيه بالماضى إشارة إلى أنه كائن لا محالة.

و لما كان المريد لإبطال الشىء - لشدة كراهته له - لا يقنع فى إبطاله بغيره[8]، بل يأتيه بنفسه فيبطله[9]، عبر بقوله: ﴿و قدمنآ﴾ أى بما لنا من العظمة الباهرة فى ذلك اليوم الذى يرون فيه الملائكة سواء كان فى الدنيا أو فى الآخرة ﴿الى ما عملوا من عمل﴾ أى من[9] مكارم الأخلاق

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: ما يعنيه - كذا (٢) ذكر قوله فى البحر المحيط ٦/٤٩٢ (٣) من ظ و مد و البحر، و فى الأصل: عادة (٤) من ظ و مد والبحر، وفى الأصل: بره - كذا (٥) فى كتابه ١/١٦٤ (٦-٦) فى ظ: تجديد دوابهم (٧) من ظ ومد، وفى الأصل: بغير (٨) من ظ ومد، و فى الأصل: فيطلبه (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فى.

من

من الجود و صلة الرحم و الحلم و النجدة فى الخير و إغاثة[1] الملهوف و غيره ﴿ فجعلناه ﴾ - لكونه لم يؤسس[2] على الإيمان ، و إنما هو للهوى[3] و الشيطان - باطلا لانفع فيه ، و هو معنى[4] ﴿ هباء ﴾ و هو ما يرى فى[5] شعاع الشمس الداخل من[6] الكوة مما يشبه الغبار ، فهو أشبه شيء بالعدم - لأنه لانفع له أصلا . ٥

و لما كان الهباء[7] يرى مع[8] السكون منتظما ، فاذا حركته الريح تناثر و ذهب[8] كل مذهب ، فعظم دخوله فى حيز العدم مع أنه محسوس ، قال مبلغا فى وصف أعمالهم : ﴿ منثورا ﴾ و هو صفة ، / و قيل : مفعول ثالث لجعل ، أى جعلنا[9] الأعمال جامعة لحقارة الهباء و التناثر . ٦٨٥ /

و لما علم من هذا أن التقدير : فكانوا[10] بحيث أنهم لا قرار لهم إذا كانت النار مقيلهم ، تلاه بحال أضدادهم فقال : ﴿ أصحب الجنة يومئذ ﴾ أى يوم إذ يرون الملائكة ﴿ خير مستقرا ﴾ أى مكانا يصلح للاستقرار[11] [لطيبه -[12]] ، و يكونون فيه فى أكثر أوقاتهم مستقرين على سرر متقابلين يتحادثون ، إشارة إلى أن منزل أولئك[13] لا يمكن الاستقرار فيه ١٠

(١) فى ظ : اعانة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يوسعن - كذا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الهوى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بغير (٥) فى ظ : من (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الهوى ، و زيد فيه بعده : كالريح ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : هب (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لجعلنا . (١٠) من و ظ مد ، و فى الأصل : كانوا (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاستقرار (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هولاء .

﴿و احسن مقيلا ه﴾ أى مكانا يمكن فيه الاستراحة فى مثل وقت القيلولة للأسترواح بأزواجهم، و التمتع بما يكون فى الخلوات، روى[1] أن وقت الحساب على طوله يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين أول النهار إلى وقت القائلة فيقيلون فى رياض الجنة حتى يفرغ الناس من الحساب . و عبر بأفعل التفضيل تهكما بهم أو[2] أنه عبر بذلك لما كان الكلام عاما لأحوال الدنيا و الآخرة، و هم قاطعون بأنهم فى الدنيا أحسن حالا من المؤمنين، لما هم فيه من السعة فى المال و الكثرة و القوة، [و بلفظ الحسن إشارة إلى ما يتزين به مقيلهم من حسن الوجوه و ملاحة الصور و نحوه .

و لما كان للكفرة فى هذه الدار من العز و القوة -[3]] و الضخامة ما يتعجبون معه من مصير حالهم و حال أخصامهم إلى ما ذكر، [4]بين أن[4] الأمر فى ذلك اليوم على غير ما نعهده، فقال عاطفا على "يوم يرون": ﴿و يوم تشقق﴾ [أى تشققا عظيما و إن كان فيه خفاء على البعض - بما أشار إليه حذف تائه -[3]] ﴿السمآء بالغمام﴾ [أى -[3]] كما تشقق[5] الأرض بالنبات فيخرج من خلال شقوقها، [و أشار إلى جهل من طلبوا نزولهم دفعة واحدة بقوله -[3]]: ﴿و نزل﴾ أى بالتدريج بأمر حتم لايمكنهم التخلف عنه، بأمر من[6] لا أمر لغيره ﴿الملئكة﴾ الذين طلبوا أن يروهم [فى حال واحد -[3]] ﴿تنزيلا ه﴾

(١) راجع لباب التأويل ٥/ ٨٠ (٢) فى ظ ه و ه (٣) زيد من ظ و مد .
(٤ - ٤) فى ظ : من (٥) فى مد : تشقق (٦) سقط من ظ .

فى أيديهم صحائف الأعمال ؛ قال ابن عباس رضى الله عنهما[1] : تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها و هم أكثر ممن فى الدنيا من الجن و الإنس ، ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها و هم أكثر من أهل السماء الدنيا و أهل الأرض جنا و إنسا ، ثم[2] كذلك حتى تشقق السماء السابعة ، و أهل كل سماء يزيدون[3] على أهل السماء التى قبلها ، ثم ينزل[4] الكروبيون ثم حملة العرش .

و لما كان ذلك اليوم سببا لانكشاف الأمور و معرفة أنه لا ملك لسواه سبحانه لأنه لا يقضى فيه غيره قال : ﴿ الملك يومئذ ﴾ أى يوم[2] إذ تشقق السماء بالغمام ؛ ثم وصف الملك بقوله : ﴿ الحق ﴾ أى الثابت معناه ثباتا لا يمكن زواله ؛ ثم أخبر عنه بقوله : ﴿ للرحمن[5] ﴾ أى العام الرحمة فى الدارين ، و من[5] عموم رحمته و حقية[6] ملكه أن يسر قلوب أهل وده بتعذيب أهل عداوته الذين عادوهم فيه[7] لتضييعهم الحق باتباع الباطل ، و لولا اتصافه بالرحمة لم يدخل أحد الجنة ، و معنى التركيب أن ملك غيره فى ذلك اليوم إنما هو بالاسم الذي تقدم له فى الدنيا تسميته به فقط ، لا حكم له أصلا و لا ظاهرا كما كان فى الدنيا ﴿ و كان ﴾ أى ذلك اليوم الذى تظهر فيه الملائكة الذين طلب الكفار رؤيتهم

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/٨١ (٢) سقط من ظ و مد (٣) من المعالم ، و فى الأصول : يدورون (٤) من مد و المعالم ، و فى الأصل و ظ : تنزل .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : حقيقة .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : قيد .

﴿يوما على الكفرين﴾ أى فقط ﴿عسيرا﴾ [1]شديد العسر[1] و الاستعار.

و لما كان حاصل حالهم أنهم جانبوا أشرف الخلق الهادى لهم إلى كل خير، و صاحبوا غيره ممن يقودهم إلى كل شر، بين[2] عسر ذلك اليوم ـ الذى إنما أوجب [3]جرأتهم تكذيبهم[3] به ـ بتناهى ندمهم على فعلهم هذا فقال: ﴿و يوم يعض الظالم﴾ أى لفرط تأسفه لما يرى / فيه من الأهوال ﴿على يديه﴾ أى كلتيهما فيكاد يقطعهما لشدة حسرته و هو لا يشعر، حال كونه مع هذا الفعل ﴿يقول﴾ أى يجدد فى كل لحظة قوله: ﴿يٰليتنى اتخذت﴾ أى أرغمت نفسى و كلفتها أن آخذ فى الدنيا ﴿مع الرسول سبيلا﴾ أى عملا واحدا من الأعمال التى دعانى إليها، و أطعته طاعة ما، لما انكشف لى فى هذا اليوم من أن [كل ـ[4]] من أطاعه و لو لحظة حصلت له سعادة بقدرها، و عض اليد و الأنامل و حرق[5] الأسنان و نحو ذلك كناية عن الغيظ [6]و الحسرة[6] لأنها من روادفها[7]، فتذكر الرادفة[8] دلالة على المردوف فيرتفع الكلام فى طبقة الفصاحة إلى حد يجد السامع عنده فى نفسه من الروعة و الاستحسان ما لا يجده [عند ـ[4]] المكنى عنه.

٦٨٦ / ٥

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: تشهيدا بعسره (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: جراهم بتكذيبهم (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: عرق (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) فى ظ: روادفها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: المرادفة.

و لما تأسف على مجانبة الرسول ، تندم على مصادقة غيره بقوله : ﴿ يٰوَيْلَتٰى ﴾ أى يا هلاكى الذى ليس لى منادم[1] غيره لأنه ليس بحضرتى[2] سواه . و لما كان يريد محالا ، عبر بأداته فقال : ﴿ ليتنى لم اتخذ فلانا ﴾ يعنى الذى أضله - يسميه باسمه ، و إنما [3]كنى عنه و هو سبحانه لايخاف من المناواة ، و لا يحتاج إلى المداجاة ، إرادة للعموم[3] و إن كانت الآية نزلت فى شخص[4] معين ﴿ خليلا ﴾ أى صديقا أوافقه فى أعماله لما علمت من سوء عاقبتها ؛ ثم استأنف قوله الذى يتوقع كل سامع أن يقوله : ﴿ لقد ﴾ أى و الله [لقد -[5]] ﴿ اضلنى عن الذكر ﴾ أى عمّى علىّ طريق القرآن الذى لا ذكر فى الحقيقة غيره و صرفنى عنه ، و الجملة فى موضع العلة لما قبلها ﴿ بعد اذ جآءنى ﴾ [6]و لم يكن لى منه[6] مانع يظهر غير إضلاله .

و لما كان التقدير : ثم ها هو قد خذلنى أحوج ما كنت إلى نصرته ، عطف عليه قوله : ﴿ و كان الشيطٰن ﴾ أى كل من كان سببا للضلال من عتاة الجن و الإنس ﴿ للانسان خذولا ﴾ [أى -[5]] شديد الخذلان يورده ثم يسلمه إلى أكره ما يكره ، لاينصره ، و لو أراد لما استطاع ، بل هو فى شر من ذلك ، لأن عليه إثمه فى نفسه و مثل إثم من أضله .

و لما ذكر سبحانه أقوال الكفار إلى أن ختم بالإضلال عن الذكر ،

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : سلام (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : يحضرنى .
(٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ورد فى الآية مكنيا لارادة العموم .
(٤) فى ظ ومد : ظالم (٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) فى ظ : لم اكن له .

و كانوا - مع إظهارهم التكذيب به و أنه مفتعل - فى غاية الطرب له، و الاهتزاز به، و التعجب منه، و المعرفة بأنه يكون له نبأ، أشار[١] إلى ذلك بقوله، عاطفا على "و قالوا ما لهذا الرسول" معظما لهذه الشكاية[٢] منه صلى الله عليه و سلم، مخوفا لقومه لأن الرسل قبله عليهم الصلاة و السلام كانوا إذا شكوا أنزل[٣] بقومهم عذاب الاستئصال: ﴿و قال الرسول﴾ يعنى محمدا صلى الله عليه و سلم: ﴿يٰرب﴾ أيها المحسن إلىّ بأنواع الإحسان الذى أعظمه الرسالة، و عبر بأداة البعد هضما لنفسه مبالغة فى[٤] التضرع ﴿ان قومى﴾ أى[٥] قريشا الذين لهم قوة و قيام و منعة ﴿اتخذوا﴾ أى بتكليف أنفسهم ضد ما تجده[٦] ﴿هذا القرءان﴾ أى المقتضى للاجتماع عليه و المبادرة[٧] إليه ﴿مهجورا﴾ أى متروكا، فأشار بصيغة الافتعال إلى أنهم عالجوا أنفسهم فى تركه علاجا كثيرا[٨]، لما يرون من حسن نظمه، و يذوقون من / لذيذ معانيه، و رائق أساليبه، و لطيف عجائبه، و بديع غرائبه، كما تعرّف به قصة أبى جهل و أبى سفيان بن حرب و الأخنس بن شريق حين كانوا يستمعون لقراءته ليلا، كل واحد منهم فى مكان لايعلم به صاحباه، ثم يجمعهم الطريق إذا أصبحوا فيتلاومون[٩] و يتعاهدون على أن لايعودوا، ثم يعودون

/ ٦٨٧

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اشارة (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: السكانة (٣) فى ظ: نزل (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اتخذه (٧) فى ظ: الماعدة (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: كبيرا (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: ليتلاومون.

حتى[1] فعلوا ذلك ثلاث ليال ثم أكدوا على أنفسهم العهود حتى تركوا ذلك - كما هو مشهور فى السير[2] .

و لما كان فى هذا الكلام معنى الشكاية و شدة التحرق، و [3]عظيم التحزن[3] كما يشير إليه إثبات [« يا » -[4]] التى للبعد، على خلاف ما جرت به العادة فى نداء الخواص الذين هو أخصهم، و الاستفهام عن سبب هجرانهم مع ما لهم إليه من الدواعى، كان كأنه قيل: ذلك بأن من فعله عاداك حسدا لك، و عطف عليه: ﴿و كذلك﴾ أى و مثل ما فعلنا من هذا الفعل العظيم و أنت أعظم الخلق لدينا ﴿جعلنا﴾ [بما لنا من العظمة -[4]] ﴿لكل نبى﴾ أى[5] من الأنبياء قبلك، رفعة لدرجاتهم ﴿عدوا من المجرمين[6]﴾ الذين طبعناهم على الشغف بقطع ما يقتضى الوصل فأضللناهم[6] بذلك إهانة لهم[7] [8]فاصبر كما صبروا فانى سأهدى بك من شئت، و أنصرك على غيرهم، و أكرم قومك من عذاب الاستئصال تشريفا لك[8] .

و لما كان هذا موطنا تعلق فيه النفوس متشوقة إلى الهداية بعد هذا الطبع، و النصرة بعد ذلك الجعل، كان كأنه قيل: لا تحزن فلنجعلن لك وليا ممن نهديه للايمان، و لننصرنهم على عدوهم كما فعلنا بمن قبلك،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: حين (٢) و قد أسلفنا الإشارة إليه فى الأجزاء السابقة (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عظم التخوف (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: و أضللناهم (٧) زيد فى ظ: بذلك (٨-٨) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط قبل « لكل نبى » - راجع ص ٩ .

بل أعظم حتى نقضى أممهم من ذلك العجب، و لا يسعهم إلا الخضوع لكم[1] و الدخول فى ظلال عزكم، و لما كان ذلك - لكثرة المعادين - أمرا يحق له الاستبعاد، قال [عاطفا على ما تقديره: ثم نصر إخوانك من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام على من جعلهم أعداءهم ربك الذى أرسلهم -[2]]: ﴿و كفى بربك﴾ أى المحسن إليك ﴿هاديا﴾ يهدى بك من قضى بسعادته[3] ﴿و نصيرا ه﴾ ينصرك على من حكم بشقاوته.

و لما ذكر سبحانه شكايته من هجرانهم[4] للقرآن، و قرر[5] عداوتهم له و نصرته عليهم، أتبع ذلك بما يدل عليه، فقال عطفا[6] على ما مضى من الأشباه فى[7] الشبه، و أظهر موضع الإضمار تنبيها[8] على الوصف الذى حملهم على هذا القول: ﴿و قال الذين كفروا﴾ أى غطوا عداوة و حسدا ما تشهد عقولهم بصحته [9]من أن[9] القرآن كلام الله لإعجازه لهم متفرقا، فضلا عن كونه مجتمعا، و غطوا ما وضح لهم من آثاره الظاهرة الشاهدة بوحدانيته، و غير ذلك من صفاته العلية: ﴿لولا﴾ أى هلا.

و لما كانوا لشدة ضعفهم لا يكادون يسمحون بتسمية القرآن تنزيلا فضلا عن[10] أن يسندوا إنزاله إلى الله سبحانه تعالى، بنوا للمفعول فى هذه الشبهة التى أوردوها قولهم: ﴿نزل عليه﴾ و لما عبروا[11] بصيغة التفعيل

(١) فى ظ: لك (٢) زيد من ظ ومد (٣) فى ظ: سعادته (٤) فى ظ: هجرانه.
(٥) من ظ ومد، و فى الأصل: قدر (٦) من ظ ومد. و فى الأصل: عاطفا.
(٧) من ظ ومد، و فى الأصل: من (٨) من ظ ومد، و فى الأصل: منبها.
(٩-٩) فى ظ: لمن (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: عبر.

المشيرة إلى التدريج و التفريق استجلابا للسامع لئلا يعرض عنهم ، أشاروا إلى أن / ذلك غير مراد فقالوا : ﴿القرآن﴾ أى المقتضى اسمه للجمع ؛ ثم صرحوا بالمراد بقولهم : ﴿جملة﴾ و أكدوا بقولهم : ﴿واحدة ج﴾ أى من أوله إلى آخره بمرة ، ليتحقق أنه من عند الله ، و يزول عنا ما نتوهمه[1] من أنه هو الذى يرتبه قليلا قليلا ؛ فتعبيرهم[2] بما يدل على التفريق أبلغ فى[3] مرادهم ، فانهم أرغبوا السامع فى الإقبال على كلامهم[4] بتوطينه على ما يقارب مراده ، ثم أزالوه بالتدريج أتم إزالة ، فكان فى ذلك من المفاجأة بالروعة و الإقناط مما أمّل من المقاربة ما لم يكن فى « أنزل » - و الله أعلم .

/ ٦٨٨

و لما كان التقدير : و ما له ينزل عليه مفرقا ، و كان للتفريق فوائد جليلة ، أشار سبحانه إلى عظمتها بقوله معبرا[5] للإشارة إلى ما اشتملت عليه من العظمة بأداة البعد : ﴿كذلك ج﴾ أى أنزلناه شيئا فشيئا على [هذا الوجه - [6]] العظيم[7] الذى أنكروه ﴿لنثبت به فؤادك﴾ بالإغاثة[8] بتردد الرسل بيننا و بينك ، و بتمكينك و تمكين أتباعك من تفهم المعانى ، و تخفيفا[9] للأحكام ، فى تحميلها أهل الإسلام ، بالتدريج على حسب المصالح ، و لتنافى الحكمة فى الناسخ و المنسوخ ، لما رتب[10] فيه من المصالح ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتوهمه (٢) فى ظ : فتعبيره (٣) فى ظ : من . (٤) فى ظ : كلامه (٥) فى ظ : بصيرا (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد فى الأصل : بالموجد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاعانة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : تحقيقا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : ترتب .

و تسهيلا للحفظ لاسيما و الأمة أمية [1]لا تقرأ و لا تكتب[1]، و تلقينا للأجوبة فى أوقاتها، و تعظيما[2] للإعجاز، لأن ما تحدى بنجم منه فعجز عنه علم أن العجز عن أكثر منه أولى، فالحاصل أن التفريق أدخل فى باب الإعجاز و فى كل حكمة، فعلم أن هـذا الاعتراض فضول

٥ و مماراة بما لا طائل تحته[3] من ضيق الفطن، و قلة الحيلة، و حرج الخطيرة، دأب المقطوع المبهوت، لأن المدار الإعجاز، [4]و أما[4] كونه جملة أو مفرقا فأمر[5] لا فائدة لهم فيه، و ليست الإشارة محتملة لأن تكون للكتب الماضية، لأن نزولها إنما كان منجما كما بينته فى سورة النساء عن نص التوراة المشير إليه نص كتابنا، لا[6] كما يتوهمه كثير من الناس،

١٠ و لا أصل له إلا كذبة من بعض اليهود شبهوا بها على أهل الإسلام فمشت[7] على أكثرهم و شرعوا يتكلفون[8] لها أجوبة، و اليهود الآن معترفون بأن التوراة نزلت فى نحو [9]عشرين سنة[9] - و الله الموفق.

و لما كان إنزاله مفرقا أحسن، أكده بقوله عطفا على الفعل الذى تعلق به "كذلك": ﴿ و رتلنه ترتيلا ﴾ أى فرقناه فى الإنزال إليك

١٥ تفريقا فى نيف و عشرين سنة؛ [و - [10]] قال البغوى[11]: قال ابن عباس

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يقرا و لا يكتب (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تعظيمها (٣) فى ظ: عنه (٤-٤) من مد، و فى الأصل: اما، و فى ظ: فلما (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: فالامر (٦) سقط من ظ و مد. (٧) فى ظ: نشكت (٨) فى ظ و مد: يتكلفوا (٩-٩) من ظ و مد و ما ورد فى ص ٣٨٣ س ١٤، و فى الأصل: عشر سنين (١٠) زيد من ظ و مد (١١) فى معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٥ / ٨٣.

رضى الله عنهما : بيناه بيانا ، [و -[1]] الترتيل[2] : التبيين فى ترسل و تثبت - انتهى . و أصله ترتيل الأسنان و هو تفليجها كنور الأقحوان .

و لما كان التقدير : قد بطل[3] ما أتوا به من هذا الاعتراض ، عطف عليه [قوله] : ﴿ و لا يأتونك ﴾ أى المشركون ﴿ بمثل ﴾ أى باعتراض فى إبطال أمرك يخيلون به لعقول الضعفاء بما يجتهدون فى تنميقه و تحسينه و تدقيقه حتى يصير عندهم فى غاية الحسن و الرشاقة لفظا و معنى ﴿ الا جئناك ﴾ أى فى جوابه ﴿ بالحق ﴾ و من الألف و اللام الدالة على الكمال يُعْرَف[4] أن المراد به الثابت الذى لا شىء أثبت منه ، فيرهق ما أتوا به لبطلانه ، و يفتضح[5] بعد ذلك الستر فضيحة / تخجل القائل و السامع القابل . / ٦٨٩

و لما كان التقدير فى الأصل : بأحق منه ، و إنما عبر بالحق ، لئلا يفهم[6] أن لما يأتون[7] به وجها فى الحقيقة ، عطف عليه قوله : ﴿ و احسن ﴾ أى من مثلهم ﴿ تفسيرا[8] ﴾ أى كشفا لما غطى الفهم من ذلك الذى خيلوا به و ادعوا أنهم أوضحوا به وجها من وجوه المطاعن ، فجزم أكثر السامعين بحسنه .

و لما أنتجت هذه الآيات كلها أنهم معاندون لربهم ، و أنهم يريدون بهذه السؤالات ان[8] يضللوا سبيله ، و يحتقروا مكانته ، و يهدروا[9] منزلته ،

(١) زيد من ظ و مد و المعالم (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد و المعالم فحذفناها (٣) فى ظ : ابطل (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعرف . (٥) فى ظ : يفضح (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ و مد : ياتونك (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : انهم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهدوا .

علم قطعا أنه يعمر بهم دارالشقاء، وكان ذلك أدل دليل على أنهم أعمى الناس عن الطرق[١] المحسوسة، فضلا عن الأمثال المعلومة، و التمثيل[٢] للمدارك الغامضة، و أنهم أحقر الناس لأنه لاينتقص الأفاضلَ إلا ناقص، و لايتكلم الإنسان إلا فيمن هو خير منه، قال معادلا لقوله "اصحب الجنة يومئذ خير" واصفا لما تقدم أنه أظهره موضع الإضمار من قوله "الذين كفروا": ﴿الذين يحشرون﴾ أى يجمعون قهرا ماشين مقلوبين ﴿على وجوههم﴾ أو[٣] مسحوبين ﴿الى جهنم﴾ كما أنهم فى الدنيا كانوا يعملون ما كأنهم[٤] معه لايبصرون و لاتصرف[٥] لهم فى أنفسهم، توزهم الشياطين أزا، فان الآخرة مرآة الدنيا، مهما عمل هنا رئى[٦] هناك[٧]، كما أن الدنيا مزرعة الآخرة، مهما عمل فيها جنيت ثمرته[٨] هناك؛ روى البخارى[٩] عن أنس رضى الله عنهما أن رجلا قال: يا نبى الله! كيف[١٠] يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة[١١] - يعنى الراوى عن أنس -: بلى[١٢] وعزة ربنا.

(١) فى ظ: الطريق (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: التفسير (٣) فى ظ: اى. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: كانوا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لايصرف (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: دوى (٧) فى ظ: هنالك (٨) فى ظ: ثمرتها (٩) فى الصحيح ٢ / ٧٠١ (١٠) ليس فى الصحيح (١١) من ظ و مد و الصحيح، و فى الأصل: القتادة (١٢) من ظ و مد و الصحيح، و فى الأصل: بل.

و لما

و لما وصف المتعنتين فى أمر القرآن بهذا الوصف، استأنف الإخبار بأنهم متصفون بما ألزموا[1] به من أن الإتيان بالقرآن مفرقا[2] وضع للشيء فى غير موضعه [فقال] : ﴿اولئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ شر﴾ أى شر الخلق ﴿ مكانا و اضل سبيلا ۝﴾ حيث عموا عن[3] طريق الجنة التى لا أجلى منها و لا أوسع ، و سلكوا طريق النار التى لا أضيق منها ٥ و لا أوعر ، و عموا عن[4] أن إنزال القرآن نجوما أولى لما تقدم من اللطائف و غيرها مما[5] لا يحيط به إلا الله تعالى، و "سبيلا" تمييز محول عن الفاعل أصله : ضل[6] سبيلهم، و إسناد الضلال إليه من الإسناد المجازى .

و لما بين أنهم كذبوه و عادوه، و أشار بآية الحشر إلى جهنم إلى ١٠ أنه لا يهلكهم بعامة، عطف[7] على عامل « لنثبت[8] » تسلية له و تخويفا لهم قوله : ﴿و لقد آتينا﴾ [أى -[9]] بما لنا من العظمة ﴿ موسى الكتب﴾ كما آتيناك ، بينا فيه الشرائع و السنن و الأحكام ، و جعلناه هدى و رحمة، و أنزلناه إليه منجما فى نحو عشرين سنة - يقال : إنها ثمان عشرة - كما أنزلنا إليك هذا القرآن فى نيف و عشرين سنة ، كما بينت ذلك[10] فى ١٥

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : الزم (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : مقرنا. (٣) فى ظ : من (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : من (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : لما (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اضل (٧) زيد بعده فى الأصل : عليه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : التثبيت - كذا (٩) زيد من ظ و مد (١٠) سقط من ظ .

آخر سورة النساء و غيرها ، على أن أحدا ممن طالع التوراة لا يقدر على إنكار ذلك ، فانه بيّنٌ من نصوصها . و زاد فى التسلية بذكر الوزير ، لأن الرد للاثنين[1] أبعد ، و فيه إشارة / إلى [2]أنه لا ينفع[2] فى إيمانهم إرسال[3] ملك - كما اقترحوا - ليكون معه نذيرا ، فقال : ﴿و جعلنا﴾ بما لنا من العظمة ﴿معهٓ اخاه﴾ ثم بينه بقوله : ﴿هٰرون﴾ و بين محط الجعل بقوله : ﴿وزيرا﴾ أى معينا فى كل أمر بعثناه[5] به ، و هو مع ذلك نبى . و لا تنافى بين الوزارة و النبوة .

٦٩ /

و لما كانت الواو لا ترتب ، فلم يلزم من هذا أن يكون[5] هذا الجعل بعد إنزال الكتاب كما هو الواقع ، رتب عليه قوله : ﴿فقلنا﴾ أى بعد جعلنا له[5] وزيرا . و لما كان المقصود هنا من القصة التسلية و التخويف ، ذكر حاشيتيها[6] أولها و آخرها ، و هما إلزام الحجة و التدمير[7] ، فقال : ﴿اذهبآ الى القوم﴾ أى الذين فيهم قوة و قدرة على ما يعانونه[8] و هم القبط ﴿الذين كذبوا بـاٰيٰتنا﴾ أى المرئية و المسموعة من الأنبياء الماضين قبل إتيانكما فى عالم الشهادة ، و المرئية و المسموعة منكما بعد إتيانكما فى علمنا[9] . فذهبا إليهم فكذبوهما فيما [10]أرياهم و أخبراهم[10] به من الآيات ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاثنين (٢-٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : لانهم لا ينفعهم (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ارساله (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعثنا (٥) سقط من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : حاشيتها . (٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : التدبير (٨) فى ظ ومد : يعاينونه (٩) موضعه بياض فى مد (١٠-١٠) من ظ ومد ، و فى الأصل : الدباهم و اخبرهم - كذا .

لما طبعناهم عليه من الطبع المهيئ لذلك .

و لما كان السياق للانذار بالفرقان ، طوى أمرهم إلا فى عذابهم فقال : ﴿ فدمرنٰهم ﴾ أى لذلك ﴿ تدميرا ﴾ باغراقهم أجمعين على يد موسى عليه السلام فى البحر ، لم نبق[1] منهم أحدا[2] مع ما أصبناهم به قبل ذلك من المصائب ، مع اجتهاد موسى عليه السلام فى إحيائهم بالإيمان ، الموجب ٥ لإبقائهم فى الدارين ، عكس ما فعلنا بموسى عليه السلام من إنجائه من الهلاك بالقائه فى البحر ، و إبقائه[3] بمن اجتهد فى إعدامه[4] ، و جعلنا لكل منهما حظا من بحره " هذا ملح اجاج " هو غطاء جهنم ، " و هذا عذب فرات " عنصره من الجنة ، فليحذر هؤلاء الذين تدعوهم[5] من مثل ذلك إن فعلوا مثل فعل أولئك . ١٠

و لما هدد المكذبين ، باهلاك الأولين ، الذين كانوا أقوى منهم و أكثر ، و قدم قصة موسى عليه السلام لمناسبة الكتاب فى نفسه أولا ، و فى تنجيمه ثانيا ، أتبعه أول الأمم ، لأنهم أول ، و لما فى عذابهم من الهول ، و لمناسبة ما بينه و بين عذاب القبط ، فقال : ﴿ و قوم ﴾ أى و دمرنا قومَ ﴿ نوح لما كذبوا الرسل ﴾ بتكذيبهم[6] نوحا ، لأن من ١٥ كذب واحدا من الأنبياء بالفعل فقد كذب الكل بالقوة ، لأن

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : لم يبق (٢) فى ظ : احد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : انقايه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعذابه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يدعوهم (٦) فى ظ و مد : لتكذيبهم .

المعجزات هى البرهان على صدقهم ، و هى متساوية الأقدام فى كونها خوارق ، لايقدر على معارضتها ، فالتكذيب[1] بشىء منها تكذيب بالجميع[2] لأنه لا فرق ، و لأنهم كذبوا من مضى من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام فيما سمعوه من أخبارهم ، [و لأنهم عللوا تكذيبهم بأنه من البشر فلزمهم تكذيب كل رسول من البشر -[3]] .

و لما كان كأنه قيل : بأىّ[4] شىء دمروا ؟ قال : ﴿اغرقنٰهم﴾ كما أغرقنا آل فرعون بأعظم مما أغرقناهم به ﴿و جعلنٰهم﴾ أى قوم نوح فى ذلك ﴿للناس ءاية[5]﴾ أى علامة على قدرتنا على ما نريد[6] من إحداث الماء و غيره [6]و إعدامه[6] و التصرف فى ذلك بكل ما نشاء ، و إنجاء من نريد بما أهلكنا به عدوه ﴿و اعتدنا﴾ أى هيأنا تهيئة قوية [جدا -[3]] و أحضرنا على وجه ضخم شديد تام التقدير ؛ و كان الأصل : لهم ، و لكنه أظهر تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال : ﴿للظٰلمين﴾ [أى كلهم -[3]] فى أىّ / زمان كانوا ، لأجل ظلمهم بوضعهم الأشياء فى غير مواضعها[7] ﴿عذابا اليما﴾ لاسيما فى الآخرة . /٦٩١

و لما ذكر آخر الأمم المهلكة بعامة[8] و أولها ، و كان إهلاكهما بالماء ، ذكر من بينهما ممن[9] أهلك بغير ذلك ، إظهارا للقدرة و الاختيار ، و طوى

(١) فى ظ : و التكذيب (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى الجميع (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاى (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : نزيد (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ط (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ موضعها (٨) من ظ و مد . و فى الأصل : بعامته (٩) فى ظ : من حرم

خبرهم بغير العذاب لأنه كما مضى فى سياق الإنذار فقال: ﴿ و عادا ﴾ أى و دمرنا عادا بالريح ﴿و ثمودًا﴾ بالصيحة[١] ﴿ و اصحٰب الرس ﴾ أى البئر التى هى غير مطوية[٢]؛ قال ابن جرير[٣]: و الرس فى كلام العرب كل محفور مثـــل البئر و القبر و نحو ذلك . أى دمرناهم بالخسف[٤] ﴿ و قرونا بين ذلك ﴾ أى الأمر العظيم المذكور، و هو بين كل أمتين ٥ من هذه الأمم ﴿ كثيرا[٥] ﴾ و ناهيك بما[٦] يقول فيه[٦] العلى الكبير: إنه كثير؛ أسند البغوى[٧] فى تفسير " امة وسطا " فى البقرة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه و سلم يوما بعد العصر، فما ترك شيئا إلى يوم القيامة إلا ذكره فى مقامه ذلك حتى إذا كانت الشمس على رؤس النخل و أطراف الحيطان قال[٨]: أما ١٠ أنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقى من يومكم هذا، ألا و إن هذه الأمة توفى سبعين أمة هى آخرها و أكرمها على الله عز و جل . أخرجه الترمذى[٩] فى الفتن و أحمد[١٠] و الطبرانى ـ و ابن ماجه[١١] فى الفتن أيضا لكن ببعضه[١٢] - و ليس عند واحد منهم اللفظ المقصود من السبعين

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: للصيحة (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مطرمه ـ كذا (٣) راجع من تفسيره الجزء ١٩ / ٩ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بالقصف (٥) تكرر فى الأصل فقط بعد « بين ذلك » (٦-٦) من ظ ومد، و فى الأصل: يقوله (٧) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ١/١٠١. (٨) من المعالم، و فى الأصول: فقال (٩) فى جامعه ٢/٢٦٦ (١٠) فى مسنده ٣/١٩ و ٦١ (١١) راجع من سننه ص ٢٩٧ (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بعضه .

أمة ، و فى بعض ألفاظهم « و جعلنا نلتفت[1] إلى الشمس هل[2] بقى منها شىء » و هذا يدل[3] على أن الذى كان قد بقى من النهار نحو العشر من العشر ، و هذا يقتضى إذا اعتبرنا ما مضى لهذه الأمة من الزمان أن يكون الماضى من الدنيا من خلق[4] آدم عليه السلام فى يوم الجمعة [5]الذى يلى[5] الستة الأيام التى خلقت فيها السماوات و الأرض أكثر من مائة ألف سنة - و الله أعلم .

و لما قدم سبحانه أنه[6] يأتى فى هذا الكتاب بما هو الحق فى جواب أمثالهم ، بين أنه فعل بالجميع[7] نحو من هذا ، فقال [8]تسلية لنبيه[8] صلى الله عليه و سلم و تأسية و بيانا لتشريفه[9] بالعفو عن أمته : ﴿ و كلا ﴾ [10]أى من هذه الأمم[10] ﴿ ضربنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ له الامثال ﴾ حتى وضح له السبيل ، و قام - من غير شبهة - الدليل ﴿ و كلا تبرنا تتبيرا ﴾ أى جعلنا هم فتاتا قطعا بليغة التقطيع[11] ، لا يمكن غيرنا[12] أن يصلها و يعيدها إلى ما كانت عليه قبل التفتيت .

(١) من ظ و مد و المراجع ، و فى الأصل : يلتفت (٢) من ظ و مد و المراجع ، و فى الأصل : هى (٣) فى ظ : الذى دل (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تخلق . (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى تلى (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٧) من مد ، و فى الأصل : فى الجميع ، و فى ظ : الجميع امثالهم (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لنبيه تسلية له (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : للشريعة . (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١) زيد فى الأصل : و تكبير ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرنا .

و لما ذكر الإهلاك بالماء و بغيره[1] ، و كان الإهلاك بالماء تارة بالبحر ، و تارة بالإمطار ، و ختم بالخسف ، ذكر الخسف الناشئ [2]عن الإمطار[2] ، بحجارة النار ، مع الغمر بالماء ، دلالة على تمام القدرة ، و باهر العظمة ، و تذكيرا[3] بما يرونه كل قليل فى سفرهم إلى الأرض المقدسة لمتجرهم ، و افتتح القصة باللام المؤذنة بعظيم الاهتمام ، مقرونة بحرف التحقيق ، إشارة ٥ إلى أنهم لعدم الانتفاع بالآيات كالمنكرين للمحسوسات ، و غير الأسلوب تنبيها على عظيم الشأن و هزا للسامع فقال : ﴿ و لقد اتوا ﴾ أى هؤلاء المكذبون[4] من قومك ، و قال[5] : ﴿ على القرية ﴾ - و إن كانت مدائن سبعا / أو خمسا كما قيل - تحقيرا لشأنها فى جنب قدرته سبحانه ، و إهانة لمن / ٦٩٢ يريد عذابه ، و دلالة على جمع[6] الفاحشة لهم حتى[7] كانوا كأنهم شىء ١٠ واحد كما دل عليه التعبير بمادة « قرا » الدالة على الجمع ﴿ التى امطرت ﴾ [اى بـ[8]] وقع إمطارها ممن لايقدر على الإمطار سواه بالحجارة ، و لذا قال : ﴿ مطر السوء[1] ﴾ و هى قرى قوم لوط ، ثم خسف بها و غمرت بما ليس فى الأرض مثله فى أنواع الخبث[9] ؛ قال البغوى[10] : كانت خمس قرى فأهلك الله أربعا منها و نجت واحدة و هى أصغرها[11] ، و كان أهلها ١٥

(١) فى ظ : غيره (٢ - ٢) فى ظ : بالامطار (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تذكرا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المكذبين (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : قالوا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جميع (٧) زيد فى الأصل : كانهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخبيث (١٠) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/٨٤ . (١١) من المعالم ، و فى الأصل و ظ : صغيرة ، و فى مد : صغر ، و فى =

لا يعملون العمل الخبيث .

و لما كانوا يمرون عليها فى أسفارهم، و كان من حقهم أن يتعظوا بحالهم، فيرجعوا عن ضلالهم، تسبب عن ذلك استحقاقهم للانكار الشديد فى قوله : ﴿ افلم يكونوا ﴾ أى بما فى جبلاتهم من الأخلاق العالية ﴿ يرونها ج ﴾ أى فى أسفارهم إلى الشام ليعتبروا بما حل بأهلها من عذاب الله فيتوبوا .

و لما كان التقدير : بل رأوها ، أضرب عنه بقوله : ﴿ بل ﴾ أى لم يكن تكذيبهم بسبب عدم رؤيتها و عدم علمهم بما حل بأهلها[1] ، بل بسبب أنهم ﴿ كانوا ﴾ يكذبون بالقيامة كأنه لهم طبع .

و لما كان عود الإنسان إلى ما كان من صحته محبوبا له ، كان ينبغى لهم لو عقلوا أن يعلقوا[2] رجاءهم بالبعث لأنه[3] [لا -[4]] رجوع إلى الحياة[5]، فهو كرجوع المريض لاسيما المدنف إلى الصحة ، فلذلك قال معبرا بالرجاء تنبيها على هذا : ﴿ لا يرجون نشورا ه ﴾ بعد الموت ليخافوا الله عز و جل فيخلصوا له فيجازيهم على ذلك ، لأنه استقر فى أنفسهم اعتقادهم التكذيب بالآخرة ، و استمروا عليه قرنا بعد قرن حتى[6] تمكن تمكنا[6] لا ينفع معه الاعتبار إلا لمن شاء الله .

= البحر المحيط ٦/٤٩٩ : زغر - نقلا عن ابن عباس رضى الله عنه .

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل: اهلها (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : يعقلوا .

(٣) فى ظ : لانهم (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالحياة (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يمكن تمكينا .

و لما أثبت تكذيبهم بالآخرة، عطف عليه تحقيقا له قوله، مبينا أنهم لم يقتصروا[1] على التكذيب بالممكن المحبوب حتى ضموا إليه الاستهزاء بمن لايمكن أصلا فى العادة أن يكون موضعا للهزء: ﴿ و اذا راوك ﴾ أى [مع -[2]] ما يعلمون من صدق حديثك و كرم أفعالك لو لم تأتهم بمعجزة، فكيف و قد أتيتهم بما يقهر العقول ﴿ان﴾ أى ما ﴿يتخذونك الا هزوا﴾ ٥ عبر بالمصدر[3] إشارة إلى مبالغتهم فى الاستهزاء مع شدة بعده صلى الله عليه و سلم عن ذلك، يقولون محتقرين: ﴿أهذا﴾ و تهكموا مع الإنكار فى قولهم: ﴿الذى بعث الله﴾ أى المستجمع لنعوت العظمة ﴿رسولا ٥﴾ فاخراجهم[4] الكلام فى معرض التسليم و الإقرار - و هم فى غاية الجحود - بالغ الذروة من الاستهزاء، فصار المراد عندهم أن هـذا الذى ادعاه ١٠ من الرسالة [مما -[2]] لا يجوز أن يعتقد. ثم استأنفوا معجبين من أنفسهم، مخيلين غيرهم من الالتفات إلى ما يأتى به من المعجزات، قائلين: ﴿ان﴾ أى إنه ﴿كاد﴾ و عرّف بأن[5] «إن» مخففة لا نافية باللام فقال: ﴿ليضلنا﴾ أى بما يأتى به من [هذه -[2]] الخوارق التى لايقدر غيره على مثلها، و اجتهاده فى إظهار النصح ﴿عن الهتنا﴾ هذه التى ١٥ سبق إلى عبادتها من هو أفضل منا رأيا و أكثر للأمور تجربة. و لما كانت هذه[6] العبارة مفهمة لمقاربة[7] الصرف عن الأصنام، / نفوه بقولهم: / ٦٩٣

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يقصروا (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: المصدر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: باخراجهم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لمقابلة.

﴿ لولا ان صبرنا ﴾ بما لنا من الاجتماع و التعاضد ﴿ عليها[1] ﴾ أى على التمسك بعبادتها .

و لما لزم قولهم[1] هذا أن الأصنام تغنى عنهم ، نفاه [مهددا -[2]] مؤكدا التهديد لفظاعة فعلهم بقوله ، عطفا على ما تقديره[3] : فسوف يرون - أو[4] من يرى منهم - أكثرهم قد رجع عن اعتقاد أن[5] هذه الأصنام آلهة : ﴿ و سوف يعلمون ﴾ أى فى حال لاينفعهم فيه العمل و إن طالت مدة الإمهال و التمكين ﴿ حين يرون العذاب ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة ﴿ من اضل سبيلا ه ﴾ هم أو الداعى[6] لهم إلى ترك الأصنام الذى ادعوا [7]إضلاله بقولهم[7] " ليضلنا " .

و لما أخبره تعالى بحقيقة حالهم ، فى ابتدائهم و مآلهم ، و كان ذلك مما يحزنه صلى الله عليه و سلم لشدة حرصه على رجوعهم ، و لزوم ما ينفعهم و اجتناب ما يضرهم ، سلاه[8] بقوله معجبا من حالهم : ﴿ ارءيت من اتخذ ﴾ أى كلف نفسه أن أخذ ﴿ الهه هونه[1] ﴾ أى أنهم حقروا الإله بانزاله إلى[9] رتبة الهوى [10]فهم لايعبدون إلا الهوى ، و هو ميل الشهوة و رمى[11] النفس إلى الشىء ، لا شبهة لهم أصلا فى عبادة الأصنام يرجعون عنها إذا جلت ، فهم لاينفكون عن عبادتها ما دام

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لقولهم (٢) زيد من ظ و مد .
(٣) من ظ و مد . و فى الأصل : تقدم (٤) فى ظ : أى (٥) سقط من ظ .
(٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : الدواعى (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضلاله بقوله (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تلاه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (١٠) العبارة من هنا إلى «إذا جلت» ساقطة من مد (١١) من ظ ، و فى الأصل : رامى .

هواهم موجودا[1]، فلا يقدر على كفهم عن ذلك إلا القادر على صرف تلك الأهواء، و هو الله وحده [و -[2]] هذا كما تقول[3]: فلان اتخذ سميره كتابه، أي أنه قصر نفسه على مسامرة الكتاب فلا يسامر غير الكتاب[4]، [و قد يشاركه فى مسامرة الكتاب غيره، و لو قلت: اتخذ كتابه سميره، لانعكس الحال فكان المعنى أنه قصر نفسه على مطالعة السمير و لم ٥ ينظر فى كتاب فى وقت السمر -[2]] و قد يشاركه غيره فى السمير، أو[4] قصر السمير على الكتاب و[5] الكتاب على السمير كما[6] قصر الطين على الخزفية فى قولك: اتخذت الطين خزفا، فالمعنى أن هذا المذموم قصر نفسه على تأله[7] الهوى [8]فلا صلاح له و لا رشاد[8] و قد يتأله الهوى غيره، و لو قيل: من اتخذ [9]هواه إلهه[9]، لكان المعنى أنه قصر هواه على ١٠ الإله[10] فلا غيّ له، لأن هواه تابع لأمر الإله، و قد يشاركه فى تأله الإله غيره؛ قال أبو حيان[11]: و المعنى أنه لم يتخذ إلها إلا هواه - انتهى. فلو عكس لقيل: لم يتخذ هوىً إلا إلهه، و هو إذا فعل ذلك فقد سلب نفسه الهوى فلم يعمل به إلا فيما[12] وافق أمر إلهه، و مما يوضح لك[13]

(١) فى ظ: موجود (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يقول (٤) فى ظ «و» (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٦) من مد، و فى الأصل: لما، و فى ظ: فما (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ما له (٨ - ٨) فى ظ: فالصلاح له و الارشاد (٩ - ٩) من ظ ومد، و فى الأصل: الهه هواه. (١٠) زيد فى الأصل: على الهوى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (١١) راجع البحر المحيط ٦ / ٥٠١ (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: منها. (١٣) فى ظ: ذلك.

انعكاس المعنى بالتقديم و التأخير أنك لو قلت : فلان اتخذ عبده أباه ، لكان معناه أنه عظم العبد ، و لو قيل[1] : إنه اتخذ أباه عبده ، لكان معناه أنه أهان الأب ، و سواء فى ذلك إتيانك به هكذا على وزان[2] ما فى القرآن أو نكرت أحدهما ، فانك لاتجد ذوقك فيه يختلف فى أنه إذا قدم الحقير شرفه ، و إذا قدم الشريف حقره ، و كذا[3] لو قلت : اتخذ[4] إصطبله[5] مسجدا أو صديقه أبا أو عكست ، و لو كان التقديم بمجرد العناية من غير اختلاف فى الدلالة قدم فى الجاثية[6] الهوى ، فان السياق و السباق له ، و حاصل المعنى أنه اضمحل وصف الإله ، و لم يبق إلا الهوى ، فلو قدم الهوى لكان المعنى أنه زال و غلبت[7] عليه صفة الإله ، و لم يكن النظر إلا إليه[8] ، و لا الحكم إلا له ، كما فى الطين بالنسبة إلى الخزف سواء - و الله أعلم .

و لما كان لايقدر على صرف الهوى إلا الله ، تسبب عن شدة حرصه على هداهم قوله : ﴿أفأنت تكون﴾ / و لما كان مراده صلى الله عليه و سلم حرصا عليهم و رحمة[9] لهم ردهم عن الغي و لا بد ، عبر بأداة الاستعلاء فى قوله : ﴿عليه وكيلا﴾ أى من قبل الله بحيث يلزمك أن ترده عن هواه إلى ما أمر [به - [10]] الله قسرا ، لست بوكيل ، و لكنك

/٦٩٤

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان معناه (٢ - ٢) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « وزان » و الترتيب من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : احد (٥) فى ظ : اصطبلك (٦) راجع آية ٢٣ .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : غلب (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : له .
(٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : رحمته (١٠) زيد من ظ و مد .

رسول، ليس عليك إلا البلاغ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات .

و لما انتفى الرد عن الهوى قسرا بالوكالة، نفى الرد طوعا بتقبيح الضلالة، فذكر المانع منه بقوله معادلا لما قبله، منكرا حسبانه[1]، لا كونه هو الحاسب، أو [أنكر -[2]] كونه هو الحاسب، مع ما له من العقل الرزين، و الرأى الرصين، و يكون "تحسب" معطوفا على[3] "تكون": ٥ ﴿أم تحسب ان اكثرهم﴾ أى هؤلاء المدعوين[4] ﴿يسمعون﴾ أى سماع من ينزجر و لو كان غير عاقل كالبهائم ﴿او يعقلون[4]﴾ ما يرون و لو لم يكن لهم سمع حتى يطمع[5] فى رجوعهم باختيارهم من غير قسر .

و لما كان هذا الاستفهام مفيدا للنفى، أثبت ما أفهمه بقوله: ﴿ان﴾ أى ما ﴿هم الا كالانعام﴾ أى فى عدم العقل لعدم الانتفاع ١٠ به ﴿بل هم اضل﴾ أى منها ﴿سبيلا ع﴾ لأنهم لاينزجرون[6] بما يسمعون و هى تنزجر[7]، و لا يشكرون للحسن و هو وليهم، و لا يجانبون المسىء و هو عدوهم، و لا يرغبون فى الثواب، و لا يخافون العقاب، و ذلك لأنا[8] حجبنا شموس عقولهم بظلال الجبال الشامخة من ضلالهم، و لو آمنوا لانقشعت تلك الحجب، و أضاءت أنوار الإيمان، فأبصروا[9] غرائب ١٥ المعانى، و تبدت لهم خفايا الأسرار "ان الذين آمنوا و عملوا الصلحت

(١) فى ظ : احسانه (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل وظ : ما، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) فى ظ : المدعون (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : قطع (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : لايزجرون (٧) من ظ و مد، وفى الأصل : تزجر (٨) من ظ ومد، وفى الأصل : لان (٩) فى ظ : بما بصروا .

يهديهم ربهم بإيمانهم" فكما أن الإنسان - و إن كان بصيرا - لا يميز بين المحسوسات ما لم يشرق عليها نور[1] الشمس، فكذلك الإنسان - و إن كان عاقلا ذا بصيرة - لا تدرك بصيرته المعاني المعلومات على ما هي عليه ما لم يشرق عليها نور الإيمان، لأن البصيرة عين الروح كما أن البصر عين الجسد؛ و لما[2] كان [من المعلوم - [3]] أنهم يسمعون و[4] يعقلون و أن المنفي إنما هو انتفاعهم بذلك، كان موضع عجب من [5]صرفهم عن[5] ذلك، فعقبه سبحانه بتصرفه في الأمور الحسية مثالا[6] للأمور المعنوية، و لأن عمله في الباطن ينيره إذا شاء بشمس المعارف كعمله[7] في الظاهر سواء، دليلا على سلبهم النفع بما أعطاهموه.

و لما بين جمود المعترضين على دلائل الصانع، و تناهي جهلهم، و فساد طريقهم، و كان المراد من العبد في تعرف ذلك أن ينظر في أفعال سيده بعين الحقيقة نظرا تفنى لديه الأغيار[8]، فلا يرى إلا الفاعل المختار، خاطب رأس المخلصين الناظرين هذا النظر، حثا لأهل وده على مثل ذلك، فقال ذاكرا لأنواع من الدلائل الدالة على وجود الصانع، و إحاطة علمه، و شمول قدرته، مشيرا إلى أن الناظر في هذا الدليل - لوضوحه في الدلالة على الخالق - كالناظر إلى الخالق، معبرا بوصف الإحسان

(١) من ظ و مد، و في الأصل: انوار (٢) من ظ و مد، و في الأصل: لو. (٣) زيد من ظ و مد (٤) من مد، و في الأصل و ظ: او (٥ - ٥) من ظ و مد، و في الأصل: معرفتهم في - كذا (٦) من ظ و مد، و في الأصل: شيئا لا (٧) في ظ: كعلمه (٨) من ظ و مد، و في الأصل: الاخبار.

تشويقا إلى إدامـــة النظر إليه و الإقبال عليه: ﴿ الم تر ﴾ و أشار إلى عظم المقام و علو الرتبة بحرف الغاية مع أقرب الخلق منزلة و أعلاهم مقاما فقال: ﴿ الى ربك ﴾ أى المحسن / إليك، و الأصل: إلى فعله، و أشار إلى زيادة التعجب من[1] أمره بجعله فى معرض الاستفهام فقال: ﴿ كيف مد الظل ﴾ و هو ظلمة ما منع[2] ملاقاة نور الشمس، قال أبو عبيد: و هو ما تنسخه الشمس و هو بالغداة، و الفىء ما نسخ الشمس و هو بعد الزوال[3]. و الظل هنا[4] الليل لأنه ظل الأرض الممدود على قريب من نصف وجهها[5] مدة تحجب نور الشمس بما قابل قرصها من الأرض حتى امتد بساطه، و ضرب فسطاطه، كما حجب ظل ضلالهم أنوار عقولهم، و غفلة طباعهم نفوذ أسماعهم ﴿ و لو شاء لجعله ﴾ أى الظل ﴿ ساكنا ﴾ بادامة الليل لا تذهبه الشمس كما فى الجنة لقوله «و ظل ممدود» و إن كان بينهما فرق، و لكنه لم يشأ ذلك بل جعله متحركا بسوق الشمس له.

و لما كان إيجاد النهار بعد إعدامه، و تبيين الظل به غب إبهامه، أمرا عظيما، [6]و إن[6] كان قد هان بكثرة الإلف، أشار إليه بأداة التراخى و مقام[7] العظمة فقال: ﴿ ثم جعلنا ﴾ أى بعظمتنا ﴿ الشمس عليه دليلا ﴾ أى يدور معها حيثما دارت، فلو لا[8] هى ما ظهر [أن -[9]] لشىء ظلا، و لو لا النور

(١) فى ظ: فى (٢) فى ظ: نفع (٣) راجع أيضا البحر المحيط ٦/٣٠٥ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: هو (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: وجها. (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فان (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لام. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: و لولا (٩) زيد من ظ و مد.

ما عرف الظلام ، و الأشياء تعرف بأضدادها .

و لما كانت إزالته شيئاً فشيئاً بعد مدة كذلك من العظمة بمكان . قال منبها[1] على فضل مدخول « ثم » و ترتبه متصاعدا فى درج الفضل ، فما هنا أفضل مما قبله ، و ما قبله أجلّ مما تقدمه ، تشبيها لتباعد ما بين المراتب الثلاث فى الفضل بتباعـــد[2] ما بين الحوادث فى الوقت : ﴿ ثم قبضنه ﴾ أى الظل ، و القبض : جمع المنبسط ﴿ الينا ﴾ أى إلى الجهة التى نريدها ، لا يقدر أحد غيرنا أن يحوله إلى جهة غيرها ؛ قال الرازى رحمه الله فى اللوامع : و هذه الإضافة لأن غاية قصر الظل عند غاية تعالى الشمس ، و العلو موضع الملائكة و جهة السماء التى فيها أرزاق العباد ، و منها نزول الغيث و الغياث ، و إليها ترتفع[3] أيدى الراغبين ، و تشخص أبصار الخائفين - انتهى . ﴿قبضا يسيرا﴾ أى هو - مع كونه فى القلة بحيث يعسر[4] إدراكه حق الإدراك - سهل علينا ، و لم نزل ننقصه[5] شيئا فشيئا حتى اضمحل كله ، أو إلا يسيرا ، ثم مددناه أيضا[6] بسير الشمس و حجبها ببساط الأرض قليلا قليلا ، أولا فأولا بالجبال و الأبنية و الأشجار ، ثم[1] بالروابى[7] و الآكام و الظراب و ما دون ذلك ، حتى تكامل كما كان ، و فى تقديره هكذا من المنافع ما لا يحصى ، و لو قبض لتعطلت

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتباعد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ترفع (٤) فى ظ : يسر (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يزل ينقصه (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالروان .

أكثر [1]منافع الناس بالظل و الشمس[1] جميعا ، فالحاصل أنه يجعل بواطنهم مظلمة بحجبها عن أنوار[2] المعارف فيصيرون كالماشى فى الظلام ، و يكون نفوذهم فى الأمور الدنيوية كالماشى بالليل فى طرق قد[3] عرفها و دربها بالتكرار ، و حديث على رضى الله عنه فى الروح الذى مضى عند « و الطيبت للطيبين » فى النور[4] شاهد حسى لهذا الأمر المعنوى - و الله الموفق . ٥

و لما تضمنت هذه الآية الليل و النهار ، قال مصرحا بهما دليلا على الحق ، و إظهارا للنعمة[5] على الخلق : ﴿ و هو ﴾ أى ربك وحده ﴿ الذى جعل ﴾ و لما كان ما مضى فى الظل أمرا دقيقا خص به أهله ، و كان أمر الليل و النهار ظاهرا / لكل أحد ، عم فقال : ﴿ لكم الّيل ﴾ / ٦٩٦ أى الذى تكامل به مد الظل ﴿ لباسا ﴾ أى ساترا للأشياء عن[6] الأبصار ١٠ كما يستر اللباس ﴿ و النوم سباتا ﴾ أى [نوما و سكونا و راحة ، عبارة عن كونه موتا أصغر طاويا لما كان من الإحساس -[7]] ، قاطعا عما كان من الشعور و التقلب ، دليلا لأهل البصائر على الموت ؛ قال البغوى[8] و غيره : و أصل السبت القطع . و فى جعله سبحانه كذلك[9] من الفوائد الدينية و الدنيوية ما لا يعد ، و كذا قوله : ﴿ و جعل النهار نشورا ﴾ أى ١٥

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مرافق الناس بالشمس و الظل (٢) زيد فى الأصل : الشمس ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٣) سقط من ظ .
(٤) راجع ص ٢٤٦ (٥) فى ظ : لنعمة (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : من .
(٧) زيد من ظ و مد (٨) فى المعالم - راجع هامش اللباب ٥/٨٥ (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذلك .

[حياة و حركة و تقلبا -[1]] بما أوجد فيه من اليقظة المذكرة[2] بالبعث، المهيئة للتقلب، برد ما أعدمه النوم من جميع الحواس؛ يحكى أن لقمان[3] قال لابنه: كما تنام فتوقظ فكذلك[4] تموت فتنشر[5]. [فالآية من الاحتباك: ذكر السبات أولا دليلا على الحركة ثانيا، و النشور ثانيا دليلا على الطي و السكون أولا -[1]].

و لما دل على عظمته بتصرفه فى المعانى بالإيجاد و الإعدام، و ختمه بالإماتة و الإحياء بأسباب قريبة، أتبعه التصرف فى الأعيان بمثل ذلك، دالا على الإماتة و الإحياء بأسباب بعيدة، و بدأه بما هو قريب للطافته [6]من المعانى[6]، و فيه النشر الذى ختم به ما قبله، فقال: ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى ارسل الريٰح ﴾ فقراءة ابن كثير[7] بالإفراد لإرادة الجنس، و قراءة غيره بالجمع أدل على الاختيار بكونها تارة صبا و [8]أخرى دبورا[8]، و مرة شمالا و كرة جنوبا و غير ذلك ﴿ نشرا[9] ﴾ أى تبعث بأرواحها السحاب، كما نشر بالنهار أرواح الأشباح ﴿ بين يدى رحمته ج ﴾ لعباده بالمطر.

و لما كان السحاب قريبا من الريح فى اللطافة، و الماء قريبا منهما

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: المذكورة (٣) ذكر قوله فى البحر المحيط ٦/٥٠٤ و ٥٠٥ (٤) من البحر، و فى الأصول: كذلك. (٥) من ظ و مد و البحر، و فى الأصل: و تنشر (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بالمعانى (٧) راجع نثر المرجان ٤/٧١٠ و ٧١١ (٨-٨) من ظ و مد، و فى الأصل: تارة و بوادا (٩) و قراءة عاصم: بشرا - بالباء الموحدة.

و مسببا عما تحمله الريح من السحاب ، أتبعها به ، و لما كان في إنزاله من الدلالة على العظمة بإيجاده هنالك و إمساكه ثم إنزاله في الوقت المراد و المكان المختار على حسب الحاجة ما لا يخفى ، غير الأسلوب مظهرا للعظمة فقال : ﴿ و انزلنا من السماء ﴾ أي حيث لا يمسك [الماء - ١] فيه غيره سبحانه ﴿ ماء ﴾ ثم أبدل منه بيانا للنعمة به فقال : ﴿ طهورا ﴾ أي طاهرا في نفسه مطهرا لغيره ، اسم آلة كالسحور و السنون لما يتسحر به و يستن[٢] به ، و نقل أبو حيان[٣] عن سيبويه أنه مصدر لتطهر المضاعف جرى على غير فعله . و أما جعله مبالغة لطاهر فلا يفيد غير[٤] أنه بليغ الطهارة في نفسه لأن فعله قاصر .

و لما كانت[٥] هذه الأفعال دالة على البعث لكن بنوع خفاء ، أتبعها ثمرة هذا الفعل دليلا واضحا على ذلك ، فقال معبرا بالإحياء لذلك ، معللا للطهور المراد به البعد[٦] عن جميع ما يدنسه[٧] من ملوحة أو مرارة أو كبريتة و نحو ذلك مما يمنع كمال الانتفاع به : ﴿ لنحيي به ﴾ أي بالماء .

و لما كان المقصود باحياء الأرض بالنبات إحياء البلاد لإحياء أهلها قال[٨] : ﴿ بلدة ﴾ و لو كان ملحا أو مرا أو مكبرتا لم تكن فيه قوة الإحياء . و لما كره أن يفهم تخصيص[٩] البلاد ، أجرى الوصف باعتبار الموضع

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : يتسنن (٣) راجع البحر المحيط ٦/٥٠٠ (٤) في ظ : على (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : كان في .
(٦) في ظ و مد : البعد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : يدانسه (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : فقال (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : يخصص .

ليعم كل مكان فقال: ﴿ميتا﴾ أى بما نحدث فيه من النبات بعد أن كان قد صار هشيما ثم ترابا، ليكون ذلك آية بينة على قدرتنا على بعث الموتى بعد كونهم ترابا.

و لما كان فى مقام العظمة، باظهار القدرة، زاد[1] على كونه آية على البعث باظهار النبات الذى هو منفعة للرعى منفعة أخرى عظيمة الجدوى فى الحفظ من الموت بالشرب كما كانت آية الإحياء حافظة بالأكل فقال: ﴿و نسقيه﴾ أى الماء، و هو[2] / من أسقاه - مزيد سقاه، و هما لغتان. قال ابن القطاع[3]: سقيتك شرابا و أسقيتك، و الله تعالى عباده و أرضه كذلك. ﴿مما خلقنآ﴾ أى بعظمتنا. /٦٩٧

[4]و لما كانت النعمة فى إنزال الماء على الأنعام [وأهل البوادى و نحوهم-[5]] أكثر، لأن الطير و الوحش تبعد فى الطلب فلا تعدم ما تشرب، خصها فقال: ﴿انعاما﴾ و قدم النبات لأن[6] به حياة الأنعام، و الأنعام لأن بها [كمال -[7]] حياة الإنسان، فاذا وجد ما يكفيها من السقى تجزأ هو بأيسر شىء، و أتبع ذلك قوله: ﴿و اناسىّ كثيرا﴾ أى بحفظنا[8] له فى الغدران لأهل البوادى الذين يبعدون عن الأنهار و العيون و غيرهم ممن أردنا، لأنه تعالى لا يسقى جميع الناس على حد سواء، و لكن يصيب

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: رادا (٢) فى مد: هذا (٣) فى كتاب الأفعال ٢ / ١٦٢ (٤) العبارة من هنا إلى «خصها فقال» ساقطة من مد (٥) زيد من ظ. (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: لانه (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: لحفظنا.

بالمطر

بالمطر من يشاء، و يصرفه عمن يشاء، و يسقى بعض الناس من غير ذلك، و لذا نكر[1] المذكورات كما روى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال[2]: ما من عام بأمطر[3] من عام، و لكن الله قسم ذلك بين عباده على ما يشاء[4] - و تلا هذه الآيـة . و قال البغوى[5]: و ذكر ابن إسحاق و ابن جريج و مقاتل و بلغوا به ابن مسعود رضى الله عنه يرفعه قال: ليس من سنة بأمطر من أخرى، و لكن الله قسم هذه الأرزاق، فجعلها فى السماء الدنيا فى هذا القطر، ينزل منه كل سنة بكيل معلوم[6] و وزن[6] [معلوم -[7]]، فاذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك إلى غيرهم، و إذا عصوا جميعا صرف الله تعالى ذلك إلى الفيافى و البحار - انتهى . و كان السر[8] فى ذلك أنه كان من حقهم أن يطهروا ظواهرهم و بواطنهم، و يطهروا غيرهم ليناسبوا حاله فى الطهورية، فلما[9] تدنسوا بالقاذورات تسببوا فى صرفه عنهم .

و لما ذكر سبحانه أن[10] من ثمرة إنزال القرآن نجوما إحياء القلوب التى هى ارواح الأرواح، و أتبعه ما لاءمه[11]، إلى أن ختم بما جعله سببا لحياة الأشباح، فكان [12]موضعا لتوقع[12] العود إلى ما هو حياة الأرواح،

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: انكر (٢) راجع البحر المحيط ٥٠٦/٦ حيث ذكر هذا القول (٣) فى البحر: بأقل مطرا (٤-٤) من ظ و مد و البحر، و فى الأصل: كما شاء (٥) فى المعالم - راجع هامش اللباب ٨٦/٥ (٦-٦) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: موزون (٧) زيد من ظ و مد و المعالم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: السير (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: و لما (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: الامة (١٢-١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: موضع التوقع .

قال عاطفا على متعلق "كذلك لنثبت" منبها على فائدة أخرى لتنجيمه أيضا: ﴿ولقد صرفناه﴾ أي وجهنا القرآن - كما قال ابن عباس رضي الله عنهما[1] إنه المراد ههنا، ويؤيده ما بعده - وجوهه من البيان، وطرقناه[2] طرقا تعيي[3] أرباب اللسان - في معان كثيرة جدا ﴿بينهم﴾ في كل قطر عند كل قوم ﴿ليذكروا﴾ بالآيات[4] المسموعة ما ركزنا[5] في فطرهم من الأدلة العقلية [والمؤيدة -[6]] بالآيات المرئية [ولو على أدنى وجوه التذكر المنجية لهم - بما أشار إليه الإدغام -[6]].

ولما كان القرآن قائدا ولابد لمن أنصف إلى الإيمان، دل على أن المتخلف عنه إنما هو معاند بقوله[7]: ﴿فأبى﴾ أي لم يرد ﴿أكثر الناس﴾ أي بعنادهم[8] ﴿إلا كفورا﴾ مصدر "كفر" مبالغا[9] فيه.

[و -[6]] لما [كان -[6]] تعنتهم بأن ينزل عليه ملك فيكون معه نذيرا، ربما أثار في النفس طلب إجابتهم إلى مقترحهم حرصا على هدايتهم، فأومأ أولا [إلى -[6]] أنه لا فائدة في ذلك بأن مؤازرة هارون لموسى عليهما السلام لم تغن عن القبط شيئا[10]، وثانيا بأن المدار في وجوب التصديق للنذير الإتيان بما يعجز، وكان / ذلك موجودا في آيات القرآن، /٦٩٨

(١) راجع البحر المحيط ٦ / ٥٠٦ (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: طرقنا.
(٣) من ظ ومد، وفي الأصل: يعي (٤) في ظ: الآيات (٥) في ظ: ذكرنا.
(٦) زيادة من ظ ومد (٧) من ظ ومد، وفي الأصل: بتركه (٨) في ظ: لعنادهم (٩) في ظ: مبالغة (١٠) سقط من ظ.

المصرة فى كل زمان و مكان بكل بيان ، فكانت كل آية منه قائمة مقام نذير ، قال مشيرا إلى أنه إنما ترك ذلك لحكم يعلمها : ﴿ و لو شئنا لبعثنا ﴾ أى بما لنا من العظمة و[1] نهوذ الكلمة ﴿ فى كل قرية نذيرا ﴾ أى من البشر أو الملائكة أو غيرهم من عبادنا ؛ كما قسمنا المطر لأن الملك - كما قدمنا أول السورة - كله لنا ، ليس [لنا -[2]] شريك يمنع من ذلك بما[3] له من الحق ، و لا ولد يمنع بما له من الدلة[4] ، و لكنا لم نفعل لما فى آيات[5] القرآن من الكفاية فى ذلك ، و لما فى انفرادك بالدعوة من الشرف لك - و غير ذلك من الحكمة ﴿ فلا تطع الكفرين ﴾ فيما قصدوا من التفتير عن[6] الدعاء به ، بما يبدونه من المقترحات أو[7] يظهرون لك من المداهنة ، أو من القلق من صادع الإنذار ، و يخيلون[8] أنك لو أقللت منه رجوا أن يوافقوك ﴿ و جاهدهم ﴾ أى بالدعاء ﴿ به ﴾ أى القرآن[9] الذى تقدم التحديث[10] عنه فى " و لقد صرفنه " بابلاغ آياته مبشرة كانت أو منذرة ، و الاحتجاج ببراهينه ﴿ جهادا كبيرا ﴾ جامعا لكل المجاهدات الظاهرة و الباطنة . لأن فى ذلك إقبال[12] كثير من الناس إليك و اجتماعهم عليك ، فيتقوى أمرك ، و يعظم خطبك[11] ، و تضعف

(١) فى ظ : فى (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : لما (٤) من مد ، و فى الأصل : الدالة ، و فى ظ : الدل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك من آية (٦) فى ظ : من (٧) فى ظ « و » (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجعلون (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالقرآن (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : التحدث . (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اقباله (١٢) فى ظ : حظك .

شوكتهم، و تنكسر سورتهم .

و لما ذكر تصريف الفرقان و نشره فى جميع البلدان، بعد إثارة الرياح و نشر السحاب، و خلط الماء بالتراب، لجمع[1] النبات و تفريقه، أتبعه - تذكيرا بالنعمة، و تحذيرا من إحلال النقمة - الحجز بين[2] أنواع الماء الذى لا أعظم امتزاجا منه، و جمع كل نوع منها على حدته، و منعه من أن يختلط بالآخر مع اختلاط الكل بالتراب المتصل بعضه ببعض - فقال عائدا إلى أسلوب الغيبة تذكيرا بالإحسان بالعطف [على ضمير « الرب » فى آية الظل -[3]] : ﴿و هو﴾ أى وحده ﴿الذى مرج البحرين﴾ أى[4] المائين الكثيرين الواسعين [بأن -[3]] جعلهما مضطربين كما تشاهدونه[5] من شأن الماء؛ و قال الرازى : خلى بينهما كأنه أرسلهما فى[6] مجاريهما كما ترسل الخيل فى المرج ، و أصل المرج يدل على ذهاب و مجىء و اضطراب و التباس .

و لما كان الاضطراب موجبا للاختلاط، وكانت « ال » دائرة بين[7] العهد و الجنس، تشوف السامع إلى السؤال عن ذلك، فأجيب بأن المراد جنس الماء الحلو [8]و الملح[8]، لأن البحر فى الأصل الماء الكثير، و بأنه سبحانه منعهما[9] من الاختلاط، مع الموجب له فى العادة، بقدرته الباهرة،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : لجميع (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : بنى . (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) من مد، و فى الأصل : يشاهدون، و فى ظ : يشاهدونه (٦) فى ظ « و » (٧) فى ظ : من (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩) فى مد : منعا بهما - كذا .

و عظمته القاهرة، فقال: ﴿هذا عذب﴾ أى حلو سائغ ﴿فرات﴾ أى شديد العذوبة [بالغ الغاية فيها حتى يضرب إلى الحلاوة، لا فرق بين ما كان منه على وجه الأرض و ما كان فى بطنها - [1]] ﴿و هذا ملح﴾ شديد الملوحة ﴿اجاج﴾ أى مر محرق بملوحته[2] و مرارته، لا يصلح لسقى و لا شرب، و لعله أشار بأداة القرب فى الموضعين تنبيها على وجود الموضعين، مع شدة المقاربة، لا يلتبس أحدهما بالآخر حتى أنه إذا حفر على شاطىء البحر الملح بالقرب [3]منه جدا[3] خرج الماء عذبا[4] جدا ﴿و جعل﴾ أى الله سبحانه ﴿بينهما برزخا﴾ أى حاجزا / من قدرته مانعا من اختلاطهما. / ٦٩٩

و لما كانا يلتقيان و لا يختلطان، كان كل منهما [5]بالاختلاط فى صورة الباغى[5] على الآخر، فأتم سبحانه تقرير النعمة فى[6] منعهما الاختلاط بالكلمة التى جرت عادتهم بقولها عند التعوذ، تشبيها لكل منهما بالمتعوذ، ليكون الكلام - مع أنه خبر - محتملا للتعوذ، فيكون من أحسن الاستعارات و أشهدها[7] على البلاغة فقال: ﴿و حجرا﴾ أى منعا[8] ﴿محجورا ه﴾ أى ممنوعا من أن يقبل رفعا، كل هذا التأكيد إشارة إلى جلالة هذه الآية و إن كانت قد صارت لشدة الألف[9] بها معرضا عنها

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مملوحه - كذا.
(٣-٣) فى ظ و مد: جدا منه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: العذب.
(٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فى صورة الاختلاط كالباغى (٦) فى ظ: من (٧) فى ظ و مد: اشهرها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: منيعا.
(٩) فى ظ: الالفه.

إلى الغاية، لتعرف بها قدرته، و تشكر نعمته .

و لما ذكر تعالى قدرته فى منع الماء من الاختلاط، أتبعه القدرة على خلطه[1]، لئلا يظن أنه ممتنع، تقريرا للفعل بالاختيار، و إبطالا للقول بالطبائع، [فقال -[2]] معبرا بالضمير كما تقدمه[3] حثا على استحضار الأفعال و الصفات التى تقدمت، لتعرف الحيثية التى كرر الضمير لأجلها: ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى خلق من الماء ﴾ بخلطه مع الطين ﴿ بشرا ﴾ كما تشاهدونه يخلق منه نباتا و شجرا، و ورقا و ثمرا[5] ﴿ فجعله ﴾ أى بعد ذلك بالتطوير[6] فى أطوار الخلقة، و التدوير فى أدوار التربية ﴿ نسبا ﴾ أى ذكرا ينسب إليه ﴿ و صهرا[4] ﴾ أى أنثى يصاهر - أى يخالط - بها إلى الذكر، فقسم[7] هذا الماء بعد التطوير[8] إلى ذكر و أنثى كما جعل ذلك الماء قسمين: عذبا و ملحا، و خلط ماء الذكر بماء الأنثى متى أراد فصور منه آدميا، و منعه من ذلك إذا أراد، كما أنه ميز بين العذب و الملح و يخلط[9] بينهما إذا أراد بعلمه الشامل و قدرته التامة ﴿ و كان ربك ﴾ أى المحسن إليك بإرسالك و إنزال هذا الذكر إليك ﴿ قديرا ﴾ على كل شىء قدرته على ما ذكر من إبداع هذه الأمور المتباعدة من مادة واحدة

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: من خطه (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تقدمته (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اختلاط. (٥) فى مد: تمرا (٦) فى ظ: التطوير (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: قسم. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: التوير - كذا (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: خلط.

فهو يوفق من يشاء فيجعله عذب المذاق، سهل الأخلاق، و يخذل من يشاء فيجعله مرير[1] الأخلاق كثير الشقاق، أو ملتبس الأخلاق، عريقا في النفاق، فارغب إلى هذا الرب الشامل القدرة، التام العلم.

و لما أثبت له بهذه الأدلة القدرة على كل شيء، قال معجبا منهم في موضع[2] الحال من «ربك» عودا إلى تهجين سيرتهم في عبادة غيره، ٥ معبرا بالمضارع، إشارة إلى أنهم لو فعلوا ذلك مرة لكان في غاية العجب، فكيف و هو على سبيل التجديد و الاستمرار؟ و مصورا لحالهم زيادة في تبشيعها: ﴿و يعبدون﴾ أي الكفرة ﴿من دون﴾ أي ممن[3] يعلمون أنه في الرتبة دون ﴿الله﴾ المستجمع لصفات العظمة، بحيث أنه لا ضر و لا نفع إلا و هو بيده. ١٠

و لما كان هذا السياق لتعداد[4] نعمه سبحانه، و كان الحامل[5] للإنسان على الإذعان رجاء الإحسان، [6]أو خوف الهوان، و كان رجاء الإحسان[6] مقبلا به[7] إلى المحسن في السر[8] و الإعلان، قدم النفع فقال: ﴿ما لا ينفعهم﴾ أي بوجه.

و لما كان الخوف إنما يوجب الإقبال ظاهرا فقط، أتبعه قوله: ١٥ ﴿و لا يضرهم[1]﴾ أي أصلا في / إزالة نعمة من نعم الله [عنهم -[9]]، / ٧٠٠

(١) من ظ و مد، و في الأصل: موثر (٢) من ظ و مد، و في الأصل: موقع.
(٣) من ظ و مد، و في الأصل: من (٤) من ظ و مد، و في الأصل: لتعديد.
(٥) من ظ و مد، و في الأصل: الحاصل (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٧) من ظ و مد، و في الأصل: اليه (٨) من ظ و مد، و في الأصل: الستر.
(٩) زيد من ظ و مد.

فلا أستخف[1] عقلا ممن يترك من بيده كل نفع و ضر و هو يتقلب فى نعمه ، فى يقظته و نومه ، و أمسه و يومه ، و يقبل على من لا نفع بيده و لا ضر أصلا ؛ و أظهر فى موضع الضمير بيانا للوصف الحامل على [2]ما لا يفعله[2] عاقل ، و أفرد تحقيرا لهم فقال : ﴿ و كان الكافر ﴾ مع علمه بضعفه و عجزه .

و لما كان الكافر لا يمكن أن يصافى مسلما ما دام كافرا ، و كانت مصافاته لغيره حاصلة إما بالفعل أو بالقوة ، عدت مصارمته [3]لغيره عدما ، فكانت مصارمته[3] خاصة بأولياء الله ، و كان ذلك أشد لذمه ، دل عليه بتقديم الجار فقال : ﴿ على ربه ﴾ أى المحسن إليه [لا غيره ـ[4]] ﴿ ظهيرا ﴾ معينا لشياطين الإنس و الجن على أولياء الله ، و التعبير بـ« على » دال على أنه ـ [و ـ[4]] إن كان مهينا فى نفسه حقيرا ـ فاعل فعل العالى على الشىء القوى الغليظ الغالب له ، المعين عليه ، من قولهم : ظهر الأرض[5] ـ لما علا منها وغلظ ، و أمر ظاهر لك ، أى غالب ، و الظاهر : القوى و المعين ، و ذلك لأنه يجعل لما يعبده من الأوثان نصيبا مما تفرد[6] الله بخلقه ، ثم يجعل لها أيضا بعض ما كان سماه لله ، و يعاند أولياء الله من الأنبياء و غيرهم ، و ينصب لهم المكايد و الحروب ، و يؤذيهم بالقول و الفعل ، مع علمه بأن الله معهم لما يشاهدونه من خرقه لهم العوائد ، فكان هذا فعل من

(١) من ظ ، و فى الأصل و مد : استخف ـ كذا (٢-٢) فى ظ : من لا يفعله ، و فى مد : مايفعله (٣ـ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد . (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : انفرد .

لا يعبأ بالشيء "لقد استكبروا فى انفسهم و عتوا عتوا كبيرا"، "ان لا تعلوا على الله" و هو فى الحقيقة تهكم بالكفار، لأنهم يفعلون ما يلزم عليه هذا اللازم الذى لايدور فى خلد عاقل .

و لما كان التقدير تسلية له صلى الله عليه و سلم : فالزم ما نأمرك به و لايزد همك بردهم عما هم فيه ، فانا ما أرسلناك عليهم وكيلا ، عطف عليه قوله : ﴿ و ما ارسلنك ﴾ أى بما لنا من العظمة .

و لما كان سياق السورة للانذار ، لما ذكر فيها من سوء[1] مقالهم، و قبح أفعالهم ، حسن التعبير[2] فى البشارة بما يدل[3] على كثرة الفعل، و يفهم كثرة[4] المفعول، بشارة بكثرة المطيع ، و فى النذارة بما يقتضى أن يكون[5] صفة لازمة فقال: ﴿الا مبشرا﴾ أى لكل من يؤمن ﴿و نذيرا﴾ لكل من يعصى .

و لما وقع جوابهم عن[6] قولهم "لو لا انزل اليه ملك" و كان قد بقى قولهم "او يلقى اليه كنز" أشير إلى مزيد الاهتمام [بجوابه -[7]] بابرازه فى صورة الجواب لمن كأنه[8] قال: ما ذا يقال لهم إذا تظاهروا و طعنوا فى الرسالة بما تقدم[9] و غيره ؟ فقال : ﴿قل﴾ أى لهم يا أكرم الخلق حقيقة ، و أعدلهم طريقة ! [10]محتجا عليهم بازالة ما يكون موضعا للتهمة[10]:

(١) فى ظ : شر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : للتعبير (٣) فى ظ : دل .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : كرة (٥) فى مد : تكون (٦) فى ظ : من .
(٧) زيد من ظ ومد (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : كان (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقدم (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

﴿ما اسئلكم عليه﴾ أى على الإبلاغ بالبشارة و النذارة ﴿من اجر﴾ لتتهمونى أنى[1] أدعوكم لأجله، أو تقولوا: لو لا ألقى إليه كنز لغنى به عن ذلك، فكأنه يقول: الاقتصار عن[2] التوسع فى المال إنما يكره لمن يسأل[3] الناس، و ليس هـــذا من شيمى قبل النبوة فكيف بما بعدها؟ فلا غرض لى حينئذ إلا نفعكم. ثم أكد هذا المعنى بقوله، مستثنيا لأن الاستثناء معيار العموم /: ﴿الا من﴾ أى إلا[4] أجر من ﴿شآء ان يتخذ﴾ أى يكلف نفسه و يخالف هواه و يجعل له ﴿الى ربه سبيلا﴾ فانه إذا اهتدى بهداية ربه كان لى مثل أجره، لا نفع لى من جهتكم إلا هذا، فإن سميتم هذا أجرا فهو مطلوبى. و لا مرية فى أنه لاينقص أحدا شيئا من دنياه، فلا ضرر على أحد فى طىّ الدنيا عنى، فأفاد هذا فائدتين: إحداهما[5] أنه لا طمع له[6] أصلا فى شىء ينقصهم[7]، و الثانية إظهار الشفقة البالغة بأنه يعتد بمنفعتهم الموصلة لهم إلى ربهم ثوابا لنفسه.

/٧٠١

و لما كان المقصود ردهم[8] عن عنادهم، وكان ذلك فى غاية الصعوبة، وكان هذا الكلام لايرد متعنتيهم - و هم[9] الأغلب - الذين تخشى غائلتهم،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٢) فى ظ و مد: على (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: ليسال (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: لا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: احدهما (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ينفعهم (٨) فى ظ: يردهم (٩) فى ظ: هو.

عطف على "قل" قوله: ﴿وتوكل﴾ أي أظهر العجز و الضعف و استسلم و اعتمد في أمرك [كله -[1]]، و لاسيما في مواجهتهم بالإنذار، و في ردهم عن عنادهم[2].

و لما كان الوكيل يحمل عن الموكل ثقل ما أظهر له عجزه فيه[3] و يقوم بأعبائه حتى يصير كمن يحمل عن آخر عينا محسوسة لا يصير له[4] عليه شيء منها أصلا، عبر بحرف الاستعلاء تمثيلا لذلك[5] فقال: ﴿على الحي﴾ و لا يصح التوكل عليه إلا بلزوم طاعته و الإعراض عما سواها.

و لما كان الأحياء من الخلق يموتون، بين أن حياته ليست كحياة غيره فقال: ﴿الذي لا يموت﴾ أي فلا ضياع لمن[6] توكل عليه أصلا، بل هو المتولي لمصالحه في حياته و بعد مماته، [7]و لا تلتفت[7] إلى ما سواه بوجه فانه هالك ﴿و سبح بحمده﴾ أي نزهه عن كل نقص مثبتا له كل كمال.

و لما كان المسلي ربما وقع في فكره أن من سلاه إما غير قادر على نصره، أو غير عالم بذنوب خصمه، و كان السياق للشكاية من[8] إعراض المبلغين عن القرآن، و ما يتبع ذلك من الأذى، أشار بالعطف على[9] غير مذكور إلى أن التقدير: فكفى به لك نصيرا، و عطف عليه:

(١) زيد من ظ و مد (٢) في ظ: عبادتهم (٣) من ظ و مد، و في الأصل: منه (٤) سقط من مد (٥) في ظ: بذلك (٦) في ظ و مد: على من (٧-٧) من مد، و في الأصل: فلا يلتفت، و في ظ: و لا يلتفت (٨) من ظ و مد، و في الأصل: عن (٩) سقط من ظ.

﴿ وكفى ﴾ وعين الفاعل وحققه بادخال الجار عليه فقال: ﴿ به بذنوب عباده ﴾ أي وكل ما سواهم عباده ﴿ خبيرا ﴾ لا يخفى عليه شيء منها وإن دق؛ ثم وصفه بما يقتضي أنه - مع ما له من عظيم القدرة بالملك والاختراع - متصف بالأناة وشمول العلم وحسن التدبير [ليتأسى به المتوكل عليه -[1]] فقال: ﴿ الذي خلق السموت والارض ﴾ أي على عظمهما ﴿ وما بينهما ﴾ من الفضاء[2] والعناصر والعباد وأعمالهم من الذنوب وغيرها "الا يعلم من خلق" وقوله: ﴿ في ستة ايام ﴾ تعجيب للغبي[3] الجاهل، وتدريب[4] للفطن العالم في الحلم[5] والأناة والصبر على عباد الله في دعوتهم إلى الله، وتذكير بما له من عظيم القدرة وما يلزمها[6] من شمول العلم، والمراد بمقدار ستة من أيامنا، فان الأيام ما حدثت إلا بعد خلق الشمس، والإقرارُ بأن تخصيص هذا العدد لداعي حكمة عظيمة، وكذا جميع أفعاله وإن كنا لاندرك ذلك، هو الإيمان، وجعل الله الجمعة عيدا للمسلمين لأن الخلق اجتمع فيه بخلق[7] آدم عليه السلام [فيه -[1]] في آخر / ساعة[8]. /٧٠٢

ولما كان تدبير هذا الملك أمرا باهرا، أشار إليه بأداة التراخي فقال: ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ أي شرع في التدبير لهذا الملك

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، وفي الأصل: الفعال - كذا. (٣) من مد، وفي الأصل: للعني، وفي ظ: للفتى (٤) من ظ و مد، وفي الاصل: تدرب (٥) من مد، وفي الأصل وظ: الحكم (٦) من ظ ومد، وفي الأصل: يلزمها (٧) في ظ: لخلق (٨) من ظ و مد، وفي الأصل: بساعته.

الذى اخترعه و أوجده، و هم و ذنوبهم [من جملته - [1]] كما يفعل الملوك فى ممالكهم[2]، لا غفلة عنده[3] عن شىء أصلا، و لا تحدث فيه ذرة من ذات أو معنى إلا بخلق جديد منه سبحانه، ردا على من يقول من اليهود و غيرهم: إن ذلك إنما هو بما دبر فى الأزل من الأسباب[4]، و أنه الآن لا فعل له. ٥

و لما كان المعصىّ إذا علم بعصيان من يعصيه و هو قادر عليه لم يمهله، أشار إلى أنه على[5] غير ذلك، حاضا على الرفق، بقوله: ﴿الرحمٰن﴾ أى الذى سبقت رحمته غضبه، و هو يحسن إلى من يكفره، فضلا عن غيره. فأجدر عباده بالتخلق بهذا الخلق رسله، و الحاصل أنه أبدع هذا الكون و أخذ فى تدبيره بعموم الرحمة فى إحسانه لمن يسمعه يسبّه[6] ١٠ بالنسبة له[7] إلى الولد، و يكذبه [8]فى أنه[8] يعيده كما بدأه، و هو سبحانه قادر على الانتقام منه بخلاف[9] ملوك الدنيا فانهم لا يرحمون من يعصيهم مع عجزهم.

و لما كان العلم لازما للملك، سبب عن ذلك قوله على طريق التجريد: ﴿فسئل به﴾ أى بسبب سؤالك إياه ﴿خبيرا﴾ عن[10] ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مماليكهم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الاشياء (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الى (٦) فى مد: يشبه - كذا (٧) فى ظ: اليه (٨ - ٨) من ظ و مد. و فى الأصل: بانه (٩) زيد فى ظ: ملك (١٠) فى ظ: على.

هذه الأمور و كل أمر تريده ليخبرك[1] بحقيقة أمره ابتداء و حالا و مآلا ، فلا يضيق صدرك بسبب هؤلاء المدعوين ، فانه ما أرسلك إليهم إلا و هو عالم بهم ، فسيعلى كعبك عليهم ، و يحسن لك العاقبة .

و لما ذكر إحسانه إليهم ، و إنعامه عليهم ، ذكر ما أبدوه من كفرهم
٥ فى موضع شكرهم فقال[2] : ﴿ و اذا قيل لهم ﴾ أى هؤلاء الذين يتقلبون فى نعمه ، و يغذوهم بفضله و كرمه ، من أىّ قائل كان : ﴿ اسجدوا ﴾ أى اخضعوا بالصلاة و غيرها ﴿ للرحمٰن ﴾[3] الذى لا نعمة لكم إلا منه ﴿ قالوا ﴾ قول عال متكبر كما تقدم فى معنى " ظهيرا " : ﴿ و ما الرحمٰن ﴾ متجاهلين عن معرفته فضلا عن كفر نعمته معبرين[4] بأداة ما لايعقل ،
١٠ [و قال ابن العربى : إنهم إنما عبروا بذلك إشارة إلى جهلهم الصفة ، دون الموصوف -[5]] . ثم عجبوا من أمره بذلك منكرين عليه ، بقولهم : ﴿ انسجد لما تامرنا ﴾ فعبروا عنه - بعد التجاهل فى أمره و الإنكار على الداعى إليه - أيضا بأداة ما لايعقل ﴿ و زادهم ﴾ هذا الأمر الواضح المقتضى للاقبال و السكون شكرا للنعم و طمعا فى الزيادة ﴿ نفورا ع ٥ ﴾ السجدة
١٥ لما عندهم من الحرارة الشيطانية التى توزهم أزا ، فلا نفرة توازى هذه النفرة ، و[6]لا ذم[6] أبلغ منه .

و لما ذكر حال النذير الذى ابتدأ به السورة فى دعائه إلى الرحمن

---

(١) فى ظ : لنخبرك (٢) سقط من ظ (٣) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : معتبرين (٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لازم .

الذى لو لم يدع إلى عبادته إلا رحمانيته لكفى ، فكيف بكل صفة [١] جمال و جلال [١] ، فأنكروه ، اقتضى الحال أن [٢] يوصل به إثباته باثبات ما هم عالمون به من آثار رحمانيته . ففصل ما أجمل بعد ذكر حال النذير ، ثم من الملك ، مصدرا له بوصف الحق الذى جعله مطلع السورة رادا لما تضمن إنكارهم من نفيه فقال : ﴿ تبٰرك ﴾ أى ثبت ثباتا لا نظير له ٥ ﴿ الذى جعل فى السمآء ﴾ التى قدم أنه اخترعها ﴿ بروجا ﴾ و هى اثنا عشر برجا ، [هى -[٣]] للكواكب [٤] السيارة / كالمنازل [لأهلها -[٣]] ، سميت بذلك لظهورها [٥] ، و بنى عليها أمر الأرض ، [٦] دبر بها [٦] فصولها ، و أحكم بها معايش أهلها . ٧٠٣ /

و لما كانت البروج على ما تعهد لا تصلح إلا بالنور [٧] ، ذكره معبرا ١٠ بلفظ السراج فقال : ﴿ و جعل فيها ﴾ أى البروج ﴿ سرٰجا ﴾ أى شمسا ، و قرأ حمزة و الكسائى [٨] بصيغة الجمع للتنبيه على عظمته فى ذلك [٩] بحيث أنه أعظم من ألوف ألوف من السرج [١٠] ، فهو قائم مقام الوصف كما قال فى الذى بعده : ﴿ و قمرا منيرا ﴾ أتم [١١] - بتنقلهما فيها و بغير ذلك

(١-١) من ظ ومد ، و فى الأصل : جمال و كمال و جلال (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : بان (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ : الكواكب (٥) سقط من ظ . (٦-٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : دبرها (٧) زيد فى الأصل : جعله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) راجع نثر المرجان ٤/٧٢١ (٩) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : السراج (١١) فى ظ : ثم .

من أحوالها - التدبير - ، أى أن العلم بوجوبه[1] لا شك فيه ، فكيف يشك عاقل فى وجوده [2]أو فى رحمانيته[2] بهذا العالم العظيم المتقن الصنع الظاهر فيه أمر الرحمانية .

و لما ذكر الآيتين ، ذكر ما هما[3] آيتاه فقال : ﴿و هو الذى جعل اللّيل﴾ أى الذى آيته القمر ﴿و النهار﴾ الذى آيته الشمس ﴿خلفة﴾ أى ذوى حالة معروفة فى الاختلاف ، فيأتى هذا خلف ذاك ، بضد ما له من الأوصاف ، و يقوم مقامه فى كثير من المرادات ، و الأشياء المقدرات ، و يعلم قدر التسامح فيها ، و من فاته شىء من هذا قضاه فى ذاك ؛ قال ابن جرير[4] : و العرب تقول : خلف هذا من كذا خلفة ، و ذلك إذا جاء شىء مكان شىء ذهب قبله . و فى القاموس[5] أن الخلف والخلفة[6] - بالكسر : المختلف . فعلى هذا يكون التقدير : جعلهما مختلفين فى النور و الظلام ، و الحر و البرد ، و غير ذلك من الأحكام . و قال الرازى فى اللوامع : يقال : الأمر بينهم خلفة ، أى نوبة ، كل واحد يخلف صاحبه ، و القوم خلفة ، أى مختلفون .

و لما كان الذى لا ينتفع بالشىء كالعادم لذلك الشىء ، خص الجعل بالمجتنى للثمرة فقال : ﴿لمن اراد ان يذكر﴾ أى يحصل له تذكر و لو على أدنى الوجوه - بما دل عليه الإدغام فى قراءة الجماعة[7] بفتح الذال

(١) فى ظ : بوجوه (٢-٢) فى ظ : ا- فى روحانيته (٣) فى ظ : سمى (٤) راجع من تفسيره الجزء ١٩ / ١٩ (٥) ٣ / ١٣٢ (٦) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : الخلف (٧) راجع نثر المرجان ٤/٧٢٢ .

و الكاف مشددتين[1]، لما يدله[2] عليه عقله من أن التغير على هذه الهيئة العظيمة لا يكون بدون مغير قادر عظيم القدرة مختار، فيؤديه تذكره إلى الإيمان إن كان كفورا، و قراءة[3] حمزة بالتخفيف من الذكر تشير إلى أن ما يدلان عليه من تمام القدرة و شمول العلم الدال قطعا على الوحدانية على غاية من الظهور، لا يحتاج إلى فكر، بل تحصل بأدنى التفات ٥ ﴿او اراد شكوراه﴾ أى شكرا بليغا عظيما لنعم الله لتحمله إرادته [تلك -[4]] على الشكر إن كان مؤمنا، بسبب ما أنعم به ربه من الإتيان بكل منهما بعد هجوم الآخر لاجتناء ثمراته، و لو جعل أحدهما دائما لفاتت مصالح الآخر[5]، و لحصلت السآمة به، و الملل منه، و التوانى فى الأمور المقدرة بالأوقات، و الكسل و فتر العزم[6] الذى إنما يثيره لتداركها دخول وقت ١٠ آخر، و غير ذلك من الأمور التى أحكمها العلى الكبير.

و لما ذكر عباده الذين خذلهم بتسليط الشيطان عليهم [فصاروا حزب الشيطان -[4]]، و لم يضفهم إلى اسم من أسمائه، إيذانا باهانتهم لهوانهم عنده، و هم / الذين صرح بهم قوله أول السورة "نذيرا" و ختم ٧٠٤ / بالتذكر و الشكر إشارة إلى عباده الذين أخلصهم لنفسه، و أشار إليهم ١٥ سابقا بتخصيص الوصف بالفرقان، فأتبع ذلك ذكرهم، فقال عاطفا على جملة الكلام فى قوله "و اذا قيل لهم" [لكنه -[4]] رفعهم بالابتداء

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: المشددتين (٢) فى ظ: يدل (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: قرا (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: اخر (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: العموم.

تشريفا لهم : ﴿ و عباد ﴾ و يجوز أن يقال و لعله أحسن : إنه سبحانه لما وصف الكفار فى هذه السورة بما وصفهم به من الفظاظة و الغلظة على النبي صلى الله عليه و سلم ، و عداوتهم له ، و مظاهرتهم على خالقهم ، و نحو ذلك من جلافتهم ، و ختم بالتذكر[1] و الشكر ، و كان التقدير :
٥ فعباد الشيطان لا يتذكرون[2] و لا يشكرون ، لما لهم من القسوة ، عطف على هذا المقدر أضدادهم ، واصفا لهم بأضداد أوصافهم ، مبشرا لهم بضد جزائهم ، فقال : [وعباد -[3]] ﴿ الرحمن ﴾ فأضافهم إليه رفعة لهم و إن كان كل الخلق عباده ، و أضافهم إلى [صفة -[3]] وصف الرحمة الأبلغ الذى أنكره أولئك تبشيرا لهم ؛ ثم وصفهم بضد ما وصف به المتكبرين
١٠ عن السجود[4] ، إشارة إلى أنهم تخلقوا[5] من هذه الصفة التى أضيفوا إليها بأمر كبير[6] ، فقال : ﴿ الذين يمشون ﴾ و قال : ﴿ على الارض ﴾ [7]تذكيرا بما هم منه وما يصيرون إليه ، و حثا على السعى فى معالى الأخلاق للترقى عنه ؛ و عبر عن حالهم بالمصدر مبالغة فى اتصافهم بمدلوله حتى كانوا إياه ، فقال : ﴿ هونا ﴾ أى[8] ذوى هون ، أى لين و رفق و سكينة
١٥ و وقار و إخبات و تواضع ، لا يؤذون أحدا و لا يفخرون ، رحمة لأنفسهم و غيرهم ، غير متابعين ما [9]هم فيه[9] من الحرارة الشيطانية ، فبرأوا من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالتذكير (٢) فى ظ : لا يذكرون .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : السجرو (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يخلقوا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كثير (٧) زيد فى ظ : اى .
(٨) فى مد : او (٩ - ٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيهم .

حظوظ الشيطان ، لأن من كان من الأرض و إليها يعود لا يليق به[1] إلا ذلك ، و الأحسن أن يجعل هذا خبر "العباد" ، و يكون "اولئك يجزون الغرفة" استئنافا متشوّفا[2] إليه تشوف[3] المستنتج إلى النتيجة .

و لما ذكر ما أثمره لهم العلم من الفعل فى أنفسهم ، أتبعه[4] ما أنتجه الحلم[5] من القول لغيرهم فقال : ﴿و اذا﴾ دون 'إن' لقضاء[6] العادة بتحقق مدخولها ، و لم يقل : و الذين - كبقية المعطوفات ، لأن الخصلتين كشىء واحد من حيث رجوعهما[7] إلى التواضع ﴿ خاطبهم ﴾ خطابا ما ، بجهل أو غيره [و -[8]] فى وقت ما ﴿ الجهلون ﴾ أى الذين يفعلون[9] ما يخالف العلم و الحكمة ﴿قالوا سلاما ﴾ أى ما فيه سلامة من كل سوء ، و ليس المراد التحية - نقل ذلك سيبويه[10] عن أبى الخطاب ، قال : لأن[11] الآية فيما زعم مكية ، و لم يؤمر[12] المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين ، و لكنه على قولك : تسلما[13] لا خير بيننا و بينكم و لا شرا - انتهى . فلا[14] حاجة إلى ادعاء نسخها بآية القتال و لا غيرها ، لأن الإغضاء عن[15] السفهاء

(١) فى ظ : بها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : متشرفا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تشرف (٤) تقدم فى الأصل على « فى أنفسهم » ، و الترتيب من ظ و مد (٥) فى ظ : الحكم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : القضا (٧) فى ظ : رجوعهم (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : يغطون .
(١٠) راجع كتابه ١ / ١٦٣ و ١٦٤ (١١) فى ظ و مد : ان (١٢) من ظ و مد و الكتاب ، و فى الأصل : لم تومن (١٣) من ظ و مد و الكتاب ، و فى الأصل : اسلما (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ولا (١٥) فى ظ : من .

و ترك المقابلة مستحسن فى الأدب و المروءة و الشريعة، و أسلم للعرض و الورع، و كأنه أطلق الخطاب إعلاما بأن أكثر قول الجاهل الجهل.

و لما ذكر ما بينهم و بين الخلق من القول و الفعل، و كان الغالب على ذلك أن يكون جلوة نهارا، ذكر ما بينهم و بين خالقهم من ذلك خلوة ليلا، و ذكر هذه المعطوفات / التى هى صفات بالواو، تنبيها على أن كل واحدة منها تستقل بالقصد لعظم خطرها، و كبر أثرها، فقال: ﴿و الذين يبيتون﴾ [1]من البيتوتة: أن يدركك الليل نمت أو لم تنم، و هى خلاف الظلول[1]، و أفاد الاختصاص بتقديم ﴿لربهم﴾ أى المحسن إليهم برحمانيته، [2]يحيون الليل[2] رحمة لأنفسهم، و شكرا لفضله.

٧٠٥/ ٥

و لما كان السجود أشد أركان الصلاة تقربا إلى الله، لكونه أنهى الخضوع [مع أنه الذى أباه الجاهلون، قدمه لذلك و ليعلم بادئ بدء أن القيام فى الصلاة ـ [3]] فقال: ﴿سجدا﴾ و أتبعه ما هو تلوه فى المشقة تحقيقا لأن السجود على حقيقته فيتمحص الفعلان للصلاة، فقال: ﴿و قياما﴾ أى و لم يفعلوا فعل الجاهلين من التكبر عن السجود، بل كانوا ـ كما قال الحسن رحمه الله ـ: نهارهم فى خشوع، و ليلهم فى خضوع.

و لما ذكر تهذيبهم لأنفسهم للخلق و الخالق، أشار إلى أنه لا إعجاب عندهم، بل هم وجلون، و أن الحامل لهم على ذلك الإيمان بالآخرة التى

(١ - ١) وقع ما بين الرقمين فى الأصل موضع «يحيون الليل»، و الترتيب من ظ و مد (٢-٢) وقع ما بين الرقمين فى الأصل موضع «من البيتوتة.... خلاف الظلول»، و الترتيب من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد.

كذب بها الجاهلون "يؤتون ما اتوا و قلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون" و قدموا الدعاء بالنجاة اهتماما بدره المفسدة، و إشعارا بأنهم مستحقون لذلك و إن اجتهدوا، لتقصيرهم عن أن يقدروه سبحانه حق قدره[1] فقال: ﴿و الذين يقولون ربنا﴾ أى[2] أيها المحسن إلينا ﴿اصرف عنا عذاب جهنم ق﴾ الذى أحاط [بنا -[3]] لاستحقاقنا إياه إلا أن يتداركنا عفوك و رحمتك، ٥ بما [4]توفقنا له[4] من لقاء من يؤذينا بطلاقة الوجه، لا بالتجهم؛ ثم علل سؤالهم[5] بقولهم: ﴿ان عذابها كان﴾ أى كونا جبلت عليه ﴿غراما ق ه﴾ أى هلاكا و خسرانا ملحا محيطا بمن تعلق به [6]مذلا له[6]، دائما بمن غرى به؛ لازما له[2] لا ينفك عنه و نحن كنا نيسر[7] على من آذانا.

و لما ثبت لها هذا الوصف، أنتج قوله: ﴿انها ساءت﴾ أى تناهت[8] ١٠ هى [فى -[3]] كل ما يحصل منه سوء[9]، و هى فى معنى بئست[10] فى جميع[11] المذام ﴿مستقرا﴾ أى من جهة موضـــع استقرار ﴿و مقاما ه﴾ أى موضع إقامة.

و لما ذكر أفعالهم و أقوالهم فيما بينهم و بين الخلق و قدمه، و الخالق و أخره، لأن وجوبه يكون [بعد -[3]] ذلك، ذكر أحوالهم فى ١٥

(١) و من هنا سقطت صفحتان من مد (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ.
(٤ - ٤) فى ظ: وفقنا اليه (٥) فى ظ: بسوالهم (٦-٦) من ظ، وفى الأصل: بدلالة - كذا (٧) فى ظ: نشير (٨) من ظ، و فى الأصل: تناهب (٩) من ظ، و فى الأصل: شر (١٠) من ظ، و فى الأصل: ينسب (١١) فى ظ: جمع.

أموالهم، نظرا إلى قول الكفرة "او يلقى اليه كنز" و هداية إلى طريق الغنى لأنه[1] ما عال من اقتصد، فقال: ﴿و الذين اذآ انفقوا﴾ أى للخلق أو[2] الخالق فى واجب أو مستحب ﴿لم يسرفوا﴾ أى يجاوزوا الحد فى النفقة بالتبذير، فيضيعوا الأموال[3] فى غير حقها فيكونوا[4] إخوان الشياطين الذين هم من النار ففعلهم فعلها ﴿و لم يقتروا﴾ أى يضيقوا فيضيعوا الحقوق؛ ثم بين العدل بقوله: ﴿و كان﴾ أى إنفاقهم ﴿بين ذلك﴾ أى الفعل الذى يجب إبعاده.

و لما علم أن ما بين الطرفين[5] المذمومين يكون عدلا[6]، صرح به فى قوله: ﴿قواما﴾ أى عدلا سواء بين الخلقين المذمومين: الإفراط و التفريط، تخلقا[7] بصفة قوله تعالى[8] "و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض و لكن ينزل بقدر ما يشاء" و هذه صفة أصحاب محمد - صلى الله عليه و سلم و رضى عنهم - كانوا لا يأكلون /طعاما[9] للتنعم و اللذة[9] و لا يلبسون ثوبا للجمال و الزينة، بل [كانوا -[10]] يأكلون ما يسد الجوعة، و يعين على العبادة، و يلبسون ما يستر العورة، و يكنّ[11] من الحر و القر[12]؛ /٧٠٦

(١) من ظ، و فى الاصل: لأن (٢) من ظ، و فى الأصل «و» (٣) من ظ، و فى الاصل: الأول (٤) من ظ، و فى الأصل: فيكون (٥) سقط من ظ.
(٦) فى ظ: عادلا (٧) زيد فى الأصل: بهذه، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.
(٨) راجع سورة ٤٢ آية ٢٧ (٩ - ٩) من ظ و المعالم بهامش اللباب ٥/ ٨٩، و فى الأصل: للتلذذ و النعم (١٠) زيد من ظ و المعالم (١١) من ظ و المعالم، و فى الأصل: لكن (١٢) من ظ و المعالم، و فى الأصل: العر.

قال عمر رضى الله عنه : كفى سرفا[1] أن لا يشتهى الرجل[2] شيئا إلا اشتراه فأكله.

و لما ذكر ما تحلوا به من أصول الطاعات، بما لهم من العدل و الإحسان بالأفعال و الأقوال، فى الأبدان و الأموال، أتبعه ما تخلوا عنه من أمهات المعاصى التى هى الفحشاء و المنكر، فقال: ﴿و الذين لا يدعون﴾ رحمة لأنفسهم و استعمالا للعدل ﴿مع الله﴾ أى الذى اختص بصفات الكمال ﴿الها﴾ و كلمة «مع» و إن أفهمت أنه غير، لكن لما كانوا يتعنتون حتى أنهم يتعرضون بتعديد[3] الأسماء كما مر فى [آخر -[4]] سبحان و الحجر، قال تعالى قطعا لتعنتهم: ﴿آخر﴾ أى دعاء جلينا بالعبادة له، و لا خفيا بالرياء، فيكونوا كمن[5] أرسلت عليهم الشياطين فأزتهم[6] أزا.

و لما نفى عنهم ما يوجب قتل أنفسهم بخسارتهم إياها، أتبعه قتل غيرهم فقال[7]: ﴿و لا يقتلون﴾ أى بما[8] تدعو إليه الحدة ﴿النفس﴾ أى رحمة للخلق و طاعة للخالق. و لما كان من الأنفس ما لا حرمة له، بين المراد بقوله: ﴿التى حرم الله﴾ [9]أى قتلها، أى[9] منع منعا عظيما الملكُ الأعلى - الذى لا كفوء له - من[7] قتلها ﴿الا بالحق﴾ [أى -[4]] بأن تعمل ما يبيح قتلها.

(١) من ظ و المعالم، و فى الأصل: شرفا (٢) من المعالم، و فى الأصل و ظ: رجل (٣) فى ظ: بتعديل (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: لمن. (٦) فى ظ: وازتهم (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: ما (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و لما ذكر القتل الجلى، أتبعه الخفى بتضييع نسب الولد، فقال: ﴿و لا يزنون ج﴾ أى رحمة لما قد يحدث من ولد، إبقاء على نسبه[1]، و رحمة للزنى بها و لأقاربها أن تنهتك حرماتهم، مع رحمته لنفسه، على أن الزنا جارّ أيضا إلى القتل و الفتن، و فيه التسبب[2] لإيجاد[3] نفس بالباطل كما أن القتل[4] تسبب إلى إعدامها بذلك، و قد روى فى الصحيح[5] عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه و سلم: أى الذنب أعظم - و فى رواية[6]: أكبر - عند الله؟ قال: أن تدعو لله ندا و هو خلقك، قال: ثم أىّ؟ قال: أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك، قال: ثم أىّ؟ قال: أن تزنى بحليلة جارك، فأنزل الله تصديق ذلك «و الذين لا يدعون مع الله الها اخر» - الآية. و قد استشكل تصديق الآية للخبر من حيث أن الذى فيه قتل خاص و زنا خاص، و التقييد بكونه أكبر، و الذى فيها مطلق القتل و الزنا من غير تعرض لعظم[7]، و لا إشكال لأنها نطقت بتعظيم ذلك من سبعة أوجه: الأول: الاعتراض بين المبتدأ الذى هو "و عباد" و ما عطف عليه، و الخبر الذى هو "اولئك يجزون" على أحد الرأيين[8] بذكر جزاء هذه الأشياء

(١) من ظ، و فى الأصل: نسبته (٢) زيد فى الأصل: أيضا، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ، و فى الأصل: بايجاد (٤) من ظ، و فى الأصل: القاتل ايضا (٥) راجع ٢/٦٤٣ و قد وردت الرواية فى العديد من المناسبات. (٦) راجع ٢/٧٠١ و ١٠١٤ (٧) من ظ، و فى الأصل: الى عظم (٨) من ظ، و فى الأصل: الروايتين.

الثلاثة خاصة ، و ذلك دال على مزيد الاهتمام[1] الدال على الإعظام . الثانى : الإشارة بأداة البعد[2] - فى قوله : ﴿و من يفعل ذلك﴾ أى الفعل العظيم القبح - مع قرب المذكورات ، فدل على أن البعد فى رتبها . الثالث : التعبير باللقى[3] مع المصدر المزيد الدال على زيادة المعنى فى قوله : ﴿يلق اثاما﴾ دون ' يأثم ' أو يلق إثما أو[4] جزاء إثمه . الرابع : التقييد بالمضاعفة فى قوله مستأنفا : ﴿يضعف﴾ [أى باسهل أمر -] ﴿له العذاب﴾ / جزاء ما أتبع نفسه هواها بما فيه من الحرارة الشيطانية - هـذا فى قراءة[6] [ابن عامر و أبى بكر عن -] عاصم بالرفع[6] و هو بدل « يلق[7] » فى قراءة الجماعة ، لأنهما تؤولان إلى معنى واحد ، و مضاعفة العذاب - و الله أعلم - إتيان بعضه فى أثر بعض بلا انقطاع كما كان يضاعف سيئته كذلك ، و قراءة ابن كثير و أبى جعفر و ابن عامر و يعقوب بالتشديد تفيد مطلق التعظيم للتضعيف ، و قراءة الباقين بالمفاعلة تقتضيه بالنسبة إلى من يبارى آخر فيه فهو أبلغ . [الخامس -] : التهويل بقوله : ﴿يوم القيمة﴾ الذى هو أهول من غيره بما لايقايس . السادس : الإخبار بالخلود الذى هو أول درجاته أن يكون مكثا طويلا ، فقال [عاطفا فى القراءتين على « يضعف » -] : ﴿و يخلد فيه﴾ . السابع : التصريح بقوله : ﴿مهانا﴾ ولعله للاحتراز عما[8] يجوز من أن بعض[9] عصاة هذه الأمة - الذين يريد[10] الله

٧٠٧/

(١) زيدت الواو فى ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الفعل (٣) من ظ ، و فى الأصل : بالمعنى (٤) من ظ ، و فى الأصل : أى (٥) زيد من ظ (٦) راجع أيضا نثر المرجان ٤/٧٢٦ (٧) من ظ ، وفى الأصل : يليق (٨) من ظ ، وفى الأصل : مما . (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ ، و فى الأصل : يريدون .

تعذيبهم - يعلمون أنهم ينجون و يدخلون الجنة ، فتكون إقامتهم - مع العلم بالمآل - ليست على وجه الإهانة ، فلما عظم الأمر من هذه الأوجه ، علم أن كلا من هذه الذنوب كبير ، و[1] إذا كان الأعم كبيرا ، كان الأخص المذكور أعظم من مطلق الأعم ، لأنه زاد عليه بما صار به خاصا ، فثبت بهذا أنها كبائر ، و أن قتل الولد و الزنا بحليلة الجار أكبر لما ذكر ، فوضح وجه تصديق الآية للخبر ، و لا يقال : إن الإشارة ترجع [2]إلى المجموع[2] ، فالتهويل خاص بمن ارتكب مجموع هذه الذنوب لأنا نقول : السياق يأباه ، لأن تكرار[3] « لا » أفاد - كما حققه الرضى[4] - و رود النفى على وقوع الخصال الثلاث حال الاجتماع[5] و الانفراد ، فالمعنى : لا يوقعون شيئا منها ، فكان معنى "و من يفعل ذلك" : و من يفعل شيئا من ذلك - ليرد الإثبات على ما ورد عليه النفى ، فيحصل التناسب ، و أما عدم منافاة الآية للترتيب فمن وجهين : الأول أن[6] الأصل فى التقديم الاهتمام بما سبقت له الآية ، و هو التنفير المفيد للتغليظ ، فيكون كل واحد منها[7] أعلى مما بعده . الثانى أن الواو لا تنافيه ، و قد وقعت الأفعال مرتبة فى الذكر كما رتبت فى الحديث بـ « ثم » فيكون مرادا بها الترتيب - و الله الهادى .

و لما أتم سبحانه تهديد الفجار ، على هذه الأوزار ، أتبعه ترغيب الأبرار ،

---

(١) فى ظ : او (٢ - ٢) من ظ ، و فى الأصل : للجموع (٣) فى ظ : تكرير . (٤) فى ظ : القاضى (٥) فى ظ : الانتفاع (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : منهما .

فى الإقبال [١] على الله [١] العزيز الغفار ، فقال : ﴿ إلا من تاب ﴾ أى رجع إلى الله عن شىء مما كان فيه من هذه النقائص ﴿ و آمن ﴾ أى أوجد الأساس الذى لا يثبت [٢] عمل بدونه [و هو الإيمان -٣] ، أو أكد وجوده ﴿ و عمل ﴾ . و لما كان الرجوع عنه أغلظ [٤] ، [أكد -٣] فقال : ﴿ عملا صالحا ﴾ أى مؤسسا على أساس الإيمان ؛ ثم زاد فى الترغيب بالإتيان بالفاء ربطا للجزاء بالشرط دليلا على أنه سببه فقال : ﴿ فأولئك ﴾ أى العالو المنزلة ﴿ يبدل الله ﴾ و ذكر الاسم الأعظم تعظيما للأمر [و -٣] إشارة إلى أنه سبحانه لا منازع له ﴿ سيئاتهم حسنات [٥] ﴾ أى بندمهم على تلك السيئات ، لكونها ما كانت حسنات فيكتب لهم ثوابها [٦] بعزمهم الصادق على فعلها لو استقبلوا من أمرهم [ما -٣] استدبروا ، بحيث إذا رأى أحدهم تبديل سيئاته / بالحسنات تمنى [٦] لو كانت سيئاته أكثر ! ٧٠٨/

و ورد أن بعضهم يقول : رب ! إن لى سيئات ما رأيتها [٧] - رواه مسلم فى أواخر الإيمان من [٨] صحيحه [٩] عن أبى ذر رضى الله عنه [رفعه -٣] .

و لما كان هذا أمرا لم تجر العادة بمثله ، أخبر أنه صفته تعالى أزلا و أبدا ، فقال مكررا للاسم الأعظم [١٠] لئلا يقيد غفرانه شىء [١٠] مما مضى : ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام على الإطلاق ﴿ غفورا ﴾

(١ - ١) فى ظ : الى (٢) من ظ ، و فى الأصل : لا ثبت (٣) زيد من ظ .
(٤) فى ظ : اعظم (٥) من ظ ، وفى الأصل : ثوابا (٦) من ظ ، وفى الأصل : يمنى (٧) فى ظ : ما راتها (٨) من ظ ، و فى الأصل : فى (٩) ١ / ١٠٦ .
(١٠-١٠) فى ظ : لئلا يقصد غفرانه بشىء .

أى ستورا لذنوب كل من تاب بهذا الشرط ﴿رحيما﴾ له بأن يعامله بالإكرام كما يعامل المرحوم فيعطيه مكان كل سيئة حسنة ؛ روى البخارى[1] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية نزلت فى أهل الشرك ، لما[2] نزل صدرها قال أهل مكة : قد عدلنا بالله ، و قتلنا النفس التى حرم الله ،

٥ و أتينا الفواحش ، فأنزل [3]الله " الا من تاب - إلى : رحيما "[4] ؛ و روى عنه أيضا أنه قال[4] : هذه مكية نسختها آية مدنية التى فى سورة النساء . أى على تقدير كونها عامة فى المشرك و غيره ؛ و روى عنه أنه قال[4] فى آية النساء : نزلت فى آخر ما نزل ، و لم ينسخها شىء . و قد تقدم فى سورة النساء الجواب عن هذا ، و كذا ما رواه البخارى عنه فى التفسير[5] :

١٠ إن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا و أكثروا [و زنوا و أكثروا -[6]] ، فأتوا محمدا صلى الله عليه و سلم فقالوا : إن الذى تقول و تدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا[7] كفارة ، فنزل "و الذين لا يدعون مع الله الها آخر و لا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق و لا يزنون" و نزل "يعبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله" . و لما أشعرت الفاء

١٥ بالتسبيب[8] ، و دل تأكيد الفعل بالمصدر على الاحتياج[9] إلى عمل كثير

(١) راجع كتاب التفسير : ٢/ ٧٠٢ (٢) من ظ و الصحيح كتاب التفسير ٢/ ٧٠١ ، وفى الأصل : كما (٣) ومن هنا استأنفت نسخة مد (٤) راجع الصحيح كتاب التفسير ٢ / ٧٠١ (٥) سورة الزمر ٢ / ٧١٠ و ٧١١ (٦) زيد من ظ و مد و الصحيح (٧) من مد و الصحيح ، و فى الأصل و ظ : علمنا (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : بالتسبب (٩) من ظ ومد ، و فى الأصل : الاحتجاج.

ربما جل[1] عن طوق البشر[2]، و أشار إلى التطريق له بالوصفين[3] العظيمين، أتبع ذلك بيان[4] الطريق إليه بما أجرى من العادة فقال: ﴿و من تاب﴾ أي عن المعصية كفرا كانت أو ما دونه ﴿و عمل﴾ تصديقا لادعائه التوبة .

و لما كان في سياق الترغيب، أعراه من التأكيد فقال: ﴿صالحا﴾ ٥ و لو كان كل من نيته و عمله ضعيفا، و[5] رغب سبحانه في ذلك بقوله معلما أنه يصل إلى الله: ﴿ فانه يتوب ﴾ أي يرجع واصلا ﴿الى الله﴾ أي الذي له صفات الكمال، فهو يقبل التوبة عن عباده، و يعفو عن السيئات ﴿متابا ٥﴾ أي رجوعا عظيما جدا بأن يرغبه الله في الأعمال الصالحة، فلا يزال كل يوم في زيادة في نيته و عمله، فيخف ما كان عليه ثقيلا، ١٠ و يتيسر له ما كان عسيرا، و يسهل عليه ما كان صعبا، كما تقدم في "ان الذين آمنوا و عملوا الصلحت يهديهم ربهم بايمانهم" و لايزال كذلك حتى يحبه فيكون سمعه الذي يسمع به، و بصره الذي يبصر به، و يده التي[6] يبطش بها، و رجله التي[6] يمشي بها، بأن يوفقه للخير، فلا يسمع إلا ما يرضيه، و هكذا، و من أجراه على ظاهره فعليه لعنة الله، لمخالفته ١٥ إجماع المسلمين .

و لما وصف عباده سبحانه بأنهم تحلوا بأصول الفضائل، / و تخلوا /٧٠٩

(١) من ظ ومد، وفي الأصل: حل (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: البشير .
(٣) في ظ: بالموضعين (٤) في ظ: ببيان (٥) في ظ: او (٦) من ظ و مد، و في الأصل: الذي .

عن أمهات الرذائل ، و رغب فى التوبة ، لأن الإنسان لعجزه لا ينفك عن النقص ، وكان قد مدحهم بعد الأولى[1] من صفاتهم بالحلم عن الجهل مدحهم قبل الأخرى من أمداحهم و عقب تركهم الزنا بالإعراض أصلا عن اللغو الذى هو أعظم مقدمات الزنا فقال : ﴿و الذين لا يشهدون﴾ أى يحضرون انحرافا مع[2] الهوى كما تفعل النار التى الشيطان منها ﴿الزور﴾ أى القول المنحرف عن الصدق كذبا كان أو مقاربا له فضلا عن أن يتفوهوا[3] به و يقروا عليه ؛ قال ابن جرير[4] : و أصل الزور تحسين الشيء و وصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من يسمعه أو يراه أنه بخلاف ما هو به[5] فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق[6] . و الشرك قد يدخل فى ذلك لأنه محسن لأهله حتى ظنوا أنه حق و هو باطل ، و يدخل فيه الغنا لأنه أيضا مما يحسن بترجيع الصوت حتى يستحلى سامعه سماعه ، و الكذب أيضا يدخل فيه بتحسين صاحبه إياه حتى يظن أنه حق . و عطف عليه ما هو أعم منه فقال : ﴿و اذا مروا باللغو﴾ أى الذى ينبغى أن يطرح و يبطل سواء كان من وادى الكذب أو العبث الذى لا يجدى ؛ قال ابن جرير[4] : و هو فى[7] كلام العرب كل كلام

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاول (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن .
(٣) فى ظ : يتفهوا (٤) راجع من تفسيره الجزء ١٩ / ٢٩ (٥) من ظ و مد و التفسير ، و فى الأصل : سمعه (٦-٦) ليس ما بين الرقمين فى التفسير (٧) من ظ و مد و التفسير ، و فى الأصل : من .

أو

أو فعل باطل لا حقيقة له و لا أصل، أو ما يستقبح. ﴿مروا كراما﴾ أى آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، إن تعلق بهم أمر أو نهى، باشارة أو عبارة، على حسب ما يرونه[1] نافعا، أو معرضين إن كان لا يصلح شيء [من ذلك -[2]] لإثارة مفسدة أعظم[3] من ذلك أو نحوه، رحمة لأنفسهم و غيرهم، و أما حضورهم لذلك و سكوتهم[4] فلا، لأن النظارة إلى كل ما لم [5]تسوغه الشريعة[5] هم شركاء فاعليه فى الإثم لأن حضورهم و نظرهم دليل الرضا به، و سبب لوجوده و الزيادة فيه.

و لما ذكر وصفهم الذى فاقوا[6] به، أشار إلى وصف الجهلة الذى سفلوا به، فقال: ﴿و الذين اذا ذكروا﴾ أى ذكرهم غيرهم كائنا من كان، لأنهم يعرفون الحق بنفسه لا بقائله ﴿بآيت ربهم﴾ أى الذى وفقهم لتذكر إحسانه إليهم فى حسن تربيته لهم بالاعتبار بالآيات المرئية و المسموعة ﴿لم يخروا﴾ أى لم يفعلوا فعل الساقطين [المستعلين -[2]] ﴿عليها﴾ الساترين لها، ثم زاد فى بيان إعراضهم و صدهم عنها فقال منبها على أن المنفى القيد لا المقيد، و هو الخرور، بل هو موجود غير منفى بصفة السمع و البصر: ﴿صما و عميانا﴾ أى كما يفعل المنافقون و الكفار فى الإقبال عليها [سماعا -[2]] و اعتبارا، و الإعراض عنها تغطية لما عرفوا من حقيتها[7]، وسترا لما رأوا من نورها، فعل من لا يسمع و لا يبصر كما تقدم

(١) فى ظ: يريدونه (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد: اكبر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: شكوتهم (٥-٥) فى ظ و مد: يسوغه الشرع (٦) فى ظ و مد: فارقوا (٧) فى ظ و مد: حقيقتها.

عن أبي جهل و أبي سفيان و الأخنس[1] بن شريق ، و ذلك وصف لعباد الرحمن بفعل ضد هذا ، أي أنهم يسقطون[2] عند سماعها[2] و يكبون عليها ، سقوط سامع منتفع بسمعه ، بصير منتفع ببصره و بصيرته ، سجدا يكون كما تقدم في أول أوصافهم [و إن لم يبلغوا أعلى درجات البصيرة - بما أشارت إليه المبالغة بزيادة النون جمع العمى -[3]] .

و لما ذكر هذه الخصلة المثمرة[4] لما يلي الخصلة الأولى ، ختم بما ينتج الصفة الأولى . فقال مؤذنا بأن إمامة الدين ينبغي أن تطلب / و يرغب فيها : ﴿ و الذين يقولون ﴾ علما منهم بعد اتصافهم بجميع ما مضى أنهم أهل للامامة : ﴿ ربنا هب لنا من ازواجنا ﴾ اللائي قرنتها بنا كما فعلت لنبيك صلى الله عليه و سلم ، فمدحت زوجته في كلامك القديم ، و جعلت مدحها يتلى على تعاقب الأزمان و السنين ﴿ و ذريتنا قرة ﴾ و لما كان المتقون - الذين يفعلون الطاعة [و-[3]] يسرون بها - قليلا في جنب العاصين ، أتى بجمع القلة [و نكر -[3]] فقال : ﴿ اعين ﴾ أي من الأعمال أو من العمال يأتمون[5] بنا ، لأن الأقربين أولى بالمعروف ، و لا شيء أسر للمؤمن و لا أقر لعينه من أن يرى حبيبه يطيع الله ، فما طلبوا إلا أن يطاع الله فتقر أعينهم ، فـ « من » إما[5] أن تكون مثلها في : رأيت منك أسدا ، و إما أن تكون على بابها ، و تكون القرة هي الأعمال ، أي هب لنا منهم

/٧١٠

(١) في ظ : الاخفش - خطأ (٢ - ٢) في ظ : عندهم عمدا - كذا (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : الثمرة (٥) في ظ : يأتمرن - كذا (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : فاما .

أعمالا صالحة فجعلوا أعمال من يعز عليهم هبة لهم، [و أصل القرة البرد لأن العرب تتأذى بالحر و تستروح إلى البرد، فجعل ذلك كناية عن السرور -[1]] ﴿ و اجعلنا ﴾ [أى -[1]] إيانا و إياهم ﴿للمتقين﴾ أى عامة من الأقارب و الأجانب .

و لما كان المطلوب من المسلمين الاجتماع فى الطاعة حتى تكون الكلمة فى[2] المتابعة واحدة، أشاروا إلى ذلك بتوحيد الإمام و إن كان المراد الجنس[3]، فقالوا: ﴿ اماما ﴾ أى فكون[4] علماء مخبتين متواضعين كما هو شأن إمامة التقوى فى إفادة[5] التواضع و السكينة، لنحوز[6] الأجر العظيم، إذ الانسان له أجره و أجر من اهتدى به فعمل بعمله[7] «من سن سنة حسنة كان له أجرها و أجر من عمل[8] بها إلى يوم القيامة»[9] و عكسه[9] .

و لما وصف سبحانه عباده المؤمنين بضد أوصاف الكافرين من الرفق و السكينة، و التواضع و الحلم و الطمأنينة و الشكر لربهم و الرغبة إليه [و الرهبة -[1]] منه . و قال الرازى: فوصف مشيهم و خطابهم و انتصابهم له و دعاءهم و نفقاتهم و زاهتهم و تيقظهم و انتباههم و صدقهم و محبتهم و نصحهم . تشوف السامع إلى ما لهم عنده بعد المعرفة بما

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : من (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : للجنس .
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل : فيكون (٥) زيد فى ظ : الجنس (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : ليجوز (٧) فى ظ : بعلمه (٨) فى ظ : يعمل (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

للكافرين ، فابتدأ الخبر عن ذلك بتعظيم شأنهم فقال : ﴿ اولئك ﴾ أى العالو[1] الرتبة ، العظيمو المنزلة[2] . و لما كان المقصود [إنما -[3]] هو الجزاء ، بنى للمفعول قوله : ﴿ يجزون ﴾ أى فضلا من الله على ما وفقهم له من هذه الأعمال الزاكية ، و الأحوال الصافية ﴿الغرفة﴾ أى التى هى لعلوها و اتساعها و طيبها[4] لا غرفة غيرها ، لأنها منتهى الطلب ، و غاية الأرب ، لا[5] يبغون عنها حولا ، ولا يريدون بها بدلا ، [6]و هى كل بناء عال مرتفع[6] ، و الظاهر أن المراد بها الجنس .

و لما كانت الغُرَب[7] فى غاية التعب لمنافاتها لشهوات[8] النفس و هواها و طبع البدن ، رغب فيها بأن جعلها سببا لهذا الجزاء فقال : ﴿ بما صبروا ﴾ أى أوقعوا الصبر على أمر ربهم و مرارة غربتهم بين الجاهلين فى أفعالهم و أقوالهم و أحوالهم ، و غير ذلك من معانى جلالهم .

و لما كان المنزل لا يطيب إلا بالكرامة و السلامة ، قال: ﴿و يلقون﴾ أى يجعلهم الله لاقين بأيسر أمر ؛ و على قراءة حمزة[9] و الكسائى و أبى بكر عن[10] عاصم بالتخفيف [11]و البناء للفاعل[11] و[12] الأمر واضح

(١) فى ظ : العالون (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المشركة (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : وطيها - كذا (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : مالم (٦-٦) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد «الغرفة» والترتيب من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : القرب (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : كشهوات (٩) راجع نثر المرجان ٤/٧٣٣ (١٠) فى ظ «و» (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : على .

﴿فيها تحية﴾ أى دعاء بالحياة من بعضهم لبعض، و من الملائكة الذين لا يرد دعاؤهم، و لا يمترى فى إخبارهم، لأنهم عن الله ينطقون، و ذلك على وجه الإكرام و الإعظام مكان ما أهانهم عباد الشيطان ﴿و سلاما﴾ أى من الله و من الملائكة و غيرهم، و سلامة من كل آفة مكان ما أصابوهم بالمصائب.

/و لما كان هذا ناطقا بدوام حياتهم سالمين بصريحه، و بعظيم شرفهم ٥ /٧١١
بلازمه، دل على أنهم لا يبرحون[1] عنه بقوله: ﴿خالدين فيها﴾ أى الغرفة مكان ما أزعجوهم من ديارهم حتى هاجروا؛ و دل على علو أمرها، و عظيم قدرها، بإبراز مدحها فى[2] مظهر التعجب فقال: ﴿حسنت﴾ أى ما أحسنها[3] ﴿مستقرا﴾ أى موضع استقرار ﴿و مقاما﴾ أى موضع إقامة.

و لما ثبت أمر[4] الرحمانية، فظهر أمر الرحمن و ما عليه عباده من ١٠ الدعاء الذى هو الخضوع و الإخلاص، و ختم أوصافهم الحسنة بالدعاء حقيقة الدال على الإخلاص فى الخضوع، و ذكر حسن جزائهم و كريم منقلبهم، أمر النذير أن يقول لعباد الشيطان الذين تكبروا عن السجود للرحمن، و عن الاعتراف و الإيمان، ليرجعوا عن العصيان، و يزداد المؤمنون فى الطاعات[6] و الإيمان[7]: إن ربه لا يعتد بمن لا يدعوه، فمن ١٥ ترك[8] دعاءه فليرتقب العذاب الدائم، فقال: ﴿قل ما يعبؤا﴾ أى يعتد

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يرجون (٢) فى ظ: من (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: احسنت (٤) سقط من ظ (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اعمالهم الصالحة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الطاعة (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: نزل.

و يبالى و يجعلكم ممن يسد به فى موضع التعبة الآن - على أن «ما» نافية ﴿ بكم ﴾ أى أيها الكافرون ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلىّ و إليكم برحمانيته، المخصص [1] لى بالإحسان [1] برحيميته، و إنما خصه بالإضافة لاعترافه دونهم ﴿ لولا دعاؤكم ﴾ أى نداؤكم له فى وقت شدائدكم الذى أنتم تبادرون إليه فيه خضوعا له به لينجيكم، فاذا فعلتم ذلك أنقذكم مما [2] أنتم فيه، معاملةً لكم معاملةَ من يبالى بالإنسان و يعتد به و يراعيه، و [3] لولا دعاؤه إياكم لتعبدوه رحمة لكم لتزكوا أنفسكم و تصفوا أعمالكم و لا تكونوا حطبا للنار ﴿ فقد كذبتم ﴾ أى فتسبب عن ذلك لسوء طباعكم [4] ضد ما كان ينبغى لكم من الشكر و الخير بأن عقبتم بالإنجاء و حققتم و قرنتم [5] التكذيب بالرحمان بعد رحمتكم بالبيان مع ضعفكم و عجزكم، و تركتم ذلك الدعاء له [6] و عبدتم الأوثان، و ادعيتم [7] له الولد [7] و غيره من البهتان، أو ما يعتد بكم شيئا من الاعتداد لولا دعاؤكم إياه وقت الشدائد، فهو يعتد بكم لأجله نوع اعتداد، و هو المدة التى ضربها لكم فى الدنيا لا غيرها، بسبب أنكم [قد - [8]] كذبتم، أو ما يصنع بكم لولا دعاؤه [9] إياكم إلى طاعته، لأنكم قد كذبتم، فكنتم شرا من البهائم، فدعاكم فتسبب عن دعائه إياكم أنكم فاجأتم الداعى بالتكذيب، و الحاصل أنه ليس فيكم الآن

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: اى الاحسان (٢) فى ظ: بما (٣) فى ظ: اى (٤) فى ظ و مد: طبائعكم (٥) فى مد: قوبتم (٦) سقط من ظ (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الولد له (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد، و فى الاصل: دعاء. و فى ظ: دعاوكم.

ما يصلح أن يعتد[1] بكم لأجله إلا الدعاء، لأنكم مكذبون ، و إنما قلت : «الآن» لأن[2] "ما" [لا -[3]] تدخل إلا على مضارع بمعنى الحال ، عكس "لا" ﴿ فسوف ﴾ أى فتسبب عن تكذيبكم أنه يجازيكم على ذلك ، و لكنه مع قوته و قدرته و اختياره لايعاجلكم ، بل ﴿ يكون ﴾ جزاء هذا التكذيب عند انقضاء ما ضربه لكم من الآجال ، و كل بعيد[4] عندكم ٥ قريب[5] عنده ، و كل آتٍ قريب ، فتهيأوا و اعتدوا لذلك اليوم ﴿ لزاما ﴾ أى لازما لكم لزوما عظيما لا انفكاك له عنكم بحال ، و هذا تنبيه على [6]ضعفهم و عجزهم[6] ، و ذلهم و قهرهم ، لأن الملزوم لا يكون إلا كذلك[7] ، فأمرهم يوم بدر من أفراد هذا التهديد ، فقد انطبق آخر السورة على أولها بالإنذار بالفرقان ، لمن[8] أنكر حقيقة الرحمن - و الله ولى التوفيق ١٠ بالإيمان[9] .

* * * * *

(١) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعتد (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦ - ٦) فى ظ : ضعفكم و عجزكم (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : لذلك (٨) فى ظ : من (٩) يرجى رد مدارك التنزيل إلى أنوار التنزيل فيما تقدم .

خاتمة الطبع

لقد تم ـ و الحمد لله ـ طبع الجزء الثالث عشر من تفسير " نظم الدرر في تناسب الآيات و السور " للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى، يوم الجمعة الخامس من شهر رمضان المبارك سنة ١٣٩٨ هـ = الحادي عشر من آب سنة ١٩٧٨ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضي المحكمة العليا سابقا ـ بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخي الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس). و قام بقراءة تجرياته مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندي القادري (كامل الجامعة النظامية) ـ حفظهما الله .

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة ـ كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء الرابع عشر بإذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الشعراء .

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشعرآء[1]

مقصودها أن هذا الكتاب بين فى نفسه بإعجازه أنه من عند الله، مبين لكل ملتبس، و من / ذلك بيان آخر التى قبلها بتفصيله، و تنزيله[2] على أحوال الأمم و تمثيله، و تسكين أسفه صلى الله عليه و سلم خوفا [من -[3]] أن يعم أمته الهوان، بعدم[4] الإيمان، و أن يشتد قصدهم لاتباعه بالأذى و العدوان، بما تفهمه "سوف" من طول الزمان، بالإشارة إلى إهلاك من علم منه دوام العصيان، و رحمة من أراده للهداية و الإحسان، و تسميتها بالشعراء أدل دليل على ذلك بما يفارق به القرآن الشعر[5] من علو مقامه، و استقامة مناهجه و عز مرامه، و صدق وعده و وعيده، و عدل تبشيره و تهديده، [6]و كذا تسميتها بالظلة إشارة إلى أنه أعدل

/ ٧١٢

(١) السادسة و العشرون من سور القرآن الكريم، مكية مع ورود استثناء بعض الآيات، و عدة آيها مائتان و سبع و عشرون آية فى الكوفى و الشامى و المدنى الأول، و مائتان و ست و عشرون فى الباقى - راجع روح المعانى ٦ / ١٨٠ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تزيلمه - كذا (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: بعد (٥) فى ظ: المشعر (٦) العبارة من هنا إلى «لمن يبارزه بالعصيان» متأخرة فى الأصل عن «طسم»، والترتيب من ظ ومد.

فى بيانه ، [1]و أدل فى جميع شأنه ، من المقادير التى دلت عليها قصة شعيب عليه السلام بالمكيال و الميزان ، و أحرق من الظلة[2] لمن يبارزه بالعصيان .

﴿ بسم الله ﴾ الذى دل علو كلامه ، على عظمة شأنه و عز مرامه ﴿ الرحمن ﴾ [3]الذى لا يعجل على من عصاه ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الذى يحيى قلوب أهل وده بالتوفيق لما يرضاه ﴿ طسم ٥ ﴾ [لعله إشارة إلى الطهارة الواقعة بذى طوى من طور سيناء و طيبة و مكة و طيب ما نزل على محمد صلى الله عليه و سلم مما يجمع ذلك كله - كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما ما يرشد إلى ذلك ، و إلى خلاص بنى إسرائيل بما سمعه موسى عليه السلام من الكلام القديم و باتمام أمرهم بتهيئتهم للملك باغراق فرعون و جنوده و نصرهم على من ناواهم فى ذلك الزمان بعد تطهيرهم بطول البلاء الذى أوصلهم إلى ذل العبودية ، و ذلك كله إشارة إلى تهديد قريش بأنهم إن لم يتركوا لددهم فعل بهم ما فعل بفرعون و جنوده من الإذلال بأى وجه أراد ، و خلص عباده منهم ، و أعزهم على كل من ناواهم -[4]] .

و لما فرق سبحانه فى تلك بين الدين الحق و المذهب الباطل ، و بين ذلك غاية البيان ، و فصل عباد الرحمن من[5] عباد الشيطان ، و أخبر أنه عم برسالته صلى الله عليه و سلم جميع الخلائق ، و ختم بشديد الإنذار

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٢) من مد ، و فى الأصل : المظلمة ، و فى ظ : الظلمة (٣) وقع فى الأصل تفسير « الرحمن » موضع تفسير « الرحيم » وكذا العكس ، و الترتيب من ظ و مد (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : على .

لأهل الإدبار، بعد أن قال " فقد كذبتم " وكان حين نزولها لم يسلم منهم إلا القليل، وكان ذلك ربما أوهم قرب إهلاكهم وإنزال البطش بهم، كما كان فى آخر سورة مريم، وأشارت الأحرف المقطعة إلى مثل ذلك، فأوجب[1] الأسف على فوات ما كان يرجى من رحمتهم بالإيمان، والحفظ عن نوازل الحدثان، وكان ذلك أيضا ربما أوجب أن يظن ٥ ظان، أن عدم إسلامهم لنقص فى البيان، أزال ذلك[2] سبحانه أول هذه فقال: ﴿تلك﴾ أى الآيات العالية المرام، الحائزة أعلى مراتب التمام، المؤلفة من هذه الحروف التى تتناطقون بها وكلمات لسانكم ﴿آيٰت الكتٰب﴾ أى[2] الجامع لكل فرقان ﴿المبين ۝﴾ أى الواضح فى نفسه [3]أنه معجز، وأنه من عند الله، وأن فيه كل معنى جليل[3]، الفارق لكل مجتمع ملتبس ١٠ بغاية البيان، فصح أنه فرقان كما ذكر فى التى قبلها، فان الإبانة هى الفصل والفرق، فصار الإخبار بأنه فرقان مكتنفا[4] الإنذار أول السورة التى قبل وآخرها - والله الموفق.

وقال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما عرّفت سورة الفرقان بشنيع مرتكب الكفرة المعاندين، وختمت بما ذكر من الوعيد، كان ذلك ١٥ مظنة لإشفاقه عليه الصلاة والسلام وتاسفه على فوت إيمانهم، لما جبل عليه من الرحمة والإشفاق، فافتتحت السورة الأخرى بتسليته عليه الصلاة

(١) زيد فى الأصل: ذلك، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٢) سقط من ظ (٣-٣) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على «المؤلفة»، والترتيب من ظ ومد (٤) من مد، وفى الأصل وظ: مكشفا.

و السلام ، و أنه سبحانه [1]لو شاء[1] لأنزل عليهم آية تبهرهم و تذل جبابرتهم فقال سبحانه "لعلك باخع نفسك" - الآيتين ، و قد تكرر هذا المعنى عند إرادة تسليته عليه الصلاة و السلام كقوله تعالى "و لو شاء الله لجمعهم على الهدى[2]" ، "و لو شئنا لآتينا كل نفس هدٰها[3]" ، "و لو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا[4]" ، "و لو شاء الله / ما فعلوه[5]" ٧١/ ٥ ثم أعقب سبحانه بالتنبيه و التذكير "او لم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم" ، "و اذ نادىٰ ربك موسىٰ" و قلّما تجد فى الكتاب العزيز ورود تسليته عليه السلام إلا معقبة[6] بقصص موسى عليه السلام و ما كابد من بنى إسرائيل و فرعون ، و فى كل قصة منها إحراز ما ١٠ لم تحرزه الأخرى من الفوائد و المعانى و الأخبار حتى لا تجد[7] قصة تتكرر و إن ظن ذلك من لم يمعن النظر ، فما من قصة من القصص المتكررة فى الظاهر إلا و لو سقطت أو قدر إزالتها لنقص من الفائدة ما لا يحصل من غيرها ، و سيوضح هذا فى التفسير بحول الله ؛ ثم أتبع جل و تعالى قصة موسى بقصص[8] غيره من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام مع أممهم ١٥ على الطريقة المذكورة ، و تأنيسا له عليه الصلاة و السلام حتى لا يهلك نفسه أسفا على فوت إيمان قومه ؛ ثم أتبع سبحانه ذلك بذكر[9] الكتاب

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سورة ٦ آية ٣٥ (٣) سورة ٣٢ آية ١٣ (٤) سورة ١٠ آية ٩٩ (٥) سورة ٦ آية ١٣٧ (٦) فى ظ : تعقبه . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لايجده (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقصة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : تذكر .

و عظيم النعمة به فقال "و انه لتنزيل رب العلمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون" فيا لها كرامة تقصر الألسن[1] عن شكرها، و تعجز العقول عن تقديرها، ثم أخبر تعالى أنه "بلسان عربي مبين"، ثم أخبر سبحانه بعلى أمر هذا الكتاب و شائع ذكره على ألسنة الرسل و الأنبياء فقال «و انه لفي زبر الاولين» و أخبر أن علم بني إسرائيل من أعظم آية و أوضح[2] برهان و بينة، و أن تأمل ذلك كاف، و اعتباره شاف، فقال "او لم يكن لهم آية ان يعلمه علمؤا بني اسرائيل" كعبد الله بن سلام و أشباهه، ثم وبخ تعالى متوقفي العرب فقال "و لو نزلنه على بعض الاعجمين" - الآية[3]، ثم أتبع ذلك بما يتعظ به المؤمن الخائف من أن الكتاب - مع أنه هدى و نور - قد يكون محنة في حق طائفة كما قال تعالى "يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا[4]"، "و اما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم[5]" فقال تعالى في هذا المعنى "كذلك سلكنه في قلوب المجرمين لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم" - الآيات، ثم عاد الكلام إلى تنزيه الكتاب و إجلاله عن أن [6]تتسور الشياطين[6] على شيء منه أو تصل[7] إليه فقال سبحانه "و ما تنزلت به الشيطين و ما ينبغي لهم [8]و ما يستطيعون[8]" أي ليسوا أهلا له و لايقدرون على استراق سمعه[9]، بل هم معزولون عن السمع، مرجومون بالشهب، ثم وصى تعالى

(١) في مد: الالسنة (٢) زيد في ظ: به (٣) سقط من ظ (٤) سورة ٢ آية ٢٦.
(٥) سورة ٩ آية ١٢٥ (٦-٦) من ظ و مد، وفي الأصل: يتسور الشيطان.
(٧) من ظ و مد، وفي الأصل: اتصل (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.
(٩) من ظ و مد، و في الأصل: السمع لسمعه.

نبيه صلى الله عليه و سلم - و المراد المؤمنون - فقال : "فلا تدع مع الله الها آخر فتكون من المعذبين" ثم[1] أمره بالإنذار و وصاه بالصبر فقال "و انذر عشيرتك الاقربين و اخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين" ثم أعلم[2] تعالى بموقع ما توهموه[3]، و أهلية ما تخيلوه، فقال "هل انبئكم على من تنزل الشيطين تنزل على كل افاك اثيم" ثم وصفهم، و كل هذا تنزيه / لنبيه صلى الله عليه و سلم عما تقولوه، ثم هددهم و توعدهم فقال "و سيعلم الذين ظلموا اىّ منقلب ينقلبون" - انتهى .

/٧١٤

و لما كان قد قدم[4] فى تلك أنه عم برسالته جميع الخلائق، و ختم بالإنذار على تكذيبهم فى تخلفهم، مع إزاحة جميع العلل، و نفى كل خلل، و كان ذلك مما يقتضى شدة أسفه صلى الله عليه و سلم على المتخلفين كما هو من مضمون "ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا" على ما تقدم. و ذلك لما عنده صلى الله عليه و سلم من مزيد[5] الشفقة، و عظيم الرحمة، قال تعالى يسليه[6]، و يزيل من أسفه و يعزيه، على سبيل الاستئناف، مشيرا إلى أنه لا نقص فى إنذاره و لا فى كتابه الذى ينذر به يكون سببا لوقوفهم عن الإيمان. و إنما السبب فى ذلك محض إرادة الله تعالى: ﴿لعلك باخع نفسك﴾ اى مهلكها غما، و قاتلها[7] أسفا، من بخع[8] الشاة

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : و (٢) زيد فى ظ : انه (٣) فى ظ : توهمون .
(٤) زيد فى الأصل : ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : مزايد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : تسلية .
(٧) من ظ و مد، و فى الأصل : قايلها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : تجمع .

إذا بالغ فى ذبحها حتى قطع البخاع، بكسر الموحدة، و هو عرق باطن فى الصلب و فى القفا، و ذلك أقصى حد الذابح، [و هو -[1]] غير النخاع[2] بتثليث النون فانه الخيط الأبيض فى جوف الفقار ﴿ان﴾ أى لأجل [أن -[1]] ﴿لايكونوا﴾ [أى كونا كأنه جبلة لهم -[1]] ﴿مؤمنين ٥﴾ أى راسخين فى الإيمان، فكأن كأنه قيل: هذا الكتاب فى غاية البيان فى نفسه و الإبانة للغير، و قد تقدم فى غير موضع أنه ليس عليك إلا البلاغ، أتخاف و تشفق على نفسك من الهلاك غما[3] تأسفا على عدم إيمانهم و الحال أنا لو شئنا لهديناهم طوعا أو كرها، و الظاهر أن جملة الإشفاق فى موضع حال من اسم الإشارة كما ان الآية التى بعدها فى موضع الحال منها[4]، أى نحن نشير إلى الآيات المبينة لمرادنا فيهم و الحال أنك - لمزيد حرصك على نفعهم - بحال يشفق فيها عليك من لايعلم الغيب من ان تقتل نفسك غما لإبائهم[5] الإيمان و الحال أنا لو شئنا اتيناهم بما يقهرهم و يذلهم للايمان و غيره.

و لما كان المحب ميالا[6] إلى ما يريد حبيبه، أعلمهم[7] أن كل ما هم فيه[8] بإرادته فقال[8]: ﴿ان نشأ﴾ و عبر بالمضارع فيه و فى قوله: ﴿ننزل﴾ إعلاما بدوام القدرة. و لما كان ذلك الإنزال من باب القسر، و الجبروت

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: النجاع (٣) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فيها (٥) زيد فى الأصل: الى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ميلا (٧) فى ظ و مد: اعلم (٨) سقط من ظ.

و القهر ، قال : ﴿ عليهم ﴾ و قال محققا[1] للمراد : ﴿ من السماء ﴾ أى التى جعلنا فيها بروجا للمنافع ؛ و أشار إلى تمام القدرة بتوحيدها فقال : ﴿ آية ﴾ أى قاهرة كما فعلنا ببعض من قبلهم بفتق الجبل و نحوه ؛ و أشار إلى تحقق أثرها بالتعبير بالماضى فى قوله عطفا على "نزل" لأنه ٥ فى معنى "أنزلنا" : ﴿ فظلت ﴾ أى عقب الإنزال [2]من غير مهلة[2] ﴿ اعناقهم ﴾ التى هى موضع الصلابة ، و عنها تنشأ حركات الكبر و الإعراض ﴿ لها ﴾ أى للآية دائما ، و لكنه عبر بما يفهم النهار لأنه موضع القوة على جميع ما يراد من التقلب و الحيل و المدافعة ﴿ خاضعين ﴾ جمعه كذلك[3] لأن الفعل لأهلها ليدل على أن ذلهم لها ١٠ يكون مع كونهم جميعا ، و لا يغنى جمعهم[4] و إن زاد شيئا ، و الأصل : فظلوا ، و لكنه ذكر الأعناق لأنها[5] موضع الخضوع [6]فانه يظهر لينها[6] بعد صلابتها ، / و انكسارها بعد شماختها ، و للاشارة إلى أن الخضوع[7] يكون بالطبع من غير تأمل لما أبهتهم و حيرهم من عظمة الآية ، فكأن الفعل للأعناق لا لهم ؛ و الخضوع : التطأمن و السكون[8] و اللين ١٥ ذلا و انكسارا ﴿ و ما ﴾ أى هذه صفتنا و الحال أنه ما ﴿ ياتيهم ﴾ أى الكفار[9] ﴿ من ذكر ﴾ أى شىء[10] من الوعظ و التذكير و التشريع[10]

/٧١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تحقيقا (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى غير مهملة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذلك (٤) فى ظ : بجمعهم . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فانها (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : ليظهر تنبيها (٧) العبارة من « فانه يظهر » إلى هنا ساقطة من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : السكوت (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكفارة . (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

يذكروننا به ، فيكون سبب ذكرهم و شرفهم ﴿ من الرحمن ﴾ أى الذى أنكروه مع إحاطة نعمه بهم ﴿ محدث ﴾ أى بالنسبة إلى تنزيله و علمهم به ؛ و أشار إلى دوام كبرهم بقوله : ﴿ الا كانوا ﴾ أى كونا هو كالخلق لهم ؛ و أشار بتقديم الجار المؤذن بالتخصيص إلى ما لهم من سعة الأفكار و قوة الهمم لكل ما يتوجهون إليه ، و إلى أن لإعراضهم عنه [١]من القوة[١] ٥ ما يعد الإعراض معه عن[٢] غيره عدما [فقال -[٣]] : ﴿ عنه ﴾ أى خاصة ﴿ معرضين ٥ ﴾ أى إعراضا هو صفة لهم لازمة .

و لما كان حال المعرض عن الشيء حال المكذب به قال[٤] : ﴿ فقد ﴾ أى فتسبب عن هذا الفعل منهم أنهم قد ﴿ كذبوا ﴾ أى حققوا التكذيب و قربوه كما تقدم آخر تلك ، [و استهزأوا مع التكذيب ١٠ بآياتنا -[٣]] .

و لما كان التكذيب بالوعيد سببا فى إيقاعه ، و كان حالهم فى تكذيبهم له صلى الله عليه و سلم حال المستهزئ لأن من كذب [٥]بشيء خف عنده قدره[٥] ، فصار عرضة للهزء ، قال مهددا : ﴿ فسيأتيهم ﴾ سببه بالفاء و حققه بالسين ، و قلل التنفيس عما فى آخر الفرقان ليعلموا أن ما كذبوا به واقع ١٥ و أنه ليس موضعا للتكذيب بوجه[٦] ﴿ نبؤا ﴾ أى عظيم أخبار و عواقب ﴿ ما ﴾ أى العذاب الذى ﴿ كانوا ﴾ أى كونا كأنهم جبلوا عليه ﴿ به ﴾ أى خاصة لشدة إمعانهم فى حقه وحده ﴿ يستهزءون[٧] ٥ ﴾ أى يهزؤن ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) فى ظ : من (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) فى ظ : فقال (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالشيء قدرة خف عنه .
(٦) سقط من ظ (٧) تقدم فى الأصل على « أى خاصة » و الترتيب من ظ و مد .

و لكنه عبر بالسين إشارة إلى أن حالهم فى شدة الرغبة فى ذلك الهزء حال الطالب له ، [و قد ضموا إليه التكذيب ، فالآية من الاحتباك : ذكر التكذيب أولا دليلا على حذفه ثانيا ، و الاستهزاء ثانيا دليلا على حذف مثله أولا -[1]] .

٥ و لما كانت رؤيتهم للآيات السماوية و الأرضية الموجبة للانقياد و الخضوع موجبة لإنكار تخلفهم عما تدعو إليه فضلا عن الاستهزاء ، و كان قد تقدم آخر تلك الحث على تدبر بروج السماء و ما يتبعها من الدلالات ، فكان التقدير : ألم يروا إلى السماء كم أودعنا فى بروجها و غيرها من آيات نافعة و ضارة كالأمطار و الصواعق ، عطف عليه ما ينشأ عن ١٠ ذلك فى الأرض فى قوله معجبا منهم : ﴿ او لم يروا ﴾ .

و لما كانوا فى عمى عن تدبر ذلك ، عبر للدلالة عليه بحرف الغاية فقال : ﴿ الى الارض ﴾ أى على سعتها و اختلاف نواحيها و تربها ؛ و نبه على كثرة ما صنع من جميع الأصناف فقال : [﴿ كم انبتنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ فيها ﴾ بعد أن كانت يابسة ميتة لا نبات بها -[1]] ١٥ ﴿ من كل زوج ﴾ أى صنف مشاكل بعضه لبعض ، فلم يبق صنف يليق بهم فى العاجلة إلا أكثرنا من الإنبات[2] منه ﴿ كريم ٥ ﴾ أى جم المنافع ، محمود العواقب ، لا خباثة فيه ، من الأشجار و الزروع و سائر النباتات على اختلاف ألوانها فى زهورها و أنوارها ، [و -[1]] طعومها و أقدارها ،

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الانبات .

و منافعها و أرواحها - إلى غير ذلك من أمور لا يحيط بها خدا و لا[1] يحصيها عدا ، إلا الذى خلقها ، مع كونها تسقى بماء واحد ؛ و الكريم وصف لكل ما يرضى فى بابه و يحمد ، و هو ضد اللئيم .

و لما كان ذلك باهرا / للعقل منبها[2] له فى كل حال على عظيم ٧١٦/ اقتدار صانعه ، و بديع اختياره ، وصل به قوله : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى ٥ الأمر العظيم من الإنبات و ما تقدمه[3] من العظات على كثرته ﴿ لآية[4] ﴾ أى علامة عظيمة جدا [لهم -[4]] على تمام القدرة على البعث و غيره ، كافية فى الدعاء إلى الإيمان ، و الزجر عن[5] الطغيان ، و لعله وحّدها على كثرتها إشارة إلى أن الدوالّ عليه متساوية الأقدام فى الدلالة ، فالراسخون تغنيهم[6] واحدة ، و غيرهم لا يرجعون لشىء[6] ﴿ و ﴾ الحال أنه[7] ١٠ ﴿ ما كان ﴾ فى[8] الشاكلة[9] التى خلقتهم[10] عليها ﴿ اكثرهم ﴾ أى البشر ﴿ مؤمنين ﴾ أى عريقين فى الإيمان ، لأنه « ما يؤمن أكثرهم [بالله -[11]] الا وهم مشركون » ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أن ﴿ ربك ﴾ أى الذى أحسن إليك بالإرسال ، و سخر لك قلوب الأصفياء ، و زوى عنك اللد الأشقياء ﴿ لهو ﴾ . ١٥

---

(١) سقط من ظ ومد (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : نبها (٣) فى ظ : يبديه .
(٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٦) فى ظ : بشىء .
(٧) فى ظ : انهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : المشاكلة (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : خلقهم (١١) زيد من ظ ومد و القرآن الكريم ١٢/١٠٦ .

و لما كان المقام لإنزال الآية القاهرة، قدم قوله: ﴿العزيز﴾ أى القادر على كل من قسرهم على الإيمان و الانتقام منهم ﴿الرحيم ۝﴾ فى أنه لم يعاجلهم بالنقمة، بل أنزل عليهم الكتاب ترفقا بهم، و بيانا لما يرضاه ليقيم به الحجة على من أريد للهوان، و يقبل بقلوب من يختصه منهم للايمان؛

٥ قال أبوحيان: و المعنى أنه عز فى نقمته من الكفار، و رحم مؤمنى كل أمة - انتهى. و من هنا شرع سبحانه و تعالى فى تمثيل آخر الفرقان فى إظهار القدرة بالبطش عند النقمة حيث لم يشكر النعمة بأن أبى المدعو الإجابة لدعوة الرسل، و ترك الداعى - عقب الانقياد [من -[1]] الشدائد - التضرع للرسل، و قص أخبار الأمم على ما هى عليه بحيث

١٠ لم يقدر أحد من أهل الكتاب الذين هم بين ظهرانيهم على إنكار شىء من ذلك، و من ثم قرع أسماعهم أول شىء بقصتهم من فرعون و موسى عليه السلام، فصح قطعا أن هذا الكتاب جلى الأمر، على القدر، ليس بكهانة و لا شعر، كما سيؤكد ذلك عند إظهار النتيجة فى آخرها، بل هو من عند رب العالمين، على لسان سيد المرسلين، وصح أن أكثر الخلق

١٥ مع ذلك هالك و إن قام الدليل، و وضح السبيل. لأن[2] سلك الذكر فى قلوبهم شبيه فى الضيق بنظم السهم فيما يرمى به، و صح أنه سبحانه يملى لهم و ينعم عليهم بما فيه حياة أديانهم بارسال الرسل و إنزال الكتب، و ما فيه حياة أبدانهم بالإيتاء من كل ما يحتاجونه إظهارا لصفة الرحمة.

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ.

ثم ينتقم منهم بعد طول المهلة، و تماديهم فى سكرات الغفلة، كشفا لصفة العزة، كل ذلك تسلية له صلى الله عليه و سلم و تخفيفا[1] عليه و إعلاما بأنه لا قصور فى بيانه، و لا تقصير لديه.

و لما اقتضى وصف العزة الإهلاك، و وصف الرحمة الإمهال[2]، وكان الأول مقدما، وكانت[3] عادتهم تقديم ما هم به أهم، و هو[4] لهم ٥ أعنى، خيفت[5] غائلته، فأتبع ذلك أخبار هذه الأمم، دلالة على الوصفين معا ترغيبا و ترهيبا، و دلالة على أن الرحمة سبقت الغضب، و إن قدم الوصف اللائق به، فلا يعذب إلا بعد البيان مع طول الإمهال، و أخلى قصة أبيهم إبراهيم عليه السلام من ذكر الإهلاك إشارة إلى البشارة بالرفق بنيه[6] العرب فى الإمهال كما رفق بهم [7]فى الإنزال و الإرسال[7]، و لما كان ١٠ مع ذلك فى / هذه القصة تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم فيما يقاسيه من / ٧١٧ الأذى و التكذيب، و كانت التسلية بموسى و إبراهيم عليهما السلام [8]أتم، لما لهما من القرب، و المشاركة فى الهجرة، و القصد إلى الأرض المقدسة، و كان قد اختص موسى عليه السلام[8] بالكتاب الذى ما بعد القرآن مثله و الآيات التى [9]ما أتى بمثلها[9] أحد قبله، و إقرار عينه بهداية قومه، و حفظهم ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تحقيقا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الاهمال (٣) فى ظ: كان (٤) فى ظ: هم (٥) فى ظ: خفيت (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: سنه - بدون النقط (٧ - ٧) فى ظ و مد: بالارسال و الانزال (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩ - ٩) من ظ و مد، و فى الأصل: ما ياتى مثلها.

بعده بالكتاب ، و سياسة الأنبياء المجددين لشريعته ، و عدم استئصالهم بالعذاب[1] و الانتقام بأيديهم من جميع أعدائهم ، و فتح بلاد الكفرة على أيديهم بعده صلى الله عليه و سلم إلى غير ذلك مما شابهوا به هذه الأمة منع مجاورتهم للعرب حتى فى دار الهجرة ، و موطن النصرة ،
٥ ليكون فى إقرارهم[2] على ما يسمعون من أخبارهم أعظم معجزة ، و أتم دلالة ، قدمها[3] مقدما لموسى - عليهما السلام ، و التحية و الإكرام - فان كان القصد تسكين ما أورثه[4] آخر تلك من خوف الملازمة بالعذاب نظرا إلى وصف العزة ، فالتقدير : اذكر أثر رحمتنا بطول إمهالنا لقومك - و هم على أشد ما يكون من الكفر و الضلال فى أيام الجاهلية -
١٠ برحمتنا الشاملة بارسالك إليهم و أنت أشرف الرسل ، و إنزال هذا الكتاب الذى هو أعظم الكتب ﴿و﴾ اذكر ﴿اذ﴾ و على تقدير التسلية يكون العطف على تلك لأن المراد بها التنبيه ، فالتقدير : خذ آيات الكتاب و اذكر إذ ﴿نادى ربك﴾ أى المحسن إليك بكل ما يمكن الإحسان به فى هذه الدار ، و على تقدير الترهيب يكون التقدير : أو لم يروا إذ
١٥ نادى ربك ، و عدّوا رائين لذلك لأن اليهود فى بلادهم و فى حد القرب[5] منهم ، فاما أن يكونوا عالمين[6] بالقصة بما سمعوه منهم ، أو متهيئين

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : للعذاب (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : قرارهم (٣) فى ظ : قدمها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوردته . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : العرب (٦) من ظ و مد ، و فى الاصل : عالمون .

لذلك

لذلك لإمكانهم من سؤالهم ؛ ثم ذكر المنادى فقال : ﴿موسى﴾ و أتبعه ما كان له النداء فقال مفسرا[1] لأن النداء فى معنى القول[2] : ﴿ان ائت القوم﴾ أى الذين فيهم قوة و أىّ قوة ﴿الظلمين﴾ أى بوضعهم[3] قوتهم على النظر الصحيح المؤدى للايمان فى غير موضعها .

و لما كان كأنه قيل : أىّ قوم ؟ قال مبدلا إشارة إلى أن العبارتين مؤداهما[4] واحد لأنهم عريقون فى الظلم ، لظلمهم أنفسهم بالكفر و غيره ، و ظلم بنى إسرائيل و غيرهم من العباد : ﴿قوم فرعون﴾ .

و لما كان المقصود بالرسالة تخويفهم من الله تعالى ، و إعلامهم بجلاله ، استأنف قوله معلما بذلك فى سياق الإنكار عليهم ، و الإيذان بشديد الغضب منهم ، و التسجيل عليهم بالظلم ، و التعجيب من حالهم فى عظيم عسفهم فيه ، و أنه قد طال إمهاله لهم[5] و هم لا يزدادون إلا عتوا و لزوما للموبقات : ﴿الا يتقون﴾ [6] أى يحصل منهم تقوى[6] .

و لما كان من المعلوم أن من أتى / الناس بما يخالف أهواءهم لم يقبل ، أخبر [من تشوف إلى معرفة جوابه -[7]] أنه أجاب بما يقتضى الدعاء بالمعونة ، لما عرف من خطر هذا المقام ، بقوله ملتفتا إلى نحو "يرب ان قومى اتخذوا هذا القرآن مهجورا" : ﴿قال رب﴾ أى[8] أيها الرفيق بى

/ ٧١٨

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تفسيرا (٢) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بوضع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : مواداهما (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهم . (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط بعد « للموبقات » (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ .

﴿ انى اخاف ان يكذبون ﴾ أى فلا يترتب[1] على إتيانى إليهم[2] أثر، و يبغون لى[3] الغوائل، فاجعل لى قبولا و مهابة تحرسنى بها ممن يريدنى بسوء، و يجوز أن يريد بـ"اخاف" "أعلم" أو "أظن"، فيكون «أن» مخففة، فيكون الفعلان معطوفين على «يكذبون» فى قراءة الجمهور بالرفع
٥ مع جواز العطف على "اخاف" [فيكون التقدير -[4]] : ﴿ و ﴾ أخاف أنه، أو قال: إنى[5] ﴿ يضيق صدرى ﴾ عند تكذيبهم أو خوفى من تكذيبهم لى انفعالا كما هو شأن أهل المروءات، و أرباب علو الهمم لما غرز فيهم من الحدة و الشدة فى العزيمة إذا[6] لم يجدوا مساغا ﴿ و لا ينطلق ﴾ و نصب يعقوب الفعلين عطفا على "يكذبون[7]" على
١٠ أن "أن" ناصبة ﴿لسانى﴾ [أى -[4]] فى التعبير عما ترسلنى[8] إليهم به لما فيه من الحبسة فى الأصل بسبب تعقده لتلك الجمرة التى لدغته فى حال الطفولية، فاذا وقع التكذيب أو خوفه و ضاق القلب، انقبض الروح إلى باطنه فازدادت الحبسة، فست الحاجة إلى معين يقوى القلب فيعين[9] على إطلاق اللسان عند الحبسة لئلا تختل الدعوة ﴿فارسل﴾ أى فتسبب
١٥ عن ذلك الذى اعتذرت به عن المبادرة إلى الذهاب عند الأمر أنى أسألك فى الإرسال ﴿ الى هرون ﴾ أخى، ليكون رسولا من عندك

(١) من ظ و مد، وفى الأصل : فلا يترب - كذا (٢) سقط من ظ و مد. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : الى (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيدت الواو فى ظ (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : على اذ (٧) من ظ ومد، و فى الأصل : تكذبوك - كذا (٨) فى ظ : يرسلنى (٩) من ظ و مد، وفى الأصل : فتعين.

فيكون لى عضدا [١]على ما[١] أمضى له من الرسالة فيعين على ما يحصل من ذلك ، و ليس اعتذاره بتعلل فى[٢] الامتثال ، وكفى بطلب العون دليلا على التقبل ، لا على التعلل .

و لما ذكر ما تؤثره[٣] الرسالة ، و قدم الإشارة إلى استكشافه لأنه أهم ، أتبعه ما يترتب على مطلق التظاهر لهم فضلا عن مواجهتهم بما يكرهون ٥ فقال : ﴿ و لهم علىّ ﴾ أى بقتلى نفسا منهم ؛ و قال : ﴿ ذنب ﴾ و إن كان المقتول غير معصوم تسمية له بما يزعمونه ، و لذلك قيده بـ « لهم » و أيضا فلكونه ما كان أتاه فيه من الله تعالى أمر بخصوصه[٤] ﴿فاخاف﴾ [بسبب ذلك -[٥]] ﴿ ان يقتلون ج ﴾ أى بذلك[٦] ، مع ما أضمه إليه من التعرض لهم ، فلا أتمكن من أداء الرسالة ، فاذا كان هارون معى عاضدنى ١٠ فى إبلاغها ، و كل ذلك استكشاف و استدفاع للبلاء ، و استعلام للعافية ، لا توقف فى القبول - كما[٧] مضى التصريح به فى سورة طه .

و لما استشرفت النفس إلى معرفة جوابه عن[٨] هذه الأمور المهمة [٩]شفى عناءها[٩] بقوله ، إعلاما بأنه سبحانه استجاب له فى كل ما سأل : ﴿ قال ﴾ قولَ كامل القدرة شامل العلم كما هو[١٠] وصفه سبحانه : ١٥

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى من (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٣) فى ظ : توفره (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بخصوصية (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ و مد (٧) فى ظ : على (٨) فى ظ : من .
(٩-٩) من مد ، و فى الأصل : بعى عناده ، و فى ظ : عناوها - كذا .
(١٠) سقط من ظ .

﴿كلا﴾ أي ارتدع عن هذا الكلام، فانه لا يكون شيء مما خفت، لا قتل و لا غيره - و كأنه لما كان التكذيب مع ما قام على الصدق من البراهين، المقوية لصاحبها، الشارحة لصدره، المعلية لأمره، عدّ عدما - و قد أجبناك إلى الإعانة بأخيك ﴿فاذهبا﴾ أي / أنت و هو متعاضدين، /٧١٩
٥ إلى ما أمرتك بـه، مؤيدين ﴿بآيٰتنآ﴾ الدالة عـلى صدقكما على ما لها من العظمة باضافتها إلينا؛ ثم علل تأمينه له بقوله: ﴿انا﴾ بما لنا من العظمة ﴿معكم﴾ أي كائنون عند وصولكما إليهم فيمن اتبعكما من قومكما؛ ثم أخبر خبرا آخر بقوله: ﴿مستمعون ه﴾ أي سامعون بما لنا من العظمة فى القدرة و غيرها من صفات الكمال، إلى ما تقولان
١٠ لهم و يقولون[1] لكما، فلا نغيب عنكم و لا تغيبون عنا، فنحن نفعل معكما من المعونة و النصر فعل القادر الحاضر لما[2] يفعل بحبيبه المصغى له بجهده، و لذلك عبر بالاستماع؛ قال أبو حيان: وكان شيخنا الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير يرجح أن يكون أريد بصورة الجمع [المثنى-[3]] و الخطاب لموسى[4] و هارون فقط، لأن لفظة «مع» تباين من يكون كافرا، فانه لا يقال:
١٥ الله معه، و على أنه أريد بـالجمع التثنيـة حمله سيبويه «كأنهما لشرفهما» عند الله تعالى عاملهما فى الخطاب معاملة الجمع إذ[6] كان ذلك جائزا أن يعامل به الواحد لشرفه و عظمته - انتهى. و هو كلام نفيس مؤيد

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يقولان (٢) فى ظ: بما (٣) زيد من البحر ٧/٨ (٤) من البحر. و فى الأصول: موسى (٥-٥) من ظ و مد و البحر، و فى الأصل: كانه لشرفه (٦) من ظ و مد و البحر، و فى الأصل: اذا.

بتقديم

بتقديم الظرف، و يكون حينئذ خطابهما مشاكلا لتعظيم المتكلم سبحانه نفسه، لأن المقام للعظمة، و عظمة الرسول من عظمة المرسل، على أنه يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى البشارة بمن يتبعهما كما قدرته، و يجوز أن تكون المعية للكل كما فى قوله تعالى "ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم" - الآية . ٥

و لما نفى سبحانه أن يكون شيء مما خافه موسى عليه السلام على هذا الوجه المؤكد، و كان ظهور ذلك فى مقارعة الرأس أدل و أظهر، صرح به فى قوله: ﴿ فاتيا ﴾ أى فتسبب عن ذلك الضمان بالحراسة[1] و الحفظ أنى أقول لكما: ائتيا ﴿ فرعون ﴾ نفسه، و إن عظمت مملكته، و جلّت جنوده ﴿ فقولآ ﴾ أى ساعة وصولكما[2] له و لمن عنده: ١٠ ﴿ انا رسول ﴾ أفرده مريدا به الجنس الصالح للاثنين، إشارة بالتوحيد إلى أنهما فى تعاضدهما و اتفاقهما كالنفس الواحدة، و لا تخالف لأنه إما وقع مرتين كل واحدة[3] بلون، أو مرة بما يفيد التثنية و الاتفاق، فساغ التعبير بكل منهما، و لم يثنّ هنا لأن المقام لا اقتضاء له للتنبيه[4] على طلب نبينا صلى الله عليه و سلم المؤازرة بخلاف ما مر فى سورة ١٥ طه ﴿ رب العلمين ﴾ أى المحسن إلى جميع الخلق المدبر لهم؛ ثم ذكر [له -[5]] ما قصد من الرسالة إليه فقال معبرا بأداة التفسير لأن الرسول

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بالحراسطة (٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مرة.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: للتسليه (٥) زيد من مد، و فى ظ: لهم.

فيه معنى الرسالة التى تتضمن القول: ﴿ ان ارسل ﴾ أى خلّ و أطلق؛ و أعاد الضمير على معنى "رسول" فقال: ﴿معنا بنىٓ اسرآءيل﴾ أى قومنا الذين استعبدتهم ظلما، و لا سبيل لك عليهم، نذهب[1] بهم إلى الأرض المقدسة التى وعدنا الله بها على ألسنة الأنبياء من آبائنا[2] عليهم الصلاة ٥ و السلام.

و لما كان من المعلوم أنهما امتثلا ما أمرهما الله[3]، فأتياه و قالا له ما أمرا به، تشوفت النفس إلى جوابه لهما، فقال / تعالى التفاتا إلى مثل قوله فى التى قبلها "و قالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام"، "و ان يتخذونك الا هزوا" و نحو ذلك تسلية لهذا النبى الكريم و تحقيقا لمعنى قوله تعالى ١٠ "كلا"، و "مستمعون" من أن فرعون و إن بالغ فى الإيراق و الإرعاد لا يروع موسى عليه السلام شيء منه: ﴿ قال ﴾ أى فرعون حين أبلغاه الرسالة مخاطبا لموسى عليه السلام علما منه أنه الأصل فيها، و أخوه إنما هو وزير، منكرا عليه مواجهته بمثل هذا و مانّا[4] عليه ليكف من جرأته[5] بتصويب مثل هذا الكلام إليه: ﴿ الم نربك ﴾ أى بعظمتنا ١٥ التى شاهدتها ﴿فينا وليدا﴾ أى صغيرا قريب عهد بالولادة ﴿ولبثت فينا﴾ أى لا[6] فى غيرنا، باعتبار انقطاعك إلينا، و تعززك فى الظاهر بنا[7]

/٧٢٠

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: فذهب (٢) فى ظ: انبيائنا (٣) زيد فى الأصل: بها، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ماتا (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: جوابه (٦) سقط من ظ و مد. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: منا.

﴿من عمرك سنين﴾ أى كثيرة ، فلنا عليك[1] بذلك من الحق[2] ما ينبغى أن يمنعك من مواجهتنا[3] بمثل هذا ، و كأنه عبر بما يفهم النكد كناية عن مدة مقامه عنده بانها[4] كانت نكدة لأنه وقع فيما كان يخافه ، و فاته ما كان يحتاط به من ذبح الأطفال .

و لما ذكّره منة تحمله على الحياء منه ، ذكره ذنبا[5] هو أهل لأن يخاف من عاقبته فقال مهولا له بالكناية عنه : ﴿ و فعلت فعلتك ﴾ أى من قتل القبطى ، ثم أكد نسبته إلى ذلك مشيرا إلى أنه عامله بالحلم تخجيلا له فقال : ﴿التى فعلت و انت﴾ أى و الحال أنك ﴿من الكفرين﴾ أى لنعمتى[6] و حق تربيتى [7]بقتل من[7] ينسب إلىّ ، أو عده منهم لسكوته عنهم إذ ذاك ، لأنه لم يكن قبل الرسالة مأمورا فيهم بشىء ، فكان مجاملا لهم ، فكأنه قال : و أنت منا . فما لك الآن تنكر[8] علينا و تنسبنا إلى الكفر؟ ﴿قال﴾ مجيبا له[9] على طريق[10] النشر المشوش ، واثقا بوعد الله بالسلامة[11] مقرا بما دندن عليه من القتل لأنه لم يكن متحققا لذلك ، و ما ترك[12] قتله إلا التماسا للبينة : ﴿فعلتها اذاً﴾ أى إذ قتلته ﴿ و انا من الضالين﴾

(١) سقط من ظ (٢) زيد فى الأصل : فى الظاهر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : بمثل ذلك ولا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لانها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذنب . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لنقمتى (٧ - ٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : بالقتل لمن (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : تنكير (٩) سقط من ظ و مد . (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : طريقة (١١) من ظ و مد ، وفى الأصل : فيهم (١٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : نزل .

[أى - [1]] لا أعرف دينا، فأنا واقف عن[2] كل وجهة حتى يوجهنى ربى إلى ما يشاء - قال ابن جرير[3]: و العرب تضع الضلال موضع الجهل [و الجهل -[4]] موضع الضلال - انتهى. و قد تقدم فى الفاتحة للحرالى فى هذا كلام نفيس - على أن هذه الفعلة كانت منى خطأ ﴿ ففررت ﴾ أى فتسبب عن فعلها و تعقبه أنى فررت ﴿ منكم ﴾ أى منك لسطوتك [و من قومك لإغرائهم إياك علىّ - [1]] ﴿ لما خفتكم ﴾ [على نفسى أن تقتلونى بذلك القتيل الذى قتلته خطأ مع كونه كافرا مهدر الدم - [1]] ﴿ فوهب لى ربى ﴾ [الذى أحسن إلىّ بتربيتى عندكم تحت كنف أمى آمنة مما أحدثتم من الظلم خوفا منى - [1]] ﴿ حكما ﴾ أى علما أعمل به عمل الحكام الحكماء ﴿ و جعلنى من المرسلين ﴾ أى فاجهد الآن جهدك فانى لا أخافك لقتل[5] و لا غيره.

و لما اجتمع فى كلام فرعون منّ و تعيير، بدأ بجوابه عن التعيير لأنه [الأخير فكان أقرب، و لأنه - [1]] أهم، ثم عطف عليه جوابه عما منّ به، فقال موبخا له مبكتا[6] منكرا عليه غير أنه حذف حرف الإنكار إجمالا فى [7]القول و إحسانا[7] فى الخطاب: ﴿ و تلك ﴾ أى التربية [الشنعاء العظيمة فى الشناعة - [1]] التى ذكرتنيها[8] ﴿ نعمة تمنها علىّ ﴾

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: على (٣) راجع من تفسيره الجزء ١٩/٣٨.
(٤) زيد من ظ و مد و التفسير (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: القتل (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: منكتا (٧ - ٧) من ظ و مد، و فى الأصل: العون و انكارا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ذكرتنيا.

و لما كان سيها ظلمه لقومه، جعله نفسها فقال مبدلا منها [تنبيها على إحباطها، و إعلاما بأنها - بكونها نقمه - أولى منها فى عدها نعمة -[1]] : ﴿ان عبدت﴾ [أى تعبيدك و تذليلك على ذلك الوجه البديع المبعد -[1]] قومى ﴿بنى اسرآءيل﴾ أى جعلتهم عبيدا ظلما و عدوانا و هم أبناء الأنبياء، و لسلفهم يوسف عليه السلام عليكم من المنة - باحياء نفوسكم / أولا، ٥ و عتق رقابكم ثانيا - ما لا تقدرون له على جزاء أصلا، ثم ما كفاك ذلك حتى فعلت[2] ما لم يفعله مستعبد[3]، فأمرت بقتل أبنائهم، فكان ذلك سبب وقوعى إليك لأسلم من ظلمك - كما مر بيانه و يأتى [إن شاء الله تعالى -[1]] مستوفى فى سورة القصص . /٧٢١

و لما كلم اللئيم الذميم الكليم العظيم بما رجى أن يكفه[4] عن مواجهته ١٠ بما[5] يكره، و يرجعه إلى مداراته. فلم يفعل، و فهم ما فى جوابه هذا الأخير من الذم [له -[1]] و التعجيز، و إثبات القدرة التامة و العلم الشامل لله، بما دبر فى أمر موسى عليه السلام، و أنه لا ينهض لذلك بجواب و لا يحمد له فيه[6] قول، عدل [عنه -[1]] إلى جوابه عن الرسالة بما يموه به أيضا على قومه لئلا يرجعوا عنه، فأخبر تعالى عن محاورته ١٥ فى ذلك بقوله على طريق الجواب لمن كأنه قال: ما قال له جوابا لهذا الكلام، الذى كأنه السهام؟: ﴿قال فرعون﴾ حائدا عن جواب

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ما (٣) من ظ ومد، و فى الأصل: مستبعد (٤) من ظ و مد. وفى الأصل: يكفيه (٥) فى ظ: ما. (٦) سقط من ظ و مد.

موسى عليه السلام لما فيه من تأنيبه و تعجيزه[1]. منكرا لخالقه على سبيل التجاهل، كما أنكر هؤلاء الرحمن متجاهلين و هم[2] أعرف الناس بغالب أفعاله، كما كان فرعون يعرف، لقول[3] موسى عليه السلام "لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السمٰوٰت و الارض": ﴿و ما رب العٰلمين[4]﴾

٥ [أى -[4]] الذى زعمت أنكما رسولهٗ. فسأل بـ «ما»[5] عن حقيقته و إنما أراد فى الحقيقة إنكاره.

[و لما كان تعريف حقيقته سبحانه بنفسها محالا لعدم التركيب، فكان تعريفها لايصح إلا بالخارج اللازم الجلى، تشوف السامع إلى ما يجيب به عنه، فاستأنف قوله إخبارا عنه -[4]]: ﴿قال﴾ أى موسى [معرضا

١٠ عن التعريف بغير الأفعال إعلاما بأنه لا شبيه له، و أنه مباين وجوده لوجود كل شىء سواه -[4]]، معرفا له سبحانه بأظهر[6] أفعاله مما[7] لا يقدر أحد[7] على ادعاء المشاركة فيه، مشيرا إلى خطابه فى طلب الماهية بأنه لا مماثل له: أقول لك و لمن أردت بطلب الحقيقة التمويه عليهم: هو ﴿رب﴾ [أى خالق و مبدع و مدبر -[1]] ﴿السمٰوٰت﴾

١٥ [كلها -[1]] ﴿و الارض[5]﴾ [و إن تباعدت أجرامها بعضها عن بعض -[1]] ﴿و ما بينهما[1]﴾ و ذلك أظهر العالم الذى هو صنعته و أنتم غير مستغنين عنه طرفة عين، فهذه هى المنة، لا منتك علىّ بالتربية إلى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يعجزه (٢) فى ظ: هو (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لقوم (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بها (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: بما اظهر (٧-٧) فى ظ: يقعار احدا.

حين استغنيت عنك، و هذا هو الاستعباد[1] بالإحسان، مع العصيان بالكفران، لا استعبادك لقومى باهلاكهم و هم فى طاعتك، و لسلفهم[2] عليكم من المنة ما[3] لا تجهلونه ﴿ان كنتم﴾ [أى كونا راسخا -[4]] ﴿موقنين ۝﴾ أى متصفين بما عليه أهل العلم بأصول الدين من الثقة بما تعتقدون [اتصافا ثابتا -[4]]، و الجواب: علمتم ذلك، و علمتم أنه لاجواب أسد[5] منه، لأن المذكور متغير، فله مغير[6] لا يتغير، و هو هذا الذى أرسلنا، أى إن كان لكم يقين[6] فأنتم تعرفونه. لشدة ظهوره، و عموم نوره ﴿قال﴾ [7]أى فرعون[7] ﴿لمن حوله﴾ من أشراف قومه عموها أيضا: ﴿الا تستمعون ۝﴾ أى تصغون إليه بجميع[8] جهدكم، و هو كلام ظاهره أنه نبههم[9] على الإنكار، لأنه سأل عن الماهية، فأجيب بغيرها، و يحتمل غير ذلك لو ضويق فيه، فهو من خفى مكره.

و لما وبخ اللعين فى جوابه، وكان ربما ادعى أن الخافقين و مابينهما من الفضاء غير مخلوق، فتشوف[10] السامع إلى جواب يلزمه، استأنف [الشفاء -[4]] لعىّ هذا السؤال بقوله: ﴿قال﴾ أى موسى، مخصصا بعد ما عمم [بشىء لاتمكن المنازعة فيه لمشاهدة وجود أفراده بعد أن لم تكن -[4]]: ﴿ربكم﴾ أى الموجد لكم و المربى و المحسن ﴿و رب آبائكم الاولين ۝﴾

(١) فى ظ: الاستبعاد (٢) من ظ و مد، وفى الاصل: لسلفه (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: مما (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد، وفى الأصل و ظ: اشد. (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: معين (٧ - ٧) سقط مابين الرقمين من ظ. (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: لجمع (٩) من ظ ومد، وفى الاصل: ينهزم. (١٠) من ظ و مد، و فى الاصل: فتشوق

و فرعون - الذى تقرون بأنه[1] ربكم - كان إذ ذاك عدما محضا، أو ماء صرفا[2] فى ظهر أبيه، فبطل كون [3]أحد منهم[3] ربا لمن بعده/ كما بطل كون أحد[4] ممن قبلهم من الهالكين ربا لهم، لأن الكل عدم. ٧٢٢ /

فلما أوضح بذلك بطلان ما حملهم على اعتقاده من ربوبيته لم يتمالك أن ﴿قال[5] ان رسولكم﴾ على طريق التهكم، إشارة إلى أن الرسول ينبغى أن يكون[6] أعقل الناس؛ ثم زاد الأمر [وضوحا] بقوله: ﴿الذى ارسل اليكم﴾ أى و أنتم أعقل الناس ﴿لمجنون ه﴾ حيث لا يفهم أنى أسأله عن حقيقة [7]مرسله فكيف يصلح[7] للرسالة من[8] الملوك.

فلما أساء الأدب، [فاشتد تشوف السامع إلى معرفة جوابه عنه، استأنف تعالى الإخبار بذلك، فحكى أنه -[9]] ذكر له ما لا يمكنه أن يدعى طاعته له، [و هو أكثر تغيراً و أعجب تنقلا -[9]] بأن ﴿قال رب المشرق و المغرب﴾ أى الشروق و الغروب و وقتها و موضعهما ﴿و ما بينهما[1]﴾ أى من الناس الذين ليسوا فى طاعتكم، و الحيوان و الجماد، بسبب ما ترون من قدرته على تقليب النيرات من بزوغ الشمس و القمر و النجوم و أفولها [و ما يظهر عنهما من الليل و النهار -[9]] على [10]تصاريف مختلفة، و حركات متقاربة[10]،

(١) من مد، وفى الأصل وظ: انه (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: صرفنا. (٣ - ٣) من ظ و مد، وفى الأصل: احدكم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: احدكم (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) زيد فى الأصل: عاقلا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧ - ٧) فى ظ: رسلة فكيف يصح (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٩) زيد من ظ و مد (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

[1]لو لا هى لما علمتم شيئا من أموركم، و لا تمكنتم من أحوالكم[1]، و هذا الدليل أبين الكل لتكرر الحركة فيه و غير ذلك من معالمه، و لذلك[2] بهت نمرود لما ألقاه عليه الخليل عليه الصلاة و السلام .

و لما [دعاه صلى الله عليه و سلم باللين -[3]] فأساء[4] الأدب عليه فى الجواب الماضى، ختم هذا البرهان[5] بقوله : ﴿ان كنتم تعقلون﴾ أى فأنتم تعلمون ذلك، فخيرهم بين الإقرار بالجنون أو العقل، بما أشار إليه من الأدلة فى مقابلة ما نسبوه إليه من الجنون بسكوتهم[6] و قول عظيمهم بغير شبهة، ردا لهم عن الضلالة، و إنقاذا من واضح الجهالة، [فكان قوله أنكأ مع انه ألطف، و أوضح مع أنه أستر و أشرف -[3]] .

فلما علم أنه قد قطعه بما أوضح[7] من الأمر، و وصل معه فى الغلظة إلى ما إن سكت عنه أوهن[8] من حاله، و فتر من عزائم رجاله، [تكلم بما السكوت أولى منه، فأخبر تعالى عنه بقوله -[3]] : ﴿ قال ﴾ عادلا عن الحجاج بعد الخوض فيه إلى المغالبة التى هى أبين علامات الانقطاع : ﴿ لئن اتخذت الها غيرى ﴾ أى تعمدت أخذه [و أفردته بتوجيه جميع قصدك إليه -[3]] ﴿لاجعلنك من المسجونين﴾ أى واحدا ممن هم[9] فى سجونى على ما تعلم [من حالى فى اقتدارى، و من

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : لهذا .
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : اساه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : القرآن (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : بشكوتهم .
(٧) زيد فى الأصل : به . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : اوضح (٩) فى ظ : هو .

يجوني في فظاعتها، و من حال من فيها من شدة الجصر، و الغلظ في الحجر -[١]] ﴿ قال ﴾ مدافعا بالتي هي أحسن إرخاء للعنان، لإرادة البيان، حتى لا يبقى عذر لإنسان، رجاء النزوع[٢] عن الطغيان، و الرجوع إلى[٣] الإيمان، [لأن من العادة الجارية السكون إلى الإنصاف، و الرجوع إلى الحق و الاعتراف -[١]] ﴿ او لو ﴾ أي أتسجنني و لو ﴿ جئتك بشيء مبين ﴾ أي لرسالتي ﴿ قال ﴾ طمعا في أن يجد موضعا للتكذيب أو التلبيس[٤] : ﴿ فات به ﴾ أي تسبب عن قولك هـذا أني أقول لك : ائت بذلك الشيء ﴿ ان كنت ﴾ [أي كونا أنت راسخ فيه -[٥]] ﴿ من الصدقين ﴾ [أي فيما ادعيت من الرسالة و البينة -[١]]، و هذا إشارة إلى أنه بكلامه المتقدم قد صار عنده في غير عدادهم، [و لزم عليه أنه لا يأتي بالمعجزة إلا الصادق لأنها تصديق من الله للمدعي، و عادته سبحانه و تعالى جارية في أنه لا يصدق الكاذب -[١]] ﴿ فالقى ﴾ أي فتسبب عن ذلك و تعقبه أن ألقى. [و لما كان الكلام مع -[١]] موسى عليه السلام، [فكان إضماره غير ملبس، لم يصرح باسمه اكتفاء بضميره فقال -[١]] : ﴿ عصاه ﴾ أي التي تقدم في غير سورة أن الله تعالى أراه آياتها ﴿ فاذا هي ثعبان ﴾ أي حية في غاية الكبر ﴿ مبين ﴾ أي ظاهر الثعبانية، لا شك عند رائيه فيه، لا كما يكون عند الأمور السحرية [من التخييلات و التشبيهات -[١]]

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و في الأصل : الروغ، و في ظ : النزاع (٣) من ظ و مد، و في الأصل : عن (٤) زيد في ظ : قال. (٥) زيد من مد.

﴿ و نزع يده ﴾ أى التى كانت احترقت لما أخذ الجمرة و هو فى حجر فرعون، و بذل فرعون جهده فى علاجها بجميع من قدر عليه من الأطباء فعجز عن إبرائها، نزعها من جيبه بعد أن أراه[1] إياها على ما يعهده منها[2] ثم أدخلها فى جيبه ﴿ فاذا هى ﴾ بعد النزع ﴿ بيضآء للنظرين ﴾ أى بياضا[3] تتوفر الدواعى على نظره لخروجه عن العادة بأن له نورا كنور الشمس يكاد يغشى الأبصار ﴿ قال ﴾ أى فرعون ﴿ للملا حوله ﴾ لما وضح [له -[4]] الأمر، يموه [على -[4]] عقولهم خوفا من إيمانهم: ﴿ ان هذا لسحر عليم ﴾ أى شديد المعرفة بالسحر، و خص فى هذه السورة إسناد هذا الكلام إليه لأن السياق كله لتخصيصه بالخطاب لما تقدم، و نظرا إلى "ظلت اعناقهم لها خضعين" لأن[5] خضوعه هو خضوع من دونه، فدلالته على ذلك أظهر، و لا ينفى ذلك أن يكون قومه قالوه إظهارا للطواعية - كما مضى فى الأعراف[6].

و لما أوقفهم بما خيلهم به، أحامهم لأنفسهم فقال[7] ملقيا لجلباب الأنفة لما[8] قهره من سلطان المعجزة: ﴿ يريد ان يخرجكم من ارضكم ﴾ أى هذه التى هى قوامكم ﴿ بسحره فماذا ﴾ أى بسبب ما أتى به منه، فانه يوجب استتباع الناس فيتمكن مما يريد [بهم -[9]]؛ ثم قال لقومه - الذين كان يزعم أنهم عبيده و أنه إلههم - ما دل على أنه خارت قواه،

(١) من ظ و مد. و فى الأصل: ابراه (٢) فى ظ: منه (٣) فى ظ: بيضا.
(٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل «و» (٦) راجع آية ١٠٩.
(٧) من ظ و مد. و فى الأصل: و قال (٨) فى ظ: لمن (٩) زيد من مد.

فحط عن منكبيه كبرياء الربوبية ، و ارتعدت فرائصه حتى جعل نفسه مأمورا بعد أن كان يدعى كونه آمرا بل إلها قادرا : ﴿ فما ذا تأمرون ۝ ﴾ أى فى مدافعته عما يريد بنا ﴿ قالوآ ﴾ أى الملأ الذين كانوا يأتمرون به قبل الهجرة ليقتلوه : ﴿ ارجه ﴾ أى أخره ﴿ و اخاه ﴾ و لم يأمروا بقتله و لا بشىء مما يقاربه ـ فسبحان من يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده فيهابه[1] كل شىء و لا يهاب هو غير خالقه ﴿ و ابعث فى المدآئن حشرين ۝ ﴾ أى رجالا يحشرون السحرة ، و أصل الحشر الجمع بكرة ﴿ ياتوك ﴾ و كأنهم فهموا شدة قلقه فسكنوه بالتعبير باداة الإحاطة و صيغة المبالغة فقالوا : ﴿ بكل سحار ﴾ أى بليغ السحر ﴿ عليم ۝ ﴾ أى متناه فى العلم به بعد ما تناهى فى التجربة ؛ و عبر بالبناء للفعول إشارة إلى عظمة ملكه فقال : ﴿ فجمع ﴾ أى بأيسر أمر لما له عندهم من العظمة ﴿ السحرة ﴾ كما تقدم غير مرة ﴿ لميقات يوم معلوم ۝ ﴾ فى زمانه و مكانه ، و هو ضحى يوم الزينة كما سلف فى طه[2] ، و عن ابن عباس[3] رضى الله عنهما أنه وافق يوم السبت فى أول يوم من سنتهم ، و هو يوم النيروز . ﴿ و قيل ﴾ أى بقول من يقبل لكونه عن فرعون ﴿ للناس ﴾ أى كافة حثا لهم على الإسراع إلى[4] الاجتماع بأمر فرعون ، و امتحانا لهم هل رجعوا عن[5] دينه ، علما منه بأن ما ظهر من المعجزة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهابه (٢) راجع آية ٥٩ (٣) ذكر قوله فى معالم التنزيل ـ راجع هامش اللباب ٥ / ٩٦ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : على . (٥) فى ظ : الى .

- التى منها عجزه عن نوع أذى لمن واجهه بما لا مطمع فى مواجهته بأدناه - لم يدع لبسا فى أنه مربوب مقهور، و أن ذلك موجب[1] لاتباع موسى عليه السلام: ﴿هل انتم مجتمعون﴾ أى [اجتماعا أنتم راسخون فيه لكونه بالقلوب كما هو بالأبدان -[2]]، كلكم ليكون أهيب لكم، [و زين لهم هذا القائل البقاء على ما كانوا عليه من الباطل بذكر جانب السحرة و إن كان شرط فيه الغلبة، و لم يسمح بذكر جانب موسى عليه السلام فقال -[2]]:[3] ﴿لعلنا نتبع السحرة﴾ لأن من امتثل أمر الملك كان حاله حال من يرجى منه اتباع حزبه [3]﴿ان كانوا هم﴾ [أى خاصة -[2]] ﴿الغٰلبين﴾ أى [غلبة لا يشك فى أنها ناشئة عن مكنة -[2]] و نعرض عن أمر موسى الذى تنازع الملك فى أمره، [و هذا مرادهم فى الحقيقة، و عبر بهذا كناية عنه لأنه أدل على عظمة الملك -[2]]، و عبر بأداة الشك إظهارا للانصاف، و استجلابا للناس، مع تقديرهم[4] لقطعهم بظفر السحرة، لما رسخ فى أذهانهم فى الأزمنة المتطاولة / من الضلال الذى لا غفلة لإبليس عن تزيينه[5] مع أن تغيير المألوف أمر فى غاية العسر، و قال: ﴿فلما﴾ بالفاء إيذانا بسرعة حشرهم، إشارة إلى ضخامة ملكه، و وفور عظمته ﴿جآء السحرة﴾ أى الذين كانوا فى جميع بلاد مصر ﴿قالوا لفرعون﴾ مشترطين[6] الأجر فى حال الحاجة إلى الفعل ليكون ذلك أجدر[7] بحسن الوعد، و نجاح القصد ﴿ائن لنا لاجرا﴾

/ ٧٢٤

(١) فى ظ: يوجب (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) من ظ ومد. وفى الأصل: تعريضهم (٥) فى ظ: ترتيبه، وفى مد: تربيه.
(٦) فى ظ و مد: مشرطين (٧) زيد فى الأصل: الى الفعلين، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

و ساقوه مساق الاستفهام أدبا معه ، و قالوا : ﴿ان كنا﴾ أى كونا نحن راسخون فيه ﴿نحن﴾ خاصة ﴿الغلبين ٥﴾ بأداة الشك مع جزمهم بالغلبة تخويفا له بأنه [إن - [1]] لم يحسن فى وعدهم لم ينصحوا له ؛ ثم قيل فى جواب من كأنه سأل عن جوابه : ﴿قال﴾ مجيبا إلى ما سألوا :

٥ ﴿نعم﴾ أى لكم ذلك ؛ و زادهم ما لا أحسن منه عند أهل الدنيا مؤكدا له فقال : ﴿و انكم اذاً﴾ أى إذا غلبتم ﴿لمن المقربين ٥﴾ أى عندى ، و زاد "اذاً" هنا زيادة فى التأكيد لما [2] يتضمن ذلك من إبعاده عن الإيمان من وضوح البرهان ، تخفيفا على المخاطب بهذا كله صلى الله عليه و سلم ، تسلية له فى الحمل على نفسه أن لا يكون من يدعوهم مؤمنين ، و [3] ما بعد

١٠ ذلك [3] من مسارعة السحرة للايمان - بعد ما ذكر من إقسامهم بعزته بغاية التأكيد - تحقيق لآية / " فظلت اعناقهم لها خضعين " .

و لما تشوف السامع إلى جواب [4] نبى الله تعالى [4] موسى عليه الصلاة و السلام ، أجيب بقوله : ﴿قال لهم موسى [5]﴾ عليه السلام ، أى مريدا لإبطال سحرهم لأنه لا يتمكن منه إلا بالقائهم ، لا لمجرد إلقائهم ، غير مبال

١٥ بهم فى كثرة و لا علم [بعد - [1]] ما خيروه - كما فى غير هذه السورة : ﴿القوا ما انتم ملقون ٥﴾ كائنا ما كان ، ازدراء له [6] بالنسبة إلى أمر الله ﴿فالقوا﴾ أى فتسبب عن قول موسى عليه السلام و تعقبه ان ألقوا ﴿حبالهم و عصيهم﴾ التى أعدوها للسحر ﴿و قالوا﴾ مقسمين :

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : ما (٣-٣) فى ظ : ما نعدولك (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد ، ٥ سقط من ظ .

﴿بعزة فرعون﴾ مؤكدين بأنواع التأكيد ﴿انا لنحن﴾ أى خاصة لانستثنى ﴿الغلبون ه﴾ قول واثق من نفسه مزمع على أن لايدع بابا من السحر يعرفه إلا أتى به ، فكل من حلف بغير الله كأن يقول : و حياة فلان ، و حق رأسه - و نحو ذلك ، فهو تابع لهذه الجاهلية .

و لما قدم[1] إضمار اسم موسى عليه السلام فى الإلقاء الأول لأن الكلام كان معه ، فلم يكن إلباس[2] فى أنه الفاعل ، و [3]كان الكلام[3] هنا فى السحرة ، و ختموا بذكر فرعون و عزته ، صرح باسم موسى عليه الصلاة و السلام لنفى اللبس فقال : ﴿فالقى﴾ أى فتسبب عن صنع[4] السحرة و تعقبه أن ألقى ﴿موسى﴾ و قابل جماعة ما ألقوه بمفرد ما ألقى ، لأنه أدل على المعجزة ، فقال : ﴿عصاه﴾ أى التى جعلناها آية له ، و تسبب عن إلقائه قوله : ﴿فاذا هى تلقف﴾ أى تبتلع فى الحال بسرعة و نهمة ﴿ما يافكون ه﴾ أى يصرفونه عن وجهه و حقيقته التى هى الجمادية بحيلهم و تخييلهم إلى ظن أنه حيات تسعى ﴿فالقى﴾ أى عقب فعلها من غير[5] تلبث ﴿السحرة سجدين ه﴾ [أى فسجدوا بسرعة عظيمة -[6]] حتى كأن ملقيا ألقاهم [بغير اختيارهم -[6]] من قوة إسراعهم ، علما منهم بأن هذا من عند الله ، فأمسوا أتقياء بررة ، بعد ما جاؤا فى صبح ذلك اليوم سحرة .

و لما كان كأنه قيل : هذا فعلهم ، فما كان قولهم ؟ قيل :

---

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : تقدم (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : البالى - كذا (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بان الكلام (٤) فى ظ : مواضع - كذا (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ و مد .

/٧٢٥ ﴿قالوآ ءامنا / برب العلمين﴾ أى الذى دعا إليه موسى عليه السلام أول ما تكلم ؛ ثم خصوه كشفا لتلبيس فرعون بما لايحتمل غيره فقالوا بيانا: ﴿ رب ﴾ و لم يدع داع هنا إلى العدول عن الأصل ، فقال عبارة عن كلامهم : ﴿موسىٰ و هرون﴾ أى اللذين أحسنا إلينا بالتنبيه عليه ، و الهداية ٥ إليه ، و صدقهما بما أجرى على أيديهما .

و لما خاف فرعون اتباع الناس لهم ، لما يرون مما هالهم من أمرهم ، وكان قد تقدم ما[1] يعرف أن المنكر عليهم فرعون نفسه ، قال تعالى مخبرا عنه : ﴿ قال ﴾ من غير ذكر الفاعل - أى فرعون - لعدم اللبس ، [و مقصود السورة غـير مقتض للتصريح كما فى الأعراف[2] بل ملائم ١٠ للاعراض عنه و الإراحة منه -[3]] ، منكرا مبادرا موهما لأنه إنما يعاقب على المبادرة بغير إذن ، لا على نفس الفعل ، و أنه ما غرضه إلاالتثبت ليؤخر [4]بهذا التخييل الناسَ[4] عن المبادرة بالإيمان إلى وقت ما ﴿ ءامنتم له ﴾ أى لموسى[5] عليه السلام ، أفرده بالضمير لأنه الأصل فى هذه الرسالة ، و[6] حقيقة الكلام : أوقعتم[7] التصديق بما أخبر به عن الله لأجله إعظاما له ١٥ بذلك ﴿قبل ان ءاذن لكم﴾ أى فى الإيمان ؛ ثم علل فعلهم بما يقتضى أنه عن مكر و خداع ، لا [عن -[8]] حسن اتباع ، فقال : ﴿ انه ﴾ أى

(١) فى ظ : فيما (٢) راجع آية ١٢٣ (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذا التخيل للناس (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : موسى (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوقعه (٨) زيد من مد .

موسى عليه السلام ﴿ لكبيركم ﴾ .

و لما كان هذا مشعرا[1] بنسبته له[2] إلى السحر ، و أنه أعلم منهم به ، فلذلك غلبهم ، أوضحه بقوله : ﴿الذى علمكم السحر﴾ فتواعدتم[3] معه على هذا الفعل ، لتنزعوا الملك من أربابه ، هذا و كل من سمعه[4] يعلم كذبه قطعا ، فان موسى عليه السلام ما ربى إلا فى بيته ، و استمرّ حتى فر منهم إلى مدين ، لايعلم سحرا ، و لا ألم بساحر ، و لا سافر إلا إلى مدين ، ثم لم يرجع إلا داعيا إلى الله ، و لكن الكذب غالب على قطر مصر ، و أهلها أسرع شيء سماعا له و انقيادا به .

و لما أوقف السامعين بما خيلهم به من هذا الباطل المعلوم البطلان لكل ذى بصيرة ، أكد المنع بالتهديد فقال : ﴿فلسوف تعلمون﴾ أى ما أفعل بكم ، أى فتسبب عما فعلتم أنى أعاقبكم عقوبة محققة عظيمة ، و أتى بأداة التنفيس خشية من أن لايقدر عليهم فيعلم الجميع عجزه فيؤمنوا ، مع ما فيها فى الحقيقة على السحرة من التأكيد فى الوعيد الذى لم يؤثر عندهم فى جنب ما أشهدهم[6] الله من الآية التى مكنتهم فى مقام الخضوع ؛ ثم فسر ما أبهم بقوله : ﴿لاقطعن﴾ بصيغة التفعيل لكثرة القطع و المقطوعين ﴿ ايديكم و ارجلكم ﴾ [ثم -[6]] بين كيفية تقطيعها فقال : ﴿ من خلاف ﴾ و زاد فى التهويل فقال[7] : ﴿و لاوصلبنكم اجمعين﴾

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : مشعر (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : فتواجدتم.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يسمعه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشهدتهم (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : قال .

ثم استأنف تعالى حكاية [1]جوابهم بقوله[1]: ﴿قالوا﴾ .

[و لما كان قد تقدم هنا أنهم أثبتوا له عزة توجب مزيد الخوف منه، حسن قولهم -[2]]: ﴿لا ضير﴾ أى لا[2] ضرر أصلا علينا [1]تحصل به المكنة منا[1] [فيما هددتنا به، بل لنا فى الصبر عليه إن وقع أعظم الجزاء من الله، و ورد -[2]] النفى الشامل فى هذه السورة إيذانا بأنه لم يقدر فرعون على عذابهم، تحقيقا لما فى أول القصة من الإشارة إلى ذلك بـ "كلا" و "مستمعون" فان الإمكان من تابعى موسى عليه السلام يؤذيه و يضيق صدره، و لما يأتى فى القصص[5] من صريح العبارة فى قوله "انا و من اتبعكما / الغلبون" . [ثم -[2]] عللوا ذلك بقولهم: /٧٢٦

﴿انا﴾ أى بفعلك ذلك فينا إن قدرك الله عليه ﴿الى ربنا﴾ أى المحسن إلينا وحده ﴿منقلبون[4]﴾ أى و لابد لنا من الموت، فلنكن على ما حكم به ربنا من الحالات، و إنما حكمك على هذا الجسد ساعة من نهار، ثم لاحكم على الروح إلا لله[6] الذى هو جدير بأن يثيبنا على ذلك نعيم الأبد. و ذلك معنى قولهم معللين ما قبله: ﴿انا نطمع ان يغفر﴾ أى يستر سترا بليغا ﴿لنا ربنا﴾ الذى أحسن إلينا بالهداية ﴿خطيئاتنا﴾ أى التى قدمناها على كثرتها؛ ثم عللوا طمعهم مع كثرة الخطايا بقولهم: ﴿ان كنا﴾ أى كونا هو لنا كالجبلة ﴿اول المؤمنين[4]﴾ أى من أهل هذا المشهد، و عبروا بالطمع إشارة إلى أن جميع أسباب السعادة منه تعالى،

(١-١) من ظ ومد، وفى الأصل: ضر - كذ (٢) زيد من ظ ومد (٣) سقط من مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٥) آية ٣٥ (٦) فى ظ: الله.

فكأنه لا سبب منهم أصلا .

و لما قص سبحانه من حال الدعاء ما كفى فى التسلية من قصد هذين النبيين بالأذى و التهكم بمن دعوا إليه ، و جعلهما الأعليين ، [و -[1]] لم يضرهما ضعفهما و قلتهما ، و لا نفع عدوهما قوته و كثرته ، شرع يسلى[2] بما أوقعه فى حال السير ، فقال طاويا [3]ما بقى[3] منه لأن هذا ذكّر به ، عاطفا على [هذه -[4]] القصة : ﴿و اوحينآ﴾ أى بما لنا من العظمة حين أردنا فصل الأمر و إنجاز الموعود ﴿الى موسىٓ ان اسر﴾ أى سر ليلا ، حال[5] اشتغال فرعون و جنوده بموت أبكارهم[6] و تجهيزهم لهم ﴿بعبادىٓ﴾ أى بنى إسرائيل [الذين كرمتهم -[1]] مصاحبا[7] لهم إلى ناحية بحر القلزم ، غير مبال بفرعون و لا منزعج[8] منه ، و تزودوا اللحم و الخبز الفطير للاسراع ، و الطخوا أعتابكم بالدم ، لأنى أوصيت الملائكة الذين يقتلون الأبكار أن لايدخلوا بيتا على بابه دم ؛ ثم علل أمره له بالسير[9] فى الليل بقوله[10] : ﴿انكم متبعون ۝﴾ أى لا تظن أنهم لكثرة ما رأوا من الآيات يكفون عن اتباعكم ، فأسرع بالخروج لتبعدوا عنهم إلى الموضع الذى قدرت فى الأزل أن يظهر فيه مجدى[11] ، و المراد توافيهم عند البحر ،

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : يشكى (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالقى (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : حين (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انكارهم (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : صاحبا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تنزعج (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى امره (١٠) من ظ ومد ، و فى الأصل : فى قوله (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مجرى .

[و -[1]] لم يكتم اتباعهم عن موسى عليه السلام لعدم تأثره[2] به لما تحقق عنده من الحفظ لما تقدم به الوعد الشريف بذلك التأكيد .

و لما كان التقدير : فأسرى بهم امتثالا للأمر بعد نصف الليل ، عطف عليه قوله : ﴿ فارسل فرعون ﴾ أى لما أصبح و أعلم بهم ﴿ فى المدآئن حشرين ﴾ أى رجالا يجمعون الجنود بقوة و سطوة و إن كرهوا ، و يقولون تقوية[3] لقلوبهم و تحريكا لهممهم : ﴿ ان هؤلآء ﴾ إشارة بأداة القرب تحقيرا لهم إلى أنهم فى القبضة و إن بعدوا ، لما بهم من العجز ، و بآل فرعون من القوة ، فليسوا بحيث يخاف قوتهم و لا ممانعتهم ﴿ لشرذمة ﴾ أى طائفة و قطعة من الناس .

و لما كانت قلتهم[4] إنما هى بالنسبة إلى [كثرة - [1]] آل فرعون و قوتهم و ما لهم عليهم من هيبة الاستعباد[5] ، و كان التعبير بالشرذمة موهما لأنهم فى غاية القلة ، أزال هذا الوهم بالتعبير بالجمع دون المفرد ليفيد أنه خبر بعد خبر ، لا صفة ، و أن التعبير بالشرذمة إنما هو للاشارة إلى تفرق القلوب ، و الجمع و لا سيما ما للسلامة مع كونه / أيضا /٧٢٧ للقلة أدل على أنهم أوزاع ، و فيه أيضا إشارة إلى أنهم مع ضعفهم بقلة العدد آيسون[6] من إسعاف بمدد ، و ليس لهم أهبة لقتال لعدم العدة[7]

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : قاثره (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقوله (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : قتلتهم (٥) فى ظ : الاستبعاد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ايسرن (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : القوة .

لأنهم

لأنهم لم يكونوا قط فى عداد[1] من يقاتل كما تقول لمن تزدريه : هو أقل من [أن -[2]] يفعل كذا ، فقال : ﴿ قليلون ﴾ أى بالنسبة إلى ما لنا من الجنود التى لا تحصى و إن كانوا فى أنفسهم كثيرين ، فلا كثرة لهم تمنعكم أيها المحشورون من اتباعهم[3] ؛ قال البغوى[4] عن ابن مسعود رضى الله عنها : كانوا ستمائة ألف[5] و تسعين ألفا ، و لا يحصى عدد أصحاب فرعون - انتهى . و كل هذا بيان لأن فرعون مع تناهى عظمته لم يقدر على أثر ما فى موسى عليه السلام و لا[6] من اتبعه تحقيقا لما[7] تقدم من الوعد به أول القصة[8] .

و لما ذكر ما يمنع الخوف من اتباعهم ، ذكر ما يوجب الحث عليه و يحذر من التقاعس عنه فقال : ﴿ و انهم لنا ﴾ و نحن على ما نحن عليه من الكثرة و العظمة ﴿ لغائظون ﴾ أى بما فجعونا به من أنفسهم و ما استعاروه من الزينة من أوانى الذهب و الفضة و فاخر الكسوة ، فلا رحمة فى قلوبكم تحميهم[9] .

و لما كان مدار مادة «شرذم[10]» على التقطع . فكان فى التعبير بها إشارة إلى أنهم مع القلة متفرقون ليسوا على قلب واحد ، و ذكر أن

(١) فى ظ : عدد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اتباعكم
(٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٩٧ (٥) ليس فى المعالم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمن (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : العصمة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : تجمهم .
(١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : شرذمة .

فى اتباعهم شفاء الغلل[1]، أتبعه ما[2] ينفى عن المتقاعد العلل، فقال: ﴿ و انا لجميع ﴾ أى أنا و أنتم جماعة واحدة مجتمعون بايالة الملك على قلب واحد.

و لما أشار بهذا الخبر إلى ضد[3] ما عليه بنو إسراءيل مع قلتهم مما هو سبب للجرأة عليهم، أخبر بخبر ثان يزيد الجرأة عليهم، و فيه مضادة لما أشير إليه بـ «قليلون» من الاستضعاف فقال: ﴿ حذرون ﴾ أى و نحن - مع إجماع قلوبنا - من شأننا و طبعنا الحذر، فنحن لا نزال على أهبة القتال، و مقارعة الأبطال، لاعائق لنا عنه بسفر و لابغيره، أما من جهتى فبافاضة[4] الأموال عليكم، و إدرار الأرزاق فيكم[5]، و وضع الأشياء فى مواضعها فى الأرض و الرجال، و أما من جهتكم فباستعمال الأمانة من طاعة الملك فى وضع كل ما يعطيكم فى مواضعه من إعداد السلاح و المراكب و الزاد، و جميع ما يحتاج إليه المحارب، مع ما لكم من[6] العزة و القوة و شماخة الأنوف و عظم النفوس مع الجرأة و الإقدام و الثبات فى وقف[7] الحقائق، المحفوظ بالعقل المحوط بالجزم[8] المانع من اجتراء الأخصام عليكم، و مكرهم لديكم، فانه يحكى أنه [كان -[9]] يتصرف فى خراج مصر بأن يجزئه أربعة أجزاء: أحدها لوزرائه و كتابه و جنده،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: العليل (٢) فى ظ: بما (٣) فى ظ: حذر.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فباضافة (٥) فى ظ: عليكم (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: وقت (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بالعزم و الحزم.
(٩) زيد من ظ و مد.

و الثانى لحفر الأنهار و عمل الجسور ، و الثالث له و لولده ، و الرابع يفرق فى مدن الكور ، فان لحقهم ظمأ[1] أو استبحار أو فساد علة أو موت عوامل قوّاهم به[2] ؛ روى أنه قصده قوم فقالوا : نحتاج [إلى -[3]] أن نحفر خليجا [لنعمر -[3]] ضياعنا ، فأذن فى ذلك / و استعمل عليهم عاملا[4] فاستكثر ما حمل من خراج تلك الناحية إلى بيت المال ، فسأل [عن مبلغ -[3]] ما أنفقوه على خليجهم ، فاذا هو مائة ألف دينار ، فأمر بحملها إليهم فامتنعوا من قبولها ، فقال : اطرحوها عليهم ، فان الملك إذا استغنى بمال[5] رعيته افتقر و افتقروا ، و أن الرعية إذا استغنت بمال ملكهم استغنى و استغنوا . /٧٢٨

و لما كان التقدير : فأطاعوا أمره ، و نفروا على كل صعب ذلول[6] ، عطف عليه قوله معلما بما آل إليه أمرهم : ﴿ فأخرجنٰهم ﴾ [أى -[3]] بما لنا من القدرة ، إخراجا حثيثا مما لا يسمح أحد بالخروج منه ﴿ من جنّٰت ﴾ أى بساتين يحق لها أن تذكر ﴿ و عيون ﴾ لا يحتاج معها إلى نيل و لا مطر ﴿ و كنوز ﴾ من الأموال تعرف بمقدار ما هم فيه من النعم الفاضلة عنهم ، [مع -[3]] ما هم فيه من تمام الاستعداد لمثل هذا المراد ﴿ و مقام ﴾ من المنازل ﴿ كريم ﴾ [أى على صفة ترضى الرائى له -[3]] لأنه على النهاية من الحسن لا يقال فيه : ليته كان كذا ، أو كان فيه كذا .

و لما كان الخروج عن مثل هذا مما يستنكر[7] ، أشار إلى عظمة القدرة

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : امرا ظلما (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : غلاما (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلوا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يستلزم .

عليه بقوله : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل ذلك الإخراج العجيب الذى أراده فرعون من قومه فى السرعة و كمال الهيبة[1] أخرجناهم[2] نحن بأن يسرنا له و لهم ذلك ، و وفرنا لهم الأسباب ، لما اقتضته حكمتنا ، أو مثل ذلك الخروج الذى قصصناه عليك أخرجناهم[2] ، أى كان الواقع من خروجهم مطابقا لما عبرنا به عنه[3] ، أو الأمر الذى قصصناه كله كما قلنا [و -[4]] أولها أقعدها و أحسنها و أجودها ﴿ و اورثنها ﴾ أى تلك النعم السرية بمجرد خروجهم بالقوة و باهلاكهم بالفعل ﴿ بنى اسرآءيل ﴾ أى جعلناهم بحيث يرثونها[5] لأنا لم نبق لهم مانعا يمنعهم منها بعد أن كانوا مستعبدين[6] تحت أيدى أربابها ، و أما إرثهم لها بالفعل ففيه نظر لقوله فى الدخان[7] « قوما آخرين » .

و لما وصف الإخراج ، وصف أثره فقال مرتبا عليه بالفعل و على الإيراث بالقوة : ﴿ فاتبعوهم ﴾ أى جعلوا أنفسهم تابعة لهم ﴿ مشرقين ﴾ أى داخلين فى وقت شروق الشمس ، أى طلوعها من صبيحة الليلة التى سار فى نصفها[8] بنو إسراءيل ، و لو لا تقدير العزيز العليم بخرق ذلك للعادة لم يكن على حكم العادة فى أقل من عشرة[9] أيام ، فانه [10]أمر يعجز[10] الملوك مثله ، فيا له من حشر ما أسرعه ! و جهاز ما أوسعه ! و استمروا

(١) فى مد : الهبة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنهم (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : يورثونها (٦) فى ظ : مستبعدين .
(٧) راجع آية ٢٨ (٨) فى ظ : بضعها (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : عشر .
(١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : من العجز .

إلى

إلى أن لحقوهم عند بحر القلزم كما تقدم فى الأعراف شرح[1] ذلك عن التوراة، و تقدم سر تسييرهم فى [2]تلك الطريق[2] ﴿ فلما ترآء الجمعن ﴾ أى صارا بحيث يرى كل منهما الآخر ﴿ قال اصحب موسى[3] ﴾ ضعفا و عجزا استصحابا لما كانوا فيه عندهم من الذل، و لأنهم أقل منهم بكثير بحيث يقال: إن طليعة آل فرعون كانت على عدد بنى إسراءيل، و ذلك محقق ٥ لتقليل فرعون لهم، وكأنه[3] عبر عنهم بـ «اصحب» دون «بنى اسراءيل» لأنه كان قد آمن كثير من غيرهم: ﴿ انا لمدركون ﴾ أى لأنهم[4] قد وصلوا و[5] لاطريق لنا و قد صرنا بين سدين من حديد و[5] ماء، العدو وراءنا و الماء أمامنا ﴿قال﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام وثوقا[6] بوعد الله، ناطقا بمثل ما كلمه به / ربه فى أول القصة من قوله: ١٠ / ٧٢٩ ﴿ كلا ﴾ أى لا يدركونكم أصلا؛ ثم علل ذلك تسكينا لهم بقوله: ﴿ ان معى ربى ﴾ فكأنهم قالوا: [7]و ما[7] ذا عساه يفعل و قد وصلوا؟ قال: ﴿ سيهدين ﴾ أى بوعد مؤكد عن[8] قرب، إلى ما أفعل مما[9] فيه خلاصكم، و تقدم فى براءة سر تقديم المعية و خصوصها و التعبير باسم الرب ﴿ فاوحينآ ﴾ أى فتسبب عن كلامه الدال على المراقبة أنا ١٥ أوحينا؛ و نوه باسمه[10] الكريم جزاء له على ثقته [به -[11]] سبحانه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: شرع (٢-٢) فى ظ: ذلك الطريقة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: كان (٤) فى ظ: انهم (٥) فى ظ: او (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: و ثوق (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٩) فى ظ: ما (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: باسم (١١) زيد من ظ و مد.

فقال : ﴿ الى موسىٰ ﴾ و فسر الوحى الذى فيه معنى القول بقوله : ﴿ ان اضرب بعصاك البحر ﴾ أى الذى أمامكم ، و هو بحر القلزم الذى يتوصل أهل مصر منه إلى الطور و إلى مكة المشرفة و ما والاها ﴿ فانفلق ﴾ أى[1] فضربه فانشق [بسبب ضربه -[2]] لما ضربه امتثالا لأمر الله و صار اثنى عشر فرقا على عدد أسباطهم ﴿ فكان كل فرق ﴾ أى جزء[3] و قسم عظيم منه ﴿ كالطود ﴾ أى الجبل فى إشرافه و طوله و صلابته بعدم السيلان ﴿ العظيم ﴾ المتطاول فى السماء الثابت لايتزلزل ، لأن الماء كان منبسطا فى أرض البحر ، فلما انفرق [و انكشفت فيه الطرق -[2]] انضم بعضه إلى بعض فاستطال و ارتفع فى السماء .

١٠ و لما كان التقدير : فأدخلنا كل شعب منهم فى طريق من تلك الطرق ، عطف عليه : ﴿ و ازلفنا ﴾ أى قربنا بعظمتنا من قوم موسى عليه السلام ؛ قال البغوى[4] . قال أبو عبيدة : جمعنا ، و منه ليلة المزدلفة ، أى ليلة الجمع .

و لما كان هذا الجمع فى غاية العظمة و علو الرتبة ، أشار إلى ذلك

١٥ بأداة البعد فقال : ﴿ ثم ﴾ أى هنالك ، فانها [ظرف -[2]] مكان للبعيد ﴿ الأخرين ﴾ أى فرعون و جنوده ﴿ و انجينا موسىٰ و من معه ﴾ و هم الذين اتبعوه من قومه و غيرهم ﴿ اجمعين ﴾ أى لم نقدر على أحد

(١) وقع فى الأصل قبل « لما ضربه » و الترتيب من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : جنة (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٩٨ .

منهم الهلاك .

[1]و لما كان الإغراق بما به الإنجاء - مع كونه أمرا هائلا - عجيبا و بعيدا ، عبر بأداة البعد فقال[1] : ﴿ ثم اغرقنا ﴾ أى إغراقا هو على حسب عظمتنا ﴿ الأخرين ﴾ أى فرعون و قومه أجمعين ، لم يفلت منهم أحد[2] .

و لما قام عذر موسى عليه السلام فيما استدفعه أول القصة من كيد فرعون بما ثبت له من العظمة و المكنة فى كثرة الجند و عظيم الطاعة منهم له فى سرعة الاجتماع الدالة على مكنتهم فى أنفسهم ، و عظمته فى قلوبهم ، رغبة و رهبة ، و ظهر مجد الله فى تحقيق ما وعد به سبحانه من الحراسة ، و زاد ما أقر به العيون ، و شرح به الصدور ، و كان ذلك أمرا يهز[3] القوى سماعه ، و يروع الأسماع[4] تصوره و ذكره ، قال منبها على ذلك : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم العالى الرتبة من قصة موسى و فرعون و ما فيها من العظات ﴿ لآية ﴾ أى علامة عظيمة على ما قال الرسول موجبة للايمان به من[5] أن الصانع واحد فاعل بالاختيار ، قادر على كل شىء ، و أنه رسوله حقا ﴿ و ما كان اكثرهم ﴾ أى [6]الذين شاهدوها و الذين وعظوا[6] بسماعها ﴿ مؤمنين ﴾ أى متصفين بالإيمان الثابت ، أما القبط فما آمن منهم إلا السحرة و مؤمن آل فرعون و امرأة فرعون

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تهز (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الافهام (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٦-٦) فى ظ : الذى شاهدوه و الذى غطوا - كذا .

و المرأة التى دلتهم على عظام يوسف عليه السلام -[1] على ما يقال[1]، و أما
/٧٣٠ بنو إسرائيل فكان كثير منهم / مزلزلا يتعنت كل قليل، و يقول و يفعل
ما هو كفر، حتى تداركهم[2] الله تعالى على يدى موسى عليه السلام
و من بعده، و أول ما كان من ذلك سؤالهم إثر مجاوزة البحر أن
٥ يجعل لهم[3] إلها كالأصنام التى[4] مروا عليها، و أما غيرهم ممن تأخر عنهم
فحالهم معروف، و أمرهم مشاهد مكشوف ﴿ و ان ربك ﴾ أى المحسن
إليك باعلاء أمرك، و استنقاذ الناس من ظلام الجهل على يدك
﴿ لهو العزيز ﴾ أى القادر على الانتقام من كل فاجر ﴿ الرحيم ﴾
أى الفاعل فعل البليغ الرحمة، فهو يمهل و يدر النعم، و يحوط من النقم،
١٠ و لا يهمل، بل يرسل رسلا، و ينزل معهم ما يبين به ما يرضيه و ما
يسخطه، فلا يهلك إلا بعد الإعذار. فلا تستوحش[5] ممن لم يؤمن،
و لا يهمنك ذلك.

و لما أتم سبحانه ما أراد من قصة موسى عليه السلام، أتبعه دلالة على
رحيميته قصة إبراهيم عليه السلام لما تقدم أنه[6] شاركه فيه مما يسلى عما وقع
١٥ ذكره عنهم من التعنتات[7] فى الفرقان[8]، و لما اختص به من مقارعة أبيه
و قومه فى الأوثان، و هو أعظم آباء العرب، ليكون ذلك حاملا لهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) فى مد: يتداركهم (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى ظ: الذى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فلا يستوحش. (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: النفشات (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: القرآن.

على تقليده فى التوحيد إن كانوا لاينفكون عن التقليد ، و زاجرا عن استعظام تسفيه آبائهم فى عبادتها ، و تعبيرُه سبحانه[1] للسياق قبل و بعد ، و تعبيرُه بقوله - : ﴿ و اتل ﴾ أى اقرأ قراءة متتابعة - مرجح[2] للتقدير الأول فى " و اذ[3] " من جعله ' اذكر ' و تغييره[4] فى التعبير بها لسياق ما تقدم و ما تأخر لتنبيه العرب على اتباعه لما لهم به من الخصوصية ٥ ﴿ عليهم ﴾ أى على هؤلاء المغترين بالأوثان ، المنكرين لرسالة البشر ﴿ نبا ابرٰهيم ﴾ أى خبره العظيم فى مثل ذلك ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قال لابيه و قومه ﴾ منبها لهم على ضلالهم ، لا مستعلما[5] لأنه كان عالما بحقيقة حالهم : ﴿ ما ﴾ [أى -[6]] أىّ شىء ، [و صور لهم حالهم تنبيها لهم على قباحتها فعبر بالمضارع فقال - [7]] : ﴿ تعبدون ﴾ أى ١٠ تواظبون على عبادته ﴿ قالوا ﴾ مبتهجين[8] بسؤاله ، مظهرين الافتخار[9] فى جوابهم باطالة الكلام : ﴿ نعبد اصناما فنظل ﴾ اى فيتسبب عن عبادتنا لها أنا نوفى حق العبادة بأن ندوم ﴿ لها عٰكفين ﴾ أى مطيفين بها على سبيل المواظبة متراكمين بعضنا[10] خلف بعض حابسين[11] أنفسنا تعظيما

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : رجح (٣) فى ظ : اذا (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : تعبيره (٥) من مد ، و فى الأصل وظ : مستعملا (٦) زيد من مد . (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ ، و فى الأصل : منبهجين ، و فى مد : منتهجين - كذا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : للافتخار (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعضهم (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : خاسيين .

لها، فجروا على منوال هؤلاء فى [داء -[1]] التقليد الناشئ عن الجهل بنفس العبادة [و -[1]] بظنهم مع ذلك أنهم على طائل كبير، و أمر عظيم، ظفروا به، مع غفلة الخلق عنه - كما دل عليه خطابهم[2] فى هذا الكلام الذى كان يغنى عنه كلمة واحدة، و هذا [هو -[2]] الذى أوجب تفسير الظلول بمطلق الدوام و إن كان معناه الدوام بقيد النهار، و كأنهم قصدوا بما يدل على النهار - الذى هو موضع الاشتغال و السهرة[3] - الدلالة[4] على الليل من باب الأولى، مع شيوع استعماله أيضا مطلقا نحو " فظلت اعناقهم لها خاضعين "، [و زاد قوم إبراهيم عليه السلام أن استمروا على ضلالهم و أبوه معهم فكانوا حطب النار، و لم يتمكن من إنقاذهم من ذلك، و لم تكن لهم حيلة إلا دعاؤهم، فهو أجدر بشديد الحزن و بخع نفسه عليهم و هو موضع التسلية -[1]] .

و لما فهم عنهم هذه الرغبة، أخذ يزهدهم فيها بطريق الاستفهام الذى لا أنصف منه عن أوصاف يلجئهم السؤال إلى الاعتراف بسلبها[5] عنهم، مع علم كل عاقل إذا تعقل أنه لا تصح رتبة الإلهية مع فقد واحدة منها، فكيف مع فقدها كلها ؟ فقال تعالى / مخبرا عنه : ﴿قال﴾ ٧٣١ / معبرا عنها إنصافا بما[6] يعبر به عن العقلاء لتنزيلهم إياها منزلتهم :

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : خطابتهم - كذا .
(٣) فى ظ و مد : الشهرة (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : الدالة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : سلبها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : لما .

﴿ هل يسمعونكم ﴾ أى دعاءكم مجرد سماع ؛ ثم[1] صور لهم حالهم ليمعنوا[2] الفكر فيه ، فقال معبرا بظرف ماض و فعل مضارع تنبيها على استحضار جميع[3] الزمان ليكون ذلك أبلغ فى التبكيت : ﴿ اذ تدعون ﴾ أى استحضروا أحوالكم معهم من أول عبادتكم لهم و إلى الآن : هل سمعوكم وقتا ما ؟ ليكون ذلك مرجيا[4] لكم لحصول نفع منهم فى وقت ما . ٥

و لما كان الإنسان قد يعكف على الشىء - و هو غير سامع - لكن لنفعه له فى نفسه أو ضره لعدوه كالنار مثلا ، و كان محط حال العابد و الداعى بالقصد الأول و بالذات جلب النفع ، قال : ﴿ او ينفعونكم ﴾ أى على العبادة[5] كما ينفع أقل شىء تقتنونه ﴿ او يضرون ﴾ على الترك ﴿ قالوا ﴾ : لا و الله ! ليس عندهم شىء من ذلك ﴿ بل وجدنآ ءآبآءنا كذلك ﴾ ١٠ أى مثل[6] فعلنا هذا[7] العالى الشأن ؛ ثم صوروا حالة آبائهم فى نفوسهم تعظيما لأمرهم فقالوا : ﴿ يفعلون ﴾ أى فنحن نفعل كما فعلوا لأنهم حقيقون[8] منا بأن لا نخالفهم ، مع سبقهم لنا إلى الوجود ، فهم أرصن منا عقولا ، وأعظم تجربة ، فلولا أنهم رأوا ذلك حسنا ، ما واظبوا عليه ،

---

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليمنعوا - كذا .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : رجوع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : موجبا (٥) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٦) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزياة فى ظ و مد فحذفناها (٧) زيد فى الأصل : الفعل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : حقيقيون .

[هذا -[1]] مع أنهم لو سلكوا طريقا حسية[2] حصل لهم منها ضرر حسى[3] ما سلكوها قط ، و لكن [4]هذا الدين[4] يهون على الناس فيه التقليد بالباطل قديما و حديثا .

و لما وصلوا إلى التقليد[5] المحض الخالى عن أدنى نظر كما تفعل البهائم و الطير فى تبعها[6] لأولها ﴿قال﴾ معرضا عن جواب كلامهم بنقص ، إشارة إلى أنه ساقط لا يرتضيه من شم[7] رائحة الرجولية : ﴿افرءيتم﴾ أى فتسبب عن قولكم هذا أنى أقول لكم : أرأيتم ، أى إن لم تكونوا رأيتموهم[8] رؤية موجبة لتحقق أمرهم فانظروهم نظرا شافيا ﴿ما كنتم﴾ أى كونا هو كالجبلة لكم ﴿تعبدون ۝﴾ مواظبين على عبادتهم ﴿انتم﴾ .

و لما أجابوه بالتقليد ، قال لهم[9] ما معناه ، رقوا تقليدكم هذا إلى أقصى غاياته ، فان التقدم و الأولوية لا تكون برهانا على الصحة ، و الباطل لا ينقلب حقا بالقدم ، و ذلك مراده من[10] قوله : ﴿و ءابآؤكم الاقدمون ۝﴾ أى[11] الذين هم أقدم ما يكونون : هل لهم وصف غير ما أقررتم به

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : حسنة (٣) من ظ ومد ، و فى الأصل : حتى . (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : هكذا الذى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : النقلية (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : نظرها اتبعها - كذا (٧) من ظ ومد ، وفى الأصل : ثم (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : رايتموه (٩) زيد فى الأصل : كلا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (١١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .

من

من عدم السماع و النفع و الضر ؟ ﴿ فانهم ﴾ أى فتسبب عن رؤيتكم و وصفكم لهم بما ذكرتم أنى أخبركم إخبارا مؤكدا أنهم .

و لما كانت صيغة[1] فعول للمبالغة ، أغنت [2]فى العدو[2] و الصديق عن صيغة الجمع و لا سيما و هى شبيهة[3] بالمصادر كالقبول و الصهيل ، فقال مخبرا عن ضمير الجمع : ﴿ عدو لى ﴾ أى أناصفهم[4] بالسوء و أعاملهم[5] فى إبطالهم و محقهم معاملة الأعداء و كل من عبدهم كما قال فى الآية الأخرى[6] " لقد كنتم انتم و اباؤكم فى ضلل مبين " ، " اف لكم و لما تعبدون من دون الله " و " تالله لاكيدن اصنامكم " .

و لما كانوا[7] هم مشركين[8] ، و كان فى آبائهم الأقدمين من عبد الله وحده ، قال : ﴿ الا رب العلمين ﴾ أى مدبر هذه الأكوان كلها - كما قال موسى عليه السلام - لأن ذلك أشهر الأوصاف و أظهرها ، فانه ليس بعدوى ، بل هو وليّى و معبودى ؛ ثم شرع يصفه بما [هم -[9]] به / عالمون من أنه على الضد الأقصى من كل ما عليه أصنامهم فقال : ﴿ الذى ﴾ و لما لم يكن أحد يدعى الخلق لم يحتج إلى ما يدل على الاختصاص فقال : ﴿ خلقنى ﴾ أى أوجدنى على هيئة التقدير و التصوير

/ ٧٣٢

(١) فى ظ : صفة (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : التصرف (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : شبهته (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : اناصبهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعاطيهم (٦) راجع من سورة الأنبياء آية ٥٤ و ٦٧ و ٥٧ (٧) فى ظ : كان (٨) من مد ، و فى الأصل : مشتركين ، و فى ظ : مشركون (٩) زيد من ظ و مد .

﴿فهو﴾ أى فتسبب عن تفرده بخلق[1] أنه هو لا غيره ﴿يهدين﴾ أى[2] إلى الرشاد، و لأنه لا يعلم باطن المخلوق و يقدر على كمال التصرف فيه غير خالقه، [و لا يكون خالقه إلا سميعا بصيرا ضارا نافعا، له الكمال كله، و لا شك أن الخلق للجسد، و الهداية للروح، و بالخلق و الهداية يحصل جميع المنافع، و الإنسان له قالب من عالم الخلق، و قالب[3] من عالم الأمر، و تركيب القالب مقدم -[4]] كما ظهر بهذه الآية، [و لقوله "فاذا سويته و نفخت فيه من روحى" و أمثال ذلك، و ذكر الخلق بالماضى لأنه لا يتجدد فى الدنيا، و الهداية بالمضارع لتجددها و تكررها دينا و دنيا -[4]] ﴿و الذى هو﴾ أى لا غيره ﴿يطعمنى و يسقين﴾ و لو أراد لأعدم ما آكل و ما أشرب[5] أو أصابنى بآفة لا أستطيع معها أكلا و لا شربا.

و لما كان المرض ضررا، نزهه عن نسبته إليه أدبا و إن كانت نسبة الكل إليه سبحانه معلومة، بقوله: ﴿و اذا مرضت﴾ باستيلاء بعض الأخلاط على بعض لما بينها[6] من التنافر الطبيعى ﴿فهو﴾ أى وحده ﴿يشفين﴾ بسبب تعديل المزاج بتعديل[7] الأخلاط و قسرها على الاجتماع و الاعتدال. لا طبيب[8] و لا غيره و إن تسببت أنا فى أمراض نفسى ببرد أو حر أو طعام أتناوله أو غير ذلك لأنه قادر على ما يريد.

---

(١) فى ظ و مد: بخلقه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل و مد: قلب.
(٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) فى ظ: شرب (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: بينهما (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: تسبب عن تعديل.
(٨) من ظ و مد، و فى الأصل: طيب.

و لما كان الإنسان مطبوعا على الاجتهاد فى حفظ حياته و بقاء مهجته، نسب[1] فعل الموت إليه إعظاما[2] للقدرة فقال: ﴿ و الذى يميتنى ﴾ أى حسا و إن اجتهدت فى دفع الموت، [3]و معنى و إن اجتهدت فى دفع الجهل[3].

و لما كان الإحياء حسا بالروح و معنى بالهداية عظيما، أتى بأداة التراخى لذلك و لطول المكث فى البرزخ فقال: ﴿ ثم يحيين[4] ﴾ للمجازاة فى الآخرة كما شفانى من[5] المرض و إن وصلت إلى حد لا أرجى فيه، و لم[6] يأت هنا بما يدل على الحصر لأنه [لا ـ[6]] مدعى للاحياء و الإماتة إلا[7] ما ذكره سبحانه عن نمرود فى سورة البقرة[8]، و أن إبراهيم عليه السلام أبهته ببيان عجزه فى إظهار صورة من مكان[9] من الأمكنة بلا شرط من روح و لا غيرها، و إذا عجز عن ذلك كان عجزه عن إيجاد صورة أبين، فكيف إذا انضم إلى ذلك إفادتها روحا أو سلبها منها، فعدّ ادعاؤه لذلك ـ مع القاطع المحسوس الذى أبهته[10] ـ عدما، و الله أعلم.

و لما ذكر البعث، ذكر ما يترتب عليه فقال: ﴿ و الذىّ اطمع ﴾ هضما لنفسه[11] و اطراحا لأعماله و إشارة إلى أنها بالنسبة إلى الحضرة الأعظمية غير قادرة لها حق قدرها، فان الطمع كما قال الحرالى فى البقرة

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: فسبب (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: اعظا.
(٣-٣) ما بين الرقمين بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد (٤) فى ظ: فى.
(٥) فى ظ: لما (٦) زيد من ظ ومد (٧) فى ظ: ان (٨) آية ٢٥٨ (٩) من ظ ومد، و فى الأصل: المكان (١٠) زيد فى الأصل: و بهت غيره، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١١) فى ظ: الى نفسه.

[1] تعلق البال [1] بالشيء من غير تقدم سبب - انتهى . فلذلك لم يعدله عملا ﴿ ان يغفر ﴾ أى يمحو و يستر .

و لما كان الله سبحانه منزها عن الغرض ، فكانت المغفرة لحظ العبد ليس غير ، قال : ﴿ لى ﴾ [و أسند الخطيئة إليه هضما لنفسه و تواضعا لربه فقال -[2]] : ﴿ خطيئتى ﴾ أى تقصيرى عن أن أقدره حق قدره ، فان الضعيف العاجز لايبلغ كل ما ينبغى من خدمة العلى الكبير ، و ما فعله فهو باقداره سبحانه فلا صنع له فى الحقيقة أصلا ﴿ يوم الدين [4] ﴾ أى [3] / الجزاء . / ٧٣٣

و لما أثنى [على -[2]] الله تعالى بما [هو -[2]] أهله ، و ختم بذكر هذا اليوم العظيم ، دعا بما ينجى من هوله ، فدل صنيعه على أن تقديم الثناء على السؤال [4] أمر مهم ، و له فى الإجابة أثر عظيم ، فقال ملتفتا إلى مقام المشاهدة إشارة [5] إلى أن الأمر مهول ، و أنه لاينقذ من خطره إلا عظيم القدرة ، لما طبعت عليه النفس من النقائص : ﴿ رب ﴾ أى [6] [أيها -[2]] المحسن إلىّ ﴿ هب لى حكما ﴾ أى عملا متقنا بالعلم ، و أصله بناء الشيء على ما توجبه الحكمة . و لما كان الاعتماد إنما هو على محض الكرم ، فان من نوقش الحساب عذب ، قال : ﴿ و الحقنى بالصلحين [6] ﴾ أى الذين جعلتهم أئمة للمتقين فى الدنيا و الآخرة ، و هم من كان قوله

(١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : نغلق الباب (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل : يوم الدين يوم ، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٤) فى ظ : الرسول - كذا (٥) فى ظ : فاشار (٦) سقط من ظ .

و فعله صافيا[1] عن شوب فساد .

و لما كان الصالح قد لا[2] يظهر عمله ، و كان إظهار[3] الله له مجلبة للدعاء[4] و زيادة فى الأجر ، قال : ﴿و اجعل لى لسان صدق﴾ أى ذكرا[5] جميلا ، و قبولا عاما ، و ثناء حسنا ، بما أظهرت منى من خصال الخير ﴿فى الآخرين ۝﴾ أى الناس الذين يوجدون بعدى إلى يوم الدين ، لأكون للمتقين إماما ، فيكون لى مثل أجورهم ، فان « من سن سنة حسنة كان له أجرها و أجر من عمل بها إلى يوم القيامة » و قد كان ذلك إجابة من الله تعالى لدعائه ، و من أعظمه أن[6] جعله الله شجرة مباركة فرع منها الأنبياء الذين أحيي بهم عليهم الصلاة و السلام [7]ذكره الذى[7] من أعظمه ما كان على لسان أعظمهم النبي الأمى صلى الله عليه و سلم من قوله « صل على محمد كما صليت على إبراهيم » إلى آخره .

و لما طلب سعادة الدنيا ، و كانت لا نفع لها[8] إلا باتصالها بسعادة الآخرة التى هى الجنة ، و كانت الجنة لا تنال إلا بمنه ، [9]لا بشىء من ذلك ، و لذلك شبه إدخالها بالإرث[10] الذى يحصل بغير اكتساب من الوارث و هو أقوى أسباب الملك ، قال[11] : ﴿و اجعلنى﴾ أى مع ذلك كله

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مصافيا (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : اظهر .
(٤) فى ظ : بالدعاء (٥) فى مد : ذكر (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى .
(٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كثرة الدين (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بها (٩) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .
(١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالارض (١١) فى ظ : فقال .

بفضلك و رحمتك ﴿ من ورثة جنة النعيم ﴾ .

و لما دعا لنفسه ، ثنى بأحق الخلق[1] ببره فقال : ﴿ و اغفر لابى ﴾ ثم علل دعاءه بقوله : ﴿ انه كان ﴾ فى أيام حياته ﴿ من الضآلين ﴾ و الظاهر أن هـذا كان قبل معرفته بتأبيد شقائه[2] ، و لذلك قال : ﴿ و لا تخزنى ﴾ أى تهنى بموته على ما يوجب دخوله النار[3] و لا بغير ذلك ﴿ يوم يبعثون ﴾ أى هؤلاء المنكرون للبعث ، و كأن هذا الدعاء كان بحضورهم فى الإنكار عليهم فى عبادة الأصنام ، و الظاهر أن تخصيص الدعاء بأبيه لأن أمه كانت آمنت كما ورد عن ...[4] فقد صح أنه يقول يوم القيامة : يا رب ! إنك[5] وعدتنى ألا تخزنى ، أىّ خزى[6] أخزى من أبى الأبعد ، فيبدل الله صورة أبيه صورة ذيخ ثم يلقى به فى النار - كما رواه البخارى فى غير موضع[7] عن أبى هريرة رضى الله عنه ، و أن الله تعالى يقول له : إنى حرمت الجنة على الكافرين . و لو كانت أمه كافرة لسأله[8] فيها .

/٧٣٤ و لما / نبه على أن المقصود هو الآخرة ، صرح بالتزهيد فى الدنيا بتحقير[9] أجل ما فيها فقال : ﴿ يوم لاينفع ﴾ أى أحدا ﴿ مال ﴾ أى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحق (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : شقاوته (٣) فى ظ : للنار (٤) بياض فى الأصول يساوى عشر كلمات (٥) فى ظ و مد : قد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تخزى - كذا (٧) راجع مثلا باب قول الله عز وجل "و اتخذ الله ابراهيم خليلا" من كتاب الأنبياء (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لسال (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : تحقير .

يفتدى [به - [1]] أو[2] يبذله لشافع أو ناصر مقاهر ﴿ و لا بنون ﴾ ينتصر بهم أو يعتضد فكيف بغيرهم ﴿ الا من اتى الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الغنى المطلق فى هذا الموطن ﴿ بقلب سليم ﴾ أى عن مرض غيّره عن الفطرة الأولى[3] التى فطره[4] الله عليها ، و هى الإسلام الذى رأسه التوحيد ، و الاستقامة على فعل الخير ، و حفظ طريق السنة كما ٥ تنتج البهيمة بهيمة جمعاء ليس فيها من جدعاء فان "المال و البنون" ينفعانه بما تصرف[5] فيهما من خير ، [6]و الاستثناء[6] مفرغ ، و الظاهر أن قوله - ﴿ و ازلفت ﴾ أى قربت بأيسر [وجه - [1]] - حال من واو "يبعثون" ﴿ الجنة للتقين ﴾ و عرف أهل الموقف أنها لهم خاصة تعجيلا لسرورهم و زيادة فى شرفهم ﴿ و برزت ﴾ أى كشفت كشفا عظيما سهلا ١٠ ﴿ الجحيم ﴾ أى النار الشديدة التأجج ، و أصلها نار عظيمة فى مهواة بعضها فوق بعض ﴿ للغوين ﴾ أى الضالين الهالكين بحيث عرف أهل الموقف أنها لهم ﴿ و قيل لهم ﴾ تبكيتا و تنديما و توبيخا ، و أبهم القائل ليصلح لكل أحد ، تحقيرا لهم ، و لأن المنكى[7] نفس القول لا كونه من معين : ﴿ اينما كنتم ﴾ بتسلك[7] الأخلاق التى هى كالجبلات[8] ﴿ تعبدون ﴾ أى ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اى (٣) موضعه نقاط فى ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فطر (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يصرف (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فالاستثناء (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتلك (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : كالجهلات - كذا .

فى الدنيا على سبيل التجديد و الاستمرار . [١]و حقر معبوداتهم بقوله[١] ﴿من دون﴾ [أى من أدنى رتبة من رتب -[٢]] ﴿الله[٤]﴾ أى الملك الذى لا كفوء له، و كنتم تزعمون أنهم يشفعون لكم و يقونكم شر هذا اليوم ﴿هل ينصرونكم﴾ فيمنعون عنكم ما برز لكم ﴿او ينتصرون[٥]﴾ أى هم بالدفع عن أنفسهم .

و لما تسبب عن هذا التبريز و القول إظهار قدرته تعالى [و -[٢]] عجزهم بقذفهم فيها قال: ﴿فكبكبوا﴾ أى الأصنام و نحوها، قلبوا و صرعوا و رموا، قلبا عظيما مكررا سريعا [من كل من أمره الله بقلبهم -[٢]] بعد هذا السؤال، إظهارا لعجزهم بالفعل حتى عن الجواب قبل الجواب ﴿فيها﴾ أى فى مهواة[٣] الجحيم قلبا عنيفا مضاعفا كثيرا بعضهم فى أثر بعض ﴿هم﴾ أى الأصنام و ما شابهها[٤] مما عبد من الشياطين و نحوهم ﴿و الغاوون[٦]﴾ أى الذى ضلوا بهم ﴿و جنود ابليس﴾ من شياطين الإنس و الجن ﴿اجمعون[٧]﴾ .

و لما علم بهـــذا أنهم لم يتمكنوا من قول فى جواب استفهامهم توبيخا، و كان من المعلوم أن الإنسان مطبوع على أن يقول فى كل شىء ينوبه ما يثيره له إدراكه مما يرى أنه يرد من غلته، و ينفع من علته، تشوف السامع [إلى معرفة -[٢]] قولهم بعد الكبكبة، فأشير إلى ذلك

(١-١) ما بين الرقمين بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل : سهوات (٤) من ظ و مد. و فى الأصل : شابهما - كذا.

بقوله

بقوله : ﴿ قالوا ﴾ أى العبدة ﴿ و هم فيها ﴾ أى الجحيم ﴿ يختصمون ۙ ﴾ أى مع[1] المعبودات : ﴿ تالله ﴾ أى الذى له جميع الكمال ﴿ ان كنا لفى ضلل مبين ۙ ﴾ أى ظاهر جدا لمن كان له قلب ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ نسويكم ﴾ فى[2] الرتبـــة ﴿ برب العلمين ۝ ﴾ أى الذين[3] فطرهم و دبرهم حتى عبدناكم ﴿ و ما اضلنا ﴾ أى ذلك[4] الضلال المبين عن الطريق البين ﴿ الا المجرمون ۝ ﴾ ٥ / أى العريقون فى صفة الإجرام ، المقتضى لقطع كل ما ينبغى أن يوصل ٧٣٥ / ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه ما ﴿ لنا ﴾ اليوم[5] ؛ و زادوا فى تعميم النفى بزيادة الجار فقالوا : ﴿ من شافعين ۙ ﴾ يكونون سببا لإدخالنا الجنة ، لأنا صرفنا ما كان يجب علينا لذى[6] الأمر إلى من لا أمر له ؛ و لعله لم يفرد الشافع لأنهم دخلوا فى الشفاعة العظمى . ١٠

و لما كان الصديق قد لا يكون أهلا لأن يشفع[7] ، قالوا تأسفا على أقل ما يمكن : ﴿ و لا صديق ﴾ أى يصدق فى ودنا ليفعل ما ينفعنا . و لما كان أصدق الصداقة ما كان من[8] القريب قال : ﴿ حميم ۝ ﴾ أى قريب ، و أصله المصافى[9] الذى يحرقه ما يحرقك ، لأنا قاطعنا بذلك كل من له أمر فى هذا اليوم ؛ و أفرد تعميما للنفى و إشارة إلى قلتـــه فى ١٥ حد ذاته أو عدمه .

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : أى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تلك (٥) سقط من ظ و مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينفع (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٩) فى ظ : الصافى .

و لما وقعوا فى هذا الهلاك ، و انتفى عنهم الخلاص ، تسبب عنه تمنيهم المحال فقالوا : ﴿ فلو ان لنا كرة ﴾ أى رجعة إلى الدنيا ﴿ فنكون من المؤمنين ۝ ﴾ أى الذين صار الإيمان لهم وصفا لا زما ، فأزلفت لهم الجنة .

٥ و لما كان فى هذه القصة أعظم زاجر[1] عن الشرك ، و آمر بالإيمان ، نبه على ذلك بقوله : ﴿ان فى ذلك﴾ أى هذا الأمر العظيم الذى قصصته من قول إبراهيم عليه السلام فى إقامة البرهان على إبطال الأوثان ، و نصب الدليل على أنه لا حق إلا الملك[2] الجليل الديان ، و ترغيبه و ترهيبه و إرشاده[3] إلى التزود فى [4]أيام المهلة[4] ﴿ لآية[5] ﴾ أى عظيمة على بطلان ١٠ الباطل و حقوق الحق ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه ما ﴿ كان اكثرهم ﴾ أى الذين شهدوا منه هذا الأمر العظيم و الذين سمعوه عنه ﴿ مؤمنين ۝ ﴾ أى بحيث صار الإيمان صفة لهم ثابتة ، و فى ذلك أعظم تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم بأعظم آبائه عليهم الصلاة و السلام ﴿ و ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بارسالك و هداية الأمة بك[5] ﴿ لهو العزيز ﴾ أى القادر ١٥ على إيقاع النقمة بكل من خالفه حين يخالفه ﴿ الرحيم ۝ ﴾ أى الفاعل فعل الراحم فى إمهاله العصاة مع إدرار النعم ، و دفع النقم ، و إرسال الرسل ، و نصب الشرائع ، لبيان ما يرضاه ليتبع ، و ما يسخطه ليتجنب ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : زاجرا (٢) فى ظ : للملك (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الايام المهملة (٥) سقط من ظ .

فلا يهلك إلا بعد إقامة الحجة بإيضاح المحجة .

و لما أتم سبحانه قصة الأب الأعظم الأقرب ، أتبعها - دلالة على وصفى العزة و الرحمة - قصة الأب الثانى ، مقدما لها على[1] غيرها ، لما له من القدم فى الزمان ، إعلاما بأن البلاء قديم ، و لأنها أدل على صفتى الرحمة و النقمة التى هى أثر العزة بطول الإملاء لهم على طول مدتهم ، ٥ ثم تعميم النقمة مع كونهم جميع أهل الأرض فقال : ﴿ كذبت ﴾ باثبات التاء اختيارا للتأنيث - و إن كان تذكير القوم أشهر - للتنبيه على أن فعلهم أخس الأفعال ، [أو إلى أنهم مع عتوهم و كثرتهم كانوا عليه سبحانه أهون شيء و أضعفه بحيث جعلهم هباء منثورا و كذا من بعدهم -[2]] ﴿قوم نوح﴾ و هم أهل الأرض كلهم من الآدميين قبل اختلاف الأمم ١٠ بتفرق اللغات ﴿ المرسلين ﷺ ﴾ أى بتكذيبهم نوحا عليه السلام ، لأنه أقام الدليل على نبوته بالمعجزة ، و من كذب بمعجزة[3] / واحدة فقد كذب ٧٣٦ / بجميع المعجزات لتساوى أقدامها فى الدلالة على صدق الرسول ، و قد سئل الحسن البصرى رحمه الله تعالى عن ذلك فقال : من كذب واحدا من الرسل فقد كذب الكل لأن الآخر جاء بما جاء به الأول - حكاه ١٥ عنه البغوى[4] . و لقصد التسلية عبر بالتكذيب فى كل قصة ﴿ اذ ﴾ أى[5] حين ﴿قال لهم﴾ لم يتأنوا بطلب دليل ، و لا ابتغاء وجه جميل ؛ و أشار إلى نسبه[6] فيهم بقوله : ﴿ اخوهم ﴾ زيادة فى تسلية هذا النبى الكريم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : معجزة .
(٤) راجع المعالم على هامش اللباب ٥/١٠٠ (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : نسبة .

﴿ نوح ﴾ و أشار إلى حسن أدبه، و استجلابهم برفقه و لينه، بقوله: ﴿ الا تتقون ﴾ أى[1] تكون لكم تقوى، و هى[2] خوف يحملكم على أن تجعلوا [بينكم - [3]] و بين سخطه وقاية بطاعته بالتوحيد و ترك الالتفات إلى غيره؛ ثم علل أهليته للأمر عليهم بقوله: ﴿ انى لكم ﴾ [أى -[3]] مع كونى أخاكم يسوءنى ما يسوءكم و يسرنى ما يسركم ﴿ رسول ﴾ أى من عند خالقكم، فلا مندوحة لى عن إبلاغ ما أمرت به ﴿ امين ﴾ أى لا غش عندى كما تعلمون ذلك منى على طول خبرتكم بى، و لا خيانة فى شىء من الأمانة، فلذلك لا بد لى من [4]إبلاغ جميع[4] الرسالة.

و لما عرض عليهم التقوى بالرفق، و علل ذلك بما ثبت به أمرها، تسبب عنه الجزم بالأمر[5] فقال: ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى أوجدوا الخوف و الحذر و التحرز [6]من الذى[6] اختص بالجلال و الجمال، مبادرين إلى ذلك بتوحيده لتحرزوا أصل السعادة فتكونوا من أهل الجنة ﴿ و اطيعون ﴾ أى فى كل ما آمركم لتحرزوا[7] رتبة الكمال فى ذلك، فلا يمسكم عذاب.

و لما أثبت أمانته[8]، نفى تهمته فقال: ﴿ و ما اسئلكم عليه ﴾ أى على هذا الحال الذى أتيتكم به؛ و أشار إلى الإعراق فى النفى بقوله: ﴿ من اجر ﴾ [أى - [3]] ليظن ظان[9] أنى جعلت الدعاء سببا له؛ ثم

(١) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: هو (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: جميع بليغ - كذا (٥) سقط من ظ (٦ - ٦) فى ظ و مد: للذى. (٧) فى ظ: لتحوزوا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: امامته (٩) سقط من ظ و مد.

أكد هذا النفى بقوله : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ اجرى ﴾ أى فى دعائى لكم ﴿ الا على رب العلمين ﴾ أى الذى دبر جميع الخلائق و ربأهم .

و لما انتفت التهمة ، تسبب عن انتفائها أيضا ما قدمه ، فأعاده إعلاما بالاهتمام بذلك زيادة فى الشفقة عليهم [و تأكيدا له فى قلوبهم تنبيها على أن الأمر فى غاية العظمة لما يعلم من قلوبهم من شدة الجلافة -[1]] ٥ فقال : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى الذى حاز جميع صفات العظمة ﴿ و اطيعون ﴾ .

و لما قام الدليل على نصحه و أمانته ، أجابوا بما ينظر[2] إلى محض الدنيا كما أجاب من قال من أشراف العرب "ما لهذا الرسول" الآيات ، و قال : لو طردت هؤلاء الضعفاء لرجونا أن نتبعك حتى نزل فى ذلك " و لا تطرد الذين يدعون ربهم " و نحوها من الآيات ، بأن ﴿ قالوآ ﴾ ١٠ أى قومه ، منكرين لاتباعه استنادا[3] إلى داء الكبر الذى ينشأ منه بطر الحق و غمط الناس - أى احتقارهم : ﴿ انؤمن لك ﴾ أى لأجل قولك هذا و ما أثبته من أوصافك ﴿ و ﴾ الحال أنه قد[4] ﴿ اتبعك الارذلون ﴾ أى المؤخرون فى الحال و المآل ، و الأحوال و الأفعال ، فيكون إيماننا بك سببا لاستوائنا معهم ، فلو[5] طردتهم لم يكن لنا ١٥ عذر فى التخلف عنك ، و لا مانع من اتباعك ، فكان ما متعوا به من العرض الفانى[6] مانعا لهم عن السعادة الباقية ، و أما الضعفاء فانكسار قلوبهم و خلوها عن شاغل موجب لإقبالها على الخير

(١) زيد من ظ ومد (٢) فى ظ : شطر (٣) من مد ، وفى الأصل وظ : اسنادا.
(٤) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ ومد فحذفناها (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : و لو (٦) سقط من ظ .

و قبولها له ، لأن الله تعالى عند المنكسرة قلوبهم ، و هكذا قالت قريش فى أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم ، [1]و ما زالت أتباع الرسل كذلك حتى صارت / من سماتهـــم و أماراتهم كما قال هرقل[2] فى سؤاله عن أتباع النبى صلى الله عليه و سلم ، فكان مثال المستكبرين مثال شخص كان آخر دونه بدرجة ، فأصبح فوقه بدرجة ، فأنف من أن يرتقى إلى درجته لئلا يساويه ، و رضى لنفسه أن يكون دونه ، فما أسخف[3] عقله ! و ما أكثر جهله ! فلا شىء أبين[4] من هذا فى أن التقدم[5] فى الأمور الدنيوية داء لا دواء له إلا إماتة النفس بالتبرؤ منه و البعد عنه .

/ ٧٣٧

و لما كانت الجواهر متساوية فى أنها مخلوقات الله ، و إنما تتشرف بآثارهـا ، فالآدمى إنما يشرف أو يرذل[6] بحاله من قاله و فعاله ، أشار إلى أنه إنما يعتبر ما[7] هم عليه الآن من الأحوال الرفيعة ، و الأوصاف البديعة ، فلذلك ﴿ قال ﴾ نافيا لعلمه بما قالوه[8] فى صورة استفهام إنكارى : ﴿ و ما ﴾ أى و أىّ شىء ﴿ علمى بما كانوا يعملون ﴾ أى قبل أن يتبعونى ، أى و ما لى و للبحث عن ذلك ، [9]إنما لى[9] ظاهرهم الآن و هو

---

(١) العبارة من هنا إلى « عليه و سلم » ساقطة من ظ (٢) راجع من صحيح البخارى بابه الأول (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : استخف (٤) موضعه بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : التقديم. (٦) من مد ، و فى الأصل : يرذك ، و فى ظ : يزول (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما (٨) فى ظ و مد : قالوا (٩-٩) فى ظ : اغنانى .

خير ظاهر ، فهم[1] الأشرفون و إن كانوا أفقر الناس و أخسّهم نسبا ، فان الغنى غنى الدين ، و النسب نسب التقوى ؛ ثم أكد أنه لا يبحث عن بواطنهم بقوله : ﴿ان﴾ أى ما ﴿حسابهم﴾ أى فى الماضى و الآتى ﴿الا على ربى﴾ المحسن إلىّ باتباعهم لى [ليكون لى -[2]] مثل أجرهم ، المخفف عنى أن يكلفنى بحسابهم و تعرف بواطنهم ، لأنه المختص بضبط جميع الأعمال ٥ و الحساب عليها[3] ﴿لو تشعرون﴾ أى لو كان لكم نوع شعور لعلمتم ذلك فلم تقولوا ما قلتم مما هو دائر على أمور الدنيا فقط ، و لا نظر له إلى يوم الحساب .

و لما أفهم قوله رد ما أفهمه قولهم من طردهم ، صرح به فى قوله : ﴿ و ما ﴾ أى و لست ﴿انا بطارد المؤمنين﴾ أى الذين صار الإيمان لهم ١٠ وصفا راسخا فلم يرتدوا عنه للطمع فى إيمانكم و لا لغيره من[4] اتباع شهواتكم ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ انا الا نذير ﴾ أى محذر ، لا وكيل مناقش على البواطن ، و لا متعنت على الاتباع ﴿مبين﴾ أوضح ما أرسلت به فلا أدع[5] فيه لبسا .

و لما أيأسهم مما أرادوا من طرد أتباعه لما أوهموا من اتباعه ١٥ لو طردهم خداعا ، أقبلوا على التهديد ، فاستأنف سبحانه الإخبار عن ذلك بقوله : ﴿ قالوا لئن لم تنته ﴾ ثم[6] سموه باسمه جفاء و قلة أدب فقالوا :

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيهم الاشراف (٢) زيد من ظ و مد .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليهما (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن .
(٥) فى ظ : فلا اضع (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى .

﴿ ينوح لتكونن من المرجومين ۝ ﴾ أى المقتولين ، و لاينفعك أتباعك هؤلاء الضعفاء .

و لما أيس منهم [١] بما سمع من المبالغة بالتأكيد فى قولهم ، و رأى بما يصدقه من فعلهم ، قال تعالى مخبرا عنه [١] [جوابا لسؤال من يريد تعرف حاله بعد ذلك -[٢]] : ﴿ قال ﴾ شاكيا إلى الله تعالى ما هو أعلم[٣] به منه توطئة للدعاء عليهم و إلهابا إليه و تهييجا ، معرضا عن تهديدهم له صبرا و احتسابا ، لأنه [من -[٢]] لازم الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ، [و اكتفاء عنه بسببه -[٢]] : ﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ .

و لما كان الحال مقتضيا لأن يصدقوه لما له فى نفسه [من الأمانة ، و بهم من القرابة ، و لما[٤] أقام على ما دعاهم إليه من الأدلة مع ما له فى نفسه -[٢]] من الوضوح ، أكد الإخبار[٥] بتكذيبهم ، إعلاما بوجوده ، و بأنه تحققه منهم من غير شك فقال : ﴿ ان قومى كذبون ۝ ﴾ أى فلا نية لهم فى اتباعى ﴿ فافتح ﴾ أى احكم ﴿ بينى و بينهم فتحا ﴾ أى حكما يكون لى / فيه فرج ، و به من الضيق مخرج[٦] ، فأهلك المبطلين و أنجز ٧٣٨ / حتفهم ﴿ و نجنى و من معى ﴾ أى فى الدين ﴿ من المؤمنين ۝ ﴾ [٧] مما تعذب به الكافرين .

(١ - ١) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « المنكر » س ٨ ، و الترتيب من ظ و مد إلا أن « بما سمع » ليس فيها (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
(٤) فى مد : ما (٥) فى ظ : الاختيار (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : مخرجا .
(٧) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

و لما كان فى إهلاكهم و إنجائه من بديع الصنع ما يجل عن الوصف، أبرزه فى مظهر العظمة فقال: ﴿ فانجيناه و من معه ﴾ أى ممن[1] لايخالفه فى الدين على ضعفهم و قلتهم ﴿ فى الفلك ﴾ و لما كانت سلامة المملوء جدا أغرب قال: ﴿ المشحون ﴾ أى المملوء بمن حمل فيه من الناس و الطير و سائر الحيوان، و ما حمل من زادهم و ما يصلحهم. ٥

و لما كان إغراقهم كلهم من الغرائب عظمه بأداة البعد [و مظهر العظمة -[2]] فقال: ﴿ ثم اغرقنا بعد ﴾ أى بعد حمله[3] الذى هو سبب إنجائه ﴿ الباقين ﴾ أى من بقى على الأرض و لم يركب معه فى السفينة[4] على قوتهم و كثرتهم، [و كان ذلك -[2]] علينا يسيرا.

[و لما -[2]] كان ذلك أمرا باهرا، عظمه بقوله: ﴿ان فى ذلك﴾ ١٠ أى الأمر العظيم من الدعاء و الإمهال ثم الإنجاء و الإهلاك ﴿ لآية[4] ﴾ أى عظيمة لمن شاهد ذلك أو سمع به، على أنا ننتقم ممن عصانا، و ننجى من أطاعنا، و أنه [لا -[2]] أمر لأحد معنا فيهديه[5] إلى الإيمان، و يحمله[6] على الاستسلام و الإذعان ﴿و ما﴾ أى و الحال أنه ما ﴿كان اكثرهم﴾ أى أكثر العالمين بذلك ﴿مؤمنين﴾ و قد كان ينبغى لهم إذ فاتهم الإيمان ١٥ لمحض الدليل أن يبادروا إليه و يركبوا معه حين رأوا أوائل العذاب أو بعد أن ألجمهم الغرق ﴿و ان ربك﴾ المحسن إليك بارسالك، و تكثير أتباعك،

(١) فى ظ: مما (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: حمل.
(٤) زيد فى الأصل: و لما كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٥) فى ظ: فنهديه (٦) فى ظ: نحمله.

و تعظيم أشياعك ﴿ لهو العزيز ﴾ أى القادر بعزته على كل من قسرهم على الطاعة ، و إهلاكهم فى أول أوقات المعصية ﴿ الرحيم ﴾ أى[1] الذى [2]يخص من يشاء[2] من عباده بخالص وداده[3] ، و يرسل إلى الضالين عن محجة العقل القويمة الرسل لبيان ما يجب و ما يكره ، فلا يهلك إلا بعد البيان الشافى ، و الإبلاغ الوافى .

و لما كان كأنه قيل : إن هذا لأمر هائل ، فى مثله موعظة[4] ، فما فعل من جاء بعدهم ؟ هل اتعظ ؟ أجيب بقوله دلالة على الوصفين معا : ﴿ كذبت عاد ﴾ أى تلك القبيلة التى مكن الله لها فى الأرض بعد قوم نوح ﴿ المرسلين ﴾ بالإعراض عن معجزة هود عليه الصلاة و السلام ؛ ثم سلى هذا النبى الكريم صلى الله عليه و سلم بقوله : ﴿ اذ ﴾ [أى حين -[5]] ﴿ قال لهم اخوهم هود ﴾ لم يتوقفوا فى تكذيبه و لم يتأخروا عن وقت دعائه لتأمل و لا غيره ، و قد عرفوا صدق إخائه ، و عظيم نصحه و وفائه ﴿ الا ﴾ بصيغة العرض تأدبا معهم و تلطفا بهم و لينا لهم ﴿ تتقون ﴾ أى تكون منكم تقوى لربكم الذى خلقكم فتعبدوه وحده و لا تشركوا به ما لا يضر و لا ينفع ؛ ثم علل بقوله : ﴿ انى لكم رسول ﴾ أى فهو الذى حملنى على أن أقول لكم ذلك ﴿ امين ﴾ أى لا أكتم عنكم شيئا مما أمرت به و لا أخالف شيئا منه ﴿ فاتقوا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنى أقول لكم : اتقوا ﴿ الله ﴾ الذى هو أعظم[6] من كل شىء ﴿ و اطيعون ﴾ أى فى

(١) سقط من ظ (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : خص من شاء (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : وداه (٤) فى ظ و مد : عظة (٥) زيد من ظ و مد .
(٦) فى ظ : اعلم .

كل ما آمركم به من دوام تعظيمه ﴿وما﴾ أى أنا رسول داع و الحال أنى ما ﴿اسئلكم عليه﴾ أى الدعاء ﴿من اجر﴾ فتتهمونى به ﴿ان﴾ أى ما ﴿اجرى الا على رب العلمين﴾ .

و لما فرغ من الدعاء إلى الأصل، و هو الإيمان بالرسول و المرسل، أتبعه إنكار بعض ما هم عليه مما أوجبه الكفر، / و أوجب الاشتغال به ٥ / ٧٣٩ الثبات على الفى، واعظا لهم [بما -[1]] كان لمن[2] قبلهم من الهلاك، مقدمة على زيادة التأكيد فى التقوى و الطاعة لأن[3] حالهم حال الناسى لذلك الطوفان، الذى أهلك[4] الحيوان، و هدم[5] البنيان فقال: ﴿اتبنون بكل ريع﴾ أى مكان مرتفع؛ قال أبوحيان[6]: و قال أبوعبيدة: الريع[7] الطريق. و قال مجاهد[8]: الفج بين الجبلين[9]، و قيل: السبيل سلك[10] ١٠ أم لم يسلك. و أصله فى اللغة الزيادة ﴿اية﴾ أى علامة على شدتكم لأنه لو كان لهداية أو نحوها لكفى بعض الأرياع دون كلها.

و لما كان إقامة الدليل على قوتهم بمثل[11] ذلك قليل الجدوى عند التأمل، قال: ﴿تعبثون﴾ و العاقل ينبغى له[12] أن يصون أوقاته النفيسة

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: و ان (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اهل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: هدد (٦) راجع البحر المحيط ٧ / ٢٩ (٧) زيد فى ظ و مد: أيضا (٨) راجع روح المعانى ٦ / ٢١٨ (٩) فى ظ و مد: جبلين (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: يسلك (١١) فى ظ: مثل (١٢) سقط من ظ.

عن العبث الذى لايكون سبب نجاته ، وكيف يليق ذلك بمن الموت من ورائه..

و لما كان من يموت لاينبغى له إنكار الموت بفعل و لا قول قال : ﴿ و تتخذون مصانع ﴾ أى أشياء [بأخذ الماء ، أو قصورا مشيدة و حصونا -[1]] تصنعونها ، هى فى إحكامها بحيث تأكل الدهر قوة و ثباتا ، فلا يبنيها إلا من حاله حال الراجى للخلود ، و لذلك قال : ﴿ لعلكم تخلدون ﴾ و هو[2] معنى ما فى البخارى[3] عن ابن عباس رضى الله عنهما من تفسيرها بكأنكم .

و لما بين أن عملهم عمل من لايخاف الموت ، أتبعه ما[4] يدل على أنهم لايظنون الجزاء فقال : ﴿ و اذا بطشتم ﴾ [أي -[1]] بأحد ، أخذتموه أخذ سطوة فى عقوبة ﴿ بطشتم جبارين ﴾ أى غير مبالين بشىء من قتل أو غيره ؛ قال البغوى[5] : و الجبار الذي يضرب و يقتل على الغضب .

و لما خوفهم لهذا الإنكار عقاب الجبار ، تسبب عنه [أن -[1]] قال : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى الذى له [6]جميع صفات[6] الجلال و الإكرام ﴿ و اطيعون ﴾ .

و لما كان إدكار الإحسان موجبا للاذعان ، قال مرغبا فى الزيادة و مرهبا من الحرمان : ﴿ و اتقوا الذى امدكم ﴾ أى جعل لكم مددا[7] ،

---

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : هى (٣) راجع كتاب التفسير ٢ / ٧٠٣ (٤) فى ظ : بما (٥) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١٠٢ . (٦-٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : صفات جميع (٧) فى ظ : مدادا .

و هو اتباع الشيء بما[1] يقويه على الانتظام[2] ﴿ بما تعلمون ﴾ أى ليس فيه[3] نوع خفاء حتى تعذروا فى الغفلة عن تقييده بالشكر .

و لما أجمل ، فصل ليكون أكمل ، فقال : ﴿امدكم بانعام﴾ أى تعينكم على الأعمال و تأكلون منها و تبيعون[4] . و لما قدم ما يقيم الأود ، أتبعه قوله : ﴿ و بنين ﴾ أى يعينونكم[5] على ما تريدون عند العجز . ثم أتبعه ما يحصل كمال العيش فقال : ﴿ و جنت ﴾ أى بساتين ملتفة الأشجار بحيث تستر داخلها ، و أشار إلى دوام الرى[6] بقوله : ﴿ و عيون ﴾ .

و لما كانوا فى إعراضهم كأنهم يقولون : ما الذى تبقيه منه ؟ قال : ﴿ انى اخاف عليكم ﴾ أى لأنكم قومى يسوءنى ما يسوءكم - إن تماديتم على المعصية ﴿عذاب يوم عظيم﴾ و تعظيم اليوم أبلغ من تعظيم العذاب ﴿قالوا﴾ راضين بما عندهم من داء الإعجاب ، الموقع فى كل ما عاب : ﴿سواء علينا اوعظت﴾ أى [7]خوفت و حذرت[7] و كنت علامة زمانك فى ذلك بأن تقول منه ما لم يقدر أحد على مثله ، دل على ذلك قوله : ﴿ ام لم تكن من الواعظين ﴾ أى متأهلا لشيء من رتبة الراسخين فى الوعظ ، [معدودا فى عدادهم ، مذكورا فيما بينهم ، فهو أبلغ من «أم لم تعظ» أو «تكن واعظا» -[8]] ، و الوعظ[9] - كما قال البغوى[10] - : كلام

(١) فى مد : ما (٢) فى ظ و مد : انتظام (٣) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تتبعون (٥) فى ظ و مد : يعينوكم (٦) فى ظ : الرى (٧-٧) فى ظ : حذرت و خوفت (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (١٠) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/١٠٢ .

/٧٤٠ يلين القلب / بذكر[1] الوعد و الوعيد . و المعنى أن الأمر مستو فى الحالتين فى أنا[2] لا نطيعك فى شىء ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هذآ ﴾ أى الذى جئنا به ﴿ الا خلق ﴾ بفتح الخاء و إسكان اللام فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و الكسائى[3] ﴿ الاولين[4] ﴾ أى كذبهم ، أو ما هذا الذى نحن فيه إلا عادة الأولين فى حياة ناس و موت[5] آخرين ، و عافية قوم و بلاء آخرين ، و عليه تدل قراءة الباقين بضم الخاء و اللام ﴿ و ما نحن بمعذبين ﴾ لأنا أهل قوة و شجاعة و نجدة و براعة .

و لما تضمن هذا التكذيب ، سبب عنه قوله : ﴿ فكذبوه ﴾ ثم سبب عنه قوله : ﴿ فاهلكنهم[6] ﴾ أى بالريح بما لنا من العظمة التى لا تذكر عندها عظمتهم ، و القوة التى بها كانت قوتهم ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الإهلاك فى كل قرن للعاصين و الإنجاء للطائعين ﴿ لاية[6] ﴾ أى عظيمة لمن بعدهم على أنه سبحانه فاعل ذلك وحده بسبب أنه يحق الحق و يبطل الباطل ، و أنه مع أوليائه و من كان معه لا يذل ، و على أعدائه و من كان عليه لا يعز ﴿ و ما كان اكثرهم ﴾ أى أكثر[6] من كان بعدهم ﴿ مؤمنين ﴾ فلا تحزن أنت على من أعرض عن الإيمان ﴿ و ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بارسالك و غيره من النعم ﴿ لهو العزيز ﴾ فى انتقامه ﴿ الرحيم ﴾ فى إنعامه و إكرامه و إحسانه ، مع عصيانه و كفرانه ، و إرسال المنذرين

(١) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : مذكر (٢) فى ظ : ان (٣) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٩ (٤) تقدم فى الأصل على « بفتح الخاء » و الترتيب من ظ و مد (٥) فى ظ : فوت (٦) سقط من ظ .

وتأييدهم بالآيات المعجزة لبيان الطريق الأقوم ، و المنهج الأسلم ، فلا يهلك إلا بعد الإعذار بأبلغ الإنذار ؛ ثم دل على ذلك لمن قد ينسى إذ[1] كان الإنسان مجبولا على النسيان بقوله : ﴿ كذبت ثمود ﴾ و هم أهل الحجر ﴿المرسلين ۝﴾ و أشار إلى زيادة التسلية بمفاجأتهم بالتكذيب من غير تأمل و لا توقف بقوله : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿قال لهم اخوهم﴾ أى الذى يعرفون صدقه و أمانته ، و شفقته و صيانته ﴿ صلح ﴾ و أشار إلى تلطفه بهم بقوله على سبيل العرض : ﴿ الا تتقون ۝ ﴾ ثم علل ذلك بقوله : ﴿انى لكم رسول﴾ أى من الله ، فلذلك عرضت عليكم هذا لأنى مأمور بذلك ، و إلا لم أعرضه عليكم ﴿امين ۝ ﴾ لاشىء من الخيانة عندى ، بل أنصح لكم فى إبلاغ جميع ما أرسلت به إليكم من خالقكم ، الذى لا أحد أرحم بكم منه .

و لما قدم ذكر الرسالة فصار له عذر فى المواجهة بالأمر ، سبب عنه قوله : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الغنى المطلق . و لما ذكر الأمانة قال[2] : ﴿ و اطيعون ۝ ﴾ .

و لما أثبت ما يوجب الإقبال عليه ، نفى ما يستلزم عادة الإدبار عنه فقال : ﴿ و ما ﴾ أى إنى [لكم -[3]] كذا و الحال أنى ما ﴿اسئلكم عليه﴾ و أعرق [4]فى النفى[4] بقوله : ﴿[5]من اجر[5] ۝﴾ .[3-ثم زاد فى تأكيد هذا

(١) فى ظ : اذا (٢) فى ظ : فقال (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) فى ظ : عليه بالنفى - كذا (٥ - ٥) تقدم ما بين الرقمين فى الأصل على « وأعرق » ، والترتيب من ظ و مد .

النفى بقوله] : ﴿ان﴾ أى ما ﴿اجرى﴾ على أحد ﴿الا على رب العٰلمين﴾ أى المحسن إليهم أجمعين ، منه أطلب أن يعطينى كما أعطاهم .

و لما ثبتت[1] الأمانة ، و انتفى موجب الخيانة ، شرع ينكر عليهم أكل خيره و عبادة غيره ، فقال مخوفا لهم من سطواته ، و مرغبا / فى المزيد ٧٤١ / من خيراتـــه . منكرا عليهم إخلادهم إلى شهوة البطن ، و استنادهم إلى الرفاهية و الرضى بالفانى : ﴿ اتتركون ﴾ [أى -[2]] من أيدى النوائب التى لايقدر عليها إلا الله ﴿ فى ما ههنآ ﴾ أى فى بلادكم هذه من النعم حال كونكم ﴿ امنين ﴾ أى و أنتم تبارزون الملك القهار[3] بالعظائم .

و لما كان للتفسير بعد الإجمال شأن . بين ما أجمل بقوله مذكرا لهم بنعمة الله ليشكروها : ﴿فى جنت﴾ أى بساتين تستر الداخل فيها و تخفيه لكثرة أشجارها ﴿ و عيون ﴾ تسقيها مع ما لها[4] من البهجة و غير ذلك من المنافع ﴿ و زروع ﴾ و أشار إلى عظم[5] النخيل و لاسيما ما كان عندهم بتخصيصها بالذكر بعد دخولها فى الجنات بقوله : ﴿و نخل طلعها﴾ أى ما يطلع منها من الثمر ؛ قال الزمخشرى[6] : كنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو ، و القنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه و شماريخه . ﴿ هضيم ﴾ أى جواد كريم من قولهم : يد هضوم - إذا كانت تجود بما لديها ، و تفسيره[7] بذلك يجمع أقوال العلماء ، و إليه يرجع ما قال أبو عبد الله

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : اثبتت (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد ، القاهر (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظيم (٦) راجع الكشاف ٢ / ١٠٠٤ (٧) فى ظ : تفسيرها .

القزاز معناه أنه قد هضم - أى ضغط - بعضه بعضا لتراكمه[1]. فانه لا يكون كذلك إلا[2] و هو كثير متقارب النضد[3]، لا فرج بينه، و لطيف لين هش طيب الرائحة، من الهضم بالتحريك، و هو خمص البطن و لطف[4] الكشح؛ و الهاضم و هو ما فيه رخاوة، و الهضم: البخور، و المهضومة: طيب يخلط بالمسك و اللبان؛ قال الرازى فى اللوامع: أو يانع نضيج لين رخو و متهتم متفتت إذا مس، أو يهضم الطعام، و كل هذا يرجع إلى لطافته.

و لما ذكر اللطيف من أحوالهم[5]، أتبعه الكثيف من أفعالهم، [فقال -[6]] عطفا على "اتتركون" أو مبينا لحال[7] الفاعل فى "آمنين": ﴿وتنحتون﴾ أى و الحال أنكم تنحتون إظهارا للقدرة ﴿من الجبال بيوتا فرهين﴾ أى مظهرين النشاط و القوة، تعظما بذلك و بطرا، لا لحاجتكم إلى شىء من ذلك ﴿فاتقوا﴾ أى فتسبب عن ذلك أنى أقول لكم: اتقوا ﴿الله﴾ الذى له جميع العظمة بأن تجعلوا بينكم و بين عذابه وقاية باتباع أوامره، و اجتناب زواجره ﴿و اطيعون﴾ أى فى كل ما آمركم به [8]و أنهاكم[8] عنه. فانى لا آمركم إلا بما يصلحكم فيكون سببا لحفظ ما أنتم فيه و تزدادون[9] ﴿و لا تطيعوا﴾.

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لتراكبه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: القصد (٤) من ظ و مد. و فى الأصل: لطيف (٥) فى ظ: احوالكم (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: كحال. (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩) فى مد: تزادون.

و لما كان الانقياد للآمر إنما هو بواسطة ما ظهر من أمره قال: ﴿امر المسرفين ۝﴾ أى المتجاوزين للحدود الذين[1] صار[2] لهم ذلك[3] خلقا؛ ثم وصفهم بما بين إسرافهم، و هو ارتكاب الفساد الخالص المصمت الذى لا صلاح معه فقال: ﴿الذين يفسدون فى الارض﴾ أى يعملون ما يؤدى إلى الفساد لكونه غير محكم باستناده[4] إلى الله.

و لما كان ربما ادعى فى بعض الفساد أن فيه صلاحا، نفى ذلك بقوله: ﴿و لا يصلحون ۝﴾ أى لأنهم أسسوا أمرهم على الشرك فصاروا بحيث لا يصلح / لهم عمل و إن تراءى غير ذلك، أو[5] أن المعنى أن المسرف من كان عريقا فى الإسراف بجمع[6] هذين الأمرين. /٧٤٢

و لما دعا إلى الله تعالى بما لا خلل فيه، فعلموا أنهم عاجزون عن الطعن فى شىء منه، عدلوا إلى التخييل على عقول الضعفاء بأن ﴿قالوآ انمآ انت من المسحرين ۝﴾ أى الذين بولغ فى سحرهم مرة بعد مرة مع كونهم آدميين ذوى سحور، و هى الرئات، فأثر فيك السحر حتى غلب عليك؛ و نقل البغوى[6] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن معناه: من[7] المخلوقين المعللين بالطعام و الشراب، يقال: سحره أى عللـــه بالطعام و الشراب. و يؤيده تفسيره بقولهم إشارة إلى أنه لا يصلح للرسالة:

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٢ - ٢) فى ظ و مد: ذلك لهم. (٣) فى ظ: باستاده (٤) فى ظ و مد «و» (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بجميع (٦) فى معالم التنزيل - راجع لباب التأويل ٥/١٠٢ (٧) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: ما.

﴿ ما انت الا بشر مثلنا ﴾ أى فما وجه خصوصيتك عنا بالرسالة، و هل يكون الرسول من البشر، و إتباعهم [الوصف -[1]] الوصف من غير عطف يدل على أنهم غير جازمين بتكذيبه. فالوصفان عندهم بمنزلة شيء واحد كما إذا قيل: الزمان حلو حامض، أى مر[2]، و يؤيد كونهم فى رتبة الشك لم يتجاوزوها إلى الجزم أو الظن بالتكذيب قولهم: ٥ ﴿ فات بآية ﴾ أى علامة[3] تدلنا على صدقك ﴿ ن كنت ﴾ أى كونا هو فى غاية الرسوخ ﴿ من الصدقين ﴾ أى العريقين فى الصدق بخلاف ما يأتى قريبا فى قصة شعيب عليه السلام.

و لما أسرع الله تعالى فى إجابته حين دعاه أن يعطيهم ما اقترحوا، أشار[4] إلى ذلك بقوله: ﴿ قال ﴾ أى جوابا لاقتراحهم: تعالوا انظروا ١٠ ما آتيكم[5] به آية على صدقى، فأتوا فأخرج الله له من الصخرة ناقة عشراء كما اقترحوا. فقال مشيرا إليها بأداة القرب إشارة إلى سهولة إخراجها و سرعته: ﴿ هذه ناقة ﴾ أى أخرجها ربى من الصخرة كما اقترحتم؛ ثم أشار إلى أن فى هذه الآية آية أخرى بكونها[6] تشرب ماء البئر كله فى يوم وردها[7] و تكف عنه فى اليوم الثانى لأجلهم، بقوله: ﴿ لها شرب ﴾ ١٥ أى نصيب من الماء فى يوم معلوم ﴿ و لكم شرب يوم ﴾ أى نصيب

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد. و فى الأصل: تر (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عامة (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: اشارة (٥) من ظ ومد، و فى الأصل: اتيتكم (٦) من ظ و مد. و فى الأصل: لكونها (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: ورودها.

من الماء فى يوم ﴿معلوم ۝﴾ لا زحام بينكم و بينها فى شىء من ذلك .

و لما أرشد السياق [1]إرشادا بينا[1] إلى أن المعنى : فخذوا شربتكم و اتركوا لها شربها، عطف عليه قوله: ﴿ و لا تمسوها بسوء ﴾ أى كائنا ما كان و إن قل، لأن ما كان من عند الله يجب إكرامه، و رعايته و احترامه؛ ثم خوفهم بما يتسبب[2] عن عصيانهم فقال : ﴿ فيأخذكم ﴾ أى يهلككم ﴿ عذاب يوم عظيم ۝ ﴾ بسبب ما حل فيه من العذاب، فهو أبلغ من وصف العذاب بالعظم[3]، و أشار إلى سرعة عصيانهم بفاء التعقيب فى قوله: ﴿ فعقروها ﴾ [أى قتلوها بضرب عاقها بالسيف ـ[4]] .

و لما تسبب عن عقرها[5] حلول مخايل العذاب، أخبر عن ندمهم على[6] قتلها من حيث أنه يفضى[7] إلى الهلاك، لا من حيث أنه معصية لله و رسوله. فقال: ﴿فأصبحوا نادمين ۝﴾ أي على عقرها لتحقق العذاب؛ و أشار إلى أن ذلك الندم لا على[8] وجه التوبة / أو[9] أنه عند رؤية البأس فلم ينفع، أو[9] أن ذلك كناية عن أن[10] حالهم صار حال النادم، لا أنه وجد منهم[11] ندم على شىء ما، فانه نقل عنهم أنه أتاهم العذاب و هم /٧٤٣

(١ ـ ١) من ظ و مد، و فى الأصل : اشار مبينا ـ كذا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : تسبب (٣) من ظ و مد . و فى الأصل : العظيم، و العبارة من « فهو أبلغ » إلى هنا تأخرت فى الأصل عن «فعقروها» و الترتيب من ظ و مد. (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : لتحقق العذاب، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) فى ظ : عن (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : يفيض . (٨) فى ظ « و » (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : اى (١٠) سقط من ظ . (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : عنهم .

يحاولون أن[1] يقتلوا صالحا عليه السلام، بقوله: ﴿ فأخذهم العذاب[2] ﴾ أى المتوعد[3] به .

و لما كان فى الناقة و فى حلول المخايل كما تقدم أعظم دليل على صدق الرسول الداعى إلى الله قال: ﴿ان فى ذلك لآية[4] ﴾ أى دلالة عظيمة على صحة ما أمروا به عن الله، ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه مع ٥ ذلك ما ﴿ كان اكثرهم مؤمنين ٥ ﴾ .

و لما كان ربما توهم أنه سبحانه غير متصف بالعزة لعدم قسرهم على الإيمان، أو بالرحمة لإهلاكهم، قال: ﴿ و ان ربك لهو العزيز ﴾ أى فلا يخرج شيء عن قبضته و إرادته، و هو الذى أراد لهم الكفر ﴿الرحيم ٩﴾ فى كونه لم يهلك أحدا حتى أرسل إليهم رسولا فبين لهم ١٠ ما يرضاه سبحانه و ما يسخطه، و أبلغ فى إنذارهم حتى أقام الحجة بذلك، ثم هو سبحانه يضل من يشاء لما تعلم[5] من طبعه على ما يقتضى الشقاوة، و يوفق من علم منه الخير لما يرضيه، فيتسبب عن ذلك سعادته، و فى تكريره سبحانه هذه الآية آخر كل قصة على وجه التأكيد و إتباعها ما دلت عليه [6]من كفر[7] من أتى بعد أصحابها، من غير اتعاظ بحالهم، و لا نكوب ١٥ عن مثل ضلالهم، خوفا من نظير نكالهم، أعظم تسلية لهذا النبى الكريم، و تخويف [6]لكل عليم حليم[6]، و استعطاف لكل ذى قلب سليم، و لذلك[7]

(١) فى ظ : انهم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : التوعد (٣) من ظ و مد، و فى الاصل : لهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : علم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦-٦) ما بين الرقمين بياض فى مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : كذلك .

قال واصلا[1] بالقصة : ﴿كذبت﴾ أى دأب من تقدم كأنهم تواصوا به ﴿قوم لوط المرسلين ۝﴾ لأن من كذب رسولا - كما مضى - فقد[2] كذب الكل؛ لتساوى المعجزات فى الدلالة على الصدق . و قد صرحت هذه الآية بكفرهم بالتكذيب ، و بين إسراعهم فى الضلال بقوله : ﴿اذ﴾ أى حين ﴿قال لهم اخوهم﴾ أى فى السكنى فى البلد لا فى النسب لأنه ابن أخى إبراهيم عليه السلام ، و هما من بلاد الشرق من بلاد بابل ، و كأنه عبر بالأخوة لاختياره لمجاورتهم ، و مناسبتهم [بمصاهرتهم -[3]] ، و إقامته بينهم فى مدينتهم مدة مديدة ، و سنين عديدة ، و إتيانه بالأولاد من نسائهم[4] ، مع موافقته لهم [5]فى أنه قروى[5] ؛ ثم بينه بقوله : ﴿ لوط الا تتقون ۝﴾ اى تخافون الله فتجعلوا بينكم و بين سخطه وقاية .

و لما كان مضمون هذا الدعاء لهم و الإنكار عليهم فى عدم التقوى ، علل ذلك بقوله : ﴿ انى لكم ﴾ أى خاصة ﴿رسول امين ۝﴾ أى لا[6] شىء من غش و لا خيانة عندى ، و لذلك سبب عنه قوله : ﴿فاتقوا الله﴾ [أى -[3]] لقدرته على إهلاك من يريد و تعاليه فى عظمته ﴿و اطيعون ۝﴾ أى لأن[7] طاعتى سبب نجاتكم ، لأنى لا آمركم إلا بما يرتضيه ، و لا أنهاكم إلا عما يغضبه .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : واصفا (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : نسائه (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمصاهرتهم . (٦) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا .

و لما أثبت الداعى إلى طاعته ، نفى الناهى عنها فقال : ﴿ و ما اسئلكم عليه ﴾ أى الدعاء إلى الله ﴿ من اجر ﴾ أى فتتهمونى بسببه ؛ و نفى سؤاله لغيرهم من الخلائق / بتخصيصه بالخالق فقال[1] : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ اجرى الا على رب العلمين ﴾ أى المحسن إليهم بإيجادهم ثم تربيتهم . فلما[2] وجدوا[3] المقتضى لاتباعه و انتفى المانع ، أنكر عليهم ما يوجب[4] عذابهم [من إيثارهم شهوة الفرج المخرج لهم إلى ما صاروا به سبة فى الخلق - [5]] . فقال موبخا مقرعا بيانا لتفاحش فعلهم و عظمه : ﴿ اتاتون ﴾ [أى - [5]] إتيان المعصية ﴿ الذكران ﴾ و لعلهم كانوا يفعلون بالذكور من غير الآدميين توغلا فى الشر و تجاهرا بالتهتك لقوله : ﴿ من العلمين ﴾ أى كلهم[6] ، أو يكون المعنى : من بين الخلائق ، أى أنكم اختصصتم باتيان الذكران ، لم يفعل هذا الفعل غيركم [من الناكحين - [5]] من الخلق ﴿ و تذرون[7] ﴾ أى تتركون لهذا الغرض ﴿ ما خلق لكم ﴾ أى للنكاح[8] ﴿ ربكم ﴾ المحسن إليكم ﴿ من ازواجكم ﴾ أى و هن[9] الإناث ، على أن 'من' للبيان ، و يجوز أن تكون مبعضة ، و يكون المخلوق كذلك[10] هو القبل .

و لما كانوا كأنهم [11]قالوا : نحن لم نترك أزواجنا ، حملا لقوله على[11]

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : ثم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : وجد . (٤) فى ظ : وجب (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ : كلكم (٧) زيد فى الأصل : لكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : النكاح (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنى (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذلك (١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

الترك أصلا و رأسا و إن كانوا[1] قد فهموا أن مراده تركهن حال الفعل في الذكور ، قال مضربا عن مقالهم[2] هذا المعلوم تقديره لما أرادوه به[3] ، حيدة عن الحق ، و تماديا في الفجور : ﴿ بل انتم قوم عدون ﴾ أي تركتم الأزواج بتعدى الفعل بهن و تجاوزه إلى الفعل بالذكران ، و ليس ذلك ٥ بدع من أمركم ، فان العدوان - الذي هو مجاوزة الحد في الشر - وصف لكم أنتم عريقون فيه ، فلذلك لا تقفون[4] عند حد حده الله تعالى .

فلما اتضح الحق ، و عرف المراد ، و كان غريبا عندهم ، و تشوف السامع إلى جوابهم ، استؤنف الإخبار عنه ، فقيل إعلاما بانقطاعهم و أنهم عارفون أنه لا وجه لهم في ذلك أصلا لعدولهم[5] إلى الفحش : ﴿ قالوا ﴾ ١٠ مقسمين : ﴿ لئن لم تنته ﴾ [و سموه باسمه جفاء و غلظة فقالوا -[6]] : ﴿ يلوط ﴾ عن مثل إنكارك هذا علينا .

و لما كان لما له من العظمة[7] بالنبوة و الأفعال الشريفة التي توجب إجلاله و إنكار كل من يسمعهم أن يخرج مثله ، زادوا في التأكيد فقالوا : ﴿ لتكونن من المخرجين ﴾ أي [ممن -[6]] أخرجناه من بلدنا [على وجه ١٥ فظيع تصير مشهورا به بينهم -[6]] . إشارة إلى أنه غريب عندهم ، و أن عادتهم المستمرة نفي من اعترض عليهم ، و كان قصدهم بذلك أن يكونوا هم

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : فعالهم (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : لا تقفون . (٥) من ظ و مد ، و في الأصل لعدوهم (٦) زيد من ظ و مد . (٧) سقط من ظ .

المتولين لإخراجه إهانة له للاستراحة[1] منه، فكان إخراجه. لكن إخراج إكرام للاستراحة منهم و النجاة من عذابهم بتولى الملائكة الكرام ﴿قال﴾ أي[2] جوابا لهم: ﴿انى﴾ مؤكدا لمضمون ما يأتي به ﴿لعملكم﴾ ولم يقل: قالٍ، بل زاد فى التأكيد بقوله: ﴿من القالين ه﴾ أى المشهورين ببغض هذا العمل الفاحش، العريقين فى هذا الوصف، المذكورين[3] بين الناس بمنابذة من يفعله، لا يردنى عن إنكاره تهديدكم لى باخراج و لا غيره، و القلاء: بغض شديد كأنه يقلى الفؤاد.

و لما بادأهم بمثل هذا الذى من شأنه الإفضاء إلى الشر، أقبل على من يفعل ذلك لأجله، و هو القادر على كل شيء، العالم بكل شيء، فقال: ﴿رب نجنى واهلى مما﴾ أى من الجزاء الذى يلحقهم لما ﴿يعملون ه﴾.

و لما قبل سبحانه و تعالى دعاءه، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿فنجيناه و اهله﴾ مما عذبناهم به باخراجنا له من بلدهم / حين استخفافهم[4] له، و لم يؤخره عنهم إلى حين خروجه إلا لأجله، و عين سبحانه المراد مبينا أن أهله كثير بقوله: ﴿اجمعين ج ه﴾ أى أهل بيته و المتبعين[5] له على دينه ﴿الا عجوزا﴾ و هى امرأته، كائنة ﴿فى﴾ حكم ﴿الغبرين ج ه﴾ أى الماكثين الذى تلحقهم الغبرة بما يكون من الداهية فاننا [لم - ٦] ننجها لقضائنا بذلك فى الأزل، لكونها لم تتابعه فى الدين، و كان هواها مع قومها.

/ ٧٤٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الاستراحة (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: المذكور (٤) فى ظ: استحقاقهم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: المتقين. (٦) زيد من ظ و مد.

و لما ذكر نجاته المفهمة لهلاكهم ، صرح به على وجه هوله بأداة التراخي لما علم[1] غير مرة أنه كان عقب خروجه، لم يتخلل بينهما مهلة[2] فقال : ﴿ ثم دمرنا ﴾ أي أهلكنا هلاكا بغتة [صلبا أصم في غاية النكد -[3]] ، و ما أحسن التعبير عنهم بلفظ ﴿ الأخرين ﴾ لإفهام تأخرهم من كل وجه .

و لما كان معنى "دمرنا" : حكمنا بتدميرهم[5] ، عطف عليه قوله : ﴿ و امطرنا ﴾ و دل على العذاب بتعديته[6] بـ"على" ، فقال : ﴿ عليهم مطرا ﴾ أي و أي مطر ! و لذلك سبب عنه قوله : ﴿ فساء مطر المنذرين ﴾ أي ما أسوأ مطر الذين خوفهم لوط عليه السلام بما أشار إليه إنكاره و تعبيره بالتقوى و العدوان .

و لما كان في جرى المكذبين و المصدقين على نظام واحد من الهلاك و النجاة أعظم عبرة و أكبر موعظة ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ ان في ذلك لآية ﴾ أي دلالة عظيمة على صدق الرسل في جميع ترغيبهم و ترهيبهم ، و تبشيرهم و تحذيرهم .

و لما كان من أتى بعد هذه الأمم كقريش و من تقدمهم قد علموا أخبارهم ، و ضموا إلى بعض الأخبار نظر الديار ، و التوسم[7] في الآثار

---

(١) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : ملة (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : بتميرهم - كذا (٥) في ظ : وكل - كذا (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : بتعذيبه (٧) في ظ : التوهم .

قال معجبا من حالهم فى ضلالهم : ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه ما[1] ﴿ كان اكثرهم مؤمنين ﴾ .

و لما كان فى ذلك إشارة إلى الإنذار بمثل ما حل بهم[2] من الدمار ، أتبعه التصريح بالتخويف و الإطماع فقال : ﴿ و ان ربك لهو[3] ﴾ أى وحده ﴿ العزيز ﴾ [أى -[4]] فى بطشه بأعدائه ﴿ الرحيم ﴾ فى لطفه[5] بأوليائه ، و رفقه بأعدائه ، بارسال الرسل ، و بيان كل مشكل ؛ ثم وصل بذلك دليله ، فقال مذكرا الفعل لشدة كفرهم بدليل ما يأتى من إثبات الواو فى " و ما انت الا بشر مثلنا[6] " : ﴿ كذب اصحب لئيكة ﴾ أى الغيضة ذات الأرض الجيدة التى تبتلع[7] الماء فتنبت الشجر الكثير الملتف ﴿ المرسلين ﴾ لتكذيبهم شعيبا عليه السلام فيما أتى به من المعجزة المساوية - فى خرق العادة و عجز المتحدين بها عن مقاومتها - لبقية المعجزات الآتى بها الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ﴿ اذ قال لهم ﴾ .

و لما كانوا أهل بدو[7] و كان هو[8] عليه السلام قرويا ، قال : ﴿ شعيب ﴾ [و لم يقل : أخوهم ، إشارة -[4]] إلى أنه لم يرسل نبيا إلا من أهل القرى ، تشريفا لهم لأن البركة و الحكمة[9] فى الاجتماع ، و لذلك نهى النبى صلى الله

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم (٣) تأخر فى الأصل عن «وحده» ، و الترتيب من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تبلغ - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بدر (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : هود (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحسا - كذا .

عليه و سلم عن التعرب بعد الهجرة ، و قال : من يرد الله به خيرا ينقله من البادية إلى الحاضرة[1] . ﴿الا تتقون ۝﴾ أى تكونون[2] من أهل التقوى ، و هى المخافة من الله سبحانه و تعالى .

/٧٤٦ و لما كان / كأنه قيل : ما لك و لهذا ؟ قال : ﴿ انى ﴾ و أشار إلى تبشيرهم إن أطاعوه بقوله : ﴿ لكم رسول ﴾ أى من الله ، فهو أمرنى أن أقول لكم ذلك ﴿امين ۝﴾ أى لاغش عندى و لاخداع و لاخيانة ، فلذلك أبلغ جميع ما أرسلت به ، و لذلك سبب عنه قوله : ﴿فاتقوا الله﴾ أى المستحق لجميع العظمة ، و هو المحسن إليكم بهذه الغيضة و غيرها ﴿ و اطيعون ۝﴾ [أى -[3]] لما ثبت من نصحى .

و لما قدم ما هو المقصود بالذات ، عطف على خبر " ان " قوله : ﴿و ما اسئلكم عليه من اجر ﴾ نفيا لما ينفر عنه ؛ ثم زاد فى البراءة مما يوكس من الطمع فى أحد من الخلق فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿اجرى الا على رب العلمين ۝﴾ [أى -[3]] المحسن إلى الخلائق كلهم ، فأنا لا أرجو أبدا أحدا يحتاج إلى الإحسان إليه ، و إنما أعلق أملى بالمحسن الذى لا يحتاج إلى أحد ، و كل أحد سائل[4] من رفده ، و آخذ من عنده ، و لقد اتضح أن الرسل متطابقون فى الدعوة فى الأمر بالتقوى و الطاعة و الإخلاص فى العبادة ، مع النصح و العفة ، و الأمانة و الخشية و المحسبة .

و لما كان كأنه قيل : ما الذى تنعى فيه ؟ قال [مبينا أن داءهم

(١) و قد مر الحديث فى سورة يوسف عليه السلام (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تكونوا (٣) زيد من ظ ومد (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : ساير .

حب

حب المال، المفضى بهم إلى سوء الحال - [1]] : ﴿ اوفوا الكيل ﴾ أى أتموه إتماما[2] لا شبهة فيه. إذا كلتم كما توفونه إذا اكتلتم لأنفسكم[3] .
و لما أمرهم[4] بالإيفاء نهاهم عن النقص على وجه أعم فقال : ﴿ و لا تكونوا ﴾ أى كونا هو[5] كالجبلة ، و لعله إشارة إلى ما يعرض من نحو ذلك من[6] الخواطر أو[7] الهيئات التى يغلب الإنسان فيها الطبع ثم يرجع عنها رجوعا ٥ يمحوها ، و لذلك قال : ﴿ من المخسرين[8] ﴾ أى الذين يخسرون - أى ينقصون - أنفسهم أديانها باخسار الناس دنياهم بنقص الكيل أو غيره من أنواع النقص من كل ما يوجب الغبن ، فتكونوا مشهورين بذلك[9] بين من يفعله .

و لما أمر بوفاء الكيل ، أتبعه بمثل ذلك فى الوزن ، و لم يجمعهما ١٠ لما للتفريق من التعريف بمزيد الاهتمام فقال : ﴿ و زنوا ﴾ أى لأنفسكم و غيركم[9] ﴿ بالقسطاس ﴾ أى الميزان الأقوم ؛ و أكد معناه بقوله : ﴿ المستقيم[8] ﴾ .

و لما أمر بالوفاء فى الوزن ، أتبعه نهيا عن تركه عاما كما فعل فى الكيل [ليكون آكد فقال : ﴿ و لا تبخسوا ﴾ أى تنقصوا ﴿ الناس اشياءهم ﴾

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تماما (٣) سقط من ظ ومد (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : امر (٥) زيد فى الأصل : لكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : العوارض ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٨) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : غيرهم .

أى فى كيل -[١]] أو وزن أو غيرهما نقصا يكون كالسبخة لافائدة فيه[٢]. ثم أتبع ذلك بما هو أعم منه فقال: ﴿ولا تعثوا﴾ أى تتصرفوا ﴿فى الارض﴾ عن[٣] غير تأمل [٤]حال كونكم[٤] ﴿مفسدين﴾ أى فى المال أو[٥] غيره، قاصدين بذلك الإفساد - كما تقدم بيانه فى سورة هود[٦] عليه السلام.

و لما وعظهم فأبلغ فى وعظهم بما ختمه بالنهى عن الفساد، خوفهم من سطوات الله تعالى ما[٧] أحل بمن[٨] هو أعظم منهم فقال: ﴿واتقوا الذى خلقكم﴾ أى فاعدامكم أهون شىء[٧] عليه، و أشار إلى ضعفهم و قوة من كان قبلهم بقوله: ﴿و الجبلة﴾ أى الجماعة و الأمة ﴿الاولين﴾ الذين كانوا على خلقة و طبيعة عظيمة كأنها الجبال قوة و صلابة لاسيما قوم هود عليه السلام الذين هم عرب مثلكم، و قد / بلغت بهم الشدة فى أبدانهم، و الصلابة فى جميع أركانهم، إلى[٩] أن قالوا "من اشد منا قوة" و قد بلغكم ما أنزل بهم سبحانه من بأسه، لأن العرب أعلم الناس بأخبارهم. /٧٤٧

ولما كان حاصل ما مضى الإعلام بالرسالة، و التحذير [١٠]من المخالفة[١٠]،

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: له. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٤ - ٤) من ظ، و فى الأصل: حالكم وكونكم، و فى مد بياض (٥) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٦) راجع آية ٨٥ (٧) سقط من ظ (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: بما (٩) سقط من ظ و مد (١٠-١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: بالمخالفة.

لأنها تؤدى إلى الضلالة ، إلى أن ختم ذلك بالإشارة بالتعبير بالجبلة إلى أن عذابه تعالى عظيم ، لا يستعصى عليه صغير و لا كبير ، أجابوه بالقدح فى الرسالة أولا ، و باستصغار الوعيد ثانيا ، بأن[1] ﴿قالوا انما انت من المسحرين﴾ أى الذين كرر سحرهم مرة بعد أخرى حتى اختبلوا ، فصار كلامهم [على -[2]] غير نظام ، أو من المعللين بالطعام و الشراب كما مضى فى صالح عليه السلام ، ٥ أى فأنت بعيد من الصلاحية للرسالة ؛ ثم أشاروا إلى عدم صلاحية البشر مطلقا لها و لو كانوا أعقل الناس و أبعدهم عن الآفة[3] بقولهم ، عاطفين بالواو إشارة إلى عراقته فيما وصفوه به من جهة السحر و السحر ، و أنه لا فرق [4]بينه و بينهم[4] : ﴿و ما انت الا بشر مثلنا﴾ [أى -[2]] فلا وجه لتخصيصك عنا بذلك ، و الدليل على أن عطف ذلك أبلغ من إتباعه ١٠ من غير عطف جزمهم بظن كذبه[5] فى قولهم : ﴿و ان﴾ أى و إنّا ﴿نظنك لمن الكذبين﴾ أى العريقين فى الكذب - هذا مذهب البصريين فى أن "ان" مخففة من الثقيلة[6] ، و الذى يقتضيه السياق ترجح مذهب الكوفيين هنا فى أن "ان[7]" نافية ، فانهم أرادوا باثبات الواو [فى -[2]] "و ما" المبالغة فى نفى إرساله بتعداد ما ينافيه ، فيكون مرادهم أنه ليس ١٥ لنا ظن يتوجه إلى غير الكذب ، و هو أبلغ من إثبات الظن به ، و يؤيده

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : الامة .
(٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بينهم و بينه - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كذبهم (٦) فى ظ : الثقيل (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما .

تسبيبهم عنه[1] سؤاله استهزاء به و تعجيزا له إنزال العذاب بخلاف ما تقدم عن قوم صالح عليه السلام، فقالوا: ﴿ فاسقط علينا كسفا ﴾ باسكان[2] السين على قراءة الجماعة و فتحها فى رواية حفص[3]، و كلاهما جمع كسفة، أى قطعا ﴿من السماء﴾ أى السحاب، أو[4] الحقيقة، و هذا الطلب لتصميمهم على التكذيب[5]، و لو كان فيهم أدنى ميل إلى التصديق لما[6] أخطروه بالهم [فضلا عن طلبه و لاسيما كونه على وجه التهكم، و لذلك قالوا - [7]]: ﴿ ان كنت ﴾ أى كونا هو لك[8] كالجبلة ﴿من الصدقين[9]﴾ أى الفريقين فى الصدق، المشهورين فيما بين أهله، [لنصدقك - [7]] فيما لزم من أمرك لنا باتخاذ الوقاية من العذاب من التهديد بالعذاب، و ما أحسن نظره إلى تهديده لهم[9] بما لله عليهم من القدرة فى خلقهم و خلق من كانوا أشد منهم قوة و إهلاكهم بأنواع العذاب لما عصوه بتكذيب رسله.

و لما كان عذاب العاصى يتوقف على العلم المحيط بأعماله، و[10] القدرة على نكاله، استأنف تعالى الحكاية[11] عنه فى تنبيهه لهم على ذلك بقوله: ﴿قال﴾ [12]مشيرا إلى أنه لاشىء من ذلك إلا [12]إلى من[13] أرسله، و هو

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: باسقاط (٣) راجع نثر المرجان ٥/٦٢ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٥) فى ظ: الكذب (٦) فى ظ و مد: ما (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: له (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: بدا - كذا (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: المكانة (١٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٣-١٣) فى ظ: لمن.

متصف

متصف بكلا الوصفين ، و أما هو فانه و إن كان عالما فهو قاصر العلم فهو غير قادر : ﴿ربي اعلم﴾ أى منى ﴿بما تعملون ٥﴾ لأنه محيط العلم فهو شامل القدرة ، فهو يعلم استحقاقكم للعذاب[1] ، و مقدار ما / تستحقون [منه -[2]] [3]و وقت إنزاله[3] ، فان شاء عذبكم ، و أما أنا فليس علىّ إلا البلاغ و أنا مأمور به ، فلم أخوفكم من نفسى و لا ادعيت قدرة على عذابكم ، فطلبكم ذلك منى ظلم منكم مضموم إلى ظلمكم بالتكذيب . /٧٤٨

و لما كان محط كلامهم كله على تكذيبهم[4] له من غير قدح فى قدرة الخالق ، سبب العذاب عن تكذيبهم فقال : ﴿فكذبوه﴾ أى استمروا على تكذيبه ﴿فاخذهم﴾ أى أخذ ملاك ﴿عذاب يوم الظلة[5]﴾ و هى سحابة على نحو ما طلبوا من قطع السماء ، أتتهم بعد حر شديد نالهم حتى من الأسراب فى داخل الأرض أشد مما نالهم من خارجها ليعلم أن لا فاعل إلا الله ، و أنه يتصرف كيف شاء[6] على مقتضى العادة و غير مقتضاها فوجدوا من تلك الظلة نسيما باردا ، و روحا طيبا ، فاجتمعوا تحتها استرواحا [إليها -[2]] و استظلالا بها ، فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا بنحو مما[6] اقترحوا و أتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، فنفذت فيهم سهام القدرة ، و لم يجدوا من دونها وقاية و لا سترة من غير أن تدعو حاجة إلى سقوط شىء من جرم السماء ، و لا بما دونها من الغماء[7] .

---

(١) فى ظ : العذاب (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) فى ظ : تكذيبه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يشاء (٦) فى ظ : بما (٧) أى السحاب المرتفع أو الكثيف الممطر .

و لما كان الحال موجبا للسؤال عن يوم الظلة ، قال تعالى مهولا لأمره و[1] معظما لقدره : ﴿ انه كان ﴾ فأكد بـ « إن » [و عظم بـ « كان » -[2]] ﴿ عـذاب يوم عظيم ﴾ و زاده عظما بنسبته إلى اليوم ، فصار له من الهول ، بديع هـذا القول ، ما تجب له القلوب و تعظم الكروب[3] .

و لما كان لتوالى[4] الإخبار باهلاك هذه القرون ، و إبادة من ذكر[5] من تلك الأمم ، من الرعب ما لا يبلغ وصفه ، و لا يمكن لغيره سبحانه شرحه ، قال تعالى مشيرا إليه تحذيرا من مثله : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من الإنجاء المطرد لكل رسول و من أطاعه ، و الأخذ المطرد لمن عصاه فى كل عصر بكل قطر ، بحيث لا يشذ من الفريقين إنسان ، قاص و لا دان ﴿ لآية ﴾ أى لدلالة واضحة عظيمة على صدق الرسل و أن يكونوا جديرين بتصديق العباد لهم[6] فى جميع ما قالوا من البشائر و النذائر بأن الله تعالى يهلك من عصاه ، و ينجى من والاه ، لأنه الفاعل المختار ، لامانع له ، و لاسيما أنت و أنت أعظمهم منزلة ، و أكرمهم رتبة ، و لاسيما و قد أتيت قومك بما لا يكون معه شك لو لم يكن لهم بك معرفة قبل ذلك ، فكيف [7]و هم[7] عارفون بأنك كنت قبل الرسالة أصدقهم

(١) سقط من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ ، و فى الأصل : الكروم ، و الكلمة مطموسة فى مد (٤) فى ظ : لتعالى (٥) زيد فى الأصل : من هذه القرون ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) سقط من ظ (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فهم .

لهجة ، و أعظمهم أمانة ، و أغزرهم عقلا ، و أوضحهم نبلا ، و أعلاهم همة ، و أبعدهم عن كل دنس - و إن قل - ساحة ؛ ثم عجب من توقفهم فى الإيمان مع ما عرفوا من صدق نبيهم و طهارة أخلاقه ، و وفور شفقته عليهم ، و لم يخافوا[1] من مثل ما تحققوه من إهلاك هذه الأمم فقال[2] : ﴿ و ما كان اكثرهم ﴾ أى أكثر قومك كما كان من قبلهم مع رؤية هذه الآيات ، و إحلال المثلات حتى لكأنهم[3] تواصوا بذلك ﴿مؤمنين ٥﴾ / أى عريقين فى الإيمان ، بل ما يؤمنون إلا و هم[4] مشركون . /٧٤٩

و لما كان هذا كله تأسية للداعى صلى الله عليه و سلم ، و تهديدا لمن تمادى على تكذيبه ، و ترجية لمن رجع[5] عن ذنوبه ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ و ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بكل ما يعلى شأنك ، و يوضح برهانك ﴿لهو العزيز ﴾ فلا يعجزه أحد ، و لا ينسب فى إمهال عاص إلى إهمال و لا عجز ﴿الرحيم ٩﴾ فلا يأخذ إلا بعد تجاوز الحد ، و اليأس عن[6] الرد ، مع البيان الشافى ، فى الإبلاغ الوافى ، و التلطف الكافى ، و كرر الختام بهذا الكلام فى هذه السورة ثمانى مرات فلعل من أسراره الإشارة إلى سبق الرحمة للغضب ، لأن[7] من السورة - المفتتحة بالكتاب القيم و العبد الكامل بالإضافة إلى الملك الأعظم اللذين هما[8] رحمة الخالق للخلائق ، و ذكر فيها [مع تقديمها فى الترهيب -[9]] أهل الرحمة من أهل الكهف

(١) فى ظ : لم يخافوه (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : يقال (٣) فى ظ : كانهم .
(٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : اكثرهم (٥) من ظ ومد، وفى الأصل : يرجع.
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٧) فى ظ : لا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم (٩) زيد من ظ و مد .

الذين قالوا "هب لنا من لدنك رحمة" [و موسى و الخضر عليهما السلام اللذين آتى كلا منهما من لدنه رحمة -[1]] ، و ذا القرنين الذى آتاه[2] من كل شيء سببا [3]فأتبع سببا[3] و قال "هذا رحمة من ربى" - إلى سورة الرحمة بانزال الفرقان على عبده المضاف إليه للانذار المؤذن بصفة العزة

٥ - ثمانى سور ، فكل منهما ثامنة[4] الأخرى ، و افتتحت السورة الوالية للفرقان تفصيلا لما فى أول الكهف بقوله "لعلك باخع نفسك" و بذكر ما على الأرض من زينة "الم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم" كل ذلك تذكيرا بما فى تلك من الكتاب الجامع بالرحمة ، و تحذيرا مما[5] فى القرآن من الإنذار الفارق بالعزة ، فلما كان ذلك كررت صفتا العزة

١٠ التى أذنت بها الفرقان ، و الرحمة التى صرحت بها الكهف ثمانى مرات بحسب ذلك العدد ، تذكيرا بهذا المعنى البديع ، و ترغيبا و ترهيبا و تذكيرا بأبواب الرحمة الثمانية مع ما لختم القصص بذلك من الروعة فى النفس ، و الهيبة فى القلب ، و الأنس البالغ للروح ، [و قدمت هنا صفة العزة الناظرة للانذار بالفرقان على طريق النشر المشوش مع ما اقتضى ذلك

١٥ من الحال هنا - [1]] و جعلت القصص سبعا تحذيرا من أبواب النقمة السبعة - إلى غير ذلك من الأسرار التى لا تسعها الأفكار .

و لما كانت آثار هذه القصص آيات مرئيات ، و الإخبار بها آيات

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى ظ : الله (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثامنه - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما .

مسموعات، و كان فى اطراد إهلاك العاصى و إنجاء الطائع فى كل منهما، على تباعد الأعصار، و تناهى الأقطار، و اختلاف الديار، أعظم دليل على صدق الرسل، و تقرير الرسالات لتوافقهم فى الدعوة إلى الله، و تواردهم على التوحيد، و العدل مع العزوف عن الدنيا التى هى شر محض، و الإقبال على الآخرة التى هى خير صرف. و التحلى بما أطبق ٥ العباد على أنه معالى الأخلاق، و محاسن الأعمال، و التخلى[1] عن جميع الدنايا، و التنزه عن كل نقص، عطف على قوله أول السورة "و ما يأتيهم من ذكر" - الآية الإخبار[2] برسالة محمد صلى الله عليه و سلم، إشارة إلى ما فى الإخبار عن آثار هذه[3] القصص بالآيات المسموعات من عظيم الدلالات على رسالته صلى الله عليه و سلم بما فيها[4] من الإعجاز من جهة التركيب ١٠ و الترتيب و غير ذلك من عجيب الأساليب الذى[5] [لم -[6]] تؤته / أمة[7] ٧٥٠ / من الأمم السالفات، و من جهة أن الآتى بتلك القصص الغريبة، و الأنباء البديعة العجيبة، أمى لم يخالط عالما [مع شدة ملاءمة القرآن لخصوص ما فى قصة شعيب عليه السلام من العدل فى الكيل و الوزن الذى هو مدار القرآن، و من أنه الظلة الجامعة للخير، و الفسطاط الدافع ١٥ لكل ضير -[6]]، فقال ردا للقطع على المطلع: ﴿ و انه ﴾ أى الذكر

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: المتحالى (٢) من ظ و مد، و فى الاصل: الاخبار (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عدة (٤) من ظ و مد. و فى الأصل: فيه (٥) فى ظ: التى (٦) زيد من ظ و مد (٧) تكرر فى الأصل فقط.

الذى أتاهم بهـــذه الأخبار و هم عنـــه معرضون و له تاركون ﴿ لتنزيل رب العلمين ﴾ أى الذى ربهم بشمول علمه ، و عظيم قدرته ، بما يعجز عن أقل شىء منه غيره لكونه أتاهم بالحق منها على لسان من لم يخالط عالما قط[1] . و مع أنه سبحانه غذاهم بنعمته ، و دبرهم بحكمته ، فاقتضت حكمته أن يكون هذا الذكر جامعا لكونه ختاما ، و أن يكون معجزا لكونه تماما ، و نزله على حسب التدرج شيئا فشيئا . مكررا فيه ذكر القصص سابقا فى كل سورة منها ما يناسب المقصود من تلك السورة ، معبرا عما يسوقه منها [2]بما يلائم[2] الغرض من ذلك السياق مع مراعاة الواقع ، و مطابقة الكائن .

و لما كان الحال مقتضيا لأن[3] يقال : من أتى بهذا[4] المقال ، عن ذى الجلال ؟ قال : ﴿ نزل به ﴾ أى نجوما على سبيل التدريج من[5] الأفق الأعلى الذى هو محل البركات ، و عبر عن جبريل عليه السلام بقوله : ﴿ الروح ﴾ دلالة على أنه مادة[6] خير ، و أن الأرواح تجىء[7] بما ينزله[7] من الهدى ، و قال : ﴿ الامين ﴾ إشارة إلى كونه معصوما من كل دنس ، فلا يمكن منه خيانة ﴿ على قلبك ﴾ أى يا محمد الذى هو أشرف القلوب و أعلاها ، و أضبطها و أوعاها ، فلا زيغ فيه و لا عوج ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقط (٢ - ٢) فى ظ : بملايم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهذه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٦) سقط من ظ (٧ - ٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما تنزله - كذا .

حتى صار خلقا له ، و فى إسقاط الواسطة إشارة إلى أنه - لشدة إلقائه السمع و إحضاره الحس - يصير فى تمكنه[1] منه بحيث يحفظه فلا ينسى ، و يفهمه حق فهمه فلا يخفى ، فدخوله[2] إلى القلب فى غاية السهولة حتى كأنه وصل إليه بغير واسطة السمع عكس ما يأتى عن المجرمين ، و هكذا كل من وعى شيئا غاية الوعى حفظه كل الحفظ ، انظر إلى قوله تعالى " و لا تعجل بالقرآن من قبل ان يقضى اليك وحيه و قل رب زدنى علما[3] " ، " لا تحرك به لسانك لتعجل به " - الآية[4] .

و لما كان السياق فى هذه السورة للتحذير ، قال معللا للجملة التى قبله[5] : ﴿ لتكون من المنذرين ﴾ أى المخوفين المحذرين لمن أعرض عن الإيمان ، و فعل ما نهى [6]عنه من[6] العصيان .

و لما كان القصد[7] من السورة التسلية عن[8] عدم إيمانهم بأنه لسفول شأنهم ، لا لخلل[9] فى بيانه ، و لا لنقص فى شأنه ، قال تعالى [موضحا لتمكنه من قلبه - [10]] : ﴿ بلسان عربى ﴾ . و لما كان فى العربى ما هو حوشى لفظا أو تركيبا ، مشكل على كثير من العرب ، قال : ﴿ مبين ﴾ أى بين فى نفسه كاشف لما يراد منه غير تارك لبسا[11] عند من تدبره

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تمكينه (٢) فى ظ : بدخوله (٣) سورة ٢٠ آية ١١٤ (٤) سورة ٧٥ آية ١٦ (٥) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد . (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٧) فى ظ : المقصود (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٩) فى ظ : بخلل (١٠) زيد من ظ و مد (١١) فى ظ : شيئا ، و الكلمة متكررة فى الأصل .

حق تدبره على ما يتعارفه العرب فى مخاطباتها ، من سائر لغاتها ، بحقائقها و مجازاتها ، على اتساع إراداتها ، و تباعد مراميها فى محاوراتها ، و حسن مقاصدها فى كناياتها و استعاراتها ، و من يحيط / بذلك حق الإحاطة غير العليم الحكيم الخبير البصير ، و إنما كانت عربيته و إبانته [1]موضحة لسبقه قلبه[1] ، لأن من تكلم[2] بلغته - فكيف بالبين[3] منها - تسبق[4] المعانى الألفاظ إلى قلبه ، فلو كان أعجميا لكان نازلا على السمع ، لأنه يسمع أجراس حروف لا يفهم معانيها ؛ قال الكشاف[5] : و قد يكون الرجل عارفا بعدة لغات ، فاذا كلم[6] بلغته التى لقنها أولا[7] و نشأ عليها و تطبع بها لم يكن قلبه إلا إلى[8] المعانى ، [9]و لا يكاد[9] يفطن للألفاظ[10] ، و إن كلم بغيرها و إن كان ماهرا فيها كان نظره أولا فى ألفاظها ثم فى معانيها - انتهى . ففيه تقريع عظيم لمن يعرف لسان العرب و لا يؤمن به[11] .

/٧٥١

و لما كان الاستكثار من الأدلة مما يسكن النفوس ، و تطمئن به

(١-١) ما بين الرقمين فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و مد (٢) فى ظ : كلم. (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : و اليمين (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تستبق (٥) من ظ و مد، وفى الأصل : «الكسائى»، و المراد : صاحب الكشاف ، راجع منه ٢ / ١٠٠٨ (٦) من الكشاف ، و فى الأصل : تكلم ، و فى ظ و مد : كلمته (٧) من ظ و مد و الكشاف ، و فى الأصل : الا (٨) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و مد و الكشاف (٩-٩) من ظ و مد و الكشاف ، و فى الأصل : فلا يكاد (١٠) زيد فى ظ : الى قلبه ، و زيد فى الكشاف : كيف جرت (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بها .

القلوب، قال تعالى: ﴿ و انه ﴾ أى هذا القرآن أصوله و كثير من قصصه و أمهات فروعه ﴿لفى زبر ﴾ أى كتب ﴿ الاولين ﴾ المضبوطة الظاهرة فى كونها أتت من السماء إلى أهلها الذين سكنت النفوس إلى أنه أتتهم[1] رسل، و شرعت لهم شرائع نزلت عليهم بها كتب من غير أن يخالط هذا الذى جاء به أحدا منهم أو من غيرهم فى علم ما، وكان ذلك دليلا ٥ قاطعا على [2] أنه ما[2] أتاه به إلا الله تعالى.

و لما كان التقدير: ألم يكن لهم أمارة على صدق ذلك أن يطلبوا تلك الزبر فينظروها فيذوقوا ذلك منها ليصلوا إلى حق اليقين؟ عطف عليه قوله: ﴿ او لم يكن لهم﴾.

[و لما كان هذا أسلوب الاستدلال، اقتضى تقديم الخبر على الاسم ١٠ فى قراءة الجمهور بالتذكير و النصب، فقال بعد تقديم لما اقتضاه من الحال -[3]]: ﴿ ءاية ﴾ أى علامة على النسبة إلينا؛ ثم أتبع ذلك الاسم محلولا إلى 'أن' و الفعل لأنه أخص [و أعرف -[3]] و أوضح من ذكر المصدر، فقال: ﴿ان يعلمه﴾ أى هذا الذى أتى به نبينا من عندنا؛ [4]و أنث ابن عامر الفعل و رفع "ءاية" اسما و أخبر عنها بأن و الفعل[4] ١٥ ﴿ علمؤا بنى اسرآءيل[5]﴾ [فيقروا به -[3]] و لاينكروه، ليؤمنوا به و لايهجروه، فان قريشا كانوا كثيرا ما يرجعون إليهم و يعولون[5] فى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: امتهم (٢ - ٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: يقولون.

الأخبار الإلهية عليهم ، فان كثيرا منهم أسلم و[1] ذكر تصديق التوراة و الإنجيل [و الزبور و غيرها من أسفار الأنبياء عليهم السلام -[2]] للقرآن فى صفة النبي صلى الله عليه و سلم ، و فى[3] ذلك ما يؤيد صدقه ، و يحقق أمره ، و قد عربت الكتب المذكورة بعد ذلك ، و أخرج منها علماء الإسلام كثيرا [مما -[2]] أهملوه حجة عليهم ، و لافرق فى ذلك بين من أسلم منهم و بين غيرهم ، فانها حين نزول القرآن كان التبديل[4] قد وقع فيها باخبار الله تعالى ، [و -[5]] عن ابن عباس[6] رضى الله عنهما أن أهل مكة بعثوا إلى اليهود يسألونهم عن محمد صلى الله عليه و سلم فقالوا : هذا زمانه ، و إنا[7] لنجد فى التوراة صفته . فكان ذلك ملزما لهم باخبار الله تعالى ، و كذلك كل ما استخرج من الكتب يكون حجة على أهلها .

و لما كان التقدير : لم يروا شيئا من ذلك آية و لا آمنوا ، عطف عليه أو[8] على قوله تعالى أول السورة[9] "فقد كذبوا" الآية : ﴿و لو نزلنه﴾ أى على ما هو عليه من الحكمة و الإعجاز بما لنا من العظمة ﴿على بعض الاعجمين ۝﴾ الذين لايعرفون شيئا / من لسان العرب من /٧٥٢

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل : غير . و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٤) من ظ و مد . وفى الأصل: التغيير . (٥) زيد من مد ؛ و العبارة من بعده إلى «لهم باخبار الله تعالى» ساقطة من ظ . (٦) راجع اللباب ٥ / ١٠٤ (٧) من مد و اللباب ، و فى الأصل : اما - كذا . (٨) فى ظ « و » (٩) سقط من ظ .

البهائم أو الآدميين، جمع أعجم، و هو من لايفصح و فى لسانه عجمة، و الأعجمى مثله بزيادة تأكيد لزيادة [ياء -[1]] النسبة ﴿فقراه عليهم﴾ أى[2] ذلك الذى[3] نزلناه عليه على ما هو عليه من الفصاحة و الإعجاز مع علمهم القطعى أنه لايعرف[4] شيئا من اللسان ﴿ما كانوا به مؤمنين[5]﴾ أى راسخين و لتمحلوا لكفرهم عذرا فى تسميته سحرا أو غير ذلك من تعنتهم "و ما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون" من فرط عنادهم، و تهيؤهم للشر و استعدادهم له، بل لايسمعونه حق السماع، و لا يعونه حق الوعى، بل سماعا و فهما على غير وجهه.

و لما كان [ذلك -[1]] محل عجب، و كان ربما ظن له أن الأمر على غير حقيقته، قرر مضمونه و حققه بقوله: ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا السلك[6] العجيب - الذى[3] هو سماع و فهم ظاهرى - فى صعوبة مدخله و ضيق مدرجه.

و لما لم يكن السياق مقتضيا لما اقتضاه سياق الحجر[7] من التأكيد، اكتفى بمجرد الحدوث فقال: ﴿سلكناه﴾ أى كلامنا و الحق الذى أرسلنا به رسلنا [بما لنا من العظمة، فى قلوبهم - هكذا كان الأصل، و لكنه علق الحكم بالوصف، و عم كل زمن و كل من اتصف به فقال -[1]]: ﴿فى قلوب المجرمين[5]﴾ أى الذين طبعناهم على الإجرام، و هو القطيعة

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يعرفه (٥ - ٥) ما بين الرقمين بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد (٦) فى ظ: السالك (٧) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد.

لما ينبغى وصله ، كما ينظم السهم إذا رمى به ، أو الرمح إذا طعن به فى القلب ، لايتسع له ، و لا ينشرح به ، بل تراه ضيقا حرجا .

و لما كان هذا المعنى خفيا ، بينه بقوله : ﴿ لا يؤمنون به ﴾ أى من أجل ما جبلوا عليه من الإجرام ، و جعل على قلوبهم من الطبع و الختام ٥ ﴿ حتى يروا العذاب الاليم ﴾ فحينئذ يؤمنون حيث لاينفعهم الإيمان و يطلبون الأمان [حيث لا أمان -[1]] .

و لما كان إتيان الشر فجاءة أشد . و كان أخذه لهم عقب رؤيتهم له من غير مهلة يحصل فيها نوع استعداد أصلا ، دل على ذلك مصورا لحاله بقوله دالا بالفاء على الأشدية و التعقيب : ﴿ فياتيهم بغتة ﴾ .

١٠ و لما كان البغت الإتيان على غفلة ، حقق ذلك نافيا[2] للتجوز بقوله : ﴿ و هم لايشعرون ﴾ و دل على تطاوله فى محالهم ، و جوسه لخلالهم ، و تردده فى حلالهم ، بقوله دالا على ما هو أشد عليهم من المفاجأة بالإهلاك : ﴿ فيقولوا ﴾ أى تأسفا و استسلاما و تلهفا فى تلك الحالة لعلمهم بأنه لا طاقة به بوجه : ﴿ هل نحن منظرون ﴾ أى مفسوح[3] لنا ١٥ فى آجالنا لنسمع و نطيع .

و لما حقق أن حالهم عند الأخذ الجؤار بالذل و الصغار [به -[1]] ، تسبب عنه ما يستحقون[4] باستعجاله من الإنكار فى قوله ، منبها على أن قدره يفوق الوصف بنون العظمة : ﴿ افبعذابنا ﴾ أى و قد تبين لهم[5]

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثانيا (٣) فى ظ : منسوخ (٤) فى ظ : يستحقونه (٥) فى ظ : لكم .

كيف

كيف كان أخذه للأمم الماضية، و القرون الخالية، و الأقوام العاتية!
﴿ يستعجلون ﴾ أى بقولهم: أمطر علينا حجارة [1]من السماء[1]، أسقط السماء
علينا كسفا، ائت بالله و الملائكة قبيلا، كما قال هؤلاء الذين قصصنا / أمرهم، ! ٧٥٣
و تلونا ذكرهم "فاسقط علينا كسفا من السماء" و نحو ذلك.

و لما تصورت حالة مآبهم، فى أخذهم بعذابهم، [وكان استعجالهم ٥
به يتضمن الاستخفاف و التكذيب و الوثوق بأنهم ممتعون، و تعلق آمالهم
بأن تمتيعهم بطول زمانه، و كان من يؤذونه يتمنى لو عجل لهم -[2]]،
سبب عن ذلك سبحانه سؤال داعيهم مسليا و مؤسيا و معزيا فقال:
﴿ افرءيت ﴾ أى هب أن الأمر كما يعتقدون من طول عيشهم فى النعيم
فأخبرنى ﴿ ان متعنهم ﴾ أى فى الدنيا برغد العيش و صافى[3] الحياة. ١٠

و لما كانت حياة الكافر فى غاية الضيق[4] و النكد و إن كان فى
أصفى رغد، عبر بما يدل على القحط بصيغة القلة و إن كان السياق يدل
على أنها للكثرة[5] فقال: ﴿ سنين ﴾ ثم جاءهم ﴾ أى بعد تلك السنين
المتطاولة، و الدهور المتواصلة ﴿ ما كانوا يوعدون ﴾ أى مما طال إنذارك
إياهم به و تحذيرك لهم منه على غاية التقريب لهم و التمكين فى إسماعهم، ١٥
أخبرنى ﴿ ما ﴾ أى أىّ شىء ﴿ اغنى عنهم ﴾ أى فيما أخذهم من العذاب
﴿ ما كانوا ﴾ أى كونا هو فى غاية[6] المكنة و طول الزمان ﴿ يمتعون ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: صار فى (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: المضيق (٥) فى ظ: الكثرة (٦) زيد فى ظ: بيان.

تمتيعا هو فى غاية السهولة عندنا ، و صوره بصورة الكائن تنديما عليه ، و المعنى أنه ما أغنى عنهم شيئا لأن عاقبته الهلاك ، و زادهم بعدا[1] من الله و عذابا بزيادة الآثام الموجبة لشديد[2] الانتقام .

و لما كان التقدير : لم يغن عنهم شيئا لأنهم ما أخذوا إلا بعد إنذار المنذرين ، لمشافهتك إياهم به ، و سماعهم لمثل ذلك عمن مضى قبلهم من الرسل ، عطف عليه قوله : ﴿ و ما أهلكنا ﴾ أى بعظمتنا ، و أعلم بالاستغراق بقوله : ﴿ من قرية ﴾ أى من القرى[3] السالفة ، بعذاب الاستئصال ﴿ الا لها منذرون ﴾ رسولهم و من تبعه من أمته و من سمعوا من الرسل بأخبارهم مع أممهم من قبل ، و أعراها من الواو لأن الحال لم يقتض التأكيد كما[4] فى الحجر ، لأن[5] المنذرين مشاهدون . و إذا تأملت آيات الموضعين ظهر لك ذلك ؛ ثم علل الإنذار بقوله : ﴿ ذكرى ﴾ أى تنبيها عظيما على ما فيه[6] النجاة ، و تذكيرا بأشياء يعرفونها بما أدت إليه فطر عقولهم ، و قادت إليه بصائر قلوبهم ، و[7] جعل المنذرين نفس الذكرى كما قال تعالى " قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا[8] " و ذلك إشارة إلى إمعانهم فى التذكير حتى صاروا إياه .

و لما كان التقدير : فما أهلكنا قرية منها إلا بالحق ، عطف عليه

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لشدايد . (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : القرون (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و مد : فان (٦) زيد فى ظ : من (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٨) راجع سورة ٦٥ آية ١٠ و ١١ .

قوله : ﴿ و ما كنا ﴾ أو[1] الواو للحال من نون "اهلكنا" ﴿ ظالمين ﴾ أى فى إهلاك شىء منها لأنهم كفروا نعمتنا ، و عبدوا غيرنا ، بعد الإعذار إليهم ، و متابعة الحجج[2] ، و مواصلة الوعيد[3] .

و لما أخبر سبحانه أن غاية إنزال هذا القرآن كونه صلى الله عليه و سلم من المنذرين ، و أتبع ذلك ما لاءمه حتى ختم باهلاك من كذب المنذرين ، عطف على قوله " نزل به الروح " قوله إعلاما بأن العناية شديدة فى هذا السياق بالقرآن لتقرير أنه من عند الله و نفى اللبس عنه بقوله[3] : ﴿ و ما تنزلت به ﴾ أى القرآن / ﴿ الشيطين ﴾ أى ليكون سحرا أو كهانة أو شعرا أو أضغاث أحلام كما يقولون . ٧٥٤ /

و لما كان لا يلزم من عدم التلبس بالفعل عدم الصلاحية له قال : ﴿ و ما ينبغى لهم ﴾ أى ما يصح و ما يتصور منهم النزول بشىء[4] منه لأنه خير كله[5] و بركة ، و هم مادة[6] الشر و الهلكة ، فبينهما تمام التباين ، و أنت سكينة و نور ، و هم زلزلة و ثبور ، فلا إقبال لهم عليك ، و لا سبيل بوجه إليك .

و لما كان عدم الانتفاء لا يلزم منه عدم القدرة قال : ﴿ و ما يستطيعون ﴾ أى النزول به و إن اشتدت معالجتهم على تقدير أن يكون لهم قابلية لذلك ؛ ثم علل هذا بقوله : ﴿ انهم عن السمع ﴾ أى

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : اى (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ ومد : الوعد.
(٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : لشىء (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : لكم .
(٦) فى ظ : قادة .

الكامل الحق، من الملأ الأعلى ﴿لمعزولون﴾ أى بما حفظت به السماء من الشهب و بما باينوا به الملائكة فى الحقيقة لأنهم خير صرف، و نور خالص، و هؤلاء شر بحت و ظلمة محضة، فلا يسمعون إلا خطفا، فيصير - بما يسبق إلى أفهامهم، و يتصور من باب الخيال فى أوهامهم - خلطا لاحقيقة لأكثره[1]، فلا وثوق بأغلبه[2]، و لا يبعد أن يكون ذلك عاما حتى يشمل السماع من المؤمنين لما شاركوا به الملائكة من النور و الخير، انظر ما ورد فى آية الكرسى من أنها لا تقرأ فى بيت فيقر به شيطان، و فى رواية : إلا خرج منه الشيطان، و ورد نحوه فى الآيتين من آخر سورة البقرة، و كذا ما كان من أشكال ذلك، و أعظم منه قوله عليه الصلاة و السلام[3] لعمر رضى الله عنه : إنه يا ابن الخطاب و الذى نفسى بيده ما رآك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك . و ترك تعليل الانبغاء[4] لظهوره .

و لما كان تقديره أنهم إلى الطواغيت الباطلة يدعون، و القرآن داع إلى الله الحق المبين، سبب عنه قوله : ﴿ فلا تدع ﴾ و خاطب نبيه عليه الصلاة و السلام و هو أكرم الخلق لديه، و أعزهم عليه، ليكون لطفا لغيره فيما يأتيه من الإنذار، فيكون الوعيد أزجر له، و يكون هو له أقبل ﴿مع الله﴾ أى الحائز لكل كمال الداعى إليه هذا القرآن الذى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : لكثرة (٢) سقط من ظ (٣) راجع مسند الإمام أحمد ١ / ١٧١ و قد رواه البخارى فى غير مناسبة (٤) من مد، و فى الأصل : الاشغاء، و فى ظ : الابتغاء - كذا .

نزل به عليك الروح الأمين، لما بينك و بينهما من تمام النسبة بالنورانية و الخير ﴿ الهاء ﴾ و تقدم فى آخر الفرقان حكمة الإتيان بقوله : ﴿ اخر[1] فتكون ﴾ أى فيتسبب عن ذلك أن تكون[2] ﴿ من المعذبين ﴾ من القادر على ما يريد بأيسر أمر و أسهله ، و هذا الكلام لكل من سمع القرآن فى الحث على تدبر معناه ، و مقصده و مغزاه ، ليعلم أنه فى غاية المباينة للشياطين و ضلالهم ، و الملاءمة للقربين و أحوالهم ، و لعله خاطب به المعصوم ، زيادة فى الحث على اتباع الهدى ، و تجنب الردى ، و ليعطف[3] عليه قوله : ﴿ و انذر ﴾ أى بهذا القرآن ﴿ عشيرتك ﴾ أى قبيلتك ﴿ الاقربين ﴾ أى الأدنين فى النسب ، و لا تحاب أحدا ، فان المقصود الأعظم به النذارة لكف الخلائق عما يثمر[4] الهلاك من اتباع الشياطين الذين اجتالوهم عن دينهم بعد أن كانوا حنفاء كلهم ، و إنذار الأقربين يفهم الإنذار / لغيرهم من باب الأولى[5] ، و يكسر من أنفة الأبعد للمواجهة بما يكره ، لأنه سلك به مسلك الأقرب ، و لقد[6] قام صلى الله عليه و سلم بهذه الآية حق القيام ؛ روى البخارى[7] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما نزلت صعد النبى صلى الله عليه و سلم على الصفا فجعل ينادى : يا بنى فهر [يا بنى عدى -[8]] - لبطون قريش حتى[9] اجتمعوا ، فجعل الرجل

/ ٧٥٥

(١) تقدم فى الأصل على « و تقدم » ، و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكون (٣) فى ظ : لنعطف (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقر . (٥) فى ظ : الاول (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما (٧) راجع كتاب التفسير ٢/٧٠٢ (٨) زيد من ظ و مد و الصحيح (٩) سقط من ظ .

إذا لم يستطع [١]أن يخرج[١] أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب و قريش، فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم[٢] مصدقىّ؟ قالوا: نعم! ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ٥ ألهذا[٣] جمعتنا؟ فنزلت "تبت يدا ابى لهب و تب" و فى رواية[٤] أنه صلى الله عليه و سلم قال: يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم، لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا بنى عبد مناف! لا أغنى عنكم من الله شيئا! يا عباس بن عبد المطلب! لا أغنى عنك من الله شيئا، [٥]و يا صفية عمة رسول الله! لا أغنى عنك من الله شيئا[٥]، و يا فاطمة بنت محمد! سلينى ما شئت من ١٠ مالى، لا أغنى عنك من الله شيئا. و روى القصة أبو يعلى[٦] عن الزبير ابن العوام رضى الله عنه أن قريشا جاءته فحذرهم و أنذرهم، فسألوه آيات سليمان فى الريح و داود فى الجبال و موسى فى البحر و عيسى فى [٧]إحياء الموتى[٧]، و أن يسير الجبال، و يفجر الأنهار، و يجعل الصخر ذهبا، فأوحى الله[٨] إليه و هم عنده، فلما سرى عنه أخبرهم أنه اعطى ما ١٥ سألوه، و لكنه[٩] إن أراهم فكفروا عوجلوا[١٠]. فاختار صلى الله عليه و سلم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ ومد والصحيح، وفى الأصل: كنتم (٣) من ظ و مد و الصحيح، و فى الأصل: لهذا (٤) راجع كتاب التفسير ٢/٧٠٢ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٦) راجع مجمع الزوائد ٧/٨٠. (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الاحياء (٨) سقط من ظ و مد (٩) فى ظ: لكنهم (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: عجلوا.

[الصبر - [1]] عليهم ليدخلهم الله باب الرحمة .

و لما كانت النذارة إنما هى للمتولين ، أمر بضدها لأضدادهم فقال : ﴿و اخفض جناحك﴾ أى لن غاية اللين ، و ذلك لأن[2] الطائر إذا أراد أن يرتفع رفع جناحيه ، فاذا أراد أن ينحط كسرهما و خفضهما ، فجعل ذلك مثلا فى التواضع ﴿لمن اتبعك﴾ و لعله احترز بالتعبير بصيغة الافتعال عن مثل أبى طالب ممن لم يؤمن أو آمن ظاهرا و كان منافقا أو[3] ضعيفا فى الإيمان فاسقا ؛ و حقق المراد بقوله : ﴿من المؤمنين﴾ أى الذين صار الإيمان لهم صفة راسخة سواء كانوا من الأقربين أو الأبعدين .

و لما أفهم ذلك أن هذا الحكم عام فى جميع أحوالهم ، فصل بقوله : ﴿فان عصوك﴾ أى هم فغيرهم[4] [من باب الأولى - [1]] ﴿فقل﴾ أى تاركا لما كنت تعاملهم به حال الإيمان من اللين : ﴿انى برىء﴾ أى منفصل غاية الانفصال ﴿مما تعملون﴾ أى من العصيان الذى أنذر منه القرآن ، و خص المؤمنين إعلاء لمقامهم ، بالزيادة فى إكرامهم ، ليؤذن ذلك المزلزل بالعلم بحاله فيحثه ذلك على اللحاق بهم .

و لما[5] أعلمت هذه الآية بمنابذة من عصى كائنا من كان و لو[6] كان ممن ظهر منه الرسوخ فى الإيمان ، لما يرى منه[7] من عظيم الإذعان ، أتبعه قوله : ﴿و توكل﴾ [أى - [1]] فى عصمتك و نجاتك و الإقبال

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : و غيرهم (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فما (٦) فى ظ : لما (٧) من ظ و مد . وفى الأصل : فيه .

/٧٥٦ بالمنذرين إلى الطاعة، و قراءة / أهل المدينة و الشام[1] بالفاء السببية أدل على ذلك ﴿ على العزيز ﴾ أى القادر على الدفع عنكم و الانتقام منهم ﴿الرحيم ۝﴾ أى المرجو لإكرام[2] الجميع برفع المخالفة و الشحناء، و الإسعاد بالاستعمال فيما يرضيه ؛ ثم أتبع الأمر بالتوكل الوصف بما يقتضى الكفاية فى كل ما ينوب من دفع الضر[3] و جلب النفع، و ذلك هو العلم المحيط المقتضى لجميع أوصاف الكمال، فقال: ﴿الذى يرىك﴾ أى بصرا و علما ﴿حين تقوم ۝﴾ من نومك من فرشك[4] تاركا لحبك، لأجل [رضا - [5]] ربك ﴿ و ﴾ يرى ﴿ تقلبك ﴾ فى الصلاة ساجدا و قائما ﴿فى السجدين ۝﴾ أى المصلين من أتباعك المؤمنين، لكم دوى بالقرآن كدوى النحل، و تضرع من خوف الله، و دعاء و زفرات تصاعد و بكاء، [أى - [6]] فهو جدير لإقبالكم عليه، و خضوعكم بين يديه، بأن يحبوكم بكل ما يسركم.

و لما كانت هذه الأحوال مشتملة على الأقوال، و كان قد قدم الرؤية المتضمنة للعلم، علل ذلك بالتصريح به مقرونا بالسمع فقال: ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ السميع ﴾ أى لجميع أقوالكم ﴿ العليم ۝ ﴾ أى بجميع ما تسرونه و تعلنونه من أعمالكم. و قد تقدم غير مرة أن شمول العلم

(١) راجع نثر المرجان ٥/٧١ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الاكرام.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الضرر (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ، و الكلمة مطموسة فى مد (٦) زيد من ظ و مد.

يستلزم

يستلزم تمام القدرة ، فصار كأنه قال : إنه السميع العليم البصير القدير ، تثبيتا للتوكل عليه .

و لما بين سبحانه أن القرآن مناف لأقوال الشياطين ، و بين أن حال النبي صلى الله عليه و سلم و حال أتباعه منافية لأحوالهم و أحوال من يأتونه من الكهان بما[1] ذكره سبحانه من فعله صلى الله عليه و سلم و فعل أشياعه رضى الله عنهم من الإقبال على الله ، و الإعراض عما سواه ، فعلم أن بينهم و بينهم[2] بونا بعيدا ، و فرقا كبيرا شديدا ، و أن حال النبي صلى الله عليه و سلم موافق لحال الروح الأمين ، النازل عليه بالذكر الحكيم ، تشوفت النفس إلى معرفة أحوال[3] إخوان الشياطين ، فقال[4] محركا لمن يريد ذلك ، متمما[5] لدفع اللبس عن كون القرآن من عند الله ، و فرق بين الآيات المتكفلة[5] بذلك تطرية لذكرها و تنبيها على تأكيد أمرها : ﴿ هل انبئكم ﴾ أى أخبركم خبرا جليلا[6] نافعا فى الدين ، عظيم الجدوى فى الفرقان [بين -[7]] أولياء الرحمن و إخوان الشيطان ﴿على من تنزل﴾ و تتردد[8] ﴿ الشيطين[5] ﴾ حين تسترق السمع على[9] ضرب من الخفاء بما آذن به حذف[10] التاء ، و دخل حرف الجر على الاسم المتضمن للاستفهام ،

(١) فى ظ : لما (٢) فى ظ : بينه (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : مجيبا لمن أراد ذلك متهما (٥) من مد ، و فى الأصل : المتكلفة ، و فى ظ : المتكللة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جليا (٧) زيد من ظ و مد . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تردد (٩) زيد فى الأصل : كل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : حرف .

لأن معنى التضمن أنه كان أصله : أمن ، فحذفت منه الهمزة حذفا مستمرا كما فعل فى 'هل' لأن أصله 'أهل' كما قال :

سايلْ فوارس يربوع بشـــدتنا أهل رأونا بسفح القاع ذى الأكم

فالاستفهام مقدر قبل الجار - أفاده الزمخشرى[1] .

٥ و لما كان كأنــه قيل : نعم أنبئنا ! قال : ﴿ تنزل ﴾ على سبيل التدريج و التردد ﴿ على كل افاك ﴾ أى صراف - على جهة الكثرة و المبالغة - للأمور عن وجوهها بالكذب والبهتان ، و الخداع و العدوان ، من جملة[2] الكهان و أخدان الجان ﴿ اثيم ﴾ فعال[3] للآثام بغاية جهده ، / و هؤلاء الأئمة[4] ﴿ يلقون السمع ﴾ إلى الشياطين ، و يصغون إليهم غاية /٧٥٧

١٠ الإصغاء ، لما بينهما من التعاشق[5] بجامع إلقاء الكذب من غير[6] اكتراث و لاتحاش[6] ، أو يلقى الشياطين[7] ما يسمعونه مما يسترقون استماعه من الملائكة إلى أوليائهم ، فهم بما سمعوا[8] منهم يحدثون ، و بما زينت لهم نفوسهم يخلطون ﴿ و اكثرهم ﴾ أى الفريقين ﴿ كذبون ﴾ فيما ينقلونه عما يسمعونه من الإخبار بما حصل فيما وصل إليهم من التخليط ، و ما

١٥ زادوه من[9] الافتراء و التخبيط انهماكاً[9] فى شهوة علم المغيبات ، الموقع

---

(١) راجع الكشاف ٢/١٠١٣ . (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : جهة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : نقال (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لائمة . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : التفاسق (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : التراب و لا نخاس - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشيطان (٨) فى ظ و مد : يسمعون (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاختلاط و التفريق و من الافتراق و التخبيط انما كا - كذا .

فى الإفك و الضلالات [١]؛ قال الرازى فى اللوامع ما معناه أنه حيثما كان استقامة [٢] فى حال الخيال - أى القوة المتخيلة - كانت منزلة الملائكة ، و حيثما كان اعوجاج فى حال الخيال كان منزل الشياطين ، فمن ناسب الروحانيين من الملائكة كان مهبطهم عليه ، و ظهورهم له ، و تأثيرهم فيه ، و تمثلهم [به - [٣]] ، حتى إذا ظهروا عليه تكلم بكلامهم و تكلموا بلسانه ، و رأى بأبصارهم و أبصروا بعينيه [٤] ، فهم ملائكة يمشون فى الأرض مطمئنين "ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملئكة" و من ناسب الشياطين من الأبالسة كان مهبطهم عليه ، و ظهورهم له ، [و تأثيرهم فيه - [٣]] ، و تمثلهم به ، [حتى إذا ظهروا عليه تكلم بكلامهم و تكلموا بلسانه ، و رأى بأبصارهم و أبصروا - [٣]] بعينيه ، هم شياطين الإنس يمشون فى الأرض مفسدين - انتهى .

و لما بطل - بابعاده عن دركات الشياطين ، و إصعاده إلى درجات الروحانيين ، من الملائكة المقربين ، الآتين عن رب العالمين - كونه سحرا ، و كونه أضغاثا و مفترى ، نفى سبحانه كونه شعرا بقوله : ﴿ و الشعرآء يتبعهم ﴾ أى بغاية الجهد ، [فى - [٣]] قراءة غير نافع بالتشديد [٥] ، لاستحسان مقالهم و فعالهم ، فيتعلمون منهم و ينقلون عنهم ﴿ الغاوٗن ﴾ أى الضالون المائلون عن السنن الأقوم إلى الزنا و الفحش و كل فساد يجر إلى الهلاك ، و هم كما ترى بعيدون من أتباع

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الضلال (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : استفهامه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعينه .
(٥) راجع نثر المرجان ٥/٧٣ .

محمد صلى الله عليه و سلم و رضى عنهم الساجدين الباكين الزاهدين ؛

و لما قرر حال أتباعهم، فعلم منه أنهم هم أغوى منهم، لتهتكهم[1] فى شهوة اللقلقة باللسان، حتى حسن لهم الزور و البهتان، [دل ـ[2]] على ذلك بقوله: ﴿ الم تر انهم ﴾ أى الشعراء. و مثل حالهم بقوله: ٥ ﴿فى كل واد﴾ أى من أودية القول من المدح و الهجو و النسيب و الرثاء و الحماسة و المجون[3] و غير ذلك ﴿ يهيمون ﴾ أى يسيرون سير الهائم[4] حائرين، و عن طريق الحق جائرين، كيفما جرهم القول انجروا من القدح[5] فى الأنساب، و التشبيب بالحرم، و الهجو. و مدح من لايستحق المدح و نحو ذلك، و لهذا قال: ﴿ و انهم يقولون ما لايفعلون ﴾ أى لأنهم ١ لم يقصدوه. و إنما ألجأهم[6] إليه الفن الذى سلكوه[7] فأكثر أقوالهم لاحقائق لها. انظر إلى مقامات الحريرى و ما اصطنع فيها من الحكايات، و ابتدع[8] بها من الأمور المعجبات. التى لاحقائق لها، و قد جعلها / أهل الاتحاد ٧٥٨/ أصلا لبدعتهم الكافرة، و قاعدة لصفقتهم الخاسرة، فما أظهر حالهم، و أوضح ضلالهم! و هذا بخلاف القرآن فانه معان جليلة محققة، فى ألفاظ ١٥ متينة[9] جميلة منسقة، و أساليب معجزة مفحمة، و نظوم معجبة محكمة،

(١) من ظ و مد. و فى الأصل: لتهكهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد. و فى الأصل: الحمون (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: البهايم. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الفتوح (٦) فى ظ: إلجاه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يسلكوه (٨) فى الأصل: ابتدى، و فى ظ: ابدى، و الفعل مطموس فى مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: مثبتة.

لا كلفة فى شىء منها، فـلا رغبة لذى طبع سليم عنها، فأنتج ذلك أنه لايتبعهم على أمرهم إلا غاو مثلهـم، و لايزهد فى [هـذا -[1]] القرآن إلا من طبعه جاف، و قلبه مظلم مدلهم .

و لما كان من الشعر - كما قال النبى صلى الله عليه و سلم - حكمة، و كان - كما قالت عائشة رضى الله تعالى عنها - بمنزلة الكلام منه حسن ٥ و منه قبيح، و كان من الشعراء من يمدح الإسلام و المسلمين، و يهجو الشرك و المشركين، و يزهد[2] فى الدنيا و يرغب[3] فى الآخرة، و يحث على[4] مكارم الأخلاق، و ينفر عن مساوئها، و كان الفيصل بين قبيلى[5] حسنة و قبيحـة كثرة ذكر[6] الله، قال تعالى: ﴿ الا الذين امنوا ﴾ أى بالله و رسوله ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿ الصلحت ﴾ أى التى شرعها ١٠ الله و رسوله لهم ﴿ و ذكروا الله ﴾ مستحضرين ما له من الكمال ﴿ كثيرا ﴾ لم يشغلهم الشعر عن الذكر، بل بنوا شعرهم على أمر الدين و الانتصار للشرع[7]، فصار لذلك كله[8] ذكر الله، و يكفى مثالا لذلك قصيدة عزيت لأبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنـه و جوابها لابن الزبعرى، و كان إذ ذاك على شركه، و ذلك فى أول سرية كانت فى الإسلام. و هى سرية ١٥ عبيدة بن الحارث [بن المطلب بن عبد مناف -[9]] رضى الله تعالى عنه،

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : زهد (٣) فى ظ : رغب (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل : بعث على (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : قبلى (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : على (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : للشيوع . (٨) سقط من ظ (٩) زيد من ظ و مد و الإصابة فى معرفة الصحابة .

فان قصيدة أبي بكر رضى الله تعالى عنه ليس فيها بيت إلا و فيه[1] ذكر الله إما صريحا و إما بذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم أو شيء من دينه، و ما[2] ليس فيه شيء من ذلك فهو آئل[3] إليه لبنائه عليه، و أما نقيضتها فلا شيء فى ذلك فيها؛ قال ابن إسحاق[4]: قال أبو بكر رضى الله تعالى عنه فى غزوة عبيدة بن الحارث رضى الله تعالى عنه:

آيل

أ من طيف سلمى بالبطاح الدمائث ... أرقت و أمر فى العشيرة حادث
ترى من لؤى فرقة لا يصدها ... عن الكفر تذكير و لا بعث باعث
رسول أتاهم صادق فتكذبوا ... عليه و قالوا لست فينا بماكث
إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا ... و هروا هرير المجحرات اللواهث
فكم قد متتنا فيهم بقرابة ... و ترك التقى شيء لهم غير كارث
فان يرجعوا عن كفرهم و عقوقهم ... فما طيبات الحل مثل الخبائث
و إن يركبوا طغيانهم و ضلالهم ... فليس عذاب الله عنهم بلابث
و نحن أناس من ذؤابة غالب ... لنا العز منها فى الفروع الأثائث
فأولى برب الراقصات عشية ... حراجيج تخدى فى السريح الرثائث
كأدم ظباء حول مكة عكف[6] ... يردن حياض البئر[7] ذات النبائث[7]
/ لئن لم يفيقوا عاجلا عن ضلالهم ... و لست إذا آليت قولا بحانث /٧٥٩

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فيها (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: آيد (٤) راجع سيرة ابن هشام ٢ / ٣ (٥ - ٥) من ظ و مد و السيرة، و فى الأصل: المعيشة حارث (٦) فى ظ: عاكف (٧ - ٧) من ظ و مد و السيرة، و فى الأصل: نات النهايث - كذا.

لتبتدرنهم غارة ذات مصدق تحرّم أطهار النساء الطوامث
تغادر[1] قتلى تعصب الطير حولهم ولا ترأف الكفار رأف ابن حارث
فأبلغ[2] بنى سهم لديك رسالة وكل كفور يبتغى الشر باحث
فان تشعثوا عرضى على سوء رأيكم فانى[3] من أعراضكم غير شاعث

[4]فأجابه ابن الزبعرى[5] فقال: ٥

أمن رسم دار أقفرت بالعثاعث بكيت بعين دمعها غير لابث
ومن عجب الأيام والدهر كله له عجب من سابقات وحادث
لجيش[6] أتانا ذى عرام يقوده عبيدة يدعى فى الهياج ابن حارث
[لنترك أصناما بمكة عكفا مواريث موروث كريم لوارث -[7]]
فلما لقيناهم بسمر ردينة وجرد عتاق فى العجاج لواهث ١٠
وبيض كأن الملح فوق متونها بأيدى كماة كالليوث العوائث
نقيم بها أصعار ما كان مائلا ونشفى الذحول[8] عاجلا غير لابث
فكفوا على[9] خوف شديد وهيبة وأعجبهم [10]أمر لهم[10] أمر رائث

(١) من ظ ومد والسيرة، وفى الأصل: تغار (٢) من ظ ومد والسيرة، وفى الأصل: فبلغ (٣) من ظ ومد والسيرة، وفى الأصل: فاين (٤) العبارة من هنا إلى «فقال» ساقطة من ظ ومد (٥) فى الأصل: الزعبرى - خطأ. (٦) من ظ ومد والسيرة، وفى الأصل: لجنس - كذا (٧) زيد البيت من ظ ومد والسيرة (٨) من السيرة، وفى الأصول: الدخول (٩) من ظ ومد والسيرة، وفى الأصل: عن (١٠ - ١٠) من ظ ومد والسيرة. وفى الأصل: اموالهم.

و لو أنهم لم يفعلوا نـاح نسوة أيامى[1] لهم من بين نسء و طامث
و قد[2] غودرت قتلى[2] يخبرّ عنهم حفىّ بهم أو غـافل غير باحث
فأبلـــغ أبا بـكر لديك رسالة فما أنت عن أعراض فهر[3] بماكث
و لمـا تجبْ منى يمين غليظـة تجـــدد حربا حلفه غير جانث

٥ و روى البغوى[4] بسنده من طريق عبد الرزاق من حديث كعب بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه قال للنبى صلى الله عليه و سلم : إن الله قد أنزل فى الشعر[5] ما أنزل ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم : إن المؤمن يجاهد بسيفه[6] و لسانه ، و الذى نفسى بيده ! لكأنما ترمونهم به نضح النبل . و قد كان ابن عباس[7] رضى الله عنهما ينشد الشعر و يستنشده[8] فى المسجد ،

١٠ و[9] روى الإمام أحمد[10] حديث كعب هذا ، و روى النسائى[11] برجال احتج[12] بهم مسلم عن أنس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : جاهدوا[13] المشركين بأموالكم و أنفسكم و ألسنتكم . قال البغوى[7] : و روى أنه - أى ابن عباس رضى الله عنهما - دعا عمر بن أبى ربيعـة المخزومى

(١) من ظ و مد و السيرة ، و فى الأصول : اياس (٢ - ٢) من ظ و مد و السيرة ، و فى الأصل : غودت فلى (٣) من مد و السيرة ، و فى الأصل و ظ : فهو (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٥ / ١٠٨ (٥) من المعالم ، و فى الأصول : الشعراء (٦) من المعالم ، و فى الأصول : بنفسه (٧) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/١٠٩ (٨) فى ظ : ينشده (٩) سقطت الواو من ظ (١٠) راجع مسنده ٦/٣٨٧ . (١١) راجع من سننه أول كتاب الجهاد ص ٤٨٢ (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يحتج (١٣) من ظ و مد و السنن ، و فى الأصل : جاهد .

فاستنشده القصيدة التى قالها[1] :

أمن آل نعمى أنت غاد فمبكر غداة[2] غد أم[3] رائح فمهجر

و هى قريب من تسعين[4] بيتا، فلما فرغها أعادها ابن عباس و كان حفظها بمرة واحدة، و يكفى الشاعر فى التفصى[5] عن ذم هذه الآية له أن لا يغلب عليه الشعر فيشغله[6] عن الذكر حتى يكون من الغاوين، و ليس من شرطه أن لا يكون فى شعره هزل أصلا، فقد كان حسان رضى الله تعالى عنه ينشد النبي صلى الله عليه و سلم مثل قوله فى قصيدة[7] / طويلة / ٧٦٠ مدحه صلى الله عليه و سلم فيها:

كأن سبيئة من بيت رأس يكون مزاجها عسل و ماء[8]

إذا ما الأشربات ذكرن[9] يوما فهن[10] لطيب الراح الفداء

نوليها الملامة إن ألمنا إذا ما كان مغث أو لحاء

و نشربها فتتركنا ملوكا و أسدا ما ينهنهنا اللقاء[11]

---

(١) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: قال فيها (٢) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: غدا (٣) زيد فى الأصل: انت، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و المعالم فحذفناها (٤) من المعالم، و فى الأصول: سبعين (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: النقص (٦) من ظ و مد. و فى الأصل: فيشتغله (٧) راجع شرح ديوانه المطبوع بمصر ص ٣ (٨) زيد فى الديوان:

على أنيابها أو طعم غض من التفاح هصره الجناء

(٩) من ظ و مد و الديوان، و فى الأصل: لنكون - كذا (١٠) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و مد و الديوان (١١) من ظ و مد و الديوان، و فى الأصل: القاء.

و قد كان تحريم الخمر سنة ثلاث من الهجرة أو سنة أربع، و هذه القصيدة قالها حسان رضى الله تعالى عنه فى الفتح سنة ثمان أو فى عمرة القضاء سنة سبع، فهى مما[1] يقول الشاعر ما لايفعل .

و لما عرف سبحانه بحال المستثنين فى الذكر الذى هو أساس كل أمر، أتبعه ما[2] حملهم على الشعر من الظلم الذى[3] رجاهم النصر[4] فقال: ﴿ و انتصروا ﴾ أى كلفوا أنفسهم أسباب النصر بشعرهم فيمن آذاهم ﴿ من بعد ما ظلموا[5] ﴾ أى وقع ظلم الظالم لهم بهجو و نحوه .

و لما أباح سبحانه الانتصار من الظالم، و كان البادئ - إذا اقتصر المجيب على جوابه - أظلم، و كان - إذا تجاوز - جديرا بأن يعتدى فيندم، حذرالله الاثنين[5] مؤكدا للوعيد بالسين فى قوله الذى كان السلف الصالح يتواعظون به [6]لأنك لا تجد[6] أهيب منه، و لا أهول و لا أوجع لقلوب المتأملين[7]، و لا أصدع لأكباد المتدبرين[8]: ﴿ و سيعلم ﴾ و بالتعميم فى قوله: ﴿ الذين ظلموآ ﴾ أى كلهم من كانوا، [و -[9]] بالتهويل بالإبهام فى قوله: ﴿ اىّ منقلب ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة ﴿ ينقلبون ﴾ و قد انعطف آخرها - كما ترى بوصف الكتاب المبين بما[10] وصف به من

(١) من مد، و فى الأصل: ما، و فى ظ: بما (٢) فى ظ: بما (٣) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى ظ: الشعر .
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الايتين (٦ - ٦) فى ظ: لانه لايجد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: المتالمين (٨) فى ظ: المنذرين (٩) زيد من ظ و مد .
(١٠) فى ظ: كما .

الجلالة و العظم بأنه من [عند -[1]] الله متنزلا به خير مليكته[2] ، على أشرف خليقته[3] ، مزيلا لكل لبس ، منفيا[4] عنه كل باطل ، و بالختام بالوعيد على الظلم[5] - على أولها فى تعظيم الكتاب المبين ، و تسلية النبي الكريم ، صلى الله عليه و سلم ، و وعيد الكافرين الذين هم أظلم الظالمين ، و اتصل بعدها فى وصف القرآن المبين ، و بشرى [6] المؤمنين و وعيد الكافرين[6] ، فسبحان من أنزله على النبي الأمى الأمين ، هدى للعالمين ، و آية بينة باعجازه للخلائق أجمعين ، باقية إلى يوم الدين[7] .

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ملائكته (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : خلقه (٤) فى ظ : منفهما (٥) فى ظ : الظالم (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : للومنين و وعيد للكافرين ، و سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٧) زيد فى الأصل : جعلنا اسن الناجين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

سورة النمل[1]

مقصودها وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط المستقيم، و طريق الحائرين، و الجمع لأصول الدين، لإحاطة علم منزله بالخفي و المبين، و بشارة المؤمنين، و نذارة الكافرين، يوم[2] اجتماع الأولين و الآخرين، و كل ذلك يرجع إلى العلم / المستلزم للحكمة، فالمقصود الأعظم منها إظهار العلم و الحكمة [كما -[3]] كان مقصود التي قبلها إظهار البطش و النقمة، و أدل ما فيها على هذا المقصود ما للنمل من حسن التدبير، و سداد المذاهب في العيش، و لاسيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد في السياسة، و حسن التعبير عن ذلك القصد، و بلاغة التأدية ﴿بسم الله﴾ الذي كمل علمه فبهرت حكمته ﴿الرحمن﴾ الذي عم بالهداية بأوضح البيان[4] ﴿الرحيم ۝﴾ الذي منّ بجنان النعيم، على من ألزمه الصراط المستقيم ﴿طسٓ قف﴾ يشير إلى طهارة الطور [و ذي طوى منه -[3]] و طيب طيبه، و سعد بيت المقدس الذي بناه سليمان عليه الصلاة و السلام [التي انتشر منها الناهي عن الظلم، و إلى أنه -[3]] لما طهر سبحانه بني إسرائيل، و طيبهم بالابتلاء فصبروا[5]، خلصهم من فرعون و جنوده بمسموع موسى عليه الصلاة و السلام للوحي[6] المخالف لشعر الشعراء، و إفك الآثمين و زلته[7] من الطور،

٧٦١/ ٥

١٠

١٥

---

(١) السابعة و العشرون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها خمس و تسعون آية حجازي و أربع بصري و شامي و ثلاث كوفي - راجع روح المعاني ٦/٢٥٢ (٢) في ظ: يوم (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل: بيان (٥) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها. (٦) من ظ و مد، و في الأصل: الوحي (٧) من ظ و مد، و في الأصل: رسالته.

و لم

و لم يذكر تمام أمرهم باغراق فرعون ، لأن مقصودها إظهار العلم و الحكمة دون البطش و النقمة ، [1]فلم يقتض[1] الحال ذكر الميم .

و لما ختم[2] التي قبلها بتحقيق أمر القرآن ، و أنه من عند الله ، و نفى الشبه عنه و تزييف ما كانوا يتكلفونه من تفريق القول فيه بالنسبة إلى السحر و الأضغاث و الافتراء و الشعر ، الناشئ كل ذلك عن أحوال الشياطين ، و ابتدأ هذه بالإشارة إلى [أنه من الكلام القديم - [3]] المسموع المطهر عن وصمة تلحقه من شيء من ذلك ، تلاه بوصفه بأنه كما أنه منظوم مجموع لفظا و معنى لا فصم فيه و لا خلل ، و لا وصم[4] و لا زلل ، فهو جامع لأصول الدين ناشر لفروعه ، بما[5] أشار إليه من الكون من المسلمين فقال : ﴿ تلك ﴾ [أي -[3]] الآيات العالية المقام ، البعيدة المرام ، البديعة النظام ﴿ آيات القرآن ﴾ أي الكامل في قرآنيته الجامع للأصول ، الناشر للفروع ، الذي لا خلل فيه و لا فصم ، و لا صدع و لا وصم ﴿ و ﴾ آيات ﴿ كتاب ﴾ أي و أيّ كتاب هو مع كونه جامعا لجميع ما يصلح المعاش و المعاد ، قاطع في إحكامه ، غالب في أحكامه ، في كل من نقضه و إبرامه ، و عطفه دون إتباعه للدلالة على أنه[6] كامل في كل من قرآنيته و كتابيته ﴿ مبين ﴾ أي بين في نفسه أنه من عند الله [كاشف -[3]] لكل مشكل ، موضح لكل ملبس مما كان و مما هو كائن[7] من الأحكام و الدلائل في الأصول و الفروع ، و النكت و الإشارات و المعارف ، فيا له من جامع فارق واصل فاصل .

(١-١) من ظ و مد ، و في الاصل : نقتص (٢) في ظ و مد : ختمت (٣) زيد من ظ و مد (٤) في ظ : و هم (٥) سقط من ظ (٦) زيد في الأصل: كان ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٧) زيدت الواو في ظ .

و لما كانت العناية فى هذه السورة بالنشر - الذى هو من لوازم الجمع فى مادة "قرا" كما مضى بيانه أول الحجر - أكثر، قدم القرآن، يدل على ذلك انتشار أمر[1] موسى عليه الصلاة و السلام فى أكثر قصته بتفريقه من أمه، و خروجه من وطنه إلى مدين، و رجوعه مما صار إليه إلى ما كان فيه، و التماسه[2] لأهله الهدى / و الصلى و اضطراب العصى و بث الخوف منها، و آية اليد و جميع الآيات التسع، و اختيار التعبير بالقوم الذى أصل معناه القيام، و إبصار الآيات، و انتشار الهدهد، و إخراج الخبأ الذى منه تعلم منطق الطير، و تكليم الدابة للناس، و انتشار المرأة [و -[3]] قومها و عرشها بعد تردد الرسل[4] بينها و بين سليمان عليه الصلاة و السلام، و كشف الساق، و افتراق ثمود إلى فريقين، مع الاختصام المشتت، و انتثام[5] قوم لوط عليه السلام إلى ما [لا -[3]] يحل، و تفريق الرياح نشرا، و تقسيم الرزق بين السماء و الأرض، و مرور الجبال، و نشر الريح لنفخ الصور الناشىء عنه فزع الخلائق المبعثر للقبور، إلى غير ذلك مما إذا تدبرت السورة انفتح لك بابه، و انكشف عنه حجابه، وهذا بخلاف ما فى الحجر على ما مضى.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما أوضح فى سورة الشعراء عظيم رحمته بالكتاب، و بيان ما تضمنه مما فضح به الأعداء، و رحم به الأولياء، و براءته من أن تتسور[6] الشياطين عليه، و باهر آياته الداعية من اهتدى بها إليه، فتميز[7] بعظيم آياته كونه فرقانا قاطعا، و نورا ساطعا، أتبع سبحانه ذلك مدحة و ثناء، و ذكر من شملته رحمته به تخصيصا و اعتناء، فقال "تلك آيت القرآن" أى الحاصل عنها مجموع تلك الأنوار

٧٦٣/ ٥

١٠

١٥

٢٠

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ: انقسامه (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: المرسل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: انتشار (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: نشور (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فيتميز.

آيات القرآن "و كتب مبين هدى و بشرى للمؤمنين" ثم وصفهم ليحصل للتابع قسطه من بركة التبع، و ليتقوى رجاؤه فى النجاة مما أشار إليه "و سيعلم الذين ظلموا" من عظيم ذلك المطلع؛ ثم اتبع ذلك بالتنبيه على صفة الآهلين لما تقدم من التقول و الافتراء تنزيها لعباده المتقين، و أوليائه المخلصين، عن دنس الشكوك و الامتراء فقال "ان الذين لايؤمنون بالأخرة زينا لهم اعمالهم فهم يعمهون" أى يتحيرون فلا يفرقون بين النور و الإظلام، لارتباك الخواطر و الأفهام؛ ثم اتبع[1] ذلك بتسليته عليه الصلاة و السلام بالقصص الواقعة بعد تنشيطا له و تعريفا بعلى[2] منصبه، و إطلاعا له على عظيم[3] صنعه تعالى فيمن تقدم، ثم ختمت[4] السورة بذكر أهل القيامة و بعض ما بين يديها، و الإشارة إلى الجزاء و نجاة المؤمنين، و تهديد من تنكب[5] عن سبيله عليه الصلاة و السلام - انتهى.

و لما عظم سبحانه آيات الكتاب بما فيها من[6] الجمع من النشر مع الإبانة، ذكر حاله فقال: ﴿هدى﴾ و لما كان الشيء قد يهدى إلى مقصود يكدر حال قاصده. قال نافيا لذلك، و عطف [عليه -[7]] بالواو دلالة على الكمال فى كل من الوصفين: ﴿و بشرى﴾ [أى -[8]] عظيمة.

فلما تشوفت النفوس[9]، و ارتاحت القلوب. فطم من ليس بأهل عن عظيم هذه الثمرة فقال: ﴿للمؤمنين﴾ أى الذين صار ذلك لهم

(١) فى ظ: تبع (٢) فى ظ: بعلو (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بعجيب.
(٤) فى ظ: ختم (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: نكب (٦) فى ظ: مع (٧) زيد من ظ (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: النفس.

٧٦٣ / وصفا[1] لازما بما كان لهم قبل دعاء الداعى / من طهارة الأخلاق، و طيب الأعراق، و فى التصريح بهذا الحال تلويح بأنه فتنة و إنذار للكافرين "يضل به كثيرا و يهدى به كثيرا فاما الذين فى قلوبهم زيغ" - الآية، "قل هو للذين آمنوا هدى و شفاء"، "و الذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر و هو عليهم عمى" - إلى غير ذلك من الآيات .

و لما كان وصف الإيمان خفيا، وصفهم بما يصدقه من الأمور الظاهرة فقال : ﴿ الذين يقيمون الصلوٰة ﴾ أى بجميع حدودها الظاهرة و الباطنة من المواقيت و الطهارات[2] و الشروط و الأركان و الخشوع و الخضوع و المراقبة و الإحسان إصلاحا لما بينهم و بين الخالق .

و لما كان المقصود الأعظم من الزكاة إنما هو التوسعة على الفقراء قال : ﴿ و يؤتون الزكوٰة ﴾ أى إحسانا فيما بينهم و بين الخلائق .

و لما كان الإيمان بالبعث هو الجامع لذلك و لغيره من سائر الطاعات، ذكره معظما لتأكيده، فقال معلما بجعله حالا [إلا -[3]] أنه شرط لما قبله : ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم .

و لما كان الإيمان بالبعث هو السبب الأعظم للسعادة و هو محط للحكمة، عبر فيه بما يقتضى الاختصاص، لا للاختصاص بل للدلالة على غاية الرسوخ فى الإيمان به، فقال : ﴿ بالاخرة هم ﴾ أى المختصون بأنهم ﴿ يوقنون ٥ ﴾ أى يوجدون الإيقان حق[4] الإيجاد و يجددونه[4] فى كل حين[5]

(١) فى ظ : وصف (٢) فى ظ و مد : الطهارة (٣) زيد من ظ و مد .
(٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل : الاتخاذ و يجدونه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : حال .

بما يوجد منهم من الإقدام على الطاعة ، و الإحجام[1] عن المعصية .

و لما أفهم التخصيص أن ثَم من يكذب[2] بها و كان أمرها مركوزا في الطباع ، لما عليها من الأدلة الباهرة في العقل و السماع ، تشوفت نفس[3] السامع على سبيل التعجب[4] إلى حالهم ، فقال مجيبا له مؤكدا تعجيبا[5] ممن ينكر ذلك : ﴿ ان الذين لايؤمنون ﴾ أي يوجدون الإيمان و يجددونه ٥ ﴿ بالأخرة زينا ﴾ أي بعظمتنا التي لايمكن دفاعها ﴿ لهم اعمالهم ﴾ أي القبيحة ، حتى أعرضوا عن الخوف من عاقبتها مع ظهور قباحتها ، و الإسناد إليه سبحانه حقيقي عند أهل السنة لأنه الموجد الحقيقي ، و إلى الشيطان مجاز سببي ﴿ فهم ﴾ أي فتسبب عن ذلك أنهم ﴿ يعمهون ۝ ﴾ أي يخبطون خبط من لابصيرة له أصلا و يترددون في أودية الضلال ، و يتمادون ١٠ في ذلك ، [6]فهم كل لحظة في خبط جديد ، بعمل غير سديد و لا سعيد ، فان العمه التحير و التردد كما هو حال الضال[6] .

و لما خص المؤمنين بما علم منه أن لهم حسن الثواب ، و أنهم في الآخرة هم الفائزون ، ذكر ما يختص بـــه هؤلاء من ضد ذلك فقال : ﴿ اولـٰئك ﴾ أي [7]البعداء البغضاء[7] ﴿ الذين لهم ﴾ أي خاصة ﴿ سوء العذاب ﴾ ١٥ في الدارين : في الدنيا بالأسر و القتل و الخوف ﴿ و هم في الأخرة هم ﴾

---

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : الاحكام (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : كذب (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : النفس (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : التعجيب (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : معجبا (٦-٦) تداخل ما بين الرقمين في ظ و مد بعد « لابصيرة له أصلا » (٧ - ٧) من ظ و مد ، و في الأصل : البغضاء البعداء .

المختصون بأنهم ﴿ الاخسرون ٥ ﴾ أى أشد الناس خسارة لأنهم خسروا ما لا خسارة مثله ، و هو أنفسهم التى لايمكنهم إخلافها .

/ ٧٦٤ و لما وصف القرآن من الجمع و الفرقان ، بما اقتضى / بيان أهل الفوز و الخسران ، و كان حاصل حال الكفرة أنهم يتلقون كفرهم [1]الذى هو[1] فى غاية [السفه إما عن الشياطين الذين هم فى غايه الشر ، و إما عن آبائهم الذين هم فى غاية -[2]] الجهل ، وصف النبى صلى الله عليه و سلم بضد حالهم ، فذكر جلالة المنزل عليه و المنزل ليكون أدعى إلى قبوله . فقال عاطفا على " ان الذين لايؤمنون بالآخرة " : ﴿ و انك ﴾ أى و أنت أشرف الخلق و أعلمهم و أحلمهم و أحكمهم ﴿ لتلقى القرآن ﴾ أى تجعل متلقيا له من الملك ، و حذف هنا الواسطة و بناه للمفعول إعلاء له .

و لما كانت الأمور التى من عند الله تارة تكون على مقتضى الحكمة فتسند إلى أسبابها ، و أخرى خارقة للعادة فتنسب[3] إليه سبحانه ، و الخارقة [تارة -[2]] تكون فى أول رتب الغرابة[4] فيعبر عنها بعند ، و تارة تكون فى أعلاها فيعبر عنها بلدن ، نبه سبحانه على أن هذا القرآن فى الذروة من الغرابة فى أنواع الخوارق فقال : ﴿ من لدن ﴾ .

و لما مضى فى آخر الشعراء [5]ما تقدم[5] من الحكم الجمة فى تنزيله بهذا اللسان ، و على قلب سيد ولد عدنان ، بوساطة[6] الروح الأمين ، مباينا لأحوال الشياطين ، إلى غير ذلك مما مضى إلى أن ختمت بتهديد الظالمين .

(١-١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذين هم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيتسبب (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : القرابة . (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بواسطة .

وكان الظالم إلى الحكمة أحوج منه إلى [مطلق -[1]] العلم، و قدم في هذه أنه هدى، و كان الهادى لا يقتدى به و لا يوثق بهدايته إلا إن كان في علمه حكيما، اقتضى السياق تقديم وصف الحكمة، و اقتضى الحال التنكير لمزيد التعظيم فقال: ﴿ حكيم ﴾ أى بالغ الحكمة، [2]فلا شيء[2] من أفعاله إلا و هو فى غاية الإتقان ﴿ عليم ﴾ أى عظيم العلم واسعه تامه ٥ شامله، فهو بعيد جدا عما ادعوه فيه من أنه كلام الخلق الذى لا علم لهم و لا حكمة إلا ما آتاهم الله، و مصداق ذلك عجز جميع الخلق عن الإتيان بشيء من مثله، و إدراك شيء من مغازيه حق إدراكه.

و لما وصفه بتمام الحكمة و شمول العلم، دل على كل من الوصفين، و على إبانة[3] القرآن و ما له من العظمة التى أشار إليها أول السورة بما[4] ١٠ يأتى فى السورة من القصص و غيرها، و اقتصر فى هذه السورة على هذه القصص لما بينها من عظيم التناسب [المناسب -[1]] لمقصود السورة، فابتدئ بقصة أطبق فيها الأباعد على الكفران فأهلكوا، و الأقارب على الإيمان[5] فأنجوا، و ثنى بقصة أجمع فيها الأباعد على الإيمان، لم يتخلف منهم إنسان، و ثلث بأخرى حصل بين الأقارب فيها الفرقان، باقتسام الكفر و الإيمان، ١٥ و ختم بقصة تمالأ الأباعد فيها على العصيان، و أصروا على الكفران[6]،

---

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: فامسى (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اياته (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مما (٥) زيد فى الأصل: فابتدى بقصة، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الكفر.

فابتلعتهم الأرض ثم غطوا بالماء كما بلع[1] الأولين الماء فكان فيه النواء .

و لما كان تعلق "اذ" باذكر من الوضوح[2] فى حد لا يخفى على أحد ، قال دالا على حكمته و علمه : ﴿اذ﴾ طاويا لمتعلقه لوضوح أمره فصار كأنه ﴿ قال ﴾ : اذكر حكمته و علمه حين قال ﴿ موسى لاهله ﴾ [أى زوجه -[3]] و هو راجع من مدين إلى مصر . قيل : و لم / يكن معه غيرها : ﴿ انى آنست ﴾ أى أبصرت إبصارا حصل لى الأنس ، و أزال عنى الوحشة و النوس ﴿ نارا[4] ﴾ فعلم بما فى هذه القصة من الأفعال المحكمة المنبئة عن تمام العلم اتصافه بالوصفين علما مشاهدا ، و قدم [ما -[3]] الحكمة فيه أظهر لاقتضاء الحال التأمين من نقض ما يؤمر به من الأفعال .

٧٦٥ / ٥

و لما كان كأنه قيل : فما ذا تصنع[4] ؟ قال آتيا بضمير المذكر المجموع للتعبير عن[5] الزوجة المذكورة بلفظ "الاهل" الصالح للذكر و الجمع صيانة لها و سترا ، جازما بالوعد للتعبير بالخير الشامل للهدى و غيره ، فكان[6] تعلق الرجاء به أقوى من تعلقه بخصوص[7] كونه هدى ، و لأن[8] مقصود السورة يرجع إلى العلم ، فكان الأليق به الجزم ، و لذا عبر بالشهاب الهادى لأولى الألباب : ﴿ سآتيكم ﴾ أى بوعد صادق و إن أبطأت

(١) فى ظ : ابلغ (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ : تفعل ، و هو فى مد مطموس (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٦) فى ظ : و كان (٧) فى ظ : بخصوصه (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا .

﴿ منها بخبر ﴾ أى و لعل بعضه يكون مما نهتدى به فى هذا الظلام إلى الطريق ، وكان قد ضلها ﴿ او اتيكم بشهاب ﴾ أى شعلة من نار ساطعة ﴿ قبس ﴾ أى عود جاف مأخوذ من معظم النار فهو بحيث قد استحكمت فيه النار فلا ينطفئ ؛ و قال البغوى[1] : و قال بعضهم : الشهاب شىء ذو[2] نور مثل العمود ، و العرب تسمى كل أبيض ذى نور شهابا ، و القبس : القطعة من النار . فقراءة الكوفيين بالتنوين على البدل أو الوصف ، و قراءة غيرهم بالإضافة[3] ، لأن القبس أخص . و علل إتيانه بذلك إفهاما لأنها ليلة باردة بقوله : ﴿ لعلكم تصطلون ﴾ أى لتكونوا فى حال من يرجى أن يستدفئ[5] بذلك أى يجد به الدفء لوصوله معى فيه النار ، و آذن بقرب وصوله فقال : ﴿ فلما جآءها ﴾ أى تلك التى ظنها نارا .

و لما كان البيان بعد الإبهام أعظم ، لما فيه من التشويق[4] و التهيئة للفهم ، بنى للمفعول قوله : ﴿ نودى ﴾ أى[6] من قبل الله تعالى .

و لما أبهم المنادى فتشوفت النفوس إلى بيانه ، وكان البيان بالإشارة أعظم ، لما فيه من توجه النفس إلى الاستدلال ، نبه [سبحانه -[6]] عليه بجعل الكلام على طريقة كلام القادرين ، إعلاما بأنه الملك الأعلى فقال بانيا للمفعول ، [آتيا -[6]] بأداة التفسير ، لأن النداء[7] بمعنى القول[7] :

---

(١) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥/١١٠ (٢) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : ذى (٣) راجع نثر المرجان ٥ / ٧٩ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : التشريق (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ و مد . (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمعنى المقول .

﴿ ان بورك ﴾ أى ثبت تثبيتا يحصل منه من النماء و الطهارة و جميع الخيرات ما لا يوصف ﴿ من فى النار ﴾ أى بقعتها، أو طلبها و [1]هو طلب[1] بمعنى الدعاء، و العبارة تدل على أن الشجرة كانت كبيرة و أنها لما دنا منها بعدت منه النار إلى بعض جوانبها [فتبعها، فلما توسط الردحة أحاط به النور -[2]]، و سمى النور نارا على ما كان فى ظن موسى عليه الصلاة و السلام، [و قال سعيد بن جبير[3]: بل كانت نارا كما رأى موسى عليه السلام -[2]]، و النار من حجب الله كما فى الحديث: حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه. ﴿ و من حولها[1] ﴾ من جميع الملائكة عليهم السلام و تلك الأراضى المقدسة [على ما أراد الله فى ذلك الوقت و فى غيره -[2]] /و حق [4]لتلك الأراضى[4] أن تكون كذلك لأنها مبعث الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و مهبط الوحى عليهم[5] و كفاتهم أحياء و أمواتا. /٧٦٦

و لما أتاه النداء - كما ورد - من[6] جميع الجهات، فسمعه[7] بجميع الحواس، أمر بالتنزيه، تحقيقا لأمر من أمره سبحانه، و تثبيتا له، فقال عاطفا على ما[8] أرشد السياق إلى تقديره من مثل: فأبشر بهذه البشرى العظيمة: ﴿ و سبحن الله ﴾ أى و نزه الملك الذى له الكمال المطلق تنزيها[9]

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: و مر موسى و هو خير (٢) زيد من ظ و مد. (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١١١ (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: للاراضى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اليهم (٦) سقط من ظ و مد (٧) فى ظ: يسمعه (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بما.

يليق بجلاله ، [1]و يجوز أن يكون خبرا معطوفا على "بورك" [أى -[2]] و تنزه الله سبحانه تنزها[3] يليق بجلاله عن أن يكون فى موضع النداء أو غيره من الأماكن .

و لما كان تعليق ذلك بالاسم العلم دالا[4] على أنه يستحق[5] ذلك لمجرد ذاته المستجمع لجميع صفات الكمال ، من الجلال و الجمال ، وصفه بما[6] يعرف أنه يستحقه أيضا لأفعاله بكل مخلوق التى منها ما يريد أن يربى[7] به موسى عليه الصلاة و السلام كبيرا بعد ما رباه به[8] صغيرا ، فقال : ﴿ رب العلمين ﴾ .

و لما تشوفت النفس إلى تحقق الأمر تصريحا ، قال معظما له تمهيدا لما أراد سبحانه إظهاره [9]على يده من المعجزات الباهرات[9] : ﴿ يـموسى انه ﴾ أى الشأن العظيم الجليل الذى لايبلغ وصفه ﴿ انا الله ﴾ أى البالغ من العظمة ما تقصر عنه الأوهام ، و تضاءل دونه نوافذ الأفهام[8] ، ثم أفهمه مما تضمن ذلك وصفين يدلانه على أفعاله معه[8] فقال : ﴿ العزيز ﴾ [أى -[10]] الذى يصل إلى جميع ما يريد و لا يوصل إلى شىء مما عنده من غير الطريق التى يريد ﴿ الحكيم ﴾ أى[8] الذى ينقض كل ما يفعله غيره إذا أراد ،

(١) العبارة من هنا إلى « يليق بجلاله » ساقطة من ظ (٢) زيد من مد . (٣) من مد . و فى الأصل : تنزيها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٥) زيد فى ظ : ايضا لا فعله بكل مخلوق (٦) فى ظ : ما (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يرى (٨) سقط من ظ (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد . (١٠) زيد من ظ و مد .

و لا يقدر غيره أن ينقض شيئا من[1] فعله .

و لما كان التقدير : فافعل جميع ما آمرك به فانه لا بد منه ، و لاتخف من شيء فانه لا يوصل إليك بسوء لأنه متقن بقانون الحكمة ، محروس بسور العزة ، دل عليه بالعطف فى قوله : ﴿ و الق عصاك[4] ﴾ أى لتعلم علما شهوديا عزتى و حكمتى - [2]أو هو معطوف على "ان بورك[2]" - [3]فألقاها كما أمر ، فصارت[3] فى الحال - بما أذنت به الفاء - حية عظيمة جدا ، هى[4] - مع كونها فى غاية العظم - فى نهاية الخفة و السرعة فى اضطرابها عند محاولتها ما يريد ﴿ فلما رآها تهتز ﴾ أى تضطرب [فى تحركها - [5]] مع كونها فى غاية الكبر ﴿ كانها جآن ﴾ أى حية صغيرة فى خفتها و سرعتها ، و لا ينافى ذلك كبر جثتها ﴿ ولى ﴾ أى[6] موسى عليه الصلاة و السلام .

و لما كانت التولية مشتركة بين معان ، بين المراد بقوله : ﴿مدبرا﴾ أى التفت هاربا منها مسرعا جدا لقوله : ﴿ و لم يعقب[4] ﴾ أى لم يرجع على عقبه ، و لم يتردد فى الجد فى الهرب ، و لم يلتفت إلى ما وراءه بعد توليته ، يقال : عقب عليه تعقيبا ، أى كر . و عقب فى الأمر تعقيبا : تردد[7] فى طلبه مجدا - هذا فى ترتيب المحكم . و فى القاموس : التعقيب :

(١) فى ظ : مما (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣ - ٣) تأخر ما بين الرقمين فى ظ و مد عن « به الفاء » (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى . (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ترد .

الالتفات . و قال القزاز فى ديوانه : عقب[1] - إذا انصرف راجعا فهو/ معقب . ٧٦٧/

و لما تشوفت النفس إلى ما قيل له عند هذه الحالة ، أجيبت بأنه قيل له : ﴿يموسى لا تخف﴾ ثم علل هذا النهى بقوله ، مبشرا بالأمن و الرسالة : ﴿ انى لا يخاف لدىّ ﴾ أى [فى -[2]] الموضع الذى هو من غرائب نواقض العادات ، و هى وقت الوحى و مكانه ﴿المرسلون﴾ أى لأنهم معصومون من الظلم ، و لايخاف من الملك العدل إلا ظالم . ٥

و لما دل أول الكلام و آخره على أن التقدير ما ذكرته ، و علم منه أن من ظلم خاف ، و كان المرسلون بل الأنبياء معصومين عن صدور[3] ظلم ، و لكنهم لعلو مقامهم ، و عظيم شأنهم ، يعد عليهم خلاف الأولى ، بل بعض المباحات المستوية ، بل أخص من ذلك ، كما قالوا « حسنات الأبرار سيئات المقربين » ، استدرك سبحانه من ذلك بأداة الاستثناء ما يرغب المرهبين من عواقب الظلم آخر تلك فى التوبة ، و ينبه موسى عليه السلام على غفران[4] وكزة القبطى له ، و أنه لاخوف عليه بسببه و إن كان قتله مباحا لكونه خطأ مع أنه كافر ، لكن علو المقام يوجب التوقف عن الإقدام إلا باذن خاص ، و لذلك سماه هو ظلما فقال " [رب -[5]] انى ظلمت نفسى فاغفر لى" و هو من[6] التعريضات التى[7] يلطف مأخذها ١٠ ١٥

(١) فى ظ : اعقب (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : صدود (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : غفرانه (٥) زيد من ظ و مد و القرآن الكريم آية ٤٤ من النمل (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى. (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما .

فقال: ﴿ الا ﴾ [1]أو المعنى[1]: لكن ﴿ من ظلم ﴾ كائنا من كان، بفعل سوء[2] ﴿ ثم بدل ﴾ بتوبته ﴿ حسنا بعد سوء ﴾ و هو الظلم الذى كان عمله[3]، أى جعل الحسن بدل[4] السوء كالسحرة الذين آمنوا بعد ذلك بموسى عليه الصلاة و السلام فانى أغفره له بحيث يكون كأنه لم يعمله أصلا، و أرحمه بما أسبغ عليه من[5] ملابس الكرامة المقارنة للأمن و العز[6] و إن أصابه قبل ذلك نوع خوف. ثم علل ذلك بأن المغفرة و الرحمة صفتان له ثابتتان، فقال: ﴿فانى﴾ [أى أرحمه بسبب أنى -[7]] ﴿غفور﴾ أى من شأنى أنى[8] أمحو الذنوب محوا يزيل جميع آثارها ﴿ رحيم ﴾ أعامل التائب منها معاملة الراحم البليغ الرحمة بما يقتضيه حاله[9] من الكرامة، فازيل أثر ما كان وقع فيه من موجب[10] الخوف و هو الظلم.

و لما أراه سبحانه [هذه الخارقة فيما كان فى يده بقلب جوهرها إلى جوهر شىء آخر حيوانى، أراه -[7]] آية أخرى فى يده نفسها بقلب عرضها الذى كانت عليه إلى عرض آخر نورانى، فقال: ﴿ و ادخل يدك فى جيبك ﴾ أى فتحة ثوبك، و هو ما قطع منه ليخيط بعنقك ﴿ تخرج ﴾ أى إذا أخرجتها ﴿ بيضآء ﴾ أى بياضا عظيما نيرا

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: موسى (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: علمه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بعد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: منى (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: العفو (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: حلمه (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: موجبة.

جدا ، له شعاع كشعاع الشمس .

و لما كان ربما وقع فى وهم أن هذا لآفة ، قال : ﴿من غير سوء﴾ أى برص و لاغيره من الآفات ، آية أخرى كائنة ﴿فى﴾ جملة ﴿تسع آيات﴾ كما تقدم شرحها فى سورة الإسراء و غيرها ، منتهية على يدك برسالتى لك ﴿الى فرعون و قومه﴾ أى الذين هم أشد أهل هذا الزمان قياما فى الجبروت و العدوان ؛ ثم علل إرساله إليهم بالخوارق بقوله : ﴿انهم كانوا﴾ أى كونا كأنه جبلة لهم ﴿قوما فسقين﴾ أى خارجين عن طاعتنا / لتردهم إلينا . ٨٦٨ /

و لما كان التقدير : فأتاهم كما أمرناه فعاندوا أمرنا ، قال منبها على ذلك ، دالا بالفاء على سرعة إتيانه إليهم امتثالا لما امر به : ﴿فلما جآءتهم آيتنا﴾ أى على يده ﴿مبصرة﴾ أى سبب الإبصار لكونها منيرة ظاهرة جدا ، فهى هادية لهم إلى الطريق الأقوم هداية النور لمن يبصر ، فهو لايخطئ شيئا ينبغى أن ينتفع به ﴿قالوا هذا سحر﴾ أى خيال لاحقيقة له ﴿مبين﴾ أى واضح فى أنه خيال ﴿و جحدوا﴾ أى أنكروا عالمين ﴿بها﴾ أى أنكروا كونها آيات موجبات لصدقه مع علمهم بابطالهم لأن الجحود الإنكار مع العلم .

و لما كان الجحد معناه إنكار الشىء مع العلم به ، حقق ذلك بقوله : ﴿و استيقنتها﴾ أى و الحال أنهم قد طلبوا الوقوف على حقائق أمرها

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٢) سقط من ظ (٣) سقط من ظ و مد .

حتى تيقنتها فى كونها حقا [١] ﴿ انفسهم ﴾ و تخلل عليها صميم عظامهم ، فكانت ألسنتهم مخالفة لما فى قلوبهم ، و لذلك أسند الاستيقان إلى النفس .

ثم علل جحدهم و وصفهم لها بخلاف وصفها فقال : ﴿ ظلما و علوا [٢] ﴾ أى إرادة وضع الشىء فى غير حقه ، و التكبر على الآتى به ، تلبيسا [٣] على عباد الله .

و لما كان التقدير : فأغرقناهم أجمعين أيسر سعى و أهون أمر فلم يبق منهم غير [٤] تطرف ، و لم يرجع منهم مخبر ، على كثرتهم و عظمتهم و قوتهم ، عطف عليه تذكيرا به مسببا عنه قوله : ﴿ فانظر ﴾ و نبه على أن خبرهم [٥] مما تتوفر [٦] الدواعى على السؤال عنه [٧] لعظمته ، فقال معبرا بأداة الاستفهام : ﴿ كيف كان ﴾ و كان الأصل : عاقبتهم ، أى آخر أمرهم ، و لكنه أظهر فقال : ﴿ عاقبة المفسدين ﴾ ليدل [على [٨]] الوصف الذى كان سببا لأخذهم تهديدا لكل من ارتكب مثله .

و لما تم بهذه القصة الدليل على حكمته ، توقع السامع الدلالة على علمه سبحانه ، فقال مبتدئا بحرف [٩] التوقع مشيرا إلى أنه لا نكير فى فضل الآخر على الأول عاطفا على ما تقديره : فلقد آتينا موسى و أخاه هارون عليهما السلام حكمة و هدى و علما و نصرا على من

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : حق (٢) فى ظ : تلبسا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عين (٤-٤) من ظ و مد . و فى الأصل : يتوفد - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليه (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : برفع (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اختار .

خالفها و عزا : ﴿و لقد آتينا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿داود[1] و سليمن﴾ أى ابن داود ، و هما من أتباع موسى عليهم السلام و بعده بأزمان متطاولة ﴿علما ٤﴾ أى جزاء من العلم عظيما من منطق الطير و الدواب و غير ذلك لم نؤته[2] لأحد قبلهما .

و لما كان التقدير : فعملا بمقتضاه ، عطف عليه قوله : ﴿و قالا﴾ ٥ شكرا عليه[3] ، دلالة على شرف العلم و تنبيها لأهله على التواضع : ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة بجميع أوصاف[4] الكمال ﴿لله﴾ أى الذى لامثل له و له الجلال و الجمال ﴿الذى فضلنا﴾ أى بما آتانا من ذلك ﴿على كثير من عباده المؤمنين ٥﴾ أى الذين[5] صار[6] الإيمان لهم[6] خلقا .

و لما كان كل منهما عليهما السلام قد أوتى ما ذكر ، أشار إلى ١٠ فضل سليمان عليه السلام بأنه جمع إلى ما آتاه ما كان منح به أباه فقال : ﴿و ورث سليمن داود﴾ أى أباه / عليهما السلام دون إخوته ٧٦٩/ فى النبوة و العلم و الملك الذى كان قد خصه الله دون قومه بجمعه له إلى النبوة ، فشكر الله على ما أنعم به[7] عليه أولا و ثانيا ﴿و قال﴾ أى سليمان عليه السلام محدثا بنعمة ربه و منبها على ما شرفه الله به ، ليكون ١٥ أجدر فى قبول الناس ما يدعوهم إليه من الخير : ﴿يـأيها الناس﴾ .

---

(١) وقع فى الأصل بعد « لقد آتينا » و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم نوجه (٣) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى ظ : الاوصاف (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : الذى . (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم الايمان (٧) سقط من ظ .

و لما كان من المعلوم أنه [1]لامعلم له[1] إلا الله ، فانه لايقدر على ذلك غيره ، قال بانيا للمفعول : ﴿ علمنا ﴾ أى أنا و أبى [بأيسر أمر و أسهله ممن لايقدر على ما علمنا سواه و لو كان المقصود هو وحده لم يكن من التعاظم فى شىء ، بل هو كلام الواحد المطاع ، تنبيها على تعظيم الله بما عظمه به مما يختص بالقدرة عليه أو بالأمر به كما كان النبى صلى الله عليه و سلم يفعل إذا كان هناك حال يحوج إليه كما قال فى الزكاة : إنا آخذوها و شطر ماله[2] عزمة من عزمات ربنا عز و جل ، و كما كان يكتب لبعض الجبابرة - [3]] ﴿ منطق الطير ﴾ أى فهم ما يريد كل طائر إذا صوت ، و المنطق ما يصوت[4] به من المفرد و المؤلف المفيد و غير المفيد ، و لابدع فى أن الذى آتى كل نفس هداها و علمها[5] تميز منافعها و مضارها يؤتيها قوة تدرك بها تخاطبا بينها يتفاهم كل نوع منها به فيما يريد ، و يكون ذلك قاصرا عن[6] إدراك الإنسان لخصوصه بالجزئيات الناشئة عن الحسيات ﴿ و اوتينا ﴾ ممن له العظمة بأيسر أمر من أمره ﴿ من كل شىء[1] ﴾ أى يكمل به ذلك من أسباب الملك و النبوة و غيرهما[7] ، و عبر باداة الاستغراق تعظيما للنعمة كما يقال لمن يكثر تردد الناس إليه : فلان[8] يقصده كل أحد .

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعلم (٢) و فى مسند الإمام ٥/٢ : إبله . (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتصوت (٥) فى ظ : علمنا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلا .

و لما كان هذا أمرا باهرا، دل عليه بقوله مؤكدا بأنواع التأكيد [1]و شاكرا[1] حاثا لنفسه على مزيد الشكر و هازّا لها إليه: ﴿ان هذا﴾ أى الذى أوتيناه ﴿لهو الفضل المبين ه﴾ أى البين فى نفسه لكل من ينظره، الموضح لعلو قدر صاحبه و وحدانية مفيضه و مؤتيه.

و لما كان هذا مجرد خبر[2]. أتبعه ما يصدقه فقال: ﴿و حشر﴾ أى جمع جمعا حتما بقهر و سطوة و إكراه بأيسر سعى ﴿لسليمن جنوده﴾.

و لما دل ذلك على عظمه، زاد فى الدلالة عليه بقوله: ﴿من الجن﴾ بدأ بهم لعسر جمعهم[3] ﴿و الانس﴾ ثنى بهم لشرفهم و مشاركتهم لهم فى ذلك من حيث تباعد[4] أغراضهم و تناءى قصودهم.

و لما ذكر ما يعقل و بدأ به لشرفه، أتبعه ما لا يعقل فقال: ﴿و الطير﴾ و لما كان الحشر معناه الجمع بكره. فكان لا يخلو عن انتشار، و كان التقدير: و سار بهم فى بعض الغزوات، سبب عنه قوله تعظيما للجيش و صاحبه: ﴿فهم يوزعون ه﴾ أى يكفون بجيش أولهم على آخرهم بأدنى أمر و أسهله ليتلاحقوا، فيكون ذلك أجدر بالهيبة، و أعون على النصرة. و أقرب إلى السلامة؛ عن قتادة[5] أنه كان على كل[3] صنف من جنوده وزعة ترد أولاها على أخراها لئلا يتقدموا فى المسير، قال: و الوازع: الحابس و هو النقيب. و أصل الوزع[6] الكف و المنع[6].

(١-١) من ظ ومد، وفى الأصل: شاكرا و (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: خبره (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ و مد: تباعدهم (٥) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١١٤ (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: و المانع.

ولما كان التقدير : فساروا، لأن الوزع لا يكون إلا عن سير، غياه بقوله: ﴿حتى[٢] إذا أتوا﴾ أي أشرفوا. ولما كان على بساطه فوق متن الريح بين[١] السماء والأرض، عبر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿على واد النمل[٣]﴾ وهو واد بالطائف - كما نقله البغوي[٤] عن كعب، وهو الذي تميل إليه النفس فإنه معروف إلى الآن عندهم بهذا الاسم، ويسمى أيضا نخب[٥] وزن كتف، وقد رأيته لما قصدت تلك الديار لرؤية مشاهدها، والتطواف[٤] في معابدها ومعاهدها. والتبرك بآثار الهادي، في الانتهاء والمبادئ، ووقفت بمسجد فيه قرب سدرة تسمى الصادرة مشهورة[٥] عندهم أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى به، وهذه السدرة[٦] مذكورة في غزوة الطائف من السيرة الهشامية[٧] واقتصر في تسمية الوادي على نخب، وأنشدت فيه يوم وقوفي ببابه، وتضرعي في أعتابه[٨]:

/٧٧٠

مررت بوادي النمل يا صاح بكرة ... فصحت وأجريت الدموع على خدي
وتممت منه موقف الهاشمي الذي ... ملا[٩] الأرض توحيدا يزيد على العد
وكم موقف أفرشته حر جبهتي ... وأبديت في أرجائه ذلة العبد[١٠]

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: من (٢) في المعالم بهامش اللباب ٥/١١٤.
(٣) راجع معجم البلدان ٨/٢٧٢ (٤) من ظ و مد، وفي الأصل: الطواف.
(٥) من مد، وفي الأصل وظ: مشهورة (٦) زيد في الأصل: مشهورة، ولم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٧) في ظ: الهاشمية - خطأ، - راجع منها ٣/٢٤ (٨) زيد في ظ: قال (٩) من ظ و مد، وفي الأصل: ما (١٠) من ظ و مد، وفي الأصل: الصدى.

في

- فى قصيدة طويلة .

و لما كانوا فى أمر يهول منظره، و يوهى القوى مخالطته و مخبره، فكان التقدير : فتبدت طلائعهم، و تراءت راياتهم و لوامعهم، و أحمالهم و ضائعهم[1]، [نظم به قوله -[2]] : ﴿قالت نملة﴾ أى من النمل الذى بذلك الوادى : ﴿يـٰأيها النمل﴾ و لما حكى عنهم سبحانه ما هو من[3] شأن العقلاء، عبر بضمائرهم فقال : ﴿ادخلوا﴾ أى قبل وصول ما أرى من الجيش ﴿مسـٰكنكم ج﴾ ثم عللت أمرها معينة لصاحبه إذ[4] كانت أماراته لاتخفى فقالت جوابا للأمر[5] أو مبدلا منه[5] : ﴿لايحطمنكم﴾ أى يكسرنكم و يهشمنكم أى لاتبرزوا فيحطمنكم . فهو[6] نهى لهم عن البروز فى صورة نهيه و هو أبلغ من التصريح بنهيهم لأن من نهى كبيرا عن شىء كان لغيره أشد نهيا ﴿سليمن و جنوده لا﴾ أى فانهم لكثرتهم إذا صاروا فى هذا الوادى استعلوا عليه فطبقوه[6] فلم يدعوا منه موضع شبر خاليا ﴿و هم﴾ أى سليمان عليه السلام و جنوده ﴿لايشعرون ه﴾ أى بحطمهم لكم [7]لاشتغالهم بما هم[7] فيه من أحوال السير، و تعاطى مصالحه، مع صغر أجسامكم، و خفائكم [8]على السائر[8] فى حال اضطرابكم و مقامكم،[9] و قولها هذا يدل على[9]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنايقهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٤) فى ظ : اذا (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : استينافا أو بدلا من ادخلوا - مع البياض فى البداية (٦) سقط من ظ . (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاشغالهم بما هو (٨-٨) من ظ و مد . و فى الأصل : عن السائرين (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

[1]علمها بأنهم لو شعروا بهم ما آذوهم لأنهم أتباع نبي فهم رحماء[1] .

و لما كان هذا أمرا معجبا لما فيه من جزالة الألفاظ و جلالة المعاني ، تسبب عنه قوله : ﴿ فتبسّم ﴾ و لما دل ذلك على الضحك ، و كان [2]ذلك قد يكون[2] للغضب ، أكده و حققّ معناه بقوله : ﴿ ضاحكا من قولها ﴾ أي لما أوتيته من الفصاحة و البيان ، و سرورا بما وصفته به من العدل في أنه و جنوده لا يؤذون أحدا و هم يعلمون ﴿ و قال ﴾ متذكرا ما أولاه[4] ربه سبحانه بحسن تربيته من فهم كلامها إلى ما أنعم عليه من غير ذلك : ﴿ رب ﴾ أي أيها المحسن إليّ ﴿ اوزعنيّ أن[5] ﴾ أي اجعلني مطيقا لأن ﴿ اشكر نعمتك ﴾ أي وازعا له كافا مرتبطا حتى لا يغلبني . و لا يتفلت

/٧٧١/ ١٠ / مني ، و لا يشذ عني وقتا ما .

و لما أفهم ذلك تعلق النعمة [به -[6]] ، حققه بقوله : ﴿ التيّ انعمت عليّ ﴾ و ربما أفهم قوله[7] : ﴿ و على والديّ ﴾ أن أمه كانت [أيضا -[6]] تعرف منطق الطير . و تحقيق معنى هذه العبارة أن مادة " وزع " - بأيّ ترتيب كان - يدور على المنعوز - لخرقه بالية[8] يلف بها الصبي ، ١٥ و يلزمها التمييز ، فان الملفوف بها يتميز عن غيره ، و منه الأوزاع[9] ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد ، و في الأصل : ربما (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : حققه (٤) في ظ و مد : آتاه (٥) ليس في الأصل فقط (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : بقوله . (٨) من ظ و مد ، و في الأصل : تاليه - كذا (٩) من القاموس ، و في الأصل : الازاع ، و في ظ و مد : الاوزاعي .

و هم الجماعات المتفرقة ، و يلزمها أيضا الإطاقة فان أكثر الناس يجدها[1] ، و منه العزون - لعصب من الناس[2] ، فانهم يطيقون ما يريدون و يطيقهم من يريدهم[3] ، و منه الوزع[4] و هو كف ما يراد كفه ، و الولوع[5] بما يراد ، و منه الإيعاز - للتقدم بالأمر و النهى ، و الزوع للجذب ، و يلزمها أيضا الحاجة فانه لا يرضى بها دون الجديد إلا محتاج ، فمعنى الآية : اجعلنى وازعا - أى مطيقا - أن أشكرها كما يطيق[6] الوازع كف ما يريد[7] كفه ، و يمكن أن يكون مدار المادة الحاجة لأن الأوزاع - و هم الجماعات - يحتاجون إلى الاجتماع جملة ، و الكافّ محتاج إلى امتثال ما يكفه لأمره ، و الجاذب محتاج إلى الزوع أى الجذب ، و المولع بالشىء فقير إليه ، و الموعز محتاج إلى قبول وصيته ، فالمعنى[8] : اجعلنى وازعا أى فقيرا إلى الشكر ، أى ملازما له مولعا به ، لأن كل فقير[9] إلى شىء مجتهد فى تحصيله ، و يلزم على هذا التخريج احتقار العمل ، فيكون سببا للأمن من الإعجاب ، [و فى الآية تنبيه على بر الوالدين فى سؤال القيام عنهم بما لم يبلغاه من الشكر -[10]] - و الله الموفق . و الشكر فى اللغة فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منعما كالثناء على المنعم بما يدل على أن الشاكر قد عرف نعمته و اعترف له بها و حسن موقعها عنده ، و خضع قلبه له لذلك ، و حاصله أنه اسم لمعرفة النعمة لأنها السبيل إلى معرفة المنعم فانه إذا عرفها تسبب فى[11]

(١) فى مد : نجدها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الباس (٣) فى ظ : يردهم ، و فى مد : يردوهم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الوازع (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يطلق (٧) فى ظ : يراد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فان المعنى (٩) زيد فى ظ : محتاج . (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن .

التعرف إليه ، فسلك طريق التعرف و جد في الطلب، و من جد وجد ، و يروى عن داود عليه الصلاة و السلام أنه قال: يا رب كيف أشكرك و الشكر نعمة أخرى منك أحتاج عليها[1] إلى شكر آخر؟ فأوحى الله تعالى إليه: يا داود! إذا علمت أن ما بك من نعمة فمني فقد شكرتني . و الشكر ثلاثة أشياء: الأول معرفة النعمة بمعنى إحضارها في الخاطر بحيث يتميز [عندك -[2]] أنها نعمة ، فرب جاهل يحسن إليه و ينعم عليه و هو لا يدري ، فلا جرم أنه لا يصح[3] منه الشكر . و الثاني: قبول النعمة بتلقيها من المنعم باظهار الفقر و الفاقة ، فان ذلك شاهد بقبولها حقيقة ، و الثالث: الثناء بها بأن تصف المنعم بالجود و الكرم و نحوه مما يدل على حسن تلقيك لها و اعترافك بنزول مقامك في الرتبة عن مقامه ، فان اليد العليا خير من اليد السفلى ، و هو على ثلاث درجات: الأولى الشكر على المحاب[4] أي الأشياء المحبوبة ، و هذا شكر تشارك فيه المثبتون المسلمون و اليهود و النصارى و المجوس ، فان الكل يعتقدون ان الإحسان الواصل من الرحمن واجب معرفته على الإنسان[5] ، و من سعة بر الباري سبحانه و تعالى أن عده شكرا مع كونه واجبا على الشاكر ، و وعد عليه الزيادة ، و أوجب فيه المثوبة إحسانا و لطفا . الثانية: الشكر في المكاره ، و هو إما من[6] رجل لا يميز بين الحالات ، بل يستوى عنده المكروه و المحبوب ، فاذا نزل به المكروه شكر الله عليه بمعنى أنه أظهر الرضا بنزوله به ، و هذا مقام الرضا . و إما من رجل

/ ٧٧٢

(١) من ظ و مد ، و في الأصل: اليها (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد في الأصل: عندك ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد ، و في الأصل: اللحات - كذا (٥) من ظ و مد ، و في الأصل: الاحسان (٦) سقط من ظ .

يميز بين الأحوال فهو لا يحب المكروه و لا يرضى بنزوله، فإن نزل به مكروه فشكره عليه إنما هو كظم الغيظ و ستر الشكوى و إن كان باطنه[1] شاكيا، و الكظم[2] إنما هو لرعاية الأدب بالسلوك فى مسلك العلم، فإنه يأمر العبد بالشكر فى السراء و الضراء. الثالثة[3]: أن لا يشهد العبد إلا المنعم باشتغاله بالاستغراق فى مشاهدته عن مشاهدة النعمة، و هذا الشهود على ثلاثة أقسام: ٥ أحدها أن يستغرق فيه عبودة، فيكون مشاهدا له مشاهدة العبد للسيد بأدب العبيد إذا حضروا بين يدى سيدهم، فإنهم ينسون ما هم فيه من الجاه و القرب الذى ما حصل لغيرهم، باستغراقهم فى الأدب، و ملاحظتهم لسيدهم خوفا من أن يسير[4] إليهم[5] فى أمر فيجدهم غافلين، و هذا أمر معروف عند من صحب الملوك. فصاحب هذا الحال إذا أنعم عليه سيده ١٠ فى هذه الحالة، مع قيامه فى حقيقة العبودة[6]، استعظم الإحسان، لأن العبودة[7] توجب عليه أن يستصغر نفسه. ثانيها أن يشهد[8] سيده شهود محبة غالبة، فهو بسبب هذا الاستغراق فيه، يستحلى[9] منه الشدة، و قد قال بعض عشاق حسن الصورة لا صورة الحسن فأحسن:

من لم يذق ظلم الحبيب كظلمه حلوا فقد جهل المحبة ادعى. ١٥

ثالثها أن يشهد شهود تفريد يرفع الثنويه و يفنى[10] الرسم و يذهب الغيرية[11]،

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: باطنا (٢) فى ظ: الكاظم (٣) فى ظ: الثالث. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يشير (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ و مد: العبودية (٧) فى ظ: العبودية (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: يستشهد. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يستحن (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: نفى (١١) فى ظ: العبرة.

فاذا وردت عليه النعمة أو الشدة كان مستغرقا فى الفناء فلم يحس بشىء منهما .

و لما علم من هذا كله أن الشاكر هو المستغرق فى الثناء على المنعم بما[1] يجب عليه من العمل من فناء أو غيره بحسب ما يقدر عليه ، و كان ٥ ذلك العمل مما يجوز أن يكون زين لذلك العبد كونه حسنا و هو ليس كذلك ، قال صلى الله عليه و سلم مشيرا إلى هذا المعنى : ﴿و ان اعمل صلحا﴾ أى فى نفس الأمر . و لما كان العمل الصالح قد لا يرضى المنعم لنقص فى العامل كما قيل [2]فى معنى ذلك[2] :

/ إذا كان المحب قليل حظ فما حسناته إلا ذنوب /٧٧٣

١٠ قال : ﴿ترضنه﴾ .

و لما كان العمل الصالح المرضى قد لا يعلى[3] إلى درجة المرضى[4] عنهم ، لكون العامل منظورا إليه بعين السخط ، لكونه ممن سبق عليه الكتاب بالشقاء ، لأن الملك المنعم تام الملك عظيم الملك فهو بحيث لا يسأل عما يفعل ، قال معرضا عن عمله معترفا بعجزه ، معلما بأن المنعم ١٥ غنى عن العمل و عن غيره ، لا تضره معصية و لا ينفعه طاعة : ﴿و ادخلنى برحمتك﴾ أى لا بعملى[5] ﴿فى عبادك الصلحين ۝﴾ أى [لما -[6]] أردتهم له من تمام النعمة بالقرب و النظر إليهم بعين العفو

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .
(٣) فى ظ : على (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المرض (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعمل (٦) زيد من ظ و مد .

و الرحمة و الرضا .

و لما كان التقدير : فوصل إلى المنزل الذى قصده فنزله و تفقد أحوال جنوده كما يقتضيه العناية بأمور الملك ، أى تجنب فقدهم بأن تعرف من هو منهم موجود و من هو منهم مفقود[1] ، الذى يلزمه أن لايغيب أحد منهم : ﴿و تفقد الطير﴾ إذ[2] كانت أحد أركان جنده ففقد الهدهد ﴿فقال ما لى﴾ أى أىّ شىء حصل لى حال كونى ﴿لآارى الهدهد﴾ [3]أى أهو[3] حاضر ، و ستره عنى ساتر ، و قوله : ﴿ام كان من الغآئبين ه﴾ كما أنه يدل على ما[4] قدرته يدل على أنه فقد جماعة من الجند ، فتحقق غيبتهم و شك فى غيبته ، و ذكره له دونهم يدل على عظيم منزلة الهدهد[1] فيما له عنده من النفع ، [و أن غيبة غيره كانت بأمره عليه السلام . ثم قال على سبيل الاستئناف إقامة لسياسة الملك ما يدل أيضا على عظمته -[5]] ، قالوا : إنه يرى الماء فى الأرض كما يرى الإنسان[6] الماء من داخل[7] الزجاج فينقر الأرض فتأتى الشياطين فتستخرجه : ﴿لاعذبنه﴾ أى بسبب غيبته فيما لم آذن فيه ﴿عذابا شديدا﴾ أى مع إبقاء روحه تأديبا له و ردعا لأمثاله ﴿او لاَ اذبحنهٓ﴾ أى تأديبا لغيره ﴿او لياتينى﴾ أى ليكونن[8] أحد هذه الثلاثة الأشياء ، أو تكون " أو " الثانية بمعنى " إلا أن "

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : اذا (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو .
(٤) سقط من ظ ومد (٥) زيد من ظ ومد (٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : الارض (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : دخل (٨) فى ظ : ليكون .

فيكون المعنى : ليكونن[1] أحد الأمرين[2] : التعذيب أو الذبح ، إلا أن يأتيني[3] ﴿بسلطن مبين﴾ أي حجة واضحة في عذره ، فكأنه قال : و الله ليقيمن عذره أو لأفعلن معه أحد الأمرين[4] ﴿فمكث﴾ أي فترتب على ذلك أنه مكث[5] بعد الحلف [6]بالتهديد زمانا[6] قريبا ﴿غير بعيد﴾ من زمان التهديد ، و أتى خوفا من هيبة سليمان عليه السلام ، و قياما بما يجب عليه من الخدمة[7]، [قرأه عاصم و روح عن يعقوب بفتح الكاف على الأغلب في الأفعال الماضية ، و ضمه الجماعة إشارة إلى شدة الغيبة عن سليمان عليه السلام ليوافق إفهام حركة الكلمة ما أفهمه تركيب الكلام ـ[8]] ﴿فقال﴾ [عقب إتيانه مفخما للشأن و معظما لرتبة العلم و دافعا لما علم أنه أضمر من عقوبته ـ[8]] : ﴿احطت﴾ أي علما ﴿بما لم تحط به﴾ أي أنت من اتساع علمك و امتداد ملكك ، و الإحاطة : العلم بالشيء من جميع جهاته ، و في هذه المكافحة التنبيه على أن أضعف الخلق قد يؤتى ما لا يصل إليه أقواهم لتتحاقر إلى العلماء علومهم و يردوا العلم في كل شيء إلى الله ، و فيه إبطال لقول[9] الرافضة : إن الإمام لا يخفى عليه شيء ، و لا يكون في زمانه من هو أعلم منه .

و لما أبهمه تشويقا[10] ، و أخذ بمجامع القلب إلى تعرفه ، ثنى بمدح

---

(١) في ظ : ليكونن (٢) زيدت الواو بعده في الأصل ، و لم تكن في ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : اتاني (٤) زيد في الأصل : قريبا ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٥) زيد في ظ : اي (٦ - ٦) في ظ : و التهديد زمنا ـ كذا (٧) زيد في الأصل : من جميع الجهات ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و في الأصل : القول (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : تشريفا .

/ الخبر مجلياً بعض إبهامه، هزاً للنفس إلى طلب إتمامه، فقال: ﴿و جئتك﴾ ٧٧٤ /
أى الآن ﴿من سبأ﴾ قيل: إنه اسم رجل صار علما[1] لقبيلة، و قيل: أرض
فى بلاد اليمن، و حكمة تسكين قنبل[2] له بنية الوقف الإشارة[3] إلى تحقير أمرهم
بالنسبة إلى نبى الله سليمان عليه السلام بأنهم ليست لهم معه حركة أصلا على
ما هم فيه من الفخامة و العز و البأس الشديد ﴿بنبأ﴾ أى خبر عظيم ﴿يقين ٥﴾ ٥
و هو من أبدع الكلام موازنة فى اللفظ و مجانسة[4] فى الخط مع ما له من
الانطباع و الرونق، فكأنه قيل: ما هو؟ فقال: ﴿انى وجدت امرأة﴾
و هى بلقيس بنت شراحيل ﴿تملكهم﴾ [أى أهل سبأ -[5]].

و لما كانت قد أوتيت من كل ما يحتاج إليه الملوك أمرا كبيرا قال:
﴿و اوتيت﴾ بنى الفعل للمفعول[6] إقرارا بأنها[6] مسخ ملكها مربوبة ١٠
﴿من كل شىء﴾ تهويلا لما رأى من أمرها.

و لما كان عرشها - أى السرير الذى تجلس عليه للحكم - زائدا فى
العظمة، خصه بقوله: ﴿و لها عرش﴾ أى سرير تجلس عليه للحكم ﴿عظيم ٥﴾
أى لم أر لأحد مثله.

و لما كان فى خدمة أقرب أهل ذلك الزمان إلى الله فحصل له ١٥
من النورانية ما هاله لأجله إعراضهم عن الله، قال مستأنفا تعجبيا:

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد و نثر المرجان ٥ / ٩١، و فى الأصل: قل - كذا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: للاشارة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مجالسة (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اقرار مع أنها هى.

﴿ وجدتها و قومها ﴾ أى كلهم على ضلال كبير ، و ذلك أنهم ﴿ يسجدون للشمس ﴾ مبتدئين ذلك ﴿ من دون الله ﴾ أى [من -[1]] أدنى رتبة من رتب الملك الأعظم الذى لامثل له ، و هى رتبة الأفعال لأنها مصنوع من مصنوعاته تعالى سواء كان ذلك[2] مع الاستقلال[2] أو الشرك ﴿ و زين لهم الشيطن اعمالهم ﴾ أى هذه القبيحة حتى صاروا يظنونها حسنة .

و لما تسبب عن ذلك أنه أعماهم عن طريق الحق قال : ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾ أى الذى لا سبيل إلى الله غيره ، و هو الذى بعث به[3] أنبياءه و رسله عليهم الصلاة و السلام .

و لما تسبب عن ذلك ضلالهم ، قال : ﴿ فهم ﴾ أى بحيث ﴿ لا يهتدون ﴾ أى لا يوجد لهم هدى ، بل هم فى ضلال صرف ، و عمى[4] محض .

و لما كان هذا الضلال عجبا فى نفسه فضلا عن أن يكون من قوم يجمعهم جامع ملك مبناه السياسة [5]التى محطها[5] العقل الذى هو نور الهداية ، و دواء الغواية ، علله بانتفاء أعظم مقرب إلى الله : السجود ، تعظيما له و تنويها به فقال : ﴿ الّا ﴾ [أى لئن لا -[1]] ﴿ يسجدوا ﴾ أى حصل لهم هذا العمى العظيم الذى استولى به[6] عليهم الشيطان لانتفاء سجودهم ، و يجوز

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاستقلال .
(٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد فى الأصل : صرف ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥-٥) زيد من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى محطها (٦) سقط من ظ .

أن يتعلق بالتزيين ، أى زين لهم لئلا يسجدوا ﴿ لله ﴾ أى يعبدوا الذى له الكمال كله بالسجود الذى هو محل الأنس ، و محط القرب ، و دارة المناجاة ، و آية المعافاة ، فانهم لو سجدوا له سبحانه لاهتدوا ، فان الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر ، ففات الشيطان ما يقصده منهم من الضلال ، و على قراءة الكسائى و أبى جعفر[1] بالتخفيف [2]و إشباع فتحة الياء[2] يكون استئنافا ، بدئ بأداة الاستفتاح تنبيها لهم على عظم المقام لئلا / يفوت الوعظ أحدا منهم بمصادفته غافلا ، ثم نادى لمثل ذلك و حذف المنادى إيذانا بالاكتفاء بالإشارة لضيق الحال ، خوفا من المبادرة بالنكال عن استيفاء العبارة التى كان حقها : ألا يا هؤلاء اسجدوا لله ، أى لتخلصوا من أسر[3] الشيطان ، فان السجود مرضاة للرحمن ، و مجلاة[4] للعرفان ، و مجناة لتمام الهدى و الإيمان . / ٧٧٥

[5]و لما كانت [القصة -[6]] فى بيان علمه سبحانه السابق لعلم الخلائق المستلزم للحكمة ، وصفه بما يقتضى ذلك فقال : ﴿ الذى يخرج الخبء[5] ﴾ و هو الشىء المخبوء[7] بالفعل المخفى فى غيره ، و هو ما وجد و غيب عن الخلق كالماء الذى فى بطن[8] الأرض ، أو بالقوة و هو ما لم يوجد أصلا ، و خصه بقوله : ﴿ فى السمٰوٰت و الارض ﴾ لأن ذلك منتهى مشاهدتنا ،

(١) راجع نثر المرجان ٥/٩٣ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) فى ظ : امر (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : مجراة (٥) العبارة من هنا إلى «ذلك نقال» ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخبا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعض .

فنظر ما [١]يتكون فيها[١] بعد أن لم [يكن -[٢]] من سحاب و مطر و نبات و توابع ذلك من الرعد و البرق و غيرهما، و ما يشرق من الكواكب و يغرب - إلى غير ذلك من الرياح، و البرد و الحر، و الحركة و السكون، و النطق و السكوت[٣]، و ما [لا -[٢]] يحصيه إلا الله تعالى، و المعنى أنه ٥ يخرج ما هو فى عالم الغيب فيجعله فى عالم الشهادة.

و لما كان ذلك قد [يخص بما لم يضمر فى القلوب كالماء الذى كان يخرجه الهدهد و كان ذلك قد -[٢]] يعرف بأمارات، و كان ما تضمره القلوب[٤] أخفى، قال: ﴿و يعلم ما يخفون[٥]﴾ و لما كان هذا مستلزما لعلم الجهر، و كان للتصريح ما ليس لغيره من المكنة و الطمأنينة، مع ١٠ أن الإعلان ربما[٦] كان فيه من اللغط [٧]و اختلاط[٧] الأصوات ما يمنع [٨]المستمع من العلم[٨]، قال: ﴿و ما يعلنون[٥]﴾ أى يظهرون.

و لما كان هذا الوصف موجبا لأن يعبد سبحانه وحده، صرح بما يقتضيه فى قوله: ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له؛ [و لما كان هذا إشارة إلى أنه لا سمى له، أتبعه التصريح بأنه لا كفوء له -[٢]] ١٥ فقال: ﴿لآ اله الا هو ﴾ و لما [كان -[٢]] وصف عرشها بعظم ما، قال: ﴿ رب ﴾ أى[٢] مبدع و مدبر ﴿العرش العظيم[٥]﴾ السجدة أى الكامل فى

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: تكون بها (٢) زيد من ظ و مد. (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الظنون (٥) قرأه الكسائى و حفص بالتاء الفوقانية - راجع نثر المرجان ٥/٩٤ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بما (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨ - ٨) من ظ و مد، و فى الأصل: المستمتع للعلم.

العظم الذى لا عظيم[1] يدانيه، و هو محتو على جميع الأكوان، [و قد ثبت أن صاحبه أعظم منه و من كل عظيم بآية الكرسى و بغيرها، فقطع ذلك لسان التعنت عند ذكره مع مزيد اقتضاء السياق له لأنه للانفراد بالإلهية المقتضية للقهر و الكبر بخلاف آية[2] المؤمنون - [3]]، و هذه آية سجدة على كل[4] القراءتين، لأن مواضع السجود إما مدح [5]لمن أتى[5] بها، أو ذم لمن تركها، كقراءة التشديد، أو أمر بالسجود كقراءة التخفيف، [و الكل ناظر إلى العظمة - [3]].

و لما صح قوله فى كون هذ اخبرا عظيما، و خطبا جسيما، حصل التشوف إلى جوابه فقيل: ﴿ قال ﴾ أى سليمان عليه السلام للهدهد: ﴿ سننظر ﴾ أى نختبر ما قلته ﴿ اصدقت ﴾ أى فيه فنعذرك. و لما كان الكذب بين يديه - لما أوتيه من العظمة بالنبوة و الملك الذى لم يكن لأحد بعده - يدل على رسوخ القدم فيه، قال: ﴿ ام كنت ﴾ أى كونا هو كالجبلة[6] ﴿ من الكٰذبين ۝ ﴾ - أى معروفا بالانخراط فى سلكهم، [فانه لايجترئ على الكذب عندى إلا من كان عريقا فى الكذب - [3]] دون "أم كذبت" لأن هذا يصدق بمرة واحدة. ثم شرع فيما يختبره به، فكتب له كتابا على الفور فى غاية الوجازة قصدا للاسراع فى إزالة المنكر على تقدير / صدق الهدهد بحسب الاستطاعة، و دل على إسراعه فى كتابته بقوله جوابا له: ﴿اذهب بكتٰبى هٰذا﴾[7] قول من

٧٧٦ /

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: عظم (٢) ٨٦ (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥-٥) من ظ ومد، و فى الأصل: لوافى (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بالجبلة (٧) زيد فى الأصل: اى هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

كان مهيئا عنده و دفعه إليه .

و لما كان عليه السلام قد زاد قلقه بسجودهم لغير الله ، أمره بغاية الإسراع ، و كأنه كان[1] أسرع الطير طيرانا و أمده الله زيادة على ذلك بمعونة منه إكراما لنبيه صلى الله عليه و سلم فصار كأنه البرق ، فأشار إلى ذلك بالفاء فى قوله : ﴿فالقه﴾ و لما [لم ـ[2]] يخصها[3] فى الكتاب دونهم بكلام[4] لتصغر إليهم أنفسهم بخطابه مع[5] ما يدلهم على عظمته[6] ، جمع فقال : ﴿اليهم﴾ أى الذين[7] ذكرت أنهم يعبدون الشمس ، و ذلك للاهتمام بأمر الدين .

و لما كان لو تأخر عنهم بعد إلقائه إلى موضع يأمن فيه على نفسه على ما هو فيه من السرعة لداخلهم شك فى أنه هو الملقى له ، أمره بأن يمكث بعد إلقائه يرفرف على رؤسهم حتى يتحققوا أمره ، فأشار سبحانه إلى ذلك بأداة التراخى بقوله : ﴿ثم﴾ أى بعد وصولك و إلقائك ﴿تول﴾ أى تنح ﴿عنهم﴾ إلى مكان تسمع فيه كلامهم و لا يصلون معه إليك ﴿فانظر﴾ عقب توليك[8] ﴿ما ذا يرجعون ۝﴾ أى من القول من بعضهم إلى بعض بسبب الكتاب .

و لما كان العلم واقعا بأنه يفعل ما أمر به لامحالة ، و أنه لا يدفعه

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : يصنها (٤) فى ظ : و كلام (٥) فى ظ : على (٦) فى ظ : عظمتهم (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٨) زيد فى الأصل : سواه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

إلا إلى الملكة[1] التى بالغ فى[2] وصفها، تشوفت النفس إلى قولها عند ذلك، فكان كأنه قيل: فأخذ الكتاب و ذهب به، فلما ألقاه إليها و[3] قرأته، وكانت قارئة كاتبة من قوم تبع ﴿قالت﴾ لقومها بعد أن جمعتهم معظمة لهم، أو لأشرافهم فقط: ﴿يأيها الملؤا﴾ أى الأشراف.

و لما كان من شأن الملوك أن لا يصل إليهم أحد بكتاب و لا غيره ٥ إلا على أيدى جماعتهم، عظمت[4] هذا الكتاب بأنه وصل إليها على غير ذلك المنهاج فبنت[5] للمفعول قولها: ﴿انى القى الى﴾ أى بالقاء ملق على وجه غريب ﴿كتب﴾ أى صحيفة مكتوب فيها كلام وجيز جامع.

و لما كان الكريم - كما تقدم فى الرعد - من ستر مساوئ الأخلاق باظهار معاليها لأنه ضدا للئيم، وكان هذا الكتاب قد حوى من الشرف ١٠ أمرا باهرا لم يعهد مثله من جهة المرسل و الرسول و الافتتاح بالاسم الأعظم إلى ما له من وجازة اللفظ و بلوغ المعنى، قالت[6]: ﴿كريم﴾ ثم بينت كرمه أو استأنفت جوابا لمن يقول: ممن هو و ما هو؟ فقالت: ﴿انه﴾ أى الكتاب ﴿من سليمن﴾ و فيه [دلالة -[7]] على أن الابتداء باسم صاحب الكتاب لا يقدح فى الابتداء بالحمد ﴿وانه﴾ أى ١٥ المكتوب فيه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فحمد المستحق للحمد و هو الملك الأعلى المحيط عظمه بدائرتى الجلال و الإكرام، العام الرحمة[8]

(١) فى ظ: الملائكة (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: بعد. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عظمته (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فبنيت (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: قال (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الرحمن رحمة.

بكل نعمة ، فملك[1] الملوك من فائض ما له من الإنعام الذى يخص بعد العموم من يشاء بما يشاء مما ترضاه ألوهيته من إنعامه العام ، بعد التعريف باسمه / إشارة[2] إلى أنه المدعو إليه للعبادة بما وجب له لذاته و ما استحقه بصفاته ، و ذلك كله بعد التعريف بصاحب الكتاب ليكون[3] ذلك أجدر بقبوله ، لأن أكثر الخلق إنما يعرف الحق بالرجال ، و لما فى كتابه من الدلالة على نبوته ، فسر مراده[4] بأمر قاهر فقال[5] : ﴿ الا تعلوا علىّ ﴾ أى لاتمتنعوا[6] من الإجابة لى ، و الإذعان لأمرى ، كما يفعل الملوك ، بل اتركوا علوهم[7] ، لكونى داعيا إلى الله الذى أعلمت فى باء البسملة بأنه لا تكون حركة و لا سكون إلا به ، فيجب الخضوع له لكونه رب كل شىء ﴿ و اتونى مسلمين ﴾ أى منقادين خاضعين بما رأيتم من معجزتى فى أمر الكتاب .

/ ٧٧

و لما تشوفت النفس إلى جوابهم ، أعلم[8] سبحانه بأنهم بهتوا فقال : ﴿ قالت يـايها الملؤا ﴾ ثم بينت ما داخلها[9] من الرعب من صاحب هذا الكتاب بقولها : ﴿ افتونى ﴾ أى تكرموا علىّ بالإبانة عما أفعله ﴿ فىّ امرى ﴾ هذا الذى أجيب[10] به عن هذا الكتاب ، جعلت المشورة فتوى توسعا ، لأن الفتوى الجواب فى الحادثة ، و الحكم بما هو صواب[11] ، مستعار من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ملك (٢) فى ظ : فشارف (٣) فى ظ : فيكون.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يراده (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : لاتمنعوا.
(٧) من ظ و مد ، و فى الاصل : علوكم (٨) زيد فى ظ : انه (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : داخلا - كذا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجبت .
(١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : صوابه .

الفتاء فى السن الذى هو صفوة العمر؛ ثم عللت أمرها لهم [١] بذلك بأنها [٢] شأنها دائما مشاورتهم فى كل جليل و حقير، فكيف بهذا الأمر الخطير، و فى ذلك استعطافهم بتعظيمهم، و إجلالهم و تكريمهم، فقالت: ﴿ما كنت﴾ أى كونا ما ﴿قاطعة امرا﴾ أى فاعلته و فاصلته غير مترددة فيه ﴿حتى تشهدون ه﴾ و قد دل هذا على غزارة عقلها و حسن أدبها، و لذلك جنت ثمرة أمثال ذلك طاعتهم لها فى المنشط و المكره، فاستأنف تعالى الإخبار عن جوابهم بقوله: ﴿قالوا﴾ أى الملأ مائلين إلى الحرب: ﴿نحن اولوا قوة﴾ أى بالمال و الرجال ﴿و اولوا باس﴾ أى عزم فى الحرب ﴿شديد﴾ [١] و الأمر ﴿راجع [و - ٣] موكول ﴿اليك﴾ أى كل من المسالمة و المصادمة ﴿فانظرى﴾ [٤] بسبب أنه لا نزاع [٥] معك ﴿ما ذا تامرين ه﴾ أى به فانه مسموع.

و لما علمت أن [٦] من سخر له الطير على هذا الوجه لا يعجزه شىء يريده، و لا أحد يكيده، [٧] مالت إلى [٧] المسالمة، فاستانف سبحانه و تعالى الإخبار عنها بقوله: ﴿قالت﴾ [٤] جوابا لما أحست فى جوابهم من ميلهم إلى الحرب أن [٨] الصواب من غير ارتياب أن نحتال فى عدم قصد هذا الملك المطاع؛ ثم عللت هـذا الذى أفهمه سياق كلامها بقولها:

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بان (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يدع (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: انه (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: سالمت اى (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الى.

﴿ ان الملوك ﴾ أى مطلقا ، فكيف بهذا النافذ الأمر ، العظيم القدر ﴿ اذا دخلوا قرية ﴾ أى عنوة بالقهر [1]و الغلبة[1] ﴿ افسدوها ﴾ أى [2]بالنهب و التخريب[2] ﴿ و جعلوآ اعزة اهلهآ اذلة ج ﴾ أى بما يرونهم من البأس ، و يحلون بهم من السطوة . ثم أكدت هذا المعنى بقولها :

٥ ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل هذا الفعل العظيم الشأن ، الوعر المسلك / البعيد الشاو[3] ﴿ يفعلون ه ﴾ دائما ، هو خلق لهم مستمر جميعهم على هذا ، فكيف بمن تطيعه الطيور ، ذوات الوكور ، فيما يريده من الأمور . / ٧٧٨

و لما بينت ما فى المصادمة من الخطر ، أتبعته ما عزمت عليه من المسالمة ، فقالت : ﴿ و انى مرسلة ﴾ و أشار سبحانه إلى عظيم ما ترسل

١٠ به بالجمع فى قولها : ﴿ اليهم ﴾ أى إليه و إلى جنوده ﴿ بهدية ﴾ أى تقع منهم موقعا . قال البغوى[4] : و هى العطية على طريق الملاطفة . ﴿ فنظرة ﴾ عقب ذلك و بسببه ﴿ بم ﴾ أى بأىّ شىء ﴿ يرجع المرسلون ه ﴾ بتلك الهدية عنه من المقال[5] أو الحال ، فنعمل بعد ذلك على حسب ما نراه من أمره ، فنكون قد سلمنا من خطر الإقدام على ما لم نعرف عاقبته ،

١٥ و لم يضرنا ما فعلنا شيئا .

و لما كان[6] التقدير : فأرسلت بالهدية ، و هى فيما يقال خمسمائة

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالغلبة (٢-٢) فى ظ : بالهرب و التخويف - كذا (٣) من مد ، و فى الأصل : المشار ، و فى ظ : التناول - كذا (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١٢٠ (٥) من ظ ، و فى الأصل : المال ، و الكلمة ساقطة من مد (٦) فى ظ : كانت .

غلام مرد، زينتهم بزى الجوارى، و أمرتهم بتأنيث الكلام، و خمسمائة جارية فى زى الغلمان، و أمرلهم بتغليظ الكلام. و جزعة معوجة الثقب، و درة غير مثقوبة - [و غير ذلك -[1]]، و سألته[2] أن يمير بين الغلمان و الجوارى، و أن يثقب الدرة، و أن يدخل فى الجزعة[3] خيطا، فأمرهم بغسل الوجوه و الأيدى، فكانت الجارية تأخذ الماء باحدى يديها ثم تنقله إلى الأخرى ثم تضرب الوجه و تصب الماء على باطن ساعدها صبا، وكان الغلام كما يأخذ الماء[4] يضرب به وجهه و يصب الماء على ظهر الساعد و يحدره على يديه حدرا، و أمر الأرضة فثقبت الدرة، و الدودة فأدخلت السلك فى الثقب المعوج، رتب عليه قوله مشيرا بالفاء إلى سرعة[5] الإرسال: ﴿ فلما جآء ﴾ أى الرسول الذى بعثه [6]و أرسلته[6]، و المراد به الجنس؛ قال أبوحيان[7]: و هو يقع على الجمع و المفرد و المذكر و المؤنث. ﴿ سليمن ﴾ فدفع إليه ذلك ﴿ قال ﴾ أى سليمان عليه السلام للرسول و لمن فى خدمته استصغارا لما[8] معه: ﴿ اتمدونن ﴾ أى أنت و من معك و من أرسلك ﴿ بمال ﴾ [و إنما قصدى لكم لأجل الدين -[9]]، تحقيرا لأمر الدنيا و إعلاما بأنه لا التفات

(١) زيد من مد (٢) زيد فى الأصل: انه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الحديد (٤) زيد فى الأصل: لما، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد فى ظ: الى (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) راجع البحر المحيط ٧ / ٧٤ (٨) فى ظ: لمن (٩) زيد من ظ و مد.

له نحوها بوجه، ولا يرضيه شيء دون طاعة الله. ثم سبب عنه ما أوجب له [1]استصغار ما معه[1] فقال: ﴿فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ﴾ أي الملك الأعظم الذي له جميع الكمال من المال والجلال بالنبوة والملك والقرب منه سبحانه، وهو الذي يغني مطيعه عن كل ما سواه، فهما سأله أعطاه، وذلك أنه صف الشياطين والإنس والسباع والوحش والطير والهوام صفوفا فراسخ عدة، وبسط[2] المكان كله بلبن الذهب إلى غير ذلك مما يليق به ﴿خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم﴾ أي من [الملك -[3]] الذي لا نبوة فيه، ولا تأييد [4]من الله[4].

ولما كان التقدير: ولكنكم[5] لا تعلمون أن هديتكم مما يزهد فيه لتقيدكم بظاهر [من -[3]] الحياة الدنيا، نسق عليه قوله: ﴿بَلْ أَنتُم﴾ أي بجهلكم لذلك تستعظمون ما أنتم فيه، فأنتم ﴿بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ بتجويزكم أن الدنيا تردني عنكم / لأنها غاية قصدي، ويجوز أن يراد أنكم تفرحون بما يهدى إليكم فتتركون من كنتم تريدون غزوه لأجل ما آتاكم [منه -[3]] من الدنيا، فحالي خلاف حالكم، فانه لا يرضيني إلا الدين. ٧٧٩/

ثم أفرد الرسول إرادة لكبيرهم بقوله: ﴿ارْجِعْ﴾ وجمع في قوله: ﴿إِلَيْهِمْ﴾ إكراما لنفسه، وصيانة لاسمها عن التصريح بضميرها، وتعميما لكل من يهتم بأمرها ويطيعها ﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ﴾ أي طاقة ﴿لَهُم بِهَا﴾ أي بمقابلتها لمقاومتها وقلبها عن قصدها، أي لا يقدرون أن يقابلوها

(١ - ١) في ظ ومد: استصغاره (٢) زيد في الأصل: في، ولم تكن الزيادة في ظ ومد فحذفناها (٣) زيد من ظ ومد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٥) من ظ ومد، وفي الأصل: لكنهم.

ولنخرجنهم

﴿ ولنخرجنهم منها ﴾ أى من بلادهم ﴿ اذلة ﴾ .

ولما كان الذل قد يكون لمجرد الانقياد، لا على سبيل الهوان، حقق المراد بقوله[1]: ﴿ وهم صاغرون ﴾ أى[2] لا يملكون شيئا من المنعة[3] إن لم يقروا بالإسلام .

ولما ذهب الرسل[4]، وعلم صلى الله عليه وسلم مما رأى من تصاغرهم لما رأوا من هيبته وجلاله الذى حباه به ربه وعظمته أنهم يأتون بها مذعنة ﴿ قال ﴾ لجماعته تحقيقا لقوله "وأوتينا من كل شىء" لإعلامه بأنها استوثقت من عرشها: ﴿ يا أيها الملؤا ﴾ أى الأشراف ﴿ أيكم يأتينى بعرشها ﴾ لترى بعض ما آتانى الله من الخوارق، فيكون أعون على متابعتها فى الدين، ولآخذه قبل أن يحرم أخذه باسلامها، وأختبر به عقلها ﴿ قبل ان يأتونى ﴾ [أى -[5]] [6]هى وجماعتها[6] ﴿ مسلمين ﴾ أى منقادين لسلطانى، تاركين لعز سلطانهم، منخلعين من عظيم شأنهم، ليكون[7] ذلك أمكن فى إقامة الحجة عليها فى نبوتى وأعون على رسوخ الإيمان فى قلبها وإخلاصها فيه ﴿ قال عفريت ﴾ .

ولما كان هذا اللفظ يطلق على الأسد، وعلى المارد القوى، وعلى الرجل النافذ فى الأمر المبالغ فيه مع دهاء وقوة - وقال الرازى:

---

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: بقولهم (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: النعمة (٤) فى ظ: الرجل (٥) زيد من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٧) فى ظ: فيكون .

مع خبث و مكر - و على غيره[1]، بينه بأن قال: ﴿من الجن انا﴾ [2] الداهية الغليظ الشديد[2] ﴿اتيك به﴾ و لما علم أن غرضه الإسراع قال: ﴿قبل ان تقوم من مقامك ج﴾ أى مجلسك هذا، ثم أوثق الأمر و أكده بقوله: ﴿و انى عليه﴾ أى الإتيان به سالما ﴿لقوى﴾ لا يخشى عجزى عنه ﴿امين ه﴾ لا يخاف انتقاضى[3] شيئا منه.

و لما كانت القصة لإظهار فضل العلم المستلزم للحكمة، دلالة على أنه تعالى حكيم عليم، ترغيبا فى القرآن، و حثا على ما أفاده من البيان، قال حاكيا[4] لذلك استئنافا جوابا لاستشرافه[5] صلى الله عليه و سلم لأقرب من ذلك: ﴿قال الذى عنده﴾.

و لما كان لكتب الله من العظمة ما لا يحيطه إلا الله، أشار إلى ذلك بتنكير ما لهذا الذى يفعل مثل[6] هذا الخارق العظيم من ذلك فقال: ﴿علم﴾ [تنبيها على أنه اقتدر على ذلك بقوة العلم ليفيد ذلك تعظيم العلم و الحث على تعلمه، و بين أن هذا الفضل إنما هو للعلم الشرعى فقال -[7]]: ﴿من الكتب﴾ أى الذى [لا كتاب فى الحقيقة غيره، و هو المنسوب إلينا، و كأنه الذى -[7]] كان شهيرا فى ذلك الزمان، و لعله التوراة و الزبور، إشارة إلى أن من خدم كتابا حق الخدمة

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢-٢) تقدم مابين الرقمين فى الأصل على « و على الرجل » ص ١٦٣ س ١٦ و الترتيب من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: انتقاص (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: جالبا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: انه - مع بياض قبله (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بمثل (٧) زيد من ظ و مد.

كان الله - تعالى كما ورد فى شرعنا - سمعه الذى يسمع به ، و بصره الذى يبصر بـــه ، و يده الـــتى يبطش بها ، و رجله التى يمشى بها ، أى أنه يفعل / له ما يشاء ، و قيل[1] فى تعيينه إنه آصف بن برخيا و كان صديقا عالما : ﴿ انا اٰتيك به ﴾ [2]و هذا أظهر فى كونه اسم فاعل لأن الفعل قارن الـــكلام[2] ؛ و بين فضله على العفريت بقوله : ﴿قبل ان يرتد﴾ [أى يرجع -[3]] ﴿اليك طرفك[4]﴾ أى بصرك إذا طرفت بأجفانك فأرسلته إلى منتهاه[4] ثم رددته ؛ قال القزاز : طرف العين : امتداد بصرها حيث أدرك ، و لذلك يقولون : لا أفعل ذلك[5] ما ارتد إلىّ طرفى ، أى ما دمت أبصر ، و يقال : طرف[6] الرجل يطرف - إذا حرك جفونه ، و قيل : الطرف اسم لجامع البصر لا يثنى و لا يجمع . و بين تصديق فعله لقوله أنه استولى عليه قبل أن يتحكم منه العفريت فبادر الطرف إحضاره كما أشار إليه قوله تعالى : ﴿ فلما رٰاه ﴾ أى العرش .

/ ٧٨٠

و لما كانت الرؤية قد تكون عن بعد و مجازية ، و كذلك العندية ، بين أنها حقيقية[7] باظهار العامل فى الظرف و من حقه فى غير هذا السياق الحذف فقال : ﴿ مستقرا عنده ﴾ أى ثابتا ثباتا لا مرية فيه ، ما هو بسحر[8] و لا منام و لا مثال ؛ قال الإمام جمال الدين ابن هشام[9] فى الباب

(١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ١٢٣ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : منتها . (٥) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : طرق (٧) فى ظ : حقيقة (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : مسحر (٩) هو أبو محمد عبد الله بن يوسف المعروف بابن هشام النحوى المتوفى سنة ٧٦٢ هـ و اسم كتابه « مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب » - راجع =

الثلث من كتابه المغنى : زعم ابن عطية أن "مستقرا" هو المتعلق الذى يقدر فى أمثاله قد ظهر ، و الصواب ما قاله أبو البقاء و غيره من[1] أن هذا الاستقرار معناه عدم التحرك[2] لامطلق الوجود [3] و الحصول ، فهو كون خاص[3] . ﴿قال﴾ أى سليمان عليه السلام شكرا لما آتاه الله من
٥ هذه الخوارق : ﴿هذا﴾ أى الإتيان المحقق ﴿من فضل ربى﴾ أى المحسن إلىّ، لا بعمل[4] أستحق به شيئا ، فانه أحسن إلىّ باخراجى[5] من العدم و تطويق للعمل[6] ، فكل عمل نعمة منه يستوجب علىّ به الشكر ، و لذلك قال ﴿ليلونى﴾ أى يفعل معى فعل المبتلى الناظر ﴿ءاشكر﴾ فأعترف بكونه فضلا ﴿ام اكفر﴾ بظن أنى أوتيته باستحقاق . ثم زاد فى
١٠ حث نفسه على الشكر بقوله : ﴿و من شكر﴾ أى أوقع الشكر لربه ﴿فانما يشكر لنفسه﴾ فان نفعه لها ، و أما[7] الله تعالى فهو أعلى من أن يكون له فى شىء نفع أو عليه فيه ضر ﴿و من كفر فان ربى﴾ أى المحسن إلىّ بتوفيق لما أنا فيه من الشكر ﴿غنى﴾ أى عن شكر ، لا يضره تركه شيئا ﴿كريم﴾ يفعل معه بادرار النعم عليه فعل من أظهر محاسنه
١٥ و ستر مساوئه ، [ثم هو جدير بأن يقطع إحسانه إن استمر على إجرامه كما

= كشف الظنون ٢/٤٧٣ .

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الترك (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بدل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : باخراج حى (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : العمل . (٧) من مد ، و فى الأصل : انا ، و الكلمة ساقطة من ظ .

يفعل

يفعل الغنى بمن أصر على كفر إحسانه فاذا هو قد هلك - [١] .

و لما قدم - كما هو دأب الصالحين - الشكر، و علم أنه يفعل فى العرش ما لأجله أحضره، تشوفت النفس إليه فأجيبت[٢] بقوله: ﴿قال﴾ [أى -[١]] سليمان عليه السلام: ﴿نكروا لها عرشها﴾ أى بتغيير بعض معالمه و هيئته اختبارا لعقلها كما اختبرتنا هى بالوصفاء و الوصائف و الدرة و غير ذلك، و إليه الإشارة بقوله: ﴿ننظر اتهتدى﴾ أى إلى معرفته فيكون ذلك سببا لهدايتها فى[٣] الدين ﴿ام تكون من الذين﴾ شأنهم أنهم ﴿لايهتدون ٥﴾ أى بل هم فى غاية الغباوة[٤]، لايتجدد لهم اهتداء، / بل لو هدوا لوقفوا عند الشبه، و جادلوا بالباطل و ما حلوا. و أشار / ٧٨١
إلى سرعة مجيئها إشارة إلى خضوعها بالتعبير بالفاء فى قوله: ﴿فلما جآءت﴾ وكان مجيئها - على ما قيل - فى اثنى عشر ألف قَيل من وجوه اليمن، تحت يد كل قيل ألوف كثيرة، وكانت قد وضعت[٥] عرشها داخل بيت منيع، و وكلت به حراسا أشداء ﴿قيل﴾ أى لها و قد رأت عرشها بعد تنكيره بتقليب[٦] نصبه و تغييره، [٧]من قائل لايقدر على السكوت عن جوابه لما نالها من الهيبة و خالطها من الرعب من عظيم ما رأت[٧]، فقرعها بكلمة تشمل على أربع كلمات: هاء التنبيه، و كاف التشبيه، و اسم الإشارة،

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: فاجيب (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الى (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: للغباوة (٥) من ظ ومد، و فى الأصل: وصفت (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: و تقليب. (٧-٧) تأخر ما بين الرقمين ومد فى الأصل عن «اهكذا» والترتيب من ظ ومد.

مصدرة بهمزة الاستفهام، أى تنبهى ﴿ أهكـذا ﴾ أمثل ذا العرش ﴿عرشك[1] قالت﴾ عادلة عن حق[2] الجواب من "نعم" أو "لا" إشارة إلى أنها غلب على ظنها أنه هو بعينه كما قالوا فى "كأن زيدا قائم": ﴿ كأنه هو ج﴾ و ذلك يدل على ثبات كبير، و فكر ثاقب، و نظر ثابت[3]، وطبع منقاد، لتجويز المعجزات و الإذعان لها مع دهشة القدوم، و اشتغال الفكر بما دهمها من هيبته و عظيم أمره، فعلم سليمان عليه السلام [رجاحة عقلها و بطلان ما قال الشياطين من نقصه خوفا من أن يتزوجها فتفشى عليه أسرار الجن لأن أمها كانت جنية -[4]] - على ما قيل[4]، و قالوا: إن رجلها كحافر الحمار، و إنها كثيرة الشعر جدا.

و لما كانت مع ذلك قد شبه عليها و لم تصل إلى حاق الانكشاف مع أنها غلبت على عرشها مع الاحتفاظ[6] عليه، استحضر صلى الله عليه و سلم[7] ما خصه الله به من العلم زيادة فى حثه على الشكر، فقال عاطفا على ما تقديره: فأوتيت من أمر عرشها علما، و لكنه يخالجه[8] شك، فدل[9] على أنها فى الجملة من[10] أهل العلم[11] المهيئ للهداية، أو[12] يكون التقدير

(١) العبارة من هنا إلى « زيدا قائم » ساقطة من ظ (٢) فى مد: سياق (٣) من مد، و فى الأصل: باهت، و فى ظ: فايت - كذا (٤) زيد من ظ و مد. (٥) راجع المعالم بهامش اللباب ٥/١٢٤ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: احتفاظ. (٧) زيد فى الأصل: فضل، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: يخالطه (٩) من ظ و مد. و فى الأصل: فدخل. (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: ممن (١١) من ظ و مد. و فى الأصل: للعلم (١٢) فى ظ « و ».

بما دل عليه ما يلزم من قولها " كانه " : فجهلت[1] أمر عرشها على كثرة ملابستها له : ﴿ و اوتينا ﴾ معبرا بنون الواحد المطاع ، لاسيما و المؤتى سبب لعظمة شرعية ، و هو العلم الذى لايقدر على إيتائه[2] غير الله ، و لذلك بنى الفعل[3] للمفعول لأن فاعله معلوم ﴿ العلم ﴾ أى[4] بجميع ما آتانا الله علمه ، و منه أنه يخفى عليها ﴿من قبلها﴾ أى من قبل إتيانها ، [5]بأن عرشها يشتبه عليها ، أو[6] من قبل علمها بما ظنت من أمر عرشها ، أو أنا و أسلافى من قبل وجودها ، فنحن عريقون فى العلم ، فلذلك نحن على حقيقة من جميع أمورنا ، و إنما قال " ننظر اتهتدى" بالنسبة إلى جنوده . ثم ذكر السبب فى وجود العلم و اتساعه و ثباته فقال : ﴿ و كنا ﴾ أى مع العلم الذى هيأنا الله له بما جعل فى غرائزنا من[7] النورانية ﴿مسلمين ۝﴾ أى خاضعين لله تعالى عريقين فى ذلك مقبلين على جميع أوامره بالفعل على حسب أمره كما أشار إليه قوله تعالى[8] " و اتقوا الله و يعلمكم الله " ، " يهديهم ربهم بايمانهم[9] " .

و لما كان المعنى : و أما[10] هى فانها و إن أوتيت علما فلم يكن ثابتا ، و لا كان معه دين ، ترجمه بقوله : ﴿و صدها﴾ / أى هى عن كمال العلم ١٥ / ٧٨٢

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فجملت ـ كذا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعطايه (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعله (٤) سقط من ظ .
(٥) العبارة من هنا إلى « أو أنا » تكررت فى الأصل فقط (٦) فى ظ والعبارة المتكررة : اى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٨) راجع سورة ٢ آية ٢٨٢ (٩) سورة ١٠ آية ٩ (١٠) فى ظ : انما .

كما صدها عن الدين ﴿ ما ﴾ أى المعبود الذى ﴿ كانت ﴾ أى [1]كونا ثابتا[1] فى الزمن الماضى ﴿ تعبد ﴾ أى عبادة مبتدئة ﴿ من دون الله[4] ﴾ أى غير الملك الأعلى الذى[2] له الكمال كله أو أدنى رتبه من رتبته، و هى عبادة الشمس ليظهر الفرق بين حزب الله الحكيم العليم و[3] حزب إبليس السفيه الجهول[3] . ثم علل ذلك إشارة إلى عظيم نعمة الله عليه بالنعمة على أسلافه[4] بقوله : ﴿ انها ﴾ و قرئ[5] بالفتح على البدل من فاعل "صد" ﴿ كانت من قوم ﴾ أى ذوى بطش و قيام ﴿ كفرين ﴾ أى فكان ذلك سببا - و إن كانت فى غاية من وفور العقل و صفاء الذهن و قبول العلم كما دل عليه ظنها فى عرشها ، ما يهتدى له إلا من عنده قابلية الهدى - فى اقتفائها لآثارهم فى الدين ، فصديت مرآة فكرها و نَبَتْ صوارم عقلها .

و لما تم ذلك ، كان كأنه قيل : هل كان بعد ذلك اختبار[6] ؟ فقيل : نعم ! ﴿ قيل لها ﴾ [أى -[7]] من قائل من جنود سليمان عليه السلام ، فلم تمكنها المخالفة لما هناك من الهيبة بالملك و النبوة و الدين : ﴿ ادخلى الصرح ﴾ [و هو قصر -[7]] بناه قبل قدومها ، و جلس فى صدره ، و جعل صحنه من الزجاج الأبيض الصافى ، و أجرى تحته الماء ، و جعل فيه دواب البحر ، و أصله - كما قال فى الجمع بين العباب و المحكم : بيت واحد يبنى منفردا

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذين (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : علم السفينة الجهوك - كذا (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : اسلامه (٥) راجع نثر المرجان ٥/١١٠ (٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : اختيارا (٧) زيد من ظ و مد .

ضخما طويلا فى السماء، قال: و قيل: كل بناء متسع مرتفع، و قيل: هو القصر، و قيل: كل بناء عال مرتفع، و الصرح: الأرض الملسة. و صرحة الدار ساحتها. و دل على مبادرتها لامتثال الأمر [و سرعة دخولها -[1]] بالفاء فقال: ﴿ فلما رأته ﴾ و عبر بما هو من الحسبان دلالة على أن عقلها و إن كان[2] فى غاية الرجاحة[3] ناقص لعبادتها لغير[4] الله فقال: ﴿ حسبته ﴾ أى لشدة صفاء الزجاج و اتصال الماء بسطحه الأسفل ﴿ لجة ﴾ أى غمرة[5] عظيمة من ماء، فعزمت على خوضها[6] إظهارا لتمام الاستسلام ﴿ و كشفت عن ساقيها[7] ﴾ أى لئلا تبتل ثيابها فتحتاج إلى تغييرها قبل الوصول إلى سليمان عليه السلام، فرآها أحسن الناس ساقا و قدما غير أنها شعراء.

و لما حصل مراده، استؤنف الإخبار عن أمره بعده فقيل: ﴿ قال ﴾ أى مبينا لعظم[7] عقله و علمه، و حكمته و قدرته، مؤكدا لأنه لشدة اشتباهه[8] بجودة المادة[8] و تناهى حسن الصنعة[9] و إحكامها لا يكاد يصدق أنه حائل دون الماء: ﴿ انه ﴾ أى هذا الذى ظننته ماءا ﴿ صرح ﴾ أى قصر ﴿ ممرد ﴾ أى مملس، و أصل المرودة[10]: الملاسة و الاستواء

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ: كانت (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الزجاجة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بغير (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: من شدة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: كونها (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لعظيم (٨-٨) من ظ و مد، و فى الأصل: جودة الماء (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الصفة (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: المرود.

﴿ من ﴾ أى كائن من ﴿ قوارير ﴾ أى زجاج ليتصف بشفوفة الماء فيظن أنه لا حائل دونه ، فلما رأت ما فضله الله به من العلم ، المؤيد بالحكمة ، المكمل بالوقار و السكينة ، المتمم بالخوارق ، بادرت إلى طاعته علما بأنه رسول الله ، فاستأنف تعالى الإخبار عن ذلك[1] بقوله : ﴿ قالت ﴾ مقبلة [2]على من[2] آتاه ، للاستمطار من فضله ، و الاستجداء من عظيم وبله : ﴿ ربّ ﴾ أى أيها المحسن إلىّ ﴿ انى ظلمت نفسى ﴾ أى بما كنت فيه[3] من العمى بعبادة غيرك عن[4] عبادتك ﴿ و اسلمت ﴾ أى ليظهر علىّ ثمرات[5] الإسلام .

/ ٧٨٣ و لما / ذكرت هذا الأساس الذى لا يصح بناء[6] طاعة إلا عليه ، أتبعته الداعى[7] الذى لا تتم ثمرات الأعمال المؤسسة عليه إلا بحبه ، و الإذعان له ، و الانقياد و الاعتراف بالفضل ، و بهدايته إلى ما يصلح منها و ما لا يصلح على[8] الوجوه التى لا تقوم إلا بها من الكميات و الكيفيات . فقالت[9] : ﴿ مع سليمن ﴾ .

و لما ذكرت صفة الربوبية الموجبة للعبادة بالإحسان ، ذكرت الاسم الأعظم الدال على الذات المستجمع للصفات الموجبة للالهية [للذات -[10]]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : دعايه - كذا (٢-٢) فى ظ : لمن (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى ظ : من (٥) زيد فى الأصل : الايمان و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : عن (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقال (١٠) زيد من ظ و مد .

فقالت : ﴿ لله ﴾ أى مقرة له بالألوهية[1] والربوبية على سبيل الوحدانية . ثم رجعت [إشارة - [2]] إلى العجز عن معرفة الذات خق المعرفة إلى الأفعال التى هى بحر المعرفة فقالت : ﴿رب العٰلمين ۝﴾ فعمت بعد أن خصت إشارة إلى الترقى من حضيض دركات العمى إلى أوج درجات الهدى ، فلله درها ما أعلمها ! و أطيب أعراقها و أكرمها ! و يقال : إن سليمان عليه السلام تزوجها و اصطنع الحمام - و هو أول من اتخذه[3] - و أذهب شعرها بالنورة .

و لما أتم سبحانه هذه القصة المؤسسة على العلم المشيد بالحكمة المنبئة[4] عن أن المدعوين فيها أطبقوا على الاستسلام للدخول فى الإسلام ، مع أبالة الملك و رئاسة العز ، و القهر على يد غريب عنهم بعيد منهم ، أتبعها قصة انقسم أهلها مع الذل و الفقر[5] فريقين مع أن الداعى منهم لايزول باتباعه شىء من العز عنهم ، مع ما فيها من الحكمة ، و إظهار دقيق العلم بابطال المكر ، بعد طول[6] الأناة و الحلم ، فقال تعالى مفتتحا بحرف التوقع و التحقيق لمن ظن أن هذا شأن كل رسول مع من[7] يدعوهم ، عاطفا على " و لقد اتينا داود " : ﴿ و لقد ارسلنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ الى ثمود ﴾ ثم أشار إلى العجب من توقفهم بقوله : ﴿اخاهم صٰلحا﴾ لجمع إلى حسن الفعل حسن الاسم و قرب النسب . ثم ذكر المقصود من الرسالة بما[8] لا أعدل منه و لا أحسن ، و هو الاعتراف بالحق لأهله ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالالهية (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد : اخذه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المندبة (٥ - ٥) فى ظ و مد : الفقر و الذل (٦) فى ظ و مد : طويل (٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : ما . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما .

فقال : ﴿ ان اعبدوا الله ﴾ أى الملك الأعظم [الذى لا كفوء له -[1]] وحده[2] ، و لاتشركوا به شيئا و لاسيما شيئا لايضر بوجه و لاينفع ، يانا لأن الرسل عليهم الصلاة و السلام متفقون على ذلك عربهم و عجمهم. ثم زاد فى التعجيب منهم بما أشارت إليه الفاء و أداة المفاجأة من المبادرة

٥ إلى الافتراق بما يدعو إلى الاجتماع فقال : ﴿ فاذا هم ﴾ أى ثمود ﴿ فريقن ﴾ ثم بين بقوله : ﴿ يختصمون ﴾ أنها فرقة افتراق بكفر و إيمان، لافرقة اجتماع فى هدى و عرفان، فبعضهم صدق صالحا و اتبعه -كما مضى فى الأعراف . و تأتى هنا[3] الإشارة [إليه -[4]] بقوله "و بمن[4] معك" - و بعضهم استمر على شركه و كذبه، وكل فريق يقول : أنا على

٧٨٤ / ١٠ الحق و خصمى على الباطل . ثم استأنف بما / أشار إليه حرف التوقع من شدة التشوف قائلا : ﴿ قال ﴾ أى صالح مستعطفا فى هدايته : ﴿ يقوم ﴾ أى يا أولاد عمى و من فيهم كفاية للقيام بالمصالح ﴿ لم تستعجلون ﴾ [5]أى تطلبون العجلة [بالإتيان -[6]] ﴿ بالسيئة ﴾ أى الحالة التى مساءتها ثابتة[7] و هى العقوبة التى أنذرت بها من كفر

١٥ ﴿ قبل ﴾ الحالة ﴿ الحسنة ﴾ من الخيرات التى أبشركم بها فى الدنيا و الآخرة إن آمنتم ، [8]و الاستعجال : طلب الإتيان بالأمر قبل الوقت

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى ظ : لاشريك له (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : من (٥) العبارة من هنا إلى « من كفر » ساقطة من ظ (٦) زيد من مد (٧) بياض فى الأصل ملأناه من مد (٨) العبارة من هنا إلى «المضروب له» ص ١٧٥ س ١ وقعت فى الأصل قبل « بالسيئة » . و الترتيب من ظ و مد .

المضروب له، و استعجالهم لذلك[1] للاصرار على سببه و قولهم استهزاء "ائتنا بما تعدنا" ﴿ لولا ﴾ أى هلا و لم لا ﴿ تستغفرون الله ﴾ أى تطلبون غفران الذى له صفات الكمال لذنوبكم السالفة بالرجوع إليه بالتوبة باخلاص[2] العبادة له ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أى لتكونوا على رجاء[3] من أن تعاملوا [من كل من فيه خير -[4]] معاملة المرحوم [5]باعطاء الخير و الحماية من الشر[5]، ثم استأنف حكاية جوابهم فقال : ﴿ قالوا ﴾ فظاظة و غلظة مشيرين بالإدغام إلى أن ما يقولونه إنما يفهمه الحذاق بمعرفة الزجر [و إن كان الظاهر خلافه بما أتاهم به من الناقة التى كان فى وجودها من البركة أمر عظيم -[4]] : ﴿ اطيرنا ﴾ أى تشاءمنا ﴿ بك و بمن معك[6] ﴾ أى و هم الذين آمنوا بك. فانه وقع بيننا بسببكم الخلاف، و كثر القال[7] و القيل و الإرجاف، و حصلت لنا شدائد[8] و اعتساف. لأنا جعلناكم مثل الطائر الذى يمر من جهة الشمال - على ما يأتى فى الصافات ﴿ قال طائركم ﴾ أى ما تيمنون به فيثمر ما يسركم، أو تتشاءمون به[9] فينشأ عنه ما يسوءكم[9]، و هو عملكم من الخير أو[10] الشر ﴿ عند الله ﴾ أى الملك الأعظم المحيط بكل شىء علما و قدرة، و ليس شىء منه بيد غيره و لا ينسب إليه، [فان شاء جعلنا سببه و إن شاء جعل غيرنا -[4]] .

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : بذلك (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : باخلاصكم (٣) فى ظ : الرجاء (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « فقال »، و الترتيب من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : المقال (٧) فى ظ : شديد (٨) سقط من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : يسركم (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل « و ».

ولما كان [معنى - ١] نسبته إلى الله أن هذا الذى بكم الآن من الشر ليس منا، قال: ﴿ بل انتم قوم تفتنون ﴾ أى تختبرون من الملك الأعلى ٢ بما تنسبونه إلى الطير من الخير و الشر، أى ٣ تعاملون بـه ٣ معاملة الاختبار هل تصلحون للخير ٤ بالرجوع عن الذنب فيخفف عنكم أو لا فتمحنوا.

ولما أخبر عن عامة هذا الفريق بالشر، أخبر عن شرهم بقوله: ﴿ و كان فى المدينة ﴾ أى مدينتهم الحجر من عظماء القرية و أعيانها ﴿ تسعة رهط ﴾ أى رجال، مقابلة لآيات موسى التسع.

ولما كان الرهط بمعنى القوم و الرجال، أضيفت التسعة إليه، فكأنه قيل: تسعة رجال، و إن كان لقوم ٥ و رجال مخصوصين، و هم ما بين الثلاثة أو السبعة [إلى العشرة - ١]، و ما دون التسعة فنفر، و قال فى القاموس: إن النفر ما دون العشرة ٦ غير أنه يفهم التفرق، و الرهط يفهم العظمة و الشدة و الاجتماع ﴿ يفسدون ﴾ و قال: ﴿ فى الارض ﴾ إشارة إلى عموم فسادهم و دوامه.

ولما كان الكفرة كلهم مفسدين ٧ بالكفر، و كان بعضهم ربما كان يصلح فى بعض أفعاله، بين أن هؤلاء ليسوا كذلك، بل هم شر

(١) زيد من ظ و مد (٢) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تعاملونه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الخير (٥) فى ظ: القوم (٦) فى ظ و مد: التسعة (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: مفسدون.

محض / فحقق خلوصهم للفساد بقوله مصرحا بما أفهمته صيغة المضارع: / ٧٨٥
﴿ ولا يصلحون ﴾ .

ولما اقتضى السياق السؤال عن بيان بعض حالهم، أجاب بقوله: ﴿ قالوا تقاسموا ﴾ أمر مما[1] منه القسم، أى أوقعوا المقاسمة والمحالفة بينكم[2] ﴿ بالله ﴾ أى الذى لا سمى له لما شاع من عظمته، وشمول ٥ إحاطته فى علمه وقدرته[3]، فليقل كل منكم عن نفسه ومن معه إشارة إلى أنكم كالجسد الواحد: ﴿ لنبيتنه ﴾ أى صالحا ﴿ واهله ﴾ أى لنهلكن الجميع ليلا، فان البيات مباغتة[4] العدو ليلا.

ولما كانت[5] العادة جارية بأن المبيتين لا بد أن يبقى بعضهم، قالوا: ﴿ ثم لنقولن لوليه ﴾ أى المطالب بدمه[6] إن بقى منهم أحد: ١٠ ﴿ ما شهدنا ﴾ أى حضرنا حضورا تاما ﴿ مهلك ﴾ أى هلاك[7] ﴿ اهله ﴾ أى أهل ذلك الولى فضلا عن أن نكون باشرنا، أو أهل صالح عليه السلام فضلا عن أن نكون شهدنا مهلك صالح أو باشرنا قتله ولا موضع إهلاكهم. ولما كانت الفجيعة من وليه بهلاكه - عليه السلام - أكثر من الفجيعة بهلاك أهله وأعظم، كان فى السياق ١٥ بالإسناد إلى الولى - على تقدير كون الضمير لصالح عليه السلام -

(١) فى ظ: بما (٢) من ظ ومد. وفى الأصل: بينهم (٣) سقط من ظ.
(٤) من مد، وفى الأصل: مباينة، وفى ظ: باعة - كذا (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: كان (٦) من مد، وفى الأصل: بدمه، والكلمة ساقطة من ظ.
(٧) من ظ ومد، وفى الأصل: اهلاكا.

أتم إرشاد إلى أن التقدير : و لا مهلكه .

و لما كانوا قد صمموا[1] على هذا الأمر ، وطنوا[2] أنفسهم على المبالغة في الحلف و الاجتراء على الكذب فقالوا : ﴿ و انا ﴾ أي و نقول في جملة القسم تأكيدا للقسم[3] ، إيهاما لتحقق الصدق : و إنا ﴿لصٰدقون ۝﴾

٥ فيا للعجب من قوم إذا عقدوا اليمين فزعوا إلى الله العظيم ، ثم نفروا عنه نفور الظليم ، إلى أوثان أنفع منها الهشيم[4] .

و لما كان هذا[5] منهم عمل من لا يظن أن الله عالم به ، قال تعالى محذرا أمثالهم عن أمثال ذلك : ﴿ و مكروا مكرا ﴾ أي [ستروا -[6]] سترا عظيما أرادوا به الشر [بهذه المساومة على المقاسمة ، فكان مكرهم

١٠ الذي اجتهدوا في ستره لدينا مكشوفا و في حضرتنا معروفا و موصوفا ، فشعرنا بل علمنا به فأبطلناه -[6]] ﴿ و مكرنا مكرا ﴾ [أي و جزيناهم على فعلهم بما لنا من العظمة شيئا -[6]] [7] هو المكر في الحقيقة فانه لا يعلمه أحد من الخليقة ، و لذلك قال[7] : ﴿ و هم ﴾ مع اعتنائهم بالفحص عن الأمور ، و التحرز من عظائم المقدور ﴿ لا يشعرون ۝ ﴾ أي لا يتجدد لهم

١٥ شعور بما قدرناه عليهم بوجه ما ، فكيف بغيرهم ، و ذلك أنا جعلنا تدميرهم في تدبيرهم ، فلم يقدروا على إبطاله ، فأدخلناهم في خبر كان ، لم يفلت منهم إنسان ، و أهلكنا جميع الكفرة من قومهم في أماكنهم

(١) من ظ و مد ، وفي الاصل : صموا (٢) زيد في الأصل : انهم في ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، وفي الأصل : القسم (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : هنا (٦) زيد من ظ و مد (٧-٧) ورد ما بين الرقمين في الأصل قبل « و مكرنا » و الترتيب من ظ و مد .

مساكنهم

مساكنهم أو[1] غير مساكنهم ، و أما مكرهم فكانوا على اجتهادهم فى إتقانه[2] ، و إحكام شأنه ، قد جوزوا فيه سلامة بعض من يقصدونه بالإهلاك ، فشتان بين المكرين ، و هيهات هيهات لما بين الأمرين ، و قد ظهر[3] أن الآية إما احتباك أو شبيهة به : عدم الشعور دال على [4]حذف عدم[4] الإبطال من الثانى ، و على حذف الشعور و الإبطال الذى هو نتيجته من الأول .

و لما علم من هذا الإبهام تهويل[5] الأمر ، سبب عنه سبحانه زيادة فى تهويله قوله : ﴿ فانظر ﴾ و زاده عظمة بالإشارة بأداة الاستفهام إلى أنه أهل لأن يسأل عنه فقال : ﴿ كيف / كان عاقبة مكرهم ﴾ فان ذلك سنتنا فى أمثالهم ؛ ثم استأنف لزيادة التهويل قوله بيانا لما أبهم : ﴿ انا ﴾ أى[6] بما لنا من العظمة ، و من فتح فهو عنده بدل من " عاقبة " ﴿ دمرناهم ﴾ أى أهلكناهم ، أى التسعة المتقاسمين ، بعظمتنا التى[7] لا مثل لها[6] ﴿ و قومهم اجمعين ﴾ لم يفلت[8] منهم مخبر ، و لا كان فى ذلك تفاوت بين مقبل و مدبر ، و أين يذهب أحد منهم أو من غيرهم من قبضتنا[9] أو يفر من مملكتنا .

/ ٧٨٦

و لما كان يتسبب عن دمارهم زيادة الهول و الرعب بالإشارة إلى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ايقانه . (٣) فى ظ : ظنوا (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عدم حذف (٥) فى ظ : بتهويل (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : الذى (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعلت (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : قضيتنا .

ديارهم ، لاستحضار أحوالهم ، و استعظامهم بعظيم أعمالهم ، قال : ﴿ فتلك ﴾ أى المبعدة بالغضب على أهلها ﴿ بيوتهم ﴾ أى ثمود كلهم ﴿ خاوية ﴾ أى خالية ، متهدمة بالية ، مع شدة أركانها ، و إحكام بنيانها ، فسبحان الفعال لما يريد ، القادر على الضعيف كقدرته على الشديد .

٥ و لما ذكر الهلاك ، أتبعه سببه فى قوله : ﴿ بما ظلموا[1] ﴾ أى أوقعوا من الأمور فى غير مواقعها[1] فعل الماشى فى الظلام ، كما عبدوا من الأوثان بما يستحق الهوان ، و لا يستحق شيئا من التعظيم بوجه ، معرضين عمن لا عظيم عندهم[2] غيره عند الإقسام ، و الشدائد و الاهتمام ، و خراب البيوت - كما قال أبو حيان[3] - و خلوّها من أهلها حتى لا يبقى منهم أحد

١٠ مما يعاقب به الظلمة . ثم زاد فى التهويل بقوله : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر الباهر للعقول الذى فعل بثمود ﴿ لآية ﴾ أى عظيمة ، و لكنها ﴿ لقوم يعلمون ﴾ أى لهم علم . و أما من لا ينتفع بها نادى على نفسه بأنه فى عداد البهائم .

و لما كان ذلك ربما أوهم أن الهلاك عم الفريقين قال : ﴿ و انجينا ﴾

١٥ بعظمتنا ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى و هم [الفريق -[4]] الذين كانوا مع صالح عليه السلام كلهم ﴿ و كانوا يتقون ﴾ أى متصفين بالتقوى اتصافا كأنهم[5] مجبولون عليه ، فيجعلون بينهم و بين ما يسخط ربهم وقاية

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مواضعها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنده (٣) راجع البحر المحيط ٨٦/٧ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فانهم .

من الأعمال الصالحة ، و المتاجر الرابحة . و كذلك[1] نفعل بكل من فعل فعلهم ، قيل : كانوا أربعة آلاف ، ذهب بهم صالح عليه السلام [إلى -[2]] حضرموت ، فلما دخلوها مات صالح عليه السلام ، فسميت بذلك .

و لما فرغ [من] قصة القريب [الذى -[2]] دعا قومه فاذا هم قسمان ، بعد الغريب الذى لم يختلف عليه ممن[3] دعاهم اثنان ، اتبعها[4] بغريب لم يتبعه ممن[3] دعاهم إنسان ، فقال دالا على أنه له سبحانه الاختيار ، فتارة يجرى الأمور على القياس ، و أخرى على خلاف الأساس ، الذى تقتضيه عقول الناس ، فقال : ﴿ و لوطا ﴾ أى و لقد أرسلناه ؛ و أشار إلى سرعة إبلاغه بقوله : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قال لقومه ﴾ أى الذين كان سكن[5] فيهم لما فارق عمه [إبراهيم -[2]] الخليل عليه السلام و صاهرهم . و كانوا يأتون الأحداث ، منكرا موبخا : ﴿ اتاتون ﴾ و لما كان للابهام ثم التعيين من هز النفس و ترويعها ما ليس للتعيين من أول الأمر [قال -[2]] : ﴿الفاحشة﴾ أى الفعلة المتناهية فى القبح ﴿ و انتم تبصرون ٥ ﴾ / أى لكم عقول تعرفون بها المحاسن و المقابح[6] ، و ربما كان بعضهم يفعله بحضرة بعض كما قال "و تاتون فى ناديكم المنكر" فيكون حينئذ من البصر و البصيرة ؛ ثم أتبع [هذا -[2]] الإنكار إنكارا آخر لمضمون جملة مؤكدة أتم تأكيد ، إشارة إلى أن فعلتهم هذه مما يعمي الواصف ،

/ ٧٨٧

(١) فى ظ و مد : كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : من (٤) فى ظ : اتبعه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسكن (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : القبائح .

ولا يبلغ كنه قبحها ولا يصدق ذو عقل أن أحدا يفعلها، فقال معينا لما أبهم: ﴿ائنكم لتاتون﴾ وقال: ﴿الرجال﴾ تنبيها على بعدهم عما يأتونه إليهم، ثم علله بقوله: ﴿شهوة﴾ إنزالا لهم إلى رتبة البهائم التي ليس فيها قصد ولد ولا عفاف؛ وقال: ﴿من دون﴾ أي إتيانا مبتدئا من غير، أو أدنى رتبة من رتبة ﴿النساء﴾ إشارة إلى أنهم أساءوا من الطرفين في الفعل والترك.

ولما كان قوله "شهوة" ربما أوهم أنهم لا غنى بهم عن إتيانهم للشهوة الغالبة لكون النساء لا تكفيهم، لذلك نفى هذا بقوله: ﴿بل﴾ أي أنكم لا تأتونهم لشهوة محوجة بل ﴿انتم قوم﴾ ولما كان مقصود السورة إظهار العلم والحكمة، وكانوا قد خالفوا ذلك إما بالفعل وإما لكونهم[1] يفعلون [2]من الإسراف وغيره[2] عمل الجهلة، قال: ﴿تجهلون﴾ أي تفعلون ذلك إظهارا للتزين بالشهوات فعل المبالغين في الجهل الذين ليس لهم نوع علم، في التجاهر بالقبائح[3] خبثا وتغليبا لأخلاق البهائم، مع ما رزقكم الله من العقول التي أهملتموها حتى[4] غلبت عليها الشهوة، وأشار إلى تغاليهم في الجهل وافتخارهم به بما سببوا عن ذلك بقوله: ﴿فما كان جواب قومه﴾ أي لهذا الكلام الحسن لما لم يكن لهم حجة في دفعه بل ولا شبهة ﴿الا ان﴾ صدقوه في نسبته[5] لهم إلى

(١) من ظ و مد، و في الأصل: بكونهم (٢-٢) من ظ و مد، و في الأصل: في الأشراف و غيرهم (٣) من ظ و مد، و في الأصل: فالقبايح (٤) من ظ و مد، و في الأصل: يعني (٥) من ظ و مد، و في الأصل: نسبة.

الجهل بأن ﴿ قالوآ ﴾ عدولا[1] إلى المغالبة و تماديا فى الخبث ﴿ اخرجوآ ال لوط ﴾ فأظهر ما أضمره فى الأعراف لأن الإظهار أليق بسورة العلم و الحكمة و إظهار الخبء؛ و قالوا: ﴿ من قريتكم ﴾ منّا عليه باسكانه عندهم؛ و عللوا ذلك بقولهم: ﴿ انهم ﴾ و لعلهم عبروا بقولهم: ﴿ اناس ﴾ مع صحة المعنى بدونه تهكما عليه لما فهموا من[2] أنه أنزلهم ٥ إلى رتبة البهائم ﴿ يتطهرون ٥ ﴾ أى يعدون أفعالنا نجسة و يتنزهون عنها.

فلما وصلوا فى الخبث إلى هذا الحد، سبب سبحانه عن قولهم و فعلهم [قوله -[3]]: ﴿ فانجينه و اهله ﴾ أى كلهم، [أى -[3]] من أن يصلوا إليه بأذى أو يلحقه شىء من عذابنا ﴿ الا امراته[4] ﴾ فكأنه قيل: فما كان من أمرها؟ فقيل[5]: ﴿ قدرنها ﴾ أى جعلناها بعظمتنا ١٠ و قدرتنا فى الحكم و إن كانت خرجت معه ﴿ من الغبرين ٥ ﴾ أى الباقين فى القرية فى لحوق الغبرة وجوههم و الداهية الدهياء أنفسهم و ديارهم حتى كانوا كأمس الدابر ﴿ و امطرنا ﴾ و أشار إلى أنه إمطار عذاب بالحجارة [مع تعديته بالهمزة و هو معدى بدونها فصارت كأنها لإزالة الإغاثة بالإتيان بضدها -[3]] بقوله: ﴿ عليهم ﴾ و أشار إلى سوء الأثر ١٥ لاستلزامه سوء الفعل الذى نشأ عنه و غرابته[5]، / بقوله: ﴿ مطراج ﴾ أى و[6] أىّ مطر[6]؛ و لذلك سبب عنه قوله: ﴿ فسآء مطر المنذرين ٤ ﴾ ٧٨٨ /

(١) فى ظ: عدلا (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فقايل (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اعرانيه - كذا (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: امطرنا.

أى الذين وقع إنذارنا لهم الإنذار[1] الذى هو الإنذار .

ولما تم بهذه القصص استنتاج ما أراد[2] سبحانه من الدليل على حكمته وعلمه ومباينته للأصنام فى قدرتـــه وحلمه، أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يحمده شكرا على ما علم ويقررهم[3] بعجز أصنامهم ردا لهم عن الجهل بأوضح طريق وأقرب متنـاول فقال: ﴿ قل ﴾ ما أنتجه ما تقدم[4] فى هذه السورة، وهو ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله ﴾ أى مختص بالمستجمع[5] للأسماء الحسنى، والصفـات العلى، عند الإعدام كما كان عند الإيجاد ﴿ وسلام ﴾ أى سلامة وعافية وبقاء فى هذا الحين وكل حين، كما كان قبل هذا فى غابر[6] السنين، وأشار بأنه لا وصول للعطب إليهم بأداة الاستعلاء فى قوله: ﴿ على ﴾ وأشار إلى شرفهم بقوله: ﴿ عباده ﴾ باضافتهـــم إليه، وأكد ذلك بقوله: ﴿ الذين اصطفى[7] ﴾ أى فى كل عصر وحين كما أن الحمد لمعبودهم أزلا وأبدا لا بذين، وعطب وغضب على من عصى، وخالف الرسل وأبى، كما ترى فى أصحاب هذه الأنبا، والمعنى أن هذا الحكم المستمر بنجاة الرسل وأتباعهم، وهلاك الكافرين وأشياعهم، دليل قطعى على أن الإحاطة لله فى كل أمر؛ قال أبو حيان[7]: وكان هذا صدر خطبة لما

---

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: للانذار (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: ارا - كذا (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: تقرر (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: قدمه (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: المستجمع (٦) من ظ ومد، والأصل: تمام (٧) راجع البحر المحيط ٧/٨٨ .

يلق من البراهين الدالة على الوحدانية و العلم و القدرة، و مما يتنبه[1] له أنه لم[2] يرد فى قصة لوط عليه السلام أكثر من نهيه لهم عن هذه[3] الفاحشة، فلا يخلو حالهم من أمرين: إما أنهم كانوا لايشركون بالله تعالى شيئا، و لكنهم لما ابتكروا[4] هذه المعضلة و جاهروا بها مصرين عليها، أخذوا بالعذاب لذلك و لكفرهم بتكذيبهم رسولهم، كما صرحت به آية الشعراء، و إما أنهم كانوا مشركين، و لكنه عليه السلام لما رآهم قد سفلوا إلى رتبة البهيمية[5]، رتب دعاءهم منها إلى رتبة الإنسانية، ثم إلى رتبة الوحدانية، و يدل على هذا التقدير الثانى قوله مشيرا إلى أن الله تعالى أهلكهم و جميع من كفر من قبلهم، و لم تغن عنهم معبوداتهم شيئا، بقوله: ﴿آلله﴾ أى الذى له الجلال و الإكرام ﴿خير﴾ أى لعباده الذين اصطفاهم فأنجاهم ﴿اما تشركون[6]﴾ يا معاشر العرب من الأصنام و غيرها لعابديها و محبيها فانهم لايغنون عنكم شيئا كما لم يغنوا عمن عبدهم من هؤلاء الذين أهلكناهم شيئا[7]، و لا تفزعون[8] عند شدائدهم إلا إلى الله وحده، هذا على قراءة الخطاب للجماعة[9]، و التقدير على قراءة الغيب للبصريين و عاصم: أما[10] يشرك الكفار عامة قديما[11] و حديثا لمن أشركوا بهم، فلم يقدروا على نفعهم عند إحلال البأس بهم، و أفعل

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ينبه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ان.
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ ومد، و فى الأصل: انكروا (٥) فى ظ: البهايم.
(٦) فى ظ و مد: لاتفرعوا (٧) راجع نثر المرجان ٥/١٢٠ (٨) فى ظ و مد: ام ما - كذا بالفك (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: قديمة.

/٧٨٩/ / التفضيل لإلزام الخصم و التنبيه على ظهور خطائه المفرط ، و جهله المورط إلى حد لايحتاج فيه[1] إلى كشف لأعلى بابها .

و لما كان مع هذا البيان من الأمر الواضح أن التقدير زيادة فى توبيخ المشركين و تقرير المنكرين : من فعل هذه الأفعال البالغة فى الحكمة المتناهية فى العلم أم من سميتموه إلها ، و لا أثر له أصلا ، عاد له بقوله : ﴿[2] امّن﴾ و كان الأصل : أم هو ، و لكنه عبر باسم موصول أصل وضعه لذى العلم ، و وصله بما لايصح أن[3] يكون لغيره ليكون كالدعوى المقرونة بالدليل فقال : ﴿خلق السمٰوٰت و الارض﴾ تنبيها بالقدرة على بدء الخلق على القدرة على إعادته[4] ، بل من باب الأولى ، دلالة على الإيمان بالآخرة تخلقا بأخلاق المؤمنين الذين[5] مضى أول السورة ان هذا القرآن المبين بشرى لهم .

و لما كان [6]الإنبات ، من أدل[6] الآيات ، على إحياء الأموات ، قال : ﴿و انزل﴾ و زاد فى تقريعهم و تبكيتهم و توبيخهم بقوله : ﴿لكم﴾ أى لأجلكم خاصة و أنتم تكفرون به و تنسبون ما تفرد به من ذلك لغيره : ﴿من السمآء مآء ج﴾ هو للأرض كالماء الدافق للأرحام [7]كالماء الذى[7] ينزل آخر الدهور على القبور .

---

(١) سقط من ظ (٢) يبتدئ من هنا الجزء العشرون من القرآن الكريم .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : او (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعادتهم .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الامان من اول (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كالذى .

فى وجوده و قدرته و اختياره لفعل المتباينات فى الطعم و اللون و الريح و الطبع و الشكل بماء واحد فى أرض واحدة و اختصاصه بفعل ذلك من غير مشاركة شيء[1] له فى شيء منه أصلا، و هو آيته العظمى على أمر البعث، عدل إلى التكلم [و -[2]] على وجه العظمة فقال: ﴿فانبتنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿به حدآئق﴾ أى بساتين محدقة - أى محيطة - بها أشجارها و جدرانها، و الظاهر أن المراد كل ما كان هكذا، فانه فى قوة أن يدار[3] عليه الجدار و إن لم يكن له جدار، و عن الفراء[4] أن البستان إن لم يكن عليه حائط فليس بحديقة.

و لما كان الأولى بجمع الكثرة لما لا يعقل الوصف بالمفرد قال مفيدا أنها كالشيء الواحد فى ذلك الوصف: ﴿ذات بهجة ج﴾ أى بهاء و حسن و رونق، و بشر بها و سرور على تقارب أصولها مع اختلاف أنواعها، و تباين طعومها و أشكالها، و مقاديرها و ألوانها.

و لما أثبت الإنبات له، نفاه عن غيره على وجه التأكيد[5] تنبيها على تأكد اختصاصه بفعله، و على أنه إن أسند إلى غيره فهو مجاز عن التسبب[6] و أن[6] الحقيقة ليست إلا له فقال: ﴿ما كان﴾ أى ما صح و ما تصور بوجه من الوجوه ﴿لكم﴾ و أنتم أحياء فضلا عن شركائكم الذين هم أموات بل موات ﴿ان تنبتوا شجرها[1]﴾ أى شجر

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يدرا (٤) راجع معالم التنزيل على هامش اللباب ١٢٧/٥ (٥) زيدت الواو فى ظ (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: دون.

تلك الحدائق .

و لما [1]ثبت أنه المتفرد[1] بالألوهية ، حسن موقع الإنكار و التقرير[2] فى قوله : ﴿ ءَ الٰه ﴾ أى كائن ﴿ مع الله[1] ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا مثل له .

٧٩٠/ ٥ / و لما كان الجواب عند كل عاقل : لا وعزته ! قال معرضا عنهم للايذان بالغضب : ﴿ بل هم ﴾ أى فى دعائهم معه سبحانه شريكا ﴿ قوم يعدلون[1] ﴾ أى عن الحق الذى لا مرية فيه إلى غيره ، مع العلم بالحق ، فيعدلون بالله غيره .

و لما فرغ من آية اشترك فيها الخافقان ، ذكر ما تنفرد به الأرض ، ١٠ لأنها أقرب إليهم و هم بحقيقتها و ما لابسوه من أحوالها أعلم منهم بالأمور السماوية ، تعديدا للبراهين الدالة على تفرده بالفعل الدال على تفرده بالإلهية ، فقال مبدلا [3]من " امن[3] خلق " : ﴿ امّن ﴾ أى أم[4] فعل ذلك الذى ﴿ جعل الارض قرارا ﴾ أى مستقرة فى نفسها ليقر عليها غيرها ، و كان القياس يقتضى[5] أن تكون هاوية أو مضطربة كما ١٥ يضطرب ما هو معلق [6]فى الهواء[6] .

و لما ذكر قرارها ، أتبعه دليله فى معرض الامتنان فقال :

(١-١) تكرر من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : التقدير (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ممن (٤) سقط من ظ (٥) سقط من ظ و مد . (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالهوى .

﴿وجعل خلالها﴾ أى فى الأماكن المنفرجة بين جبالها ﴿انهرا﴾ أى جارية على حالة [1]واحدة، فلو اضطربت الأرض أدنى اضطراب، لتغيرت مجارى المياه بلا ارتياب .

و لما ذكر الدليل، ذكر[1] سبب القرار فقال: ﴿و جعل لها رواسى﴾ أى كمراسى السفن، كانت[2] أسبابا فى ثباتها على ميزان دبره سبحانه فى مواضع من أرجائها بحيث اعتدلت[3] جميع جوانبها فامتنعت من الاضطراب .

و لما أثبت[4] القرار و سببه، و كان قد جعل سبحانه للأنهار طرقا تتصرف [فيها -[5]] و لو حبسها عن الجرى شىء لأوشك أن تستبحر، فيصير أكثر الأرض لاينتفع بـه فى سير و لا نبات[6]، أو أن تخرق ذلك الحابس بما لها من قوة الجرى و شدة النفوذ بلطافة السريان، لأن من عادة المياه التخلل بين[7] أطباق التراب و التغلغل بما لها من اللطافة و الرقة، و الثقل[8] فى الأعماق و لو قليلا قليلا، و كان سبحانه قد سد ما بين البحرين: الرومى و الفارسى، و كان ما بينهما من الأرض إنما هو يسير جدا فى بعض المواضع، و كان بعض مياه الأرض عذبا، و بعضه[9] ملحا[10]، مع

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: كان .
(٣) فى ظ: اعتدل (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ثبت (٥) زيد من ظ و مد.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: انبات (٧) سقط من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: التنقل (٩) كذا، و الأوفق: بعضها (١٠) تأخر فى الأصل عن «ذلك العذب» ص ١٩٠ س ١، و الترتيب من ظ و مد.

القرب جدا من ذلك العذب ، سألهم - تنبيها لهم على عظيم القدرة - عن الممسك لعدوان أحدهما على الآخر ، و لعدوان كل من خليجى الملح على ما بينهما لئلا يخرقاه فيتصلا فقال : ﴿و جعل بين البحرين حاجزا[٤]﴾ أى يمنع أحدهما أن يصل إلى الآخر .

٥ و لما كان من المعلوم أنه الله وحده . ليس عند عاقل شك فى ذلك . كرر الإنكار فى قوله : ﴿ءَ إله مع الله[٤]﴾ أى المحيط علما و قدرة . و لما كان الجواب[١] الحق قطعا : لا ، وكان قد أثبت لهم فى الإضراب[٢] الأول علما من حيث الحكم على المجموع ، وكان كل منهم يدعى رجحان العقل ، و صفاء[٣] الفكر ، و رسوخ القدم فى العلم بما يدعيه [العرب -[٤]] ، قال :

١٠ ﴿بل اكثرهم﴾ أى الخلق الذين[٥] يتفعون بهذه المنافع ﴿لا يعلمون ه[٤]﴾ أى ليس لهم نوع من العلم ، بل هم كالبهائم لإعراضهم عن هذا الدليل الواضح .

/٧٩١ و لما دلهم بآيات الآفاق ، و كانت كلها من أحوال / السراء ، وكانت بمعرض الغفلة عن الإله ، ذكرهم بما فى[٦] أنفسهم مما يوجبه تغير الأحوال

١٥ الدالة بمجردها على الإله ، و يقتضى لكل عاقل [صدق -[٤]] التوجه إليه ،

---

(١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاضطراب (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : صف . (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الممدين (٦) سقط من ظ .

و إخلاص النية لديه ، و الإقبال عليه ، على ذلك ركزت[1] الطباع ، و انعقد الإجماع ، فلم يقع فيه نزاع . فقال : ﴿ امن يجيب المضطر ﴾ أى جنس الملجأ إلى ما لا قبل له به ، الصادق على القليل و الكثير إذا أراد إجابته كما تشاهدون ، و عبر فيه و فيما بعده بالمضارع لأنه مما يتجدد[2] ، بخلاف ما مضى من خلق السماوات و ما بعده ﴿ اذا دعاه ﴾ أى حين ينسيكم ٥ الضر شركاءكم ، و يلجئكم إلى من خلقكم و يذهل[3] المعطل عن مذهبه و يغفله[4] عن سوء أدبه عظيمُ إقباله على قضاء أربه .

و لما كانت الإجابة ذات شقين ، جلب السرور ، و دفع الشرور ، و كان النظر إلى الثانى أشد ، خصه بادئا به فقال : ﴿ و يكشف السوء ﴾ ثم أتبعه الأول على وجه أعم ، فقال مشيرا إلى عظيم المنة عليهم بجعلهم مسلطين[6] ١٠ عالين على جميع من فى الأرض و ما فى الأرض مشرفين بخلافته سبحانه ، و لذلك أقبل عليهم . ﴿ و يجعلكم خلفاء الارض ﴾ أى فيما[7] يخلف بعضكم[8] بعضا ، لا يزال يجدد ذلك باهلاك قرن و إنشاء آخر إلى قيام الساعة . و لما كان هذا أبين ، كرر الإنكار فيه مبكتا لهم بالنسيان فقال : ﴿ ءاله ﴾ أى كائن أو موجود ﴿ مع الله ﴾ أى الملك الأعظم[9] الذى لا كفوء له[9] . ١٥

---

(١) من مد ، و فى الأصل : ذكرت . و فى ظ : وكرت - كذا (٢) فى ظ : يتجرد (٣ - ٣) من ظ و مد . و فى الأصل : خلقهم و يذهب (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعقل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : رخصه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مسلمين (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيها . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعضهم (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ثم استأنف التبكيت تفظيعا[1] له و مواجها به فى قراءة الجماعة لما يؤذن به كشف هذه الأزمات[2] من القرب المقتضى للخطاب ، و لذلك أكد بزيادة "ما" فقال : ﴿قليلا ما تذكرون ه[4]﴾ أى بأن من أنجاكم [3]من ذلك[3] وحده حين أخلصتم له التوجه عند اشتداد الأمر هو المالك لجميع أموركم فى الرخاء كما كان مالكا له فى الشدة ، و أن الأصنام لاتملك شيئا بشفاعة و لاغيرها كما لم[4] تملك شيئا[5] فى اعتقادكم عند الأزمات ، و اشتداد الكربات ، فى الأمور المهمات ، فان هذا قياس ظاهر[6] ، و دليل باهر ، و لكن من[7] طبع الإنسان نسيان ما كان فيه من الضير ، عند مجىء الخير ، و من قرأ بالتحتانية [8]و هم أبو عمرو و هشام و روح ، فللايذان بالغضب الأليق بالكفران ، مع عظيم الإحسان .

و لما ذكر آيات الأرض ، و ختم بالمضطر ، و كان المضطر قد لايهتدى لوجه حيلة ، أتبعها آيات السماء ذاكرا ما هو [من -[9]] أعظم صور الاضطرار فقال : ﴿ امن يهديكم ﴾ أى[10] إذا سافرتم بما رسم لكم من المعالم العلوية و السفلية ﴿ فى ظلمت البر ﴾ أى بالنجوم و الجبال و الرياح ، و هى و إن كانت أضعفها فقد يضطر إليها [حيث -[9]] لايبدو

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعظيما (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الازمان (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٥) زيد فى الأصل : من ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مع (٨) راجع نثر المرجان ٥/١٢٥ حول اختلاف القراءة (٩) زيد من ظ و مد .

شيء من ذينك ﴿ و البحر ﴾ بالنجوم و الرياح .

و لما كانت الرياح[1] كما كانت من أدلة السير ، كان بعضها من أدلة المطر ، قال : ﴿ و من يرسل الريح ﴾ أى التى هى من دلائل السير ﴿نشرا[2]﴾ أى تنشر السحاب / و تجمعها ﴿ بين يدى رحمته[3] ﴾ ٧٩٢ /
أى [3] التى هى المطر تسمية للسبب باسم السبب؛ و الرياح[4] التى يهتدى بها ٥
فى المقاصد أربع : الصبا ، و الدبور ، و الشمال ، و الجنوب ، و هى أضعف الدلائل ؛ * قال الإمام أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكرى[6] فى كتاب أسماء الأشياء و صفاتها : الرياح أربع : الشمال ، و هى التى تجىء عن يمينك إذا استقبلت قبلة العراق - يعنى : و ذلك ما بين مطالع الشمس الصيفية و بنات نعش ، و هى فى الصيف حارة ، و اسمها البارح ، و الجنوب ١٠
تقابلها[7] ، [و الصبا من مطلع الشمس و هى القبول ، و الدبور تقابلها -[8]] ، و يقال للجنوب : النعامى و الأرنب - انتهى . و هذه العبارة أبين العبارات فى تعيين هذه الرياح . و قال الإمام أبو العباس أحمد بن أبى أحمد بن القاص

(١) سقط من ظ (٢) و قراءة حفص بالباء (٣) سقط من مد (٤) كتب بهامش الأصل : مطلب مادة الرياح : قيل : كل ما كان فى القرآن من ذكر الرياح بزيادة ألف بعد الياء يكون رحمة ، و كل ما كان بغير ألف فهو عذاب - انتهى . و كان عليه السلام إذا رأى الرياح جثا على ركبتيه و قال : اللهم اجعلها رياحا و لا تجعلها ريحا (٥) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٦) راجع ترجمته فى الأعلام ٢/٢١١ و ٢١٢ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقابلها .
(٨) زيد من ظ و مد .

الطبرى الشافعى[١] فى كتابه أدلة القبلة : إن قبلة العراقيين إلى باب الكعبة كله إلى الركن الشامى الذى عند الحجر . و قال : و قد اختلف أهل العلم بهذا الشأن - أى[٢] فى التعبير[٣] عن مواطن[٤] الرياح - اختلافا متباينا ، و أقرب *ذلك - على ما جربته و تعاهدته بمكة - أن الصبا تهب ما بين مطالع الشمس فى الشتاء إلى مطلع* سهيل ، و سهيل يمان مسقطه فى رأى العين على ظهر الكعبة إذا ارتفع ، و قال[٦] صاحب القاموس[٧] : و الصبا ريح مهبها من مطلع الثريا إلى بنات نعش ، و قال[٨] : و القبول كصبور[٩] : ريح الصبا ، لأنها تقابل[١٠] الدبور ، أو لأنها تقابل باب الكعبة ، أو لأن النفس تقبلها . و قال الإمام أبو عبد الله القزاز : الصبا : [الريح -[١١]] التى[١٢] تهب من مطلع الشمس ، و القبولِ : الريح التى تهب من مطلع الشمس . و ذلك لأنها تستقبل الدبور ، و قيل : لأنها تستقبل باب الكعبة و هى الصبا ، فقد[١٣] اتفقت أقوالهم كما ترى على خلاف ابن القاص ، *و قال ابن القاص* : و هى - أى[١٤] الصبا - ريح معها روح و خفة ، و نسيم تهب مما بين مشرق الشتاء و مطلع سهيل ،

(١) قد مر التعليق عليه فيما مضى (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٣) زيد فى ظ : بهذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بواطن (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان (٧) راجع مادة [صبو] (٨) راجع مادة [قبل] (٩) فى ظ : كصفور (١٠) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : بقال (١١) زيد من ظ ومد (١٢) من ظ ومد ، و فى الأصل : الذى (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : و قد (١٤) سقط من ظ .

و لها

و لها برد يقرص أشد من هبوبها . و تلقح الأشجار ، و لا تهب إلا بليل ، سلطانها إذا أظلم الليل ، إلى أن يسفر النهار و تطلع الشمس ، و أشد ما يكون فى وقت الأسحار [و -[1]] ما بين الفجرين ، و الجنوب تهب ما بين مطلع سهيل إلى مغارب الشمس فى الصيف . و قال فى القاموس[2] : و الجنوب : ريح تخالف[3] الشمال ، مهبها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا ، ٥ [4]و عن ابن هشام اللخمى[5] أن الجنوب هى الريح القبلية . و فى الجمع بين العباب و المحكم : و الجنوب ريح تخالف الشمال تأتى عن يمين القبلة[6] ، و قيل : [7]هى من الرياح ما استقبلك عن شمالك إذا وقفت فى القبلة ، قال ابن الأعرابى : و مهب الجنوب من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا ، و قال الأصمعى[8] : إذا جاءت الجنوب جاء معها[9] خير و تلقيح[10] ، / و إذا ١٠ /٧٩٣ جاءت الشمال نشفت ، و يقال للتصافين : ريحهما جنوب . و إذا تفرقا[11] قيل : شملت ريحهما ، و عن ابن الأعرابى[12] : الجنوب فى كل موضع حارة

(١) زيد من ظ و مد (٢) راجع مادة [جنب] (٣) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : يخالف (٤) زيد فى ظ : قال الأصمعى (٥) هو محمد بن أحمد ابن هشام بن خلف اللخمى أبو عبد الله - راجع لترجمته الأعلام ٦/٢١٢ (٦) زيد فى الأصل . وهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨) ذكر قوله فى تاج العروس (٩) من ظ ومد و تاج العروس ، و فى الأصل: منها (١٠) من ظ و مد و تاج العروس، و فى الأصل : تلقح (١١) من ظ و مد و تاج العروس ، و فى الأصل : تفرق (١٢) ذكر القول الآتى فى تاج العروس معزوا إلى بعض العرب .

إلا بنجد فانها باردة ؛ و قال ابن القاص: و إذا هبت فقوتها فى العلو و الهواء أكثر لأنها موكلة بالسحاب ، و تحرك الأغصان و رؤس الأشجار ، و مع ذلك فتراها تؤلف الغيم فى السماء ، فتراه متراكما مشحونا ، قال : و سمعت من يقول : [ما -[1]] اشتد هبوبها إلا خيف المطر ، و لا هبت جنوب قط ثم يتبعها دبور إلا وقع مطر ، و هى تهيج البحر و تظهر بكل ندى كامل فى الأرض ، و هى من ريح الجنة . و الدبور - قال فى القاموس : ريح تقابل[2] الصبا ، و قال القزاز : هى التى تأتى من دبر الكعبة و هى التى تقابل مطلع الشمس ، و قال ابن القاص : تهب ما بين مغارب الشمس فى الصيف إلى مطلع بنات نعش . و قوتها فى الأرض أشد من قوتها فى الهواء ، و هى إذا هبت تثير الغبار . و تكسح الأرض ، و ترفع الذيول ، و تضرب الأقدام ، و أشد ما تثير الغبار إذا تنكبت[3] ، تراها كأنها تلعب بالتراب على وجه الأرض ، و ترى الأشجار فى البوادى و الرمال لها دوى من ناحية الدبور ، و قد اجتمع فى أصلها التراب و ما يلى الجنوب عاريا مكشوفا متحفزا و قوتها فى الأرض - و الله[4] أعلم ، لأن عادا أوعدت بالتدمير بالرياح ، فحفرت الآبار و استكنت فيها ، فبعث الله الدبور فدخلت الآبار و قذفتهم متدمرين حتى أهلكتهم . و الشمال - قال فى القاموس : الريح التى تهب من قبل الحجر ، و الصحيح أنه ما مهبه ما بين مطلع الشمس و بنات نعش ، أو من مطلع النعش إلى

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : يقابل - (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : اسكبت (٤) سقط من ظ .

مسقط النسر الطائر، و لاتكاد تهب[1] ليلا . و قال القزاز: هى الريح التى تأتى عن شمالك إذا استقبلت مطلع الشمس، و العرب تقول: إن الجنوب قالت[2] للشمال: إن لى عليك فضلا. أنا أسرى و أنت لاتسرين، فقالت الشمال: إن الحرة لا تسرين[3]، و قال الصغانى فى مجمع البحرين: و الشمال: [الريح -[4]] التى تهب من ناحية القطب، و عن أبى حنيفة: هى التى تهب من جهة القطب الشمالى و هى الجربياء و هى الشامية لأنها تأتيهم من شق الشام، و فى الجمع بين العباب و المحكم، و البوارح: شدة الرياح [من الشمال فى الصيف دون الشتاء كأنه جمع بارحة، و قيل: البوارح: الرياح -[4]] الشدائد التى تحمل التراب، واحدتها بارح. و الجربياء: الريح التى بين الجنوب و الصبا، و قيل: [هى -[4]] النكباء التى تجرى بين الشمال و الدبور، و هى ريح تقشع[5] السحاب، و قيل: هى الشمال، و جربياؤها بردها - قاله الأصمعى، و قال الليث: هى الشمال الباردة، و قال ابن القص: و الشمال تهب ما بين مطلع [بنات نعش إلى مطلع -[4]] الشمس فى الشتاء، و هى تقطع الغيم و تمحوها، و لذلك سميت الشمال المحوة، قال: و هذا بارض الحجاز، و أما أرض العراق و المشرق فربما ساق الجنوب غيما و استداره و لم يحلبه حتى تهب الشمال فتحلبه، / و الجنوب و الشمال متماثلتان، لأنهما موكلتان بالسحاب. فالجنوب تطردها

٧٩٤/

(١) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: تهبت (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: قال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لاتسرى (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد و تاج العروس [جرب]، و فى الأصل: يقشع، و فى ظ: نفسع - كذا.

و هى مشحونة ، و الشمال تردها و تمحوها إذا أفرغت ، قال أبو عبيدة : الشمال عند العرب للروح ، و الجنوب للأمطار و الندى ، و الدبور للبلاء ، و أهونه أن يكون غبارا عاصفا يقذى العيون ، و الصبا لإلقاح الشجر ، و كل ريح من هذه الرياح انحرفت فوقعت بين ريحين فهى نكباء ، و سميت لعدولها عن مهب[1] الأربع اللواتى وصفن قبل - انتهى . [و قال المسعودى فى مروج الذهب[2] فى ذكر البوادى من الناس و سبب اختيار البدو : إن شخصا من خطباء العرب وفد على كسرى فساله عن أشياء منها الرياح فقال : ما بين سهيل إلى طرف بياض الفجر جنوب ، و ما بازائهما مما يستقبلهما من المغرب شمال ، و ما جاء من وراء الكعبة فهى دبور ، و ما جاء من قبل ذلك فهى صبا -[3]] ، و نقل ابن كثير فى سورة النور[4] عن ابن أبى حاتم و ابن جرير عن عبيد بن[5] عمير الليثى أنه قال : يبعث الله المثيرة فتقم الأرض قماً ، ثم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب ، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه ، ثم يبعث الله اللواقح فتلقح السحاب .

و لما انكشف[6] بما مضى من الآيات . ما كانوا فى ظلامه من واهى الشبهات ، و اتضحت الأدلة ، و لم تبق لأحد فى شىء من ذلك علة . كرر سبحانه الإنكار فى قوله : ﴿ ءَالٰه مع الله ﴾ أى الذى كمل علمه فشملت قدرته .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : مهبت (٢) راجع ١/٣٠٦ (٣) زيد من ظ و مد (٤) راجع تفسيره ٣/٢٩٧ (٥) من ظ و مد و التفسير ، و فى الأصل : عن . (٦) فى الأصل : تكشفت ، و فى ظ و مد : انكشفت .

و لما

ولما ذكر حالة الاضطرار[1]، وأتبعها من صورها ما[2] منه ظلمة البحر، وكانوا فى البحر يخلصون له سبحانه ويتركون شركاءهم، نبههم على أن ذلك موجب لاعتقاد كون الإخلاص [له -[3]] واجبا دائما، فأتبعه قوله على سبيل الاستعظام، معرضا عنهم باجماع العشرة إعراض من بلغ بـــه الغضب: ﴿تعلى الله﴾ أى الفاعل القادر المختار الذى لا كفوء له ﴿عما يشركون[4]﴾، أى فان شيئا منها لا يقدر على شىء من ذلك، وأين رتبة العجز من رتبة القدرة.

ولما رتب سبحانه هذه الأدلة على هذا الوجه ترقيا من أعم إلى أخص، ومن أرض إلى سماء، ختمها بما يعمها وغيرها[4]، إرشادا إلى قياس ما غاب منها على ما شوهد، فلزم من ذلك قطعا القدرة على الإعادة، فساقها لذلك سياق المشاهد المسلم، وعد من أنكره فى عداد من لا يلتفت إليه [فقال -[3]]: ﴿أمن يبدؤا الخلق﴾ أى كله: ما علمتم منه وما لم تعلموا، ثم يبيده لأن كل شىء هالك إلا وجهه، له هذا الوصف باعترافكم يتجدد أبدا تعلقه. ولما كان من اللازم البين لهم الإقرار بالإعادة لاعترافهم بأن كل من أبدى شيئا قادر على إعادته. لأن الإعادة أهون، قال: ﴿ثم يعيده﴾ أى بعد ما يبيده[5].

ولما كان الإمطار والإنبات من أدل ما يكون على الإعادة، قال

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: الاضطراب (٢) من مد، وفى الأصل: من، والكلمة ساقطة من ظ (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ: غيرهما.
(٥) فى ظ: يبديه - كذا.

مشيرا إليها على وجه عم جميع ما مضى: ﴿ و من يرزقكم من السماء ﴾ أى بالمطر و الحر و البرد و غيرهما مما له سبب فى التكوين أو التلوين ﴿ و الارض ﴾ أى بالنبات و المعادن و الحيوان و غيرهما مما لا يعلمه إلا الله، و عبر عنهما بالرزق لأن به تمام النعمة ﴿ ءاله مع الله ﴾ أى الذى له صفات الجلال و الإكرام، كائن، أو يفعل شيئا[1] من ذلك.

و لما كانت هذه كلها براهين ساطعة، و دلائل قاطعة، و أنوارا[2] لامعة، و حججا باهرة، و بينات ظاهرة، و سلاطين قاهرة، على التوحيد / المستلزم للقدرة على البعث و غيره من كل ممكن، أمره صلى الله عليه و سلم إعراضا عنهم، إيذانا بالغضب فى آخرها [بأمرهم -[3]] بالإتيان بيرهان واحد على صحة معتقدهم فقال: ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المدعين للعقول ﴿ هاتوا برهانكم ﴾ أى على نفى شىء من ذلك عن الله تعالى، أو على إثبات شىء منه لغيره، لتثبت دعوى الشركة فى الخلق فتسمع دعوى الشركة فى الألوهية، و ليكن إتيانكم[4] بذلك ناجزا من غير مهلة، لأن من يدعى العقل لا يقدم على شىء إلا بيرهان حاضر ﴿ ان كنتم صدقين ﴾ أى فى أنكم على حق فى أن مع الله غيره. و أضاف البرهان إليهم إضافة ما كأنه عنيد[5]، لا كلام فى وجوده و تحققه، و إنما[6] المراد الإتيان به كل ذلك تهكما بهم و تنبيها على أنهم أبعدوا فى الضلال، و أعرقوا فى

/ ٧٩٥

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: شىء (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: انوار.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، وفى الأصل: اثباتكم (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: عبيد (٦) فى ظ: ان.

المحال ، حيث رضوا لأنفسهم بتدين لا يصير إليه عاقل إلا بعد تحقق القطع بصحته ، و لا شبهة فى أنه لا شبهة لهم على شىء منه .

و لما كانت مضمونات هذه البراهين متوقفة على علم الغيب ، لأنه لا يخرج الخبء باختراع الخلق و كشف الضر و إحكام التدبير إلا به ، لأنه لا قدرة أصلا لمن لا علم له و لا تمام لقدرة من لا تمام لعلمه - كما مضى بيانه فى ظه ، و طالبهم سبحانه آخر هذه البراهين بالبرهان على الشرك ، و كانوا ربما قالوا : سنأتى به ، أمر أن يعلموا أنه لا برهان لهم عليه ، بل البرهان قائم على خلافه ، فقال : ﴿قل﴾ أى لهم أو [1]لكل من[1] يدعى دعواهم : ﴿لا يعلم﴾ أحـــد ، و لكنه عبر بأداة[2] العقلاء فقال : ﴿من﴾ لئلا يخصها متعنت بما لا يعقل ، و عبر بالظرف تنبيها على أن المظروف محجوب ، و كل ظرف حاجب لمظروفـــه عن علم ما وراءه ، فقال : ﴿فى السمٰوٰت و الارض الغيب﴾ أى الكامل فى الغيبة ، و هو الذى لم يخرج إلى عالم[3] الشهادة أصلا ، و لا دلت عليه أمارة ، ليقدر على شىء مما تقدم فى هذه الآيات [4]من الأمور فيعلمه[4] .

و لما كان الله تعالى منزها عن أن يحويه مكان ، جعل الاستثناء هنا منقطعا ، و من حق المنقطع النصب [كما قرأ به ابن أبى عبلة شاذا -[5]] ، لكنه رفع [باجماع العشرة -[5]] بدلا على لغة [بنى -[5]] تميم ، فقيل :

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمن (٢) فى ظ : عادة (٣) زيد فى الأصل : الغيب و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤-٤) وقع فى الأصل قبل « الا الله » ص ٢٠٢ س ١ ، و الترتيب من ظ و مد (٥) زيد من ظ و مد .

﴿ الا الله ﴾ أى المختص بصفات الكمال كما قيل [١]فى الشعر[١]:

و بلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير و إلا العيس

بمعنى : إن كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس، بتا للقول بخلوها من الأنيس، فيكون معنى الآية : إن [كان -[٢]] الله جل و علا ممن فى السماوات و الأرض فيهم من يعلم الغيب، يعنى أن علم أحدهم[٣] الغيب فى استحالته كاستحالة أن يكون الله[٤] منهم، و يصح كونه متصلا، [٥]و الظرفية[٥] فى [حقه -[٢]] سبحانه مجاز بالنسبة إلى علمه و إن كان فيه جمع بين الحقيقة و المجاز، و على هذا فيرتفع على البدل أو الصفة، و الرفع أفصح من النصب، لأنه من منفى، و قد عرف بهذا سر كونه لم يقل « لا يعلم أحد الغيب إلا هو » و هو التنبيه على المظروفية و الحاجة، و أن الظرف حجاب، لا يرتاب فيه مرتاب، و جعل [٦]ابن مالك[٦] متعلق الظرف خاصا[٧] تقديره : يذكر، و جعل غيره / "من" مفعولا و الغيب بدل اشتمال، و الاستثناء مفرغا، فالتقدير[٨] : لا يعلم غيب المذكورين[٩] - أى ما غاب عنهم - كلهم غيره . /٧٩٦

و لما كان الخبر - الذى لم يطلع عليه أحد من الناس - قد يخبر به الكهان، أو أحد من الجان، من أجواف الأوثان، و كانوا يسمون هذا غيبا و إن كان[٤] فى الحقيقة ليس به لسماعهم له من السماء بعد ما أبرزه الله إلى عالم

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : احد منهم (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ : بالظرفية . (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل : ان تلك (٧) فى ظ : خاصة (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : لتقدير (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : للذكورين .

الشهادة للملائكة و من يريد من عباده، وكانوا ربما تعنتوا به عن[1] العبارة، وكانت الساعة قد ثبت أمرها، و شاع فى القرآن و[2] على لسان الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و أصحابهم رضي الله تعالى عنهم ذكرها، بحيث صارت بمنزلة ما لانزاع فيه، و كان علم وقتها من الغيب المحض، قال[3]: ﴿وما يشعرون﴾ أى [4]أحد ممن[4] فى السماوات و الأرض و إن اجتمعوا و تعاونوا ﴿ايان﴾ [أى -[5]] أىّ وقت ﴿يبعثون﴾ فمن أعلم بشيء من ذلك على الحقيقة بان[6] صدقه، و من تخرص ظهر كذبه.

و لما كان النبي صلى الله عليه و سلم [قد -[5]] بعث و الكفر قد عم الأرض، وكانوا قد أكثروا فى التكذيب بالساعة و القطع بالإنكار [لها -[5]] [7]بعضهم صريحا، و بعضهم لزوما، لضلاله عن[1] منهاج الرسل[8] [9]وكان الذى ينبغى للعالم الحكيم أن لايقطع بالشيء إلابعد إحاطة علمه به، قال متهكما بهم كما تقول لأجهل الناس: ما أعلمك! استهزاء به[9] مستدركا لنفى شعورهم بها بيانا لكذبهم[10] باضطراب قولهم: ﴿بل ادّرك﴾ أى بلغ و تناهى ﴿علمهم فى الأخرة﴾ أى أمرها مطلقا: علم[11] وقتها و مقدار عظمتها فى هو لها و غير ذلك من نعتها لقطعهم بانكارها و تمالؤهم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: فقال.
(٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ: ان.
(٧) زيد فى الأصل: كما يقول، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل هنا: لاجهل الناس ما اعلمك استهزاء به، والعبارة متكررة فحذفناها.
(٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (١٠) فى ظ: لكذبه (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: اعلم.

عليه ، و تنويع العبارات فيه ، و تفريع القول فى أمره ـ هذا فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو[1] ، وكذا فى قراءة الباقين : ادارك بمعنى تدارك يعنى تتابع و استحكم .

و لما كانوا مع تصريحهم بالقطع فى إنكارها كاذبين فى قطعهم ، مرتبكين[2] فى جهلهم ، و قد يعبرون - دليلا على أنه لاعلم من ذلك عندهم - بالشك ، قال تعالى : ﴿ بل هم فى شك ﴾ و لما كانت لشدة ظهورها لقوة أدلتها كأنها موجودة ، عبر بمن ، أى مبتدئ ﴿منها[ف] ﴾ و لما [إكانوا يجزمون بنفيها تارة و يترددون أخرى ، و -[3]] كانت حقيقة حال[4] من ينكر الشىء تارة على سبيل القطع و أخرى وجه الشك الوصف بالجهل البالغ به قال : ﴿ بل هم ﴾ [و لما كان الإنسان مطبوعا على نقائص موجبة لطغيانه ، و مبالغته فى العلو فى جميع شأنه ، و لايوهن تلك النقائص منه إلا الخوف من عرضه على ديانه ، الموجب لجهله . و تماديه على قبيح فعله ، فقال مقدما للجار -[5]] : ﴿منها عمون[ع] ﴾ أى ابتدأ عماهم البالغ [الثابت -[5]] من اضطرابهم فى أمرها ، فضلوا فأعماهم ضلالهم عن جميع ما ينفعهم ، فصاروا لاينتفعون بعقولهم ، بل انعكس نفعها ضرا ، و خيرها [شرا -[5]] . و نسب ما ذكر لجميع من فى السماوات و الأرض ، لأن فعل البعض قد يسند إلى الكل لغرض ، و هو هنا[2] التنبيه على عظمة هذا الأمر ، و تناهى وصفه ، و أنه

(١) راجع نثر المرجان ٥/١٢٧ (٢) فى ظ : مرتكبين (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ (٥) زيد ما بين الرقمين من ظ و مد .

يجب على الكل الاعتناء به، و الوقوف على حقه، و التناهي عن[1] باطله، [أو لشك البعض و سكوت الباقي لقصد تهويله، أو أن إدراك العلم من حيث التهويل بقيام الأدلة التي هي أوضح من الشمس، فهم بها في قوة من أدرك علمه بالشيء، و هو معرض عنه، فقد فوّت على نفسه من الخير ما لا يدرى كنهه، ثم نزل درجة أخرى بالشك ثم أهلكها بالكلية، و أنزلها العمى عن رتبة البهائم التي لا همّ لها إلا لذة البطن و الفرج، و هذا كمن يسمع باختلاف المذاهب و تضليل بعضهم لبعض فيضلل بعضهم من غير نظر في قوله فيصير خابطا خبط عشواء، و يكون أمره على خصمه هينا -[2]]، أو[3] الشك لأجل أن أعمالهم أعمال الشاك، أو[4] انهم لعدم علم الوقت بعينه كأنهم في شك بل عمى، و لأن العقول و العلوم لا تستقل بادراك شيء من أمرها، و إنما يؤخذ ذلك عن الله بواسطة رسله من الملك و البشر، و من أخذ شيئا من علمها[5] عن غيرهم [ضل -[2]]. /٧٩٧/

و لما كان التقدير لحكاية كلامهم الذي يشعر ببلوغ العلم، فقالوا مقسمين جهد أيمانهم: لا تأتينا الساعة، عطف عليه ما يدل على الشك و العمى، و كان الأصل: و[6] قالوا، و لكنه قال: ﴿و قال الذين كفروا﴾ [أي ستروا دلائل التوحيد و الآخرة التي هي أكثر من أن تحصى و أوضح من الضياء -[2]]، تعليقا للحكم بالوصف، مستفهمين استفهام المستبعد المنكر: ﴿ءاذا كنا ترابا و ابآؤنا﴾ و كرروا الاستفهام

(١) في ظ و مد: على (٢) زيد ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) في ظ «و».
(٤) من ظ و مد، و في الأصل «و» (٥) سقط من ظ.

إشارة إلى تناهى الاستبعاد و الجحود، و عد ما استبعدوه[1] محالا، فقالوا[2]: ﴿ائنا﴾ أى نحن و آباؤنا الذين طال العهد بهم، و تمكن[3] البلى فيهم ﴿لمخرجون ۝﴾ أى من الحالة التى صرنا إليها من الموت و البلى إلى ما كنا عليه قبل ذلك من[3] الحياة و القوة، ثم أقاموا الدليل فى زعمهم على ذلك فقالوا تعليلا[4] لاستبعادهم: ﴿لقد وعدنا﴾.

و لما كانت العناية فى هذه السورة بالإيقان بالآخرة، قدم قوله - : ﴿هذا﴾ أى الإخراج من القبور كما كنا[5] أول مرة - على قوله: ﴿نحن و آباؤنا﴾ بخلاف ما سبق فى سورة المؤمنون[6]، و قالوا: ﴿من قبل[7]﴾ زيادة فى الاستبعاد، أى أنه قد مرت الدهور على هذا الوعد، و لم يقع منه شىء، فذلك[7] دليل على أنه لا حقيقة له فكأنه قيل: فما المراد به؟ فقالوا: ﴿ان﴾ أى ما ﴿هذآ الآ اساطير الاولين ۝﴾ أى ما[8] سطروه كذبا لأمر لا نعرف مرادهم منه، و لا حقيقة لمعناه، فقد [حط -[9]] كلامهم هذا كما ترى على أنهم[10] [تارة -[9]] فى غاية الإنكار دأب المحيط العلم، و تارة يستبعدون دأب الشاك، المركب الجهل، الجدير بالتهكم[11] كما مضى أنه معنى الإضرابات - و الله الموفق.

(١) فى ظ و مد: استبعدوا (٢) زيد فى الأصل: تعليقا لاستبعادهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تعليقا (٥) فى ظ: كان (٦) آية ٨٣ (٧) زيد فى الأصل: لان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ. و فى الأصل: مما، و فى مد مطموس (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ: انه (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: بالهتكم.

و لما

و لما لم يبق بعد هذا الذى أقامه من دلائل القدرة على كل شىء عموما، و على البعث خصوصا، مقال[1]، يرد [2]عن الغى[2] إلا التهديد بالنكال، [3]و كان[3] كلامهم هذا موجبا للنبى صلى الله عليه و سلم من الغم و الكرب ما لا يعلمه إلا الله تعالى، قال سبحانه ملقنا له و مرشدا لهم فى صورة التهديد: ﴿قل سيروا فى الارض﴾ أى أيها المعاندون أو[4] العمى الجاهلون. ٥

و لما كان المراد الاسترشاد للاعتقاد، و الرجوع عن الغى و العناد، لكون السياق له، لا مجرد[5] التهديد، قال: ﴿فانظروا﴾ بالفاء المقتضية للاسراع، و عظم المأمور بنظره بجعله أهلا للعناية به، و السؤال عنه، فقال: ﴿كيف كان﴾ أى كونا [هو -[6]] فى غاية المكنة ﴿عاقبة المجرمين ۝﴾ أى القاطعين لما أمر الله به أن يوصل من الصلاة التى هى الوصلة[7] بين ١٠ الله و بين عباده، و الزكاة التى هى وصلة بين بعض العباد و بعض، لتكذيبهم الرسل الذين هم الهداة إلى ما [لا -[6]] تستقل به العقول، فكذبوا بالآخرة التى[8] ينتج التصديق بها كل هدى، و يورث التكذيب بها كل عمى - كما تقدمت الإشارة إليه فى افتتاح السورة، فانكم إن نظرتم ديارهم. و تأملتم أخبارهم، حق التأمل، أسرع بكم ذلك إلى التصديق ١٥ فنجوتم و إلا هلكتم[9]، فلم تضروا إلا أنفسكم، و قد تقدم لهذا مزيد بيان

(١) فى ظ: مقالا (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: على الفى (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فكان (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لمجرد (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ: الموصلة. (٨) زيد فى الأصل: هى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: اهلكتم.

فى النحل .

و لما دهم النبى صلى الله عليه و سلم من الأسف على جلافتهم فى عماهم عن[1] السبيل ، الذى هدى إليه الدليل ، ما لا يعلمه إلا الله قال : ﴿ و لا تحزن عليهم ﴾ أى فى عدم إيمانهم .

٧٩٨/ ٥ و لما كانوا[2] لا يقتصرون على التكذيب ، بل يبغون / للمؤمنين الغوائل ، و ينصبون الحبائل ، قال : ﴿ و لا تكن ﴾ مثبتا للنون لأنه فى سياق الإخبار عن عنادهم و استهزائهم مع كفايته سبحانه تعالى لمكرهم بما أعد لهم من سوء العذاب فى الدارين . فلا مقتضى للتناهى فى الإيجاز و الإبلاغ فى نفى الضيق ، [فيفهم إثبات النون الرسوخ . فلا يكون منهيا عما لا ينفك عنه العسر

١٠ مما أشار إليه قوله تعالى " و لقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون " و إنما ينهى عن التمادى معه فى الذكر -[3]] بخلاف ما مضى فى النحل ، فان السياق هناك[4] للعدل فى العقوبة بما وقع من المصيبة[5] فى غزوة أحد المقتضى لتعظيم التسلية بالحمل على الصبر . و نفى [جميع -[3]] الضيق ليكون ذلك وازعا عن مجاوزة الحد ، بل حاملا على العفو[6] ﴿ فى ضيق ﴾ أى

١٥ فى الصدر ﴿ مما يمكرون ٥ ﴾ فان الله جاعل تدميرهم فى تدبيرهم كطغاة قوم صالح .

---

(١) من مد ، و فى الأصل : على ، و فى ظ : من (٢) فى ظ : كان (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : هنا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المعصية (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : العقول .

و لما أشار إلى أنهم لم يبقوا فى المبالغة فى التكذيب بالساعة وجها ، أشار إلى أنهم بالوعيد بالساعة و غيرها من عذاب الله أشد مبالغة ، فقال : ﴿ و يقولون ﴾ بالمضارع المؤذن بالتجدد[1] كل حين للاستمرار : ﴿متى هذا الوعد﴾ و سموه وعدا إظهارا للمحبة[2] تهكما به ، و هو العذاب و البعث و المجازاة ﴿ ان كنتم ﴾ أى أنت و من تابعك ، كونا هو فى ٥ غاية الرسوخ ، كما تزعمون ﴿ صدقين ﴾ فأجابهم على هذا الجواب الغض بجواب الواسع القادر الذى لا يعتريه ضيق ، و لا تنوبه عجلة ، مشيرا إلى الاستعداد للدفاع أو الاستسلام[3] لذى الجلال و الإكرام ، كما فعلت بلقيس رضى الله عنها ، فقال مخاطبا الرأس الذى لا يقدر على هذه التؤدة حق القدرة غيره : ﴿قل﴾ يا محمد ﴿عسى﴾ أى يمكن ﴿ان يكون﴾ ١٠ و[4] جدير و خليق[4] بأن يكون ﴿ ردف ﴾ أى تبع ردفا حتى صار كالرديف و لحق .

و لما قصر الفعل و ضمنه معنى ما يتعدى باللام لأجل الاختصاص قال : ﴿ لكم ﴾ أى لأجلكم خاصة ﴿ بعض الذى تستعجلون ﴾ إتيانه من الوعيد ، فتطلبون تعجيله قبل الوقت الذى ضربه الله له ، فعلى تقدير ١٥ وقوعه ما ذا أعددتم لدفاعه ؟ فان العاقل من ينظر فى عواقب أموره ، و يبنيها على أسوأ التقادير ، فيعد لما يتوهمه من البلاء ما يكون فيه

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : للتجدد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمحبته (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : للاستيلام - كذا (٤-٤) فى ظ و مد : خليق و جدير .

الخلاص كما فعلت بلقيس رضى الله عنها من[1] الانقياد الموجب للأمان[2] لما غلب على ظنها أن الإباء يوجب الهوان، لا كما فعل قوم صالح من الآبار، التى[3] أعانت على الدمار، و غيرهم من الفراعنة.

و لما كان التقدير قطعا: فان ربك لا يعجل على أهل المعاصى بالانتقام مع القطع بتمام قدرته، عطف عليه قوله[4]: ﴿ و ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بالحلم عن[5] أمتك و ترك المعاجلة لهم بالعذاب على المعاصى ﴿ لذو فضل ﴾ أى تفضل[6] و إنعام ﴿ على الناس ﴾ أى كافة ﴿ و لكن اكثرهم لا يشكرون ﴾ أى لا يوقعون الشكر له بما أنعم [عليهم، و يزيدون فى الجهل بالاستعجال -[7]].

و لما كان الإمهال قد يكون من الجهل بذنوب الأعداء، قال نافيا لذلك: ﴿ و ان ربك ﴾ [8]أى و الحال أنه أشار بصفة الربوبية إلى إمهالهم إحسانا إليه و تشريفا له[8] ﴿ ليعلم ﴾ أى علما لا يشبه علمكم بل هو فى غاية الكشف لديه دقيقه و جليله ﴿ ما تكن ﴾ أى تضمر و تستر و تخفى ﴿ صدورهم ﴾ أى الناس كلهم فضلا عن قومك ﴿ و ما يعلنون ﴾ أى يظهرون من [9]عداوتك فلا تخشهم[9]، و ذكر هذا القسم لأن التصريح أقر للنفس و المقام للاطناب، على أنه ربما

(١) زيد فى ظ : ان (٢) فى ظ : للايمان (٣) فى ظ : الذى (٤) سقط من ظ .
(٥) فى ظ و مد : على (٦) فى ظ : تفضيل (٧) زيد من ظ و مد .
(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩-٩) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و مد .

كان فى الإعلان لغط واختلاط أصوات يكون سببا للخفاء .

ولما كان ثبات علم الناس فى الغالب / مقيدا بالكتاب ، قال تقريبا ٧٩٩ /
لأفهامهم : ﴿ وما من غآئبة ﴾ [أى من هنة من الهنات -[1]] فى غاية
الغيبوبة ﴿ فى السمآء والارض ﴾ أى فى أى موضع كان منهما[2] ، وأفردهما
دلالة على إرادة الجنس الشامل لكل فرد ﴿ الا فى كتب ﴾ كتبه ٥
قبل إيجادها لأنه لا يكون شىء إلا بعلمه وتقديره ﴿ مبين ﴾ لا يخفى
شىء فيه على من تعرف ذلك منه كيفما كان ؛ ثم دل على ذلك
بقوله : ﴿ ان هذا القرآن ﴾ أى الآتى به هذا النبى الأمى الذى لم يعرف
قبله علما ولا خالط عالما ﴿ يقص ﴾ أى يتابع الإخبار ويتلو شيئا فشيئا
على سبيل القطع الذى لا تردد فيه ، من غير زيادة ولا نقص ١٠
﴿ على بنى اسرآءيل ﴾ أى الذين أخبارهم مضبوطة فى كتبهم لا يعرف
بعضها إلا قليل من حذاق أحبارهم ﴿ اكثر الذى هم ﴾ أى خاصة لكونه
من خاص أخبارهم التى لا علم لغيرهم بها ﴿ فيه يختلفون ﴾ أى من أمر
الدين وإن بالغوا فى كتمه ، كقصة الزانى المحصن فى إخفائهم أن حده
الرجم ، وقصة عزير والمسيح ، وإخراج النبى صلى الله عليه وسلم ذلك[3] ١٥
من توراتهم[4] ، فصح بتحقيقه على لسان من لم [يلم -[1]] بعلم قط أنه
من عند الله ، وصح أن الله تعالى يعلم كل شىء إذ لا خصوصية لهذا دون
غيره بالنسبة إلى علمه سبحانه .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : منها (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : توارثهم .

و لما بان بهذا [1]دليل علمه، أتبعه[1] دليل فضله و حلمه، فقال: ﴿و انه﴾ أى القرآن ﴿لهدى﴾ أى موصل إلى المقصود لمن وفق ﴿و رحمة﴾ أى نعمة و إكرام ﴿للمؤمنين*﴾ أى الذين طبعتهم على الإيمان، فهو صفة لهم راسخة كما أنه[2] للكافرين وقر فى أذانهم و عمى فى قلوبهم.

٥ و لما ذكر دليل فضله، أتبعه دليل عدله، فقال مستأنفا لجواب من ظن أن فضله دائم العموم على الفريقين: ﴿ان﴾ و قال: ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك بجمعه لك بين العلم و البلاغة و الدين و البراعة و الدنيا و العفة و الشجاعة تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم ﴿يقضى بينهم﴾ أى بين جميع المختلفين ﴿بحكمه ج﴾ أى الذى هو أعدل حكم و أتقنه[3] و أنفذه

١٠ و أحسنه مع كفرهم به[4] و استهزائهم برسله، لا بحكم غيره و لا بنائب يستنيبه ﴿و هو﴾ أى و الحال أنه هو ﴿العزيز﴾ فلا يرد له أمر ﴿العليم*ج﴾ فلا يخفى عليه سر و لا جهر، فلما ثبت له العلم و الحكمة، و العظمة و القدرة، تسبب عن ذلك قوله: ﴿فتوكل على الله[5]﴾ أى الذى له جميع العظمة بما ثبت من علمه و قدرته التى[5] أثبت بها أنك أعظم عباده الذين اصطفى

١٥ فى استهزاء الأعداء و غيره من مصادمتهم و مسالمتهم لتدع الأمور كلها إليه[6]، و تستريح من تحمل المشاق، وثوقا بنصره، و ما أحسن قول قيس بن الخطيم[7] و هو جاهلى:

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: ان (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ايقنه (٤) زيد بعده فى ظ: و اشهدهم (٥) فى ظ: الذى (٦) فى ظ: اليها (٧) راجع لمصادر ترجمته الأعلام ٦/٥٥.

متى ما[1] تقد بالباطل الحق يأبه و أن تقد الأطوار بالحق تنقد .

ثم علل ذلك حثا على التحرى فى الأعمال ، و ضلا لأهل الإبطال ، عن تمنى المحال ، فقال : ﴿ انك على الحق المبين * ﴾ أى البين فى نفسه الموضح لغيره ، فحقك لا يبطل و وضوحه[2] لا يخفى ، و نكوصهم ليس عن خلل فى دعائك لهم ، و إنما الخلل فى مداركهم ، فثق بالله فى تدبير أمرك فيهم ؛ ثم علل هذا الذى أرشد السياق إلى تقديره ، أو[3] استأنف لمن يسأل متعجبا عن وقوفهم عن الحق الواضح بقوله : ﴿ انك لا تسمع الموتى ﴾ أى لا توجد سمعا للذين هم كالموتى فى عدم الانتفاع بمشاعرهم التى هى فى غاية الصحة ، و هم إذا سمعوا الآيات أعرضوا عنها .

و لما كان تشبيههم بالموتى مؤيسا ، قال مرجيا : ﴿ ولا تسمع / الصم الدعآء ﴾ أى لا تجدد ذلك لهم ، فشبههم بما فى أصل خلقهم مما[4] جبلوا عليه [من - ٥] الشكاسة و سوء الطبع بالصم . ٨٠٠ /

و لما كانوا[6] قد ضموا إلى ذلك الإعراض و النفرة فصاروا كالأصم المدبر ، و كان الأصم إذا أقبل ربما سمع بمساعدة بصره و فهمه ، قال : ﴿ اذا ولوا مدبرين * ﴾ فرجاه فى إيجاد الإسماع إذا حصلت لهم[7] حالة من الله تقبل[8] بقلوبهم .

و لما شبههم بالصم فى كونهم لا يسمعون إلا مع الإقبال ، مثلهم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : وضوحك .
(٣) فى ظ « و » (٤) فى ظ : بما (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ : كان .
(٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : يقلب .

بالعمى فى أنهم لايهتدون فى[1] غير عوج أصلا إلا براعٍ لاتشغله عنهم فترة ولا ملال[2]، فقال: ﴿ وما أنت بهدى ﴾ أى بموجد الهداية على الدوام فى قلوب ﴿العمى﴾ [أى فى أبصارهم و بصائرهم مزيلا لهم و ناقلا و مبعدا -[3]] ﴿ عن ضلٰلتهم[4] ﴾ عن الطريق بحيث تحفظهم عن أن يزالوا عنها أصلا، فان هذا لايقدر عليه إلا الحى القيوم، و السياق كما ترى يشعر بتنزيل كفرهم فى ثلاث رتب: عليا ككفر أبى جهل، و وسطى كعتبة بن ربيعة، و دنيا كأبى طالب و بعض المنافقين، و سيأتى فى سورة الروم لهذا مزيد[4] بيان.

و لما كان هذا ربما أوقف[5] عن دعائهم، رجاه فى انقيادهم و ارعوائهم بقوله: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ تسمع ﴾ أى سماع انتفاع على وجه الكمال[6]، فى كل حال ﴿ الا من يؤمن ﴾ أى من علمنا أنه يصدق ﴿ بايٰتنا ﴾[7] بأن جعلنا فيه قابلية السمع. ثم سبب عنه قوله دليلا على إيمانه[8]: ﴿ فهم مسلمون ﴾ أى فى غاية الطواعية لك فى المنشط و المكره، لاخيرة لهم و لا إرادة فى شىء من الأشياء.

و لما فرغ من عظيم زجرهم بتسليته[9] صلى الله عليه و سلم فى أمرهم و ختم بالإسلام، عطف عليه ذكر[10] ما يوعدون مما تقدم استعجالهم له استهزاء

(١) فى ظ: من (٢) فى ظ: ملالة (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: زيادة. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: وقف (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: كمال (٧) زيد فى ظ: اى (٨) من ظ و مد، وفى الأصل: ايمانهم (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بتسلية نبيه (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: قوله وذكره.

به

به[1]، و بدأ منه بالدابة التى تميز المسلم من غـيره[2]، فقال محققا بأداة التحقيق: ﴿و اذا وقع القول﴾ أى حان حين وقوع الوعيد الذى هو معنى القول، و كأنه لعظمه لاقول غيره ﴿ عليهم ﴾ بعضه بالإتيـان حقيقة و بعضه بالقرب جدا ﴿ اخرجنا ﴾ [أى -[3]] بما لنا من العظمة ﴿ لهم ﴾ من أشراط الساعة ﴿ دآبة ﴾ و أىّ دابة فى هولها و عظمهـا ٥ خلقا و خلقا ﴿ من الارض ﴾ أى أرض مكة التى هى أم الأرض، لأنه لم يبق بعد إرسال أكمل الخلق بأعلى الكتب إلا كشف الغطاء.

و لمـا كان التعبير بالدابة يفهم أنها كالحيوانات العجم لا كلام لها قال: ﴿تكلمهم[1]﴾ أى بكلام يفهمونه، روى البغوى[4] من طريق مسلم عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: قال سمعت رسول الله صلى الله ١٠ عليه و سلم يقول: إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربهـا، و خروج الدابة على الناس ضحى، و أيتهما[5] كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريبا. و من طريق ابن خزيمة عن أبى شريحة الغفارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: يكون للدابة ثلاث خرجـات[6] من الدهر، فتخرج خروجا بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية، و لا يدخل ١٥ ذكرها القرية - يعنى مكة، ثم تكمن[7] زمانا طويلا، ثم تخرج خرجة أخرى [قريبا -[8]] من مكة فيفشو ذكرها بالبادية و يدخل ذكرها القرية[9]، ثم بينما

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الكافر (٣) زيد من ظ و مد (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/ ١٣٠ (٥) زيد فى المعالم: ما.
(٦) فى ظ: خروجات (٧) فى المعالم: تمكث (٨) زيد من ظ ومد و المعالم.
(٩) يعنى مكة - كما زيد فى المعالم.

الناس يوما فى أعظم المساجد على الله عز و جل حرمة و أكرمها على الله عز و جل - يعنى المسجد الحرام[١]، لم يرعهم إلا و هى فى ناحية المسجد تدنو و تدنو - كذا قال عمرو - يعنى ابن محمد العبقرى أحد رواة الحديث - ما بين الركن الأسود إلى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج فى وسط ذلك، فارفض الناس / عنها و ثبت[٢] لها عصابة عرفوا أنهم لن[٣] يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب، فمرت بهم فجلت[٤] عن وجوههم حتى تركتها[٥] كأنها الكواكب الدرية، ثم ولت[٦] فى الأرض لا يدركها طالب، و لا يعجزها[٧] هارب، حتى أن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة، فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان! الآن تصلى، فيقبل عليها بوجهه فتسمه فى وجهه، فيتجاور الناس فى ديارهم، و يصطحبون فى أسفارهم، و يشتركون فى الأموال، يعرف الكافر من المؤمن، فيقال للمؤمن: يا مؤمن، و يقال للكافر: يا كافر؛ و من طريق[٨] الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: تخرج الدابة و معها عصا موسى، و خاتم سليمان عليهما السلام، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، و تخطم أنف الكافر بالخاتم، حتى أن أهل الخوان[٩]

٨٠١ / ٥

١٠

١٥

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد و المعالم فحذفناها (٢) فى المعالم: تثبت (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فحملت (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تركها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ولدت (٧) فى المعالم: لا يفوتها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: طرق (٩) من المعالم، و فى الأصول: الجوار.

ليجتمعون[1] فيقول هذا: يا مؤمن، و هذا: يا كافر.

ثم علل سبحانه إخراجه لها بقوله: ﴿ان الناس﴾ أى بما[2] هم ناس لم يصلوا إلى أول أسنان الإيمان، و هو سن "الذين آمنوا" بل هم[3] نائسون مترد دون مذبذبون تارة، و تارة ﴿كانوا﴾ أى [كونا -[4]] هو لهم[5] كالجبلة ﴿بآيتنا﴾ أى المرئيات التى كتبناها بعظمتنا فى ذوات العالم، والمسموعات المتلوات، التى أتيناهم بها على ألسنة[6] أكمل [الخلق -[4]]: الأنبياء و الرسل، حتى ختمناهم بامامهم الذى هو أكمل العالمين، قطعا لحجاجهم، و ردا عن لجاجهم، و لذا عممنا برسالته و أوجبنا على جميع العقل اتباعه ﴿لا يوقنون[4]﴾ من اليقين، و هو إتقان[7] العلم بنفى الشبه، بل هم فيها مزلزلون، فلم يبق بعده صلى الله عليه و سلم إلا كشف الغطاء عما ليس من جنس البشر بما[8] لا تثبت له عقولهم.

و لما كان من فعل الدابة التميز بين المؤمن و الكافر بما لا يستطيعون دفعه، تلاه بتميز كل فريق منهما عن صاحبه بجمعهم يوم القيامة فى ناحية، و سوقهم من غير اختلاط بالفريق الآخر، فقال عاطفا على [العامل فى -[4]] "و اذا وقع القول": ﴿و يوم نحشر﴾ أى نجمع - بما[9] لنا من العظمة - على وجه الإكراه؛ قال أبو حيان[10]: الحشر: الجمع

(١) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: ليجمعون (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: فما (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) ورد فى الأصل بعد «كالجبلة»، و الترتيب من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لسان. (٧) من ظ و مد. و فى الأصل: اتباع (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مما. (٩) فى ظ و مد: على ما (١٠) راجع البحر المحيط ٧/٩٨.

على عنف . ﴿ من كل امة فوجا ﴾ أى جماعة كثيرة ﴿ ممن يكذب ﴾ أى [يوقع التكذيب للهداة - ١] على الاستمرار ، [مستهينا - ١] ﴿ بآيٰتنا ﴾ أى المرئية بعدم الاعتبار بها ، و المسموعة بردها و الطعن فيها على ما لها[٢] من العظمة باضافتها إلينا ؛ و أشار إلى كثرتهم بقوله [متسببا عن العامل فى الظرف من نحو : يكونون فى ذل عظيم - ١] : ﴿ فهم يوزعون ٥ ﴾ أى يكف بأدنى إشارة [منه - ١] أولهم على - آخرهم ، و أطرافهم على أوساطهم ، ليتلاحقوا ، و لا يشذ منهم[٣] أحد ، و لا يزالون كذلك ﴿ حتىٰ اذا جآءو ﴾ أى المكان الذى أراده الله لتبكيتهم ﴿ قال ﴾ لهم ملك الملوك غير مظهر لهم الجزم بما يعلمه من أحوالهم ، فى عنادهم و ضلالهم ، بل سائلا لهم إظهارا للعدل بالزامهم بما يقرون به من أنفسهم ، و فيه إنكار و توبيخ و تبكيت و تقريع : ﴿ اكذبتم ﴾ أى [أيها - ١] الجاهلون ﴿ بآيٰتى ﴾ على ما لها من العظم فى أنفسها ، و باتيانها إليكم على أيدى أشرف عبادى ﴿ و ﴾ الحال أنكم ﴿ لم تحيطوا بها علما ﴾ أى من غير فكر و لا نظر يؤدى إلى الإحاطة بها فى معانيها و ما أظهرت لأجله حتى تعلموا ما تستحقه و يليق بها بدليل لامرية فيه ﴿ امّا ذا كنتم ﴾ أى فى تلك الأزمان بما هو لكم كالجبلات ﴿ تعملون ٥ ﴾ فيها هل صدقتم [بها - ١] أو كذبتم بعد الإحاطة بعلمها ؟ أخبرونى عن ذلك كله ! مادهاكم[٤] حيث لم تشتغلوا بهذا العمل المهم ؟ فان هذا - و عزتى - مقام العدل

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : لنا (٣) فى ظ : عليهم.
(٤) من ظ و مد . و فى الأصل : دعاكم .

و التحرير ، و لا يترك[1] فيه قطمير و لا نقير ، و لا ظلم فيه على أحد فى جليل و لا حقير ، و لا قليل و لا كثير ، و السؤال على هذا الوجه منبه على الاضطرار / إلى التصديق أو[2] الاعتراف بالإبطال ، لأنهم إن قالوا : كذبنا ، فان قالوا مع عدم الإحاطة كان فى غاية الوضوح فى الإبطال ، و إن قالوا مع الإحاطة كان أكذب الكذب . /٨٠٢

و لما كان التقدير بما أرشد إليه السياق : فأجابوا بما تبين[3] به أنهم ظالمون ، عطف عليه قوله : ﴿ و وقع القول ﴾ أى مضمون الوعيد الذى هو القول حقا ، مستعليا ﴿ عليهم بما ظلموا ﴾ أى بسبب ما وقع منهم من الظلم من صريح التكذيب و ما نشأ عنه من الضلال ، فى الأقوال و الأفعال ﴿ فهم لا ينطقون ﴾ أى بسبب ما شغلهم من وقوع العذاب المتوعد به مما[4] أحاط بقوامهم ، فهد أركانهم ، و ما انكشف لهم من أنه لا ينجيهم شىء .

و لما ذكر الحشر ، استدل [عليه -[5]] بحشرهم كل ليلة إلى المبيت ، و الختم على مشاعرهم ، و بعثهم من المنام ، و إظهار الظلام الذى هو كالموت بعد النور ، و بعث النور بعد إفنائه بالظلام ، فقال : ﴿ الم يروا ﴾ مما يدلهم على قدرتنا على بعثهم بعد الموت و على كل ما أخبرناهم به ﴿ انا جعلنا ﴾ أى بعظمتنا التى لا يصل أحد إلى مماثلة شىء منها

(١) فى ظ : لا يقول (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : « و » ، و زيد بعده فى ظ : الى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يبين (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٥) زيد من ظ و مد .

[الدالة على تفردنا و فعلنا بالاختيار -[١]] ﴿ الليل ﴾ أى مظلما ﴿ ليسكنوا فيه ﴾ عن الانتشار ﴿ و النهار مبصرا[٤] ﴾ أى بابصار من يلابسه، لينتشروا فيه فى معايشهم بعد أن كانوا ماتوا الموتة الصغرى، وكم [من -[٢]] شخص منهم بات سويا لا قلبة[٣] به فمات، ولو شئنا لجعلنا الكل كذلك لم يقم منهم أحد، وعدل عن "ليبصروا[٥] فيه" تنبيها على كمال كونه سببا للابصار، وعلى أنه ليس المقصود كالسكون، بل [وسيلة المقصود الذى هو جلب المنافع -[١]]، فالآية من الاحتباك: ذكر السكون أولا دليل[٦] على الانتشار [ثانيا -[٦]]، و ذكر الإبصار ثانيا دليل[٦] على الإظلام أولا؛ ثم عظم هذه الآية حثا على تأمل ما فيها من القدرة الهادية إلى سواء السبيل فقال: ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الحشر و النشر الأصغرين مع أبتى الليل و النهار ﴿ لآيٰت ﴾ أى متعددة، بينة على التوحيد و البعث الآخر و النبوة، لأن [من -[١]] قلب الملوين[٧] لمنافع الناس [الدنيوية -[١]]، [٨] أرسل الرسل لمناصهم فى الدارين[٩].

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من ظ (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: غلبة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ان يبصروا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: دليلا (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الملوس. (٨) زيد فى الأصل: ثم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل: ثم عظم هذه الآية حثا على تأمل ما فيها، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها، و قد مرت هذه العبارة على س ٩.

ولما كان من مباني السورة تخصيص الهداية بالمؤمنين، خصهم بالآيات لاختصاصهم بالانتفاع بها وإن كان الكل مشتركين في كونها دلالة لهم، فقال: ﴿لقوم يؤمنون﴾ أي قضيت بأن إيمانهم لا يزال يتجدد، فهم[1] كل يوم في علو وارتفاع[2].

ولما ذكر هذا الحشر الخاص، والدليل على مطلق الحشر[3] والنشر[3]، ٥ ذكر الحشر العام، لئلا يظن أنه إنما يحشر الكافر[4]، فقال مشيرا إلى عمومهم بالموت كما عمهم بالنوم، وعمومهم بالإحياء كما عمهم بالإيقاظ: ﴿ويوم ينفخ﴾ أي بأيسر أمر ﴿في الصور﴾ أي القرن الذي جعل صوته لإماتة الكل.

ولما كان ما ينشأ عنه من فزعهم مع كونه محققا مقطوعا[5] به ١٠ كأنه وجد ومضى، يكون في آن واحد، أشار إلى ذلك وسرعة كونه بالتعبير بالماضي فقال: ﴿ففزع﴾ أي صعق بسبب هذا النفخ ﴿من في السموٰت﴾.

ولما كان الأمر مهولا، كان الإطناب أولى، فقال: ﴿ومن في الارض﴾ أي كلهم ﴿الا من شآء الله﴾ أي[3] المحيط ١٥ علما وقدرة وعزة وعظمة، أن لا يفزع[3]؛ ثم أشار إلى النفخ لإحياء الكل بقوله: ﴿وكل﴾ أي من فزع ومن لم/ يفزع ﴿اتوه﴾ أي ٨٠٣/

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: فيهم (٢) في ظ و مد: ارتقاء (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) في ظ: الكافرين (٥) في الأصل: مقطوع، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة في ظ و مد إلى «مضى يكون».

بعد ذلك للحساب بنفخـــة أخرى يقيمهم بها ، دليلا على تمام القدرة في كونه أقامهم بما به أنامهم[١] ﴿داخرين٥﴾ أي صاغرين منكسرين ؛ و استغنى عن التصريح به بما يعلم بالبديهة من أنه لا يمكن إتيانهم في حال فزعهم الذي هو كناية عن بطلان إحساسهم ، هذا معنى ما قاله كثير من المفسرين والذي يناسب سياق الآيات الماضية - من كون الكلام في يوم القيامة الذي هو ظرف لما بين البعث و دخول الفريقين إلى داريهما - أن يكون هذا النفخ بعد البعث و بمجرد[٢] صعق هو كالغشي[٣] كما أن حشر الأفواج كذلك ، و يؤيده التعبير بالفزع ، و يكون الإتيان بعده بنفخة أخرى تكون بها الإفاقة[٤] . فهاتان النفختان حينئذ هما المراد من قوله صلى الله عليه و سلم : يصعق النـاس يوم القيامة - الحديث[٥] ، و سيأتي الكلام [عليه -[٦]] إن شاء الله تعالى لفظا و معنى ، و يحل[٧] ما فيه من إشكال في آخر سورة الزمر .

و لما ذكر دخورهم[٨] ، تلاه بدخور ما هو أعظم منهم خلقا ، و أهول أمرا ، فقال [عاطفا على ناصب الظرف مما تقديره : كانت أمور محلولة -[٦]] ، معبرا بالمضارع لأن ذلك و إن شارك الفزع في

(١) في ظ : اتاهم (٢) من ظ و مد ، و في الأصل : لمجرد (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : كالعيش (٤) من ظ و مد ، و في الأصل : الاقامة .
(٥) رواه البخاري في عدة مناسباته - راجع مثلا أول الخصومات من الصحيح (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : حل .
(٨) من ظ و مد ، و في الأصل : دخور .

التحقق قد فارقه فى [١]الحدوث و التجدد[١] شيئا فشيئا : ﴿ و ترى الجبال ﴾ أى عند القيام من القبور ، و الخطاب إما للنبى صلى الله عليه و سلم ليدل ذلك - لكونه صلى الله عليه و سلم أنفذ الناس بصرا و أنورهم بصيرة - على عظم الأمر ، و إما لكل أحد لأن الكل صاروا بعد قيامهم أهلا للخطاب بعد غيبتهم فى التراب ﴿ تحسبها جامدة ﴾ أى قائمة ثابتة فى مكانها ٥ لا تتحرك ، لأن كل كبير متباعد الأقطار[٢] لا يدرك مشيته[٣] إلا تخرصا ﴿ و هى تمر ﴾ أى تسير حتى تكون كالعهن المنفوش فينسفها الله فتقع حيث شاء كأنها الهباء المنثور ، فتستوى الأرض كلها بحيث لا يكون فيها عوج ، و أشار إلى أن سيرها خفى و إن كان حثيثا بقوله : ﴿ مر السحاب[٤] ﴾ أى مرا سريعا لا يدرك على ما هو عليه لأنه إذا طبق ١٠ الجو لا يدرك سيره مع أنه لاشك فيه و إن لم تنكشف الشمس [٤]بلا لبس[٤] ، و كذا كل كبير الجرم أو كثير[٥] العد يقصر عن[٦] الإحاطة به لبعد ما بين أطرافه بكثرته البصر ، يكون سائرا ، و الناظر الحاذق يظنه واقفا .

و لما كان ذلك[٧] أمرا هائلا ، أشار إلى عظمته[٨] بقوله ، مؤكدا ١٥

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : و الحديث و التجرد ، و فى مد : التجدد (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : شبه (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : باللبس حيث شاء (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كبير (٦) من ظ و مد ، فى الأصل : عند (٧) فى ظ : كذلك (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظمة .

لمضمون الجملة المتقدمة : ﴿ صنع الله ﴾ أى صنع الذى له الأمر كله ذلك الذى أخبر أنــه كائن فى ذلك اليوم صنعا ، و نحو هذا المصدر إذا جاء عقب كلام جاء كالشاهد بصحته ، و المنادى على سداده ، و الصارخ بعلو مقداره ، و أنه ما[1] كان ينبغى أن يكون إلا هكذا ، ثم زاد فى التعظيم بقوله دالا على تمام الإحكام فى ذلك الصنع : ﴿ الذى اتقن كل شىء[1] ﴾ .

و لما ثبت هذا على [هذا -[2]] الوجه المتقن[3] ، و النظام الأمكن ، أنتج قطعا قوله : ﴿ انه ﴾ أى الذى أحكم هــذه الأمور كلها ﴿ خبير بما يفعلون ﴾ أى لأن الإتقان نتيجة القدرة ، و هى نتيجة العلم ، فمن لم يكن شامل العلم لم يكن تام القدرة ، و عبر بالفعل الذى هو أعم من أن يكون بعلم أو لا ، لأنه فى سياق البيان لمهاهم ، و نفى العلم عنهم ، و قرئ بالخطاب[4] المؤذن بالقرب المرجى للرضا ، المرهب من الإبعاد ، المقرون بالسخط ، و بالغيبة المؤذنة بالإعراض الموقع فى الخيبة ، و ما أبدع ما لاءم ذلك و لاحمه ما بعده على تقدير الجواب لسؤال من كأنه قال : ما ذا يكون حال أهل الحشر مع الدخور[5] عند الناقد البصير ؟ فقال : من إتقانه للأشياء أنه رتب / الجزاء أحسن ترتيب ﴿ من جآء بالحسنة ﴾ ٨٠٤ / أى الكاملة و هى الإيمان ﴿ فله ﴾ و هو من جملة إحكامه للأشياء ﴿ خير ﴾ أى أفضل ﴿ منها ج ﴾ مضاعفا ، أقل ما يكون عشرة أضعاف إلى ما لا يعلمه إلا الله ، [و أكرمت وجوههم عن النار - [2]] ، و هؤلاء اهل القرب

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المتفق (٤) راجع نثر المرجان ٥/١٤١ (٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : الدخول .

الذين سبقت لهم الحسنى ﴿وهم من فزع يومئذ﴾ [١]أى إذ[١] وقعت هذه الأحوال، العظيمة الأهوال ﴿آمنون﴾ أى حتى لايحزنهم الفزع الأكبر، فانظر إلى بلاغة هذا الكلام، و حسن نظمه و ترتيبه، و أخذ بعضه بحجزة[٢] بعض، كأنما أفزع إفزاعا واحدا، و لأمر ما أعجز القوى، و أخرس الشقاشق[٣] و الادعاء ﴿و من جآء بالسيئة﴾ أى التى لا سيئة مثلها، و هى الشرك لقوله: ﴿فكبت﴾ أى بأيسر أمر ﴿وجوههم فى النار[٤]﴾ مع أنه ورد فى الصحيح أن مواضع السجود - التى أشرفها الوجوه - لا سبيل للنار عليها، و الوجه أشرف ما فى الإنسان، فاذا هان كان ما سواه أولى بالهوان، و المكبوب عليه منكوس.

و لما كانوا قد نكسوا أعمالهم و عكسوها بعبادة غير الله، فوضعوا الشىء فى غير موضعه، فعظموا ما حقه التحقير. و استهانوا أمر العلى الكبير. و كان الوجه محل [ظهور -[٤]] الحياء و الانكسار، لظهور الحجة، وكانوا قد حدقوا الأعين جلادة وجفاء عند العناد، و أظهروا فى الوجوه التجهم[٥] و العبوس و الارتداد، بدع قوله [بناء على ما تقديره بما دل عليه الاحتباك: و هم من فزع يومئذ خائفون، و ليس لهم إلا مثل سيئتهم -[٤]]: ﴿هل﴾ [٦]أى مقولا لهم: هل[٦] ﴿تجزون﴾ [٧]أى بغمس الوجوه[٧]

(١-١) فى ظ: اذا (٢) من ظ و مد، وفى الأصل: بحجر (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: الشقاش - كذا (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل و ظ: التهجم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ إلا أن «مقولا لهم» ورد فيه بعد «مثل سيئتهم» (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

[1]في النار ؛ و بنى للمفعول لأن المرغب المرهب الجزاء ، لا كونه من معين ، و إشارة إلى أنه يكون بأيسر أمر ، لأن من المعلوم أن المجازى هو الله لاغيره[1] ﴿ الا ما كنتم ﴾ أى بما هو لكم كالجبلة ﴿تعملون﴾ أى تكررون عمله و أنتم تزعمون أنه مبنى[2] على قواعد العلم [بحيث -[3]] ٥ يشهد كل [من -[3]] رآه أنه عامل لأعمالكم سواء بسواء ، و هو شامل أيضا لأهل القسم الأول ، [و الآية من الاحتباك : ذكر الخيرية و الأمن أولا دليلا على حذف المثل و الخوف ثانيا ، و الكب فى النار ثانيا دليلا على الإكرام عنه أولا -[3]] .

و لما أتم أمر الدين بذكر الأصول الثلاثة : المبدأ و المعاد و النبوة ، ١٠ و مقدمات القيامة و أحوالها ، [و بعض صفتها و ما يكون من أهوالها -[3]] ، و ذلك كمال ما يتعلق بأصول الدين على وجوه مرغبة أتم ترغيب ، مرهبة أعظم ترهيب ، أوجب هذا الترغيب و الترهيب لكل سامع أن يقول : فما الذى نعمل [و من نعبد -[3]] ؟ فأجابه المخاطب بهذا الوحى[4] ، المأمور بابلاغ هذه الجوامع ، الداعى لمن سمعه ، الهادى لمن اتبعه[5] ، بأنه ١٥ يرضى له ما رضى لنفسه ، و هو ما أمره به ربه ، فقال : ﴿انما امرت﴾ [أى بأمر من لايرد له أمر -[3]] ، و لا يبعد أن يكون بدلا من قوله " الحمد لله و سلم على عباده الذين اصطفى " فيكون محله نصبا بقل ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الموحى - كذا (٥) فى ظ و مد : تبعه .

[و عظم المأمور به باحلاله محل العمدة فقال -[1]] : ﴿ ان اعبد ﴾ أى بجميع ما أمركم به ﴿ رب ﴾ أى موجدة و مدبر و ملك ؛ و عين المراد و شخصه [و قربه -[1]] تشريفا و تكريما بقوله : ﴿ هذه البلدة ﴾ أى مكة التى تخرج الدابة منها فيفزع كل من يراها ، ثم تؤمن أهل السعادة ، أخصه بذلك لا أعبد شيئا مما عدلتموه به سبحانه و ادعيتم أنهم شركاء[2] ، و هم[2] من جملة ما خلق ؛ ثم وصف المعبود الذى ما أمر بعبادة أحد غيره بما يقتضيه وصف الربوبية ، و تعين البلدة التى أشار إليها بأداة القرب لحضورها[3] فى الأذهان لعظمتها و شدة الإلف بها و إرادتها بالأرض[4] التى تخرج الدابة منها ، فصارت لذلك[5] بحيث إذا أطلقت البلدة انصرفت[6] إليها و عرف أنها مكة ، فقال : ﴿ الذى حرمها ﴾ تذكيرا لهم[7] بنعمته سبحانه عليهم و تربيته لهم بأن أسكنهم خير بلاده ، و جعلهم بذلك مهابة فى قلوب عباده ، بما ألقى فى / القلوب من أنها حرم ، [لا يسفك بها دم -[1]] ، و لا يظلم أحد ، و لا يباح بها صيد ، و لا يعضد شجرها[8] ، و خصها بذلك من بين سائر بلاده و الناس يتخطفون من حولهم و هم آمنون لا ينالهم شىء من فزعهم و هولهم .

/ ٨٠٥

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : شركاره .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لحضورها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : و الأرض (٥) فى ظ : كذلك (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انصرف .
(٧) من ظ و مد . و فى الأصل : له (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : شجر .

و لما كانت إضافتها إليه إنما هى لمحض التشريف، قال احتراسا عما لعله يتوهم: ﴿و له كل شىء﴾ أى من غيرها مما أشركتموه به و غيره خلقا و ملكا و ملكا، و ليس هو كالملوك الذين ليس لهم إلا ما حووه على غيرهم.

٥ و لما كانوا ربما قالوا: و نحن نعبده بعبادة من نرجوه يقربنا إليه زلفى، عين الدين الذى تكون به العبادة فقال: ﴿و امرت﴾ أى مع[1] الأمر بالعبادة له وحده، [و عظم المفعول المأمور به بجعله عمدة الكلام بوضعه موضع الفاعل فقال -[2]]: ﴿ان اكون﴾ أى كونا هو فى غاية الرسوخ ﴿من المسلمين﴾ أى المنقادين لجميع ما يأمر به كتابه أتم انقياد،

١٠ ثابتا على ذلك غاية الثبات.

و لما بين[3] ما أمر به فى نفسه، أتبعه ما تعم فائدته غيره فقال: ﴿و ان اتلو القرآن﴾ أى أواظب على تلاوته و تلوه - أى إتباعه - عبادة لربى، و إبلاغا للناس ما أرسلت به إليهم مما لا يلم به ريب فى أنه من عنده. [و لأكون -[2]] مستحضرا لأوامره فاعمل[4] بها، و لنواهيه

١٥ فأجتنبها، و ليرجع الناس إليه و يعولوا[5] فى كل أمر عليه. لأنه جامع لكل علم.

و لما تسبب عن ذلك [أن -[2]] من انقاد له نجى نفسه، و من

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ: كان.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لاعمل (٥) فى ظ و مد: يعولون.

استعصى عليه أهلكها[١]، قال له ربه سبحانه مسليا و مؤسيا و مرغبا و مرهبا: ﴿فمن اهتدى﴾ أى باتباع هذا القرآن الداعى إلى الجنان ﴿فانما يهتدى لنفسه﴾ لأنه يحييها بحوزة الثواب، و نجاته من العقاب، [فانما أنا من المبشرين، أبشره أنه من الناجين -[٢]] ﴿و من ضل﴾ أى عن الطريق التى نهج و بينها من غير ميل و لا عوج ﴿فقل﴾[٣] له ٥ كما تقول لغيره[٤]: ﴿انما انا من المنذرين﴾ أى المخوفين له عواقب صنعه، و إنما فسره و رده[٥] فلم أومر به الآن ﴿و قل﴾ أى إنذارا لهم و ترغيبا و ترجية و ترهيبا: ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿لله﴾ أى الذى له العظمة كلها سواء اهتدى الكل و ضل الكل، أو انقسموا إلى مهتد و ضال، لأنه لا يخرج شىء عن مراده. ١٠

و لما كانت نتيجة ذلك القدرة على كل شىء قال: ﴿سيريكم﴾ أى فى الدنيا و الآخرة بوعد محقق لا شك فى وقوعه ﴿آياته﴾ أى الرادة[٦] لكم عما أنتم فيه يوم يحل لى هذه البلدة الذى حرمها بما أشار إليه جعلى من المنذرين و غير ذلك مما يظهر من وقائعه و يشتهر[٧] من أيامه التى صرح[٨] أو لوح بها القرآن، فيأتيكم تأويله فترونه عيانا، و هو ١٥ معنى ﴿فتعرفونها﴾ أى بتذكركم ما أتوعدكم الآن [به -[٢]] و أصفه لكم

(١) من ظ و مد. و فى الأصل: اهلها (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى ظ: اى (٤) العبارة من هنا إلى «ترجية و ترهيبا» ساقطة من ظ (٥) كذا. و فى العبارة غموض مع بعض الزيادات الممحوة فى مد (٦) فى ظ: الواردة. (٧) من ظ و مد. و فى الأصل: يسهر (٨) زيد فى الأصل: بها، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

منها، لا تشكون فى شىء من ذلك أنه على ما وصفته و لا ترتابون، فتظهر لكم عظمة القرآن. و إبانة آيات الكتاب الذى هو الفرقان، و ترون ذلك حق اليقين "و لتعلمن نباه بعد حين"، "يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون".

و لما كان قد نفس لهم بالسين فى الآجال، و كان التقدير تسلية له صلى الله عليه و سلم: و ما ربك بتاركهم على هذا الحال من العناد لأن ربك قادر على ما يريد، عطف عليه قوله: ﴿ و ما ربك ﴾ أى المحسن إليك بجميع ما أقامك فيه من هذه الأمور العظيمة و الأحوال [الجليلة -[1]] الجسيمة ﴿ بغافل عما تعملون ﴾ أى من مخالفة أوامره، و مفارقة زواجره، و يجوز أن تكون الجملة حالا من فاعل "يرى" أى يريكم غير غافل، و من قرأ بالخطاب[2] كان المعنى: عما تعمل أنت و أتباعك من الطاعة. و هم من المعصية، فيجازى كلا[3] منكم بما يستحق [فيعلى أمرك، و يشد إزرك، و يوهن أيدهم، و يضعف كيدهم، بما له من الحكمة، و العلم و نفوذ الكلمة. فلا يظن ظان أن تركه للعاجلة بعقابهم لغفلة عن شىء من أعمالهم، إنما ذلك لأنه حد لهم حدا هم بالغوه لا محالة لأنه لا يبدل القول لديه. فقد رجع آخرها كما ترى بابانة الكتاب و تفخيم القرآن و تقسيم الناس فيه إلى مهتد وضال إلى أولها، و عانق ختامها ابتداءها بحكمة منزلها، و علم مجملها و مفصلها -[1]]، إلى غير ذلك

(١) زيد من ظ و مد (٢) راجع نثر المرجان ٥/١٤٥ (٣) ف ظ : كل.

عما

عما يظهر عند تدبرها وتأملها - والله الموفق [١]للصواب، وإليه المرجع والمآب[١].

[٢]نجز الجزء المبارك من مناسبات البقاعي بحمد الله وعونه ويتلوه القصص إن شاء الله تعالى - اللهم اغفر لنا ذنوبنا وتجاوز عن سيئاتنا[٢].

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد، وفي ظ: وإليه المآب وهو أعلم بالصواب.

(٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ، وموضع ما بين الرقمين في مد: تم الجزء المبارك من كتاب نظم الدرر في مناسبة الآي والسور على يد أذل عبيد الله وأحوجهم إلى عفوه عن ذنوبه العبد الفقير سالم السنهوري المالكي غفر الله له ولوالديه في يوم الأربعاء المبارك ثالث شهر صفر سنة إحدى وسبعين وتسعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل.

/ ٢

بسم الله الرحمن الرحيم

[1]و به الإعانة ، و صلى الله على أسعد مخلوقاته و زين عباده
سيدنا محمد و آله و صحبه[1]

سورة القصص[2]

مقصودها التواضع لله[3] ، المستلزم لرد[4] الأمر كله إليه ، الناشئ عن الإيمان بالآخرة[5] ، الناشئ عن الإيمان[6] بنبوة محمد[6] صلى الله عليه و سلم ، [7]الثابتة بإعجاز[7] القرآن ، المظهر للخفايا[8] على لسان من لم[9] يتعلم علما قط من أحد من الخلق ، المنتج لعلو المتصف به ، و ذلك هو المأخوذ من تسميتها بالقصص الذى حكم لأجله [10]شعيب بعلو[10] الكليم عليهما السلام على من ناواه ، و قمعه لمن عاداه ، فكان المآل[11] وفق ما قال ﴿بسم الله﴾ الذى اختص بالكبرياء و العظمة ، فألبس خدامه من ملابس هيبته ﴿الرحمن﴾ الذى عم بنعمة البيان ، حتى أهل الكفران ﴿الرحيم﴾ الذى

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) الثامنة و العشرون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وهى ثمان و ثمانون آية بالاتفاق - راجع روح المعانى ٦/٣٢٦ (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمرد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالآية - كذا (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بنبيه (٧ - ٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : التابعة فاعجاز (٨) فى مد : للخفاء . (٩) سقط من ظ (١٠ - ١٠) من ظ و مد ، وفى الأصل : شعيبا لعلو (١١) فى ظ و مد : المآ - كذا .

خص بنعمة ما بعد البعث أهل الإيمان .

لما ختم تلك بالوعد المؤكد بأنه يظهر آياته فتعرف ، و أنه ليس بغافل عن شيء ، تهديدا للظالم ، و تثبيتا للعالم ، و كان من الأول ما يوحيه في هذه من الأساليب المعجزة من خفايا علوم أهل الكتاب ، فلا يقدرون على رده ، و من الثاني ما صنع بفرعون و آله ، قال أول هذه[1]: ﴿ طسم ﴾ ٥ مشيرا بالطاء المليحة بالطهر و الطيب إلى خلاص بني إسرائيل بعد طول ابتلائهم المطهر لهم عظيم ، و بالسين الرامزة إلى السمو و السنا و السيادة إلى أن ذلك يكون بمسموع من[2] الوحي في ذي طوى من طور سيناء قديم ، و بالميم المهيئة للملك[3] و النعمة إلى قضاء من الملك الأعلى بذلك كله تام عميم . ١٠

و لما كانت هذه إشارات عالية ، و ما بعدها [لزوم - ٤] نظوم لأوضح الدلالات حاوية ، قال مشيرا[5] إلى عظمتها : ﴿ تلك ﴾ أي الآيات العالية الشأن ﴿ آيت الكتب ﴾ أي المنزل على قلبك ، الجامع لجميع المصالح الدنيوية و الأخروية ﴿ المبين ٥ ﴾ أي الفاصل الكاشف الموضح المظهر ، لأنه من عندنا من غير شك . و لكل ما يحتاج إليه من ذلك ١٥ و غيره ، عند[6] من يجعله من شأنه و يتلقاه بقبول ، و يلقي إليه السمع و هو شهيد ؛ ثم أقام الدليل على إبانته . و أنه يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ، بما أورد هنا في قصة موسى عليه الصلاة و السلام

---

(١) زيد في ظ : السورة (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد ، و في الأصل : بالملك (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) في ظ : مشيرة (٦) من ظ و مد ، و في الأصل : عن .

من الدقائق التى قل من يعلمها من حذاقهم، على وجه معلم[1] بما انتقم به من فرعون و آله، و من لحق بهم كقارون، و أنعم به على موسى عليه الصلاة و السلام و أتباعه، و لذلك بسط فيها من أمور القصة[2] ما لم يبسط فى غيرها فقال: ﴿نتلوا﴾ أى نقص قصا متتابعا متواليا بعضه فى أثر بعض ٥ ﴿عليك﴾ [3]بواسطة جبريل عليه الصلاة و السلام[3].

و لما كان المراد إنما هو قص ما هو من الأخبار العظيمة بيانا للآيات بعلم الجليات و الخفيات، و المحاسبة و المجازاة، لا جميع الأخبار، قال: ﴿من نبا موسى و فرعون﴾ أى بعض خبرهما العظيم [4]متلبسا هذا النبأ و[4] كائنا ﴿بالحق﴾ أى الذى يطابقه الواقع، فانا ما أخبرنا فيه بمستقبل ١٠ إلا طابقه الكائن عند وقوعه، و نبه على أن هذا البيان كما سبق إنما ينفع أولى الإذعان بقوله: ﴿لقوم يؤمنون﴾ أى يجددون الإيمان فى كل وقت عند كل حادثة لثبات إيمانهم. فعلم أن المقصود منها هنا الاستدلال على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم النبى الأمى بالاطلاع على المغيبات، و التهديد بعلمه المحيط، و قدرته الشاملة، و أنه ما شاء كان و لامدفع ١٥ لقضائه، و لاينفع حذر من قدره، فصح أنها دليل على قوله تعالى آخر /تلك "سيريكم آيته فتعرفونها"- [الآية -[5]]، و لذلك لخصت رؤس أخبار القصة. فذكرت فيها أمهات الأمور الخفية، و دقائق أعمال[6] من ذكر /٣

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: يعلم (٢) سقط من ظ (٣-٣) ما بين الرقمين سقط من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مكتسيا هذا البيان.
(٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ و مد: الاعمال.

فيها من موسى عليه الصلاة و السلام و أمه و فرعون و غيرهم إلى ما تراه[1] من الحكم التى لا يطلع عليها إلا عالم بالتعلم أو بالوحى ، و معلوم لكل[2] مخاطب بذلك انتفاء الأول عن المنزل عليه هذا الذكرُ صلى الله عليه و سلم ، فانحصر الأمر فى الثانى ، يوضح لك[3] هذا المرام مع هذه الآية الأولى التى ذكرتها قوله تعالى فى آخر القصة "و ما كنت بجانب الغربى" "و ما كنت ٥ بجانب الطور" و إتباع القصة بقوله تعالى : "و لقد وصلنا لهم القول لعلهم يتذكرون" فالمراد بهذا السياق منها كما ترى غير ما تقدم من سياقاتها[4] كما مضى ، فلا تكرير فى شىء من ذلك - و الله الهادى . و قال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما تضمن قوله سبحانه " انما امرت ان اعبد رب هذه [5]الذى حرمها "[5] - إلى آخر السورة من التخويف و الترهيب و الإنذار ١٠ و التهديد لما[6] انجرّ معه الإشعار بأنه عليه الصلاة و السلام سيملك مكة البلدة و يفتحها الله تعالى عليه ، و يذل عتاة قريش و متمرديهم[7] ، و يعز أتباع رسول الله صلى الله عليه و سلم و من استضعفته قريش من المؤمنين ، أتبع سبحانه ذلك بما قصه على نبيه من تطهير[8] ما أشار إليه من قصة بنى إسرائيل و ابتداء امتحانهم بفرعون و استيلائه[9] عليهم ، و فتكه بهم إلى [أن -[10]] ١٥

(١) فى ظ : ما لا تراه (٢) فى ظ و مد : الكل (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : سياقها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الاصل : ما (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : متمردتهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : نظير (٩) فى ظ : استيلائهم (١٠) زيد من ظ و مد .

أعزهم الله و أظهرهم على عدوهم ، و أورثهم أرضهم و ديارهم ، و لهذا أشار تعالى فى كلا القصتين بقوله [فى الأولى -[1]] " سيريكم آيته فتعرفونها " و فى الثانية بقوله " و نرى فرعون و هامان و جنودهما منهم ما كانوا يحذرون " ثم قص ابتداء أمر فرعون و حذره و استعصامه[2] بقتل ذكور الأولاد ثم لم يغن ذلك عنه من قدر الله شيئا ، فنى حاله عبرة لمن وفق[3] للاعتبار ، و دليل على[4] أنه سبحانه المتفرد بملكه ، يؤتى ملكه من يشاء ، و ينزعه ممن يشاء ، لا يزعه وازع[5] ، و لا يمنعه عما[6] يشاء مانع ، " قل اللهم مالك الملك " و قد أفصح قوله تعالى " وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصلحت ليستخلفنهم فى الارض " - الآية بما[7] أشار إليه مجمل ما أوضحنا اتصاله من خاتمة النمل و فاتحة القصص ، و نحن نزيده بيانا بذكر لمع من تفسير ما قصد التحامه فنقول : إن قوله تعالى معلما لنبيه صلى الله عليه و سلم و آمرا " انما امرت ان اعبد " إلى قوله " سيريكم آيته " لا خفاء بما تضمن ذلك من التهديد ، و شديد الوعيد ، ثم فى قوله " رب هذه البلدة " إشارة[8] إلى أنه عليه الصلاة و السلام سيفتحها و يملكها ، لأنه بلد ربه و ملكه ، و هو عبده و رسوله ، و قد اختصه برسالته ، و له كل شيء ، فالعباد و البلاد ملكه ، فنى هذا من الإشارة مثل ما فى قوله تعالى

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : استعصايه (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : وقف (٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ : نازع . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عمن (٧) فى ظ : كما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشار .

" ان الذى فرض عليك القرآن لرادّك الى معاد" و قوله تعالى " و ان اتلوا القرآن " أى ليسمعوه [1]فيتذكروا و يتذكر[1] من سبقت له السعادة، و يلحظ سنة الله فى العباد و البلاد، و يسمع ما جرى لمن عاند و غى و كذب و استكبر، فكيف وقصه[2] [الله - [3]] و أخذه و لم يغن عنه حذره، و أورث مستضعف عباده أرضه و دياره. و مكن لهم فى الارض ٥ وأعز رسله وأتباعهم " نتلوا عليك من نبا موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون" أى يصدقون و يعتبرون و يستدلون[4] و يستوضحون[4]، و قوله " سيريكم آيته" يشير إلى ما حل بهم يوم بدر، و بعد ذلك إلى يوم فتح مكة، و إذعان من لم يكن يظن انقياده، و إهلاك من طال تمرده و عناده، و انقياد العرب بجملتها بعد فتح مكة و دخول الناس فى الدين أفواجا، ١٠ و عزة أقوام و ذلة آخرين، / بحاكم " ان اكرمكم عند الله اتقكم" إلى أن[5] فتح الله على الصحابة رضوان الله عليهم ما وعدهم به نبيهم صلى الله عليه و سلم، فكان كما وعد، فلما تضمنت هذه الآية[6] ما أشير إليه، أعقب بما هو فى قوة أن لو قيل: ليس عتوكم بأعظم من عتو فرعون و آله، و لاحال مستضعفى المؤمنين بمكة ممن قصدتم فتنته[7] فى دينه بدون ١٥ حال بنى إسرائيل حين كان فرعون يمتحنهم بذبح أبنائهم. فهلا تأملتم عاقبة الفريقين، وسلكتم أنهج الطريقين؟ " افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف

/ ٤

(١ - ١) فى ظ و مد: فيتذكر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: و قد قصه.
(٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من مد، و فى الأصل و ظ: فيستوضحون.
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الآى (٧) من ظ و مد، و فى الاصل: فتنة.

كان عاقبة الذين من قبلهم" - إلى قوله: "فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون" فلو تأملتم ذلك لعلمتم أن العاقبة للتقوي، فقال سبحانه بعد افتتاح السورة أن فرعون علا فى الأرض، ثم ذكر [1]من خبره ما فيه عبرة، و ذكر سبحانه آياته الباهرة فى أمر موسى عليه السلام
٥ و حفظه و رعايته[1] و أخذ أم عدوه إياه "عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا"، فلم يزل يذبح الأبناء خيفة من مولود يهتك ملكه حتى إذا كان ذلك المولود تولى بنفسه تربيته و حفظه و خدمته ليعلم لمن التدبير و الإمضاء، و كيف نفوذ سابق الحكم و القضاء، فهلا سألت قريش و سمعت و فكرت و اعتبرت "او لم تاتهم بينة ما فى الصحف
١٠ الاولى"، ثم أتبع سبحانه ذلك بخروج موسى عليه السلام من أرضه فخرج منها خائفا يترقب، و ما ناله عليه السلام فى ذلك الخروج من عظيم السعادة، و فى ذلك منبهة[2] لرسول الله صلى الله عليه و سلم على خروجه من مكة و تعزية له و إعلام بأنه تعالى سيعيده إلى بلده و يفتحه عليه، و بهذا المستشعر من هنا صرح آخر السورة فى قوله تعالى "ان الذى
١٥ فرض عليك القرآن لرادك الى معاد" و هذا كاف فيما قصد - انتهى.

و لما كان كأنه قيل: ما هذا المقصوص من هذا النبأ؟ قال[3]: ﴿ ان فرعون ﴾ ملك مصر الذى ادعى الإلهية ﴿ علا ﴾ أى بادعائه الإلهية و تجبره على عباد الله و قهره لهم ﴿ فى الارض ﴾ [أى لأنا جمعنا عليه الجنود فكانوا معه إلبا[3] واحدا فأنفذنا بذلك كلمته -[4]]،

(١-١) فى مد: خبره (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: تهنئة (٣) فى ظ: الها- خطأ (٤) زيد من ظ.

وهى [و - [1]] إن كان المراد بها أرض مصر ففى إطلاقها ما يدل[2] على تعظيمها و أنها كجميع الأرض فى اشتمالها على ما قل أن يشتمل عليه غيرها .

[و لما كان التقدير بما دل عليه العاطف : فكفر تلك النعمة ، عطف عليه قوله - [1]] : ﴿ و جعل ﴾ [بما جعلنا له من نفوذ الكلمة - [1]] ﴿ اهلها ﴾ أى الأرض المرادة ﴿ شيعا ﴾ أى فرقا يتبع كل فرقة شيئا و تنصره ، و الكل تحت قهره و طوع أمره ، قد صاروا معه كالشياع ، و هو دق الحطب ، فرق بينهم لئلا يتمالؤا عليه ، فلا يصل إلى ما يريده منهم ، [فافترقت كلمتهم فلم يحم بعضهم لبعض فتخاذلوا فسفل أمرهم ، فالآية من الاحتباك ، ذكر العلو أولا دليلا على السفول ثانيا ، و الافتراق ثانيا دليلا على الاجتماع أولا - [1]] ، جعلهم كذلك حال كونه ﴿ يستضعف ﴾ أى يطلب و يوجد أن يضعف[3] ، أو هو استئناف ﴿ طآئفة منهم ﴾ و هم[4] بنو إسراءيل الذين[5] كانت حياة جميع أهل مصر على يدى واحد منهم ، و هو يوسف عليه السلام . و فعل معهم من الخير ما لم يفعله والد مع ولده ، و مع ذلك كافؤه فى أولاده و إخوته بأن استعبدوهم ، ثم ما كفاهم ذلك حتى ساموهم على يدى هذا العنيد[6] سوء العذاب [7]فيا بأبى[7] الغرباء بينهم قديما و حديثا ، ثم بين سبحانه الاستضعاف بقوله :

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يول (٣) فى ظ و مد : يستضعف (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٥) فى ظ و مد : الذى (٦) فى ظ : العبيد (٧-٧) من مد ، و فى الأصل : فيما .... لحال ، و فى ظ : فاما لى الحال - كذا .

﴿يذبح﴾ أى تذبيحا كثيرا ﴿ابناءهم﴾ أى عند[1] الولادة، وكل بذلك أناسا ينظرون كلما ولدت[2] امرأة ذكرا ذبحوه خوفا على ملكه زعم من مولود منهم ﴿و يستحي نساءهم[3]﴾ أى يريد حياة[3] الإناث فلا يذبحهن.

و لما كان هذا أمرا متناهيا فى الشناعة، ليس مأمورا به من جهة شرع ما، و لا له فائدة أصلا، لأن القدر - على تقدير صدق من أخبره[4] - لايرده الحذر، قال تعالى مبينا لقبحه، شارحا لما أفهمه ذلك من حاله: ﴿ انه كان ﴾ أى كونا راسخا ﴿ من المفسدين[5] ﴾ / أى الذين لهم عراقة فى هذا الوصف، فلا بدع أن يقع منه هذا الجزئى[6] المندرج تحت ما هو قائم به من الأمر الكلى.

و لما كان التقدير كما أرشد إليه السياق لمن يسأل عن سبب فعله هذا العجيب: يريد بذلك زعم دوام ملكه بأن لايسلبه إياه واحد منهم أخبره بعض علمائه أنه يغلبه عليه و يستنقذ شعبه من العبودية، عطف عليه قوله[6] يحكى تلك الحال الماضية: ﴿و نريد﴾ أو[7] هى حالية، أى[8] يستضعفهم و الحال أنا نريد فى المستقبل أن نقويهم. أى يريد دوام استضعافهم حال إرادتنا ضده من أنا نقطع ذلك بارادة ﴿ ان نمن﴾ أى نعطى بقدرتنا و علمنا ما يكون جديرا بأن نمتن[9] به

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: منذ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اولدت (٣) زيد فى الأصل: النساء، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: اضره (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: الخزى. (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٩) فى ظ و مد: نمن.

﴿ على الذين استضعفوا ﴾ اى حصل استضعافهم و هان هذا[1] الفعل الشنيع و لم[2] يراقب فيهم مولاهم ﴿ فى الارض ﴾ أى أرض مصر [فذلوا و أهينوا ، و نريهم فى أنفسهم و أعدائهم وفق ما يحبون و فوق ما يأملون -[3]] ﴿ و نجعلهم ائمة ﴾ أى مقدمين فى الدين و الدنيا ، علماء يدعون إلى الجنة عكس ما يأتى من عاقبة آل فرعون ، و ذلك مع تصييرنا لهم أيضا بحيث يصلح كل واحد منهم لأن يقصد للملك بعد كونهم مستعبدين فى غاية البعد عنه ﴿ و نجعلهم ﴾ [4]بقوتنا و عظمتنا[4] ﴿ الوٰرثين ﴾ أى لملك مصر لا ينازعهم فيه أحد من القبط ، و لكل بلد أمرناهم بقصدها ، و هذا إيذان باهلاك الجميع .

و لما بشر بتمليكهم فى سياق دال على مكنتهم ، صرح بها فقال : ﴿ و نمكن ﴾ أى نوقع التمكين ﴿ لهم فى الارض ﴾ أى كلها لاسيما أرض مصر و الشام ، باهلاك أعدائهم و تأييدهم بكليم الله ، ثم بالأنبياء من بعده عليهم الصلاة و السلام بحيث نسلطهم بسببهم على من سواهم بما نؤيدهم[5] به من الملائكة و نظهر لهم من الخوارق .

و لما ذكر التمكين ، ذكر أنه مع مغالبة الجبابرة إعلاما بأنه أضخم تمكين فقال : عاطفا على نحو : و نريد ان نأخذ الذين علوا فى الأرض و هم فرعون و هامان و جنودهما -[2]] : ﴿ و نرى ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ فرعون ﴾ أى الذى كان [هذا -[2]] الاستضعاف منه ﴿ و هامٰن ﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل ومد : بهذا (٢) فى ظ : لا (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤-٤) فى ظ و مد : بعظمتنا وقوتنا (٥) من مد ، و فى الأصل : يويدهم ، و فى ظ : يزيدهم .

وزيره ﴿ و جنودهما ﴾ [1]الذين كانا يتوصلان بهم إلى ما يريدانه من الفساد[1] ﴿ منهم ﴾ أى المستضعفين ﴿ ما كانوا ﴾ أى بجد عظيم منهم كأنـــه غريزة ﴿ يحذرون ٥ ﴾ أى يجددون حذره فى كل حين على الاستمرار بغاية الجد[2] و النشاط من ذهاب ملكهم بمولود منهم و ما يتبع ٥ ذلك ، قال البغوى[3] : و الحذر : التوقى من الضرر . [و الآيـــة من الاحتبـاك : ذكر الاستضعاف أولا دليلا على القوة ثانيا ، و إراءة المحذور ثانيا دليلا على إراءة المحبوب أولا ، و سر ذلك أنه ذكر المسلى والمرجى ترغيبا فى الصبر و انتظار الفرج -[4]] .

و لما كان التقدير : فكان ما أردناه ، و طاح ما أراد غيرنا ، فأولدنا ١٠ من بنى إسرائيل الولد الذى كان يحذره فرعون على ملكه ، وكان يذبح أبناء بنى إسرائيل لأجله ، و قضينا بأن يسمى موسى ، بسبب أنه يوجد بين ماء و شجر ، و نربيه[6] فى بيت الذى يحذره و يحتاط لأجله ، عطف على هذا المعلوم التقدير أول نعمة منّ بها على الذين استضعفوا فقال : ﴿ و اوحينآ ﴾ أى أوصلنا بعظمتنا بطريق خفى ، الله أعلم به هل هو ملك ١٥ أو غيره ، إذ لا بدع فى تكليم الملائكة الولى من غير نبوة ﴿ الىٰٓ ام موسىٰٓ ﴾ أى الذى أمضينا فى قضائنا أنه[7] يسمى بهذا الاسم ، و أن يكون هلاك فرعون

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) فى ظ : الحذر (٣) فى معالم التنزيل - راجع هامش لباب التأويل ٥/١٣٤ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بسبب (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يربيه (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : ان .

و زوال ملكه على يده ، بعد أن ولدته و خافت أن يذبحه الذباحون ﴿ ان ارضعيه ج ﴾ ما كنت آمنة عليه ، و حقق لها[1] طلبهم لذبحه بقوله[2]: ﴿ فاذا خفت عليه ﴾ أى منهم أن يصيح فيسمع فيذبح ﴿ فالقيه ﴾ أى بعد أن تضعيه فى شىء يحفظه[3] من الماء ﴿ فى اليم ﴾ [أى النيل ، و اتركى رضاعه -[4]] ، و عرفه و سماه يما - و اليم : البحر - لعظمته على غيره من الأنهار بكبره و كونه من الجنة ، و ما يحصل به من المنافع ، و عدل عن لفظ البحر إلى اليم لأن القصد فيه أظهر من السعة ؛ قال الرازى فى اللوامع : و هذا إشارة إلى الثقة بالله ، و الثقة سواد عين التوكل ، و نقطة دائرة التفويض ، و سويداء / قلب التسليم ، و لها درجات : الأولى درجة الأياس ، و هو أياس العبد من[5] مقاواة الأحكام ، ليقعد عن منازعة الإقسام ، فيتخلص من صحة الإقدام ؛ و الثانية درجة الأمن ، و هو أمن[6] العبد من فوت المقدور ، و انتقاص المسطور ، فيظفر بروح الرضى و إلا فبعين اليقين ، و إلا فبلطف الصبر ؛ و الثالثة معاينة أولية الحق [جل جلاله -[4]] ، ليتخلص من محن المقصود ، و تكاليف الحمايات ، و التعريج على مدارج الوسائل . ﴿ و لا تخافى ﴾ أى لا يتجدد لك خوف أصلا من أن يغرق [أو يموت من ترك الرضاع و إن طال المدى -[4]] أو[7] يوصل إلى أذاه ﴿ و لا تحزنى ج ﴾ أى و لا يوجد لك حزن[8] لوقوع فراقه .

/ ١٦

(١) فى ظ : لهم (٢) فى ظ و مد : فقال (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : تحفظه .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) فى ظ : ان (٨) فى ظ : خوف .

و لما كان الخوف عما يلحق المتوقع[١]، و الحزن عما يلحق الواقع[٢]، علل[٣] نهيه عن الأمرين، بقوله فى جملة اسمية دالة على الثبات و الدوام، مؤكدة لاستبعاد مضمونها: ﴿انا رآدوه اليك﴾ فأزال مقتضى الخوف و الحزن؛ ثم زادها بشرى لا تقوم لها[٤] بشرى[٥] بقوله: ﴿و جاعلوه من المرسلين﴾ أى الذين هم خلاصة المخلوقين، [و الآية من الاحتباك، ذكر الإرضاع أولا دليلا على تركه ثانيا، و الخوف ثانيا دليلا على الأمن أولا، و سره أنه ذكر المحبوب لها تقوية لقلبها و تسكينا[٦] لرعبها -[٧]].

و لما كان الوحى إليها بهذا سببا لإلقائه فى البحر، و إلقاؤه سببا لالتقاطه، قال: ﴿فالتقطه﴾ أى فأرضعته[٨] فلما خافت عليه صنعت له صندوقا و قيرته لئلا يدخل إليه الماء و أحكمته و أودعته فيه و ألقته فى بحر النيل، و كأن بيتها[٩] كان فوق بيت فرعون، فساقه الماء إلى قرب بيت فرعون، فتعوق بشجر هناك، فتكلف جماعة فرعون التقاطه[١٠]، قال البغوى[١١]: و الالتقاط وجود الشىء من غير طلب. ﴿آل فرعون﴾ بأن أخذوا الصندوق، فلما فتحوه وجدوا موسى عليه السلام فأحبوه لما ألقى الله تعالى عليهم من محبته فاتخذوه ولدا و سموه موسى؛ لأنهم وجدوه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لمتوقع (٢) من مد، و فى الأصل: لواقع، و فى ظ: اذا وقع - كذا (٣) فى مد: ذكر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: له (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ، و فى مد: تمكينا (٧) زيد من ظ و مد. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: فارضعت (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بينا (١٠) زيدت الواو فى ظ (١١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١٣٦.

فى ماه و شجر، و مو بلسانهم: الماء، و سا: الشجر .

و لما كانت عاقبة أمره إهلاكهم، و كان العاقل[1] لاسيما المتحذلق، لا ينبغى له[2] أن يقدم على شىء حتى يعلم عاقبته فكيف إذا كان يدعى أنه إله. عبر سبحانه بلام العاقبة التى معناها التعليل، تهكما بفرعون - كما مضى بيان مثله غير مرة - فى قوله: ﴿ليكون لهم عدوا﴾ أى ٥ بطول خوفهم منه بمخالفته لهم فى دينهم و حملهم[3] على الحق ﴿و حزنا[4]﴾ أى بزوال ملكهم، لأنه يظهر فيهم الآيات التى يهلك الله بها من يشاء منهم، ثم يهلك[5] جميع أبكارهم فيخلص[6] [جميع -[6]] بنى إسرائيل منهم، ثم يظفر بهم كلهم. فيهلكهم الله بالغرق على يده إهلاك نفس واحدة، فيعم الحزن و النواح أهل ذلك الإقليم كله، فهذه اللام للعلة استعيرت ١٠ لما أنتجته العلة التى قصدوها - و هى التبنى و قرة العين - من الهلاك، كما استعير الأسد للشجاع فأطلق عليه، فقيل: زيد أسد. لأن فعله كان فعله، و المعنى على طريق التهكم أنهم ما أخذوه إلا لهذا الغرض، لأنا نحاشيهم من الإقدام على ما لا يعلمون آخر أمره .

و لما كان [7]لا يفعل هذا الفعل[7] إلا أحمق مهتور[8] أو مغفل مخذول ١٥ لا يكاد يصيب على[9] ذلك بالأمرين فقال: ﴿ان فرعون و هامن وجنودهما﴾

---

(١) فى ظ: الفالق، و فى مد: العالى - كذا (٢) سقط من ظ و مد (٣) فى ظ: جهلهم (٤) فى ظ: اهلك (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: فيتخاص .
(٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) فى ظ و مد: هذا لا يفعله (٨) من مد، و فى الأصل: متهور، و فى ظ: مقهور (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: تخلل .

أى كلهم على طبع واحد ﴿ كانوا خطئين ﴾ أى دأبهم تعمد الذنوب . و الضلال عن المقاصد ، فلا بدع فى خطائهم فى أن يربّوا من لا يذبحون الأبناء إلا من أجله ، مع القرائن الظاهرة فى أنه من بنى إسرائيل الذين يذبحون أبناءهم ؛ قال فى الجمع بين العباب و المحكم : قال أبو عبيد : أخطأ و خطأ - لغتان بمعنى واحد ، و قال ابن عرفة : يقال : خطأ فى دينه و أخطأ - إذا سلك سبيلَ خطأ عامدا أو غير عامد . و قال الأموى : المخطئ من أراد الصواب فصار إلى غيره ، و الخاطئ : من تعمد ما لا ينبغى ، و قال ابن ظريف فى الأفعال : خطئ الشىء خطأ و أخطأه : لم يصبه .

و لما[1] أخبر تعالى عن آخر أمرهم معه ، تخفيفا[2] على السامع بجمع طرفى القصة إجمالا و تشويقا إلى تفصيل ذلك الإجمال ، و تعجيلا بالتعريف بخطائهم ليكون جهلهم الذى هو أصل شقائهم مكتنفا لأول الكلام و آخره ، / أخبر عما قيل عند التقاطه فقال[3] عاطفا على "فالتقطه": ﴿ و قالت[4] امرأت فرعون ﴾ أى لفرعون لما أخرجته من[5] التابوت ، و هى التى قضى الله أن يكون لها سعادة ، و هى آسية بنت مزاحم إحدى نساء بنى إسرائيل - نقله البغوى[6] : ﴿ قرت عين لى ﴾ أى به ﴿ و لك ﴾ أى يا فرعون .

/ ٧

و لما أثبت له أنه ممن تقر به العيون ، أنتج ذلك استبقاءه ، و لذلك

---

(١) زيد بعده فى الأصل : كان ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تحقيقا (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : قال (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : عن (٦) فى معالم التنزيل - راجع هامش اللباب ٥/١٣٦ .

نهت

نهت[1] عن قتله و خافت أن تقول: لا تقتله[2]، فيجيبها حاملا له على الحقيقة ثم يأمر بقتله، و يكون مخلصا له عن الوقوع فى إخلاف الوعد، فجمعت قائلة: ﴿لا تقتلوه﴾ أى[3] أنت بنفسك و لا أحد[4] ممن تأمره بذلك؛ ثم علت ذلك أو استأنفت فقالت: ﴿عسى﴾ أى يمكن، و هو جدير وخليق ﴿ان ينفعنا﴾ أى لما أتخيل فيه من النجابة و لو كان له ٥ أبوان معروفان ﴿أو نتخذه ولدا﴾ إن لم يعرف له أبوان، فيكون نفعه أكثر، فانه أهل لأن يتشرف به الملوك.

و لما كان هذا كله فعل من لا يعلم، فلا يصح كونه إلها، صرح بذلك تسفيها لمن أطاعه فى ادعاء ذلك فقال: ﴿و هم﴾ أى تراجعوا هذا القول و الحال أنهم ﴿لا يشعرون ۝﴾ أى لا شعور لهم أصلا، ١٠ لأن من لا يكون له علم إلا بالاكتساب فهو كذلك، فكيف إذا كان لا يهذب نفسه باكتسابه، فكيف إذا كان مطبوعا على قلبه، و إذا كانوا[5] كذلك فلا شعور لهم بما يؤل إليه أمرهم معه من الأمور الهائلة المؤدية إلى هلاك المفسدين ليعملوا[6] لذلك أعماله من الاحتراز منه بما ينجيهم. ١٥

و لما أخبر عن حال من لقيه، أخبر عن حال من فارقه، فقال: ﴿و أصبح﴾ أى عقب الليلة التى حصل فيها فراقه ﴿فؤاد ام موسى﴾ أى قلبها الذى زاد احتراقه شوقا و خوفا و حزنا، و هذا يدل على أنها ألقته ليلا ﴿فرغا﴾ أى فى غاية الذعر لما جبلت عليه من أخلاق البشر،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: نهيت (٢) زيد فى مد: لا تقتلوه (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: احدا (٥) فى ظ و مد: كان. (٦) من مد، و فى الأصل: ليعلموا، و فى ظ: لعلموا.

قد ذهب منه[١] كل ما فيه من المعانى المقصودة التى من شانها ان يربط عليها[٢] الجأش؛ ثم وصل بذلك مستأنفا قوله: ﴿ ان ﴾ أى إنه ﴿ كادت ﴾ أى قاربت ﴿ لتبدى ﴾ أى يقع منها الإظهار لكل ما كان من أمره، مصرحة ﴿ به ﴾ أى بأمر موسى عليه السلام [٣]من أنه[٣] ولدها ونحو ذلك بسبب فراغ فؤادها من الأمور المستكنة، و توزع فكرها فى[٤] كل واد ﴿ لولآ ان ربطنا ﴾ بعظمتنا ﴿على قلبها﴾ بعد أن رددنا إليه[٥] المعانى الصالحة التى أودعناها فيه، فلم تعلن[٦] به لأجل ربطنا عليه حتى صار كالجراب الذى ربط فمه حتى لايخرج شىء مما فيه؛ ثم علل الربط بقوله: ﴿ لتكون ﴾ أى كونا هو كالغريزة[٧] لها ﴿من المؤمنين ﴾ أى المصدقين بما[٨] وعد الله [٩]به من نجاته[٩] و رسالته، الواثقين بذلك.

و لما أخبر عن كتمها[١٠]، أتبعه الخبر [١١]عن فعلها[١١] فى تعرف خبره الذى أطار خفاؤه [عليها -[١٢]] عقلها، فقال عاطفا على "و اصبح": ﴿ و قالت ﴾ أى أمه ﴿لاخته﴾ أى بعد أن أصبحت على تلك الحالة، قد خفى عليها أمره: ﴿ قصيه ﴾ أى اتبعى[١٣] أثره و تشممى خبره برا و بحرا،

(١) سقط من ظ (٢) سقط من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بانه (٤) فى ظ و مد: من (٥) زيد بعده فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لم تعلق. (٧) فى ظ و مد: الغريزة (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: لما (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: عليه من نجابته (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: كبتها. (١١ - ١١) فى مد: بفعلها (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ابتغى.

فعلت ﴿فبصرت به عن جنب﴾ أى بعد من غير مواجهة . و لذلك[1] قال : ﴿و هم لايشعرون﴾ أى ليس لهم شعور لابنظرها و لابأنها أخته ، بل هم فى صفة الغفلة التى هى فى غاية البعد عن رتبة الإلهية .

و لما كان ذلك أحد الأسباب فى [رده -[2]] ، ذكر فى جملة حالية سببا آخر قريبا منه[3] فقال : ﴿و حرمنا﴾ أى منعنا بعظمتنا / التى لايتخلف ٥ ٨ / أمرها ، و يتضاءل كل شىء دونها ﴿عليه المراضع﴾ جمع مرضعة ، و هى[4] من تكترى للرضاع من الأجانب ، أى حكمنا بمنعه من الارتضاع منهن ، استعار التحريم للمنع لأنه منع فيه رحمة ؛ قال الرازى فى اللوامع : تحريم منع لا تحريم شرع .

و لما كان قد ارتضع من أمه من حين ولدته إلى حين إلقائه فى ١٠ اليم ، فلم يستغرق التحريم الزمان الماضى ، أثبت الجار فقال : ﴿من قبل﴾ أى قبل أن تأمر أمه أخته بما أمرتها به و بعد إلقائها[5] له ، ليكون ذلك سببا لرده[6] إليها ، [فلم يرضع من غيرها فأشفقوا عليه فأتتهم أخته فقالوا لها : هل عندك مرضعة تدلينا عليها لعله يقبل ثديها -[2]] ؟ ﴿فقالت﴾ أى فدنت أخته منه[7] بعد نظرها له فقالت لهم لما رأتهم فى غاية الاهتمام ١٥ برضاعه لما عرضوا عليه المراضع فأبى أن يرتضع من واحدة منهن : ﴿هل﴾ لكم حاجة [8]فى أن[8] ﴿ادلكم على اهل بيت﴾ و لم يقل :

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى ظ و مد : هن (٥) فى ظ و مد : القايه (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمرده (٧) فى ظ و مد : من (٨ - ٨) فى ظ و مد : بانى .

على امرأة، لتوسع دائرة الظن ﴿يكفلونه لكم﴾ اى يأخذونه و يعولونه و يقومون بجميع مصالحه من الرضاع و غيره لأجلكم، و زادتهم رغبة بقولها: ﴿و هم له نٰصحون ۝﴾ أى ثابت نصحهم له، لايغشونه نوعا من الغش؛ قال البغوى[1]: و النصح ضد الغش، و هو تصفية العمل من شوائب الفساد فكادت بهذا الكلام تصرح[2] بأن المدلول عليها أمه، فارتابوا من كلامها فاعتذرت بانهم يعملون[3] ذلك تقربا إلى [الملك -[4]] و تحببا[5] إليه تعززا به، فظنوا ذلك، و هذا و أمثاله بيان من الله تعالى لأنه لايعلم أحد فى السماوات و الأرض الغيب[6] إلا هو سبحانه، فلا يصح أن يكون غيره إلها. فلما سكنوا[7] إليها طلبوا[8] أن تدلهم، فأتت بأمها [فأحللنا له رضاعها -[4]] فأخذ ثديها فقالوا: أقيمى[9] عندنا، فقالت: لا أقدر على فراق بيتى، [10]إن رضيتم أن أكفله فى بيتى[10] و إلا فلا حاجة لى، و أظهرت التزهد[11] فيه نفيا للتهمة، فرضوا بذلك فرجعت به إلى بيتها، [و الآية[12] من الاحتباك: ذكر التحريم أولا دليلا على الإحلال ثانيا، و استفهام أخته ثانيا دليلا على استفهامهم لها أولا[13]، و سره أن ذكر الأغرب من أمره الأدل على القدرة -[4]]،

(١) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥/١٣٧ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مقترح (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يعلمون (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تحننا (٦) زيد فى الأصل: الله الا، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد. وفى الأصل: سكتوا. (٨) فى ظ: ظنوا (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: اقيموا (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من مد (١١) فى ظ و مد: الزهد (١٢) زيد فى ظ: فيها. (١٣) فى مد: ثانيا.

و لذلك سبب عما مضى قوله : ﴿ فرددناه ﴾ أى مع هذا الظاهر
فى الكشف لسره الموجب للريبة فى أمره ، و مع ما تقدم
من القرائن[1] التى يكاد يقطع بها بأنه من بنى إسراءيل ، منها إلقاؤه
فى البحر على تلك الصفة ، و منها [أن -[2]] المدلول عليها لإرضاعه من
بنى إسرإيل ، و منها أنه قبل ثديها دون غيرها من القبط و غيرهم ، بأيدنا ٥
الذى لا يقاويه أيد ، و لا يدانى ساحته شىء من مكر و لا كيد ،
من يد العدو الذى ما ذبح طفلا إلا رجاء الوقوع عليه ، و الخلاص
مما[3] جعل فى سابق العلم إليه ﴿ الىّ امه ﴾ و كان من أمر الله - و الله
غالب على أمره - أنه[4] استخدم لموسى - كما قال الرازى - عدوه فى
كفالته و هو يقتل العالم[5] لأجله ؛ ثم علله بقوله : ﴿ كى تقر عينها ﴾ ١٠
أى تبرد و تستقر عن الطرف فى تطلبه إلى كل جهة و تنام بارضاعه
و كفالته فى بيتها ، آمنة لا تخاف ، و قرة العين بردها و نومها خلاف
سخنتها[6] و سهرها بادامة تقليبها . قرت[7] عينه تقر - بالكسر و الفتح -
قرة ، و تضم ، و قرورا[8] : بردت سرورا و انقطع بكاؤها ، أو[9] رأت ما
كانت متشوفة إليه ، و أقر الله عينه و بعينه ، و عين قريرة و قارة ، ١٥

(١) فى ظ : القرآن (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : ما (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٥) فى ظ : الفا - كذا (٦) فى مد : سخنها (٧) من ظ و مد و القاموس . و فى الأصل : قر (٨) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : قرور (٩) زيد فى الأصل : كانت ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

و قرتها ما قرت به ، و قر[1] بالمكان يقر - بالفتح و الكسر - قرارا[2] و قرورا و قرا و تقرة : ثبت و استكن ، و أصل قرة العين من القر و هو البرد ، أى بردت فصحت و نامت[3] خلاف[4] سخنة عينه ، و قيل : من القرار ، أى استقرت عينى[5] ، [6] و قالوا[6] : دمعة الفرح باردة ، و دمعة الحزن[5] حارة ، فمعنى أقر الله عينك من الفرح و أسخنها من الحزن ، و هذا قول الأصمعى ، و قال أبو العباس : ليس كما ذكر الأصمعى بل كل دمع حار ، فمعنى أقر الله عينك : صادفت[7] سرورا فنامت و ذهب سهرها ، و صادفت ما يرضيك ، أى بلغك الله أقصى أملك حتى تقر عينك من النظر إلى غيره استغناء و رضا بما فى يديك ، قالوا : و معنى قولهم : هو قرة عينى : هو رضى نفسى ، فهى تقر و تسكن بقربه فلا تستشرف إلى غيره ﴿ وكيلا ﴾ أى وكيلا ﴿ تحزن ﴾ أى بفراقه ﴿ و لتعلم ﴾ أى علما هو عين[8] اليقين ، كما كانت عالمة به علم اليقين ، و علم شهادة كما كانت عالمة علم غيب[9] ﴿ ان وعد الله ﴾ أى الأمر الذى وعدها به الملك الأعظم الذى له الكمال كله فى حفظه و إرساله ﴿ حق ﴾ أى هو فى غاية الثبات [10] فى مطابقة الواقع إياه[10] . و لما كان العلم هو النور الذى

/ ٩

(١) من ظ و مد و القاموس . و فى الأصل : قرا (٢) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : قرار (٣) فى ظ : قامت (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : خاف (٥) ليس فى مد (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقالوا (٧) فى ظ : صارت (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : علم (٩) فى ظ و مد : الغيب . (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

من فقده لم يصح منه عمل، و لم ينتظم له قصد، قال عاطفا على ما تقديره: فعلمت ذلك برده عين اليقين بعد علم اليقين: ﴿ و لكن اكثرهم ﴾ أى أكثر آل فرعون و غيرهم ﴿لايعلمون ع﴾ أى لا علم لهم أصلا، فكيف يدعون ما يدعون من الإلهية و الكبرياء على من يكون الله معه.

و لما استقر الحال، على هذا المنوال، علم أنه ليس بعده إلا الخير و الإقبال، و[1] العز بتبنى فرعون له و الجلال، فترك[1] ما بينه و بين[2] السن الصالح للارسال، [و -[3]] قال مخبرا عما بعد ذلك من الأحوال: ﴿ و لما بلغ اشده ﴾ أى مجامع قواه و كمالاته[4] ﴿ و استوى ﴾ أى اعتدل فى السن و تم استحكامه[5] بانتهاء الشباب، و هو من العمر ما بين إحدى و عشرين سنة إلى[6] اثنتين و[6] أربعين، فتم بسبب ذلك فى الخلال[7] الصالحة التى طبعناه عليها، و قال الرازى: قال الجنيد: لما تكامل عقله، و صحت بصيرته، و صلحت نحيرته، و آن أوان خطابه - انتهى. أى و صار إلى الحد الذى لا يزاد الإنسان بعده غريزة من الغرائز لم تكن فيه أيام الشباب، بل لايبقى بعد ذلك إلا الوقوف ثم النقصان ﴿ آتيناه ﴾ أى خرقا[8] للعادة أسوة إخوانه من الأنبياء ابتداء[9] غرائز منحناه إياها من[9] غير اكتساب أصلا ﴿ حكما ﴾ أى عملا محكما بالعلم ﴿ و علما[4] ﴾ أى

(١) فى ظ و مد: فنزل (٢) فى ظ: من (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ و مد: حالاته (٥) فى مد: احتطامه (٦-٦) فى ظ و مد: ستين أو - كذا، و معظم القول فى جامع البيان للطبرى يرجع إلى أن الاستواء أربعون سنة - راجع تفسير الآية المعنية فيه (٧) فى ظ و مد: الحلة (٨) من ظ ومد، و فى الأصل: خرق (٩-٩) فى ظ و مد: غريز منحناه إياه.

مؤيدا بالحكمة، تهيئة لنبوته، و إرهاصا لرسالته، جزيناه بذلك على ما طبعناه عليه من الإحسان، فضلا منا و منة، و اختار [الله -[1]] سبحانه هذا السن للارسال ليكون - كما أشير إليه - من جملة الخوارق، لأنه يكون به ابتداء الانتكاس الذى قال الله تعالى فيه "و من نعمره[2] - أى إلى اكتمال[3] سن الشباب - ننكسه فى الخلق" أى نوقفه، فلا يزاد [بعد ذلك -[1]] فى قواه الظاهرة و لا[4] الباطنة شىء، و[5] لا توجد[5] فيه غريزة لم تكن موجودة أصلا عشر سنين، ثم يأخذ فى النقصان - هذه عادة الله فى [جميع -[1]] بنى آدم [إلا -[1]] الأنبياء، فانهم فى حد الوقوف يؤتون من[6] بحار العلوم ما يقصر عنه الوصف بغير اكتساب، بل غريزة يغرزها الله فيهم حينئذ، و يؤتون من قوة الأبدان أيضا بمقدار ذلك، ففى وقت انتكاس غيرهم يكون نموهم، وكذا من ألحقه الله بهم من صالحى[7] أتباعهم، و سيأتى إن شاء الله تعالى فى سورة يس من تمام هذا المعنى ما يفتح الله به لمن تأمله أبوابا من العلم، و لذلك قال [الله -[8]] تعالى عاطفا[9] على ما تقديره: [10] فعلنا به ذلك[10] و بأمه جزاء لهما على إحسانهما فى إخلاصهما فيما يفعلانه اعتمادا على الله وحده من غير أدنى التفات إلى ما سواه: ﴿ وكذلك ﴾ أى و مثل هذا الجزاء العظيم /١٠/

(١) زيد من ظ ومد (٢) زيد فى ظ و مد: ننكسه (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: اكمال (٤) سقط من ظ و مد (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: توجد - كذا (٦) من ظ ومد، و فى الأصل: فى (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: صالح (٨) زيد من مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: عطفا. (١٠-١٠) فى ظ: فقلنا بذلك.

﴿ نجزى المحسنين ﴾ أى كلهم .

و لما أخبر بتهيئه لنبوته[1]، أخبر بما هو سبب لهجرته، و كأنها سنت بعد إبراهيم عليه الصلاة و السلام فقال: ﴿ و دخل المدينة ﴾ أى مدينة فرعون آتيا من قصره، لأنه كان عنده بمنزلة الولد، قال ابن جرير[2]: و هى مدينة منف[3] من مصر، و قال البغوى[4]: و قيل: عين الشمس. و قيل غير ذلك[5] ﴿ على حين غفلة ﴾ قيل بعيد[6]: و قيل بغير ذلك ﴿ من اهلها ﴾ أى[7] إحكاما لما جعلناه سببا لنقلته منها طهارة من عشرة القوم الظالمين ﴿فوجد فيها﴾ أى[8] المدينة ﴿رجلين يقتتلن ق﴾ أى يفعلان مقدمات القتل من الملازمة مع الخنق و الضرب، و هما إسراءيلى[9] و قبطى، و لذا قال مجيبا لمن[7] كانه يسأل عنهما و هو ينظر إليهما: ﴿هذا من شيعته﴾ أى من بنى إسراءيل قومه ﴿و هذا من عدوه ج﴾ أى القبط، و كان قد حصل لبنى إسراءيل به عز لكونه ربيب الملك، مع أن مرضعته منهم، لا يظنون أن سبب ذلك[10] الرضاع

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بالنبوة (٢) فى جامع البيان الجزء ٢٠/٢٦.
(٣) من ظ و مد و جامع البيان، و فى الأصل: منوف، و زيد بعده فى الأصل: قرية، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و الجامع فحذفناها (٤) فى معالم التنزيل - راجع هامش اللباب ٥/١٣٨ (٥) فقد قال مقاتل: كانت قرية يقال لها حابين - راجع المعالم، و قيل: الإسكندرية - راجع البحر المحيط ٧/١٠٩ (٦) قال به على - راجع المعالم (٧) سقط من ظ و مد (٨) زيد فى ظ و مد: فى (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: اسرائيل (١٠) زيد فى الأصل: الا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

﴿ فاستغاثه ﴾ أى طلب منه ﴿ الذى من شيعته ﴾ أن يغيثه ﴿ على الذى من عدوه ﴾ ﴿ فوكزه ﴾ أى فأجابه ﴿ موسى ﴾ فوكز أى فطعن[1] و دفع[2] بيده العدو أو[3] ضربه بجميع[4] كفه، و كأنه كالكم، أو دفعه بأطراف أصابعه، و هو رجل أيد[5] لم يعط أحد من أهل ذلك الزمان مثل ما أعطى من القوى الذاتية و المعنوية ﴿ فقضى ﴾ أى فأوقع القضاء[6] الذى هو القضاء على الحقيقة، و هو الموت الذى لا ينجو منه بشر ﴿ عليه[ق] ﴾ فقتله و فرغ منه، و كل شىء فرغت منه فقد قضيته و قضيت عليه، و خفى هذا على الناس لما هم فيه[7] من الغفلة، فلم يشعر به أحد منهم.

و لما كان كأنه قيل: إن هذا الأمر عظيم[8]، فما ترتب عليه من قول من أوتى حكما و علما؟ أجيب بالإخبار عنه بأنه ندم عليه فى الحال بقوله: ﴿ قال ﴾ أى موسى عليه السلام: ﴿ هذا ﴾ أى الفعل الذى جرك إليه الإسرائيلى ﴿ من عمل الشيطن[ط] ﴾ أى لأنى لم أومر[9] به على الخصوص، و لم يكن من قصدى و إن[10] كان المقتول كافرا؛ ثم أخبر عن حال الشيطان بما هو عالم به، مؤكدا له حملا لنفسه على شدة الاحتراس

(١) فى مد: طعن (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: رفع (٣) فى ظ "و".
(٤) فى ظ و مد: بجمع (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يدم اى (٦) زيد فى مد: عليه، و تبدو علامة الضرب على الكلمة (٧) سقط من ظ (٨) فى ظ: العظيم (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لم ارم (١٠) فى ظ: اذا.

والحذر منه فقال: ﴿ انه عدو ﴾ ومع كونه عدوا ينبغى الحذر منه فهو ﴿ مضل ﴾ لا يقود إلى خير أصلا، ومع ذلك فهو ﴿ مبين ﴾ أى عداوته[1] وإضلاله فى غاية البيان، ما فى شىء منهما[2] خفاء.

ولما كان هذا كافرا ليس فيه شىء غير الندم لكونه صلى الله عليه وسلم لم يأته فى قتله إذن خاص، وكان قد أخبر عنه بالندم، تشوفت [3]أنفس البصراء[3] إلى[4] الاستغفار عنه، علما منهم بأن عادة الأنبياء وأهل الدرجات العلية استعظام الهفوات، فأجيبوا بالإخبار عن مبادرته إلى ذلك بقوله: ﴿ قال ﴾ وأسقط أداة النداء، على عادة أهل الاصطفاء، فقال: ﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ.

ولما كان حال المقدم على شىء[5] دالة على إرادته فاستحسانه[6] إياه، أكد قوله إعلاما بأن باطنه على غير ما دل عليه ظاهره فقال: ﴿ انى ظلمت نفسى ﴾ أى بالإقدام على ما لم [7]يتقدم إلىّ[7] فيه [إذن -[8]] بالخصوص وإن كان مباحا.

ولما كان المقرب قد يعد حسنة غيره سيئته، قال مسببا عن ذلك: ﴿ فاغفر ﴾ أى امح هذه الهفوة عينها وأثرها ﴿ لى ﴾ أى لأجلى لا تؤاخذنى ﴿ فغفر ﴾ أى أوقع المحو لذلك كما سأل إكراما ﴿ له ﴾ ثم علل ذلك

(١) من مد، وفى الأصل وظ: عدوانه (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: منها (٣-٣) من مد، وفى الأصل: النفس إلى البصر، وفى ظ: النفس البصر. (٤) سقط من ظ (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: الشىء (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: واستحسانه (٧-٧) فى مد: يقدم لى (٨) زيد من مد.

بقوله مشيرا إلى أن صفة غيره عدم بالنسبة إلى صفته مؤكدا لذلك: ﴿انه هو﴾ أى وحده ﴿الغفور﴾ أى البالغ فى صفة الستر لكل من يريد ﴿الرحيم ه﴾ / أى العظيم الرحمة بالإحسان بالتوفيق إلى الأفعال المرضية لمقام الإلهية، و لاجل أن هذه [1] صفته، رده [1] إلى فرعون و قومه حين أرسله [2] إليهم فلم يقدروا على مؤاخذته بذلك بقصاص و لا غيره بعد أن نجاه منهم قبل الرسالة على غير قياس.

و لما أنعم عليه سبحانه بالإجابة إلى سؤله، تشوف السامع إلى شكره عليها فأجيب بقوله: ﴿قال رب﴾ أى أيها المحسن إلىّ بكل جميل. و لما كان جعل الشيء عوضا لشيء أثبت له و أجدر بامضاء العزم عليه قال: ﴿بما انعمت علىّ﴾ أى بسبب إنعامك علىّ بالمغفرة و غيرها. و لما كان فى سياق التعظيم للنعمة، كرر حرف السبب تأكيدا للكلام، و تعريفا أن المقرون به مسبب عن الإنعام، و قرنه بأداة النفى الدالة على التأكيد فقال: ﴿فلن اكون ظهيرا﴾ أى عشيرا أو [3] خليطا أو [3] معينا ﴿للمجرمين ه﴾ أى القاطعين [4] لما أمر [4] الله به أن يوصل، أى لا أكون [5] بين ظهرانى [5] القبط، فان فسادهم كثير، و ظلمهم لعبادك أبناء أوليائك متواصل و كبير [6]، و لا قدرة لى على ترك نصرتهم، و ذلك يجر إلى أمثال هذه الفعلة، فلا أصلح من المهاجرة لهم، و هذا

(١-١) من ظ و مد. و فى الأصل: صفة وده (٢) فى ظ: اوصله (٣) من مد، و فى الأصل و ظ "و" (٤-٤) فى ظ: لامر (٥-٥) فى ظ: ظهيرا فى، و فى مد: ظهير (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: كثير.

من

من[1] قول العرب: جاءنا فى ظهرته - بالضم و بالكسر و بالتحريك، و ظاهرته، أى عشيرته.

و لما ذكر القتل و أتبعه ما هو الأهم من أمره بالنظر إلى الآخرة، ذكر ما تسبب عنه من أحوال الدنيا فقال: ﴿فاصبح﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام ﴿فى المدينة﴾ أى التى قتل القتيل فيها ﴿خآئفا﴾ أى بسبب قتله له ﴿يترقب﴾ أى لازم الخوف كثير الالتفات برقبته ذعرا[2] من طارقة تطرقه فى ذلك، قال البغوى[3]: و الترقب: انتظار المكروه. ﴿فاذا﴾ أى ففجئه ﴿الذى استنصره﴾ أى طلب نصرته من شيعته ﴿بالامس﴾ أى اليوم الذى يلى يوم الاستصراخ من قبله ﴿يستصرخه[4]﴾ أى يطلب ما يزيل ما[4] يصرخ بسببه من الضر[5] من قبطى آخر كان يظلمه. فكأنه قيل: فما قال له موسى بعد ما أوقعه فيما يكره؟ فقيل: ﴿قال له﴾ أى لهذا المستصرخ ﴿موسى﴾.

و لما كان الحال متقضيا أن ذلك الإسراءيلى يمكث مدة لا يخاصم أحدا خوفا من جريرة[1] ذلك القتيل، أكد قوله: ﴿انك لغوى﴾ أى صاحب ضلال بالغ ﴿مبين*﴾ أى واضح الضلال غير خفيه، لكون ما وقع بالأمس لم يكفك عن الخصومة لمن لاتطيقه و إن كنت مظلوما؛ ثم دنا منهما لينصره: [ثم قال -[6]] مشيرا بالفاء إلى المبادرة إلى إصراخه: ﴿فلما﴾

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ذكرا (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ١٣٩/٥ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: النصر (٦) زيد لاستقامة العبارة.

وأثبت الحرف[1] الذى أصله[2] المصدر تأكيدا لمعنى الإرادة فقال: ﴿ان اراد﴾ أى شاء[3]، و طلب و قصد مصدقا[4] ذلك بالمشى ﴿ان يبطش﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام ﴿بالذى هو عدو لهما[5]﴾ أى من القبط بأخذه بعنف و سطوة لخلاص الإسراءيلى منه ﴿قال﴾ أى الإسراءيلى الغوى[6] لأجل ما رأى من غضبه و كلمه به من الكلام الغص ظانا أنه ما دنا إلا يريد البطش به هو، لما أوقعه فيه لا بعدوه[7]: ﴿يـموسى﴾ ناصا عليه باسمه العلم دفعا لكل لبس منكر الفعله الذى اعتقده لما رآه من دنوه إليهما غضبان و هو يـذمه ﴿اتريد ان تقتلنى﴾ أى[7] اليوم و أنا من شيعتك ﴿كما قتلت نفسا بالامس﴾ أى من شيعة أعدائنا، و الذى دل على أن الإسراءيلى [8]هو الذى[8] قال له هذا الكلام السياق بكون[9] الكلام معه[7] - بما[10] أشير إليه بدخوله المدينة على حين غفلة من أنهم لم يره أحد غير الإسراءيلى، و بقوله "عـدو لهما" من[11] ذم الإسراءيلى كما صرح به موسى عليه الصلاة و السلام.

و لما نم عليه[12] و أفشى / ما لا يعلمه غيره، خاف غائلته فزاد فى /١٢

(١) فى الأصل: الحرك، و فى ظ و مد: الحذف - كذا (٢) فى ظ: اوصله.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: شيئا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مصدق.
(٥) فى ظ و مد: العفو (٦) فى ظ و مد: لا بعده (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لكون (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: مما (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: كما (١٢) زيد فى ظ و مد: السلام.

الإغراء به ، مؤكدا[1] بقوله : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ تريد الآ ان تكون ﴾ أى كونا راسخا ﴿ جبارا ﴾ أى قاهرا غالبا[2] ؛ قال أبو حيان[3] : و شأن الجبار أن يقتل بغير حق . ﴿ فى الارض ﴾ أى التى[4] تكون بها فلا يكون فوقك أحد ﴿ و ما تريد ﴾ أى يتجدد لك إرادة ﴿ ان تكون ﴾ أى بما هو [لك -[5]] كالجبلة ﴿ من المصلحين ﴾ أى [6]العريقين فى الصلاح[6] ، فان المصلح بين الناس لا يصل إلى القتل على هذه الصورة ، فلما سمع الفرعونى هذا ترك الإسرائيلى ، و كانوا - لما قتل ذلك القبطى - ظنوا فى بنى إسرائيل ، فأغروا[7] فرعون بهم فقال : هل من بينة ، فان الملك و إن كان صفوة مع قومه لا ينبغى[8] له أن يقيد بغير بينة و لا ثبت - كما ذكر ذلك فى حديث المفتون الذى رواه أبو يعلى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فلما قال هذا الغوى هذه المقالة تحقق[9] الأمر فى موسى عليه الصلاة و السلام .

و لما كان تقدير الكلام الذى أرشد إليه السياق : فلما سمع الفرعونى[10] قول الإسرائيلى تركه . ثم رقى الكلام إلى أن بلغ فرعون فوقع الكلام فى الأمر بقتل موسى عليه الصلاة و السلام ، عطف عليه قوله : ﴿ و جآء رجل ﴾ أى ممن يحب موسى عليه الصلاة و السلام . و لما

(١) زيد فى الأصل : لان افعاله عليكم يكذب ما يصنعه به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عاليا (٣) راجع البحر المحيط ٧/ ١١ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) فى ظ : العريقين فى الإصلاح (٧) فى ظ : فاخبروا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يستقيم (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : تحققوا . (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفرعون .

كان الأمر مهما، يحتاج إلى مزيد عزم و عظم قوة، قدم فاعل المجيء على متعلقه بخلاف ما فى سورة يس[1] .

و لما كان فى بيان الاقتدار على الأمور الهائلة من الأخذ بالخناق حتى يقول القائل : لا خلاص ، ثم الإسعاف بالفرج[2] حتى يقول : لاهلاك ، قال واصفا للرجل : ﴿ من اقصا المدينة ﴾ أى أبعدها مكانا[3] ، و بين أنه كان ماشيا بقوله : ﴿ يسعى ﴾ [و ـ[4]] لكنه اختصر طريقا و أسرع فى مشيه بحيث كان يعدو فسبقهم باعظامه للسعى و تجديد العزم فى كل وقت من أوقات سعيه[5] فكأنه قيل[5] : ما فعل ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ مناديا له باسمه تعطفا و إزالة للبس : ﴿ يـموسى ﴾ و أكد إشارة إلى أن الأمر قد دهم فلا يسع الوقت الاستفصال[6] فقال : ﴿ ان الملأ ﴾ أى أشراف القبط الذين فى أيديهم الحل و العقد ، لأن لهم القدرة على الأمر و النهى ﴿ يأتمرون بك ﴾ أى يتشاورون بسببك ، حتى وصل حالهم فى تشاورهم إلى أن كلا منهم يأمر الآخر و يأتمر بأمره ، فكأنه قيل : لم يفعلون ذلك ؟ فقيل : ﴿ ليقتلوك ﴾ لأنهم[7] سمعوا أنك قتلت صاحبهم ﴿ فاخرج ﴾ أى من هذه المدينة ؛ ثم علل ذلك بقوله على سبيل التأكيد لزيل ما يطرق من احتمال عدم القتل لكونه عزيزا عند الملك : ﴿ انى لك ﴾ أى خاصة ﴿ من النصحين ﴾ أى العريقين فى نصحك ﴿ فخرج ﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام مبادرا ﴿ منها ﴾ أى المدينة لما علم من

(١) راجع آية ٢٠ (٢) فى ظ : بالفزع (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : مكنا.
(٤) زيد من ظ و مد (٥ ـ ٥) فى مد : فكأن قائلا قال (٦) فى ظ و مد : الاستقصاء (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : انهم .

[1]صدق قوله مما[1] حقه من القرائن، حال كونه ﴿ خآئفا ﴾ على نفسه من آل فرعون ﴿ يترقب ز ﴾ أى يكثر الالتفات بادارة رقبته فى الجهات ينظر هل يتبعه أحد؛ ثم وصل به على طريق الاستئناف قوله: ﴿قال﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام: ﴿ رب ﴾ [أى -[2]] أيها المحسن إلىّ بالإيجاد و التربية و غير ذلك من وجوه البر ﴿ نجنى ﴾ أى خلصنى. ٥ مشتق من النجوة، و هو المكان العالى الذى لا يصل إليه كل أحد ﴿ من القوم الظلمين ع ﴾ أى الذين يضعون الأمور فى غير مواضعها فيقتلون من لا يستحق القتل مع قوتهم، فاستجاب الله له فوفقه[3] لسلوك الطريق الأعظم نحو مدين، فكان ذلك سبب نجاته، و ذلك أن الذين / انتدبوا إليه قطعوا بأنه لا يسلك الطريق الأكبر، جريا على عادة ١٠ / ١٣ الخائفين الهاربين فى المشى عسافا، أو سلوك ثنيات[4] الطريق فانثنوا فيما ظنوه يمينا و شمالا ففاتهم.

و لما دعا بهذا الدعاء، أعلم الله تعالى باستجابته منه مخبرا بجهة قصده زيادة فى الإفادة فقال: ﴿ و لما ﴾ أى فاستجاب الله دعاءه فنجاه منهم و وجهه إلى مدين[5] و لما ﴿ توجه ﴾ أى أقبل بوجهه قاصدا ﴿ تلقآء ﴾ ١٥ [أى -[6]] الطريق الذى يلاقى سالكه أرض ﴿ مدين ﴾ مدينة نبى الله شعيب عليه الصلاة و السلام متوجها بقلبه إلى ربه ﴿ قال ﴾ أى[7] لكونه

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: صدقه مما (٢) زيد من مد (٣) فى ظ: ترفقه (٤) من مد، و فى الأصل وظ: بينات (٥) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و مد (٧) سقط من ظ.

لا يعرف الطريق : ﴿ عسى ﴾ أى خليق و جدير و حقيق .

و لما كانت عنايته بالله أتم لما له من عظيم[1] المراقبة ، قال مقدما له : ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلىّ بعظيم التربية فى الأمور المهلكة ﴿ ان يهدينى سوآء ﴾ أى عدل و وسط ﴿ السبيل ﴾ و هو الطريق الذى يطلعه عليها من غير اعوجاج .

و لما كان التقدير : فوصل إلى المدينة ، بنى عليه قوله : ﴿ و لما ورد ﴾ أى حضر[2] موسى عليه الصلاة و السلام حضور من يشرب ﴿ مآء مدين ﴾ أى الذى يستقى منها الرعاء ﴿ وجد عليه ﴾ أى على الماء ﴿ امة ﴾ أى جماعة كثيرة هم[2] أهل لأن يتقصدوا و يُقصَدوا[3]، فلذلك هم عالون غالبون على الماء ؛ ثم بين نوعهم بقوله : ﴿ من الناس ﴾ و بين عملهم أيضا[2] بقوله : ﴿ يسقون ﴾ أى مواشيهم ، و حذف المفعول لأنه غير مراد ، و المراد الفعل ، و كذا ما بعده فان رحمته عليه الصلاة و السلام لم تكن لكون المذود و المسقى[4] غنما بل لمطلق الذياد[5] و ترك السقى ﴿ و وجد من دونهم ﴾ أى وجدانا مبتدئا من أدنى مكان من مكانهم الآتى إلى الماء ﴿ امراتين ﴾ عبر بذلك لما جعل لهما سبحانه من المروءة و مكارم الأخلاق كما يعلمه من أمعن النظر فيما يذكر عنها ﴿ تذودن ﴾ أى توجدان الذود ، و هو الكف و المنع و الطرد و ارتكاب[6] أخف

(١) فى ظ و مد : عظم (٢) سقط من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : يقصد (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذود و السقى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الديا - كذا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الارتكاب .

الضررين، فتكفان أغنامهما [1]إذا نزعت [1]من العطش [2]إلى الملا[2] لئلا تختلط بغنم[3] الناس .

و لما كان هذا حالا[4] موجبا للسؤال عنه، كان كأنه قيل: فما قال لهما؟ قيل: ﴿قال﴾ [أى -[5]] موسى عليه الصلاة و السلام رحمة لهما: ﴿ما خطبكما[5]﴾ أى خبركما و مخطوبكما أى مطلوبكما، و هو كالتعبير بالشأن عن المشؤن الذى يستحق أن يقع فيه التخاطب لعظمة، فى ذيادكما[6] لأغنامكما عن السقى؛ قال أبوحيان[7]: و السؤال بالخطب إنما يكون فى مصاب أو مضطهد[8] .

و لما كان من المعلوم أن سؤاله عن العلة ﴿قالتا﴾ [أى -[5]] اعتذارا عن حالهما ذلك، و تلويحا باحتياجهما إلى المساعدة: ﴿لا﴾ [أى -[5]] خبرنا أنا لا ﴿نسقى﴾ أى مواشينا[9]، و حذفه للعلم به ﴿حتى يصدر﴾ أى ينصرف و يرجع ﴿الرعآء﴾ أى عن الماء لئلا يخالطهم - هذا على قراءة أبى عمرو و ابن عامر[10] بفتح الياء [و ضم الدال -[5]] ثلاثيا. و المعنى على قراءة الباقين بالضم [11]و الكسر[11]: يوجدوا الرد و الصرف .

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: اى يرغب (٢-٢) من مد، و فى الأصل: من الماء، و فى ظ: الى الماء (٣) فى ظ و مد: بهم (٤) من مد، و فى الأصل: حلما، و الكلمة ساقطة من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من مد، و فى الأصل: ديارکما، و فى ظ: دراركما (٧) راجع البحر المحيط ٧ / ١١٣ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مطهد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: مواشيا. (١٠) راجع نثر المرجان ٥ / ١٦٣ (١١ - ١١) من ظ و مد، و فى الأصل: فالكسر.

و لما كان التقدير : لأنا من النساء ، و كان المقام يقتضى لصغر سنهما أن لهما أبا ، و أن لا إخوة لهما و إلا لكفوهما ذلك ، عطفتا على هذا المقدر قولهما : ﴿ و ابونا شيخ كبير ﴾ أى[1] لا يستطيع لكبره أن يسقى ، فاضطررنا[2] إلى ما ترى ، و هذا اعتذار أيضا عن كون أبيهما أرسلهما لذلك[3] لأنه ليس بمحظور ، فلا يأباه[4] الدين ، و الناس مختلفون فى ذلك بحسب المروءة ، و عاداتهم فيها متباينة و أحوال العرب و البدو تباين[5] أحوال العجم و الحضر ، لاسيما إذا دعت إلى ذلك / ضرورة ﴿ فسقى[1] ﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام ﴿ لهما ﴾ لما علم ضرورتهما ، انتهازا لفرصة الأجر و كرم الخلق فى مساعدة الضعيف ، مع ما به من النصب و الجوع ﴿ ثم تولى[2] ﴾ أى انصرف موسى عليه الصلاة و السلام جاعلا[6] ظهره يلى ما كان يليه وجهه ﴿ الى الظل ﴾ أى ليقيل تحته و يستريح ، مقبلا على الخالق بعد ما قضى من نصيحة الخلائق ، و عرفه لوقوع العلم بأن بقعة[7] لا تكاد تخلو من [8] شىء له ظل[8] و لا سيما أماكن المياه ﴿ فقال ﴾ لأنه ليس فى الشكوى إلى المولى العلى الغنى المطلق نقص ﴿ رب ﴾ .

و لما كان حاله فى عظيم[9] صبره[10] حال من لا يطلب ، أكد سؤاله إعلاما بشديد تشوقه لما سأل فيه و زيادة فى التضرع و الرقة ، فقال :

(١) من ظ و مد ، و فى الاصل : ان (٢) فى ظ : و اضررنا ، و فى مد : و اضطررنا (٣) فى مد : كذلك (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلا يابان . (٥) من مد . و فى الأصل و ظ : بيان - كذا (٦) من مد . و فى الأصل و ظ : عاجلا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقعه (٨-٨) فى مد : الظل . (٩) فى ظ و مد : عظم (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : صهره .

﴿ انى ﴾ و أكد الافتقار بالإلصاق باللام دون "إلى" فقال: ﴿ لمآ ﴾ أى لأى شىء . و لما كان الرزق الآتى إلى الإنسان مسببا[1] عن القضاء الآتى عن العلى الكبير ، عبر بالإنزال و عبر بالماضى تعميما لحالة الافتقار ، و تحققا لإنجاز الوعد بالرزق فقال[2]: ﴿ انزلت ﴾ و لعله حذف العائد اختصارا لما به من الإعياء ﴿ الى من خير ﴾ أى و لو قل ﴿ فقير ﴾ ٥ أى مضرور ، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما[3] أنه كان قد بلغ من الضر أن اخضر بطنه من أكل البقل و ضعف حتى لصق بطنه بظهره . فانظر إلى هذين النبيين عليهما الصلاة و السلام فى حالهما فى ذات يدهما ، و هما خلاصة ذلك الزمان ، ليكون لك فى ذلك أسوة ، و تجعله إماما و قدوة . و تقول : يا بأبى و أمى ! ما لقى الأنبياء و الصالحون من الضيق ١٠ و الأهوال فى سجن الحياة الدنيا ، صونا لهم منها[4] و إكراما من ربهم عنها ، رفعة لدرجاتهم عنده . و استهانة لها و إن ظنه الجاهل المغرور على غير ذلك ، و فى القصة ترغيب فى الخير ، و حث[5] على المعاونة على البر ، و بعث على بذل المعروف مع الجهد .

و لما كان سماعهما لقوله هذا مع إحسانه إليهما سببا لدعاء شعيب ١٥ عليه الصلاة و السلام له ، قال بانيا على ما تقديره : فذهبت المرأتان إلى أبيهما فحدثتاه بخبرهما [و -[6]] باحسانه إليهما ، فأمر بدعائه ليكافئه : ﴿ فجآءته ﴾ أى بسبب قول الأب و على الفور ﴿ احدىهما ﴾ أى المرأتين

(١) فى ظ : سببا (٢) سقط من ظ (٣) راجع أيضا روح المعانى ٦/٢٤٣ .
(٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ و مد : الحث (٦) زيد من ظ و مد .

حال[1] كونها ﴿ تمشى ﴾ و لما كان الحياء كأنه مركب لها و هى متمكنة منه، مالكة لزمامه، عبر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿على استحيآء﴾ أى حياء موجود منها لأنها كلفت الإتيان إلى رجل أجنبى تكلمه و تماشيه؛ ثم استأنف الإخبار عما تشوف إليه السامع من أمرها فقال: ﴿قالت﴾ و أكدت إعلاما بما لأبيها من الرغبة إلى لقائه فى قولها: ﴿ ان ابى﴾ و صورت حاله بالمضارع فقالت: ﴿ يدعوك ليجزيك ﴾ أى يعطيك مكافأة لك، لأن المكافأة من شيم الكرام، و قولها لا غضاضة[2] فيه ﴿ اجر ما سقيت لنا[3] ﴾ أى مواشينا، فأسرع الإجابة[4] لما بينهما من الملاءمة[5]، و لذلك قال: ﴿ فلما ﴾ بالفاء ﴿ جآءه ﴾ أى موسى شعيبا عليهما الصلاة و السلام ﴿ و قص ﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام ﴿ عليه ﴾ أى شعيب عليه الصلاة و السلام ﴿ القصص ﴾ أى حدثه حديثه مع فرعون و آله فى كفرهم و طغيانهم و إذلالهم لعباد الله، و تتبع له الأمور على ما هى عليه لما توسم[6] فيه بما آتاه الله من الحكم و العلم من النصيحة و الشفقة، / و العلم و الحكمة، و الجلال و العظمة. / ١٥

و لما كان من المعلوم أنه لا عيشة لخائف، فكان أهم ما إلى الإنسان الأمان، قدم له التأمين بأن ﴿ قال ﴾ أى شعيب[6] له عليهما[6] الصلاة و السلام: ﴿لا تخف وقفه﴾ [أى -[7]] فان فرعون لا سلطان له

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: كان (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عضاهة (٣) فى ظ: الاجابة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الامه (٥) فى ظ و مد: توهم (٦ - ٦) فى ظ و مد: عليه (٧) زيد من ظ و مد.

على ما ههنا، و لأن عادة الله تعالى [جرت -[1]] أن تواضعك هذا ما كان فى أحد إلا قضى الله برفعته، و لذلك كانت النتيجة: ﴿نجوت﴾ أى يا موسى ﴿من القوم الظلمين ه﴾ أى هو و غيره و إن كانوا فى [2]غاية القوة و العراقة فى[2] الظلم.

و لما اقتضى هذا القول أنه آواه إليه، علمت انتباه مضمونه، و كانتا قد رأتا من كفايته و ديانته ما يرغب فى عشرته، فتشوفت النفس إلى حالهما حينئذ، فقال مستأنفا لذلك: ﴿قالت احدىهما﴾ أى المرأتين. قيل: و هى التى دعته إلى أبيها مشيرة [بالنداء -[1]] بأداة البعد إلى استصغارها[3] لنفسها و جلالة أبيها: ﴿يأبت استاجره﴾ ليكفينا ما يهمنا؛ ثم عللت قولها فقالت مؤكدة إظهارا لرغبتها فى الخير و اغتباطها به: ﴿ان خير من استاجرت﴾ لشىء من الأشياء ﴿القوى﴾ و هو[4] هذا لما رأيناه من قوته فى السقى[5] ﴿الامين ه﴾ لما تفرسنا فيه من حيائه، و عفته فى نظره و مقاله و فعاله، و سائر أحواله؛ [6]قال أبو حيان[6]: و قولها[7] قول حكيم جامع، لأنه إذا اجتمعت [8]الأمانة و الكفاية[8] فى القائم بأمر فقد تم المقصود. ﴿قال﴾ [أى -[1]] شعيب عليه الصلاة و السلام، و [هو -[9]] فى التوراة[10] يسمى: رعوئيل - بفتح الراء و ضم العين

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) فى مد: عراقة القوة و غاية (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: استغفارها (٤) من ظ و مد. و فى الأصل: من (٥) من ظ و مد. و فى الأصل: السعى (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) فى ظ و مد: قولها (٨ - ٨) فى البحر المحيط ٧/١١٤: الكفاية و الأمانة (٩) زيد من ظ (١٠) راجع الإصحاح الثانى من السفر الثانى: آية ٩.

المهملة و إسكان الواو ثم همزة مكسورة بعدها تحتانية ساكنة و لام، و يثرو - بفتح التحتانية و إسكان المثلثة و ضم الراء المهملة و إسكان الواو[1] ﴿ انى اريد ﴾ يا موسى، و التأكيد لأجل أن الغريب قل ما يرغب [2]فيه أول ما يقدم[2] لا سيما من[3] الرؤساء أتم الرغبة ﴿ ان انكحك ﴾ أى أزوجك زواجا، تكون وصلته كوصلة[4] أحد الحنكين[4] بالآخر ﴿ احدى ابنتى ﴾ .

و لما كان يجوز [5]أن يكون[5] المنكح منهما غير المسق لهما، نفى ذلك بقوله: ﴿ هتين ﴾ أى الحاضرتين اللتين سقيت لهما، ليتأملهما فينظر من يقع اختياره عليها منهما ليعقد له عليها ﴿ على[6] ان تاجرنى ﴾ أى تجعل نفسك أجيرا عندى أو[6] تجعل أجرى على ذلك و ثوابى ﴿ ثمنى[7] حجج ﴾ جمع حجة - بالكسر، أى سنين، أى العمل فيها بأن تكون أجيرا لى أستعملك فيما ينوبنى من رعية الغنم و غيرها، و آجره - بالمد و القصر، من الأجر و الإيجاز، و كذلك[8] أجر الأجير و المملوك و آجره: أعطاهما أجرهما ﴿ فان اتممت ﴾ أى الثمانى بلوغ العقد بأن تجعلها ﴿ عشرا[9] ﴾ أى عشر سنين ﴿ فمن ﴾ أى فذلك فضل من ﴿ عندك ﴾

(١) و هذا و ورد اسمه فيما عندنا من نسخة التوراة: يترون - راجع الإصحاح الثانى من السفر الثانى: آية ١٨ (٢-٢) من ظ و مد. و فى الأصل: فيتناول لا يقدم (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى ظ و مد: الجانبين (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) فى ظ و مد «و» (٧) تقدم فى الأصل على «اى تجعل» و الترتيب من ظ و مد (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: لذلك (٩) ورد فى ظ بعد «اتممت».

غير واجب عليك ، و كان تعيين الثمانى لأنها - إذا أسقطت[1] منها مدة الحمل - أقل سن يميز فيه الولد غالبا ، و العشر أقل ما يمكن فيه البلوغ ، لينظر سبطه إن قدر فيتوسم[2] فيه بما يرى من [3]قوله و فعله[3] ، و التعبير بما هو من الحج[4] الذى هو القصد تفاؤلا بأنها تكون من طيبها بمتابعة أمر[5] الله و سعة رزقه و إفاضة نعمه و دفع[6] نقمه أهلا لأن تقصد أو يكون فيها الحج فى كل واحدة منها إلى بيت الله الحرام .

و لما ذكر له هذا ، أراد أن يعلمه أن الأمر بعد الشرط بينهما على المسامحة فقال : ﴿و ما اريد ان اشق عليك[7]﴾ أى أدخل عليك مشقة[7] فى شىء من ذلك و لا غيره لازم أو غير لازم ؛ ثم أكد معنى المساهلة بتأكيد وعد الملاءمة[8] فقال : ﴿ستجدنى﴾ ثم استثنى على قاعدة أولياء الله و أنبيائه فى المراقبة على سبيل التنزل[9] فقال : ﴿ان شآء الله﴾ أى الذى [10]له جميع[10] الأمر ﴿من الصٰلحين ۝﴾ أى فى / حسن الصحبة و الوفاء بما قلت و كل ما[11] تريد من[12] خير ﴿قال﴾ أى موسى عليه السلام ﴿ذٰلك﴾ أى الذى ذكرت من الخيار و غيره ﴿بينى و بينك[4]﴾ أى كائن بيننا على حكم النصفة و العدل و السواء على ما ألزمتنى به لازما ، و ما أشرت

/ ٦٦

(١) فى مد : سقطت (٢) فى ظ و مد : فيتوهم (٣-٣) فى مد : فعله و قوله .
(٤) فى ظ و مد : الحجج (٥) سقط من ظ و مد (٦) فى ظ و مد : رفع .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : شقة (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الملازمة (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : التبرك (١٠-١٠) فى ظ و مد : جمع له (١١) تكرر فى الأصل فقط (١٢) زيد فى ظ : كل .

إلى التفضل به إحسانا ، و عليك ما ألزمت به نفسك فرضا و فضلا ؛ ثم [1]بين و[1] فسر ذلك بقوله : ﴿ ايما الاجلين ﴾ أى أىّ أجل منهما : الثمانى أو[2] العشر ﴿ قضيت ﴾ أى عملت العمل المشروط على فيه فقد خرجت به[3] من العهدة ﴿ فلا عدوان ﴾ أى اعتداء بسبب ذلك لك و لا لأحد ٥ ﴿ علىّ ﴾ [أى -[4]] فى طلب أكثر منه لأنه كما لا تجب على الزيادة على [العشر لاتجب علىّ الزيادة على -[4]] الثمان ، و كأنه أشار بنفى صيغة المبالغة إلى أنه لا يؤاخذ لسعة صدره و طهارة أخلاقه بمطلق العدو ﴿ و الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ على ما نقول ﴾ أى كله فى هذا الوقت و غيره ﴿ وكيل ﴾ أى شاهد و حفيظ قاهر عليه و ملزم به فى ١٠ الدنيا و[5] فى الآخرة ، فما الظن بما وقع بيننا من العهد من النكاح و الأجر و الأجل .

ذكر مضمون هذا من التوراة : قال فى أول السفر الثانى منها : و هذه أسماء بنى إسرائيل الذين دخلوا مصر مع يعقوب عليه السلام ، دخل كل امرئ[6] و أهل بيته روبيل[7] و شمعون و لاوى و يهوذا و إيساخار ١٥ و زبلون و بنيامين و دان و نفتالى و جاد و أشير[8] ، و كان عدد ولد

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) فى ظ و مد « و » (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : او .
(٦) زيد فى الاصل و ظ : منهم ، و لم تكن الزيادة فى مد و التوراة فحذفناها .
(٧) و ورد بعض الاسماء فى التوراة ببعض المفارقات (٨) من ظ و مد و التوراة ، و فى الأصل : امشير .

يعقوب الذين خرجوا من صلبه سبعين نفسا مع يوسف عليه الصلاة والسلام الذى كان بمصر، فتوفى يوسف وجميع[1] إخوته و جميع ذلك الحقب، وبنو إسراءيل نموا وولدوا وكثروا واعتزوا جدا جدا، وامتلأت الأرض منهم، فملك على مصر ملك جديد لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه: هذا شعب[2] بنى إسراءيل قد كثر [3]عددهم فهم[3] أكثر ٥ وأعز منا، هلموا نحتال لهم قبل أن يكثروا، لعل أعداءنا يأتونا يقاتلونا فيكونوا عونا لأعدائنا علينا فيخرجونا من الأرض، فولى عليهم ولاة ذوى[4] فظاظة وقساوة ليتعبدوهم، وجعلوا يبنون قرى لأجران فرعون واهرائه وفى نسخة: وبنوا لفرعون مدنا محصنة فيسترم فى الفيوم وفى عين شمس، وفى نسخة: [5]فيثوم ورعمسيس[5]، وفى نسخة: وأكوان[6] التى هى ١٠ مدينة الشمس، واشتد تعبدهم لهم، و[1] ذلهم إياهم، وكانوا يزدادون كثرة ويعتزون، فاشتد[7] غمهم وحزنهم بسبب بنى إسراءيل، وكان المصريون يتعبدون[8] بنى إسراءيل بشدة[9] وقساوة، ويمرون[10] حياتهم بالكد والتعب الصعب الشديد بالطين وعمل اللبن وفى كل عمل الحقل[11]، وكان تعبدهم

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ومد والتوراة، وفى الأصل: شعيب (٣-٣) فى ظ ومد: عدده فهو (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: ذى، والكلمات فى التوراة مختلفة عما هنا (٥-٥) من ظ ومد والتوراة، وفى الأصل: فيشرم ويعيس وعميس (٦) من مد، وفى الأصل: اكون، وفى ظ: الوان. (٧) فى ظ: واشتد (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: يبعدون (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: شدة (١٠) فى التوراة: يمررون (١١) سقط من مد

إياهم فى جميع ما استعملوهم بالشدة و الفظاظة و القساوة، فقال ملك مصر: [و جعلنا -[1]] لقوابل العبرانيات التى تسمى إحداهما فوعا[2] و الأخرى شوفرا[3]، و أمرهما: إذا أتيتما قبلتما العبرانيات فانظرا[4] إذا سقط الولد، فان كان ذكرا فاقتلاه، و إن كانت أنثى فاستبقياها[5] فاتقت القابلتان[6] الله و لم يفعلا ما أمرهما به ملك مصر، و جعلتا تستحييان الغلمان، فدعا ملك مصر القابلتين و قال لهما: ما بالكما؟ جاوزتما أمرى و أحييتما الغلمان؟ فقالتا لفرعون: إن[7] العبرانيات لسن[8] كالمصريات لأنهن قوابل، و يلدن قبل أن تدخل القابلة عليهن[9]، فأحسن الله إلى القابلتين لصنعهما هذا، فكثر الشعب و عز جدا، فلما اتقت القابلتان / الله أنماهما /١٧ و جعل لهما بنين، و فى نسخة: بيوتا[10]، فأمر فرعون جميع قومه قائلا: كل غلام يولد لهم[10] فألقوه فى النهر، و كل جارية تولد فاستبقوها، [11]فانطلق رجل من آل لاوى فتزوج إحدى بنات لاوى، فحبلت المرأة فولدت ابنا فرأته حسنا جدا، فغيبته ثلاثة أشهر و لم تقدر أن تغيبه أكثر من ذلك، فأخذت تابوتا من خشب الصنوبر، و طلته بالقار و الزفت

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى التوراة: فوعة (٣) فى ظ و مد: شوفرهما، و فى التوراة: شفرة (٤) فى الأصول: فانظروا، و فى التوراة: و تنظرانهن. (٥) فى مد: فاستبقوها (٦) من ظ و مد و التوراة، و فى الأصل: القابلات. (٧) فى مد: ليس (٨) من التوراة، و فى الأصل و ظ: ليس، و الكلمة ساقطة من مد (٩) زيد فى الأصل و ظ: جحيمها، و لم تكن الزيادة فى مد و التوراة فحذفناها (١٠) ليس فى مد و التورة (١١) من هنا يبتدئ الأصحاح الثانى.

و وضعت فيه الغلام و وضعته فى الضحضاح على شاطئ النهر، و قامت أخته من بعيد لتنظر ما يكون من أمره، فخرجت بنت فرعون تغتسل فى النهر، فنظرت إلى التابوت فى المخاضة، فأرسلت جواريها فأتوا به ففتحته فرأت الغلام، فاذا هو يبكى فرحمته، و قالت: هذا من بنى[1] العبرانيين، فقالت أخته لابنة فرعون: هل لك أن أنطلق أدعو لك ٥ ظئرا من العبرانيات فترضع هذا الغلام؟ فقالت[2] لها ابنة فرعون: نعم! انطلق، فانطلقت الفتاة[3] و دعت[3] أم الغلام، فقالت لها ابنة فرعون: خذى هذا الصبى فارضعيه و أنا أعطيك أجرتك، فأخذت المرأة الغلام فأرضعته فشب[4] الغلام فأتت به إلى ابنة فرعون فتبنته[5]، و سمته موسى لأنها قالت: إنى انتشلته من الماء. فلما كان بعد تلك الأيام نشأ موسى ١٠ عليه السلام و خرج إلى إخوتـه فنظر إلى ذلهم، فرأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من إخوته من بنى إسراءيل، فالتفت يمينا و شمالا فلم ير أحدا فقتل المصرى، فمات و دفنه فى الرمل، ثم خرج يوما آخر فاذا هو برجلين عبرانيين يصطحبان، فقال للمسىء منهما: ما بالك؟ تضرب أخاك؟ فقال له: من جعلك علينا رئيسا و حاكما؟ لعلك تريد أن تقتلنى كما قتلت ١٥ المصرى أمس؟ ففرق موسى و قال: حقا لقد فشا هذا الأمر، فبلغ فرعون الأمر و أراد موسى، فهرب موسى من فرعون و انطلق إلى أرض

(١) زيد فى ظ: اسراءيل (٢) فى ظ و مد: قالت (٣ - ٣) من ظ و مد و التوراة، و فى الأصل: فدعت (٤) من ظ و مد. و فى الأصل: فنشأ، و فى التوراة: كبر (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فتبنته.

مدين، و جلس على طوى الماء، و كان لحبر مدين سبع بنات، فكن يأتين فيدلن الماء فيملأن الحياض ليسقين غنم أبيهن، [١]و كان[١] الرعاة يأتون[٢] فيطردونهن، فقام موسى فخلصهن و أسقى غنمهن، فأتين إلى رعوئيل[٣] أبيهن فقال لهن: ما بالكن؟ أسرعتن السقى اليوم؟ فقلن له: رجل مصرى خلصنا من أيدى الرعاة، فأستقى[٤] لنا الماء، و سقى غنمنا، فقال لبناته: و أين هو؟ لم تركتن الرجل، انطلقن و ادعونه فيأكل عندنا خبزا، ففعلن ذلك، فأعجب موسى أن ينزل على ذلك الرجل فزوجه صفورا[٥] ابنته فتزوجها فولدت له ابنا فسماه جرشون[٦]، لأنه قال: إنى صرت ساكنا فى أرض غريبة[٧]. و ولدت لموسى ابنا[٨] آخر، فسماه إليعازار، لأنه قال: إن إله آبائى خلصنى من حرب[٩] فرعون. و قوله: إن المتخاصمين فى اليوم الثانى عبرانيان، إن أمكن تنزيل ما فى القرآن عليه فذاك، و إلا فهو مما بدلوه. و قوله: إن بنات شعيب سبع، لا يخالف ما فى القرآن الكريم. بل أيده الزمخشرى[١١] بتعيينهما بقوله "هاتين" لكن تقدم ما يشير إلى أن ذلك غير لازم.

و لما كان من المعلوم أن التقدير: فلما التزم موسى عليه السلام

(١-١) فى مد: فكان (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ياتين (٣) من ظ و مد و التوراة، و فى الأصل: دعويل (٤) من ظ و مد و التوراة، و فى الأصل: فاسقا - كذا (٥) فى التوراة: صفورة (٦) فى التوراة: جرشوم. (٧) من مد و التوراة، و فى الأصل و ظ: غربة (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ولدا (٩) سقط من ظ (١٠) سقط من مد (١١) راجع الكشاف - الآية المعنية.

زوجته ابنته كما شرط[1]، و استمر عنده حتى قضى ما عليه، بنى عليه قوله: ﴿ فلما قضى ﴾ أى وفى[2] و أتم، [3]و نهى[3] و أنفذ ﴿ موسى ﴾ صاحبه ﴿ الاجل ﴾ أى الأوفى[4] و هو العشر، بأن وفى جميع ما شرط عليه من العمل، فانه ورد أنه قضى من الأجلين أوفاهما[5]، و تزوج من المرأتين / صغراهما، و هى التى جاءت فقالت: "يابت استاجره" روى ٥ /١٨ الطبرانى فى الأوسط معناه عن أبى ذر رضى الله عنه مرفوعا[6]، و الظاهر أنه مكث عنده بعد الأجل أيضا مدة، لأنه عطف بالواو قوله: ﴿ و سار ﴾ و لم يجعله جوابا للمّا ﴿ باهلهَ ﴾ أى امرأة راجعا إلى أقاربه بمصر ﴿ انس ﴾ أى أبصر ﴿ من جانب الطور نارا ج ﴾ آنسته رؤيتها، شرحته إنارتها، و كان مضرورا إلى الدلالة على الطريق و الاصطلاء بالنار. ١٠

و لما كان كأنه قيل: ما ذا فعل عند [7]ما أبصرها قيل[7]: ﴿ قال لاهله ﴾ و لما كان النساء أعظم ما ينبغى ستره، أطلق عليها ضمير الذكور[8] فقال: ﴿ امكثوآ ﴾ و إن كان معه بنين[9] له فهو على التغليب[10]؛ ثم علل ذلك بقوله مؤكدا[11]، لاستبعاد أن يكون فى ذلك المكان القفر و فى ذلك

(١) فى ظ: شط - خطأ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: رق (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الادنى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ادناهما (٦) راجع مجمع الزوائد ٧/٨٨ (٧-٧) فى ظ: ما ابصرها فقيل، و فى مد: رؤيتها فقيل (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: المذكور (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: بنون (١٠) زيد فى ظ: له (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: معللا.

الوقت الشديد البرد نار[1]: ﴿انى آنست نارا﴾ فكأنه قيل: فما ذا تعمل[2] بها؟ فقال معبرا بالترجى لأنه أليق بالتواضع الذى هو مقصود السورة، و هو الحقيقة فى إدراك الآدميين فى مثل هذا[3]. و لذا عبر بالجذوة التى مدار مادتها الثبات: ﴿لعلى آتيكم منها﴾ أى من عندها ﴿بخبر﴾ ينفعنا ٥ فى الدلالة على المقصد[4] ﴿او جذوة﴾ أى عود غليظ ﴿من النار﴾ أى متمكنة[5] منه هذه الحقيقة أو التى[6] تقدم ذكرها؛ ثم استأنف قوله: ﴿لعلكم تصطلون ۝﴾ أى لتكونوا على رجاء من أن تقربوا من النار فتعطفوا[7] عليها لتدفئوا، و هذا دليل على أن الوقت كان شتاء ﴿فلما آتيها﴾ أى النار.

١٠ و لما كان آخر الكلام دالا دلالة واضحة على أن المنادى هو الله سبحانه، بنى للمفعول قوله دالا على ما فى أول الأمر من الخفاء: ﴿نودى﴾ و لما كان نداؤه سبحانه لا يشبه نداء[8] غيره[9] بل يكون من جميع الجوانب، وكان مع ذلك قد يكون لبعض المواضع مزيد تشريف[10] بوصف من الأوصاف، إما بأن يكون أول السماع منه أو غير ذلك أو يكون باعتبار ١٥ كون موسى عليه الصلاة و السلام [فيه -[10]]. قال: ﴿من﴾ أى

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: نارا (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: فعل. (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: القصد (٥) من ظ ومد، و فى الأصل: فتمكنت (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٧) فى ظ: فتعطفوا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: غره (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: شرف (١٠) زيد من ظ و مد.

كائنا موسى عليه السلام بالقرب [من -[1]] ﴿شاطئ﴾ أى جانب ﴿الواد﴾ عن يمين موسى عليه الصلاة و السلام، و لذلك قال: ﴿الايمن﴾ و هو صفة للشاطئ الكائن أو كائنا ﴿فى البقعة المبركة﴾[2] كائنا أول أو معظم النداء أو كائنا موسى عليه الصلاة و السلام [قريبا -[1]] ﴿من الشجرة﴾ كما تقول: ناديت فلانا من بيته، و لعل الشجرة كانت كبيرة، فلما وصل ٥ إليها دخل النور من طرفها[3] إلى وسطها[3]. فدخلها وراءه بحيث توسطها فسمع - و هو فيها - الكلام من الله تعالى حقيقة، و هو المتكلم سبحانه لا الشجرة. قال القشيرى: و حصل الإجماع أنه عليه الصلاة السلام سمع تلك الليلة كلام الله، و لو كان ذلك نداء الشجرة لكان المتكلم الشجرة، و[4] قال التفتازانى شرح المقاصد أن اختيار حجة الإسلام أنه سمع كلامه ١٠ الأزلى بلا صوت و لا حرف كما ترى ذاته فى الآخرة بلا كم و لا كيف، و تقدم فى ظنه أن المراد ما [5]إلى يمين[5] المتوجه من مصر إلى الكعبة المشرفة، و الشجرة قال البغوى[6]: قال ابن مسعود رضى الله عنه: كانت سمرة[7] خضراء تبرق، و قال قتادة و مقاتل و الكلبى: كانت عوسجة[8]، و قال وهب: من العليق، و قال[9] ابن عباس رضى الله عنهما: إنها ١٥ العناب. ثم ذكر المنادى بقوله: ﴿ان يٰموسىٰ[3]﴾ و أكد لأنه سبحانه

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى ظ: اى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) سقط من ظ و مد (٥ - ٥) فى ظ و مد: اتى بين (٦) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١٤٣ (٧) من ظ ومد و المعالم، وفى الأصل: مثمرة. (٨) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: موشحة (٩) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: عن.

١٩ / لعظمه يحتقر كل أحد نفسه لأن / يؤهله للكلام لاسيما و[1] الأمر فى أوله فقال: ﴿انى انا الله﴾ أى المستجمع للأسماء الحسنى، و الصفات العلى.

و لما كان [2]هـذا الإسم[2] غيبا، تعرف بصفة هى مجمع الأفعال المشاهدة للانسان فقال: ﴿رب العلمين﴾ أى خالق الخلائق أجمعين

٥ و مربيهم ﴿و ان الق عصاك﴾ أى لأريك فيها آية.

و لما كان التقدير: فألقاها فصارت فى الحال حية عظيمة، و هى مع عظمها فى غاية الخفة، بنى عليه قوله: ﴿فلما راها﴾ أى العصا ﴿تهتز كانها﴾ أى فى سرعتها و خفتها ﴿جآن﴾ أى حية صغيرة ﴿ولى مدبرا﴾ خوفا منها و لم يلتفت إلى جهتها، و هو معنى قوله:

١٠ ﴿و لم يعقب﴾ أى موسى عليه الصلاة و السلام، و ذلك كناية عن شدة التصميم على الهرب و الإسراع فيه خوفا من الإدراك فى[3] الطلب فقيل له: ﴿يـموسى اقبل﴾ أى التفت و تقدم إليها ﴿و لا تخف﴾ ثم أكد له الأمر لما الآدمى مجبول عليه من النفرة و إن اعتقد صحة الخبر بقوله: ﴿انك من الأمنين﴾ أى العريقين فى الأمن كعادة إخوانك

١٥ من المرسلين؛ ثم زاد طمأنينتـه[4] بقوله: ﴿اسلك﴾ أى أدخل على الاستقامة[5] مع الخفة و الرشاقة ﴿يدك فى جيبك﴾ أى القطع الذى فى ثوبك و هو الذى تخرج منه الرأس، أو هو الكم، كما يدخل السلك و هو الخيط الذى ينظم فيه الدرر، تنسلك[6] على لونها و ما هى عليه من

---

(١) سقطت الواو من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) فى ظ «و» (٤) فى ظ: طمانيته - كذا (٥) فى ظ و مد: استقامة (٦) فى ظ: بنظمك.

أثر الحريق الذى عجز فرعون عن مداواته، و أخرجها ﴿ تخرج بيضآء ﴾ أى[1] بياضا عظيما يكون له شأن خارق للعادات ﴿ من غير سوٓء ﴾ أى عيب[2] من حريق أو غيره، فخرجت و لها شعاع كضوء الشمس، فالآية من الاحتباك[3].

و لما كان ذلك لا يكون آية محققة[4] لعدم العيب إلا[5] بعودها بعد ذلك إلى لون الجسد قال: ﴿ و اضمم اليك ﴾ أى إلى جسدك. و لما كان السياق للتأمين من الخوف، عبر بالجناح، لأن الطائر[6] يكون آمنا عند ضم جناحه فقال: ﴿ جناحك ﴾ أى يدك التى صارت بيضاء، و المراد بالجناح فى آية طٰهٰ الإبط و الجانب لأنه لفظ مشترك ﴿ من الرهب ﴾ أى من خشية أن تظنها معيبة تخرج كما كانت قبل بياضها فى لون جسدك - هذا على أن المراد بالرهب الخوف الذى بهره فأوجب له الهرب، و يجوز أن يكون المراد بالرهب الكم. فيكون إدخالها فى الفتق - التى ليست موضعها بل الرأس - للبياض، و إدخالها فى الكم - الذى هو لها - لرجوعها إلى عادتها، و فى البغوى[7] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله تعالى أمره أن يضم يده إلى صدره فذهب عنه ما ناله من الخوف عند معاينة الحية، و قال: و ما من خائف بعد[8] موسى عليه الصلاة و السلام إلا إذا وضع يده على صدره زال خوفه. و أظهر اليد بلفظ الجناح من

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عيبا (٣) أى ذكر السلوك أولا دلالة على حذف الاخراج ثانيا، و ذكر البياض ثانيا دلالة على حذف العيب أولا (٤) فى ظ و مد: محققا (٥) فى مد: لا - خطأ (٦) فى ظ: الطير (٧) أى معالمه - راجع الباب ٥ /١٤٣ (٨) فى ظ: يقدر - خطأ.

غير إضمار تعظيما للقام و[1] تنبيها على أن عودها إلى حالها الأول آية مستقلة، وعبر عنها بلفظ الجناح[2] تنبيها على الشكر بتعظيم نفعها.

ولما تم كونا[3] آية بانقلابها[4] إلى البياض ثم رجوعها إلى لونها قال: ﴿ فذنك ﴾ أى العصا واليد البيضاء، وشدد[5] أبو عمرو وابن كثير ورويس تقوية لها لتعادل الأسماء المتمكنة، وذكر لزيادة التقوية ﴿برهانن﴾ أى سلطانان وحجتان/ قاهرتان ﴿من ربك﴾ أى المحسن إليك لا يقدر على مثلهما غيره ﴿ الى ﴾ أى واصلان، أو أنت مرسل بهما إلى ﴿ فرعون وملائه[6] ﴾ كلما أردت ذلك وجدته[6]، لا أنهما يكونان لك هنا فى هذه الحفرة فقط، ثم علل الإرسال إليهم على وجه إظهار الآيات لهم واستمرارها بقوله[7] مؤكدا تنبيها على [أن - [8]] إقدامه على الرجوع إليهم فعل من يظن أنهم رجعوا عن غيهم، وإعلاما بمنه[9] عليه بالحماية منهم بهذه البراهين: ﴿ انهم كانوا ﴾ أى جبلة وطبعا ﴿ قوما ﴾ أى أقوياء ﴿ فسقين ٥ ﴾ أى[10] خارجين عن الطاعة، فاذا رأوا ذلك هابوك[11]، فلم يقدروا على الوصول إليك بسوء، وكنت فى مقام أن تردهم عن فسقهم.

٢٠ /

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد فى ظ و مد: من غير إضمار (٣) فى ظ و مد: كونه (٤) فى ظ: بانقلابهما (٥) راجع نثر المرجان ٥/١٧٣ (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: واجدته (٧) تقدم فى مد على «الإرسال إليهم» (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، وفى الأصل: بمنته (١٠) سقط من ظ.
(١١) فى ظ: يغلبون، وفى مد: يهابوك.

و لما[1] كان كأنه قيل : ما فعل بعد رؤية هذه الخوارق ؟ قيل : ثبت ، علما منه بصعوبة المقام و خطر الأمر ، فاشترط لنفسه [2]حتى رضى ، و تلك كانت عادته ثباتا و حزما ، و حلما و علما ، ألا ترى إلى ما فعل معنا عليه السلام و التحية و الإكرام من الخير ليلة الإسراء فى السؤال فى تخفيف الصلاة ، و لذلك كله[3] ﴿ قال رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ ﴿انى﴾ أكده لأن إرسال الله سبحانه له فعل من لايعتبر أن لهم عليه ترة[4] ، فذكر ذلك ليعلم وجه عدم اعتباره[5] ﴿ قتلت منهم ﴾ أى آل فرعون ﴿ نفسا ﴾ و أنت تعلم ما خرجت إلا هاربا منهم من أجلها ﴿فاخاف﴾ إن باديتهم ، بمثل ذلك ﴿ان يقتلون ﴾ لذنبى إليهم و وحدتى و غربتى و ثقل لسانى فى إقامة الحجج .

و لما تسبب عن ذلك طلب الإعانة بشخص فيه كفاية و له عليه شفقة[6] ، و كان أخوه هارون أحق الناس بهذا الوصف ، كان التقدير : فأرسل معى أخى هارون ـ إلى آخره ، غير أنه قدم ذكره اهتماما بشأنه فقال : ﴿و اخى هرون﴾ و الظاهر أن واوه للحال من ضمير موسى عليه الصلاة و السلام ، أو عاطفة على مقول القول ، و المعنى أنه [7]يخاف أن[7] يفوت مقصود الرسالة[8] إما بقتله أو لعدم بيانه ، فاكتفى[9] بالتلويح فى الكفاية

(١) زيد فى الأصل : كان هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) سقط من ظ ومد (٣) من ظ ومد و فى الأصل : كلمه (٤) من مد ، و فى الأصل وظ : نزه (٥) فى ظ : اختياره (٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : شفقته .
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) زيد بعده فى الأصل : له ، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : و اكتفى .

من الأول ، لأنه لاطاقة لأحد غير الله بها ، و صرح بما يكفى من الثانى ، فكأن التقدير : إنى أخاف أن يقتلون فيفوت[1] المقصود ، و لا يحمى[2] من ذلك إلا أنت ، و إن لسانى فيه عقدة ، و أخى - إلى آخره ؛ و زاد فى تعظيمه بضمير الفصل فقال : ﴿ هو افصح منى لسانا ﴾ أى من جهة اللسان للعقدة التى كانت حصلت له من وضع الجمرة فى فيه و هو طفل فى كفالة فرعون ﴿ فارسله ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ معى ردا ﴾ أى معينا ، من ردأت فلانا بكذا ، أى جعلته له قوة و عاضدا ، و ردأت الحائط - إذا دعمته بخشب أو كبش يدفعه أن يسقط[3] ؛ و قراءة نافع[4] بغير همز من الزيادة .

و لما كان له عليه من العطف و الشفقة ما يقصر الوصف عنه ، نبه على ذلك باجابة السؤال بقوله : ﴿ يصدقنى ﴾ أى بأن يلخص[5] بفصاحته ما قلته و بينته ، و يقيم الأدلة عليه حتى يصير كالشمس وضوحا ، فيكون - مع تصديقه لى بنفسه - سببا فى تصديق غيره لى ؛ و رفعه عاصم[6] و حمزة صفة لردأ . ثم علل سؤاله هذا ، و بين أنه هو المراد ، لا أن يقول له : صدقت ، فان قوله لهذه اللفظة لا تعلق له بالفصاحة حتى يكون سببا للسؤال فيه ، بقوله مؤكدا لأجل أن من كان رسولا عن الله لايظن به أن يخاف : ﴿ انى اخاف / ان يكذبون ﴾ . ٢١ /

و لما كان ما رأى من الأفعال ، و سمع من الأقوال ، مقتضيا للأمن

---

(١) من مد ، و فى الأصل : صعوت ، و فى ظ : ليفوت (٢) ظ و مد : لايحمى (٣) هو قول ابن شميل - راجع تاج العروس (٤) راجع نثر المرجان ٥/١٧٥ (٥) فى ظ و مد : يخلص (٦) راجع نثرالمرجان ٥/١٧٦ .

من أن يكذبوه، وكان عالما بما هم عليه من القساوة والكبر، أشار[1] إلى ذلك بالتأكيد، أى وإذا كذبونى عسرت علىّ المحاججة على ما هو عادة أهل الهمم[2] عند تمالؤ الخصوم على العناد[3]، والإرسال موجب لكلام كثير وحجاج طويل، وقريب من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم[4] لما أمره الله تعالى بانذار قومه "إذن[5] يثلغوا رأسى فيجعلوه[6] خبزة" ٥ وكأن مراد السادة القادة عليهم الصلاة والسلام والتحية والإكرام الاستعلام عن[7] الأمر هل يجرى على العادة أو لا؟ فان كان يجرى[8] على العادة وطنوا أنفسهم على الموت، وإلا ذكر لهم الأمر الخارق فيكون بشارة لهم، ليمضوا[9] فى الأمر على بصيرة، ويسيروا فيه على حسب ما يقتضيه من السيرة. ١٠

ولما أكد أمر الطلب بهارون عليهما الصلاة والسلام، أكد له سبحانه أمر الإجابة بقوله مستأنفا: ﴿قال سنشد﴾ وذكر أولى الأعضاء بمزاولة المكاره فقال: ﴿عضدك﴾ أى أمرك ﴿باخيك﴾ أى سنقويك ونعينك به إجابة لسؤالك صلة منك لأخيك، وعونا منه لك ﴿ونجعل لكما سلطنا﴾ أى ظهورا عظيما عليهم، وغلبة لهم بالحجج ١٥

---

(١) فى ظ: اشارة (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: الهم (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: الفساد (٤) راجع صحيح مسلم أبواب الجنة (٥) من ظ ومد والصحيح، وفى الأصل: ان (٦) فى ظ ومد: فيجعلونه، وفى الصحيح: فيدعوه (٧) فى مد: على (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: جرى (٩) فى ظ ومد: ليضمنوا.

و الهيبة لأجل ما ذكرت من الخوف ﴿فلا﴾ [أى -[1]] [2]فيتسبب عن[2] ذلك أنهم[3] لا ﴿يصلون اليكما﴾ بنوع من أنواع الغلبة ﴿بآيتنا﴾ أى نجعل ذلك[4] بسبب ما يظهر على أيديكما من الآيات المعظمة بنسبتها إلينا، و لذلك كانت[5] النتيجة ﴿انتما و من اتبعكما﴾ أى من قومكما و غيرهم ﴿الغلبون﴾ أى لا غيرهم[6]، و هذا يدل[7] على أن فرعون لم يصل إلى السحرة بشيء مما هددهم[8] به، لأنهم من أكبر الأتباع الباذلين[9] لأنفسهم[10] فى الله، و كأنه[11] حذف أمرهم هنا لأنه فى بيان أمر فرعون[12] و جنوده بدليل ما كرر من ذكرهم، و قد كشفت العاقبة [13]عن أن السحرة[13] ليسوا من جنوده، بل من حزب الله و جنده، و مع ذلك فقد أشار إليهم بهذه الآية و التى بعدها، و سيأتى فى آخر سورة الحديد عن تأريخ ابن عبد الحكم أنهم خلصوا و رجع[14] بعضهم إلى مصر فكانوا[15] أول من رهب.

شرح ما مضى[16] من التوراة، قال بعد ما تقدم[17]: و كان من بعد

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) فى ظ: فتسبب عن، و فى مد: فبسبب (٣) من ظ، و فى الأصل: لهم، و الكلمة ساقطة من مد (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: لك (٥) فى ظ و مد: كان (٦) فى ظ و مد: غيركم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ينزل (٨) فى ظ و مد: يهددهم (٩) فى ظ: العاذلين (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: انفسهم (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: كانوا. (١٢) سقط من ظ (١٣ - ١٣) فى مد: عن السحرة انهم (١٤) من ظ و مد، و فى الأصل: رجعهم (١٥) من ظ و مد، و فى الأصل: وكانوا (١٦) من ظ و مد، و فى الأصل: نص (١٧) راجع الأصحاح الثالث.

أيام

أيام كثيرة مات فرعون ملك مصر فاستراح بنو إسراءيل من شدة تعبدهم، فصلوا فسمع[١] الله صلاتهم، و عرف تعبدهم، و سمع ضجتهم، و ذكر[٢] عهده لإبراهيم و إسحاق و يعقوب، فأبصر الله بنى إسراءيل، و عرف ذلهم، فكان[٣] موسى يرعى غنم يثرو[٤] ختنه[٥] حبر مدين، فساق بالشاه إلى طرف البرية و أتى إلى حوريب جبل الله، فتراءى له ملك الله بلهب[٦] النار[٧] من جوف العوسج، تشتعل فيه النار، و لم يكن العوسج يحترق. فقال موسى: لأعدلن فأنظر إلى هذه الرؤيا العظيمة؛ ما بال هذه العوسجة لم تحترق؟ فرأى الرب أنه قد عدل لينظر، فدعاه الله من جوف العوسج و قال له: يا موسى يا موسى! فقال: هأنذا! قال: لا[٨] تدن إلى ههنا، اطرح خفيك عن قدميك، لأن المكان الذى أنت[٩] واقف عليه مكان طاهر، و فى نسخة: مقدس، و قال الله: أنا إله أبيك ابراهيم إله إسحاق إله يعقوب، فغطى موسى وجهه لأنه فرق أن يمد بصره نحو الرب، و قال الرب: إنى قد رأيت ذل شعبى بمصر، و سمعت ضجتهم التى / ضجوا من تعبدهم، / ٢٢ [١٠]لأنى عارف براءتهم[١٠]، فنزلت لأخلصهم من أيدى المصريين، و أن أصعدهم

(١) من ظ و التوراة، و فى الأصل و مد: وسمع (٢) فى ظ و مد: و ذكره. (٣) فى مد: و كان (٤) وقع فى التوراة: يثرون - كما قدمنا (٥) من ظ و مد، و التوراة معنى، و فى الأصل: حنة (٦) فى ظ: يلهب، و فى مد: تلهب، و فى التوراة: بلهيب (٧) زيدت الواو فى ظ و مد (٨) من ظ و مد و التوراة، و فى الأصل: الا (٩) زيد فى الأصل و ظ: فيه، و لم تكن الزيادة فى مد و التوراة فحذفناها (١٠ - ١٠) و فى التوراة: انى علمت أوجاعهم.

من تلك الأرض إلى أرض صالحة واسعة، تفيض السمن و العسل: أرض الكنعانيين[١] و الحاثانيين و الأمورانيين و الفرزانيين[٢] و الحاوانيين و اليابسانيين، و الآن هو ذا ضجيج بنى إسراءيل قد ارتفع إلىّ، و رأيت ضر المصريين لهم، فهبطت الآن حتى أرسلك إلى فرعون، و أخرج شعبى بنى إسراءيل من مصر، فقال موسى لله: من أنا حتى أنطلق[٣] إلى فرعون[٣] و أخرج[٤] بنى[٥] إسراءيل من مصر، فقال[٦] الله: أنا [أكون -[٧]] معك و هذه لآية[٨] لك أنى أرسلتك: إنك إذا أخرجت[٩] الشعب من مصر تعبدون[١٠] الله فى هذا الجبل، فقال موسى: هأنذا منطلق إلى بنى إسراءيل و أقول لهم: الرب إله آبائكم أرسلنى إليكم، فان قالوا [لى -[١١]]: ما اسمه؟ ما الذى أقول[١٢]؟ فقال الرب لموسى: قل لهم: الأزلى[١٣] الذى لم يزل، و فى نسخة: لايزول، و قال: هكذا قل لبنى إسراءيل: أهياشر[١٤] أهيا أرسلنى إليكم، و قال الرب أيضا لموسى هكذا قل لبنى إسراءيل:

(١) و جميع الكلمات سوى هذه الواحدة واردة فى التوراة بدون النون.
(٢) من ظ و مد، و فى الأصل: العذرانيين (٣-٣) فى مد: لفرعون (٤) زيد فى الأصل و ظ: الى، و لم تكن الزيادة فى مد و التوراة فحذفناها (٥) فى مد: آل (٦) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد والتوراة فحذفناها.
(٧) زيد من ظ و مد و التوراة (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: الآية، و السياق يختلف فى التوراة بعض الشيء (٩) فى ظ: خرجت (١٠) من مد و التوراة، و فى الأصل و ظ: يعبدون (١١) زيد من التوراة (١٢) من مد و التوراة، و فى الأصل و ظ: اقوله (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الأزل، الجملة ليست فى نسختنا من التوراة (١٤) فى التوراة: الذى.

الله ربكم إله آبائكم إله إبراهيم إله إسحاق إله يعقوب أرسلني إليكم هذا[1] اسمي إلى الأبد، و هـذا ذكرى إلى حقب الأحقاب، انطلق فاجمع أشياخ بني إسرائيل و قل لهم: الرب إله آبائكم اعتلن لي، و إله إبراهيم [و إسحاق -[2]] و يعقوب يقول لكم: قد ذكرتكم و ذكرت ما صنع بكم بمصر، و رأيت إخراجكم من تعبد أهل مصر إلى أرض الكنعانيين - ٥ و من تقدم معهم[3] - إلى الأرض التي تغل السمن و العسل، فإذا قبلوا منك فادخل أنت و أشياخ بني إسرائيل [إلى -[2]] ملك مصر فقولوا له: الرب إله العبرانيين ظهر علينا فننطلق الآن مسيرة ثلاثة أيام في البرية و نذبح الذبائح لله ربنا، و أنا أعلم أن ملك مصر لا يدعكم تخرجون، و لا بيد واحدة شديدة، حتى أبعث بآفتي[4] و أضرب[4] المصريين بجميع ١٠ العجائب [التي -[2]] أحدثها فيهم، و من بعد ذلك يرسلكم[5] [فأجعل -[6]] للشعب في أعين[7] المصريين رأفة و رحمة، فإذا انطلقتم فلا تنطلقوا عطلا صفرا، بل تستعير المرأة منكم من[8] جاراتها و[9] ساكنة بيتها حلي ذهب و فضة و كسوة، و ألبسوها بنيكم و بناتكم، و أخربوا[10] أهل مصر، فأجاب موسى و قال: إنهم لا[11] يصدقونني، و لا يقبلون قولي، لأنهم يقولون: ١٥

(١) في ظ و مد: هكذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيدت الواو في الأصول، و لم تكن في التوراة فحذفناها (٤ - ٤) في ظ و مد: فاضرب (٥) في مد: يبعثكم (٦) زيد من ظ و مد، و موضعه في التوراة: و أعطي (٧) في مد: قلوب (٨) من ظ و مد و التوراة، و في الأصل: سن (٩) في مد فقط: أو. (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: اخرجوا، و في التوراة: فتسلبون (١١) في ظ: لن.

لم يتراى لك الرب ، فقال له الرب : [ما هذه التى فى يدك ؟ فقال : هى عصاى ، فقال : ألقها فى الأرض ، فألقاها فى الأرض ، فصارت ثعبانا ، فهرب منه موسى ، فقال له الرب -[1]] : يا موسى ! مد يدك ، فخذ بذنبها ، [فمد يده -[2]] فأمسكه فتحول[3] فى يده عصى ، فقال : لكى يصدقوا أن الله إله آبائهم[4] قد ترائى لك ، إله إبراهيم إله إسحاق إله يعقوب ، و قال الرب لموسى : اردد يدك فى ردنك[5] ، و فى نسخة : فى كمك ، فأدخلها ثم أخرجها فاذا بيده بيضاء كالثلج ، فقال له : اردد يدك فى حضنك ، و فى نسخة : فى كمك ، فردها ثم أخرجها فاذا هى مثل جسده ، فان هم لم يؤمنوا[6] ولم يسمعوا بالآية الأولى فانهم يؤمنون و يسمعون بالآية الأخرى ، فان لم يؤمنوا[6] بالآيتين ، و لم يسمعوا قولك فخذ ماء من الأرض ، و فى نسخة : النيل ، فاصبه على الأرض ، فانه ينقلب ويصير دما فى اليبس ، فقال موسى للرب : أطلب إليك يا رب ! لست رجلا ناطقا منذ[7] أمس و لا[8] قبله و لا من الوقت الذى كلمت عبدك فيه ، [لأنى -[9]] ألثغ المنطق عسر[10]

---

(١) زيد من ظ و مد و التوراة و فيها بعض المفارقات اللفظية (٢) زيد من ظ ومد و التوراة (٣) من ظ ومد و التوراة معنى ، و فى الأصل : فيتحول . (٤) من ظ و مد والتوراة ، وفى الأصل : آبائكم (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ردتك ، و فى التوراة : عبك ، وهو الردن (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٧) من ظ و مد و التوراة ، و فى الأصل : من (٨) فى ظ : ما ، و فى مد : لما (٩) زيد من ظ و مد ، و موضعه فى التوراة : بل (١٠) من مد و التوراة معنى ، و فى الأصل و ظ : عثر .

اللسان، فقال له الرب: من الذى خلق المنطق / للانسان[1]؟ ومن الذى ٢٣/
خلق الأخرس والأصم والمبصر والمكفوف؟ أليس أنا الرب الذى
أصنع ذلك؟ فانطلق الآن وأنا أكون معك، وراقبا للسانك[2]
وألقنك ما تنطق به، فقال: [3]موسى أطلب إليك يا رب! أرسل فى هذه
الرسالة غيرى، فقال: هذا أخوك هارون اللاوى، قد علمت أنه ناطق ٥
لسن، وهو أيضا سيلقاك، ويشتد [4]فرحه بك[4]، وأخبره بالأمر،
ولقنه كلامى، [5]وأنا[5] أكون راقبا على فيك وفيه وأعلمكما ما تصنعان،
وهو يكلم الشعب عنك[6]، فيكون لك مترجما، وأنت تكون له إلها،
وفى نسخة: أستاذا ومدبرا، وخذ فى يدك هذه العصا لتعمل بها الآيات،
فرجع موسى منطلقا إلى ثيرو ختنه وقال له: إنى راجع إلى إخوتى ١٠
بمصر، وناظر هل هم أحياء[7] بعد؟ فقال: ثيرو لموسى: انطلق راشدا
سالما، وقال الرب لموسى فى مدين: انطلق راجعا إلى مصر لأن الرجال
الذين كانوا معك يطلبون نفسك قد هلكوا جميعا - إلى آخر ما مضى
فى الأعراف، وفى هذا الفصل ما[8] لا يسوغ إطلاقه فى شرعنا على مخلوق،
[وهو -[9]] الإله، وهو فى لغة العبرانيين بمعنى العالم والحاكم، وفيه ١٥
أيضا أن فرعون مات قبل رجوع موسى فان [كان -[10]] المراد الذى

(١) من التوراة، وفى الأصل: للسان، وفى ظ ومد: للناس (٢) فى ظ: لشانك (٣) زيد فى ظ: يا (٤ - ٤) فى ظ ومد: فرحتك به (٥ - ٥) من ظ ومد والتوراة، وفى الأصل: فانا (٦) فى ظ: معك (٧) سقط من مد. (٨) من ظ ومد، وفى الأصل: مما (٩) زيد من مد (١٠) زيد من ظ ومد.

ربي موسى عليه الصلاة و السلام فى بيته فهو مما[1] بدلوه .

و لما كان التقدير : فأتاهم كما أمر[2] الله ، و عاضده أخوه كما أخبر الله ، و دعواهم[3] إلى الله تعالى ، و أظهرا ما أمرا به من الآيات ، بنى عليه قوله مبينا بالفاء سرعة امتثاله : ﴿ فلما جآءهم ﴾ أى فرعون و قومه .

٥ و لما كانت رسالة هارون عليه الصلاة و السلام إنما هى تأييد لموسى عليه الصلاة و السلام ، أشار إلى ذلك بالتصريح باسم الجانى ، فقال : ﴿ موسى بآيٰتنا ﴾ أى التى أمرناه بها ، الدالة على جميع الآيات للتساوى فى خرق العادة حال كونها ﴿ بينٰت ﴾ أى فى غاية الوضوح ﴿ قالوا ﴾ أى فرعون و جنوده ﴿ ما هذآ ﴾ [أى -[4]] الذى أظهره

١٠ من الآيات ﴿ الا سحر مفترى ﴾ أى هو خيال لا حقيقة له لجميع أنواع السحر ، متعمدا[5] التخييل به ، لا أنه معجزة من عند الله ﴿ و ما سمعنا بهذا ﴾ أى الذى تقوله من الرسالة عن الله ﴿ فى ءابآئنا ﴾ و أشاروا إلى البدعة التى قد[6] أضلت أكثر الخلق ، و هى تحكيم عوائد التقليد ، و لا سيما عند تقادمها على القواطع [فى قوله -[4]] : ﴿ الاولين ٥ ﴾ و قد كذبوا

١٥ و افتروا[7] لقد ، سمعوا بذلك فى[8] أيام يوسف عليه السلام "و ما بالعهد من قدم" فقد قال لهم الذى آمن "يٰقوم انى اخاف عليكم مثل يوم

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : امره .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : دعوهم (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد ، و فى الأصل : متعمد (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨) فى ظ و مد : على .

الاحزاب - إلى قوله : و لقد جاءكم يوسف من قبله بالبينت[1]» .

و لما أخبر تعالى[2] بقولهم عطف عليه الإخبار بقول موسى عليه الصلاة و السلام ليوازن السامع بين الكلامين ، و يتبصر بعقله ما الفاسد منهما « فبضدها تتبين الأشياء » هذا على قراءة الجماعة[3] بالواو ، و استأنف جوابا لمن كأنه سأل عن جوابه على قراءة ابن كثير بحذفها ، فان الموضع موضع ٥ بحث عما أجابهم به عند تسميتهم الآيات الباهرات[4] سحرا ، استعظاما لذلك فقال[5] : ﴿ و قال موسى ﴾ أى لما كذبوه و هم الكاذبون ، مشيرا لذى البصر إلى طريق يميزون به الأمرين فى سياق مهدد لهم : ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلىّ / بما ترون من تصديق فى كل ما ادعيته[6] باظهار ما ٢٤ / لا تقدرون عليه على قوتكم من الخوارق ، و منع هذا الظالم العاتى المستكبر ١٠ من الوصول إلىّ بسوء ﴿ اعلم بمن جآء ﴾ بالضلال ظلما و عدوانا ، فيكون مخذولا لكونه ساحرا فحرقا مفتريا على الله ، و يكون له سوء الدار ، و أعلم بحاله[7] ، و لكنه قال « بمن جاء » ﴿ بالهدى ﴾ أى بالذى[8] أذن الله فيه ، و هو حق فى نفسه ﴿ من عنده ﴾ ، تصويرا لحاله ، و تشويقا إلى اتباعه ﴿ و من تكون له ﴾ لكونه منصورا مؤيدا ﴿ عاقبة الدار[9] ﴾ أى ١٥ الراحة و السكن و الاستقرار مع الأمن و الطمأنينة و السرور و الظفر

(١) راجع سورة ٤٠ آية ٣٤ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يعنى (٣) راجع نثر المرجان ٥/١٧٨ (٤) فى ظ : الباهرة (٥) سقط من ظ و مد (٦) فى ظ و مد : ادعيه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بحالى (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذى .

بجميع المطالب فى الحالة التى تكون آخر الحالات منى و منكم، فيعلم أنه أتى بما يرضى الله و هى[1] و إن كانت حقيقتها ما يتعقب الشىء من خير أو شر، لكنها لا يراد بها إلا ما يقصد للعاقل حتى تكون له، و أما عاقبة السوء فهى عليه لا له؛ ثم علل ذلك بما أجرى[2] الله به عادته؛ فقال معلما

٥ بأن المخذول هو الكاذب، إشارة إلى أنه الغالب لكون الله معه، مؤكدا لما استقر فى الأنفس من أن القوى لا يغلبه الضعيف ﴿ انه لا يفلح ﴾ أى يظفر و يفوز ﴿ الظلمون ﴾ أى الذين يمشون كما يمشى من هو فى الظلام بغير دليل، فهم لا يضعون قدما فى موضع يثقون بأنه صالح للمشى فيه[3]، لا تبعة فيه " فستنظرون و لتعلمن نباه بعد حين "

١٠ ﴿ و قال فرعون ﴾ جوابا لهذا الترغيب و الترهيب بعد الإعذار، ببيان الآيات الكبار، قانعا فى[4] مدافعة ما رأى أنه اجتذب قومه الأغمار الأغبياء عن الجهل من ظهور تلك الآيات البينات بأن يوقفهم عن الإيمان إلى وقت ما، و كذا كانت عادته كلما أظهر موسى عليه الصلاة و السلام برهانا، لأن قومه فى غاية الغباوة و العراقة فى الميل إلى الباطل

١٥ و النفرة من[5] الحق [6] و ترجيح المظنة[6] على المئنة: ﴿ يأيها الملأ ﴾ أى الأشراف، معظما لهم استجلابا لقلوبهم ﴿ ما علمت لكم ﴾ و أعرق فى النفى فقال: ﴿ من اله غيرى ﴾ نفى علمه بذلك إظهارا للنصفة، و أنه ما قصد غشهم، و ذلك منه واضح [فى -[7]] أنه قصد تشكيكهم،

(١) فى ظ : هو (٢) فى ظ : جرى (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى ظ : من .
(٥) فى ظ : عن (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) زيد من ظ و مد .

إشارة [١]منه إلى أن[١] انتفاء علمه بوجوده ما هو إلا لانتفاء وجوده بعد علمه [٢]بأن الحق مع موسى عليه الصلاة و السلام[٢] لأنه أنهى ما قدر عليه بعد رؤيتهم لباهر الآيات، و ظاهر الدلالات؛ ثم زاد فى إيقافهم عن المتابعة بأن[٣] سبب عن جهله قوله لوزيره معلما له صنعة الآجر لأنه أول من عمله[٤]، مع أن هذه العبارة أشبه بهمم[٥] الجبابرة من أن يقول: اصنع لى آجرا: ﴿فاوقد لى﴾ أضاف الإيقاد إليه إعلاما بأنه لا بد منه ﴿يٰهامٰن﴾ [و -[٦]] هو وزيره ﴿على الطين﴾ أى المتخذ لبنا ليصير آجرا[٧]؛ ثم سبب عن الإيقاد قوله: ﴿فاجعل لى﴾ أى منه ﴿صرحا﴾ أى بناء عاليا يتاخم السماء، قال الطبرى: وكل بناء مسطح فهو صرح كالقصر، و قال الزجاج: كل بناء [متسع -[٦]] مرتفع ﴿لعلىّ اطلع﴾ أى أتكلف الطلوع ﴿الىٰ اله موسىٰ﴾ [أى -[٨]] الذى يدعو إليه، فانه ليس فى الأرض أحد بهذا الوصف الذى ذكره فأنا[٩] أطلبه فى السماء موهما[١٠] لهم أنه مما يمكن الوصو إليه على[١١] تقدير صحة الدعوى بأنه موجود، و هو قاطع بخلاف ذلك، و لكنه يقصد المدافعة / من وقت إلى وقت، لعلمه أن العادة جرت [١٢]بأن أكثر[١٢] ٢٥ / ١٥

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: منهم الى انه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) فى ظ: بانه (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: علمه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بهم (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد. و فى الأصل: آجر (٨) زيد من مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فانى. (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: توهما (١١) فى ظ: حتى (١٢ - ١٢) فى مد: ان.

الناس يظنون بالملوك القدرة على كل ما يقولونه ؛ ثم زادهم شكا بقوله، مؤكدا لأجل دفع[1] ما استقر فى الأنفس من صدق موسى عليه الصلاة و السلام: ﴿ و انى لاظنه ﴾ أى موسى ﴿ من الكٰذبين ٥ ﴾ أى دأبه[2] ذلك، و قد كذب هو و لبس لعنة الله و وصف أصدق أهل ذلك الزمان بصفة نفسه العريقة فى العدوان، و إن كان هذا الكلام منه على حقيقته فلا شىء أثبت شهادة على إفراط جهله و غباوته منه حيث ظن أنه يصل إلى السماء ؛ ثم على تقدير الوصول يقدر على الإرتقاء على ظهرها، [ثم -[3]] على تقدير ذلك يقدر على منازعة بانيها و سامكها[4] [5] و معليها[5] .

و لما قال هذا مريدا به - كما تقدم - إيقاف قومه عن إتباع الحق، أتبعه تعالى الإشارة إلى أنهم فعلوا ما أراد، و أن [كان -[6]] ذلك هو الكبر عن الحق فقال تعالى: ﴿ و استكبر ﴾ أى و أوجد الكبر بغاية الرغبة فيه ﴿ هو ﴾ بقوله هذا الذى صدهم[7] به[8] عن السبيل ﴿ و جنوده ﴾ بانصدادهم لشدة رغبتهم فى الكبر على الحق و الإتباع للباطل ﴿ فى الارض ﴾ أى أرض مصر، و لعله عرفها[9] إشارة إلى أنه لو قدر على ذلك فى غيرها فعل[10] ﴿ بغير الحق ﴾ أى استكبارا مصحوبا بغير هذه الحقيقة، و التعبير

(١) فى ظ : رفع (٢) فى ظ و مد : رأى به (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : ساملكها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد. (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : صد (٨) سقط من ظ و مد (٩) فى ظ : شرفها (١٠) من ظ و مد : و فى الأصل : ففعل.

بالتعريف يدل على أن[1] التعظيم بنوع من الحق ليس كبرا و إن كانت صورته كذلك، و أما تكبره سبحانه فهو بالحق كله، و عطف على ذلك ما تفرع عنه و عن الغباوة أيضا و لذا لم يعطفه بالفاء، فقال: ﴿و ظنوا﴾ أى فرعون و قومه ظنا بنوا عليه اعتقادهم فى أصل الدين الذى لا يكون إلا بقاطع ﴿انهم الينا﴾ أى إلى حكمنا خاصة الذى يظهر عنده انقطاع ٥ الأسباب ﴿لا يرجعون ٥﴾ أى لا فى الدنيا و لا فى الآخرة، فلذلك اجترؤا على ما ارتكبوه من الفساد.

و لما تسبب عن ذلك إهلاكهم قال: ﴿فاخذنه﴾ أى بعظمتنا أخذ قهر و نقمة ﴿و جنوده[2]﴾ أى كلهم، و ذلك علينا هين، و أشار إلى احتقارهم بقوله: ﴿فنبذنهم﴾ أى على صغرهم و عظمتنا ﴿فى اليم ج﴾ ١٠ فكانوا على كثرتهم و قوتهم كحصيات صغار قذفها الرامى الشديد الذراع من يده فى البحر، فغابوا فى الحال، و ما آبوا و لا أحد منهم إلى [3]أهل و لامال[3]. و لما سببت[4] هذه الآية[5] من العلوم، ما لايحيط به الفهوم[6]، قال: ﴿فانظر﴾ أى أيها المتعرف[7] للآيات الناظر فيها نظر الاعتبار؛ و زاد فى تعظيم ذلك بالتنبيه على أنه مما يحق له أن يسأل عنه فقال: ١٥ ﴿كيف كان﴾ أى كونا هو الكون ﴿عاقبة﴾ أى آخر أمر ﴿الظلمين ٥﴾ و إن زاد ظلمهم، و أعيى أمرهم، ذهبوا فى طرفة عين، كأن لم يكونوا، و غابوا عن العيون كأنهم قط لم يبينوا، و سكتوا بعد ذلك الأمر و النهى

(١) فى ظ و مد: أنه (٢) فى ظ: جنودهم (٣ - ٣) فى ظ: اهل و لامال.
(٤) فى ظ: سبب (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الآيات (٦) فى ظ و مد: الفهم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: المعترف.

فصاروا بحيث لم يبينوا ، فليحذر هؤلاء الذين ظلموا إن استمروا على ظلمهم أن ينقطعوا و يبينوا ، و هذا إشارة عظيمة [١] بأعظم بشارة بأن كل ظالم يكون عاقبته هكذا [٢] إن صابره المظلوم المحق ، و رابطه حتى يحكم الله و هو خير الحاكمين .

٥ و لما كان ومن سن سنة حسنة كان له أجرها و أجر من عمل [٣] بها إلى يوم القيامة ، و من سن سنة سيئة كان عليه و زرها و وزر من عمل [٣] بها إلى يوم القيامة ، و كانوا أول / من أصر و أطبق فى [ذلك -٤] الزمان على تكذيب الآيات ، و إخفاء الدلالات النيرات ، على تواليها و كثرتها ، و طول زمانها و عظمتها [٥] و كانت منابذة العقل و اتباع الضلال ١٠ فى غاية الاستبعاد ، لاسيما أن كانت ضامنة للهلاك فى الدنيا و العذاب فى الآخرة ، قال تعالى فى مظهر العظمة : ﴿ و جعلنهم ﴾ [أى فى الدنيا -٤] ﴿ ائمة ﴾ أى متبوعين فى رد ما لايرده عاقل من مثل هذه الآيات ، أى جعلنا أمرهم شهيرا حتى لايكاد أحد يجهله ، فكل [٦] من فعل مثل أفعالهم من رد الحق و التجبر [٧] على الخلق ، فكأنه قد اختار الاقتداء [بهم -٤] ١٥ و إن لم يكن قاصدا ذلك ، فأطلق ذلك عليه رفعا له عن النسبة إلى أنه يعمل ما يلزمه الإتسام [٨] به و هو عاقل عنه كما أنه لاتقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أول من سن القتل ،

/ ٢٦

(١) سقط من ظ ومد (٢) زيد فى ظ : صابره (٣) فى ظ ومد : يعمل (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظمها (٦) من مد ، و فى الأصل وظ : و كل (٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : الجبر (٨) من ظ ومد ، و فى الأصل : الاقسام .

و أحق الناس باتباعهم فى باطن اعتقادهم و ظاهر اصطناعهم، و خيبة آمالهم و أطماعهم أهل الإلحاد بمذهب الاتحاد - أهلك الله أنصارهم، و عجل دمارهم، وكشف هذا المعنى بقوله: ﴿ يدعون ﴾ أى يوجدون الدعاء لمن اغتر بحالهم، فضل بضلالهم ﴿الى النار ج ﴾ أى [و جعلنا لهم أعوانا ينصرونهم -[1]] عكس ما أردنا[2] لبنى إسرائيل - كما سلف أول السورة - وجعلناهم موروثين.

و لما كان الغالب من حال الأئمة النصرة، و كان قد أخبر عن خذلانهم فى الدنيا، قال: ﴿ و يوم القيمة ﴾ أى الذى هو يوم التغابن ﴿ لا ينصرون ه ﴾ أى لا يكون لهم نوع نصرة أصلا كما كانوا يوم هلاكهم[3] فى الدنيا [سواء، و لاهم أئمة و لا لهم دعوة -[4]]، [4]يخلدون فى العذاب، و يكون لهم سوء المآب[4].

و لما أخبر عن هذا الحال، [5]أخبر عن[5] ثمرته؛ فقال فى مظهر العظمة، لأن السياق لبيان علو فرعون و آله، و أنهم مع ذلك طوع المشيئة[6] ﴿ و اتبعنهم فى هذه ﴾ و لما كان المراد الإطناب فى[7] بيان ملكهم، فسر اسم الإشارة فقال: ﴿ الدنيا ﴾ و لم يقل: الحياة، لأن السياق لتحقير أمرهم و دناءة شأنهم ﴿لعنة ج ﴾ أى طردا و بعدا عن جنابنا [و دفعا لهم بذلك -[8]] و دعاء عليهم بذلك من كل من سمع خبرهم بلسانه

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد: اوردنا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اهلاكهم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥ - ٥) فى ظ: من (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: للسبية - كذا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٨) زيد من مد.

إن خالفهم، أو بفعله الذى يكون عليهم مثل وزره إن والفهم ﴿ و يوم القيٰمة هم[١] ﴾ أى خاصة[٢]، و من شا كلهم ﴿ من المقبوحين[٣] ﴾ أى المبعدين أيضا المخزيين[٤] مع قبح الوجوه و الأشكال، و الشناعة فى الأقوال و الأفعال و الأحوال، من القبح الذى هو ضد الحسن، و من قولهم: قبحت الشيء - إذا كسرته، و قبح الله العدو: أبعده عن كل خير، فياليت شعرى أى صراحة بعد هذا [فى -[٥]] أن فرعون عدو الله[٥]، فى الآخرة كما كان عدوه[٦] فى الدنيا، فلعنة الله على من يقول: إنه مات مؤمنا، و إنه لا صريح فى القرآن أنه من أهل النار، و على [كل -[٧]] من يشك فى كفره بعد ما ارتكبه من جلى أمره.

و لما وعد سبحانه بامامة[٨] بنى إسراءيل و قص القصص[٩] حتى ختم بامامة آل[١٠] فرعون فى الدعاء إلى النار إعلاما[١١] بأن ما كانوا عليه تجب مجانبته و منابذته و مباعدته، و كان من المعلوم أنه لا بد لكل إمامة من دعامة، تشوفت النفس إلى أساس إمامة بنى إسراءيل التى يجب العكوف فى ذلك الزمان عليها، و التمسك بها، و المبادرة إليها، فأخبر سبحانه عن ذلك مقسما عليه [مع الافتتاح -[٤]] بحرف التوقع، لأن العرب و إن كانوا مصدقين[١٢] لما وقع من / المنة على بنى إسراءيل بانقاذهم من يد فرعون ٢٧ /

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ ومد: خاصهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: للخزيين (٤) زيد من ظ ومد (٥) فى ظ: لله (٦) من مد، وفى الأصل وظ: عدوا (٧) زيد من ظ (٨) فى ظ: باقامة (٩) من ظ ومد، و فى الأصل: القص. (١٠) سقط من مد (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: اعلا (١٢) فى ظ: متصدقين.

و تمكينهم بعده. و إنزال الكتاب عليهم، فحالهم[1] بانكار التمكين لأهل الإسلام و التكذيب بكتابهم حال المكذب بأمر بني إسرائيل، لأنه لافرق بين نبي و نبي، و كتاب [2]و كتاب[2]. و ناس و ناس، لأن رب الكل واحد، فقال: ﴿ و لقد آتينا ﴾ أي بما لنا من [3]الجلال و الجمال[3] و المجد و الكمال ﴿ موسى الكتب ﴾ أي التوراة الجامعة للهدى و الخير ٥ في الدارين؛ قال أبو حيان[4]: و هو أول كتاب أنزلت فيه الفرائض و الأحكام.

و لما كان حكم التوراة لا يستغرق الزمان الآتي، أدخل الجار فقال: ﴿ من بعد ما ﴾ إشارة إلى أن إيتاءها إنما هو في مدة من الزمان، ثم ينسخها سبحانه بما يشاء من أمره ﴿ اهلكنا ﴾ أي بعظمتنا ﴿ القرون الاولى ﴾ ١٠ أي من قوم نوح إلى قوم فرعون، و وقتها[5] بالهلاك إشارة إلى أنه لا يعم أمة من الأمم بالهلاك بعد إنزالها تشريفا لها[6] و لمن أنزلت عليه و أوصلت إليه؛ [ثم -[7]] ذكر حالها بقوله: ﴿ بصآئر ﴾ جمع بصيرة، و هي[8] نور القلب، مصابيح و أنوارا[9] ﴿ للناس ﴾ أي[10] يبصرون بها ما يعقل من أمر معاشهم و معادهم، و أولاهم و أخراهم، كما أن[11] نور العين ١٥

(١) في ظ: فحسابهم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣ - ٣) من مد. و في الأصل و ظ: الجمال و الجلال (٤) راجع البحر المحيط ٧/١٢٠ (٥) من ظ و مد، و في الأصل: وصفها (٦) في ظ: لهما (٧) زيد من ظ و مد (٨) في ظ و مد: هو (٩) في ظ و مد: انوار (١٠) سقط من ظ و مد (١١) في ظ و مد: كان.

يبصر به ما يحسن من أمور الدنيا .

و لما كان المستبصر قد لا يهتدى لمانع قال : ﴿و هدى﴾ [أى -[1]] للعامل بها إلى كل خير . و لما كان المهتدى ربما حمل على من توصل إلى غرضه ، و كان[2] ضارا ، قال : ﴿ و رحمة ﴾ أى نعمة هينة[3] شريفة ، لأنها قائدة إليها .

و لما ذكر حالها ، ذكر[4] حالهم بعد إنزالها فقال[5] : ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أى ليكون حالهم حال من يرجى تذكره ، و هذا إشارة إلى أنه ليس فى الشرائع ما يخرج عن العقل [6]بل متى[6] تأمله الإنسان تذكر به من عقله ما يرشد إلى مثله .

و لما بين سبحانه فى هذه السورة من غرائب أمر موسى عليه الصلاة و السلام و خفى أحواله ما بين ، [7]و كانت[7] [هذه -[1]] الأخبار لا يقدر أهل الكتاب على إنكارها ، نوعا من الإنكار ، و كان من المشهور أى اشتهار ، أن النبى صلى الله عليه و سلم لم يعرفها و لا سواها من غير الواحد القهار . أشار إلى ذلك سبحانه بقوله حالا من ضمير "اتينا" ﴿ و ما كنت بجانب الغربى ﴾ أى الوادى من الطور الذى رأى موسى عليه السلام فيه النار ، [و هو مما يلى البحر منه من جهة الغرب على يمين المتوجه إلى ناحية مكة المشرفة من ناحية مصر -[1]] ، فناداه منه العزيز[8]

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : عظيمة (٤) فى ظ و مد : بعد (٥) فى ظ و مد : قال (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : شىء حتى . (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فكانت (٨) تكرر فى الأصل فقط .

الجبار ، و هو ذو طوى ﴿اذ﴾ أى حين ﴿قضينآ﴾ بكلامنا بما حوى[1] من الجلال ؛ و زاد[2] العظمة فى رفيع[3] درجاته بالإشارة بحرف الغاية فقال : ﴿الى موسى الامر﴾ أى أمر إرساله إلى فرعون و قومه ، و ما نريد أن نفعل من ذلك فى أوله و أثنائه [و آخره ـ[4]] مجملا ، فكان كل ما أخبرنا به مطابقا تفصيله لإجماله ، فأنت[5] بحيث تسمع ذلك الذى قضيناه إليه من الجانب الذى أنت فيه ﴿و ما كنت﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿من الشٰهدين﴾ لتفاصيل[6] ذلك الأمر الذى أجملناه لموسى فى ذلك المكان فى أوقاته مع من شهده منه من أهل ذلك العصر من السبعين الذين[7] اختارهم أو غيرهم ممن تبعه أو صد عنه حتى تخبر[8] به كله على هذا الوجه الذى أتيناك به فى هذه الأساليب المعجزة ، و لا شك أن أمر معرفتك كذلك[9] منحصر فى شهودك إياه فى وقته أو تعلمك له من الخالق ، أو[10] [11]من الخلائق الذين شاهدوه/ ، أو أخبرهم به من شاهده[12] ، و انتفاء تعلمه من أحد من الخلائق فى الشهرة بمنزلة انتفاء شهوده له فى وقته ، فلم يبق إلا تلقيه له من الخالق ، و هو الحق الذى لا شبهة[13] فيه عند منصف[14] .

/٢٨

و لما كان التقدير : و ما كنت من أهل ذلك الزمان الحاضرين

(١) فى ظ و مد : جرى (٢) فى ظ و مد : مزيد (٣) فى مد : رفعة (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : و انت (٦) فى ظ : كتفاصيل . (٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : الذى (٨) من مد ، وفى الأصل : يخبر ، و فى ظ : تجبر (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذلك (١٠) فى ظ « و » . (١١) العبارة من هنا إلى « احد من الخلائق » ساقطة من مد (١٢) فى ظ : شاهدهم (١٣) فى ظ : شر ، و فى مد : مرية (١٤) فى ظ : منتصف .

لذلك الأمر ، و امتد عمرك إلى هذ الزمان حتى أخبرت بما كنت حاضره ، استدرك ضد ذلك فقال : ﴿ و لكنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ انشانا ﴾ أى[1] بعد ما أهلكنا أهل ذلك الزمان الذين علموا هذه الأمور بالمشاهدة و الإخبار ، كلهم ﴿ قرونا ﴾ أى ما أخرنا أحـــدا[2] من أهل ذلك الزمان ، و لكنا أهلكناهم كلهم و أنشانا بعدهم أجيالا كثيرة ﴿ فتطاول ﴾ بمروره[3] و علوه[4] ﴿ عليهم العمر ﴾ جدا بتدرج من الزمان شيئا فشيئا فنسيت تلك الأخبار ، و حرفت ما بقى منها الرهبان و الأحبار ، و لا سيما فى زمان الفترة ، فوجب فى حكمتنا إرسالك فأرسلناك[5] لتقوم المحجة[5] ، و تقوم بك الحجة ، فعلم أن إخبارك بهذا و الحال أنك لم تشاهده و لا تعلمته من مخلوق[6] إنما هو عنا و بوحينا .

و لما نفى العلم [7]بذلك بطريق الشهود[7] ، نفى سبب العلم بذلك فقال : ﴿ و ما كنت ثاويا ﴾ أى مقيما إقامة طويلة مع الملازمة بمدين ﴿ [8]فى اهل مدين[8] ﴾ أى قوم شعيب عليه السلام ﴿ تتلوا ﴾ أى تقرأ على سبيل القص للآثار و الأخبار الحق ﴿ عليهم ايتنا ﴾ العظيمة ، لتكون ممن [9]يهتم بأمور[9] الوحى[10] و تتعرف دقيق أخباره ، فيكون خبرهم و خبر موسى عليه الصلاة و السلام معهم و خبره بعد فراقه لهم

(١) سقط من ظ (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمرده .
(٤) فى ظ : خلوه (٥-٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لتقيم الحجة - كذا .
(٦) زيدت الواو فى ظ و مد (٧-٧) فى ظ و مد : بذلك الطريق المشهود .
(٨-٨) زدناه من ظ و مد و القرآن الكريم و ليس فى الأصل (٩-٩) فى ظ و مد : يتهم بأمر (١٠) زيد فى ظ : حينئذ .

من شأنك، لتوفر داعيتك حينئذ على تعرفه ﴿ و لكنا كنا ﴾ أى كونا [١]أزليا أبديا[١] نسبته[٢] إلى جميع الأزمنة[٣] بما لنا من العظمة، على حد سواء ﴿ مرسلين ٥ ﴾ [٤]أى لنا صفة القدرة على الإرسال، فأرسلنا إلى كل نبى فى وقته ثم أرسلنا إليك[٤] فى هذا الزمان بأخبارهم و أخبار غيرهم لتنشرها فى الناس، واضحة البيان سالمة من الإلباس، لأنا كنا ٥ شاهدين لذلك كله، لم يغب عنا شىء منه و لا كان إلا[٥] بأمرنا.

و لما نفى السبب المبدئى للعلم بذلك الإجمال ثم الفائى للعلم بتفصيل تلك الوقائع و الأعمال، نفى السبب الفائى للعلم بالأحكام و نصب الشريعة بما فيها من القصص و المواعظ و الحلال و الحرام و الآصار و الأغلال بقوله[٦]: ﴿ و ما كنت بجانب الطور اذ ﴾ أى حين ﴿ نادينا ﴾ أى[٧] أوقعنا ١٠ النداء لموسى عليه الصلاة و السلام فأعطيناه التوراة و أخبرناه بما لا يمكن الإطلاع عليه إلا من قبلنا أو قبله، و من المشهور أنك لم تطلع على شىء من ذلك من قبله، لأنك ما خالطت أحدا ممن حمل تلك الأخبار عن موسى عليه الصلاة و السلام، و لا أحد أحملها عمن حملها عنه، و لكن ذلك كان إليك منا، و هو معنى قوله: ﴿ و لكن ﴾ أى أنزلنا ما أردنا ١٥ منه و من غيره عليك و أوحيناه إليك و أرسلناك[٨] به إلى الخلائق ﴿ رحمة من ربك ﴾ لك خصوصا و للخلق عموما ﴿ لتنذر ﴾ أى تحذر

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: ازليا - كذا (٢) أى نسبة الكون، و فى الأصل و ظ: نسبة (٣) فى ظ و مد: الازمان (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) زيد فى ظ و مد: الامر (٦) فى ظ و مد: فقال (٧) سقط من ظ و مد (٨) فى ظ: ارسلنا.

تحذيرا كبيرا ﴿قوما﴾ أى أهل قوة و نجدة، ليس لهم عائق من[1] أعمال الخير العظيمة، لا[2] الإعراض عنك، و هم العرب[3]، و من فى ذلك الزمان من الخلق ﴿ما أتاهم﴾ و عم[4] المنفى بزيادة الجار فى قوله: ﴿من نذير﴾ أى منهم، و هم مقصودون بارساله إليهم و إلا فقد أتتهم رسل موسى عليه السلام، ثم رسل عيسى عليه الصلاة و السلام، و إن صح[5] أمر خالد بن سنان / العبسى فيكون نبيا غير رسول، أو يكون رسولا إلى قومه بنى عبس خاصة، فدعاؤه لغيرهم إن وقع فمن باب الأمر بالمعروف عموما، لا الإرسال خصوصا، فيكون التقدير: نذير منهم عموما، و زيادة الجار فى قوله: ﴿من قبلك﴾ تدل على الزمن القريب، و هو زمن الفترة، و أما ما قبل ذلك فقد كانوا فيه على دين إبراهيم عليه الصلاة و السلام حتى غيره عمرو[6] بن لحى [7]فقد أنذرهم فى تلك الأزمان إبراهيم عليه الصلاة و السلام ثم إسماعيل عليه الصلاة و السلام ثم من بعدهم من صالحى ذريتهم إلى زمان عمرو بن لحى[7]، فهم لأجل عدم النذير عمى[8]، عن الهدى، سالكون[9] سبيل الردى، [10]و قال[10]: ﴿لعلهم يتذكرون﴾ لمثل[11] ما تقدم من أنهم إذا قبلوا ما جئت به و تدبروه أذكرهم[12] إذكارا ظاهرا - بما أشار[13] إليه

/ ٢٩

(١) فى ظ و مد: عن (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الا (٣) فى ظ: الغريب - خطأ (٤) فى ظ و مد: عمم (٥) سقط من ظ و مد (٦) راجع سيرة ابن هشام ١ / ٢٧ (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عموا (٩) فى ظ و مد: سالكين (١٠ - ١٠) فى ظ و مد: فقال (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: مثل (١٢) من مد، و فى الأصل و ظ: اذكروهم (١٣) فى ظ و مد: ارشد.

الإظهار - ما فى عقولهم من شواهده و إن كانت لاتستقل[1] بدونه - و الله الموفق .

و لما كان انتفاء إنذارهم قبله عليه الصلاة و السلام نافيا للحجة فى عذابهم بما أوجبه الله - و له الحجة البالغة لايسئل عما يفعل - على نفسه الشريفة ، فضلا منه و رحمة ، ذكر أن إرساله مما لابد منه لذلك فقال : ٥ ﴿ و لولآ ﴾ أى و لولا[2] هذا الذى ذكرناه ما أرسلناك لتنذرهم ، و لكنه حذف هذا الجواب إجلالا له صلى الله عليه و سلم عن المواجهة به[3] ، و ذلك الذى ختم الإرسال هو ﴿ان تصيبهم﴾ أى[4] فى وقت من الأوقات ﴿ مصيبة ﴾ أى عظيمة ﴿بما قدمت ايديهم﴾ أى من المعاصى التى قضينا بأنها مما لايعفى عنه[5] ﴿ فتقولوا ربنا ﴾ أى أيها[3] المحسن إلينا[4] ﴿لولآ﴾ ١٠ أى هل لاو لم لا ﴿ارسلت الينا﴾ أى[3] على وجه التشريف لنا ، لنكون على علم بأنا ممن يعتنى[6] الملك الأعلى به ﴿رسولا﴾ و أجاب التخصيص الذى شبهوه بالأمر لكون كل منهما باعثا على الفعل بقوله : ﴿فنتبع﴾ أى فيتسبب[7] عن إرسال رسولك[8] أن نتبع ﴿ ايٰتك و نكون ﴾ أى كونا هو فى غاية الرسوخ ﴿ من المؤمنين ﴾ أى[3] المصدقين بك فى كل ١٥ ما أتى به عنك رسولك صلى الله عليه و سلم تصديقا بليغا ، فاذا قالوا

(١) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ ومد ، وفى الأصل : لم لا (٣) سقط من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) فى مد : عنها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعثنى (٧) فى ظ : فتسبب (٨) فى ظ و مد : ارسالك .

ذلك على تقدير عدم الإرسال قامت لهم حجة فى مجارى عاداتكم و إن كانت لنا الحجة البالغة .

و لما كان التقدير : و لكنا أرسلناك بالحق لقطع حجتهم هذه ، بنى عليه قوله : ﴿ فلما جآءهم ﴾ أى أهل مكة ﴿ الحق ﴾ [1] الذى هو أعم من الكتاب و السنة و ما يقاس عليهما ، و هو فى نفسه جدير بأن يقبل لكونه فى الذروة العليا من [2] الثبات ، فكيف و هو ﴿ من عندنا ﴾ على ما لنا من العظمة ، و على لسانك و أنت أعظم الخلق ! ﴿ قالوا ﴾ أى أهل الدعوة من العرب [3] و غيرهم [3] تعنتا كفرا به : ﴿ لولآ اوتى ﴾ [3] من الآيات [3] ، [أى هذا الآتى بما يزعم أنه الحق - [4]] ، و بنى للمفعول لأن القصد مطلق الإيتاء لأنه الذى يترتب [5] عليه مقصود الرسالة ، مع أن المؤتى معلوم ﴿ مثل مآ اوتى موسىٰ [1] ﴾ أى من اليد و العصى و غيرهما من الآيات التى [6] لا يقدر على إتيانها إلا القادر على كل شىء .

و لما كان الإتيان بمثل ما أتى بـه موسى عليه الصلاة و السلام لا يكون موجبا للايمان على زعمهم [إلا بأن - [4]] يكون أعظم مما [7] أتى به محمد صلى الله عليه و سلم ، أو [8] يكون الناس لم يتوقفوا فى الإيمان به ، و كان كل من الأمرين منتفيا [9] بأن أهل زمانه كفروا به ، و هو [10] لما سألوا

(١) زيد فى ظ و مد : أى (٢) فى ظ و مد : فى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : ترتب (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٧) فى ظ : بما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : متيقنا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : هولاء .

اليهود عن محمد صلى الله عليه و سلم و أمروهم أن يمتحنوه[١] بالروح و قصتى أهل الكهف و ذى القرنين، / و جاء فى كل من ذلك بما[٢] لزمهم / ٣٠ تصديقه، فامتنعوا و أصروا على كفرهم، و كان فى ذلك كفرهم به و بموسى[٣] عليهما الصلاة و السلام، فعلم أن التقدير: ألم يكفروا بما أتاهم به من الآيات الباهرة مع أنه مثل [ما -[٤]] أتى به موسى عليهما الصلاة و السلام، بل أعظم منه ﴿ او لم يكفروا ﴾ أى العرب و من بلغتهم[٥] الدعوة من بنى إسراءيل أو من شاء الله منهم أو أبناء جنسهم و من كان مثلهم فى البشرية و العقل فى زمن موسى عليه السلام ﴿ بمآ اوتى موسىٰ ﴾.

و لما كان كل من إتيانه وكفرهم لم يستغرق زمان القبل، أثبت الجار فقال: ﴿ من قبل ج ﴾ أى [من -[٤]] قبل مجىء الحق على لسان محمد صلى الله عليه و سلم إليهم. و لما كان كأنه قيل: ما كان كفرهم به؟ قيل: ﴿ قالوا ﴾ أى فرعون و قومه و من كفر من بنى أسراءيل كقارون و من تبعه. و لما كان قد تقدم هنا قريبا أن المظاهر له أخوه، فكان المراد واضحا، أضمرهما فقال: ﴿ سحرٰن ﴾ أى هو و أخوه ﴿ تظٰهرا وقف قف ﴾ أى أعان كل منهما صاحبه على سحره حتى صار سحرهما معجزا فغلبا[٦] جميع السحرة، و تظاهر الساحرين من تظاهر السحرين[٧] - على قراءة الكوفيين[٨]، و يجوز - و هو أقرب - أن[٩] يكون الضمير لمحمد و موسى[١٠]

---

(١) فى ظ: يمتحنوهم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ما (٣) فى ظ: موسى (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ و مد: بلغته (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فعلنا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: المسحرين (٨) راجع نثر المرجان ٥/١٨٧ (٩) فى ظ: ما (١٠) فى ظ: لموسى.

عليهما الصلاة و السلام ، و [1] ذلك لأنـــه [1] روى أن قريشا بعثت إلى يهود فسألوهم عن محمد صلى الله عليه و سلم فأخبروهم أن نعته فى كتابهم ، فقالوا هذه المقالة ، فيكون الكلام استئنافا لجواب من كأنـــه قال : ما كان كفرهم بهما ؟ فقيل : قالوا - أى العرب : الرجلان ساحران ، أو [2] الكتابان سحران ، ظاهر أحدهما الآخر مع علم كل ذى [3] لب أن [3] هذا القول زيف ، لأنه لو كان شرط إعجاز السحر التظاهر ، لكان سحر فرعون أعظم إعجازا . لأنه تظاهر عليه جميع سحرة بلاد مصر و عجزوا عن معارضة ما أظهر موسى عليه الصلاة و السلام من آية العصا ، و أما محمد صلى الله عليه و سلم فقد دعا أهل الأرض [4] من الجن و الإنس [4] إلى معارضة كتابـــه و أخبرهم أنهم عاجزون و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا فعجزوا .

و لما تضمن قولهم ذلك الكفر ، صرحوا به فى قولهم : ﴿ و قالوآ ﴾ أى كفار قريش أو المتقدمون من فرعون و أضرابه : ﴿ انا بكل ﴾ [5] من الساحرين أو السحرين اللذين [6] تظاهرا بهما ، و هما ما أتيا به من [7] [8] عند الله [8] ﴿ كفرون ﴾ جرأة على الله و تكبرا على الحق .

و لما قالوا ذلك ، كان كأنه قيل : فما ذا فعل [9] ؟ قال : ﴿ قل ﴾

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذلك انه (٢) فى ظ : أى (٣-٣) فى ظ و مد : لسان - مصحفا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) زيد فى ظ : أى (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذين (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٨-٨) فى مد : عندنا (٩) فى ظ : تفعل .

إلزاما لهم إن كنتم صادقين فى أنى ساحر وكتابى سحر وكذلك موسى عليه الصلاة و السلام : ﴿ فأتوا بكتب ﴾ و أشار [١] بالتعبير فى وصفه بعند دون لدن [١] إلى أنه يقنع منهم [٢] بكونه حكيما خارقا للعادة فى حكمته و إن لم يبلغ الذروة فى [٣] الغرابة بأن [٣] انفك عن الإعجاز فى نظمه كالتوراة فقال : ﴿ من عند الله ﴾ أى الملك الأعلى ، ينطق بأنه من عنده أحواله ٥ و حكمته [٤] و جلاله ﴿ هو ﴾ أى الذى أتيتم به ﴿ اهدى منهما ﴾ أى مما أتيت به و مما أتى به موسى ﴿ اتبعه ﴾ أى و أتركهما [٥] .

و لما أمرهم بأمره [٦] بالإتيان ، ذكر شرطه من باب التنزل ، لإظهار النصفة ، و هو فى الحقيقة تهكم بهم [٧] فقال : ﴿ ان كنتم ﴾ [أيها الكفار ! كونا راسخا - [٨]] ﴿ صدقين ﴾ أى فى أنا / ساحران ، فائتوا ما ١٠ / ٣١ ألزمتكم به .

و لما [كان - [٩]] شرط صدقهم ، بين كذبهم على تقدير عدم الجزاء فقال : ﴿ فان لم يستجيبوا ﴾ [أى الكفار الطالبون للأهدى فى الإتيان به - [٨]] . و لما كانت الاستجابة تتعدى بنفسها إلى الدعاء ، و باللام [١٠] إلى الداعى ، و كان ذكر الداعى أدل على الاعتناء به و النظر إليه ، قال ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من مد ، و فى ظ : بوصفه - موضع : فى وصفه .
(٢) فى مد : منه (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : العراقة فان (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظمته (٥) فى ظ : انزلها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بامرهم (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : به (٨) زيد من ظ و مد .
(٩) زيد من مد (١٠) فى ظ : بالكلام .

[مفردا لضميره صلى الله عليه و سلم لأنه لايفهم المقايسة فى الأهدوية غيره -[1]] : ﴿لك﴾ أى يطلبوا الإجابة و يوجدوها فى الإيمان أو[2] الإتيان بما ذكرتــه لهم و دعوتهم إليه مما هو أهدى ، من [3]القرآن و التوراة[3] ليظهر صدقهم ﴿فاعلم﴾ أنت ﴿ انما يتبعون ﴾ أى بغاية جهدهم فيما هم عليه من الكفر و التكذيب ﴿ اهوآءهم[4] ﴾ أى دائما ، و أكثر الهوى مخالف للهدى فهم ظالمون غير مهتدين ، بل هم[4] أضل الناس ، و ذلك معنى قوله : ﴿و من اضل﴾ أى منهم ، و لكنه قال : ﴿ممن اتبع﴾ أى بغاية جهده[5] ﴿هوىٰه﴾ تعليقا للحكم بالوصف ؛ و التقييد و بقوله : ﴿بغير هدى﴾ أى بيان [6]و إرشاد[6] ﴿ من الله[6] ﴾ أى الملك الأعلى الذى له جميع صفات الكمال دليل على أن الهوى قد يوافق الهدى ، و التعبير بالافتعال دليل على أن التابع و إن كان ظالما قد لايكون أظلم .

و لما كانت متابعة الهوى على هذه الصورة ظلما ، وصل به قوله مظهرا لئلا يدعى التخصيص بهم : ﴿ان الله﴾ أى الملك الأعظم الذى لا راد لأمره ﴿ لايهدى ﴾ و أظهر[7] موضــع الإضمار للتعميم فقال : ﴿القوم الظٰلمين ع ﴾ أى و إن كانوا أقوى الناس لاتباعهم أهواءهم ، فالآية من الاحتباك : أثبت أولا اتباع الهوى دليلا على حذفه ثانيا ، و ثانيا الظلم دليلا[8] على حذفه أولا .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد « و » (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : التورية و الفرقان (٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ : جهدهم . (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : او رشاد (٧) فى ظ : اظهار (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : دليل .

و لما أبلغ فى هذه الأساليب فى إظهار الخفايا، و أكثر من نصب الأدلة على الحق و إقامة البراهين على وجوب اتباع محمد صلى الله عليه و سلم، و كانوا باعراضهم عن ذلك كله كأنهم منكرون[1] لأن يكون جاءهم شيء من ذلك، قال ناسقا على ما تقديره: فلقد أتيناك فى هذه الآيات بأعظم البينات، منها[2] بحرف التوقع المقترن بأداة القسم على أنه مما يتوقع هنا أن يقال: ﴿ولقد وصلنا﴾ أى [3]على ما[3] لنا من العظمة التى مقتضاها أن يكفى أدنى إشارة منها ﴿لهم﴾ أى خاصة، فكان تخصيصهم بذلك منة عظيمة يجب عليهم شكرها ﴿القول﴾ أى أتبعنا بعض القول - الذى لا قول فى الحقيقة سواه - بعضا بالإنزال منجما، قطعا بعضها فى أثر بعض، لتكون جوابا لأقوالهم، و حلا لأشكالهم، فيكون أقرب إلى الفهم، و أولى بالتدبر، مع تنويعه فى وعد و وعيد، و أخبار و مواعظ، و حكم و نصائح، و أحكام و مصالح، و أكثرنا[4] من ذلك حتى كانت آياته المعجزات و بيناته الباهرات كأنها أفراس الرهبان، يوم استباق الأقران، فى حومة الميدان، غير أن كلا منهما سابق فى العيان.

و لما بكتهم بالتنبيه بهذا التأكيد على مبالغتهم فى الكذب بالقول أو بالفعل فى أنه ما أتاهم ما يقتضى التذكير[5] أتبع ذلك التوصيل عليه فقال: ﴿لعلهم يتذكرون﴾ أى ليكون حالهم حال الذين يرجى لهم

(١) فى ظ: منكرين (٢) من مد، و فى الأصل: منها، و فى ظ: مبهما.
(٣-٣) فى مد: بما (٤) فى ظ و مد: اكثر (٥) فى ظ: التذكر.

أن يرجعوا إلى عقولهم فيجدوا فيما طبع[1] فيها ما يذكرهم بالحق تذكيرا[2]، بما أشار إليه الإظهار .

و لما كان[3] من التذكر ما دل[3] عليه مجرد العقل، و منه ما انضم إليه مع ذلك النقل، و كان صاحب هذا القسم أجدر بأن يتبصر، و كان كأنه قيل : هل تذكروا[4]؟ قيل : نعم! أهل الكتاب الذين هم أهله ٥ / حقا تذكروا [حقا - ٥]، و ذلك معنى قوله : ﴿ الذين آتيناهم ﴾ أى بعظمتنا التى حفظناهم بها ﴿ الكتب ﴾ أى العلم من التوراة و الإنجيل و غيرهما من كتب الأنبياء، و هم يتلون ذلك حق[6] تلاوته، فى بعض الزمان الذى كان ﴿ من قبله ﴾ أى القرآن ﴿ هم ﴾ أى خاصة ١٠ ﴿ به ﴾ أى القرآن، لا بشىء مما يخالفه ﴿ يؤمنون ۝ ﴾ أى يوقعون الإيمان به فى حال وصوله إليهم إيمانا لا يزال يتجدد؛ ثم أكد هذا المعنى بقوله : ﴿ و اذا يتلى ﴾ أى تتجدد تلاوته ﴿ عليهم قالوآ ﴾ مبادرين : ﴿ آمنا به ﴾ ثم عللوا [ذلك بقولهم - ٥] الدال على غاية المعرفة، مؤكدين لأن[7] من كان على دين لا يكاد يصدق رجوعه عنه، ١٥ فكيف إذا كان أصله حقا من عند الله : ﴿ انه الحق ﴾ أى الكامل الذى ليس وراءه إلا الباطل، مع كونه ﴿ من ربنآ ﴾ المحسن إلينا،

(١) فى ظ : طبعوا (٢) فى ظ : تذكرا (٣ - ٣) فى مد : فى التذكير ما يدل . (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : تذكرون (٥) زيد من ظ و مد (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيد فى الأصل : بكل، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

و كل

وكل من الوصفين موجب [١] للتصديق و الإيمان [١] به؛ ثم عللوا مبادرتهم إلى الإذعان منبهين على أنهم فى غاية البصيرة من أمره بأنهم يتلون ما عندهم حق تلاوته، لا بألسنتهم فقط، فصح قولهم الذى دل تأكيدهم [له -[٢]] على اغتباطهم [٣] به الموجب لشكره: ﴿انا كنا﴾ أى كونا هو فى غاية الرسوخ؛ و أشار إلى أن [٤] من صح إسلامه ولو فى زمن يسير أذعن لهذا الكتاب، باثبات الجار، فقال: ﴿من قبله مسلمين﴾ أى منقادين غاية الانقياد لما جاءنا من عند الله من وصفه و غير وصفه وافق هوانا [٥] و ما ألفناه أو خالفه، لا جرم كانت النتيجة: ﴿اولئك﴾ أى العالو الرتبة ﴿يؤتون﴾ بناه للمفعول لأن القصد الإيتاء و المؤتى معروف ﴿اجرهم مرتين﴾ لإيمانهم به غيبا و شهادة، أو بالكتاب [٦] الأول ثم الكتاب الثانى ﴿بما صبروا﴾ على ما كان من الإيمان قبل العيان، بعد ما هزهم [٧] إلى النزوع عنه ألف دينهم الذى كان، و غير ذلك من امتحان الملك الديان.

و لما كان الصبر لا يتم إلا بالاتصاف بالمحاسن و الانخلاع من المساوئ، قال عاطفا على "يؤمنون" مشيرا إلى تجديد هذه الأفعال كل حين: ﴿و يدرءون بالحسنة﴾ من الأقوال و الأفعال ﴿السيئة﴾ أى من ذلك كله فيمحونها بها.

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: للايمان (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: احتياطم (٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: صوابا (٦) فى ظ: الكتاب (٧) فى ظ و مد: هزبهم.

و لما كان بعض هذا الدرء لايتم إلا بالجود قال : ﴿و مما رزقنهم﴾ أى بعظمتنا ، لا بحول منهم و لاقوة ، قليلا كان أو كثيرا ﴿ينفقون ٥﴾ معتمدين فى الخلف على الذى رزقه ؛ قال البغوى[1] : قال سعيد بن جبير : قدم [2]مع جعفر رضى الله تعالى عنه[2] من الحبشة أربعون رجلا ، يعنى : فأسلموا ، فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة استأذنوا النبي صلى الله عليه و سلم فى أموالهم ، فأتوا بها فواسوا بها المسلمين .

و لما ذكر أن السماح[3] بما تضن النفوس به من فضول الأموال من أمارات الإيمان ، أتبعه أن خزن[4] ما [5]تبذله الألسن[5] من فضول الأقوال من[6] علامات العرفان ، فقال : ﴿و اذا سمعوا اللغو﴾ أى ما لاينفع[7] فى دين[7] و لا دنيا من شتم و تكذيب و تعبير و نحوه ﴿اعرضوا عنه﴾ تكرما [8]عن الخنا[8] ﴿و قالوا﴾ أى[9] وعظا وتسميعا لقائله : ﴿لنآ﴾ أى خاصة ﴿اعمالنا﴾ لاتثابون على شىء منها و لاتعاقبون ﴿و لكم﴾ أى خاصة ﴿اعمالكم﴾ لانطالب بشىء منها ، فنحن لانشتغل بالرد عليكم لأن ذمكم لنا لاينقصنا شيئا من أجرنا و لا[9] الاشتغال برده ينقصنا .

٣٣ / و لما كان / معنى هذا أنهم سالمون منهم ، صرحوا لهم به فقالوا :

---

(١) فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٤٧ . (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) فى ظ و مد : السماع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : خزى . (٥-٥) فى ظ و مد : نبذله (٦) زيد فى الأصل : امارات و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧-٧) فى ظ و مد : دينا (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من مد (٩) سقط من ظ و مد .

﴿سلم عليكم﴾ أى منا . و لما جرت العادة بأن مثل هذا يكسر اللاغى، و يرد الباغى، أشاروا لهم إلى قبح حالهم، ردا على[1] ضلالهم، بقولهم تعليلا لما مضى من مقالهم[2]: ﴿لا نبتغى﴾ أى لا نكلف أنفسنا[3] أن نطلب ﴿الجهلين﴾ أى نريد شيئا من أحوالهم أو[4] أقوالهم، أو غير ذلك من خلالهم . ٥

و لما كان من المعلوم أن نفس النبى صلى الله عليه و سلم - لما جبلت عليه من الخير و المحبة لنفع جميع العباد، لاسيما العرب، لقربهم منه صلى الله عليه و سلم، لاسيما أقربهم منه صلة للرحم تتأثر بسبق[5] أهل الكتاب لقومه، و كان ربما ظن ظان أن عدم هدايتهم لتقصير فى دعائه أو إرادته لذلك، و أنه لو أراد هدايتهم و أحبها، و علق همته العلية بها لاهتدوا، ١٠ أجيب عن[6] هذا بقوله تعالى فى سياق التأكيد إظهارا لصفة القدرة و الكبرياء و العظمة: ﴿انك لا تهدى من احببت﴾ أى نفسه او هدايته بخلق الإيمان فى قلبه، و إنما فى يدك الهداية التى هى الإرشاد و البيان .

و لما كان ربما ظن من أجل الإخبار بتوصيل[7] القول و تعليله و نحو ذلك من أشباهه أن شيئا من أفعالهم يخرج عن القدرة، قال نافيا لهذا ١٥ الظن مشيرا إلى الغلط فى اعتقاده بقوله: ﴿و لكن الله﴾ المتردى برداء الجلال و الكبرياء و الكمال و له الأمر كله ﴿يهدى من يشآء ج﴾ هدايته

---

(١) من مد، و فى الأصل وظ: عن (٢) فى ظ و مد: تعليلهم - خطأ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: نفسنا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٥) فى ظ و مد: لسبق (٦) فى ظ: من (٧) فى ظ و مد: بتوصل .

بالتوفيق إلى ما يرضيه ﴿وهو﴾ أى وحده ﴿أعلم بالمهتدين﴾ أى الذين هيأهم لتطلب[1] الهدى عند خلقه لهم، فيكونوا عريقين فيه سواء كانوا من أهل الكتاب أو العرب، أقارب كانوا أو أباعد[2]، روى البخارى فى التفسير[3] عن سعيد بن المسيب عن أبيه رضى الله عنه: قال لما حضرت

٥ أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه و سلم فوجد عنده أبا جهل و عبد الله بن أبى[4] أمية بن المغيرة، فقال: أى عم! قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله، فقال أبو جهل و عبد الله بن أبى[4] أمية: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه و سلم يعرضها عليه و يعيدانه بتلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم

١٠ على ملة عبد المطلب، و أبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: [و الله -[6]] لأستغفرن لك ما لم أنه عنك، فأنزل الله عز و جل "ما كان للنبى و الذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين[7] و لو كانوا اولى قربى[7]" و أنزل الله فى أبى طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه و سلم "انك لا تهدى من احببت و لكن الله يهدى من يشاء"

١٥ - الآية - انتهى. و قال فى كتاب التوحيد[8]: "انك لا تهدى من

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: لطلب (٢) زيدت الواو فى ظ (٣) راجع صحيحه ٢/٧٠٢ (٤) سقط من مد (٥-٥) فى ظ ومد: هو، و ما فى الأصل مطابق للفظ الصحيح (٦) زيد من ظ و مد و الصحيح (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد و الصحيح (٨) راجع باب المشية و الإرادة من الصحيح.

احببت" قال سعيد بن المسيب عن أبيه رضى الله عنه: نزلت فى أبى طالب، و فى مسلم[1] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم أمره بالتوحيد فقال: [2]لولا أن[2] تعيرنى نساء قريش لأقررت بها عينك فأنزل الله الآية.

و لما عجب من حال قريش فى طلبهم من الآيات مثل ما أوتى موسى عليه الصلاة و السلام ثم كفرهم به و بما هو أعظم منه، و ختم بأنه أعلم بأهل الخير و أهل الشر، إشارة إلى الإعراض عن الأسف على أحد، و الإقبال على عموم الدعاء للقريب و البعيد على حد سواء، / قال ٣٤ / دليلا على ذلك لأنهم إنما يتبعون أهواءهم، عاطفا على قالوا "لولا اوتى" ﴿ و قالوآ ان نتبع ﴾ أى غاية الاتباع ﴿ الهدى ﴾ أى الإسلام فنوحد الله من غير إشراك ﴿ معك ﴾ أى و أنت على ما أنت عليه من مخالفة الناس ﴿ نتخطف ﴾ أى من أى[3] خاطف أرادنا، لأنا نصير قليلا [4]فى كثير[4]. من غير نصير ﴿ من ارضنا[5] ﴾ كما تتخطف العصافير لمخالفة كافة العرب لنا، و ليس لنا نسبة[6] إلى كثرتهم و لا قوتهم[7] فيسرعوا إلينا فيتخطفونا، أى يتقصدون خطفنا واحدا واحدا، فانه لا طاقة لنا على إدامة[7] الاجتماع و أن لا يشذ[8] بعضنا عن بعض؛ قال البغوى[9]:

(١) راجع صحيحه ١/٤٠ (٢ - ٢) فى ظ: لو لا مثل، و ما بين الرقمين ساقطة من مد (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) فى ظ: سعة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: قومهم (٧) فى ظ: اقامة (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: لا يسد (٩) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١٤٨.

و الاختطاف : الانتزاع بسرعة .

و لما كان التقدير فى الرد على هذا الكلام الواهى : ألم نحمك و من اتبعك منهم و قد جشموهم من الخلاف بمثل ما [يخالفون هم[1]، به العرب أو أشد، و لا نسبة لكم إلى[2] عددهم و لا جلدهم، عطف عليه

٥ قوله : ﴿ اولم نمكن ﴾ أى غاية التمكين ﴿ لهم ﴾ فى أوطانهم و محل سكناهم بما لنا من القدرة ﴿ حرما امنا ﴾ أى ذا أمن يأمن فيه كل خائف حتى الطير [3]من كواسرها[3] و الوحش من جوارحها، حتى أن سيل[4] الحل لا يدخل الحرم، بل إذا وصل إليه عدل عنه؛ قال ابن هشام[5] فى استيلاء كنانة و خزاعة على البيت : و كانت مكة فى الجاهلية

١٠ [6]لا تقر فيها[6] ظلما و لا بغيا، لا يبغى فيها أحد إلا أخرجته[7] - انتهى . و كان الرجل يلقى قاتل أبيه و ابنه فيها فلا يهيجه و لا يعرض له بسوء؛ و روى [الأزرقى -[8]] فى تأريخ مكة[9] بسنده عن حويطب بن عبد العزى رضى الله عنه قال كانت فى الكعبة حلق يدخل الخائف يده فيها فلا يريبه أحد، فجاء خائف ليدخل يده فاجتذبه[10] رجل فشلت يده[11]،

(١ - ١) من مد، و فى الأصل : يخالونهم، و فى ظ : يخالفونهم (٢) فى ظ : على (٣ - ٣) من ظ و مد، و فى الأصل : فى كواسيرها (٤) من مد، و فى الأصل : سبيل، و فى ظ : سبيل لكل - كذا (٥) راجع ١ /٣٩ (٦ - ٦) من ظ و مد والسيرة، و فى الأصل : لا تعرفها (٧) من ظ و مد و السيرة، و فى الأصل : اخرجه (٨) زيد من ظ و مد (٩) راجع أخبار مكة ٢/١٩ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : فاحسه و فى الأخبار : فاجتبذه (١١) سقط من مد .

فلقد رأيته فى الإسلام [و إنه -[1]] لأشل، و روى عن ابن جريج[2] قصة العرب من غير قريش فى أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة إلا أن أعارتهم قريش ثيابا، فجاءت امرأة[3] فطافت عرياتة[4] و كان لها جمال[4] فرآها رجل فأعجبته فدخل فطاف إلى جنبها، فأدنى عضده من عضدها، فالتزقت عضده بعضدها، فخرجا[4] من المسجد[4] هاربين على وجوههما فزعين لما أصابهما من العقوبة. فلقيهما ٥ شيخ من قريش فأفتاهما[5] أن يعودا إلى المكان الذى أصابا فيه الذنب، فيدعوان و يخلصان أن لا يعودا، فدعوا و أخلصا النية، فافترقت أعضادهما[6] فذهب كل واحد منهما فى ناحية[7]، و بسنده عن ابن عباس رضى الله[8] عنهما قال: أخذ رجل ذود ابن عم له فأصابه فى الحرم فقال: ذودى: فقال اللص: كذبت، قال: فاحلف، فحلف عند المقام. فقام رب الذود ١٠ بين الركن و المقام باسطا يديه يدعو، فما برح مقامه يدعو حتى ذهب عقل اللص وجعل يصيح بمكة: مالى، و للزود، مالى، و لفلان - رب الزود، فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الزود فدفعه إلى المظلوم، فخرج به[9] و بقى الآخر متولها[10] حتى وقع من جبل فتردى فأكلته السباع. و عن أيوب بن موسى[11] أن امرأة فى الجاهلية كان معها ابن عم لها صغير فقالت له: يا بنى: إنى ١٥

(١) زيد من ظ و مد و الأخبار (٢) من أخبار مكة ١/١١٣، و فى الأصول: ابن جرير (٣) زيد فى الأصول: لها جمال، و لم تكن الزيادة فى الأخبار ١/١١٥ فحذفناها (٤-٤) سقط من مد (٥) فى ظ: فيما (٦) من ظ و مد و الأخبار، و فى الأصل: اعضاوهما (٧) فى ظ و مد: ناحيته (٨) راجع أخبار مكة ٢/٢٠ و الرواية فيه بمفارقات بسيطة (٩) فى الأخبار: بها (١٠) من ظ و مد و الأخبار، و فى الأصل: مدلها (١١) راجع الأخبار ٢/٢١.

٣٥/ أغيب / عنك و إنى أخاف أن يظلمك أحد ، فان جاءك ظالم بعدى فان لله بمكة بيتا لايشبهه شيء من البيوت ، و عليه ثياب و لا يقاربه مفسد ، فان ظلمك ظالم يوما فعذبه ، فان له ربا سيمنعك ، فجاءه رجل فذهب به فاسترقه ، قال : و كان أهل الجاهلية يعمرون أنعامهم فأعمر سيده ظهره ، ٥ فلما رأى الغلام البيت عرف الصفة فنزل[1] يشتد حتى تعلق بالبيت ، و جاءه سيده فمد يده إليه ليأخذه ، فيبست يده ، فما الأخرى فيبست ، [فاستفتى -[2]] فأفتى أن ينحر عن كل واحدة من يديه بدنة ، ففعل فأطلقت يداه[3] ، و ترك الغلام و خلى سبيله . و عن عبد العزيز بن [4]أبى رواد[4] أن قوما انتهوا إلى ذى طوى ، فاذا ظبى قد دنا منهم ، فأخذ رجل منهم بقائمة ١٠ من قوائمه فقال له أصحابه : ويحك ! أرسله ، فجعل يضحك و يأبى[5] أن يرسله ، فبعر الظبى و بال[6] ؛ ثم أرسله ، فناموا[7] فى القائلة فانتبهوا[8] ، فاذا بحية منطوية على بطن الرجل الذى أخذ الظبى[9] ، فلم تنزل الحية عنه حتى كان منه من الحديث مثل ما كان من الظبى . و عن مجاهد قال : دخل قوم مكة تجارا من الشام فى الجاهلية فنزلوا ذا طوى[10] فاختبزوا ١٥ ملة لهم و لم يمكن معهم إدام ، فرمى رجل منهم ظبية من ظباء الحرم

( ) فى ظ : فترك (٢) زيد من ظ و مد و الأخبار (٣) فى مد : يده (٤-٤) من اخبار مكة ٢/١١٧ ، و فى الأصل : داود ، و فى ظ و مد : رواد (٥) فى ظ : ابى (٦) من ظ و مد والأخبار ، و فى الأصل : باله (٧) من الأخبار ، و فى الأصول : فقاموا (٨) فى الأخبار : فانتبه بعضهم (٩) هناك بعض الزيادات فى الأخبار (١٠) تحت سمرة يستظلون بها - كما زيد فى الأخبار .

و هى

و هى حولهم ترعى[1] فقاموا[2] إليها فسلخوها و طبخوا [لحمها -[3]] ليأتدموا به ، فبينما قدرهم على النار تغلى بلحمة إذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة فأحرقت القوم جميعا و لم تحترق ثيابهم و لا أمتعتهم و لا السمرات[4] التى كانوا تحتها . و فى سيرة أبى[5] الربيع بن سالم الكلاعى[6] أن رجلا من كنانة بن هذيل ظلم ابن عم له فخوفه بالدعاء ٥ فى الحرم[7] ، فقال : هذه ناقتى فلانة اركبها فاذهب إليه فاجتهد فى الدعاء ، فجاء الحرم فى الشهر الحرام فقال : اللهم إنى أدعوك جاهدا مضطرا[8] على ابن عمى فلان ترميه بداء لا دواء له ، ثم انصرف فوجد[9] ابن عمه قد رمى فى بطنه فصار مثل الزق ، فما زال ينتفخ حتى انشق ، و أن عمر رضى الله عنه[10] سأل رجلا من بنى سليم عن ذهاب بصره ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ١٠ كنا بنى ضبعاء عشرة ، و كان لنا ابن عم فكنا نظلمه فكان يذكرنا بالله[11] و بالرحم[12] ، فلما رأى أنا لا نكف عنه انتهى إلى الحرم فى الأشهر الحرم فجعل يرفع يديه يقول :

لا همّ[13] أدعوك دعاء جاهدا اقتل بنى الضبعاء إلا واحدا

(١) فى ظ و مد : ترتعى (٢) فى ظ : فدنوا (٣) زيد من الأخبار (٤) فى مد : السموات (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابن ، و قد مر التعليق عليه . (٦) راجع أيضا أخبار مكة ٢ / ١٩ (٧) فى مد : البيت ، و العبارة من بعده إلى « الحرام فقال » ساقطة منها (٨) فى ظ و مد : مضرا (٩) من ظ و مد و الأخبار ، و فى الأصل : فيجد (١٠) راجع أخبار مكة ٢/٢٠ (١١) فى ظ و مد و الأخبار : الله (١٢) فى الأخبار : الرحم (١٣) أى اللهم ، كما فى ظ و مد و الأخبار .

ثم اضرب الرجل و دعه قاعدا أعمى إذا [1] قيد يعي [1] القائدا

قال: فمات إخوتى التسعة فى تسعة أشهر فى كل شهر واحد [2]، و بقيت أنا فعميت، و رمانى الله عز و جل فى رجلى، فليس يلائمنى قائد [3]، فقال عمر رضى الله عنه: [سبحان الله إن هذا لهو العجب - [4]]، جعل الله هذا فى الجاهلية إذ لا دين حرمة حرمها و شرفها، لينتكب الناس عن انتهاك ما حرم مخافة تعجيل العقوبة، فلما جاء الدين، صار الموعد الساعة، و يستجيب الله لمن يشاء، فاتقوا الله و كونوا مع الصادقين - انتهى.

وكأنه لمثل ذلك عبر بالتمكين و يتخطف الناس من حولهم كما يأتى تأكيده فى التى بعدها، / و قد كان قبل [5] ذلك بقعة من بقاع الأرض / ٣٦ لا مزية له على غيره بنوع مزية، فالتقدير: إنما فعلنا ذلك بعد سكنى إسماعيل عليه الصلاة و السلام، توطئة لما أردنا من الحكم و الأحكام، أو ليس الذى قدر على ذلك و فعله لمن يعبد غيره بقادر على حماية من يدخل فى دينه، و قد صار من حزبه بأنواع الحمايات، و إعلائه على كل [6] من يناويه إلى أعلى الدرجات، كما فعل فى حمايتكم منهم و من غيرهم من سائر المخالفين أعداء الدين.

و لما وصفه بالأمن، أتبعه ما تطلبه النفس بعده فقال: ﴿يجبى [7]﴾ أى يجمع و يجلب [7] مما لا يرجونه و لا قدرة لهم على استجلابه [7] ﴿اليه﴾

(١-١) فى الأخبار: ما قيدعنى (٢) من ظ و مد و الأخبار، و فى الأصل: واحدا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: قايدا (٤) زيد من الأخبار (٥) فى ظ و مد: بعد (٦) سقط من ظ و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

أى خاصة، دون غيره من جزيرة العرب ﴿ ثمرٰت كل شىء﴾ من النبات الذى بأرض العرب من ثمر البلاد الحارة كالبسر و الرطب و الموز و النبق، و الباردة كالعنب و التفاح و الرمان و الخوخ، و فى تعبيره بالمضارع و ما بعده إشارة إلى الاستمرار [1]و أنه[1] يأتى إليه بعد ذلك من كل ما فى الأرض من المال، ما لم يخطر لأحد منهم فى بال، و قد صدق الله فيما قال [2]كما تراه[2] - و من أصدق من الله قيلا .

و لما كان مجموع ما رزقهم فى هذا الحرم من الأمن بأسبابه من الإسراع باصابة من آذى فيه بأنواع العقوبات، و جباية هذه الثمرات، فى غاية الغرابة فى تلك الاراضى اليابسة الشديدة الحر، المحفوفة[3] من الناس بمن لا يدين دينا، و لا يخشى عاقبة[4]، و لا له ملك قاهر من الناس يرده، و لا نظام من سياسة العباد يمنعه، عبر عنه سبحانه مع مظهر العظمة بلدن فقال: ﴿رزقا من لدنا﴾ أى من أبطن ما عندنا و أغربه، لا صنع لأحد فيه كما تعلم ذلك كله أنت و من اتبعك و من فيه قابلية الهداية منهم، و كل ذلك إنما هو لأجلك [بحلولك -[5]] فى [هذا -[5]] الحرم مضمرا فى الأصلاب، و مظهرا فى تلك الشعاب، توطئة لنبوتك، و تمهيدا لرسالتك، و متى غبت عنهم غاب عنهم ذلك كله و سينظرون .

(١ - ١) فى ظ : فانه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) فى الاصول : المجفوقة - خطأ، و العبارة من هنا إلى « و لا نظام » ساقطة من مد (٤) فى ظ : عقوبة (٥) زيد من مد .

و لما كان هذا الذى أبدوه[1] عذرا عن تخلفهم عن الهدى يظنونه من نفائس العلم، رده تعالى نافيا عمن لم يؤمن منهم جميع [العلم -[2]] الذى بنفيه ينتفى[3] أن [4]يكون هذا[4] الفرد علما، فقال فى أسلوب التأكيد لذلك: ﴿و لكن اكثرهم﴾ أى أهل مكة و غيرهم ممن لا هداية له ٥ ﴿لا يعلمون ۝﴾ أى ليس لهم قابلية للعلم حتى يعلموا أنا نحن الفاعلون لذلك بترتيب أسبابه حتى [5]تمكن ذلك و تم[5] فلا قدرة لأحد على تغييره، و إنا قادرون على أن نمنعهم - إذا تابعوا أمرنا - ممن يريدهم، بل نسلطهم على كل من ناواهم، كقدرتنا على ما مكنا لهم و هو خارج عن القياس على ما يقتضيه عقول الناس، و إنا قادرون على سلب ذلك كله عنهم لإصرارهم ١٠ على الكفر، و لا بد أن نذيقهم ذلك[6] أجمع بعد هجرتك ليعلموا أنه إنما نالهم [7]ذلك ببركتك[7]، و لو علموا ذلك لشكروا، و لكنهم جهلوا فكفروا، و لذلك أنذروا "و لتعلمن نباه بعد حين".

و لما أخبر تعالى أنه قادر على التأمين و الإنجاء و التمكين مع الضعفة، أتبعه الإعلام بقدرته على الإخافة و الإهلاك مع القوة، ١٥ ترغيبا لهم - إن آمنوا - باهلاك أضدادهم، و ترهيبا - إن أصروا - [8]من المعاملة[8] بعكس مرادهم، فقال فى مظهر العظمة عاطفا على معنى

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ايدوه (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى مد: يبتغى (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥ - ٥) من مد، و فى الأصل و ظ: يمكن ذلك و يتم (٦) فى ظ: تلك (٧ - ٧) فى ظ و مد: بنبوتك. (٨-٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عن المعاجلة.

الكلام: ﴿ و كم اهلكنا ﴾ و يجوز / أن يكون حالا من ضمير ٣٧/
'نمكن' أى فعلنا بهم [١]ما ذكرنا من النعمة[١] مع ضعفهم و عجزهم،
و الحال أنا كثيرا ما أهلكنا الأقوياء، و أشار إلى تأكيد التكثير مع
تمييز المبهم بقوله: ﴿ من قرية ﴾، و أشار إلى سبب الإهلاك بقوله:
﴿ بطرت معيشتها ج ﴾ أى وقع منها البطر فى زمان عيشها الرخى الواسع، ٥
فكان حالهم كحالكم فى الأمن و إدرار الرزق، فلما[٢] بطروا معيشتهم
أهلكناهم، و معنى بطرهم لها [٣]أنهم شقوها[٣] بمجاوزة الحد فى المرح،
و الأشر و الفرح، إلى أن تعدوها [٤]فأفسدوها و كفروها[٤] فلم يشكروها،
بل فعلوا فى تلقيها فعل الحائر المدهوش، فلم يحسنوا رعايتها، و قل
احتمالهم لحق النعمة فيها، فطغوا فى التقلب عند مصاحبتها و تكبروا بها، ١٠
و تمادوا فى الغى قولا و فعلا، من أجل ما عمهم من الرفاهية عن
تقييدها[٥] و ساء احتمالهم للغنى بها، و طيب العيش فيها، فأبطلوها بهذه
الخصائل، و أذهبوها هدرا من غير مقابل، و ذلك من قول أهل اللغة:
البطرا: الأشر، و قلة احتمال النعمة، و الدهش و الحيرة و الطغيان
بالنعمة، و الفعل [٦]من الكل[٦] كفرح، و بطر الحق [٧]أن يتكبر[٧] عنه ١٥
فلا يقبله، و بطره كنصره و ضربه: شقه، و البطور: الصخاب[٨] الطويل

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد، و وقع فى ظ: ذكر - موضع: ذكرنا.
(٢) فى ظ: فما (٣-٣) فى ظ: ان شقاها، و فى مد: ان شقوها (٤-٤) فى ظ: فانبذوها و كفروها، و فى مد: فكفروها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تقييد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧-٧) فى مد: اى تكبر (٨) فى ظ و مد: الضجار.

اللسان، و المتمادى فى الغى، و أبطره ذرعه : حمله فوق طاقته، و ذهب دمه بطرا - بالكسر، أى هدرا و بطرهم لها أنهم عصوا من خولهم فيها، فخالفوا أمره، و أنساهم الكبر بما[1] أعطاهم ذكره .

و لما تسبب عن [2]هـذا الإخبار[2] تشوف النفس إلى آثار هذه الديار، سبب عنه الإشارة بأداة البعد إلى منازلهم، تنبيها على كثرتها و سهولة الوصول إليها فى كل مكان، لكونها بحيث يشار إليها و على بعد رتبتها فى الهلاك دليلا على الجملة التى قبلها فقال: ﴿فتلك مسكنهم﴾.

و لما كان المعنى أنها خاويـة [3]على عروشها[3] وصل [4]به قوله[4] : ﴿لم تسكن﴾ أى من ساكن ما مختـار أو مضطر . و لما كان المراد إفهام نفى قليل الزمان و كثيره، أثبت الجار فقال: ﴿من بعدهم﴾ بعد أن طال ما تغالوا فيها و نمقوها، و زخرفوها [5]و زوقوها[5]، و زفوا فيها الأبكار، و فرحوا بالأعمال الكبار، ﴿الا﴾ سكونا ﴿قليلا[6]﴾ بالمارة عليها ساعة من ليل[6] أو من نهار، ثم تصير تبابا موحشة كالقفار، بعد أن كانت [7]متمنعة القبا[7]، بيض الصفاح و سمر القنا .

و لما صارت[8] هذه الأماكن[9] بعد الخراب لا متصرف فيها ظاهرا[10] إلا الله، و لا حاكم عليها فيما تنظره العيون سواه، و كان هذا أمرا

(١) فى ظ : مما (٢ - ٢) فى مد : هذه الاخبار (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤-٤) فى ظ : بها قولها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) فى ظ : الليل (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل : متمنقة القنا (٨) فى ظ و مد : كانت (٩) فى ظ و مد : المساكن (١٠) فى ظ و مد متظاهرا .

عظيما، وخطبا جسيما، لأنه لا فرق فيه بين جليل وحقير، وصغير وكبير، وسلطان ووزير، دل على ضخامته بقوله مكررا لمظهر العظمة: ﴿وكنا﴾ [أى -[1]] أزلا وأبدا ﴿نحن﴾ لا غيرنا ﴿الوارثين ه﴾ لم يستعص علينا أحد وإن عظم، ولا تأخر عن مرادنا لحظة وإن ضخم، فليت شعرى! أين أولئك الجبارون وكيف خلا دورهم، وعطل قصورهم؟ المتكبرون أفنتهم والله كؤس الحمام منوعة[2] أشربة المصائب العظام، وأذلتهم مصارع[3] الأيام، بقوة العزيز العلام، فيا ويح من لم يعتبر بأيامهم، ولم يزدجر عن مثل آثامهم.

ولما أظهر سبحانه سوط العذاب بيد القدرة، دل على وملأ العدل بثمرة الغنى، ولكونه فى سياق الرحمة بالإرسال عبر بالربوبية فقال: ﴿وما كان﴾ [أى -[1]] كونا ما / ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك بالإحسان بارسالك إلى الناس ﴿مهلك القرى﴾ أى هذا الجنس كله بجرم وإن عظم ﴿حتى يبعث فى أمها﴾ أى أعظمها وأشرفها، لأن غيرها تبع لها، ولم يشترط كونه من أمها فقد كان عيسى عليه الصلاة والسلام من الناصرة، وبعث فى بيت المقدس ﴿رسولا يتلوا عليهم﴾ أى أهل القرى كلهم ﴿آياتنا﴾ الدالة - بما لها من الجرى على مناهيج العقول، على ما ينبغى لنا من الحكمة، وبما لها من الإعجاز - على تفرد الكلمة، وباهر العظمة، إلزاما للحجة، وقطعا للمعذرة، لئلا يقولوا "ربنا لو لا ارسلت

٣٨ /

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: منزعه (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: مصادع.

الينا رسولا" و لذلك لما أردنا عموم الخلق بالرسالة جعلنا الرسول من أم القرى كلها، و هى مكة البلد الحرام، و فيها لأنها مع كونها مدينة تجرى فيها الأمور على قانون الحكمة [هى -[1]] فى بلاد البوادى تظهر فيها الكلمة، فجمعت الأمرين لأن المرسل إليها جامع، و حازت الأثرين لأن الختام به واقع، و كان السر فى جعل المؤيد لدينه عيسى عليهما الصلاة و السلام من البادية كثرة ظهور الكلمة على يديه.

و لما غيّ[2] الإهلاك بالإرسال تخويفا، ضرب له غاية أخرى تحريرا[3] للأمر و تعريفا، و لكونه فى سياق[4] التجرؤ من أهل الضلال، على مقامه العال، بانتهاك الحرمات، عبر بأداة العظمة فقال: ﴿ و ما كنا ﴾ أى بعظمتنا و غنانا ﴿ مهلكى القرىٰ ﴾ أى كلها، بعد الإرسال ﴿ الا واهلها ظلمون ﴾ أى عريقون فى الظلم بالعصيان، بترك ثمرات الإيمان.

و لما اعتلوا فى الوقوف عن الإيمان بخوف التخطف، فذكرهم نعمته عليهم باقامة أسباب الأمن و إدرار الرزق، و عرفهم انه هو وحده الذى[5] تخشى سطواته، و يتقى أخذه لمن خالفه و بطشاته، و كان خوفهم من عواقب المتابعة إما على أنفسهم و إما على ما بأيديهم من المتاع، علم من ذلك كله قطعا أن التقدير بما سبب التخويف من عواقب الظلم بمثل مصارع الأولين: فأنفسكم فى خطر من [6] خوف الهلاك من القادر عليكم كقدرته على من قبلكم بسبب التوقف عن المتابعة أشد من[6] خطر

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : عنى (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : تحذيرا (٤) فى ظ : بيان (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : التى (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

الخوف من التخطف بسبب المتابعة، أو يكون التقدير: فما خفتم منه التخطف غير ضائركم، وكفكم عن المتابعة لأجله غير مخلدكم، فما إهلاككم على الله بأى وجه كان - بعزيز، فعطف على هذا الذى أرشد السياق إلى تقديره قوله: ﴿ وما أوتيتم ﴾ أى من [أى -[1]] مؤت كان ﴿ من شىء ﴾ أى من هذه الأشياء التى بأيديكم وغيرها ﴿ فمتاع ﴾ أى فهو متاع ٥ ﴿ الحيوة الدنيا ﴾ وليس يعود نفعه إلى غيرها، فهو إلى نفاد وإن طال زمن التمتع به ﴿ وزينتها ﴾ أى وهو زينة الحياة الدنيا التى [هى -[1]] كلها - فضلا عن زينتها - إلى فناء. فليست هى ولا شىء منها بأزلى ولا أبدى ﴿ وما عند الله ﴾ أى الملك الأعلى مما تثمره لكم المتابعة من الثواب الذى وعدكموه[2] فى الدار الآخرة التى دل عليها دلالة واضحة ١٠ إطباقكم على وصف هذه بالدنيا، ومن أصدق وعدا منه ﴿ خير ﴾ على تقدير مشاركة ما فى الدنيا له فى الخيرية فى ظنكم، لأن الذى عنده أكثر وأطيب وأظهر، وأحسن وأشهى، وأبهج وأزهى، ﴿ و ﴾ هو مع ذلك كله ﴿ أبقى ﴾ لأنه وإن شارك متاع الدنيا فى أنه لم يكن أزليا فهو أبدى.

٣٩ / ١٥ ولما بأن أنه لا يقدم على خطر المخالفة المذكور[3] / خوفا من خطر المتابعة الموصوف عاقل، توجه الإنكار عليهم فى قوله تعالى: ﴿ أفلا تعقلون ﴾.

ولما كان هذا سببا لأن ظهر كالشمس بون عظيم بين حال المخالف والمؤالف، سبب عنه وأنتج قوله، مقررا لما ذكر من الأمرين

(١) زيد من ظ و مد (١) فى ظ: وعدتموه (٣) زيد فى الأصل: خوف من خطر المخالفة المذكور، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

موضحا لما لهما من المباينة، منكرا على من[1] سوى بينهما، فكيف بمن ظن أن حال المخالف أولى: ﴿افمن وعدناه﴾ على عظمتنا فى الغنى[2] و القدرة و الصدق ﴿وعدا﴾ و هو الإثابة[3] و الثواب ﴿حسنا﴾ لاشىء أحسن منه[4] فى موافقته [5]لأمنيته و بقائه[5] ﴿فهو﴾ بسبب وعدنا الذى لايخلف ﴿لاقيه﴾ أى مدركه و مصيبه لامحالة ﴿كمن متعناه﴾ أى بعظمتنا ﴿متاع الحيوة الدنيا﴾ فلا يقدر أحد غيرنا على سلبه منه بغير إذن منا، و لا يصل أحد إلى جعله باقيا، و هو مع كونه فانيا و إن طال زمنه مشوب بالأكدار، مخالط بالأقذار و الأوزار ﴿ثم هو﴾ مع ذلك كله ﴿يوم القيمة﴾ الذى هو يوم التغابن، من خسر فيه لا[6] يربح أصلا، و من هلك لا يمكن عيشه بوجه ﴿من المحضرين﴾ أى المقهورين على الحضور إلى مكان يود لو افتدى[7] منه بطلاع الأرض ذهبا، فان كل من يوكل به لحضور أمر يتنكد[8] على حسب مراتب التوكيل كائنا من كان فى أىّ أمر كان.

و لما كان اليوم و إن كان واحدا يتعدد بتعدد أوصافه، بما يقع فى أثنائه و أضعافه، على يوم القيامة [تهويلا لأمره، و تعظيما لخطره و شره، قوله مقررا لعجز العباد، عن شىء من الإباء فى يوم العباد -[9]]:

(١) فى ظ و مد: ما (٢) فى ظ: المعنى (٣) فى ظ و مد: الاثابة (٤) سقط من ظ (٥-٥) فى ظ: الامنية و البقاء، و فى مد: الامنية (٦) فى ظ و مد: لم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: تفدى (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ينكد (٩) زيد من ظ و مد.

﴿ و يوم يناديهم ﴾ أى ينادى الله هؤلاء الذين يغرون[1] [بين -[2]] الناس[3] و يصدون عن السبيل ، و يتعللون فى أمر الإيمان ، و توحيد المحسن الديان ﴿ فيقول ﴾ أى الله : ﴿ اين شركآءى ﴾ أى من الأوثان و غيرهم ، ثم [بين -[4]] أنهم لا يستحقون هذا الاسم بقوله : ﴿ الذين كنتم ﴾ أى كونا أنتم عريقون فيه ﴿ تزعمون ﴾ ليدفعوا عنكم أو عن أنفسهم . ٥

و لما كان اسم الشريك يقع على من سواه الإنسان بآخر فى شىء من الأشياء ، و كان الأتباع قد سووا المتبوعين الذين عبدوهم من الشياطين و غيرهم بالله تعالى فى الخضوع لهم ، و الطواعيـــة فى عبادة الأوثان ، و معاندة الهداة و معاداتهم ، و الصد عن اتباعهم ، فكان [5]اسم الشريك[5] متناولا لهـــم ، و كان بطش من وقع الإشراك به يكون أولا بمن عد ١٠ نفسه شريكا ثم بمن أنزله تلك المنزلة ، فتشوفت[6] النفس إلى مبادرة الرؤساء بالجواب خوفا من حلول العقاب [7]بهم و زيادتهم[7] بقيادتهم عليهم ، فقيل : قالوا - هكذا الأصل ، و لكنه أظهر إعلاما بالوصف الذى أوجب لهم القول فقال : ﴿ قال الذين حق ﴾ أى ثبت و وجب ﴿ عليهم القول ﴾ أى وقع عليهم معنى هذا الاسم و تناولهم ، و هو العذاب المتوعد به بأعظم ١٥ القول ، و هم أئمة الكفر ، و قادة الجهل ، بإنزالهم أنفسهم منزلة[8] الشركاء ، و أفهم باسقاط الأداة كعادة أهل القرب و التعبير بوصف الإحسان

(١) من ظ ومد ، وفى الأصل : يعوون (٢) زيد من ظ (٣) سقط من مد. (٤) زيد من ظ ومد (٥-٥) من ظ و مد ، وفى الأصل: اسلم لشريك (٦) فى ظ: فتشوف (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم و زيادته (٨) فى ظ : بمنزلة .

أنهم وصلوا بعد السماجة و الكبر إلى غاية الترقق و الذل ، فقال معبرا عن قولهم : ﴿ ربنا هؤلاء ﴾ إشارة إلى الأتباع ﴿ الذين اغويناج ﴾ أى أوقعنا الإغواء [1]و هو الإضلال[1] بهم بما زينا لهم من الأقوال التى أعانا

٤٠/ /على[2] قبولهم أنها[3] منا ، مع كونها ظاهرة العوار ، واضحة العار ، ما خولنا

٥ فيه فى الدنيا من الجاه و المال ؛ ثم استأنفوا ما يظنون أنه يدفع عنهم فقالوا : ﴿ اغويناهم ﴾ أى فغووا باختيارهم ﴿ كما غويناج ﴾ أى نحن لما أغوانا بما زين لنا من فوقنا حتى تبعناهم ، لم يكن هناك إكراه منا و لا إجبار ، مع ما أتاهم من الرسل و لهم من العقول . كما غوينا نحن باختيارنا ، لم يكن ممن فوقنا إجبار لنا كما قال إبليس " و ما كان لى عليكم من سلطن الا ان

١٠ دعوتكم فاستجبتم[4] لى " - فالآية من الاحتباك : حذف أولا " فغووا " لدلالة "غوينا" عليه ، و ثانيا "[5]لما أغوانا[5] ، من قبلنا" لدلالة "أغويناهم" عليه و مرادهم بقولهم هـــذا السفساف أنه لا لوم علينا فى الحقيقة بسببهم ، و هذا معنى قولهم : ﴿ تبرانآ اليك ذ ﴾ أى من أمرهم ، فلا يلزمنا عقوبة بسببهم ، فهو[6] تقرير لما قبل و تصريح[7] به .

١٥ و لما كانوا يعلمون أنهم غير مؤمنين[8] من أمرهم ، تبرؤا من انفرادهم

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : هولاء الضلال (٢) فى ظ و مد : فى .
(٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : اياها (٤) سورة ١٤ آية ٢٢ (٥-٥) فى الأصل : لما اغوينا ، و فى ظ و مد : كما اغوانا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فهى .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : يستريح (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : مربين .

باضلالهم ، فقالوا لمن كأنه[1] قال : ما وجه براءتكم[2] و قد أقررتم باغوائهم ؟ : ﴿ما كانوآ ايانا﴾ أى خاصة ﴿يعبدون ۝﴾ بل كانوا يعبدون الأوثان بما زينت لهم أهواؤهم و إن كان لنا فيه نوع دعاء لهم إليه و حث عليه ، فأقل ما نريد[3] أن يوزع[4] العذاب على كل من كان سببا فى ذلك كما فى الآية الأخرى "فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء" ٥ و ضل عن الجهلة أن هذا لايغنيهم "عن الله" شيئا ، فان الكل فى العذاب و ليس يغنى أحد منهم عن أحد شيئا . قال " لكل ضعف و لكن لا تعلمون " .

و لما لم يلتفت إلى هذا الكلام منهم بل عد عدما ، لأنه لا صئل تحته ، أشير إلى الإعراض عنه لأنه لايستحق جوابا كما قيل « رب قول جوابه ١٠ فى[6] السكوت » بقوله : ﴿و قيل﴾ أى ثانيا للأتباع تهكما بهم و إظهارا لعجزهم الملزوم لتحسرهم و عظم تأسفهم ، و عبر بصيغة المجهول ، إظهارا للاستهانة بهم ، و أنهم من الذل و الصغار بحيث يجيبون كل أمر كائنا من كان : ﴿ ادعوا﴾ أى كلكم ﴿شركآءكم﴾ أى الذين ادعيتم جهلا شركتهم ليدفعوا عنكم ، . و أضافهم هنا إليهم إشارة إلى أنهم لم يستفيدوا ١٥ زعمهم أنهم شركاء الله - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - إلا[7] أن

(١) فى ظ : كان (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فواتكم (٣) فى مد : يزيد .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : نوزع (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا .

أشركوهم فيما صرفوا إليهم من أموالهم و أقوالهم ، و أزمانهم و أحوالهم ﴿ فدعوهم ﴾ [1]تعللا بما لا يغنى ، و تمسكا بما يتحقق أنه لا يجدى ، لفرط [2] الغلبة و استيلاء [3] الحيرة و الدهشة ﴿ فلم يستجيبوا لهم ﴾ كما يحق لهم بما لهم من وصف عدم الإدراك ، و العجز و الهلاك ﴿ و رأوا ﴾ أى كلهم ﴿ العذاب ج ﴾ عالمين بأنه مواقعهم [4] لا مانع له عنهم ، فكان الحال حينئذ مقتضيا لأن يقال من كل من يراهم [5] : ﴿ لو انهم كانوا ﴾ أى كونا هو لهم صفة راسخة ﴿ يهتدون ه ﴾ أى يحصل منهم هدى ساعة من الدهر ، تأسفا على أمرهم ، و تمنيا [6] لخلاصهم ، أو لو أن ذلك كان فى طبعهم لنجوا من العذاب ، أو لما رأوه أصلا ، أو لما اتبعوهم .

و لما أشار إلى أنه لا خلاص من ذلك الردى إلا بالهدى ، أتبعه الإعلام بأنه لا يمكن أحدا هناك أن يفعل ما [قد - [7]] يروج على سائله كما يفعل فى هذه الدار من إظهار ما لم يكن فقال مكررا لتهويل ذلك اليوم و تبشيعه و تعظيمه و تفظيعه ، سائلا عن حق رسله عليهم الصلاة و السلام / بعد السؤال عن حقه سبحانه ، مناديا بعجز الشركاء فى الأخرى /٤١ كما [8] كانوا عاجزين فى الأولى [9] ﴿ و يوم يناديهم ﴾ و هم بحيث يسمعهم

(١) العبارة من هنا إلى « الحيرة و الدهشة » ساقطة من مد (٢) فى ظ : لشرط (٣) من ظ . و فى الأصل : استعلاء (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : موافقهم (٥) من مد ، و فى الأصل : راهم ، و فى ظ : تراهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تيمنا (٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ و مد . (٩) فى ظ و مد : الدنيا .

الداعى، و ينفذهم البصر[١]، قد برزوا لله جميعا من كان منهم عاصيا و من كان مطيعا فى صعيد واحد، قد أخذ بأنفاسهم الزحام، و تراكبت الأقدام على الأقدام، و ألجمهم العرق، و عمهم الغرق ﴿فيقول ما ذآ﴾ أى أوضحوا أو[٢] عينوا جوابكم الذى ﴿اجبتم المرسلين﴾ أى به، و لما لم يكن لهم قدم صدق و لا سابق حق بما أتتهم الرسل به من الحجج، و تابعت عليهم من الأدلة، لم يكن لهم جواب[٣] إلا السكوت، و هو المراد بقوله: ﴿فعميت﴾ أى خفيت و أظلمت فى غواية و لجاج ﴿عليهم الانبآء﴾ [أى -[٤]] الأخبار التى هى من العظمة بحيث يحق لها فى ذلك اليوم أن تذكر، و هى التى يمكن أن يقع بها الخلاص، و عداه بعلى إشارة إلى أن عماها[٥] وقع عليهم، فعم الكل العمى فصاروا بحيث لا تهتدى[٦] الأنباء لعماها[٧] إليهم لتجددها[٨]، و لا يهتدون إليها لانتشار عماها إليهم، و هذا كله إشارة [إلى أنهم -[٤]] لم يقدموا[٩] عملا فى إجابة الرسل بحق أن يذكر فى ذلك اليوم، بل أسلفوا من التكذيب و الإساءة ما يودون[١٠] لو أن بينهم و بينه أمدا بعيدا، و قال: ﴿يومئذ﴾ تكريرا لتخويف ذلك اليوم و تهويله، و تقريرا لتعظيمه و تبجيله.

(١) من مد، و فى الأصل: البصير، و فى ظ: السحر (٢) من مد، و فى الأصل و ظ «و» (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: جوابا (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: عماهم (٦) من ظ و مد. و فى الأصل: لا يهتدوا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اعماها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ليجدوها. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يقوموا (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: يوذن.

و لما تسبب عن هذا السؤال السكوت علما منهم بأنه ليس عند أحد منهم ما يغنى فى جوابه من حسن القول و صوابه، و أنهم لا يذكرون شيئا من المقال[1] إلا عاد عليهم بالوبال، قال مترجما عن ذلك: ﴿فهم لا يتساءلون﴾ أى لا يسأل أحد منهم أحدا عن شىء يحصل به خلاص، لعلمهم أنه قد عمهم الهلاك، و لات حين مناص، و لأن كل منهم أبغض الناس فى الآخر.

و لما علم بهذه الآيات حال من أصر على كفره و عمل سيئا[2] بطريق العبارة. و أشير إلى حال من تاب فوعد الوعد الحسن ألطف إشارة تسبب عن ذلك [التشوف إلى -[3]] التصريح بحالهم، فقال مفصلا مرتبا على ما تقديره: هذا[4] حال من أصر على كفره ﴿فاما من تاب﴾ أى عن كفره[5] و قال[4]: ﴿و امن﴾ تصريحا بما علم التزاما، فان الكفر و الايمان ضدان، لا يمكن ترك[5] أحدهما إلا[6] بأخذ الآخر ﴿و عمل﴾ تصديقا لدعواه باللسان ﴿صالحا﴾.

و لما كانت النفس نزاعة إلى النقائص، مسرعة إلى الدنايا، أشير إلى صعوبة الاستمرار على طريق الهدى إلا بعظيم المجاهدة بقوله: ﴿فعسى﴾ أى فانه يتسبب[7] عن حاله[8] هذا الطمع فى ﴿ان يكون﴾ أى كونا هو فى غاية الثبات ﴿من المفلحين﴾ أى الناجين من شر ذلك اليوم، الظافرين

(١) فى ظ: المقام (٢) من مد، و فى الأصل: شيئا، و فى ظ: مساء (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) سقط من ظ ومد (٦) فى ظ: ان (٧) من مد، وفى الأصل و ظ: تسبب (٨) فى الأصل: حالة، و فى ظ و مد: حال.

بجميع

بجميع المراد، باستمرارهم على طاعتهم إلى الموت، و إنما لم يقطع[1] له بالفلاح و إن كان مثل ذلك فى مجارى عادات الملوك قطعا، إعلاما بأنه لا يجب عليه سبحانه شيء ليدوم حذره، و يتقى قضاؤه و قدره. فان الكل منه.

و لما كان كأنه قيل: ما لأهل القسم الأول لايتوخون[2] النجا من ضيق ذلك البلا، إلى رحب[3] هذا الرجا، و كان الجواب: ربك منعهم من ذلك. أو ما له لم يقطع لأهل هذا القسم بالفلاح كما قطع لأهل القسم الأول بالشقاء؟ و كان الجواب: إن ربك لا يجب عليه شيء عطف عليه - إشارة إليه - قوله / ﴿ و ربك ﴾ أى المحسن إليك، بموافقة من وافقك[4] و مخالفة من خالفك[5] لحكم كبار، دقت عن فهم أكثر الأفكار ﴿ يخلق ما يشآء ﴾ من الهدى و الضلال و غيرهما، لأنه المالك المطلق[6] لامانع له من شيء من ذلك ﴿ و يختار[7] ﴾ أى يوقع الاختيار[7]، لما يشاء فيريد الكفر للأشرار، و الإيمان للأبرار، لا اعتراض عليه. فربما ارتد أحد ممن[8] أظهر المتاب، لما سبق عليه من الكتاب، فكان من أهل التباب[9] فلا تأس على من فاتك كائنا من كان، و اعلم أنه[10] ما ضر[11] إلا نفسه،

٤٢ /

(١) زيد فى الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لايوحون (٣) فى ظ و مد: حب (٤) فى ظ: يوافقك. (٥) فى ظ: يخالفك (٦) من ظ و مد، وفى الأصل: الملك، وزيد بعده فى ظ: لأنه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الأخيار (٨) فى ظ: من (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الثبات (١٠) فى مد: ان (١١) فى ظ و مد: اضر.

و من فاتنا يكفيه أنا نفوته .

و لما أفهم هذا أن غيره سبحانه إذا أراد شيئا لم يكن إلا أن يوافق[1] مراده تعالى ، صرح به بقوله[2] : ﴿ ما كان لهم الخيرة[3] ﴾ أى أن يفعلوا أو يفعل لهم كل ما يختارونه من إتيان الرسول بمثل ما أتى به موسى ٥ عليه الصلاة و السلام أو غيره ، اسم من الاختيار ، يقام مقام المصدر ، و هو أيضا اسم المختار ، فهو تعبير بالمسبب عن السبب لأنه إذا خلى عنه كان عقيما[4] فكان عدما ، قال الرازى فى اللوامع : و فيه دليل على أن العبد فى اختياره غير مختار ، فلهذا أهل الرضى حطوا الرحال بين يدى ربهم ، و سلموا الأمور إليه بصفاء التفويض ، يعنى فان[5] أمرهم ١٠ أو نهاهم بادروا ، و إن أصابهم بسهام[6] المصائب العظام صابروا ، و إن أعزهم أعزوا أنفسهم و أكرموا ، و إن أذلهم رضوا و سلموا ، فلا يرضيهم إلا ما يرضيه ، و لا يريدون إلا ما يريده فيمضيه :

وقف الهوى بى[6] حيث انت فليس [لى-[7]] متأخر عنه و لا متقدم
أجد الملامة فى هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمنى اللوم[8]
١٥ [9]و أهنتنى[9] فأهنت نفسى صاغرا ما من يهون عليك ممن أكرم[10] .

و لما كان إيقاع شىء على غير مراده نقصا ، و كان وقوع الشرك

---

(١) فى ظ و مد : وافق (٢) فى ظ : قوله (٣) فى ظ : عظيما (٤) فى ظ : وان .
(٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٧) زيد من ظ و مد .
(٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : اللوم (٩-٩) فى مد : فأهنتنى (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : يكرم .

سفولا وعجزا، قال تعالى مشيرا إلى نتيجة هذه الآيات فى نفى ذلك عنه: ﴿ سبحٰن الله ﴾ أى تنزه الجامع لصفات الكمال عن أن يختار أحد شيئا لا يريده فيصل إليه أو يقع بوجه عليه ﴿ و تعٰلى ﴾ أى علا علو المجتهد فى ذلك، فعلوه لا تبلغ العقول بوجه كنه هداه ﴿عما يشركون ٥﴾ لأنه لا إرادة لما ادعوهم شركاء، ولو كانت لهم إرادة لتوقف إنفاذها ٥ لعجزهم على إيجاد الخالق.

ولما كانت القدرة لا تتم إلا بالعلم، قال: ﴿ و ربك ﴾ أى المحسن إليك [1]المتولى لتربيتك[1]، كما هو بالغ القدرة، فهو شامل العلم ﴿ يعلم ما تكن ﴾ أى تخفى و تستر ﴿ صدورهم ﴾ من كونهم يؤمنون على تقدير أن تأتيهم [2]آيات مثل[2] آيات موسى أو لا يؤمنون، ومن ١٠ كون ما [3]أظهر من[3] أظهر منهم الإيمان بلسانه خالصا أو مشوبا.

ولما كان علم الخفى لا يستلزم علم[4] الجلى إما لبعد أو لغط أو اختلاط أصوات يمنع تمييز بعضه عن بعض أو غير ذلك قال: ﴿ و ما يعلنون ٥﴾ أى يظهرون، كل ذلك لديه سواء، فلا يكون لهم مراد إلا بخلقه[5].

ولما كان علمه بذلك إنما هو لكونه إلها، وكان غيره لا يعلم ١٥ من علمه إلا ما علمه، عبر عن ذلك بقوله: ﴿ و هو الله ﴾ أى المستأثر بالإلهية الذى لا سمى له، الذى لا يحيط / الوصف من عظمته باكثر ٤٣ / من أنه عظيم على الإجمال، وأما التفاصيل كلها أو أقلها فهيهات هيهات؛

(١-١) فى ظ و مد: بتربيتك (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد، و فى ظ: اظهر ما (٤) فى ظ: على (٥) فى ظ: تخلصه.

ثم شرح [معنى -[1]] الاسم الأعظم بقوله ﴿ لآ اله الا هو[2] ﴾ ثم علل ذلك بقوله : ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ فى الاولى و الأخرة ز ﴾ و ليس ذلك لشىء سواه أن آمنوا أو[3] كفروا ﴿ و له ﴾ أى وحده ﴿ الحكم ﴾ أى إمضاء القضاء على الإطلاق ، فلو أراد لقسرهم على الإيمان ﴿ و اليه ﴾ أى لا إلى غيره ﴿ ترجعون ه ﴾ أى بأيسر أمر يوم النفخ فى الصور ، لبعثرة القبور ، بالبعث و النشور ، مع أنكم الآن أيضا راجعون فى جميع أحكامكم إليه و مقصورون[4] عليه ، إن شاء أمضاها ، و إن أراد ردها و لواها ، ففى الآيات غاية التقوية لقلوب المطيعين ، و نهاية الزجر و الردع للمتمردين ، بالتنبيه على كونه قادرا على جميع الممكنات ، عالما بكل المعلومات ، منزها[5] عن النقائص و الآفات[6] يجزى الطائعين و العاصين بالقسط .

و لما قامت على القدرة الشاملة و العلم التام و أنه الإله وحده إن وجدوا أو الحدوا هذه الأعلام على هذا النظام ، أقام دليلا دالا على ذلك كله بما اجتمع فيه من العلم و الحكمة و تمام القدرة ، منبها على وجوب حمده مفصلا لبعض ما يحمد عليه ، فقال[7] مقدما الليل لأن آيته عدمية ، و هى أسبق : ﴿ قل ﴾ لمن ربما عاندنا فى ذلك ، منكرا عليهم ملزما لهم ، و عبر بالجمع لأنه أدل على الإلزام ، أعظم فى الإفحام[8] ،

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : الله . (٣) من مد . و فى الأصل : و ان ، و فى ظ «و» (٤) فى ظ و مد : مقصرون . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : متنزها (٦) فى ظ : الأوقات - كذا (٧) وقع فى ظ و مد بعد « هى اسبق » (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاقحام .

فقال: ﴿ ارءيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان جعل الله ﴾ أى الملك الأعلى نظرا إلى مقام العظمة و الجلال ﴿ عليكم الّيل ﴾ الذى بـه اعتدال حر النهار ﴿ سرمدا ﴾ أى دائما، و قال: ﴿ الى يوم القيٰمة ﴾ تنبيها على أنه مما لا[1] يتوجه إليه إنكار ﴿ من الٰه غير الله ﴾ العظيم الشأن الذى لا كفوء له.

٥

و لما كان النور نعمة فى نفسه، و يعرف [به -[2]] خالقه، صرح به و طوى أثره فقال: ﴿ ياتيكم بضيآء ﴾ أى يولد نهارا تنتشرون فيه، و لقوة إعلامه بالقدرة و تعريفه بالله عبر بهذا دون يؤتيكم[3] ضياء، و لما كان الليل محل السكون و مجمع الحواس، فهو أمكن للسمع و أنفذ للفكر، قال تعالى: ﴿ افلا تسمعون ﴾ أى [4]ما يقال[4] لكم إصغاء ١٠ و تدبر، كما يكون لمن هو فى الليل فينتفع بسمعه من أولى العقل ﴿ قل ارءيتم ان جعل الله ﴾ أى الذى له الأمر كله بجلاله و باهر كماله ﴿ عليكم النهار ﴾ الذى توازن حرارته رطوبة الليل فيتم بهما[5] صلاح النبات، و غير ذلك من جميع المقدرات[6] ﴿ سرمدا ﴾ أى دائما، من السرد، و هو المتابعة بزيادة الميم مبالغة فيه ﴿ الى يوم القيٰمة ﴾ أى ١٥ الذى لا يسمع عاقلا إنكاره ﴿ من الٰه غير الله ﴾ الجليل الذى ليس له مثيل[7]، و هو على كل شىء وكيل.

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد: ياتيكم (٤-٤) من ظ و مد. و فى الاصل مايقا - كذا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بها.
(٦) فى ظ و مد: المقدورات (٧) فى ظ و مد: مثل.

و لما كان الظلام غير مقصود فى نفسه ، و كان بعد الضياء فى غايــة التعريف بموجده ، عدل عن اسمه فقال معبرا[1] لمثل ما مضى : ﴿ ياتيكم بليل ﴾ [2]أى ينشأ منه ظلام[2] ؛ ثم بين بما يدل على ما حذفه من الأول فقال : ﴿ تسكنون فيه[4] ﴾ فالآية من الاحتباك : ذكر الضياء ٥ أولا دليلا على حذف الظلام ثانيا ، و الليل و السكون ثانيا دليلا على حذف النهار و الانتشار أولا .

و لما كان الضياء مما[3] ينفذ فيه البصر قال : ﴿ افلا تبصرون ﴾ أى بالبصر و البصيرة كيف تنقشع[4] جلابيب الظلام ، عن وجوه الضياء الغر الكرام ، / ثم تتقنع بسواد أردية الحياء ، وجوه [5]الأنوار و الضياء[5] /٤٤ ١٠ [قال ابن هبيرة : قال المبرد : سلطان السمع فى الليل و سلطان البصر فى النهار -[6]] .

و لما كان التقدير : فمن حكمته جعل لكم السمع و الأبصار ، [7]لتتدبروا آياته ، و تتبصروا[7] فى مصنوعاته ، عطف عليه : ﴿ و من رحمته ﴾ أى التى وسعت كل شىء لا من غيرها من خوف أو رجاء أو تعلق ١٥ غرض من الأغراض ﴿ جعل لكم الّيل و النهار ﴾ آيتين عظيمتين دبر فيهما[8] و بهما جميع[9] مصالحكم ، و ادخر معظم رحمته[10] إلى الآخرة ،

(١) فى ظ و مد : مشيرا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) فى ظ : بما (٤) فى ظ : تتسع (٥ - ٥) فى ظ : الاحرار و الصبا - كذا (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) فى ظ و مد : لتدبر و آياته و تبصروا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيها (٩) سقط من ظ (١٠) سقط من مد .

و محا[1] آية الليل ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ أى فلا تسعوا فى معاشكم ﴿ و ﴾ جعل آية النهار مبصرة[2] ﴿ لتبتغوا من فضله ﴾ بأن تسعوا فى معاشكم بجهدكم، فالآية من الاحتباك: ذكر أولا السكون دليلا على حذف السعى فى المعاش ثانيا، و الابتغاء ثانيا دليلا على حذف عدم السعى فى المعاش أولا .

و لما ذكر هذه النعمة التى أسبغها من هذه الرحمة، و ذكر علة جعله لها على الصفة المذكورة، ذكر علة أخرى هى المقصودة بالذات لأنها نتيجة السمع و البصر اللذين[3]، قدم الحث على استعمالها فقال: ﴿ و لعلكم تشكرون ﴾ أى و ليكون حالكم حال من يرجى منه الشكر بما يتجدد لكم بتقلبهما من النعم المتوالية المذكورة بالمنعم[4]، و بما دبر لكم رفقا بكم فيما كفلكم[5] به فى دار الأسباب [6]من أمر[6] المعاش و المعاد من الراحة بالسكون إثر[7] ما أفادكم من الأرباح و المنح بالانتشار و التقلب، و أما الآخرة فلما كانت غير مبنية على الأسباب . و كان الجنة لا تعب فيها بوجه [من الوجوه - [8]]، كان لاحاجة فيها إلى الليل .

و لما ذكر ما للفلح من الرجاء فى يوم الجزاء، و أتبعه الإعلام بان الهداية إلى الفلاح إنما هى به، و دل على ذلك إلى أن ذكر أيام الدنيا المشتملة على [9]الليل و[9] النهار على وجه دال على وحدانيته، معلم بالقدرة

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : مجىء (٢) زيدت الواو فى ظ (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : الذين (٤) فى ظ و مد : بالنعم (٥) فى ظ و مد : كلفكم . (٦-٦) فى ظ و مد : فى دارى (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : كما ثو- كذا. (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

على البعث بعد الموت بتكرير إيجاد كل من الملوين بعد إعدامه و تكرير إماتة الناس بالنوم، ثم نشرهم باليقظة، و ختم ذلك بالشكر إشارة إلى أنه سبب الفلاح، عاد إلى يوم الجزاء الذى تظهر فيه ثمرة ذلك كله، مقرعا على الإشراك مع ظهور هذه[1] الدلائل على التوحيد، و عدم شبهة قائمة على الشرك غير محض التقليد. فقال منبها على عجزهم عن البرهان عند استحقاق البرهان فى يوم التناد، لمحضر من الأشهاد، مع ما فيه من التأكيد للتهويل بالتكرير، و التاطيد[2] للتهليل و التقرير[3]: ﴿و يوم يناديهم﴾ أى هؤلا الذين يظنون أنهم معجزون ﴿فيقول﴾ بلسان الغضب و الاخزاؤ[4] و التوبيخ و قد جمعوا جمعا: ﴿اين شركآءى﴾ وكرر الإشارة إلى أن[5] إشراكهم إنما هو بالاسم لامعنى فيه أصلا فقال: ﴿الذين كنتم﴾ أى بغاية جهدكم حتى صار لكم ذلك لمكة ﴿تزعمون﴾ بلا شبهة لكم فى ذلك عند التحقق[6] أصلا.

و لما ذكر الدليل الأول من الدليل على إبطال الشركة أن الشركاء لم يستجيبوا لهم، و لا كانت لهم قدرة على نصرهم و لا نصر أنفسهم، و كان ربما قيل: إن ذلك لشىء عن العجز، دل هنا على الإشراك لا شبهة دليل[5] فقال [صارفا القول إلى مظهر التكلم بأسلوب العظمة لأنه مجرد فعال[7]] ﴿و نزعنا﴾ أى أفردنا بقوة و سطوة ﴿من كل امة شهيدا﴾

(١) سقط من ظ و مد (٢) أى التوطيد، و وقع فى الأصل: التاكيد، و فى ظ: التاطنه، و أثبتناه هو من مد (٣) فى ظ: التقدير (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) سقط من مد (٦) فى ظ ومد: التحقيق (٧) زيد من ظ ومد.

أى

أى و هو رسولهم، فشهد عليهم بأعمالهم و ما كانوا فيه من الارتباك فى أشراك الإشراك .

و لما تسبب عن ذلك سؤالهم عن[1] سندهم فى إشراكهم قال[2]: / ﴿فقلنا﴾ أى للأمم: ﴿هاتوا برهانكم﴾ أى دليلكم القطعى الذى فزعتم / ٤٥
فى الدنيا إليه، و عولتم فى شرككم عليه، كما هو شأن ذوى العقول أنهم ٥
لا يبنون شيئا على غير أساس ﴿فعلموا﴾ بسبب [هذا -[3]] السؤال لما اضطروا[4] ففتشوا و[4]اجتهدوا فلم يجدوا لهم سندا أصلا ﴿ان الحق﴾ أى[5] فى الالهية ﴿لله﴾ اى الملك الأعلى[5] الذى له الأمر كله و لا مكافىء[6] له، لا شركة لشىء معه ﴿و ضل﴾ أى غاب و بطل غيبة الشىء الضائع ﴿عنهم ما كانوا﴾ أى كونا[7]هو كالجبلة لهم[7] ﴿يفترون ع﴾ ١٠
أى يقولونه قول الكاذب المتعمد للكذب لكونه لا دليل عليه و لا شبهة موجبة للغلط فيه .

و لما دل على عجزهم فى تلك الدار . و علمهم أن المتصرف فى جميع الأقدار، إنما هو الواحد القهار، دل على أن ذلك له[5] أيضا فى هذه الدار بوقوع العلم به باهلاك أولى البطر، و المرح و الأشر، من غير أن ١٥
يغنوا عمن اضلوا، أو يغنى عنهم من أصلهم من ناطق، و ما اضلهم من

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: فقال.
(٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) من ظ و مد. و فى الأصل: فيبسوا أو.
(٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد. و فى الأصل: يكافى (٧ - ٧) فى ظ و مد: هم راسخون فيه.

صامت، تطبيقا لعموم "وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها" على بعض الجزئيات، تخويفا لمن كذب النبي صلى الله عليه وسلم، لا سيما من نسبه إلى السحر، وإعلاما بأن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقاطعون الأشقياء وإن[1] كانوا أقرب الأقرباء، لأنه سبحانه عذب قارون[2] ومن كان معه بعذاب لم يسبقهم فيه أحد، وهم من بني إسرائيل ومن أقرب بني إسرائيل إلى موسى عليه الصلاة والسلام، فعلم كل من كان اغتر بما أوتيه[3] [أن - [4]] الحق لله في كل ما دعت إليه رسله، ونطقت به كتبه، وضل عنهم ما كانوا يفترون، [ولم يغن عنهم شيئا ماعتمدوا عليه، فكان معبودهم في الحقيقة مما جمعوه[5] من حطام الدنيا فاعتقدوا أنهم نالوا به السعادة الدائمة والعز الباقي، فكان مثله - كما يأتي في التي بعده - كمثل العنكبوت اتخذت بيتا - [4]]. وكل[6] ذلك بمرأى من موسى عليه الصلاة والسلام[7] حين كذبه ونسبه إلى السحر وتكبر عليه، فلم يسأل الله تعالى فيه لخروجه باستكباره من الوعد بالمنة على الذين استضعفوا [في الأرض - [8]]، وكان ذلك العذاب الذي [عذبوا به من جنس ما - [4]] عذب به فرعون في الصورة من حيث أنه تغييب وإن كان ذلك في مائع، وهذا في صلب جامد، ليعلم أنه قادر على ما يريد، ليدوم

(١) سقط من مد (٢) في ظ ومد: قرون (٣) في ظ ومد: اوتيته.
(٤) زيد من ظ ومد (٥) في ظ: جمعوهم (٦) في ظ ومد: كان (٧) زيد في ظ ومد: فعلم كل من كان اغتر بما أوتيه أن الحق لله في كل ما دعت إليه رسله.

منه الحذر، فيما سبق[1] منه القضاء و القدر، و نزع موسى عليه الصلاة و السلام من كل سبط من أسباط بنى إسرائيل شهيدا من عصيهم و قال لهم: هاتوا برهانكم [فيها -[2]]، فعلموا بإبراق عصا هارون عليه الصلاة و السلام دون عصيهم أن الحق لله فى أمر الحبورة و[3] فى جميع أمره فقال: ﴿ان قارون﴾ و يسمى فى التوراة قورح، ثم بين سبب التأكيد ٥ بقوله: ﴿كان﴾ أى كونا متمكنا ﴿من قوم موسى﴾ تنبيها على أنه جدير بأن ينكر[4] كونه كذلك لأن[5] فعله معهم لايكاد يفعله أحد[6] مع قومه، و ذلك أنه كان من الذين آمنوا به و قلنا فيهم "و نريد ان نمن [7]على الذين[7]" - إلى آخره، لأنه ابن [8]عم موسى عليه الصلاة و السلام[8] [على ما -[9]] حكاه أبو حيان[10] و غيره عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿فبغى عليهم﴾ ١٠ أى تجاوز الحد فى احتقارهم بما خولناه فيه من هذا الحطام المتلاشى، و العرض الفانى، فقطع ما بينه و بينهم من الوصلة، و وصل ما بينه و بين فرعون و أضرابه[11] من الفرقة، /[12]فأخرجه ذلك من حوزة المنة و الأمانة و الوراثة إلى دائرة الهلاك و الحقارة[12] و الخيانة، كما بغى عليهم فرعون؛ و كان أصل 'بغى' هذه: أراد، لكن لما كان العبد لاينبغى أن يكون ١٥ /٤٦

(١) من ظ، و فى الأصل و مد: يسبق (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ: منكر (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لا (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨-٨) فى ظ: عمه. (٩) زيد من مد (١٠) راجع البحر المحيط ٧/١٣١ (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: اصوابه (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من مد.

له إرادة ، بل الإرادة لسيده كما نبه عليه "ما كان لهم الخيرة" ، جعلت إرادته تجاوز[1] الحد ، وعديت[2] بـ'على' المقتضية للاستعلاء تنبيها على خروجها عن أصلها .

ولما ذكر بغيه ، ذكر سببه الحقيق ، فقال : ﴿ وآتيناه ﴾ أي ومع كوننا أنعمنا عليه بجعله من حزب أصفيائنا آتيناه بعظمتنا ﴿من الكنوز﴾ أي الأموال المدفونـــة المدخرة[3] ، فضلا عن الظاهرة التي هي[1] بصدد الإنفاق منها لما عساه يعرض من المهمات ﴿ما﴾ أي الذي أو شيئا كثيرا لا يدخل تحت حصر حتى ﴿ان مفاتحه﴾ أي مفاتح الأغلاق[4] التي هو مـــدفون فيما وراء أبوابها ﴿لتنوأ﴾ أي تميل بجهد ومشقة لثقلها ﴿بالعصبة﴾ أي الجماعة الكثيرة التي[5] يعصب - أي يقوى - بعضهم بعضا ، وفي المبالغة بالتعبير بالكنوز والمفاتيح والنوء والعصبة الموصوفة ما يدل على أنه أوتي من ذلك ما لم يؤته أحد ممن هو في عداده ، وكل ذلك مما تستبعده[6] العقول ، فلذلك وقع[7] التأكيد ﴿اولي القوة ق﴾ أي تميلهم من أثقالها إياهم ، والنوء : الميل ، قال الرازي : والنوء : الكوكب مال[8] عن العين عند[9] الغروب ، يقال : ناء بالحمل - إذا نهض به مثقلا ، وناء به الحمل - إذا أماله لثقله .

(١) سقط من ظ (٢) في ظ ومد : عدت (٣) في ظ ومد : المدخورة . (٤) في ظ : الارزاق (٥) من ظ ومد ، وفي الأصل : الذين (٦) في ظ ومد : تبعده (٧) من ظ ومد ، وفي الأصل : ومع (٨) في ظ : قال (٩) من ظ ومد ، وفي الأصل : عنه .

و لما ذكر بغيه[١]، ذكر وقتـــه، و الوقت قد يكون واسعا كما تقول[٢]: جرى كذا عام[٣] كذا، و فيه التعرض للسبب القريب فقال: ﴿ اذ قال له ﴾ [٤]و قال[٤]: ﴿ قومه ﴾ إشارة إلى تناهى بغيه بافتخاره وكبره على أقاربه الذين جرت العادة أن لا يغضب كلامهم و لا يؤرث التعزر عليهم ولا يحمل إلا على النصح و الشفقة، و ساغت نسبة القول للكل [٥]و إن[٥] كان القائل البعض، بدليل ما يأتى، إما عدا للساكت قائلا لرضاه[٦] به لأنه[٧] مما لا يأباه أحد، و إما لأن أهل الخير[٨] هم الناس، و من عداهم عدم: ﴿ لا تفرح ﴾ أى لا تسر سرورا يحفر فى قلبك فيتغلغل فيه فيحرفك إلى الأشر و المرح، فان الفرح بالعرض الزائل يدل على الركون إليه، و ذلك يدل على نسيان الآخرة، و ذلك على غاية الجهل و الطيش و قلة التأمل للعواقب، فيجر إلى المرح فيجر إلى الهلاك، قال الرازى: و من فرح بغير مفروح بـــه استجلب حزنا لا انقضاء له. و عللوا نهيهم له بما يفهم أشد الشفقة و المحبة فقالوا مؤكدين لاستبعاد من يرى تواصل النعم السارة على أحد أن يكون غير محبوب: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال فلا شىء أجل منه، فبه ينبغى[٩] أن يفرح ﴿ لا يحب ﴾ أى لا يعامل معاملة المحبوب ﴿ الفرحين ٥ ﴾ أى

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) فى الأصل: يقول (٣) فى ظ و مد: عرض (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥ - ٥) فى ظ و مد: فان (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: لمرضاه. (٧) سقط من مد (٨) سقط من ظ و مد (٩) فى ظ و مد: فينبغى.

الراسخين فى الفرح بما يفنى، فان فرحهم يدل على سفول الهمم .

و لما كان ترك الفرح سببا للزهد ، و هو سبب القرب [1] إلى الله ، كان كأنه قيل : و ازهد فيه إن الله يحب الزاهدين ﴿ و ابتغ ﴾ أى اطلب طلبا تجهد [2] نفسك فيه ﴿فيما آتاك الله﴾ أى الملك الأعظم [3] الذى له الأمر / كله من هذه الأموال حال تمكنك ﴿ الدار الآخرة ﴾ بانفاقه فيما يحبه [4] الله [5] بحيث يكون ابتغاؤك ذلك مظروفا له فيكون كالروح و المؤتى كالجسد ليكون حيا بذلك الابتغاء، فلا يكون منه شىء بغير حياة [5] ، فان فعلك لذلك يذكرك أن هذه الدار دار [6] قلعة و [6] ارتحال، و كل ما فيها إلى زوال، و ذلك يوجب الزهد فى جميع ما فيها من الأموال .

٤٧ / ٥

١٠

و لما كان ذلك شديد المشقة على النفوس مع ما فيه من شائبة الاتهام قالوا : ﴿و لا تنس﴾ أى تترك ترك الناسى ﴿نصيبك من الدنيا﴾ ترك المنسى ، بل استعمل المباحات من المآكل و الملابس و المناكح و المساكن و ما يلائمها ، و ليكن استعمالك لذلك - كما دل عليه السياق - من غير إسراف و لا مخيلة توجب ترك الاتصاف بالإنصاف [7] ؛ و عن

١٥

(١) فى ظ و مد : للبذل المقرب (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تحمد .
(٣) زيد فى ظ و مد : اى (٤) من ظ ، و فى الأصل : حبه ، و فى مد : يحب .
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) سقط من ظ .

على رضى الله عنه : و لا تنس صحتك و قوتك و نشاطك و غناك أن تطلب به الآخرة .

و لما أطلق له الاقتصاد فى التمتع بالزاد ، و كانت النفس مجبولة على الشره ، فاذا أذن لها [١]من الدنيا فى نقير[١] جعلته أكبر[٢] كبير ، أتبعوا ذلك ما لعله يكف من شرهها[٣] فقالوا : ﴿ و احسن ﴾ أى أوقع الإحسان بدفع المال إلى المحاويج ، و الإنفاق فى جميع الطاعات ﴿ كما احسن الله ﴾ أى[٢] الجامع لصفات الكمال ، المتردى برداء العظمة و الجلال ﴿ اليك ﴾ بأن تعطى عطاء من لا يخاف الفقر كما أوسع عليك .

و لما كانت النفس من شأنها إن لم تزم بزمام الشرع [٤]الإسراف و الإجحاف[٤] ، قالوا : ﴿ و لا تبغ ﴾ أى لا ترد[٥] إرادة ما ﴿ الفساد فى الارض ﴾ بتقتير و لا تبذير ، و لا تكبر على عباد الله و لا تحقير ؛ ثم أتبع ذلك علته مؤكدا لأن أكثر المفسدين يبسط لهم فى الدنيا ، و أكثر الناس يستبعد أن يبسط فيها لغير محبوب ، فقيل : ﴿ ان الله ﴾ أى العالم بكل شىء ، القدير[٦] على كل شىء ﴿ لا يحب المفسدين ﴾ أى لا يعاملهم معاملة من يحبه ، فلا يكرمهم .

و لما كان[٧] مما[٨] قالوه أن الذى أعطاه ذلك إنما[٩] هو الله ، و كان قد

(١ - ١) فى مد : فى نقير من الدنيا (٢) سقط من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : شرهما (٤ - ٤) فى ظ : الاشراف و الالحاف - كذا . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تر (٦) فى مد : القادر (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : كانوا (٨) فى ظ : بما (٩) سقط من مد .

أبطرته النعمة حتى على خالقه [حتى - [1]] حصل التشوف إلى جوابه فقيل فى أسلوب التأكيد لأن كل أحد يعلم من نفسه العجز، و أن غيره ينكر عليه فيما يدعى أنه حصله بقوته: ﴿ قال انما اوتيته ﴾ أى هذا المال ﴿على علم﴾ حاصل ﴿ عندى[4] ﴾ فأنا مستحق لذلك، و ذلك العلم هو السبب [2]فى حصوله[2]، لا فضل لأحد علىّ فيه - بما يفيده التعبير بانما، و بناء الفعل للمجهول إشارة إلى عدم علمه بالمؤتى من هو، و قد قيل: إن ذلك العلم هو[3] الكيمياء.

و لما كان التقدير: ألا يخاف أن يسلبه الله - عقوبة له على هذا - علمه و ماله [و نفسه - [1]]؟ ألم يعلم أن ذلك إنما هو بقدرة الله؟ لاصنع له فى الحقيقة فى ذلك أصلا، لأن الله قد أفقر من هو أجل منه حيلة و أكثر علما، و أعطى أكثر منه من لاعلم له و لا قدرة، فهو قادر على إهلاكه، و سلب ما معه[4] و إفنائه، كما قدر على إيتائه[5]، عطف عليه قوله منكرا عليه: ﴿ او لم يعلم ان الله ﴾ أى بما له من صفات الجلال[6] و العظمة و الكمال ﴿ قد اهلك ﴾ و نبه على أنه لم يتعظ مع مشاهدته للهلكين الموصوفين مع قرب الزمان بإدخال 'من' فى قوله: ﴿من قبله﴾ و لو حذفها لاستغرق الإهلاك على ذلك الوصف جميع ما / تقدمه من /٤٨

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) فى ظ ومد: لحصوله (٣) سقط من ظ و مد.
(٤) زيد فى الأصل: و اهلاكه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٥) من مد، و فى الأصل و ظ: افنائه (٦) من ظ ومد، و فى الأصل: الجمال.

الزمان ﴿من القرون﴾ أى الذين[1] هم فى الصلابة كالقرون ﴿من هو اشد منه﴾ أى قَرون ﴿قوة﴾ أى فى البدن، و المعانى من العلم و غيره، و الأنصار و الخدم ﴿و اكثر جمعا[4]﴾ فى المال و الرجال، آخرهم فرعون الذى شاوره[2] فى ملكه، و حقق أمره يوم [مهمّ -[3]] هلكه، و كان يستعبده أمثاله و يسومهم سوء العذاب، و لم[4] يعاملهم معاملة من يحبه و لا امتنع ٥ عليه ذلك لعلم عند أحد منهم و لا جمع، "بل أخذهم لبغيهم و قبح تقلبهم و سعيهم".

و لما كانت عادة أهل الدنيا أنهم إذا غضبوا من أحد فارادوا إهلاكه عاتبوه، فتارة يحلف على نفى الذنب فيقبل منه و إن كان كاذبا، و تارة يكشف الحال عن [أن -[3]] باطن أمره على خلاف ما ظهر من شره، ١٠ فيكون له عذر خفى، أشار سبحانه إلى أن ذلك لايفعله إلا جاهل بحقائق الأمور و مقادير ما يستحق على كل ذنب من العقوبة، و أما المطلع على بواطن الضمائر و خفايا السرائر فغنى عن[6] ذلك، فقال تعالى ذاكرا لحال المفعول و هو "من": ﴿و لا﴾ أى أهلكهم و الحال أنهم لايسألون - هذا الأصل، ولكنه قال: ﴿يُسئل﴾ أى من سائل ما ﴿عن ذنوبهم المجرمون٥﴾ ١٥ فأظهر لإفادة أن الموجب للاهلاك الإجرام، و هو قطع ما ينبغى

(١) فى ظ: الذى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: شاهده (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى مد: لا (٥-٥) فى ظ: على أحدهم، و فى مد: بل اخذهم لبغيهم. (٦) فى ظ: من.

وصله[1] بوصل ما ينبغى قطعه ، و لهذا[2] سبب[3] و عقب عن وعظهم الحسن و جوابه الخشن قوله سبحانه دليلا على إجرامه ، و طغيانه فى آثامه : ﴿ فخرج على قومه ﴾ أى الذين نصحوه[4] فى الاقتصاد فى شأنه ، و الإكثار فى الجود على إخوانه ، ثم ذكر حاله معظما لها بقوله : ﴿ فى زينته[5] ﴾ أى التى تناسب ما ذكرنا من أمواله ، و تعاظمه فى كماله[5] ، من أفعاله و أقواله .

و لما كان كأنه قيل : ما قال قومه ؟ قيل : ﴿ قال الذين يريدون ﴾ أى هم بحيث يتجدد منهم أن يريدوا ﴿ الحيوة الدنيا ﴾ منهم لسفول الهمم[6] و قصور النظر على الفانى ، لكونهم أهل جهل و إن كان قولهم من باب الغبطة لا من الحسد الذى هو تمنى زوال نعمة المحسود : ﴿ يٰليت لنا ﴾ أى نتمنى تمنيا عظيما أن نؤت من أىّ مؤت كان و على أىّ وجه كان ﴿ مثل ما اوتى قارون[7] ﴾ من هذه الزينة و ما تسببت[7] عنه من العلم ، حتى لا نزال أصحاب أموال ؛ ثم عظموها بقولهم مؤكدين لعلمهم أن من يريد الآخرة ينكر عليهم : ﴿ انه لذو حظ ﴾ أى نصيب و بخت فى[8] الدنيا ﴿ عظيم ﴾ بما أوتيه[9] من العلم الذى كان سببا له إلى جميع هذا المال ، و دل على جهلهم و فضل العلم الربانى و حقارة ما

---

(١) زيد فى ظ : ما (٢) فى ظ : كهذا (٣) فى مد : سببه (٤) فى مد : فضحوه .
(٥) فى ظ و مد : حاله (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الهم (٧) فى ظ و مد : تسبب (٨) فى ظ و مد : من (٩) فى ظ و مد : اوتيته .

أوتى قارون من المال و العلم الظاهر الذى أدى إليه باتباعه قوله : ﴿ و قال الذين ﴾ و عظم الرغبة فى العلم بالبناء للمفعول إشارة إلى أنه نافع بكل اعتبار [و باعتبار الزهد ، و بالتعبير عن أهل الزهد به - [1]] فقال : ﴿ اوتوا العلم ﴾ أى من قومه ، فشرفت [2] أنفسهم عن إرادة الدنيا علما بفنائها ، زجرا لمن تمنى [3] مثل حاله ، و شمرا [4] إلى الآخرة لبقائها : ﴿ ويلكم ﴾ أى عجبا لكم ، أو حل بكم الشر حلولا ، و أصل ويل ، وى [5] ، قال الفراء : جىء بلام الجر بعدها مفتوحة مع المضمر نحو وى لك ، و [6] وى له ، أى عجبا لك و له ، ثم خلط اللام بوى لكثرة [7] الاستعمال حتى صارت كلام الكلمة فصار معربا باتمامه ثلاثيا ، فجاز أن يدخل بعدها لام [8] أخرى فى نحو ويلا لك ، لصيرورة الأول لام الكلمة ، ثم نقل إلى باب المبتدأ / فقيل : ويل لك ، و هو باق على ما كان عليه فى حال النصب إذ الأصل فى ويل لك : هلكت ويلا ، أى هلاكا ، فرفعوه بعد حذف الفعل [9] نقضا لغبار [9] الحدوث ، و قيل : أصل ويل الدعاء بالهلاك ، ثم استعمل فى الزجر و الردع و البعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل لا أبا لك - و أصله الدعاء على الرجل - فى الحث على الفعل ، فكأنهم [10] قالوا : ما [11] لنا يحل بنا الويل ؟ فأخبروهم بما ينبغى معرضين

/ ٤٩

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى مد : فشرف (٣) فى ظ و مد : تميز (٤) فى ظ و مد : سمعوا (٥) فى ظ و مد : ويه (٦) فى ظ و مد : او (٧) فى ظ و مد : المكثرة (٨) فى مد : لاما (٩ - ٩) فى ظ و مد : حال النصب نقضا لغيار .
(١٠) فى ظ : وكانهم (١١) فى ظ : بما .

عما[1] استحقوا به الويل من التمنى، تحقيرا لما استفزهم حتى قالوه فقالوا: ﴿ ثواب الله ﴾ أى الجليل العظيم ﴿ خير ﴾ أى من هـذا الحطام، و من فاته[2] الخير حل به الويل؛ ثم بينوا مستحقه[3] تعظيما له و ترغيبا للسامع فى حاله فقالوا: [4]﴿ لمن آمن و عمل ﴾[4] أى تصديقا لإيمانه ٥ ﴿ صالحا ج ﴾ ثم بين سبحانه عظمة هذه النصيحة و علو قدرها بقوله مؤكدا لأن أهل الدنيا ينكرون كونهم[5] غير صابرين: ﴿ و لا يلقّاها ﴾ أى[6] لا يجعل[6] لاقيا لهذه الكلمات أو النصيحة التى قالها أهل[7] العلم، أى عاملا بها ﴿ الا الصّٰبرون ه ﴾ أى على قضاء ربهم فى السراء و الضراء، و الحاملون أنفسهم على الطاعات الذين صار الصبر لهم خلقا، و عبر بالجمع ترغيبا ١٠ فى التعاون إشارة إلى [أن -[8]] الدين لصعوبته لا يستقل به الواحد.

و لما تسبب عن نظره هذا الذى أوصله إلى الكفر بربه أخذه بالعذاب، أشار إلى ذلك سبحانه بقوله: ﴿ فخسفنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ به و بداره ﴾ أى و هى على مقدار ما ذكرنا من عظمته بأمواله و زينته، فهى أمر عظيم، تجمع خلقا كثيرا و أثاثا عظيما، لئلا يقول ١٥ قائل: إن الخسف به كان للرغبة فى أخذ أمواله ﴿ الارض قف ﴾ و هو من قوم موسى عليه الصلاة و السلام و قريب منه جدا - على ما نقله

(١) فى ظ: بما (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ماية (٣) فى ظ: لمستحقه، والعبارة من بعده إلى «بين سبحانه» ساقطة من ظ ومد (٤-٤) وقع ما بين الرقمين فى ظ و مد بعد «خير» (٥) فى ظ و مد: انهم (٦-٦) من مد، و فى الأصل و ظ: جعل (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اى (٨) زيد من ظ و مد.

أهل الأخبار - فاياكم يا أمـة هذا النبي أن تردوا ما آتاكم من الرحمة برسالته فتهلكوا و إن كنتم أقرب الناس إليه فان الأنبياء كما أنهم[١] لا يوجدون الهدى فى قلوب العدى، فكذلك[٢] لا يمنعونهم[٣] من الردى و لا يشفعون لهم أبدا، إذا تحققوا أنهم من أهل الشقا ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه ما ﴿ كان له ﴾ أى لقارون، و أكد النفى - لما استقر فى الأذهان أن الأكابر منصورون - بزيادة الجار فى قوله: ﴿ من فئة ﴾ [٤]أى طائفة من الناس يكرون عليه بعد أن هالهم ما دهمه، و أصل الفئة الجماعة من الطير - كأنها سميت بذلك لكثرة رجوعها و سرعته[٥] إلى المكان الذى ذهبت منه ﴿ ينصرونه ﴾ .

و لما كان الله تعالى أعلى من كل شىء قال: ﴿ من دون الله ﴾ أى الحائز لصفات الكمال، المتردى بالعظمة و الجلال، لأن من كان على مثل رأيه هلك، و من كان من أولياء الله راقب الله فى أمره، فلم يسألوا الله فيه، و علم هو أن الحق لله، و ضل عنه[٦] - كما فى الآية التى قبلها - ما كان يفترى ﴿ و ما كان ﴾ أى هو ﴿ من المنتصرين ﴾ لأنفسهم بقوتهم . و لما خسف به فاستبصر الجهال الذين هم كالبهائم لا يرون إلا المحسوسات، عبر عن حالهم بقوله: ﴿ و اصبح ﴾ أى[٧]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: انه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: فلذلك.
(٣) من مد، و فى الأصل: لا يمتنعوهم، و فى ظ: لا يمنعوهم (٤) العبارة من هنا إلى « ذهبت منه » ساقطة من مد (٥) من ظ، و فى الأصل: سراعة.
(٦) من مد، و فى الأصل و ظ: عنهم (٧) سقط من ظ.

وصار، ولكنه عبر به لمقابلة الأمس، وإعلاما بأن ما رأوا من حاله ملأ صدورهم فلم يكن لهم هم سواه ﴿ الذين تمنوا ﴾ أى أرادوا إرادة عظيمة بغاية الشغف[1] أن يكونوا ﴿ مكانه ﴾ أى يكون[2] حاله ومنزلته فى الدنيا لهم[3] ﴿ بالامس ﴾ أى الزمان الماضى القريب وإن لم يكن يلى يومهم الذى هم فيه من قبله ﴿ يقولون ويكأن ﴾ هذه الكلمة[4] / والتى بعدها متصلة باجماع المصاحف، وعن الكسائى أنه يوقف على الياء من[5] وى، وعن أبى عمرو أنه يوقف على الكاف: ويك، قال الرضى فى شرح الحاجبية: وى للتندم أو للتعجب، ثم قال: وهو عند الخليل وسيبويه 'وى' للتعجب، ركبت مع 'كأن' التى للتشبيه، وقال الفراء: كلمة تعجب ألحق بها كاف الخطاب نحو ويك عنتر أقدم، أى من قوله فى قصيدته الميمية المشهورة إحدى المعلقات السبع:

ولقد شفى نفسى وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم

أى ويلك [و -[6]] عجبا منك، وضم إليها 'أن' فالمعنى: ألم تر أنه، ونقل ابن الجوزى هـذا عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال الفراء: ولما صار معنى[5] ويكأن ألم تر، لم تغير كاف الخطاب للمؤنث والمثنى والمجموع بل لزم حالة واحدة، وقال الجعبرى فى شرح الشاطبية: وى صوت يقوله المتندم والمتعجب[7]، وويك أصله ويلك. حـذفت

(١) من ظ و مد، وفى الأصل: السعف (٢) سقط من مد (٣) سقط من ظ و مد (٤) وراجع لهذا المبحث البحر المحيط ٧/١٣٥ أيضا (٥-٥) من ظ و مد، وفى الأصل: فى (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد فى ظ و مد: والمثنى والمجموع بل لزم حالة واحدة.

[1]لامه تخفيفا[1] لكثرة دوره ؛ و الكاف للخطاب و فتحت[2] [2]أن[2] لإضمار العلم ؛ و قال قطرب : لتقدير اللام ، و نشأ[3] من التركيب معنى : ندمنا على تفريطنا ، و تعجبنا[4] من حالنا ، و تحققنا خلاف اعتقادنا ، و رسمت متصلة تنبيها على التركيب ، و قال القزاز فى ديوانه الجامع : ويك[5] كلمة ينبه بها الإنسان ، و قيل : معناها رحمة ، و وى معناها التنبيه و الإنكار ، و قال الإمام عبد الحق : وى كلمة تقال فى التعجب و الاستدراك ، و قيل : وى حزن ، و قال قطرب : وى كلمة تفجع - انتهى . و قال سيبويه فى باب ما ينتصب فيه الخبر بعد الأحرف الخمسة[6] : و سألت الخليل عن هذه الآية فزعم [7]أنها وى[7] مفصولة من كأن و المعنى وقع[8] على أن القوم انتبهوا فتكلموا على قدر علمهم ، أو نبهوا فقيل لهم : أما يشبه أن يكون هذا عندكم هكذا[9] - و الله تعالى أعلم ، و أما المفسرون : فقالوا : ألم تر أن الله . فالمعنى الذى يجمع الأقوال حينئذ : تعجبا أو ويلا أو تندما على ما قلنا فى تبين[10] غلطنا ، و تنبيها على الخطأ ، أو هلاك لنا ، أو إنكار علينا ، أو حزن لنا ، أو تفجع علينا ، أو استدراك علينا ، أو رحمة لنا ، أو تنبه منا ، أو تنبيه لنا ، ثم عللوا ذلك بقولهم : أن الله ، أو يشبه[11] أن الله ،

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كانه تخفيف (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : صحب (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فنشا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تعجيبا (٥) فى ظ و مد : وى (٦) راجع كتابه ١ / ٢٩٠ . (٧-٧) فى مد : ان وى ، و فى الكتاب : انها (٨) ليس فى الكتاب (٩) فى ظ : هذا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : تبيين (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتشبيه .

أو ألم تر أيها السامع و الناظر أن الله، و قال الرازى : [1]اسم سمى بـه القول، أى أعجب، و معناه التنبيه ؛ ثم ابتدأ كأن ﴿الله﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله ﴿يبسط الرزق﴾ أى الكامل ﴿لمن يشآء﴾ سواء كان عنده ما يحتال به على الرزق أم لا .

٥ و لما كانت القصة لقارون، و كان له من المكنة فى الدنيا ما مضى ذكره، و كانت العادة جارية بأن مثله يبطر و قد يؤدى إلى تألهه[2]، قال منبها بالإيقاع به على الوجه الماضى أنه من جملة عبيده، لا فرق بينه و بين أضعفهم بالنسبة إلى قدرته : ﴿[3]من عباده[3]﴾ .

و لما دل على أن البسط إنما هو منه، أتبعه قوله دليلا آخر[4]

١٠ على ربوبيته : ﴿و يقدر﴾ أى يضيق على من يشاء سواء كان فطنا أم لا، لا يبسطه لأحد لكرامته عليه، و لا يضيق [5]على أحد[5] لهوانه عنده،

٥١/ و لا يدل البسط و القبض / على هوان و لا كرامة، و هذا دليل على أنهم ظنوا صحة قول قارون أنه أوتيه[6] على علم عنده، و أنهم إنما تمنوا علمه الذى يلزم منه على اعتقادهم حصول المال على كل حال .

١٥ و لما لاح لهم من واقعته أن الرزق إنما هو بيد الله، أتبعوه ما دل على أنهم اعتقدوا أيضا[7] أن الله قادر على ما يريد من غير الرزق كما

---

(١) زيد فى الأصل : راى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) فى ظ و مد : تالفه (٣-٣) تقدم ما بين الرقمين فى ظ و مد على «و لما كانت القصة» .
(٤) سقط من ظ (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل : لاحد (٦) فى ظ : اوتيته (٧) زيد بعده فى الأصل : على، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

هو

هو قادر على الرزق من قولهم : ﴿ لولآ ان من الله ﴾ أى تفضل الملك الأعظم الذى استأثر بصفات الكمال ﴿علينا﴾ بجوده[1] ، فلم يعطنا ما تمنيناه من الكون على مثل حاله ﴿ لخسف[2] بنا[3] ﴾ مثل ما خسف به ﴿ ويكأنه ﴾ أى عجبا أو ندما لأنه ، أو يشبه أنه ، أو ألم تر أنه ، قال الرضى فى شرح الحاجبية : كأن المخاطب كان يدعى أنهم يفلحون فقال لهم : عجبا منك ، فسئل : لم تتعجب منه ؟ فقال : لأنه - إلى آخره ، فحذف حرف الجر مع ' أن ' كما هو القياس . ﴿ لايفلح ﴾ أى يظفر بمراد ﴿ الكٰفرون ﴾ أى العريقون فى الكفر لنعمة الله ، و قد عرف بهذا تنزيل المعنى على ما قالوه فى المراد من ويكأنه ، سواء وقف على وى أو ويك أو لا .

ذكر شرح هذه القصة : قال البغوى[3] : قال أهل العلم بالأخبار : كان قارون أعلم بنى إسراءيل بعد موسى عليه الصلاة و السلام و اقرأهم للتوراة و أجملهم و أغناهم فبغى و طغى ، وكان أول طغيانه و عصيانه أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه الصلاة و السلام أن يعلقوا فى أرديتهم خيوطا أربعة ، فى كل طرف منها[4] خيطا أخضر بلون[5] السماء [6]يذكروننى به[6] إذا نظروا إلى[7] السماء [8]و يعلمون أنى منزل منها كلامى ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بجودنا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : نخسف (٣) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ / ١٥١ ، و البقاعى سرد القصة ببعض الاختصار (٤) ليس فى ظ و مد و المعالم (٥) فى المعالم : كلون (٦-٦) من المعالم ، و فى الأصل : يذكرون ، و فى ظ و مد : يذكرون السماء (٧) من المعالم ، و فى الأصول : اليها (٨) سقط من ظ و مد .

فقال موسى : يا رب ! أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضرا ، فان بنى إسراءيل تحتقر هذه الخيوط ، فقال له ربه : يا موسى ! إن الصغير من أمرى ليس بصغير ، فاذا[1] هم لم يطيعونى فى الأمر الصغير لم يطيعونى فى الأمر الكبير ، فدعاهم موسى يعنى فأعلمهم ففعلوا و استكبر قارون ، فكان هذا بدء عصيانه[2] و طغيانه[2] و بغيه ، فلما قطع موسى ببنى إسراءيل البحر جعل[3] الحبورة لهارون عليه السلام و هى رئاسة المذبح ، فكان بنو إسراءيل يأتون بهديهم[4] إلى هارون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله ، فقال قارون : يا موسى ! لك الرسالة و لهارون الحبورة ، و لست فى شىء و أنا أقرأ التوراة ، [5] لا صبر لى على هذا ، فقال له موسى عليه الصلاة و السلام : ما أنا بالذى جعلتها فى هارون و لكن الله جعلها له ، فقال قارون : و الله لا أصدقك حتى أرى بيانه ، يعنى فجمع موسى عصى الرؤساء فحزمها[6] و ألقاها فى قبته التى كان يعبد الله فيها و باتوا يحرسونها ، فأصبحت عصا هارون قد اهتز لها ورق أخضر ، وكانت من اللوز[7] ، فقال قارون : و الله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر ، و ذكر أمورا مما كان يتعظم[8] بها و أنه رمى موسى عليه الصلاة و السلام بعظيمة فحينئذ غار الله لموسى عليه الصلاة و السلام فخسف[9] به .

(١) فى المعالم : فاذ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد و المعالم (٣) فى المعالم : جعلت (٤) فى ظ : بهديتهم (٥) زيدت الواو فى الأصول ، و لم تكن فى المعالم فحذفناها (٦) فى ظ : فحرقها (٧) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : اللون (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتعجب (٩) سقط من ظ و مد .

و الذى رأيته أنا فى التوراة فى السفر الرابع [١] ما نصه : و كلم الرب موسى و قال له : كلم بنى إسراءيل و قل لهم : اعملوا خيوطا فى أطراف أرديتكم فى أحقابكم ، و لتكن الخيوط التى تعملون فى أطراف / أرديتكم من حرير ، و لتكن هذه الخيوط تذكركم وصايا الله لتعملوا [٢] بها / ٥٢ و لاتضلوا [٣] بما فى [٣] قلوبكم ، و لاتتبعوا آراءكم ، بل اذكروا جميع وصاياى ٥ و اعملوا بها ، لتكونوا مقدسين لله ربكم ، أنا الله [ربكم - [٤]] الذى أخرجتكم من أرض مصر ، لايكون لكم إله غيرى ، أنا الله ربكم . و من بعد هذه الأمور شق قورح - و هو اسم قارون [٥] بالعبرانية - بن [٥] يصهر ابن قاهث [٦] بن لاوى ، و دان و أبيروم ابنا أليب ، و أون بن [٧] قلب بن روبيل [٧] العصى ، و قاموا بين يدى موسى ، و قوم من بنى إسراءيل عددهم ١٠ مائتان [٨] و خمسون رجلا من رؤساء الجماعة مذكورون مشهورون بأسمائهم أبطال ، هؤلاء [أجمعون - [٩]] اجتمعوا إلى موسى و هارون و قالوا لهما : ليس [٩] حسبكما أن الجماعة كلها طاهرة و أنتما رئيسان عليها [١١] حتى تريدا [١١] أن تتعظما على الجماعة كلها - أى يكون هارون هو الكاهن أى متولى

(١) راجع أواخر الأصحاح الخامس عشر (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : لتعلموا (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : مما (٤) زيد من ظ و مد . (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) فى ظ و مد : فارث ، و فى التوراة : قهات (٧ - ٧) فى التوراة : فالت بنو راوبين (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : مائتا (٩) فى ظ : اليس (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليهما (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تريدان .

أمر القربان و الحكم على خدمة قبة الزمان - فسمع موسى ذلك و خر ساجدا على وجهه، و كلم قورح[1] و جماعته كلها فقال[2] لهم: سيظهر الرب و يبين لمن الكهنوت و الرئاسة بكرة، و من كان طاهرا فليتقرب[3] إليه. و من يختار الرب يتقرب؛ ثم أمرهم أن يقربوا قربانا ثم قال: يا بنى لاوى! أما[4] تكتفون بما اختاره الله لكم من كل جماعة بنى إسرائيل و قربكم إليه لتعملوا العمل فى بيت الرب و قربك أنت و جميع إخوتك[5] معك إلا أن تريدوا الكهنوت أيضا، فلذلك أنت و جماعتك كلها احتشدوا بين يدى الرب غدا، فأما هارون فمن هو حتى صرتم تقعون فيه و تتذمرون[6] عليه، و أرسل موسى ليدعو داثن[7] و أبيروم ابنى أليب فقالا: لا نصعد إليك، أما تكتفيان بما صنعتما أنكما أخرجتمانا من الأرض التى تفل السمن و العسل لتقتلانا فى هذه البرية حتى تعظما علينا و تفخرا، فأما ما وعدتنا به أنك تدخلنا الأرض التى تفل السمن و العسل فما فعلت، و لم تعطنا مواريث المزارع و الكروم، فلو عميت أعيننا لم نصعد إليك. فشق ذلك على موسى جدا، و قال أمام الرب: لا تقبل قرابينهم يا رب لأنى لم أظلم منهم رجلا و لا أسأت إلى أحد منهم، ثم قال لقورح: اجتمع انت و أصحابك أمام الرب و هارون معكم بكرة، [8]و ليأخذ كل منكم[8] مجمرته، و قام موسى و هارون أمام قبة الزمان و جمع قورح

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: قوروح (٢) من ظ و مد. و فى الأصل: وقال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فليقرب (٤) زيد فى ظ و مد: ان. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اخوانك (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: تتدبرون (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: داير (٨ - ٨) فى مد: لتاخذوا الجماعة

الجماعة كلها، و ظهر مجد[1] الرب للجماعة كلها، و كلم الرب موسى و هارون و قال لهما: تنحيا[2] عن هذه الجماعة فانى مهلكها فى ساعة واحدة، فخرا ساجدين و قالا: اللهم أنت إله أرواح كل ذى لحم. [3]يحرم رجل واحد[3] فينزل الغضب بالجماعة كلها؟ فكلم الرب موسى و قال له: كلم الجماعة كلها و قل لهم: تنحوا عن خيم داثن و أبيرم و قورح[4]، تنحوا عن خيم هؤلاء الفجار، و لاتقربوا شيئا مما لهم لئلا تعاقبوا، و قال موسى: بهذه الخلة تعلمون أن الرب أرسلنى أن أعمل هذه الأعمال كلها، و لم أعملها من تلقاء نفسى. إن مات[5] هؤلاء مثل موت كل إنسان أو نزل بهم الموت مثل ما ينزل بجميع[6] الناس فلم يرسلنى الرب، و إن فتحت الأرض فاها [7]و ابتلعتهم[7] و ابتلعت كل شىء لهم نزلوا هم[8] و كل شىء لهم إلى الجحيم[9] علمتم أن هؤلاء قد / أغضبوا الرب. فلما أكمل موسى قوله هذا انفتحت الأرض من تحتهم، و فغرت فاها فابتلعتهم و ابتلعت خيمهم و جميع مواشيهم فنزلوا إلى الجحيم أحياء، ثم استوت الأرض فوقهم، و هرب جميع بنى إسرائيل حيث سمعوا أصواتهم و رأوا ما قد صنع بهم، و قالوا: لعل الأرض تبتلعنا أيضا، و اشتعلت نار من قبل الرب فأحرقت المائتين د ١

/ ٥٣

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بحر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: انتحيا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: قوروح (٥) فى ظ و مد: موت (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: جميع. (٧ - ٧) فى مد: فابتلعتهم (٨) من ظ و مد. و فى الأصل: لهم (٩) زيد فى التوراة: أحياء.

و الخمسين رجلا[1] الذين كانوا يبخرون البخور[2]، و تذمر جماعة بنى إسرائيل من بعد ذلك اليوم على موسى و هارون فقالوا لهما: أنتما قتلتما جماعة شعب الرب، فأقبلوا إلى قبة الزمان و رأوا أن السحاب قد تغشى القبة و ظهر مجد الرب، و أتى موسى و هارون فقاما فى قبة الزمان، و كلم الرب موسى و هارون[3] و قال لهما: تنحيا عن هذه الجماعة لأنى مهلكها فى ساعة واحدة، فخرا ساجدين على وجوههما، و قال موسى لهارون: خذ مجمرة بيدك و اجعل فيها نارا و[4] بخورا، و انطلق مسرعا إلى الجماعة و استغفر لهم لأنه[5] قد نزل غضب الرب بالجماعة كلها، و بدأ موت الفجأة بالشعب، و أخذ هارون كما أمره موسى فأحضر إلى الجماعة و رأى أن الموت قد بدأ بالشعب، و بخر بخورا للرب و استغفر للشعب، و قام فيما بين الأموات و الأحياء، فكف موت الفجأة عن الشعب، و كان عدد الذين ماتوا فجأة أربعة عشر ألفا و سبعمائة رجل غير المخسوف بهم، و رجع هارون إلى موسى إلى قبة الزمان[6] فكلم الرب موسى و قال له: كلم بنى إسرائيل و خذ منهم عصا[7] عصا من كل سبط، و اكتب [اسم -[8]] كل رجل على عصاه، و اكتب اسم هارون على عصا سبط لاوى، و اجعلها فى قبة الزمان أمام تابوت الشهادة لأنزل إليكم إلى

(١) من مد و التوراة، و فى الأصل و ظ: الرجل (٢) عندنا فراغ من آية ٣١ حتى آية ٤٠ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٥) فى ظ: لانهم (٦) و من هنا يبتدئ الأصحاح السابع عشر (٧) زيد فى مد: من (٨) زيد من التوراة.

هناك ، فالرجل الذى أحبه تنضر عصاه ، و أخلصكما[1] من هتار بنى إسرائيل و تذمرهم ؛ ثم دخل موسى خبأ الشهادة فرأى عصا هارون قد نضرت و أخرجت أغصانا[2] و أورقت و أثمرت لوزا[3] ، و أخرج موسى العصى كلها فنظروا[4] إليها ، و قال الرب لموسى : رد قضيب هارون إلى موضع الشهادة و احفظه آية لأبناء المتسخطين ليكف تذمرهم[5] عنى و لا يموتوا ، ٥ و لا يعمل عمل قبة الزمان غير اللاويين[6] - أى سبط لاوى ، فأما بنو إسرائيل - أى باقيهم - فلا يقتربوا[7] إلى قبة الزمان لئلا يعاقبوا و يموتوا[8] ؛ ثم ذكر وفاة هارون عليه السلام فى هور الجبل[9] و ولاية إليعازر ابنه مكانه أمر الكهنوت - انتهى . و هو نحو مما فعل الله لنبينا محمد صلى الله عليه و سلم فى حنين الجذع ، و تخيير النبى صلى الله عليه و سلم له[10] أن ١٠ يعيده الله تعالى[11] إلى أحسن ما[12] كان و هو[13] حى أو يجعله فى الجنة ، فاختار أن يكون فى الجنة ، و كذا أمر سراقة بن مالك بن جعشم حيث لحقه صلى الله عليه و سلم فى طريق الهجرة ليرده فخسف بقوائم حصانه حتى نزل إلى بطنه ثلاث مرات غير أن النبى صلى الله عليه و سلم لما كان نبى الرحمة لم يكن القاضية ، فكفى بذلك شره ، و أسلم بعد ذلك عام الفتح ، ١٥

(١) فى ظ : اخلصها ، و فى مد : اخلصهما (٢) فى ظ : اغصانها (٣) فى ظ و مد : اثمار اللوز (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فنظر (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : تزميرهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاوين (٧) فى ظ و مد : فلا يترقبوا . (٨) فى ظ و مد : لا يموتوا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحيلة . و راجع أواخر الأصحاح العشرين من السفر الرابع (١٠) فى ظ و مد : الى (١١) سقط من مد . (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : مما (١٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هى .

و بشره النبي صلى الله عليه و سلم بأنه[١] يلبس سوارى كسرى فكان كذلك[٢]، و شر من الخسف الذى يغيب [به -[٣]] المخسوف به و أنكأ و أشنع و أخزى قصة الذى ارتد فقصم و دفن فلفظته الأرض - روى البيهقى فى آخر الدلائل عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: كان منا رجل من بنى النجار قد قرأ البقرة و آل عمران، وكان يكتب لرسول الله / صلى الله عليه و سلم، فانطلق هاربا حتى لحق بأهل الكتاب، فرفعوه[٤] و أعجبوا[٥] به، فما لبث أن قصم الله عنقه[٦] فحفروا له فواروه، فأصبحت الأرض قد نبذته [٧]على وجهها[٧] [[٨] - ثم [٩]عادوا فحفروا[٩] له فواروه فأصبحت الأرض قد نبذته [١٠]على وجهها[١٠]] فتركوه منبوذا، و قال: رواه مسلم فى الصحيح[١١]، و عن أنس رضى الله عنه مثله أيضا فى رجل نصرانى لفظته الأرض ثلاث مرات ثم تركوه. و قال رواه البخارى فى الصحيح[١٢].

/٥٤

و لما قدم سبحانه أن المفلح من تاب و آمن و عمل صالحا، و هو الذى أشار أهل العلم إلى أن له ثواب الله، وكان[١٣] ذلك للآخرة[١٣]

(١) فى ظ و مد: انه (٢) فى ظ: لذلك (٣) زيد من ظ ومد (٤) زيد فى صحيح مسلم: قالوا: هذا قد كان يكتب لمحمد (٥) فى ظ: عجبوا (٦) زيد فى الصحيح: فيهم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ، و مد و الصحيح (٩-٩) فى مد: حفروا (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و موضعه فى مد: و هكذا (١١) راجع ٢ / ٣٧١: صفات المنافقين و أحكامهم. (١٢) راجع ١ /٥١١: علامات النبوة فى الإسلام - المناقب (١٣ - ١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: هذا هو الآخرة.

سيا و مسيا، و مر فيما لابد منه حتى ذكر قصة قارون المعرّفة[1] - ولابد - بأن[2] هـذه الدار للزوال، لايغنى فيها رجال و لا مال، و أن الآخرة للدوام، و أمر فيها [3]بأن يحسن[3] الابتغاء فى أمر الدنيا، و ختم بأن هذا الفلاح مسلوب عن الكافرين، فكان موضع استحضار الآخرة، مع أنه قدم [4]قريبا من ذكرها و ذكر موافقتها[4] ما ملأ[5] به الأسماع، فصيرها حاضرة لكل ذى فهم، معظمة عند كل ذى علم، أشار إليها سبحانه لكلا الأمرين: الحضور و العظم[6]، فقال: ﴿تلك﴾ أى الأمر المنظور بكل عين، الحاضر فى كل قلب، العظيم الشأن، [البعيد -[7]] الصيت، العلى المرتبة، الذى سمعت أخباره، و طنت على الآذان أوصافه و آثاره ﴿الدار الآخرة﴾ أى التى دلائلها[7] أكثر من أن تحصر[8]، و أوضح من أن [9]تبين و تذكر[9]، من أعظمها تعبير كل أحد عن حياته بالدنيا و التى أمر قارون بابتغائها فأبى إلا علوا و فسادا ﴿نجعلها﴾ بعظمتنا ﴿للذين﴾ يعملون[10] ضد عمله.

و لما كان المقصود[11] الأعظم طهارة القلب الذى [12]عنه ينشأ[12] عمل الجوارح، قال: ﴿لا يريدون﴾ و لم يقل: يتعاطون - مثلا،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: المعروفة (٢) فى مد: من ان (٣-٣) فى مد: بحسن (٤ - ٤) فى ظ: قريبا من ذكر هذه و موافقها، و فى مد: هذا قريبا و ذكر من موافقها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: المعظم (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى مد: دليلها (٨) فى مد: يحصر (٩ - ٩) فى مد: يبين و يذكر. (١٠) فى ظ و مد: عملوا (١١) فى مد: القصد (١٢-١٢) فى ظ: ينشأ عنه.

تعظيما لضرر الفساد بالتنفير من كل ما[1] كان منه تسبب، إعلاما بأن النفوس ميالة إليه نزاعة له فهما رتعت قريبا منه اقتحمته لامحالة ﴿علوا﴾ أى شيئا من العلو ﴿فى الارض﴾ فانه أعظم جارّ إلى الفساد، و إذا أرادوا شيئا [2]من ذلك فيما يظهر لك[2] عند أمرهم بمعروف أو نهيهم عن منكر، كان مقصودهم به علو كلمة الله للامامة فى الدين لا علوهم ﴿و لا فسادا[4]﴾ بعمل ما يكره الله، بل يكونون على ضد ما كان فيه فرعون و هامان و قارون، من التواضع مع الإمامة لأجل حمل الدين عنهم ليكون لهم مثل أجر من اهتدى بهم، لا لحظ[3] دنيوى، و علامة العلو لأجل الإمامة لا الفساد [4]ألايتخذوا[4] عباد الله خولا، و لامال الله دولا، و الضابط العمل بما يرضى الله و التعظيم لأمر الله [5]و العزوف عن[5] الدنيا.

و لما كان هذا شرح حال الخائفين من جلال الله تعالى، أخبر سبحانه أنه[6] دائما يجعل ظفرهم آخرا، فقال معبرا بالاسمية دلالة على الثبات: ﴿و العاقبة﴾ أى الحالة الأخيرة التى تعقب جميع الحالات لهم فى الدنيا و الآخرة، هكذا الأصل، و لكنه أظهر تعميما و إعلاما بالوصف الذى أثمر لهم ذلك فقال تعالى: ﴿للتقين﴾ أى دائما فى كلا الدارين، لاعليهم، فمن اللام يعرف أنها محمودة، / و هذه الآية[7] يُعرَف /٥٥

(١) فى مد: من (٢ - ٢) فى ظ و مد: فيما يظهر من ذلك (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: حظ (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لاتتخذوا - كذا.
(٥ - ٥) فى ظ: العروض عن، و فى مد: الزهد فى (٦) سقط من ظ و مد.
(٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الاسبار.

أهل الآخرة من أهل الدنيا، فمن كان زاهدا فى الأولى مجتهدا فى الصلاح، [١]وكان ممتحنا فى أول أحواله مظفرا فى مآله[١]، [٢]فهو من أبناء الآخرة[٢]، و إلا فهو للدنيا.

[٣]و لما[٣] تحرر الفرق بين أهل الدارين، و كان لابد من إتيان الآخرة، و علم أن[٤] الآخرة إنما[٥] هى جزاء الأعمال، و تقرر من كونها للخائفين[٦] أنها على الآمنين، فاستؤنف تفصيل ذلك جوابا[٧] لمن كأنه قال: ما[٦] لمن أحسن و من أساء عند القدوم؟ بقوله: ﴿من جآء﴾ أى فى الآخرة [٨]أو الدنيا[٨] ﴿بالحسنة﴾ أى الحالة الصالحة ﴿فله﴾ من فضل الله ﴿خير منها﴾ من عشرة أضعاف إلى سبعين إلى سبعمائة إلى ما لا [٩]يحيط به[٩] إلا الله تعالى ﴿و من جآء بالسيئة﴾ و هى ما نهى الله عنه، و منه[١٠] إخافة المؤمنين ﴿فلا يجزى﴾ من جاز ما، و أظهر ما فى هذا الفعل من الضمير العائد على 'من' فقال: ﴿الذين عملوا السيئات﴾ تصويرا لحالهم تقبيحا لها و تنفيرا من عملها، و لعله جمع هنا و أفرد أولا إشارة إلى أن المسىء أكثر ﴿الا﴾ مثله سواء عدلا منه تعالى، هكذا كان الأصل، و لكنه قال: ﴿ما كانوا﴾ أى بجميع هممهم ﴿يعملون﴾ مبالغة فى المثلية، هذا

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢ - ٢) فى مد: للاخرة (٣ - ٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فلما (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الا (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: وجوبا. (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ، و فى مد: و كذا الدنيا (٩ - ٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يحيطه (١٠) فى ظ: من.

فى الآخرة ، و زادت الآية الإشارة إلى أنه يفعل فى الدنيا مثل ذلك و إن خفى ، [1]فسيخافون فى حرمهم بما[1] أخافوا المؤمنين فيه و قد جعله الله للأمن[2] ، فاعتلوا عن الدخول فى دينه بخوف التخطف من أرضهم ، فسيصير[3] عدم دخولهم فيه سببا لخوفهم و تخطفهم من أرضهم فيعلمون أن ما كانوا فيه من الأمن إنما هو بسببك ، ثم يصيرون يوم الفتح[4] فى قبضتك .

و لما قرر ذكر الآخرة التى هى المرجع و كرره ، و أثبت الجزاء فيها ، و أن العاقبة للمتقين ، أتبعه ما هو فى بيان[5] ذلك كالعلة ، فقال مستأنفا مقررا مؤكدا لما تقرر فى أذهانهم من إنكار الآخرة و ما يقتضيه حال خروجه صلى الله عليه و سلم من مكة المشرفة من[6] استبعاد رده إليها : ﴿ ان الذى فرض ﴾ أى أوجب ﴿ عليك القرآن ﴾ أى الجامع لما تفرق من المحاسن ، المفصل لما التبس من جميع المعانى ، أى فرض[7] عليك جميع ما فى هذا الكتاب المشتمل على الجمع و الفرق بما يظهر حسن تلقيه من تلاوة و إبلاغ و تحد و عمل و ألزمك فيه و غيرك هذه الملازم ، وكلفكم تلك التكاليف التى منها[8] المقارعة بالسيوف ﴿ لرآدك ﴾

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيقولون فيخافون فى حرصهم مما .
(٢) فى ظ و مد : الامن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيسعير (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : النفخ (٥) سقط من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثم (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : عرض (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيها .

أى

أى بعد الموت لأجل صعوبة ما كلفك به و ألزمك من مشقته ﴿ الى معاد[1] ﴾ أى مرجع عظيم يا له من مرجع ! يجزى فيه كل أحد بما عمل ، فيبعثك ربك فيه ثوابا على إحسانك فى العمل مقاما محمودا يغبطك فيه[1] الأولون و الآخرون ، بما عانيت فى أمره من هذه المشقات التى لا تحملها الجبال ، و لولا الرد إلى هذا المعاد لكانت هذه التكاليف ٥ - التى لا يعمل أكثرهم بأكثرها و لا يجازى على المخالفة فيها - من العبث المعلوم[1] أن العاقل من الآدميين متنزه[2] عنه فكيف بأحكم الحاكمين ! فاجتهد فيما أنت فيه لعز ذلك اليوم فان العاقبة لك ، و الآية مثل قوله تعالى " و اتقوا يوما ترجعون فيه الى الله[3] " ، [«ثم اليه ترجعون[4] » «الى الله -[5]] مرجعكم[6] » إلى غير ذلك من الآيات ، و يجوز أن يقال : إلى ١٠ معاد أىّ معاد ، [7] أى مكان[7] هو لعظمته / أهل لأن يقصد العودَ إليه ٥٦/ كل من خرج منه و هو مكة المشرفة : وطنك الدنيوى ، كما فسرها بذلك ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كما رواه[8] عنه البخارى[9] ، و عود هو لجلالته أهل لأن يذكر لدخولك إليها فى جنود يعز بها الإسلام ، و يذل [بها -[5]] [10]الكفر و أهله[10] على الدوام ، و الجنة المزخرفة : ١٠

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منزه (٣) سورة ٢ آية ٢٨١ .
(٤) سورة ٢ آية ٢٨ (٥) زيد من ظ و مد (٦) سورة ٥ آية ٤٨ (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان (٨) من ظ ومد ، و فى الأصل : روى (٩) راجع باب قوله تعالى : ان الذى فرض عليك القرآن ، من تفسير سورة القصص .
(١٠-١٠) فى ظ و مد : الكفار .

وطنك الأخروى، على أكمل الوجوه و أعلاها، و أعزها و أولاها، فلا تظن أنه يسلك بك سبيل أبويك عليهما الصلاة و السلام: إبراهيم فى هجرته من حران بلد الكفر إلى الأرض المقدسة فلم يعد إليها، و إسماعيل فى العلو به من الأرض المقدسة إلى أقدس منها فلم يعد إليها، بل يسلك بك[1] سبيل أخيك موسى عليه الصلاة و السلام - الذى أنزل عليه الكتاب كما أنزل عليك الكتاب القرآن الفرقان، و[2] الذى أشركوك به فى قولهم "لولا اوتى مثل ما اوتى موسى[3]" - فى إعادته إلى البلد الذى ذكر فى هذه السورة - توطئة لهذه الآية - أنه خرج منه خائفا يترقب - و هى مصر - إلى مدين فى أطراف بلاد العرب، على وجه أهلك فيه أعداءه، أما من كان من غير قومه فبالإغراق [4]فى الماء[4]، و أما [5]من كان من[5] قومه فبالخسف فى الأرض، و أعز أولياءه من قومه و غيرهم، كما خرجت أنت من بلدك مكة خائفا تترقب[2] إلى المدينة الشريفة غير أن رجوعك - لكونك نبى الرحمة، و كون خروجك لم يكن مسببا[6] عن قتل أحد منهم - لا يكون فيه هلاكهم، بل عزهم[7] و أمنهم و غناهم و ثباتهم، و اختير لفظ القرآن دون الكتاب لما فيه [5]من الجمع[5] من لازم النشر - كما مضى فى الحجر، فناسب السياق الذى هو للنشر[8] و الحشر و الفصل من بلده ثم الوصل، فانه روى[9] أن هذه

(١) سقط من ظ (٢) سقط من ظ و مد (٣) سورة ٢٨ آية ٤٨ (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بالماء (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) فى ظ و مد: سببا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: غيرهم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: النشر (٩) راجع روح المعانى ٦ / ٣٨٩ .

الآية نزلت على النبي صلى الله عليه و سلم فى الجحفة و هى فى طريق الهجرة .

و لما فهم من الإبلاغ فى هذا التأكيد أن ثَم من يبالغ فى النفى و الإنكار على حسب هذا التأكيد[1] فى الإثبات فيقول : إن الأمر ليس كذلك ، و لا يعود إلى مكة المشرفة و منا عين تطرف ، قال مهددا على طريق الاستئناف على لسانه صلى الله عليه و سلم لكون[2] الإنكار تكذيبا له كما كذب موسى صلى الله عليه و سلم حين أجاب بمثل ذلك كما تقدم : ﴿ قل ﴾ [3]أى لهؤلاء المنكرين لما أخبرتك به[3] : ﴿ ربى ﴾ أى المحسن إلىّ ﴿ اعلم ﴾ أى من كل أحد[4] .

و لما كانت هذه قصة مسلمة لا نزاع فيها لعاقل تثبت[5] الخالق ، وكانوا يقولون : [3]من ادعى[3] رجوعه فهو ضال ، توجه السؤال عن المهتدى[6] إلى الصواب و الضال ، بما يشهد به فتح مكة عند الإقبال فى أولئك الضراغمة الأبطال ، و السادة الأقيال ، فقال فى أسلوب الاستفهام لإظهار الإنصاف و الإبعاد من الاتهام[7] : ﴿ من جآء بالهدى ﴾ أى الذى لا أبين منه ، أنا فيما جئت به من ربى بهذا الكلام الذى يشهد الله لى بإعجازه[8] أنه من عنده أم أنتم فيما تقولون من عند أنفسكم ؟ ﴿ و من هو فى ضلل ﴾ أى أنتم فى كلامكم الظاهر العوار العظيم العار أم أنا ﴿ مبين ﴾ أى بين

(١) فى ظ و مد : للتا كيد (٢) فى ظ : يكون (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : احياء (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثبتت (٦) فى ظ : المهتدين (٧) فى ظ : الابهام (٨) زيد فى مد : فى كلامكم .

فى نفسه مظهر لكل أحد ما فيه من خلل و إن اجتهد التابع له فى ستره .

٥٧ / و لما كان الجواب لكل من أنصف : هم فى ضلال / مبين لأنهم ينحتون من عند أنفسهم ما لا دليل لهم عليه ، و أنت جئت بالهدى لأنك أتيت به عن الله ، بنى عليه قوله : ﴿ و ما ﴾ و[1] يجوز أن تكون الجملة[2] حالا من الضمير فى " عليك " و ما بينهما اعتراض للاهتمام بالرد على المنكر للمعاد ، أى فرضه عليك و الحال أنك ما ، و يجوز أن يقال : لما كان رجوعه إلى مكة فى غاية البعد لكثرة الكفار و قلة الأنصار ، قربه بقوله معلما أن كثيرا من الأمور تكون على غير رجاء ، بل و على خلاف القياس : و ما ﴿ كنت ترجوآ ﴾ أى فى سالف الدهر بحال من الأحوال ﴿ ان يلقىٓ ﴾ أى ينزل على وجه لم يقدر على رده ﴿ اليك الكتٰب ﴾ أى بهذا الاعتقاد و لا بشىء منه ، و لا كان هذا من شأنك ، و لا سمعه أحد منك يوما من الأيام ، و لا تأهبت لذلك أهبته العادية من تعلم خط أو مجالسة عالم ليتطرق[3] إليك نوع اتهام ، كما يشير إليه قوله تعالى فى التى بعدها " و ما كنت تتلوا [من - ٤] قبله من كتٰب " - الآية ، و اختير هنا لفظ الكتاب لأن السياق للرحمة التى[5] من ثمراتها الاجتماع

(١) سقطت الواو من مد (٢) زيد فى مد : فيه (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : علم ليتطرف (٤) زيد من ظ و مد و القرآن الكريم سورة العنكبوت آية ٤٨ (٥) زيد فى ظ و مد : بعيدها .

المحكم، و ذلك مدلول الكتاب ؛ ثم قال : ﴿ الا ﴾ أى لكن[1] ألقى إليك الكتاب[2] ﴿رحمة﴾ أى لاجل رحمة عظيمة[3] لك و لجميع الخلائق بك، لم تكن ترجوها ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك بجعلك مصطفى لذلك ، بالدعاء إليه و قصر الهمم عليه ، و عبر بأداة الاستثناء المتصل إشارة إلى أن[4] حاله قبل النبوة من التنزه عن عبادة[5] الأوثان و عن القرب منها و الحلف بها و عن[6] الفواحش جميعا[6] ، و من الانقطاع إلى الله بالخلوة معه و التعبد له[7] توفيقا من الله كان حال من يرجو ذلك .

و لما تسبب عما تقدم الاجتهاد فى [تحريك الهمم إلى العكوف على -[8]] أمر الله طمعا فيما عنده سبحانه من الثواب ، و شكرا على إنزال الكتاب ، قال فى سياق التأكيد لأن الطبع البشرى يقتضى إدراك[9] مظاهرة الكفار لأمر[10] من التوفيق عظيم ، لكثرتهم و قوتهم و عزتهم : ﴿فلا تكونن﴾ [إذ ذاك -[8]] [11]بسبب اتصافهم لك لكثرتهم[11] ﴿ظهيرا﴾ أى معينا ﴿للكٰفرين ۝﴾ بالمكث بين ظهرانيهم ، أو بالفتور عن الاجتهاد فى دعائهم ، يأسا منهم لما ترى من بعدهم من الإجابة و إن طال إنذارك ، لاتمل انت كما لم نمل نحن ، فقد وصلنا لهم القول ، و تابعنا لهم الوعظ

(١) زيد فى ظ : الذى (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كتابا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عظمته (٤) سقط من مد (٥) فى ظ : عادة (٦-٦) فى ظ و مد : جميع الفواحش (٧) زيدت الواو فى مد (٨) زيد من ظ و مد . (٩) سقط من ظ و مد (١٠) من مد ، و فى الأصل : الابقسر ، و فى ظ : الامعبر - كذا (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

و القص، و نحن قادرون على إهلاكهم فى لحظة، و هدايتهم فى أقل لمحة، وكما أن موسى عليه الصلاة و السلام بعد الإنعام عليه لم يكن ظهيرا للمجرمين، و هذا تدريب[1] من الله تعالى لأئمة الأمة فى الدعاء إلى[2] الله عند كثرة المخالف، و قلة الناصر الملازم المخالف[3].

٥ و لما كان التوانى فى النهى عن المنكر إعراضا عن الأوامر و إن كان المتوانى مجتهدا فى العمل، قال مؤكدا تنبيها على شدة الأمر لكثرة الأعداء و تتابع الإيذاء و الاعتداء: ﴿ و لايصدنك ﴾ أى الكفار بمبالغتهم فى الإعراض و قولهم "لولا اوتى مثل ما اوتى موسى" و نحوه ﴿عن ايٰت الله﴾ أى عن[4] الصدع[5] بها و هى من المتصف بصفات الكمال،

١٠ فى الأوقات الكائنة ﴿ بعد اذ انزلت ﴾ أى وقع[6] إنزالها ممن تعلمه منتهيا ﴿ اليك ﴾ مما[7] ترى من أوامرها و نواهيها، و لقد[8] بين هذا المعنى قوله: ﴿ و ادع ﴾ أى / أوجد الدعاء للناس ﴿ الى ربك ﴾ أى المحسن إليك لإحسانه إليك، و إقباله دون الخلق عليك، و أعراه من التأكيد اكتفاء بالمستطاع فان الفعل ليس للمبالغة فيه جدا. إشارة إلى أن

/٥٨

١٥ جلب المصالح أيسر خطبا من درء المفاسد، فان المطلوب فيه النهاية محدود[9] بالاجتناب.

---

(١) فى ظ: تدرب (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عند (٣) فى ظ و مد: الموالف (٤) سقط من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الصد (٦) فى ظ و مد: اوقع (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: بما (٨) فى ظ و مد: قد. (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لانها محدودة.

و لما كان الساكت عن فاعل المنكر شريكا له، قال مؤكدا تنبيها على الاهتمام بـــدره المفاسد، و أنه لا بد فيه من بلوغ الغاية: ﴿و لا تكونن من المشركين﴾ أى معدودا فى عدادهم بترك نهيهم عن شركهم و ما يتسبب عنه ساعة واحدة.

و لما كان الكائن من قوم موصوفا بما اتصف به كل منهم، و[1] كانت مشاركتهم[1] بالفعل أبعد من مشاركتهم بالسكوت، قال من غير تأكيد: ﴿و لا تدع مع الله﴾ أى الجامع لجميع صفات الكمال ﴿الها﴾ و لما كانت النكرة فى سياق النهى تعم كما لو كانت فى سياق النفى، و كان المشركون قد تعنتوا لما رأوا النبى صلى الله عليه و سلم يدعو باسم الله و اسم الرحمن كما ذكر آخر الإسراء، قال: ﴿اخر[2]﴾ [أى -[2]] غير الله حقيقة دون أن يغاير فى الاسم دون الذات، و مضى[3] فى آخر الحجر، و يأتى إن شاء الله تعالى فى الذاريات[4] ما يتضح به هذا المعنى، و المراد بهذا كله المبالغة فى الإنذار إعلاما بأن تارك النهى عن المنكر مع القدرة شريك للفاعل[5] و إن لم يباشره، و النبى صلى الله عليه و سلم قادر لحراسة الله تعالى له؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿لا اله الا هو[6]﴾ أى حتى يستحق أن يشتغل به عبد[6]؛ ثم علل وحدانيته بقوله: ﴿كل شىء هالك﴾ أى

(١ - ١) فى مد: كان يشاركهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: معنى (٤) راجع آية ٥١ (٥) فى ظ: للعامل (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: عنه.

هو فى قوة الهلاك و الفناء [و -[1]] مستحق لذلك لأنه ممكن ﴿الا وجهه[1]﴾ أى هو، فهو الباقى لأنه الواجب الوجود، و وجود كل موجود إنما كان به، و لعله عبر عن الذات بالوجه ليشمل ما قصد به من العمل الصالح مع ما هو معروف من تسويغه[2] لذلك بكونه أشرف الجملة، و بكون النظر إليه هو الحامل على الطاعة بالاستحياء و ما فى معناه؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿ له ﴾ أي لله وحده فالضمير استخدام ﴿ الحكم ﴾ أى العمل المحكم[3] بالعلم النافذ على كل شىء، و لاحكم لشىء عليه ﴿و اليه﴾ وحده ﴿ ترجعون ﴾ فى جميع أحوالكم: فى الدنيا بحيث أنه لاينفذ لأحد مراد إلا بارادتـــه، و فى الآخرة بالبعث فيجازى المحسن[4] باحسانه و العاصى بعصيانه، و لاشك أن هـــذه الأوامر و النواهى و إن كان خطابها متوجها إليه صلى الله عليه و سلم فالمقصود بها أتباعه، و لعلها إنما وجهت[5] إليه صلى الله عليه و سلم عليه لأن أمر الرئيس أدعى لأتباعه إلى القبول، و قد اتضح بهذا[6] البيان، فى هذه المعانى الحسان، أن هذا الكتاب مبين، و بانفاذ إرادته سبحانه و تعالى فى تقوية أهل الضعف من بنى إسرائيل دون ما أراد فرعون و قارون و أتباعهما من أهل العلو بطاعة الماء و التراب و ما جمع العناصر من اليد و العصا أن له [7]وحده الحكم[7]

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل: تسويفه، و فى ظ: توسيعه (٣) زيد فى ظ و مد: الصالح (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: للحسن (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: توجهت (٦) فى مد: فى هذا. (٧ - ٧) فى مد: الحكم وحده.

على

على ما يريد [١]و يختار[١]، فصح أن إليه الرجوع [١]يوم المعاد يوم لا تكلم نفس إلا باذنه[١]، فقد انطبق [٢]آخر السورة على أولها[٢]، و انشرح مجملها بمفصلها .

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢ - ٢) فى الأصل : أول السورة على آخرها ، و فى ظ و مد : آخرها على أولها .

سورة العنكبوت[1]

مقصودها الحث على الاجتهاد فى الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر، و الدعاء إلى الله تعالى وحده من غير فترة، كما ختمت به السورة الماضية، من غير تعريج على غيره سبحانه أصلا، لئلا يكون مَثَلُ الفرج[2] عند المتعوض عوضا منه مَثَلَ العنكبوت، [3]فهى سورة[3] ضعف الكافرين و قوة المؤمنين، و قد ظهر سر تسميتها بالعنكبوت[4] و أنه دال على مقصودها ﴿ بسم الله ﴾ الذى أحاط بجميع القوة فأعز جنده ﴿ الرحمن ﴾ الذى شمل جميع[5] العباد بنعمة الأمر و النهى ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الذى ألزم أهل العرفان ذروة الإحسان.

لما ختم السورة الماضية بالحث على العمل للدار الآخرة، و أن كل أحد من محسن و مسىء مجزى بعمله، و بالإخبار بأنه سبحانه عالم بالسر و العلن، و بالأمر بالاجتهاد فى الدعاء إليه و قصر الهمم عليه و إن أدى ذلك إلى الملال، و ذهاب النفس و الأموال[6]، معللا بأن له الحكم سبحانه لأنه الباقى بلا زوال، و كل ما عداه فالى تلاش و اضمحلال، و أنه لا يفوته شىء فى حال و لا مآل، قال أول هذه: ﴿ الٓمٓ ﴾ إشارة بالألف الدال على القائم الأعلى المحيط و لام الوصلة و ميم التمام

(١) التاسعة و العشرون من سور القرآن، مكية مع الخلاف فى ذلك، و هى تسع و تسعون آية بالإجماع كما قال الدانى و الطبرسى - راجع روح المعانى ٦ / ٣٩٢ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: العرج (٣ - ٣) فى مد: فهو صورة (٤) سقط من ظ و مد (٥) سقط من مد (٦) زيد فى مد: قال.

بطريق الرمز إلى أنه سبحانه أرسل جبريل إلى محمد عليهما الصلاة و السلام ليدعو الناس بالقرآن الذى فرض عليه إلى الله ، لتعرف بالدعوة سرائرهم و يتميز بالتكاليف [1]حقهم و مماكرهم[1] "و لنبلونكم حتى نعلم المجهدين منكم و الصبرين و نبلوا اخباركم" .

و لما عبر بهذه الإشارة لأهل الفطنة [2]و البصائر[2] ، قال منكرا على ٥ من ظن أن مدعى الإيمان[3] لا يكلف البيان ، و مفصلا لما ختمت به تلك من جميع هذه المعانى ، بانيا على ما أشارت إليه الأحرف لأولى[4] العرفان : ﴿ احسب الناس ﴾ أى كافة ، فان كلا منهم يدعى أنه مؤمن لمعنى أنه يقول : إنه على الحق ، و لعله عبر بالحسبان [2]و النوس[2] إشاره إلى أن فاعل ذلك مضطرب العقل منحرف المزاج . ١٠

و لما كان[5] الحسبان ، لايصح تعليقه[6] بالمفردات ، و إنما يعلق بمضمون الجملة[7] ، و كان المراد إنكار حسبان مطلق الترك ، كانت ' أن ' مصدرية عند جميع القراء ، فعبر عن مضمون نحو : تركهم[8] غير مفتونين لقولهم آمنا ، بقوله[9] : ﴿ ان يتركوآ ﴾ أى فى وقت ما بوجـــه من الوجوه ، و لو رفع الفعل لأفهم أن المنكر حسبان الترك المؤكد ، فلا يفيد إنكار ١٥ ما عرى عنه ، و قد مضى فى المائدة ما ينفع هنا ﴿ ان ﴾ أى فى أن

(١-١) فى مد : مخابرهم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى مد : لأهل (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) فى ظ : تعليق . (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : الجمل (٨) فى ظ و مد : تحركهم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لقوله .

﴿يقولوآ﴾ و لو كان ذلك على وجه التجديد و الاستمرار: ﴿ءامنا وهم﴾ أى و الحال أنهم ﴿لايفتنون﴾ أى يقع فتنتهم ممن له الأمر كله و له الكبرياء فى السماوات و الأرض، مرة[1] بعد أخرى بأن يختبر[2] صحة قولهم أولا[3] بارسال الرسل و إنزال الكتب و نصب الأحكام، و ثانيا بالصبر على البأساء و الضراء عند الابتلاء بالمدعوين إلى الله فى التحمل لأذاهم و التجرع لبلاياهم و غير ذلك من الأفعال، التى يعرف بها مرتبة الأقوال، فى الصحة و الاختلال[4].

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: افتتحت / سورة القصص بذكر /٦٠ امتحان بنى إسراءيل بفرعون و ابتلائهم بذبح أبنائهم و صبرهم[5] على عظيم تلك المحنة، ثم ذكر تعالى حسن عاقبتهم و ثمرة صبرهم، و انجرّ مع ذلك مما هو منه لكن انفصل عن عمومه بالقضية امتحان أم موسى بفراقه حال الطفولية و ابتداء الرضاع و صبرها على أليم ذلك المذاق حتى رده تعالى إليها أجمل رد و أحسنه، ثم ذكر ابتلاء موسى عليه الصلاة و السلام بأمر القبطى و خروجه خائفا يترقب و حسن عاقبته و عظيم رحمته، و كل هذا ابتلاء أعقب خيرا، و ختم برحمة ثم بضرب آخر من الابتلاء أعقب محنة و أورث شرا و سوء فتنة، و هو ابتلاء قارون بماله و افتتانه[6] به[7]، فخسفنا به و بداره الأرض، فحصل بهذا[8] أن الابتلاء فى

(١) فى ظ و مد: بمرة (٢) فى ظ و مد: نختبر (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: و لا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الاختلاف (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: صبر (٦) من ظ و مد. و فى الأصل: افتتانه (٧) سقط من مد (٨) فى ظ و مد: من هذا.

غالب[1] الأمر سنة، و جرت منه سبحانه فى عباده ليميز الخبيث من الطيب، و هو المنزه عن الافتقار إلى تعرف أحوال العباد بما يبتليهم به إذ قد علم كون ذلك منهم قبل كونه إذ هو موجده و خالقه [2]خيرا كان[2] أو شرا، [3]فكيف يغيب عنه أو يفتقر تعالى إلى بيانه بتعرف أحوال العباد[3] أو يتوقف علمه على سبب [4]الا يعلم من خلق [4]و هو اللطيف الخبير[4]، ٥ و لكن [5]هى سنة فى عباده[5] ليظهر لبعضهم من بعض عند الفتنة [4]و الابتلاء[4] ما لم [5]يكن ليظهر[5] قبل ذلك حتى يشهدوا على أنفسهم، و تقوم الحجة عليهم باعترافهم، و لا افتقار به تعالى إلى شىء من ذلك، فلما تضمنت [6]سورة القصص هذا الابتلاء[6] فى الخير و الشر، و به وقع افتتاحها و اختتامها، هذا و قد أنجز بحكم الإشارة أولا خروج نبينا صلى الله عليه و سلم ١٠ من بلده و منشائه ليأخذه عليه الصلاة و السلام بأوفر حظ مما ابتلى به الرسل [و الأنبياء من مفارقة الوطن و ما يحرز لهم الأجر المناسب لعلى درجاتهم عليهم السلام -[7]]، ثم بشارته صلى الله عليه و سلم آخرا بالعودة و الظفر "ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد" فأعقب سبحانه هذا بقوله معلما للعباد و منبها أنها سنته فيهم فقال "احسب ١٥ الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا و هم لا يفتنون" أى أحسبوا ان يقع

(١) سقط من ظ و مد (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل و ظ : كان خيرا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥ - ٥) فى مد: يظهر (٦ - ٦) فى مد: هذه الابتلاءات.
(٧) زيد من ظ و مد.

الاكتفاء بمجرد استجابتهم، و ظاهر إنابتهم، و لما يقع امتحانهم بالشدائد و المشقات، و ضروب الاختبارات "و لنبلونكم بشيء من الجوع و الخوف و نقص من الاموال و الانفس و الثمرت" فاذا وقع الابتلاء فمن فريق يتلقون ذلك تلقى العليم أن ذلك من عند الله ابتلاء و اختبارا، فيكون ٥ تسخيرا لهم و تخليصا، و من فريق يقابلون ذلك بمرضات الشيطان، و المسارعة إلى الكفر و الخذلان "و من جاهد فانما يجاهد لنفسه" ثم اتبع سبحانه هذا بذكر حال بعض الناس ممن يدعى الإيمان، فاذا أصابه أدنى أذى من الكفار صرفه ذلك عن إيمانه، فكان[1] عنده[2] مقاوما بعذاب الله الصارف لمن ضربه عن الكفر و المخالفة فقال تعالى "و من ١٠ الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله[3]" فكيف حال هؤلاء فى تلقى ما هو أعظم من الفتنة، و أشد فى المحنة، ثم[2] اتبع سبحانه ذلك بما[4] به يتأسى الموفق[5] من صبر الأنبياء عليهم / الصلاة و السلام و طول[2] مكايدتهم من قومهم، فذكر نوحا ٦١ / و إبراهيم و لوطا و شعيبا عليهم الصلاة و السلام، و خص هؤلاء بالذكر ١٥ لأنهم من أعظم الرسل مكابدة و أشدهم ابتلاء، أما نوح عليه السلام فلبث[6] فى قومه - كما أخبر الله تعالى - ألف سنة إلا خمسين عاما و ما آمن

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: و كان (٢) سقط من ظ و مد.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مما (٥ - ٥) فى مد: هو يناسب الموقف (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فمكث.

معه إلا قليل، و أما إبراهيم عليه الصلاة و السلام فرمى بالمنجنيق فى النار فكانت عليه بردا و سلاما، و قد نطق الكتاب العزيز بخصوص المذكورين عليهم الصلاة و السلام بضروب من الابتلاءات[1] حصلوا على ثوابها، و فازوا من عظيم الرتبة النبوية العليا بأسنى[2] نصابها، ثم ذكر تعالى أخذ المكذبين من أممهم فقال "فكلا أخذنا بذنبه" ثم وصى نبيه صلى الله عليه و سلم و أوضح حجته، و تتابع اتساق الكلام إلى آخر السورة - انتهى.

و لما كان التأسى من سنن الآدميين، توقع المخاطب بهذا الأمر[3] الخبر عن حالهم فى ذلك، فقال مؤكدا لمن يظن أن الابتلاء لايكون، لأن الله غنى عنه فلا فائدة فيه جاهلا[4] بما فيه من الحكمة[5] باقامة الحجة على مقتضى عوائد الخلق: ﴿و لقد﴾ أى أحسبوا و الحال أنا قد ﴿فتنا﴾ أى عاملنا بما لنا من العظمة معاملة المختبر ﴿الذين﴾.

و لما كان التأسى بالقريب فى الزمان أعظم، أثبت الجار فى قوله: ﴿من قبلهم﴾ أى من قبل هؤلاء الذين أرسلناك إليهم من أتباع الأنبياء حتى كان الرجل منهم يمشط لحمه بأمشاط الحديد ما يرده ذلك عن دينه، و من رؤسهم صاحب أكثر السورة الماضية موسى عليه الصلاة و السلام، فنى قصته حديث طويل عن ابن عباس رضى الله عنهما يقال له حديث الفتون و هو فى مسند أبى يعلى، و من[6] آخر ما ابتلى به

(١) فى ظ و مد: الابتلاء (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بأسا - كذا.
(٣) زيد فى الأصل و ظ: الكرية، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) فى ظ و مد: جاعلا (٥) فى ظ و مد: الحكم (٦) سقط من مد.

أمر قارون و أتباعه .

و لما كان الامتحان سببا لكشف مخبآت الإنسان بل الحيوان، فيكرم عنده أو يهان، و أرشد السياق إلى [1] أن المعنى[1] : فلنفتنهم، نسق به قوله : ﴿ فليعلمن الله ﴾ [أى الذى له الكمال كله -[2]] ، بفتنة خلقه، علما شهوديا كما كان يعلم ذلك علما غيبيا، و يظهره لعباده و لو بولغ فى ستره، و عبر بالاسم الأعظم الدال على جميع صفات الكمال التفاتا عن[3] مظهر العظمة إلى أعظم منه تنبيها للناقصين - و هم أكثر الناس - على أنه منزه عن كل[4] شائبة نقص، و أكد إشارة إلى أن أكثر الناس يظن الثبات عند الابتلاء و أنه إذا [5]أخفى عمله[5] لايطلع عليه أحد ﴿الذين صدقوا﴾ فى[6] دعواهم الإيمان و لو كانوا فى أدنى[4] مراتب الصدق، و ليعلمن الصادقين، و هم الصابرون الذين يقولون عند البلاء "هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله" فيكون أحدهم عند الرخاء[7] برا شكورا، و عند البلاء حرا صبورا، و ليعلمن الذين كذبوا فى دعواهم ﴿و ليعلمن الكذبين ٥﴾ أى الراسخين فى الكذب الذين يعبدون الله على حرف، فان أصابهم خير اطمأنوا به و إن أصابتهم فتنة انقلبوا على وجوههم، فظنوا[8]، فيكون لكل من الجزاء على حسب[9] ما كشف

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الاصل : المعنى ان ، و زيد فيه بعده : الامتحان سببا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : على (٤) سقط من ظ و مد (٥ - ٥) فى ظ و مد : خفى عليه (٦) زيد فى ظ : أى (٧) فى ظ و مد : الرجاء (٨) سقط من مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : حسيب .

منه

منه البلاء ، و التعبير بالمضارع لتحقق[1] الاختبار ، على تجدد الأعصار ، [2]لجمعى الأخيار و الأشرار[2]، فمن لم يجاهد نفسه عند الفتنة / فيطيع[3] [فى -[4]] / ٦٢
السراء و الضراء كان من الكافرين فكان فى جهنم "أليس فى جهنم مثوى للكفرين" و من جاهد كان من المحسنين ، و الآية من الاحتباك : دل[5] بالذين صدقوا على الذين كذبوا ، و بالكاذبين على الصادقين[5] ، ذكر الفعل ٥ أولا دليلا على تقدير ضده ثانيا ، و الاسم ثانيا دليلا على حذف ضده أولا .

و لما أثبت سبحانه بهذا علمه الشامل و قدرته[6] التامة فى الدنيا ، [7]عادله بما يستلزم مثل ذلك فى الآخرة[7] ، فكان حاصل ما مضى من الاستفهام : أحسب الناس أنا لانقدر عليهم و لا نعلم أحوالهم فى الدنيا ١٠ أم حسبوا أن ذلك لا يكون فى الأخرى ، فيذهب ظلمهم فى الدنيا و تركهم لأمر الله و تكبرهم على عباده مجانا ، فيكون خلقنا لهم عبثا لاحكمة فيه ؛ بل الحكمة فى تركه ، و هذا الثانى هو معنى قوله منكرا[8] "أم حسب" أو يكون المعنى أنه لما انكر على الناس عموما ظنهم الإهمال ، علم أن أهل السيئات أولى بهذا الحكم ، فكان الإنكار عليهم أشد ، فعادل الهمزة ١٥ بام فى سياق الإنكار كما عادلها بها[9] فى قوله " اتخذتم عند الله عهدا "

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لتحقيق (٢ - ٢) فى مد : للا شرار (٣) فى ظ و مد : فيضيع (٤) زيد من ظ و مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : القدرة (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) سقط من مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهذا .

الآية[1]، فقال: ﴿ام حسب﴾ أى ظن ظنا [2]يمشى له[2] و يستمر [عليه -[3]]، فلا يبين له جهله فيه بأمر يحسبه فلا يشتبه عليه بوجه ﴿الذين يعملون السيئات﴾ أى التى[4] منعناهم[5] بأدلة النقل المؤيدة[6] ببراهين العقل - منها بالنهى عنها، و وضع موضع المفعولين ما اشتمل على مسند و مسند إليه من قوله:

٥ ﴿ان يسبقونا[4]﴾ أى يفوتونا فوت السابق لغيره[7] فيعجزونا فلا نقدر عليهم فى الدنيا بامضاء ما قدرناه عليهم من خير و شر فى أوقاته التى ضربناها له، و فى الدار الآخرة بأن نحييهم بعد أن نميتهم، ثم نحشرهم إلى محل[8] الجزاء صغرة داخرين، فنجازيهم على ما عملوا و[9] نقتص لمن أساءوا إليه منهم، و يظهر تحليتا بصفة العدل فيهم.

١٠ و لما أنكر هذا، عجب ممن يحوك ذلك[10] فى صدره تعظيما لإنكاره فقال: ﴿ساء ما يحكمون﴾ أى ما أسوأ هذا الذى أوقعوا الحكم به لأنفسهم لأن أضعفهم عقلا لا يرضى لعبيده أن يظلم بعضهم بعضا ثم لا ينصف بينهم فكيف يظنون بنا ما لا يرضونه لأنفسهم.

و لما خوف [عباده -[3]] [11]المحسنين و المسيئين[11]، و ضربهم بسوط

١٥ القهر أجمعين، أشار إلى [12]التلويح تهديد[12] الكاذبين فى التصريح بتشويق

---

(١) آية ٨٠ سورة ٢ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) فى ظ: الذين (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: عنفناهم (٦) فى ظ و مد: المويد.
(٧) فى ظ: لغير، و الكلمة ساقطة من مد (٨) سقط من ظ و مد (٩) فى ظ و مد: أو (١٠) فى ظ و مد: هذا (١١-١١) فى ظ و مد: المسيئين و المحسنين.
(١٢ - ١٢) فى مد: التهديد بتلويح.

الصادقين فقال[1] على سبيل الاستئناج[2] مما مضى : ﴿من كان يرجوا﴾ عبر به لأن الرجاء كافٍ عن[3] الخوف منه[4] سبحانه ﴿لقآء الله﴾ أى الجامع لصفات الكمال ، فلا يجوز عليه ترك البعث فانه[5] نقص و منابذ للحكمة ، و شبه البعث باللقاء لانكشاف كثير من الحجب به و حضور الجزاء .

و لما كان المنكر للبعث كثيرا ، أكد فقال موضع : فانه آت ٥ فليحذر[6] و ليبشر ، تفخيما للأمر و تثبيتا و تهويلا : ﴿فان اجل الله﴾ أى الملك الأعلى الذى له الغنى المطلق و جميع صفات الكمال المحتوم لذلك ﴿لآت[7]﴾ لامحيص عنه . فانه لايجوز عليه [وقوع -[7]] إخلاف الوعد ، و لذلك عبر بالاسم الأعظم ، و للاشارة إلى أن أهوال اللقاء لايحيط بها العد ، و لا يحصرها حد ، فليعتد لذلك بالمجاهدة و المقاتلة لنفسه من ١٠ ينصحها[8] ، و قال تعالى : ﴿و هو﴾ أى وحده / ﴿السميع العليم ۝﴾ حثا ٦٣ / على تطهير الظاهر و الباطن فى [9]العقد و[9] القول و الفعل .

و لما حث على العمل ، بين[10] أنه ليس إلا لنفع العامل ، لئلا يخطر فى خاطر ما يوجب تعب الدنيا و شقاء الآخرة من اعتقاد ما لا يليق بجلاله تعالى ، فقال عاطفا على ما تقديره : فمن أراح نفسه فى الدنيا فانما ١٥

(١) فى ظ و مد : و قال (٢) فى مد : الاستفتاح (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كأنه (٦) سقط من ظ و مد (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : نصحها (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من مد (١٠) فى ظ و مد : تبين .

ضر نفسه : ﴿و من جاهد﴾ أى بذل جهده حتى كانه يسابق آخر فى الأعمال الصالحة ﴿فانما يجاهد لنفسه﴾ لأن نفع ذلك له [فيتعبها ليريحها، و يشقيها ليسعدها، و يميتها ليحييها]، وعبر بالنفس لأنها الأمارة بالسوء؛ و إنما طوى ما أدعى تقديره لأن السياق للمجاهدة ؛ ثم علل هذا الحصر بقوله : ﴿ان الله﴾ أي المتعالى عن كل شائبة نقص ﴿لغنى﴾ و أكد لأن كثرة الأوامر ربما أوجبت للجاهل ظن [٢] الحاجة ، و ذلك نكتة الإتيان بالاسم الأعظم ، و بين أن غناه الغنى المطلق بقوله [٣]موضع [عنه] [٣] ﴿عن العلمين ٥﴾ فلا تنفعه طاعة و لا تضره معصية .

و لما كان التقدير : فالذين كفروا و عملوا السيئات لنجزينهم أجمعين ، و لكنه طواه لأن السياق لأهل الرجاء، عطف عليه قوله : ﴿و الذين امنوا و عملوا﴾ تصديقا لإيمانهم ﴿الصلحت﴾ فى الشدة و الرخاء على حسب طاقتهم ، و أشار بقوله : ﴿لنكفرن عنهم سيأتهم﴾ إلى أن الإنسان و إن اجتهد لابد أن يزل لأنه مجبول على النقص ، فالصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهما ما لم يؤت الكبائر ، و الجمعة إلى الجمعة و رمضان إلى رمضان و نحو ذلك مما وردت به الأخبار عن النبي المختار صلى الله عليه و سلم ، و زاده فضلا و شرفا لديه ؛ قال البغوى [٥] : و التكفير إذهاب السيئة بالحسنة ، أو لنغفرن لهم الشرك و ما عملوا فيه ،

(١ - ١) فى مد : تعبها لربحها و شقاوها اسعدها و موتها حياتها (٢) فى ظ : خلق - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد فى ظ : من (٥) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ / ١٥٦ .

و أكد لأن الإنسان مجبول على الانتقام ممن أساء و لو بكلمة و لو بالامتنان [بذكر العفو فلا يكاد يحقق غير ما طبع عليه . و لما بشرهم بالعفو عن العقاب ، أتم البشرى بالامتنان - ١] بالثواب . فقال عاطفا على ما تقديره : و لنثبتن لهم حسناتهم ﴿ و لنجزينهم ﴾ أى فى الإسلام ﴿احسن الذى كانوا﴾ أى كونا يحملهم على أتم رغبة ﴿يعملون﴾ أى ٥ أحسن جزاء ما عملوه فى الإسلام و ما قبله و فى طبعهم أن يعملوه .

و لما ذكر سبحانه أنه لابد من الفتنة ، و حذر من ٢ كفر ، و بشر من صبر ، قال عاطفا على "و لقد فتنا" مشيرا ٣ إلى تعظيم حرمة الوالد حيث جعلها فى سياق تعظيم الخالق ، و إلى أنها أعظم فتنة : ﴿ و وصينا ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ الانسان ﴾ أى ٤ الذى أعناه على ٥ ذلك بأن ١٠ جعلناه على الأنس بأشكاله لاسيما من أحسن إليه ، فكيف بأعز الخلق عليه ، و ذلك فتنة له ٦ ﴿ بوالديه ﴾ .

و لما كان التقدير : فقلنا له : افعل بهما ﴿حسنا ١﴾ أى فعلا ذا حسن من برهما و عطف عليهما ، عطف عليه قوله ٦ : ﴿ و ان جاهداك ﴾ أى فعلا معك فعل المجاهد مع من يجاهده فاستفرغا مجهودهما فى معالجتك ٧ ١٥ ﴿لتشرك﴾ و ترك مظهر العظمة للنص على المقصود فقال : ﴿بى﴾ و نبهه على طلب البرهان فى الأصول إشارة إلى خطر المقام لعظم المرام ، فقال استعمالا للعدل ، مشيرا بنفى العلم إلى انتفاء المعلوم : ﴿ ما ليس لك به علم ﴾

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد : عن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تسيرا (٤) سقط من مد (٥) فى ظ : عن (٦) سقط من ظ و مد (٧) فى ظ و مد : مصالحتك .

أصلا بأنه يستحق الشركة فان من عبد ما لم يعلم استحقاقه للعبادة فهو كافر ﴿فلا تطعهما﴾ فانه لا طاعة لمخلوق - و إن عظم - فى معصية الخالق، /[1]و هذا موجب[1] لئلا يقع[2] من أحد شرك أصلا، فانه لا ريب أصلا فى أنه لا شبهة تقوم على أن غيره تعالى يستحق الإلهية، فكيف بدليل يوجب علما، و المقصود من سياق الكلام إظهار النصفة[3] و التنبيه على النصيحة، ليكون أدعى إلى القبول؛ ثم علل ذلك بقوله: ﴿الىّ مرجعكم﴾ أى جميعا: من آمن و من أشرك بالحشر يوم القيامة؛ ثم سبب عنه قوله: ﴿فانبئكم﴾ أى أخبركم إخبارا عظيما مستقصى بليغا ﴿بما كنتم﴾ أى برغبتكم ﴿تعملون ٥﴾ أى فقفوا عند حدودى، و اتركوا ما تزينه لكم شهواتكم، و احذروا مجازاتى على قليل ذلك و كثيره، عبر سبحانه بالسبب الذى هو الإنباء [لأنه لامثنوية فيه -[4]] عن[5] المسبب الذى هو الجزاء، [6]مطلقا للعبارة[6]، و تهديدا بليغا على وجه الإشارة، و طوى ذكره لأنه قد يدخله العفو[7]، و هذه الآية نزلت فى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه، أسلم و كان بارا بأمه، فحلفت: لا تأكل و لا تشرب حتى يرجع عن دينه أو تموت فيعير بها و يقال قاتل أمه، فمكثت يومين بلياليهما فقال: يا أماه، لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا [نفسا - [4]] ما تركت

(١ - ١) فى ظ: هو موجب، و فى مد: هو الموجب (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: نقع (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: النصف (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٦ - ٦) من مد، و فى الأصل: تلطيفالعباده، و فى ظ: تلطفا لعباده (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: العقود.

دينى فكلى ، و إن شئت فلا تأكلى ! فلما أيست[1] منه أكلت و شربت - و أصل القصة فى الترمذى[2] .

و لما كان التقدير : فالذين[3] أشركوا و عملوا السيئات لندخلنهم فى المفسدين ، و لكنه طواه لدلالة السياق عليه ، عطف عليه [زيادة فى الحث على الإحسان إلى الوالدين -[4]] قوله : ﴿ و الذين ءامنوا و عملوا ﴾ فى السراء و الضراء ﴿ الصلحت ﴾ .

و لما كان الصالح فى الغالب سيء الحال فى الدنيا ناقص الحظ منها ، فكان عدوه ينكر أن يحسن[5] حاله أشد إنكار ، [6] أكد قوله[6] : ﴿ لندخلنهم ﴾ أى بوعد لا خلف[7] فيه ﴿ فى الصلحين ﴾ و ناهيك به من مدخل ، فانه من أبلغ صفات المؤمنين .

و لما كانت ترجمة ما مضى من قسم الراجى و المجاهد و العامل للصالح[8] : فمن الناس - كما أشير إليه - من يؤمن بالله ، فاذا أوذى فى الله صبر و [9]احتسب انتظارا[9] للجزاء من العلى الأعلى ، و لكنه حذف من كل جملة ما دل عليه بما ذكر فى الأخرى ، عطف عليه : ﴿ و من الناس ﴾ أى المذبذبين[10] ﴿ من يقول ﴾ أى بلسانه دون طمأنينة من قلبه : ﴿ ءامنا بالله ﴾ أى الذى اختص بصفات الكمال ، و أشار - بعد الإيماء[11]

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فايست (٢) راجع ٢ / ٣٩١ : تفسير سورة العنكبوت (٣) فى مد : و الذين (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى مد : يصلح (٦-٦) فى مد : قال (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاتخلف (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : للصالح (٩ - ٩) فى مد : أحسن الانتظار (١٠) فى ظ و مد : المذنبين (١١) فى ظ و مد : الإيمان .

إلى كثرة هذا الصنف بالإسناد إلى ضمير الجمع - إلى أن الأذى فى هذه الدار ضربة لازب لابد منه، بقوله بأداة التحقيق : ﴿ فاذآ اوذى ﴾ أى فتنة له و اختبارا من أىّ مؤذ كان ﴿فى الله﴾ أى بسبب كونه فى سبيل [الله -[1]] الذى لايدانيه فى عظمته و جميع صفاته [2]شىء، بلاء[2] يسلط بـه عباده عليه ﴿ جعل ﴾ أى [3]ذلك الذى[3] ادعى الإيمان ﴿ فتنة الناس ﴾ أى له بما يصيبه[4] من أذاهم فى جسده الذى إذا مات انقطع أذاهم عنه ﴿ كعذاب الله[5] ﴾ أى المحيط بكل شىء، فلا يرجى الانفكاك منه، فيصرف المعذب[6] بعد الشماخة و الكبر إلى الخضوع و الذل، لأنه لاكفؤ له و لا مجير عليه، فلا يطاق عذابه، لأنه على كل من الروح و الجسد، لا يمكن مفارقتـه لهما و لا لواحـد منهما بموت و لا بحياة إلا بارادته حتى يكون عمل هذا المعذب عند[6] عذاب الناس له الطاعة لهم فى جميع ما يأمرون به ظاهرا و باطنا، فيتبين حينئذ أنه كان كاذبا فى دعوى الإيمان، و قصر الرجاء على الملك الديان، و أشار إلى أن الفتنة ربما استمرت إلى الممات و طال / زمنها بالتعبير بأداة الشك، و أكد ٦٥ / لاستبعاد كل سامع أن يقع من أحد بهت فى قوله : ﴿ و لئن جآء نصر ﴾ أى لحزب الله الثابتى الإيمان .

و لما كان الإحسان منه إنما هو محض امتنان، فلا يجب عليه لأحد

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل : يعنى لئلا .
(٣ - ٣) فى ظ : الذى ذلك (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : يصيبهم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : العذاب (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : عنه .

شيء، عبر بما يدل على ذلك مشيرا إلى انه يفعله لأجله صلى الله عليه وسلم فقال: ﴿من ربك﴾ أى المحسن إليك بنصر أهل دينك، تصديقا لوعدك لهم، و إدخالا للسرور عليك،

و لما كانت هذه حالة رخاء[1]، عبر بضمير الجمع إشارة إلى نحو قول الشاعر: ٥

و ما أكثر الإخوان[2] حين تعدهم ولكنهم فى النائبات قليل

فقال: ﴿ليقولن﴾ أى هؤلاء الذين لم يصبروا[3]، خداعا للمؤمنين خوفا و رجاء، و عبر فى حالة الشدة بالإفراد لئلا يتوهم أن الجمع قيد، و جمع هنا دلالة على أنهم لايستحيون من الكذب و لو على رؤس الأشهاد، و أكدوا لعلمهم[4] أن قولهم ينكر لأنهم كاذبون فقالوا: ﴿انا كنا معكم[5]﴾ ١٠ أى لم نزايلكم بقلوبنا و إن أطعنا أولئك بألسنتنا.

و لما كان التقدير: أليس أولياؤنا المتفرسون بأحوالهم[6] عالمين؟ عطف عليه منكرا قوله: ﴿او ليس الله﴾ المحيط بعلم الباطن كما هو محيط بعلم الظاهر ﴿باعلم بما فى صدور العٰلمين ٥﴾ أى كلهم، منهم[6] فلا يخفى عليه شيء من ذلك إخلاصا كان أو نفاقا، بل هو أعلم من أصحاب ١٥ الصدور بذلك[7].

و لما أنكر عدم العلم، صرح بالعلم فقال واعدا متوعدا[8]، عاطفا

(١) من ظ، و فى الأصل و مد: الرجاء (٢) فى ظ و مد: الأصحاب (٣) فى مد: لم تصبروا - كذا (٤) فى ظ و مد: بعلمهم (٥) زيد فى ظ و مد: بهم. (٦) سقط من مد (٧) سقط من ظ و مد (٨) فى مد: متواعدا.

على ما أفهمه السياق من نحو : فقد علم الله جميع ما أخفوا و ما أعلنوا : ﴿ و ليعلمن الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة فى عالم الشهادة حتى ينكشف ذلك لديكم كما هو عالم به فى عالم[1] الغيب ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى وقع[2] منهم إيمان . و ليعلمن المؤمنين[3] إيمانا صادقا [بما -[4]] يواليه عليهم من المحن ، و هم لا يزدادون إلا تسليما و رضى ، و[5] أكده لما[5] قدم من أن الناس حسبوا أنهم لا يفتنون ﴿ و ليعلمن ﴾ الذين نافقوا و ليعلمن ﴿ المنفقين ٥ ﴾ بمثل ذلك من الزلازل و الفتن التى يميلون معها كيفما ميّلتهم ، حتى يعلم كل[6] من له لب أنه لا إيمان لهم[7] كما أنه لا أيمان لهم[7] ، و لاشك أنه يعامل كلا من الفريقين بما يستحق على حسب ما يعلم من[8] قلبه ، و الآية [9]من الاحتباك[9] كما مضى [عند -[10]] "[7]و ليعلمن الله الذين صدقوا[7]" .

و لما كان السياق للفتنة و الأذى فى الله المحقق أمره باذا دون [إن[7] و كان الكفار يفتنون من أسلم[11] فى أول الأمر ، ذكر سبحانه بعض ما كانوا يقولون [7]لهم عند الفتنة جهلا بالله و غرورا[7] ، فقال معجبا منهم[12] ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : علم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوقع (٣) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) فى ظ و مد : اكد ما (٦) سقط من ظ و مد . (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن . (٩ - ٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : احتباك (١٠) زيد تمشيا مع السياق . (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الله (١٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى مد فحذفناها .

عاطفا على "و من الناس من يقول": ﴿ و قال الذين كفروا ﴾ اغترارا[1] منهم بالله و جرأة على حماه المنيع ﴿ للذين ﴾ أى لطائفة ممن يقول بلسانه: آمنا بالله، وهم الذين ﴿ آمنوا ﴾ أى حقيقة، جهلا منهم بما خالط قلوبهم من بشاشة الإيمان، و أنوار العرفان: ﴿ اتبعوا ﴾ أى كلفوا أنفسكم بأن تتبعوا ﴿ سبيلنا ﴾ أى طريق ديننا، و عطفوا ٥ وعدهم فى مجازاتهم على ذلك بصيغة الأمر على أمرهم باتباعهم للدلالة على أنه محقق لا شك فيه فقالوا: ﴿ و لنحمل خطيكم[2] ﴾ بوعد صادق و أمر محتوم جازم، إن كان ما تقولون[3] حقا إنه لابد لنا من معاد نؤاخذ فيه بالخطايا، و لو دروا لعمرى ما الخبر، يوم يقولون: لا مفر، ما عرضوا أنفسهم لهذا الخطر، يوم يود كل امرئ[4] لو افتدى / بماله و بنيه، و عرسه ١٠ ٦٦ / و أخيه، و صديقه و أبيه، و يكون كلامهم - و إن كان أمرا - بمعنى الخبر[5] لأنه وعد كذبه سبحانه لأن معناه: إن كتب عليكم إثم حملناه عنكم بوعد[5] لا خلف فيه[6] ﴿ و ما هم ﴾ أى الكفار ﴿ بحملين ﴾ ظاهرا و لا باطنا ﴿ من خطيهم ﴾ أى المؤمنين ﴿ من شىء[7] ﴾ و هم يقدرون أن لا يحملوا، أو حملا يخفف عنهم العذاب، أى أنهم إذا عاينوا تلك الأحوال[7]، ١٥ و طاشت عقولهم فى بحار هاتيك الأهوال[8]، التى لا يقوم لها الجبال،

---

(١) فى مد: اعتزازا (٢) فى مد: يقولون (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: احد (٤) فى ظ و مد: الجد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يوم (٦) زيد فى الأصل و ظ: فقال، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) فى مد: الاهوال (٨) فى مد: الأحوال.

تبرأوا ممن قالوا له هذا المقال ، فقد أخبروا بما لا يطابق الواقع[1] ، و يجوز أن يكونوا تعمدوا الكذب حال الإخبار إن[2] كانت نيتهم أنهم لا يفون[3] على تقدير تحقق الجزاء .

و لما علم من هذا كذبهم بكل حال سواء تعمدوا أو لا ، صرح به تأكيدا لمضمون ما قبله ، مؤكدا لأجل ظن[4] من غروه[5] صدقهم فى قوله [مستأنفا - [6]] : ﴿ انهم لكذبون ٥ ﴾ .

و لما كان كل من أسلك أحدا طريقا كان شريكه فى عمله فيها ، فكان عليه مثل[7] وزره إن كانت طريق ردى ، و له مثل[4] أجره إن كانت سبيل هدى ، قال تعالى مؤكدا لإنكارهم الآخرة و كل ما فيها : ﴿ و ليحملن ﴾ أى الكفرة ﴿ اثقالهم ﴾ التى حملوها أنفسهم الضعيفة بما اكتسبوا ﴿ و اثقالا ﴾ أخرى لغيرهم ﴿ مع اثقالهم ﴾ بما تسببوا به[8] من إضلال غيرهم ، و من تاصيل السنن الجائرة[9] الجارية بعدهم ، فمن[10] سن سنة سيئة فعليه وزرها و وزر من عمل[11] بها إلى يوم القيامة من غير أن ينقص أحدهم من حمل[4] الآخر شيئا[12] .

و لما كان للسؤال[13] على طريق الازدراء و الإذلال ، من الرعب

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الواقع (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : بيان (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يفون - كذا (٤) سقط من مد . (٥) زيدت الواو فى مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : بمثل (٨) فى ظ و مد : فيه (٩) فى ظ و مد : الجائزة (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : ممن . (١١) فى مد : يعمل (١٢) من ظ و مد . و فى الأصل : شيء (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : السوال .

ق

فى القلب ما ليس للأفعال قال : ﴿ و ليسئلن ﴾ أى من كل من أمره[1] المولى بسؤالهم ﴿ يوم القيٰمة ﴾ أى الذى هم به مكذبون ، و له مستهينون[2] و التأكيد إما لإنكارهم ذلك اليوم ، أو لظن أن العالم لا يسأل عما يعلمه[3] ، ﴿ عما كانوا ﴾ أى بغايــة الرغبة ﴿ يفترون ﴾ أى يتعمدون كذبه ، و يُعْملون أفكارهم فى ارتكابه [و يواظبون عليه -[4]] ، و التعبير بصيغة الافتعال يدل على أنهم كانوا يعلمون صدق الرسول صلى الله عليه و سلم و يتعمدون الكذب فى وعدهم لمن[5] غروه .

و لما كان السياق للبلاء و الامتحان ، و الصبر على الهوان ، و إثبات علم الله و قدرته على إنجاء الطائع و تعذيب العاصى ، ذكر من الرسل الكرام عليهم الصلاة و السلام من طال صبره على البلاء ، و لم يفتر عزمه عن نصيحة العباد [على -[6]] ما يعاملونه به من الأذى ، تسلية لرسوله صلى الله عليه و سلم و لتابعيه رضى الله تعالى عنهم و تثبيتا لهم و تهديدا لقريش . فقال عاطفا على " و لقد فتنا الذين من قبلهم " ما هو كالشرح له ، و له نظر[7] عظيم إلى " و لقد وصلنا لهم القول " و أكده دفعا لوهم من يقول : إن القدرة على التصرف فى القلوب مغنية عن الرسالة فى دار التسبيب : ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة المغنية عن الرسالة إجراء للأمور على ما تقتضيه هذه الدار من حكمة التسبيب

(١) فى مد : امر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : مستمنيون (٣) فى مد : يعمله (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : نظير .

﴿نوحا﴾ أى أول رسل الله إلى الخافقين[1] من العباد، وهو معنى ﴿الى قومه﴾ فان الكفر كان قد عم أهل الأرض، وكان صلى الله عليه و سلم أطول الأنبياء بلاء بهم. و لذلك قال مسببا عن ذلك و معقبا: ﴿فلبث فيهم﴾ أى بعد الرسالة يدعوهم إلى الله. وعظم الأمر / بقوله: ﴿الف﴾ فذكر ٦٧ / رأس العدد الذى لا رأس أكبر منه، و عبر بلفظ ﴿سنة﴾ ذما لأيام الكفر، و قال: ﴿الا خمسين﴾ فحقق أن ذلك الزمان تسعمائة و خمسون من غير زيادة و لا نقص مع الاختصار و العذوبة، و قال: ﴿عاما﴾ إشارة إلى أن زمان حياته عليه الصلاة و السلام بعد إغراقهم كان رغدا واسعا حسنا بإيمان المؤمنين و خصب[2] الأرض.

و لما كان تكرير الدعاء مع عدم الإجابة أدل على الامتثال و عدم الملال، قال مسببا عن لبثه فيهم و دعائه لهم و معقبا له[3]: ﴿فاخذهم﴾ أى كلهم بالإغراق أخذ قهر و غلبة ﴿الطوفان﴾ أى من الماء، لأن الطوفان فى الأصل لكل فاش[4] طامّ محيط غالب ممتلئ كثرة و شدة و قوة من سيل أو ظلام أو موت أو غيرها، و المراد هنا الماء ﴿و هم ظلمون﴾ أى عريقون فى هذا الوصف، و هو[5] وضع الأشياء فى غير مواضعها فعل[6] من يمشى فى أشد الظلام، بتكذيبهم رسولهم، و إصرارهم على كفرهم، و هو ملازم لدعائهم ليلا و نهارا لم يرجع منهم عن الضلال إلا ناس

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: المخالفين (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: خصيب (٣) زيد فى ظ و مد: و معقبا لهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فاس (٥) فى ظ: هذا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فقل.

لقلتهم لايعدون ؛ و دل عليهم مسببا عن ذلك بقوله : ﴿ فأنجيناه ﴾ أى نوحا عليه السلام بما لنا من العظمة التى لا يغلبها شىء ﴿ و اصحب السفينة ﴾ من أولاده و أتباعه ، من الغرق ، و ما ذا يبلغ مقدار أهل سفينة واحدة فى العـــدة و الكثرة ﴿ و جعلناها ﴾ أى الفعلة أو السفينة أى[1] نفسها و جنسها ، بتلك العظمة ﴿ اٰية ﴾ أى علامة على قدرة الله و علمه و إنجائه للطائع[2] و إهلاكه للعاصى[3] ﴿للعٰلمين ٥﴾ فانه لم يقع فى الدهر حادثة أعظم منها ولا أغرب و لا أشهر فى تطبيق الماء[4] جميعَ الأرض ، بطولها و العرض ، و إغراق جميع من[5] عليها من حيوان : إنسان[6] و غير إنسان[6] ، و إنجاء ناس فيهم بما هيأ[7] قبل الفعل من سبب ذلك المستمر نفعه على تكرار[8] الأحقاب و تعاقب الأزمان ، و كونها آية أما[9] للآدميين الذين كانوا فى ذلك الزمان فالأمر فيهم واضح ، و أما غيرهم من الحيوان فقد عرفوا[10] لمعرفتهم بالجزئيات المشاهدة أن ذلك الماء لاينجى منه [11]فى دار الأسباب[11] إلا هذه السفينة ، فالهداية إلى فعلها للنجاة قبل وقوع سبب الهلاك دالة[12] على تمام العلم و شمول القدرة ، و أن من اهتدى إليه دون أهل ذلك

(١) من ظ ومد ، و فى الأصل : او (٢) فى مد : الطائع (٣) فى مد : العاصى . (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المال (٥) فى ظ و مد : ما (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انسانى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : مضى (٨) من ظ ومد ، وفى الأصل : تكرير (٩) من ظ ومد ، و فى الأصل : الا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : غرفوا (١١-١١) فى ظ : دار الأسباب ، و فى مد : من الاسباب (١٢) فى الأصل : قال ، فى ظ و مد : دال .

العصر كلهم إنما اهتدى باعلام الله له دون غيره ، و نصف الآية الأولى الأول [من هذه القصة -[1]] تسلية و تعزية دليلا[2] على آيتى الفتنة أول السورة ، و نصفها الثانى[2] تحذير و توقية[3] ، [و فيه -[4]] دليل[5] على الآية الثالثة ، و الآية الأخرى تبشير[6] و ترجية[6] ، [و فيه -[4]] دليل على ما بعد .

٥ و لما كان بلاء إبراهيم عليه الصلاة و السلام عظيما فى قذفه فى النار و إخراجه من بلاده ، اتبعه بـــه فقال : ﴿ و ابرٰهيم ﴾ أى و لقد أرسلنا إبراهيم ، و يجوز أن يكون التقدير : و اذكر إبراهيم أباك الأعظم لتأسى به و تتسلى و[7] يتعظ قومك[7] بقصته ، لكن قوله " و الى مدين " يرجح الأول ، و دل على مبادرته للامتثال بقوله : ﴿ اذ ﴾ أى[2] حين ،

١٠ و هو بدل اشتمال على التقدير الثانى لاشتمال الأحيان على ما قبلها[8] ﴿ قال لقومه ﴾ الذين هو منهم : ﴿ اعبدوا الله ﴾ أى الملك الأعظم بما يأمركم به من طاعته ﴿ و اتقوه[4] ﴾ أى خافوه فى أن تشركوا به شيئا فانه يعذبكم ﴿ ذٰلكم ﴾ أى الأمر العظيم / الذى هو إخلاصكم فى عبادتكم ٦٨/ له و تقواكم ﴿ خير لكم ﴾ أى من كل شىء ﴿ ان كنتم ﴾ أى بما لكم

١٥ من الغرائز الصالحة ﴿ تعلمون[9] ﴾ أى [إن كنتم -[1]] فى عداد من يتجدد

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ ، و فى الأصل : تولية ، و سقط من مد (٤) زيد من مد (٥) فى مد : دلالة (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧ - ٧) فى مد : تتعظ (٨) فى ظ و مد : فيها (٩) تكرر فى الأصل قبل « اى بما لكم » .

له علم فأنتم تقولون: إنه خير، أى[1] تعتقدون ذلك فتعملون[2] به، و إن لم تعلموا ذلك فأنتم فى عداد الحيوانات العجم، بل أضل، فانها تهتدى لما ينفعها فتقبل[3] عليه، و تسعى بجهدها[4] إليه.

و لما أمرهم بما تقدم، و نفى[5] العلم عمن جهل خيريته، دل عليه بقوله: ﴿انما تعبدون[6]﴾ و لما كان الله أعلى من كل شىء قال: ﴿من دون الله﴾ أى الذى لاشبيه له و لانظير، [و لاثانى -[7]] و لا وزير، و قال: ﴿اوثانا﴾ إشارة إلى تفرق الهمم بكثرة[8] المعبود، و الكثرة يلزمها الفرقة و لاخير فى الفرقة. و مادة "وثن" بجميع تقاليبها واوية و يائية مهموزة[9] تدور على الزيادة و الكثرة، و يلزمها الفرقة من اختلاف الكلمة، فيلزمها حينئذ الرخاوة فيأتى العجز، و تراكيبها تسعة: فى الواوى ثلاثة: وثن ثنو ثون[10]، و فى اليائى ثلاثة: ثنى نثى ثين، و[11] فى المهموز ثلاثة: أنث أثن نأث، فمن الزيادة: الوثن، قال القزاز: قال أبو منصور: الفرق بين الوثن و الصنم أن الوثن[12] كل ما[12] كان له جثة من خشب أو حجر أو فضة [أو ذهب -[13]] أو جوهر أو غيره ينحت[14] فينصب فيعبد[14]،

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: ان (٢) فى ظ: فتعلمون (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لتقبل (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: جهدها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: مصى (٦) من ظ و مد و القرآن الكريم. و فى الأصل: يصدون (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ و مد: لكثرة (٩) زيد فى ظ و مد: و غير مهموزة (١٠) فى مد. نوث (١١) سقطت الواو من ظ. (١٢-١٢) من مد. و فى الأصل و ظ: كلما (١٣) زيد من مد (١٤-١٤) من ظ و مد، و فى الأصل: و ينصب و يعبد.

و الصنم الصورة التى بلاجثة ، و منهم من جعل الوثن صنما ـ انتهى . و قال عبد الحق : قال الهروى : قال ابن عرفة : ما كان له صورة من جص أو حجارة أو غير ذلك فهو وثن ـ انتهى . فقد علم من ذلك أنه لابد فيه من صورة أو جثة ، و على كل تقدير فهو ثان لما شابه[1] صورته أو جثته[2] و زائد عليه . و قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازى[3] فى كتاب الزينة : الصنم تمثال من حجارة على صورة الإنسان ، فاذا كان من خشب فهو وثن ، و يتخذ أيضا من جص ، و ربما صوروا فى الحائط أيضا صورة إنسان [4]فتسمى تلك[4] الصورة أيضا وثنا . و النصارى يفعلون ذلك ويصورون فى بيعهم صورة المسيح و صورة مريم و يسجدون لها ؛ و استوثن المال : سمن ، فزاد لحمه ، و استوثن من المال : استكثر ، و النحل[5] : صارت فرقتين صغارا وكبارا ، و الإبل : نشات[6] أولادها معها ، و أوثن زيدا : أجزل عطيته ، و الواثن : الشيء الثابت الدائم فى مكانه ، فالزيادة فيه بالنسبة إلى زمانه ، و يمكن أن يكون من الرخاوة ، فانه لا يثبت على

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : غابه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : جسه ـ كذا (٣) ذكره ابن حجر فى لسان الميزان ١ / ٦٤ ، و لم يذكر تصانيفه ، و أما كتاب الزينة فنسبه فى كشف الظنون إلى أبى حاتم سهل بن محمد السجستانى (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : و تسمى ذلك ، و العبارة من بعده إلى « فى بيعهم » ساقطة من مد (٥) فى ظ و مد و القاموس : النخل ، و فى التاج : و الصواب بالحاء المهملة (٦) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : شات ـ كذا .

هذه الصورة إلا ما لا قدرة له على حركة. و من الفرقة: ثنا الحديث - بتقديم النون - ينثوه و ينثيه. يأتى و واوى: اشاعه و حدث[١] بـه، و الشيء[٢]: فرقه و أذاعه، و أثى: اغتاب و أنف من الشيء، و لا يؤنف[٣] منه إلا على [٤]تقدير نشره[٤]، و الثوينا - كالهوينا: [٥]الرقيق يفرش[٥] تحت الرغيف[٦] ليسوى و يعدل لأن يكون ظله[٦]، و التثاون: الاحتيـال و الخديعة، فانها لا تـكون إلا عن[٧] جمع فكر و تنبيه[٨] نظر، و هى أيضا لا تكون إلا من عاجز عن الأخذ جهارا، و من ذلك [٩]تثاون للصيد[٩] - إذا جاءه مرة عن يمينه و أخرى[١٠] عن يساره، و الثنى من كل شيء [ما -[١١]] يثنى بعضه على بعض، و من الوادى: منعطفه[١٢] و اثنونى: انعطف، / و الثناء - ككتاب: عقـال البعير، و هو حبل مثنى يعقل به ١٠ / ٦٩ يد البعير فتثنى، و الفناء لأنه[١٣] يكثر انتيابه[١٤] و التردد إليه[١٥]، وأثناء الشيء: قواه و طاقاته، و الاثنان: ضعف الواحد، و المؤنث ثنتان. و أصله ثنى،

---

(١) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: حذف (٢) فى مد: انثى - كذا. (٣) فى ظ و مد: لا يوثق (٤-٤) فى ظ و مد: تقديره (٥ - ٥) من ظ و مد و القاموس. و فى الأصل: لدقيق يفرق (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد. (٧) من ظ و مد. و فى الأصل: بمن (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: تثنة. (٩-٩) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: تثاوى للعبيد (١٠) فى مد: مرة (١١) زيد من ظ و مد (١٢) من مد و القاموس. و فى الأصل و ظ: معطفه (١٣) من ظ، و فى الأصل: لا (١٤-١٤) من ظ، و فى الأصل: انثنابه و الترد - كذا (١٥) العبارة من «و الفناء» إلى هنا ساقطة من مد.

و الاثنين[١] و الثنى كالى : يوم فى الأسبوع ، و ثنيته عن وجهه : رددته ، فصارله رجوع بعد ذهاب ، وثنيت الرجلين : صرت[٢] ثانيهما[٣] و أنت أحدهما ، و لايقال : ثنيت فلانا ، و لكن يقال : صرت له ثانيا ، و المثانى : القرآن أو[٤] ما ثنى منه مرة بعد مرة ، أو الحمد ، أو البقرة إلى براءة - هكذا عبر فى القاموس[٥] ، و فى مختصر العين : و يقال : سور أولها البقرة و آخرها براءة ، و ذكر فى القاموس[٥] فى ذلك أقوالا أخرى ، و من أوتار العود [الذى بعد -[٦]] الأول واحدها مثنى ، و مثنى الأيادى : إعادة المعروف مرتين فأكثر ، و الثنية : العقبة أو طريقها أو الجبل[٧] أو الطريقة[٨] فيه - لأنها بطلوعها و نزولها أو تعاريجها كأنها ثنيت مرتين ، و الثنايا من الأسنان : الأربع التى[٩] فى مقدم الفم : ثنتان من فوق ، و ثنتان[١٠] من أسفل ، و الناقة الطاعنة[١١] فى السادسة ، و البعير ثنىّ ، و الفرس الداخلة فى الرابعة[١٢] و الشاة [فى الثالثة -[١٣]] كالبقرة ، وكأن ذلك كله من عرض

(١) كذا فى الأصل و ظ ، وفى مد : يوم الاثنين ، وفى القاموس : الاثنان .
(٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : صرنا (٣) فى مد : ثانيا لهما (٤) من القاموس ، وفى الأصول «و» (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦) زيد من القاموس .
(٧) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : الحين (٨) فى مد : الطريق .
(٩) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : الذى (١٠) من ظ و مد و القاموس ، و فى الأصل : اثنتان (١١) من مد و القاموس . و فى الأصل و ظ : الطاغية
(١٢) من القاموس ، وفى الأصل : الثالثة ، وفى ظ ومد : السادسة (١٣) زيد من ظ و مد و القاموس .

يعرض لثنية الحيوان، و الثنيـــة: النخلة المستثناة من المساومة، و الثنية و الثناء: وصف بمدح أو ذم، أو خاص بالمدح، و ذلك لأنه يكرر، و الثين بالكسر: من يستخرج الدر من البحر، لأنه يكرر الغوص حتى يجد و يفارق مكانه لذلك و يفرق الدر من مكانه، و الثين أيضا: مثقب اللؤلؤ، لأن الثقب يفرق بين أجزائها [و ـ[1]] لأن المثقب نفسه ٥ يحرك فيكثر[2] من حركته إذا فعل به ذلك. و من مهموزه: نأث عنه: بعد، و المنأث ـ بالضم، المبعد، و الأثين: الأصيل[3]. لأنه ثان لأصله، و[4] من الرخاوة الأنثى خلاف الذكر، و الأنيث من الحديد الرخو و هو ما لم يكن ذكرا، و المؤنث: المخنث[5]، و الأنثيان: الخصيتان و الأذنان، [و ـ[6]] أرض أنيثة و مئناث[7]: سهلة، و سيف مئناث: كهام أي[8] فليل ١٠ لا يقطع ـ فقد تحرر أن المادة كلها دائرة على ما لا ينبغي[9] لرتبة الإلهية من الكثرة [و ـ[10]] الفرقة و الرخاوة، و لذلك أتى بصيغة الحصر، و هو قصر قلب لسلب ما اعتقدوه فيها من الإلهية.

و لما أشار لهم إلى عدم صلاحيتها لتلك الرتبة العلية، و الغاية الشماء السنية، بكثرتها[11]، أشار إلى قصورها أيضا بتصويرها فقال بصيغة المضارع ١٥

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ليكثر (٣) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: الاصل (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: او (٥) من ظ و مد و القاموس، و فى الأصل: المحفف (٦) زيد من ظ و مد والقاموس (٧) من ظ و مد والقاموس، وفى الأصل: منشات (٨) سقط من ظ و مد (٩) من ظ، و فى الأصل: لم ينبغى، و فى مد: ينبغى (١٠) زيد من ظ و مد (١١) سقط من مد.

إشارة إلى ما يرى فى[1] كل وقت من تجدد[2] حدوثها : ﴿ و تخلقون ﴾ أى تصورون بأيديكم ﴿ افكا[3] ﴾ أى شيئا مصروفا عن وجهه ، فانه مصنوع و أنتم تسمونه باسم الصانع ، و مربوب و أنتم تعدونه[4] ربا ، و عبد و أنتم تقيمونه معبودا ، او تقولون فى حقها أنها آلهة كذبا .

٥ و لما كان الإنسان محتاجا أبدا ، فكان[4] لا يزال متوجها إلى من [5]ينفعه ، و كان[5] قد أشار سبحانه إلى نقص معبوداتهم بنفى الخير عنها ، صرح بعجزها ، و أثبت اختصاصه بالخير ، ليتج استحقاقه[6] للعبادة دونها [7]و أكده[7] ردا لما كانوا يتوهمونه[8] من نفعها و ضرها فقال : ﴿ ان الذين تعبدون ﴾ ضلالا و عدولا عن الحق الواضح

١٠ ﴿ من دون الله ﴾ المحيط / بصفات الكمال ، المنزه عن شوائب الاختلال / ٧٠ [الذى لا يمكن أن يملأ[9] جميع ما تحت رتبته شىء فكيف برتبته الشماء ، و حضرته العلياء - [9]] ﴿ لا يملكون لكم ﴾ أى و أنتم تعبدونها فكيف بغيركم ﴿ رزقا ﴾ أى شيئا من الرزق الذى لا قوام لكم بدونه ، فتسبب عن ذلك قوله : ﴿ فابتغوا ﴾ و أشار بصيغة الافتعال إلى السعى فيه ،

١٥ لأنه أجرى عادته سبحانه أنه فى الغالب لا يؤتيه إلا[10] بكد من المرزوق[10]

(١) سقط من ظ و مد (٢) فى ظ و مد : تجديد (٣) فى ظ و مد : تعبدونه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : و كان (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتبعه و قد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اختصاصه (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يتهمون (٩) زيد من ظ و مد (١٠-١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بله من الرزق .

و جهـــد ، إما فى العبادة و التوكل ، و إما فى السعى الظاهر فى تحصيله بأسبابه الدنيوية ، و العاجز من أتبع نفسه هواها [١]و تمنى على الله الأمانى[١]، .

و لما أشار إلى ذلك ، أشار إلى الإجمال فى الطلب ، و أن لا يعتقد أنه لا محالة فى السبب ، و إنما الأمر مع ذلك بيده ، إن شاء أنجح و إن شاء خيب ، بقوله : ﴿عند الله﴾ أى الذى له [٢]كل صفة[٢] كمال ﴿الرزق﴾ أى كله ، فانه لا شىء منه إلا و هو بيده ، و قد دخل فيه كل موجود ، فان الكل خلق لذلك ، فأحكمت صنعته و ربط[٣] بعضه ببعض ، فلو نقص منه شىء لاختل النظام ، فتبطل الأحكام ﴿و اعبدوه﴾ أى عبادة يقبلها ، و هى ما كان خالصا عن الشرك ، فان من يكون كذلك يستحق ذلك[٤] و يثيب[٥] العابد له ، و يعاقب الزاهـــد فيه ، فلا يشغلكم ابتغاء[٦] الرزق بالأسباب الظاهرة عن عبادته ، فانها هى الأسباب الحقيقية ، فربما حرم العبد الرزق بالذنب يصيبه ﴿و اشكروا﴾ أى أوقعوا الشكر ﴿له[٧]﴾ خاصة على ما أفاض عليكم من النعم ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿اليه﴾ أى[٧] وحده ﴿ترجعون ۝﴾ أى معنى[٨] فى الدنيا و الآخرة بأنه لا حكم فى الحقيقة لأحد سواه ، و حسا [٩]بالنشر و الحشر[٩] بعد الموت بأيسر أمر فيثيب[١٠] الطائع و يعذب العاصى فى الدارين .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢-٢) فى ظ و مد : صفة كل (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : رد على (٤) فى مد : كذلك (٥) فى ظ و مد : يثبت . (٦) فى ظ و مد : ايضا (٧) سقط من ظ و مد (٨) فى ظ : بمعنى (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالحشر و النشر (١٠) فى مد : فيثبت .

و لما كان التقدير : فان تصدقوا فهو حظكم فى الدنيا و الآخرة ، عطف عليه قوله : ﴿و ان تكذبوا﴾ و الذى دلنا على هذا المحذوف هذه الواو العاطفة على غير معطوف معروف ﴿فقد﴾ أى فيكفيكم فى الوعظ و التهديد معرفتكم بأنه ﴿كذب امم﴾ فى الأزمان الكائنة ﴿من قبلكم﴾ كثيرة ، كعاد و ثمود و قوم نوح و غيرهم ، فجرى الأمر فيهم على سنن واحد لم يختلف قط فى نجاة المطيع للرسول و هلاك[1] العاصى له ، و لم يضر ذلك الرسول شيئا و ما ضروا به[2] إلا أنفسهم ﴿و ما على الرسول﴾ أن يقهركم[3] على التصديق ، بل ما عليه ﴿الا البلغ المبين ه﴾ الموضح - مع ظهوره فى نفسه - للأمر بحيث لا يبقى فيه شك ، باظهار المعجزة ، و إقامة الأدلة على الوحدانية .

و لما كان التقدير : ألم تروا إلى مصارعهم ؟ و اتساق الحال فى أمرهم ؟ فيكفيكم ذلك زاجرا ، عطف[4] عليه للدلالة على الرجوع إليه منكرا[5] قوله : ﴿او لم يروا﴾ بالخطاب[6] فى قراءة حمزة و الكسائى و [فى ـ[7]] رواية عن أبى بكر عن عاصم جريا على النسق السابق ، و بالغيب للباقين[5] ، إعراضا للايذان بالغضب ﴿كيف يبدئ الله﴾ أى الذى له كل كمال ﴿الخلق﴾ أى يجدد إبداءه فى كل لحظة ، و هو بالضم من أبدأ ، و قرئ بالفتح من بدأ ، و هما معا بمعنى الإنشاء من العدم ؛ قال

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهلاك (٢) سقط من مد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : يقهرهم (٤) فى مد : عظيما عطفا (٥) سقط من ظ و مد (٦) راجع نثر المرجان ٥ / ٢٣٣ (٧) زيد من ظ و مد .

القزاز : أبدأت[1] الشيء أبدئه إبداء[2] - إذا أنشأته ، و الله المبدئ [3]أي الذى بدأ الخلق[3] ، يقال : بدأهم و أبدأهم ، و فى القاموس : بدأ الله الخلق : خلقهم كأبدأ[4] . و رؤيتهم [5]للابداء موجودة / فى الحيوان و[5]للابداء و الإعادة فى النبات ، و لافرق فى الإعادة[6] بين شيء و شيء فيكون قوله - ﴿ثم يعيده[7]﴾ أى يجدد إعادته فى كل لمحة - معطوفا على " يبدئ " و لو لم يكن كذلك لكان عطفه عليه من حيث أن مشاهدة حال الابتداء جعلت مشاهدة لحال الإعادة من حيث أنه لا فرق ، و لاحاجة حينئذ إلى تكلف عطفه على الجملة من أولها . ثم حقر[7] أمره بالنسبة إلى عظيم قدرته ، فقال ذاكرا نتيجة الأمر[8] السابق : ﴿ان ذلك﴾ أى الإبداء و الإعادة ، و أكد لأجل إنكارهم[9] ﴿على الله يسير﴾ لأنه الجامع لكل كمال ، المنزه عن كل شائبة نقص .

/ ٧١

و لما ساق العزيز الجليل هذا الدليل ، عما حاج به قومه الخليل ، انتهزت الفرصة فى إرشاد نبيه من إسماعيل عليهما الصلاة و السلام [10]و التحية و الإكرام ، و ذلك أنه لما استدل عليه السلام[10] على الوحدانية المستلزمة للقدرة على المعاد بابطال إلهية معبوداتهم المستلزم لإبطال كل

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابديت (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابداه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من القاموس ، و فى الأصل : كما بدا ، و فى ظ و مد : كأبداهم (٥) سقط من ظ و مد (٦) فى مد : القدرة . (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : خص (٨) فى ظ و مد : الكلام (٩) فى ظ و مد : انكاره (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من مد .

ما شاكلها، فحصل الاستعداد للتصريح بأمر المعاد، فصرح به، كان ذلك فخرا[1] عظيما، و مفصلا بينا جسيما، لإقامة الحجة على قريش و سائر العرب، فانتهزت فرصته[2] و اقتحمت لجته، كما هي عادة البلغاء، و دأب الفصحاء الحكماء[3]، لأن ذلك كله إنما سيق تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم و وعظا لقومه فقيل: ﴿قل﴾ [أي -[4]] يا محمد لهؤلاء الذين [5]تقيدوا بما تقلدوا من[5] مذاهب آبائهم من غير شبهة على صحته أصلا: قد ثبت أن هذا كلام الله لما ثبت من عجزكم عن معارضته، فثبت أن هذا الدليل كلام أبيكم إبراهيم عليه الصلاة و السلام و أنتم مصرحون بتقليد الآباء غير[6] متحاشين من معرته[7] و لا أب لكم أعظم من إبراهيم عليه الصلاة و السلام، فاذا قلدتم من لا يفارقه[8] في عبادة ما لا يضر و لا ينفع من غير شبهة أصلا فقلدوا أباكم الأعظم في عبادة الله وحده لكونه أباكم. و لما أقام على ذلك من الأدلة التي لا مراء فيها[9] قال: أو[10] ﴿سيروا﴾ إن لم تقتدوا بأبيكم إبراهيم عليه السلام، و تتأملوا ما أقام من الدليل القاطع و البرهان الساطع ﴿في الارض﴾ إن لم يكفكم النظر في أحوال بلادكم.

و لما كان السياق لإثبات الإلهية التي تجب المبادرة إلى تفريغ الفكر و توجيه كل الذهن إلى الاستدلال عليها، عبر بالفاء المعقبة فقال:

(١) في مد: محرى (٢) في ظ و مد: فرصة (٣) سقط من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥ - ٥) في مد: تقلدوا (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و في الأصل: معرته (٨) في ظ و مد: لا يقاربه (٩) من ظ ومد، و في الأصل: فيما (١٠) من ظ و مد، و في الأصل «و».

﴿فانظروا﴾ أى نظر اعتبار ﴿كيف بدأ﴾ أى ربكم الذى خلقكم و رزقكم ﴿الخلق﴾ من الحيوانات[1] و النبات من الزروع[2] و الأشجار، و غيرها مما[3] تضمنته الجبال و السهول [4]و الأوعار[4]، و هذا يدل على أن الأول [5]فيما هو[5] أعم من الحيوان، فتقريرهم على الإعادة فيه حسن.

و لما كان المقصود بالذات بيان الإعادة التى هى من أجل مقاصد السورة، لإظهار ما مضى أولها من العدل يوم الفصل، وكانوا بها مكذبين، بين الاهتمام بأمرها بابراز الاسم الأعظم بعد تكريره فى هذا السياق غير مرة، و أضمره فى سياق البداءة لإقرارهم له بها، إشارة إلى أنه باطن فى هذه[6] الدار، ظاهر بجميع الصفات فى تلك، فقال: ﴿ثم الله﴾ أى الحائز لجميع صفات الكمال فلا يفوته شىء، المتردى بالجلال، فاخشوا سطوته، و اتقوا[7] عقوبته و نقمته ﴿ينشئ النشأة الآخرة[8]﴾ بعد النشأة الأولى. / ثم علل ذلك بقوله مؤكدا تنزيلا لهم منزلة المنكر لإنكارهم البعث: ﴿ان الله﴾ فكرر ذكره[8] تنبيها بعد التيمن به على ما ذكره[9] و على أنه فى كل أفعاله لاسيما هـذا مطلق غير مقيد بجهة من الجهات، و لا مشروط بأمر من الأمور ﴿على كل شىء قدير﴾ لأن نسبة الأشياء كلها[10] إليه واحدة.

/ ٧٢

(١) فى ظ و مد: الحيوان (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: الزرع (٣) من ظ و مد، وفى الأصل: بما (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥-٥) من مد، و فى الأصل و ظ: فى (٦) فى ظ: هذا (٧) فى ظ و مد: فاخشوا (٨) فى ظ و مد: ذلك (٩) فى ظ و مد: ذكر (١٠) سقط من ظ و مد.

و لما ثبت ذلك ، أنتج[1] لا محالة قوله ، مهددا بعد البيان الذى ليس بعده إلا العناد : ﴿ يعذب ﴾ بعدله ﴿ من يشآء ﴾ أى منكم و من غيركم فى الدنيا و الآخرة ، فلا يقدر أحد[2] بشفاعة و لا غيرها على الحماية منه ﴿ و يرحم ﴾ بفضله ﴿ من يشآء ج ﴾ فلا يقدر أحد على[3] أن يمسه بسوء ٥ ﴿ و اليه ﴾ أى وحده ﴿ تقلبون ۝ ﴾ أى بعد موتكم بأيسر سعى .

و لما [4]لم يبق[4] للقدرة على إعادتهم مانع يدعى إلا ممانعتهم منها ، أبطلها على تقدير ادعائهم لها فقال : ﴿ و مآ انتم ﴾ أى أجمعون العرب[5] و غيرهم ﴿ بمعجزين ﴾ أى بواقع إعجازكم فى بعثكم و تعذيبكم ﴿ فى الارض ﴾ كيفما تقلبتم فى ظاهرها و باطنها .

١٠ و لما كان الكلام هنا له أتم نظر إلى ما بعد البعث ، و كانت الأحوال هناك خارجة عما يستقل به العقل ، و كان اثر القدرة أتم و أكمل ، و أهم و أشمل ، و كان بعض الأرواح يكون فى السماء بعد الموت قال : ﴿ و لا فى السمآء ﴾ [أى -[6]] لو فرض أنكم وصلتم إليها بعد الموت بالحشر أو قبله ، لأن الكل بعض ملكه ، فكيف يعجزه من فى ملكه ، ١٥ و يمكن أن يكون له نظر إلى قصة نمرود فى بنائه الصرح الذى أراد به التوصل إلى السماء لاسيما و الآيات مكتنفة بقصة إبراهيم عليه الصلاة و السلام من قبلها و من بعدها .

---

(١) زيد فى مد : ذلك (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : واحد (٣) سقط من ظ و مد (٤-٤) فى ظ و مد : نبى (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : العربه انتم - كذا (٦) زيد من ظ و مد .

و لما

و لما أخبرهم [١] انهم مقدور [١] عليهم ، و كان ربما بقى احتمال أن غيرهم ينصرهم ، صرح بنفيه [٢] فقال [٣] : ﴿ و ما لكم ﴾ أى أجمعين أنتم و غيركم أيها المحشورون ، وأشار إلى سفول رتبة كل ما سواه بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى هو أعظم من كل عظيم ؛ [و أكد النفى باثبات الجار فقال - [٤]] : ﴿ من ولى ﴾ أى قريب يحميكم لأجل القرابة ﴿ و لا نصير ﴾ [٥] لشىء [٥] غير ذلك [٥] لأنه لا كفوء له .

و لما كان التقدير : فالذين آمنوا بآيات ربهم و لقائه أولئك يرجون رحمتى و أولئك لهم نعيم مقيم ، و كان قد أمرهم بالاستدلال [٦] ، و هددهم ليرجعوا عن الضلال ، بما أبقى [٧] للرجال بعض [٧] المحال ، أتبعه ما قطعه ، فقال عاطفا على ذلك المقدر : ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما أظهرته لهم أنوار العقول ﴿ بآيات الله ﴾ أى [٨] دلائل الملك الأعظم المرئية و المسموعة التى لا أوضح منها ﴿ و لقائه ﴾ بالبعث بعد الموت الذى اخبر به وأقام الدليل على قدرته عليه بما لا أجلى منه [٩] ﴿ أولئك ﴾ أى البعداء البغضاء [١٠] البعيدو الفهم [١٠] المحطوطون عن رتبة الإنسان ، بل رتبة مطلق الحيوان ﴿ يئسوا ﴾ أى تحقق يأسهم من الآن [١١] ، بل من الأزل ، لأنهم لم يرجوا

(١-١) فى ظ : انهم مقدورون ، و فى مد : انه مقدور دل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بنفسه (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) فى مد : غيره (٦) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٧ - ٧) فى ظ و مد : للرجاء بعد (٨) زيد فى ظ و مد : بسبب (٩) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من مد (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الامان .

لقاء الله يوما ، و لا قال أحد منهم "رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين" .

و لما كان أكثرهم متعنتا ، بين أن المتكلم بهذا الكلام ، العالى عن متناول الأنام[1] ، هو الله المنوه باسمه[2] فى هذا النظام ، بالالتفات إلى أسلوب التكلم ، تنبيها لمفات[3] السامعين بما ملأ الصدور و قصم الظهور فقال :

٥ ﴿من رحمتى﴾ أى من أن[4] أفعل بهم من الإكرام بدخول الجنة و غيرها فعل الراحم ؛ وكرر الإشارة تفخيما للأمر فقال : ﴿و اولٰئك﴾ اى الذين ليس[5] بعد بعدهم[6] بعد ، و تهكم بهم فى التعبير بلام الملك التى يغلب استعمالها فى المحبوب فقال : ﴿لهم عذاب اليم ۝﴾ / أى مؤلم بالغ إيلامه فى الدنيا و الآخرة . / ٧٣

١٠ و لما ختم سبحانه هذه الجملة[7] الاعتراضية بما ابتدأها[8] به و بما ختم به ما قبلها من كلام الخليل عليه الصلاة و السلام ، [9]و زاد هذا ما ترى من التهديد الشديد ، شرع فى إكمال قصته عليه الصلاة و السلام[9] دالا على أنه لا أحد يعجزه ، و لا يقدر على نصر أحد من عذابه الأليم ، مشيرا إلى أنهم سيبوا[10] عن قوله ضد ما يقتضيه إيذانا بالعناد[11] ، و الإصرار على

١٥ سوء الاعتقاد ، فقال : ﴿فما كان جواب قومه﴾ أى الذين يرجى قبولهم

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الايام (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : باسمهم (٣) كذا ، و فى ظ و مد : لعتاب و ربما يكون « لعتاة » (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : لهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) فى ظ ومد : بعد (٧) فى ظ : الجمل (٨) فى ظ ومد : بداها (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (١٠) فى مد : يئسوا (١١) فى ظ و مد : بالمعتاد .

لصحه علما منهم بوفور شفقته و عظم [1] أماته و نصيحته ﴿الآ ان قالوا﴾ بأعظم فظاظة [2] ﴿ اقتلوه ﴾ أى بالسيف ﴿ او حرقوه ﴾ أى بالنار .

و لما استقر رأى الجميع على هذا الثانى ، و لم يكن له فيهم نصير ، أشار إليه سبحانه بقوله ناسقا له على ما تقديره : [فأبى المعظم القتل لأنه عذاب مألوف لمن يستحقه [3] من المجرمين [3] ، و هو قد عمل عملة مفردة فى الدهر فالذى ينبغى أن يخص العذاب عليها بعذاب لم يعهد مثله و هو الإحراق على هيئة غريبة ، فرجعوا عن القتل و استقر رأيهم على الإحراق - [4]] فجمعوا له حطبا إلى أن ملأ [5] ما بين الجبال ، و أضرموا فيه النار حتى أحرقت ما دنا منها بعظيم الاشتعال ، و قذفوه فيها بالمنجنيق ﴿ فانجٰه الله ﴾ بما له من كمال العظمة إنجاء وحيّا [6] من غير احتياج إلى تدريج ﴿ من النار [1] ﴾ أى من إحراقها و أذاها ، و نفعته بأن أحرقت وثاقه .

و لما اشتملت قصته بهذا السياق على دلائل واضحات ، و أمور معجزات ، عظم أمرها سبحانه بقوله مؤكدا لمزيد التنويه بذكرها ، و تنزيلا لهم فى توقفهم عما دعت إليه الآيات الظاهرة من الإيمان منزلة [6] المنكر لها : ﴿ ان فى ذٰلك ﴾ أى ما ذكر من أمره و ما خللت به قصته من الحكم ﴿لأيٰت﴾ أى براهين قاطعة فى الدلالة على جميع أمر الله من تصرفه فى الأعيان و المعانى . لكون النار لم تحرقه و أحرقت وثاقه و كل ما

(١) فى ظ و مد : بعظيم (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : فظاعة (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : حيا (٦) فى ظ و مد : بمنزلة .

مر عليها[1] من طائر، و مع رؤية ذلك لم يؤمنوا و لم يقدروا على ضرره بشيء غير ذلك.

و لما كان ما للشيء إنما هو فى الحقيقة ما ينفعه، و كان قد حجبها سبحانه بالشهوات و الحظوظ الشاغلة[2] عن استعمال نور العقل، قال: ﴿لقوم يؤمنون﴾ أى يقبلون على استعمال نور العقل الذى وهبهموه الله فيصدقون بالغيب حتى صار الإيمان - بكثرة ما صقلوا مرائى قلوبهم بالنظر فى أسبابه[3] - لهم خلقا بحيث أنهم فى كل لحظة يجددون الترقى فى مراتبه، و التنقل[4] فى أخبيته و مضاربه.

و لما تقدم سلبه النفع عن هذه الأوثان، أشار هنا إلى نفع يعقب من الضر ما لا نسبة له منه. فليس حينئذ بنفع، فقال تعالى: ﴿و قال﴾ أى إبراهيم عليه الصلاة و السلام غير هائب لتهديدهم بقتل و لا غيره، مؤكدا لأجل ما أشار إليه مما ينكرونه من ضعف شركائهم و عجزها: ﴿انما اتخذتم﴾ أى أخذتم باصطناع و تكلف. و أشار إلى عظمة الخالق و علو شأنه بقوله: ﴿من دون الله﴾ أى الذى كل شيء تحت قهره، و لا كلفة - فى اعتقاد كونه ربا - باحتياج إلى مقدمة جعل و صنعة[5] و لا[6] غير ذلك، [7]و قال[7]: ﴿اوثانا لا﴾ إشارة إلى تكثرها [8]الذى هو مناف[8]

(١) فى ظ و مد: عليه (٢) من ظ و مد: و فى الأصل: الثاغلة (٣) فى ظ: خلفا (٤) فى ظ: الثقل، و فى مد: النقل (٥) من ظ، و فى الأصل: صفه، و فى مد: صيغة (٦) سقط من ظ و مد (٧-٧) فى ظ و مد: فقال (٨-٨) من ظ، و فى الأصل: الى ما هو مناف، و فى مد: المناف.

لرتبة الإلهية ؛ و أشار إلى ذلك النفع بقوله : ﴿مودة﴾ أى لأجل مودة
ـ عند من نصب سواء ترك التنوين و هم حمزة و حفص عن عاصم و روح
عن يعقوب أو نوّن و هم الباقون[1] ﴿بينكم﴾ / من خفضه على الاتساع و رفع / ٧٤
"مودة" و هم ابن كثير و أبو عمرو و الكسائى و رويس عن يعقوب[1] كان
المعنى : هى مودة البين الجامع لكم بمعنى مودتكم على وجه أبلغ ، لأن ٥
المودة إذا كانت لبين جامع الناس[2] كانت لأولئك الناس بطريق الأولى ،
و من خفضه و نصبها و هم حمزة و حفص عن عاصم و روح عن[3] يعقوب
فالمعنى : لأجل المودة ، و من نصبها و نوّن و هم نافع و ابن عامر و أبو جعفر
و شعبة فالبين عنده ظرف ﴿فى الحيوة الدنيا ج﴾ بالاجتماع عندها
و التواصل فى أمرها بالتناصر[4] و التعاضد كما يتفق ناس على مذهب ١٠
فيكون ذلك سبب تصادقهم ، و هذا دال على أن جمع[5] الفسوق لأهل
الدنيا هو العادة[6] المستمرة ، و أن الحب فى الله و الاجتماع له عزيز جدا ،
لما فيه من قطع علائق الدنيا و شهواتها التى زينت للناس ، بما[7] فيها من
الإلباس ، و عظيم البأس .

و لما أشار إلى هذا النفع الذى هو فى الحقيقة ضر ، ذكر ما يعقبه ١٥
من الضر[8] البالغ ، فقال معبرا [9]بأداة البعد[9] إشارة إلى عظيم ذلك اليوم ،

(١) راجع نثر المرجان ٥/٢٣٧ و ٢٣٨ (٢) فى ظ و مد : للناس (٣) فى ظ و مد « و » (٤) فى ظ : بالناصر ، و الكلمة ساقطة من مد (٥) فى ظ و مد : جميع . (٦) فى مد : العبادة (٧) فى ظ و مد : على ما (٨) فى ظ و مد : الضرر (٩-٩) فى مد : الأداة البعدية .

و إلى أنه جعل لهم فى الحياة أمدا يمكنهم فيه[1] السعى للتوقى[2] من شر ذلك اليوم: ﴿ثم يوم القيٰمة﴾ ساقه مساق ما لانزاع فيه لما قام عليه من الأدلة ﴿يكفر بعضكم ببعض﴾ فينكر[3] كل منهم[4] محاسن أخيه، و يتبرأ منه بلعن الأتباع القادة، و لعن[5] القادة الأتباع، و تنكرون كلكم عبادة الأوثان تارة إذا تحققتم أنها[6] لاضر و[6] لا نفع لها، و تقرون بها أخرى طالبين نصرتها راجين منفعتها، و تنكر الأوثان عبادتكم و تجحد منفعتكم ﴿و يلعن بعضكم بعضا[7]﴾ على ما ذكر ﴿و ماوٰىكم﴾ جميعا أنتم و الأوثان ﴿النار﴾ لتزيد فى عذابكم و يزداد بغضكم لها ﴿و ما لكم﴾ و أعرق فى النفى فقال: ﴿من نٰصرين قطّ﴾ أصلا يحمونكم منها، و يدخل فى هذا كل من وافق أصحابه من أهل المعاصى أو البطالة على الرذائل ليعدوه[8] حسن العشرة مهذب الأخلاق لطيف الذات، أو[9] خوفا من أن يصفوه بكثافة الطبع و سوء الصحبة، و لقد عم هذا لعمرى أهل الزمان ليوصفوا بموافاة[9] [الإخوان و مصافاة -[10]] الخلان، معرضين عن رضى الملك الديان.

و لما كان فى سياق الابتلاء، و ذكر من الأنبياء من طال ابتلاؤه،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فى (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: المتوق. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فيذكر (٤) فى ظ و مد: منكم (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: يلعن (٦ - ٦) فى ظ و مد: ضر (٧) من ظ مد، و فى الأصل: ليغدوه، و فى ظ: ليعيدوه (٨) فى مد «و» (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: بمواة (١٠) زيد من مد.

بين أنه لم يكن لهم من أممهم [1]تابع يقدر على نصرهم ، و أن الله سبحانه تولى كفايتهم فلم يقدر واحد على إهلاكهم ، و أهلك أعداءهم ، فلم يكن لهم[1] من ناصرين فقال : ﴿ فآمن له﴾ أى لأجل دعائه له مع ما رأى من الآيات ﴿لوط ۲﴾ أى ابن أخيه هاران[2] وحده ، و هو أول من صدقه من الرجال ﴿و قال﴾ أى إبراهيم عليهما الصلاة و السلام مؤكدا لما هو ٥ جدير بالإنكار من الهجرة لصعوبتها : ﴿ انى مهاجر ﴾ أى خارج من أرضى وعشيرتى على وجه الهجر لهم فمنتقل و منجاز ﴿الى ربى[3] ﴾ أى إلى أرض ليس بها أنيس و لا عشير ، و لا من ترجى نصرته ، و لا من تنفع مودته ، فحينئذ يتبين[3] الرضى بالله وحده ، و الاعتماد عليه دون ما سواه ، فهاجر [4]من كوثى[4] من سواد الكوفة إلى حران[5] ثم منها إلى الأرض ١٠ المقدسة ، فكانت له هجرتان . و هو أول من هاجر فى الله ، قال[6] مقاتل[7] : و كان [8]إذ ذاك ابن[8] خمس / و سبعين[9] سنة . ثم علل ذلك بما يسليه عن ٧٥ / فراق أرضه و أهل وده من ذوى رحمه و أنسابه و أولى قربه ، فقال مؤكدا تسكينا لمن عساه يتبعه و تهوينا عليه لفراق ما ألفت النفوس من أنه

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) فى مد : ماران ، و الصواب ما فى الأصل و ظ إذ ورد فى روح المعانى ٦ / ٤٠٦ : و لوط على ما فى جامع الأصول ابن أخيه هاران بن تارح (٣) فى مد : يبين (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) فى ظ و مد : حرارة (٦) فى ظ و مد : و قال (٧) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ١٥٩ (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ادارك اثن - كذا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : سبعون .

لا عز إلا به من العشائر و الأموال و المعارف : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ العزيز ﴾ أى فهو جدير باعزاز من انقطع إليه ﴿ الحكيم ﴾ فهو إذا أعز أحدا منعته حكمته من التعرض له باذلال ، بفعل أو مقال ، كما صنع بى حين أراد إذلالى من كان جديرا باعزازى من عشيرتى و أهل ٥ قربى ، و بالغ فى أذاى ممن كان حقيقا بنفعى من ذوى رحمى و حبى .

و لما كان التقدير : فأعززناه كما ظن بنا إعزازا أحكمناه حتى استمر فى عقبه إلى القيامة ، عطف عليه قوله : ﴿ و وهبنا له ﴾ أى بجليل قدرتنا شكرا على هجرته ﴿ اسحق ﴾ من زوجته سارة عليها السلام التى جمعت إلى العقم فى شبابها اليأس بكبرها ، و عطفه لهبته له بالواو دليل على ١٠ ما سيأتى إن شاء الله تعالى فى الصافات من أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة و السلام لتعقيبه للهبة هناك على الهجرة بالفاء ﴿ و يعقوب ﴾ من ولده إسحاق عليهما الصلاة و السلام .

و لما كان السياق فى هذه السورة للامتحان ، و كان إبراهيم عليه الصلاة و السلام قد ابتلى فى إسماعيل عليه الصلاة و السلام بفراقه مع ١٥ أمه رضى الله عنهما ، وضعهما فى قضيعة من الأرض لا أنيس بها ، لم يذكره تصريحا فى سياق الامتنان ، و أفرد إسحق عليه الصلاة و السلام لأنه لم يبتل فيه بشىء من ذلك ، و لأن المنة به - لكون أمه عجوزا و عقيما - أكبر و أعظم لأنها أعجب ، و ذكر إسماعيل عليه الصلاة

(١) راجع آية ١٠٠ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) كذا . و ليس و اضح فى م (٤-٤) فى مد : لأن امه كانت (٥) فى ظ : اكثر (٦) فى ظ و مد : لأنه .

و السلام

و السلام تلويحا فى قوله : ﴿و جعلنا﴾ أى بعزتنا و حكمتنا ﴿فى ذريته﴾ من ولد إسحاق و إسماعيل عليهما الصلاة و السلام ﴿النبوة﴾ فلم يكن بعده نبى أجنبى عنه ، و متى صحت هذه المناسبة لزم قطعا أن يكون الذبيح إسماعيل عليه الصلاة و السلام فانه أعرى ذكر هذه السورة منه ، و يكون كأنه قيل : إنا بشرناه بما يسرّ [به -[1]] من إسحاق بعد أن أمرناه بما يضر[2] من إسماعيل عليهما السلام فصبر[3] فى محنة الضراء ، و شكر فى محنة السراء ﴿و الكتب﴾ فلم ينزل كتاب إلا على أولاده ، و أفرده ليدل - مع تناوله بالجنسية الكتب الأربعة - على أنه لا شىء يستحق أن يكتب إلا ما أنزل فيها ، أو[4] كان راجعا إليه ، و لو جمع لم يفد هذا المعنى ﴿و اتينه اجره﴾ على هجرته ﴿فى الدنيا﴾ بما خصصناه به مما لا يقدر عليه غيرنا من سعة الرزق ، و رغد العيش ، و كثرة الخدم ، و الولد فى الشيخوخة ، و كثرة النسل . و الثناء الحسن ، و المحبة من جميع الخلق ، و غير ذلك .

و لما كان الكافر يعتقد - لإنكاره البعث - أنه نكد حياته بالهجرة نكدا لا تدارك له ، اقتضى الحال التأكيد فى قوله : ﴿و انه فى الأخرة﴾ اى التى هى الدار و موضع الاستقرار ﴿لمن الصلحين﴾ الذين خصصناهم بالسعادة و جعلنا لهم الحسنى و زيادة .

و لما كان - كما مضى - السياق للابتلاء ، خص بالبسط فى القص

(١) زيد من م (٢) فى ظ و مد : يصير (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : يصير .
(٤) من مد ، و فى الاصل و ظ « و » .

من لم يكن له ناصر من قومه، أو كان غريبا منها، و لذلك أتبع الخليل عليه الصلاة و السلام ابن أخيه الذى أرسله الله إلى أهل سدوم[1] : / ناس /٧٦ لا قرابة[2] له فيهم و لاعشيرة، فقال[3] : ﴿و لوطا﴾ أى أرسلناه، و أشار إلى إسراعه فى الامتثال بقوله : ﴿اذ﴾ أى و أرسلناه حين ﴿قال لقومه﴾ أهل سدوم الذين سكن فيهم و صاهرهم[4] و انقطع إليهم فصاروا قومه، حين فارق عمه إبراهيم الخليل عليهما الصلاة و السلام، منكرا ما رأى من حالهم، و قبيح فعالهم، مؤكدا له إشارة إلى أنه - مع كونه[5] يرونه من أعرف المعارف - جدير بأن[6] ينكر : ﴿انكم لتاتون الفاحشة ز﴾ [أى -[7]] المجاوزة للحد فى القبح، فكأنها لذلك لا فاحشة غيرها. ثم علل كونها فاحشة استئنافا بقوله : ﴿ما سبقكم﴾ أو[8] هى[9] حال مبينة لعظيم جرأتهم على المنكر، أى غير مسبوقين ﴿بها﴾ و أعرق فى النفى بقوله : ﴿من احد﴾ و زاد بقوله : ﴿من العلمين ه﴾ أى كلهم فضلا عن خصوص الناس؛ ثم كرر الإنكار تأكيدا [10]لتجاوز قبحها[10] الذى ينكرونه فقال : ﴿ائنكم لتاتون الرجال﴾ إتيان الشهوة، و عطف عليها ما ضموه إليها من المناكر، بيانا لاستحقاق الذم من وجوه. فأوجب حالهم ظن أنهم وصلوا من الخبث إلى حد [11]لا مطمع[11] فى الرجوع عنه مع

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : سيدوم (٢) فى ظ و مد : قربة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : قال (٤) فى ظ : شاهرهم (٥) فى ظ و مد : كونهم. (٦) فى ظ و مد : ان (٧) زيد من ظ و مد (٨) من ظ و مد. و فى الأصل « و » (٩) سقط من ظ و مد (١٠-١٠) فى الأصل : لتجاوز حدودها، و فى ظ و مد : لمجاوزة قبحها (١١ - ١١) من ظ و مد، و فى الأصل : لم يطمع.

ملازمته لدعائهم من غير ملل و لا ضجر ، فقال : ﴿و تقطعون السبيل﴾ أى [1]بأذى الجلابين[1] و المارة .

و لما خص هـــذين الفسادين ، عم دالا عـــلى المجاهرة فقال : ﴿ و تاتون فى ناديكم ﴾ أى المكان الذى تجلسون فيه للتحدث بحيث يسمع بعضكم نداء بعض من مجلس المؤانسة ، و هو ناد ما دام القوم فيه ، فاذا قاموا عنه لم يسم بذلك[2] ﴿المنكر﴾ أى هذا الجنس ، و هو ما تنكره الشرائع و المروءات و العقول ، لاتتحاشون عن شىء منه فى المجتمع الذى يتحاشى فيه الإنسان من فعل خلاف الأولى ، من غير أن يستحى بعضكم من بعض ؛ و دل على عنادهم بقوله مسببا عن هذه النصائح[3] بالنهى عن تلك الفضائح : ﴿ فما كان جواب قومه ﴾ أى الذين فيهم قوة و نجدة بحيث يخشى[4] شرهم ، و يتقى أذاهم و ضرهم ، لما أنكر عليهم ما أنكر ﴿الا ان قالوا﴾ عنادا و جهلا و استهزاء : ﴿ائتنا بعذاب الله﴾ و عبروا بالاسم الأعظم زيادة فى الجرأة . و لما كان الإنكار ملزوما للوعيد بأمر ضار قالوا : ﴿ ان كنت ﴾ أى كونا متمكنا ﴿ من الصدقين ﴾ أى فى وعيدك و إرسالك ، إلهابا و تهييجا .

و لما كان كأنه قيل : بم[5] أجابهم ؟ قيل : ﴿قال﴾ اى لوط عليه الصلاة و السلام معرضا عنهم ، مقبلا بكليته على المحسن إليه : ﴿رب﴾

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بايدى الخلابين (٢) كما ذكره فى لسان العرب - راجع مادة [ندى] (٣) فى ظ و مد : الفضايح (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لايخشى (٥) فى ظ و مد : ثم .

و لما لم يبق[1] بعد هذا إلا خبر الرسل مع لوط عليه الصلاة و السلام ، قال عاطفا على ما تقديره : ثم فارقوه[2] و مضوا إلى المدينة التى فيها لوط عليه السلام ، مفهما[3] بالعدول عن الفاء إلى الواو أن[4] بين المكانين[5] [بعدا -[6]] : ﴿و لما﴾ و أثبت [ما صورته صورة -[6]] الحرف المصدرى لما اقتضاه مقصود السورة ، و أكثر سياقاتها بين التسليك فى مقام الامتحان و الاجتهاد فى النهى عن المنكر ، [و لذا ذكر هنا فى قصة إبراهيم عليه السلام القتل و الإحراق ، و اتبعت بشراه باهلاك القرية الظالمة -[6]] ، فقال[7] : ﴿ان جآءت رسلنا﴾ أى المعظمون[8] بنا ﴿لوطا﴾ بيانا لأنه ﴿سيء﴾ أى حصلت له[9] المساءة ﴿بهم﴾ أول[10] أوقات مجيئهم إليه و حين قدومهم عليه ، فاجأته المساءة من غير ريب لما رأى من حسن أشكالهم ، و خاف من تعرض قومه لهم ، و هو يظن أنهم من الناس ، و ذلك أن ['أن' -[11]] فى مثل هذا[12] صلة [و إن كان أصلها المصدر -[6]] لتوكد[13] وجود الفعلين مرتبا وجود أحدهما على الآخر فى وقتين متجاورين لا فاصل بينهما

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يبين (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فارقوا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : معهما (٤) زيد بعده فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) فى ظ و مد : الكاذبين - كذا . (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ و مد : قال (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المعلمون (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى (١١) زيد من مد (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه . (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : توكد .

[فانهما وجدا -[1]] فى جزء واحد من الزمان، [قال ابن هشام فى المغنى ما معناه أن علة ذلك أن الزائد يؤكد معنى ما جيء به لتأكيده، و لما تقيد وقوع الفعل الثانى عقيب الأول و ترتبه عليه فالحرف الزائد يؤكد ذلك -[2]] . ﴿و ضاق بهم﴾ أى باعمال الحيلة فى الدفع عنهم ﴿ذرعا﴾ أى [3]ذرعة طاقتهم[3] كما بين / و أشبع القول فيه فى سورة هود عليه السلام، ٥ / ٧٨ و الأصل فى ذلك أن من طالت ذراعه نال ما لا يناله قصيرها[4]، فضرب مثلا فى العجز و القدرة، و ذلك أنهم أتوه فى صورة مردان ملاح جدا، و قد علم أمر أهل القرية فى [مثل -[2]] ذلك و لم يعلم أنهم رسل الله .

و لما كان التقدير: فقالوا له: يا لوط! إنا رسل ربك، فخفض عليك من هذا الضيق الذى تراه بك فانا[5] ما أرسلنا إلا لإهلاكهم، ١٠ عطف عليه قوله: ﴿و قالوا﴾ أى لما رأوا ما لقى فى[6] أمرهم: ﴿لا تخف﴾ [أى -[2]] من أن يصلوا إلينا [أو -[2]] من أن تهلك أنت أو أحد من أهل طاعتك ﴿و لا تحزن﴾ أى على أحد ممن[7] نهلكه فانه ليس[8] فى أحد منهم خير يؤسف عليهم بسببه؛ ثم عللوا ذلك بقولهم مبالغين فى التأكيد الاغناء به عن جمل طوال، إشارة إلى أن الوقت أرق فهو ١٥ لا يحتمل التطويل: ﴿انا منجوك﴾ أى مبالغون فى إنجائك ﴿و اهلك﴾ أى و مهلكوا أهل [هذه -[2]] القرية، فلا يقع[8] فى ضميرك أنهم يصلون

(١) زيد من ظ و مد إلا أن فى مد «واحد» مكان «وجدا» (٢) زيد من ظ ومد (٣-٣) فى ظ: ذرعه اى طاقته (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: قصيرهما. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فانما (٦) فى ظ و مد: من (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: مما (٨) فى مد: فلا يكن .

إلينا ، و قالوا : ﴿ الا امراتك ﴾ تنصيصا[1] على كل فرد منهم سواها ؛ ثم دلوا على هلاكها بقولهم جوابا لمن كأنه قال : ما لها[2] ؟ فقيل : ﴿ كانت من الغبرين ٥ ﴾ أى كأن[3] [هذا -[4]] الحكم فى [5]أصل خلقتها[5] .

و لما أفهمت العبارة كما مضى إهلاكهم[6]، صرحوا به فقالوا[7] معينين لنوعه ، معللين لما أخبروه به ، مؤكدين إعلاما بأن الأمر قد فرغ منه قطعا لأن يشفع فيهم ، جريا على عادة الأنبياء فى الشفقة على أممهم : ﴿ انا منزلون ﴾ أى لامحالة ﴿ علىٰ اهل هذه القرية رجزا ﴾ أى عذابا يكون فيه اضطراب شديد يضطرب[8] منه من أصابه كائنا من كان ﴿ من السمآء ﴾ فهو عظيم وقعه ، شديد صدعه[9] ﴿ بما كانوا ﴾ أى كونا راسخا ﴿ يفسقون[10] ٥ ﴾ أى يخرجون فى كل وقت من دائرة العقل[11] و الحياء .

و لما كان التقدير : ففعلت رسلنا ما وعدوه بـه من [12]إنجائه و إهلاك[12] جميع قراهم ، فتركناها[13] ، كأن [14]لم يسكن بها[14] أحد قط ، عطف عليه قوله مؤكدا إشارة إلى [15]فضيلة المخاطبين بهذه القصة من العرب و غيرهم[15] ، و أنه ليس بينهم و بين الهدى [16]إلا تفكرهم[16] فى أمرهم مع

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : نفسا - كذا (٢) سقط من ظ (٣) سقط من مد (٤) زيد من مد (٥ - ٥) فى ظ : اصل خلقها ، وفى مد : الأصل خلقها . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهلاكه (٧) سقط من ظ و مد (٨) فى ظ و مد : يضرب (٩) من ظ و مد ، وفى الأصل : صرعه (١٠) فى مد : يكسبون . (١١) فى ظ و مد : الفعل (١٢-١٢) فى ظ : فاهلاك (١٣) فى مد : فتراها (١٤ - ١٤) فى ظ و مد : لم يسكنها (١٥ - ١٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : غفلتهم (١٦-١٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان لانفكره - كذا .

انخلاع

الانخلاع من الهوى: ﴿ و لقد تركنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ منها ﴾ أي من تلك القرية[١] ﴿ آية ﴾ أي[٢] علامة على قدرتنا على كل ما نريد ﴿ بينة ﴾ و هو الماء الأسود المنتن الذى غمر قراهم كلها بعد الخسف بها و هو مباين[٣] لجميع مياه[٢] الأرض لكونه[٤] ماء السخط لمن[٥] باينوا بفعلهم الخلق مع اشتهار كونه على الخسف. ٥

و لما كان سبحانه قد حجب عن الأبصار كثيرا من الناس قال: ﴿ لقوم يعقلون ﴾ فعد [من -[٦]] لم يستبصر بها غير عاقل و لاشاعر بأنها آية و لا فيه أهلية القيام بما يريد[٧].

و لما كان [السياق -[٦]] لإثبات[٨] يوم الدين و إهلاك[١] المفسدين، و لمن[٩] طال ابتلاؤه من الصالحين و لم يجد له ناصرا من قومه، إما ١٠ لغربته عنهم، و إما لقلة عشيرته و عدم[١٠] أتباعه، و كان شعيب عليه السلام ممن استضعفه قومه[١١] و استقلوا عشيرته لتسميتهم[١٢] لهم رهطا، و الرهط ما دون العشرة أو من سبعة إلى عشرة، و ما دون السبعة إلى الثلاثة / نفر، ٧٩/ فكان[١٣] عليه السلام كذلك فى هذا العداد، عقب قصة لوط بقصته عليه الصلاة و السلام [فقال -[١٤]]: ﴿ و الى ﴾ أى و لقد أرسلنا إلى ١٥

(١) فى ظ و مد: القرى (٢) سقط من مد (٣) فى ظ و مد: باين (٤) فى مد: بكونه (٥) فى ظ و مد: على من (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى مد: نريد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: باثبات (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: لما (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: قلة (١١) سقط من ظ و مد (١٢) فى مد: لتسميته. (١٣) فى ظ و مد: كان (١٤) زيد نظرا إلى السياق السائد فى هذا الكتاب.

﴿ مدين اخاهم ﴾ أى من النسب و البلد[1] ﴿ شعيبا ﴾ .

[و لما كان مقصود السورة الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من غير فترة ، عبر بالفاء فقال -[2]] : ﴿فقال﴾ أى فتسبب عن إرساله و تعقبه أن قال : ﴿ ينقوم اعبدوا الله ﴾ أى الملك الأعلى وحده ، ٥ و لا تشركوا به شيئا ، فان العبادة التى فيها شرك عدم ، لأن الله تعالى أغنى الشركاء[3] فهو لايقبل إلا ما كان [له -[4]] خالصا .

و لما كان السياق لإقامة الأدلة على البعث الذى هو من مقاصد السورة قال : ﴿ و ارجوا اليوم الأخر ﴾ أى حسن الجزاء فيه لتفعلوا ما يليق بذلك ﴿ و لاتعثوا فى الارض ﴾ حال كونكم ﴿ مفسدين ﴾ ١٠ أى متعمدين الفساد .

و لما تسبب عن هذا النصح و تعقبه [تكذيبهم فتسبب عنه و تعقبه -[2]] إهلاكهم ، تحقيقا لأن أهل السيئات لايسبقون قال : ﴿فكذبوه فاخذتهم﴾ أى لذلك أخذ قهر و غلبة ﴿ الرجفة ﴾ أى الصيحة التى زلزلت بهم فأهلكتهم ﴿ فاصبحوا فى دارهم ﴾ أى محالهم[5] التى كانت دائرة بهم ١٥ و كانوا يدورون فيها ﴿جثمين﴾ أى واقعين على صدورهم ، لازمين مكانا واحدا ، لايقدرون على حركة أصلا ، لأنه لا أرواح لهم .

و لما كان من المقاصد العظيمة الدلالة على اتباع بعض هذه الأمم بعضا فى الخير و الشر على نسق ، و الجرى بهم فى إهلاك المكذبين

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الولد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ : الشرك (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مخالفهم .

و إنجاء المصدقين طبقا عن طبق . و كان إهلاك عاد و ثمود - لما اشتهروا به من قوة الأبدان ، و متانة الأركان - فى غاية الغرابة[1] ، و كان معنى ختام قصة مدين : فأهلكناهم ، عطف على ذلك المعنى قوله : ﴿ و عادا ﴾ أى و أهلكنا أيضا عادا ﴿ و ثمودا ﴾ مع ما كانوا فيه من العتو ، و التكبر و العلو ﴿ و قد تبين لكم ﴾ أى ظهر بنفسه غايـة الظهور أيها العرب ٥ أمرهم ﴿ من مسكنهم ﴾ أى ما وصف من هلاكهم[2] و ما[3] كانوا فيه من شدة الأجسام ، و سعة الأحلام ، و علو الاهتمام ، و ثقوب الأذهان ، و عظيم الشأن ، عند مروركم بتلك المساكن ، و نظركم إليها فى ضربكم[4] فى التجارة إلى الشام ، فصرفوا أفكارهم فى الإقبال على الاستمتاع بالعرض الفانى من هذه الدنيا ، فأملوا بعيدا[4] ، و بنوا شديدا ، و لم يغن عنهم شىء[5] ١٠ من ذلك شيئا من أمر الله ﴿ و زين لهم ﴾ فى[6] غاية التزيين ﴿ الشيطن ﴾ أى البعيد من الرحمة ، المحترق باللعنة ، بقوة احتياله ، و محبوب ضلاله و محاله ﴿ اعمالهم ﴾ أى الفاسدة . فأقبلوا بكليتهم عليها[7] مع العدو المبين ، و أعرضوا عن الهداة الناصحين .

و لما تسبب عن هذا[6] التزيين منعهم لعماهم[6] عن الصراط المستقيم ١٥ قال : ﴿ فصدهم عن السبيل ﴾[4] أى منعهم عن سلوك الطريق الذى لا طريق إلا هو ، لكونه يوصل إلى النجاة ، و غيره يوصل إلى الهلاك[4] ،

---

(١) من ظ و مد . و فى الأصل : القرابة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : كلاكهم - كذا خطأ (٣) سقط من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) سقط من مد (٦-٦) فى مد : عماهم .

[1]فهو عدم بل العدم خير منه . و لما كان ذلك ربما ظن أنه لفرط غباوتهم قال[1] : ﴿ و كانوا ﴾ أى فعل بهم الشيطان ما فعل من الإغواء و الحال أنهم كانوا كونا[2] هم فيه[3] فى غاية التمكن ﴿مستبصرين ۝﴾ أى معدودين بين الناس من البصراء العقلاء جدا لما فاقوهم[4] به مما يعلمون[5] من ظاهر الحياة الدنيا ، و لم يسبقونا ، بل أوقعناهم بعملهم السيئات فيما أردنا من أنواع الهلكات ، فاحذروا مثل مصارعهم فانكم لا تشابهونهم[6] فى القوة ، و لا تقاربونهم فى العقول .

/٨٠ و لما كان فرعون و من ذكر معه من العتو بمكان لايخفى ، / لما أوتوا[7] من القوة بالأموال و الرجال قال : ﴿و قارون﴾ أى أهلكناه[8] و قومه لأن وقوعه فى أسباب الهلاك أعجب ، لكونه من بنى إسراءيل ، و لأنه ابتلى بالمال و العلم ، فكان ذلك [سبب إعجابه ، فتكبر على موسى و هارون عليهما السلام فكان ذلك ـ[9]] سبب هلاكه ﴿و فرعون و هامٰن ۝﴾ وزيره الذى أوقد له على الطين ، فلا هو نجا [10]و لا كان[10] رأسا فى الكفر ، بل باع سعادته بكونه[11] ذنبا لغيره .

و لما كان هلاكهم مع رؤية الآيات أعجب ، فكان جديرا بالإنكار ، [12]إشارة إلى أن رؤية الآيات جديرة بأن يلزم عنها الإيمان قال :

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) سقط من مد. (٤) فى ظ : فوقهم ، و فى مد : توهم (٥) فى ظ و مد : يعملون (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : لا تعشرونهم (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اتوا (٨) فى ظ : اهلكناهم (٩) زيد من ظ و مد (١٠ ـ ١٠) فى ظ : لان (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكونه (١٢) زيدت الواو فى ظ و مد .

. لقد

﴿ و لقد[1] جآءهم موسىٰ بالبينٰت ﴾ أى التى لم تدع لبسا فتسببوا[2] عما يقتضيه من الاستبصار الاستكبار[3] ﴿ فاستكبروا ﴾ أى طلبوا أن يكونوا أكبر من كل كبير بأن كانت أفعالهم أفعال من يطلب ذلك ﴿ فى الارض ﴾ بعد مجىء موسى عليه الصلاة و السلام إليهم [أكثر -[4]] مما كانوا قبله .

و لما كان من يتكبر - و هو عالم بأنه مأخوذ - أشد لوما ممن ٥ يجهل[5] ذلك قال : ﴿ و ما كانوا ﴾ أى الذين ذكروا هذا كلهم ، [6]كونا ما[6] ﴿ سبقين ج ﴾ أى [7]فائتين ما[7] نريدهم ، بان يخرجوا من قبضتنا ، بل هم فى القبضة كما ذكرنا أول السورة و هم عالمون بذلك ﴿ فكلا ﴾ أى فتسبب عن تكذيبهم و عصيانهم أن كلا منهم ﴿ اخذنا ﴾ أى[8] بما لنا من العظمة ﴿ بذنبه ج ﴾ أخذ عقوبة ليعلم أنه لا أحد[9] يعجزنا ١٠ ﴿ فمنهم من ارسلنا عليه ج ﴾ إرسال عذاب يا له من عذاب ! ﴿ حاصبا ج ﴾ أى ريحا ترمى لقوة عصفها و شدة قصفها بالحجارة كعاد و قوم لوط ﴿ و منهم من اخذته ﴾ اخذ هلاك و غضب و عذاب ، [و عدل عن أسلوب العظمة لئلا يوهم الإسناد فى هذه إليه صوتا[10] ليوقع فى مصيبة التشبيه -[4]] ﴿ الصيحة ج ﴾ التى تظهر شدتها [11]الريح الحاملة لها الموافقة[11] ١٥

(١) من ظ و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : و (٢) من مد . و فى الأصل و ظ : فسببوا (٣) زيد فى الأصل : قال . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : يشهد. (٦-٦) فى مد : ما كانوا (٧ - ٧) فى ظ و مد : كائنين بأن (٨) سقط من ظ و مد (٩) فى مد : اخد (١٠) من مد ، و فى ظ : قوة (١١ - ١١) سقط ما بين الرقمين من مد .

لقصدها[1] فترجف لعظمتها الأرض كمدين و ثمود ﴿ و منهم من ﴾ [و أعاد أسلوب العظمة[1] الماضى لسلامته من الإيهام المذكور فى الصيحة و للتنبيه على أنه لا يقدر عليه غير الله سبحانه ففيه من الدلالة على عظمته ما يقصر عنه الوصف فقال -[2]] : ﴿خسفنا به الارض ج﴾ بأن[3] غيبناه فيها كقارون و جماعته ﴿و منهم من اغرقنا ج﴾ بالغمر فى الماء كقوم نوح و فرعون و جنوده ، و عذاب قوم لوط صالح للعد فى الإغراق و العد فى الخسف ، فتارة نهلك بريح تقذف بالحجارة من السماء كقوم لوط ، أو من الأرض كعاد ، و أخرى بريح[1] تقرع بالصرخة الأسماع فتزلزل[4] القلوب و البقاع ، و مرة نبيد[5] بالغمس [6]فى الكثيف[6] و كرة[7] بالغمر فى اللطيف - فلله درّ الناظرين فى هذه الأوامر النافذة ، و المتفكرين[8] فى هذه الأقضية الماضية ، ليعلموا حقيقة قوله "و ما انتم بمعجزين فى الارض و لا فى السماء" - [الآية -[2]] .

و لما كان ذلك ربما جر لأهل التعنت شيئا مما اعتادوه فى[9] عنادهم قال : ﴿و ما كان الله﴾ أى الذى لاشىء من الجلال و الكمال إلا و هو له ﴿ليظلمهم﴾ [10]أى مريدا ليعاملهم[10] معاملة الظالم الذى يعاقب من لا جرم له ، أو من أجرم و لم يتقدم إليه بالنهى عن إجرامه ليكف

(١) سقط من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد : اى (٤) من ظ ومد ، وفى الأصل : فيتزلزل (٥) فى ظ ومد : يفسد (٦-٦) فى ظ : بالكشف. (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كثرت (٨) فى ظ و مد : المفكرين (٩) فى ظ و مد : من (١٠ - ١٠) فى ظ : اى مريدا فيعاملهم ، و فى مد : تعالى الله ان يعاملهم .

فيسلم، أو يتمادى فيهلك[1] لأنه[2] لا نفع يصل إليه سبحانه من إهلاكهم، و لاضرر يلحقه عز شأنه من[3] إبقائهم ﴿ولكن كانوا﴾ أى [هم -[4]] لا غيرهم ﴿انفسهم﴾ لا غيرها ﴿يظلمون﴾ بارتكابهم[5] ما أخبرناهم غير مرة أنه يغضبنا و أنا نأخذ من يفعله، فلم يقبلوا النصح مع عجزهم، و لاخافوا العقوبة على ضعفهم، و أما ما عبدوه و رجوا نصره لهم ٥ و أملوه فأضعف منهم، و لكون شيء منه لم يغن عن أحد منهم شيئا فلم تختل[6] سنة الله فى أوليائه و أعدائه فى قرن / من القرون [و لا عصر من العصور -[7]]، بل جرت على أقوم نظام، و أتقن إحكام، وصل بذلك قوله تعالى على وجه الاستئناف[8]: ﴿مثل الذين﴾. ٨١/

و لما كان دعاء غير الله مخالفا لقويم العقل، و صريح النقل، و سليم ١٠ الفطرة[9] [و صحيح الفكرة -[4]] فكان ذلك[10] يحتاج إلى [تدرب على -[4]] الجلافة، و تطبع فى الكثافة، قال: ﴿اتخذوا﴾ أى تكلفوا أن أخذوا.

و لما كانت الرتب تحت رتبته سبحانه لاتحصى، وكل الرتب [11]دون رتبته[11]، قال [منبها على ذلك بالجار -[4]]: ﴿من دون الله﴾ أى الذى لا كفوء له، فرضوا بالدون، عوضا عمن لا تكيفه الأوهام و الظنون ﴿اولياء﴾ ١٥

(١) فى ظ و مد: فيها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: انه (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بما ارتكابهم (٦) سقط من ظ، و فى مد: فلم يختلف (٧) زيد من مد (٨) فى ظ و مد: الاستفتاح (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الفطر (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: لذلك (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ، و فى مد: و ان علت لا تدانى.

ينصرونهم بزعمهم من معبودات و غيرها ، فى الضعف و الوهى ﴿كمثل العنكبوت﴾ الدابة المعروفة ذات الأرجل الكثيرة الطوال ؛ ثم استأنف ذكر وجه الشبه و عبر عنها بالتأنيث و إن كانت تقال بالتذكير تعظيما لضعفها ، لأن المقام لضعف ما تبنيه فقال : ﴿اتخذت بيتا[1]﴾ أى تكلفت أخذه فى صنعتها له ليقيها[1] الردى ، و يحميها البلا ، كما تكلف هؤلاء اصطناع[2] أربابهم لينفعوهم ، و يحفظوهم بزعمهم و يرفعوهم ، فكان ذلك البيت مع تكلفها فى أمره[3] ، و تعبها الشديد فى شأنه ، فى غاية الوهن .

و لما كان حالها فى صنعها حال من ينكر وهنه[4] ، قال مؤكدا : ﴿و ان﴾ [و -[5]] واوه للحال من ضمير - "اتخذت" أى و الحال أنه أوهن[6] - هكذا كان الأصل ، و لكنه أظهر للتعميم فقال : ﴿اوهن البيوت﴾ أى أضعفها ﴿لبيت العنكبوت[7]﴾ التى عانت فى حوكه[7] ما عانت و قاست فى نسجه[8] ما قاست ، لأنه لا يكنّ من حر ، و لا يصون من برد ، و لا يحصن عن طالب ، كذلك ما اتخذ هؤلاء من هذه الأوثان ، و هذا الدين الذى لا أصل له فهو[9] أوهن

(١) من مد و فى الأصل و ظ : ليبها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اصطناعهم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : امرها (٤) فى ظ : وهنها (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : وهن (٧) من مد ، و فى الأصل : حركه ، و فى ظ : حرله (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : نسيه .
(٩) زيد فى الأصل : من . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

الأديان [1]و أهونها[1] ﴿لو كانوا يعلمون ه﴾ أى لو كان لهم نوع ما من العلم لانتفعوا به فعلموا أن هذا مثلهم، فأبعدوا عن اعتقاد ما هذا مثله .

و لما انتفى نفعهم بعلمهم، صح نفيه، فكانوا و إياها على حد سواء، ليس لفريق منهما[2] شيء مما[3] نوى، فيا لها من صفقة خاسرة، و تجارة كاسدة بائرة[4] . و لما كان ضرب المثل للشيء لايصح إلا من العالم بذلك الشيء، ٥ وكان النصير على شيء لايمكن أن يتوجه إلى معارضته [5]إلا إن كان يعلمه و يعلم مقدار قدرته[6]، و عدة جنوده . وصل بذلك أن هذا شأنه سبحانه و أن شركاءهم فى غاية البعد عن ذلك . فكيف يعلقون[7] بنصرهم آمالهم، و زاد ذلك حسنا تعقيبه لنفى العلم عنهم، فقال إشارة إلى جهلهم فى إنكارهم أن يقدر أحد على إهلاك آلهتهم التى [هى -[8]] أوهى الأشياء: ١٠ ﴿ان الله﴾ [أى -[8]] الذى له صفات الكمال ﴿يعلم﴾ بما له من تلك الصفات ﴿ما﴾ أى الذى ﴿يدعون﴾ أى الذين[9] ضرب لهم المثل، أو أنتم - فى قراءة الفوقانية[10] التفاتا إلى أسلوب الخطاب إيذانا بالغضب ﴿من دونه﴾ إشارة إلى سفول رتبتهم، و أكد العموم بقوله: ﴿من شيء﴾ أى سواء كان بحجا أو صنما أو ملكا أو جنيا أو غيره، و هم [11]لايعلمونه[11] ١٥ و لايعلمون شيئا مما يتوصلون[12] إليه، فكيف يشفعون عنده أو ينصرون

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : منها.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل : ما (٤) من ظ و مد . و فى الأصل : بايدة
(٥) فى ظ : معاوضة (٦) زيد فى ظ : مقدار (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يعقلون (٨) زيد من ظ ومد (٩) من ظ ومد، وفى الأصل : الذى (١٠) راجع نثر المرجان ٥/٢٥١ (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل : يتوصلونه .

/ ٨٢ منه ، و إليه الإشارة بقوله : ﴿ و هو العزيز ﴾ أى عن[1] أن يعلمه / شركاؤهم أو يحيط به أحد علما ، أو يمتنع عليه شيء يريده ؛ و جوزوا أن تكون[2] " ما " نافية ، أى شيئا يعتد به . و لما كان ذلك ربما أفهم أنه لا يعلم أصلا قال : ﴿ الحكيم ﴾ أى البالغ العلم ، الواضع كل شيء يريده فى أكمل مواضعه ، فأبطن نفسه بكبريائه و جلاله حتى لا باطن سواه ، و أظهرها بأفعاله و ما كشف من جماله حتى لا ظاهر فى الحقيقة غيره ، و هو يغلب من شاء بعزته[3] ، و يمهله إن شاء بحكمته ، فلا يغتر أحد بامهاله فيظن[4] أنه لإهماله .

و لما فرغ من مثلهم و مما[5] تتوقف صحته عليه ، كان كأنه قيل على وجه التعظيم لهذا[6] المثل : هذا مثلهم ، فعطف[7] عليه قوله إشارة إلى أمثال القرآن كلها تعظيما لها و تنبيها على جليل قدرها و علو[8] شانها : ﴿ و تلك الامثال ﴾ أى العالية عن أن تنال بنوع احتيال ؛ ثم استأنف قوله : ﴿ نضربها ﴾ بما لنا من العظمة ، بيانا ﴿ للناس ﴾ تصويرا للمعانى المعقولات بصور[9] المحسوسات ، لعلها تقرب من عقولهم فينتفعوا بها ، [و هكذا -[10]] حال التشبيهات كلها فى طرق للافهام إلى المعانى المحتجبة فى الاستار ، تبرزها و تكشف عنها و تصورها .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : عز (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يكون.
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقدرته (٤) فى ظ : يظن (٥) فى ظ : ما .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بهذا (٧) فى ظ : عطف (٨) فى ظ : علو .
(٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : تصوير (١٠) زيد من ظ و مد .

و لما كانوا يتهكمون بما رأوه[1] من الأمثال مذكورا به الذباب و البعوض و نحوهما قال مجملا لهم: ﴿ و ما يعقلها ﴾ أى حق عقلها فينتفع بها ﴿الا العالمون﴾ أى الذين هيئوا للعلم و جعل طبعالهم بما بث[2] فى قلوبهم من أنواره. و أشرق فى صدورهم من أسراره، فهم[3] يضعون الأشياء مواضعها؛ روى الحرب[4] بن أبى أسامة عن جابر رضى الله تعالى عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: العالم الذى عقل عن الله فعمل[5] بطاعته و اجتنب سخطه. قال البغوى: و المثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول[6].

و لما قدم أنه لامعجز له سبحانه، و لا ناصر لمن أخذه، و صحح ذلك بالمشاهدة[7] فى القرون[7] البائدة، و قربه إلى الأذهان بالمثل المستولى على غاية البيان، و ختم ذلك أنه حجب فهمه عن أكثر خلقه، دل على ذلك كله بقوله مظهرا لقوته و سائر صفات كماله[8]، بعد ما حقق أن أولياءهم فى أنزل مراتب الضعف: ﴿ خلق الله ﴾ أى الذى لايدانى فى عظمة[9] و لاجلال، و لا جمال و لا كمال ﴿السموت و الارض بالحق﴾ أى الأمر الذى يطابقه الواقع، أو بسبب [إظهار أن الواقع يطابق أخباره، أو بسبب -[10]] إثبات الحق و إبطال الباطل. فلا تجد أحدا يفهم عنه

(١) فى ظ: ترونه، و فى مد: يرونه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ثبت.
(٣) سقط من ظ (٤) من معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٦١: و فى الأصول: الحرث (٥) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: يعمل (٦) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: بالآخر (٧ - ٧) فى ظ: بالقرآن (٨) فى ظ: الكمال.
(٩) من ظ و مد. و فى الأصل: عظمته (١٠) زيد من ظ و مد.

حق الفهم مع تساويهم فى الإنسانية إلا و هو من أهل السكينة ، و الإخبات[1] و الطمأنينة ، و لا يعجزه أحد يريد أخذه ، و لا يفلح أحد عصى أنبياءه ، فبانت عزته ، و ظهرت حكمته ، فطابق[2] الواقع ما أخبر به ، و أيضا فالأمثال إنما تكون بالمحسوسات ، و هى إما سماوية أو أرضية ، فإيجاد هذه الموجودات إنما هو لأجل العلم بالله تعالى .

و لما كان المراد بالعالم قد يخفى ، بينه بقوله مشيرا بالتأكيد إلى أن حالهم فى عدم الانتفاع بالنظر فيها حال من ينكر أن يكون فيها دلالة : ﴿ ان فى ذلك ﴾ / أى الأمر العظيم من تأملهم لمطابقة الواقع[3] لإخباره سبحانه ، فلا يخبر بشىء إلا كان الواقع منها أو مما فيها يطابقه سواء بسواء ﴿ لآية ﴾ أى دلالة مسعدة[4] ﴿ للمؤمنين ع ﴾ أى الذين هم العالمون[5] فى الحقيقة ، حداهم[6] علمهم بما فى الكونين من المنافع المترتبة على النظام المعروف مع ما فى [7]خلقهما أنفسهما[7] مع كبر الأجرام و بديع الإحكام ، على الإيمان بجميع ما أخبر به حتى لم يكن عندهم نوع شك ، و صار لهم صفة لا تنفك .

/ ٨٣

و لما أفاد هذا الخبر كله القرآن الذى لا حق أحق منه ، و دل على أن فهم أمثاله يحتاج إلى مزيد علم ، و أن مفتاح العلم به سبحانه رسوخ الإيمان ، خاطب رأس أهل الإيمان لأنه أعظم الفاهمين[8] له ليقتدى به الأتباع فقال :

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاحتساب (٢) فى ظ : و طابق (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : معدة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عالمون (٦) فى ظ : هداهم (٧ - ٧) فى ظ و مد : خلقها انفسها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : العالمين .

﴿ اتل ما ﴾ أي تابع قراءته ؛ و دل على شرفه لاختصاصه به بقوله : ﴿ اوحى اليك ﴾ إذ الوحى الإلقاء سرا ﴿ من الكتب ﴾ [أي -[1]] الجامع لكل خير ، فانه المفيد للايمان ، [2]مع أنه[2] أحق الحق الذى خلقت السماوات و الأرض لأجله ، و الإكثار فى[3] تلاوته يزيد بصيرة فى أمره ، و يفتح كنوز الدقائق من علمه ، و هو أكرم من أن ينيل[4] قارئه فائدة ، و أجلّ من أن يعطى قياد فوائده[5] و يرفع الحجاب عن جواهره و فرائده فى أول مرة ، بل كلما ردده القارئ بالتدبر حباه[6] بكنز من أسراره ، و مهما زاد زاده [من -[1]] لوامع أنواره ، إلى أن يقطع بأن عجائبه لا تعد ، و غرائبه لا تحد .

و لما أرشد إلى مفتاح العلم ، دل على قانون العمل[7] الذى لا يصح إلا بالقرآن ، و هو ما يجمع الهم[8] ، فيحضر القلب ، فينشرح الصدر ، فينبعث الفكر فى رياض علومه ، فقال : ﴿ و اقم الصلوٰة[1] ﴾ أى التى هى أحق العبادات ، ثم علل ذلك بقوله دالا بالتأكيد على فخامة أمرها ، و أنه مما يخفى على غالب الناس : ﴿ ان الصلوٰة تنهى ﴾ أى توجد النهى و تجدده[9] للواظب على إقامتها بجميع حدودها ﴿ عن الفحشآء ﴾ أى الخصال التى بلغ قبحها ﴿ و المنكر ﴾ أى الذى فيه نوع قبح و إن دق ، و أقل ما فيها من النهى النهى عن تركها الذى هو كفر ، و من انتهى

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) فى ظ ومد : و هو (٣) فى ظ و مد : من (٤) فى ظ : لا يقبل - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فرايده (٦) فى ظ ومد : حياه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : العلم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفهم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : تجدد .

عن ذلك انشرح صدره، و اتسع فكره، فعلم من أسرار القرآن ما لا يعلمه غيره "و اتقوا الله و يعلمكم الله[١]".

و لما كان الناهي في الحقيقة إنما هو ذكر الله، أتبع ذلك الحث على روح الصلاة و المقصد الأعظم منها، و هو المراقبة لمن يصلي [له -[٢]] حتى [٣]كأنه يراه ليكون[٣] بذلك في أعظم الذكر بقوله: ﴿و لذكر الله﴾ أي و لأن ذكر المستحق لكل صفة كمال ﴿اكبر[٤]﴾ أي من كل شيء، فمن استحضر ذلك بقلبه هان عنده كل شيء سواه "إن عبدي كل عبدي للذي[٤] يذكرني[٥] [٦]عند لقاء[٦] قرنه" أو يكون المراد أن من واظب على الصلاة ذكر الله، و من ذكره أوشك أن يرق قلبه، و من رق قلبه استنار به، فأوشك أن ينهاه هذا الذكر المثمر لهذه الثمرة عن المعصية، فكان[٧] ذكر الذاكر له سبحانه أكبر نهيا له عن المنكر من نهي الصلاة له، و كان ذكره له سبحانه كبيرا[٨]، كما قال تعالى "فاذكروني اذكركم[٩]" و إذا كان هذا شأن[١٠] ذكر [١١]العبد / لمولاه، فما ظنك بذكر مولاه له كلما أقبل عليه بصلاة فانه جدير بأن يرفعه إلى حد لا يوصف، و يلبسه من[١١] أنواره ملابس لا تحصر. ٨٤/

(١) سورة ٢ آية ٢٨٢ (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) في ظ و مد: كانك تراه لتكون (٤) في ظ وجامع الترمذي ٢/٤٤٣: الذي (٥) من ظ و مد والجامع، و في الأصل: يذكرني (٦-٦) في الجامع: و هو ملاق (٧) في ظ و مد: و كان (٨) في ظ: كبير (٩) سورة ٢ آية ١٥٢ (١٠) من ظ ومد، وفي الأصل: شانه (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و لما كان ذلك يحتاج إلى علاج لمعوج الطباع و منحرف المزاج، و تمرن على شاق الكلف، و رياضة لجماح النفوس، و كان صلى الله عليه و سلم قد نزه عن ذلك[1] كله بما جبل عليه من أصل الفطرة، ثم [بما -[2]] غسل به قلبه من ماء الحكمة، [و غير ذلك -[2]] من جليل النعمة، عدل إلى خطاب الأتباع يحثهم[3] على المجاهدة فقال[4]: ﴿ و الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ يعلم ﴾ أى فى كل وقت ﴿ما تصنعون﴾ من الخير و الشر، معبرا بلفظ الصنعة الدال على ملازمة العمل تنبيها على أن إقامة ما ذكر تحتاج إلى تمرن عليه و تدرب، حتى يصير طبعا صحيحا، و مقصودا صريحا[5].

و لما انتهى الكلام إلى روح الدين و سر اليقين مما[6] لا يعلمه حق علمه إلا العلماء بالكتب السماوية و الأخبار الإلهية، [7]و كان[7] العالم يقدر على إيراد الشكوك و ترويج الشبه، فربما أضل بالشبهة الواحدة النيام من الناس، بما له عندهم من القبول، و بما للنفوس من النزوع إلى الأباطيل، و بما للشيطان فى ذلك من التزيين، و كان الجدال يورث الإحن، و يفتح أبواب المحن، فيحمل على الضلال، قال تعالى عاطفا على " انل " مخاطبا لمن ختم الآية بخطابهم تنزيها لمقامه صلى الله عليه و سلم عن المواجهة بمثل ذلك تنبيها على أنه لا يصوب[8] همته الشريفة[9] إلى مثل ذلك، لأنه ليس

(١) فى ظ و مد: هذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لحثهم (٤) فى ظ و مد: بقوله (٥) فى ظ: ربيحا، و فى مد: مريحا (٦) فى ظ: بما (٧ - ٧) فى ظ: فان (٨) فى ظ: لا يصرف (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الشرعية.

فى طبعه المجادلة، و المماراة و المغالبة : ﴿ و لا تجادلوآ اهل الكتب ﴾ أى اليهود و النصارى ظنا منكم أن الجدال ينفع الدين، أو يزيد فى اليقين، أو يرد أحدا عن ضلال مبين ﴿ الا بالتى ﴾ أى بالمجادلة التى ﴿ هى احسن ﴾ أى بتلاوة الوحى الذى أمرنا رأس العابدين بادامة تلاوته فقط، و هذا كما تقدم عند قوله تعالى فى "سبحان" "و قل لعبادى يقولوا التى هى احسن".

و لما كان كل من جادل منهم فى القرآن ظالما، كان من الواضح أن المراد بمن استثنى فى قوله تعالى: ﴿ الا الذين ظلموا منهم ﴾ أى تجاوزوا فى الظلم بنفى صحة القرآن و إنكار إعجازه مثلا و أن يكون على اساليب الكتب المتقدمة، أو مصدقا لشىء منها، أو بقولهم "ما انزل الله على بشر من شىء" و نحو هذا من افترائهم، فان هؤلاء يباح جدالهم و لو ادى إلى جلادهم بالسيف، فان الدين يعلو و لا يعلى عليه.

و لما نهى عن موجب الخلاف، امر بالاستعطاف، فقال: ﴿ و قولوآ امنا ﴾ أى أوقعنا الإيمان ﴿ بالذى انزل الينا ﴾ أى من هذا الكتاب المعجز ﴿ و انزل اليكم ﴾ من كتبكم، يعنى فى نفس الامر اصله حق و إن كان قد نسخ منه ما نسخ، و ما حدثوكم به من شىء ليس عندكم

(١) سقط من ظ (٢) آية ٥٣ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) فى ظ ومد: القديمة (٥) سورة ٦ آية ٩١ (٦) من ظ و مد و القرآن الكريم. و فى الأصل: علينا (٧) زيد من ظ ومد (٨) من ظ و مد و فى الاصل: حدوثكم. (٩) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها.

ما يصدقه و لاما يكذبه فلا تصدقوهم و لاتكذبوهم، فان هذا أدعى إلى الإنصاف، و أنفى[1] للخلاف .

و لما لم يكن هـذا جامعا للفريقين، أتبعه بما يجمعهما فقال: ﴿و الهنا / و الهكم﴾ و لما كان من المعلوم قطعا أن المراد به الله، لأن المسلمين لا يعبدون غيره، و كان جميع الفرق مقرين بالإلهية و لو بنوع إقرار[2] لم تدع [حاجة -[3]] إلى ان يقول "اله"[4] كما في بقية الآيات فقال[5]: ﴿واحد﴾ أي لا إله لنا غيره و إن ادعى بعضكم عزيرا و المسيح ﴿و نحن له﴾[2] خاصة ﴿مسلمون﴾ أي خاضعون منقادون أتم انقياد فيما يأمرنا به[6] بعد الإصول من الفروع[6] سواء كانت موافقة لفروعكم كالتوجه بالصلاة[7] إلى بيت المقدس، أو ناسخة كالتوجه إلى الكعبة، و لا نتخذ الأحبار و الرهبان أربابا من [8]دون الله[8] لنأخذ ما يشرعونه لنا مخالفا لكتابه و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم، فنكون حينئذ قد خضعنا لهم و تكبرنا[9] عليه فاوقعنا[10] الإسلام في غير موضعه ظلما .

و لما كان التقدير تعليلا للأمر بهذا القول: إنا أنزلنا كتبهم إلى رسلهم، عطف عليه قوله مخاطبا للرأس تخصيصا[11] له لئلا يتطرق لمتعنت طعن

٨٥ /

(١) في ظ : ابقى (٢) زيدت الواو في ظ (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و في الأصل : الله (٥) في الأصل : و قال، و سقط من ظ و مد (٦-٦) من ظ و مد، و في الأصل : من الأصول بعد الفروع (٧) في ظ : في الصلاة . (٨-٨) في ظ و مد : بدونه (٩) من ظ و مد، و في الأصل : تكبر (١٠) في ظ : و اوقعنا (١١) من ظ و مد، و في الأصل : تخضيعا .

إلى عموم أو اتهام[1] فى المنزل عليه : ﴿ وكذلك ﴾ أى و مثل ذلك الإنزال الذى أنزلناه إلى أنبيائهم ﴿ انزلنآ اليك الكتب[2] ﴾ أى هذا القرآن الذى هو الكتاب فى الحقيقة، لا كتاب غيره فى علو كماله[2]، فى نظمه و مقاله، مصدقا لما بين يديه : ﴿ فالذين ﴾ أى فتسبب عن

٥ [3]إنزالنا له[3] على هذا المنهاج أن الذين ﴿ [4]اتيتهم ﴾ [أى -[4]] إيتاءا يليق بعظمتنا، فصاروا يعرفون الحق من الباطل ﴿ الكتب ﴾ أى من[5] قبل ﴿ يؤمنون به ٤ ﴾ أى بهذا الكتاب حقيقة كعبد الله بن سلام و مخيريق رضى الله عنهما، أو مجازا بالمعرفة به مع الكفر كحيي بن أخطب و خلق كثير منهم ﴿ و من هؤلآء ﴾ أى[5] العرب ﴿ من يؤمن به ٤ ﴾ أى كذلك

١٠ فى الحقيقة و المجاز فى المعرفة بالباطن بأنه حق لما أقامه من البرهان على ذلك بعجزهم عن معارضته مع الكفر به، و أدل[6] دليل على[7] ما أردته من الحقيقة و المجاز قوله : ﴿ و ما يجحد ﴾ أى[8] ينكر من الفريقين بعد المعرفة، قال البغوى[9] : قال قتادة : الجحود إنما يكون بعد المعرفة . ﴿ بايتنا ﴾ التى حازت أقصى غايات العظمة حتى استحقت الإضافة إلينا

١٥ ﴿ الا الكفرون ٥ ﴾ أى العريقون[10] فى ستر المعارف بعد ظهورها طمعا فى إطفاء نورها .

---

(١) فى ظ و مد : ايهام (٢) فى ظ : حاله (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل : انزاله (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اول (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : غير (٨) من مد، و فى الأصل « و » و فى ظ : او (٩) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ / ١٦٣ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : العريقين .

و لما أشار إلى أن المنكر لأصل الوحى متوغل فى الكفر ، دل على ذلك بحال المنزل إليه[1] صلى الله عليه و سلم فقال مسليا له : ﴿و ما﴾ أى أنزلناه إليك و الحال أنك ما ﴿كنت تتلوا﴾ أى تقرأ مواصلا مواظبا فى وقت ما .

و لما كان المراد نفى التلاوة عن كثير الزمن الماضى و قليله ، أدخل الجار فقال : ﴿من قبله﴾ أى هذا الكتاب الذى أنزلناه إليك ؛ و أكد استغراق الكتب فقال : ﴿ من كتب ﴾ أصلا ﴿و لاتخطه﴾ أى تجدد و تلازم خطه ؛ و صور الخط و أكده بقوله : ﴿ بيمينك ﴾ أى[2] التى [هى -[3]] أقوى الجارحتين ، و عبر بذلك إشارة إلى أنه لا تحدث الريبة[4] فى أمره لعاقل إلا بالمواظبة لمثل ذلك مواظبة [قوية -[5]] ينشأ عنها ملكة ، فكيف إذا لم يحصل [أصل الفعل -[5]] ، و لذلك قال : ﴿ اذا ﴾ أى إذ لو كان شيء من هذه المواظبة فى التلاوة أو[6] الخط التى يحصل بها[7] الدربة المورثة للملكة ﴿لارتاب﴾ /أى لساغ أن تكلف أنفسهم [لدخول -[5]] ٨٦ / فى الريب أى الشك ﴿المبطلون﴾ أى هؤلاء الذين ينكرون الوحى إليك من أهل الكتاب و من العرب ، و يقولون : هو سجع[8] و كهانة و شعر و أساطير الأولين ، العريقون فى وصف[9] الإبطال ، [أى -[5]] الدخول

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل: عليه (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : الرتبة (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى مد « و » (٧) فى مد : فى (٨) زيد فى الأصل : كذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

فى الباطل ، فكانوا يجدون مطعنا ، فتقول العرب : لعله أخذه من كتب الأقدمين ، و يقول الكتابيون : المبشر به عندنا أمى ، و لكنه لم يكن شىء من قراءة و لا خط كما هو معروف من حالك فضلا عن المواظبة لشىء منها ، فلا ريبة فى صدقك فى نسبته إلى الله تعالى ، و إذا انتفت الريبة من أصلها صح نفى ما عندهم منها ، لأنه [لما -[1]] لم يكن لهم فى الواقع شبهة ، عدت ريبتهم عدما ، و سموا مبطلين على تقدير هذه الشبهة ، لقيام بقية المعجزات القاطعة بالرسالة ، القاضية بالصدق ، كما قضت[2] بصدق أنبيائهم [مع -[1]] أنهم يكتبون و يقرأون ، و كتبهم لم تنزل للاعجاز ، فصح أنهم[3] يلزمهم الاتصاف بالإبطال بالارتياب على كل تقدير من تقديرى الكتابة و القراءة و عدمهما ، لأن العمدة على المعجزات .

و لما كان التقدير : و لكنهم[4] لا ريبة لهم أصلا و لا شبهة ، لقولهم : إنه باطل ، قال : ﴿ بل هو ﴾ أى القرآن الذى جئت به ، ارتابوا فيه فكانوا[5] مبطلين لذلك على كل تقدير ﴿ آيات ﴾ أى دلالات ﴿ بينات ﴾ أى واضحات جدا فى الدلالة على صدقك[6] ﴿ فى صدور الذين ﴾ و لما كان المقصود المبالغة فى تعظيم العلم ، بنى للمفعول ، و اظهر ما كان أصله الإضمار فقال : ﴿ أوتوا العلم ﴾ دلالة على أنه العلم الكامل النافع ، فلا يقدر أحد على تحريف شىء منه لبيان الحق لديهم ، و فى ذلك إشارة إلى أن خفاءه عن غيرهم لا أثر له ، و لما كان المراد بالعلم النافع ، قال

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : قضيت (٣) فى ظ و مد : انه (٤) فى ظ و مد : لكنه (٥) فى ظ : و كانوا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : صدقه .

إشارة إلى - [١] أنه فى صدور غيرهم عريا عن النفع : ﴿و ما يجحد﴾ وكان الأصل : به ، و لكنه أشار إلى عظمته فقال : ﴿ بآيٰتنا ﴾ أى ينكرها بعد المعرفة على ما لها من العظمة باضافتها إلينا [و البيان الذى لا يجحده أحد - [١] ﴿الا الظٰلمون﴾ أى الراسخون فى الظلم الذين لا ينتفعون بنورهم فى وضع كل شىء فى محله ، بل هم - فى وضع الأشياء فى غير محالها - كالماشى فى الظلام الذى تأتر عن وصفهم أولا بالكفر الذى هو تغطية أنوار العقول .

و لما كان التقدير : فجحدوها [بما لهم من الرسوخ فى الظلم - [١]] أصلا و رأسا ، و لم يعدوها آيات فضلا عن كونها بينات ، عطف عليه قوله : ﴿و قالوا﴾ موهمين مكرا [٢]إظهار النصفة[٢] بالاكتفاء بأدنى ما يدل على الصدق : ﴿لولآ ﴾ أى هلا ﴿انزل عليه﴾ أى على أىّ وجه كان من وجوه الإنزال ﴿ ايـة ﴾ اى واحدة[٢] تكون بحيث تدل قطعا على صدق الآتى بها ﴿من ربه[٤] ﴾ أى الذى يدعى إحسانه إليه كما أنزل على الأنبياء قبله من نحو ناقة صالح عصى موسى و نحوهما ، لنستدل به على صدق مقاله ، و صحة ما يدعيه من حاله هذا على قراءة [ابن كثير و - [٤]] حمزة و الكسائى و ابى بكر بالإفراد . و جمع غيرهم دلالة على أن فريقا آخر قالوا : إن مثل هذا المهم العظيم لا يثبت إلا بآيات متعددة ، و أوهموا[٥]

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اظهارا للنصفة .
(٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد و نثر المرجان ٥/٢٥٧ (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : و هموا .

مكابرة و عنادا أن ذلك لم يقع ، و إن وقع ما[1] يسمى آية .

و لما كان هذا [2]إنكارا للشمس[2] بعد شروقها ، و مكابرة فيما تحدى بـه من / المعجزات بعد حقوقها ، أشار إليه بقوله : ﴿ قل ﴾ أى لهم /٨٧ إرخاء للعنان حتى كأنك ما أتيتهم بشىء : ﴿ انما الآيٰت عند الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا يقدر على إنزال شىء منها غيره ، فانما الإلٰه هو لاسواه ﴿ و انمآ انا نذير ﴾ أقوم لكم بما حملنى و كلفنى من النذارة ، دالا عليه بما أعطيت من الآيات ، و[3]نواقض المطردات[4] و ليس لى أن أقترح [عليه -[5]] الآيات ، على أن المقصود من الآية الدلالة[6] على الصدق ، و هى كلها فى حكم آية واحدة [فى ذلك - [5]] ، و لم يذكر البشارة لأنه ليس أسلوبها ﴿ مبين ﴾ أى أوضح ما آتى به من ذلك بعد أن أوضح صحة كونى نذيرا ، فليس إلىّ إنزال الآيـات و لا طلبها اقتراحا على الله ، فهو قصر قلب فيها ، خوطب بـه من لزمه ادعاء أن إنزال الآيات إليه صلى الله عليه و سـلم و [7]أن أمره[7] الإتيان بما يريد أو يطلب منه[8] .

و لما أفرحهم بما كأنه تسليم لمدعاهم ، و كان من البين أن لسان الحال يقول : ألم يكفهم ماجئتهم [به -[5]] من الآيات المرئيات و المسموعات ، و عجزوا عن الإتيان بشىء منها ، عطف على ذلك قوله منكرا على جهلهم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم (٢-٢) فى ظ : انكار الشمس (٣) فى ظ : فى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المطررات - كذا (٥) زيد من ظ و مد . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الدالة (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ازاره - كذا (٨) فى ظ : منهم .

و عنادهم : ﴿ اولم يكفهم ﴾ أى إن كانوا طالبين[1] للحق غير متعنتين آية بينة مغنية[2] عن كل آية ﴿ انآ انزلنا ﴾ بعظمتنا ﴿عليك الكتب﴾ أى الجامع لسعادة الدارين بحيث صار خلقا لك غالبا على حركاتك و سكناتك ﴿يتلىٰ عليهم[4] ﴾ أى يتجدد متابعة قراءته عليهم شيئا بعد شيء فى كل مكان و كل زمان من كل تالٍ مصدقا لما فى الكتب القديمة من نعتك[3] و غيره من الآيات الدالة على صدقك ، يتحدّون بكل شيء نزل منه مع تحديهم بما قبله من آياته[4] [5]صباح مساء[5] ، يصفعون بذلك مدى الدهر فى أقفائهم و يدفعون ، فكلما أرادوا التقدم ردوا عجزا إلى ورائهم ، فأعظم به آية باقية ، إذ كل آية سواه منقضية ماضية ، [و قال الشيخ أبو العباس المرسى[6] : خشع بعض الصحابة رضى الله عنهم من سماع اليهود بقراءة التوراة فعتبوا إذ تخشعوا من غير القرآن . و هم إنما تخشعوا من التوراة و فى كلام الله فما ظنك بمن[7] أعرض عن كتاب الله و تخشع بالملاهى و الغناء[8]] .

و لما كان هذا أعظم من كل آية يقترحونها و لو توالى عليهم إتيانها كل يوم لدوام هذا على مر[9] الأيام و الشهور ، حتى تفنى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ظالمين (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : معيبة (٣) فى ظ و مد : بعثتك (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الآيات . (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : صباحا و مساء (٦) هو أحمد بن عمر المرسى أبو العباس شهاب الدين ، فقيه متصوف ، من أهل الإسكندرية ، أصله من مرسية فى الأندلس : الأعلام ١/١٧٩ (٧) من مد ، وفى ظ : من (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : شر .

الأزمان و الدهور، أشار تعالى إلى هذه العظمة، مع ما فيها من النعمة، بقوله مؤكدا تنبيها على جهلهم فيما لزم[1] من كلامهم الأول من إنكار أن يكون فى القرآن آية تدلهم على الصدق: ﴿ان فى ذلك﴾ أى إنزال الكتاب على هذا الوجه البعيد المنال[2] البديع المثال[3] ﴿لرحمة﴾ لهم لصقله صدأ القلوب فى كل لحظة، و تطهيره[4] خبث النفوس فى كل لمحة ﴿و ذكرى﴾ أى عظيمة مستمرا [تذكرها -[5]].

و لما عم بالقول، خص من حيث النفع فقال: ﴿لقوم يؤمنون ع﴾ أى يمكن أن يتجدد لهم إيمان، ليس من همهم التعنت، قال[6] الحرالى فى كتاب له فى[6] أصول الدين: و لما كان القرآن لسان[7] إحاطة لم يف بالقيام به خلق من خلق الله، لأنه [8]بناء على[8] كلية أمر الله حتى أن السورة الواحدة منه لما كان موقع الخطاب بها[9] من مدد بنائه[10] على إحاطة أمر الله لايستطيعها [أحد من الخلق، و إذا كان الأقل من كلام العالم لايستطيعه -[5]] من دون رتبته، فعجز الخلق عن[11] كلام الله أحق و أولى، ثم كل ناظر فيه - من أىّ وجه نظره - أدرك بمقتضى علوه على رتبته وجها من العجز فيه، إن كان فصيحا بليغا فمن جهة البلاغة، و معناها بلوغ الكلام / فى مطابقة أنبائه و يسمى الفصاحة، و حسن نظم ٨٨ /

(١) فى ظ: الزم (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: المثال (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: المنال (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تطهير (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٦ - ٦) فى مد: الغزالى فى كتابه (٧) فى ظ: لبيان. (٨ - ٨) فى ظ: بناء عن، و فى مد: نبا عن (٩) سقط من ظ (١٠) فى مد: نبايه (١١) فى ظ: من.

حروف كلماته و يسمى الجزالة ، وكمال[1] انتظام كلماته و آياته ، و يسمى حسن النظم - إلى أنهى[2] غاياته و أتم نهاياته ، و إن كان عالما بأخبار الأولين فبصحة مقتضاها فيه ، و إن كان حكيما فبالإعلام الأتم بوجه تقاضى المرتبات ، و بالجملة فما يكون[3] لأحد أصل من عقل و حظ من علم - أىّ علم كان - إلا و يجد له موقعا فى القرآن ، يفى له بحظ بيان علو مرتبة أنبائه على نهاية مدركه منه بمقدار لا يرتاب فى وقوعه فوق طور الخلق ، فكان[4] آية باقية دائمة لم يتفاوت فى تلقيه أول سامع له من آخر سامع فى وجه سماعه ، فكل نبى فقدت آيته بفقده أو بفقد وقت ظهورها على يديه ، و آية محمد صلى الله عليه و سلم باقية ببقاء الله ، فجهات ظهور إعجازه تأتى[5] على حظوظ أصناف الخلق من وجوه الإدراك ، لا يتعين لظهور[6] الإعجاز فيه جهة ، و لا يفقد ناظر فيه حظا يتطرق بمقدار إدراكه منه إلى يقين[7] وجه إعجازه ، و ذلك لما كان محيطا بكل تفصيل و كل إجمال ، و لم يفرط فيه من شىء ، و كان تفصيلا لكل شىء و لإحاطته باثبات كل رتبة من رتب[8] حكمة الله تعالى لم يقدر أحد من الخلق فى التوقف عن الإيمان به من الجن و الإنس و الأحمر و الأسود و جميع خلق الله ، من يعرفه الناس منهم و من لا يعرفونهم ممن أحاط بهم[9] علم العالمين باعلام الله ، و من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اكمال (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعنى .
(٣) زيدت الواو فى ظ و مد (٤) فى ظ : و كان (٥) زيد فى الأصل و ظ : على ظهور تاتى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لظهورها (٧) فى ظ و مد : تعين (٨) فى ظ : رتبة (٩) فى ظ و مد : به .

حكم إحاطة كتابه كان ممكنا من عالية [1] كل آية جاء بها نبي قبله ممن شاهد ذلك منه حاضروه، ونقله نقل التواتر و الاستفاضة حملة العلم خلفا عن سلف؛ ثم رتب قياسا على إثبات النبوة فقال: [إن - [2]] محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آية هذا القرآن المشهود، و هذا القرآن المشهود معجز كل ٥ ذى إدراك، و[3] بشرى من كل جهة من جهات معانيه و بلاغته، فذو آية هذا القرآن نبي، فمحمد[4] صلى الله عليه و سلم [نبي -[2]]، أما أن محمدا صلى الله عليه و سلم ذو آيته فبالتجربة السمعية المتيقنة المسماة بالتواتر، و [أما -[2]] أن هذا القرآن[5] معجز فيما يجده كل ناظر فى معناه المشتمل على تمام الحكمة فيما هو كائن و نبأ ما كان[6] من قبل و خبر ما يكون بعد المتيقن[7] بوقوع ١٠ أوائله وقوع جملته و صحة خبره، و بذلك يتضح أن ذا آيته نبي، ثم بما تضمنه من شهادته لذى آيته[5] و تصريحه بذلك لمحمد صلى الله عليه وسلم، فصح[8] أن محمدا صلى الله عليه و سلم ذو آيته، و أنه نبي - صلى الله عليه و سلم. و المستعمل فى ذلك أن محمدا صلى الله عليه و سلم تحدى بهذا القرآن [العرب -[2]] الفصحاء و اللد البلغاء، فلما لجأوا[9] للحرب ١٥ وضح أنهم فروا لذلك لمكان ما وجدوه فى أنفسهم من العجز، و إذا عجز[10] أولئك فمن بعدهم أحق بالعجز. فلما شمل العجز الكل[11] من الخلق،

---

(١) فى ظ: حاله (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقطت الواو من ظ و مد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: محمد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ومد، و فى الأصل: يكون (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: التيقن (٨) فى ظ و مد: فوضح. (٩) من ظ ومد، وفى الأصل: جاوا (١٠) من ظ و مد، وفى الأصل: عجزوا. (١١) فى ظ: لكل.

وجب العلم بأن هذا القرآن حق ، و المتحدى به نبى جاء بالصدق ، و حاصله : لو لم تعجز العرب[1] لم تحارب لمكان ثقل الحرب و خفة المعارضة لو استطاعوها ، و لم يعارضوا و حاربوا / فقد عجزوا ، فثبت بذلك أنه نبى صلى الله عليه و سلم - انتهى . /٨٩

و لما كان من المعلوم أنهم يقولون : نحن لا نصدق أن هذا الكتاب من عند الله فضلا عن أن نكتفى[2] به ، قال : ﴿ قل ﴾ أى جوابا لما قد يقولونه[3] من نحو هذا : ﴿ كفى بالله ﴾ أى الحائز لجميع العظمة و سائر الكمالات ، الذى شهد لى بالرسالة فى كتابه الذى أثبت أنه كلامه عجزُ الخلق عن[4] معارضته .

و لما كانت العناية فى هذه السورة بذكر الناس ، و تفصيل أحوالهم ، ابتدأ بقوله : ﴿ بينى و بينكم ﴾ قبل قوله : ﴿ شهيدا ﴾ بخلاف الرعد و الأنعام[6] ، [7] ثم وصف[7] الشهيد أو علل كفايته بقوله : ﴿ يعلم ما فى السموٰت ﴾ أى كلها . و لما لم يكن للأرض[8] غير هذه التى يشاهدونها ذكر فى إتيان الوحى و القرآن منها ، أفرد فقال : ﴿ و الارض ﴾ أى لايخفى عليه [9]شىء من ذلك[9] فهو عليم بما ينسبونه إلىّ[10] من التقول عليه ، بما أنسبه أنا إليه

(١) فى ظ : القرب (٢) من مد ، و فى الأصل ، ظ : يكتفى (٣) فى ظ : يقولوه ، و فى مد : يتقولوه (٤) فى ظ : من (٥) راجع آية ٤٣ (٦) راجع آية ٩١ . (٧ - ٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فوصف (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : الارض (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : اليه .

من هذا القرآن الذى شهد لى به عجزكم عنه فهو شاهد لى ، و الله فى الحقيقة هو الشاهد لى ، بما فيه من الثناء علىّ ، و الشهادة لى بالصدق ، لأنه قد ثبت بالعجز عنه أنه[1] كلامه و سيتحقق[2] بالعقل إبطال المبطل منا .

و لما كان التقدير : و أنتم تعلمون أنه قد شهد لى بأنى[3] على الحق ، و أن كل ما خالف ما جئت به فهو باطل ، فالذين آمنوا بالحق و كفروا بالباطل فأولئك هم الفائزون ، عطف عليه قوله : ﴿و الذين آمنوا بالباطل﴾ أى[4] الذى لا يجوز الإيمان به من كل معبود سوى الله ﴿و كفروا بالله﴾ الذى يجب الإيمان به و الشكر له ، لأن له الكمال كله و كل ما سواه هالك ليس له من ذاته إلا العدم ﴿اولئك﴾ البعداء البغضاء ﴿هم﴾ أى خاصة ﴿الخسرون﴾ أى العريقون[5] فى الخسارة ، فانهم خسروا أنفسهم أبدا .

و لما كان قولهم مرة واحدة "لولا انزل عليه آية" عجبا . أتى بعد إخباره بخسارتهم بأعجب منه ، و هو استمرار استعجالهم بما لا قدرة لهم على شىء منه من عذاب الله فقال : ﴿و يستعجلونك﴾ أى يطلبون تعجيلك فى كل وقت ﴿بالعذاب﴾ و يجعلون تأخره عنهم شبهة لهم فيما يزعمون من التكذيب ﴿و لولا اجل مسمى﴾ قد ضرب لوقت عذابهم لا تقدم فيه[6] و لا تأخر ﴿لجاءهم العذاب﴾ وقت استعجالهم ، لأن القدرة تامة و العلم محيط .

---

(١) من ظ و مد ، و فى الاصل : ان (٢) فى ظ : سيحقق (٣) فى ظ : انى .
(٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ : الغريقون (٦) سقط من ظ .

و لما

و لما أفهم هذا أنه لابد من إتيانه، صرح به فى قوله مؤكدا ردا على استهزائهم المتضمن للانكار: ﴿ و لياتينهم ﴾ ثم هوّله[1] بقوله: ﴿بغتة﴾ أكد معناها بقوله: ﴿ و هم لايشعرون ﴾ بل هم فى غاية الغفلة عنه و الاشتغال بما ينسيه، ثم زاد [فى - [2]] التعجب[3] من جهلهم بقوله مبدلا: ﴿ يستعجلونك بالعذاب[4] ﴾ أى يطلبون منك إيقاعه بهم ناجزا و لو كان فى غير وقته الأليق [به - [2]]، فلو[4] علموا ما هم سائرون إليه لتمنوا أنهم لم يخلقوا فضلا عن[5] أن يستعجلوا، و لأعملوا جميع[6] جهدهم فى الخلاص منه.

و لما كان دخولهم النار لابد منه لإحاطة القدرة بهم، قال[7] مؤكدا[8] / لإنكارهم الآخرة باثبات أخص منها: ﴿و ان جهنم﴾ التى هى من عذب ١٠ / ٩٠ الآخرة ﴿ لمحيطة ﴾ أى بما هى مهيأة له، لأنه لايفوتها شيء منه، لأن الذى أعدها عليم قدير، و قال: ﴿ بالكفرين ﴾ موضع [9] بهم [9] تنبيها على ما استحقوا به عذابها، و تعميما لكل من اتصف به.

و لما كان هذا كله دليلا[9] على إنكارهم قال: ﴿يوم﴾ أى يعلمون ذلك [يوم - [2]] ﴿ يغشاهم العذاب ﴾ أى يلحقهم و يلصق بهم ما ١٥ لايدع لهم شيئا يستعذبونه، و لا أمرا يستلذونه و نه على عدم استغراق

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: هول (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى مد: التعجيب (٤) فى ظ و مد: ولو (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٦) فى ظ: بجميع (٧) فى ظ: كان (٨) زيد بعده فى الأصل: دراً، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) فى ظ و مد: دالا.

جهة الفوق مع استعلائه عليهم بإثبات الجار فقال: ﴿ من فوقهم ﴾ و لما أفهم[1] ذلك الإحاطة بما هو أدنى من جهة الفوق، صرح به فقال: ﴿ و من تحت ارجلهم ﴾ فعلم بذلك إحاطته بجميع الجوانب، و صرح بالرجل تحقيقا للآدمى[2] ﴿ و يقول ﴾ أى الله فى قراءة نافع[3] و عاصم[4] و حمزة و الكسائى بالتحتانية جريا[5] على الأسلوب الماضى، أو[6] نحن بعظمتنا[7] فى قراءة الباقين بالنون[7] رويا بالالتفات إلى مظهر العظمة[7]: ﴿ ذوقوا ﴾ ما سببه لكم ﴿ ما كنتم ﴾ بغاية الرغبة ﴿ تعملون ﴾ أى فى ذلك اليوم تعلمون[8] ذلك حق اليقين بعد علمكم له عين اليقين[9] بسبب تكذيبكم[9] بعلم اليقين.

و لما أبلغ فى الإنذار، و حذر من الأمور الكبار، و لم يهمل الإشارة إلى الصغار، و كانت هذه الآيات فى المتعنتين من الكفار، و كان قد كرر أن هذه المواعظ إنما هى للمؤمنين، قال مخاطبا لهم معرضا عن سواهم إذ[10] كانت أسماعهم لبليغ هذه المواعظ قد أصغت، و قلوبهم لجليل هذه الإنذارات قد استيقظت، التفاتا على[11] قراءة الجمهور إلى

---

(١) فى ظ و مد: اوهم (٢) فى ظ و مد: للامر (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد، و راجع أيضا نثر المرجان ٥ / ٢٦١ (٤) فى الأصل و ظ: جاريا (٥) فى ظ و مد «و» (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فعظمتنا (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) من ظ، و فى الأصل و مد: يعلمون (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: سبب تكذيبهم (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: «و» (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: إلى، و راجع أيضا نثر المرجان ٥ / ٢٦١.

التلذيذ فى المناجاة بالإفراد و الإبعاد من مداخل التعنت : ﴿ يعبادى ﴾ فشرفهم بالإضافة ، و لكنه لما أشار بأداة البعد إلى أن فيهم من لم يرسخ ، حقق ذلك بقوله : ﴿الذين ءامنوآ﴾ أى [و إن -[1]] كان الإيمان باللسان مع أدنى شعبة من القلب .

و لما كان نزول[2] هذه [السورة -[1]] بمكة ، و كانوا بها مستخفين ٥ بالعبادة[3] خوفا من الكفار ، وكانت هجرة الأهل و الأوطان شديدة ، قال مؤكدا تنبيها على أن حال من ترك الهجرة حال من يظن أن الأرض ضيقة : ﴿ان ارضى واسعة﴾ أى فى الذات و الرزق و كل ما تريدون من الرفق ، فان لم تتمكنوا بسبب هؤلاء المعاندين الذين يفتنونكم فى دينكم و يمنعونكم من الإخلاص [لى -[4]] فى أرضكم و الاجتهاد فى عبادتى حتى ١٠ يصير الإيمان لكم وصفا ، فهاجروا إلى أرض تتمكنون فيها[5] من ذلك .

و لما كانت الإقامة بها قبل الفتح مؤدية[6] إلى الفتنة ، و كان المفتون ربما طاوع بلسانه ، و كان ذلك و إن كان القلب مطمئنا بالإيمان فى صورة الشرك قال : ﴿فاياى﴾ أى خاصة بالهجرة إلى أرض تأمنون فيها اعبدوا و تنبهوا ﴿ فاعبدون ﴾ بسبب ما دبرت لكم من المصالح من توسيع ١٥ الأرض و غيره ، عبادة لاشرك فيها ، لا باللسان و لا بغيره و لا استخفافا بها و لا مراعاة لمخلوق فى معصيته ، و لا شىء يجر إليها بالهرب ممن يمنعكم من ذلك إلى من يعينكم عليه .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منزل (٣) فى ظ : للعبادة (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يوديه .

/٩١ و لما كانت / الهجرة شديدة المرارة لأنها مرت فى المعنى من حيث كونها مفارقة المألوف[1] المحبوب من العشير و البلد[2] و المال ، وكان فى الموت ذلك كله بزيادة ، قال [3]مؤكدا بذلك مذكرا به[3] مرهبا من ترك الهجرة : ﴿كل نفس ذآئقة الموت﴾ أى مفارقة كل ما ألفت حتى بدنا طالما لابسته ، و آنسها و آنستـــه ، فان أطاعت ربها أنجت نفسها و لم تنقصها الطاعة من الأجل شيئا ، و إلا[4] أوبقت نفسها و لم تزدها المعصية فى الأجل شيئا . فاذا قدر الانسان أنه مات سهلت عليه الهجرة . فانه إن لم يفارق بعض مألوفه[5] بها فارق كل مألوفه [بالموت -[6]] ، و ما ذكر الموت فى عسير إلا يسره ، و لايسير إلا عسره و كدره .

و لما هوّن أمر الهجرة ، حذر من رضى فى دينه بنوع نقص لشىء من الأشياء حثا على الاستعداد بغايـــة الجهد فى التزود للمعاد فقال : ﴿ثم الينا﴾ على عظمتنا ، لا إلى غيرنا ﴿ترجعون ٥﴾ على أيسر وجه ، فيجازى كلا منكم [7]بما عمل[7] .

و لما كان التقدير : فالذين آمنوا فلبسوا إيمانهم بنوع نقص لننقصنهم فى جزائهم ، و الذين كفروا لنركسنهم[8] فى جهنم دركات[9] تحت دركات

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : المالوفات (٢) فى ظ و مد : الولد (٣-٣) فى ظ و مد : مذكرا بذلك (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا (٥) فى ظ : مالوفاته (٦) زيد من ظ و مد (٧ - ٧) من مد ، و فى الأصل : على علمه ، و فى ظ : بما عمله - كذا (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : كركنهم - كذا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : ودكات .

فبئس

فبئس مثوى الظالمين ، و لكنه لما تقدم ذكر العذاب قريبا ، و كان القصد هنا الترغيب فى الإيمان كيفما كان ، طواه و دل عليه بأن عطف عليه قوله : ﴿و الذين آمنوا و عملوا﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿الصلحت﴾ أى كلها .

و لما كان الكفار ينكرون البعث ، فكيف ما بعده ، [1]أكد قوله[1]: ٥ ﴿لنبوئنهم﴾ أى لنسكننهم فى مكان هو جدير بأن يرجع إليه[2] من حسنه و طيبه من خرج منه لبعض أغراضه ، و هو معنى ﴿من الجنة غرفا﴾ أى بيوتا عالية تحتها قاعات واسعة بهية عالية ، و قريب من هذا المعنى قراءة حمزة و الكسائى[3] بالثاء المثلثة من ثوى بالمكان - إذا أقام به .

و لما كانت[4] العلالى لا تروض[5] إلا بالرياض قال : ﴿تجرى﴾ و لما ١٠ كان عموم الماء لجهة التحت بالعذاب أشبه[6] بعضه فقال : ﴿من تحتها الانهر﴾ و من المعلوم أنه لا يكون فى موضع أنهار ، إلا كان به[7] بساتين كبار ، و زروع و رياض و أزهار - فيشرفون عليها من تلك العلالى .

و لما كانت بحالة لا نكد فيها[8] يوجب هجره فى لحظة ما ، كنى عنه بقوله : ﴿خلدين فيها﴾ أى لا يبغون عنها حولا ؛ ثم عظم أمرها ، ١٥ شرف قدرها ، بقوله : ﴿نعم اجر العملين﴾ ثم وصفهم بما يرغب فى الهجرة ، فقال معرفا بجماع الخير [كله -[9]] الصبر و كونه على جهة التفويض لله ،

(١ - ١) فى ظ : اكده بقوله (٢) فى ظ : عليه (٣) راجع نثر المرجان ٥/٢٦٢ .
(٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : كان (٥) من ظ و مد . و فى الأصل : لاترون .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : شبه (٧) سقط من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بها (٩) زيد من ظ و مد .

منبها على أن الإنسان لا ينفك عن أمر شاق ينبغى الصبر عليه : ﴿الذين صبروا﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة حتى استقرت عندهم فكانت سجية لهم ، فأوقعوها على كل شاق من التكاليف من هجرة و غيرها .

و لما كان الإنسان إلى المحسن إليه أميل ، قال مرغبا فى الاستراحة بالتفويض إليه : ﴿ و على ربهم ﴾ أى وحده لا على / أهل و لا وطن ﴿ يتوكلون ﴾ أى [يوجدون التوكل إيجادا مستمر التجديد عند كل مهم يعرض لهم -[1]] فى إرزاقهم بعد الهجرة و غيرها[2] و جهاد أعدائهم و غير ذلك من أمورهم .

٩٢/ ٥

و لما أشار بالتوكل إلى أنه الكافى فى أمر الرزق فى الوطن و الغربة ، لا مال و لا أهل ، قال عاطفا على ما تقديره : فكأىّ من متوكل[3] عليه كفاه ، و لم يحوجه إلى أحد سواه ، فليبادر من أنقذه من الكفر و هداه إلى الهجرة طلبا لرضاه : ﴿وكأين من دآبة﴾ أى كثير من الدواب العاقلة و غيرها ﴿ لا تحمل ﴾ أى[4] لا تطيق أن تحمل ﴿ رزقها ﴾ و لا تدخر شيئا لساعة أخرى ، لأنها قد[4] لا تدرك نفع ذلك ، و قد تدركه و تتوكل ، أو لا تجد .

١٠

١٥

و لما كان موضع أن يقال : فمن يرزقها؟ قال جوابا له : ﴿ الله﴾ أى المحيط علما و قدرة ، المتصف بكل كمال ﴿يرزقها﴾ و هى لا تدخر ﴿ و اياكم ﴾ و أنتم تدخرون، لا فرق بين ترزيقه لها على ضعفها و ترزيقه لكم

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : توكل (٤) سقط من ظ .

على قوتكم و ادخاركم ، فان الفريقين تارة يجدون و تارة لا يجدون ، فصار الادخار و عدمه غير معتد به و لا منظورا إليه .

و لما كان أهم ما للحيوان الرزق ، فهو لا يزال فى تدبيره بما يهجس[1] فى ضميره و ينطق به إن كان ناطقا و يهمهم به إن كان صامتا ، أما العاقل[2] فبأمور كلية ، و أما غيره فبأشياء جزئية وحدانية ، و كان العاقل ربما قال : إنى لا أقدر على قطع العلائق من ذلك ، قال تعالى : ﴿و هو السميع﴾ أى لما يمكن أن يسمع فى أمره و غير أمره ﴿العليم*﴾ أى بما يعلم من ذلك . و بما يصير إليه أمركم و أمر عدوكم ، فهو لم يأمركم بما أمركم به إلا و قد أعد له أسبابه ، و هو قادر على أن يسبب لما اعتمد عليه الإنسان من الأسباب المنتجة عنده و لابد ما يعطله ، و على أن يسبب للتوكل القاطع للعلائق ما يغنيه ، و من طالع كتب التصوف و تراجم القوم و سير السلف - نفعنا الله بهم - وجد كثيرا من ذلك بما يبصره و يسليه و يصبره .

و لما هوّن سبحانه أمر الرزق بخطابه مع المؤمنين بعد أن [كان قد -[3]] أبلغ فى تنبيه الكافرين بايضاح المقال ، و ضرب الأمثال ، و لين المحاورة فى الجدال ، و لما كان الملك لا يتمكن غاية التمكن من ترزيق من فى غير مملكته ، قال [عاطفا على نحو : فلئن سألتهم عن ذلك ليصدقنك -[3]]

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : يهجر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الغافل (٣) زيد من ظ و مد .

عائدا إلى استعطاف المعرضين ، و اللطف بالغافلين ، ناهجا فى تفنين الوعظ - أعنى طرق الحكمة ، فان التسيد إذا كان له عبدان : مصلح و مفسد ، ينصح المفسد ، فان لم يسمع التفت إلى المصلح ، إعراضا عنه قائلا : هذا لا يستحق الخطاب[1] ، فاسمع أنت و لا تكن مثله ، فكان[2] قوله متضمنا نصح المصلح و زجر المفسد ، ثم إذا سمع[3] وعظ أخيه كان ذلك محركا منه بعد التحريك بالإعراض و الذم بسوء النظر لنفسه و قلة الفطنة[4] ، فاذا خاطبه بعد هذا وجده متهيئا للقبول ، نازعا إلى الوفاق ، مستهجنا للخلاف :

﴿ و لئن سالتهم ﴾ أى [5] المؤمن و غيره ، و أغلب[5] القصد له :

﴿ من خلق السمٰوٰت و الارض ﴾ و سواهما على هذا النظام العظيم

﴿ و سخر الشمس و القمر ﴾ لإصلاح الأقوات ، و معرفة الأوقات ، و غير ذلك / من المنافع . /٩٣

و لما كان حالهم فى إنكار البعث حال من ينكر أن يكون [سبحانه -[6]] خلق هذا الوجود ، أكد[7] تنبيها على أن الاعتراف بذلك يلزم منه قطعا الاعتراف بالبعث فقال : ﴿ ليقولن الله ج ﴾ أى الذى له [جميع -[6]] صفات الكمال لما قد تقرر فى فطرهم من ذلك و تلقفوه عن ابائهم موافقة للحق فى نفس الأمر .

و لما كان حال من صرف الهمة[8] عنه عجبا يستحق أن يسئل عنه

---

(١) فى ظ : بالخطاب (٢) فى ظ : و كان (٣) سقط من ظ (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : الغبطة (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المؤمنين وغيرهم و اطلب (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى ظ : أكره (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : التهمة .

على وجه التعجب منه إشارة إلى أنه لا وجه له، قال: ﴿ فأنى ﴾ أى فكيف و[1] من أىّ وجه ﴿يؤفكون ه﴾ أى يصرف من صارف ما من لم يتوكل عليه أو [لم - [2]] يخلص له العبادة فى كل أحواله، و جميع أقواله و أفعاله، عن الإخلاص له مع إقرارهم بأنه لاشريك له فى الخلق فيكون وجهه إلى قفاه فينظر الأشياء على خلاف[3] ما هى عليه فيقع فى ٥ خبط [4]العشواء و حيرة العجباء[4] .

و لما كان قد يشكل على ذلك التفاوت فى الرزق عند كل[5] من لم يتأمل [حق التأمل -[2]] فيقال: بكل الخلق و الرزق له، فما بالهم متفاوتين فى الرزق ؟ قال: ﴿الله﴾ أى بما له من [العظمة و -[6]] الإحاطة بصفات الكمال ﴿ يبسط الرزق ﴾ بقدرته التامة ﴿ لمن يشآء من عباده ﴾ على ١٠ حسب ما يعلم من بواطنهم ﴿و يقدر ﴾ أى يضيق .

و لما كان [ذلك -[2]] إنما هو لمصالح العباد و إن لم يظهر لهم وجه حكمته قال: ﴿ له[7] ﴾ أى لتظهر من ذلك قدرته و حكمته، و أنت ترى الملوك و غيرهم من الأقوياء يتفاوتون[2] فى الرزق بين عمالهم بحسب ما يعلمون[8] من علمهم الناقص بأحوالهم، فما ظنك بملك الملوك العالم علما لا تدنو من ساحته ظنون و لاشكوك، و لهذه الآية نتيجة ما قبلها .

و لما كان سبحانه يرزق[9] الناس، و يمكن لهم بحسب ما يعلم من

---

(١) سقطت الواو من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ ومد : غير.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : يتفاوتون (٨) فى ظ : يعملون.
(٩) فى ظ : رزق .

ضمائرهم أنه لاصلاح إلا فيه[1] ، قال معللا لذلك و مؤكدا ردا على من يعتقد أن ذلك إنما هو من تقصير بعض العباد و تشمير بعضهم ، معلما بأنه محيط العلم فهو محيط القدرة [فهو -[2]] الذى سبب عجز بعضهم[3] و طاقة الآخرين لملازمة القدرة العلم : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات

٥ الكمال ﴿ بكل شىء ﴾ [أى -[2]] من المرزوقين و من الأرزاق و كيف تمنع أو تساق و غير ذلك ﴿عليم ٥﴾ فهو على ذلك كله قدير، يعلم ما يصلح العباد من ذلك و ما يفسدهم ، و يعطيهم بحسب ذلك إن شاء، و كم رام بعض الأقوياء إغناء فقير و إفقار غنى ، فكشف الحال عن فساد ما راموا من الانتقال .

١٠ و لما ثبت بهذا شمول علمه ، لزم تمام قدرته كما برهن عليه فى طه، فقال مشيرا إلى ذلك ذاكرا السبب القريب فى الترزيق[4] بعد ما[5] ذكر البعيد[6] ، فان الاعتراف بأن هذا السبب منه يستلزم الاعتراف بأن المسبب[7] أيضا منه : ﴿ و لئن سألتهم من نزل[8] ﴾ بحسب التدريج على حسب ما [فعل -[2]] فى الترزيق ، [و لما كان ربما ادعى مدع أنه استنبط ماء فأنزله

١٥ من جبل و نحوه، ذكر ما يختص به سبحانه سالما عن دعوى المدعين فقال -[2]] : ﴿ من السماء ماء ﴾ بعد أن كان مضبوطا فى[9] جهة العلو

(١) فى ظ : به (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعض عجزهم (٤) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٥) سقط من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل : العبيد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : السبب (٨) تكرر فى الأصل فقط (٩) فى ظ : من .

﴿فاحيا﴾ [و لما كان أكثر الأرض يحيي بماء المطر من غير حاجة إلى سقى ، قدم الجار فقال -[1]] : ﴿به الارض﴾ الغبراء ، و أشار باثبات الجار إلى قرب الإنبات[2] / من زمان الممات ، [و إلى أنهم[3] لا يعلمون إلا الجزئيات الموجودة المحسوسة ، ولا تنفذ عقولهم إلى الكليات[3] المعقولة نفوذ أهل الإيمان ليعلموا أن ما أوجده سبحانه [4]بالفعل فى وقت فهو موجود إما بايجاده إذا أراد ، فالأرض حية باحيائه سبحانه[4] بسبب المطر فى جميع الزمن الذى هو بعد الموت بالقوة كما أنها حيـــة فى بعضها بالفعل -[1]] فقال : ﴿من بعد موتها﴾ فصارت خضراء تهتز بعد أن لم يكن بها شىء من ذلك ، و أكد لمثل[5] ما تقدم من التنبيه على أن [6]حالهم فى إنكار[6] البعث حال من ينكر أن يكون الله صانع ذلك ، لملازمة القدرة عليه القدرة على البعث [بقوله -[1]] : ﴿ليقولن الله[7]﴾ و هو الذى الكمال كله ، فلزمهم توحيده .

٩٤ /

فلما ثبت أنه الخالق بدءا و إعادة كما يشاهد فى كل زمان ، قال منبها على عظمة صفاته اللازم من إثباتها صدق رسوله صلى الله عليه و سلم : ﴿قل﴾ معجبا منهم فى جمودهم حيث يقرون بما يلزمهم التوحيد ثم لا يوحدون : ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال كلها ﴿لله[1]﴾ الذى لا سمى له و ليس لأحد غيره إحاطة بشىء من الأشياء ، فلزمهم[2] الحجة بما

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اسات - كذا (٣) غير واضح فى ظ و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) فى ظ : المثل (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انكارهم فى حال - كذا (٧) فى مد : فلزمتهم .

اقروا بـــه من إحاطته، و هم لا يثبتون ذلك باعراضهم عنه[1] ﴿بل اكثرهم لا يعقلون ﴾ [أى لا يتجدد لهم عقل، بعضهم مطلقا لأنه مات كافرا -[2]] حيث هم مقرون بمعنى الحمد من أنه الخالق لكل شيء بدءا و إعادة ثم يفعلون ما ينافى ذلك فيشركون به غيره مما هم معترفون بأنه خلقه و لا يتوكلون فى جميع الأمور برا و بحرا عليه و يوجهون[3] العبادة خالصة إليه، فهم لا يعرفون معنى الحمد حيث لم يعملوا به، [و منهم من آمن بعد ذلك فكان فى الذروة من كمال العقل فى التوحيد الذى يتبعه سائر الفروع، و منهم من كان دون ذلك، فكان نفى العلم عنه مقيدا بالكمال - [1]] .

و لما تبين بهذه الآيات أن الدنيا مبنية على الفناء و الزوال، و القلعة و الارتحال[4]، و صح أن السرور بها فى غير موضعه فلذلك[5] قال تعالى مشيرا بعد سلب العقل عنهم إلى أنهم فيها كالبهائم يتهارجون : ﴿و ما هذه الحيوة الدنيآ﴾ فحقرها بالإشارة و لفظ الدناءة مع الإشارة إلى أن الاعتراف بهذا الاسم كافٍ فى الالزام بالاعتراف بالأخرى[6] .

و لما كان مقصود السورة الحث على الجهاد و النهى عن المنكر، وكان فى معرض سلب العقل عنهم، قدم اللهو لأن الإعراض عنه يحسم مادة الشر فانه الباعث عليه فقال : ﴿لا لهو﴾ أى شيء[1] يلهى عما ينفع

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : يوجبون (٤) فى ظ : الانتقال (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : بالآخرة .

و لعب

﴿و لعب[1]﴾ يشتغل به صبيان العقول، وكل غافل و جهول، فان اللهو كل شيء من شأنه أن يعجب النفس كالغناء و الزينة من المال و النساء و غيره، فيحصل به فرح و زيادة سرور، فيكون سببا للغفلة و الذهول و النسيان و الشغل عن [2]استعمال العقل فى اتباع ما ينجى فى الآخرة فينشأ عنه الضلال - على ما أشارت إليه آية لقمن[3] "ليشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله" و منه اللعب، و هو فعل ما يزيد النفس فى دنياها سرورا كالرقص بعد[4] السماع و ينقضى بسرعة لأنه ضد الجد و مثل الهزل، و [هو -[5]] كل شيء سافل، و كل باطل يقصد به زيادة البسط و الترويح و التمادى فى قطع الزمان فيما يشتهى من غير تعب، و اللعبة - بالضم: التمثال، و ما يلعب به كالشطرنج، و الأحمق يسخر به، و لعب لعبا: مرح، و فى الأمر و الدين: استخف به[6].

و لما كانوا ينكرون الحياة بعد الموت، أخبر على سبيل التأكيد أنه لاحياة غيرها فقال: ﴿و ان الدار الآخرة لهى﴾ أى خاصة ﴿الحيوان[7]﴾ أى الحياة التامة الباقية العامة / الوافية نفسها من حيث أنه لاموت فيها و لافناء لشيء من الأشياء، و لذلك اختير هذا البناء الدال على المبالغة، و حركته مشعرة بما فى الحياة من مطلق الحركة و الاضطراب، فلا انقضاء[7] لشيء من لعبها و لا لهوها الذى [لا -[5]] يوافق ما فى الدنيا إلا فى الصورة فقط

/ ٩٥

(١) فى الأصل فقط: لهب - خطأ (٢) العبارة من هنا إلى « و ينقضى بسرعة » ساقطة من مد (٣) آية ٦ (٤) فى ظ: بعده (٥) زيد من ظ و مد. (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: انفصال.

لا[1] فى المعنى، لأنه ليس فيها شىء سافل لا فى الباعث و لا فى المبعوث[2] إليه، بل كل ذلك بالتسبيح و التقديس و ما يترتب عليه من المعارف و[3] البسط و الترويح و الانشراح و الأنس و التفريح .

و لما كانوا [قد -[4]] غلطوا فى الدارين كلتيهما فأنزلوا[5] كل واحدة منهما غير منزلتها ، فعدوا الدنيا وجودا دائما على هذه الحالة و الآخرة عدما ، لا وجود لها بوجه ، قال : ﴿ لو كانوا ﴾ [أى -[4]] كونا هو كالجبلة ﴿ يعلمون ﴾ أى لهم علم ما لم يغلطوا فى واحدة منهما فلم يركبوا مع إيثارهم للحياة و شدة نفرتهم من الموت ، لاعتقادهم أن لا قيام بعده إلى الدنيا ، مع أن أصلها عدم الحياة الذى هو الموتان .

و لما ختم هـــذه الآية بما أفهم أنهم لايعلمون ، و التى قبلها بأن أكثرهم لايعقلون ، سبب عن ذلك قوله[6] : ﴿ فاذا ﴾ أى فتسبب عن عـــدم عقلهم المستلزم لعدم علمهم أنهم إذا ﴿ ركبوا ﴾ أى البحر ﴿ فى الفلك ﴾ أى السفن ﴿ دعوا الله ﴾ أى الملك الأعلى المحيط بكل شىء إذا أصابتهم مصيبة[6] خافوا منهـا الهلاك ﴿ مخلصين ﴾ بالتوحيد ﴿ له الدين ج ﴾ بالإعراض[7] عن شركائهم بالقلب و اللسان ، لما هم له محققون أنه لامنجى[8] عند تلك الشدائد غيره ﴿ فلما نجّٰهم ﴾ أى الله سبحانه ، موصلا [لهم -[9]] ﴿ الى البر اذا هم ﴾ أى حين الوصول إلى البر

(١) فى ظ: الا (٢) من ظ و مد. وفى الأصل: البعوث (٣) فى ظ : فى (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى النسخ : فنزلوا ، و السياق يقتضى ما أثبتناه (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ و مد : معرضين (٨) فى ظ : لاينجى (٩) زيد من مد .

﴿ يشركون ﴾ فصح أنهم لا يعلمون ، لأنهم لا يعقلون ، حيث يرون بعجز آلهتهم و يشركونها معه ، فى ذلك أعظم[1] التهكم بهم ؛ قال البغوى[2]: قال عكرمة : كانوا إذا ركبوا البحر حملوا [معهم -[3]] الأصنام ، فاذا اشتدت بهم الريح ألقوها فى البحر و قالوا : يا رب ! يا رب . و قال الرازى فى اللوامع : و هذا دليل على ان معرفة الرب فى فطرة كل إنسان ، و أنهم إن غفلوا فى السراء فلا شك أنهم يلوذون إليه فى حال الضراء - انتهى . فعلم أن الاشتغال بالدنيا هو الصادّ عن كل خير و [أن -[4]] الانقطاع عنها معين للفطرة [الأولى المستقيمة ، و لهذا تجد الفقراء أقرب إلى كل خير .

و لما كانوا مع هذا الفعل -[4]] - الذى لا يفعله إلا مسلوب العقل - يدعون أنهم أعقل الناس و أبصرهم بلوازم الأفعال و ما يشين الرجال ، و كان فعلهم هذا كفرا للنعمة ، مع ادعائهم أنهم أشكر الناس للمعروف ، قال مبينا أن عادتهم مخالفة لعادة المؤمنين فى [جعلهم نعمة النجاة سببا لزيادة طاعاتهم ، فعلم أنه[5] ما كان إخلاصهم فى البحر إلا صورة لا حقيقة لها -[4]] : ﴿ ليكفروا بما آتيناهم ﴾ على عظمتنا من هذه النعمة التى يكفى فى عظمتها أنه لا يمكن غيرنا أن يفعلها[6] ما أشركوا إلا لأجل هذا الكفر ، و إلا لكانوا فاعلين لشىء عن[7] غير قصد ، فيكون ذلك فعل من لا عقل له أصلا و هم يحاشون عن مثل ذلك ﴿ و ليتمتعوا ﴾ بما يجتمعون

(١) فى ظ و مد : عظيم (٢) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ / ١٦٦ .
(٣) زيد من المعالم (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ : ان (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يفعلوا (٧) فى ظ و مد : من .

عليه فى الإشراك من التواصل و التعاون[1]، و عند من سكن اللام - وهم ابن كثير و حمزة و الكسائى و قالون عن نافع[2] - يكون معطوفا تهديدا على مقدر هو « فليكفروا » أو على "ليكفروا" السابق، على أن لامه للأمر، و سيأتى فى / الروم[3] إن شاء الله تعالى ما يؤيده ٩٦ /
٥ ﴿فسوف يعلمون ٥﴾ بوعد[4] لاخلف فيه ما يحل بهم بهذا الفعل الذى هو دائر بين كفر و جنون .

و لما كان قد فعل بهم سبحانه من الأمن الشديد المديد فى البر دون سائر العرب عكس ما ذكر من حال خوفهم الشديد فى البحر، و كان قادرا على إخافتهم فى البر كما قدر على إخافتهم فى البحر ليدوم إخلاصهم،
١٠ و كان كفرهم عند الأمن بعد الإخلاص[5] عند الخوف - مع أنه أعظم النقائص - [هزلا -[6]] لايفعله[7] إلا من أمن مثل تلك المصيبة فى البر، توجه[8] الإنكار فى نحو أن يقال: ألم يروا أنا قادرون على إخافتهم و إهلاكهم فى البر كما نحن قادرون على ذلك فى[9] البحر كما فعلنا بغيرهم، فعطف عليه قوله: ﴿ او لم يروا ﴾ [أى -[10]] بعيون بصائرهم[11]
١٥ ﴿ انا جعلنا ﴾ أى بعظمتنا لهم ﴿ حرما ﴾ و قال تعالى: ﴿ امنا ﴾ لأنه لاخوف على من دخله، فلما أمن كل حالّ به كان كأنه هو نفس[12] الأمن،

---

(١) فى ظ: التعارف (٢) راجع نثر المرجان ٥/٢٦١ (٣) آية ٣٤ (٤) فى ظ ومد: بوعيد (٥) فى ظ و مد: الخلاص (٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: لايفعل (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بوجه (٩) سقط من ظ (١٠) زيد من ظ (١١) فى ظ، بصائركم (١٢) فى ظ و مد: نفسه .

و هو حرم مكة[1] المشرفة. و آمنه موجب[2] للتوحيد و الإخلاص، رغبة فى دوامه، و خوفا من انصرامه، [كما كان الخوف فى البحر موجبا للاخلاص خوفا من دوامه، و رغبة فى انصرامه -[3]] ﴿و﴾ الحال أنه ﴿يتخطف﴾ و بناه للمفعول لأن المقصود الفعل لا فاعل معين.

و لما كان التخطف غير خاص بناس دون آخرين، بل كان جميع العرب يغزو بعضهم بعضا، و يغير بعضهم على بعض بالقتل و الأسر و النهب و غير ذلك من أنواع الأذى، قال: ﴿الناس من حولهم[4]﴾ أى من حول من فيه من كل جهة تخطف[4] الطيور مع[5] قلة من[5] بمكة وكثرة من حولهم[6]، فالذى خرق العادة فى فعل ذلك حتى صار على هذا السنن قادر على أن يعكس الحال فيجعل[7] من بالحرم متخصفا و[8] من حوله آمنا، أو يجعل الكل فى الخوف على منهاج واحد.

و لما تبين أنه لا وجه لشركهم و لا لكفرهم هذه النعمة الظاهرة المكشوفة[9]، تسبب الإنكار فى قوله: ﴿افبالباطل﴾ أى خاصة [10]من الأوثان[10] و غيرها ﴿يؤمنون﴾ و الحال أنه لايشك عاقل فى بطلانه، و جاء الحصر من حيث أن من كفر بالله تبعه الكفر [11]بكل حق[11] و التصديق بكل باطل ﴿و بنعمة الله﴾ التى أحدثها لهم من الإنجاء وغيره[12] ﴿يكفرون﴾

(١) فى ظ: بمكة (٢) فى ظ: موجبة (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ: كيخطف. (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: قلته (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: حوله (٧) من ظ و مد. و فى الأصل: يجعل (٨) سقط من ظ (٩) زيد فى ظ ومد: نوجه (١٠-١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: بالاوثان (١١-١١) من ظ و مد، و فى الأصل: بحق (١٢) فى ظ: غيرهم.

حيث جعلوا موضع شكرهم له على النجاة شركهم بعبادة غيره .

و لما كان الظلم وضع الشيء فى غير محله[1] . و كان وضع الشيء فى موضع[2] لايمكن أن يقبله [أظلم -[3]] الظلم ، كان فعلهم هذا الذى هو إنزال ما[4] لا يعلم شيئا و لايقدر [على شيء فى منزلة من يعلم كل شيء و يقدر -[3]] على كل مقدور أظلم الظلم ، فكان التقدير : فمن أظلم منهم فى ذلك ، عطف عليه[5] قوله : ﴿ و من اظلم ﴾ أى أشد[6] وضعا للأشياء فى غير مواضعها ، لأنه لا نور له بل هو فى ظلام الجهل يخبط ﴿ ممن افترى ﴾ أى تعمد ﴿ على الله كذبا ﴾ أى أىّ كذب كان من الشرك و غيره كما كانوا يقولون إذا فعلوا فاحشة[7] : وجدنا عليها آباءنا و الله أمرنا بها ﴿ او كذب بالحق ﴾ من هذا القرآن المعجز المبين ، على لسان هذا الرسول الأمين الذى ما أخبر خبرا إلا طابقه / الواقع ﴿ لما ﴾ أى حين ﴿ جآءه[8] ﴾ من غير إمهال[8] إلى أن ينظر و يتأمل فيما جاءه من الأمر الشديد الخطر . / ٩٧

و لما كان التقدير : لا أحد أظلم منه ، بل هو أظلم الظالمين ، فهو كافر و ماواه جهنم . و كان من المعلوم أنهم يقولون عنادا : ليس الأمر كذلك ، قال إنكارا عليهم . و لأن فعلهم فعل المنكر ، و تقريرا[9] لهم لأن همزة الإنكار إذا دخلت على النفى كانت للتقرير ، عدا له بمنزلة[5] ما

(١) فى ظ و مد : موضعه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : موضعه .
(٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ: من (٥) سقط من ظ (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : اشر (٧) زيد فى ظ : قالوا (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : اهمال .
(٩) فى ظ : مقررا .

لا نزاع [1]فيه أصلا[1]: ﴿ أليس فى جهنم مثوى ﴾ أى منزل و موضع إقامة و حبس له و قد ارتكب هذا[2] الكفر العظيم - هكذا[3] كان الأصل، و لكنه لقصد التعميم و تعليق الفعل بالوصف قال[4]: ﴿ للكٰفرين ﴾ أى الذين يغطون أنوار الحق الواضح، أو ليس هو من الكافرين؟ أى أن كلا من المقدمتين[5] صحيح [6]لا إنكار[6] فيه، و لا ينتظم إنكارهم إلا بافساد إحديهما[7]، أما كفره للنعم[8] بعد إنجائه من الهلاك حيث عبد غيره فلا يسع عاقلا إنكاره، و أما كون جهنم تسعه بعد إخبار القادر به فلا يسع مقرا بالقدرة إنكاره، فالمقدمتان مما[9] لا مطعن فيه عندهم، فأنتجتا أن مثواه جهنم، [و صار القياس هكذا: عابد غير من أنجاه كافر، و كل كافر مثواه جهنم، فعابد غير من أنجاه مثواه جهنم - [10]] .

و لما كان هذا كله فى الذين فتنوا فلم يجاهدوا أنفسهم، كان[11] المعنى: فالذين فتناهم فوجدوا كاذبين ضلوا فصاروا لا يعقلون و لا يعلمون، لكونهم لم يكونوا من المجاهدين، فعطف عليه قوله: ﴿ و الذين جاهدوا ﴾ أى أوقعوا الجهاد بغاية جهدهم على ما دل عليه بالمفاعلة[12] ﴿ فينا[13] ﴾ أى بسبب حقنا و مراقبتنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار و غيرهم

(١-١) فى ظ و مد: فى اصله (٢) من ظ ومد، و فى الأصل: هكذا (٣) زيد فى ظ: اذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: المتقدمين.
(٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الانكار (٧) من مد، وفى الأصل و ظ: احدهما (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: للنعم (٩) فى ظ: ممن (١٠) زيد ما بين الحاجزين من مد (١١) فى ظ و مد: فان (١٢) فى ظ و مد: المفاعلة (١٣) تكرر فى الأصل فقط بعد «و الذين جاهدوا».

من[1] كل ما ينبغى الجهاد فيه بالقول و الفعل[2] فى الشدة و الرخاء، و مخالفة الهوى عند هجوم الفتن، و شدائد المحن، مستحضرين لعظمتنا .

و لما كان الكفار ينكرون فلاحهم و كان المفلح و الظافر فى كل شىء هو المهتدى، قال معبرا بالسبب عن المسبب : ﴿ لنهدينهم ﴾ بما نجعل[3] لهم من النور الذى لايضل من صحبه، هداية يليق بعظمتنا ﴿ سبلنا[4] ﴾ التى لاسبل غيرها، علما و عملا، و نكون معهم بلطفنا و معونتنا، لأنهم أحسنوا المجاهدة فهنيئا لمن قاتل فى سبيل الله و لو فواق ناقة لهذه[5] الآية و قوله تعالى " و الذين قاتلوا فى سبيل [الله -] فلن يضل اعمالهم سيهديهم و يصلح بالهم[6] "، و لهذا كان سفيان بن عيينة يقول : إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الغزو .

و لما كان المحسن كلما[7] توفر حظه فى مقام الإحسان نقص حظه من الدنيا، فظن الأغبياء أنه ليس لله به عناية، عظم التأكيد فى قوله، [لافتا الكلام عن أسلوب الجلال إلى أجلّ عنه بما زاد من الجمال[8]] ﴿ و ان الله ﴾ أى بعظمته و جلاله و كبريائه و جميع كماله لمعهم - هكذا كان الأصل، و لكنه اراد الإعلام باحسانهم و تعليق الحكم

(١) فى ظ « و » (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : العمل (٣) فى ظ و مد : جعل (٤) من ظ و مد. و فى الأصل : هده (٥) زيد من ظ و مد والقرآن الكريم سورة ٤٧ آية ٤؛ و أما « قاتلوا » فقد قرأ بها غير حفص و أبى عمرو و يعقوب (٦) العبارة إلى هنا ساقطة فى ظ من « فلن يضل » و فى مد من « و يصلح » (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : قلما (٨) زيد من ظ و مد .

بالوصف

بالوصف و التعميم فاظهر قائلا : ﴿ لمع المحسنين ﴾ أى كلهم بالنصر و المعونة فى دنياهم[1]، و الثواب و المغفرة فى عقباهم، بسبب جهادهم لأنه شكر يقتضي الزيادة، و من كان معه سبحانه فاز بكل مطلوب، و إن رأى الجاهل خلاف ذلك. فانه يجعل عزهم من وراء ذل و يستر غناهم بساتر فقر، حماية لهم مما[2] يجر إليه دائم[3] العز من الكبر، و يحمل ٥ / عليه[4] عظيم الغنى من الطغيان، و ما أحسن ما نقل الأستاذ أبو القاسم ٩٨ / القشيرى[5] فى الرسالة عن الحارث المحاسبى[6] أنه قال : من صحح باطنه بالمراقبة و الإخلاص زين الله ظاهره بالمجاهدة و اتباع السنة. و الآية من الاحتباك : أثبت أولا الجهاد دليلا على حذفه ثانيا، و ثانيا أنه مع المحسنين دليلا على حذف المعية و الإحسان أولا، فقد عانق أول[7] السورة هذا الآخر، ١٠ و كان إليه أعظم ناظر، فنسأل الله العافية من الفتن، و المجاهدة إن كان لابد من المحن. [8]و إليه المآب[8].

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : الدنيا (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : بما.
(٣) فى ظ : دائم (٤) زيد فى الأصل : من. و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابورى القشيرى، و من مؤلفاته « الرسالة القشيرية » - راجع الأعلام ٤ / ١٨٠.
(٦) هو الحارث بن أسد المحاسبى أبو عبد الله، من أكابر الصوفية - راجع الأعلام ٢ / ١٥٣ (٧) سقط من ظ (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

° ° ° ° °

خاتمة الطبع

لقد تم - والحمد لله - طبع الجزء الرابع عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم ابن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى ، يوم الجمعة السابع من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٩٩ هـ = الرابع من مايو سنة ١٩٧٩ م ، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد ، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده ، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخي الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندي القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء الخامس عشر بإذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الروم .

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا بـه و يوفقنا لما يحبه و يرضاه ، و هو المسؤل لحسن الخاتمة ، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الروم[1]

مقصودها إثبات الأمر كله لله . فتأتى الوحدانية و القدرة على كل شيء، فيأتى البعث و نصر أوليائه، و خذلان أعدائه، و هذا هو المقصود بالذات، و اسم السورة واضح الدلالة عليه بما كان من السبب فى نصر الروم من الوعد الصادق و السر المكتوم ﴿ بسم الله ﴾ الذى يملك الأمر كله ﴿الرحمن﴾ الذى رحم الخلق كلهم بنصب الأدلة ﴿الرحيم﴾ الذى لطف بأوليائه فأنجاهم من كل ضار، و حباهم كل نافع سار .

لما[2] ختم سبحانه التى قبلها بأنه مع المحسنين قال : ﴿الٓمٓ﴾ مشيرا بألف القيام و العلو و لام[3] الوصلة و ميم التمام إلى أن الملك الأعلى القيوم أرسل جبريل عليه الصلاة و السلام - الذى هو وصلة بينه و بين أنبيائه عليهم الصلاة و السلام - إلى أشرف خلقه محمد صلى الله عليه و سلم المبعوث لإتمام مكارم الأخلاق، يوحى إليه وحيا معلما بالشاهد و الغائب، فيأتى الأمر على ما أخبر به دليلا على صحة رسالته،

---

(١) الثلاثون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها ستون و عند بعض تسع و خمسون - كما فى روح المعانى ٦ / ٤٢٦ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : و لما (٣) فى ظ : بلام .

و كمال علم مرسله ، و شمول قدرته ، و وجوب[1] وحدانيته .

و لما أشير فى آخر تلك بأمر الحرم إلى أنه سبحانه يعز من يشاء [2]و يذل من يشاء[2]، [3]و ختم[3] بمدح المجاهدين فيه ، و أنه سبحانه لا يزال مع المحسنين ، و كانت قد افتتحت بأمر المفتونين ، فكان كأنه قيل : لنفتننكم ٥ و لنعمين المفتنين و لنهدين المجاهدين ، و كان أهل فارس قد انتصروا على الروم ، ففرح المشركون و قالوا للمسلمين : قد انتصر إخواننا الأميون على إخوانكم أهل الكتاب ، فلننصرن عليكم ، فأخبر الله تعالى بأن الأمر يكون على خلاف[4] ما زعموا ، فصدق مصدق و كذب مكذب ، فكان فى كل من ذلك من نصر أهل فارس و إخبار الله تعالى بادالة الروم فتنة ١٠ يعرف بها الثابت من المزلزل ، و كان من له كتاب أحسن حالا فى الجملة ممن لا كتاب له ، افتتحت هذه بتفصيل ذلك تصريحا بعد أن أشار إليه بالأحرف المقطعة تلويحا غيبا[5] و شهادة ، دلالة على وحدانيته و إبطال الشرك ، فأثبت سبحانه أن له جميع الأمر[6] و أنه يسر المؤمنين بنصرة من له دين صحيح الأصل ، و خذلان أهل العراقة فى الباطل و الجهل ، و جعل ١٥ ذلك على وجه يفيد نصر المؤمنين على المشركين ، فقال مبتدئا بما أفهمه كونه مع المحسنين من أنه ليس / مع المسيئين : ﴿ غلبت الروم ۝١ ﴾ أى لتبديلهم دينهم [غلبهم - [7]] الفرس فى زمن أنوشروان أو بعده

/ ٩٩

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : علم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣ - ٣) فى ظ ومد : ثم ختمت (٤) فى ظ ومد : غير (٥) غير واضح فى ظ .
(٦) فى ظ : الامور (٧) زيد من ظ و مد .

﴿فى ادنى الارض﴾ أى أقرب أرضهم إلى أرضكم أيها العرب ، و هى فى[1] أطراف الشام ، و فى تعيين مكان الغلب [على هذا الوجه - [2]] بشارة للعرب بأنهم يغلبونهم إذا وافقوهم ، فان موافقتهم لهم تكون فى مثل ذلك المكان ، و قد كان كذلك بما كشف عنه الزمان ، فكأنه تعالى يقول لمن فرح من العرب بنصر أهل فارس على الروم لنكاية المسلمين : ٥ أركوا [3]هذا السرور[3] الذى لايصوب نحوه من له همة الرجال ، و أجمعوا أمركم و أجمعوا شملكم ، لتواقعوهم فى مثل هذا الموضع فتنصروا عليهم ، ثم لايقاومونكم بعدها أبدا ، فتغلبوا على بلادهم و مدنهم و حصونهم و أموالهم و نسائهم و أبنائهم .

[و-[4]] قال الإمام ابو جعفر بن الزبير : لما أعتب[4] سبحانه أهل مكة ، ١٠ و نفى عليهم قبح صنيعهم فى التغافل[5] عن الاعتبار بحالهم ، و كونهم - مع قلة عددهم - قد منع الله بلدهم[6] عن قاصد نهبه ، و كف أيدى العتاة و المتمردين عنهم مع تعاور أيدى المنتهبين على من حولهم ، و تكرر ذلك و اطراده صونا منه تعالى لحرمه و بيته ، فقال تعالى "او لم يروا انا جعلنا حرما امنا و يتخطف الناس من حولهم" أى[1] او لم يكفهم هذا فى الاعتبار ، ١٥ و تبينوا أن ذلك ليس عن قوة منهم و لا حسن دفاع ، و إنما هو[7] بصون الله

(١) سقط من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) فى ظ و مد : السرور بمثل هذا .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : أعقب (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشاغل ، و أراه : التشاغل (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بلادهم .
(٧) سقط من ظ .

إياهم بمجاورة بيته و ملازمة أمنه مع أنهم أقل العرب ، أفلا يرون هذه النعمة و يقابلونها بالشكر و الاستجابة قبل أن يحل[1] بهم نقمه ، و يسلبهم نعمه ، فلما قدم تذكارهم بهذا ، أعقب بذكر طائفة[2] هم أكثر منهم و أشد قوة و أوسع بلادا ، و قد أيد عليهم غيرهم ، و لم يغن عنهم انتشارهم
٥ و كثرتهم ، فقال " الم غلبت الروم فى ادنى الارض" - الآيات ، فذكر تعالى غلبة غيرهم لهم ، و أنهم ستكون لهم كرة[3] ، ثم يغلبون ، و ما ذلك[4] إلا بنصر الله من شاء من عبيده "ينصر من يشاء" فلو كشف عن أبصار من كان بمكة من الكفار لرأوا أن اعتصام بلادهم و سلامة ذرياتهم و أولادهم مما سلط على من حولهم من الانتهاب و القتل و سبى الذرارى
١٠ و الحرم إنما هو بمنع الله و كرم صونه لمن جاور حرمه و بيته ، و إلا فالروم أكثر عددا و أطول مددا ، و مع ذلك تتكرر[5] عليهم الفتكات و الغارات ، و تتوالى[6] عليهم الغلبات ، أفلا يشكر أهل مكة من أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف ؟ و أيضا فانه سبحانه لما قال " و ما هذه [الحيوة - [7]] الدنيا الا لهو و لعب و ان الدار الآخرة لهى الحيوان"
١٥ أتبع ذلك سبحانه بذكر تقلب حالها ، و تبين اضمحلالها ، و أنها لا تصفو و لا تتم ، و إنما حالها أبدا التقلب و عدم الثبات ، فأخبر بأمر[8] هذه الطائفة التى هى [من -[9]] أكثر أهل الأرض و أمكنهم و هم الروم ،

(١) فى ظ : يحلهم (٢) فى ظ : طاعته (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكرة . (٤) فى ظ و مد : ذالك (٥) فى ظ : تكرر (٦) فى ظ : توالى (٧) زيد من ظ و مد والقرآن الكريم آية ٦٤ من سورة العنكبوت (٨) فى ظ : بامن (٩) زيد من ظ و مد.

و أنهم لايزالون مرة عليهم و أخرى لهم، فأشبهت حالهم هذه حال اللهو و اللعب، فوجب[1] اعتبار العاقل بذلك و طلبه الحصول على تنعم دار لاينقلب حالها، و لايتوقع انقلابها و زوالها، "و ان الدار الأخرة لهى الحيوان" و مما يقوى هذا المأخذ[2] قوله تعالى " يعلمون / ظاهرا من الحيوة الدنيا " أى لو علموا باطنها لتحققوا أنها[3] لهو و لعب و لعرفوا[4] أمر الآخرة « من عرف نفسه عرف ربه » و مما يشهد لكل من المقصدين[5] و يعضد كلا الأمرين قوله سبحانه "او لم يسيروا فى الارض"- الآيات، أى لو فعلوا هذا و تأملوا لشاهدوا من تقلب أحوال الأمم و تغير الأزمنة و القرون ما بين[6] لهم عدم إبقائها[7] على أحد [8]فتحققوا لهوها[8] و لعبها و [علموا -[9]] أن حالهم سيؤل إلى حال من ارتكب مرتكبهم فى العناد و التكذيب و سوء البيان[10] و الهلاك - انتهى .

و لما ابتدأ سبحانه بما أوجبه للروم[11] من القهر بتبديلهم، معبرا [عنهم -[9]] بأداة التأنيث مناسبة لسفولهم، أتبعه ما صنعه معهم لتفريح المحسنين من عباده الذين ختم بهم الأمم[12] و نسخ بملتهم الملل، و أدالهم على جميع الدول، فقال معبرا بما يقتضى الاستعلاء من ضمير الذكور

/ ١٠٠

(١) زيد فى ظ : الآخرة (٢) فى ظ : الماخوذ (٣) فى ظ : انما هو (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : يعرفوا (٥) فى ظ و مد : القصدين (٦) فى ظ و مد : بين (٧) من ظ ومد، وفى الأصل : القائها (٨-٨) من ظ ومد، و فى الأصل : فيتحققوا هواها (٩) زيد من ظ و مد (١٠) فى ظ و مد : التبار (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : الروم (١٢) فى ظ : الامر .

العقلاء : ﴿ وهم ﴾ أى الروم ، و دل على التبعيض و قرب الزمان باثبات الجار فقال ، [1]معبرا بالجار إشارة إلى أن استعلاءهم إنما يكون فى بعض زمان البعد و لايدوم[1] : ﴿ من بعد غلبهم ﴾ الذى تم عليهم من غلبة فارس إياهم[2] ، و هو من إضافة المصدر إلى المفعول ﴿ سيغلبون ﴾ فارساً ، فأكد وعده بالسين - و هو غنى عن التأكيد - جريا على مناهج القوم لما وقع فى ذلك من إنكارهم ﴿فى بضع سنين﴾ و ذلك من أدنى العدد لأنه فى المرتبة[3] الأولى ، و هى مرتبة الآحاد ، و عبر بالبضع و لم يعين إبقاء للعباد فى ربقة[4] نوع من الجهل ، تعجيزا لهم ، و تحديا لمن عاند بنفى ما أخبر به أو يعلم ما ستر منه ، و تشريعا للتعمية إذا قادت إليها مصلحة ، و شرح ذلك أنه كان بين فارس و الروم حروب متواصلة . و زحوف متكاثرة ، فى دهور متطاولة ، إلى أن التقوا فى السنة الثامنة من نبوة نبينا صلى الله عليه و سلم فى زمن أبرويز بن هرمز ابن أنوشروان ، فظفرت فارس على الروم ، أخرج سنيد[5] بن داود فى تفسيره و الواحدى فى أسباب النزول و الترمذى فى تفسير سورة الروم من جامعه وغيرهم ، و قد جمعت ما ذكروه[6] ، و ربما أدخلت [7]حديث بعضهم فى بعض ، قال سنيد[8] عن عكرمة[9] : كانت فى فارس [امرأة -[10]] لاتلد

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) فى ظ : بهم - كذا (٣) فى ظ : الرتبة (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : رتبة (٥) فى الأصل و ظ : سعيد ، و التصحيح من مد و تهذيب التهذيب ٤ / ٢٤٤ و ذكر أن اسمه الحسين و سنيد لقب (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكره (٧-٧) فى ظ و مد : بعض حديثهم (٨) فى ظ : سعيد (٩) زيد فى ظ : قال ، و الرواية عن عكرمة وردت فى تفسير الطبرى أيضا (١٠) زيد من ظ و مد و الطبرى .

إلا الأبطال، فدعاها[1] كسرى فقال: إنى أريد أن أبعث [إلى الروم -[2]] جيشا، و أستعمل عليهم رجلا من بنيك، فأشيرى[3] علىّ أيهم[4] أستعمل، فأشارت عليه بولد يدعى شهربراز، فاستعمله على جيش أهل فارس. و قال الأستاذ أبو على أحمد بن محمد بن مسكويه[5] فى كتابه تجارب الأمم و عواقب الهمم[6]: فقالت تصف بنيها: هذا فرحان أنفذ من [سنان -[2]]، هذا شهربراز أحكم[7] من كذا، هذا فلان أروغ [من -[2]] كذا، فاستعمل أيهم شئت. فاستعمل شهربراز - انتهى. و بعث[8] قيصر رجلا يدعى قطمير[9] بجيش من الروم، فالتقى مع شهربراز بأذرعات و بصرى، و هى أدنى الشام إلى أرض العرب[10] فغلبت [فارس -[2]] الروم و ظهروا عليهم فقتلوهم و خربوا مدائنهم و قطعوا زيتونهم، و بلغ ذلك النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضى الله عنهم و هم بمكة فشق ذلك عليهم، و كان النبى صلى الله عليه و سلم يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم، / لأن فارس لم يكن لهم كتاب، و كانوا يجحدون البعث، و يعبدون النار و الأصنام، و فرح كفار مكة و شمتوا[11]. قال الترمذى[12] عن ابن عباس رضى الله عنهما: و كان

/ ١٠١

(١) من ظ و مد و الطبرى، و فى الأصل: فدعا (٢) زيد من ظ و مد و الطبرى. (٣) من ظ و مد و الطبرى، و فى الأصل: فاشرى (٤) من ظ و مد و الطبرى، و فى الأصل: بايهم (٥) راجع لمصادر ترجمته الأعلام ١/ ٢٠٥، و اسم كتابه فيه و فى الكشف: تجارب الأمم و تعاقب الهمم (٦) راجع تفسير الطبرى و تاريخه أيضا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لحكم، و فى الطبرى: احلم (٨) من ظ و مد و الطبرى، و فى الأصل: بعثت (٩) فى تفسير الطبرى: قطمة (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: الروم (١١) فى تفسير الطبرى: شتموا، و فى تاريخ الطبرى ٢/١٤٢ مثل ما عندنا (١٢) راجع جامعه ٢/ ٣٩١.

المشركون يحبون أن يظهر[1] أهل فارس على الروم[2]، [وكان المسلمون يحبون أن يظهر الروم على فارس -[3]] لأنهم أهل كتاب - انتهى . فلقى المشركون أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم فقالوا : إنكم أهل كتاب و النصارى أهل كتاب ، و نحن أميون و أهل[4] فارس أميون ، و قد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل[4] الروم ، فان قاتلتمونا لنظهرن عليكم . فذكر ذلك أبو بكر للنبى صلى الله عليه و سلم فنزلت الآية، فقال صلى الله عليه و سلم : أما إنهم سيغلبون فى بضع سنين . قال الترمذى[5] عن ابن عباس رضى الله عنهما : فذكره أبو بكر رضى الله عنه لهم فقالوا : اجعل بيننا و بينك أجلا ، فان ظهرنا كان لنا كذا و كذا، و إن ظهرتم كان لكم كذا و كذا ، فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا فذكروا ذلك للنبى صلى الله عليه و سلم فقال : ألا جعلته إلى دون - يعنى دون العشرة ، فان[6] البضع ما بين ثلاث إلى تسع ، ثم ظهرت الروم بعد ذلك ، و روى الترمذى[5] أيضا عن نيار بن مكرم الأسلمى رضى الله تعالى عنه و قال[7] : حديث حسن صحيح غريب ، قال : لما نزلت " الم غلبت الروم فى ادنى الارض و هم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين " [8]وكانت[8] فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم[9] و كان

(١) فى ظ و مد : تظهر (٢) زيد فى جامع الترمذى: لأنهم و إياهم أهل الأوثان. (٣) زيد من ظ و مد و جامع الترمذى (٤) سقط من ظ و مد (٥) راجع جامعه ٢ / ٢٩٣ (٦) فى ظ : ان (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٨-٨) فى جامع الترمذى : فكانت (٩) من ظ و الجامع ، و فى الأصل و مد : الروم .

المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم لأنهم و إياهم أهل الكتاب[1]، و فى ذلك قول الله تعالى "و يومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء و هو العزيز الرحيم" وكانت قريش تحت ظهور فارس لأنهم و إياهم ليسوا بأهل كتاب و لا إيمان ببعث، فلما نزلت[2] هذه الآيـة خرج أبو بكر رضى الله عنه يصيح فى نواحى مكة "الٓمٓ غلبت الروم [فى ادنى الارض - [3]] و هم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين"! قال ناس من قريش لأبى بكر رضى الله عنه: فذلك بيننا و بينكم، زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارسا[4] فى بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك ؟ قال: بلى، و ذلك قبل تحريم الرهان[5]، [فارتهن أبو بكر و المشركون و تواضعوا الرهان - [5]] و قالوا لأبى بكر رضى الله عنه: كم تجعل البضع[6] من ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسم بيننا و بينك وسطا تنتهى[7] إليه، فسموا بينهم ست سنين، فمضت الست السنون[8] قبل أن يظهروا. فأخذ[9] المشركون رهن أبى بكر رضى الله عنه، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبى بكر رضى الله عنه تسمية ست سنين[10]، لأن الله

(١) من الجامع، و فى الأصول: كتـاب (٢) فى الجامع: انزل الله. (٣) زيد من ظ و مد و الجامع و القرآن الكريم (٤) من الجامع، و فى الأصول: فارس (٥) زيد من ظ و مد و الجامع (٦) زيد فى الأصل: قال، و زيد فى ظ و مد: يعنى البضع (٧) من مد و الجامع، و فى الأصل و ظ: ينتهى (٨) فى ظ: سنون، وفى الجامع: سنين (٩) من الجامع، وفى الأصول: و اخذ (١٠) زيد فى الجامع: قال.

تعالى قال "فى بضع سنين" . قال ابن الجوزى فى زاد المسير[١] : و قالوا: هلّا أقررتها على ما أقرها الله ، لو شاء أن يقول : ستا ، لقال . قال الترمذى[٢] [فى روايته : و أسلم عند ذلك ناس كثير ، و روى الترمذى[٣] أيضا - [٤]] و الواحدى فى أسباب النزول عن أبى سعيد رضى الله عنه أن ظهور الروم عليهم كان يوم بدر . و قال الزمخشرى فيما ذكره من عند سنيد أنه كان يوم الحديبية فانه قال بعد أن ساق نحو ما مضى : فقال لهم أبو بكر رضى الله عنه - يعنى للمشركين : لايقرنّ[٥] الله أعينكم ! فو الله[٦] لتظهرن الروم على فارس بعد بضع سنين ، فقال له أبى بن خلف : كذبت يا أبا فضيل ! / اجعل بيننا و بينك أجلا أناحبك عليه ، ١٠٢/ - و المناحبة : المراهنة - فناحبه [٧]على عشر قلائص[٧]- من كل واحد[٨] منهما ، و جعل الأجل ثلاث سنين ، فأخبر أبو بكر رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : البضع ما بين الثلاث إلى التسع ، فزايده[٩] فى الخطر [١٠]و مادّه[١٠] فى الأجل ، فجعلاها مائة قلوص إلى تسع سنين[١١] ،

(١) هو زاد المسير فى علم التفسير - كما فى كشف الظنون (٢) فى جامعه ٢/٣٩٢ . (٣) راجع ٢/٣٩١ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من تفسير الطبرى ، و فى ظ و مد : لايقرر ، و فى الأصل : لايقدر (٦) من ظ ومد و تفسير الطبرى ، و فى الأصل : و الله (٧-٧) من مد و تفسير الطبرى . و فى الأصل : عشرة فلا نقص - كذا ، و فى ظ : عشرة قلائص (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : واحدة (٩) من مد و تفسير الطبرى ، و فى الأصل و ظ : فزاده . (١٠ - ١٠) من مد و تفسير الطبرى ، و فى الأصل و ظ : زيادة (١١) و إلى هنا انتهت رواية الطبرى .

و مات أبى من جرح رسول الله صلى الله عليه و سلم [يعنى -[1]] الذى جرحه به رسول الله صلى الله عليه و سلم فى أحد، فظهرت[2] الروم على فارس يوم الحديبية، و ذلك عند رأس سبع سنين، و قيل: كان[3] النصر يوم بدر للفريقين، فأخذ أبو بكر رضى الله عنه الخطر من ذرية أبى، و جاء به إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: تصدق به - انتهى. ٥

و ربما أيد القول بأنه [سنة -[4]] الحديبية سنة ست ما فى الصحيحين عن[5] ابن عباس رضى الله عنهما عن [6]أبى سفيان رضى الله عنهم[6] فى كتاب النبى صلى الله عليه و سلم إلى هرقل و سؤال هرقل لأبى سفيان رضى الله عنه[7]، و فيه أن ذلك لما كشف الله عن قيصر جنود فارس و مشى من حمص إلى إيلياء شكرا لما أبلاه الله، و من المعلوم أن كتاب النبى صلى الله ١٠ عليه و سلم إليه و إلى غيره من الملوك كان بعد الرجوع من الحديبية، و هذه الآية من الآيات البينة الشاهدة[8] الصادقة على صحة النبوة، و أن القرآن من عند الله نزل بالحق المبين، لأنها إنباء عن علم الغيب[9] الذى لا يعلمه إلا الله تعالى فطابقه الواقع؛ و قال ابن الجوزى: و فى الذى تولى

(١) زيد من ظ و مد و الجامع (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: و ظهرت.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: كانت (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ و مد: من حديث (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) راجع من صحيح البخارى باب دعاء النبى صلى الله عليه و سلم إلى الإسلام من كتاب الجهاد، و من صحيح مسلم باب «كتب النبى صلى الله عليه و سلم إلى هرقل ملك الشام يدعوه إلى الإسلام» من كتاب الجهاد و السير (٨) من ظ و م، و فى الأصل: المشاهدة.
(٩) سقط من ظ.

وضع الرهان من المشركين قولان : أحدهما أبي بن خلف - قاله قتادة ، و الثانى [أبو -[1]] سفيان بن حرب - قاله[2] السدى - انتهى . و ذكر القصة أبو حيان فى تفسيره البحر[3] و زاد عن مجاهد أن التقاءهم لما ظهرت فارس كان فى الجزيرة ، و عن السدى أنه كان بأرض الأردن و فلسطين ، و أن أبا بكر رضى الله عنه لما أراد الهجرة طلب منه أبي بن خلف كفيلا بالخطر الذى كان بينهما فى ذلك ، فكفل به ابنه عبد الرحمن رضى الله عنه ، فلما أراد أبي الخروج [إلى أحد -[4]] طلبه عبد الرحمن بالكفيل ، فأعطاه كفيلا و هلك [أبي -[4]] من جرح[5] جرحه[6] النبي صلى الله عليه و سلم . و قال ابن الفرات فى تأريخه : كان بين كسرى أنوشروان و بين ملك الروم هدنة ، فوقع بين رجلين من أصحابهما فبغى الرومى على الفارسى ، فأرسل كسرى إلى ملك الروم بسببه ، فلم يحفل برسالته ، فغزاه كسرى فى بضع و سبعين ألف مقاتل فأخذ مدينة دارا و الرها و منبج و قنسرين و حلب و أنطاكية - و كانت[7] أفضل مدينة بالشام - و فامية[8] و حمص و مدنا كثيرة ، و احتوى على ما كان فيها . و سبى أهل أنطاكية و نقلهم إلى أرض السواد ، و كان ملك الروم يؤدى إليه الخراج ، و لم يزل مظفرا منصورا ، تهابه الأمم ، و يحضر بابه من وفودهم عدد كثير من الترك[9]

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : قال (٣) راجع ٧ / ١٦١ (٤) زيد من ظ و مد و البحر المحيط (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد و البحر ، و فى الأصل : جرح به (٧) فى ظ : كان (٨) و يقال لها أيضا : أفامية - معجم البلدان (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : التراكى .

و الصين و الخزر[1] و نظائرهم، و قال أيضا فى ملك أبرويز بن هرمز بن أنوشروان: و كان شديد الفطنة، قوى الذكاء، بعث [2]الأصبهبذ - يعنى[2] شهرراز - مرة إلى الروم فأخذ[3] خزائن الروم، و بعث بها إلى كسرى؛ فخاف كسرى أن يتغير عليه الأصبهبذ، لما قد نال من الظفر،/ فبعث بقتله، ١٠٣/ فجاء الرجل إليه فرأى من عقله و تدبيره ما منعه من قتله و قال: مثل هذا لا يقتل، [4]و أخبره[4] ما جاء لأجله، فبعث إلى قيصر ملك الروم: إنى أريد أن ألقاك، فالتقيا فقال [له -[5]]: إن الخبيث قد هم بقتلى، و إنى أريد إهلاكه، فاجعل لى من نفسك ما أطمئن إليه[6]، و أعطيك من بيوت أمواله مثل ما أصبت منك. فأعطاه المواثيق، و سار قيصر فى أربعين ألف مقاتل، فنزل بكسرى[7]، فعلم كسرى كيف جرى الحال، فدعا قسا نصرانيا، يعنى وكتب معه كتابا. و قال ابن مسكويه: و كان[8] أبرويز [9]وجه رجلا[9] من جلة أصحابه فى جيش جرار إلى بلاد الروم، فأنكى فيهم و بلغ منهم، و فتح الشامات و بلغ الدروب[10] فى آثارهم، فعظم أمره و خافه أبرويز فكاتبه بكتابين يأمره فى أحدهما أن يستخلف على جيشه من يثق به و يقبل إليه، و يأمره فى الآخر أن يقيم بموضعه[11]، فانه لما

(١) من ظ ومد، و فى الأصل: الخزرم (٢-٢) من ظ ومد، و فى الأصل: الاصبه عبد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: واخذ (٤-٤) فى ظ: فاخبره. (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: عليه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: كسرى (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: قال. (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: رجل (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: الدرب (١١) من مد، و فى الأصل: عوضه، و فى ظ: موضعه.

تدبر أمره و أجال الراى لم يجد من يسد مسده، و لم يأمن الخلل إن غاب[1] عن موضعه، و أرسل بالكتابين رسولا من ثقاته و قال له: أوصل الكتاب الأول [بالأمر -[2]] بالقدوم فان خف لذلك[3] فهو ما أردت، و إن كره و تثاقل عن الطاعة فاسكت عليه أياما ثم أعلمه أن الكتاب الثانى ورد عليك و أوصله إليه ليقيم بموضعه، فخرج رسول كسرى حتى ورد على صاحب الجيش ببلاد الشام، فأوصل الكتاب الأول[4] إليه، فلما قرأه قال: إما أن يكون كسرى قد تغير لى و كره موضعى، أو يكون قد اختلط عقله بصرف مثلى و أنا فى نحر[5] العدو، فدعا أصحابه و قرأ عليهم الكتاب [فأنكروه، فلما كان بعد ثلاثة أيام أوصل إليه الكتاب -[6]] الثانى بالمقام، و أوهمه أن رسولا ورد به، فلما قرأه قال: هذا تخليط و لم يقع منه موقعا، و دس إلى[7] ملك الروم من ناظره فى إيقاع صلح بينهما على أن يخلى الطريق لملك الروم حتى يدخل بلاد العراق على غرة من كسرى، و على أن لملك الروم ما يغلب عليه من دون العراق، و للفارسى [ما -[2]] وراء ذلك إلى بلاد فارس، فأجابه ملك الروم إلى ذلك و تنحى الفارسى عنه فى ناحية من الجزيرة، و أخذ أفواه الطرق، فلم يعلم كسرى حتى ورد خبر ملك الروم عليه من ناحية قرقيسيا و كسرى غير معد و جنده متفرق[8] فى أعماله، فوثب

(١) فى ظ: غابته - كذا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: كذلك (٤) سقط من ظ و مد (٥) فى ظ: نحو (٦) زيد من مد. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٨) فى ظ و مد: متفرقون.

من حريره مع قراءة [الخبر -[1]] و قال: هذا وقت حيلة، لا وقت شدة، و جعل [2]ينكت فى الأرض مليا[2]، ثم دعا برقّ و كتب فيه كتابا صغيرا بخط دقيق إلى صاحبه بالجزيرة يقول فيه: قد علمت ما كنت أمرتك به من مواصلة صاحب الروم و إطماعه فى نفسك و تخلية الطريق له حتى إذا تولج فى بلادنا أخذته من أمامه[3]، و أخذته أنت و من ندبناه لذلك من خلفه، فيكون ذلك بواره، و قد تم فى هذا الوقت ما دبرناه، و ميعادك فى الإيقاع به يوم كذا [4]و كذا[4]، ثم دعا راهبا كان فى [5]دير بجانب[5] مدينته و قال: أىّ جار كنت لك؟ قال: أفضل جار، قال: [فقد -[1]] بدت لنا إليك حاجة، فقال الراهب: الملك أجلّ من أن يكون له حاجة إلى مثلى، و لكن عندى بذل نفسى فى الذى يأمر به الملك، قال كسرى: تحمل [لى -[1]] كتابا إلى فلان صاحبى - و قال ابن الفرات: إلى الأصبهبذ - و لا تطلعن[6] على / ذلك أحدا. و أعطاه ألف دينار، قال: نعم! قال [كسرى -[1]]: فانك تجتاز باخوانك[7] النصارى فأخفه[8]، قال: نعم، فلما ولى عنه الراهب قال له كسرى: أعلمت ما فى الكتاب؟ قال: لا، قال: فلا تحمله حتى تعلم ما فيه، فلما قرأه أدخله فى جيبه ثم مضى، فلما صار فى عسكر الروم نظر إلى الصلبان و القسيسين

/ ١٠٤

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ينكب على الارض بلبا (٣) فى ظ: اتمامه- خطأ (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد. (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: جانب (٦) فى ظ: لا تطامن (٧) فى ظ و مد: باصحابك (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: فاخفيه.

و ضجيجهم بالتقديس و الصلوات فاحترق قلبه لهم[١] و أشفق مما[٢] خاف أن يقع[٣] بهم و قال فى نفسه : [٤]أنا شر الناس[٤] إن حملت يدى حتف النصرانية و هلاك [٥]هؤلاء القوم[٥]، فصاح : أنا[٦] لم يحملنى كسرى رسالة و لا معى له كتاب، فأخذوه فوجدوا الكتاب معه، و قد كان كسرى وجه رسولا قبل ذلك اختصر الطريق حتى مر بعسكر الروم كأنه رسول إلى كسرى من صاحبه الذى طابق ملك الروم و معه كتاب فيه أن الملك قد كان أمرنى [٧]بمقاربة ملك[٧] الروم و أن أختدعه[٨] و أخلى له الطريق فيأخذه[٩] الملك من أمامه و آخذه أنا من خلفه، و قد فعلت ذلك، فرأى الملك فى إعلامى وقت خروجه إليه، فأخذ ملك الروم الرسول و قرأ الكتاب و قال : عجبت أن يكون هذا الفارسى ادهن على كسرى، و وافاه[١٠] أبرويز فيمن أمكنه من جنده، فوجد ملك الروم قد ولى هاربا، فاتبعه يقتل و يأسر من أدرك، و بلغ الأصبهبذ هزيمة الروم فأحب أن يخلى نفسه و يستر ذنبه[١١] لما فاته ما دبر، فخرج خلف الروم الهاربين فلم يسلم منهم إلا قليل[١٢] . و قال ابن الفرات : و خرج القس بالكتاب و أوصله إلى قيصر فقال[١٣] : ما أراد إلا هلاكنا، و انهزم

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : بما (٣) زيد فى ظ : فيه (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) فى ظ و مد : هذا الخلق (٦) من مد، وفى الأصل و ظ : ان (٧-٧) من ظ و مد، وفى الأصل: يقار به لملك - كذا (٨) فى ظ : اخدعه. (٩) من ظ و مد، وفى الأصل : فياخذ (١٠) من مد، وفى الأصل و ظ : وفاه. (١١) فى ظ : دينه (١٢) فى ظ و مد : القليل (١٣) من ظ و مد، وفى الأصل : و قال.

فاتبعه كسرى فنجا فى شرذمة يسيرة، و افتتح كسرى أبرويز عدة من بلاد أعدائه، و بلغت خيله القسطنطينية و إفريقية، و قد ذكر ابن مسكويه أيضا ما يمكن أن يكون المراد بالآية، و شرح أسباب ذلك فذكر أن هرمز بن أنوشروان لما بعث بهرام بن بهرام الملقب جوبين[1] إلى ملك الترك و ظفر به ثم بابنه، أساء السيرة[2] فيه و لم يأذن له فى الرجوع، ٥ بل أمره بالتقدم فيما لم يره[3] بهرام صوابا و خاف مخالفته، و قد كان هرمز حسن السيرة جدا أديبا أريبا، داهيا[4] إلا عرقا[5] قد نزعه أخواله من الترك، فكان لذلك مقصيا للأشراف و [أهل -[6]] البيوتات و العلماء، و لم يكن له رأى إلا فى تألف [7]السفلة و استصلاحهم[7] ففسدت عليه نيات الكبراء من جنده[8]، فلما خافه بهرام جمع وجوه عسكره، و خرج عليهم فى ١٠ زى النساء و بيده مغزل و قطن ثم[9] جلس فى موضعه و وضع بين يدى كل واحد منهم مغزلا و قطنا، فامتعضوا لذلك، فقال: إن كتاب الملك ورد علىّ بذلك، فلا بد من امتثال أمره إن كنتم طائعين، فأبوا و خلعوا[10] هرمز، و أظهروا أن ابنه أبرويز أصلح للملك منه، فلما سمع أبرويز بذلك خاف أباه على نفسه، فهرب إلى آذربيجان، و لما بلغ ١٥

(١) فى كتب التاريخ: شوبين (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: البسيرة (٣) فى ظ: امره (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: ذا هيام (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: عر - كذا (٦) زيد من ظ و مد (٧-٧) من ظ و مد، و فى الأصل: السلفة و استصلا - كذا (٨) فى ظ: عنده (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فى (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: خلفوا.

الجند الذين بحضرة هرمز خلعه أعجبهم ، فضعف أمره ، ثم أجمعوا على خلعه فخلعوه و سملوه ، فكوتب أبرويز بذلك فبادر بهراما فسبقه و جلس على سرير الملك ، فأطاعه الناس / و دخل على أبيه ، و أعلمه أنه نائبه . ١٥٠ /
و اعتذر إليه بأن ما حصل له لم يكن عن رأيه و لا برضاه و لا كان
٥ حاضره حتى يذب عنه ، فعذره ، و قصده بهرام فجرت بينهما أمور طويلة ، و حروب هائلة ، ضعف فيها أبرويز ، و أحس من أصحابه فتورا ، و تبين فيهم فشلا ، فسار إلى أبيه و شاوره فرأى له المصير إلى ملك الروم ، فنهض إلى ذلك فى عدة يسيرة فيهم بندويه[1] و بسطام[2] خالاه ، و كردى أخو بهرام ، وكان ماقتا لأخيه بهرام و مناصحا لأبرويز ، فقطعوا الفرات
١٠ و صاروا إلى دير فى أطراف العمارة ، فلحقتهم خيل بهرام فقال بندويه لأبرويز : أعطنى بزتك و زينتك لأحتال[3] لك و أبذل نفسى دونك ، ففعل فأمره بالنجاة بمن معه ، و أقام هو فى الدير ، فلما أحيط به اطلع بندويه من فوق الدير فأوهمهم أنه أبرويز بما عليه من البزة و الزينة ، فظنوه و سألهم الإمهال إلى غد ليسلمهم نفسه فأمسكوا ، و حفظ[4] الدير
١٥ بالحرس ، فلما أصبحوا اطلع عليهم و قال : إن علىّ و على أصحابى بقية شغل من استعداد لصلوات[5] و عبادات فأمهلونا ، و لم يزل يدافع[6] حتى

(١) من مد و هو الصحيح ، وفى الأصل و ظ : بندوبه ، و فى تاريخ اليعقوبى ١/١٦٨ : بندى (٢) زيدت الواو فى ظ (٣) فى ظ و مد : احتال (٤) فى ظ : حفظوا (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : و صلوات (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يرافع .

مضى عامة[1] النهار و علم أن أبرويز قد فاتهم، ففتح حينئذ و أعلم قائدهم بأمرهم[2]، فانصرف به إلى بهرام جوبين فحبسه. و لما وصل أبرويز إلى أنطاكية كاتب ملك الروم و سأله نصرته، فأجابه و توادا إلى أن زوجه ابنته مريم و حملها إليه، و بعث إليه ستين ألف مقاتل فيهم أخوه تياذوس[3] و سأله ترك الأتاوة التى كان آباؤه يسألونها ملوك الروم إذ[4] هو ملك، ٥ فاغتبط به[5] أبرويز و سار بهم، فلما وصل إلى أدانى أرضهم انضم إليه كثير من أهل فارس فاستظهر على بهرام، فقصد بهرام بلاد الترك فأكرمه ملكها، و لم يزل أبرويز يلاطف ملك الروم الذى نصره حتى وثبت الروم عليه فى شىء أنكروه منه فقتلوه و ملكوا غيره[6]، و لجأ ابنه إلى أبرويز فملكه على الروم و أرسل معه جنودا كثيفة[7] عليهم شهربراز، ١٠ فدوخ عليهم البلاد، و ملك صاحب كسرى بيت المقدس و قصد قسطنطينية، فأناخوا على ضفة الخليج القريب منها، و لم يخضع لابن الملك الذى توّجه كسرى أحد من الروم، و كانوا قد قتلوا الذى ملكوه بعد أبيه لما ظهر من فجوره و سوء تدبيره، و ملكوا عليهم رجلا يقال له هرقل، و قال ابن الفرات: إن أبرويز بعث مع ابن الملك الذى كان نصره ١٥ [ثلاثة -[8]] من قواده فى جنود كثيرة[9] كثيفة، أما أحدهم [10]فانه كان[10]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: غاية (٢) فى ظ: بامره (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يقارس (٤) فى ظ و مد: اذا (٥) فى ظ: بهم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: غيرهم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: كثيرة (٨) زيد من ظ و مد (٩) سقط من ظ و مد (١٠-١٠) فى ظ و مد: فكان.

يقال له زميرزان[1] وجهه إلى بلاد الشام فدوخها حتى انتهى إلى بلاد[2] فلسطين ، و ورد[3] مدينة بيت المقدس ، و أخذ أسقفها و من كان فيها من القسيسين و سائر النصارى بخشبة الصليب ، وكانت قد دفنت فى بستان فى تابوت من ذهب [4] و زرع [4] [5] فوقها مبقلة [5] فدلوه عليها فحفر و استخرجها و بعث بها إلى كسرى فى سنة أربع و عشرين من ملكه ، و أما القائد الثانى ـ وكان يقال له: شاهير[6] ـ فسار حتى احتوى على مصر و الإسكندرية و بلاد النوبة و بعث[7] إلى / كسرى [بمفاتيح ـ[8]] مدينة الإسكندرية /١٠٦ [فى سنة ـ[8]] ثمان و عشرين من ملكه ، و أما القائد الثالث ـ [وكان ـ[8]] يقال له : فرهان ـ [9]فانه قصد[9] قسطنطينية حتى أناخ قريبا [10]من ماء[10] [و ـ[8]] خيم هنالك[11] فأمره كسرى فخرب بلاد الروم غضبا مما انتهكوا من موريق ـ يعنى الملك الذى كان نصره ، و فعل هذا لأجل ابنه ، و انتقاما له منهم ، و لم ينقد لابن الملك الذى فعل هذا لأجله أحد من الروم ، لأنهم لما[12] قتلوا الملك قوفا ملكوا عليهم رجلا يقال له هرقل ، ثم اتفق ابن الفرات

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اميزران (٢) فى ظ و مد : أرض (٣) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤-٤) من ظ و مد ، وفى الأصل: بدرع (٥-٥) فى ظ: فيها شبكة (٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : شاهين (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : حب (٨) زيد من ظ و مد . (٩-٩) من ظ ومد ، وفى الأصل: طانه فصد به (١٠-١٠) فى ظ ومد: منها . (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : هناك (١٢) فى ظ و مد : كما .

و ابن فتحون[١] فقالا : فلما[٢] رأى هرقل عظيم ما فيه[٣] بلاد الروم من تخريب جنود فارس إياهـــا و قتلهم مقاتلتهم ، و سبيهم ذراريهم ، و استباحتهم أموالهم ، تضرع إلى الله تعالى ، و أكثر الدعاء و الابتهال فيقال : إنه رأى فى منامه رجلا ضخم الجثة رفيع المجلس [عليه -[٤]] ، فدخل [٥]عليهما داخل[٥] ، فألقى ذلك الرجل عن مجلسه و قال لهرقل : إنى قد سلمته [فى -[٦]] يدك ، فلم يقصص رؤياه تلك فى يقظته حتى توالت عليه أمثالها ، فرأى فى بعض لياليه كأن رجلا دخل عليهما و بيده سلسلة طويلة [فألقاها -[٤]] فى عنق صاحب المجلس الرفيع عليه ثم دفعه إليه و قال [له -[٤]] : ها قد دفعت إليك كسرى برمته ، [و -[٤]] قال ابن الفرات : فاغزه فانك مدال عليه ، و نائل أمنيتك فى غزاتك ، فلما تتابعت عليه[٧] هذه الأحلام[٨] قصها على عظماء الروم و ذوى العلم منهم ، فأشاروا عليه أن يغزوه ، فاستعد هرقل و استخلف ابنه على مدينة قسطنطينية ، و أخذ غير الطريق الذى فيه شهر براز صاحب كسرى ، و سار حتى دخل فى بلاد أرمينية و نزل بنصيبين[٩] بعد سنة ، و قد كان صاحب ذلك الثغر[١٠] من قبل كسرى استدعى لموجدة كانت من كسرى عليه ، و أما شهر براز

(١) فى ظ و مد : ابن فتحويه ، و ابن فتحون هو محمد بن خلف بن سليمان بن فتحون الأندلسى أبو بكر فاضل نقاد عارف بالتاريخ - راجع الأعلام ٦/٣٤٨.
(٢) من ظ ومد، وفى الأصل: قال - كذا (٣) زيد فى ظ و مد: من (٤) زيد من ظ و مد (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليه داخلا (٦) زيد من مد .
(٧) سقط من ظ (٨) فى ظ : الأحكام (٩) فى ظ و مد : نصيبين (١٠) من ظ ومد ، و فى الأصل : النفر .

فكانت كتب كسرى ترد عليه فى[1] الجثوم على الموضع الذى هو به، وترك البراح، ثم بلغ كسرى تساقط[2] هرقل فى جنوده إلى نصيبين فوجه لمحاربة هرقل رجلا من قواده يقال له: راهزاد[3] فى اثنى عشر ألفا[4] من الأنجاد، وأمره أن يقيم بنينوى[5] وهى التى تدعى الآن الموصل - على شاطىء دجلة، ويمنع الروم أن يجوزوها، وكان كسرى بلغه خبر هرقل وأنه مغذ[6] وهو يومئذ مقيم بدسكرة الملك، فتعذر راهزاد لأمر كسرى وعسكر حيث أمره [7]فقطع هرقل[7] دجلة من موضع آخر إلى الناحية التى كان فيها جند فارس، فأذكى[8] راهزاد العيون عليه فانصرفوا إليه فأخبروه أنه فى سبعين ألف مقاتل. فأيقن راهزاد أنه ومن معه من الجند عاجزون [9]عن مناهضته[9]، فكتب إلى كسرى غير مرة دهم هرقل إياه بمن[10] لا طاقة له ولمن معه بهم، لكثرتهم وحسن عدتهم، قال ابن الفرات: فكتب كسرى: إنكم [إن - [11]] عجزتم عن الروم لم تعجزوا عن بذل دمائكم فى[12] طاعتى، فلما تتابعت على راهزاد جوابات كسرى بذلك عبى[13] جنده، وناهض الروم بهم،

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: على (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: بساقط.
(٣) فى ظ ومد هنا فقط: زاهرزاد (٤) من ظ ومد، وفى الأصل: الف.
(٥) من ظ ومد، وفى الأصل: بنيوى (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: مغز.
(٧ - ٧) من ظ ومد، وفى الأصل: تطع (٨) فى ظ ومد: فأولى.
(٩-٩) من ظ ومد، وفى الأصل: لمناهضته (١٠) من ظ ومد، وفى الأصل: بما (١١) زيد من مد (١٢) من ومد، وفى الأصل وظ: عن.
(١٣) فى ظ: عين.

فقتل / الروم راهزاد و ستة آلاف رجل، و انهزمت بقيتهم، و هربوا ١٠٧ /
على وجوههم، و بلغ كسرى قتل الروم راهزاد [وستة آلاف -[١]] و ما
نال هرقل من الظفر فهدّه ذلك و انحاز[٢] من دسكرة الملك إلى المدائن،
و تحصن بها لعجزه كان عن[٣] محاربة هرقل، و سار هرقل حتى كان
قريبا من المدائن، قال ابن الفرات: فاستعد كسرى لقتاله ثم خالف كسرى ٥
ملك الروم فرجع إلى بلاده لحمل خزائنه فى البحر، فعصفت الريح
فألقتها بالإسكندرية، فظفر بها أصحابه من الروم، و ذكر[٤] المسعودى
هذا لمخالف[٥] بعض المخالفة: فقال: و وثب بطريق من بطارقة الروم يقال
له[٦] قوقاس[٧] فيمن اتبعه على تموريقس[٨] ملك الروم حمو أبرويز و منجده،
فقتلوه و ملكوا قوقاس[٩]، و نمى ذلك إلى أبرويز فغضب لحموه و سيّر ١٠
إلى الروم الجيوش [١٠]و كانت[١٠] له فى ذلك أخبار يطول ذكرها، و سيّر
شهر يار مرزبان المغرب إلى حرب الروم فنزل أنطاكية و كانت له
مع ملك[١١] الروم و أبرويز أخبار و مكاتبات و حيل[١٢] إلى أن خرج
ملك الروم إلى حرب شهريار، و قدم[١٣] خزائنه فى البحر فى ألف مركب،

(١) زيد من ظ (٢) من مد، و فى الأصل: فى، و الكلمة ساقطة من ظ (٣) فى ظ: من (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يخالف، و راجع مروج الذهب ١ / ١٧٣ (٦) من ظ و مد و المروج، و فى الأصل: لها (٧) فى المروج: فانوس (٨) فى المروج: موريقس (٩) فى المروج: موداس. (١٠-١٠) من ظ و مد و المروج، و فى الأصل: فكانت (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: ملوك، و ليس فى المروج (١٢) من ظ و مد و المروج، و فى الأصل: سيل (١٣) من ظ و مد و المروج، و فى الأصل: قد.

فألقتها الريح إلى ساحل أنطاكية فغنمها[1] شهريار فحملها إلى أبرويز فسميت خزائن الريح ، ثم فسدت الحال بين أبرويز و شهريار ، و مايل شهريار ملك الروم فسيره شهريار نحو العراق إلى أن انتهى إلى النهروان فاحتال[2] أبرويز فى كتب كتبها مع بعض أساقفة النصرانية ممن كان فى ذمته حتى رده إلى[3] القسطنطينية ، و أفسد الحال بينه و بين شهريار . و قال أبو حيان[4]: و سبب ظهور الروم أن كسرى بعث إلى شهربراز[5] و هو الذى ولاه[6] على محاربة الروم أن اقتل أخاك فرخان - انتهى . و هذا هو تتمة ما تقدم فى خبر المرأة التى [كانت -[7]] لا تلد إلا الأبطال ، و أن كسرى بعث ابنها شهربراز إلى حرب الروم فظهر عليهم . قال ابن مسكويه[8] : فلما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب فقال لأصحابه : لقد رأيت كأنى جالس على سرير كسرى ، فبلغت مقالته كسرى فكتب إلى شهربراز : إذا أتاك كتابى هذا فابعث إلىّ برأس فرخان ، فكتب إليه : أيها الملك [9]إنك لن تجد[9] مثل فرخان ، فان له نكاية فى العدو و صوتا فلا تفعل[10]، فكتب إليه : إن فى رجال فارس خلفا منه

(١) من ظ و مد و المروج ، و فى الأصل : و ضمها (٢) من مد و المروج ، و فى الأصل : و احتال ، و فى ظ : فاختار (٣) زيد فى الأصل : بلاد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و المروج فحذفناها (٤) فى البحر المحيط ٧ / ١٦١ . (٥) فى البحر : شهريزان (٦) من ظ و مد و البحر ، و فى الأصل : ولى . (٧) زيد من ظ و مد (٨) راجع أيضا معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ١٦٧ . (٩-٩) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : ان تجد (١٠) من مد و المعالم ، و فى الأصل و ظ : فلا يفعل .

فعجل إلىّ برأسه، فراجعه فغضب كسرى و بعث بريدا إلى أهل فارس: إنى قد نزعت عنكم شهربراز و استعملت فرخان، ثم دفع[1] إلى البريد صحيفة صغيرة و قال: إذا ولى الفرخان الملك و انقاد له أخوه فأعطه، فلما قرأ شهربراز الكتاب قال: سمعا و طاعة، و نزل عن سريره، و جلس فرخان و [2]دفع البريد الصحيفة إليه[2] فقال: ائتونى بشهربراز، فقدمه ٥ ليضرب عنقه فقال: لاتعجل حتى أكتب وصيتى، قال[3]: افعل، فدعا بسفط و أعطاه ثلاث صحائف، و قال: كل هذا راجعت فيك كسرى و [أنت -[4]] أردت أن تقتلنى بكتاب واحد، فرد الملك على[5] أخيه، فكتب شهربراز إلى قيصر ملك الروم: إن لى إليك حاجة لا تحملها البرد و [لا -[4]] تبلغها الصحف فالقنى، / و لاتلقنى إلا فى خمسين روميا، ١٠ / ١٠٨ فانى أيضا ألقاك فى خمسين فارسيا، فأقبل [6] قيصر فى[1] خمسائة رومى، و جعل يضع العيون بين يديه فى الطريق، و خاف أن يكون قد [7]مكر به[7] حتى أتاه عيونه أنه ليس معه إلا خمسون رجلا، ثم بسط لهما و التقيا فى قبة ديباج ضربت لهما، و اجتمعا و مع كل [واحد -[4]] منهما سكين، و دعوا ترجمانا بينهما، فقال شهربراز: إن الذين[8] خربوا مدائنك، [9]و بلغوا ١٥ منك [و -[10]] من جندك ما بلغوا أنا و أخى بشجاعتنا و كيدنا، و أن

(١) فى المعالم: رفع (٢-٢) فى المعالم: رفع إليه الصحيفة (٣) من ظ و مد والمعالم، و فى الأصل: فقال (٤) زيد من ظ و مد و المعالم (٥) فى المعالم: إلى (٦-٦) فى ظ: فيهم (٧-٧) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: يكذبه (٨) من ظ و مد و المعالم، و فى الأصل: الذى (٩) العبارة من هنا إلى «ما بلغوا» ساقطة من المعالم (١٠) زيد من ظ و مد.

كسرى حسدنا فأراد أن أقتل أخى فأبيت ثم أمر أخى أن يقتلنى [1]فقد خلعناه[1] جميعا فنحن نقاتله معك ، فقال : قد أصبتما و وفقتما ، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السر إنما يكون بين اثنين ، فاذا جاوز اثنين فشا ، قال صاحبه : أجل ، فقاما جميعا إلى الترجمان بسكينيهما فقتلاه ، و اتفقا على قتال كسرى ، فتعاون شهربراز و هرقل على كسرى ، فغلبت الروم فارس ، و ذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى أوائل فتوح مصر نحو هذا الحديث من حديث ابن عباس رضى الله عنهما أنه سمع ابن عمر رضى الله عنه يسأل الهرمزان عن سبب ظهور الروم على كسرى فأخبره [به -[2]] ، و كان مما تمكن الخلاف عليه أيضا أنه كان طلب الذين هربوا بعد قتل قائدهم راهزاد ، و أمر بأن يعاقبوا على انهزامهم ، فأحوجهم بهذا إلى الخلاف عليه و طلب الحيل لنجاة أنفسهم منه ، فان كانت الوقعة[3] التى غلبت الروم فيها بأذرعات أو الأردن فهى أدنى أرض[4] الروم - أى أقربها - إلى مكة المشرفة ، و إن كانت بالجزيرة[5] فهى أدنى بالنظر إلى كسرى - هذا ما [6]حقت فيه[6] الآية فى ظاهر العبارة و صريحها [مع -[2]] ما انضم إلى ذلك من إدالة العرب على الفرس أيضا فى هذا الوقت فى وقعة ذى قار - كما بينته فى شرحى لنظمى للسيرة النبوية المسمى « نظم الجواهر من سيرة سيد الأوائل و الأواخر »

(١-١) من ظ ومد و المعالم، وفى الأصل : فخلصنا (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ ومد، وفى الأصل : الموقعة (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : الجزيرة (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : خصت به .

و سيأتى ملخصه[١] قريبا - حتى يقال : إن نصرة الروم و العرب و نصرة المسلمين فى بدر كانت فى آن واحد، و من[٢] أعاجيب ما دخل تحت مفهوم الآية من لطائف المعجزات فى باطن الإشارة و تلويحها أن زماننا هذا[٣] كان قد غلب فيه على ملك مصر جندها الغرباء من الترك و غيرهم ثم اختص به الشراكسة منهم[٤] من نحو مائه سنة، و هم ممن ليس له كتاب ٥ فى الأصل و إن كان إسلامهم قد جب ما كانوا عليه من قبل و كانوا إذا مات[٥] أحدهم و له ابن ولوا ابنه لأجل مماليكه و اتباع أبيه[٦] إلى أن يعملوا[٧] الحيلة فى خلعه، و كان أكثر أولادهم يكون صغيرا أو فى حكمه[٨] حتى كانت سنة[٩] خمس و ستين و ثمانمائة، فصادف أن المتولى بها من أولادهم المؤيد أحمد بن الأشرف إينال العلائى، و كان قد ناهز ١٠ الأربعين، و كان عنده حزم و دهاء، و زادت مدة ولايته بعد أبيه على أربعة أشهر / فثقل عليهم جدا[١٠]، و كان الأمير الكبير خشقدم[١١] أحد ١٠٩ / مماليك المؤيد شيخ و هو رومى، و كانت عادتهم [أنهم --[١٢]] إذا خلعوا أحدا من أبناء الملوك ولوا الملك من كان فى الإمرة الكبرى، فاختار[١٣]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : يخصه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : من اعجاب (٣) زيد فى الأصل : قد، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : فيهم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : ما (٦) من ظ و مد و فى الأصل : آبائه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : يولوا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : حكمهم (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : نحو (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : جفا (١١) من ظ و مد، و فى الأصل : خشقد (١٢) زيد من ظ و مد (١٣) من مد، و فى الأصل و ظ : فاحتال.

الشراكسة ولايته و إن كان من غيرهم على ولاية من ولد فى الإسلام فى بلاد العرب . فأعملوا الحيلة فى أمره إلى أن أجمع[1] [2]أمرهم و[2] رأيهم كلهم على خلعه حتى مماليكه و مماليك أبيه ، فقاموا[3] فى ذلك قومة رجل واحد فى أواخر شهر رمضان من السنة المذكورة ، فلما لم يجد له ناصرا أسلم نفسه فى اليوم الثانى من وثوبهم عليه ، فعرضوا الولاية على شخص منهم فلم ير التقدم على أكبر منه فى المرتبة[4] ، فأشار إلى الأمير الكبير فولوه ، ثم اجتهد بعضهم فى نزعه فلم يقدرهم الله على ذلك و لم يجمع كلمتهم على أحد ، و قام هو فى الأمر بجد عظيم و حزم ، و لين فى شدة و عزم ، حتى استحكم أمره ، و عظم قدره ، و حسب عدد [5]بضع[5] بالجمل فاذا هو اثنان و سبعون[5] و ثمانمائة ، و هو مقدار ما مضى من السنين من حين نزول الآية إلى حين ولايته ، و ذلك أن نصر أهل فارس على الروم كما مضى كان فى [2]السنة الثامنة من النبوة ، و حينئذ نزلت الآية ، فاذا قلنا : إن نزولها كان فى[2] شهر رمضان من تلك السنة ، كان قبل الهجرة بست سنين إذا جعلنا كسر الثامنة سنة ، و قد كانت وقعة بدر فى سابع عشر شهر[6] رمضان من السنة الثانية من الهجرة فى الشهر السابع[7] ، فيكون نصر الروم إذا صححنا[8] كما هو الذى ينبغى أن

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : جمع (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد.
(٣) من ظ ومد ، و فى الأصل : فقالوا (٤) فى ظ : الرتبة (٥) زيد فى ظ : سنة.
(٦) سقط من ظ (٧) زيد فى ظ و مد : عشر (٨) فى ظ : صححت .

لا يعتقد غيره لدلالة القرآن العظيم عليه كما تأتى الإشارة إليه أنه
فى سنة غزوة بدر فى آخر السنة السابعة من حين نزول الآية، و يكون
ولاية السلطان خشقدم لكونها فى أواخر شهر رمضان فى ابتداء[1] سنة
ست و ستين من الهجرة، فاذا ضممت إليها الست التى كانت قبل الهجرة
كانت الجملة ثمانمائة و اثنين و سبعين على[2] عدد 'بضع' المنظوم فى ٥
الآية [سواء -[3]]. و إن صححنا كما أيده ما فى الصحيح عن أبى سفيان
أن نصر الروم كان وقت الحديبية و ذلك فى ذى القعدة سنة ست من
الهجرة، و كما[4] قلنا: كان نزول الآية قبل الهجرة بشهرين و نحوهما،
صح أن نصر الروم كان عند دخول السنة السابعة من[2] نزول الآية كما فى
رواية الترمذى عن [نيار -[5]] رضى الله عنه، وكان الموافق لعدد البضع ١٠
سنة اثنتين[6] و سبعين و ثمانمائة من الهجرة، و فيها غلب شخص من الروم،
و ذلك أن الظاهر خشقدم مات فى ربيع الأول سنة اثنتين[6] و سبعين
[2]و ثمانمائة من الهجرة[7]، فولى بعده الأمير الكبير يلبية و هو من الشراكسة،
فلم ينتظم له الأمر، فخلع فى جمادى الأولى منها، و ولى الأمير الكبير
تمربغا و لقب الظاهر و هو رومى، فكان ذلك من الآيات الباهرات إن ١٥
وافق هذا الأمر العدد[8] المذكور على كلتى الروايتين: رواية من قال:

(١) فى ظ: الابتداء (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: فى (٣) زيد من ظ
و مد (٤) سقط من ظ و مد (٥) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و مد.
(٦) من مد، و فى الأصل و ظ: اثنين - كذا (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين
من مد (٨) من ظ و مد. و فى الأصل: المعدد.

إن النصر كان يوم بدر ، و رواية من قال : كان يوم الحديبية ، و لولا ولاية يامية ما صح إلا أحدهما ، إن فى ذلك لعبرة ، هذا إن عددنا[1] آحاد السنين ، و إن عددناها / مئات فهو فى بضع منها ، فانه فى المائة التاسعة كما أشار إليه الأستاذ أبو الحكم عبد السلام بن برجان[2] فى تفسيره فقال : حكمة الله جل ذكره فى دوائر[3] التقدير أن يرجع فيها أواخر الكلم[4] على أوائلها ، و من الدوائر مقدرة ، و منها موسعة على مقدار مشيئة الله فيها و بها ، و لما أخبر تعالى عن الروم أنهم غلبوا فى أدنى الأرض و هى[5] بلد الشام ، كان إخبارا منه عما يكون - و الله أعلم - و بشارة بشر بها رسول الله صلى الله عليه و سلم و المؤمنين[6] أن ذلك سيكون ، يعنى[7] أن معنى ' غلبت ' مبنيا للمفعول إن كان[8] بالنسبة إلى فارس كان المعنى[9] : وقع غلبها ، و إن كان بالنسبة إلى المسلمين كان المعنى : قرب[10] زمان غلبها على أيدى المسلمين ، ثم قال : فكان[11] ذلك فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، غلبهم فى بلاد الشام[12] ، و استخرج بيت المقدس عن أيديهم ، و البضع من الثلاث إلى التسع ، و كان نزول هذه السورة بمكة فكان[13] ذلك فى داخل[7] بضع أسابيع سنين على رأس عشرين إلى ثمان

١١٠ /

(١) زيد فى ظ : ان (٢) راجع لترجمته الأعلام ٤/١٢٩ (٣) فى ظ ومد : رواية .
(٤) فى ظ و مد : الحكم (٥) فى ظ و مد : هو (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : المؤمنون (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : كانوا .
(٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : معنى (١٠) زيد فى ظ : من (١١) فى ظ : و كان (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الشمال (١٣) زيد فى ظ : نزول .

و عشرين سنة ، ثم لم يزل الفتح بعد ذلك يتصل و يتسع إلى نهاية سبقت فى التقدير ، ثم ذكر عود التقدير باستيلاء الروم على بعض أطراف الشام ثم[1] باستنقاذ المسلمين ذلك منهم ، و نظر إلى ذلك تارة بحسب الأسابيع و تارة بحسب آحاد المئات ، و تارة بغير ذلك ، و صحح وقوعه فى البضع[2] بالغالبية و المغلوبية مرة بعد أخرى ، و هو من بدائع الأنظار ، و دقائق ٥ الأسرار الكبار .

و لما كان تغليب ملك على ملك من الأمور الهائلة ، وكان الإخبار به قبل كونه أهول ، ذكر علة ذلك فقال : ﴿لله﴾ أى وحده ﴿الامر﴾ و لما أفهم[3] السياق العناية بالروم ، فكان[4] ربما توهم أن غلب فارس لهم فى تلك الواقعة و تأخير نصرهم إلى البضع [ربما كان لمانع -[5]] لم يقدر ١٠ على إزالته ، نفى ذلك باثبات الجار المفيد لأن أمره تعالى مبتدئ من الزمن[2] الذى كان قبل غلبهم حتى لم تغلبهم فارس إلا به ، و هو مبتدئ من الزمن الذى بعده ، فالتأخير به لابغيره ، لحكمة دبرها سبحانه فقال : ﴿من قبل﴾ [أى -[5]] قبل دولة أهل فارس على الروم ثم دولة الروم على فارس ، لا إلى غاية تكون مبدأ لاختصاصه بالأمور فيه سبحانه ١٥ [غلبوهم -[5]] ﴿و من بعد﴾ أى بعد دولة الروم عليهم و دولتهم على الروم [لا إلى غاية -[5]] [6]فيه أيضا[6] غلبهم الروم ، فحذف المضاف إليه

(١) سقط من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : فهم (٤) فى ظ : وكان.
(٥) زيد من ظ و مد (٦-٦) فى ظ و مد : أيضا فيه .

هو[1] الذى أفهم أن زمن غلبة فارس لهم و ما بعده من البضع مذكور دخوله فى أمره مرتين .

و لما أخبر بهذه المعجزة ، تلاها بمعجزة أخرى ، و هو أن [أهل -[2]] الإسلام لا يكون لهم ما يهمهم فيسرون بنصره[3] فقال : ﴿و يومئذ﴾ أى إذ تغلب الروم على فارس ﴿يفرح المؤمنون ۝﴾ أى العريقون فى هذا الوصف من أتباع محمد صلى الله عليه و سلم ﴿بنصر الله[4] ﴾ أى الذى لا راد لأمره ، لأهل الكتاب عامة ، نصرهم على المشركين فى غزوة بدر و هو المقصود بالذات ، و نصر الروم على فارس لتصديق موعود الله و نصر من سيصير من أهل الكتاب الخاتم من مشركى العرب على الفرس فى وقعة ذى قار ، فقد[4] / وقع الفرح بالنصر الذى ينبغى إضافته إلى الله تعالى و هو [5]نصر أهل الدين الصحيح أصلا و حالا و مآلا ، و سوق الكلام على هذا الوجه الذى يحتمل الثلاثة من بدائع الإعجاز ، و سبب وقعة ذى قار أنه كان أبرويز هذا - الذى غلب الروم ثم غلبته[6] الروم - قد غضب على النعمان بن المنذر ملك العرب ، فأتى النعمان هـذا هانئ بن مسعود بن عامر الشيبانى ، فاستودعه ماله و أهله [و ولده -[2]] و ألف شكة ، أو [7]أربعة آلاف[7] شكة - و الشكة

/ ١١١

(١) زيدت الواو فى ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد : بنصرهم.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعد (٥) زيدت الواو فى الأصل ، ولم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل : غلبت (٧ - ٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اربع الف .

بكسر المعجمة و تشديد الكاف: السلاح كله[١] - و وضع وضائع عند أحياء العرب ثم هرب فأتى [٢]طيئا لصهره[٢] فيهم، و كانت عنده فرعة[٣] بنت سعيد[٤] ابن حارثة بن لأم و زينب [بنت -[٥]] أوس بن حارثة بن لأم، فأبوا أن يدخلوه[٦] جبلهم و أتته بنو رواحة بن ربيعة[٧] بن عبس فقالوا له: أبيت اللعن! أقم[٨] عندنا [٩]فانا مانعوك مما نمنع[٩] منه أنفسنا، فقال: ما أحب أن تهلكوا بسببي فجزيتم خيرا، ثم خرج حتى وضع يده فى يد كسرى فحبسه[١] بساباط، و قال ابن مسكويه: بخانقين[١٠]، فلم يزل فى السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه، قال: و الناس يظنون أنه مات بساباط، و الصحيح ما حكيناه. فلما مات النعمان جعلت بكر بن وائل تغير فى السواد، فغضب من ذلك كسرى، ثم بعث إلى هانئ بن مسعود يقول له: [إن -[٥]] النعمان إنما كان عاملى، و قد استودعك ماله و أهله و حلقته[١١] فابعث إلىّ بها و لاتكلفنى[١٢] أن أبعث إليك و إلى قومك بالجنود فتقتل المقاتلة و تسبى الذرارى[١٣]، فبعث إليه هانئ أن الذى بلغك باطل، و ما عندى شيء، و إن يكن الأمر كما قيل فانما أنا أحد رجلين: إما

(١) سقط من ظ (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: طيب الصهرة (٣) فى مد: قرعة، و الصواب ما فى الأصل و ظ - راجع تاريخ الطبرى ٢/ ١٥١ (٤) فى الطبرى: سعد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: يدخلوهم (٧) فى الأغانى ٢/١٢٥: قطيعة (٨) فى ظ: اقر (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فان نعول لا يمنع (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: بخالقين - خطأ (١١) فى الطبرى ٢/١٥٢: خلفته، و فى الأصل: الخلعة، و فى ظ و مد: الحلقة (١٢) زيد فى ظ و مد: الى (١٣) فى ظ و مد: الذرية.

رجل استودع أمانة فهو حقيق أن يردها [على -[١]] من استودعها و لن[٢] يسلم الحر أمانته ، أو رجل مكذوب عليه و ليس [ينبغى -[٣]] للملك أن يأخذه بقول عدو أو حاسد . و كانت الأعاجم لهم قوة و حلم ، وكانوا قد سمعوا ببعض حلم العرب ، و أن الملك كائن[٤] فيهم ، فلما ورد عليه
٥ كتاب هانئ بهذا حملته الشفقة أن يكون ذلك قد اقترب على أن خرج بنفسه ، فأقبل حتى قطع الفرات فنزل غمر بنى مقاتل ، و قد أحنقه ما صنعت بكر بن وائل فى السواد و منع[٥] هانئ إياه ما منعه ، و دعا كسرى إياس بن قبيصة الطائى وكان عامله على عين التمر و ما والاها ، فاستشاره فى الغارة على بكر بن وائل فقال له[٦] إياس : إن الملك
١٠ لا يصلح أن يعصيه أحد من رعيته ، و إن تطغى لم يعلم أحد لأى شىء عبرت[٧] و قطعت[٧] الفرات ، فيرون أن أمر العرب قد كربك ، و لكن ترجع و تضرب [عنهم -[٣]] و تبعث[٨] عليهم العيون حتى ترى منهم غرة ثم ترسل حينئذ كتيبة من العجم فيها بعض القبائل التى تليهم فيوقعون بهم وقعة الدهر ، و يأتونك بطلبك[٩] ، فقال له كسرى : أنت رجل من العرب
١٥ و بكر بن وائل أخوالك ، فأنت تتعصب لهم لا تألوهم نصحا ، فقال إياس : الملك أفضل رأيا ، فقام عمر بن عدى بن زيد [العبادى -[٣]]

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مانع (٦) سقط من ظ (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : و قعت - كذا .
(٨) فى ظ : بعث (٩) فى ظ و مد : بطلبتك .

و كان كاتبه و ترجمانه بالعربية فى أمور العرب فقال: قم أيها الملك
و ابعث / إليهم بالجنود يكفوك! و قام إليه[1] النعمان بن زرعة من ولد / ١١٢
السفاح الثعلبى فقال له: أيها الملك! [إن -[2]] هذا الحى من[3] بكر بن
وائل إذا قاظوا[4] تهافتوا على ماء لهم يقال له: ذو قار، تهافت الفراش
فى النار، فعقد لنعمان بن زرعة على تغلب و النمر، و عقد لخالد بن يزيد ٥
البهرانى على قضاعة و أياد و، [عقد -[2]] لإياس بن قبيصة على جميع
العرب، و معه كتيبتاه الشهباء [و -[2]] الدوسر، فكانت العرب ثلاثة
آلاف، و عقد للهامرز على ألف [من الأساورة، و عقد لخيارزين[5]
على ألف -[2]]، و بعث معهم باللطيمة و هى عير كانت تخرج من العراق
فيها البز[6] و العطر و الألطاف، توصل ذلك إلى باذان عامل كسرى على ١٠
اليمن، و قال: إذا فرغتم من عدوكم فسيروا بها إلى اليمن، و أمر عمرو
ابن عدى أن يسير بها، و كانت العرب تحقرهم حتى تبلغ اللطيمة اليمن،
و عهد كسرى إليهم إذا شارفوا بلاد بكر بن وائل أن يبعثوا إليهم
النعمان بن زرعة، فان أتوكم بالحلقة[7] و مائة غلام منهم يكونون رهنا بما[8]
أحدث سفهاؤهم[9] فاقبلوا منهم و إلا[10] فقاتلوهم، فلما بلغ الخبر بكر بن ١٥

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بن (٤) فى ظ و مد: ما طوا - كذا، و ما فى الأصل مطابق للطبرى ٢/١٥٢.
(٥) فى الطبرى: الجلاجزين (٦) فى ظ و مد: البز (٧) فى ظ: بالخلعة (٨) من ظ و مد، و فى الاصل: ربما (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: سفادهم.
(١٠) فى ظ و مد: لا.

وائل سار هانئ بن مسعود حتى نزل بذى قار، و أقبل النعمان بن زرعة حتى نزل على ابن أخته مرة بن عبد الله العجلى، فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: إنكم أخوالى و أحد طرفى، و إن الرائد لايكذب أهله، و قد أتاكم ما لاقبل لكم به من أحرار فارس و فرسان العرب و الكتيبتان [الشهباء -[1]] و الدوسر، [و -[1]] إن فى الشر خيارا، [2]و لأن[2] يفدى بعضكم [بعضا[1]] خير من أن تصطلموا، انظروا هذه الحلقة فادفعوها[3] و ادفعوا معها رهنا من أبنائكم إليه بما أحدث سفهاؤكم[4]، فقال له القوم: ننظر فى أمورنا، و بعثوا [إلى -[1]] من يليهم من بكر بن وائل و برزوا ببطحاء ذى قار بين [5]الجلهتين - و جلهة[5] الوادى: مقدمه، مثل جلهة[6] الرأس إذا ذهب شعره - و جعلت بكر بن وائل حين بعثوا إلى من حولهم من قبائل بكر لا ترفع لهم جماعة إلا قالوا: سيدنا فى هذه الجماعة، إلى أن رفعت لهم جماعة فيها حنظلة بن ثعلبة بن سنان[7] العجلى[8] فقالوا: يا أبا معدان لقد طال انتظارنا و قد كرهنا أن نقطع أمرا دونك، و هذا ابن اختك النعمان بن زرعة قد جاء و الرائد لايكذب أهله، قال: فما الذى اجمع رأيكم عليه؟ قالوا: قلنا: اللحى أهون من الوهى، و إن فى الشر خيارا، و لأن نفدى بعضنا بعضا خير من أن نصطلم جميعا، فقال حنظلة:

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ان (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فارفعوها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: سفاوكم. (٥-٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الجهلتين و الجهلة (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: جهلة (٧) فى الطبرى ٢ / ١٥٤: سيار (٨) من ظ و مد و الطبرى، و فى الأصل: البجلى.

فتح[1] الله هذا رأيا، لاتجر[2] أحرار فارس غزلها ببطحاء ذى قار و أنا أسمع صوتا، ثم أمر بقبته فضربت بوادى ذى قار [3]و نزل[3] و نزل الناس فأطافوا به ثم قال لهانئ[4] بن مسعود: ياأبا أمامة! إن ذمتكم ذمتنا عامة، و إنه لن يوصل إليك حتى تفنى أرواحنا، فأخرج هذه الحلقة ففرقها بين قومك، فان تظفر فسترد عليك، و إن تهلك فأهون مفقود[4]، فأمر بها فأخرجت ٥ ففرقها بينهم، ثم قال حنظلة للنعمان[5]: لولا أنك رسول لما أبت إلى أهلك سالما، فرجع النعمان إلى أصحابه، فأخبرهم فباتوا ليلتهم يستعدون للقتال، و بات بكر بن وائل يستعدون للحرب، فلما أصبحوا أقبلت الأعاجم نحوهم /، و أمر حنظلة بالظعن جميعا فوقفها خلف الناس ثم قال: يا معشر بنى بكر بن وائل! قاتلوا عن ظعنكم أو دعوا، و أقبلت ١٠ الأعاجم يسيرون إلى تعبئة، و كان ربيعة بن غزالة السكونى ثم التجيبى يومئذ هو و قومه نزولا فى بنى شيبان [فقال -[6]]: [يا بنى شيبان[7] -]! أما إنى لو كنت منكم لأشرت عليكم برأى مثل عروة العلم، قالوا: و أنت و الله من أوسطنا، أشر علينا، قال: لا تستهدفوا هذه[8] الأعاجم فتهلككم بنشابها، و لكن تكردسوا لهم كراديس فيشد[9] عليهم كردوس، فاذا أقبلوا عليه شد ١٥ الآخر، قالوا: فانك قد رأيت رأيا، ففعلوا، فلما التقى الزحفان و تقارب

(١) من إمد، و فى الأصل وظ: فتح (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لا تخرج، (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: بنقود (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: للنعمة (٦) زيد من مد (٧) زيد من م و سنضيفها إلى مراجعنا بعد صفحات (٨) فى ظ و مد: لهذه (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فشد.

القوم قام حنظلة بن ثعلبة فقال : يا معشر بكر بن وائل ! إن النشاب الذى مع الأعاجم يعرفكم[1] ، فاذا أرسلوه لم يُخْطِكم ، فعاجلوهم اللقاء و ابدأوهم ، ثم قام هانئ[2] بن مسعود فقال : يا قوم ! مهلك معذور خير من منجى مفرور ، إن الحذر لايدفع القدر ، و إن الصبر من أسباب الظفر ، المنية و لا الدنية ، و استقبال الموت خير من استدباره ، يا قوم : جدوا ، فما من القوم بد فتح لو كان له رجال [أجد -[3]] ، أسمع صوتا و لا أرى فوتا ، يا لبكر ! شدوا و استعدوا ، فان[3] لاتشدوا تردوا ، ثم قام شريك ابن عمرو بن شراحيل فقال : يا قوم ! إنما تهابونهم أنكم ترونهم عند الحفاظ أكثر منكم ، و كذلك أنتم فى عيونهم فعليكم بالصبر ، فان الأسنة تردى الأعنة ، يا لبكر ! قدما قدما ، ثم قام عمرو بن جبلة اليشكرى[4] فقال :

يا قوم لاتغروكم هـذى[5] الخرق ... و لا وميض[6] البيض فى شمس برق[7]

من لم يقاتل منكم هذى[8] العنق ... فجنبوه اللحم[9] و اسقوه المرق

ثم قام حنظلة بن ثعلبة إلى وضين امرأته فقطعه[10] ثم تتبع الظعن يقطع[11] وضنهن لئلا يفر عنهن الرجال ، و الوضين : بطان الناقة فسمى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : تصرفكم (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى ظ ومد : و ان (٤) من ظ و مد و معجم الشعراء للمرزبانى ص ٢٢٥ ، و فى الأصل : اليسرى (٥ - ٥) من ظ و مد و المعجم ، و فى الأصل : لا يغرركم هذا (٦) من ظ و مد و الأعلام للزركلى ٥/٢٤١ ، و فى الأصل : و يض ، و فى المعجم : وبيض (٧) من المعجم ، و فى الأصول : ترق (٨) فى المعجم : هذا (٩) فى المعجم : الراح (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقطع (١١) فى ظ و مد : بقطع .

يومئذ : مقطع الوضن ، و قال ابن مسكويه : إنه لما قطع الوضن [١] وقع النساء إلى الأرض و إن بنت القرين الشيبانية نادت :

[٢]ويها بنى شيبان[٢] صفا بعد صف
إن تهزموا يصبّغوا[٣] فينا القلف .

فقطع سبعمائة من بنى شيبان[٤] [أيدى - [٥]] أقيتهم من قبل مناكبهم ٥ لتخف أيديهم بالضرب ، و تقدمت عجل فأبلت يومئذ بلاء حسنا ، و اضطمت عليهم [٦]جنود العجم[٦] فقال الناس : هلكت عجل ، ثم حملت بكر فوجدت عجلا ثابتة تقاتل و امرأة[٧] منهم تقول[٨] :

إن يظفروا يحرزوا فينا الغرل فدى لكم نفسي فدى بنى عجل[٩]

و تقول أيضا : ١٠

إن تقدموا[١٠] نعانق ونفرش[١١] النمارق
أو تهربوا نفارق فراق غير وامق[١٢]

فكانت بنو عجل فى الميمنة بازاء خيارزين و بنو شيبان[١٣] فى الميسرة

(١) من م و الطبرى ٢ / ١٥٣ . و فى الاصول : الوضين (٢-٢) من ظ و مد و الطبرى ٢/١٥٤ ، و فى الأصل: و بها بنو الشيبان (٣) من الطبرى ، و فى الأصول: تضيعوا (٤) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : الشيبان (٥) زيد من ظ و مد و الطبرى (٦ - ٦) فى ظ : الجنود (٧) من ظ و مد و الطبرى ٢ / ١٥٣ ، و فى الأصل : امرة (٨) زيد فى الأصل : و تتمثل بها البيت . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و الطبرى فحذفناها (٩) و وقع المصراع الأخير فى الطبرى : إيها فداء لكم بنى عجل (١٠) فى الطبرى: تهزموا (١١) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : نمرش (١٢) من ظ و مد و الطبرى، و فى الأصل : وابق (١٣) زيد فى ظ و مد : بما .

بازاء كتيبة الهامرز ، و أفناه[1] بكر بن وائل فى القلب فخرج أسوار من
الأعاجم مسور / مشنف فى أذنيه درتان ، من كتيبة الهامرز يتحدى ١١٤ /
الناس للبراز ، فنادى فى بنى شيبان فلم يبارزه أحد حتى [2]إذا دنا[2] من بنى يشكر
برز له برد بن حارثة أخو بنى ثعلبة فشد عليه بالرمح فطعنه فدق صلبه
٥ و أخذ حليته و سلاحه ، و قال ابن مسكويه[3] : و نادى الهامرز لما رأى
جد القوم و ثباتهم للحرب و صبرهم للموت مرد ومرد ، فقال برد بن حارثة
اليشكرى : ما يقول ؟ قيل : يدعو إلى البراز ! يقول : رجل و رجل !
فقال : و أيكم لقد أنصف ، و برز له فلم يلبث[4] برد أن تمكن[5] من
الهامرز فقتله ، و قال ابن المكرم[6] فى اختصاره للاغانى : ثم اقتتلوا صدر
١٠ نهارهم أشد قتال رآه[7] الناس إلى أن زالت الشمس ، فشد الحوقران و اسمه
الحارث بن شريك [على -[8]] الهامرز فقتله و قتلت بنو عجل[9] خيارزين ،
و ضرب الله وجوه الفرس فانهزموا ، و تبعتهم[10] بكر بن وائل يقتلونهم
بقية يومهم حتى أصبحوا من الغد و قد شارفوا السواد و دخلوه[11] فلم يفلت
منهم كبير[12] أحد ، و أقبلت بكر بن وائل على الغنائم فقسموها بينهم ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابناه (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ادرانى (٣) راجع الطبرى ٢/١٠٤ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلم يثبت . (٥) من مد ، وفى الأصل وظ : يمكن (٦) هو ابن منظور صاحب لسان العرب . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : راد (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ ومد ، و فى الأصل : بجيل (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : تبعهم (١١) فى ظ و مد : دخلوا (١٢) من مد ، و فى الأصل : كثير ، و سقط من ظ .

و قسموا تلك اللطائم بين نسائهم ، وكان أول من انصرف إلى كسرى بالهزيمة إياس بن قبيصة ، وكان لايأتية أحد بهزيمة جيش إلا نزع كتفيه، فلما أتاه إياس سأله عن الخبر فقال: هزمنا بكر بن وائل ، و أتيناك بنسائهم ، فأعجب ذلك كسرى ، و أمر له بكسوة ، ثم إن إياسا استأذنه عند ذلك فقال: إن أخى مريض بعين التمر ، فأردت أن آتيه ، و إنما ٥ أراد أن ينتحى عنه ، فأذن له ، ثم أتى رجل من أهل الحيرة[1] فسأل: هل دخل على الملك أحد؟ فقالوا: نعم! إياس ، فقال: ثكلت إياسا أمه! و ظن أنه قد[2] حدثه بالخبر ، فدخل عليه فحدثه بهزيمة القوم و قتلهم، فأمر به فنزعت [كتفاه - [3]]؛ وكانت وقعة ذى قار بعد وقعة بدر بأشهر و رسول الله صلى الله عليه و سلم بالمدينة ، فلما بلغه ذلك قال: هذا ١٠ أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم و بى[4] نصروا . روى ذلك الطبرانى فى المعجم الكبير ، و قيل: إن الوقعة مثلت لرسول الله صلى الله عليه و سلم و هو بالمدينة فرفع يده ، فدعا لبنى شيبان أو لجماعة[5] ربيعة بالنصر ، و لم يزل يدعو لهم حتى أرى هزيمة الفرس ، و روى أنه صلى الله عليه و سلم قال: إيها بنى ربيعة اللهم انصرهم ، فهم إلى الآن إذا حاربوا نادوا ١٥ بشعار[6] النبى صلى الله عليه و سلم و دعوته ، و قال قائلهم: يا رسول الله! دعوتك ، فاذا دعوا بذلك نصروا . و روى الطبرانى فى الكبير - قال

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخبرة (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد و تاريخ اليعقوبى ١ / ٢١٥ ، و فى الأصل : فى . (٥) فى ظ : الجماعة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : شعار .

الهيثمى[١] : و رجاله رجال الصحيح غير[٢] خلاد بن عيسى و هو ثقة - عن[٣] خالد بن سعيد بن العاص عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال : قدمت بكر بن وائل مكة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأبى بكر رضى الله عنه : ائتهم فاعرض عليهم ! فأتاهم فقال : من القوم ؟ [ثم عاد إليهم ثانية فقال : من القوم ؟ -[٤]] فقالوا : بنو ذهل بن شيبان ، فعرض عليهم الإسلام ، قالوا : حتى يجىء شيخنا فلان / - قال خلاد : أحسبه[٥] قال : المثنى ابن حارثة[٦] - فلما جاء شيخهم عرض عليهم أبو بكر رضى الله عنه ، قال : إن بيننا و بين الفرس حربا ، فاذا فرغنا مما بيننا و بينهم عدنا[٧] فنظرنا ، [٨]فقال له أبوبكر : أرأيت إن غلبتموهم أتتبعنا على أمرنا ؟ قال : لا نشترط لك هذا علينا و لكن إذا فرغنا فيما[٩] بيننا و بينهم عدنا فنظرنا فيما نقول ، فلما التقوا يوم[١٠] ذى قار هم و الفرس قال شيخهم : ما اسم الرجل الذى دعاكم إلى الله ؟ قالوا : محمد ، قال[١١] : فهو شعاركم ! فنصروا على القوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : بى[١٢] نصروا - انتهى . و من الأشعار فى وقعة ذى قار قول أبى كلبة التميمى[١٣] :

/ ١١٥

(١) راجع مجمع الزوائد ٦ / ٢١١ (٢) من ظ و مد و المجمع ، و فى الأصل : عن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل ؛ من (٤) زيد من ظ و مد و المجمع . (٥) من ظ و مد و المجمع ، و فى الأصل : احبه (٦) فى المجمع : خارجة (٧) فى ظ : جئنا (٨) العبارة من هنا إلى «فيما نقول» ساقطة من ظ (٩) من مد و المجمع ، و فى الأصل : مما (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم و - كذا (١١) فى المجمع : قالوا (١٢) من مد و المجمع ، و فى الأصل و ظ « و » (١٣) زيد فى ظ : قال .

لولا

لولا فوارس لا ميل و لا عزل من اللهازم ما قظتم[1] بذى قار
إن الفوارس من [2]عجل هم[2] أنفوا بأن يخلّوا لكسرى عرصة الدار
قد[3] أحسنت ذهل شيبان و ما عدلت فى يوم ذى قار فرسان ابن سيار
هم الذين أتوهم عن شمائلهم[4] كما تلبّس وراد بصـــدار

و قال الأعشى : ٥

فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتى و صاحبها[5] يوم اللقاء و فلت
هم ضربوا [6]بالجنوحنو قراقر[6] مقدمـــة الهامرز حتى تولت

و لما أخبر بادالة الروم بعد الإدالة عليهم مع ما دخل تحت مفهوم الآية، و كان [ربما -[7]] قيل : ما له لم يدم نصر أهل الكتاب ؟ علل ذلك [كله -[7]] بقوله : ﴿ينصر من يشآء[1]﴾ من ضعيف و قوى، لأنه ١٠ [لا -[7]] مانع له[8] و لايسأل عما يفعل ﴿ و هو العزيز ﴾ فلا يعز من عادى، و لايذل من والى . و لما كان هذا السياق لبشارة[9] المؤمنين قال : ﴿ الرحيم[1] ﴾ أى يخص حزبه بما ينيلهم قربـــه من الأخلاق الزكية، و الأعمال المرضية .

و لما نزل هذا على قوم أكثرهم له منكر، أكده سبحانه بما[10] يقوى ١٥

(١) فى تاريخ الطبرى ٢ /١٥٥ : ما قاظوا (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل : عجلهم، والبيت مع ما يليه ليس فى الطبرى (٣) من مد، وفى الأصل وظ : هل .
(٤) المصراع فى الطبرى : نحن أتيناهم من عند شمالهم (٥) فى الطبرى : راكبها .
(٦-٦) من ظ و مد و الطبرى ، و فى الأصل : بالجنوخبو فلم اقر - كذا .
(٧) زيد من ظ و مد (٨) سقط من ظ و مد (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : بشارة (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بان .

قلوب أصفيائه بتبيين المراد، و يرد ألسنة أعدائه عن كثير من العناد[1]، و يعرفهم أنه كما صدق فى هذا الوعد لأجل تفريح أوليائه فهو يصدق فى وعد الآخرة ليحكم بالعدل، و يأخذ لهم حقهم ممن عاداهم، و يفضل عليهم بعد ذلك بما يريد، فقال: ﴿وعد الله[2]﴾ أى الذى له جميع صفات ٥ الكمال، و هو متعال عن كل شائبة نقص، فلذلك ﴿لايخلف﴾ و أعاد ذكر الجلالة تنبيها على عظم الأمر فقال: ﴿ الله ﴾ أى الذى له الأمر كله. و لما كان لا يخلف شيئا من الوعد، لا هذا الذى فى أمر الروم و لاغيره، أظهر فقال: ﴿ وعده ﴾ كما يعلم[3] ذلك أولياؤه ﴿ولكن اكثر الناس﴾ و هم أهل الاضطراب و النوس ﴿لايعلمون ٥﴾ ١٠ أى ليس لهم علم أصلا، و لذلك لا نظر لهم يؤدى إلى أنه وعد و[3] أنه لا بد من وقوع ما وعد به فى الحال التى ذكرها لأنه قادر [و[4]] حكيم.

و لما كان من المشاهد أن لهم عقولا راجحة و أفكارا صافية، و أنظارا صائبة، فكانوا بصدد أن يقولوا: إن علمنا أكبر[5] من علمكم، كان كأنه قيل بيانا لأنه يصح سلب ما ينفع[6] من العلم بتأديته إلى السعادة ١٥ الباقية، و تنبيها على أنه لافرق بين عدم العلم الذى / هو الجهل و بين ١١٦/ وجود العلم الذى لايتجاوز الدنيا: نعم ﴿ يعلمون ﴾ و لكن ﴿ظاهرا﴾ أى واحدا[7] ﴿من﴾ التقلب فى ﴿الحيوة الدنيا ج ٥﴾ و هو ما أدتهم إليه

(١) فى ظ: الفساد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: يسلم (٣) زيد فى ظ: على. (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: اكثر (٦) فى ظ و مد: ما لاينفع (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: واحد.

حواسهم و تجاربهم إلى ما يكون سببا للتمتع بزخارفها[1] و التنعم بملاذها، قال الحسن: [إن -[2]] أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه و لايخطئ و هو لايحسن[3] يصلى - انتهى . و أمثال هذا لهم كثير، و هو و إن كان عند أهل الدنيا عظيما فهو عند الله حقير، فلذلك حقره لأنهم ما زادوا فيه على[4] أن ساووا البهائم فى إدراكها ما ينفعها فتستجلبه ٥ بضروب من الحيل، [و -[5]] ما يضرها فتدفعه بأنواع من الخداع، و أما علم باطنها[6] و هو أنها مجاز إلى الآخرة يتزود منها بالطاعة، فهو ممدوح منبه عليه بوصفها بما يفهم الأخرى .

و لما ذكر حالهم فى الدنيا، أتبعه [ذكر -[5]] اعتقادهم فى الآخرة، مؤكدا إشارة إلى أن الحال يقتضى إنكار أن يغفل أحد عنها، لما لها ١٠ من واضح الدلائل أقربه أن اسم ضدها يدل عليها، لأنه لا تكون دنيا[7] إلا فى مقابلة قصيا، و لا أولى إلا بالنسبة إلى أخرى، فقال: ﴿و هم﴾ أى هؤلاء الموصوفون خاصة ﴿عن الأخرة﴾ التى هى المقصود بالذات و ما خلقت الدنيا إلا للتوصل بها إليها ليظهر الحكم بالقسط و جميع صفات العز و الكبر و الجلال و الإكرام ﴿هم غفلون﴾ أى فى غاية الاستغراق ١٥ و الإضراب عنها بحيث لايخطر فى خواطرهم، فصاروا لاستيلاء الغفلة عليهم إذا ذكرت لهم كذبوا بها، و استهزؤا بالمخبر، و لم يجوزوها

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بزخرفها (٢) زيد من ظ و مد و معالم التنزيل بهامش اللباب ١١٨/٥ (٣) زيد فى المعالم: أن (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الى (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: باظهار (٧) سقط من ظ.

نوع تجويز مع أن دلائلها تفوت الحصر ، و تزيد على العد ، فصاروا[1] كأنهم مخصوصون بالغفلة عنها من بين سائر الناس و مخصصون لها بالغفلة من بين سائر الممكنات ، فلذلك لا يصدقون الوعد بادالة الروم لما رسخ فى نفوسهم من [أن -[2]] الأمور تجرى بين العباد على غير قانون الحكمة ،
٥ لأنهم كثيرا[3] ما يرون الظالم يموت و لم[4] يقتص منه ، و هم فى غفلة عن [أنه -[5]] أخر جزاؤه إلى يوم الدين ، يوم يكشف الجبار[6] حجاب الغفلة و يظهر عدله و فضله ، و توضع الموازين القسط ، فتطيش بمثاقيل الذر ، و يقتص للمظلومين من الظالمين ، و من أريد القصاص منه عاجلا فعل ، و قضية الروم هذه من ذلك ، و هذا السياق يدل على أنه لاحجاب عن[7]
١٠ العلم أعظم من التكذيب بالآخرة ، و لاشىء أعون عليه من التصديق بها و الاهتمام بشأنها ، لأن ذلك حامل[8] على طلب الخلاص[9] فى ذلك اليوم ، و هو لايكون على[10] أتم الوجوه إلا لمن وصل إلى حالة المراقبة ، و ذلك لايكون إلا لمن علم إما بالكشف أو الكسب كل علم فلم يتحرك حركة إلا بدليل يبيحها له و يحمله عليها ، و بهذا التقرير يظهر أن هاتين
١٥ الجملتين بكمالهما[11] علة لنفى العلم عنهم ، و المعنى أن العلم منفى عنهم لما

(١) فى ظ ومد : فكانوا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد ، وفى الأصل وظ : كثير (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : لا (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل : الجبابرة ، و فى ظ : عن ساق - كذا (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : من (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : حايل (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاخلاص (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل كمالها .

شغل قلوبهم من هذا الظاهر فى حال غفلتهم عن الآخرة، فانسد عليهم باب العلم - والله الموفق .

و لما كان التقدير / : أفلم يتدبروا القرآن و ما كشف لهم عنه من الحكم و الأمور التى وعد الله بها على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم فيه أو فى السنة، فكانت على حسب ما وعد، أو لم يتأملوا مصنوعات الله عموما فتدلهم عقولهم منها على أنه لايصلح للالهية إلامن كان حكيما، و لا يكون حكيما إلا من صدق فى وعده، و أنه لا تتم الحكمة إلا بايجاد الآخرة، عطف عليه قوله منكرا عليهم موبخا[1] لهم : ﴿ او لم يتفكروا ﴾ أى يجتهدوا فى إعمال الفكر، ثم ذكر آلة الفكر زيادة فى تصوير حال المتفكرين و التذكير بهيئة المعتبرين فقال : ﴿فى انفسهم قف﴾ و يجوز أن تكون هى المتفكر فيه فيكون المعنى : يتفكروا فى أحوالها خصوصا فيعلموا أن من كان منهم قادرا كاملا لايخلف وعده و هو إنسان ناقص، فكيف بالإله الحق، و يعلموا [أن -[2]] الذى ساوى بينهم فى الإيجاد من العدم و طورهم[3] فى أطوار الصور، و فاوت بينهم فى القوى و القدر، و بين آجالهم فى الطول و القصر، و سلط بعضهم على بعض بأنواع الضرر، و أمات أكثرهم مظلوما قبل القصاص و الظفر، لابد فى حكمته البالغة من جمعهم للعدل بينهم فى جزاء من وفى أو غدر، أو شكر أو[4] كفر، ثم ذكر نتيجة ذلك و علله بقوله فى أسلوب التأكيد لأجل إنكارهم، و على التقدير

/ ١١٧

(١) فى ظ : توبيخا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : صورهم (٤) فى ظ « و » .

الأول يكون هذا هو المتفكر فيه ﴿ ما خلق الله ﴾ أى بعز جلاله[1]، و علوه فى كماله ﴿ السمٰوٰت و الارض ﴾ على ما هما عليه من النظام المحكم، و القانون المتقن، و أفرد الأرض لعدم دليل حسى أو عقلى يدلهم على تعددها بخلاف السماء ﴿ و ما بينهمآ ﴾ من المعانى التى بها كمال منافعهما ٥ ﴿ الا ﴾ خلقا متلبسا ﴿ بالحق ﴾ [أى -[2]] الأمر الثابت الذى يطابقه الواقع، فاذا ذكر البعث الذى هو مبدأه الآخرة التى هذا أسلوبها وجد الواقع فى تصوير النطف و نفخ الروح و تمييز الصالح[3] منها للتصوير من الفاسد يطابق ذلك، و إذا تدبر[4] النبات بعد أن كان هشيما *قد نزل* عليه الماء فزها و اهتز و ربا وجده مطابقا لأمر البعث، و إذا ١٠ ذكر القدرة فرأى اختلاف الليل و النهار، و سير الكواكب الصغار و الكبار، و إمطار الأمطار، و إجراء الأنهار، و نحو ذلك من الأسرار، رآه[6] مطابقا لكل ما يخطر فى باله من الأقدار، و إذا خطر له العلم، فتبصر فى جرى هذه الأمور و غيرها على منهاج مستقيم، و نظام واضح قويم، و سير متقن[7] حكيم، علم أن ذلك فى غاية المطابقة للخبر بالعلم ١٥ الشامل و القدرة التامة [على البعث و غيره -[2]]، أو إلا بالأمر الثابت و القضاء النافذ الذى لا يتخلف عنه مراد، و لا يستعصى عليه حيوان ولا جماد، [و -[2]] خلقكم من هذا الخلق الكبير الذى قام بأمره من

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: المصالح (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: تدبرت (٥-٥) فى ظ و مد: نزل. (٦) فى ظ و مد: تراه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: متفق.

بعض ترابه. ثم جعلكم من سلالة من ماء مهين، فالقدرة التي[1] خلق بها ذلك كله و ابتدأكم[2] ثم يبيدكم، بها بعينها يحييكم و يعيدكم، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون، أو إلا بسبب إحقاق[3] الحق و إبطال الباطل، فلابد من تصديق وعده بادالة الروم لأخذ حقهم من الفرس، و لا بد [من -[4]] أن يقيمكم بعد أن ينيمكم[5] و يثبت كل حق / رأيتموه ٥ / ١١٨ قد أبطل، و يبطل كل باطل رأيتموه قد أعمل، لأنه أحكم الحاكمين، فلو أقر على إماتة حق أو إحياء باطل لما كان كذلك.

و لما كان عندهم أن هذا الوجود حياة و موت لا إلى نفاد، قال: ﴿ و اجل ﴾ لابد أن ينتهى إليه ﴿ مسمى[1] ﴾ أى فى العلم من الأزل، و ذلك الأجل هو وقت قيام الساعة. و ذلك أنه كما جعل لهم آجالا ١٠ لأصلهم و فرعهم لم يشذ عنها أحد[2] منهم[6] فكذلك لابد من أجل مسمى لما خلقوا منه، فاذا جاء ذلك الأجل انحل هذا النظام، و اختل هذا الإحكام[7]، و زالت هذه الأحكام، [8]فساقطت هذه الأجرام، و صارت إلى ما كانت عليه من الإعدام، و إلا كان الخلق عبثا يتعالى عنه الملك العلام[8]. ١٥

و لما كانوا ينكرون أنهم على كفر. أكد قوله:

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: ابداكم. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اثبات (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: سكم - كذا (٦) من ظ ومد، و فى الأصل: منها. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الاحتكام (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

﴿ و ان كثيرا من الناس ﴾ مع ذلك على وضوحه ﴿ بلقآئ ربهم ﴾ الذى ملأهم إحسانا برجوعهم فى الآخرة إلى العرض عليه للثواب و العقاب ﴿ لكفرون ۝ ﴾ أى لساترون ما فى عقولهم من دلائل وحدانيته و حجج قدرته و حكمته سترا عظيما، كأنه غريزة لهم، فهم لذلك يكذبون بما وعدكم سبحانه من إدالة الروم على فارس، فلا يهولنكم ذلك لأنهم قد كذبوا بما هو أكبر منه، و هو الآخرة على ما لها من الدلائل التى تفوت الحصر، و إذا راجعت[1] ما تقدم فى آية الأنعام "[و -[2]] هو الذى خلقكم من طين" ازددت فى هذا بصيرة.

و لما أقام عليهم الدليل، أتبعه التهديد و التهويل، فقال عاطفا على "او لم يتفكروا": ﴿ او لم يسيروا ﴾ و لما أحاطت آثار المكذبين بمكة المشرفة شرقا و غربا، و جنوبا و شمالا، بديار ثمود و قوم فرعون و عاد و سبا و قوم لوط، عرف و أطلق فقال: ﴿ فى الارض ﴾ [أى -[3]] سير اعتبار و تأمل[4] و ادكار من أىّ جهة أرادوا، و فيه إشارة إلى أنهم واقفون عند النظر فى ظاهر الملك بأبصارهم، قاصرون عن[5] الاعتبار فى باطن الملكوت بأفكارهم، و فيه حثّ لهم إلى امتطاء هذه الدرجة العلية، بهذه العبارة الجلية ﴿ فينظروا ﴾.

و لما كان ما حل بالماضين أمرا عظيما، نبه على عظمه بأنه أهل لأن يسأل عنه فقال: ﴿ كيف كان ﴾ أى كونا لاقدرة على الانفكاك عنه،

(١) فى ظ: رجعت (٢) زيد من ظ و مد و آية ٢ (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى مد: تاويل (٥) فى ظ: على.

و تذكير الفعل يشير[1] إلى عظم الأمر ﴿ عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ الذين ﴾ و لما كان حال من قرب من زمان الإنسان أوعظ له، أثبت الجار فقال: ﴿ من قبلهم[4] ﴾ فى[2] إهلاك العاصى و إنجاء الطائع. و لما كان[3] علم العاقبة مشروطا بمعرفة البادئة قال مستأنفا: ﴿ كانوآ ﴾ أى كونا هو فى غاية المكنة. ٥

[و لما كان السياق للظهور و الغلبة التى إنما مدارها [على] الشدة المقتضية للثبات، لا الكثرة العارية عنها، أعرض عنها و قال مسقطا ضمير الفصل لأن هذا السياق لايظهر فيه ادعاء العرب لعلوهم على فارس و لا الروم -[4]]: ﴿ اشد منهم ﴾ أى من العرب ﴿ قوة ﴾ أى فى أبدانهم و عقولهم. و لما كان التقدير: فنقبوا الجبال، و عملوا من متقن الصنائع التى ترونها ١٠ من الأعمال ما لم يدانيه أحد من هذه الأجيال، عطف عليه قوله: ﴿ و اثاروا ﴾ بالحرث[5] و غيره ﴿ الارض ﴾ /فأخرجوا ما فيها من المنافع ١١٩/ من[6] المياه و المعادن و الزروع و غير ذلك من المعاون ﴿ و عمروهآ ﴾ أى أولئك السالفون ﴿ اكثر مما عمروها ﴾ أى هؤلاء الذين أرسلت إليهم، بل ليس لهم من إثارة الأرض و عمارتها كبير أمر، فان بلاد ١٥ العرب إنما هى جبال سود و"فيافى غبر، فما هو إلا تهكم بهم، و بيان لضعف حالهم[7] فى دنياهم التى لا فخر لهم بغيرها.

---

(١) فى ظ و مد: مشير (٢) فى ظ و مد: من (٣) سقط من ظ (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بالحرب (٦) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: حالكم.

و لما كانوا قد وقفوا مثل هؤلاء مع السبب الأدنى ، و لم يرتقوا بعقولهم إلى المطلوب الأعلى ، أخبر أنه أرسل إليهم الدعاة ينبهونهم من رقدتهم ، و ينقذونهم من غفلتهم ، فكان التقدير : فضلوا عن المنهج الواضح ، و عموا عن السبيل الرحب ، و زاغوا عن طريق[1] الرب ، فأرسلنا إليهم الرسل ، فعطف عليه قوله[2] مشيرا بتأنيث الفعل إلى ضعف عقولهم بتكذيبهم الرسل كما تقدم إيضاحه عند " تلك الرسل " : ﴿و جآءتهم رسلهم﴾ أى عنا ﴿بالبينت﴾ من المعجزات مثل ما أتاكم به رسولنا من وعودنا الصادقة ، و أمورنا الخارقة ، كأمر[3] الإسراء و ما أظهر فيه[2] من الغرائب كالإخبار بأن العير تقدم فى يوم كذا يقدمها جمل صفته كذا و غرائره كذا ، فظهر كذلك ، و ما آمنتم كما لم يؤمن من كان أشد منكم قوة ﴿فما﴾ أى بسبب أنه ما ﴿كان الله﴾ على ما له من أوصاف الكمال مريدا ﴿ليظلمهم﴾ بأن يفعل معهم فعل من تعدونه أنتم ظالما بأن يهلكهم فى الدنيا ثم[4] يقتص منهم فى القيامة قبل إقامة الحجة عليهم بارسال الرسل بالبينات ﴿و لكن كانوآ﴾ بغاية جهدهم ﴿انفسهم﴾ أى خاصة ﴿يظلمون[5]﴾ أى يجددون الظلم لها بايقاع الضر موقع[5] جلب النفع ، لأنهم[6] لا يعتبرون بعقولهم التى ركبناها فيهم ليستضيئوا بها فيعلموا الحق من الباطل ، و لا يقبلون من الهداة إذا كشفوا لهم[7] ما عليها من الغطاء ، و لا يرجعون

(١) فى ظ و مد : طرق (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : كما مر (٤) فى ظ : بأن (٥) فى ظ و مد : موضع (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كانهم (٧) من ظ و مد . و فى الأصل : بها .

عن الغى إذا اضطروهم بالآيات الباهرات، بل ينتقلون من الغفلة إلى العناد.

و لما كان انتكاسهم بعد هذه الأسباب المسعدة بعيدا، أشار إليه بأداة التراخى، أو هى إشارة إلى تطاول دعاء الرسل لهم و احتمالهم إياهم فقال: ﴿ثم كان﴾ أى كونا تعذر الانفكاك عنه، و هو فى غاية ٥ الهول كما أشار إليه تذكير الفعل ﴿عاقبة﴾ أى آخر أمر ﴿الذين اسآءوا﴾ أظهر موضع الإضمار تعميما و دلالة على السبب ﴿السوآى﴾ أى الحالة التى هى أسوأ ما يكون، و هى خسارة الأنفس بالدمار فى الدنيا و الخلود فى العذاب فى الأخرى، جزاء لهم بجنس عملهم، فانهم كما أساؤا الرسل ساءهم الملك؛ ثم ذكر العلة بقوله: ﴿أن كذبوا﴾ أى لأجل تكذيبهم ١٠ الرسل، مستهينين ﴿بآيت الله﴾ أى الدلالات المنسوبة إلى الملك الأعلى الذى له الكمال كله الدالة عليه على عظمها بعظمه ﴿و كانوا﴾ أى[1] كونا كأنه[1] جبلة لهم ﴿بها﴾ مع كونها أبعد شىء عن الهزء ﴿يستهزءون[4]﴾ /أى يستمرون على ذلك بتجديده فى كل حين مع تعظيمه حتى كان ١٢٠/ استهزاؤهم بغيرها كأنه عدم[2]، كما أنكم أنتم تكذبون بما وقع من ١٥ الوعد فى أمر الروم و تستهزؤن[3] به فاحذروا[3] أن يحل بكم ما حل بالأولين، ثم تردون إليه سبحانه فيعذبكم العذاب الأكبر، و يجوز أن يكون هذا بدلا من "السواى" أو[4] بيانا لها بمعنى أنهم لما أساؤا زادتهم

(١-١) من ظ و مد. و فى الأصل: كانوا كونا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: عموم (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بها فاجدر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل «و».

إساءتهم عمارة حتى ارتكسوا فى العمى فوصلوا إلى التكذيب و الاستهزاء الذى هو أقبح الحالات ، عكس ما يجازى به المؤمن من أنه يزداد بإيمانه هدى .

و لما كان حاصل ما مضى أنه سبحانه و تعالى قادر على الإعادة[1] كما قدر على الابتداء ، وكان للتصريح مع النفس حالة ليست لغيره ، قال ذاكرا نتيجة ما مضى و محصله تصريحا بالمقصود و تلخيصا للدليل : ﴿الله﴾ [أى المحيط علما و قدرة ـ[2]] ﴿ يبدؤا الخلق ﴾ أى بدأ منه ما رأيتم و هو يجدد فى كل حين ما يريد من ذلك كما تشاهدون ﴿ثم يعيده﴾ بعد ما يبيده ، و ترك توكيده[3] إشارة إلى أنه غنى عنه لأنه[4] من القضايا المسلمة أن من اخترع شيئا كان لا محالة قادرا على إعادته .

و لما كان الجزاء أمرا مهولا ، أشار إليه بأداة التراخى فقال : ﴿ثم اليه﴾ [أى ـ[2]] لا إلى غيره ﴿ترجعون ۝﴾ معنى فى أموركم كلها فى الدنيا و إن كنتم لقصور النظر تنسبونها إلى الأسباب ، و حسا بعد قيام الساعة ، و قراءة الجماعة بالالتفات إلى الخطاب أبلغ لأنها أنص على المقصود ، و قرأ أبو عمرو و أبو بكر عن عاصم و روح[5] عن يعقوب بالياء التحتانية على النسق الماضى .

و لما ذكر الرجوع ، أتبعه بعض أحواله فقال : ﴿و يوم تقوم الساعة﴾

---

(١) زيد فى الأصل : قدر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : توليده (٤) فى ظ و مد : لان .
(٥) من ظ و مد و نثر المرجان ٥ / ٢٨٠ ، و فى الأصل : رويس .

سميت بذلك إشارة إلى عظيم القدرة عليها مع كثرة الخلائق على ما فيهم من العظماء و الكبراء و الرؤساء ﴿ يبلس ﴾ أى يسكت و يسكن يأسا و تحيرا [1] على غاية الذل - بما أشار إليه تذكير الفعل مع التجدد [و الاستمرار - [2]] - بما أومأ إليه المضارع ﴿ المجرمون ﴾ الذين وصلوا من الدنيا ما من حقه أن يقطع لفنائه، و قطعوا من أسباب ٥ الآخرة [ما - [2]] من حقه أن يوصل لبقائه، وكانوا فى غاية اللبس فى الجدل ومعرفة كل ما يغيظ الخصم من القول و الفعل و التمايل و التضاحك عند سكوت الخصم تعجبا من جريانهم فى هذيانهم سرورا منهم باسكاته ليظن بعض من رآه [3] أنه انقطع و أن الحجة لهم .

و لما كان الساكت ربما أغناه عن الكلام غيره، نفى ذلك بقوله ١٠ محققا له بجعله ماضيا : ﴿ و لم يكن ﴾ و لما كان المقام لتحقيرهم بتحقير شركائهم رتب نفى النفع الموجع [4] لهم هذا الترتيب، و يجوز أن يراد بترتيبه مع ذلك التخصيص فيقال : ﴿لهم﴾ أى خاصة فى ذلك الوقت و لا بعده، و لا كان فى عداد ذلك من قبل لو كانوا يعقلون، و أما غيرهم [5] ممن يصح وصفه بالإجرام لكونه من أهل الشرك [6] الخفى فقد يشفع فيه من رباه [7] ١٥ من الشهداء و العلماء و عامة المؤمنين ﴿من شركآئهم﴾ الذين زعموهم خاصة ليتبين لهم خلطهم و جهلهم المفرط فى [8] قولهم "هؤلاء / شفعاؤنا عند الله" ١٢١ /

(١) فى ظ : تجهيرا (٢) ريد من ظ و مد (٣) فى ظ و مد : يراه (٤) فى ظ : المرجع (٥) فى ظ : غيره (٦) فى ظ : الإشراك (٧) فى ظ و مد : راباه. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : من .

و أما غيرهم فيقع منهم ما يسمى شفاعة تارة تصريحا و أخرى تلويحا كالشفاعة[1] العامة من نبينا صلى الله عليه و سلم فى الخلق عامة لفصل القضاء، و قوله صلى الله عليه و سلم[2] فى ناس بأعيانهم[3]: أصحابى إلىّ إلىّ، فيقال: إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك، فيقول: فسحقا[4] سحقا[5] [و -[6]]

٥ قول إبراهيم عليه الصلاة و السلام "و من عصانى فانك غفور رحيم" ﴿شفعؤا﴾ ينقذونهم مما هم فيه و ما يستقبلونه[6] و إتيانه بصيغة جمع الكثرة يمكن أن يكون لامفهوم له، لأن مورده رد اعتقادهم فى قولهم السالف، و يمكن أن يفهم أنه قد يقع من بعض من عبدوه شفاعة، أو تلويح بها كقول عيسى عليه السلام "و ان تغفرلهم فانك انت العزيز الحكيم".

١٠ و لما ذكر حال الشفعاء معهم، ذكر حالهم مع الشفعاء فقال: ﴿و كانوا﴾ أى كونا هو فى غاية الرسوخ ﴿بشركآئهم﴾ أى خاصة ﴿كفرين ء﴾ أى متبرئين[7] [منهم -[8]] ساترين لأن يكونوا اعتقدوهم آلهة[9] و عبدوهم جريا على عادتهم فيما لايغنيهم من العناد و البهت.

و لما كانت النفس ربما تشوفت إلى أنه هل يكون بعد إبلاسهم

---

(١) فى ظ و مد: من الشفاعة (٢) و الحديث مشهور (٣) من ظ و مد. وفى الأصل: يايهم - كذا (٤) فى ظ: سحقا (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد فى الأصل: «بلاجرام لكونه من أهل الشرك الخفى فقد يشفع فيه من رباه من الشهداء و العلماء و عامة المؤمنين» و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها، و العبارة قد مرت قبيل بضعة أسطر (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: متبرين. (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اله (٩) من ظ و مد و فى الأصل: عن.

شيء آخر، قال مفيدا له مهولا باعادة ما مضى: ﴿و يوم تقوم الساعة﴾ أى و يا له من يوم، ثم زاد فى تهويله بقوله: ﴿يومئذ يتفرقون﴾ أى المؤمنون الذين يفرحون بنصر الله و الكافرون فرقة لا اجتماع بعدها، هؤلاء فى عليين، و هؤلاء فى أسفل سافلين، حكى لى بعض القضاة من أصحابى - عفا الله عنه - و هو يبكى [1]أنه رأى مناما مهولا، و ذلك أنه رأى[1] ٥ القيامة قد قامت، و الناس يحشرون[2] - على ما وصف فى الأحاديث - فى صعيد واحد عرايا خائفين حائرين، يموج بعضهم فى بعض، فاذا[3] شخص ممن له أمر قد أشار بسوط معه و خط به [فى -[4]] الأرض فقسمهم قسمين فقال: هؤلاء مطيعون، و هؤلاء عصاة، قال: فكنت[5] فى العصاة، و فى الحال غاب [عنا -[4]] الطائعون، فلم نر منهم أحدا[6] ثم خط بذلك ١٠ السوط مرة أخرى فقسمنا قسمين فقال: هؤلاء عصاة الأقوال، و هؤلاء عصاة الأفعال، قال: فكنت فى عصاة الأفعال، ثم غاب فى الحال عنا عصاة الأقوال، فلم نر منهم أحدا[6] و بقينا نحن منا الجالس و منا المضطجع، و نحن قليل بالنسبة إلى عصاة الأقوال، فبينا نحن كذلك إذ جاء آت إلى شخص [إلى -[4]] جانبى فأخذه[7] من كعبه ثم نشطه فأخرج جلده ١٥ بمرة[8] واحدة كأنه جراب نزع عن شيء فيه يابس، فحصل لى من ذلك

(١ - ١) فى ظ: مناما رآه مهولا أن (٢) فى ظ و مد: محشورون.
(٣) فى ظ: فاذا (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: فكتب (٦) فى ظ: احد.
(٧) من ظ و مد، و فى الأصل: فاخذته (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مرة.

ذعر شديد، فبينا أنا كذلك إذ آتٍ جاءنى من ورائى، فألقى علىّ جوخة فجعلها على أكتافى و أدارها على أفخاذى فسترنى بها و[٢] لكن على غير هيئة لبس المخيط، قال: و استيقظت و أنا على ذلك فقصصته على بعض الصالحين فقال: احمد الله على كونك من عصاة الأفعال، و أخذ من سترنى بالجوخة على تلك الهيئة أنى أحج، فبشرنى بذلك فحججت[٣] فى ذلك العام - و الله تعالى المسئول فى التوبة، فانه / الفعال لما يريد ١٢٢ / ﴿فاما الذين آمنوا﴾ أى أقروا بالإيمان بألسنتهم ﴿و عملوا﴾ تصديقا لإقرارهم ﴿الصلحت﴾ أى كلها.

و لما تقدم هنا ذكر عمارة الأرض و إصلاحها للنبات و وعظ من جعلها أكبر همه بأنها لم تدم [له -[٤]] و لا أغنت عنه شيئا، ذكر أنه جزى من أعرض عنها بقلبه لاتباع أمره سبحانه أعظم ما يرى من زهرتها و نضرتها و بهجتها على سبيل الدوام فقال: ﴿فهم﴾ أى خاصة ﴿فى روضة﴾ أى لا أقل منها [و هى -[٤]] أرض عظيمة جدا منبسطة واسعة ذات ماء غدق و نبات معجب بهج[٥] - هذا أصلها فى اللغة [و -[٤]] قال الطبرى[٦]: و لا تجد أحسن منظرا و لا أطيب نشرا من الرياض. ﴿يحبرون﴾ أى يسرون على سبيل التجدد كل وقت سرورا تشرق له الوجوه، و تبسم الأفواه، و تزهو العيون، فيظهر حسنها و بهجتها[٧]، فتظهر

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الى (٢) سقطت الواو من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: محجتها (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٦) راجع تفسير هذه الآية فى جامع البيان. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يبهجها.

النعمة بظهور آثارها على أسهل الوجوه و أيسرها، قال الرازى فى اللوامع: و أصله - أى الحبرة - فى اللغة أثر فى حسن، و قال غيره[1]: حبره - إذا سره سرورا تهلل له وجهه، و ظهر فيه أثره. ﴿و اما الذين كفروا﴾ أى غطوا ما كشفته أنوار العقول، ﴿و كذبوا﴾ عنادا ﴿بآيتنا﴾ التى لا أصدق منها و لا أضوأ من أنوارها، بما لها من عظمتنا ﴿و لقآئ الاخرة﴾ ٥ الذى لم يدع لبسا فى بيانه ﴿فاولئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿فى العذاب﴾ أى الكامل لا غيره[2] ﴿محضرون﴾ [3]من أى محضر كان، بالسوق الحثيث، و الزجر العنيف، فإذا وصلوا إلى مقره وكل بهم من يديم كونهم كذلك - لإفادة الجملة الاسمية الدوام، فلا يغيبون عنه و لا يخفف عنهم.

و لما بين سبحانه المبدأ بخلق السماوات و الأرض، و المعاد بالجنة ١٠ و النار، و أنهم كذبوا به، و كان تكذيبهم به مستلزما لاعتقاد نقائص [كثيرة -[4]] منها العجز و إخلاف الوعد و ترك الحكمة[5]، كان ذلك[6] سببا لأن ينزه سبحانه نفسه المقدسة و يأمر بتنزيهها، لأن ذلك يدفع عن المنزه مضار الوعيد، و يرفعه إلى مسار الوعد، فقال ذاكرا من أفعاله العالية التى لا مطمع[7] لغيره فى القدرة على شىء منها ما يدل على ١٥ خلاف ذلك الذى يلزم اعتقادهم. لافتا الكلام عن صيغة العظمة [إلى أعظم منها بذكر الاسم الأعظم: ﴿فسبحن الله﴾ أى سبحوا الذى له جميع العظمة -[4]] بمجامع[8] التسبيح بأن تقولوا هذا القول الذى هو علمه، فهو

(١) زيدت الواو فى ظ و مد (٢) فى ظ: لغيره (٣) زيد فى ظ و مد: اى (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ: لحكمته، و فى مد: لحكمة (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: مطلع (٨) من مد و فى الأصل و ظ: بجامع.

منزه عن كل نقص ؛ ثم ذكر أوقات التسبيح إشارة إلى ما فيها من التغير الذى هو منزه عنه و[١] إلى ما يتجدد فيها من النعم و وجود الأحوال الدالة على القدرة على الإبداع الدال على البعث ، فقال دالا على الاستغراق بنزع الخافض مقدما المحو لأنه أدل على البعث الذى النزاع فيه و هو الأصل ، لافتا الكلام إلى الخطاب لأنه أشد تنبيها : ﴿ حين تمسون ﴾ أى أول دخول الليل بإذهاب النهار و تفريق النور ، فيعتريكم الملل ، و يداخلكم الفتور و الكسل ، على سبيل التجدد و الاستمرار ، و أكد الندب إلى التسبيح باعادة المضاف فقال : ﴿ و حين تصبحون ﴾ بتحويل الأمر فتقومون أحياء بعد أن كنتم أمواتا فتجدون نهارا قد أضاء بعد ليل كان دجا ، [فتفعلون ما هو سبحانه منزه عنه من الحركة و السعى فى جلب النفع و دفع الضرر ، و أرشد السياق إلى أن التقدير : و له الحمد فى هذين الجنسين -[٢]] .

و لما ذكر ما يدل على خصوص التنزيه ، أتبعه ما يعرف بعموم الكمال ، فقال ذاكرا لوقت كمال النهار و كمال / الظلام ، و[٣] تذكيرا بما ١٢٣ / يحدث عندهما للآدمى من النقص بالفتور و النوم اعتراضا بين الأوقات للاهتمام[٤] بضم التحميد إلى التسبيح : ﴿ و له ﴾ أى وحده [مع -[٢]] النزاهة عن شوائب النقص ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال .

و لما قدم سبحانه أن تنزهه ملأ الأزمان ، و كان ذلك مستلزما

---

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقطت الواو من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : للاعتراض .

للملأ الأكوان، و كان إثبات الكمال أبين شرفا من التنزيه[1] عن النقص، صرح فيه بالقبيلين فقال: ﴿فى السمٰوٰت﴾ أى الأجرام العالية كلها التى[2] تحريكها - مع أنها من الكبر فى حد لايحيط به إلا هو سبحانه - سبب للامساء و الإصباح و غيرهما من المنافع ﴿و الارض﴾ التى فيها من المنافع ما يجل عن إحاطتكم به مع أنها بالنسبة إلى السماء كحلقة ملقاة فى فلاة، و لو لا ذلك لظهر لكم ذلك برؤية ما وراءها كما [هو -[3]] شأن كل مظل مع كل مقل كما تشاهدون السحاب و نحوه.

و لما خص الإمساء و الإصباح، عمّ فقال معبرا بما يدل على الدوام، لأن وقت النوم الدال على النقص أولى باثبات الكمال فيه: ﴿و عشيا﴾ أى من الزوال إلى الصباح ﴿و حين تظهرون ه﴾ أى تدخلون فى شدة الحر، [و سبحان الله فى ذلك كله، فالآية من الاحتباك: ذكر التسبيح أولا دليلا على إرادته ثانيا، و الحمد ثانيا دليلا على إرادته أولا - [3]]، و لعل المراد بالإظهار[4] هنا ما هو أعم من وقت الظهر ليكون المراد به من حين يزول اسم الصباح من وقت ارتفاع الشمس إلى أن يحدث[5] اسم المساء، و هو من الظهر إلى الغروب - قاله[6] ابن طريف[7]

(١) فى ظ و مد: التنزه (٢) فى ظ و مد: إلى (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: به (٥) فى ظ: حدث (٦) فى ظ: قال (٧) فى الأصل: ابن ظريف، و التصحيح من كشف الظنون و هو عبد الملك بن طريف القرطبي المتوفى سنة ٤٠٠، و قال فيه: ذكره البقاعى فى حاشية الألفية.

فى كتابه الأفعال و نقله عنه الإمام عبد الحق فى كتابه الواعى، و ذلك حين استبداد[1] النهار فيكون كماله فيما دون ذلك من باب الأولى، و هذا مع هذه الدقائق إشارة إلى الصلوات الخمس، أى سبحوه بالخضوع له بالصلاة فى وقت المساء بصلاة العصر و المغرب، و فى وقت الصباح ٥ بالصبح، و فى العشى بالعشاء، و فى الإظهار بالظهر، و فى هذا التخريج من الحسن بيان الاهتمام بالصلاة الوسطى، فابتدأ سبحانه بالعصر التى قولها أصح[2] الأقوال، و دخول المغرب فى حيزها بطريق التبعية و القصد الثانى، و ثنى بالصبح و هى تليها فى الأصحيّة و هما القريبتان، لقوله صلى الله عليه و سلم: من صلى البردين دخل الجنة - رواه الشيخان[3] عن أبى موسى ١٠ رضى الله عنه، «من صلى قبل طلوع الشمس و قبل غروبها وجبت له الجنة» - أسنده صاحب الفردوس[4] عن عمارة بن[5] رويبة رضى الله عنه و رواه مسلم[6] و غيره عنه بلفظ: لن يلج النار أحد صلى قبل طلوع الشمس و قبل غروبها - يعنى الفجر و العصر «كنا عند النبى صلى الله عليه و سلم فنظر إلى القمر ليلة البدر[7]، فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، ١٥ لا تضامون فى رؤيته، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس و قبل غروبها فافعلوا لا تفوتنكم[8]، ثم قرأ "فسبح بحمد ربك

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اشتد (٢) فى ظ: اصلح (٣) البخارى فى أبواب مواقيت الصلاة و مسلم فى أبواب المساجد (٤) راجع: ٣٠٢ / ب من مخطوطة تلخيص المسند (٥) وقع فى الأصل فقط: بنت - خطأ (٦) راجع ١/٢٢٨: باب فضل صلاتى الصبح و العصر (٧) ليس فى ظ و مد و صحيح البخارى، و لكنه ثبت فى نسخته (٨) من ظ و مد و الصحيح، و فى الأصل: لا تفوتكم.

قبل طلوع الشمس و قبل الغروب» رواه البخارى[1] عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه، و حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيح[1] «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل و ملائكة بالنهار و يجتمعون[2] فى صلاة الفجر و صلاة العصر» يدخل هنا .

و لما ذكر دلالة على البعث المستلزم للوحدانية مطلق التحويل الذى ٥
هو إحياء فى المعنى بعد إماتة، أتبعه الإحياء / و الإماتة حقيقة، صادعا / ١٢٤
من ذكر البعث تصريحا بما كان ألقاه تلويحا فقال: ﴿يخرج الحى﴾ كالإنسان و الطائر ﴿من الميت﴾ كالنطفة و البيضة ﴿و يخرج الميت﴾ كالبيضة و النطفة ﴿من الحى﴾ [3]عكس ذلك ﴿و يحى الارض﴾ باخضرار النبات .

و لما كان من الأراضى ما لاينبت إلا بعد مدة من إنزال المطر، ١٠
و منها ما ينبت من حين إنزال المطر عقب تحطم ما كان بها[4] من النبات سواه، أسقط الجار هنا تنبيها على الأمر الثانى لأنه أدل على القدرة، فهو أنسب لهذا السياق و لمقصود السورة، و لأنه جعل[5] فيه قوة إحيائها على الدوام فقال: ﴿بعد موتها[4]﴾ [6]يبسه و تهشمه[6] . و لما كان التقدير: كذلك يفعل[7] على سبيل التكرر و أنتم تنظرون، عطف عليه قوله: ١٥

(١) راجع باب فضل صلاة العصر من المواقيت (٢) من ظ و مد و الصحيح، و فى الأصل: يخفصون (٣) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: منها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: حصل (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يبسة و تمشية (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: نفعل .

﴿ وكذلك ﴾ أى و مثل فعله هذا الفعل البديع من إخراجه لهذا الحى حسا و معنى من الميت ﴿ تخرجون ﴾ بأيسر أمر من الأرض[1] بعد تفرق أجسامكم فيها من التراب الذى كان حيا بحياتكم - هذا على قراءة الجماعة[2] بالبناء للمفعول . و بناه حمزة و الكسائى و ابن ذكوان بخلاف عنه للفاعل إشارة إلى أنهم لقوة تهيئهم[3] لقبول البعث صاروا كأنهم يخرجون بأنفسهم[4] - روى[5] عبد الله بن الإمام أحمد فى زيادات المسند عن لقيط ابن عامر رضى الله عنه أنه خرج وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و معه صاحب له يقال له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق رضى الله عنه ، قال : فخرجت أنا و صاحبى حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه و سلم لانسلاخ رجب ، فأتينا رسول الله صلى الله عليه و سلم حين انصرف من صلاة الغداة فقام فى الغداة خطيبا إلى أن قال : [ألا -[6]] اسمعوا تعيشوا ألا اجلسوا ألا اجلسوا ، [قال -[6]] : فجلس الناس فقمت أنا و صاحبى [حتى -[6]] إذا فرغ لنا فؤاده و بصره قلت[7] : يا رسول الله ! ما عندك من علم الغيب ، فضحك[8] لعمر الله[8] و هز رأسه فقال : ضن ربك بمفاتيح الخمس من الغيب فذكره حتى ذكر البعث قال : فقلت : يارسول الله ، كيف يجمعنا بعد ما تفرقنا[9] الرياح

(١) فى ظ : الامر (٢) راجع نثر المرجان ٥/٢٨٤ (٣) من ظ و مد . و فى الأصل : تميتهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بانعشهم (٥) زيد فى الأصل : عن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقلت (٨ - ٨) من ظ و مد ، و فى الاصل . لعمرا - كذا (٩) فى ظ و مد : تمزقنا .

و البلى و السباع ؟ قال : أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله . الأرض أشرفتَ عليها [1] و هى مدرة بالية فقلت : لا تحيا أبدا ، ثم أرسل ربك عز و جل عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياما حتى أشرفت[1] [عليها -[2]] و هى شرفة واحدة ، و لعمر إلهك لهو[3] أقدر على أن يجمعكم [من الماء -[4]] كما أنه يجمع نبات الأرض فتخرجون . ٥

و لما كان التقدير : هذا من آيات الله [التى -[4]] تشاهدونها كل حين دلالة على بعثكم ، عطف عليه التذكير بما هو أصعب منه فى مجارى العادات فقال : ﴿ و من آيته ﴾ أى على قدرته على بعثكم . و لما كان المراد إثبات قدرته سبحانه على بعثهم بعد أن صاروا ترابا [بإيجاده لأصلهم من تراب - [4]] يزيد على البعث[5] فى الإعجاب[6] بأنه ١٠ لم يكن له أصل فى الحياة ، و كان فعله لذلك[7] إنما كان مرة واحدة ، قال معبرا بالماضى : ﴿ان خلقكم﴾ بخلق أبيكم آدم ﴿من تراب﴾ لم يكن له أصل اتصاف ما بحياة .

و لما كان ابتداء الإنسان من التراب فى غاية العجب ، أشار إلى ذلك بأداة البعد فقال : ﴿ثم﴾ أى بعد إخراجكم / منه ﴿اذآ انتم بشر﴾ ١٥ / ١٢٥ أى فاجأتم[8] كونكم لكم بشرة هى فى غاية التماسك و الاتصال مع اللين

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) فى ظ : فهو (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : فى سره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ ومد ، و فى الأصل : الاعجاب (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : كذلك (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاحتم .

عكس ما كان لكم من الوصف إذ[1] كنتم ترابا ، و أسند الانتشار إلى المبتدأ المخاطب [لا -[2]] إلى الخبر لأن الخطاب أدل على المراد فقال : ﴿تنتشرون ۝﴾ أى تبلغون بالنشر كل مبلغ بالانتقال من مكان إلى مكان مع العقل و النطق ، و لم يختم هذه الآية[3] بما ختم به ما[4] بعدها دلالة على أنها جامعة لجميع الآيات ، و دلالة على جميع الكمالات ، و ختم ما بعدها بذلك تنبيها على أن[5] الناس أهملوا[6] النظر فيها على وضوحها ، و كان من حقهم أن يجعلوها نصب أعينهم ، دلالة على كل ما نزلت به الكتب ، و أخبرت به الرسل ، و كذلك[7] أكد فى الإخبار إعلاما بأنهم صاروا لإهمالها فى حيز الإنكار .

و لما كان أعجب من ذلك أن هذا الذى خلقه من التراب[8] ذكرا خلق منه أنثى ، و جعلهما شبهى السماء و الأرض ماء و نبتا و طهارة و فضلا ، قال : ﴿و من ايته﴾ أى على ذلك ؛ و لما كان إيجاد الأنثى من الذكر خاصة لم يكن إلا مرة واحدة كالخلق من التراب ، عبر بالماضى فقال : ﴿ان خلق لكم﴾ أى لأجلكم ليبقى نوعكم بالتوالد ، و فى تقديم الجار دلالة على حرمة التزوج[9] من غير النوع ، و التعبير بالنفس[10] أظهر فى كونها من بدن الرجل فى قوله : ﴿من انفسكم﴾ أى جنسكم بعد إيجادها من

(١) من ظ و مد ، وفى الأصل : او (٢) زيد من ظ ومد (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل : الا (٤) سقط من ظ ومد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : اهملوا. (٧) فى ظ ومد : لذلك (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تراب (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الزوج (١٠) فى ظ : بالتنوين .

ذات

ذات أيكم آدم عليه السلام ﴿ازواجا﴾ [1]إناثا هن[1] شفع لكم ﴿لتسكنوا﴾ مائلين ﴿اليها﴾ بالشهوة و الألفة، من قولهم: سكن إليه - إذا مال و انقطع و اطمأن إليه، و لم يجعلها من غير جنسكم لئلا تنفروا منها.

و لما كان المقصود بالسكن لا ينتظم إلا بدوام[2] الألفة [قال -[3]]: ﴿و جعل﴾ أى صير[4] بسبب الخلق على هذه الصفة ﴿بينكم مودة﴾ ٥ أى معنى من المعانى يوجب أن لا يحب واحد[5] من الزوجين أن يصل إلى صاحبه شىء يكرهه[6] مع ما طبع عليه الإنسان من محبة الأذى، و إنما[7] كان هذا معناه لأن مادة 'ودد' مستويا[8] و مقلوبا تدور على الاتساع و الخلو من [9]الدو و الدوية[9] بتشديد الواو و هى الفلاة، و الود و الوداد [قال فى القاموس: الحب -[3]]، و قال أبو عبد الله القزاز و نقله عنه الإمام ١٠ عبد الحق فى واعيه: الأمنية، تقول[10]: وددت أن ذاك كان، و ذاك لاتساع مذاهب الأمانى، و تشعب أودية الحب، [و فى القاموس -[3]]: ودان: قرية قرب الأبواء وجبل طويل قرب فيد، والمودة: الكتاب - لاتساع الكلام فيه. و قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى شرح الأسماء الحسنى: الود خلو [عن -[3]] إرادة المكروه، فاذا حصل إرادة الخير و إيثاره ١٥

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: انامنهن (٢) فى ظ: به دام (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يصير (٥) فى ظ: واحدا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: يكره (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لما (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مستوليا (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: الدود و الدودية (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: بقوله.

كان حبا ، من لم يرد سواه فقد [1]ود ، و[1] من أراد خيرا فقد أحب ، و الود أول التخلص من داء أثر الدنيا بما يتولد لطلابها من[2] الازدحام عليها من الغل و الشحناء ، و ذلك ظهور لما يتهيأ له من طيب الحب ، فمن ود لا يقاطع ، و من أحب واصل و آثر ، و الودود هو المبرأ من جميع جهات مداخل السوء ظاهره [3]و باطنه[3] .

و لما كان هذا المعنى الحسن لا يتم إلا بإرادة الخير قال : ﴿و رحمة[4]﴾ أى [معنى -[4]] يحمل كلا على أن يجتهد للآخر[5] فى جلب الخير ، و دفع الضير ، لكن [لما -[4]] كانت إرادة الخير قد تكون بالمن ببعض ما يكره جمع بين الوصفين ، وهما من الله ، و الفرك - و هو البغض - من الشيطان . / ١٢٦ /

و لما كان ذلك من العظمة بمكان يجل[6] عن الوصف ، أشار إليه بقوله مؤكدا لمعاملتهم له بالإعراض عما يهدى إليه معاملة من يدعى أنه جعل[7] سدى من غير حكمة ، مقدما الجار إشارة إلى أن دلالته فى العظم بحيث تتلاشى عندها كل آية ، و كذا غيره مما كان هكذا على نحو "و ما نريهم من آية الا و هى اكبر من اختها" : ﴿ان فى ذلك﴾ أى الذى تقدم من خلق الأزواج[5] على الحال المذكور و ما يتبعه من المنافع ﴿لآيات﴾ أى دلالات واضحات على قدرة فاعله و حكمته .

(١-١) من ظ و مد ، وفى الأصل : وردان (٢) فى ظ و مد : فى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يحبل (٧) فى ظ : جعله .

و لما كان هذا المعنى [مع كونه -[1]] دقيقا [يدرك بالتأمل -[1]] قال : ﴿لقوم﴾ أى[2] رجال أو فى حكمهم ، لهم قوة و جد و نشاط فى القيام بما يجعل إليهم[3] ﴿يتفكرون ه﴾ أى يستعملون أفكارهم على القوانين[4] المحررة و يجتهدون فى ذلك .

و لما ذكر سبحانه الذكر و الأنثى ، المخلوقين من الأرض ، و كانت السماء كالذكر للأرض التى[5] خلق منها الإنسان ، [و كان خلقهما مع كونهما مخلوقين من غير شىء أعجب من خلقه فهو أدل على القدرة ، و كان خلق الأرض التى هى كالأنثى متقدما على عكس ما كان فى الإنسان -[1]] ، أتبعه ذكرهما بادئا بما هو كالذكر فقال مشيرا - بعد ما ذكر من آيات الأنفس - إلى آيات الآفاق : ﴿و من آيته﴾ أى الدالة على ذلك . و لما كان[6] من العجب[6] إيجاد الخافقين من العدم إيجادا مستمرا[7] على حالة واحدة ، عبر بالمصدر فقال : ﴿خلق السمٰوٰت﴾ على علوها و إحكامها ﴿و الارض﴾ على اتساعها و إتقانها .

و لما كان من الناس من ينسب الخلق إلى الطبيعة ، قال تعالى ذاكرا من صفات الأنفس ما يبطل تأثير الآفاق بأنفسها من غير خلقه و تقديره ، و تكوينه و تدبيره : ﴿و اختلاف السنتكم﴾ أى لغاتكم و نغماتكم و هيئاتها ، فلا تكاد تسمع منطقين متفقين فى همس و لا جهارة ، [8] لا حدة[8] و لا رخاوة ،

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : القوانين (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٦-٦) فى ظ و مد : المعجب (٧) فى مد : استمر (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

و لا لكنة و لا فصاحة ، و لا إسهاب و لا [1]وجازة ، و غير[1] ذلك من صفات النطق و أحواله ، و نعوتـــه و أشكاله ، و أنتم من نفس واحدة ، فلو كان الحكم للطبيعة لم يختلف لأنه [2]لا اختيار[2] لها مع أن نسبة الكل إليها واحدة .

و لما كان لون السماء واحدا ، و ألوان الأراضي يمكن حصرها ، قال : ﴿ و الوانكم ﴾ أي اختلافـا[3] مع تفاوته و تقاربه لاضبط له مع وحدة النسبة ، و لولا هذا الاختلاف ما وقع التعارف ، و لضاعت المصالح ، و فاتت المنافـع ، و طوى سبحانه ذكر الصور لاختلاف صور النجوم باختلاف أشكالها ، و الأراضي بمقادير الجبال و الروابي و أحوالها ، فلو كان الاختلاف لأجل الطبيعة فاما أن يكون بالنظر إلى السماء أو إلى الأرض ، فان كان للسماء فلونها واحد ، و إن كان للأرض فلون[4] أهل كل قطر[5] غير مناسب للون أرضهم . و أما الألسنة فأمرها أظهر .

و لما كان هذا مع كونه في غاية الوضوح لايختص بجنس من الخلق دون غيره قال : ﴿ ان في ذلك ﴾ أي الأمر العظيم العالي الرتبة في بيانه و ظهور برهانه ﴿ لآيات ﴾ أي دلالات عدة واضحة[6] جدا على وحدانيته تعالى و فعله بالاختيار / و بطلان ما يقوله أصحاب الطبائع من تلك الاحتمالات التي هي مع خفائها واهية . و مع بعدها مضمحلة متلاشية

/ ١٢٧

(١ - ١) من ظ و مد ، و في الأصل : و جاورة و كان - كذا (٢-٢) في ظ و مد : الاختيار (٣) من ظ ومد ، و في الأصل : اختلاف (٤) في ظ : فالوان (٥) من ظ و مد ، و في الأصل : نظر (٦) في ظ : واضحات .

﴿للعلمين ٥﴾ كلهم لايختص به صنف منهم دون آخر من جن و لا إنس و لا غيرهم، و فى رواية حفص عن عاصم[1] بكسر اللام حث للخاطبين على النظر ليكونوا من أهل العلم، و فى قراءة الباقين بالفتح إيماء إلى أن ذلك من الوضوح بحيث لونطق الجماد لأخبر بمعرفته، ففيه إشارة إلى أنهم عدم، فلا تبكيت أوجع[2] منه .

و لما ذكر المقلة و المظلة و من فيهما، و بعض صفاتهم اللازمة، ذكر ما ينشأ عن كل من ذلك من الصفات المفارقة فقال: ﴿و من آيته﴾ أى [على -[3]] ذلك و غيره من أنواع القدرة و العلم ﴿منامكم﴾ أى نومكم و مكانه و زمانه الذى يغلبكم بحيث لاتستطيعون[4] له دفعا[4] .

و لما كان الليل محل السكن و الراحة و النوم، ذكر ما جعل من نوم[5] النهار أيضا لأن ذلك أدل على الفعل بالاختيار فقال: ﴿بالليل و النهار﴾ أى الناشئين عن السماوات و الأرض باختلاف الحركات التى لاتنشأ إلا عن فاعل مختار و انقطاعكم بالنوم عن معاشكم [و كل ما يهمكم -[3]] و قيامكم بعد منامكم أمرا قهريا لا تقدرون على الانفكاك عن واحد[6] منهما أصلا ﴿و ابتغاؤكم﴾ أى طلبكم[7] بالجد و الاجتهاد ﴿من فضله[4]﴾ بالمعاش فيهما، فالآية من الاحتباك: دل ذكر النوم على القيام منه، و دل[8]

(١) راجع نثر المرجان ٥/٢٨٦ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اوقع (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: به رفعا (٥) سقط من ظ، و جاءت الكلمة فى مد مضروبا عليها (٦) فى ظ و مد: احد (٧) فى ظ: طلابكم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: ذكر .

الابتغاء على الانقطاع عنه، حذف نهاية الأول و بداية الثانى ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم العالى[1] الرتبة من إيجاد النوم بعد النشاط، و النشاط بعد النوم الذى هو الموت الأصغر، و إيجاد كل من الملوين بعد إعدامهما، و الجد فى الابتغاء مع المفاوتة فى التحصيل ٥ ﴿ لآيت ﴾ أى عديدة على القدرة و الحكمة لاسيما البعث.

و لما كانت[2] هذه الآيات فى دلالتها على ما تشير إليه من البعث و الفعل بالاختيار دقيقة لايستقل العقل[2] بها دون توقيف من الدعاة لأنه قد يسند[3] النوم و الابتغاء إلى العباد و لايتجاوز عن ذلك إلى الخالق إلا الأفراد من خلص العباد، و كان النائم يقوم صافى الذهن فارغ السر ١٠ نشيط البدن، قال: ﴿ لقوم يسمعون ﴾ أى[2] من الدعاة النصحاء سماع من انتبه من نومه فجسمه مستريح نشيط و قلبه فارغ عن مكدر للنصح مانع من قبوله، أو المعنى: لقوم هم أهل للسمع بأن يكونوا قد تنبهوا[4] من رقادهم، فرجعوا عن عنادهم، إشارة إلى أن من لم يتأمل فى هذه الآيات فهو نائم لامستيقظ، فهو غير متأهل لأن يسمع.

١٥ و لما ختم بالسمع آية جمعت آيات الأنفس و الآفاق لكونها [نشأت من أحوال البشر و الخافقين، افتتح[2] بالرؤية آية أخرى جامعة لها لكونها ناشئة عنهما مع كونها -[5]] أدل على المقصود جامعة بين[6]

(١) فى ظ و مد: العلى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يشتد (٤) فى ظ و مد: انتبهوا (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: من.

[1]الترغيب و الترهيب[1] فقال: ﴿و من [1]آيته﴾ و لما كان لمعان البرق جديرا بالتماع البصر [عند ـ[2]] أول رؤية، وكان يتجدد فى حين دون حين، عبر بالمضارع حاذفا الدال على إرادة المصدر للدلالة على [3]التجدد المعجب[3] منه فقال: ﴿يريكم البرق﴾ أى على هيئات و كيفيات طالما شاهدتموها تارة تأتى بما يضر / و تارة بما يسر، و لذلك قال معبرا بغاية الإخافة[4] ٥ و الإطماع لأن الغايات هى المقصودة بالذات: ﴿خوفا﴾ أى للاخافة من الصواعق المحرقة ﴿و طمعا﴾ أى و للاطماع فى المياه الغدقة، و عبر بالطمع لعدم الأسباب الموصلة إليه. ١٢٨ /

و لما كان البرق غالبا من المبشرات بالمطر، وكان ما ينشأ عن[5] الماء أدل شيء على البعث، أتبعه شرح ما أشار إليه به من الطمع[6] فقال: ١٠ ﴿و ينزل﴾ و لما كان إمساك الماء فى جهة العلو فى غاية الغرابة، قال محققا للمراد بالإنزال من الموضع الذى لايمكن لأحد غيره دعواه ﴿من السمآء مآء﴾.

و لما جعل سبحانه ذلك سببا لتعقب الحياة قال: ﴿فيحى به﴾ أى الماء النازل من [7]السماء خاصة لأن أكثر الأرض لاتسقى بغيره[7] ١٥ ﴿الارض﴾ أى بالنبات الذى هو لها كالروح لجسد الإنسان. و لما كانت الأرض ليس لها من ذاتها فى الإنبات إلا العدم، و كان إحياؤها

(١ ـ ١) فى ظ و مد: الترهيب و الترغيب (٢) زيد من ظ و مد (٣ ـ ٣) فى ظ: التعجب (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الاضافة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: المطمع (٧ ـ ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد.

به متكررا ، فكان كأنه دائم ، [و كان ذلك أنسب لمقصود السورة -[1]] حذف الجار قائلا : ﴿بعد موتها[1]﴾ أى يبسه و تهشمه ﴿ان فى ذلك﴾ [أى -[1]] الأمر العظيم العالى القدر ﴿لآيت﴾ لاسيما على القدرة على البعث . و لما كان ذلك ظاهرا كونه من الله الفاعل بالاختيار ٥ لوقوعه فى سحاب دون سحاب و فى وقت دون آخر و فى بلد دون آخر ، و على هيئات من القوة و الضعف و البرد و الحر و غير ذلك من الأمر ، و كان من الوضوح فى الدلالة على البعث بمكان لايخفى على عاقل قال : ﴿لقوم يعقلون[2] ۝﴾ .

و لما كان جميع ما مضى من الآيات المرئيات ناشئا عن هذين ١٠ الخلقين العظيمين المحيطين بمن أنزلت عليهم هذه الآيات المسموعات بيانا لمن أشكل عليه أمر الآيات المرئيات ، ذكر [3]أمرا جامعا[3] للكل و هو من الوضوح بحيث لايحتاج إلى أكثر من العقل[4] المختوم به ما قبل فقال : ﴿و من ءايته﴾ أى على تمام القدرة و كمال الحكمة .

و لما كانت هذه الآية فى[5] الثبات لا فى التجدد ، أتى بالحرف الدال ١٥ على المصدر ليسلخ الفعل عن[6] الاستقبال ، و عبر بالمضارع لأنه لابد من إخراجهما عن هذا الوضع فقال : ﴿ان تقوم﴾ أى تبقى على ما تشاهدون من الأمر العظيم بلا عمد ﴿السمآء﴾ أفرد لأن السماء الأولى

(١ زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد : يتفكرون (٣ - ٣) من ظ و مد ، و فى الاصل : امر جامع (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الفعل (٥) فى ظ و مد : من (٦) فى ظ . على .

لا تقبل النزاع لأنها مشاهدة مع صلاحية اللفظ للكل لأنه جنس ﴿و الارض﴾ على ما لها من الجسامة و الثقل المقتضى للهبوط ﴿بامره[٥]﴾ لا بشيء سواه .

و لما لم يبق فى كمال علمه و تمام قدرته شبهة[١]، قال معبرا بأداة التراخى لتدل - مع دلالتها على ما هى له - على[٢] العظمة ، فقال دالا على أن قدرته على الأشياء كلها مع تباعدها على حد سواء ، و أنه لا فرق عنده ٥ فى شمول أمره بين قيام الأحياء و قيام الأرض و السماء ﴿ثم[٣] اذا دعاكم﴾ و أشار إلى هوان ذلك الأمر عنده بقوله : ﴿دعوة[٤] من الارض﴾ على[٤] بعد ما بينها و بين السماء فضلا عن العرش ، و أكد ذلك بكونه مثل لمح البصر أوهو أقرب فقال معبرا بأداة الفجاءة : ﴿اذآ انتم تخرجون﴾ أى يتجدد لكم هذا الوصف بعد اضمحلالكم بالموت / و البلى ، و يتكرر ١٠ / ١٢٩ باعتبار آحادكم من غير تلبث و لا مهلة أصلا ، إلا أن يترتب[٥] على الأفضل فالأفضل لقوله صلى الله عليه و سلم « أنا أول من تنشق عنه الأرض » كما دعاكم منها أولا [٦]إذ خلقكم[٦] من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، و أعرى[٧] هذه مما[٨] ختم به الآيات السالفة تنبيها على أنها مثل الأولى قد انتهت فى الظهور ، و لاسيما بانضمامها إلى الأولى التى هى أعظم ١٥ دال عليها إلى حد هو اضوأ من النور ، كما تأتى الإشارة إليه فى آية "و هو اهون عليه" .

(١) زيد فى ظ و مد : عبر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٣) ساقط فى الأصل فقط (٤) من ظ و مد ، و فى الاصل : أى (٥) فى مد : تترتب . (٦-٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : الخلقكم (٧) فى ظ : اجرى (٨) فى ظ : بما .

و لما ذكر تصرفه فى الظرف و بعض المظروف من الإنس و الجن، ذكر قهره للكل فقال: ﴿ و له ﴾ أى [و حده - [1]] بالملك الأتم ﴿ من فى السمٰوٰت و الارض [2] ﴾ أى كلهم، و أشار إلى الملك بقوله: ﴿ كل له ﴾ أى وحده. و لما كان انقياد الجمع [3] مستلزما لانقياد المفرد دون [3] عكسه جمع فى قوله: ﴿ قٰنتون ﴾ اى مخلصون فى الانقياد ليس لأنفسهم و لا لمن سواه فى الحقيقة و الواقع تصرف بوجه ما إلا باذنه [4]، و قال ابن عباس رضى الله عنهما: مطيعون طاعة الإرادة و إن عصوا أمره فى العبادة - نقله عنه البغوى [5] و غيره و رجحه الطبرى و هو معنى ما قلت.

و لما كان هذا معنى يشاهده كل أحد فى نفسه مع ما جلى سبحانه من عرائس الآيات الماضيات، فوصل الأمر فى الوضوح إلى حد عظيم قال: ﴿ و هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الذى يبدؤا الخلق ﴾ أى على سبيل التجديد كما تشاهدون، و أشار إلى تعظيم الإعادة بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم يعيده ﴾ أى بعد أن يبيده.

و لما كان من المركوز فى فطر جميع البشر أن إعادة الشىء أسهل من ابتدائه قال [6]: ﴿ و هو ﴾ أى و ذلك الذى ينكرونه من الإعادة ﴿ اهون عليه [1] ﴾ خطابا لهم بما [7] ألفوه و عقلوه [8] و لذلك أخر الصلة

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ و مد: الجميع (٣) فى ظ و مد: بدون. (٤) فى ظ و مد: بارادته (٥) راجع هامش اللباب ٥ / ١٧١ (٦) فى ظ: نقال (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بما (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: عقولهم - كذا.

لأنه لا معنى هنا للاختصاص الذى يفيده تقديمها .

و لما كان هذا إنما هو على طريق التمثيل لما يخفى عليهم بما هو جلى عندهم ، و كل من الأمرين بالنسبة إلى قدرته [على حد سواء لا شىء فى علمه أجلى من آخر ، و لا فى قدرته -[1]] أولى من الآخر ، قال مشيرا إلى تنزيه نفسه المقدسة عما قد يتوهمه بعض الأغبياء من ذلك : ﴿و له﴾ ٥ أى وحـــده ﴿المثل الاعلى﴾ أى الذى تنزه عن كل شائبة نقص ، و استولى على كل رتبة كمال ، و هو أمره الذى احاط بكل مقدور ، فعلم به إحاطته هو سبحانه بكل معلوم ، كما تقدم فى البقرة فى شرح المثل " الا له الخلق و الامر " .

و لما كان الخلق لقصورهم مقيدين بما لهم به نوع مشاهدة قال : ١٠ ﴿فى السمٰوٰت و الارض ع﴾ اللتين[2] خلقهما و لم تستعصيا عليه ، فكيف يستعصى عليه شىء فيهما ، و قد قالوا : إن المراد بالمثل هنا الصفة ، و عندى[3] أنه يمكن أن يكون على حقيقته تقريبا لعقولنا ، فاذا أردنا تعرفه سبحانه فى الملك مثلنا[4] بأعلى ما نعلم من ملوكنا فنقول : الاستواء على العرش مثل للتدبير [و التفرد بالملك كما يقال فى ملوكنا : فلان جلس على سرير ١٥ الملك ، بمعنى : استقل بالأمر و تفرد بالتدبير -[1]] و إن لم يكن هنا سرير[5] و لا جلوس ، و إذا ذكر بطشه سبحانه و أخذه لأعدائه فى نحو قوله تعالى " يد الله فوق ايديهم " " ان بطش ربك لشديد " مثلناه[6] بما لو قهر

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : الذين (٣) فى ظ : عنده.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اثلنا (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مثلنا .

١٣٠ / سلطان أعدائه بحزمه[١] و صحة تدبيره / و كثرة جنوده فقلنا "محق سيفه أعداءه" فأطلقنا سيفه على ما ذكر من قوته ، و إذا قيل : تجرى بأعيننا ، و نحو ذلك علمنا أنه مثل ما نقول[٢] إذا رأينا ملكا حسن التدبير لا يغفل عن شيء من أحوال رعيته فقلنا "هو فى غاية اليقظة" فأطلقنا اليقظة التى هى ضد النوم على حسن النظر و عظيم التدبير و شمول العلم ، و هذه تفاصيل مما[٣] قدمت أنه مثله ، و هو أمره المحيط الذى انجلى لنا به [غيب -[٤]] ذاته سبحانه ، و هكذا ما جاء من أمثاله نأخذ من العبارة[٥] روحها فنعلم أنه المراد ، و أن ذلك الظاهر ما ذكر إلا تقريبا للأفهام النقيسة[٦] على ما نعرف [٧]من أعلى الأمثال[٧] ، و الأمر بعد ذلك أعلى مما نعلم ، و لذلك قال تعالى : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ العزيز ﴾ أى الذى إذا أراد شيئا كان له فى غاية الانقياد كائنا ما كان[٨] ﴿ الحكيم ﴾ [أى -[٩]] الذى إذا[١٠] أراد شيئا أتقنه فلم يقدر غيره على[١١] التوصل إلى نقص شيء منه ، و لا تم حكمة هذا الكون على هذه الصورة إلا بالبعث ، بل هو محط الحكمة الأعظم ليصل كل ذى حق إلى حقه بأقصى التحرير على ما تتعارفه و إلا لكان الباطل أحق من الحق و أكثر ، فكان عدم هذا الموجود خيرا

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بحزبه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يقول. (٣) فى ظ : ما (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : العبادة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : النفيسه (٧- ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : كانت (٩) زيد من مد (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى .

من

من وجوده و أحكم .

و لما بان من هذا أنه المتفرد فى الملك بشمول العلم و تمام القدرة و كمال الحكمة ، اتصل بحسن أمثاله و إحكام[1] مقاله و فعاله قوله : ﴿ ضرب لكم ﴾ أى بحكمته فى أمر الأصنام [و -[2]] بيان إبطال من يشرك بها و فساد قوله بأجلى ما يكون من التقرير : ﴿مثلا﴾ مبتدئا ﴿ من انفسكم[4] ﴾ التى هى[3] ٥ أقرب الأشياء إليكم ، فأنتم لما تذكرون به أجدر بأن[4] تفهموه .

و لما كان حاصل المثل أنه لا يكون مملوك كمالك ، و كان التقرير أقرب إلى التذكير و أبعد عن التنفير[5] ، قال منكرا موبخا مقررا[6] : ﴿هل لكم﴾ أى يا من عبدوا مع الله بعض عبيده ﴿من ما﴾ أى من بعض ما ﴿ملكت ايمانكم﴾ أى من العبيد أو[7] الإماء الذين هم بشر مثلكم ، و عم فى النفى الذى هو ١٠ المراد بالاستفهام بزيادة الجار بقوله : ﴿من شركآء[8] ﴾ [أى -[2]] فى حالة من الحالات [يسوغ لكم بذلك أن تجعلوا لله شركاء -[2]] ، و نبه على ما فى[9] إيجاد الرزق ثم قسمته[10] بين الخلق و غير ذلك من شؤونه بقوله [التفاتا -[2]] - بعد طول التعبير بالغيبة التى قد يتوهم معها بعد - إلى التكلم بالنون الدال مع القرب على العظمة و لذة[11] الإقبال بالمخاطبة : ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : احكم (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ان (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : التغير .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مقرر (٧) فى ظ « و » (٨) من ظ و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : شركائكم (٩) زيد فى الأصل : غيره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : قسمه .
(١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كذا .

﴿ فيما رزقناكم ﴾ أى بما لنا من العظمة من مال أو جاه مع ضعف ملككم فيه .

و لما كانت الشركة سببا لتساوى[1] الشريكين فى الأمر المشترك قال : ﴿ فأنتم ﴾ أى معاشر الأحرار و العبيد . و لما كان ربما توهم أن "من شركاء" صفة لأولاد[2] من سراريهم ، قدم الصلة دفعا لذلك فقال : ﴿ فيه ﴾ أى الشىء الذى وقعت فيه الشركة من ذلك الرزق خاصة لا غيره من نسب أو حسب و نحوهما [أو خفة فى بدن أو قلب أو طول فى عمر و نحوها ، و أما أولادهم من السرارى فربما ساووهم فى ذلك و غيره من النسب و نحوه ، و العبيد ربما ساووهم فى قوة البدن و طول العمر أو زادوا -[3]] ﴿ سواء ﴾ ثم بين المساواة التى هى أن يكون حكم أحد القبيلين[4] فى المشترك على السواء كحكم الآخر لا يستبد أحدهما عن الآخر بشىء بقوله : ﴿ تخافونهم ﴾ أى معاشر السادة فى التصرف فى ذلك الشىء المشترك .

[و لما كانت أداة التشبيه أدل ، أثبتها فقال -[3]] : ﴿ كخيفتكم انفسكم[5] ﴾ أى كما تخافون بعض / من تشاركونه ممن يساويكم فى الحرية و العظمة ١٣١ / أن تتصرفوا فى الأمر المشترك بشىء لا يرضيه و بدون إذنه ، فظهر أن حالكم فى عبيدكم مثل [له -[3]] [5]فيمن أشركتموهم[5] به موضح لبطلانه ، فاذا [لم -[3]] ترضوا هذا لأنفسكم و هو أن يستوى[6] عبيدكم معكم[7] فى

(١) فى ظ : للتساوى (٢) فى ظ : الاولاد (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٤) فى ظ : القبيلتين (٥-٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : فيما اشتركتموه . (٦) فى ظ : يسوى (٧) سقط من ظ و مد .

الملك فكيف ترضونه بخالقكم فى هذه الشركاء التى زعمتموها فتسوونها به و هى من أضعف خلقه أفلا[1] تستحيون ؟

و لما كان هذا المثال، فى الذروة من الكمال، كان السامع جديرا بأن يقول: جل الله! ما أعلى شأن هذا البيان! هل يبين كل شىء هكذا؟ فقال: ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا البيان العالى ﴿نفصل﴾ أى نبين، ٥ لأن الفصل هو الميز و هو البيان، و ذلك على وجه عظيم - بما أشار إليه التضعيف مع التجديد و الاستمرار: ﴿الآيٰت﴾ أى الدلالات الواضحات. و لما كان البيان لا ينفع المسلوب قال: ﴿لقوم يعقلون*﴾ إشارة إلى أنهم إن[2] لم يعملوا بمقتضى ذلك كانوا مجانين، لأن[3] التمثيل يكشف المعانى بالتصوير و التشكيل[4] كشفا لا يدع لبسا، فمن خفى عليه لم يكن له ١٠ تمييز[5].

و لما كان جوابهم قطعا: ليس لنا شركاء بهذا الوصف، كان التقدير، فلم تتبعوا[6] فى الإشراك[6] بالله دليلا، فنسق عليه: ﴿بل﴾ و كان الأصل[7]: اتبعتم، و لكنه أعرض عنهم[8]، إيذانا بتناهى الغضب للعناد بعد البيان، و أظهر الوصف الحامل لهم على ذلك [تعميما و تعليقا للحكم به - [9]] ١٥

(١) فى ظ و مد: فلا - بحذف همزة الاستفهام (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: التشكيك (٥) من ظ و مد، وفى الأصل: تميز (٦-٦) من ظ و مد، وفى الأصل: بالاشراك. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: اصل (٨) من م - و تستأنف من هنا - و مد، و فى الأصل و ظ: عنه (٩) زيد من ظ و م و مد.

فقال[١] : ﴿ اتبع ﴾ [أى بتكليف أنفسهم خلاف الفطرة الأولى - [٢]]
﴿ الذين ظلموآ ﴾ أى وضعوا الشىء فى غير موضعه فعل الماشى فى الظلام
﴿ اهوآءهم ﴾ و هو ما يميل إليه نفوسهم .

و لما كان اتباع الهوى قد يصادف الدليل ، و إذا لم يصادف و كان
٥ من عالم رده عنه علمه قال : ﴿ بغير علم ﴾[٣] إشارة إلى بعدهم[٤] فى الضلال
لأن الجاهل يهيم[٥] على وجهه [٦]بلا مرجح غير الميل[٦] كالبهيمة لا يرده شىء ،
و أما العالم فربما رده علمه .

و لما كان هذا ربما أوقع فى بعض الأوهام أن هذا بغير إرادته
سبحانه ، دل بفاء السبب على أن التقدير : و هذا ضلال منهم بارادة الله[٧] ،
١٠ [فلما أساءوا باعراقهم فيه كانت عاقبتهم السوء و الخذلان ،
لأنهم أبعدوا أنفسهم عن أسباب الهدى - [٣]] : ﴿ فمن يهدى ﴾ أى
بغير إرادة الله ، و لفت الكلام من مظهر العظمة إلى أعظم
[منه - [٢]] بذكر الاسم الأعظم لاقتضاء الحال له فقال :
﴿ من اضل الله[٥] ﴾ الذى له الأمر كله ، و دل بواو العطف على أن
١٥ التقدير : ليس أحد يهديهم [لأنهم ابعدوا أنفسهم عن أسباب الهدى
فبعدوا عن أسباب النصر لأنهم صاروا على جرف هار فى كل أمورهم ، فلذا
حسن موضع تعقيبه بقوله - [٢]] : ﴿ و ما لهم ﴾ و أعرق فى النفى فقال :
﴿ من نصرين ﴾ أى من الأصنام و لا غيرها[٨] يخلصونهم مما هم فيه من

(١) زيد فى ظ : بل (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى ظ : أى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بعضهم (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يهتم.
(٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد فى الأصل : بما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

الخذلان و أسر الشيطان، و مما يسببه من النيران، و نفى الجمع دون الواحد لأن العقل ناصرلهم بما هو مهيأ[1] له من الفهم و اتباع دليل السمع لو استعملوه، أو لأنه ورد[2] جوابا لنحو " و اتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا لعلهم ينصرون " [أو للاشارة إلى أن تتبع الهوى لا ينفع فى تلافى أمره الا أعوان كثيرون - [3]] و دل على نفى الواحد " لا تجزى نفس عن نفس " - الآية، و " ان الكفرين لامولى لهم " [و - [4]] " فما له من قوة و لا ناصر " فى أمثالها .

و لما تحررت الأدلة، و انتصبت الأعلام، و اتضحت الخفايا، و صرحت الإشارات، و أفصحت السن العبارات، أقبل على خلاصة الخلق، إيذانا / بأنه لايفهم ذلك حق فهمه غيره، فقال[5] مسببا عن ذلك ١٣٢ / ١٠ ممثلا لإقباله[6] و استقامته و ثباته : ﴿ فاقم وجهك ﴾ أى قصدك كله ﴿ للدين ﴾ اى نصبا بحيث تغيب عما سواه، فلا تلتفت عنه أصلا فلا تنفك عن المراقبة، فان من اهتم بشىء سدد إليه نظره . و قوم له وجهه . ثم عرض بخلافة[7] أهل الضلال و غشاوتهم، و كثافتهم و غباوتهم، و جمودهم و قساوتهم، بقوله : ﴿ حنيفا[8] ﴾ أى حال كونك ميالا مع الدليل هينا[9] ١٥ لينا نافذ البصر نير[9] البصيرة سارى الفكر سريع الانتقال طائر الخاطر،

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : به مرتبا (٢) زيد فى الأصل : به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من م. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : قال (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل : بخلافة (٨) فى م و مد : هشا (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بين .

ثم بين أن هذا الأمر فى طبع كل أحد[١] و إن كانوا فيه متفاوتين كما تراهم إذا كانوا صغارا أسهل شيء انقيادا ، و لكنهم لما يكشف لهم الحال فى كثير من الأشياء عن [أن -[٢]] انقيادهم كان خطأ يصيرون[٣] يدربون أنفسهم على المخالفة دائما حتى تصير لبعضهم طبعا تجريبا فيصير أقسى[٤] شيء و أجمده[٥] بعد أن كان أسهل شيء و أطوعه ، و أكثر ما يكون هذا من قرناء السوء الذين يقولون ما لايفعلون ، و لهذا نهى أن يوعد الطفل بما لاحقيقة له : روى أحمد[٦] و ابن أبى الدنيا من[٧] طريق الزهرى عن أبى هريرة رضى الله عنه - قال المنذرى[٨] : و لم يسمع منه - أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : من قال لصبى : تعال[٩] هاك ! ثم[١٠] لم يعطه فهى كذبة ، و لأبى داود[١١] والبيهقى و ابن أبى الدنيا عن مولى عبد الله بن عامر - [١٢]قال ابن أبى الدنيا : زياد عن عبد الله بن عامر[١٢]- أن أمه رضى الله عنها قالت له : تعال[١٣] أعطيك ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه و سلم : ما أردت أن تعطيه ؟ قالت : تمرا ، فقال : أما إنك لو لم تعطيه شيئا كتبت عليك كذبة[١٤] . فقال تعالى مبينا لهم صحة دينه بأمر هو فى

(١) فى ظ و مد : واحد (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ ومد ، وفى الأصل وم: يصرون (٤) فى ظ ومد : أعسى (٥) فى ظ ومد : اجهده (٦) راجع مسنده ٢/٤٠٢ (٧) فى ظ : عن (٨) أراه فى الترغيب والترهيب (٩) من ظ و م و مد و المسند ، و فى الأصل : تعالى (١٠) من ظ و م و مد المسند ، و فى الأصل « و » (١١) راجع سننه ٢ / ١٩٨ (١٢ - ١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (١٣) من ظ و م و مد و السنن ، و فى الأصل : تعالى (١٤) و أخرجه الإمام أحمد أيضا فى مسنده ٣ / ٤٤٧ .

أنفسهم ، كما بين بطلان دينهم بأمر هو فى[1] أنفسهم : ﴿ فطرت الله ﴾ أى الزم فطرة الملك الذى لا راد لأمره ، و هى الخلقة [الأولى -[2]] التى خلق عليها البشر و الطبع الأول ، [و قال الغزالى فى آخر كتاب العلم من الإحياء[3] فى بيان العقل فى هذه الآية : أى كل آدمى فطر على الإيمان بالله تعالى بل على معرفة الأشياء على ما هى عليه ، أعنى أنها كالمتضمنة ٥ فيه[4] لقرب استعداده[5] للادراك - انتهى -[6]] ، ثم أكد ذلك بقوله : ﴿ التى فطر الناس ﴾ أى كل من له أهلية التحرك[7] ﴿ عليها[8] ﴾ كلهم الأشقياء و السعداء ، و[8]هى سهولة الانقياد و كرم الخلق الذى هو فى الصورة فطرة الإسلام ، و تحقيق ذلك أن المشاهد من جميع الأطفال سلامة الطباع و سلاسة[9] الانقياد [لظاهر الدليل -[2]] ، ليس منهم فى ١٠ ذلك عسر كما فى الكبار إن تفاوتوا فى ذلك ، فالمراد بالفطرة قبولهم للحق و تمكنهم من إدراكه ، كما تجد الأخرس يدرك [أمر -[6]] المعاد إدراكا بينا ، و له فيه ملكة راسخة ، و هذا المعنى هو الذى أشار إليه حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيحين و حديث ابن عباس رضى الله عنهما عند أحمد بن منيع أن النبى صلى الله عليه و سلم[10] قال : ١٥

---

(١) فى ظ ومد : من (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) ١/٦٤ (٤) فى الإحياء : فيها.
(٥) فى الإحياء : استعدادها (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التحر (٨) سقطت الواو من ظ (٩) من م ومد ، و فى الأصل وظ: سلامة (١٠) و الحديث من الشهرة بحيث يغنينا عن التعليق عليه .

كل مولود يولد [1]على الفطرة[1]ـ و فى رواية للبخارى[2] : ما من مولود إلا يولد على الفطرة - فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء[3]، هل[4] تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها. فذلك الجدع و الوسم و شق الأذن و نحو ذلك مثال للأخلاق[5] التى يتعلمها

١٣٣ / ٥ / الطفل ممن يعامله بها من الغش و الكذب و غير ذلك، و كذا حديث عياض بن حمار[6] المجاشعى[7] رضى الله عنه فى مسلم فى صفة النار[8] و النسائى فى فضائل القرآن و أبى داؤد الطيالسى أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : كل مال نحلته[9] عبدا حلال[10]، و إنى خلقت عبادى [11]حنفاء كلهم[11] و أنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم[12] عن دينهم، و حرمت عليهم ما أحللت

١٠ لهم، و أمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانه . و لكن الشيطان لا يتمكن إلا باقدار الله له فى الحال بما يخلق فى باطن المخذول من الباعث و فى الماضى من الطبائع التى هيأه بها لمثل ذلك كما أشار إليه قوله صلى الله عليه و سلم المتفق عليه فى الصحيح عن على رضى الله تعالى عنه

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٢) أوردها فى تفسير هذه الآية من سورة الروم : ٢ / ٧٠٤ (٣) سقط من ظ (٤) من المراجع، و فى الأصل : حتى (٥) فى ظ : الاخلاق (٦) من م و مد و التهذيب، و فى الأصل : حماد، و فى ظ : عمار (٧) فى ظ : المحاسبى (٨) باب الصفات التى يعرف بها فى الدنيا أهل الجنة و أهل النار (٩) من م و مد و صحيح مسلم، و فى الأصل و ظ : يخلقة (١٠) فى ظ : حلالا (١١ - ١١) من م و مد و صحيح مسلم، و فى الأصل و ظ : كلهم حنفاء - (١٢) من المراجع، و فى الأصل : فاحالتهم .

«اعملوا فكل ميسر لما خلق له[١]» و آية[٢] سبحان "[٣] كل يعمل على شاكلته" و ذلك أنه لما أخبرهم صلى الله عليه و سلم أن الله تعالى قد كتب أهل الجنة و أهل النار، فلا يزاد فيهم[٤] و لا ينقص، قالوا: أفلا نتكل على كتابنا و ندع العمل؟. فالكتاب حجة عليهم، لأن مبناه على أن فلانا من أهل النار لكونه لم يعمل كذا وكذا، فأرادوا أن ٥ يجعلوه حجة لهم فأعلموا أن فى ذلك أمرين لا يبطل أحدهما الآخر: باطن هو العلة الموجبة فى حكم الربوبية و هو العلم، و ظاهر هو "السمة اللازمة" فى حق العبودية و هو العمل، و هو أمارة مخيلة غير مفيدة حقيقة العلم، عولموا[٦] بذلك ليتعلق خوفهم بالباطن المغيب عنهم، و رجاؤهم بالظاهر البادى لهم، و الخوف و الرجاء مدرجتا العبودية ١٠ ليستكملوا بذلك صفة الإيمان، و نظير ذلك أمران: الرزق المقسوم مع الأمر بالكسب، و الأجل المحتوم مع المعالجة[٧] [٨]بالطب، فالمغيب[٨] فيهما علة موجبة و الظاهر سبب مخيل، و قد اصطلح خواصهم و عوامهم على أن الظاهر منهما لايترك بالباطن - ذكر معناه الرازى فى اللوامع عن الخطابى. ١٥

و لما كانت سلامة الفطرة الأولى أمرا[٩] مستمرا، قال: ﴿لا تبديل﴾

---

(١) و الحديث من الشهرة بحيث يغنينا عن التعليق عليه (٢) رقم ٨٤ (٣) زيد فى ظ «قل» (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيه (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السنة اللازم (٦) من ظ و م و مد. و فى الأصل: عملوا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المعاجلة (٨-٨) فى ظ: بالطيب و المغيب (٩) سقط من ظ.

و لعظم المقام كرر الاسم الأعظم فقال: ﴿لخلق الله[1]﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفوء له، لا يقدر أحد[1] أن يجعل طفلا فى أول أمره خبيث الفطرة لا ينقاد لما يقاد[2] إليه و لا يستسلم لمن يربيه، و كلما[3] كبر و طعن فى السن رجع لما طبع عليه من كفر أو إيمان، أو طاعة أو عصيان، أو [4]نكر أو عرفان[4]، قليلا قليلا، حتى ينساق[5] إلى ذلك عند البلوغ أو بعده، فان مات قبل ذلك جوزى بما كان الله يعلمه منه أنه[6] يعمله طبعيا و يموت عليه كالغلام الذى قتله الخضر عليه السلام صح الخبر بأنه طبع على الكفر، و لا يعذب بما يكون عارضا منه و يعلم أنه سيكون لو كان كأبوى الغلام لما وقع التصريح به من أنه لو عاش لأرهقهما طغيانا و كفرا، فقد علم منهما الكفر حينئذ فلم يؤاخذا به لأنه عارض لا طبعى، فالعبرة بالموت، و من طبع على شىء لم يمت على غيره، فحقق هذا تعلم أنه لا تنافى بين شىء من النصوص لا من الكتاب[7] و لا من السنة - و الله الهادى. /١٣٤

/و لما كان الميل مع[8] الدليل كيفما مال أمرا لايكتنه قدره و لا ينال إلا بتوفيق من الله، أشار إلى عظمته بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم و[9] هو الاهتزاز للدليل و اتباع ما يشير إليه و يحث عليه

(١) سقط من ظ (٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ: ينقاد (٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل: لما (٤-٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل: نكرا او عرفانا. (٥) سقط من ظ ومد (٦) فى ظ: بانه (٧) ومن هنا سقطت صفحتان من مد. (٨) زيد فى ظ: ان (٩) فى ظ: الذى.

﴿الدين القيم﴾ الذى لا عوج فيه ﴿و لكن اكثر الناس﴾ قد تدربوا فى اتباع الأهوية لما تقدم من الشبه[1] فصاروا بحيث ﴿لا يعلمون﴾ أى لا علم لهم أصلا حتى يميزوا الحق من الباطل لما غلب عليهم من الجفاء.

و لما كان من الناس من منّ الله عليه بأن كان فى هذا الميدان، و سمت[2] همته إلى مسابقة الفرسان. [3]فلما رأى[3] أنه لم يلتفت إليه، و لم يعول أصلا عليه[4]، كادت نفسه تطير، و كانت عادة القوم أن يخاطبوا القوم لمخاطبة رئيسهم تعظيما له و حثا لهم على التحلى بما خص به، جُبرت قلوبهم و شرحت صدورهم فبينت لهم حال من ضمير "اقم" أو من العامل فى "فطرت" إعلاما بانهم مرادون بالخطاب، مشار[5] إليهم بالصواب، فقال: ﴿منيبين﴾ أى راجعين مرة بعد مرة بمجاذبة النفس و الفطرة الأولى ﴿اليه﴾ تعالى بالنزوع [6]عما اكتسبتموه[6] من ردىء الأخلاق إلى تلك الفطرة السليمة المنقادة للدليل، الميالة إلى سواء السبيل.

و لما لم يكن بعد الرجوع إلى المحجة[7] إلا الأمر[8] بلزومها خوفا من الزيغ عنها دأب المرة الأولى، قال عاطفا[9] على "فاقم": ﴿و اتقوه﴾ أى خافوا أن تزيغوا عن سبيله يسلكم فى أيدى أولئك المضلين، فاذا

(١) فى ظ: الشيعة، و فى م: الشبهة (٢) فى ظ: سمعت - خطأ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل: مشارا، و فى ظ: مشيرا (٦ - ٦) من م، و فى الأصل: كما اكتسبوه، و فى ظ: عما الفتموه (٧) من م، و فى الأصل و ظ: الحجة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الامن (٩) فى ظ: عطفا.

خفتموه فلزمتموها كنتم ممن تخلى عن الرذائل ﴿و اقيموا الصلوٰة﴾ تصيروا[1] ممن تحلى بالفضائل - هكذا دأب الدين أبدا تخلية ثم تحلية: أول الدخول إلى الإسلام التنزيه، و أول الدخول فى[2] القرآن الاستعاذة، و هو أمر ظاهر معقول، مثاله من أراد أن يكتب فى شيء إن مسح ما فيه من الكتابة انتفع بما كتب، و إلا أفسد الأول و لم يقرأ الثانى - والله الموفق

و لما كان الشرك [3]من الشر[3] بمكان ليس هو لغيره، أكد النهى عنه بقوله: ﴿و لا تكونوا﴾ أى كونا ما ﴿من المشركين﴾ أى لاتكونوا ممن يدخل فى عدادهم بموادة[4] أو معاشرة أو عمل تشابهونهم فيه فانه "من تشبه بقوم فهو منهم" و هو عام فى كل شرك سواء كان بعبادة صنم أو نار أو غيرهما، أو بالتدين بما يخالف النصوص من أقوال الأحبار و الرهبان و غير ذلك.

و لما كانوا يظنون أنهم على صواب، نصب لهم دليلا على بطلانه بما لا أوضح منه، و لايمكن أحدا التوقف فيه، و ذلك أنه[5] لا يمكن أن يكون الشيء متصفا بنفى شيء و إثباته فى حالة واحدة فقال مبدلا: ﴿من الذين فرقوا﴾ لما فارقوا ﴿دينهم﴾ الذى هو الفطرة الأولى، فعبد كل قوم منهم شيئا و دانوا دينا غير دين من سواهم، و هو معنى ﴿و كانوا﴾ [أى -[6]] بجهدهم و جدهم فى [تلك-[7]] المفارقة المفرقة ﴿شيعا[1]﴾

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و م: الى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: بموادة (٥) فى ظ: لأنه، و فى م: بأنه (٦) زيد من م (٧) زيد من ظ و م.

أى فرقا متحالفين ، كل واحدة[1] منهم تشايع من دان بدينها على من خالفهم حتى كفر بعضهم بعضا و استباحوا الدماء و الأموال ، فعلم قطعا أنهم كلهم ليسوا على الحق .

و لما كان / هذا أمرا يتعجب من وقوعه ، زاده عجبا بقوله استئنافا : ١٣٥ /
﴿كل حزب﴾ أى منهم ﴿بما لديهم﴾ أى خاصة من خاص ما عندهم ٥
من الضلال الذى انتحلوه ﴿فرحون ٥﴾ ظنا منهم[2] أنهم صادفوا الحق و فازوا به دون غيرهم .

و لما حصل من هذا القطع من كل عاقل أن[3] أكثر الخلق ضال ، فكان الحال جديرا بالسؤال ، عن وجه الخلاص من هذا الضلال ، أشير إليه[4] أنه لزوم الاجتماع ، و بين ذلك فى جملة[5] حالية من فاعل "فرحون" ١٠
فقال تعالى : ﴿و اذا﴾ و كان الأصل : مسهم ، و لكنه قيل [لأنه أنسب بمقصود السورة من قصر ذلك على الإنسان كما هى العادة فى أكثر السور أو غير ذلك من أنواع العالم -[6]] : ﴿مس الناس﴾ تقوية لإرادة[7] العموم [إشارة إلى كل من فيه أهلية النوس و هو التحرك ، من الحيوانات العجم و الجمادات لو نطقت ثم اضطربت لتوجهت إليه سبحانه و لم تعدل عنه كما ١٥
أنها الآن كذلك بألسنة أحوالها ، فهذا هو الإجماع الذى لا يتصور معه نزاع -[6]]

(١) من ظ ، و فى الأصل و م : واحد (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ ، و فى الأصل و م : بان (٤) فى ظ و م : الى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : علة .
(٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لاداة .

﴿ضر دعوا ربهم﴾ أى[1] الذى لم يشاركه[2] فى الإحسان إليهم أحد [فى جميع مدة مسهم بذلك الضر - بما أشار إليه الظرف -[3]] حال كونهم ﴿منيبين﴾ أى راجعين من جميع ضلالاتهم التى فرقتهم عنه ﴿اليه﴾ علما منهم بأنه لا فرج لهم عند شىء غيره ، هذا ديدن الكل لايخرم عنه أحد منهم فى وقت من الأوقات ، و لا فى [4]أزمة من الأزمات[4]، قال الرازى فى اللوامع فى أواخر العنكبوت : و هذا دليل على أن معرفة الرب فى فطرة كل إنسان ، و أنهم إن غفلوا فى السراء فلا شك أنهم يلوذون إليه فى حال الضراء .

و لما كان كل واقع فى شدة مستبعدا كل استبعاد الخلاص منها قال : ﴿ثم﴾ بأداة البعد ﴿اذآ اذاقهم﴾ [مسندا الرحمة إليه تعظيما للأدب و إن كان الكل منه -[3]] . و لما كان السياق كله للتوحيد ، فكانت العناية باستحضار المعبود باسمه و ضميره أتم قال : ﴿منه﴾ مقدما ضميره دالا بتقديم الجار على الاختصاص و أن ذلك لايقدر عليه غيره ، و قال : ﴿رحمة﴾ أى خلاصا من ذلك الضر[5]، إشارة إلى أنه لو أخذهم بذنوبهم أهلكهم ، فلا[6] سبب لإنعامه سوى كرمه ، و دل على شدة إسراعهم فى كفران الإحسان بقوله معبرا بأداة المفاجأة : ﴿اذا فريق منهم﴾ أى [طائفة هى -[7]] أهل لمفارقة[8] الحق ﴿بربهم﴾ أى المحسن إليهم دائما ، المجدد لهم

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : لم يشرعه ، و فى م : لم يشركه (٣) زيد من ظ .
(٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : زمن من الازمان (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الضراء (٦) فى ظ : ولا (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : المفارقة .

هذا الإحسان من هذا الضر ﴿يشركون ه﴾ بدل[1] ما لزمهم من أنهم يشكرون[2] فعلم أن الحق الذى لامعدل عنه الإنابة[3] فى كل حال إليه كما أجمعوا فى وقت الشدائد عليه، و أن غيره مما فرقهم ضلال، لايعد له قبالا و لا ما [4]يعدله[4] قبال .

و لما كان [هذا -[5]] الفعل مما لايفعله إلا شديد الغباوة أو العناد، ٥ و كانوا يدعون أنهم أعقل الناس، ربا بهم عن منزلة البله إلى ما الجنون خير منه تهكما بهم فقال: ﴿ليكفروا بما﴾[6] و لفت الكلام إلى مظهر العظمة فقال[6]: ﴿اتينهم[6]﴾ أى من الرحمة التى من عظمتها أنه لايقدر عليها غيرنا أمنا من أن يقعوا فى شدة أخرى فنهلكهم بما أغضبونا، أو توسلا بذلك إلى أن[7] نخلصهم متى وقعوا فى أمثالها، فما أضل عقولهم و أسفه[8] آراءهم ١٠

و لما كان فعلهم هذا سببا لغاية الغضب، دل عليه بتهديده ملتفتا إلى المخاطبة بقوله: ﴿فتمتعوا فسوف﴾ أى [بما -[9]] أردتم فيه بالشرك من اجتماعكم عند الأصنام و تواصلكم بها و تعاطفكم، و سبب عن[10] هذا التمتع قوله: ﴿فسوف تعلمون ه﴾ أى يكون لكم بوعد لاخلف فيه علم / فتعرفون إذا حل بكم البلاء و أحاط بكم جميعا المكروه[11] هل ينفعكم شىء ١٥ /١٣٦

(١) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من م، و فى الأصل و ظ: يشركون (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الابه. (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: يعدل له (٥) زيد من م (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) فى ظ: انهم (٨) من ظ و م، و فى الأصل: اسعة - كذا (٩) زيد من ظ و م (١٠) فى ظ: من (١١) زيدت الواو فى ظ.

من الأصنام أو من اتخذتم عنده يدا بعبادتها و وافقتموه فى التقرب إليها .

و لما بكتهم بقوله " هل لكم مما ملكت ايمانكم " و وصل به ما تقدم أنه فى غاية التواصل ، عاد له ملتفتا إيذانا بالتهاون بهم إلى مقام الغيبة إبعادا لهم عن جنابه حيث جلى لهم هذه الأدلة و استمروا فى خطر إغضابه[1] بقوله : ﴿ ام انزلنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ عليهم سلطنا ﴾ أى دليلا واضحا قاهرا ﴿ فهو ﴾ أى ذلك السلطان لظهور بيانه ﴿ يتكلم ﴾ كلاما مجازيا بدلالته و إفهامه ، و يشهد ﴿ بما ﴾ أى بصحة[2] الذى ﴿ كانوا ﴾ أى كونا راسخا ﴿ به ﴾ أى خاصة ﴿ يشركون ﴾ بحيث لم يجدوا بدا من متابعته لتزول عنهم الملامة ، و هذه العبارة تدل على أنهم لازموا الشرك ملازمة صيرته لهم خلقا لا ينفك .

و لما بان بهذين المتعادلين أنه لم يضطرهم إلى الإشراك عرفٌ فى أنفسهم مستمر دائم ، و لا دليل عقلى ظاهر ، و لا أمر من الله قاهر ، فبان انهم لم يتبعوا عقلا و لا نقلا ، بل هم أسرى[3] الهوى المبنى على محض الجهل ، و [كان -[4]] قد صرح بذلك عقب العديل[5] الأول ، لمح هنا ، و ترك التصريح به لإغناء الأول عنه ، و استدل عليه بدليل خالفوا فيه العادة المستمرة ، و الدلالة الشهودية المستقرة ، فقال عاطفا على "و اذا مس" دالا على خفة أحلامهم[6] من وجه آخر غير الأول : ﴿ و اذا ﴾ معبرا

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : اعضائه (٢) فى ظ : ما (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : اسر (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الدليل (٦) فى ظ : اخلاقهم .

بأداة التحقيق إشارة إلى أن الرحمة أكثر من النقمة، و أسند الفعل إليه فى مقام العظمة إشارة إلى سعـــة جوده فقال: ﴿ اذقنا ﴾ [و جرى الكلام على النمط الماضى فى العموم لمناسبة مقصود السورة فى أن الأمر كله له فى كل شىء فقال -[١]] : ﴿الناس رحمة﴾ أى نعمة من غنى و نحوه لاسبب لها إلا رحمتنا ﴿فرحوا بها[٤] ﴾ أى فرح مطمئن بطر آمن [من -[٢]] ٥ زوالها، ناسين شكر من أنعم بها، و قال: ﴿و ان﴾ بأداة الشك دلالة على أن المصائب أقل وجودا، و قال: ﴿ تصبهم ﴾ غير مسند لها إليه تأديبا لعباده[٣] و إعلاما بغزير كرمه ﴿ سيئة ﴾ أى شدة تسوءهم من قحط و نحوه .

و لما كانت المصائب مسببة عن الذنوب. قال منبها لهم على ذلك ١٠ منكرا قنوطهم و هم لايرجعون عن المعاصى التى عوقبوا بسببها: ﴿ بما قدمت ايديهم ﴾ أى من المخالفات، مسندا له إلى اليد لأن أكثر العمل بها ﴿اذا هم﴾ أى بعد ما ساءهم وجودها مساءة نسوا[٥] بها [ما -[٢]] خولوا فيه من النعم و جملوا به من ملابس الكرم ﴿ يقنطون ﴾ أى فاجأوا اليأس، مجددين له فى كل حين من أحيان نزولها[٦] و إن كانوا ١٥ يدعون ربهم فى كشفها و يستعينونه[٧] لصرفها مع مشاهدتهم لضد ذلك فى كلا الشقين فى أنفسهم و غيرهم متكررا. و لذلك أنكر عليهم عدم

(١) زيد من ظ (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل : للعباد (٤) من ظ و م، وفى الأصل : نسبوا (٥) زيد من ظ و م (٦) فى م : بروكها (٧) فى م : يستغيثونه .

الرؤية دالا بواو العطف أن التقدير : ألم يروا فى أنفسهم تبدل الأحوال، قائلا[1] : ﴿ او لم يروا ﴾ أى بالمشاهدة و الإخبار رؤية متكررة، [فيعلموا علما هو فى ثباته كالمشاهد المحسوس، و عبر بالرؤية الصالحة للبصر و البصيرة لأن[2] مقصود السورة إثبات الأمر كله لله، و لا يكفى فيه إلا بذل الجهد ٥ و إمعان النظر، و السياق لذم القنوط الذى يكفى فى بقية المشاهدة لاختلاف الأحوال، بخلاف الزمر التى مقصودها الدلالة على صدق الوعد الكافى فيه مطلق العلم -[3]].

[4]و لما كان فى البسط و القبض جمع بين جلال و جمال، لفت الكلام بذكر الاسم[5] الجامع فقال: ﴿ ان الله ﴾ بجلاله و عظمته ١٠ ﴿ يبسط الرزق ﴾ أى يكثره ﴿ لمن يشآء ﴾ أى من عباده منهم و من غيرهم ﴿ و يقدر[4] ﴾ أى يضيق، و إن هذا شأنه دائما مع الشخص الواحد / فى أوقات متعاقبة متباعدة و متقاربة، و مع الأشخاص و لو فى الوقت الواحد، فلو اعتبروا حال قبضه سبحانه لم يبطروا[6]، و لو اعتبروا حال بسطه لم يقنطوا، بل كان حالهم الصبر فى البلاء، و الشكر فى ١٥ الرخاء، و الإقلاع عن السيئة التى نزل بسببها القضاء، فقد عرف من حالهم[7] أنهم متقيدون[7] دائما بالحالة الراهنة[8]. يغلطون فى الأمور المتكررة المشاهدة، فلا عجب فى تقيدهم فى إنكار البعث بهذه الحياة الدنيا.

/١٣٧

(١) فى ظ : قليلا (٢) و من هنا استأنفت نسخة مد (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٤) العبارة من هنا إلى « الجامع فقال » ساقطة من ظ و مد. (٥) فى الأصل بياض، ملأناه من م (٦) فى ظ و مد : لم ينظروا (٧-٧) فى ظ : يتقيدون (٨) فى ظ : الواهية.

و لما لم يغن عن[1] أحد منهم فى استجلاب الرزق [قوته -[2]] و غزارة عقله و دقة مكره [و كثرة -[3]] حيله ، و لا ضره ضعفه [4]و قلة عقله[4] و عجز حيلته ، و كان ذلك أمرا عظيما و منزعا مع شدة ظهوره و جلالته خفيا دقيقا كما قال بعضهم :

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه و جاهل جاهل تلقاه مرزوقا ٥

أشار سبحانه إلى عظمته بقوله ، مؤكدا لأن عملهم فى شدة اهتمامهم[5] بالسعى فى الدنيا عمل من يظن أن تحصيلها إنما هو على قدر الاجتهاد فى الأسباب : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من الإقتار فى وقت و الإغناء فى آخر و التوسيع[6] على شخص و التقتير على آخر ، و الأمن من زوال الحاضر من النعم مع تكرر المشاهدة للزوال فى النفس و الغير ، و اليأس ١٠ من حصولها عند المحنة مع كثرة وجدان الفرج[7] و غير ذلك من أسرار[8] الآية ﴿ لأيت ﴾ أى دلالات واضحات على الوحدانية لله تعالى و تمام العلم و كمال القدرة ، و أنه لا فاعل فى الحقيقة إلا هو لكن ﴿لقوم﴾ أى ذوى همم و كفاية للقيام بما يحق لهم أن يقوموا فيه ﴿ يؤمنون ٥ ﴾ أى يوجدون هذا الوصف و يديمون[9] تجديده كل وقت لما يتواصل عندهم ١٥

(١) فى ظ : عنهم (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و مد .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اهتمام (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التوسع (٧) فى ظ : الفرح .
(٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اسر (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يدعون .

من قيام الأدلة ، بادامة التامل و الإمعان فى التفكر ، وا لاعتماد فى الرزق على من قال " و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مـدكر " أى من طالب علم فيعان عليه فلا يفرحون بالنعم إذا حصلت خوفا من زوالها إذا أراد القادر ، [و ـ[1]] لايغتمون بها إذا زالت رجاء فى إقبالها فضلا من الرازق[2] ، لأن « أفضل العبادة انتظار الفرج » بل هم بما عليهم[3] من وظائف العبادة واجبها و مندوبها معرضون عما سوا ذلك ، قد وكلوا أمر الرزق إلى من تولى[4] أمره و فرغ من قسمه و قام بضمانه ، و هو القدير العليم .

و لما أفهم ذلك عدم الاكتراث [5]بالدنيا لأن الاكتراث[5] بها لا يزيدها ، و التهاون بها لا ينقصها ، فصار ذلك لايفيد إلا تعجيل النكد بالكد و النصب ، و كان مما تقدم أن السيئة من أسباب المحق ، سبب عنه الإقبال على إنفاقها[6] فى حقوقها إعراضا عنها و إيذانا باهانتها و إيقانا بأن ذلك هو استبقاؤها و استثمارها و استنماؤها ، فقال خاصا بالخطاب[7] أعظم المتأهلين لتنفيذ[8] أوامره لأن ذلك أوقع فى نفوس الأتباع ، و أجدر بحسن القبول منهم و السماع : ﴿فآت﴾ يا خير الخلق ! ﴿ذا القربىٰ حقه﴾ بادئا بـه لأنه أحق الناس بالبر ، [صلة ـ[1]] للرحم و جودا و كرما

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : الرزاق (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليهم (٤) فى ظ : ولى (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) فى ظ : انفاقهما (٧) زيد فى ظ : من (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لتقيد .

﴿و المسكين﴾ سواء / كان ذا قربى أو لا ﴿و ابن السبيل﴾ و هو المسافر كذلك، و الحق الذى ذكر لهما[1] الظاهر أنه يراد به النفل لا الواجب، لعدم ذكر بقية الأصناف، و دخل الفقير[2] من باب الأولى . ١٣٨ /

و لما أمر بالإيتاء[3]، رغب فيه فقال: ﴿ذلك﴾ أى الإيتاء العالى الرتبة ﴿خير﴾ و لما كان سبحانه أغنى الأغنياء فهو لا يقبل إلا ما كان ٥ خالصا لوجهه لا رياء فيه[4]، قال معرفا أن ذلك ليس قاصرا على من خص بالخطاب بل[5] كل من تأسى به نالته بركته ﴿للذين يريدون﴾ بصيغة الجمع، و لما كان الخروج عن المال فى غاية الصعوبة[6]، رغب فيه بذكر الوجه الذى [هو -[7]] أشرف ما فى الشىء المعبر به هنا عن الذات و [بتكرير -[7]] الاسم الأعظم المألوف لجميع الخلق [فقال -[7]] : ﴿وجه الله ذ﴾ أى ١٠ عظمة الملك الأعلى، فيعرفون من حقه ما يتلاشى عندهم على [كل -[7]] ما سواه فيخلصون له ﴿و اولئك﴾ العالو الرتبة لغناهم عن كل فان ﴿هم﴾ خاصة ﴿المفلحون ه﴾ [أى -[8]] الذين لا يشوب فلاحهم شىء من الخيبة، و أما غيرهم فخائب، أما[4] إذا لم ينفق فواضح، و أما من أنفق على وجه الرياء بالسمعة و الرياء فانه[9] خسر ماله، و أبقى عليه وباله، ١٥ و أما من أنفق على وجه الرياء الحقيق فقد صرح به تعريفا بعظيم فحشه

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الفقر (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالايثار . (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: من (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الضعف (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) زيد من ظ (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وانه .

صارفا الخطاب[1] عن المقام الشريف الذى كان مقبلا عليه ، تعريفا بتنزه[2] جنابه عنه ، و[3] بعد تلك الهمة العلية و السجايا الطاهرة النقية منه ، إلى جهة من يمكن ذلك منهم فقال : ﴿ و ما اتيتم ﴾ أى جئتم [أى فعلتم -[4]] - فى قراءة ابن كثير بالقصر[5] ليعم المعطى و الآخذ و المتسبب ، أو[6] أعطيتم - فى قراءة غيره بالمد ﴿ من ربا ﴾ أى مال على وجه الربا المحرم أو[7] المكروه . و هو أن يعطى عطية ليأخذ فى ثوابها أكثر منها ، و كان هذا مما حرم على النبى صلى الله عليه و سلم تشريفا له ، و كره لعامة الناس ، و على قراءة ابن كثير بالقصر المعنى : و ما جئتم به من إعطاء بقصد الربا ﴿ليربوا﴾ أى يزيد و يكثر ذلك الذى أعطيتموه أو فعلتموه ، أو لتزيدوا أنتم ذلك - على قراءة المدنيين[8] و يعقوب بالفوقانية المضمومة ، من : أربى ﴿ فى اموال الناس ﴾ [أى تحصل فيه زيادة تكون أموال الناس ظرفا لها ، فهو كناية عن -[4]] أن الزيادة التى يأخذها المربى من أموالهم لا يملكها أصلا ﴿فلا يربوا﴾ أى يزكو و ينمو ﴿عند الله ج﴾ أى الملك الأعلى الذى له الغنى المطلق و كل صفات الكمال ، و كل ما لا يربو عند الله فهو غير مبارك بل ممحوق لا وجود له ، [9]فانه إلى فناء و إن كثر[9] " يمحق الله الربوٰ و يربى الصدقٰت " .

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لخطاب (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بتنزيه (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) راجع نثر المرجان ٥/ ٢٩٨ (٦) فى ظ و م و مد « و » (٧) فى ظ و مد « و » .
(٨) راجع نثر المرجان ٥/٢٩٩ (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

و لما ذكر ما زيادته نقص، أتبعه ما نقصه زيادة فقال: ﴿و مآ اتيتم﴾ أى أعطيتم للاجماع على مده[1] لئلا يوهم القصر الترغيب فى أخذ الزكاة ﴿من زكوة﴾ أى صدقة، و عبر عنها بذلك ليفيد الطهارة و الزيادة، أى تطهرون بها أموالكم من الشبه، و أبدانكم من مواد[2] الخبث، و أخلاقكم من الغل و الدنس. و لما كان الإخلاص عزيزا، أشار ٥ إلى عظمته بتكريره فقال: ﴿تريدون﴾ [3]أى بها[3] ﴿وجه الله﴾ خالصا مستحضرين لجلاله و عظمته و كماله، و عبر عن الذات بالوجه لأنه الذى يجل / صاحبه و يستحى منه عند رؤيته و هو أشرف ما فى الذات. / ١٣٩

و لما كان الأصل: فأنتم، عدل به إلى صيغة تدل على تعظيمه بالالتفات إلى خطاب من بحضرته[4] من أهل قربه و ملائكته، لأن العامل ١٠ يجب أن يكون له بعمله لسان [صدق -[5]] فى الخلائق فكيف إذا كان من الخالق، و بالإشارة إليه بأداة البعد إعلاما بعلو رتبته، و أن المخاطب بالإيتاء كثير، و العامل قليل و جليل، فقال: ﴿فاولئك﴾ و لعل إفراد المخاطب هنا للترغيب فى الإيتاء بأنه[6] لا يفهم ما لأهله حق فهمه سوى المنزل عليه هذا[7] الوحى صلى الله عليه و سلم ﴿هم﴾ أى خاصة ١٥ ﴿المضعفون﴾ أى الذين ضاعفوا أموالهم فى الدنيا بسبب ذلك بالحفظ و البركة، و فى الآخرة بكثرة الثواب عند الله من عشرة أمثال[8] إلى ما

(١) راجع نثر المرجان ٥/٣٠٠ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: موارد (٣-٣) ورد فى مد بعد «وجه الله» (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يحضر (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لأنه (٧) فى ظ و مد: هنا (٨) من ظ م، و فى الأصل و مد: أمثاله.

لا حصر له كما يقال : مقو و موسر و مسمن و معطش - لمن له قوة و يسار و سمن فى إبله و عطش و نحو ذلك .

و لما وضح بهذا أنه لا زيادة إلا فيما يزيده الله ، و[1] لا خير إلا فيما يختاره الله ، فكان ذلك مزهدا فى زيادة الاعتناء بطلب[2] الدنيا ، بين ٥ ذلك بطريق لا أوضح منه فقال : ﴿ الله ﴾ أى بعظيم جلاله لا غيره ﴿ الذى خلقكم ﴾ أى أوجدكم على ما أنتم عليه من التقدير لا تملكون شيئا .

و لما كان[3] الرزق موزعا بين الناس بل هو ضيق[4] على كثرته عن كثير[5] منهم ، فكان رزق من تجدد - لاسيما إن كان[6] ابنا لفقير - مستبعدا ، ١٠ أشار إليه بأداة البعد فقال : ﴿ ثم رزقكم ﴾ و لما كانت[7] إماتة المتمكن من بدنه و عقله و قوته و أسباب نبله عجيبة ، نبه عليها بقوله : ﴿ ثم يميتكم ﴾ و لما كان كل ذلك فى الحقيقة عليه هينا[8] ، و كان الإحياء بعد الإماتة إن لم يكن أهون من الإحياء أول مرة كان مثله و إن استبعدوه قال : ﴿ ثم يحييكم ﴾ .

١٥ و لما استغرق بما ذكر جميع ذواتهم و أحوالهم ، و كان الشريك

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد : الطلب (٣) زيد فى الأصل : التقدير ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صيف (٥) زيد فى ظ : كانت من اماتة المتمكن من بدنه وعقله وقوته (٦) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هنا .

من

من قام بشيء من العمل أو[1] المعمول فيه، و كان من المعلوم أنه ليس لشركائهم فى شيء من ذلك نوع صنع، قال منكرا عليهم: ﴿هل من﴾ و لما كان إشراكهم بما أشركوا لم تظهر له ثمرة إلا فى[1] أنهم جعلوا لهم جزءا من أموالهم، عبر بقوله: ﴿شركآئكم﴾ أى الذين تزعمونهم شركاء ﴿من يفعل من ذلكم﴾ مشيرا إلى علو رتبته بأداة البعد و خطاب الكل. ٥

و لما كان الاستفهام الإنكارى التوبيخى فى معنى النفى، قال مؤكدا له مستغرقا لكل ما يمكن منه و لو قل جدا: ﴿من شيء[4]﴾ [أى -[2]] يستحق هذا الوصف الذى تطلقونه عليه.

و لما لزمهم قطعا أن يقولوا: لا[3] و عزتك! ما[4] لهم و لا لأحد منهم فى شيء من ذلك من فعل، أشار إلى عظيم ما ارتكبوه بما أنتجه هذا ١٠ الدليل، فقال معرضا عنهم زيادة فى التعظيم و العظمة، منزها لنفسه الشريفة منبها على التنزيه ببعد رتبته الشماء من حالهم: ﴿سبحنه﴾ أى تنزه تنزها لا يحيط به الوصف [من أن يكون محتاجا إلى شريك، فان ذلك نقص عظيم. و لما كان من أخبر بأنه فعل شيئا أو يفعله كالإماتة و الإحياء بالبعث و غيره لا يحول بينه[5] و بينه[5] المقاوم من شريك و نحوه، قال -[6]]: ١٥ ﴿و تعلى[1]﴾ أى علوا لا تصل إليه العقول، كما دلت عليه صيغة التفاعل، و جرت قراءة حمزة و الكسائى بالخطاب على الأسلوب الماضى[7]، و أذنت

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا (٥ - ٥) ليس فى ظ. (٦) زيد من ظ و مد (٧) سقط من م.

/١٤٠ قراءة الباقين [١] بالغيب [٢] بالإعراض للغضب فى [٢] قوله / معبرا بالمضارع إشارة إلى أن العاقل من شأنه أنه [٣] لايقع منه شرك [٤] أصلا ، فكيف إذا كان على سبيل التجدد و الاستمرار : ﴿عما يشركون ه﴾ فى أن يفعلوا شيئا من ذلك أو [٥] يقدروا بنوع من أنواع القدرة على أن يحولوا بينه و بين شيء مما يريد ليستحقوا بذلك أن يعظموا نوع تعظيم ، فنزهوه و عظموه بالبراءة من كل معبود سواه .

و لما بين لهم سبحانه [من - [٦]] حقارة شركائهم ما كان حقهم به أن يرجعوا ، فلم يفعلوا ، أتبعه ما أصابهم به على غير ما كان فى أسلافهم عقوبة لهم على قبيح ما ارتكبوا ، استعطافا للتوبة فقال : ﴿ظهر الفساد﴾ أى النقص فى جميع ما ينفع الخلق ﴿فى البر﴾ بالقحط [٧] و الخوف و نحوهما ﴿و البحر﴾ بالغرق و قلة الفوائد من الصيد و نحوه من كل ما كان يحصل منه قبل [٨] ، و قال البغوى [٩] : البر البوادى و المفاوز ، و البحر المدائن و القرى التى على المياه الجارية ، قال عكرمة : العرب تسمى المصر بحرا . ثم بين سببه بقوله : ﴿بما﴾ و لما أغنى السياق بدلالته على السيئات عن الافتعال قال : ﴿كسبت﴾ أى عملت

---

(١) راجع نثر المرجان ٥/٣٠١ و ٣٠٢ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : ان (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : شربى (٥) من ظ وم ومد وفى الأصل « و » (٦) زيد من ظ وم ومد (٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : بالحفظ (٨) سقط من ظ وم ومد (٩) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ / ١٧٤ .

من الشر عملا هو من شدة ترامیهم إليه و إن كان على أدنى الوجوه بما أشار إليه تجريد الفعل كأنه مسكوب[1] من علو، و من شدة إتقان شره كأنه مسبوك[2].

و لما كان أكثر الأفعال باليد، أسند إليها ما يراد به الجملة مصرحا بعموم كل ما له أهلية التحرك فقال: ﴿ ايدى الناس ﴾ أى عقوبة لهم على فعلهم. و لما ذكر علته البدائية، ثنى بالجزائية فقال: ﴿ لنذيقهم ﴾ أى بما لنا من العظمة[3] فى رواية قنبل[4] عن ابن كثير بالنون لإظهار العظمة فى الإذاقة للبعض و العفو عن البعض، و قراءة الباقين بالتحتانية على سنن الجلالة الماضى[5]؛ و أشار إلى كرمه سبحانه بقوله: ﴿ بعض الذى عملوا ﴾ أى وباله و حره و حرقته، و يعفو عن كثير إما أصلا و رأسا، و إما عن[6] المعاجلة به و يؤخره إلى وقت ما فى الدنيا، أو إلى الآخرة، و المراد الجزاء بمثل أعمالهم جزاء لها[7] تعبيرا عن المسبب بالسبب الذى أتوه إلى الناس فيعرفوا[8] إذا سلبوا المال مقدار ما ذاق منهم ذلك الذى سلبوه، و إذا قتل[9] لهم حميم حرارة ما قاسى حميم من قتلوه، و نحو ذلك مما استهانوه لما أتوه إلى غيرهم من الأذى البالغ و هم يتضاحكون و يعجبون

(١) فى ظ: سكوب (٢) من ظ و مد، و فى الاصل و م: مسكوب (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) راجع نثر المرجان ٥ / ٣٠٢ (٥) فى ظ و مد: الماضية (٦) فى ظ: من (٧) فى ظ: لهم. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فينصرفوا (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قيل.

من جزعه و يستهزؤن غافلين عن شدة ما يعانى من أنواع الحرق هو و من يعز عليه أمره، و يهمه شأنه، و يده قد غلها عن المساعدة العجز، و قصرها الضعف و القهر؛ ثم ثلث بالعلة الغائية فقال: ﴿لعلهم يرجعون﴾ [أى - [1]] ليكون حالهم عند من ينظرهم حال من يرجى رجوعه عن فعل مثل ذلك خوفا من أن يعاد لهم بمثل ذلك من الجزاء.

و لما كان الإنسان - لنقصه فى تقيده بالجزئيات - شديد الوقوف مع العقل التجربى، و كان علمهم بأيام الماضين و وقائع الأولين كافيا لهم فى العظة[2] للرجوع عن اعتقادهم، و التبرئ من عنادهم، و كانوا - لما لم يروا آثارهم / رؤية اعتبار، و تأمل و ادكار، عدوا ممن [3]لم يرها، فنبه[3] سبحانه على ذلك بالاحتجاب عنهم بحجاب العزة، أمرا له صلى الله عليه و سلم بأن يأمرهم بالسير للنظر، فقال تأكيدا لمعنى الكلام السابق نصحا لهم و رفقا بهم: ﴿قل﴾ أى لهؤلاء الذين لا همّ لهم إلا الدنيا، فلا[4] يعبرون فيما ينظرون من ظاهر إلى باطن: ﴿سيروا﴾ و أشار إلى استغراق[5] ديار المهلكين كل [حد - [6]] ما حولهم من الجهات كما سلف فقال: ﴿فى الارض﴾ فان سيركم الماضى لكونه لم يصحبه عبرة[7] عدم.

/ ١٤١

و لما كان المراد الانقياد[8] إلى التوحيد، و كان قد ذكرهم بما أصابهم

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العظمة. (٣ - ٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لم يرعاقبته (٤) فى ظ: فلم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: الاستغراق (٦) زيد من ظ و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل: غيره (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالانقياد.

على نحو ما أصاب به الماضين قال: ﴿ فانظروا ﴾ بفاء التعقيب، و لما كان ما أحله بهم[1] فى غاية الشدة، عرفهم[2] بذلك، فساق[3] مساق الاستفهام تخويفا لهم من إصابتهم بمثله فقال: ﴿ كيف ﴾ و لما كان عذابهم مهولا، و أمرهم شديدا وبيلا، دل عليه بتذكير الفعل فقال: ﴿ كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ الذين ﴾ و لما كان المراد طوائف المعذبين، و كانوا بعض من مضى، فلم يستغرقوا الزمان، بعّض فقال: ﴿ من قبل ﴾ أى من قبل أيامكم أذاقهم الله وبال أمرهم، و أوقعهم فى حفائر مكرهم.

و لما كان هذا التنبيه كافيا فى الاعتبار، فكان سامعه جديرا بأن يقول: قد تأملت فرأيت آثارهم عظيمة، و صنائعهم مكينة، و مع ذلك فمنهم خالية[3] و بيوتهم[4] خاوية[5]، قد ضربوا بسوط العذاب، فعمهم[6] الخسار و التباب، فما لهم عذبوا، فأجيب بقوله: ﴿ كان اكثرهم مشركين ﴾ فلذلك أهلكناهم و لم تغن عنهم كثرتهم، و أنجينا المؤمنين و ما ضرتهم قلتهم

و لما كانوا مع كثرة مرورهم على ديارهم، و نظرهم[7] لآثارهم، و سماعهم لأخبارهم، لم يتعظوا، أشير إلى أنهم عدم، بصرف الخطاب عنهم، و توجيهه[8] إلى السامع المطيع، فقال مسببا عما مضى من إقامة الأدلة

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لهم (٢-٢) من ظ، وفى الأصل و م و مد: ذلك بسوقه (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: خاوية (٤) فى ظ و مد: بيوتها. (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: خالية (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فمنهم (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تطيرهم (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: توجيههم.

و الوعظ و التخويف: ﴿فاقم﴾ أى يا من لا يفهم عنا حق الفهم سواه، لأنا فضلناه على جميع الخلق ﴿وجهك﴾ أى لا تلفته أصلا ﴿للدين القيم﴾ الذى لا عوج فيه بوجه، بل هو عدل كله، من التبرئ من الأوثان إلى التلبس بمقام الإحسان، فالزمه و اجعله بنصب عينك لا تغفل عنه و لا طرفة عين، لكونه سهلا فيما تسبب الإعانة عليه فى الظاهر [بالبيان الذى ليس معه خفاء، و فى الباطن -[1]] بالجبل عليه حتى أنه ليقبله الأعمى و الأصم و الأخرس، و يصير فيه كالجبل رسوخا.

و لما كان حفظ الاستقامة عزيزا، أعاد التخويف لحفظ أهلها، فقال ميسرا الأمر[2] بعدم استغراق الزمان باثبات الجار، إشارة إلى الرضا باليسير من العمل و لو كان ساعة من نهار، بشرط الاتصال بالموت: ﴿من قبل﴾ [3]و فك[3] المصدر للتصريح بالاستقبال فقال: ﴿ان يأتى يوم﴾ أى عظيم، و هو يوم القيامة، أو الموت، و أشار إلى تفرده سبحانه فى الملك بقوله: ﴿لا مرد له[4]﴾ و لفت الكلام فى رواية قنبل[5] من [6]مظهر العظمة إلى أعظم منه لاقتضاء المقام ذلك[6] [و أظهر فى رواية الباقين لئلا يتوهم عود الضمير إلى الدين فقال -[1]]: ﴿من الله﴾ و إذا لم يرده هو لوعده بالإتيان[7] به، و هو ذو الجلال

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ و مد: للامر (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذلك (٤) وقع فى ظ و مد قبل «من الله» مع تكراره فى الأصل هناك (٥) و قد مضى فى «ليذيقهم» (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) فى ظ: بالاثبات.

و الإكرام ، فمن الذى يرده .

و لما حقق إتيانه[1] ، فصل أمره مرغبا مرهبا ، فقال : ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ يأتى ﴿ يصدعون ﴾ أى تتفرق الخلائق [كلهم -[2]] فرقة قد تخفى على بعضهم - بما أشار إليه الإدغام ، فيقولون : ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار . ١٤٢ / ٥

و لما كان [المعنى -[3]] أنهم فريق فى الجنة و فريق فى السعير ، بين ذلك ببيان عاقبة سببه فى جواب من كأنه قال : إلى أين يتفرقون ؟ قائلا : ﴿ من كفر ﴾ أى منهم [فعمل شيئا -[3]] ﴿ فعليه ﴾ أى[4] لا على[5] غيره ﴿ كفره ﴾ [أى وباله -[3]] ، و على أنفسهم يمهدون [و لها يهدمون -[3]] فيصيرون فى ذلك اليوم إلى[5] النار التى هم بها مكذبون[6] ، و من كان ١٠ عليه كفره الذى أوبقه إلى الموت ، فلا خلاص له فيما بعد الفوت[7] ، و وحد الضمير ردا له على لفظ ['من' -[2]] نصا على أن كل[5] واحد مجزى بعمله لا المجموع من حيث هو مجموع ، و إفهاما لأن الكفرة[8] قليل و إن كانوا أكثر من المؤمنين ، لأنهم لامولى لهم ، و لتفرق كلمتهم "تحسبهم جميعا و قلوبهم شتى" [الآية[9] ، و -[2]] لأنه لا اجتماع بين أهل ١٥ النار ليتأسى بعضهم ببعض ، بل كل منهم فى شغل شاغل عن معرفة ما

(١) فى ظ : اتيانه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و مد .
(٤) سقط من م (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يكذبون (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الموت (٨) فى ظ : الكثرة .
(٩) آية ١٤ من سورة الحشر .

يتفق لغيره ﴿ و من عمل صالحا ﴾ [أى -[1]] بالإيمان و ما يترتب عليه ، و أظهر[2] و لم يضمر لئلا يتوهم عود الضمير على " من كفر " و بشارة بأن أهل الجنة كثير و إن كانوا قليلا ، لأن الله مولاهم فهو يزكيهم و يؤيدهم ، و فى جمع[3] الجزاء مع [4]إفراد الشرط[4] ترغيب فى العمل

٥ من غير نظر إلى مساعد[5] بأنه ينفع نفسه و غيره ، لأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا ، و أقل ما ينفع والديه و شيخه فى [ذلك -[1]] العمل ، و عبر بالنفس[6] ليدل - بعد الدلالة على إرادة العامل و من شايعه حتى كان بحكم اتحاد القصد[7] إياه - على أن العمل الصالح يزكى النفوس و يطهرها[8] من رذائل الأخلاق ، فقال : ﴿ فلانفسهم ﴾ أى[9]

١٠ خاصة أعمالهم [و لهم خاصة عملهم الصالح -[10]] و لأنفسهم ﴿يمهدون﴾ أى يسوون و يوطئون منازل فى القبور و الجنة ، بل[11] و فى الدنيا فان الله يعزهم بعز طاعته ، و الآية من الاحتباك : حذف أولا عدوانهم[12] على أنفسهم لما دل عليه من المهد ، و ثانيا كون العمل خاصا[13] بهم لما دل عليه من كون الكفر على صاحبه خاصة ، [و أحسن من هذا أن

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يظهر .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جميع (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : افراطه افرط (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متاعه (٦) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (٧) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : المقصد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يطهر (٩) سقط من ظ و مد .
(١٠) زيد من ظ و مد (١١) سقط من ظ (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : عداوتهم (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خلقا .

يقال : ذكر الكفر الذى هو السبب دليلا على الإيمان ثانيا ، و العمل الصالح الذى هو الثمرة ثانيا دليلا على العمل السيء أولا -[1]] .

و لما فرغ من بيان تصدعهم ، ذكر علته فقال : ﴿ ليجزى ﴾ أى[2] الله سبحانه الذى أنزل هذه السورة لبيان أنه ينصر أولياءه لإحسانهم لأنه مع المحسنين ، و لذلك اقتصر هنا على ذكرهم فقال : ﴿ الذين آمنوا ﴾ ٥ أى[3] و لو على أدنى الوجوه ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿ الصلحت ﴾ و لما كانت الأعمال نعمة منه ، فكان الجزاء محض إحسان ، قال : ﴿ من فضله[4] ﴾ .

و لما كان تنعيمهم من أعظم عذاب الكافرين الذين كانوا يهزؤن[4] بهم و يضحكون منهم ، علله بقوله على سبيل التأكيد دفعا لدعوى من ١٠ يظن أن إقبال الدنيا على العصاة لمحبة الله لهم : ﴿ انه لا يحب الكفرين ﴾ أى لايفعل مع العريقين فى الكفر فعل المحب ، فلا يسويهم بالمؤمنين ، و علم من ذلك ما طوى من جزائهم ، فالآية من وادى الاحتباك ، و هو أن يؤتى بكلامين يحذف من[2] كل منهما شيء و يكون نظمهما[5] بحيث يدل[6] ما أثبت فى كل على ما حذف من الآخر ، فالتقدير هنا بعد ما ذكر ١٥ من جزاء الذين آمنوا أنه[7] يحب المؤمنين / و يجزى الذين كفروا و عملوا ١٤٣ /

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يميزون (٥) من ظ م و مد ، و فى الأصل : نظمها (٦) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٧) زيد فى ظ : لا .

السيئات بعدله لأنه[1] لايحب الكافرين ، فغير النظم ليدل مع دلالته كما ترى على ما حذف على أن إكرام المؤمنين هو المقصود بالذات ، و هو بعينه إرغام الكافرين ، [2]و عبر[2] فى شق المؤمنين بالمنتهى الذى هو المراد من محبة الله [لأنه - [3]] أسر . و فى جانب الكافرين بالمبدأ الذى هو ٥ مجاز لأنه أنكأ و أضر .

و لما ختم فى أول السورة الآيات الدالة على الوحدانية المستلزمة للبعث لأن[4] به تمام ظهور الحكمة ، و انكشاف غطاء القلوب عن صفات العظمة ، بأن قيام السماء و الأرض بأمره [و -[3]] ، أتبع ذلك ما[5] اشتد التحامه به ، و ختمه ببغض الكافرين بعد ذكر يوم البعث ، أتبعه ذكر ما ١٠ حفظ به قيام الوجود ، و هو الرياح ، بجعلها سببا فى إدرار النعم التى منها ما هو أعظم أدلة البعث و هو النبات ، و هى[6] بجملتها دليل ذلك ، و سبب القرار فى البر و السير[7] فى البحر الموصل[8] لمنافع بعض البلاد إلى بعض ، و بذلك انتظم الأمر لأهل الأرض ، فاستعمل[9] المؤمن منهم [2]ما رزقه سبحانه من العقل فى النظر فى ذلك حتى أداه إلى شكره فأحبه ، ١٥ و اقتصر الكافر على الدأب فيما يستجلب به[2] تلك النعم و يستكثرها ، فأبطره ذلك فأوصله إلى كفره فأبغضه ، و الرياح أيضا أشبه شىء

(١) فى ظ و مد : انه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لأنه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما (٦) فى ظ : هو (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الستر . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الوصل (٩) فى ظ : فاستعمال .

بالناس ، منها النافع نفعا كبيرا[1] ، و منها الضار ضرا[2] كثيرا ، [فقال -[3]] :
﴿ و من آيته ﴾ أى الدلالات الواضحة الدالة على كمال قدرته و تمام
علمه الدال على أنه هو وحده الذى أقام هذا الوجود ، و كما أنه أقامه
فهو يقيم وجودا آخر هو زبدة الأمر ، و محط الحكمة ، و هو أبدع[4] من
هذا الوجود ، يبعث فيه الخلق بعد فنائهم ، و يتجلى لفصل القضاء بينهم ، ٥
فيأخذ بالحق لمظلومهم من ظالمهم ، ثم يصدعهم فيجعل فريقا [منهم -[3]]
فى الجنة دار الإعانة و الكرامة ، و فريقا فى السعير غار الإهانة و الملامة
﴿ ان يرسل الريح ﴾ على سبيل التجدد[5] و الاستمرار ، و هى ما عدا
الدبور المشار فى الحديث الشريف إلى الاستعاذة منها « اللهم اجعلها
رياحا و لا تجعلها ريحا » و قد تقدم من شرحى لها[6] عند "و من ١٠
يرسل الريح بشرا" فى النمل[7] ما فيه كفاية ، و فى جمعها المجمع
عليه هنا لوصفها[8] بالجمع[9] إشارة إلى باهر القدرة ، فان تحويل الريح
الواحدة من جهة إلى اخرى أمر عظيم لا قدرة لغيره عليه فى الفضاء
الواسع ، و كذا إسكانه ، فكيف إذا كانت رياح متعاكسة ، ففى إثارتها
كذلك ثم إسكانها من باهر القدرة [ما -[3]] لايعلمه إلا أولو البصائر ١٥
﴿ مبشرت ﴾ أى لكم[10] بكل ما فيه نفعكم من المطر و الروح و برد[11] الأكباد

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : كثيرا (٢) فى م : ضررا (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى ظ : الحكمة (٥) فى ظ و مد : التجديد (٦) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) آية ٦٣ ، و فى جميع النسخ : و من آياته أن يرسل (٨) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لوصفه.
(٩) فى ظ و م و مد : بجمع (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكل.
(١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : برود .

و لذة العيش .

و لما كان التقدير : ليهلك بها من يشاء من عباده ، أو ليدفع عنكم ما يحصل بفقدها من نقمته من الحر ، و ما يتبعه من انتشار المفسدات ، و اضمحلال المصلحات ، و طواه لأن السياق لذكر النعم ، عطف عليه قوله مثبتا اللام إيضاحا للمعطوف / عليه : ﴿و ليذيقكم﴾ [1] و أشار [1] إلى عظمة نعمه [2]بالتبعيض فى [2] قوله : ﴿من رحمته﴾ [أى نعمه - [3]] من المياه العذبة و الأشجار الرطبة ، و صحة الأبدان ، و خصب الزمان ، و ما يتبع ذلك من أمور لا يحصيها إلا خالقها ، و لا يتصورها حق تصورها إلا من فقد الرياح ، من وجود الروح و زكاء الأرض و إزالة العفونة [من الهواء - [3]] و الإعانة على تذرية [4] الحبوب و غير ذلك ، و أشار إلى عظمة هذه النعمة [5] و [6]إلى أنها [6] صارت لكثرة الإلف مغفولا عنها باعادة اللام فقال : ﴿و لتجرى الفلك﴾ أى السفن فى جميع البحار و ما جرى مجراها عند هبوبها .

و لما أسند الجرى [7]إلى الفلك [7] نزعه منها بقوله : ﴿بامره﴾ اى بما يلائم من الرياح اللينة ، و إذا أراد أعصفها فأغرقت ، أو جعلها متعاكسة فحيرت [8] و رددت ، حتى يحتال الملاحون بكل حيلة على إيقاف

١٤٤ / ٥

(١ - ١) فى ظ : فاشار (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالتعبير .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تدربه .
(٥) فى ظ و مد : النعم (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لانها .
(٧ - ٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للفلك (٨) من م و مد ، و فى الأصل . لحريت ، و فى ظ : لحرت .

السفن لئلا تتلف[١] .

و لما كان كل من[٢] مجرد السير فى البحر و التوصل بـه من بلد [إلى بلد -[٣]] نعمة فى نفسه ، عطف على " لتجرى " قوله ، منبها باعادة اللام [٤]إيضاحا للمعطوف عليه[٤] [على تعظيم النعمة -[٣]] : ﴿ و لتبتغوا ﴾ أى تطلبوا طلبا ماضيا بذلك السير ، و عظم ما عنده بالتبعيض فى قوله : ﴿ من فضله ﴾ مما يسخر[٥] لكم من الريح بالسفر للتجر من بلد إلى بلد [٦]و الجهاد و غيره[٦] ﴿ و لعلكم ﴾ أى و لتكونوا إذا فعل بكم ذلك على رجاء [من -[٣]] أنكم ﴿ تشكرون ﴾ ما أفاض عليكم سبحانه من نعمه ، [و دفع عنكم من نقمه -[٣]] .

و لما كان التقدير : فمن شكر أذاقه من رحمته ، و من كفر أنزل عليه من نقمته ، و كان السياق كله لنصر أوليائه و قهر أعدائه ، و كانت الرياح مبشرات و منذرات كالرسل ، و كانت موصوفة بالخير كما فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها « فلرسول الله صلى الله عليه و سلم حين يلقاه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح المرسلة[٧] » و كانت فى كثرة منافعها و عمومها إن كانت نافعة ، و مضارها إن كانت ضارة ، أشبه شىء بالرسل فى إنعاش قوم و إهلاك[٨] آخرين ، و ما ينشأ عنها كما

(١) من ظ و م ومد ، و فى الاصل : تتلقف (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) فى ظ : سخر . (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و غيره و الجهاد و بلده (٧) أخرجه من طريق عبدان عن عبد الله فى أثناء بدء الوحى (٨) زيد فى ظ : قوم .

ينشأ عنهم ، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الشيخان عن أبي موسى رضي الله عنه : البخاري في العلم[١] ، و مسلم في المناقب[٢] « مثل ما بعثني الله به من الهدى و العلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا ، فكانت طائفة منها طيبة فقبلت الماء و أنبتت الكلاء و العشب الكثير ، و كانت منها طائفة أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس فشربوا و سقوا و زرعوا ، و أصاب منها طائفة أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء و لا[٣] تنبت كلاء ، فذلك مثل من فقه[٤] في دين الله و نفعه ما بعثني الله به فعلم و علم و مثل من لم يرفع بذلك رأسا و لم يقبل هدى الله الذي أرسلت به » و لما كان الأمر كذلك ، عطف على قوله "ينصر من يشاء" و قوله "ثم كان عاقبة الذين اساءوا السوأى" أو على ما تقديره تسبيبا[٥] عن قوله "فاقم وجهك للدين القيم" : فلقد[٦] أرسلناك بشيرا لمن أطاع بالخير ، و نذيرا لمن عصى / بالشر ، قوله مسليا لهذا النبي الكريم ، عليه أفضل الصلاة و التسليم ، و أتباعه ، و لفت الكلام إلى مقام العظمة لاقتضاء سياق الانتقام لها[٧] ، و أكد إشارة إلى أن الحال باشتداده

/ ١٤٥

---

(١) باب فضل من علم و علم (٢) باب بيان مثل ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى و العلم (٣) من ظ و م و مد و الصحيحين ، و في الأصل : ماء — كذا (٤) في ظ : تبعه (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : سببا (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : فقد (٧) العبارة من هنا إلى «إرسال البشر» ساقطة من ظ و مد .

وصل إلى حالة اليأس ، أو لإنكار[1] كثير من الناس إرسال البشر : ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ بما لنا من العزة .

و لما كانت العناية بالإخبار بأن عادته[2] ما زالت قديما و حديثا على نصر أوليائه ، قال معلما باثبات الجار أن الإرسال [بالفعل -[3]] لم يستغرق زمان القبل ، أو أن الكلام فى خصوص الأمم المهلكة : ٥ ﴿من قبلك﴾ مقدما له على ﴿رسلا﴾ أو[4] للتنبيه على أنه خاتم النبيين بتخصيص[5] إرسال غيره بما قبل زمانه ، و قال : ﴿ الى قومهم﴾ إعلاما بأن بأس الله إذا جاء لا ينفسح فيه قريب و لا بعيد ، و زاد فى التسلية بالتذكير إشارة إلى شدة أذى القوم لأنبيائهم حيث لم يقل « إلى قومها » .

و لما كان إرسال الله سببا[6] لامحالة للبيان الذى لا لبس معه قال : ١٠ ﴿ فجآءوهم بالبينت ﴾ فانقسم قومهم إلى مسلمين و[7] مجرمين ﴿ فانتقمنا ﴾ أى فكانت معاداة المسلمين للمجرمين فينا سببا لأنا انتقمنا بما لنا من العظمة ﴿من الذين اجرموا[8] ﴾ لإجرامهم ، و هو قطع ما أمرناهم بوصله اللازم منه وصل ما أمروا بقطعه ، فوصلوا الكفر و قطعوا الإيمان ، فخذلناهم و كان حقا علينا قهر المجرمين ، إكراما لمن عادوهم فينا ، و أنعمنا ١٥ على الذين آمنوا فنصرناهم .

و لما كان محط الفائدة إلزامه سبحانه لنفسه بما تفضل به ، قدمه

---

(١) من م ، و فى الأصل وظ و مد : لانكاد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عادت (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ : اى (٥) فى ظ و مد : لتخصيص . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مسببا (٧) زيد فى ظ : الى .

تعجيلا للسرور و تطييبا للنفوس فقال : ﴿ وكان ﴾ أى على سبيل الثبات و الدوام ﴿ حقا علينا ﴾ أى بما أوجبناه لوعدنا الذى لاخلف فيه ﴿ نصر المؤمنين ﴾ أى العريقين فى ذلك الوصف فى الدنيا و الآخرة ، لم يزل هذا دأبنا فى كل ملة على مدى الدهر ، فان هذا من الحكمة التى ٥ لاينبغى إهمالها ، فليعتد هؤلاء لمثل هذا ، و ليأخذوا لذلك أهبته[1] لينظروا من المغلوب و هل ينفعهم شىء ؟ و الآية من الاحتباك : حذف أولا الإهلاك الذى هو أثر الخذلان لدلالة النصر[2] عليه ، و ثانيا الإنعام لدلالة الانتقام عليه .

و لما أقام سبحانه الدليل على البعث و إقامة الوجود بتصريفه الرياح ١٠ كيف شاء ، [و ـ[3]] أتبعه آية التسلية و التهديد ، و كان عذاب المذكورين فيها بالريح أو ما هى سببه[4] أو لها مدخل فيه ، أتبع ذلك الإعلام بانه مختص بذلك سبحانه تنبيها على عظيم آية الرياح للحض على تدبرها ، مؤكدا لأمر البعث و مصرحا به ، فقال ثانيا الكلام عن مقام العظمة الذى اقتضته النقمة إلى الاسم الأعظم الجامع الذى نظره إلى النعمة ١٥ أكثر من نظره إلى النقمة : ﴿ الله ﴾ أى وحده ﴿ الذى يرسل ﴾ مرة بعد أخرى[5] لأنه المتفرد[6] بالكمال فلا كفوء له : ﴿ الريح ﴾ مضطربة

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اهبة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النظر (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مسببة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مرة (٦) فى ظ و مد : المنفرد .

هائجة بعد أن كانت ساكنة ، و فى قراءة الجمهور بالجمع[1] خلافا لابن كثير و حمزة و الكسائى[2] تنبيه على عظيم الصنع فى كونه يفعل ما ذكره بأى ريح اراد / ﴿ فتثير سحابا ﴾ لم يكن له وجود . ١٤٦ /

و لما أسند الإثارة إلى الرياح ، نزع الإسناد إليها فى البسط و التقطيع فانه[3] لم يجعل فيها قوة شىء من ذلك ليعلم أن الكل فعله فقال : ﴿ فيبسطه ﴾ بعد اجتماعه ﴿ فى السمآء ﴾ أى جهة العلو .

و لما كان أمر السحاب فى غاية الإعجاب فى وجوده بعد أن لم يكن و أشكاله و ألوانه [4]و جميع[4] أحواله فى اجتماعه و افتراقه [و كثافته -[5]] و رقته و ما فيه من مطر و رعد و برق و غير ذلك مما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى ، أشار سبحانه إلى ذلك بأداة الاستفهام و إن كانوا قد عدوها [هنا -[5]] شرطية فقال : ﴿ كيف ﴾ أى كما ﴿ يشآء ﴾ فى أى ناحية [شاء قليلا -[5]] تارة كسيرة ساعة أو يوم ، و كثيرا[6] أخرى كسيرة أيام على أوضاع مختلفة [7] تدلّك قطعا[7] على أنه فعله وحده باختياره لا مدخل فيه لطبيعة و لاغيرها .

و لما كان المراد بذلك كونه على هيئة الاتصال ، دل عليه بقوله : ﴿ و يجعله ﴾ أى إذا أراد ﴿ كسفا ﴾ أى قطعا غير متصل بعضها ببعض

(١) فى ظ ومد : بالفتح (٢) راجع نثر المرجان ٥/٣٠٧ (٣) فى ظ و مد : فكانه.
(٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى جمع (٥) زيد من ظ و م و مد .
(٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كثير (٧ - ٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بذلك عطفا .

اتصالا يمنع[1] نزول الماء ﴿ فترى ﴾ أى[2] بسبب إرسال الله له أو بسبب جعله ذا مسامّ و فرج يا من فيه اهلية[3] الرؤية ، أو يا أشرف خلقنا الذى لايعرف هذا حق معرفته سواه ﴿ الودق ﴾ أى المطر المتقاطر القريب الواسع ﴿ يخرج من خلله ج ﴾ أى السحاب الذى هو اسم جنس فى حالى الاتصال و الانفصال .

و لما كان سبحانه قد سبب عن ذلك سرور عباده لما يرجون من أثره و إن كانوا كثيرا ما يشاهدون تخلف الأثر لعوارض ينتجها[4] سبحانه ، قال مسببا عن ذلك مشيرا بأداة التحقق إلى عظيم فضله و تحقق إنعامه : ﴿ فاذآ اصاب ﴾ [أى الله - ٥] ﴿ به من ﴾ أى أرض من ﴿ يشآء ﴾ و نبه على [أن - ٥] ذلك فضل منه لايجب عليه لأحد أصلا شىء[6] بقوله : ﴿ من عبادة ﴾ أى الذين لم تزل عبادته واجبة عليهم ، و هم جديرون بملازمة شكره ، و الخضوع لأمره ، خاصا لهم بقدرته و اختياره ، و بين خفتهم[7] باسراعهم إلى الاستبشار مع احتمال العاهات[8] ، جامعا ردا على معنى "من" او على "العباد" لأن الخفة من الجماعة أفحش فقال : ﴿ اذا هم يستبشرون ه ﴾ أى يظهر عليهم البشر ، و هو السرور الذى تشرق له البشرة حال الإصابة ظهورا بالغا عظيما [بما - ٥] يرجونه [بما - ٩] يحدث عنه من الأثر النافع من الخصب و الرطوبة و اللين :

(١) فى ظ و مد : لايمنع (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤) فى م و مد : يتيحها (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) فى ظ : شيئا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سفتهم (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الغايات .
(٩) زيد من ظ و مد .

ثم بين طيشهم وعجزهم بقوله: ﴿و ان﴾ أى و الحال أنهم ﴿كانوا﴾ فى الزمن الماضى كونا متمكنا فى نفوسهم، و بين قرب يأسهم من استبشارهم دلالة على سرعة انفعالهم[1] و كثرة تقلبهم بالجار، فقال: ﴿من قبل ان ينزل﴾ أى المطر بأيسر ما يكون عليه سبحانه ﴿عليهم﴾ ثم أكد عظم خفتهم و عدم قدرتهم بقوله: ﴿من قبله﴾ أى الاستبشار سواء من غير ٥ تخلل زمان يمكن أن يدعى لهم فيه تسبب فى المطر ﴿لمبلسين ۝﴾ أى ساكتين على ما فى أنفسهم تحيرا و يأسا و انقطاعا، فلم يكن لهم على الإتيان بشىء من ذلك حيلة، و لا لمعبوداتهم صلاحية له[2] باستقلال و لا وسيلة. / ١٤٧

و لما انكشف بذلك الغطاء، و زاحت الشبه، أعرض سبحانه عنهم على تقدير أن يكون "ترى" لمن فيه أهلية الرؤية[3] إيذانا بأنه[4] لا فهم[5] لهم ١٠ ملتفتا[5] إلى خلاصة الخلق الصالح للتلقى [عنه -[6]] قائلا مسببا عن ذلك: ﴿فانظر﴾ و لما كان المراد تعظيم[7] النعمة، و أن الرزق أكثر من الخلق، [عبر بحرف الغاية -[1]] إشارة[8] إلى تأمل[9] الأقصى بعد تأمل الأدنى فقال: ﴿الى آثار﴾ و لما لم يكن لذلك سبب[10] سوى سبق رحمته لغضبه قال: ﴿رحمت الله﴾ الجامع لمجامع العظمة، و أظهر و لم يضمر تنبيها على ١٥

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اتصالهم (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ: الرويا (٤) فى ظ و مد: بانهم (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: له متلقتا (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: بعظم، و فى م: بعظيم (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشار (٩) أمن ظ و م و مد، و فى الأصل: باهل - كذا (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اثر.

ما فى ذلك من[1] تناهى العظمة فى تنوع الزروع بعد سقيا[2] الأرض و اهتزازها بالنبات و اخضرار الأشجار و اختلاف الثمار[3]، و تكون الكل من ذلك الماء .

و لما كان هذا من الخوارق العظيمة ، و لكنه قد تكرر حتى صار مألوفا ، نبه على عظمته بأنه أهل لأن يسأل عنه فقال : ﴿ كيف يحيِ ﴾ أى هـــذا الأثر أو الله مرة بعـــد أخرى ﴿ الارض ﴾ باخراج ما ذكر منها .

و لما كانت قدرته على تجديد إحيائها دائمة - على ما أشار إليه المضارع [4]و دعا إليه مقصود السورة[4]، أشار إلى ذلك أيضا[5] بترك الجار فقال : ﴿ بعد موتها[5] ﴾ بانعدام ذلك .

و لما كان هذا دالا على القدرة على إعادة الموتى و لابد لأنه مثله سواء ، فان جميع ما لا ينبته الآدميون يتفرق فى الأرض بعد كونه هشيما تذروه الرياح ، و يتفتت بحيث يصير ترابا ، فاذا نزل عليه الماء عاد كما كان أو أحسن قال : ﴿ ان ذلك ﴾ أى العظيم الشأن الذى قدر على هذا ﴿ لمحيِ الموتى[6] ﴾ كلها من الحيوانات و النباتات ، أى ما زال قادرا[6] على ذلك[7] ثابتا له[8] هـــذا الوصف و لايزال ﴿ و هو ﴾ مع ذلك

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و م و مد : شقها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النهار (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) سقط من ظ و مد . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قاصرا (٧) زيد فى الأصل : بقوله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد فى ظ و مد : على .

﴿ على كل شىء ﴾ من ذالك و غيره ﴿ قدير ﴾ لأن نسبة القدرة منه سبحانه إلى كل ممكن على حد سواء .

و لما كان تكرار مشاهدتهم لمثل هذا الاقتدار لايفيدهم علما بالله تعالى ، دل على ذالك بقوله ، لافتا الكلام إلى سياق العظمة تنبيها على عظيم عفوه سبحانه مع[1] تمام القدرة ، مؤكدا له غاية التأكيد ، تنبيها ٥ على أنه ليس من شأن العقلاء [2]عدم الاستفادة بالمواعظ ، معبرا بأداة الشك ، تنبيها على أن إنعامه أكثر من انتقامه ، مؤكدا بالقسم[2] [3]لإنكارهم الكفر[3]: ﴿ و لئن ارسلنا ﴾ بعد وجود هذا الأثر الحسن ﴿ ريحا ﴾ عقيما ﴿ فراوه ﴾ أى الأثر[4] ، و يجوز أن يكون الضمير للريح من [5]التعبير بالسبب[5] عن المسبب ﴿ مصفرا ﴾ قد ذبل و أخذ فى التلف من شدة ١٠ يبس الريح إما بالحر أو البرد ﴿ لظلوا ﴾ أى لداموا و عزتنا لهذا يجددون الكفر أبدا و إن كان « ظل » معناه : دام نهارا ، و عبر بالماضى موضع المستقبل نحو « ليظلن و الله » تأكيدا لتحقيقه ، و لعله عبر بالظلول لأن مدة النوم لا تجديد فيها للكفر ، و لذلك أتى فيها[6] بحرف التبعيض حيث قال : ﴿ من بعده ﴾ أى بعد اصفراره ﴿ يكفرون ﴾ ييأسهم من روح ١٥ الله و[7]جحودهم لما أسلف إليهم من النعم / بعد ما تكرر من تعرفه سبحانه / ١٤٨

(١) فى ظ و مد « و » (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣ - ٣) من م ، و فى الأصل : الانكارى - و بعده بياض قدر كلمة ، و سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الامر (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التسبب (٦) سقط من ظ و مد (٧) سقط من ظ .

إليهم بالإحسان، بعد [ما -[1]] التقت حلقتا البطان[2]، وكان[3] وكان[3]، فلا هم عند السراء بالرحمة شكروا، ولا عند الضراء بالنقمة صبروا، بل لم يزيدوا هناك على الاستبشار، ولا نقصوا هنا شيئا من تجديد الكفر والإصرار، فلم يزالوا لعدم استبصارهم على الحالة المذمومة، ولم يسبقوا[4] في إزالة النقم، [ولا إنالة النعم، فكانوا أضل من النعم -[1]].

ولما كان هذا كله من حالهم في سرعة الحزن والفرح في حالتي الشدة والرخاء وإصرارهم على تجديد الكفر دليلا على خفة أحلامهم، وسوء تدبرهم[5]، فانهم لا للآيات المرئية يعون، ولا للتلوة عليهم يسمعون، سبب عن ذلك التعريف [6]بأن أمرهم[6] ليس لأحد غيره سبحانه وهو[7] قد جعلهم [أموات -[1]] المعاني، فقال ممثلا لهم بثلاثة أصناف من الناس، وأكده لأنهم ينكرون أن يكون حالهم كذلك والنبي صلى الله عليه وسلم شديد السعي في إسماعهم والجهد في ذلك: ﴿ فانك ﴾ أي استدامتهم لكفرهم هذا تارة في الرخاء وتارة في الشدة وقوفا مع الأثر من غير نظر ما إلى المؤثر وأنت تتلو عليهم آياته، وتنبههم على بدائع بيناته[8] بسبب أنك ﴿لا تسمع الموتى﴾ أي ليس في قدرتك إسماع الذين لاحياة لهم، فلا نظر ولا سمع، أو موتى القلوب، إسماعا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، وفي الأصل: البطلان.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ، وكتب فوقه في الأصل «كذا».
(٤) في ظ و مد: لم يسعوا (٥) في ظ: تدبيرهم (٦-٦) في ظ: أن يامرهم.
(٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد، وفي الأصل: بيانه.

ينفعهم، لأنه مما اختص به سبحانه، و هؤلاء منهم من هم مثل الأموات لأن الله تعالى قد ختم على مشاعرهم[١] ﴿و لاتسمع﴾ أى أنت فى قراءة الجماعة غير ابن كثير[٢] ﴿الصم﴾ أى الذين لا سمع[٣] لهم أصلا، و ذكر ابن كثير الفعل من سمع و رفع الصم على أنه فاعل، فكان التقدير: فان من مات أو مات قلبه لايسمع و لايسمع الصم ﴿الدعآء﴾ إذا دعوتهم، ٥ ثم لما كان الأصم قد يحس بدعائك إذا[٤] كان مقبلا بحاسة بصره قال: ﴿اذا ولوا﴾ و ذكر الفعل و لم يقل: ولت، إشارة إلى قوة التولى[٥] لئلا يظن أنه[٦] أطلق على المجانبة مثلا، و لذا بنى من فاعله[٧] حالا هى[٨] قوله: ﴿مدبرين ه﴾.

و لما بدأ بفاقد[٩] حاسة السمع لأنها أنفع من حيث أن الإنسان ١٠ إنما يفارق غيره من البهائم بالكلام، أتبعها حاسة البصر مشيرا بتقديم الضمير[١٠] إلى أنه صلى الله عليه و سلم يجتهد فى هدايتهم اجتهاد من كأنه يفعله[١١] بنفسه تدريبا لغيره فى الاقتصاد فى الأمور فقال: ﴿و مآ انت بهدِ العمى﴾ أى بموجد لهم هداية و إن كانوا يسمعون،

(١) من ظ و م ومد، و فى الأصل: مسامعهم (٢) راجع نثر المرجان ٥/٣١٢. (٣) فى ظ: سماع (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أو (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القوى (٦) سقط من م (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل و م: من (٩) من م و مد، و فى الأصل: تفاقد، و فى ظ: بها - كذا (١٠) فى ظ و مد: المضمر (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يفعل.

هذا فى قراءة الجماعة غير حمزة[1]، و جعله حمزة فعلا مضارعا مسندا إلى المخاطب من هدى، فالتقدير: وما أنت تجدد هداية العمى ﴿عن ضلالتهم[1]﴾ إذا ضلوا عن الطريق فأبعدوا و إن كان أدنى ضلال - بما أشار إليه التأنيث، و إن أتعبت[2] نفسك فى نصيحتهم، فأنهم لايسلكون السبيل ٥ إلا وأيديهم فى يدك[3] و متى غفلت عنهم و أنت لست بقيوم رجعوا إلى ضلالهم، فالمنفى فى هذه الجملة فى قراءة الجمهور ما تقتضيه الاسمية من دوام الهداية مؤكدا، و فى قراءة حمزة / ما يقتضيه المضارع من التجدد ١٤٩ / و فى التى قبلها ما تقتضيه الفعلية المضارعة من التجدد ما دام مشروطا بالإدبار، و فى الأولى تجدد السماع مطلقا فهى أبلغ ثم[4] التى بعدها، ١٠ فمثول الصنف الأول [من -[5]] لايقبل الخير بوجه ما مثل أبى جهل و أبى بن خلف، و الثانى من [قد -[5]] يقارب[6] مقاربة ما[6] مثل عتبة ابن ربيعة حين كان يقول لهم: خلوا بين هذا الرجل و بين الناس، فان أصابوه فهو ما أردتم و إلا فعزه عزكم، والثالث المنافقون، و عبر فى الكل بالجمع لأنه أنكا - و الله الموفق.

١٥ و لما كان ذلك[7] كناية عن إيغالهم فى الكفر، بينه [بيان أن المراد موت القلب وصممه وعماه لا الحقيقى -[8]] بقوله: ﴿إن﴾ أى ما

(١) راجع نثر المرجان ٥/٣١٢ (٢) فى ظ: اتعب (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يديك (٤) فى ظ: من (٥) زيد من ظ و م و مد (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تقاربه هنا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هذا (٨) زيد من ظ و مد، و زيادة م ليست بمستبينة.

﴿ تسمع الا من يؤمن ﴾ أى يجـدد إيمانه مع الاستمرار مصدقا ﴿ بآيٰتنا ﴾ أى فيه قابلية ذلك دائما ، فهو يذعن[1] للآيات المسموعة ، و[2] يعتبر بالآيات المصنوعة ، و أشار بالإفراد فى[3] الشرط إلى أن لفت الواحد عن رأيه أقرب من لفته و هو مع غيره ، و أشار بالجمع فى الجزاء إلى أن هذه الطريقة إن سلكت كثر التابع[4] فقال : ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب عن قبولهم لذلك أنهم ﴿ مسلمون ﴾ أى منقادون للدليل غاية الانقياد غير جامدين مع[5] التقليد .

و لما دل سبحانه على قدرته على البعث بوجوه من الدلالات ، تارة فى الأجسام ، و تارة فى القوى ، و أكثر على ذلك فى هذه السورة من الحجج البينات ، و ختم بأنه لا يبصر هذه البراهين إلا من حسنت طويته ، فلانت للأدلة عريكته ، و طارت فى فيافى المقادير بأجنحة العلوم[6] فكرته و رويته ، وصل بذلك دليلا جامعا بين القدرة على الأعيان و المعانى إبداء و إعادة ، و لذلك لفت الكلام إلى الاسم الجامع و لفته[7] إلى الخطاب للتعميم و الاستعطاف بالتشريف ، فقال مؤكدا إشارة إلى أن ذلك دال[8] على قدرته على البعث و لابد و هم ينكرونها ، فكأنهم ينكرونه ، فانه لا انفكاك لأحدهما عن الآخر : ﴿ الله ﴾ أى الجامع لصفات

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يذهن (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٤) فى ظ : التتابع (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المقادير (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لفت .

الكمال [وحده - [1]] .

و لما كان تعريف الموصول[2] ظاهرا غير ملبس ، عبر به دون اسم الفاعل فقال[3] : ﴿ الذى خلقكم ﴾ أى من العدم . و لما كان محط حال الإنسان و ما عليه أساسه و جبلته الضعف ، و أضعف[4] ما يكون فى أوله قال[5] : ﴿ من ضعف ﴾ أى مطلق - بما أشارت إليه قراءة حمزة و عاصم[4] بخلاف عن حفص بفتح الضاد ، و قوى بما أشارت إليه قراءة الباقين بالضم ، أو من الماء المهين إلى ما شاء الله من الأطوار ، ثم [ما - [1]] شاء الله من سن الصبى .

و لما كانت تقوية [المعنى - [1]] الضعيف مثل إحياء الجسد الميت قال : ﴿ ثم جعل ﴾ عن سبب و تصيير بالتطوير فى أطوار الخلق بما يقيمه من الأسباب . و لما كان ليس المراد الاستغراق عبر بالجار فقال : ﴿ من بعد ﴾ و لما كان الضعف الذى تكون عنه القوة غير الأول ، أظهر و لم يضمر فقال : ﴿ ضعف قوة ﴾ بكبر العين و الأثر[6] من حال الترعرع إلى القوة بالبلوغ إلى التمام فى أحد و عشرين عاما ، و هو ابتداء سن الشباب إلى سن الاكتمال ببلوغ الأشد فى [اثنين و - [1]] أربعين عاما فلو [لا - [1]] تكرر مشاهدة ذلك لكان خرق العادة فى إيجاده / ١٥٠ / بعد عدمه[7] مثل إعادة الشيخ شابا بعد هرمه ثم جعل من بعد قوة فى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المامول .
(٣) سقط من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فقال (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاز (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عزمه .

شباب تقوى به القلوب ، و تحمى له الأنوف ، و تشمخ من جرائه[1] النفوس ﴿ ضعفا ﴾ ردا لما لكم إلى أصل حالكم .

و لما كان بياض الشعر يكون غالبا من ضعف المزاج قال: ﴿ و شيبة[2] ﴾ و هى[3] بياض فى الشعر ناشئ[3] من برد فى المزاج و يبس يذبل بهما الجسم ، و ينقص الهمة و العلم ، و ذلك بالوقوف من الثالثة و الأربعين ، و هو أول سن الاكتهال و بالأخذ فى النقص بالفعل بعد الخمسين إلى أن يزيد النقص فى الثالثة و الستين ، و هو أول سن الشيخوخة ، و يقوى الضعف إلى ما شاء الله تعالى .

و لما كانت هذه هى العادة الغالبة و كان الناس متفاوتين فيها[4] ، و كان من الناس من يطعن فى السن و هو قوى ، أنتج ذلك كله[5] ـ و لابد ـ التصرف[6] بالاختيار مع شمول العلم و تمام القدرة فقال: ﴿ يخلق ما يشآء ﴾ أى من هذا و غيره ﴿ و هو العليم ﴾ أى البالغ العلم فهو يسبب ما أراد من الأسباب لما يريد إيجاده أو[7] إعدامه ﴿ القدير ﴾ فلا يقدر أحد على إبطال شىء من أسبابه ، فلذلك لايتخلف شىء أراده عن الوقت الذى يريده فيه أصلا ، و قدم صفة العلم لاستتباعها للقدرة التى المقام لها ، فذكرها إذن تصريح بعد تلويح ، و عبارة بعد إشارة .

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل : حره ، و فى ظ : حرارة ـ كذا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هو (٣) فى ظ : تاتى (٤) فى ظ : ههنا (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التعرف (٧) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : « و » .

و لما ثبتت قدرته على البعث و غيره ، عطف على قوله أول السورة "و يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون" أو على ما تقديره : فيوم يريد موتكم تموتون ، لا تستأخرون عن لحظة الأجل و لا تستقدمون ، قوله : ﴿و يوم تقوم الساعة﴾ أى القيامة التى هى إعادة الخلائق الذين[1] كانوا بالتدريج فى ألوف من السنين لا يعلم مقدارها إلا الله تعالى فى أقل من لمح البصر ، و لذا سميت بالساعة إعلاما بيسرها عليه سبحانه ﴿يقسم المجرمون﴾ [أى -[2]] العريقون فى الإجرام جريا منهم على ديدن الجهل فى الجزم[3] بما لم يحيطوا به علما : ﴿ما﴾ أى أنهم ما ﴿لبثوا﴾ فى الدنيا و البرزخ ﴿غير ساعة﴾ أى قدر يسير[4] من ليل أو نهار .

و لما كان هذا أمرا معجبا لأنه كلام كذب بحيث [5]يؤرث أشد[5] الفضيحة و الخزى[6] فى ذلك الجمع الأعظم مع أنه غير مغن شيئا ، استأنف قوله تنبيها على أنه الفاعل له : فلا عجب ﴿كذلك﴾[7] أى مثل ذلك الصرف عن حقائق الأمور إلى شكوكها ﴿كانوا﴾ فى الدنيا كونا هو كالجبلة ﴿يؤفكون﴾ أى يصرفون عن الصواب الذى منشأه تحرى الصدق و الإذعان للحق إلى الباطل الذى منشأه تحرى المغالبة بصرفنا لهم ،

(١) فى ظ : الذى (٢) زيد من م (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالجرم (٤) فى م : السير (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : مورث لاشد ، و فى م و مد : يورث لأشد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجزا (٧) زيد فى ظ : و عبر بقوله اوتوا العلم تنبيها على شكر من - كذا ، و سيأتى .

فانه

فانه لافرق فى قدرتنا و علمنا بين حياة و حياة، و دار و دار، و لعله بنى الفعل للمجهول إشارة إلى سهولة انقيادهم إلى الباطل مع أىّ صارف كان .

و لما وصف الجاهلين، أتبعه صفة العلماء فقال: ﴿ و قال الذين ﴾ [و - [1]] عبر بقوله: ﴿ اوتوا العلم ﴾ تنبيها على / شكر من آتاهموه، ٥ / ١٥١ و بناه للمجهول إشارة إلى تسهيل أخذه عليهم من الجليل و[2] الحقير، و أتبعه ما لا يشرق أنواره و يبرز ثماره غيره، فقال: ﴿ و الايمان ﴾ إشارة إلى تفكرهم فى جميع الآيات الواضحة و الغامضة مقسمين كما أقسم[3] أولئك محققين مقالهم مواجهين للمجرمين تبكيتا و توبيخا مؤكدين ما أنكره أولئك: ﴿ لقد لبثتم فى كتب الله ﴾ أى فى إخبار قضاء[4] الذى له جميع الكمال ١٠ الذى كتبه فى كتابه الذى[5] كان يخبر به فى الدنيا ﴿ الى يوم البعث ﴾ كما قال تعالى "و من ورائهم برزخ الى يوم يبعثون[6]" و أما تعيين مدة اللبث فأخفاه عن عباده، و لما أعلم القرآن أن غاية البرزخ[7] البعث، و صدق فى إخباره، سببوا عن ذلك قولهم: ﴿ فهذا ﴾ أى فتسبب ما كنا نقوله و تكذبوننا فيه، نقول[8] لكم الآن حيث لاتقدرون ١٥ على تكذيب: هذا ﴿ يوم البعث ﴾ [أى -[1]] الذى آمنا به و كنتم

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: او (٣) فى ظ: انقسم (٤) سقط من ظ (٥) فى م «و» (٦) راجع سورة ٢٣ آية ١٠٠ (٧) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مقول .

تنكرونه، قد كان طبق ما [كنا -[1]] نقوله لكم[2]، فقد تبين بطلان قولكم، و كنتم تدعون الخلاص فيه بأنواع من التكاذيب قصدا للغالبة، فما كنتم صانعين عند حضوره فاصنعوه الآن، تنبيها لهم على أنه لافائدة فى تحرير مقـــدار اللبث فى الدنيا و لا فى البرزخ، و إنما الفائدة فى ٥ التصديق بمـا أخبر به الكتاب حيث كان التصديق نافعا. و لما كان التقدير: قد أتى كما كنا به عالمين، [3] فلو كان لكم نوع من العلم لصدقتمونا فى إخبارنا بـه فنفعكم ذلك الآن[3]، عطف علـــيه قوله: ﴿و لكنكم كنتم﴾ أى كونا هو كالجبلة لـكم فى إنكاركم له ﴿لا تعلمون ۝﴾ أى [ليس -[1]] لكم علم أصلا، لتفريطكم فى طلب العلم من أبوابه، ١٠ و التوصل[4] إليه بأسبابه، فلذلك كذبتم به فاستوجبتم جزاء ذلك اليوم.

و لما كان قوله تعالى "فاما الذين امنوا و عملوا الصلحت" فى أشكالها من الآيات دالا على أن هذه الدنيا دار العمل[5]، و [أن -[1]] دار الآخرة دار الجزاء، و أن البرزخ هو[6] حائل بينهما، فلا يكون فى واحدة منهما ما للأخرى، سبب عن ذلك قوله: ﴿فيومئذ﴾ أى إذ ١٥ تقوم الساعة، و تقع هذه المقاولة ﴿لاينفع﴾ [3] أى نفعا[3] [ما -[2]] ﴿الذين ظلموا﴾ أى وضعوا الأمور فى غير مواضعها ﴿معذرتهم﴾ و هى ما تثبت عذرهم، و هو إيساغ الحيلة فى وجه يزيل ما ظهر من

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م. (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التواصل (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الملك (٦) سقط من ظ و م و مد (٧) زيد من ظ و مد.

التقصير لأنهم[1] لا عذر لهم و إن بالغوا فى إثباته، و العبارة شديدة جدا من حيث كانت تعطى أن من وقع منه ظلم ما يوما ما كان هذا حاله، و هى تدل على أنه تكون منهم معاذير[2]، و ترقق كثير، و تذلل كبير، فلا يقبل منه شىء - [3]هذا على قراءة الجماعة بتأنيث الفعل و هى[4] أبلغ من قراءة الكوفيين بتذكيره بتأويل العذر، لأنه إذا لم ينفع الاعتذار الكثير ٥ لم ينفع القليل [الذى -[5]] دل عليه[6] المجرد و لاعكس، و يمكن أن يكون قراءة الجمهور[7] متوجهة للكفرة و[8] قراءة الكوفيين للعصاة من المؤمنين، فان منهم من ينفعه الاعتذار فيعفى عنه، و يشهد لهذا ما / ورد فى آخر ١٥٢ / أهل النار خروجا [منها -[5]] أنه يسأل فى صرف وجهه [عنها -[5]] و يعاهد ربه سبحانه أنه [لا -[5]] يسأله غير ذلك، فاذا صرفه [9]عن ذلك[9] رأى شجرة ١٠ عظيمة فيسأل أن يقدمه إلى ظلها فيقول الله: ألست أعطيت العهود[10] و المواثيق [أن لا تسأل -[5]] ؟ فيقول: بلى! يارب! و لكن لا أكون أشقى خلقك[11] - الحديث[12]، و فيه «و ربه يعذره» فهذا قد قبل عذره

(١) فى ظ و مد: لانه، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى م إلى «فى إثباته» (٢) فى ظ: مقادير (٣) العبارة من هنا إلى «و وراء ذلك كله» ص ١٣٤ س ٢ ساقطة من م (٤) فى ظ: هو (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: عليه (٧) راجع نثر المرجان ٥/ ٢١٦ (٨) فى ظ: فى (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: اليهود (١١) زيدت الواو فى ظ و مد (١٢) رواه البخارى فى العديد من مناسباته و مسلم فى أبواب الإيمان.

فى الجملة ، و لا يطلب منه أن يزيل العتب[1] لأن ذلك لا يمكن إلا بالعمل ، و قد فات محله ، فأتت المغفرة من وراء ذلك كله .

و لما كان العتاب من سنة الأحباب قال : ﴿ و لا هم ﴾ أى الذين وضعوا الأشياء فى غير مواضعها ﴿ يستعتبون ﴾ أى يطلب منهم [2]ظاهرا أو باطنا بتلويح أو تصريح[2] أن يزيلوا ما وقعوا فيه مما[3] يوجب العتب ، و هو الموجدة[4] عن تقصير يقع فيه المعتوب ، لأن ذلك لا يكون إلا بالطاعة و قد فات محلها بكشف الغطاء لفوات الدار التى تنفع فيها الطاعات لكونها إيمانا بالغيب ، و العبارة تدل على أن المؤمنين[5] يعاتبون عتابا يلذذهم .

و لما أبانت هـذه السورة طرق الإيمان أىّ بيان ، و ألقت على وجوه أهل[6] الطغيان غاية الخزى و الهوان ، [و كان التقدير -[7]] : لقد أتينا فى هذه السورة خاصة بعد عموم ما فى سائر القرآن بكل حجة لا تقوم لها الأمثال ، و لم[8] نبق لأحد عذرا و لا شيئا من إشكال ، لكونها ليس لها فى وضوحها مثال ، عطف عليه قوله [9]صارفا الكلام[10] إلى مقام العظمة تقبيحا لمخالفتهم لما يأتى من قبله و ترهيبا[11] من الأخذ مؤكدا لأنهم

(١) فى ظ و مد : المعتب (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) فى ظ : ما .
(٤) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : الموجودة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المؤمنون (٦) فى ظ و م و مد : اولى (٧) زيد من ظ و م و مد .
(٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا (٩) العبارة من هنا إلى «من الأخذ» ساقطة من م (١٠) فى ظ : للكلام (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ترغيبا .

ينكرون أن يكون فى القرآن دلالة . و من أقر منهم مع الكفر فكفره قائم مقام إنكاره : ﴿ و لقد ضربنا ﴾ .

و لما كانت العناية فيها بالناس أكثر ، قال : ﴿للناس﴾ فقدمهم فى الذكر ﴿فى هذا القرآن﴾ أى عامة هذه السورة و غيرها ﴿من كل مثل[1]﴾ [أى -[1]] معنى غريب هو أوضح و أثبت من أعلام الجبال ، فى عبارة ٥ هى أرشق[2] من سائر الأمثال .

و لما كان المختوم على مشاعرهم منهم لايؤمنون بشىء[3] ، و كان ذلك من أدل دليل على علمه تعالى و قدرته ، قال مقسما تكذيبا لقولهم فى الاقتراحات[4] خاصا من أهل العلم و الإيمان رأسهم ، دلالة على أن[5] التصرف فى القلوب من العظم بمكانة تجل عن الوصف ، معبرا بالشرط إعلاما ١٠ بأنه سبحانه لايجب عليه شىء ، عاطفا على نحو : فلم ينفعهم شىء من ذلك : ﴿ و لئن جئتهم ﴾ أى الناس عامة[6] ﴿ بآية ﴾ أى دلالة واضحة على صدقك معجزة ، غير ما جئتهم به مما[7] اقترحوه و وعدوا الإيمان به مرئية كانت أو مسموعة ﴿ ليقولن الذين كفروآ ﴾ أى حكمنا بكفرهم غلظة و جفاء ، و دل على [فرط -[1]] عنادهم بقوله : ﴿ ان ﴾ أى ما ١٥ و لما كان التخصيص[8] بالغلظة أشد على النفس ، ضم إليه اتباعه تسلية و بيانا لعظيم شقاقهم فقال : ﴿ انتم ﴾ أى أيها الآتى بالآية و أتباعه

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) فى ظ : اوثق (٣) فى ظ و مد : لشىء (٤) العبارة من هنا إلى « شىء من ذلك » ساقطة من م (٥) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٦) فى ظ : خاصة (٧) فى ظ : ما (٨) فى ظ : التخليص .

﴿ الا مبطلون ﴾ أى من أهل العراقة فى الباطل بالإتيان بما لاحقيقة
له[1] فى صورة ما له حقيقة ، و أما الذين آمنوا فيقولون : / نحن بهذه ١٥٣ /
الآية مؤمنون .

و لما كان من أعجب العجب أن من يدعى العقل يصر على
٥ التكذيب بالحق ، و لا يصغى لدليل ، و لا يهتدى لسبيل ، قال مستأنفا
فى جواب من سأله[2] : هل يكون مثل هذا الطبع ؟ و مرغبا فى العلم :
﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الطبع العظيم جدا . [3]و لما كان كون الشىء
الواحد لناس هداية و لناس[4] ضلالة جامعا إلى العظمة تمام العلم والحكمة ،
صرف الخطاب عنها إلى الاسم الأعظم الجامع فقال : ﴿ يطبع الله ﴾
١٠ أى الذى لا كفوء له ، فمهما أراد كان ، عادة مستمرة ، و نبه على كثرة
المطبوع عليهم بجمع الكثرة فقال : ﴿ على قلوب الذين لا يعلمون ﴾ أى
لا يجددون - أى[5] لعدم القابلية - العلم[6] بأن لا يطلبوا[7] علم ما يجهلونه مما
حققه هذا الكتاب من علوم [8]الدنيا و الآخرة[8] رضىً منهم بما عندهم
من جهالات سموها دلالات ، و ضلالات ظنوها هدايات و كمالات .

١٥ و لما كان هذا مذكرا[9] بعظيم قدرته بعد الإياس من إيمانهم ، سبب
عنه قوله : ﴿ فاصبر ﴾ أى على إنذارهم مع هذا الجفاء و الرد بالباطل

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : سأل (٣) العبارة من هنا إلى « الجامع فقال » ساقطة من م (٤) فى ظ : الناس (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العلم (٧) فى ظ : لا يطلبون . (٨-٨) فى ظ : الآخرة و الدنيا (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مكرر .

و الأذى ، [1]فان الكل فعلنا لم يخرج منه[2] شيء عن إرادتنا .

و لما كان [3]قد تقدم[3] إليه بأنه لابد أن يظهر أمره على [كل -[4]] أمر ، علله بقوله مؤكدا [5]لأن إنفاذ[5] مثل ذلك فى محل الإنكار لعظم المخالفين و كثرتهم مظهرا غير مضمر[6] لئلا يظن التقييد بحيثية الطبع : ﴿ ان وعد الله ﴾ أى الذى له الكمال كله فى [7]كل ما وعدك به الذى ٥ منه[7] نصرك و إظهار دينك على الدين كله و نصر من قارب أتباعك فى التمسك بكتاب من كتب الله و إن كان قد نسخ على من لا كتاب له ﴿حق﴾ أى ثابت جدا يطابقه الواقع كما يكشف عنه الزمان ، و تأتى به مطايا الحدثان .

و لما كان التقدير : فلا تعجل ، عطف عليه قوله : ﴿و لا يستخفنك﴾ ١٠ أى يحملنك على الخفة و يطلب أن تخف باستعجال النصر خوفا من عواقب تأخيره أو بتفتيرك[8] عن التبليغ ، بل كن بعيدا منهم بالغلظة و الجفاء و الصدع بمر[9] الحق من غير محاباة ما ، بعدا لا يطمعون معه أن يحتالوا فى خفتك فى ذلك بنوع احتيال[10] ، و قراءة " يستحقنك[11] " من الحق

(١) العبارة من هنا إلى « عن إرادتنا » ساقطة من م (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنه (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قدم (٤) زيد من ظ و م و مد (٥ - ٥) فى ظ : لا انفاذ ، و العبارة من هنا إلى « بحيثية الطبع » ساقطة من م (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مظهر (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتقصيرك ، و فى م : بتغيرك . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يمر (١٠) فى ظ : احتمال (١١) راجع روح المعانى ٦ / ٤٦٠ .

معناها[1] : أى لا يطلب منك الحق الذى هو الفصل العدل بينك و بينهم أى لاتطلبه أنت ، فهو مثل : لا أرينك ههنا تنهى نفسك و أنت تريد نهيه عن الكون بحيث تراه ، و النهى فى قراءة الجماعة[2] بالثقيلة أشد منه فى رواية رويس عن يعقوب بالخفيفة ، فقراءة الجماعة مصوبة إلى أصل الدين ، أى لا تفعل معهم فعلا يطمعهم فى أن تميل إليهم فيه ، و قراءة رويس إلى نحو الأموال فانه كان يتألفهم بالإيثار بها ، و لا شك أنه إذا آثرهم على أكابر المسلمين أطمعهم ذلك فى[3] أن يطلبوا أن يميل معهم ، و ما أفاد هذا إلا تحويل النهى ، و لو قيل : لا تخفن معهم ، لم يفد ذلك ، و لا يقال عكس هذا من أن النهى فى الثقيلة أخف لأنه نهى عن الفعل المؤكد فيبقى أصل الفعل . وكذا ما صحبه تأكيد خفيف ، و فى الخفيفة غير[4] المؤكد تأكيدا خفيفا فلا يبقى غير أصل الفعل فهو أبلغ ، لأن النون لم تدخل إلا / بعد دخول الناهى فلم تفد إلا قوة النهى[5] لا قوة المنهى عنه - و الله أعلم . ﴿الذين لا يوقنون ع﴾ أى أذى الذين لايصدقون بوعودنا[6] تصديقا ثابتا [7]فى القلب[7] بل هم إما شاكون فأدنى شىء[8] يزلزلهم كمن يعبد الله على حرف ، أو مكذبون بنصر الله لأوليائه المؤمنين و لمن قاربهم فى التمسك بكتاب أصله صحيح ، فهم يبالغون فى العداوة و التكذيب حتى[9] أنهم ليخاطرون فى وعد الله بنصر الروم على فارس ،

/ ١٥٤

(١) فى ظ و مد : بمعناها (٢) راجع نثر المرجان ٥/٣١٨ (٣) من ظ و م ومد ، و فى الأصل « و » (٤) فى ظ و مد : عن (٥) فى م : الناهى (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : بوعدنا (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالقلب . (٨) زيد فى ظ : من قولهم (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على .

كأنهم

كأنهم على ثقة و بصيرة من أمرهم فى أن ذلك لايكون ، فاذا صدق الله وعده فى ذلك باظهاره عن قريب علموا كذبهم عيانا ، و علموا - إن كان لهم علم - أن الوعد بالساعة لإقامة العدل على الظالم و العود بالفضل على المحسن كذلك يأتى و هم صاغرون ، و يحشرون [1]و هم[1] داخرون ، ["و -[2]] سيعلم الذين ظلموا اىّ منقلب ينقلبون" ، فقد انعطف آخرها على أولها عطف الحبيب على الحبيب ، و اتصل به اتصال القريب بالقريب ، و التحم التحام النسيب بالنسيب .

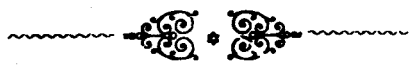

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٢٦ آية ٢٢٧ .

سورة لقمن عليه الصلاة و السلام[1]

مقصودها إثبات الحكمة للكتاب اللازم منه حكمة منزله سبحانه فى أقواله و أفعاله ، و قصة لقمان المسمى به[2] السورة دليل واضح على ذلك كأنه[3] سبحانه لما أكمل ما أراد من أول القرآن إلى آخر براءة التى هى سورة غزو الروم ، و كان سبحانه قد ابتدأ القرآن [بعد أم القرآن -[4]] بنفى الريب عن هذا الكتاب ، و أنه هدى للمتقين ، و استدل على ذلك فيما تبعها من السور ، ثم ابتدأ سورة[5] يونس بعد سورة غزو[6] الروم باثبات حكمته ، و أتبع ذلك دليله إلى أن ختم سورة الروم ، ابتدأ دورا جديدا على وجه أضخم من الأول ، فوصفه فى أول هذه التالية للروم بما وصفه به فى يونس التالية لغزو الروم ، و ذلك الوصف هو الحكمة و زاد أنه هدى و هداية للمحسنين ، فهؤلاء أصحاب النهايات ، و المتقون أصحاب البدايات .

و لما أثبت فى آل عمران أنه أنزل بالحق ، أثبت فى السجدة تنزيله و نفى الريب عن أنه من عنده ، و أثبت أنه الحق ، و استمر فيما بعد هذا من السور مناظرا فى الأغلب لما مضى كما يعرف ذلك بالإمعان فى التذكر و التأمل و التدبر : ﴿ بسم الله ﴾ الذى وسع كل شىء رحمة و علما

(١) الحادية و الثلاثون من سور القرآن ، و عدد آيها ثلاث و ثلاثون فى المكى و المدنى و أربع و ثلاثون فى عدد الباقين - كما فى روح المعانى ٦/٤٦١ .
(٢) فى مد : بها (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غزوة .

﴿ الرحمن ﴾ الذى بث[1] بعموم حكمتـــه[2] شامل نعمته فى سائر بريته ﴿ الرحيم ﴾ الذى أثار لخاصته طريق جنتـــه ، فداموا [3]و هاموا[3] فى محبته .

لما ختمت الروم بالحث على العلم ، و هو ما تضمنه هذا الكتاب العظيم ، و الأمر بالصبر و التمسك بما فيه من وعد ، و النهى[4] عن الإطماع ٥ لأهل الاستخفاف فى المقاربة لهم فى شىء من الأوصاف ، و كان ذلك / هو ١٥٥ / الحكمة ، قال أول هذه : ﴿ الٓمٓ ﴾ مشيرا بها إلى أن الله الملك الأعلى القيوم أرسل - لأنه الظاهر مع أنه الباطن - جبريل عليه السلام إلى محمد عليه الصلاة و السلام بوحى ناطق من الحكم و الأحكام بما لم ينطق به من قبله إمام ، و لايلحقه فى ذلك شىء مدى الأيام ، فهو المبدأ و هو الختام ، و إلى ١٠ ذلك أوما تعبيره بأداة البعد [5]فى قوله[5] : ﴿ تلك ﴾ أى الآيات التى هى من العلو و العظمة بمكان لايناله إلا من جاهد نفسه حتى هذبها بالتخلى عن جميع الرذائل ، و التحلى بسائر الفضائل ﴿ اٰيٰت الكتٰب ﴾ الجامع لجميع أنواع الخير ﴿ الحكيم ﴾ بوضع الأشياء فى حواق مراتبها[6] فلايستطاع نقض شىء من إبرامه ، و لامعارضة شىء من كلامه ، الدال ١٥ ذلك على تمام علم[7] منزله و خبرته[8] ، و شمول عظمته و قدرته ، و دقيق صنائعه

(١) فى ظ : ثبت (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣-٣) فى ظ و م و مد : فهاموا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : نهى (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقال (٦) زيد فى ظ : و مواضعها . (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خيرته .

فى بديع حكمته، فلا بد من نصر المؤمنين و من داناهم فى التمسك بكتاب له أصل من عند الله .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تكرر الأمر بالاعتبار و الحض عليه و التنبيه بعجائب المخلوقات فى سورة الروم كقوله سبحانه ٥ "او لم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السمٰوٰت و الارض و ما بينهما الا بالحق" و قوله "او لم يسيروا فى الارض" و قوله "الله يبدؤا الخلق ثم يعيده" و قوله "يخرج الحى من الميت و يخرج الميت من الحى" إلى قوله "كذلك نفصل الأيٰت لقوم يعقلون" و هى عشر آيات تحملت من جليل الاعتبار و التنبيه ما لايبقى معه شبهة و لا توقف لمن ١٠ وفق[1] إلى ما بعد هذا من آيات التنبيه و بسط الدلائل و ذكر ما فطر عليه العباد و ضرب الأمثال الموضحة [سواء -[2]] السبيل لمن عقل معانيها و تدبر حكمها إلى قوله "و لقد ضربنا للناس فى هذا القرٰان من كل مثل" و هى إشارة إلى ما أودع الله كتابه المبين من مختلف الأمثال و شتى العظات و ما تحملت هذه السورة من ذلك، أتبع سبحانه ذلك ١٥ بقوله الحق "الٓمّٓ تلك اٰيٰت الكتٰب الحكيم" أى دلائله و براهينه لمن وفق[3] و سبقت له الحسنى و هم المحسنون الذين ذكرهم بعد، [و -[2]] وصف الكتاب بالحكيم يشهد لما مهدناه، ثم أشار سبحانه إلى من حرم منفعته و الاعتبار به، و استبدل الضلالة بالهدى، و تنكب عن سنن[4]

(١) من م، و فى الأصل و ظ و مد: وقف (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وقف (٤) فى ظ: سكن .

فطرة الله التى فطر الناس عليها فقال "و من الناس من يشترى لهو الحديث" ـ الآيات ، ثم أتبع ذلك [بما يبكت ـ[1]] كل معاند ، و يقطع بكل جاحد ، فذكر[2] خلق السماوات[3] بغير عمد مرئية مشاهدة لايمكن فى أمرها امتراء ، ثم ذكر خلق الأرض و ما أودع فيها ، ثم قال سبحانه "هذا خلق الله فاروني ما ذا خلق الذين من دونه" ثم اتبع ذلك بذكر من هداه سبيل الفطرة فلم تزغ[4] به الشبه[5] و لا تنكب سواء السبيل فقال "و لقد آتينا لقمن الحكمة" ـ الآية ، لتأسيس من اتبع فطرة الله التى تقدم ذكرها فى سورة الروم ، ثم تناسق الكلام و تناسج[6] ـ انتهى .

و لما كان الإحسان ما دعت إليه سورة الروم من الإيمان بلقاء الله ، منزها عن شوائب النقص ، موصوفا[7] بأوصاف الكمال ، معبودا[8] بما شرعه على وجه الإخلاص ، و الانقياد مع الدليل كيفما / توجه ، و الدوران[9] معه كيفما دار ، و كان ذلك هو عين الحكمة ، قال تعالى : ﴿ هدى ﴾ أى حال كونها أو كونه بيانا متقنا ﴿ و رحمة ﴾ أى حاملا على القيام بكل ما دعا إليه ، و التقدير على قراءة حمزة[10] بالرفع : هى أو[11]

/ ١٥٦

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قد (٣) زيد فى الأصل : و الارض ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى ظ : فلم تنزع (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الشبهة (٦) فى ظ : تناسخ . (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : موصوف (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معبود (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الدوار (١٠) راجع نثر المرجان ٥/٣١٩ (١١) سقط من ظ .

هو، [و -[1]] قال: ﴿للمحسنين﴾ إشارة إلى أن من حكمته أنه خاص في هذا الكمال وضعا[2] للشيء في محله بهذا الصنف، و هم الذين لزموا التقوى فأدتهم إلى الإحسان، و هو عبادته تعالى على المكاشفة و المراقبة فهي له أو هو لها آخر، ثم وصفهم [3]في سياق الرحمة و الحكمة و البيان بالعدل[3] بيانا لهم بما[4] دعت إليه سورة الروم من كمال الإحسان في معاملة الحق و الخلق اعتقادا و عملا فقال: ﴿ الذين يقيمون الصلوٰة ﴾ أي يجعلونها كأنها قائمة بفعلها بسبب إتقان جميع ما أمر به فيها و ندب إليه، و توقفت بوجه عليه، [5]على سبيل التجديد في الأوقات المناسبة لها و الاستمرار، و لم يدع إلى التعبير بالوصف كالمقيمين داع ليدل[6] على الرسوخ لأن المحسن هو الراسخ في الدين رسوخا[7] جعله كأنه[7] يرى المعبود و دخل فيها الحج لأنه لايعظم البيت في كل يوم خمس مرات إلامعظم له بالحج فعلا أو قوة ﴿و يؤتون الزكوٰة﴾ أي كلها فدخل فيها الصوم لأنه لايؤدي زكاة الفطر إلا من صامه قوة أو فعلا.

و لما كان الإيمان اساس هذه الأركان، و كان الإيمان بالبعث جامعا لجميع أنواعه، و حاملا على سائر وجوه[8] الإحسان، و كان قد ختم الروم بالإعراض أصلا عمن ليس فيه أهلية الإيقان، قال: ﴿و هم﴾ أي خاصة

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: وصف (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) في ظ: مما (٥) العبارة من هنا إلى «يرى المعبود» ساقطة من م (٦) من ظ و مد، و في الأصل: يدل (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد، و في الاصل: وجو.

لكمالهم فيما دخلوا فيه من هذه المعاني ﴿بالأخرة﴾ التي تقدم أن المجرمين عنها غافلون ﴿هم يوقنون ٥﴾ أي يؤمنون[1] بها إيمان موقن فهو لا يفعل شيئا ينافي الإيمان بها، و لا يغفل عنها طرفة عين، فهو في الذروة العليا من ذلك. فهو يعبد الله كأنه يراه، فآية البقرة بداية، و هذه نهاية.

و لما كانت هذه الخلال أمهات الأفعال، الموجبة للكمال، و كانت ٥ مساوية من وجه لآية البقرة [2]ختمها بختامها[2]، بعد أن زمها بزمامها، فقال: ﴿اولئك﴾ أي العالو الرتبة الحائزون[3] من منازل القربة أعظم رتبة ﴿على هدى﴾ أي عظيم هم متمكنون منه تمكن المستعلي على الشيء[4]، و قال: ﴿من ربهم﴾ تذكيرا [لهم -[5]] بأنه لو لا إحسانه ما وصلوا إلى شيء، ليلزموا[6] تمريغ الجباه[6] على الأعتاب، خوفا من ١٠ الإعجاب ﴿و اولئك هم﴾ أي خاصة ﴿المفلحون ٥﴾ أي الظافرون بكل مراد.

و لما كان فطم النفس عن الشهوات، أعظم هدى قائد[7] إلى حصول المرادات، و كان إتباعها[8] الشهوات أعظم قاطع عن الكمالات، و كان في ختام الروم أن[9] من وقف مع الموهومات عن طلب ١٥

(١) في ظ: يوقنون (٢-٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: حتما (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: حايزون (٤) من ظ وم، وفي الأصل ومد: شيء. (٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) من وم و مد، و في الأصل: تمزيق الحياة، و في ظ: تمريع الحياة (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: قايدا (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: اتباع (٩) سقط من ظ و مد.

المعلومات مطبوع على قلبه، و كان ما دعا إليه الكتاب هو[1] الحكمة التى نتيجتها الفوز، و ما دعا إليه اللهو هو السفه المضاد للحكمة، بوضع الأشياء فى غير مواضعها، المثمر للعطب[2]، قال تعالى معجبا ممن يترك الجد إلى اللهو، و يعدل /عن[3] جوهر العلم إلى صدف[4] السهو، عاطفا على ما /١٥٧

٥ تقديره: فمن الناس من يتحلى بهذا الحال فيرقى إلى حلبة[5] أهل الكمال: ﴿و من﴾ و يمكن أن يكون حالا من فاعل الإشارة. أى أشير إلى آيات الكتاب الحكيم حال كونه هدى لمن ذكر و الحال أن من ﴿الناس﴾ أى الذين هم فى أدنى رتبة[6] الإحساس، لم يصلوا إلى رتبة أهل الإيمان، فضلا عن مقام أولى الإحسان.

١٠ و لما كان التقدير: من يسير بغير هذا السير، فيقطع[7] نفسه عن كل خير، عبر عنه بقوله: ﴿من يشترى﴾ [أى -[8]] غير مهتد[9] بالكتاب و لا مرحوم[10] به ﴿لهو الحديث﴾ أى ما يلهى من الأشياء المتجددة التى تستلذ فيقطع بها[11] الزمان من الغناء و المضحكات و كل شىء لا اعتبار فيه، فيوصل النفس بما أوصلها إليه من اللذة إلى مجرد الطبع

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فهو (٢) فى ظ و مد: للعطف (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٤) فى ظ: صدق (٥) من ظ و م و مد، و فى الاصل: حلية (٦) فى ظ و مد: رتب (٧) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و م ومد، و فى الاصل: مستحل (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مرحوا. (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: به.

البهيمى فيدعوها إلى العبث[1] من اللعب كالرقص[2] و نحوه مجتهدا[3] فى ذلك معملا الحيل فى تحصيله باشتراء سببه، معرضا عن اقتناص العلوم و تهذيب النفس بها[4] عن الهموم[5] و الغموم، فينزل إلى أسفل سافلين[6] كما علا الذى[6] قبله بالحكمة إلى أعلى عليين - قال[7] ابن عباس رضى الله عنهما: نزلت فى رجل اشترى جارية تغنيه ليلا و نهارا، و قال مجاهد[7]: فى شرى القيان و المغنين و المغنيات، و قال[7] ابن مسعود: اللهو الغناء، و كذا قال ابن عباس و غيره.

و لما كان من المعلوم أن عاقبة هذه الملاهى الضلال، بانهماك النفس فى ذلك، لما طبعت عليه من الشهوة لمطلق البطالة، فكيف مع ما يثير ذلك و يدعو إليه من اللذاذة، فتصير أسيرة[8] الغفلة عن الذكر، و قبيلة الإعراض عن الفكر، و كان المخاطب بهذا الكتاب قوما[9] يدعون العقول الفائقة، و الأذهان الصافية[10] الرائقة، قال تعالى: ﴿ليضل﴾ من الضلال و الإضلال على القراءتين[11]، ضد[12] ما كان عليه المحسنون من الهدى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: العتب (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كالرقعة (٣) فى ظ: مجتهلا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المهموم (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كما علاه الدين (٧) راجع الدر المنثور ٥ / ١٥٩ (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اسير (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قوم. (١٠) سقط من ظ (١١) راجع نثر المرجان ٥/٣٢١ (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عند.

﴿عن سبيل الله﴾ أى الطريق [1]الواضح الواسع[1] الموصل إلى رضى الملك الأعلى المستجمع [لصفات -[2]] الكمال و الجلال و الجمال التى هم مقرون بكثير منها، منبها لهم[3] على أن هذا مضل عن السبيل و لابد، و أن ذلك بحيث لا يخفى عليهم، فان كان [4]مقصودا لهم[4] فهو ما لايقصده من له عداد فى البشر، و إلا كانوا من الغفلة و سوء النظر و عمى البصيرة بمنزلة هى دون ذلك بمراحل.

و لما كان المراد: من قصد الضلال عن الشىء، ترك ذلك الشىء، و كان العاقل لايقدم على ترك شىء إلا [5]و هو عالم[5] بأنه لا خير فيه قال: ﴿بغير علم﴾ و نكره ليفيد السلب العام لكل نوع من أنواع العلم، أى لأنهم لا علم لهم بشىء من حال السبيل و لاحال غيرها، علما يستحق إطلاق العلم عليه بكونه يفيد ربحا أو يبقى على رأس مال من دين أو دنيا، فان هذا حال[6] من استبدل الباطل بالحق و الضلال بالهدى.

و لما كان المستهزئ بالشىء المحتقر له لايتمكن[7] من ذلك إلا بعد الخبرة التامة بحال ذلك الشىء و أنه لايصلح لصالحة[8] و لايروج له حال بحال قال[9] معجبا تعجيبا آخر أشد من الأول بالنصب عطفا[10] على "يضل"

(١-١) فى ظ و مد: الواسع الواضح (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مقصود (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يعلم (٦) فى ظ و مد: شان (٧) فى ظ: لايمكن. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بصالحة (٩) من ظ و مد، و فى الأصل و م: فقال (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عاطفا.

فى

فى قراءة حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم، و بالرفع للباقين عطفا على "يشترى": ﴿ و يتخذها ﴾ أى يكلف نفسه ضد ما تدعوه إليه فطرته [الأولى -[1]] / أن يأخذ السبيل التى لا أشرف منها مع ما ثبت له من الجهل المطلق ﴿ هزوا[1] ﴾ . ١٥٨/

و لما أنتج له[2] هذا الفعل الشقاء الدائم، بينه بقوله، جامعا حملا[3] على معنى "من" بعد أن[4] أفرد حملا على لفظها، لأن الجمع فى مقام الجزاء أهول، و التعجيب من الواحد أبلغ[5]: ﴿ اولـئك ﴾ أى[6] الأغبياء البعيدون عن[6] رتبة الإنسان، و تهكم[7] بهم بالتعبير باللام الموضوعة لما يلائم[8] فقال: ﴿ لهم عذاب مهين ﴾ أى يثبت لهم الخزى الدائم ضد ما كان للمحسنين[9] من الرحمة .

و لما كان الإنسان قد يكون غافلا، فاذا نبه انتبه، دل سبحانه على أن [هذا -[1]] الإنسان المنهمك[10] فى أسباب الخسران لا يزداد على مر[11] الزمان إلا مفاجأة لكل ما يرد عليه من البيان بالبغى و الطغيان، فقال مفردا للضمير حملا على اللفظ أيضا لئلا يتعلق متمحل بان المذموم إنما هو الجمع. صارفا الكلام إلى مظهر العظمة لما اقتضاه الحال[12] من الترهيب[12]:

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : حمل (٤) فى ظ و مد : ما (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اهول (٦) فى ظ : من (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تهككم (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لايلائم (٩) من ظ و مد، وفى الأصل و م : للحسن (١٠) فى ظ و مد : انهمك. (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عمر (١٢ - ١٢) فى ظ : للترهيب .

﴿واذا تتلىٰ عليه ايٰتنا﴾ اى يتجدد عليه تلاوة ذلك مع ما له من العظمة من أىّ تال كان و إن عظم ﴿ولّى﴾ أى بعد السماع، مطلق التولى سواء كان على[1] حالة[2] المجانبة أو [مدبرا -[3]] ﴿مستكبرا﴾ أى حال كونه طالبا للكبر موجدا له بالإعراض عن الطاعة تصديقا لقولنا آخر تلك

٥ "و لئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا ان انتم الا مبطلون".

و لما كان السامع لآياته سبحانه جديرا بأن تكسبه رقة و تواضعا، قال تعالى دالا على أن هذا الشق كان حاله عند سماعه و بعده كما كان قبل: ﴿كأن﴾ أى كأنه، أى[4] مشبها حاله بعد السماع حاله حين ﴿لم يسمعها﴾ فدل ذلك على أنه لم يزل على حالة الكبر لأنه شبه حاله[5]

١٠ مع السماع بحاله مع عدم السماع، و قد بين[6] أن حاله مع السماع الاستكبار فكان حاله قبل السماع كذلك.

و لما كان من لم يسمع الشيء قد يكون قابلا للسمع، فاذا كلم من حد جرت العادة بأن يسمع منه سمع، بين أن حال هذا كما كان مساويا لما قبل التلاوة فهو مساو لما بعدها، لأن سمعه مشابه لمن به صمم،

١٥ فالمضارع فى "يتلى" مفهم لأن الحال فى الاستقبال كهى[7] فى الحال فقال تعالى: ﴿كأن فى اذنيه وقرا﴾ أى صمما يستوى معه[6] تكليم غيره له و سكوته.

---

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد: حال (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تبين (٥) من ظ و م و مد، أى: كما هى، و فى الأصل: فهى (٦) زيد فى الأصل. حال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

و لما تسبب عن ذلك استحقاقه لما يزيل نخوته و كبره و عظمته، وكان استمرار الألم أعظم كاسر لذوى الشمم، وكان من طبع الإنسان الاهتزاز لوعد الإحسان كائنا من كان نوع[1] اهتزاز قال: ﴿ فبشره ﴾ فلما كان جديرا بان يقبل - و لايولى لظنه البشرى - على حقيقتها لأن من يعلم أنه أهل للعذاب بأفعاله الصعاب لايزال يتوالى عليه النعم مرة [2]بعد ٥ مرة[2] حتى يظن أو يكاد يقطع بأن المعاصى سبب لذلك و أنه - لما له عند الله من عظيم المنزلة - لايكره منه عمل[3] من الأعمال، قرعه بقوله: ﴿ بعذاب ﴾ أى عقاب مستمر ﴿ اليم ﴾ .

و لما كانت معرفة ما لأحد الجزئين باعثة على[4] السؤال عما / للحزب ١٥٩ / الآخر، وكانت إجابة السؤال عن ذلك من أتم الحكمة، استانف تعالى ١٠ قوله مؤكدا [5]لأجل إنكار[5] الكفرة: ﴿ ان الذين امنوا ﴾ أى أوجدوا الإيمان ﴿ و عملوا ﴾ أى[6] تصديقا له ﴿ الصلحت ﴾ وضعا للشىء فى محله عملا بالحكمة ﴿ لهم جنت ﴾ أى بساتين ﴿ النعيم ﴾، فأفاد سبحانه باضافتها إليه أنه لا كدر فيها أصلا و لا شىء غير النعيم . و لما كان ذلك قد لا يكون دائما . و كان لا سرور بشىء[7] منقطع قال: ﴿ خلدين فيها ﴾ ١٥ أى دائما .

و لما كانت الثقة بالوعد على قدر الثقة بالواعد، وكان إنجاز الوعد

(١) زيد فى ظ: من (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعده (٣) فى ظ: عملا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: عن (٥-٥) فى ظ: لانكار .
(٦) سقط من ظ و م و مد (٧) فى ظ: الشىء .

من الحكمة. قال مؤكدا لمضمون الوعد بالجنات: ﴿ وعد الله ﴾ الذى لا شيء أجل منه؛ فلا وعد أصدق من وعده، ثم أكده[1] بقوله: ﴿ حقا ﴾ أى ثابتا ثباتا لا شيء مثله، لأنه وعد من لا شيء مثله و لا كفوء له.

٥ و لما كان النفس الغريب جديرا بالتأكيد. أتى بصفتين مما أفهمه الإتيان بالجلالة تصريحا بهما تاكيدا لأن هذا لابد منه فقال: ﴿ و هو ﴾ أى وعد بذلك و الحال أنه ﴿ العزيز ﴾ فلايغلبه شيء ﴿ الحكيم ﴾ أى المحكم لما يقوله و يفعله، فلا يستطاع نقضه و لانقصه.

[2]و لما ختم بصفتى العزة - و هى غاية القدرة - و الحكمة - و هى ١٠ ثمرة العلم - دل[3] عليهما باتقان أفعاله و إحكامها فقال: ﴿ خلق السمٰوٰت ﴾ أى على علوها و كبرها و ضخامتها ﴿ بغير عمد ﴾ و قوله: ﴿ ترونها ﴾ دال[4] على الحكمة، إن قلنا إنه صفة لعمد أو استئناف، إما إن قلنا [بالثانى فلكون - [5]] مثل هذا الخلق الكبير الواسع يحمل بمحض[6] القدرة، و إن قلنا بالأول[7] فتركيب مثله على عمد تكون فى العادة حاملة له و هى ١٥ مع ذلك بحيث لا ترى أدخل فى الحكمة و أدق فى اللطافة و العظمة، لأنه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اكد (٢) زيد فى الأصل: كان هذا التقدير محكمته. و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دلت (٤) من ظ و م و مد. و فى الأصل: دالا (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لمحض (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالثانى.

يحتاج إلى عملين : تخفيف الكثيف و تقوية اللطيف .

و لما ذكر العمد المقلة[1]، اتبعه الأوتاد المقرة فقال: ﴿و ألقى فى الارض﴾ [أى -[2]] التى[3] انتم عليها ، جبالا ﴿رواسى﴾ و العجب أنها من فوقها و جميع الرواسى التى تعرفونها تكون من تحت[4]، تثبتها عن ﴿ان تميد[5]﴾ أى تمايل مضطربة ﴿بكم﴾ كما هو شأن ما على ظهر الماء .

و لما ذكر إيجادها و إصلاحها للاستقرار ، ذكر ما خلقت له من الحيوان فقال: ﴿و بث فيها﴾ أى فرق ﴿من كل دآبة﴾ و لما ذكر ذلك ، ذكر[4] ما يعيش به ، فقال منبها لمظهر العظمة على أن ذلك و إن كان لهم فى بعضه تسبب[4] لايقدر[4] عليه إلا هو سبحانه : ﴿و انزلنا﴾ أى بما لنا من العزة اللازمة للقدرة ، و قدم [ما -[2]] لاقدرة لمخلوق عليه بوجه فقال: ﴿من السمآء مآء﴾ و لما تسبب عن ذلك تدبير الأقوات ، و كان من آثار الحكمة التابعة للعلم ، دل عليه بقوله : ﴿فانبتنا﴾ أى[6] بما لنا من العلو[7] فى الحكمة ﴿فيها﴾ أى الأرض بخلط الماء بترابها ﴿من كل زوج﴾ أى صنف من النبات متشابه ﴿كريم ٥﴾ بما له من البهجة و النضرة الجالبة للسرور و المنفعة و الكثرة الحافظة لتلك / الدواب . ١٥ /١٦٠

و لما ثبت بهذا الخلق العظيم على هذا الوجه المحكم عزته و حكمته ، ثبتت ألوهيته فألزمهم وجوب توحيده فى العبادة كما توحد بالخلق ،

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المقلة (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) سقط من ظ و مد (٤-٤) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م ومد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تميل (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : العلم .

لأن ذلك عين الحكمة ، كما كان خلقه لهذا الخلق على هذا النظام ليدل عليه سبحانه سرُّ الحكمة ، فقال ملقنا للحسنين من حزبه ما ينبهون به المخالفين موبخا لهم مقبحا لحالهم[1] فى عدولهم عنه مع علمهم بما له من التفرد بهذه الصنائع : ﴿هذا﴾ [أى -[2]] الذى تشاهدونه كله ﴿خلق الله﴾ ٥ [أى -[2]] الذى له جميع العظمة[4] فلا كفوء له .

و لما كان العاقل بل و غيره لاينقاد لشىء إلا إن رأى له فعلا يوجب الانقياد له ، نبه على ذلك بقوله جوابا لما تقديره : فان ادعيتم لما دونه مما عبدتموه من دونه خلقا عبدتموه لأجله[5] : ﴿فاروني ما ذا خلق الذين﴾ زاد اسم الإشارة زيادة فى التقريع بتأكيد النفى المقصود من الكلام ، ١٠ و نبه على سفول رتبتهم بقوله [6]مضمرا لأنه[7] ليس فيما أسند إلى الاسم الأعظم حيثية يخشى من التقييد بها نقص : ﴿من دونه[6]﴾ فسألهم فى رؤية ما خلقوا إشارة إلى أنهم فعلوا معهم فعل من يعتقد أن لهم خلقا ، فالمعنى أنكم غبتم غبنا ما غبنه[8] أحد أصلا [9]بأن انقدتم لما لاينقاد له حيوان فضلا عن إنسان بكونه لا فعل له أصلا[9] ، فكان من حقكم - إن كانت ١٥ لكم عقول - أن تبحثوا أولا [هل -[3]] لهم أفعال أم لا ؟ ثم إذا ثبت فهل هى[7] محكمة أم لا ، ثم إذا ثبت فهل شاركهم غيرهم أم لا ، و إذا

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهم (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ و مد : الكمال (٥) فى ظ و مد : من أجله (٦) العبارة من هنا إلى « بها نقص » ساقطة من م (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غبنا (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

ثبت أن غيرهم شاركهم فأيهما أحكم ، و أما أنكم تنقادون لهم و لافعل لهم أصلا ثم تقدرون أن[1] لهم أفعالا ترجونهم بها و تخشونهم ، فهذا [ما -[2]] لايتصوره حيوان أصلا ، و لذلك قال تعالى : ﴿بل﴾ منبها على أن الجواب : ليس لهم[3] خلق ، بل عبدتهم أو أنتم فى جعلهم شركاء ، هكذا كان الأصل ، و لكنه قال : ﴿ الظلمون ﴾ أى العريقون فى الظلم ، تعميما ٥ و تنبيها على الوصف الذى أوجب لهم كونهم ﴿ فى ضلل ﴾ عظيم جدا محيط بهم ﴿ مبين ﴾ أى فى غاية الوضوح ، و هو كونهم يضعون الأشياء فى غير مواضعها ، لأنهم فى مثل الظلام لا نور لهم لانحجاب شمس الإيمان عنهم بجبال[4] الهوى فلا حكمة لهم .

و لما ثبتت حكمته سبحانه و أنه أبعدهم عنها[5] بما قضى عليهم من ١٠ الجهل و غباوة العقل و آتاها[6] من تاب ، و اعتصم بآيات الكتاب ، توقع السامع الإخبار عن بعض من آتاه الحكمة من المتقدمين الذين كانوا من[7] المحسنين . فوضعوا الأشياء فى مواضعها بأن آمنوا و عملوا الصالحات ، فقال صارفا وجه الكلام إلى مظهر العظمة تعظيما للحكمة عاطفا على قوله " و هو العزيز الحكيم " أو على مقدر تقديره : لأنا أضللناهم بحكمتنا ١٥ و آتينا الحكمة الذين قبلوا آياتنا و أحسنوا التعبد لنا فما عبدوا صنما و لا مالوا إلى لهو[8] ، لأن ذلك عين الحكمة لكونه [وضعا -[2]] للشىء فى محله ، فهو

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ : له (٤) فى ظ و مد : بخيال (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عنهم (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مع (٨) فى ظ و مد : الهوى .

تقرير لتخصيص النبى صلى الله عليه و سلم بالرسالة : ﴿ و لقد آتينا ﴾ بما لنا من العظمة و الحكمة / ﴿ لقمن ﴾ و هو عبد من عبيدنا ﴿ الحكمة ﴾ / ١٦١
و هو العلم المؤيد بالعمل و العمل المحكم بالعلم ؛ و قال الحرالى : هى العلم بالأمر الذى لأجله[1] وجب الحكم ، و الحكم الحمل على جميع أنواع الصبر
٥ و المصابرة ظاهرا بالإيالة[2] العالية ، و لا يتم الحكم[3] و تستوى[3] الحكمة إلا بحسب سعة العلم ، و قال ابن ميلق : إن مدارها على إصابة الحق و الصواب فى القول [و العمل -[4]] ، و لهذا قال ابن قتيبة : لا يقال لشخص حكيما[5] حتى تجتمع له[6] الحكمة فى القول و الفعل ، قال : و لا يسمى المتكلم بالحكمة حكيما حتى يكون عاملا بها - انتهى . و من بليغ حكمته
١٠ ما أسنده صاحب الفردوس عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : حقا أقول ! لم يكن لقمان نبيا ، و لكن كان عبدا ضمضامة كثير التفكر[7] حسن اليقين ، أحب الله فأحبه ، فمن عليه بالحكمة . [8]كان نائما نصف النهار إذ جاءه نداء ، قيل : يا لقمان ، هل لك أن يجعلك الله خليفة فى الأرض تحكم بين الناس بالحق ، فاجاب : إن خيرنى ربى
١٥ قبلت العافية و لم أقبل البلاء . و إن عزم علىّ فسمعا و طاعة ، فانى أعلم أنه[9] إن فعل ذلك ربى عصمنى و اعانى ، فقالت الملائكة بصوت لا يراهم :

(١) فى ظ و مد : من أجله (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالانالة - (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ولا تستوى (٤) زيد من ظ و م و مد . (٥) فى ظ و مد : حكيم (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفكر (٨) و من هنا أخرجه البغوى فى المعالم بهامش اللباب ٥/١٧٨ - (٩) سقط من م و المعالم .

لم يا لقمان ؟ قال : لأن الحاكم بأشد المنازل و أكدرها ، يغشاه الظلم من كل مكان ، إن يعدل[1] فبالحرى أن ينجو ، و إن أخطأ أخطأ طريق الجنة ، و من يكن فى الدنيا ذليلا خير[2] من أن يكون شريفا ، و من تخير[3] الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا و لا يصيب الآخرة ، فعجبت[4] الملائكة من حسن منطقه ، فنام نومة فأعطى الحكمة فانتبه يتكلم بها . و فى الفردوس عن[5] مكارم الأخلاق لأبى بكر بن لال عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم [قال -[6]] : الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها فى العزلة و واحد[7] فى الصمت ، [وقال لقمان -[6]] : لا مال كصحة و لا نعيم كطيب نفس ، و قال : ضرب الوالد لولده كالسماد للزرع ، و قيل له : أىّ الناس شر ؟ قال : الذى لايبالى أن يراه الناس مسيئا[8] ، و قيل له : ما أقبح وجهك ! فقال : تعيب النقش أو النقاش ، و قال البغوى[9] : إنه قيل له : لم بلغت ما بلغت ؟ قال : بصدق الحديث و أداء الأمانة و ترك ما لايعنينى - انتهى . فهو سبحانه من حكمته و حكمه[10] أن يرفع ما يشاء بما يعلمه منه[11] من سلامة الطبع و إن كان عبدا فلا بدع أن يختص

(١) فى المعالم : يعن (٢) فى ظ : خيرا (٣) من مد و المعالم ، و فى الأصل و م : يخير ، و فى ظ : يختر (٤) من ظ و م و مد و المعالم ، و فى الأصل : فتعجبت (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : من (٦) زيد من ظ و م و مد . (٧) من ظ و م و مد و مخطوطة تلخيص الفردوس ١٣٠ / ب ، و فى الأصل : واحدة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شيئا (٩) راجع المعالم بهامش اللباب ٥ / ١٧٨ (١٠) فى ظ : حكمته (١١) سقط من ظ .

محمدا صلى الله عليه و سلم ذا النسب العالى و المنصب المنيف فى كل خلق شريف بالرسالة من بين قريش و إن لم يكن من أهل الدنيا المتعظمين بها، قال ابن ميلق: من حكمته سبحانه أن يجمع بين أثرى عدله و فضله، و أن يعاقب بينهما فى الظهور فيذل و يعز و يفقر[1] و يغنى ٥ و يسقم و يشفى و يفنى و يبقى إلى غير[2] ذلك. فما من سابق عدل إلا له لاحق فضل، و لاسابق فضل إلا له لاحق عدل، غير أن أثر العدل و الفضل قد يتعلق بالبواطن [3]خاصة، و قد يتعلق أحدهما بالظاهر و الآخر بالباطن[3]، و قد يكون اختلاف تعلقهما فى حالة واحدة، و قد يكون على البدل، و على قدر تعلق الأثر [السابق يكون تعلق الأثر -[4]] اللاحق.

١٠ و لما كانت الحكمة قاضية بذلك، أجرى الله سبحانه آثار عدله على ظواهر أصفيائه دون بواطنهم، ثم عقب ذلك بإيراد آثار[5] فضله على بواطنهم و ظواهرهم حتى صار من قاعدة الحكمة الإلهية تفويض ممالك الأرض / للمستضعفين فيها كالنجاشى حيث بيع فى صغره، و ذلك كثير ١٦٢ / موجود بالاستقراء، فمن كمال تربية[6] الحكيم لمن يريد إعلاء شأنه أن يجرى ١٥ على ظاهره من أثر العدل ما فيه تكميل لهم و تنوير لمداركهم و تطهير لوجودهم و تهذيب و تاديب - إلى غير ذلك من فوائد التربية، و من تتبع أحوال الأكابر من آدم عليه السلام و هلم جرا رأى من حسن

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يفتقر (٢) فى ظ و مد: سابق. (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى ظ: ايثار (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رتبة.

بلاء الله سبحانــه و تعالى لهم ما يشهد[1] لما قررته بالصحة[2] إن شاء الله تعالى - انتهى[3] .

و لما كانت الحكمة هى الإقبال على الله قال : ﴿ ان اشكر ﴾ و هو و إن كان تقديره : قلنا له كذا ، يؤول إلى « آتيناه الشكر » و صرف[4] الكلام إلى الاسم الأعظم الذى لم يتسم به غيره سبحانه دفعا للتعنت ، ٥ و نقلا عن مظهر العظمة [إلى - [5]] أعظم منها فقال : ﴿ لله[6] ﴾ بان وفقناه[6] له بما سببناه له من الأمر به لأن الحكمة فى الحقيقة هى القيام بالشكر لا الإيصاء به ، و يمكن أن تكون [« أن » - [5]] مصدرية ، و يكون التقدير : آتيناه إياها بسبب الشكر ، و عبر بفعل الأمر إعلاما بان شكره كان لامتثال الأمر ليكون أعلى . ١٠

و لما كان التقدير : فبادر و شكر ، فما نفع إلا نفسه ، كما أنه لو كفر ما ضر إلا نفسه ، عطف عليه [معرفا - [5]] أنه غنى عن شكر الشاكرين قوله معبرا بالمضارع الدال على أن[2] من أقبل عليه - فى أىّ زمان كان - يلقاه[7] و يكون معروفه له[3] دائما بدوام العمل : ﴿ و من يشكر ﴾ أى يجدد الشكر و يتعاهد به نفسه كائنا من كان ﴿ فانما يشكر ﴾ أى يفعل ١٥ ذلك ﴿ لنفسه ج ﴾ أى فانما ينفع نفسه ، فان الله يزيده من فضله فان الله

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يشهدون (٢) زيد فى ظ : لهم (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : صرح (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وقفنا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتلقاه .

شكور مجيد ﴿و من كفر﴾ فانما يضر نفسه، و عبر بالماضى إشارة إلى أن من وقع منه كفر و لو مرة جوزى بالإعراض عنه ﴿فان الله﴾ عبر بالاسم الأعظم لأنه فى سياق الحكمة، و الحكيم من أدام[1] استحضار صفات الجلال و الجمال فغلب خوفه رجاءه ما دام فى دار الأكدار ﴿غنى﴾ عن الشكر و غيره ﴿حميد﴾ أى له جميع المحامد و إن كفره جميع الخلائق[2]، فان تقدير الكفر عليهم بحيث لا يقدرون على الانفكاك عنه من جملة محامده بالقدرة و العزة و الفهم و العظمة. و يجوز - و هو أقرب - أن يعود "غنى" إلى الكافر و "حميد" إلى الشاكر، فيكون اسم فاعل، فيكون التقدير: [3]و من[3] كفر فانما يكفر على نفسه؛ ثم سبب عن الجملتين و [هما -[4]] كون عمل كل من الشاكر و الكافر لا يتعداه قوله "فان الله غنى" [أى -[4]] عن شكر الكافر "حميد" للشاكر، و الآية على الأول من الاحتباك: تخصيص الشكر بالنفس أولا يدل على حذف مثله من الكفر ثانيا، و إثبات الصفتين ثانيا يدل على حذف مثلهما أولا.

و [لما -[4]] كان الإنسان لا يعرف حكمة الحكيم إلا بأقواله و أفعاله، و لا صدق الكلام [و حكمته -[4]] إلا بمطابقته للواقع، فكان التقدير: اذكر ما وصفنا به لقمان لننزل[5] عليه ما تسمع من أحواله و أفعاله[6] فى توفية حق الله و حق الخلق الذى هو مدار الحكمة، عطف عليه قوله: ﴿و اذ﴾

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دام (٢) فى ظ و مد: الخلق (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فمن (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م، و فى الأصل و ظ و مد. لينزل (٦) فى ظ و مد: أقواله.

أي و اذكر بقلبك لتتعظ[1] و بلسانك لتعظ غيرك - بما أنك رسول - ما كان حين ﴿قال لقمن لابنه﴾ ما[2] يدل على شكره في نفسه و امره به[3] لغيره فانه لا شكر يعدل البراءة من الشرك ، و فيه حث على التخلق بما مدح به لقمان بما يحمل على الصبر و الشكر[4] و المداومة[5] على كل خير ، و على تأديب الولد ، بسوق الكلام على وجه يدل على تكرير وعظه ٥ فقال : ﴿و هو يعظه﴾ أي يوصيه بما ينفعه و يرقق قلبه / و يهذب نفسه ، / ١٦٣ و يوجب له الخشية و العدل .

و لما كان أصل توفية حق الحق تصحيح الاعتقاد و إصلاح العمل ، و كان الأول أهم ، قدمه[6] فقال : ﴿يبني﴾ مخاطبه بأحب ما يخاطب به ، مع إظهار الترحم و التحنن و الشفقة ، ليكون ذلك أدعى لقبول النصح ١٠ ﴿لا تشرك﴾ أي [لا -[6]] توقع الشرك لا جليا و لا خفيا . و لما كان في تصغيره الإشفاق عليه ، زاد ذلك بإبراز الاسم الأعظم الموجب لاستحضار جميع الجلال ، تحقيقا لمزيد الإشفاق ، فقال : ﴿بالله[1]﴾ أي الملك الأعظم الذي لا كفوء له ، ثم علل هذا النهي بقوله : ﴿ان الشرك﴾ أي بنوعيه ﴿لظلم عظيم ۝﴾ أي[1] فهو ضد الحكمة ، لأنه وضع الشيء في غير محله ، ١٥ فظلمه ظاهر من جهات عديدة جدا ، أظهرها أنه تسوية المملوك الذي ليس له من ذاته إلا العدم فلا نعمة منه أصلا[7] بالمالك الذي له وجوب

(١) سقط من ظ (٢) في ظ : بما (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤-٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بالمداومة (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد في الأصل : الا ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .

الوجود ، فلا خير و لا نعمة إلا منه ، و فى هذا تنبيه لقريش و كل سامع على[1] أن هذه وصية لا يعدل عنها ، لأنها من أب حكيم لابن محنو عليه محبوب ، و أن آباءهم لو كانوا حكماء[2] ما فعلوا إلا ذلك ، لأنه يترتب عليها ما عليه مدار النعم الظاهرة و الباطنة[3] الدينية و الدنيوية ، العاجلة و الآجلة ،
٥ و هو الأمن و الهداية " الذين آمنوا و لم يلبسوا إيمانهم بظلم اولئك لهم الامن و هم مهتدون " فانه لما نزلت تلك الآية كما فى صحيح البخارى فى غير موضع عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه شق ذلك على الصحابة رضى الله تعالى عنهم فقالوا : أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إنه ليس بذاك[4]، ألم تسمع إلى قول
١٠ لقمان " ان الشرك لظلم عظيم " .

و لما ذكر سبحانه و تعالى ما أوصى به ولده من شكر المنعم الأول الذى لم يشركه فى إيجاده أحد ، و ذكر ما عليه[5] الشرك من الفظاعة و الشناعة [6]و البشاعة ، أتبعه[6] سبحانه وصيته للولد بالوالد لكونه[7] المنعم الثانى المتفرد سبحانه بكونه [جعله -[8]] سبب وجود الولد اعترافا[9] بالحق

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : حكمك (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد و صحيح البخارى - تفسير هذه السورة ، و فى الأصل و م و نسخة من الصحيح : بذلك (٥) زيد فى ظ و مد : من (٦ - ٦) فى ظ و م و مد : وصيته سبحانه . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكون (٨) زيد من ظ و م و مد . (٩) فى ظ : اعتزازا .

و إن

و إن صغر لأهله [1]و إيذانا[1] بأنه لايشكر الله من لايشكر الناس، و تفخيما لحق الوالدين، لكونه قرن عقوقهما بالشرك، و إعلاما بأن الوفاء شيء واحد متى نقص شيء منه تداعى سائره[2] كما فى الفردوس عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن[3] النبى صلى الله عليه و سلم قال: لو أن العبد لقى الله بكمال ما افترض عليه ما خلا بر الوالدين ما دخل الجنة، و إن بر الوالدين ٥ لنظام[4] التوحيد و الصلاة و الذكر، و لذلك لفت الكلام إلى مظهر العظمة ترهيبا من العقوق و رفعا لما لعله يتوهم من أن[5] الانفصال عن الشرك لايكون إلا بالإعراض[6] عن جميع الخلق.

و لما قد يخيله الشيطان من أن التقيد[7] بطاعة الوالد شرك، مضمنا تلك الوصية إجادة لقمان عليه السلام فى تحسين الشكر[8] و تقبيح الشرك ١٠ لموافقته لأمر رب العالمين، و إيجاب امتثال ابنه لأمره، فقال مبينا حقه و حق كل والد غيره. و معرفا قباحة من أمر ابنه بالشرك / لكونه ١٦٤ / منافيا للحكمة التى أبانها لقمان عليه السلام، و تحريم امتثال الابن لذلك و وجوب مخالفتـــه لأبيه فيه تقديما لأعظم الحقين، و ارتكابا لأخف الضررين: ﴿و وصينا﴾ أى قال لقمان ذلك لولده[9] نصحا له[5] و الحال ١٥

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فايدانا (٢) من مد. و فى الأصل و ظ و م: بشايره (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بنظام (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: باعراض (٧) من مد. و فى الأصل و ظ و م: التقييد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الشرك (٩) فى ظ: لابنه.

أنا[1] بعظمتنا وصينا ولده به بنحو ما أوصاه به فى حقنا - هكذا كان الأصل ، و لكنه عبر بما يشمل[2] غيره فقال : ﴿ الانسان ﴾ أى هذا النوع على لسان أول نبى أرسلنا و هلم جرا[3] و بما ركزناه[3] فى كل فطرة من أنه ما جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴿بوالديه ج﴾ فكأنه قال : إن لقمان عرف نعمتنا عليه و على أبناء نوعه لوصيتنا لأولادهم بهم فشكرنا[4] و لقن[5] عنا نهيهم[6] بذلك عن الشرك لأنه كفران لنعمة المنعم ، فانتهى فى نفسه و نهى ولده ، فكان بذلك حكيما .

و لما كانت الأم فى مقام الإحتقار لما للأب [7]من العظمة[7] بالقوة و العقل و الكـــد عليها و على ولدها ، نوه بها و نبه[8] على ما يختص به من أسباب وجود الولد و بقائه[9] عن الأب مما حصل لها[10] من المشقة بسببه و ما لها إليه من التربية . فقال معللا أو مستأنفا : ﴿ حملته امه وهنا ﴾ أى حال كونها ذات وهن تحمله فى أحشائها ، و بالغ بجعلها نفس الفعل دلالة على شدة ذلك الضعف بتضاعفه كلما أثقلت ﴿ على وهن ﴾ أى هو قائم بها من نفس خلقها و تركيبها إلى ما يزيدها التمادى بالحمل . ثم أشار إلى ما لها عليـــه من المنة بالشفقة و حسن الكفالة و هو لايملك

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انه (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يشتمل (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل : ربما ركرنا ، وفى ظ : و بما كرمنا . (٤) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : فيشكرنا (٥) فى ظ و مد : لقمن (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بنهيهم (٧-٧) فى ظ : بالعظمة (٨) زيد فى الأصل : بها ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نقه (١٠) فى ظ : له .

لنفسه شيئا بقوله : ﴿ و فصاله ﴾ أى فطامه من الرضاعة بعد وضعه .

و لما كان الوالدان يعدان وجدان[1] الولد من أعظم أسباب الخير و السرور ، عبر فى أمره بالعام الذى تدور مادته على السعة لذلك و ترجية لهما[2] بالعول[3] عليه و تعظيما لحقهما[4] بالتعبير بما يشير إلى صعوبة ما قاسيا[5] فيه باتساع زمنه[6] فقال : ﴿ فى عامين ﴾ تقاسى فيهما فى منامه و قيامه ما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى ، و فى التعبير بالعام أيضا إشارة إلى تعظيم منتها بكونها تعد[7] أيام رضاعه - مع كونها اضعف ما يكون فى تربيته - أيام سعة و سرور ، و التعبير بـ «فى» مشير إلى أن الوالدين لهما أن يفطماه قبل تمامهما على حسب ما يحتمله حاله ، و تدعو إليه المصلحة من أمره .

و لما ذكر الوصية و اشار إلى أمهات أسبابها ، ذكر الموصى به فقال مفسرا لـ «وصينا[8]» : ﴿ ان اشكر ﴾ و لما كان الشكر منظورا إليه أتم نظر ، قصر فعله ، أى أوجد هذه الحقيقة و لتكن من همك . و لما كان لابد له من متعلق ، كان كأنه قال : لمن ؟ فقال مقدما ما[9] هو أساس الموصى به فى الوالدين ليكون معتدا به ، لافتا القول إلى ضمير الواحد من غير تعظيم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وحدان (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لها (٣) فى ظ و م و مد : بالعون (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بحقهما (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : قاسا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الزمن (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بعد (٨) فى ظ : اوصينا (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما .

تنصيصا على المراد : ﴿لى﴾ أى[1] لأنى المنعم بالحقيقة ﴿و لوالديك[1]﴾ لكونى جعلتهما سببا لوجودك و الإحسان بتربيتك ، و ذكر الإنسان بهذا الذكر فى سورة الحكمة إشارة إلى أنه أتم الموجودات حكمة ، قال الرازى فى آخر سورة الأحزاب من لوامعه : الموجودات كلها كالشجرة ، و الإنسان ثمرتها ، و هى كالقشور و الإنسان / لبابها ، و كالمبادئ و الإنسان كمالها ، [و -[2]] من أين للعالم ما للانسان ؟ بل العالم العلوى فيه ، و ليس فى العالم العلوى ما فيه ، فقد جمع ما[3] بين العالمين بنفسه و جسده ، و استجمع الكونين بعقله و حسه . و ارتفع[4] عن الدرجتين باتصال الأمر الأعلى به وحيا قوليا ، و سلم الأمر لمن له الخلق و الأمر تسليما اختياريا طوعيا . ثم علل الأمر بالشكر محذرا فقال : ﴿الىّ﴾ لا إلى غيرى ﴿المصير ه﴾ أى فأسئلك عن ذلك كما كانت منهما البداءة ظاهرا[5] بما جعلت[1] لهما من التسبب فى ذلك ، فيسئلانك عن القيام بحقوقهما و إن قصرت فيها[6] شكواك إلى الناس و أقاما عليك الحجة و أخذا بحقهما .

و لما ذكر سبحانه وصيته بهما و أكد حقهما ، أتبعه الدليل على ما ذكر لقمان عليه السلام من قباحة الشرك فقال : ﴿و ان جاهدك﴾ أى مع ما أمرتك به من طاعتهما ، و أشار بصيغة المفاعلة إلى مخالفتهما و إن بالغا [7]فى الحمل[7] على ذلك ﴿[8]علىّ ان تشرك بى[8]﴾ و أشار بأداة

١٦٥ / ٥

١٠

١٥

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من م (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فارتفع (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ظاهر .
(٦) من ظ و م و مد . و فى الأصل : فيهما (٧ - ٧) فى ظ و مد : بالحمل .
(٨-٨) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن « لأجل الفتنة » ص ١٦٧ س ٨ .

الاستعلاء إلى أنه لامطمع لمن أطاعهما فى ذلك و لو باللفظ فقط ان يكون فى عداد المحسنين و إن كان الوالدان فى غاية العلو و التمكن من الأسباب الفاتنة له بخلاف سورة العنكبوت فانها لمطلق الفتنة. و ليست لقوة الكفار، فعبر [فيها -[1]] بلام العلة[2]، إشارة إلى مطلق الجهاد الصادق [3]بقويه و ضعيفه[3]، فى الموضعين نوع رمز إلى أنه إن ضعف ٥ [عنهما -[1]] أطاع[4] باللسان، و لم يخرجه ذلك عن الإيمان، كما أخرجه [هنا -[1]] عن الوصف بالإحسان، و لذلك حذر فى الآية التى بعد تلك من النفاق لأجل الفتنة، و أحال سبحانه على اتباع الأدلة على حكم ما وهب من العقل عدلا و إنصافا فقال[5]: ﴿ما ليس لك به علم﴾ إشارة إلى أنه لايمكن أن يدل علم من أنواع العلوم على شىء من الشرك بنوع ١٠ من أنواع الدلالات بل العلوم كلها دالة على الوحدانية على الوجه الذى تطابقت عليه العقول، و تظافرت عليه من الأنبياء و الرسل النقول، و[6]أما الوجه[6] الذى سماه أهل الإلحاد بمذهب الاتحاد توحيدا[7] فقد كفى فى أنه ليس به علم إطباقهم على أنه خارج عن طور العقل، مخالف لكل ما[1]ورد عن الأنبياء من نقل، و إن لبسوا بادعاء متابعة بعض الآيات كما ١٥ بينه كتابى الفارض، فلا يمكن أن يتمذهب به أحد إلا بعد الانسلاخ من

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد.
(٣-٣) فى ظ: بقوته وضعفه (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اطماع.
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قال (٦-٦) فى ظ: انما التوجه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: توجدا.

العقل و التكذيب بالنقل، فلم ينادِ أحد على نفسه بالإبطال ما نادوا به [على -[1]] أنفسهم[2] و لكن من يضلل[3] الله فما له من هاد[4] .

فلما قرر ذلك على هذا المنوال البديع، قال مسببا عنه : ﴿فلا تطعهما﴾ أى فى ذلك و لو اجتمعا على المجاهدة لك عليه ، بل خالفهما ، و إن أدى الأمر إلى السيف فجاهدهما به ، لأن أمرهما بذلك مناف للحكمة[5] حامل على محض الجور و السفه ، ففيه تنبيه لقريش على محض الغلط فى التقليد[6] لآبائهم فى ذلك .

و لما كان هذا قد يفهم الإعراض عنهما رأسا فى كل أمر إذا خالفا فى[7] الدين ، أشار إلى أنه ليس مطلقا فقال : ﴿و صاحبهما فى الدنيا﴾ اى فى أمورها[8] التى لا تتعلق بالدين [9]ما دامت حياتهما[9] .

و لما كان المبنى على النقصان عاجزا عن الوفاء بجميع الحقوق ، خفف عليه بالتنكير[10] فى قوله : ﴿ معروفا ﴾ أى[11] ببرهما إن كانا على دين يقران عليه و معاملتهما بالحلم و الاحتمال و ما يقتضيه مكارم الأخلاق و معالى الشيم ، قال ابن ميلق : و يلوح من هذه المشكاة تعظيم الأشياخ الذين كانوا فى العادة سببا لإيجاد القلوب فى دوائر التوحيد العلمية و العملية

١٦٦ /

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يضل (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلا هادى له (٥) فى ظ : الى الحكمة (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : التقلد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيه فى (٨) فى ظ : امورهما (٩-٩) فى ظ و م و مد : ما دمت حيا (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالتكبير . (١١) سقط من ظ .

- يعنى فى سوق هذه الوصية هـذا المساق اعظم تنبيه على أن تعظيم الوسائط من الخلق ليس مانعا من الإخلاص فى التوحيد ، قال ابن ميلق : و من هنا زلت أقدام أقوام تعمقوا فى دعوى التوحيد حتى أعرضوا عن جانب الوسائط فوقعوا[1] فى الكفر من حيث زعموا التوحيد ، فان تعظيم المعظم فى الشرع تعظيم لحرمات الله ، و امتثال لأمر الله ، و لعمرى إن ٥ هذه المزلة ليتعثر بها تباع إبليس حيث أبى أن يسجد لغير الله ، ثم قال ما معناه : و [2]هؤلاء قوم[2] أعرضوا عن تعظيم الوسائط زاعمين الغيرة على مقام التوحيد ، و قابلهم قوم اسقطوا الوسائط جملة و قالوا : [إنه -[3]] ليس فى الكون إلا هو ، و هم أهل الوحدة المطلقة ، و الكل على ضلال ، و الحق الاقتصاد و العدل فى إثبات الخالق و توحيده ، و تعظيم من أمر ١٠ بتعظيمه من عبيده .

و لما كان ذلك قد يجر[4] إلى نوع وهن فى الدين ببعض محاباة ، نفى ذلك بقوله : ﴿ و اتبع ﴾ أى بالغ فى أن تتبع ﴿ سبيل ﴾ أى دين و طريق ﴿ من اناب ﴾ أى أقبل خاضعا ﴿ الىّ ﴾ لم يلتفت إلى عبادة غيرى ، و هم المخلصون من أبويك و[5] غيرهما ، فان ذلك لا يخرجك[6] عن برهما ١٥ و لا عن توحيد الله و الإخلاص له ، و فى هذا حث على معرفة الرجال بالحق ، و أمر بحك المشايخ و غيرهم على محك الكتاب و السنة ، فمن

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فوقفوا (٢-٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اقوام (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يخرج (٥) فى ظ : من (٦) فى ظ : لا يخرجنك .

كان عمله موافقا لها اتبع ، و من كان عمله مخالفا لها اجتنب .

و لما كان التقدير: فان مرجع أموركم كلها فى الدنيا إلىّ ، عطف عليه قوله : ﴿ ثم الىّ ﴾ أى فى الآخرة ، لا إلى غيرى[1] مرجعك - هكذا كان الأصل ، و لكنه جمع لإرادة التعميم فقال معبرا بالمصدر الميمى الدال على الحدث[2] و زمانه و مكانه : ﴿ مرجعكم ﴾ حسا و معنى ، فأكشف الحجاب ﴿ فانبئكم ﴾ أى أفعل فعل من يبالغ فى التنقيب و الإخبار عقب ذلك و بسببه ، لأن ذلك أنسب شىء للحكمة و [3]إن كان[3] تعقيب كل شىء بحسب ما يليق به ﴿ بما كنتم ﴾ بما هو لكم كالجبلة ﴿ تعملون ٥ ﴾ أى تجددون عمله من صغير و كبير ، و جليل و حقير ، و ما كان فى جبلاتكم مما[4] لم يبرز إلى الخارج ، فأجازى من اريد ، و أغفر لمن اريد[5] ، فاعد لذلك عدته[6] ، و لا تعمل عمل من ليس له مرجع يحاسب فيه و يجازى على مثاقيل الذر من أعماله ، و لعله عبر [7]عن الحساب[7] بالتنبئة لأن العلم بالعمل[8] سبب للجازاة عليه أو[9] لأنه جمع[10] القسمين ، و محاسبة السعيد العرض فقط بدلالة التضمن و محاسبة الشقى بالمطابقة .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غيره (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحديث (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : ما (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يريد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عدة (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالحساب (٨) فى ظ و مد : بالعلم (٩) فى ظ « و » (١٠) زيد فى الأصل : بين ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحدوثها .

و لما فرغ من تأكيد ما قاله لقمان عليه السلام فى الشكر و الشرك فعلم ما أوتى من الحكمة، و ختمه بعد الوصية بطاعة الوالد بذكر دقيق الأعمال و جليلها، و أنها فى علم الله سواء، حسن [جدا -[1]] الرجوع إلى تمام بيان حكمته[2]، فقال بادئا بما يناسب ذلك من دقيق العلم و محيطه المكمل لمقام التوحيد، و عبر بمثقال الحبة[3] لأنه أقل ما يخطر غالبا بالبال، ٥ و هى من أعظم حاث على التوحيد الذى مضى تأسيسه: ﴿ يٰبنى ﴾ متحببا مستعطفا، مصغرا[4] له بالنسبة إلى حمل شىء من غضب الله تعالى / مستضعفا: ١٦٧/ ﴿انهآ﴾ أى العمل، و أنث لأنه فى مقام التقليل[5] و التحقير، و التأنيث أولى بذلك. و لأنه يأول بالطاعة و المعصية و[6] الحسنة و السيئة[6] ﴿ان تك﴾ و أسقط النون لغرض الإيجاز فى الإيصاء بما ينيل المفاز، و الدلالة على ١٠ أقل الكون و اصغره ﴿مثقال﴾ أى وزن، ثم حقرها بقوله: ﴿حبة﴾ و زاد فى ذلك بقوله: ﴿من خردل﴾ هذا على قراءة الجمهور[7] بالنصب، و رفع المدنيان على معنى أن الشأن و القصة العظيمة أن توجد فى وقت من الأوقات هنة هى أصغر شىء و احقره - بما أشار إليه التأنيث.

و لما كان قد عرف [أن -[1]] السياق لما ذا، أثبت النون فى ١٥ قوله مسببا عن صغرها: ﴿فتكن﴾ إشاره إلى ثباتها فى مكانها. و ليزداد تشوف[8] النفس إلى محط الفائدة و يذهب الوهم[9] كل مذهب لما علم من

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حكمه (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجنة (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٥) فى م: التعليل (٦-٦) فى م: السيئة و الحسنة (٧) راجع نثر المرجان ٥/٣٢٩ (٨) فى ظ: تشوق (٩) زيد فى ظ: عن.

أن المقصد عظيم بحذف[1] تلك النون و إثبات هذه ، و عسّرها بعد أن حقرها بقوله معبرا عن أعظم الخفاء و أتم الإحراز : ﴿ فى صخرة ﴾ أى أى أىّ صخرة كانت و لو أنها أشد الصخور و اقواها و أصغرها و أخفاها .

و لما أخفى و ضيق[2] ، اظهر و وسع ، و رفع و خفض ، ليكون أعظم لضياعها لحقارتها فقال : ﴿ او فى السمٰوٰت ﴾ أى فى أىّ مكان كان منها على سعة أرجائها و تباعد أنحائها ، و أعاد « أو »[3] نصا على إرادة كل منهما على حدته ، و الجار تأكيدا للمعنى فقال : ﴿ او فى الارض ﴾ [أى -[4]] كذلك ، و هذا كما ترى لاينفى أن تكون الصخرة فيهما او فى إحداهما[5] ، و عبر له[6] بالاسم الأعظم لعلو[7] المقام فقال : ﴿ يات بها الله ﴾ بعظم جلاله ، و باهر كبريائه و كماله ، بعينها لايخفى عليه و لا يذهب شيء منها ، فيحاسب عليها[8] ، ثم علل ذلك من علمه و قدرته بقوله مؤكدا إشارة إلى [أن -[9]] إنكار ذلك لما له من باهر العظمة من دأب النفوس إن [لم -[9]] يصحبها التوفيق : ﴿ ان الله ﴾ فأعاد الاسم الأعظم تنبيها على استحضار العظمة و تعميما للحكم ﴿ لطيف ﴾ أى عظيم المتّ[10]

---

(١) فى ظ و مد : لحذر (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : « و » (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احدهما (٦) سقط من ظ و مد . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليناسب (٨) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : عليه (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل بياض ، و فى ظ : المتبر - كذا .

بالوجوه الخفية الدقيقة الغامضة فى بلوغه إلى أىّ أمر أراده حتى يضد[1] الطريق الموصل فيما يظهر للخلق ﴿ خبيرة ﴾ بالغ العلم بأخفى الأشياء، فلا يخفى عليه شىء[2]، ولا يفوته أمر.

و لما نبهه[3] على إحاطة علمه سبحانه و إقامته للحساب، أمره بما يدخره لذلك توسلا إليه، و تخضعا لديه، و هو رأس ما يصلح بـه العمل ٥ و يصحح التوحيد و يصدقه، فقال[4]: ﴿ يٰبُنَىَّ ﴾ مكررا للناداة على هذا الوجه تنبيها على فرط النصيحة لفرط الشفقة ﴿ أقم الصلوٰة ﴾ أى بجميع حدودها و شروطها و لا تغفل عنها، سعيا فى نجاة نفسك و تصفية سرك، فان [5]إقامتها - و هى[5] الإتيان بها على النحو[6] المرضى - مانعة من الخلل فى العمل " ان الصلوٰة تنهى عن الفحشاء و المنكر " لأنها الإقبال على ١٠ من وحدتّه فاعتقدت أنه الفاعل وحده و أعرضت عن كل ماسواه لأنه فى التحقيق عدم، و لهذا الإقبال و الإعراض كانت ثانية التوحيد. و ترك[7] ذكر الزكاة تنبيها على أن من حكمته تخليه و تخلى ولده من[8] الدنيا حتى بما / يكفيهم لقوتهم. / ١٦٨

و لما امره بتكميله فى نفسه بتكميل نفسه توفية[9] لحق الحق، عطف ١٥ على ذلك تكميله لنفسه بتكميل غيره توفية لحق الخلق[10]، و ذلك أنه لما

(١) فى ظ : يصد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : نبه. (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : قال (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اقمتها و هو (٦) فى ظ : الوجه (٧) فى ظ : لترك (٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل : عن (٩) من ظ و م ومد، وفى الأصل : توفيقه (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الحق.

كان الناس فى هذه الدار سفرا ، و كان المسافر إن أهمل رفيقه حتى أخذ أوشك أن يؤخذ هو ، أمره بما يكمل نجاته بتكميل رفيقه ، و قدمه - و إن كان من جلب المصالح - لأنه يستلزم ترك المنكر ، و أما ترك المنكر فلا[1] يستلزم فعل الخير ، فانك إذا قلت : لا تأت منكرا ، لم يتناول ذلك
٥ فى العرف إلا الكف عن فعل المعصية ، لا فعل الطاعة ، فقال : ﴿ و أمر بالمعروف ﴾ أى كل من تقدر على أمره تهذيبا لغيرك شفقة على نفسك بتخليص أبناء جنسك .

و لما كانت هذه الدار سفينة لسفر من فيها إلى ربهم ، و كانت المعاصى مفسدة لها ، و كان فساد السفينة مغرقا لكل من فيها : من أفسدها
١٠ و من أهمل المفسد و لم يأخذ على يده ، و كان الأمر بالمعروف نهيا عن المنكر ، صرح به [فقال -[2]] : ﴿ و انه ﴾ أى كل من قدرت على نهيه ﴿ عن المنكر ﴾ حبا لأخيك ما تحب لنفسك ، تحقيقا لنصيحتك ، و تكميلا لعبادتك ، لأنه ما عبد[3] الله أحد ترك غيره يتعبد لغيره ، و من هذا الطراز قول أبى الأسود[4] رحمه الله تعالى :

١٥ ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

لأنه امره أولا بالمعروف ، و هو الصلاة الناهية عن الفحشاء و المنكر ، فاذا أمر نفسه و نهاها ، ناسب أن *يأمر غيره* ينهاه ، و هذا و إن كان

---

(١) فى ظ : لا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : عند (٤) هو ظالم بن عمرو أبو الأسود الدؤلى ، و البيت الآتى من أشهر أبياته (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بامره

من

من قول لقمان عليه السلام إلا أنــه لما كان فى سياق[1] المدح له كنا مخاطبين به .

و لما كان القابض على دينه فى غالب الأزمان كالقابض على الجمر، لأنه يخالف المعظم فيرمونه عن قوس واحدة لاسيما[2] إن أمرهم و نهاهم، قال تعالى : ﴿ و اصبر ﴾ صبرا عظيما بحيث يكون مستعليا ﴿ على ما ﴾ ٥ أى الذى، و حقق بالماضى أنه[3] لا بد من المصيبة ليكون الإنسان على بصيرة، فقال : ﴿ اصابك[4] ﴾ أى فى عبادتك من الأمر [بالمعروف -[5]] و غيره[6] سواء كان بواسطة العباد أو لا كالمرض[7] و نحوه، و قد بدأ هذه الوصية بالصلاة و ختمها بالصبر لأنهما[7] مــلاك الاستعانه " و استعينوا بالصبر و الصلوٰة " و اختلاف المخاطب فى الموضعين أوجب اختلاف الترتيبين، ١٠ المخاطب هنا مؤمن متقلل، و هناك كافر متكثر .

و لما كان ما أحكمه له[8] عظيم الجدوى، و جعل ختامه الصبر الذى هو ملاك الأعمال و الترك كلها، نبهه[9] على ذلك بقوله على سبيل التعليل و الاستئناف إيماء إلى التبجيل : ﴿ ان ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى أوصيتك به لاسيما[10] الصبر على المصائب[11] : ﴿ من عزم الامور ﴾ أى ١٥

(١) زيد فى ظ : الكلام (٢) فى ظ : و لا سيما (٣) من ظ و مد، وفى الأصل و م : لانه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيدت الواو فى ظ و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لمرض (٧) من ظ و م و مد . و فى الأصل : لانها . (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لهم (٩) من ظ و م و مد . و فى الأصل : نبه (١٠) زيد فى الاصل : على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) من م و مد . و فى الأصل و ظ : المصاب .

معزوماتها، تسمية لاسم المفعول او الفاعل بالمصدر، أى الأمور[1] المقطوع بها المفروضة [2]أو القاطعة[2] الجازمة بجزم فاعلها. أى التى هى أهل لأن يعزم عليها العازم[3]، و ينحو إليها بكليته الجازم، فلا مندوحة فى تركها بوجه من الوجوه فى ملة / من الملل. ١٦٩ /

و لما كان من [4]آفات العبادة[4] لاسيما الأمر و النهى - لتصورهما بصورة الاستعلاء - الإعجاب الداعى إلى الكبر، قال محذرا من ذلك معبرا عن الكبر بلازمه، لأن نفى الأعم نفى للأخص، منبها على أن المطلوب فى الأمر و النهى اللين لا الفظاظة و الغلظة الحاملان على النفور[5]: ﴿ و لاتصعر[6] خدك ﴾ أى لا تمله متعمدا إماله بامالة العنق متكلفا لها صرفا عن الحالة القاصدة، و أصل الصعر داء يصيب البعير يلوى منه عنقه. و قرأ نافع و أبو عمرو و حمزة و الكسائى: تصاعر، و المراد بالمفاعلة و التفعيل تعمد فعل ذلك لأجل الكبر حتى يصير خلقا. و المراد النهى عما يفعله المصعر من الكبر - و الله أعلم.

و لما كان ذلك قد يكون لغرض من الأغراض التى لاتذم، أشار إلى المقصود بقوله تعالى: ﴿ للناس ﴾ بلام[7] العلة، أى لا تفعل ذلك

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الامر (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالقاطعة (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العار (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: افا بالعبادة - كذا (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الامور المنفرة (٦) من ظ و م ومد. وفى الأصل: لا تصاعر، و راجع لاختلاف القراءة نثر المرجان ٥/٣٣٠ (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: لام.

لأجل الإمالة عنهم ، و ذلك لايكون إلا تهاونا بهم من الكبر ، بل أقبل عليهم بوجهك كله مستبشرا منبسطا من غير كبر و لا علو ، [١]و أتبع[١] ذلك ما يلزمه فقال : ﴿و لاتمش﴾ و لما كان فى أسلوب التواضع و ذم الكبر ، ذكره بأن أصله تراب ، و هو لايقدر أن يعدوه فقال : ﴿فى الارض﴾ و أوقع المصدر موقع الحال أو العلة فقال : ﴿مرحا[١]﴾ ٥ أى اختيالا و تبخترا ، أى لاتكن[٢] منك هذه الحقيقة لأن ذلك مشى أشر و بطر و تكبر ، فهو جدير بأن يظلم صاحبه و يفحش و يبغى ، بل امش هونا فان ذلك يفضى [بك -[٣]] إلى التواضع ، فتصل إلى كل خير ، فترفق بك الأرض إذا صرت فيها حقيقة بالكون فى بطنها .

و لما كانت غاية ذلك الرياء للناس و الفخر عليهم المثمر لبغضتهم ١٠ الناشئة عن بغضة الله تعالى ، علله[٤] بقوله مؤكدا لأن كثيرا من الناس يظن أن إسباغ النعم الدنيوية من محبة الله : ﴿ان الله﴾ أى الذى لاينبغى الكبر إلا له لما له من العظمة المطلقة . و لما كان حب الله الذى[٥] يلزمه حب الناس محبوبا للنفوس ، و كان فوات[٦] المحبوب أشق على النفوس من وقوع[٧] المحذور ، و كانت " لا " لاتدخل إلا على[٥] المضارع المستقبل ١٥ قال : ﴿لايحب﴾ أى فيما يستقبل من الزمان ، و لو قال " يبغض " لاحتمل التقييد بالحال . و لما كان النشر المشوش أفصح لقرب الرجوع

(١-١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : فاتبع (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يكن (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : علل (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : فوت (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وقع .

تدليا فيما ترقى فيه المقبل قال : ﴿كل مختال﴾ أى[1] مراء للناس فى مشيه تبخترا يرى له فضلا على الناس فيشمخ بأنفه ، و ذلك فعل المرح ﴿فخور﴾ يعدد مناقبه ، و ذلك فعل المصعر ، لأن ذلك من الكبر الذى تردى به سبحانه و تعالى فمن نازعه إياه قصمه[2] .

٥ و لما كان النهى عن ذلك أمرا بأضداده ، وكان الأمر باطلاق الوجه يلزم [منه -[3]] الإنصاف فى الكلام ، و كان الإنصاف [4]فى الكلام[4] و المشى لاعلى طريق المرح [5]و الفخر ربما[5] دعا إلى الاستماتة فى المشى و الحديث أو الإسراع فى المشى و[6]السر و الجهر بالصوت[6] فوق الحد ، قال محترسا فى الأمر بالخلق الكريم عما يقارب[7] الحال الذميم : ﴿و اقصد﴾

١٧٠ / ١٠ أى اعدل و توسط ﴿فى مشيك﴾ لا إفراط و لا تفريط / مجانبا لوثب الشطار[8] و ديب المتماوتين[9] ، و عن ابن مسعود : كانوا ينهون عن خبب اليهود و ديب النصارى ، و القصد فى الأفعال كالقسط فى الأوزان - قاله الرازى فى اللوامع ، و هو المشى الهون [الذى -[3]] ليس فيه تصنع للخلق [10]لا بتواضع و لا بتكبر[10] ﴿و اغضض﴾ أى انقص ، و لأجل ما

(١) زيد فى ظ : كل (٢) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفخور مما (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الشد و الجهد بالقوت (٧) فى ظ : قارب (٨) فى ظ ومد : الشيطان (٩) من مد ، وفى الأصل و ظ و م : المتمارتين (١٠-١٠) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : تواضع و لا تكبر .

ذكر[1] قال: ﴿ من صوتك[2] ﴾ باثبات "من". أى لئلا يكون صوتك منكرا، و تكون برفع الصوت فوق الحاجة حمارا، و أما مع الحاجة كالأذان فهو مأمور به.

و لما كان رفع الصوت فوق العادة منكرا كما كان خفضه دونها[2] تماوتا[3] أو دلالا[3] و تكبرا، و كان قد أشار إلى النهى عن هذا بـ «من» ٥ فأفهم[4] أن الطرفين[5] مذمومان، علل النهى [6]عن الأول[6] دالا[7] بصيغة "أفعل"، [8]على اشتراك الرفع كله فى النكارة ذاكرا أعلاها تصويرا له بأقبح صورة تنفيرا[9] عنه فقال: ﴿ ان انكر ﴾ أى أفظع و أبشع و أوحش ﴿ الاصوات ﴾ [أى كلها -[10]] المشتركة فى النكارة برفعها فوق الحاجة، و أخلى[11] الكلام عن لفظ التشبيه فأخرجه[12] مخرج الاستعارة تصويرا ١٠ لصوت الرافع صوته فوق الحاجة بصورة النهاق[13] و جعل الصوت كذلك حمارا، مبالغة فى التهجين، و تنبيها على أنه من كراهة الله له بمكان [فقال -[10]]: ﴿ لصوت الحمير ﴾[14] أى هذا الجنس، لما له[14] من الغلو

(١) فى ظ: ذكره (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دونهما (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و اذلالا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: افهم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الطريقين (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اولا (٧) فى ظ: و أتى (٨) زيد فى ظ: تنبيها (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تغيرا (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انحلى (١٢) فى ظ و مد: و أخرجه (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النفاق (١٤-١٤) فى ظ و مد: لما له أى هذا الجنس.

المفرط من غير حاجة ، و اوله زفير و آخره شهيق ، و هما فعل أهل النار ، و أفرده ليكون نصا على إرادة الجنس لئلا يظن أن الاجتماع شرط فى ذلك ، و [1]لذكر الحمار[1] مع ذلك من بلاغة الذم و الشتم ما ليس لغيره ، و لذلك يستهجن[2] التصريح باسمه ، و هذا يفهم أن الرفع مع الحاجة غير مذموم فانه ليس بمستنكر و لامستبشع ، و لقد دعت هذه الآيات إلى معالى الأخلاق ، و هى أمهات الفضائل الثلاث : الحكمة و العفة و الشجاعة ، و أمرت بالعدل فيها ، و هى[3] وظيفة التقسيط الذى هو الوسط الذى هو مجمع الفضائل ، و نهت عن مساوئ الأخلاق ، و هى الأطراف التى هى مبدأ الرذائل الحاصل بالإفراط و التفريط ، فاقامة[4] الصلاة التى هى روح العبادة المبنية على العلم هى سر الحكمة و الأمر و النهى ، أمر بالشجاعة و نهى عن الجبن ، و فى النهى عن التصعير[5] و ما معه نهى عن التهور ، و القصد فى المشى و [الغض فى -[6]] الصوت أمر بالعفة و نهى عن الاستماتة و الجود و الخلاعة و الفجور ، و فى النهى عن الاستماتة نهى عما قد يلزمها من الجربزة ، و هى الفكر بالمكر المؤدى إلى اللعنة ، و عن الانحطاط إلى البله و البلادة و الغفلة ، و الكافل بشرح هذا ما قاله الشيخ سعد الدين التفتازانى فى الكلام على الإجماع من تلويحه ، قال : إن الخالق تعالى و تقدس قد ركب فى الإنسان ثلاث قوى : إحداها[7]

(١ - ١) فى ظ : ذكر الحمير (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد
(٣) فى مد : هو (٤) فى ظ : و اقامة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصغير (٦) زيد من ظ (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احدها .

مبدأ إدراك الحقائق، و الشوق إلى النظر فى العواقب، و التميز بين [1]المصالح و المفاسد[1]، و يعبر عنها بالقوة النطقية و العقلية و النفس[2] المطمئنة الملكية، و الثانية مبدأ جذب[3] المنافع و طلب الملاذ من المآكل و المشارب / و غير ذلك، و تسمى القوة الشهوية و البهيمية و النفس الأمارة، و الثالثة / ١٧١ مبدأ الإقدام على الأهوال و الشوق إلى[4] التسلط و الترفع، و هى القوة ٥ الغضبية و السبعية و النفس اللوامة، و يحدث من اعتدال الحركة الأولى الحكمة، و الثانية العفة، و الثالثة الشجاعة. فأمهات الفضائل هى هذه الثلاث[5]، و ما سوى ذلك إنما هو[6] من تفريعاتها و تركيباتها، و كل منها محتوش بطر فى إفراط و تفريط هما رذيلتان، أما الحكمة فهى معرفة الحقائق على ما هى [عليه -[7]] بقدر الاستطاعة، و هى العلم النافع ١٠ المعبر [8]عنه بمعرفة[8] النفس ما لها و ما عليها المشار إليه بقوله تعالى "و من يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا" و إفراطها الجربزة، و هى استعمال الفكر فيما لا ينبغى كالمتشابهات، و على وجه لا ينبغى، كمخالفة الشرائع - نعوذ بالله من علم لا ينفع، قلت: و هى بجيم ثم مهملة ثم موحدة ثم زاى مأخوذة من الجربز - بالضم، و هو الخب، أى الخداع الخبيث - ١٥

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الصالح و الفاسد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العر - كذا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جلب (٤) زيد فى الاصل: التوصل و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٥) فى ظ و م و مد: الثلاثة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: هى. (٧) زيد من م و مد (٨ - ٨) فى ظ: عن معرفة.

و الله أعلم ، و تفريطها الغباوة التى هى تعطيل القوة الفكرية بالإرادة و الوقوف عن اكتساب العلوم النافعة ، و أما الشجاعة فهى انقياد السبعية للناطقة ليكون إقدامها على حسب الروية من غير اضطراب فى الأمور الماثلة ، حتى يكون فعلها جميلا ، و صبرها محمودا ، و إفراطها التهور ، أى الإقدام على ما لا ينبغى ، و تفريطها الجبن ، اى الحذر عما لا ينبغى ، و أما العفة فهى [انقياد -[1]] البهيمية للناطقة ، لتكون تصرفاتها بحسب اقتضاء الناطقة ، لتسلم عن استعباد[2] الهوى إياها ، و استخدام اللذات ، و إفراطها الخلاعة و الفجور ، أى الوقوع فى ازدياد اللذات على ما يجب ، و تفريطها الجمود ، أى السكوت عن طلب اللـذات بقدر ما رخص فيـه العقل و الشرع إيثارا لا خلقة ، فالأوساط فضائل ، و الأطراف رذائل ، و إذا امتزجت الفضائل الثلاث[3] حصلت من اجتماعها حالة متشابهة هى العدالة ، فبهذا الاعتبار عبر عن العدالة بالوساطة ، أى فى قوله تعالى "وكذلك جعلناكم امة وسطا" و إليه أشير بقوله عليه الصلاة و السلام «خير الأمور أوساطها» و الحكمة فى النفس البهيمية بقاء البدن الذى هو مركب النفس الناطقة ليصل بذلك إلى كمالها اللائق بها ، و مقصدها المتوجه[4] إليه ، وفى السبعية كسر البهيمية و قهرها[5] و دفع الفساد المتوقع من استيلائها ، و [6]اشترط التوسط[6] فى أفعالها لئلا تستعبد الناطقة [7]هواهما و تصرفاها[7]

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : استبعاد .
(٣) فى كل النسخ : الثلاثة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التوجه .
(٥) فى ظ : فترها (٦-٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اشتراط المتوسط .
(٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هواها و تصرفاتها .

عن كمالها و مقصدها - انتهى .

و لما انقضت هذه الجمل ، رافعة أعناقها على المشترى و زحل ، قابلة[1] لمن يريد علمها مع الكسل . و الضجر فى الفكر و الملل ، و أين الثريا من يد المتناول[2] ، و كان قد أخبر سبحانه و تعالى فى أول السورة أن الآيات المسموعة هدى لقوم و ضلال لآخرين ، و كان من الغرائب أن ٥ شيئا واحدا يؤثر[3] شيئين متضادين ، و أتبع ذلك ما دل على أنه / من / ١٧٢ بالغ الحكمة بوجوه مرضية مشرقة مضيئة ، لكنها بمسالك دقيقة و[4] إشارات خفية ، إلى أن ختم بالنهى عن التكبر . و رفع الصوت فوق الحاجة ، إشارة إلى أن فاعل ما لا حاجة إليه غير حكيم ، و كان التكبر على الناس و التعالى عليهم من آثار الفضل فى النعمة ، و كانت العادة جارية بأن ١٠ الملك يخضع له تارة لمجرد عظمته ، و تارة خوفا من سطوته ، و تارة رجاء لنعمته ، أبرز سبحانه و تعالى غيب ما وصف به الآيات المسموعة من تأثير الضدين فى حالة واحدة فى شاهد الآيات المرئية على وجه يدل على استحقاقه ، لما أمر به لقمان عليه السلام من العبادة و التذلل ، و أن[5] إليه المرجع ، و هو عالم بكل شىء ، قادر على كل شىء ، و أن كل ما[6] ترى ١٥ خلقه مذكرا بأن النعمة إنما هى منه ، فلا ينبغى لأحد أن يفخر بما آتاه غيره ، و لو وكل فيه إلى نفسه لم يقدر على شىء منه ، محذرا من سلبها

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قابلة (٢) فى ظ و مد : التناول (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) سقطت الواو من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : انه (٦) فى ظ : شىء .

عن المتكبر[١] و إعطائها للذليل[٢] المحتقر، فقال: ﴿ الم تروا ﴾ أى تعلموا علما هو فى ظهوره كالمشاهدة[٣] أيها المشترون لهو الحديث، المتكبرون[٤] على المقبلين على الله، المتخلين عن الدنيا، الذين قلنا لهم ردا عن[٥] الشرك و إبعادا عن الهوى و الإفك " هذا خلق الله فاروني ما ذا خلق الذين من دونه" ﴿ان الله﴾ أى[٦] الحائز لكل كمال ﴿ سخر لكم ﴾ أى خاصة ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ بالإنارة و الإظلام، و الحر و البرد و غير ذلك من الإنعام، و أكده[٧] باعادة الموصول و الجار، لأن المقام حقيق به فقال: ﴿ و ما فى الارض ﴾ بكل ما يصلحكم فتعلموا أن الكل خلقه، ما لأحد ممن دونه [٨]فيه شيء[٨]، و أنه محيط بكل شيء قدرة و علما، فهو قادر على تعسيره[٩] كما قدر على تسخيره، و قوى على نزعه من القوى و[١٠]دفعه للضعيف و[١٠]هو يرجعكم إليه فينبئكم بما[١١] كنتم تعملون و يحضره لكم و إن كان فى أخفى الأماكن ﴿و اسبغ﴾ أى أطال و أوسع و أتم و أفضل عن قدر الحاجة و أكمل ﴿ عليكم ﴾ أيها المكلفون ﴿نعمه﴾ [أى -[١٢]]

(١) فى ظ و مد: التكبر (٢) فى ظ و مد: المتدلل (٣) فى ظ: كالمشاهد. (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المنكرون (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل و م و مد: أكد (٨ - ٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شيء فيه (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تغيره (١٠ - ١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نزعه من الضعيف (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما (١٢) زيد من ظ و م و مد.

واحدة تليق بالدنيا - فى قراءة الجماعة[1] باسكان العين و [تاء -[2]] تأنيث منصوبة منونة تنوين تعظيم، مشيرا إلى أنها ذات أنواع كثيرة جدا، بما دلت عليه قراءة المدنيين و أبى عمرو و حفص عن عاصم بجعل تاء التأنيث ضميرا له سبحانه مع فتح العين ليكون جمعا ﴿ ظاهرة ﴾ و هى ما تشاهدونها متذكرين لها ﴿ و باطنة ﴾ و هى ما غابت عنكم [3]فلا تحسونها، أو تحسونها[3] و هى خفية عنكم، لا تذكرونها إلا بالتذكير، و كل منكم يعرف ذلك على الإجمال، فاعبدوه لما دعت إليه مجلة[4] لقمان عليه السلام لتكونوا من المحسنين، حذرا من سلب نعمه، و إيجاب نقمه، و يجوز أن تكون الآية[5] دليلا على قوله تعالى "خلق السمٰوٰت بغير عمد ترونها".

و لما كان التقدير: و مع كون كل منكم أيها الخلق يعرف أن ذلك نعمة منه سبحانه تعالى وحده، فمن الناس من أذعن و أناب، و سلم[6] لكل ما دعا[7] إليه كتابه الحكيم، على لسان رسوله النبى الكريم، / فكان من الحكماء[8] المحسنين فاهتدى، عطف عليه قوله [9]مظهرا موضع [ضمير -[10]] المخاطبين مما يشير إليه النوس: ﴿ و من الناس ﴾ أى الذين هم أهل الاضطراب، و يمكن أن يكون حالا من "ألم تروا" و يكون

/ ١٧٣

(١) راجع نثر المرجان ٥/٣٣٢ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣-٣) من ظ و م و مد. وفى الأصل: فلا تحسوها او تجسوها - كذا (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ: اسلم (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: غا - كذا (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحتماء (٩) العبارة من هنا إلى «النوس» ساقطة من م (١٠) زيد من ظ و مد.

"ألم تروا" دليلا على أول السورة، أى أشير إلى الآيات حال كونها هدى لمن ذكر و الحال أن من الناس من يشترى اللهو، ألم تروا دليلا على [أن - [1]] من الناس المعاند بعد وضوح الدليل أن الله سخر لكم جميع العالم و أنعم عليكم بما أنعم و الحال أن من الناس ﴿ من[2] يجادل ﴾ فلا لهو أعظم من جداله، و لا كبر مثل كبره، و لا ضلال مثل ضلاله، و أظهر لزيادة التشنيع على هذا المجادل، و إشارة إلى قبح[3] المجادلة من غير نظر إلى النعم أيضا فقال تعالى: ﴿ فى الله ﴾ المحيط [4]بكل شىء[4] علما و قدرة.

و لما كان سبحانه فى ظهور وجوده[5] و أوصافه بحيث لايخفى بوجه، و كان المجادل قد يكون فهما، قال: ﴿ بغير ﴾ [1] أى بكلام متصف بأنه غير[6] ﴿ علم ﴾ أى بل[7] بألفاظ هى فى ركاكة معانيها لعدم استنادها إلى حس و لا عقل ملحقة بأصوات الحيوانات العجم، فكان بذلك حمارا تابعا للهوى.

و لما كان المعنى قد يظهر بطلانه لبعض القاصرين، لوروده على لسان من لايعتبر، فاذا أضيف إلى كبير، تؤمل و لم يبادر إلى رده لاستعظامه، فظهر على طول حسه، قال [6]معبرا بأداة النفى الحقيقة به، لأن الموضع لها، و عدل عنها أولا لئلا يظن أن المذموم إنما هو المجادل إذا كان غير متصف بالعلم[6]

(١) زيد من ظ و م ومد (٢) ليس فى الأصل فقط (٣) من ظ و م ومد، و فى الأصل: اقبح (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وجود (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) سقط من ظ.

[و إن كان جداله متصفا بالعلم -[1]] : ﴿ و لا هدى ﴾ أى وارد عمن[2] عهد منه سداد الأقوال و الأفعال بما أبدى من المعجزات و الآيات البينات ، فوجب أخذ أقواله مسلمة و إن لم يظهر معناها .

و لما كان القول قد يكون مقبولا لاستناده إلى الله تعالى و إن لم يكن أصلا معقولا ، قال : ﴿ و لا كتب ﴾ أى من الله ؛ و وصفه بما هو لازمه لاينفك عنه فقال : ﴿ منير ﴾ أى بين غاية البيان ، مبين لغيره على عادة بيان الله سبحانه و تعالى ، أو يكون أريد بالوصف الإعجاز لإظهاره قطعا أنه من الله ، فانه ليس كل كتاب الله كذلك .

و لما كان المجادل بغير واحد من هذه الثلاثة تابعا هواه[3] مقلدا مثله قطعا ، و كان حال المجادلين هـذا لظهور أدلة الوحدانية عجبا ، عجب منهم تعجيبا[4] آخر باقامتهم على الضلال مع إيضاح الأدلة فقال : ﴿ و اذا قيل ﴾ أى من أىّ قائل كان . و لما كان ضلال الجمع أعجب من ضلال الواحد ، [و كان التعجيب من جدال الواحد -[5]] تعجيبا من جدال الاثنين فأكثر[6] من باب الأولى ، [أفرد أولا -[5]] و جمع هنا فقال : ﴿ لهم ﴾ أى للمجادلين هذا الجدال : ﴿ اتبعوا ما ﴾[7] أى ابذلوا جهدكم فى تبع الذى ، و أظهر لزيادة التشنيع أيضا فقال[7] : ﴿ انزل الله ﴾ الذى خلقكم و خلق آباءكم الأولين ، و هو الذى لا عظيم إلا هو ﴿ قالوا ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ : على (٣) زيدت الواو فى ظ (٤) فى ظ : تعجبا.
(٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قاله.
(٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م .

جمودا : لانفعل[١] ﴿ بل نتبع ﴾ و إن جاهـدنا[٢] بالأنفس و الأموال ﴿ ما وجدنا عليه آباءنا[٣] ﴾ لأنهم أثبت منا عقولا ، و أقوم قيلا ، و أهدى سبيلا .

و لما كانوا لايسلكون طريقا حسيا[٣] بغير دليل ، كان التقدير :

١٧٤ / ٥ أتتبعونهم لو كان الهوى يدعوهم فيما وجدتموهم / [عليه -[٤]] إلى ما يظن فيه الهلاك ، لكونه بغير دليل ، فعطف عليه قوله[٥] : ﴿ ا و لو كان الشيطن ﴾ أى البعيد من الرحمة ، المحترق باللعنة ، و هو أعدى أعدائهم ، دليلهم فهو ﴿ يدعوهم ﴾[٦] إلى الضلال فيوقعهم فيما يسخط الرحمان فيؤديهم ذلك ﴿ الى عذاب السعير ه ﴾ و عبر بالمضارع تصويرا لحالهم فى ضلالهم

١٠ و أنه مستمر ، و أطلق العذاب على سببه .

و لما كان التقدير : فمن جادل فى الله [٧]فلا متمسك[٧] له ، عطف عليه قوله فى شرح حال أضدادهم : ﴿ و من يسلم ﴾ أى فى الحال أو الاستقبال ﴿ وجهه ﴾ أى قصده و توجهه و ذاته كلها . و لما كان مقصود السورة إثبات الحكمة ، عدى الفعل بـ « إلى » تنبيها على إتقان

١٥ الطريق بالوسائط من النبى أو الشيخ و حسن الاسترشاد فى ذلك ، فقال معلقا بما تقديره : سائرا و واصلا ﴿ الى الله ﴾ الذى له صفات الكمال ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يعقل (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جاهدوا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حسنا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ (٦) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

فلم يبق لنفسه أمر أصلا ، فهو لا يتحرك إلا بأمر من أوامره سبحانه ﴿ وهو ﴾ أى و الحال أنه ﴿ محسن ﴾ أى مخلص بباطنه كما أخلص بظاهره، فهو دائما فى حال الشهود ﴿ فقد استمسك ﴾ أى أوجد الإمساك بغاية ما يقدر عليه من القوة فى بادئة الأمور لترقية نفسه من حضيضها إلى أوج الروح على أيدى المسلكين الذين اختارهم لدينه ، العارفين بأخطار السير و عوائق الطريق ﴿ بالعروة الوثقى[1] ﴾ التى هى أوثق ما يتمسك به فلا سقوط له أصلا ، [1] فليسرك شكره[1] فان ربه[2] يعليه إلى كل مراد ما دام متمسكا بها تمثيلا لحال هـــذا السائر بحال من سقط فى بئر ، أو أراد أن يرقى جبلا ، فأدلى له صاحبه حبلا ذا عرى فأخذ بأوثقها . فهو يعلو به إذا جره صديقه . و هو قادر [على جره -[3]] لامحالة من غير انفصام ، لأن متمسكه فى غاية الإحكام .

و لما كان الكل صائرين إليه . وافدين عليه : من استمسك بالأوثق ، و من استمسك بالأوهى ، و من لم يتمسك بشىء ، إلا أن الأول صائر مع السلامة . و غيره مع العطب . قال مظهرا تعظيما للأمر و لئلا [4]يقيد بحيثية[4] عاطفا على ما تقديره : فيصير إلى الله سالما ، فالى الله عاقبته لامحالة : ﴿ و الى الله ﴾ أى الملك الأعظم وحده[5] تصير ﴿ عاقبة الامور ﴾ أى كما أنه كانت منه بادئتها . و إنما خص العاقبة لأنهم مقرون بالبادئة .

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل . فليسرك امر (٢) فى ظ : ربك (٣) زيد من ظ و م و مد (٤ - ٤) بياض فى ظ و مد . و زيد فى الأصل بعده : قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) سقط من م .

و لما ذكر المسلم ذكر الكافر فقال : ﴿ و[1] من كفر ﴾ أى ستر ما أداه إليه عقله من أن الله لاشريك له ، و أنه لاقدرة [أصلا -[2]] لأحد سواه ، و لم يسلم وجهه إليه ، فتكبر على الدعاة و أبى[3] أن ينقاد لهم ، اتباعا لما قاده إليه الهوى . بأن جعل لنفسه اختيارا و عملا فعل القوى القادر ، ٥ فقد ألقى نفسه فى كل هلكة لكونه لم يتمسك شيء ﴿ فلا يحزنك ﴾ أى يهمك و يوجعك ، [4]و افرد الضمير باعتبار لفظ "من" لإرادة التنصيص على كل[5] فرد فقال : ﴿ كفره[6] ﴾ [6]كائنا من كان[6] فانه لم يفُتك شيء فيه خير و لامعجز لنا ليحزنك ، و لاتبعة عليك بسببه . و فى التعبير بنا بالماضى و فى الأول بالمضارع بشارة بدخول كثير فى هـــذا الدين . و انهم ١٠ لايرتدون بعد إسلامهم ، و ترغيب فى الإسلام لكل / من كان خارجا ١٧٥ / عنه ، فالآية من الاحتباك : ذكر الحزن ثانيا[7] دليلا على حذف ضـــده أولا[8] ، و ذكر الاستمساك أولا دليلا على حذف ضده ثانيا .

و لما كان الحزن بمعنى الهم ، حسن التعليل بقوله [9]التفاتا إلى مظهر العظمة التى هذا[10] من أخفى[11] مواضعها ، و جمع لأن الإحاطة بالجمع أدل ١٥ على العظمة : ﴿ الينا ﴾ أى خاصة بما لنا من العظمة التى لاتثبت لها الجبال

(١) ليست الواو فى الأصل فقط (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امر (٤) العبارة من هنا إلى « فرد فقال » ساقطة من م . (٥) سقط من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اولا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثانيا (٩) العبارة من هنا إلى « على العظمة » سقطت من م (١٠) فى ظ : هو (١١) من ظ و مد . و فى الأصل و م : احق .

مرجعهم

﴿مرجعهم﴾ أي رجوعهم [١] و زمانه و مكانه أي [١] معنى في الدنيا و حسا يوم الحساب، لا إلى غيرنا. و لما بين أنهم في قبضته، و أنه لا بد من بعثهم، بين أن السبب في ذلك حسابهم لتظهر الحكمة [فقال - ٢] : ﴿ فننبئهم ﴾ بسبب إحاطتنا بأمرهم و عقب رجوعهم ﴿ بما عملوا [٤] ﴾ أي و نجازيهم عليه إن أردنا. ٥

و لما كان معنى التضعيف : نفعل معهم فعل منقب عن الأمور مفتش [٣] على جليها و خفيها، جليلها [٤] و دقيقها، فلا نذر شيئا منها، علله بقوله [٥] معبرا بالاسم [الأعظم - ٦] المفهم للعظمة و غيرها [١] من صفات الكمال التي من أعظمها [١] العلم. لفتا للكلام عن العظمة التي لا تدل على غيرها [١] إلا باللزوم، مؤكدا لإنكارهم شمول علمه. ﴿ان الله عليم﴾ أي محيط العلم ١ بما له من الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ بذات الصدور ٥ ﴾ أي بالأعمال التي هي صاحبتها، و مضمرة و مودعة فيها، فناشئة عنها من قبل أن تبرز إلى الوجود، فكيف بذلك بعد عملها [٧].

و لما تشوف المسلم إلى إهلاك من هذا شأنه و إلى العلم بمدة ذلك، و كان من طبع الإنسان العجلة، أجاب من يستعجل بقوله [٨] عائدا إلى مظهر ١٥ العظمة التي يتقاضاها إذلال العدو و إعزاز الولي [٨] : ﴿ نمتعهم قليلا ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد. و في الأصل : يفتش (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل : جليها. (٥) العبارة من هنا إلى « شمول علمه » ساقطة من م (٦) زيد من مد (٧) من م و مد و في الاصل و ظ : علمها (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م.

[أى -[1]] من الزمان و من الحظوظ و إن جل ذلك عند من لا علم له ، فلا تشغلوا أنفسكم بالاستعجال عليهم فان كل آت قريب .

[2]و لما كان [3]إلجاء المتجبرين[3] إلى العذاب أمرا مستبعدا ، أشار بأداة البعد إلى ما يحصل عنده من صفات الجلال ، التى[4] تذل الرجال ، و تدك[5] الجبال ، و فيه أيضا إشارة إلى استطالة[6] المحسنين[7] من تمتيعهم[8] و إن كان قليلا فى الواقع ، أو[9] عند الله فقال : ﴿ثم نضطرهم﴾ أى ناخذهم أخذا لا يقدرون على الانفكاك عنه بنوع حيلة ،[10]و أشار إلى طول إذلالهم فى مدة السوق[11] بحرف الغاية ، فكان المعنى : فنصيّرهم بذلك الاخذ ﴿الى عذاب غليظ ٥﴾ أى شديد ثقيل ، لا ينقطع عنهم أصلا و لا يجدون لهم منه مخلصا من جهة من جهاته ، فكأنه[12] فى شدته و ثقله جرم غليظ[13] جدا إذا برك على شىء لا يقدر على الخلاص منه .

و لما كان من أعجب العجب مجادلتهم مع إقرارهم بما يلزمهم به

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا إلى « عند الله فقال » ساقطة من م . (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحال بير - مع تخلل البياض (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بنى (٥) من مد ، و فى الأصل : تدل ، و فى ظ : تذل (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : استطابة (٧) زيد فى الأصل : له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : تمتعهم . (٩) فى ظ « و » (١٠) العبارة من هنا إلى « فكان المعنى » ساقطة من م (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : الشوق (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : فكان . (١٣) فى ظ و مد : عظيم .

قطعا التسليم فى أنه الواحد لاشريك له و أن له[1] جميع صفات الكمال فله[2] الحمد كله[3]، قال : ﴿ و لئن ﴾ أى يجادلون أو[4] يقولون : بل نتبع آباءنا و الحال أنهم إن ﴿ سألتهم من خلق السمٰوٰت ﴾ بأسرها ﴿ و الارض ﴾ و جميع[5] ما فيها ﴿ ليقولن ﴾[6] و لما كان الأنسب للحكمة التى هى مطلع السورة الاقتصار على محل الحاجة، لم يزد هنا على المسند[7] إليه بخلاف الزخرف[8] التى مبناها الإبانة، فقال لافتا القول عن[9] العظمة إلى أعظم منها فقال : ﴿ الله[10] ﴾ [أى -[10]] [11]المسمى بهذا الاسم الذى جمع مسماه بين الجلال و الإكرام[11]، فقد أقروا بأن كل ما أشركوا به بعض خلقه / و مصنوع من مصنوعاته . ١٧٦ /

و لما كانوا يعتقدون أن شركاءهم تفعل لهم بعض الأفعال، فلذلك كانوا يرجونهم و يخافونهم، كما أن ذلك واضح فى قصة عم أنس الصم و غيرها، أمره صلى الله عليه و سلم بأن يعلمهم أنه لاخلق لغيره و لا أمر، بل هو مبدع كل شىء فى السماوات و الأرض كما أبدعهما[12]، و أن من

(١) تأخر فى الأصل عن « الكمال » و الترتيب من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : « و » (٣) زيد فى الأصل : له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى ظ « و » (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جمع (٦) العبارة من هنا إلى « أعظم منها فقال » سقطت من م (٧) من ظ ومد ، و فى الأصل : المستند (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الزجر ، و راجع من الزخرف آية ٩ (٩) من ظ ومد ، وفى الأصل : الى (١٠) زيد من ظ و مد. (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من م (١٢) فى ظ و مد : ابتدعهما .

جملة ذلك مما يستحق به الحمد سبحانه قهرهم على تصديقه صلى الله عليه وسلم [بمثل -[1]] هذا الإقرار وهم فى غاية التكذيب، فقال مستأنفا[2]: ﴿ قل الحمد ﴾ أى الإحاطة بجميع أوصاف الكمال ﴿ لله[3] ﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة الكاملة من غير تقييد بخلق الخافقين ولا غيره «الأمر أعظم من مقالة قائل[3]» كما أحاط بما تعلمونه من خلق السماوات والأرض، فهو فاعل الأفعال كلها، كما أنه خالق الذوات كلها، ولا شريك له فى شىء من الأمر، كما أنه لا شريك له فى شىء من الخلق.

ولما كانوا يظنون أن أصنامهم تصنع شيئا كما قالت امرأة ذى النور الدوسى رضى الله عنه: هل[4] يخشى على الصبية من ذى الشرى، وكما قال قوم ضمام بن ثعلبة رضى الله عنه لما سب آلهتهم: اتق[5] الجذام اتق[5] البرص، وكما قال سادن العزى، وكما قالت ثقيف فى طاغيتهم، حتى أنهم قالوا عند ما سويت بالأرض: والله ليغضبن[6] الأساس، حتى حمل ذلك المغيرة بن شعبة رضى الله عنه على أن حفر الأساس، وكانوا إذا مستهم الضراء لاسيما فى البحر تبرأوا منها، وأسندوا الأمر إلى من هو له كما [7]هو مضمون التوحيد[8]، فكان ربما قال قائل استنادا[9] إلى ذلك:

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من م (٣) العبارة من «أى الذى» فى م و من «من غير» فى ظ ساقطة إلى هنا (٤) من ظ و م ومد، و فى الأصل: بل (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: اتقى (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ليقضين (٧) العبارة من هنا إلى «بالتحميد» ساقطة من ظ و مد. (٨) فى م: التحميد (٩) من م، و فى الأصل: اسنادا.

إنهم

إنهم ليعلمون ما أثبت بالتحميد ، قال : ﴿ بل اكثرهم لايعلمون ﴾ أى أن الله هو المتفرد بكل شىء كما أنه تفرد بخلق السماوات و الأرض ، و أنه لايكون شىء إلا باذنه لأنهم لايعملون بما يعلمون من ذلك ، و علم لايعمل به عدم ، بل العدم[1] خير منه ، و كان [2]القليل هم[2] المقتصدون عند النجاة من الشدة[3] كما سيأتى آنفا ، أو[4] يكون المعنى أنه لاعلم لهم أصلا ٥ إذ لو كان لهم علم لنفعهم فى علمهم بالله ، أو فى أنهم لايقرون بتفرده سبحانه بالخلق و الرزق ، فيكون ذلك موجبا لتناقضهم و ملزما[5] لهم بالإقرار بصدقك فى الحكم بوحدانيته على الإطلاق . و لما أثبت لنفسه سبحانه الإحاطة بأوصاف الكمال ، شرع يستدل على ذلك ، فقال مبينا أن ما أخبر أنـــه صنعه فهو[6] له : ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعظم المحيط بجميع ١٠ أوصاف الكمال خاصة دون غيره ﴿ما فى السمٰوٰت﴾ كلها . و لما تحرر بما تقدم أنهم عالمون مقرون بما يلزم عنه وحدانيته ، لم يؤكد باعادة "ما"[6] و[7] الجار ، [8]بل قال[8] : ﴿و الارض﴾ أى[6] كلها كما كانتا مما صنعه ، فلا يصح أن يكون شىء من ذلك له شريكا .

و لما ثبت ذلك أنتج قطعا قوله : ﴿ان الله﴾ [9]أى الملك الأعظم[9] ١٥ ﴿هو﴾ أى وحده ، و أكد لأن[10] ادعاءهم الشريك يتضمن إنكار غناه ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العلم (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القيل هو - كذا (٣) زيدت الواو فى ظ (٤) فى ظ و مد « و » . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ملزوما (٦) سقط من ظ (٧) سقطت الواو من ظ و م (٨-٨) فى ظ و مد : فقال (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من م . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان .

و لذلك أظهر موضع الإضمار إشارة إلى أن كل ما وصف به فهو ثابت له مطلقا من غير تقييد بحيثيته ﴿ الغنى ﴾ مطلقا، لأن جميع الأشياء له و محتاجة إليه، و ليس / محتاجا إلى شيء أصلا . و لما كان الغنى قد لا يوجب الحمد قال : ﴿ الحميد ﴾ أى[1] المستحق لجميع المحامد، لأنه المنعم على الإطلاق، المحمود بكل لسان ألسنة الأحوال و الأقوال، و لو كان نطقها ذما فهو حمد من حيث أنه هو الذى أنطقها، و من قيد الخرس أطلقها . /١٧٧

و لما كان الغنىّ قد يكون ماله محصورا كما فى السماوات و الأرض الذى قدم أنه له، و المحمود قد يكون ما يحمد عليه مضبوطا مقصورا[1]. أثبت أنه على غير ذلك، [بل -[2]] لا حد لغناه، و لا ضبط لمعلوماته و مقدوراته الموجبة لحمده و لاتناه، فقال : ﴿ و لو ﴾ أى له الصفتان المذكورتان و الحال أنه لو ﴿ان ما فى الارض﴾ أى كلها، و دل على الاستغراق و تقصى[3] كل فرد فرد[1] من الجنس بقوله : ﴿ من شجرة ﴾ حيث وحدها ﴿اقلام﴾ أى و الشجرة يمدها من بعدها على سبيل المبالغة سبع[4] شجرات، و أن ما فى الأرض من بحر مداد لتلك الأقلام ﴿و البحر﴾ أى و الحال أن البحر، و على قراءة البصريين[5] بالنصب[6] التقدير : و لو أن البحر ﴿يمده﴾ أى يكون مددا[7] له و زيادة فيه ﴿من بعده﴾ أى

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م : يقضى (٤) فى ظ : السبع (٥) راجع نثر المرجان ٥/٣٢٨ (٦) سقط من م. (٧) فى ظ و م و مد : مداد .

من ورائه ﴿ سبعة ابحر ﴾ فكتب[1] بتلك الأقلام و ذلك المداد الذى الأرض كلها له دواة كلمات الله ﴿ ما نفدت ﴾ و كرر الاسم الأعظم تعظيما للمقام فقال[2] مظهرا للاشاره[3] مع التبرك[4] إلى عدم التقيد بشيء و إن جل[5]: ﴿ كلمت الله[6] ﴾ و فنيت الأقلام و المداد، و أشار بجمع القلة مع الإضافة إلى اسم الذات إلى زيادة العظمة بالعجز عن ذلك القليل ٥ فيفهم العجز عن الكلم من باب الأولى، و يتبع الكلمات الإبداع، فلا تكون كلمة إلا لإحداث شأن من الشؤون " انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون " و علم من ذلك نفاد الأبحر كلها لأنها محصورة، فهى لا تفى بما ليس بمحصور ، فيا لها من عظمة لا تتناهى ! و من كبرياء لا تجارى و لا تضاهى، لاجرم كان نتيجة ذلك قوله مؤكدا لأن ادعاءهم ١٠ الشريك إنكار للعزة، و عدم البعث إنكار للحكمة: ﴿ان الله[7] ﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما[6] من غير قيد أصلا[6] ﴿ عزيز ﴾ أى يعجز كل شيء و لايعجزه شيء ﴿ حكيم ﴾ يحكم[7] ما أراده، فلا يقدر أحد على نقضه، و لاعلم لأحد من خلقه إلا ما علمه، و لاحكمة لأحد منهم إلا بمقدار ما أورثه، و قد علم أن الآية من الاحتباك: ذكر الأقلام دليلا على ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: يكتب (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فقام (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الاشارة (٤) فى ظ و مد: التبرى (٥) العبارة من « مظهرا » إلى هنا ساقطة من م (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) سقط من ظ و مد.

حذف مدادها[1]، و ذكر السبعة [فى -[2]] مبالغة الأبحر دليلا على حذفها فى الأشجار، و هو من عظيم هـذا الفن، و علم أيضا من[3] السياق أن المراد بالسبعة المبالغة فى الكثرة لاحقيقتها، و أن المراد بجمع القلة فى "أبحر" الكثرة، لقرينة المبالغة، و بجمع القلة فى "كلمت" حقيقتها ٥ لينتظم المعنى، و كل ذلك سائغ شائع[4] فى لغة العرب.

و لما ختم بهاتين الصفتين بعد إثبات القدرة على الإبداع من غير انتهاء، ذكر بعض آثارهما[5] فى البعث الذى تقدم أول السورة و أثناءها ذكره إلى[6] أن حذرهم به فى قوله "الينا مرجعهم" فقال: ﴿ما خلقكم﴾ أى كلكم فى عزته و حكمته إلا كخلق[7] نفس واحدة، و أعاد النافى نصا على كل واحد ١٠ من الخلق و البعث على حدته / فقال: ﴿و لا بعثكم﴾ كلكم ﴿الا كنفس﴾ ١٧٨ / أى كبعث نفس[8]، و بين الإفراد تحقيقا للمراد، و تأكيدا للسهولة فقال: ﴿واحدة[9]﴾ فان كلماته مع كونها غير نافدة نافذة[4]، و قدرته مع كونها باقية بالغة. فنسبة القليل و الكثير إلى قدرته على حد سواء، لأنه لايشغله شان عن شأن؛ ثم دل على ذلك بقوله مؤكدا لأن تكذيبهم ١٥ لرسوله و ردهم لما شرفهم به يتضمن الإنكار لأن يكونوا[9] بمرأى منه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مرادها (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) زيد فى ظ: هذا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: آثارها (٦) سقط من ظ و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خلق، و العبارة من بعده إلى «على حدته فقال» ساقطة من م (٨) زيد فى الأصل: واحدة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها، و العبارة من هنا إلى «للسهولة فقال» ساقطة من م (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يكون.

و مسمع : ﴿ان الله﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة الشاملة ﴿سميع﴾ أى بالغ السمع يسمع كل ما يمكن سمعه من المعانى فى [1]آن واحد[1] لايشغله شىء منها عن غيره ﴿ بصير ه ﴾ بليغ البصر يبصر كذلك كل ما يمكن أن يرى من الأعيان و المعانى، و من كان كذلك كان محيط العلم بالغه[2] شامل القدرة تامها، فهو يبصر جميع الأجزاء من كل ميت، و يسمع كل ما يسمع من معانيه، فهو باحاطة علمه و شمول قدرته يجمع تلك الأجزاء، و يميز بعضها من بعض، و يودعها تلك المعانى، فاذا هى أنفس قائمة كما كانت أول مرة فى أسرع من لمح البصر .

و لما قرر هذه الآية الخارقة، دل عليها بأمر [محسوس -[3]] يشاهد كل يوم مرتين، مع دلالته على تسخير ما فى السماوات و الأرض، و إبطال قولهم "ما يهلكنا الا الدهر" بأنه، هو الذى أوجد الزمان بتحريك الأفلاك، خاصا بالخطاب من لايفهم ذلك[4] حق فهمه غيره، أو عاما كل عاقل، إشارة إلى أنه فى دلالته على البعث فى غاية الوضوح فقال: ﴿ الم تر ﴾ أى يا من يصلح لمثل هذا الخطاب، و يمكن أن يكون للنبى صلى الله عليه و سلم لأنه لايعلم ذلك من المخلوقين خق علمه غيره .

و لما كان [5]البعث مثل[5] إيجاد كل من الملوين بعد إعدامه، فكان إنكاره[6] إنكارا لهذا، نبه على ذلك بالتأكيد[7] فقال: ﴿ان الله﴾ [أى -[3]]

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ارواحه (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالغ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من ظ (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: البعث قبل (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشارة (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التاكيد .

بجلاله و عز كماله ﴿ يولج ﴾ أى يدخل[1] إدخالا لا مرية فيه ﴿ الليل فى النهار ﴾ فيغيب فيه بحيث لا يرى شىء منه، فاذا النهار [قد -[2]] عم الأرض كلها أسرع من اللمح ﴿ و يولج النهار ﴾ أى يدخله كذلك ﴿ فى الليل ﴾ فيخفى حتى لا يبقى له أثر؛ فاذا الليل قد طبق الآفاق[3]: مشارقها و مغاربها فى مثل الظرف، فيميز سبحانه كلا منهما - و هو معنى من المعانى - من الآخر بعد اضمحلاله، فكذلك الخلق و البعث فى قدرته بعزته و حكمته لبلوغ سمعه و نفوذ بصره. و لما كان هذا معنى من المعانى يتجدد فى كل يوم و ليلة، عبر فيه[4] بالمضارع.

و لما كان النيران جرمين عظيمين قد صرفا على طريق معلوم بقدر لا يختلف، عبر فيهما بالماضى عقب ما هما آيتاه[5] فقال: ﴿ و سخر الشمس ﴾ آية للنهار بدخول الليل فيه ﴿ و القمر ﴾ آية لليل كذلك؛ ثم استأنف ما سخرا فيه[6] فقال: ﴿ كل ﴾ أى منهما ﴿ يجرى ﴾ [أى[6]] فى فلكه سائرا متماديا [و -[2]] بالغا و منتهيا.

و لما كان محط مقصود السورة الحكمة، و كانت هذه الدار مرتبطة بحكمة الأسباب و التطوير، و المد فى الإبداع و التسيير، كان الموضع[7] لحرف الغاية فقال: ﴿ الى[3] اجل مسمى ﴾ لا يتعداه فى منازل معروفة فى جميع الفلك لا يزيد و لا ينقص، هذا يقطعها فى الشهر [مرة -[2]] و تلك

(١) زيد فى م: اى (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالافاق (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) زيد من م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الوضع.

فى / السنة مرة ، لايقدر واحد منهما أن يتعدى طوره ، و لا أن ينقص / ١٧٩
دوره ، و لا أن يغير سيره .

و لما بان بهذا التدبير المحكم ، فى هذا[1] الخلق الأعظم ، شمول علمه و تمام قدرته ، عطف على[2] "ان الله" ، قوله مؤكدا لأجل أن أفعالهم أفعال من ينكر علمه بها : ﴿ و ان الله ﴾ أى بما له من صفات الكمال ٥ المذكورة و غيرها ، و قدم الجار إشارة إلى تمام علمه[3] بالأعمال - كما مضت الإشارة إليه غير مرة ، [و عم بالخطاب بيانا لما قبله و ترغيبا و ترهيبا -[4]] فقال : ﴿ بما تعملون ﴾ أى[5] فى كل وقت على سبيل التجدد ﴿ خبير ﴾ لايعجزه شىء [منه -[4]] و لايخفى عنه ، لأنه الخالق له كله دقه و جله ، و ليس للعبد فى إيجاده غير الكسب لأنه لايعلم مقدار الحركات ١٠ و السكنات فى شىء منه ، و لو كان هو الموجد له لعلم ذلك لأنه لايقدر على الإيجاد ناقص العلم أصلا ، و كم[6] أخبر سبحانه فى كتبه و على لسان أنبيائه بأشياء مستقبلة من أمور العباد ، فكان ما قاله كما قاله ، لم[7] يقدر أحد [منهم -[8]] أن يخالف فى شىء مما قاله ، فتمت كلماته ، و صدقت إشاراته و عباراته ، و هذا دليل آخر على تمام القدرة على البعث و غيره ١٥ باعتبار أن الخلائق فى جميع الأرض يفوتون الحصر ، و كل منهم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هذه (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العلم .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) فى ظ : كما (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا (٨) زيد من ظ و م و مد .

لاينفك فى كل لحظة عن[1] عمل من حركة و سكون، و هو سبحانه الموجد لذلك كله فى [كل - [2]] آن دائما ما تعاقب الملوان، و بقى الزمان، لايشغله شان منه عن شأن، و قد كان الصحابة رضى الله عنهم لما خوطبوا[3] بهذا فى غاية العلم [به - [2]] لما ذكر من دليله. و لما شاهدوا من إخبار النبى صلى الله عليه و سلم عن مغيبات تتعلق بأناس غائبين و أناس حاضرين. منهم البعيد جدا و المتوسط و القريب، و غير ذلك من أحوال توجب القطع لهم بذلك، هذا عليهم فكيف يكون علم المخصوص فى هذه الآية بالخطاب صلى الله عليه و سلم، مع ما يشاهد من آثاره سبحانه و تعالى، و يطلع عليه من إبداعه فى ملكوت السماوات و الأرض و غير ذلك مما أطلعه عليه سبحانه و تعالى من عالم الغيب و الشهادة.

و لما ثبت[4] بهذه الأوصاف الحسنى و الأفعال العلى أنه لا موجد بالحقيقة إلا الله قال: ﴿ ذلك ﴾ أى ذكره لما ذكر من الأفعال الهائلة و الأوصاف[5] الباهرة ﴿ بان ﴾ [أى - [2]] بسبب أن ﴿ الله ﴾ [أى - [2]] الذى لاعظيم سواه ﴿ هو ﴾ وحده ﴿ الحق ﴾ أى الثابت بالحقيقة و ثبوت غيره فى الواقع عدم. لأنه مستفاد من الغير، و ليس له الثبوت من ذاته[6]، و منه ما أشركوا به، و لذلك أفرده بالنص، فقال صارفا للخطاب

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حواطوا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اثبت (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: الافاضات (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دابه.

الماضى إلى الغيبة على قراءة البصريين[1] و حمزة و حفص عن عاصم إيذانا بالغضب، و قراءة الباقين على الأسلوب الماضى ﴿ و ان ما يدعون ﴾ أى هؤلاء المختوم على مداركهم، و أشار إلى سفول رتبتهم بقوله: ﴿ من دونه ﴾ .

و لما تقدمت الأدلة الكثيرة على بطلان آلهتهم بما لامزيد عليه، ٥ كقوله " هذا خلق الله فاروني ما ذا خلق الذين من دونه "[2] و أكثر هنا من إظهار الجلالة موضع الإضمار تنبيها على عظيم المقام[2] لم تدع حاجة ١٨٠ / إلى التأكيد بضمير الفصل فقال: ﴿ الباطل ﴾ أى العدم حقا، لايستحق أن تضاف إليه الإلهية بوجه من الوجوه، و إلا لمنع [من -[3]] شيء من هذه الأفعال مرة من المرات. فلما وجدت على هذا النظام علم أنه الواحد ١٠ الذى لا مكافئ[5] له.

و لما كانوا يعلونها عن مراتبها و يكبرونها بغير حق، قال: ﴿ و ان الله ﴾ أى الملك الأعظم[4] وحده. و لما كان النيران مما عبد من دون الله، و كانا قد جمعا [5]علوا و كبرا[5]، و كان ليس لهما من ذاتهما[6] إلا العدم فضلا عن السفول و الصغر، ختم بقوله: ﴿ هو العلى الكبير ﴾ أى عن أن يدانيه فى عليائه ضد. أو يباريه[7] فى كبريائه ند. ١٥

(١) راجع نثر المرجان ٥/٣٤٠ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: كبرا و علوا (٦) فى ظ: ذاتهم (٧) من ظ و مد، و فى الأصل و م: يقاربه.

و لما تضمنت الآية ثلاثة أشياء، أتبعها دليلها[1]، فقال منبها على أن سيرنا فى الفلك مثل سير النجوم فى الفلك، و سير أعمارنا فى فلك الأيام حتى يولجنا فى بحر الموت مثل سير كل من الليل و النهار فى فلك الشمس حتى يولجه فى الآخر فيذهب حتى كأنه ما كان، و لو لا تفرده بالحقية و العلو و الكبر[2] ما استقام ذلك، خاصا بالخطاب أعلى الناس، تنبيها على أن هذه الآية لكثرة الألف لها أعرض عن تأملها، فهو فى الحقيقة [حث -[3]] على تدبرها، و يؤيده[4] الإقبال على الكل عند تعليلها[5]: ﴿ الم تر ان الفلك ﴾ أى السفن كبارا و صغارا ﴿ تجرى ﴾ أى بكم حاملة ما تعجزون عن نقل مثله فى البر، و عبر بالظرفية[6] إشارة إلى أنه ليس لها من ذاتها إلا الرسوب [فى الماء -[3]] لكثافتها و لطافته فقال: ﴿ فى البحر ﴾ [أى -[3]] على وجه الماء، [و عبر عن الفعل بأثره لأنه أحب فقال -[7]]: ﴿ بنعمت الله ﴾ أى برحمة[8] الملك الأعلى المحيط علما و قدرة و إحسانه، مجددا ذلك على مدى[9] الزمان عليكم فى تعليمكم صنعها[10] حتى تهيأت لذلك على يدى أبيكم نوح العبد الشكور عليه السلام ﴿ ليريكم من ايته ﴾ أى عجائب[11] قدرته و دلائله [التى -[3]] تدلكم على

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : دليلا (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الكبرياء (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يويد (٥) من ظ و م و مد. و فى الأصل : تعليله (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بالظرف فيه (٧) زيد من ظ و مد (٨) فى ظ و مد : بانعام (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : امد (١٠) فى ظ و م و مد : صنعتها (١١) فى ظ : عجيب

أنه الحق الذى أثبت بوجوب[1] وجوده ما ترون من الأحمال الثقال[2] على وجه الماء الذى ترسب فيه الإبرة فما دونها ، و هى مساوية لغيرها فى أن الكل من التراب ، فما فاوت بينها إلا هو بتمام قدرته و فعله بالاختيار .

و لما كان هذا أمرا إذا جرد النظر فيه عن كونه قد صار مألوفا بهر العقول و حير الفهوم ، أشار إليه بقوله مؤكدا تنبيها مما هم فيه من الغفلة عنه ، [3]لافتا الخطاب بعد الجمع إلى الإفراد تنبيها على دقة الأمر [4]و أنه[4] - و إن كان يظن أنه ظاهر - لا يفهمه حق فهمه غيره صلى الله عليه و سلم : ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر الهائل البديع الرفيع ﴿لآيات﴾ أى دلالات واضحات على ما له من صفات الكمال[5] فى عدم غرقه و فى سيره إلى البلاد الشاسعة ، و الأقطار البعيدة ، و فى كون سيره ذهابا و إيابا تارة بريحين ، و أخرى[6] بريح واحدة ، و فى إنجاء أبيكم نوح عليه السلام و من أراد الله من خلقه [به -[7]] و إغراق غيرهم من جميع أهل الأرض ، و فى غير ذلك من شؤونه ، و أموره و فنونه ، و نعمه [و فتونه -[8]] و إن كان / أكثر ذلك قد صار مألوفا لكم فجهلتم أنه من خوارق العادات ، و نواقض المطردات[9] . و علم من ختام التى قبلها أن

١٨١

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بوجود (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المثقلات (٣) العبارة من هنا إلى « عليه و سلم » ساقطة من م .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) فى ظ و م : تارة (٧) زيد من ظ و م ومد (٨) زيد من م و مد (٩) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : المضطردات .

المراد - بقوله جامعا لجميع الإيمان الذى هو نصفان : نصف صبر ، و نصف شكر ، و ذلك تمام صفة المؤمن [1]مظهرا موضع "لك" أو "لكم"- ما أفاد الحكم بكل من شاركه صلى الله عليه و سلم فى الوصفين المذكورين[1] : ﴿ لكل صبار ﴾ إدامةَ الفكر فى هذه النعم و استحضارها فى الشدة ٥ و الرخاء ، و أنها من عند الله ، و أنه لايقدر عليها سواه ، و الإذعان له فى جميع ذلك ، حفظا لما دل عليه العقل من أخذ الميثاق بالشكر ، و أن لايصرف الحق إلى غير أهله ، فيلزم عليه الإساءة إلى المحسن ﴿ شكور ﴾ عليه مبالغ فى كل من الصبر و الشكر ، و علم من صيغة المبالغة فى كل منهما أنه لايعرف فى الرخاء من عظمة الله ما كان يعرفه فى الشدة إلا من[2] ١٠ طبعهم [الله -[3]] على ذلك و وفقهم له و أعانهم عليه بحفظ العهد و ترك النقض جريا مع ما[4] تدعو إليه الفطرة الأولى السليمة ، و قليل ما هم[4] [و -[5]] قال الرازى فى اللوامع : و كيفما كان فالصبر هو الثبات فى مراكز العبودية ، و الشكر رؤية النعمة من المنعم الحق و صرف نعمه إلى محابّه .

١٥ و لما كانوا يسارعون إلى الكفر بعد انفصالهم من هذه الآية[6] العظيمة ، و إلباسهم هذه النعمة الجسيمة ، التى عرفتهم ما تضمنته[7] الآية السالفة من حقيته[8] وحده و علوه و كبره و بطلان شركائهم ، أعرض عنهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣) زيد من م و مد (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاياب (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : تضمنتهم (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حقيقته .

وجه[1] الخطاب لأنهم لم يرجعوا بعد الوضوح إيذانا باستحقاق شديد الغضب و العذاب، فقال معجبا [2]عاطفا على ما تقديره: و أما غير الصبار الشكور فلا يرون ما فى ذلك من الآيات فى [حال -[3]] رخائهم: ﴿و اذا غشيهم﴾ أى علاهم و هم فيها حتى صار كالمغطى لهم، لأنه منعهم من أن تمتد[4] أبصارهم كما كانت ﴿موج﴾ أى هذا الجنس[5]، و لعله أفرده لأنه لشدة اضطرابه و إتيانه شيئا فى أثر شيء متتابعا [6]يركب بعضه[6] كأنه شيء واحد، و أصله من الحركة و الازدحام ﴿كالظلل﴾ [أى -[7]] حتى كان كأطراف الجبال المظلة[8] لمن يكون إلى جانبها، [و للاشارة إلى خضوعهم غاية الخضوع كرر الاسم الأعظم فقال -[3]]: ﴿دعوا الله﴾ [أى -[3]] مستحضرين لما يقدر عليه الإنسان من كماله بجلاله و جماله، عالمين بجميع مضمون الآية السالفة من حقيته و علوه و كبره و بطلان ما يدعون من دونه ﴿مخلصين له الدين﴾ لايدعون شيئا سواه بألسنتهم و لا قلوبهم لما اضطرهم إلى ذلك من أيات الجلال، و قسرهم عليه من العظمة و الكمال، [9]و اقتضى الحال فى سورة الحكمة حذف ما دعوا به لتعظيم الأمر [فيه -[3]] لما اقتضاه من الشدائد لتذهب النفس فيه كل مذهب. و لما كان القتل بالسيف أسهل عندهم من أن يقال عنهم: إنهم

(١) فى ظ: بوجه (٢) العبارة من هنا إلى «رخائهم» ساقطة من م (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: تميل (٥) سقط من ظ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م. (٧) زيد من م و مد (٨) فى م: كالمظلة (٩) العبارة من هنا إلى «كل مذهب» ساقطة من م.

أقروا بشيء هم له منكرون[1] لأجل الخوف خوف السبة[2] بذلك و العار[3] حتى قال من قال: لولا أن يقال[4] "إنى ما أسلمت إلا جزعا من الموت فيسب بذلك بنى من بعدى" لأسلمت . بين لهم سبحانه أنهم وقعوا بما فعلوا عند خوف الغرق فى ذلك، و أعجب منه رجوعهم إلى الكفر عند الإنجاء، لما فيه مع[5] ذلك من كفران الإحسان الذى هو عندهم من أعظم الشنع، فقال دالا بالفاء على قرب استحالتهم و طيشهم و جهالتهم : / ﴿فلما نجّٰهم﴾ أى خلصهم رافعا لهم، تنجية لهم[6] عظيمة بالتدريج من تلك الأهوال ﴿الى البر﴾ نزلوا[7] عن تلك المرتبة التى أخلصوا فيها الدين، و تنكبوا سبيل المفسدين [8]و انقسموا قسمين[8] ﴿فمنهم﴾ أى تسبب عن نعمة الإنجاء و ربط بها إشارة إلى أن المؤثر لهذا الانقسام إنما هو الاضطرار إلى الإخلاص فى البحر[9] و النجاة منهم أنه كان منهم ﴿مقتصد[4]﴾ متكلف للتوسط[10] و الميل للاقامة[11] على الطريق المستقيم، و هو الإخلاص فى التوحيد الذى ألجأه إليه الاضطرار، و هم قليل - بما[12] دل عليه التصريح بالتبعيض، و منهم جاحد للنعمة ملق لجلباب الحياء فى التصريح بذلك،

/ ١٨٢

(١) فى ظ : ينكرون (٢) من م و مد، و فى الأصل وظ : الشبه (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل : المعاد (٤) زيد فى ظ : قولا (٥) فى ظ : من (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تولوا (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩) زيد فى ظ : التوحيد إليه (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل : للوسط (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الى الاقامة (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : مما .

و هو الأكثر - كما مضت الإشارة إليه ، [و -[1]] دل عليه ترك التصريح فيه بالتبعيض ، و ما يقتصد إلا كل صبار شكور ، إما حالا و إما مآلا ﴿و ما يجحد﴾ [2]و خوّف الجاحد بمظهر[3] العظمة التى من شأنها الانتقام، فقال صارفا القول[4] إليه : ﴿بآيتنآ﴾ أى ينكرها مع عظمها و لاسيما بعد الاعتراف بها ﴿الا كل ختار﴾ أى شديد الغدر عظيمه لما نقض ٥ من العهد الهادى إليه العقل و الداعى إليه الخوف ﴿كفور ۝﴾ أى عظيم الكفر لإحسان من هو متقلب فى نعمه ، فى سره و علنه ، و حركاته و سكناته ، و لانعمة إلا و هى منه ، و من هنا جاءت المبالغة فى الصفتين ، و علم أنهما[5] طباق [6]و مقابلة[6] لختام التى قبلها ، و أن الآية من الاحتباك : دل ذكر المقتصد أولا على "و منهم جاحد" ثانيا ، و حصر الجحود[7] ١٠ فى الكفور ثانيا على حصر الاقتصاد فى الشكور أولا ، قال البغوى[8] : قيل : نزلت فى عكرمة بن أبى جهل حين[9] هرب رضى الله عنه عام الفتح إلى البحر فجاءهم ريح عاصف - يعنى : فقال الركاب على عادتهم : أخلصوا فان آلهتكم لا تغنى عنكم ههنا شيئا - فقال عكرمة رضى الله عنه : لئن أنجانى الله من هذا لأرجعن إلى محمد و لأضعن يدى فى يده ، فسكنت ١٥ الريح ، فرجع عكرمة رضى الله عنه إلى مكة فأسلم و حسن إسلامه ، و قال

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) العبارة من هنا إلى « القول إليه» ساقطة من م. (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لنظهر (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : العظمة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : انها (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) فى ظ و م و مد : الجحد (٨) راجع المعالم بهامش اللباب ٥ / ١٨٢ (٩) ليس فى المعالم .

مجاهد : مقتصد فى القول ، [مضمر للكفر ، و قال الكلبى : مقتصد فى القول - [1]] أى من الكفار ، لأن بعضهم كان أشد قولا و أعلى فى الافتراء من بعض .

و لما ظهرت [2] بما ذكر فى هذه السورة دقائق الحكمة ، و انتشرت فى الخافقين ألوية العظمة و نفوذ الكلمة ، و أعربت ألسن [3] القدرة عن دلائل الوحدانية ، فلم تدع شيئا من العجمة ، فظهر [4] كالشمس أنه لابد من الصيرورة إلى يوم الفصل و ختم بالمكذب ، أمر سبحانه عباده عامة عاصيهم و مطيعهم بالإقبال عليه ، و خوّفهم ما [5] هم صائرون إليه ، مناديا لهم بأدنى أوصافهم لما لهم من الذبذبة كما عرف به الحال الذى شرح [6] آنفا فقال : ﴿ يَاأيها الناس ﴾ أى عامة ، [7] و لفت الكلام إلى الوصف المذكر [8] بالإحسان ترغيبا و ترهيبا فقال : ﴿ اتقوا ربكم ﴾ / أى الذى لا إله [لكم - [9]] غيره ، لأنه لا محسن إليكم غيره ، اتقاء يدوم و أتم فى غاية الاجتهاد فيه ، لا كما فعلتم عند ما رأيتم من أهوال البحر . / ١٨٣

و لما كانت وحدة [الإله - [10]] الملك توجب الخوف منه ، لأنه لامكافئ له ، و كان إن عهد منه أنه لايستعرض عبادة لمجازاتهم على

(١) زيد من المعالم (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ظهر (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السنة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فظهرت . (٥) فى ظ : بما (٦) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) العبارة من هنا إلى «ترهيبا فقال» ساقطة من م (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المذكور (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) زيد من م .

أعمالهم

أعمالهم لايخشى كما يخشى[1] إذا علم منه أنه يستعرضهم قال: ﴿و اخشوا يوما﴾ لايشبه الأيام، و لايعد هول البحر و لاغيره عند أدنى هول من أهواله شيئا بوجه.

و لما كان المجرم إذا علم أن له عند الملك من يدفع [عنه -[2]] فتر[3] ذلك من خوفه، وكان ما بين الوالد و الولد[4] من الحنو و الشفقة و العطف و الرحمة الداعية إلى المحاماة[6] و النصرة و الفداء بالنفس و المال أعظم مما[7] بين غيرهما، فاذا انتفى إغناء أحدهما عن الآخر انتفى غيرهما بطريق الأولى قال: ﴿لا يجزى﴾ أى يغنى فيه، و لعله حذف الصلة إشارة إلى أن هذا الحال لهم دائما إلا أنه سبحانه أقام فى هذه[7] الدار أسبابا ستر قدرته بها، فصار الجاهل يحيل الأمر عليها و يسنده إليها، و أما هناك[8] فتزول الأسباب، و ينجلى غمام الارتياب، و يظهر اختصاص العظمة برب الأرباب.

و لما كانت شفقة الوالد - مع شمولها لجميع أيام حياته - أعظم، [فهو يؤثر حياة ولده على حياته و يؤثر أن يحمل بنفسه الآلام و الأموال -[2]] بدأ به فقال: ﴿والد﴾ كائنا من كان ﴿عن ولده﴾ [أى -[2]] لايوجد منه[9] و لا يتجدد فى وقت من الأوقات نوع من أنواع الجزاء

(١) زيد فى ظ: انه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فتره (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الوالد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المحاباة (٦) فى ظ و مد: ما (٧) فى ظ: هذا (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هنا (٩) سقط من ظ.

و إن تحقق أن الولد منه، و التعبير بالمضارع إشارة إلى أن الوالد لايزال تدعوه الوالدية إلى الشفقة على الولد، و تجدد عنده العطف و الرقة، [1]و المفعول إما محذوف لأنه أشد فى النفى و آكد، و إما مدلول عليه بما فى الشق الذى بعده[1].

٥ و لما كان الولد لايتوقع منه الإغناء عن والده فى الهزاهز إلا بعد بلوغه، أخره فى عبارة دالة على ثبات السلب العام فقال: ﴿و لا مولود﴾ أىّ مولود كان ﴿هو جازٍ عن والده﴾ و إن علم أنه بعضه[2] ﴿شيئاً﴾ من الجزاء، و فى التعبير بـ «هو» إشعار بأن المنفىّ[3] نفعه بنفسه، ففيه ترجية بأن الله قد يأذن له فى نفعه إذا وجد الشرط، و عبر هنا بالاسم

١٠ الفاعل لأن الولد من شأنه أن يكون ذلك له ديدنا لما لأبيه عليه من الحقوق، و الفعل يطلق على من ليس من شأنه الاتصاف بمأخذ اشتقاقه. فعبر به فى الأب لأنه لاحق للولد[4] عليه يوجب عليه[5] ملازمة الدفع عنه، و يكون ذلك من شأنه و مما يتصف به فلا ينفك عنه، و ذلك كما أن الملك لو خاط صح أن يقول فى تلك الحال: إنه يخيط،

١٥ و لايصح "خياط" لأن ذلك ليس من صنعته، و لا من شأنه.

و لما كان من المعلوم أن لسان حالهم[6] يقول: هل هذا اليوم كان

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بضعة. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النهى (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للوالد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حللم - كذا.

حقا؟ أجيب هذا السؤال بقوله مؤكدا لمكان[1] إنكارهم، [2]لافتا القول إلى الاسم الأعظم[3] لاقتضاء [4]الوفاء له[4]: ﴿إن وعد الله﴾ الذى له جميع معاقد[5] العز / و الجلال ﴿حق﴾ يعنى أنه سبحانه قد وعد به على جلال جلاله، و عظيم قدرته و كماله، فكيف يجوز أن يقع فى وهم فضلا عن أوهامكم أن يخلفه مع [أن -[6]] أدناكم - أيها العرب كافة - لايرى أن يخالف وعده و إن ارتكب[7] فى ذلك الأخطار، و عانى فيه الشدائد الكبار، فلما ثبت أمره، و كان حبهم لسجن هذا الكون المشهود ينسيهم ذلك اليوم، [8]لما جعل سبحانه فى هذا الكون من المستلذات، تسبب عنه قوله: ﴿فلا تغرنكم﴾ مؤكدا[9] لعظم الخطب ﴿الحيوة الدنيا وفقه﴾ أى بزخرفها، و [لا -[9]] ما يبهج من[10] لا تأمل له من فانى رونقها، [11]و كرر الفعل و التأكيد إشارة إلى أن ما لهم من الإلف بالحاضر[12] مُعمٍ لهم عما فيه من الزور، و الخداع الظاهر و الغرور، فقال مظهرا غير مضمر لأجل زيادة التنبيه و التحذير: ﴿و لايغرنكم بالله﴾ الذى لا أعظم منه و لامكافئ له مع ولايته لكم ﴿الغرور﴾ [أى -[6]] الكثير الغرور

١٨٤ /

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بمكان (٢) العبارة من هنا إلى «الوفاء له» ساقطة من م (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل: ما عاقد، و فى ظ: مناقاة (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ: اختلف (٨) زيدت الواو فى ظ (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لمن (١١) العبارة من هنا إلى «و التحذير» ساقطة من م (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الحاضر.

المبالغ فيه ، و هو الشيطان الذى لا أحقر منه ، لما جمع من البعد و الطرد و الاحتراق مع عداوته بما يزين لكم من أمرها ، و يلهيكم به من تعظيم قدرها ، و ينسيكموه من كيدها و غدرها ، و تعبها و شرها ، و أذاها [1]و ضرها[1] ، فيوجب ذلك لكم الإعراض عن ذلك اليوم ، فلا تعدونه معادا ، فلا تتخذون له[2] زادا ، لما اقترن بغروره[3] من حلم[4] الله و إمهاله ، قال سعيد بن جبير رضي الله عنه[5] : الغرة بالله أن يعمل المعصية و يتمنى المغفرة

و لما كان من الأمر الواضح أن لسان حالهم بعد السؤال عن تحقق ذلك اليوم يسال عن وقته كما مضى فى غير آية ، و يأتى [فى -[6]] آخر التى بعدها ، إما تعنتا و استهزاء و إما حقيقة ، أجاب عن ذلك ضاما إليه أخواته من مفاتيح الغيب المذكورة فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما الآتى ، لما فى ذلك من الحكمة التى سيقت لها السورة ، مرتبا لها على الأبعد فالأبعد عن علم الخلق ، فقال مؤكدا لما يعتقدون فى كهانهم[7] مظهرا الاسم الأعظم غير مضمر لشدة اقتضاء المقام له : ﴿ ان الله ﴾ أى بما له من العظمة و جميع أوصاف الكمال ﴿عنده﴾ أى خاصة ، و لو قيل " له " مثلا ما أفاد الحضور ، و لو قيل " لديه " لأوهم التعبير بلدى[8]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بغروركم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حكم (٥) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ١٨٢ (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : كهانتهم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بلد .

التى

التى هى للحضور أن ذلك كناية عن قربها جدا، و[1] أوهم أن علمه تعالى يتفاوت تعلقه بالأشياء بخصوص أو عموم لأجل أن "لدى" أخص من 'عند' فكانت 'عند' أوفق للمراد، فانها أفادت التمكن من العلم مع احتمال تأخرها [و سلمت -[2]] من تطرق احتمال فاسد إليها ﴿علم الساعة ج﴾ أى وقت قيامها، لا علم لغيره بذلك أصلا.

٥

و لما كان سبحانه قد نصب عليها أمارات توجب ظنونا فى قربها، وكشف بعض أمرها، عبر تعالى[3] بالعلم، و لما كانوا قد ألحوا[4] فى السؤال عن وقتها، و كانت[5] أبعد الخمس عن علم الخلق، و كانت شيئا واحدا لا يتجزى "فانما هى زجرة واحدة فاذا هم بالساهرة" أبرزها سبحانه فى جملة[6] اسمية دالة على الدوام و الثبوت على طريق الحصر، و هذا هو المفتاح الأول من مفاتيح الغيب ينفتح به من العلوم ما يجل عن الحصر عن قيام الأنفس بأبدانها، مائلة على مذاقها بجميع أركانها، و أشكالها و ألوانها، و سائر شأنها، و طيران الأرواح بالنفخ[7] إليها و احتوائها عليها على اختلاف أنواعهم، و تغاير صورهم و أطوالهم، و تباين ألسنتهم و أعمالهم، إلى[8] غير ذلك من الأمور، و عجائب المقدور، / ثم سعيهم إلى الموقف ثم ١٥ / ١٨٥ وقوفهم، ثم[9] حسابهم إلى استقرار الفريقين فى الدارين، هذا إلى موجهم

١٠

(١) فى مد: او (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من م (٤) فى ظ و م و مد: الحفوا (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كان (٦) فى ظ: جمل. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالفتح (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٩) سقط من ظ.

من شدة الزحام ، و الكروب العظام ، بعضا فى بعض . يطلبون من يشفع لهم فى الحساب حتى يقوم المصطفى صلى الله عليه و سلم المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون و الآخرون إلى انتقاض السماوات ، و انكدار ما فيها من النيرات ، و نزول الملائكة بعد قيامهم من منامهم ، و هم من لايحصى أهل سماء منهم ، كثرة ، [1]كيف و قد[1] أطت السماء و حق لها أن تئط ، ما فيها موضع قدم إلا [و -[2]] فيه ملك قائم يصلى ، هذا إلى تبدل الأراضى و زوال الجبال ، و نسف الأبنية و الروابى و التلال ، و غير ذلك مما لا[3] يعلمه حق علمه إلا هو سبحانه .

المفتاح الثانى : آية الله فى خلقه على قيام الساعة ، و أدل الأدلة عليه[4] و هو إنزال المطر الذى يكشف عن الاختلاط فى أعماق الأراضى بالتراب الذى كان نباتا ثم إعادته نبتا [كما -[2]] كان من قبل على اختلاف ألوانه ، و مقاديره و أشكاله ، و أغصانه و أفنانه[3] ، و روائحه و طعومه ، و منافعه و طبائعه - إلى غير ذلك من شؤونه ، و أحواله و فنونه ، التى لايحيط بها علما إلا خالقها و مبدعها و صانعها .

و لما كانوا ينسبون الغيث[5] إلى الأنواء أسند الإنزال إليه سبحانه ليفيد الامتنان ، و عبر بالجملة الفعلية للدلالة على التجدد فقال: ﴿ و ينزل الغيث ﴾ بلام الاستغراق القائمة مقام التنوين[6] بـ « كل »

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل : و كيف ، و فى ظ : فكيف و قد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : عليها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الغيب (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التنوين .

و قد أفاد ذلك الاختصاص بالعلم بوقته و مكانه و مقداره و غير ذلك من شؤونه ، فان من فعل شيئا حقيقة لم يعلم أحد وقت فعله قبل وقوعه إلا من قبله .

المفتاح الثالث : علم الأجنة و هو [١] فى الرتبة الثانية فى الدلالة [٢] على البعث الكاشف عن تخطيطها و تصويرها ، و تشكيلها و تقديرها ، على وصفى الذكورة و الأنوثة ، مع الوضوح أو الإشكال ، و [٣] الوحدة أو الكثرة ، و التمام أو النقص - إلى ما هناك من اختلاف المقادير و الطبائع ، و الأخلاق و الشمائل ، و الأكساب [٤] و الصنائع ، و التقلبات فى مقدار العمر و الرزق فى الأوقات و الأماكن - و غير ذلك من الأحوال التى [٥] لا يحصيها إلا بارئ النسم ، و محيى الرمم [٦] . و لما كانت للخلق فى ذلك لكثرة الملابسات و المعالجات ظنون فى وجود الحمل أولا ، ثم فى كونه ذكرا أو أنثى ثانيا ، و نحو ذلك بما [٧] ضرب عليه من الأمارات الناشئة عن طول التجارب ، و كثرة الممارسة ، [عبر - [٨]] بالعلم فقال : ﴿ و يعلم ما فى الارحام ﴾ من ذكر أو أنثى حى أو ميت و غير ذلك ، و صيغة [٩] المضارع لتجدد الأجنة شيئا فشيئا وقتا بعد وقت ، و الكلام فى اللام و الاختصاص

(١) فى ظ : هى (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الادلة (٣) فى ظ : او .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاكتساب (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرخايم (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) فى ظ : بصيغة .

بالعلم كالذى قبله سواء .

المفتاح الرابع : الكسب الناشئ عما فى الأرحام الفاتح[1] لكنوز السعادة و آفات الشقاوة و المسفر عن حقائق الضمائر فى صدقها عند البلاء و كذبها ، و عن مقادير العزائم و رتب الغرائز ، و عن أحوال الناس عند[2] ذلك فى الصداقة و العداوة و الذكاء و[3] الغباوة و الصفاء و الكدر و السلامة و الحيل ، و غير ذلك من الصحة و العلل ، فى اختلاف الأمور ، و عجائب المقدور ، فى الخيور و الشرور ، مما لا يحيط به إلا مبدعه ، و غارزه فى عباده و مودعه[5] ، و لكون الإنسان - مع أنه[6] ألصق الأشياء به و ألزمه له - لا يعلمه مع إيساعه الحيلة [فى -[7]] / معرفته ، عبر فيه بالدراية لأنها تدل على الحيلة بتصريف الفكر و إجالة الرأى - كما تقدم فى سورة يوسف عليه السلام - أن مادة 'درى' تدور على الدوران ، و من لوازمه إعمال الحيلة و إمعان النظر ، فهى أخص من مطلق العلم فقال : ﴿ و ما تدرى نفس ﴾ أى من الأنفس البشرية و غيرها ﴿ ما ﴾ و أكد المعنى بـ 'ذا' و تجريد الفعل فقال : ﴿ ذا تكسب غدا ﴾ أى فى المستقبل من خير أو شر بوجه من الوجوه ، و[6] فى نفى علم ذلك عن العبد مع كونه ألصق الأشياء به دليل ظاهر على نفى علم ما قبله عنه لأنه أخفى منه ، و قد تقدم إثبات علمه له[6] سبحانه و تعالى ، فصار على طريق الحصر ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المفتاح (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن (٣) سقط من م (٤) من ظ و م و مد . و فى الأصل : عما . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مبدعه (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ و م و مد .

و علم أيضا أنه لا يسند[1] إلى العبد الأعلى طريق الكسب لأنه لو كان مخلوقا له لعلمه قطعا، فثبت أنه سبحانه و تعالى خالقه، فعلم اختصاصه بعلمه من هذا الوجه أيضا.

المفتاح الخامس: مكان الموت الذى هو ختام الأمر الدنيوى و طى سجل الأثر الشهودى، و ابتداء الأمر الأخروى المظهر لأحوال البزرخ فى النزول مع المنتظرين لبقية السفر إلى دائرة[2] البعث و حالة الحشر إلى ما هنالك من ربح و خسران، و عز و هوان، و ما للروح من الاتصال بالجسد و الرتبة فى العلو و السفول، و الصعود و النزول، إلى ما وراء ذلك إلى ما لا آخر له مما لا يعلم تفاصيله و جمله و كلياته و جزئياته إلا مخترعه و بارئه و مصطنعه[3].

و لما كان لا يعلمه الإنسان بنوع حيلة مع شدة حذره منه [و حبه -[4]] لو أنفق جميع ما يملكه لكى يعلمه، عبر عنه بما عبر عن الذى قبله فقال مؤكدا باعادة النافى و المسند: ﴿ و ما تدرى ﴾ و أظهر لأنه أوضح و أليق بالتعميم فقال: ﴿ نفس ﴾ أى من البشر و غيره ﴿ بأىّ ارض تموت[5] ﴾ و لم يقل: بأىّ وقت. لعدم القدرة على الانفكاك عن الوقت مع القدرة على الانفكاك عن مكان معين، و إحاطة العلم بكراهة كل أحد للموت، فكان [ذلك -[5]] أدل دليل على جهله بموضع[6]

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا ينسب (٢) فى ظ و مد: دارة (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مصطفيه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) فى ظ: موضع.

موته إذ لو علم به لبعد عنه و لم يقرب منه ، و قد روى البخارى[1] حديث المفاتيح عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ، ثم قرأ " ان الله عنده علم الساعة" الآية ، و له[1] عن أبى هريرة رضى الله عنه فى حديث سؤال جبريل عليه السلام النبي صلى عليه و سلم عن أشراط الساعة فأخبره ببعضها و قال[2]: خمس لا يعلمهن إلا الله «إن الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث» - إلى آخر السورة ، فقد دل الحديث قطعا على أن الآية فيما[3] ينفرد سبحانه و تعالى بعلمه ، و قد رتبها سبحانه[4] هذا الترتيب [5]لما تقدم[5] من الحكمة و علم سر إتيانه بها تارة فى جملة اسمية و تارة فى فعلية ، و تارة ليس فيها ذكر للعلم ، و أخرى يذكر فيها ، و يسند إليه سبحانه ، لكن لا على وجه الحصر ، و تارة بنفى العلم عن غيره فقط من غير / إسناد للفعل إليه ، و علم سر قوله "بأىّ ارض" / ٨٧١
دون ' أىّ وقت ' ، كما فى بعض [طرق -[6]] الحديث .

و لما[7] كان قد[7] أثبت سبحانه لنفسه اختصاص العلم عن الخلق بهذه الأشياء ، أثبت بعدها ما هو أعلم منها لتدخل فيه ضمنا فيصير مخبرا

(١) راجع صحيحه ٢ / ٧٠٤ (٢) زيد فى ظ : فى (٣) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

بعله لها مرتين ، فقال على وجه التأكيد لأنهم ينكرون بعض ما يخبر به ، و ذلك يستلزم إنكارهم لبعض علمه : ﴿ أن الله ﴾ أى المختص بأوصاف الكمال و العظمة و الكبرياء و الجلال ﴿ عليم ﴾ أى شامل العلم للأمور كلها ، كلياتها و جزئياتها ، فأثبت العلم المطلق لنفسه سبحانه بعد أن نفاه عن الغير فى هذه الخمس تارة نصا و أخرى بطريق الأولى أو باللازم ، فانطبق الدليل على الدعوى - و الله الموفق .

و لما أثبت[1] العلم على هذا الوجه ، أكده لأجل ما سيقت له السورة بقوله : ﴿ خبير ﴾ أى يعلم خبايا الأمور ، و خفايا الصدور ، كما يعلم ظواهرها و جلاياها ، كل عنده على حد سواء ، فهو الحكيم فى ذاته و صفاته ، و لذلك أخفى هذه المفاتيح عن عباده ، لأنه لو أطلعهم عليها لفات كثير من الحكم ، باختلاف هذا النظام ، على ما فيه من الإحكام ، فقد انطبق آخر السورة - باثباته الحكمة باثبات العلم [و الخبر -[2]] مع تقرير أمر الساعة التى هى مفتاح الدار الآخرة - على أولها المخبر بحكمة صفته التى من علمها حق علمها ، و تخلق بما دعت إليه و حضت عليه لاسيما الإيقان بالآخرة ، كان حكيما خبيرا عليما مهذبا [مهديا -[2]] مقربا عليا ، فسبحان من هذا كلامه ، و تعالى كبرياؤه و عز مرامه ، [3]و لا إله غيره و هو اللطيف[3] .

---

(١) فى ظ : ثبت (٢) زيد من ظ و م و مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

سورة الم السجدة[1]

مقصودها إنذار الكفار بهذا الكتاب السار للأبرار بدخول الجنة و النجاة من النار، و اسمها السجدة منطبق على ذلك بما دعت إليه [آيتها -[2]] من الإخبات و ترك الاستكبار، و [كذا -[3]] تسميتها بالم تنزيل فانه مشير إلى تأمل جميع السورة، فهو[4] فى غاية الوضوح فى هذا المقصود ﴿ بسم الله ﴾ ذى الجلال و الإكرام العزيز الغفار ﴿ الرحمن ﴾ بعموم البشارة و النذارة ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى أسكن[5] فى قلوب أحبابه الشوق إليه و الخشوع بين يديه ﴿ الم ج ﴾ تقدم فى البقرة و غيرها شىء من أسرار هذه الأحرف، و مما[6] لم يسبق أنها إشارة إلى أن الله المحيط فى علمه و قدرته و كل شأنه أرسل جبريل عليه السلام إلى محمد الفاتح الخاتم صلى الله عليه و سلم بكتاب معجز دال باعجازه على صحة رسالته، و وحدانية من أرسله، و عدله فى العاصين، و فضله على المطيعين، و سرد سبحانه هذه الأحرف فى أوائل أربع من هذه السور، فزادت على الطواسين بواحدة، و ذلك بقدر[7] العدد الذى يؤكد به، و زيادة مبدأ العدد إشارة إلى أن التكرير لم يرد به مطلق التأكيد، بل دوام التكرير،

(١) الثانية والعشرون من سور القرآن الكريم، مكية مع استثناء بعض الآى، و هى تسع و عشرون آية فى البصرى و ثلاثون فى الباقى - راجع روح المعانى ٦/٤٩٨ (٢) زيد من ظ وم ومد، إلا أن فى الأولى: آياتها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ: فهى (٥) من ظ وم و مد، و فى الأصل: سكن. (٦) فى ظ: ما (٧) فى ظ: مقدار.

إشارة إلى أن هذه المعانى فى غاية الثبات لا انقطاع لها -[1]و الله الهادى[1] .

/ و لما كان المقصود فى التى قبلها إثبات الحكمة لمنزل هذا الكتاب الذى [2]هو بيان[2] كل شىء الملزوم لتمام[3] العلم و كمال الخبرة الذى[4] ختمت به بعد أن أخبر أنه سبحانه مختص بعلم المفاتيح بعد أن أنذر بأمر[5] الساعة، فثبت بذلك و ما قبله أنه ما أثبت شيئا فقدر[6] غيره من أهل الكتاب و لا غيرهم على نفيه، و لا نفى شيئا[7] فقدر غيره على إثباته و لا إثبات شىء منه، كانت[8] نتيجة ذلك أنه لا يكون شىء من الأشياء دقيقها و جليلها إلا يعلمه سبحانه و تعالى، و أجلّ ذلك[9] إنزال هذا الذكر الحكيم الذى[10] فيه إثبات هذه العلوم مع شهادة العجز عن معارضته[11] له بأنه من عند الله، فلذلك قال: ﴿ تنزيل الكتب ﴾ أى الجامع لكل هدى على ما ترون من التدريج من السماء ﴿لا ريب فيه﴾ أى فى كونه من السماء لأن نافى الريب و ممطه و هو الإعجاز معه لا ينفك عنه، فكل ما يقولونه مما يخالف ذلك تعنت أوجهل من غير ريب، حال كونه ﴿من رب العلمين ۝﴾ أى الخالق لهم المدبر لمصالحهم، فلا يجوز فى عقل و لا يخطر فى بال و لا يقع فى وهم و لا يتصور فى خيال [12]- أنه يترك خلقه - و هو المدبر الحكيم -

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢ - ٢) فى ظ و م و مد: فيه تبيان (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بتمام (٤) فى ظ: التى (٥) فى ظ: يعلم (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لقدر (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شىء (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كان (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شىء (١٠) سقط من ظ (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معارضة (١٢) زيد من ظ و م و مد.

من غير كتاب يكون سبب إبقائهم أو] أن[1] يصل شيء[2] من كتابه[2] إلى هذا النبي الكريم بغير أمره، فلا يتخيل أن[3] شيئا منه ليس بقول الله، ثم لا يتخيل أنه كلامه تعالى و لكنه أخذه من بعض أهل الكتاب، لأن هذا لا يفعل مع ملك فكيف بملك الملوك، فكيف بمن هو عالم بالسر و الجهر، محيط علمه بالخفي و الجلي[4]، فلو ادعى عليه أحد ما لم يأذن فيه لما أيده بالمعجزات.

و لما أقره على ذلك المدد المتطاولات، و لا سيما إعجاز كل ما ينسبه إليه بالمعجزات، و[5] يدعيه عليه، و[3] هذا غاية ما في آل عمران كما كان أول لقمان غاية أول القرآن المطلق. و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما انطوت سورة الروم على ما قد أشير إليه من التنبيه بعجائب ما أودعه سبحانه في عالم السماوات و الأرض، و على ذكر الفطرة، ثم اتبعت بسورة لقمان تعريفا بأن مجموع تلك الشواهد من آيات الكتاب و شواهده و دلائله، و أنه قد [6]هدى من شاء[6] إلى سبيل الفطرة و إن لم يمتحنه بما امتحن به كثيرا ممن ذكر، فلم يغن عنه و دعي فلم يجب، و تكررت عليه الإنذارات فلم يصغ [لها -[7]] لأن[8] كل ذلك من الهدى و الضلال واقع بمشيئته و سابق إرادته، و اتبع سبحانه

(١) في ظ و مد: انه (٢-٢) من ظ و مد، وفي الأصل و م: منه (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد. و في الأصل: الجليل (٥) سقط من ظ و م و مد. (٦ - ٦) في ظ: يهدي من يشاء (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) في ظ و مد: ان.

ذلك بما ينبه المعتبر على صحته فقال "و من يسلم وجهه الى الله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى" فأعلم سبحانه أن الخلاص و السعادة فى الاستسلام له[1] و لما يقع من أحكامه، و عزى نبيه صلى الله عليه و سلم و صبره بقوله "و من كفر فلا يحزنك كفره" ثم ذكر تعالى لجأ الكل قهرا و رجوعا بحاكم اضطرارهم لوضوح الأمر إليه تعالى فقال ٥ "و لئن سالتهم من خلق السموت و الارض ليقولن الله" ثم وعظ تعالى الكل بقوله "ما خلقكم و لا بعثكم الا كنفس واحدة" أى أن ذلك لايشق عليه سبحانه و تعالى و لايصعب، و القليل و الكثير سواء، ثم نبه بما يبين ذلك من إيلاج الليل فى النهار و النهار فى الليل و جريان الفلك بنعمته "ذلك بان الله هو الحق"، ثم أكد ما تقدم من رجوعهم ١٠ فى الشدائد إليه فقال "و اذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين" فاذا خلصهم / سبحانه و نجاهم عادوا[2] إلى سيئ أحوالهم، هذا / ١٨٩ و قد عاينوا رفقه بهم و أخذه عند الشدائد بأيديهم و قد اعترفوا بأنه خالق السماوات و الأرض و مسخر[3] الشمس[4] و القمر[4]، و ذلك شاهد من حالهم بجريانهم على [ما -[5]] قدر لهم و وقوفهم عند حدود السوابق ١٥ "و من يسلم وجهه الى الله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى" ثم عطف سبحانه على الجميع فدعاهم إلى تقواه، و حذرهم يوم المعاد و شدته، و حذرهم من الاغترار، و أعلمهم أنه المتفرد بعلم[6] الساعة،

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ : عاد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مخر.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد. و فى الأصل و ظ : علمى.

و إنزال الغيث، و علم ما فى الأرحام، و ما يقع من المكتسبات، و حيث يموت كل من المخلوقات. فلما كانت سورة لقمان - بما بين من مضمنها محتوية من[1] التنبيه و التحريك على ما ذكر، و معلمة بانفراده سبحانه بخلق الكل و ملكهم[2]، أتبعها تعالى بما يحكم بتسجيل صحة الكتاب، و أنه من عنده و أن ما انطوى عليه من الدلائل و البراهين يرفع كل ريب، و يزيل كل شك، فقال "الم تنزيل الكتب لا ريب فيه من رب العلمين ام يقولون افتراه بل هو الحق من ربك" أى أيقع منهم هذا بعد وضوحه و جلاء شواهده، ثم اتبع ذلك بقوله "[ما لكم من دونه من ولى و لا شفيع" و هو تمام لقوله "و من يسلم وجهه الى الله" و لقوله -[3]] "و لئن سألتهم من خلق السمٰوٰت و الارض ليقولن الله" و لقوله "و اذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله [4]مخلصين له الدين[4]" و لقوله "اتقوا ربكم ما لكم من دونه من ولى و لا شفيع افلا تتذكرون" بما ذكرتم، ألا ترون أمر لقمان و هدايته بمجرد دليل فطرته، فما لكم بعد التذكير و تقريع الزواجر و ترادف الدلائل و تعاقب الآيات تتوقفون[5] عن السلوك[6] إلى ربكم و قد أقررتم بأنه خالقكم، و لجأتم إليه عند احتياجكم؟ ثم أعلم نبيه صلى الله عليه و سلم برجوع من عاند و إجابته حين لا ينفعه رجوع، و لا تغنى عنه إجابة، فقال "و لو ترى اذ المجرمون ناكسوا رءوسهم عند ربهم"

(١) فى ظ : على (٢) فى ظ و مد : هلكهم (٣) زيد من ظ و م و مد .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٥) فى ظ : يتوقعون، و فى مد : متدقفون (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الشكوك .

ثم أعلم سبحانه أن الواقع منهم إنما هو بارادته و سابق من حكمه، ليأخذ الموفق الموقن نفسه بالتسليم فقال "و لو شئنا لآتينا كل نفس هدٰيها" كما فعلنا بلقمان و من أردنا توفيقه، ثم ذكر انقسامهم بحسب السوابق فقال "افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لايستوون" ثم ذكر مصير الفريقين و مآل الحزبين، ثم اتبع [ذلك -١] بسوء حال[٢] من ذكر فأعرض فقال "و من اظلم ممن ذكر بآيٰت ربه ثم اعرض عنها" و تعلق الكلام إلى آخر السورة - انتهى.

و لما كان [هذا -٣] الذى قدمه أول السورة على هذا الوجه برهانا ساطعا و دليلا قاطعا على أن [هذا -٣] الكتاب من عند الله، كان - كما حكاه البغوى[٤] و الرازى فى اللوامع - كأنه قيل: هل آمنوا به؟ ﴿ام يقولون﴾ مع ذلك الذى لايمترىء فيه عاقل ﴿افترىٰه﴾ أى تعمد كذبه.

و لما كان الجواب: إنهم ليقولون: افتراه، و كان جوابه[٦]: ليس هو مفترى لما هو مقارن له من الإعجاز، ترتب عليه قوله: ﴿بل هو الحق﴾ أى الثابت ثباتا لايضاهيه ثبات شىء من الكتب قبله، كائنا ﴿من ربك﴾ / المحسن إليك بانزاله و إحكامه، و خصه بالخطاب إشارة إلى[٧] أنه لايفهم / ١٩٠

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مال (٣) زيد من ظ (٤) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ / ١٨٣ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لايجترى (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجواب. (٧) سقط من ظ.

حقيقته حق الفهم سواه .

و لما ذكر سبحانه إحسانه إليه صلى الله عليه و سلم صريحا ، أشار بتعليله إلى إحسانه [به -[1]] أيضا إلى كافة العرب ، فقال مفردا النذارة لأن المقام [2]لها بمقتضى[2] ختم لقمان : ﴿ لتنذر قوما ﴾ أى ذوى[3] قوة و جلد و منعة و صلاحية للقيام بما أمرهم به ﴿ ما اتاهم من نذير ﴾ أى رسول فى هذه الأزمان القريبة لقول ابن عباس رضى الله عنهما[4] إنه المراد الفترة ، و يؤيده إثبات الجار فى قوله : ﴿ من قبلك ﴾ [أى بالفعل -[1]] شاهدوه أو شاهده آباؤهم . و إما بالمعنى و القوة فقد كان فيهم دين إبراهيم عليه السلام إلى أن غيّره عمرو بن لحى ، و كلهم كان يعرف ذلك و أن إبراهيم عليه الصلاة و السلام لم يعبد صنما و لا استقسم بالأزلام ، و ذلك [5]كما قال[5] تعالى " و ان من امة الا خلا فيها نذير[6] " أى شريعته و دينه ، و النذير ليس مخصوصا بمن باشر - نبه على ذلك أبو حيان[7] . و يمكن[8] أن يقال : ما أتاهم من ينذرهم على خصوص ما غيروا من دين إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، و أما إسماعيل ابنه عليه السلام فكان[9] بشيرا لا نذيرا ، لأنهم ما خالفوه ، و أحسن من ذلك كله ما نقله البغوى[4] عن ابن عباس رضى الله عنهما و مقاتل أن ذلك

(١) زيد من ظ و م و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما يقتضى (٣) فى ظ : ذى (٤) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥/١٨٣ . (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قوله (٦) سورة ٣٥ آية ٢٤ (٧) راجع البحر المحيط ٧/١٩٧ (٨) زيد فى الأصل : لما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) فى ظ و م و مد : فقد كان .

فى الفترة التى كانت بين عيسى و محمد صلى الله عليهما و سلم ، فانه قد نقل أن عيسى عليه السلام لما ارسل رسله[1] إلى الآفاق أرسل إلى العرب رسولا .

و لما ذكر علة الإنزال ، أتبعها علة الإنذار فقال : ﴿لعلهم يهتدون ٥﴾ أى ليكون حالهم فى مجارى العادات حال من ترجى هدايته إلى كمال الشريعة ، و أما التوحيد فلا عذر لأحد فيه بما[2] أقامه الله من حجة العقل مع ما أبقته الرسل عليهم الصلاة و السلام آدم فمن بعده من واضح النقل بآثار دعواتهم[3] و بقايا دلالاتهم[4] ، و لذلك قال النبى صلى الله عليه و سلم لمن سأله عن أبيه : أبى و أبوك فى النار[5] ، و قال : لا تفتخروا بآبائكم الذين مضوا فى الجاهلية فو الذى نفسى بيده لما تدحرج الجعل خير منهم[6] - فى غير هذا من الأخبار القاضية بأن كل من مات قبل دعوته على الشرك فهو للنار[7] .

و لما تقرر بما سبق فى التى قبلها من اتصافه تعالى بكمال العلم أنه من عنده و بعلمه لا محالة . و كان هذا أمرا يهتم بشأنه و يعتنى[8] بأمره ، لأنه عين المقصود [الذى -[9]] ينبنى عليه أمر الدين ، و ختم ما ذكره من أمره ههنا باقامة اهتدائهم مقام الترجى بانذاره صلى الله عليه و سلم ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رسوله (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دعواهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دلالتهم (٥) راجع مسالك الحنفاء للسيوطى ١٥ ، و أصل الرواية عند مسلم (٦) راجع مسند الإمام أحمد ١/٣٠٠ (٧) بهامش م : رواه الطيالسى عن ابن عباس رضى الله عنهما (٨) فى ظ : يعنى (٩) زيد من ظ و م و مد .

أتبعه بيان ذلك الدليل بإيجاد عالم الأشباح و الخلق ثم عالم الأرواح و الأمر، و إحاطة العلم بذلك كله على وجه يقود تأمله إلى الهدى، فقال مستأنفا شارحا لأمر يندرج فيه إنزاله معبرا بالاسم الأعظم[1] لاقتضاء الإيجاد و التدبير على وجه الانفراد له: ﴿ الله ﴾ أي الحاوي لجميع صفات الكمال وحده: ﴿ الذي خلق السموٰت ﴾ كلها ﴿ و الارض ﴾ بأسرها ﴿ و ما بينهما ﴾ من المنافع العينية[2] و المعنوية.

و لما كانت هذه الدار مبنية على حكمة الأسباب كما أشير إليه في لقمان، و كان الشيء إذا عمل بالتدريج كان [أتقن -[3]]، قال: ﴿ في ستة ايام ﴾ كما يأتي تفصيله في فصلت، و قد كان قادرا على فعل ذلك في أقل من لمح البصر، [و يأتي في فصلت سر كون المدة ستة -[4]].

و لما كان تدبير هذا و حفظه و تعهد مصالحه و القيام بأمره أمرا - بعد أمر إيجاده - باهرا، أشار إلى عظمته بأداة التراخي [و التعبير بالافتعال -[4]] فقال: ﴿ ثم استوٰى على العرش[5] ﴾ أي [استواء لم يعهدوا مثله و هو أنه -[4]] أخذ في [تدبيره و -[3]] تدبير [ما حواه -[4]] بنفسه، لا شريك له و لا نائب عنه و لا وزير، كما تعهدون من ملوك الدنيا إذا اتسعت ممالكهم، و تباعدت أطرافها، و تناءت أقطارها، و هو معنى قوله تعالى استئنافا جوابا لمن كأنه قال: العرش بعيد عنا جدا فمن استنابه[5] في أمرنا[5]، و لذلك [لفت -[3]] الكلام إلى[6] الخطاب لأنه اقعد

/ ١٩١

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: الغيبية (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: بأمرنا (٦) في ظ: في.

في

فى التنبيه: ﴿ [١]ما لكم[١] من دونه ﴾ لأنه كل ما سواه من دونه و تحت قهره، و دل على عموم النفى بقوله: ﴿ من ولى ﴾ أى يلى أموركم و يقوم بمصالحكم و ينصركم إذا حل بكم شىء مما تنذرون به ﴿ و لا شفيع[٢] ﴾ يشفع عنده فى تدبيركم أو فى أحد منكم بغير إذنه، [و هو كناية عن قربه من كل شىء و إحاطته به، و أن إحاطته بجميع خلقه على حد سواء لا مسافة بينه و بين شىء أصلا -[٣]].

و لما كانوا مقرين بأن الخلق خلقه و الأمر أمره، عارفين بأنه لا يلى وال من قبل ملك من الملوك [٣]إلا بحجة[٣] منه يقيمها على [أهل -[٤]] البلدة التى أرسل إليها أو ناب فيها، و لا يشفع شفيع فيهم إلا و له إليه وسيلة، تسبب عن ذلك الإنكار عليهم فى قوله: ﴿ افلا تتذكرون[٥] ﴾ أى تذكرا[٥] عظيما بما أشار إليه الإظهار ما [٦]تعلمونه من[٦] أنه الخالق وحده، و من أنه لا حجة لشىء مما أشركتموه بشىء مما أهلتموه[٧] له و لا وسيلة لشىء [منهم إليه يؤهل بها فى الشفاعة فيكم و لا أخبركم أحد منهم بشىء -[٤]] من ذلك، فكيف تخالفون فى هذه الأمور - التى هى أهم المهم، لأن عاقبتها خسارة الإنسان نفسه، فضلا عما دونها - عقولكم و ما جرت به عوائدكم، و تتعللون فيها بالمحال، و تقنعون بقيل و قال،

(١-١) ليس ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢) زيد من ظ و مد (٣ - ٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لايحجبه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تذكيرا (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تعلمون (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اهملتموه.

و تخاطرون فيه[1] بالأنفس و الأولاد و الأموال .

و لما نفى أن يكون له شريك أو[2] وزير فى الخلق ، ذكر كيف يفعل فى هذا الملك العظيم الذى أبدعه فى ستة أيام من عالم الأرواح و الأمر ، فقال مستأنفا مفسرا للمراد بالاستواء : ﴿يدبر الامر﴾ أى كل أمر هذا العالم [3]بأن يفعل فى ذلك فعل الناظر فى أدباره لإتقان خواتمه و لوازمه . كما نظر فى أقباله لإحكام[3] فواتحه و عوازمه ، لايكل شيئا منه[4] إلى شيء من خلقه ، قال الرازى فى اللوامع : و هذا دليل على [5]أن استواءه[5] على العرش بمعنى إظهار القدرة ، و العرش مظهر التدبير لامقر المدبر .

و لما كان المقصود للعرب إنما [هو -[6]] تدبير ما تمكن [7]مشاهدتهم له[7] من العالم قال مفردا : ﴿من السمآء﴾ أى فينزل ذلك [الأمر -[6]] الذى أتقنه كما يتقن من ينظر فى أدبار ما يعلمه[8] ﴿الى الارض﴾ غير متعرض إلى ما فوق ذلك ، على أن السماء تشمل كل عال فيدخل جميع العالم .

و لما كان الصعود أشق من النزول على ما جرت به العوائد ، فكان بذلك مستبعدا ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ثم يعرج﴾ أى[9] يصعد

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيها (٢) فى ظ « و » (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منها (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : استوى (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مشاهدته لهم (٨) فى ظ : لايعمله (٩) فى ظ : ثم .

الأمر الواحد - و هو من الاستخدام الحسن - إليه، أى بصعود الملك إلى الله، أى إلى الموضع الذى شرفه أو أمره بالكون فيه كقوله تعالى "انى ذاهب الى ربى[1]" "و من يخرج من بيته مهاجرا الى الله و رسوله[2]" و نحو ذلك، أو إلى الموضع الذى أبتدأ منه / نزول التدبير ١٩٢ و هو السماء، كأنه صاعد فى معارج، و هى الدرج على ما تتعارفون[3] ٥ بينكم، فى أسرع من لمح البصر ﴿فى يوم﴾ من أيام الدنيا ﴿كان مقداره﴾ لو كان الصاعد واحدا منكم على ما تعهدون ﴿الف سنة مما تعدون﴾ من سنيكم التى تعهدون، و الذى دل على هذا التقدير شىء من العرف و شىء من اللفظ، أما اللفظ فالتعبير بـ «كان» مع انتظام الكلام بدونها لو أريد غير ذلك، و أما العرف [فهو -[5]] أن الإنسان[6] المتمكن يبنى ١٠ البيت العظيم العالى فى سنة مثلا، فاذا فرغه صعد إليه خادمه إلى أعلاه فى أقل من درجتين من درج الرمل، فلا تكون نسبة ذلك من زمن بنائه[7] إلا جزءا لا يعد، هذا و هو خلق محتاج فما ظنك بمن خلق الخلق فى ستة أيام و هو غنى عن كل شىء قادر على كل شىء[7]! و ظاهر العبارة أن هذا التقدير بالألف لما بين السماء و الأرض بناء على [أن -[5]] البداية ١٥ و الغاية لا يدخلان، فاذا أردنا تنزيل هذه الآية على آية سأل[8] أخذنا

(١) سورة ٣٧ آية ٩٩ (٢) سورة ٤ آية ١٠٠ (٣) من م و مد، و فى الأصل: يتعارون، و فى ظ: لعارفون - كذا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المصاعد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) راجع آية ٤ من سورة المعارج

هذا بالنسبة إلى صعود أحدنا مستويا لو أمكن، و جعلت الأرض واحدة
فى العدد[١]. و أول تعددها كما قيل باعتبار الأقاليم، و زيد عليه مقدار
ثخن السماوات و ما بينهما، و زيد[٢] على المجموع[٢] مثل نصفه لمسافة الانحناء
فى بناء الدرج و التعريج الذى هو مثل محيط الدائرة بالوتر الذى قسمها
٥ بنصفين[٣] ليمكن الصعود منه، و هو مقدار نصف مسافة الاستواء و شىء
يسير، لأنك إذا قسمت دائرة بوتر كان ما[٤] بين رأسى الوتر من محيط
نصف الدائرة بمقدار ذلك الوتر مرة و نصفا[٥] سواء يزاد عليه يسير لأجل
تعاريج الدرج، فاذا فعلنا ذلك كان ما بين أحد سطحى الكرسى
المحدب و ما يقابله من[٤] السطح الآخر بحسب اختراقه من جانبيه و اختراق
١٠ أطباق[٦] السماوات السبع: الأربعة عشر، اثنين و ثلاثين ألف سنة، لأنه
يخص كل سماء ألفان. لأنه فهم من هذا السياق أن من مقعر السماء إلى
سطح الأرض الذى نحن عليه مسيرة ألف سنة، و [بعد -[٢]] ما بين كل
سمائين كبعد ما بين [السماء و الأرض، و ثخن كل سماء كذلك، فيكون
بعد ما بين أحد -[٢]] سطحى الأرض إلى سطح الكرسى الأعلى ستة
١٥ عشر ألف سنة، و بعد[٨] ما بين سطح الأرض الآخر إلى أعلى سطح الكرسى

(١) من ظ و م و مد. و فى الأصل: العدل (٢ - ٢) فى ظ و مد: عليه.
(٣) فى ظ: نصفين (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نصف (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الطباق (٧) زيد من ظ و م و مد.
(٨) زيد فى الأصل: ما بين السماء و الأرض و ثخن كل سماء كذلك فيكون بعد - و لعلها تأخرت.

من

من الجانب الآخر كـــذلك ، ثم يزاد على المجموع و هو اثنان و ثلاثون ألف سنة مسافة ثخن الأرض و هى[1] ألف سنة ليكون المجموع[2] ثلاثة و ثلاثين[3] ألف سنة يزاد عليه ما للتعريج[4]، و هو نصف تلك المسافة و شيء يكون سبعة عشر ألف سنة[5]. فذلك خمسون ألف سنة ، و إنما جعلت سطح الكرسى الأعلى النهاية ، لأن العادة جرت أن لا يصعد إلى عرش الملك غيره ، و أن الأطماع تنقطع[6] دونه ، بل و[7] لا يصعد إلى كرسيه . و سيأتى اعتبار ذلك [فى ـ[8]] الوجه الأخير ، و إن قلنا[9]: إن الأراضى سبع على[10] أنها كرات مترتبة متعالية غير متداخلة ، و أدخلنا العرش فى العدد فنقول : إنه مع الكرسى و السماوات تسعة ، فجانباها المحيطان[11] بالأرض ثمانى عشرة طبقة ، و الأراضى[12] سبع ، فتلك خمس و عشرون طبقة ، فكل[12] واحدة - مع ما بينها و بين الأخرى على ما هو ظاهر الآية - ألفان ، فنضعف هذا العدد ، فيكون خمسين / ألفا ، و هذا الوجه أوضح الوجوه و أقربها إلى مفهوم الآيـــة ، و لا يحتاج معه إلى زيادة لأجل انعطاف الدرج ، و يجوز أن نقول : إن السر - و الله أعلم - / ١٩٣

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هو (٢) فى ظ و م و مد : الجميع (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثلاثون (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للتصريح (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منقطع . (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ظنا (٩) فى ظ و م و مد : غير (١٠) فى ظ و مد : المحيطة (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : اراضى (١٢) فى ظ و مد : لكل

فى جعل ما مسيرته خمسمائة سنة - كما فى الحديث - ألف سنة لأجل التدريج[١] ، و الحديث ليس[٢] نصا [٣]فى سير[٣] معين حتى يتحامى تأويله [بل -[٤]] قد ورد بألفاظ متغايرة منها خمسمائة ، و منها اثنتان و سبعون سنة ، و منها إحدى[٥] و سبعون إلى غير ذلك ، فلا بد أن يحمل كل لفظ على سير

٥ فنقول : الخمسمائة للصاعد فى درج مستقيم كدرج الدقلى مثلا ، و الاثنان و سبعون لسير الطائر ، و الألف كما فى الآية لدرج منعطف ، و يدل عليه ما رواه الترمذى - و قال : إسناده حسن - عن عبد الله بن عمرو بن العاص[٦] رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : لو أن رصاصة[٧] مثل هذه - و أشار إلى مثل الجمجمة - أرسلت[٧] من السماء إلى

١٠ الأرض ، و هى مسيرة خمسمائة سنة ، لبلغت الأرض قبل الليل ، و لو[٧] أنها أرسلت من رأس السلسلة[٨] لسارت[٧] أربعين خريفا الليل و النهار قبل أن تبلغ أصلها أو قعرها . [أو تقول : إن الألف لجملة التدبير بالنزول و العروج[٩]] - والله أعلم ، و إن جعلنا البداية داخلة فتكون الألف من سطح الأرض الذى نحن عليه إلى محدب السماء لتتفق الآية مع الحديث

١٥ القائل بأن[١٠] بين الأرض و السماء خمسمائة سنة ، و ثخن السماء كذلك ،

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : التصريح (٢) زيد فى الأصل : فيه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣ - ٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لسير (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) فى ظ و م و مد : أحد (٦) راجع أبواب صفة جهنم من جامع الترمذى ٢ / ٨٣ (٧) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد و الجامع (٨) من ظ و م ومد والجامع ، وفى الأصل : التسلسلة . (٩) زيد من ظ و مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ان .

و كذا بقية السماوات و العرش ، أدخلنا العرش فى العـــدد و قلنا : إن الأراضى سبع متداخلة كالسماوات ، كل واحدة[١] منها فى التى تليها ، فالتى نحن فيها أعلاها و محيطة بها كلها ، فهى بمنزلة العرش للسماوات ، فتكون السماوات السبع من جانبيها بأربعة عشر ألفا ، و الأراضى كذلك ، فذلك ثمانية و عشرون ألفا ، و العرش و الكرسى من جانبيها بأربعة . ٥ فذلك اثنان و ثلاثون ألفا يضاف إليها[٢] ما يزيده انحناء المعارج الذى يمكن لنا معه[٣] العروج ، و هو نصف مسافة الجملة و شىء ، فالنصف ستة عشر ألفا ، و نجعل الشىء الذى لم يتحرر[٤] لنا ألفين ، فذلك ثمانية عشر[٢] ألفا إلى اثنين و ثلاثين . فالجملة خمسون ألفا . و يمكن أن يكون ذلك بالنسبة إلى السماوات مع الأراضى ، و الكل متطابقة متداخلة ، فتلك ثمان ١٠ و عشرون [طبقة من سطح السماء السابعة الأعلى إلى سطحها الأعلى من الجانب الآخر ، فذلك ثمانية و عشرون - [٥]] [٦] ألف سنة[٦] ، لكل جرم خمسمائة ، و لما بينه و بين الجرم الآخر كذلك فذلك [ألف - [٥]] ، فضعفه بالنسبة إلى الهبوط و الصعود فيكون ستة و خمسين[٧] ألفا [٨]حسب منه خمسون ألفا[٨] و ألغى الكسر ، لكن هذا الوجه مخالف لظاهر الآية التى[٢] ١٥ فى سورة سأل ، و هى[٩] قوله تعالى " تعرج الملئكة و الروح اليه فى

(١) فى ظ : واحد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من . (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم يتحر (٥) زيد من ظ و م و مد . (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ألفا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خمسون (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هو .

يوم كان مقداره خمسين الف سنة" فانه ليس فيها ذكر الهبوط - والله أعلم . وكل من [1]هذه الوجوه أقعد مما قاله البيضاوى[2] فى سورة سأل، وأقرب للفهم والعرف، فان كان ظاهر حاله أنه جعل الثمانية عشر ألفا [3]من أعلى[3] سرادقات العرش إلى أعلى سرادقاته من الجانب الآخر، ولا دليل [على -[4]] هذا ولا عرف يساعد فى صعود الخدم[5] إلى أعلى السرادق، وهو الأعلى منه، والعلم عند الله تعالى، وروى إسحاق بن راهويه عن أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما بين سماء الدنيا إلى الأرض خمسمائة سنة، و[ما -[4]] بين كل سماء إلى التى تليها خمسمائة / سنة إلى السماء السابعة، والأرض ١٩٤ / مثل[6] ذلك، وما بين السماء السابعة إلى[7] العرش مثل [جميع -[4]] ذلك. واعلم أن القول بأن الأراضى سبع هو الظاهر لظاهر قوله تعالى "الله الذى خلق سبع سمٰوٰت ومن الارض مثلهن" ويعضده ما رواه الشيخان[8] و[غيرهما عن -[1]] عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال[9]: من ظلم قدر[10] شبر من الأرض[11] طوقه الله[12] من

(١) العبارة من هنا إلى «كان ظاهر» ساقطة من ظ و مد (٢) فى تفسيره أنوار التنزيل (٣-٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل: على (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى ظ: الخدام (٦) فى ظ: بمثل (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٨) البخارى فى أبواب المظالم وبدء الخلق، ومسلم فى أبواب المساقاة. (٩) فى الأصل بياض ملأناه من جميع المراجع (١٠) كذا فى نسخة مسلم، و فى جميع المراجع: قيد (١١) من المراجع، و فى الأصل و ظ: ارض (١٢) ثابت فى نسخة مسلم، و ساقط من جميع المراجع.

سبع أرضين ، و فى رواية للبغوى[١] : خسف به إلى سبع أرضين[٢] ، و روى ابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن المؤمن إذا حضره الموت - فذكره إلى أن قال : و أما الكافر إذا قبضت نفسه ذهب به إلى الأرض فتقول خزنة الأرض : ما وجدنا ريحا أنتن من هذه[٣] ، فيبلغ بها إلى [الأرض -[٤]] السفلى - قال المنذرى[٥] : و هو عند ابن ماجه بسند صحيح ، و يؤيد من[٦] قال : إنها متطابقة متداخلة كالكرات[٧] و بين كل أرضين فضاء كالسماوات ما روى الحاكم و صححه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الأرضين بين كل أرض إلى التى تليها مسيرة خمسمائة سنة ، فالعليا منها على ظهر حوت - إلى آخره . و هو فى آخر الترغيب للحافظ المنذرى فى آخر أهوال القيامة فى سلاسلها و أغلالها[٨] ، و روى أبو عبيد [القاسم -[٤]] بن سلام فى غريب الحديث[٩] عن مجاهد رحمه الله أنه قال : إن الحرم حرم مناه من السماوات السبع و الأرضين السبع ، و أنه رابع أربعة عشر بيتا ، فى كل سماء بيت ، و فى كل أرض بيت ، لو سقطت لسقط بعضها على بعض - مناه يعنى قصده و حذاءه .

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البغوى (٢) و أخرجه البخارى أيضا من طريق سالم عن أبيه - راجع باب ماجاء فى سبع أرضين - بدء الخلق (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى الترغيب و الترهيب ص ٦٣٥ (٦) فى ظ : ما (٧) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد . (٨) راجع ص ٦٦٤ (٩) راجع ٤ / ٤٢٣ .

و فى مجمع الزوائد[١] للحافظ نور الدين الهيثمى أن الإمام أحمد روى من طريق الحكم بن عبد الملك و هو ضعيف عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ مرت سحابة فقال[٢]: هل تدرون ما هذه؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال[٣]: العنان و زوايا الأرض، يسوقه الله إلى من لا يشكره و لا يدعوه. أ تدرون ما هذه فوقكم؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال: الرفيع موج مكفوف، و سقف محفوظ، أ تدرون كم بينكم و بينها؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال: مسيرة خمسمائة عام، ثم قال: أ تدرون ما الذى[٤] فوقها؟ قلنا: الله و رسوله أعلم[٥]! قال: سماء أخرى، أ تدرون كم [٦]بينكم و بينها[٦]؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال: [مسيرة -[٧]] خمسمائة عام - حتى عد سبع سماوات [ثم -[٨]] قال: [٩]هل تدرون[٩] ما فوق ذلك؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال[١٠]: العرش، قال[١١]: أتدرون كم[١٠] بينه و بين السماء السابعة؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال: [مسيرة -[١٢]] [١٣]خمسمائة عام، ثم قال: ما هذه تحتكم؟ قلنا: الله و رسوله أعلم؟ قال[١٣]:

---

(١) راجع ٧ / ٢٠. (٢) من ظ و م و مد و المجمع، و فى الأصل: قال. (٣) زيد فى الأصل: الرفيع موج مكفوف، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و المجمع فحذفناها (٤) فى م: التى (٥) العبارة من «قال الرفيع» إلى هنا ساقطة من ظ (٦-٦) من ظ و المجمع، و فى الأصل: بينها و بينهما، و فى م و مد: بينها و بينها (٧) زيد من ظ و المجمع (٨) زيد من ظ و م و مد و المجمع. (٩-٩) من ظ و م و مد و المجمع، و فى الأصل: أترون (١٠) سقط من ظ. (١١) ليس فى المجمع (١٢) زيد من م و مد و المجمع (١٣-١٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.

أرض، قال: أتدرون ما تحتها؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال[١]: أرض آخرى، أتدرون كم بينهما؟ قلنا: الله و رسوله أعلم! قال: مسيرة سبعمائة عام حتى عد سبع أرضين، ثم قال: و أيم الله لو دليتم بحبل لهبط، ثم قرأ "هو الاول و الآخر و الظاهر و الباطن و هو بكل شيء عليم[٢]" قال: رواه الترمذى غير أنه ذكر [أن -[٣]] بين كل أرض و الأرض[٤] ٥ الأخرى خمسمائة عام. و هنا سبعمائة، و قال فى آخره[٥]: لو دليتم بحبل لهبط على الله. و لعله أراد: [على -[٦]] عرش الله / او على حكمه[٧] و علمه[٧] / ١٩٥ و قدرته، يعنى أنه فى ملكه و قبضته ليس خارجا[٨] عن شيء من أمره - و الله أعلم[٤]، و رأيت[٩] فى جامع الأصول لابن الأثير بعد إيراده[١٠] هذا الحديث [ما نصه -[٦]]: قال أبو عيسى: قراءة رسول الله صلى الله عليه ١٠ و سلم الآية تدل على أنه أراد: لهبط على علم[٤] الله و قدرته و سلطانه و يكون مؤيدا للقول بأنها كرات متطابقة متداخلة - و الله أعلم - ما روى[١١] أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: ما السماوات السبع و الأرضون السبع فى العرش إلا كحلقة ملقاة فى[١٢] فلاة. و لم يقل: كدرهم - مثلا، و كذا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) آية ٣ من سورة الحديد (٣) زيد من المجمع (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد و المجمع، و فى الأصل: آخر. (٦) زيد من ظ و م و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد فى الأصل: منها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ليس (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ايراد (١١) زيد فى الأصل عن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٢) زيد فى الأصل: ارض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

ما روى محمد بن أبي عمر و إسحاق بن راهويه و أبو بكر ابن أبي شيبة و أحمد بن حنبل و ابن حبان عن أبي ذر رضى الله عنه حديثا طويلا فيه ذكر الأنبياء، و فيه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: تدرى ما مثل السماوات و الأرض فى[1] الكرسى؟ قلت: لا، إلا [أن -[2]] تعلمنى مما[3] علمك الله عز و جل، قال: مثل السماوات و الأرض فى الكرسى كحلقة ملقاة فى[4] فلاة، و إن فضل الكرسى على السماوات و الأرض كفضل الفلاة على تلك الحلقة. و أصله عند النسائى و الطيالسى و أبى يعلى، وكذا ما روى[5] صاحب الفردوس عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: ما السماوات السبع[6] فى عظمة الله إلا كجوزة معلقة. و قوله تعالى[7] "وسع كرسيه السمٰوٰت و الارض" يدل على أن الكرسى محيط بالكل من جميع الجوانب [و قوله[8] تعالى "ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السمٰوٰت و الارض فانفذوا" صريح فى ذلك، فان النفوذ يستعمل فى الخرق لاسيما مع التعبير بـ «من» دون «فى»، وكذا قوله[9] فى السماء «و مالها من فروج» -[10]] - و الله الموفق.

و لما تقرر هذا من عالم الأشباح و[11] الخلق، ثم عالم الأرواح و الأمر، فدل ذلك على شمول القدرة، و كان شامل[12] القدرة[12] لابد و أن يكون

(١) زيد فى الأصل: الأرض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ: ما (٤) زيد فى الأصل: أرض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رواه (٦) سقط من ظ (٧) سورة ٢ آية ٢٥٥ (٨) سورة ٥٥ آية ٣٤ (٩) سورة ٥٠ آية ٦ (١٠) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (١١) فى ظ: فى (١٢) فى ظ ومد: الشامل (١٣) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها.

محيط

محيط العلم، كانت نتيجته لا محالة : ﴿ذلك﴾ أى الإله العالى المقدار، الواضح المنار ﴿عالم الغيب﴾ الذى تقدمت[1] مفاتيحه آخر التى قبلها من الأرواح و الأمر و الخلق .

و لما قدم[2] علم الغيب لكونه أعلى، و كان العالم به قد لا يعلم المشهود لكونه لا يبصر قال[3] : ﴿و الشهادة﴾ من ذلك كله التى منها تنزيل القرآن ٥ عليك و وصوله إليك ﴿العزيز﴾ الذى يعجز كل شىء و لا يعجزه شىء .

و لما كان ربما قدح متعنت فى عزته باهمال[4] العصاة قال : ﴿الرحيم﴾ [أى[5]] الذى خص أهل التكليف من عباده بالرحمة فى إنزال الكتب على ألسنة الرسل، و أبان لهم ما ترضاه الإلهية، بعد أن عم جميع الخلائق بصفة الرحمانية بعد الإيجاد من الإعدام بالبر و الإنعام . ١٠

و لما ذكر[6] صفة الرحيمية صريحا لاقتضاء المقام إياها، أشار إلى صفة الرحمانية فقال : ﴿الذى احسن[7] كل شىء[7]﴾ و لما كان هذا الإحسان عاما، خصه بأن[8] وصفه - على قراءة المدنى و الكوفى[9] - بقوله : ﴿خلقه﴾ فبين أن ذلك بالإتقان و الإحكام، كما فسر به ابن عباس[10] رضى الله عنهما من حيث التشكيل و التصوير، و شق المشاعر، و تهيئة المدارك، و إفاضة ١٥

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تقدمت (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م : قدر (٣) العبارة من هنا إلى « العصاة قال » ساقطة من ظ و مد (٤) فى م : بامهال (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) فى ظ : ان .
(٩) راجع نثر المرجان ٥/١٣٥ . (١٠) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١٨٤ .

المعانى . مع المفاوتة فى جميع ذلك ، و إلى هذا أشار الإبدال فى قراءة الباقين ، و عبر بالحسن لأن ما كان على وجه الحكمة كان حسنا و إن رآه [1]الجاهل القاصر[1] قبيحا .

و لما كان الحيوان أشرف الأجناس ، و كان الإنسان أشرفه ، خصه بالذكر ليقوم[2] دليل الوحدانية بالأنفس كما قام قبل بالآفاق[3] ، فقال دالا على البعث : ﴿و بدأ خلق الانسان﴾ أى الذى[4] هو المقصود الأول بالخطاب بهذا القرآن ﴿من طين ج﴾ أى مما ليس له أصل فى الحياة بخلق آدم عليه السلام منه[5] .

/ و لما كان قلب[6] الطين إلى هذا الهيكل على هذه الصورة بهذه المعانى أمرا هائلا ، أشار[7] إليه بأداة البعد فى قوله : ﴿ثم جعل نسله﴾ [8]أى ولده[8] الذى ينسل أى يخرج ﴿من سلالة﴾ أى من شىء مسلول أى منتزع منه ﴿من ماء مهين ج﴾ أى حقير و ضعيف [8]و قليل مراق مبذول[8] ، فعيل بمعنى مفعول ، و أشار إلى عظمة ما بعد ذلك من خلقه و تطويره[9] بقوله : ﴿ثم سوّٰه﴾ أى عدله لما يراد منه بالتخطيط و التصوير و إبداع المعانى ﴿و نفخ فيه من روحه﴾ الروح ما يمتاز به الحى من

/ ١٩٦ /

(١-١) فى م و مد : القاصر الجاهل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ليقوى .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بالاتفاق (٤) زيدت الواو فى ظ .
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المشار (٨-٨) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تصويره .

الميت، و الإضافة للتشريف، فيا له من شرف ما أعلاه[1] إضافته إلى الله .

و لما ألقى السامعون لهذا الحديث أسماعهم، فكانوا جديرين بأن يزيد المحدث لهم إقبالهم و انتفاعهم[2]، لفت إليهم الخطاب قائلا : ﴿و جعل﴾ أى بما ركب فى البدن من الأسباب ﴿لكم السمع﴾ [أى -[3]] تدركون به المعانى المصوتة، [4]و وحده لقلة[5] التفاوت فيه إذا[6] كان سالما ٥ ﴿و الابصار﴾ تدركون بها[7] المعانى و الأعيان القابلة، [و لعله قدمهما لأنه ينتفع بهما حال الولادة، و قدم السمع لأنه يكون إذ ذاك أمتن من البصر. و لذا تربط القوابل العين لئلا يضعفها النور، و أما العقل فانما يحصل بالتدريج فلذا أخر محله فقال -[8]] : ﴿و الافئدة﴾ أى المضغ[9] الحارة المتوقدة المتحرقة، و هى القلوب المودعة غرائز العقول ١٠ المتباينة فيها أىّ تباين؛ قال الرازى فى اللوامع : جعله - أى[9] الإنسان - مركبا من روحانى و جسمانى[10]، و علوى و سفلى، جمع فيه بين العالمين بنفسه[2] و جسده، و استجمع الكونين بعقله و حسه، و ارتفع عن الدرجتين باتصال الأمر الأعلى به [11]وحيا قوليا، و سلم[11] الأمر لمن له الخلق و الأمر

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اهل (٢) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : وحدها لقوة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اذ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : به (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : المتسع - كذا (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و م ومد، و فى الأصل : حيوانى (١١-١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : و خلق السماء يسلم.

تسليما اختياريا طوعيا . و [لما -[1]] لم يتبادروا إلى الإيمان عند التذكير بهذه النعم الجسام قال : ﴿ قليلا ما تشكرون ٥ ﴾ أى وكثيرا ما تكفرون .

و لما كانوا قد قالوا : محمد ليس برسول ، و الإله ليس بواحد ، و البعث ليس بممكن ، [2]فدل على صحة الرسالة بنفى الريب عن الكتاب ، ثم على الوحدانية بشمول القدرة و إحاطة العلم بابداع الخلق على وجه هو نعمة لهم ، و[3] ختم بالتعجيب من كفرهم ، [4]وكان[4] استبعادهم للبعث - الذى هو الأصل الثالث - من أعظم كفرهم ، قال معجبا منهم فى[5] إنكاره بعد التعجيب فى قوله "أم يقولون افتراه" . لافتا عنهم الخطاب إيذانا بالغضب من قولهم : ﴿ و قالوآ ﴾ منكرين لما ركز[6] فى الفطر الأول[7] ، و نبهت[8] عليه الرسل ، فصار[9] بحيث لا ينكره عاقل ألم[10] بشىء من الحكمة : ﴿ ءاذا ﴾ أى أنبعث [إذا -[1]] ﴿ ضللنا ﴾ أى ذهبنا و بطلنا و غبنا ﴿ فى الارض ﴾ بصيرورتنا ترابا مثل ترابها ، لايتميز بعضه من بعض : قال أبو حيان تبعا[10] للبغوى و الزمخشرى و ابن جرير الطبرى و غيرهم : و أصله من ضل الماء فى اللبن - إذا ذهب[11] . ثم كرروا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) العبارة من هنا إلى « من كفرهم » ساقطة من م (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل : فان (٥) فى ظ: من. (٦) من م ومد . و فى الأصل وظ : ذكر (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل: الاولى (٨) من ظ و م ومد، وفى الأصل : الهمت (٩) فى ظ ومد : فصارت. (١٠) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (١١) فى ظ و م و مد : فيه، و ليست الزيادة فى البحر المحيط ٧ / ٢٠٠ .

لاستفهام الإنكارى زيادة فى الاستبعاد فقالوا : ﴿ءانا لفى خلق جديد﴾ هو محيط بنا و نحن مظروفون له .

و لما كان قولهم هذا يتضمن إنكارهم القدرة . و كانوا يقرون بما يلزمهم منه الإقرار بالقدرة على البعث من خلق الخلق / و الإنجاء من كل كرب و نحو ذلك . اشار إليه بقوله : ﴿بل﴾ أى ليسوا[1] بمنكرين لقدرته سبحانه ، بل ﴿هم بلقآئ ربهم﴾ المحسن بالإيجاد و الإبقاء مسخرا لهم كل ما ينفعهم فى الآخرة للحساب أحياء سويين كما كانوا فى الدنيا ، و الإشارة بهذه الصفة إلى أنه لايحسن بالمحسن أن ينغص[2] إحسانه بترك القصاص[3] من الظالم الكائن فى القيامة ﴿كفرون﴾ أى منكرون للبعث عنادا ، سائرون لما فى طباعهم من أدلته ، لما غلب عليهم من الهوى القائد لهم إلى أفعال منعهم من الرجوع عنها الكبرُ عن قبول الحق و الأنفة من الإقرار بما يلزم منه نقص العقل .

/ ١٩٧

و لما ذكر استبعادهم ، و أتبعه عنادهم ، و كان إنكارهم[4] إنما هو بسبب اختلاط الأجزاء بالتراب بعد انقلابها ترابا ، فكان عندهم من المحال تميزها من بقية التراب . دل على أن ذلك عليه[5] هين بأن نبههم[6] على ما هم مقرّون به مما هو مثل ذلك بل أدق ، فقال مستأنفا : ﴿قل﴾ أى

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ليس (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ينغض (٣) زيد فى ظ و مد : الكائن (٤) فى ظ : انكاره (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليهم (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تنبههم .

جوابا لهم عن شبهتهم : ﴿يتوفاكم﴾[1] أى يقبض أرواحكم كاملة من أجسادكم بعد أن كانت مختلطة بجميع [أجزاء-[2]] البدن ، لا تميز لأحدهما عن الآخر بوجه تعرفونه بنوع حيلة ﴿ ملك الموت ﴾ ثم أشار إلى أن فعله بقدرته ، و أن ذلك[3] عليه فى غاية السهولة ، ببناء[4] الفعل لما لم يسم فاعله فقال : ﴿ الذى وكل بكم ﴾ أى وكله الخالق لكم بذلك ، و هو عبد من عبيده ، ففعل ما أمر به ، فاذا البدن ملقى لا روح فى شىء منه و هو على حاله كاملا[5] لا نقص فى شىء منه يدعى الخلل بسببه ، فاذا كان هذا فعل عبد من عبيده صرفه فى ذلك فقام به على ما ترونه مع أن ممازجة الروح للبدن أشد من ممازجة تراب البدن لبقية التراب لأنه ربما يستدل بعض الحذاق على بعض ذلك بنوع دليل من شم و نحوه ، فكيف يستبعد شىء من الأشياء على رب العالمين ، و مدبر الخلائق أجمعين ؟

فلما قام هذا البرهان القطعى الظاهر مع دقته لكل أحد على قدرته التامة على تمييز ترابهم من تراب الأرض ، و تمييز بعض ترابهم من بعض ، و تمييز تراب كل جزء من أجزائهم جل أو دق[6] عن بعض ، علم أن التقدير : ثم يعيدكم خلقا جديدا كما كنتم أول مرة ، فحذفه كما هو

(١) تكرر فى ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بناه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كاول (٦) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها .

عادة القرآن فى حذف كل ما دل عليه السياق و لم يدع داع إلى ذكره[1] فعطف عليه قوله: ﴿ ثم الي ربكم ﴾ أى الذى ابتدأ خلقكم و تربيتكم وأحسن إليكم غاية الإحسان ابتداء، لا إلى غيره، بعد إعادتكم ﴿ ترجعون ﴾ بأن يبعثكم كنفس واحدة فاذا أنتم بين يديه، فيتم إحسانه و ربوبيته بأن يجازى كلا[2] بما فعل، كما هو دأب الملوك مع عبيدهم، لايدع أحد[3] منهم الظالم من عبيده مهملا.

و لما تقرر دليل البعث بما لا خفاء فيه و لا لبس، شرع يقص[4] بعض أحوالهم عند ذلك، فقال عادلا عن خطابهم استهانة [بهم -[5]] و إيذانا بالغضب، و خطابا للنبي صلى الله عليه و سلم تسلية له، أو لكل من يصح خطابه، عاطفا على ما تقديره: فلو رأيتهم و قد بعثرت القبور، و حصل ما فى / الصدور. و هناك[6] أمور أىّ أمور، موقعا[7] المضارع فى حيز[7] ما من شأنه الدخول على الماضى، لأنه لتحقق[8] وقوعه كأنه قد كان، و اختير التعبير به لترويح النفس بترقب رؤيته حال[9] سماعه، تعجيلا للسرور بترقب المحذور لأهل الشرور: ﴿ و لو ترى ﴾ أى تكون أيها الرائى من أهل الرؤية لترى حال المجرمين ﴿ اذ المجرمون ﴾ أى القاطعون لما أمر الله

/ ١٩٨

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ذكر (٢) فى ظ: كل - كذا (٣) من م و مد، و فى الأصل وظ: أحدا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى. (٥) زيد من ظ وم و مد (٦) من ظ وم و مد، و فى الأصل: هال (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للضارع مع خبر (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تحقق (٩) من م و مد، و فى الأصل: بحال من، و فى ظ: حال من.

به أن يوصل بعد[1] أن وقفوا بين يدى ربهم ﴿ ناكسوا رءوسهم ﴾ أى مطاطؤها[2] خجلا و حوفا و خزيا[3] و ذلا [4]فى محل المناقشة[4] ﴿عند ربهم[5]﴾ المحسن إليهم المتوحد بتدبيرهم، قائلين بغاية الذل و الرقة: ﴿ربنآ﴾ أى أيها المحسن إلينا ﴿ ابصرنا ﴾ ما كنا نكذب به ﴿ و سمعنا ﴾ أى[5] منك و من ملائكتك و من أصوات النيران و غير ذلك ما كنا نستبعده، فصرنا على غايـــة العلم[6] بتمام قدرتك و صدق وعودك[7] ﴿ فارجعنا ﴾ بما لك من هذه الصفة المقتضية للاحسان، إلى دار الأعمال ﴿نعمل صالحا﴾ ثم حققوا هذا الوعد بقولهم على سبيل التعليل مؤكدين لأن حالهم كان حال الشاك الذى يتوقف المخاطب فى إيقانه: ﴿ انا موقنون ﴾ أى ثابت [الآن -[8]] لنا الإيقان[9] بجميع ما أخبرنا به عنك مما كشف عنه العيان، أى لو رأيت[10] ذلك لرأيت أمرا لا يحتمله من هوله و [11]عظمه عقل[11]، و لا يحيط به وصف.

و لما لم يذكر لهم جوابا[12]، علم أنه لهوانهم، لأنه ما جرأهم على[13]

(١) فى ظ: بل (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مطاطيون (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: حزنا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (٥) سقط من ظ (٦) زيد فى الأصل: بها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٧) فى ظ: وعدك (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الايمان (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رأيته. (١١-١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عقله (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حواب (١٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: إلى.

العصيان إلا صفة الإحسان . فلا يصلح لهم إلا الخزى و الهوان ، و لأن[1] الإيمان لايصح إلا بالغيب[2] قبل العيان .

و لما كان ربما وقع فى وهم أن ضلالهم مع الإمعان فى البيان ، لعجز عن هدايتهم أو توان ، قال[3] عاطفا [على [4]] ما تقديره : إنى[5] لا أردكم لأنى لم أضلكم فى الدنيا للعجز عن هدايتكم فيها ، بل لأنى لم أرد ٥ إسعادكم ، و لو شئت لهديتكم ، [صارفا القول إلى مظهر العظمة لا قتضاء المقام لها -[4]] : ﴿و لو شئنا﴾ أى بما لنا من العظمة التى تأبى[6] أن يكون لغيرنا شىء يستقل به [7]أو يكون[7] فى ملكنا ما لا نريد ﴿لآتينا كل نفس﴾ أى مكلفة لأن الكلام فيها ﴿ هدٰها ﴾ أى جعلنا هدايتها و رشدها و توفيقها للايمان و جميع ما يتبعه من صالح الأعمال فى يدها ١٠ متمكنة منها .

و لما استوفى الأمر حده من العظمة ، لفت الكلام إلى الإفراد ، دفعا للتعنت و تحقيقا لأن المراد بالأول العظمة فقال : ﴿ و لٰكن ﴾ أى لم أشأ ذلك لأنه ﴿حق القول منى ﴾ و أنا من[8] لا يخلف الميعاد ، لأن الإخلاف إما لعجز أو نسيان أو حاجة و لا شىء من ذلك يليق بجنابى ، ١٥ أو يحل بساحتى ، و أكد لأجل إنكارهم فقال مقسما : ﴿ لاملئنّ جهنم ﴾

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا (٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : بالمغيب (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : فقال (٤) زيد من ظ و م و مد. (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لانى (٦) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ممن .

التى هى محل إهانتى و تجهم أعدائى بما تجهموا أوليائى ﴿من الجنة﴾ أى الجن طائفة إبليس ، وكأنه أنثهم [1] تحقيرا لهم عند من يستعظم أمرهم لما دعا [2] إلى تحقيرهم من مقام الغضب [3] و بدأ بهم لاستعظامهم لهم [4] و لأنهم الذين أضلوهم ﴿و الناس اجمعين ۝﴾ حيث قلت لإبليس : " لاملئن جهنم منك و ممن تبعك منهم اجمعين " فلذلك شئت كفر الكافر و عصيان العاصى / بعد أن جعلت لهم اختيارا ، و غيبت العاقبة عنهم ، فصار الكسب ينسب إليهم [5] ظاهرا ، و الخلق فى الحقيقة و المشيئة لى [6] . ١٩٩ /

و لما تسبب عن هذا القول الصادق أنه لا محيص عن عذابهم ، قال مجيبا [6] لترققهم إذ ذاك نافيا لما [7] قد يفهمه كلامهم من أنه [8] محتاج إلى العبادة : ﴿فذوقوا﴾ أى [3] ما كنتم تكذبون به منه بسبب ما حق منى من القول ﴿بما﴾ أى بسبب ما ﴿نسيتم لقآء يومكم﴾ [و أكده - [9]] و بين لهم [10] بقوله : ﴿هذا ج﴾ أى عملتم - فى الإعراض عن الاستعداد لهذا الموقف الذى تحاسبون فيه و يظهر فيه العدل - عمل الناسى له مع أنه مركوز فى طباعكم [11] أنه لايسوغ لذى علم و حكمة أن يدع عبيده

(١) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دعاهم (٣) سقط من ظ و مد (٤) فى م : إياهم (٥) سقط من ظ . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : معجبا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما (٨) زيد فى الأصل : غير ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ذلهم . (١١) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : طباعهم .

يمرحون فى أرضه و يتقلبون فى رزقه، ثم لا يحاسبهم[1] على ذلك و ينصف مظلومهم، فكان الإعراض عنه مستحقا لأن يسمى نسيانا من هذا الوجه أيضا، و من جهة أنه لما ظهر له من البراهين ما ملأ الأكوان صار كأنه ظهر، و روى ثم نسى . ثم علل ذوقهم لذلك أو[2] استأنف لبيان المجازاة به مؤكدا فى مظهر العظمة قطعا لأطماعهم فى الخلاص، و لذا ٥ عاد[3] إلى مظهر العظمة فقال: ﴿ انا نسينكم ﴾ أى عاملناكم بما لنا من العظمة و لكم من الحقارة معاملة[4] الناسى لكم، فأوردناكم النار كما أقسمنا أنه ليس أحد إلا يردها، ثم أخرجنا أهل ودنا و تركناكم[5] فيها [ترك -[6]] المنسى .

و لما كان ما تقدم من أمرهم بالذوق مجملا، بينه بقوله مؤكدا له[7]: ١٠ ﴿ و ذوقوا عذاب الخلد ﴾ أى المختص بأنه لا آخر له . و لما كان قد خص [السبب -[6]] فيما مضى، عم هنا فقال: ﴿ بما كنتم ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ تعملون ﴾ من أعمال من لم يخف أمر البعث ناوين أنكم لا تنفكون عن ذلك .

و لما كان قوله تعالى " بل هم بلقاء ربهم كفرون " قد أشار إلى ١٥ أن الحامل لهم على الكفر الكبر، و ذكر سبحانه أنه قسم الناس قسمين

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يحاسبون - كذا (٢) فى ظ و مد «و».
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: اعاد (٤) تقدم فى الأصل على «بما لنا»، و الترتيب من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تركنا.
(٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لهم.

لأجل الدارين، تشوفت النفس إلى ذكر علامة أهل الإيمان كما ذكرت علامة أهل الكفران، فقال معرفا أن المجرمين لا سبيل إلى إيمانهم "ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه": ﴿ انما يؤمن بآياتنا ﴾ الدالة على عظمتنا ﴿ الذين اذا ذكروا بها ﴾ من أيّ مذكر كان، في أيّ وقت كان، قبل
٥ كشف الغطاء وبعده ﴿ خروا سجدا ﴾ أي بادروا إلى السجود مبادرة من كأنه سقط من غير قصد، خضعا لله من شدة تواضعهم وخشيتهم وإخباتهم له خضوعا ثابتا دائما ﴿ وسبحوا ﴾ أي أوقعوا التنزيه عن كل شائبة نقص من ترك البعث المؤدي إلى تضييع الحكمة ومن غيره متلبسين[1] ﴿ بحمد ﴾[2] ولفت الكلام إلى الصفة المقتضية لتنزيههم وحمدهم تنبيها لهم فقال[2]:
١٠ ﴿ ربهم ﴾ أي بإثباتهم له الإحاطة بصفات الكمال. ولما تضمن هذا تواضعهم، صرح به في قوله: ﴿ وهم لا يستكبرون السجدة ﴾ أي لا يجددون طلب الكبر عن شيء مما دعاهم إليه[3] الهادي ولا يوجدونه[3] خلقا لهم راسخا في ضمائرهم.

/٢٠٠ ولما كان المتواضع ربما نسب إلى الكسل، نفى ذلك/ عنهم بقوله
١٥ مبينا[4] بما تضمنته[4] الآية السالفة من خوفهم: ﴿ تتجافى ﴾ أي ترتفع ارتفاع مبالغ في الجفاء - بما أشار إليه[5] الإظهار، وبشر بكثرتهم بالتعبير[6]

(١) في م ومد: ملتبسين (٢-٢) تأخر ما بين الرقمين في الأصل عن «في قوله»، والترتيب من ظ وم ومد (٣-٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: ادعا ولا يجددونه - كذا (٤-٤) من ظ وم ومد. وفي الأصل: تضمنت (٥) زيد في ظ ومد: من (٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: بالتبصير.

بجمع

بجمع الكثرة فقال : ﴿ جنوبهم ﴾ بعد النوم ﴿ عن المضاجع ﴾ أى الفرش الموطأة الممهدة التى هى [محل -[1]] الراحه و السكون و النوم[2] ، فيكونون عليها كالملسوعين ، لا يقدرون على الاستقرار عليها ، فى الليل الذى هو موضع [3]الخلوة و محط اللذة[3] و السرور بما تهواه النفوس ، [قال الإمام السهروردى فى الباب السادس و الأربعين من عوارفه عن المحبين : قيل : نومهم نوم الفرق ، و أكلهم أكل المرضى ، و كلامهم ضرورة ، فمن نام عن غلبة بهمّ مجتمع متعلق بقيام الليل وفق لقيام الليل ، و إنما النفس إذا طمعت و وطنت على النوم استرسلت فيــه ، و إذا أزعجت بصدق العزيمة لا تسترسل فى الاستقرار ، و هذا الانزعاج فى النفس بصدق العزيمة هو التجافى الذى قال الله ، لأن الهم بقيام الليل و صدق العزيمة يجعل بين الجنب و المضجع سواء و تجافيا -[4]] .

و لما كان هجران[5] المضجع قد يكون لغير العبادة ، بين أنه لها ، فقال مبينا لحالهم : ﴿ يدعون ﴾ أى على سبيل الاستمرار ، [6]و أظهر الوصف الذى جراهم على السؤال فقال[6] : ﴿ ربهم ﴾ أى الذى عودهم باحسانه ؛ ثم علل دعاءهم بقوله : ﴿ خوفا ﴾ أى من سخطه و عقابه ، [فان أسباب الخوف من نقائصهم كثيرة سواء عرفوا سببا يوجب خوفا أو لا ، فهم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اللذة و محط الخلوة (٤) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يجزان (٦-٦) تأخر ما بين الرقمين فى الأصل عن «دعاءهم بقوله» ، و الترتيب من ظ و م و مد .

لا يأمنون مكره لأن له أن يفعل ما يشاء -[1] ﴿وطمعا﴾ أى فى رضاه الموجب لثوابه، و عبر بـه دون الرجاء إشارة إلى أنهم لشدة معرفتهم بنقائصهم لا يعدون أعمالهم شيئا بل يطلبون فضله بغير سبب. [و إذا كانوا يرجون رحمته بغير سبب فهم مع السبب أرجى، فهم لا ييأسون من روحه -[1]].

و لما كانت العبادة تقطع عن التوسع فى الدنيا، فربما دعت نفس[2] العابد إلى التمسك بما فى يده خوفا من نقص العبادة عند الحاجة لتشوش الفكر و الحركة لطلب الرزق[3]، حث على الإنفاق منه اعتمادا على الخلاق الرزاق الذى ضمن الخلف[4] ليكونوا بما ضمن لهم أوثق منهم بما عندهم، و إيذانا بأن الصلاة سبب للبركة فى الرزق "و امر اهلك بالصلوٰة و اصطبر عليها لا نسئلك رزقا نحن نرزقك"، فقال لفتا إلى مظهر العظمة تنبيها على أن الرزق منه وحده: ﴿و مما رزقنهم﴾ أى بعظمتنا، لا بحول منهم و لا قوة ﴿ينفقون ۝﴾ من غير إسراف و لا تقتير فى جميع وجوه[5] القرب التى شرعناها لهم.

و لما ذكر جزاء المستكبرين، فتشوفت النفس إلى جزاء المتواضعين، أشار إلى جزائهم بفاء السبب، إشارة إلى أنه هو الذى وفقهم لهذه الأعمال برحمته، و جعلها سببا إلى دخول جنتـه، و لو شاء لكان

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٢) فى ظ و م و مد: النفس.
(٣) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الخلق (٥) فى ظ: الوجوه.

غير ذلك [فقال -[1]] : ﴿فلا تعلم نفس﴾ أى من جميع النفوس مقربة و لا غيرها ﴿ما أخفى لهم﴾ أى لهؤلاء المتذكرين[2] من العالم بمفاتيح الغيوب و خزائنها كما كانوا يخفون أعمالهم بالصلاة فى جوف الليل و غير ذلك و لا يراؤن بها ، و لعله بنى للمفعول فى قراءة الجماعة[3] تعظيما له بذهاب الفكر فى المخفى كل مذهب ، أو[4] للعلم بأنه[5] الله تعالى الذى أخفوا نوافل أعمالهم لأجله ، و سكن حمزة الياء على [6]أنه للمتكلم[6] سبحانه لفتا لأسلوب العظمة إلى أسلوب الملاطفة ، و السر مناسبته لحال الأعمال .

و لما كانت العين لا تقر فتهجع إلا عند الأمن و السرور قال : ﴿من قرة اعين ج﴾ أى من شىء نفيس سارّ تقر به أعينهم لأجل ما أقلعوها[7] عن قرارها بالنوم ؛ ثم صرح بما أفهمته فاء السبب فقال : ﴿جزآء﴾ أى أخفاها لهم لجزائهم ﴿بما كانوا﴾ [أى -[8]] بما هو لهم كالجبلة ﴿يعملون ه﴾ روى البخارى فى التفسير[9] عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : قال الله عز و جل : أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر ، قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم "فلا تعلم نفس[10]" - الآية .

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المتذكرون .
(٣) راجع نثر المرجان ٥/٣٥٨ (٤) فى ظ : أى (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : بان (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انها المتكلم (٧) فى م : اقلقوها .
(٨) زيد من ظ (٩) راجع صحيحه ٢ / ٧٠٤ (١٠) زيد فى ظ : ما اخفى لهم ، و زيد فى الصحيح : ما اخفى لهم من قرة اعين .

/٢٠١ ولما كانوا أهل / بلاغة و لسن، و براعة و جدل، فكان ربما قال متعنتهم: ما له إذا كان ما تزعمون من أنه لايبالى بشيء و لا ينقص من خزائنه شيء وهو العزيز الرحيم، لايسوى بين الكل فى إدخال الجنة، و المن بالنعيم فيعمهم بالرحمة الظاهرة كما عمهم بها فى الدنيا كما هو دأب المحسنين؟ تسبب عن ذلك أن قال منكرا لذلك مشيرا إلى أن المانع منه خروجه عن الحكمة، فان تلك دار الجزاء، و هذه دار العمل، فبينهما[1] بون: ﴿أفمن كان﴾ أى كونا كأنه من رسوخه جبلى ﴿مؤمنا﴾ أى راسخا فى التصديق العظيم بجميع ما أخبرت به الرسل ﴿كمن كان﴾ [و لما كان السياق منسوقا على دليل "ما لكم من دونه من ولى و لاشفيع" الآية، فكان الكافر خارجا عن محيط ذلك الدليل الذى لا يخفى بوجه على أحد له سمع و بصر و فؤاد، اقتضى الحال التعبير بالفسق الذى هو الخروج عن محيط فقال -[2]]: ﴿فاسقا[3]﴾ أى راسخا فى الفسق خارجا عن دائرة الإذعان.

و لما توجه الاستفهام[4] إلى كل من اتصف بهذا الوصف، و كان الاستفهام إنكاريا، عبر عن معناه مصرحا بقوله: ﴿لايستوون﴾ إشارة - بالحمل على لفظ «من» مرة و معناها أخرى - إلى أنه لايستوى جمع من هؤلاء يجمع من أولئك و لا فرد بفرد.

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فبينها (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاذعان (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مر.

و لما نفى استواءهم، أتبعه حال كل على سبيل التفصيل معبرا بالجمع لأن الحكم بارضائه و إسخاطه يفهم الحكم على الواحد منه[1] من باب الأولى فقال: ﴿ اما الذين امنوا و عملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿ الصلحت فلهم جنت الماوى ﴾ أى الجنات المختصة دون الدنيا التى هى دار ممر، دون النار التى هى دار مقر لا مقر، بتأهلها للمأوى الكامل ٥ فى هذا الوصف بما أشار[2] إليه «ال» ثابتون فيها لا يبغون عنها حولا، كما تبوؤا الإيمان الذى هو أهل للاقامه فيه فلم يبغوا[3] به بدلا ﴿ نزلا ﴾ أى عدادا لهم أول قدومهم فى قول الحسن و عطاء، و هو أوفق للمقام كما يعد للضيف على ما لاح ﴿ بما كانوا ﴾ جبلة و طبعا ﴿ يعملون ﴾ دائما على وجه التجديد، فان أعمالهم [4]من رحمة[4] ربهم، فاذا كانت هذه ١٠ الجنات نزلا فما ظنك بما بعد ذلك! و[5] هو لعمرى ما أشار إليه [قوله -[6]] صلى الله عليه و سلم «ما لا عين رأت و لا أذن سمعت و لا خطر على قلب بشر» و هم كل لحظة فى زيادة لأن[7] قدرة الله لا نهاية لها، فاياك أن يخدعك خادع أو يغرك ملحد ﴿ و اما الذين فسقوا ﴾ أى خرجوا عن دائرة الإيمان الذى هو معدن التواضع و أهل للصاحبة ١٥ و الملازمة ﴿ فماوىهم النار ﴾ أى التى[8] لا صلاحية فيها للاواء[9] بوجه

(١) فى ظ «و»، و الكلمة ساقطة من مد (٢) فى ظ و م و مد: أشارت (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلم يبانوا (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رحمة من (٥) سقطت الواو من ظ و م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بأن (٨) فى ظ: الذى (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للادواء.

من الوجوه أصلا .

و لما كان السامع جديرا بالعلم بأنهم مجتهدون فى الخلاص منها، قال مستأنفا لشرح[1] حالهم : ﴿ كلما ارادوا ﴾ [أى -[2]] و هم مجتمعون فكيف إذا أراد بعضهم ﴿ان يخرجوا منها ﴾ و هذا يدل على أنه يزاد ٥ فى عذابهم بأن يخيل إليهم ما يظنون به القدرة على الخروج منها كما كانوا يخرجون [بفسوقهم من محيط الأدلة و -[3]] من دائرة الطاعات إلى[4] بيداء المعاصى و الزلات، فيعالجون الخروج فاذا ظنوا أنه تيسر لهم و هم بعد فى غمراتها ﴿ اعيدوا ﴾ بأيسر أمر و أسهله من أىّ من أمر بذلك ﴿ فيها[5] ﴾ إلى المكان الذى كانوا فيه أولا ، و لايزال هذا ١٠ دابهم أبدا ﴿ و قيل ﴾ أى من أىّ قائل وكل بهم ﴿ لهم ﴾ أى عند الإعادة إهانة لهم : ﴿ ذوقوا عذاب النار ﴾ .

و لما وصف عذابهم فى النار كان أحق بالوصف عند بيان سبب الإهانة بالأمر بالذوق مع أنه أحق من حيث كونه مضافا محدثا عنه فقال : ﴿ الذى كنتم ﴾ أى كونا هو لكم كالجبلات، و أشار إلى أن ١٥ تكذيبهم به يتلاشى عنده كل / تكذيب، فكأنه مختص فقال : ٢٠٢/ ﴿ به تكذبون ﴾ فان الإعادة بعد معالجة الخروج أمكن فى التصديق باعتبار التجدد فى كل آن .

(١) فى ظ و م و مد : شرح (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٥) وقع فى الأصل بعد « اعيدوا »، و الترتيب من ظ و م و مد .

و لما كان المؤمنون الآن يتمنون إصابتهم بشىء[1] من الهوان فى هذه الدار، لأن نفوس البشر مطبوعة على العجلة، بشرهم بذلك على وجه يشمل[2] عذاب القبر، فقال مؤكدا [له -[3]] لما عندهم من الإنكار لعذاب ما بعد الموت و للإصابة[5] فى الدنيا بما لهم من الكثرة و القوة: ﴿ و لنذيقنهم ﴾ أى أجمعين بالمباشرة و التسبيب[6]، بما لنا من العظمة التى تتلاشى عندها[7] كثرتهم و قوتهم ﴿ من العذاب الادنى ﴾ أى قبل يوم القيامة، بأيديكم و غيرها، و قد صدق الله قوله، و قد كانوا عند نزول هذه السورة بمكة المشرفة فى غاية الكثرة و النعمة، فأذاقهم الجدب سنين متوالية، و فرق شملهم و قتلهم و أسرهم بأيدى المؤمنين إلى غير ذلك مما أراد سبحانه؛ ثم أكد الإرادة لما قبل الآخرة و حققها بقوله، معبرا بما يصلح للغيرة[8] و السقول: ﴿ دون العذاب الاكبر ﴾ أى الذى مر ذكره فى الآخرة ﴿ لعلهم يرجعون ﴾ أى ليكون حالهم حال من يرجى رجوعه عن فسقه عند من ينظره، و قد كان ذلك، رجع كثير[9] منهم خوفا من السيف، فلما رأوا محاسن الإسلام كانوا من أشد الناس [9]فيه رغبة[9] و له حبا.

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لشىء (٢) فى ظ: شمل (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاصابة (٥) من ظ ومد، و فى الأصل وم: التسبب (٦) من ظ و م ومد، وفى الأصل: عندهما. (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الغيرة (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كثيرا (٩-٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رغبة فيه.

و لما كان التقدير : يرجعون [عن -[1]] ظلمهم فانهم ظالمون ، عطف عليه [قوله -[1]] : ﴿ و من اظلم ﴾ منهم ، هكذا [كان -[1]] الأصل ، و لكنه أظهر الوصف الذى صاروا به أظلم فقال : ﴿ ممن ذكر ﴾ أى من أىّ مذكر كان ؛ و صرف القول إلى صفة الإحسان استعطافا و تنبيها على وجوب الشكر فقال : ﴿ بايت ربه ﴾ أى الذى لا نعمة عنده إلا منه .

و لما بلغت هذه الآيات من الوضوح أقصى الغايات ، فكان الإعراض عنها مستبعدا بعده[2] ، عبر عنه بأداة البعد لذلك فقال : ﴿ ثم اعرض عنها[1] ﴾ ضد ما عمله الذين[3] لم يتمالكوا أنه خروا سجدا ، و يجوز - و هو أحسن - أن يكون " ثم " على بابها التراخى ، ليكون المعنى أنه من وقع له التذكير بها فى وقت ما ، فأخذ يتأمل فيها ، ثم أعرض عنها بعد ذلك و لو بألف عام فهو أظلم الظالمين ، و يدخل فيه ما دون ذلك من باب الأولى لأنه أجدر بعدم[2] النسيان ، فهى أبلغ من التعبير بالفاء كما فى سورة الكهف ، و يكون عدل إلى الفاء هناك شرحا لما يكون من حالهم ، عند بيان سؤالهم ، الذى جعلوا بيانه آية الصدق ، و العجز عنه آية الكذب .

و لما كان الحال مقتضيا للسؤال عن جزائهم ، و [كان -[1]] قد أفرد الضمير باعتبار لفظ " من " تنبيها على إباحة الظلم من كل فرد ،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعده (٣) فى ظ : الذى .

قال

قال جامعا لأن إهانة الجمع دالة على إهانة الواحد من باب الأولى ، مؤكدا لأن إقدامهم على التكذيب كالإنكار لأن تجاوزوا عليه ، صارفا[1] وجه الكلام عن صفة الإحسان إيذانا بالغضب : / ﴿انا﴾ منهم ، هكذا كان الأصل ، ولكنه أظهر الوصف نصا فى التعميم و تعليقا للحكم به معينا لنوع ظلمهم تبشيعا له فقال : ﴿ من المجرمين ﴾ [أى -[2]] القاطعين[3] لما يستحق[4] الوصل خاصة ﴿منتقمون ع﴾ و عبر بصيغة العظمة تنبيها على أن الذى يحصل لهم من العذاب لا يدخل تحت الوصف على مجرد العداد فى الظالمين ، [5]فكيف و قد كانوا[5] أظلم الظالمين ؟ و الجملة الاسمية تدل على دوام ذلك عليهم فى الدنيا إما باطنا بالاستدراج بالنعم ، و إما ظاهرا باحلال النقم ، و فى الآخرة بدوام العذاب على مر[6] الآباد .

و لما كان مقصود السورة نفى الريب عن تنزيل هذا الكتاب المبين فى أنه من عند رب العالمين ، و دل على أن الإعراض عنه إنما هو ظلم وعناد بما ختمه بالتهديد على الإعراض عن[7] الآيات بالانتقام ، و [كان -[2]] قد انتقم سبحانه ممن استخف[8] بموسى عليه السلام قبل إنزال الكتاب عليه و بعد إنزاله ، و كان اول من أنزل عليه كتاب[9]

(١) فى م : لافتا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل : الظالمين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥-٥) فى ظ : فكانوا ، و فى مد : فكيف اذا كانوا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منى (٧) فى ظ : من (٨) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : استخف (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكتاب .

من بنى إسرائيل بعد فترة كبيرة[1] من الأنبياء بينه و بين يوسف عليهما السلام و آمن به جميعهم و ألفهم[2] الله به و أنقذهم من أسر القبط على يده، ذكر بحاله[3] تسلية و تأسية لمن أقبل و تهديدا لمن أعرض، و بشارة بإيمان العرب كلهم و تأليفهم[4] به و خلاص أهل الجن منهم من أسر الفرس بسببه، فقال مؤكدا تنبيها لمن يظن أن العظيم لا يرد شيء من أمره: ﴿ و لقد آتينا ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ موسى الكتب ﴾ [أى الجامع للأحكام - [5]] و هو التوراة.

و لما كان ذلك مما لاريب فيه أيضا، و كان قومه قد تركوا اتباع كثير منه لا سيما فيما قص من صفات نبينا صلى الله عليه و سلم و فيما أمر فيه باتباعه[6]، و كان هذا إعراضا منهم مثل إعراض الشاك[7] فى الشيء، و كانوا فى زمن موسى عليه السلام أيضا يخالفون أوامره وقتا بعد وقت و حينا إثر[8] حين[9]، تسبب عن الإيتاء المذكور قوله [10]تعريضا بهم[10] و إعلاما بأن العظيم قد يريد [رد - [5]] بعض أوامره لحكمة دبرها: ﴿فلا تكن﴾ أى كونا راسخا - بما أشار إليه فعل الكون و إثبات نونه،

(١) فى مد: كثيرة (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انعم (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بحا - كذا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تالفهم. (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باتباع. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الشان (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعد (٩) زيد بعده فى الأصل: واثرا بعد اثر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠ - ١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تعرض به.

فيفهم العفو عن حديث النفس الواقع من الأمة على ما بينه صلى الله عليه و سلم ﴿فى مرية﴾ أى شك ﴿من لقآئه﴾ أى لا تفعل فى ذلك فعل الشاكّ فى لقاء موسى عليه السلام [للكتاب -[1]] منا و تلقيه له بالرضا و القبول و التسليم، كما فعل المدعون لاتباعه و العمل بكتابه فى الإعراض عما دعاهم إليه من دين الإسلام. أو لا تفعل فعل الشاك فى ٥ لقائك الكتاب منا و إن نسبوك إلى الافتراء و إن[2] تأخر بعض ما يخبر به فسيكون هدى لمن بقى منهم، و عذابا للماضين[3]، و لا يبقى خبر ما أخبر به أنه كائن إلا كان طبق ما أخبر به. فانك لتلقاه[4] من لدن[5] حكيم عليم. و قد صبر موسى عليه السلام فى تلقى كتابه و دعائه حتى مات على أحسن الأحوال، أو يكون المعنى: و لقد آتينا موسى الكتاب فاختلف [عليه -[6]] ١٠ فيه فما شك[7] أحد من الثابتين فى إيتائنا إياه الكتاب لأجل إعراض من أعرض، و لا زلزلة أدبار من أدبر، و انتقمنا ممن أعرض عنه فلا يكن أحد ممن آمن بك فى شك من إيتائنا الكتاب لك / لإعراض من أعرض، فسنهلك[8] من حكمنا بشقائه[9] انتقاما منه، و نسعد الباقين به.

و لما أشار إلى إعراضهم عنه و إعراض العرب عن كتابهم، ذكر ١٥ أن الكل فعلوا بذلك الضلال ضد[10] ما أنزل له الكتاب، فقال ممتنا على

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: انا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للفا - كذا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لبعاه (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و ان (٦) زيد من م و مد (٧) فى ظ و مد: ظنك (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فسنعجلك (٩) فى ظ و مد: بشقاوته (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عند.

بنى إسرائيل و مبشرا للعرب : ﴿وجعلنه﴾ اى كتاب موسى عليه السلام جعلا يليق بعظمتنا ﴿هدى﴾ أى بيانا عظيما ﴿لبنى اسرآءيل ۝﴾ و أشار إلى اختلافهم فيه بقوله : ﴿و جعلنا منهم﴾ اى من أنبيائهم و أحبارهم بعظمتنا ، مع ما فى طبع الإنسان من اتباع الهوى ﴿ائمة يهدون﴾ أى يوقعون البيان و يعملون على حسبه ﴿بامرنا﴾ أى بما أنزلنا فيه من الأوامر ؛ ثم ذكر علة جعله ذلك لهم بقوله : ﴿لما صبروا ۝﴾ أى بسبب صبرهم و لأجله ـ على قراءة حمزة و الكسائى[1] بالكسر و التخفيف ، او حين صبرهم على قبول أوامرنا[2] على قراءة الباقين بالفتح و التشديد ، و إن كان الصبر أيضا إنما هو بتوفيق الله لهم ﴿وكانوا بايتنا﴾ [3]لما لها[3] من العظمة ﴿يوقنون ۝﴾ لا يرتابون فى شىء منها و لا يفعلون فعل الشاك فيه بالإعراض ، و كان ذلك [لهم ـ[4]] جبلة جبلناهم عليها .

و لما أفهم قوله "منهم" أنه كان[5] منهم من يضل عن أمر الله و يصد عنه ، جاء قوله تسلية للمؤمنين و توعدا للكافرين ، استئنافا مؤكدا تنبيها لمن يظن أنه لا بعث ، و لفت القول إلى صفة الإحسان إشارة[6] إلى ما يظهر من شرفه صلى الله عليه و سلم [فى ذلك اليوم ـ[4]] من المقام المحمود و غيره : ﴿ان ربك﴾ أى المحسن إليك بارسالك ليعظم[7]

(١) راجع نثر المرجان ٥/٣٦٥ (٢) من ظ و م و مد : و فى الأصل : اوامرها . (٣-٣) من م و مد ، وفى الأصل وظ : بما لنا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى ظ : فريق (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مبشرا بشارة (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لتعظيم .

ثوابك و يعلى[1] ما بك ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ يفصل بينهم ﴾ أى من الهادين و المضلين و الضالين ﴿ يوم القيمة ﴾ بالقضاء الحق، فيعلى أمر المظلوم و يردى كيد الظالم ﴿فيما كانوا﴾ جبلة و طبعا ﴿فيه﴾ [2]أى خاصة[2] ﴿ يختلفون ﴾ أى يجددون الاختلاف[3] فيه على سبيل الاستمرار حسب ما طبعوا[4] عليه، لايخفى عليه شيء منه، [5]و أما غير ما اختلفوا فيه فالحكم فيه لهم أو[6] عليهم لا بينهم. و ما اختلفوا فيه لا على وجه القصد فيقع فى محل العفو. ٥

و لما كان قد تقدم عن الكفار فى هذه السورة قولان: أحدهما فى التكذيب بالقرآن، و الثانى فى إنكار البعث، و دل سبحانه على[7] فسادهما إلى أن ختم بذكر الآيات و البعث و الفصل بين المحق و المبطل، أتبعه استفهامين إنكاريين منشورين على القولين، [و ختمت آية كل منهما بآخر، فتصير الاستفهامات أربعة -[8]]، و فى مدخول الأول الفصل بين الفريقين فى الدنيا. فقال مهددا: ﴿ او لم ﴾ أى ايقولون[9] عنادا لرسولنا[10]: افتراه و لم ﴿ يهد ﴾ أى يبين - كما رواه البخارى[11] عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿لهم كم اهلكنا﴾ أى كثرة من أهلكناه[12]. ١٠ ١٥

(١) من ظ و م و مد. و فى الأصل: تعلى (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاخلاف (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: طبقوا (٥) العبارة من هنا إلى «محل العفو» ساقطة من م (٦) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الى (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من م و مد. و فى الأصل و ظ: يقولون - بدون همزة الاستفهام (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لرسلناه (١١) راجع من صحيحه ٢/٤ ٧ (١٢) فى ظ و مد: اهلكنا.

و لما كان قرب الشيء في الزمان أو المكان أدل، بين قربهم بادخال الجار فقال: ﴿من قبلهم﴾ أي لأجل معاندة الرسل ﴿من القرون﴾ الماضين من المعرضين عن الآيات، و نجينا من آمن بها، و [ربما -[1]] كان قرب المكان منزلا[2] منزلة قرب الزمان لكثرة التذكير بالآثار و التردد خلال الديار.

و لما كان انهماكهم في الدنيا الزائلة قد شغلهم عن التفكر فيما ينفعهم / عن المواعظ بالأفعال و الأقوال، أشار إلى ذلك بتصوير اطلاعهم على ما لهم من الأحوال، بقوله: ﴿يمشون﴾ أي أنهم ليسوا بأهل للتفكر إلا حال المشي ﴿في مساكنهم[1]﴾ لشدة ارتباطهم مع المحسوسات، و ذلك كمساكن عاد و ثمود و قوم لوط و نحوهم. و لما كان في هذا أتم عبرة و أعظم عظة، قال منبها عليه مؤكدا تنبيها على أن من لم يعتبر منكر[3] لما فيه من العبر: ﴿ان في ذلك﴾ أي الأمر العظيم ﴿لآيات[1]﴾ أي دلالات ظاهرات جدا، مرئيات في الديار و غيرها من الآثار، و مسموعات في الأخبار.

و لما كان السماع هو الركن الأعظم، [و كان إهلاك القرون إنما وصل إليهم بالسماع -[4]]، قال منكرا: ﴿افلا يسمعون﴾ أي أن أحوالهم لا يحتاج من ذكرت له في الرجوع عن الغيّ إلى غير سماعها.

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و مد، و في الأصل و م: نازلا (٣) في ظ: منكرا (٤) زيد من ظ و م و مد.

فان لم يرجع فهو من لا سمع له ﴿ا و لم﴾ أى أيقولون[1] فى إنكار البعث : إذا ضللنا فى الأرض ، و لم ﴿ يرو انا﴾ [2]بما لنا من العظمة ﴿نسوق الماء﴾ [3]من السماء أو[4] الأرض ﴿الى الارض الجرز﴾ أى التى جرز نباتها أى قطع باليبس و التهشم ، أى[5] بأيدى الناس [6]فصارت ملساء لا نبت[6] فيها ، و فى البخارى[7] عن ابن عباس رضى الله عنهما : إنها التى لاتمطر إلا مطرا لايغنى عنها شيئا ، قالوا : و [لا -[8]] يقال للتى لا تنبت كالسباخ : جرز ، و يدل عليه قوله : ﴿ فنخرج به ﴾ من أعماق الأرض ﴿ زرعا ﴾ أى نبتا لاساق له باختلاط الماء بالتراب الذى كان زرعا قبل هذا ، و أشار إلى أنه حقيقة ، لا مرية فيه ، و ليس هو بتخييل كما تفعل السحرة ، بقوله مذكرا بنعمة الإبقاء بعد الإيجاد : ﴿ تاكل منه ﴾ أى من حبه و ورقه و تبنه[9] و حشيشه ﴿انعامهم﴾ و قدمها لموقع الامتنان بها لأن بها قوامهم فى معايشهم و أبدانهم ، و لأن السياق لمطلق إخراج الزرع ، و أول صلاحه إنما هو لأكل الأنعام بخلاف ما فى سورة عبس ، فان السياق لطعام الإنسان الذى هو نهاية الزرع حيث قال "فلينظر الانسان الى طعامه[10]" ثم قال "فانبتنا فيها[11] حبا" و ذكر من طعامه من العنب وغيره ما [لا -[8]] يصلح

(١) من م و مد ، وفى الأصل وظ : يقولون - بدون همزة الاستفهام (٢) زيد فى ظ : اى (٣) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م ومد، و فى الأصل « و » (٥) سقط من م (٦-٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل: فصار ملبسا لا ينبت (٧) راجع من صحيحه ٢/ ٧٠٤ . (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) فى ظ و مد : نبته (١٠) آية ٢٤ (١١) من آية ٢٧ ، و فى الأصول : به .

للأنعام ﴿ و انفسهم[1] ﴾ أى من حبه، و أصله إذا كان بقلا .

و لما كانت هذه الآية [مبصرة، و كانت - [1]] فى وضوحها فى الدلالة على البعث لايحتاج الجاهل بـه فى الإقرار سوى رؤيتها قال: ﴿افلا يبصرون[1]﴾ إشارة إلى أن من رآها و نبه على ما فيها من الدلالة و أصر على الإنكار [2] لا بصر له و لا بصيرة[2] .

و لما كانت هذه الآية أدل دليل - كما مضى - على البعث، [3]و كان يوما[3] يظهر فيه عز الأولياء و ذل الأعداء، أتبعها قوله تعجبا منهم عطفا على[4] "يقولون افتراه" و نحوها: ﴿ و يقولون ﴾ أى مع هذا البيان الذى لا لبس معه استهزاء: ﴿متى هذا الفتح﴾ اى النصر و القضاء و الفصل الذى يفتح المنغلق يوم الحشر ﴿ان كنتم﴾ أي كونا راسخا ﴿صٰدقين ۝﴾ أى عريقين فى الصدق بالإخبار بأنه لابد من كونه لنؤمن إذا رأيناه .

و لما أسفر حالهم بهذا السؤال الذى محصله[5] الاستعجال على وجه الاستهزاء عن أنهم لايزدادون مع البيان إلا عنادا، أمرهم بجواب فيه أبلغ تهديد، فقال / فاعلا فعل القادر فى الإعراض عن إجابتهم عن تعيين اليوم إلى[6] ذكر حاله: ﴿قل﴾ أى لهؤلاء اللد الجهلة: ﴿يوم الفتح﴾ [أى -[1]] الذى تستهزؤن به - و هو يوم القيامة - تبادرون إلى الإيمان بعد الانسلاخ مما[7] أنتم فيه من الشماخة و الكبر، فلا ينفعكم بعد العيان

/ ٢٠٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما بصر و لا بصير (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) زيد فى ظ: ما (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: محطه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: الذى (٧) فى ظ و مد: بما .

و هو

[و هو معنى ـ[1]] ﴿لا﴾ ينفعكم ـ هكذا كان الأصل ، و لكنه أظهر الوصف تعميما و تعليقا للحكم به فقال : ﴿ينفع الذين كفروآ﴾ أى غطوا آيات ربهم التى لاخفاء بها سواء فى ذلك أنتم و غيركم ممن اتصف بهذا الوصف ﴿ايمانهم﴾ لأنه ليس إيمانا بالغيب ، و لكنه ساقه هكذا سوق ما هو معلوم ﴿ولا هم ينظرون ه﴾ أى يمهلون فى إيقاع العذاب ٥ [بهم ـ[1]] لحظة ما من منظر ما .

و لما كانت نتيجة سماعهم لهذه الأدلة استهزاؤهم حتى بسؤالهم عن يوم الفتح ، و أجابهم سبحانه عن تعيينه بذكر حاله ، و كان صلى الله عليه و سلم لشدة حرصه على نفعهم[2] ربما أحب إعلامهم بما طلبوا و إن كان يعلم أن ذلك [منهم ـ[1]] استهزاء رجاء أن ينفعهم نفعا ما ، سبب ١٠ سبحانه عن إعراضه عن إجابتهم ، أمره لهذا الداعى الرفيق و الهادى الشفيق بالإعراض عنهم أيضا ، فقال مسليا له مهددا لهم : ﴿ فاعرض عنهم ﴾ [أى ـ[1]] غير مبال بهم[3] و إن اشتد أذاهم ﴿ و انتظر ﴾ أى ما نفعل[4] بهم مما فيه إظهار أمرك[5] و إعلاء دينك . و لما كان الحال مقتضيا لتردد السامع فى حالهم هل هو الانتظار ، أجيب على سبيل التأكيد بقوله : ١٥ ﴿ انهم منتظرون ه﴾ أى ما يفعل بك و ما يكون من عاقبة أمرك[5] فيما تتوعدهم به و فى غيره ، و قد انطبق آخرها على أولها بالإنذار بهذا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نفعه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهم (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تفعل (٥ ـ ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

الكتاب ، و أعلم بجلالته و جزالته و شدته و شجاعته أنه ليس فيه نوع ارتياب ، و أيضا فأولها فى التكذيب بتنزيله ، و آخرها فى الاستهزاء بتأويله ، [" يوم يأتى تأويله - [1]] يقول الذين نسوه من قبل " - الآية [2] . و أيضا فالأول [3] فى التكذيب [3] بانزال الروح المعنوى ، و الآخر فى التكذيب باعادة الروح العينى الحسى الذى ابتدأه أول مرة . و الله الهادى [4] إلى الصواب [4] .

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سورة ٧ آية ٥٣ (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالتكذيب (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م .

سورة الأحزاب[1]

مقصودها الحث على الصدق فى الإخلاص فى التوجه إلى الخالق من [غير - [2]] مراعاة بوجه ما للخلائق[3]، لأنه عليم بما يصلحهم، حكيم فيما يفعله، فهو يعلى من يشاء و إن كان ضعيفا، و يردى من يريد و إن كان قويا، فلا يهتمن[4] الماضي *لأمره برجاء* لأحد منهم فى بره، و لاخوف منه فى عظيم شره و خفى مكره، و اسمها واضح فى ذلك بتأمل القصة التى أشار إليها و دل عليها ﴿ بسم الله ﴾ الذى مهما أراد كان ﴿ الرحمن ﴾ الذى سرت رحمته خلال الوجود، فشملت كل موجود، بالكرم و الجود ﴿ الرحيم ﴾ لمن توكل عليه بالعطف إليه.

لما[6] ختمت التى قبلها بالإعراض عن الكافرين، و انتظار[7] ما يحكم به فيهم رب العالمين، بعد تحقيق أن تنزيل[8] الكتاب من عند المدبر لهذا الخلق كله، و النهى عن الشك فى لقائه، افتتح هذه بالأمر بأساس ذلك، و النهى عن طاعة المخالفين مجاهرين كانوا أو مسارين، و الأمر باتباع الوحى الذى أعظمه الكتاب تنبيها على أن الإعراض إنما يكون / ٢٠٦

(١) الثالثة و الثلاثون من سور القرآن الكريم، مدنية، و عدد آيها ثلاث و سبعون قال الطبرسى: بالإجماع - راجع روح المعانى ٧ / ٢ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للخالق (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلا يضمن (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بامره ارجاء (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و لما (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انتظر (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هذا.

طاعة لله مع مراعاة تقواه فقال: ﴿يا أيها النبي﴾ عبر بأداة التوسط إيماء إلى أن وقت نزول السورة - و هو آخر سنة خمس، غب وقعة الأحزاب - أوسط[1] مدة ما بعد الهجرة إلاحة إلى أنه لم يبق من أمد كمال النصرة التي اقتضاها وصف النبوة الدال على الرفعة إلا القليل.

٥ و عبر به لاقتضاء مقصود السورة مقام النبوة الذي هو بين الرب و عبده في تقريبه[2] و إعلائه إلى جنابه إذا قرئ بغير همز، و إن قرئ به كان اللحظ إلى إنبائه بالخفي و تفصيله للجلي، و قال الحرالي في كتاب له في أصول الدين: حقيقة النبوة ورود[3] غيب ظاهر أي من الحق بالوحي لخاص من الخلق، خفي عن العامة منهم، ثم قد يختص مقصد ذلك

١٠ الوارد المقيم لذلك الواحد بذاته، فيكون نبيا غير رسول[4]، و قد يرد عليه عند تمام أمره في ذاته موارد إقامة غيره فيصير رسولا، و الرتبة الأولى كثيرة الوقوع في الخلق، و هي النبوة، و الثانية قليلة الوقوع. فالرسل[5] معشار معشار الأنبياء، و للنبوة اشتقاقان: أحدهما [من -[6]] النبأ و هو الخبر، و ذلك لمن اصطفي من البشر لرتبة السماع و الإنباء

١٥ فنبي[7] و نبأ غيره من غير أن يكون عنده حقيقة ما نبي[8] به و لا ما نبأ

(١) من ظ و مد، و في الأصل و م: او وسط (٢) من ظ و مد، و في الأصل و م: تقربه (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: و ورد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: مرسول (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: فالراسل. (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: قبي - كذا. (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: نبا.

فيكون

فيكون حامل علم[١]، و الاشتقاق الثانى من النبوة و هى[٢] الارتفاع و العلو، و ذلك لمن أعلى عن رتبة النبأ إلى رتبة العلم. فكان مطلعا[٣] على علم ما ورد عليه من الغيب على حقيقته و كماله، فمن علا عن الحظ المتنزل العقلى إلى رتبة سماع، كان نبيئا بالهمز[٤]، و من علا عن ذلك إلى رتبة علم بحقيقة ذلك كان نبيا غير مهموز، فآدم عليه السلام مثلا فى علم الأسماء ٥ بى بغيرهمز، و فى ما وراءه نبىء بهمز. [و كذلك إبراهيم عليه السلام فيما ارى من الملكوت نبى غير مهموز، و فيما وراءه نبىء بهمز -[٥]] - انتهى. و لم يناده سبحانه باسمه تشريفا لقدره، و إعلاء لمحله، و حيث سماه باسمه فى الأخبار فللتشريف من جهة أخرى، و هى تعيينه و تخصيصه إزالة للبس عنه، و قطعا لشبه التعنت. ١٠

و لما ناداه سبحانه بهذا الاسم الشريف المقتضى للانبساط، امره بالخوف فقال: ﴿ اتق الله ﴾ أى زد من التقوى يا أعلى الخلائق بمقدار ما تقدر عليه لذى الجلال كله و الإكرام، لئلا تلتفت[٦] إلى شىء سواه، فانه أهل لأن يرهب لما له من خلال[٧] الجلال، و العظمة و الكمال.

و لما وجه إليه الأمر بخشية الولى الودود، اتبعه النهى عن الالتفات ١٥

(١) من ظ و م و مد. و فى الأصل: ما لم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هو (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مطلقا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالهمزة (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لئلا يلتفت (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جلال، و قد مضى قبيل صفحات «جلال الجلال» فليصحح هناك أيضا.

نحو[1] العدو و الحسود. فقال: ﴿ و لا تطع الكفرين ﴾ اى المانعين ﴿ و المنفقين[1] ﴾ أى المصانعين فى شىء من الأشياء لم يتقدم إليك الخالق فيه /بأمر و إن لاح لائح خوف أو برق بارق رجاء، و لا سيما سؤالنا فى ٢٠٧ / شىء مما[2] يقترحونه رجاء إيمانهم مثل أن تعين لهم وقت الساعة التى يكون فيها الفتح، فانهم إنما يطلبون ذلك استهزاء، قال أبوحيان[3]: و سبب نزولها أنه روى أن النبى صلى الله عليه و سلم لما قدم المدينة كان يحب إسلام اليهود، فتابعه[4] ناس منهم على النفاق، و كان يلين لهم جانبه، و كانوا يظهرون النصائح من[5] طرق المخادعة[6]، فنزلت تحذيرا له منهم، و تنبيها على عداوتهم - انتهى - ثم علل[7] الأمر و النهى[7] بما يزيل الهموم و يوجب الإقبال عليهما و اللزوم، فقال ملوحا إلى أن لهم أغوارا فى مكرهم ربما[8] خفيت عليه صلى الله عليه و سلم، و أكد ترغيبا فى الإقبال على معلوله بغاية الاهتمام: ﴿ ان الله ﴾ أى بعظيم كماله و عز جلاله ﴿ كان ﴾ أزلا و أبدا ﴿ عليما ﴾ شامل العلم ﴿ حكيما ﴾ بالغ الحكمة، فهو لم يأمرك بأمر إلا و قد علم ما يترتب عليه، و أحكم إصلاح الحال فيه.

و قال الإمام ابو جعفر ابن الزبير فى برهانه: افتتحها سبحانه بامر

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: إلى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما (٣) راجع البحر المحيط ٧/٢١٠ (٤) فى البحر: فبايعه (٥) فى البحر: فى (٦) زيد فى البحر: و لحلفه و حرصه على ائتلافهم ربما كان يسمع منهم. (٧-٧) فى م و مد: النهى و الامر (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما.

نبيه باتقائه، و نهيه عن الصغو[1] إلى الكافرين و المنافقين، و اتباعه ما يوحى إليه، تنزيها لقدره عن محنة من سبق له الامتحان ممن قدم ذكره فى سورة السجدة، و أمرا له بالتسليم لخالقه و التوكل عليه « و[2] الله يقول الحق و هو يهدى السبيل » و لما تحصل من السورتين قبل ما تعقب العالم من الخوف أشده[3] لغيبة العلم بالخواتم و ما جرى فى السورتين من الإشارة إلى السوابق "و لو شئنا لآتينا كل نفس هدنها" كان [4]ذلك مظنة[4] لتأنيس نبي الله صلى الله عليه و سلم و صالحى أتباعه، [5]و لهذا[5] أعقب سورة السجدة بهذه السورة المضمنة من التأنيس[6] و البشارة ما يجرى على المعهود من لطفه تعالى و سعة رحمته، فافتتح سبحانه السورة بخطاب نبيه صلى الله عليه و سلم بالتقوى، و إعلامه بما [قد -[7]] أعطاه قبل من سلوك سبيل النجاة و إن ورد على طريقة الأمر ليشعره باستقامة سبيله، و إيضاح دليله، و خاطبه بلفظ النبوة لأنه أمر عقب تخويف و إنذار و إن كان عليه السلام قد نزه الله قدره عن أن يكون منه خلاف التقوى، و عصمه من[8] كل ما ينافر نزاهة حاله و علىّ منصبه، و لكن طريقة خطابه تعالى للعباد أنه تعالى متى جرد ذكرهم للمدح من غير أمر و لا نهى

(١) من مد - و هو الميل - ، و فى الأصل ظ و م : الصفو (٢) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و الشدة (٤-٤) من ظ و م و مد . و فى الأصل : مظنة ذلك . (٥-٥) فى ظ و مد : فلهذا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: التامين (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) فى ظ و م و مد : عن .

فهو موضع ذكرهم بالأخص الأمدح من محمود صفاتهم ، و منه " محمد رسول الله و الذين معه " - الآيات ، فذكره صلى الله عليه و سلم باسم الرسالة . و مهما كان الأمر و النهى ، عدل فى الغالب إلى الأعم ، و منه " يأيها النبى اتق الله " " يأيها النبى حرض المؤمنين على القتال " " يأيها النبى اذا طلقتم النساء " " يأيها النبى لم تحرم ما احل الله لك " " يأيها النبى جاهد الكفار و المنفقين [1] " " يأيها النبى اذا جاءك المؤمنت " و قد تبين فى غير هذا ، و أن ما ورد على خلاف هذا القانون فلسبب خاص استدعى العدول عن المطرد كقوله " يأيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك " فوجه هذا أن قوله سبحانه " و ان لم تفعل فما بلغت رسالته " موقعه شديد ، فعودل [2] بذكره صلى الله عليه و سلم باسم [3] الرسالة لضرب [4] من التلطف ، فهو [5] من باب " عفا الله عنك لم اذنت لهم " و فيه بعض غموض ، و أيضا فانه لما قيل له " بلغ " طابق [هذا - [6]] ذكره بالرسالة . فان المبلغ رسول ، و الرسول مبلغ ، و لا يلزم النبى أن يبلغ إلا أن يرسل . و أما قوله تعالى " يأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون [فى الكفر " - [6]] فأمره و إن كان نهيا أوضح من الأول ، لأنه تسلية له عليه السلام و تأنيس و أمر بالصبر و الرفق بنفسه ، فبابه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل فعول (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بذكر (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بضرب (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و هو . (٦) زيد من ظ و م و مد .

راجع

راجع إلى ما يرد مدحا مجردا عن الطلب ، و على ما أشير إليه يخرج [ما ورد من هذا . و لما افتتحت هذه السورة بما حاصله ما قدمناه - [1]] من إعلامه عليه السلام من هذا الأمر بعلى حاله و مزية[2] قدره ، ناسب ذلك ما احتوت عليه السورة من باب التنزيه فى مواضع منها إعلامه تعالى بأن أزواج نبيه صلى الله عليه و سلم أمهات للمؤمنين[3] فنزههن عن ٥ أن يكون حكمهن حكم غيرهن من النساء مزية لهن و تخصيصا و إجلالا[4] لنبيه صلى الله عليه و سلم ، و منها قوله تعالى " و لما رأ المؤمنون الاحزاب " - الآية ، فنزههم[5] عن تطرق سوء أو دخول ارتياب على مصون معتقداتهم و جليل إيمانهم " قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و ما زادهم الا ايمانا و تسليما " و الآية بعد كذلك ، و هى ١٠ قوله تعالى " من المؤمنين رجال صدقوا " - الآية ، و منها " يانساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن " فنزههن سبحانه و بين شرفهن على من عداهن ، و منها تنزيه أهل البيت و تكرمتهم " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت " الآية ، و منها الأمر بالحجاب " يايها النبي قل لازواجك و بناتك و نساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن " ١٥ فنزه المؤمنات عن حالة الجاهلية من التبرج و عدم الحجاب ، و صانهن عن التبذل و الامتهان ، و منها قوله تعالى " يايها الذين امنوا لا تكونوا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مزيد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : المؤمنين (٤) زيد فى الأصل : له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فنزههن .

كالذين آذوا موسى" فوصاهم جل و تعالى و نزههم بما نهاهم عنه أن يتشبهوا بمن استحق اللعن و الغضب فى سوء أدبهم و عظيم مرتكبهم، إلى ما تضمنت[1] السورة من هذا القبيل، ثم أتبع سبحانه ما تقدم بالبشارة العامة و اللطف الشامل كقوله تعالى "يا أيها النبي انا ارسلنك شاهدا
٥ و مبشرا و نذيرا و داعيا الى الله باذنه و سراجا منيرا" ثم قال تعالى "و بشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا" و قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا - إلى قوله تعالى: اجرا كريما" و قوله تعالى "ان الله و ملئكته يصلون على النبي[2] يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و سلموا تسليما[2]" و قوله تعالى "ان المسلمين و المسلمت - إلى قوله:
١٠ و اجرا عظيما" و قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله و قولوا قولا سديدا - إلى قوله: عظيما" و قوله تعالى "و يتوب الله على المؤمنين و المومنت - إلى قوله: [و كان الله غفورا -[3]] رحيما" و قوله تعالى مثنيا[4] على المؤمنين بوفائهم و صدقهم "و لما رآ المؤمنون الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله[5] و صدق الله و رسوله[5] - إلى قوله: و ما
١٥ بدلوا تبديلا" [و قوله -[6]] سبحانه تعظيما لحرمة نبيه صلى الله عليه و سلم و المؤمنين "ان الذين يؤذون الله و رسوله - إلى قوله: و اثما مبينا" و فى

(١) زيد فى الأصل: إليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢-٢) موضع ما بين الرقمين فى م و مد: الآية (٣) زيد من م (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شفيا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد.

هذه الآيات من تأنيس المؤمنين و بشارتهم و تعظيم حرمتهم ما يكسر سورة الخوف الحاصل من سورتي لقمٰن و السجدة و يسكن روعهم [١] تأنيسا لا رفعا، و من هذا القبيل أيضا ما تضمنت السورة من تعداد نعمه تعالى عليهم و تحسين [٢] خلاصهم كقوله تعالى "يٰايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم - إلى قوله: هنالك ابتلى المؤمنون و زلزلوا زلزالا شديدا" و قوله تعالى "و رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا و كفى الله المؤمنين القتال - إلى قوله: و كان الله على كل شيء قديرا" و ختم السورة بذكر التوبة و المغفرة أوضح شاهد لما تمهد من دليل قصدها و بيانها على ما وضح و الحمد لله. و لما كان حاصلها رحمة و لطفا و نعمة، لا يقدر عظيم قدرها، و ينقطع العالم دون الوفاء بشكرها، أعقب بما ينبغي من الحمد يعني أول سبا - انتهى.

و لما كان ذلك [٣] مفهما لمخالفة [٣] كل ما يدعو إليه كافر، و كان [الكافر - [٤]] ربما دعا إلى شيء من مكارم الأخلاق، قيده بقوله: ﴿و اتبع﴾ أي بغاية جهدك.

و لما اشتدت العناية هنا بالوحي، و كان الموحى معلوما من آيات كثيرة، بني للمفعول قوله: ﴿ما يوحىٰ﴾ أي يلقى [٥] إلقاء خفيا كما يفعل المحب مع حبيبه ﴿اليك﴾ و أتى موضع الضمير بظاهر يدل على الإحسان

(١) في ظ و مد: روعتهم (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: تحب من.
(٣-٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: منهما بمخالفة (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد في الأصل: إليك، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.

فى التربية ليقوى على [1]امتثال ما أمرت[1] به الآية السالفة فقال: ﴿من ربك[1]﴾ أى المحسن إليك بصلاح جميع[2] أمرك، فهما أمرك به فافعله[3] لربك لا لهم، و مهما نهاك عنه فكذلك، سواء كان إقبالا عليهم أو إعراضا عنهم أو غير ذلك.

٥ و لما أمره باتباع الوحى، رغبه فيه بالتعليل بأوضح من التعليل الأول فى أن مكرهم خفى، فقال مذكرا[4] بالاسم الأعظم بجميع ما يدل عليه من الأسماء الحسنى زيادة فى التقوية على الامتثال[5]، مؤكدا للترغيب كما تقدم، و إشارة[6] إلى أنه مما يستبعده بعض المخاطبين فى قراءة الخطاب[7] [لغير أبى عمرو - [8]]: ﴿ان الله﴾ [أى - [9]] بعظمته و كماله ﴿كان﴾

١٠ دائما ﴿بما تعملون﴾ أى الفريقان من المكايد و إن دق ﴿خبيرا[10]﴾ فلا[10] تهتم بشأنهم، فانه سبحانه كافيكه[11] و إن تعاظم، و على قراءة[12] أبى عمرو بالغيب[13] يكون هذا التعليل حثا على الإخلاص، و تحقيقا / لأنه قادر على الإصلاح و إن أعيى[14] الخلاص، و نفيا لما قد يعترى النفوس من الزلزال، فى أوقات الاختلال. /٢١٠

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امتثالها - مع بياض قدر كلمتين. (٢) زيد فى ظ: ما (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فافعل (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: موكدا (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الامتنان (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشار (٧) راجع نثر المرجان ٥/٣٧٠. (٨) زيد من ظ و مد (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلما (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كافيك (١٢) زيد فى مد: غير (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: بالخطاب (١٤) فى ظ و مد: ادعى.

و لما كان الآدمى موضع الحاجة إلى[1] تعظيم الترجية قال: ﴿و توكل﴾ أى دع الاعتماد على التدبير فى أمورك و اعتمد فيها ﴿على الله[1]﴾ المحيط علما و قدرة، و لتكرير هذا الاسم [الأعظم -[2]] الجامع لجميع معانى الأسماء فى هذا المقام شأن لا يخفى كما أشير إليه.

و لما كان التقدير: فانه يكفيك فى جميع ذلك، عطف عليه قوله: ﴿ و كفى بالله ﴾ أى الذى له الأمر كله على الإطلاق ﴿ وكيلا ﴾ أى أنه لا أكفى منه لكل من وكله فى أمره، فلا تلتفت فى شىء من أمرك إلى شىء [غيره -[2]] لأنه ليس لك قلبان تصرف كلا منهما [إلى واحد.

و لما كان النازع إلى جهتين -[2]] و المعالج لأمرين متباينين كانه يتصرف بقلبين، أكد أمر الإخلاص فى جعل الهم هما واحدا فيما يكون من أمور الدين و الدنيا، و فى المظاهرة و التبنى و كل ما شابههما بضرب المثل بالقلبين - كما قال الزهرى، فقال معللا لما قبله بما فيه من الإشارة إلى أن الآدمى مع قطع النظر عن رتبة النبوة موضع لخفاء الأمور عليه: ﴿ ما جعل الله ﴾ أى الذى له الحكمة البالغة، و العظمة الباهرة، و ليس الجعل إلا له و لا أمر لغيره ﴿لرجل﴾ أى لأحد من بنى آدم الذين هم أشرف الخلائق من نبى و لا غيره، و عبر بالرجل لأنه أقوى جسما و فهما فيفهم غيره من باب الأولى؛ و أشار إلى التأكيد

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ان (٢) زيد من ظ و م و مد.

بقوله : ﴿ من قلبين ﴾ و أكد الحقيقة و قررها ، و جلاها و صورها ، لما قد يظن الإنسان من أنه يقدر على صرف النفس إلى الأمور المتخالفة كما يفعل المنافق بقوله : ﴿ فى جوفه ج ﴾ أى حتى يتمكن من أن ينزع بكل قلب إلى جهة غير الجهة التى نزع إليها القلب الآخر لأن ذلك مؤدٍ ٥ إلى خراب البدن لأن القلب مدبره باذن الله تعالى ، و استقلال كل بالتدبير يؤدى إلى الفساد كما مضى فى دليل التمانع سواء ؛ قال الرازى فى اللوامع : القلب كالمرآة مهما حوذى به جانب القدس أعرض عن جانب الحس ، و مهما حوذى به جانب الحس أعرض عن جانب القدس ، فلا يجتمع الإقبال على الله و على ما سواه - انتهى . و حاصل ذلك ١٠ أنه تمهيد لأن التوزع[1] و الشرك لا خير فيه ، و أن مدبر الملك[2] واحد كما أن مدبر البدن قلب واحد ، فلا التفات إلى غيره ، و أن الدين ليس بالتشهى و جعل الجاعلين ، و إنما هو بجعله[3] سبحانه ، فانه العالم بالأمور على ما هى عليه .

و لما كان كل من المظاهرة و التبنى نازعا إلى جهتين متنافيتين ، و كان ١٥ أهل الجاهلية يعدون الظهار طلاقا مؤبدا لا رجعة فيه - كما نقله ابن الملقن فى عمدة المنهاج عن صاحب الحاوى ، و كان المخاطبون قد أعلام الوعظ السابق إلى التأهل للخطاب ، لفت سبحانه القول إليه على قراءة الغيب [فى "يعملون" لأبى عمرو -[4]] فقال : ﴿ و ما جعل ازواجكم ﴾

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التوزيع (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكل (٣) فى ظ و م و مد : بما يجعله هو (٤) زيد من ظ و مد .

أى بما أباح لكم من الاستمتاع بهن[١] من جهة الزوجية ؛ ثم أشار إلى الجهة الأخرى بقوله : ﴿ الّٰئِ تظهرون منهن ﴾ أى [كما -[٢]] يقول الإنسان للواحدة منهن : أنت علىّ كظهر أمى ﴿امهٰتكم﴾ بما حرم عليكم / من الاستمتاع بهن[١] حتى تجعلوا ذلك على التأبيد[٣] و ترتبوا على ذلك / ٢١١ أحكام الأمهات كلها ، لأنه لايكون لرجل أمان ، و لو جعل ذلك لضاق ٥ الأمر ، و اتسع الخرق ، و امتنع الرتق[٤] ﴿ و ما جعل ادعيآءكم ﴾ بما جعل لهم من النسبة و الانتساب إلى غيركم ﴿ ابنآءكم ﴾ بما جعلتم لهم من الانتساب إليكم ليحل لهم[٥] إرثكم[٦] ، و تحرم عليكم حلائلهم[٧] و غير ذلك من أحكام الأبناء ، و لا يكون لابن أبوان ، و لو جعل ذلك لضاعت الأنساب ، و عم الارتياب ، و انقلب كثير من الحقائق أىّ انقلاب ، ١٠ فانفتح بذلك من الفساد أبواب أىّ أبواب ، فليس زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبى الذى تبنيته[٨] ابنا لك أيها النبى بتبنيك[٩] له جزاء [له -[٢]] باختياره لك على أبيه و أهله ، و هذا توطئة لما يأتى من قصة زواج النبى صلى الله عليه و سلم لزينب بنت جحش مطلقة زيد مولى رسول الله

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عين - كذا (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الترتيب (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الطرق (٥) فى مد : لكم (٦) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد. (٧) زيد فى الأصل و م : و تحليهم حلايلكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و تبنيتك .

صلى الله عليه و سلم [فانه صلى الله عليه و سلم - [١]] لما تزوجها قال المنافقون كما حكاه البغوى[٢] و غيره : تزوج محمد امرأة ابنه و هو ينهى الناس عن ذلك ، فأنزل الله هذه الآية ، و بين أن التبنى إنما هو مجاز ، و أن المحرم إنما هو زوجة الابن الحقيقى [و -[١]] ما ألحق به من الرضاع ، و ذلك أن النبى صلى الله عليه و سلم كان[٣] تبنى [٤]زيدا لقصة[٤] مذكورة فى السيرة[٥] ، روى البخارى[٦] عن ابن عمر رضى الله عنهما أن زيد بن حارثة رضى الله عنه مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن "ادعوهم لآبائهم" . و لما أبطل [هـذا -[١]] سبحانه ، استأنف الإخبار عما مضى من عملهم فيه فقال[٧] : ﴿ ذلكم ﴾ أى القول البعيد عن الحقيقة ، و أكد هذا بقوله : ﴿قولكم بافواهكم[١]﴾ أى لاحقيقة له وراء القول و تحريك الفم [من غير مطابقة قلوبكم -[٨]] ، فان كل من يقول ذلك لا يعتقده ، [لأن من كان له فم كان محتاجا ، و من كان محتاجا كان معرضا للنقائص كان معرضا للأوهام ، و من غلبت عليه الأوهام كان فى كلامه الباطل - [٨]] ﴿ و الله ﴾ أى المحيط علمه و قدرته [و له جميع صفات الكمال -[٨]] ﴿ يقول الحق ﴾ أى[٧] الكامل

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/١٩١ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كما (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : زيد و القصة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السير (٦) راجع من صحيحه ٢ / ٧٠٥ (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ و مد .

فى

فى حقيته[1] ، الثابت الذى يوافق ظاهره باطنه ، فلا قدرة لأحد على نقضه فان أخبر عن شىء فهو كما قال ، ليس بين الخبر و الواقع من ذلك المخبر عنه شىء من المخالفة ، و إن أتى بقياس فرع على أصل لم يستطع أحد إبداء فرق[2] ، [فان أقواله سبحانه سابقة على الواقع لأنها مصدرة فيها بكون ، فاذا قال قولا وجد مضمونه مطابقا لذلك القول ، فاذا طبقت ٥ بينهما كانا سواء ، فكان ذلك المضمون ثابتا كما كان ذلك الواقع ثابتا ، فكان حقا ، هكذا أقواله على الدوام ، لأنه منزه سبحانه عن النقائص فلا جارحة ثم ليكون بينها و بين معد القول مخالفة من فم أو غيره و عن كل ما يقتضى حاجة ، فالآية من الاحتباك : ذكر الفم أولا دليلا على نفيه ثانيا و الحق ثانيا دليلا على ضده الباطل أولا ، و سرّ ذلك أنه ذكر ١٠ ما يدل على النقص فى حقنا ، و على الكمال فى حقه ، و دل على التنزيه بالإشارة ليبين فهم الفهماء و علم العلماء - [3]] ﴿ و هو ﴾ أى وحده من حيث قوله الحق ﴿ يهدى السبيل ﴾ أى الكامل الذى من شأنه أن يوصل إلى المطلوب إن ضل أحد فى فعل أو قول ، فلا تعولوا على سواه و لا تلتفتوا أصلا إلى غيره . ١٥

و لما كان كأنه قيل : فما تقول ؟ إهدنا إلى سبيل الحق فى ذلك ، أرشد إلى أمر النبى إشارة إلى أنه هو المقصود فى هذه السورة لما يأتى بعد من آثاره التى هى المقصودة[4] بالذات بقوله : ﴿ ادعوهم ﴾ أى الأدعياء

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحقيقة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فرقا (٣) زيد من ظ و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المقصود .

﴿لآبائهم﴾ أى إن علموا ولدا قالوا: زيد بن حارثة؛ ثم علله بقوله: ﴿هو﴾ أى هذا الدعاء ﴿اقسط﴾ أى أقرب إلى العدل من التبنى و إن كان إنما هو لمزيد الشفقة على المتبنى و الإحسان إليه ﴿عند الله ج﴾ أى الجامع لجميع صفات الكمال، فلا ينبغى أن يفعل فى ملكه إلا ما هو أقرب إلى الكمال، و فى هذا بالنسبة إلى ما مضى بعض التنفيس عنهم، و إشارة إلى أن ذلك التغليظ بالنسبة إلى مجموع القولين / المتقدمين. ٢١٢/

و لما كانوا قد يكونون[1] مجهولين، تسبب عنه قوله: ﴿فان لم تعلموآ ءابآءهم﴾ لجهل أصلى[2] أو طارئ ﴿فاخوانكم فى الدين﴾ إن كانوا دخلوا فى دينكم ﴿و مواليكم[3]﴾ أى أرقاؤكم مع بقاء الرق أو مع العتق على كلتا الحالتين، و لذا قالوا: سالم مولى أبى حذيفة. و لما نزل هذا قال النبى صلى الله عليه و سلم: من ادعى إلى غير أبيه و هو يعلم فالجنة عليه حرام - أخرجه الشيخان[3] عن سعد بن أبى وقاص و أبى بكرة رضى الله عنهما.

و لما كانت عادتهم الخوف مما سبق من أحوالهم على النهى لشدة ورعهم، أخبرهم أنه تعالى أسقط عنهم ذلك لكونه خطأ، و ساقه على وجه يعم ما بعد النهى [أيضا -[4]] فقال: ﴿و ليس عليكم جناح﴾ أى

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يكونوا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أصل (٣) البخارى فى باب من ادعى الى غير أبيه من كتاب الفرائض - راجع صحيحه ٣ / ١٠٠١، و مسلم فى باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، من كتاب الإيمان - راجع صحيحه ١/٥٧ (٤) زيد من ظ و م ومد.

إثم و ميل و اعوجاج ، و عبر بالظرف ليفيد أن الخطأ لا إثم فيه بوجه ، و لو عبر بالباء لظن أن فيه إثما ، و لكنه عفا عنه فقال : ﴿ فيما أخطأتم به ﴾ أي من الدعاء بالبنوة و المظاهرة أو في شيء قبل النهي أو بعده ، و دل قوله : ﴿ و لكن ما ﴾ أي الإثم فيما ﴿ تعمدت قلوبكم ﴾ على زوال الحرج أيضا فيما وقع بعد النهي على سبيل النسيان أو سبق اللسان ، و دل تأنيث الفعل على أنه لا يتعمده[1] بعد البيان الشافي[2] إلا قلب فيه رخاوة الأنوثة ، و دل جمع الكثرة على عموم الإثم إن لم ينه المتعمد .

و لما كان هذا الكرم خاصا بما تقدمه ، عم سبحانه بقوله : ﴿ و كان الله ﴾ أي لكونه لا أعظم منه و لا[3] أكرم منه ﴿ غفورا رحيما ﴾ أي من صفته الستر البليغ على المذنب التائب ، و الهداية العظيمة للضال الآئب ، و الإكرام بإيتاء الرغائب .

و لما نهى سبحانه عن التبني ، و كان النبي صلى الله عليه و سلم قد تبنى زيد بن حارثة مولاه[4] لما اختاره على أبيه و أمه[5] ، علل سبحانه النهي فيه بالخصوص بقوله دالا على أن الأمر أعظم من ذلك : ﴿ النبي ﴾ أي[6] الذي ينبئه الله بدقائق الأحوال في بدائع الأقوال ، و يرفعه دائما في مراقي الكمال ، و لا يريد أن يشغله بولد و لا مال ﴿ أولى بالمؤمنين ﴾ أي الراسخين في الإيمان ، فغيرهم أولى في[7] كل شيء من أمور الدين

(١) في ظ و م و مد : لا يتعمد (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الثاني .
(٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : مولا .
(٥) في ظ و م و مد : عمه (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : من .

و الدنيا لما حازه من الحضرة الربانية ﴿ من انفسهم ﴾ فضلا عن آبائهم
في[1] نفوذ حكمه فيهم و وجوب طاعته عليهم، لأنه لا يدعوهم إلا إلى
العقل و الحكمة، و لا يأمرهم إلا بما ينجيهم، و أنفسهم إنما تدعوهم إلى
الهوى و الفتنة فتأمرهم بما يرديهم، فهو يتصرف [فيهم -[2]] تصرف
الآباء بل الملوك[3] [بل -[2]] أعظم بهذا السبب الرباني، فأي حاجة له[4]
إلى السبب[5] الجسماني ﴿ و ازواجه ﴾ أي اللاتي دخل بهن لما لهن من
حرمته ﴿ امهتهم[4] ﴾ أي المؤمنين[6] من الرجال خاصة دون النساء، لأنه
لا محذور من جهة النساء، و ذلك في الحرمة و الإكرام، و التعظيم
و الاحترام، و تحريم النكاح دون جواز الخلوة و النظر و غيرهما من
الأحكام، لا فرق بينهن و بين الأمهات في ذلك أصلا، فلا يحل انتهاك
حرمتهن بوجه و لا الدنو من جنابهن بنوع نقص، لأن حق النبي صلى الله
عليه وسلم على أمته أعظم من حق الوالد على ولده، و هو حي في قبره
و[7] هذا أمر جعله الله [8]و هو الذي إذا جعل / شيئا كان[8]، لأن الأمر ٢١٣/
أمره و الخلق [خلقه -[2]]، و هو العالم بما يصلحهم و ما يفسدهم "الا يعلم
من خلق و هو اللطيف الخبير" روى الشيخان[9] عن أبي هريرة رضي الله

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل « و » (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م، و في الأصل وظ و مد: الملاك (٤) سقط من ظ (٥) من ظ وم و مد، و في الأصل: التسبب (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: المؤمنون. (٧) سقط من ظ وم ومد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) في ظ و م و مد: البخاري، و الحديث أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب التفسير من صحيحه. و أخرجه مسلم في الفرائض من صحيحه - راجع ٢/ ٣٦.

عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه[1] قال "ما من مؤمن إلا و أنا أولى الناس به فى الدنيا و الآخرة، اقرأوا إن شئتم "النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم"؛ فأيما مؤمن ترك مالا[2] فلترثه عصبته من كانوا. فان ترك دينا أو ضياعا فليأتنى و أنا مولاه.

و لما رد الله سبحانه الأشياء إلى أصولها، و نهى عن التشتت و التشعب، و كان من ذلك أمر التبنى، و كان من المتفرع عليه الميراث بما كان قديما من الهجرة و النصرة و الأخوة التى قررها النبي صلى الله عليه و سلم لما كان الأمر[3] محتاجا إليها، و كان ذلك قد نسخ بالآية[4] التى فى آخر الأنفال، و هى قبل هذه السورة ترتيبا و نزولا، و كان ما ذكر هنا فردا داخلا فى عموم العبارة[6] فى تلك الآية[5]، أعادها [منا ـ[6]] تأكيدا و تنصيصا على هذا الفرد للاهتمام به مع ما فيها من تفصيل و زيادة فقال: ﴿ و[7] اولوا الارحام﴾ أى القرابات بأنواع النسب من النبوة و غيرها[8] ﴿ بعضهم اولى ﴾ بحق القرابة ﴿بعض﴾ فى جميع المنافع العامة للدعوة و الإرث و النصرة و الصلة ﴿ فى كتب الله ﴾ أى قضاء الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد معه، و حكمه كما تقدم فى كتابكم هذا، و كما أشار

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد والصحيحين، و فى الأصل: ما له (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امرا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الآية (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العبارة (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) ليس فى الأصل فقط (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غيرهم.

إليه الحديث الماضي آنفا .

و لما بين أنهم أولى بسبب القرابة ، بين المفضل عليه فقال : ﴿من﴾ أي هم أولى بسبب القرابة من ﴿ المؤمنين ﴾[1] الأنصار[2] من [غير -[3]] قرابة مرجحة ﴿ و المهجرين ﴾ المؤمنين من غير قرابة[4] كذلك . و لما كان المعنى : أولى[5] في[6] كل نفع ، استثنى منه على قاعدة الاستثناء من أعم العام قوله ، لافتا النظم إلى أسلوب الخطاب ليأخذ المخاطبون منه أنهم متصفون بالرسوخ في الإيمان الذي مضى ما دل عليه في آية الأولوية من التعبير بالوصف ، فيحثهم ذلك على فعل المعروف : ﴿ الآ ان تفعلوآ ﴾ [أي -[3]] حال كونكم موصلين و مسندين ﴿الىٓ اولـٰٓئكم﴾ بالرق أو التبني[7] أو الحلف في الصحة مطلقا و في المرض من الثلث تنجيزا أو وصية ﴿ معروفا[8] ﴾ تنفعونهم[8] به ، فيكون حينئذ ذلك الولي مستحقا لذلك ، و لا يكون ذو الرحم أولى منه ، بل لا وصية لوارث .

و لما أخبر أن هذا الحكم في كتاب الله ، أعاد التنبيه على ذلك تأكيدا قلعا لهذا الحكم الذي تقرر في الأذهان بتقريره سبحانه فيما مضى فقال مستأنفا : ﴿ كان ذالك ﴾ [أي -[3]] الحكم العظيم ﴿في الكـٰتب﴾

(١) زيد في الأصل : أي ، ولم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد .
(٤) زيد في ظ : المهاجرين (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : أدل .
(٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بالتبني (٨) في ظ : ينفعونكم .

أى القرآن فى آخر سورة الأنفال ﴿ مسطورا ﴾ بعبارة تعمه ، قال الأصبهانى[1] : و قيل : فى التوراة ، لأن فى التوراة : إذا نزل رجل بقوم من أهل دينه فعليهم أن يكرموه و يواسوه ، و ميراثه لذوى قرابته . فالآية من الاحتباك : أثبت وصف الإيمان أولا دليلا على حذفه ثانيا ، و[2] وصف الهجرة ثانيا دليلا على حذف النصرة أولا . ٥

و لما كان نقض العوائد و تغيير المألوفات مما يشق / كثيرا على النفوس ، و يفرق المجتمعين ، و يقطع بين المتواصلين ، و يباعد بين المتقاربين ، قال مذكرا له صلى الله عليه و سلم بما أخذ على من قبله من نسخ أديانهم بدينه ، و تغيير مألوفاتهم بالفه ، و من نصيحة قومهم بابلاغهم كل ما أرسلوا به ، صارفا القول إلى مظهر العظمة لأنه أدعى إلى قبول الأوامر : ﴿ و اذ ﴾ فعلم أن التقدير : [3]اذكر ذلك - أى ما سطرناه [لك -[4]] قبل هذا فى كتابك ، و اذكر إذ ﴿ اخذنا ﴾ بعظمتنا ﴿ من النبيين ميثاقهم ﴾ فى تبليغ الرسالة فى المنشط و المكره ، و فى تصديق بعضهم لبعض ، و فى اتباعك فيما أخبرناك به فى قولنا « لما آتيتكم من كتب و حكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به و لتنصرنه » و قولهم : أقررنا . ١٠ ١٥

و لما ذكره ما أخذ على جميع الأنبياء من العهد فى تغيير مألوفاتهم إلى ما يأمرهم سبحانه به[5] من إبلاغ ما يوحى إليهم و العمل بمقتضاه ،

(١) فى ظ : الاصفهانى (٢) سقط من ظ (٣) زيدت الواو فى الأصل، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ و مد .

ذكره ما أخذ عليه من العهد فى التبليغ فقال : ﴿و منك﴾ أى فى قولنا فى هذه السورة " اتق الله و اتبع ما يوحى اليك " و فى المائدة " يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك و ان لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس " فلا تهتم بمراعاة عدو و لا خليل حقير و لا جليل ، و لما أتم المراد إجمالا و عموما ، و خصه صلى الله عليه و سلم من ذلك العموم مبتدئا به بيانا لتشريفه و لأنه المقصود بالذات بالأمر بالتقوى و اتباع الوحى لأجل النبى و غيره ، أتبعه بقية أولى العزم[٢] الذين هم أصحاب الكتب و مشاهير أرباب الشرائع . تأكيدا للأمر و تعظيما للقام ، لأن من علم له شريكا فى أمر اجتهد فى سبقه فيه ، و رتبهم على ترتيبهم فى الزمان لأنه لم يقصد المفاضلة[٣] بينهم ، بل التأسية بالمتقدمين و المتأخرين فقال : ﴿و من نوح﴾ أول الرسل إلى المخالفين ﴿و ابرٰهيم﴾ أبى الأنبياء ﴿و موسٰى﴾ أول أصحاب الكتب من أنبياء بنى إسراءيل ﴿و عيسى ابن مريم ص﴾ ختامهم ، نسبه[٤] إلى أمه مناداة على من ضل فيه بالتوبيخ و التسجيل بالفضيحة ؛ ثم زاد فى تأكيد الأمر و تعظيمه تعظيما للوثق فيه ، و إشارة إلى مشقتــه ، فقال مؤكدا باعادة العامل و مظهر العظمة لصعوبة[٥] الرجوع عن المألوف : ﴿و اخذنا منهم﴾ أى بعظمتنا فى ذلك ﴿ميثاقا غليظا ۝﴾ استعارة من وصف الأجرام العظام

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لا (٢) زيد فى ظ : من (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المقابلة (٤) من م و مد ، و فى الأصل : نسبته ، و فى ظ : نسبهم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لسهولة.

كناية عن[1] أنه لا يمكن قطعه لمن أراد الوصلة بنا .

و لما كان الأخذ على النبيين فى ذلك أخذا على أممهم ، و كان الكفر معذبا عليه من غير شرط ، و الطاعة مثابا عليها[2] بشرط الإخلاص لله ، معبرا بما هو مقصود السورة فقال ملتفتا إلى مقام الغيبة لتعظيم الهيبة لأن الخطاب إذا طال استأنس المخاطب : ﴿ ليسئل ﴾ أى يوم القيامة ٥ ﴿ الصدقين ﴾ أى فى الوفاء بالعهد ﴿ عن صدقهم ج ﴾ هل هو [لله -[3]] خالصا[4] أو لا ، تشريفا لهم[5] و إهانة و تبكيتا للكاذبين[6] ، و يسأل الكافرين عن كفرهم ما الذى حملهم عليه ، و الحال أنه أعد للصادقين ثوابا عظيما ﴿ و اعد للكفرين ﴾ أى الساترين لإشراق أنوار الميثاق ﴿ عذابا اليما ﴾ فالآية من محاسن / رياض الاحتباك ، و إنما صرح بسؤال الصادق بشارة له[7] ١٠ / ٢١٥ بتشريفه فى ذلك الموقف العظيم ، و طوى سؤال الكفار إشارة إلى استهانتهم بفضيحة الكذب [" و يحلفون على الكذب -[8]] و هم يعلمون " " فيحلفون له كما يحلفون لكم[9] " و ذكر ما هو أنكا لهم .

و لما أكد سبحانه وجوب الصدع بكل أمره و إن عظمت مشقته و زادت حرقته من غير ركون إلى مؤالف[10] موافق ، و لا اهتمام بمخالف ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : على (٢) فى ظ : عليه (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خالص (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : له (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكافرين . (٧) سقط من ظ (٨) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم سورة ٥٨ آية ١٤ (٩) سورة ٥٨ آية ١٨ (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مالوف .

مشاقق[1]، اعتمادا على تدبيره، و عظيم أمره فى تقديره، ذكرهم بدليل شهودى هو أعظم وقائعهم فى حروبهم، و أشد ما دهمهم من كروبهم[2]، فقال معلما أن المقصود بالذات بما مضى [من -[3]] الأوامر الأمة، و إنما وجه الأمر إلى الإمام[4] ليكون أدعى لهم إلى الامتثال، فإن الأمر للنبى[5] صلى الله عليه و سلم تكوينى بمنزلة ما يقول الله تعالى له "كن" لحقيقته الإرادة لا الأمر، و الأمر للذين آمنوا تكليفى[6]، و قد يراد [منهم -[3]] ما يؤمرون[7] به و قد لا يراد، و للناس احتجاجى أى تقام[8] به عليهم الحجة، و من المحقق أن بعضهم يراد منه[9] خلاف المأمور به: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان، عبر به ليعم المنافقين ﴿ اذكروا ﴾ و رغبهم فى الشكر بذكر الإحسان و التصريح بالاسم الأعظم فقال: ﴿ نعمة الله ﴾ عبر بها لأنها المقصودة بالذات و المراد إنعام الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿ عليكم ﴾ أى لتشكروه عليها بالنفوذ لأمره غير ملتفتين إلى خلاف أحد كائنا من كان، فإن الله كافيكم كل[10] ما تخافون؛ ثم ذكر لهم وقت تلك النعمة زيادة فى تصويرها ليذكر لهم ما كان فيه منها فقال: ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ جاءتكم ﴾ [أى -[3]] فى غزوة الخندق

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: متشاقق (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ركوبهم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امام (٥) فى ظ و مد: إلى النبى (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تكليفا. (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يامرون (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مقام (٩) فى ظ: منهم (١٠) سقط من ظ و مد.

حين اجتمعت عليكم الأحزاب، و كان النبي صلى الله عليه و سلم ضربه حين سمع بهم بمشورة سلمان الفارسي رضى الله عنه على جانبي سلع من شماليه، و خطه و قطع لكل عشرة رجال أربعين[2] ذراعا، و كانوا ثلاثة آلاف، فكان الخندق اثنى عشر ألف ذراع ﴿ جنود ﴾ و هم الأحزاب من قريش و من انضم إليهم من [3]الأحابيش فى أربعة آلاف يقودهم ٥ أبو سفيان بن حرب، و من انضم من[3] قبائل العرب من بنى سليم يقودهم أبو الأعور، و من بنى عامر يقودهم عامر بن الطفيل، و من غطفان يقودهم عيينة بن حصن، و من بنى أسد يقودهم طليحة بن خويلد، و من أسباط بنى إسرائيل من اليهود و من بنى النضير و رؤسائهم حى بن أخطب و ابنا أبى الحقيق، و هم الذين جمعوا الأحزاب بسبب إجلاء ١٠ النبي صلى الله عليه و سلم لبني النضير من المدينة الشريفة، و أفسدوا أيضا بنى قريظة، و كانوا بالمدينة الشريفة وسيدهم كعب بن أسد، فكان الجميع اثنى عشر ألفا، و كانوا واثقين فى زعمهم بأنهم[4] لا يرجعون و قد بقى للاسلام باقية، و لا يكون لأحد من أهله [منهم -[5]] واقية.

و لما كان مجيء الجنود مرهبا، سبب عنه عوده إلى مظهر العظمة ١٥ فقال: ﴿ فارسلنا ﴾ أى تسبب عن ذلك أنا لما رأينا عجزكم عن مقابلتهم و مقاومتهم فى مقاتلتهم ألهمناكم عمل الخندق ليمنعهم[6] من سهولة الوصول

(١) من ظ و م ومد، و فى الأصل: عن (٢) من ظ و م ومد، و فى الأصل: أربعون (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انهم (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م ومد، و فى الأصل: ليمنعكم.

إليكم، ثم لما طال مقامهم أرسلنا بما لنا من العظمة ﴿عليهم﴾ اى خاصة ﴿ريحا﴾ وهى ريح[1] الصبا، فأطفأت نيرانهم، و أكفأت قدورهم / و جفانهم، و سفت التراب فى وجوههم، و رمتهم بالحجارة و هدت[2] خيامهم، و أوهنت بردها عظامهم، و أجالت خيلهم ﴿و جنودا لم تروها[3]﴾

٥ يصح أن تكون الرؤية بصرية و قلبية، منها من البشر نعيم بن مسعود الغطفانى رضى الله عنه هداه الله الاسلام، فأتى النبى صلى الله عليه و سلم و قال: إنه لم يعلم أحد[3] باسلامى، فمرنى يا رسول الله بأمرك! فقال: إنما أنت فينا رجل واحد و الحرب خدعة، فخذل عنا[4] مهما استطعت. فأخلف[5] بين اليهود و بين العرب بأن قال لليهود و كانوا أصحابه: إن

١٠ هؤلاء - يعنى العرب - إن رأوا فرصة انتهزوها و إلا انشمروا إلى بلادهم راجعين، و ليس حالكم كحالهم، البلد بلدكم و بـه أموالكم و نساؤكم و أبناؤكم، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ليكونوا عندكم[6] حتى تناجزوا الرجل، فانه ليس لكم به طاقة إذا انفرد بكم، فقالوا: أشرت بالرأى، فقال: فاكتموا عنى، و قال لقريش: قد علمتم صحبتى

١٥ لكم و فراقى لمحمد، و قد سمعت أمرا ما أظن [7]أنكم تهمونى[7] فيه، فقالوا: ما أنت عندنا بمتهم، قال: فاكتموا عنى[8]. قالوا: نفعل، قال: إن اليهود

---

(١) سقط من ظ (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هدمت (٣) من ظ و م و مد و فى الأصل: احدا (٤) فى ظ: عنها (٥) زيد فى الأصل: بينك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) فى ظ: عندك (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ان تتهمونى (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على ما

قد ندموا على نقض ما بينهم و بين محمد و أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا فهل ينفعنا [عندك -[1]] أن نأخذ لك من القوم جماعة من أشرافهم تضرب أعناقهم ، و نكون معك على بقيتهم ، حتى تفرغ [منهم -[1]] لتكف[2] عنا . و تعيد لنا الأمان ، قال : نعم ، فان أرسلوا إليكم فلا تدفعوا إليهم رجلا واحدا ، ثم أتى غطفان فقال : إنكم أصلى و عشيرتى و أحب الناس إلىّ ، قالوا : صدقت ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، و استنكتهم ، فأرسلت إليهم قريظة يطلبون منهم رهنا فقالوا[4] : صدق نعيم ، و أبو أن يدفعوا إليهم أحدا[5] ، فقالت قريظة : صدق نعيم ، فتخاذلوا و اختلفت كلمتهم ، فانكسرت شوكتهم ، و بردت حدتهم ، و منها[6] من الملائكة جبريل عليه السلام و من أراد الله منهم - على جميعهم أفضل الصلاة و السلام ، و التحية و الإكرام ، فكبروا فى نواحى عسكرهم ، و زلزلوا [بهم -[1]] ، و بثوا الرعب فى قلوبهم ، فماجت خيولهم ، و اضمحل قالهم و قيلهم ، فكان فى ذلك رحيلهم ، بعد نحو أربعين يوما أو بضع و عشرين - على ما قيل .

و لما أجمل سبحانه القصة على طولها فى بعض هذه الآية ، فصلها فقال[7] [ذاكرا الاسم الأعظم إشارة إلى أن ما وقع فيها كان معتنى به

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و تكف . (٣) فى ظ و مد : لا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقال (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رجلا واحدا (٦) فى ظ : منهم (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و قال .

اعتناء من بذل جميع الجهد و إن كان الكل عليه سبحانه يسيرا -[1]] : ﴿ و كان الله ﴾ الذى له جميع صفات [2]الكمال و[2] الجلال و الجمال ﴿ بما يعملون ﴾ أى الأحزاب من التحزب و التجمع و التالب و المكر و القصد السيئ - على قراءة البصرى[3]، و أنتم أيها المسلمون من حفر الخندق و غيره من الصدق فى الإيمان [و غيره -[1]] - على قراءة الباقين ﴿ بصيرا ﴾ بالغ الإبصار و العلم . فدبر فى هذه الحرب ما كان المسلمون به الأعلين . و لم ينفع أهل الشرك قوتهم ، و لا أغنت عنهم كثرتهم ، و لا ضر المؤمنين قلتهم ، و جعلنا ذلك سببا لإغنائهم[4] بأموال بنى قريظة و نسائهم و أبنائهم و شفاء لأدوائهم بإراقة دمائهم - كما سيأتى : ثم ذكرهم الشدة التى حصلت بتمالئهم فقال مبدلا من " اذ " الأولى : ﴿ اذ جآؤكم ﴾ أى الجنود المذكورون بادئا بالأقرب إليهم ، لأن الأقرب أبصر بالعورة و أخبر بالمضرة .

و لما كان من المعلوم أنهم لم يطبقوا ما علا و ما سفل ، أدخل أداة التبعيض فقال : ﴿ من فوقكم ﴾ يعنى بنى قريظة و أسد / و غطفان من ناحية مصب السيول من المشرق ، و أضاف الفوق إلى ضميرهم لأن العيال كانوا فى الآكام[5] ، و هى بين بنى[6] قريظة و بين من فى الخندق ، فصاروا

/ ٢١٧

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .
(٣) راجع نثر المرجان ٤/٣٧٩ و ٣٨٠ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاغنائهم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الالام (٦) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد .

فوق العيال و الرجال .

و لما كان المراد الفوقية[1] من جهة علو الأرض ، أوضحها بقوله : ﴿ و من اسفل منكم ﴾ دون أن يقول : أسفلكم ، و أفاد ذلك أيضا أن من فى الأسفل إنما أحاطوا ببعض جهة الرجال [فقط -[2]] ، و لم يقل ﴿[و -[2]] من تحتكم﴾ لئلا يظن أنه فوق الرؤس و تحت الأرجل ، و لم يقل ٥ فى الأول « من أعلا منكم » لئلا يكون فيه وصف للكفرة بالعلو ، و أسفل الأرض[3] المدينة من ناحية المغرب يعنى قريشا ، و من لاقها من كنانة فان طريقهم من تلك الجهة .

و لما ذكرهم بالمجىء الذى هو سبب الخوف ، ذكرهم بالخوف [بذكر -[2]] ظرفه[4] أيضا مفخما لأمره بالعطف فقال : ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكروا حين ، ١٠ و أنث الفعل و ما عطف عليه لأن[5] التذكير الذى يدور معناه على القوة و العلو و الصلابة ينافى الزيغ[6] فقال[7] : ﴿ زاغت الابصار ﴾ أى مالت عن سداد القصد[8] فعل الواله الجزع بما حصل من الغفلة الناشئة عن الدهشة الحاصلة من الرعب ، و قطع ذلك عن الإضافة إلى كاف الخطاب إبقاء عليهم و تعليما للأدب فى المخاطبة ، و كذا ﴿ و بلغت القلوب ﴾ ١٥ كناية عن شدة الرعب و الخفقان ، و يجوز - و هو الأقرب - أن يكون ذلك

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفوقة (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) فى ظ و مد : ارض (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طرقه (٥) فى م : بان (٦) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الغيظ (٧) سقط من م (٨) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

حقيقة بجذب الطحال و الرئة لها عند ذلك بانتفاخها إلى أعلا الصدر ، و منه قولهم للجبان : انتفخ منخره أى رئته ﴿الحناجر﴾ جمع حنجرة ، و هى منتهى الحلقوم ، و من هذا قول النبي صلى الله عليه و سلم فيما رواه أحمد و أبو داود[1] عن أبي هريرة رضى الله عنه « شر ما فى الإنسان جبن خالع » أى يخلع القلب من مكانه ، و جمع الكثرة إشارة إلى أن ذلك عمهم أو كاد .

و لما كانت هذه حالة عرضت ، ثم كان من أمرها أنها إما زالت و ثبتت إلى انقضاء الأمر ، عبر عنها بالماضى لذلك و تحقيقا لها و لما نشأ عنها تقلب القلوب و تجدد ذهاب الأفكار كل مذهب ، عبر بالمضارع الدال على دوام التجدد فقال : ﴿و تظنون بالله﴾ الذى له صفات الكمال فلا يلم نقص ما بساحة عظمته ، و لا يدنو شيء من شين إلى جناب عزته ﴿الظنونا ه﴾ أى أنواع الظن إما بالنسبة إلى [الأشخاص فواضح ، و ذلك بحسب قوة الإيمان وضعفه ، و أما بالنسبة إلى -[2]] الشخص الواحد فبحسب تغير الأحوال ، فتارة يظن الهلاك للضعف ، و تارة النجاة لأن الله قادر على ذلك ، و[3] يظن المنافقون و من قاربهم[3] من ضعفاء القلوب ما حكى [الله -[4]] عنهم ؛ قال الرازى فى اللوامع : [و -[4]] يروى أن المسلمين قالوا : بلغت [القلوب -[4]] الحناجر ، فهل من شيء نقول ؟

(١) راجع مسند الإمام أحمد ٢/٣٠٢ و سنن أبى داود - أبواب الجهاد (٢) زيد من م (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لظن المنافقين و من قال بهم (٤) زيد من ظ و م و مد .

فقال

فقال عليه الصلاة و السلام : اللهم استر عوراتنا ، و آمن روعاتنا .
و زيادة الألف فى قراءة من أثبتها فى الحالين و هم المدنيان و ابن عامر و شعبة[1] إشارة إلى اتساع هذه الأفكار ، و تشعب تلك الخواطر ، و عند من أثبتها فى الوقف / دون الوصل و هم ابن كثير و الكسائى و حفص[2] إشارة إلى اختلاف الحال تارة بالقوة و تارة بالضعف . ٥ / ٢١٨

و لما كانت الشدة فى الحقيقة إنما هى للثابت لأنه ما عنده إلا الهلاك أو النصرة ، و أما المنافق فيلقى السلم[3] و يدخل داره الذل بالموافقة على جميع ما يراد منه ، ترجم حال المؤمنين قاصرا الخطاب على الرأس لئلا يدخل فى مضمون الخبر إعلاما بأن منصبه الشريف أجلّ من أن يبتلى فقال تعالى: ﴿هنالك﴾ أى فى [ذلك -[4]] الوقت العظيم البعيد الرتبة ١٠ ﴿ابتلى المؤمنون﴾ أى خولط [5]الراسخون فى الإيمان بما شأنه أن يحيل ما خالطه و يميله ، و بناه للمجهول لما كان المقصود إنما هو معرفة المخلص من غيره[5] ، مع العلم بأن فاعل ذلك هو الذى له الأمر[6] كله ، و لم يؤكد الابتلاء بالشدة لدلالة الافتعال عليها ، و صرف الكلام عن الخطاب مع ما تقدم من فوائده ، و عبر بالوصف ليخص الراسخين فقال: ﴿و زلزلوا﴾ ١٥ أى حركوا و دفعوا و اقلقوا و أزعجوا بما يرون من الأهوال بتظافر الأعداء مع الكثرة ، و تطاير الأراجيف ﴿زلزالا شديدا ٥﴾ فثبتوا

(١) راجع نثر المرجان ٥/ ٣٨١ و ٣٨٢ (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جعفر .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السلام (٤) زيد من ظ و م و مد .
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الامل .

بتثبيت الله لهم على عهدهم .

و لما علم بهذا أن الحال المزلزل لهم كان فى غاية الهول ، أشار[1] إلى أنهم لم يزلزلهم بأن حكى أقوال المزلزلين ، و لم يذكر أقوالهم و سيذكرها بعد ليكون الثناء عليهم بالثبات مع عظيم الزلزال مذكورا مرتين إشارة و عبارة ، فقال : ﴿ و اذ ﴾ و أشار إلى تكريرهم لدليل النفاق بالمضارع فقال : ﴿ يقول ﴾ أى مرة بعد أخرى ﴿ المنفقون ﴾ أى الراسخون فى النفاق ، لأن قلوبهم مريضة ملآى مرضا ﴿ و الذين فى قلوبهم مرض[2] ﴾ أى من أمراض الاعتقاد بحيث أضعفها فى الاعتقاد و الثبات فى مواطن اللقاء و فى كل معنى جليل ، فهم بحيث لم يصلوا إلى الجزم بالنفاق و لا الإخلاص فى الإيمان ، بل هم على حرف فعندهم نوع نفاق ، فالآية من الاحتباك : ذكر النفاق أولا دال[3] عليه ثانيا ، و ذكر المرض ثانيا دليل[4] عليه أولا ، [[5] - و هذا الذى قلته فى القلوب موافق لما ذكره الإمام السهروردى فى الباب السادس و الخمسين من عوارفه عن حذيفة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : القلوب أربعة : قلب أجرد فيه سراج يزهو ، فذلك قلب المؤمن ، و قلب أسود منكوس ، فذلك قلب الكافر ، و قلب مربوط على غلاف ، فذلك قلب المنافق ، و قلب مصفح فيه إيمان و نفاق ، فمثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء

(١) فى ظ : إشارة (٢) ليس فى الأصل فقط (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دالا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دليلا (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد .

الطيب ، و مثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح و الصديد، فأىّ المدتين[1] غلبت عليه حكم له بها - و روى هذا الحديث الغزالى فى أواخر كتاب قواعد العقائد من الإحياء[2] عن أبى سعيد الخدرى ، و قال الشيخ زين الدين العراقى : أخرجه أحمد[3]] .

و لما كان المكذب لهم بتصديق وعد الله - و لله الحمد - كثيرا ، أكدوا قولهم و ذكروا الاسم [الأعظم -[4]] و أضافوا الرسول إليه فقالوا: ﴿ ما وعدنا الله ﴾ الذى ذكر [لنا -[4]] أنه محيط الجلال و الجمال ﴿و رسولهُ ﴾ أىْ[5] الذى قال من قال من قومنا : إنه رسول، استهزاء منهم ، و إقامة للدليل فى زعمهم لهـــذا البلاء على بطلان تلك الدعوى ﴿الا غروراه﴾ أى باطلا استدرجنا[6] به إلى الانسلاخ عما كنا عليه من دين آبائنا و إلى الثبات على ما صرنا إليه بعد ذلك الانسلاخ بما وعدنا به من ظهور [هذا الدين على -[7]] الدين كله ، و التمكين فى البلاد حتى فى حفر الخندق ، فانه قال : إنه أبصر بما برق له فى ضربه لصخرة سلمان[8] مدينة صنعاء من اليمن و قصور كسرى بالحيرة من أرض فارس ، و قصور الشام من أرض الروم ، و إن تابعيه سيظهرون على ذلك كله[5] و قد صدق الله وعده فى جميع ذلك حتى فى لبس سراقة بن مالك بن

(١) كذا فى مسند الإمام أحمد ، و فى ظ و إحياء العلوم : المادتين (٢) راجع ١ / ٩٠ (٣) راجع مسنده ٣ / ١٧ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : استدراجا (٧) زيد من م و مد . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سليمان .

جعشم سوارى كسرى بن هرمز كما هو مذكور مستوفى فى دلائل[1]
٢١٩/ النبوة للبيهقى /، و كذبوا فى شكهم . ففاز المصدقون، و خاب الذين هم
فى ريبهم يترددون .

و لما ذكر ما هو الأصل فى نفاقهم و هو التكذيب، أتبعه ما تفرع
٥ عليه، و لما كان تخذيلهم بالترجيع مرة، عبر [عنه -[2]] بالماضى فقال:
﴿ و اذ قالت ﴾ أنث الفعل إشارة إلى رخاوتهم و تأنثهم فى الأقوال
و الأفعال ﴿ طآئفة منهم ﴾ أى قوم كثير من موتى القلوب و مرضاها
[3]يطوف بعضهم[3] ببعض: ﴿ يآهل يثرب ﴾ عدلوا عن الاسم - الذى
وسمها به النبى صلى الله عليه و سلم من المدينة و طيبة مع حسنه - إلى الاسم
١٠ الذى كانت تدعى به قديما مع احتمال قبحه باشتقاقه من الثرب الذى هو
اللوم و التعنيف، إظهارا للعدول عن الإسلام، قال فى الجمع بين العباب
و المحكم: ثرب عليه ثربا و أثرب، بمعنى ثرب تثريبا - إذا لامه و عيّره
بذنبه و ذكره به . و أكدوا بنفى الجنس لكثرة مخالفتهم فى ذلك فقالوا:
﴿ لا مقام لكم ﴾ أى قياما أو موضع قيام تقومون به - على قراءة الجماعة[4]
١٥ بالفتح[5]، و على قراءة حفص بالضم المعنى: لا إقامة أو موضع إقامة[6] فى
مكان[7] القتال و مقارعة الأبطال ﴿ فارجعوا ج ﴾ إلى منازلكم هرابا، و كونوا

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دليل (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣ - ٣) من مد، و فى الأصل و م: يطرف بعض، و فى ظ: يطوف بعض.
(٤) راجع نثر المرجان ٥ / ٣٨٣ (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد، و فى
الأصل: قيام، و الكلمة مع «أو موضع» ساقطة من ظ (٧) فى مد: موضع.

مع نسائكم [أذنابا ـ[١]] ، أو إلى دينكم الأول على وجه المصارحة لتكون لكم[٢] عند هذه الجنود [يد ـ[٣]] .

و لما ذكر هؤلاء الذين هتكوا الستر ، و بينوا ما هم فيه من سفول الأمر ، أتبعهم آخرين تستروا بعض التستر[٤] تمسكا بأذيال النفاق ، خوفا من أهوال الشقاق ، فقال : ﴿ و يستاذن ﴾ أى يجدد كل وقت طلب ٥ الإذن لأجل[٥] الرجوع إلى البيوت و الكون مع النساء ﴿فريق منهم﴾ أى طائفة شأنها الفرقة ﴿ النبى ﴾ و قد رأوا ما حواه من علو المقدار بما له من حسن الخلق و الخلق ، و ما لديه من جلالة الشمائل و كريم الخصائل ، و لم يخشوا من إنبائنا له بالأخبار ، و إظهارنا له الخب[٦] من مكنون الضمائر و خفى الأسرار ، حال كونهم ﴿يقولون ﴾ [أى ـ[٣]] ١٠ فى كل قليل ، مؤكدين لعلمهم بكذبهم و تكذيب المؤمنين لهم [قولهم ـ[٣]] : ﴿ ان بيوتنا ﴾ أتوا بجمع الكثرة إشارة إلى كثرة أصحابهم من المنافقين ﴿عورة[٧]﴾ أى [بها ـ[٦]] خلل كثير[٨] يمكن من أراد من الأحزاب أن يدخلها منه ، فاذا ذهبنا إليها حفظناها منهم و كفينا من يأتى إلينا من مفسديهم[٩] حماية للدين ، و ذبا عن الأهلين . ١٥

و لما قالوا ذلك مؤكدين له ، رده الله تعالى موكدا لرده مبينا لما

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى مد : لهم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الستر (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : إلى . (٦) زيد من م و مد (٧) فى ظ و مد : كبير (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مفسدهم .

أرادوا فقال: ﴿و ما﴾ أي و الحال أنها ما ﴿هى﴾ [فى ذلك الوقت الذى قالوا هذا فيه، و أكد النفى فقال -[1]]: ﴿بعورة ج﴾ و لا يريدون [بذهابهم حمايتها ﴿ان﴾ أى ما ﴿يريدون﴾ -[1]] باستئذانهم ﴿الا فراراه﴾ و لما كانت[2] عنايتهم [مشتدة -[1]] بملازمة دورهم، فأظهروا اشتداد العناية بحمايتها زورا، بين الله ذلك و دل عليه بالإسناد إلى الدور [تنبيها -[1]] على أنها ربة الحماية و العمدة فقال: ﴿و لو دخلت﴾ أى بيوتهم من أىّ داخل كان من هؤلاء الأحزاب[3] أو[4] غيرهم، و أنث الفعل نصا على المراد و إشارة إلى [أن -[5]] ما ينسب[6] إليهم جدير بالضعف، و عبر باداة الاستعلاء فقال: ﴿عليهم﴾ إشارة إلى أنـــه دخول غلبـــة[7] ﴿من اقطارها﴾ أى جوانبها كلها بحيث لايكون لهم مكان للهرب[8].

و لما كان قصد الفرار مع الإحاطة بالدار، من جميع الأقطار، دون الاستقتال[9] للدفع عن الأهل و المال، بعيدا عن أفعال الرجال؛ عبر[10] بأداة التراخى فقال: ﴿ثم سئلوا﴾ أى[11] من أىّ سائل [كان -[1]] ﴿الفتنة﴾ أى الخروج منها فارّين، و كأنه سماه بهـا لأنه لما / كان أشد الفتنة[11] /٢٢٠

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م ومد، و فى الأصل: كان (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الخراب (٤) فى ظ «و» (٥) زيد من م و مد. (٦) من م و مد، و فى الأصل: يتسبب، و فى ظ: بنت - كذا (٧) من م و مد، و فى الأصل وظ: عليه (٨) من ظ و م ومد، و فى الأصل: للثرب. (٩) من ظ و م، و فى الأصل و مد: الاستقبال (١٠) زيد فى ظ: عنه. (١١) سقط من ظ.

[1]من حيث أنه لا يخرج الإنسان من بيته إلا الموت أو ما يقاربه كان كأنه لا فتنة سواه ﴿ لأتوها ﴾ أى الفتنة[1] بالخروج فرارا ، إجابة لسؤال من سألهم مع غلبة الظن بالدخول على صفة الإحاطة أن لا نجاة ، فهم أبدا يعولون على الفرار من غير قتال حماية لذمار[2] أو دفعا لعار ، أو ذبا عن أهل أو جار ، و هذا[3] المعنى ينتظم قراءة [أهل -[4]] الحجاز بالقصر و غيرهم[5] بالمد[6] ، فان من أجاب إلى الفرار فقد أعطى ما كأنه كان فى يده منه غلبة و جبنا و قد جاءه و فعله .

و لما كان هذا عند العرب - مع ما لهم من النجدة و الخوف من السبة[7] - لا يكاد يصدق ، أشار إلى ذلك بتأكيده فى زيادة تصويره فقال : ﴿ و ما تلبثوا بها ﴾ [أى -[4]] البيوت ﴿ الا يسيرا ﴾ فصح بهذا أنهم لا يقصدون إلا الفرار ، لا حفظ البيوت من المضار ، و يدلك على هذا المعنى اتباعه بقوله مؤكدا لأجل ما لهم من الإنكار و الحلف بالكذب[8] : ﴿ و لقد كانوا ﴾ أى هؤلاء الذين أسرعوا الإجابة إلى الفرار مع الدخول عليهم على تلك الصفة من سبى حريمهم و اجتياح[9] بيضتهم ﴿ عاهدوا الله ﴾ أى الذى لا أجلّ منه .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لرماد .
(٣) العبارة من « الفرار » إلى هنا ساقطة من مد (٤) زيد من ظ و م و مد .
(٥) فى ظ : غيره (٦) راجع نثر المرجان ٥/٣٨٥ (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الشبه (٨) فى ظ و م و مد : فى الكذب (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : احتياج .

و لما كان العهد ربما طال زمنه فنسى، فكان ذلك عذرا لصاحبه، بين قرب زمنه بعد[1] بيان عظمة المعاهد اللازم منه ذكره، فقال مثبتا الجار: ﴿من قبل﴾ أى قبل هذه الحالة و هذه الغزوة حين أعجبتهم المواعيد الصادقة بالفتوحات التى سموها الآن عند ما جد الجد عما هى مشروطة به من الجهاد غرورا ﴿لا يولّون﴾ أى يقربون عدوهم ﴿الادبار[2]﴾ أى أدبارهم[3] أبدا لشىء من الأشياء، و لا يكون لهم عمل إذا حمى البأس، و تخالط الناس، و احمرت الحدق و تداعس الرجال، و تعانق الحماة الأبطال إلى[3] الظفر أو الموت.

و لما كان الإنسان قد يتهاون بالعهد لإعراض المعاهد عنه قال: ﴿و كان عهد الله﴾ أى الوفاء بعهد من هو محيط بصفات الكمال. و لما كان العهد فضلة فى الكلام لكونه مفعولا، و اشتدت العناية به هنا، بين ذلك بتقديمه أولا[4] ثم بجعله العمدة، و إسناد الفعل إليه ثانيا فقال: ﴿مسئولا ۝﴾، أى فى[5] أن يوفى[6] به ذلك الذى وقع منه.

و لما أتم سبحانه ما أخبر به رسوله صلى الله عليه و سلم كما دل عليه التعبير بالنبى، استأنف أمره بجوابهم جوابا لمن كأنه قال: ما ذا يقال لهم؟ و إجراءً للنصيحة على لسانه[7] لما هو مجبول عليه من الشفقة، ﴿قل﴾ أى لهم، و أكد لظنهم نفع الفرار: ﴿لن ينفعكم﴾ أى[8] فى

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مع (٢) فى ظ: ديارهم (٣) فى الأصول: الا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اوبا (٥) سقط من ظ و م و مد. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يؤتى (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لسانهم (٨) سقط من ظ.

تأخير آجالكم فى وقت من الأوقات ﴿ الفرار ﴾ أى الذى ما كان استئذانكم إلا بسببه ﴿ان فررتم من الموت﴾ أى بغير عدو ﴿او القتل﴾ لأن الأجل إن كان [قد -[1]] حضر، لم يتأخر بالفرار و إلا لم يقصره الثبات كما كان على رضي الله عنه يقول : إذا دهم الأمر، [2]و توقد الجمر[2]، و اشتد من الحرب الحر، [3]أىّ يومىّ[3] من الموت أفر؟ يوم لايقدر[4] أو يوم قدر، و ذلك أن أجل الله الذى أجله محيط بالإنسان لايقدر أن يتعداه أصلا ﴿ و اذاً ﴾ أى و إذ فررتم .

و لما كانوا لايقصدون بالعيش إلا التمتع، بين ذلك بالبناء للمجهول فقال : ﴿ لاتمتعون ﴾ / أى تمتعا مبالغا فيه كما تريدون بما بقى من / ٢٢١ أعماركم إن كان بقى منها شىء ﴿الا قليلا﴾ بل يتمكن العدو منكم بأدباركم، و من أموالكم و أحسابكم و دياركم، فيفسد مهما[5] قدر عليه من ذلك فلا تقدرون على تداركه إلا بعد زمان طويل و تعب كبير، بخلاف ما إذا ثبتم وفاء بالعهد و حفظا للثناء فلاقيتم الأقران، و قارعتم الفرسان، اعتمادا على ربكم و طاعة لنبيكم، فان [كان -[1]] الأجل قد أتى لم ينقصكم ذلك شيئا، و متم أعزة كراما، و إلا فزتم بالنصر، و حزتم الأجر، و عشتم بأتم نعمة إلى تمام العمر، فالثبات أبقى للهج، و أحفظ للعيش البهج[6].

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣ - ٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اتومن (٤) من ظ و مد، و فى الأصل و م : لا قدر. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فيهما (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : البهيج .

و لما كانوا لما عندهم من التقيد[1] بالوهم، و الدوران مع الحس دأب البهم[2]، جديرين بأن يقولوا: بلى ينفعنا لأنا ظالما رأينا من هرب فسلم، و من ثبت فاصطلم، أمره بالجواب عن هذا بقوله: ﴿قل﴾ أي لهم منكرا عليهم: ﴿من ذا الذى يعصمكم﴾ أى يمنعكم ﴿من الله﴾ المحيط بكل شيء قدرة و علما قبل الفرار و فى حال الفرار و بعده ﴿ان اراد بكم سوءا﴾ فأناخ بكم نقمه فيرد ذلك السوء عنكم ﴿او﴾ يهينكم و يقبح[3] جانبكم و يمتهنه بأن يصيبكم بسوء إن ﴿اراد بكم رحمة[4]﴾ فأفادكم نعمه[4]، و الرحمة النفع سماه بها لأنه أثرها، قيسوا هذا المعنى على مقاييس عقولكم معتبرين له بما وجدتم من الشقين فى جميع أعماركم، هل احترزتم عن سوء إرادة فنفعكم الاحتراز، [5]أو اجتهد[5] غيره فى منعكم رحمة منه فتم له أمره أو أوقع الله بكم شيئا من ذلك فقدر أحد مع بذل الجهد على كشفه بدون إذنه؟ و يمكن أن تكون الآية من الاحتباك: ذكر السوء أولا دليلا على حذف ضده ثانيا، و ذكر الرحمة ثانيا دليلا على حذف ضدها[6] أولا.

و لما كانوا أجمد الناس، أشار سبحانه [7]بكونهم لم يبادروهم[8] بأنفسهم

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التقييد (٢) فى الأصل: البهيم، و فى ظ و م و مد: البهائم (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يمينكم قبيح. (٤) زيد فى ظ: فيرد ذلك السوء (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فاجتهد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: ضده (٧) العبارة من هنا إلى «المتاب» ساقطة من م (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: لم يبادوهم.

الجواب بما يدل على المتاب إلى جودهم بالعطف[1] على ما علم أن تقديره جوابا من كل ذى بصيرة: لايعصمهم أحد من دونه من شيء من ذلك، و لايصيبهم بشيء منه، فقال: ﴿و لا يجدون﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿لهم﴾ و نبه على أنه لا شيء إلا و هو فى قبضته سبحانه، و أنه لا إحاطة لشيء غيره بشيء حتى و لا بالرتب التى دون رتبته[2] بقوله، مثبتا الجار: ﴿من دون الله﴾ و عبر بالاسم العلم إشارة إلى إحاطته بكل وصف جميل، فمن أين يكون لغيره الإلمام بشيء منها إلا باذنه ﴿وليا﴾ يواليهم فينفعهم[3] بنوع نفع ﴿و لانصيرا﴾ ينصرهم من أمره فيرد ما أراده[4] بهم من السوء عنهم.

و لما أخبرهم سبحانه بما علم مما أوقعوه من أسرارهم، و أمره صلى الله عليه و سلم بوعظهم، حذرهم بدوام علمه لمن يخون منهم[5]، فقال محققا مقربا من الماضى و مؤذنا بدوام هذا الوصف له[6]: ﴿قد يعلم﴾ و لعله[7] عبر بـ «قد» التى ربما أفهمت فى هذه العبارة التقليل، إشارة إلى أنه يكفى من له أدنى عقل فى الخوف[8] من سطوة المتهدد[9] احتمال علمه[9]، و عبر بالاسم الأعظم فقال: ﴿الله﴾ إشارة إلى إحاطة الجلال

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالعطب (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: رتبه (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وينفعهم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اراه (٥) فى ظ: منكم (٦) سقط من ظ (٧) زيد فى ظ: قد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الوصف (٩-٩) من ظ و م ومد، و فى الأصل: احتماله عقله.

و الجمال ﴿ المعوقين ﴾ اى المثبطين[1] تثبيط تكرية و عقوق ، يسرعون فيه إسراع الواقع بغير اختياره ﴿منكم﴾ أى أيها الذين أقروا / بالإيمان ٢٢٢ / للناس قاطبة عن إتيان حضرة الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿والقآئلين لاخوانهم هلم﴾ أى ائتوا و أقبلوا ﴿الينا ج﴾ موهمين أن ناحيتهم ٥ مما يقام فيه القتال ، و يواظب على صالح الأعمال ﴿ و لا ﴾ أى و الحال أنهم لا ﴿ياتون الباس﴾ أى الحرب أو مكانها ﴿ الا قليلا ﴾ للرياء و السمعة بقدر ما يراهم المخلصون ، فاذا اشتغلوا بالمعاركة و كفى [2]كل منهم[2] ما إليه تسللوا عنهم لواذا ، و عاذوا بمن لاينفعهم من الخلق عياذا .

و لما كانوا يوجهون لكل من أفعالهم هذه وجها صالحا ، بين فساد ١٠ قصدهم بقوله ذاما غاية الذم بالتعبير بلفظ الشح الذى هو التناهى فى البخل ، فهو بخل بما فى اليد و أمر للغيب بالبخل فهو بخل إلى بخل[3] خبيث قذر متمادي فيه مسارع إليه ﴿ اشحة﴾ أى يفعلون ما تقدم و الحال أن[4] كلا منهم شحيح ﴿ عليكم ج﴾ أى بحصول نفع منهم أو من غيرهم بنفس أو مال .

١٥ و لما كان التقدير : فى حال الأمن ، أتبعه بيان حالهم فى الخوف فقال : ﴿ فاذا جآء الخوف ﴾ أى لمجيء أسبابه من الحرب و مقدماتها ﴿ رايتهم ﴾ أى أيها المخاطب ﴿ ينظرون ﴾ و بين بعدهم حسا و معنى بحرف الغاية فقال : ﴿ اليك﴾ أى حال كونهم ﴿ تدور ﴾ يمينا و شمالا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المتبطئين (٢ - ٢) فى ظ : كلهم ؛ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انهم .

بادارة

بادارة الطرف ﴿اعينهم﴾ أى زائغة[1] رعبا و خورا ؛ ثم شبهها فى سرعة تقلبها لغير قصد صحيح فقال : ﴿ كالذى ﴾ أى كدوران عين الذى ، و بين شدة العناية بتصور[2] ذلك بجعل المفعول عمدة ببناء الفعل له فقال : ﴿ يغشىٰ عليه ﴾ مبتدئا غشيانه ﴿ من الموت ج ﴾ سنة الله فى أن كل من عامل الناس بالخداع ، كان قليل الثبات عند القراع[3] ؛ ثم ذكر خاصة ٥ أخرى لبيان جبنهم فقال : ﴿ فاذا ذهب الخوف[4] ﴾ أى بذهاب أسبابه ﴿ سلقوكم ﴾ أى تناولوكم تناولا صعبا جرأة و وقاحة ، ناسين ما وقع منهم عن قرب من الجبن و الخور[5] ﴿بالسنة حداد﴾ ذربة قاطعة فصيحة بعد أن كانت عند الخوف فى غاية اللجلجة[6] لاتقدر على الحركة من قلة الريق و يبس الشفاه ، و هذا [لطلب -[7]] العرض الفانى من الغنيمة ١٠ أو غيرها ؛ ثم بين المراد بقوله : ﴿اشحة﴾ أى شحا مستعليا ﴿على الخير[8] ﴾ أى المال الذى عندهم ، و فى اعتقادهم أنه لاخير غيره ، شحا لا يريدون أن يصل شىء منه[8] إليكم و لايفوتهم[8] شىء منه ، و هذه [سنة -[9]] أخرى فى أن من كان صلبا فى الرخاء كان رخوا حال الشدة و عند اللقاء ، و إنما فسرت الشح بهذا لأن مادته بترتيبها تدور على الجمع الذى انتهى ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : راعيه (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بتصور (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النزاع (٤) ليس فى الأصل فقط (٥) فى ظ : الخوف (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اللجاجلة. (٧) زيد من م و مد (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد من ظ و م و مد .

فاشرف على الفساد[1]، من الحشيش و المحشة، و هى الدبر، فهو جمع يتبعه فى الأغلب نكد و أذى، و من لوازم مطلق الجمع القوة فتتبعها الصلابة، فربما نشأت القساوة، و ربما نشأت[2] عن الجمع الفرقة فلزمتها الرخاوة، فمن الجمع النكد الشح و هو البخل و الحرص، و شح النفس حرصها على ما ملكت، قال القزاز: و جمع الشحيح فى أقل العدد أشحة. و لم اسمع غيره، و حكى أبو يوسف: أشحاء - بالمد فى الكثير، و الرجلان يتشاحان عن الأمر / - إذا كان كل[3] منهما يريد أن[4] لا يفوته، ٢٢٣ / و زند شحاح: لا يورى، و ماء شحاح: نكد غير غمر - لأنه اشتد اجتماعه فى مكانه، و اشتدت أرضه باجتماع أجزائها فصلبت جدا فضنت به. و أرض شحاح: صلبة. قال القزاز: و به شبه الزند، و الشحشاح: الحاد و السيء الخلق و الماضى فى كلام أو سير، و المواظب على الشيء، لأن ذلك من لوازم الحدة الناشئة عن القوة الناشئة عن الجمع، و من هنا قيل للخطيب البليغ و الشجاع و الغيور: [5]شحشح و شحشاح، و الشحشح[5] من الغربان: الكثير الصوت، و من الحمير: الخفيف، و من القطا: [6]السريعة، و الشحشاح[6]: الطويل - كأنه جمع طولين، و شحشح البعير

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) فى ظ و م و مد: نشأ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كلا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انه (٥-٥) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: شحيح و شحاح و الشحيح (٦-٦) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: الشريعة و الشحاح.

فى الهدير - إذا لم يخلصه، كأنه [جمع -[1]] إلى الهدير ما ليس بهدير، و الشحشحة: صوت الصرد - لكثرة اتصالها. فهى ترجع إلى الحدة التى ترجع إلى القوة الناشئة عن الجمع، و ترديد البعير فى الهدير و الطيران السريع و الحذر، فانه يدل على اجتماع القلب و ثقوب الذهن، و امرأة شحشاح - كأنها رجل فى قوتها، و المشحشح -[2] كمسلسل: القليل الخير، و إبل شحائح: قليلة الدر، و ذلك من الجمع و الصلابة الناشئة عن القساوة و النكد، [2]و الشحيح من الأرض ما يسيل من أدنى مطر، لصلابتها و شدة اجتماع بعضها إلى[2] بعض، و الشحشح أيضا من الأرض ما لايسيل إلا من مطر كثير ضد الأول، و ذلك ناظر إلى جمعها للنظر لغوره[3] فيها لما فى أجزائها من التفرق الذى تقدم أنه من لوازم الجمع، و من مطلق الجمع: الفلاة الواسعة - لأنها جامعة لما يراد جمعه، و الشحاح: شعاب صغار تدفع الماء إلى الوادى، فهى بمدها جامعة، و بكونها صغارا نكدة و مجتمعة فى نفسها، و من الجمع: الحشيش، و هو اليابس من العشب، و أصله ما جمع منه. و المحش[4]: الموضع[5] الكثير الحشيش و الخير، لأن الجمع ربما نشأ عنه رفق، و كثرة الحشيش يلزمها الرفق بعلفه للدواب، و يكون أرضه طيبة، و منه[6] حش الحشيش: قطعه،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لغورة (٤) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: المحسن (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الوضع (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منها.

و فلانا : أصلح من حاله ، و المال : كثره ، و زيدا بعيرا أو ببعير : أعطاه إياه ، و الحش ـ بالفتح : المخرج ، و المحشة : الدبر ، و الحش : البستان ذو النخل المجتمع ، سمى الخلاء به لأن العرب كانت تقضى الحاجة فيه ، و حش طلحة و حش كوكب : موضعان بالمدينة ، و حش[1] الولد فى البطن : يبس ، و أحشت المرأة فهى محش ـ إذا يبس الولد فى جوفها ، و الحش ـ بالضم : الولد الهالك فى البطن ، و حششت[2] الفرس : جمعت له الحشيش ، [و أحششت الرجل : أعنته على جمع الحشيش ، و الحشاش : الجوالق فيه الحشيش ـ[3]] ، و أحش الكلأ : أمكن لأن يُحَش ، و المستحشة من النوق التى دقت أوظفتها[4] ، أى ما فوق رسغها إلى ساقها ، و ذلك من عظمها و كثرة شحمها ، و استحش الغصن : طال ـ كأنه جمع طولين ، أو صار بحيث يجمع ورقا كثيرا ، و استحش ساعدها كفها أى[5] عظم حتى صغرت الكف عنده ، و ألحق الحش بالإش أى الشىء بالشىء ، و حش الودى من النخل[6] : يبس ، و من الجمع : حش الصيد : جمعه من جانبيه ، و الفرس : ألقى له حشيشا ، قال القزاز : و هو يبس الكلأ ، و أصله ما جمع ، و منه : أحشك و تروثنى[7] ـ يضرب لمن أساء إلى من أحسن إليه ،

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الحشن (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جشت ـ خطأ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : اوطيتها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : إلى (٦) زيد فى الأصل : أى . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (٧) من القاموس ، و فى الأصول : ترثنى .

و مرت

و مرت الإبل تحش الأرض، أى تجمع الحشيش، و قيل: هو من سرعة مرها، و فيه مع كثرة الجمع للخطى بتقاربها معنى الحدة، و منه حش الفرس: أسرع، و من الإشراف على الفساد: الحش - بالفتح و هو النخل الناقص القصير ليس بمسق و لامعمور، و الحشاشة: رمق النفس، يقال: ما بقى من فلان إلا حشاشة أى رمق يسير يحيى به، و عبارة القاموس، ٥ و الحشاش و الحشاشة: بقية الروح فى المريض و الجريح، فهذا بين فى الإشراف على الفساد كما تقدم، و هو أيضا من الفرقة التى قد تلزم الجمع و منه تحشحشوا أى تفرقوا، و منه قلة الاستحشاش[1]، و هو قلة القوم، و من الحدة الناشئة عن القوة الناشئة: عن الجمع حششت النار أى أوقدتها و جمعت الحطب إليها، و كل ما قوى[2] بشىء فقد حش به، و المحش: حديدة ١٠ يوقد بها النار أى تحرك، و الشجاع، قال القزاز، و هو محش حرب - إذا كان يسعرها بشجاعته، و حش فلان الحرب - إذا هيجها، و منه تحشحشوا[3] أى تحركوا، و من مطلق الحدة: أحششته عن حاجته[4]: أعجلته عنها، و من الجمع و القوة: حش سهمه بالقذذ - إذا راشه فألزقها من نواحيه، و حشاشاك أن تفعل كذا أى قصاراك أى نهاية جمعك [5]لكل ما تقوى ١٥ به[5]، و حشاشا كل شىء: جانباه، و الحشة - بالضم: القبة[6] العظيمة، لكثرة

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاحتشاش (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حش (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تحششوا (٤) زيد فى الأصل: إذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و القاموس فحذفناها (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جعل الكل ما يقوى (٦) من ظ و م و مد و القاموس، و فى الأصل: القمة.

جمعها و قوة تراصّها .

و لما وصفهم سبحانه بهذه الدنايا، أخبر بأن أساسها و أصلها الذى نشأت عنه[1] عدم الوثوق بالله لعدم الإيمان فقال : ﴿اولئك﴾ أى البغضاء البعداء الذين محط أمرهم الدنيا ﴿لم يؤمنوا﴾ أى لم يوجد منهم إيمان ٥ بقلوبهم و إن أقرت به ألسنتهم .

و لما كان العمل لايصح بدون الإيمان ، سبب عن ذلك قوله : ﴿فاحبط الله﴾ أى بجلاله و تفرده فى[2] كبريائه و كماله ﴿اعمالهم[3]﴾ أى أبطل أرواحها . فصارت أجسادا لا أرواح لها . فلا نفع لهم بشىء منها لأنها كانت فى الدنيا صورا مجردة عن الأرواح التى هى القصود ١٠ الصالحة . فانهم لا قصد لهم بها إلا التوصل إلى الأعراض الدنيوية ، و هذا إعلام بأن من كانت الدنيا أكبرهمه فهو غير مؤمن ، و أنه يكون خوارا[4] عند الهزاهز ، ميالا إلى دنايا الشجايا و الغرائز .

و لما كان من عمل عملا لم يقدر غيره و إن كان أعظم منه ان يبطل نفعه به إلا بعسر شديد ، قال تعالى : ﴿وكان ذلك﴾ أى الإحباط ١٥ العظيم مع ما لهم من الجرأة فى الطلب و الإلحاف [عند السؤال -[5]] و قلة الأدب ﴿على الله﴾ بما له من صفات العظمة التى تخشع لها الأصوات ، و تخرس الألسن الذربات ﴿يسيرا﴾ لأنه لا نفع [إلا منه -[5]]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليه (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : خوار (٤) زيد من ظ و م و مد .

و هو الواحد القهار ، و أما غيره فانما عسر عليه ذلك ، لأن النفع من غيره - و إن كان منه حقيقة[1] - قهره غيره بالشفاعات و وجوه[2] النكد أو غيرها عليه ، و كأنهم لما ذهب استمروا خاضعين لم يطلقوا ألسنتهم ولا أعلوا كلمتهم ، فأخبر تعالى تحقيقا لقوله الماضى فى جبنهم / أن المانع الذى ذكره لم يزل من عندهم لفرط جبنهم ، فقال تحقيقا لذلك و جوابا لمن ربما قال : قد ذهب الخوف فما لهم ما سلقوا ؟ : ﴿ يحسبون ﴾ أى يظنون لضعف عقولهم فى هذا الحال ، و قد ذهب الخوف ، لشدة جبنهم و ما رسخ عندهم من الخوف ﴿ الاحزاب ﴾ و قد علمتم أنهم ذهبوا ﴿ لم يذهبوا ﴾ بل غابوا خداعا ، و عبر بالحسبان لأنه - كما مضى عن الحرالى فى البقرة[3] - ما تقع غلبته فيما هو من نوع ما فطر الإنسان عليه و استقر عادة له ، و الظن فيما هو من المعلوم المأخوذ بالدليل و العلم ، قال : فكان ضعف[4] علم العالم ظن ، و ضعف عقل العاقل حسبان .

/ ٢٢٥

و لما أخبر عن حالهم فى ذهابهم ، أخبر عن حالهم لو وقع ما يتخوفونه من رجوعهم ، فقال معبرا بأداة الشك بشارة لأهل البصائر أنه فى عداد المحال : ﴿ و ان يات الاحزاب ﴾ أى بعد ما ذهبوا ﴿ يودّوا ﴾ أى يتجدد لهم غاية الرغبة من الجبن و شدة الخوف ﴿ لو[5] انهم بادون ﴾ أىَ فاعلون البدو و هو الإقامة فى البادية على حالة الحل و الارتحال

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هو .
(٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ضعيف (٥) ليس فى الأصل فقط .

﴿فى الاعراب﴾ الذين هم عندهم فى محل النقص[1]، و ممن تكره مخالطته و لو كان تمنيهم فى ذلك الحين محالا ؛ ثم ذكر حال فاعل "بادون" فقال : ﴿يسالون﴾ كل وقت ﴿عن انبآئكم[4]﴾ العظيمة معهم جريا على ما هم عليه من النفاق ليبقوا لهم عندكم وجها كأنهم مهتمون بكم، يظهرون ٥ بذلك تحرقا على غيبتهم عن هذه الحرب [أو ليخفوا غيبتهم و يظهروا أنهم كانوا بينكم فى الحرب بأمارة أنه وقع لكم فى وقت كذا أو مكان كذا كذا، و يكابروا على ذلك من غير استحياء ـ[2]] لأن النفاق صار لهم خلقا لا يقدرون على الانفكاك عنه، و يرشد إلى هذا المعنى قراءة يعقوب[3] "يسالون" بالتشديد ﴿و لو﴾ أى و الحال أنهم لو ﴿كانوا فيكم﴾ ١٠ أى[4] حاضرين لحربهم[5] ﴿ما قٰتلوٓا﴾ أى معكم ﴿الا قليلا ۝﴾ نفاقا كما فعلوا قبل ذهاب الأحزاب من حضورهم معكم تارة و استئذانهم فى الرجوع إلى منازلهم أخرى، و التعويق لغيرهم بالفعل كرة، و التصريح بالقول أخرى .

و لما أخبر تعالى عنهم بهذه الأحوال التى هى[6] غاية [فى ـ[7]] ١٥ الدناءة، اقبل عليهم إقبالا يدلهم على تناهى الغضب، فقال مؤكدا محققا لأجل إنكارهم : ﴿لقد كان لكم﴾ ايها الناس كافة الذين المنافقون فى غمارهم ﴿فى رسول الله﴾ الذى جاء عنه لإنقاذكم من كل ما يسوءكم،

(١) فى ظ و م و مد : نقص (٢) زيد من ظ و مد (٣) راجع نثر المرجان ٥/٣٩٣ (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل : بهم (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فى (٧) زيد من ظ و م و مد .

و جلاله

و جلاله من[١] جلاله المحيط بكل جلال، و كماله من كماله العالى على كل كمال، و هو أشرف الخلائق، فرضيتم مخالطة الأجلاف بدل الكون معه ﴿اسوة﴾ أى قدوة[٣] عظيمة - على قراءة عاصم[٣] بضم الهمزة، و فى أدنى المراتب - على قراءة الباقين بالكسر، تساوون أنفسكم به و هو أعلى الناس قدرا يجب على كل أحد أن[٤] يفدى ظفره الشريف و لو بعينه ٥ فضلا عن أن يسوى نفسه بنفسه، فيكون معه فى كل أمر يكون فيه، لايتخلف عنه أصلا ﴿حسنة﴾ على قراءة الجماعة بمطلق الصبر فى البأساء و أحسنية - على قراءة عاصم بالصبر على الجراح فى نفسه و الإصابة فى عمه[٥] و أعزّ أهله و جميع ما [كان - [٦]] يفعل فى مقاساة الشدائد، و لقاء الأقران، و النصيحة لله و لنفسه و للمؤمنين، و عبر عنه بوصف ١٠ الرسالة لأنه حظ الخلق منه ليقتدوا بأفعاله و أقواله، و يتخلقوا بأخلاقه / ٢٢٦ و أحواله، و نبه على أن الذى يحمل على التأسى به صلى الله عليه و سلم إنما هو الصدق فى الإيمان و لاسيما الإيمان بالقيامة، و أن الموجب [٧]للرضا بالدنيا[٧] هو التكذيب بالآخرة فقال مبدلا من "لكم": ﴿لمن كان﴾ أى كونا كأنه جبلة له ﴿يرجوا الله﴾ أى فى جبلته أنه يجدد الرجاء ١٥ مستمرا للذى لاعظيم فى الحقيقة سواه فيأمل[٨] إسعاده و يخشى إبعاده

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قدرة (٣) راجع نثر المرجان ٥/٢٩٤ (٤) من م ومد، و فى الأصل و ظ: أى.
(٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عمد (٦) زيد من ظ و م و مد.
(٧ - ٧) من ظ و م و مد. و فى الأصل: بالرضا للدنايا (٨) من ظ و مد، و فى الأصل و م: فيومل.

﴿و اليوم الآخر﴾ الذى لابد من إيجاده و مجازاة الخلائق فيه بأعمالهم، فمن كان كذلك حمله رجاؤه على كل خير، و منعه عن كل شر، فانه يوم التغابن، لأن الحياة فيه دائمة، و الكسر فيه لا يجبر .

و لما عبر بالمضارع المتقضى لدوام التجدد اللازم منه دوام الاتصاف الناشئ عن المراقبة لأنه فى جبلته[1]، أنتج أن يقال: فأسى رسول الله صلى الله عليه و سلم فى كل شىء تصديقا لما فى جبلته من الرجاء، فعطف عليه، أو على "كان" المقتضية للرسوخ[2] قوله: ﴿و ذكر الله﴾[3] الذى له صفات الكمال، و قيده بقوله: ﴿كثيرا ۝﴾ تحقيقا لما ذكر من معنى الرجاء الذى به الفلاح و أن المراد منه[4] الدائم فى حالى السراء و الضراء .

و لما أخبر عما حصل فى هذه الوقعة[5] من الشدائد الناشئة عن الرعب لعامة الناس، و خص من بينهم المنافقين بما ختمه بالملامة فى ترك التأسى بمن[6] أعطاه الله قيادهم، و أعلاه عليهم فى الثبات و الذكر، و ختم هذا الختم بما يثمر الرسوخ فى الدين، ذكر حال الراسخين فى اوصاف الكمال المتأسين بالداعى، المقتفين للهادى، فقال عاطفا على "هنالك ابتلى المؤمنون": ﴿و لما رآ المؤمنون﴾ أى الكاملون فى الإيمان ﴿الاحزاب[7] ۝﴾ الذين[8]

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حياته (٢) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد فى ظ: اى (٤) سقط من ظ.
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الواقعه (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٧) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الذى .

أدهشت رؤيتهم القلوب[1] ﴿ قالوا ﴾ أى مع ما حصل لهم من الزلزال و تعاظم الأحوال : ﴿ هذا ﴾ أى الذى نراه من الهول ﴿ ما وعدنا ﴾ [من تصديق دعوانا الإيمان بالبلاء و الامتحان - [2]] ﴿ الله ﴾ الذى له الأمر كله ﴿ و رسوله ﴾ المبلغ عنه فى [نحو -[3]] قوله "ام حسبتم ان تدخلوا الجنة و لما يأتكم مثل الذين [4]خلوا من قبلكم" "احسب الناس ان يتركوا" "ام حسبتم ان تتركوا و لما يعلم الله الذين[4] جاهدوا منكم" و أمثال ذلك ، فسموا المس بالباساء[5] و الضراء ، و الابتلاء بالزلزال و الأعداء ، [وعدا -[3]] لعلمهم بما لهم عليه عند الله ، و لاسيما فى يوم الجزاء ، و ما يعقبه من النصر ، عند اشتداد الأمر .

و لما كان هذا معناه التصديق ، أزالوا عنه احتمال أن يكون أمرا اتفاقيا ، و صرحوا به على وجه يفهم الدعاء بالنصر الموعود به فى قولهم عطفا على هذا : ﴿ و صدق ﴾ [مطلقا لا بالنسبة إلى مفعول معين -[6]] ﴿ الله ﴾ الذى له صفات الكمال ﴿ و رسوله ﴾ الذى كماله من كماله . أى ظهر صدقهما فى عالم الشهادة فى كل ما وعدا به من السراء و الضراء مما رأيناه . و هما صادقان فيما غاب عنا مما وعدا به من نصر و غيره ، و إظهار الاسمين للتعظيم و التيمن بذكرهما .

و لما كان هذا قولا يمكن أن يكون لسانيا فقط كقول المنافقين ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العقول (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالسراء (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لسانا .

أكده لظن المنافقين ذلك، فقال سبحانه شاهدا لهم: ﴿ و ما زادهم ﴾ أى ما رأوه من أمرهم المرعب[1] ﴿ الا ايمانا ﴾ أى بالله و رسوله بقلوبهم؛ و أبلغ سبحانه[2] فى وصفهم بالإسلام، فعبر بصيغة التفعيل فقال: ﴿ و تسليما ﴾[3] أى لهما بجميع جوارحهم[4] فى جميع القضاء و القدر،

٢٢٧/ ٥ / و قد تقدم فى قوله تعالى فى سورة الفرقان " و يجعل لك قصورا "[5] ما هو من شرح هذا. و لما كان كل [من -[6]] آمن بائعا[7] نفسه و ماله لله، لأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم و أموالهم، و كان بعض الراسخين فى الإيمان لم يعط الإيمان حقه فى القتال فى نفسه و ماله، كما فعل أبو بكر رضى الله عنه، أما فى ماله فبالخروج عنه كله، و أما فى نفسه

١٠ فبما كان يقحمها من الأهوال، حتى كان النبى صلى الله عليه و سلم يقول له فى بعض المواطن: الزم مكانك و أمتعنا بنفسك، و يقول له و لعمر رضى الله عنهما أنهما من الدين بمنزلة السمع و البصر، وكان أبو بكر رضى الله عنه فى ليلة الغار يذكر الطالب فيتأخر، و الرصد فيتقدم، و ما عن الجوانب[7] فيصير إليها؛ و منهم من وفى فى هذه الغزوة و ما قبلها

١٥ فأراد الله التنويه بذكرهم و الثناء عليهم توفية لما يفضل به من حقهم، و ترغيبا لغيرهم[8] فأظهر و لم يضمر لئلا يتقيد بالمذكورين سابقا فيخص

(١) فى ظ و مد: المرغب (٢) زيد فى ظ: شاهدا (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) آية ١٠ (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: بايع (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجواب (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نصرهم.

هذه الغزوة فقال: ﴿ من المؤمنين ﴾ أى الكمل ﴿ رجال ﴾ أى فى غاية العظمة عندنا، ثم وصفهم بقوله: ﴿ صدقوا ﴾ .

و لما كان العهد عند ذوى الهمم العلية، و الأخلاق الزكية، لشدة ذكرهم [له -[1]] و محافظتهم على الوفاء به، و تصوره[2] لهم حتى كأنه رجل عظيم قائم تجاههم يتقاضاهم الصدق، عدى الفعل إليه فقال: ﴿ما عاهدوا الله﴾ المحيط علما و قدرة و جلالا و عظمة ﴿ عليه ﴾ أى من[3] بيع أنفسهم و أموالهم له بدخولهم فى هذا الدين الذى بنى على ذلك فوفوا به أتم وفاء، و فى هذا إشارة إلى أبى لبابة [بن -[1]] المنذر رضى الله عنه، وكان من أكابر المؤمنين الراسخين فى صفة الإيمان حيث زل فى إشارته إلى بنى قريظة بأن المراد بهم الذبح، كما تقدم فى الأنفال فى قوله تعالى "يايها الذين امنوا لا تخونوا الله و الرسول و تخونوا امنتكم[4]" فذهب من حينه و ربط نفسه تصديقا لصدقه[5] فى سارية من سوارى المسجد حتى تاب الله عليه و حله رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده الشريفة .

و لما ذكر الصادقين، و كان ربما فهم[6] أن الصدق لا يكون إلا بالقتل، قسمهم [قسمين -[1]] مشيرا إلى خلاف ذلك بقوله: ﴿ فمنهم من قضى ﴾ أى أعطى ﴿ نحبه ﴾ [أى نذره -[1]] فى معاهدته أنه ينصر رسول الله صلى الله عليه و سلم و[7] يموت دونه، و فرغ من

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تصويره .
(٣) فى ظ: منه (٤) آية ٢٧ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لصدقه .
(٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: فيهم (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: او .

ذلك و خرج من عهدته بأن قتل شهيدا ، فلم يبق عليه نذر كحمزة بن عبد المطلب و مصعب بن عمير و عبد الله بن جحش و سعد بن الربيع و أنس بن النضر[1] الذى غاب عن[2] غزوة بدر فقال : غبت عن أول قتال قاتل فيه النبي صلى الله عليه و سلم ، لئن أشهدنى الله قتالا ليرين الله ما أصنع ، فلما انهزم [من انهزم -[3]] فى غزوة أحد قال : اللهم إنى أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء - يعنى المشركين - و مما صنع هؤلاء - يعنى المنهزمين من المسلمين . و قاتل حتى قتل بعد بضع و ثمانين جراحة[4] من ضربة بسيف ، و طعنة برمح ، و رمية بسهم ، و روى [البخارى -[3]] عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : نرى[5] هذه الآيات / نزلت فى أنس ٢٢٨ / ابن النضر "من المؤمنين رجال" - انتهى ، و غير هؤلاء ممن قتل قبل هذا فى غزوة أحد و غيرها . و سعد بن معاذ ممن جرح فى هذه الغزوة و حكم فى بنى قريظة بالقتل و السبي[6] ، و لم يرع لهم حلفهم لقومه ، و لا أطاع قومه فى الإشارة عليه باستبقائهم كما استبقى عبد الله بن أبى المنافق بنى قينقاع و لا أخذته بهم رافة غضبا لله و لرسوله[7] رضى الله عنه ، و ممن لم يقتل فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم طلحة بن[8] عبيد الله أحد[8] العشرة

(١) فى ظ : ابى النضر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : فى (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جراعة (٥) من ظ و م و مد و صحيح البخارى ٢ / ٥٠٧ ، و فى الأصل : ترى (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : بالسبي (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : رسوله (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عبد الله احدى .

رضى الله عنهم ثبت[1] فى احد و فعل ما لم يفعله غيره ، لزم النبى صلى الله عليه و سلم فلم يفارقه ، و ذب عنه و وقاه[2] بيده حتى شلت إصبعه فشهد النبى صلى الله عليه و سلم أنه ممن قضى نحبه ، فالمراد بالنحب هنا العهد الذى هو كالنذر المفضى إلى الموت ، و أصل النحب الاجتهاد فى العمل ، و من هنا[3] استعمل فى النذر لأنه الحامل على ذلك ﴿و منهم﴾ أى الصادقين ﴿من ينتظر﴾ قضاء النحب إما بالنصرة ، أو الموت على الشهادة ، أو مطلق المتابعة الكاملة .

و لما كان[4] المنافقون ينكرون أن يكون أحد صادقا فيما يظهر من الإيمان ، أكد قوله تعريضا بهم : ﴿و ما بدلوا تبديلا﴾ أى و ما أوقعوا شيئا من تبديل بفترة أو توان ، فهذا تصريح بمدح أهل الصدق ، و تلويح بذم أهل النفاق عكس ما تقدم ، روى البخارى[5] [عن زيد بن ثابت -[6]] رضى الله عنه قال : لما نسخنا الصحف[7] بالمصاحف[8] فقدت آية من سورة الأحزاب كنت كثيرا أسمع النبى صلى الله عليه و سلم يقرأها ، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصارى - رضى الله عنه - الذى جعل[9] رسول الله صلى الله عليه و سلم شهادته شهادة رجلين " من المؤمنين رجال صدقوا

(١) سقط من ظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رقاه (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كانوا المنانوا - كذا (٥) راجع صحيحه ٢/٧٠٥ (٦) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٧) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : المصحف (٨) فى الصحيح : فى المصاحف (٩) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : جعله .

ما عاهدوا الله عليه". و قوله «نسخنا الصحف» التى كانت عند حفصة رضى الله عنها بعد موت عمر رضى الله عنه «فى المصاحف» التى أمر بها عثمان رضى الله عنه، و قوله «لم أجدها» أى مكتوبة بدليل حفظه لها، و هذا يدل على أنه لما نسخ المصاحف فى عهد عثمان رضى الله عنه لم يقتنعوا بالصحف، بل ضموا[1] إليها ما هو مفرق عند الناس مما كتب بأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم و بحضرته كما فعلوا حين جمعوا الصحف على عهد أبى بكر رضى الله عنهم [أجمعين -[2]] .

و لما كان كأنه قيل: قد فهم من سياق هذه القصة أن القصد الإقبال عليه سبحانه، و قطع جميع العلائق من غيره، لأنه قادر على كل شىء، فهو يكفى[3] من أقبل عليه كل مهم و إن كان فى غاية العجز عنه، تارة بسبب ظاهر، و تارة بغيره، فما له لم يحكم[4] بالاتفاق على كلمة الإسلام، لتحصل الراحة من هذا الغناء كله، فاجيب بأن هذا لتظهر[5] صفة العز و العظمة و العدل و غيرها ظهورا تاما - إلى غير ذلك من حكم ينكشف عنها الحجاب، و ترفع لتجليها غاية التجلى ستور الأسباب، فقال تعالى معلقا بقوله "جاءتكم جنود": ﴿ليجزى الله﴾ أى الذى يريد إظهار جميع صفاته يوم البعث للخاص و العام ظهورا تاما ﴿الصادقين﴾ فى ادعاء أنهم آمنوا به ﴿بصدقهم﴾ / فيعلى أمرهم فى ٢٢٩ /

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ضمنوا (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) زيد فى الأصل: كل (٤-٤) من ظ و م و مد. و فى الأصل: لهم يحكم.
(٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: ليظهر.

الدنيا و ينعمهم فى الأخرى، فالصدق سبب و إن كان فضلا منه لأنه الموفق له ﴿و يعذب المنفقين﴾ فى الدارين بكذبهم فى دعواهم[1] الإيمان المقتضى [لبيع -[2]] النفس و المال ﴿إن شآء﴾ يعذبهم بموتهم على النفاق ﴿او يتوب عليهم[3]﴾ أى[3] بما يرون من صدقه سبحانه فى إعزاز أوليائه و إذلال أعدائه بقدرته التامة حيث كانوا قاطعين بخلاف ذلك. ٥

و لما كانت توبة المنافقين مستبعدة لما يرون[3] من صلابتهم فى الخداع و خبث سرائرهم، قال معللا ذلك كله على وجه التأكيد: ﴿ان الله﴾ أى بما له من الجلال و الجمال ﴿كان﴾ أزلا و أبدا ﴿غفورا رحيما[4]﴾ يستر الذنب و ينعم على صاحبه بالكرامة، أما فى الإثابة لكل فالرحمة عامة، و أما فى تعذيب المنافق فيخص الصادقين، لان عذاب أعدائهم من أعظم ١٠ نعيمهم، و فى حكمه بالعدل عموم الرحمة[4] أيضا، فهو لايعذب أحدا فوق ما يستحق.

و لما ذكرهم سبحانه نعمته بما أرسل على أعدائهم من جنوده، و بين أحوال المنافقين و الصادقين و ما له فى ذلك من الأسرار، و ختم بهاتين الصفتين، قال مذكرا بأثرهما فيما خرقه من العادة بصرف الأعداء ١٥ على كثرتهم و قوتهم على حالة لايرضاها لنفسه عاقل، عاطفا على قوله فى أول السورة و القصة "فارسلنا": ﴿و رد الله﴾ اى بما له من

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دعوى (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ و مد: الرحمة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.

صفات الكمال ﴿الذين كفروا﴾ أى ستروا ما دلت عليه شموس عقولهم من أدلة الوحدانية و حقية[1] الرسالة. و هم من تحزب من العرب و غيرهم على رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى بلادهم عن المدينة[2] و مضايقة[3] المؤمنين، حال كونهم ﴿بغيظهم﴾ الذى أوجب لهم التحزب [ثم الذى
٥ أوجب لهم التفرق عن غير طائل -[2]] حال كونهم ﴿لم ينالوا خيرا[4]﴾ لا من الدين و لا من الدنيا، بل خذلهم بكل اعتبار.

و لما كان الرد قد يكون بسبب من عدوهم، بين أن الأمر ليس كذلك فقال: ﴿وكفى الله﴾ اى العظيم بقوته و عزته عبادَه. [5]و دل[6] على أنه[4] ما فعل ذلك إلا لأجل أهل الإخلاص[5] فقال:
١٠ ﴿المؤمنين القتال[6]﴾ بما ألقى فى قلوبهم من الداعية للانصراف بالريح و الجنود من الملائكة و غيرهم منهم نعيم [بن -[7]] مسعود كما تقدم.

و لما كان هذا أمرا باهرا، أتبعه ما[7] يدل على أنه عنده يسير فقال: ﴿وكان الله﴾ أى الذى له كل[8] صفة كمال دائما ازلا و ابدا ﴿قويا﴾ لا يعجزه شىء ﴿عزيزا[9]﴾ يغلب كل شىء.

١٥ و لما أتم[10] أمر الأحزاب، اتبعه حال الذين آلبوهم[11]، وكانوا سبباً

(١) من ظ و مد، و فى الاصل و م: حقيقة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ: ما (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الخلاص (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ: بما (٨) سقط من ظ (٩) تقدم فى ظ على «لا يعجزه» (١٠) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تم (١١) فى الأصل: ابوهم، و فى ظ و م و مد: الّبوهم - كذا بفك الإدغام.

فى إتيانهم كحيي بن اخطب و الذين مالأوهم على ذلك ، و نقضوا ما كان لهم من عهـــد ، فقال : ﴿ و انزل الذين ظاهروهم ﴾ أى عاونوا الأحزاب ، ثم بينهم بقوله مبعضا[1] : ﴿من اهل الكتب﴾ و هم بنو قريظة و من دخل معهم فى حصنهم من بنى النضير كحيي ، و كان ذلك بعد إخراج بنى قينقاع و بنى النضير ﴿من صياصيهم﴾ أى حصونهم العالية ، ٥ جمع صيصية و هى كل ما يتمنع به من قرون البقر و غيرها مما شبه بها من الحصون .

و لما كان الإنزال من محل التمنع[2] عجبا ، و كان على وجوه شتى ، فلم يكن صريحا فى الإذلال ، فتشوفت النفس إلى بيان حاله ، بين أنه الذل فقال / عاطفا بالواو ليصلح لما قبل و لما[3] بعد : ﴿و قذف فى قلوبهم الرعب﴾ ١٠ / ٢٣٠ أى بعد الإنزال كما كان قذفه قبل الإنزال ، فلو قدم القذف على الإنزال لما أفاد هذه الفوائد ، [4]و لا اشتدت ملاءمة[4] ما بعده للانزال .

و لما ذكر ما أذلهم به ، ذكر ما تأثر[5] عنه مقسما له فقال : ﴿فريقا﴾ فذكره بلفظ الفرقة و نصبه ليدل بادئ بدء على أنه طوع لأيدى الفاعلين : ﴿ تقتلون ﴾ و هم الرجال ، و كان نحو سبعمائة . و لما بدأ[1] بما دل على ١٥ التقسيم[6] مما منه الفرقة ، و قدم أعظم الأثرين الناشئين عن الرعب ، أولاه الأثر الآخر ليصير الأثران المحبوبان محتوشين بما يدل على الفرقة

(١) سقط من مد (٢) من م ومد ، و فى الأصل وظ : التمتع (٣) فى ظ و مد: ما (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشتد ملا - كذا (٥) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : توثر (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النقيم .

فقال : ﴿و تاسرون فريقا﴾ و هم الذرارى و النساء ، و لعله أخر الفريق هنا ليفيد التخيير فى أمرهم ، و قدم فى الرجال لتحتم القتل فيهم .

و لما ذكر الناطق بقسميه ، ذكر الصامت فقال : ﴿و اورثكم ارضهم﴾ من الحدائق و غيرها ؛ و لما عم خص بقوله : ﴿و ديارهم﴾ لأنه يحامى ٥ عليها ما لا يحامى على غيرها ؛ ثم عم بقوله : ﴿و اموالهم﴾ مما تقدم و من غيره من النقد و الماشية و السلاح و الأثاث و غيرها ، فقسم ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم على المسلمين للفارس ثلاثة أسهم : للفرس[1] سهمان و لفارسه[2] سهم كما للراجل ممن ليس له فرس ، و أخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وقعت المقاسم و مضت السنة فى المغازى[3] ، و اصطفى ١٠ رسول الله صلى الله عليه و سلم من سباياهم ريحانة بنت عمرو بن خناقة إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فلبثت قليلا ، ثم أسلمت ، فأراد رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يتزوجها و يضرب عليها الحجاب فقالت : يا رسول الله ! بل تتركنى فى ملكك فهو أخف علىّ و عليك ، فتركها حتى توفى عنها و هى [فى] ملكه رضى الله عنها .

١٥ و لما كانت هذه غزوة[5] طار رعبها فى الآفاق ، و أذلت أهل الشرك من الأميين و غيرهم على الإطلاق ، و نشرت ألوية النصر فخفقت أعلامها فى جميع الآفاق ، و أغمدت سيف الكفر و سلت صارم الإيمان

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للفارس (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لفرسه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العلوى (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دعوة .

الرؤس

للرؤس و الأعناق، حتى قال النبى صلى الله عليه و سلم و هو أبصر الناس بالحروب، و أنفذهم رأيا لما له من الثبات عند اشتداد الكروب: الآن نغزوهم و لايغزونا، قال تعالى: ﴿و ارضا لم تطؤها﴾ أى تغلبوا عليها بتهيئتكم[1] [للغلبة -[2]] عليها و إعطائكم القوة القريبة من فتحها، و هى أرض خيبر أولا، ثم أرض مكة ثانيا ثم أرض[3] فارس و الروم و غيرهما[4] ٥ مما فتحه الله بعد ذلك، و كان قد حكم به فى هذه[5] الغزوة حين أبرق[6] تلك البرقات[6] للنبى صلى الله عليه و سلم فى حفر الخندق، فأراه فى الأولى اليمن، و فى الأخرى فارس، و فى الأخرى الروم.

و لما كان ذلك أمرا باهرا، سهله بقوله: ﴿و كان الله﴾ أى أزلا و أبدا بما له من صفات الكمال ﴿على كل شىء﴾ هذا و غيره ﴿قديرا ع﴾ ١٠ أى شامل القدرة.

و لما تقرر بهذه الوقائع - التى نصر[7] فيها سبحانه وحده بأسباب باطنة سببها، و أمور خفية رتبها، تعجز عنها الجيوش المتخيرة المستكثرة، و الملوك المتجبرة[8] المستكبرة - ما قدم من أنه كافى من توكل عليه، و أقبل بكليته إليه، و ختم بصفة القدرة العامة الدائمة، تحرر[9] أنه قادر على ١٥

(١) من ظ ومد، وفى الأصل وم: بتهيئكم (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: ارضى (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: غيرها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: تلك (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ملك البراقات (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بصر. (٨) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) زيد فى ظ: على.

كل ما يريده، و أنه لو شاء أجرى مع وليه كنوز الأرض، و أنه لايجوز
لأحد أن / يراعى غيره و لا [أن -[1]] يرمق بوجه ما سواه، و علم ٢٣١ /
أن من أقبل إلى هذا الدين فانما نفع نفسه و الفضل لصاحب الدين عليه،
و من أعرض [عنه -[1]] فانما وبال إعراضه على نفسه، و لا ضرر على
٥ الدين باعراض هذا المعرض، كما أنه لانفع له[2] باقبال ذلك[3] المقبل،
و كان قد قضى سبحانه أن من انقطع إليه حماه من الدنيا إكراما له
و رفعا لمنزلته عن خسيسها إلى نفيس ما عنده، لأن كل أمرها إلى[4] زوال
و تلاش[4] و اضمحلال، و لا يعلق[5] همته بذلك إلا قاصر ضال، فأخذ
سبحانه يأمر أحب الخلق إليه، و أعزهم منزلة لديه، المعلوم امتثاله للأمر
١٠ بالتوكل و الإعراض عن كل ما سواه [سبحانه -[1]] و أنه لايختار من
الدنيا غير الكفاف، و القناعة و العفاف، بتخيير ألصق[6] الناس به تأديبا
لكافة الناس، فقال على طريق الاستنتاج مما تقدم: ﴿يا أيها النبي﴾ ذاكرا
صفة رفعته و اتصاله به سبحانه و الاعلام بأسرار القلوب، و خفايا
الغيوب، المقتضية لأن يفرغ فكره لما يتلقاه من المعارف. و لا يعاق[7]
١٥ عن شيء من ذلك بشيء من أذى: ﴿قل لازواجك﴾ أى نسائك:
﴿ان كنتن﴾ أى كونا راسخا ﴿تردن﴾ أى اختيارا علىّ ﴿الحيوة﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هذا (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تلاش و زوال (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لاتعاق (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الضيق (٧) من ظ و مد، و فى الأصل و م: لايعاف.

و وصفها بما يزهد فيها ذوى الهمم و يذكر من له عقل بالآخرة فقال : ﴿ الدنيا ﴾ أى ما[1] فيها من السعة و الرفاهية[2] و النعمة ﴿ و زينتها ﴾ أى المنافية لما أمرنى [به -[3]] ربى [4]من الإعراض[4] عنه و احتقاره من أمرها لأنها أبغض[5] خلقه إليه ، لأنها قاطعة عنه ﴿ فتعالين ﴾ أصله أن الآمر يكون اعلى من المأمور ، فيدعوه أن يرفع نفسه إليه ثم كثر حتى صار معناه : ٥ أقبل ، و هو هنا كناية عن الإخبار و الإرادة بعلاقة أن المخبر يدنو إلى من يخبره ﴿ امتعكن ﴾ أى بما أحسن [به -[3]] إليكن ﴿ و اسرحكن ﴾ أى من حبالة عصمتى ﴿ سراحا جميلا ﴾ أى ليس فيه مضارة ، و لا نوع حقد و لا مقاهرة ﴿ و ان كنتن ﴾ بما لكن من الجبلة ﴿ تردن الله ﴾ أى الآمر بالإعراض عن الدنيا للاءعلاء إلى ما له من رتب الكمال ﴿ و رسوله ﴾ ١٠ المؤتمر بما أمره به من الانسلاخ عنها المبلغ للعباد جميع ما أرسله به من أمر الدنيا و الدين لايدع منه شيئا ، لما له عليكن و على سائر الناس من الحق بما يبلغهم عن الله ﴿ و الدار الاخرة ﴾ التى هى الحيوان بما[6] لها من البقاء ، و العلو و الارتقاء .

و لما كان ما كل من أظهر شيئا كان عالى الرتبة فيه ، قال مؤكدا ١٥ تنبيها على أن ما يقوله مما يقطع به و ينبغى تأكيده دفعا لظن من يغلب عليه حال البشر فيظن فيه الظنون من أهل النفاق و غيرهم ، أو يعمل عمل من يظن ذلك أو[7] يستبعد وقوعه فى الدنيا أو[7] الآخرة : ﴿ فان الله ﴾

(١) سقط من ظ (٢) فى م و مد : الرفاهة (٣) زيد من ظ و م و مد.
(٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالاعراض (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انقض (٦) فى م و مد : لما (٧) فى ظ « و » .

أى [١] بما له من جميع صفات الكمال [٢] ﴿ اعد ﴾ فى الدنيا و الآخرة ﴿للحسنت منكن﴾ أى اللاتى يفعلن ذلك و من [٣] فى مقام المشاهدة و هو يعلم المحسن من غيره ﴿ اجرا عظيما ﴾ أى تحتقر [٤] له الدنيا و [كل -[٥]] ما فيها من زينة و نعمة .

٥ و لما أتى سبحانه بهذه العبارة [٦] الحكيمة الصالحة مع البيان للتبعيض ترهيبا فى ترغيب ، أحسن كلهن و حققن / بما تخلقن به أن [٧] من [٧] للبيان ، فان النبى صلى الله عليه و سلم عرض عليهن رضى الله عنهن ذلك ، و بدأ بعائشة رضى الله عنها رأس المحسنات إذ ذاك رضى الله عنها [٧] و عن أبيها [٧] و قال لها : إنى قائل لك أمرا فلا عليك أن لا تعجلى حتى ١٠ تستأمرى أبويك ، فلما تلاها عليها قالت منكرة لتوقفها [فى الخبر -[٥]] : أفى هذا أستأمر أبوىّ ، فانى أختار الله و رسوله و الدار الآخرة . ثم عرض ذلك على جميع أزواجه فاقتدين كلهن [٨] بعائشة رضى الله عنهن فكانت لهن إماما فالت إلى أجرها مثل أجورهن [٩] - روى ذلك البخارى [١٠] و غيره عن عائشة رضى الله عنها ، و سبب ذلك انه صلى الله عليه و سلم ١٥ وجد على نسائه رضى الله عنهن فآلى منهن شهرا ، فلما انقضى الشهر نزل

/ ٢٣٢

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و مد ، و فى الاصل : الاحسان ، و الكلمة ساقطة من ظ (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هى (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يحقر (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النعمة (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) تأخر فى م و مد عن « رضى الله عنهن » (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اجرهن (١٠) راجع صحيحه ٢ / ٧٠٥ .

[1]إليهن من[1] غرفة كان اعتزل فيها و قد انزل [الله -[2]] عليه الآيات، فخيرهن فاخترنه رضى الله عنهن، و سبب ذلك أن منهن من سال التوسع فى النفقة، و قد كان النبى صلى الله عليه و سلم لايحب التوسع فى الدنيا، روى الشيخان[3] رضى الله عنهما عن عائشة رضى الله عنها قالت: ما شبع آل محمد صلى الله عليه و سلم، من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه و سلم، و روى الحديث البيهقى و لفظه: قالت: ما شبع رسول الله صلى الله عليه و سلم ثلاثة أيام متوالية و لو شئنا لشبعنا، و لكنه كان يؤثر على نفسه، و روى الطبرانى فى الأوسط عنها [4]أيضا رضى الله عنها[4] قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من سأل عنى أو سره أن[5] ينظر إلى فلينظر إلىّ أشعث شاحب مشمر لم يضع[6] لبنة على لبنة و لا قصبة على قصبة، رفع له علم فشمر إليه، [اليوم -[2]] المضمار و غدا السباق. و الغاية الجنة أو النار.

و لما كان الله سبحانه قد أمضى حكمته فى هذه الدار فى [أنه -[2]] لايقبل قول[7] إلا ببيان، قال سبحانه متهددا[8] على ما قد أعاذهن الله منه. فالمراد منه بيان أنه رفع مقاديرهن، و لذلك ذكر الأفعال المسندة إليهن اعتبارا

(١ - ١) من م و مد. و فى الأصل و ظ: اليمين عن (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) البخارى فى أبواب الأطعمة و مسلم فى أبواب الزهد (٤-٤) سقط بين ما الرقمين من ظ (٥) من ظ و م و مد. و فى الأصل «و» (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم يصنع (٧) من م و مد. و فى الأصل و ظ: قولا. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ممتددا.

بلفظ "من" و التنبيه على غلط من جعل صحبة الأشراف دافعة للعقاب على الإسراف، و معلمة بأنها إنما تكون سببا للاضعاف: ﴿يا نساء النبي﴾ [أى -[1]] المختارات له لما بينه و بين الله مما يظهر شرفه ﴿من يأت﴾ [2] قراءة يعقوب على ما نقله البغوى[3] بالمثناة الفوقانية[4] على[5] معنى "من" دون لفظها، و هى قراءة شاذة نقلها الأهوازى فى كتاب الشواذ عن ابن مسلم عنه؛ و قرأ[6] الجماعة بالتحتانية على اللفظ و كذا "يقنت" ﴿منكن بفاحشة﴾ أى من قول أو فعل كالنشوز و سوء الخلق باختيار الحياة الدنيا و زينتها على الله و رسوله أو غير ذلك ﴿مبينة﴾ أى واضحة ظاهرة فى نفسها تكاد تنادى بذلك من سوء خلق و نشوز أو غير ذلك ﴿يضاعف لها العذاب﴾ أى بسبب ذلك. و لما[7] هول الأمر[8] بالمفاعلة فى قراءة نافع[9] المفهمة[10] لأكثر من اثنين كما مضى فى البقرة، سهله بقوله[11]: ﴿ضعفين﴾ أى بالنسبة إلى ما لغيرها لأن مقدارها لا يعشره مقدار غيرها كما جعل حد الحر ضعفى[12] ما للعبد، و كما جعل أجرهن مرتين، و اشتد العتاب فيما بين الأحباب، و على قدر علو المقام يكون الملام.

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) فى معالم التنزيل بهامش الباب ٥ / ٢١٢ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الفوقية (٥) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قراة (٧) سقط من م (٨) العبارة من هنا إلى «سهله» ساقطة من م (٩) سقط من ظ، و راجع نثر المرجان ٥ / ٤٠٣ (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: المعنمة (١١) فى م: فقال (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ضعف.

[و ـ [1]] بقدر النعمة تكون النقمة . و كل من بناء يضاعف للمجهول من باب المفاعلة أو[2] التفعيل [3]لأبى جعفر و البصريين[3] أو للفاعل بالنون [3]عند ابن كثير و ابن عامر[3] يدل على عظمته سبحانه ، و البناء للمجهول يدل على العناية بالتهويل / بالعذاب بجعله[4] عمدة الكلام و صاحب[5] الجملة باسناد الفعل إليه ، و ذلك كله إشارة إلى أن الأمور الكبار صغيرة عنده سبحانه لأنه لايضره شيء و لاينفعه شيء و لايوجب شيء من الأشياء له حدوث شيء[6] لم يكن ، و لذلك قال : ﴿ و كان ذلك ﴾ أى مع كونه عظيما عندكم ﴿ على الله يسيرا ﴾ فهذا ناظر إلى مقام الجلال و الكبرياء و العظمة . / ٢٣٣

و لما قدم درء المفاسد الذى هو من[7] باب التخلى ، أتبعه جلب المصالح الذى هو [من ـ [8]] طراز التحلى فقال : ﴿[9]و من يقنت ﴾ أى يخلص الطاعة ، و تقدم توجيه قراءة يعقوب بالفوقانية على ما حكاه البغوى و الأهوازى فى الشواذ عن ابن مسلم ﴿منكن لله﴾ الذى هو أهل لئلا يلتفت إلى غيره لأنه [لا ـ [10]] أعظم منه بادامة الطاعة فلا يخرج عن مراقبته أصلا ﴿و رسوله﴾ فلا تغاضبه و لا تطلب[11] منه شيئا ،

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ « و » (٣ـ٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) فى ظ و مد : لجعله (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مصاحب (٦) زيد فى الأصل : لو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) سقط من ظ . (٨) زيد من م و مد (٩) و من هنا يبتدى الجزء الثانى و العشرون من القرآن الكريم (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا تغضب .

و لا تختار عيشا غير عيشه ، فانه يجب على كل[1] أحد تصفية فكره ، و تهدئة باله و سره ، ليتمكن غاية التمكن من إنفاذ أوامرنا و القيام بما أرسلناه بسببه من رحمة العباد ، بانقاذهم مما هم فيه من الأنكاد .

و لما كان ذلك قد يفهم الاقتصار على [عمل -[2]] القلب قال :

٥ ﴿ و تعمل ﴾ قرأها حمزة و الكسائى[3] بالتحتانية ردا على لفظ "من" حثا[4] لهن على منازل الرجال ، و قراءة[5] الجماعة بالفوقانية على معناها على الأصل مشيرة إلى الرفق بهن فى عمل الجوارح و الرضا بالمستطاع كما قال عليه أفضل الصلاة و السلام[6] : إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم . و أما عمل القلب فلا رضى فيه بدون الغاية ، فلذا كان[7] "يقنت"

١٠ مذكرا لا على شذوذ ﴿ صالحا ﴾ أى فى[8] جميع ما أمر به سبحانه أو[9] نهى عنه ﴿ نؤتها ﴾ أى بما لنا من العظمة على قراءة الجماعة بالنون[3] ، و قراءة حمزة و الكسائى بالتحتانية على أن الضمير لله ﴿ اجرها مرتين ﴾ أى بالنسبة إلى أجر غيرها من نساء بقية[10] الناس ﴿ و اعتدنا ﴾ أى هيأنا بما لنا من العظمة و أحضرنا ﴿ لها ﴾ بسبب قناعتها مع النبى صلى الله

١٥ عليه و سلم المريد للتخلى من الدنيا التى يبغضها الله مع ما فى ذلك

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) راجع نثر المرجان ٥/٤٠٤ .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مناز (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قرأ (٦) أخرجه البخارى فى أبواب الاعتصام و مسلم فى أبواب الفضائل (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كانت (٨) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : من (٩) فى ظ « و » (١٠) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد .

من

من توفير الحظ فى الآخرة ﴿ رزقا كريما ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة ، فلا شىء أكرم منه لأن ما فى الدنيا منه يوفق[1] لصرفه على وجه يكون فيه أعظم الثواب ، و لايخشى من أجله نوع عتاب فضلا عن عقاب ، و ما فى الآخرة منه لا يوصف و لا يحد ، و لا نكد فيه بوجه أصلا و لا كد[2]. ٥

و لما كان لكل حق حقيقة ، و لكل قول صادق بيان ، قال مؤذنا بفضلهن : ﴿ ينسآء النبى ﴾ أى[3] الذى أنتن من أعلم[4] الناس بما بينه و بين الله من الإنباء بدقائق الأمور و خفايا[5] الأسرار و ما له من الزلفى لديه ﴿لستن كاحد﴾ قال البغوى[6] : و لم يقل : كواحدة[7] ، لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين و الجمع و المذكر و المؤنث ـ انتهى ، فالمعنى كجماعات[8] ١٠ من جماعات النساء إذا تقصيت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد فيهن جماعة تساويكن فى الفضل لما خصكن الله[9] به من قربة بقرب رسول الله صلى الله عليه و سلم ، و تنزول الوحى الذى بينه و بين الله فى بيوتكن . / ٢٣٤

و لما كان المعنى : بل أنتن أعلى النساء ، ذكر[10] شرط ذلك فقال :

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موفق (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كدر (٣) زيد فى ظ : من (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعظم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خفيات (٦) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٢١٢ (٧) من ظ و م ومد والمعالم ، و فى الأصل : كوحدة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جماعة (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : له . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذكرا .

﴿ ان اتقيتن ﴾ أى جعلتن بينكن و بين غضب الله و غضب رسوله وقاية ، ثم سبب عن هذا النفى قوله : ﴿ فلا تخضعن ﴾ أى إذا تكلمتن بحضرة أجنبى ﴿ بالقول ﴾ أى بأن يكون [لينا -[1]] عذبا رخما ، و الخضوع التطأمن و التواضع و اللين و الدعوة إلى السوة ؛ ثم سبب عن الخضوع :

٥ قوله : ﴿ فيطمع ﴾ أى فى الخيانة ﴿ الذى فى قلبه مرض ﴾ أى فساد و ريبة ، و التعبير بالطمع للدلالة على [أن -[2]] أمنيته لاسبب لها فى الحقيقة ، لأن اللين فى كلام النساء خلق لهن لاتكلف فيه ، فأريد من نساء النبى صلى الله عليه و سلم التكلف للاتيان بضده .

و لما نهاهن عن الاسترسال مع سجية النساء فى رخامة الصوت ،

١٠ أمرهن بضده فقال : ﴿ و قلن قولا معروفا ج ﴾ أى[3] يعرف أنه بعيد عن محل الطمع .

و لما تقدم إليهن فى القول و قدمه لعمومه[4] ، أتبعه الفعل فقال : ﴿ و قرن ﴾ أى اسكنّ و امكثن دائما ﴿ فى بيوتكن ﴾ فمن كسر القاف و هم غير[5] المدنيين[6] و عاصم[7] جعل الماضى قرر[8] بفتح العين ، و من فتحه

١٥ فهو عنده قرر[8] بكسرها ، و هما لغتان .

و لما أمرهن بالقرار ، نهاهن عن ضده مبشعا له ، فقال : ﴿ ولا تبرجن ﴾

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انه (٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : بعمومه (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : الدنيون ، و فى م : الدنيان . (٧) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٠٦ (٨) من م و مد ، و فى الأصل وظ : قرن .

أى تظاهرن من البيوت بغير حاجة محوجة ، [فهو -[1]] من وادى أمر النبى صلى الله عليه و سلم لهن بعد حجة الوداع بلزوم ظهور الحصر ﴿تبرج الجاهلية الاولى﴾ أى المتقدمة على الإسلام و على ما قبل الأمر بالحجاب ، بالخروج[2] من بيت و الدخول فى آخر ، و الأولى لا تقتضى أخرى كما ذكره البغوى[3] ، و عن ابن عباس[3] رضى الله عنهما أنها ما بين نوح و إدريس عليهما السلام ، تبرج [فيها -[4]] نساء السهول - و كن صباحا و [فى -[5]] رجالهن دمامة - لرجال الجبال و كانوا صباحا و فى نسائهن دمامة ، فكثر الفساد ، و على هذا فلها ثانية .

و لما أمرهن بلزوم البيوت للتخلية عن[6] الشوائب ، أرشدهن إلى التحلية بالرغائب ، فقال : ﴿و اقمن الصلوة﴾ أى فرضا و نفلا ، صلة لما بينكن و بين الخالق لأن[7] الصلاة تنهى عن الفحشاء و المنكر ﴿و اتين الزكوة﴾ إحسانا إلى الخلائق ، و فى هذا بشارة بالفتوح و توسيع الدنيا عليهن ، فان العيش وقت نزولها كان ضيقا عن القوت فضلا عن الزكاة .

و لما أمرهن بخصوص ما تقدم لأنهما أصل الطاعات البدنية و المالية ، و من اعتنى بهما حق الاعتناء جرتاه إلى ما وراءهما ، عم و جمع فى قوله : ﴿و اطعن الله﴾ أى ذاكرات ما له[8] من صفات الكمال ﴿و رسوله[1]﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : من الخروج (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٢١٣ (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٧) فى ظ و م و مد : ان (٨) و من هنا تنقطع نسخة م إلى ما سننبه عليه .

فى جميع ما يأمران به فانه لم يرسل إلا للأمر و النهى تخليصا للخلائق من أسر الهوى .

و لما كانت هذه الآيات قد نهت عن الرذائل ، فكانت عنها أشرف الفضائل ، قال مبينا أن ذلك إنما هو لتشريف أهل النبى صلى الله عليه و سلم لتزيد الرغبة فى ذلك مؤكدا دفعا لوهم من يتوهم أن ذلك لهوان أو غير ذلك من نقصان و حرمان : ﴿ انما يريد الله ﴾ أى و هو ذو الجلال و الجمال بما أمركم به و نهاكم عنه من الإعراض عن الزينة و ما تبعها ، و الإقبال عليه ، عزوفكم عن الدنيا و كل ما تكون سببا له ﴿ ليذهب ﴾ [أى - ١] لأجل أن يذهب ﴿ عنكم الرجس ﴾ أى الأمر الذى يلزمه دائما الاستقذار و الاضطراب من مذام / الأخلاق كلها ﴿ اهل ﴾ ٢٣٥/ يا أهل ﴿ البيت ﴾ أى من كل من تكون من إلزام النبى صلى الله عليه و سلم من الرجال و النساء من الأزواج و الإماء و الأقارب ، و كلما كان الإنسان منهم أقرب و بالنبى صلى الله عليه و سلم[٢] أخص و ألزم ، كان بالإرادة[٣] أحق و أجدر .

و لما استعار للمعصية الرجس ، استعار للطاعة الطهر ، ترغيبا لأصحاب الطباع السليمة و العقول المستقيمة ، فى الطاعة ، و تنفيرا لهم عن المعصية فقال[٤] : ﴿ و يطهركم ﴾ أى يفعل فى طهركم بالصيانة[٥] عن جميع القاذورات

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالاراة (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : قال (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الصيانة .

الحسية و المعنويـــة فعل المبالغ فيه ، و زاد ذلك عظما بالمصدر فقال : ﴿ تطهيرا ﴾ .

و لما ذكر ذلك إلى أن ختم بالتطهير ، أتبعه التذكير بما أنعم سبحانه به مما أثره التطهير من التأهيل لمشاهدة[1] ما يتكرر من تردد[2] الملائكة بنزول الوحى الذى هو السبب فى كل طهر ظاهر و باطن ، فقال مخصصا ٥ [من - ٣] السياق لأجلهن رضى الله عنهن ، منبها لهن على أن بيوتهن مهابط الوحى و معادن الأسرار : ﴿ و اذكرن ﴾ أى فى أنفسكن ذكرا دائما ، و اذكرنه لغيركن على جهة الوعظ و التعليم .

و لما كانت العناية بالمتلو ، بينها باسناد الفعل إليه لبيان انه عمدة الجملة فقال بانيا للمفعول : ﴿ ما يتلى ﴾ أى يتابع و يوالى ذكره و التخلق ١٠ به ، و أشار لهن إلى ما خصهن منه من الشرف فقال : ﴿ فى بيوتكن ﴾ أى بواسطة النبى صلى الله عليه و سلم الذى خيركن ﴿ من ايٰت الله ﴾ الذى[4] لا أعظم منه .

و لما كان المراد بذلك القرآن ، عطف عليـــه ما هو أعم منه ، فقال[5] مبينا لشدة الاهتمام به بادخاله فى جملة المتلو اعتمادا على أن ١٥ العامل فيه معروف لأن[6] التلاوة لا يقال فى غير الكتاب : ﴿ و الحكمة ﴾

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بمشاهدة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ترداد (٣) زيد من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) تأخر فى الأصل عن « غير الكتاب » ، و الترتيب من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : و ان .

أى و يبث و ينشر من العلم المزين بالعمل و العمل المتقن بالعلم ، و لا تنسين شيئا من ذلك .

و لما كان السياق للاعراض عن الدنيا ، و كانت[1] الحكمة منفرة عنها ، أشار بختام الآية إلى أنها مع كونها محصلة لفوز الأخرى جالبة لخير الدنيا ، فقال مؤكدا ردعا لمن يشك فى أن الرفعة يوصل إليها بضدها و نحو ذلك مما تضمنه الخبر من جليل العبر : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له جميع العظمة ﴿ كان ﴾ أى لم يزل ﴿ لطيفا ﴾ أى يوصل إلى المقاصد بوسائل الأضداد ﴿ خبيرا ﴾ أى يدق علمه عن إدراك الأفكار ، فهو يجعل الإعراض عن الدنيا جالبا [لها -[2]] على أجمل الطرائق و أكمل الخلائق و إن رغمت أنوف جميع الخلائق ، و يعلم من يصلح لبيت النبى صلى الله عليه و سلم و من لا يصلح[3] ، و ما يصلح الناس دنيا و دينا و ما لا يصلحهم ، و الطرق الموصلة إلى كل ما قضاه و قدره و إن كانت[4] على غير ما يألفه الناس « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة [4]و رزقه[4] من حيث لا يحتسب » رواه الطبرانى فى الصغير و ابن أبى الدنيا و البيهقى فى الشعب عن عمران بن حصين رضى الله عنه « من توكل على الله كفاه ، و من انقطع إلى الدنيا وكله الله إليها » - رواه صاحب الفردوس و أبو الشيخ ابن حيان فى كتاب الثواب عن عمران رضى الله عنه أيضا ، و لقد صدق الله سبحانه وعده فى لطفه و حقق بره فى خبره بأن فتح

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ و مد (٤-٤) تكرر فى ظ و مد .

على نبيه صلى الله عليه و سلم بعد ذلك خير، فأفاض بها ما شاء من[1] رزقه الواسع، ثم لما توفى نبيه صلى الله عليه و سلم ليحميه من زهرة الحياة الدنيا فتح الفتوحات الكبار من بلاد / فارس و الروم و مصر ٢٣٦/ و ما بقى من اليمن، فعم الفتح جميع الأقطار[2]: الشرق و الغرب و الجنوب و الشمال، و مكن أصحاب نبيه صلى الله عليه و سلم من كنوز جميع ٥ [تلك -[3]] البلاد و ذخائر أولئك الملوك حتى صار الصحابة رضوان الله عليهم يكيلون المال كيلا، و زاد الأمر حتى دون عمر الدواوين و فرض للناس [عامة -[3]] أرزاقهم حتى للرضعاء، و كان أولا لا يفرض للمولود حتى يفطم، فكانوا يستعجلون بالفطام فنادى مناديه: لا تعجلوا أولادكم بالفطام فانا نفرض لكل مولود فى الإسلام، و فاوت بين الناس فى العطاء ١٠ بحسب القرب من النبى صلى الله عليه و سلم و البعد منه، و بحسب السابقة[4] فى الإسلام و الهجرة، و نزّل الناس منازلهم [5]بحيث أرضى[5] جميع الناس حتى قدم عليه خالد بن عرفطة فساله عما وراءه فقال: تركتهم يسألون الله لك أن يزيد فى عمرك من أعمارهم. فقال[6] عمر رضى الله عنه: إنما هو حقهم و أنا أسعد بأدائه إليهم، لو كان من مال الخطاب ما أعطيتموه، ١٥ و لكن قد علمت أن فيه فضلا، فلو أنه إذا خرج عطاء أحدهم ابتاع منه

(١) زيد فى ظ: بها (٢) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: المسابقة. (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بحسب أراضى (٦) فى ظ و مد: قال.

غنما، فجعلها بسوادكم، فاذا خرج عطاؤه ثانية[1] ابتاع الرأس و الرأسين فجعله فيها، فان بقى أحد من ولده كان لهم شيء قد اعتقدوه، فانى لا أدرى ما يكون بعدى، و إنى لأعم بنصيحتى كل من طوقنى الله أمره، فان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: من مات غاشّا لرعيته لم يرح ريح الجنة[2]، فكان فرضه لأزواج النبى صلى الله عليه و سلم اثنى عشر ألفا لكل واحدة و هى نحو ألف دينار فى كل سنة، و أعطى عائشة رضى الله عنها خمسة[3] و عشرين ألفا لحب رسول الله صلى الله عليه و سلم إياها، فأبت أن تأخذ إلا ما يأخذه صواحباتها، و روى عن برزة بنت رافع قالت: لما خرج العطاء أرسل عمر رضى الله عنه إلى زينب بنت جحش رضى الله عنها بالذى لها فلما أدخل إليها قالت: غفر الله لعمر! غيرى[4] من أخواتى أقوى على قسم هذا منى، قالوا: هذا كله لك يا أم المؤمنين، قالت: سبحان الله! و استترت منه بثوب، ثم قالت: صبوه و اطرحوا عليه ثوبا، ثم قالت لى: [5]أدخلى يديك[6] و اقبضى منه قبضة فاذهبى بها إلى بنى فلان و بنى فلان من ذوى رحمها و أيتام لها، فقسمته حتى بقيت منه بقية تحت الثوب، قالت برزة بنت رافع: فقلت: غفر الله لك يا أم[7] المؤمنين، و الله لقد كان لنا فى هذا المال حق، قالت: فلكم ما تحت الثوب،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ثانيا (٢) أخرج نحوه الإمام أحمد فى مسنده ٥ / ٢٥ عن معقل بن يسار (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: خمسا (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عرنى - كذا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد. (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ادخل (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: امير.

فوجدنا

فوجدنا تحته خمسمائة و ثمانين درهما، ثم رفعت يدها إلى السماء فقالت: اللهم لايدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا، فماتت - ذكر ذلك البلاذرى فى كتاب فتوح البلاد.

و لما حث سبحانه على المكارم و الأخلاق الزاكية، و ختم بالتذكير بالآيات و الحكمة، أتبعه ما لمن تلبس من أهل البيت بما يدعو إليه ٥ ذلك من صفات الكمال، و لكنه ذكره على وجه يعم غيرهم من ذكر و أنثى مشاكلة لعموم الدعوة و شمول الرسالة، فقال جوابا لقول النساء: يا رسول الله! ذكر الله الرجال و لم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به، إنا نخاف أن لايقبل منا طاعة، بادئا بالوصف الأول الأعم الأشهر من أوصاف أهل هذا الدين مؤكدا لأجل كثرة المنافقين المكذبين بمضمون ١٠ هذا الخبر و غيرهم / من المصارحين: ﴿ان المسلمين﴾ و لما كان اختلاف / ٢٣٧ النوع موجبا للعطف، قال معلما بالتشريك فى الحكم: ﴿و المسلمت﴾.

و لما كان الإسلام مع كونه أكمل الأوصاف و أعلاها يمكن [أن يكون -[1]] بالظاهر فقط، أتبعه المحقق له و هو إسلام الباطن بالتصديق التام بغاية الإذعان، فقال عاطفا له و لما بعده من الأوصاف ١٥ التى يمكن اجتماعها بالواو للدلالة على تمكن الجامعين [2]لهذه الأوصاف[2] من[3] كل وصف منها: ﴿و المؤمنين و المؤمنت﴾ و لما كان [المؤمن -[1]] المسلم قد لايكون فى أعماله مخلصا قال: ﴿و القنتين﴾ أى المخلصين فى إيمانهم

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لها (٣) فى ظ و مد: فى.

و إسلامهم ﴿و القنتت﴾ و لما كان القنوت كما يطلق على الإخلاص المقتضى للداومة قد يطلق على مطلق الطاعة قال : ﴿و الصدقين﴾ فى ذلك كله ﴿و الصدقت﴾ أى فى إخلاصهم فى الطاعة ، و ذلك يقتضى الدوام .

و لما كان الصدق ـ و هو إخلاص القول و العمل عن شوب يلحقه أو شىء يدنسه ـ [1]قد لا[1] يكون دائما ، قال مشيرا إلى أن ما لا يكون دائما لا يكون صدقا فى الواقع : ﴿و الصبرين و الصبرت﴾ و لما كان الصبر قد يكون سجية ، دل على صرفه إلى الله بقوله[2]: ﴿و الخشعين و الخشعت﴾ و لما كان الخشوع ـ و هو الخضوع و الإخبات و السكون ـ لا يصح مع توفير المال فانه سيكون إليه ، قال معلما إنه إذ ذاك لا يكون على حقيقته: ﴿و المتصدقين﴾ أى المنفقين أموالهم فى رضى الله بغاية الجهد من نفوسهم [بما أشار إليه إظهار التاء ـ[3]] فرضا و تطوعا سرا و علانية[4] بما أرشد إليه الإظهار [أيضا ـ[3]] تصديقا لخشوعهم ﴿و المتصدقت﴾ .

و لما كان بذل المال قد لا يكون مع الإيثار ، أتبعه ما يعين عليه فقال : ﴿و الصآئمين﴾ أى تطوعا للايثار بالقوت و غير ذلك ﴿و الصئمت﴾ و لما كان الصوم يكسر شهوة الفرج و قد يثيرها ، قال : ﴿و الحفظين فروجهم﴾ أى عما لا يحل لهم بالصوم و ما[5] أثاره الصوم[6] ﴿و الحفظت﴾ و لما كان حفظ الفروج[7] و سائر الأعمال لا تكاد توجد

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : قال الله سبحانه (٣) زيد من ظ ومد (٤) فى ظ و مد : علنا (٥) فى ظ و مد : مما (٦) زيد فى الأصل : منه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) فى ظ و مد : الفرج .

إلا بالذكر . و هو الذى فيه[1] المراقبة الموصلة إلى المحاضرة المحققة للمشاهدة المحيية بالفناء قال : ﴿و الذكرين الله﴾ أى مع [استحضار -[2]] ما له من الكمال بصفات الجلال و الجمال ﴿كثيرا﴾ بالقلب و اللسان فى كل حالة ﴿و الذكرت[1]﴾ و من علامات الإكثار من الذكر اللهج به عند الاستيقاظ من النوم . ٥

و لما كان المطيع و إن جاوز الحد فى الاجتهاد مقصرا عن بلوغ ما يحق له ، أشار إلى ذلك سبحانه بقوله مكررا الاسم الأعظم إشارة إلى ذلك و إلى صغر الذنوب إذا نسبت إلى عفوه : ﴿ اعد الله ﴾ أى الذى لا يقدر أحد أن يقدره حق قدره مع أنه لايتعاظمه شىء ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى لهفواتهم و ما أتوه من سيئاتهم بحيث يمحو عينه ١٠ و أثره ، فلا عتاب و لا عقاب ، و لا ذكر له بسبب من الأسباب .

و لما ذكر الفضل بالتجاوز ، أتبعه التفضل[3] بالكرم و الرحمة فقال : ﴿ و اجرا عظيما ﴾ و إعداد الأجر يدل على أن المراد بهذه الأوصاف [اجتماعها لأن مظهر الإسلام نفاقا كافر ، و تارك شىء من الأوصاف -[2]] متصف بضده ، و حينئذ يكون مخلا بالباقى ، و أن المراد بالعطف التمكن ١٥ و الرسوخ فى كل وصف منها زيادة على التمكن الذى أفاده / التعبير ٢٣٨ / بالوصف دون الفعل ، و حينئذ تعدم الكبائر فيتأتى[4] تكفير الصغائر ، فتأتى المغفرة و الأجر ، و أما آية التحريم[5] فلم تعطفه لئلا يظن أنهن

(١) فى ظ : عنه ، و الكلمة ساقطة من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : التفضيل (٤) فى ظ و مد : فيأتى (٥) راجع آية ٥ .

أنواع كل نوع يتفرد بوصف، و إفادة الرسوخ هنا[١] فى الأوصاف من سياق الامتنان و المدح بكونهن خيرا .

و لما كان الله سبحانه قد قدم[٢] قوله " النبي اولىٰ بالمؤمنين من انفسهم " - الآية، فعلم[٣] قطعا أنه تسبب عنها ما تقديره : و ما كان ٥ لمؤمن و لامؤمنة أن يكون له ولى غير النبي صلى الله عليه و سلم، فطوى ذلك للعلم به، و استدل على مضمون الآية و ما قبلها بقصة الأحزاب، و أتبعها نتيجة ذلك مما ذكر فى تأديب الأزواج له صلى الله عليه و سلم و تهذيبهن لأجله و تطهير أهل بيته و تكريمهم حتى ختم سبحانه بالصفات[٤] العشر التى بدأها بالإسلام الذى ليس معه شيء من الإباء[٥]، و ختمها بأن ١٠ ذكر الله يكون ملىء القلب و الفم و هو داع إلى مثل[٦] ذلك لأنه سبب الإسلام، عطف على مسبب[٧] آية الولاية ما يقتضيه كثرة الذكر من قوله : ﴿ و ما كان ﴾ .

و لما كان الإيمان قد يدعى[٨] كذبا لخفاء به[٨]، قال : ﴿لمؤمن﴾ أى من عبد الله بن جحش و زيد و غيرهما ﴿و لا مؤمنة﴾ أى من زينب ١٥ و غيرها، فعلق الأمر بالإيمان إعلاما بأن من اعترض غير مؤمن و إن أظهر الإيمان بلسانه ﴿اذا قضى الله﴾ أى الملك الأعظم الذى لا ينبغى

(١) فى ظ و مد : هناك (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : قوم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل : نعظم (٤) فى ظ : بالصفات - خطأ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : الا ياد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : ميل (٧) من ظ ومد، و فى الأصل : سبب (٨-٨) من ظ و مد، و فى الأصل : كذا بالخفاية .

لعاقل التوقف فى أمره ﴿ و رسولـه ﴾ الذى لايعرف قضاؤه إلا به ﴿ امرا ﴾ أى أىّ أمر كان .

و لما كان المراد كل مؤمن ، و العبارة صالحة له[1] ، و كان النفى عن المجموع كله نفيا عما قل عنه من باب الأولى ، قال : ﴿ ان تكون ﴾ أى كونا راسخا على قراءة الجماعة بالفوقانية[2] ، و فى غاية الرسوخ على[3] قراءة الكوفيين[4] بالتحتانية ﴿ لهم ﴾ أى خاصة ﴿ الخيرة ﴾ مصدر من تخير كالطيرة[5] من تطير على غير قياس ﴿ من امرهم[6] ﴾ أى الخاص بهم باستخارة الله و لا بغيرها ليفعلوا خلاف ذلك القضاء . فان المراد بالاستخارة ظن ما اختاره الله ، و إخبار النبى صلى الله عليه و سلم قطعى الدلالة على [ما -[6]] اختاره الله تعالى ، و فى هذا عتاب لزينب رضى الله عنها على تعليق الإجابة للنبى صلى الله عليه و سلم عند ما خطبها لنفسه الشريفة على الاستخارة ، و على كراهتها عند ما خطبها لزيد مولاه ، و لكنها[7] لما قدمت بعد نزول الآية خيرته صلى الله عليه و سلم فى تزويجها من زيد رضى الله عنهما على خيرتها ، عوضها الله أن صيرها لنبيه صلى الله عليه و سلم و معه فى الجنة فى أعلى الدرجات ، فالخيرة للنبى صلى الله عليه و سلم لأنه لا ينطق عن الهوى ، فمن فعل غير ذلك فقد عصى النبى صلى الله

(١) سقط من ظ (٢) راجع نثر المرجان ٥ /٤١١ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكوفيون (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كالتطير (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكنه .

عليه و سلم ، و من عصاه عصى الله لأنه لا ينطق إلا عنه ﴿و من يعص الله﴾ أى الذى لا أمر لأحد معه ﴿و رسوله﴾ أى [الذى -[1]] معصيته معصيته لكونه بينه و بين الخلق فى بيان ما أرسل به إليهم ﴿فقد ضل﴾ و أكده بالمصدر فقال: ﴿ضلالا﴾ و زاده بقوله : ﴿مبينا﴾ أى لا خفاء

٥ [2]به ، فالواجب على كل أحد أن يكون معه صلى الله عليه و سلم فى كل ما يختاره و إن كان فيه أعظم المشقات[2] عليه تخلقا بقول الشاعر [3]حيث قال[3] :

٢٣٩ / / وقف الهوى بى حيث أنت فليس لى متأخر عنه و لا متقدم
و أهنتنى فأهنت نفسى عامدا ما من يهون عليك ممن يكرم

١٠ و لما كان قد أخبره[4] سبحانه - كما رواه البغوى[5] و غيره عن سفيان بن عيينة عن على بن[6] جدعان عن زين العابدين على[7] بن الحسين بن على بن أبى طالب - أن زينب رضى الله عنها ستكون من أزواجه و أن زيدا سيطلقها ، و أخفى [8]فى نفسه ذلك[8] تكرما و خشية من قالة الناس أنه يريد نكاح زوجة ابنه ، و كان فى إظهار ذلك أعلام من أعلام النبوة ،

١٥ و كان مبنى أمر الرسالة على إبلاغ الناس[9] ما أعلم [الله -[1]] به أحبوه

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : أخبر (٥) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥/٢١٥ (٦) زيد فى المعالم : زيد بن (٧) من ظ و مد ، و المعالم و فى الأصل : عن (٨ - ٨) فى ظ و مد : ذلك فى نفسه .
(٩) سقط من ظ .

أو كرهوه، و أن لا يراعى غيره، و لا يلتفت إلى سواه و إن كان فى ذلك خوف ذهاب النفس، فانه كاف[1] من أراد بعزته، و متقن ما أراد بحكمته، كما أخذ الله الميثاق [به -[2]] من النبيين كلهم و من محمد و نوح و إبراهيم و موسى و عيسى ابن مريم صلى الله عليهم و سلم، فكان من المعلوم [أن التقدير -[2]] : اذكر ما أخذنا منك و من النبيين من الميثاق على إبلاغ كل شىء أخبرناكم به و لم ننهكم من إفشائه و ما أخذنا على الخلق فى كل من طاعتك و معصيتك، عطف عليه قوله : ﴿ و اذ تقول ﴾ و ذلك لأن الأكمل يعاتب على بعض الكمالات لعلو درجته عنها و تحليه بأكمل منها من باب « حسنات الأبرار سيئات المقربين »، و بين شرفه بقوله : ﴿ للذى انعم الله ﴾ أى الملك الذى له كل كمال ﴿ عليه ﴾ أى بالإسلام و تولى نبيه صلى الله عليه و سلم إياه بعد الإيجاد و التربية، و بين منزلته من النبى صلى الله عليه و سلم بقوله : ﴿ و انعمت عليه ﴾ أى بالعتق و التبنى حين استشارك[4] فى فراق زوجه الذى أخبرك الله أنه يفارقها و تصير زوجتك : ﴿ امسك عليك زوجك ﴾ أى زينب ﴿ و اتق الله ﴾ [أى -[2]] الذى له جميع العظمة فى جميع أمرك و لا سيما ما يتعلق بحقوقها و لا تغبنها بقولك : إنها تترفع علىّ - و نحو ذلك ﴿ و تخفى ﴾ أى و الحال أنك تخفى، أى تقول له مخفيا ﴿ فى نفسك ﴾ أى مما أخبرك الله من أنها ستصير إحدى زوجاتك عن

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : كان (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : استشاك .

طلاق زيد ﴿ ما الله مبديه ﴾ أى بحمل زيد على تطليقها و إن أمرته أنت بامساكها و تزويجك بها و أمرك بالدخول عليها ، و هو[1] دليل على أنه ما أخفى [2]غير ما أعلمه الله تعالى من أنها ستصير زوجته عن طلاق زيد لأن الله تعالى ما أبدى غير ذلك و لو أخفى[2] غيره لأبداه سبحانه ٥ لأنه لا يبدل القول لديه ، روى البخارى[3] عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن هذه الآية نزلت فى شأن زينب بنت جحش و زيد بن حارثة رضى الله عنهما .

و لما ذكر إخفاءه ذلك ، ذكر علته فقال عاطفا على " تخفى " : ﴿ و تخشى الناس ﴾ أى [من -[4]] أن تخبر بما أخبرك الله به فيصوبوا[5] ١٠ إليك مرجمات الظنون لاسيما اليهود و المنافقون ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن[6] الذى لا شىء أعظم منه ﴿ احق ان تخشٰه[1] ﴾ أى وحده و لا تجمع خشية الناس مع خشيته فى أن تؤخر شيئا أخبرك به لشىء يشق عليك حتى يفرق لك فيه أمر ، قالت عائشة رضى الله عنها[7] : لو كتم النبى صلى الله عليه و سلم شيئا مما أوحى إليه لكتم هذه الآية .

١٥ و لما علم من هذا انه سبحانه أخبره بأن زيدا سيطلقها و أنها ستصير زوجا له من طلاق زيد إياها ، سبب عنه قوله عاطفا عليه : ﴿ فلما قضىٰ زيد منها وطرا ﴾ أى حاجة من زواجها و الدخول بها ،

---

(١) فى ظ و مد : هذا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) راجع ٢/٧٠٦ .
(٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيصبوا (٦) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) راجع جامع الترمذى - التفسير .

و ذلك بانقضاء عدتها منه لأنه به[1] يعرف أنه لاحاجة له فيها / ، و أنه ٢٤٠ /
قد تقاصرت عنها همته ، و طابت عنها نفسه ، و إلا لراجعها ﴿زوجنكها﴾
و لم نحوجك إلى ولى من الخلق يعقد لك عليها ، تشريفا لك و لها ، بما
لنا من العظمة التى خرقنا بها عوائد الخلق حتى أذعن لذلك كل من
علم به ، و سرت به جميع النفوس ، و لم يقدر منافق و لا غيره على الخوض ٥
فى ذلك ببنت شفة[2] مما يوهنه و يؤثر فيه ، روى مسلم فى صحيحه[3] عن
أنس رضى الله عنه قال : لما انقضت عدة زينب رضى الله عنها قال
رسول الله صلى الله عليه و سلم [لزيد -[4]] : اذهب فاذكرها علىّ ، فانطلق
زيد رضى الله عنه حتى أتاها و هى تخمر عجينها ، قال : فلما رأيتها عظمت
فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر إليها أن رسول الله صلى الله عليه ١٠
و سلم [5]ذكرها ، فوليتها ظهرى و نكصت على عقبى فقلت : يا زينب ! إن
رسول الله صلى الله عليه و سلم [5] يذكرك ، قالت[6] : ما أنا بصانعة شيئا
حتى أوامر ربى ، فقامت إلى مسجدها و نزل القرآن ، [7]و جاء[7] رسول
الله صلى الله عليه و سلم فدخل عليها بغير إذن ، قال : و لقد رأيتنا أن
رسول الله صلى الله عليه و سلم أطعمنا الخبز و اللحم حتى[8] امتد النهار ، ١٥
فخرج الناس و بقى رجال يتحدثون - فذكره ، و سيأتى . و قال البغوى[9] :

(١) سقط من ظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : شعه - كذا (٣) راجع ١/٤٦٠ (٤) زيد من ظ و م و الصحيح (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٦) من ظ و مد و الصحيح ، و فى الأصل : فقالت (٧-٧) من ظ و الصحيح ، و فى الأصل و مد : فجاء (٨) فى الصحيح : حين (٩) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥ /٢١٦ .

قال الشعبي : كانت زينب رضى الله عنها تقول للنبي صلى الله عليه و سلم : إني لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل[1] بهن : جدي و جدك واحـــد ، و أني أنكحنيك الله فى السماء ، و أن السفير[2] لجبريل عليه السلام .

٥ و لما ذكر سبحانه التزويج على ما له من العظمة ، ذكر علته [دالا على أن الأصل مشاركة الأمة للنبي صلى الله عليه و سلم فى الأحكام و أن لاخصوصية إلا بدليل -[3]] فقال : ﴿لكى لا يكون على المؤمنين﴾ أى الذين أزالت عراقتهم فى الإيمان حظوظهم ﴿ حرج ﴾ أى ضيق ﴿فى ازواج ادعيآئهم﴾ أى الذين تبنوا بهم و أجروهم[4] فى تحريم أزواجهم

١٠ مجرى أزواج البنين [على الحقيقة -[3]] ﴿ اذا[5] قضوا منهن وطرا[6] ﴾ أى حاجة بالدخول بهن ثم الطلاق و انقضاء العدة .

و لما علم سبحانه أن ناسا يقولون فى هذه الواقعة أقوالا شتى ، دل على ما قاله زين العابدين بقوله : ﴿ و كان امر الله ﴾ أى [من -[3]] الحكم بتزويجها و إن كرهت و تركت إظهار ما أخبرك الله به كراهية

١٥ لسوء القالة[6] و استحياء من ذلك ، و كـــذا كل أمر يريده سبحانه ﴿مفعولا ۞ ﴾ لأنه سبحانه له الأمر كله لا راد لأمره و لا معقب لحكمه .

---

(١) فى المعالم : تدلى (٢) من م و المعالم ، و فى الأصل و ظ : السعير (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اجرهم (٥) ساقط من الأصل فقط (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : المقابلة .

و لما انتج هذا التسهيل لما كان استصعبه صلى الله عليه و سلم و التأمين مما كان[1] خافه، عبر عن ذلك بقوله مؤكدا ردا على من يظن خلاف ذلك: ﴿ما كان على النبى﴾ أى الذى منزلته من الله الاطلاع على ما لم يطلع عليه غيره من الخلق ﴿من حرج فيما فرض﴾ أى قدر ﴿الله﴾ بما له من صفات الكمال و أوجبه[2] ﴿له[3]﴾ لأنه لم يكن على المؤمنين مطلقا حرج فى ذلك، فكيف برأس المؤمنين، فصار منفيا عنه الحرج[3] مرتين خصوصا بعد عموم تشريفا له و تنويها بشأنه.

و لما كان مما يهون الأمور الصعاب المشاركة فيها [فكيف-[4]] إذا كانت المشاركة من الأكابر، قال واضعا الاسم موضع مصدره: ﴿سنة الله﴾ أى سن الملك[5] الذى إذا سن شيئا أتقنه بما له من العزة و الحكمة فلم يقدر أحد أن يغير شيئا منه ﴿فى الذين خلوا﴾[6] و كأنه أراد أن يكون أنبياء بنى إسرائيل عليهم السلام [7]أولى مراد[7] بهذا، تبكيتا للبسى أتباعهم، فأدخل الجار فقال: ﴿من قبل[4]﴾ أى من الأنبياء الأقدمين فى إباحة التوسع فى النكاح لهم، و هو تكذيب لليهود الذين أنكروا ذلك، و إظهار لتلبيسهم.

و لما كان المراد بالسنة الطريق[8] التى قضاها و شرعها[9]، قال معلما

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اواجبه (٣) فى ظ: الحراج (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الله. (٦) العبارة من هنا إلى «للبسى» ساقطة من ظ (٧-٧) فى مد: فزاد (٨) فى ظ و مد: الطريقة (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: شرحها.

بأن هذا الزواج كان أمرا لا بد من وقوعه لإرادته له فى الأزل فلا يعترض فيه معترض ببنت شفة يحل به ما يحل بمن اعترض على أوامر الملك ، و لأجل الاهتمام بهذا الإعلام [اعترض به بين الصفة ـ [1]] و الموصوف فقال : ﴿ و كان امر الله ﴾ أى قضاء الملك الأعظم فى ٥ ذلك و غيره من كل ما يستحق أن يأمر به و يهدى إليه و يحث[2] عليه ، و عبر عن السنة بالأمر تأكيدا لأنه لا بد منه ﴿قدرا ﴾ و أكده بقوله : ﴿مقدورا ۝﴾ أى لاخلف فيه ، و لا بد من وقوعه فى حينه الذى حكم بكونه فيه ، و هو مؤيد أيضا لقول زين العابدين و كذا قوله تعالى واصفا للذين خلوا : ﴿ الذين يبلغون ﴾ أى إلى أممهم ﴿رسلت الله﴾ أى الملك ١٠ الأعظم سواء كانت[3] فى نكاح أو غيره شقت أو لا ﴿ و يخشونه ﴾ أى فيخبرون بكل ما أخبرهم به و لم يمنعهم من إفشائه ، و لوّح بعد التصريح فى قوله " و تخشى الناس " : ﴿ و لا يخشون احدا ﴾ قل أو جل ﴿ الا الله ﴾ لأنه ذو الجلال و الإكرام .

و لما كان الخوف من الملك العدل إنما هو من حسابه كان التقدير : ١٥ فيخافون حسابه ، أتبعه قوله : ﴿و كفى بالله﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿حسيبا ۝﴾ أى مجازيا لكل أحد بما عمل و بالغا فى حسابه الغاية القصوى ، و كافيا من أراد كفايته كل من أراده[4] بسوء .

---

(١) من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : يجب (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ : كان (٤) فى ظ : كافيا .

و لما أفاد هذا كله أن الدعى[1] ليس ابنا ، و كانوا قد قالوا لما تزوج زينب كما رواه الترمذى[2] عن عائشة رضى الله عنها : تزوج حليلة ابنه ، أخبر به سبحانه على وجه هو من أعلام النبوة و أعظم دلائل الرسالة فقال : ﴿ ما كان ﴾ أى بوجه من الوجوه مطلق كون ﴿ محمد ﴾ أى على كثرة نسائه و أولاده ﴿ أبآ احد من رجالكم ﴾ لا مجازا بالتبنى ٥ و لا حقيقة بالولادة ، ليثبت بذلك أن تحرم عليه زوجة الابن ، و لم يقل : من بنيكم ، و إن لم يكن له فى ذلك الوقت - و هو سنة خمس و ما داناها - ابن ، ذكر اعلمه سبحانه أنه سيولد له ابنه إبراهيم عليه السلام ، مع ما كان له قبله من البنين الذين لم يبلغ أحد منهم[3] الحلم - على جميعهم الصلاة و السلام . ١٠

و لما [كان -[4]] بين كونه صلى الله عليه و سلم أبا لأحد من الرجال[5] حقيقة و بين كونه خاتما منافاة[6] قال : ﴿ و لكن ﴾ كان فى علم الله غيبا و شهادة أنه[7] ﴿ رسول الله ﴾ الملك الأعظم الذى كل من[8] سواه عبده ، فبينكم و بين رسوله من جهة مطلق الرسالة أبوة و بنوة مجازية ، إما[9] من جهته[10] فبالرأفة و الرحمة و التربية و النصيحة من غير أن تحرم ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الداعى (٢) راجع جامعه ٢/١٥٢ (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : رجال . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : مساواة (٧) سقط من ظ و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابا (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : جهة .

عليه تلك البنوة شيئا من نسائكم و إلا لم يكن لمنصب النبوة مزية، و أما من جهتكم فبوجوب[1] التعظيم و التوقير و الطاعة و حرمة الأزواج، و أما كون الرسالة عن الله الذى لا أعظم [منه -[2]] فهو مقتض لأن يبلغ الناس عنه جميع ما أمره به، و قد بلغكم قوله تعالى "ادعوهم لآبائهم" و وظيفته الشريفة مقتضية لأن يكون أول مؤتمر بهذا الأمر، فهو لا يدعو أحدا من رجالكم بعد هذا ابنه.

٢٤٢ / و لما لم يكن / مطلق النبوة و لا مطلق الرسالة منافيا لأبوة الرجال قال: ﴿و خاتم النبيين[4] ﴾ أى لأن رسالته عامة و نبوته معها إعجاز القرآن، فلا حاجة مع ذلك إلى استنباء و لا إرسال، فلا يولد بعده[3] من يكون نبيا، و ذلك مقتض لئلا يبلغ له ولد [يولد منه -[2]] مبلغ الرجال، و لو قضى أن يكون بعده نبي لما كان إلا من نسله إكراما له [لأنه أعلى النبيين رتبة و أعظم شرفا، و ليس لأحد من الأنبياء كرامة إلا وله مثلها أو أعظم منها، و لوصار أحد من ولده رجلا لكان نبيا بعد ظهور نبوته، و قد قضى الله ألا يكون بعده نبي إكراما له -[2]]، روى أحمد[4] و ابن ماجه[5] عن أنس و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال[6] فى ابنه إبراهيم: لوعاش لكان صديقا نبيا، و للبخارى نحوه عن

(١) من ظ ومد، وفى الأصل: بنوجرت - كذا مصحفا (٢) زيد من ظ ومد.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بعد (٤) راجع مسنده ٣ / ١٣٨ و ٢٨١.
(٥) راجع أبواب الجنائز من سننه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: قاله.

البراء بن عازب رضى الله عنه ، و للبخارى[1] من حديث[2] ابن أبى أوفى رضى الله عنه : لو قضى أن يكون بعد[3] محمد صلى الله عليه و سلم نبى لعاش ابنه ، و لكن لا نبى بعده . و الحاصل أنه لا يأتى بعده نبى بشرع[4] جديد مطلقا[5] و لا يتجدد بعده أيضا[6] استنباء نبى مطلقا[7] ، فقد آل الأمر إلى [أن -[8]] التقدير : ما كان محمد بحيث يتجدد بعده نبوة برسالة و لا غيرها ٥ و لكنه [كان -[8]] - مع أنه رسول الله - ختاما للنبوة[9] غير أنه سيق على الوجه المعجز لما تقدم من النكت و غيرها ، و هذه الآيـة مثبتة لكونه خاتما على أبلغ وجه و أعظمه ، و ذلك أنها فى سياق الإنكار لأن يكون بنيه أحد من رجالهم[10] بنوة حقيقية أو مجازية بغير جهة [الإدلاء بأنثى أو -[8]] كونه رسولا و خاتما ، صونا لمقام النبوة أن يتجدد بعده ١٠ لأحد لأنه لو كان [ذلك -[8]] بشر لم يكن إلا ولدا له ، و إنما أورث إماتة أولاده عليه الصلاة و السلام و تأثير قلبه الشريف [بها -[8]] إعلاء لمقامه أن يتسنمه أحد كائنا من كان ، و ذلك لأن فائدة إتيان النبى تتميم[11] شىء لم يأت به من قبله ، و قد حصل به صلى الله عليه و سلم التمام فلم يبق بعد ذلك مرام « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » و أما ١٥

(١) راجع من صحيحه ٢/٩١٤ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : طريق (٣) فى ظ : من (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : شرع (٥) تقدم فى ظ و مد على : نبى بشرع (٦) سقط من ظ و مد (٧) تقدم فى ظ على « أيضا » (٨) زيد من ظ و مد (٩) فى ظ و مد : للنبوات (١٠) فى ظ : رجالكم (١١) فى ظ : اتمام .

تجديد ما وهى بما أحدثه بعض الفسقة فالعلماء كافون فيه لوجود ما خص به صلى الله عليه و سلم من هذا القرآن المعجز الذى من سمعه فكأنما سمعه من الله ، لوقوع التحقق و القطع بأنه لا يقدر غيره أن يقول شيئا منه ، فهما حصل ذهول[1] عن ذلك قرره[2] من يريد الله من العلماء ، فيعود الاستبصار [كما روى فى بعض الآثار -[3]] « علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل[4] » و أما إتيان عيسى عليه الصلاة و السلام بعد تجديد المهدى رضى الله عنه لجميع ما وهن[5] من أركان المكارم فلأجل فتنة الدجال ثم طامة ياجوج و ماجوج و نحو ذلك مما[6] لا يستقل بأعبائه غير نبى ، و ما أحسن ما نقل عن حسان بن ثابت رضى الله عنه فى مرثيته لإبراهيم ابن النبى صلى الله عليه و سلم حيث قال :

مضى ابنك محمود العواقب لم يشب بعيب و لم يذمم بقول و لا فعل
رأى أنه إن عاش ساواك فى العلا فآثر أن يبقى وحيدا بلا مثل

و قال الغزالى رحمه الله فى آخر كتابه الاقتصاد : إن الأمة فهمت من هذا اللفظ - أى لفظ هذه الآية - و من قرائن أحواله صلى الله عليه و سلم أنه أفهم عدم نبى بعده أبدا ، وعدم / رسول بعده أبدا ، و أنه ليس فيه تأويل و لا تخصيص ، و قال : إن من أوله بتخصيص النبيين

/٢٤٣

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : وهون (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : قدره (٣) زيد من ظ و مد (٤) و الحديث من الشهرة بحيث لا يحتاج إلى التعليق (٥) فى مد : و هى (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما .

بأولى

بأولى العزم من الرسل و نحو هذا فكلامه من أنواع الهذيان، لايمنع الحكم بتكفيره، لأنه مكذب بهذا النص الذي أجمع الأمة على أنه غير مأول و لا مخصوص هذا كلامه فى كتاب الاقتصاد، نقلته منه بغير واسطة و لا تقليد، فاياك أن تصغي إلى من نقل عنه غير هذا، فانه تحريف يحاشى حجة الإسلام عنه: ٥

و كم من عائب قولا صحيحا و آفته من الفهم السقيم

و قد بان بهذا أن إتيان عيسى عليه الصلاة و السلام [غير -[1]] قادح فى هذا النص، فانه من أمته صلى الله عليه و سلم المقررين لشريعته، و هو قد كان نبيا قبله لم يستجد له شيء لم يكن، [فلم يكن -[1]] ذلك قادحا فى الختم، و هو مثبت لشرف نبينا صلى الله عليه و سلم، ١٠ لولا هو لما وجد، و ذلك أنه لم يكن لنبي[2] من الأنبياء شرف إلا و له صلى الله عليه و سلم مثله أو أعلى منه، و قد كانت الأنبياء تأتى مقررة لشريعة موسى عليه الصلاة و السلام مجددة لها، فكان المقرر لشريعة نبينا صلى الله عليه و سلم المتبع لملته من كان ناسخا لشريعة موسى عليه الصلاة و السلام. ١٥

و لما كان المقام فى هذا البت[3] بأنه لايكون له ولد يصير رجلا مقام إحاطة العلم، كان التقدير: لأنه سبحانه أحاط علما بأنه على كثرة نسائه و تعدد أولاده لايولد له ولد ذكر فيصير رجلا ﴿ و كان الله ﴾ [أي -[1]] الذى له [4] كل صفة[4] كمال أزلا و أبدا ﴿ [5] بكل شيء [5] ﴾

---

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفى الأصل: لشيء (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: البيت (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: صفة كل. (٥ - ٥) تكرر فى الأصل فقط بعد «وكان الله».

من ذلك و غيره ﴿عليما ۝﴾ فيعلم من يليق بالختم و من يليق بالبدء[1]، قال الأستاذ ولى الدين الملوى[2] فى كتابه حصن النفوس فى سؤال القبر: و اختصاصه صلى الله عليه و سلم بالأحمدية و المحمدية علما و صفة برهان[3] جلى على ختمه إذ الحمد مقرون بانقضاء الأمور مشروع [عنده - [4]]
٥ و آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، و قد بين السهيلى هذا فى سورة الحواريين من كتاب الإعلام - انتهى . و قد بينت فى سورة النحل أن [مدار - [4]] مادة الحمد على بلوغ الغاية و امتضاء النهاية .

و لما كان ما أثبته لنفسه سبحانه من إحاطة العلم مستلزما[5] للاحاطة بأوصاف الكمال، و كان قد وعد من توكل عليه بأن[6] يكفيه
١٠ كل مهم، و دل على ذلك بقصة الأحزاب و غيرها و أمر بطاعة نبيه صلى الله عليه و سلم و تقدم بالوصية التامة فى تعظيمه إلى أن أنهى الأمر فى إجلاله، و كانت طاعة العبد لرسول الله صلى الله عليه و سلم من كل وجه حتى يكون مسلوب الاختيار معه، فيكون بذلك مسلما لايحمل عليها[7] إلا طاعة الله، و كانت طاعة الله كذلك لا يحمل عليها
١٥ إلا دوام ذكره، قال بعد تأكيد زواجه صلى الله عليه و سلم لزينب

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بالبداة (٢) هو محمد بن أحمد بن عثمان العثمانى الديباجى الملوى ولى الدين أبو عبد الله المتوفى ٧٧٤ هـ - معجم المؤلفين ٢٨٩/٨. (٣) زيد فى الأصل: الدين، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ ومد (٥) من ظ ومد، وفى الأصل: مستلزمه (٦) من ظ ومد، وفى الأصل: ان (٧) من ظ ومد، و فى الأصل: عليه، و الكلمة ساقطة من ظ .

رضى الله عنها بأنه هو سبحانه زوجه إياها لأنه قضى أن[1] لا بنوة بينه و بين أحد من رجال أمته توجب حرمة زوج الولد: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أى / ادعوا ذلك بألسنتهم ﴿ اذكروا ﴾ أى تصديقا لدعواكم ذلك ﴿ الله ﴾ الذى هو أعظم من كل شىء ﴿ ذكرا كثيرا ﴾ أى بأن تعقدوا له سبحانه صفات الكمال و تثنوا عليه بها بألسنتكم، فلا تنسوه فى حال من الأحوال ليحملكم ذلك على تعظيم رسوله صلى الله عليه و سلم حق تعظيمه، و اعتقاد كماله فى كل حال، و أنه لا ينطق عن الهوى، لتحوزوا مغفرة و أجرا عظيما، كما تقدم الوعد به.

/ ٢٤٤

و لما كان ثبوت البنوة بينه و بين [أحد من[2]] الرجال خارما لإحاطة العلم، وجب تنزيهه سبحانه عن ذلك فقال: ﴿ و سبحوه ﴾ أى[3] عن أن يكون شىء على خلاف ما أخبر[4] به، و عن كل صفة نقص بعد ما أثبتم له [5]كل صفة[5] كمال ﴿ بكرة و اصيلا ﴾ اى فى أول النهار و آخره أى دائما لأن هذين الوقتين إما للشغل الشاغل ابتداء أو انتهاء أو[6] للراحة، فوجوب الذكر فيهما وجوب له فى غيرهما من باب الأولى، قال ابن عباس رضى الله عنهما: لم يفرض الله على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما، ثم عذر أهلها فى حال العذر غير الذكر فانه تعالى لم يجعل له حدا ينتهى إليه، و لم يعذر[7] احدا فى تركه إلا مغلوبا

(١) فى ظ و مد: انه (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: امر (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: صفة كل (٦) من ظ و مد، و فى الأصل «و» (٧) فى ظ و مد: لم يقدر.

على عقله . و هما أيضا مشهودان بالملائكة و دالان على الساعة : الثانى قربها بزوال الدنيا كلها ، و الأول على البعث بعد الموت ، و يجوز أن يكون ذلك إشارة إلى صلاتى الصبح و العصر ، لأن المواظبة عليهما - لما أشير إليه من صعوبتهما بما يعترى فى وقتيهما من الشغل بالراحة و[1] غيرها - دالة على غاية المحبة للمثول[2] بالحضرات الربانية حاملة على المواظبة على غيرهما من الصلوات و جميع الطاعات بطريق الأولى ، و يؤكد هذا الثانى تعبيره بلفظ الصلاة فى تعليل ذلك بدوام ذكره لنا سبحانه بقوله : ﴿هو الذى يصلى عليكم﴾ أى بصفة الرحمانية متحننا ، لأن المصلى منا يتعطف[3] فى الأركان ﴿و ملئكته﴾ أى كلهم بالاستغفار لكم و حفظكم من كثير من المعاصى و الآفات و يتردد بعضهم بينه سبحانه و بين الأنبياء بما ينزل إليهم من الذكر الحافظ من كل سوء فقد اشتركت الصلاتان فى إظهار شرف المخاطبين .

و لما كان فعل الملائكة [منسوبا إليه -[4]] لأنه مع كونه الخالق له الآمر به قال : ﴿ليخرجكم﴾ أى بذلك ﴿من الظلمت﴾ [أى -[4]] الكائنة من الجهل الموجب للضلال[5] ﴿الى النور[4]﴾ [أى -[4]] الناشىء من العلم المثمر للهدى ، فيخرج بعضكم بالفعل من ظلمات المعاصى المقتضية للرين على القلب إلى نور الطاعات ، فتكونوا بذلك مؤمنين ﴿و كان﴾ أى أزلا و أبدا ﴿بالمؤمنين﴾ أى الذين صار الإيمان لهم ثابتا

(١) فى ظ : أو (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : للهول (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : متعطف (٤) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ و مد : ضلال .

[خاصة -[1]] ﴿رحيما﴾ أى بليغ الرحمة بتوفيقهم لفعل ما ترضاه الإلهية، فانهم[2] أهل خاصته فيحملهم[3] على الإخلاص فى الطاعات، فيرفع لهم[4] الدرجات فى روضات الجنات.

و لما كان أظهر الأوقات فى ثمرة هذا الوصف ما بعد الموت، قال تعالى مبينا لرحمتهم: ﴿تحيتهم يوم يلقونه﴾ أى بالموت أو البعث ٥ ﴿سلم﴾ أى يقولون له ذلك «أنت السلام و منك السلام فحيّنا ربنا بالسلام» [كما يقوله المحرم المشبه لحال من هو فى الحشر فيجابون بالسلام -[1]] الذى فيه إظهار شرفهم و يأمنون معه / من كل عطب ٢٤٥ / ﴿و اعد﴾ أى و الحال أنه أعد ﴿لهم﴾ أى بعد السلامة الدائمة ﴿اجرا كريما﴾ أى غدقا دائما لا كدر فى شىء منه. ١٠

و لما وعظ المؤمنين فيه صلى الله عليه و سلم و هذبهم له بما أقبل بأسماعهم و قلوبهم إليه، و ختم بما يوجب لهم الفوز بما عنده سبحانه، و كان معظم ذلك له صلى الله عليه و سلم فانه رأس المؤمنين، أقبل بالخطاب عليه و وجهه إليه فقال منوها من[6] ذكره و مشيدا من قدره بما ينتظم بقوله[7] "الذين يبلغون رسلت الله" الآية و ما جرها من ١٥ العتاب: ﴿يا ايها النبى﴾ [أى -[1]] الذى مخبره[8] بما لا يطلع عليه غيره.

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: فانهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فيحمد (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و مد: بالعبث. (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: عن (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: من قوله (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: تجرد.

و لما كان الكافرون ـ المجاهرون منهم و المساترون ـ ينكرون الرسالة و ما تبعها، أكد قوله فى أمرها و فخمه فقال: ﴿ انآ ارسلنك ﴾ أى بعظمتنا بما ننبئك به إلى سائر خلقنا ﴿ شاهدا ﴾ أى عليهم و لهم مطلق شهادة، لأنه لايعلم البواطن إلا الله، و أنت مقبول الشهادة، فأبلغهم جميع الرسالة سرهم ذلك أو ساءهم سرك فعلهم أو ساءك.

و لما كان المراد الإعلام برسوخ قدمه فى كل من هذه الأوصاف، عطفها بالواو فقال: ﴿و مبشرا﴾ أى لمن شهدت لهم[1] بخير بما يسرهم، و أشار إلى المبالغة فى البشارة بالتضعيف[2] لما لها من حسن الأثر فى إقبال المدعو [و للتضعيف من الدلالة على كثرة الفعل و المفعول بشارة بكثرة التابع و هو السبب لمقصود السورة -[3]]، [4]و كانت المبالغة فى النذارة أزيد لأنها أبلغ فى رد المخالف و هى المقصود بالذات من الرسالة لصعوبة الاجتراء عليها فقال[4]: ﴿و نذيرا ﴾ [أى -[5]] لمن شهدت عليهم [بشر -[5]] بما يسوءهم ﴿ و داعيا ﴾ أى للفريقين ﴿ الى الله ﴾ أى إلى ما يرضى الذى لا أعظم منه بالقول و الفعل، [6]و أعرى الدعاء عن المبالغة لأنه شامل للبشارة و النذارة و الإخبار بالقصص و الأمثال و نصب الأحكام و الحدود، و المأمور به فى كل ذلك الإبلاغ بقدر الحاجة بمبالغة أو غيرها[6]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: له (٢) من ظ، و فى الأصل: بالصيغة، و العبارة من هنا إلى «إقبال المدعو» ساقطة من مد (٣) زيد من ظ و مد إلا أن العبارة فى ظ وقعت بعد «بمبالغة أو غيرها» (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين (٥) زيد من ظ و مد من مد (٦ - ٦) وقع ما بين الرقمين فى ظ بعد «إقبال المدعو».

فمن لم ترده عن غيه النذارة، و تقبل به إلى رشده[1] البشارة، حمل على ذلك بالسيف .

و لما كان ذلك فى غاية الصعوبة، لايقوم به أحد إلا بمعونة من الله عظيمة، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿باذنه﴾ أى بتمكينه لك من الدعاء بتيسير أسبابه، و تحمل أعبائه، و للدعو من الإقبال و الاتباع إن أراد له الخير . ٥

و لما كان الداعى إلى الله يلزمه النور لظهور الأدلة قال: ﴿و سراجا﴾ يمد البصائر فيجلى ظلمات الجهل بالعلم المبصر لمواقع الزلل كما يمد النور الحسى نور الأبصار . و لما كان المقام مرشدا إلى إنارته، و كان من السرج ما لايضىء، [و -[2]] كان للتصريح و التأكيد شأن عظيم قال: ﴿منيرا ٥﴾ أى ينير على من اتبعه ليسير فى أعظم ضياء، و من تخلف ١٠ عنه كان فى أشد ظلام، [[3]فعرف من التقييد بالنور أنه محط الشبه، و عبر به دون الشمس[3] لأنه يقتبس منه و لاينقص مع أنه من أسماء الشمس -[2]] .

و لما[4] تقدمت هذه الأوصاف الحسنى[5]، و كان تطبيق ثمراتها عليها فى الذروة من العلو، و كان الشاهد هو البينة، فكان كأنه قيل: فأقم الأدلة النيرة، و ادع و أنذر [كل -[2]] من خالف أمرك، و كان المقام ١٥ لخطاب المقبلين، طوى هذا المقدر لأنه للمعرضين، و دل عليه بقوله عاطفا

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الرشد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد فى الأصل: كان قد، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ، و فى الأصل: الخمس، و القياس يقتضى: الخمسة، و الكلمة ليست واضحة فى مد.

[عليه -[1]] : ﴿ و بشر المؤمنين ﴾ أى الذين صح لهم هذا الوصف ، فانك مبشر ﴿ بان لهم ﴾ و بين عظمة هذه البشرى بقوله : ﴿ من الله ﴾ أى الذى له جميع صفات العظمة ﴿ فضلا كبيرا ﴾ أى من جهة النفاسة و من جهة التضعيف من عشرة أمثال الحسنة إلى ما لا يعلمه / إلا الله . ٢٤٦/

و لما أمره سبحانه بما يسر[2] نهاه عما يضر ، فقال ذاكرا ثمرة النذارة : ﴿ و لا تطع الكفرين ﴾ أى المشاققين ﴿ و المنفقين ﴾ أى لا تترك إبلاغ شىء [مما أنزلته إليك من الإنزال و غيره كراهة شىء -[1]] من مقالهم أو فعالهم فى أمر زينب أو غيرها ، فانك نذير لهم ، و زاد على ما فى أول السورة محط الفائدة فى قوله مصرحا بما اقتضاه ما قبله : ﴿ و دع ﴾ أى اترك على حالة حسنة بك[3] و أمر جميل لك ﴿ اذىهم ﴾ فلا تراقبه فى شىء ، و لا تحسب له حسابا أصلا ، و اصبر عليه فانه غير ضائرك[4] لأن الله دافع عنك لأنك داع باذنه .

و لما كان ترك المؤذى و الإعراض عنه استسلاما فى غاية المشقة ، ذكره بالدواء فقال : ﴿ و توكل على الله[5] ﴾ أى الملك الأعلى فى الانتصار لك منهم [و -[1]] إبلاغ جميع ما يأمرك به و فى جميع امرك لأن[6] الله متم نورك و مظهر دينك و الاكتفاء به من ثمرات إنارته لك بجعلك سراجا . و لما كان الوكيل قد لا ينهض بجميع الأمور ، قال معلما بأن كفايته محيطة : ﴿ و كفى ﴾ و أكد أمر الكفاية بإيجاد الباء فى الفاعل

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليس (٣) فى ظ : لك (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : ضايل بك (٥) فى ظ و مد : فان .

تحقيقا لكونه فاعلا كما مضى فى آخر سورة الرعد فقال : ﴿ بالله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ، و ميز النسبة بالفاعل فى الأصل لزيادة التأكيد فى تحقيق معنى الفاعل فقال : ﴿وكيلا ٥﴾ فمن اكتفى به أنار له جميع أمره .

و لما أمر سبحانه بابلاغ أوامره من غير التفات إلى أحد غيره ، ٥ وكان من المعلوم أنه لابد فى ذلك من محاولات و منازعات ، لايقوم بها إلا من أعرض عن الخلائق ، لما هو مشاهد له من عظمة الخالق ، أمر سبحانه بالتوكل عليه ، و أقام الدليل الشهودى بقصة الأحزاب و قريظة على كفاية لمن أخلص له ، فلما تم الدليل رجع إلى بيان ما افتتح به السورة من الأحكام بعد إعادة الأمر بالتوكل ، فذكر أقرب ١٠ الطلاق إلى معنى المظاهرة المذكورة أول السورة بعد الأمر بالتوكل التى محط قصدها عدم قربان المظاهر عنها بعد أن كان أبطل المظاهرة . فقال [ناهيا لمن هو فى أدنى أسنان الإيمان بعد بشارة المؤمنين -[1]] قاطعا لهم عما كانوا يشتدون به فى التحجر على المرأة المطلقة لقصد مضاجرتها أو تمام التمكن من التحكم فيها : ﴿ يـٰأيها الذين آمنوا ﴾ أى ادعوا ذلك ١٥ ﴿ اذا نكحتم ﴾ أى عاقدتم ، أطلق اسم المسبب على السبب فقد صار فيه حقيقة شرعية ﴿ المؤمنت ﴾ أى الموصوفات بهذا الوصف الشريف المقتضى لغاية الرغبة فيهن و أتم الوصلة بينكم و بينهن .

(١) زيد من ظ و مد .

و لما كان طول مدة الحبس بالعقد من غير جماع لا يغير الحكم في العدة و إن غيرها في النسب بمجرد إمكان الوطء، و كان الطلاق لايكون إلا بعد النكاح[1] [و بعد حل الوطء بالنكاح -[1]]، أشار إليه بحرف التراخي فقال: ﴿ثم طلقتموهن﴾ أي بحكم التوزيع، و قيل لابن عباس: إن ابن مسعود رضي الله عنهم يقول بصحة تعليق الطلاق قبل النكاح فقال: زلة عالم - و تلا هذه الآية.

و لما كان المقصود نفي المسيس في هذا النكاح لا مطلقا، و كانت العبرة في إيجاب المهر بنفس الوطء لا بامكانه[2] و إن حصلت الخلوة، أدخل الجار فقال: ﴿من قبل ان تمسوهن﴾ أي تجامعوهن، أطلق المسّ على الجماع / لأنه طريق له كما سمي الخمر إثما لأنها سببه. و لما ٢٤٣ / كانت العدة حقا للرجال قال: ﴿فما لكم﴾ و لما كانت العدة واجبة، عبر بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عليهن﴾ و أكد النفي بإثبات الجار في قوله: ﴿من عدة﴾ و دل على اعتيادهم ذلك و مبالغتهم فيه و المضاجرة به كما في الظهار بالافتعال فقال: ﴿تعتدونها ج﴾ أي تتكلفون عدها و تراعونه، [و-[1]] روى عن ابن كثير[3] من طريق البزي شاذا بتخفيف[4] الدال بمعنى تتكلفون الاعتداء بها على المطلقة.

و لما كان هذا الحكم - الذي معناه الانفصال[5] - للمؤمنات اللاتي

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م. و في الأصل: مكانه (٣) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٢١ (٤) من ظ و مد. و في الأصل: تخفيف (٥) من ظ و مد، و في الأصل: لاتصال.

لهن صفات تقتضى دوام العشرة و تمام الاتصال، كان[1] ذلك للكتابيات من باب الأولى، و فائدة التقييد الإرشاد إلى أنه لاينبغى العدول عن المؤمنات، بل و لا عن الصالحات من المؤمنات. و لما كان الكلام كما أشير إليه فى امرأة قريبة من المظاهر[2] عنها، و كان ما خلا من الفرض للصداق أقرب إلى ذلك، سبب عما مضى قوله: ﴿ فمتعوهن ﴾ ٥ و لم يصرح بأن ذلك لغير من سمى لها[3] لتدخل المسمى لها فى الكلام على طريق الندب مع ما لها من نصف [المسمى - [4]] كما دخلت الأولى وجوبا ﴿ وسرحوهن ﴾ أى أطلقوهن[5] ليخرجن من منازلكم و لاتعتلوا عليهن بعلة ﴿ سراحا جميلا ﴾ بالإحسان قولا و فعلا من غير ضرار بوجه [أصلا - [4]] ليتزوجهن من شاء. ١٠

و لما كان النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم، و كان المراد الأعظم فى هذه الآيات بيان ما شرفه الله به من [6]ذلك، أتبع ما بين أنه[7] لا عدة فيه من نكاح المؤمنين [و ما حرمه عليهم من التضييق على الزوجات المطلقات -[8]] بعض ما شرفه الله تعالى به و خصه من أمر [التوسعة فى -[9]]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: و كان (٢) و من هنا نستأنف نسخة م. (٣) من ظ و م و مد، وفى الأصل: بها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: طلقوهن (٦) العبارة من هنا إلى «أمر التوسعة فى» ساقطة من مد (٧) العبارة من «و كان المراد» إلى هنا ساقطة من ظ (٨) زيد من ظ (٩) زيد من ظ و م.

النكاح، و ختمه بأن أزواجه لا تحل بعده، فهن كمن عدتهن[1] ثابتة لا تنقضى[2] أبدا، او كمن زوجها غائب عنها و هو حي، لأنه صلى الله عليه و سلم حى فى قبره: ﴿يأيها النبى﴾ ذاكرا سبحانه الوصف الذى هو مبدأ القرب و مقصوده و منبع[3] الكمال و مداره •

٥ و لما كان الذين فى قلوبهم مرض ينكرون خصائص النبى صلى الله عليه و سلم أكد قوله: ﴿انآ احللنا لك ازواجك﴾ أى نكاحهن، قال الحرالى فى كتابه فى أصول الفقه: تعليق الحكم بالأعيان مختص بخاص مدلولها نحو حرمت أو حللت المرأة أى نكاحها، و الفرس أى ركوبه، و الخمر أى شربها، و لحم الخنزير أى أكله، و البحر أى ركوبه، و الثور ١٠ أى الحرث به، وكذلك كل شيء يختص بخاص مدلوله، و لا يصرف عنه إلا بمشعر، و لا إجمال فيه لترجح الاختصاص - انتهى •

و لما كان المقصود من هذه السورة بيان مناقبه صلى الله عليه و سلم و ما خصه الله به مما قد يطعن فيه المنافقون من كونه أولى من كل أحد بنفسه و ماله، بين أنه مع ذلك لا يرضى إلا بالأكمل، فبين أنه ١٥ كان[4] يعجل المهور، و يوفى الأجور، فقال: ﴿الّٰتىٓ اٰتيت﴾ أى بالإعطاء الذى هو الحقيقة، و هى[5] به صلى الله عليه و سلم أولى[6] أو بالتسمية[6]

(١) فى ظ و مد: عدتها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: لا تقتضى • (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مبلغ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل و م: كما (٥) سقط من ظ (٦ - ٦) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م مد •

فى

فى العقد ، قال الكشاف : و كان التعجيل ديدن السلف و سنتهم و ما لا يعرف بينهم غيره ﴿اجورهن﴾ أى مهورهن لأنها[1] عوض عن منفعة البضع ، و أصل الأجر الجزاء[2] على العمل ﴿و ما ملكت يمينك﴾ .

و لما كان حوز[3] الإنسان لما سباه أطيب لنفسه و أعلى لقدره و أحل بما اشتراه قال : ﴿مما افآء﴾ / أى رد ﴿الله﴾ الذى له الأمر كله ٥ / ٢٤٨ ﴿عليك﴾ مثل صفية بنت حيي النضرية و ريحانة القرظية[4] و جويرية بنت الحارث الخزاعية رضى الله عنهن مما كان فى أيدى الكفار ، أسنده إليه سبحانه إفهاما لأنه فىء على وجهه الذى أحله الله لا خيانة فيه ، و عبر بالفىء[5] الذى معناه الرجوع إفهاما لأن ما فى يد الكافر ليس له ، و إنما هو لمن[6] يستلبه منه من المؤمنين بيد[7] القهر أو لمن يعطيه الكافر ١٠ منهم عن طيب نفس ، و من هنا كان يعطى النبى صلى الله عليه و سلم ما يطلب منه من بلاد الكفار أو نسائهم ، و ما أعطى أحدا شيئا إلا وصل إليه كتميم الدارى و شويل رضى الله عنهما ، و قيد بذلك تنبيها على فضله صلى الله عليه و سلم و وقوعه من كل شىء على أفضله كما تقدمت الإشارة إليه ، و إشارة إلى أنه سبق فى علم الله أنه لا يصل إليه من ملك اليمين[8] ١٥ إلا ما كان هذا سبيله ، و دخل فيه ما أهدى له [9]من الكفار[9] مثل مارية

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لأنه (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : جور (٤) من ظ و مد . و فى الأصل و م: القريظية. (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالنفى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ممن ليس (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اليمن (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

القبطية أم ولده إبراهيم عليه السلام ، و فى ذلك أيضا إشارة إلى ما خصه به من تحليل ما كان حظره على من كان قبله من الغنائم ﴿و بنت عمك﴾ الشقيق و غيره من باب الأولى ، فان النسب كلما بعد كان أجدر بالحل .

٥ و لما كان قد أفرد العم لأن واحد الذكور يجمع من غيره لشرفه و قوته و كونه الأصل الذى تفرع منه هذا النوع ، عرف بجمع[1] الإناث أن[2] المراد به الجنس لئلا يتوهم أن المراد إباحة الأخوات مجتمعات فقال : ﴿و بنت عمتك﴾ من نساء بنى عبد المطلب .

و لما بدأ بالعمومة لشرفها ، أتبعها[3] قوله : ﴿و بنت خالك﴾ جاريا

١٠ أيضا[4] فى الإفراد و الجمع على ذلك النحو ﴿و بنت خالتك﴾ أى[4] من نساء بنى زهرة [و يمكن أن يكون فى ذلك احتباك عجيب و هو : بنات عمك و بنات أعمامك ، و بنات عماتك و بنات عمتك ، و بنات خالك و بنات أخوالك ، و بنات خالاتك و بنات خالتك ، و سره ما أشير إليه -[5]]

١٥ و لما بين شرف أزواجه من جهة النسب لما علم و اشتهر أن نسبه صلى الله عليه و سلم من جهة الرجال و النساء أشرف[6] الأنساب بحيث لم يختلف فى ذلك اثنان من العرب ، بين شرفهن من جهة الأعمال فقال :

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بجميع (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لان (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اتبعه (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) تكرر فى ظ .

﴿ اللّتي هاجرن ﴾ و أشار بقوله : ﴿ معك ﴾ إلى أن الهجرة قبل الفتح " اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد و قاتلوا " و لم يرد بذلك التقييد بل التنبيه على الشرف ، و إشارة إلى أنه سبق في علمه سبحانه أنه لايقع له أن يتزوج من هي خارجة عن هذه الأوصاف ، و قد ورد أن هذا على سبيل التقييد ؛ روى الترمذي[1] و الحاكم و ابن أبي شيبة و إسحاق بن راهويه و الطبراني و الطبري[2] و ابن أبي حاتم كلهم من رواية السدي عن أبي صالح عن أم هانئ[3] بنت أبي طالب رضي الله عنها[4] قالت : خطبني رسول الله صلى الله عليه و سلم فاعتذرت [إليه -[4]] فعذرني ثم أنزل الله تعالى " انا احللنا لك ازواجك " - الآية ، فلم اكن لأحل له لأني لم أهاجر . كنت من الطلقاء - قال الترمذي : حديث حسن لانعرفه إلا من هذا الوجه من حديث السدي .

و لما بين ما هو الأشرف من النكاح لكونه[5] الأصل ، [و -[6]] أتبعه سبحانه ما خص به شرعه صلى الله عليه و سلم من المغنم الذي تولى سبحانه إباحته ، أتبعه ما جاءت إباحته من جهة المبيح إعلاما بأنه ليس من نوع الصدقة التي نزه عنها قدره / فقال : ﴿ و امرأة ﴾ اي و أحللنا لك امرأة ١٥ / ٢٤٩ ﴿ مؤمنة ﴾ أي هذا الصنف حرة كانت او رقيقة ﴿ ان وهبت نفسها للنبي ﴾ .

و لما ذكر وصف النبوة لأنه مدار الإكرام من الخالق و المحبة من

(١) راجع جامعه ٢ / ٥٥ ، (٢) سقط من ظ (٣) من م و مد . و في الأصل و ظ : عنهم (٤) زيد من ظ و مد و الجامع (٥) من مد . و في الاصل و ظ و م : بكونه (٦) زيد من ظ و م و مد .

الخلائق تشريفا له به و تعليقا للحكم بالوصف، لأنه لو قال "لك" كان ربما وقع فى بعض الأوهام - كما قال الزجاج - أنه غير خاص به صلى الله عليه و سلم، كرره بيانا لمزيد شرفه فى سياق رافع لما ربما يتوهم من أنه يجب عليه القبول[1] فقال: ﴿ان اراد النبى﴾ أى الذى أعلينا قدره بما اختصصناه به من الإنباء بالأمور العظيمة من عالم الغيب و الشهادة ﴿ان يستنكحها[2]﴾ أى يوجد نكاحه لها[3] بجعلها من منكوحاته بعقد أو ملك يمين، فتصير له[4] بمجرد ذلك بلا مهر[5] و لا ولى و لا شهود.

و لما كان ربما فهم ان غيره يشاركه فى هذا المعنى، قال مبينا لخصوصيته[6] واصفا لمصدر "احللنا" مفخما للأمر بهاء المبالغة ملتفتا إلى الخطاب لأنه معين للمراد رافع للارتياب: ﴿خالصة لك﴾ و زاد المعنى بيانا بقوله: ﴿من دون المؤمنين[7]﴾ أى[7] من الأنبياء و غيرهم، و أطلق الوصف المفهم للرسوخ فشمل من قيد بالإحسان و الإيقان، و غير ذلك من الألوان، دخل من نزل عن رتبتهم من الذين يؤمنون و الذين آمنوا و سائر الناس من باب الأولى مفهوم موافقة، و قد كان الواهبات عدة و لم [يكن -[7]] عنده منهن شىء. روى البخارى[8] عن عائشة رضى الله عنها انها قالت: كنت أغار على اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله

(١) من ظ و م و مد. و فى الأصل: العقول (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بها (٣) من ظ و م و مد. و فى الأصل: لك (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مميز (٥) فى ظ و م و مد: للخصوصية (٦) سقط من ظ (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) راجع ٢ / ٧٠٦.

صلى

صلى الله عليه و سلم و اقول: أما تستحيي المرأة أن تهب نفسها، فلما نزلت "ترجى من تشاء منهن" قلت: يا رسول الله، ما أرى ربك ألا يسارع فى هواك.

و لما كان التخصيص لا يصح و لا يتصور إلا من محيط العلم بأن هذا الأمر ما كان لغير المخصوص تام القدرة، ليمنع غيره من ذلك، ٥ علله بقوله: ﴿قد﴾ أى[1] اخبرناك بأن هذا أمر يخصك دونهم لأنا[2] قد ﴿علمنا ما فرضنا﴾ أى قدرنا بعظمتنا.

و لما كان ما قدره للانسان عطاء و منعا لابد له منه، عبر فيه بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عليهم﴾ أى المؤمنين ﴿فى ازواجهم﴾ أى من أنه لا تحل لهم امرأة بلفظ الهبة منها و لابدون مهر و لابدون ولى ١٠ و شهود، و هذا عام لجميع المؤمنين المتقدمين و المتأخرين. و لما كان هذا عاما للحرة و الرقيقة قال: ﴿و ما ملكت ايمانهم﴾ أى[1] من [أن -[3]] أحدا غيرك لايملك رقيقة بهبتها لنفسها منه، فيكون أحق من سيدها.

و لما فرغ من تعليل الدونية، علل التخصيص لفا و نشرا مشوشا بقوله: ﴿لكيلا يكون عليك حرج[4]﴾ أى ضيق فى شىء من أمر ١٥ النساء حيث أحللنا لك أنواع المنكوحات و زدناك الواهبة. و لما ذكر سبحانه ما فرض فى الأزواج و الإماء الشامل للعدل فى عشرتهن، و كان النبى صلى الله عليه و سلم أعلى الناس فهما و أشدهم [لله -[3]] خشية،

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا (٣) زيد من ظ و م و مد.

وكان يعدل بينهن ، و يعتذر مع ذلك من ميل القلب الذى هو خارج
/٢٥٠ عن طوق البشر بقوله « اللهم / هذا قسمى[1] فيما أملك فلا تلمنى فيما
لا أملك » خفف عنه سبحانه بقوله : ﴿وكان الله﴾ أى المتصف بصفات
الكمال من الحلم[2] و الأناة و القدرة و غيرها[3] أزلا و أبدا ﴿غفورا رحيما﴾
٥ أى بليغ الستر فهو إن شاء يترك المؤاخذة فيما له أن يؤاخذ به ، و يجعل
مكان المؤاخذة الإكرام العظيم متصفا بذلك أزلا و أبدا .

و لما ذكر هاتين الصفتين ، اتبعهما ما خففه عنه من أمرهن إكراما
له صلى الله عليه و سلم مما[4] كان من شأنه أن يتحمل فيه و يتخرج عن
فعله ، فقال فى موضع الاستئناف ، أو الحال من معنى التخفيف فى الجمل
١٠ السابقة : ﴿ترجئ﴾ بالهمز على قراءة الجماعة أى تؤخر ﴿من تشآء منهن﴾
أى من الواهبات فلا تقبل هبتها أو من نسائك بالطلاق أو غيره مع ما
يؤنسها من أن تؤويها ، و بغير همز عند حمزة و الكسائى و حفص[5] من
الرجاء أى تؤخرها مع أفعال يكون بها راجية[6] لعطفك ﴿و تؤى﴾
أى تضم و تقرب[7] بقبول الهبة أو بالإبقاء فى العصمة بقسم و بغير قسم
١٥ بجماع و بغير جماع تخصيصا له بذلك عن[8] سائر الرجال ﴿اليك من تشآء﴾

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قسم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحكم (٣) من ظ و مد ، و فى الاصل و م : غيرهما (٤) فى ظ : بما .
(٥) راجع نثر المرجان ٥/٤٢٤ (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : واجبة .
(٧) زيد فى الأصل و م : اى . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد . و فى الأصل : من .

و سبب نزول هذه الآية[1] أنه لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقهن فقلن: يا نبي الله! اجعل لنا من مالك و نفسك ما شئت، و دعنا على حالنا، فنزلت.

و لما كان ربما مال إلى من فارقها، بين تعالى حكمها فقال: ﴿و من ابتغيت﴾ أى مالت نفسك إلى طلبها ﴿ممن عزلت﴾ أى أوقعت عزلها بطلاق أو رد هبة ﴿فلا جناح عليك[2]﴾ أى فى إيوائها بعد ذلك بقبول هبتها أو بردها إلى ما كانت عليه من المنزلة عندك من قيد النكاح أو القسم.

و لما كانت المفارقة من حيث هى - و لا سيما إن كان فراقها لما فهم منها من كراهية يظن بها - أنها تكره الرجعة، أخبر سبحانه أن نساءه صلى الله عليه و سلم على [غير -[3]] ذلك فقال: ﴿ذلك﴾ أى الإذن لك من الله و الإيواء العظيم الرتبة، لما لك من الشرف ﴿ادنى[3]﴾ أى أقرب من الإرجاء و من عدم التصريح بالإذن فى[4] القرآن المعجز، إلى ﴿ان تقر اعينهن﴾ أى بما حصل لهن من عشرتك الكريمة، و هو كناية عن السرور و الطمأنينة ببلوغ المراد، لأن من كان كذلك كانت عينه قارة، و من كان مهموما كانت عينه كثيرة التقلب لما يخشاه - هذا إن كان من القرار بمعنى السكون، و يجوز أن يكون من القر الذى هو

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الآيات (٢) فى ظ: قبل (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ «و».

ضد الحر، لأن المسرور [تكون -[1]] عينه باردة، و المهموم تكون عينه حارة، فلذلك يقال للصديق: اقر الله عينك، و للعدو: أسخن الله عينك[2] ﴿ و لا يحزن ﴾ أى بالفراق و غيره مما يحزن من ذلك ﴿ و يرضين ﴾ لعلمهن أن ذلك من الله لما للكلام من الإعجاز ٥ ﴿ بما آتيتهن ﴾ أى من الأجور و غيرها من نفقة و قسم و إيثار و غيرها[3].

و لما كان التأكيد أوقع فى النفس و أنفى للبس، و كان هذا أمرا غريبا لبعده عن الطباع أكد فقال: ﴿ كلهن[4] ﴾ أى ليس[5] منهن واحدة إلا هى كذلك راغبة فيك راضية بصحبتك[6] إن آويتها أو[6] أرجأتها / لما لك من حسن العشرة و كرم الأخلاق و محاسن الشمائل و جميل / ٢٥١ ١٠ الصحبة، و إن اخترت فراقها علمت أن هذا أمر من الله جازم، فكان ذلك [أقل -[1]] لحزنها فهو أقرب إلى قرار عينها بهذا الاعتبار، و زاد ذلك تأكيدا لما له من الغرابة التى لا تكاد تصدق بقوله [عطفا على نحو "فالله يعلم ما فى قلوبهن" -[7]]: ﴿ و الله ﴾ أى بما له من الإحاطة بصفات الكمال ﴿ يعلم ﴾ أى علما مستمرا لتعلق ﴿ ما فى قلوبكم ﴾ [أى -[1]] ١٥ ايها الخلائق كلكم، فلا بدع إن علم ما فى قلوب هؤلاء.

و لما رغبه سبحانه فى الإحسان إليهن بادامة الصحبة بما أخبره من

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ: عينه (٣) فى ظ و م و مد: غيرهما.
(٤) من ظ و م و مد. و فى الأصل: ليسوه (٥) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و».
(٧) زيد من ظ و مد.

ودهن لذلك، لكونه صلى الله عليه و سلم شديد المحبة لإدخال السرور على القلوب، زاده ترغيبا بقوله: ﴿و كان الله﴾ أي أزلا و أبدا ﴿عليما﴾ أي بكل شيء ممن يطيعه و من يعصيه ﴿حليما ٥﴾ لايعاجل من عصاه، بل يديم إحسانه إليه في الدنيا فيجب أن يتقى[1] لعلمه و حلمه، فعلمه موجب للخوف منه، و حلمه مقتض[2] للاستحياء منه. و أخذ الحليم شديد، فينبغي ٥ لعبده المحب له أن يحلم عمن يعلم تقصيره في حقه، فانه سبحانه يأجره على ذلك بأن يحلم عنه فيما علمه[3] منه. و أن يرفع قدره و يعلي ذكره، روى البخاري[4] في التفسير عن معاذة[5] عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان يستاذن في يوم المرأة منا[6] بعد أن أنزلت هذه الآية "ترجي من تشاء منهن" الآية، قلت لها: ما كنت ١٠ تقولين؟ قالت: كنت أقول له: إن[7] [كان -[8]] ذاك إلي فاني لا أريد يارسول الله أن أوثر عليك أحدا.

و لما أمره بما يشق من تغيير العوائد في أمر العدة، ثم بما قد يشق عليه صلى الله عليه و سلم من تخصيصه بما ذكر خشية من طعن بعض من لم يرسخ إيمانه، و ختم ذلك بما يسر أزواجه، وصل به ما يزيد ١٥ سرورهن من تحريم غيرهن عليه شكرا لهن على إعراضهن عن الدنيا

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: يبقى (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: موجب (٣) في ظ: علم (٤) راجع صحيحه ٢/ ٧٠٦ (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: معارة (٦) من ظ و م و مد و الصحيح، و في الأصل: ما (٧) في ظ: اذ (٨) زيد من ظ و م و مد و الصحيح.

و اختيارهن الله و رسوله فقال : ﴿ لايحل لك النسآء ﴾ و لما كان تعالى شديد العناية به[1] صلى الله عليه و سلم ، لوّح له فى آية التحريم إلى أنه ينسخه عنه ، فأثبت الجار فقال : ﴿ من بعد ﴾ أى من[2] بعد من معك من هؤلاء التسع - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما[3] فى رواية عنه ، شكرا من الله لهن لكونهن لما نزلت آية التخيير اخترن الله و رسوله ، فتكون الآية منسوخة بما تقدم عليها فى النظم و تأخر عنها فى الإنزال[4] من آية " انا احللنا لك ازواجك " و فى رواية[5] أخرى عنه من بعد " اللّتى احللنا لك " بالصفة المتقدمة من بنات العم و ما معهن ، و يؤيدها ما [6]تقدمت روايته[6] عن أم هانئ رضى الله عنها .

و لما كان ربما فهم أن المراد الحصر فى عدد التسع ، لا بقيد المعينات ، قال : ﴿ و لآ ان تبدل بهن ﴾ أى هؤلاء التسع ، و أعرق فى النفى بقوله : ﴿ من ﴾ أى شيئا من[1] ﴿ ازواج ﴾ أى بأن تطاق بعض هؤلاء المعينات ، و تأخذ بدلها من غيرهن بعقد النكاح بحيث لايزيد العدد على تسع ، فعلم بهذا أن الممنوع [منه -[2]] نكاح غيرهن مع طلاق واحدة منهن أولا ، و هو يؤيد الرواية الأولى عن ابن عباس رضى الله عنهما لأن المتبدل بها لا تكون إلا معلومة العين ، و الجواب عن قول أم هانئ

(١) سقط من ظ (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ /٢٢٢ (٤) زيد فى ظ : الى (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : آية (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تقدم من روايتها (٧) زيد من ظ و م و مد .

رضى الله عنها أنه [1]فهم منها[1]، / لارواية عن النبى صلى الله عليه و سلم، ٢٥٢ /
و أما عند موت واحدة منهن فلا حرج فى نكاح واحدة بدلها .

و لما علم من هذا المنع من كل زوجة بأى[2] صفة كانت، أكد المعنى و حققه، و صرح به فى قوله حالا من فاعل "تبدل": ﴿و لو اعجبك حسنهن﴾ أى النساء المغايرات لمن معك، و فى هذا إباحة النظر إلى من يراد نكاحها لأن النظرة الأولى لاتكاد تثبت ما عليه المرئى من حاق الوصف؛ و لما كان لفظ النساء شاملا للأزواج و الإماء، بين أن المراد الأزواج [فقط - [3]] بقوله: ﴿الا ما ملكت يمينك[4]﴾ أى فيحل لك منهن ما شئت، و قد ملك [5]رسول الله[5] صلى الله عليه و سلم ريحانة رضى الله عنها من سبى بنى قريظة، و استمرت فى ملكه مدة لايقربها حتى أسلمت، ثم ملك بعد عام الحديبية مارية رضى الله عنها أم ولده إبراهيم عليه السلام .

و لما تقدم[5] سبحانه فى هذه الآيات فأمر و نهى و حد حدودا[6]، حذر من التهاون بشىء منها و لو بنوع تأويل فقال: ﴿و كان الله﴾ أى الذى لا شىء أعظم منه، و هو المحيط بجميع صفات الكمال ﴿على كل شىء رقيبا[5]﴾ أى يفعل فعل المراعى لما يتوقع منه من خلل على أقرب قرب منه بحيث لايفوت مع رعايته فائت من أمر المرعى،

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وهم (٢) فى ظ: من اى (٣) زيد من ظ وم ومد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٥) من ظ وم ومد، و فى الأصل: قدم (٦) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها .

و لايكون الرقيب إلا قريبا، و لا أقرب من قرب[1] الحق سبحانه. فلا أرعى من رقبته، و هو من أشد الأسماء وعيدا.

و لما كان القرب و الإحاطة لله، كان بالحقيقة لارقيب إلا هو، و الآية على كل حال منسوخة إن قلنا بالاحتمال[2] الأول أو الثانى، فقد روى الترمذى فى التفسير[3] عن عائشة رضى الله عنها و ناهيك بها و لاسيما فى هذا الباب أنها قالت: ما مات رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أحل له النساء، و قال: هذا حديث حسن صحيح - انتهى. و نقل ابن الجوزى عنها رضى الله عنها أن الناسخ [آية -[4]] "انا احللنا لك ازواجك" وكذا [عن -[4]] جماعة منهم على و ابن عباس و أم سلمة رضى الله عنهم، و لكنه صلى الله عليه و سلم ترك ذلك أدبا مع الله تعالى حيث عبر فى المنع بصيغة الخبر و الفعل المضارع، و رعاية لما أشار الله إليه من رعاية حقهن فى[5] اختيارهن الدار الآخرة.

و لما قصره صلى الله عليه و سلم عليهن[6]، و كان قد تقدم إليهن[7] بلزوم البيوت و ترك ما كان[8] عليه الجاهلية[8] من التبرج، أرخى عليهن الحجاب فى البيوت و منع غيره صلى الله عليه و سلم مما كانت العرب عليه من الدخول على النساء لما عندهم من الأمانة فى ذلك، فقال

(١) فى ظ: قريب (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باحتمال (٣) راجع من جامعه ٢ /١٠٣ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اليمين. (٨ ٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجاهلية عليه.

مخاطبا لأدنى أسنان أهل هذا الدين لما ذكر فى سبب نزولها، و لأن المؤمنين كانوا منتهين [عن ذلك -[1]] بغير ناه كما يدل عليه ما يأتى من قول عمر رضى الله عنه فى الحجاب: ﴿ يأيها الذين آمنوا ﴾ أى ادعوا الإيمان صدقوا دعواكم فيه[2] بأن ﴿ لاتدخلوا ﴾ مع الاجتماع[3]، فالواحد من باب الأولى.

٥

و لما كان تشويش الفكر ربما كان شاغلا عن شىء مما ينبئ الله به كما أشار إليه قوله صلى الله عليه و سلم «بينت لى ليلة القدر فتلاحا فلان و فلان فأنسيتها» - أو كما قال صلى الله عليه و سلم، عبر بصفة النبوة / فى قوله: ﴿ بيوت النبى ﴾ أى الذى يأتيه الإنباء من علام الغيوب بما فيه غاية رفعته. فى حال من الأحوال أصلا ﴿ الا ﴾ فى حال ١٠ ﴿ ان يؤذن لكم ﴾ أى ممن له الإذن فى بيوته صلى الله عليه و سلم منه أو ممن يأذن له[4] فى ذلك، منتهين ﴿ الى طعام ﴾ أى أكله[5]، حال كونكم ﴿ غير ناظرين انىه ﴾ أى وقت ذلك الطعام و بلوغه و استواءه للأكل، فمنع بهذا من كان يتحين طعام النبى صلى الله عليه و سلم، لأن فى ذلك تكليفا له صلى الله عليه و سلم بما يشق عليه جدا، فانه ربما[6] كان ثم من ١٥ هو أحوج إلى ذلك الطعام من المتحين أو غير ذلك من الأعذار، فلايتوجه

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: به
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاتباع (٤) زيد فى الأصل: الا. و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كله (٦) سقط من ظ.

الخطاب إلى غير أهل هـذا السن السافـل، و من[1] وقعت له فلتة
ممن فوق رتبتهم دخل فى خطابهم بما أنزل من رتبته، و التعبير باسم
الفاعل المجرد فى "ناظرين" أبلغ فى النهى .

و لما كان هذا الدخول بالإذن مطلقا، وكان يراد تقييده، وكان
٥ الأصل فى ذلك: فاذا دعيتم - إلى آخره، و لكن لما كان المقام للختم بالجزم
فيما يذكر، وكان الاستدراك أمر عظيم من روعة النفس و هزها للعلم
بأن ما بعده مضاد لما قبله قال: ﴿و لكن اذا دعيتم﴾ أى ممن له الدعوة
﴿فادخلوا﴾ أى لأجل ما دعاكم له[2]؛ ثم سبب عنه قوله: ﴿فاذا طعمتم﴾
أى أكلتم طعاما أو شربتم شرابا ﴿فانتشروا﴾ أى اذهبوا حيث شئتم
١٠ فى الحال، و لاتمكثوا بعد الأكل لامستريحين لقرار الطعام[3] فى بطونكم
﴿و لامستانسين لحديث[4]﴾ أى طالبين الأنس لأجله، قال حمزة بن نضر
الكرمانى فى كتابه جوامع التفسير: قال الحسن: حسبك[4] فى الثقلاء[5]
أن الله لم يتجوز فى امرهم - انتهى، و عن عائشـة رضى الله عنها أنها
قالت: حسبك بالثقلاء[5] أن الله لم يحتملهم . ثم علل ذلك بقوله مصوبا
١٥ الخطاب إلى جميعه، معظما له بأداة البعد: ﴿ان ذلكم﴾ أى الأمر الشديد[6]

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ممن (٢) من م و مد، و فى الأصل
و ظ: (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاكل (٤ - ٤) فى ظ و م
و مد الثقلاء (٥) فى ظ و م و مد: من الثقلاء، و فى روح المعانى ٧ / ٨٩
حيث ذكر قول عائشة رضى الله عنها: فى الثقلاء (٦) من ظ و م و مد، و فى
الأصل الشرية .

و هو المكث بعد الفراغ [١]من الأكل و الشرب[١] ﴿ كان يؤذى النبى ﴾ أى الذى هيأناه لسماع ما تنبئه به مما يكون سبب شرفكم و علوكم فى الدارين ، فاحذروا أن تشغلوه عن شىء منه فتنبئه بشىء تهلكون فيه. ثم سبب عن ذلك المانع له من مواجهتهم بما يزيل أذاه فقال : ﴿ فيستحى ﴾ أى يوجد الحياء ، و أصله إيجاد الحياة. كأن من لاحياء له جماد لاحياة له ﴿ منكم ﴾ أى أن يأمركم بالانصراف ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع الأمر ﴿ لايستحى من الحق[١] ﴾ أى لايفعل فعل المستحيي فيؤديه ذلك إلى ترك الأمر به .

و لما كان البيت يطلق على المرأة لملازمتها له عادة ، أعاد الضمير عليه مرادا به النساء استخداما فقال : ﴿ و اذا سالتموهن ﴾ أى الأزواج ﴿ متاعا ﴾ أى شيئا من آلات البيت ﴿ فسئلوهن ﴾ أى ذلك المتاع ، كائنين و كائنات ﴿ من وراء حجاب[١] ﴾ أى ستر يستركم عنهن و يسترهن عنكم ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العالى الرتبة الذى أدبتكم[٣] جميعكم به من السؤال من وراء حجاب و غيره ﴿ اطهر لقلوبكم و قلوبهن[١] ﴾ أى [من -[٤]] وساوس[٥] الشيطان[٦] التى كان يوسوس بها فى أيام الجاهلية قناعة منه بما كانوا فى حبالته من الشرك ﴿ و ما كان لكم ﴾[٦] أى و ما صح و ما استقام فى حال من الأحوال ﴿ ان تؤذوا ﴾ و ذكرهم[٧] بالوصف الذى هو سبب

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يهلكونه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اديكم (٤) زيد من مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دسائس (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذكر .

/ ٢٥٤ لسعادتهم[1] واستحق به[2] عليهم من / الحق ما لايقدرون على القيام بشكره فقال: ﴿ رسول الله ﴾ صلى الله عليه و سلم، أى الذى له جميع الكمال فله إليكم من الإحسان ما يستوجب [منكم -[3]] به غاية الإكرام و الإجلال، فضلا عن الكف عن الأذى، فلا تؤذوه بالدخول إلى شىء من بيوته ٥ بغير إذنه أو[4] المكث بعد فراغ الحاجة و لابغير ذلك .

و لما كان قد قصره [صلى الله عليه و سلم عليهن، و لزم ذلك بعد أن أحل له غيرهن قصرهن عليه بعد -[5]] الموت زيادة لشرفه و إظهارا لمزيته فقال: ﴿ و لآ ان تنكحوآ ﴾ أى فيما يستقبل من[6] الزمان ﴿ازواجه من بعده﴾ أى بعد فراقه لمن دخل بها منهن بموت أو طلاق ١٠ [7]لما تقدم أنه حى لم يمت[7] ﴿ابدا[7]﴾ فان العدة [منه -[5]] ينبغى أن لاتنقضى لما له من الجلال و العظمة و الكمال، و هو حى فى قبره لايزال، [و ثم علة أعم من هذه لمسها فى الميراث، و هى قطع الأطماع عن امتدادها إلى شىء من الدنيا بعده لئلا يتمنى أحد موته صلى الله عليه و سلم ليأخذ ذلك فيكفر لأنه لا إيمان لمن لايقدمه على نفسه -[5]]، و أما العالية بنت ظبيان ١٥ التى طلقها النبى صلى الله عليه و سلم و تزوجت غيره فكان أمرها قبل نزول هذه الآية - ذكره البغوى[8] عن معمر عن الزهرى . ثم علل ذلك بقوله: ﴿ان ذلكم﴾ أى الإيذاء بالنكاح و غيره الذى[9] ينبغى أن يكون

(١) فى ظ و م و مد : سعادتهم (٢) فى ظ : بهم (٣) زيد من ظ و مد (٤) فى ظ ه و ، (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) سقط من ظ (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٥/٢٢٥ .
(٩) فى ظ : اى .

على غاية البعد ﴿ كان عند الله ﴾ أى القادر على كل شىء ﴿ عظيما ﴾
و قد ورد فى سبب نزول هذه الآية أشياء، روى أبو يعلى الموصلى فى
مسنده عن أنس رضى الله عنه قال: بعثتنى أم سليم رضى الله عنها برطب
إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم على طبق فى أول ما أينع ثمر النخل
قال: فدخلت عليه فوضعته بين يديه فاصاب منه ثم أخذ بيدى فخرجنا[1] ٥
و كان حديث عهد بعرس زينب[2] بنت جحش رضى الله عنها، قال: فمر
بنساء من نسائه و عندهن رجال يتحدثون فهنأته و هنأه الناس فقالوا:
الحمدلله الذى[3] أقر بعينك يا رسول الله، فمضى حتى أتى عائشة رضى الله
عنها، فاذا عندها رجال، قال: فكره ذلك. و كان إذا كره الشىء عرف
فى وجهه، قال: فأتيت أم سليم فأخبرتها، فقال أبو طلحة رضى الله عنه: ١٠
لئن كان ما قال ابنك [حقا -[4]] ليحدثن أمر، قال: فلما كان من العشى
خرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فصعد المنبر ثم تلا هذه الآية
" يا[5]ايها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم " الآية، قال:
و أمر بالحجاب، و أصله فى التفسير من جامع الترمذى[6]، و روى البخارى[7]
و غيره[7] عنه رضى الله عنه قال: كان النبى صلى الله عليه و سلم عروسا ١٥
بزينب رضى الله عنها، فقالت لى أم سليم: لو أهدينا للنبى صلى الله عليه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مجرحيا - كذا مصحفا (٢) فى م: بزينب.
(٣) سقط من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) راجع ٢ / ١٥٣
من جامعه (٦) راجع كتاب النكاح من صحيحه ٢ / ٧٧٥ (٧) راجع مثلا جامع
الترمذى ٢ / ١٥٣ .

و سلم هدية ! فقلت لها : افعلى ، فعمدت إلى تمر و أقط و سمن ، فاتخذت حيسة فى برمة ، فارسلت بها معى إليه[١] ، فقال لى[٢] : ضعها ، ثم أمرنى فقال لى : ادع [لى -[٣]] رجالا - سماهم - و ادع لى من لقيت ، ففعلت الذى أمرنى ، فرجعت فاذا البيت غاص بأهله - و فى رواية الترمذى أن الراوى قال : [قلت -[٤]] لأنس : كم كانوا ؟ قال : زهاء ثلاثمائة[٥] - فرأيت النبى صلى الله عليه و سلم وضع يده على تلك الحيسة و تكلم بما شاء الله ثم جعل يدعو عشرة عشرة / يأكلون منه ، و يقول لهم : اذكروا ٢٥٥ / اسم الله ، و ليأكل كل رجل مما يليه ، حتى تصدعوا كلهم عنها ، قال الترمذى : فقال [لى -[٦]] : يا أنس ، ارفع ، فرفعت فما أدرى حين وضعت كان أكثر أو حين رفعت - فخرج منهم من خرج و بقى نفر يتحدثون ، قال : و جعلت أغتم - قال الترمذى : و رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس و زوجته مولية وجهها إلى الحائط ، فثقلوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم ؛ و قال عبد الرزاق فى تفسيره : فجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يستحى منهم أن يقول لهم شيئا - ثم خرج النبى صلى الله عليه و سلم نحو الحجرات و خرجت فى أثره ، فقلت : إنهم قد ذهبوا ، فرجع فدخل البيت و أرخى الستر و إنى لفى الحجرة و هو

(١) زيد فى الصحيح : فانطلقت بها إليه (٢) ليس فى ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٤) زيد من ظ و م و مد و الجامع (٥) من ظ و م و مد و الجامع ، و فى الأصل : بثلاثمائة (٦) زيد من م و مد و الجامع .

يقول " يا أيها الذين امنوا لاتدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم "
الآية، و فى رواية الترمذى : ثم رجع ، فلما رأوا رسول الله صلى الله
عليه و سلم رجع ظنوا أنهم قد ثقلوا عليه ، فابتدروا الباب ، فخرجوا كلهم،
و جاء رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أرخى الستر و دخل و أنا
جالس فى الحجرة ، فلم يلبث إلا يسيرا حتى خرج علىّ و أنزلت هذه ٥
الآيات ، فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فقرأهن[1] على الناس " يا أيها
الذين امنوا لاتدخلوا بيوت النبي" الآية ، [و -[2]] روى الشيخان[3]
و غيرهما عن أنس رضى الله عنه - و هذا لفظ البخارى - فى روايات
قال : بنى على رسول الله صلى الله عليه و سلم بزينب بنت جحش بخبز و لحم .
فأرسلت على الطعام داعيا ، فيجيء قوم فيأكلون و يخرجون ، ثم يجيء ١٠
قوم فيأكلون و يخرجون ، فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعو ، فقلت :
يا نبي الله ! ما أجد أحدا أدعو ؟ قال : ارفعوا طعامكم ، فجلسوا يتحدثون
فى البيت فاذا هو كأنه يتهيأ[4] للقيام ، فلم يقوموا ، فلما رأى ذلك قام ،
فلما قام قام[5] من قام ، وقعد ثلاثة نفر . و فى رواية : ثلاثة رهط ، فخرج
النبى صلى الله عليه و سلم فانطلق إلى حجرة عائشة رضى الله عنها فقال : ١٥
السلام عليكم أهل البيت و رحمة الله ، فقالت : و عليك السلام و رحمة الله،

(١) من ظ و م و مد و الجامع ، و فى الأصل : فقرا هو (٢) زيد من ظ و مد.
(٣) راجع من صحيح البخارى ٢ / ٧٠٦ و ٧٠٧ و من صحيح مسلم ١ / ٤٦١ .
(٤) من ظ و م و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : تهيا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

كيف وجدت أهلك ، بارك الله لك ! فتقرى حجر نسائه[1] كلهن يقول لهن كما يقول لعائشة رضى الله عنها . و يقلن له كما قالت عائشة - رضى الله عنهن ، ثم[2] رجع النبى صلى الله عليه و سلم فاذا القوم جلوس ، و كان [النبى -[3]] صلى الله عليه و سلم شديد الحياء فخرج منطلقا نحو حجرة
٥ عائشة رضى الله عنها ، و فى رواية[4] : أولم رسول[5] الله صلى الله عليه و سلم حين بنى بزينب بنت جحش رضى الله عنها فأشبع الناس خبزا و لحما ، ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين كما كان يصنع صبيحة بنائه ، فيسلم عليهن و يدعو لهن ، و يسلمن عليه و يدعون له ، فلما رجع إلى بيته رأى رجلين جرى بهما الحديث ، فلما رآهما رجع عن بيته ، فلما رأى الرجلان[6]
١٠ / نبى الله صلى الله عليه و سلم رجع عن بيته وثبا[7] مسرعين ، فما أدرى أنا أخبرته بخروجهما أو أخبر أن القوم خرجوا ، فرجع حتى إذا وضع رجله فى أسكفة الباب داخلة و أخرى خارجة أرخى الستر ، و فى رواية[8] : فذهبت أدخل فألقى الحجاب بينى و بينه ، و أنزلت آية الحجاب " يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى " الآية[9] ، وللبخارى[10] عن عائشة رضى الله عنها

(١) من ظ و م و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : نسائك (٢) سقط من ظ (٣) زيد من م و مد و صحيح البخارى (٤) راجع ٢/٧٠٧ من صحيح البخارى (٥) من ظ و م و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : لرسول . (٦) من ظ و م و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : الرجلين (٧) من ظ و م و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل : دنيا - كذا (٨) راجع ٢/٧٠٦ من صحيح البخارى (٩) سقط من ظ و مد (١٠) راجع ٢/٩٢٢ من صحيحه .

قالت

قالت: [١] كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لرسول الله صلى الله عليه و سلم: احجب نساءك، قالت: فلم يفعل[١]، و كان أزواج النبى صلى الله عليه و سلم يخرجن ليلا إلى ليل قبل المناصع، خرجت سودة بنت زمعة و كانت امرأة طويلة رضى الله عنها، فرآها عمر بن الخطاب رضى الله عنه و هو فى المجلس فقال: عرفتك يا سودة، حرصا على أن ينزل الحجاب، ٥ قالت: فأنزل الله عز و جل الحجاب، و للبخارى[٢] عن أنس رضى الله عنه و مسلم عن ابن عمر رضى الله عنهما كلاهما عن عمر رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! إن نساءك يدخل[٣] عليهن البر و الفاجر، فلو أمرتهن أن يحجبن، فنزلت آية الحجاب، و روى فى السبب أشياء غير هذه، و قد تقدم أنه ليس ببدع أن يكون للآية الواحدة عدة أسباب مستوية ١٠ الدرجة، أو بعضها أقرب من بعض، على أنه قد روى البخارى فى التفسير[٤] فى سياق هذه الآية ما هو صريح فى أن قصة سودة بعد الحجاب [١]عن عائشة رضى الله عنها، قالت: خرجت سودة بعد ما ضرب الحجاب لحاجتها[١] و كانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها، فرآها عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال[٥]: يا سودة! أما[٦] و الله ما تخفين علينا، فانظرى كيف ١٥ تخرجين، قالت: فانكفأت راجعة و رسول الله صلى الله عليه و سلم فى بيتى [٧]و إنه يتعشى[٧] و فى يده عرق، فدخلت فقالت: يا رسول الله! إنى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) راجع ٢ / ٧٠٦ من صحيحه (٣) من ظ و م و مد و صحيح البخارى، و فى الأصل: يدخلن (٤) راجع ٢ / ٧٠٧ من الصحيح (٥) زيد فى ظ: لها (٦) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: انا (٧-٧) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد و الصحيح.

خرجت لبعض حاجتى ، فقال لى عمر كذا وكذا ، قالت : فأوحى الله[1] إليه ثم رفع عنه وإن العرق فى يده ما وضعه فقال : قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن . و هؤلاء الذين[2] جلسوا - و النبى صلى الله عليه و سلم على ما هو عليه[3] من الكراهة لجلوسهم[3] بما ذكر من هيئته فى حيائه و تهيؤه للقيام و نحو ذلك - لم يستثمروا الفقه من أحواله ، بل كانوا واقفين عند ما يسمعونه[4] من مقاله ، و طريقة الكمل[5] الاستبصار برسمه و حاله كما يستبصرون من قاله و فعاله ، قال الحرالى : الحال كل هيئة [تظهر -[6]] عن انفعال باطن ، و يختص بتفهمها المشاهد المتوسم ، و ذلك كضحكه[7] صلى الله عليه و سلم للذى رآه يوم خيبر و قد أخذ[8] جراب شحم[8] من فىء يهود و هو يقول : لا أعطى اليوم من هذا أحدا شيئا ، وكتغير وجهه لعمر رضى الله عنه لما أخذ يقرأ عليه صحيفة من حكم الأولين حتى نبه عمر رضى الله عنه من توسم فى وجهه صلى الله عليه و سلم الكراهة لفعل / عمر ، و إنباء كل [حال -[6]] منها بحسب ما يفيده الانفعال من الانبساط و الانقباض [و الإعراض -[6]] و نحو ذلك مما يتوسمه المتفطن ، و يقطع بمقتضاه المتفهم . و أما الرسم[9] فهو كل ما

/ ٢٥٧

(١) سقط من ظ و م و مد و نسخة البخارى (٢) زيد فى الأصل : قد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣ - ٣) فى ظ : كراهة جلوسهم .
(٤) العبارة من هنا إلى « كما يستبصرون » ساقطة من ظ (٥) من م و مد ، و فى الأصل : الكل (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لضحكه (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جرات لحم .
(٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الوسم .

شأنه البقاء بعد غيبته و وفاته ، فيتفهم منه المعتبر حكم وضعه و مقصد رسمه ، كالذى يشاهد من هيئة بنائه مسجده على حال اجتزاء بأيسر ممكن و كبنائه[1] بيوته على هيئة لا تكلف فيها ، و لا مزيد[2] على مقدار الحاجة ، و كمثل الكساء الملبد الذى تركه ، و فراشه و نحو ذلك من متاع بيوته ، و كما يتفهم[4] من احتفاله فى أداة سلاحه مثل كون سيفه محلى بالفضة و قبضته فضة ، و مثل احتفاله بالتطيب حتى [كان -[5]] يرى فى ثوبه و زره ، فيتعرف[6] من رسومه أحكامه ، كما يتعرف من احواله و أفعاله و أقواله ، و ذلك لأن جميع هذه الإبانات كلها هى حقيقة ما هو الكلام - انتهى .

و برهان ذلك أن الأصل فى الكل الكلام النفسى[7] الذى هو المنشأ ، و القول و الفعل و الحال و الرسم مترجمة عنه ، و ليس بعضها أحق بالترجمة من بعض ، نعم بعضها أدل من بعض و أنص و أصرح ، فتهيؤ النبى[8] صلى الله عليه و سلم للقيام من بيته مثل ما لو قال : أريد أن تذهبوا ، فانه يلزم من قيام الرجل من بيته الذى هو محل ما يستره عن غيره أن يريد ذهاب غيره منه لئلا يطلع على ما لا يحب أن يطلع[9] عليه أحد[10] ، و إتيانه ليدخل فاذا رآهم رجع مثل ما لو قال : إنما يمنعنى من الدخول إلى محل راحتى جلوسكم

(١) فى مد : لبنائه (٢) فى مد : مزية (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : المتلبد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : يتوهم (٥) زيد من ظ و م و مد . (٦) من ظ و م و مد . و فى الأصل : فيعرف (٧) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الأصلى (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للنبى (٩) فى ظ و م و مد : يطلعه (١٠) سقط من ظ و م و مد .

فيه لثقل جلوسكم عليّ ، و كذا الأحوال و الرسوم - و الله الهادى .

و لما كان بعض الدال على الكلام - كما مر - أصرح من بعض ، فكان الإنسان قد يضمر أن يفعل ما يؤذى إذا تمكن ، و قد يؤذى بفعل يفعله ، و يدعى أنه قصد شيئا آخر مما لا يؤذى ، قال تعالى حاملا ٥ لهم على التفطن و التنبه[1] فى الأقوال و غيرها و المقاصد الحسنة ظاهرا و باطنا ، على طريق الاستئناف فى جواب من ربما انتهى بظاهره ، و هو عازم على أن يفعل الأذى عند التمكن : ﴿ ان تبدوا ﴾ أى بألسنتكم أو غيرها ﴿ شيئا ﴾ [أى -[2]] من ذلك و غيره ﴿ او تخفوه ﴾ أى فى صدوركم .

١٠ و لما كان فعل من يخفى أمرا عن[3] الناس فعل من يظن أنه يخفى على ربه ، قال مؤكدا تنبيها لفاعل ذلك على هذا اللازم لفعله ترهيبا له : ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ كان ﴾ أزلا و أبدا به ، هكذا كان الأصل و لكنه أتى بما يعمه و غيره فقال : ﴿ بكل شىء ﴾ [أى -[4]] من ذلك و غيره ﴿ عليما ﴾ فهو يعلم ما أسررتم و ما أعلنتم ١٥ و إن بالغتم فى كتمه ، فيجازى عليه من ثواب أو عقاب .

و لما كان المقصود كما تقدم تغليظ الحجاب على ذوات الخدور ، و كان قد ذكر فى هذه السورة خصائص و تغيير أحكام للنبى صلى الله

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التنبيه (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من م و مد . و فى الأصل : على ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى « اللازم لفعله » (٤) زيد من م و مد .

عليه

عليه و سلم و لأزواجه رضى الله عنهن و لغيرهم ، كان ربما ظن أن الحجاب تغير أو شيء منه بالنسبة إلى الدخول أو غيره ، فاستثنى من عمّه النهى السابق عن الدخول على وجه يعم جميع النساء / على نحو ما تقدم فى سورة / ٢٥٨ النور فقال: ﴿لا جناح﴾ أى إثم ﴿عليهن فى آبائهن﴾ دخولا و خلوة من غير حجاب ، و العم و الخال و أبو الزوج بمصير الزوجين كالشيء ٥ الواحد بمنزلة الوالد[1] ﴿و لآ ابنآئهن﴾ أى من[2] البطن أو الرضاعة ، و ابن الزوج بمنزلة الولد ، و ترك ذكرهم يفهم أن الورع الحجاب عنهم ﴿و لآ اخوانهن﴾ لأن عارهن عارهم ﴿و لآ ابنآء اخوانهن﴾ فانهن[3] بمنزلة آبائهم ﴿و لآ ابنآء اخوتهن﴾ فانهن[4] بمنزلة أمهاتهم[5] ﴿و لا نسآئهن﴾ أى المسلمات القربى منهن و البعدى بمنزلة واحدة ، و أما الكافرات فهن ١٠ بمنزلة الأجانب من الرجال ﴿و لا ما ملكت ايمانهن ج﴾ لأنهم[6] لما لهن عليهم من السلطان تبعد منهم الريبة هيبة لهن مع مشقة الاحتجاب عنهم[7] .

و لما كانت الريبة ليست مقطوعا بنفيها ، و كانت من جهة النساء أكثر ، لأنه لايكاد رجل يتعرض إلا لمن[8] ظن بها الإجابة لما يرى من ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الوالد (٢) سقط من ظ (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فانهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فانهم. (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اخواتهن (٦) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : لانهن (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عنهن (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من .

مخايلها أو مخايل اشكالها، أقبل عليهن بالخطاب لأنه أوقع فى النفس، فقال آمرا عاطفا على ما تقديره: فأظهرن على من شئتن من هؤلاء: ﴿ و اتقين الله ﴾ أى الذى لا أعظم منه، فلا تقربن شيئا مما يكرهه، و طوى ما عطف عليه الأمر بالتقوى بعد أن ساق نفى الجناح فى أسلوب الغيبة، و أبرز الأمر بها و جعله فى أسلوب الخطاب إيذانا بأن الورع ترك الظهور على أحد غير من يملك التمتع، فان دعت حاجة كان مع الظهور حجاب كثيف[1] من الاحتشام و الأدب التام.

و لما كان الخوف لا يعظم إلا ممن كان حاضرا مطلقا، قال معللا مؤكدا تنبيها على أن فعل من يتهاون[2] فى شىء من أوامره فعل من لا يتق، و من لا يتق كمن يظن أنه سبحانه غير مطلع عليه: ﴿ان الله﴾ أى العظيم الشان ﴿كان﴾ ازلا و ابدا ﴿على كل شىء﴾ من أفعالكن و غيرها، و لمزيد الاحتياط و الورع فى ذلك [عبر ـ[3]] بقوله: ﴿شهيدا ۝﴾ أى لا يغيب عنه شىء و إن دق، فهو مطلع عليكن حال الخلوة كمن ذكر، كما هو مطلع على [غير ـ[3]] ذلك فليحذره كل أحد [فى ـ[3]] حال الخلوة كما يحذره فى حال الجلوة[4]. فيا لها من عظمة باهرة، سطوة ظاهرة قاهرة، يحق لكل احد أن يبكى منها الدماء فضلا عن الدموع، و أن تمنعه مريح القرار و لذيذ الهجوع، روى البخارى[5]

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كشنيف (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تهاون (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الخلوة (٥) راجع من صحيحه ٢ / ٧ ٧ .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : استأذن علىّ أفلح أخو أبى القعيس رضى الله عنه بعد ما أنزل الحجاب ، فقلت : لا آذن له حتى أستأذن فيه النبى صلى الله عليه و سلم فان[1] أخاه [أبا -[2]] القعيس ليس هو أرضعنى [و -[2]] لكن أرضعتنى امرأة أبى القعيس ، [فدخل علىّ النبى صلى الله عليه و سلم فقلت : يا رسول الله ! إن أفلح أخا أبى القعيس -[2]] استأذن ٥ فأبيت أن آذن له حتى أستأذنك ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و ما يمنعك[3] ؟ قلت : يا رسول الله ! إن الرجل ليس هو أرضعنى ، و لكن أرضعتنى إمرأة أبى القعيس ، فقال : ائذنى له فانه عمك تربت يمينك ، قال عروة : فلذلك كانت عائشة رضى الله عنها تقول : حرموا من الرضاعة[4] ما تحرموا من النسب . ١٠

و لما كانت هذه الآيات و ما قبلها و ما بعدها فى إظهار شرف النبى صلى الله عليه و سلم و بيان مناقبه ، علل الأوامر فيها و النواهى و غيرها[5] بقوله ، مؤكدا لاقتضاء الحال ذلك إما عن[6] آذاه بالجلوس[7] / فى ٣٥٩ / غير حينه فواضح ، و أما غيره فكان من حقهم أن لا يفارقوا المجلس حتى يعلموا من لا يعرف الأدب ، فكان تهاونهم فى ذلك فعل [من -[8]] ١٥ لا يريد إظهار شرفه صلى الله عليه و سلم فهو تأديب و ترهيب : ﴿ان الله﴾

(١) من ظ و م و مد والصحيح ، و فى الأصل : فانا (٢) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٣) زيد فى الصحيح : أن تأذنين عمك (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرضاع (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غيرهما (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٧) فى ظ : فى الجلوس (٨) زيد من ظ و م و مد .

اى و علمكم محيط بأن له مجامع الكبر و العظمة و العز ﴿ و ملٰئكته ﴾ أى[1] و هم أهل النزاهة و القرب و العصمة .

و لما كان سبحانه قد قدم قوله "هو الذى يصلى عليكم و ملٰئكته" فأفرد كلا بخبر ، و كان النبى صلى الله عليه و سلم أعلى المخاطبين حظا من ٥ ذلك ، فانه رأس المؤمنين ، أفرده هنا بهذه الصلاة التى جمع فيها الملائكة الكرام معه سبحانه و جعل الخبر[2] عنهم خبرا[3] واحدا[4] ليكون أتم ، فان قولك : فلان و فلان ينصران فلانا ، أضخم من قولك : فلان ينصره [و - [5]] فلان ، فقال تعالى : ﴿ يصلون على النبى[6] ﴾ أى[1] يظهرون شرفه و ما له من الوصلة بالملك الأعظم بما يوحيه الله إليه من عجائب الخلق ١٠ و الأمر من عالم الغيب و الشهادة ، و هو معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما كما رواه البخارى[6] : يبركون .

و لما كانت ثمرة المراد بهذا الإعلام التأسى ، علم بآخر الكلام أن المعنى : و يسلمون [[5]- عليه [7]لأن ذلك من تمام الوصلة التى يدور عليها معنى الصلاة[7]] فأنتج ذلك قطعا [تفسير المراد بيصلون -[8]] : ﴿ يا ايها الذين اٰمنوا ﴾ [أى] ١٥ ادعوا ذلك بألسنتهم ﴿ صلوا عليه ﴾ بعدم[9] الغفلة عن المبادرة إلى إظهار[10]

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المخبر (٣) سقط من مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من واحد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) راجع من صحيحه ٢/٧٠٧ (٧-٧) ليس ما بين الرقمين فى م (٨) زيد من مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اظهر .

شرفه فى حين من الأحيان تصديقا لدعواكم ، و لأن الكبير إذا فعل شيئا بادر كل محب [1]له معتقد[1] لعظمته إلى فعله ﴿ و سلموا ﴾ .

و لما كان المراد بكل من الصلاة و السلام إظهار الشرف ، و كان السلام أظهر معنى فى ذلك ، و كان تحيته عند اللقاء واجبا فى التشهد بلاخلاف ، و دالا على الإذعان لجميع أوامره الذى لايحصل الإيمان ٥ إلا به ، و هو من[2] المسلم نفسه ، و أما الصلاة فانها يطلبها المصلى من الله ، أكدهما به فقال : ﴿ تسليما ﴾ أى فأظهروا شرفه[3] بكل ما تصل قدرتكم إليه من حسن متابعته و كثرة الثناء الحسن عليه و الانقياد لأمره فى كل ما يأمر به ، و منه الصلاة و السلام عليه بألسنتكم على [نحو -[4]] ما عليكم فى التشهد و غيره مما ورد فى الأحاديث عن أبى سعيد الخدرى ١٠ و كعب بن عجرة و غيرهما رضى الله عنهم بيان التقاء الصلاة و السلام فى إظهار الشرف فان الصلاة - كما [قال -[4]] فى القاموس - الدعاء و الرحمة و الاستغفار و حسن الثناء من الله عز و جل و عبادة فيها ركوع و سجود - انتهى . و السلام هو التحية [و التحية -[4]] - كما قال البيضاوى فى تفسير سورة النساء - فى الأصل مصدر حياك الله على الإخبار من ١٥ الحياة ، ثم استعمل للحكم و الدعاء بذلك ، ثم قيل لكل دعاء ، فغلب فى السلام ، و فى القاموس : التحية : السلام و البقاء و الملك ، و حياك الله :

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مصفه - كذا (٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : عن (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شرفكم (٤) زيد من ظ و م و مد .

أبقاك أو[1] ملكك ، و قال الإمام ابو عبد الله القزاز فى جامعه : السلام اسم من أسماء الله ، و السلام ههنا بمعنى السلامة ، كما يقال[2] الرضاع و الرضاعة ، و اللذاذ و اللذاذة ، قالوا : و معنى قول القائل لصاحبه : سلام عليك [أى -[3]] قد سلمت منى [4]لا أنالك[4] بيد و لا لسان ، و قيل : معناه السلامة من الله عليكم ، و قيل : هو الرحمة ، و قيل[5] : الأمان ، و[6]السلامة هى[6] /النجاة من الآفات - انتهى . فقد ظهر أن معنى الكل كما ترى ينظر إلى إظهار الشرف نظر الملزوم إلى اللازم ، و لذلك فسر البيضاوى يصلون بقوله : يعتنون[7] باظهار شرفه و تعظيم شأنه ، و سلموا بقوله : قولوا السلام عليك ، أو انقادوا لأوامره ، فلما تآخيا فى هذا المعنى ، و كان هو المراد أكد بلفظ السلام تحصيلا لتمام المقصود بدلالته على الانقياد ، فهو مؤكد لصلوا بمعناه و لسلموا بلفظه ، استعمالا للشىء [8]فى حقيقته[8] و مجازه كما هو مذهب إمامنا الشافعى رضى الله عنه ، و مثل بآية النساء "لا تقربوا الصلوٰة و انتم سكارى ، و بقوله "او لمستم النساء" و غير ذلك ، و قد بينت فى سورة[9] الرعد أن مادة "صلوا" ، بجميع تراكيبها تدور على الوصلة و هى لازمة لكل ما ذكر من تفسيرها ، هذا و لك أن تجعله من

٢٦٠ /

(١) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل « و » (٢) من ظ و م و مد ، فى الأصل : يقاع (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لانالك (٥) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السلام (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يعينون (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بحقيقته (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : آية .

الاحتباك فتقول: حذف التأكيد أولا لفعل[1] الصلاة لما دل عليه من التأكيد بمصدر السلام، و يرجح إظهار مصدر السلام بما تقدم ذكره، و حذف متعلق السلام لدلالة متعلق الصلاة عليه صلى الله عليه و سلم و ليصلح أن يكون عليه و أن يكون له، فيصلح أن يجعل التسليم بمعنى الإذعان ـ و الله [2]هو الموفق للصواب[2]. ٥

و لما نهى سبحانه عن أذاه صلى الله عليه و سلم، و حض على إدخال السرور عليه، توعد على أذاه، فقال على طريق الاستئناف أو التعليل، إشارة إلى أن التهاون بشيء من الصلاة و[3] السلام من الأذى، و أكد ذلك[4] إظهارا لأنه مما يحق له أن يؤكد، و أن يكون لكل من يتكلم به غاية الرغبة فى تقريره: ﴿ان الذين يؤذون﴾ أى يفعلون فعل المؤذى ١٠ بارتكاب ما يدل على التهاون من كل ما يخالف ﴿ الله ﴾ أى[5] الذى لا أعظم منه و لا نعمة عندهم إلا من فضله ﴿و رسوله﴾ أى الذى استحق عليهم بما يخبرهم[6] به عن الله مما ينقذهم به من شقاوة الدارين و يوجب لهم سعادتها ما[7] لا يقدرون على القيام بشكره بأى أذى كان حتى فى التقصير بالصلاة عليه باللسان ﴿ لعنهم ﴾ أى أبعدهم و طردهم و أبغضهم ﴿الله﴾ ١٥ أى الذى لا عظيم غيره ﴿فى الدنيا ﴾ بالحمل على ما يوجب السخط

(١) من ظ م و مد، و فى الأصل: لتاكيد (٢-٢) فى ظ و م و مد: الموفق.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل «او» (٤) سقط من ظ و م و مد.
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يجيزهم (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مما.

﴿ و الأخرة ﴾ بادخال دار الإهانة .

و لما كان الحامل على الأذى الاستهانة قال : ﴿ و اعد لهم عذابا مهينا ٥ ﴾ .

و لما كان من أعظم أذاه صلى الله عليه و سلم أذى من تابعه ، وكان الأتباع لكونهم غير معصومين يتصور أن يؤذوا بالحق ، قال مقيدا للكلام [1]بما يفهم[1] : ﴿ و الذين يؤذون المؤمنين ﴾ أى الراسخين فى [صفة -[2]] الإيمان ﴿ و المؤمنت ﴾ كذلك . و لما كان الأذى بالكذب أشد [فى -[2]] الفساد و أعظم فى الأذى قال : ﴿ بغير ما اكتسبوا ﴾ أى بغير شىء واقعوه متعمدين له حتى أباح أذاهم ﴿ فقد احتملوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم أن حملوا ﴿ بهتانا ﴾ أى كذبا و فجورا زائدا على الحد موجبا للخزى[3] فى الدنيا ، و لما كان / من الناس من لا يؤثر فيه العار ، و كان الأذى [4]قد يكون[4] بغير القول ، قال : ﴿ و اثما مبينا ٥ ﴾ أى ذنبا ظاهرا جدا موجبا للعذاب فى الآخرى . ٢٦١ /

و لما نهى سبحانه عن أذى المؤمنات ، و كانت[5] الحرائر بعيدات عن[6] طمع المفسدين لما لهن فى أنفسهن من الصيانة و للرجال بهن من العناية ، و كان جماعة من أهل الريبة يتبعون الإماء إذا خرجن يتعرضون لهن للفساد ، و كان الحرائر يخرجن لحاجتهن ليلا ، فكان ربما تبع المرأة منهن

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : للجزاء (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) فى ظ و م و مد : كان (٦) فى ظ و م و مد : من .

أحد من أهل الريب يظنها امة او يعرف أنها حرة و يعتل بأنه ظنها أمة فيتعرض[١] لها، و ربما رجع فقال لأصحابه: فعلت بها - و هو كاذب، و فى القوم من يعرف أنها فلانة، فيحصل بذلك من الأذى ما يقصر عنه الوصف، و لم يكن إذ ذاك كما نقل عن مقاتل فرق بين الحرة و الأمة كن يخرجن فى درع و خمار، وكان اتسام[٢] الحرائر بأمارة يعرفن ٥ [بها -[٣]] ليهن[٤] و يحتشمن يخفف[٥] هذا الشر، قال تعالى: ﴿يا[٢] ايها النبى﴾ فذكره بالوصف الذى هو منبع المعرفة و الحكمة، لأن السياق لحكمة يذب بها عن الحريم لئلا يشتغل فكره صلى الله عليه و سلم بما يحصل لهن من الأذى عن [تلقى شىء من -] الواردات الربانية ﴿قل لازواجك﴾ بدأ بهن لما لهن به من الوصلة بالنكاح ﴿ و بنتك﴾ ١٠ ثنى بهن لما لهن به من الوصلة و لهن فى أنفسهن من الشرف، و أخرهن عن الأزواج لأن أزواجه يكفونه أمرهن ﴿ و نسآء المؤمنين يدنين﴾ أى يقربن ﴿ عليهن ﴾ أى على وجوههن و جميع أبدانهن، فلا يدعن شيئا منها مكشوفا ﴿من جلابيبهن[٤] ﴾ و لا يتشبهن بالإماء فى لباسهن إذا خرجن لحاجتهن بكشف الشعور[٦] و نحوها ظنا أن ذلك أخفى لهن ١٥ و أستر، و الجلباب القميص، و ثوب واسع دون الملحفة تلبسه المرأة،

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيعرض (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: اقسام (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لينهن (٥) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الشمعور.

و الملحفة ما ستر اللباس، أو الخمار و هو كل ما غطى الرأس، و قال البغوى[1]: الجلباب: الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع و الخمار، و قال حمزة الكرمانى: قال الخليل: كل ما تستتر به من دثار و شعار و كساء فهو جلباب، و الكل يصح إرادته هنا، فان كان المراد القميص فادناؤه إسباغه حتى يغطى يديها و رجليها، و إن كان ما يغطى الرأس فادناؤه ستر وجهها و عنقها، و إن كان المراد ما يغطى الثياب فادناؤه تطويله و توسيعه بحيث يستر جميع بدنها و ثيابها، و إن كان المراد ما دون الملحفة فالمراد ستر الوجه و اليدين.

و لما أمر بذلك علله بقوله: ﴿ ذٰلك ﴾ أى الستر ﴿ ادنىٰ ﴾ أى أقرب من تركه فى ﴿ ان يعرفن ﴾ أنهن حرائر [3]بما يميزهن عن[2] الإماء ﴿ فلا ﴾ أى فيتسبب عن معرفتهن أن لا ﴿ يؤذين[4] ﴾ ممن يتعرض للاماء، فلا يشتغل قلبك عن تلقى ما يرد عليك من الأنباء الإلهية. و لما رقاهم سبحانه بهذا الأمر فى حضرات الرضوان، خافوا عاقبة ما كانوا فيه من الغلط بالتشبه بالإماء، فأخبرهم سبحانه أنه فى محل الجود و الإحسان، فقال: ﴿ و كان الله ﴾ اى[2] الذى له الكمال المطلق، أزلا و أبدا ﴿ غفورا ﴾ أى محاء للذنوب عينا و أثرا ﴿ رحيما ۝ ﴾ مكرما لمن يقبل عليه / و يمتثل أو امره و يجتنب مناهيه، قال البغوى[1]: قال أنس رضى الله عنه: مرت[4]

/٢٦٢

(١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٢٢٧ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد و المعالم، و فى الأصل: مر.

بعمر بن الخطاب رضى الله عنه جارية متقنعة فعلاها بالدرة و قال : يا لكاع ! أتتشبهين بالحرائر ؟ ألقى القناع .

و لما كان المؤذون[1] بما مضى و غيره أهل النفاق و من داناهم ، حذرهم بقوله مؤكدا دفعا لظنهم دوام الحلم عنهم : ﴿ لئن لم ينته ﴾ أى عن الأذى ﴿ المنفقون ﴾ أى [2]الذين يبطنون[2] الكفر و يظهرون الإسلام ٥ ﴿ و الذين فى قلوبهم مرض ﴾ أى[3] مقرب من النفاق حامل على المعاصى ﴿ و المرجفون فى المدينة ﴾ و هم الذين يشيعون الأخبار المخيفة لأهل الإسلام التى تضطرب لها[4] القلوب سواء كانوا من القسمين الأولين أم[5] لا ﴿ لنغرينك بهم ﴾ بأن نحملك على أن تولع [بهم -[6]] بأن نأمرك باهانتهم و نزيل الموانع من ذلك ، و نثبت الأسباب الموصلة إليه ١٠ حتى تصير لاصقا بجميع أموالهم لصوق الشىء الذى يلحم بالغراء فلا يقدروا على الانفكاك عن شىء مما تفعله بهم إلا بالبعد من المدينة بالموت أو الرحيل إلى غيرها ، و هذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما كما رواه عنه البخارى[7] : لنسلطنك .

و لما كان نزوحهم عن المدينة مستبعدا عندهم جدا ، و كان أعظم ١٥ رتبة فى أذاهم من غيره ، لأن الإخراج من الأوطان من اعظم الهوان ،

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الماذون (٢-٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى يظنون (٣) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اليها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) راجع الصحيح ٢ / ٧٠٧ .

أشار إليه بأداة التراخي فقال : ﴿ ثم لا يجاورونك فيها ﴾ أي بعد محاولتك لهم ﴿ الا قليلا ج ﴾ أي من الزمان بقدر ما يمكن لك المضارب فتعظم عليهم المصائب .

و لما كان معنى الكلام أنهم ينفون لأنه[1] صلى الله عليه و سلم يؤمر بنفيهم و إبعادهم و قتلهم، بين حالهم فى نفيهم أو نصبه على الشتم [فقال -[2]] : ﴿ ملعونين ج ﴾ أي ينفون نفي بُعد من الرحمة و طرد عن أبواب القبول.

و لما كان المطرود قد يترك و بعده[3]، بين أنهم على غير ذلك فقال مستأنفا : ﴿ اينما ثقفوا ﴾ أي وجدوا و واجدهم[4] أحذق منهم و أفطن و أكيس و أصنع ﴿ اخذوا ﴾ أي أخذهم ذلك الواجد لهم ﴿ و قتلوا ﴾ أي أكثر[5] قتلهم و بولغ فيه ؛ ثم أكده بالمصدر بغضا فيهم و إرهابا لهم فقال : ﴿ تقتيلا ه ﴾ و لما سن لهم هذا العذاب الهائل فى الدنيا، بين أن تلك عادته فى أوليائه و أعدائه، فقال مؤكدا بالإقامة فى موضع المصدر، لما لهم من استبعاد ذلك لكونهم لم يعهدوا مثله مع ما لهم من الاشتباك [بالأهل -[2]] و العشائر فقال : ﴿ سنة الله ﴾ أي طرق [لك -[2]] المحيط بجميع العظمة هذه[6] الطريقة كطريقته ﴿ فى الذين خلوا ﴾ أي مضت أيامهم و اخبارهم، و انقضت وقائعهم و أعمارهم. من الذين كانوا ينافقون على الأنبياء كقارون و أشياعه، و بين قتلهم بكونهم فى بعض

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ومد ، وفى الأصل وظ : يبعد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: وجدهم. (٥) فى ظ : اكثروا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عظمة .

الأزمنة فقال : ﴿من قبل﴾ و أعظم التأكيد لما لهم من الاستبعاد الذى جرأهم على النفاق فقال: ﴿ و لن تجد ﴾ أى أزلا[1] و أبدا ﴿ لسنة الله ﴾ أى طريقة الملك الأعظم ﴿ تبـديلا ﴾ كما تبدل سنن الملوك ، لأنه لايبدلها ، و لا مدانى له فى العظمة ليقدر على تبديلها[2] .

و لما بين تعالى ما أعد [3]لأعداء دينه[3] فى الدنيا ، و بين أن طريقته جادة لاتنخرم ، لما لها من قوانين الحكمة و أفانين الإتقان[4] و العظمة ، و كان من أعظم الطرق الحكمية / و المغيبات العلمية الساعة ، و كان قد [قدم ما يحرك إلى السؤال عنها فى قوله "لعنهم الله فى الدنيا و الأخرة" و كان قد [5]] مضى آخر السجدة أنهم سألوا استهزاء و تكذيبا عن تعيين وقتها ، و هددهم سبحانه على هذا السؤال ، قال تعالى مهددا أيضا[6] على ذلك مبينا ما[7] لأعداء الدين المستهزئين فى الآخرة : ﴿ يسئلك الناس ﴾ أى المشركون استهزاء منهم ، و عبر بذلك إشارة إلى أنهم بعد فى نوسهم لم يصلوا إلى أدنى أسنان أهل الإيمان ، فكان[8] المترددون فى آرائهم لايكادون ينفكون عن النوس و هو الاضطراب ﴿ عن الساعـة ﴾ أى فى تعيين وقتها .

/ ٢٦٣

(١) فى ظ و م و مد : اصلا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبدلها (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا عدايه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاتفاق (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهم نصا (٧) من م و مد ، و فى الأصل : لهم اى ، و الكلمة ساقطة من ظ (٨) فى ظ و م و مد : فكأنه قال .

و لما كانت إدامتهم السؤال عنها فعل من يظن أن غيره سبحانه يعلمها، أكد فقال: ﴿قل﴾ أي[1] في جوابهم: ﴿انما علمها عند الله[2]﴾ أي[1] الذي أحاط علما بجميع الخلال[3]، و له جميع أوصاف الجمال و الجلال، فهو يعلم ما عند كل أحد و لا يعلم أحد شيئا[4] مما عنده إلا باذنه.

٥ و لما كان من فوائد العلم بوقت الشيء التحرز عنه أو مدافعته، قال مشيرا إلى شدة خفائها باخفائها عن أكمل خلقه مرجيا تقريبها تهديدا لهم: ﴿و ما يدريك﴾ أي أيّ شيء يعلمك بوقتها؟ ثم استأنف قوله: ﴿لعل الساعة﴾ أي التي لاساعة في الحقيقة غيرها[5] لما لها من العجائب ﴿تكون﴾ أي توجد و تحدث على وجه مهول عجيب ﴿قريبا﴾ أي

١٠ في زمن قريب، و يجوز أن يكون التذكير لأجل الوقت لأن السؤال عنها إنما هو سؤال عن تعيين وقتها، قال البخاري في الصحيح[5]: إذا وصفت صفة المؤنث قلت: قريبة، و إذا جعلته ظرفا و بدلا و لم ترد الصفة نزعت الهاء من المؤنث، و كذلك لفظها في [الواحد و-[6]] الاثنين و الجمع للذكر و الأنثى. و المراد بالتعبير بلعل أنها بحيث يرجو قربها من يرجوه و يخشاه

١٥ [من[1] يخشاه -[7]]، فهل أعد من يخشاها شيئا للمدافعة إذا جاءت أو النجاة منها إذا أقبلت؟ ثم استأنف الإخبار بحال السائلين عنها بقوله مؤكدا في مقابلة إنكار الكفار أن يكون في حالهم شيء من نقص: ﴿ان الله﴾

---

(١) سقط من ظ و م (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: الجلال (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: شيء (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: غيره (٥) راجع ٢ /٧٠٦ (٦) زيد من الصحيح (٧) زيد من ظ و م و مد.

اى الملك الأعظم [١]الذى لا أعظم منه[١] ﴿ لعن ﴾ أى أبعد إبعادا عظيما عن رحمته ﴿ الكفرين ﴾ أى الساترين لما من شأنه أن يظهر مما دلت عليه العقول السليمة من امرها سواء كانوا مشاققين أو منافقين ﴿ و اعد لهم[٢] ﴾ أى أوجد و هيأ من الآن لتكذيبهم بها و بغيرها مما أوضح لهم أدلته ﴿ سعيرا ﴾ أى نارا شديدة الاضطرام و التوقد . ٥

و لما كان العذاب ربما استهانه بعض الناس إذا كان ينقطع و لو كان شديدا ، قال مبينا لحالهم : ﴿ خلدين فيها ﴾ و لما كان الشيء قد يطلق على ما شابهه بوجه مجازا و على سبيل المبالغة ، [قال -[٣]] مؤكدا لإرادة الحقيقة : ﴿ ابدا ﴾ و لما كان الشيء قد يراد ثم يمنع منه مانع ، قال مبينا لحالهم فى هذه الحال : ﴿ لا يجدون وليا ﴾ [أى -[٣]] يتولى ١٠ أمرا مما يهمهم بشفاعة أو غيرها ﴿ و لا نصيرا ﴾ ينصرهم .

و لما ذكر حاليهم هذين ، أتبعه حالا لهم قوليا على وجه بين حالا فعليا فقال[٤] : ﴿ يوم ﴾ أى مقدار خلودهم فيها[٤] على تلك الحالة[٥] يوم ﴿ تقلب ﴾ اى تقليبا[٦] كثيرا شديدا ﴿ وجوههم ﴾ كما يقلب اللحم المشوى و كما ترى البضعة فى القدر يتراقى بها الغليان من جهة إلى جهة ، و من ١٥ حال إلى حال ، و ذكر ذلك و إن كانت تلك النار غنية عنه لإحاطتها[٧] لأن / ذكروا أهول لما فيه من التصوير ، و خص الوجوه لأنها أشرف ، و الحدث[٨] / ٢٦٤

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) ليس فى الأصل فقط .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ و م و مد : الحال .
(٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تقلبا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لاحاطته (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحديث .

فيها أنكأ .

و لما كان للاظهار مزيد بيان و هول مع إفادته استقلال ما هو فيه من الكلام بنفسه ، قال : ﴿ فى النار ﴾ أى المسعرة حال كونهم ﴿ يقولون ﴾ و هم فى محل الجزاء و قد فات المحل القابل للعمل ، متمنين لما لا يدركون تلافيه لأنهم لايجدون ما يقدرون أنه يبرد غلتهم من ولى و لا نصير و لا غيرهما سوى هذا التمنى : ﴿ يٰلَيْتَنآ اطعنا ﴾ أى فى الدنيا ﴿ الله ﴾ أى الذى علمنا[1] الآن أنه الملك الذى لا أمر لأحد معه .

و لما كان المقام للمبالغة[2] فى الإذعان و الخضوع ، أعادوا العامل فقالوا : ﴿ و اطعنا الرسولا ﴾ أى الذى بلغنا عنه حتى نعاذ من هذا العذاب ، و زيادة الألف فى قراءة[3] من أثبتها إشارة إلى إيذانهم بأنهم يتلذذون بذكره و يعتقدون أن عظمته لا تنحصر ﴿ و قالوا ﴾ لما لم ينفعهم شىء متبرمين[4] من الدعاء على من أضلهم[5] بما لايبرئ [عليلا -[6]] و لايشفى غليلا : ﴿ ربنآ ﴾ أى أيها المحسن إلينا ، و أسقطوا أداة النداء على عادة أهل الخصوص بالحضرة[7] زيادة فى الترفق باظهار أنه لا واسطة لهم

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : اعلمنا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للقابله (٣) راجع نثر المرجان ٥/٤٤٠ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مستردين (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احملهم - كذا . (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها .

إلا ذلهم و انكسارهم الذى عهد فى الدنيا أنه الموجب الأعظم لإقبال الله على عبده كما ان المثبت لأداة البعد بقوله « يا الله » مشير[1] إلى سفول منزلته و بعده بكثرة ذنوبه و غفلته تواضعا منه لربه لعله يرفع ذلك البعد عنه[2] .

و لما كانوا يظنون [أن -[3]] اتباعهم للكبراء غير ضلال ، فبان لهم خلاف ذلك ، أكدوا قولهم لذلك و للاعلام بأنهم بذلوا ما كان عندهم من الجهل فصاروا الآن على بصيرة من أمرهم : ﴿انآ اطعنا سادتنا﴾ و قرئ بالجمع بالألف[4] و التاء جمعا سالما للجمع المكسر ﴿و كبرآءنا فاضلونا﴾ أى فتسبب عن ذلك ، أنهم أضلونا بما[5] كان لهم من نفوذ الكلمة ﴿السبيلا﴾ كما هى عادة المخطىء فى الإحالة على غيره بما لاينفعه ، و قراءة من أثبت الألف[6] مشيرة إلى أنه سبيل واسع جدا واضح ، و أنه[7] مما يتلذذ بذكره و يجب تفخيمه .

و لما كان كأنه قيل : فما تريدون[8] لهم ؟ قالوا مبالغين فى الرقة و للاستعطاف[9] باعادة الرب : ﴿ربنا﴾ أى أيها المحسن إلينا ﴿اتهم ضعفين﴾ [أى -[3]] مثلى عذابنا من وهن قوتنا و شدة المؤثر لذلك مضاعفا أضعافا[10]

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : مشيرا (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و التاء - كذا (٥) فى مد : لما (٦) راجع نثر المرجان ٥ /٤٤١ (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : انما هو . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ترون (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاستعطاف (١٠) من م و مد ، و فى الأصل وظ : اضعفا .

كثيرة ﴿ من العذاب ﴾ ضعفا بضلالهم . و آخر باضلالهم ، و إذا راجعت ما فى أواخر[1] سبحان من معنى الضعف وضح لك هذا ، و يؤيده قوله[2] : ﴿ و العنهم لعنا كثيرا ﴾ أى اطردهم عن محال الرحمة طردا متناهيا فى العدد . و المعنى على قراءة عاصم[3] بالموحدة : عظيما شديدا غليظا .

٥ و لما كان السبب فى هذا التهديد كله ما كانوا يتعمدونه من أذى رسول الله صلى الله عليه و سلم بقولهم : تزوج امرأة ابنه . و غير ذلك إلى [أن ـ[4]] ختمه[5] بما يكون سببا لتمنيهم طاعته / ، و كان سماع هذا /٢٦٥ لطفا لمن صدق به ، أتبعه ما هو كالنتيجة له فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أى صدقوا بما تلى عليهم ﴿ لا تكونوا ﴾ بأذاكم للرسول صلى الله عليه

١٠ و سلم بأمر زينب رضى الله عنها أو غيره كونا هو كالطبع لكم ﴿ كالذين آذوا موسى ﴾ من قومه بنى إسرائيل آذوه بأنواع الأذى كما قال نبينا صلى الله عليه و سلم حين قسم قسما فتكلم فيه بعضهم فقال : لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر . و أنسب الأشياء للارادة هنا أذى قرون[6] له بالزانية التى استأجرها[7] لتقذفه بنفسها [فبرأه الله من ذلك ،

١٥ و كان سبب الخسف بقرون و من معه ـ[4]] ﴿ فبرأه ﴾ أى فتسبب عن أذاهم له أن برأه ﴿ الله ﴾ أى الذى له صفات الجلال و الجمال و القدرة

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : آخر (٢) سقط من ظ (٣) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٤ (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م ، مد ، و فى الاصل : ختم (٦) فى ظ : قارون (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل استاجره .

على كل شيء و الكمال ، [و أفهم التعبير بالتفعيل أن البراءة كانت بالتدريج بالخسف و موت الفجاءة و إبراق عصى هارون كما مضى فى آخر القصص . و لما نهى عن التشبه بالمؤذين أعم من أن يكون أذاهم قوليا أو فعليا ، أشار إلى أن الأذى المراد هنا قولى مثله فى أمر زينب رضى الله عنها فقال[1] -] : ﴿ مما قالوا ﴾ [دون أن يقول : مما آذوا ، و ذلك -] بما أظهره من البرهان على صدقه فخسف بمن أذاه كما مضى فى القصص فاياكم ثم إياكم .

و لما كان قصدهم بهذا الأذى إسقاط وجاهته قال : ﴿ و كان ﴾ أى موسى عليه السلام ، كونا راسخا ﴿ عند الله ﴾ أى الذى لا يذل من والى ﴿ وجيها ﴾ أى [2]معظما رفيع[2] القدر إذا سأله أعطاه ، و إذا كان عند الله بهذه المنزلة كان عند الناس بها ، لما يرون من إكرام الله له ، [و الجملة كالتعليل للتبرئة لأنه لا يبرئ الشخص إلا من كان وجيها عنده - [3]] .

و لما نهاهم عن الأذى ، أمر بالنفع ليصيروا[4] وجهاء عنده سبحانه مكررا للنداء استعطافا و إظهارا للاهتمام فقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ اى ادعوا ذلك . و لما كان قد خص النبى عليه و سلم فى أول السورة بالأمر بالتقوى ، عم فى آخرها بالأمر بها مردفا لنهيهم بأمر يتضمن الوعيد ليقوى الصارف عن الأذى و الداعى إلى تركه[5] فقال : ﴿ اتقوا الله ﴾ أى صدقوا دعواكم بمخافة من له جميع العظمة ، فاجعلوا لكم وقاية من

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عظيم .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تركها .

سخطه بان تبذلوا له جميع ما أودعكم من الأمانة ﴿و قولوا﴾ فى حق النبى صلى الله عليه و سلم فى امر زينب رضى الله عنها و غيرها و فى حق بناته و نسائه رضى الله عنهن و فى حق المؤمنين و نسائهم و غير ذلك ﴿قولا سديدا ۝﴾ اى قاصدا إلى الحق ذا صواب له ﴿يصلح لكم اعمالكم﴾ ٥ أى بان يدخلكم فى العمل الصالح و أنتم لاتعلمون ما ينبغى من كيفيته فيبصركم بها شيئا فشيئا و يوفقكم [1]للعمل بما[1] جلاه لكم حتى تكونوا على أتم وجه و أعظمه و أرضاه و أقومه ببركة[2] قولكم الحق على الوجه الحسن الجميل .

و لما كان الإنسان و إن اجتهد مقصرا ، قال مشيرا إلى ذلك حتى ١٠ لايزال معترفا بالعجز : ﴿و يغفر لكم ذنوبكم[4] ﴾ أى يمحوها عينا و أثرا فلا يعاقب عليها و لايعاتب ، و لما كان ربما توهم أن هذا خاص بمن آمن ، و أن تجديد الإيمان غير نافع ، أزال هذا الوهم بقوله : ﴿و من يطع الله ﴾ اى الذى لا أعظم منه ﴿و رسوله ﴾ أى[3] الذى عظمته من عظمته بأن يجدد لها[1] الطاعة بالإيمان و ثمراته فى كل وقت ، ١٥ فيكون مؤديا للأمانة إلى أهلها ﴿فقد فاز ﴾ و أكد ذلك بقوله : ﴿فوزا عظيما ۝ ﴾ أى ظفرا بجميع مراداته فى الدنيا و الآخرة .

و لما كان التقدير : و من لم يطع فقد خسر خسرانا مبينا ، و كان كل شىء عرض على[5] شىء فالمعروض عليه متمكن من المعروض قادر عليه ،

(١ - ١) فى ظ و م و مد : لعمل ما (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتركه (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهم (٥) زيد فى ظ و مد : كل .

و كان

وكان كل شيء أودعه / الله شيئا فحفظه و رعاه و بذله لأهله و آتاه / ٢٦٦
باذلا للأمانة غير حامل لها . وكل من أودعه شيئا فضيعه و ضن به
عن أهله و منعه عن مستحقه خائن فيه[1] حامل له ، وكان الله تعالى قد
أودع الناس من العقول ما يميزون به بين الصحيح و الفاسد ، و من القوى
الظاهرة ما يصرفونه فيما أرادوا من المعصية و الطاعة ، فمنهم من استدل ٥
بعقله على كل من المحق و المبطل فبذل له من قواه ما يستحقه ، فكان
باذلا للأمانة غير حامل لها ، و منهم من عكس ذلك و هم الأكثر فكان
حاملا [لها -[2]] خائنا فيما أمر به من بذلها ، و أودع سبحانه الأكوان
ما فيها من المنافع من[3] المياه و المعادن و النباتات[4] فبذلته و لم تمنعه من
أحد طلبه مع أن منعها له فى حيز الإمكان ، قال تعالى معلا للأمر ١٠
بالتقوى ، أو مستأنفا مؤكدا تنبيها على أن هذا الأمر [مما -[2]] يحق أن
يؤكد تنبيها على دقته ، و انه مما لايكاد أن يفطن له كثير من الناس
فضلا عن أن يصدقوه [لافتا القول إلى مظهر العظمة دلالة على عظيم
جرأة الإنسان -[5]] : ﴿ انا عرضنا الامانة ﴾ أى أداءها أو حملها أو منعها
أهلها ، و هى طاعته سبحانه فيما امر به العاقل ، و فيما أراده من غيره ، ١٥
و لم يذكر المياه و الرياح لأنهما من جملة ما فى الكونين من الأمانات
اللاتى يؤديانها على حسب الأمر ﴿ على السمٰوٰت ﴾ بما فيها من المنافع

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : له (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : « و » (٤) فى ظ و م و مد : النبات (٥) زيد من ظ و مد .

﴿و الارض﴾ بما فيها من المرافق و المعادن . و لما أريد التصريح بالتعميم قال: ﴿و الجبال﴾ [و -[1]] لأن أكثر المنافع فيها ﴿فابين﴾ على عظم[2] أجرامها و قوة أركانها و سعة أرجائها ﴿ان يحملنها﴾ فيمنعنها و يحبسنها عن أهلها، قال الزمخشرى[3]: من قولك: فلان حامل للامانة و محتمل لها، أى لايؤديها إلى صاحبها حتى تزول عن ذمته و يخرج عن عهدتها، لأن الأمانة كأنها راكبة للمؤتمن عليها و هو حاملها، ألا تراهم [4]يقولون: ركبته الديون و لى عليه حق، فاذا [5]أداها لم تبق[5] راكبة له و لا هو حاملا لها ﴿و اشفقن منها﴾ فبذل كل [منهن -[1]] ما أودعه الله فيه فى وقته كما أراده الله، و هو معنى: أتينا طائعين، و الحاصل أنه جعلت الإرادة و هى[6] الأمر التكوينى فى حق الأكوان لكونها لاتعقل كالأمر التكليفى التكوينى فى حقنا لأنا نعقل[7] تميزا بين من يعقل و من لايعقل فى الحكم، كما ميز بينهما فى الفهم إعطاء لكل منهما ما يستحقه رتبته - و هذا هو معنى ما نقله البغوى[8] عن الزجاج و غيره من أهل المعانى، و ما أحسن ما قال النابغة زياد بن معاوية الذبيانى [9]حيث قال[9]:

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اعظم. (٣) راجع الكشاف تفسير الآية المتعلقة (٤) العبارة من هنا إلى «حاملا لها» ساقطة من ظ (٤ - ٥) من م و مد، و فى الأصل: ادهابى (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هو (٧) من م و مد، وفى الأصل و ظ: تعقل (٨) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٢٣٠، (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.

أتيتك عاريا خلقا ثيابى[1] على خوف تظن بى الظنون
فألفيت[2] الأمانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

قال ابن الفرات : إن عمر رضى الله عنه قال لما قيل له إن النابغة قائلها[3] : هو أشعر شعرائكم .

و لما كان الخائن أكثر من الأمين أضعافا مضاعفة ، و كانت النفس ٥ بما أودع فيها من الشهوات و الحظوظ محل النقائص ، قال تعالى : ﴿وحملها الانسان[4]﴾ أى أكثر / الناس و الجن ، فان الإنسان الأنس، و الإنس و الأناس[5] الناس، و قد تقدم فى "ولا تبخسوا الناس اشياءهم" [5] فى الأعراف[5] أن الناس يكون من الإنس و من الجن، و أنه جمع إنس، و أصله أناس ، و الإسناد إلى الجنس لا يلزم منه أن يكون كل فرد منه كذلك ، ١٠ فهو هنا باعتبار الأغلب ، و فى التعبير به إشارة إلى أنه لا يخون إلا من [هو فى -[6]] [7]أسفل الرتب[7] لم يصل إلى حد النوس .

و لما كان الإنسان ـ لما له بنفسه [من الأنس -[6]] و فى صفاته [من -[6]] العشق ، و له من [8]العقل و الفهم[8] - يظن أنه لا نقص فيه ، علل ذلك بقوله مؤكدا : ﴿ انه ﴾ على ضعف قوته[9] و قلة حيلته ﴿ كان ﴾ ١٥

(١) من ظ و م و مد و الأغانى ١١ / ٢٢ ، و فى الأصل : بانى (٢) من مد و الأغانى ، و فى الأصل و ظ و م : فألقيت (٣) فى م : قائلها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الناس (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سفل الترتب . (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفهم و العقل (٩) سقط من ظ .

أى فى جبلته[1] إلا من عصم الله ﴿ ظلوما ﴾ يضع الشىء فى غير محله كالذى فى الظلام لما غطى من شهواته على عقله ، و لذلك قال : ﴿ جهولا ﴾ أى لجهله يغلب على حلمه[2] فيوقعه فى الظلم ، فجعل كل من ظهور ما أودعه الله فى الأكوان وكونه فى حيز الإمكان كأنه عرض عليها كل من حمله و بذله كما أنه جعل تمكين الإنسان من كل من[3] إبداء ما اؤتمن عليه و إخفائه كذلك .

و لما كان الحكم فى الظاهر على جميع الإنسان ، و فى الحقيقة - لكون القضية الخالية عن السور فى قوة الجزئية[4] - على بعضه ، لكنه لما اطلق إطلاق الكلى فهم أن المراد الأكثر ، قال مبينا أن " ال " ليست سورا معللا لحمله لها مقدما التعذيب إشارة إلى أن الخونة أكثر ، [لافتا العبارة إلى الاسم الأعظم لتنويع المقال إلى جلال و جمال - [5]] : ﴿ ليعذب الله ﴾ أى الملك الأعظم بسبب الخيانة فى الأمانة . و قدم [من الخونة - [6]] اجدرهم بذلك فقال : ﴿ المنفقين و المنفقت ﴾ أى الذين يظهرون بذل الأمانة كذبا و زورا و هم حاملون لها عريقون فى النفاق ﴿ و المشركين و المشركت ﴾ اى الذين يصارحون بحملها و منعها عن أهلها [و هم عريقون فى الشرك فلا يتوبون منه - [5]] .

و لما كان تقديم[7] التعذيب مفهما أن الخونة أكثر ، أشار إلى أن

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حينة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جهله (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : ما (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجذبية (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تقدم .

المخلص نادر جـــدا بقوله: ﴿ و يتوب الله ﴾ أى بما له من العظمة ﴿ على المؤمنين ﴾ أى[1] العريقين فى وصف الإيمان و هم الثابتون عليه إلى الموت ﴿ و المؤمنت[1] ﴾ العصاة و غـــيرهم فيوفقهم لبذلها بعد حملها [فالآية من الاحتباك: ذكر العذاب اولا دليلا على النعيم ثانيا، و التوبة ثانيا دليلا على منعها أولا -[2]] أى عرض[3] هذا العرض و حكم هذا الحكم -[4]] ليعذب و ينعم بحجة يتعارفها الناس فيما بينهم[5] .

و لما كان هذا مؤذنا بأنه ما من أحد إلا و قد حملها وقتا ما، فكان مرغبا للقلوب مرهبا للنفوس. قال مؤنسا لها مرغبا: ﴿ و كان الله ﴾ أى على ما له من الكبر و العظمة و الانتقام و الملك و السطوة ﴿ غفورا ﴾ أى محاء لذنوب التائبين الفعلية[6] و الإمكانية عينا و أثرا ﴿ رحيما ﴾ أى مكرما لهم بأنواع الإكرام بعد الرجوع عن الإجرام، و لما أمر النبى صلى الله عليه و سلم فى مطلعها بالتقوى أمر فى مقطعها بذلك على وجه عام، و توعد المنافقين و المشاققين الذين نهى فى أولها عن طاعتهم، و ختم بصفتى المغفرة و الرحمة كما ختم فى أولها بهما آية الخطأ و التعمد. فقد تلاقيا و تعانقا و توافقا و تطابقا - و الله[7] يقول الحق و [هو -[4]] يهدى السبيل، [8]و هو اعلم بالصواب[8] .

---

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هو من (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى ظ و مد: و ينعمهم (٦) زيد فى الأصل: و التمكينية، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: أنه سبحانه (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.

سورة سبأ[1]

/٢٦٨/ / مقصودها أن الدار الآخرة - التى أشار إليها آخر تلك بالعذاب و المغفرة بعد أن أعلم أن الناس يسألون عنها - كائنة لا ريب فيها، لما فى ذلك من الحكمة، و له عليه من القدرة. و فى تركها من عدم الحكمة و التصوير بصورة الظلم، و لقصة سبأ التى سميت بها السورة مناسبة كبيرة [2]لهذا المقصد[2] كما يأتى بيانه و لذلك سميت بها ﴿ بسم الله ﴾ الذى من شمول قدرته إقامة الحساب ﴿ الرحمن ﴾ الذى[3] من عموم رحمته ترتيب الثواب و العقاب ﴿ الرحيم ﴾ الذى يمن على أهل كرامته بطاعته حتى لا عقاب يلحقهم و لا عتاب.

لما ختمت سورة الأحزاب بأنه سبحانه عرض أداء الأمانة و حملها - و هى جميع ما فى الوجود من المنافع - على السماوات و الأرض و الجبال، فأشفقن منها و حملها الإنسان الذى هو الإنس و الجان، و أن نتيجة العرض و الأداء [و الحمل -[4]] العذاب و الثواب، فعلم أن الكل ملكه و فى ملكه، خائفون من عظمته مشفقون من قهر[5] سطوته [6]و قاهر جبروته[6]، و [7]أنه المالك[7] التام الملك و الملك المطاع المتصرف فى كل شىء

(١) الرابعة و الثلاثون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها خمس و خمسون فى الشامى و أربع و خمسون فى الباقين - راجع روح المعانى ٧/١١٣.
(٢ - ٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بهذا القصد (٣) زيد فى ظ: هو.
(٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى م و مد: قاهر (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أن الملك.

من غير دفاع، و ختم ذلك بصفتى المغفرة و الرحمة، دل على ذلك كله بأن ابتدأ هذه بقوله: ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال من الخلق و الأمر كله مطلقا فى الأولى و الأخرى و غيرهما مما يمكن أن يكون و يحيط به علمه سبحانه ﴿ لله ﴾ ذى الجلال و الجمال.

و لما كان هذا [هو - [1]] المراد، وصفه بما يفيد ذلك، فقال منبها على نعمة الإبداء[2] و الإبقاء أولا: ﴿ الذى له ﴾ أى وحده ملكا و مُلكا و إن نسبتم إلى غيره ملكا و ملكا ظاهريا ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ أى بأسرها ﴿ و ما فى الارض ﴾ أى كما ترون أنه لامتصرف فى شىء من ذلك كمال التصرف[3] غيره، و قد علم فى غير موضع و تقرر فى كل فطرة أنه ذو العرش العظيم، فأنتج ذلك أن[4] له ما يحويه عرشه من السماوات و الأراضى[5] و ما فيها، لأن من المعلوم أن العرش محيط بالكل، فالكل فيه، و كل سماء فى التى فوقها، و كذا الأراضى[6]، و قد تقرر أن له ما[7] فى الكل، فأنتج ذلك أن له الكل بهذا البرهان الصحيح، و هو أبلغ مما لو عبر عن ذلك على وجه التصريح. [8]و إذ قد[8] كان له ذلك كله فلا نعمة على شىء إلا منه، فكل شىء يحمده بما له عليه من نعمه بلسان قاله، فان لم يكن فبلسان حاله.

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الابدان.
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التصريف (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أنه (٥) من م ومد، و فى الأصل و ظ: الأرض (٦) فى ظ: الأرض (٧) سقط من ظ (٨-٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اذا.

و لما أفاد ذلك أن له الدنيا و ما فيها، و قد علم فى آخر الأحزاب أن نتيجة الوجود العذاب و المغفرة، و نحن نرى أكثر الظلمة و المنافقين يموتون من غير عذاب، و أكثر المؤمنين يموتون لم يوفوا ما وعدوه من الثواب، و نعلم قطعا أنه لا يجوز على حكيم أن يترك عبيده سدى يبغى بعضهم على بعض و هو لا يغير عليهم، فأفاد ذلك أن له دارا أخرى[1] يظهر فيها العدل و ينشر الكرم و الفضل، فلذلك قال عاطفا على ما سببه الكلام الأول من نحو: فله الحمد فى الأولى، و طواه لأجل خفائه على أكثر الخلق، و أظهر ما فى الآخرة لظهوره لأنها[2] دار كشف الغطاء، فقال منبها على نعمة الإعادة[3] و الإبقاء ثانيا: ﴿ و له ﴾ أى وحده ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بالكمال ﴿ فى الآخرة[4] ﴾ ظاهرا لكل من يجمعه الحشر، و له كل ما فيها. لا يدعى ذلك أحد فى شىء منه[4] لا[3] ظاهرا و لا باطنا، فكل شىء فيها لظهور الحمد إذ ذاك بحمده كما ينبغى لجلاله بما له عليه من نعمة أقلها نعمة الإيجاد، حتى أهل النار فانهم يحمدونه بما يحبب إليهم فى الدنيا من إسباغ نعمه ظاهرة و باطنة، و منها إنزال الكتب و إرسال الرسل على وجه ما أبقى فيه للتحبب موضعا فى دعائهم إليه و إقبالهم عليه، و بذل النصيحة على وجوه من اللطف كما هو معروف عند من عاناه. فعلموا أنهم هم المفرطون حيث أبوا فى الأولى حيث ينفع

/ ٢٦٩

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اخراو - كذا (٢) فى ظ: لأن.
(٣) سقط من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م.

الإيمان ، و اعترفوا فى الآخرة حيث فات الأوان "و قالوا آمنا به و انى لهم التناوش" - الآيات ، و أيضا فهم يحمدونه فى الآخرة لعلمهم أنه لايعذب[1] أحدا منهم فوق ما يستحق و هو قادر على ذلك ، و لذلك جعل النار طبقات ، و رتبها دركات ، فكانوا فى الأولى حامدين على غير وجهه ، فلم ينفعهم حمدهم لبنائه[2] على غير أساس ، و حمدوا فى الآخرة على[3] وجهه فما أغنى عنهم لكونها ليست دار العمل لفوات[4] شرطه ، و هو الإيمان بالغيب ، و الآية من الاحتباك : حذف أولا[5] « له الحمد فى الاولى » لما دل عليه ثانيا ، و ثانيا « و له كل ما فى الأخرة[6] » لما دل عليه أولا ، و قد علم بهذا و بما[7] قدمته فى النحل و الفاتحة أن الحمد تارة يكون بالنظر إلى الحامد[8] ، و تارة بالنظر إلى المحمود ، فالثانى[9] اتصاف المحمود بالجميل ، و الأول وصف الحامد له بالجميل ، فحمد الله تعالى اتصافه بكل وصف جميل ، و حمد الحامد له وصفه بذلك ، فكل الأكوان ناطقة بألسن أحوالها بحمده سواء[10] أنطق لسان[11] القال بذلك أم لا ، و هو محمود قبل تكوينها ، و ذلك هو معنى قولى[12] الإحاطة بأوصاف الكمال . و حمد غيره له تارة

(١) فى ظ و مد : لم يعذب (٢) من ظ و مد . و فى الأصل و م : لبنائهم .
(٣) زيد فى الأصل : غير ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى ظ : بفوات (٥) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الارض (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ما (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحامل (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و الثانى (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سرا .
(١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بلسان (١٢) فى ظ و مد : قول .

يطلق بالمدلول اللغوى، و تارة بالمدلول العرفى، و تحقيق ما قال العلماء فى ذلك فى نفسه و بالنسبة بينه و بين الشكر أن الحمد فى اللغة هو الوصف بالجميل الاختيارى على جهة التعظيم، و مورده اللسان وحده فهو مختص بالظاهر[1] و متعلقه النعمة و غيرها، فمورده خاص و متعلقه عام، و الشكر لغة على العكس من ذلك متعلقه خاص و مورده عام، لأنه فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب إنعامه فمورده[2] الظاهر و الباطن لأنه يعم اللسان و الجنان و الأركان. و متعلقه النعمة الواصلة إلى الشاكر، و من موارده القلب و هو أشرف الموارد كلها، لأن فعله و إن كان خفيا يستقل بكونه شكرا من غير ان ينضم إليه فعل غيره بخلاف الموردين الآخرين، إذ لا يكون فعل شيء منهما[3] حمدا و لا شكرا حقيقة ما[4] لم ينضم إليه فعل القلب.

و لما كان تعاكس[5] الموردين و المتعلقين ظاهر الدلالة على النسبة بين الحمد و الشكر اللغويين، علم أن بينهما عموما و خصوصا وجهيا. لأن الحمد قد يترتب على الفضائل المجردة، و الشكر قد يختص بالفواضل، فينفرد الحمد من هذه الجهة، و ينفرد الشكر بالفعل / الظاهر و الاعتقاد الباطن على[6] الفواضل من غير قول، و يجتمعان فى الوصف[7] الجنانى و اللسانى[7] على الفواضل. ففعل القلب اعتقاد اتصاف المشكور بصفات

٢٧٠ /

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالمظاهر (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فمرده (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منها (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مما (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بذكر (٦) فى ظ: عن (٧-٧) فى م و مد: اللسانى و الجنانى.

الكمال من الجلال و الجمال ، و فعل اللسان ذكر ما يدل على ذلك ، و فعل الأركان الإتيان بأفعال دالة على ذلك .

و لما كان هذا حقيقة الحمد و الشكر لغة لاعرفا ، و كانت الأوهام تسبق [1]إلى أن[1] الحمد ما يشتمل على لفظ ح م د ، قال القطب الرازى فى شرح المطالع : و ليس الحمد عبارة عن خصوص قول القائل [«الحمد لله» و إن كان هذا القول فردا من أفراد الماهية ، و كذا ليس ماهية الشكر عبارة عن خصوص قول القائل -[2]] «الشكر لله» و لا القولَ المطلق الدال على تعظيم الله و إن كان الثانى جزءا منه و الأول فرد من هذا الجزء ، و حقيقة الحمد فى العرف ما يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعما ، و حقيقة الشكر العرفى هو صرف العبد جميع ما أنعم الله عليه من القوى[3] إلى ما خلق له كصرف النظر إلى مطالعة مصنوعاته للاعتبار إلى علىّ حضراته ، و إلقاء السمع إلى تلقى ما ينبىء عن مرضاته ، و الاجتناب عن منهياته ، فذكر الوصف فى اللغوى[4] يفهم الكلام سواء كان نفسانيا أو لسانيا فيشمل حمد الله تعالى نفسه و حمدنا له . و الجميل متناول للانعام و غيره من مكارم الأخلاق و محاسن الأعمال ، و عدم تقييد الوصف بكونه فى مقابلة نعمه مظهر لأن الحمد قد يكون واقعا بازاء النعمة و قد لا يكون ، و اشتراط التعظيم يفهم تطابق الظاهر و الباطن ، فان عرى قول اللسان

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القول (٤) فى مد : القوى .

عن مطابقة الاعتقاد أو خالفه فعل الجوارح لم[1] يكن حمدا حقيقة، بل استهزاء و سخرية، و مطابقة الجنان و الأركان شرط فى الحمد لا شطر، فلا يتداخل التعريفان. و لايخرج بالاختيار صفات الله القديمة، فانها من حيث قدرته على تعليقها بالأشياء تكون داخلة فيكون الحمد على الوصف الاختيارى، و كذا إذا مدح الشجاع بشجاعته و القدرة على تعليق الوصف بما يتحقق بـــه كانت الشجاعة ممدوحا بها، و بما حصل من آثارها من النعمة محمودا عليه، و إذا وصف بالشجاعة خاصة لم يكن هناك محمود عليه، فقد علم من هذا أنه إذا[2] كان هناك اختيار فى الآثار كان الحمد عليه و إلا فلا، فلا يسمى وصف اللؤلؤة بصفاء الجوهر و بهجة المنظر حمدا بل مدحا، و يسمى الوصف بالشجاعة للاختيار فى إظهار آثارها حمدا، فاختص الحمد بالفاعل المختار دون المدح، و علم أيضا أن القول المخصوص و هو « الحمد لله » ليس حمدا لخصوصه، بل لأنه دال على صفة الكمال و مظهر لها، فيشاركه فى التسمية كل ما دل عـــلى ذلك من الوصف، و لذلك قال بعض المحققين من الصوفية: حقيقة الحمد إظهار الصفات الكمالية، و ذلك قد يكون بالقول كما عرف، و قد يكون بالفعل و هو أقوى، لأن الأفعال التى هى آثار الأوصاف تدل عليها دلالة / عقلية قطعية، لايتصور فيها خلف بخلاف الأقوال، فان دلالتها عليها[3] وضعية، و قد يتخلف عنها مدلولها، و قد حمد الله تعالى نفسه بما يقطع به من

/ ٢٧١

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بل (٢) فى ظ و م و مد: أن (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عليه.

القول و الفعل ، أما الفعل فانه بسط بساط الوجود[1] على ممكنات لاتحصى و وضع عليه موائد كرمه التى لاتتناهى ، فكشف ذلك عن صفات كماله و أظهرها بدلالات قطعية تفصيلية غير متناهية ، فان كل ذرة من ذرات الوجود تدل عليها ، و لايتصور فى عبارات المخلوق مثل هذه الدلالات ، و من ثمه قال صلى الله عليه و سلم « لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » و لابد للتنبه لما قاله الأستاذ أبو الحسن[2] التجيبى المغربى[2] الحرالى فى تفسيره بان حمدلة الفاتحة تتضمن من حيث ظاهرها المدح التام الكامل ممن [3]يرى المدحة[3] سارية فى كل ما أبدعه الله و ما أحكمه من الأسباب التى احتواها الكون كله ، و علم أن كلتا يدى ربه[4] يمين مباركة ، و هو معنى ما يظهره إحاطة العلم بابداء الله حكمته على وجه لا نكرة فيه منه ، و لا ممن هو فى أمره خليفته[5] ، و ليس من معنى ما بين العبد و ربه من وجه إسداء النعم و هو أمر يجده القلب علما ، لا أمر يوافق النفس غرضا . فمن[6] لم يكمل بعلم ذلك كان تاليا على أثر من علمه . واجذا بركة تلاوته - انتهى . و أما القول فانه سبحانه لما علم أن لسان الحال إنما يرمز رمزا خفيا لايفهمه إلا الأفراد و إن كان بعد التحقيق جليا ، أنزل علينا كتابا مفصحا بالمراد أثنى فيه على نفسه ، و بين صفات كماله

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الوجوه (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المحمى المعرى - كذا (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من المدحة له (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : به (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حمقيه - كذا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ممن .

بالبيان الذى يعجز عنه القوى ، ثم جعل الإعجاز دلالة قطعية على كماله ، و على[1] كل ما له من جلاله و جماله ، و قد علم من هذه التعاريف أن بين[2] الحمد و الشكر اللغويين عموما و خصوصا من وجه ، لأن الحمد قد يترتب على الفضائل [و هى الصفات -[3]] الجميلة[4] التى لايتجاوز منها أثر ٥ و منفعة إلى غير الممدوح كالشجاعة ، و الشكر يختص بالفواضل و هى النعم و هى الصفات[5] و المزايا المتعدية التى يحصل منها منفعة لغير[6] الممدوح كالإحسان و المواهب و العطايا كما مضى ، و بين الحمد و الشكر العرفيين[7] عموما و خصوصا مطلقا ، فالحمد أعم مطلقا لعموم النعم الواصلة إلى الحامد و غيره ، و اختصاص الشكر بما يصل إلى الشاكر ، و ذلك لأن المنعم ١٠ المذكور فى التعريف مطلق لم يقيد بكونه منعما على الحامد أو على غيره ، فتناولهما[8] بخلاف الشكر و قد اعتبر فيه منعم مخصوص[9] و هو الله تعالى ، و نعم واصلة منه إلى الشاكر ، و لعموم هذا الحمد مطلقا و خصوص هذا الشكر مطلقا وجه ثان ، و هو أن فعل القلب و اللسان مثلا قد يكون حمدا و ليس شكرا اصلا ، إذ قد اعتبر فيه شمول الآلات ، و وجه ١٥ ثالث و هو أن الشكر بهذا المعنى لايتعلق بغيره تعالى بخلاف الحمد ،

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجملية .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للصفات (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اللغويين (٨) فى ظ و م و مد : فتناولهما (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بخصوص .

و ما يقال من أن النسبة بالعموم المطلق بين العرفيين إنما تصح بحسب الوجود دون الحمل[1] الذى كلامنا فيه ، لأن الحمد بصرف[2] القلب مثلا فيما خلق لأجله جزء من صرف الجميع غير محمول عليه لامتيازه فى الوجود /عن سائر أجزائه ، و أما فى الحمل فلا يمتاز المحمول عن[3] الموضوع فى الوجود الخارجى ، فغلط من باب اشتباه الشىء بما صدق هو عليه . فان ما ليس محمولا على ذلك الصرف[4] هو ما صدق عليه الحمد ، اعنى صرف القلب وحده لا مفهومه المذكور ، و هو فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعما . و هذا المفهوم يحمل على صرف الجميع ، و ما يقال إن صرف الجميع أفعال متعددة ، فلا يصدق عليه أنه فعل واحد ، جوابه أنه فعل واحد تعدد متعلقه ، فلا ينافى وصفه[5] بالوحدة كما يقال : صدر عن زيد فعل واحد هو إكرام جميع القوم مثلا ، و تحقيقه أن المركب قد يوصف بالوحدة الحقيقية[6] كبدن واحد . و الاعتبارية كعسكر واحد ، و صدق الجميع من قبيل الثانى كما لا يرتاب فيه ذو مسكة[7] . و النسبة بين الحمدين اللغوى و العرفى عموم و خصوص من وجه ، لأن الحمد العرفى هو الشكر اللغوى ، و قد مضى بيان ذلك فيهما . [8]و بين الشكر العرفى[8]

/ ٢٧٢

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الحمد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تصرف (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انصرف (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وضعه . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحقيقة (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سكة (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

[١]و اللغوى عموم مطلق[١] لأن الشكر اللغوى يعم النعمة إلى الغير دون العرفى فهو أعم، و العرفى أخـــص مطلقا. وكذا بين الشكر العرفى و الحمد اللغوى لأن الأول مخصوص بالنعمة على الشاكر سواء كان باللسان أو لا، و الثانى و إن خص باللسان فهو مشترط[٢] فيه مطابقة الأركان و الجنان، ٥ ليكون على وجهة[٣] التبجيل، و قد لايكون فى مقابلة نعمة فهو أعم مطلقا فكل شكر عرفى حمد لغوى، و لاينعكس و هذا[٤] بحسب الوجود. و كذا بين الحمد العرفى و الشكر اللغوى عموم مطلق أيضا إذا قيـــدت النعمة [٥]فى اللغوى بوصولها[٥] إلى الشاكر[٦] كما مر، و اما إذا لم تقيد[٧] فهما متحدان، و أما الشكر المطلق فهو على قياس ما مضى تعظيم المنعم بصرف نعمته ١٠ إلى ما يرضيه، و لايخفى أنـــه إذا كان نفس الحمد و الشكر من النعم لم يمكن احدا[٨] الإتيان بهما على التمام و الكمال لاستلزامه[٩] تسلسل الأفعال إلى ما لايتناهى. و هذا التحقيق منقول عن إمام الحرمين و الإمام الرازى - هـــذا حاصل ما فى شرح المطالع للقطب الرازى و حاشيته للشريف الجرجانى بزيادات. و قد علم صحة ما أسلفته فى شرح الحمد بالنظر إلى ١٥ الحامد و بالنظر إلى المحمود، و إذا جمعت أطراف ما تقدم فى[١٠] سورة النحل

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يشرط (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وجه (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هو (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باللغوى بصولها. (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الشكر (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم يتقيد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: احد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لالتزامه (١٠) سقط من ظ

و الفاتحة و غيرهما من أن المادة تدور على الإحاطة علم أنه بالنظر إلى الحامد و صفة المحمود بالإحاطة بأوصاف الكمال، و بالنظر إلى المحمود اتصافه بالإحاطة بأوصاف الكمال، فان الوصف يشترط أن يكون مطابقا و إلا كان مدحا لا حمدا، كما حققه العلامة قاضى قضاة دمشق شمس الدين أحمد بن خليل الخوبى[1] فى كتابه أقاليم التعاليم. ٥

و لما تقرر أن الحكمة لا تتم إلا بإيجاد الآخرة قال: ﴿و هو الحكيم﴾ أى الذى[2] بلغت حكمته النهاية التى لا مزيد عليها، و الحكمة هى العلم بالأمور على وجه الصواب متصلا[3] بالعمل على وفقه.

و لما كانت الحكمة لا تتهيأ إلا بدقيق العلم و صافيه و لبابه و هو الخبرة قال: ﴿الخبير ه﴾ أى البليغ الخبر[4] و هو العلم بظواهر الأمور و بواطنها ١٠ حالا و مآلا، فلا يجوز فى عقل أنه[4] - و هو المتصف / بهاتين الصفتين / ٢٧٣ كما هو مشاهد[5] فى إتقان أفعاله و إحكام[6] كل شىء سمعناه من أقواله - يخلق الخلق سدى من غير إعادة لدار الجزاء، و قد مضى فى الفاتحة و غيرها عن العلامة سعد الدين التفتازانى أنه قال: التصدير بالحمد إشارة إلى أمهات النعم الأربع، و هى الإيجاد الأول، و الإيجاد الثانى، و الإبقاء ١٥ الأول، و الإبقاء الثانى. و أن الفاتحة لكونها أم الكتاب أشير فيها

(١) من ظ و م و مد و معجم المؤلفين ١ / ٢١٦، و فى الأصل: الخوفى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التى (٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: متاصلا (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: متعاهد. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اتقان.

إلى الكل، ثم أشير فى كل سورة صدرت بعدها بالحمد إلى نعمة منها على الترتيب. و أنه أشير فى الأنعام إلى الإيجاد الأول و هو ظاهر، و فى الكهف إلى الإبقاء الأول، لأن انتظام البقاء الأول و الانتفاع بالإيجاد لايكون إلا بالكتاب و الرسول، و أنه أشير فى هذه السورة إلى الإيجاد الثانى لانسياق الكلام إلى إثبات الحشر و الرد على منكرى الساعة حيث قال سبحانه "و قال الذين كفروا لاتاتينا الساعة قل بلى و ربى" انتهى، و قد علم مما[1] قررته أنها من أولها مشيرة إلى ذلك على طريق البرهان.

و قال أبو جعفر ابن الزبير: افتتحت بالحمد [لله -[2]] لما أعقب بها ما انطوت عليه سورة الأحزاب من عظيم الآلاء و جليل النعماء حسب ما أبين - آنفا - يعنى فى آخر كلامه على سورة الأحزاب - فكان مظنة الحمد على ما منح عباده المؤمنين و أعطاهم فقال تعالى "الحمد لله الذى له ما فى السمٰوٰت و ما فى الارض" ملكا و اختراعا، و قد أشار هذا إلى إرغام من توقف منقطعا عن فهم تصرفه سبحانه فى عباده بما تقدم و تفريقهم بحسب ما شاء، فكأن[3] قد قيل: إذا كانوا له ملكا و عبيدا، فلا يتوقف فى فعله [بهم -[4]] ما [5]فعل من تيسير للحسنى[6]

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بما (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و كان (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) العبارة من هنا إلى «شاء و أراد» ص ٤٤١ س ٢ ساقطة من مد (٦) من ظ و م، و فى الأصل: للحنى - كذا.

أو لغير ذلك مما شاءه بهم على فهم علته و استطلاع سببه ، بل يفعل بهم ما شاء و أراد من غير حجر و لا منع " و هو الحكيم الخبير " وجه الحكمة فى ذلك التى خفيت عنكم ، و أشار قوله "و له الحمد فى الآخرة" إلى أنه سيطلع عباده المؤمنين - من[1] موجبات حمده ما يمنحهم أو يضاعف لهم من الجزاء أو عظيم الثواب فى الآخرة - على ما لم تبلغه عقولهم ٥ فى الدنيا و [2]لا وفت[2] به أفكارهم " فلا تعلم نفس ما اخفى[3] لهم من قرة اعين "، ثم أتبع سبحانه ما تقدم من حمده على ما هو أهله ببسط شواهد حكمته و علمه فقال تعالى " يعلم ما يلج فى الارض و ما يخرج منها و ما ينزل من السماء و ما يعرج فيها " إلى قوله " و هو الرحيم " فبرحمته وغفرانه أنال عباده المؤمنين ما خصهم بـه و أعطاهم ، فله الحمد الذى ١٠ هو أهله ، ثم اتبع هذا بذكر إمهاله من كذب و كفر مع عظيم اجترائهم لتتبين سعة رحمته و مغفرته فقال تعالى " و قال الذين كفروا لا تأتينا الساعة " إلى قوله " ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب " أى إن فى إمهاله سبحانه لهؤلاء بعد عتوهم و استهزائهم فى قولهم " لا تأتينا الساعة " و قوله " هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد " ١٥ و إغضائهم عن الاعتبار بما بين[4] أيديهم من السماء و الأرض و أمنهم أخذهم من أى الجهات و فى إمهالهم و إدرار أرزاقهم مع عظيم مرتكبهم آيات لمن أناب و اعتبر ، ثم بسط لعباده المؤمنين من ذكر الآية / و نعمه ٢٧٤ /

(١) زيد فى ظ : غير (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا قت (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اخفيت (٤) سقط من ظ .

و تصريفه فى مخلوقاته[1] ما يوضح استيلاء قهره و ملكه ، و يشير إلى عظيم ملكه كما أعلم فى قوله سبحانه [" الحمد لله الذى له ما فى السمٰوٰت و ما فى الارض" فقال سبحانه -[2]] "و لقد اٰتينا داود منا فضلا يٰجبال اوبى معه و الطير و النا له الحديد" ثم قال "و لسليمٰن الريح" إلى قوله ٥ "اعملوا اٰل داود شكرا" ثم أتبع ذلك[3] بذكر حال من لم يشكر فذكر قصة سبا إلى اٰخرها ، ثم وبخ تعالى من عبد غيره معه بعد وضوح الأمر و بيانه فقال "قل ادعوا الذين زعمتم من [4]دون الله[4]" إلى و صفه حالهم الأخراوى[5] و مراجعة متكبريهم ضعفاءهم و ضعفائهم متكبريهم " و اسروا الندامة لما راوا العذاب" ثم التحمت الآى جارية على ما تقدم من لدن ١٠ افتتاح السورة إلى ختمها - انتهى .

و لما ختم بصفة الخبير ، أتبع ذلك ما يدل عليه فقال : ﴿ يعلم ما يلج فى الارض ﴾ أى هذا الجنس من المياه [6]و الأموال[6] ، و الأموات ، و قدم هذا لأن الشىء يغيب فى التراب أولا ثم يسقى فيخرج ﴿ و ما يخرج منها ﴾ من المياه و المعادن و النبات ﴿ و ما ينزل من السمآء ﴾ ١٥ أى هذا الجنس من حرارة و برودة [6]و ماء[6] و ملك و غير ذلك ﴿ و ما يعرج ﴾ و لما كانت السماوات[7] أجساما كثيفة متراقية ، لم يعبر

(١) زيد فى الأصل : مع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) سقط من ظ (٤-٤) من ظ و م و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : دونه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاخروى (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السماء .

بحرف

بحرف الغاية كما فى قوله تعالى " اليه يصعد الكلم الطيب " بل قال : ﴿ فيها[1] ﴾ أى[1] من الأعمال و الملائكة و كل ما يتصاعد من الأرض فى جهة العلو و أنتم كما ترونه يميز كل شيء من مشابهه ، فيميز ما له أهلية التولد من الماء و التراب فى الأرض من النباتات[3] عن بقية الماء و التراب على اختلاف أنواعه[4] مميزا بعضه من بعض ، و من المعادن الذهب و الفضة و الحديد و النحاس و الرصاص إلى غير ذلك ، مع أن الكل ما يخالط الزاب ، فكيف يستبعد عليه أن يحيي الموتى لعسر تمييز تراب كل ميت بعد التمزق و الاختلاط من تراب آخر .

و لما كان الحاصل من هذا المتقدم[5] أنه رب كل شيء ، و كان الرب لاتنتظم ربوبيته إلا بالرفق و الإصلاح[6] ، و كان ربما ظن جاهل أنه لايعلم أعمال الخلائق لأنه لو علمها ما أقر عليها ، أعلم أن رحمته سبقت غضبه . و لذلك قدم صفة الرحمة ، و لأنه فى سياق الحمد ، فناسب تقديم الوصف الناظر إلى التكميل على الوصف النافى[6] للنقص فقال : ﴿ و هو ﴾ [أى -[7]] و الحال أنه وحده مع كثرة نعمه المقيمة للأبدان ﴿ الرحيم ﴾ أى المنعم بما ترضاه الإلهية من إنزال الكتب و إرسال الرسل لإقامة الأديان ﴿ الغفور ﴾ أى المحاء للذنوب أما من أتبع ما أنزل من ذلك كما بلغته الرسل فبالمحو عينا و أثرا حتى لايعاقبهم على ما سلف منها

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و م و مد : النبات (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انواع (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التقدم (٥) فى ظ : الاصطلاح (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الثانى (٧) زيد من ظ و م و مد .

و لا يعاتبهم ، و أما غيره فالتكفير بأنواع المحن أو التأخير إلى يوم الحشر .

و لما ثبتت حكمته بما نشاهد من محكم الأفعال و صائب الأقوال ، فثبت بذلك علمه لأن الحكمة لا تكون إلا بالعلم ، و كان الرب الرحيم العليم لا تكمل ربوبيته إلا بالملك الظاهر و الأيالة[1] القاهرة التي لا شوب فيها ، ثبت البعث الذي هو محط الحكمة و موضع ظهور العدل ، فكانت نتيجة ذلك : فالله يأتي بالساعة لما ثبت من برهانها كما ترون ، فعطف عليه قوله : ﴿و قال الذين كفروا﴾ أي ستروا ما دلتهم عليه عقولهم[2] من براهينها الظاهرة : ﴿لا تأتينا الساعة﴾ و الإخبار عنها باطل .

/٢٧٥ و لما تقدم / من الأدلة ما لا يرتاب معه ، أمره أن يجيبهم برد كلامهم مؤكدا بالقسم على أنه لم يخله من دليل ظاهر فقال : ﴿قل بلى و ربي﴾ أي المحسن إليّ بما عمني به معكم من النعم ، و بما خصني به من تنبئي و إرسالي إليكم - إلى غير ذلك من أمور لا يحصيها إلا هو سبحانه ، فهو أكرم من أن يدعكم من غير أن يحشركم لينتقم[3] لي منكم . و يقر عيني بما يجازيكم به من أذاكم لي و لمن اتبعني ، فانه لا يكون سيد قط يرضى أن يبغي بعض عصاة عبيده على بعض . و يدعهم سدى من غير تأديب ، فكيف إذا كان المبغي عليه مطيعا له ، و الباغي عاصيا عليه ، هذا ما لا يرضاه عاقل فكيف بحاكم فكيف بأحكم الحاكمين ؟ ﴿لتأتينكم﴾ أي

(١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الانالة (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اقوالهم (٣) من ظ و مد ، و في الأصل و م : لينقم .

الساعة لتظهر فيها[1] ظهورا تاما الحكمة بالعدل و الفضل ، [2]و غير ذلك من عجائب الحكم[2] [و الفصل -[3]] .

و لما كان الحاكم لا يهمل رعيته إلا إذا غابوا عن علمه ، و لا يهمل شيئا من أحوالهم إلا إذا[4] غاب عنه ذلك الشيء ، و كانت الساعة من عالم الغيب ، و كان ما تقدم من إثبات العلم ربما خصه متعنت بعالم الشهادة ، ٥ وصف ذاته الأقدس سبحانه بما بين[5] أنه لا فرق عنده بين الغيب الذى الساعة منه و الشهادة ، بل الكل عنده شهادة ، و للعناية بهذا المعنى يقدم[6] الغيب إذا جمعا فى الذكر ، فقال مبينا عظمة المقسم به ليفيد حقية[7] المقسم عليه لأن القسم بمنزلة الاستشهاد على الأمر ، و كلما كان المستشهد به أعلى كعبا و أبين فضلا و أرفع منزلة كان [فى - [8]] الشهادة أقوى ١٠ و آكد ، و المستشهد عليه أثبت و أرسخ ، واصفا له على قراءة الجماعة و مستأنفا - و هو أبلغ - على قراءة المدنيين و ابن عامر و رويس عن يعقوب بالرفع[9] : ﴿عٰلِمُ الْغَيْبِ﴾ و قراءة حمزة و الكسائى « علام » بصيغة المبالغة كما هو أليق بالموضع .

و لما كنا لقصور علمنا متقيدين[10] بما فى هذا الكون مع أن الكلام فيه ، ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) فى ظ : يبين (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تقدم .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : حقيقة (٨) زيد من ظ و مد (٩) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٤٨ (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مقتدين .

قال مصرحا بالمقصود على أتم وجه: ﴿لايعزب﴾ - أى يغيب و يبعد عزوبا قويا - على قراءة الجماعة بالضم[1]، و لا ضعيفا - على قراءة الكسائى بالكسر[1] ﴿عنه مثقال ذرة﴾ أى من ذات و لا معنى، و الذرة نملة حمراء صغيرة جدا صارت مثلا فى أقل القليل فهى كناية عنه. و لما كان فى هذه السورة السباق للحمد، و هو الكمال و جهة العلو به أوفق و لأمر الساعة و مبدأه منها بدأ بها.

و لما كان قد بين علمه بأمور السماء، و كان المراد بها الجنس، جمع هنا تصريحا بذلك المراد فقال: ﴿فى السمٰوٰت﴾ و أكد النفى بتكرير "لا" فقال: ﴿و لا فى الارض﴾ و لما كنا مقيدين[2] بالكتاب، ابتدأ الخبر[3] بما يبهر العقل من أن كل شىء مسطور من قبل كونه ثم يكون على وفق[4] ما سطر، فاذا كشف للملائكة عن ذلك ازدادوا إيمانا وتسبيحا و تحميدا و تقديسا، فقال - عند جميع القراء عاطفا على الجملة من أصلها [لا -[5]] على المثقال لأن الاستثناء يمنعه: ﴿و لآ اصغر﴾ أى و لا يكون شىء أصغر ﴿من ذلك﴾ أى المثقال ﴿و لآ اكبر﴾ [أى -[5]] من المثقال فما فوقه ﴿الا فى كتب﴾ و إخبارنا به لما جرت به عوائدنا من تقييد العلم بالكتاب، و أما هو سبحانه فغنى عن ذلك.

و لما كان الإنسان قد يكتب الشىء ثم يغيب عنه و ينسى مكانه

(١) راجع نثر المرجان ٥/٤٤٨ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: متقيدين. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجر (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وصف (٥) زيد من ظ و م و مد.

فيعجز

فيعجز فى استخراجه، أخبر أن كتابه على خلاف ذلك، بل هو بحيث لايكشف من يريد اطلاعه عليه شيئا إلا وجده فى الحال / فقال: ﴿مبين ۝﴾ و يجوز - و لعله أحسن - إذا تأملت هذه مع آية يونس أن يعطف على مثقال، و يكون الاستثناء منقطعا، و لكن على بابها فى كونها بين متنافيين، فان المعنى أنه لايغيب و لا يبعد[1] عنه شيء من ذلك[2] لكنه محفوظ أتم حفظ فى كتاب لايراد منه كشف عن شيء إلا[3] كان له فى غاية الإبانة، و لعله عبر بأداة المتصل إشارة إلى أنه إن كان هناك عزوب فهو على هذه الصفة التى هى فى غاية البعد عن العزوب[4]، ثم بين علة ذلك كله دليلا على صدق القسم بما ختمت به الأحزاب من حكمة عرض الأمانة مما لايمترى[5] ذو عقل و لو قل فى صحته[6]، و أنه لايجوز فى الحكمة ان يفعل غيره فقال: ﴿ليجزى الذين آمنوا﴾ أى فانه ما خلق الأكوان إلا لأجل الإنسان، فلا يجوز أن يدعه بغير جزاء: ﴿و عملوا﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿الصلحت[7]﴾.

و لما التفت السامع إلى معرفة جزائهم، أورده تعظيما لشأنه، جوابا للسؤال مشيرا[7] إليه بما دل[8] على علو رتبته بعلو رتبة أهله: ﴿اولئك﴾

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا يغرب (٢) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد فى ظ: اذا (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الضروب (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم يمترى. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صحبته (٧) فى ظ و مد: مشارا (٨) زيد فى الأصل: عليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

أى العالو الرتبة ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى لزلاتهم أو هفواتهم[1] لأن الإنسان المبنى على النقصان لايقدر أن يقدر العظيم السلطان حق قدره ﴿ ورزق كريم ﴾ أى جليل عزيز دائم لذيذ نافع شهى، لا كدر فيه بوجه .

٥ ولما كانت أدلة الساعة قد اتضحت حتى لم يبق[2] مانع من التصديق بها إلا العناد، وكان السياق لتهديد من جحدها[3]، قال معبرا بالماضى[4] : ﴿ والذين سعوا ﴾ أى [فعلوا -[5]] فعل الساعى ﴿ فى آيتنا ﴾ [أى -[5]] على ما لها من العظمة ﴿ معجزين ﴾ أى مبالغين فى قصد تعجيزها بتخلفها[6] عما نريده[7] من إنفاذها، وهكذا [معنى -[5]] قراءة المفاعلة[8] . ولما كان

١٠ ذنبهم عظيما، أشار إليه بابتداء آخر فقال: ﴿ أولئك ﴾ [أى البعداء البغضاء الحقيرون عن أن يبلغوا مرادا بمعاجزتهم -[5]] ﴿ لهم عذاب ﴾ وأىّ عذاب ﴿ من رجز ﴾ أى شىء كله اضطراب، فهو موجب لعظيم النكد والانزعاج، فهو أسوأ العذاب ﴿ أليم ﴾ أى بليغ الألم - جره الجماعة نعتا لرجز، ورفعه ابن كثير وحفص عن عاصم نعتا لعذاب[8].

١٥ ولما ذم[9] الكفرة، وعجب منهم فى إنكارهم الساعة فى قوله "وقال الذين

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ : لهفواتهم (٢) فى ظ : لايبقى (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل : جهلها (٤) زيد فى الأصل وم : فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٥) زيد من ظ وم ومد (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل : بتخلفها (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل : تريده (٨) راجع نثر المرجان ٥/٤٥٠ (٩) فى ظ : ذكر .

كفروا لا تاتينا الساعة" [و - [1]] اقام الدليل على إتيانها[2]، و بين أنه لايجوز فى الحكمة غيره ليحصل العدل و الفضل فى جزاء اهل الشر و أولى الفضل ، عطف على ذلك مدح[3] المؤمنين فقال واصفا[4] لهم بالعلم ، إعلاما بأن الذى أورث الكفرة التكذيب الجهل : ﴿ و يرى الذين ﴾ معبرا بالرؤية و المضارع إشارة [إلى أنهم فى علمهم غير شاكين ، بل هم ٥ كالشاهدين لكل ما أخبرهم به الرسول صلى الله عليه و سلم ، و بالمضارع -[5]] إلى تجدد علمهم مترقين فى رتبه على الدوام مقابلة لجلافة[6] أولئك فى ثباتهم على الباطل الذى أشار إليه بالماضى ، و أشار إلى أن علمهم لدنى بقوله : ﴿ اوتوا العلم ﴾ أى قذفه الله فى قلوبهم فصاروا مشاهدين لمضامينه لو كشف الغطاء ما ازدادوا يقينا سواء كانوا ممن أسلم من العرب أو من ١٠ أهل الكتاب ﴿ الذىٓ انزل اليك ﴾ أى كله من أمر الساعة و غيره ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزاله ، [و أتى بضمير الفصل تفخيما للأمر و تنصيصا على أن ما بعده مفعول " اوتوا " الثانى فقال -[5]] : ﴿ هو الحق[7] ﴾ أى لا غيره من الكلام ﴿ و يهدىٓ ﴾ أى [يجدد على مدى الزمان هداية -[5]] من اتبعه ﴿ الى صراط ﴾ أى طريق واضح ١٥ واسع .

و لما كانت هذه السورة مكية ، و كان الكفار فيها مستظهرين

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : اثباتها (٣) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : مع (٤) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : واضعا.
(٥) زيد من ظ و مد (٦) فى ظ و مد : لخلافة ، و فى م : جلافة .

و المؤمنون قليلين خائفين ، و العرب يذمونهم بمخالفة قومهم و دين آبائهم
و نحو ذلك من الخرافات التى حاصلها الاستدلال / على الحق المزعوم ٢٧٧/
بالرجال قال : ﴿ العزيز الحميد ﴾ أى الذى من سلك طريقه[١] ـ و هو
الإسلام ـ عز و حمده ربه فحمده كل شىء و إن تمالأ عليه الخلق أجمعون ،
٥ فانه سبحانه لابد أن يتجلى للفصل بين العباد ، بالإشقاء و الإسعاد على
قدر الاستعداد .

و لما عجب [سبحانه ـ[٢]] من الذين كفروا فى قولهم " لاتاتينا
الساعة " المتضمن لتكذيبهم ، و ختم بتصديق الذين أوتوا العلم مشيرا
إلى أن [سبب ـ[٢]] تكذيب الكفرة الجهل الذى سببه الكبر ، عجب
١٠ منهم تعجيبا آخر أشد من الأول لتصريحهم بالتكذيب [على وجه
عجيب ـ[٢]] فقال : ﴿ و قال[٣] الذين كفروا ﴾ أى الذين تحققوا أمره
صلى الله عليه و سلم و أجمعوا خلافه و عتوا على العناد[٤] ، لمن رد عليهم
ممن لايعرف حقيقة حاله معجبين و منفرين[٥] : ﴿ هل ندلكم ﴾ أى أيها
المعتقدون أن لاحشر . و لما أخرجوا الكلام مخرج الغرائب [المضحكة ـ[٢]]
١٥ لم يذكروا اسمه مع أنه أشهر الأسماء ، بل قالوا : ﴿ على رجل ﴾ أى
ليس هو [٦]صبيا و[٦] لا امرأة حتى تعذروه[٧] ﴿ ينبئكم ﴾ أى يخبركم

(١) فى ظ و مد : صراطه (٢) ويد من ظ و م و مد (٣) ليس فى الأصل فقط (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفساد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ممعرين ـ كذا (٦-٦) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و م و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : تقذروه .

متى

[متى شئتم -[1]] إخبارا لا أعظم منه بما حواه من العجب الخارج عما نعقله [مجددا لذلك متى شاء المستخبر له -[1]] .

و لما كان القصد ذكر ما يدل عندهم على استبعاد البعث، قدموا المعمول فقالوا: ﴿ اذا ﴾ [أى إنكم إذا -[1]] ﴿ مزقتم ﴾ أى قطعتم و فرقتم بعد موتكم [2]من كل ما من شأنه أن يمزق من التراب و الرياح و طول الزمان و نحو ذلك[3] تمزيقا عظيما، بحيث صرتم ترابا، و ذلك[4] معنى ﴿ كل ممزق[5] ﴾ أى كل تمزيق، فلم يبق شيء من أجسادكم مع شيء، بل صار الكل بحيث [6]لايميز بين[6] ترابه و تراب الأرض، و ذهبت به السيول كل مذهب، فصار مع اختلاطه بتراب الأرض و التباسه متباعدا بعضه عن بعض، وكسر معمول " ينبئكم " لأجل اللام فقال: ﴿ انكم لفى ﴾ أى لتقومون كما كنتم قبل الموت قياما لاشك فيه، و الإخبار به مستحق[6] لغاية التأكيد[7] ﴿ خلق جديد ج ﴾ و هذا عامل[8] 'إذا' الظرفية .

و لما نفروا عنه بهذا الإخبار المحير[9] فى الحامل له عليه، خيلوا بتقسيم القول فيه فى استفهام مردد[10] بين الاستعجام تعجبا و الإنكار، فقالوا جوابا لمن سأل عن سبب إخباره باسقاط همزة الوصل، لعدم الإلباس

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هذا (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لايتميز (٦) من ظ و م و مد. و فى الأصل: يستحق. (٧) زيد فى الاصول: فى (٨) من ظ و م و مد. و فى الأصل: عليل (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المخبر (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مرددين.

هنا بخلاف ما يصحب لام التعريف فانها لفتحها تلبس بالخبر : ﴿افترى﴾ أى تعمد ﴿ على الله ﴾ [أى -[1]] الذى لا أعظم منه ﴿ كذبا ﴾ بالإخبار بخلاف الواقع [و هو عاقل يصح منه القصد - [2]] . و لما كان يلزم من التعمد العقل ، قالوا : ﴿ ام به جنة [3] ﴾ أى جنون ، فهو يقول الكذب ، ٥ و هو ما لاحقيقة له من غير تعمد ، [لأنه ليس من أهل القصد . فالآية من الاحتباك : ذكر الافتراء أولا يدل على ضده ثانيا ، و ذكر الجنون ثانيا يدل على ذكر ضده أولا -[2]] .

و لما كان الجواب : ليس به[3] شيء من ذلك ، عطف عليه مخبرا عن بعض الذين كفروا بما يوجب ردع البعض الآخر قوله : ١٠ ﴿ بل الذين لايؤمنون ﴾ أى [لا -[1]] يجددون الإيمان لأنهم طبعوا على الكفر ﴿بالآخرة﴾ أى الفطرة الآخرة التى أدل شيء عليها الفطرة الأولى . و لما كان هذا القول مسببا عن ضلالهم ، وكان ضلالهم سببا لعذابهم ، قدم العذاب لأنه المحط و ليرتدع من أراد الله إيمانه فقال : ﴿ فى العذاب ﴾ أى فى الدنيا بمحاولة إبطال ما أراد الله إتمامه ، و فى ١٥ الآخرة بما فيه من المعصية ، و أتبعه سببه فقال : ﴿ و الضلال ﴾ أى عما يلزم من وجوب وحدانيته و شمول قدرته / بسبب أن له ما فى السماوات و ما فى الأرض . ٢٧٨ /

و لما كان قولهم بعيدا من الحق لوصفهم أهدى الناس بالضلال ،

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : فيه .

و كان الضلال يبعد [1]يبعد صاحبه[1] عن الجادة و توغله فى المهامه الوعرة الشاسعة ، قال واصفا له بوصف الضال[2] : ﴿البعيد ٥﴾ فبين بالوصف أنه لايمكن الانفكاك عنه[3]، و علم أن من الذين كفروا قسما[4] لم يطبعوا على الكفر ، فضلوا ضلالا قريبا يمكن انفكاكهم عنه[5]، و هم الذين آمنوا منهم بعد ، و هو من بديع القول[6] حيث عبر بهذا الظاهر الذى أفهم هذا التقسيم موضع الإضمار الذى كان حقه : بل هم فى كذا .

و لما كانوا قد أنكروا الساعة لقطعهم بأن من مزق كل ممزق لا يمكن إعادته ، فقطعوا جهلا بأن الله تعالى لايقول ذلك ، فنسبوا الصادق صلى الله عليه و سلم فى الإخبار بذلك إلى أحد أمرين: تعمد الكذب أو الجنون . شرع سبحانه يدل على صدقه فى جميع ما أخبر به ، فبدأ باثبات قدرته على ذلك بما يشاهدون من قدرته على ما هو مثله ، أو أعظم منه . مشيرا إلى أن إنكارهم لذلك مستند[7] إلى ضلالهم بسبب غفلتهم عن تدبر الآيات ، فكان المعنى : ضلوا فلم يروا ، فدل عليه منكرا عليهم مهددا لهم مقررا لذوى العقول من السامعين بقوله : ﴿ افلم يروا ﴾ و نبه على أنهم فى محل بعد عن الإبصار النافع بحرف النهاية فقال : ﴿ الى ما بين ايديهم ﴾ أى أمامهم ﴿و ما خلفهم﴾ و ذلك إشارة إلى جميع الجوانب من كل من الخافقين

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بصاحبه (٢) فى ظ : الضلال (٣) فى ظ و م : منه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قسم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منه (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المنقول. (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : مستندا .

و أنهما[1] قد أحاطا بهم كغيرهم . و لما لم تدع حاجة إلى الجمع أفرد فقال : ﴿من السمآء و الارض[2]﴾ أى اللذين جعلنا[3] مطلع السورة ان لنا كل ما فيها .

و لما كان الإنكار لاثقا[4] بمقام العظمة ، فكان المعنى : إنا نفعل بها و فيهما ما نشاء ، عبر عنه بقوله : ﴿ان نشا﴾ أى بما لنا من العظمة - على قراءة الجمهور[5] ﴿نخسف﴾ أى نغور ﴿بهم﴾ [و أدغم الكسائى إلى أنه سبحانه قد يفعل ذلك فى أسرع من اللمح بحيث يدرك لأكثر الناس و قد يفعله على وجه الوضوح و هو أكثر - بما أشارت إليه قراءة الإظهار للجمهور . و لما كان الخسف قد يكون لسطح أو سفينة و نحوهما ، خص الأمر بقوله -[5]] : ﴿الارض﴾ أى[6] كما فعلنا بقارون و ذويه[7] لأنه ليس نفوذ بعض أفعالنا فيها بأولى من غيره[8] ﴿او نسقط عليهم كسفا﴾ بفتح السين على قراءة حفص[9] و باسكانه على قراءة غيره اى قطعا ﴿من السمآء[10]﴾ كذلك [ليكون شديد الوقع لبعد المدى عن السحاب و نحوه -[5]] لأن من المعلوم أنا نحن خلقناهما ، و من أوجد شيئا قدر على [10]هده و هد[10] ما أراد منه ، و من جعل السياق

(١) فى ظ : انهم (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : جعلناهما (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايقام (٤) راجع نثر المرجان ٥/٤٥٣ (٥) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٦) سقط من ظ (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : دربه (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غيرها (٩) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٥٤ (١٠-١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هزه و هدم .

للغيب - و هو[1] حمزة و الكسائى - رد الضمير على الاسم الأعظم الذى جعله مطلع السورة .

و لما كان هذا أمرا ظاهرا ، أنتج قوله مؤكدا لما لهم من إنكار البعث : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى [فى -[2]] قدرتنا على ما نشاء من كل منهما و التأمل فى فنون تصاريفهما ﴿لآية﴾ أى علامة بينة على أنا نعامل من شئنا فيهما بالعدل بأى عذاب أردنا ، و من شئنا بالفضل بأى ثواب أردنا ، و ذلك دال على أنا قادرون على كل ما نشاء من الإماتة و الإحياء و غيرهما ، فقد خسفنا بقارون و آله و بقوم لوط و أشياعهم ، و أسقطنا من السماء على أصحاب الأيكة يوم الظلة[3] قطعا من النار ، و على قوم لوط حجارة ، فأهلكناهم بذلك أجمعين[4] . و لما كانت الآيات لاتنفع من طبع على العناد قال تعالى : ﴿ لكل عبد ﴾ أى متحقق أنه[5] مربوب ضعيف[5] مسخر لما يراد منه ﴿ منيب ﴾ أى فيه قابلية الرجوع عما أبان له الدليل عن أنه زل فيه . / ٢٧٩

و لما أشار سبحانه بهذا الكلام الذى دل فيه على نفوذ الأمر إلى أنه تاره يعدل و تارة يفضل ، و كان الفضل أكثر استجلابا لذوى الهمم العلية و الأنفس الأبية ، بدأ به فى عبد من رؤس المنيبين على وجه دال

(١) زيد فى الأصل و م : قراءة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الظلمة .
(٤) ليس فى ظ و م و مد (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مدبوب متصف .

على البعث بكمال التصرف فى الخافقين و ما فيهما بأمور شوهدت لبعض عبيده تارة بالعيان و تارة بالآذان ، أما عند أهل الكتاب فواضح ، و أما عند العرب فبتمكينهم[1] من سؤالهم فقد كانوا يسألونهم عنه صلى الله عليه و سلم ، و قال أبو حيان[2]: إن بعض ذلك طفحت به أخبارهم و نطقت به أشعارهم[3] ، فقال تعالى مقسما تنبيها على أن إنكارهم للبعث إنكار لما يخبر به من المعجزات ، عاطفا على ما تقديره : فلقد آتينا هذا الرجل الذى نسبتموه إلى الكذب أو الجنون منا فضلا بهذه الأخبار المدلول عليها بمعجز القرآن فيا بعد [ما بينه و بين -[4]] ما نسبتموه إليه : ﴿ و لقد ﴾ [أى -[4]] و عزتنا و ما ثبت لنا من الإحاطة بصفات الكمال بالاتصاف بالحمد لقد[5] ﴿ آتينا ﴾ أى أعطينا إعطاء عظيما دالا على نهاية[6] المكنة بما لنا من العظمة ﴿ داوٗد ﴾ .

و لما كان المؤتى قد تكون واسطة لمن منه الإيتاء ، بين أن الأمر ليس إلا منه فقال : ﴿ منا فضلا[4] ﴾ و دل على أن التنوين للتعظيم[7] و أنه لا يتوقف تكوين[8] شيء على غير إرادته بقوله ، منزلا الجبال منزلة العقلاء الذين يبادرون [إلى -[4]] امتثال أوامره ، تنبيها على كمال قدرته و بديع تصرفه فى الأشياء كلها[9] جوابا لمن كأنه قال : ما ذلك الفضل ؟ مبدلا

(١) فى ظ و م و مد : فبتمكنهم (٢) راجع النهر من البحر المحيط ٧ / ٢٦١ . (٣) فى النهر : شعراؤهم (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غاية (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للعظمة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تنوين (٩) فى ظ : كله .

من " آتينا ": ﴿ يا ﴾ أى قلنا لأشد الأرض: يا ﴿جبال اوبى﴾ [1]أى رجعى[1] التسبيح و قراءة الزبور و غيرهما من ذكر الله ﴿معه﴾ أى كلما سبح، فهذه آية أرضية بما هو[2] أشد الأرض بما هو وظيفة العقلاء، و لذلك عبر فيه بالأمر دلالة على عظيم القدرة.

و لما كانت الجبال أغلظ الأرض و أثقلها، و كان المعنى: دعونا الجبال للتأويب معه، فبادرت الإجابة لدعائنا، لما تقدم من أنها من جملة من أبى أن يحمل الأمانة، عطف على ذلك أخف الحيوان و ألطفه، ليكون آية سماوية، على أنه يفعل فى السماء ما يشاء، فانه لو أمات الطائر فى جو السماء لسقط، و لافرق فى ذلك بين عال وعال، فقال: ﴿و الطير ج﴾ أى دعوناها أيضا، فكانت ترجع معه الذكر فدل[3] قرانها بالطير على ذكرها حقيقة كذكر الطير دفعا لتوهم من يظنه[4] رجع الصدا، و قراءة يعقوب بالرفع [عطف -[5]] على لفظ « جبال » و قراءة غيره عطف[6] على موضعه، او تكون الواو بمعنى مع أو بتقدير فعل من معنى ما مضى كسخرنا، قال وهب بن منبه: كان يقول للجبال: سبحى، و للطير: أجيبى، ثم يأخذ هو فى تلاوة الزبور بين ذلك بصوته الحسن، فلا يرى الناس منظرا أحسن من ذلك، و لايسمعون شيئا [أطيب -[5]] منه، و ذلك كما كان الحصى يسبح فى كف النبى صلى الله عليه و سلم و كف أبى بكر

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ارجعى (٢) سقط من ظ (٣) زيد فى ظ: فعل (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يظن (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عطفا.

و عمر رضى الله عنهما، و كما كان الطعام يسبح فى حضرته الشريفة و هو يؤكل[1]، و كما كان الحجر يسلم عليه، و أسكفة الباب و حوائط البيت تؤمن على دعائه، و حنين الجذع مشهور، و[2] كما كان الضب[3] يشهد له و الجمل يشكو إليه و يسجد بين يديه و نحو ذلك، و كما جاء الطائر/ الذى ٢٨٠/
٥ يسمى الحمرة تشكو الذى أخذ بيضها. فأمره النبى صلى الله عليه و سلم برده رحمة لها.

و لما ذكر طاعة أكثف الأرض و ألطف الحيوان الذى أنشاه الله منها، ذكر ما أنشأه سبحانه من ذلك الأكثف و هو أصلب الأشياء فقال: ﴿ و الناله الحديد ﴾ أى الذى ولدناه من الجبال جعلناه فى يده
١٠ كالشمع يعمل منه ما يريد بلا نار و لا مطرقة، ثم ذكر علة الإلانة بصيغة الأمر إشارة إلى أن عمله[4] كان لله فقال: ﴿ ان اعمل سبغت ﴾ اى دروعا طوالا واسعة.

و لما كان السرد الخرز[5] فى الأديم و إدخال الخيط فى موضع الخرز[5]، شبه إدخال الحلقة فى الأخرى بلحمة لا طرف لها بمواضع الخرز[5]
١٥ فقال: ﴿ و قدر فى السرد ﴾ أى النسج بان يكون كل حلقة مساوية[6] لأختها مع كونها ضيقة لئلا ينفذ منها سهم[7] و لتكن فى تحتها بحيث

(١) من ظ و م و مد. و فى الأصل: ياكل (٢) سقط من ظ (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العنب (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امره (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحرز (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: متساوية (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سعهم - كذا.

لايقلعها سيف و لا تثقل على الدارع فتمنعه خفة التصرف و سرعة الانتقال فى الكر و الفر و الطعن و الضرب فى البرد و الحر ، و الظاهر أنه لم يكن فى حلقها مسامير[1] لعدم الحاجة بالانة[2] الحديد إليها ، و إلا لم يكن بينه و بين غيره فرق ، و لا كان للالانة فائدة ، و قد أخبر بعض من رأى ما نسب إليه بغير[3] مسامير ، قال الزجاج : السرد فى اللغة : تقدير الشىء إلى الشىء ليتأتى مقسقا بعضه فى أثر بعض متتابعا ، و منه قولهم : سرد فلان الحديث . و هذا كما ألان الله تعالى للنبى صلى الله عليه و سلم فى الخندق تلك الكدية - و فى رواية : الكدانة - و ذلك بعد أن لم تكن المعاول تعمل فيها و بلغت غاية الجهد منهم فضربها صلى الله عليه و سلم ضربة واحدة ، و فى رواية . رش عليها ماء - فعادت كثيبا أهيل لا رد فاسا[4] ، و تلك الصخرة التى أخبره[5] سلمان[6] رضى الله عنه أنها كسرت فؤسهم و معاولهم[7] و عجزوا عنها فضربها النبى[8] صلى الله عليه و سلم ثلاث ضربات كسر[9] فى كل ضربة ثلاثا منها و برقت[10] مع كل ضربة برقة كبر معها تكبيرة ، و أضاءت للصحابة رضى الله عنهم ما بين

(١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالالانة (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من غير (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فارسا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اخبربها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سليمان (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معاويلهم (٨) سقط من م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كسرت (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : برق .

لابتى المـدينة بحيث كانت فى النهار كأنها مصباح فى جوف بيت مظلم ، فسألوه[1] عن ذلك فأخبرهم صلى الله عليه و سلم أن إحدى الضربات أضاءت له صنعاء من أرض اليمن حتى رأى أبوابها[2] من مكانه ذلك ، و أخبره جبريل عليه السلام أنها ستفتح على أمته ، و أضاءت له الأخرى قصور الحيرة البيض كأنها أنياب الكلاب ، و أخبر[3] أنها مفتوحة لهم ، و أضاءت [له -[4]] الأخرى قصور الشام الحمر كأنها أنياب الكلاب ، و أخبر[3] بفتحها عليهم ، فصدقه الله تعالى فى جميع ما قال ، و أعظم من ذلك تصليب الخشب له حتى يصير سيفا قوى المتن جيد الحديدة ، و ذلك أن سيف عبد الله بن جحش رضى الله عنه انقطع يوم أحد ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه و سلم عرجونا فعاد فى يده سيفا قائمة منه فقاتل به ، فكان يسمى العون ، و لم يزل بعد يتوارث حتى بيع من بغا التركى بمائتى دينار - ذكره الكلاعى فى السيرة عن الزبير بن أبى بكر و البيهقى ، و قاتل [عكاشة -[5]] ابن محصن يوم بدر فانقطع سيفه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأعطاه جذلا من حطب ، فلما أخذه هزه / فعاد ٢٨١ / فى يده سيفا طويل القامة شديد المتن ابيض الحديد فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين ، و كان ذلك السيف يسمى العون ، ثم لم يزل عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه و سلم و بعده حتى قتل فى الردة

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فسالهم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابوابه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اخبره (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من ظ و مد .

و هو عنده، و عن الواقدى أنه انكسر سيف سلمة بن أسلم بن الحريش[1] يوم بدر فأعطاه رسول الله صلى الله عليه و سلم قضيبا كان فى يده من عراجين ابن طاب فقال: اضرب به، فاذا هو[2] سيف جيد، فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبى عبيد، و إلحامه للحديد ليس بأعجب من إلحام النبى صلى الله عليه و سلم ليد معوذ[3] بن عفراء لما قطعها أبو جهل يوم بدر فأتى بها يحملها فى يده الأخرى فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه و سلم و ألصقها فلصقت و صحت مثل أختها - كما نقله البيهقى و غيره.

و لما أتم[4] سبحانه ما يختص به من الكرامات، عطف عليها ما جمع فيه الضمير لأنه يعم غيره فقال: ﴿ و اعملوا ﴾ أى أنت و من أطاعك ﴿ صالحا[5] ﴾ أى بما تفضلنا به عليكم من العلم و التوفيق للطاعة، ثم علل هذا الأمر ترغيبا و ترهيبا بقوله مؤكدا إشارة إلى أن إنكارهم للقدرة على البعث إنكار لغيرها من الصفات و إلى [أن -[6]] المتهاون[7] فى العمل فى عداد من ينكر أنه بعين الله: ﴿ انى بما تعملون ﴾ أى كله ﴿ بصير ﴾ أى مبصر و عالم بكل [8]ظاهر له[8] و باطن.

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحرير (٢) سقط من ظ و م و مد. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معاذ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: التهاون (٨-٨) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد.

و لما أتم[1] سبحانه ما أراد من آيات داود عليه السلام و ختمها بالحديد، أتبعه ابنه سليمان عليه السلام لمشاركته [له -[2]] فى الإنابة، و بدأ[3] من آياته بما هو من أسباب[4] تكوينه سبحانه[5] للحديد [فقال -[6]]: ﴿ و لسليمن ﴾ أى عوضا من الخيل التى [7]عقرها الله[7] ﴿ الريح ﴾ أى مسخرة على قراءة شعبة، و التقدير على قراءة الجماعة[8]: سخرناها له حال كونها ﴿ غدوها شهر ﴾ أى تحمله و تذهب به و بجميع عسكره بالغداة و هى من الصباح إلى نصف النهار مسيرة شهر كان يغدو من إيليا فيقيل باصطخر ﴿ و رواحها ﴾ [أى -[6]] من الظهر إلى آخر النهار ﴿ شهر[4] ﴾ أى مسيرته، فهذه آية سماوية دالة على أنه كما رفع بساط سليمان عليه السلام بما حمل من جنوده و آلاتهم ثم وضعه قادر على أن يضع ما يشاء من السماء فيهلك من تقع عليه، و هذا كما سخر الله الريح للنبى صلى الله عليه و سلم فى غزوة الأحزاب فكانت تهد[9] خيامهم و تكفأ طعامهم و تضرب وجوههم [10]بالحجارة و التراب[10] و هى لاتجاوز عسكرهم[11] إلى أن هزمهم [الله -[6]] بها، و كما حملت شخصين من أصحابه رضى الله

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تم (٢) زيد من مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٤) زيد فى الأصل: كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧ - ٧) من ظ و م و مد. و فى الأصل: عقر الله (٨) راجع نثر المرجان ٥/٤٥٦ (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تمتد (١٠-١٠) فى م و مد: بالتراب و الحجارة (١١) العبارة من « و تكفأ » إلى هنا ساقطة من ظ.

تعالى

تعالى عنهم فى غزوة تبوك فألقتهما[1] فى جبلى[1] طى، و تحمل من أراد الله من أولياء أمته كما هو فى غاية الشهرة و نهاية الكثرة، و أما أمر الإسراء و المعراج فهو من الجلالة و العظم بحيث لا يعلمه إلا الله مع أن الله تعالى صرفه فى آيات السماء بحبس المطر تارة و إرساله أخرى.

و لما ذكر الريح، أتبعها ما هى[2] من أسباب تكوينه فقال: ٥ ﴿و اسلنا له﴾ أى بعظمتنا[3] ﴿عين القطر﴾ أى النحاس أذبناه له حتى صار كأنه عين ماء، و ذلك / دال على أنه [تعالى -[4]] يفعل فى الأرض ما يشاء، فلو أراد لأسالها[5] كلها فهلك من عليها، ولو أراد لجعل بدل الإسالة الخسف و الإزالة. / ٢٨٢

و لما ذكر الريح و النحاس الذى لا يذاب عادة إلا بالنار، ذكر ما ١٠ أغلب عناصره النار، و هو فى الخفة و الإقدار على الطيران[6] كالريح فقال: ﴿و من﴾ أى و سخرنا له من[7] ﴿الجن﴾ أى الذين[8] سترناهم عن العيون من الشياطين و غيرهم ﴿من يعمل﴾ و لما كان قد أمكنه الله منهم غاية الإمكان فى غيبته و حضوره قال: ﴿بين يديه﴾ و لما كان ربما ظن ظان أن لهم [9]استبدادا بأعمالهم[9] نفاه بقوله: ﴿باذن ربه[4]﴾ أى ١٥ بتمكين المحسن إليه له و لهم بما يريد فعله.

(١-١) فى ظ و م و مد: بجبلى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هو.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من عظمتنا (٤) زيد من ظ و م و مد.
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لارسلها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الطير (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الذى.
(٩-٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: استبداد عمالهم.

و لما قرر سبحانه أن ذلك بارادته فهو فى الحقيقة بأمره، زاد ذلك تقريرا بقوله عاطفا على ما تقديره: فمن عمل بأمرنا أثبناه جنات النعيم: ﴿ و من يزغ ﴾ أى يمل، من زاغ يزيغ و يزوغ ﴿ منهم ﴾ [1] مجاوزا و عادلا ﴿ عن امرنا ﴾ [أى عن الذى أمرناه به من طاعة سليمان -[2]] أى أمره الذى هو من أمرنا ﴿ نذقه ﴾ أى[3] بما لنا من العظمة التى أمكنا[4] سليمان عليه السلام بها مما أمكناه فيه من ذلك ﴿ من عذاب السعير ﴾ أى فى الدنيا مجازا و فى الآخرة حقيقة، و هذا كما أمكن الله نبينا صلى الله عليه و سلم من ذلك العفريت فخنقه و هم بربطه حتى يتلعب به صبيان المدينة، ثم تركه تأدبا مع أخيه سليمان عليهما الصلاة و السلام فيما سأل الله تعالى فيه، و أما الأعمال التى تدور عليها إقامة الدين فأغناه الله فيها عن الجن بالملائكة الكرام، و سلط جمعا من صحابته رضى الله عنهم على جماعة من مردة الجان منهم أبو هريرة رضى الله عنه لما وكله النبى صلى الله عليه و سلم بحفظ زكاة رمضان، و منهم أبى بن كعب رضى الله عنه[5] قبض على شخص منهم كان يسرق من تمره و قال: لقد علمت الجن ما فيهم [من هو -[6]] أشد منى، و منهم معاذ بن جبل رضى الله عنه لما جعله النبى صلى الله عليه و سلم على صدقة المسلمين [فأتاه -[6]] شيطان منهم يسرق و تصور له بصور منها صورة فيل فضبطه[7] به فالتقت يداه

(١) زيد فى ظ : أى (٢) زيد من م (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : مكنا (٥) زيد فى الأصل : لما، و لم تمكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فضربه .

عليه و قال له[1]: يا عدو الله، فشكا إليه[2] الفقر و أخبره أنه من جن نصيبين و أنهم[3] كانت لهم المدينة، فلما بعث النبي صلى الله عليه و سلم أخرجهم [منها -[4]] و سأله أن يخلي عنه على أن لايعود، و منهم بريدة رضي الله عنه، و منهم أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه. و منهم زيد بن ثابت رضي الله عنه، و منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه [5]و عنهم أجمعين[5] ٥ [صارع الشيطان فصرعه عمر، و منهم عمار بن ياسر رضي الله عنه -[4]] قاتل الشيطان فصرعه عمار. و أدمى أنف الشيطان بحجر، و لذلك و غيره كان[6] يقول أبو هريرة: عمار الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم - ذكرها كلها البيهقي في الدلائل، و ذكرت تخريج أكثرها في كتابي مصاعد النظر الاشراف على مقاصد السور، و أما ١٠ عين القطر فهي ما تضمنه قول النبي صلى الله عليه و سلم «أعطيت مفاتيح خزائن الأرض و الملك في الدنيا و الخلد فيها ثم الجنة فاخترت أن أكون نبيا عبدا أجوع يوما و أشبع يوما» - الحديث. فشمل ذلك من روضة اللؤلؤ الرطب إلى عين الذهب المصفى إلى ما دون ذلك، و روى الترمذي[7] - و قال: حسن - عن أبي أمامة رضي الله عنه / عن النبي صلى الله ١٥ / ٢٨٣ عليه و سلم قال: عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا، قلت: لا يا رب! و لكن [8]أشبع يوما و أجوع[8] يوما، أو قال ثلاثا أو نحو

---

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، و في الاصل: له (٣) من ظ و م و مد، و في الاصل: انه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: كما (٧) راجع من جامعه ٢ / ٥٨ (٨ - ٨) من م و مد و الجامع، و في الأصل و ظ: اجوع يوما و أشبع.

ذلك، فاذا جعت تضرعت إليك و ذكرتك، و إذا شبعت شكرتك و حمدتك . و للطبرانى[1] باسناد حسن و البيهقى فى الزهد و غيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن إسرافيل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه و سلم بمفاتيح خزائن الأرض و قال: إن الله أمرنى أن أعرض عليك أن[2] أسيّر معك جبال تهامة زمردا و ياقوتا و ذهبا و فضة، فان شئت نبيا ملكا و إن شئت نبيا عبدا، فاوماً إليه جبرءيل عليه السلام أن تواضع، فقال: نبيا عبدا . و رواه ابن حبان [فى صحيحه -[3]] مختصرا من حديث أبى هريرة رضى الله عنه، و له فى الصحيح أيضا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أوتيت[4] بمقاليد الدنيا على فرس أبلق على قطيفة من سندس. و فى البخارى[5] فى[6] غزوة أحد عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: أعطيت مفاتيح خزائن الأرض أو مفاتيح [الأرض -[7]] - هذا [ما -[3]] يتعلق[8] بالأرض، و قد زيد صلى الله عليه و سلم على ذلك بأن[9] أيده ربه سبحانه بالتصرف فى خزائن السماء

---

(١) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/٣١٥ من رواية الطبرانى عن ابن عباس.
(٢) ليس فى المجمع (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من مجمع الزوائد ٩ / ٢٠ حيث أورده من رواية الإمام أحمد، و فى الأصول: اتيت (٥) راجع من صحيحه ٢ / ٥٨٥ (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن (٧) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سلق - كذا.
(٩) فى ظ: بانه.

تارة بشق القمر ، و تارة برجم النجوم ، و تارة باختراق السماوات ، و تارة بحبس المطر و تارة بإرساله - إلى غير ذلك مما أكرمه الله به .

و لما أخبر تعالى أنه[1] سخر له الجن ، ذكر حالهم فى أعمالهم ، دلالة على أنه سبحانه يتصرف فى السماء و الأرض و ما فيهما [و من فيهما -[2]] بما يشاء ، فقال تعالى : ﴿يعملون له﴾ أى فى أىّ وقت شاء ﴿ما يشآء﴾ ٥ أى عمله ﴿من محاريب﴾ أى أبنية شريفة من قصور [و مساكن -[3]] و غيرها هى أهل لأن يحارب عليها أو مساجد ، و المحراب مقدم كل مسجد و مجلس و بيت ، و كان مما عملوه له بيت المقدس جدرانه بالحجارة العجيبة البديعة و الرخام الأبيض و الأصفر و الأخضر ، و عمده بأساطين المها الأبيض [الصافى -[4]] مرصعا سقوفه و جدرانه بالذهب و الفضة ١٠ و الدر و الياقوت و المسك و العنبر و سائر الطيب ، و بسط أرضه [5]بألواح الفيروزج[5] حتى كان أبهى بيت على وجه الأرض ﴿و تماثيل﴾ [6]أى صورا حسانا على تلك الأبنية فيها أسرار غريبة كما ذكروا أنهم صنعوا[7] له أسدين فى أسفل كرسيه و نسرين فى أعلاه ، فاذا أراد أن يصعد بسطا الأسدان ذراعين ، و إذا قعد أظله النسران ، و لم تكن ١٥ التصاوير ممنوعة[8] .

---

(١) فى ظ : أن الله (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالفيروز (٦) بهامش م : الكشاف : التماثيل صور الملائكة و النبيين و الصالحين : كانت تعمل فى المساجد من نحاس و صفر و زجاج و رخام ليراها... فيعبدوا الله نحو عبادتهم (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صفعوا (٨) بين سطرى م : كما حكاه غير واحد منهم أبو العبادة .

و لما ذكر القصور و زينتها، ذكر آلات المأكل لأنها أول ما تطلب بعد الاستقرار فى المسكن[1] فقال: ﴿و جفان﴾ أى صحاف و قصاع[2] يؤكل فيها ﴿كالجواب﴾ جمع جابية، و هى الحوض الكبير الذى يجبى إليه الماء، أى يجمع[3] قيل: كان يجلس على الجفنة الواحدة ألف رجل.

٥ و لما ذكر الصحاف على وجه يعجب منه و يستعظم، ذكر[4] ما يطبخ فيه طعامها فقال: ﴿و قدور رسيت[5]﴾ أى ثابتات ثباتا عظيما بأن لا ينزع عن أثافيها لأنها لكبرها كالجبال. و لما ذكر المساكن و ما تبعها، أتبعها الأمر بالعمل إشارة إلى أنه صلى الله عليه و سلم و من[6] تبعه لايلهيهم[7] ذلك عن العبادة فقال: ﴿اعملوآ﴾ أى و قلنا لهم: تمتعوا

١٠ و اعملوا، و دل على مزيد قربهم بحذف أداة النداء و على شرفهم بالتعبير / بالآل فقال: ﴿ال داوٗد﴾ أى كل ما يقرب إلى الله ﴿شكرا[8]﴾ أى / ٢٨٤

لأجل الشكر له سبحانه، و هو تعظيمه فى مقابلة نعمه ليزيدكم من فضله [أو النصب على الحال أى شاكرين، أو على تقدير: اشكروا شكرا، لأن "اعملوا" فيه معنى "اشكروا" من حيث أن العمل للنعم شكر له،

١٥ و يجوز أن تنتصب باعملوا مفعولا بهم و معناه أنا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا - على طريق المشاكلة -[8]] ﴿و قليل﴾

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السكن (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تطاع (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جمع (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فذكر (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما (٦) فى م و مد: تابعه (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لايلهيهم (٨) زيد ما بين الحاجزين من م.

أى قلنا ذلك و الحال أنه قليل . [1]و لما لم يقتض الحال العظمة لأنها[2] بالمبالغة فى الشكر أليق ، [3]أسقط مظهرها[3] فقال : ﴿من عبادى الشكوره﴾ أى المتوفر الدواعى بظاهره و باطنه من قلبه و لسانه و بدنه[4] على الشكر بأن يصرف جميع ما أنعم الله عليه فيما يرضيه ، و عبر بصيغة فعول إشارة إلى أن من يقع منه[5] مطلق الشكر[6] كثير ، و أقل ذلك حال الاضطرار . ٥

و لما كان ربما استبعد مستبعد موت من هو على هذه الصفة من ضخامة الملك بنفوذ الأمر و سعة الحال و كثرة الجنود ، أشار إلى سهولته بقرب زمنه و سرعة إيقاعه على وجه دال على بطلان تعظيمهم للجن بالإخبار بالمغيبات بعد تنبيههم على مثل ذلك باستخدامه لهم بقوله : ﴿فلما﴾ بالفاء ، و لذلك عاد إلى مظهر الجلال فقال : ﴿قضينا﴾ و حقق ١٠ صفة القدرة بأداة الاستعلاء فقال : ﴿عليه﴾ أى سليمان عليه السلام ﴿الموت ما دلهم﴾ أى جنوده[7] و كل من فى ملكه من الجن و الإنس و غيرهم من كل قريب و بعيد ﴿على موته﴾ لأنا جعلنا له من سعة العلم و وفور الهيبة و نفوذ الأمر ما تمكن به من إخفاء موته عنهم ﴿الا دآبة الارض﴾ فخمها بهذه الإضافة التى من معناها أنه لا دابة ١٥ للأرض غيرها لما أفادته من العلم و لأنها لكونها تأكل من كل شىء

(١) العبارة من هنا إلى « مظهرها فقال » ساقطة من مد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لأنه (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اسقطها (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يديه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : له (٦) العبارة من « بأن يصرف » إلى هنا متكررة فى ظ (٧) فى ظ : جنودهم .

من أجزاء الأرض من الخشب و الحجر و التراب و الثياب و غير ذلك أحق الدواب بهذا الاسم ، و يزيد ذلك حسنا أن مصدر فعلها أرض بالفتح و الإسكان فيصير من قبيل[1] التورية ليشتد التشوف إلى تفسيرها، ثم بين أنها الأرضة بقوله مستأنفا فى جواب من كأنه قال : أىّ دابة هى و بما دلت : ﴿تأكل منسأته[4]﴾ أى عصاه التى مات[2] و هو متكئ[3] عليها قائما فى بيت من زجاج ، و ليس له باب ، صنعته له[3] الجن لما أعلمه الله بان أجله قد حضر ، و كان قد بقى فى المسجد بقية ليخفى موته على[4] الجن الذين كانوا يعملون فى البيت المقدس حتى يتم[5] ؛ قال فى القاموس فى باب الهمز[6] : نسأه : زجره و ساقه و أخره و دفعه عن الحوض ، و المنسأة كمكنسة و مرتبة ، و يترك الهمز[7] فيهما[8]: العصا - لأن الدابة تنسأ بها اى تساق ، و البدل فيها لازم ، حكاه سيبويه - انتهى . فالمعنى أن الجن كانوا يزجرون و يسافون بها ، و قراها المدنيان[9] و أبو عمرو[10] بالإبدال ، و ابن عامر من رواية ابن ذكوان و الداجونى عن هشام

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قبل (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متكيا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما (٤) من ظ و م و مد . و فى الأصل : عن (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تم (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النمر (٧) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : النمر (٨) من مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ و م : فيها (٩) راجع نثر المرجان ٥/٤٦٠ (١٠) زيد فى الأصل : بالاسكان ، و لم نكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

باسكان الهمزة ، و الباقون بهمزة[1] مفتوحة ﴿ فلما خر ﴾ أى سقط على الأرض بعد أن قصمت الأرضة عصاه ﴿ تبينت الجن ﴾ أى علمت علما بينا لايقدرون معه على تدبيج و تدليس . و انفضح أمرهم و ظهر ظهورا تاما ﴿ان﴾ اى أنهم ﴿ لو كانوا ﴾ أى الجن ﴿يعلمون الغيب﴾ أى علمه ﴿ ما لبثوا ﴾ أى أقاموا حولا مجرما ﴿ فى العذاب المهين[2] ﴾ ٥ من ذلك العمل الذى[2] كانوا مسخرين فيه ، و المراد إبطال ما كانوا يدعونه من علم الغيب / على وجه الصفة ، لأن المعنى أن دعواهم ذلك إما كذب أو جهل ، فأحسن الأحوال لهم أن يكون جهلا منهم ، و قد تبين لهم الآن جهلهم بيانا لايقدرون على إنكاره ، و يجوز أن تكون «أن» تعليلية ، و يكون التقدير : تبين حال الجن فيما يظن بهم من أنهم ١٠ يعلمون الغيب ، لأنهم - إلى آخره ، و سبب علمهم مدة كونه ميتا قبل ذلك أنهم وضعوا الأرضة على موضع[3] من العصى فأكلت منها يوما و ليلة ، و حسبوا على ذلك النحو فوجدوا المدة سنة ، و فى هذا توبيخ للعرب بانهم يصدقون من ثبت بهذا الأمر انهم لايعلمون الغيب فى الخرافات اللاتى تاتيهم بها الكهان و غيرهم مما يفتنهم و الحال أنهم يشاهدون ١٥ منه كذبا كثيرا ، فكانوا بذلك مساوين لمن يخبر[4] من الآدميين عن بعض المغيبات بظن يظنه او منام يراه أو غير ذلك ، فيكون كما قال - هذا مع

/ ٢٨٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مهمزة - كذا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذين (٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ماصنع - كذا . (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يخبرهم .

إعراضهم عمن يخبرهم بالآخرة شفقة عليهم و نصيحة لهم، و ما أخبرهم بشيء قط إلا ظهر صدقه قبل ادعائه للنبوة و بعده، و أظهر لهم من المعجزات ما بهر العقول. و قد تقرر أن كل شيء ثبت لمن قبل نبينا صلى الله عليه و سلم من الأنبياء من الخوارق ثبت له مثله أو[1] أعظم منه إما له نفسه أو لأحد من أمته، و هذا الذى ذكر[2] لسليمان عليه السلام من حفظه بعد موته سنة لا يميل قد ثبت[3] مثله لشخص من هذه الأمة من غير شيء يعتمد عليه. قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى فى رسالته فى باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا: و قال أبو عمران[4] الأصطخرى: رأيت أبا تراب فى البادية قائما [ميتا - [5]] لا يمسكه شيء - انتهى.

و ثبت مثل ذلك لشخص فى بلاد شروان من بلاد فارس بالقرب من شماخى، اسم ذلك الولى محمد، و لقبه دمدمكى، مات من نحو أربعمائة سنة فى المائة الخامسة من الهجرة. و هو قاعد فى مكان من مقامه الذى كان يتعبد فيه على هيئة المتشهد و عليه قميص و على رأسه قبع كهيئة قباع[6] الأعاجم البسطامية، اخبرنى من شاهده[7] ممن[8] كذلك لا أتهمه من طلبة العلم العجم، و هو أمر مشهور متواتر فى بلادهم غنى عن مشاهدة شخص

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٢) فى ظ: ذكره (٣) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى ظ: أبو عمرو. (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م، و فى الأصل و ظ: قبع، و فى مد: اقباع (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شاهد ذلك (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من.

معين ، قال : زرته غير مرة و له هيبة تمنع المعتقد[1] من الدنو منه دنوا يرى به[2] وجهه كما أشار تعالى إلى مثل ذلك بقوله تعالى[3] "لوليت منهم فرارا و لملئت منهم رعبا" قال : و كان معنا فى بعض المرات شخص من طلبة العلم من أهل كيلان غير معتقد يقول : إنما هذا نوع شعبدة يخيل[4] به على عقول الرعاع ، قال : فتقدم إليه بجرأة و لمس صدره و نظر فى وجهه ، فأصيب فى الحال فلم يرجع إلا محمولا ، فأقام[5] فى المدرسة التى كان يشتغل بها فى مدينة شماخى مدة ، و أخبرنا [أن -[6]] الشيخ دمدمكى قال له لما لمسه : لو لا أنك من أهل العلم هلكت ، و أنه شيخ خفيف اللحية ، قال : و قد تبت إلى الله تعالى و صرت من المعتقدين لما هو عليه أنه حق ، و لا أكذب بشىء من كرامات الأولياء ، قال الحاكى : و قد دفن ثلاث مرات إحداها[7] بأمر تمر لنك فيصبح جالسا على ما هو عليه الآن - و الله الموفق للصواب[8] .

/ و لما دل سبحانه بقوله "افلم يروا الى ما بين ايديهم و ما خلفهم" الآية ، على قدرته على ما يريد من السماء و الأرض لمعاملة[9] من يريد ممن فيهما بما يشاء من فضل على من شكر ، و عدل فيمن كفر ، و دل / ٢٨٦

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المعتقة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منه (٣) آية ١٨ من سورة الكهف (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتخيل (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فافاض (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احدها (٨) سقط من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمعاملة .

على ذلك بما قصه من أخبار بعض أولى الشكر ، و ختم بموت نبيه سليمان ابن داود الشاكر بن الشاكر عليهما السلام ، و ما كان فيه من الآية الدالة على أنه لايعلم الغيب غيره لينتج ذلك أنه لايقدر على كل ما يريد غيره ، و كان موت الأنبياء المتقدمين موجبا لاختلال[1] من بعدهم لفوات آياتهم بفواتهم بخلاف آية القرآن ، فانها باقية على مر الدهور و الأزمان ، لكل إنس و ملك و جان ، ينادى مناديها[2] على رؤس الأشهاد : هل من مبار[3] أو مضاد[4] ؟ فلذلك حفظت هذه الأمة ، و ضاع[5] غيرها فى أودية مدلهمة ، أتبعه دليلا آخر شهوديا على آية " ان نشا نخسف بهم الارض " فى قوم كان تمام صلاحهم بسليمان عليه الصلاة و السلام ، فاختل بعده أمرهم ، و صار من عجائب الكون ذكرهم ، حين ضاع شكرهم ، فكان من ترجمة اتباع قصتهم لما قبلها أن آل داود عليه السلام شكروا ، فسخر لهم من الجبال و الطير و المعادن و غيرها ما لم يكن غيرهم يطمع فيه ، و هم أضاعوا الشكر فأعصى عليهم و أضاع منهم ما لم يكونوا يخافون فواته من مياههم و اشجارهم و غيرها ، فقال تعالى مشيرا بتأكيده[6] إلى تعظيم ما كانوا فيه ، و أنه فى غايـــة الدلالة على القدرة ، و سائر صفات الكمال ، و أن عمل قريش عمل من ينكر[7] ما تدل عليه قصتهم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاختلاف (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منادى (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : مبارز (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معاند (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صلع . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بتاكيدها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يشكر .

من

من ذلك: ﴿ لقد كان لسبا ﴾ أى القبيلة المشهورة التى كانت تسجد للشمس، فهداهم الله تعالى على يد سليمان عليه السلام، و حكمة تسكين قنبل همزتها[1] الإشارة[2] إلى ما كانوا فيه من الخفض و الدعة و رفاهة العيش المثمرة للراحة و الطمأنينة و الهدوء و السكينة، و لعل قراءة الجمهور لها بالصرف تشير إلى مثل ذلك، و قرءاة أبى عمرو و البزى عن ابن كثير[1] بالمنع تشير إلى رجوعهم بما صاروا إليه من سوء الحال إلى غالب أحوال[3] تلك البلاد فى الإقفار و [4]قلة النبت و العطش[4] ﴿ فى مسكنهم ﴾ أى[5] التى هى فى غاية الكثرة، و وحد حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم[1] إشارة [إلى أنها -[6]] لشدة اتصال المنافع و المرافق كالمسكن الواحد، و كسر الكسائى الكاف إشارة [إلى أنها فى غاية الملاءمة لهم و اللين، و فتحه الآخران إشارة -[6]] إلى ما فيها[7] من الروح و الراحة، و كانت بأرض مأرب من بلاد اليمن، قال حمزة الكرمانى: قال ابن عباس رضى الله عنهما: على ثلاث فراسخ من صنعاء، و كانت أخصب البلاد و أطيبها و أكثرها ثمارا حتى كانت المرأة تضع على رأسها المكتل[8] و تطوف فى ما بين الأشجار فيمتلئ المكتل من غير أن تمس شيئا بيدها[9]،

(١) راجع نثر المرجان ٥/٤٦٢ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشارة.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاحوال (٤-٤) فى م و مد: العطش و قلة النبت (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: فيهما (٨) فى ظ و م و مد: مكتلا (٩) ذكره الأندلسى فى البحر المحيط ٧/ ٢٧٠ عن ابن عباس و غيره.

وكانت مياههم تخرج من جبل فبنوا فيه سدا، و جعلوا له ثلاثة أبواب فكانوا يسرحون الماء إلى كرومهم من الباب الأعلى و الأوسط و الأسفل، قال[1] / الرازى: كانت المرأة تخرج و معها مغزلها و على رأسها مكتلها فتمتهن مغزلها، فلا تأتى بيتها حتى يمتلئ مكتلها [من -[2]] الثمار، و قال أبو حيان فى النهر[3]: و لما ملكت بلقيس اقتتل قومها على ماء واديهم فتركت ملكها، و سكنت قصرها[4] و راودوها[5] على أن ترجع فأبت فقالوا: لترجعن أو لنقتلنك، فقالت لهم: لا عقول لكم، و لا تطيعونى، فقالوا: نطيعك، فرجعت إلى واديهم، وكانوا إذا مطروا أتاهم السيل[6] من مسيرة ثلاثة[7] أيام، فأمرت به فسد ما بين الجبلين بمسناة[8] بالصخر و القار، و حبست الماء من وراء السد، و جعلت له أبوابا بعضها فوق بعض، و بنت من دونه بركة فيها اثنا[9] عشر مخرجا على عدة أنهارهم، وكان الماء يخرج لهم بالسوية، [10]و قال المسعودى فى مقدمات مروج الذهب قبل السيرة النبوية بيسير فى الكلام على الكهان[11]: كانت من أخصب أرض اليمن و أثراها، و أعذبها و أغداها. و أكثرها جنانا،

/٢٨٧

(١) فى ظ: و قال، و من هنا انقطعت صفحة واحدة من الأصل فملأناها من ظ (٢) زيد من م و مد (٣) راجع هامش البحر المحيط ٧/ ٢٦٨ (٤) من م و مد و النهر، و فى ظ: نصترها - كذا (٥) من م و مد و النهر، و فى ظ: رودوها (٦) من م و مد و النهر، و فى ظ: السير (٧) فى النهر: ثلاث - خطأ. (٨) فى النهر: بمساءة (٩) من مد و النهر، و فى ظ و م: اثنى (١٠) العبارة من هنا إلى «بين العباد» ص ٤٧٧ س ٧ ساقطة من م (١١) راجع ١/ ٣٤١.

و كانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحال فى العرض مثل ذلك، يسير الراكب من أولها إلى أن ينتهى إلى آخرها، لا تواجهه الشمس و لايفارقها الظل، لاستتار الأرض بالأشجار و استيلائها عليها و إحاطتها بها، فكان أهلها فى أطيب عيش و أرفعه و أهنأ حال و أرغده، فى نهاية الخصب و طيب الهواء و صفاء الفضاء و تدفق الماء، و قوة الشوكة و اجتماع الكلمة، ثم ذكر خبرا طويلا فى أخبارهم، و خراب ما كان من آثارهم، و تفرقهم فى البلاد، و شتاتهم بين العباد ﴿ آية ج ﴾ أى علامة ظاهرة على قدرتنا على ما نريد، ثم فسر[1] الآية بقوله: ﴿ جنتن ﴾ مجاورتان للطريق ﴿ عن يمين و شمال ﴾، أى بساتين متصلة و حدائق مشتبكة، و رياض[2] محتبكة، حتى كان الكل من كل جانب جنة واحدة[3] لشدة اتصال[4] بعضه ببعض عن يمين كل سالك و شماله فى أى مكان سلك من بلادهم ليس فيها موضع معطل، و قال البغوى[5]: عن يمين واديهم و شماله، قد أحاط الجنتان بذلك الوادى. و أشار إلى كرم تلك الجنان و سعة [ما -[6]] بها من الخير بقوله: ﴿ كلوا ﴾ أى لا تحتاج بلادهم إلى غير أن يقال لهم: كلوا ﴿ من رزق ربكم ﴾ أى المحسن إليكم الذى أخرج لكم منها كل ما تشتهون ﴿ و اشكروا له ﴾ اى خصوه[7] بالشكر بالعمل بما أنعم به فى كل ما يرضيه ليديم لكم النعمة، ثم استأنف تعظيم

(١) من م و مد، و فى ظ: بسر (٢) من م و مد، و فى ظ: بارض (٣) من م و مد، و فى ظ: واحد من كل - كذا (٤) من م و مد، و فى ظ: اتصالها.
(٥) فى معالم التنزيل - راجع هامش اللباب ٥ / ٢٣٦ (٦) زيد من م و مد.
(٧) من م و مد، و فى ظ: خصوا.

ذلك بقوله : ﴿ بلدة طيبة ﴾ أى كريمة التربة[1] حسنة الهواء سليمة من الهوام والمضار ، لايحتاج ساكنها إلى ما يتعبه فيعوقه عن الشكر ، قال ابن زيد[2] : لايوجد فيها برغوث ولا بعوض ولا عقرب ولا حية ، ولا تقمل ثيابهم ، ولا تعيا دوابهم . وأشار إلى أنه لا يقدر أحد على أن يقدره حق قدره بقوله : ﴿ ورب غفور ﴾ أى لذنب من شكره وتقصيره بمحو عين ما قصر فيه وأثره ، فلا يعاقب عليه ولا يعاتب ، ولولا [ذلك - [3]] ما أنعم عليكم بما أنتم فيه ولأهلككم بذنوبكم ، وأخبرنى بعض أهل اليمن أنها اليوم مفازة قرب صنعاء اليمن - قال : وفى بعضها عنب يعمل منه زبيب كبار جدا فى مقدار در - تلى بلاد الشام ، وهو فى غاية الصفاء كأنه قطع المصطكا وليس له نوى أصلا .

ولما تسبب عن هذا الإنعام بطرهم الموجب لإعراضهم عن الشكر ، دل على ذلك بقوله : ﴿ فاعرضوا ﴾ ولما تسبب عن إعراضهم مقتهم ، بينه بقوله : ﴿ فارسلنا ﴾ ودل على أنه إرسال عذاب بعد مظهر العظمة بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليهم سيل العرم ﴾ أى سيح المطر الغالب المؤذى الشديد الكثير الحاد الفعل المتناهى فى الأذى الذى لايرده[4] شىء ولاتمنعه حيلة بسد ولا غيره من العرامة ، وهى الشدة والقوة ، فأفسد عليهم جميع ما ينتفعون به ، قال أبو حيان[5] : سلط الله عليهم الجرذ[6]

(١) من م ومد ، وفى ظ : التربية (٢) ذكر قوله فى البحر المحيط ٧ / ٢٧٠ . (٣) زيد من م ومد (٤) من م ومد ، وفى ظ : لايرد (٥) فى البحر المحيط ٧ / ٢٧٠ (٦) من م ومد والبحر ، وفى ظ : الجراد .

فارا أعمى توالد فيه، و يسمى الخلد، فخرقه شيئا بعد شيء، فأرسل الله سيلا فى ذلك الوادى، فحمل[1] ذلك السد[2] / فروى أنه كان من العظم و كثرة[3] الماء بحيث ملأ[4] ما بين الجبلين، و حمل الجنان[5] و كثيرا[6] من الناس ممن لم يمكنه الفرار. و لما غرق من غرق منهم و نجا من نجا، تفرقوا و تمزقوا حتى ضربت العرب المثل بهم فقالوا: تفرقوا[7] أيدى سبا [و أيادى سبا -[8]]، و الأوس و الخزرج منهم، و كان ذلك فى الفترة التى بين عيسى و نبينا محمد صلى الله عليه و سلم ﴿و بدلنهم بجنتيهم﴾ أى جعلنا لهم بدلها[9] ﴿ جنتين ﴾ هما فى غاية ما يكون من مضادة جنتيهم، و لذلك فسرهما بقوله إعلاما بأن إطلاق الجنتين عليها مشاكلة لفظية للتهكم بهم: ﴿ذواتى اكل﴾ أى ثمر ﴿ خمط ﴾ و قراءة الجماعة[10] بتنوين "اكل" أقعد فى التهكم من قراءة أبى عمرو و يعقوب بالإضافة.

/ ٢٨٨

و لما كان الخمط مشتركا بين البهائم و الإنسان فى الأكل و التجنب، و الله أعلم بما أراد منه، لأنه ضرب من الإراك، له ثمر يؤكل. و كل شجرة مرة ذات شوك[11]، و الحامض أو المر من كل شيء، و كل نبت

(١) من م و مد و البحر، و فى ظ: فحل (٢) من م و مد و البحر، و فى ظ: السيل (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كثر. و فى البحر: كثر به. (٤) من ظ و م و مد و البحر، و فى الأصل: يملا (٥) فى البحر: الجنات. (٦) من ظ و م و مد و البحر، و فى الأصل: كثير (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تفارقوا (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بدلها (١٠) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٦٤ (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شكوك.

أخذ[1] طعما من مرارة حتى لا يؤكل و [لا -[2]] يمكن أكله، و ثمر يقال له [3] فسوة الضبع [3] على صورة الخشخاش ينفرك ولا ينتفع به، و الحمل القليل من كل شجر، ذكر ما يخص البهائم التى بها قوام الإنسان فقال: ﴿ و اثل ﴾ أى [و -[2]] ذواتى أثل، و هو شجر لا ثمر له، نوع من الطرفاء، ثم ذكر ما يخص الإنسان فقال: ﴿ و شىء من سدر ﴾ أى نبق ﴿ قليل ﴾ و هذا يدل على أن غير السدر و [هو -[4]] ما لا منفعة فيه[4] أو منفعته[4] مشوبة بكدر أكثر من السدر؛ و قال أبو حيان[5]: إن الفراء فسر هذا السدر بالسمر، قال: و قال الأزهرى: السدر سدران: سدر لا ينتفع به و لا يصلح[6] ورقه للغسول[7]، و له ثمرة عفصة لا تؤكل، و هذا[8] الذى يسمى الضال و سدر ينبت على الماء و ثمره النبق و ورقه الغسول[7] يشبه العناب[9]. و قد سبق الوعد فى البقرة[10] بيان مطلب[11] ما يفيده دخول الجار مع مادة 'بدل' فان الحال يفترق فيها بين الإبدال و التبديل و الاستبدال و التبدل و غير ذلك، و هى كثيرة الدور مشتبهة الأمر، و قد حققها شيخنا محقق زمانه قاضى الشافعية بالديار المصرية

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: احد (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يسوه الطبع - كذا (٤) سقط من ظ (٥) فى النهر - راجع هامش البحر المحيط ٧ / ٢٦٨ و ٢٦٩ (٦) من ظ و م و مد و النهر، و فى الأصل: لا يحصل (٧) من ظ و م و مد و النهر، و فى الأصل: المغسول (٨) فى النهر: هو (٩) فى النهر: شجر العناب. (١٠) عند آية "اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير" (١١) سقط من ظ و م و مد.

شمس الدين[1] محمد بن على القاياتى[2] رحمه الله فقال فيما علقته عنه و ذكر أكثره فى شرحه لخطبة المنهاج للنووى رحمه الله : اعلم أن هذه المادة - أعنى[3] الباء و الدال و اللام - مع هذا الترتيب قد يذكر معها [المتقابلان فقط و قد يذكر معهما -[4]] غيرهما ، و قد لايكون كذلك ، فان اقتصر عليهما فقد يذكران مع التبدل و الاستبدال مصحوبا أحدهما بالباء كما فى قوله تعالى " ا تستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير[5] " و فى قوله تعالى " و من يتبدل الكفر بالايمان " الآية[6] ، فتكون الباء داخلة على المتروك و يتعدى الفعل بنفسه للقابل المتخذ ، و قد يذكران مع التبديل و الإبدال و أحدهما مقرون بالباء ، فالباء داخلة على الحاصل ، و يتعدى الفعل بنفسه إلى المتروك ، نقل الأزهرى عن ثعلب : بدلت الخاتم بالحلقة - إذا أذبته و سويته حلقة ، و بدلت الحلقة بالخاتم - إذا أذبتها و جعلتها خاتما ، و أبدلت الخاتم بالحلقة - [7]إذا نحيت[7] هذا و جعلت هذه مكانه ، و حكى الهروى[8] / فى الغريبين[9] عن ابن عرفة يعنى[10] نفطويه أنه قال : / ٢٨٩
التبديل : تغيير الشىء عن حاله ، و الإبدال : جعل الشىء مكان آخر . و تحقيقه أن معنى التبديل التغيير و إن لم يؤت ببدل كما ذكر فى الصحاح

(١) زيد فى الأصل : بن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) راجع لترجمته و مصادرها معجم المؤلفين ١١ / ٦١ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) راجع آية ٦١ من سورة البقرة . (٦) راجع آية ١٠٨ من سورة البقرة (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) هو أبو عبيد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الغريب (١٠) سقط من ظ .

وكما هو مقتضى كلام ابن عرفة، فحيث ذكر المتقابلان و قيل[1]: «بدلت هذا بذاك[2]» رجع حاصل ذلك أنك أخذت ذاك و أعطيت هذا، فاذا قيل: بدل الشيء بغيره، فمعناه غير الشيء بغيره، أي ترك الأول و أخذ الثاني، فكانت الباء داخلة على الماخوذ [3]لا المنحى[3]، و معنى إبدال الشيء بغيره رجع إلى تنحية[4] الشيء و جعل غيره مكانه، فكانت الباء داخلة على المتخذ مكان المنحى، و للتبديل و لو مع الاقتصار على المتقابلين استعمال آخر، يتعدى إلى المفعولين بنفسه كقوله تعالى " اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنت[5] " "فاردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة[6] " الآية[7] بمعنى[8] يجعل الحسنات بدل السيئات و يعطيهما[9] بدل ما كان لهما خيرا، و قد لايذكر المذهوب كما فى قوله تعالى "بدلنهم جلودا غيرها[10]" و معنى التبدل[11] و الاستبدال أخذ الشيء مكان غيره، فاذا قلت: استبدلت هذا بذاك[12]، أو تبدلت هذا بذاك، رجع حاصل ذلك أنك أخذت هذا و تركت ذاك، و إن لم يقتصر عليهما بل ذكر معهما غيرهما و أحدهما مصحوب بالجار و ذكر التبديل كما فى قوله تعالى "و بدلنهم بجنتيهم جنتين"

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: قد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: بذلك (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما التحى (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: نتيجة (٥) راجع آية ٧٠ من سورة الفرقان (٦) سقط من م و مد (٧) ٨١ من سورة الكهف (٨) من ظ و م ومد، و فى الأصل: يعنى (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يعطى لهما (١٠) راجع آية ٥٦ من سورة النساء (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التبديل. (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بذلك.

تعدى الفعل بنفسه إلى المفعولين يعنى إلى المفعول ذلك لأجله و إلى المأخوذ بنفسه، و إلى المذهوب المبدل منه بالباء كما فى «بدله بخوفه أمنا» و معناه: أزال خوفه إلى الأمن، و قد يتعدى إلى المذهوب - و الحالة هذه - بمن كما فى «بدله من خوفه أمنا» و للتبديل أيضا استعمال آخر يتعدى إلى مفعول واحد مثل: بدلت الشيء أى غيرته، ٥ قال تعالى "فمن بدله بعد ما سمعه[1]" [2]على أن[2] ههنا ما يجب التنبه[3] له و هو أن [4]الشيء يكون[4] مأخوذا بالقياس و الإضافة إلى شيء، متروكا بالقياس و الإضافة إلى آخر، كما إذا أعطى شخص شخصا شيئا و أخذ بدله منه، فالشيء الأول ماخوذ للشخص الثانى و متروك للأول، و المقابل بالعكس. فيصح أن يعبر بالتبدل[6] و التبديل، و يعتبر فى كل منهما ما يناسبه، ١٠ و لإشكال المقام قصدنا بعض الإطناب - انتهى [7]و الله أعلم[7].

و لما أخبر عن هذا المحق و التقتير بعد ما كانوا فيه من ذلك الملك الكبير، هول أمره مقدما للمفعول دلالة على أنه مما يهتم[8] غاية الاهتمام بتعرفه فقال: ﴿ ذلك ﴾ أى الجزاء العظيم العالى الرتبة فى أمر المسخ ﴿ جزيناهم ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ بما كفروا[1] ﴾ أى غطوا ١٥

(١) راجع آية ١٨١ من سورة البقرة (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فان.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التنبيه (٤ - ٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يكون الشيء (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: احدا.
(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالتبديل (٧ - ٧) ليس ما بين الرقمين فى ظ و م و مد (٨) زيد فى ظ: به.

الدليل الواضح .

و لما كان من العادة المستقرة عند ذوى الهمم العوال ، العريقين في مقارعة الأبطال ، المبالغة في جزاء[1] من أساء بعد الإحسان ، و قابل الإنعام بالكفران ، لما أثر في القلوب من الحريق مرة بعد مرة ، و كرة في أثر كرة ، أجرى الأمر سبحانه على هذا العرف ، فقال مشيرا إلى ذلك بصيغة المفاعلة عادّا لغير جزائهم بالنسبة إليه عدما ، تهديدا يصدع القلوب و يردع النفوس ، و يدع[2] الأعناق خاضعة و الرؤس : ﴿و هل يُجزى﴾ أى هذا الجزاء الذى هو على وجه العقاب[3] من مجاز ما[4] على سبيل المبالغة[5] / ﴿الا الكفوره﴾ أى المبالغ فى الكفر ، و قراءة حمزة و الكسائى وحفص / ٢٩٠ عن عاصم " " نجازى " بالنون على أسلوب ما قبله من العظمة و نصب " الكفور " و قال الفراء[6] : المؤمن يجزى و لايجازى - كأنه يشير إلى أن عقاب المسىء لأجل[7] عمله فهو مفاعلة ، و أما ثواب المطيع فهو فضل[8] من الله لا لأجل عمله ، فان عمله نعمة من الله ، و ذلك لاينافى المضاعفة ، قال القشيرى : [كذلك -[9]] من الناس من يكون فى رغد[10] من الحال

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اجزاء (٢) فى ظ : يضع (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العتاب (٤-٤) تقدم ما بين الرقمين فى ظ و مد على « هذا الجزاء » (٥) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٦٥ (٦) قوله هذا ذكره البغوى فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٢٣٧ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاجله (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فعل (٩) زيد من ظ و م و مد - (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : زهد .

و اتصال من التوفيق و طيب من القلب و مساعدة من الوقت فيرتكب زلة أو يسيء أدبا أو يتبع شهوة ، و لايعرف قدر ما هو فيه فيغير عليه الحال ، فلا وقت و لا حال ، و لا طرب و لا وصال ، يظلم عليه النهار ، وكانت لياليه مضيئة[1] ببدائع الأنوار .

و لما أتم الخبر عن الجنان التى بها القوام نعمة و نقمة ، أتبعه مواضع السكان فقال : ﴿ و جعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ، و نبه بنزع الجار على عمارة جميع تلك الأراضى[2] بالبناء و الانتفاع فقال : ﴿ بينهم ﴾ أى بين قرى أهل سبا ﴿ و بين القرى ﴾ أى مدنا كانت أو دونها ﴿ التى بركنا ﴾ أى بركة اعتنينا بها اعتناء من يناظر آخر بغاية العظمة ﴿ فيها ﴾ أى بأن جعلناها محال العلم و الرزق بالأنبياء و أصفياء الأولياء و هى بلاد الشام ﴿ قرى ظاهرة ﴾ أى [3]من أرض الشام[3] فى أشراف الأرض و ما صلب منها و[4] علا ، لأن البناء فيها[5] أثبت ، و المشى بها أسهل ، و الابتهاج برؤية جميع الجنان و ما فيها من النضرة منها أمكن . فهى ظاهرة للعيون بين تلك الجنان ، كأنها الكواكب الحسان[6] ، مع تقاربها بحيث يرى بعضها من بعض و كثرة المال[7] بها و المفاخر و النفع [8]و المعونة[8] للمارة ؛ قال البغوى[9] : كانت أربعة آلاف و سبعمائة قرية متصلة من سبا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مظلمة (٢) فى ظ : الارض (٣-٣) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و م قبل « بأن جعلناها » و الترتيب من ظ و مد (٤) فى ظ : ما (٥) فى ظ وم ومد : بها (٦) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الحساب. (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الماء (٨-٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المعونة (٩) فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٢٣٧ .

إلى الشام .

و لما كانت مع هذا الوصف ربما كان فيها عسر على المسافر لعدم الموافقة فى المقيل و المبيت ، أزال هذا بقوله : ﴿ و قدرنا فيها السير[1] ﴾ أى جعلناه على مقادير هى فى غاية الرفق بالمسافر فى نزوله متى أراد من ٥ ليل أو نهار على ما جرت به عوائد السفار ، فهى لذلك حقيقة بأن يقال لأهلها[1] و النازلين بها على سبيل الامتنان : ﴿ سيروا ﴾ و الدليل على تقاربها جـــدا قوله : ﴿ فيها ﴾ و دل على كثرتها و طول مسافتها و صلاحيتها للسير[2] أىّ وقت أريد ، مقدما لما هو أدل على الأمن و أعدل للسير فى البلاد الحارة بقوله : ﴿ ليالى ﴾ و اشار إلى كثرة الظلال ١٠ و الرطوبة و الاعتدال الذى يمكن معه السير فى جميع النهار بقوله : ﴿ و اياما ﴾ أى فى أى وقت شئتم ، [3]و دل[3] على عظيم أمانها فى كل وقت بالنسبة إلى كل ملم[4] بقوله : ﴿[5]امنين ٥﴾ أى من خوف و تعب ، أو ضيعة أو عطش أو سغب .

و لما انقضى الخبر عن هذه الأوصاف التى تستدعى غاية الشكر لما ١٥ فيها من الألطاف ، دل على بطرهم للنعمة بها بأنهم[5] جعلوها سببا للتضجر و الملال بقوله : ﴿ فقالوا ﴾ على وجه الدعاء : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المربى لنا ﴿ بعد ﴾ أى أعظم البعد و شدده - على قراءة ابن كثير[6] و أبى عمرو

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لانها (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مسلم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لأنهم (٦) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٦٧ .

و هشام عن ابن عامر بتشديد العين و إسكان الدال. و هذا بمعنى[1] قراءة الباقين غير يعقوب / " باعد " المقتضية لمده[2] و تطويله ﴿بين اسفارنا﴾ / ٢٩١
أى قرانا التى نسافر فيها. أى ليقل الناس فيكون ما يخص كل إنسان من هذه الجنان أضعاف ما يخصه الآن و يحمل الزاد و نسير على النجائب و نتعلق[3] السلاح و نستجيد المراكب، وكان[4] بعضهم كأن على الضد من غرض هؤلاء فاستكثر مسافة ما بين كل قريتين فقال كما قرأ يعقوب " ربنا " بالرفع على أنه مبتدا " باعد " فعلا ماضيا على انه خبر، فازدرى تلك النعمة الواردة على قانون الحكمة و اشتهى أن تكون تلك[5] القرى متواصلة ﴿و ظلموا﴾ حيث عدوا النعمة نقمة، و الإحسان إساءة ﴿انفسهم﴾ تارة باستقلال الديار، و تارة باستقلال الثمار، فسبب ذلك تبديل[6] ما هم فيه بحال هو فى الوحشة بقدر ما كانوا فيه من الأنس و هو معنى ﴿فجعلنهم﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿احاديث﴾ اى يتواصفها[7] الناس جيلا بعد جيل [لما لها [8]] من الهول ﴿و مزقنهم﴾ اى تمزيقا يناسب العظمة، فما كان لهم دأب إلا المطاوعة فمزقوا ﴿كل ممزق[9]﴾ أى تمزيق كما يمزق الثوب، بحيث صاروا مثلا مضروبا إلى هذا[9] الزمان،

(١) من ظ ومد، و فى الأصل و م: معنى (٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: لمد (٣) من ظ و م ومد، و فى الأصل: تعلق (٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل: قال (٥) سقط من ظ و م ومد (٦) من ظ و م ومد، و فى الأصل: بتبديل. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يتواضعها (٨) زيد من ظ و م و مد. (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أهل.

يقال لمن شتت أمرهم : تفرقوا أيدى[1] سبا .

و لما كان كل من أمريهم هذين فى العمارة و الخراب أمرا باهرا دالا على أمور كثيرة ، منها القدرة على الساعة التى هى مقصود السورة بالنقلة من النعيم إلى الجحيم و[2] الحشر إلى ما لا يريد الإنسان كما حشر أهل سبا إلى كثير من أقطار البلاد كما هو مشهور فى قصتهم ، قال منبها على ذلك مستأنفا على طريق الاستنتاج ، مؤكدا تنبيها على إنعام النظر فيه ، لما له من الدلالة على صفات الكمال : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم ﴿لآيٰت﴾ أى دلالات بينة جدا على قدرة الله تعالى على التصرف فيما بين أيديهم و ما خلفهم من السماء و الأرض بالإيجاد و الإعدام للذوات و الصفات بالخسف و المسخ ، فانه لا فرق بين خارق و خارق . و على أن بطرهم لتلك النعمة حتى[3] ملّوها[4] و دعوا بازالتها دليل على أن الإنسان ما دام حيا فهو فى نعمة يجب عليه شكرها كائنة ما كانت و إن كان يراها بلية[5] ، لأنه لما طبع عليه من القلق كثيرا ما يرى النعم نقما ، و اللذة ألما ، و لذلك ختم الآية بالصبر بصيغة المبالغة .

و لما كان الصبر حبس النفس عن أغراضها الفاسدة و أهويتها المعمية ، و كانت مخالفة الهوى أشد ما يكون على النفس و أشق ، و كانت النعم تبطر و تطغى ، و تفسد و تلهى ، فكان عطف النفوس إلى الشكر

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أى يدى (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ و مد : حين (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : ملووها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بينة .

بعد[1] جماحها بطغيان النعم صعبا ، و كانت قريش قد شاركت سبا فيما ذكر و[2] زادت عليهم برغد العيش و سهولة إتيان الرزق بما حببهم به و بلدهم إلى العباد بدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام مع أمن البلد و جلالة النسب و عظيم المنصب كما أشار إليه قوله تعالى " [و -[3]] ضرب الله مثلا قرية كانت - آمنة مطمئنة" - الآية ، قال تعالى محذرا لهم مثل عقوبتهم : ٥ ﴿لكل صبار شكور[4]﴾ أى من جميع بنى آدم ، مشيرا بصيغة المبالغة إلى ذلك كله ، و أن [من -[5]] لم يكن فى طبعه الصبر و الشكر لا يقدر على ذلك . و أن من ليس فى طبعه الصبر فاته الشكر .

و لما كان المعنى : آيات فى أن تخالفوا إبليس فلا تصدقوا ظنه فى احتناكهم حيث / قال " لئن اخرتن الى يوم القيمة لاحتنكن ١٠ / ٢٩٢ ذريته الا قليلا[6]" قال مؤكدا لإنكار كل أحد أن يكون صدق ظن إبليس فيه : ﴿ و لقد ﴾ أى كان فى ذلك[7] آيات مانعة من اتباع الشيطان و الحال أنه قد ﴿صدق﴾ . و لما كان فى استغوائهم غالبا لهم فى إركابهم[7] ما تشهد عقولهم بأنه ضلال ، أشار إلى ذلك بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليهم ﴾ أى على ذرية[8] آدم عليه السلام . ١٥

(١) فى ظ : بعدم (٢) فى ظ و مد : او (٣) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم آية ١١٢ من سورة النحل (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سورة ١٧ آية ٦٢ (٦) زيد فى الأصل : آية و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اركانهم (٨) زيد فى الأصل : بنى . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و لما كان فى سياق الإثبات[1] لعظمة الله و ما عنده من الخير و ما له من التصرف التام الداعى ذلك إلى الإقبال إليه و قصر الهمم عليه ، عبر بقوله تعالى : ﴿ ابليس ﴾ الذى هو من البلس[2] و هو ما لاخير عنده - و الإبلاس - و هو اليأس من كل خير - ليكون ذلك أعظم فى التبكيت و التوبيخ ﴿ظنه﴾ أى فى قوله "لاحتنكن ذريته الا قليلا" "و لاغوينهم اجمعين الا عبادك" "و لا تجد اكثرهم شكرين" فكأنه لما قال ذلك على سبيل الظن تقاضاه ظنه [الصدق فصدقه -[3]] فى إعمال الحيلة حتى كان ذلك الظن - هذا على قراءة الجماعة بالتخفيف ، و أما على قراءة الكوفيين بالتشديد[4] فالمعنى أنه جعل ظنه الذى كان يمكن تكذيبه فيه قبل التحقق صادقا ، بحيث لا يمكن أحدا تكذيبه فيه ، و لذلك سبب "سبحانه عنه"[5] قوله : ﴿ فاتبعوه ﴾ أى بغاية الجهد بميل الطبع و الاستلذاذ الموجب للنزوع و الترامى بعضهم فى الكفران و بعضهم فى مطلق العصيان .

و لما كان المحدث عنهم جميع الناس ، عرف به الاستثناء[6] المعرف اقلة[6] الناجين فقال : ﴿ الا فريقا ﴾ [أى -[3]] ناسا لهم القدرة على تفريق كلمة أهل الكفر و فض جمعهم و إن كانوا بالنسبة إليهم كالشعرة البيضاء

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الآيات (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : اللبس (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) راجع نثر المرجان ٤٦٩/٥ . (٥-٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عنه سبحانه (٦ - ٦) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : المفرغ بقلة .

فى جلد الثور الأسود ﴿من المؤمنين ه﴾ أى العريقين فى الإيمان، فكانوا خالصين لله مخلصين فى عبادته، و أما غيرهم فمالوا معه، و كان منهم المقل و منهم المكثر بالهفوات و الزلات[1] الصغائر و الكبائر.

و لما كان ذلك ربما أوهم أن لإبليس أمرا بنفسه، نفاه بقوله: ﴿و ما﴾ أى و الحال أنه ما[2] ﴿كان﴾ أصلا ﴿له عليهم﴾ أى الذين اتبعوه و لاغيرهم، و أعرق فيما هو الحق من النفى بقوله: ﴿من سلطن﴾ أى تسلط قاهر لشىء من الأشياء بوجه من الوجوه لأنه مثلهم فى كونه عبدا عاجزا مقهورا، ذليلا خائفا مدحورا، قال القشيرى: هو مسلط، و لو أمكنه أن يضل غيره أمكنه أن يمسك على الهداية نفسه ﴿الا﴾ أى لكن نحن سلطناه عليهم بسلطاننا و ملكناه قيادهم بقهرنا؛ [3]و عبر عن التمييز[4] الذى هو سبب العلم بالعلم فقال: ﴿لنعلم﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿من يؤمن﴾ أى يوجد الإيمان لله ﴿بالأخرة﴾ أى[5] ليتعلق علمنا بذلك فى عالم[6] الشهادة فى حال تميزه تعلقا تقوم به الحجة فى مجارى عادات البشر كما كان متعلقا به فى عالم الغيب ﴿ممن هو منها[7]﴾ أى من[8] الآخرة ﴿فى شك[1]﴾ فهو لايتجدد له بها إيمان أصلا، لأن الشك ظرف له محيط به، و إنما استعار "الا" موضع "لكن" إشارة إلى

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) سقط من ظ (٣) العبارة من هنا إلى «بالعلم فقال» ساقطة من مد (٤) فى م: التميز. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و» (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حال (٧) ليس فى الأصل فقط (٨) سقط من ظ و م و مد.

أنه مكنه تمكينا تاما صار به كمن له سلطان حقيق .

و لما كان هذا ربما أوقع فى وهم نقصا فى العلم [1]أو فى[1] القدرة ، قال مشيرا إلى أنه سبحانه يسره صلى الله عليه و سلم بتكثير هذا الفريق المخلص و جعل أكثره من أمته فقال : ﴿ و ربك ﴾ أى المحسن / إليك ٢٩٣ / باخزاء الشيطان بنبوتك و إخسائه عن أمتك ﴿ على كل شىء ﴾ من المكلفين و غيرهم ﴿ حفيظ ﴾ أى حافظ أتم حفظ محيط به مدبر له على وجه العلو بعلمه الكامل و قدرته الشاملة . فلا يفعل الشيطان[2] و لا غيره شيئا إلا بعلمه و إذنه .

و لما أثبت سبحانه [3]لنفسه و[3] لذاته الأقدس من الملك فى السماوات و الأرض و غيرهما ما رأيت ، و استدل عليه من الأدلة التى لايمكن التصويب إليها بطعن بما[4] سمعت ، و كان المقصود الأعظم التوحيد فانه أصل ينبنى عليه كل خير قال : ﴿ قل ﴾ أى [يا - [5]] أعلم الخلق ! باقامة الأدلة لهؤلاء الذين أشركوا ما لايشك فى حقارته من له أدنى مسكة : ﴿ ادعوا الذين زعمتم ﴾ أى أنهم آلهة كما تدعون الله لا سيما فى وقت الشدائد ، و حذف مفعولى[6] "زعم" و هما ضميرهم و تألههم[7] تنبيها على استهجان ذلك و استبشاعه ، و ليس المذكور فى الآية مفعولا و لا قائما

(١-١) فى ظ و مد « و » (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السلطان .
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مفعول (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تاليهم .

مقام المفعول لفساد المعنى ؛ و بين حقارتهم بقوله : ﴿من دون الله ج﴾ أى الذى حاز جميع العظمة لشىء مما أثبته سبحانه لنفسه فليفعلوا شيئا مثله أو يبطلوا[1] شيئا مما فعله سبحانه .

و لما كان جوابهم فى ذلك السكوت عجزا و حيرة ، تولى سبحانه الجواب عنهم ، إشارة إلى أن ذلك جواب كل من له تأمل لا وقفة فيه ٥ بقوله ، معبرا عنهم بعبارة من له علم باقامتهم فى ذلك المقام ، أو لأن بعض من ادعيت إلهيته ممن له علم : ﴿لا يملكون﴾ أى الآن و لا يتجدد لهم شىء من ذلك أصلا . و لما كان المراد المبالغة فى الحقارة بما تعرف[2] العرب قال : ﴿مثقال ذرة﴾ و لما أريد العموم عبر بقوله : ﴿فى السمٰوٰت﴾ و أكد فقال : ﴿ و لا فى الارض ﴾ لأن السماء ما علا ، و الأرض ما ١٠ سفل ، و السماوات فى العرش، و الأرض فى السماء ، فاستغرق ذلك النفى عنهما و عن كل ما فيهما[3] من ذات و معنى إلى العرش . و هو ذو العرش العظيم .

و لما كان هذا ظاهرا[4] فى نفى الملك الخالص عن شوب المشاركة ، نفى المشاركة أيضا بقوله مؤكدا تكذيبا لهم فيما يدعونه : ﴿و ما لهم فيهما﴾ أى[5] السماوات و الأرض و لا فيما فيهما ، و أعرق فى النفى فقال : ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يبلوا - كذا (٢) زيد فى الأصل : له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ أو م و مد ، و فى الأصل : فيها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ظاهر (٥) فى ظ : فى .

﴿ من شرك ﴾ [أى - ١] فى ٢ خلق و لا ٣ مُلك و لا ملك ، و أكد النفى باثبات الجار . و لما كان مما ٤ فى السماوات و الأرض نفوس هذه الأصنام ٥ ، و قد انتفى ملكهم لشىء من أنفسهم أو ما أسكن فيها سبحانه من قوة أو منفعة ، فانتفى أن يقدروا على إعانة غيرهم ، و كان للتصريح مزيد روعة للنفوس و هزة للقلوب و قطع للأطماع ، حتى لايكون هناك متشبث ٦ قوىّ و لا واهٍ قال : ﴿ و ما له ﴾ أى الله ﴿ منهم ﴾ و أكد النفى باثبات الجار فقال : ﴿ من ظهير ٥ ﴾ أى معين على شىء مما يريده ، فكيف يصح مع هذا العجز الكلى أن يدعوا كما يدعى و يرجوا كما يرجى و يعبدوا كما يعبد .

و لما كان قد بقى من أقسام النفع الشفاعة ، و كان المقصود ٧ منها أثرها لا عينها ، نفاه بقوله : ﴿ و لا تنفع ﴾ أى فى أىّ ٨ وقت من الأوقات ﴿ الشفاعة عندهُ ﴾ أى بوجه من الوجوه بشىء من الأشياء ﴿ الا لمن ﴾ و لما كانت كثافة الحجاب ٩ أعظم فى الهيبة ، و كان البناء للمجهول أدل على كثافة الحجاب ٩ ، قال فى قراءة أبى عمرو و حمزة و الكسائى ١٠ بجعل المصدر عمدة الكلام و إسناد الفعل إليه : ﴿ اذن له ﴾ أى وقع / منه ٢٩٤ / ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاصناف (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متسبب (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للقصود (٨) سقط من ظ (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٧١ .

إذن له على لسان من شاء من جنوده بواسطة واحدة أو أكثر فى أن يشفع فى غيره أو فى[1] أن يشفع [فيه -[2]] غيره، و قراءة الباقين بالبناء[3] للفاعل تدل على العظمة من وجه آخر، و هو أنه لا افتيات[4] عليه بوجه من أحد ما، بل لا بد[5] أن ينص هو سبحانه على الإذن، و إلا فلا استطاعة عليه أصلا .

و لما كان من المعلوم أن الموقوفين[6] فى محل خطر للعرض على ملك مرهوب متى نودى باسم أحد منهم فقيل [7]أين فلان[7] ينخلع قلبه و ربما أغمى عليه، فلذلك[8] كان من المعلوم مما مضى أنه متى برز النداء من قبله تعالى فى ذلك المقام الذى ترى فيه كل أمة جاثية يغشى على الشافعين و المشفوع لهم، فلذلك حسن كل الحسن قوله تعالى: ﴿حتّى﴾ و هو غاية لنحو أن يقال: فاذا أذن له وقع الصعق لجلاله و كبريائه و كماله حتى ﴿اذا فزع﴾ أى أزيل الفزع بأيسر امر و أهون سعى من أمره سبحانه - هذا فى قراءة الجماعة بالبناء للمجهول، و أزال هو سبحانه الفزع فى قراءة ابن عامر و يعقوب[9]، إشارة إلى أنه لايخرج عن أمره شىء ﴿عن قلوبهم﴾ أى الشافعين و المشفوع لهم، فان "فعّل"

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للبناء (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قينات (٥) زيد فى م: من (٦) من ظ و م وَ مد، و فى الأصل: الموقنين (٧ - ٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ان فلانا (٨) من م و مد، و فى الأصل: و لذلك، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى «على الشافعين والمشفوع لهم» (٩) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٧٢ .

يأتى للازالة كقذيت عينه - إذا[1] أزلت عنها القذى ﴿ قالوا ﴾ أى قال بعضهم لبعض : ﴿ما ذا[2] قال ربكم[3]﴾ ذاكرين صفة الإحسان ليرجع إليهم رجاؤهم فتسكن لذلك قلوبهم .

و لما كان ملوك الدنيا ربما قال بعضهم قولا ثم بدا له فرجع عنه ، أو عارضه[4] فيه شخص من أعيان جنده فينتقض ، أخبر أن الملك الديان ليس كذلك فقال : ﴿قالوا الحق ج﴾ أى الثابت الذى لا يمكن أن يبدل ، بل يطابقه الواقع فلا يكون شىء يخالفه ﴿ و هو العلى ﴾ أى فلا رتبة إلا دون رتبته سبحانه و تعالى ، فلا يقول غير الحق من نقص علم ﴿ الكبير ه ﴾ أى الذى لا كبير غيره فيعارضه فى شىء من حكم ؛ روى البخارى فى التفسير[5] عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : إن[6] النبى صلى الله عليه و سلم [قال -[5]] : إذا قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها[7] خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان " فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم قالوا - للذى قال - الحق و هو العلى الكبير" فيسمعها[7] مسترق السمع ، و مسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - [و -[8]] وصفه سفيان بكفه فحرفها[9] و بدد بين أصابعه - فيسمع

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : أى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : راجعه (٣) راجع من صحيحه ٢ ٧٠٨ (٤) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : قال (٥) زيد من ظ و م و مد و الصحيح (٦) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : اجنحتها (٧) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الأصل : فيستمع (٨) زيدت الواو من الصحيح (٩) من م و مد و الصحيح ، و فى الأصل و ظ : فحرقها .

الكلمة و يلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما [١] أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، و ربما ألقاها قبل أن يدركه فيكذب معها مائة كذبة [٢] فيقال: أليس [قد - [٣]] قال لنا يوم [٤] كذا و كذا كذا و كذا، فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء. و قال فى التوحيد: و قال مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنهما: و إذا تكلم الله بالوحى سمع اهل السماوات [٥] فاذا فزع عن قلوبهم و سكن الصوت عرفوا [٦] أنه الحق و نادوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق. [و روى هذا الحديث العيسى فى جزئه عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا عليه. قال: كان لكل قبيل من الجن مقعد من السماء يسمعون فيه الوحى، و فيه: فلا ينزل على سماء إلا صفقوا، و فى آخره: ثم يقال: يكون العام كذا و يكون العام كذا، فتسمع الجن ذلك فتخبر به الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا، فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه و سلم دحروا، فقالت العرب: هلك من فى السماء، فذكر ذبح العرب لأموالهم من الإبل و غيرها، حتى نهتهم ثقيف، و استدلوا بثبات معلم النجوم، ثم أمر إبليس جنده باحضار التراب و شمه حتى عرف أن الحدث من مكة - [٧]].

و لما سلب [٨] عن شركائهم أن يملكوا شيئا من الأكوان،

---

(١) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: و ربما (٢) من ظ و م ومد و الصحيح، و فى الأصل: كذب (٣) زيد من ظ و م و مد و الصحيح. (٤) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: بيوم (٥) زيد فى صحيح البخارى ٢/١١١٤: شيئا (٦) من ظ وم و مد، و فى الأصل: عرف (٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ ومد (٨) من ظ ومد، و فى الأصل وم: سبب.

و اثبت[1] جميع الملك له وحده، أمره صلى الله عليه و سلم بأن يقررهم بما يلزم منه ذلك فقال: ﴿ قل من يرزقكم ﴾ و لما كان كل شيء من الرزق متوقفا على الكونين، و كان فى معرض الامتنان و التوبيخ جمع لئلا / يدعى أن لشيء من العالم العلوى مدبرا غيره سبحانه فقال: ٢٩٥ /
٥ ﴿من السمٰوٰت﴾ و قال: ﴿و الارض[4]﴾ بالإفراد لأنهم لا يعلمون غيرها.

و لما كان من المعلوم أنهم مقرّون بأن ذلك لله وحده كما تقدم التصريح به غير مرة، [2]و كان[2] من المحقق أن إقرارهم بذلك ملزم لهم[2] الإخلاص فى العبادة عند كل من له أدنى مسكة من عقله، أشار إلى ذلك
١٠ [بالإشارة - [4]] بأمره صلى الله عليه و سلم بالإجابة إلى أنهم كالمنكرين لهذا، لأن إقرارهم به لم ينفعهم فقال: ﴿ قل الله[4] ﴾ أى [الملك الأعلى - [5]] وحده، و أمره [بعد إقامة - [4]] هذا الدليل [البين - [4]] بان يتبعه[6] ما هو أشد عليهم من وقع النبل بطريق لا أنصف منه، و لا يستطع أحد أن يصوب إليه نوع طعن بأن يقول مؤكدا تنبيها
١٥ على وجوب إنعام النظر فى تمييز المحق من المبطل بالانخلاع من الهوى، فان الأمر فى غاية الخطر: ﴿ و انآ ﴾ أى أهل التوحيد فى العبادة لمن تفرد بالرزق[7] ﴿ او اياكم ﴾ أى[8] أهل الإشراك به من لا يملك شيئا

(١) فى ظ: اتبع (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فكان (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: له (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بتبع (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى الرزق (٨) سقط من ظ و م و مد.

من

من الأشياء و « او » على بابها لا بمعنى الواو ، أى إن أحد فريقينا [١] على إحدى الحالتين مبهمة [٢] غير معينة فهو على خطر عظيم لكونه فى شك من أمره غير مقطوع له بالهدى ، فانظروا بعقولكم فى تعيينه هل هو الذى عرف [الحق - [٣]] لأهله أو [٤] الذى بذل الحق لغير أهله ، قال ابن الجوزى : و هذا كما تقول للرجل تكذبه : و الله إن أحدنا لكاذب ، و أنت تعنيه تكذيبا غير مكشوف [٥] و يقول الرجل : و الله لقد قدم فلان ، فيقول له من يعلم كذبه : قل إن شاء الله ، فيكذبه بأحسن من تصريح التكذيب ، يعنى و لا سيما بعد إقامة الدليل على المراد ثم مثل المهتدين بمن هو على متن جواد يوجهه حيث شاء من الجواد بقوله : ﴿ لعلى هدى ﴾ أى فى متابعة ما ينبغى أن يعمل مستعلين عليه ناظرين لكل ما يمكن أن يعرض فيه مما قد يجر إلى ضلال فتكبه [٦] ﴿ او فى ضلل ﴾ [أى - [٣]] عن الحق فى الاعتقاد المناسب فيه منغمسين فيه و هو محيط بالمبتلى به لا يتمكن معه من وجه صواب : ﴿ مبين ٥ ﴾ أى واضح فى نفسه داع لكل أحد إلى معرفة أنه ضلال إلا من كان منغمسا فيه مظروفا له ، فانه لا يحس بنفسه و ما بينه و بين أن يستبصر إلا أن يخرج منه وقتا ما فيعلم أنه كان فى حاله ذلك فاعلا ما لا يفعله

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و فسا - كذا (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مهمة (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مكشوفا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فتنتكبه .

من له نوع من العقل ، ففى هذا حث على النظر الذى كانوا يابونه بقوله "قلوبنا فى اكنة" و نحوه فى[1] الأدلة التى يتميز بها الحق من الباطل على أحسن وجه بأنصف دعاء و ألطف نداء حيث[2] شرك الداعى نفسه معهم فيما دعاهم إلى النظر فيه ، فالمعنى أنه يتعين على كل منا - إذا كان على إحدى[3] الطريقين مبهمة - أن ينظر فى أمره[4] ليسلم فان الأمر فى غاية الوضوح مع[5] أن الضال فى نهاية الخطر ، و لقد كان الفضلاء من الصحابة رضى الله تعالى عنهم و ذوو[6] الأحلام و النهى منهم يقولون ذلك بعد[7] الإسلام كخالد بن الوليد و عمرو بن العاص ، و ناهيك بهما جلالا ، و نباهة و ذكاء و كمالا ، قالوا : و الله لقد كنا نعجب غاية العجب ممن يدخل فى الإسلام و اليوم [نحن -[8]] نعجب غاية العجب ممن يتوقف عنه[9] .

و لما كانوا بين أمرين : إما أن يسكتوا فيعلم كل سامع أن الحجة لزمتهم ، و إما أن يقولوا بوقاحة و مكابرة : أنتم فى الضلال و نحن على الهدى ، و كان الضال[10] لا يزال يقطع ما ينبغى وصله بوصل ما يجب قطعه ،

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٢) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : حتى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : أحد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نفسه (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذو (٧) زيد فى الأصل : هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد من م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيه . (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الضلال .

أمره أن يجيبهم على هذا / التقدير بما [هو -[1]] أبلغ فى الإنصاف من ٢٩٦ /
الأول بقوله : ﴿ قل لاتسئلون ﴾ أى من[2] سائل ما ﴿ عمآ اجرمنا ﴾
أى قطعنا فيه ما ينبغى أن يوصل مما[3] أوجبه لنا الضلال ﴿ و لانسئل ﴾
أى أصلا فى وقت من الأوقات [من سائل ما -[4]] ﴿ عما تعملون ﴾
أى مما بنيتموه على العلم الذى أورثكموه الهدى أى فاتركونا و الناس ٥
غيركم كما أنا نحن تاركوكم، فمن وضح له شىء من الطريقين سلكه .

و لما كانوا إما أن يجيبوا إلى المتاركة فيحصلوا بها المقصود عن قريب[5]، و إما أن يقولوا : لانترككم، و كان هذا الاحتمال أرجح ، أمره أن يجيبهم على تقديره بقوله : ﴿ قل يجمع بيننا ربنا ﴾ أى فى[6] قضائه المرتب[7] على قدره فى الدنيا أو فى الآخرة ، قال القشيرى : و الشيوخ ١٠ ينتظرون فى الاجتماع زوائد و يستروحون[8] إلى هذه الآية ، و للاجتماع أمر كبير فى الشريعة .

و لما كان إنصافهم[9] منهم فى غاية البعد عندهم ، و كان ذلك فى نفسه فى غاية العظمة ، أشار إليه بأداة البعد فقال : ﴿ ثم يفتح ﴾ أى يحكم ﴿ بيننا ﴾ حكما يسهل به الطريق ﴿ بالحق[1] ﴾ أى الأمر الثابت الذى ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٥) زيد من ظ و مد (٥) فى ظ و م و مد : قليل (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : على. (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المترتب (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يستريحون (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اتصافهم .

لايقدر أحد منا و لا منكم على التخلف عنه ، و هو العدل أو الفضل من غير ظلم و لا ميل . و لما كان التقدير : فهو الجامع القدير ، عطف عليه قوله : ﴿ و هو الفتاح ﴾ أى البليغ[1] الفتح لما انغلق ، فلم يقدر احد على فتحه ﴿العليم ٥﴾ اى البالغ العلم بكل دقيق و جليل مما يمكن فيه الحكومات ، ٥ فهو القدير على فصل جميع الخصومات .

و لما كانوا قد أنكروا البعث على ذلك الوجه الذى تقدم ، و دل على قدرته عليه بما نصب من الأدلة التى شاهدوها من أفعاله بالبصر أو البصيرة إيجادا و إعداما ، و أقام الحجة[2] على صحة الدعوة و بطلان ما هم عليه ، ثم تهددهم بالفصل يوم الجمع ، و ختم بصفة العلم المحيط ١٠ المستلزم للقدرة الشاملة ، وكانت القدرة لا تكون شاملة إلا عند الوحدانية ، أمره بما يوجب لهم القطع بوحدانيته و شمول قدرته بقوله : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المشركين .

و لما كانت آلهتهم تسهل رؤيتها ، و كان كل ما هو كذلك سافل المقدار عن هذه الرتبة ، و كانت آلهتهم بالخصوص أدنى الأشياء عن ذلك ١٥ بكونها من أخس الجمادات ، نبه على ذلك و على أنها نكرة لا تعرف بقلب و لاتدل عليها فطرة زيادة فى تبكيتهم بقوله : ﴿ اروني الذين ﴾ و لما لزم مما ثبت له سبحانه من صفات الكمال [العلو -[3]] الذى لايدانيه

(١) زيد فى الاصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) فى ظ و م و مد : الحجج (٣) زيد من ظ و م و مد .

أحد بوجه قال : ﴿ الحقتم به ﴾ و لما كان الإلحاق [1] يقتضى و لابد [1]
قصور الملحق عن الملحق به ، أشار إلى فرط جهلهم بتسويتهم به بقوله :
﴿ شركآء ﴾ ثم نبه بعد إبطال قياسهم على أنهم فى غاية الجلافة و الجمود
فهم كالأنعام بما قرعهم به من الزجر [2] فى قوله [2] مؤكدا تكذيبا لهم فى
دعوى الشرك : ﴿ كلا ﴾ أى [2] ارتدعوا و انزجروا [2] فليس و الله الأمر ٥
كما ذكرتم و لا قريب منه ﴿ بل هو ﴾ أى المعبود بالحق الذى لا يستحق
أن يسمى هو [3] غيره ﴿ الله ﴾ أى الذى اختص بالحمد فى الأولى و الآخرة
﴿ العزيز ﴾ أى الذى لا مثل له ، و كل شىء محتاج إليه [4] ، و هو غالب
على كل شىء غلبة لا يجد [5] معها ذلك الشىء وجه مدافعة [2] و لا انقلاب ،
و لا وصول لشىء إليه إلا / باذنه ﴿ الحكيم ﴾ أى المحكم لكل ما يفعله فلا ١٠ / ٢٩٧
يستطيع احد [2] نقض شىء [منه - [6]] فكيف يكون له شريك و أنتم
ترون [له - [7]] من هاتين الصفتين المنافيتين لذلك و تعلمون عجز من
أشركتموه به عن أن يساويكم مع ما تعلمون من عجزكم .

و لما ختم بوصف الحكمة ختم برهان القدرة التى [8] كان أوجب
اعتقادهم لعدم البعث ما يقتضى نقصا فيها ، و لزم عن ذلك التوحيد ١٥
و بطل [الشرك - [7]] ، لم يبق إلا إثبات الرسالة التى أوجب [9] ترديدهم

(١ - ١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لابد يقتضى (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : به (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : له (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لايجب (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذى (٩) سقط من ظ

أخباره[1] صلى الله عليه و سلم بين الكذب و الجنون الطعن فيها ، فعلم أن التقدير : أرسل إليكم رسوله بعزته مؤيدا له بإعجاز هذا القرآن بحكمته دليلا على صدقه و كماله فى جبلته و تأهله لبدائع نعمته و معالى رحمته ، وكان فى ذلك دليل الصدق فى الرسالة ؛ فنسق به قوله معليا لشأنه بالخطاب

٥ فى مظهر العظمة ، إشارة إلى أنه ينبغى أن يتدرع جلابيب الصبر على جميع المكاره الصادرة من أنواع الخلق فى أداء الرسالة بقوله عاطفا[2] على « و لقد آتينا داود منا فضلا » مؤكدا تكذيبا لمن يدعى الخصوص : ﴿ و ما ارسلنك ﴾ أى بعظمتنا ﴿ الا كآفة ﴾ أى إرسالا عاما شاملا لكل ما شمله إيجادنا ، تكفهم عما لعلهم[3] أن ينتشروا إليه من متابعة

١٠ الأهوية ، و تمنعهم عن[4] أن يخرج عنها منهم أحد ، فالتاء فى " كافة[5] " للمبالغة . و عبارة ابن الجوزى : أى[5] عامة لجميع الخلائق ﴿ للناس ﴾ أى كل من فيه قابلية لأن ينوس[6] من الجن و الإنس و غيرهم من جميع ما سوى الله و إن آذوك بكل أذى [7]من النسبة[7] إلى الافتراء أو[8] الجنون أو غيرهما . فحال الإرسال محصور فى العموم للغرض الذى ذكر من التدرع لحمل

١٥ المشاق ، لا فى الناس ، فانه لو أريد ذلك لقدموا فقيل : إلا للناس كافة[4] ،

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اخبارهم (٢) فى ظ : عطفا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : لهم (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يونس . (٧-٧) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : بالنسبة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » .

و قد مضى فى أوائل الأنعام عن السبكى ما ينفع هنا ، و المعنى أن داود عليه السلام فضل بطاعة الجبال له و الطير و الحديد ، و سليمان عليه السلام بما ذكر له ، ففضيلتك أنت بالإرسال إلى كل من [1] يمكن نوسه ، فالحصى سبحت فى كفك ، و الجبال أمرت بالسير معك ذهبا و فضة ، و الحمرة شكت إليك أخذ فراخها أو [2] بيضها ، و الضب شهد لك ، و الجمل شكا إليك و سجد لك ، و الأشجار أطاعتك ، و الأحجار سلمت عليك و [3] ائتمرت بأمرك [4] إلى غير ذلك من كل من [5] ينوس بالفعل أو القابلية - والله أعلم ، و أما الجن فحالهم مشهور ، و أما الملائكة فالدلائل على الإرسال إليهم فى غاية الظهور ، [و فى دلائل النبوة فى باب التحدث بالنعمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن هذه الآية دليل على فضل النبى صلى الله عليه و سلم على الأنبياء بعموم الرسالة للانس و الجن - [6]] .

و لما كانت البشارة هى الخبر الأول الصدق السار ، و كان فى ذكرها رد قولهم فى الكذب و الجنون ، قال : ﴿ بشيرا و نذيرا ﴾ أى لمن أهل للبشارة [7] أو النذارة . و لما كان هذا الإرسال مقرونا بدليله من الإتيان بالمعجز فى نفسه من جهة البلاغة فى نظمه و بالمعانى المحكمة فى البشارة و النذارة و غير ذلك ، قلب عليهم قولهم الذى لا دليل عليه

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (٢) فى ظ « و » (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أو (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بك (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البشارة .

و لا شبهة تصوب إليه فى حقه صلى الله عليه و سلم بقوله الذى [هو -[1]] أوضح من الشمس دليلا ، و أقوم كل قيل قيلا : ﴿ و لكن ﴾ و لما كان الناس الأولين كل من فيه قابلية النوس و هم جميع الخلائق و اكثرهم [غير -[1]] عاص . أظهر مريدا الثقلين من الجن و الإنس فقال :

٥ ﴿ اكثر الناس لا يعلمون ﴾ أى ليس لهم قابلية العلم فيعلموا أنك رسول الله فضلا عن أن إرسالك عام ، بل هم كالأنعام ، فهم لذلك لا يتأملون فيقولون « افترى ام به جنة » و نحو هذا من غير تدبر لما فى هذا الكتاب من الحكمة و الصواب مع الإعجاز ، فى حالى الإطناب و الإيجاز ، و الإضمار و الإبراز ، فيحملهم جهلهم على المخالفة و الإعراض[2] .

١٠ و لما سلب[3] عنهم العلم ، أتبعه دليله ، فقال معبرا بصيغة المضارعة الدال على ملازمة التكرير للاعلام بأنه على سبيل الاستهزاء لا الاسترشاد[4] : ﴿ و يقولون ﴾ أى ما أرسلناك إلا [على -[5]] هذا الحال [و الحال -[1]] أن المنذرين يقولون جهلا منهم بعاقبة ما يوعدونه غير مفكرين فى وجه الخلاص منه و التفصى عنه فى كل حين استهزاء[6] منهم : ﴿ متى هذا الوعد ﴾

٥ أى بالبشارة و النذارة فى يوم الجمع و غيره فسموه وعدا زيادة فى الاستهزاء[6] . و لما كان قول الجماعه أجدر بالقبول ، و أبعد عن الرد من

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سبب (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : استرشاد .
(٥) زيد من ظ مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

قول

قول الواحد ، أشار إلى زيادة جهلهم بقوله : ﴿ ان كنتم ﴾ أى [1] أيها النبى و أتباعه ا كونا أنتم [2]عريقون فيه[2] ﴿صدقين ﴾ [أى -[3]] متمكنين فى الصدق .

و لما تبين من سؤالهم أنه لم يكن للاسترشاد و إن هم بالغوا به فى التكذيب و الاستهزاء بعد الإبلاغ فى إقامة الأدلة ، أمره بأن يجيبهم بما يصلح للعاند من صادع التهديد بقوله : ﴿ قل لكم ﴾ [أى - [3]] أيها الجامدون الأجلاف الذين لايجوزون الممكنات ، و لايتدبرون ما[4] أوضحها من الدلالات ، مع ضعفهم عن الدفاع ، و المغالبة و الامتناع ﴿ميعاد يوم﴾ أى لاتحتمل[5] العقول وصف عظمه لما يأتى فيه من العقاب سواء كان يوم[6] الموت أو البعث . و لما كان تعلق النفوس بالمهلة عظيما ، قال : ﴿لا تستاخرون﴾ أى لايوجد تأخركم و لايمكن أن يطلب لخثيث الطلب و تعذر الهرب[7] ﴿ عنه ساعة ﴾ لأن الآتى به عظيم القدرة محيط العلم ، و لذلك قال : ﴿و لا تستقدمون[8]﴾ أى لايوجد تقدمكم لحظة فما دونها و لا تتمكنون من طلب ذلك .

و لما دل سبحانه بملازمتهم للاستهزاء بهذا الإنذار على أنهم غير

(١) زيد فى الأصل : يا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيه عريقون (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : من ، و الكلمة ساقطة من مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا تحمل (٦) من ظ و م و مد . و فى الأصل : بعد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المهرب .

منفكين عن مذاهب الكفار ، ذكر تصريحهم بذلك و حالهم فى بعض الأوقات المنطبقة عليها الآية السالفة فى قوله . ﴿ و قال الذين كفروا ﴾ حيث عبر بالموصول و صلته فى موضع الضمير ، و اكتفى بالماضى هنا لصراحته [1]فى المقصود و كفايته فى الحكم بالكفر ، فقالوا مؤكدين قطعا للاطاع عن دعائهم : ﴿ لن نؤمن ﴾[1] أى نصدق أبدا[2] ، و صرحوا بالمنزل عليه صلى الله عليه و سلم بالإشارة فقالوا : ﴿ بهذا القرآن ﴾ أى و إن جمع جميع[3] الحكم و المقاصد المضمنة[4] لبقية الكتب ﴿ و لا بالذى بين يديه[5] ﴾ أى قبله من الكتب : التوراة و الإنجيل و غيرهما ، بل نحن قانعون بما أدبنا به آباؤنا ، و ذلك أن بعض أهل الكتاب أخبروهم أن صفة هذا النبى عندهم فى كتبهم ، فاغضبهم ذلك فقالوه[6] : ﴿ و لو ﴾ أى و الحال أنك ﴿ ترآى ﴾ أى يوجد منك رؤية لحالهم ﴿ اذ ﴾ هم - هكذا كان[6] الأصل ، و لكن أظهر الوصف تعميما و تعليقا للحكم به فقال : ﴿ الظلمون ﴾ أى الذين يضعون الأشياء فى غير محالها فيصدقون آباءهم لإحسان يسير مكدر بغير دليل ، و لا يصدقون ربهم الذى لا نعمة عندهم و لا عند آبائهم إلا منه ، و قد أقام لهم أدلة العقل بما ضرب لهم من الأمثال فى الآفاق و فى أنفسهم ، و النقل بهذا القرآن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بدا .
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المتضمنة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : فقالوا (٦) سقط من ظ و م .

المدلول على صدقه بعد إظهار المعجزات / المحسوسات [بعجزهم عنه ، ٢٩٩/
فكأنهم سمعوه من الله المنعم الحق ﴿ موقوفون ﴾ أى بعد البعث بما يوقفهم
من قدرته بأيدى جنوده أو بغيرها -[١]] بأيسر أمر منه سبحانه قهرا لهم
و كرها منهم : ﴿ عند ربهم ج ﴾ أى الذى أحسن إليهم فطال إحسانه
فكفروا كلما أحسن به إليهم ﴿ يرجع بعضهم ﴾ أى على وجه الخصام ٥
عداوة ، [و -[٢]] كان سببها موادتهم فى الدنيا بطاعة بعضهم لبعض فى
معاصى الله ، قال القشيرى : و من عمل بالمعاصى أخرج الله عليه كل من هو
أطوع له ، و لكنهم لا يعلمون ذلك ، و لو علموا لاعتبروا ، و لو اعتبروا لتابوا
و تواقفوا ، و لكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا ﴿ الى بعض نالقول[٣] ج ﴾
أى [٤]بالملاومة و المباكتة[٤] و المخاصمة ، لرأيت[٥] أمرا فظيعا منكرا هائلا شنيعا ١٠
مقلقا وجيعا[٦] يسرك منظره ، و يعجبك منهم أثره و مخبره ، من ذلهم
و تحاورهم و تخاذلهم حيث لا ينفعهم شىء من ذلك .

و لما كان هذا مجملا ، فسره بقوله على سبيل الاستئناف :
﴿ يقول الذين استضعفوا ﴾ أى وقع استضعافهم ممن هو فوقهم فى الدنيا
و هم الأتباع فى تلك الحالة[٧] على سبيل اللوم و التأنيب ﴿ للذين استكبروا ﴾ ١٥
أى أوجدوا الكبر و طلبوه بما وجدوا من أسبابه التى أدت إلى استضعافهم

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٢) زيد من مد (٣) ليس فى الأصل فقط (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالملازمة و المباكة .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ارايت (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و جمعيا (٧) فى ظ و م و مد : الحال .

للأولين و هم الرؤس المتبوعون : ﴿ لولآ انتم ﴾ أى بما وجد من استتباعكم لنا على الكفر و غيره من أموركم ﴿ لكنا مؤمنين ٥ ﴾ أى عريقين فى الإيمان لأنه لم يكن عندنا كبر من أنفسنا يحملنا على العناد للرسل .

و لما لم يتضمن كلامهم سوى قضية[1] واحدة ، ذكر الجواب عنها

٥ بقوله تعالى : ﴿ قال الذين استكبروا ﴾ على طريق الاستئناف ﴿للذين استضعفوآ ﴾ ردا عليهم و إنكارا لقولهم أنهم هم الذين صدوهم : ﴿ انحن ﴾ خاصة ﴿صددنٰكم ﴾ أى منعناكم و صرفناكم ﴿عن الهدٰى﴾ و لما كانوا لايؤاخذون[2] باهمال دليل العقل قبل إتيان الرسل ، أشاروا إلى ذلك بقولهم : ﴿بعد اذ جآءكم ﴾ أى على ألسنة[3] الرسل .

١٠ و لما كان المعنى : إنا لم نفعل ذلك ، حسن أن يقال : إنهم[3] هم الذين ضلوا بأنفسهم لا بإضلالهم ، فقالوا[1] : ﴿ بل كنتم ﴾ اى جبلة و خلقا ﴿ مجرمين ٥ ﴾ أى عريقين فى قطع ما ينبغى وصله بعد إتيان الهدى مختارين لذلك كما كنتم قبله أتباعا لنا ما ردتم و لا ردنا ، و لما تضمن قولهم امرين : ادعاء عراقتهم فى الإجرام ، و إنكار كونهم سببا فيه ،

١٥ أشار إلى ردهم للثانى بالعاطف على غير معطوف عليه إعلاما بأن التقدير : قال الذين استضعفوا : كذبتم فيما ادعيتم من عراقتنا فى الإجرام : ﴿ و قال الذين استضعفوا ﴾ عطفا على هذا المقدر ﴿للذين استكبروا ﴾

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قصة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يوحدون (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقال .

ردا لإنكارهم صدهم : ﴿بل﴾ الصاد لنا ﴿مكر الّيل و النهار﴾ أى الواقع فيهما من مكركم [1]بنا ، أو[1] استعير إسناد المكر إليهما لطول السلامة فيهما ، و ذلك للاتساع[2] فى الظرف فى إجرائه مجرى المفعول به ﴿اذ تامروننآ﴾ على الاستمرار ﴿ان نكفر بالله﴾ أى الملك الأعظم بالاستمرار على ما كنا عليه قبل[3] إتيان الرسل ﴿و نجعل لهٓ اندادا[4]﴾ اى أمثالا نعبدهم ٥ من دونـــه ﴿و اسروا﴾ أى يرجعون و الحال أن الفريقين أسروا ﴿الندامة لما[4]﴾ أى حين ﴿راوا العذاب[5]﴾ لأنهم بينما هم فى تلك المقاولة و هم يظنون أنها تغنى عنهم شيئا و إذا بهم قد بدا لهم ما لم يكونوا يحتسبون فأبهتهم فلم يقدروا لفوات المقاصد و خسران النفوس[5] أن ينسبوا[5] بكلمة ، و لأجل أن العذاب عم الشريف منهم و الوضيع . قال تعالى : ١٠ / ﴿و جعلنا الاغلل﴾ أى الجوامـــع التى تغل اليـــد إلى العنق ﴿فى اعناق الذين كفروا[6]﴾ فأظهر موضع الإضمار تصريحا بالمقصود و تنبيها على الوصف الذى أوجب لهم ذلك . / ٣٠٠

و لما كانت أعمالهم لقبحها ينبغى البراءة منها ، فكانت بملازمتهم[6] لها كأنها قد قهرتهم على ملازمتها و تقلدها طوق الحمامة [فهم يعاندون ١٥ الحق من غير إلتفات إلى دليل -[7]] ، قال منبها على ذلك جوابا لمن كأنه

(١ - ١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لنا و (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للاتباع (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٤) ليس فى الأصل فقط (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بملازلتهم - كذا (٧) زيد من ظ و مد .

قال : لم خصت أعناقهم و أيديهم [1]بهذا العذاب[1] ؟ : ﴿ هل يجزون ﴾ أى بهذه الأغلال ﴿ الا ما كانوا ﴾ أى كونا هم عريقون فيه ﴿ يعملون ٥ ﴾ أى على سبيل[2] التجديد و الاستمرار مما يدعون أنهم بنوه على العلم ، و ذلك الجزاء ـ و الله أعلم ـ هو ما يوجب قهرهم و إذلالهم و إخزاءهم[3] و إنكاءهم و إيلامهم كما[4] كانوا يفعلون مع المؤمنين و يتمنون لهم .

و لما كان فى هذا تسلية أخروية ، أتبعه التسلية الدنيوية ، فقال عطفا[5] على ما تقديره : و ما أرسلنا غيرك إلا إرسالا خاصا لأمته ، عطفا على " و ما ارسلناك الا كافة " و ساقه مؤكدا لأن مضمونه ـ لكونه فى غاية الغرابة ـ مما لايكاد يصدق : ﴿ و ما ارسلنا[6] ﴾ أى بعظمتنا . و لما كان المقصود التعميم ، لأنه لم يتقدم قول قريش ليخص التسلية بمن قبلهم ، أسقط القبلية بخلاف ما فى سورة الزخرف فقال : ﴿ فى[7] قرية ﴾ و أكد النفى بقوله : ﴿ من نذير ﴾ أى ينذرهم وخامة ما أمامهم من عواقب أفعالهم ، و دل بافراده عن البشارة أن غالب الأمم الماضية من أهل النذارة لتظهر مزية هذه الأمة ، و لعله عبر به إشارة إلى[8] الناسخين للشرائع التى قبلهم دون المجددين من أنبياء بنى إسرائيل فان بعضهم

( ) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العذاب قال ، ، ظ و م و مد ، و فى الاصل : حيث (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أحزانهم . (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عاطفا (٦) فى الأصل فقط : ارسلناك (٧) فى الأصل فقط : من (٨) زيد بعده فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

لم يكذب ﴿الا قال مترفوها﴾ أى العظماء الذين لا شغل لهم إلا التنعم بالفانى حتى أكسبهم[1] البغى و الطغيان: ﴿انا بما ارسلتم به﴾ أى أيها المنذرون ﴿كفرون ه﴾ أى و إذا قال المنعمون ذلك تبعهم المستضعفون فاذا وقفوا عندنا تقاولوا بما تقدم ثم لم ينفعهم ذلك ﴿و قالوا﴾ مفاخرين[2] و دالين على أنهم فائزون [كما -[3]] قال لك هؤلاء كأنهم تواصوا به: ﴿نحن اكثر﴾ .

و لما كانت الأموال فى الأغلب سببا لكثرة الأولاد بالاستكثار من النساء الحرائر[4] و الإماء، قدمها فقال: ﴿اموالا و اولادا[5]﴾ أى فى هذه الدنيا، و لو لم يرض منا ما نحن عليه ما رزقنا ذلك ﴿و ما نحن﴾ أى الآن ﴿بمعذبين ه﴾ أى بثابت عذابنا، و إنما تعرض لنا أحوال خفيفة من مرض و شدائد هى أخف من أحوالكم، و حالنا الآن دليل على حالنا فيما يستقبل من الزمان كائنا[6] ما كان، فان الحال نموذج المآل، و الأول دليل الآخر، فان كان ثَمّ آخرة كما تقولون فنحن أسعد منكم فيها كما نحن أسعد منكم الآن، و لم تنفعهم قصة سبا فى ذلك فانهم لو تأملوها لكفتهم، و أنارت [أبصار -[6]] بصائرهم. و صححت أمراض قلوبهم و شفتهم، فانهم كانوا أحسن الناس حالا، فصاروا أقبحهم[7] مآلا .

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اكبهم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مفارضين (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحرار (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل: حالا و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و لما كانت[1] لشبهتهم هذه شعبتان [2]تتعلق إحداهما[1] بالذات و الأخرى بالثمرات ، بدأ بالأولى لأنها أهم ، فقال مؤكدا[3] تكذيبا لمن يظن أن سعيه يفيد فى الرزق شيئا لو لا السعى ما كان : ﴿قل﴾ يا أكرم الخلق على الله ! مؤكدا لأجل إنكارهم لأن[4] يوسع فى الدنيا على[5] من لايرضى

٥ فعله : ﴿ان ربى﴾ أى المحسن إلىّ بالإنعام بالسعادة الباقية ﴿يبسط الرزق﴾ أى يجدده فى كل وقت أراده بالأموال و الأولاد و غيرها ﴿لمن يشآء و يقدر﴾ أى يضيق على من يشاء منكم و منا / و من غيرنا ٣٠١/

من سائر الأمم المخالفين لنا و لكم فى[6] الأصول [مع -[7]] أنه لا يمكن أن يكون جميع[8] الموسع عليهم على ما هو حق عنده[9] و مرضى له ،

١٠ لاختلافهم فى الأصول و تكفير بعضهم لبعض ، فان الله معذب بعضهم لامحالة ، فبطلت شبهتهم ، و ثبت أنه يفعل ما يشاء ابتلاء و امتحانا ، فلا يدل البسط على الرضى و لا القبض على السخط - على ما عرف من سنته فى هذه الدار ﴿و لكن اكثر الناس﴾ أى الذين لم يرتفعوا[10] عن حد النوس و الاضطراب ﴿لايعلمون ع﴾ أى ليس [لهم -[7]]

(١) فى م و مد : كان (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متعلق أحدهما.
(٣) زيد فى الأصل : تنبيها و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مع (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جمع (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عندهم (١٠) من ظ و م و مد . و فى الأصل : لم يرافعوا .

علم

علم ليتدبروا به ما ذكرنا[1] من الأمر فيعلموا أنه ليس كل موسع عليه فى دنياه سعيدا فى عقباه .

و لما هدم ما بالذات ، أتبعه ما بالثمرات ، فقال مؤكدا تكذيبا لدعواهم : ﴿ و ما اموالكم ﴾ أى أيها الخلق الذين[2] أنتم من جملتهم و إن كثرت ، وكرر النافى تصريحا بابطال كل على[3] حياله فقال : ﴿ و لا اولادكم ﴾ كذلك ، و أثبت الجار تأكيدا للنفى فقال واصفا الجمع المكسر بما هو حقه من التأنيث : ﴿ بالتى ﴾ أى بالأموال و الأولاد التى ﴿ تقربكم عندنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة بتصرفاتكم فيها بما يكسب المعالى ﴿ زلفى[4] ﴾ أى درجة علية و قربة مكينة ، قال البغوى[4] : قال الأخفش : هى[5] اسم مصدر كأنه قال : تقريبا ، ثم استثنى من ضمير الجمع الذى هو قائم مقام أحد ، فكأنه قيل : لا تقرب أحدا[6] ﴿ الا من ﴾ أو يكون المعنى على حذف مضاف ، أى[7] إلا أموال و أولاد[7] من ﴿ امن ﴾ أى منكم ﴿ و عمل ﴾ تصديقا لإيمانه على ذلك الأساس ﴿ صالحا ﴾ أى فى ماله بانفاقه فى سبيل الله و فى ولده بتعليمه الخير .

و لما منّ على المصلحين من المؤمنين فى أموالهم و أولادهم بأن جعلها[8] سببا لمزيد قربهم ، دل على ذلك بالفاء فى قوله : ﴿ فاولئك ﴾

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذكر (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذى (٣) سقط من ظ (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٢٤٠ . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و هو ، و فى المعالم : قربى (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : أحد (٧-٧) من مد ، وفى الأصل وظ و م : الأموال و الأولاد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يجعلها .

أى العالو الرتبة ﴿ لهم[1] جزآء الضعف ﴾ أى بأن[2] يأخـــذوا جزاءهم مضاعفا فى نفسه من عشرة أمثال إلى ما لا نهاية له ، و مضاعفا بالنسبة إلى جزاء من تقدمهم من الأمم ، و الضعف : الزيادة ﴿ بما عملوا ﴾ فان أعمالهم ثابتة محفوظة بأساس الإيمان ﴿ و هم فى الغرفـت ﴾ أى العلالى ٥ المبنية فوق البيوت فى الجنان[3] ، زيادة على ذلك ﴿ امنون ﴾ أى ثابت أمنهم دائما ، لاخوف عليهم من شىء من الأشياء أصلا ، و أما غيرهم و هم المرادون بما بعده فأموالهم و أولادهم وبال عليهم .

و لما كان فى سياق الترغيـــب فى الإيمان بعد الإخبار بأنه بشير و نذير ، قال معبرا بالمضارع [5]بيانا لحال[5] من يبعده ماله [6]و ولده من ١٠ الله[6] : ﴿ و الذين يسعون ﴾ أى يجددون السعى من غير توبة بأموالهم و أولادهم ﴿ فى ايتنا ﴾ على ما لها من عظمة الانتساب إلينا ﴿ معجزين ﴾ أى طالبين تعجيزها أى تعجيز الآتين بها عن إنفاذ مراداتهم بها[7] بما يلقونه من الشبه فيضلون غيرهم بما أوسعنا عليهم و أعززناهم بـــه من الأموال و الأولاد .

١٥ و لما كان سبحانه قد بت الحكم بشقاوتهم ، و أنفذ القضاء بخسارتهم ، أسقط فاء السبب إعراضا[7] عن أعمالهم [8]و قال[8] : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء

(١) سقط من ظ (٢) فى ظ و مد : أن (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : البيت (٤) فى ظ و م و مد : الجنات (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بيان الحال (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : إعراضهم (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

البغضاء ﴿ فى العذاب ﴾ اى المزيل للعذوبة ﴿ محضرون ﴾ أى يحضرهم فيه الموكلون بهم من جندنا على أهون وجه و أسهله و هم داخرون ، قال القشيرى : إن هؤلاء هم الذين لا يحترمون الأولياء و لا يراعون حق الله فى السر ، فهم فى عذاب الاعتراض على أولياء الله و عذاب الوقوع بشوم[1] ذلك فى ارتكاب محارم الله تم / فى عذاب السقوط من عين الله . ٥ / ٣٠٢

و لما أبطل شبهتهم بشعبتيها بالنسبة إلى الأشخاص المختلفة ، قرب ذلك بدليل واحد فى شخص واحد فقال : ﴿ قل ﴾ يا أشرف الخلق لهؤلاء الجهلة الذين يظنون أن الرزق بحسب حسن السعى و قبحه[2] أو حسن[3] حال الشخص عند الله و قبحها : ﴿ان ربى﴾ [أى -[3]] المحسن إلىّ بهذا البيان المعجز ﴿ يبسط الرزق ﴾ أى متى شاء ﴿لمن يشآء من عباده ﴾ ١٠ أى على سبيل التجدد المستمر من أىّ طائفة كان ﴿ و يقدر له[4] ﴾ أى يضيق عليه نفسه فى حالتين متعاقبتين ، و هو بصفة واحدة على عمل واحد ، فلو[4] أن الإكرام و الإنعام يوجب الدوام لما تغيرت حاله من السعة إلى الضيق ، و لو أن فى يده نفع نفسه لما اختلف حاله .

و لما بين هذا البسط أن فعله بالاختيار بعد أن بين بالأول كذبهم ١٥ فى أنه سبب للسلامة من النار ، دل على انه الفاعل لا غيره بقوله : ﴿ و مآ انفقتم من شىء ﴾ أى أنتم و أخصامكم و غيرهم ﴿ فهو يخلفه ﴾

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بسوء (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و احسن (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلولا .

أى لا غيره بدليل أن المنفق قد يجتهد كل الاجتهاد فى الإخلاف فلا ينفق، فدل ذلك على انه المختص بالإخلاف، و لأن هذا هو المعنى لا أنه ضمن الإخلاف لكل ما ينفق على أى وجه كان، قال مجاهد كما نقله الرازى فى اللوامع: إذا كان فى يد أحدكم شىء فليقتصد و لا يتأول الآية، فان الرزق مقسوم، و ما عال من اقتصد - كما رواه الطبرانى عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا، و المعنى أنه قد دل الإخلاف على جميع الأشكال و الأضداد على أن الأمر فيه على غير ما ظننتم من الإسعاف به فى وقت موجب للاكرام على الدوام، و أن ذلك إنما هو لضمانه الرزق لكل أحد بحسب ما قسمه له على ما سبق به علمه و قدّرته[1] حكمته، و تارة يكون إخلافه حسا و بالفعل، و تارة يكون معنى و بالقوة، بالترضية بتلك الحالة التى أدت إلى العدم، قال القشيرى: و هو[2] أتم من السرور بالموجود، و من ذلك الأنس بالله فى الخلوة، و لا يكون ذلك إلا مع التجريد[3] - انتهى. و المنفق بالاقتصاد داخل إن شاء الله تعالى تحت قوله صلى الله عليه و سلم فيما رواه الشيخان: البخارى[4] و مسلم[5] عن ابى هريرة رضى الله عنه «قال الله تعالى: أنفق أنفق عليك» و ما روى الشيخان[6] و ابن حبان فى صحيحه ايضا «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان[7] يقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا. و يقول

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: هم (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التجديد. (٤) فى أبواب النفقات وغيرها (٥) فى أبواب الزكاة (٦) راجع أبواب الزكاة من صحيحيهما (٧) زيد فى الأصل: يقولان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

الآخر : اللهم أعط ممسكا تلفا، فهو خير الموسعين[1] ﴿ و هو خير الرازقين ٥ ﴾ أي الذين تعدونهم هذا العداد ممن يقيمهم [2]هو سبحانه[2] لكم فتضيفون الرزق إليهم، فانهم وسائط لايقدرون إلا على ما قدرهم، و أما هو سبحانه فهو يوجد المعدوم، و يرزق من يطيعه و من يعصيه، و لايضيق ترزيقه بأحد، و لا يشغله فيه أحد عن أحد، بل يبعث فى كل يوم ليكل أحد رزقه ٥ فى آن واحد كما ينشر عليهم نوره بالشمس فى آن واحد من غير توقيف لذلك على شيء من الأشياء غير ما سبق به العلم فى الأزل.

و لما أبطل شبهتهم فعلم بذلك أن الأمر كله له، و أنهم فى محل الخطر[3]، و كان قد بقي[4] من شبههم أنهم يقولون: نحن نعبد الملائكة فهم يشفعون لنا، و كان الأنبياء عليهم السلام لاينكرون أن الملائكة مقربون ١٠ أبطل ما يتعلقون به منهم، و بين أنه لا أمر لهم و أنهم بريئون منهم، فقال عاطفا على "اذ الظلمون": ﴿ و يوم يحشرهم ﴾ أي نجمعهم جمعا ٣٠٣/ بكره بعد البعث. و عم التابع و المتبوع بقوله: ﴿ جميعا ﴾.

و لما كانت مواقف الحشر طويلة و زلازله مهولة قال: ﴿ ثم نقول للملئكة ﴾ أي توبيخا للمشركين و إقناطا مما يرجون منهم من ١٥ الشفاعة. و لما كانت العبادة لاتنفع إلا إذا كان المعبود راضيا بها و كانت خالصة، قال مبكتا للمشركين و موبخا ليكون هناك سؤال و جواب

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الواسعين (٢ - ٢) من ظ و م و مد. و فى الأصل: سبحانه هو (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النظر. (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نهى (٥) و قراءة حفص بالياء التحتانية.

فيكون التقريع أشد و الخجل به أعظم، و الخوف و الهوان أتم و ألزم، و يكون اقتصاص ذلك عظة للسامعين[1]، و زجرا للجاهلين، و تنبيها للغافلين. على طريق "أأنت قلت للناس اتخذونى [2]و امى الهين من دون الله[2]" الآيات: ﴿ أهؤلاء ﴾ أى الضالون؛ و أشار إلى أنه لا ينفع من العبادة إلا ما كان خالصا فقال: ﴿ إياكم ﴾ أى خاصة ﴿ كانوا يعبدون ﴾ بأفعالهم الاختيارية و القسرية ليعلم أنهم [3]عبيد لكم[3] تستحقون عبادتهم، و[4] فى التعبير بما يدل على الاختصاص تنبيه لقريش على أنه لا يعتد من العبادة إلا بالخالص ﴿ قالوا ﴾ أى الملائكة متبرئين منهم مفتتحين بالتنزيه تخضعا بين يدى البراءة خوفا [5]من حلول السطوة[5]. ﴿ سبحنك ﴾ أى تنزهك تنزيها يليق بجلالك عن أن يستحق [أحد -[6]] غيرك أن يعبد.

و لما كانوا كارهين جدا لعبادتهم، و كانت فائدة العبادة الوصلة[7] بين العابد و المعبود قالوا: ﴿ انت ولينا ﴾ أى معبودنا الذى لا وصلة بيننا و بين أحد إلا بامره ﴿ من دونهم ج ﴾ [أى من أقرب منزلة لك من منازلهم منا. فأنت أقرب شيء إلينا فى كل معانى الولاية من العلم و القدرة وغيرهما، فكيف نترك الأقرب الأقوى و نتولى الأبعد العاجز -[8]]. ليس بيننا و بينهم من[9] ولاية. بل عداوة. و كذا كل

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السائلين (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣-٣) فى ظ: عبيدكم (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الموصلة (٨) زيد من ظ و م (٩) سقط من ظ و م و مد.

من تقرب إلى شخص بمعصية الله يقسى الله قلبه عليه و يبغضه فيه فيجافيه[1] و يعاديه .

و لما كان[2] من يعمل لأحد عملا لم يأمر به و لم يرضه إنما عمل[3] فى الحقيقة للذى دعاه إلى ذلك العمل قالوا : ﴿ بل كانوا ﴾ بأفعالهم الاختيارية الموجبة للشرك ﴿يعبدون الجن ج﴾ أى إبليس و ذريته الذين زينوا لهم عبادتنا من غير رضانا [بذلك -[4]]، و كانوا يدخلون فى أجواف الأصنام و يخاطبونهم و يستجيرون بهم فى الأماكن المخوفة، و من هذا[5] تعس عبد الدينار و عبد الدرهم[5] و عبد القطيفة ؛ ثم استأنفوا قولهم : ﴿ اكثرهم ﴾ أى الإنس ﴿بهم﴾ أى الجن ﴿ مؤمنون ه ﴾ أى راسخون فى الإشراك [لا -[4]] يقصدون بعبادتهم غيرهم ، و قليل منهم من يقصد بعبادته[6] بتزيين الجن [غيرهم -[7]] و هو غير راض بها ، فهى فى الحقيقة لمن زينها لهم من الجن ، و هم مع ذلك يصدقون ما يرد عليهم من إخبارات الجن على ألسنة الكهان و غيرهم مع ما يرون فيها من الكذب فى كثير من الأوقات .

و لما بطلت تمسكاتهم ، و تقطعت تعلقاتهم ، تسبب عن ذلك تقريعهم الناشئ عنه تنديمهم بقوله بلسان العظمة : ﴿ فاليوم ﴾ أى يوم مخاطبتهم

(١) فى مد : فيجانبه (٢) زيد فى الأصل : كل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : هو (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : نفس عبد الدرهم وعبد الدينار. (٦) فى ظ : بعبادتهم (٧) زيد من م و مد .

بهذا التبكيت و هو يوم الحشر ﴿ لايملك ﴾ [أى - ١] شيئا من الملك ﴿ بعضكم لبعض ﴾ أى من المقربين و المبعدين . و لما كان المدار على الخلاص و السياق للشفاعة ، قدم النفع فقال٢ : ﴿ نفعا ﴾ و أكمل الأمر بقوله : ﴿ و لا ضرا ٤ ﴾ تحقيقا لقطع جميع الأسباب التى كانت ٥ فى دار التكليف من دار الجزاء التى المقصود فيها تمام إظهار العظمة لله وحده على أتم الوجوه .

و لما كان المعنى : فاليوم نسلب الخلائق ما كنا مكناهم منه فى الدنيا من التنافع و ٣ التضارر . و تلاشى٣ / بذلك كل شىء سواه ، أثبت لنفسه المقدس ما ينبغى . فقال عاطفا على هذا الذى قدرته : ﴿ و نقول ﴾ أى ١٠ فى ذلك الحال من غير إمهال ٤ و لا إهمال ٤ ﴿ للذين ظلموا ﴾ أى بوضع العبادة فى غير موضعها و لاسيما من ضم إلى ذلك إنكار المعاد عند إدخالنا لهم النار : ﴿ ذوقوا عذاب النار ﴾ و٥ لما لم يتقدم للعذاب وصف بترديد - كما تقدم فى السجدة - و لاغيره . كان المضاف [إليه - ٦] أحق بالوصف لأنه المصوب إليه بالتكذيب فقال : ﴿ التى كنتم ﴾ أى ١٥ جبلة و طبعا ﴿ بها تكذبون ٥ ﴾ .

و لما أخبر أنهم ابوا الإيمان٧ بالقرآن ، المخبر بالغيب من أمر الرحمن

٣٠٤ /

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و قال. (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التضار و يتلاش (٤ - ٤) سقط ما بين الرتبتين من ظ و م ومد (٥) سقط من ظ (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد فى الأصل و ظ : بالاخبار ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

الذى هدت إليه العقول، و شاهدت آثاره العيون. فى هذا الكلام المعجز، فتظافرت على ما أخبرت[1] به أدلة السمع و البصر و العقل، و ختم بأنهم آمنوا بالجن غيا و عبدوهم من دون الله بما لم يدع إليه عقل و لا نقل، و صدقوهم من الإخبار بما إن صدقوا فى شىء منه خلطوا معه أكثر من مائة كذبة، و سلب أعظم من ادعوا أنهم استندوا[2] إليه[3] النفع ٥ و الضر، و أسند تعذيبهم إلى تكذيبهم، أتبعه الإخبار بأنهم لازموا الإصرار على ذلك الكفر و التكذيب بما كله صدق و حكم فقال: ﴿ و اذا تتلى ﴾ اى فى وقت من الأوقات من أىّ تال كان ﴿ عليهم ﴾ [اى خاصة لم يشركهم غيرهم ليقولوا: إنه المقصود بالتلاوة. فلا يلزمهم الاستماع -[4]] ﴿ ايتنا ﴾ حال كونها ﴿ بينت ﴾ ما قالت شيئا إلا [5]ظهرت ١٠ حقيته[5] ﴿ قالوا ﴾ [أى على الفور من غير تأمل لما حملهم على ذلك من حظ النفس -[6]]

و لما كان المستكبرون يرون ما للرسالة من الظهور، و للرسول من القبول، و أن أتباعهم قد ظهر لهم ذلك، فمالوا إليه بكلياتهم، أكدوا قولهم: ﴿ ما هذآ ﴾ [أى -[6]] التالى لها على ما فيه من السمت المعلم ١٥ بأنه أصدق الخلق و أعلاهم همة و أبينهم تصيحة ﴿ الا رجل ﴾ أى مع كونه واحدا هو مثل واحد من رجالكم، و تزيدون[7] عليه أنتم[7] بالكثرة،

(١) فى ظ و م و مد: أخبر (٢) من ظ و م و مد، و فى الاصل: استندوا.
(٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و مد (٤ - ٥) من م و مد، و فى الأصل: ظهر حقيقته، و فى ظ: ظهرت حقيقته (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انتم عليه.

و لم يسندوا الفعل إليهم نفيا للغرض[1] عن أنفسهم و إلهابا للخاطبين فقالوا: ﴿ يريد ان يصدكم ﴾ أى بهذا الذى يتلوه ﴿ عما كان ﴾ [دائما -[2]] ﴿ يعبد اباؤكم[4] ﴾ أى لا قصد له إلا ذلك لتكونوا له أتباعا، و ألهبوا السامعين بتصوير آبائهم بذكر "كان" و الفعل المضارع ملازمين للعبادة ٥ ليثبتوا على كفرهم بما لادليل عليه و لا شبهة و لا داع سوى التقليد.

و لما كانت أدلة الكتاب واضحة، خافوا عاقبتها فى قبول الأتباع لها، فجزموا بأنها كذب ليوقفوهم بذلك، فحكى ذلك عنهم سبحانه بقوله: ﴿ و قالوا ما هذه[3] ﴾ أى القرآن ﴿ الا افك ﴾ أى كذب مصروف عن وجهه ﴿ مفترى[5] ﴾ أى متعمد ما فيه من الصرف.

١٠ و لما كان فيه ما لايشك أحد فى حقيته، لبسوا عليهم بأنه خيال يوشك أن ينكشف إيقافا لهم إلى[3] وقت ما، فقال تعالى إخبارا عنهم: ﴿ و قال ﴾ و لما كان الحق قد يخفى، و لم يقيده بالبيان كما فعل فى الآيات، أظهر موضع الإضمار بيانا للوصف الحامل لهم على ذلك القول و هو التدليس، فقال: ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دلت عليه ١٥ العقول من حقية القرآن ﴿ للحق ﴾ أى الذى لا أثبت منه باعتبار كمال الحقية فيه ﴿ لما جاءهم[2] ﴾ أى من غير أن يمهلوا النظر و لا تدبر[5] ليقال إن الداعى لهم إلى ما قالوا نوع شبهة عرضت لهم، بل أظهروا بالمسارعة إلى الطعن أنه مما لايتوقف فيه، و أكدوا لما تقدم من خوفهم على اتباعهم

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للعرض (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اى (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تبديل (٥) فى ظ: فيقال.

ليخيلوهم[1] فقالوا : ﴿ان﴾ أى ما ﴿هذآ﴾ أى الثابت / الذى لايكون ٢٠٥ /
شىء أثبت منه ﴿الا سحر﴾ أى خيال لاحقيقة له ﴿مبين ه﴾ أى ظاهر
العوار جدا ، فهو ينادى على نفسه بذلك ، فلا تغتروا بما فيه مما يميل
النفوس و يؤثر فى القلوب ، و لقد انصدّ لعمرى بهذا التلبيس - مع
أن [فى - [3]] نسبتهم له إلى السحر الاعتراف بالعجز - بشر كثير برهة ٥
من الدهر حتى هدى الله بعضهم ، و تمادى بالآخرين[4] الأمر حتى ماتوا
على ضلالهم ، مع أنه كان ينبغى لكل من رأى مبادرتهم و تحرقهم
أن يعرف أنهم[5] متغرضون ، لم يحملهم على ذلك إلا الحظوظ النفسانية ،
و العلق الشهوانية ، قال الطفيل بن عمرو[6] الدوسى ذو النور[7] رضى الله
عنه[8] : لقد أكثروا علىّ[9] فى أمره حتى حشوت[10] فى أذنىّ الكرسف ١٠
خوفا من أن يخلص إلىّ شىء من كلامه فيفتنى ، ثم أراد الله بى الخير
فقلت : واثكل أمى[11] إنى و الله لبيب عاقل شاعر ، و لى معرفة بتمييز[12] غث
الكلام من سمينه ، فما لى لا أسمع منه ، فان كان حقا تبعته ، و إن كان

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليخلوهم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هذا (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالآخر من (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عامر - خطأ (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذوالنون - خطأ (٨) راجع لخبره هذا طبقات ابن سعد ٤ / ١ / ١٧٥ (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليه. (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خشوت (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اى (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بتميز .

باطلا كنت منه على بصيرة - أو كما قال، قال[1] : فقصدت النبى صلى الله عليه و سلم فقلت : اعرض[2] علىّ ما جئت به، فلما عرضه علىّ بأبى هو و أمى ما سمعت قولا قط أحسن منه، و لا أمرا أعدل منه، فما[3] توقفت فى أن أسلمت، ثم سأل النبى صلى الله عليه و سلم أن يدعو[4] الله له[4]

٥ [أن يعطيه - ٥] آية تعينه على قومه، فلما أشرف على حاضر[6] قومه كان له نور فى جبهته. فخشى أن يظنوا أنها مثلة، فدعا بتحويله، فتحول فى طرف سوطه، فأعانه الله على قومه [فأسلموا - ٥] .

و لما بارزوا بهذا القول من غير أثارة [من - ٥] علم و لا خبر [من - ٥] سمع، بين ذلك معجبا من شأنهم، موضحا لعنادهم، بقوله

١٠ مؤكدا إشارة إلى أن ما يجترؤن عليه من الأقوال التى لا سند لها إلا التقليد لا يكون إلا عن[1] كتاب أو رسول : ﴿ و ما ﴾ أى قالوا ذلك و الحال أنا ما ﴿ آتيناهم ﴾ أى هؤلاء العرب أصلا لأنه[2] لم ينزل عليهم قط قبل القرآن كتاب، و عبر بمظهر العظمة إشارة إلى أن هذا مقام خطر و موطن وعر جدا لأنه[8] أصل الدين، فلا يقنع فيه إلا بأمر عظيم،

١٥ و أكد هـذا المعنى بقوله : ﴿ من كتب ﴾ بصيغة الجمع مع تأكيد النفى بالجار [قبل كتابك الجامع - ٩] ﴿ يدرسونها ﴾ أى يجددون

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اعترض (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ ا فلما (٤ - ٤) فى ظ و م و مد : له الله (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : خاصة (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لانهم (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : إلا انه . (٩) زيد من ظ و مد .

دراستها فى كل حين، فهى متظاهرة الدلالة باجتماعها على معنى واحد متواترة عندهم لا شبهة فى أمرها ليكون ذلك سببا للطعن[1] فى القرآن إذا خالف تلك الكتب ﴿و ما ارسلنا﴾ أى إرسالا لا شبهة فيه [لمناسبته لما لنا من العظمة -[2]] ﴿اليهم﴾ [أى خاصة، بمعنى أن ذلك الرسول مأمور بهم بأعيانهم، فهم مقصودون بالذات، لا أنهم داخلون فى عموم، ٥ أو مقصودون من باب الأمر بالمعروف فى جميع الزمان الذى -[2]] ﴿قبلك﴾ أى [من قبل رسالتك الجامعة لكل رسالة ليخرج إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام فانهما كانا فى بعض الزمان الماضى، أو أن المراد -[2]] فى الفترة بعد عيسى عليه السلام كما تقدم فى السجدة نقله عن ابن عباس و مقاتل، و يجوز أن يراد بعد إسماعيل عليه السلام لأن ١٠ عيسى عليه السلام - و إن أرسل إلى العرب رسله - لم يكن مرسلا [إلا -[2]] إلى قومه، و إرساله إلى غيرهم إنما هو من باب الأمر بالمعروف، و شعيب عليه السلام إنما كانت رسالته إلى طائفة أو اثنتين منهم و [قد يقال -[2]]: الذى يدل عليه استغراق جميع الزمان الماضى بالتجريد عن الخافض أن المراد إنما هو نفى الإرسال بهذا الباطل الذى ادعوه لامطلق الإرسال، ١٥ و أكد النفى بقوله: ﴿من نذير﴾ أى ليكون عندهم قول منه يغير[4] فى وجه[5] القرآن، فيكون حاملا لهم على الطعن.

و لما نفى موجب الطعن، ذكر المانع الموجب للاذعان[6] فقال:

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للظن (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من ظ و م ومد (٤) من م و مد، و فى الأصل: يغير، و فى ظ: يعبر (٥) فى ظ: وجهه (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للاذهان.

﴿وكذب﴾ أي فعلوا ما فعلوا والحال أنه قد كذب ﴿الذين من قبلهم[1]﴾ أي من قوم نوح ومن بعدهم بادروا إلى ما بادر[1] / إليه هؤلاء، لأن التكذيب كان في طباعهم لما عندهم من الجلافة والكبر ﴿وما بلغوا﴾ أي هؤلاء ﴿معشار ما آتيناهم﴾ أي عشرا صغيرا مما آتينا أولئك من القوة في الأبدان والأموال والمكنة [في كل شيء -[2]] من العقول وطول الأعمار والخلو من الشواغل ﴿فكذبوا﴾ [أي -[2]] بسبب ما طبعوا عليه من العناد، [وافرد الضمير كما هو حقه ونصا على أن النون فيما مضى للعظمة لا للجمع دفعا لتعنت متعنت فقال -[3]]: ﴿رسلي[4] قف﴾.

/٣٠٦

ولما كان اجتراؤهم على الرسل سبب إهلاكهم على أوجه عجيبة، صارت مثلا مضروبا باقيا ذكره إلى يوم القيامة ولم يغن عنهم في دفع النقم ما بسط لهم من النعم، كان موضع أن يقال لرائيه أو لسامعه[5]: ﴿فكيف كان نكير ع﴾ [أي فيما كان له من الشدة التي هي كالجبلة -[3]] أي إنكاري على المكذبين لرسلي، ليكون السؤال تنبيها لهذا المسئول وداعيا له إلى الإذعان خوفا من أن يحل بـه ما حل بهم إن فعل مثل فعلهم [سواء كان الإنكار في أدنى الوجوه كما أوقعناه سببا من تعطيل الأسباب، أو أعلاها كما أنزلناه بقوم نوح عليه السلام ومن شاكلهم

(١) من م ومد، وفي الأصل: بادروا، والعبارة من «بادروا» إلى هنا ساقطة من ظ (٢) زيد من ظ وم ومد (٣) زيد من ظ ومد (٤) ليس في الأصل فقط (٥) في م ومد: سامعه.

و صب العذاب و الاستئصال الوحىّ بالمصاب على ما أشارت إليه قراءتا حذف الياء و إثباتها -[١]] .

و لما أبطل شبههم[٢] كلها ، و لينّ من عريكتهم بالتنبيه على التحذير ، فصاروا جديرين بقبول الوعظ ، [و كان مما رموه به - و حاشاه - الجنون و تعمد الكذب -[١]] ، أمره بالإقبال عليهم به[٣] مخففا له لئلا ينفروا من طوله فقال : ﴿ قل ﴾ و أكده زيادة فى استجلابهم إلى الإقبال عليه فقال : ﴿ انما اعظكم بواحدة ج ﴾ أى فاسمعوا و لاتنفروا خوفا[٤] من أن أملّكم ؛ ثم استأنف قوله بيانا لها : ﴿ان تقوموا﴾ أى توجهوا نفوسكم إلى تعرف الحق ، و عبر بالقيام إشارة إلى الاجتهاد ﴿ لله ﴾ أى الذى لا أعظم منه على وجه الإخلاص و استحضار ما له من العظمة بما[٥] له لديكم[٥] من الإحسان [[لا لإرادة المغالبة -[١]] حال كونكم ﴿ مثنى ﴾ أى اثنين اثنين ، [و قدمه إشارة إلى أن أغلب الناس ناقص العقل -[١]] ﴿ و فرادى ﴾ أى واحدا واحدا ، من وثق بنفسه فى رصانة عقله و أصالة رأيه قام وحده ليكون أصفى لسره ، و أعون على خلوص فكره ، و من خاف عليها ضم إليه آخر ليذكره إن نسى ، و يقومه إن زاغ . [٦]و لما كان هذا القسم أكثر وجودا فى الناس قدمه[٦] و لم يذكر غيرهما من الأقسام ، إشارة إلى أنهم إذا كانوا على هاتين الحالتين كان أجدر لهم

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شبهتهم (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خوفكم (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لديكم له (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بأن يعرفوا الحق من غير شائبة حظ مما يكون فى الجمع الكثير[1] من الجدال و اللفظ المانع من تهذيب الرأى و تثقيف[2] الفكر و تنقية المعانى.

و لما كان ما طلب منهم هذا لأجله عظيما جديرا بأن يهتم له هذا الاهتمام، أشار إليه بأداة التراخى فقال: ﴿ثم تتفكروا﴾ أى تجتهدوا بعد التانى و طول التروى فى الفكر فيما وسمتم به صاحبكم من أمر الجنون. و لما كان بعده صلى الله عليه و سلم من هذا أمرا لا يتمارى فيه، أستانف قوله [معينا بالتعبير بالصاحب -[3]] مؤكدا تكذيبا لهم و تنبيها[4] على ظهور مضمون هذا النفى: ﴿ما بصاحبكم﴾ أى الذى دعاكم إلى الله و قد بلوتموه صغيرا و يافعا وشابا و كهلا، و أعرق فى النفى بقوله: ﴿من جنة[5]﴾ و خصها لأنها مما يمكن طروءه، و لم يعرّج على الكذب لأنه مما لا يمكن فيمن عاش بين أناس عمرا طويلا و دهرا دهيرا يصبحهم ليلا و نهارا[5] صباحا و مساءا سرا و علنا فى السراء و الضراء، و هو أعلاهم همة[6] و أوفاهم مروءة، و أزكاهم خلائق و أظهرهم شمائل، و أبعدهم عن الأدناس ساحة[7] فى مطلق الكذب، فكيف بما يخالف أهواءهم فكيف بما ينسب إلى الله فكيف[8] و كلامه[8] الذى ينسب فيه إلى الكذب معجز بما فيه

(١) فى ظ: الكبير (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تثقيب (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٥) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) العبارة من هنا إلى «ساحة» ساقطة من ظ (٧) من م و مد، و فى الأصل: ساعة. (٨ - ٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بكلامه.

من

من الحكم و الأحكام، و البلاغة و المعانى التى أعيت الأفهام .

و لما ثبت بهذا إعلاما و إفهاما براءته[1] مما قذفوه به كله، حصر أمره / فى النصيحة من الهلاك، فقال منبها على أن هذا الذى أتاهم به لايدعيه إلا أحد رجلين: إما مجنون أو صادق هو أكمل الرجال، و قد انتفى الأول فثبت الثانى: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هو ﴾ [أى المحدث عنه بعينه -[2]] ﴿ الا نذير لكم ﴾ أى خاصا إنذاره و قصده الخلاص بكم، [و هول أمر العذاب بتصويره صورة من له آلة بطش محيطة بمن تقصده فقال -[2]]: ﴿بين يدى﴾ [أى -[2]] قبل حلول ﴿عذاب شديد ٥﴾[4] قاهر لاخلاص منه، إن لم ترجعوا إليه حل بكم سريعا، روى [البخارى -[3]] عن ابن عباس رضى الله عنهما[5] قال: صعد النبى صلى الله عليه و سلم الصفا ذات يوم فقال: يا صباحاه! فاجتمعت إليه قريش فقالوا: ما لك، فقال: أرأيتم[6] لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم او يمسيكم أما كنتم تصدقونى؟ قالوا: بلى، فقال: إنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبا لك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله عز و جل " تبت يدا ابى لهب و تب ".

٣٠٧/

و لما انتفى عنه بهذا ما خيلوا[7] به، بقى إمكان أن يكون لغرض أمر دنيوى فنفاه [بأمره -[2]] بقوله: ﴿قل﴾ أى للكفرة: ﴿ ما ﴾

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: براة (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى ظ: اى (٥) راجع من صحيحه ٢ / ٧٠٨ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ارايتكم (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: خيلوه .

أى مهما ﴿سألتكم من اجر﴾ أى على دعائى لكم ﴿ فهو لكم[1] ﴾ لا أريد منه شيئا ، و هو كناية عن أنى لا أسألكم على دعائى لكم إلى الله أجرا أصلا[1] بوجه من الوجوه ، فاذا ثبت أن الدعاء ليس لغرض دنيوى ، و أن الداعى أرجح الناس عقلا ، ثبت أن الذى حمله على تعريض نفسه لتلك الأخطار العظيمة إنما هو أمر الله الذى له الأمر كله . و لما كانوا يظنون به فى بعض ظنونهم أنه يريد أمرا دنيويا ، أكد قوله : ﴿ان﴾ أى ما ﴿ اجرى الا على الله ج﴾ أى الذى لا أعظم منه ، فلا ينبغى لذى همة أن يبتغى شيئا إلا من عنده ﴿ و هو ﴾ اى و الحال أنه ﴿ على كل شىء شهيد ه﴾ أى بالغ العلم بأحواله ، فهو جدير بأن يهلك الظالم و يعلى كعب المطيع .

و لما لم يبق شىء يخدش فى أمر المبلغ ، أتبعه تصحيح النقل جوابا لمن كأنه يقول : برئت ساحتك ، فمن لنا بصحة مضامين ما تخبر ؟ فقال مؤكدا لإنكارهم أن يكون ما يأتى به حق [معيدا الأمر بالقول ، إشارة إلى أن كل كلام صدر دليل كاف مستقل بالدلالة على ما سبق له -[2]] : ﴿ قل ﴾ لمن أنكر التوحيد و الرسالة و الحشر [معبرا بما يقتضى العناية الموجبة لنصره على كل معاند -[2]] : ﴿ان ربى﴾ أى المحسن إلىّ بأنواع الإحسان ، المبيض لوجهى عند الامتحان ﴿ يقذف بالحق ج﴾ أى يرمى به فى إثبات جميع ذلك و غيره مما يريد رميا وحيا جدا لأنه غنى عن

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى صلا (٢) زيد من ظ و مد .

[1]تدبر أو تروّ[1] أو تفكر فى تصحيح المعنى أو إصلاح اللوازم لأنه علام الغيوب ، فيفضح من يريد إطفاء نوره فضيحة شديدة ، و يرهق باطله[2] كما فعل فيما رسمتمونى[3] به [و ـ[4]] فى التوحيد و[5] غيره [لا ـ[4]] كما فعلتم أنتم فى مبادرتكم إلى نصر الشرك و إلى ما وصفتمونى به و وصفتم ما جئت به ، فلزمكم على ذلك أمور شنيعة منها الكذب الصريح ، و لم[6] تقدروا أن تأتوا فى أمرى و لا فى شىء من ذلك بشىء يقبله ذو عقل أصلا .

و لما وصفه بنهاية العلم ، أتبعه بعض آثاره فقال : ﴿قل جآء الحق﴾ أى الأمر الثابت الذى لايقدر شىء أن يزيله ؛ و أكد تكذيبا لهم فى ظنهم أنهم يغلبون فقال : ﴿و ما﴾ أى و الحال أنه ما ﴿يبدئ الباطل﴾ [أى الذى أنتم عليه و غيره فى كل حال حصل فيه تفريعه على مر الأيام ﴿و ما يعيد ء﴾ ـ[4]] بل[7] هو كالجماد لاحركة به أصلا ، لأنه مهما نطق به صاحبه فى أمره بعد هذا البيان افتضح ، فان لم ترجعوا عنه طوعا رجعتم و أنتم صغرة كرها ، و الحاصل أن هذا كناية عن هلاكه[8] بما يهز[8]

(١ - ١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تذير اوترور ـ كذا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الباطل (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رسمنى (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا . (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ايما بهذا .

النفس و يرفض الفكر بتمثيله بمن انقطعت حركته ، و ذهبت قوته ، حتى لا يرجى نهوضه .

و لما لم يبق بعد هذا إلا أن يقولوا عنادا : [1]أنت ضال[1]، ليس بك جنون و لا كذب ، و لكنك قد عرض لك ما أضلك عن المحجة ، قال : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المعاندين[2] على سبيل الاستعطاف[3] بما فى قولك من الإنصاف و تعليم الأدب : ﴿ ان ضللت ﴾ أى عن الطريق على سبيل الفرض ﴿ فانما اضل ﴾ و لما كان الله تعالى قد جعل العقل عقالا[4] يمنع من الخطأ و ينهى عن الهوى ، و كان الغلط لا يأتى إلا من شواغل النفس بشهواتها و حظوظها ، فكان التقدير : بما فى نفسى من الشواغل العاقلة للعقل ، قال مشيرا إلى ذلك : ﴿ على نفسى ج ﴾ أى لأن الضلال إذا استعلى على شىء ظهر أمره فيتبين عواره فيلزم عاره[5] ، و يصير صاحبه بحيث لا يدرى شيئا ينفع و لا يعيد . و لذلك يصير يفزع إلى السفه و المشاتمة كما وقع فى مذاهبكم كلها ، لأن الله تعالى جعل العقول الصحيحة معيارا على ذلك . فهما ذكرت طرق [الحق -] و حررت ظهر أمر الباطل و افتضح . [و لما كانت النفس منقادة بل مترامية نحو الباطل ، عبر فى الضلال بالمجرد ، و فى الهدى بالافتعال إشارة إلى أنه لابد

٣٠٨/ ١٥

(١ -) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أانت هناك (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المعندون (٣) فى ظ : الاعطاف (٤) زيد فى الأصل : لا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عادة (٦) زيد من ظ و م و مد .

فيه

فيه من هاد و علاج ، و عبر بأداة الشك استعمالا للانصاف فقال -[1]] :
﴿ و ان اهتديت فبما ﴾ أى فاهتدائى انما[2] هو بما ﴿ يوحىّ الىّ ربى[3] ﴾
أى المحسن إلىّ لا بغيره ؛ فلا يمكن فيه ضلال لأنه لا حظ فيه للنفس أصلا ،
فلا يقدر أحد على شىء من طعن فى شىء منه ، و هداى لنفسى . فالآية
ظاهرها التنزل منه و باطنها إرشادهم إلى تسديدهم النظر و تقويمه و تهذيب[3] ٥
الفكر و تثقيفه[4] ، و هى من الاحتباك : حذف أولا كون الضلال من
نفسه بما دل [عليه -[5]] ثانيا من أن الهدى من الوحى ، [و ثانيا -[5]]
كون الهدى[6] له بما دل عليه من كون الضلال[7] عليه ، ثم علل الضلال
و الهدى بقوله : ﴿ انه ﴾ أى ربى ﴿ سميع قريب ٥ ﴾ أى لا يغيب عنه
شىء من حال من يكذب عليه ، فهو جدير بأن يفضحه كما فضحكم فى ١٠
جميع ما تدعونه و لا يبعد عليه شىء ليحتاج فى إدراكه إلى تأخير لقطع
مسافة أو نحوها ، بل هو مدرك لكل ما أراد كلما أراد ، و الآية إرشاد
من الله تعالى إلى أنه و إن كان خلق للآدمى عقلا لا يضل و لا يزيغ ،
لكنه حفه بقواطع من الشهوات و الحظوظ و الكسل و الفتور فلا يكاد
يسلم منها إلا من عصمه الله[8] . فلما كان كذلك أنزل سبحانه كتبا هى ١٥
العقل الخالص ، و أرسل رسلا جردهم من تلك القواطع ، فجعل اخلاقهم

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد . و فى الاصل و م : فانما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : تهذيب (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تشقيقه (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل : المهدى (٧) العبارة من « من نفسه » إلى هنا ساقطة من ظ (٨) ليس فى ظ و م و مد .

شرائعهم، فعلى كل أحد أن يتبع رسله المتخلقين بكتبه منهما [عقله منابذا -[1]] رأيه كما كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم، ليكون[2] مؤمنا بالغيب حق الإيمان فيدخل فى قوله تعالى فى سورة فاطر " انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب[3] " و لا يكون متناوشا[4] بعد كشف الغطاء من

٥ مكان بعيد .

و لما أبطل شبههم[5] و ختم من صفاته بما يقتضى البطش بمن خالفه، قال عاطفا على[6] " و لو ترى اذ الظلمون " : ﴿ و لو ترى ﴾ أى تكون منك رؤية ﴿ اذ فزعوا ﴾ أى يفزعون بأخذنا فى الدنيا و الآخرة، و لكنه عبر بالماضى و كذا فى الأفعال الآتية بعد هذا لأن ما الله فاعله

١٠ فى المستقبل بمنزلة ما قد كان و وجد لتحققه ﴿ فلا ﴾ أى فتسبب عن ذلك الفزع أنه لا ﴿ فوت ﴾ أى لهم منا لأنهم فى قبضتنا، لرأيت امرا مهولا و شأنا فظيعا، و حقر أمرهم بالبناء للمفعول فقال : ﴿ و اخذوا ﴾ أى عند الفزع من كل من نأمره بأخذهم سواء كان قبل الموت أو بعده . و لما كان القرب يسهل [أخذ -[1]] ما يراد أخذه قال: ﴿ من مكان قريب ﴾

١٥ أى أخذا لا شىء أسهل منه فان الآخذ سبحانه قادر و ليس بينه و بين شىء مسافة، بل هو أقرب إليه من نفسه ﴿ و قالوآ ﴾ أى عند الأخذ و معاينة الثواب و العقاب : ﴿ آمنا به ﴾ أى الذى أريد منا الإيمان به

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ : فيكون (٣) آية ١٨ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : مساوسا (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : شبهتهم . (٦) سقط من ظ .

و أبيناه، و الأقرب أن يكون [القرآن -[1]] الذى قالوا إنه إفك مفترى
﴿و أنّى﴾ أى و كيف و من أين ﴿لهم التناوش﴾ أى تناول / الإيمان ٣٠٩ /
أو شىء من ثمراته، و كأنه عبر به لأنه يطلق على الرجوع، فكان المعنى
أن ذلك بعد عليهم من جهة أنه لايمكن إلا برجوعهم إلى الدنيا التى هى
دار العمل، و[2]أنّى لهم ذلك؟ و هو تمثيل[3] لحالهم - فى طلبهم أن ينفعهم ٥
إيمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المؤمنين إيمانهم فى الدنيا - بحال من يريد
أن يتناول شيئا من علوه كما يتناوله الآخر من قدر ذراع تناولا سهلا.
لا نصب فيه، و مده أبو عمرو و حمزة و الكسائى و أبو بكر عن عاصم[4]
لهمزهم إياه فقيل: إن الهمز على الواو المضمومة كما همزت فى وجوه و وقتت[5]
فيكون لفظه موافقا لمعناه، و الصحيح أنه ليس من هذا[6]، لأن شرط ١٠
همز الواو المضمومة ضمةً لازمةً أن لايكون مدغما فيها إذا كانت وسطا
كالتعود[7]، و أن لايصح فى الفعل نحو تناول و تعاون، و قد حكى عن
أبى عمرو أن معناه بالهمز التناول من بعد، من قولهم: نأش - بالهمز - إذا
أبطأ و تأخر، و النيش حركة فى إبطاء، و النأش أيضا: الأخذ، فيكون
الهمز أصليا، و قرأه الباقون بالواو مثل التناول لفظا و معنى، فقراءة الواو ١٥
المحضة تشير إلى أنهم يريدون تناولا سهلا مع[6] بعد المتناول فى المكان،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: او (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تمثيلهم (٤) راجع نثر المرجان ٥/ ٤٩٧ (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: وقت (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و مد، و فى الأصل و م: كالمتعود.

و قراءة الهمز إلى أن إرادتهم تأخرت و أبطأت حتى فات وقتها ، فجمعت إلى بعد المكان بعد الزمان .

و لما كان البعيد لا يمكن[1] الإنسان تناوله مع بعده قال : ﴿من مكان بعيد ج ه﴾ فانه بعد كشف الغطاء[2] عند مجيء البأس لا ينفع الإيمان ﴿و قد﴾ [أى -[3]] كيف لهم ذلك و الحال أنهم قد ﴿كفروا به﴾ أى بالذى طلب منهم أن يؤمنوا به أملا و جزاء ﴿من قبل ج﴾ أى فى دار العمل ﴿و﴾ الحال أنهم حين كفرهم ﴿يقذفون﴾ فى أمر ما دعوا إليه بما يرمون به[4] من الكلام رميا سريعا جدا من غير تمهل و لا تدبر ﴿بالغيب﴾ [أى -[3]] من مرجمات الظنون ، و هى الشبهة التى تقدم إبطالها فى هذه السورة و غيرها من استبعادهم البعث و غيره مما أخبر الله به .

و لما كان الشيء لا يمكن أن يصيب ما يقذفه و هو غائب عنه و لا سيما مع البعد قال معلما ببعدهم عن علم ما يقولون مع بعده جدا من حال من تكلموا فيه سواء كان القرآن أو النبى صلى الله عليه و سلم أو الحشر و الجنة و النار : ﴿من مكان بعيد ه﴾ و ذلك على الضد من قذف علام الغيوب فانه من مكان قريب فهو معلوم لازم للحق .

و لما أشار إلى بعد الإيمان منهم عند إرادتهم تناوله عند فوات أمره و علوه عنهم عند طعنهم فيه فى دار العمل ، ترجم حالتيهم فى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او .

ذلك على وجه يعم ثمرات الإيمان من دخول الجنان و رضى الرحمان بقوله: ﴿و حيل﴾ معبرا بصيغة المجهول مشيرا إلى أن حصول الحيلولة بأسهل ما يكون و[٢] لأن المنكى [لهم -[٣]] نفس الحيلولة[١] لا كونها من شخص معين: ﴿ بينهم و بين ما يشتهون ﴾ أى يميلون إليه ميلا عظيما من تأثير طعنهم و قبول إيمانهم عند [رؤية -[٤]]، البأس و من حصول ٥ شىء من ثمراته لهم من حسن الثواب [كما يرى الإنسان منهم - و هو فى غمرات النار - مقعده فى الجنة، الذى كان يكون له لو آمن و لا يقدر على الوصول إليه بوجه، و إن خيل إليه الوصول فقصده فمنع منه كان أنكى -[٤]] ﴿كما فعل﴾ [أى -[٣]] بأيسر وجه ﴿باشياعهم﴾ أى الذين كفروا مثلهم ﴿من قبل﴾ أى قبل [زمانهم -[٣]] فان حالهم [كان -[٥]] ١٠ كحالهم فى الكفران و الإيمان، و السعادة و الخسران، و لم يختل أمرنا فى أمة من الأمم، بل كان كلما كذبت أمة رسولها أخذناها، فاذا أذقناهم باسنا أذعنوا و خضعوا، فلم نقبل منهم ذلك، و لا نفعهم شيئا لا بالكف عن إهلاكهم و لا بادراكهم لشىء من الخير بعد إهلاكهم "ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع و هو شهيد" . ثم علل عدم ١٥ الوصول إلى قصد[٦] / فى كل من الحالتين بقوله مؤكدا لإنكارهم أن يكون عندهم شىء من شك فى شىء[٧] من أمرهم: ﴿ انهم كانوا ﴾ أى

/ ٣١٠

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحيولة (٢) سقطت الواو من ظ.
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من م و مد.
(٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قصدهم (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شك.

فى دار القبول كونا هو كالجبلة لهم ﴿ فى شك ﴾ أى من جميع ما يخبرهم به رسلنا عنا من الجزاء أو[1] غير ذلك ﴿ مريب ﴾ أى موقع [فى -[2]] الريبة ، فهو بليغ فى بابه كما يقال: عجب عجيب ، أو هو واقع فى الريب كما يقال: شعر شاعر ، أى - ذو شعر ، فكيف يقبلون او ينفذ طعنهم أو تحصل لهم ثمرة طيبة و هم على غير بصيرة فى شىء من أمرهم بل كانوا يشكون فى قدرتنا و عظمتنا ، فاللائق بالحكمة أن نبين لهم العظمة بالعذاب [لهم -[2]] و الثواب لأحبابنا الذين عادوهم فينا فتبين أنهم يؤمنون [به -[2]] عند ظهور الحمد أتم ظهور إما فى الآخرة او فى مقدماتها ، فظهر سر الإفصاح بقوله "و له الحمد فى الأخرة" و انه حال سبحانه بينهم و بين ما يريدون ، فتبين انه مالك كل شىء فصح ان له الحمد فى الأولى و فى كل حالة - و قد تعانق آخرها مع أولها ، و التحم مقطعها بموصلها - و الله سبحانه و تعالى هو المستعان و إليه المرجع و المآب .

* * * *

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء الخامس عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة السادس من شهر ربيع الأول سنة ١٤٠٠ هـ = الخامس و العشرين من يناير سنة ١٩٨٠ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضي المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره.

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخي الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندي القادري (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله.

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه.

و يليه الجزء السادس عشر باذن الله ومشيئته مستهلا بسورة الفاطر.

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسئول لحسن الخاتمة، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فاطر[1] و تسمى الملائكة

هى ختام السور[2] المفتتحة باسم الحمد ، التى[3] تقدم عن الشيخ سعد الدين التفتازانى أنه فصلت فيها النعم الأربع التى هى أمهات النعم المجموعة فى الفاتحة ، و هى الإيجاد الأول ، ثم الإبقاء الأول ، ثم الإيجاد الثانى المشار إليه بسورة سبا ، ثم الإبقاء الثانى الذى هو أنهاها و أحكمها ، و هو الختام[4] المشار إليه بهذه السورة المفتتحة بالابتداء الدال عليه بأنهى القدرة و أحكمها ، المفصل أمره فيها فى فريق السعادة و الشقاوة تفصيلا شافيا على أنه استوفى فى هذه السورة النعم الأربع كما يأتى بيانه فى محاله ، فمقصودها إثبات القدرة الكاملة لله تعالى اللازم منها تمام القدرة[5] على البعث الذى عنه يكون أتم الإبقائين الإبقاء بالفعل دائما أبدا بلا انقطاع و لازوال و لا اندفاع فى دار المقامة التى أذهب عنها الحزن و النصب و اللغوب ، و دار الشقاوة الجامعة لجميع الأنكاد و الهموم ،

---

(١) الخامسة و الثلاثون من سور القرآن ، مكية ، و آيها ست و أربعون فى المدنى الأخير و الشامى ، و خمس و أربعون فى الباقين - راجع روح المعانى ٧ / ١٥٧ (٢) فى ظ : السورة (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذى . (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ختام (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المقدرة .

و لاسم السورة أتم مناسبة لمقصودها لأنه لا شيء يعدل ما فى الجنة من تجدد الخلق فانه لايؤكل منها[1] شيء إلا عاد كما كان فى الحال، و لايراد شيء[2] إلا وجد فى أسرع وقت، فهى دار الإبداع و الاختراع بالحقيقة و كذا النار "كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها"؛ و كذا تسميتها ٥ بالملائكة فانهم يبدعون خلقا جديدا كل واحد منهم على صورته التى أراد الله كونه عليها، لايزاد فيها و لاينقص، كلما أراد الله ذلك من غير سبب أصلا غير إرادته المطابقة لقدرته سبحانه و عز شأنه، و هم من الكثرة على وجه لايحاط به "و ما يعلم جنود ربك الا هو" ﴿بسم الله﴾ الذى أحاط دائرة قدرته بالممكنات ﴿الرحمن﴾ الذى ١٠ أتم بالبعث عموم الرحمة ﴿الرحيم ٥﴾ الذى شرف أهل الكرامة بدوام الإقامة فى دار المقامة.

و لما أثبت سبحانه فى التى قبلها الحشر الذى هو الإيجاد الثانى، و دل عليه بجزئيات من القدرة على أشياء فى الكون، إلى أن ختم بأخذ الكفار أخذا اضطرهم إلى الإيمان بظهور الحمد لهم أتم ظهور. و بالحيلولة ١٥ بينهم و بين جمع ما يشتهون[3] / كما كانوا متعوا[4] فى الدنيا باغلب ما ٣١١/ يشتهون من كثرة الأموال و الأولاد. و ما مع ذلك من الراحة من أكثر الانكاد، و كان الحمد يكون بالمنع و الإعدام، كما يكون بالإعطاء و الإنعام، قال تعالى ما هو نتيجة ذلك: ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة بأوصاف

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيها (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يشتهونه (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سقوا.

الكمال إعداما و إيجادا ﴿ لله ﴾ أى وحده .

و لما كان الإيجاد من العدم أدل دليل على ذلك، قال دالا على استحقاقه للحامد : ﴿ فاطر ﴾ أى مبتدئ و مبتدع ﴿ السمٰوٰت و الارض ﴾ أى المتقدم أن له ما فيهما بأن شق العدم باخراجهما منه ابتداء [1]على غير[1] مثال سبق [كما تشاهدون . و لما كانت الملائكة إفرادا و جمعا مثل الخافقين ٥ فى أن كلا منهم مبدع من العدم على غير مثال سبق -[2]] من غير مادة ، و كان قد تقـــدم أنهم يتبرؤن من عبادة الكفرة يوم القيامة ، و كان لاطريق لعامة الناس إلى معرفتهم إلا الخبر ، أخبر عنهم بعد ما أخبر عما طريقه المشاهدة بما هو الحق من شأنهم ، فقال مبينا بتفاوتهم فى الهيئات تمام قدرته و أنها بالاختيار : ﴿ جاعل الملٰئكة رسلا ﴾ أى ١٠ لما شاء من مراده [و -[3]] إلى ما شاء من عباده ظاهرين للأنبياء منهم و من لحق بهم و غير ظاهرين ﴿ اولى اجنحة ﴾ أى تهيؤهم لما يراد منهم؛ ثم وصف الأجنحة فقال : ﴿ مثنىٰ ﴾ أى جناحين جناحين لكل واحد لمن لايحتاج فيما[4] صرف فيه إلى أكثر من ذلك ، و لعل[5] ذكره للتنبيه على أن ذلك أقل[6] ما يكون بمنزلة اليدين . و لما كان ذلك[6] ١٥ زوجا نبه على أنه لايتقيد بالزوج فقال : ﴿ و ثلٰث ﴾ أى ثلاثة ثلاثة لآخرين منهم . و لما كان لو اقتصر على ذلك لظن الحصر فيـــه ، نبه

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا على (٢) زيد من ظ ومد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لما (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لعله (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بذكر زوج الزوج على أن الزيادة لا تنحصر فقال: ﴿ و رُبٰع[1] ﴾ أى أربعة أربعة لكل واحد من صنف آخر منهم .

و لما ثبت بهذا أنه فاعل بالاختيار دون الطبيعة و غيرها، و إلا لوجب كون الأشياء غير مختلفة مع اتحاد النسبة إلى الفاعل، كانت نتيجة ذلك: ﴿ يزيد فى الخلق ﴾ أى المخلوقات من أشياء مستقلة و من هيئات للملائكة[1] و غيرهم، و معانى لا تدخل تحت حصر من الذوات و الألوان و المقادير و الأشكال و خفة الروح و اللطافة و الثقالة و الكثافة و حسن الصوت و الصيت و الفصاحة و السذاجة[2] و المكر و السخاوة[3] و البخل و علو الهمة و سفولها - و غير ذلك مما يرجع إلى الكم و الكيف مما لا يقدر على الإحاطة به غيره سبحانه، فبطل قول من قال: إنه فرغ من الخلق فى اليوم السابع عند ما أتم خلق آدم فلم يبق هناك زيادة، كاليهود و غيرهم على أن لهذا المذهب من الضعف و الوهى[4] ما لا يخفى غير أنه سبحانه أوضح جميع السبل، و لم يدع بشىء منها لبسا: ﴿ ما يشآء[5] ﴾ فلا بدع فى أن يوجد دارا أخرى تكون[5] لدينونة العباد، ثم علل ذلك كله بقوله مؤكدا لأجل إنكارهم البعث: ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لجميع أوصاف الكمال ﴿ على كل شىء قدير ﴾ فهو قادر على البعث فاعل له لا محالة .

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لملائكة (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الساذجة (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الشجاعة (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الهوى (٥) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أوضحت سورة[1] سبا أنه سبحانه مالك السماوات و الأرض، و مستحق[2] الحمد في الدنيا و الآخرة، أوضحت هذه السورة أن ذلك خلقه كما هو ملكه. و أنه الأهل للحمد و المستحق، إذ الكل خلقه و ملكه. و لأن السورة [الأولى -[3]] تجردت لتعريف العباد بأن الكل ملكه و خلقه دارت آيها على تعريف عظيم ٥ ملكه، فقد أعطى داود و سليمان عليهما السلام ما هو كالنقطة من البحار الزاخرة، فلان الحديد و انقادت الرياح و الوحوش و الطير / و الجن ٣١٢ / و الإنس مذللة خاضعة " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السمٰوٰت و لا في الارض و ما لهم[4] فيهما من شرك و ما له منهم من ظهير " - تعالىٰ ربنا عن الظهير[5] و الشريك و الند، و تقدس ١٠ ملكه عن أن تحصره العقول أو تحيط به الأفهام، فتجردت [سورة -[3]] سبا لتعريف العباد بعظيم ملكه سبحانه، و تجردت هذه الأخرى للتعريف بالاختراع و الخلق. و يشهد لهذا استمرار آي سورة فاطر على هذا الغرض من التعريف و تنبيهها[6] على الابتداءات كقوله تعالىٰ " جاعل الملٰئكة رسلا اولى اجنحة مثنى " الآية، و قوله " ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ١٥ ممسك لها هل من خالق غير الله يرزقكم " و قوله " افمن زين له سوء عمله فرأه حسنا " الآية، و قوله " الله الذى أرسل[7] الريٰح فتثير سحابا "

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل : يستحق (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل : له - خطأ (٥) من ظ و م ومد، و في الأصل : النظير (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : تنبيها. (٧) من م و مد و القرآن الكريم ؛ و في الأصل و ظ : يرسل .

الآية " و الله خلقكم من تراب يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل"، " الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا [الوانها - ١] "، " هو الذى جعلكم خلائف فى الارض" " ان الله يمسك السموت و الارض ان تزولا و لئن زالتا" فهذه عدة آيات معرفة بابتداء الخلق و الاختراع أو مشيرة و لم يقع من ذلك فى سورة سبا آية واحدة ، ثم إن سورة سبا جرت آيها على نهج تعريف الملك و التصرف فيه و الاستبداد[٢] بذلك و الإبداد ، و تأمل افتتاحها و قصة داود و سليمان عليهما السلام ، و قوله سبحانه " قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة " الآيات يتضح لك ما ذكرناه و ما انجر فى السورتين مما ظاهره الخروج عن هذين الغرضين فلتحم و مستدعى بحكم الانجرار بحسب استدعاء مقاصد الآى - [٣]رزقنا الله الفهم عنه بمنه [٤]و كرمه[٤] - انتهى.

و لما وصف سبحانه نفسه المقدس بالقدرة الكاملة ، دل على ذلك بما يشاهده كل أحد فى نفسه من السعة و الضيق مع العجز عن دفع شيء من ذلك أو اقتناصه ، فقال[٥] مستأنفا أو معللا مستنتجا[٦] : ﴿ ما ﴾ أى مهما ﴿ يفتح الله ﴾ أى الذى لايكافئه شيء . و لما كان كل شيء من الوجود لأجل الناس قال : ﴿ للناس ﴾ و لما كان الإنعام مقصودا

(١) زيد من ظ و م و مد و القرآن الكريم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الابتداء (٣) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها . (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) فى ظ : مستفتحا.

بالذات محبوبا ، و كانت رحمته سبحانه قد غلبت غضبه ، صرح به فقال مبينا للشرط فى موضع الحال من ضميره [أى يفتحه كائنا - [1]] : ﴿ من رحمة ﴾ أى من الأرزاق الحسية و المعنوية من اللطائف و المعارف التى لاتدخل تحت حصر دقت أو جلت فيرسلها ﴿ فلا ممسك لها ﴾ أى الرحمة بعد فتحه كما يعلمه كل أحد فى نفسه من[2] أنه إذا حصل له خير لايعدم من يود أنه لم يحصل ، و لو قدر على إزالته لأزاله ، و لايقدر على تأثير ما فيه .

و لما كان حبس النعمة مكروها لم يصرح به[3] ، و ترك الشرط على عمومه بعد أن فسر الشرط الأول بالرحمة دلالة على مزيد الاعتناء بها إيذانا بأن رحمته سبقت غضبه فقال : ﴿ و ما يمسك[4] ﴾ أى من رحمة أو نعمة باغلاق باب الخلق عنه ﴿ فلا مرسل له ﴾ أى الذى أمسكه بمثل البرهان الماضى فى الرحمة .

و لما كان ربما ادعى أحد فجورا حال إمساك الرحمة أو[5] النقمة أنه هو الممسك قال : ﴿ من بعده[5] ﴾ أى بعد إمساكه[5] ، فمن كان فى يده شىء فليمسك ما أتى به الله حال إيجاده بأن يعدمه . و لما كان هذا ظاهرا فى العزة فى أمر الناس و الحكمة فى تدبيرهم عمم فقال : ﴿ و هو ﴾ أى [6]هو فاعل[6] ذلك و الحال أنه وحده ﴿ العزيز ﴾ أى[3] القادر على

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : فى (٣) سقط من ظ (٤) فى ظ « و » (٥) زيد فى الأصل : او ارساله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفاعل .

الإمساك و الإرسال الغالب لكل شيء و لا غالب له ﴿ الحكيم ﴾ الذى يفعل فى كل من الإمساك و الإرسال و غيرهما ما يقتضيه علمه به و يتقن ما أراد على قوانين الحكمة، فلا يستطاع نقض شيء منه .

و لما بين بما يشاهده كل أحد فى نفسه أنه المنعم وحده، أمر بذكر نعمته بالاعتراف أنها منه، فان الذكر يقوده إلى الشكر، و هو قيد الموجود، و صيد المعدوم المفقود، فقال: ﴿ يـٰأيها الناس ﴾ أى الذين[1] فيهم أهلية الاضطراب عامة ﴿ اذكروا ﴾ بالقلب و اللسان ﴿ نعمت الله ﴾ أى الذى لامنعم فى الحقيقة سواه . و لما كانت نعمه عامة غامرة من كل جانب قال: ﴿ عليكم[1] ﴾ أى فى دفع ما دفع من المحن[2]، و صنع ما صنع من المنن، على ما تقدم فى الفتح و الإمساك لتشكروه و لا تكفروه، و الذى يخص أهل مكة - بعد ما شاركوا به الناس - إسكانهم الحرم، و حفظهم من جميع الأمم، و تشريفهم بالبيت . و ذلك موجب لأن يكونوا أشكر الناس .

و لما أمر بذكر نعمته، أكد التعريف بأنها منه وحده على وجه بين عزته و حكمته، فقال منبها لمن غفل، و موبخا لمن جحد، و رادا على أهل القدر الذين ادعوا أنهم يخلقون أفعالهم، و منبها على نعمة الإيجاد الأول: ﴿ هل ﴾ و لما كان الاستفهام بمعنى النفى أكده بـ "من" فقال: ﴿ من خالق ﴾ [أى للنعم و غيرها -[3]]، و لما كانت "من"

(١) من ظ وم و مد . و فى الأصل : الذى من (٢) من ظ وم و مد . و فى الأصل : المحض (٣) زيد من ظ و مد .

للتأكيد ، فكان "خالق" فى موضع رفع ، قرأ الجمهور قوله : ﴿غير الله﴾ بالرفع ، و جره حمزة و الكسائى على اللفظ[1] ، و عبر بالجلالة إشارة إلى أنه المختص بصفات الكمال .

و لما كان الجواب قطعا : لا ، بل هو الخالق[2] وحده ، قال منبها على نعمة الإبقاء[3] الأول : ﴿يرزقكم﴾ اى وحده . و لما كانت كثرة الرزق كما هو مشاهد مع وحدة المنبع أدل على العظمة قال : ﴿من السمآء و الارض[4]﴾ بالمطر و النبات و غيرهما . و لما بين أنه الرزاق[5] وحده انقطع أمل كل أحد من غيره حتى من نفسه فحصل[6] الإخلاص فتعين[7] أنه سبحانه الإله وحده فقال : ﴿لآ اله الا هو﴾ فتسبب الإنكار على من عبد غيره ظاهرا أو باطنا فقال : ﴿ فانى﴾ أى فمن أىّ وجه [و كيف -[7]] ﴿تؤفكون ه﴾ أى تصرفون و تقلبون عن وجه السداد فى التوحيد بهذه الوجوه الظاهرة [إلى -[7]] الشرك الذى لا وجه له .

و لما قررهم على ما تقدم و ختم بالتوحيد الذى هو الأصل الأول من أصول الدين ، نبه[8] على أنه المقصود بالذات بذكر ما يعقبه فى الأصل الثانى ، و هو الرسالة من تصديق و تكذيب ، فقال ناعيا على قريش سوء تلقيهم لآياته ، و طعنهم فى بيناته ، مسليا له صلى الله عليه و سلم .

(١) راجع نثر المرجان ٥/٥٠٢ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خالق . (٣) فى ظ : الإيجاد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرازق (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بجعل (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فتيقن (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) سقط من ظ .

عاطفا على ما تقديره : فان يصدقوك فهم جديرون [بالتصديق - [1]]
لما قام على ذلك من الدلائل ، و شهد به من المقاصد و الوسائل :
﴿ و ان يكذبوك ﴾ أى عنادا و قلة اكتراث بالعواقب فتأس باخوانك
﴿ فقد ﴾ أى بسبب أنه قد ﴿ كذبت رسل ﴾ أى بالهم من رسل !
٥ و بنى الفعل للمجهول لأن التسلية محطها وقوع التكذيب لا تعيين المكذب ،
و نفى أن يرسل غيره بعد وجوده بقوله : ﴿ من قبلك [2] ﴾ و أفرد التكذيب
بالذكر اهتماما بالتسلية تنبيها على أن الأكثر يكذب ، قال القشيرى : و فى
هذا إشارة للحكماء و أرباب القلوب مع العوام و الأجانب من هذه
الطريقة فانهم لا يقبلون منهم إلا القليل ، و أهل الحقائق أبدا منهم فى
١٠ مقاساة الأذية [2] ، و العوام أقرب إلى هذه الطريقة من القراء [3] المتقشفين .

و لما كان التقدير نفيا للتعجب [4] من التكذيب الجارى على غير
/ ٣١٤ / قياس صحيح /: فمن الله الذى لا أمر لأحد معه تصدر [5] الأمور ، عطف
عليه قوله مهددا لمن خالف أمره : ﴿ و الى الله ﴾ أى وحده لأن له
الأمور كلها ﴿ ترجع الامور ﴾ أى حسا و معنى ، فاصبر و رد الأمر
١٥ إلينا بترك الأسباب إلا ما نأمرك به كما فعل إخوانك من الرسل .

و لما أشعر هذا الختام باليوم الموعود ، و هو الأصل الثابت [6] قال
مهددا [به - [1]] محذرا منه : ﴿ يا أيها الناس ﴾ أى الذين عندهم أهلية

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و الدية .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفقراء (٤) من ظ و م و مد ، و فى
الأصل : للتعجيب (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نقتدر (٦) فى ظ
و مد : الثالث .

للتحرك إلى النظر . و لما كانوا ينكرون البعث أكد قوله : ﴿ان وعد الله﴾ أى الذى له صفات الكمال و هو منزه عن كل شائبة نقص ، فهو لايجوز عليه فى مجارى العادات للغنى المطلق أن يخلف الميعاد ﴿حق﴾ أى بكل ما وعد به من البعث و غيره و قد وعد أنه يردكم إليه فى يوم تنقطع فيه الأسباب ، و يعرض عن الأحساب و الأنساب ، ليحكم بينكم بالعدل ، ٥ ثم سبب عن كونه حقا قوله على وجه التأكيد لأجل الإنكار أيضا : ﴿ فلا تغرنكم ﴾ أى بأنواع الخدع من اللهو و الزينة غرورا مستمر التجدد ﴿ الحيوة الدنيا ﴾ فانه لايليق بذى همة علية اتباع الدنىء ، و الرضى بالدون الزائل عن العالى الدائم ﴿و لا يغرنكم بالله ﴾ أى الذى لايخلف الميعاد و هو الكبير المتعالى ﴿ الغرور ﴾ أى الذى لايصدق فى شىء ١٠ و هو الشيطان العدو ، و لذلك استأنف قوله مظهرا فى موضع الإضمار للتنفير بمدلول الوصف قبل التذكير بالعداوة و وخامة العاقبة فيما يدعو إليه مؤكدا لأن أفعال المشايعين[1] له بما يمنيهم به من نحو : إن ربكم حليم ، لايتعاظمه ذنب ، مع الإصرار على المعصية أفعال المتعقدين لمصادقته : ﴿ ان الشيطن ﴾ أى المحترق بالغضب البعيد من الخير ١٥ ﴿ لكم ﴾ أى خاصة فهو فى غاية الفراغ لأذاكم ، فاجتهدوا فى الهرب منه ﴿ عدو ﴾ بتصويب مكايده كلها إليكم و بما سبق له مع أبيكم آدم عليه السلام بما وصل أذاه إليكم[2] و أيضا « من عادى أباك فقد عاداك »

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الشائعين (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : لكم .

و لما كانت عداوته تحتاج إلى مجاهدة لأنه يأتى الإنسان من قبل الشهوات ، غير بصيغة الافتعال فقال : ﴿ فاتخذوه ﴾ أى بغاية جهدكم ﴿ عدوا ﴾ و الله لكم ولى فاتخذوه وليا بأن تحروا[1] ما يغيظ الشيطان بأن تخالفوه فى كل ما يريده و يأمر به ، و تتعمدوا[2] ما يرضاه الرحمن و نهجه لكم و أمركم به فتلتزموه[3] ، قال القشيرى : و لا يقوى على عداوته إلا بدوام الاستعانة بالرب فانه لا يغفل عن عداوتك ، فلا تغفل أنت عن مولاك لحظة . ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انما يدعو حزبه ﴾ أى الذين يوسوس[4] لهم فيعرضهم لاتباعه و الإعراض عن الله ﴿ ليكونوا ﴾ باتباعه كونا راسخا ﴿ من اصحب السعير ﴾ هذا غرضه لا غرض له سواه ، و لكنه يجتهد فى تعمية ذلك عنهم بأن يقرر فى نفوسهم جانب الرجاء و ينسيهم جانب الخوف ، و يريهم أن التوبة فى أيديهم و يسوف لهم بها بالفسحة فى الأمل ، و الإبعاد فى الأجل ، للافساد فى العمل ، و الرحمن سبحانه[5] إنما يدعو عباده ليكونوا من أهل النعيم "و الله يدعوا الى دار السلم" .

و لما أنهى[6] البيان فى غرض الشيطان إلى منتهاه ، نبه على ما حكم به هو سبحانه فى أشياعه بقوله مستأنفا : ﴿ الذين كفروا ﴾ / أى غطوا /٣١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : تحرزوا (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يتعمدوا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فارموه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يسوس (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انتهى .

بالاتباع له بالهوى ما دلتهم عليه عقولهم و كشفه لهم غاية الكشف هذا البيان العزيز ﴿لهم عذاب شديد﴾ أى فى الدنيا بفوات غالب ما يؤملون مع تفرقة قلوبهم و انسداد بصائرهم و سفالة[1] هممهم حتى [أنهم -[2]] رضوا أن يكون[3] إلههم حجرا، و انحجاب المعارف التى لا لذاذة فى الحقيقة غيرها عنهم، و فى الآخرة بالسعير التى دعاهم إلى صحبتها. ٥

و لما ذكر جزاء حزبه، أتبعه حزب الله الذين عادوا عدوهم فقال: ﴿و الذين آمنوا و عملوا﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿الصلحت﴾ و لما كان من أعظم مصايد الشيطان ما يعرض للانسان خطأ و جهلا من العصيان، لما له من النقصان ليجره[4] بذلك إلى العمد و العدوان، قال تعالى داعيا له إلى طاعته و إزالة لخجلته[5]: ﴿لهم مغفرة﴾ أى ستر لذنوبهم ١٠ بحيث[6] لا عقاب و لا عتاب[6]، و ذلك معجل فى هذه الدار، و لو لا ذلك لافتضحوا وغدا، و لولا ذلك لهلكوا. و لما محاها عينا و أثرا، أثبت الإنعام فقال: ﴿و اجر كبير﴾ أى يجل عن الوصف بغير هذا الإجمال[7]، فمنه عاجل بسهولة العبادة و دوام المعرفة و ما يرونه فى القلوب من وراء اليقين، و آجل بتحقيق المسؤل من عظيم المنة، و نيل ما فوق ١٥ المأمول فى الجنة.

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سفلة (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يكونوا (٤) فى ظ و مد: بهجره (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: بخجله (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: لا عتاب و لا عقاب (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجمال.

و لما أبان هذا الكلام تفاوت الحزبين فى المآل بالهلاك و الفوز ، و كان لا يقدم على الهلاك أحد فيه حس ، و كان الكفار يدعون أنهم الفائزون قناعة بالنظر إلى ما هم فيه ، و يدعون أنهم أبصر الناس و أحسنهم أعمالا . و كذا كل عاص و مبتدع ، كان ذلك سببا فى إنكار تساويهما[1] ، فأنكره مبينا السبب فى ضلالهم بما فيه تسلية للمحسنين و ندب إلى الشكر[2] و حث على ملازمة الافتقار و الذل و سؤال العافية من الزلل و الزيغ فقال : ﴿ افمن ﴾ و لما كان الضار هو التزيين من غير نظر إلى فاعل معين ، بنى للمفعول قوله : ﴿ زين له سوء عمله ﴾ أى قبحه الذى من شأنه أن يسوء صاحبه حالا أو مآلا بجمع مال ذاهب أو مذهوب عنه من غير خلة و بيع راحة[3] الجنة المؤبدة بمتابعة شهوة منقضية[4] و إيثار مخلوق فانٍ على ربه الغنى الباقى ؛ ثم سبب عنه [5]ما أنهى إليه[5] من الغاية فقال : ﴿ فرآه ﴾ أى السيئ بسبب التزيين ﴿ حسنا ﴾ أى فركبه ، بما أشار إليه إضافة العمل إليه ، و طوى المشبه به و هو كمن أبصر الأمور على حقائقها فاتبع الحسن و اجتنب السيئ ، لأن المقام يهدى إليه ، و تعجيلا بكشف ما أشكل على السامع من السبب الحامل على رؤية القبيح ، مُليحا بقوله مؤكدا ردا على من ينسب إلى غير الله فعلا من خير أو شر :

---

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : تساويهم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الشاكرين (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رائحة (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مقتضية (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من انها له .

﴿ فان ﴾ أى السبب فى رؤية الأشياء على غير ما هى عليه أن ﴿ الله ﴾ أى[1] الذى له الأمر كله ﴿ يضل من يشآء ﴾ فلا يرى شيئا على ما هو به ، فيقدم على الهلاك البين و هو يراه عين النجاة ﴿ و يهدى من يشآء ﴾ فلا يشكل عليه أمر و لا يفعل إلا حسنا .

و لما كان المحب من يرضى بفعل حبيبه ، سبب عن ذلك النهى لأكمل خلقه عن الغم بسبب ضلالهم فى قوله : ﴿ فلا ﴾ و الأحسن أن يقدر المشبه به هنا فيكون المعنى : أفمن غر فعمل القبيح فاعتقده حسنا لأن الله أضله بسبب أن الله هو المتصرف فى القلوب كمن بصره الله بالحقائق ؟ و لما كان الجواب : لا ، ليس هما سواء سبب عنه قوله : فلا ﴿ تذهب ﴾ أى بالموت أو[2] ما يقرب منه ﴿ نفسك عليهم ﴾ أى بسبب ما هم فيه من العمى عن الجليات ﴿ حسرٰت ﴾ أى لأجل حسراتك / المترادفة ٣١٦/ لأجل إعراضهم ، جمع حسرة و هى شدة الحزن على ما فات من الأمر .

و لما كان كأنه قيل : إنهم يؤذون أولياءك فيشتد أذاهم ، و كان علم الولى القادر بما يعمل عدوه كافيا فى النصرة ، قال : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بجميع أوصاف[3] الكمال ﴿ عليم ﴾ أى[4] بالغ العلم ، و أكده تنبيها على أن المقام صعب ، من لم يثبت نفسه بغاية جهده زل لطول إملائه تعالى لهم[5] و حلمه[5] عنهم ﴿ بما يصنعون ﴾ أى مما مرنوا عليه و انطبعوا فيه من ذلك حتى صار لهم خلقا يبعد كل البعد انفكاكهم عنه .

---

(١) سقط من ظ م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : « و » (٣) فى ظ و م و مد : صفات (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حمله .

و لما أخبر تعالى أنه لا بد من إيجاد ما وعد به من البعث و غيره، و حذر كل التحذير من التهاون بأمره، و أنكر التسوية بين المصدق به و المكذب، و كان السبب فى الضلال المميت للقلوب الهوى الذى يغشى سماء العقل و يعلوه بسحابه المظلم فيحول بينه و بين النفوذ، وكان السبب فى السحاب المغطى لسماء الأرض المحيي لميت الحبوب[1] الهوى، و[2] كان الإتيان به فى وقت دون آخر دالا على القدرة بالاختيار، قال عاطفا على جملة "ان وعد الله حق" المبنى على النظر، و هو الإخراج من العدم مبينا لقدرته على ما وعد به: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال لا شيء غيره من طبيعة و لا غيرها ﴿الذى﴾ و لما كان المراد الإيجاد من العدم، عبر بالماضى مسندا إليه لأنه الفاعل الحقيق فقال: ﴿ ارسل الريح ﴾ أى أوجدها من العدم مضطربـــة[3] فيها، أهلية الاضطراب و السير ليصرفها كيف شاء لا ثابتة كالأرض[4]، و أسكنها ما بين الخافقين لصلاح مكان الأرض.

و لما كانت إثارتها تتجدد[5] كلما أراد أن يسقى أرضا، قال مسندا إلى الرياح لأنها السبب. معبرا بالمضارع حكاية للحال لتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على تمام القدرة، و هكذا تفعل العرب فيما فيه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجنون (٢) زيد فى الأصل و ظ: لما، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مضربة (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: كارض (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تجدد.

غرابة تنبيها للسامع على ذلك و حثا له على تدبره و تصوره : ﴿فتثير﴾ أى بتحريكه لها إذا أراد ﴿سحابا﴾ أى أنه أجرى سبحانه سنته أن تظهر حكمته بالتدريج . و لما كان المراد الاستدلال على القدرة على البعث . و كان التعبير بالمضارع يرد التعنت ، عبر بالمضارع . و لما كان[1] سوق السحاب إلى بلد دون آخر و سقيه لمكان دون مكان من العظمة بمكان[2] ، التفت عن الغيبة و جعله فى مظهر العظمة فقال : ﴿فسقنه﴾ أى السحاب [معبرا بالماضى تنبيها على أن كل سوق كان بعد إثارتها فى الماضى و المستقبل منه وحده أو بواسطة من أقامه لذلك من جنده من الملائكة أو غيرهم ، لا من غيره - [3]] ، و دل على أنه لا فرق بين البعد و القرب بحرف الغاية فقال : ﴿الى بلد ميت﴾ .

و لما كان السبب فى الحياة هو السحاب بما ينشأ عنه[4] من الماء قال : ﴿فاحيينا به الارض﴾ و لما كان المراد إرشادهم إلى القدرة على البعث الذى[5] هم به مكذبون ، قال رافعا للمجاز بكل تقدير و موضحا كل الإيضاح للتصوير : ﴿بعد موتها[6]﴾ و لما أوصل الأمر إلى غايته ، زاد فى التنبيه على نعمة الإيجاد الثانى بقوله : ﴿كذلك﴾ أى مثل الإحياء لميت النبات ﴿النشور*﴾ حسا للأموات ، و معنى للقلوب و النبات . قال القشيرى :

(١) سقط من ظ (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منه . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذين .

إذا أراد إحياء قلب يرسل أولا رياح الرجاء، و يزعج بها كوامن الإرادة، ثم ينشئ فيه سحاب الاهتياج، و لوعة الانزعاج، ثم يأتى مطر الحق فينبت فى القلب أزهار البسط و أنوار الروح، و يطيب لصاحبه العيش إلى أن تتم لطائف الإنس .

٥ و لما قرر بهذا كله ما أثبته سابقا من عزته و حكمته و ثبت انه قادر على النشور [٢] فثبت أن [٣] له العزة فى الآخرة كما شوهد ذلك فى الدنيا، و كانت منافسة الناس / لاسيما الكفرة فى العزة فوق منافستهم [فى الحكمة - [٣]]، و من نافس فى الحكمة فانما ينافس فيها لاكتساب العزة، و كان الكفرة إنما عبدوا الأوثان ليعتزوا [٤] بها كما قال "و اتخذوا ١٠ من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا [٥]" قال مستنتجا من ذلك : ﴿ من كان ﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿ يريد العزة ﴾ أى أن يكون محتاجا إليه غيره و هو غنى عن غيره غالبا غير مغلوب ﴿ فلله ﴾ أى وحده ﴿ العزة جميعا [١] ﴾ أى فليطلبها منه و لا يطلبها من غيره، فانه لاشىء لغيره فيها، و من طلب الشىء من غير صاحبه خاب ؛ قال ابن الجوزى : ١٥ و قد روى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال : إن ربكم يقول كل يوم : أنا العزيز فمن أراد عزة الدارين فليطع العزيز .

/٣١٧

---

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : فيها (٢-٢) من م ومد، و فى الأصل : و ثبت انه، و فى ظ : فثبت أنه (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ليفتروا (٥) راجع سورة ١٩ آية ٨١ .

و لما

و لما رغب فى اقتناص العزة بعد ان أخبر أنه لاشىء فيها لغيره، دل على اختصاصه بها بشمول[1] علمه و قدرته، و بين أنها إنما تنال بالحكمة فقال: ﴿ اليه ﴾ أى[2] لا إلى غيره ﴿ يصعد الكلم الطيب ﴾ أى الجارى على قوانين الشرع عن نية حسنة و عقيدة صحيحة سواء كان سرا أو علنا لأنه عين الحكمة، فيعز صاحبه و يثيبه ٥

و لما أعلى رتبة[3] القول الحكيم، بين أن الفعل أعلى منه لأنه المقصود بالذات، و القول وسيلة إليه، فقال دالا على علوه بتغيير السياق: ﴿ و العمل الصالح يرفعه[4] ﴾ هو سبحانه يتولى رفعه، و لصاحبه عنده عز منيع و نعيم مقيم، و عمله يفوز، قال الرازى فى اللوامع: [العلم - [4]] إنما يتم بالعمل كما قيل: العلم يهتف بالعمل، فان أجاب ١٠ و إلا ارتحل - انتهى، و قد قيل[5]:

لا ترض من رجل حلاوة قوله حتى يصدق ما يقول فعال
فاذا وزنت مقاله بفعاله فتوازنا فاخاه[6] ذاك جمال

و لما بين ما يحصل العزة من الحكمة، بين ما يكسب الذلة و يوجب النقمة من ردىء الهمة فقال: ﴿ و الذين يمكرون ﴾ أى يعملون على وجه ١٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: شمول (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بهذا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى الأصل: فى معنى ذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فارخاه.

الستر المكرات[1] ﴿السيئات[2]﴾ أى يسترون قصودهم بها ليوقعوها بغتة[3] ﴿لهم عذاب شديد[4]﴾ كما أرادوا بغيرهم ذلك، و لا يصعد مكرهم إليه بنفسه و لا يرفعه هو، لأنه ليس فيه أهلية ذلك لمنافاته الحكمة. و لما كان ما ذكر من مكرهم موجبا لتعرف حاله هل أفادهم شيئا؟ أخبر أنه أهلكه بعزته و دمره بحكمته فقال: ﴿و مكر اولئك﴾ أى البعداء من الفلاح ﴿هو﴾ أى وحده دون مكر من يريد بمكره الخير فان الله ينفذه و يعلى أمره و يجعل له العاقبة تحقيقا لقوله تعالى "و يمكرون و يمكر الله و الله خير الماكرين" كما أخرجكم أيها الأولياء من بيوتكم لأجل العير فأخرج[5] الأعداء[6] من بيوتهم فوضعهم فى قليب بدر ﴿يبوره﴾ أى يكسد و يفسد و يهلك. فدل ذلك على شمول علمه للخير و الشر من القول و الفعل الخفى و الجلى و تمام قدرته، و ذلك معنى العزة، و الآية من الاحتباك: حذف ما لصاحب العمل الصالح و دل عليه بذكر ما لعامل السيء، و حذف وضعه المكر السيء و دل عليه برفعه للعمل الصالح.

و لما ذكر سبحانه ما صيرهم إليه من المفاوتة[7] فى الأخلاق، أتبعه

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المكريات (٢) تكرر فى الأصل: بعد «يمكرون» (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يفتنة (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فاخبر (٥) زيد فى الأصل: بكم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المعاونة.

ما كانوا عليه من الوحدة فى جنس الأصل ، و أصله التراب المسلول منه [الماء -[1]] بعد تخميره فيه و إن اختلفت[2] أصنافه ، فقال مبينا لبعض آيات الأنفس / عاطفا على ما عطف عليه "و الله الذى ارسل الريح" / ١٨
الذى هو من آيات الآفاق ، منبها على أنه قادر على التمييز بعد[3] شديد المزج و أنه قدر[4] كل شيء من الأرزاق و الآجال و المصائب و الأفراح ، ٥
فلا ثمرة للمكر إلا ما يلحق الماكر من الحرج و العقوبة من الله و الضرر :[﴿و الله﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ؛ و لما لم يدع حاجة إلى الحصر قال - [1]] : ﴿ خلقكم من تراب ﴾ أى مثلى و إن اختلفت[2] أصنافه بتكوين أبيكم منه فزجه مزجا لايمكن لغيره تمييزه ، ثم أحاله عن ذلك الجوهر أصلا و رأسا ، و إليه الإشارة بقوله : ١٠
﴿ثم﴾ أى بعد ذلك [فى -[1]] الزمان و الرتبة[5] خلقكم ﴿من نطفة﴾ أى جعلها أصلا ثانيا مثليا من ذلك الأصل الترابى أشد امتزاجا منه ثم بعد إنهاء التدبير[6] زمانا و رتبة[7] إلى النطفة التى لا مناسبة بينها و بين التراب دلالة على كمال القدرة و الفعل بالاختيار ﴿ثم جعلكم ازواجا﴾ بين ذكور و إناث ، دلالة هى أظهر مما قبلها على الاختيار و كذب أهل ١٥

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اختلف .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بين (٤) زيد فى ظ : على (٥) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : التربية (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تربية .

الطبائع ، و على البعث بتمييز ما يصلح [1]من التراب للذكورة[1] و الأنوثة .
و لما كان الحمل أيضا مكذبا لأهل الطبائع بأنه لا يكون من كل جماع ،
أشار إليه بقوله مؤكدا ردا[2] عليهم إعلاما بأن ذلك إنما هو بقدرته :
﴿ و ما تحمل ﴾ أى فى البطن بالحبل ﴿ من انثى ﴾ دالا بالجار على[3]
٥ كمال الاستغراق . و لما كان الوضع أيضا كذلك بأنه لا يتم كلما حمل
به قال : ﴿ و لا تضع ﴾ أى حملا ﴿ الا ﴾ [5]مصحوبا ﴿ بعلمه[5] ﴾ فى
وقته و نوعه و شكله و غير ذلك من شأنه مختصا بذلك كله حتى عن
أمه التى هى[4] أقرب إليه ، فلا يكون إلا بقدرته ، فما شاء أتمه ، و ما شاء
أخرجه .

١٠ و لما كان ما بعد الولادة أيضا دالا على الاختيار لتفاضلهم فى
الأعمار مع تماثلهم فى الحقيقة ، دل عليه بقوله دالا بالبناء للمفعول على
سهولة الأمر عليه سبحانه ، و أن التعمير و النقص هو المقصود بالإسناد :
﴿ و ما يعمر من معمر ﴾ أى يزاد فى عمر من طال عمره أى صار إلى
طول العمر بالفعل حسا ، قال قتادة : ستين . أو معنى بزيادة الفاعل المختار
١٥ زيادة لولاها لكان عمره أقصر مما وصل إليه ﴿ و لا ينقص من عمره ﴾
أى المعمر بالقوة و هو الذى كان قابلا فى العادة لطول العمر فلم يعمر
بنقص الفاعل المختار نقصا لولاه لطال عمره . فالمعمر المذكور المراد به

(١-١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : التراب من الذكورة (٢) سقط من ظ (٣) زيد فى الأصل : و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٤) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد .

الفعل

الفعل، و الذى عاد إليه [1] [الضمير -[2]] المعمر بالقوة فهو من بديع الاستخدام، و لو كان التعبير بأحد لما صح هذا المعنى، و قراءة يعقوب بخلاف عن رويس بفتح الياء و ضم القاف بالبناء للفاعل تشير إلى أن قصر العمر أكثر . و لما كان فى سياق العلم و كان أضبطه فى مجارى عاداتنا[3] ما كتب قال : ﴿ الا فى كتب[4] ﴾ مكتوب فيه « عمر فلان كذا و عمر فلان كذا و كذا، عمر فلان كذا إن عمل كذا و عمره كذا أزيد أو أنقص إن لم يعمله » .

و لما كان [4]ذلك أمرا[4] لا يحيط به العد، و لا يحصره الحد، [فكان -[2]] فى عداد ما ينكره الجهلة، قال مؤكدا لسهولته : ﴿ ان ذلك ﴾ [5]أى الأمر العظيم من كتب الآجال كلها و تقديرها و الإحاطة بها على التفصيل[5] ﴿ على الله ﴾ أى الذى له جميع العزة فهو يغلب كل ما يريده . خاصة[6] ﴿ يسير ﴾ .

و لما ذكر سبحانه أحد أصليهم : التراب المختلف الأصناف، ذكر الأصل الآخر : الماء الذى هو أشد امتزاجا من التراب، ذاكرا اختلاف صنفيه اللذين يتفرعان إلى أصناف كثيرة، منبها على فعله بالاختيار و منكرا على[7] من سوى بينه سبحانه و بين / شىء حتى أشركه به مع[8] المباعدة التى /١٩

(١) فى م و مد : عليه (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عادتنا (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الامر (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) سقط من م (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : عن (٨) سقط من ظ .

لا شيء بعدها و الحال أنه يفرق بين هذه الأشياء المحسوسة لمباعدة ما فقال : ﴿ و ما يستوى البحرٰن ﴾ و لما كانت[1] الألف و اللام للعهد ، بينه بقوله مشيرا إلى الحلو : ﴿ هذا عذب ﴾ أى طيب حلو لذيذ ملائم للطبع ﴿ فرات ﴾ أى بالغ العذوبة ﴿ سآئغ شرابه ﴾ أى هنيء مريء هو بحيث إذا شرب جاز فى الحلق و لم يتوقف بل يسهل إدخاله فيه و ابتلاعه لما له من اللذة و الملاءمة للطبع ﴿ و هذا ملح اجاج[2] ﴾ أى جمع إلى الملوحة المرارة ، فلا يسوغ شرابه ، بل لوشرب لآلم الحلق و أجج فى[3] البطن ما هو كالنار ، و المراد أنه ميزهما سبحانه بعد جمعهما فى ظاهر الأرض و باطنها ، و لم يدع أحدهما يبغى على[3] الآخر ، بل إذا حفر على جانب البحر الملح ظهر الماء عذبا فراتا على مقدار صلاح الأرض و فسادها .

و لما كان الملح متعذرا على الآدمى شربه ، ذكر أنه خلق فيه ما حياته به مساويا فى ذلك للعذب[4] فقال : ﴿ و من كل ﴾ أى من الملح و العذب ﴿ تاكلون ﴾ [5] من السمك المنوع إلى أنواع تفوت الحصر و غير السمك ﴿ لحما طريا ﴾ أى شهى المطعم ، و لم يضر ما بالملح ما تعرفون من أصله و لا زاد فى لذة ما بالحلو ملاءمته[6] لكم . و لما ذكر

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : إلى (٣) سقط من ظ (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العذب .
(٥) زيد فى ظ الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٦) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

من متاعه ما هو غاية فى اللين ، أتبعه من ذلك ما هو غاية فى الصلابة فقال : ﴿ و تستخرجون ﴾ أى تطلبون أن تخرجوا من الملح دون العذب [١]وتوجدون ذلك للاخراج[١]، قال البغوى[٢]: و قيل : نسب [اللؤلؤ-[٣]] إليهما لأنه قد يكون فى البحر الملح عيون عذبة تمتزج به فيكون اللؤلؤ من ذلك . ﴿حلية تلبسونها ج﴾ أى نساؤكم من الجواهر : الدر و المرجان و غيرهما ، [٤]فما قضى برخاوة[٤] ذلك و صلابة هذا مع تولدهما منه إلا الفاعل المختار .

و لما كان الأكل[٥] و الاستخراج من المنافع العامة عم بالخطاب ، و لما كان استقرار شىء[٦] فى البحر دون غرق أمرا غريبا ، لكنه صار لشدة إلفه لايقوم بادراك أنه من أكبر الآيات دلالة على[٧] القادر المختار إلا أهل البصائر ، خص بالخطاب فقال : ﴿و ترى الفلك﴾ ، أى السفن تسمى[٨] فلكا لدورانه و سفينة لقشره[٩] الماء ، و قدم الظرف لأنه أشد دلالة على ذلك فقال : ﴿ فيه ﴾ أى كل منهما غاطسة إلا قليلا منها .

و لما تم الكلام ، ذكر حالها المعلل بالابتغاء فقال : ﴿ مواخر ﴾

(١ - ١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك الاخراج و توجدون ، و وقعت العبارة فى الأصل قبل « من الملح » (٢) فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٢٤٦ (٣) زيد من المعالم (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاقضى روحاه - كذا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاصل (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كل شىء (٧) زيد فى م : انه (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : سمى (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لقهره .

أى جوارى مستدبرة الريح شاقة للماء خارقة للهواء بصدرها هذه مقبلة و هذه مدبرة وجهها إلى ظهر هذه بريح واحدة؛ قال البخارى فى باب التجارة فى البحر[١] : و قال مجاهد : تمخر[٢] السفن الريح ، و [٣]لا تمخر الريح[٣] من السفن إلا الفلك العظام ؛ و قال صاحب القاموس : مخرت السفينة كمنع مخرا و مخورا[٤] : جرت أو استقبلت الريح فى جريتها ، و الفلك المواخر التى يسمع صوت جريها أو تشق الماء بجآجئها[٥] أو المقبلة و المدبرة بريح واحدة . و فى الحديث : إذا أراد أحدكم البول فليتمخر الريح ، و فى لفظ : استمخروا الريح ، أى اجعلوا ظهوركم إلى الريح فانه[٦] إذا ولاها شقها بظهره فأخذت عن يمينه و يساره ، و قد يكون استقبالها تمخرا[٧] غير أنه فى الحديث استدبار[٨] - انتهى كلام القاموس . ثم علق بالمخر معللا قوله : ﴿ لتبتغوا ﴾ أى تطلبوا طلبا شديدا . و لما تقدم الاسم الأعظم فى الآية قبلها ، أعاد الضمير عليه ليعلم شدة ارتباط هذه الآية / بالتى قبلها /٣٢٠ فقال : ﴿ من فضله ﴾ أى الله بالتوصل بذلك إلى البلاد الشاسعة للتاجر و غيرها و لو جعلها ساكنة لم يترتب عليها ذلك . و فى سورة الجاثية ما ينفع هنا ﴿ و لعلكم تشكرون ﴾ أى [و-[٩]] لتكون حالكم بهذه

(١) راجع من صحيحه ١/٢٧٧ (٢) من الصحيح ، و فى الأصول : مخر (٣-٣) من ظ و م و مد و الصحيح ، و فى الاصل : لا يمخرح (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مخر (٥) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : بأباجيها. (٦) فى القاموس : كأنه (٧) من القاموس ، و فى الأصول : مخرا (٨) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل وظ : استبدار (٨) زيد من ظ و م و مد .

النعم الدالة على عظيم قدرة الله و لطفه حال من يرجى شكره . .

و لما ذكر سبحانه اختلاف الذوات الدال على بديع صنعه، أتبعه تغييره المعانى آية[1] على بليغ قدرته، فقال فى موضع الحال من[2] فاعل " خلقكم " إشارة إلى أن الله تعالى صور آدم حين خلق الأرض قبل أن يكون [3]ليل أو نهار[3] ثم نفخ فيه الروح آخر يوم الجمعة بعد أن خلق النور يوم الأربعاء، فلم يأت على الإنسان حين من الدهر و هو مقدار حركة الفلك إلا و هو شيء مذكور : ﴿ يولج ﴾ أى يدخل على سبيل الجولان ﴿ الّيل فى النهار ﴾ فيصير الظلام ضياء .

[4]و لما كان هذا الفعل فى غاية الإعجاب، و كان لكثرة تكراره قد صار مألوفا فغفل عما فيه من الدلالة على تمام القدرة : نبه عليه باعادة الفعل فقال[4] : ﴿ و يولج النهار فى الّيل[5] ﴾ فيصير ما كان ضياء ظلاما . و تارة يكون التوالج[6] بقصر هذا و طول هذا، فدل كل ذلك على أنه تعالى فاعل بالاختيار .

ولما ذكر الملوين ذكر ما ينشأ عنهما فقال: ﴿ وسخر الشمس والقمر ﴾ ثم استأنف قوله : ﴿ كل ﴾ أى منهم ﴿ يجرى ﴾ و لما كان مقصود السورة تمام القدرة، و السياق هنا لقسر المتنافرات على [ما -[6]] يزيد،

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : انه (٢) زيد فى الأصل : موضع، و لم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٣-٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل : ليلا اونهارا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من ظ وم و مد، و فى الأصل : التواع (٦) زيد من ظ و م و مد .

و لذلك ختم الآية بالملك الناظر إلى القسر و القهر لم يصلح لهذا الموضع حرف الغاية فقال : ﴿ لاجل ﴾ أى لأجل أجل ﴿ مسمى ﴾ مضروب له لايقدر أن يتعداه ، فاذا جاء ذلك الأجل[1] غرب ، هكذا كل يوم إلى أن يأتى الأجل الأعظم ، فيختل جميع هذا النظام بأمر الملك العلام ، و يقيم الناس ليوم الزحام ، و تكون الأمور العظام .

و لما دل سبحانه على أنه الفاعل المختار القادر على كل[2] ما يريد بما يشاهده كل أحد فى نفسه و فى غيره ، [و ختم -[3]] بما تتكرر مشاهدته فى كل يوم مرتين ، أنتج ذلك قطعا قوله معظما بأداة البعد و ميم الجمع : ﴿ ذلكم ﴾ أى العالى المقدار الذى فعل هذه الأفعال كلها ﴿ الله ﴾ أى[4] الذى له كل صفة كمال ؛ ثم نبههم على أنه لا مدبر لهم سواه بخبر آخر بقوله : ﴿ ربكم ﴾ أى الموجد لكم من العدم المربى بجميع النعم لا رب لكم سواه ؛ ثم استأنف قوله : ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ الملك ﴾ أى كله و هو مالك كل شىء ﴿ و الذين تدعون ﴾ أى دعاء عبادة ، ثم بين منزلتهم بقوله : ﴿ من دونه ﴾ أى [من -[3]] الأصنام و غيرها و كل شىء فهو دونه سبحانه ﴿ ما يملكون ﴾ أى فى هذا الحال الذى[6] تدعونهم فيه و كل حال يصح أن يقال فيه لكم هذا الكلام ؛ و أغرق فى النفى فقال : ﴿ من قطمير ﴾ و هو كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما :

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اليوم (٢) سقط من ظ و م و مد .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م .
(٦) فى م : الذين .

لفافة النواة[1]، و هى القشرة الرقيقة الملتفة عليها، كناية عن أدنى الأشياء، فكيف بما فوقه[2] و ليس لهم شيء من الملك، فالآية من الاحتباك: ذكر الملك أولا دليلا على حذفه ثانيا، و الملك ثانيا دليلا على حذفه أولا[3]: ثم بين ذلك بقوله: ﴿ ان تدعوهم ﴾ أى المعبودات من دونه دعاء عبادة أو استغاثة ﴿ لايسمعوا ﴾ أى بحس السمع فى ٥ وقت من الأوقات ﴿دعآءكم ج ﴾ لأنهم جماد ﴿و لو سمعوا﴾ فى المستقبل ﴿ ما استجابوا لكم[4] ﴾ لأنهم إذ ذاك يعلمون أن إجابتكم لا ترضى الله، و هم مما أبى أن يحمل الأمانة و يخون فيها بالعمل بغير ما يرضى الله / سبحانه، أو يكون المعنى: و لو فرض أنه يوجد[5] لهم سمع، أو و لو كانوا ٣٢١ / سامعين - ليدخل فيه من عبد من الأحياء - ما لزم من السماع إجابة، ١٠ لأنه لا ملازمة بين السمع و النطق، [و لا بين السمع و النطق -[4]] مع القدرة على ما يراد من السامع[6]، فان البهائم تسمع و تجيب، و[7] المجيبون غيره[6] يجيبون و لا قدرة لهم على أكثر ما يطلب منهم.

و لما ذكر ما [هو على سبيل الفرض، ذكر ما -[4]] يصير إليه بينهم و بينهم الأمر فقال: ﴿ و يوم القيٰمة ﴾ أى حين ينطقهم الله[8] ١٥

(١) نسبه البخارى إلى مجاهد - راجع ٢ / ٧٠٩ من صحيحه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم يوجد (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السماع (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل: المحنون غيرهم، و فى ظ: المحيهون غيرهم (٧) زيد من ظ و م و مد. (٨) سقط من ظ.

﴿ يكفرون بشرككم ﴾ أى ينكرونه و يتبرؤن منه . و لما كان التقدير : قد أنبأكم بذلك الخبير ، و كانوا لايقرون بذلك و لا يفهمونه حق فهمه و لا يعملون[1] به ، صرف الخطاب عنهم إلى من له الفهم التام و الطاعة الكاملة ، فقال عاطفا على هذا الذى هدى إلى تقديره السياق : ﴿ و لا ينبئك ﴾ أى إنباء بليغا عظيما على هذا الوجه بشىء من الأشياء ﴿ مثل خبير ﴾ أى بالغ الخبر ، فلا يمكن الطعن فى شىء مما أخبر به ، و أما غيره فلا يخبر خبرا[2] إلا يوجه إليه نقص .

و لما اختص سبحانه بالملك و نفى عن شركائهم النفع ، أنتج ذلك قوله : ﴿ يـٰأيها الناس ﴾ أى كافة ﴿ انتم ﴾ أى خاصة ﴿ الفقرآء ﴾ أى لأنكم لاتساع معارفكم و سريان[3] أفكاركم و انتشار عقولكم تكثر نوازعكم و تتفرق دواعيكم[4] فيعظم احتياجكم لشدة ضعفكم و عجزكم عظما يعد معه احتياج غيركم عدما ، و لو نكر الخبر لم يفد هذا المعنى ﴿ الى الله ﴾ أى الذى له جميع الملك ؛ قال القشيرى : و الفقر على ضربين : فقر خلقة ، و فقر صفة[5] ، فالأول عام فكل حادث مفتقر إلى خالقه فى أول حال وجوده[6] ليبديه و ينشيه ، و فى ثانيه ليديمه و يبقيه ، و أما فقر الصفة فهو التجرد . ففقر العوام التجرد من المال ، و فقر الخواص التجرد من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لا يعلمون (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بخبر (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سيران (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دواعكم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صنعة (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وجوه .

الإعلال، فحقيقة الفقر المحمود تجرد السر عن المعلولات[1] .

و لما ذكر العبد بوصفه الحقيق، أتبعه ذكر [الخالق باسمه الأعظم على قرب العهد بذكر الإشارة إلى الجهة التى بها وصف بما يذكر، و هى الإحاطة بأوصاف -[2]] الكمال فقال: ﴿و الله هو﴾ أى وحده ﴿الغنى﴾ أى[3] الذى لايتصور أن يحتاج [لا -[2]] إليكم و لا إلى عبادتكم و لا إلى شىء أصلا . و لما كان الغنى من الخلق لايسع غناه من يقصده، و إن وسعهم لم يسعهم عطاؤه لخوف الفقر أو لغير ذلك من العوارض، و لا يمكنه عموم النعمة فى شىء من الأشياء، فلاينفك عن نوع ذم، و كان الحمد كما قال الحرالى فى شرح الأسماء: [حسن -[2]] الكلية بانتهاء كل أمر و جزء، و بعض منها إلى غاية تمامه[4]، فمتى نقص جزء من كل عن غاية تمامه[5] لم يكن ذلك الكل محمودا، و لم يكن قائمه حميدا، و كان الله قد خلق كل شىء كما ينبغى، لم يعجل شيئا عن إناه[5] و قدره، و كان الذم استنقاضا يلحق بعض الأجزاء عند من لم يرها فى كلها و لا رأى كلها، فكان الذم لذلك لايقع إلا متقيدا متى أخذ مقتطعا من كل، و الحمد لايقع إلا فى كل لم يخرج عنه شىء، فلا حمد فى بعض و لا ذم فى كل، و لا حمد إلا فى كل. و لذلك قال الغزالى: الحميد من العباد من حمدت عوائده و أخلاقه و أعماله كلها من غير مثنوية . و كان سبحانه

(١) من م ومد، و فى الأصل و ظ: المعلومات (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م ومد، و فى الأصل: تامه (٥) من م ومد، و فى الأصل و ظ: اياه .

قد أفاض نعمه على خلقه ، و أسبغها ظاهرة و باطنة ، و جعل لهم قدرة على تناولها ، لايعوق عنه إلا قدرته " و ما كان عطاء ربك محظورا " و كان لاينقص ما عنده ، كان إعطاؤه[1] حمدا و منعه حمدا ، لأنه لا يكون مانعا لغرض / بل لحكمة تدق عن الأفكار فقال[2] : ﴿ الحميد ﴾ أى ٣٢٢/
٥ كل شيء بنعمته عنده و المستحق للحمد بذاتـــه ، فأنتج ذلك قطعا تهديدا لمن عصاه و تحذيرا شديدا : ﴿ ان يشا يذهبكم ﴾ أى جميعا ﴿ و يات بخلق جديد ج ﴾ أى غيركم لأنه على كل شيء قدير ﴿ و ما ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من الإذهاب و الإتيان ﴿ على الله ﴾[3] المحيط بجميع صفات الكمال [خاصة -[4]] ﴿ بعزيز ﴾ أى بممتنع و لا شاق ، و هو
١٠ محمود عند الإعدام كما هو محمود عند الإيجاد .

و لما أنهى سبحانه بيان الحق بالدلائل القاطعة و البراهين الساطعة بالتهديد بالأخذ ، و كان الأخذ على وجه التهديد عقابا ، و كان العقاب لا يكون حكمه إلا عند الذنب ، قال دالا على أنه لاينفك أحد عما يستحق به العقاب[5] : ﴿ و لا ﴾ أى يذهبكم عقوبة لكم بأوزاركم و قدرة
١٥ عليكم و الحال أنه [لا -[6]] ﴿ تزر ﴾ أى تحمل يوم القيامة أو عند الإذهاب ، و لما لم تكن نفس متأهلة للحمل تخلو عن وزر تحمله ، و المعصوم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عطاؤه (٢) فى ظ : قال (٣) زيد فى ظ : اى (٤) زيد من ظ و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد .

من عصم الله ، قال : ﴿وازرة﴾ دون نفس ، أى لا تحمل حاملة من جهة الإثم ﴿وزر﴾ أى حمل و ثقل ﴿اخرى﴾ لتعذب بـــه ، بل[1] كل واحد منكم له مما كسبت يداه ما تقوم به عليه الحجة فى الأخذ مباشرة و تسببا مـــع تفاوتكم فى الوزر ، و لا يحمل أحد إلا ما اقترفه هو ، لا تؤخذ[2] نفس بذنب أخرى الذى يخصها كما تفعل جبابرة الدنيا . ٥

و لما أثبت أنه لا يؤخذ[3] أحد إلا بوزر ، و نفى أن يحمل أحد وزر غيره[4] ، و كان ربما أوهم أن ذلك خاص ببعض الأحوال أو الأشخاص ، و كان عظم الوزر يوجب عظم الأخذ ، نفى ذلك الإيهام[5] و دل على القدرة على المفاوتة بينهم فى الأجر و إن كان أخذهم فى آن واحد بقوله : ﴿و ان تدع﴾ أى نفس ﴿مثقلة﴾ أى بالذنوب سواء كانت كفرا ١٠ أو غيره ، أخذا ﴿الى حملها﴾ أى الخاص بها من الذنوب التى ليست على غيرها بمباشرة و لا تسبب ليخفف عنها فيخفف عنها العذاب بسبب خفته ﴿لا يحمل﴾ [أى -[6]] من حامل ما ﴿منه شىء﴾ أى لا طواعية و لا كرها . بل لكل إمرئ شأن يغنيه أصلا و تسببا ﴿و لو كان﴾ ذلك الداعى أو المدعو للحمل ﴿ذا قربى﴾ لمن دعاه ، و حاصل الأولى ١٥ أنه لا يهلك أحد بذنب غيره بل بذنب نفسه ، و الثانية[7] أنه لا يحط عن أحد ذنبه ليسلم .

---

(١) فى ظ : من (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا تواخذ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يواخذ (٤) فى ظ : اخرى (٥) فى م و مد : الابهام .
(٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الثانى .

و لما كان هذا أمرا - مع كونه جليا - خالعا للقلوب ، فكان بحيث يشتد تعجب السامع ممن يسمعه و لايخشى ، فقال مزيلا لهذا العجب على سبيل النتيجة : ﴿ انما تنذر ﴾ أى إنذارا[1] يفيد الرجوع عن الغىّ ، فلاختصاصهم بالنفع كانوا كأنهم مختصون بالإنذار ، و هو كما قال القشيرى : الإعلام بموضع المخافة . ﴿ الذين يخشون ﴾ أى يوقعون هذا الفعل فى الحال و يواظبون عليه فى الاستقبال . و لما كان أعقل الناس من خاف[2] المحسن لأن أقل عقابه قطع إحسانه قال : ﴿ ربهم ﴾ .

و لما كان أوفى الناس عقلا و أعلاهم همة و أكرمهم عنصرا من كانت غيبته[3] مثل حضوره ، و كان لا يحتاج - مع[4] قول الداعى و ما يظهر له من سمته و حسن قوله و فعله - إلى آية[5] يظهرها و لاخارقة يبرزها ، و إنما إيمانه تصديقا للداعى فى إخباره بالأمر المغيب من غير كشف غطاء قال : ﴿ بالغيب ﴾ أى حال كونهم غائبين عما دعوا إليه و خوفوا به ، أو حال كونه غائبا عنهم او غائبين عمن يمكن مرا آته ، فهم مخلصون فى خشيتهم سواء بحيث لايطلع عليهم إلا الله ، و لانعلم[6] أحدا وازى خديجة / و الصديق رضى الله عنهما فى ذلك . و لما كانت /٣٢٣

(١) فى ظ : انذار (٢) زيد فى الأصل : عقاب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : غيبة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مثال (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انه (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يعلم .

الصلاة جامعة لخضوع الظاهر و الباطن ، فكانت أشرف العبادات ، و كانت إقامتها بمعنى حفظ[1] جميع حدودها فى كل حال أدل الطاعات على الإخلاص ، قال معبرا بالماضى لأن مواقيت الصلاة مضبوطة : ﴿و اقاموا﴾ [2]أى دليلا على خشيتهم[2] ﴿ الصلوٰة ﴾ [3] فى أوقاتها الخمسة و ما يتبع ذلك من السنن[3] .

٥

و لما كان التقدير : فمن كان على غير ذلك تدسى ، و من كان على هذا فقد تزكى ، و من تدسى فانما يتدسى على نفسه ، عطف عليه قوله ، مشيرا بأداة التفعل إلى أن النفس أميل[4] شىء إلى الدنس ، فلا تنقاد إلى أحسن تقويم إلا باجتهاد عظيم . ﴿و من تزكّٰى﴾ اى تطهر و تكثر بهذه المحاسن . و لما كان الإنسان ليفيده بالأسباب القريبة قد يغفل عن أن ١٠ هذا نفع[5] له و خاص به أكده فقال : ﴿فانما يتزكّٰى لنفسه[6]﴾ فانه لا يضر و لا ينفع فى الحقيقة غيرها ﴿و الى الله﴾ الذى يكشف عن جميع صفاته أتم كشف تحتمله العقول يوم البعث لا إلى غيره ﴿المصير ۝﴾ كما كان منه المبدأ فيجازى كلا على فعله فينصف بينك و بين من خشى[7] ربه بانذارك و من أعرض عن ذلك .

١٥

و لما كان التقدير : فما يستوى فى الطبع و العقل المتدسى[8] الذى هو أعمى بعصيانه فى الظلمات و لا المتزكى الذى هو بطاعاته بصير فى

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بحفظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اصل (٥) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : يقع (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يخشى (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للتدسى .

النور و إن استويا فى الإنسانية ، عطف عليه ما يصلح أمثلة للمتدسى و المتزكى و ما يكون به التدسية و التزكية ، دلالة على تمام قدرته الذى السياق له من أول السورة ، و تقريرا لأن الخشية و القسوة بيده إبطالا لقول من يسند الأمور إلى الطبائع قوله : ﴿ و ما يستوى ﴾ أى فى حالة من الأحوال . و لما كان المقام لوعظ المشركين ، و كان المتدسى قبل المتزكى على ما قرر قبله ، ناسب أن ينظم على هذا الترتيب قوله مثالا للكافر و المؤمن و الجاهل [و العالم ، و قدم مثال الجاهل - [1]] لأن الأصل عند الإرسال الجهل : ﴿ الاعمى و البصير ﴾ أى لا الصنفان و لا أفرادهما و لا أفراد صنف منهما ، و أغنى عن إعادة النافى ظهور المفاوتة بين أفراد كل صنف من الصنفين ، فالمعنى أن الناس غير مستوين فى العمى و البصر[2] بل بعضهم أعمى و بعضهم بصير ، لأن افتعل هنا لمعنى تفاعل ، و لعله عبر به دلالة على النفى[3] و لو وقع اجتهاد[4] فى أن لا يقع ، أو دلالة على [ان - [1]] المنفى إنما هو التساوى من كل جهة . لا فى أصل المعنى و لو كان ذلك مستندا إلى الطبع لكانوا على منهاج واحد [بل - [1]] و أفراد كل متفاوتون[5] فتجد بعض العمى يمشى بلا قائد فى الأزقة المشكلة ، و آخر لا يقدر على المشى فى بيته إلا بقائد ، و آخر يدرك من الكتاب إذا جسه كم مسطرته من سطر ، و هل خطه حسن أو لا ،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البصير .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المنفى (٤) فى ظ : اجتهادا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متفاتون .

و آخر

و آخر يدرك الدرهم الزيف من غيره ، و يميز ضرب كل بلد من غيره ، و ربما نازعه أحد مغالطة فلا يقبل التشكيك ، و آخر فى غاية البعد عن ذلك ، و أما البصراء فالأمر فيهم واضح فى المفاوتة فى أبصارهم و بصائرهم ، و كل ذلك دليل واضح على أن الفاعل قادر مختار يزيد فى الخلق ما يشاء ، و إلا لتساوت الأفراد فكانوا على منهاج واحد . ٥

و لما كان هذا[1] من أغرب الأمور و إن غفل عنه لكثرة إلفه ، نبه على غرابته و مزيد ظهور القدرة فيه بتكرير / النافى[2] فى اشباهه[3] و على أن البصر لا ينفذ إلا فى الظلمة ، تنبيها على أن المعاصى تظلم قلب المؤمن و إن كان بصيرا ، و قدم الظلمة لأنها أشد إظهارا لتفاوت البصر مع المناسبة للسياق على ما قرر ، فقال فى عطف الزوج على الزوج و عطف ١٠ الفرد على الفرد جامعا تنبيها على أن طرق الضلال يتعذر حصرها : ﴿ و لا الظلمٰت ﴾ [4]التى هى مثال للأباطيل ؛ و أكد بتكرير النافى كالذى قبله لأن المفاوتة بين افراد الظلمة و أفراد النور خفية ، فقال منبها على أن طريق الحق واحدة تكذيبا لمن قال من الزنادقة : الطرق [5]إلى الله[5] بعدد أنفاس الخلائق : ﴿ و لا النور ﴾ الذى[6] هو مثال للحق ، فما أبدعهما ١٥ على هذا التضاد إلا الله تعالى الفاعل المختار ، و فاوت[7] بين أفراد النور

/ ٣٢٤

(١) بين سطرى م : أى عدم استواء فى العمى و البصر (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفاء ـ خطأ (٣) بين سطرى م : أى فى العمى و البصر .
(٤) زيد فى ظ : اى (٥ـ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى (٧) من ظ و م و مد . و فى الأصل : فوات .

و أفراد الظلمة، فما يشبه نور الشمس نور القمر و لا شيء منهما نور غيرهما من النجوم[1] و لا شيء من[2] ذلك نور السراج - إلى غير ذلك من الأنوار، و إذا اعتبرت أفراد الظلمات وجدتها كذلك، فان الظلمات إنما هي ظلال، و بعض الظلال أكثف من بعض.

٥ و لما كان الظلام ينشأ عن الظلال، و هو نسخ النور، قدمه فقال مقدما مثال الخير لأن الرحمة سبقت الغضب: ﴿و لا الظل﴾ أي ببرده[3] الذي هو مرجع المؤمن في الآخرة ﴿و لا الحرور ۝﴾ أي بوهجها، و هي مرجع الكافر، قال البغوي[4]: قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي الريح الحارة بالليل، و كذا قال في القاموس و زاد: و قد يكون بالنهار و حر الشمس

١٠ و الحر الدائم و النار، فانتفى حكم الطبائع قطعا.

و لما كان المظهر لذلك كله الحياة، قدمها فقال مثالا آخر للمؤمنين[5]، و لذلك أعاد الفعل و هو فوق التمثيل بالأعمى[6] و البصير، لأن الأعمى[6] يشارك البصير في بعض الإدراكات، و صار للمؤمن و الكافر مثالان ليفيد الأول نفي استواء الجنس بالجنس مع القبول للحكم على الأفراد، و الثاني

١٥ بالعكس و هو للنفي في الأفراد مع القبول للجنس: ﴿و ما يستوي الاحياء﴾ أي لأن منهم الناطق و الأعجم، و الذكي و الغبي، و السهل و الصعب،

---

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: البحور (٢) زيد في الأصل و م: غير، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: يبرزه (٤) راجع معالم التنزيل ٥ / ٢٤٧ (٥) من ظ و مد، و في الأصل و م: للمؤمن (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.

فلا يكاد يتساوى حيان فى جميع الخلال[1] ﴿و لا الاموات[2]﴾ أى[2] الذين هم مثال للكافرين فى صعوبة الموت و سهولته و البلى و غيره مما يخفى و لا يقر به الكفار من الشقاوة و السعادة .

و لما كان ما ذكر على هذا الوجه ـ من [3]وضوح الدلالة[3] على الفعل بالاختيار و على ضلال من أشرك به شيئا لأنه لا يشابهه شىء ـ بمكان ٥ ليس معه خفاء ، و من الإحكام بحيث لا يدانيه كلام يعجب السامع ممن يأباه ، فقال مزيلا عجبه مقررا[4] أن الخشية و القسوة إنما هما بيده ، و أن الإنذار إنما هو [لمن ـ[5]] قضى بانتفاعه ، مسليا لنبيه صلى الله عليه و سلم ، مؤكدا ردا على من يرى لغيره سبحانه فعلا من خير أو شر : ﴿ان الله﴾ أى القادر على المفاوتة بين هذه[6] الأشياء و على كل شىء ١٠ بما له من الإحاطة بصفات الكمال ، و عبر بالفعل إشارة إلى[7] القدرة على ذلك فى كل وقت أراده سبحانه فقال : ﴿يسمع من يشآء ج﴾ أى فيهديه و لو لم يكن له قابلية فى العادة كالجمادات ، و يصم من يشاء فيعميه و ينكسه و يرديه من أحياء القلوب و الأرواح ، و أموات المعانى و الأشباح ، و المعنى [أن ـ[5]] إسماعهم[8] لو كان مستندا إلى الطبائع لاستووا إما بالإجابة ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحلائق (٢) سقط من ظ و م و مد . (٣ - ٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل : رضوع الدلائل (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مقرا (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هذا (٧) زيد فى الأصل و ظ : ان ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها .

/٣٢٥ أو الإعراض / لأن نسبة الدعوة و إظهار المعجزة إليهم على حد[1] سواء، فالآية تقرير [آية -[2]] " انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب" .

و لما كان المعرض قد ساوى الميت فى حاله التى هى عدم الانتفاع بما يرى و يسمع من الخوارق، فكان كأنه ميت، قال معبرا بالاسمية تنبيها على عدم إثبات[3] ذلك له صلى الله عليه وسلم: ﴿ و ما انت ﴾ أى بنفسك من غير إقدار الله لك، و أعرق فى النفى فقال: ﴿بمسمع﴾ [4] أى بوجه من الوجوه[4] ﴿من فى القبور﴾ [أى -[2]] الحسية و المعنوية، إسماعا ينفعهم بل الله يسمعهم إن شاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، و الآية دليل على البعث .

و لما كان هذا خاصة الإله، أشار إلى نفيه عنه مقتصرا على وصف النذارة، إشارة إلى أن أغلب الخلق موتى القلوب، فقال مؤكدا للرد على من يظن أن النذير يقدر على هداية أو غيرها إلا باقداره: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ انت الا نذير ﴾ [أى -[2]] تنبه القلوب الميتة بقوارع الإنذار، و لست بوكيل يقهرهم على الإيمان .

و لما كان صلى الله عليه وسلم نبى الرحمة، وكان الاقتصار على هذا الوصف ربما أوهم غير ذلك. أتبعه قوله [5] بيانا لعظمته صلى الله[5]

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ثبات (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م .

[1]عليه و سلم بالالتفات إلى مظهر العظمة لأن عظمة الرسول من عظمة المرسل فنذارته رحمة[1]: ﴿ انآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ ارسلنك ﴾ أى إلى هذه الأمة إرسالا مصحوبا ﴿ بالحق ﴾ أى الأمر الكامل فى الثبات الذى يطابقه الواقع، فان من نظر إلى كثرة ما أوتيته من الدلائل علم مطابقة الواقع لما تأمر به، و التقدير [بالمصدر -[2]] يفهم أن الرسالة ٥ حق، و كلا من المرسل و الرسول محق ﴿ بشيرا ﴾ أى لمن أطاع ﴿ و نذيرا[4] ﴾ أى لمن عصى، و العطف بالواو للدلالة على العراقة فى كل من الصفتين .

و لما كان مما يسهل القياد و يضعف الجماح[3] التأسية، قال مؤكدا دفعا لاستبعاد الإرسال إلى جميع الأمم: ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أنه ١٠ ما ﴿من امة﴾ من الأمم الماضية ﴿الا خلا فيها نذير﴾ أرسلناه إليهم بشيرا و نذيرا إما بنفسه و إما بما أبقى فى[1] أعقابهم من شرائعه من [5]أقواله و أفعاله[5] و رسومه مع ما لهم من العقول الشاهدة بذلك، و النذارة دالة على البشارة، و اقتصر عليها لأنها هى التى تقع بها التسلية لما فيها من المشقة، ولأن[6] من الأنبياء الماضين عليهم السلام من تمحضت دعوته للنذارة ١٥ لأنه [لم -[7]] ينتفع أحد ببشارته لعدم اتباع أحد منهم له[8] .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الجماع (٤) فى ظ : من (٥ - ٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : أفعاله و أقواله (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : ان .
(٧) زيد من ظ و مد (٨) العبارة من « و لأن » إلى هنا ساقطة من م .

و لما كان صلى الله عليه و سلم شديد الأسف على إبائهم رحمة لهم و خوفا من أن يكون ذلك لتقصير فى حاله، و كان التقدير: فان يصدقوك فهو حظهم[1] فى الدنيا و الآخرة، عطف عليه تأسية له و تسلية قوله[2]: ﴿و ان يكذبوك فقد﴾ أى فتسل لأنه قد ﴿كذب الذين﴾ و لما كان المكذبون بعض الناس، فلزم لذلك أن يكونوا[3] فى بعض الزمان، دل على ذلك بالجار فقال: ﴿من قبلهم ج﴾ أى ما أتتهم به رسلهم عن الله.

و لما كان قبول الرسل لما جاءهم عن الله و نفى التقصير فى الإبلاغ عنهم دالا على علو شأنهم و سفول أمر المكذبين من الأمم، و كل[4] ذلك دالا على [تمام ـ[5]] قدرة الله تعالى فى المفاوتة بين الخلق، قال دالا على أمرى العلو و السفول استئنافا[6] جوابا لمن كأنه قال: هل كان تكذيبهم عنادا أو لنقص فى[7] البيان: ﴿جآءتهم﴾ أى الأمم الخالية ﴿رسلهم بالبينت﴾ أى الآيات الواضحات[8] فى الدلالة على صحة الرسالة. و لما كان التصديق بالكتاب / لازما لكل من بلغه [أمره ـ[9]]، /٣٢٦ و كانت نسبة التكذيب إلى جميع الأمم أمرا معجبا، كان الأمر حريا بالتأكيد لئلا يظن أنهم ما كذبوا إلا لعدم الكتاب، فأكد باعادة الجار

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حفظهم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لقوله (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يكون (٤) سقط من ظ. (٥) زيد من ظ و مد (٦) العبارة من هنا إلى «فى البيان» ساقطة من م. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٨) فى ظ: الموضحات (٩) زيد من ظ و م و مد.

فقال : ﴿ و بالزبر ﴾ أى الأمور المكتوبة من الصحف و نحوها من السنن و الأسرار ﴿ و بالكتب ﴾ أى جنس الكتاب كالتوراة و الإنجيل ﴿ المنير ﴾ أى الواضح فى نفسه الموضح لطريق الخير و الشر كما أنك أتيت قومك بمثل ذلك و إن كان[1] طريقك أوضح و أظهر ، و كتابك أنور و أبهر و أظهر و أشهر . ٥

و لما سلاه ، هدد من خالفه و عصاه بما فعل فى تلك الأمم فقال ، [صارفا القول إلى الإفراد دفعا لكل لبس -[2]] ، مشيرا بأداة التراخى إلى أن طول الإمهال ينبغى أن يكون سببا للإنابة لا للاغترار بظن الإهمال : ﴿ ثم اخذت ﴾ أى بأنواع الأخذ ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا تلك الآيات المنيرة بعد طول صبر الرسل عليهم و دعائهم لهم . ١٠

و لما كان أخذ من قص أخباره منهم عند العرب شهيرا ، و كان على وجوه من النكال معجبة ، سبب عنه السؤال بقوله : ﴿ فكيف كان نكير ﴾ أى إنكارى عليهم ، أى أنه إنكار يجب السؤال عن كيفيته لهوله و عظمه ، و المعنى كما قال القشيرى : و لئن أصروا على سنتهم فى الغى فلن تجد لسنتنا تبديلا فى الانتقام و الخزى . ١٥

و لما كان من أغرب الأشياء الدالة على تمام القدرة الدال[3] على الوحدانية أن يكون [4] شىء واحد [4] سببا لسعادة قوم و هداهم ، و شقاوة قوم و ضلالهم [5] و عماهم [5] و كان ذلك ، أمرا دقيقا و خطبا جليلا ، لا يفهمه

(١) فى ظ : كانت (٢) زيد من ظ و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الدالة (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شيئا واحدا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م .

حق فهمه إلا أعلى الخلائق ، ذكر المخاطب بهذا[1] الذكر ما يشاهد من آيته ، فقال على طريق الاستخبار لوصول المخاطب إلى رتبة أولى الفهم بما ساق من ذلك سبحانه على طريق الإخبار فى قوله " الله الذى ارسل الريح " [و لفت القول إلى الاسم الأعظم دلالة على عظمة ما فى حيزه -[2]] : ﴿ الم تر ان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ انزل من السمآء ﴾ أى التى لا يصعد إليها الماء و لا يستمسك عن الهبوط منها فى غير أوقاته إلا بقدرة باهرة لا يعجزها شيء ﴿ مآءً ﴾ أى لا [شيء -[3]] يشابهه فى مماثلة بعضه لبعض ، فلا قدرة لغيره سبحانه على تمييز[4] شيء منه إلى ما يصلح لشيء دون[5] آخر .

و لما كان هذا أمرا فائتا لقوى العقول ، نبه عليه بالالتفات إلى مظهر العظمة فقال[6] : ﴿ فاخرجنا ﴾ [أى -[7]] بما لنا من العظمة ﴿ به ﴾ أى الماء من الأرض ﴿ ثمرٰت ﴾ أى متعددة الأنواع ﴿ مختلفا الوانها[8] ﴾ أى ألوان أنواعها و أصنافها و هيئاتها و طبائعها ، فالذى قدر على المفاوتة بينها و هى من ماء واحد لا يستبعد عليه أن يجعل الدلائل بالكتاب و غيره نورا لشخص و عمى لآخر .

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تمييزه (٥) زيد فى الأصل : شيء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : ماء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : القدرة .

و لما ذكر تنوع[1] ما عن الماء و قدمه لأنه الأصل فى التلوين[2] كما أنه الأصل فى التكوين، أتبعه التلوين عن التراب الذى هو أيضا شىء واحد، فقال ذاكرا ما هو أصلب الأرض و أبعدها[3] عن قابلية التأثر و قطعه عن الأول لأن الماء لا تأثير له فيه: ﴿ و من ﴾ [4]أى و مما خلقنا من[4] ﴿ الجبال جـــدد ﴾ أى طرائق[5] و علامات و خطوط متقاطعة ٥ ﴿ بيض و حمر ﴾ و لعله عبر عنها بذلك دون طرق إشارة إلى أن من غرابتها أنها لا تخلق و لا تضمحل ألوانها على طول الأزمان كما هو العادة فى غالب ما يتقادم عهده، و الجد بالفتح، و الجدة بالكسر، و الجدد بالتحريك: وجه الأرض، و جمعه جدد كسرر، و الجدة بالضم: الطريقة و العلامة و الخط فى ظهر الحمار يخالف لونه و جمعه جدد كغدة و غدد ١٠ و عدة و عدد و مدة و مدد، و الجدد / محركة: ما أشرف من الرمل ٣٢٧ / و شبه السلعة بعنق البعير، و الأرض الغليظة المستوية، و الجدجد بالفتح: الأرض المستوية.

و لما كان أبلغ من ذلك أن تلك الطرق فى أنفسها غير متساوية المواضع فى ذلك اللون الذى تلونت به، قال تعالى دالا على[6] أن كلا ١٥ من هذين اللونين لم يبلغ الغاية[7] فى الخلوص: ﴿مختلف الوانها﴾ و هى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: نبوع (٢) فى ظ: التكوين (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ابعد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من م ومد، و فى الأصل وظ: طريق (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن. (٧) من ظ و م و مد. و فى الأصل: الغرابة.

من الأرض و هى واحدة . و لما قدم ما كان مستغربا فى ألوان الأرض لأنه على غير لونها الأصلى ، أتبعه ما هو أقرب إلى الغبرة التى هى أصل لونها . و لما كانت[1] مادة " غرب " تدور على الخفاء الذى يلزمه الغموض[2] أخذا من غروب الشمس ، و يلزم منه السواد ، و لذلك يؤكد الأسود بغربيب مبالغة الغرب كفرح أى[3] الأسود للمبالغة فى سواده ، و كان المقصود الوصف بغاية السواد مخالفة[4] لغيره ، قال تعالى عاطفا على بيض : ﴿و غرابيب﴾ أى من الجدد[5] أيضا ﴿سود ه﴾ فقدم التأكيد لدلالة السياق على أن أصل العبارة[6] " و سود غرابيب سود " فأضمر الأول ليتقدم على المؤكد لأنه تابع ، و دل عليه بالثانى ليكون مبالغا فى تأكيده غاية المبالغة بالإظهار[7] بعد الإضمار ، و هو معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما : [أشد -[8]] سواد الغربيب - رواه عنه البخارى ، لأن السودا الخالص فى الأرض ، مستغرب ، و منه ما يصبغ به الثياب ليس معه غيره ، فتصير فى غاية السواد ، و ذلك فى مدينة فوة و[9]مسير و[9] غيرهما مما داناهما من بلاد مصر .

[10]و لما أكد هذا بما دل على خلوصه ، قدم ذكر الاختلاف عليه[10] ،

(١) فى ظ : كان (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الغرض (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مخالفا (٥) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الجود (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العبادة (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و الاظهار (٨) زيد من ظ و م و مد و صحيح البخارى ٢ / ٧٠٩ (٩-٩) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : سيرد (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و لما

و لما ذكر تعالى ما الأغلب فيه الماء[1] مما استحال إلى آخر بعيد من الماء، و أتبعه التراب الصرف، ختم بما الأغلب فيه التراب مما استحال إلى ما [هو فى -[2]] غاية البعد من التراب فقال: ﴿ و من الناس ﴾ أى المتحركين بالفعل و الاختيار ﴿ و الدوآب ﴾ و لما كانت الدابة فى الأصل لما دب على الأرض، ثم غلب إطلاقه على ما يركب قال: ٥ ﴿ و الا نعام ﴾ ليعم الكل صريحا ﴿ مختلف الوانه ﴾ أى ألوان ذلك [البعض -[2]] الذى أفهمته "من" ﴿ كذلك[3] ﴾ أى مثل الثمار و الأراضى فمنه ما هو ذو لون واحد، و منه ما هو ذو ألوان مع أن كل ما ذكر فهو من[3] الأراضى متجانس[4] الأعيان مختلف الأوصاف، و نسبته إليها [و إلى السماء -[2]] [5]واحدة فأين[5] حكم الطبائع . ١٠

و لما ثبت بهذا البرهان أنه سبحانه فاعل بالاختيار، فهو يفعل فيما يشاء و من يشاء ما يشاء، فيجعل الشيء الواحد لقوم نورا و لقوم عمى، و كان ذلك مرغبا فى خدمته[6] مرهبا من سطوته [7]سبحانه و تعالى و تقدس[7] لكل ذى لب، و كان السياق لإنذار من يخشى بالغيب، فثبت أن الإنذار بهذا القرآن يكون لقوم أراد الله خشيتهم حشية، و لقوم أراد الله قسوتهم ١٥

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م ومد، وفى الأصل : فى (٤) من ظ وم ومد، و فى الأصل : مجانس (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : وحدة قل من - مصحفا .
(٦) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٧-٧) ليس ما بين الرقمين فى ظ و م و مد .

قسوة ، التفتت النفس إلى طلب قانون يعرف به من يخشى و من لا يخشى ، فقال على سبيل الاستنتاج من ذلك ، دفعا لظن من يحسب أنه يمكن أن يكون ولى جاهلا : ﴿إنما يخشى الله﴾ أى الذى له جميع الكمال ، ولا كمال لغيره إلا منه ، و دل على أن كل ما سواه فى قبضته و تحت قهره بقوله : ﴿ من عباده ﴾ ثم ذكر محط الفائدة و هو من ينفع إنذاره فقال : ﴿العلمؤا[1]﴾ أى لا سواهم و إن كانوا عبادا و إن بلغت عبادتهم ما عسى أن تبلغ ، لأنه[1] لا يخشى أحد أحدا إلا مع معرفته ، و لا يعرفه جاهل ، فصار المعنى /كأنه قيل : إنما ينفع الإنذار أهل الخشية ، و إنما يخشى العلماء ، و العالم هو الفقيه العامل بعلمه ، [قال السهروردى فى الباب الثالث من عوارفه : فينتفى العلم عمن لا يخشى الله ، كما إذا قال : إنما يدخل الدار بغدادى ، فينتفى دخول غير البغدادى الدار -[2]] - هـذا معنى القراءة المشهورة .

/٣٢٨

و لما كان سبب الخشية التعظيم و الإجلال ، و كان كل أحد لا يجل إلا من أجله ، و كان قد ثبت أن العلماء يجلون الله ، و كان [سبب -[3]] إجلالهم [1]له إجلاله لهم[4] ، كان هذا معنى القراءة [الأخرى -[2]] ، فكان كأنه قيل : إنما ينفع الإنذار من يجل الله فالله يجله لعلمه ، و سئل شيخنا محقق زمانه قاضى الشافعية بمصر محمد بن على القاياتى[5] عن توجيه هذه القراءة فأطرق يسيرا ثم رفع رأسه فقال :

أهابك إجلالا و ما بك قدرة علىّ و لكن ملء[5] عين[6] حبيبها

(١) فى ظ : فانه (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المقاتلى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن .

و لما ثبت بهذا السياق أنه[1] سبحانه فاعل هذه الأشياء المتضادة باختياره، علل ذلك ليفيد أن قدرته على كل ما يريده[2] كقدرته عليه بقوله على سبيل التأكيد تنبيها على أنه سبحانه لايعسر عليه شيء و أنه أهل لأن يخشى [و لذلك أظهر الاسم الأعظم -[3]] : ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بالجلال و الإكرام ﴿ عزيز ﴾ أى غالب على جميع أمره . و لما كان هذا مرهبا من سطوته موجبا لخشيته لإفهامه أنه يمنع الذين [لا -[4]] يخشون من رحمته، رغبهم بقوله[5] : ﴿ غفور ه ﴾ فى أنه يمحو ذنوب[6] من يريد منهم فيقبل بقلبه إليه و هو أيضا من معانى العزة .

و لما تقرر هذا، تشوف السامع إلى معرفة العلماء فكان كأنه قيل : هم [الذين -[4]] يحافظون على كتاب الله علما و عملا، فقيل : فما لهم؟ فقال مؤكدا تكذيبا لمن يظن من الكفار و غيرهم من العصاة أنهم من الخاسرين بما ضيعوا من عاجل دنياهم : ﴿ ان الذين يتلون ﴾ أى يجددون التلاوة كل وقت مستمرين على ذلك محافظين عليه كلما نزل من القرآن شيء و بعد كمال نزوله حتى يكون ذلك ديدنهم و شأنهم بفهم و بغير فهم ﴿ كتب الله ﴾ أى الذى لاينبغى لعاقل أن يقبل على غيره لما له من صفات الجمال و الجلال . و لما ذكر السبب الذى لاسبب[7] يعادله،

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ان (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يريد (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : رحمة ربهم (٦) فى ظ و م و مد : ذنب (٧) زيد فى الأصل : له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

ذكر أحسن ما يربط به، فقال دالا على المداومة بالتعبير بالإقامة و على تحقيق الفعل بالتعبير بالماضى: ﴿ و اقاموا الصلوٰة ﴾ اى و هى الناهية عن الفحشاء و المنكر فناجوا الله فيها بكلامه . و لما ذكر الوصلة بينهم و بين الخالق، ذكر إحسانهم إلى الخلائق، فقال [دالا على إيقاع الفعل بالتعبير بالماضى، و على الدوام بالسر و العلن لافتا القول إلى مظهر العظمة تنبيها على أن الرزق منه وحده، لا يحول أحد غيره و لاغيره -[1]]: ﴿ و انفقوا مما رزقنٰهم ﴾ أى بحولنا و قوتنا لابشىء من أمرهم فى جميع ما يرضينا، و دل على مواظبتهم على الإنفاق و إن أدى إلى نفاد المال[2] بقوله: ﴿ سرا و علانية ﴾ و عبر فى الأول بالمضارع لأن إنزالها كان قبل التمام و تصريحا بتكرار التلاوة تعبدا و دراسة لأن القرآن كما قال النبى صلى الله عليه و سلم أشد تفلتا من الإبل فى عقلها[3] - أخرجه مسلم عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، و فى الثانى و الثالث بالماضى حثا على المبادرة إلى الفعل، و قد تحصل من هذا أنه جعل لفعل القلب الذى هو الخشية دليلا باللسان و آخر بالأركان و ثالثا بالأموال .

و لما أحلهم بالمحل الأعلى معرفا أنهم أهل العلم الذين يخشون الله، و كان العبد لا يجب له على سيده شىء، قال منبها على نعمة الإبقاء الثانى التى هى أم النعم و النتيجة العظمى المقصودة[4] بالذات: ﴿ يرجون ﴾ أى

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ماله (٣) من ظ و م و مد و صحيح مسلم ١/٢٦٨، و فى الأصل: عقالها (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المقصود .

فى الدنيا و الآخرة ﴿ تجارة ﴾ أى بما عملوا ﴿ لن تبور ﴾ أى تكسد و تهلك بل[1] هى باقية، لأنها دفعت إلى من لاتضيع لديه الودائع / و هى رائجة رابحة، لكونه تام القدرة شامل العلم له الغنى المطلق. / ٣٢٩

و لما كان المراد بعدم هلاكها حفظها و بقاءها إلى يوم لقائه، علله بقوله، [مقتصرا على الضمير لأن السياق للمؤمنين، و لذا لفته إلى ضمير الغيبة لأن إيمانهم بالغيب -[2]] ﴿ليوفيهم﴾ : [أى -[3]] لنفاقها عنده[4] سبحانه فى الدنيا إن أراد [5]أو فى الآخرة أو فيهما[5] ﴿ اجورهم ﴾ أى على تلك الأعمال ﴿و يزيدهم ﴾ أى على ما جعله [بمنه و بيمنه حقا لهم عليها -[6]] ﴿ من فضله ﴾ أى زيادة ليس لهم فيها تسبب أصلا، بل هى بعد ما منّ عليهم بما قابل أعمالهم به مما يعرفون أنه جزاؤها مضاعفا للواحد عشرة إلى ما فوق. و لما كانت أعمالهم لاتنفك عن شائبة ما، و إن خلصت فلم يكن ثوابها لأنها منّ منه سبحانه مستحقا، علل توفيتهم لها بقوله مؤكدا إعلاما بأنه[7] لايسع الناس إلا عفوه لأنه لن يقدر الله أحد حق قدره و إن اجتهد، ولو واخذ [8]أعبد العباد[8] بما يقع من[9] [10]تقصيره أهلكه[10] ﴿انه غفور﴾ أى بمحو النقص عن العمل ﴿شكور ﴾ [أى - [6]]

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بان (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و مد (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عنه. (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : و فى الارض او فيها (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ : لأنه (٨-٨) من ظ و مد، و فى الأصل : الناس، و فى م : اعبد الناس (٩) سقط من ظ (١٠ - ١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تقصيرهم اهلكهم.

يقبله و يزيد عليه .

و لما كانت ترجمة الآية أن العلماء هم حملة الكتاب ، و بدأ سبحانه بأدنى درجاتهم ، و كان ذلك مما يرغب فى الكتاب ، أتبعه ترغيبا هو أعلى منه ، فقال عاطفا على قوله فى تقرير الأصل الثانى الذى هو الرسالة ٥ "انا[1] إرسلناك بالحق" وأكده دفعا لتكذيب المكذبين به : ﴿ و الذىَ اوحيناَ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿اليك﴾ و بين قدره بمظهر العظمة و قال مبينا للوحى[2] : ﴿من الكتب﴾ أى الجامع لخيرى الدارين . و لما كان الكتاب لايطرقه[3] نوع من أنواع التغير[4] لأنه صفة من لايتغير قال[5] : ﴿هو الحق﴾ أى الكامل فى الثبات و مطابقة الواقع له لاغيره[6] ١٠ من الكلام : و أكد حقيته بقوله : ﴿ مصدقا لما بين يديه ﴾ أى من الكتب الماضية الآتى لها الرسل الداعون إلى الله المؤيدون بالبراهين الساطعة و الأدلة القاطعة .

و لما دل سبحانه على أن العلم هو الحقيقة الثابتة ، و ما عداه فهو محو و باطل ، و دل على أن التالين لكتابه الذى هو العلم هم العلماء ، ١٥ و غيرهم و إن كانوا موجودين فهم بالمعدومين أشبه . و دل على أن الكتب الماضية و إن كانت حقا[7] لكنها ليست فى كمال القرآن ، لأن الأمر

(١) و نسخة م من هنا ساقطة إلى ما سننبه عليه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لايطوقه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : التغيير (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : غير (٦) زيد بعده فى الأصل : الزاهرة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .

مادام لم يختم فالزيادة متوقعة فيه بخلاف [١]ما إذا[١] وقع الختم فانه لا يكون بعده زيادة ترتقب[٢]، و كان ربما تراءى لأحد فى بعض المتصفين[٣] بذلك غير ذلك[٤]، قال تعالى إعلاما بأن العبرة بما عنده لا بما يظهر للعباد، و أكده تنبيها على أن هذا المعنى مما تعقد عليه الخناصر و إن تراءى[٥] لأكثر الناس خلافه. [أظهر الاسم الأعظم لحاجة المخبرين هنا إليه لأنهم البر و الفاجر-[٦]] : ٥ ﴿ان الله﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال . و لما كان [الإنسان -[٦]] أعلم بمن[٧] يربيه و لاسيما إن كان مالكا له قال : ﴿بعباده لخبير﴾ أى عالم أدق العلم و أتقنه ببواطن أحوالهم ﴿ بصير ﴾ أى بظواهر أمورهم و بواطنها [أى -[٦]] فهو يسكن الخشية و العلم القلوب على قدر ما أوتوا من[٨] الكتاب فى علمه و تلاوته و إن تراءى لهم[٩] خلاف ذلك، فأنت ١٠ أحقهم بالكمال لأنك أخشاهم و أتقاهم، فلذلك آتيناك هـــذا الكتاب، فأخشاهم بعدك أحقهم بعلمه .

و لما كان معنى الوصفين : فنحن نيسر لتلاوة كتابنا من يكون قابلا للعلم الذى هو عمود الخشية بما تعلمه منه بخبرنا[١٠] و بصرنا، و كان الذى ضم / إلى التلاوة الفهم فى الذروة العليا من العلم، قال عطفا على هذا الذى ١٥ / ٣٠

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل : ما ذا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : ترقب (٣) من ظ و مد، و فى الاصل : المتضعفين (٤) زيد فى ظ : كما (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : ترى (٦) زيد من ظ و مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : بما (٨) زيد فى الأصل : العلوم و من، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) فى ظ و مد : لكم (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل : بخبر .

أرشد السياق إلى تقديره مشيرا بأداة البعد إلى علو رتبة أهل هذا القسم، وهم هذه الأمة الأمية على اختلاف مراتب إرثهم مع تراخي إرثهم عمن قبلهم، [صارفا القول إلى مظهر العظمة لاقتضاء الحال لها في نزع شيء من قوم وإثباته لآخرين -[1]]: ﴿ثم اورثنا﴾ أي ملكنا بعظمتنا ملكا تاما وأعطينا عطاء لا رجوع فيه، وعبر في[2] غير هذه الأمة بقوله "ورثوا الكتب" فانظر فرق ما بين العبارتين تعرف الفرق[3] بين المقامين، ويجوز أن يكون التقدير بعد أوحينا إليك: وأورثناكه ثم أورثناه[4]، ولكنه أظهر دلالة على الوصف تنبيها على تناهي جمعه للكتب الماضية، وإعلاما بأن 'من' في "اوحينا اليك من" للبيان فقال: ﴿الكتب﴾ أي[5] القرآن - باتفاق المفسرين، قاله الأصفهاني - الجامع لكل كتاب أنزلنا، فهو أم لكل خير، وقال ابن عباس كما نقله ابن الجوزي: إن الله أورث أمة محمد كل كتاب أنزله ﴿الذين اصطفينا﴾ أي فعلنا في اختيارهم فعل من يجتهد في ذلك ﴿من عبادنا ج﴾ أي أخلصناهم لنا وهم بنو إسماعيل ومن تبعهم، يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم - نقله البغوي[6] عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونقل [عن -[1]] ابن جرير[7] أنه قال: الإرث: انتقال شيء من قوم إلى قوم، فثم هنا للترتيب، لإن إيتاء[8] هذه[9] الأمة متراخ[9] عن إيتاء

---

(١) زيد من ظ ومد (٢) من ظ ومد، وفي الأصل: عن (٣) زيد في ظ: ما (٤) من ظ ومد، وفي الأصل: أورثنا (٥) سقط من ظ (٦) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٢٤٨ (٧) راجع من تفسيره ٢٢ / ٨٠ (٨) من مد، وفي الأصل وظ: اتيان (٩-٩) من ظ ومد، وفي الأصل: الآية متاخر.

الأمم و نقله إليهم بعد إبطال تلك الأديان، و نسخ تلك الكتب إلا ما وافق القرآن ؛ فمعنى الإيراث أنه نزع تلك الكتب من الأمم السالفة و أعطاها لهذه الأمة على الوجه الذي رضيه[1] لها، و هذا الإيراث للمجموع لا يقتضي الاختصاص بمن[2] يحفظ جميع القرآن بل [يشمل من -[3]] يحفظ منه جزءا و لو أنه الفاتحة فقط، فان الصحابة رضوان الله تعالى أجمعين لم يكن كل واحد منهم يحفظ جميع القرآن و نحن على القطع بأنهم مصطفون ؛

و لما كان[4] أكثر الناس لا ينفك عن تقصير كثير لما جبل الإنسان عليه من النقصان، فكان من فيه ذلك يخرج نفسه من هذا القسم، قال معرفا له بمقداره مؤنسا له بما فتح له من أنواره مستجلبا له إلى حضرة قدسه و معدن أسراره مقسما أهل هذا القسم و هم أهل الفهم إلى ثلاثة أقسام مقدما الأدنى لأنهم الأكثر و لئلا يحصل اليأس، و يصدع القلوب خوف اليأس: ﴿ فمنهم ﴾ أي فتسبب عن إيراثنا لهم أن كان منهم كما هو مشاهد ﴿ ظالم لنفسه ج ﴾ أي بالتفريط و التهاون في توفية الحق لما يقتضيه حاله من العمل غير متوق للكبائر، و هذا القسم هم أكثر الوراث و هم المرجئون لأمر الله .

و لما كان ترك الإنسان للظلم في غاية الصعوبة، نبه على ذلك بصيغة الافتعال فقال: ﴿ و منهم مقتصد ج ﴾ أي متوسط في العمل غير باذل

(١) في ظ: رضيته (٢) من ظ و مد، و في الأصل: عن (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) سقط من ظ .

لجميع الجهد إلا أنه مجتنب[1] للكبائر فهو مكفر عنه الصغائر، و هم الذين خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا ﴿و منهم سابق بالخيرٰت﴾ أى العبادات و جميع[2] أنواع القربات، موف[3] للمقام الذى أقيم به حقه كلما ازداد قربا ازداد عملا، لا يكون سابقا إلا و هو هكذا، و هم السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم باحسان، و يؤيد هذا قول الحسن[4]: السابق من رجحت حسناته، [5]و المقتصد من استوت حسناته[5] / و سيئاته، و الظالم من رجحت سيئاته. و ختم بالسابقين لأنهم الخلاصة، و ليكونوا أقرب إلى الجنات، كما قدم الصوامع فى سورة الحج لتكون أقرب إلى الهدم و آخر[6] المساجد لتقارب[7] الذكر، و قدم فى التوبة السابقين عقيب[8] أهل القربات من الأعراب و أخر المرجئين و عقبهم بأهل مسجد الضرار، و قدم سبحانه فى الأحزاب المسلمين و رقى الخطاب درجة درجة إلى الذاكرين الله[2] كثيرا، فهو سبحانه تارة [يبدأ - [9]] بالأدنى و تارة بالأعلى بحسب ما يقتضيه الحال كما هو مذكور فى هذا الكتاب فى محاله، و هذا [10]على تقدير[10] عود الضمير فى "منهم" على "الذين" لا على "العباد" و هو مع تأيده بالمشاهدة و ان السياق لأن أهل العلم

/٣٣١

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مجتهد (٢) سقط من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) ذكر قوله هذا فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٢٤٩ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: اخراب (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: لتقارن (٨) فى ظ و مد: عقب (٩) زيد من ظ و مد. (١٠-١٠) من مد، و فى الأصل: تقرير، و فى ظ: على.

هم التالون لكتاب الله مؤيد[1] بأحاديث لا تقصر - و إن كانت ضعيفة - عن الصلاحية لتقويـــة ذلك ، فمنها[2] ما رواه البغوى[3] بسنده عن ابن الخطاب رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية على المنبر و قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : سابقنا سابق ، و مقتصدنا ناج ، و ظالمنا مغفور له. و بسنده عن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم ٥ قرأ هذه الآية و قال : أما السابق[4] بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب ، و أما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا ، و أما الظالم لنفسه فيحبس فى المقام حتى يدخله الهم ثم يدخل[5] الجنة - ثم قرأ "الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن" . و روى بغير إسناد[6] عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : كلهم من هذه الأمة . و قال ابن ١٠ الجوزى بعد أن ذكر حديث عمر رضى الله عنه بغير سند : و روى الترمذى[7] عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم فى هذه الآية [قال - [8]] : كلهم فى الجنة. و روى حديث أبى الدرداء رضى الله عنه الحافظ ابن عساكر فى الكنى من تأريخ دمشق فى ترجمة أخى زياد أو[9] أبى زياد . و أما على عود الضمير على العباد ١٥

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : يريد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : و منها (٣) راجع المعالم بهامش اللباب ٥ / ٢٤٨ (٤) من مد و المعالم ، و فى الأصل و ظ : سابق (٥) من مد و المعالم ، و فى الأصل و ظ : يدخله (٦) فى ظ و مد : سند (٧) راجع من جامعه ٢/١٥٥ (٨) زيد من ظ و مد و الجامع. (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ « و » .

فقال ابن عباس[1] رضى الله عنهما : السابق المؤمن المخلص[2]، و المقتصد المرائى، و الظالم الكافر نعمةَ الله غير الجاحد [لها - [3]]، و قال قتادة[1]: الظالم أصحاب المشأمة، و المقتصد أصحاب الميمنة، و السابقون المقربون .

و لما كان هذا ليس فى قوة العبد فى مجارى العادات، و لا يؤخذ بالكسب و الاجتهادات، أشار إلى عظمته بقوله: ﴿ باذن الله[4] ﴾ أى بتمكين من له القدرة التامة و العظمة العامة و الفعل بالاختيار و جميع صفات الكمال و تسهيله و تيسيره لئلا يأمن أحد مكره تعالى، قال الرازى فى اللوامع: ثم من السابقين من يبلغ محل القربة فيستغرق فى وحدانيته، و هو الفرد الذى اهـــتز فى ذكره ـ انتهى . ثم زاد عظمة هذا الأمر بيانا[4]، فقال مؤكدا تكذيبا لظنون الجاهلين لأن السابق كلما علا مقامه فى السبق قل حظه من الدنيا، فرأى الجاهلون أنه مضيع لنفسه: ﴿ذلك﴾ أى السبق[5] أو إيراث الكتاب ﴿هو﴾ مشيرا بأداة [البعد -[6]] مخصصا بضمير الفصل ﴿ الفضل الكبير[5] ﴾ .

و لما ذكر تعالى أحوالهم، بين جزاءهم و مآلهم، فقال مستأنفا جوابا لمن سأل عن ذلك: ﴿ جنت ﴾ أى هى مسببة / عن سبب[7] السبق الذى هو الفضل، و يصح كونها بدلا من الفضل لأنه سببها، ٣٣٢ /

(١) ذكر قوله البغوى فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٥ / ٢٤٨ (٢) من ظ ومد و المعالم، و فى الأصل: الخالص (٣) زيد من المعالم (٤) زيد فى ظ ومد: وتاكيدا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: السابق (٦) زيد من ظ ومد. (٧) من ظ و مد، و فى الاصل: سبق .

فكان

فكان كأنه هو الثواب ﴿ عدن ﴾ أى إقامة بلا رحيل لأنه لا سبب للرحيل عنها ﴿ يدخلونها ﴾ أى الثلاثة أصناف، و من دخلها لم يخرج منها لأنه لا شىء يخرجه و لا هو يريد الخروج على أن الضمير لِـ« الذين» و من قال لـ« عبادنا » خص الدخول بالمقتصد و السابق ـ هذا على قراءة الجماعة[1] بفتح الياء و ضم الخاء، و على قراءة أبى عمرو بالبناء للمفعول ٥ يكون الضمير للسابق فقط، لأنهم يكونون[2] فى وقت [الحساب ـ[3]] على كثبان المسك و منابر النور فيستطيبون مكانهم، فاذا دعوا إلى الجنة أبطأوا فيساقون إليها كما فى آخر الزمر.

و لما كان الداخل إلى مكان أول ما ينظر إلى ما فيه من النفائس قال: ﴿ يحلّون فيها ﴾ أى يلبسون على سبيل التزين و التحلى ١٠ ﴿ من اساور ﴾ و لما كان للابهام ثم البيان مزيد روعة للنفس، و كان مقصود السورة إثبات القدرة الكاملة لإثبات أتم الإبقائين[4]، شوق إلى الطاعة الموصلة إليه بأفضل ما نعرف من الحلية، فقال مبينا لنوع الأساور: ﴿ من ذهب و لؤلؤا[4] ﴾ و لما كانت لا تليق إلا على اللباس الفاخر، قال[5] معرفا أنهم حين الدخول يكونون لابسين: ﴿ و لباسهم فيها حرير[5] ﴾. ١٥

و لما كان المقتصد و السابق يحزنون لكمالهم و شدة شفقتهم على الظالم إذا قوصص[6]، جمع فقال معبرا بالماضى تحقيقا له[7]: ﴿ و قالوا ﴾ أى

---

(١) راجع نثر المرجان ٥ / ٥٣٠ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: يكون.
(٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: إلى الإبقاء من ـ كذا.
(٥) زيد فى الأصل: معمر قال ذلك، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٦) من ظ و مد، و فى الأصل: قو ـ كذا (٧) سقط من ظ.

عند دخولهم : ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿لله﴾ [أى -[1]] الذى له تمام القدرة ﴿الذى اذهب﴾ أى بدخولنا هذا ﴿عنا الحزن﴾ أى هذا النوع بكماله ، فلا نحزن على شىء كان فاتنا ، و لا يكون لنا حزن أبدا لأنا صرنا فى دار لايفوت فيها شىء أصلا و لا يفنى .

٥ و لما كانوا عالمين بما اجترحوه من الزلات أو[2] الهفوات أو الغفلات التى لولا الكرم لأدتهم إلى النار ، عللوا ما صاروا إليه معها بقولهم ، مؤكدين إعلاما بما عندهم من السرور بالعفو عن ذنوبهم ، و أن ما أكدوه حقيق بأن يتغالى فى تأكيده لما رأوا من[3] صحته و جنوا من حلو ثمرته : ﴿ان ربنا﴾ أى المحسن إلينا مع إساءتنا ﴿لغفور﴾ أى

١٠ محاء للذنوب عينا و أثرا للصنفين الأولين ﴿شكور﴾ أى على ما وهبه للعبد من حسن طاعته و وفقه له من الأعمال [الحسنة -[1]] فجعله به سابقا ، ثم وصفوه بما هو شكر له فقالوا : ﴿الذى احلنا دار المقامة﴾ أى الإقامة و مكانها و زمانها التى لايريد النازل [بها -[1]] - على كثرة النازلين بها - ارتحالا منها ، و لا يراد به ذلك ، و لا [4]شىء فيها[4] يزول

١٥ فيؤسف[5] عليه . و كان المالك المطلق لايجب عليه شىء و لا استحقاق لمملوكه[6] [7]عليه بوجه[7] قال : ﴿من فضله﴾ أى بلا عمل منا فان حسناتنا إنما كانت منا منه سبحانه ، لو لم يبعثنا عليها و ييسرها لنا لما كانت .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) فى ظ «و» (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى .
(٤ - ٤) فى ظ ومد : فيها شىء (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيسوف .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : قوله (٧-٧) فى ظ و مد : بوجه عليه .

و لما تذكروا ما شاهدوه[1] فى عرصات القيامة من تلك الكروب و الأهوال ، و الأنكاد و الأثقال ، التى أشار إليها قوله[2] تعالى "و ان تدع مثقلة الى حملها" الآية ، استأنفوا قولهم فى وصف دار القرار : ﴿ لا يمسنا ﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿ فيها نصب ﴾ أى نصب بدن و لا وجع [3]و لا شىء[3] ﴿و لا يمسنا فيها لغوب ﴾ أى كلال و تعب و إعياء و فتور نفس من شىء من الأشياء ، قال / أبوحيان[4] : و هو لازم عن تعب البدن . فهى الجديرة لعمرى بأن يقال فيها : / ٣٣٣

علينا لا تنزل الأحزان ساحتها لو مسها حجر مسته سراء

و لما بين ما هم فيه من النعمة ، بين ما لأعدائهم من النقمة ، زيادة فى سرورهم بما قاسوه فى الدنيا من تكبرهم عليهم و فجورهم فقال : ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دلت عليه عقولهم من شموس الآيات و أنوار الدلالات ﴿لهم نار جهنم ج﴾ أى بما تجهموا أولياء الله الدعاة إليهم . و لما كانت عادة النار إهلاك من دخلها بسرعة ، بين أن حالها على غير ذلك زيادة فى نكالهم و سوء مآلهم فقال مستأنفا : ﴿لا يقضى﴾ أى لا يحكم و ينفذ و يثبت من حاكم ما ﴿عليهم﴾ أى بموت ﴿فيموتوا﴾ أى فيتسبب عن القضاء موتهم ، و إذا راجعت ما مضى فى سورة سبحان من

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : شاء (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقوله (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) راجع البحر المحيط ٧ / ٣١٤ .

قوله " فلا يملكون كشف الضر عنكم " و ما يأتى إن شاء الله تعالى فى المرسلات من قوله " و لا يؤذن لهم فيعتذرون " علمت سر وجوب[1] النصب هنا لأنه لو رفع لكان المعنى أن موتهم ينبغى إن قضى عليهم أو لم يقض ، و ذلك محال .

٥ و لما كانت الشدائد فى الدنيا تنفرج و إن طال أمدها قال : ﴿ و لا يخفف عنهم ﴾ و أعرق فى النفى بقوله : ﴿ من عذابها ﴾ أى جهنم . و لما كان ربما توهم متوهم أن هذا العذاب خاص بالذين كانوا فى عصره صلى الله عليه و سلم من الكفار قال : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء العظيم ﴿ نجزى ﴾ أى بما لنا من العظمة - على قراءة الجماعة ١٠ بالنون ﴿ كل كفور ﴾ أى به صلى الله عليه و سلم أو بغيره من الأنبياء عليهم السلام و إن لم نره ، لأن ثبوت المعجزة يستوى فيها السمع و البصر ، و بنى أبو عمرو الفعل للمفعول[2] إشارة إلى سهولته و تيسره و رفع " كل " .

و لما بين عذابهم بين اكتئابهم فقال : ﴿ و هم ﴾ أى فعل ذلك ١٥ بهم و الحال انهم ﴿ يصطرخون فيها ﴾ أى يوجدون الصراخ فيها بغاية ما يقدرون عليه[3] من الجهد فى الصياح بالبكاء و النواح . و لما بين ذلك بين قولهم فى اصطراخهم بقوله : ﴿ ربنا ﴾ أى يقولون : أيها المحسن إلينا ﴿ اخرجنا ﴾ أى[4] من النار ﴿ نعمل صالحا ﴾ ثم أكدوه و فسروه

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : وجود (٢) راجع نثر المرجان ٥ /٥٣٥ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليهم (٤) سقط من ظ .

و بينوه بقولهم على سبيل التحسر و الاعتراف بالخطأ او لأنهم كانوا يظنون عملهم صالحا ﴿ غير الذى كنا ﴾ أى بغاية جهدنا ﴿ نعمل[٤] ﴾ فتركوا الترقق و العمل على حسبه فى وقت نفعه و استعملوه عند فواته فلم ينفعهم ، بل قيل فى جوابهم تقريرا لهم و[١] توبيخا و تقريعا : ﴿ او لم ﴾ أى ألم تكونو فى دار العمل متمكنين من ذلك بالعقول و القوى ؟ أو لم ٥ ﴿ نعمركم ﴾ أى نطل أعماركم مع إعطائنا لكم العقول و لم نعاجلكم بالأخذ ﴿ ما ﴾ أى زمانا ﴿ يتذكر فيه ﴾ و ما يشمل كل عمر يتمكن فيه المكلف من إصلاح شأنه غير أن التوبيخ فى الطويل أعظم ، [و أشار بمظهر العظمة إلى أنه لامطمع بغيره سبحانه فى مد العمر - [٢]].

و لما كان التفكر بعد البعث غير نافع لأنه بعد كشف الغطاء ، ١٠ عبر بالماضى فقال : ﴿ من تذكر ﴾ إعلاما بأنه قد ختم على ديوان المتذكرين ، فلا يزاد فيهم أحد . و الزمان المشار إليه قيل : إنه ستون سنة - قاله ابن عباس[٣] رضى الله عنهما ، [و بوب له البخارى فى أوائل[٤] الرقاق من غير عزو إلى أحد - [٢]] ، و روى أحمد بن منيع عن أبى هريرة[٥] رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : من عمره [الله - [٢]] ١٥

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد من ظ و مد (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٢٥٠ (٤) فى مد : أول (٥) وأخرجه أيضا البغوى من طريق عبد الواحد المليحى عن أبى هريرة مع بعض المفارقات - راجع المعالم بهامش اللباب ٥ / ٢٥٠ .

ستين سنة فقد[1] أعذر الله [2]إليه فى[2] العمر . و روى الترمذى[3] و ابن ماجه[4]
/٣٣٤ و أبو يعلى عن أبى هريرة / أيضا رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
و سلم أنه قال : أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين . و أقلهم من
يجوز ذلك .

٥ و لما أشار إلى دليل العقل ابتداء و دواما ، أشار إلى أدلة النقل
المنبه على ما قصر عنه العقل ، فقال معبرا بالماضى تصريحا بالمقصود
عطفا على معنى : أو لم نعمركم الذى هو قد عمرناكم : ﴿و جآءكم النذير[5]﴾
أى عنى من[6] الرسل و الكتب تأييدا للعقول بالدليل المعقول .

و لما تسبب عن ذلك أن عذابهم لا ينفك قال : ﴿ فذوقوا ﴾ أى
١٠ ما أعددناه لكم من العذاب دائما أبدا . و لما كانت العادة جارية بأن
من أيس من خصمه فزع إلى الاستغاثة عليه ، تسبب عن ذلك قوله :
﴿فما﴾ و كان الأصل : لكم ، و لكنه أظهر تعليقا للحكم بالوصف للتعميم
فقال : ﴿للظلمين﴾ أى الواضعين الأشياء فى غير مواضعها ﴿من نصير[7]﴾
أى يعينهم و يقوى أيديهم ، فلا براح لكم عن[6] هذا الذواق ، و هذا
١٥ عام فى كل ظالم . فان من ثبت له نصر عليه لأن ظلمه فى كل يوم
يضعف و يهن[7] و الحق فى كل[8] حين يقوى و يضخم .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقال (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : إلى (٣) راجع أبواب الدعوات من جامعه (٤) راجع أبواب الزهد من سننه (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : عن (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٧) من مد ، و فى الأصل : يمين (٨) العبارة من « ظالم فان » إلى هنا ساقطة من ظ .

و لما كان سبحانه عالما بما نفى و ما أثبت، علل ذلك مقررا سبب دوام عذابهم و أنه بقدر[1] كفرانهم كما قال تعالى " و جزاء سيئة سيئة مثلها " بقوله مؤكدا إشارة إلى أنه لايجب[2] تمرين النفس عليه لما له من الصعوبة لوقوف النفس مع المحسوسات : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى أحاط بكل شيء قدرة و علما ﴿علم غيب ﴾ و لما كانت جهة العلو أعرق فى الغيب قال : ﴿ السمٰوٰت و الارض[4] ﴾ فأنتج ذلك قوله مؤكدا لأنه من أعجب الغيب لأنه كثيرا ما يخفى على الإنسان ما فى نفسه و الله تعالى [3]عالم بـــه[3]، أو هو تعليل لما قبله : ﴿ انه عليم ﴾ أى بالـــغ العلم ﴿بذات الصدور﴾ أى قبل أن يعلمها أربابها حين تكون غيبا محضا، فهو يعلم أنكم [5]لو مدت[5] أعماركم لم ترجعوا عن الكفر أبدا، و لو رددتم لعدتم لما نهيتم عنه . و أنه لامطمع فى صلاحكم، و لذلك يأمر الملك أن يكتب عند نفخ الروح فى الولد انه إما[6] شقى أو سعيد قبل أن يكون له خاطر اصلا، و ربما كان فى غاية ما يكون من[6] الإقبال على الخير فعلا و نية، ثم يختم له بشر، و ربما كان على خلاف ذلك فى [غاية -[7]] الفساد، لايدع شركا و لاغيره من المعاصى حتى يرتكبها و هو عند الله سعيد لما يعلم من نيته بعد ذلك حين يقبل بقلبه عليه فيختم له [بخير -[7]]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : مقدر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل : لايجب (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل : هو أعلم (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل : مدة (٥) سقط من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : فى (٧) زيد من ظ و مد.

من ترابها فقال: ﴿فى الارض﴾ أى فيما أنتم فيه منها لا غيره تتصرفون فيه بما قدرتم عليه، و لو شاء لم يصرفكم فيه، فمن حقه أن تشكروه و لا تكفروه.

و لما ثبت أن ذلك نعمة منه، عمرهم فيه مدة يتذكر فيه من تذكر، تسبب عنه قوله: ﴿فمن كفر﴾ أى بعد علمه بأن الله هو الذى مكنه ٥ لاغيره، و احتقر هذه النعمة السنية ﴿فعليه﴾ [أى خاصة -[1]] ﴿كفره﴾ أى ضرره. و لما كان كون الشيء على الشيء محتملا لأمور، بين حاله بقوله مؤكدا لأجل من يتوهم أن بسط الدنيا على الفاجر ربح و إكرام من الله[2] له ﴿و لا﴾ أى[3] و الحال أنه لا ﴿يزيد الكفرين﴾ أى المغطين للحق ﴿كفرهم﴾ أى الذى هم متلبسون به ظانون أنه يسعدهم ١٠ [و هم راسخون فيه غير متمكنين عنه، و لذا لم يقل: لايزيد من كفر لأنه قد يكون كفره غير راسخ فيسلم -[1]] ﴿عند ربهم﴾ أى المحسن إليهم ﴿الا مقتا﴾ أى لأنه يعاملهم معاملة من يبغض و يحتقر أشد بغض و احتقار.

و لما كان المراد من هذه الصفات فى حق الله تعالى غاياتها، و كان ١٥ ذكرها إنما هو تصوير لها بأفظع صورها لزيادة التنفير من أسبابها، و كانوا ينكحون نساء الآباء مع أنهم يسمونه[4] نكاح المقت، نبه على أنهم لايبالون بالتمقت إلى المحسن، فقال ذاكرا للغاية مبينا أن محط نظرهم

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: شيء (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يسمعونه.

الخسارة المالية[1] تسفيلا لهممهم[2] زيادة فى توبيخهم : ﴿ و لا يزيد الكٰفرين ﴾ أى العريقين فى صفة التغطية للحق ﴿ كفرهم الا خسارا ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة فى المال و النفس[3] و هو نهاية ما يفعله الماقت بالممقوت .

و لما بين [أنه[4]] سبحانه هو الذى استخلفهم ، أكد بيان ذلك عندهم بأمره صلى الله عليه و سلم بما يضطرهم إلى الاعتراف به فقال : ﴿ قل ارءيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ شركآءكم ﴾ أضافهم إليهم لأنهم و إن كانوا [5]جعلوهم شركاءه[5] لم ينالوا شيئا من شركته لأنهم ما نقصوه شيئا من ملكه ، و إنما شاركوا العابدين فى أموالهم بالشوائب و غيرها و فى أعمالهم فهم شركاؤهم بالحقيقة لا شركاؤه ، ثم بين المراد من عدمهم لهم شركاء بقوله : ﴿ الذين تدعون ﴾ أى تدعونهم شركاء ﴿ من دون الله[6] ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال .

و لما كان التقدير : بأى شىء جعلتموهم[6] شركاء فى العبادة ، ا لهم شرك فى الأرض ، بنى عليه قوله مكررا لإشهادهم عجز شركائهم و نقص من عبدوه من دونه : ﴿ اروني ماذا ﴾ أى الذى أو أىّ شىء ﴿ خلقوا من الارض ﴾ أى لتصح[7] لكم دعوى الشركة فيهم ، و إلا فادعاؤكم ذلك فيهم كذب محض . و أنتم تدعون أنكم أبعد الناس منه فى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الدنية (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهممهم (٣) العبارة من هنا إلى « استخلفهم أكد » ساقطة من ظ (٤) زيد من مد (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : جعلوهم شركاهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : جعلتمو له (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليتضح .

الأمور الهينة فكيف بمثل[1] هذا، و لعل استفهامهم[2] عن رؤية شركائهم[3] تنبيه على أنهم من الامتهان و الحقارة بحيث يراهم كل من يقصد رؤيتهم و يعلم أنه لا خلق لهم، و الله تعالى، بخلاف ذلك فى كل من الأمرين، متردٍ برداء الكبر محتجب بحجاب الجلال و العز، و كل أحد يعلم أنه الخالق لكل مخلوق، فكيف يكون من لا يخلق كمن يخلق. ٥

و لما نبههم بهذا الأمر الذى ساقه هذا السياق المعلم بأنه لا ينبغى لعاقل أن يدعى شركة لشىء حتى يعلم الشركة و إن جهل عين المشارك[4] فيه، قال مؤكدا لذلك موسعا لهم فى المحال، زيادة / فى تبكيتهم على ما هم فيه من الضلال: ﴿ ام لهم شرك ﴾[5] أى و إن كان[5] قليلا ﴿ فى السمٰوٰت ﴾ أى أرونى ما ذا خلقوا فى السماوات، فالآية من الاحتباك: [حذف -[6]] أولا الاستفهام عن الشركة فى الأرض لدلالة مثله فى السماء ثانيا عليه، و حذف الأمر بالإراءة ثانيا لدلالة مثله أولا عليه. ٣٣٦/ ١٠

و لما أتم التبكيت بالاستفهام عن المرئى، أتبعه التوبيخ بالاستفهام عن المسموع، مؤذنا بالالتفات إلى التكلم بمظهر العظمة بشديد الغضب ١٥ فقال: ﴿ ام اٰتينٰهم ﴾ أى الشركاء أو المشركين بهم بما لنا من العظمة ﴿ كتٰبا ﴾ أى دالا على أنه من عندنا بإعجازه أو غير ذلك من البراهين

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مثل (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: استيناقهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: المشاركة (٤) العبارة من هنا إلى «قليلا» ساقطة من ظ (٥) من مد، و فى الأصل: كانوا (٦) زيد من ظ و مد.

القاطعة ثبتت لهم شركة ﴿فهم﴾ أى المشركون ﴿على بينة﴾ أى حجة ظاهرة، و بينات - على القراءة[1] الأخرى، أى دلائل واضحات بما فى ذلك الكتاب من ضروب البيان ﴿منه ج﴾ أى ذلك الكتاب على أنا أشركناهم فى الأمر حتى يشهدوا لهم[2] هذه الشهادة التى لايسوغون مثلها فى إثبات الشركة لعبد من عبيدهم فى أحقر الأشياء فكيف يسوغونها فى انتقاص الملك الذى لاخير عندهم إلا منه غير هائبين له ولامستحين منه.

و لما كان التقدير: لم يكن شيء من ذلك فليسوا على بيان، بل على غرور[3]، قال منبها لهم على ذميم أحوالهم و سفه آرائهم و خسة هممهم و نقصان عقولهم مخبرا أنهم لايقدرون على الإتيان بشيء مما به يطالبون و أنه[4] ليس لهم جواب عما عنه يسألون، و أكده لأجل ظنهم أن أمورهم فى غاية الإحكام، بل: ﴿ان﴾ أى ما ﴿يعد الظلمون﴾ أى الواضعون للأشياء فى غير مواضعها ﴿بعضهم بعضا﴾ أى الأتباع للمتبوعين بأن شركاءهم تقربهم إلى الله زلفى و أنها[5] تشفع و تضر و لاتنفع ﴿الا غرورا ه﴾.

و لما بين[6] حقارة الأصنام و كل ما أشركوا به بالنسبة إلى جلال عظمته، وكانوا لايقدرون على ادعاء الشركة فى الخلق فى شيء من ذلك،

---

(١) راجع نثر المرجان ٥ / ٥٤٠ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: له (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: غرورهم (٤) فى ظ: أنهم (٥) زيد فى الأصل: لا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل: حقارهم.

و كان ربما اقدم على ادعائه معاند منهم أو من غيرهم ، وكان الناس قد توصلوا إلى معرفة شيء من التغيرات الفلكية كالشروق و الغروب و الخسوف ، وكانوا لا علم لهم بشيء من الزلازل[1] و الزوال ، قال مبينا عظمته سبحانه بعد تحقير أمر شركائهم معجزا مهددا لهم على إقدامهم على هذا الافتراء العظيم مبينا للنعمة بعدم المعاجلة بالهلاك ، و أكده لأن ٥ من الناس المكذب به و هم المعطلة ، و منهم من عمله - و إن كان مقرا - عمل المكذب[2] و هو من ينكر شيئا من قدرته كالبعث : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له [3]جميع صفات[3] الكمال ﴿ يمسك السمٰوٰت ﴾ أى على كبرها و علوها ﴿ و الارض ﴾ أى على سعتها و بعدها عن التماسك على ما يشاهدون إمساكا مانعا من ﴿ان تزولا ۚ﴾ أى بوجه عظيمة و زلزلة ١٠ كبيرة ، أو زوالا لا تماسك معه لأن ثباتهما على ما هما عليه على غير القياس لولا شامخ قدرته و باهر عزته و عظمته ، فان ادعيتم عنادا أن شركاءكم لا يقدرون على الخلق لعلة من العلل فادعوهم لإزالة ما خلق سبحانه .

و لما كان هذا دليل على أنهما حادثتان زائلتان ، أتبعه ما هو ١٥ أبين منه ، فقال معبرا بأداة الإمكان : ﴿و لئن زالتآ ﴾ أى بزلزلة أو خراب ﴿ان﴾ أى ما ﴿امسكهما﴾ و أكد استغراق النفى بقوله : ﴿من احد﴾ و لما كان المراد أن غيره سبحانه لا يقدر على إمساكهما فى زمن من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الزلزال (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكذب (٣-٣) فى ظ : صفات جميع .

الأزمان و إن قل ، أثبت الجار فقال : ﴿ من بعده[1] ﴾ أى بعد إزالته لها ، بل و إذا زلزلت[1] الأرض اضطرب كل شيء عليها و الأصنام من جملته ، فدل ذلك قطعا على أن الشركاء مفعولة لا فاعلة .

و لما كان السياق / إلى الترغيب[2] فى الإقبال عليه وحده أميل منه إلى الترهيب[3]، [4]وكان[4] كأنه قيل : هو جدير بأن يزيلهما لعظيم[5] ما يرتكبه أهلها[6] من الآثام و شديد الإجرام . قال جوابا لذلك و أكده لأن الحكم عما يركبه المبطلون على عظمه و كثرتهم مما لا تسعه العقول : ﴿ انه كان ﴾ أى أزلا و أبدا ﴿ حليما ﴾ اى ليس من شأنه المعاجلة بالعقوبة للعصاة لأنه لا يستعجل[7] إلا من يخاف[8] الفوت فينتهز الفرص ، و رغب فى الإقلاع مشيرا إلى أنه ليس عنده ما [9]عند حلماء البشر[9] من الضيق الحامل لهم على انهم[10] إذا غضبوا بعد طول الأناة لا يغفرون بقوله : ﴿غفورا﴾ اى محاء لذنوب[11] من رجع إليه ، و أقبل بالاعتراف عليه ، فلا يعاقبه و لا يعاتبه .

و لما كان التقدير : فقالوا : [إنا -[12]] لا ندعى أنهم خلقوا شيئا من

/ ٧٣٣

(١) فى ظ : زالت (٢) زيد فى الاصل : إليه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الترتيب (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : العظيم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهلها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يعجل (٨) فى ظ و مد : يخشى (٩-٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : عندنا حلما لبشر (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : للذنوب أى ذنوب . (١٢) زيد من ظ و مد .

السماوات و لامن الأرض و نحن مقرون بأنه لايمسك السماوات و الأرض إلا الله ، و إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى ، كما كان يفعل آباؤنا ، و لولا[1] أن لهم على ذلك دليلا ما فعلوه ، عطف عليه قوله مبينا ضلالهم فى تكذيبهم الرسل[2] بعد ما ظهر من ضلالهم فى إشراكهم بالمرسل و هو يمهلهم و يرزقهم دليلا على حلمه مع علمه : ﴿ و اقسموا ﴾ أى كفار مكة ﴿ بالله ﴾ أى الذى لا عظيم غيره ﴿ جهد ايمانهم ﴾ أى بغاية ما يقدرون عليه من الأيمان، قال البغوى[3] : لما بلغهم - يعنى كفار مكة - أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا : لعن الله اليهود و النصارى ! أتتهم رسلهم فكذبوهم ، لو أتانا رسول[4] لنكونن أهدى [5]دينا منهم[5] .

و لما أخبر عن قسمهم ، حكى[6] معنى ما أقسموا عليه دون لفظه بقوله : ﴿ لئن جآءهم ﴾ و عبر بالسبب الأعظم للرسالة فقال : ﴿ نذير ﴾ أى من عند الله ﴿ ليكونن ﴾ أى الكفار ﴿ اهدى ﴾ أى أعظم فى الهدى ﴿ من احدى ﴾ أى واحدة من ﴿ الامم ج ﴾ أى السالفة أو من الأمة التى لم تكن فى الأمم التى جاءتها النذر أهدى منها ، قال أبو حيان[7] : كما قالوا هو أحد[8] الأحدين ، و هى إحدى الأحد ، يريدون التفضيل

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لو (٢) فى ظ و مد : للرسل (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٥/٢٥١ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : رسولا ، و فى المعالم : رسول الله (٥-٥) من ظ و مد و المعالم ، و فى الأصل : منهم دينا. (٦) زيد فى ظ : عن (٧) راجع البحر المحيط ٧ / ٣١٩ (٨) من ظ و مد و البحر ، و فى الأصل : احدى .

فى الدهاء و العقل . لأنهم أحد أذهانا و أقوم لسانا و أعظم عقولا[1]، و ألزم لما يدعو إليه العقل ، و أطلب لما يشهد بالفضل ، و أكدوا بالقسم لأن الناظر لتكذيب[2] أهل العلم بالكتاب يكذبهم فى دعوى التصديق قياسا أخرويا ، و دل على إسراعهم فى الكذب بالفاء فقال :

٥ ﴿ فلما جآءهم نذير ﴾ أى على ما شرطوا و زيادة ، و هو محمد صلى الله عليه و سلم الذى كانوا يشهدون أنه خيرهم مع كونه خيرهم نفسا و أشرفهم نسبا و أكرمهم فى [كل -[3]] خلق أما[4] و أبا ، و أمتنهم فى كل مأثرة[5] سببا ﴿ ما زادهم ﴾ [6] أى مجيئه[6] شيئا مما هم عليه [من الأحوال -[3]] ﴿ الا نفورا[6] ﴾ أى لأنه كان سببا فى زيادتهم فى الكفر كالإبل التى

١٠ كانت نفرت من ربها فضلت عن الطريق فدعاها فازدادت بسبب دعائه نفرة ، فأعرقت فى الضلال فصارت بحيث يتعذر أو[7] يتعسر ردها فتبين أنه لا عهد لهم مع ادعائهم أنهم أوفى الناس ، و لا صدق عندهم مع جزمهم بأنهم أصدق الخلق . و لما[8] كانوا قد جبلوا على الضلال ، و[8] كان النفور قد يكون لأمر محمود أو مباح ، علله بقوله : ﴿ استكبارا ﴾ أى

١٥ طلبا لإيجاد الكبر لأنفسهم ﴿ فى الارض ﴾ أى التى من شأنها السفول

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : قولا (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : التكذيب (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : انبا - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ما يره - كذا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : « و » (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

و التواضع و الخمول ﴿و مكر السيئ[1]﴾ أى و لأجل مكرهم المكر الذى من شأنه أن يسوء صاحبه و غيره، و هو إرادتهم لإيهان أمر النبى صلى الله عليه و سلم و إطفاء نور الله /، و قراءة عبد الله[1] "و مكرا سيئا" يدل على أنه من إضافة الشيء إلى صفته، و قراءة حمزة باسكان الهمزة بنية الوقف إشارة إلى تدقيقهم المكر و إتقانه و إخفائه جهدهم ﴿ولا﴾ أى و الحال أنه لا ﴿يحيق﴾ أى يحيط إحاطة لازمة ضارة ﴿المكر السيئ﴾ أى الذى هو عريق فى السوء ﴿الا باهله[2]﴾ و إن آذى غير أهله، لكنه لا يحيط بذلك الغير، و عن الزهرى أنه قال: بلغنا أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لا تمكروا و لا تعينوا ماكرا فان الله يقول هذه الآية، و لا تبغوا و لا تعينوا باغيا يقول الله "انما بغيكم على انفسكم" و لا تنكثوا و لا تعينوا ناكثا قال الله "و من نكث فانما ينكث على نفسه".

/٣٣٨

و لما كان هذا سنة[2] الله التى لا تبديل لها، قال مسببا عن ذلك: ﴿فهل ينظرون﴾ أى ينتظرون، و لعله جرد الفعل إشارة إلى سرعة الانتقام من الماكر المتكبر[3]، و يمكن أن يكون من النظر بالعين لأنه شبه العلم بالانتقام من الأولين مع العلم بأن عادته مستمرة، لأنه لا مانع له منها لعظيم تحققه و شدة استيقانه و قوة استحضاره بشيء محسوس حاضر لاينظر شيء غيره فى ماض و لا آت لأن غيره بالنسبة إليه[4] عدم. و لما جعل استقبالهم لذلك انتظارا[5] منهم له، و كان الاستفهام

(١) راجع الدر المنثور ٥/٥٤٤ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: سنن (٣) فى ظ: للتكبر (٤) زيد فى الأصل: عليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: انتظارهم.

إنكاريا ، فكان بمعنى النفي قال[1]: ﴿الا سنت الاولين ج﴾ أى طريقتهم فى سرعة أخذ الله لهم و إنزال العذاب بهم .

و لما كان هذا النظر يحتاج إلى صفاء فى اللب و ذكاء فى النفس ، عدل عن ضميرهم إلى خطاب أعلى الخلق ، تنبيها على أن هذا مقام لا يذوقه حق[2] ذوقه غيره ، فسبب عن حصر النظر أو الانتظار فى ذلك قوله ، مؤكدا لأجل اعتقاد الكفرة الجازم بأنهم لا يتغيرون عن حالهم و أن المؤمنين لا يظهرون عليهم : ﴿ فلن تجد ﴾ أى أصلا فى وقت من الأوقات ﴿لسنت الله﴾ أى طريقة الملك الأعظم التى شرعها و حكم بها ، و هى إهلاك العاصين و إنجاء الطائعين ﴿تبديلا ج﴾ أى من أحد يأتى بسنة أخرى غيرها تكون بدلا لها لأنه لامكافئ له ﴿و لن تجد لسنت الله﴾ أى الذى لا أمر لأحد معه ﴿تحويلا ه﴾ أى من حالة إلى أخفى[3] منها لأنه لا مرد لقضائه ، لأنه لا كفوء له ، و فى الآية أن أكثر حديث النفس الكذب ، فلا ينبغى لأحد أن يظن بنفسه خيرا و لا [أن - [4]] يقضى على غائب إلا أن يعلقه بالمشيئة بترؤا من الحول و القوة لعل الله يسلمه فى عاقبته .

و لما بين أن حالهم موجب و لا بد للايقاع بهم لما ثبت من أيام الله ، و أنكر ذلك عليهم ، و كان التقدير : ألم يسمعوا أخبار الأولين المرة و أحوالهم المستمرة من غير تخلف أصلا فى أن من كذب

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فقال (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : حتى .
(٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : احق (٤) زيد من ظ و مد .

و التواضع و الخول ﴿و مكر السيئ[1]﴾ أى و لأجل مكرهم المكر الذى من شأنه أن يسوء صاحبه و غيره، و هو إرادتهم لإيهان أمر النبى صلى الله عليه و سلم و إطفاء نور الله /، و قراءة عبد الله[1] "و مكرا سيئا" يدل على أنه من إضافة الشيء إلى صفته، و قراءة حمزة باسكان الهمزة بنية الوقف إشارة إلى تدقيقهم المكر و إتقانه و إخفائه جهدهم ﴿ولا﴾ أى و الحال أنه لا ﴿يحيق﴾ أى يحيط إحاطة لازمة ضارة ﴿المكر السيئ﴾ أى الذى هو عريق فى السوء ﴿الا باهله[1]﴾ و إن آذى غير أهله، لكنه لا يحيط بذلك الغير، و عن الزهرى أنه قال: بلغنا أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لا تمكروا و لا تعينوا ماكرا فان الله يقول هذه الآية، و لا تبغوا و لا تعينوا باغيا يقول الله "انما بغيكم على انفسكم" و لا تنكثوا و لا تعينوا ناكثا قال الله "و من نكث فانما ينكث على نفسه".

/ ٣٣٨

و لما كان هذا سنة[2] الله التى لا تبديل لها، قال مسببا عن ذلك: ﴿فهل ينظرون﴾ أى ينتظرون، و لعله جرد الفعل إشارة إلى سرعة الانتقام من الماكر المتكبر[3]، و يمكن أن يكون من النظر بالعين لأنه شبه العلم بالانتقام من الأولين مع العلم بأن عادته مستمرة، لأنه لا مانع له منها لعظيم تحققه و شدة استيقانه و قوة استحضاره بشيء محسوس حاضر لاينظر شيء غيره فى ماض و لا آت لأن غيره بالنسبة إليه[4] عدم. و لما جعل استقبالهم لذلك انتظارا[5] منهم له، و كان الاستفهام

(١) راجع الدر المنثور ٥/٥٤٤ (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: سنن (٣) فى ظ: للتكبر (٤) زيد فى الأصل: عليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: انتظارهم.

إنكاريا، فكان بمعنى النفي قال[1]: ﴿الا سنت الاولين﴾ أي طريقتهم في سرعة أخذ الله لهم و إنزال العذاب بهم .

و لما كان هذا النظر يحتاج إلى صفاء في اللب و ذكاء في النفس، عدل عن ضميرهم إلى خطاب أعلى الخلق، تنبيها على أن هذا مقام لا يذوقه -ق[2] ذوقه غيره، فسبب عن حصر النظر أو الانتظار في ذلك قوله، مؤكدا لأجل اعتقاد الكفرة الجازم بأنهم لا يتغيرون عن حالهم و أن المؤمنين لا يظهرون عليهم: ﴿ فلن تجد ﴾ أي أصلا في وقت من الأوقات ﴿لسنت الله﴾ أي طريقة الملك الأعظم التي شرعها وحكم بها، و هي إهلاك العاصين و إنجاء الطائعين ﴿تبديلا﴾ أي من أحد يأتي بسنة أخرى غيرها تكون بدلا لها لأنه لامكافئ له ﴿و لن تجد لسنت الله﴾ أي الذي لا أمر لأحد معه ﴿تحويلا﴾ أي من حالة إلى أخرى[3] منها لأنه لا مرد لقضائه، لأنه لا كفوء له، و في الآية أن أكثر حديث النفس الكذب، فلا ينبغي لأحد أن يظن بنفسه خيرا و لا [أن -[4]] يقضي على غائب إلا أن يعلقه بالمشيئة بترؤا من الحول و القوة لعل الله يسلمه في عاقبته .

و لما بين أن حالهم موجب و لا بد للايقاع بهم لما ثبت من أيام الله، و أنكر ذلك عليهم، و كان التقدير: ألم يسمعوا أخبار الأولين المرة و أحوالهم المستمرة من غير تخلف أصلا في أن من كذب

(١) من ظ و مد، و في الأصل: فقال (٢) من ظ و مد، و في الأصل: حتى
(٣) من ظ و مد، و في الأصل: احق (٤) زيد من ظ و مد .

و فك المصدر ليخص ما وجد منه بالفعل فقال -[١] : ﴿ بما كسبوا ﴾ أى من جميع أعمالهم [سواء كان حراما أو لا -[١]] ﴿ما ترك على ظهرها﴾ أى الأرض ﴿ من دآبة ﴾ أى بل كان يهلك الكل، أما [٢]المكلفون فلأنه[٢] ليس فى أعمالهم شىء يقدره سبحانه حق قدره، لما لهم من النقص و لما[٣] له سبحانه من العلو[٤] و الارتقاء[٤] و الكمال، و أما غيرهم فانما خلقوا لهم، و المعاصى تزيل النعم و تحل النقم، و ذلك كما فعل فى زمان نوح عليه السلام، لم ينج ممن[٥] كان على الأرض غير من كان فى السفينة ﴿و لكن﴾ لم يعاملهم معاملة المؤاخذ المناقش، بل يحلم عنهم فهو ﴿ يؤخرهم ﴾ أى فى الحياة الدنيا ثم فى البرزخ ﴿الى[٣] اجل مسمى[٣]﴾ أى سماه فى الأزل لانقضاء أعمارهم ثم لبعثهم من قبورهم، و هو لايبدل القول لديه لما له من الصفات التى هى أغرب الغريب عندكم لكونكم لا تدركونها حق الإدراك ﴿فاذا جآء اجلهم﴾ أى الفنائى[٦] الإعدامى قبض كل واحد منهم عند أجله، أو الإيجادى[٧] الإبقائى بعث كلا منهم فجازاه بعمله من غير وهم و لا عجز .

و لما كانوا ينكرون ما يفهمه ذلك من البعث، أكد فقال: ﴿ فان[٨] الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال الموجد بتمام القدرة و كمال

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) من مد، و فى الأصل : المكلفين فانه، و فى ظ : فانه (٣) فى ظ و مد : ما (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) فى ظ : ما (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : الفناء (٧) من مد، و فى الأصل و ظ : الإيجاد (٨) من ظ و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل : ان .

الاختيار ﴿ كان ﴾ و لم يزل . [و لما كان السياق للكسب الذى هو أعم من الظلم قال -[1]] : ﴿ بعباده ﴾ الذين أوجدهم و لا شريك له فى إيجاد أحد منهم بجميع ذواتهم و أحوالهم ﴿ بصيرا ﴾ أى بالغ البصر و العلم بمن يستحق العذاب منهم [بالكسب -[1]] و من يستحق الثواب ،
٥ فقد انطبق آخرها كما ترى على أولها باستجماع صفات الكمال و تمام القدرة على كل من الإيجاد و الإعدام للحيوان و الجماد مهما أراد بالاختيار ، لما / شوهد له سبحانه من الآثار ، كما وقع[2] الإرشاد إليه بالأمر بالسير / ٣٤٠
و بغيره و بما ختمت به السورة من صفة العلم على وجه أبلغ من ذكره بلفظه ، لما مضى فى سورة طٰهٰ من أن إحاطة العلم تستلزم شمول القدرة ،
١٠ و لا تكون القدرة شاملة إلا إذا كانت عن اختيار ، فثبت حينئذ استحقاقه تعالى لجميع المحامد ، فكانت عنه سبحانه الرسالات الهائلة الجامعة للعزة و الحكمة بالملائكة المجردين عن الشهوات و كل حظ إلى من ناسبهم من البشر بما غلب من جيش عقله على عساكر شهواته و نفسه ، حتى صار عقلا مجردا صافيا ، حاكما على الشهوات[3] و الحظوظ قاهرا كافيا .

* * * *

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : و الشهوات ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

سورة يس[1]

[و تسمى القلب و الدافعة و القاضية و المعمّة -[2]]

مقصودها إثبات الرسالة التى هى روح الوجود و قلب جميع الحقائق و بها قوامها و صلاحها للرسل بها الذى هو خالصة[3] المرسلين الذين هم قلب الموجودات كلها ذوات و معانى إلى أهل مكة أم القرى و قلب ٥ الأرض و هم قريش قلب العرب الذين هم قلب الناس، بصلاحهم صلاحهم كلهم [و -[2]] بفسادهم فسادهم، فلذلك[4] كان من حولهم[5] جميع أهل الأرض، و جل فائدة الرسالة إثبات الوحدانية التى هى قلب الاعتقاد و خالصه و عموده[6] للعزيز الرحيم ذى الجلال و الإكرام، و إنذار يوم الجمع الذى به - مع ستره عن العيان الذى هو من خواص القلب - ١٠ صلاح الخلق، فهو قلب الأكوان، و به الصلاح أو الفساد للانسان، و على ذلك[7] تنطبق معانى أسمائها: يس و القلب و الدافعة و القاضية

(١) السادس و الثلاثون من سور القرآن الكريمة، مكية، و عدد آيها ثلاث و ثمانون فى الكوفى و اثنتان و ثمانون فى غيره - راجع روح المعانى ١٩٤/٧ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ ومد، وفى الأصل: خاصة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فكذلك (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: حالهم. (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: عموه - كذا (٧) فى ظ: هذا.

و المعمة، و اما يس فسياتى بيانه من جهة إشارته إلى سر كونها قلبا المشير إلى البعث الذى هو من أجلّ مقاصدها الذى [1]به يكون[1] صلاح القلب الذى [2]به يكون[2] قبول ما ذكر، و أما الباقى فان [من -[3]] اعتقد الرسالة كفته و دفعت عنه جميع مهمه، و قضت له بكل خير، وأعطته كل مراد، وكل منها [له -[3]] أتم نظر إلى القلب كما لايخفى، و المعمة: الشاملة بالخير و البركة، قال فى القاموس: يقال: عمهم بالعطية و هو معم خير يعم خيره، فقد لاح أن هذه السورة الشريفة لما كانت قلبا كان كل شىء فيها له نظر عظيم [4]إلى القلبية[4] ﴿بسم الله﴾ الذى جلّ[5] ملكه عن أن يحاط بمقداره ﴿الرحمن﴾ الذى جعل الإنذار يوم الجمع رحمة عامة ﴿الرحيم﴾ الذى أنار قلوب أوليائه بالاجتهاد ليوم لقائه.

لما[6] كان قلب كل شىء أبطن[7] ما فيه و أنفس، و كان قلب الإنسان غائبا عن الإحساس، و كان مودعا من المعانى الجليلة و الإدراكات الخفية و الجلية [ما -[3]] يكون للبدن سببا[8] [فى -[3]] إصلاحه أو[9] إفساده من إشقائه أو إبقائه، و كانت الساعة من عالم الغيب، و فيها يكون انكشاف الأمور، و الوقوف على حقائق المقدور، و بملاحظتها

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: يكون به (٢-٢) فى ظ: يكون به (٣) زيد من ظ و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: جعل (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: و لما (٧) من ظ و مد، وفى الأصل: بطن (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: سبب (٩) من ظ و مد، و فى الأصل «و».

فى

و ليس فى هذه السورة إلا هذه الأصول الثلاثة و دلائلها . و من حصل من القرآن هـــذا القدر فقد حصل نصيب قلبه ، و هو التصديق الذى بالجنان ، و أما الذى باللسان و الذى بالأركان ففى غير هذه السورة ، فلما كان فيها أعمال القلب لا غير سماها قلبا . و لهذا ورد عنه صلى الله عليه و سلم قراءتها عند رأس من دنا منه الموت ، لأن فى ذلك الوقت يكون ٥ اللسان ضعيف القوة و الأعضاء الظاهرة ساقطة المنة ، لكن القلب يكون قد أقبل على الله ، و رجع عن كل ما سواه ، فيقرأ عند رأسه ما يزداد[1] به قوة فى قلبه[2] و يشتد تصديقه بالأصول الثلاثة - انتهى . و فيه بعض تصرف ، و قوله « إن وظيفة اللسان و الأركان ليس فى هذه السورة منها شىء » ربما يعكر[3] عليه قوله تعالى "و ما لى لا اعبد الذى فطرنى" ١٠ "و اذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله" "و ان اعبدونى هذا صراط مستقيم" و الحديث الذى ذكره رواه[4] أحمد[5] و أبو داود[6] و النسائى و ابن ماجه[6] و ابن حبان و الحاكم عن معقل بن يسار رضى الله عنه رفعه " اقرأوا يس على موتاكم" و أعله ابن القطان و ضعفه الدارقطنى ، و أسند صاحب الفردوس[7] عن أبى الدرداء و أبى ذر رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ١٥ صلى الله عليه و سلم : ما من ميت يموت فيقرأ عنده[8] يس إلا هون الله

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يراد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القلب (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يفكر (٤) سقط من ظ . (٥) راجع مسنده ٥ / ٢٦ (٦) راجع أبواب الجنائز من سننه (٧) و الحديث فى مخطوطتنا ص : ٢٠٩ / ب (٨) من ظ و م و مد و تلخيص مسند الفردوس ، و فى الأصل : عند راسه .

/٣٤٢/ /عليه[1]، و وراه أبو الشيخ ابن حبان فى فضائل القرآن عن أبى ذر وحده رضى الله عنه، و الإمام أحمد فى مسنده[2] عن صفوان بن عمرو قال: كانت المشيخة يقولون: إذا قرئت[3] يس عند الميت خفف عنه بها. قال ابن حبان: المراد المحتضر. و قد استمد[4] من هذا التصريح بالحشر كل ما انبث[5] فى القرآن من ذكر الآخرة[6] الذى بمراعاته و إتقانه[7] يكون صلاح جميع الأحوال فى الدارين، و باهماله و نسيانه يكون فسادها[8] فيهما - هذا مع ما شاركت به غيرها مما جمعته من جميع معانيه المجموعة فى الفاتحة من الأسماء الحسنى: الله و الرب و الرحمن و الرحيم و ملك يوم الدين الذى بيده ملكوت كل شىء و إليه ترجعون، و الأمر بالعبادة بسلوك الصراط[9] المستقيم، و تفصيل أهل النعيم و أهل الجحيم، و إثبات الأصول الثلاثة [التى -[10]] يصير بها المكلف مؤمنا: الواحدانية و الحشر و الرسالة التى هى قلب الوجود، و بها صلاحه، و هى ممدة لكل روح يكون به حياة هنيئة، و هى مبدأ الصلاح كما أن البعث غايته، و أن الخاتم لها إنسان[11] عين الموجودات و قلبها، فاثبت له ذلك على أصرح وجه و آكده.

(١) من ظ و م و مد و التلخيص، و فى الأصل: عنه (٢) راجع ٤/ ١٠٥، و زيدت الواو فى الأصل. و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد و المسند. و فى الأصل: قرات (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: استمر (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اثبت (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الآخر (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اتقانه. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فساده (٩) فى م: الطريق (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اسنان.

و مع

و ليس فى هذه السورة إلا هذه الأصول الثلاثة و دلائلها . و من حصل من القرآن هـــذا القدر فقد حصل نصيب قلبه ، و هو التصديق الذى بالجنان ، و أما الذى باللسان و الذى بالأركان ففى غير هذه السورة ، فلما كان فيها أعمال القلب لا غير سماها قلبا . و لهذا ورد عنه صلى الله عليه و سلم قراءتها عند رأس من دنا منه الموت ، لأن فى ذلك الوقت يكون ٥ اللسان ضعيف القوة و الأعضاء الظاهرة ساقطة المنة ، لكن القلب يكون قد أقبل على الله ، و رجع عن كل ما سواه ، فيقرأ عند رأسه ما يزداد[1] به قوة فى قلبه[2] و يشتد تصديقه بالأصول الثلاثة - انتهى . و فيه بعض تصرف ، و قوله « إن وظيفة اللسان و الأركان ليس فى هذه السورة منها شىء » ربما يعكر[3] عليه قوله تعالى "و ما لى لا اعبد الذى فطرنى" ١٠ "و اذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله" "و ان اعبدونى هذا صراط مستقيم" و الحديث الذى ذكره رواه[4] أحمد[5] و أبو داود[6] و النسائى و ابن ماجه[6] و ابن حبان و الحاكم عن معقل بن يسار رضى الله عنه رفعه " اقرأوا يس على موتاكم " و أعله ابن القطان و ضعفه الدارقطنى ، و أسند صاحب الفردوس[7] عن أبى الدرداء و أبى ذر رضى الله عنهما قالا : قال رسول الله ١٥ صلى الله عليه و سلم : ما من ميت يموت فيقرأ عنده[8] يس إلا هون الله

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يراد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القلب (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يفكر (٤) سقط من ظ .
(٥) راجع مسنده ٥ / ٢٦ (٦) راجع أبواب الجنائز من سننه (٧) و الحديث فى مخطوطتنا ص : ٢٠٩ / ب (٨) من ظ و م و مد و تلخيص مسند الفردوس ، و فى الأصل : عند راسه .

/٣٤٢/ /عليه[1]، و وراه أبو الشيخ ابن حبان فى فضائل القرآن عن أبى ذر وحده رضى الله عنه، و الإمام أحمد فى مسنده[2] عن صفوان بن عمرو قال: كانت المشيخة يقولون: إذا قرئت[3] يس عند الميت خفف عنه بها. قال ابن حبان: المراد المحتضر. و قد استمد[4] من هذا التصريح بالحشر كل ما انبث[5] فى القرآن من ذكر الآخرة[6] الذى بمراعاته و إتقانه[7] يكون صلاح جميع الأحوال فى الدارين، و باهماله و نسيانه يكون فسادها[8] فيهما - هذا مع ما شاركت به غيرها مما جمعته من جميع معانيه المجموعة فى الفاتحة من الأسماء الحسنى: الله و الرب و الرحمن و الرحيم و ملك يوم الدين الذى بيده ملكوت كل شىء و إليه ترجعون، و الأمر بالعبادة بسلوك الصراط[9] المستقيم، و تفصيل أهل النعيم و أهل الجحيم، و إثبات الأصول الثلاثة [التى -[10]] يصير بها المكلف مؤمنا: الواحدانية و الحشر و الرسالة التى هى قلب الوجود، و بها صلاحه، و هى ممدة لكل روح يكون به حياة هنيئة، و هى مبدأ الصلاح كما أن البعث غايته، و أن الخاتم لها إنسان[11] عين الموجودات و قلبها، فاثبت له ذلك على أصرح وجه و آكده.

(١) من ظ و م و مد و التلخيص، و فى الأصل: عنه (٢) راجع ٤/ ١٠٥، و زيدت الواو فى الأصل. و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد و المسند. و فى الأصل: قرات (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: استمر (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اثبت (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الآخر (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اتقانه. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فساده (٩) فى م: الطريق (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اسنان.

و مع

و مع جمع ما افتتحت بـــه السورة من الحروف المقطعة المنثورة أول السورة[1] عمادا[2] للقرآن و شحذا للأذهان لصنفى المنقوطة و العاطلة و وصفى المجهورة و المهموسة .

و لما كان القلب من الإنسان المقصود بالذات من الأكوان فى نحو ثلث[3] بدنه من جهة رأسه ، و كانت الياء فى نحو ذلك من حروف ٥ " أبجد " فانها العاشرة منها و السين بذاك المحل من حروف ا ب ت ث فانها الثانية عشر[4] منها ، و علا هذان الحرفان - بما فيهما من الجهر - عن غاية الضعف و نزلا[5] بما لهما من الهمس عن نهاية الشدة ، إشارة إلى أن القلب الصحيح هو الزجاجى الشفاف الجامع بين الصلابة و الرقة الذى علا بصلابته عن رقة الماء الذى لايثبت فيه صورة ، و نزل بلطافته ١٠ عن قساوة الحجر[6] الذى لايكاد ينطبع فيه شىء إلا بغاية الجهد ، فكان جامعا بين الصلابة و الرقة متهيئا لأن تنطبع فيه [7]الصور و تثبت[7] ليكون قابلا مفيدا ، فيكون متخلقا من صفات موجدة[8] بالقدرة و الاختيار اللذين دلت عليهما سورة الملائكة ، و بمعرفة الخير فيجتلبه و الشر فيجتنبه فيكون فيه شاهد من نفسه على الاعتقاد الحق فى صانعه ، و كانت المجهورة ١٥

(١) فى ظ : السور (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عماد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثلاث (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الثالثة عشر (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نزولا (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الجر (٧ - ٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصورة تثبت (٨) زيد فى الأصل : بالقلب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

أقوى فقدمت الياء لجهرها، وكانتا[1] - بعد اختلاف بالجهر والهمس - قد اتفقتا فى الانفتاح والرخاوة والاستفال[2] إشارة إلى أن القلب لا يصلح - كما تقدم - مع الصلابة التى هى فى معنى الجهر إلا بالإخبات الذى هو فى معنى الهمس، وبالنزول عن غاية الصلابة إلى حد الرخاوة لئلا يكون حجريا قاسيا، بأن يكون فيه انفتاح ليكون[3] مفيدا وقابلا، ويكون مستفلا ليكون[4] إلى ربه بتواضعه واصلا، وزادت السين بالصفير الذى[5] فيه شدة وانتشار وقوة لضعفها عن الياء بالهمس فتعادلتا، ودل صفيرها على النفخ فى الصور الذى صرحت به هذه السورة، ودل جهر الياء على قوته، ودل كونها من حروف النداء على خروجه عن الحد فى الشدة حتى تبدو عنه تلك الآثار المخلية للديار، المفنية للصغار والكبار، ثم الباغتة لهم من جميع الأقطار، امتثالا لأمر الواحد القهار، وكان مخرجهما / من اللسان الذى هو قلب المخارج الثلاثة لتوسطه وكثرة منافعه فى ذلك، وكانت الياء من وسطه والسين من طرفه، وكان هذان المخرجان، مع كونهما وسطا، مدارا لأكثر الحروف، هذا مع ما لهما من الأسرار التى تدق عن تصور[6] الأفكار، قال تعالى: ﴿يس ۝٤﴾ و[إن -[7]] كان المعنى: يا إنسان، فهو قلب الموجودات المخلوقات[7] كلها

/ ٣٤٣

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كانت (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاستقبال (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لئلا يكون (٤) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، فى الأصل: تصوير (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) سقط من م.

و خالصها و سرها و لبابها ، و إن أريد : يا سيد ، فهو خلاصة من سادهم ، و إن أريد : يا رجل ، فهو خلاصة البشر ، و إن أريد : يا محمد ، فهو خالصة الرجال الذين هم لباب البشر الذين هم سر الأحياء الذين هم عين الموجودات فهو خلاصة الخلاصة و خيار الخيار و عين القلب ، و كأن من قال معناه محمد نظر [١] إلى الاتحاد فى عدد اسمه صلى الله عليه و سلم بالجمل ٥ بالنظر إلى الميمين فى المشددة و [عدد "قلب" و ـ[٢]] عدد اسمى الحرفين ، و لا يخفى أن الهمزة فى اسم الياء ألف ثانية ، فبلغ عدده اثنا عشر .

و لما تقدم فى الملائكة إثبات رسالة النبى صلى الله عليه و سلم و تهديد قومه على [٣] النفرة عنه ، و أن مرسله تعالى بصير بعباده ، عالم بما يصلحهم و من يصلح منهم للرسالة و غيرها ، و كان مدار مادة « قرأ » ١٠ ـ كما مضى فى سورة الحجر ـ الجمع مع الفرق [٤] ، و كان ذلك أعلى مقامات السائرين إلى الله و هو وظيفة القلب ، عبر [٥] فى القسم [٥] بقوله : ﴿ و القرآن ﴾ و وصفه بصفة [القلب ـ[٦]] العارف فقال : ﴿ الحكيم ۝ ﴾ أى الجامع من الدلالة على العلم المزين بالعمل و الإرشاد إلى العمل المحكم بالعلم .

و لما كان قد ثبت فى سورة الملائكة أنه سبحانه الملك الأعلى ، ١٥ لما ثبت له من تمام القدرة و شمول العلم ، و كان من أجل ثمرات

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نظرا (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العرف . (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالقسم (٦) زيد من ظ و م و مد .

الملك إرسال الرسل إلى الرعايا بأوامر الملك و ردهم عما هم عليه مما[1] دعتهم إليه النفوس، و قادتهم إليه الشهوات و الحظوظ، إلى ما يفتحه لهم من الكرم، و يبصرهم به من الحكم. [2]وكانت[2] الرسالة أحد الأصول الثلاثة التى تنقل الإنسان من الكفر إلى الإيمان، و كانت هى المنظور إليها أولا لأنها السبب فى الأصلين الآخرين، وكانوا قد ردوا رسالته نفورا و استكبارا، قال مقدما لها تقديم السبب على مسببه على وجه التأكيد البليغ مع ضمير الخطاب الذى لايحتمل لبسا: ﴿انك لمن المرسلين﴾ أى الذين حكمت عقولهم على دواعى نفوسهم، فصاروا - بما وهبهم الله من القوة النورانية - كالملائكة الذين قدم فى السورة الماضية أنهم رسله و فى عدادهم بما تخلقوا به من أوامره و نواهيه و جميع ما يرتضيه[3].

و لما كان الأنبياء عليهم السلام من نوره صلى الله عليه و سلم، لأنه أولهم خلقا و آخرهم بعثا، فكانوا فى الحقيقة إنما هم [4]ممهدون لشرعه[4]، وكان سبحانه إنما أرسله ليتمم مكارم الأخلاق، وكان قد جعل سبحانه من المكارم أن لايكلم الناس إلا بما تسع عقولهم، وكانت عدة المرسلين كما فى حديث أبى أمامة الباهلى عن أبى ذر رضى الله عنهما عند أحمد فى المسند[5] ثلاثمائة و خمسة عشر، و فيه أن الأنبياء مائة ألف و أربعة و عشرون ألفا، و هو فى الطبرانى الكبير عن أبى أمامة رضى الله عنه

(١) من ظ و م و مد. و فى الأصل: بما (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فكانت (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يرضية (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مهتدون بشرعه (٥) راجع ٥/٢٦٦.

أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه و سلم فذكر عدد الرسل فقط ، و كانت عقول العرب لاتسع بوجه قبل الإيمان أنهم منه[١] ، أقسم سبحانه ظاهرا أنه منهم و رمزا[٢] للأصفياء باطنا إلى أنهم منه ، بجعلهم عدد أسماء حروف اسمه محمد صلى الله عليه / و سلم الذى رمز إليه بالحرفين أول السورة ، فكأنه قال : إنك [يا -[٣]] ياسين الذى تأويله محمد[٤] الذى عدد أسماء حروفه بعددهم لأصلهم ، فصار رمزا فى رمز ، و كنزا نفيسا داخل كنز ، و سرا من سر ، و برا إلى بر ، و هو أحلى فى منادمة الأحباب من صريح الخطاب ، ثم علق باسم المفعول[٥] قوله : ﴿ على صراط ﴾ أى طريق واسع واضح ﴿ مستقيم ﴾ أى أنت من هؤلاء الذين قد ثبت لهم أنهم عليه ، و هو الصراط المستقيم الأكمل المتقدم فى الفاتحة لأنه لخواص المنعم عليهم[٦] و لقوله تعالى فى حق موسى و هارون عليهما السلام " و هديناهما الصراط المستقيم " فيكون تنوينه[٧] - بما أرشد إليه القسم و التأكيد - للتعظيم ، و المعنى أنهم[٨] قد ثبت لهم هذا الوصف العظيم [و أنت منهم -[٣]] بما شاركتهم فيه من الأدلة ، فليس لأحد أن يخصك من بينهم بالتكذيب .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أوضحت سورة سبا و سورة

/ ٣٤٤

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : منهم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رمز (٣) زيد من ظ م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : محمدا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الفاعل (٦) فى ظ : عليه (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تنويه (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أنه .

فاطر من عظيم ملكه تعالى و توحده بذلك و انفراده بالملك و الخلق و الاختراع[١] ما تنقطع العقول دون تصور[٢] أدناه ، و لا تحيط من ذلك إلا بما شاء ، و أشارت من البراهين و الآيات [٣] إلى ما[٣] يرفع الشكوك و يوضح[٤] السلوك مما كانت الأفكار قد خمدت عن إدراكها ، و استولت عليها الغفلة فكأن قد جمدت[٥] عن معهود حراكها ، ذكر سبحانه بنعمة التحريك إلى اعتبارها بثنائه [٦]على من[٦] اختاره لبيان تلك الآيات ، و اصطفاه لإيضاح[٧] تلك البينات ، فقال تعالى " يس و القرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم " ثم قال " لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غفلون " فأشار سبحانه إلى ما تثمر نعمة الإنذار ، و يبعثه[٨] التيقظ بالتذكار ؛ ثم ذكر علة من عمى بعد تحريكه و إن كان مسببا عن الطبع و شر السابقة[٩] " لقد حق القول على اكثرهم " الآيات ؛ ثم أشار بعد إلى أن بعض[١٠] من عمى عن عظيم تلك البراهين لأول[١١] وهلة قد يهتز عند[١٢] تحريكه لسابق[١٣] سعادته فقال تعالى :

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اختراع (٢) فى م ومد : تطور ، ولكن كتب بهامشيها : لعله تصور (٣-٣) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : بما . (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يزهى (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حدث (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لمن (٧) فى ظ و م و مد : بايضاح (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : مبعثه (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المسابقة (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بعد . (١١) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : باول (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : عنه (١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليسابق .

"انا نحن نحى الموتى" فكذلك[1] نفعل بهؤلاء إذا شئنا هدايتهم "او من كان ميتا فاحييناه" ثم ذكر دأب المعاندين و سبيل المكذبين مع بيان الأمر فقال " و اضرب لهم مثلا اصحب القرية " - الآيات ، و اتبع ذلك سبحانه بما أودع فى الوجود من الدلائل الواضحة و البراهين فقال " الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون " - الآية ، ثم قال " و اية لهم الارض الميتة احييناها - إلى قوله : افلا تشكرون" ثم قال "و اية لهم اليل نسلخ منه النهار" " و كل فى فلك يسبحون" [2] ثم قال "و اية لهم انا حملنا ذريتهم - إلى قوله : الى حين " ثم ذكر إعراضهم مع عظيم هذه البراهين و تكذيبهم و سوء حالهم عند [3] بعثهم و ندمهم [3] و توبيخهم و شهادة أعضائهم بأعمالهم ، ثم تناسجت الآى جارية على ما يلائم ما تقدم إلى آخر السورة - انتهى .

و لما كان كأنه قيل : ما هذا الذى أرسل به ؟ [كان - [4]] كأنه قيل جوابا "لمن سأل" : هو القرآن الذى وقع الإقسام به و هو ﴿تنزيل﴾ أو[6] حال كونه تنزيل ﴿العزيز﴾ أى[7] المتصف بجميع صفات الكمال[8] .

و لما كانت هذه الصفة للقهر و الغلبة ، و كان ذلك لا يكون صفة كمال إلا بالرحمة قال : ﴿الرحيم ۝﴾ أى الحاوى لجميع صفات الإكرام الذى ينعم على من يشاء من عباده بعد الإنعام بايجادهم بما يقيمهم على

(١) فى ظ و م و مد : فكذا (٢) زيد فى ظ : إلى آية (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منقلبهم (٤) زيد من م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٦) فى ظ : اى (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجمال .

/ ٣٤٥ المنهاج الذى يرضاه / لهم ، فهو الواحد الذى لامثل له[1] أصلا لما قهر به من عزته ، و جبر به من رحمته . نزله إليك و هو فى جلالة النظم و جزالة القول و حلاوة السبك و قوة التركيب و رصانة الوضع و حكيم المعانى و إحكام المبانى فى أعلى ذرى[2] الإعجاز ، و جعل إنزاله تدريجا بحسب المصالح مطابقا مطابقة أعجزت الخلائق عن أن ياتوا بمثلها ، ثم نظمه على غير ترتيب النزول نظما أعجز الخلق عن أن يدركوا جميع المراد من بحور معانيه و حكيم مبانيه ، فكله إعجاز على ما له من إطناب و إيجاز .

و لما ذكر المرسَل و المرسَل به و المرسِل ، ذكر المرسَل له فقال : ﴿ لتنذر قوما ﴾ أى ذوى بأس و قوة و ذكاء و فطنة ﴿ ما انذر ﴾ أى لم ينذر [أصلا -[3]] ﴿ ابآؤهم ﴾ أى الذين غيروا دين [4]أعظم آبائهم[4] إبراهيم عليه السلام و من أتى بعدهم عند فترة الرسل . و لما كان عدم الإنذار موجبا لاستيلاء الحظوظ و الشهوات على العقل فيحصل عن[5] ذلك الغفلة عن طريق النجاة قال : ﴿فهم﴾ أى بسبب زمان الفترة ﴿ غفلون ﴾ أو المعنى على أن « ما » مفعول ثان لتنذر : أى لتنذرهم[6] الذى أنذره آباؤهم الذين كانوا قبل التغيير[7] ، فان هؤلاء غافلون عن ذلك لطول الزمان و حدوث النسيان .

---

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : لهم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : در (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابيهم (٥) من ظ و م و مد . و فى الأصل : عند (٦) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النعير .

إلى المنكب[١]، لم يذكر جهة السفل و ذكر جهة العلو فقال: ﴿ فهى ﴾ أى الأغلال [بعرضها -[٢]] واصلة بسبب[٣] هذا الجعل ﴿الى الاذقان﴾ جمع ذقن و هو مجتمع اللحيين، فهى لذلك مانعة من مطاطأة الرأس. و لما كان هذا من رفع الرأس فعل المتكبر، وكان تكبرهم فى غير موضعه، بين تعالى أنهم ملجأون إليه فهو ذل فى الباطن و إن كان كبرا فى الظاهر فقال: ﴿ فهم ﴾ أى[٤] بسبب هذا الوصول ﴿ مقمحون ﴾ من أقمح الرجل - إذا أقمحه[٥] غيره أى جعله قامحا أى رافعا رأسه غاضا بصره لاينظر إلا ببعض بصره هيئة المتكبر، و أصله من قولهم: قمح البعير - إذا رفع رأسه عند الشرب و لم يشرب الماء، قال فى الجمع بين العباب و المحكم: قال بشر بن أبى حازم[٦] يصف سفينة، قال أبو حيان[٧]: [ميتة -[٨]] [٩] أحدهم ليدفنها[٩]:

و نحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالإبل القماح

/ و قال الرازى فى اللوامع: و المقمح[١٠]: الذى يضرب رأسه إلى ظهره هيئة البعير. و قال القزاز: [و - [١١]] المقمح: الشاخص بعينيه الرافع رأسه. أبو عمرو: و القامح[١٢] من الإبل هو الذى لايشرب و هو عطشان /٣٤٦

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المكب (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سبب (٤) سقط من م (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اقحمه (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حاتم.
(٧) راجع البحر المحيط ٧/٣٢٤ (٨) زيد من البحر (٩-٩) من البحر، و فى الأصل و ظ و م: اخذهم اليد فيها - إلا أن فى ظ: احدهم (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: القمح (١١) زيد من ظ و مد (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الفاتح.

عطشا شديدا و لاتقبل نفســـه الماء ، و القمح مصدر قمحت الشيء ، و الاقتماح : أخذك الشيء فى راحتك ثم تقحمه[1] فى فيك أى تبتلعه ، و الاسم القمحة كاللقمة و الأكلة - انتهى . و كأن المقمح من هذا لأن هيئته عند هذا الابتلاع رفع الرأس و غض الطرف أو شخوصه إذا عسر عليه الابتلاع - و الله أعلم ، فهذا تمثيل لرفعهم رؤسهم عن النظر[2] ٥ إلى الداعى تكبرا و شماخة بحيث لو أمكنهم أن يسكنوا الجو لم يتأخروا [3]صلاقة و تيها[3] ، أو لأنهم يتركون هذا الأمر العظيم الحسن الجدير بأن يقبل عليه و يتروى منه و [هم -[4]] فى غاية الحاجة إليه ، فهم فى ذلك كالبعير القامح[5] ، إنما منعه من [6]الماء مع[6] شدة عطشه مانع عظيم أقحمه ، و لكنه خفى أمره فلم يعلم ما هو ، [7]و لذلك[7] بنى الاسم للمفعول إشارة ١٠ إلى أنهم مقهورون على تفويت حظهم من هذا الأمر الجليل .

و لما كان الرافع رأسه غير ممنوع من النظر أمامه قال : ﴿ و جعلنا ﴾ أى بعظمتنا . و لما كان المقصود حجبهم عن خير مخصوص ، و هو المؤدى إلى السعادة الكاملة لا عن كل ما ينفعهم ، أدخل الجار فقال : ﴿ من بين ايديهم ﴾ أى الوجه الذى يمكنهم علمه ﴿ سدا ﴾ . و لما ١٥ كان الإنسان إذا انسدت[8] عليه جهة مال إلى أخرى قال : ﴿ و من خلفهم ﴾

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تقتحمه (٢) زيدت الواو فى ظ .
(٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اصلا - مع قدر من البياض (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المانع (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القامح (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلذلك (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اشتدت .

أى الوجـــه الذى هو خفى عنهم، و أعاد السد تأكيدا لإنكارهم ذلك و تحقيقا لجعله [فقال -[1]] : ﴿ سدا ﴾ أى فصارت كل جهة يلتفت إليها منسدة، فصاروا لذلك لا يمكنهم النظر إلى الحق و لا الخلوص إليه، فلذلك قال : ﴿ فاغشيناهم ﴾ أى جعلنا على أبصارهم بما لنا من العظمة غشاوة[2] ﴿ فهم ﴾ أى بسبب ذلك ﴿ لا يبصرون ﴾ أى لا يتجدد[3] لهم هذا الوصف من إبصار الحق و ما ينفعهم [بيصر ظاهر و بصيرة باطنة -[1]] أصلا . و لما منعوا بذلك حس[4] البصر، أخبر عن حس[4] السمع فقال : ﴿ و سواء ﴾ أى مستو و [5]معتدل غاية الاعتدال[5] من غير نوع فرق ؛ و زاد فى الدلالة على عدم عقولهم بالتعبير بأداة الاستعلاء إيذانا[6] بأنهم إذا امتنعوا مـــع المستعلى كانوا مـــع غيره أشد امتناعا فقال : ﴿ عليهم ء انذرتهم ﴾ أى ما أخبرناك به من الزواجر المانعة من الكفر ﴿ ام لم تنذرهم ﴾ ثم بين أن الذى استوى حالهم فيه بما سببه الإغشاء عدم الإيمان، فقال مستأنفا : ﴿ لا يؤمنون ﴾ .

و لما بين ما كان السبب المانع لهم من الإبصار، علم أن السبب المانع من السمع مثله، لأن المخبر عزيز، فهو إذا فعل شيئا كان على وجه[7] لا يمكن فيه حيلة . و لما أخبر أن الأكثر بهذه الصفة، استشرف

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : غشاه (٣) فى ظ : لا يجدد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : حسن (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : معتذر غاية الاعتذار (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ايذان (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الوجه .

السامع إلى أمارة يعرف بها الأقل الناجى لأنه المقصود بالذات فقال جوابا له: ﴿ انما تنذر ﴾ أى إنذارا ينتفع به المنذر فيتأثر عنه النجاة، فالمعنى: إنما يؤمن بانذارك ﴿من اتبع الذكر﴾ أى أجهد نفسه فى اتباع كل ما يذكر بالله من القرآن و غيره [و يذكر به صاحبه و يشرف -[1]] ﴿ و خشى الرحمٰن ﴾ أى خاف العام الرحمة خوفا عظيما، و دل لفت الكلام عن مظهر العظمة إلى الوصف بالرحمانية على أن أهل الخشية يكفيهم فى الاتعاظ التذكير بالإحسان [2] ﴿ بالغيب ج ﴾ أى بسبب ما يخبر به من مقدوراته الغائبة[2] [3]لاسيما البعث الذى كان اختصاصها بغاية بيانه بسبب[4] كونها قلبا[5] من غير / طلب آية كاشفة للحجاب بحيث يصير الأمر عن شهادة لاغيب فيه، بل تجويزا لما يجوز من انتقامه و لو بقطع إحسانه، لما ثبت له فى سورة فاطر من القدرة و الاختيار، و يخشاه[6] أيضا خشية خالصة فى حال غيبته عمن يرائيه[7] من الناس، فهؤلاء هم الذين ينفعهم الإنذار، [و هم المتقون الذين ثبت فى البقرة أن الكتاب هدى لهم -[1]]، و غيرهم لاسبيل إلى استقامته، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات، فانه

/ ٤٧ب

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٢ - ٢) و ردما بين الرقمين فى الأصل قبل « ودل » س ه، و الترتيب من ظ و م ومد (٣) العبارة من هنا إلى «قلبا» وقعت فى الأصل بعد « خوفا عظيما » و الترتيب من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سبب (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تلبسا (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يخشى (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يرامه.

ليس عليك إلا الإنذار ، إن الله عليم بما يصنعون ، فمن علم منه هذه الخشية أقبل به ، و من علم منه[1] القساوة رده على عقبه بما حال دونه من الغشاوة[2] - و الله الموفق .

و لما دل[3] السياق على أن هذا نفع نفسه ، تشوف السامع إلى معرفة جزائه ، فقال مفردا الضمير على النسق الماضى فى مراعاة لفظ « من » دلالة على قلة هذا الصنف من الناس بأجمعهم فى هذه السورة الجامعة بكونها قلبا[4] لما تفرق فى غيرها[5] : ﴿ فبشره ﴾ أى بسبب خشيته بالغيب ﴿ بمغفرة ﴾ أى لذنوبه و إن عظمت و إن تكررت مواقعته[6] لها و توبته منها ، فان ذلك لا يمنع الاتصاف بالخشية . و لما حصل العلم بمحو الذنوب عينها و أثرها قال : ﴿ و اجر كريم ﴾ أى دار عظيم هنىء لذيذ متواصل ، لا كدر فيه بوجه .

و لما بين الأصل الثانى [الذى -[7]] هو الرسالة و أتبعها ثمرتها المختومة بالبشارة ، و كان الأصل الثالث فى الإيمان - و هو البعث - سببا عظيما فى الترقية إلى اعتقاد الوحدانية التى هى الأصل الأول ، و كان أكثر الخائفين منه سبحانه مقترا عليهم فى دنياهم منغصة عليهم حياتهم ، علل

(١) زيد فى الأصل : أيضا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القساوة (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل: كان الدال على (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل : الأصل قلنا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غيره (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موافقته (٧) زيد من ظ و م و مد .

هذه البشارة إعلاما بأن [هذا -[1]] الأجر فى هذه الدار بالملابس الباطنة الفاخرة من المعارف و السكينة و البركات و الطمأنينة ، و بعد البعث بالملابس الطاهرة الزاهرة المسببة عن الملابس[2] الدنيوية الباطنة الخفية عن غير أهلها ، بشارة لهم و نذارة للقسم الذى قبلهم بقوله ، مقدما للبعث لما ذكر من فائدته ، لافتا القول إلى مظهر العظمة إيذانا بعظمة[3] هذه المقاصد و[4] بأنه لايحمى *لهؤلاء الخلص* مع قلتهم و مباينتهم[6] للأولين مع كثرتهم إلا من له العظمة الباهرة : ﴿ انا نحن ﴾ أى بما لنا من العظمة التى [لا-[1]] تضاهى ﴿ نحى ﴾ [أى بحسب التدريج الآن و[5]جملة فى الساعة -[7]] ﴿ الموتى ﴾ أى كلهم حسا بالبعث و معنى بالإنقاذ إذا أردنا من ظلم الجهل ﴿ و نكتب ﴾ أى [من صالح و غيره -[7]] شيئا فشيئا [بعده فلا يتعدى التفصيل شيئا فى ذلك الإجمال -[7]] ﴿ ما قدموا ﴾ من جميع أفعالهم و أحوالهم و أقوالهم [8]جملة عند نفخ الروح[8] ﴿ و اثارهم[5] ﴾ أى سننهم التى تبقى من بعدهم صالحة كانت أو غير صالحة ، و نجازى كلا بما يستحق فى الدار الآخرة التى الجزاء فيها لاينقطع ، فلا أكرم منه إذا كان كريما .

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ملابس .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمظهر عظمة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الا الحل - مع بياض يسير بعده (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٧) زيد من ظ و مد (٨-٨) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : من صالح و غيره .

و لما كان ذلك ربما أوهم الاقتصار على كتابة ما ذكر من أحوال الآدميين[1] أو[2] الحاجة إلى الكتابة، دل على قدرته على ما لا تمكن القدرة عليه لأحد غيره فى أقل قليل مما ذكر، فكيف بما[3] فوقه، فقال[4] [ناصبا عطفا لفعليه على فعلية و هى « تكتب » -] : ﴿ وكل شىء ﴾ أى من أمر الأحياء و غيرهم[5] ﴿ احصيناه ﴾ أى قبل إيجاده بعلمنا القديم[6] إحصاء وكتبناه ﴿ فى امام ﴾ أى كتاب هو أهل لأن يقصد ﴿ مبين ﴾ أى لايخفى فيه شىء من جميع الأحوال على أحد أراد علمه منه، فلله هذه القدرة الباهرة و العظمة الظاهرة و العزة القاهرة، فالآية من الاحتباك: دل فعل الإحصاء على مصدره و ذكر الإمام على فعل الكتابة.

و لما انتهى الكلام إلى هنا، وكان مقصود السورة كما سلف إثبات الرسالة لإنذار يوم الجمع، وكان الإنذار غاية، وكانت الغايات هى المقاصد بالذات، وكانت غاية / الإنذار اتباع الذكر، فكان ذلك غاية الغاية، ٣٤٨ / كان الكلام على المتبعين أولى بالتقديم على أنه يلزم من الكلام فيهم الكلام فى أضدادهم، و هم المعرضون الذين حق عليهم القول و الكلام على[7] اليوم المنذر به، فلذلك ضرب المثل الجامع لذلك كله، و مر إلى

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المتقدمين من الادمين (٢) زيد فى ظ: فى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما (٤) زيد من ظ و م و مد.
(٥) فى ظ: غيرها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من العدم.
(٧) فى ظ: عن.

أن

أن صور البعث تصويرا لم يتقدم مثله، ثم عطف بآية الطمس و ما بعدها على القسم المعرض، ثم رجع إلى الكلام على[1] الرسول و الكتاب.

و لما دل سبحانه على ما له من القدرة الكاملة بالأفعال الهائلة من كل من الإماتة و الإحياء الحسيين و المعنويين إبداء و إعادة، وكان ضرب الأمثال بالمشاهدات ألصق شيء بالبال، و أقطع للمراء و الجدال، و أكشف لما يراد من الأحوال، قال عاطفا على "فبشره" مبينا للأصل الثالث الذى هو الأول بالأصالة المقصود بالذات، و هو التوحيد، ضاما إليه الأصلين الآخرين، ليكون المثل جامعا، و البرهان به واضحا ساطعا: ﴿ و اضرب لهم ﴾ أى لأجلهم بشارة بما يرجى لهم عند إقبالهم، و نذارة لما يخشى عليهم عند إعراضهم و إدبارهم ﴿ مثلا[2] ﴾ [أى -[3]] مشاهدا فى إصرارهم على مخالفة الرسول و صبره عليهم و لطفه بهم، لأنا ختمنا على قلوبهم على الكفران مع قربهم منك فى[4] النسب و الدار، [5]و فوز غيرهم لأنا نورنا قلوبهم مع البعد فى النسب و الدار بالإيمان[5] و ثمراته الحسان، لأنهم يخشون الرحمن بالغيب، و لا يثبتون على الغباوة و الريب.

و لما ذكر المثل، أبدل منه قوله: ﴿ اصحب القرية[2] ﴾ [التى هى محل الحكمة و اجتماع الكلمة و انتشار العلم و معدن الرحمة -[3]]. و لما كان الممثل به فى الحقيقة إنما هو [6]إخبارها بأحوال أهلها[6] لأنها وجه

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: إلى (٢) تكرر فى الأصل فقط بعد «اضرب لهم» (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل: هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أخبار بها.

الشبه، وكانت أخبارها كثيرة فى أزمنة مديدة[1]، عين المراد بقوله: ﴿اذ﴾ [وهى بدل اشتمال من القرية مسلوخة من الظرفية -[2]] . ولما كان الآتى[3] ناحية من بلد وإن عظم يعد فى العرف آتيا لذلك البلد، أعاد الضمير على موضع الرسالة تحقيقا له [وإبلاغا فى التعريف بمقدار بعد الأقصى -[4]] فقال: ﴿جاءها﴾ أى القرية لإنذار أهلها ﴿المرسلون ج﴾ أى عن الله لكونهم عن رسوله عيسى عليه السلام أرسلهم بأمره لإثبات ما يرضيه سبحانه ونفى ما يكرهه الذين هم من جملة من قيل فى فاطر أنهم جاؤا [بالبينات و -[4]] بالزبر، والتعريف إما لكونهم يعرفون القرية ويعرفون أمرها، [و -[4]] إما لأنه شهير جدا فهم بحيث لو سألوا أحدا من أهل الكتاب الذين يعتنون بها أخبرهم به، لأنه قد عهد منهم الرجوع إليهم بالسؤال ليبينوا لهم - [كما] زعموا - مواضع الإشكال.

ولما كان أعظم مقاصد السياق تسلية النبى صلى الله عليه وسلم فى توقفهم عن المبادرة إلى الإيمان به مع [5]دعائه بالكتاب[5] الحكيم إلى[6] الصراط المستقيم، وكان فى المشاركة فى المصائب أعظم تسلية، أبدل من[7] قوله «اذ جاءها» تفصيلا لذلك [المجىء -[4]] قوله، مسندا إلى نفسه

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: مديرة (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل: رعاية الكتاب (٦) من ظ و م و مد، وفى الأصل: على (٧) من ظ و م و مد، وفى الأصل: فى.

المقدس لكونه أعظم فى التسلية : ﴿ اذ ارسلنآ ﴾ أى على ما لنا من العظمة . و لما كان المقصود بالرسالة أصحابها قال : ﴿اليهم اثنين﴾ أى[1] ليعضد أحدهما الآخر فيكون أشد لأمرهما فأخبراهم[2] بارسالهما إليهم كأن قالا : نحن رسولان إليكم لتؤمنوا بالله ﴿فكذبوهما﴾ أى مع ما لهما من الآيات ، لأنه من المعلوم أنا ما أرسلنا رسولا إلا كان معه من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، سواء كان عنا من غير واسطة أو كان[3] بواسطة رسولنا ، كما كان للطفيل بن عمرو الدوسى ذى النور لما ذهب إلى قومه و سأل النبى / صلى الله عليه و سلم أن[4] تكون له آية فكانت [نورا -[5]] فى جبهته ، ثم سأل أن تكون فى غير وجهه فكانت فى سوطه[6] . ٣٤٩/

و لما كان [7]التضافر على[7] الشىء أقوى لشأنه ، و أعون على ما يراد منه ، سبب عن ذلك قوله [حاذفا المفعول لفهمه من السياق ، و لأن المقصود إظهار الاقتدار على إيقاع الفعل و تصريفه فى كل ما أريد له -[5]] : ﴿فعززنا﴾ أى فأوقعنا العزة ، و هى القوة و الشدة و الغلبة ، لأمرنا أو لرسولنا[8] بسبب ما وقع لهما من الوهن بالتكذيب ، [فحصل ما أردنا من العزة - بما أشارت إليه قراءة أبى بكر عن عاصم[9] بالتخفيف -[5]] ﴿بثالث﴾

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاخبرهم (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كانوا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انه .
(٥) زيد من ظ و م و مد (٦) راجع طبقات ابن سعد - و قد مرّ (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : علم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لرسول .
(٩) راجع نثر المرجان ٥/ ٥٥٥ - ٥٥٦ .

أرسلناه بما أرسلناهما به ﴿ فقالوآ ﴾ أى الثلاثة بعد أن[1] أتوهم و ظهر لهم إصرارهم على التكـــذيب، مؤكدين بحسب ما رأوا من تكذيبهم: ﴿انآ اليكم﴾ أى لا إلى غيركم ﴿ مرسلون ۝ قالوا ﴾ أى أهل[2] القرية: ﴿ مآ انتم ﴾ أى و إن زاد عددكم ﴿ الا ﴾ و لما نقض الاستثناء النفى زال شبهة ما تلبس فزال عملها فارتفع قوله: ﴿بشر مثلنا لا ﴾ أى فما وجه الخصوصية لكم فى كونكم رسلا دوننا . و لما كان التقدير: فما أرسلتم إلينا بشىء، عطفوا[3] عليه قوله: ﴿ و مآ انزل الرحمٰن﴾ أى العام الرحمة، فعموم رحمته مع استوائنا فى عبوديته تقتضى أن يسوى بيننا فى الرحمة فلا يخصكم بشىء دوننا، و أعرقوا [فى النفى -[4]] بقولهم: ﴿من شىء لا ﴾ . و لما كان الإتيان على ما ذكر محتملا للغلط و نحوه، قالوا دافعين لذلك: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ انتم الا تكذبون ۝ ﴾ أى حالا و مآلا ﴿ قالوا ﴾ أى الرسل: ﴿ ربنا ﴾ أى الذى لو لم يكن لنا وازع عن الكذب عليه إلا إحسانه إلينا لكان كافيا ﴿ يعلم ﴾ أى و لذلك يظهر على أيدينا الآيات، و يحمينا ممن يكيدنا، و هذه العبارة تجرى مجرى القسم، و كذا نحو « شهد الله » . و لما واجهوهم بهذا التكذيب المبالغ[5] فى تأكيده زادوا فى تأكيد جوابه فقالوا: ﴿ انآ اليكم ﴾ أى خاصة ﴿ لمرسلون ۝ ﴾ [ما أتيناكم غلطا و لا كذبا -[4]]، فالأول ابتداء أخبار، و[6]هذان جوابا[6] إنكار، فأعطى كلا ما يستحق .

(١) فى ظ : إذا (٢) زيد فى الأصل : هـذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عطف (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى ظ : البالغ (٦-٦) فى م : هذا جواب .

و لما قرروا ذلك عندهم ، اتبعوه بدليله و بالإعلام بأن وبال التكذيب لايلحقهم منه ضرر ، إشارة [لهم -[1]] إلى الإنذار من عذاب الملك الجبار فقالوا : ﴿ وما علينآ ﴾ أى وجوبا من قبل من أرسلنا[2]، و هو الله تعالى الذى له الأمر كله[2] ﴿ الا البلغ المبين ﴾ أى المؤيد بالأدلة القطعية من الحجج القولية و الفعلية[3] بالمعجزات و غيرها ، فلولا أنه يعلم لما أمكننا ٥ شيء من ذلك كما أن آلهتكم لما لم يكن لها علم لم يقدروا على بيان فى أمرها بشيء ، و إذ قد ثبت علم مرسلنا برسالتنا فهو الشاهد [لنا -[1]] بما يظهر على أيدينا و كفى به شهيدا .

و لما كان حلول الصالحين بين الناس يكون تارة نعمة و أخرى نقمة باعتبار التصديق و التكذيب و الإساءة و الإحسان ، فكان قد حصل ١٠ لهؤلاء الذين كذبوا هؤلاء الرسل [بلاء -[1]] لتكذيبهم لهم من جدب الأرض و صعوبة الزمان ، و نحو ذلك من الامتحان ، [ذكر ما أثره ذلك عند أهل القرية فقال -[1]] : ﴿ قالوآ ﴾ و لما كانوا لما يرون عليهم من الآيات و ظاهر الكرامات مما[4] يشهد ببركتهم و يمن نقيبتهم [بحيث -[1]] إذا ذموهم[5] توقعوا تكذيب الناس لهم ، اكدوا قولهم : ﴿ انا تطيرنا ﴾ أى[6] ١٥ حملنا أنفسنا على الطيرة و التشاوم [تطيرا ظاهرا - بما أشار إليه الإظهار

(١) زيد من ظ و م و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد ، و كان فى الأصل : و الله ، بدل « و هو الله » (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العملية (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما ، و فى م : بما (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دنوهم (٦) زيد فى الأصل : انا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

بخلاف ما فى النمل و الأعراف -[1]] ﴿بكم ج﴾ بنسبة ما حل بنا من البلاء إلى شومكم، لأن عادة الجهال التيمن بما مالوا إليه و يسندون ما حل بهم من نعمة[2] إلى يمنه و التشاوم بما كرهوه، و يسندون ما أصابهم من نقمه إلى شومه؛ ثم إنهم استأنفوا استئناف النتائج قولهم [3]على سبيل [التأكيد -[4]] إعلاما بأن ما أخبروا به لا فترة لهم عنه و إن كان مثلهم مستبعدا عند العقلاء: ﴿لئن لم تنتهوا﴾ أى عن دعائكم هذا ﴿لنرجمنكم﴾ /أى لنشتمنكم أو لنرمينكم بالحجارة حتى تنتهوا أو لنقتلنكم شر قتلة. [و لما كان الإنسان قد يفعل ما لا يؤخذ أثره فقالوا معبرين بالمس دون الإمساس -[1]]: ﴿ و ليمسنكم منا ﴾ أى عاجلا لامن غيرنا[5] كما تقولون أنتم فى تهديدكم إيانا بما يحل بنا ممن أرسلكم ﴿ عذاب اليم ه ﴾ حتى تنتهوا عنا لنكف عن إيلامكم[6] ﴿ قالوا ﴾ أى الرسل: ﴿ طآئركم ﴾ أى شومكم الذى أحل بكم البلاء ﴿ معكم[1] ﴾ و هو أعمالكم القبيحة التى منها تكذيبكم.

/٣٥٠

و لما كان لم يبد منهم غير ما يقتضى عند النظر الصحيح التيمن و البركة، و [هو -[1]] التذكير بالله الذى بيده الخير كله، أنكروا عليهم تطيرهم منهم على وجه مبين[7] أنه لا سبب لذلك غيره فقالوا: ﴿ائن ذكرتم[1]﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نعمته.
(٣) العبارة من هنا إلى « العقلاء » ساقطة من ظ (٤) (٧) زيد من م و مد.
(٥) زيد بعده فى الأصل: ولا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد. و فى الأصل و ظ: اعلامكم (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يبين.

أى ألاجل إن حصل لكم تذكير بالله تطيرتم بنا؟ و لما كان ذلك لايصح أن يكون سببا للتطير بوجه، أضربوا عنه منبهين لهم على أن موضع الشوم إسرافهم لا غير فقالوا: ﴿بل﴾ أى ليس الأمر كما زعمتم فى أن التذكير سبب للتطير بل ﴿انتم قوم﴾ أى غركم ما آتاكم الله من القوة على القيام فيما تريدون ﴿مسرفون ٥﴾ أى عادتكم الخروج عن الحدود و الطغيان فعوقبتم لذلك.

و لما كان السياق لأن الأمر بيد الله، فلا هادى لمن أضل و لا مضل لمن هدى، فهو يهدى البعيد فى البقعة و النسب إذا[1] أراد، و يضل القريب فيهما إن شاء، و كان بعد الدار ملزوما فى الغالب لبعد النسب، قدم مكان المجىء على فاعله بيانا لأن الدعاء [نفع -[2]] الأقصى و لم ينفع الأدنى فقال: ﴿و جآء من اقصا﴾ أى[3] أبعد - بخلاف ما مر فى سورة القصص؛ و لأجل هذا الغرض عدل عن التعبير بالقرية كما تقدم و قال: ﴿المدينة﴾ لأنها أدل على الكبر المستلزم لبعد الأطراف و جمع الأخلاط. و لما بين الفاعل بقوله: ﴿رجل﴾ بين اهتمامه بالنهى عن المنكر و مسابقته إلى إزالته كما هو الواجب بقوله: ﴿يسعىٰ ذ﴾ أى يسرع فى مشيه فوق المشى و دون العدو حرصا على نصيحة قومه.

و لما تشوفت النفس إلى الداعى إلى إتيانه، بينه بقوله: ﴿قال﴾

(١) من ظ و م ومد، و فى الأصل: ان (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد بعده فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) سقط من ظ و م و مد.

و استعطفهم بقوله : ﴿يقوم﴾ و أمرهم بمجاهدة النفوس بقوله : ﴿اتبعوا المرسلين ۝﴾ أى فى عبادة الله وحده و [١]كل ما[١] يأمرونكم به ؛ ثم نبههم على الداعى إلى[٢] اتباعهم[٣] و المانع من الإعراض عنهم بقوله ، [معيدا الفعل دلالة على شدة اهتمامه به - [٤]] : ﴿اتبعوا﴾ أى بغاية جهدكم ﴿من لا يسئلكم﴾ أى فى حال من الأحوال ﴿اجرا﴾ [و لما كان[٥] أفرد الضمير نظرا إلى لفظ « من » دلالة على وجوب الاتباع لمن اتصف بهذا الأمر الدال على الرسالة و إن كان واحدا ، جمع بيانا للأولوية بالتظافر و التعاضد و الاتفاق فى الصيانة و البعد عن الدنس ، الدال على اتحاد القصد الدال على تحتم الصدق فقال - [٤]] : ﴿و هم مهتدون ۝﴾ أى ثابت لهم الاهتداء لا يزايلهم ، [ما قصدوا شيئا إلا أصابوا وجه صوابه - [٤]] ، فتفوزوا بالدين الموجب للفوز بالآخرة ، و لا يفوتكم شىء من الدنيا ، فأتى بمجامع[٦] الترغيب فى هذا الكلام الوجيز .

و لما أفهم السياق أنه قال : فانى[٧] اتبعتهم [فى عبادة الله - [٤]] ، بنى عليه قوله جوابا لمن يلومه على ذلك و ترغيبا فيما اختاره لنفسه و توبيخا لمن يأباه :

(١ - ١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كما (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٣) زيد فى مد : الدال على رسالتهم (٤) زيد من ظ و مد .
(٥) سقط من مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بجامع .
(٧) سقط من ظ .

﴿و ما﴾ أى و أىّ شىء ﴿لى[1]﴾ فى أنى ﴿لآ اعبد الذى فطرنى﴾ أى[2] و إليه أرجع، فله مبدئى و معادى، و ما لكم لاتعبدون الذى فطركم ﴿و اليه﴾ أى لا إلى غيره ﴿ترجعون ۝﴾ كذلك، فهو يستحق العبادة شكرا لما أنعم به فى الابتداء، و خوفا من عاقبته فى الانتهاء، فالآية من الاحتباك: حذف «و إليه أرجع» أولا لما دل عليه ثانيا، و إنكاره عليهم ثانيا[2] بما دل[3] عليه أولا من إنكاره على نفسه استجلابا لهم باظهار الإنصاف، و البعد عن التصريح بالخلاف، و فيه تنبيه لهم على موجب الشكر، و تهديد على ارتكاب الكفر.

و لما أمر صريحا و نهى تلويحا، و رغب / و رهب، و وبخ و قرع، / ٣٥١ و بين جلالة من آمن به و من كانوا سببا فى ذلك، أنكر على من يفعل غيره بالإنكار على نفسه، محقرا لمن عبدوه من دون الله و هم غارقون فى نعمه، فقال مشيرا بصيغة الافتعال إلى أن فى ذلك مخالفة للفطرة الأولى: ﴿ءاتخذ﴾ و بين علو رتبته سبحانه بقوله: ﴿من دونهٓ﴾ [أى -[4]] سواء مع دنو المنزلة؛ و بين عجز ما عبدوه بتعدده فقال: ﴿ءالهة﴾ ثم حقق ذلك بقوله مبينا بأداة الشك أن النفع أكثر من الضر ترغيبا فيه سبحانه: ﴿ان يردنِ﴾ [إرادة خفيفة بما أشار إليه حذف الياء، أو شديدة بما أشار إليه إثباتها، ظاهرة بما دل عليه تحريكها، أو خفية بما نبه عليه إسكانها[5]-].

(١) وقع فى الأصل و م و مد قبل «أى و أىّ»، و الترتيب من ظ.
(٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يدل (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من ظ و مد.

[و لما ذكرهم بابداعه سبحانه له إرشادا إلى أنهم كذلك ، صرح بما يعمهم فقال -[1]] : ﴿ الرحمن ﴾ أى العام النعمة على كل مخلوق من العابد و المعبود ، و حذرهم بقوله : ﴿ بضر ﴾ و أبطل أنهى ما يعتقدونه فيها بقوله : ﴿ لا تغنِ عنى ﴾ أى و كل أحد مثلى فى هذا ﴿ شفاعتهم ﴾ أى لو فرض أنهم شفعوا و لكن شفاعتهم لا توجد ﴿ شيئا ﴾ من إغناء.

[و لما دل بافراد الشفاعة على عدمهم عدما و لو اتحدت شفاعتهم و تعاونهم فى آن واحد ، دل بضمير الجمع على أنهم كذلك سواء كانوا مجتمعين أو متفرقين فقال -[2]] : ﴿ و لا ينقذون ﴾ أى من[3] مصيبته إن دعا الأمر إلى المشاققة[4] [بما أراده فانه بمجرد إرادته يكون مراده ، إنفاذا ضعيفا- بما أشار إليه من حذف الياء ، و لا شديدا - بما دل عليه من أثبتها ظاهرا خفيا -[2]] ، ثم استأنف ما يبين بعد ذلك عن فعل العقلاء الناصحين لأنفسهم بقوله مؤكدا له[5] بأنواع التأكيد لأجل إنكارهم له بعدم رجوعهم عن معبوداتهم[6] : ﴿ انى اذاً ﴾ أى إذا فعلت ذلك الاتخاذ ﴿ لفى ضلال ﴾ أى محيط بى لا أقدر معه على نوع اهتداء ﴿ مبين ﴾ أى واضح فى نفسه لمن لم يكن مظروفا له ، موضح لكل ناظر ما [هو -[1]] فيه من الظلام .

و لما أقام الأدلة و لم يبق لأحد تخلف عنه علة[7] ، صرح بما لوح

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المشقات (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معدو داتهم .

إليه من إيمانه، فقال مظهرا لسروره بالتأكيد و قاطعا لما يظنونه من أنه لا يجترئ على مقاطعتهم كلهم بمخالفتهم فى أصل الدين: ﴿انى آمنت﴾ أى أوقعت التصديق الذى لا تصديق فى الحقيقة غيره بالرسل مؤمنا لهم من [أن -١] أدخل عليهم نوع تشويش من تكذيب أو غيره. [و لما أرشدهم بعموم الرحمانية تلويحا، صرح لهم بما يلزمهم شكره من خصوص الربوبية فقال -١]: ﴿بربكم﴾ أى بسبب الذى لا إحسان عندكم إلا منه [قد نسيتم ما له لديكم من الربوبية و الرحمانية و الإبداع -٢]، و زاد فى مصارحتهم إظهارا لعدم المبالاة بهم بقوله: ﴿فاسمعون﴾ أى [سماعا إن شئتم أسمعتموه، و إن شئتم كتمتموه - بما دل عليه حذف الياء و إثباتها -٣]، فلا تقولوا بعد ذلك: ما سمعناه، و لو سمعناه لفعلنا به. فوثبوا[٤] إليه و ثبة رجل واحد فقتلوه، و قد أخبر النبى صلى الله عليه و سلم أن مثل صاحب يس هذا فى هذه الأمة عروة بن مسعود الثقفى حيث بادى قومه بالإسلام، و نادى على عليته بالأذان، فرموه بالسهام فقتلوه.

و لما كان من المعلوم - بما دل عليه من صلابتهم فى تكذيبهم الرسل و تهديدهم مع ما لهم من الآيات - أنهم لا يبقون هذا الذى هو [من -١] مدينتهم و قد صارحهم بما إن أغضوا عنه فيه انتقض عليهم أكثر أمرهم. لم[٥] يذكره تعالى عدّا له[٦] عداد ما[٧] لا يحتاج إلى ذكره، و قال

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فثوبوا (٥) فى م: فلم (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لهم (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من.

جوابا لمن تشوف إلى علم حاله بعد ذلك بقوله إيجازا فى البيان ترغيبا لأهل الإيمان: ﴿ قيل ﴾ [أى له بعد قتلهم إياه - [1]]، فبناه للمفعول و حذفه لأن المقصود القول لا قائله و المقول له معلوم: ﴿ادخل الجنة [1]﴾ لأنه شهيد، و الشهداء يسرحون فى الجنة حيث شاؤا من حين الموت.

٥ و لما كان الطبع البشرى داعيا إلى محبة الانتقام ممن وقع منه الأذى، بين سبحانه أن الأصفياء على غير ذلك الحال، فقال مستأنفا: ﴿ قال يليت قومى ﴾ أى الذين فيهم قوة لما يراد منهم، فلو كانت [2] قوتهم على الكفار لكانت حسنة [2] ﴿ يعلمون ﴾ و لما أريد التصريح بوقوع الإحسان إليه، حل المصدر إلى قوله: / ﴿ بما غفر لى ﴾ أى ٣٥٢ /

١٠ أوقع الستر لما كنت مرتكبا له طول عمرى من الكفر به [بإيمان -[1]] فى مدة يسيرة ﴿ ربى ﴾ أى الذى أحسن إلىّ فى الأخرى بعد إحسانه فى الدنيا ﴿ و جعلنى ﴾ و لما كان الأنس أعظم فوز، عدل عن أن [3] يقول « مكرما » إلى قوله: ﴿من المكرمين ۝﴾ أى الذين أعطاهم الدرجات العلى بقطعهم جميع أعمارهم فى العبادة، فنصح لقومه حيا و ميتا يتمنى علمهم

١٥ باكرامه تعالى له [3] [4]ليعملوا مثل عمله [4] فينالوا ما ناله، و فى قصته حث على المبادرة إلى مفارقة الأشرار و اتباع الأخيار، و الحلم عن أهل الجهل و كظم الغيظ، و التلطف فى خلاص الظالم من [5] ظلمه، [و أنه لا يدخل

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قومهم كانت حسية (٣) سقط من ظ (٤ - ٤) فى ظ: ليعلموا مثل علمه (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ممن.

أحد الجنة إلا برحمة الله و إن كان محسنا -[1]]، و هذا كما وقع للأنصار رضى الله عنهم فى المبادرة إلى الإيمان مع بعد الدار و النسب، و فى قول[2] من استشهد منهم فى بئر معونة - كما رواه البخارى فى المغازى[3] عن أنس رضى الله عنه: بلغوا قومنا أنا لقينا ربنا فرضى عنا و أرضانا، و فى غزوة أحد كما فى السيرة و غيرها لما وجدوا طيب [4]مأكلهم و مشربهم[4] ٥ و حسن مقيلهم: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا فى الجهاد و لا ينكلوا عن الحرب، فقال [تبارك و - [1]] تعالى: فأنا[5] أبلغهم عنكم، فأنزل [6]الله تعالى[6] [على رسوله صلى الله عليه وسلم-[1]] "ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا" الآيات فى سورة آل عمران، و فى التمثيل بهذه القصة إشارة إلى أن فى قريش من ختم بموته على الكفر ١٠ و لم ينقص ما ضرب له من الأجل، فهو سبحانه يؤيد هـــذا[7] الدين بغيرهم لتظهر قدرته و ليستوفى الآجال أولئك، ثم يقبل بقلوب غيرهم، فتظهر مع ذلك حكمته - إلى غير ذلك من ينابيع المعانى، و ثابت المبانى.

و لما كان سبحانه قد جعل أكثر جند هذا النبى الكريم من الملائكة فأيده بهم فى حالتى المسالمة و المصادمة[8] و حرسه ممن أراده فى ١٥ مكة المشرفة و بعدها [بهم - [1]]، ذكره ذلك[7] بقوله عاطفا على ما

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قوله (٣) راجع ٢ / ٥٨٦ (٤ - ٤) فى م و مد: مشربهم و ماكلهم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م ومد، وفى الأصل: المصادقة (٩) زيد من ظ وم ومد.

تقديره: و ما أنزلنا على قومه قبل قتلهم له من جند من السماء يحول بينهم و بين ذلك كما فعلنا بك إذ أراد أبو جهل قتلك[1] بالصخرة [2]و أنت[2] ساجد عند البيت و غيره بغير ذلك مما هو مفصل فى السير، و أما [بعد -[3]] الهجرة ففى غزوة الأحزاب إذ أرسلنا عليهم ريحا ٥ و جنودا ردتهم خائبين، و فى غزوة أحد و بدر و حنين و غير ذلك: ﴿ و ما أنزلنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ على قومه ﴾ أى صاحب يس ﴿من بعده﴾ أى بعد قتله، و أعرق فى النفى بقوله: ﴿من جند﴾ و حقق المراد بقوله: ﴿ من السماء ﴾ أى لإهلاكهم، و حقق أن إرسال الجنود السماوية أمر خص به صلى الله عليه و سلم لأنه لحكم ترجع إلى النصرة ١٠ بغير الاستئصال فانهم يتبدون فى صور[4] الآدميين و يفعلون أفعالهم. و أما عذاب الاستئصال فان السنة الإلهية جرت بأنه لايكون بأكثر من واحد من الملائكة لأنه أدل على الاقتدار، فلذلك قال تعالى: ﴿ و ما كنا منزلين ﴾ أى ما كان ذلك من سنتنا، و ما صح فى حكمتنا أن يكون عذاب الاستئصال بجند كثير ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ كانت ﴾ ١٥ أى[1] الواقعة التى عذبوا بها ﴿الا صيحة﴾ صاحها بهم جبريل عليه السلام فماتوا عن آخرهم؟ و أكد أمرها و حقق وحدتها بقوله: ﴿واحدة﴾ أى لحقارة أمرهم عندنا، ثم زاد فى تحقيرهم ببيان الإسراع فى الإهلاك بقوله: ﴿فاذا هم خمدون ﴾ أى ثابت / لهم الخمود ما كأنهم [2]كانت لهم[2] /٣٥٣

(١) سقط من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صورة.

حركة يوما من الدهر ، و من المستجاد فى هذا قول أبى العلاء أحمد بن سليمان المعرى :

وَ كالنار الحياة فمن رماد أواخرها و أولها دخان

و لما أخبر عنهم سبحانه بما هو الحق من أمرهم ، و رغبهم بما ضرب لهم من المثل و رهبهم ولم ينفعهم ذلك ، أنتج التاسيف عليهم ٥ و على الممثل بهم و من شابههم فقال تعالى : ﴿ يحسرة ﴾ أى هذا الحال مستحق لملازمة حسرة عظيمة ﴿ على العباد ج ﴾ فكأنه قيل لها : تعالى فهذا من أحوالك التى حقك أن تحضرى فيها ، فان هؤلاء أحقاء بأن يتحسر عليهم ، و الحسرة : شدة الندم على ما فات ، فأحرق فقده و أعيى أمره ، فلا حيلة فى رده ، و يجوز أن يكون المعنى أن العباد - لكثرة ١٠ ما يعكسون من أعمالهم - لا تفارقهم أسباب الحسرة و لا حاضر معهم[1] غيرها ، فلا نديم لهم إلا هى ، [و -[2]] لا مستعلى عليهم و غالب[3] لهم سواها .

و لما كان كأنه قيل : أىّ حال ؟ قال مبينا له و معللا للتحسر بذكر سببه : ﴿ ما ياتيهم ﴾ و أعرق فى النفى و التعميم بقوله : ﴿ من رسول ﴾ ١٥ أىّ رسول كان فى أىّ وقت كان ﴿ الا كانوا به ﴾ أى بذلك الرسول ﴿ يستهزءون ه ﴾ أى يوجدون الهزء ، و الرسل أبعد الخلق من الهزء حالا و مقالا و فعالا ، و من الواضح أن المستهزئ بمن[4] هذا حاله هالك

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعمهم (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طالب (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من .

فهو جدير بملازمة الحسرة له و أن يتحسر عليه .

و لما أتم سبحانه الخبر عن[1] أول [أمر -[2]] الممثل بهم و أول أمر المؤمن بهم و آخره ، و أذن هذا التحسر بأن هلاك المكذبين أمر لا بد منه ، دل عليه معجبا من عدم نظرهم لأنفسهم و مهددا للسامعين منهم ، و محذرا من آخر أمر الممثل بهم على وجه اندرج فيه جميع الأمم الماضية و الطوائف الخالية بقوله : ﴿ الم يروا ﴾ أى يعلم هؤلاء الذين تدعوهم علما هو كالرؤية بما صح عندهم من الأخبار و ما شاهدوه من الآثار : ﴿ كم اهلكنا ﴾ على ما لنا من العظمة ، و دل قوله : ﴿ قبلهم ﴾ - بكونه ظرفا لم يذكر فيه الجار - على أن المراد جميع الزمان الذى تقدمهم من آدم إلى زمانهم ، و إدخال الجار على المهلكين يدل على أن المراد بعضهم ، فرجع حاصل ذلك إلى أن المراد : انظروا[3] جميع ما مضى من الزمان هل عذب فيه قوم[4] عذاب الاستئصال إلا بسبب عصيان الرسل فقال : ﴿ من القرون ﴾ أى الكثيرة الشديدة الضخمة ، و القرن - قال البغوى[5] : أهل[6] كل عصر سموا[7] بذلك لاقترانهم فى الوجود ﴿ انهم ﴾ أى لأن القرون .

و لما كان المراد من رسول ليس واحدا[7] بعينه ، و كانت صيغة

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نظروا (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٧ (٥) من ظ و م و مد و المعالم ، و فى الأصل : اصل (٦) من ظ و م و مد و المعالم ، و فى الأصل : سوا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : واحد .

فعول

فعول كفعيل يستوى فيها[1] المذكر و المؤنث و الواحد و الجمع، أعاد الضمير للجمع[2] فقال: ﴿ اليهم ﴾ أى[3] إلى الرسل خاصة [4]من حيث كونهم رسلا[4] ﴿لا يرجعون ۝﴾ أى عن مذاهبهم الخبيثة، و يخصون الرسل بالاتباع فلا يتبعون غيرهم أصلا فى شىء من الأشياء الدينية أو[5] الدنيوية فاطردت[6] سنتنا و لن تجد لسنتنا تبديلا فى أنه كلما كذب قوم رسولهم ٥ أهلكناهم و نجينا رسولهم و من تبعه، أفلا يخاف هؤلاء أن نجريهم على تلك السنة القديمة القويمة[3] فـ" ان " تعليلية / على إرادة حذف لام العلة / ٣٥٤ كما هو معروف فى غير موضع، و ضمير " انهم " للرسل إليهم، و ضمير " اليهم " للرسل، لا يشك فى هذا من له ذوق سليم و طبع مستقيم، و التعبير بالمضارع للدلالة على إمهالهم و التأنى بهم[3] و الحلم عنهم مع تماديهم ١٠ فى العناد بتجديد عدم الرجوع، [و " يرجعون " -[7]] هنا نحو قوله تعالى " و لنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون " أى عن طرقهم[8] الفاسدة[9] - و هذا معنى الآية بغير شك، و ليس بشىء قول من قال: المعنى أن المهلكين لا يرجعون إلى الدنيا ليفيد الرد على من يقول بالرجعة لأن العرب ليست ممن يعتقد ذلك، و لو سلم لم يحسن، ١٥ لأن السياق ليس له، لم يتقدم عنهم غير الاستهزاء، فأنكر عليهم استهزاءهم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: فيه (٢) فى ظ و مد: جميع (٣) سقط من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من ظ و م ومد، و فى الأصل: « و » (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فاضطردت (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) فى ظ: طريقهم (٩) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها.

مع علمهم بأن الله تعالى أجرى سنته أن[1] من استهزأ بالرسل و خالف قولهم فلم يرجع إليه أهلكه ، اطرد ذلك من سنته و لم يتخلف فى أمة من الأمم كما وقع لقوم نوح و هود و من بعدهم ، لم يتخلف في واحدة [منهم -[2]] ، و كلهم تعرف العرب أخبارهم ، و ينظرون آثارهم ، و كذا ٥ يعرفون قصة موسى عليه السلام مع فرعون ، فالسياق للتهديد ، فصار المعنى : ألم ير[3] هؤلاء كثرة من أهلكنا ممن[4] قبلهم لمخالفتهم للرسل ، أفلا يخشون مثل ذلك فى مخالفتهم لرسولهم ؟ و ذلك موافق لقراءة الكسر التى نقلها البرهان السفاقسى عن ابن عباس رضى الله عنهما و غيره عن الحسن ، و قالوا : إنها استئنافية ، فهى على تقدير سؤال من كأنه قال : ١٠ لم أهلكهم ؟ و هذا كما إذا[5] شاع أن الوادى الفلانى ما سلكه أحد إلا أصيب ، يكون ذلك مانعا عن سلوكه ، و إن أراد ذلك أحد صح أن يقال له : ألم تر أنه ما سلكه أحد إلا هلك ، فيكون ذلك زاجرا له و رادا عن التمادى فيه ، لكون العلة فى الهلاك سلوكه فقط ، و ذلك أكف له من أن يقال له : ألم تر أن الناس يموتون و كثرة من مات ١٥ منهم و لم يرجع أحد منهم ، غير معلل ذلك بشىء من سلوك الوادى و لا غيره ، فان هذا أمر معلوم له ، غير مجدد فائدة ، و زيادة عدم الرجوع إلى الدنيا لا دخل لها فى العلية أيضا لأن ذلك معلوم عند المخاطبين بل

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بان (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الموادى .

هم قائلون بأعظم منه من أنه لاحياة بعد الموت لا[1] إلى الدنيا و لا إلى غيرها، و على تقدير التسليم فربما كان ذكر الرجوع للأموات أولى بأن يكون تهديدا، فان كل إنسان منهم يرجع حينئذ إلى ما فى يد غيره مما[2] كان مات عليه و يصير المتبوع بذلك تابعا أو يقع الحرب و تحصل الفتن، فأفاد ذلك أنه لايصلح[3] التهديد بعدم الرجوع - و الله ٥ الموفق للصواب[4].

و لما كان كثير[5] من أهل الجهل و ذوى الحمية و الأنفة لايبالون بالهلاك فى متابعة الهوى اعتمادا على أن موتة واحدة فى لحظة يسيرة أهون من حمل النفس على ما لا تريد، فيكون لهم فى كل حين موتات[6]، أخبر تعالى أن الأمر غير منقضٍ بالهلاك الدنيوى، بل هناك من الخزى ١٠ و الذل و الهوان و العقوبة و الإيلام ما لاينقضى أبدا فقال: ﴿و ان كل﴾ أى و إنهم كلهم، لايشذ منهم أحد، و زاد فى التأكيد[7] لمزيد تكذيبهم بقوله: ﴿لما﴾ و من شدد[8] «لما» فالمعنى عنده «و ما كل منهم إلا» و أشار إلى أنهم يأتون صاغرين راغمين فى حالة اجتماعهم كلهم فى الموقف / لاتناصر عندهم و لاتمانع، و ليس [9]أحد منهم[9] غائب بحال التخلف عن ١٥ / ٣٥٥

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الا (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: ما (٣) من ظ وم ومد، و فى الأصل: لايصح (٤) سقط من ظ و م و مد. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كثيرا (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: موتان (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التكذيب (٨) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩ - ٩) فى ظ و م و مد: منهم احد.

الانتصار عليه فقال: ﴿ جميع ﴾ و أشار إلى غرابة الهيئة التى يجتمعون عليها بقوله: ﴿ لدينا ﴾ و زاد فى العظمة بابرازه فى مظهرها، و عبر باسم الفاعل المأخوذ من المبنى للمفعول فقال [جامعا نظرا إلى معنى «كل» لأنه أدل على الجمع فى آن واحد و هو أدل على العظمة -[1]]:

٥ ﴿محضرون﴾ أى فى يوم القيامة بعد بعثهم بأعيانهم كما كانوا فى الدنيا سواء، إشارة إلى أن هذا الجمع على كراهة منهم و إلى أنه أمر ثابت لازم دائم، كأنه لعظيم ثباته لم يزل، و أنه لا بد منه، و لا حيلة فى التفصى[2] عنه، و أنه يسير لا توقف له على غير الإذن، فاذا أذن فعله كل من يؤمر[3] به من الجنود كائنا من كان، و ما أحسن ما

١٠ قال القائل:

و لو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت راحة كل حى
و لكنا إذا متنا بعثنا و نسأل بعدها عن كل شى

و لما أتم ضرب المثل المفيد لتمام قدرته على الأفعال الهائلة ببشارة و نذارة حتى أن من طبع على قلبه فهو لا يؤمن و إن[4] كان قريبا فى[5]

١٥ النسب و الدار، و من أسكن قلبه الخشية يؤمن و إن شط به النسب و المزار، فتم[6] التعريف [7]بالقسم المقصود[7] بالذات و هو من يتبع [الذكر -[1]]،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التفضى. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يامر (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لما (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: ختم (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالمقصود.

و ختم بالبعث و كانوا له منكرين ، و كان قد جعله[١] فى صدر الكلام من تمام بشارة من اتبع الذكر[٢] ، دل عليه [بقوله -[٣]] مبتدئا بنكرة تنوينها[٤] دال على تعظيمها : ﴿ و اية ﴾ أى [علامة -[٥]] عظيمة ﴿ لهم[٦] ﴾ على قدرتنا[٧] على البعث و إيجادنا له ﴿ الارض ﴾ أى هذا الجنس الذى هم منه[٨] ؛ ثم وصفها بما حقق وجه الشبه فقال : ﴿ الميتة ﴾ ٥ التى [لا روح لها لانه -[٩]] لا نبات بها أعم من أن يكون بها نبات و فى فتفتت[٩] و صار ترابا أو لم يكن بها[١٠] شىء أصلا . ثم استأنف بيان كونها[١١] آية بقوله : ﴿ احييناها ﴾ أى باختراع النبات فيها أو باعادته بسبب المطر كما كان بعد اضمحلاله .

و لما كان إخراج الأقوات نعمة أخرى قال[١٢] : ﴿ و اخرجنا منها حبا ﴾ ١٠ و نبه تعالى على عظيم القدرة [فيها -[١٣]] و على عموم نفعها بمظهر العظمة ، و زاد فى التنبيه بالتذكير بأن الحب معظم ما يقيم الحيوان فقال مقدما للجار إشارة إلى عد غيره بالنسبة إليه عدما لعظيم وقعه و عموم نفعه

(١) زيد فى ظ : له (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تنويها (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى الأصل و م ، اى علامة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القدرة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيه (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلفتت . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : به (١١) من م و مد ، و فى الأصل : كونه ، و الكلمة ساقطة من ظ (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : فقال . (١٣) زيد من م و مد .

بدليل أنه متى قل جاء القحط و وقع الضرر : ﴿ فمنه ﴾ [أى بسبب هـذا الإخراج -[1]] ﴿ يأكلون ﴾ أى فهو حب حقيقة يعلمون ذلك علم اليقين و عين اليقين و حق اليقين[2] لايقدرون على أن يدعوا أن ذلك خيال سحرى بوجه ، و فى هذه الآية و أمثالها حث عظيم على تدبر[3] القرآن و استخراج ما فيه من المعانى الدالة على جلال الله و كماله ، و قد أنشد هنا[4] الأستاذ أبو القاسم القشيرى رحمه الله فى تفسيره فى عيب من أهمل ذلك فقال[5] :

يا من تصدر[6] فى دست الإمامة[7] فى مسائل الفقـــه إملاء و تدريسا
غفلت عن حجج التوحيد تحكمها شيدت فرعا و ما مهدت تأسيسا

و لما ذكر سبحانه ما فى الزروع[8] و ما لاساق له من النعمة و القدرة ، و دل السياق فيه على الحصر ، أتبعه ما بين أن المراد التعظيم لا الحصر الحقيقى باظهار المنة فى غيره من الأشجار الكبار و الصغار ذات الأقوات[9] و الفواكه ، فقال دالا على عظمه بمظهر / العظمة : ﴿ و جعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ فيها ﴾ أى الأرض ﴿ جنت ﴾ أى بساتين تستر داخلها[10] بما فيها من الأشجار الملتفة . و لما كان النخل - مع ما فيه من النفع - زينة دائما بكونه[11] لا يسقط ورقه ، قدمه و سماه باسمه فقال :

/٣٥٦

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تدبير (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ها (٥) ليس فى ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قصدو (٧) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الامة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المزروع (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاموات (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دانيها (١١) من م ، و فى الأصل : بكون ، و فى مد : لكونه ، و الكلمة ساقطة من ظ .

﴿من نخيل﴾ [و فيه أيضا إشارة إلى أنه نفع كله خشبه و ليفه و شعبه و خوصه و عراجينه و ثمره طلعا و جمارا و بسرا و رطبا و تمرا، و لذلك - و الله أعلم - أتى فيه بصيغة جمع الكثرة كالعيون -[1]]، و لما كان الكرم لا تكون له زينة بأوراق تجن إلا ما كان العنب قائما قال: ﴿و اعناب﴾ و دل بالجمع فيهما دون الحب على كثرة اختلاف الأصناف فى النوع الواحد الموجب للتفاوت الظاهر فى القدر[2] و الطعم و غير ذلك.

و لما [كانت الجنات لا تصلح إلا بالماء -[1]]، وكان من طبع الماء الغور[3] فى التراب و الرسوب بشدة السريان إلى أسفل، فكان فورانه إلى جهة العلو أمرا باهرا للعقل لا يكون إلا بقسر قاسر حكيم قال: ﴿و فجرنا﴾ أى فتحنا تفتيحا عظيما ﴿فيها﴾ و دل على تناهى عظمته و تعاليها عن أن يحاط بشىء منها بالتبعيض بقوله: ﴿من العيون﴾[4] [و التعريف هنا يدل على أن الأرض مركبة على الماء، فكل موضع منها صالح لأن ينفجر منه الماء، و لكن الله يمنعه عن بعض المواضع بخلاف الأشجار ليس منها شىء غالبا على الأرض -[1]]، ففى[4] ذلك تذكير بالنعمة فى حبس الماء عن بعض الأرض لتكون موضعا للسكن، و لو شاء لفجر الأرض كلها [5]عيونا كما فعل بقوم نوح عليه السلام فأغرق الأرض كلها[5].

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القدرة (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: الفور (٤) من ظ و مد، و فى الأصل و م: و فى (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.

[١]و لما كانت حياة كل شيء إنما هي بالماء، أشار[١] إلى ذلك بقوله: ﴿ لياكلوا من ﴾ [و أشارت قراءة حمزة و الكسائي[٢] بصيغة الجمع مع إفراد الضمير إلى أن الشجرة الواحدة تجمع بالتطعيم أصنافا من الثمر -[٣]] ﴿ثمره[٤]﴾ أي من ثمر ما تقدم، و لولا الماء لما طلع، و لو لا أنه بكثرة لما أثمر بعد الطلوع.

و لما كان الإنسان قد يتسبب[٥] في تربية بعض الأشياء، أبطل سبحانه الأسباب فيما يمكن أن يدعو فيه[٥] تسببا، و نبه على أن الكل بخلقه فقال: ﴿و ما عملته﴾ أي و لم تعمل شيئا من ذلك ﴿ايديهم[٦]﴾ [[٦] أي عملا ضعيفا[٦] - بما أشار إليه تأنيث الفعل فكيف بما فوقه و إن تظافروا على ذلك بما أشار إليه جمع اليد -[٣]]. و لما كان السياق ظاهرا في هذا جاءت قراءة حمزة و الكسائي و حفص[٢] عن عاصم بحذف الضمير غير منوي قصرا للفعل تعميما للمفعول ردا لجميع الأمور إلى بارئها سواء كانت بسبب أو بغير سبب، أي و لم يكن لأيديهم عمل لشيء[٧] من الأشياء لا لهذا [٨]و لا لغيره مما[٨] له مدخل في عيشهم و من غيره، و لذلك حسن [كل -[٩]] الحسن إنكاره عليهم عدم الشكر بقوله: ﴿ا فلا يشكرون ه﴾ أي يدأبون دائما في إيقاع الشكر و الدوام على تجديده في كل حين [بسبب هذه النعم الكبار -[٣]].

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) راجع نثر المرجان ٥ /٥٦٩ (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: تسبب (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: به (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: بشيء (٨ - ٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: هذا و لا غيره فا (٩) زيد من ظ و م و مد.

و لما كان السياق لإثبات الوحدانية و الإعلام بأن ما عبد من دونه لا استحقاق له فى ذلك بوجه، و لا نفع بيده و لا ضر، و أنتج هذا السياق - بما دل عليه من تفرده [بكل كمال -[1]] و أنـــه لا أمر لأحد معه بوجه من الوجوه[2] - تنزهه عما ادعوه من الشرك غاية التنزه، قال [لافتا للكلام عن مظهر العظمة لأن إثباتها بالرحمة الدال عليها أدخل فى التعظيم -[3]]: ٥ ﴿ سبحن الذى ﴾ و وصفه بما[4] أكد ما مضى من إسناد الأمور كلها إليه و نفى كل شىء منها عمن سواه فقال: ﴿ خلق الازواج ﴾ أى الأنواع المتشاكلة المتباينة فى الأوصاف و فى الطعوم و الأرايح و الأشكال و الهيئات و الطبائع و غير ذلك من أمور لايحصيها إلا الله تدل أعظم دلالة على كمال القدرة و عظيم الحكمة و الاختيار فى الإرادة، و أكد ١٠ بقوله: ﴿ كلها ﴾ لإفادة التعميم؛ ثم زاد الأمر تصريحا بالبيان بقوله: ﴿ مما تنبت الارض ﴾ فدخل فيه كل نجم و شجر و معدن وغيره من كل ما يتولد منها، [و أشار - لكونه فى سياق تكذيبهم - إلى تأديبهم بتحقيرهم بجمع القلة و التعبير بالنفس التى تطلق فى الغالب على ما يذم به فقال -[3]]: ﴿ و من انفسهم ﴾ و بين أن[5] وراء ذلك أمورا[6] لايعلمها ١٥ إلا هو سبحانه فقال: ﴿ و مما لايعلمون ﴾ أى و مما لايحتاجون [إليه -[1]]

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لما (٥) سقط من ظ (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: امور.

فى دينهم و لادنياهم ، و لا توقف لشىء من إصلاح المعاش و المعاد عليه ، و لو[1] كان ذلك لأعلم به كما أعلم باحوال الآخرة و غيرها مما لم نكن نعلمه .

و لما دربهم على النظر بآيات الأعيان الحسية الدالة على القدرة الباهرة / لاسيما على البعث ، رقاهم إلى المعانى على ذلك النحو ، فان إيجاد كل من الملوين بعد إعدامه أدل دليل على البعث ، فقال ناقلا[2] لهم من المكان الكلى إلى الزمان الكلى الجامعين للجواهر و الأعراض : ﴿و آية لهم﴾ [أى -[3]] على إعادة الشىء بعد إفنائه[4] ﴿ الّيل[5] ﴾ أى الذى يشاهدونه لاشك عندهم فيه و لاحيلة بوجه فى رفعه ؛ ثم استأنف قوله : ﴿نسلخ﴾ [عائدا إلى مظهر العظمة دلالة على جلالة هذا الفعل بخصوصه -[5]] . و لما كان الأصل فى هذا الوجود الظلام ، و الضياء حادث ، و كان ضياؤه ليس خالصا ، عبر بـ « من » التى تصلح للملابسة مع التخلل فى الأجزاء فقال : ﴿ منه النهار ﴾ أى الذى كان مختلطا به بازالة الضوء[6] و كشفه عن حقيقة الليل ﴿ فاذا هم ﴾ بعد إزالتنا للنهار الذى سلخناه من الليل ﴿ مظلمون ﴾ أى داخلون فى الظلام بظهور الليل الذى كان الضياء ساترا له كما يستر الجلد الشاة[7] . قال الماوردى : و ذلك أن ضوء النهار

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قافلا (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فنايه (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الوصف (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النساء - كذا .

يتداخل فى الهواء فيضىء فاذا خرج منه أظلم - نقله ابن الجوزى عنه ، و قد أرشد السياق حتما إلى أن التقدير : و النهار نسلخ منه الليل الذى كان ساتره و غالبا عليه فاذا هم مبصرون .

و لما ذكر الوقتين ، ذكر آيتيهما فقال : ﴿ و الشمس ﴾ أى التى سلخ[1] النهار من الليل بغيبوبتها ﴿ تجرى ﴾ و لما كان غيابها بالليل مثل ٥ سكون الإنسان فى مبيته ، و جعلها على خط قدر لسيرها كل يوم بتقدير لا زيغ فيه و منهاج لا يعوج ، قال : ﴿ لمستقر ﴾ [2]أى عظيم[2] ﴿ لها[4] ﴾ و هو السير الذى لا تعدوه[3] جنوبا و لا شمالا ذاهبة و آئبة[4] ، و هى فيه مسرعة - بدليل التعبير باللام فى موضع « إلى » و يدل على هذا قراءة « لامستقرلها » بل هى جارية أبدا إلى انقراض الدنيا [فى موضع مكين محكم هو أهل ١٠ للقرار ، و عبر به مع أنها لا تستقر ما دام هذا الكون لئلا يتوهم أن دوام حركتها لأجل أن موضع جريها لا يمكن الاستقرار عليه - [5]] ، و لا ينافى هذا ما فى صحيح البخارى و فى كتاب الإيمان من صحيح مسلم[6] عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : مستقرها تحت العرش ، و أنها تذهب فتستأذن فى السجود فيؤذن لها و كأنها قد[7] ١٥ قيل لها : ارجعى من حيث جئت ، فتطلع من مغربها - هذا لفظ مسلم ،

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : تسلخ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لايعدونه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : آتية (٥) زيد من ظ و مد (٦) باب بيان الزمن الذى لا يقبل فيه الإيمان ١ / ٨٨ (٧) من ظ و م و مد و صحيح مسلم ، و فى الأصل : مذ .

وسيأتى لفظ البخارى ، و يمكن أن يكون المستقر آخر جريها عند إبادة[1] هذا الوجود .

و لما كان هذا الجرى على نظام لايختل على مر السنين و تعاقب الأحقاب تكل الأوهام عن استخراجه ، و تتحير الأفهام فى[2] استنباطه ، عظمه بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر الباهر للعقول ؛ و زاد فى عظمه بصيغة التفعيل فى قوله : ﴿ تقدير ﴾ و أكد ذلك [لافتا القول عن مطلق مظهر العظمة إلى تخصيصه -[3]] بصفتى العزة و العلم [تعظيما لهذه الآية تنبيها على أنها أكبر آيات السماء -[3]] فقال : ﴿ العزيز ﴾ أى الذى لايقدر أحد فى شىء من أمره[4] على نوع مغالبة ، و هو غالب على كل شىء ﴿ العليم ﴾ أى[5] المحيط علما[5] بكل شىء[6] الذى يدبر الأمر ، فيطرد على نظام عجيب[7] و نهج بديع لايعتريه وهن و لا يلحقه يوما نوع خلل إلى أن[8] يريد سبحانه إبادة[1] هذا الكون فتسكن حركاته و تفنى موجوداته ، روى البخارى[9] عن أبى ذر رضى الله عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه و سلم فى المسجد عند غروب الشمس فقال : يا أبا ذر ! أتدرى أين تذهب ؟ قال : قلت : الله و رسوله أعلم ، قال : فانها تذهب حتى تسجد

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انارة (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عن (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امر . (٥) سقط من ظ (٦) زيد فى ظ : اى (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عظيم نجيب (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٩) راجع أبواب التوحيد ٢ / ١١٠٤ و راجع أيضا أبواب التفسير .

تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، و يوشك أن تسجد فلا يقبل منها و تستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعى من حيث جئت، فذلك قوله تعالى "و الشمس تجرى لمستقر لها".

/ ولما ذكر آية النهار، أتبعها آية الليل فقال: ﴿ و القمر ﴾ /٣٥٨
[و معناه فى قراءة ابن كثير و نافع و أبى عمرو و روح عن يعقوب ٥
بالرفع[1]: يجرى لمستقر له، و نصبه الباقون دلالة على عظمة هذا الجرى لسرعته بقطعه فى شهر ما تقطعه الشمس فى سنة، و لذلك ضعف الفعل المفسر للناصب و أعمله فى ضمير القمر ليكون مذكورا مرتين فيدل على شدة العناية تنبيها على تعظيم الفعل فيه، و أعاد مظهر العظمة فقال مستأنفا فى قراءة الرفع - [2]]: ﴿ قدرنه ﴾ أى قسناه قياسا عظيما أى ١٠
قسنا لسيره[3] ﴿منازل﴾ ثمانية و عشرين، ثم يستسر ليلتين[4]: عند التمام و ليلة للنقصان[5] لايقدر يوما أن يتعداه[6]، قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى: يبعد عن الشمس و لا يزال يتباعد حتى يعود بدرا، ثم يدنو فكلما ازداد من الشمس دنوا ازداد فى نفسه نقصانا إلى أن يتلاشى.
﴿ حتى عاد﴾ أى بعد أن كان بدرا عظيما ﴿ كالعرجون ﴾ من النخل ١٥
و هو عود العذق ما[7] بين شماريخه[8] إلى منتهاه و هو منبته[9] من النخلة

(١) راجع نثر المرجان ٥/٥٧٢ (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: لمسيره (٤) زيد فى الأصل و ظ: ليلة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عند النقصان. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تتعداه (٧) فى م: مما (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شمارخه (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مبت.

دقيقا منحنيا ، و هو فعلول[1] ذكره أهل اللغة فى النون و قالوا : عرجن الثوب : صور فيه [صور - [2]] العراجين ، و قال المفسرون : إنه من عرج ، أى[3] اعوج . و لما كانت حمرته آخذة إلى صفرة قال : ﴿القديم ٥﴾ أى المحول ، فان العرجون إذا طال مكثه صار كذلك ، فدق و انحنى و اصفر .

و لما تقرر أن لكل منهما منازل لا يعدوها ، فلا يغلب ما هو آيته ما هو آية الآخر ، بل إذا جاء سلطان هذا ذهب ذاك ، و إذا جاء [ذاك - [4]] ذهب هذا ، فاذا اجتمعا قامت الساعة ، تحرر أن نتيجة هذه القضايا : ﴿لا الشمس﴾ أى التى هى آية النهار ﴿ينبغى لها﴾ أى ما دام هذا الكون موجودا على هذا الترتيب ﴿ ان تدرك ﴾ أى لأن حركتها بطيئة ﴿ القمر ﴾ أى فتطمسه بالكلية ، فما النهار سابق الليل ﴿ و لا الليل سابق النهار[5] ﴾ أى حتى ينبغى للقمر مع سرعة سيره أن يدرك الشمس و يغلبها [فلا يوجد نهار أصلا ، و لو قيل : يستبق ، لاختل المعنى لإيهامه أنه لا يتقدمه أصلا - [2]] ، فالآية من الاحتباك : نفى أولا إدراك الشمس لقوتها دليلا على ما حذف من الثانية من نفى إدراك القمر للشمس[5] ، و ذكر ثانيا سبق الليل النهار لما له من القوة

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فعول ، و العبارة من بعده إلى « المفسرون إنه » ساقطة من م (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : إذا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من ظ .

بما[1] يعرض من النهار فيغشيه دليلا على حذف سبق النهار الليل أولا ﴿و كل﴾ أى من المذكورات حقيقة و مجازا ﴿فى فلك﴾ [محيط به -[2]]، و لما ذكر لها فعل العقلاء، [و كان على نظام محرر لا يختل، و سير مقدر لا يعوج و لا ينحل، فكان منزها عن آفة تلحقه، أو ملل يطرقه، عبر بما تدوز مادته على القدرة و الشدة و الاتساع -[2]] فقال[3]، [آتيا بضمير العقلاء جامعا لأنه أدل على تسخيرهم كلهم دائما -[2]]: ﴿يسبحون﴾ حثا على تدبر ما فيها من الآيات التى غفل عنها - لشدة الإلف لها - الجاهلون.

و لما ذكر ما حد له حدودا فى السباحة فى وجه الفلك لو تعداها لاختل النظام، ذكر ما [4]هيأه من الفلك للسباحة[4] على وجه الماء الذى طبق الأرض فى زمن نوح عليه السلام حتى كانت كالسماء، و لو تعدت[5] السفينة ما حد لها سبحانه من المنازل فنفذت[6] إلى بحر الظلمات لفسد الشأن، و كانوا فيها كأنهم فى الأرض؛ [7]و بسيرها[7] كأنهم يخترقون الجبال و الفيافى و القفار - كل ذلك تذكيرا بأيام الله، و تنبيها على استدرار نعمه، و تحذيرا من سطواته و نقمه، و منا [8]عليهم بما[8] يسر لهم من سلوك البحر و التوصل به إلى جليل المنافع فقال: ﴿و آية لهم﴾ [أى -[9]]

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لما (٢) زيد من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: قال (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هيا للفلك من السابحة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تعدان (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فتعدت (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٨-٨) فى ظ: على ما (٩) زيد من ظ و م و مد.

على قدرتنا التامة و علمنا الشامل ﴿ انا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ حملنا ﴾ .

[و لما كان -[1]] من قبل[2] نوح عليه السلام من أصول البشر لم يحملوا فى الفلك، عدل عن التعبير بالضمير و الآباء إلى قوله: ﴿ذريتهم﴾ أى ذرية البشر التى ذرأناها و ذروناها و ذررناها حتى ملأنا بها الأرض من ذلك الوقت إلى آخر الدهر، [و لهذا التكثير المفهوم من هذا الاشتقاق البليغ اعتنى ابن كثير و أبو عمرو و الكوفيون فقرأوا بالإفراد[3]، و زادت فى الإيضاح قراءة الباقين بالجمع -[4]]، بعضهم ظاهرا و بعضهم فى ظهر ابيه ﴿فى الفلك﴾ [عرفه لشهرته بين جميع الناس -[4]] ﴿ المشحون ﴾ [أى -[5]] الموقر المملوء حيوانا و زادا، و هو يتقلب فى تلك المياه التى لم ير قط مثلها و لا يرى أبدا، و مع ذلك فسلمه[6] الله .

و لما كانت [هذه -[5]] الآية لم تنقطع بل عم سبحانه بنفعها قال: ﴿و خلقنا ﴾ أى بعظمتنا الباهرة ﴿ لهم من مثله ﴾ أى من مثل ذلك الفلك من الإبل و الفلك ﴿ ما يركبون ﴾ أى مستمرين على ذلك على سبيل التجدد ليقصدوا منافعهم، و لو شئنا لمنعنا ذلك .

و لما كان قد أنجى سبحانه آباءنا حين حمله فى ذلك الماء الذى لم يكن مثله قط، و كان ربما ظن أن[7] الإنجاء لسر[8] من الأسرار غير

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : قبيل .
(٣) راجع نثر المرجان ٥ / ٥٧٣ (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من م و مد .
(٦) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م ومد، و فى الأصل : ليس .

إرادته ، جعل [أمر -[1]] ما خلق من مثله تارة و تارة ليعرف أن ذلك إنما هو بصنعه فتشكر نعمته أولا و آخرا فقال : ﴿و ان نشا﴾ أى لأجل ما لنا من القوة الشاملة ﴿نغرقهم﴾ أى مع أن هذا الماء الذى يركبونه لايعشر[2] ذلك الذى حملنا فيه آباءهم ﴿ فلا صريخ لهم ﴾ أى مغيث[3] ينجيهم مما نريد[4] بهم من الغرق ﴿و لا هم﴾ أى بأنفسهم من غير صريخ ٥ ﴿ ينقذون ۝ ﴾ أى يكون لهم إنقاذ أى خلاص بأنفسهم أو غيرها .

و لما كان هو سبحانه يصرخ من يشاء فينجيه و كانت «لا» نافية نفيا مستغرقا[5]، استثنى ما كان منه سبحانه فقال : ﴿الا رحمة﴾ [أى -[1]] إلا نحن فنتقدم إن شئنا رحمة ﴿منا﴾ أى لهم ، لا وجوبا علينا ، و لا لمنفعة تعود منهم إلينا ﴿ و متاعا ﴾ أى لهم ﴿ الى حين ۝ ﴾ أى و هو حين انقضاء آجالهم . ١٠

و لما كان هذا الحال معلوما لهم لا ينازعون فيه بوجه ، بل إذا وقعوا فيه أخلصوا الدعاء و أمروا به و خلعوا الأنداد ، وكان علم ذلك موجبا لصاحبه أن لايغفل عن القادر عليه وقتا ما ، بل لايفتر عن شكره خوفا من مكره ، وكان العاقل إذا ذكر بامر[6] فعلمه يقينا كان جديرا بأن يقبله ، فاذا لم يقبله و خوف [عاقبته -[7]] بأمر محتمل جد فى الاحتراز ١٥ منه ، عجب منهم فى إعراضهم عنه سبحانه مع قيام الأدلة القاطعة على

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى ظ و مد : لايعسر (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مغيب (٤) من م و مد ، و فى الأصل : يزيد (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بأمره (٧) زيد من م و مد .

وحدانيته [١]و أنه[١] قادر على ما يريد من [٢]عذاب و ثواب[٢]، و إقبالهم على ما لاينفعهم بوجه، فقال: ﴿و اذا قيل﴾ [أى -[٣]] من أىّ قائل كان ﴿لهم اتقوا﴾ أى خافوا خوفا عظيما تعالجون فيه أنفسكم ﴿ما بين ايديكم﴾ أى بما يمكن أن تقعوا فيه من العثرات المهلكة فى الدارين ﴿و ما خلفكم[٤]﴾ أى ما فرطتم فيه و لم تجاروا[٥] به و لابد[٦] من المحاسبة عليه لأن الله الذى خلقكم أحكم الحاكمين ﴿لعلكم ترحمون ه﴾ أى تعاملون معاملة المرحوم بالإكرام .

و لما كان التقدير : أعرضوا لأن الإعراض [قد -[١]] صار لهم خلقا لايقدرون على الانفكاك من أسره، عطف عليه قوله إشارة إليه : ﴿و ما تاتيهم﴾ و عمم[٧] بقوله : ﴿من اية﴾ و بين بقوله : ﴿من ايت﴾ [و لفت الكلام للتذكير بالإنعام تكذيبا لهم فى أنهم أشكر الناس للنعم فقال - [٨]] : ﴿ربهم﴾ أى المحسن إليهم ﴿الا كانوا عنها﴾ أى مع كونها من عند من غمرهم إحسانه و عمهم فضله و امتنانه ﴿معرضين ه﴾ أى دائما إعراضهم .

و لما كانت الرحمة بالرزق و النصر إنما تنال بالرحمة للضعفاء، هل ترزقون و تنصرون إلا بضعفائكم، «انما يرحم الله من عباده الرحماء»

(١-١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فانه (٢-٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل : ثواب و عقاب (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد والقرآن الكريم، و فى الأصل و ظ : خلفهم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لم تجاهدوا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عم . (٨) زيد من ظ و مد .

وكان الإنفاق خلق المؤمنين ، قال مبينا أنهم انسلخوا عن الإنسانية جملة فلا يخافون ما يجوز وقوعه من العذاب ، و لايرجون ما يجوز حلوله من الثواب : ﴿و اذا قيل لهم[1]﴾ أى من أىّ قائل كان : ﴿ انفقوا ﴾ أى على من لا شىء له ، شكرا لله على ما أنجاكم منه و نفعكم به بنفع خلقه الذين هم عياله ، و بين أنهم يبخلون بما لاصنع لهم فيه و لم[2] تعمله أيديهم ٥ [بل ببعضه - [3]] فقال : ﴿ مما رزقكم ﴾ [و أظهر و لم يضمر إشارة إلى جلالة الرزق بجلالة معطيه ، و زاد فى تقريعهم بجعل ذلك الظاهر اسم الذات لأنه لاينبغى أن يكون عطاء العبد على قدر سيده فقال -[3]] : ﴿ الله[4] ﴾ [أى -[4]] الذى له جميع صفات الكمال ﴿ قال ﴾ [و أظهر تبكيتا لهم بالوصف الحامل لهم على البخل فقال -[3]] : ﴿ الذين كفروا ﴾ ١٠ أى ستروا و غطوا ما دلتهم عليه أنوار عقولهم من الخيرات ﴿للذين آمنوآ﴾ أى القائلين بذلك المعتقدين [له -[4]] سواء / كانوا هم القائلين لهم أو غيرهم ٣٦٠ / منكرين[5] عليهم استهزاء [6]بهم عادلين عما[6] اقتضى السؤال عن ذكر الإنفاق إلى ما يفيد التقريع بالفقر و الحاجة إلى الأكل[7] : ﴿ انطعم ﴾ [و عدلوا عن التعبير بالماضى لئلا يقلا لهم : قد تولى[8] سبحانه إطعامه من حين خلقه إلى الآن ، ١٥ فقالوا -[9]] : ﴿من لو يشآء﴾ [و أظهروا حدا له و مساعيه فقالوا -[3]] :

(١) وقع فى الأصل و م بعد « قائل كان » و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : لا (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد من ظ وم و مد .
(٥) فى م : مبكتين (٦-٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : عاذرين عنها (٧) العبارة من « بهم عادلين » إلى هنا ساقطة من م (٨) ليس واضحا فى مد (٩) زيد من مد.

﴿الله﴾ أى الذى له جميع العظمة كما زعمتم فى كل وقت يريده ﴿اطعمه﴾ أى لكنا[1] ننظره لا يشاء ذلك فانه لم يطعمهم لما نرى من فقرهم فنحن أيضا لا نشاء ذلك موافقة لمراد الله [فيه -[2]] فتركوا التأدب[3] مع الأمر[4] و أظهروا التأدب مع بعض الإرادة[5] المنهى عن الجرى معها و الاستسلام لها ، و ما كفاهم حتى قالوا لمن أرشدهم إلى الخير على طريق النتيجة لما تقدم: ﴿ان﴾ أى ما ﴿انتم الا فى ضلل﴾ [6] أى محيط بكم[6] ﴿مبين ٥﴾ أى فى غاية الظهور ، و ما دروا[7] أن الضلال إنما هو لهم لأنه سبحانه [إنما - [8]] جعل إطعام بعض خلقه بلا واسطة و بعضهم بواسطة امتحانا منه للطيع و العاصى و الشاكر و الكافر و الجزع و الصابر - و غير ذلك من حكمه .

و لما ذكر قلة خيرهم المستندة إلى تهكمهم باليوم الذى ذكروا به بالأمر بالاتقاء و التعليل بترجى الرحمة ، أتبعه حكاية استهزاء آخر منهم دال على عظيم جهلهم بتكذيبهم بما يوعدون على وجه التصريح بذلك اليوم و التصوير له بما لا يسع من له أدنى مسكة غير الانقياد له فقال : ﴿و يقولون﴾ أى عادة مستمرة مضمومة إلى ما تقدم مما يستلزم تكذيبهم ، [و زادوا بالتعبير بأداة القرب فى تقريعهم إشارة إلى أنكم زدتم علينا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كنا (٢) زيد من ظ و م ومد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التاديب (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الله لامر (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : الأراد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ردوا (٨) زيد من ظ .

فى التهديد به و التقريب له حتى ظن أنه مصبحنا أو ممسينا و لم نحس منه عينا و لا أثرا -[١]] : ﴿ متى هذا ﴾ و زادوا فى الاستهزاء بتسميته وعدا فقالوا : ﴿الوعد﴾ [أى -[٢]] الذى تهددوننا به تارة تلويحا و تارة تصريحا ، عجلوه لنا . [و ألهبوا و هيجوا زيادة فى التكذيب بقولهم -[١]] : ﴿ ان كنتم صدقين ﴾ و لما كان الحازم من لا يتهكم بشىء إلا إذا[٣] استعد له بما هو محقق الدفع[٤]، بين سفههم باتيانها[٥] بغتة و بأنه لا بد من وقوعها ، و أنها بحيث تملأ السماوات و الأرض ، فكأنه[٦] لا شىء فيهما غيرها[٧] بقوله : ﴿ ما ينظرون ﴾ أى [مما -[٢]] يوعدون ، و يجوز أن يكون بمعنى "ينتظرون" لأن استبطاءهم لها فى صورة الانتظار و إن أرادوا به الاستهزاء ، و جرد الفعل تقريبا لها لتحقق وقوعه ﴿ الا صيحة ﴾ و بين حقارة شأنهم و تمام قدرته بقوله : ﴿واحدة ﴾ و هى النفخة الأولى المميتة ، [و اقتصر فى تأكيد الوحدة على هذا بخلاف ما يأتى فى المحيية لأنهم لا ينكرون أصل الموت -[١]] ﴿ تاخذهم ﴾ أى تهلكهم ؛ و بين غرورهم بقوله : ﴿ و هم يخصمون ﴾ أى يختصمون]أى يتخاصمون -[٢]] فى معاملاتهم على غاية من الغفلة ، و لعله عبر بذلك إشارة بالإدغام اللازم[٨] عنه التشديد إلى تناهى الخصام باقامة أسبابه أعلاها و أدناها

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى الأصل بياض، ملأناه من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الوقع (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بايقانها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فكانوا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غيرهما (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : اللام ، و سقطت هذه الكلمة ـ مع الكلمتين التاليتين ـ من م .

إلى حد لا مزيد عليه ، لأن التاء معناه [1]عند أهل الله انتهاء[1] التسبيب[2] إلى أدناه ، و كل ذلك إشارة إلى أنهم فى وقت الصعق يكونون فى أعظم الأمان [منها - [3]] ، لأن إعراضهم عنها بلغ إلى غاية لامزيد عليها ، [4]و يشير الإدغام أيضا إلى أن خصومتهم فى غاية الخفاء -[5]] بالنسبة إلى الصيحة ، و إن بلغت الخصومة النهاية فى الشدة ، [و لم يقرأ أحد « يختصمون » بالإظهار إشارة إلى أنه لايقع فى ذلك الوقت خصومة كاملة حتى تكون ظاهرة بل تهلكهم الصيحة قبل استيفاء الحجج و إظهار الدلائل ، فمنها ما كان ابتدأ فيه أصحابه فأوجزوا - بما أشارت إليه قراءة حمزة باسكان الخاء وكسر الصاد مخففا ، و منها ما كان متوسطا و فيه خفاء و علو - بما أشار إليه تشديد الصاد مع اختلاس فتحة الخاء ، و منها ما هو كذلك و هو إلى الجلاء أقرب - بما أشار إليه إخلاص فتحة الخاء مع تشديد الصاد ، و أشار من قرأه كذلك مع كسر الخاء إلى التوسط مع الخفاء و السفول ، و الله أعلم -[5]] .

و لما كانت هذه هى النفخة المميتة ، سبب عنها[6] قوله : ﴿ فلا يستطيعون توصية ﴾ أى أن يوجدوا الوصية فى[7] شىء من

(١ - ١) ما بين الرقمين فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التسبب (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) العبارة من هنا إلى « فى الشدة » ساقطة من م (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عنه (٧) زيد بعده فى الأصل و ظ : أى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

الأشياء، و الاستفعال و التفعيل يدلان على[1] أن الموت ليس حين سماع أول الصوت بل عقبه من غير مهلة لتمام [2]أمر ما[2] . و لما كان ذلك ليس نصا فى نفى المشى قال: ﴿و لآ الىٓ اهلهم﴾ أى فضلا عن[3] غيرهم ﴿يرجعون ع﴾ بل يموت كل واحد فى مكانه حيث تفجأه الصيحة، [و ربما أفهم التعبير بـ «إلى» أنهم يريدون الرجوع فيخطون خطوة أو نحوها -[4]]، و فى الحديث[5] «ليقومن الساعة و قد نشر الرجلان ثوبهما[6] / بينهما فلا يبيعانه و لايطويانه، و لتقومن الساعة و قد رفع الرجل أكلته إلى فيه فلا يطعمها» . ٣٦١ /

و لما دل ذلك على الموت قطعا، عقبه[7] بالبعث، [و لذلك عبر فيه بالنفخ فانه معروف فى إفاضة الروح -[4]] فقال: ﴿و نفخ فى الصور﴾ أى الذى أخذتهم صيحته، و جهله إشارة إلى أنه لاتوقف له فى نفس الأمر على نافخ معين[8] ليكون عنه ما يريد سبحانه من الأثر[9]، بل من أذن [10]له الله[10] كائنا من كان تأثر عن[3] نفخه ما ذكر، و إن كنا[11]

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: إلى (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اوامرنا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٤) زيد من ظ و مد (٥) راجع صحيح البخارى أبواب الرقاق و الفتن (٦) من م و مد و الصحيح، و فى الأصل و ظ و نسخة الصحيح: ثوبيهما (٧) من ظ و م ومد، و فى الأصل: عقده (٨) من م ومد، و فى الأصل: متعين، و فى ظ: مىعن - كذا غير منقوطة (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الأمر. (١٠-١٠) من م و مد، و فى الأصل وظ: الله له (١١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: كان.

[نعلم أن -[1]] المأذون له إسرافيل عليه السلام .

و لما كان هذا النفخ سببا لقيامهم عنده سواء من غير تخلف ، عبر[2] سبحانه بما يدل على التعقب و التسبب و الفجاءة فقال : ﴿فاذا هم﴾ أى فى حين النفخ ﴿من الاجداث﴾ أى القبور المهيأة هى و من فيها لسماع ذلك النفخ ﴿الىٰ ربهم﴾ أى الذى أحسن إليهم [بالتربية و التهيئة لهذا البعث -[1]] فكفروا إحسانه ، لا إلى غيره ﴿ينسلون ٥﴾ أى يسرعون المشى مع تقارب[3] الخطى بقوة و نشاط ، فيا لها من قدرة شاملة و حكمة كاملة ، حيث كان صوت[4] واحد يحيى تارة و يميت أخرى ، كأنه ركب فيه من الأسرار أنه يكسب[5] كل شىء ضد ما [هو -[6]] عليه من حياة أو موت أو غشى أو إفاقة .

و لما تشوفت النفس إلى سماع[7] ما يقولون إذا عاينوا ما [كانوا -[6]] ينكرون ، استأنف قوله : ﴿قالوا﴾ [أى الذين هم من أهل الويل من عموم الذين قاموا بالنفخة و هم جميع من كان قد مات قبل ذلك -[1]] .

و لما كانوا عالمين بأن جزاء ما أسلفوا كل خزى ، أتبعوه قولهم [حاكيا سبحانه عبارتهم إذ ذاك لأنه أنكى لهم -[1]] : ﴿يـٰويلنا[8]﴾ أى ليس

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جر (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تفات (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موت (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يكتب (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) سقط من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل : ويلتنا .

بحضرتنا اليوم شيء ينادمنا إلا الويل، ثم استفهموا جريا على عادتهم في الغباوة فقالوا [مظهرين لضميرهم تخصيصا للويل بهم لأنهم في معرض الشك -[1]] : ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ عدوا مكانهم الذي كانوا به - مع ما كانوا فيه من عذاب البرزخ - مرقدا هنيئا بالنسبة إلى ما انكشف لهم أنهم لاقوه من العذاب الأكبر، [و وحدوه إشارة إلى أنهم على تكاثرهم و تباعدهم كانوا في القيام كنفس واحدة - [1]]، ثم تذكروا ما كانوا يحذرونه[2] من أن الله هو يبعثهم للجزاء الذي هو رحمة الملك لأهل مملكته، فقالوا مجيبين لأنفسهم استئنافا : ﴿هذا ما﴾ أي الوعد[3] الذي ﴿وعد﴾ أي به، [وحذفوا المفعول تعميما لأنهم الآن في حيز التصديق -[1]] ﴿الرحمن﴾ أي العام الرحمة الذي رحمانيته مقتضية و لابد للبعث لينصف المظلوم من ظالمه[4]، و يجازي كلا بعمله من غير حيف، و قد رحمنا بارسال الرسل إلينا بذلك، و طال ما أنذرونا حلوله، و حذرونا صعوبته و طوله. [و لما كان التقدير: فصدق *الرحمن، عطف عليه قوله*-[1]] : ﴿و صدق﴾ *أي في أمره* ﴿المرسلون ۝﴾ أي الذين أتونا بوعده و وعيده، فالله الذي تقدم وعده به و أرسل به رسله هو الذي بعثنا تصديقا[6] لوعده و رسله.

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل : يجحدونه (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل : البعث (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل : الظالم.
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد في الأصل و م : به، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها.

و لما كان الإخبار بالنفخ لاينفى التعدد، قال محقرا لأمر البعث بالنسبة إلى قدرته [مظهرا للعناية بتأكيد كونها واحدة بجعل الخبر عنه أصلا مستقلا بفضله عن النفخ و الإتيان فيه بفعل الكون و " إن " النافية لأدنى مظاهر مدخولها فكيف بما وراءه دون «ما» التى إنما تنفى التمام -١] :

٥ ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ كانت ﴾ أى النفخة التى وقع الإحياء بها [مطلق كون -١] ﴿ الا صيحة واحدة ﴾ أى كما كانت نفخة الإماتة واحدة ﴿ فاذا هم ﴾ أى فجاءة من غير توقف أصلا ﴿ جميع ﴾ أى على حالة الاجتماع، لم يتأخر منهم أحد، يتعللون به فى ترك الانتصار، و دوام الخضوع و الذل و الصغار. و لما كان ذلك على هيئات غريبة لايبلغ

١٠ كنهها العقول، قال [لافتا القول إلى مظهر العظمة معبرا بما للأمور الخاصة - ١] : ﴿ لدينا ﴾ و لما كان ذلك أمرا لا بد منه، و لا يمكن التخلف عنه، عبر بصيغة المفعول [و أكد معنى الاجتماع بالجمع نظرا إلى معنى جميع و لم يفرد اعتبارا للفظها لما ذكر من المعنى - ٢] فقال: ﴿ محضرون ٥ ﴾ أى بغاية الكراهة منهم لذلك[٣] بقادة تزجرهم و ساقة تقهرهم.

١٥ و لما كان [هذا -٤] الإحضار بسبب العدل و إظهار جميع صفات الكمال قال: ﴿ فاليوم ﴾ و لما كان نفى الظلم مطلقا أبلغ من نفيه عن أحد بعينه، و أدل على المراد و أوجز، قال [لافتا القول عن الإظهار أو الإضمار بمظهر العظمة أو غيره - ١] : ﴿ لاتظلم ﴾ [و لما كان التعبير

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كذلك (٤) زيد من ظ و م و مد.

بما كثر جعله محط الرذائل و الحظوظ و النقائص أدل على عموم نفى الظلم قال -[١]] : ﴿نفس﴾ أى أىّ نفس كانت مكروهة أو محبوبة ﴿شيئا﴾ أى لايقع لها ظلم ما[٢] من أحد ما فى شىء ما ٥ / [٣]و لما كانت المجازاة بالجنس أدل على القدرة و أدخل فى العدل، قال[٣] [محققا بالخطاب و الجمع أن المنفى ظلمه كل من يصلح للخطاب لئلا يقع فى وهم أن المنفى ظلمه نفوس مخصوصة أو نفس واحد -[٤]] : ﴿و لا تجزون﴾ أى على عمل من الأعمال شيئا من الجزاء من أحد ما ﴿الا ما كنتم تعملون ٥﴾ ديدنا لكم [٣]بما ركز[٣] فى جبلاتكم .

/ ٣٦٢

و لما قرر أن الجزاء من جنس العمل، شرع فى تفصيله، و بدأ بأشرف الحزبين [فى جواب من سأل عن هذا الجزاء -[١]] فقال مؤسفا[٥] لأهل الشقاء بالتذكير بالتأكيد بما كان لهم من الإنكار فى الدنيا و إظهارا للرغبة فى هذا القول و التبجح[٦] به لما له من عظيم الثمرة: ﴿ان اصحب الجنة﴾ أى الذين لا حظ للنار فيهم، [٧]و كرر التعبير باليوم تعظيما لشأنه و تهويلا لأمره على إثر نفختيه المميتة و المقيمة بذكر بعض ثمراته، و جعل من عظائم تأثيراته، فقال[٧]: ﴿اليوم﴾ أى يوم البعث، و هذا يدل على أنه يعجل دخولهم [٧]أو دخول بعضهم[٧] إليها [٧]و وقوف الباقين للشفاعة و نحوها من الكرامات[٧] عن دخول أهل النار النار، [و عبر بما يدل على أنهم

(١) زيد من ظ و مد (٢) سقط من ظ (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) زيد من مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : موسعا (٦) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م .

بكلياتهم مقبلون عليه و مظروفون له مع توجههم إليه فقال - [1] :
﴿ فى شغل ﴾ أى عظيم جدا لا تبلغ وصفه العقول كما كانوا فى الدنيا
فى أشغل الشغل بالمجاهدات فى الطاعات . و لما تاقت[2] النفوس[3] إلى
تفسير هذا الشغل قال : ﴿ فكهون ﴾ أى لهم عيش المتفكه ، و هو
٥ الأمن و النعمة و البسط و اللذة و تمام الراحة كما كانوا يرضوننا باجهاد
أنفسهم و إتعابها و إشقائها وإرهابها ، و قراءة أبى جعفر بحذف الألف
أبلغ لأنها تدور على دوام ذلك [لهم -[4]] و على أنهم فى أنفسهم فى
غاية ما يكون من خفة الروح و حسن الحديث .

و لما كانت النفس لا يتم سرورها إلا بالقرين الملائم قال : ﴿ هم ﴾
١٠ [5] أى بظواهرهم و بواطنهم[5] ﴿ و ازواجهم ﴾ أى أشكالهم الذين هم فى
غاية الملاءمة كما كانوا يتركونهم فى المضاجع على ألذ ما يكون ، و يصفون
أقدامهم فى خدمتنا و هم يبكون ﴿ فى ظلل ﴾ أى يجدون فيها [5] برد
الأكباد[5] و غاية المراد ، كما كانوا يشوون أكبادهم فى دار العمل بحر
الصيام ، و تجرع مرارات الأوام ، و الصبر فى مرضاتنا على الآلام ،
١٥ و يقرون أيديهم و قلوبهم عن الأموال ، ببذل الصدقات فى سبلنا على
مر الأيام و كر[6] الليال ، و قراءة حمزة و الكسائى[7] بضم الظاء و حذف

(١) زيد من مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كانت (٣) زيد فى الأصل : شائقة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : برد الأكبادهم (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كذا (٧) راجع نثر المرجان ٥ / ٥٨٣ .

الألف أبلغ لدلالتها - بما أشارت إليه الضمة - على أن الظل أكثف، و تدل تلك بدلالة الألف على أنه أشد امتدادا، و يدل اتفاقهما فى الجمع على أن الظل فيها مختلف باختلاف الأعمال [١].

و لما كان التمتع لا يكمل إلا مع العلو الممكن من زيادة العلم الموجب لارتياح النفس و بهجة العين بانفساح البصر [٢] عند مد النظر [٢]، قال: ٥ ﴿على[٣] الارآئك﴾ أى السرر المزينة العالية التى هى داخل الحجل، قال البغوى[٤]: قال ثعلب: لايكون أريكة حتى يكون عليها حجلة، و قال ابن جرير[٥]: الأرائك: الحجال فيها السرر، و روى ابو عبيد فى كتاب الفضائل عن الحسن[٦] قال: كنا لا ندرى ما الأرائك حتى لقينا رجلا من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها السرير. و هذا جزاء ١٠ لما كانوا يلزمون المساجد و يغضون الأبصار و يضعون نفوسهم لأجلنا ﴿متكئون﴾ كما كانوا يدأبون فى الأعمال قائمين بين أيدينا فى أغلب الأحوال، [٧]و الاتكاء[٧]: الميل على شق [مع الاعتماد -[٨]] على ما يريح الاعتماد عليه، أو الجلوس مع التكمن على هيئة المتربع[٩]، و قراءته / بضم ٣٦٣ /

(١) العبارة من « و قراءة حمزة » ص: ١٤٦ س ١٦ إلى هنا وقعت فى الأصل بعد « مد النظر » و الترتيب من ظ و م ومد (٢-٢) وقع ما بين الرقمين فى الأصل قبل « و لما كان التمتع » و الترتيب من ظ و م و مد (٣) سقط من الأصل فقط (٤) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٦ / ١٠ (٥) راجع جامع البيان ٢٣ / ١٣ (٦) ذكره مختصرا ابن جرير فى جامع البيان (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل وظ: فالاتكاء (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المتكى.

الكاف و حذف الهمزة أدل على التربع[1] و ما قاربه، و قراءة[2] كسر الكاف[2] و ضم الهمزة أدل على القرب من التمدد[3] لما فيها من الكسرة، فانه يقال كما نقله أبو عبد الله القزاز : اتكأت الرجل اتكاء - إذا وسدته أى جعلت له وسادة، أى محذة يستريح عليها .

٥ و لما قدم المعانى التى توجب أكل الفاكهة، أتى بها فقال : ﴿لهم﴾ [4]أى خاصة بهم[4] ﴿فيها فاكهة﴾ أى لا تنقطع أبدا، فلا مانع لهم من تناولها، و لا يوقف ذلك على غير الإرادة . و لما كانت الفاكهة قد تطلق على ما يلذذ، صرح بأن ذلك هو المراد، فقال معبرا بالعطف لتكون الفاكهة مذكورة مرتين خصوصا و عموما : ﴿و لهم﴾ [و لما كان

١٠ السياق لأصحاب الجنة الذين تفهم الصيحة أنهم فيها دائما و إن كانوا فى الدنيا، أعرى الكلام من الظرف ليفهم إجابة دعائهم فى الدنيا و إنا لتهم جميع مرادهم فى الدارين فقال - [5]] : ﴿ما يدعون صلى الله عليه وسلم﴾ أى الذى[6] يطلبون طلبا صادقا إما إخراجا لما قد يهجس فى النفس من غير عزم عليه إن كان المراد فى الجنة من غير كلام الله كالمآكل و المشارب

١٥ و نحوها، و إما إظهارا للاهتمام إن كان المراد أنه كلامه سبحانه، و ذلك

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : التقريع (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الكسر للكاف (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : التهدد . (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م : ما .

لأجل ما كانوا فى الدنيا يفطمون[1] أنفسهم عن الشهوات عزوفا عما يفنى، و طموحا إلى ما عندنا من الباقيات الصالحات، ثم فسر الذى يدعونه - أى يطلبونه - بغايــة الاشتياق إليه أو استأنف الإخبار عنه بقوله: ﴿سلٰم قف﴾ أى عظيم [جدا -[2]] لايكتنه وصفه، [3]عليكم يا أهل الجنة، كأن هو أو مقول هو[3]، و السلام يجمع جميع النعم، ثم بين حال هذا السلام بما أظهر من عظمه بقوله: ﴿قولا من رب﴾ أى دائم الإحسان ﴿رحيم ه﴾ [4]أى عظيم[4] الإكرام بما ترضاه الإلهية، كما كانوا فى الدنيا يفعلون كل ما[5] فيه الرضا، فيرحمهم فى حال السلام[6] و سماع الكلام بلذة الرؤية مع التقوية عن الدهش و الصعق لعظيم الأمر و بالتأهيل لهذا المقام الأكرم مع قصورهم عنه، و قد أوضح هذا السياق أنه من الله تعالى بلا واسطة، فانه أكده بالقول و حرف الابتداء، و ذكر صفات الإحسان كما قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى: و لا ارتياب فى أنه لا شىء يعدل هذا فى النعيم و قرة العين و الشرف و علو القدر، [و -[2]] لا شك أن هذا هو المقصود بالحقيقة، فهو قلب النعيم [فى ذلك اليوم -[2]] الذى هو قلب الوجود حقا خفاء[7] و صلاحا و فسادا، فصح أن هذه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يعظمون (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣-٣) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد «الدهش والصعق» والترتيب من ظ و م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دايم (٥) زيد فى ظ: كان (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاسلام (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حقا.

الآية قلب هذه السورة كما كانت هذه السورة قلب القرآن، و قد ورد حديث فى تفسير البغوى[1] و كتاب المائتين للأستاذ أبى عثمان الصابونى أنه من الله تعالى بلا واسطة عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: بينا أهل الجنة فى[2] نعيمهم إذ سطع لهم[3] نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، و ذلك قوله تعالى "سلٰم قولا من رب رحيم" فينظر إليهم و ينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شىء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم و يبقى نوره و بركته فى ديارهم. قال الأستاذ أبو عثمان: هذا حديث غريب الإسناد و المتن لا أعلم أنى كتبته إلا من / هذا الوجه. ٣٦٤ /

و لما كان التقدير: فانظروا وازدادوا حسرة أيها المجرمون، عطف عليه قوله: ﴿و امتازوا﴾ أى انفردوا انفرادا هو بغاية القصد، [4]و جرى على النمط الماضى من زيادة التهويل لذلك الموقف باعادة قوله[4]: ﴿اليوم﴾ أى عن عبادى الصالحين أو عمن بقى منهم معكم فى الموقف ليظهروا من أوضارهم[5]، و يشفوا من مضارهم. لأن غيبة الرقيب أتم النعيم، و إبعاد العدو أعلى السرور. [6]و حذف أداة النداء لا لقرب الكرامة بل للدلالة

(١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ١٠ (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد و المعالم، و فى الأصل: عليهم (٤- ٤) سقط ما بين الرقمين من م. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اوضاركم (٦) العبارة من هنا إلى «لاحائل دونهم» ص ١٥١ س ٢ ساقطة من م.

على أنهم فى القبضة لا مانع من غاية التصرف فيهم[1] لكل ما يراد لأنه لاحائل دونهم ﴿ايها المجرمون ٥﴾ أى العريقون فى الإجرام، فلا يقع فى أوهامكم أنكم تخالطونهم اليوم أصلا، و هذا كما كنتم تمتازون[2] عنهم فى الدنيا و تقاطعونهم ترفعا و استكبارا. فهذا قوله للمجرمين و ذلك[3] قوله للمؤمنين، فصح أنه قلب لأنه به صلاح بعض المكلفين و فساد الآخرين ٥ الذى هو تمام صلاح الأولين، و قد تقدم فى أوائل سورة الروم منام[4] ينفع استحضاره هنا.

و لما أمرهم بالامتياز أمرا إراديا حكميا، فامتازوا فى الحال، و أسروا الندامة و سقط فى أيديهم فعضوا[5] الأنامل، و صروا بالأسنان، و شخصت منهم الأبصار، و كلحت الوجوه، و تقلصت الشفاه[6]، و نكست الرؤس ١٠ و شحبت الألوان، و سحبوا على الوجوه، و كان من فنون[7] المساءة و شؤن الحسرة ما تعجز[8] عنه العقول، و تذوب من ذكره النفوس، و تنخلع القلوب، قال سبحانه موبخا لهم فى تلك الحال بهذا المقال[9] معللا حكمه عليهم بذلك بأنه لم يتركهم هملا [بل ركب فيهم -[10]] من العقول و نصب لهم من الدلائل على كماله ما هو كافٍ لهم فى النجاة ثم ما وكلهم ١٥

(١) من ظ و مد، و فى الاصل: بهم (٢) فى م: ممتازون (٣) فى ظ و م و مد: ذاك (٤) من م و مد، و فى الأصل: ما. و فى ظ: منافع (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: و عضوا (٦) من مد. و فى الأصل و ظ و م: الشفا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صورة (٨) فى ظ ومد: تقصر. (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المقام (١٠) زيد من ظ و مد.

إلى ذلك ، بل أرسل إليهم رسلا و أنزل عليهم كتبا[1] : ﴿ الم اعهد ﴾ أى أوصيكم إيصاء عظيما بما نصبت[2] من الأدلة ، و منحت من العقول ، و بعثت من الرسل ، و أنزلت من الكتب ، فى بيان الطريق الموصل إلى النجاة ، لافتا القول عن مظهر الإحسان إلى ما هو أولى بـه من مظهر التكلم بالوحـدة دفعا للبس ، ثم أشار إلى علوه و جلاله ، [3]و عظمه[3] و سمو كماله فقال : ﴿ اليكم ﴾ .

و لما كان المقصود بهذا الخطاب تقريعهم و توبيخهم و تبكيتهم ، و كانت هذه السورة القلب ، و كان القلب أشرف الأعضاء ، و كان الإنسان أشرف الموجودات ، خصه بالخطاب لأن خطابه خطاب للجن فقال مؤكدا ما أفهمه حرف[4] الغاية من علو رتبته و عظيم منزلته بما أشارت إليه أداة البعد : ﴿ يٰبنىٓ ءادم ﴾ أى فلم أخصكم [بذلك -[5]] عن أبناء غير[4] نوعكم ليكون ذلك[6] التخصيص حاملا[6] لكم على العصيان [7]بل ليكون[8] موجبا للطاعات و العرفان : ﴿ان لا تعبدوا الشيطٰن ج﴾ أى البعيد المحترق بطاعتكم له فيما[9] يوسوس لكم به ، ثم علل النهى عن عبادته[10] بما يقتضى

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كتابا (٢) زيد فى الأصل و م : لكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ . (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غير حامل (٧) العبارة من هنا إلى « و العرفان » ساقطة من م (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكون (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عبادة الشيطان .

شدة النفرة منه بعد أن لوّح إلى ذلك بوصفه فقال : ﴿ انه لكم ﴾ و التأكيد لأن أفعالهم أفعال من يعتقد صداقته ﴿عدو مبين﴾ أى ظاهر العداوة جدا من جهة عداوته لأبيكم العداوة التى أخرجتكم من الجنة التى لامنزل أشرف منها ، و من جهة أمره لكم بما[1] يبغض الدنيا من التخالف و التخاصم[2] ، / و من جهة تزيينه للفانى الذى لايرغب فيه عاقل لو لم ٣٥٦/ ٥ [يكن -[3]] فيه عيب غير فنائه ، فكيف إذا كان أكثره أكدارا و أدناسا و أوضارا ، فكيف إذا كان شاغلا عن الباقى ، فكيف إذا كان عائقا عن المولى ، فكيف إذا كان مغضبا له حاجبا عنه .

و لما بكتهم بالتذكير بما ارتكبوا مع النهى عن عبادة العدو تقديما لدرء[4] المفاسد ، وبخهم بالتذكير بما ضيعوا مع أخذ العهود من ١٠ واجب الأمر بعبادة الولى[5] فقال عاطفا على « ان لا » : ﴿و ان اعبدونى﴾ و لما ذكر سبحانه بالأمر بعبادته ، عرف بحسنها حثا على لزومها قبل ذلك اليوم قائلا : ﴿هذا﴾ أى[6] الأمر بعبادتى ﴿صراط مستقيم﴾ أى بليغ القوم ، و عبادة الشيطان صراط ضيق معوج غاية الضيق و العوج .

و لما كان التقدير : فاتبعتموه و سلكتم سبيله مع اعوجاجه ، و تركتم ١٥ سبيلى مع ظهور استقامته ، عطف عليه قوله : ﴿ و لقد اضل منكم ﴾ أى عن الطريق الواضح السوى بما سلطته به من الوسوسة ، و أكده

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٢) فى ظ و م و مد : الخصام .
(٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لدار (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المولى (٦) سقط من ظ .

إشارة إلى أنه أمر لا يكاد أن يصدق به لما يبعد ارتكابه فى العادة من [1]اتضاح أمره و ظهور فساده و ضره . و لما كان الآدمى شديد الشكيمة[1] عالى الهمة إذا أراد ، عبر بقوله : ﴿ جبلّا ﴾ أى أمما كبارا عظاما [كانوا -[2]] كالجبال فى قوة العزائم وصعوبة الانقياد ، و مع ٥ ذلك فكان يتلعب بهم تلعبا ، فسبحان من أقدره على ذلك و إلا فهو أضعف كيدا و أحقر أمرا ، قال فى القاموس : الجبل - بالضم : الشجر اليابس و الجماعة منا كالجبل كعنق و عدل و عتل و [3]طمر و طمرة[3] و أمير ، ثم قال : و بالكسر[4] و بالضم و كطمرة[5] : الأمة و الجماعة ، ثم قال : و الجبلة مثلثة و محركة و كطمرة[6] : الخلقة و الطبيعة . و دلت قراءة أبى عمرو و ابن ١٠ عامر بضم الجيم و إسكان الباء و تخفيف اللام[7] على الذين هم فى أول مراتب الشدة و القوة ، و قراءة ابن كثير و حمزة و الكسائى و رويس عن يعقوب بضمتين و تخفيف على ما فوق ذلك مما يقرب من الوسط مع الظهور و العلو [للضم من القوة -[2]] ، و قراءة روح كذلك مع تشديد اللام على نهاية الشدة و الجلاء[8] و القوة بما زادت[9] من التشديد ، و قراءة

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣ - ٣) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : طهر و طهر - كذا (٤) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : الكسر (٥) من م و مد و القاموس ، و فى الأصل و ظ : لظهره (٦) من ظ و م و مد و القاموس ، و فى الأصل : كطهرة (٧) راجع نثر المرجان ٥ / ٥٨٦ و ٥٨٧ (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجلادة (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : زاده .

الباقين بكسرتين و تشديد على ما فوق الوسط ـ بما أشارت إليه الحركات و التشديد ، لكنه مع خفاء ، و كأنه بالمكر بما[1] أشار إليه كون الحركتين بالكسر ، و عظم سبحانه [الأمر ـ[2]] بقوله : ﴿ كثيرا[4] ﴾ ثم زاد فى التوبيخ و الإنكار[3] بما أنتجه المقام و سببه إضلاله لهم مع ما أوتوا من العقول من قوله : ﴿ افلم ﴾ و لما كان سبحانه قد آتاهم عقولا و أى عقول ، عبر بالكون فقال : ﴿ تكونوا تعقلون ﴾ أى لتدلكم على ما فيه النجاة عقولكم بما نصبت من الأدلة ، مع ما نبهت عليه الرسل ، و حذرت منه من إهلاك الماضين ، بسبب اتباع الشياطين ، و غير ذلك من كل أمر واضح مبين .

و لما أنكر عليهم أن يفعلوا فعل من لاعقل له ، قال متمما للخزى : ﴿ هذه ﴾ إشارة لحاضر إما حال الوقوف على شفيرها أو الدع[5] فيها ﴿ جهنم ﴾ أى التى تستقبلكم بالعبوسة و التجهم كما كنتم تفعلون بعبادى الصالحين : ﴿ التى كنتم ﴾ أى [كونا ـ[2]] هيأتكم به لقبول ما يمكن كونه بما غرزته فيكم من العقول . و لما كان المحذور الإبعاد بها ، لا كونه من معين ، [قال ـ[4]] بانيا / للمفعول : ﴿ توعدون ﴾ أى إن لم ترجعوا عن غيكم ﴿ اصلوها ﴾ أى قاسوا حرها و توقدها و اضطرامها ، ٣٦٦ /

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انكار (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الدفع (٥) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و هوّل أمر ذلك اليوم باعادة ذكره على حد ما مضى فقال : ﴿اليوم﴾ لتكونوا فى شغل شاغل كما كان أصحاب الجنة ، و شتان ما بين الشغلين ﴿بما﴾ أى بسبب ما . و لما كانوا قد تجلدوا على الطغيان تجلد[1] من هو مجبول عليه ، بيّن ذلك بذكر الكون فقال : ﴿كنتم تكفرون ه﴾ أى تسترون ما هو ظاهر جدا بعقولكم من آياتى [مجددين ذلك مستمرين عليه - [2]] .

و لما كان كأنه قيل : [هل - [2]] يحكم فيهم[3] بعلمه أو يجرى الأمر على قاعدة الدنيا فى العمل بالبينة ، بين أنه على أظهر من قواعد الدنيا ، فقال [مهولا لليوم على النسق الماضى فى مظهر العظمة لأنه أليق بالتهويل - [2]] : ﴿ اليوم نختم ﴾ أى بما لنا من عجيب القدرة المنشعبة من العظمة ، [و لفت القول إلى الغيبة إيذانا بالإعراض لتناهى الغضب فقال - [4]] : ﴿ على[5] افواههم﴾ أى لاجترائهم على الكذب فى الأخرى[5] كما كان ديدنهم فى الدنيا ، [و كان الروغان و الكذب و الفساد إنما يكون باللسان المعرب عن القلب ، و أما بقية الجوارح فهما خرق العادة باقدارها على الكلام لم تنطق إلا بالحق فلذلك قال - [2]] : ﴿و تكلمنآ ايديهم﴾ أى بما عملوا إقرارا هو أعظم شهادة ﴿و تشهد ارجلهم﴾

(١) زيد فى الأصل : مع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل : بعدله و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الآخرة .

أى عليهم بكلام بين هو مع كونه شهادة إقرار ﴿ بما كانوا ﴾ أى فى الدنيا بجبلاتهم ﴿يكسبون ٥﴾ فالآية من الاحتباك : أثبت الكلام للأيدى أولا لأنها كانت مباشرة دليلا على حذفه[1] من حيز[2] الأرجل ثانيا، و أثبت الشهادة للأرجل ثانيا لأنها كانت حاضرة دليلا على حذفها من حيز[2] الأيدى أولا ، و بقرينة[3] أن قول المباشر إقرار و قول الحاضر ٥ شهادة ، روى مسلم فى صحيحه[4] عن أنس رضى الله عنه قال : يقول العبد : يا رب ! ألم تجرنى من الظلم ، قال : فيقول : بلى ، [فيقول -[5]] : فانى لا أجيز على نفسى إلا شاهدا [منى -[5]] ، فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا ، و بالكرام الكاتبين شهودا ، فيختم على فيه و يقال لأركانه : انطقى ، فتنطق بأعماله ، ثم يخلى بينه و بين الكلام فيقول : ١٠ بعدا لكن و سحقا فعنكن كنت أناضل . و الظاهر أن السر فى الختم على فيه منعه من أن يلغط حال شهادتها عليه لئلا يسمع قولها ، كما هو دأب أهل العناد عند الخصام .

و لما أتم بضرب المثل و ما بعده الدلالة على مضمون آية " انما تنذر من اتبع الذكر " و ما عللت به من إحياء الموتى ، و دل على ذلك ١٥ بما تركه كالشمس ليس فيه لبس ، و زاد من بحور الفوائد و جميل[6] العوائد ما ملأ الأكوان من موجبات الإيمان ، و ذكر ما فى فريق

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حذفها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خبر (٣) فى ظ و م و مد : تقريبه (٤) راجع ٢/٤٠٩ (٥) زيد من ظ و م و مد و صحيح مسلم (٦) فى ظ : جميع .

المتبعين و الممتنعين يوم البعث ، و ختم بالختم على الأفواه بعد[1] البعث ، أتبعه آية الختم بالطمس و المسخ قبل الموت تهديدا عطفا على ما رجع إليه المعنى مما قبل[2] أول ذلك الخطاب من قوله " انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا " الآية ، دفعا لما ربما وقع فى وهم أحد[3] أن القدرة لا تتوجه إلى غير الطمس فى المعانى بضرب السد و ما فى معناه ، فاخبر أنه كما أعمى البصائر قادر على إذهاب الأبصار ، فقال مؤكدا لما لهم من الإنكار أو[4] الأفعال التى هى فعل المنكر : ﴿ و لو ﴾ و عبر بالمضارع فى قوله : ﴿ نشآء ﴾ ليتوقع فى كل حين ، فيكون أبلغ فى التهديد ﴿ لطمسنا ﴾ و قصر الفعل إشارة إلى أن المعنى : لو نريد لأوقعنا الطمس الذى جعلناه على بصائرهم ﴿ على[7] اعينهم ﴾ فأذهبنا عينها و أثرها ، و جعلناها مساوية للوجه بحيث تصير كأنها لم تكن أصلا ، [و قد تقدم فى النساء نقل معنى هذا عن ابن هشام -[5]] .

و لما كان الجالس مع شخص فى مجلس التنازع و هو يهدده إن لم / يرجع عن غيه بقارعة يصيبه بها يبادر الهرب إذا فاجأته منه مصيبة / ٣٦٧ كبيرة خوفا من غيرها جريا مع[6] الطبع لما ناله من الدهش ، و مسه من

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يوم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م « و » (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على .

عظيم

عظيم الانزعاج و الوجل، كما اتفق لقوم لوط عليه السلام لما مسح[1] جبريل عليه السلام أعينهم فأغشاها حين بادروا الباب هرابا يقولون: عند لوط أسحر الناس، سبب عن ذلك قوله: ﴿فاستبقوا﴾ أي كلفوا أنفسهم ذلك و أوجدوه. و لما كان المقصود بيان إسراعهم فى الهرب، عدى الفعل مضمنا له معنى "ابتدروا" كما قال تعالى "و استبقوا الخيرت" ٥ فقال: ﴿الصراط﴾ أى الطريق الواضح الذى ألفوه و اعتادوه، و لهم به غاية المعرفة. و لما كان الأعمى لايمكنه فى مثل هذه الحالة المشى بلا قائد فضلا عن المسابقة، سبب عن ذلك قوله منكرا: ﴿فأنّ﴾ أى كيف و من أين ﴿يبصرون﴾ [أى -[2]] فلم يهتدوا[3] للصراط لعدم إبصارهم بل[3] تصادموا فتساقطوا فى المهالك و تهافتوا. ١٠

و لما كان هذا كله مع القدرة على الحركة قال: ﴿و لو نشآء﴾ أى[4] أن نمسخهم ﴿لمسخنهم﴾ أى حولناهم إلى الجمادية فأبطلنا منهم الحركة الإرادية. و لما كان المقصود المفاجأة بهذه المصائب بيانا لأنه سبحانه لا كلفة عليه فى شيء من ذلك قال: ﴿على مكانتهم﴾ أى المكان الذى كان قبل المسخ كل شخص [منهم -[2]] شاغلا له بجلوس أو قيام ١٥ أو غيره فى ذلك الموضع خاصة قبل أن يتحرك منه، و هو معنى قراءة شعبة عن عاصم[5] «مكانتهم» و دل على أن المراد التحويل إلى أحوال الجمادية بما سبب عن ذلك من قوله: ﴿فما استطاعوا﴾ أى بأنفسهم

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مسخ (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) سقط من ظ (٥) راجع نثر المرجان ٥/٥٩٠.

بنوع معالجة[1] ﴿ مضيًا ﴾ أى حركة إلى جهة من الجهات ؛ ثم عطف على جملة الشرط قوله : ﴿ و لا يرجعون ﴾ أى يتجدد لهم بوجه من الوجوه رجوع إلى حالتهم التى كانت قبل المسخ دلالة على أن هذه الأمورحق لا كما يقولون من أنها خيال و سحر ، بل ثباتها لايمكن أحدا من الخلق رفعه و لا تغييره بنوع تغيير هذا المراد إن شاء [الله -[2]] ، و لو قيل : و لا[3] رجوعا - كما قال بعضهم إنه المراد ، لم يفد هذا المعنى النفيس .

و لما كانت هذه أمورا فرضية يتأتى لبعض المعاندين اللد الطعن[4] فيها مكابرة ، و كان كونه صلى الله عليه و سلم نبى الرحمة مانعا من المفاجأة بالتعذيب بعذاب الاستئصال بها ، دل عليها بما يشاهدونه من باهر قدرته و غريب حكمته فى صنعته ، فقال دالا بالعاطف على غير معطوف عليه ظاهر على أن التقدير : فقد خلقناهم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم أولدناهم لا يعلمون شيئا و لا يقدرون على شىء ، ثم درجناهم فى أطوار الأسنان معلين لهم فى معارج[5] القوى الظاهرة و الباطنة إلى أن صاروا إلى حد الأشد - و هو استكمال القوى البشرية - فأوقفنا قواهم الظاهرة و الباطنة ، فلم نجر[6] العادة بان نحدث[7] [8]فيهم إذذاك[8] قوة لم تكن أيام

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مصالحة (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) فى ظ : لو (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المطعن (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : درجات (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلم تجر.
(٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تحدث (٨-٨) فى ظ و م و مد إذذاك فيهم .

الشباب : ﴿و من نعمره﴾ أى نطل عمره إطالة كبيرة منهم بعد ذلك ﴿ننكسه﴾ [وقراءة عاصم و حمزة[1] بضم أو له و فتح ثانيه و كسر الكاف مشددة دالة على تفاوت الناس فى النكس ، و لم يقل « فى خلقه » لئلا يظن أن المراد أن المعمر له خلق أنشأه و أبدعه -[2]] ﴿فى الخلق[3]﴾ أى [فيما أبدعناه من تقدير بدنه و روحه أى -[2]] نرده على عقبه نازلا فى المدارج التى أصعدناه فيها إلى أن تضمحل قواه الحسية فيكون كالطفل فلا يقدر على شىء ، / و المعنوية فلا يعلم شيئا ، و من قدر على مثل هذا التحويل من حالة إلى أخرى لم تكن طردا و عكسا قدر على مثل ما مضى من التحويل بلا[3] فرق ، غير أنهم لكثرة إلفهم لذلك صيره عندهم هينا ، و لقلة وجود الأول صيره عندهم بعيدا ، و لذلك سبب عن الكلام قوله [على الأسلوب الماضى فى قراءة الجماعة و لفتا إلى الخطاب عند المدنيين و يعقوب لأنه أقرب إلى الاستعطاف و إعلاما بأن الوعظ عام لكل صالح للخطاب -[2]] : ﴿افلا يعقلون﴾ و قال بعض العارفين : قيد بالخلق احترازا عن الأمر[4] ، فان المؤتمر كلما زاد سنا ازداد لربه طاعة و به علما ، [يعنى أن النكس فى البدن أمر لابد منه ، و أما فى المعارف فتارة و تارة -[2]] .

٣٦٨/

و لما أتم[5] سبحانه الدليل على آية " لقد حق القول على اكثرهم "

(١) زيد فى ظ بعده : و الكسائى - خطا ، راجع نثر المرجان ٥/٥٩١ .
(٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الأحد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تم .

[1]بأن التكذيب[1] بالأصلين التوحيد و الحشر ، و بينهما غاية البيان ، رجع إلى تثبيت الأصل الثالث و هو أمر الرسول و التنزيل ، و لما كان من المعلوم أن الله تعالى أجرى العادة فى النوع الآدمى أن من استوفى سن الصبى و الشباب اثنين و أربعين سنة حسمت غرائزه فلم يزد فيه غريزة ، و وقفت قواه كلها فلم يزد فيها شيء ، أما المعانى الحسية فمطلقا[2] ، و أما المعنوية فلا تزيد إلا بالتجربة و الكسب ، و لذلك قالوا :

إذا المرء أعيته المروءة ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد

و كان من المعلوم أن الأنبياء عليهم السلام تظهر عليهم غرائز[3] العلوم و الحكم و غير ذلك مما يجريه الله على أيديهم ، و لا ينقص شيء من قواهم بل تزاد كما روى [4]أن النبي[4] صلى الله عليه و سلم كان يمشى غير مكترث ، و أن الصحابة رضى الله عنهم ليجهدون أنفسهم ، فيكون جهدهم أن يدركوا مشية الهونيا ، و أنه صارع ركانة الذى كان يضرب بقوته المثل ، و كان واثقا من نفسه بأنه يصرع من صارعه ، فلم يملكه النبى صلى الله عليه و سلم نفسه ، و عاد إلى ذلك ثلاث مرات ، كل ذلك لا يستمسك فى يده حتى شرع يقول : إن هذا لعجب يا محمد ! أتصرعنى ، و حتى أنه دار على نسائه - و هن تسع - كل واحدة منهن تسع مرات فى طلق

(١-١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : بالتكذيب (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قطعا - كذا (٣) زيد فى الأصل : الأمور و من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أنه .

واحد - إلى غير ذلك مما يحكى[1] من قواه التى فاق بها الناس، و لم يحك عن نبي [من الأنبياء -[2]] ممن[3] عاش منهم ألفا و من عاش دون ذلك أنه نقص شيء من قواه، بل قد و رد فى الصحيح[4] من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن ملك الموت عليه السلام أرسل إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه فلما جاءه صكه ففقأ[5] عينه فقال لربه: أرسلتنى إلى عبد لايريد الموت، قال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: اى رب! ثم ما ذا؟ قال: الموت، قال فالآن. و فى آخر التوراة[6]: و قضى عبد الله موسى بأرض موآب بأمر الرب، فدفن حذاء بيت فاغورا[7]، و لم يعرف أحد أين قضى إلى يومنا هذا، و كان موسى يوم[8] قضى ابن مائة و عشرين سنه، لم يضعف بصره و لم يشخ جدا. لما كان الأمر كذلك، و كان [الله -[2]] سبحانه قد جعل إرسالهم فى سنى الوقوف فى الغرائز و الضعف فى القوى[9] خرقا للعادة إكراما لهم و تنبيها للناس على صدقهم، علم من العطف على غير معطوف عليه ظاهر و من الإتيان بضميره صلى الله عليه و سلم من غير تقدم ذكر له أن التقدير: لكن نبينا صلى الله عليه و سلم عمرناه و ما

(١) من ظ و م ومد، و فى الأصل: يحلى (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ و م و مد: من (٤) راجع أبواب الجنائز و الأنبياء (٥) من ظ و م و مد و الصحيح، و فى الأصل: فقأ (٦) راجع الأصحاح الرابع و الثلاثين - تثنية، من الكتاب المقدس (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فارغور، و فى التوراة: فغور (٨) فى ظ و م و مد: وقت (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القوة.

نكسناه[1] بل منحناه غرائز[2] من الفضائل عجز عنها الأولون و الآخرون ،
فأتى بقرآن أعجز[3] الإنس و الجن ، و علوم / و بركات فاتت القوى ، ٣/
و معلوم قطعا أن الذى أتى به ليس بشعر خلافا لما رموه به بغيا و عدوانا ،
وكذبا على جنابه و افتراء و تجاوزا فى البهت[4] و طغيانا ، لأنه قد مضى
٥ عليه سن الصبى و الشباب جميعا و لم يقل بيت شعر مع ما يرى لكم
و لأمثالكم فيه من المفاخرة ، و به من المكاثرة ، و قد وصل إلى سن
الوقوف المعلوم قطعا أنه لايحدث للانسان فيه غريزة لم تكن أيام شبابه
لاشعرية و لاغيرها : ﴿ و ما علمناه ﴾ أى نحن ﴿ الشعر ﴾ [5]فيما علمناه
و هو أن يتكلف التقيد بوزن معلوم و روى مقصود و قافية يلتزمها ،
١٠ و يدير المعانى عليها و يجتلب الألفاظ تكلفا إليها كما كان زهير فى
قصائده الحوليات و غيره من أصحاب التكلفات " و ما انا من المتكلفين "
لأن ذلك و إن كنتم أنتم تعدونه فخرا لايليق بجنابنا لأنه لايفرح به
إلا من يريد ترويج كلامه و تحليته بصوغه[6] على وزن معروف مقصود
و قافية ملتزمة لكونه لايقدر على الإتيان بأحسن منه بما لايقايس من
١٥ غير التزام وزن و لاقافية على أن فيه نقيصة أخرى ، و هى أعظم ما يوجب
النفرة منه ، و هى أنه لابد أن يوهى التزامه بعض المعانى ، و لما لم[7] نعلمه

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نكسنا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غزاير (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعجز (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البيت (٥) زيد فى ظ : اى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يصوغه (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا .

هذه الدناءة طبعناه على جميع فنون البلاغة ، ومكناه من سائر وجوه الفصاحة ، ثم أسكنا قلبه ينابيع الحكمة ، و دربناه على إلقاء المعانى الجليلة و إن دقت فى الألفاظ الجزلة العذبة السهلة موزونة كانت أو لا ، و ذلك بما[1] ألهمناه [إياه -[2]] ثم بما ألقاه إليه جبريل عليه السلام مما أمرنا له به من جوامع الكلم و الكلام ، فلا تكلف عنده أصلا ، ما خير بين الأمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما أو قطيعة رحم ، و هذا البيت الذى أوردته عزاه فى الحماسة فى أوائل باب الأدب[3] إلى رجل من بنى قريع[4] لم يسمه [و قبله -[2]] :

متى ما يرى الناس الغنى و جاره فقير يقولوا عاجز و جليد
[5]وليس[5] الغنى والفقر من حيلة الفتى و لكن أحاظ قسمت و جدود[6]
إذا المرء أعيته المروءة ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد
و كأن رأينا[7] من غنى مذمم و صعلوك قوم مات و هو حميد

و المعنى أن كثرة المال و قلته[8] ليست من غريزة من الغرائز ، و إنما هى أمر ربانى لامدخل للغرائز من جلادة و لاغيرها فيه ، بدليل أنا كثيرا ما رأينا من فاته الغنى شابا جلدا و ناله شيخا ضعيفا ، و ما رأينا

(١) فى ظ : مما (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) راجع ٣ / ٨٧ (٤) من ظ و مد و الحماسة ، و فى الأصل و م : قزيع (٥-٥) من ظ و م و مد والحماسة ، و فى الأصل : فليس (٦) من م و مد و الحماسة ، و فى الأصل و ظ : حدود. (٧) من ظ و م و مد و الحماسة ، و فى الأصل : راسا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كثرته .

[1]من أخطأته[1] المروءة شابا و نالها شيخا، و بدليل أنه كم من غنى كانت غرائزه ذميمة، و كم من فقير كانت خلائقه محمودة، و المروءة هى الإنسانية، و هى كل أمر هنىء [2]حميد المغبة[2] جميل العاقبة، و هذا هو السيادة، يعنى أن من كانت المروءة فى غريزته حمله طبعه على تعاطيها [فى شبابه -[3]] غنيا كان أو فقيرا، و من لم يكن عنده لم يقدر على تكلفها فى سن الاكتهال، فلله درهم! ما كان أحكمهم [4] و أدراهم [4] بالدقائق و أعلمهم، و لذلك جعل هذا النبى الأمى منهم، فملأت معارفه الآكوان، و سمت فى رتب[5] المعانى صاعدة فأين منها[6] كيوان.

/٣٧٠ و لما كان الشعر / مع ما بنى عليه من التكلف الذى هو بعيد جدا عن[7] سجايا الأنبياء فكيف بأشرفهم مما يكتسب به مدحا و هجوا، فيكون أكثره كذبا - إلى غير ذلك من معايبه، قال سبحانه و تعالى: ﴿ و ما ينبغى له[1] ﴾ أى و ما يصح و لا ينطلب[8] و لا يتأتى أصلا، لأن منصبه أجل، و همته أعلى من أن يكون مداحا أو عيابا، أو أن يتقيد بما قد يجر إلى نقيصة[9] فى المعنى، و جبلته منافية لذلك غاية المنافاة.

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى اخطاء (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جميل المعر - كذا (٣) زيد من ظ و م و مد. (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فادراهم (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: رتبة (٦) فى ظ و م و مد: عنها (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما يطلب (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نقيصته.

و لما تمت الدلالة على أمر الرسول صلى الله عليه و سلم، و تضمنت أن الشعر - و هو تعمد صوغ الكلام على وزن معلوم[1] و قافية ملتزمة - نقيصة لما ذكر و لما يلزمه التقيد بالوزن و الروى و القافية من التقديم و التأخير و التحويم على المعانى من غير إفصاح و لا تبيين [فيصير -[2]] عسر الفهم [3] مستعصى البيان[3]، و نفى عنه صلى الله عليه و سلم تلك النقيصة، فتضمن ذلك تنزيه ما أنزل عليه عنها - كما أشارت إليه نون العظمة فى "علمنا" - أثبت له ما ينبغى له فقال كالتعليل لما قبله: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هو ﴾ أى هذا الذى أتاكم به ﴿الا ذكر﴾ أى شرف و موعظة ﴿ و قرآن ﴾ أى جامع للحكم كلها دنيا و اخرى يتلى فى المحاريب و يكرر فى المتعبدات[4]، و ينال بتلاوته و العمل به فوز الدارين مع الفصل بين الملبسات ﴿ مبين ﴾ أى ظاهر فى ذلك مظهر لكل ما فيه لمن يرومه حق رومه، و يسومه بأغلى سومه، بعد أن يشترط فى مطلق فهمه و مجرد اللذة به الذكى و الغبى و الحديد و البليد، و ليس هو بشعر متكلف يتقدم فيه - بحكم التزام[5] الوزن و الروى و القافية - [الشىء -[2]] عن حاقّ موضعه تارة و يتأخر أخرى، و يبدل بما لا يساويه فتنقص معانيه و تنعقد فتشكل فلا يفهمه [6] إلا ذاك[6] و ذاك

(١) زيد فى الأصل: مفهوم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) زيد من ظ و م ومد (٣-٣) من ظ و م ومد، و فى الأصل: منفصى.
(٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التعبدات (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الالتزام (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الادراك.

[مع - [1]] أنه من همزات الشياطين [فيا - [1]] بعد ما بينهما[2]، و يبين هذا المعنى غاية البيان آخر « ص » " قل ما اسالكم عليه من اجر و ما انا من المتكلفين " " ان هو الا ذكر للعلمين " [أى - [1]] كلهم ذكيهم و غبيهم [3]بخلاف الشعر[3] فانه مع نزوله[4] عن بلاغته جدا إنما هو ذكر[5] للأذكياء جدا .

و لما ذكر أمر الرسول صلى الله عليه و سلم فيما آتاه من غرائز الشرف فى سن النكس لغيره، ذكر علة[6] ذلك فقال: ﴿ لينذر ﴾ أى الرسول صلى الله عليه و سلم بدليل ما دل عليه السياق من التقدير، و يؤيده[7] لفت الكلام فى قراءة نافع و ابن عامر و يعقوب[8] بالخطاب إشارة إلى أنه لايفهمه حق فهمه غيره صلى الله عليه و سلم .

و لما كان هذا[9] القرآن مبينا . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم متخلقا به، فهو مظهره و صورة سورته، فكان حاله مقتضيا لئلا يتخلف عن الإيمان [حىّ ، قال مظهرا لما كان حقه فى بادى الرأى الإضمار إفادة للتعميم مبينا لأن حكمه سبحانه منع من ذلك ، فانقسم المنذرون إلى قسمين : ﴿ من كان ﴾ كونا متمكنا ﴿ حيا ﴾ أى حياة

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بينها .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نزله .
(٥) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : علمه (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يويد هذا (٨) راجع نثر المرجان ٥ /٥٩٢(٩) سقط من ظ .

كاملة معنوية تكون سببا للحياة الدائمة ، فانه لايتوقف حينئذ عن الإيمان به -[١] ، خوفا مما يخوف به من الأمور التى لايتوجه إليها ريب بوجه ، فيرجى له الخير ، فهو مؤمن فى الحقيقة و إن ظهر عليه فى أول أمره خلاف ذلك ، [٢]و أفرد الضمير هنا على اللفظ إشارة إلى قلة السعداء ، و جمع فى الثانى على المعنى إعلاما بكثرة الأشقياء[٢] ﴿ و يحق ﴾ أى يجب و يثبت ٥ ﴿ القول ﴾ أى بالعذاب ﴿ على الكٰفرين ۝ ﴾ أى العريقين فى الكفر فانهم أموات فى الحقيقة و إن رأيتهم أحياء ، فالآية من الاحتباك : حذف الإيمان أولا لما دل عليه / من ضده [ثانيا ، و حذف الموت ثانيا لما ٣٧١ / دل عليه من ضده -[١]] أولا ، فتحقق بهذا[٣] أن أعظم منافاة القرآن للشعر و كذا السجع من أجل أنه جد كله ، فحط أساليبه بالقصد الأول ١٠ [المعانى و الألفاظ تابعة ، و الشاعر و الساجع محط نظرهما بالقصد الأول -[١]] الروى و القافية و الفاصلة[٤] حتى أن ذلك ليؤدى إلى ركة المعنى و الكلام بغير الواقع و لا بد ، كما قال حسان [بن ثابت -[١]] رضى الله عنه و حاله معروف فى البلاغة و التفنن فى أساليب الكلام و صدق اللهجة و حسن الإسلام فى غزوة الغابة و كان أميرها سعد بن زيد الأشهلى ١٥ رضى الله عنه :

أسرْ[٥] أولاد اللقيطة أننا سلم غداة فوارس المقداد

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مجدا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المفاصلة .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انشد . و فى ديوان حسان ١٠٨ : هل سر .

فغضب سعد على حسان رضى الله عنهما و حلف : لايكلمه أبدا، و قال : انطلق إلى خيلى و فوارسى ، فجعلها للمقداد ، فاعتذر إليه حسان رضى الله عنهما و مدحه بأبيات و قال : و الله ما أردت ذلك و لكن الروى وافق اسم المقداد ، لأن القصيدة دالية ، فالنبى صلى الله عليه و سلم لايدور فى ٥ فكره [أبدا - [1]] قصد اللفظ ، فانه من باب الترويق ، و هو صلى الله عليه و سلم جد كله ، فهو لايعدل عنه لأنه موزون ، بل لأنه لايؤدى المعنى كما أن العرب تعدل عن اللحن و لا تحسن النطق به و لاتطوع ألسنتها له لكونه[2] لحنا ، لا لكونه حركة ، فان وافق شىء من الموزون ما أريد من المعنى لأجل أداء المعنى قاله ، كما يقع لكثير من المصنفين ١٠ الكلام الموزون و ما قصده ، و كما وقع كثير من الكلام الموزون من جميع أبحر الشعر فى القرآن[3] و إن لم يوافق المعنى لم يقله ، و على هذا يتخرج قوله صلى الله عليه و سلم :

أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب

لو تظاهر الإنس و الجن على أن يأتوا بما أداه من المعنى فى ألفاظه ١٥ أو مثلها على غير هذا النظم لم يقدروا ، و إذا[4] تأملت كل بيت تمثل به فكسره لاتجده كسره إلا لمعنى جليل ، لايتأتى مع الوزن أو يكون لا فرق بين أدائه [5]موزونا و مكسورا[5] ، و هكذا السجع سواء ، و من هنا علم أنه ليس المعنى أنه لا يحسن الوزن ، بل المعنى أن تعمد الوزن

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى م : لكونها (٣) زيد فى الأصل : يريد ان يخرجكم من أرضكم بسحره ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لو (٥-٥) فى م و مد : مكسورا و موزونا .

و السجع نقيصة لاتليق بمنصبه العالى لأن الشاعر مقيد بوزن و روى و قافية ، فان أطاعه المعنى مع ما هو مقيد به كان و إلا احتال فى إتمام ما هو مقيد به و إن نقص المعنى ، و الساجع قريب من ذلك ، فهذا هو الذى لم يعلمه الله له ، لأنه صلى الله عليه و سلم تابع للمعانى و الحقائق و الحكم التى تفيد الحياة الدائمة ، لأنه مهيأ بالطبع المستقيم لذلك غير مهيأ ٥ لغيره من التكلف ، و إذا أنعمت النظر فى آخر الآية الذى هو تعليل لما قبله تحققت أن هذا هو المراد ، فوضح أىّ وضوح بهذا أن كلا منهما نقيصة ، فلا يتحرك شىء من أخلاقه الشريفة نحوها ، و لايكون له[٢] بذلك شىء من[٣] الاعتناء ، و قد أشبعت الكلام فى هذا و أتقنته فى كتابى « مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور » و هو كالمدخل إلى[٤] هذا ١٠ الكتاب - و الله الموفق للصواب[٥] .

و لما أخبر سبحانه باعماء أفكارهم ، و هدد بطمس / أبصارهم ، / ٣٧٢ و مسخهم على مقاعدهم و قرارهم ، و أعلم بأن[٦] كتابه خاتم بانذارهم ، ذكرهم بقدرته و قررهم تثبيتا[٧] لذلك ببدائع صنعته ، فقال عاطفا على ما تقديره : ألم يروا ما قدمناه و أفهمته آية « و من نعمره » و ما بعدها من بدائع ١٥ صنعنا تلويحا و تصريحا الدال على علمنا الشامل و قدرتنا التامة ، فهما

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمنصه (٢) زيد فى الأصل : بشىء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بانه (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبيينا .

صوبنا كلامنا إليه حق القول عليه و لم يمنعه مانع ، و لايتصور له دافع ﴿ او لم يروا ﴾ أى يعلموا علما هو كالرؤية ما هو أظهر عندهم دلالة من ذلك فى أجل[1] أموالهم ، و لايبعد عندى - و إن طال المدى - أن يكون معطوفا على قوله[2] " الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون" فذاك استعطاف [3]إلى توحيده[3] بالتحذير من النقم ، و هـذا بالتذكير بالنعم ، و نبههم على ما فى ذلك من العظمة بسوق الكلام فى مظهرها كما فعل فى آية إهلاك القرون فقال : ﴿انا خلقنا لهم﴾ و خصها بنفسه الشريفة محوا للأسباب و إظهارا[4] لتشريفهم بتشريفها فى قوله : ﴿ مما عملت ﴾ و لما كان الإنسان مقيدا بالوهم لاينفك عنه ، [5]و لذلك[5] يرى الأرواح [فى المنام -[6]] فى صور أجسادها ، وكانت يده محل قدرته و موضع[7] اختصاصه ، عبر له بما يفهمه[8] فقال : ﴿ايدينا﴾ أى بغير واسطة على علم منا بقواها و مقاديرها و منافعها و طبائعها و غير ذلك من أمورها ﴿ انعاما ﴾ ثم بين كونها لهم بما سبب عن خلقها من قوله : ﴿ فهم لها مٰلكون ﴾ أى ضابطون قاهرون من غير قدرة لهم على ذلك لولا قدرتنا بنوع التسبب .

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احل (٢) سقط من ظ و م و مد . (٣ - ٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على توحيدو (٤) زيد فى الأصل : لهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مواضع (٨) فى م : يفهم .

و لما كان الملك لا يستلزم الطواعية ، قال تعالى : ﴿ و ذلّلنها لهم ﴾ أى يسرنا قيادها ، و لو شئنا لجعلناها[1] وحشية كما جعلنا أصغر منها و أضعف ، فمن قدر على تذليل الأشياء الصعبة جدا لغيره فهو قادر على تطويع الأشياء لنفسه ، ثم سبب عن ذلك قوله : ﴿ فمنها ركوبهم ﴾ أى ما يركبون ، و هى الإبل لأنها أعظم مركوباتهم لعموم منافعها فى ذلك و كثرتها ، و لمثل ذلك فى التذكير بعظيم النعمة و النفع و استقلال كل من النعمتين بنفسه أعاد الجار ، و عبر بالمضارع للتجدد بتجدد[2] الذبح بخلاف المركوب[3] فان صلاحه لذلك ثابت دائم فقال[4] : ﴿ و منها يأكلون ﴾ .

و لما أشار إلى عظمة نفع الركوب و الأكل بتقديم الجار ، و كانت منافعها من غير ذلك كثيرة ، قال : ﴿ و لهم فيها منافع ﴾ أى بالأصواف و الأوبار و الأشعار و الجلود و البيع و غير ذلك ، و خص المشرب من عموم المنافع[5] لعموم نفعه ، فقال جامعا له لاختلاف طعوم ألبان الأنواع الثلاثة ، و كأنه عبر بمنتهى الجموع لاختلاف طعوم[6] أفراد النوع الواحد لمن تأمل ﴿ و مشارب ﴾ أى من الألبان[7] ، أخرجناها مميزة عن الفرث و الدم خالصة لذيذة ، و كل ذلك لا سبب له إلا أن كلمتنا حقت بـه ، فلم يكن بد من كونه على وفق ما أردنا ، فليحذر من هو أضعف حالا منها من حقوق أمرنا و مضى حكمنا بما يسوءه .

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لجعلنا (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الركوب (٤) سقط من م (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النفع (٦) فى م : طعم (٧) زيد فى ظ : أى .

و لما كانت هذه الأشياء من[1] العظمة بمكان ، لو فقده الإنسان لتكدرت معيشته ، سبب عن ذلك استئناف الإنكار عليهم فى تخلفهم عن طاعته بقوله : ﴿ افلا يشكرون ﴾ / أى يوقعون الشكر ، و هو تعظيم المنعم لما أنعم [2]و هو[2] استفهام بمعنى الأمر . /٣٧٣

٥ و لما ذكرهم نعمه[3] ، و حذرهم نقمه[4] ، عجب منهم فى سفول نظرهم و قبح[5] أثرهم ، فقال موبخا و مقرعا و مبكتا و معجبا من زيادة ضلالهم [6]عادلا عن مظهر العظمة إلى أعظم منه[6] : ﴿ و اتخذوا ﴾ أى فعلنا لهم ذلك و الحال أنهم كلفوا أنفسهم على غير ما تهدى إليه الفطرة الأولى أن أخذوا ، أو يكون [6]معطوفا على « كانوا » من ١٠ قوله " الا كانوا به يستهزءون " فيكون[6] التقدير : إلا كانوا يجددون الاستهزاء ، و اتخذوا قبل إرساله إليهم[7] مع ما رأوا من قدرتنا و تقلبوا فيه من نعمتنا : ﴿ من دون الله ﴾ أى[8] الذى له جميع العظمة ، فكل شىء دونه ، و ما كان دونه كان مقهورا مربوبا ﴿ آلهة ﴾ أى[8] لا شىء لها من القدرة و لا من صلاحية الإلهية . و لما ١٥ تقرر أنها غير صالحة لما أهلوها له ، تشوف السامع إلى السؤال عن

(١) زيد فى الأصل : حقوق ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فهو (٣) فى ظ و م و مد : نعمته .
(٤) فى ظ و م و مد : نقمته (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قبيح .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لهم .
(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

سبب ذلك ، فقال جوابا له تعجيبا من حالهم : ﴿لعلهم﴾ أى العابدين .
و لما كان مقصودهم[١] حصول النصر من أىّ ناصر كان ، بنى للمفعول
قوله : ﴿ ينصرون ﴾ أى ليكون حالهم بزعمهم فى اجتماعهم عليها
و التئامهم بها حال من ينصر على[٢] من يعاديه و يعانده و يناويه .

[٣]و لما كان[٣] للنصر سببان : ظاهرى و هو الاجتماع ، و أصلى باطنى ٥
و هو الإله المجتمع عليه ، بين غلطهم بتضييع الأمل ، فقال مستأنفا فى
جواب من كأنه قال : فهل[٤] بلغوا ما أرادوا؟ : ﴿ لايستطيعون ﴾ أى
الآلهة المتخذة ﴿نصرهم[٥] ﴾ أى العابدين ﴿و هم﴾ أى العابدون ﴿لهم﴾
أى الآلهة ﴿ جند ﴾ و لما كان الجند مشتركا بين العسكر و الأعوان
و المدينة ، عين[٥] المراد بضمير الجمع [٦]و لأنه[٦] أدل على عجزهم و حقارتهم ١٠
[فقال -[٧]] : ﴿محضرون ﴾ أى يفعلون فى الاجتماع إليها و المحاماة عنها
فعل من يجمعه كرها إيالة الملك و سياسة العظمة . فصارت العبرة بهم
خاصة فى حيازة السبب الظاهرى مع تعبدهم[٨] للعاجز و ذلهم للضعيف
الدون مع ما يدعون[٩] من الشهامة و الأنفة و الضخامة ، فلو جمعوا أنفسهم
على الله لكان لهم ذلك ، و حازوا [معه -[٧]] السبب الأعظم . ١٥

(١) فى ظ و م و مد : مطلوبهم (٢) سقط من ظ (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : غير (٦-٦) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد. (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : تقيدهم . (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يشاهدون .

و لما بين ما بين من قدرته الباهرة، و عظمته الظاهرة، [و -[1]]
وهى أمرهم فى الدنيا و الآخرة، و كان قد تقدم ما لوح إلى أنهم نسبوه
صلى الله عليه و سلم إلى الشعر، و صرح باستهزائهم بالوعد مع ما قبل
ذلك[2] من تكذيبهم و إجابتهم للمؤمنين من تسفيههم و تضليلهم، سبب
٥ عن ذلك بعد ما نفى عنهم النصرة قوله تسلية له صلى الله عليه و سلم:
﴿ فلا يحزنك ﴾ قراءة الجماعة بفتح الياء و ضم الزاى، و معناه: يجعل
فيك، و قراءة نافع بضم الياء و كسر الزاى تدل على أن[3] المنهى عنه[4]
إنما هو كثرة الحزن و الاستغراق فيه، لا ما يعرض من طبع البشر
من أصله، فان معنى أحزن فلانا كذا، أى جعله حزينا ﴿ قولهم[5] ﴾
١٠ أى الذى قدمناه تلويحا و تصريحا و غير ذلك فيك و فينا. و لما كان
علم القادر بما يعمل عدوه سببا لأخذه، علل ذلك بقوله مهددا بمظهر
العظمة: ﴿ انا نعلم ما[5] ﴾ أى كل ما ﴿ يسرون ﴾ أى يجددون إسراره
﴿ و ما يعلنون ﴾ أى فنحن نجعل ما [6]يسببونه لأذاك سببا[6] لأذاهم
و نفعك إلى أن يصيروا فى قبضتك و تحت قهرك و قدرتك.

٣٧٤ / ١٥ و لما أثبت / سبحانه[7] بهذا الدليل [قدرته على ما هدد به أولا من
التحويل من حال إلى أخرى، فثبتت بذلك -[1]] قدرته على البعث،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من م (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انه (٤) سقط من ظ (٥) ليس فى الأصل فقط (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يسوء به لادا مسببا (٧) زيد فى الأصل: ذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

و ختم باحاطة العلم الملزوم لتمام القدرة ، أتبع ذلك دليلا أبين من الأول ، فقال عاطفا على "ألم يروا" : ﴿أو لم يرَ﴾ أى يعلم علما هو فى ظهوره كالمحسوس بالبصر .

و لما كان هذا المثل الذى قاله هذا الكافر لا يرضاه حمار لو نطق ، أشار إلى غباوته بالتعبير بالإنسان الذى هو - و إن كان أفطن المخلوقات لما ركب فيه سبحانه من العقل - تغلب عليه الإنس بنفسه حتى يصير مثلا فى الغباوة فقال : ﴿الانسان﴾ أى [جنسه -] منهم و من غيرهم و إن كان الذى نزلت فيه واحدا ﴿ انا خلقنه ﴾ بما لنا من العظمة ﴿من نطفة ﴾ أى شىء يسير حقير من ماء لا انتفاع به بعد إبداعنا أباه من تراب و أمه من لحم و عظام ﴿ فاذا هو ﴾ أى فتسبب عن خلقنا له من ذلك المفاجأة لحالة هى أبعد شىء من حالة النطفة و هى أنه ﴿خصيم﴾ أى بالغ الخصومة ﴿ مبين ﴾ أى فى غاية البيان عما يريده حتى أنه ليجادل من أعطاه العقل و القدرة فى قدرته ، أنشد الأستاذ أبو القاسم القشيرى فى ذلك :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رمانى

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : او لم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رتب (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفعل فغلب على (٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : ايداعنا (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م ومد فحذفناها (٩) و البيت الثانى :

وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجانى .

و لما كان التقدير : فعبد - مع [أنا -[1]] تفردنا بالإنعام عليه - غيرنا و خاصم[2] - بما خلقناه[3] له من اللسان و آتيناه من البيان - رسلنا و جميع أهل ودنا ، عطف عليه قوله مقبحا إنكارهم البعث تقبيحا لا يرى أعجب منه ، و لا أبلغ و لا أدل على التمادى ، فى الضلال و الإفراط فى الجحود و عقوق الأيادى : ﴿ و ضرب ﴾ أى هذا الإنسان ؛ و سبب النزول أبى بن خلف الجمحى الذى قتله النبى صلى الله عليه و سلم بأحد مبارزة[4] ، فهو المراد بهذا التبكيت بالذات و بالقصد الأول ﴿ لنا ﴾ أى على ما يعلم من عظمتنا ﴿ مثلا ﴾ أى آلهته التى عبدها لكونها لا تقدر على شىء [5]مكابرا لعقله[5] فى أنه لا شىء يشبهنا ﴿ و نسى ﴾ [أى -[6]] هذا الذى تصدى على نهاية أصله لمخاصمة الجبار ، و أبرز صفحته لمجادلته ، و النسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول ، و أن يكون بمعنى الترك ﴿ خلقه[4] ﴾ أى خلقنا لهذا المخاصم الدال على كمال قدرتنا ، و أن آلهته التى أشرك[7] بها لا تقدر على شىء ، فافترق الحال الذى جمعه بالمثل أىّ افتراق ، و صارا مقولا له : يا قليل الفطنة ! أ فمن يخلق كمن لا يخلق ؟ أفلا تذكرون ؟ ثم[8] استأنف الإخبار عن هذا المثل بالإخبار عن استحالته

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خاتم (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : خلقنا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مبارزته (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مكانه العقلة - كذا .
(٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشركه .
(٨) سقط من ظ .

لأن

لأن يقدر أحد على إحياء الميت كما أن معبوداته لا تقدر على ذلك فقال: ﴿ قال ﴾ أى على سبيل[1] الإنكار: ﴿ من يحيى ﴾ .

و لما كانت العظام أصلب شيء و أبعده عن قبول الحياة لاسيما إذا بليت و أرفتت قال: ﴿العظام و هى﴾ و لما أخبر عن المؤنث[2] باسم لما بلى من العظام غير صفة[3]، لم يثبت تاء التأنيث فقال: ﴿ رميم ﴾ أى صارت ترابا يمر مع الرياح .

و لما كان موطنا يتشوف فيه السامع لهذا الكلام إلى جوابه، استأنف قوله مخاطبا من[4] لا يفهم هذه المجادلة حق فهمها[5] غيره: ﴿قل﴾ أى لهذا الذى ضرب هذا المثل جهلا منه فى قياسه [من -[6]] يقدر على كل شيء على من لا يقدر على شيء، [7]و أعاد فعل الإحياء نصا على المراد دفعا للتعنت / و دلالة على الاهتمام فقال[7]: ﴿ يحييها ﴾ أى[8] من بعد أن بليت[9] [10] ثانى مرة[10]، و لفت القول[11] إلى وصف يدل على الحكم فقال: ﴿ الذى انشأها ﴾ أى من العدم ثم أحياها ﴿اول مرة[8] ﴾ / ٣٧٥

(١) فى ظ و م و مد: طريق (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الموت. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فتقه (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لمن (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فهمه (٦) زيد من ظ و م و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) سقط من م، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى «ثانى مرة» (٩) من مد، وفى الأصل و م: يفتشيها (١٠-١٠) من م و مد، و فى الأصل: ثانيا (١١) فى مد: الكلام .

أى فان [كل - [1]] من قدر على إيجاد شىء أول مرة فهو قادر على إعادته ثانى مرة[2]، و هى شاهدة بأن الحياة تحل العظم فيتنجس بالموت مما يحكم بنجاسة ميتته ﴿و هو بكل خلق﴾ أى صنع و تقدير ممكن أن يخلق من ذلك و من غيره ابتداء و إعادة ﴿عليم﴾ أى بالغ العلم، فلا يخفى عليه [3]أجزاء ميت[3] أصلا و إن تفرقت فى [4]البر و البحر[4]، و لا شىء غير ذلك، فالآية من بديع[5] الاحتباك[6]: الإحياء أولا دال[7] على مثله ثانيا، و الإنشاء ثانيا دال[7] على مثله أولا، و "اول مرة" فى الثانى دال على «ثانى مرة» فى الأول، فهو على كل شىء قدير كما برهن عليه فى سورة طه، فهو يوجد المقتضيات لكل ممكن يريده، و يرفع الموانع فيوجد فى الحال من غير تخلف أصلا، فقد بلغ هذا البيان فى الدلالة على البعث الجسمانى و الروحانى معا النهاية التى ليس وراءها بيان، بعد أن وطأ له فى هذه السورة نفسها بما لا يحتمل طعنا بقوله " فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون"، "من بعثنا من مرقدنا" "فاذا هم جميع لدينا محضرون" " ان اصحب الجنة اليوم[8] فى شغل فكهون" "و امتازوا اليوم[8] ايها المجرمون" " اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون" " اليوم نختم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد بعده فى الأصل: صنع و تقدير، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣ - ٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اجراء كلمة (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: البحر و البر. (٥) زيد فى الأصل و ظ و م: فى، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل و ظ: ذكر، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: دالا (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

على افواههم و تكلمنا ايديهم و تشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون"..

و لما كان [مآل -[1]] هذا المثل الذى علق الإنكار فيه بالرميم استبعادَ تميز الشيء - إذا صار ترابا و اختلط بالتراب[2] - عن غيره من التراب، وصف نفسه المقدس باخراج الشيء الذى هو أخفى ما يكون من ضده، و ذلك بتمييز النار من الخشب الذى فيه الماء ظاهر بأيدى العجزة[3] من خلقه. فقال معيدا[4] للموصول تنبيها على التذكير بالموصوف ليستحضر ماله من[5] صفات الكمال فيبادر إلى الخضوع له من كان حيا: ﴿ الذى جعل لكم﴾ أى متاعا و استبصارا ﴿من الشجر الاخضر ﴾ الذى تشاهدون فيه الماء ﴿ نارا ﴾ بأن يأخذ أحدكم غصنين كالسواكين و هما أخضران يقطر منهما الماء[6] فيسحق المرخ[7] - و هو ذكر - على العفار - و هو أنثى - فتخرج [النار -[1]]؛ قال أبو حيان[2]: و عن ابن عباس رضى الله عنهما: ليس شجر إلا [و -[8]] فيـــه نار إلا العناب - انتهى. و لذلك قالوا فى المثل المشهور: فى كل شجر نار و استمجد المرخ و العفار ﴿فاذآ انتم﴾ أى فيتسبب[9] عن ذلك مفاجأتكم لأنكم ﴿منه﴾ أى الشجر الموصوف بالخضرة[10]

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التراب. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المعجزة (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معبرا (٥) سقط من ظ (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيستحق المدح هكذا (٧) راجع البحر المحيط ٧ / ٣٤٨ (٨) زيد من ظ و م و مد و البحر (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فتسبب (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالضرة.

بعينه ﴿ توقدون ﴾ أى توجدون الإيقاد و يتجدد لكم ذلك مرة بعد أخرى ، ما هو[1] بخيال و لا سحر بل حقيقة ثابتة بينة ، [2]و كانه قدم الجار لكثرة إيقادهم منه ، فعد إيقادهم من غيره لذلك و لعظمته عدما[2] .

و لما كان ذلك من غير كلفة عليهم ، قدم الجار تخصيصا له و عدا لغيره كالمعدوم ، فالذى قدر على تميز النار من الماء [و الخشب و خبه النار فيهما لا النار تعدو على الخشب فتحرقه و لا الماء يعدو على النار -[3]] فيطفئها قادر على تميز / تراب العظام من تراب غيرها ، و نفخ الروح فيها كما نفخ روح النار فى الحطب المضاد له بالمائية . /٣٧٦

و لما كان التقدير : أليس الذى قدر على ذلك بقادر على ما يريد من إحياء العظام و غيرها ، عطف عليه ما هو أعظم [شأنا -[3]] منه تقريرا على الأدنى[4] بالأعلى فقال : ﴿ او ليس الذى خلق ﴾ أى أوجد من العدم و قدر ﴿ السمٰوٰت و الارض ﴾ أى على كبرهما [5]و عظمتهما[5] و عظيم ما فيهما من المنافع و المصانع و العجائب و البدائع ، و أثبت الجار تحقيقا للأمر و تأكيدا للتقرير فقال : ﴿ بقدر ﴾ أى بثابت[6] له قدرة لايساويها قدرة ، و معنى قراءة رويس عن يعقوب بتحتانية[7] مفتوحة

(١) زيد فى الأصل : ليس ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد .
(٤-٤) العبارة من هنا إلى «عظمتهما» ساقطة من ظ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثابت (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بالتحتانية .

و إسكان القاف من غير ألف و رفع الراء[1] أنه يجدد[2] تعليق القدرة على سبيل الاستمرار ﴿على ان يخلق﴾ و لفت الكلام إلى الغيبة إيذانا بانهم صاروا بهذا[3] الجدل أهلا لغاية[4] الغضب فقال: ﴿مثلهم[5]﴾ أى مثل هؤلاء الأناسى أى يعيدهم بأعيانهم كما تقول: مثلك كذا أى أنت، و عبر به إفهاما لتحقيرهم و أن إحياء العظام الميتة أكثر ما يكون خلقا جديدا، بل ينقص عن الاختراع بان له مادة موجودة، و عبر بضمير الجمع لأنه أدل على القدرة، قال الرازى: و القدرة عبارة عن المعنى الذى به يوجد الشيء مقدرا[6] بتقدير الإرادة و العلم واقعا[7] على وفقهما و إن كانت صفات الله تعالى أعلى[8] من أن يطمحها نظر عقل، و تلحقها العبارات اللغوية، و لكن غاية القدرة البشرية و اللغة العربية هذا.

و لما كان الجواب بعد ما مضى من الأدلة القاطعة و البراهين الساطعة الاعتراف، قال سبحانه مقررا لما بعد النفى إشارة إلى أنه يجب المبادرة إليه، و لا يجوز التوقف فيه و من توقف فهو معاند: ﴿بلى[1]﴾ أى هو قادر على ذلك[8] ﴿و هو﴾ مع ذلك أى كونه عالما بالخلق ﴿الخلّق﴾ البالغ فى هذه الصفة مطلقا فى تكثير الخلق و تكريره بالنسبة إلى كل

(١) راجع نثر المرجان ٥/٥٩٨ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مجرد. (٣) من ظ و م، و فى الأصل و مد: لهذا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لغيابة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مقدارا (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وقعا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اصلا. (٨) زيد فى الأصل: نعم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

[شيء -[1]] ما لا تحيط به الأوهام ، و لا تدركه العقول و الأفهام ، و لم ينازع أحد فى العلم بالجزئيات بعد كونها ، كما نازعوا فى القدرة على [2]إيجاد بعض الجزئيات[2] ، فاكتفى فيه بصيغة فعيل فقيل : ﴿ العليم ﴾ أى البالغ فى العلم الذى هو منشأ القدرة ، فلا يخفى عليه كلى و لا جزئى فى ماض و لا[3] حال و لا مستقبل شاهد أو غائب .

و لما تقرر ذلك ، أنتج قوله [4]مؤكدا لأجل إنكارهم القدرة على البعث[4] : ﴿ انما امره ﴾ أى شأنه و وصفه ﴿ اذا اراد شيئا ﴾ اى إيجاد شيء من جوهر أو عرض أىّ شيء كان ﴿ ان يقول له كن ﴾ أى أن يريده ؛ ثم [5]عطف على جواب[5] الشرط على قراءة ابن عامر و الكسائى بالنصب ، و استأنف على قراءة غيره بالرفع[6] بقوله : ﴿ فيكون ﴾ أى من غير مهلة أصلا على [وفق -[1]] ما أراد .

و لما كان ذلك ، تسبب عنه المبادرة إلى تنزيهه تعالى عما ضربوه له من الأمثال فلذلك قال : ﴿ فسبحن ﴾ أى تنزه عن كل شائبة نقص تنزها[7] لا تبلغ أفهامكم كنهه ، و عدل عن الضمير إلى وصف يدل على غاية العظمة فقال : ﴿ الذى بيده ﴾ أى بقدرته / و تصرفه خاصة لا بيد غيره ﴿ ملكوت كل شيء ﴾ أى ملكه التام و ملكه ظاهرا و باطنا .

٣٧٧ /

(١) زيد من ظ و م و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعضها .
(٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥ - ٥) فى م : أجاب (٦) راجع نثر المرجان ٥ / ٦٠٠ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تنزه .

و لما كان التقدير: فمنه تبدأون، عطف عليه قوله: ﴿و اليه﴾ اى لا إلى غيره من التراب أو غيره، و لفت القول إلى خطابهم استصغارا [لهم -[1]] و احتقارا فقال: ﴿ترجعون ع﴾ أي معنى فى جميع أموركم و حسا بالبعث [2]لينصف بينكم، فيدخل بعضا النار و بعضا الجنة، و نبهت قراءة الجماعة بالبناء للمفعول على غاية صغارهم بكون الرجوع قهرا و بأسهل أمر، و زادت قراءة يعقوب[3] بالبناء للفاعل بأن انقيادهم فى الرجوع من شدة سهولته عليه[4] كأنه ناشئ عن فعلهم بأنفسهم اختيارا منهم، فثبت أنه سبحانه على كل شيء قدير، فثبت قطعا أنه حكيم، فثبت قطعا[5] أنه لا إله إلا هو، و أن كلامه حكيم، و ثبت بتمام قدرته أنه حليم لا يعجل على أحد بالعقاب، فثبت أنه أرسل الرسل للبشارة بثوابه و النذارة من عقابه، فثبت أنه أرسل هذا النبي الكريم لما[6] أيده به من المعجزات، و أظهره على يده من الأدلة الباهرات، فرجع آخر السورة بكل من الرسالة و إحياء الموتى إلى أولها، و اتصل فى كلا الأمرين مفصلها بموصلها، و الله الهادى [7]إلى الصواب[7] [و إليه المرجع و المآب -[8]] .

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) العبارة من هنا إلى « اختيارا منهم » ساقطة من ظ (٣) راجع نثر المرجان ٥ /٦٠٠ (٤) سقط من م (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) زيد من ظ، و زيد فيه أيضا: تم الجزء الثالث من المناسبات للشيخ العالم العلامة البقاعى رحمه الله تعالى رحمة واسعة آمين آمين، و يليه الجزء الرابع من أول سورة « الصفت » .

سورة الصّٰفّٰت[1]

مقصودها الاستدلال على آخر يئس من التنزه عن النقائص اللازم منه رد العباد للفصل بينهم بالعدل اللازم منه الوحدانية، و ذلك هو المعنى الذى أشار إليه[2] وسمها بالصافات "و انا لنحن الصافون و انا لنحن المسبحون" ﴿بسم الله﴾ أى الذى له الكمال المطلق فلا[3] يدنو من جنابه نقص ﴿الرحمن﴾ الذى منّ برحمة العدل فى الدارين ﴿الرحيم*﴾ الذى يمن على من يريد بالطاعة بالثواب و المتاب لإسقاط العقاب.

لما كان الانفراد بالملكوت لا يكون إلا مع الوحدانية بالذات، و فى ذلك استحقاق الاختصاص بالإلهية، و كان ذلك - مع أنه بحيث لايخفى على ذى لب - عندهم فى غاية البعد، و لذلك لايسلمون ما يتعلق بالملكوت و ينكرونه غاية الإنكار، ناسب أن يقسم عليه. و لما كان [من البلاغة أن يناسب بين القسم و المقسم عليه، و كان -[5]] الاصطفاف دالا على اتحاد القصد كما فى صفوف القتال و الصلاة، و كان الملائكة لا قصد لهم إلا الله من غير عائق عن ذلك فكانوا أحق الخلق بالاصطفاف، تارة للصلاة، و تارة للتسبيح و التقديس، و تارة

(١) السابعة و الثلاثون من سور القرآن، مكية، و هى مائة و إحدى و ثمانون آية عند البصريين و مائة و اثنتان و ثمانون عند غيرهم - راجع روح المعانى ٧/٢٥٦ (٢) زيد بعده فى الأصل: سبحانه، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٣) من ظ وم و مد، و فى الأصل: الذى لا (٤) من ظ وم و مد، و فى الأصل: على (٥) زيد من م و مد.

لتدبير الأرزاق، و تارة لتعذيب أهل الشقاق - إلى غير ذلك من الأمور التى لا تسعها الصدور، وكانوا بعد زجرة الإماتة ثم زجرة الإحياء المصرح بهما فى السورة الماضية ثم زجرتى الصعق و الإفاقة الآتيتين فى الزمر حين تشقق السماء بالغمام[1] و تكون وردة كالدهان، و تنفطر بسطوة المليك[2] الديان، و يتكرر ما فيها من أجرام و معان[3]، تنزل ملائكة كل ٥ سماء فتصير صفا مستديرا، ملائكة الأولى حول أهل الأرض، و ملائكة الثانية حول ملائكة الأولى و هكذا، ثم يصيرون إذا قيل "يمعشر الجن و الانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السمٰوٰت /و الارض فانفذوا" ٣٧٨/ فماج العباد بعضهم فى بعض من شدة الزحام، و طول القيام، كلما مالوا على جهة من جهاتهم زجروهم زجرا ردوهم به عن النفوذ، و صدوهم عن ١٠ النفور، تالين من كلام الملك العلام ما يليق بذلك الوقت فى ذلك المقام، مع [أن -[4]] انتظام المدبرات الناشئ[5] عن اصطفافهم[6] فى التدبير فى طاعة الملك القدير دال على الوحدانية، قال تعالى: ﴿و الصّٰٓفّٰت﴾ [أى الجماعات -[7]] من الملائكة و المصلين و المجاهدين المكملين أنفسهم بالاصطفاف فى الطاعة، فهو صفة لموصوف محذوف مؤنث اللفظ، ١٥ و عدل عن أن يقول: "الصافين" القاصر على الذكور العقلاء ليشمل[7]

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و الغمام (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الملك (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امعان (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اصطفاهم (٦) زيد من م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يشمل.

الجماعات من الملائكة و الجن و الإنس و الطير و الوحش و غيرها ، إشارة إلى أنه لا يؤلف بين[1] شيء منها ليتحد قصده إلا واحد[2] قهار ، و[2] انه ما اتحد قصد شيء [منها -[3]] [4]إلا استوى صفة[4] ، و لا اعتدل صفة[5] إلا اتحد زجره و هو صياحه ، و لا اتحد زجره إلا اتحد ما يذكره[1] بصوته ، و لا اتحد منه ذلك إلا نجح قصده و اتضح رشده[6] بدليل المشاهدة ، [7]و أدلها أن[7] الصحابة رضى الله عنهم لما اتحد قصدهم فى إعلاء الدين و هم أضعف[8] الأمم و أقلها عددا لم يقم [9]لهم جمع[9] من[10] الناس الذين لا نسبة[11] لهم [إليهم - [3]] فى قوة و لا كثرة ، و لم ينقض صفهم[1] و جرح القلوب [12]و أبارها زجرهم[12] ، و شرح الصدور و أنارها ذكرهم ، كما أشار إليه تعالى آخر[1] هذه السورة بقوله "و ان جندنا لهم الغلبون" و كذا غير الآدميين[13] من الحيوانات كما يرى [9]من الفار[9] و الجراد إذا أراد الله تعالى اتحاد

---

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : منها رد ، و فى م و مد : قاهر (٣) زيد من ظ و م و مد (٤ - ٤) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : استولى صنعه (٥) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : صنعه. (٦) من م و مد ،و فى الأصل و ظ : رشاده (٧-٧) من مد ، و فى الأصل : اولها امر ، و فى ظ و م : اولها أن (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اصغر (٩ - ٩) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و م و مد . (١٠) من مد ، و فى الأصل وظ و م : بين (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : شبه (١٢ - ١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابأها - كذا (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الآدمى .

قصده فى شىء فانه يغلب فيه[1] من يغالبه[2]، و يقهر من يقاويه أو يقالبه[3]، فبان أن الخير كله فى الوحدة[4] و أنه *لاصلاح* بدونها، فبان أن الإله[6] لايكون متكبرا بوجه من الوجوه، فصح ما أريد[7] بالقسم، و أتحد جدا بالمقسم عليه و التأم و التحم بـــه أىّ التحام، و انتظم معناهما كل الانتظام. ٥

و لما كان التأكيد بالمصدر أدل على الوحدة المرادة قال: ﴿صفا ۝﴾ و هو ترتيب الجمع على خط. و لما كان توحد القصد موجبا للقوة المهيئة للزجر، و كان [تكميل الغير مسببا عن تكميل النفس و مرتبا عليه، و أشرف منه لو تجرد عن التكميل، وكان -[8]] التكميل إنما يتم أمره و يعظم أثره مع الهيبة «فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد» قال عاطفا بالفاء: ١٠ ﴿فالزٰجرٰت﴾ أى المنتهرات عقب الصف كل من خرج عن أمر الله ﴿زجرا ۝﴾ أى انتهارا بالمواعظ و غيرها تكميلا لغيرهم.

و لما كانت الإفاضة مسببة عن حسن[9] التلقى المسبب عن تفريغ البال المسبب عن هيبة المفيد[10]، وكان فيض التلاوة أعظم الفيض قال: ﴿فالتٰليٰت﴾ أى التابعات استدلالا على قولهم و فعلهم و تمهيدا لعذرهم[11] ١٥

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٢) فى مد: يعالجه (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يغالبه (٤) من ظ و م و مد، وفى الأصل: الوجه. (٥-٥) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ار. (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جيش. (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العد (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لفراورهم - كذا.

و تشريفا لقدرهم، و تكميلا لغيرهم : ﴿ذكرا﴾ [1]أى موعظة[1] و تشريفا[2] و تذكيرا من ذكر ربهم إفاضة[3] على غيرهم من روح العلم و إدغام التاء فى الصاد و الزاى و الذال إشارة إلى أن ذلك مع هوله و عظمه قد يخفى عن غير من يريد الله إطلاعه عليه، فقد قطعت الصيحة[4] قلوب الكفرة من ثمود و غيرهم، و لم تؤثر فيمن آمن منهم، و قد كان جبريل عليه السلام ينزل على النبي صلى الله عليه و سلم / ما يأتى به من القرآن و الصحابة رضى الله عنهم حوله لا يستمعون شيئا منه - و الله الموفق ﴿ان الهكم﴾ أى الذى اتخذتم من دونه آلهة ﴿لواحد[5]﴾ أى فان [5]التفرق لا يأتى[5] بخير، لما يصحبه من العجز البعيد جدا عن الكمال الذى لا تكون الإلهية أصلا[6] إلا معه، فاليه لا إلى غيره ترجعون ليفصل بينكم فيما [7]كنتم فيه[7] تختلفون، [8]و هو الذى أنزل هذا الكتاب بعزته و رحمته و حرسه من اللبس و غيره بما سيذكر من كبريائه و عظمته[8] و لو لم يكن واحدا[9] لاختل أمر هذا الاصطفاف و الزجر و التلاوة، و ما يترتب عليها، فاختل نظام هذا الوجود[10] الذى نشاهده كما نشاهد فى أحوال الممالك

/ ٣٧٩

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لموعظة (٢) زيد فى الأصل : و تكميلا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : امامه (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : النصيحة . (٥ - ٥) من م و مد، و فى الأصل : المتفرق بان لايتاتى، و فى ظ : التفرق لايتاتى (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اهلا (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فيه كنتم (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : واحد (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل : الموجود .

عند اختلاف الملوك فى تغيير العوائد و نسخ الشرائع [التى -[1]] كان من قبلها أطدها [و -[2]] جميع ما له من الآثار و الخصائص، و نحن نشاهد هذا الوجود على ما أحكمه سبحانه و تعالى لايتغير شيء منه عن حاله الذى حده له، فعلمنا أنه واحد لامحالة متفرد بالعظمة، لاكفوء له من غير شك. ٥

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تضمنت سورة يس من جليل التنبيه[3] و عظيم الإرشاد و ما يهتدى الموفق باعتبار بعضه، و يشتغل المعتبر[4] به فى تحصيل مطلوبه و فرضه، و يشهد بأن الملك بجملته[5] لواحد، و إن رغم أنف المعاند و الجاحد، أتبعها[6] تعالى بالقسم[7] على وحدانيته فقال تعالى "و الصّٰفّٰت" - الآية إلى قوله تعالى "ان الهكم لواحد" إلى ١٠ قوله "و رب المشارق" ثم عاد الكلام إلى التنبيه لعجيب مصنوعاته فقال تعالى "انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب[8]" إلى قوله "شهاب ثاقب" ثم أتبع بذكر عناد من جحد مع بيان الأمر و وضوحه و ضعف ما خلقوا منه "انا خلقنٰهم من طين لازب" ثم [ذكر -[2]] استبعادهم العودة الأخروية[9] و عظيم حيرتهم و ندمهم إذا شاهدوا ما به كذبوا، ١٥

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى ظ و م: التنبية. (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المتعبر (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بجملة (٦) فى ظ: اتبعه (٧) زيد فى الأصل: دالا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٩) فى م و مد: الاخراوية.

و التحمت الآى إلى ذكر الرسل[1] مع أممهم و جريهم فى[2] العناد و التوقف و التكذيب على سنن متقارب، و أخذ كل بذنبه، و تخليص رسل الله و حزبه، و إبقاء [جميل -[3]] ذكرهم باصطفائهم و قربه، ثم عاد الكلام إلى تعنيف المشركين و بيان إفك المعتدين إلى ختم السورة - انتهى .

٥ و لما ثبت أنه واحد، أنتج وصفه بقوله: ﴿رب﴾ أى موجد و مالك و ملك و مدبر ﴿السمٰوٰت﴾ أى الأجرام العالية ﴿و الارض﴾ أى الأجرام السافلة[4] ﴿و ما بينهما﴾ أى من الفضاء المشحون من المرافق و المعاون بما[5] تعجز عن عده القوى، و هذا - مع كونه نتيجة ما مضى - يصلح أن يكون دليلا عليه لما أشار إليه من [انتظام -[3]] التدبير

١٠ الذى لايتهيأ[6] مع التعدد كما أن المقسم به هنا إشارة إلى دليل الوحدانية أيضا بكونه على نظام واحد دائما فى الطاعة التى أشير إليها بالصف و الزجر و التلاوة، فسبحان من جعل هذا القرآن معجز النظام، بديع الشان بعيد المرام .

و لما كان السياق للافاضة[7] بالتلاوة و غيرها، و كانت جهة الشروق

١٥ جهة الإفاضة بالتجلى الموجد للخفايا الموجب للتنزه عن النقائص،

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المرسل (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السفلية (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ما (٦) زيد فى الأصل و ظ: الا، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالافاضة .

[1]و كان الجمع أليق بالاصطفاف الناظر إلى القهر بالائتلاف[1] قال :
﴿و رب المشارق﴾ / أى الثلاثمائة و الستين التى تجلى عليكم[2] كل يوم ٣٨٠ /
فيها الشمس و القمر و سائر الكواكب السيارة [على كر -[3]] الدهور
و الأعوام ، و الشهور [و الأيام -[4]] ، على نظام لاينحل ، و مسير لايتغير
و لايختل ، و ذكرها يدل قطعا على المغارب لأنها تختلف بها ، و أعاد ٥
الصفة معها تنبيها على وضوح دلالتها بما فيها مما السياق له من الاصطفاف
الدال على حسن الائتلاف ، و للدلالة[5] على البعث[6] بالآيات بعد الغياب[7] .

و لما كانت المشارق تقتضى الفيض و الإظهار ، أتبع ذلك نتيجته
بما من شأنه الشروق و الغروب و لو بمجرد الخفاء و الظهور ، فقال مؤكدا
مع لفت الكلام إلى التكلم فى مظهر العظمة تنبيها على أن فعلهم فعل ١٠
من ينكر ما للنجوم من الزينة و ما تدل عليه من عظمته سبحانه و تعالى ،
و فخم التعبير عن الزينة بتضعيف[8] الفعل لمثل ذلك :[9] ﴿ انا زينا ﴾ أى
بعظمتنا التى لاتدانى ﴿ السمآء ﴾ [و لما كانوا لايرون إلا ما يليهم من
السماوات ، و كانت زينة النجوم ظاهرة فيها قال -[9]] : ﴿الدنيا﴾ [أى -[10]]
التى هى أدنى السماوات إليكم . ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليهم .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى
الأصل : للاية (٦) فى الأصل بياض ملأناه من مد (٧) العبارة من «و للدلالة»
إلى هنا ساقطة من م (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بتضيف (٩) زيد
من مد (١٠) زيد من م و مد .

و لما أشير إلى أن الصف زينة فى الباطن باتحاد القصد كما أنه زينة فى الظاهر بحسن الشكل و بديع الرصف[١] ، زيد فى التنبيه على ذلك باعادة ما فهم من "زينا" فى قوله : ﴿ بزينة نالكواكب ﴾ أى بالزينة[٢] التى للنجوم[٣] النيرة البراقة المتوقدة الثابتة فى محالها - قارة أو مارة - المرصعة فى السماء ترصيع المسامير الزاهرة كزهر النور المبثوث فى خضرة الرياض الناضرة ، فهى مع عدم التنوين و الخفض إضافة [بيانية - ٤] كثوب خز ، و من نوّن الزينة فان خفض الكواكب فعلى البدل ، أى بالكواكب التى هى زينة ، و إن نصب فعلى [المدح - ٥] بتقدير أعنى ، أو على أنه بدل اشتمال من السماء ، أى كواكبها ، إما بكونها[٦] فيما دونها[٧] من الجو فيظن[٨] أنها فيها ، أو بكونها فيها من[٩] جانبها الذى يلينا ، أو بكونها تشف [عنها - ٥] و إن كان بعضها فيما [هو - ٤] أعلى منها ، و زينتها انتظامها و ارتسامها[١٠] [على - ٤] هذا النظم البديع فى أشكال متنوعة و صور مستبدعة[١١] ما بين صغار و كبار ، منها[١٢] ثوابت و منها[١٣] سيارة و شوارق

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الوصف (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الزينة (٣) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بكونه (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دونه . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيظن (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ارتسابها (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مستبعدة (١٢) سقط من ظ و م و مد .

و غوارب

و غوارب - إلى غير ذلك من الهيئات التى لاتحصى، و لا حد لها عند العباد العجزة[1] فيستقصى .

و لما كان كون الشيء الواحد لأشياء متعددة أدل على القدرة و أظهر فى العظمة[2]، قال دالا بالعطف[3] على غير معطوف عليه ظاهر على مقدر يدل على أن الزينة بالنجوم أمر مقصود لا اتفاقى[4]: ﴿و حفظا﴾ ٥ أى زيناها بها للزينة و للحفظ ﴿من كل شيطن﴾ أى بعيد عن الخير محترق . و لما كان القصد التعميم فى الحفظ عن كل عاتٍ سواء كان بالغا فى العتو أو لا قال: ﴿مارد﴾ أى مجرد عن الخير عاتٍ فى كل شر[5] سواء كان بالغا فى ذلك أقصى الغايات أو كان فى أدنى الدرجات كضارب و ضراب[5] . ١٠

و لما كان المراد فى سورتى[6] النساء و الحج[6] ذم الكفرة بفعل ما ليس فى كونه شرا لبس، و بوضع النفس باتباع ما لا شك فى دناءته ببعده عن الخير بعد الإخفاء به، عبر بالمريد للمبالغة . و كما أنه حرس السماء المحسوسة بما ذكره سبحانه و تعالى فكذلك[7] زين عز وجل قلوب الأولياء التى هى كالسماء لأراضى أجسامهم بنجوم المعارف، فاذا مسهم طيف ١٥

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العجز (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النعمة (٣) فى م و مد: بالعاطف (٤) زيد فى الأصل: قدرة الهية عجيبة يعجز عنها كل ذى سلطان قال تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦-٦) فى م و مد: الحج و النساء (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فكان كذلك .

/٣٨١ من الشيطان / تذكروا فرشقته شهب أحوالهم و معارفهم و أقوالهم .
و لما تشوف السامع إلى معرفة هذا الحفظ و ثمرته و بيان كيفيته ، استأنف
قوله : ﴿لايسمعون﴾ أى الشياطين المفهومون من كل شيطان ، لايتجدد
لهم سمـــع أصلا ، قال ابن الجوزى : قال الفراء : " لا " هنا كقوله
٥ " كذلك سلكنٰه فى قلوب المجرمين لايؤمنون به " و يصلح فى "لا"
على هذا المعنى الجزم ، و العرب تقول : ربطت فى شىء لاينفلت - انتهى .
و يؤخذ من التسوير[1] بكل ثم الجمع[2] نظرا إلى المعنى ، و الإفراد لضمير
الخاطف و للخطفة[3] أنهم معزولون عن السمع [جمعهم -[4]] و مفردهم من
الجمع ، و أن الخطف يكون - إن اتفق - فى الواحد لا الجمع[5] و من
١٠ الواحد لا الجمع[5] ، و للكلمة[6] و ما فى حكمها لا أكثر ، و إليه يشير حديث
الصحيح[7] « تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى » و أكد بعدهم باثبات[8]
حرف الغاية ، فقال مضمنا " سمـــع " بعد قصره معنى « انتهى » أو
« أصغى » ليكون [المعنى -[9]] : لاينتهى سمعهم أو تسمعهم[10] أو إصغاؤهم
﴿الى الملا﴾ أى الجمع العظيم الشريف[11] ، و أوضحت هذا المعنى قراءة

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : التسوى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انتج (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للحفظة (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكلمة (٧) راجع أبواب الطب و التوحيد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالموت (٩) زيد من م و مد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل : تسمع .
(١١) العبارة من هنا إلى « من جمع فقال » ص ١٩٧ س ٥ ساقطة من م .

من شدد السين و الميم[1] بمعنى يتسمعون، أى بنوع حيلة[2]، تسمعا[3] منتهيا إلى ذلك، و هو يفهم أنهم يتسمعون، و لكن لاينتهى تسمعهم إلى ما ذكر، بما أشار إليه الإدغام، و يشير أيضا إلى أنهم يجتهدون فى إخفاء أمرهم، و أفرد الوصف دلالة أيضا على أن العطف يكون من واحد لا من جمع فقال: ﴿الاعلى﴾ أى مكانا و مكانة بحيث يملأون العيون ٥ بهجة و الصدور هيبة.

[4]و لما كان التقدير: لأنهم يطردون طردا قويا، دل عليه بالعاطف[5] فى قوله[6]: ﴿و يقذفون﴾ أى الشياطين يرمون رميا وحيا شديدا يطردون به، و بنى للمفعول لأن النافع قذفهم لا تعيين قاذفهم، مع أنه أدل على القدرة الإلهية عزت و جلت[7] ﴿من كل جانب﴾ أى من جوانب ١٠ السماوات بالشهب إذا قصدوا السماع بالاستراق[8] ﴿دحورا﴾ أى قذفا يردهم مطرودين صاغرين مبعدين[9]، فهو تأكيد للقذف بالمعنى أو مفعول له أو حال.

و لما كان هذا ربما كان سببا لأن يظن ظان[10] أنهم غير مقدور

(١) راجع نثر المرجان ٦ / ٥ (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: تسميعا (٤) العبارة من هنا إلى «فى قوله» ساقطة من م (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بالفاظ (٦) زيد بعده فى الأصل: «سبحانه و تعالى بما يفعل بهم» و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) العبارة من «مع أنه» فى م، و من «الإلهية» فى ظ و مد ساقطة إلى هنا (٨) سقط من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مبعودين (١٠) سقط من م و مد.

عليهم فى غير هذه الحالة بغير هذا النوع أخبر أنهم فى قبضته، و إنما جعل حالهم هذا فتنة لمن أراد من عباده، فقال معبرا[1] باللام التى يعبر بها غالبا عن[2] النافع تهكما بهم: ﴿ و لهم عذاب ﴾ أى فى الدنيا بهذا و بغيره، و فى الآخرة يوم الجمع الأكبر ﴿ واصب ﴾ أى دائم[3] ممرض موجع كثير الإيجاع مواظب على ذلك ثابت [عليه -[4]] و إن افترق الدوامان فى الاتصال و العظم و الشدة و الألم.

و لما ثبت بهذا حراسة القرآن بقدرة الملك الديان عن لبس الجان، و كان بعضهم مع هذا يسمع فى بعض الأحايين ما أراد الله أن يسمعه ليجعله فتنة لمن أراد من عباده مع تميز القرآن بالإعجاز، استثنى من فاعل "يسمعون" قوله: ﴿ الا من خطف ﴾ و دل على قلة ذلك بعد إفراد[6] الضمير بقوله: ﴿ الخطفة ﴾ أى اختلس الكلمة أو أكثر، مرة من المرات منهم، و دل على قوة انقضاض الكواكب فى أثره[7] بالهمزة فى قوله /: ﴿فاتبعه﴾ مع تعديه بدونها، أى تبعه بغاية ما يكون من السرعة حتى كأنه يسوق نفسه و يتبعها له كأن الله سبحانه و عز شأنه هيأها لئلا تنقض إلا فى أثر من سمع منهم حين سماعه سواء لا يتخلف ﴿ شهاب ﴾ أى شعلة نار من الكوكب أو غيره ﴿ ثاقب ﴾ /٣٨٢

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مشيرا (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فمن (٣) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م. (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مما افرد (٧) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها.

أى يثقب ما صادفه من جنى و غيره و إن كان الجنى من نار فانه ليس نارا خالصة ، و على التنزل فربما كان الشيء الواحد أنواعا بعضها أقوى من بعض ، فيؤثر أقواه فى أضعفه كالحديد ، و تارة يخطئ الجنى و تارة يصيبه ، و إذا أصابه فتارة يحرقه فيتلفه و تارة يضعفه .

و لما كان المقصود من هذا الكتاب الأعظم بيان الأصول الأربعة : التوحيد و النبوة و المعاد و إثبات القضاء و القدر ، و دل سبحانه بهذه المذكورات على وجوده و كمال علمه و تمام قدرته على الأفعال الهائلة و بديع حكمته اللازم منه إثبات وحدانيته تفصيلا لبعض إجمال " او ليس الذى خلق السموٰت و الارض " فكان ما دونها من الأفعال أولى ، سبب عن ذلك لإثبات الحشر [1]الذى أخبر به هذا القرآن الذى [2]حرسه عن[2] تلبيس الجان بزينة الكواكب التى أنشأ منها الشهب الثواقب قوله [3]تهكما بهم[3]: ﴿فاستفتهم﴾ أى سلهم أن يتفتوا [4]بأن يبينوا[4] لك ما تسألهم عنه من إنكارهم البعث ، و أصله من الفتوة و هى الكرم : ﴿اهم اشد﴾ أى أقوى و أشق و أصعب ﴿ خلقا ﴾ أى من جهة إحكام الصنعة و قوتها و عظمها ﴿ام من﴾ و لما كان المراد الإعلام بانه لا شيء من الموجودات إلا و هو خلقه سبحانه ، عبر بما يدل على ذلك دون ذكرنا ، و ليكون أعم ، و حذف المفعول لأنه مفهوم ، و لئلا يلبس إذا ذكر ضمير المستفتين ،

(١) العبارة من هنا إلى « الثواقب » ساقطة من م (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : حرسر على (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان ينبوا .

فقال : ﴿ خلقنا ﴾ أى من هذه الأشياء التى عددناها من الحى و غيره من الجن الذين أعطيناهم قدرة التوصل إلى الفلك و غيرهم ، و عبر بـ "من" تغليبا للعاقل من الملائكة و غيرهم مما بين السماوات و الأرض .

و لما كان الجواب قطعا أن هذه المخلوقات أشد خلقا منهم و أنهم هم من أضعف الخلائق خلقا ، قال دالا على إرادة التهكم بهم فى السؤال ، مؤكدا إشارة إلى أن إنكارهم البعث لاستبعادهم[1] تمييز التراب من التراب يلزم منه إنكار ابتداء الخلق على هذا الوجه : ﴿ انا خلقنهم ﴾ أى على عظمتنا ﴿ من طين ﴾ أى تراب رخو مهين ﴿ لازب ﴾ أى شديد اختلاط بعضه ببعض [2]فالتصق و ضمر[3] و تضايق و تلازم بعضه لبعض ، و قل و اشتد و دخل بعض أجزائه فى بعض ، و صلب و ثبت فصار تميز بعضه من بعض أصعب من تميز بعض التراب المنتثر من بعض ، قال ابن الجوزى : قال ابن عباس رضى الله عنهما : هو الطين الحر الجيد اللزق . و إنما كانوا[4] من طين لأن أباهم آدم كان منه من غير أب و لا أم ، فصاروا بهذا التقدير بعض الطين الذى هو بعض خلقه الذى عدده قبل ذلك سبحانه و تعالى / ، و من المعلوم أن حال الطين مباعدة[5] لحالهم ، و لكنهم كانوا بقدرته سبحانه الذاتية التى لايمتنع عليها مقدور ، و لا يعجزها مأمور ، فدل ابتداء خلقهم و خلق ما هو أشد منهم و أعظم

/ ٣٨٣

(١) فى م و مد : لاستبعاد (٢) العبارة من هنا إلى « فى بعض » ساقطة من م .
(٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ضم (٤) من م و مد ، و فى الأصل : كان .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ماعده .

على القدرة على إعادتهم قطعا بل بطريق الأولى من غير وجه ، [1] و حسن هذا الاستفتاء كل الحسن ختم [2] الكلام قبله بمن بلغوا السماء تكبرا و علوا ، و همموا بما لم ينالوا تجبرا [3] و علوا ، و سلط عليهم ما يردهم مقهورين مبعدين مدحورين ، و استثنى منهم من "خطف" ليعلم أنه غير محال ما تعلقت به منهم الآمال ، هذا مع ما ذكره فى خلقهم من الطين ٥ اللازب الذى من شأنه الرسوب [لثقله - [4]] و السفول كما [أن - [4]] من شأن [5] من ختم بهم ما قبله [6] العلو لخفتهم و الصعود .

و لما كان من المعلوم قطعا أن المراد بهذا الأمر بالاستفتاء [7] إنما هو التبكيت لأن من المعلوم قطعا أن الجواب : ليسوا أشد خلقا من ذلك ، فليس بعثهم ممتنعا ، [8] و ليست غلبتهم لرسول الواحد القهار - ١٠ الذى حكمه فى هذا الوحى باظهاره على الدين كله - بجائزة [9] أصلا ، نقلا و لاعقلا ، بوجه من الوجوه ، فلا شبهة لهم فى إنكاره و لا فى ظنهم [10] أنهم يغلبون [11] [رسولنا - [4]] ، بل هم فى محل عجب [شديد - [12]] فى إنكاره و ظنهم أنهم غالبون فى الدنيا ، عبر عن ذلك بقوله ، مسندا العجب إلى

---

(١) العبارة من هنا إلى « و الصعود » ساقطة من م (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بختم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : بخير (٤) زيد من ظ و مد . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : شانه ان (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيه (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالاستغال (٨) العبارة من هنا إلى « لاعقلا » ساقطة من م (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بجايز (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ظن (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غالبون (١٢) زيد من م و مد .

أجلّ الموجودات أو أجلّ المخلوقات تعظيما له بمعنى أنه قول يستحق أن يقال فيه: إنه لايدرى ما الذى أوقع[1] فيه وكان سببا لارتكابه، فقال: ﴿ بل عجبت ﴾ بضم التاء على قراءة حمزة والكسائى[2] لفتا للقول من مظهر العظمة للتصريح باسناد التعجب إليه سبحانه إشارة إلى تناهى هذا العجب إلى حد لايوصف لإسناده إلى من هو منزه عنه، وبفتحها عند الباقين أى من جرأتهم فى إنكارهم البعث [و ـ[3]] لاسيما وقد دل عليه القرآن فى هذه الأساليب الغريبة والوجوه البديعة العجيبة التى لايشك فيها من له أدنى تصور، وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم ظن كما هو اللائق أنه لا يسمع القرآن أحد إلا آمن به، قال القشيرى: وحقيقة التعجب تغير النفس[4] بما خفى[5] فيه السبب مما لم تجر[6] العادة بحدوث مثله، ومثل هذا حديث[6] الصحيحين[7] عن أبى هريرة رضى الله عنه[8] أنه صلى الله عليه وسلم قال لأم سليم وأبى طلحة رضى الله عنهما: ضحك ـ وفى رواية: عجب ـ الله من فعالكما الليلة، وحديث البخارى[9] رحمه الله

---

(١) من ظ وم ومد، وفى الأصل: رفع (٢) راجع نثر المرجان ٦ / ٨.
(٣) زيد من ظ وم ومد (٤-٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لاخفا.
(٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لم تجرى (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الحديث فى (٧) زيد بعده فى الأصل: ما روى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٨) راجع صحيح البخارى باب ويؤثرون على أنفسهم ـ مناقب الأنصار، ولم نقف بهذا الحديث فى صحيح مسلم فى مظانه (٩) لم نقف به فى صحيح البخارى فى مظانه بل اخرجه أبو داود فى أبواب الجهاد والإمام أحمد فى مسنده ٢ / ٣٠٢ وغيرها.

عن

عن أبي هريرة رضى الله عنه أيضا: عجب ربنا من أقوام يقادون إلى الجنة فى السلاسل . و مثله كثير، و المعنى فى الكل التنبيه على عظم الفعل و أنه خارق للعادة، و يجوز أن يكون المعنى أنهم لم[1] ينكروه لقلة الدلائل عليه، بل قد أتى من دلائله ما يعجب إعجابا عظيما من كثرته و طول الأناة فى مواترته[2] ﴿و يسخرون ۝﴾ أى حصل لك العجب و الحال أنهم يجددون السخرية كلما جئتهم بحجة ﴿و اذا ذكروا﴾ أى وعظوا من أىّ واعظ كان بشىء هم به عارفون[3] جدا يدلهم على البعث مثل ما يذكرون به / من القدرة، مع أنه لايجوز فى عقل عاقل منهم أن أحدا يدع مَن تحت يده بلا محاسبة ﴿لايذكرون ۝﴾ أى [لا -[4]] يعملون[5] بموجب التذكير . / ٣٨٤

و لما ذكر إعراضهم عن المسموع، أتبعه إعراضهم عن المرئى فقال: ﴿و اذا رأوا اٰية﴾ أى علامة على صدق الرسول صلى الله عليه و سلم فى ذلك و غيره ﴿يستسخرون ۝﴾ أى يطلبون السخرية بها بأن يدعو بعضهم بعضا لذلك من شدة استهزائهم .

و لما كان إنكارهم للبعث و لو صدر منهم مرة واحدة[6] فى الشناعة و العظم و القباحة مثل تجديدهم[7] للسخرية كلما سمعوا آية و المبالغة فيها

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لن (٢) من م و مد، و فى الأصل: مواثرته، و فى ظ: موثراته (٣) زيد فى الأصل و ظ: به، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى ظ ومد: يعلمون . (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: واحد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تجددهم .

لأن دلائله من الظهور و الوضوح بمكان هو فى غاية البعد عن الشكوك ، دل على ذلك بالتعبير بالماضى[1] فقال : ﴿ و قالوآ ﴾ أى ما هو [2]غاية فى[2] العجب : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هذآ ﴾ أى الذى أتانا به من أمر البعث و غيره مما[3] شاهدناه أو أخبرنا به ﴿الا سحر﴾ أى خيال و أمور موهة لا حقائق لها ﴿مبين ج ج ج﴾ أى ظاهر فى نفسه و مظهر لسخريته ثم خصوا البعث بالإنكار إعلاما بأنـــه أعظم مقصود بالنسبة إلى السحر فقالوا [مظهرين -[4]] له فى مظهر الإنكار : ﴿ ءائذا متنا ﴾ و عطفوا عليه ما[5] هو موجب عندهم لشدة الإنكار [فقالوا -[6]] : ﴿ و كنا ﴾ أى كونا هو فى غاية التمكن ﴿ ترابا ﴾ [7]قدموه لأنه أدل على مرادهم لأنه أبعد عن الحياة[7] ﴿ و عظاما ﴾ كأنهم جعلوا كل واحد من الموت و الكون إلى الترابية المحضة و العظامية المحضة أو المختلطة منهما مانعا من البعث ، و هذا بعد اعترافهم أبن ابتداء خلقهم [كان - [4]] من التراب مع [8]أن هذا ظاهر جدا ، و لكن عقول ضلها باريها[8] ، ثم كرروا [9] الاستفهام الإنكارى[9] على قراءة من قرأ به زيادة فى الإنكار فقالوا : ﴿ ءانا لمبعوثون لا ﴾ .

و لما كان المعنى: [10]أيثبت بعثنا[10] ، عطفوا عليه قولهم مكررين للاستفهام

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى الماضى (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى غاية (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كما (٦) زيد من م ومد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٩ - ٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الانكار الاستفهامى . (١٠-١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اثبت بعثا .

الإنكارى تأكيدا لزيادة استبعادهم حتى أنهم قاطعون[1] بأنه محال فقالوا [2]قولا واهيا[2] : ﴿ ا و [3]آباؤنا ﴾ أى يثبت[3] بعثنا و كذا آباؤنا ، و زادوا فى الاستبعاد بقولهم : ﴿ الاولون ﴾ أى الذين طال مكثهم فى الأرض تحت أطباق الثرى و انمحقت أجزاؤهم بحيث لم يبق لهم أثر ما ، و مرت الدهور و لم يبعث أحد منهم يوما من الأيام ، يدلنا بعثه على ما يدعى من ذلك .

و لما بالغوا هذه المبالغات[4] فى إنكاره بعد قيام البراهين [5]فى هذه السورة و غيرها[5] على جوازه بل وجوبه عادة ، أمره بأن يجيبهم بما يقابل ذلك فقال تعالى : ﴿قل نعم﴾ أى تبعثون على كل تقدير قدرتموه ، [و ذكر حالهم بقوله -[6]] : ﴿ و انتم داخرون ﴾ أى[7] مكرهون عليه[7] صاغرون [5]ذليلون حقيرون[5] . ثم سبب عن الوعد بتحتم كونه ما يدل [على -[7]] أنه [8]غاية فى[8] الهوان فقال : ﴿ فانما ﴾ أى يكون ذلك بسبب أنكم تزجرون فتقومون ، و الزجرة التى يقومون بها إنما ﴿ هى زجرة ﴾ اى صيحة ، و أكد ما يفهمه من الوحدة لأجل إنكارهم تصريحا بذلك و تحقيرا لأمر البعث فى جنب قدرته سبحانه و تعالى فقال : ﴿ واحدة ﴾ و هى الثانية التى كانت الإماتة لجميع الأحياء فى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قاطعين به (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اثبت (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المبالغة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) زيد من مد (٧) زيد من م و مد (٨ - ٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى غاية .

آن واحد بمثلها[1] . و أصل الزجر الانتهار و يكون لحث أو منع ، و إنما يكون ذلك للقدور عليه / الذى فعل ما يغضب الزاجر ، فلذلك سمى [2]الصيحة زجرة[2] . ٣٨٥ /

و لما كان هذا الكلام مؤذنا بالغضب ، حققه بصرف الكلام عن خطابهم جعلا لهم بمحل البعد و تعميما لغيرهم ، فقال معبرا بالفاء المسببة المعقبة و أداة المفاجأة : ﴿ فاذا هم ﴾ أى جميع الأموات بضمائرهم و ظواهرهم القديم منهم و الحديث أحياء ﴿ ينظرون ٥ ﴾ أى فى الحال من غير مهلة اصلا ، و لا فرق بين من صار كله ترابا و من لم يتغير أصلا ، [3]و من هو بين ذلك ، و لعله خص النظر بالذكر لأنه لا يكون إلا مع كمال الحياة ، و لذلك قال صلى الله عليه و سلم[4] : إذا قبض الروح تبعه البصر . و أما السمع فقد يكون لغير الحى لأنه صلى الله عليه و سلم قال فى الكفار من قتلى بدر : ما أنتم بأسمع لما[5] أقول منهم . و شاهدت أنا فى بلاد العرقوب المجاورة لبانياس[6] من بلاد الشام شجرة شوك يقال لها الغبيراء متى قيل عندها « هات[7] لى المنجل لأقطع هذه الشجرة » أخذ ورقها فى الحال فى الذبول - فالله أعلم ما سبب ذلك .

و لما حصل الغرض من تصوير حالهم بهذا الفعل المضارع ، عطف

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يمثلها (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الزجرة صيحة (٣) العبارة من هنا إلى ما سنفيه عليه ساقطة من مد (٤) راجع أبواب الجنائز من صحيح مسلم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لبابياس (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : هان .

عليه

عليه بصيغة المضى التى معناها الاستقبال إعلاما بتحقق الأمر تحقق ما مضى وكان ، و تحققه مع القيام سواء من غير تخلف و لاتخلل زمان أصلا فقال[1] : ﴿و قالوا﴾ أى كل من جمعه البعث من الكفرة معلمين[2] بما انكشف لهم من أنه لا ملازم لهم غير الويل : ﴿ يٰويلنا ﴾ أى يا من ليس[3] لنا نديم غيره ﴿هذا يوم الدين ۝ ﴾ أى الجزاء لكل عامل . ٥

و لما كان قولهم هذا إنما هو للتحسر على ما فاتهم من التصديق النافع به ، زادوا فى ذلك بقولهم يخاطب بعضهم بعضا بدلا أو وصفا بعد وصف [4]دالين باعادة[5] اسم الإشارة على ما داخلهم من الهول : ﴿ هذا يوم الفصل ﴾ أى الذى يفصل فيه بين الخصوم ؛ ثم زادوا تأسفا و تغما[6] و تلهفا بقولهم ، لافتين القول عن التكلم إلى الخطاب لأنه أدل ١٠ على ذم بعضهم لبعض و أبعد عن [7]الإنصاف بالاعتراف[7] : ﴿الذى كنتم﴾ أى [يا -[8]] دعاة الويل جبلة و طبعا ﴿به تكذبون ۝ ﴾ و قدموا الجار إشارة إلى عظيم تكذيبهم به ، فبينهم فى هذا التأسف إذ برز النداء بما يهدئ قواهم ، و يقر قلوبهم و كلامهم ، لمن لايعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون من الملائكة [9]الشداد الغلاظ[9] باذلالهم و إصغارهم ، و ليان ١٥ السرعة لذالك من غير تنفيس[10] أسقط ما يدل على النداء من نحو قوله[11] :

---

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : فقالوا (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : معنين . (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ليتو (٤) العبارة من هنا إلى « من الهول » ساقطة من م (٥) من ظ ، و فى الأصل : باداة (٦) فى ظ : تفهما (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الاعتراف (٨) زيد من ظ و م (٩-٩) فى ظ : الغلاظ الشداد (١٠) من م ، و فى الأصل وظ : تنفس (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : قولهم .

فقيل للملائكة ، أو فقلنا ، أو فبرز النداء من جانب سلطاننا - و نحو هذا : ﴿ احشروا ﴾ أى اجمعوا بكره و صغار و ذل أيها الموكلون بالعباد من[1] الأجناد ، [2]و أظهر تعريفا بوصفهم الموجب لحتفهم فقال[2] : ﴿الذين ظلموا﴾ أى بما كانوا فيه فى الدنيا بوضع الأشياء فى غير محالها من الخبط الذى لايفعله إلا من هو فى أشد الظلام ﴿ و ازواجهم ﴾ أى أتباعهم الذين استنوا بهم فى ذلك الضرب من الظلم و أشباههم فيه من الجن و غيرهم و من[3] أعانهم و لو بشطر[4] كلمة أو[5] رضى فعلهم لتصير كل طائفة على حدة فيصير بعضهم يبكت بعضا و بعضهم يشتم بعضا ﴿ و ما كانوا﴾ أى بما دعتهم إليه طباعاتهم المعوجة ﴿ يعبدون ﴾ أى مواظبين على عبادته رجاء منفعته تحقيقا لخسارتهم بتحقق اعتمادهم على غير معتمد ، و هو يعم / المعبود حقيقة أو مجازا بالتزيين "و من سبقت له الحسنى[6]" مستثنى بآية الأنبياء ، و[7] أشار إلى سفول رتبة معبوداتهم و تسفيه آرائهم بانتحال الأذى بقوله [2]صارفا الأسلوب من المتكلم و لو بمظهر العظمة إلى أعظم منه[2] : ﴿من دون الله﴾ أى الذى تفرد بنعوت العظمة و صفات الكمال ، و المراد الذين رضوا بعبادتهم لهم ، لم ينكروا عليهم ذلك و يامروهم بتوحيد الله .

/٣٨٦

(١) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بشرط .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لو (٦) زيد بهامش م : اولئك عنها مبعدون .
(٧) من م ، و فى الأصل و ظ : او .

و لما كانوا قد سلكوا فى الدنيا طريق الشقاء [المعنوية -[1]] استحقوا أن يلزموا فى القيامة سلوك طريقه الحسية ، فلذلك سبب عن الأمر بحشرهم قوله تهكما بهم و تحسيرا لهم : ﴿ فاهدوهم ﴾ أى دلوهم دلالة لا يرتابون معها ليعرفوا - مع ما هم فيه من الإكراه[2] على سلوكها - مآلهم ، فيكون ذلك أعظم فى نكدهم ؛ قال الرازى ، و أصل الهداية التقدم ، و العرب ٥ تسمى السابق هاديا ، يقال : أقبلت هوادى الخيل أى أعناقها[3] ، و الهادية : العصى - لأنها تتقدم ممسكها ، و نظر فلان هدى أمره أى جهته . ثم أشار إلى طول وقوفهم و سوء مقامهم[4] بقوله بأداة الانتهاء : ﴿ الى صراط الجحيم ﴾ أى طريق النار الشديدة التوقد الواضح الذى لا لبس عندهم بأنه يشترطهم فيؤديهم إليها ، و خص هذا الاسم إعلاما ١٠ بشديد توقدها و عظيم تأججها ، و بعد قعرها و ضخامة غمرتها ، بتراكم بعضها فوق بعض و قوة اضطرامها ، و علو شأنها و اصطلامها ، و صلابة اضطرابها و تحرقها و اشتمالها على داخليها و تضايقها ، و فيه تهكم بهم فى كونهم على غير ما كانوا عليه فى الدنيا من التناصر و التعاضد .

و لما كان المقصود من تعريفهم طريق النار أولا ازدياد الحسرة ، ١٥ صرح بما أفهمه حرف الغاية من طول الحبس فقال : ﴿ و قفوهم ﴾ أى احبسوهم واقفين بعد ترويعهم بتلك الهداية التى سببها الضلال ، فكانت

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : الاكرام (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اضافتها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : بمقالهم .

ثمرتها الشقاوة ، و إيقافهم يكون عند الصراط ـ نقله البغوى[1] عن المفسرين ، قال : لأن السؤال عند الصراط . ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انهم مسئولون ﴾ و جمع عليهم الهموم بهذه الكلمة لتـــذهب أوهامهم كل مذهب ، فلا تبقى حسرة إلا حضرتهم ، و لامصيبة إلا علت قلوبهم فقهرتهم ، فان المكلف كله ضعف و عورة ، فوقف السؤال عليه أعظم حسرة .

و لما أوقفوا هذا الموقف الذليل ، قد شغلهم ما دهمهم من الأسف عن القال و القيل ، نودوا من مقام السطوة ، و حجاب الجبروت و العزة ، زيادة فى [تأسيفهم و ـ[2]] توبيخهم و تعنيفهم لفتا عن سياق الغيبة إلى الخطاب دلالة على أعظم خيبة : ﴿ ما لكم ﴾ أى أىّ شىء حصل لكم فشغلكم و ألهاكم حال كونكم ﴿ لا تناصرون ﴾ أى ينصر بعضكم بعضا ، و يتسابقون فى ذلك تسابق المتناظرين[3] فيه أولى الجد و الشكيمة و النخوة و الحمية و لو بأدنى[4] التناصر ـ بما يفهمه إسقاط التاء[5] ، أو بعد تمكث و إعمال حيلة ـ بما أشارت إليه قراءة البزى عن ابن كثير[6] بالمد و الإدغام : أين قولكم فى[7] بدر « نحن جميع منتصر » معبرين بما دل على ثبات المناصرة .

و لما كان قد دهمهم من الأمر ما أوجب إبلاسهم ، و أحدّ[8]

---

(١) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٦/١٧ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : المنظرين (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بادنى . (٥) العبارة من هنا إلى « بالمد و الإدغام » ساقطة من م (٦) راجع نثر المرجان ٦ / ١٤ (٧) زيد فى م : يوم (٨) فى ظ و م : اخذ .

إدراكهم

إدراكهم و إحساسهم ، أشار إلى ذلك باحلالهم فى محل الغيبة المؤذنة [بالإبعاد-[1]] بأن قال مضربا[2] عما تقديره : [إنهم-[1]] لايتناصرون : ﴿ بل هم ﴾ و زاد فى تعظيم ذلك الوقت و التذكير بـه فقال : ﴿ اليوم مستسلمون ﴾ أى ثابت لهم[3] استسلامهم ثباتا [4]لا زوال[4] له ، قد خذل بعضهم بعضا موجدين الإسلام أى الانقياد / إيجاد من كأنه ٥ يطلبه و يعظم فيه رغبته رجاء أن يخفف ذلك عنهم . ٣٨٧/

و لما أخبر بأنهم سئلوا فلم يجيبوا ، كان ربما ظن أنهم أخرسوا فنبه على أنهم يتكلمون بما يزيد نكدهم ، فقال عاطفا على قوله " و قالوا يٰويلنا هذا يوم الدين " إشارة إلى إقبالهم على الخصام ، حين تمام القيام ، و الأخذ فى تحريك الأقدام ، بالسير على هيئة الاجتماع و الازدحام ، ١٠ إلى مواطن النكد و الاغتمام ، و لم يعطفه بالفاء لأنه ليس مسببا عن القيام ، و لا عن الإيقاف للسؤال ، بخلاف ما يأتى عن أهل الجنة : ﴿ و اقبل بعضهم ﴾ أى الذين ظلموا ﴿ على بعض ﴾ أى بعد إيقافهم و توبيخهم ، و عبر عن خصامهم تهكما بهم بقوله : ﴿ يتسآءلون ﴾ أى سؤال خصومة . ١٥

و لما كان كأنه قيل : عما ذا؟ أجيب بقوله : ﴿ قالوآ ﴾ أى الأتباع لرؤسائهم مشيرين بأداة الكون إلى المداومة على إضلالهم مؤكدين لأجل تكذيب الرؤساء لهم : ﴿ انكم كنتم ﴾ و لما كانوا يستغوونهم و يغرونهم

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : معبرا (٣) سقط من م (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لاول وال - كذا .

بما تقبله عقولهم على ما جرت به عوائدهم بحيث يقطعون بذلك قطع من كان يريد الذهاب إلى أمر فتطير بالسانح و البارح، فرأى ما يحب فأقدم عليه و هو قاطع بحصوله، أشاروا[1] إلى ذلك بقولهم: ﴿تأتوننا﴾ مجاوزين لنا ﴿عن اليمين ۝﴾ أى عن القوة و القهر و الغلبة و السلطان ٥ فى حملكم لنا على الضلال، ففعلنا فى طاعتكم فعل من خرج لحاجة، فرأى ما أوجب إقدامه عليها، فهذا كان سبب كفرنا، و كان هذا التفاؤل مما[2] نسيت العرب كيفيته لما نسخه الشرع كما وقع فى الميسر[3]، فاضطرب كلام أهل اللغة فى تفسيره، قال صاحب القاموس: البارح من الصيد ما مر من ميامنك إلى مياسرك، و سنح الظبى سنوحا ضد برح. و قال ١٠ ابن القطاع فى كتاب الأفعال[4]: و سنح الشىء سنوحا: تيسر، و الطائر و الظبى: جرى عن يمينك إلى يسارك و هو يتيمن به، و قال[5] فى مادة «برح»: و برح الطائر و الظبى و غيرهما ضد سنح، و هو ما أراك ميامنه، و أهل الحجاز يتشاءمون به، و غيرهم يتيمنون به و يتشاءمون بالسانح[6]، و قال ابن مكتوم فى الجمع بين العباب و المحكم فى مادة ١٥ «برح»: و البارح خلاف السانح، و قد برح الظبى - إذا والاك مياسره يمر من[7] ميامنك إلى مياسرك، و العرب يتطير بالبارح، و فى

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اشار (٢) من م، و فى الأصل و ظ: ما.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: السير (٤) راجع ٢/١٤٠ (٥) راجع ١/ ٧١.
(٦) من م و كتاب الأفعال، و فى الأصل و ظ: بالمسانح (٧) من م، و فى الأصل و ظ: عن.

مادة « سنح » : و السانح ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك، و البارح : ما أتاك من ذلك عن يسارك، و قيل : السانح ما والاك ميامنه، و البارح ما والاك مياسره، و قيل، السانح ما يجيء عن يمينك فتلى مياسره مياسرك، و العرب تختلف فى عيافة ذلك، فمنهم من يتيمن بالسانح و يتشاءم بالبارح، و على هذا المثل : من لى بالسانح بعد البارح، قال فى القاموس : أى بالمبارك بعد المشؤوم[1]، و منهم من يتشاءم بالسانح، و قال الإمام أبو[2] عبد الله القزاز فى مادة « سنح[3] » : و السانح من الطير و الظباء و غيرهما هو الذى يأتيك عن يمينك أخذا على يسارك، فيوليك مياسره، فيمكنك رميه، و أكثر العرب يتيمن به، و قال فى مادة « برح » : و البارح من الطير و الظبى هو خلاف السانح، و هو الذى يلقاك و شمائله عن شمائلك، و هو مما[3] يتيمن به أهل العالية، و يتشاءمون بالسانح، [و السانح ـ[4]] هو الذى يلقاك و ميامنه عن ميامنك، و هو مما يتيمن به أهل نجد و يتشاءمون بالبارح، و البارح أبين فى التشاؤم به من السانح، لأن البارح هو الذى يأخذ /عن[5] يسارك إلى يمينك فلا يمكنك طعنه، فيتشاءم به لتعذره على الطاعن أو الرامى، و لذلك قال أبو داود : قلت : لما برز امن فيه[6] كذب العير و إن كان برح، يقول : كذب إذ طمع أن ينجو، و إن كان قد برح و صعب

/ ٣٨٨

(١) فى القاموس : الشؤم (٢) من ظ و م، و فى الأصل : ابى (٣) من ظ و م، و فى الأصل : ما (٤) زيد من ظ و م (٥) فى م : من (٦) فى م : قنه.

على إمكان طعنه، و تطير من تيمن[1] به بسلامته و خلاصه من الطاعن، و تطير من تيمن بالسانح بأنه يأتى من ميامنك إلى مياسرك، فيمكنك من طعنه، و من تشاءم به تطير بقلة سلامته و وقوعه فيما يكره، و من [2]الطير الجابـــه[2] و هو [الذى - [3]] يلقاك مواجهة، و منه[4] الناطح ٥ [أيضا - [5]] و منه[6] القعيد، و هو الذى يأتيك من خلفك - انتهى ما وقفت عليه من كلام أهل اللغة فى ذلك فافهم[6]، و الظاهر كما تفهمه الآية أن العرب مطبقة على أن ما أتى عن اليمين كان مباركا سواء كان أتى من قدام مواجها لك و مر إلى جهة [الخلف - [3]] فوليتك ميامنه، أو أتى من الجانب الأيمن سواء كان ابتداء إتيانه من خلف أو لا فمر ١٠ من قدامك عرضا إلى جهة اليسار، فوليتك فى الحالتين مياسره، و ما أتى من جهة اليسار على ضد ذلك كان مشؤما، و كأنهم اختلفوا فى التسمية فأكثرهم سمى الأول سانحا من السنح بالضم و هو اليمن و البركة، [7]و هو من[7] قولهم: سنح لى رأى: تيسر - لشهرة معنى اليمن عندهم فى ذلك، و الثانى بارحا من البرح. و هو الشدة و الشر لشهرة هذا المعنى ١٥ عندهم فى مادة برح. و بعضهم عكس فسمى الأول بارحا من البرحة، و هى الناقه تكون من خيار الإبل لشهرة ذلك عندهم، و سمى الثانى سانحا من قولهم: سنحه عما أراد: صرفه، و سنح بالرجل و عليه: أخرجه

(١) فى ظ و م: تيمن (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: المطير الجابة.
(٣) زيد من ظ و م (٤) فى م: منها (٥) زيد من م (٦) سقط من م.
(٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

أو

أو أصابه بشر ، فمن الاختلاف فى التسمية أتى الخلاف ، و لذلك عبر سبحانه و تعالى بالمعنى دون الاسم ، لأن كلامه سبحانه لايخص قوما دون غيرهم ، و أما التعليل بامكان الطعن و الرمى فلا معنى له لأن الإنسان ينفتل [1] عن هيئة وقوفه بأدنى حركة فينعكس بالنسبة إليه أمر المياسر و الميامن ، و يتغير حال الطعن و الرمى ، هذا إذا سلم أن الطعن و الرمى يعسر من جهة المياسر على أنه غير مسلم ، و لو كان المعنى دائرا عليه لما اختلف فيه إلا بالنسبة إلى الأعسر و غيره ، لابالنسبة إلى أهل العالية و غيرهم ، و أما البيت الذى استدل به فيمكن حمله على أن قائله كان فى حاجة له لابد له منها ، فرأى البارح فلم يتطير منه و لج [2] فى أمره ذلك تكذيبا له فيما دل عليه عند العرب ، و أما الجابه و غيره فأسماء أخر لبعض أنواع كل من السانح و البارح - و الله أعلم . و قال أبو حاتم أحمد بن حمدان الرازى فى كتابه الزينة : العيافة و القيافة و الزجر نوع من الكهانة إلا أنه أخف فى الكراهة ، و ذلك أن الكاهن كان بمنزلة الحاكم ، و كان من الكهان من يعبد كما يعبد الصنم ، و كانوا سدنة [3] الأصنام ، قلت : و الكاهن فى اللغة من يقضى بالغيب [و - [4]] ذلك هو غاية العلم ، فهو وصف يدل على التوغل فى العلم - انتهى ، قال أبو حاتم : و سمعت بعض أهل الأدب قال : الكاهن بالعبرانية العالم ، و كانوا يسمون هارون عليه السلام كهنا ربا ، معناه عالم الرب ، ثم قال :

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : ينقبل (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لح .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : سده (٤) زيد من م .

/٣٨٩/ / إن الكهانة و السحر كان[1] عند المتقدمين نوعا من العلم، فكان الساحر و الكاهن اسمين محمودين، فلما جاء الله بالإسلام[2] صار هذان الاسمان مذمومين عند المسلمين لما كشف لهم ما فى ذلك من الشر، ثم قال: فأما العائف و القائف و الزاجر فلم يكن سبيلهم كذلك - يعنى كالكاهن

٥ فى أنه ربما عبد، قال: و إنما كره لأنه كان يخبر بشىء غائب فكره كما كره أمر النجوم توقيا أن يكون مثل الدعوى فى علم الغيب، و العائف هو الذى يعيف الطير و يزجرها و يعتبر بأسمائها و أصواتها [3]و مساقطها[3] و مجاريها، فاذا سمع صوت طائر أو جرى من يمينه إلى شماله أو من شماله إلى يمينه قضى فى ذلك بخير أو بشر فى الأمر الذى يريد

١٠ أن يفعله، فاذا قضى فيه بشر تجنب ذلك الأمر، يقال: عاف يعيف - إذا فعل ذلك، و معنى عاف اى امتنع و تجنب، يقال: عافت الإبل الماء - إذا لم تشرب، و كذلك يقال فى غير الإبل و الزاجر أيضا: هو مثل العائف، يقال: يزجر الطير زجرا، و ذلك أنه ينظر إلى الطير فيقضى فيها[4] مثل العائف، فاذا رأى شيئا كرهه[5] رجع عن أمر يريد

١٥ أن يشرع فيه أو حاجة يريد قضاءها، و الزاجر معناه الناهى، فكأن الطير قد زجره عن ذلك الفعل، أو أن من عاف له [زجره -[6]] عن ذلك، و يكون المعنى الزجر أيضا أنه إذا رأى [منها -[6]] شيئا

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: كانا (٢) زيد فى ظ ا به (٣ - ٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يكرهه (٦) زيد من ظ و م.

صاح بها و طردها ، فكان طرده إياها زجرا لها ، و منه قوله صلى الله عليه و سلم [١] : أقروا [٢] الطير على مكناتها [٣] ، قلت : إنهم كانوا إذا لم يروا سانحا و لا بارحا نفروا الطير لينظروا إلى أىّ جهة تطير ـ و الله أعلم ، و قال أبو حاتم : و الأصل فى هذا أنهم كانوا يزجرون [الطير ثم كانوا يزجرون ـ [٤]] الظبى و الثعلب ، و بصوت الإنسان يستدلون بلفظه و بغير ٥ ذلك ، ثم نسبت كلها إلى الطير فقيل : يتطير ، أى يستدل بالطير ، و روى عن الأصمعى قال : سألت ابن عون [٥] : ما الفال ؟ فقال : هو أن تكون مريضا فتسمع : يا سالم ، [٦] و تكون باغيا [٦] فتسمع يا واجد ، قال : و كان ابن سيرين يكره الطيرة و يحب الفال ، و فى الحديث [٧] : أصدق الطير الفال : و الفال مأخوذ من [٨] الفيال ، و هى لعبة يتقامرون [٩] بها ، كانوا يأخذون ١٠ الدراهم فيخلطونها بالتراب ثم يجمعونه طويلا ثم يقسمونه بنصفين و يتقارعون عليه ، فمن أصابه [١٠] القرعة اختار من القسمين واحدا ، فلما كان المفايل يختار منهما ما [١١] أحب سمى الفال ، لأنه يتفاءل بما يحبه ، و كان هذا فى العرب كثيرا ، و أكثره فى بنى أسد ، قال الأصمعى :

---

(١) أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ٦ / ٣٨١ (٢) من م و المسند ، و فى الأصل و ظ : اقراوا (٣) من م و المسند ، و فى الأصل و ظ : مكافاتها . (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ابن عوف ، و الصحيح عبد الله بن عون و هو يروى عن محمد بن سيرين (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ياثاغيا (٧) راجع مسند الإمام أحمد ٢ / ٢٨٩ (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : يتغامزون (١٠) فى م : اصابته (١١) تكرر فى الأصل فقط .

أخبرنى سعد بن نصر أن نفرا من الجن تذاكروا عياقة بنى أسد فأتوهم فقالوا : ضلت لنا ناقة ، فلو أرسلتم[1] معنا من يعيف ، فقالوا لغليم[2] لهم : انطلق [معهم -[3]] ، فاستردفه أحدهم ، ثم ساروا[4] فلقيتهم عقاب كاسرة إحدى جناحيها ، فاقشعر الغليم[5] فبكى فقالوا له : ما لك ؟ فقال : كسرت جناحا ، و رفعت جناحا ، و حلفت بالله صراحا ، ما أنت بانسى و لا تبغى لقاحا . و كانوا يسمون الذى يجىء عن يمينك فيأخذ إلى شمالك سانحا[6] ، و الذى يجىء عن يسارك فيأخذ إلى / يمينك بارحا ، و الذى يستقبلك ناطحا و كافحا ، و الذى يجىء من خلفك قعيدا ، و الذى يعرض فى كل وجه متيحا ، فمنهم من كان يتشاءم بالبارح [و يتيمن بالسانح ، و منهم من كان يتيمن بالبارح -[7]] و يتشاءم بالسانح ، قال زهير[8] : /٣٩٠

جرت سنحا فقلت لها أجيزى[9] نوى مشمولة فتى اللقاء

و قال الكميت :

و لا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر اعضب

و كانوا يزجرون بعضب القرن و صحته ، و الأعضب الذى له قرن واحد ، و أما القائف فهو الذى يتبع الآثار و يعرفها و يعرف شبه الرجل فى

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : رايتم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : للعليم .
(٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ : سار (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : العليم .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : مانحا (٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : الزهرى (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اجيرى .

ولده، و يروى عن عوسجة بن معقب القائف قال: كنا تسرق[1] نخلنا فنعرف آثارهم، فركبوا الحمر فعرفنا بمس أيديهم و العذوق[2]، فكان القائف سمى قائفا لأنه يقفو الأثر، يقال: قفا [الأثر-[3]] و قاف الأثر أى تبعه، قال الأصمعى عن أبى طرفة الهذلى قال: رأى قائفان[4] أثر بعير و هما منصرفان من عرفة بعد الناس بيوم أو يومين فقال أحدهما: ناقة، و قال الآخر: جمل[5]، فاتبعاه فاذا هما به، فأطافا به فاذا هو خنثى، و يقال للرجل إذا كان فطنا عارفا بالأمور: هو عائف و قائف، و كان قوم من العرب لايتطيرون و لايتهيبون الطيرة و يفتخرون بتركه و يعدون[6] تركه شجاعة و إقداما، قال بعض شعرائهم:

و لقد غدوت[7] و كنت لا أغدو[8] على واق[9] و حاتم ١٠

فاذا الأشائم كالأيا من و الأيامن كالأشائم[10]

و قال آخر[11]:

ولست[12] بهياب إذا اشتد[13] رحله يقول عدانى اليوم واق[14] و حاتم

و لكنه يمضى على ذاك مقدما إذا صد عن تلك الهناة الخثارم

(١) من م، وفى الأصل وظ: تسرق (٢) من ظ و م، وفى الأصل: العدوق. (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: قايفا (٥) من ظ و م، وفى الأصل: جملا (٦) فى ظ و م: يعتدون (٧) من ظ و م، وفى الأصل: عدوت (٨) من ظ و م، وفى الأصل: اعدد (٩) من ظ و م، وفى الأصل: عاف (١٠) هذا البيت ذكره صاحب اللسان غير معزو إلى أحد. (١١) و هو خثيم بن عدى - كما فى اللسان (١٢) من اللسان، و فى الأصول: ليس (١٣) فى اللسان: شد (١٤) من ظ و م و اللسان، وفى الأصل: قاف.

الخثارم : المطير ، و قيل : العيافة و القيافة : الطرق و الخط ، و هو أيضا نوع من الكهانة ، و هو أن يخط فى الأرض خططا فى الطول ، ثم يخط عليها خططا فى العرض ، ثم يطرق بالحصى أو بالشعير أو بخشبات ، و لايزال يخط و يمحو و يعيد ثم يتكهن عليه ، و من هذا الباب أيضا علم الكتف[1] و هو أن ينظر فى كتف شاة فيحدث[2] بأشياء تكون فى العالم مثل الحروب و الأمطار و الرياح و الجدب و الخصب و غير ذلك ، و هذا يقال له : الكتاف ، كأنه اشتق له اسم من الكتف مثل العراف لأن العراف من جنس العيافة ، و العيافة و العرافة سواء ، فهذه الأشياء كلها من السحر و الكهانة و القيافة و العيافة و الخط و الطرق و الكتف و ما أشبهها ، قد جاءت فيها الأخبار و الروايات ، و يطول الخطب بها ، و هى كلها مكروهة حرام ، فمنها ما جاء فيها التشديد مثل السحر و الكهانة ، و منها ما جاء فى القليل منها الرخص و التخفيف مثل القيافة و العيافة و الكتف ـ انتهى . و هو مسلم له فى القيافة . و أما غيرها فنازع[4] فيه . ثم قال : فأكثر هذه الأشياء أصولها من الأنبياء عليهم السلام[5] ، فاذا استعملت بعد النسخ و بعد ما جاء فيها النهى عن النبى / صلى الله عليه و سلم كانت حراما تدعو إلى الكفر و التعطيل و غير ذلك من أنواع الفساد ، ثم قال : و ما كان من أمر مشركى العرب فقد درس دروسا لا يعرف و لا يحتاج إلى ذكر كيفيته إذ[4] كان متلاشيا[6] لا أثر له ،

٣٩١ /

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الكشف (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : محدث (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : فنازع (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اذا (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : مثلا شيئا .

و لكن لايستغنى الفقهاء و العلماء عن معرفته إذ[1] كان له فى القرآن ذكر ، و إذ كان واجبا على العلماء تعلم ما فى القرآن على حسب طاقتهم ، و الجهل به نقص عليهم[2] - و الله أعلم بالصواب[3] .

و لما أشار سبحانه بتسمية كلامهم هذا سؤالا إلى [أن -[4]] مرادهم : فهل أنتم مغنون عنا شيئا أو حاملون عنا جزءا من العذاب ؟ و [كان -[4]] كأنه قيل : بم أجاب الرؤساء بعد[3] هذا القول من الأتباع ؟ قيل : ﴿ قالوا بل ﴾ أى لم يكن كفرهم سببا بل ﴿لم تكونوا مؤمنين ج ﴾ أى عريقين فى هذا الوصف بجبلاتكم[5] فلذلك تابعتمونا فيما أمرناكم به لأنه كان فى طبعكم ، و هذا دليل على أن من لم يكن راسخا فى الإيمان كان منهم ، ثم أكدوا هذا المعنى بقوله نافين لما[6] أشاروا باليمين إليه : ﴿ و ما كان ﴾ أى كونا ثابتا ﴿ لنا عليكم ﴾ و أعرقوا فى النفى بقولهم : ﴿ من سلطن ج ﴾ [أى فأكرهناكم بذلك السلطان -[7]] ، إنما تبعتمونا[8] باختياركم و هو معنى ﴿بل كنتم﴾ أى جبلة و طبعا ﴿قوما﴾ أى ذوى[9] قوة وكفاية لما تحاولونه من الأمور ﴿ طغين ﴾ أى مجاوزين لمقاديركم غالين[10] فى الكفر مسرفين فى المعاصى و الظلم ، و لذلك أنكم[11] خلق

(١) فى ظ : ان (٢) زيد فى الأصل بعده : و العلم بالشىء و لا الجهل به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) سقط من ظ و م (٤) زيد من ظ و م .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بجملاتكم (٦) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٧) زيد من م (٨) فى م : تابعتمونا (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : ذى .
(١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : جالين (١١) فى م : لكم .

لا تحتاجون فيه إلى كبير تحرك[1] ﴿ فحق علينا ﴾ أى كلنا نحن و أنتم بسبب ذلك ، و عبروا بما يدل على ندمهم فقالوا : ﴿ قول ربنآ ﴾ أى الذى قابلنا إحسانه إلينا و تربيته لنا بالكفران ، و قوله هو الحكم بالضلال لما فى قلوبنا من القابلية له و الإباء[2] للايمان ، فالحكم بالعذاب .

٥ و لما تصوروا ما صاروا إليه من الخطأ الفاحش عن الطريق الواضح ، و علموا أن مثل ذلك لايتركه أحد إلا[3] بقهر قاهر فتصوروا أنه ما قسرهم عليه إلا حقوق الكلمة العليا علموا أنهم مثل ما صاروا إلى حكمها فى الكفر يصيرون إلى حكمها فى العذاب ، فقالوا لما دهمهم من التحسر مريدين بالتأكيد قطع [4]أطماع الأتباع عما[4] أفهمه كلامهم من أن الرؤساء

١٠ يغنون عنهم شيئا : ﴿ انا ﴾ أى جميعا ﴿ لذآئقون ﴾ أى ما وقع [لنا - [5]] به الوعيد من سوء العذاب .

و لما قضوا علالة التحسر و التأسف و التضجر ، رجعوا إلى إتمام ذلك الكلام فقالوا : ﴿ فاغوينكم ﴾ أى أضللناكم و أوقعناكم فى الغى بسبب حقوق ذلك القول علينا ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم مؤكدين أيضا

١٥ لرد ما ادعاه[6] الأتباع من أنه ما كان سبب إغوائهم إلا الرؤساء : ﴿ انا ﴾ أى جميعا ﴿ كنا غوين ﴾ أى فى طبعنا الغواية ، و هى العدول عن الطريق المثلى[7] إلى المهالك .

---

(١) فى ظ و م : محرك (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الاكاء (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لا (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الا طماع الاتباع كما (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اعاده (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الملقى .

و لما قال لهم الرؤساء ما هو الحق من أمرهم مما أوجب الحكم باشتراكهم ، سبب عنه قوله تعالى مؤكدا دفعا لمن يتوهم اختصاص العذاب بالسبب : ﴿ فانهم ﴾ أى الفريقين بسبب ما ذكروا عن أنفسهم ﴿ يومئذ ﴾ أى يوم إذ كان هذا التقاول[1] بينهم ﴿ فى العذاب ﴾ أى[2] الأكبر ﴿مشتركون ه﴾ أى فى أصله ، و هم مع ذلك متفاوتون[3] فى وصفه على مقادير / كفرهم كما كانوا متشاركين فى السبب متفاوتين[4] فى شدتهم فيه و لينهم - هذا و قد قال البخارى فى صحيحه[5] فى تفسير حم السجدة : و قال المنهال عن سعيد : قال رجل لابن عباس رضى الله عنهما : إنى أجد فى القرآن أشياء تختلف علىّ [قال -[6]] " فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون" "و اقبل بعضهم على بعض يتساءلون" "ولا يكتمون الله حديثا" "و الله ربنا ما كنا مشركين" فقد كتموا فى هذه الآية ، و قال : "السماء بناها - إلى قوله : دحاها" فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض ، ثم قال "ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين - إلى : طائعين" فذكر فى هذه الآية خلق الأرض قبل السماء ، و قال : "و كان الله غفورا رحيما" "عزيزا حكيما" "سميعا بصيرا" فكأنه كان ثم مضى ، فقال : "فلا انساب بينهم" فى النفخة الأولى ، [ثم -[7]] ينفخ[8] فى الصور

/ ٣٩٢

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : التفاول (٢) زيد فى الأصل : العذاب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : متفاتون (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : متفاوتون (٥) راجع ٢/٧١٢ (٦) زيد من م و الصحيح . (٧) زيد من الصحيح (٨) من ظ و م و الصحيح ، و فى الأصل : نفخ ...

فصعق من فى السماوات و من فى الأرض إلا من شاء الله فلا أنساب عند ذلك و لا يتساءلون، ثم فى النفخة الآخرة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، و أما قوله "ما كنا مشركين" "و لا يكتمون الله حديثا" فان الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، و قال المشركون: تعالوا نقول[1]: لم نكن مشركين، فنختم[2] على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لايكتم حديثا، و عنده يود الذين كفروا - الآية، و خلق الأرض فى يومين ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن فى يومين آخرين ثم دحا الأرض، و "دحاها" أى أخرج منها الماء و المرعى، و خلق الجبال و الآكام و ما بينهما فى يومين آخرين، فذلك قوله "دحاها" و قوله: خلق الارض فى يومين، فجعلت الأرض و ما فيها من شيء فى أربعة أيام. و خلقت السماوات فى يومين، و كان الله غفورا [رحيما -[3]]، سمى نفسه ذلك، و ذلك قوله، أى لم يزل كذلك، فان الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذى أراد، فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله. و قال فى سورة المرسلات[4]: و سئل ابن عباس رضى الله عنهما[5] "هذا يوم لاينطقون" "و الله ربنا ما كنا مشركين" "اليوم نختم على افواههم" فقال: إنه ذو ألوان. مرة ينطقون و مرة يختم عليهم.

(١) من م و الصحيح، و فى الأصل و م: نقل (٢) زيد فى الأصل: الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و الصحيح فحذفناها (٣) زيد من الصحيح. (٤) راجع ٢ / ٧٣٤ (٥) زيد فى الأصل: عن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و لما أخبر سبحانه باشتراكهم ، استأنف الإخبار بما يهول أمر عذابهم و يشير إلى عمومه فى الدارين لكل من شاركهم فى الإجرام ، فقال مؤكدا دفعا لظن من ينكر القيامة و ظن من يرى الإملاء للمجرم فى الدنيا نعمة و ينفى[1] كونه نقمة ، أو يفعل فى التمادى فى الإجرام فعل المنكر : ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة التى لايفوتها شىء ﴿ كذلك ﴾ ٥ أى مثل هذا الفعل[2] العظيم الشأن ﴿ نفعل ﴾ بهم - هكذا كان الأصل ، و لكنه علق بالوصف تعميما و تعليلا فقال : ﴿ بالمجرمين ﴾ أى كل قاطع لما أمر الله به أن يوصل فى الدنيا و الآخرة ، نمهل ثم نأخذ أخذا عنيفا يصير به المشتركون فى الظلم أعداء يتخاصمون ، و يحيل بعضهم على بعض ثم لاينفعهم ذلك ، بل نشارك[3] بينهم فى العقوبة ، ثم علل [4]تعذيبه ١٠ لهم[4] بقوله مؤكدا للتعجب منهم لأن فعلهم هذا أهل لأن ينكر لأن هذه الكلمة لايصدق عاقل[5] أن أحدا يستكبر عليها لأنه[6] لا شىء أعدل منها : ﴿ انهم كانوآ ﴾ أى دائما ﴿ اذا قيل لهم ﴾ [أى -[7]] من أىّ قائل كان : ﴿ لآ اله ﴾ أى يمكن ، و إذا نفى الممكن كان الموجود أولى فانه لايوجد إلا ما يمكن وجوده و إن كان واجبا ﴿ الا الله ﴾ / أى ١٥ / ٣٩٣ الملك الأعلى المباين لجميع الموجودات فى ذاته و صفاته و أفعاله[8] كما

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : تبقى (٢) فى ظ : الفضل (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : يشارك (٤ - ٤) فى ظ : تعذيبهم له (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عاقلا (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : لأنها (٧) زيد من ظ و م .
(٨) فى م : وجوده .

هو الحق ليفردوه[1] بالإلهية كما تفرد بالخالقية كما لا يخفى على من له أدنى مسكة بصفات الكمال ، و قدم النفى لأن التحلية لا تكون إلا بعد التخلية ﴿يستكبرون﴾ أى يوجدون الكبر عن الإقرار بهذا الحق الذى لا أعدل منه وعن متابعة الداعى إليه ، استكبارَ من هو طالب للكبر من نفسه و من[2] غيره لما فيه من العراقة و العتو ، فلم يكن لهم مانع من أبواب جهنم السبعة التى جعلت كل كلمة من هذه الكلمة مع قرينتها الشاهدة [3]بارساله مانعة[3] من باب منها [و -[4]] إلا كان فى شىء من ساعات أيامهم - التى هى بعدد[5] حروفهما أربعة و عشرون - خير ينجيهم من المكاره .

و لما أخبر أنهم استكبروا على توحيد الإله ، أتبعه الإخبار بأنهم تكلموا فى رسوله صلى الله عليه و سلم بما لا يرضاه فقال : ﴿و يقولون﴾ أى كل حين ما دلوا به على بعدهم عن الإيمان كل البعد بسوقهم[6] لقولهم ذلك فى استفهام إنكارى مؤكدا[7] : ﴿ائنا لتاركوآ الهتنا﴾ أى عبادتها ، وكان تأكيد أصل الكلام للإشارة إلى أن تكذيبهم صادر منهم مع علمهم بأن كل عالم بحالهم يراهم جديرين بترك ما هم عليه لما جاء به صلى الله عليه و سلم ، و لذلك أعلم بأن ما هم عليه عناد بسوق تكذيبهم على وجه معلوم التناقض بالبديهة بقوله : ﴿لشاعر مجنون﴾ فان الجنون

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ليفرد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عن .
(٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بالرسالة ما بعد (٤) زيد من ظ و م .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : بسقوفهم (٧) فى م : موكد .

لا نظام معه، و الشعر يحتاج إلى عقل رصين و قصد قويم، و طبع فى الوزن سليم، أو[1] للإشارة إلى [أن -[2]] إنكار المؤكد إنكار لغيره بطريق الأولى .

و لما كان مرادهم بذلك أن كلامه باطل، فان أكثر كلام الشاعر[3] غلو و كذب و كلام المجنون تخليط، [كان -[2]] كأنه قال فى جوابهم : إنه لم يجىء بشعر و لا بجنون : ﴿بل جاء بالحق﴾ أى الكامل فى الحقية . و لما كان ما جاء به أهلا لكونه حقا لأن يقبل و إن خالف جميع أهل الأرض، و كان موافقا مع ذلك لمن تقرر صدقهم و اشتهر اتباع الناس لهم، فكان أهلا لأن يقبله هؤلاء الذين أنزلوا أنفسهم عن أوج معرفة الرجال بالحق إلى حضيض معرفة الحق على زعمهم بالرجال، فكان مآل أمرهم التقليد قال : ﴿ و صدق المرسلين ﴾ أى الذين علم كل ذى لب أنهم أكمل[4] بدور أضاء الله بهم الأكوان فى كل أوان، و تقدم فى آخر سورة فاطر أنهم عابوا من كذبهم " و اقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم احد منهم ليؤمنن به فكذبوا " بأن كذبوا[5] سيدهم بهذا الكلام المتناقض .

و لما وصلوا إلى هذا الحد من الطغيان، و الزور الظاهر و البهتان، تشوف السامع إلى جزائهم فاستأنف الإخبار بذلك مظهرا له فى أسلوب الخطاب إيذانا بتناهى الغضب، فقال فى قالب التأكيد نفيا لما يترجونه

(١) من ظ و م، و فى الأصل « و » (٢) زيد من م (٣) من م، و فى الأصل و ظ : الشعر (٤) زيد فى م : الخلق (٥) من م، و فى الأصل و ظ : كذبهم .

من العفو بشفاعة من ادعوا أنهم يقربونهم زلفى ، و وعظا لهم و لأمثالهم فى الدنيا فيما ينكرونه حقيقة أو مجازا : ﴿ انكم ﴾ أى أيها [١] المخاطبون على وجه التحقير [١] المجرمين [٢] ﴿ لذآئقوا ﴾ أى بما [٣] كنتم تضيقون أولياء الله ﴿ العذاب الاليم ﴾ .

٥ و لما كان سبحانه الحكم العدل فلا يظلم أحدا مثقال ذرة فلا يزيد فى جزائه شيئا على ما يستحق مع أن له أن يفعل ما يشاء و لا يكون فعله - كيفما كان - إلا عدلا [قال -[٤]] : ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنكم ما ﴿ تجزون ﴾ أى جزءا من الجزاء ﴿ الا ما ﴾ أى مثل ما . و لما كانوا مطبوعين [٥] على تلك الخلال السيئة ، بين أنها كانت خلقا لهم

١٠ لا يقدرون على الانفكاك عنها بالتعبير باداة الكون فقال : ﴿ كنتم تعملون ﴾ نفيا لوهم [٦] من قد يظن أنهم فعلوا شيئا بغير تقديره سبحانه . و لما كان [فى -[٤]] المخاطبين بهذا من علم الله أنه سيؤمن ، و [استثنى من -[٧]] واو "ذائقوا" قوله مرغبا لهم فى الإيمان مشيرا إلى أنهم لا يحملهم على الثبات على ما هم عليه من الضلال إلا غش الضمائر بالرياء و غيره ، [١] فهو

١٥ استثناء متصل بهذا الاعتبار الدقيق [١] : ﴿ الا عباد الله ﴾ فرغبهم بوصف العبودية الذى لا أعز منه ، و أضافهم زيادة فى الاستعطاف إلى الاسم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : للمجرمين .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بما (٤) زيد من ظ و م (٥) فى ظ : مطيعين .
(٦) من م ، و فى الأصل و ظ : يوهم (٧) زيد من م .

الأعظم الدال على جميع صفات الكمال، و زاد رغبا بالوصف الذى لا وصف أجلّ منه فقال: ﴿ المخلصين ﴾ .

و لما خلصهم منهم، ذكر ما لهم فقال معظما لهم بأداة البعد: ﴿ اولٰئك ﴾ أى العالو القدر بما صفوا أنفسهم عن أكدار[1] الأهوية ﴿لهم رزق معلوم﴾ أى يعلمون غائبه و كائنه و آتيه و طعمه و نفعه[2] و قدره و غبّه[3] و جميع ما يمكن علمه من أموره، و ليسوا مثل ما هم عليه فى هذه الدار من كدر الأخطار "لاتدرى نفس ما ذا تكسب غدا" لأن النفس إلى المعلوم أسكن، و بالأنس إليه أمكن .

و لما كان أهل الجنة لايأكلون تقوتا و احتياجا، بل تنعما و التذاذا و ابتهاجا، لأن أجسامهم محكمة مخلوقة للأبد. فهى غير محتاجة إلى حفظ الصحة قال: ﴿ فواكه ﴾ [أى يتنعمون بها بما كدروا من عيشهم فى الدنيا -[4]] . و لما كان الذى هو نعيم الجسم لا يحمد غاية الحمد إلا مع العز الذى هو غذاء الروح قال: ﴿ و هم مكرمون ﴾ بناه للمفعول إشارة إلى أن وجود إكرامهم من كل شىء أمر حتم لا يكون غيره أصلا .

و لما كان الإكرام لايتم إلا مع طيب المقام[5] قال: ﴿فى جنت النعيم﴾ أى التى لايتصور فيها غيره . و لما كان التلذذ لايكمل إلا مع الأحباب، و كانت عادة الملوك الاختصاص بالمحل[6] الأعلى، بين أنهم كلهم ملوك فقال: ﴿ على سرر متقبلين ﴾ أى ليس فيهم أحد وجهه إلى غير وجه

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الا كدار (٢) من م، و فى الأصل و ظ: نفسه (٣) من م، و فى الأصل و ظ: غيه (٤) زيد من م (٥) من م، و فى الأصل: القال، و فى ظ: المقال (٦) فى م: المحل .

الآخر على كثرة العدد . و لما كان ذلك لايكمل[1] إلا بالشراب ، و كان المقصود الطواف فيه ، لا كونه من معين ، قال : ﴿يطاف﴾ بالبناء للمفعول [و كأنها يدلى إليهم من جهة العلو ليكون أشرف لها و أصون ، فنبه على ذلك بأداة الاستعلاء فقال -[2]] : ﴿عليهم﴾ أى و هم فوق أسرتهم

٥ كالملوك ﴿ بكاس ﴾ أى إناء فيه خمر ، قالوا : و إن لم يكن فى الزجاجة خمر فهى قدح ، و لا تسمى كأسا إلا و الخمر فيها[3] ﴿من معين ۝﴾ أى من خمر جارية فى أنهارها ، ظاهرة للعيون تنبع كما ينبع الماء لايعالجونها بعصير ، و لا يحملهم على الرفق بها و التقصير فيها نوع تقصير ، قال الرازى : إنما[4] سميت بـــه إما من ظهورها للعين أو لشدة[5] جريها من الإمعان فى

١٠ السير أو لكثرتها من المعن ، و هو الكثير ، و سمى الماعون لكثرة الانتفاع به ، و يقال : مشرب[6] ممعون : لايكاد ينقطع .

و لما كان أول ما يختار فى الشراب لونه ثم طعمه ، قال واصفا ما فى الكأس من الخمر استخداما : ﴿ بيضآء﴾ أى مشرقة صافية هى فى غاية اللطافة تتلألأ نورا ، و[7] أعرق فى وصفها بالطيب بجعلها تفسيرا

١٥ للمعنى فى قوله : ﴿ لذة للشربين ۝﴾ . [بما كانوا يتجرعون من كأسات الأحزان و الأنكاد ، و أظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف ،

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لايكمله (٢) زيد من م (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ /١٨ (٤) سقط من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : شدة (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : شرب (٧) فى ظ : « او » .

و جمع

و جمع إشارة إلى أنهم لا يعلونها إلا كذلك بما فيه من مزيد اللذة -[١] .

و لما / [٢]كان قد[٢] أثبت لها الكمال ، نفى عنها النقص فقال : ٣٩٥ /

﴿ لا فيها غول ﴾ أى فساد من تصديع رأس أو[٣] إرخاء مفصل أو إخماء كبد أو غير ذلك مما يغتال أى يهلك ، أو يكون سببا للهلاك

﴿ و لا هم عنها ﴾ أى [عادة -[١]] بعد شربها ﴿ ينزفون ﴾ أى يذهب ٥ شيء من عقولهم و إن طال شربهم و كثر لئلا ينقص نعيمهم و لا ينفد[٤] شرابهم أو ما عندهم من الجدة[٥] لكل ما يسر به - على قراءة حمزة و الكسائى بكسر الزاى من أنزف - مبنيا للفاعل مثل أقل و أعسر - إذا صار قليل المال ، أو ذهب عقله ، و قراءة الجماعة بالبناء[٦] للمفعول يحتمل أن تكون من نزف ، و حينئذ يحتمل أن تكون من نفاد الشراب من قولهم : ١٠ نزفت الركية ، أى ذهب ماؤها ، و أن تكون من ذهاب العقل من [٧]قولهم : نزف الرجل[٨] بالبناء للفاعل ، و نزف - بالبناء للمفعول بمعنى : ذهب عقله بالسكر ، و يحتمل أن تكون من أنزف ، و حينئذ يحتمل أن تكون من [٩]ذهاب العقل من[٩] أنزف الرجل - إذا ذهب عقله بالسكر ، و أن تكون من عدم الشراب من قولهم : نزف الرجل الخمرة - سواء ١٥

(١) زيد من م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لا ينقذ (٥) من م ، و فى الأصل : الحلد ، و فى ظ : الخلد (٦) من م ، و فى الأصل : بالياء ، و الكلمة ساقطة من ظ (٧) العبارة من هنا إلى « بالسكر و يحتمل أن تكون » ساقطة من ظ (٨) من م ، و فى الأصل : المرجل (٩ - ٩) وقع ما بين الرقمين فى الأصل قبل « من أنزف و حينئذ » و الترتيب من م .

كان مبنيا للفاعل أو للمفعول - إذا أفناها .

و لما كان ذلك كله لا يكمل إلا بالجماع ، [و الخمر - [١]] أدعى شيء إليه ، و هو لا يكمل النعيم به إلا بالاختصاص[٢] قال : ﴿و عندهم﴾ نساء من أهل الدنيا و غيرها ﴿قـصرٰت الطرف﴾ أى لا تطرف واحدة منهن إلى غير زوجها و لا يدعه تناهى حسنها و فرط جمالها طرفها[٣] يطرف إلى غيرها ﴿عين ۙ﴾ أى نجل العيون ، [جمع عيناء ، كسرت عينه لمناسبة الياء - [٤]] .

و لما كان أحسن الألوان لاسيما عنـد العرب الأبيض الأحمر المشرب صفرة أكسبته صفاء و إشراقا و بهاء ، قال : ﴿كأنهن بيض﴾ أى بيض نعـام ﴿مكـنون[٦]﴾ أى مصون من دنس يلحقه ، و غبار يرهقه ، و لمحبة العرب[٧] لهذا اللون كانت تقول عن النساء بيضات الخدور لأن لونه أبيض مشربا صفرة صافية ، و قد صرح امرؤ القيس بهذا فى لاميته المشهورة [فقال - [٤]] :

[٨]كبكر مقاناة[٨] البياض بصفرة غذاها نمير[٩] الماء غير المحلل

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : باختصاص (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : طرف (٤) زيد من م (٥) من ظ و م و القرآن الكريم ، وفى الأصل : كانهم (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : نعام - كذا (٧) زيدت الواو بعده فى ظ (٨-٨) من م و ديوان امرئ القيس ، و فى الأصل : ككد معناة ، و فى ظ : ككبه مقنـاة (٩) من م و الديوان ، و فى الأصل : يمين ، و فى ظ : عين .

أى مخالطة البياض المائل إلى الحمرة بصفرة ، و هو أصفى الألوان و أعدلها ، يشابه لون [نور -[1]] القمر .

و لما كان ذلك الاجتماع إنما هو للسرور ، و كان السرور لا يتم إلا بالمنادمة ، وكان أحلى المنادمة ما يذكر بحلول نعمة أو[2] انحلال نقمة ، تسبب عن ذلك و لابد قوله إشارة إلى فراغ البال و صحة العقل بالإصابة ٥ فى المقال : ﴿ فاقبل بعضهم ﴾ أى أهل الجنة بالكلام ، [و أشار إلى أن مجرد الإقبال بالقصد يلفت القلوب إلى سماعه بأداة الاستعلاء فقال -[3]] : ﴿ على بعض ﴾ أى [لأجل -[3]] الكلام الذى هو روح ذلك المقام ، و أما المواجهة فقد تقدم أنها دائمة ، و بين حال هذا الإقبال فقال[4] : ﴿ يتساءلون ﴾ أى يتحدثون حديثا بينا[5] لا خفاء بشىء منه -بما ١٠ أشار إليه الإظهار بما حقه أن يهتم[6] به و يسأل عنه[7] من أحوالهم التى خلصوا منها بعد أن كادت[8] تردیهم ، و سماه سؤالا [لأنه -[3]] - مع كونه أهلا لأن يسأل عنه - لا يخلو عن سؤال أدناه سؤال المحدث أن يصغى إلى الحديث ، و عبر عنه بالماضى إعلاما بتحققه تحقق ما وقع .

و لما تشوف السامع إلى سماع شىء [منها -[3]] يكون نموذجا ١٥ للباقى ، أشار إلى ذلك بقوله مستأنفا : ﴿ قال قائل منهم ﴾ أى فى هذا التساؤل ، و شتان ما بينه و بين ما مضى خبره من تساؤل أهل النار .

---

(١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ « و » (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بقوله (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يبهم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : عنهم (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : كانت .

و لما كان ظنه أنه لايخلص من شر ذلك القرين الذى يحدث عنه فنجاه الله منه على خلاف الظاهر، فكان ذلك إحدى النعم الكبرى، نبه عليه بالتأكيد فقال: ﴿ انى كان لى قرين ﴾ أى جليس[1] من الناس / كأنه شيطان مبين ﴿ يقول ﴾ [أى -[2]] مكذبا بالبعث مستبعدا له غاية الاستبعاد مجددا لقوله[3] فى كل وقت، يريد أن يختدعنى بلطافة قياده إلى سوء اعتقاده[4]: ﴿ ءانك لمن المصدقين ﴾ أى بالبعث - يوبخنى بذلك و يستقصر باعى[5] فى النظر استثارة لهمتى و إلهابا لنخوتى و حميتى، و يكرر الإنكار بقوله: ﴿ ءاذا متنا ﴾ أى فذهبت أرواحنا ﴿ وكنا ﴾ أى كونا راسخا ﴿ ترابا و عظاما ﴾ أى[6] فانمحقت أجسامنا التى هى مراكب الأرواح ﴿ ءانا لمدينون[7] ﴾ أى لمجزيون بعد ذلك بما عملنا بأن نبعث و نجازى، وكان تأكيده للاشارة منه إلى أن كل عاقل جدير بأن يكذب بما أقرت به لبعده. او[6] إلى أنه مكذب به و لو كان مؤكدا.

٣٩٦/

و لما كان هذا المقال سببا لعظيم تشوف السامع إلى ما يكون[8] بعده، وكان أهل الجنة من علو المكان و المكانة و صحة الأجسام و قوة التركيب و نفوذ الأبصار بحيث ينظرون ما شاءوا من النار و غيرها مما دونهم متى شاؤا. استانف قوله مشيرا إلى أن حاله هذا معلم أنه من أهل النار: ﴿ قال ﴾ أى هذا القائل لشربه هؤلاء الذين هم كما قال

(١) من ظ و م، و فى الأصل: جليسى (٢) زيد من م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: له (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: باعنى (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ: لمبعوثون (٨) فى الأصل بياض، ملأناه من م.

بعضهم

بعضهم فى موشح :

رب شرب كالعقد قد نظموا[1] فى ثياب طرازها الكرم
فاغتنمت الهنا كما اغتنموا و ظننت الكؤس ينهمو
أنجما فى سما الهناء ترى[2] كل نجم يغيب فى بدر

﴿ هل انتم مطلعون ﴾ أى شافون[3] قلبى بأن تتركوا ما أنتم فيه من تمام ٥ اللذة و تكلفوا أنفسكم النظر معى فى النار لتسرونى[4] بذلك .

و لما كان المحدث عنه المخلصين ، و هم أهل الجنة كلهم أو جلهم ، و كان الضمير يعود لما سبقه بعينه ، و كان مخاطبو هذا القائل إنما هم[5] شربه ، و كان من المعلوم مما مضى من التقابل و التواد و التواصل بالمنادمة و التساؤل أنهم ينتدبون[6] ندبهم إليه و يقبلون قطعا عليه ، و كان النافع ١٠ لنا إنما هو قوله فقط فى توبيخ عدوه و تغبيط نفسه و وليه ، لم يجمع الضمير لئلا يلبس فيوهم أنه للجميع ، و أعاده عليه وحده لنعتبر بمقاله ، و نتعظ بما قص علينا من حاله فقال : ﴿ فاطلع ﴾ أى بسبب ما رأى لنفسه[7] فى ذلك من عظيم اللذة ، إلى أهل النار ﴿ فرآه ﴾ أى ذلك القرين السوء ﴿ فى سوآء الجحيم ﴾ أى[8] فى وسطها و غمرتها تضطرم عليه أشد ١٥ اضطرام بما كان يضرم فى قلبه فى الدنيا من الحر كلما قال له ذلك المقال[9] ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : تعلموا (٢) فى ظ و م : تسرو ـ كذا (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : شاقون (٤) العبارة من هنا إلى « من حاله فقال » ساقطة من م (٥) من ظ ، و فى الأصل : هو (٦) من ظ ، و فى الأصل : يفتديون (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : نفسه (٨) سقط من ظ و م (٩) فى ظ : المقام .

و سمى الوسط سواء لاستواء المسافة منه إلى الجوانب كمركز الدائرة، ثم استأنف الإخبار عن مكافأته له بما كان من تقريعه و توبيخه على التصديق بالآخرة بقوله: ﴿قال﴾ أى لقرينه ذلك.

و لما كان لايقع فى فكر أنه [كان - ١] يلتفت إلى قوله هذا نوع التفات لأنه ظاهر البطلان، و لأن هذا القائل محكوم بأنه من أهل الجنة، أكد قوله إشارة إلى أنه كان يؤثر فيه قوله فى كثير من الأوقات بما يزينه به ٢ الشيطان و تحسنه النفوس بالشهوات، و الراحة من كلف الطاعات، و ساقه فى أسلوب القسم تنبيها على التعجب من سلامته منه فقال: ﴿تالله﴾ و زاد التأكيد بعد ما علقه بالاسم الأعظم بالمخففة من المثقلة ٣ فقال: ﴿ان كدت لتردين لا﴾ أى إنك قاربت أن تهلكنى ٤ و تجعلنى ٤ فى ارداً ما يكون / من الأماكن، و فى هذا التأكيد غاية الترغيب فى الثبات لمن كان قريبا من التزلزل و فى المباعدة لقرناء السوء. /٣٩٧

و لما ذكر سوء ما كان [يأتى - ٥] إليه، ذكر حسن أثر الله سبحانه عنده، فقال ٦ لافتا الكلام إلى صفة الإحسان لأنه مقامه ٦: ﴿و لو لا نعمة ربى﴾ أى المحسن إلىّ بما ربانى به من تثبيتى عن أتباعك و التجاوز عنى فى مخالطتك ﴿لكنت﴾ ٦ كونا ثابتا ٦ ﴿من المحضرين ٥﴾

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: له (٣) فى م: الثقيلة. (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من م (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م.

أى المكرهين على حضور هذا الموطن[1] الضنك الذى أنت[2] فيه[3]، فيا لله ما أعظم إحسان هذه الآية فى التنفير[4] من العشرة لقرناء السوء لأنها شديدة الخطر قبيحة الأثر، و لقد أبان نظره هذا عن أنه إن لم يكن أعلى لذة مما كان فيه فليس بأدنى منه، فانه لا شىء ألذ من رؤية العدو الماكر[5] الذى طالما أحرق الأكباد و شوش الأفكار، فى مثل ذلك من الإنكار، و عظائم الأكدار، من غمرات النار.

و لما رأى ذاك فيما هو فيه من الجحيم، و رأى نفسه فيما هى فيه من النعيم، ما ملك نفسه أن قال كما يعرض لمن يكون فى شدة فيأتيه الفرج[6] فجاءة فيصير كأنه فى منام أو أضغاث أحلام، لايصدق ما صار إليه سرورا: ﴿ افما ﴾ [أى أنحن يا إخوانى منعمون مخلدون فيتسبب عن ذلك أنا ما ﴿ نحن بميتين ﴾ أى بعد حالتنا هذه، و أكده لأن مثله لأجل نفاسته لا يكاد يصدق، ثم أعرق فى العموم بما هو معياره فقال: ﴿ الا موتتنا الاولى ﴾ أى التى كانت فى الدنيا. و لما ذكر نعمة الخلاص من الموت، ذكر نعمة الإنقاذ من الأكدار فقال: ﴿ و ما ﴾ - [7]] ﴿ نحن ﴾ و أكد النفى فقال: ﴿ بمعذبين ﴾.

و لما تذكر هذا فاستفزه السرور، و ازدهته[8] الغبطة و الحبور،

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: الوطن (٢) سقط من ظ (٣) فى م: به.
(٤) فى ظ: التفسير (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الهالك (٦) فى م: الفرح.
(٧) زيد ما بين الحاجزين من م (٨) من م، و فى الأصل: اذ رهبته، و فى ظ: اذهرته.

لم يملك نفسه أن قال فى أسلوب التأكيد لما له فى ذلك من النشاط لما[1] له من خرق العادة منبها على عظمته لتعظم[2] الغبطة : ﴿ان هذا﴾ أى الملك الذى نحن فيه ﴿لهو﴾ أى وحده ﴿الفوز العظيم ۝﴾ أى الذى لاشىء يعدله . و لما دل هذا السياق على عظيم[3] ما نالوه، زاد فى تعظيمه بقوله : ﴿لمثل هذا﴾ أى الجزاء ﴿فليعمل العملون ۝﴾ أى لينالوه[4] فانهم يغتنون غنى لا فقر بعده بخلاف ما يتنافسون فيه و يتدالجون عليه من أمور الدنيا ، فانه مع سرعة زواله منغض بكدره و ملاله .

و لما فات الوصف هذا التشويق إلى هذا النعيم ، رمى فى نعته رمية أخرى سبقت العقول و تجاوزت حد الإدراك و علت عن تخيل الوهم فى استفهام منفر من ضده بمقدار الترغيب[5] فيه لمن كان له لب فقال : ﴿ا ذلك﴾ الجزاء البعيد المنال البديع المثال ﴿خير نزلا﴾ فأشار بذلك إلى أنه إنما هو شىء يسير كما يقدم للضيف عند نزوله على ما لاح فى جنب ما لهم وراء ذلك مما لاتسعه العقول و لا تضبطه الفهوم : ﴿ام شجرة الزقوم ۝﴾ [اى -[6]] التى تعرفها بأنها فى غاية النتن و المرارة[7] . من قولهم : تزقم الطعام - إذا تناوله على كره و مشقة شديدة ، و عادل بين ما[8] لا معادلة بينهما بوجه تنبيها على ذلك ، و لأنهم[9] كانوا يرون

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مما (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : لتعظيم .
(٣) فى م : عظم (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ينالوه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الشرغيب (٦) زيد من م (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : المراد .
(٨) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٩) فى ظ : انهم .

ما سبب ذلك من الأعمال خيرا من أعمال المؤمنين التى سببت لهم النعيم، فكأنهم كانوا يقولون: إن هذا العذاب خير من النعيم، فسيق ذلك كذلك توبيخا لهم [على -[1]] سوء اختيارهم[2].

و لما كان قد أخبر أن نباتها فى النار، فكان ذلك سببا لزيادة تكذيبهم لأن عدم إيمانهم كان سببا لضيق عقولهم، قال مؤكدا ردا ٥ على من يظن أنه سبحانه لا يفتن عباده لأنه غنى عن ذلك: ﴿انا جعلناها﴾ أى الشجرة بما لنا من العظمة ﴿فتنة للظلمين ۝﴾ أى الذين يضعون الأشياء فى غير مواضعها كمن هو فى الظلام بكونها عذابا لهم فى الأخرى و سببا لزيادة ضلالهم فى الدنيا، و لو وضعوها مواضعها لعلموا أن من جعل فى الشجر الأخضر نارا [لا -[1]] تحرقه يستخرجونها هم متى شاؤا ١٠ [فيحرقون بها ما شاؤا -[3]] من حطب و غيره قادر على أن ينبت فى النار شجرا[4] أخضر لا تحرقه النار[5]، ثم نبه على أن محل الفتنة جعلها فيما ينكرونه، فقال تعالى مؤكدا لأجل إنكارهم معللا لجعلها فتنة تخالطهم فتحيلهم فى الدنيا بحرها و فى الأخرى بأثرها: ﴿انها﴾ [وحقق أمر نباتها بقوله -[3]]: ﴿شجرة﴾ /و زاد[6] الأمر بيانا بقوله: ﴿تخرج﴾ و أكده بالظرف ١٥ / ٣٩٨ فقال[7]: ﴿فى اصل﴾ أى ثابت و قعر و معظم و قرار ﴿الجحيم ۝﴾ أى النار الشديدة الاضطرام و فروعها ترتفع إلى دركاتها، ثم زاد ذلك وضوحا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: احتياجهم (٣) زيد من م.
(٤) فى ظ: شجر (٥) سقط من م (٦) من م، و فى الأصل و ظ: زادوا.
(٧) فى ظ: فقالوا.

و تصويرا بقوله : ﴿ طلعها ﴾ أى الذى هو مثل طلع النخل فى نموه ثم[1] تشققه عن[2] ثمره ﴿ كأنه رءوس الشيٰطين ۝ ﴾ فيما هو مثل عند المخاطبين فيه ، و هو القباحة التى بلغت النهاية ، و هذا المثل واقع فى أتم مواقعه سواء كان الشيطان عندهم اسما[3] للحية أو لغيرها ، لأن قبح الشياطين و ما يتصل بهم فى أنهم[4] شر محض لايخلطه خير مقرر فى النفوس ، و لهذا كان كل من استقبح منظر إنسان أو فعله يقول : كأنه شيطان ، كما انطبع فى النفوس حسن الملائكة و جلالتهم فشبهوا لهم الصور الحسان ، و لذلك[5] سمت العرب ثمر شجر يقال له الأستن بهذا الاسم ، و هو شجر خشن مر منتن منكر الصورة .

و لما أثبت أمرها بما هو فى غاية الفتنة[6] لها و اللطف للمؤمنين ، سبب عن الفتنة بها قوله ، رادا لإنكارهم أن يأكلوا مما لايشتهونه[7] و مكذبا لما كانوا يدعون من المدافعة : ﴿ فانهم ﴾ أى بسبب كفرانهم بها و بغيرها [8]مما أمرهم[8] الله ﴿ لآكلون منها ﴾ أى من هذه الشجرة من شوكها و طلعها و ما يريد الله بما يؤلم منها . و لما كانوا قد زادوا فى باب التهكم فى أمرها ، زاد التأكيد فى مقابلة ذلك بقوله : ﴿ فمالئون منها ﴾ [و من غيرها فى ذلك الوقت الذى يريد الله أكلهم منها ـ[9]] ﴿ البطون ۝ ﴾

(١) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٢) فى ظ : عنده (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : اسم (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اسم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : كذلك (٦) من م ، و فى الأصل : السبب ، و فى ظ : الشتيه ـ كذا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يشتهون (٨-٨) فى ظ و م : من أمر . (٩) زيد من م .

قهرا على ذلك و إجبارا . و لما أحرق أكبادهم من [1]شديد الجوع[1] زيادة في العذاب ، و لما جرت العادة بأن[2] الآكل المتنعم يتفكه بعد أكله بما يبرد غلة كبده ، قال مشيرا إلى تناهي شناعة متفكههم ، و طويل تلهبهم من عطشهم ، بأداة التراخي و آلة[3] التأكيد [لما-[4]] لهم في ذلك من عظيم الإنكار : ﴿ ثم ان لهم عليها ﴾ أي على أكلهم منها ﴿ لشوبا ﴾ ٥ أي خلطا عظيم الإحراق ﴿ من حميم ج ﴾ أي ماء حار كأنه مجمع من مياه من عصارات شتى من قيح و صديد و نحوهما[5] - نسأل الله العافية .

و لما كان ما ذكر للفريقين إنما هو النزل الذي مدلوله ما يكون في أول القدوم على حين غفلة ، و كانوا يوردون الحميم كما يورد الإبل الماء ، [و-[6]] كان قوله تعالى "يطوفون بينها و بين حميم ان" [يدل-[4]] ١٠ على أن ذلك خارجها أو خارج غمرتها ، كما تكون الأحواض في الحيشان خارج الأماكن المعدة للإبل ، قال مبينا أن لهم ما هو أشد شناعة من ذلك ملوحا إليه بأداة التراخي : ﴿ ثم ان مرجعهم ﴾ أي بعد خروجهم من دار ضيافتهم [الزقومية -[4]] ﴿ لا الى الجحيم ﴾ أي ذات الاضطرام الشديد ، و الزفير و البكاء و الاغتمام الطويل المديد ، كما أن حزب الله ١٥ يتقلبون من جنات النعيم إلى جنات الماوى مثلا إلى جنات[7] عدن إلى

(١ - ١) من م ، و في الأصل و ظ : شدة الجزع زادهم (٢) من ظ و م ، و في الأصل : ان (٣) من م ، و في الأصل و ظ : اكد (٤) زيد من م . (٥) من م ، و في الأصل و ظ ا نحوها (٦) زيد من ظ و م (٧) في ظ : جانب .

الفردوس التى لايبغون عنها حولا كما ينقل أهل[1] السعة و الأكابر من أهل الدنيا ضيوفهم فى البساتين المتواصلة و المناظر، و ينزهونهم فى القصور العالية و الدساكر .

و لما أخبر عن عذابهم[2] هذا، وكان سببه الجمود مع العادة الجارية على غير الحق، و التقيد بما ألفته النفس و مال إليه الطباع، مما أصله من يعتقدون أنه أكبر منهم و أتم عقلا، علل ذلك تحذيرا من مثله[3] لأنه كان سبب هلاك أكثر الخلق، و أكده لأنهم ينكرون [ضلال ـ[4]] من أصل لهم، فتلك[5] العوائد من آبائهم و غيرهم فقال: ﴿ انهم الفوا ﴾ أى وجدوا وجدانا ألفوه ﴿ آباءهم ضالين ﴾ أى عريقين / فى الضلال، /٣٩٩ فما هم فيه لايخفى على أحد أنه ضلال يتسبب عنه[6] النفرة عن صاحبه ﴿ فهم ﴾ أى [7]البعداء البغضاء[7] ﴿ على آثارهم ﴾ أى التى لاتكاد تبين لأحد[8] لخفاء مذاهبها[9] لوهيها و شدة ضعفها و انطماس معالمها، [لا على غيرها ـ[10]] ﴿ يهرعون ﴾ أى كأنهم يلجئهم ملجئ إلى الإسراع، فهم فى غاية المبادرة إلى[11] ذلك من غير توقف على دليل و لا استضاءة بحجة

(١) من م، و فى الأصل و ظ : الى (٢) من م، و فى الأصل : اعدهم، و فى ظ : اعدائهم (٣) من م، و فى الأصل و ظ: مثلهم (٤) زيد من ظ و م .
(٥) من م، و فى الأصل و ظ : فهلك (٦) من ظ و م، و فى الأصل : منه .
(٧ ـ ٧) موضع ما بين الرقمين فى ظ : فيتسبب عنه النفرة أنهم، و فى م: فتسبب عنه فى موضع النفرة أنهم (٨) سقط من ظ (٩) فى ظ : مذهبها .
(١٠) زيد من م (١١) زيد فى الأصل و ظ : غير، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

بحيث

بحيث يلحق صاحب هذا الإسراع من شدة تكالبه عليه شيء[1] هو كالرعدة، و ذلك ضد توقفهم و جمودهم فيما أتاهم به رسولنا صلى الله عليه و سلم من شجرة الزقوم و غيرها مما هو فى غايـــة الوضوح و الجلاء، فامعنوا فى التكذيب به و الاستهزاء، و أصروا بعد قيام الدلائل، فكانوا كالجبال ثباتا على ضلالهم، و الحجارة الصلاب الثقال رسوخا فى لازب أوحالهم. ٥

و لما كان النبي صلى الله عليه و سلم شديد المحبة لهداهم و الحزن على ضلالهم، و الأسف على غيهم و محالهم، و كان الضلال مع العقل أولا، ثم مع وجود الرسل الذين هم من الصدق و المعجزات و الأمور الملجئة إلى الهدى ثانيا كالمحال، سلاه سبحانه [بقوله -[2]] على سبيل التأكيد لزيادة التحقيق: ﴿و لقد ضل قبلهم﴾ أى قبل من يدعوهم فى ١٠ جميع الزمان الذى تقدمهم ﴿اكثر الاولين﴾ بحيث أنه [3]لم يمض قرن[3] بعد آدم عليه السلام إلا و كله أو جله ضلال.

و لما كان ربما ظن أنه لعدم الرسل، نفى ذلك بقوله مؤكدا لنحو ذلك: ﴿و لقد ارسلنا﴾ أى على ما لنا من العظمة التى توجب الإتيان بما لا ريب فيه من البيان ﴿فيهم منذرين﴾ أى فأنذروهم بأس الله ١٥ و بينوا لهم أحسن[4] البيان، و مع ذلك فغلب عليهم الضلال، و عناد أهل الحق بالمحال، حتى أهلكهم الله بما له من شديد[5] المجال، و هو معنى قوله:

---

(١) زيد فى ظ: ما (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: لم يخص قرنا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: حسن (٥) من ظ و م، و فى الأصل: شدة.

﴿ فانظر ﴾ أى فتسبب عن الإرسال أنا فعلنا فى إهلاكهم من العجائب ما يستحق التعجيب به و التحذير من مثله بأن يقال لمن تخلف[1] عنهم: انظر ﴿ كيف ﴾ و لما كان ذلك عادة مستمرة لم تختلف أصلا قال: ﴿ كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ المنذرين ﴾ أى فى إنا أهلكناهم لتكذيبهم، فاصبر على الشدائد كما صبروا، و استمر على الدعاء بالبشارة و النذارة حتى يأتيك أمر الله .

و لما أفهم الحكم على الأكثر بالضلال أن الأقل على غير حالهم، نبه على حال الطائعين بقوله[2] مستثنيا من ضمير المنذرين: ﴿ الا عباد الله ﴾ أى الذين استخلصهم سبحانه بما له من صفات الكمال، فاستحقوا الإضافة إلى اسمه الأعظم ﴿ المخلصين ﴾ أى الذين أخلصهم له فأخلصوا هم أعمالهم فلم يجعلوا فيها شوبا لغيره .

و لما كان مقصود السورة التنزيه الذى هو الإبعاد عن النقائص، و لذلك كان أنسب الأشياء الإقسام أولها بالملائكة الذين هم أنزه الخلق، و كان أعلى الخلق من جرد نفسه عن الحظوظ بما يؤتيه الله من المجاهدات و المنازلات و المعالجات حتى يلحق بهم فيحوز مع فضلهم معالى الجهاد، فكان أحق الأنبياء بالذكر من كان أكثر تجريدا[3] لنفسه من الشواغل سيرا[4] إلى مولاه و تعريجا عن[5] كل ما سواه، وكان الأب

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : يختلف (٢) فى ظ : بقولهم (٣) من م ، و فى الأصل : تحريا ، و فى م : تجرا (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : مشيرا (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : على .

الثانى [من -[1]] أحقهم بذلك لأنه تجرد فى الجهاد بالدعاء إلى الله ألف عام ثم تجرد عن كل شىء/ على ظهر الماء بين الارض و السماء، فقال ٤٠٠/ تعالى مؤكدا لما تقدم من أنه [دعا -[2]] إلى التأكيد من أن مكثه[3] فى قومه المدة الطويلة مبعد لأن يكونوا وافقوه و مالوا معه و تابعوه، و لأن فعل العرب فى التكذيب مع ترادف المعجزات و تواتر العظات ٥ عمل من هو مكذب بوقوع النصرة[4] للمرسلين و العذاب للمكذبين، عطفا على ما تقديره: فقاسى الرسل[5] من الشدائد ما لاتسعه الأوراق، و جاهدوهم بأنفسهم و التضرع إلى الله تعالى فى أمرهم: ﴿و لقد نادنا﴾ لما لنا من العظمة ﴿ نوح ﴾ بقوله "رب انى مغلوب فانتصر" و نحوه مما أخبر الله عنه[6] به بعد أمور عظيمة لقيها منهم من الكروب، و الشدائد ١٠ و الخطوب، لنكشف عنه ما أعياه من أمرهم.

و لما أغنت هذه الجملة عن شرح القصة[7] و تطويلها، و كان قد تسبب[8] عن دعائه إجابته، قال بالتأكيد[9] بالاسمية و الإشارة إلى القسم و الأادة الجامعة لكل مدح و صيغة العظمة إلى أن هول عذابهم و عظم مصابهم بلغ إلى أنه مع شهرته لايكاد يصدق، فهو يحتاج إلى ١٥ اجتهاد كبير و شدة اعتناء، فكانت الإجابة إجابة من يفعل ذلك و إن

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: مكنه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المضرة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المرسل.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٧) من م، و فى الأصل و ظ: القصيدة.
(٨) من م، و فى الأصل و ظ: سبب (٩) زيد فى م: القسم.

كانت الأفعال بالنسبة إليه سبحانه على حد سواء، لاتحتاج إلى غير مطلق الإرادة: ﴿فلنعم المجيبون ۝﴾ أى كنا بما لنا من العظمة له و لغيره ممن كان نعم المجيب لنا[1]، هذه صفتنا[2] لاتغير لها.

و لما كان معنى هذا: فأجبناه إجابة هى النهاية فى استحقاق على المادح من إيصاله إلى مراده من [3]حمله و حمل[3] من آمن به و الانتقام ممن كذبه كما هى عادتنا دائما، عطف عليه قوله: ﴿و نجيٰنٰه﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿و اهله﴾ أى الذين وافقوه فى الدين ﴿من الكرب العظيم ۝﴾ و هو الأذى من الغرق[4] ﴿وجعلنا ذريته[5] هم﴾ أى خاصة ﴿البٰقين ۝﴾ لأن جميع أهل الأرض غرقوا فلم يبق منهم أحد أصلا، و أهل السفنية [لم -[6]] يعقب منهم أحد غير أولاده، فأثبناه على نزاهته[7] إن كان هو الأب الثانى، فالعرب و العجم أولاد سام، و السودان أولاد حام، و الترك و الصقالبة و يأجوج و ماجوج أولاد يافث، فكل من تبع سنته فى الخير كان له مثل أجره.

و لما ذكر أنه بارك فى نسله، أعلم[8] أنه أدام ذكره بالخير فى أهله فقال: ﴿و تركنا عليه[9]﴾ أى ثناء حسنا، لكنه حذف المفعول

(١) من م، و فى الأصل و ظ: اما (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فنعتنا. (٣) من ظ و م. و فى الأصل: عما و حمله (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الكرب (٥) من ظ و م و القرآن الكريم و فى الأصل: ذريتهم (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: نزاهة (٨) من م، و فى الأصل و ظ: علم (٩) ليس فى الأصل فقط.

و جعل

و جعله لازما ، فصار المعنى : أوقعنا عليه الترك بشيء هو من عظمته و حسن ذكره بحيث يعز[1] وصفه ﴿ فى الأخرين ﴾ أى كل من تأخر عن زمانه إلى يوم الدين . و لما كان قد كتب الله فى القدم سلامته من كل سوء على كثرة الأعداء و طول الإقامة فيهم و شدة الخلاف قال تعالى مستأنفا مادحا : ﴿ سلم ﴾ أى عظيم ﴿ على نوح ﴾ من كل حى من الجن و الإنس و الملائكة لسلام الله عليه . و لما كان لسان جميع أهل الأرض فى زمانه عليه السلام واحدا ، فكانوا كلهم قومه ، و لم يكن فى زمانه نبى ، فكانت نبوته قطب دائرة ذلك الوقت ، فكانت رسالته عامة لأهله ، و كان غير الناس من الخلق لهم تبعا ، خصه فى السلام بأن قال : ﴿ فى العلمين ﴾ أى مذكور فيهم كلهم لفظا[2] و معنى يسلم عليه دائما إلى أن تقوم الساعة ، و خصوصية نبينا صلى الله عليه و سلم بأنه أرسل إلى جميع الخلق مع اختلاف الألسنة و مع استمرار الرسالة أبد الآباد ، و كون شريعته ناسخة غير منسوخة ، و كون جميع الخلق فى القيامة تحت لوائه ، فهناك يظهر تمام ما أوتيه من عموم[3] البعثة إلى ما ظهر منه فى الدنيا .

و لما كان التقدير : فعلنا به ذلك لإحسانه ، و كان الضالون ينكرون أن تنجو الدعاة إلى الله و أتباعهم منهم ، أخبر فى / سياق التأكيد أنه يفعل بكل محسن ما فعل به فقال : ﴿ انا ﴾ أى على عظمتنا ﴿ كذلك ﴾ /٤٠١

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يعد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لفا (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : عظيم .

أى مثل ذلك الجزاء بالـذكر الحسن و النجاة من كل سوء ﴿ نجزى المحسنين ﴾ أى الذين يتجردون من الظلمات النفسانية إلى الأنوار الملكية [بحيث[1]] لايغفلون عن المعبود، و لاينفكون لحظة عن الشهود .

٥ و لما أفهمت هذه الجملة - و لابد - إحسانه إلى المحسن، علل ما أفهمته بقوله، مؤكدا إظهارا للاقبال عليه بأن ذكره مما[2] يرغب فيه، و تكذيبا لمن كذبه : ﴿انه من عبادنا﴾ أى الذين هم أهل لأن نضيفهم إلى مقام عظمتنا ﴿المؤمنين﴾ أى الراسخين فى هذا الوصف، المتمكنين فيه، فعلم أن الإيمان هو المراد الأقصى من الإنسان لأنه علل الإنجاء

١٠ بالإحسان و الإحسان [بالبيان -[3]] . و لما أفهم تخصيص ذريته بالبقاء إهلاك غيرهم، و قدم ما هو أهل له من مدحه اهتماما به و ترغيبا فى مثله، أخبر عن أعدائه بأنه أوقع بهم لأنهم لم يتحلوا[4] بما كان سبب سعادته من الإيمان بقوله، مشيرا إلى العظمة التى أوجدها سبحانه فى إغراقهم[5] بأداة التراخى : ﴿ثم اغرقنا﴾ أى بما لنا من العظمة التى لايقوم

١٥ لها شىء ﴿الأخرين﴾ أى الذى غاروه[6] فى الأقوال و الأفعال[6] فاستحقوا أضداد[7] أفعالنا معه و هم أهل الأرض كلهم غير أهل السفينة و كلهم

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : ما (٣) زيد من م ، و فى ظ : بالإيمان (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : لم ينحلوا (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : اعترافهم (٦ - ٦) من م و ظ ، و فى الأصل : بالافعال و الاقوال (٧) سقط من ظ .

قومه كما هو ظاهر الآيات إذا تؤمل تعبيرها عن الدعوة و الإغراق و دعائه عليه السلام عليهم ، و ظاهر ما رواه الشيخان و غيرهما عن أنس رضى الله عنه فى حديث الشفاعة أن الناس يقولون : ائتوا نوحا أول نبى بعثه الله إلى [أهل -[1]] الأرض. و إنما كانوا قوما لا أكثر ، لأنهم كانوا على لسان واحد قبل بلبلة[2] الألسن باتفاق أهل التأريخ ، و ذلك ٥ كما أن العرب يطلق عليهم [كلهم - [3]] على انتشارهم و اتساع بلادهم أنهم قوم ، لاجتماعهم فى اللسان مع أنهم قبائل لا يحصيهم العد ، و لا يجمعهم نسب واحد إلا فى إسماعيل عليه السلام ، و قيل فيما فوقه ، فان النسابين أجمعوا على أن عدنان من ولد إسماعيل عليه السلام ، [قالوا : هو من ولد عدنان -[3]] ، و اختلفوا فى قحطان أبى اليمن و كذا ثقيف ، فقيل : ١٠ هما من ولد إسماعيل عليه السلام ، و قيل لا ، ثم من قال : إن ثقيفا من ولد إسماعيل عليه السلام ، قالوا : هو من ولد عدنان ، و قال بعضهم : لا ، ثم إن من ولد عدنان ربيعة و مضر ، و من دون مضر كنانة و هذيل و القارة و خزاعة و[4] أسد و تميم[4] و مزينة و الرباب و ضبة و قيس [و -[5]] دون ذلك باهلة و أشجع و فزارة و كنانة و قريش و خلائق ، ١٥ و من دون ربيعة بكر بن وائل و غيرهم ، و من دون ذلك شيبان و عبد القيس و النمر و خلائق ، و دون قحطان أبى اليمن لخم و جذام و عائلة[6] و غسان و كندة و همدان و الأزد[7] ، و منهم الأنصار و خلائق غير ذلك ،

(١) زيد من م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : تليه (٣) زيد من ظ .
(٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ما دونهم (٥) زيد ظ و م (٦) فى م : عالة .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الاسد .

فهؤلاء كلهم - على هذا التشعب و الانتشار و الاختلاف[1] [2]فى الأديان، بل و فى بعض اللغة - يسمون أمة واحدة و قوما لجمع اللسان لهم فى أصل العربية، و بنو إسحاق ليسوا منهم بلا خلاف، مع أنهم أولاد عمهم لمخالفتهم لهم فى اللسان على أنهم أقرب من قحطان و ثقيف فى النسب عند من قال إنهم ليسوا من ولد إسماعيل عليه السلام، [وكذا بنو إسحاق عليه السلام -[3]] افترقوا بافتراق اللسان، فبنو[4] إسماعيل قوم، و بنو العيص - و هم الروم - قوم، و كذا سائر الأمم إنما يفرق بينهم اللسان، و عموم دعوته لبنى آدم عليه السلام على هذا الوجه لا يقدح فى خصوصية نبينا صلى الله عليه و سلم بعموم الدعوة و الإرسال إلى غير قومه، أما العموم فانه أرسل إلى كل من ينوس من الإنس و الملائكة و الجن، و أما دعاء الأقوام فالمراد أنه أرسل إلى الموافق فى اللسان و المخالف فيه، و أما غيره فما أرسل إلى من خالفه فى اللسان و لا إلى غير جنسه و إن كان يندب له أنه يأمر المخالفين فى اللسان و ينهاهم من باب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر من غير وجوب، و لو سلمنا فى نوح عليه السلام أنه لم يبعث إلى جميع[5] أهل الأرض انتقض بآدم[6] عليه السلام فانه نبى مرسل، كما روى ذلك الإمام أحمد و أبو داود الطيالسى و محمد بن يحيى بن أبى عمر و أبو بكر بن أبى شيبة و الحارث

٤٠٢ / ١٠ /

(١) من م، و فى الأصل و ظ : اختلاف (٢) زيد فى الأصل : الالوان و فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بنو (٥) سقط من ظ (٦) فى ظ : بنوح .

ابن أبي أسامة و أبو يعلى الموصلي و إسحاق بن راهويه في مسانيدهم و الطبراني في معجمه الأوسط عن أبي أمامة الباهلي و أبي ذر رضي الله عنهما و في بعض طرق أبي ذر التصريح بالإرسال و لايشك أحد أنه كان رسولا إلى جميع من أدركه من أولاده، و هم جميع أهل الأرض، و كذلك نوح عليه السلام لايشك أحد أنه كان بعد الغرق رسولا إلى جميع أهل ٥ السفينة كما كان قبل ذلك، و هم جميع أهل الأرض، فما قدمت من أن الخصوصية بالإرسال إلى ذوي الألسن المختلفة من جميع بني آدم، و إلى المخالف في الجنس من كل من ينوس هو المزيل للاشكال - و الله الموفق.

و لما كان لإبراهيم عليه السلام من التجرد عن النعوت البشرية ١٠ و العلائق النفسانية إلى الأحوال الملكية ما لم يكن لمن بينهما من النبيين من المصارحة بالمعارضة لقومه، و الإبلاغ فيها بكسر الأوثان، و توهية مذهب الكفران، و الانفراد عما سوى الله في غمرات النيران، حتى عن الدعاء بقلب أو لسان فناء عن جميع الأكوان، ثم بالهجرة عن الأوطان، [ثم -[1]] بالخروج عن الأحباب[2] و الأخوان، بوضع ابنه بكره ١٥ و سريته في ذلك المكان، الذي ليس به إنس و لاجان، ثم بمعالجة ذبحه بأتم قوة و أقوى جنان. ثم ببناء البيت ذوي الأركان، قبلة للمتجردين من أهل الإيمان في كل أوان، عما سوى الملك الديان[3]، يصفون عند كل

(١) زيد من م (٢) زيد في الأصل: كذلك، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ و م فحذفناها.

صلاة مثل صفوف الملائكة الكرام ، و كان موافقا لنوح عليه السلام مع ما تقدم فى البركة فى نسله بحيث أنهم قريب نصف أهل الأرض[1] الآن ، و كان أشهر أمره فى النار التى هى [ضد -[2]] أشهر أمر نوح عليه السلام فى الماء ، تلاه به فقال مؤكدا إظهارا أيضا لما له من الكرامة و المنزلة العالية فى الإمامة ، المقتضية للنشاط فى الثناء عليه ، المنبهة على ما ينبغى من إتمام العزم فى متابعته ، و تكذيبا لمن ادعى أنه ابتدع و خالف من كان قبله : ﴿و ان من شيعته﴾ [أى -[2]] الذين خالط سره سرهم و وافق[3] أمره أمرهم ، فى التصلب فى الدين و المصابرة للمفسدين ﴿لابرٰهيم ۝﴾ ثم علق بمعنى المشايعة بيانا لما كانت به المتابعة قوله على تقدير سؤال من قال : متى شايعه ؟ : ﴿اذ﴾ أى حين[4] ﴿جآء ربه﴾ أى المحسن فى تربيته ﴿بقلب سليم ۝﴾ أى بالغ السلامة عن حب غيره ، و المجىء مجاز عن الإخلاص الذى لاشائبة فيه كما أن الآتى إليك لايكون شىء من بدنه عند غيرك ، ثم أبدل من ذلك ما هو دليل عليه فقال : ﴿اذ قال لابيه﴾ أى الذى هو أعظم الناس عنده و أجلهم فى عينه و أعزهم لديه ﴿و قومه﴾ أى الذين لهم من القوة و الجدود ماتهابهم به الأسود : ﴿ماذا﴾ أى ما الذى ﴿تعبدون ۝﴾ تحقيرا لأمرهم و أمر معبوداتهم منبها على أنه لا علة لهم فى الحقيقة تحمل على عبادتها / غير /٤٠٣

(١) سقط من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل وظ : خالط .
(٤) زيد فى الأصل و ظ : اذ ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

مكترث بكثرتهم و لا هائب لقوتهم و لا مراع لميل الطبع البشرى إلى مودتهم .

و لما لوح لهم بالإنكار ، صرح فقال مقدما للمفعول تخصيصا : ﴿ افكا ﴾ أى صرفا للحق عن وجهه إلى قفاه . و لما جعل معبوداتهم نفس[1] الإفك ، أبدل منه قوله : ﴿ الهة ﴾ ثم حقر شأنهم بقوله : ﴿ دون الله ﴾ أى الذى لا كفوء له ﴿ تريدون ﴾ و لما كان قد غلب عليه الشهود عند تحقيره لهم ، سبب عن ذلك تهديدا على فعلهم عظيما ، فقال مشيرا إلى أنه يكفى العاقل فى النهى ظن[2] العطب : ﴿ فما ظنكم ﴾ و لما كان كفران الإحسان شديدا ، ذكرهم باحسانه حافظا لسياق التهديد بالإشارة إلى أنه يكفى فى ذلك الخوف من قطع الإحسان فقال : ﴿ برب العلمين ﴾ أى الذى توحد بخلق جميع الجواهر و الأعراض و تربيتهم فهو مستحق لتوحيدهم إياه فى عبادتهم ، أتظنون أنه لا يعذبكم و قد صرفتم ما أنعم به عليكم إلى عبادة غيره ، إشارة إلى[3] إنكار تجويز مثل هذا ، و أن المقطوع به أن محسنا لا يرضى بدوام إدرار إحسانه إلى من ينسبه إلى غيره .

و لما أفهم السياق شدة عداوته صلى الله عليه و سلم للشركاء ، وكان الله تعالى قد أجرى عادته بأن جعل فى النجوم أدلة على بعض المسائل الظنية[4] لاسيما البحرانات [5]فى أنواع[5] الأسقام ، وكان أهل تلك البلاد

(١) فى ظ : بنفس (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٣) زيد فى الأصل و ظ : ان ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : الطيبة (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بانواع .

ـ وهم الكسدانيون كما تقدم فى الأنعام [و ـ[1]] كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما وكما دلت عليه كتب الفتوحات ـ من أشد الناس نظرا فى النجوم والاستدلال[2] بها على أحوال هذا العالم فى بعض ما كان وبعض ما يكون، و [كان ـ[3]] صلى الله عليه وسلم يريد أن يتخلف عن الذهاب معهم إلى المحل الذى يجتمعون فيه للعيد ليكسر الأصنام ويريد إخفاء وقت الكسر عليهم ليتمكن من ذلك، قال تعالى حاكيا عنه مشيرا إلى ذلك بالتسبب عما مضى: ﴿ فنظر نظرة ﴾ أى واحدة ﴿ فى النجوم ۝ ﴾ حين طلبوا [منه ـ[4]] أن يخرج معهم إلى عيدهم لئلا ينكروا تخلفه عنهم موهما لهم أنه استدل بتلك النظرة على مرض باطنى يحصل له، لأنهم ربما أنكروا كونه مريضا إذا أخبرهم بغير النظر فى النجوم لأن الصحة ظاهرة عليه ﴿ فقال ﴾ أى عقب هذه النظرة موهما أنها[5] سببه.

ولما كان بدنه صحيحا فكان بصدد أن يتوقف فى خبره، أكد فقال: ﴿ انى سقيم ۝ ﴾ فأوهم أن مراده أنه مريض[5] الجسد وأراد أنه مريض[5] القلب بسبب آلهتهم، مقسم الفكر فى أمرهم لأنه يريد أمرا عظيما وهو كسرها، ومادة "سقم" بتقاليبها الخمسة: سقم سمق قسم قمس مقس، تدور على القسم، فالسقام[6] كسحاب وجبل وقفل: المرض، أى

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الاستد لالات (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: انه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٦) راجع القاموس.

لأنه

لأنه يقسم القوة و الفكر، و قال ابن القطاع[1]: سقم: طاوله المرض.
و قسمه: جزأه، و الدهر القوم: فرقهم، و القسم - بالكسر: النصيب،
و القسم أى بالفتح: العطاء، و لايجمع، و الرأى و الشك و العيب[2] و الماء
و القدر و الخلق و العادة، و يكسر فيهما، و التفريق ظاهر فى ذلك كله،
أما العطاء فيفرق المال و يقسمه، و الرأى يقسم الفكر، و الشك كذلك، ٥
و العيب يقسم العرض، و الماء فى غاية ما يكون من سهولة القسم،
و القدر يفصل صاحبه من غيره، و كذا / الخلق و العادة، و المقسم كمعظم: /٤٤٠
المهموم[3] - لتوزع فكره[4]، و الجميل - لأنه يقسم القول فى وصفه، و القسم
محركة: اليمين بالله، و قد أقسم، أى أزال تقسيم الفكر، و القسامة:
الحسن - لأنه يوزع فكر الناظر، و [5]جونة العطار[5] - كذلك لطيب ١٠
ريحها، و القسام - كسحاب: شدة الحر - لأنها تزعج الفكر فتقسمه،
أو هو أول وقت الهاجرة أو وقت ذرور الشمس، و هى حينئذ أحسن
ما تكون مرآة - فيقسم الفكر فيها لحسنها إذ ذاك و ما يطرأ عليها
بعده. و القمس: الغوص - لأن الغائص قسم الماء بغوصه، و القمس
أيضا اضطراب الولد فى البطن لأنه يقسم الفكر، و يكاد أن يقسم البطن ١٥
باضطرابه، و القاموس: معظم البحر[6] - لأن البحر قسم الأرض، و معظمه

(١) راجع كتاب الأفعال ٢ / ١٤٩ (٢) فى القاموس: الغيث (٣) من م و القاموس، و فى الأصل و ظ: الهموم (٤) من م، و فى الأصل و ظ: الفكرة (٥-٥) من ظ و م والقاموس، و فى الأصل: حوته العطا و - كذا.
(٦) فى القاموس: معظم ماء البحر.

أحق بهذا الاسم ، و القوامس : الدواهى - لتقسيمها الفكر ، و انقمس النجم : غرب ، أى أخذ قسمه من الغروب كما أخذه من الشروق ، أو أزال التقسيم بالسير . و مقسه فى الماء : غطه - فانقسم الماء بغمسه فيه ، و القربة : ملأها ، فصير[1] فيها من الماء ما يسهل قسمه ، و أخذه[2] الماء الذى وضعه فيها تقسيم للماء المأخوذ منه ، و مقس الشيء : كسره ، و الماء : جرى - فانقسم و قسم الأرض ، و هو يمقس الشعر كيف شاء ، أى يقوله فيقسمه من باقى الكلام ، و التقميس[3] فى الماء : الإكثار من صبه ، فان ذلك تقسيم له ، و سمق سموقا : علا و طال فصار بطوله يقبل من القسمة ما لايقبله ما هو دونه .

ولما فهموا[4] عنه ظاهر قوله ، و ظنوا فيه ما يظهر من حاله ، و لكنهم لم يسعهم لعظمته فيهم إلا التسليم ، تركوه فقال تعالى مسببا عن قوله مشيرا إلى استبعادهم مرضه بصيغة التفعل : ﴿ فتولوا ﴾ أى عالجوا أنفسهم و كلفوها أن انصرفوا ﴿عنه﴾ [إلى محل اجتماعهم و إقامة عيدهم [5]] و أكد المعنى و نص عليه بقوله : ﴿ مدبرين ﴾ [أى -[6]] إلى معبدهم فخلا له الوقت من رقيب ﴿فراغ﴾ أى ذهب فى خفية برشاقة و خفة ، و نشاط و همة ، قال البيضاوى : و أصله الميل بحيلة ﴿ الى[7] الهتهم ﴾ أى أصنامهم التى زعموها آلهة ، و قد وضعوا عندها طعاما ، فخاطبها مخاطبة من يعقل لجعلهم إياها بذلك فى عداد من يعقل ﴿فقال﴾ منكرا عليها

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : و صير (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اخذه
(٣) من القاموس ، و فى الأصول : التقمس (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : افهموا (٥) زيد من م (٦) زيد من ظ و م .

متهكما بها ظاهرا و موبخا لقومه حقيقة : ﴿الا تاكلون ج﴾ ثم زاد فى إظهار الحق و الاستهزاء بانحطاطها عن رتبة عابديها فقال : ﴿ما﴾ أى أىّ شىء[1] حصل ﴿لكم﴾ فى أنكم ﴿لا تنطقون ه﴾ .

و لما أخبر تعالى أنه أظهر ما يعرفه باطنا من الحجة فقال : ﴿فراغ﴾ ، أى سبب[2] عن إقامته[3] الحجة أنه أقبل مستعليا ﴿عليهم﴾ بغاية النشاط و الخفة و الرشاقة يضربهم ﴿ضربا باليمين ه﴾ أى بغاية القوة ، و جعل السياق للصدر إشارة إلى قوة الهمة بحيث صار كله ضربا . و لما تسبب عن ذلك أنهم لما علموا بكسرها ظنوا فيه لما كانوا يسمعونه منه من ذمها و حلفه بانه ليكيدنها فأتوه ، أخبر عن ذلك بقوله مسببا : ﴿فاقبلوآ﴾ و دل على أنه من مكان بعيد [بقوله -[4]] : ﴿اليه يزفون ه﴾ أى يسرعون ، و قراءة حمزة[5] بالبناء للمفعول أدل على شدة الإسراع لدلالتها على أنهم جاؤا على حالة كان حاملا يحملهم فيها على الإسراع و قاهرا يقهرهم[6] عليه من شدة ما فى نفوسهم من الوجد .

و لما كان من المعلوم أنهم كلموه فى ذلك فطال كلامهم ، و كان تشوف[7] النفس إلى جوابه أكثر ، استأنف الخبر عنه فى قوله : ﴿قال﴾ غير هائب لهم و لامكترث بهم لرؤيته لهم فانين منكرا عليهم : ﴿اتعبدون﴾ و ندبهم بالمضارع إلى التوبة و الرجوع إلى الله ، و عبر بأداة ما لايعقل

(١) سقط من ظ (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : تسبب (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : اقامة (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع نثر المرجان ٣٧/٦ .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يقرهم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : تشوق .

٤٠٥ / كما هو الحق فقال: ﴿ما تنحتون ۝﴾ أى إن كانت / العبادة تحق لأحد غير الله فهم أحق أن يعبدوكم لأنكم صنعتموهم و لم يصنعوكم . و لما كان المتفرد بالنعمة هو[1] المستحق للعبادة، و كان الإيجاد من أعظم النعم، و كان قد بين أنهم إنما عبدوها لأجل عملهم الذى عملوه فيها فصيرها ٥ إلى ما صارت إليه من الشكل، قال تعالى مبينا أنه هو وحده خالقهم و خالق أعمالهم التى ما عبدوا فى الحقيقة إلا هى، و أنـــه لا مدخل لمنحوتاتهم فى الخلق فلا مدخل لها فى العبادة: ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الملك الأعظم الذى لا كفوء له ﴿ خلقكم ﴾ أى أوجدكم على هذه الأشكال ﴿ و ما تعملون ۝﴾ أى و خلق عملكم و معمولكم، فهو المتفرد ١ بجميع الخلق من الذوات و المعانى، و معلوم أنه لا يعبد إلا من كان كذلك لأنه لا يجوز لعاقل أن يشكر على النعمة إلا ربها .

و لما كان السامع يعلم أنهم[2] لابد و أن لا يجيبوه بشىء، فتشوف إلى ذلك، أجيب بقوله: ﴿ قالوا ابنوا له ﴾ أى لأجله ﴿ بنيانا ﴾ أى من الأحطاب حتى [تصير - [3]] كالجبل العظيم، فأحرقوها حتى يشتد لهبها ١٥ جدا فيصير جحيما ﴿ فالقوه فى ﴾ ذلك ﴿ الجحيم ۝﴾ أى معظم النار، • هى [على - [3]] أشد ما يكون إيقادا .

و لما كان هذا مسببا عن إرادتهم لإهانته قال: ﴿ فارادوا به ﴾ أى إبراهيم عليه السلام بسبب هذا الذى عملوه ﴿ كيدا ﴾ أى تدبيرا

(١) من ظ و م، و فى الأصل « و » (٢) من م، و فى الأصل و ظ: أنه .
(٣) زيد من ظ و م .

يبطل أمره ليعلوا أمرهم و لا يبطل بما أظهر من عجزهم دينهم ﴿فجعلنهم﴾ أى بعظمتنا بسبب عملهم ﴿الاسفلين ٥﴾ المقهورين بما أبطلنا من نارهم و جعلناها عليه بردا و سلاما بضد[1] عادتها فى العمل ، فنفذ عملنا[2] و هو خارق للعادة و بطل عملهم[3] الذى هو [على -[4]] مقتضى العادة ، فظهر عجزهم فى فعلهم كما ظهر عجزهم فى قولهم ، بما أظهرناه من الحجة على لسان خليلنا عليه السلام ، و ظهرت قدرتنا [و اختيارنا -[4]] ، و إنما فسرت الكيد بما ذكرت لأنه المكر و الخبث و الاحتيال و الخديعة و التدبير بحق أو باطل و الحرب و الخوف ، فكل هذه المعانى - كما ترى - تدور على التدبير و إعمال الفكر و إدارة الرأى .

و لما كان التقدير : فأجمع النزوح[5] عن بلادهم لأنهم عدلوا عن الحجة إلى العناد[6] ، عطف عليه قوله : ﴿ و قال ﴾ أى إبراهيم عليه السلام لمن يتوسم فيه أن كلامه يحييه من موت الجهل مؤكدا لأن فراق الإنسان لوطنه لايكاد يصدق به[7] : ﴿ انى ذاهب ﴾ أى مهاجر من غير تردد ، [قالوا -[8]] : و هو أول من هاجر من الخلق ﴿ الى ربى ﴾ أى [إلى -[8]] الموضع الذى أمرنى المحسن إلىّ بالهجرة إليه ، فلا[9] يحجر علىّ[9] أحد فى عبادته فيه .

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : بصد (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : علمنا .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : علمهم (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : البروح (٦) فى ظ : عناد (٧) فى ظ : فيه (٨) زيد من ظ و م .
(٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : يحجزنى .

و لما كان حال سامعه جديرا بأن[1] يقول[2] : من لك بالمعرفة بما يحصل قصدك هذا من التعريف بالموضع و بما تفعل فيه مما يكون به الصلاح ، و ما تفعل فى التوصل إليه ؟ قال : ﴿سيهدين﴾ أى إلى جميع ذلك بوعد لاخلف فيه إلى كل ما فيه تربية [لى -[3]] فى أمر الهجرة ٥ لأنه أمرنى بها ، و هو لا يأمر بشىء إلا نصب عليه دليلا يهدى إليه ، و يسهل لقاصده المجتهد فى أمره سبيله ، و قد اختلفت العبارات[4] عن سير الأصفياء إلى الحضرات القدسية ، فهذه العبارة[5] عن أمر الخليل عليه السلام ، و عبر عن أمر الكليم عليه السلام بقوله "و لما جاء موسى لميقاتنا" و عن أمر الحبيب[6] عليه السلام بقوله " سبحن الذى اسرىٰ بعبده" ١٠ قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى و فصل بين هذه المقامات : إبراهيم عليه السلام كان بعين الفرق - يعنى أنه بعد ما كان فيه من الجمع حين كسر الأصنام من الفناء عما سوى الله رجع إلى حال الفرق لأنه لابد من ذلك - و موسى / عليه السلام بعين الجمع لأنه أخبر عن فعله من غير / ٤٠٦ أن ينسب إليه قولا ، ثم أخبر أنه قال "رب ارنى" فلم ير غيره سبحانه ١٥ فطلب أن يريه و هذا هو الفناء ، و نبينا صلى الله عليه و سلم [بعين -[3]] جمع الجمع - لأنه لم ينسب إليه قول و لا فعل ، بل هو المراد إلى أن قال "لنريه من ءايٰتنا" فهذا هو الفناء حتى عن الفناء ، ثم قال : "انه هو

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بمن (٢) زيد فى الأصل و ظ : لك ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ : العبارة (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : العبارات (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الخليل .

السميع البصير"، فأثبت له مع ذلك الكمال .

و لما لم يجد له معينا على الهجرة غير لوط ابن[1] أخيه عليهما السلام، قال مناديا مناداة[2] الخواص باسقاط الأداة : ﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلى ﴿هب لى من ﴾ أى ولدا من ﴿ الصٰلحين ۝ ﴾ و أسقط[3] الموصوف لأن لفظ الهبـــة غلب فى الولد ، فتسبب عن دعوته أنا استجبناها له ٥ ﴿ فبشرنٰه بغلٰم ﴾ أى بذكر فى غاية القوة التى[4] ينشأ عنها الغلبة .

و لما كان هذا الوصف ربما أفهم الطيش ، وصفه بما أبقى صفاءه و نفى كدره فقال : ﴿ حليم ۝ ﴾ أى لا يعجل بالعقوبة مع القدرة ، لأنه فى غاية الرزانة و الثبات ، فيكون ذلك إشارة إلى حصول [بلاء ـه[5]] ما يتبين[6] به أنه سر[7] أبيه أن إبراهيم لحليم ، و الحلم لا يكون إلا بعد العلم ، و رسوخ ١٠ العلم سبب لوجود الحلم ، و هو اتساع الصدر لمساوئ الخلق و مدانئ[8] أخلاقهم ، و هذا الولد هو إسماعيل عليه السلام بلا شك لوجوه[9] : منها وصفه بالحليم ، و وصف إسحاق عليه السلام فى سورة الحجر بالعليم ، و منها أن هذا الدعاء عند الهجرة حيث كان شابا يرجو الولد ، و هو بكره الذى ولد له بهذه البشرى ، و هو[10] الذى كان بمكة موضع الذبح ، فجعلت ١٥

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : باداة (٣) زيد فى الأصل و ظ : لفظ ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) من ظ و م . و فى الأصل : الذى (٥) زيد من م (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : يبين (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : اسر (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : معانى (٩) فى الأصول : وجوده (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا .

أفعاله فى ذبحه مناسك للحج فى منى كما جعلت أفعال أمه فى مكة المشرفة أول أمره عند ما أشرف على الموت من العطش مناسك و معالم هناك، و أما إسحاق عليه السلام فأتته البشرى فجاءة و هو لايرجو الولد لكبره و يأس إمرأته، و لذلك [راجع -[1]] فى أمره و لم[2] ينقل أنه فارق أمه من بيت المقدس، و لو كان هو الذبيح لذكره النبي صلى الله عليه و سلم بوصفه حين سئل عن الأكرم[3] فقال: يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله بن خليل الله، و الرواية التى وردت بالإشارة إلى أنه الذبيح ضعيفة، بل صرح[4] شيخنا ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف بأن فى سندها وضاعا[5]، و لأن هذه السورة سورة التنزيه، فأحق الناس بالذكر فيها - كما سلف - أعرق الناس فى قدم التجريد، و هو أولى الناس بذلك من حين كان حملا إلى أن عولج ذبحه، و لم يذكر ظاهرا، فلو لم يكن المراد بهذا الكلام لكان ترك فى هذه السورة - التى حالها هذا - من هو أرسخ الناس فى الوصف المقصود بها، و ذلك خارج عن نهج البلاغة التى هى مطابقة المقال لمقتضى الحال، بل هذا الحال لا يقتضى ذكر إسحاق عليه السلام، لأنه لم[6] يعلم له تجرد متفق عليه، و ما كان ذكره إلا لبيان جزاء إبراهيم عليه السلام لما اقتضاه مقامه فى الإحسان فى باب التجريد و الفناء - و الله الموفق .

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لو (٣) من م، و فى الأصل و ظ: الاكرام (٤) من ظ و م، و فى الأصل: جرح (٥) من م، و فى الأصل و ظ: وضعا (٦) من م، و فى الأصل و ظ: لا .

و لما

و لما كانت[1] البشرى من الله لاتتخلف ، كان التقدير : فولد له غلام كما قلنا ﴿ فلما بلغ ﴾ أن[2] يسعى كائنا ﴿ معه ﴾ أى مع أبيه خاصة [و -[3]] مصاحبا له ﴿ السعى ﴾ الذى يرضى به الأب و يوطن نفسه عنده على الولد و يثق به ، و لايتعلق مع مبلغ لاقتضائه بلوغهما[4] معا حد السعى ، و لا معنى لذلك فى حق إبراهيم عليه السلام و لابالسعى ، ٥ لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه ، و لو أخر عنه لم يفد الاختصاص المفهم[5] لصغر سنه المفيد للاعلام بأنه / يبلغ فى ذلك معه ما لايبلغه مع غيره لعظيم شفقة الأب ، و استحكام ميل الابن [الموجب -[3]] لطاعته ، و اختلف العلماء فى تقدير [ذلك -[3]] بالسن[6] فقال بعضهم : ثلاث عشر سنة ، و بعضهم : سبع سنين ، و لذلك قيده بالأب لأن غيره لايشفق على ١٠ الولد فيكلفه ما ليس فى وسعه ، و هو لم يبلغ كمال السعى ﴿ قال ﴾ اى إبراهيم عليه السلام : ﴿ يـٰبنى ﴾ مناديا له بصيغة التعطف[7] و الشفقة و التحبب ، ذاكرا له بالمضارع الحال[8] الذى رآه[8] عليه و مصورا له ، لا لتكرار الرؤيا فانه غير محتاج إلى التكرار و لا إلى التروى ، فان الله تعالى أراه ملكوت السماوات و الأرض ، و أكد لما فى طباع البشر من ١٥ إحالة أن يقال ذلك على حقيقته ، و إعلاما بانه منام وحى و لا أضغاث أحلام[9] :

/ ٤٠٧

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : أى .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بلوغا (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الفهم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : السن (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : العطف (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : الدايرة - كذا .
(٩) سقط من ظ و م .

﴿ انىّ ارىٰ فى المنام ﴾ أى و أنت تعلم أن رؤيا الأنبياء وحى ﴿ انىّ اذبحك ﴾ أى أعالج ذبحك فى اليقظة بأمر [من -[1]] الله تعالى و لذلك كان كما قال، و لو عبر بالماضى لمضى و تم[2]، و إنما كان فى المنام فى هذا الأمر الخطر جدا ليعلم وثوق الأنبياء عليهم السلام بما ٥ يأتيهم عن الله فى كل حال .

و لما كان الأنبياء عليهم السلام أشفق الناس و أنصحهم، أحب أن يرى ما عنده، فان كان على ما يحب سر و ثبته[3] و إلا سعى فى جعله على ما يحب فيلقى البلاء و هو أهون عليه، و يكون ذلك أعظم لأجره لتمام انقياده، و لتكون المشاورة سنة، فانه «ما ندم من استشار» سبب ١٠ عن ذلك قوله: ﴿ فانظر ﴾ [بعين بصيرتك -[4]] ﴿ ما ذا ﴾ أى ما الذى ﴿ ترىٰ[5] ﴾ أى فى هذه الرؤيا، فهو اختبار لصبره، لامؤامرة له ﴿ قال ﴾ تصديقا لثناء الله عليه بالحلم: ﴿ يٰابت ﴾ تأدبا معه بما دل على التعظيم و التوقير ﴿ افعل ما تؤمرىٰ ﴾ أى كل شىء وقع لك به أمر من الله تعالى و يتجدد لك به أمر منه سبحانه لأنى لا أتهمك فى ١٥ شفقتك و حسن نظرك، و لا أتهم الله فى قضائه. و القصة دليل على وقوع الأمر بالممتنع لغيره و لأكثر الأوامر منه. و قد تقدم ذلك فى البقرة عند "ءانذرتهم ام لم تنذرهم".

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: قم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اثبته (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عليه.

و لما علم طاعته، تشوف السامع إلى استسلامه و صبره، فاستأنف قوله: ﴿ ستجدنى ﴾ أى بوعد جازم لاتردد فيه صادق كما أخبر الله تعالى عنه، لاخلف فيه، وكان صادق الوعد. و لما كان من أخلاق الكمل عدم القطع فى المستقبلات لما يعلمون من قدرة الله تعالى على نقض العزائم بالحيلولة بين المرء و قلبه قال: ﴿ان شآء الله﴾ اى الذى اختص ٥ بالإحاطة بصفات الكمال؛ و أكد وعده بهذا الأمر الذى لايكاد يصدق مثله بقوله: ﴿ من الصٰبرين ﴾ أى العريقين فى الصبر البالغين فيه حد النهاية، و هو من أعظم ما أريد بقوله "و كان صادق الوعد"

و لو يد الحبيب سقيت سما لكان السم من يده يطيب

و جعل هذا الأمر العظيم فى المنام دلالة على صدق أحوال الأنبياء نوما ١٠ و يقظة، و صدق عزائمهم و انقيادهم لجميع الأوامر فى جميع الأحوال، و روى أن الشيطان وسوس له فى ذبحه فعرفه فرماه بسبع حصبات [1]فصار ذلك[1] شريعة فى الجمار، و من ألطف ما فى ذلك أنهم [لما -[2]] كانوا فى نهاية التجرد عن [علائق -[2]] الشواغل جعلت افعالهم شعائر و شرائع لعبادة الحج التى روحها التجرد للوفود إلى الله تعالى ١٥

و لما وثق منه، بادر إلى ما أمر به، و دل على قرب زمنه من زمن هذا القول بالفاء فقال: ﴿ فلمآ اسلما ﴾ أى القيا بالفعل على غاية الإخلاص حين المباشرة بجميع قواهما فى يد الآمر، و لم يكن عند احد منهما شىء من / إباء و لا امتناع و لاحديث نفس فى شىء من ذلك

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: فصارت تلك (٢) زيد من م.

﴿ و تلّه ﴾ أى صرعه إبراهيم عليهما السلام صرعا جيدا سريعا مع غاية الرضا منه و المطاوعة من إسماعيل عليه السلام، و دل على السرعة باللام الواقعة موقع « على » فقال: ﴿ للجبين ۝ ﴾ أى أحد شقى الجبهة، و هى هيئة إضجاع[1] ما يذبح، و هذا من قولهم: تله ـ إذا صرعه، و به سمى التل من التراب، و تللت فلانا فى يدك أى دفعته سلما، و الجبين ـ قال فى الصحاح: فوق الصدغ، و هما جبينان عن يمين الجبهة و شمالها.

و لما كان من الواضح أن التقدير جوابا لما[2] عالج ذبحه بعزم أمضى من السنان، و جنان فى ثباته أيما جنان، فمنعناه من التأثير بقدرتنا، و رددنا شفرته الماضية عن عنقه اللينة بأيدينا و قوتنا، عطف عليه قوله: ﴿ و ناديناه ﴾ و فخم هذا النداء بحرف التفسير فقال: ﴿ ان يا ابرٰهيم ۝ ﴾ و لما كان محل توقع الثناء [عليه ـ[3]] قال: ﴿ قد صدقت ﴾ أى تصديقا عظيما ﴿ الرءيا ﴾ فى أنك تذبحه، فانك قد عالجت ذلك، و بذلت الوسع فيه، و فعلت ما رأيته فى المنام، فما اذبح[4] لأنك لم تر أنك ذبحته، فاكفف عن معالجة الذبح بأزيد من هذا. و لما كان التقدير: فجزيناك على ذلك لإحسانك فوق ما تحب، و جعلناك إماما للمتقين، و وهبناك لسان صدق فى الآخرين، و جعلنا آلك هم المصطفين، و ملأنا منهم الخافقين، علله بأن ذلك سنته[5] دائما قديما و حديثا فقال ما يأتى.

(١) من م، و فى الأصل و ظ: اضطجاع (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لمن (٣) زيد من ظ (٤) من م، و فى الأصل و ظ اذبح (٥) من ظ، و فى الأصل و م: سنة.

و لما

و لما كان صلى الله عليه و سلم فى همة الذبح و عزمه ، فكانت تلك الهمة التى تقصر عنها رتبة السها و السماك ، و العزمة التى تتضاءل دون علىّ مكانتها و سنى عظمتها عوالى الأفلاك ، لا تسكن عن ثورانها ، و لا تبرد من غليانها و فورانها ، إلا بأمر شديد[1] ، و قول جازم أكيد ، قال مؤكدا تنبيها على أن همته قد وصلت إلى ما هذا حده ، و أن امتثال الأمر أيسر من الكف بعد المباشرة بالنهى : ﴿ انا كذلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء العظيم ﴿ نجزى المحسنين ۝ ﴾ .

و لما كان جزاءه عظيما جدا ، دل على عظمه بأن علل إكرامه به بقوله معجبا و معظما مؤكدا[2] تنبيها على أنه خارق للعادة : ﴿ ان هذا ﴾ أى الأمر و الطاعة فيه ﴿ لهو البلؤا ﴾ أى الاختبار الذى يحيل ما خولط به كائنا ما كان ﴿ المبين ۝ ﴾ أى الظاهر فى بابه جدا المظهر[3] لرائيه أنه بلاء .

و لما قدم ما هو الأهم من نهيه عن علاجه ، و من البشارة بالجزاء ، ذكر فداءه بما جعله سنة باقية يذكر بها الذكر الجميل على مر[4] الأيام و تعاقب السنين ، و لما[5] كان المفتدى منه من كان الأسير فى يده ، و كان إسماعيل فى يد إبراهيم عليهما السلام ، و هو يعالج إتلافه ، جعل تعالى نفسه المقدس فاديا لأن الفادى من أعطى الفداء ، و هو ما يدفع لفكاك

(١) فى م : شد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تاكيدا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لمظهر (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عمر (٥) سقط من ظ .

الأسير، و جعل إبراهيم عليه السلام مفتدى منه تشريفا [له -[1]] و إن كان فى الحقيقة كالآلة التى لا فعل لها، و الله تعالى هو المفتدى منه حقيقة فقال: ﴿ و فديٰه ﴾ أى الذبيح عن إنفاذ ذبحه و إتمامه تشريفا له ﴿ بذبح ﴾ أى بما ينبغى أن يذبح و يكون موضعا للذبح، و هو كبش من الجنة، قيل: إنه الذى قربه هابيل فتقبله الله منه ﴿ عظيم ﴾ اى فى الجثة و القدر و الرتبة[2] لأنه مقبول و مسنّن بـــه و مجعول دينا إلى آخر الدهر.

و لما كان سبحانه إذا منّ بشىء [علم أنه -[1]] عظيم، فاذا ذكر العفل و ترك المفعول أراد فخامته و عظمته[3]، قال: ﴿ و تركنا عليه ﴾ أى على الذبيح شيئا هو فى الحسن بحيث يطول وصفه. و لما كان بحيث لاينسى قال: ﴿ فى الأخرين ﴾ و من هذا الترك ما تقدم من وصفه بصدق الوعد، لأنه وعد بالصبر / على الذبح فصدق. ٤٠٩ /

و لما عظم الغلام، استأنف تعظيم والده بما يدل مع[4] تشريفه[5] على سلامته بقوله: ﴿ سلم على ابرٰهيم ﴾ أى سلامة له و لولده و تسليم و تحية و تكريم فى الدارين و لما كان هذا خطابا لمن بعده عليه السلام و هم كلهم محبون مجلون معظمون مبجلون لم يكن هناك حال يحوج إلى تأكيد فقال: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء العظيم ﴿ نجزى المحسنين ﴾

---

(١) زيد من م (٢) من م، و فى الاصل و ظ: التربية (٣) فى م: عظمه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: على (٥) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها.

من غير أن يذكر "ان" المؤكدة . و لما كانت أهل الملل كلها متفقة على حبه ، و كان كلهم يدعى اتباعه و رتبة قربه ، قال معللا لجزائه بهذا المدح في سياق التأكيد استعطافا لهم إلى اتباعه فى الإيمان و تكذيبا لمن ينكر أن يكون الإيمان موجبا للاحسان : ﴿ انه من عبادنا ﴾ أى الذين يستحقون الإضافة فى العبودية و العبادة إلينا ﴿ المؤمنين ﴾ فلا ٥ يطمع أحد عرى عن الإيمان فى رتبة أتباعه ؛ قال الرازى : الإيمان المطلق الحقيق شهود جلال الله و وحدانيته و الطمأنينه إليه فى كل محبوب و مكروه ، و ترك المشيئه لمشيئته و الانقياد لأمره فى جميع أحواله . و لما أتم[1] قصته فى أمر الذبيح ، و شرع فى ذكر ما جازاه به على ذلك ، جعل منه أمر إسحاق عليه السلام فقال : ﴿ و بشرناه ﴾ [أى جزاء ـ[2]] ١٠ على صبره فى المبادرة إلى امتثال الأمر فى إعدام إسماعيل عليه السلام ﴿ باسحق ﴾ مولودا[3] زيادة له بعد ما سلمنا إسماعيل عليه السلام حال كونه ﴿ نبيا ﴾ أى فى قضائنا أو بوجوده مقدرة نبوته ، و لما كان هذا اللفظ قد يطلق على المتنبئ ، أزال إشكال هذا الاحتمال و إن كان واهيا بقوله : ﴿ من الصلحين ﴾ أى العريقين فى رتبة الصلاح ليصلح لأكثر ١٥ الأوصاف الصالحة . و لما أثنى على إبراهيم عليه السلام بما عالج مما [لم ـ[2]] يحصل لغيره مثله ، و كان من أعظم جزاء الإنسان البركة فى ذريته قال : ﴿ و بركنا عليه ﴾ أى على الغلام الحليم و هو الذبيح المحدث عنه الذى جر هذا الكلام كله الحديث عنه ، و كان آخر ضمير محقق عاد عليه

(١) فى ظ : تم (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مولود .

الهاء فى " و فديٰنه " ثم فى " و تركنا عليه فى الآخرين " و هذا عندى أولى من إعادة الضمير على إبراهيم عليه السلام لأنه استوفى مدحه، ثم رأيت حمزة الكرمانى صنع هكذا و قال: حتى كان محمد صلى الله عليه و سلم و العرب من صلبه . ﴿ و علىٰ اسحٰق[1] ﴾ أى أخيه، قال حمزة[1] الكرمانى : [حتى -[2]] كان إسراءيل الله و الأسباط من صلبه، و قال غيره: خرج من صلبه ألف نبى أولهم يعقوب و آخرهم عيسى عليه السلام . ﴿ و من ذريتهما ﴾ أى الأخوين[3] و لا شك أن هذا أقرب و أقعد من أن يكون الضمير للأب و الابن، لأن قران الأخوين[4] فى الإخبار عن ذريتهما أولى من قران الابن مع أبيه فى ذلك، فيكون الابن حينئذ من جملة المخبر عنه بذرية الأب ﴿ محسن و ظالم لنفسه ﴾ حيث وضعها بما سبب عن المعاصى فى غير موضعها[4] الذى يحبه، و هذا مما يهدم أمر الطبائع حيث كان البر يوجد من الفاجر و الفاجر يوجد من البر .

و لما كان الإنسان، و إن اجتهد فى الإحسان، لابد أن يحتاج إلى الغفران، لما له من النقصان، لأن رتبة الإلهية لاتصل إلى القيام[5] بحقها العوائق البشرية . بين أن الظلم المراد هنا إنما هو التجاوز فى[6] الحدود بغاية الشهوة فقال: ﴿ مبين ﴾ و أما غير ذلك فمغفور كما قرر فى نحو " لها ما كسبت و عليها ما اكتسبت " و من هم بسيئة و لم

(١) سقط من م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الآخرين .
(٤) من م ، و فى الأصل و ظ : مواضعها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المقام (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عن .

يعملها كتبت له حسنة ، "[و -[1]] ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئتكم" .

قصة ذبح إبراهيم لولده عليهما السلام من التوراة و بيان أنهم بدلوها ، قال مترجمهم[2] : فغرس إبراهيم بئر سبع / إغرسا ، ٤١٠ / و بنى هنالك باسم الرب إله العالمين ، و سكن إبراهيم أرض فلسطين - ٥ يعنى عند تلك البئر - أياما كثيرة . [3] و لما كان من بعد هذه الخطوب امتحن الله إبراهيم ، و قال له : يا إبراهيم ! فقال : لبيك ، فقال [له -[4]] : انطلق بابنك الوحيد إسحاق الذى تحبه إلى أرض الأمورانيين[5] - و فى نسخة : إلى بلد العبادة - و أصعده إلىّ[6] قربانا على أحد تلك الجبال الذى[7] أقول لك ، فأدلج إبراهيم باكرا فأسرج حماره و انطلق بغلاميه ١٠ و إسحاق ابنه ، و شق[8] حطبا للقربان [9]و نهض[9] و انطلق إلى الموضع[10] الذى قال الله له ، و فى اليوم الثالث رفع إبراهيم بصره و نظر إلى ذلك الموضع من بعيد فقال[11] لغلاميه : امكثا ههنا عند الحمار ، و أنا و الغلام ننطلق إلى ههنا نصلى و نرجع إليكما ، فأخذ إبراهيم حطب القربان ، و حمله إسحاق ابنه ، و أخذ معه نارا و سكينا ، و انطلقا كلاهما جميعا ، و قال إسحاق ١٥ [12]لأبيه إبراهيم[12] : يا أبة[13] ، فقال له : لبيك ، فقال له : هذه النار و الحطب ،

---

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع التوراة - أواخر الأصحاح الحادى و العشرين من التكوين (٣) و من هنا يبتدئ الأصحاح الثانى و العشرون (٤) زيد من م .
(٥) فى التوراة : المريا (٦) فى م : لى (٧) فى م : التى (٨) فى التوراة : شقق .
(٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) فى ظ : المواقع (١١) من م والتوراة ، و فى الأصل و ظ : و قال (١٢-١٢) فى م : لابراهيم ابيه (١٣) من م ، و فى الأصل و ظ : ابة - كذا .

أين حمل[١] القربان، فقال إبراهيم: الله [٢]يعد لنا[٢] حملا للقربان يا بنى، فانطلقا جميعا حتى انتهيا إلى الموضع الذى قال الله، فبنى [٣]هنالك إبراهيم[٣] مذبحا و نضد عليه الحطب و كتف[٤] إسحاق فوضعه فى أعلى المذبح على الحطب، و مد يده إبراهيم فأخذ السكين[٥] ليذبح ابنه. فدعاه ملاك الرب من السماء

٥ و قال: يا إبراهيم [٦]يا إبراهيم[٦]، فقال: لبيك! فقال: لا تبسط يدك على الغلام و لا تصنع به شيئا لأنك قد أظهرت الآن أنك تتقى الله إذ لم تمنعنى ابنك الوحيد[٧]، فمد إبراهيم بصره فاذا كبش معلق فى شجرة بقرنيه، فانطلق إبراهيم فأخذ الكبش فأصعده قربانا بدل ابنه إسحاق. فسمى إبراهيم ذلك الموضع «الله يتجلى» كما يقال: الله فى هذا الجبل. الله[٨] يتجلى، فدعا

١٠ ملاك الرب إبراهيم ثانية[٩] من السماء و قال: [بى -[١٠]] أقسمت، يقول الرب: بدل ما صنعت هذا الصنيع و لم تمنعنى ابنك الوحيد[٧] لأباركنك بركة تامة و لأكثرن نسلك مثل كواكب السماء، و مثل الرمل الذى على شاطئ البحر، و يرث زرعك[١١] أراضى أعدائى - و فى نسخة: أعداءه - و يتبارك بنسلك جميع الشعوب لأنك أطعتنى. فرجع إبراهيم إلى غلاميه

١٥ و انصرفوا جميعا إلى بئر السبع و أقام ثمّ - و فى نسخة: و سكن إبراهيم

---

(١) من ظ و م. و فى الأصل: عمل (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: بعدنا. (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: ابراهيم لك هناك (٤) من م، و فى الأصل و ظ: كنف (٥) من م، و فى الأصل و ظ: سكينا (٦-٦) سقط ما بين الرقين من ظ (٧) من م، و فى الأصل و ظ: التوحيد (٨) و فى التوراة: الرب. (٩) من التوراة، و فى الأصول: ياتيه (١٠) زيد من ظ و م (١١) فى التوراة: نسلك.

بئر السبع - انتهى ما عندهم بلفظه فانظر إليه و اجمع بينه و بين ما تقدم في البقرة من قصة إسماعيل و إسحاق عليهما السلام تجدهم[1] قد بدلوها بلا شك، لأن الكلام ينقض بعضه بعضا، و ذلك أنه قال في هذه القصة «انطلق بابنك الوحيد» و كرر وصفه بالوحيد في غير موضع، و هذا الوصف إنما يكون حقيقة لإسماعيل عليه السلام و هو دون البلوغ، و إما إسحاق عليه السلام فلم يكن وحيدا ساعة من الدهر، [بل -[2]] ولد و إسماعيل عليه السلام ابن ثلاث عشرة سنة و نيف بشهادة ما عندهم من التوراة، و قوله في آخر القصة «و يتبارك بنسلك جميع الشعوب» لا يكون في غاية الملاءمة [إلا -[2]] لإسماعيل عليه السلام، و إما إسحاق عليه السلام فانما بورك بنسله الأراضي المقدسة فقط، و لم يتبعهم من غيرهم إلا قليل[3]، بل كانوا هم في كل قليل يتبعون غيرهم على عبادة أوثانهم [4]بشهادة توراتهم[4] و أسفار أنبيائهم يوشع [5]بن نون[5] و من بعده عليهم السلام، و أما نسل إسماعيل عليه السلام فتبعهم على الدين الحق من جميع الأمم ما لا يحصى عدده [6]و لم يتبعوا هم[6] بعد محمد صلى الله عليه و سلم أحدا من الأمم على عبادة غير الله - هذا و في المتقدم في سورة البقرة أن هبة سارة أمتها هاجر[7] رضي الله عنها لإبراهيم عليه السلام كان بعد أن سكن كنعان

(١) في ظ: و تجدهم (٢) زيد من ظ و م (٣) في ظ: القليل (٤ - ٤) من ظ و م، و في الأصل: اورايتهم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦-٦) من ظ و م، و في الأصل: لا و سعوهم (٧) من ظ، و في الأصل و م: هاجرة.

٤١١ / بعشر[1] سنين ، و أن إسماعيل عليه السلام ولد لإبراهيم / عليه السلام
و هو ابن ست و ثمانين سنة ، و أن الله تعالى أمره بالختان و هو ابن
تسع و تسعين سنة ، و أنه فى ذلك الوقت بشر باسحاق عليه السلام ، فختن
إسماعيل عليه السلام [و هو ابن ثلاث عشرة سنة ، ثم ولد له إسحاق
٥ عليه السلام -[2]] و قد أتى عليه مائة سنة ، ثم قال ما نصه[3] : و صنع
إبراهيم يوم فطم إسحاق ابنه مأدبة عظيمة فأبصرت[4] سارة ابن هاجر
المصرية المولود لإبراهيم عليه السلام[5] لاعبا ، فقالت لإبراهيم عليه السلام :
أخرج هذه الأمة عنى ، لأن ابن الأمة لايرث مع إسحاق ابنى[6] ، فشق
هذا الأمر على إبراهيم لمكان ابنه ، فقال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام :
١٠ لا يشقن عليك حال الصبى و أمتك ، أطع سارة فى جميع ما تقول لأن
نسلك إنما يذكر باسحاق ، و ابن الأمة أجعله لشعب كثير لأنه من ذريتك ،
فغدا إبراهيم عليه السلام باكرا و أخذ خبزا و أداوة من ماء ، فأعطاها
هاجر و حملها الصبى و الطعام - إلى آخر ما فى البقرة فقوله « إن هاجر
طردت بعد فطام إسحاق و ابنها تحمل » لايصح ، و قد تقدم أن عمره
١٥ يوم فطام إسحاق خمس عشرة سنة ، و تقدم أيضا أن سارة أمرته بطردها
و هى حبلى ، و أنه سلمها لها فطردتها ، و أن الملك لقيها[7] فبشرها باسماعيل

---

(١) فى ظ و م : عشر (٢) زيد من م (٣) راجع آية ٨ من الأصحاح الحادى و العشرين من التكوين (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فلما بصرت (٥) زيد فى الأصل : و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : شىء (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اتاها .

و م

ولم يذكر فى نسختى ـ و هى قديمة جدا ـ شيئا يدل على رجوعها ، و أما فى نسخة عندهم فقال : إن الملك قال لها : ارجعى إلى سيدتك و استكدى تحت يدها ـ و لم يذكر أنها رجعت ، و قد صح الخبر عندنا بقول نبينا صلى الله عليه و سلم أن إبراهيم عليه السلام وضع هاجر و ابنها إسماعيل عليه السلام عند البيت الحرام و هو يرضع ، و استمرا هناك إلى أن ماتت ٥ هاجر رضى الله عنها ، و تزوج إسماعيل عليه السلام و بنى البيت مع أبيه عليهما السلام ، و قوله « لأن نسلك إنما يذكر باسحاق عليه السلام » غير مطابق[١] للواقع ، فان شهرة العرب بابراهيم عليه السلام [إن -[٢]] لم تكن أكثر من شهرة بنى إسحاق بذلك فهى مثلها ، و خبر الله لا يتخلف ، فدل هـــذا كله أنهم بدلوا القصة و حرفوها ، فلا متمسك فيها لهم ، ١٠ و دلالتها على أن الذبيح إسماعيل عليه السلام أولى [٣]من دلالتها على غير ذلك لوصفه بالوحيد ـ و الله أعلم كيف كانت القصة قبل التبديل ؟ و مما يدل على ما فهمت من تبديلهم لها ما قال البغوى[٣] : قال القرظى[٥] يعنى محمد بن كعب ـ : سأل عمر بن عبد العزيز رجلا [كان -[٦]] من علماء اليهود أسلم و حسن إسلامه : أىّ ابنى إبراهيم عليه السلام أمر ١٥ بذبحه ؟ فقال : إسماعيل يا أمير المؤمنين ! إن اليهود لتعلم ذلك و لكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله

(١) فى ظ : غير مطابقة ، و فى م : غير مطابقى (٢) زيد من م (٣) و من هنا نستأنف نسخة مد (٤) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٦/٢٢ (٥) من م ومد و المعالم ، و فى الأصل و ظ : القرطبى (٦) زيد من المعالم .

بذبحه ما كان، و يزعمون أنه أبوهم[1]، و من الدليل على أنه إسماعيل عليه السلام أن الله تعالى لما بشر باسحاق بشر بأنه يولد له يعقوب، فلا يليق الامتحان به بعد علمه بأنه لايموت حتى يولد له، و من الدليل على ذلك أن قرنى الكبش كانا منوطين بالكعبة فى أيدى بنى إسماعيل عليه السلام إلى أن احترق البيت و احترق القرنان[2] فى زمان ابن الزبير و الحجاج، قال[3] الشعبي: رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة، و عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: و الذى نفسى بيده! لقد كان أول الإسلام و إن رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة[4]، و قال الأصمعى: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح: إسحاق كان أو إسماعيل؟ فقال: يا أصيمع! أين ذهب عقلك؟ متى كان إسحاق بمكة؟ إنما كان إسماعيل بمكة و هو الذى بنى البيت مع أبيه - انتهى [ما -[6]] قال البغوى. و فى كتاب الحج من سنن أبى داود[7] أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لعثمان - و هو الحجبى رضى الله عنه -: إنى نسيت أن آمرك أن تخمر القرنين فانه لاينبغى أن يكون فى البيت شيء يشغل المصلى. و رواه عبد الرزاق فى جامعه[8] و لفظه أن عثمان بن شيبة رضى الله عنه[9] قال: إن النبى

٤١٢/ ١٠ /

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ابيهم بوهم (٢) من م و مد و معالم التنزيل ٦/٢٢، و فى الأصل و ظ: القربان (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) زيد فى المعالم: و قد وحش يعنى يبس (٥) من م و مد و المعالم، و فى الأصل و ظ: سال. (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) راجع باب فى الحجر ١/٢٠١ (٨) أى مصنفه - راجع ٥/٨٨ (٩) العبارة من هنا إلى «هكذا قال: عثمان بن شيبة» ساقطة من ظ.

صلى الله عليه و سلم قال له : إنى رأيت قرنى الكبش فنسيت أن آمرك أن تخمرهما[1] فانه لاينبغى أن يكون فى البيت شيء يشغل مصليا - هكذا قال : عثمان بن شيبة[2] ، و لعله ابن طلحة ، فيكون المتقدم و يكون تسمية أبيه شيبة و هما ، أو يكون شيبة بن عثمان و هو [3]ابن عم[3] الذى عند أبى داود فانقلب - و الله أعلم . و روى عبد الرزاق[4] أيضا عن ابن جريج ٥ قال : أخبرنا عبد الله بن شيبة بن عثمان ، و سألته هل كان فى البيت قرنا كبش ؟ قال : نعم ، كانا فيه ، قلت : أرأيتهما ؟ قال : حسبت ، و لكن أخبرنى عبد الله بن بابيه أن قد رآهما ، قال : و غيره قد رآهما فيه ، قال : و يقولون : إنهما قرنا الكبش الذى ذبح إبراهيم عليه السلام ، قال ابن جريج : و قالت صفية ابنة شيبة : كان فيه قرنا الكبش ، قال ابن جريج : ١٠ و [5]حدثت أن[5] ابن عباس رضى الله عنهما قال : كانا فيه . قال : و حدثت عن عجوز قالت : رأيتهما فيه . و مما يؤيد القول بأنه إسماعيل عليه السلام [وصف الله تعالى له بأنه صادق الوعد ، و لا صدق فى وعد أعظم من صدقه فى وعده بالصبر على الذبح ، و ممن قال من بنى إسرائيل أنه إسماعيل عليه السلام -[6]] عبد الله بن سلام رضى الله عنه - حكاه [عنه -[6]] ١٥ ابن الجوزى ، و عد القائلين بكل من القولين[7] من الصحابة و غيرهم فقال :

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و مصنف عبد الرزاق : تخمرها (٢) و ذكر عبد الرزاق عثمان بدون ذكر أبيه (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يزعم.
(٤) راجع من مصنفه ٥ / ٨٧ (٥-٥) فى ظ : حديث (٦) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القائلين .

إن القائلين بأنه إسحاق : عمر و على و العباس و ابن مسعود و أبو موسى و أبو هريرة و أنس رضى الله عنهم ، و بأنه إسماعيل : ابن عمر ، و أن الرواية اختلفت عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فروى عنه عكرمة أنه إسحاق ، و عطاء و مجاهد و الشعبي و أبو الجوزاء و يوسف بن مهران أنه[1] إسماعيل ، فعلم من هذا رجحان القول بأنه إسماعيل ، لأن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما تاخرا بعد من ذكر من أكابر الصحابة رضى الله عنهم اجمعين ، فلولا أنه رجح عندهما ما خالفا أبويهما ، و نقل عكرمة عن ابن عباس بموافقة أبيه لايقدح فى ذلك بل يؤيده لأن الأكثر كما ترى رووا عنه الثانى ، فلولا أنه صح عنده ما رجع عن الأول الذى هو موافق لرأى أبيه ، و لأجل ثباته عليه اشتهر عنه - و الله أعلم .

و لما ذكر[3] هؤلاء السادة الذين لهم من رتبة التجرد و النزاهة ما تقدم بيانه ، و ختمهم بأخوين ما اجتمعا قط ، و كان من أعظم المقاصد بذكرهم المنة على من اتصف بمثل صفاتهم بالقرب و النصرة تسلية و ترجية للنبى صلى الله عليه و سلم و لمن اتبعه من المؤمنين ممن قارب - من شدة البلاء و القهر - اليأس من النصر ، أتبعهم بأمثالهم فى التجرد و ابتدأهما[4] بأخوين افترقا حين ولادة الثانى على[5] حالة لايمكن الاجتماع

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م مد ، و فى الأصل : مما (٣) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٤) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : ابتداهم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى .

[1]معها عادة ، ثم اجتمعا[1] [2]فى الباطن مع الافتراق فى الظاهر ثم افترقا على حالة يبعد الاجتماع معها عادة ثم اجتمعا[2] اجتماعا لم يفترقا منه إلا بالموت و بدأهما بأول من تجرد منهما من حين ولادته إلى أوان هجرته ، ثم من حين رجعته إلى أن جرد آله - و هم بعض ذرية إبراهيم عليه السلام - ، و أنقذهم من علائق الكفرة ، ثم تجرد معهم هو ٥ و أخوه عن المدن و القرى ، و أكثر علائق البشر ، ملازمين البرارى و الفلوات حيث يكثر ظهور الكلمة مع إرسال الله إليهما بمعادن الحكمة إلى أن ماتا / عليهما الصلاة و السلام و التحية و الإكرام ، فقال مؤكدا ٤١٣ / تنبيها لمن يعد نصر المؤمنين محالا ، عاطفا على ما تقديره : فلقد أنشأنا منهما من الأمم ما يعجز الوصف و يفوت الحصر ، و مننا على كثير منهم ١٠ بالإحسان من ولد إسماعيل عليه السلام إلى أن غير دينه عمرو بن[3] لحى ، و من ولد إسحاق يعقوب و الأسباط عليهم السلام و من شاء الله من أولادهم : ﴿ و لقد منا ﴾ [أى -] أنعمنا إنعاما مقطوعا به بما لنا من العظمة ، على أول من أظهر لسان الصدق لإبراهيم عليه السلام و ذريته إظهارا تاما . و بدأهما بأعرقهما - كما تقدم - فى ١٥ التجرد و أحقهما بالتقدم فقال : ﴿ على موسى ﴾ أحد أعيان المتجردين ، و من له القدم الراسخ فى ذلك ﴿ و هرون ج ﴾ أى عين من تجرد مع أخيه و وافقه أتم موافقة ، و وازره أعظم موازرة ، بما [5]أتيا به[5] من

(١ - ١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل و ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) سقط من م (٤) زيد من ظ و م و مد (٥ - ٥) من م ، و فى الأصل و ظ : اتيناه ، و فى مد : اتيا - دون « به » .

النبوة و الكتاب و غير ذلك من أنواع الخطاب .

و لما كان جل المقصود ـ كما مضى ـ مقام التجرد ، و الإعلام بنصر المستضعفين من المؤمنين ، قال : ﴿ و نجيناهما و قومهما ﴾ أى بنى إسراءيل و قد كانوا مرت لهم دهور فى ذل لايقاربه ذل المؤمنين من أصحاب ٥ محمد صلى الله عليه و سلم فى أول أمرهم ﴿ من الكرب العظيم ﴾ أى الاستعباد[1] ، و ما يتبعه من عظائم الأنكاد ، و كان ذلك بهلاك القبط الذين استمروا على الضلال ، و هم أضعاف أضعاف بنى إسراءيل ، إلى أن[2] أهلكناهم فلم يفلت منهم إنسان ، فصح لبنى[3] إسراءيل حينئذ التجرد و زال عنهم ذل التجبر[4] و التمرد .

١٠ و لما بين[5] نعمة[6] النجاة من الأسر[7] ، أتبعها نعمة الالتذاذ بالنصر ، فقال : ﴿ و نصرناهم ﴾ أى موسى و هارون عليهما السلام و قومهما على كل من نازعهم فى ذلك الزمان من فرعون و غيره ﴿ فكانوا هم ﴾ أى خاصة ﴿ الغالبين ﴾ أى على كل من يسومهم سوء العذاب ، و هو فرعون و آله و على جميع من ناووه أو ناواهم . فاحذروا[8] يا معشر قريش

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الاستبعاد (٢) سقط من ظ (٣) من م و مد ، و فى الأصل وظ : بنى (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التجر (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كان (٦) زيد فى الأصل و ظ : التجرد ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الامر (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاخذوا .

و العرب من مثل ذلك ، و لقد كان ما حذرهم منه [1]رسول الله[1] صلى الله عليه و سلم على أعظم ما يمكن أن يكون إلا أن نبينا صلى الله عليه و سلم لما كان نبى الرحمة لين الله قلوبهم حتى ردهم إلى ما اغتبطوا بـــه من متابعته ، فصاروا به ملوك[2] الدنيا و الآخرة .

و لما كانت فائدة النصرة التمكن من إقامة الدين قال : ﴿و [1]اتينهما﴾ ٥ أى بعظمتنا بعد إهلاك عدوهم ﴿ الكتب المستبين ج ﴾ أى الجامع البين الذى هو لشدة[3] بيانه طالب لأن يكون بينا و هو كذلك فانه ليس شىء من الكتب[4] مثل التوراة فى سهولة مأخذها ، و جمع هارون عليه السلام معه فى الضمير لأنه مثله فى تقبل الكتاب و العمل بجميع ما فيه و الثبات على ما يدعو إليه و إن كان نزوله خاصا بموسى عليـــه السلام : ١٠ ﴿ و هدينهما الصراط ﴾ أى الطريق الواضح فى الإيصال إلى المقصود ﴿ المستقيم ج ﴾ [أى -[5]] الذى هو لعظيم تقومه كأنه طالب لأن يكون قويما ، فهو فى غاية المحافظة على القوم[6] فلا يزيغ أصلا ، و لذلك هو شرائع الدين القيم[7] .

و لما كان الذكر الجميل عند ذوى الهمم العالية و العزائم الوافية[8] ١٥ هو الشرف قال : ﴿و تركنا عليهما[1] ﴾ أى ما تعرفون من الثناء الحسن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٢) فى ظ : بذلك (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من شدة (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الكتاب. (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القوة (٧) فى ظ : القويم (٨) من ظ وم ومد ، و فى الأصل : الرافية (٩) فى الأصل فقط : عليه - خطأ .

﴿ فى الأخرين ۝ ﴾ أى كل من يجىء بعدهما إلى يوم الدين . و لما ظهر بهذا أن لهما من الشرف و السؤدد أمرا عظيما ، كانت نتيجته :

٤١٤ / ﴿سلٰم﴾ / اى عظيم ﴿على موسىٰ﴾ صاحب الشريعة العريق فى الاتصاف بمقصود[1] السورة ﴿ و هٰرون ۝ ﴾ وزيره و أخيه . و لما كان نصر النبى

٥ صلى الله عليه و سلم بمن معه من الضعفاء على قريش و سائر العرب عند قريش فى غاية البعد ، و كان التقدير : فعلنا معهما[2] ذلك لإحسانهما[3] ، علله بما يقطع قلوب قريش فى مظهر التأكيد فقال : ﴿انا كذٰلك﴾ أى مثل هذا الجزاء ﴿نجزى﴾ أى دائما فى كل عصر ﴿المحسنين ۝ ﴾ أى العريقين فى هذا الوصف ؛ ثم علل إحسانهما و بينه و أكده ترغيبا فى مضمونه ،

١٠ و تكذيبا لمن يقول : إن المؤمنين لاينصرون ، بقوله : ﴿انهما من عبادنا ﴾ أى الذين محضوا العبودية و الخضوع لنا ﴿ المؤمنين ۝ ﴾ أى الثابتين فى وصف الإيمان .

و لما كان إلياس اعظم المتجردين [4]من أتباعهما المجددين[5] لما درس من أحكام التوراة ، و كان ترك أحكامها مع ما وصفت به من البيان

١٥ و ما دعت إليه من الاستقامة فى غاية من الضلال تكاد أن لايصدق

---

(١) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : لمقاصد (٢) زيد فى الأصل و ظ : لان ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : كان ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) العبارة من هنا إلى « المجددين » ساقطة من ظ (٥) من م و مد ، و فى الأصل : المتجددين .

مثلها

مثلها، [1]أشار إلى الزيغ[1] عنه يابا لأن القلوب بيده سبحانه فقال مؤكدا: ﴿ و ان الياس ﴾ أى الذى كان أحد بنى إسراءيل عند جميع المفسرين إلا ابن مسعود و عكرمة[2]، و هو من سبط لاوى، و من أولاد هارون عليه السلام، و قال ابن عباس رضى الله عنهما[3]: هو عم اليسع عليهم السلام، و أرسلناه إلى من كان منهم فى أرض بعلبك و نواحيها، فلما ٥ لم[4] يرجعوا إليه نزعنا عنه الشهوات الإنسانية و خلقناه بالأوصاف الملكية، [و لايبعد أن يكون الداعى إلى تسميته بهذا الاسم ما سبق فى علم الله أنه ييأس ممن يدعوهم إلى الله فيكون ممن يأتى يوم القيامة و ما معه إلا الواحد أو الاثنان كما قال النبى صلى الله عليه وسلم كما رواه الشيخان: البخارى فى الرقاق[5] و الطب، و مسلم فى الإيمان[6] عن ابن عباس رضى الله عنهما: ١٠ عرضت على الأمم فرأيت النبى و معه رهيط و النبى و معه الرجل و الرجلان، و النبى ليس معه أحد، [7]فجعل سبحانه اسمه مناسبا لأمره فى[7] قومه بيأسه منهم حين فر إلى الجبال من شرهم، و ياسهم من القدرة على قتله، فانهم اجتهدوا فى ذلك حتى أعياهم، و أدل دليل على هذا المعنى قراءة ابن عامر[8] بخلاف عنه بوصل الهمزة فى الدرج و فتحها فى الابتداء، ١٥ و إن قال العلماء كما حكاه السمين[9] فى إعرابه: إن ذلك من تلاعب

(١ - ١) من م و مد، و فى الأصل: اشعارا إلى الرفع (٢) فانهما قالا: الياس هو إدريس - كما فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/٢٥ (٣) راجع المعالم بهامش اللباب ٦ / ٢٦ (٤) سقط من ظ (٥) راجع من صحيحه ٢ / ٩٦٨ (٦) راجع من صحيحه ١/١١٧ (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) راجع نثر المرجان ٦/٤٥. (٩) هو الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبى المتوفى سنة ٧٥٦.

العرب بالأسماء العجمية، قطعوا همزته تارة و وصلوها أخرى، يَعنى مخاطبهم سبحانه بما ألفوه من لسانهم -[1] ﴿لمن المرسلين ٥﴾ أى [2]إلى من[2] بدل أمر[3] التوراة و نابذ ما دعت إليه ﴿اذ قال لقومه﴾ منكرا عليهم ما [من -[1]] حقه الإنكار بقوله: ﴿الا تتقون ٥﴾ أى يوجد منكم تقوى

٥ و خوف، فان ما أنتم عليه يقتضى شرا طويلا، و عذابا وبيلا، و ما أنتم عليه من السكون و الدعة يقتضى أنه لاخوف عندكم أصلا، و ذلك غاية الجهل و الاغترار بمن تعلمون أنه لاخالق لكم و لا رازق غيره.

و لما كان هذا الإنكار سببا للاصغاء، كرره مفصحا بسببه فقال: ﴿اتدعون بعلا﴾ أى إلها و ربا، و هو صنم[4] كان لهم فى مدينة بعلبك

١٠ كان من ذهب طوله عشرون ذراعا و له أربعة أوجه، فكان الشيطان يدخل فى جوفه و يتكلم بشريعة الضلالة[5]. و السدنة يحفظونها. و هم أربعمائة و يعلمونها الناس. [و يحتمل أن يكون علما على الصنم المذكور فيكون المفعول الثانى منويا، و حذف ليفهم الدعاء الذى لا دعاء يشبهه و هو الدعاء بالإلهية، و من قرأ شاذا «بعلاء» بوزن «حمراء» فهو إشارة

١٥ إلى كثرة حث امرأة الملك على عبادة بعل و قتل إلياس عليه السلام، و طاعة زوجها لها فى ذلك - كما حكاه البغوى[6]، فاستحق التأنيث لذلك،

---

(١) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٢ - ٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المومن (٣) سقط من ظ (٤) راجع البحر المحيط ٣٧٣/٧ حيث ذكر كل ذلك (٥) من ظ و م و مد و البحر، و فى الأصل: الضلال (٦) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٢٦ و ما بعده.

فأنث لكثرة ملابستها له ، و الجنسية علة الصنم -[1]] .

و لما كان دعاؤهم إياه للعبادة[2] بينه بقوله : ﴿ و تذرون ﴾ و مادة « وذر » تدور على ما يكره ، فالمعنى : و تتركون ترك المهمل الذى من شأنه أن يزهد فيه ، و لو قيل : و تدعون - تهافتا على الجناس لم يفد هذا و انقلب المراد . و لما كان الداعى لايدعو إلا بكشف ضر[3] أو إلباس نفع ، فكان لايجوز أن يدعو إلا من يقدر على إعدام ما يشاء و إيجاد ما يريد ، قال منبها لهم على غلطهم فى الفعل و الترك : ﴿ احسن[4] الخالقين ﴾ أى و هو من[4] لا يحتاج فى الإيجاد و الإعدام إلى أسباب فلا تعبدونه . و لما كان الإنسان يعلم يقينا أنه لم يرب نفسه إلا بالإنشاء من العدم و لا بما بعده ، وكان الإحسان أعظم عاطف للانسان . قال مبينا لمن أراد مذكرا لهم باحسانه إليهم و إلى من يحامون عنهم ، و يوادون من كان يوادهم بالتربية بعد الإنشاء من العدم الذى هو أعظم تربية [مفخما للأمر و معظما بالإبدال و بجعل البدل اسم الجلالة فى قراءة النصب[5] ، و زائدا فى التعظيم بالقطع بالابتداء فى قراءة الجماعة بالرفع -[1]] : ﴿ الله ﴾ فذكر بالاسم الأعظم الجامع لجميع الصفات تنبيها على أنه الأول المطلق الذى لم يكن شىء إلا به ﴿ ربكم ﴾ أى المحسن إليكم وحده . و لما كانوا ربما أسندوا إيجادهم إلى من قبلهم غباوة منهم أو عنادا قال :

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الضر (٤) سقط من ظ (٥) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٦ .

/٤١٥ ﴿ورب آبائكم الاولين ۝﴾ أى الذين هم أول / لكم، فشمل ذلك آباءهم الأقربين، و من قبلهم إلى[1] آدم عليه السلام .

و لما كان من أعظم المقاصد - كما مضى - التسلية و الترجية، سبب عن دعائه قوله : ﴿فكذبوه﴾ و لما كانت الترجية مستبعدة، سبب عن التكذيب قوله مؤكدا لأجل تكذيبهم : ﴿ فانهم لمحضرون ۝ ﴾ أى مقهورون على إقحامنا إياهم فيما نريد من العذاب الأدنى و الأكبر، و ذكرهم بالسوء و اللعن على مر الآباد و إن كرهوا ﴿ الا عباد الله ﴾ أى الذين علموا ما له من مجامع العظمة فعملوا بما علموا فلم يدعوا غيره فانهم لم يكذبوا ؛ ثم وصفهم بما أشار إليه من الوصف بالعبودية و الإضافة إلى الاسم الأعظم فقال: ﴿المخلصين ۝﴾ أى لعبادته فلم يشركوا به [شيئا -[2]] جليا و لاخفيا، فانهم ناجون من العذاب .

و لما جاهد فى الله تعالى و قام بما يجب عليه من حسن الثناء، جازاه سبحانه فقال عاطفا على « فانهم لمحضرون » ﴿ و تركنا عليه ﴾ [أى -[2]] من الثناء الجميل و جميع ما يسره : ﴿فى الآخرين ۝ ﴾ أى كل من كان بعده إلى يوم الدين . و لما كان السلام اسما جامعا لكل خير لأنه إظهار الشرف و الإقبال على المسلم عليه بكل ما يريد، أنتج ذلك قوله : ﴿سلم﴾ و لما كان فى اسمه [على حسب تخفيف العرب له -[2]] [3] لغات إحداها [3] توافق الفواصل، فكان لافرق فى تأدية المعنى بين

(١) سقط من ظ (٢) زيد من م و مد (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لغتين احديهما .

الإتيان بما اتفق [1]منها ، و كان[1] ما كثرت حروفه منها[2] أضخم و أجل و أفخم ، و كان السياق بعد كثير من مناقبه لنهاية المدحة ، كان الأحسن التعبير بما هو أكثر حروفا و هو موافق للفواصل [ليفيد ذلك تمكينه فى الفضائل و لتحقق أنه اسم أعجمى لا عربى مشتق من اليأس و إن أوهمت ذلك قراءة ابن عامر بوصل همزته -[3]] فقال: ﴿على ال ياسين ٥﴾ ٥ و من قرأ آل يس فيجوز أن يكون المراد فى قراءته ما أريد من القراءة الأخرى لأن أهل اللغة قالوا: إن الآل هو الشخص نفسه ، و يس إما لغة فى الياس أو اختصرت اللغة الثانية التى هى إلياسين فحذف منها الهمزة المكسورة[4] مع اللام . و يجوز أن يكون المراد بآله أتباعه ، و يكون ذلك أفخم فى حقه لما تقدم مما[5] يدعو إليه السياق ، و يجوز أن ١٠ يقصد بهذه القراءة جميع الأنبياء المذكورين فى هذه السورة الذين هو أحدهم ، اى على الأنبياء المذكورين عقب سورة يس دلالة على ما دعت إليه معانيها من الوحدانية و الرسالة و البعث و إذلال العاصى و إعزاز الطائع المجرد لنفسه فى حب مولاه عن جميع العوائق ، [القاطع -[6]] للطيران إليه أقوى العلائق ، و خص [7]بهذا هذه[7] القصة لأنها ختام القصص ١٥ المسلم فيها على أهلها .

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منهما و كانت (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منهما (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المسكورة (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٦) زيد من ظ و م و مد . (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بهذه .

و لما أظهر سبحانه شرف إلياس عليه السلام أو الأنبياء الذين هو أحدهم ، علله مؤكدا له تنبيها على أنه لابد من إعلاء النبي صلى الله عليه و سلم و أتباعه على كل من يناويهم و إن كذبت بذلك قريش فقال: ﴿ انا كذٰلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء العظيم ﴿ نجزى المحسنين ۝ ﴾ أى الذين هو من أعيانهم؛ ثم علل الحكم باحسانه مؤكدا لما مضى فى مثله بقوله: ﴿ انه من عبادنا ﴾ أى الجديرين بالإضافة إلينا ﴿ المؤمنين ۝ ﴾ و يستفاد من التأكيد أيضا التنبيه على رسوخ قدمه فى الإيمان و أنه بحيث تشتد الرغبة و يقوى النشاط فى الإخبار به على ذلك الوجه .

و لما أتم ما أراد سبحانه من أمور المحسنين من ذرية إبراهيم عليه السلام المرسلين إلى ذريته فى التسلية ، و الترجية[1] و قدمهم لأن المنة عليهم منة عليه ، و الإنسان بابنه أسر منه بقريبه[2] ، و هم الذين أظهر الله بهم ما ترك[3] عليه ، من لسان الصدق فى الآخرين ، أتبعهم قصة ابن أخيه مع أهل [بلاد -[4]] الأردن من غير قومهم ، فقال مؤكدا للتنبيه[5] على / نصر المؤمنين و إن كانوا فى القلة و الذلة على حال لايظن انجباره[6] و تكذيبا لليهود المكذبين برسالته أو الشاكين فيها: ﴿ و ان لوطا ﴾ أى الذى جرد نفسه من مألوفها من بلاده[7] و عشائره بالهجرة مع عمه إبراهيم

٤١٦ /

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التوجيه (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بقومه (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نزل (٤) زيد من ظ و م و مد. (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تنبيها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الخيارة (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بلاد .

عليهما السلام ﴿لمن المرسلين﴾ و لما كان جل المقصود تبشير المؤمنين و تحذير الكافرين، و كان مخالفه كثيرا، و كان هو غريبا بينهم، قال فى مظهر العظمة: ﴿اذ نجيناه﴾ أى على [ما -[1]] لمخالفيه[2] من الكثرة و القوة، و لم يذكرهم لأنهم أكثر الناس انغماسا فى العلائق البشرية و القاذورات البهيمية التى لا تناسب مراد هذه السورة المنبنى على الصفات الملكية[3] ﴿و اهله اجمعين﴾ و لما كان الكفر قاطعا للسبب القريب كما أن الإيمان واصلا للسبب البعيد قال: ﴿الا عجوزا﴾ أى و هى امرأته فان كفرها قطعها عن الدخول فى حكم أهله فجردوا عنها، كائنة ﴿فى الغبرين﴾ أى الباقين فى غبرة العذاب و مساءة الانقلاب.

و لما ذكر نجاته و ابتدأ بها اهتماما بالترجية قال مخوفا معبرا باداة البعد إفادة مع الترتيب لعظيم رتبة ما دخلت عليه: ﴿ثم دمرنا﴾ أى أهلكنا بما لنا من العظمة ﴿الأخرين﴾ أى فجردنا الأرض من قاذوراتهم و نزهنا[4] البلاد المقدسة منهم و من أرجاس فعلاتهم، [5]فلم نبق منهم أحدا[6] و لا احتجنا فى إهلاكهم إلى استئذان أحد. و لما كان المقصود من مثل هذا تحذير المخالفين، و كان تجار قريش يرون البقعة التى كانت فيها أماكن قوم لوط، و هى البحيرة المعروفة، و لا يعتبرون بهم، عدّوا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مخالفيه.
(٣) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نزحنا (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فلم يبق منهم احد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: غدا.

منكرين للمرور عليهم فأبرز لهم الكلام فى سياق التأكيد فقيل : ﴿و انكم﴾ أى فعلنا بهم هذا و الحال أنكم يا معشر قريش ﴿لتمرون عليهم﴾ أى مواضع ديارهم فى تجاراتكم إلى الشام ﴿مصبحين ۙ﴾ أى داخلين فى الصباح[1] الوقت الذى قلبنا مدائنهم عليهم فيه ، و نص عليه للتذكير بحالهم فيه .

٥ و لما [كان -[2]] لليل منظر فى الهول غير منظر النهار قال : ﴿و باللّيل[3]﴾ و لما كان أمرهم كافيا للعاقل فى التقوى ، أنكر عليهم تماديهم فيما كان سبب أخذهم من تكذيب الناصح فقال : ﴿ افلا تعقلون ۝﴾ أى يكون لكم[2] عقول فتعتبروا بحالهم ، فتخافوا مثل مآلهم ، فتصدقوا رسولكم فانكم أجدر منهم بالأخذ لأنه منكم و أنتم تعرفون من شرف أصله و كريم

١٠ قوله و فعله ما لايعرفه أولئك من رسولهم .

و لما أكمل سبحانه ما أراد من أمور من كان على أيديهم هلاك فى الدنيا أو فى الآخرة ، ختم بمن آل أمر قومه إلى سلامة[4] و إيمان *ونعمة* و إحسان تغليبا للترجية على التأسية و التعزية فقال مؤكدا لأن ما يأتى من ذكر الآباق ربما أوهم شيئا فى امره : ﴿ و ان يونس ﴾

١٥ أى أحد أنبياء بنى إسراءيل و هو يونس بن متى عليه السلام ، حكى البغوى[6] فى قصة إلياس عليه السلام انه لما أرسله الله تعالى إلى سبطه من بنى إسراءيل الذين كانوا فى مدينة بعلبك ، فكذبوه و أراد ملكهم قتله

(١) زيد فى م : فى (٢) زيد من م و مد (٣) سقط من ظ (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اسلامه (٥-٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رفعة .
(٦) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٢٨ .

فاختفى

فاختفى فى تلك الجبال ، اشتاق إلى الناس فنزل فمكث عند امرأة من بنى إسراءيل و هى / أم يونس بن متى عليه السلام ، و كان يونس إذ ذاك / ٤١٧ رضيعا ثم رجع إلى الجبال فمات يونس عليه السلام ، فأتت أمه إلى تلك الجبال ، فما زالت تطوف حتى ظفرت بالياس عليه السلام ، فسألته أن يدعو[١] لابنها فيحييه الله ، فقال لها : إنى لم أومر بهذا ، و إنما أنا عبد ٥ مأمور ، فجزعت فزاد جزعها و تضرعها إليه ، فرق لها و رحمها و سار معها [فوصل -[٢]] إلى بيتها بعد أربعة عشر يوما من حين مات ، و هو مسجى فى ناحية البيت ، فدعا الله فاحياه لها ، و عاد إلياس عليه السلام إلى جبله ﴿ لمن المرسلين ۝ ﴾ .

و لما كان من أعظم المقاصد التسلية على استكبارهم عن كلمة التوحيد ١٠ و قولهم : إنه شاعر مجنون ، ذكر من أمر يونس عليه السلام ما يعرف منه صعوبة أمر الرسالة و شدة خطبها و ثقل امرها [و شدة عنايته سبحانه بالرسل عليهم السلام و أنه ما اختارهم إلا عن علم فهو لايقولهم و إن اجتهدوا فى دفع الرسالة -[٣]] ليزدادوا ثباتا لأعبائها و قوة [فى -[٤]] القيام بشأنها فقال[٥] : ﴿ اذ ابق ﴾ أى هرب حين أرسل من ١٥ سيده الذى شرفه الله بالرسالة ضعفا عن حملها لأن الأباق الهرب من السيد إلى حيث يظن أنه يخفى عليه ﴿ الى الفلك ﴾ أى البيت الذى

(١) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من مد (٤) زيد من م (٥) العبارة من « ليزدادوا » إلى هنا ساقطة من مد .

يسافر فيه على ظهر البحر . و لما كان فعله على صورة فعل المشاحن[1] وكان قصده الإيغال[2] فى البعد و الإسراع فى النقلة قال : ﴿المشحون﴾ أى الموقر ملاً[3] ، فلا سعة فيه لشىء آخر يكون فيه ، فليس لأهله حاجة فى الإقامة لحظة واحدة لانتظار شىء من الأشياء فحين وضع رجله فيه ساروا ، فاضطرب عليهم[3] الأمر و عظم الزلزال حتى أشرف مركبهم على الغرق على هيئة عرفوا بها أن ذلك لعبد أبق من سيده ، فان عند أهل البحر أن السفينة لايستقيم سيرها و فيها آبق - نقله الكرمانى و غيره عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فسبب لهم ذلك المساهمة أى المقارعة كما هو رسمهم فى مثل ذلك الأمر فاستهموا فساهم ، أى قارع يونس عليه السلام معهم ؛ قال البغوى[4] : و المساهمة إلقاء السهام على جهة القرعة . و لما آل وقوع القرعة عليه إلى رميه من السفينة من محل علو إلى أسفل ، عبر عن ذلك [5]بما يدل[5] على الزلق الذى يكون من علو إلى سفل[6] فقال مسببا عن المساهمة : ﴿فكان من المدحضين ج﴾ أى الموقعين فى الدحض ، و هو الزلق ، فنزل عن مكان الظفر بأن وقعت القرعة عليه فرموه [7]فى البحر[7] ﴿فالتقمه[8]﴾ أى ابتلعه كما تبتلع اللقمة ﴿الحوت﴾ أى المعروف من جهة أنه لا حوت أكبر منه . فكأنه لاحوت غيره

(١) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الشاحن (٢) من م ومد ، وفى الأصل وظ : الايصال (٣) فى ظ : عليه (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٦ / ٣١ (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بحال - كذا (٦) من م و مد ؛ و فى الأصل و ظ : اسفل (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) ساقط من الأصل فقط .

﴿ وهو ﴾ أى و الحال أن يونس عليه السلام ﴿ مليم ٥ ﴾ أى داخل فى الملامة .

و لما وقع له ما وقع فتجرد عن نفسه و غيرها تجردا لم يكن لأحد مثل مجموعه لاجرم ، زاد فى التجرد بالفناء[1] فى مقام الوحدانية فلازم التنزيه حتى أنجاه الله تعالى ، و إلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ فلو لآ انه كان ﴾ ٥ أى خلقا و خلقا ﴿ من المسبحين ٥ ﴾ أى العريقين فى هذا المقام ، و هو ما يصح إطلاق التسبيح فى اللغة عليه من التنزيه بالقلب و اللسان و الأركان بالصلاة و غيرها لأن خلقه مطابق لما هيئ[2] له من خلقه ، فهو لازم لذلك فى وقت الرخاء و الدعة و الخفض و السعة ، فكيف به فى حال الشدة ، و حمله ابن عباس رضى الله عنهما[3] على الصلاة ١٠ ﴿ للبث فى بطنه ﴾ أى حيا أو [بأن -[4]] يكون غذاء له فتختلط أجزاؤه بأجزائه ﴿ الى يوم يبعثون ٤ ﴾ أى هو و الحوت و غيرهما من الخلائق ، و عبر بالجمع لإفادة عموم البعث ، و لو أفرد لم يفد بعث الحيوانات العجم ، و لو ثنى لظن أن ذلك له و للحوت خاصة لمعنى يخصهما[5] فلا يفيد بعث غيرهما ، / و قيل : للبث حيا فى بطنه[6] ، و فى الآية إشارة إلى حديث ١٥ /٤١٨ « تعرف إلى الله [فى الرخاء -[7]] يعرفك فى الشدة » و حث على الذكر

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى الفناء (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هيا (٣) راجع معالم التنزيل ٦ / ٣١ (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يخصها (٦) كما ذكره ابن حيان فى النهر من البحر ٧ / ٣٧٤ (٧) زيد من ظ و م و مد .

و تعظيم لشانه .

و لما كان التقدير : و لكنه لما كان ذكارا لله فى حال الرخاء ذكرناه فى حال الشدة ، فأنجيناه من بطنه ، و أخرجناه منه سالما ، وكان ذلك أمرا باهرا للعقل . أبرزه فى مظهر العظمة فقال : ﴿فنبذناه﴾ أى ألقيناه من بطن الحوت إلقاء لم يكن لأحد غيره ، وكان ذلك علينا يسيرا ﴿بالعرآء﴾ أى المكان القفر [الواسع -[1]] الخالى عن ساتر من نبت أو غيره ، و ذلك بساحل الموصل ، [و -[2]] قال أبو حيان[3] : قذفه فى نصيبين من ناحية الموصل . ﴿و هو سقيم﴾ أى عليل جدا مما ناله من جوف الحوت بحيث أنه كان كالطفل ساعة يولد و هو إذ ذاك محمود غير مذموم بنعمة الله التى تداركته ، فكان مجتبى و[4] من الصالحين ﴿و انبتنا﴾ أى بعظمتنا فى ذلك المكان الذى لامقتضى[5] للنبات مطلقا فيه فضلا عما لاينبت إلا بالماء الكثير .

و لما كان سقمه متناهيا بالغا إلى حد يجل عن الوصف ، نبه عليه بأداة الاستعلاء فقال : ﴿عليه﴾ أى و رفعناها حال إنباتنا إياها فوقه لتظله كما يظل البيت الإنسان . و لما كان الدباء من النجم ، وكان قد أعظمها سبحانه لأجله ، عبر عنها بما له ساق فقال : ﴿شجرة﴾ و لما كانت هذه العبارة مفهمة لأنها مما له ساق ، نص[6] على خرق العادة بقوله :

---

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) راجع النهر بهامش البحر المحيط ٧ / ٣٧٤ (٤) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايقتضى (٦) زيد فى الأصل : عليه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

﴿من يقطين﴾ أى من الأشجار التى تلزم الأرض [١]و تقطن فيها و تصلح لأن يأوى إليها[١] و يقطن عندها حتى يصلح حاله ، فانــه تعالى عظمها و أخرجها عن عادة أمثالها حتى صارت عليه كالعريش ، و اليقطين : كل ما يمتد و ينبسط على وجه الأرض و لا يبقى على الشتاء و لا يقوم على ساق كالبطيخ و القثاء ، و المراد به هنا ـ كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما[٢] ٥ - شجرة القرع لعظم ورقها و برد ظلها و نعومة ملمسها[٣] و أن الذباب لا يقربها ، قال أبو حيان[٢] : و ماء ورقه[٤] إذا رش به مكان لا يقربه ذباب أصلا ، و قال غيره : [فيه ـ[٥]] ملاءمة لجسد الإنسان حتى لو ذهبت عظمة من رأسه فوضع مكانها قطعة من جلد القرع نبت عليها[٦] اللحم و سد مسده ، و هو من قطن بالمكان ـ إذا أقام بــه [إقامة ـ[٧]] ١٠ زائل لا ثابت .

و لما كان النظر إلى الرجية أعظم ، ختم بها إشارة إلى [٨]أنه لا يميته[٨] صلى الله عليه وسلم حتى يقر عينه [٩]بأمته كثرة و طواعية[٩] و نعمة فقال : ﴿و ارسلنه﴾ أى بعظمتنا التى لا يقوم لها شىء . و لما لم يتعلق الغرض

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) راجع البحر المحيط ٧/٣٧٥ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لمسها (٤) من ظ و م و مد و البحر ، و فى الأصل : اورقه (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليه . (٧) زيد من ظ و م و مد (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انها لا يمنيه (٩-٩) من م و مد ، و فى الاصل : ناميه كثيرة و طواعة ، و فى ظ : بامته كثيرة و طواعية .

بتعيين المرسل إليهم ، و هل هم الذين ابق عنهم أولا ؟ قال : ﴿ الى مائة الف ﴾ و الجمهور على أنهم الذين أرسل إليهم أولا - قاله أبو حيان[1] . و لما كان العدد الكثير لايمكن ناظره[2] الوقوع فيه على حقيقة عدده ، بل يصير - و إن كان أثبت الناس نظرا - يقول[3] : هم كذا يزيدون قليلا ٥ أو ينقصونه ، و تارة يجزم بأنهم لاينقصون عن كذا ، و أما الزيادة فممكنة ، و تارة يغلب على ظنه الزيادة ، و هو المراد هنا ، قال : ﴿ او يزيدون ج ﴾ لأن الترجية فى كثرة الأتباع أقر للعين و أسر للقلب ، و إنما لأن الزيادة واقعة ، و هؤلاء المرسل إليهم هم أهل نينوى و هم من غير قومه ، فان حدود أرض بنى إسراءيل الفرات ، و نينوى من شرقى الفرات بعيدة ١٠ عنه جدا .

و لما تسبب عن إتيانه إليهم انشراح صدره بعد ما كان حصل له من الضيق الذى أوجب له ما تقدم قال : ﴿ فامنوا ﴾ أى تجريدا[4] لأنفسهم من الحظوظ / النفسانية و لحوقا بالصفات الملكية . و لما كان إيمانهم سبب / ٤١٩ رفع العذاب الذى كان أوجبه لهم كفرهم قال : ﴿ فمتعنٰهم ﴾ أى و نحن ١٥ على ما نحن عليه من العظمة لم ينقص ذلك من عظمتنا شيئا و لا زاد فيها ﴿ الىٰ حين ﴾[5] أى[6] إلى انقضاء آجالهم التى ضربناها لهم فى الأزل .

---

(١) فى البحر المحيط ٧ / ٣٧٦ (٢) فى ظ : لناظره (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بقول (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تجريد (٥) سقط من ظ .

ذكر قصة يونس عليه السلام من سفر الأنبياء

قال مترجمه[١]: نبدأ بمعونة الله و قوته [بكتب نبوة -[٢]] يونان ابن متى النبي: كانت كلمة الرب على يونان بن متى، يقول له: قم فانطلق إلى نينوى المدينة العظيمة و ناد فيها بأن شرارتكم قد صعدت قدامي، و قام يونان ليفر إلى ترسيس[٣] من قدام الرب، و هبط إلى يافا و وجد ٥ سفينة تريد تدخل [إلى -[٤]] ترسيس فأعطى الملاح أجرة و نزلها ليدخل معهم إلى ترسيس هاربا من قدام الرب. و الرب طرح ريحا عظيمة[٥] فى البحر، فكان فى البحر موج عظيم، و السفينة كانت تمايل لتنكسر[٦]، و فرق الملاحون و جأر[٧] كل إنسان إلى إلهه، و طرحوا متاع السفينة فى البحر ليخففوا عنهم، بحق هبط يونان إلى أسفل السفينة و نام[٨] فدنا ١٠ منه سيد الملاحين و قال له: لما ذا أنت نائم؟ قم فادع إلهك لعل الله يخلصنا و لا نهلك. و قال الرجل لصاحبه: تعالوا نقترع و نعلم هذا الشر من قبل من جاء علينا؟ فاقترعوا فجاءت القرعة على يونان، فقالوا[٩] له: أخبرنا ما هذا الشر؟ و ما ذا هو عملك، و من أين أنت، و من

---

(١) راجع سفر يونان الأصحاح الأول - الكتاب المقدس ص: ١٢٣٦ (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: توسيس، و فى سفر يونان: ترشيش - كذا فى كل موضع (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى مد: عظيما. (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لتكسر (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حار (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قام (٩) فى ظ: فقال.

أىّ شعب أنت ، و أيتها أرضك ؟ فقال لهم يونان : أنا عبرانى و لله رب السماء أخشى الذى خلق البر و البحر ، ففرق أولئك القوم فرقا شديدا ، فقالوا له : ما ذا صنعت ؟ لأن أولئك الناس علموا أنه من قدام إلهه هرب ، فلما أخبرهم قالوا : ما نصنع بك حتى يسكن عنا البحر لأن البحر
٥ هو ذا منطلق يزخر[٢] علينا ؟ قال لهم يونان : خذونى فاطرحونى فى البحر فيسكن[٣] عنكم البحر لأنى أعلم أن هـذا الموج العظيم من أجلى هاج عليكم ، فجهد أولئك الناس أن يرجعوا إلى الساحل ، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا ، لأن البحر كان ذاهبا يزخر[٢] عليهم ، و دعوا إلى الرب و قالوا : أيها الرب لايحسب علينا دم زكى ، و لانهلك بنفس هذا الرجل من
١٠ أجل أنك أنت الرب ، و كل ما شئت تصنع ، فأخذوا يونان و طرحوه فى البحر ، فاستقر البحر من أمواجه ، و فرق أولئك الناس من قدام الرب فرقا شديدا ، و ذبحوا ذبائح للرب و نذروا له النذور ، و هيأ الرب سمكة عظيمة فابتلعت يونان ، و كان يونان فى أمعاء السمكة ثلاثة أيام و ثلاث ليالى و قال : دعوت الرب فى حزنى فأجابنى ، و من بطن
١٥ الجحيم تضرعت إليه ، و سمع صوتى[٤] و طرحنى فى الغوط[٥] فى قلب البحر ، و الأنهار احاطت بى ، و كل أمواجك و أهياجك علىّ [جازت -[٦]] ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عللوا (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يزجر (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فسكن (٤) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : صوطى (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفرط .
(٦) زيد من م و مد .

أنا بحق قلت : إنى قد تباعدت من قدام عينيك ، من الآن [١] أترى [١]
أعود فأنظر إلى هيكلك المقدس ، و قد أحاطت بى المياه حتى نفسى [٢]
و الأهوال أحاطت بى ، و فى أسفل البحر احتبس [٣] رأسى ، و إلى أسافل
الجبال هبطت ، و الأرض أطبقت أغلاقها فى وجهى إلى الدهر ، إذا
اغتمت نفسى للرب ذكرت و دخلت صلاتى قدامك إلى هيكلك المقدس ، ٥
فكل الذين يحفظون [٤] الأنساك البطالة [٤] رحمتهم فتركوا ، أنا بحق بصوت [٥]
الشكر أقرب لك و أذبح ، و الذى نذرته أوفيه للرب ! فأمر الرب السمكة [٦]
فقذفت يونان فى اليبس ، و أتى كلام الرب إليه المرة الثانية ، و قال
له : قم يا يونان فانطلق إلى نينوى المدينة العظيمة / و ناد فيها بالنداء / ٤٢٠
الذى أقوله [٧] لك ، فقام يونان و انطلق إلى نينوى مثل كلمة الرب ، و نينوى ١٠
كانت مدينة عظيمة للرب مسيرة ثلاثة أيام ، و تبدّأ يونان أن يدخل
إلى نينوى مسيرة يوم واحد و نادى و قال : من الآن و إلى أربعين يوما
نينوى تنقلب . فآمن أهل نينوى لله و فرضوا الصوم و لبسوا المسوح من
عظمائهم حتى صغارهم ، و انتهت الكلمة إلى ملك نينوى [٨] فقام عن كرسيه [٨]

(١ - ١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : أترى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعى (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احتبست (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الانسال بطالة ، و هذه الجملة وردت فى السفر : الذين يراعون أباطيل كاذبة يتركون نعمتهم (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : صوت (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السمك (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قول (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

[1]و نزع تاجه، و اكتسى مسح شعر، و جلس على الرماد، ونادى فى نينوى[1]
و قال الملك و أشرافه: و كل الناس و الغدائر و الثيران و الغنم فلا
يذوقون شيئا من الطعام و لا يرعون، و ماء فلا يشربون، و لكن فليلبس
الناس و الغدائر و يدعو الله بالتضرع، و يرجع كل إنسان عن طريقة
٥ السوء، و عن الاختطاف الذى فى يده، و قالوا: من ذا الذى يعلم أن
الله يقبل منا و يترحم علينا و يرد عنا غضبه و رجزه[2] لكيلا نهلك،
و نظر الله إلى أعمالهم أنهم قد تابوا عن طرقهم السوء فرد[3] عنهم غضب
رجزه[2] و لم يبدهم، و حزن يونان حزنا شديدا، و تكره من ذلك جدا،
و صلى قدام الرب و قال: ايها الرب! ألم تكن هذه كلمتى، و أنا بعد
١٠ فى بلادى و لذلك[4] سبقت و فررت إلى ترسيس، قد عرفت بحق أنك
الرحمن الإله الرؤف، طويل صبرك و كثيرة نعمتك، و ترد السوء الآن
يا رب! انزع نفسى منى لأن الموت أنفع [لى -[5]] من الحياة، فقال
له: جدا حزنت يا يونان، و خرج يونان من المدينة و اتخذ له ثمة مظلة
و جلس تحتها فى الظل لينظر ما الذى يعرض للمدينة، و أمر الله الرب
١٥ أصل القرع، و نبت و ارتفع على رأس يونان، فكان ظل[6] على رأسه
فتفرج[7] من شدته و فرح [فرحا -[5]] كثيرا يونان بأصل القرع.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من م ومد، و فى الأصل وظ: زجره.
(٣) زيد بعده فى الأصل و ظ: الله، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.
(٤) من ظ و م ومد، و فى الأصل: كذلك (٥) زيد من م و مد (٦) فى سفر يونان: ظلا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فتقرح.

و فى اليوم الآخر أمر الله الرب دودة فى مطلع الصبح فضربت أصل القرع و قرضته، فلما طلعت الشمس أمر الله الرب ريح السموم[1] فيبست أصل القرع، و حميت الشمس فى رأس يونان، و اغتم و سال الموت لنفسه [و قال: إنك ـ[2]] يا رب تقدر تنزع نفسى منى، لأنى لم أكن أخير[3] من إياى، و قال الرب ليونان: جدا حزنت على أصل القرع، ٥ [4]فقال يونان: جدا أحزن حتى الموت، قال له الرب: أنت أشفقت على أصل القرع[4] الذى لم تعن[5] به و لم تربه، الذى فى ليلة نبت، و فى ليلة يبس، فكيف لا أشفق أنا على نينوى المدينة العظيمة التى فيها أكثر من اثنى[6] عشرة ربوة من الناس الذين[7] لايدرون ما بين يمينهم من شمالهم و كثرة من الغدائر ـ انتهى. و لعل أصل القرع المذكور ١٠ هنا كان نبت عليه حين خرج من بطن الحوت، فلما اتفق له ما ذكر هنا رجع[8] إليه و قد زاد عظمه فبنى تحته عريشا و جلس تحته، فكان منه ما كان، فلا يكون حينئذ ما هنا مخالفا لما ذكر أهل الأخبار فى هذه القصة ـ و الله الموفق.

و لما كان الذى سبق ادعاؤه أمرين[9] أحدهما أن هؤلاء المنذرين ١٥

(١) زيد فى الأصل: فهبت، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خيرا.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: لم تغنى (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اثنى (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الذى (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: راجع (٩) من مد، و فى الأصل و ظ و م: امران.

يسارعون في اقتفاء [1]آثار آبائهم[1] في الضلال، و الثاني أن أكثر الأولين ضلوا، و[2] سيقت دليلا[2] شهوديا على الثاني هذه القصص الست التي ما اهتدى من أهلها أمة بكمالها إلا قوم يونس عليه السلام، كان [ذلك -[3]] سببا للأمر باقامة الدليل على ضلال هؤلاء تبعا لآبائهم بأمر ليس في ٥ بيان الضلال أوضح منه، فقال متهكما بهم [مخصصا الأمر به صلى الله عليه و سلم إشارة إلى عظم هذه النتيجة و أنه لا يفهمها حق فهمها سواه صلى الله عليه و سلم -[4]] : ﴿ فاستفتهم ﴾ أي فاطلب من هؤلاء الذين / يعرضون عن دعوتك إلى أباطيلهم أن يجيبوك فتوة منهم و كرما : بأي ٤٢١/ دليل و بأي حجة حكموا بما يقولونه تبعا لآبائهم في الملائكة الذين ١٠ تقدم في فاطر أنهم رسل الله، و في يس أنهم في غاية الشدة بحيث أن عذاب الأمة الكثيرة[5] يكفي فيه واحد منهم، و بحيث أن صيحة واحدة من أحدهم يميت الأحياء كلهم، و صيحة أخرى يحيي الأموات كلهم، هذا إلى[6] ما أفادته[7] هذه السورة لهم من الصف و الزجر و التلاوة حين ابتدأت بالإقسام بهم لأن لمقصودها[8] نظرا عظيما إلى أحوالهم في تجردهم ١٥ و تقديسهم، و يلزم من هذا الاستفتاء [9]تنزيههم و تنزيه[9] الذي خلقهم و ذلك[10]

(١ - ١) من م، و في الأصل و ظ : آثارهم بهم، و في مد : آثارهم.
(٢-٢) من م و مد، و في الأصل و ط : سبقت دلايلا - كذا (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من م و مد (٥) في مد : الكبيرة (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : اى (٧) من م ومد، و في الأصل و ظ : قادته (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل : مقصودها (٩ - ٩) من ظ و م و مد، و في الأصل : تبريتهم و تبرية (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل : كذلك كان هو.

مقصود السورة ، [و لفت الكلام عن مظهر العظمة إلى ما هو دليل عليها فإن الرسول دال على قدر من أرسله فقال -[١]] : ﴿ الربك ﴾ أي خاصة و هو الملك الأعلى الذى رباك و أحسن إليك بهدايتك و الهداية بك و غير ذلك من أمرك حتى كنت أكمل الخلق و أعلاهم فى كل أمر يكون به الكمال و القرب من الله فاصطفاك لرسالته ، فى إفراد الضمير ٥ إشارة إلى أنه لايختار إلا الأكمل الأشرف الأفضل .

[و لما كان المراد تبكيتهم بكونهم جعلوا الأخس لله ، و كانت الإناث أضعف من الذكور ، و لكنها قد تطلق الأنوثة على غير الحيوان ، و كانت الإناث فى بعض الأجناس كالاسحار[٢] أشرف ، عدل عن التعبير بالإناث و عبر بما ينص على المراد فقال -[١]] : ﴿ البنات ﴾ أى دون ١٠ البنين ، و هم - مع أنهم مربوبون مقهورون - يأنفون منهم غاية الأنفة ﴿ و لهم ﴾ أى دونه ﴿ البنون ۝ ﴾ [مع أن الرب الذى خصوه بأدنى القبيلين تارة يخلق الذكر من تراب و يربيه أحسن تربية ، و أخرى من غيره أو يخرجه من بطن حوت أو غمرات نار أو غير ذلك ، فبأى وسيلة ادعوا له ولدا و الولد لا يكون إلا بالتدريج فى أطوار الخلق من النطفة ١٥ إلى ما فوقها ، و لا يرضى بذلك إلا عاجز فكيف بادعاء أدنى الصنفين من الولد ، سبحان ربك رب العزة -[١]] .

و لما كان دعواهم لأنوثة الملائكة متضمنة لادعاء العلم باختصاصه عند دعوى الولدية بأدنى القبيلتين أو ادعاء العلم بأنه خلقهم إناثا بمشاهدة[٣]

(١) زيد من م و مد (٢) ليس واضحا فى م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بشاهدة .

منهم أو كتاب منه إليهم ، و أما العقل فانه لامدخل له فى ذلك ، قال معلما بأنهم أهل لأن يبكتوا و يستهزأ بهم لأنه لاعلم عندهم باحدى الطريقين ، و لايقدرون[1] أن يدعوا ذلك لئلا يفتضحوا فضيحة لاتنجبر أصلا ، [عائدا إلى التصريح بمظهر العظمة إشارة إلى أن من شأنها كثافة الحجاب -[2]] : ﴿ام خلقنا﴾ أى على ما لنا من العظمة التى إن لم يقتض اختيار الأكمل لم يقتض [الاختصاص بالأدون لأنها منافية بكل اعتبار للدناءة ﴿الملئكة﴾ أى الذين حكموا -[3]] عليهم بالأنوثة ، و هم من أعظم رسلنا و أجل خواصنا و لم يروا منهم أحدا و لاسبيل لهم إلى العلم بأحوالهم باعترافهم بذلك ، [و لما تعين أن المراد بالأنوثة الخساسة ، و كان فى بعض الإناث قوة الذكور ، عبر بالأنوثة إلزاما لهم فى حكمهم ذلك بخساستين فقال - [2]] : ﴿ اناثا و هم ﴾ [أى و الحال أن هؤلاء الذين ينسبون إلى الله ما لا يليق به - [2]] ﴿ شهدون ٥ ﴾ أى ثابت لهم شهود ذلك لايغيبون عنه ، فانا كل يوم نجدد منهم من شئنا ، قال الرازى : و كل واحد من الملائكة نوع برأسه ، أما الآدميون فكلهم نوع واحد ، و هو ناقص فى ابتداء الفطرة مستكمل ، و له درجات فى الترقى إلى أن يبلغ[4] مقام المشاهدة ، و هو أن تتجلى له حلية[5] الحق الأول من ذاته و صفاته و ترتيب أفعاله علما[6] لاينفصل عنه و لايغيب فيترقى فى إدراكه عن المحسوسات و الخيالات ، و يترقى فعله عن أن

(١) فى ظ و م : لايقدروا (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد.
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بلغ (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جبلة (٦) فى ظ : هما .

يكون لمقتضى الغضب أو الشهوة ، و بهذا يقرب من الله تعالى - انتهى .

و لما اشتد تشوف السامع إلى أن يعلم حقيقة قولهم الذى تسبب عنها هذا الاستفتاء ، أعلم سبحانه بذلك فى قوله مؤكدا إشارة إلى أنه قول[1] يكاد أن لا يقر أحد أنه قاله ، معجبا منهم فيه مناديا عليهم بما أبان من فضيحتهم بما قدم من استفتائهم : ﴿ الآ انهم من افكهم ﴾ أى ٥ [من أجل أن -[2]] صرفهم الأمور عن وجوهها [عادتهم -[2]] ﴿ ليقولون ﴾ أى قولا هم مستمرون عليه و إن كانوا لا يقدرون على إبرازه فى مقام / المناظرة ، [و عدل عن مظهر العظمة إلى اسم الجلالة العلم على الذات الجامعة لجميع الصفات إشارة إلى أن كل صفة من صفاته و نعت من نعوته يأبى الولدية فقال -[2]] : ﴿ ولد الله ﴾ أى وجد له ١٠ - و هو المحيط بصفات الكمال - ولد و هم على صفة الأنوثة [أى أتى بالولد ، فولد فعل ماض و الجلالة فاعل ، و قرئ شاذا برفع « ولد » على أنه خبر مبتدأ محذوف ، و جر الجلالة بالإضافة ، و الولد فعل بمعنى مفعول كالقبض ، فلذلك يخبر به عن المفرد و غيره و المؤنث و غيره -[2]] .

/ ٤٢٢

و لما أتى سبحانه بالاسم الأعظم إشارة إلى عظيم تعاليه عن ذلك ، ١٥ صرح به فى قوله دالا على الثبوت مؤكدا لأجل دعواهم أنهم صادقون : ﴿ و انهم لكذبون ﴾ و دل على كذبهم أيضا بانكاره موبخا لهم فى أسلوب الخطاب زيادة فى[3] الإغضاب فى قوله : ﴿ اصطفى ﴾ بهمزة الاستفهام

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قولالا (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على .

الإنكارى، و من أسقطها فهى عنده مقدرة مرادة ، أى أخبرونى هل اختار هذا السيد الذى أنتم مقرون بتمام علمه و شمول قدرته و علو[1] سؤدده [ما تسترذلونه . و لما كان التعبير بالبنت أكره إليهم من التعبير بالأنثى ، و التعبير بالابن أحب إليهم من التعبير بالذكور و أنص على المراد لأن الذكر مشترك بين معان ، قال -[2]] : ﴿ البنات ﴾ اللاتى تستنكفون أنتم من لحوقهن بكم ، و تستحيون من نسبتهن إليكم ، حتى أن بعضكم ليصل فى إبعادهن إلى الوأد ﴿ على البنين ۝ ﴾ فكان حينئذ نظره لنفسه دون نظر أقلكم فضلا عن أجلكم ، و لذلك عظم حسنا و تناهى بلاغة قوله: ﴿ ما ﴾ أى [يا -[2]] معاشر العرب المدعين لصحة العقول و سداد الأنظار و الفهوم ! أىّ شىء ﴿ لكم ﴾ من الخير فى هذا المقال ؟ ثم زاد فى التقريع عليه بقوله [3]معجبا منهم[3] : ﴿ كيف تحكمون ۝ ﴾ أى فى كل ما سألناكم عنه بمثل هذه الأحكام التى لا تصدر عمن له أدنى مسكة من عقله ، [و عبر بالحكم لاشتهاره فيما يبت فيأبى النقص ، فكان التعبير به أعظم فى تقريعهم حيث أطلقوه على ما لا أوهى منه -[2]] .

و لما كان هذا شديد المنافاة للعقول ، عظيم البعد عن الطباع ، حسن جدا قوله أيضا مبكتا : ﴿ افلا تذكرون ج ﴾ أى [4]أدنى تذكر بما أشارت إليه قراءة من خفف بما جمعت من التخفيف و الحذف ، فان الأمر فى غاية الظهور[4]

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عظيم (٢) زيد من م و مد . (٣-٣) من مد ، و فى الأصل وظ : لكم ، و الكلمة ساقطة من م (٤-٤) من م و مد ، و موضع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ : يشتد تذكركم .

لما فى عقولكم و طباعكم [من -[1]] أنكم لا ترضون لأنفسكم أخس[2] المنازل ، فكيف يختاره لنفسه ربكم الذى بيده كل شىء ؟ و إنه لا يكون الولد مطلقا [إلا -[3]] ممن[4] له جنس ، فيكون محتاجا إلى جنسه ، و المحتاج لا يكون إلها بوجه . [وأشارت قراءة الجماعة[5] بالتشديد و الإدغام إلى أن الأمر يحتاج إلى مزيد تذكر بما أشار إليه التشديد مع دقة بما أشار إليه الإدغام لأجل حل شبهة من يرى أفعال من يحيى المؤدة فيظن أن ذلك رغبة منهم فى الإناث ، و ليس ذلك إلا رغبة فى دفع فساد القتل و رحمة للضعيف ، و لم يقرأ بالفك إشارة إلى أن الأمر غنى عن الدرجة العليا فى التأمل -[1]] .

و لما قررهم على شهود ذلك بما تضمن إبطاله عقلا ، فلم يبق من طرق[6] الأدلة إلا السمع ، عادل به قوله : ﴿ ام لكم ﴾ أى على ادعاء ذلك ﴿ سلطن ﴾ أى دليل سمعى بخبر سماوى [قاهر -[1]] ، و أشار إلى أنه لا يتكلم فى أحوال الملوك[7] إلا بأمر[7] واضح بقوله : ﴿ مبين ﴾ .

و لما كان المراد بهذا - و لابد - البرهان السمعى ، بينه بما سبب عنه من قوله : ﴿ فاتوا بكتبكم ﴾ أى الذى أتاكم [بذلك السلطان -[1]] من الملك فى أنه اختار لنفسه ذلك ، و دل على كذبهم تلويحا بعد أن أتى به تصريحا و هو أنكى ما يكون بالإتيان بأداة الشك فى قوله :

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احسن (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ : لمن (٥) راجع نثر المرجان ٦/٥٤ - ٥٥ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : طريق (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الأمر .

﴿ ان كنتم صٰدقين ﴾ و هذه الآيات[1] صادرة عن سخط عظيم و إنكار فظيع، و الأساليب التى وردت عليها ناطقة بتسفيه أحلام المدعى لذلك و بجهل نفوسهم، و استركاك عقولهم، مع استهزاء و تهكم و تعجيب من أن يخطر مثل ذلك على بال فضلا عن[2] أن يتخذ معتقدا، و يتظاهر به مذهبا.

و لما تم إظهار ضلالهم، بكتهم فى أسلوب آخر معرضا عن خطابهم تخويفا من إحلال عذابهم فقال[3]: ﴿ و جعلوا ﴾ أى بعض العرب منابذين لما مضى بيانه من الأدلة ﴿ بينه و بين الجنة ﴾ أى الجن الذين هم شر الطوائف، [و أنهم إشارة إلى تحقيرهم عن هذا الأمر الذى أهلوهم له ـ[4]] ﴿ نسبا[5] ﴾ بأن قالوا: إنه ـ جلت سبحات وجهه و عظم تعالى جده ـ تزوج بنات سروات الجن، فأولد منهم الملائكة، و من المعلوم أن أحدا لا يتزوج إلا من يجانسه، فأبعدوا غاية البعد لأنه لا مجانس له. و لما كان النسيب يكرم[6] و لا يهان قال [مؤنثا لضميرهم زيادة فى تحقيرهم ـ[4]]: ﴿ و لقد علمت الجنة ﴾ أى مطلقا[7] السروات منهم و الأسافل ﴿ انهم ﴾ أى الجن كلهم ﴿ لمحضرون ﴾ أى إليه بالبعث كرها ليعاملوا بالعدل مع بقية الخلائق يوم فصل القضاء /، و التجلى فى مظاهر العز و العظمة و الكبرياء، فهم أقل من أن يدعى لهم ذلك. /٤٢٣

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الآية (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٣) فى ظ: فقالوا (٤) زيد من و مد (٥) فى ظ: يكره (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مطلق.

و لما ذكر ذلك اليوم الأعظم الذى يظهر فيه لكل أحد معاقد الصفات ، و تتلاشى عند تلك المظاهر أعيان الكائنات ، و تنمحى[1] لدى تلك النعوت آثار الفانيات ، و كان ذكره على وجه مبين بُعد الجن عن المناسبة ، كان مجزأ للتنزيه و موضعا بعد تلك الضلالات للتقديس نتيجة لذلك ، فقال [مصرحا باسم التسبيح الجامع لجميع أنواعه ، و الجلالة إشارة ٥ إلى عظم المقام -[2]] : ﴿سبحٰن الله﴾ أى تنزه[3] الذى له جميع العظمة تنزها[4] يفوت الحصر ﴿عما يصفون ۝﴾ أى عما يصفه به جميع الخلائق الذين يجمعهم الإحضار ذلك اليوم ، [أو الكفار الذين ادعوا له الولد و جعلوا الملائكة من الولد -[5]] ﴿الا عباد الله﴾ [أى -[2]] الذين يصلحون للاضافة إلى الاسم الأعظم [[6]من حيث إطلاقه على الذات الأعظم ، ١٠ و لذلك أظهر و لم يضمر ، لأن الضمير يعود على عين الماضى ، فربما أوهم تقييده بما ذكر فى الأول فيفهم تقييد تشريفهم بالتسبيح[6] ﴿المخلصين ۝﴾ [6]من جميع الخلائق أو من العرب و هم من أسلم منهم بعد نزول هذه السورة[6] فانهم لايصفونه إلا بما أذن لهم فيه و لأجل أن هذه السورة سورة -[7]] المتجردين عن علائق العوائق عن السير إليه ، كرر وصف ١٥ الإخلاص فيها كثيرا .

و لما نزه نفسه المقدس سبحانه عن كل نقص ، دل على ذلك بأنهم

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يتمحى (٢) زيد من م و مد (٣) سقط من مد (٤) فى ظ : تنزيها (٥) زيد من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٧) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد .

و جميع ما[1] يعبدونه[2] من دونه لايقدرون على شيء لم يقدره، فقال مسببا عن التنزيه مؤكدا تكذيبا لمن يظن أن غير الله يملك شيئا [مواجها لهم بالخطاب لأنه أنكى و أجدر بالإغضاب -[3]] : ﴿ فانكم و ما تعبدون ۝ ﴾ أى من الأصنام و غيرها من كل من زعمتموه[4] إلها [و ابتدأ الخبر عن « ان » فصدره بالنافى فقال -[3]] : ﴿ ما ﴾ [و غلب المخاطبين المعبر عنهم بكاف الخطاب على من عطف عليهم و هم معبوداتهم تنبيها على أنهم عدم كما حقرهم بالتعبير عنهم بما دون « من » فقال مخاطبا -[3]] : ﴿ انتم عليه ﴾ أى على [الله -[5]] خاصة ﴿ بفتنين ۝ ﴾ أى بمغيرين أحدا من الناس بالإضلال ﴿ الا من هو ﴾ أى فى حكمه و تقديره ﴿ صال الجحيم ۝ ﴾ أى معذب بعذابه لحكمه عليه بالشقاوة فعلم أنكم لاتقدرون أن تغيروا عليه إلا من غيره هو فبحكمه ضل لا بكم، نعوذ بك منك، لامهرب منك إلا إليك، و المراد بتقديم الجار أن غيره قد يقدر على أن يفسد عليه من لايريد فساده و يعجز عن رد المفسد[6]، [فالتعبير بأداة الاستعلاء تهكم بهم بمعنى أنه ليس فى أيديكم من الإضلال إلا هذا الذى جعله لكم من التسبب، فان كان عندكم غلبة فسموه بها، و توحيد الضمير على لفظ « من » فى الموضعين للاشارة إلى أن الميت على الشرك بعد بعث النبى صلى الله عليه و سلم [7]من العرب[7] قليل، و قرئ شاذا « صالوا » دفعا لظن أنه واحد -[3]] .

---

(١) فى مد : من (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يعدونه (٣) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : زعموه . (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) فى مد : المفسدين (٧ - ٧) ليس ما بين الرقمين فى مد .

و لما [١] كان من المعلوم أن هذا الاستفتاء من النبي صلى الله عليه و سلم [وقع -[٢]] امتثالا للأمر المصدر به ، و بطل بهذه الجملة قدرتهم و قدرة معبوداتهم التي يدعون لها بعض القدرة ، [٣]قال مؤكدا لذلك و مبطلا لقدرة المخلصين أيضا عطفا[٤] على " فانكم و ما تعبدون " : ﴿ و ما منآ ﴾ أي نحن و أنتم و معبوداتكم و غير ذلك ، أحد ﴿ الا له مقام معلوم ﴾ ٥ قد قدره الله تعالى في الأزل ، ثم أعلم الملائكة بما أراد منه فلا يقدر أحد من الخلق على أن[٥] يتجاوز ما أقامه فيه سبحانه نوع مجاوزة ، فلكل من الملائكة مقام معروف لايتعداه ، و الأولياء لهم مقام مستور بينهم و بين الله لايطلع عليه أحد ، و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام لهم مقام[٦] مشهور مؤيد بالمعجزات الظاهرة ، لأنهم للخلق قـــدوة[٧] ، فأمرهم على ١٠

---

(١) العبارة من هنا إلى « المصدر به و » ساقطة من م (٢) زيد من م .
(٣) العبارة من هنا إلى « و ما تعبدون » ساقطة من نسخة مد ، و ورد موضعها فيها « و كان التقدير سلبا لقدرة المخلصين أيضا ، و ما المخلصون بها دين إليه إلا من حكم له بجنات النعيم ، و كان من المعلوم أن المأمور بهذا الاستفتاء صلى الله عليه و سلم يتمثل الأمر فيقول : ما تقديره ؟ أفتوني أيها الضالون عما أمرت باستفتائكم عنه إن كنتم محقين وعزة ربي ما أنتم على تغطية شيء مما فضحتكم به هذه الآيات مما ادعيتموه في الملائكة و الجن بقادرين ، عطف عليه قوله تأكيدا لما تقدم من سلب القدرة عن غيره سبحانه إظهارا للنصفة في الحكم بعموم العجز لكل من سوى الله » (٤) من م ، و في الأصل و ظ : عطف (٥) في ظ : انه (٦) سقط من ظ (٧) من مد ، و في الأصل و ظ و م : قدرة .

الشهرة[1]، و أمر الأولياء على السترة ـ قاله القشيرى، و غير المذكورين من أهل السعادة لهم مقام فى الشقاوة معلوم عند الله تعالى و عند من أطلعه عليه من عباده .

و لما سلب عن الكل كل شىء من القدرة إلا ما وهبهم، و كان الكفار يدعون أنهم يعبدون الله تعالى و ينزهونه و أن الإشراك[2] لا يقدح فى ذلك، بين أن المخلصين خصوا دونهم بمواقف الصفاء، و مقامات الصدق و الوفاء، لأن طاعتهم أبطلها إشراكهم، فقال مؤكدا و مخصصا: ﴿ و انا ﴾ أى يا معشر المخلصين ﴿ لنحن ﴾ أى دونكم ﴿ الصآفون ﴾ أى أنفسنا فى الصلاة و الجهاد و أجنحتنا فى الهواء[3] فيما أرسلنا به و غير ذلك لاجتماع قلوبنا على الطاعة ﴿ و انا لنحن المسبحون ﴾ أى / المنزهون له سبحانه عن كل نقص [[4]مما ادعيتموه من البنات[4] و يجوز أن يكون المعنى: لنا هذا الفعل، و هو الصف و التسبيح، و لا ينوى له مفعول البتة ـ[5]] .

٤٢٤ /

و لما بين ضلالهم و هداه صلى الله عليه و سلم و هدى من اتبعه ـ بما أشار إليه بصفة الربوبية التى أضافها إليه فى قوله « الربك » أعلم بأنهم زادوا على عيب الضلال فى نفسه عيب الإخلاف[6] للوعد و النقض لما

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الشهود (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاشتراك (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هو. (٤-٤) ليس ما بين الرقمين فى م (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاخلاص.

أكدوه من العهد، فقال مؤكدا إشارة إلى أنه لايكاد يصدق أن عاقلا يؤكد على نفسه فى أمر ثم يخلفه [جوابا لمن يقول: هل نزهوه كما نزهه المخلصون - [1]]: ﴿ و ان ﴾ أى فعلوا ذلك [من الضلال بالشبه التى افتضحت بما كشفناه من ستورها ولم ينزهوا كما نزه المخلصون - [1]] و الحال أنهم ﴿ كانوا ﴾ قبل هذا[2] ﴿ ليقولون ﴾ أى قولا لا يزالون يجددونه ٥ مع ما فيه من التأكيد ﴿ لو ان عندنا ذكرا ﴾ أى على أىّ حال [كان - [3]] من أحواله من كتاب أو غيره ﴿ من الاولين ﴾ أى من الرسل الماضين ﴿ لكنا عباد الله ﴾ أى بحيث أنا نصير أهلا للاضافة إلى المحيط بصفات الكمال ﴿ المخلصين ۝ ﴾ أى فى العبادة له بلا شائبة من شرك أصلا . ١٠

و لما كان هذا الذكر - الذى أتاهم مع كونه أعظم [4]ذكر أتى[4] مصدقا لكتب الأولين و كان الرسول الآتى به أعظم الرسل، فكان [5]لذلك هو[5] عين ما عقدوا عليه مع زيادة الشرف - سببا لكفرهم قال: ﴿ فكفروا به ﴾ [أى فتسبب عما عاهدوا عليه أنهم كفروا بذلك الذكر مع زيادته فى الشرف على ما طلبوا بالإعجاز و غيره [2]] فتسبب عن ذلك تهديدهم ١٥ ممن أخلفوا وعده، و نقضوا مع التأكيد عهده، فقال: ﴿ فسوف يعلمون ۝ ﴾ أى بوعيد ليس هو من جنس كلامهم، بل هو مما [6]لاخلف فيه بوجه[6] .

---

(١) زيد من مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذلك (٣) زيد من م و مد (٤ - ٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذكرا أى (٥ - ٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كذلك (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م .

[1]و لما كان التقدير كما أرشد إليه سياق التهديد : فلقد سبقت كلمتنا على[1] من خالف رسلنا بالخذلان المهين ، عطف عليه قوله : ﴿و لقد سبقت﴾ أى فى الأزل ﴿ كلمتنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ لعبادنا ﴾ أى الذين اخلصوا لنا العبادة فى كل حركة و سكون ﴿المرسلين ۝﴾ الذين
٥ زدناهم على شرف الإخلاص فى العبودية شرف الرسالة .

و لما آذنت اللام بعلوهم ، أوضح ذلك ببيان[2] ما سماه كلمة[3] لانتظامه فى معنى واحد بقوله : ﴿ انهم ﴾ و زاد فى تأكيده فى نظير ما عند الكفرة على ما تدل عليه أعمالهم أنه[4] فى غاية البعد فقال : ﴿ لهم ﴾ أى خاصة ﴿ المنصورون ۝ ﴾ اى الثابت نصرهم فى الجدال و الجلاد
١٠ و إن وقع للكفار عليهم فى الثانى ظهور ما . و لما خص بذلك المرسلين ، عم[5] فقال : ﴿ و ان جندنا ﴾ أى من المرسلين و أتباعهم ، [و لما كان مدلول الجند فى اللغة العسكر و الأعوان و المدينة و صنفا من الخلق على حدة ، قال جامعا على المعنى دون اللفظ نصا على المراد ـ[6]] : ﴿لهم﴾ أى لا غيرهم ﴿الغٰلبون۝﴾ أى و إن رئى[7] أنهم مغلوبون لأن العاقبة
١٥ لهم إن لم يكن فى هذه الدار فهو فى دار القرار ، و قد جمع لهذا النبى الكريم فيهما . و سمى هذا كله كلمة لانتظامه معنى واحدا ، و لا يضر انهزام فى بعض المواطن[8] من بعضهم[9] ولا وهن قد يقع ، وكفى دليلا على هذا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بيان. (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كله (٤) فى ظ : انهم (٥) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : اعم (٦) زيد من م (٧) من م و مد ، وفى الأصل وظ : راى (٨) فى مد : المواضع (٩) فى ظ : بعض .

سيرة النبي صلى الله عليه و سلم و الخلفاء الثلاثة بعده رضى الله عنهم .

و لما ثبت لامحالة بهذا أنه صلى الله عليه و سلم هو المنصور لأنه من المرسلين[1] و من جند الله ، بل هو أعلاهم ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فتولّ ﴾ أى فكلف[2] نفسك الإعراض ﴿ عنهم ﴾ أى عن ردهم عن الضلال قسرا ﴿ حتى حين ۝ ﴾ أى مبهم ، و هو الوقت الذى عيناه لنصرك فى الأزل ﴿ و ابصرهم ﴾ أى يبصرك و بصيرتك عند الحين[3] الذى ضربناه لك و قبله : كيف تؤديهم أحوالهم و تقلباتهم كلما[4] تقلبوا [إلى سفول -[5]] .

و لما كانوا قبل الإسلام عميا صما لأنهم لا[6] يصدقون وعدا [و -[5]] لا وعيدا ، و لا يفكرون فى عاقبة ، حذف المفعول من فعلهم فقال متوعدا محققا بالتسويف لا مبعدا : ﴿ فسوف يبصرون ۝ ﴾ اى يحصل لهم الإبصار الذى لاغلط فيه بالعين و القلب بعد ما هم فيه من العمى ، و هذا الحين واضح فى يوم بدر و ما كان من أمثاله قبل الفتح ، فانهم كان لهم فى تلك الأوقات نوع من القوة ، فلذلك / أثبتهم نوع إثبات فى أبصرهم[7] . /٤٢٥

و لما كانت عادتهم الاستعجال بما يهددون به استهزاء كلما ورد عليهم تهديد ، سبب عن ذلك الإنكار عليهم على وجه هو تهديد آخر لهم فقال : ﴿ افبعذابنا ﴾ أى على ما علم له من العظمة باضافته إلينا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المرسل (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تكلف (٣) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (٤) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : كما (٥) زيد من م و مد (٦) سقط من ظ (٧) فى ظ : ابصر .

﴿ يستعجلون ﴾ أى يطلبون أن يعجل لهم فيأتيهم قبل أوانه الذى ضربناه له[١] . و لما علم [٢]من هذا[٢] أنه لابشرى لهم يوم حلوله ، و لاقرار عند نزوله ، صرح بذلك فى قوله : ﴿فاذا﴾ أى هددناهم و أنكرنا عليهم بسبب أنه اذا ﴿نزل بساحتهم﴾ أى غلب عليها لأن ذلك شأن النازل ٥ بالشىء [٣]من غير[٣] إذن صاحبه و لا يغلب عليها إلا وقد غلب على أهلها فيرك عليهم بروكا لايقدرون معه على البروز إلى تلك الساحة [و هى الفناء الخالى من الأبنية كأنه متحدث القوم و موضع راحتهم - [٤]] فى أى وقت كان بروكه من ليل أو نهار ، و لكنه لما[٥] كانت عادتهم الإغارة صباحا ، قال على سبيل التمثيل مشيرا بالفاء إلى أنه السبب لا غيره ١٠ ﴿ فساء صباح المنذرين ﴾ أى الذين هم أهل للتخويف [من هؤلاء و غيرهم - [٦]] ، و هذا[٧] التهديد لا [يصلح لأن - [٨]] ينطبق على يوم الفتح ، و لقد صار من لم يتأهل لغير الإنذار فيه فى غاية السوء ، و هم الذين قتلهم النبى صلى الله عليه و سلم فى ذلك اليوم ، ومنهم من تعلق بأستار الكعبة فلم يفده ذلك ، و لكنهم كانوا قليلا ، و الباقون إن كان ١٥ ذلك الصباح على ما ساءهم منظره فلقد سرهم[٩] لعمر الله مخبره[١٠] .

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهم (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بهذا (٣ - ٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بغير (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٦) زيد من مد (٧) زيد فى الأصل : التخويف و ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : شرهم (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مخبرهم .

و لما كان صلى الله عليه و سلم نبي الرحمة لايستأصل قومه بعذاب، قال دالا على ذلك بتكرير الأمر تأكيدا للتسلية، و وعد النصرة مع ما فيه من زيادة المعنى على الأول، عاطفا على «تول»[1] الأولى: ﴿وتول﴾ أى كلف نفسك الصبر عليهم فى ذلك اليوم الذى ينزل بهم العذاب الثانى و الإعراض ﴿عنهم حتى حين﴾ و كذا[2] فعل صلى الله عليه و سلم فانه حل بساحتهم يوم الفتح صباحا، فلم يقدروا على مدافعة[3].

و لما كابر بعضهم و دافع، لم يكن بأسرع من أن ولوا و طلبوا السلامة بالدخول فيما جعله صلى الله عليه و سلم علما على التأمين، و قال حماس بن قيس أخو[4] بنى بكر لما دخل بيته لامرأته: أغلقى علىّ الباب، فعيرته بالهزيمة بعد أن كانت تنهاه عن[5] منابذة المسلمين فلا ينتهى و يقول لها: [6] لابد، أن أخدمك بعضهم[7]:

إنك لو شهدت يوم الخندمه[8] إذ فر صفوان و فر عكرمه

---

(١) من مد، وفى الأصل و ظ و م: قول (٢) من ظ و م ومد، وفى الأصل: كذلك (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مدافعته (٤) من ظ و م ومد، و فى الأصل: آخر (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تهدده على. (٦) زيد فى الأصل: بل، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) زيد فى الأصل: شعر فى المعنى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها، و هذا الحدث و الأبيات الآتية قد ذكرها ابن هشام فى السيرة ٢ / ٢١٧ (٨) من ظ و م و مد و السيرة، و فى الأصل: الخدمة.

و استقبلتنا بالسيوف المسلمه[1] يقطعن كل ساعد و جمجمه

ضربا فلا يسمع إلا غمغمه لهم نهيت[2] خلقنا و همهمه

لم تنطق [3] فى اللوم[3] أدنى كلمه

و لما كان هذا منطبقا على يوم الفتح ، وكان ذلك اليوم قد أحل

٥ الكفار محلا صاروا به بحيث لا اعتبار لهم قال : ﴿ و ابصر ﴾ مسقطا ضميرهم ، أى أبصر ما تريد من شؤنك التى يهمك النظر فيها ، و أما هم[4] فصاروا بحيث لايبالى بهم [5]و لايفكر[5] فى أمرهم و لايلتفت إليهم ، فانا أبدلنا من عزتهم ذلا ، و من كثرتهم قلا ، و جردنا تلك الأراضى من قاذورات الشرك[6] ، و أحللنا [بها -[7]] طهارة التنزيه و أقداس

١٠ التحميد ، وكذا كان ، فانه صلى الله عليه و سلم قال لهم و هو على درج الكعبة و هم تحته كالغنم المجموعة فى اليوم المطير بعد أن قال[8] / « لا إله إلا الله وحده [9]لا شريك له[9] صدق وعده و نصر عبده [9]و أعز جنده و هزم[9] الأحزاب وحده » : ما تظنون أنى فاعل بكم[10] يا معاشر قريش ؟ قالوا : /٤٢٦

---

(١) هناك بعض المفارقات فى السيرة فى ترتيب الأبيات (٢) من ظ و م و مد و السيرة ، و فى الأصل : فمت - كذا (٣ - ٣) من م و مد و السيرة ، و فى الأصل و ظ : باللوم (٤) من م ومد ، و فى الأصل وظ : مهم (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان يكن (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المشركين (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : كان .

(٩-٩) ليس ما بين الرقمين فى ظ و م و مد (١٠) فى ظ و م و مد : فيكم .

خيرا، أخ كريم و ابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، و قال له صفوان بن أمية: اجعلنى بالخيار شهرين، قال أنت بالخيار أربعة أشهر، و لم يكلف أحدا منهم الإسلام حتى أسلموا بعد ذلك طوعا من عند آخرهم. و لما حاصر الطائف فعسرت عليه انصرف عنها، فما لبثوا أن أرسلوا إليه رسلهم و أسلموا فحسن إسلامهم و لم يرتد أحد منهم فى الردة، و هذا من معنى ﴿ فسوف يبصرون ﴾ .

و لما تقرر له سبحانه من العظمة ما ذكر، فكان الأمر أمره و الخلق خلقه، ثبت تنزهه عن كل نقص و اتصافه بكل كمال، فلذلك كانت[1] نتيجة [ذلك -[2]] الختم بمجامع التنزيه و التحميد [فقال -[3]]: ﴿سبحن ربك﴾ أى المحسن إليك بارسالك و إقامة الدليل الظاهر المحرر على صدقك بكل ما يكون من أحوال أعدائك من كلام أو سكوت، و تأييدك بكل قوة و إلباسك كل هيبة ﴿رب العزة﴾ [أى -[2]] التى[4] هو مختص بها - [بما -[2]] أفهمته الإضافة و أفاده شاهد الوجود و حاكم العقل، و قد علم بما ذكر فى هذه السورة أنها تغلب كل شىء و لا يغلبها شىء، و فى إضافة الرب إليه و إلى العزة[5] إشارة إلى اختصاصه صلى الله عليه و سلم و كل من وافقه فى أمره عن جميع الخلق بالعزة و إن رئى فى ظاهر الأمر غير ذلك ﴿عما يصفون ج﴾ مما يقتضى النقائص لما ثبت

---

(١) من م و مد، و فى الأصل وظ: كان (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) فى مد: الذى (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العز.

من ضلالهم و بعدهم عن الحق .

و لما قدم السلام على من شاء تخصيصه فى هذه السورة من رسله عمهم فقال عاطفا على " سبحٰن " : ﴿ و سلٰم ﴾ أى تنزه له و سلامة و شرف و فخر و علا ﴿ على المرسلين ﴾ أى الواصفين له بما هو له أهل ، الذين اصطفاهم ، الصافين صفا ، الزاجرين زجرا ، التالين ذكرا ، من البشر و الملائكة المذكورين فى هذه السورة[1] و غيرهم لأجل ما حكم لهم به سبحانه فى الأزل من العز و النصر ﴿ و الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله ﴾ أى الجامع لجميع الأسماء الحسنى التى[2] دل عليها مجموع خلقه ، و إلى ذلك أشار بقوله : ﴿ رب العٰلمين ﴾ فهو حينئذ الواحد المتعال ، الذى تنزه عن الأكفاء و الأمثال ، و النظراء و الأشكال ، فى كل شىء من الأقوال و الأفعال ، و الشؤن و الأحوال ، و لقد توافق آخرها - كما ترى - و أولها ، و تعانق مفصلها و موصلها - و الله الهادى [3]إلى الصواب[3] .

* * *

(١) فى ظ : السورتين (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد ، و كتب هنا بهامش م : وافق الفراغ من كتابة هذا الجزء على يد أبى البقاء عبد القادر بن محمد العربانى رابع محرم الحرام سنة ١٠٧٣ .

سورة صٓ[1]

[2]المقصود منها بيان ما ذكر فى آخر الصافات من أن جند الله هم الغالبون ـ و إن رئى أنهم ضعفاء، و إن تأخر نصرهم ـ غلبة آخرها سلامة للفريقين، لأنه سبحانه واحد لكونه محيطا بصفات الكمال كما أفهمه آخر الصافات من التنزيه و الحمد و ما معهما[3]، و على ذلك دلت تسميتها بحرف ٥ «ص» لأن مخرجه من طرف اللسان، و بين أصول الثنيتين السفليتين، و له من الصفات الهمس و الرخاوة و الإطباق و الاستعلاء و الصفير، فكان دالا على ذلك لأن مخرجه أمكن مخارج الحروف و أوسعها و أخفها و أرشقها و أغلبها. و لأن ما له من الصفات العالية أكثر من ضدها و أفخم و أعلى و أضخم، و لذلك ذكر من فيها من الأنبياء الذين لم يكن ١٠ على أيديهم إهلاك، / بل ابتلوا و عرفوا و سلمهم الله من أعدائهم من ٤٢٧ / الجن و الإنس، و إلى ذلك الإشارة بما روى عن ابن عباس[4] رضى الله عنهما و عن غيره من أن معناه: [الله ـ[5]] صادق فيما وعد، أو صدق محمد صلى الله عليه و سلم، أو صاد محمد صلى الله عليه و سلم قلوب الخلق و استمالها، و به قرأ أبو عمرو فى رواية شاذة على أنه فعل ماض من ١٥

(١) وهى ثمان و ثمانون آية فى الكوفى وست و ثمانون فى الحجازى و البصرى و الشامى، و خمس و ثمانون فى عد أيوب بن المتوكل وحده ـ راجع روح المعانى ٧ / ٣٢٦ (٢) زيد قبله فى الأصل: مقصودها الذكر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: معها. (٤) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٦/٣٤ (٥) زيد من ظ و م و مد.

الصيد ، و قرأ الحسن و غيره بكسر الصاد[1] على [2]أنه أمر[2] من المصاداة و هى المعارضة[3] أى[4] عارض بما أنزلناه إليك [5]الخلائقَ و[5] جادلهم به فانك تغلبهم لأن[6] الصدق سيف الله[7] فى أرضه ، ما[6] وضعه على شىء إلا قطعه . و قد انبسط هذا الصدق الذى أشار إليه الصاد على كل صدق فى الوجود فاستمال [كل -[8]] من فيه نوع من الصدق ، و لهذا قال فى السورة التى بعدها " و الذى جاء بالصدق و صدق به[9] " فذكر هؤلاء الأنبياء عليهم السلام شاهد وجودى على ما هو معنى الصاد عند العلماء الربانيين من أنه مطابقـــة ما بين الخلق و الأمر ، و تسمى سورة داود عليه السلام - كما قاله ابن الجوزى رحمه الله - و حاله صلى الله عليه و سلم أدل أحوال من فيها من الأنبياء على هذا المقصود ، لما كان فيه من الضعف أولا و الملك آخرا ﴿ بسم الله ﴾ الذى يعز من انتمى إليه و إن كان ضعيفا لأنه العزيز ﴿ الرحمن ﴾ الذى له القدرة التامة على أن يرحم بالضراء كما يرحم بالسراء ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الذى أكرم أهل وده ، بالإعانة على لزوم شكره و حمده .

و لما نزه ربنا سبحانه نفسه الأقدس فى ختام تلك عن كل شائبة

(١) راجع نثر المرجان ٦ / ٦١ (٢ - ٢) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد و نثر المرجان (٣) فى مد : المصادرة (٤) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م ، و هذا اللفظ مع ما يليه ساقط من مد (٥-٥) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : اى (٦) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انه (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) راجع آية ٣٣ .

نقص، و أثبت له كل كمال ناصا على العزة، و أوجب للرسلين السلامة، افتتح هذه بالإشارة إلى دليل ذلك بخذلان من ينازع فيه فقال: ﴿ص﴾ أى إن أمرك - يا من أمرناه باستفتاء العصاة آخر الصفت [و - ١] بشرناه بالنصر - [مهيأ - ٢] مع الضعف الذى أتم به الآن و الرخاوة والإطباق، و علو و انتشار يملأ الآفاق ﴿و القرآن﴾ أى الجامع ٥ - مع البيان لكل خير - لأتباع لايحصيهم العد[٣]، و لا يحيط بهم الحد. و لما كان [القسم - ١] لايليق و لا يحسن إلا بما يعتقد المقسم له شرفه قال: ﴿ذى الذكر﴾ أى الموعظة و التذكير بما يعرف، و العلو و الشرف و الصدق الذى لاريب فيه عند كل أحد، فكل من سمعه اعتقد شرفه و صدق الآتى به ليملأن شرفه المنزل عليه الأقطار، و ليزيدن[٤] على كل ١٠ مقدار، كما تقدمت الدلالة عليه بالحرف الأول، و الذين كفروا و إن أظهروا الشك فى ذلك و انتقصوه[٥] [قولا - ١] فانهم لاينتقصونه علما ﴿بل الذين كفروا﴾ بما يظهرون من تكذيبه ﴿فى عزة﴾ أى عسر و صعوبة و مغالبة بحمية الجاهلية [٦]مظروفون لها، فهى معمية لهم عن الحق لإحاطتها بهم، و أنثها إشارة إلى ضعفها، و بشارة بسرعة زوالها و انقلابها ١٥ إلى ذل[٦] ﴿و شقاق﴾ [أى - ٢] إعراض و امتناع و استكبار عن قبول الصدق من لسانى[٨] الحال الذى أفصح به الوجود، و القال الذى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العدد (٤) فى م: ليردن (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: تنقصوه (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تسافى.

صرح به الذكر فهداهم إلى ما هو فى فطرهم و جبلاتهم بارشق عبارة و أوضح إشارة لو كانوا يعقلون ، فأعرضوا عن تدبره عنادا منهم لا اعتقادا فانهم لايكذبونك [1] و لكن الظالمين بآيات الله يجحدون ، و تنكيرهما للتعظيم ، قال الرازى : حذف الجواب ليذهب فيه القلب كل مذهب ليكون أغزر و بحوره [2] أزخر - انتهى .

/ ٤٢٨ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : / لما ذكر تعالى حال الأمم السالفة مع أنبيائهم فى العتو و التكذيب ، و أن ذلك أعقبهم [3] الأخذ الوبيل و [3] الطويل ، كان هذا مظنة لتذكير حال مشركى العرب و بيان سوء مرتكبهم و أنهم قد سبقوا إلى ذلك الارتكاب ، فحل بالمعاند سوء العذاب ، فبسط حال هؤلاء [4] و سوء [4] مقالهم ليعلم أنه لافرق بينهم و بين مكذبى الأمم السالفة فى استحقاق العذاب و سوء الانقلاب ، و قد وقع التصريح بذلك فى قوله تعالى " كذبت قبلهم قوم نوح و عاد و فرعون ذو الاوتاد - إلى قوله : ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب " و لما أتبع سبحانه هذا بذكر استعجالهم فى قوله " عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب " أتبع ذلك بأمر نبيه صلى الله عليه و سلم بالصبر فقال " اصبر على ما يقولون " ثم آنسه بذكر الأنبياء و حال المقربين الأصفياء " و كلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك " - انتهى .

---

(١) فى ظ : لايكذبوك (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بحورة.
(٣ - ٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الويل (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : موسر .

و لما كان للعلم الذى أراد الله إظهاره فى هذا الوجود طريقان: حال و مقال، فأما الحال فهو ما تنطق به أحوال الموجودات التى أبدعها سبحانه فى هذا الكون من علوم يدرك منها من أراد الله ما أراد، و أما المقال فهو هـذا الذكر الذى هو ترجمة عن جميع الوجود، و كان سبحانه قد قـدم الذكر لأنه أبين و أظهر، و أخبر أنهم ٥ أعرضوا عنه و شاققوه[١]، و كان من شاقق الملك استحق الهلاك، و كان ما[٢] أبدوه من المغالبة أمرا غائظا[٣] للمؤمنين، أتبعه ما يصلح لتخويف[٣] الكافرين و ترجية المؤمنين مما[٤] أفصح به لسان الحال من إهلاك المنذرين، و هو أبين ما يكون من دلالاته، و أظهر ما يوجد من آياته، فقال استئنافا: ﴿ كم اهلكنا ﴾ و كأن المنادين بما يذكر كانوا بعض ١٠ المهلكين، و كانوا أقرب المهلكين إليهم فى الزمان، فأدخل الجار لذلك، فقال دالا على ابتداء الإهلاك: ﴿ من قبلهم ﴾ و أكد كثرتهم بقوله [مميزا -[٥]]: ﴿ من قرن ﴾ أى كانوا فى شقاق مثل شقاقهم، لأنهم كانوا فى نهاية الصلابة و الحدة و المنعة - بما دل عليه « قرن » . و لما تسبب عن مسهم بالعذاب دلهم[٦] قال [٧]جامعا على معنى « قرن » لأنه ١٥ أدل على عظمة الإهلاك[٧]: ﴿ فنادوا ﴾ أى بما كان يقال لهم: إنه سبب للنجاة من الإيمان و التوبة، [٨]و [٩]استعانوا بمن[٩] ينقذهم، أو فعلوا النداء

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شاققوا (٢) فى ظ: من (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل و ظ (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ما.
(٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ولهم.
(٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) العبارة من هنا إلى «لا فرار لهم» ص ٣٢٦ س ٣ ساقطة من م (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل و م: استغاثوا من.

ذعرا و دهشة من غير قصد منادى ، فيكون الفعل لازما ، و قال الكلبى[١] : كانوا إذا قاتلوا فاضطروا[٢] تنادوا «مناص» أى عليكم بالفرار ، فأجيبوا بأنه لا فرار لهم .

و لما قرر سبحانه فى غير موضع أن التوبة لاتنفع إلا عند التمكن و الاختيار لا عند الغلبة و الاضطراب ، قال تعالى مؤكدا لهذا المعنى فى جملة حالية بزيادة التاء التى أصلها هاء فى «لا» أو فى «حين» كما أكدوا بزيادتها فى رب و ثم ، و الهاء فى أراق [٣]و التاء فى[٣] مثال و الان فقالوا : [٤]ربت و ثمت[٤] و اهراق و تمثال و تالان ﴿و لات﴾ أى و ليس[٥] الحين ﴿حين مناص ٥﴾ أى فرارا بتحرك بتقدم و لا تأخر ، بحركة قوية و لا ضعيفة ، فضلا عن نجاة ، قال ابن برجان[٦] : و النوص يعبر به تارة عن التقدم و تارة عن التأخر و هو كالجماح[٧] و النفار من الفرس ، و نوص حمار الوحش رفعه رأسه كأنه نافر جامح .

و لما كان جعل المنذر منهم ليس محلا للعجب فعدوه[٦] عجبا لما ظهر

---

(١) راجع البحر المحيط ٧ / ٣٨٤ (٢) من البحر ، و فى الأصل و ظ : فاضربوا ، و فى مد : فاضطربوا (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل[٣] : التال - كذا (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ربه و اثمة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليت (٦) هو عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبى الرحال أبو الحكم . لغوى من أهل أشبيلية ، توفى سنة ٦٢٧ هـ - راجع معجم المؤلفين ٥ / ١٤٤ (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كالخارج . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فعدوا .

من

من تقسيمهم[١] القول فيه، عجب منهم فى قوله: ﴿ و عجبوآ ان ﴾ أى لأجل أن ﴿جآءهم﴾ [٢]و لما / كان تعجبهم من مطلق نذارته لا[٣] مبالغته فيها أتى[٤] ٤٢٩
باسم الفاعل دون فعيل [فقال -[٥]] : ﴿ منذر منهم ﴾ أى من البشر ثم من العرب [ثم -[٦]] من قريش و لم يكن من الملائكة مثلا[٧] وكان ينبغى [لهم -[٨]] أن لايعجبوا من ذلك فان كون النذير بما يحل من ٥ المصايب من القوم المنذرين - مع كونه أشرف لهم - أقعد فى النذارة لأنهم أعرف به و بما هو منطوٍ عليه من صدق و شفقة و غير ذلك، و هو الذى جرت به العوائد فى القديم و الحديث [٩]لكونهم إليه[٩] أميل، فهم لكلامه أقبل .

و لما كانوا أعرف الناس بهذا النذير صلى الله عليه و سلم فى أنه ١٠ أصدقهم لهجة و أعلاهم همة و أنه منفى عنه كل نقيصة و وصمة، زاد فى التعجيب بأن قال [١٠]معبرا بالواو دون الفاء لأن وصفهم له بالسحر ليس شبيه هذا العجب[١٠] : ﴿و قال﴾ و لما كانوا يسترون الحق مع معرفتهم إياه فهم جاحدون لاجاهلون، و معاندون لا غافلون، أظهر موضع الإضمار

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعنتهم (٢) العبارة من هنا إلى « دون فعيل » ساقطة من م (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لأن منه (٤) من مد ، و فى الأصل وظ : اى (٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و م ومد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بملا - كذا (٨) زيد من م و مد (٩ - ٩) من م و مد ، و فى الأصل : لكونه ، و فى ظ : لأنه (١٠ - ١٠) سقطما بين الرقمين من م .

إشارة إلى ذلك و إيذانا بشديد غضبه فى قوله : ﴿ الكٰفرون هٰذا ﴾ أى النذير .

و[1] لما كان ما يبديه من الخوارق إعجازا فعلا و قولا يجذب القلوب ، و كان أقرب ما يقدحون به فيه[2] السحر قذفوه [به -[3]] و لم يعبروا بصيغة مبالغة لئلا يكون ذلك إيضاحا جاذبا للقلوب إليه فقالوا : ﴿ سٰحر ﴾ أى لأنه يفرق بما أتى به بين المرء و زوجه ، فاعترفوا - مع نسبتهم له إلى السحر و هم يعلمون أنهم كاذبون فى ذلك - أن ما أتى به فوق ما لهم من القوى ﴿ كذاب ﴾ أى فى ادعائه أن[4] ما سحر به حق ليس هو كسحر السحرة ، و أتوا بوقاحة بصيغة المبالغة و قد كانوا [5]قبل ذلك يسمونه[5] الأمين و هم يعلمون أنه لم يتجدد له شىء إلا إتيانه بأصدق الصدق و أحق الحق مع ترقيه فى معارج الكمال من غير خفاء على أحد له أدنى تأمل .

و لما ذكر قولهم الناشئ عن عجبهم ، ذكر سببه ليعلم ان حالهم هو الذى يعجب منه لا حال من أنذرهم بقوله حاكيا قولهم إنكارا لمضمون ما دخل عليه : ﴿ اجعل ﴾ [6] أى صير بسبب ما يزعم أنه يوحى إليه[6] ﴿ الالهة ﴾ أى التى نعبدها ﴿ الها واحدا ﴾ و لما كان [6] الكلام فى الإلهية التى هى أعظم أصول الدين ، و كان[6] هو صلى الله عليه و سلم و كل من تبعه [بل -[7]] و كل منصف ينكرون أن يكون هذا عجبا .

---

(١) العبارة من هنا إلى « للقلوب إليه فقالوا » ساقطة من م (٢) فى ظ : فى .
(٣) زيد من مد (٤) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اى (٥-٥) فى م ومد : يسمونه قبل ذلك (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) زيد من م و مد .

بل العجب كل العجب ممن يقبل عقله أن يكون الإله أكثر من واحد ، أكدوا قولهم لذلك و إعلاما [1] لضعفائهم تثبيتا لهم [1] بأنهم على غاية الثقة و الاعتقاد لما يقولون ، لم يزلزلهم ما رأوا من منذرهم من الأحوال الغريبة الدالة و لا بد على صدقه ، فسموها سحرا لعجزهم عنها : ﴿ان هذا﴾ أى القول بالوحدانية ﴿لشيء عجاب ٥﴾ أى فى غاية العجب - بما دلت ٥ عليه الضمة و الصيغة ، [2] و لذلك قرئ شاذا بتشديد الجيم ، و هى [3] أبلغ ، قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى : فلا هم عرفوا الإله و لا معنى الإلهية ، فان الإلهية هى القدرة على الاختراع ، [و تقدير القادرين على الاختراع - [4]] غير صحيح لما يجب من وجود [5] التمانع بينهما و جوازه ، و ذلك يمنع من كمالهما ، و لو لم يكونا [كاملى الوصف لم يكونا - [4]] إلهين ، و كل أمر جر ١٠ ثبوته سقوطه فهو باطل مطرح [6] - انتهى . و ستأتى / الإشارة إلى الرد عليهم ٤٣٠ / بقوله " العزيز الوهاب " ثم بقوله "و ما من اله الا الله الواحد القهار" .

و لما كان العجب فكيف بالعجاب جديرا بأن يلزم صاحبه ليزداد الناظر عجبا ، بين أنهم فعلوا خلاف ذلك تصديقا لما نسبهم إليه من الشقاق فقال : ﴿ و انطلق ﴾ و لما كان ما فعلوه لايفعله عاقل ، فربما ١٥ ظن السامع ان المنطلق منهم أسقاط من الناس من غيرهم قال : ﴿الملا﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) العبارة من هنا إلى « هى أبلغ » ساقطة من م (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جود (٦) من ظ و م و مد . و فى الأصل : منطرح ، و هذه الكلمة قد تقدمت على « باطل » فى م و مد .

أى الأشراف، و قال: ﴿ منهم ﴾ أى لا من غيرهم فكيف بالأسقاط منهم و كيف بغيرهم، ثم حقق الانطلاق مضمنا له القول لأنه من لوازمه بقوله: ﴿ان امشوا﴾ أى قائلا كل منهم لذلك[1] آمرا لنفسه و لصاحبه بالجد فى المفارقة حالا و مقالا، [2]و إذا وقف على «ان» ابتدئ بكسر الهمزة[3]

٥ لأن أصله: امشيوا[4] فالثالث مكسور كما أنه لو قيل لامرأة: اغزى يبتدأ[5] بالضم لأن الأصل: اغزوى كاخرجى ﴿ و اصبروا على[3] آلهتكم ج ﴾ أى لزوم عبادتها و عدم الالتفات[6] إلى ما سواها، قال القشيرى: و إذا تواصى[7] الكفار فيما بينهم بالصبر على آلهتهم فالمؤمنون[8] أولى بالصبر على عبادة معبودهم و الاستقامة فى دينهم.

١٠ و لما كان كل منهم قد أخذ ما سمعه من النبى صلى الله عليه و سلم قلبه و سلب لبه، على ما أشار إليه «ذى الذكر بل» فهو خائف من صاحبه أن يكون قد استحال عن اعتقاد التعدد بما يعرف من تزحزحه فى نفسه، أكدوا قولهم: ﴿ ان هذا ﴾ أى الصبر على عبادة الآلهة ﴿ لشىء يراد ج ﴾ أى هو أهل[9] للإرادة فهو[10] أهل[11] لئلا ينفك عنه،

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كذلك (٢) العبارة من هنا إلى «كاخرجى» ساقطة من م (٣) زيد بعده فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: امشوا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: يبتدى (٦) فى مد: التفات (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: نواصى (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فالمؤمنين (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اصل (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ و م: هو.

أو

أو الذى يدعو إليه شيء يريده[1] هو و لا نعلم نحن ما هو على ما نحن عليه من الحذق، فهو شيء لا يعلم فى نفسه ،

و لما كان كأنه قيل: فما حال ما يقوله؟ قالوا جوابا واقفا مع التقليد و العادة التى وجدوا عليها أسلافهم: ﴿ما سمعنا بهـــذا﴾ أى الذى تذكره من الوحدانية ﴿فى الملة الأخرة﴾ و تقييدهم لها يدل على أنهم عالمون به فى الملة الأولى، و أنهم عارفون بأن إبراهيم عليه السلام و من وجد من أولاده الذين هم آباؤهم[2] إلى عمرو بن لحى[3] كانوا بعيدين من الشرك ملازمين للتوحيد و أنه لاشبهة لهم إلا كونه سبحانه لم يغير عليهم فى [4]هذه المدد الطوال[4]، وكانوا أيضا يعرفون البعث و لكنهم تناسوه، ذكر ابن الفرات فى تأريخه يوم حليمة من أيام العرب و قال: إن حجر بن عمرو آكل المرار [سار -[5]] إلى بنى أسد فقتلهم و سيرهم إلى تهامة فقال عبيد بن الأبرص من أبيات:

و منعتهم[6] نجدا فقد حلوا على [وحل[7] تهامه - [5]]
أنت المليك[8] عليهم و هم[9] العبيـــد إلى[9] القيامـــة

و روى الإمام أحمد[10] عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يرده (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: او باوهم - كذا (٣) زيدت الواو فى ظ (٤-٤) من م و مد، وفى الأصل و ظ: هذا المد الطويل، و العبارة من بعده إلى «القيامة» ساقطة من م (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: صعتهم (٧) ليس واضحا فى م (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الميلك - كذا (٩-٩) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من مد (١٠) فى مسنده ١ / ٤٤٦ .

عليه و سلم قال : إن أول من سيب السوايب و عبد الأصنام أبو خزاعة عمرو بن عامر و أنى رأيته يجر أمعاءه فى النار .[1] و روى الطبرانى[2] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : أول من غير دين إبراهيم عليه السلام عمرو بن لحى بن قمعة[3] . و روى البخارى فى فتح مكة[4] عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى / صلى الله عليه و سلم أخرج من البيت صورة إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام فى أيديهما الأزلام فقال : قاتلهم الله ! لقد علموا ما استقسما بها قط . فبطل ما يقال [من - ٥] أن أهل الفترة جهلوا جهلا أسقط عنهم اللوم ، و يؤيده ما فى الصحيح عن أنس رضى الله عنه أن رجلا قال : يا رسول الله ! أين أبى ؟ قال : فى النار ، فلما قفى [6]دعاه فقال[6] : إن أبى و أباك فى النار - أخرجه مسلم فى آخر كتاب الإيمان[7] . و قد مر فى سبحان فى قوله تعالى " و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " ما ينفع هنا ، و القاطع للنزاع فى هذا قوله " و لقد بعثنا فى كل امة رسولا ان اعبدوا الله و اجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله و منهم من حقت عليه الضلالة " فما تركت هذه الآية أحدا حتى شملته و حكمت عليه بالجنة أو النار .

٤٣١ / ٥

١٠

١٥

---

(١) العبارة من هنا إلى « بالجنة أو النار » س ١٦ ساقطة من م (٢) راجع مجمع الزوائد ١ / ١١٦ (٣) زاد فى المجمع : بن خندف أبو خزاعة (٤) راجع من صحيحه ٢ / ٦١٤ (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : قال (٧) راجع باب بيان أن من مات على الكفر فهو فى النار ١/١١٤ .

و لما

و لما كان قوله صلى الله عليه و سلم [وحده -[1]] جديرا بأن يزلزلهم فكيف إذا انضم إليه علمهم بأن أسلافهم لاسيما إسماعيل و أبوه إبراهيم عليهما السلام كانوا عليه[2]، أكدوا قولهم[3]: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هذآ ﴾ أى الذى يقوله ﴿الا اختلاق ۝ﷺ﴾ أى تعمد الكذب[4] مع أنه لاملازمة بين[5] عدم سماعهم فيها و بين كونه اختلاقا، بل هو قول يعرف معانيه بأدنى تأمل، روى الترمذى[6] - و قال: حسن صحيح - و النسائى[7] [و -[8]] ابن حبان فى صحيحه و أحمد[9] و إسحاق[10] و أبو يعلى و الطبرى[11] و ابن [أبى -[12]] حاتم[7] و غيرهم[13] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش، و جاءه النبى صلى الله عليه و سلم و عند أبى طالب مجلس رجل فقام[14] أبو جهل كى يمنعه، قال: و شكوه إلى أبى طالب - زاد النسائى فى الكبير[15] و أبو يعلى: و قالوا[16]: يقع فى آلهتنا

(١) زيد من م و مد (٢) سقط من ظ (٣) فى م: قوله (٤) العبارة من هنا إلى «بأدنى تأمل» ساقطة من م (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: عين (٦) راجع جامعه ٢ / ١٥٥ (٧) راجع الدر المنثور للسيوطى ٥ / ٢٩٥ حيث أخرج الحديث من رواية النسائى و ابن أبى حاتم و غيره (٨) زيد من ظ و م و مد.
(٩) راجع مسنده ١/٢٢٧ (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ابو اسحاق.
(١١) راجع تفسيره ١٩ / ٧١ [طبعة قديمة] (١٢) زيد من م ومد (١٣) مثلا ابن المنذر و الحاكم و ابن أبى شيبة و ابن مردويه - كما فى الدر المنثور.
(١٤) من مد و الجامع، و فى الأصل و ظ و م: فقال (١٥) فى م: الكبرى.
(١٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قال.

فقال: يا ابن أخي! ما تريد من قومك؟ قال: أريد منهم كلمة واحدة تدين لهم بها العرب و تؤدى إليهم العجم الجزية، قال: كلمة واحدة، [١]قال: كلمة واحدة[١]، فقال: و ما هي؟ فقال: يا عم، قولوا «لا إله إلا الله» فقالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا[٢] ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ٥ إن هذا إلا اختلاق، قال: فنزل فيهم القرآن «صٓ و القرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة و شقاق - إلى قوله: اختلاق» و فى التفاسير أنهم قالوا: كيف يسع الخلق كلهم[٣] إله واحد.

و لما كان مرادهم بهذه التأكيدات[٤] الدلالة على أنهم فى غاية الثبات على ما كانوا عليه قبل دعائه، و أبى الله أن يبقى باطلا بغير ١٠ إمارة يقرنه بها تفضحه، و سلطان يبطله و يهتكه، أتبع ذلك حكاية قولهم [الذى جعلوه دليلا على حرمهم، فكان -[٥]] دالا[٦] على عدم صدقهم فى هذا الحكم الجازم غاية الجزم بالاختلاق[٧] المنادى عليهم بأن أصل دائهم و الحامل لهم على تكذيبهم إنما هو الحسد، فقال[٨] [دالا بتعبيرهم بالإنزال على أنه صلى الله عليه و سلم كان جديرا بأن ١٥ يتوهم فيه النبوة بما كان له قبل الوحى من التعبد و الأحوال الشريفة

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م و مد و الجامع، و فى الأصل: واحد (٣) سقط من م (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التأكيد (٥) زيد من مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: الدال (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باختلاف (٨) زيد فى الأصل و ظ و م: حاكيا، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.

و قدموا ما يدل على اختصاصه عنادا لما يعلمون من أحواله المقتضية للخصوصيـــة بخلاف ما يذكر فى القمر، و عبروا بحرف الاستعلاء إشارة إلى أن مثل هذا الذى يذكره لايقوله إلا من غلب على عقله فقالوا -[١]] : ﴿ اءنزل عليه﴾ أى خاصة ﴿ الذكر ﴾ [أى -[٢]] الذى خالف ما نحن عليه و صار يذكر به، [و زادوا ما دلوا به على الاختصاص ٥ تصريحا فقالوا - [١]] : ﴿ من بيننا[٣] ﴾ و نحن أكبر سنا و أكثر شيئا، و هذا كله كما ترى مع مناداته عليهم بالحسد العظيم ينادى عليهم غاية المناداة بالفضيحة، لأنـــه إن كان المدار على رعاية حق الآباء حتى لايسوغ لأحد تغيير دينهم و الطعن عليهم بدين محدث و إن قامت عليه الأدلة و تعاضدت على حقيته البراهين فما لآبائهم غيروا دين آبائهم لأجل ١٠ ما أحدثه عمرو بن لحى - شخص ليس من قبيلتهم، و شهدوا على آبائهم بالضلال و هم عالمون بأن ما غيروه دين إسماعيل و من قبله إبراهيم و من تبعهما من صالحى أولادهما عليهم السلام، و إن كان المدار على المحدث حتى ساغ تغيير دين الأنبياء[٣] و من تبعهم باحسان عليهم السلام بما أحدثه عمرو بن لحى / فما لهم لايغيرون[٤] ما ابتدع من الضلال بما آتاهم به النبى ١٥ / ٢- صلى الله عليه و سلم و سموه محدثا، و إن كان المدار على الحق فما لهم لاينظرون الأدلة و يتبعون الحجج .

و لما كان هذا دالا على أنهم ليسوا على ثقة مما جزموا به قال[٥] :

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الاباء (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لايغير (٥) فى ظ : قالوا .

﴿ بل ﴾ أى إنهم ليسوا جازمين بما قالوا و إن أكدوه غاية التأكيد ، بل ﴿هم فى شك﴾ أى تردد[1] محيط بهم [2]مبتدئ لهم[2] ﴿من ذكرى ج﴾ [أى -[3]] فلهذا لايثبتون [فيه -[3]] على قول واحد ، أى إن أحوالهم فى أقوالهم و أفعالهم أحوال الشاك . [4]و عدل عن مظهر العظمة إلى الإفراد لأن هذا السياق للتوحيد فالإفراد[5] أولى به و ليكون[6] نصا على المراد بعد ذكر آلهتهم قطعا لشبه متعنتيهم .

و لما كانوا[7] فى الحقيقة على ثقة من حقيقته[8] و إن كان قولهم و فعلهم قول الشاك قال: ﴿ بل ﴾ أى ليسوا فى شك منه فى نفس الأمر و إن كان قولهم قول من هو فى شك . و لما كانوا قد جرت لهم مصايب و محن ، و شدائد [1]و فتن[1] ، ربما: ظنوا أنه[9] لايكون شيء من العذاب فوقها ، نفى ان يكونوا ذاقوا شيئا من عذابه الذى يرسله عند إرادة الانتقام ، فعبر بما يفيد استغراق النفى فى جميع الزمن الماضى فقال: ﴿ لما يذوقوا ﴾ من أول أمرهم إلى الآن ﴿ عذاب[5] ﴾ أى الذى أعددته للمكذبين فهم فى عزة و شقاق ، و لو ذاقوه لانحلت عرى عزائمهم ، و صاروا أذل شيء و أحقره أدناه و أصغره ! [1]و إطباق[1]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) زيد من م و مد (٤) العبارة من هنا إلى « لشبه متعنتيهم » ساقطة من م (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فالايراد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : يكون . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان هولا (٨) فى م : حقيته (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : أن .

[1]أهل الرسم و أكثر القراء على حذف يائه رسما و قراءة إشارة إلى أنه العذاب الأدنى المذهب لحمية الجاهلية، و إثبات يعقوب وحده لها فى الحالين إشارة إلى أنه العذاب المعد لإهلاك الأمم الطاغية لا مطلق العذاب[1] .

و لما أرشد إنكارهم خصوصيته بالذكر بنفى[2] شكهم اللازم منه إثبات أنهم على علم بأنه مرسل، و أنه أحقهم بالرسالة إلى [أن -[3]] التقدير : أفيهم غيره من هو أهل لتلقى هذا الذكر حتى ينزله الله عليه و يترك هذا البشير النذير صلى الله عليه و سلم، عادل به قوله : ﴿ ام عندهم ﴾ أى خاصة دون غيرهم ﴿خزآئن رحمة﴾ [4]و لما كان إنزال الوحى إحسانا إلى المنزل عليه، عدل[5] عن إفراد الضمير إلى صفة الإحسان المفيدة للتربية، فقال مخاطبا له صلى الله عليه و سلم لأنه أضخم لشأنه، و أفخم لمقداره و مكانه : ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزاله ليخصوا[6] به من شاؤا و يمنعوا من شاؤا "اهم يقسمون رحمة ربك" و لما كان لا يصلح للربوبية إلا الغالب لكل ما سواه، المفيض على من يشاء، ما يشاء، [7]قال : ﴿ العزيز الوهاب ﴾ [أى -[8]] الذى يغلب كل شىء و لا يغلبه شىء، و يفيض [1]على جهة التفضل[1] ما يشاء على من يريد، و له صفة الإفاضة

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) من م ومد، و فى الأصل و ظ : يتقى .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) العبارة من هنا إلى « لمقداره و مكانه » ساقطة من م (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : دل (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لحصوا - كذا (٧) العبارة من هنا إلى « التفضل ما يشاء » ساقطة من مد (٨) زيد من م .

متكررة الآثار على الدوام ، فلا معطى لما منع و لا مانع لما أعطى .

و لما سلب عنهم التصرف فى الخزائن ، أتبعه نفى الملك عما شاهدوا منها و هو جزء يسير جدا فقال : ﴿ ام لهم ﴾ أى خاصة ﴿ ملك السمٰوٰت و الارض ﴾ و لما كان الحكم على ذلك لايستلزم الحكم على الفضاء قال : ﴿ و ما بينهما ﴾ أى لتكون كلمتهم فى هذا الكون هى النافذة و يتكلموا فى الأمور الإلهية و يسندوا ما شاؤا من الأمور الجليلة إلى من شاؤا ، ثم بين عجزهم و بكتهم و قرعهم و وبخهم بما سبب عن ذلك من قوله : ﴿ فليرتقوا ﴾ أى يتكلفوا الرقى إن كان لهم / ذلك ﴿ فى الاسباب ﴾ أى الطرق الموصلة إلى السماء ليستووا على العرش الذى [هو -[1]] أمارة الملك فيدبروا العالم فيخصوا من شاؤا بالرسالة ليعلم أن لهم ذلك و أنه لايسوغ لأحد أن يختص دونهم بشىء .

/ ٤٣٣

و لما انتفى عنهم بما مضى و عن كل من يدعون مما لآلهته و مناصرته من آلهتهم و غيرها خصائص الإلهية ، أنتج ذلك[2] أنهم من جملة عباده سبحانه ، فعبر عن حالهم بأعلى ما يصلون إليه من التجمع و التعاضد الذى دل عليه ما تقدم الإخبار عنه من عزتهم و شقاقهم ، و نفرتهم عن القبول و انطلاقهم ، [3]فقال مخبرا عن مبتدأ حذف[4] لوضوح العلم به :

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) العبارة من هنا إلى « لوضوح العلم به » ساقطة من م . (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : محذوف .

﴿ جند ما ﴾ أى ليسوا فى شىء مما مضى وإنما هم جند حقيرون من بعض جنودنا [1]متعاونون فى نجدة بعضهم لبعض[1]، قال أبو حيان[2]: و يجوز ان تكون « ما » صفة أريد بها[3] التعظيم على سبيل الهزء [بهم -[4]] أو[5] التحقير لأن « ما » الصفة تستعمل لهذين المعنيين . و بين بعدهم عن غير ما أقامهم فيه و استعملهم له من الرتب[6] التى فرضها لهم و سفولهم عنها بقوله [1]واصفا لجند[1]: ﴿هنالك﴾ أى فى الحضيض عن[7] هذه المرامى العالية، و بين أنه كثيرا ما تحزب أمثالهم على[8] الرسل فما ضروا إلا أنفسهم بقوله واصفا[9] بعد وصف مفردا تحقيرا: ﴿ مهزوم ﴾ أى له الانهزام [صفة -[10]] راسخة ثابتة ﴿من الاحزاب ٥﴾ أى الذين[11] جرت عادتهم عزة و شقاقا بالتحزب على الأنبياء ثم تكون عليهم الدائرة[12]، و للرسل[13] عليهم [السلام -[14]] العاقبة، فلا تكترث بهم أصلا، قال ابن برّجان: فكان أول جند مهزوم منهم جند غزوة بدر، ثم انبسط

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) فى البحر المحيط ٣٨٦/٧ (٣) فى البحر: به (٤) زيد من البحر (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م « و » (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الترتب (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: وصفا، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من م إلى « تحقيرا ». (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: الذى. (١٢) فى مد: الدبرة (١٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المرسل. (١٤) زيد من م و مد.

صدق الحديث على جنود كثيرة فى وقائع مختلفة .

و لما أوجب[1] ذلك التشوف إلى بيان الأحزاب الماضية ، و كانوا أحقر شيء بالنسبة إليه سبحانه مع شدتهم فى أنفسهم ، بين ذلك بالتاء الدالة على الرتبة الثانية المؤخرة ، و هى رتبة التأنيث اللازم منه الضعف

٥ فقال : ﴿ كذبت ﴾ [و لما كانت نيتهم التكذيب لا إلى آخر ، عدّوا مستغرقين للزمان فنزع الجار و قيل -[2]] : ﴿قبلهم﴾ أى مثل[3] تكذيبهم .

و لما كان لأول المكذبين من الكثرة و القوة و الاجتماع على طول الأزمان ما لم يكن لمن بعدهم ، كانوا مع تقدمهم فى الزمان أحق بالتقديم فى هذا السياق فقال : ﴿ قوم نوح ﴾ و استمروا فى عزتهم و شقاقهم

١٠ إلى أن رأوا الماء قد أخذهم ، و لم يسمحوا بالإذعان و لا بالتضرع إلى نوح عليه السلام فى أن يركبوا معه أو[4] يدعو لهم فينجوا[5] .

و لما كان لقوم هود عليه السلام بعدهم من الضخامة و العز ما ليس لغيرهم مع قوة الأبدان و علو الهمم و اتساع الملك حتى بنوا جنة فى الأرض ، أتبعهم بهم ، و من مناسبتهم لهم فى أن عذابهم بالريح التى

١٥ هى سبب السحاب الحامل للماء فقال : ﴿و عاد﴾ مسميا لهم بالاسم المنبه على ما كان لهم من المكنة بالملك ، و استمروا فى شقاقهم إلى أن خرجت عليهم الريح ، و رأوها تحمل الإبل فيما بين السماء و الأرض ، و هجم

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وجب (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : قبل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل و مد « و » .
(٥) فى م و مد : لينجوا .

عليهم أوائلها و هم يرون[1] هودا عليه السلام و من معه من المؤمنين رضى الله عنهم فى عافية منها ، و لم يدعهم[2] الشقاق يسألونه فى الدعاء لهم و لا يذعنون لما دعاهم إليه .

و لما كان لهم من القوة و الملك فى جميع الأرض و بناء إرم ذات العماد ما يتضاءل معه ملك كل ملك ، أتبعهم ملكا ضخما قهر غيره بعز سلطانه و كثرة / أعوانه ، حتى ادعى الإلهية فى زمانه ، و تكبر بسعة ملكه و الأنهار الجارية من تحته مع[3] ما له من الوفاق لهم بأن عذابه كان بالريح باطنا و إن كان بالماء ظاهرا ، و ذلك أن موسى عليه السلام لما ضرب البحر أرسل الله الريح ففرقته طرقا[4] و أيبست تلك الطرق ، و لما خلص[5] بنو إسرائيل أمرها الله تعالى فسكنت ، فانطبق البحر على فرعون و آله ، فقال تعالى : ﴿ و فرعون ﴾ ذكره باسمه نصا على حقيقة أمره و تصريحا بكفره إبطالا لما أظهره بعض الأخابث من شره طعنا فى الدين و تشكيكا لضعفاء[6] المسلمين .

/ ٤٣٤ /

و لما نص على كفره ، وصفه[7] بما يدل مع الدلالة على مشاركة عاد فى ضخامة الأمر على كفر قومه فقال : ﴿ذوا الاوتاد ۝﴾ أى الأسباب الموجبة لثبات الملك و تقويته من علو السلطان بكثرة الأعوان و التفرد

(١) فى مد : يريدون (٢) زيدت الواو فى م (٣) فى ظ : من (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : فرقا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : خاض . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لضعف (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وضعفه .

بالأوامر و سعة العقل و دقة المكر و كثرة الحيل بالسحر و غيره و جودة التدبير بالعدل فيما يزعم و صولة القهر ، قال أبو حيان[1] : و أصله من[2] البيت المطنب بأوتاده[3] - قال الأفوه الأودى[4] :

و البيت لا يبتنى[5] إلا له عمد و لا عماد إذا لم ترس أوتاد

٥ و استمروا فى عزة و شقاق و هم يضربون تارة بالطوفان و تارة بالجراد و تارة بالقمل ، و أخرى بالضفادع و بغير ذلك ، إلى أن رأوا آية البحر التى هى الغاية و لم يردهم شىء من ذلك عن شقاقهم إلى أن غرقوا على كفرهم عن بكرة أبيهم كما صرحت به هذه الآية .

و لما كانت ثمود أضخم الناس بعدهم بما[6] لهم من إتقان الأبنية فى

١٠ الجبال و السهول و التوسع بعمارة الحدائق و إنباط العيون و غير ذلك من الأمور ، مع مناسبتهم لهم فى رؤية[7] الآيات المحسوسة الظاهرة العظيمة أتبعهم بهم فقال : ﴿ و ثمود ﴾ و استمروا فيما هم فيه إلى أن رأوا علامات العذاب من صفرة الوجوه ثم حمرتها ثم سوادها ، و لم يكن لهم فى ذلك زاجر يردهم عن عزتهم و شقاقهم .

١٥ و لما كان الحامل لثمود على المعصية الموجبة العذاب النساء لأن عاقر الناقة ما اجترأ على عقرها إلا لامرأة منهم جعلت له على عقرها

---

(١) فى البحر المحيط ٧/٣٨٦ (٢) زيد فى البحر : ثبات (٣) من مد و البحر ، و فى الأصل و ظ و م : باوتاد (٤) فى البحر : العوذى (٥) من م و مد و البحر ، و فى الأصل و ظ : لا يبغى (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مما (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رواية .

زواجها

زواجها، و كان الموجب لعذاب قوم لوط إتيان الذكور، فالجامع بينهم شهوة الفرج مع الطباق بالذكور و الإناث، و[1] مع أن عذاب ثمود برجف ديارهم، و عذاب قوم لوط بقلع مدائنهم و حملها ثم قلبها، أتبعهم بهم فقال معبرا بما يدل على قوتهم [مضيفا لهم إلى نبيهم عليه السلام لأنهم عدة مداين ليس لهم اسم جامع كقوم نوح عليه السلام - [2]]: ٥ ﴿ وقوم لوط ﴾ [أى -[3]] الذين لهم قوة القيام بما يحاولونه و استمروا فى عزتهم و شقاقهم حتى ضربوا بالعشا و طمس الأعين، و لم يقدروا على الوصول إلى ما أرادوا من الدخول إلى بيت لوط عليه السلام و لا التمكن مما أرادوا و لم يردهم[4] ذلك عن عزتهم و شقاقهم، بل توعدوه بطلوع النهار. ١٠

و لما ذكر أهل المدر، أتبعهم طائفة من أهل الوبر يقاربونهم[5] فى الاستعصاء بالشجر[6]، مع أن عذابهم بظلة النار[7] كما كان لقوم لوط عليه السلام حجارة من نار فقال: ﴿ و اصحٰب لْـَٔيْكَةِ ﴾ ثم عظم أمرهم تهوينا لأمر قريش و ردعا لهم بالحث على استحضار عذابهم فقال: ﴿ اولٰـٓئك ﴾ أى العظماء فى التجند و الاجتماع على من يناوونه ﴿ الاحزاب ﴾ أى ١٥ الذين أقصى رتب هؤلاء فى المخالفة أن يكونوا مثل حزب منهم.

(١) سقطت الواو من ظ (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل و ظ: عن، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) فى ظ: يفارقونهم (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالسحر (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: النهار.

/ ٤٣٥ و لما / كان فى معرض المعارضة لتألبهم و شقاقهم، و تجمعهم على المناواة باطلا و اتفاقهم ، و لما كانوا لما عندهم من العناد و حمية الجاهلية ربما أنكروا أن يكون هلاك هؤلاء الأحزاب لأجل التكذيب، و قالوا : هو عادة الدهر فى الإهلاك و التخالف فى أسباب الهلاك ، قال مؤكدا ٥ بأنواع التأكيد: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ كل ﴾ من هذه الفرق كان لهلاكه سبب من الأسباب ﴿ الا ﴾ أنه ﴿ كذب الرسل ﴾ أى كلهم بتكذيب رسوله ، فان من كذب رسولا واحدا مع ثبوت رسالته فقد استهان بمن أرسله ، و ذلك ملزوم لتكذيب جميع من يرسله لتساوى أقدام المعجزات التى ثبتت[1] رسالتهم بها فى إيجاب التصديق ﴿ فحق ﴾ أى ١٠ فتسبب عن ذلك التكذيب أنه حق ﴿عقاب ع﴾ أى ثبت عليه فلم يقدر على التخلص منه بوجه من الوجوه [و العدول إلى إفراد الضمير مع أسلوب التكلم لأن المقام للتوحيد كما مضى و هو أنص على المراد ، و تقدم السر فى حذف الياء رسما فى جميع المصاحف ، و قراءة عند أكثر القراء و فى إثباتها فى الحالين ليعقوب وحده -[2]] .

١٥ و لما كان السياق للشقاق و الإذعان للذكر الذى هو الموعظة ذات الشرف :

و لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

كان الحال مقتضيا للعقوبة بخلاف ما فى " ق " فان السياق لإنكارهم البعث

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تثبت (٢) زيد من مد .

و صحة النذارة و إثبات المجد، فكان الوعيد فى ذلك كافيا .

و لما كان التقدير: فلقد أعقبنا كلا من أولئك الأحزاب لما حق عليهم العقاب بنوع من الأنواع لا شك فيه عند أحد و لا ارتياب، عطف عليه قوله: ﴿و ما﴾ و لما كانت قريش فى شدة العناد و التصميم على الكفر و الاستكبار عن الإذعان للحق و تعاطى جميع أسباب العذاب ٥ كأنهم ينتظرونه[1] و يستعجلونه، عبر بما يدل على الانتظار . و لما كانوا لمعرفتهم بصدق الآتى إليهم و القطع بصحة ما يقول كأنهم يرون[2] العذاب و لا يرجعون، جرد [3]فعل الانتظار[3] فقال[4]: ﴿ينظر[5]﴾ و حقرهم بقوله: ﴿[6]هؤلاء﴾ أى الذين أدبروا عنك فى عزة و شقاق، غاية جهدهم أن يكونوا من الأحزاب الذين تحزبوا على جندنا فأخذناهم بما هو مشهور ١٠ من وقائعنا و معروف من أيامنا بأصناف العذاب، و لم تغن عنهم كثرتهم و لا قوتهم شيئا و لم يضر جندنا ضعفهم و لا قلتهم ﴿الا صيحة﴾ و حقر أمرهم بالإشارة إلى أن أقل شىء من عذابه كافٍ فى إهلاكهم فقال: ﴿واحدة﴾ و لما كان السياق للتهديد فعلم به ان الوصف بالوحدة[6] للتعظيم، بينه بقوله: ﴿ما لها﴾ أى الصيحة ﴿من فواق[5]﴾ أى مزيد أىّ شىء ١٥ من جنسها يكون فوقها، يقال: فاق اصحابه فوقا و فواقا: علاهم، و قرأه

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ينظرونه (٢) من م ومد، وفى الأصل و ظ: يردون (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) سقط من م (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالواحدة .

حمزة بالضم[1] فيكون كناية عن سرعة الهلاك بها من غير تأخر أصلا، فان الفواق كغراب ما يأخذ المحتضر[2] عند النزاع، و المعنى أنه لايحتاج في إهلاكهم إلى زيادة على الصيحة الموصوفة لأنه [لا -[3]] صيحة فوقها، ففي ذلك تعظيم أقل شيء من عذابه و تحقير أعلى شيء من أمرهم

٥ و يجوز أن تكون القراءتان من فواق الحلب، قال الصغاني[4]: [و الفواق و الفواق أي بالضم و الفتح: ما بين الحلبتين من الوقت -[3]] لأنها تحلب ثم تترك سريعة يرضعها الفصيل / [لتدر. قال في القاموس -[5]]: أو ما بين فتح يدك و قبضها على الضرع، فالمعنى: ما لها من رجوع كما يرجع اللبن في الضرع عند الفواق و كما يرجع المريض بالإفاقة من المرض إلى

٤٣٦ /

١٠ الصحة، أو ما لها من انفصال و افتراق بقدر ما يتنفس فيه أحد أقل تنفس و أقصره زمنا كما هي عادة الأصوات المألوفة يكون فيها ترجيع[6] يوجب في الصوت تقطعا يصير به وقعه ضعيفا فاترا، و اعتماده على مخرجه رخوا، بل هي صماء على نمط واحد لا تفجأ أحدا إلا مات إلا من ثبته الله تعالى، و يجوز أن يكون من فواق[7] المحتضر، أي [أنه -[3]] ليس

١٥ فيها مقدمة للموت غير قرع الصوت، و هذا موافق لقولهم: [ما لها -[3]]

(١) راجع نثر المرجان ٦/٧٣ (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: المختصر. (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: الصنعاني (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: ترجع (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: فوات.

من

من نظرة[1] و راحة ـ و الله اعلم .

و لما عجب منهم بما مضى ، و أبطل شبههم و عرفهم أنهم قد عرضوا أنفسهم للهلاك تعريضا قريبا ، أتبع ذلك [2]تعجيبا أشد[2] من الأول فقال : ﴿و قالوا﴾ أى استهزاء غير هائبين ما هددناهم به و لاناظرين فى عاقبته : ﴿ربنا﴾ أى أيها المحسن إلينا ﴿عجل لنا﴾ أى إحسانا إلينا ﴿قطنا﴾ ٥ أى نصيبنا من العذاب الذى توعدنا به و كتابنا الذى كتبت فيه ذلك و أحصيت فيه[3] أعمالنا ، [و أصله من قط الشيء - إذا قطعه ، و منه قط القلم ، و أكثر استعماله فى الكتاب ـ[4]] .

و لما كان المراد بهذا المبالغة فى الاستهزاء بطلب العذاب فى جميع الأزمان التى بينهم و بين القيامـــة ، أسقطوا حرف الجر[5] و قالوا : ١٠ ﴿قبل يوم الحساب﴾ فجعلوا جميع الزمان[6] الذى بينهم و بينه ظرفا لذلك ، و جعلوا تعجيله من الإحسان ليهم دلالة على الإعراق فى الإستهزاء ، و عبر بالقط زيادة فى التنبيه على ركوب الهوى من غير دليل فان مادته دائرة فى الأغلب على ما يكره ، [و ـ[7]] اشتقاقه من القط و هو القطع ، فالقط النصيب [و الصك ـ[7]] و كتاب المحاسبة لأنه قطعة من الورق ، ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قطرة (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تعجبا اكثر (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيها (٤) زيد من مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الجد (٦) فى ظ : الأزمان . (٧) زيد من ظ و م و مد .

و الحساب قطعة من الأمور، و هو يقطع[1] فيه بما هو له، و الساعة - لأنها قطعة من الزمان، و تقطقط الرجل: ركب رأسه[2] أى تبع هواه الذى هو قطعة من أمره، و جاءت الخيل قطاقط[3] أى قطعا و جماعات فى تفرقه، و القط: القطع، و القطط: القصير الجعد، و الطقطقة[4]: حكاية صوت الحجارة، فكأنهم قالوا: [عجل -[5]] من ذلك ما يكون مقطوعا به لاشك فيه و يسمع صوته على غاية الشدة فيهلك و يفرق بين الأحباب و يكتب فى كل صك، و يتلى خبره فى سائر الأحقاب، فان ذلك هو أنا لا نرجع عنه لشىء[6] أصلا، فسبحان الحليم الذى أكرمنا و رحمنا بنبى الرحمة، فلم يعجل لنا النقمة، و أقبل بقلوبنا إليه، و قصر هممنا بعد أن كانت فى أشد بعد عليه. و لما بلغ السيل[7] - فى ركوبهم الباطل عنادا - الزبى[8]، و تجاوز فى طغيانه رؤس الربى، و كان سؤالهم فى تعجيل العذاب استهزاء مع ما قدموا من الإكذاب، و الكلام البعيد عن الصواب، ربما اقتضى أن يسئل فى تعجيل ما طلبوا، و ربما أوقع فى ظن أن إعراضهم و الابتلاء بهم ربما كان لشىء فى البلاغ أو المبلغ، بين تعالى أن عادته الابتلاء للصالحين رفعة لدرجاتهم، فقال تعالى مسليا و معزيا و مؤسيا لهذا النبى الكريم صلى الله عليه و سلم بمن[9] تقدمه من إخوانه الأنبياء

(١) من ظ و م ومد، وفى الأصل: يقع (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: رايه (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قطاط (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: القطقطة (٥) زيد من م و مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: بشىء (٧) من مد، و فى الأصل و ظ وم: السبيل (٨) فى الأصل و ظ بياض، ملأناه من م و مد (٩) من ظ و م ومد، و فى الأصل: عمن.

و المرسلين، مذكرا له بما قاسوا[1] من الشدائد و ما لاقوا من المحن، و حاثا على العمل بأعمالهم آمرا بالتأنى و التؤدة و الحلم، و محذرا من العجلة و التبرم و الضجر، و بدأ بأهل الشرف لأن السياق لشرف القرآن الذى يلزم منه شرف صاحبه، تعريفا بأنه لايلزم / من الشرف الراحة فى الدنيا، ٤٣٧/
و منبها على أن شرفه محوج عن قرب بكثرة الأتباع إلى الحكم بين ذوى ٥
الخصومات و النزاع الذى لا قوام له إلا بالحلم و الأناة و الصبر، و بدأ من أهل الشرف بمن كان أول أمره مثل أول [أمر - [2]] هذا النبى الكريم فى استضعاف قومه له[3] و آخر أمره ملكا ثابت الأركان مهيب السلطان، ليكون حاله مثلا له فيحصل به تمام التسلية: ﴿ اصبر ﴾ و أشار بحرف الاستعلاء إلى عظيم الصبر فقال: ﴿ على ما ﴾ و زاد فى الحث ١٠
عليه بالمضارع فقال: ﴿ يقولون ﴾ أى يجددون قوله فى كل حين من الأقوال المنكية[4] الموجعة المبكية[5]، فانه ليس لنقص فيك، و لكنه لحكم تجل عن الوصف، مدارها زيادة شرفك و رفعة درجاتك، [و صرف الكلام إلى مقام العظمة لاقتضاء ما يذكر من التسخير لذلك - [6]]: ﴿ و اذكر عبدنا ﴾ أى الذى أخلصناه لنا و أخلص نفسه للنظر إلى عظمتنا ١٥
و القيام فى خدمتنا، [و أبدل منه أو بينه بقوله - [6]]: ﴿ داوٗد ذا الايد ﴾ أى القوى[7] العظيمة فى تخليص نفسه من علائق الأجسام، فكانت قوته

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قاموا (٢) زيد من م و مد (٣) سقط من مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المكنية (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المبكتة (٦) زيد من مد (٧) فى م و مد: القوة.

فى ذلك سببا لعروجه إلى المراتب العظام .

و لما كان أعظم الجهاد الإنقاذ من حفائر الهفوات و أوامر الشهوات ، بالإصعاد[1] فى مدارج[2] الكمالات ، و معارج الإقبال ، و كان ذلك لايكاد يوجد فى الآدميين لما حفوا به من الشهوات و ركز فى طباعهم من الغفلات ، علل قوته بقوله مؤكدا : ﴿ انه اواب ﴾ أى رجاع إلى الله تعالى ليصير إلى ما خلقه عليه من أحسن تقويم بالعقل المحض أطلق العلو درجة درجة على الرجوع ، لأن ذلك دون الرتبة التى تكون نهاية عند الموت ، فكان المقضى له بها أنزل نفسه عنها ، ثم صار يرجع إليها كل لحظة بما يكابد من المجاهدات و المنازلات و المحاولات حتى وصل إليها بعد التجرد عن الهوى كله . و لما كان الإنسان لايزال يتقرب إلى[3] الله تعالى حتى يحبه فاذا أحبه صار يفعل به سبحانه ، و ظهرت على يديه الخوارق ، قال مستأنفا جوابا لمن سأل عن جزائه[3] على ذلك الجهاد ، مؤكدا له لما طبع عليه البشر من إنكار الخوارق [4]لتقيده بالمألوفات[4] : ﴿ انا ﴾ أى [5]على ما[5] لنا من العظمة التى لايعجزها شىء ﴿ سخرنا الجبال ﴾ أى التى هى أقسى من قلوب قومك فانها أعظم الأراضى صلابة و قوة و علوا و رفعة . بأن جعلناها منقادة ذلولا كالجمل الأنف ، ثم قيد ذلك بقوله : ﴿ معه ﴾ أى مصاحبة له فلم يوجد ذلك التسخير

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى الاصعاد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : مدارجات (٣) سقط من ظ (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليعيد صالمالوفات (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما .

ظاهرا لأحد بعده و لا قبله . و لما كان وجود التسبيح من الجبال شيئا فشيئا أعجب لأنها جماد[1]، عبر بالفعل المضارع، فقال مصورا لتلك الحال[2] [معبرا بضمير الإناث إشارة إلى أنها بعد ما لها من الصلابة صارت فى غاية اللين و الرخاوة، يسبح كل جبل منها بصوت غير مشبه بصوت الآخر، لأن ذلك أقرب إلى التمييز و العلم بتسبيح كل على انفراده - [3]] : ٥ ﴿يسبحن﴾ [و لم يقل: « مسبحة » أو « تسبح » لئلا يظن أن تسبيحها بصوت واحد ليشكل الأمر فى بعضها - [3]]، و هو يمكن أن يكون استئنافا و أن يكون حالا بمعنى أنهن ينقدن له بالتسبيح قالا و حالا انقياد المختار المطيع لله .

و لما كان فى سياق الأوبة، و كان آخر النهار وقت الرجوع لكل ١٠ ذى إلف إلى مألفه مع أنه وقت الفتور [و -[4]] الاستراحة من المتاعب قال: ﴿ بالعشى ﴾ اى تقوية للعامل و تذكيرا للغافل . و لما كان فى سياق الفيض و التشريف بالقرآن قال: ﴿ و الاشراق ﴾ أى [فى -[5]] وقت ارتفاع الشمس عند انتشاب[6] الناس فى الأشغال، و اشتغالهم بالمآكل و الملاذ من الأقوال و الأفعال، تذكيرا لهم و ترجيعا عن مألوفاتهم ١٥ إلى تقديس ربهم سبحانه، و ليس الإشراق طلوع الشمس، إنما هو صفاؤها

(١) زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الجبال (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد . (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : انتساب .

و ضوؤها ، و شروقها طلوعها ، [و -[1]] روت أم هانئ رضى الله عنها أن النبي صلى الله عليه و سلم صلى فى بيتها الضحى و قال لها : هذه صلاة الإشراق[2] / . و فى الجامع لعبد الرزاق[3] أن ابن عباس رضى الله عنهما قال: صلاة الضحى فى القرآن ، و لكن لايغوص عليها إلاغائص ، ثم قرأ هذه الآية . و إليها الإشارة أيضا - و الله أعلم - بصلاة الأوابين "و اذكر عبدنا داوٗد ذا الايد انه اواب" "و وهبنا لداوٗد سليمٰن نعم العبد انه اواب" "يٰجبال اوبى معه" "و الطير محشورة كل له اواب" روى مسلم فى صحيحه و عبد بن حميد فى مسنده و الدارمى فى جامعه المسمى بالمسند عن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال[4] : صلاة الأوابين حين ترمض الفصال ، و لفظ الدارمى أن النبي صلى الله عليه و سلم خرج عليهم و هم يصلون بعد طلوع الشمس فقال : صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال ، [و لفظ عبد أن النبي صلى الله عليه و سلم أتاهم فى مسجد قباء فرآهم يصلون الضحى فقال : هذه صلاة الأوابين و كانوا يصلونها إذا رمضت الفصال -[5]] ، أى بركت من شدة الحر و إحراقه أخفافها ، من الرمض - بالتحريك ، و هو شدة الشمس على الرمل و غيره ، و الرمضاء : الشديدة الحر .

/ ٤٣٨

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) أورده السيوطى فى الدر المنثور ٥ / ٢٩٨ من عدة طرق و ببعض المفارقات (٣) راجع ٣ / ٧٩ (٤) أورده السيوطى فى الدر المنثور ٥ / ٢٩٩ عن ابن أبى شيبة و مسلم و الطبرانى (٥) زيد ما بين الحاجزين من م و مد .

و لما أخبر سبحانه عن تسخير أثقل الأشياء و أثبتها له ، أتبعها أخفها و أكثرها انتقالا ، و عبر فيها بالاسم الدال على الاجتماع جملة[1] و الثبات لأنه أدل على القدرة فقال [معبرا باسم الجمع دون الجمع إشارة إلى أنها فى شدة الاجتماع كأنها شيء واحد ، ذكر حالها فى وصف صالح للواحد ، و جعله مؤنثا إشارة إلى ما تقدم من الرخاوة اللازمة للاناث المقتضية لغاية الطواعية و القبول لتصرف الأحكام -[2]] : ﴿و الطير﴾ أى سخرناها له حال كونها ﴿ محشورة[3] ﴾ أى مجموعة إليه كرها من كل جانب [دفعة واحدة - بما دل التعبير بالاسم دون الفعل و هو أدل على القدرة -[2]] وهى أشد نفرة من قومك وأعسر ضبطا و [3]هذا كما[4] كان الحصى يسبح فى يد رسول الله صلى الله عليه و سلم[4] ، و فى يد بعض أصحابه، و كما تحرك الجبل فضربه برجله وقال «اسكن [أحد -[5]] » فسكن[6] ، و كما حشر الدبر على رأس عاصم بن ثابت بن أبى الأفلح رضى الله عنه فمنع من أخذه ليتلعب به ، فلما جاء الليل أرسل الله سيلا فاحتمله إلى حيث لم يعرف له خبر و لا وقف له على أثر[7] ﴿ كل ﴾ أى كل واحد [8]من الجبال و الطير[8] ﴿ له اواب ﴾ أى رجاع لأجل داود عليه السلام [خاصة -[2]]

---

(١) سقط من مد (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهذا (٤) مضى فيما تقدم (٥) زيد من م و مد (٦) راجع صحيح البخارى ١ / ٥١٩ فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم (٧) ذكره ابن سعد فى طبقاته ٣٣ - ٣٤ / ٣ / ٢ (٨-٨) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : منها .

عن مألوفه [لا بمعنى آخر مما ألفته -[1]] ، فكلما رجع هو عن حكمه و ما هو [فيه -[1]] من الشغل بالخلق إلى تسبيح الحق رجعت معه بذلك الجبال و الطير ، [و جعل الخبر مفردا إشارة إلى أنها فى الطواعية فى التأديب قد بلغت الغايـــة حتى كأنها الشيء الواحد ، و لم يجعل مؤنثا إشارة إلى شدة زجلها بالتأديب و عظمته ، و الإفراد أيضا يفيد الحكم على كل فرد ، و لو جمع لطرقه احتمال أن الحكم على المجموع بقيد الجمع -[1]] ، فكأن داود عليه السلام يفهم تسبيح الجبال و الطير ، و ينقاد له كل منهما إذا أمره بالتسبيح ، و كل من تحقق بحاله ساعده كل شيء - قاله القشيرى ، ففى هذا إشارة إلى[2] النبى صلى الله عليه و سلم بأنا متى شئنا جعلنا قومك معك فى التسخير هكـذا ، فلا تيأس منهم على شدة نفرتهم و قوة سماجتهم و غرتهم ، فانا جعلناهم كذلك لتروض نفسك بهم و تزداد بالصبر عليهم جلالا ، و علوا و رفعة و كمالا - إلى غـــير ذلك من الحكم التى لا تسعها العقول ، و لا تيأس من لينهم لك و رجوعهم إليك فانهم لا يعدون أن يكونوا كالجبال قوة و صلابة ، أو الطير نفرة و طيشا و خفة ، ففى شئنا جعلناهم لك مثل ما جعلنا الجبال و الطير مع داود عليه السلام ، بل أمرهم أيسر و شأنهم أهون .

و لما كان هذا دالا على الملك من حيث أنه التصرف فى الأشياء العظيمة قسرا ، فكان كأنه قيل : كل ذلك إثباتا لنبوته و تعظيما لملكه ،

(١) زيد من مد (٢) زيد بعده : فى .

قال

قال : ﴿ و شددنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ ملكه[1] ﴾ بغير ذلك مما يحتاج إليه الملك ، قال ابن عباس رضى الله عنهما[2] : كان أشد ملوك الأرض سلطانا .

و لما كان أعظم المثبتات للملك المعرفة قال : ﴿ و آتيناه ﴾ أى بعظمتنا ﴿ الحكمة ﴾ أى النبوة التى ينشأ عنها العلم بالأشياء على ما هى عليه ، و وضع الأشياء فى أحكم مواضعها ، فالحكمة العمل بالعلم . و لما كان تمامه بقطع النزاع قال : ﴿ و فصل الخطاب ﴾ أى و معرفة الفرق بين ما يلتبس فى كلام المخاطبين له من غير كبير روية فى ذلك ، بل يفرق بديهة بين المتشابهات[3] بحيث لايدع لبسا يمكن أن يكون معه نزاع لغير معاند[4] و كسوناه عزا و هيبة و وقارا يمنع أن يجترئ أحد[5] على العناد[6] فى شىء من / أمره بعد ذلك البيان الذى فصل بين المتشابهات ، و [مين[7]] بين المشكلات الغامضات ، و إذا تكلم وقف على المفاصل ، فيبين من سرده للحديث معانيه . و يضع الشىء فى أحكم مبانيه . ٤٣٩ /

و لما كان السياق للتدريب على الصبر و التثبيت الشافى و التدبر[8] التام و الابتلاء لأهل القرب ، و كان المظنون بمن[9] أوتى فصل الخطاب

(١) سقط من ظ (٢) ذكر قوله فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٣٧ .
(٣) فى ظ و مد : المشتبهات (٤) العبارة من هنا إلى «العناد» ساقطة من مد .
(٥) زيد بعده فى الأصل : من حقها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٦) من م ، و فى الأصل و ظ : العباد (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التدبير (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ظن .

أن لا يقع له لبس فى حكم و لا عجلة فى أمر، و كان التقدير: هل أتتك هذه الأنباء، عطف عليه - مبينا عواقب العجلة معلما [١]أن على[١] من أعطى المعارف أن لا يزال ناظرا إلى[٢] من أعطاه ذلك سائلا له التفهيم، استعجازا لنفسه متصورا لمقام العبودية التى كرر التنبيه عليها فى هذه السورة بنحو

٥ قوله «نعم العبد» - [قوله -[٣]] فى سياق ظاهره الاستفهام و باطنه التنبيه على ما فى ذلك من الغرابة و العجب لتعظم الرغبة فى سماعه فيوعى حق الوعى: ﴿و هل اتنك نبؤا الخصم م﴾ أى خبره العظيم جدا، [و أفرده و إن كان المراد الجمع دلالة على أنهم على كلمة واحدة فى إظهار الخصومة لا يظهر لأحد منهم أنه متوسط مثلا و نحو ذلك -[٤]].

١٠ و لما كان الخصم مصدرا يقع على الواحد فما فوقه ذكرا كان أو أنثى، [و كان يصح تسمية ربقة المتخاصمين خصما لأنهم فى صورة الخصم -[٤]] قال: ﴿اذ﴾ أى [خبر -[٤]] تخاصمهم حين ﴿تسوروا﴾ أى صعدوا السور و نزلوا منه هم و من معهم، أخذا من السور و هو الوثوب ﴿المحراب ۝﴾ أى أشرف[٥] ما فى موضع العبادة الذى كان داود

١٥ عليه السلام به، و هو كناية عن أنهم جاؤه فى يوم العبادة [و -[٦]] من غير الباب، فخالفوا عادة الناس فى الأمرين، و كأن المحراب الذى تسوروه كان فيه باب من داخل باب آخر، فنبه على ذلك بأن أبدل

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على ان (٢) زيد فى ظ: ان.
(٣) زيد من م (٤) زيد من مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تشرف.
(٦) زيد من ظ و م و مد.

من «اذ» الأولى قوله : ﴿اذ﴾ أى حين ﴿دخلوا﴾ ، و صرح باسمه رفعا للبس و إشعارا بما له من قرب المنزلة و عظيم الود فقال : ﴿على داوٗد﴾ ابتلاء منا له مع ما له[1] من ضخامة الملك و عظم القرب منا ، و بين أن ذلك [كان -[2]] على وجه يهول أمره إما لكونه فى موضع لا يقدر عليه أحد أو[3] غير ذلك بقوله : ﴿ففزع﴾ [أى ذعر و فرق و خاف -[4]] ٥ ﴿منهم﴾ أى مع [ما -[2]] هو فيه من ضخامة الملك و شجاعة القلب و علم الحكمة و عز السلطان .

و لما كان[5] كأنه قيل : فما قالوا له ؟ قال : ﴿قالوا لا تخف ج﴾ و لما كان ذلك موجبا لذهاب الفكر فى شأنهم كل مذهب ، عينوا أمرهم بقولهم : ﴿خصمٰن﴾ أى نحن فريقان فى خصومة ، ثم بينوا ذلك بقولهم : ١٠ ﴿بغىٰ بعضنا﴾ [أى طلب طلبة علو و استطالة -[2]] ﴿علىٰ بعض﴾ فأبهم أولا ليفصل ثانيا فيكون أوقع فى النفس . و لما تسبب عن هذا سؤاله فى الحكم قالوا : ﴿فاحكم بيننا بالحق﴾ أى الأمر الثابت الذى يطابقه الواقع ، و إنما سألاه ذلك مع العلم بأنه لا يحكم إلا بالعدل ليكون أجدر بالمعاتبة عند أدنى هفوة ﴿و لا تشطط﴾ أى لا توقع البعد و مجاوزة ١٥ الحد لا فى العبارة[6] عن ذلك بحيث يلتبس[7] علينا المراد و لا فى غير ذلك ،

---

(١) فى ظ : فيه (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : «و» (٤) زيد من مد (٥) سقط من ظ (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : العبادة (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يلتبس .

أو [و -[1]] لاتمعن فى تتبع مداق الأمور فانى أرضى بالحق على أدنى الوجوه ، [و لذا أتى به من الرباعى و الثلاثى بمعناه ، قال أبو عبيد : شط فى الحكم و أشط - إذا جار ، و لذا أيضا فك الإدغام إشارة إلى أن النهى إنما هو عن الشطط الواضح جدا -[2]] . و لما كان الحق له أعلى و أدنى و أوسط ، طلبوا التعريف بالأوسط فقالوا : ﴿ و اهدنآ ﴾ أى أرشدنا ﴿ الىٰ سوآء ﴾ أى وسط ﴿ الصراط ۝ ﴾ اى الطريق الواضح ، فلا يكون بسبب التوسط ميل إلى أحد الجانبين : الإفراط فى تتبع مداق الأمور و التفريط فى إهمال ذلك .

و لما كانت هذه الدعوى بأمر مستغرب يكاد أن لايسمعه أحد إلا أنكره ، ساق الكلام مؤكدا فقال : ﴿ ان هذآ ﴾ يشير إلى شخص من الداخلين ، ثم أبدل ، منه قوله : ﴿ اخى قف ﴾ أى فى الدين و الصحبة ، ثم أخبر عنه بقوله : ﴿ له تسع و تسعون نعجة ﴾ و يجوز أن يكون " اخى " هو الخبر و التأكيد حينئذ لأجل استبعاد مخاصمة الأخ و عدوانه على أخيه و يكون ما بعده استئنافا ﴿ و لى ﴾ أى أنا أيها المدعى ﴿ نعجة ﴾ و لما كان ذلك محتملا لأن يكون جنسا أكده بقوله : ﴿ واحدة قف ﴾ [ثم -[3]] سبب عنه قوله : ﴿ فقال ﴾ أى الذى له الأكثر : ﴿ اكفلنيها ﴾ أى أعطنيها لأكون كافلا لها ﴿ و عزنى ﴾ أى غلبنى [و قوى علىّ و اشتد و أغلظ بى -[2]] ﴿ فى الخطاب ۝ ﴾ أى الكلام الذى له شأن من جدال

٤٤٠ /

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و م و مد .

و غـــيره بأن حاورنى إلى أن أمكنى فسكتَ عجزا عن التمادى معه، و لم يقنع منى بشىء دون مراده .

و لما تمت الدعوى، حصل التشوف إلى الجواب فاستؤنف[1] قوله: ﴿ قال ﴾ أى على تقدير صحة ما قلت، و ذلك أنه لما رأى الخصم قد سكت و لم ينكر مما قال المدعى شيئا، و ربما أظهر هيئة تدل على تصديقه ٥ قال[2] ذلك فعوتب و إن كان له مخرج، كل ذلك تدريبا على التثبت فى القضاء و أن لاينحى نحو القرائن، و أن لايقنع فيه[3] إلا بمثل الشمس، و أكد قوله فى سياق القسم ردعا للظالم على تقدير صحة الدعوى بالمبالغة فى إنكار فعله لأن حال من فعل شيئا مؤذن بانكار كونه ظالما و كون فعله ظلما، مفتتحا لقوله بحرف التوقـــع لاقتضاء حال الدعوى له: ١٠ ﴿ لقد ظلمك ﴾ أى و الله قد أوقع ما فعله معك فى غير موقعه على تقدير صحة دعواك ﴿ بسؤال نعجتك ﴾ أى بأن [سألك أن -[4]] يضمها، [و أفاد أن ذلك على وجه الاختصاص بقوله -[4]] : ﴿ الى نعاجه[5] ﴾ [بنفسه أو بغيره نيابة عنه و لذا لم يقل : بسؤاله -[4]]، ثم عطف على ذلك أمرا كليا جامعا لهم و لغيرهم واعظا و مرغبا و مرهبا، و لما كانت ١٥ الخلطة موجبة لظن الآلفة لوجود العدل و النصفة و استبعاد وجود البغى معها، أكد قوله واعظا للباغى[6] إن كان و ملوحا بالإغضاء و الصلح

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فاستأنف (٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ و م، و لم تكن فى مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : به . (٤) زيد من مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : للساعى .

للظلوم : ﴿ و ان كثيرا من الخلطآء ﴾ أى مطلقا منكم و من غيركم ﴿ليبغى﴾ أى يتعدى [و يستطيل -[1]] ﴿بعضهم﴾ [عاليا -[1]] ﴿على بعض﴾ فيريدون غير الحق ﴿ الا الذين 'امنوا﴾ [من الخلطاء -[2]] ﴿و عملوا﴾ أى تصديقا لما ادعوه من الإيمان[3] ﴿ الصلحت ﴾ [أى -[2]] كلها فانهم لايقع منهم بغى ﴿و قليل﴾ وأكد قلتهم و عجب منها[4] بما أبهم فى قوله : ﴿ ما ﴾ مثل نعما و لامرما ﴿ هم[5] ﴾ [وأخر هذا المبتدأ و قدم الخبر اهتماما به لأن المراد التعريف بشدة الأسف على أن العدل فى غاية القلة -[2]] ، أى[5] فتأس[6] بهم أيها المدعى وكن منهم أيها المدعى عليه .

و لما أتم ذلك ذهب الداخلون عليه فلم ير [7]منهم أحدا[7] فوقع فى نفسه أنه لاخصومة ، و أنهم إنما أرادوا أن يجربوه فى الحكم و يدربوه عليه ، و أنه يجوز للشخص أن يقول ما[8] لم يقع إذا انبنى عليه فائدة عظيمة تعين ذلك الكلام طريقا للوصول إليها أو كان أحسن الطرق مع خلو الأمر عن فساد ، و حاصله أنه تذكر كلام ، و المراد به بعض لوازمه ، فهو مثل دلالة التضمن فى المفردات . و هذا مثل قول سليمان عليه السلام « ائتونى بالسكين أشقه بينهما » و ليس مراده إلا ما يلزم عن ذلك من

(١) زيد من مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل و ظ : اى ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٤) من مد ، وفى الأصل وظ وم : منهم. (٥) سقط من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : قياس (٧ - ٧) فى م و مد : احدا منهم (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لما .

معرفة الصادقة و الكاذبة بإباء الأم لذلك و تسليم المدعية كذبا ، و تحقيقه أنه لا ملازمة بين الكلام و إرادة المعنى المطابق[1] لمفردات ألفاظه بدليل لغو اليمين ، و قول النبي صلى الله عليه و سلم لصفية رضى الله عنها « عقرى حلقى » و لأم سلمة رضى الله عنها « تربت يمينك » و قوله صلى الله عليه و سلم « ثلاث جدهن جد و هزلهن جد » مشير[2] إلى أن الكلام قد لا يراد ٥ به معناه ، و من هنا كان الحكم فى ألفاظ الكنايات أنه لا يقع بها شيء إلا إن اقترن[3] بقصد المعنى ، و لما كان/ هذا القدر معلوما عطف عليه قوله : ٤٤١ / ﴿ و ظن داود ﴾ أى بذهابهم قبل فصل الأمر[4] و قد دهمه من ذلك أمر عظيم من[5] عظمة الله لا عهد له بمثله ﴿ انما فتنّه ﴾ أى اختبرناه بهذه الحكومة فى الأحكام التى يلزم الملوك مثلها ليتبين أمرهم فيها . ١٠ و علم أنه بادر إلى نسبة المدعى عليه إلى أنه ظلم من قبل أن يسمع كلامه و يسأله[6] المدعى الحكم ، فعاتبه الله على ذلك ، و الأنبياء عليهم السلام لعلو مقاماتهم يعاتبون على مثل هذا ، [7]و هو من قصر الموصوف على الصفة قلبا ، أى هذه القصة مقصورة على الفتنة لا تعلق لها بالخصومة[7] ، و لو كان المراد ما قيل من قصة المرأة التى على كل مسلم تنزيهه و سائر ١٥ إخوانه عليهم السلام عن مثلها لقيل « و علم داود » و لم يقل : وظن -

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المطابق (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مشيرا (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اقترف (٤) العبارة من هنا إلى « له بمثله » ساقطة من ظ (٥) سقط من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يسلمه (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م .

كما يشهد بذلك كل من له أدنى ذوق فى المحاورات ـ و الله الموفق ،
و قال الزمخشرى[1] : و عن سعيد بن المسيب و الحارث الأعور أن على
ابن أبى طالب رضى الله عنه قال : من حدثكم بحديث داود على ما يرويه
القصاص جلدته مائة و ستين ، و هو حد الفرية على الأنبياء عليهم السلام ،
٥ و روى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز ، و عنده رجل من أهل
الحق ، فكذب المحدث به و قال : إن كانت القصة على ما فى كتاب
الله عز و جل فما ينبغى أن يلتمس خلافها ، و أعظم بأن يقال غير ذلك ،
و إن كانت على ما ذكرت [2]و كف[2] الله عنها سترا على نبيه صلى الله
عليه و سلم فما ينبغى إظهارها عليه[3] ، فقال عمر [4]بن عبد العزيز[4] : لسماعى
١٠ هذا الكلام أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس . و تلك القصة و أمثالها
من كذب اليهود ، و أخبرنى بعض من أسلم منهم أنهم يتعمدون ذلك
فى حق داود عليه السلام لأن عيسى عليه السلام من ذريته ليجدوا
السبيل إلى الطعن فيه[5] .

و لما ظن هذا ، سبب له تحقيق ما وصفه الله به من الأوبة
١٥ [5]فعبر عن ذلك بقوله[5] : ﴿فاستغفر﴾ [6]ولما استغرقته العظمة التى هذا مخرها ،
رجع إلى ذكر[7] الإحسان و اللطف فقال : ﴿ربه﴾ أى طلب[8] الغفران

(١) راجع الكشاف ٣/٣٦٦ (٢-٢) من م و مد و الكشاف ، و فى الأصل و ظ : فكف (٣) من م و مد و الكشاف ، و فى الأصل و ظ : عليهم (٤-٤) فى م و مد : رحمه الله (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) العبارة من هنا إلى « و اللطف فقال » ساقطة من م (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (٨) من ظ و م و مد . و فى الأصل : طالب .

من

من مولاه الذى أحسن إليه باحلاله ذلك المحل العظيم من أن يعود للحكم للأول[1] بدون أن يسمع الآخر ﴿و خر﴾ أى سقط من قيامه توبة لربه عن ذلك . و لما كان الخرور قد يكون لغير العبادة قال: ﴿راكعا﴾ أى ساجدا لأن الخرور لا يكون [إلا -[2]] للسقوط على الأرض، و لأن النبى صلى الله عليه و سلم فسره بالسجود فيما روى[3] النسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم سجد فى "ص" و قال: سجدها داود توبة و نسجدها شكرا. و عبر بالركوع عن[4] السجود ليفهم أنه كان عن قيام و أنه[5] فى غاية السرعة لقوة الاهتمام به و توفر الداعى إليه بحيث أنه وصل إلى السجود فى مقدار ما يصل غيره إلى الركوع، قال ابن التيانى[6] فى كتابه الموعب: و كل شىء [يكب -[7]] لوجهه فتمس ركبته الأرض بعد أن يطاطئ رأسه فهو راكع . ابن دريد: الراكع الذى [يكبو -[7]] على وجهه - انتهى . و الركعة - بالضم: الهوة من الأرض، كأنها سميت بذلك لأنها تسقط فيها على الوجه، و كأنها هى أصل المادة، و قال فى القاموس: ركع أى صلى، فحينئذ

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الأول (٢) زيد من م و مد (٣) من م ومد، و فى الأصل و ظ: يروى، و راجع لرواية النسائى الدر المنثور ٥/٣٠٤.
(٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: دون (٥) زيد فى الأصل: كان، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) هو تمام بن غالب بن عمر المرسى الأندلسى، أديب لغوى، توفى سنة ٤٣٦ هـ، و قيل عن كتابه « الموعب »: لم يؤلف مثله اختصارا و اكتنازا - راجع الأعلام ٢/٧٠ (٧) زيد من ظ و م ومد.

يكون المعنى : سقط مصليا ، و معلوم أن صلاتهم لا ركوع فيها و قد
تقدم ذلك[1] في آل عمران و البقرة ﴿ و أناب[2] ﴾ / أي تاب أي رجع ٤٤٢/
عن أن يعود لمثلها . [3]و لما كان الحال قد يشكل في الإخبار عن المغفرة
لو عبر بضمير الغائب لإيهام أن ربه غير المتكلم ، و كان الغفران لا يحسن
٥ إلا مع القدرة ، عاد إلى مظهر العظمة إثباتا للكمال [3]و نفيا[3] للنقص فقال :
﴿ فغفرنا ﴾ أي بسبب ذلك [و -[4]] في أثره على عظمتنا و تمام قدرتنا
غفرا يناسب مقداره ما لنا من العظمة ﴿ له ذلك[5] ﴾ أي الوقوع
في الحديث عن إسناد الظلم إلى أحد بدون سماع لكلامه ، و كان النبي
صلى الله عليه و سلم اشترط على ربه سبحانه لأجل هذه القصة أن كل
١٠ من سبه أو دعا عليه و ليس أهلا لذلك أن يكون ذلك له صلاة و بركة
و رحمة[6] ، و الحاصل أن هذه القضية لتدريب النبي صلى الله عليه و سلم
على الصبر على قومه ، و الثاني فان هذه السورة على ما روى عن جابر
ابن زيد من أوائل ما أنزل بمكة ، و على هذا دل الحديث السابق عن
ابن عباس رضي الله عنهما في شكوى المشركين منه صلى الله عليه و سلم
١٥ [7]إلى عمه أبي طالب الوقوع في آلهتهم فانه كان في أوائل الأمر ، فان
النبي صلى الله عليه و سلم[7] أول ما دعاهم لم يؤمر بذكر آلهتهم فلم يجيبوه
و لم يبعدوا عنه كل البعد ، ثم أمره الله بذكر آلهتهم فناكروه حينئذ

(١) من ظ و م و مد ، و في الأصل : من (٢) العبارة من هنا إلى «للنقص فقال» ساقطة من م (٣ - ٣) في الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من م (٦) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٣٩ عن أبي هريرة (٧-٧) ورد ما بين الرقمين في ظ قبل «مرة بعد أخرى» ص ٣٦٥ س ١.

و باعدوه ، و تقدموا ذلك بالشكوى إلى أبي طالب مرة بعد أخرى ليرده عنه[١] ، فكانت هذه الدعوى تدريبا لداود عليه السلام فى الأحكام ، و ذكرها للنبي صلى الله عليه و سلم تدريبا له [٢]على الأناة[٢] فى جميع أموره على الدوام . و لما [كان -[٣]] ذكر هذا ربما أوهم شيئا فى مقامه صلى الله عليه و سلم ، سيق فى أسلوب التأكيد قوله : ﴿و ان له﴾ اى مع الغفران ، ٥ و عظم ذلك بمظهر العظمة لأن ما ينسب إلى العظيم لا يكون إلا عظيما فقال : ﴿عندنا﴾ و زاد فى إظهار الاهتمام بذلك نفيا لذلك الذى ربما توهم ، فأكد قوله : ﴿ لزلفى ﴾ أى قربة عظيمة ثابتة بعد المغفرة ﴿و حسن مآب ﴾ أى مرجع فى كل ما يؤمل من الخير ، و فوق ذلك فهذا معلم و لابد بأن[٤] هذه القضية لم يجر إلى[٥] ذكرها إلا الترقية فى رتب ١٠ الكمال لا[٦] غير ذلك ، و أدل[٧] دليل على ما ذكرته ـ أن هذه الفتنة إنما هى بالتدريب فى الحكم لا بامرأة و لاغيرها و أن ما ذكروه من قصة المرأة باطل و إن اشتهر ، فكم من باطل مشهور و مذكور [هو -[٨]] عين الزور ـ قوله تعالى عقبها على هيئة الاستثمار منها [٩]صارفا القول عن[١٠] مظهر

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و ظ : عنهم (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى الانابة (٣) زيد من ظ و م (٤) من م و مد ، و فى الأصل وظ : من (٥) زيد فى الأصل و ظ : ما ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الا (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : أول (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) العبارة من هنا إلى « بين الأحباب » ص٣٦٦ س ١ ساقطة من م (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : الى.

العظمة إلى المواجهة بلذيذ الخطاب ، على نحو ما يجرى بين الأحباب : ﴿ يٰداوٗد ﴾ .

و لما كان مضمون الخبر لزيادة عظمه مما من شأنه أن تستنكره نفوس البشر ، أكده لذلك و إظهارا لأنه مما يرغب فيه لحسنه و جميل أثره و ينشط غاية النشاط لذكره فقال : ﴿ انا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ جعلنٰك ﴾ فلا تحسب لشيء من أسبابه حسابا و لا تخش[1] له عاقبة ﴿ خليفة ﴾ أى من قبلنا تنفذ أوامرنا فى عبادنا فحكمك[2] حكمنا ، و حذف ما يعلم أنه مراد من نحو " قلنا " إشارة إلى أنه استقبل بهذا الكلام الألذ عند فراغه من السجود إعلاما بصدق ظنه ، و قال[3] : ﴿ فى الارض ﴾ أى كلها إشارة إلى إطلاق أمره فى جميعها . فلا جناح [عليه -[4]] فيما فعل فى أى بلد أرادها ، و لم يذكر المخلوف تعظيما له بالإشارة إلى أن كل ما جوزه العقل فيه [فهو -[4]] كذلك فهو كان خليفة فى بيت المقدس بالفعل [5]على ما اقتضاه صريح الكلام بالتعبير بفى ، و أشار الإطلاق / و التعبير بال إلى[5] أنها[6] الأرض الكاملة لانبساط[7] ٤٤٣ / الحق منها بابراهيم عليه السلام و ذريته على سائر الأرض و هو خليفة فى جميع الأرض بالقوة بمعنى انه مهما حكم [به -[4]] فيها صح ، و ذلك أن النبى صلى الله عليه و سلم كان يرسل إلى قومه خاصة فيكون

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا تحشر (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : محكمنا (٣ - ٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقال (٤) زيد من م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) فى ظ : ان ، و فى م : و هى . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الانبساط .

ما يؤديه إليه واجبا عليه، و أما بقية الناس فأمره معهم من باب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، مهما فعله منه صح و مضى، ثم كان خليفة فى جميع الأرض حقيقة بالفعل بابنه سليمان عليه السلام فاستوفى الإطلاق "و ال" المكملة[1] أقصى ما يراد منه، إعلاما بأن كلام القدير كله كذلك و إن لم يظهر فى الحالة الراهنة، و ذلك كما أن المنزل عليه ٥ هذا الذكر و بسببه محمد صلى الله عليه و سلم كان خليفة بالفعل فى أرض العرب التى هى الأرض كلها، لأن الأرض دحيت منها، و بيتها أول بيت وضع للناس، و هو قيام لهم، و منه انبسط القيام بالنور و العدل على جميع الأرض [2]و فى جميع الأرض[2] بالقوة بمعنى أنه مهما حكم به فيها مضى، فقد أعطى تميما الدارى رضى الله عنه أرض[3] بلد الخليل ١٠ من بلاد الشام قبل أن يفتح و صح و نفذ، و أعطى شويلا رضى الله عنه بنت بقيلة[4] من أهل الحيرة[5] وصح ذلك و نفذ و قبض كل منهما عند الفتح ما أعطاه صلى الله عليه و سلم، ثم يكون خليفة فى جميع الأرض بالفعل بخليفته الذى أيده الله به فى دينه عيسى عليه السلام الذى هو من ذرية داود عليه السلام ثم فى جميع الوجود يوم القيامة ١٥ يوم الشفاعة العظمى يوم يكون الأنبياء [كلهم -٦] تحت لوائه، و يغبطه الأولون و الآخرون بذلك المقام المحمود.

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الكلمة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بقبيلة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحيرة (٦) زيد من م و مد.

و لما تمت النعمة، سبب عنها قوله: ﴿ فاحكم بين الناس ﴾ أى الذين يتحاكمون إليك من أى قوم كانوا ﴿ بالحق ﴾ أى الأمر الثابت الذى يطابقه الواقع . و لما كان أعدى عدو للانسان نفسه التى بين جنبيه لما لها من الشهوات، و أعظم جناياته و أقبح خطاياه ما تأثر عنها من غير استناد إلى أمر الله، قال مشيرا بصيغة الافتعال إلى أنه سبحانه عفا عن الخطرات، و ما بادر الإنسان الرجوع عنه و الخلاص منه توبة إلى الله تعالى: ﴿ و لا تتبع الهوى ﴾ أى ما يهوى بصاحبه فيسقطه من أوج الرضوان إلى حضيض الشيطان، ثم سبب عنه قوله: ﴿ فيضلك ﴾ أى ذلك الاتباع أو الهوى لأن النفس إذا ضربت على ذلك صار لها خلقا[1] فغلب[3] صاحبها عن[2] ردها عنه، [4]و لفت القول عن مظهر العظمة إلى الاسم الأعظم الجامع لجميع الأسماء الحسنى و الصفات العلى تعظيما لأمر سبيله، وحثا على لزومه و التشرف بحلوله، فقال[4]: ﴿ عن سبيل الله ﴾ أى طريقه التى شرعها للوصول إليه بما أنزل من النقل المؤيد بأدلة ما خلق من العقل، و لا يوصل إليه بدونها لأن[5] اتباعه يوجب الانهماك فى اللذات[6] الجسمانية، و الإهمال لتكميل القوى الروحانية، الموصلة إلى السعادة الأبدية، فان دواعى البدن و الروح متضادتان فبقدر زيادة إحداهما تنقص الأخرى.

(١) فى م: خلقا (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: فغلبت (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كان (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الذات.

و لما كانت النفس نزاعة إلى الهوى، ميالة[1] عن السوى، قال معللا للنهى مؤكدا لما للنفس من التعللات عند المخالفة بالكرم و المغفرة الدافع للعذاب: ﴿ ان الذين يضلون ﴾ أى يوجدون الضلال باهمالهم التقوى [2]الموجب لاتباع الهوى المقتضى لأن يكون / متبعه ضالا[2] ﴿[3]عن سبيل الله[3]﴾ أعاده تفخيما لأمره و تيمنا بذكره [4]و إيذانا بان سبيله مأمور به مطلقا من غير تقييد بداود عليه السلام و لا غيره[4] فيه ﴿ لهم عذاب شديد ﴾ أى بسبب ضلالهم . /٤٤٤

و لما أمر سبحانه و نهى، و ذكر أن السبب فى النهى كراهة الضلال و علم منه أن سبب الضلال الهوى، ذكر سبب هذا السبب فقال معبرا بالنسيان إشارة إلى أنه من شدة ظهوره كما كان محفوظا فنسى، و فك المصدر لأنه أصرح لأنه لو عبر بالمصدر لأمكن إضافتـــه إلى المفعول، و اختيرت[4] " ما " دون [" ان " -[5]] لأن صورتها صورة الموصول الاسمى، وهو أبلغ مما هو حرف صورة و معنى[6]: ﴿ بما نسوا يوم الحساب ع ﴾ أى عاملوه معاملة المنسى بعضهم بالإنكار و بعضهم بخبث الأعمال، فانهم لو ذكروه حقيقة لما تابعوا الهوى المقتضى للضلال على أنه مما لايجهله من له أدنى مسكة من عقل فانه لايخطر فى عقل عاقل أصلا أن أقل الناس و أجهلهم يرسل أحدا إلى مزرعة له يعملها، ثم لا يحاسبه عليها

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ميات (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣-٣) ليس فى الأصل و ظ (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اختير.
(٥) زيد من مد (٦) العبارة من « و فك المصدر » إلى هنا ساقطة من م.

فكيف إذا كان حكيما فكيف إذا كان ملكا فكيف و هو ملك الملوك ،
[1]و قال الغزالى فى آخر كتاب العلم من الإحياء[2] فى الكلام على العقل :
ثم لما كان الإيمان مركوزا فى النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى من
أعرض فنسى . و هم الكفار ، و إلى من جال فكره فتذكر ، وكان كمن
٥ حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ، و لذلك قال تعالى " لعلهم يتذكرون "
" و ليتذكر اولوا الالباب " " و اذكروا نعمة الله عليكم و ميثاقه الذى
واثقكم به " " و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " و تسمية هذا
النمط تذكرا ليس ببعيد ، و كأن التذكر ضربان : أحدهما أن يذكر
صورة كانت حاضرة الوجود فى قلبه ، لكن غابت بعد الوجود ،
١٠ و الآخر أن يكون عن صورة كانت متضمنة فيه بالفطرة ، و هذه حقائق
ظاهرة لناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستروح إلى السماع و التقليد
دون الكشف و العيان - انتهى . و قد علم من هذه القصة و ما قبلها
أن المعنى : اصبر على ما يقولون الآن ، فلننصرنك فيما يأتى من الزمان
و لنؤيدنك كما أيدنا داود العظيم الشأن .
١٥ و لما كان التقدير : فما قضيناه[3] فى الأزل بيوم الحساب و توعدنا
به سدى ، [عطف -[4]] عليه قوله[5] صارفا الكلام [عن الغيبة -[6]] إلى
مظهر العظمة إشارة [7]إلى أن العظيم[7] تابى له عظمته غير الجد العظيم :

(١) العبارة من هنا إلى « و العيان انتهى » ساقطة من م (٢) ما وجدناه فى مظانه (٣) فى ظ و م و مد : قضينا (٤) زيد من م و مد (٥) العبارة من هنا إلى « غير الجد العظيم » ساقطة من م (٦) زيد من مد (٧-٧) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد .

﴿ و ما خلقنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة، و[1] يجوز أن تكون الجملة حالية . و لما كان السياق لما وقع منهم من الشقاق عنادا لاجهلا، ذكر من السماوات ما لايمكن النزاع فيه مع أن اللفظ للجنس فيشمل الكل فقال : ﴿ السمآء ﴾ أى التى ترونها ﴿ و الارض و ما بينهما ﴾ مما تحسونه من الرياح و غيرها خلقا[2] ﴿ باطلا[3] ﴾ أى لغير غاية أردناها بذلك من حساب من فيهما[2] كما يحاسب أقل من فيكم إجزاء، و مجازاة من فيهما بالثواب لمن أطاع و العقاب لمن عصى كما يفعل أقل ملوككم فان [أدنى -[4]] الناس عقلا لا يبنى[5] بناء ضخما إلا لغاية أرادها، و تلك الغاية هى الفصل بين الناس الذين أعطيناهم القوى و القدر فى هذه الدار، و بثثنا بينهم الأسباب الموجبة لانتشار الصفاء فيهم / و الأكدار، ٤٤٥ / و أعطيناهم العقول تنبيها على ما يراد بهم، و أرسلنا فيهم الرسل، و أنزلنا إليهم الكتب، بالتعريف بما يرضينا و يسخطنا، فنابذوا كل ذلك فلو تركناهم بلا جمع لهم و لا إنصاف بينها لكان هذا الخلق كله باطلا لاحكمة فيه أصلا، لأن خلقه للضر أو النفع أو [لا -[6]] لواحد منهما، و الأول باطل لأنه [غير -[6]] لائق بالرحيم الكريم، و الثالث باطل لأنه كان فى حال العدم كذلك، فلم يبق للايجاد مرجح، فتعين الوسط و هو النفع، و هو لايكون بالدنيا لأن ضرها أكثر من نفعها، و تحمل ضر كثير لنفع

(١) سقطت الواو من ظ (٢) سقط من م (٣) فى ظ : فيها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لاينسى (٦) زيد من م و مد.

قليل غير لائق بالحكيم[1] الكريم ، فتعين ما وقع الوعد الصادق به من نفع الآخرة المطابق لما ذكر من عقل العقلاء و سير النبلاء .

و لما كان هذا - و هو منابذة الحكمة - عظيما جدا ، عظمه بقوله : ﴿ذلك﴾ أى الأمر البعيد عن الصواب ﴿ ظن الذين كفروا ج ﴾ أى ٥ من أوقع هـذا الظن فى وقت ما ، فقد أوجد الكفر لأنه جحد الحكمة التى هى البعث لإظهار صفات الكمال و المجازاة بالثواب و العقاب ، و من جحد الحكمة فقد سفه الخالق ، فكان إقراره بأنه خالق كلا إقرار[2] فكان كافرا به ، ثم سبب عن هذا الظن قوله : ﴿ فويل ﴾ أى هلاك عظيم بسبب هذا الظن ، [3]و أظهر فى موضع الإضمار تعميما و تعليقا ١٠ للحكم بالوصف فقال[3] : ﴿ للذين كفروا ﴾ [4]أى مطلقا بهذا[5] الظن و بغيره ﴿ من ﴾ أى مبتدأ من ﴿ النار[5] ﴾ أى الحكم عليهم بها .

و لما كان التقدير : أفنحن[6] نخلق ذلك باطلا ؟ فلا يكون [له -[7]] مآل يظهر فيه حكمته و نحن منزهون[8] عن العبث ، عطف عليه قوله إنكارا لما يلزم من ترك البعث من التسوية بين ما حقه المفاوتة فيه ، ١٥ و ذلك أشد من العبث و إن كان له ان يفعل ذلك لأنه لايقبح منه شىء : ﴿ ام نجعل ﴾ أى على عظمتنا ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى امتثالا

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : بالحليم (٢) من ظ و م و مد . و فى الاصل : كلا اقراره (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) العبارة من هنا إلى « و بغيره » ساقطة من م (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لهذا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فنحن - بدون همزة الإستفهام (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ينزهون .

لأوامرنا ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا لدعواهم الإيمان ﴿ الصٰلحٰت ﴾ من الأعمال [١]كالذين أفسدوا و عملوا السيئات أم نجعل المؤمنين المصلحين فى الأرض[١] ﴿ كالمفسدين ﴾ أى المطبوعين على الفساد الراسخين فيه ﴿ فى الارض ﴾ أى بالكفر و غيره ، و التسوية بينهم لا يشك عاقل فى [أنها -[٢]] سفه ﴿ ام نجعل ﴾ على ما لنا من العز و المنعة [١]الذين اتقوا كالذين فجروا أم نصيّر[١] ﴿ المتقين ﴾ أى الراسخين من المؤمنين فى التقوى الموجبة للتوقف عن كل ما لم يدل عليه دليل ﴿ كالفجار ﴾ أى الخارجين من غير توقف عن دائرة التقوى من هؤلاء الذين كفروا أو من غيرهم فى أن كلا من المذكورين يعيش على ما أدى إليه الحال فى الدنيا ، و فى الأغلب يكون عيش الطالح أرفع من عيش الصالح ، ثم يموت و لا يكون شىء بعد ذلك ، و لا شك أن المساواة بين المصلح و المفسد و المتقى و المارق لا يراها حكيم و لا غيره من سائر أنواع العقلاء فهو لا يفعلها سبحانه و إن كان له أن يفعل ذلك ، فانه لا يجب عليه شىء و لا يقبح منه شىء[٣] ، و قد علم أن الآية من الاحتباك ، و أنه مشير إلى احتباك آخر ، فانه ذكر " الذين آمنوا " أولا دليلا على « الذين افسدوا » ثانيا ، و ذكر " المفسدين " ثانيا دليلا « على المؤمنين » أولا . و أفهم ذلك ذكر " الذين اتقوا " و أضدادهم / و سر ما ذكر و ما [٤]حذف أنه ذكر أدنى اسنان الإيمان تنبيها على شرفه و أنه سبب السعادة و إن كان على[٤]

/٤٤٦

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد من م و مد (٣) العبارة من هنا إلى « إلى أوجها » ص ٣٧٤ س ٤ ساقطة من م (٤ - ٤) ما بين الرقمين بياض فى الأصل و ظ ملأناه من مد .

[١]أدنى الوجوه و ذكر أعلى أحوال الفساد ، إشارة إلى[١] أنه يغفر ما دون ذلك [لمن يشاء -[٢]] و ذكر أعلى أحوال التقوى إيماء [إلى -[٣]] أنه لا يوصف بها و يستحق جزاءها إلا الراسخ فيها ترغيبا للمؤمن فى أن يترقى إلى أوجها .

٥ و لما ثبت بما ذكر من أول السورة إلى هنا ما ذكر فى هذا الذكر من البراهين التى لا يأباها إلا مدخول الفكر مخالط العقل ، ثبت أنه ذو الذكر و الشرف الأعظم فقال تعالى منبها على ذلك تنبيها على أنه القانون الذى يعرف به الصلاح ليتبع و الفساد ليجتنب[٤] مخبرا عن مبتدأ[٥] تقديره هو : ﴿ كتب ﴾ أى له من العظمة ما لا يحاط [به -[٦]] ، [٧]و وصفه

١٠ بقوله[٧]: ﴿ انزلنه ﴾ أى[٨] بما لنا من العظمة ﴿ اليك ﴾ و ذلك من عظمته لأنك أعظم الخلق ، ثم [٧] أخبر عن مبتدأ آخر مبين لما قبله على طريق الاستئناف فقال[٧] : ﴿ مبرك ﴾ أى دائم الخير كثير النفع ثابت [٩]كل ما[٩] فيه ثباتا[١٠] لا يزول أبدا و لا ينسخه كتاب و لا شىء .

و لما ذكر ما له من العظمة إشارة و عبارة ، ذكر غاية إنزاله

١٥ المأمور بها فقال : ﴿ ليدبروآ ﴾ [١١] بالفوقانية و تخفيف الدال بالخطاب

(١ - ١) ما بين الرقمين بياض فى الأصل و ظ ملأناه من مد (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من مد (٤) العبارة من هنا إلى « تقديره » ساقطة من م . (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ابتدا (٦) زيد من ظ و م و مد . (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) سقط من م (٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كلها (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ثابتا (١١) العبارة من هنا إلى قوله « جمعه و قرآنه » ص ٣٧٥ س ٦ ساقطة من م .

فى قراءة أبى جعفر[1] مشرفا للأمة بضمهم[2] بالخطاب[3] إلى حضرته الشماء صلى الله عليه و سلم ، و لافتا للقول فى قراءة الجماعة بالغيب و تشديد الدال إلى من يحتاج إلى التنبيه على العلل ، [4]لما له من[4] الشواغل الموقعة فى الخلل ، و أما هو صلى الله عليه و سلم فنى غاية الإنعام للنظر ، [5]و التدبر[5] بأجلى الفكر ، من حين الإنزال ، لعلمه بعلة[6] الإنزال بحيث أنه من شدة إتعابه ٥ لنفسه الشريفة أمر بالتخفيف و ضمن له تعالى جمعه و قرآنه ﴿ ايته ﴾ أى لينظروا فى عواقب كل آية و ما تؤدى إليه و توصل إليه من المعانى الباطنة التى أشعر[7] بها طول التأمل فى الظاهر ، فمن رضى بالاقتصار على حفظ حروفه كان كمن له لقحة درور[8] لايحلبها ، و مهرة تتوج لايستولدها ، و كان جديرا بأن يضيع حدوده فيخسر خسرانا مبينا . و لما كان كل ١٠ أحد مأمورا بأن يتنبه بكل ما يرى و يسمع على ما وراءه[9] و لم يكن فى وسع كل أحد الوصول إلى النهاية فى ذلك ، قنع منهم بما دونها فأدغمت تاء التفعل فى [فاء ـ[10]] الكلمة إشارة إلى ذلك[11] كما تشير إليه قراءة أبى جعفر ، و ربما كانت قراءة الجماعة[11] إشارة إلى الاجتهاد فى فهم

---

(١) راجع نثر المرجان ٦ / ٨٥ (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بعضهم (٣) فى ظ : فى الخطاب (٤-٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : لمال ـ كذا مع قدر إصبع من البياض (٥ ـ ٥) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : بعد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شعر (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : درو (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رواه . (١٠) زيد من م و مد (١١-١١) فى م : كانت .

خفاياه ـ [و الله أعلم ـ[1]] .

و لما كان السياق للذكر ، و أسند إلى خلاصة الخلق ، و كان استحضار ما كان عند الإنسان و غفل عنه لايشق لظهوره ، أظهر التاء حثا على بذل الجهد فى إعمال الفكر و المداومة على ذلك فانه يفضى بعد المقدمات الظنية إلى أمور يقينية قطعية إما محسوسة أولها شاهد فى الحس فقال : ﴿ و ليتذكر ﴾ أى بعد التدبر تذكرا [2]عظيما جليا ـ بما أشار إليه الإظهار[2] ﴿ اولوا الالباب ﴾ أى كل ما أرشد[3] إليه مما عرفه الله لهم فى أنفسهم و فى الآفاق فانهم يجدون ذلك معلوما لهم بحس أوغيره فى أنفسهم أو غيرها ، لايخرج شىء مما فى القرآن عن النظر إلى شىء معلوم للانسان لا نزاع له فيه أصلا ، ولكن الله تعالى يبديه لمن يشاء و يخفيه عمن يشاء "سنريهم آيتنا فى الآفاق و فى انفسهم" و أظهره يوم القيامة فانه مركوز فى طبع كل أحد أن الرئيس لايدع من تحت يده بغير حساب أصلا .

/ ٤٤٧ و لما كان / الإنسان و إن أطال[4] التدبر و أقبل بكليته على التذكر لابد له من نسيان و غفلة و ذهول ، و لما كان الممدوح إنما هو الرجاع « لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » و كان الله تعالى هو الملك الذى لا شريك له و المالك الذى له الملك كله فهو يرفع

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ارشدوا (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : طال .

من يشاء ممن[1] لايخطر فى وهم أن يرتفع ، و يخفض من يشاء ممن علا فى الملك حتى لايقع فى خاطر أنه يحصل له خلل و لاسيما إن كان على [أعلى -[2]] خلال الطاعة ليبين لكل ذى لب أن الفاعل لذلك[3] هو الفاعل المختار ، فلا يزال خيره مرجوا ، و انتقامه مرهوبا مخشيا ، قال تعالى : ﴿ ووهبنا ﴾ أى بما لنا من [4]الحكمة و[4] العظمة ﴿ لداود سليمن[5] ﴾ فجاء ٥ عديم النظير فى ذلك الزمان دينا و دنيا و علما و حكمة[5] و حلما و عظمة و رحمة ، و لذلك نبه على أمثال هذه المعانى باستئناف الإخبار عما حرك النفس إلى السؤال عنها من إسناد الهبة[6] إلى نون[7] العظمة فقال : ﴿نعم العبد[5] ﴾ و لما كان السياق لسرعة الانتباه من الغفلات ، و التفصى من الهفوات ، و التوبة من الزلات ، و بيان أن الابتلاء ليس منحصرا ١٠ فى العقوبات ، بل قد يكون لرفعة الدرجات ، وكان هذا بعيدا من العادات ، علل مدحه مؤكدا [له -[8]] بقوله : ﴿انه اواب[5]﴾ أى رجاع إلى الازدياد من الاجتهاد[9] فى المبالغة فى الشكر و الصبر على الضر كلما علا عن مقام بالاستغفار منه و عده مع ما له من الكمال مما يرغب عنه .

و لما كانت الخيل من أعظم ما زين للناس من حب الشهوات ، ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما (٢) زيد من م و مد (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حكما (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الهيبة (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نور . (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الجهاد .

وكان السياق للعزة و الشقاق الدالين على عظيم الاحتياج إلى ما يكف ذلك مما أعظمه الخيل ، ذكر فيها آمرا له صلى الله عليه و سلم ، دل على أنه مع ما له من عظمة الملك كثير الأوبة عظيمها لأن من لم يكن ذلك له طبعا لم يقدر على ما فعل فقال : ﴿ اذ ﴾ أى اذكر لتقف على شاهد ما أخبرناك به حين ﴿عرض عليه بالعشىّ ﴾ أى فيما بعد زوال الشمس ﴿الصّفنت﴾ اى الخيول العربية الخالصة التى لاتكاد تتمالك بجميع قوائمها الاعتماد على الأرض اختيالا بأنفسها و قربا من الطيران بلطافتها و همتها و إظهارا لقوتها و رشاقتها و خفتهـا ، قال فى القاموس : صفن الفرس يصفن صفونا : قام على ثلاث قوائم و طرف حافر الرابعة ، و قال القزاز : قام على ثلاث قوائم و قائمة يرفعها عن الأرض أو ينال سنبكها الأرض ليستريح بذلك ، و أكثر ما تصفن الخيل العتاق ، قال : و قالوا : كل ذى حافر[1] يفعله و لكنه من الجياد أكثر ، لايكاد يكون إلا فى العراب الخلص[2] ، و قيل : الصافن الذى يجمع يديه و يثنى طرف سنبك إحدى رجليه ، و قيل : الصافن الذى يرفع سنبك إحدى يديه فاذا رفع [طرف - [3]] سنبك إحدى رجليه فهو مخيم ، و قد أخام - إذا فعل ذلك .

و لما تحرر أنه يجوز أن يحمل الصافن على غير العتيق[4] و إن كان قليلا ، حقق [أن - [3]] المراد الوصف بالجودة واقفة و جارية فقال : ﴿ الجياد ﴾ أى التى تجود فى جريها بأعظم ما تقدر عليه ، جمع جواد ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حافطر - كذا (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الخاصر (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل : المضيق ، و فى ظ : الضيق .

فلم تزل تعرض عليه حتى فاتته صلاة آخر النهار، وكان المفروض على من تقدمنا ركعتين أول النهار و ركعتين آخره، فانتبه فى الحال .

و لما كان بيان ضخامة ملكه و كثرة[1] هيبته و عزته مع زيادة أوبته لتحصل التأسية به / فى حسن ائتماره [و انتهائه ـ[2]] و التسلية ٤٤٨/ بابتلائه مع ذلك من شرفه و بهائه[3]، أشار إلى كثرة الخيل جدا و زيادة ٥ محبته لها و سرعة[4] أوبته[5] بقوله : ﴿ فقال ﴾ و لما كان اللائق بحاله و المعروف من فعاله[6] أنه لايؤثر على ذكر الله شيئا فلا يكاد أحد ممن[7] شاهد ذلك يظن به ذلك بل يوجهون له فى ذلك وجوها و يحملونه [8]على محامل[8] تليق بما يعرفونه من حال من الإقبال على الله و الغنا عما سواه، أكد قوله تواضعا لله تعالى ليعتقدوا أنه بشر يجوز عليه ما يجوز ١٠ عليهم لو لا عصمة الله : ﴿ انى ﴾ و لما كان الحب أمرا باطنا لايظهر فى شىء إلا بكثرة الاشتغال به، و كان الاشتغال قد يكون لغير الحب فهو غير دال عليه إلا بقرائن قال اعترافا : ﴿ احببت ﴾ أى أوجدت و أظهرت بما ظهر منى من الاشتغال بالخيل مقرونا ذلك بأدلة الود ﴿ حب الخير ﴾

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : كبر (٢) زيد من م و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م : مهابته، و زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : سرعته (٥) زيد فى الأصل و ظ : لها، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) فى م و مد : أفعاله (٧) من ظ و مد، و فى الأصل و م : مما (٨-٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فى محال .

و هو المال [1]بل خلاصـــة[1] المال و سبب كل خير دنيوى و أخروى « الخيل معقود فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة » أظهرت ذلك بغاية الرغبة غافلا ﴿ عن ذكر ربى[4] ﴾ المحسن إلىّ بهذه الخيل التى شغلتنى وغيرها ، فلم أذكره بالصلاة التى كانت وظيفة الوقت و إن كان غرضى لها لكونه[3] فى طاعته ذكرا[3] له . و لم يزل ذلك بى ﴿ حتى توارت ﴾ أى الشمس المفهومة من « العشى » ﴿ بالحجاب وقفه[5] ﴾ و هى الأرض التى حالت بيننا و بينها فصارت و راءها حقيقة .

و لما اشتد تشوف السامع إلى الفعل الذى أوجب له الوصف بأواب[4] بعد سماع قوله فى لومه[5] نفسه ليجمع بين معرفة القول و الفعل ، أجيب بقوله : ﴿ ردوها ﴾ أى قال سليمان عليه السلام : ردوا ﴿ علىّ[6] ﴾ الخيول التى شغلتنى . و لما كان [التقدير -[6]] : فردوها عليه ، نسق به قوله : ﴿ فطفق ﴾ أى أخذ يفعل ظافرا [بمراده -[7]] لازما له مصمما عليه واصلا له معتمدا[8] على الله فى التقوية على العدو لا على الأسباب التى من أعظمها الخيل مفارقا ما كان سبب ذهوله عن الذكر معرضا عما يمكن أن يتعلق به القلب متقربا به إلى الله تعالى كما يتقرب فى هذه [الملة -[6]]

(١ - ١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : بلاخاصة (٢) من م و مد ، و فى الأصل وظ : لكونها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل وم : ذاكرا (٤) العبارة من هنا إلى « القول و الفعل » ساقطة من م (٥) فى ظ : لومة ، و فى مد : لوم (٦) زيد من م و مد (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : متعمدا .

بالضحايا ﴿ مسحا ﴾ أى يوقع المسح - أى القطع - فيها بالسيف إيقاعا عظيما . و لما كان السيف إنما يقع فى جزء يسير من العضوين أدخل الباء فقال: ﴿بالسوق﴾ أى منها ﴿ و الاعناق ﴾ يضربها[1] ضربا بسيف ماض و ساعد شديد و صنع سديد يمضى فيها من غير وقفة أصلا حتى كأنه يمسحه مسحا على ظاهر جلودها كما يقال: مسح علاوته، أى ضرب عنقه ـ و الله أعلم .

و لما ظهر بهذا ما له من ضخامة الملك و عز السلطان، و كانت الأوبة عظيمة جدا، و كان الثبات[2] على مقام الشهود مع حفظه من جميع جهاته أعظم، نبه عليه بقوله مؤكدا لما طبعت[3] عليه النفوس من ظن [4]أن الأواب[4] لاينبغى أن يواجه بالعتاب: ﴿ و لقد فتنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ سليمن ﴾ أى مع إسراعه بالرجوع إلى الله و التنبه لما فيه رضاه نوعا من الفتنة، الله أعلم بحقيقتها، [5]فأسفرت تلك[5] الفتنة عن رسوخه فى مقام الأوبة فتنبه لما أردنا بها من تدريبه على ما أقمناه فيه كما فعلنا بأبيه داود عليهما السلام فاقتد بهما فى الاستبصار بالبلاء، فانا نريد بك أمرا عظيما جليلا [6]شريفا كريما[6] ﴿ و القينا ﴾ أى بما[7] لنا من العظمة ﴿ على كرسيه ﴾ / الذى كانت تهابه أسود الفيل . /٤٤٩

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يضرب. (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النبات (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: طلعت (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الادب (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فاستقرت (٦-٦) فى ظ: كريما شريفا (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: لما .

و لما كانت العبرة إنما هي بالمعاني ، فمن[1] كان معناه ناقصا كان كأنه جسد لا روح فيه[2] ، له صورة بلا معنى ، قال : ﴿جسدا﴾ فغلب على ذلك المكان الشريف مع ما كنا شرفناه به من هيبة النبوة المقرونة بالملك بحيث لم يكن أحد[3] يظن أن احدا يقدر على أن يدنو إليه فضلا عن أن يغلب عليه ، فمكنا هذا الجسد منه تمكينا لا كلفة عليه فيه ، بل كان ذلك بحيث كأنه ألقي عليه بغير اختياره ليعلم أن الملك إنما هو لنا ، نفعل ما نشاء بمن[4] نشاء ، فالسعادة لمن رجانا[5] و الويل لمن يأمن مكرنا فلا[6] يخشانا ، فعما قليل تصير هذه[7] البلدة في قبضتك[8] ، و أهلها مع العزة و الشقاق طوع مشيئتك ، و يكون لك بذلك أمر لا يكون لأحد بعدك كما أنه ما كان لأحد كان قبلك من نفوذ الأمر و ضخامة العز و إحلال[9] الساحة الحرام بقدر الحاجة[10] ، و سعة الملك و بقاء الذكر ، و الذي أنت فيه [الآن -[11]] ابتلاء و اختبار و تدريب على ما يأتي من الأمور الكبار .

و لما كان المراد باطلاق الجسد عليه التعريف بأنه لامعنى له ، لا[12] أنه لا روح فيه ، اطلقه و لم يتبعه ما يبين[13] أنه جماد كما فعل في

---

(١) من ظ و م و مد . و في الأصل : فما (٢) سقط من ظ و م و مد . (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : احدا (٤) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بما (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : رجا (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : ولا (٧) من ظ و م و مد . و في الأصل : هذا . (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : قبضتنا (٩) من م و مد ، و في الأصل و ظ : اجلال (١٠) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الساحة (١١) زيد من م و مد (١٢) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الا (١٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : بين .

العجل حيث قال « له خوار» فبين بذلك أنه لا روح له، و إن صح أن هذا الجسد هو صخر الجنى و أن سببه سجود الجرادة[1] امرأة سليمان عليه السلام لصورة أبيها[2] بغير علم نبى الله سليمان عليه السلام و لا إرادته ، فالإشارة بذلك فى التسلية أنا سلبنا الملك من صفينا لصورة رفع سجود بعض من ينسب إليه لها فى بيتـــه بغير أمره وَ لا إرادته و لا علمه ، فكيف بمن يسجد لهذه الأوثان فى البيت الحرام فعما قليل نزيل أمرهم و نخمد شرهم و نمحو[3] ذكرهم .

و لما كانت الإنابة رجوعا إلى ما كان ، فهى استرجاع لما[4] فات قال : ﴿ثم اناب ه﴾ و فسر الإنابة ليعلم أنه تعالى فتنه مع أنه عبد عظيم المنزلة مجاب الدعوة[5] بقوله جوابا لمن سأل عنها : ﴿قال ربّ﴾ أى أيها المحسن إلىّ ﴿ اغفر لى ﴾ أى الأمر الذى كانت الإنابة بسببه . و لما قدم أمر الآخرة، أتبعه قوله : ﴿ و هب لى ﴾ أى بخصوصى ﴿ ملكا لاينبغى ﴾ أى لايوجد طلبه وجودا تحصل معه المطاوعة و التسهل ﴿لاحد﴾ فى زمان ما طال أو قصر [سواء كان كاملا فى الصورة و المعنى أو جسدا خاليا عن العز كما حصلت بـــه الفتنة من قبل، و بعّض الزمان بذكر الجار فقال -[6]] : ﴿ من بعدى ج﴾ حتى أتمكن من كل ما أريد من التقرب

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جواة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابيعها (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : تمحوا (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الى ما (٥) زيد فى الأصل : أشار ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد من مد .

إليك و جهاد من عاداك ، و يكون ذلك أمارة لى على قبول توبتى و لا تحصل لى فتنة بالقاء شيء على مكان حكمى و لا غيره ، و هذا يشعر بأن الفتنة كانت فى الملك ، وكذا ذكر الإلقاء على الكرسى مضافا إليه من غير أن ينسب إليه هو صلى الله عليه و سلم شيء ، و هو مناسب لعقر ٥ الخيل الذى هو إذهاب ما به العز - و الله أعلم ، و بهذا التقدير علم أنه لو ذكر الظرف من غير حرف لأوهم تقيد الدعوة بملك يستغرق الزمان الذى بعده ، ثم علل ما طلبه من الإعطاء و المنع بقوله على[1] سبيل التأكيد إسقاطا لما غلب على النفوس من رؤية الأسباب : ﴿انك انت﴾ أى وحدك ﴿الوهاب ۝﴾ أى العظيم المواهب مع التكرار كلما أردت ، ١٠ فتعطى بسبب و بغير سبب من تشاء و تمنع من تشاء .

/٤٥٠ و لما تسبب عن دعائه الإجابة ، أعلم به سبحانه / بقوله : ﴿فسخرنا﴾ أى ذللنا بما لنا من العظمة ﴿ له الريح ﴾ لإرهاب العدو و بلوغ المقاصد عوضا عن الخيل التى خرج عنها لأجلنا ؛ ثم بين التسخير بقوله مستأنفا : ﴿ تجرى بأمره رخآء﴾ أى حال كونها لينة[2] غاية اللين منقادة يدرك ١٥ بها ما لايدرك بالخيل " غدوها شهر و رواحها شهر " و كل من ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه ، و هو هنا مبالغة من الرخاوة . و لما كانت إصابته لما يشاء ملازمة لإرادته ، عبر بها عنها لأنها المقصود بالذات فقال : ﴿ حيث اصاب ۝﴾ أى أراد إصابة شيء من الأشياء ، و قد جعل الله

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لينتهى .

لنبينا صلى الله عليه و سلم أعظم من ذلك و هو أن العدو يرعب منه إلى مسيرة شهر من جوانبه الأربعة فهى أربعة أشهر ﴿ و الشيٰطين ﴾ أى الذين عندهم خفة الريح مع الاقتران بالروح سخرناهم له ؛ ثم نبه على منفعتهم بالإبدال[1] منهم فقال : ﴿ كل ﴾ و عبر ببناء المبالغة[2] لأنه فى سياق الامتنان فقال : ﴿ بناء و غواص ﴾ أى عظيم فى البناء صاعدا فى جو السماء و الغوص نازلا فى أعماق الماء، يستخرج[3] الدر و غيره من منافع البحر.

و لما دل على مطلق تسخيرهم، دل على أنه عن قهر و غلبة كما هو شأن أيالة الملك و صولة العز فقال : ﴿ و آخرين ﴾ أى سخرناهم له من الشياطين حال كونهم ﴿ مقرنين ﴾ بأمره إلى من يشاكلهم أو مقرونة أيديهم بأرجلهم[4] أو بأعناقهم. و عبر به مثقلا دون « مقرونين » مثلا إشارة إلى شدة وثاقهم و عظيم تقرينهم . و لما كانت مانعة لهم من التصرف فى أنفسهم، جعلوا كأنهم بأجمعهم فيها[5] و إن لم يكن فيها إلا بعض أعضائهم مثل "جعلوا اصابعهم فى آذانهم" فقال : ﴿ فى الاصفاد ﴾ أى القيود التى يوثق بها الأسرى[6] من حديد أو قيد[7] أو غير ذلك، جمع صفد - بالتحريك، روى البخارى[8] و مسلم[9] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله

(١) فى ظ : فى الإبدال (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : المتابعة (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يسخر (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل وظ : بأيديهم وأرجلهم (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيه (٦) من م ومد ، و فى الأصل وظ : الاسر (٧) من مد ، و فى الأصل وظ و م : قد (٨) راجع كتاب التفسير من صحيحه ٢ / ٧١٠ (٩) راجع كتاب المساجد من صحيحه ١ / ٢٠٥ .

عليه و سلم قال : إن عفريتا من الجن تفلت[1] عليّ البارحة ليقطع على صلاتى فأمكنى الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سوارى المسجد حتى تنظروا إليه كلكم ، فذكرت دعوة أخى سليمان "هب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى" فرددته خاسئا ، [2]و قد حكمه الله فى بعض الجن ، فحمى
٥ من الذين يطعنون دار مولده و دار هجرته ، روى أحمد فى مسنده[3] بسند حسن إن شاء الله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : المدينة و مكة محفوفتان بالملائكة ، على كل نقب منهما ملك ، فلا يدخلهما الدجال و لا الطاعون . هذا فى البلدين ، و أما المدينة خاصة ففيها أحاديث عدة عن عدة من الصحابة فى الصحيحين
١٠ و غيرهما ، و قد عوض الله[4] نبينا صلى الله عليه و سلم عن الشياطين التأييد بجيوش الملائكة فى غزواته[5] ، و قد كان نبينا عبدا كما اختار فلم يكن له حاجة بغير ذلك .

و لما كان ذلك ملكا عظيما ، نبه على عظمته بكثرته و دوامه و عظمة مؤتيه فقال مستأنفا [6]تقدير : قلنا له و نحوه[6] : ﴿ هذا ﴾ اى الأمر
١٥ الكبير ﴿ عطآؤنا ﴾ اى على ما لنا من العظمة ؛ ثم سبب عن ذلك

(١) من ظ و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل و م : تغلب ، و فى صحيح مسلم : يفتك (٢) العبارة من هنا إلى « الصحيحين و غيرهما » ساقطة من مد . (٣) راجع ٢ / ٤٨٣ (٤) ليس فى م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غزاته (٦-٦) ما بين الرقمين بياض فى الأصل و ظ ملأناه من م و مد إلا أن العبارة فى م وردت قبل " فامنن " ص ٣٨٧ س ٣ .

إطلاق التصرف الذى هو أعظم المقاصد، فكم من / مالك لشىء و هو مغلول ٤٥١/
اليد عن التصرف فيه، فقال [1]بادئا بما يوجب الحب و يقبل بالقلوب دالا
على عظمته و ظهور أمره بفك الإدغام[1] :﴿فامنن﴾ أى أعط من[2] شئت
عطاء مبتدئا من غير تسبب من المعطى : ﴿او امسك﴾ أى عمن شئت .

و لما كان هذا عطاء يفوت الوصف عظمه، زاده تعظيما بكثرته ٥
و تسهيله و سلامة العاقبة فيه فقال : ﴿بغير﴾ أى كائنا كل ذلك من
العطاء و المن خاليا عن ﴿حساب ه﴾ لأنك لاتخشى من نقصه [و -[3]]
ربك هو المعطى و الآمر، و لا من كونه مما يسأل عنه فى الآخرة لأنه قدأذن
لك، فنفى الحساب عنه يفيد[4] شيئين الكثرة و عدم الدرك فى إعطاء
أو منع، و جعله مصدرا مزيدا يفهم أنه إنما ينفى عنه حساب يعتد به ١٠
لا مطلق حسب بالتخمين كما[5] يكون فى[5] الأشياء التى تعيى الحاصر[6] فيقرب
أمرها بنوع حدس .

و لما رفع [7]الحرج عنه[7] فى الدارين . أثبت المزيد فقال عاطفا على ما
تقديره : هذا له فى الدنيا . مؤكدا زيادة فى الطمأنينة لكونه خارقا لما
حكم به من العادة [8]فى أنه[8] كل ما زاد عن الكفاف فى الدنيا كان ناقصا ١٥

(١-١) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ و م قبل « هذا أى الأمر» ص ٣٨٦ س ١٤ والترتيب من مد(٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م : ما (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تقييد (٥-٥) ما بين الرقمين بياض فى الأصل و ظ ملأناه من م و مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م : الخاضين (٧ - ٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : عنه الحرج . (٨ - ٨) من م و مد . و فى الأصل و ظ : فانه .

للحظ فى الآخرة[1]: ﴿ و ان له ﴾ أى خاصا بـــه ﴿ عندنا ﴾ أى فى الآخرة ﴿ لزلفى[2] ﴾ أى قربى عظيمة ﴿ و حسن مآب ﴾ أى مرجع .

و لما انقضى الخبر عن الملك الأواب الذى ملك الدنيا بالفعل قهرا و غلبة شرقا و غربا، و كان أيوب عليه السلام فى ذروة الملوك و إن لم يكن ملكا بالفعل، و كان تكذيب من كذب بالنبى صلى الله عليه و سلم إنما هو بتسليط الله الشياطين بوسوسته عليهم، و أمره سبحانه بالصبر على ذلك و قص عليه من أخبار الأوابين تعليما لحسن الأوبة إن وهن الصبر، اتبعه الإخبار عن الصابر الأواب الذى لم يتاوه إلا من وسوسة الشيطان لزوجه بما كان يفتنها ليزداد النبى صلى الله عليه و سلم بذكر[3] هذه الأخبار صبرا[4] و يتضاعف إقباله على الله تعالى [و تضرعه له اقتداء باخوانه الذين لم تشغلهم عنه منحة السراء و لا محنة الضراء، و تذكيرا لقدرة الله ـ[4]] على كل ما يريده تنبيها على أنه قادر على رد قريش عما هم فيه و نصر المستضعفين[5] من عباده عليهم بايسر سعى فقال: ﴿ و اذكر عبدنا ﴾ [أى ـ[6]] الذى هو أهل للاضافة إلى عظيم جنابنا، و بينه بقوله: ﴿ ايوب ﴾ : هو من الروم من أولاد عيص بن إسحاق عليهم السلام لتتأسى بحاله فتصبر على قومك و إن رأيت ما لا

(١) فى ظ و مد: الأخرى (٢) من ظ و م و مد. و فى الأصل: بذكره. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صبر (٤) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للمستضعفين (٦) زيد من ظ و م و مد.

صبر لك عليه دعوت الله فى إصلاحه .

و لما أمره بذكره، بين أن معظم المراد بعض أحواله الشريفة ليتأسى به فقال مبدلا منه بدل اشتمال: ﴿ اذ ﴾ أى اذكر [1]حاله الذى[1] كان حين: ﴿ نادىٰ ﴾ [و صرف القول عن مظهر العظمة إلى صفة الإحسان لأنه موطنه لاقتضاء حاله ذلك فقال -[2]]: ﴿ربهٗ ﴾: أى المحسن إليه [الذى -[2]] عرف إحسانه إليه فى تربيته ببلائه كما عرف امتنانه بظاهر نعمائه و آلائه، ثم ذكر المنادى به حاكيا له بلفظه فقال مشيرا بالتأكيد إلى أنه - و إن كان حاله فيما عهد من شدة صبره مقتضيا عدم الشكوى - أتاه ما لا صبر عليه: ﴿انى﴾ أى رب أدعوك بسبب أنى . و لما كان هنا فى سياق التصبير، عظم الأمر باسناد الضر إلى أعدى الأعداء إلهابا إلى الإجابة [4]و أدبا[4] مع الله فقال: ﴿ مسّنى ﴾ أى و أنا من أوليائك ﴿الشيطٰن﴾ أى المحترق باللعنة البعيد من الرحمة بتسليطك له ﴿بنصب﴾ أى ضر و مشقة و هم و داء و وجع و بلاء يثقل صاحبه فيتعبه و يعييه و يكده[5] و يجهده و يصل به إلى الغاية من كل ذلك، و قرئ بضم الصاد[6] أيضا و قرئ / بالتحريك كالرُشد و الرَشد، و كان ذلك إشارة إلى أحوال الضر فى الشدة و الخفة فالمسكن أدناه، و المحرك أوسطه، و المثقل [بالضم -[2]] أعلاه ﴿ و عذاب ﴾ أى نكد قوى جدا دائم مانع من

٤٥٢ /

(١-١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: حال (٢) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عاديا (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يكدره (٦) راجع نثر المرجان ٦ / ٩٢ .

كل ما يلذ، و يمكن أن يساغ و يستطعم أجله، و نكره تنكير لتعظيم استغنائه[1] على وجازته عن جمل طوال و دعاء عريض إعلاما بأن السيل[2] قد بلغ الزبى[3]، و أوهن البلاء القوى، و لم يذكره بلفظ إبليس الذى هو من معنى اليأس و انقطاع الرجاء دلالة على أنه هو راج فضل الله غير آيس من روحه، و ذلك أن الله تعالى سلطه على إهلاك أهله و ولده و ماله فصبر ثم سلطه على بدنه إلى أن سقط لحمه و استمر على ذلك مددا طوالا، فلذلك ثم تراءى لزوجته[4] رضى الله عنها فى زى طبيب و قال لها: أنا أداويه و لا أريد [إلا -[5]] أن يقول لى، إذا عوفى أنت شفيتنى، و قيل: قال لها: لو سجد لى سجدة واحدة شفيته، فأتته و حدثته بذلك [6]فأخبرها و عرفها[6] أنه الشيطان، و حذرها منه و خاف غائلته عليها، فدعا الله بما تقدم و شدد النكير و التعظيم لما وسوس لها به بأن حلف ليضربنها مائة ضربة، ردعا لها عن الإصغاء إلى شىء من ذلك، و تهوينا لما يلقاه من بلائه فى جنبه .

و لما تشوف السامع إلى جوابه عن ذلك، استأنف قوله: [7] ﴿ اركض ﴾ أى قلنا له: اضرب الأرض [و أوجد الركض و هو

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مستغنابه (٢) من م ومد، و فى الأصل و ظ: السبيل (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الزل (٤) فى ظ و م و مد: لزوجه (٥) زيد من ظ و م و مد (٦ - ٦) فى ظ و م ومد: فعرفها .
(٧) العبارة من هنا إلى « عطف عليه قوله » ص ٣٩١ س ٧ ساقطة من ظ .

المشى و التحريك و الإسراع و الاستحثاث -[١]] ﴿برجلك ج﴾ يخرج منها ماء نافع حسن لتغتسل فيه و تشرب منه ففعل فأنبعنا له عينا، فقيل له: ﴿هذا﴾ باشارة القريب إشارة إلى تسهله ﴿مغتسل﴾ أى ماء يغتسل به [و موضعه و زمانه -[١]] ﴿بارد﴾ أى يبرد حر الظاهر ﴿و شراب ه﴾ يبرد حر الباطن . ٥

و لما كان التقدير: ففعل اغتسل و شرب فبرأ ظاهره و سر باطنه، عطف عليه قوله [صارفا القول إلى مظهر الجلال تنبيها على عظمة الفعل -[١]]: ﴿و وهبنا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿له أهله﴾ أى الذين كان الشيطان سلط عليهم بأن أحييناهم، [و جمع اعتبارا بالمعنى لأنه أفخم و أقرب إلى فهم المراد فقال -[١]]: ﴿و مثلهم﴾ [و أعلم باجتماع الكل فى آن ١٠ واحد فقال -[١]]: ﴿معهم﴾ جددناهم له ليعلم من يسمع ذلك أنه لاعبرة بشىء من الدنيا و أنها و كل ما فيها عرض زائل لاثبات له أصلا إلا ما كان لنا، فانه من الباقيات الصالحات، فلا يغير أحد بشىء منها و لايشتغل عنا أصلا، و يعلم من هذا من صدقه القدرة على البعث بمجرد تصديقه له و من توقف فيه سأل أهل الكتاب فعلم ذلك بتصديقهم له[٢]، ثم ١٥ علل سبحانه فعله ذلك بقوله: ﴿رحمة﴾ و لما كان فى مقام الحث على الصبر عظم الأمر بقوله: ﴿منا﴾ فانه أعظم من التعبير فى سورة الأنبياء بعندنا[٣]، ليكون ذلك أحث على لزوم الصبر، و إذا نظرت إلى ختام الآيتين عرفت تفاوت العبارتين و لاح لك أن مقام الصبر لايساويه

(١) زيد من م و مد (٢) فى ظ: به (٣) راجع آية ٨٤ .

شيء ، لأن الطريق إليه سبحانه لا ينفك شيء منه عن صبر و قهر للنفس و جبر ، لأنها بالإجماع خلاف ما تدعو إليه الطبائع[1] ﴿ و ذكرى ﴾ [أى -[2]] إكراما و تذكيرا عظيما ﴿لاولى الالباب ۝﴾ أى الأفهام الصافية ، جعلنا ذلك لرحمته و لتذكير غيره من الموصوفين على طول الزمان ليتأسى

٥ به كل مبتلى و يرجو مثل ما رجا ، فان رحمة الله واسعة ، و هو عند القلوب المنكسرة ، فما بينه و بين الإجابة إلا حسن الإنابة ، فمن دام إقباله عليه أغناه عن غيره :

لكل شيء إذا فارقته عوض و ليس لله إن[3] فارقت من عوض

و لما أجمل العذاب الصالح لألم الظاهر ، و ذكر المخلص منه ، اتبعه

٤٥٣ / ١٠ التنبيه على أعظمه و هو ألم / الباطن ، بل أبطن الباطن التعلق بالاعتقاد فيما وسوس لزوجه رضى الله عنها بما كاد[4] يزلها فحلف ليضربنها[5] مائة لئلا تعود إلى شيء من ذلك فيزلها عن مقامها[6] كما أزل[7] غيرها فأرشده سبحانه و تعالى إلى المخلص [من ذلك الحلف على أخف وجه لأنها كانت صابرة محسنة ، فشكر الله لها ذلك ، و جعل هذا المخلص -[8]]

١٥ بعدها سنة باقية لعباده تعظيما لأجرها و تطييبا لذكرها فقال عاطفا على

---

(١) فى ظ و مد : الطباع (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل : اذ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ليضربها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مقلها (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اعزل (٨) زيد ما بين الحاجزين من م و مد .

"اركض" : ﴿ و خذ بيدك ﴾ أى التى قد صارت فى غايـة الصحة ﴿ ضغثا ﴾ أى حزمة صغيرة من حشيش فيها مائة عود كشمراخ النخلة ، قال الفراء : هو كل ما جمعته من[1] شىء مثل الحزمة الرطبة ، [و قال السمين[2] : و أصل المادة يدل على جمع المختلطات -[3]] ﴿ فاضرب به ﴾ أى مطلق ضرب ضربة واحدة ﴿ و لا تحنث[4] ﴾ فى يمينك [أى تأثم بترك ما حلفت على فعله -[3]] ، فهذا تخفيف على[4] كل منهما لصبره ، و لعل الكفارة لم تكن فيهـم و خصنا الله بها مع شرعه فينا ما أرخصه له تشريفا لنا ، و كل[5] هذا إعلاما بأن الله تعالى ابتلاه صلى الله عليه و سلم فى بدنه و ولده [و ماله -[3]] ، و لم يبق له إلا زوجة توسوس لها الشيطان طمعا فى إيذائهما كما آذى آدم و حواء عليهما السلام ، إلى أن قارب منها بعض ما يريد ، و المراد بالإعلام به تذكير النبى صلى الله عليه و سلم بأنه إن [كان -[6]] مكن[7] الشيطان من الوسوسة لأقاربه و الإغواء و الإضلال فقد مكن عليه بزوجه أعظم وزراء الصدق و كثير من أقاربه الأعمام و بنى الأعمام و غيرهم ، و حفظ له بدنـه و ماله ليزداد شكره لله تعالى ، و فى القصة إشارة إلى أنه قادر على أن يطيع له من يشاء ، فانه قادر على التصرف فى المعانى كقدرته على التصرف فى الذوات ، و أنه سبحانه يهب لهذا النبى الكريم قومه العرب الذين هم الآن أشد الناس

(١) زيد فى ظ : كل (٢) مر التعليق عليه (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لعل .
(٦) زيد من مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امكن .

[1]عليه و غيرهم[1] فيطيعه الكل .

و لما كان الصبر و الأفعال المرضية عزيزة فى العباد لا تكاد توجد فلا يكاد يصدق بها ، علل سبحانه هذا الإكرام له صلى الله عليه و سلم و أكده ، فقال على سبيل الاستنتاج مما تقدم ردا على من يظن أن الشكوى إليه تنافى الصبر ، و إشارة إلى أن السر فى التذكير به التأسى فى الصبر : ﴿ انا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ وجدنه ﴾ أى فى عالم الشهادة طبق ما كان [لنا -[2]] فى عالم الغيب ليتجدد للناس من العلم بذلك ما كنا به عالمين . و لما كان السياق للحث على مطلق الصبر فى قوله تعالى "و اصبر على ما يقولون" أتى باسم الفاعل مجردا عن مبالغة فقال : ﴿ صابرا[3] ﴾ ثم استأنف قوله : ﴿ نعم العبد[4] ﴾ ثم علل بقوله مؤكدا لئلا يظن [5]أن بلاءه[5] قادح فى ذلك : ﴿ انه اواب ﴾ أى رجاع بكليته إلى الله سبحانه على خلاف ما يدعو إليه طبع البشر ، قال الرازى فى اللوامع : قال ابن عطاء : واقف[6] معنا بحسن الأدب لا يغيره دوام النعمة ، و لا يزعجه تواتر البلاء و المحنة . روى عبد بن حميد فى مسنده عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : وضع رجل يده على النبى صلى الله عليه و سلم فقال : و الله ما أطيق ان [6]أضع يدى عليك من[6] شدة حماك . فقال النبى صلى الله عليه و سلم : إنا معشر الأنبياء يضاعف لنا

(١-١) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : عليهم و د غيرهم (٢) زيد من م و مد (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وافق (٥-٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اضيع يدك عن .

البلاء كما يضاعف لنا الأجر ، إن كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالقمل حتى يقتله و إن كان النبي من الأنبياء ليبتلى بالفقر / حتى يأخذ العباة[1] فيحويها و إن كانوا ليفرحون بالبلاء كما يفرحون بالرخاء . /٤٥٤

و لما ذكر سبحانه من ابتلاه في بدنه و ماله و ولده ثم جعل له الماء بردا و سلاما[2] و عافية و نظاما و شفاء و قواما[3] ، عطف عليه من ٥ ابتلاه بالنار على أيدي الجبابرة فجعلها عليه بردا و سلاما باعتماده عليه و صبره لديه ، و نجاه من كيدهم[4] ، و جعل أيده بمفرده فوق أيدهم ، ثم ابتلاه بالهجرة لوطنه و أهله و عشيرته و سكنه ، ثم بذبح ابنه . فصبر على ذلك كله ، اعتمادا على فضل الله و منه فقال : ﴿و اذكر عبدنا﴾ بالتوحيد في رواية [ابن - ٥] كثير للجنس أو لإبراهيم وحده عليه السلام لأنه ١٠ أصل من عطف عليه دينا[6] و أبوة ، [فبين الله أساس عطفه عليه في المدح بالعبودية أيضا - ٥] ، ثم بين المراد بقوله : ﴿ابرٰهيم﴾ و عطف[7] على العبد[7] [لا على مبينه لئلا يلزم بيان واحد بجماعة إذا أريد به إبراهيم وحده لا الجنس - ٥] ابنه لصبره على دينه في الغربة بين عباد الأوثان و مباعدي الإيمان ، فلم يلفت[8] لفتهم و لا دانهم ، بل أرسل إلى أقاربه في ١٥

---

(١) من مد ، و في الأصل و ظ و م : العبادة (٢) زيد في الأصل : باعتماده عليه و صبره . و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و في الأصل : قياما (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : كفرهم . (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : رينا (٧ - ٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : عليه (٨) من مد ، و في الأصل و ظ و م : يلتفت .

بلاد الشرق . فتزوج منه من وافقته على دينه الحق ، و استمر على إخلاص العبادة لا يأخذه فى الله لومة لائم إلى ان مضى لسبيله فقال : ﴿و اسحٰق﴾ ثم أتبعه ولده الذى قفا أثره . و صبر صبره ، و ابتلى بفقد ولده ، و بهجة كبده ، فصبر أتم الصبر فى ذلك[1] الضر ، و أبلغ فى الحمد و الشكر ، فقال تعالى : ﴿و يعقوب﴾ و ألحقهما سبحانه بأبيها [بعد أن بينت قراءة الإفراد إصالته فى المدح بالعبودية فعطفهما عليه نفسه -[2]] فى قراءة غير ابن كثير " عبادنا " بالجمع كما قال تعالى " و الذين آمنوا و اتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم " .

و لما اجتمعوا بالعطف أو البدل[3] وصفهم بقوله : ﴿ اولى الايدى ﴾ أى القوة[4] الشديدة و الأعمال السديدة لأن الأيدى أعظم آلات ذلك ﴿و الابصار ﴾ أى الحواس الظاهرة و الباطنة التى هى حقيقة بأن تذكر و تمدح بها لقوة إدراكها و عظمة نفوذها فيما هو جدير بأن يراعى من جلال الله و مراقبته فى الحركات و السكنات سرا و علنا ، و عبر عن ذلك بالأبصار لأنها[5] أقوى مبادئه ، و من لم يكن مثلهم كان مسلوب القوة و العقل ، فلم يكن له عقل فكان عدما . فهو أعظم توبيخ لمن رزقه الله قوة و عقلا . ثم لا يصرفه فى عبادة الله و المجاهدة فيه سبحانه .

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : على ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد . و فى الأصل و ظ : ابدل (٤) فى م : القوى . (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لأنه .

و لما اشتد تشوف السامع لما استحقوا به هذا الذكر، قال مؤكدا إشارة إلى محبته سبحانه لمدحهم و ردا على من ينسب إليهم أو إلى أحد منهم ما لا يليق كما كذبه اليهود فيما بدلوه[1] من التوراة فى حق إسحاق عليه السلام فى بعض المواضع [معديا للفعل بالهمزة إشارة إلى انه جذبهم من العوائق إليه جذبة واحدة هى فى غاية السرعة -[2]]: ﴿انآ اخلصنهم﴾ ٥ أى لنا إخلاصا يليق بعظمتنا التى لاتدانيها عظمة ﴿بخالصة﴾ أى أعمال و أحوال و مقامات و بلايا و محن [هى سالمة عن شوب ما -[3]]، فصاروا[4] بالصبر عليها فى غاية الخلوص.

و لما كان سبب الإخلاص تذكر يوم الدين [و -[5]] ما يبرز فيه من صفات الجلال و الجمال و ينكشف فيه من الأمور التى لاتوصف ١٠ عظمتها، بينها بقوله: ﴿ذكرى الدار﴾ [أى -[5]] تذكرهم تلك الخالصة تذكيرا عظيما لايغيب عنهم أصلا الدار التى لايستحق غيرها أن يسمى دارا بوجه بحيث نسوا بذكر هذا الغائب [ذكر ما يشاهدونه من دار الدنيا فهم لاينظرون إليه أصلا بغضا فيها، فقد أنساهم هذا الغائب -[5]] الثابت الشاهد الزائل عكس ما عليه العامة. و إضافة نافع [و أبى جعفر ١٥ وهشام عن ابن عامر بخلاف عنه -[5]] لخالصة[6] مؤيد لما قلت من أن ذكرى بيان لأنها إضافة / الصفة إلى الموصوف، و المعنى أنهم لايعملون[7] شيئا إلا و هو / ٤٥٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يذكر (٢) زيد من مد (٣) زيد من م و مد (٤) من مد، و فى الأصل و ظ وم: صادا (٥) زيد من ظ وم و مد.
(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لخاصة (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لايعلمون.

مقرب للآخرة، فالمعنى أن ذكرهم لها خالص عن سواه لايشاركه فيه شيء و لايشوبه شوب أصلا .

و لما دلت هذه الجملة على هذا المدح البليغ، عطف عليه ما يلازم الإخلاص فقال مؤكدا لمثل ما تقدم من التنبيه على أنهم ممن يغتبط بمدحهم، و ردا على من ربما ظن خلاف ذلك بكثرة مصائبهم فى الدنيا: ﴿و انهم عندنا﴾ أى على ما لنا من العظمة و الخبرة ﴿لمن المصطفين﴾ المبالغ فى تصفيتهم مبالغة كأنها بعلاج ﴿الاخيار﴾ الذين كل واحد منهم خير بليغ فى الخير، و إصابتنا إياهم بالمصائب دليل ذلك لا دليل عكسه كما يظنه[1] من طمس قلبه[2]. [و الآية من الاحتباك: ذكر «أخلصناهم» أولا دليلا على "اصطفيناهم" ثانيا، و "المصطفين" دليلا على «المخلصين» أولا، و سر ذلك أن الإخلاص يلزم منه الاصطفاء، لاسيما إذا أسنده إليه بخلاف العكس بدليل "ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه" - [3]] .

و لما أتم الأمر بذكر الخليل و ابنه عليهما السلام الذى لم يخرج من كنفه قط و نافلته المبشر به للتأسى بهم فى صبرهم على الدين و إن خالفهم من خالفهم، أتبعه ولده الذى أمر بالتجرد عنه مرة بالإسكان عند البيت الحرام ليصير أصلا برأسه فى أشرف البقاع، و مرة بالأمر بذبحه فى تلك المشاعر الكرام، فصار ما أضيف إليه من الأحوال

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يظن (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بصره (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد.

و الأفعال من المناسك العظام عليه الصلاة و السلام، و أفرده بالذكر دلالة على أنه أصل عظيم برأسه من أصول الأئمة الأعلام، فقال: ﴿ و اذكر اسمٰعيل ﴾ أى أباك و ما صبر عليه من البلاء بالغربة و الانفراد و الوحدة و الإشراف على الموت فى الله غير مرة و ما صار إليه بعد ذلك البلاء من الفرج و الرئاسة و الذكر فى هذه البلدة ﴿ و اليسع ﴾ ٥ أى الذى استخلفه إلياس عليه السلام على بنى إسراءيل فجمعهم الله عليه بعد ذلك الخلاف الشديد الذى كان منهم لإلياس عليه السلام ﴿ و ذا الكفل ﴾ أى النصيب العظيم بالوفاء بما يكفله[1] من كل أمر علىّ، و عمل صالح زكى.

و لما تقدم [وصف -[2]] من قبل إبراهيم عليه السلام بالأوبة ١٠ و خصوا بالتصريح، لما كان لهم من الشواغل عنها بكل من منحة السراء و محنة[3] الضراء [و كذلك الوصف بالعبودية سواء -[4]]، و كان الأمر بالذكر - مع حذف الوصف المذكور لأجله و الإشارة إليه بالتلويح و لامانع من ذكره - دالا على غاية المدح له[5] لذهاب الوهم فى تطلبه[6] كل مذهب، قال معمما للوصف [بالعبودية و الأوبة -[4]] بها جميع المذكورين، عاطفا ١٥ بما أرشد إليه العطف على غير مذكور على [ما -[2]] تقديره: إنهم أوابون، ليكون تعليلا[7] لذكرهم بما علل به ذكر أول مذكور فيهم:

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: يكلفه (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: منحه (٤) زيد من م و مد (٥) سقط من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل: طلبه، و فى ظ: مطلبه (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تقليلا.

﴿ و كل ﴾ اى من هؤلاء المذكورين فى هـذه السورة من الأنبياء [١ قائمون بحق العبودية فهم من خيار عبادنا١ من هؤلاء الثلاثة و من قبلهم -٢] ﴿من الاخيار٥﴾ أى كما أن كلا منهم أواب بالعراقة فى وصف الصبر - كما مضى فى الأنبياء، و بغير ذلك من كل خير على أن الصبر جامع لجميع الطريق ، فهم الذين يجب الاقتداء بهم فى الصبر على الدين و لزوم طريق المتقين٣ .

و لما أتم سبحانه ما أراد من ذكر هؤلاء الأصفياء عليهم السلام الذين عافاهم بصبرهم و عافى من دعوهم ، فجعلهم سبحانه سبب الفلاح و لم يجعلهم سببا للهلاك . [قال مؤكدا لشرفهم -٤] و شرف ما ذكروا به ، حاثا على٥ إدامة تذكره و تأمله و تدبره للعمل به ، مبينا ما٦ لهم فى الآخرة على ما ذكر من أعمالهم و ما٧ لمن ٨ نكب عن طريقهم٨ على سبيل التفصيل : ﴿هذا﴾ أى ما تلوناه عليك من أمورهم و أمور غيرهم ﴿ ذكر١ ﴾ أى شرف فى الدنيا و موعظة من ذكر القرآن ذى الذكر ، ثم عطف على قوله " ان الذين / يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد" ٤٥٦/ ما لأضدادهم . فقال مؤكدا ردا على من ينكر ذلك من كفار العرب

(١-١) ليس ما بين الرقمين فى مد (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اليقين (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى الأصل و ظ : ان ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مما (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما (٨ - ٨) من مد . و فى الأصل و م : يكب على طريقه ، و فى ظ : نكب عن طريقه .

و غيرهم : ﴿ و ان ﴾ و يجوز - و هو أحسن - أن يكون معطوفا على "هذا" و تقديره : هذا ذكر للصابرين .

و لما أداهم [إليه صبرهم فى الدنيا و أن لهم على ما وهبناهم -[1]] من الأعمال الصالحة التى يجمعها[2] الصبر لمرجعا[3] حسنا ، و لكنه أظهر الوصف الذى أداهم إلى هذا المآب تعميما لكل من اقتدى بهم حثا على الاقتداء ٥ فقال : ﴿ للمتقين ﴾ أى جميع [العريقين فى وصف التقوى -[1]] الذين يلزمون لتقواهم الصراط المستقيم ﴿ لحسن مآب ﴾ أى مصير و مرجع ؛ و لما شوق سبحانه إلى هـــذا الجزاء [أبدل منه أو -[1]] بينه بقوله : ﴿ جنت عدن ﴾ أى إقامة [فى استمراء و طيب عيش ، و نمو و امتلاء و شرف أصل -[4]] . ١٠

و لما كانت من الأعلام[5] الغالبة ، نصب[6] عنها على الحال قوله : ﴿ مفتحة ﴾ أى تفتيحا[7] كثيرا و بليغا [من غير أن يعانوا فى فتحها شيئا من نصب أو طلب أو تعب ، و أشار جعل هذا الوصف مفردا أن تفتيحها على كثرتها كان لهم فى آن واحد حتى كأنها باب واحد -[4]] ﴿ لهم ﴾ أى لا لغيرهم ﴿ الابواب ج ﴾ التى لها و التى فيها فلا يلحقهم ١٥ فى دخولها ذل الحجاب و لا كلفة الاستئذان ، تستقبلهم الملائكة

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد . و فى الأصل و ظ : يجمعها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : مرجعا (٤) زيد من مد (٥) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : الاعمال (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فصب (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تفتحا .

بالتبجيل و الإكرام .

و لما ذكر إقامتهم و يسر دخولهم ، [1]وصف حالهم[1] إذ ذاك فقال: ﴿متكئين فيها[2]﴾ أي ليس لهم شغل سوى النعيم و لا عليهم كلفة أصلا. و لما كان المتكئ لايتم نعيمه إلا أن كان مخدوما ، دل على سؤددهم[3] بقوله : ﴿يدعون فيها﴾ أي كلما أرادوا من غير مانع أصلا و لاحاجة إلى قيام و لا قعود يترك به الاتكاء . و لما كان أكلهم[4] إنما هو للتفكه لا لحفظ الجسد من آفة قال: ﴿بفاكهة كثيرة﴾ فسمى جميع مآكلهم فاكهة . و لما كانت الفاكهة لايمل منها ، و الشراب لايؤخذ منه إلابقدر الكفاية، وصفها دونه فقال : ﴿و شراب ۝﴾ .

و لما كان الأكل و الشرب داعيين إلى النساء لاسيما مع الراحة قال: ﴿و عندهم﴾ أي لهم من غير مفارقة أصلا . [5]و لما كان سياق الامتنان مفهما كثرة الممتن به لا سيما إذا كان من العظيم[6] ، أتى بجمع القلة مريدا به الكثرة لأنه أشهر و أوضح و أرشق من « قواصر » المشترك بين جمع قاصر و قوصرة - بالتشديد و التخفيف - لوعاء التمر فقال: ﴿قصرت[7]﴾ [8]و لما كن على خلق واحد فى العفة و كمال الجمال وحد فقال[8] :

(١ - ١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وصفهم (٢) ليس فى الأصل فقط. (٣) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : تودهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : كلهم (٥) العبارة من هنا إلى «لوعاء التمر فقال» ساقطة من م (٦) فى الأصل و ظ بياض . ملأناه من مد (٧) و قع فى الأصل و ظ قبل « و لما كان سياق الامتنان » و الترتيب من مد (٨-٨) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ بعد « غير مفارقة أصلا » و الترتيب من مد ، و العبارة ساقطة من م .

﴿ الطرف ﴾ أى طرفهن لعفتهن[1] و طرف أزواجهن لحسنهن، [و لما لم تنقص صيغة جمع القلة المعنى، لكونه فى سياق المدح و الامتنان، و كان يستعار للكثرة، أتى على نمط الفواصل بقوله -[2]] : ﴿ اتراب ﴾ أى على سن واحد مع أزواجهن و هو الشباب، سمى القرين ترباً لمس التراب جلده و جلد قرينه فى وقت واحد، قال البغوى[3]: بنات ثلاث ٥ و ثلاثين سنة. لأن ذلك ادعى للتآلف[4] فان التحاب بين الأقران أشد و أثبت.

و لما ذكر هذا النعيم لأهل الطاعة، و قدم ذلك العذاب لأهل المعصية قال: ﴿ هذا ﴾ اى الذى ذكر هنا و الذى مضى ﴿ ما ﴾ و بنى للمفعول اختصاراً[5] و تحقيقا للتحتم قوله: ﴿ توعدون ﴾ من الوعد ١٠ و الإيعاد، [و قراءة الغيب على الأسلوب الماضى، و من خاطب لفت الكلام للتلذيذ بالخطاب تنشيطا لهممهم و إيقاظا لقلوبهم -[6]] ﴿ ليوم الحساب ﴾ أى ليكون فى ذلك اليوم.

و لما كان هذا يصدق بأن يوجد ثم ينقطع كما هو المعهود من حال الدنيا، أخبر أنه على غير [7]هذا المنوال[7] فقال: ﴿ ان هذا ﴾ أى ١٥ المشار إليه إشارة[8] الحاضر الذى لايغيب ﴿ لرزقنا ﴾ أى للرزق الذى

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لعفتهم (٢) زيد من مد (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/٥٢ (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: للتأليف.
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اختار (٦) زيد من م و مد (٧-٧) من م و مد. و فى الأصل و ظ: منوال (٨) زيد فى الأصل و ظ: كما هو، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

يستحق الإضافة إلينا فى مظهر العظمة ، فلذلك كانت[1] النتيجة : ﴿ما له من نفاد ج ه﴾ أى فناء و انقطاع ، بل هو كالماء المتواصل فى نبعه ، كلما أخذ منه شيء أخلف فى الحال بحيث أنه لا يميز المأخوذ من الموجود بوجه من الوجوه ، فيكون [فى - [2]] ذلك تلذيذ و تنعيم لأهل الجنة بكثرة ما عنده ، و بمشاهدة ما كانوا يعتقدونه و يثبتونه لله تعالى من القدرة على الإعادة فى كل وقت ، جزاء وفاقا / عكس ما يأتى لأهل النار . /٤٥٧

و لما كانت النفوس نزاعة للهوى ميالة إلى الردى ، فكانت محتاجة إلى مزيد تخويف و شديد تهويل ، قال تعالى متوعدا لمن ترك التأسى بهؤلاء السادة فى احوال العبادة ، مؤكدا لما مضى من إبعاد العصاة و تخويف العتاة : ﴿ هذا[4] ﴾ [أى -[2]] الأمر العظيم الذى هو جدير بأن يجعل نصب العين و هو أنه لكل من الفريقين ما ذكر و إن أنكره [الكفرة - [3]] ، و حذف الخبر بعد إثباته فى الأول أهول[5] ليذهب الوهم فيه كل مذهب[5] ﴿و ان للطغين﴾ اى الذين لم يصبروا على تنزيلهم [أنفسهم - [3]] فى منازلها بالصبر على ما أمروا به فرفعوا أنفسهم فوق قدرها ، و تجاوزوا الحد و علوا فى الكفر به و أسرفوا فى المعاصى و الظلم و تجبروا و تكبروا فكانوا احمق الناس ﴿لشر ماب ج ه﴾ أى مصير و مرجع ،

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كان (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اهوال (٥) العبارة من « و حذف الخبر » إلى هنا ساقطة من م .

و أبدل منه أو[1] بينه بقوله : ﴿ جهنم ج ﴾ أى الشديدة الاضطرام الملاقية لمن يدخلها بغاية العبوسة و التجهم .

و لما كان اختصاصهم بها ليس بصريح فى عذابهم ، استأنف التصريح به فى قوله : ﴿ يصلونها ج ﴾ أى يدخلونها فيباشرون شدائدها . و لما أفهم هذا غاية الكراهة [لها -[2]] و أنه لا فراش لهم غير جمرها ، فكان التقدير : فيكون مهادا لهم لتحيط بهم فيعمهم صليها[3] ، سبب عنه قوله : ﴿ فبئس المهاد ۝ ﴾ أى الفراش هى . فان فائدة الفراش تنعيم الجسد ، و هذه تذيب الجلد و اللحم ثم يعود فى الحال كلما[4] ذاب عاد عقوبة لهم ليريهم الله ما كانوا يكذبون به من الإعادة فى كل وقت دائما أبدا ، كما كانوا يعتقدون ذلك دائما أبدا جزاء وفاقا عكس ما لأهل الجنة من التنعيم و التلذيذ باعادة كل ما قطعوا من فاكهتها و أكلوا من طيرها ، لأنهم يعتقدون الإعادة فنالوا هذه السعادة .

و لما قدم أن لأهل الطاعة فاكهة و شرابا ، و كان ما وصف به مأوى العصاة لا يكون إلا عذابا ، و كان مفهما لامحالة أن الحرارة تسيل[5] من أهل النار عصارة من صديد و غيره قال : ﴿ هذا ۙ ﴾ أى العذاب للطاغين ﴿ فليذوقوه ﴾ ثم فسره بقوله : ﴿ حميم ﴾ أى ماء حار ، و أشار بالعطف بالواو إلى تمكنه فى كل من الوصفين فقال : ﴿ و غساق ۙ ۝ ﴾

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٢) زيد من م و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : حيلها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كما. (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا تسيل .

أى سيل منتن عظيم جدا بارد أسود مظلم شديد فى جميع هذه الصفات من صديد و نحوه ، و هو فى قراءة الجماعة [1] بالتخفيف [2] اسم كالعذاب و النكال من غسقت عينه ، أى سالت ، و غسق الشيء ، [أى ـ [3]] امتلأ ، و منـــه الغاسق للقمر لامتلائه و كماله ، و فى قراءة حمزة و الكسائى و حفص بالتشديد صفة كالخباز و الضراب ، تشير إلى شدة أمره فى جميع ما استعمل فيه من السيلان و البرد و السواد .

و لما كان فى النار ـ اجارنا الله منها بعفوه و رحمته ـ ما لا يعد من [4] أنواع العقاب [4] ، قال [عاطفا على هذا ـ [3]] ، ﴿ و آخر ﴾ أى من أنواع المذوقات ـ على قراءة البصريين بالجمع [2] لأخرى ، و مذوق على قراءة غيرهما بالإفراد ، و هو حينئذ للجنس ، [و أخبر عن المبتدأ بقوله ـ [3]] : ﴿ من شكله ﴾ أى شكل هذا المذوق و لما كان المراد الكثرة فى المعذبين و هم الطاغون و فى عذابهم مع افتراقه [5] بالأنواع و إن اتحد فى جنس العذاب ، صرح بها فى قوله : ﴿ ازواج ﴾ أى هم أو هى [6] أو هو ، أى جنس عذابهم أنواع كثيرة .

و لما كان مما أفهمه الكتاب فى هذا الخطاب أن الطاغين الداخلين إلى جهنم أصناف كثيرة ، و كانت العادة جارية بأن الأصناف إذا اجتمعوا

(١) فى م و مد : الجمهور (٢) راجع نثر المرجان ٦/ ١٠٠ و ١٠١ (٣) زيد من م و مد (٤ - ٤) من م و مد . و فى الأصل و ظ : الأنواع (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : افترانه (٦) زيد فى م : أى المذوقات .

كانت

كانت بينهم محاورات و لاسيما إن كانوا من الطغاة العتاة ، تحرك البيامع إلى تعرف ذلك فقال تعالى مستأنفا جوابه بما يدل على تقاولهم بأقبح [المقاولة - ١] و هو التخاصم الناشئ عن التباغض و التدابر الذى من شأنه أن يقع بين الذين / دبروا أمرا فعاد عليهم بالوبال فى أن كلا ٤٥٨/ منهم يحيل ما وقع بـــه العكس على صاحبه ، و ذلك أشد لعذابهم : ﴿هذا﴾ أى قال أطغى الطغاة لما دخلوها أولا كما هم أهل له لأنهم ضالون مضلون و ٢رأوا جمعا٢ من الأتباع داخلا عليهم : هذا ﴿فوج﴾ أى جماعة كثيفة مشاة مسرعون . و لما كانوا يدخلونها من شدة ما تدفعهم الزبانية على هيئة الوائب قال ٣مشيرا بالتعبير بالوصف مفردا إلى أنهم فى الموافقة فيه و التسابق كأنهم نفس واحدة٣ : ﴿مقتحم﴾ أى رام بنفسه فى الشدة بشدة فجاءة بلا روية كائنا ﴿معكم ج﴾ .

و لما كان أهل النار يؤذى بعضهم بعضا بالشهيق و الزفير و الزحام و الدفاع و البكاء و العويل و ما يسيل من بعضهم على بعض من القيح و الصديد و غير ذلك من أنواع النكد . و لاسيما إن كانوا أتباعا لهم فى الدنيا ، فصاروا مثلهم فى ذلك الدخول فى الرتبة . لايتحاشون عن دفاعهم وخصامهم و نزاعهم ، قالوا استئنافا : ﴿لا مرحبا﴾ ثم بينوا٤ المدعو عليه فقالوا : ﴿بهم ٤﴾ و هى كلمة واقعة فى أتم مواقعها لأنها دالة على

(١) زيد من م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : روابها - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بين ، و العبارة من « ثم بينوا » إلى « فقالوا » ساقطة من مد .

التضجر و البغضة مع الصدق فى أهل مدلولها الذى هو مصادقة الضيق ، مفعل من الرحب مصدر ميمى و هو[1] السعة ، [2]أى لا كان بهم[3] سعة أصلا و لا اتسعت بهم هذه الأماكن [4]و لا هذه الأزمان[4] و لا حصلت لهم و لا بهم[5] راحة ، و لذلك عللوا استحقاقهم لهذا الدعاء بقولهم مؤكدين لما كان استقر فى نفوسهم و تطاول عليه الزمان من إنكارهم له : ﴿انهم صالوا النار ٥﴾ أى و من صليها[6] صادف من الضيق ما لم يصادفه أحد و آذى[7] كل من جاوره .

و لما كان من المعلوم على ما جرت به العوائد أنهم يتأثرون من هذا القول فيحصل التشوف إلى ما يكون من أمرهم هل يجيبونهم أم تمنعهم هيبتهم على ما كانوا فى الدنيا ، أعلم بما يعلم منه انقطاع الأسباب هناك ، فلا يكون من أحد منهم خوف من آخر ، فقال مستأنفا : ﴿ قالوا ﴾ أى الأتباع المعبر عنهم بالفوج لسفولهم و بطون أمرهم : ﴿ بل انتم قف ﴾ أى خاصة أيها الرؤساء ﴿ لا مرحبا ﴾ و بينوا بقولهم : ﴿بكم[8] ﴾ أى هذا الذى دعوتم به علينا أنتم أحق به منا ، [ثم -[8]] عللوا قولهم بما أفهم أنهم شاركوهم فى الضلال و زادوا[9] عليهم بالإضلال[10]

(١) من مد ، و فى الأصل وظ وم : هى (٢) العبارة من هنا إلى «سعة أصلا» ساقطة من م (٣) من مد ، و فى الأصل وظ : لهم (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من م و مد ، وفى الأصل وظ : لهم (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : صلاها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : آوى (٨) زيد من م و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ردوا (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى الإضلال .

فقالوا : ﴿ انتم ﴾ أى خاصة ﴿ قدمتموه ﴾ أى الاقتحام فى العذاب بما أقحمتمونا[1] فيه [من أسبابه -[2]] و قدمتم فى دار الغرور[3] من تزيينه ﴿ لنا ج ﴾ و لما كان الاقتحام و هو الوثوب أو الدخول على شىء بسرعة كأنها الوثوب ينتهى منه إلى استقرار ، و كان الفريقان قد استقروا فى مقاعدهم فى النار ، سببوا عن ذلك قولهم : ﴿ فبئس القرار ه ﴾ أى قراركم . ٥

و لما كان قول الأتباع هذا مفهما لأنهم علموا أن سبب ما وصلوا إليه من الشقاء هو الرؤساء ، و كان هذا موجبا لنهاية غيظهم منهم ، تشوف السامع لما يكون من أمرهم معهم ؟ هل يكتفون بما أجابوهم به أو يكون إمنهم شىء آخر ؟ فاستأنف[5] قوله إعلاما بأنهم لم يكتفوا بذلك و علموا أنهم لا يقدرون على الانتقام[6] منهم : ﴿ قالوا ﴾ أى الأتباع : ١٠ ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا الذى منعنا هؤلاء عن الشكر له ﴿ من قدم لنا هذا ﴾ أى العذاب بما قدم [لنا -[6]] من الأسباب التى اقتحمناه ، و قدموا ذلك اهتماما به و أجابوا الشرط بقولهم : ﴿ فزده ﴾ أى على العذاب الذى استحقه بما استحققنا به نحن و هو الضلال ﴿ عذابا ضعفا ﴾ أى زائدا / على ذلك مثله مرة أخرى بالإضلال ، و قيدوه ١٥ / ٤٥٩ طلبا لفخامته بقولهم [7]معبرين بالظرف لإفهام الضيق الذى تقدم الدعاء[7]

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : اقتحمونا (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العز (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : استأنف (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انتقام (٦) زيد من م و مد (٧-٧) سقط من ما بين الرقمين من م .

[1]المجاب فيه به ليكون عذابا آخر فهو أبلغ مما فى الأعراف لأن السياق هنا للطاغين و هناك لمطلق الكافرين[1] ﴿ فى النار ﴾[1] أى كائنا فيها[1]، و هذا مثل الآيـة الأخرى ربنا [1]اتهم ضعفين من العذاب[2] و العنهم لعنا كبيرا[2] أى مثل عذابنا مرّتين .

٥ و لما ذكر من اقتحامهم فى العذاب و تقاولهم بما دل على خزيهم [3]و حسرتهم و حزنهم ، أعلم بما دل على زيادة خسرانهم[3] و حسرتهم و هوانهم بمعرفتهم بنجاة المؤمنين الذين كانوا يهزؤن بهم و يذلونهم فقال : ﴿ و قالوا ﴾ أى الفريقان : الرؤساء و الأتباع بعد أن قضوا وطرهم مما لم يغن عنهم شيئا من[4] تخاصمهم : ﴿ ما ﴾ أى أىّ شىء حصل ﴿ لنا ﴾ مانعا فى أنا

١٠ ﴿ لا نرى ﴾ أى فى هذا المحل الذى أدخلناه ﴿ رجالا ﴾ يعنون فقراء المؤمنين ﴿ كنا نعدهم ﴾ أى[5] فى دار الدنيا ﴿ من الاشرار ﴾ أى الأراذل الذين لاخير فيهم ، بأنهم قد قطعوا الرحم ، و فرقوا بين العشيرة و أفسدوا ذات البين ، وغيروا الدين بكونهم لايزالون يخالفون الناس فى أقوالهم و أفعالهم . مع ما كانوا فيه من الضعف و الذل و الهوان

١٥ و سوء الحال فى الدنيا ، فيظن أهلها نقص حظهم منها و كثرة مصائبهم[6] فيها لسوء حالهم عند الله و ما دروا انه تعالى يحمى احباءه[7] منها كما

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما .
(٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صابيهم (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : احبابه .

يحمى الإنسان عليه الطعام و الشراب و من يرد به خيرا يصب منه[1] .

و لما كانوا يسخرون من المؤمنين و يستهزؤن بهم، و هم ليسوا موضعا لذلك، بل حالهم فى جِدهم و تجدهم فى غاية البعد عن ذلك، قالوا مستفهمين، أما على قراة الحرميين و ابن عامر و عاصم[2] فتحقيقا، و أما على قراءة غيرهم فتقديرا: ﴿ اتخذناهم ﴾ أى كلفنا أنفسنا و عالجناها ٥ فى أخذهم ﴿ سخريا ﴾ أى نسخر منهم و نستهزئ بهم - على قراءة الكسر، و نسخرهم أى نستخدمهم على قراءة الضم. و هم ليسوا أهلا لذلك، بل كانوا خيرا منا فلم يدخلوا هنا لعدم شرارتهم، [و كأنهم كانوا إلى تجويز كونهم فى النار معهم و منعهم من رؤيتهم أميل، فدلوا على ذلك بتأنيث الفعل ناسبين خفاءهم عنهم إلى رخاوة فى أبصارهم على قوتها ١٠ فى ذلك الحين فقالوا -[3]] : ﴿ أم زاغت ﴾ أى مالت متجاوزة ﴿ عنهم ﴾ .

و لما كان تعالى يعيد الخلق فى القيامة على غاية الإحكام فى ابدانهم و معايها فتكون أبصارهم أحد ما يمكن أن تكون و أنفذه[4] "أسمع بهم و أبصر يوم يأتوننا فبصرك اليوم حديد" عدوا أبصارهم فى الدنيا بالنسبة إليها عدما، فلذلك عرفوا قولهم: ﴿ الابصار ﴾ أى منا [التى لا أبصار ١٥ فى الحقيقة سواها [3]] فلم نرهم و هم فينا و معنا فى النار، و لكن حجبهم عنا بعض اوديتها و جبالها و لهبها، فـ "ام" معادلة لجملة السخرية، و قد

(١) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) راجع نثر المرجان ٦ / ٣٠١ (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: أبعده.

علم بهذا التقرير ان معنى الآية إلى انفصال حقيق معناه : أ هم معنا أم[1] لا[1] ؟ فهى من الاحتباك : أثبت الاتخاذ المذكور الذى يلزمه بحكم[2] العناد بين[2] الجملتين عدم كون المستسخر بهم [معهم -[4]] فى النار أولا دليلا على ضده ثانيا ، و هو كونهم معهم فيها ، و أثبت زيـــغ الأبصار ثانيا ٥ اللازم منه بمثل ذلك كونهم معهم فى النار دليلا على ضده أولا و هو كونهم ليسوا معهم ، و سر ذلك [أن -[4]] الموضع لتحسرهم و لومهم لأنفسهم ، فى غلطهم و الذى ذكر عنهم أقعد فى ذلك .

و لما كان هذا أمرا رائعا جدا زاجرا لمن له عقل فتأمله مجردا لنفسه من الهوى ، و كانت الجدود[5] تمنعهم عن التصديق به ، كان موضعا ١٠ لتأكيد الخبر عنه فقال : ﴿ان ذلك﴾ أى الأمر العظيم الذى تقدم الإخبار به ﴿ لحق ﴾ أى ثابت لابد من وقوعه إذا[6] وقـــع مضمونه وافق الواقع منه هذا الإخبار عنه . و لما كان أشق ما فيه عليهم و[7] أنكأ تخاصمهم[7] جعله هو المخبر به وحده ، فقال / مبينا له مخبرا عن مبتدإ ٤٦٠/ استئنافا تقديره . هو ﴿ تخاصم اهل النار ع ﴾ لأنه ما أناره لهم إلا الشر ١٥ و النكد فسمى تخاصما[8] .

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣-٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : العبارتين (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى م و مد : الحظوظ (٦) من م و مد ، و فى الأصل : و ظ : اذ (٧-٧) من ظ و م و مد . و فى الاصل : انكار تخاصمهم (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تخاصمهم .

و لما كانت قد جرت عادتهم عند التخويف أن يقولوا: عجل لنا هذا إن كنت صادقا فيما ادعيت، و من المقطوع به أنه لايقدر على ذلك إلا الإله فصاروا كأنهم نسبوه إلى أنه ادعى الإلهية، قال تعالى منبها على ذلك آمرا له بالجواب: ﴿ قل ﴾ أى لمن يقول لك ذلك: ﴿ انما انا منذر مبين ﴾ أي مخوف لمن عصى، و لم أدّع[1] أنى إله، ليطلب منى ذلك فانه لايقدر على مثله إلا الإله، فهو قصر قلب للموصوف على الصفة، و أفرد قاصرا للصفة فى قوله: ﴿ و ما ﴾ و أعرق فى النفى بقوله: ﴿ من اله ﴾ أي معبود بحق لكونه محيطا بصفات الكمال. و لما كان السياق للتوحيد الذى هو أصل الدين، لفت القول عن مظاهر العظمة إلى أعظم منه و أبين فقال: ﴿ الا الله ﴾ و للإحاطة عبر بالاسم العلم[2] الجامع لجميع الأسماء الحسنى و لو شاركه شيء لم يكن محيطا و للتفرد قال مبرهنا على ذلك: ﴿ الواحد ﴾ أى بكل اعتبار فلا يمكن أن يكون له جزء أو يكون له شبيه فيكون محتاجا مكافئا ﴿ القهار ﴾ أى الذى يقهر غيره على ما يريد، و هذا برهان على أنه الإله وحده و ان آلهتهم بعيدة عن استحقاق الإلهية لتعددها و تكافؤها بالمشابهة و احتياجها.

و لما وصف نفسه سبحانه بذلك، دل عليه بقوله: ﴿ رب السموٰت ﴾ أى مبدعها و حافظها على علوها و سعتها و إحكامها بما لها من الزينة[3] و المنافع. و جمع لأن المقام للقدرة، و إقامة الدليل على تعددها سهل

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لم ادعى (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المعلم (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الرتبة.

﴿و الارض﴾ على سعتها و ضخامتها و كثافتها و ما فيها من العجائب .

و لما كان القائل مخيرا كما قال ابن مالك فى الكافية الشافية عند اختلاط العقلاء بغيرهم فى إطلاق ما شاء من « مَن » التى أغلب إطلاقها على العقلاء و « ما » التى هى بعكس ذلك ، وكان ربما وقع فى وهم أن تمكنه تعالى من العقلاء دون تمكنه من غيرهم لما لهم من الحيل التى يحترزون بها عن المحذور ، و ينظرون بها فى عواقب الأمور ، أشار إلى أن حكمه فيهم كحكمه فى غيرهم من غير فرق بالتعبير عنهم بـ « ما » التى أصلها و أغلب استعمالها لمن لا يعقل ، و سياق العظمة بالوحدانية و آثارها دال على دخولها فى العبادة قطعا فقال : ﴿ و ما بينهما ﴾ أى الخافقين من الفضاء و الهواء [و غيرهما من العناصر و النبات و الحيوانات العقلاء -[1]] وغيرها ، ربىّ كل شىء من ذلك إيجادا و إبقاء على ما يريد و بن كره ذلك المربوب ، فدل ذلك على قهره ، و تفرده فى جميع أمره[2]

و لما كان السياق للانذار ، كرر ما يدل على القهر فقال : ﴿ العزيز ﴾ أى الذى يعز الوصول إليه ، و يغلب كل شىء و لا يغلبه شىء[3] ، و لما ثبت انه يغلب[4] كل شىء و لا يغلبه شىء ، و كانت دلالة الوصفين العظيمين على الوعيد أظهر من إشعارها[5] بالوعد ، كان موضع قولهم :

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اموره .
(٣) العبارة من هنا إلى « لا يغلبه شىء » ساقطة من ظ (٤) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) فى م : إشعارهما .

فما له لا يعجل بالهلاك[1] لمن يخالفه فقال: ﴿ الغفار ﴾ أى لمكرر ستره لما[2] يشاء من الذنوب حلما إلى وقت الماحى لها بالكلية [بالنسبة - [3]] إلى من يشاء من العباد كما فعل مع أكثر الصحابة رضى الله عنهم حيث غفر لهم ما اقترفوه قبل الإسلام .

و لما ثبت بهذا وحدانيته و قدرته و لم يزعهم[4] ذلك عن ضلالهم، ٥ و لا ردهم عن عتوهم / و محالهم، مع كونه موجبا لأن يقبل كل أحد / ٤٦١ عليه و لا يعدل أبدا عنه، قال آمرا له بما[5] ينبههم على عظيم خطائهم: ﴿ قل هو ﴾ أى هذا الأمر الذى تلوته عليكم من الأخبار عن[6] الماضى و الآتى[6] من القيامة[7] المشتملة على[8] التخاصم المذكور و غيرها و الأحكام و المواعظ، فثبت بمضمونه الوحدانية، و تحقق بإعجازه مع ثبوت الوحدانية ١٠ و تمام القدرة و جميع صفات الكمال انه كلام الله: ﴿ نبؤا عظيم ﴾ أى خبر يفوت الوصف فى الجلال و العظم بدلالة العبارة[9] و الصفة لا يعرض عن مثله إلا غافل لا وعى له و لا شىء من راى .

و لما كانوا يدعون انهم أعظم الناس إقبالا على الغرائب، و تنقيبا عن الدقائق و الجلائل من المناقب، بكتهم بقوله واصفا له: ﴿ انتم عنه ﴾ ١٥

---

(١) سقط من ظ (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لمن (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يرغمهم (٥) فى م: لما، و فى مد: بان (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الآتى و الماضى (٧) من ظ، و فى الأصل و م و مد: القيمة (٨) زيد فى الأصل و ظ: الخصومة و، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العبادة .

أى خاصة لاعن غيره [1]و الحال ان غيره[1] من المهملات . و لما كان أكثرهم متهيئا[2] للاسلام و الرجوع عن الكفران لم يقل : مدبرون ، و لا [3]يعرضون[3] بل قال : ﴿معرضون ٥﴾ أى ثابت لكم الإعراض في هذا الحين ، و قد كان ينبغى لكم الإقبال عليه خاصة و الإعراض عن [كل -[2]] ما عداه ؛ لأن فى ذلك السعادة الكاملة . و لو أقبلتم عليه بالتدبر لعلمتم قطعا صدقى و أنى ما أريد بكم إلا السعادة فى الدنيا و الآخرة ، فبادرتم الإقبال إلىّ و القبول لما أقول .

و لما قصر نفسه الشريفة على الإنذار ، و كانوا ينازعون فيه و ينسبونه إلى الكذب ، دل على صدقه و على عظم هذا النبأ بقوله : ﴿ما كان لى﴾ و أعرق فى النفى بالتأكيد فى قوله : ﴿من علم﴾ أى من جهة أحد من الناس كما تعرفون ذلك من حالى له إحاطة [ما -[4]] ﴿بالملا﴾ أى الفريق المتصف بالشرف ﴿الاعلى[5]﴾ و هم الملائكة أهل السماوات العلى و آدم و إبليس ، و كأن مخاطبة الله لهم [كانت -[2]] بواسطة ملك كما [هو -[6]] أليق بالكبرياء و الجلال ، فصح أن المقاولة[7] بين الملأ ﴿اذ﴾ أى حين . و لما أفرد وصف الملأ إيذانا بأنهم فى الاتفاق فى علو رتبة الطاعة كأنهم شيء واحد ، جمع لئلا يظن حقيقة الوحدة فقال : ﴿يختصمون ٥﴾ اى فى شأن آدم عليه السلام ، أول خليفة فى الأرض

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : مهيا .
(٣) زيد من م و مد (٤) فى مد : سواه (٥) زيد من مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المقالة .

بل الخليفة المطلق، لأن خلافة أولاده من خلافته، و فى الكفارات الواقعة من بينه، كما أنه ما كان لى من علم بأهل النار إذ يختصمون، و لا بالخصم الذين دخلوا على داود عليه السلام الذى جعله الله تعالى خليفة فى الأرض إذ يختصمون، و قد علمت ذلك علما مطابقا للحق بشهادة الكتب القديمة و أنتم تعلمون أنى لم أخالط عالما قط، فهذا علم من ٥ أعلام النبوة واضح فى أنى لم أعلم ذلك إلا بالوحى لكونى رسول الله، و عبر هنا بالمضارع ـ و إن كان قد وقع و مضى من أول الدهر ـ تذكيرا بذلك الحال و إعلاما بما هم فيه الآن من مثله فى الدرجات، كما سيأتى قريبا فى الحديث القدسى، و عبر فى تخاصم أهل النار ـ و هو لم يأت ـ بالماضى تنبيها على أن وقوعه مما لا ريب فيه، فكأنه وقع و فرغ منه ١٠ لأنه قد فرغ من قضائه من[1] لا يرد له قضاء، لأنه الواحد فلا شريك له و لا منازع.

و لما كانوا ربما قالوا فى تعنتهم: فلعله مثل ما أوحى إليك بعلم ما لم تكن تعلم، يوحى إليك بالقدرة على ما لم تكن تقدر عليه، فتعجل لنا الموت ثم البعث لنرى ما أخبرتنا به من التخاصم مصورا، لعلنا ١٥ نصدقك فيما أتيت به، / قال مجيبا[2] لهم قاصرا[3] للوحى على قصره على النذارة و هى إبلاغ ما أنزل إليه، لا تعجيل شىء مما توعدوا به: ﴿ان﴾ أى ما ﴿يوحى﴾ [أى ـ[4]] فى وقت من الأوقات، و بناه للمفعول لأن ٤٦٢ /

(١) فى ظ: ممن (٢) فى ظ: موجبا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قاصر (٤) زيد من ظ و م و مد.

ذلك كاف فى تنبيههم على موضع الإشارة فى أن دعواه إنما هى النبوة لا الإلهية ﴿ الىّ الآ ﴾ و لما كان الوحى قولا قرأ أبو جعفر [بكسر -[1]] ﴿ انمآ انا نذير ﴾ أى قصرى[2] على النذارة لا أنى[3] أنجز ما يتوعد به الله ؛ فانما مفعول [« يوحى » -[1]] القائم مقام الفاعل فى القراءتين و إن اختلف التوجيهان فالتقدير على قراءة الجماعة بالفتح : إلا الإنذار أو إلا كونى نذيرا ، و على قراءة الكسر : إلا هذا القول و هو أنى أقول لكم كذا ﴿ مبين ﴾ أى لا أدع لبسا فيما أبلغه[4] بوجه من الوجوه .

و لما دل على أنه نذير ، و أزال ما ربما أوردوه[5] عليه ، أتبعه ظرف اختصام الملأ الأعلى ، أو بدل « اذ » الأولى فقال : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قال ﴾ و دل على أن هذا كله إحسان إليه و إنعام عليه بذكر الوصف الدال على ذلك ، و لفت القول عن التكلم[6] إلى الخطاب لأنه أقعد[7] فى المدح و أدل على أنه كلام الله كما فى قوله " قل من كان عدوا لجبريل " دليلا يوهم أنه ظرف ليوحى أو لنذير فقال : ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك بجعلك خير المخلوقين و أكرمهم عليه فانه أعطاك الكوثر ، و هو كل ما يمكن أن تحتاج إليه ﴿ للملئكة ﴾ و هم الملأ الأعلى و إبليس منهم

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قصدى (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ان (٤) زيد فى الأصل و ظ : به ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اورده (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المتكلم (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اوقع .

لأنه كان إذ ذاك معهم و فى عدادهم . و لما كانوا عالمين [بما -[1]]
دلهم عليه دليل من الله كما تقدم فى سورة البقرة أن البشر يقع منه
الفساد، فكانوا يبعدون أن يخلق سبحانه من فيه فساد لأنه الحكيم
الذى لاحكيم سواه، أكد لهم سبحانه قوله: ﴿ انى خالق بشرا ﴾ أى
شخصا ظاهر البشرة لاساتر له من ريش و لا شعر و لا غيرهما ليكون التأكيد
دليلا على ما مضى من مراجعتهم لله تعالى التى اشار إليها بالاختصام،
و بين أصله بقوله معلقا بخالق أو بوصف بشر: ﴿ من طين ﴾ أجعله
خليفتى فى الأرض و إن كان فى ذلك فساد لأنى أريد أن أظهر حلمى
و رحمتى و عفوى و غير ذلك من صفاتى التى لايحسن فى الحكمة إظهارها
إلا مع الذنوب «لو لم تذنبوا فتستغفروا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون
فيغفر لهم» قال القشيرى: و إخباره للملائكة بذلك يدل على تفخيم شأن آدم
عليه السلام لأنه خلق [2]ما خلق[2] من الكونين و الجنة و النار و العرش
و الكرسى و الملائكة، و لم يقل فى صفة شىء منها ما قال فى صفة
ادم عليه السلام و أولاده. و لم يأمر بالسجود لشىء غيره .

و لما أخبرهم سبحانه بما يريد ان يفعل، سبب عنه قوله: ﴿ فاذا سويته ﴾
أى هيأته باتمام خلقه لما يراد منه من قبول الروح و ما يترتب عليه
﴿ و نفخت فيه من روحى ﴾ فصار حساسا متنفسا، شبه سبحانه إفاضته
الروح بما يتأثر عن نفخ الإنسان من لهب النيران، و غير ذلك من
التحريك و الإسكان، و الزيادة و النقصان، و أضافه سبحانه إليه تشريفا له،

(١) زيد من م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

﴿ فقعوا له ﴾ أى خاصة ﴿ سجدين ٥ ﴾ أى اسجدوا له للتكرمة امتثالا لأمرى سجودا هو بغاية ما يكون من الطواعية و الاختيار و المحبة لتكونوا كأنكم وقعتم بغير اختيار ، ففعلوا ما أمرهم [به - ١] سبحانه من غير توقف . و لذلك ذكر ٢فعلهم مع٢ جواز تأنيثه فقال : ﴿ فسجد ﴾ أى عند ما نفخ فيه الروح ﴿ الملئكة ﴾ على ما أمرهم الله . و لما كان / إسناد الخبر إلى الجمع قد يراد به أكثرهم ، أكد بقوله : ﴿ كلهم ﴾ إرادة لرفع المجاز .

٤٦٣

و لما كان لا يقدح فى ذلك واحد مثلا أو قليل٣ لا يعبأ بهم لضعف أو نحوه ، رفع ذلك بقوله٤ : ﴿ اجمعون ٧ ﴾ مع إفادة أن السجود كان فى آن واحد إعلاما بشدة انقيادهم ، و حسن تأهبهم للطاعة و استعدادهم ، ثم زاد فى إيضاح العموم بالاستثناء الذى هو معياره فقال : ﴿ الا ابليس ٨ ﴾ عبر عنه بهذا الاسم لكونه من الإبلاس و هو انقطاع الرجاء إشارة إلى أنه فى أول خطاب الله له بالإنكار عليه كان على كيفية علم منها تأبد الغضب عليه و تحتم العقوبة له .

و لما عرف بالاستثناء أنه لم يسجد ، و كان مبنى السورة على استكبار الكفرة بكونهم٥ فى عزة و شقاق ، بين أن المانع له من السجود

(١) زيد من ظ و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فعلها .
(٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل : قليلا (٤) زيد فى الأصل : كلهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لكونهم .

الكبر تنفيرا عنه مقتصرا فى شرح الاختصام عليه و على ما يتصل به فقال: ﴿ استكبر ﴾ أى طلب أن يكون أكبر من أن[1] يؤمر بالسجود له و أوجد الكبر على أمر الله، و كان من المستكبرين العريقين فى هذا الوصف كما استكبرتم أيها الكفرة على رسولنا، و سنرفع رسولنا صلى الله عليه و سلم كما رفعنا آدم صفينا عليه السلام على من استكبر ٥ عن السجود له، و نجعله خليفة هذا الوجود كما جعلنا آدم عليه السلام، و أشرنا إلى ذلك فى هذه السورة بافتتاحها بخليفة و اختتامها بخليفة أمر رسول الله صلى الله عليه و سلم بذكر كل من أحوالهما.

و لما كان الفعل الماضى ربما أوهم أنه حدث فيه وصف لم يكن، و كان التقدير: فكفر بذلك، عطفا عليه بيانا لأنه جبل على الكفر ١٠ و لم يحدث منه إلا ظهور ذلك للخلق قوله: ﴿ و كان ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ من الكفرين ﴾ أى عريقا فى وصف الكفر الذى منشأه الكبر على الحق المستلزم للذل للباطل، فالآية من الاحتباك: ذكر فعل الاستكبار أولا دليلا على فعل الكفر ثانيا و وصف الكفر ثانيا دليلا على وصف الاستكبار اولا، و سر ذلك أن ما ذكره أقعد فى التحذير بأن من ١٥ وقع منه كبر جره إلى الكفر.

و لما كان من خالف أمر الملك جديرا بأن يحدث إليه أمر ينتقم به منه، فتشوف السامع لما كان من الملك إليه. استأنف البيان لذلك بقوله: ﴿ قال ﴾ و بين أنه بمحل البعد بقوله: ﴿ يآ ﴾ و بين يأسه من

(١) سقط من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.

الرحمة و أنه لاجواب له أصلا بتعبيره بقوله : ﴿ابليس ما﴾ أى، أى شىء ﴿ منعك ان تسجد ﴾ و بين ما يوجب طاعته و لو أمر بتعظيم ما لايعقل بقوله معبرا بأداة ما لايعقل عمن كان عند السجود له عاقلا كامل العقل : ﴿ لما خلقت ﴾ فأنا العالم به و بما يستحقه دون غيرى ، ٥ و ما أمرت بالسجود له إلا لحكمة فى الأمر و ابتلاء للغير ، و أكد بيان ذلك بذكر اليد و تثنيتها فقال : ﴿ بيدى ﴾ أى من غير توسط سبب من بين هذا النوع و ما ذاك إلا لمزيد اختصاص ، و المراد باليد هنا صفة شريفة غير النعمة و القدرة معلومة له سبحانه و لمن تبحر فى علمى اللغة و السنة ، خص بها خلق آدم عليه السلام تشريفا له و فى تثنية اليد ١٠ إشارة إلى أنه ربما أظهر فيه معانى الشمال و إن كان كل من يديه مباركا ، ثم قدم المانع إلى طلب العلو و وجود العلو مع الإنكار عليه فى الاستناد[1] إلى شىء منهما ، فقال فى صيغة استفهام التقرير[2] / مع الإنكار و التقريع ، ٤٦٤ / بيانا لأنه يلزمه لامحالة زيادة على ما كفر به أن يكون على أحد هذين الأمرين : ﴿ استكبرت ﴾ أى طلبت أن تكون اعلى منه و انت تعلم ١٥ أنك دونه فأنت بذلك ظالم ، فكنت من المستكبرين العريقين فى وصف الظلم ، فان من اجترأ على أدناه أوشك أن يصل إلى أعلاه ﴿ام كنت﴾ أى مما لك من الجبلة الراسخة ﴿ من العالين ﴾ أى الكبراء المستحقين للكبر و أنا لا أعلم ذلك فنقصتك من منزلتك فكنت جائرا فى امرى

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاسناد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التقريع .

لك بما[1] أمرتك به ، فلذلك علوت بنفسك فلم تسجد له ، هذا المراد لا ما[2] يقوله بعض الملاحدة من أن العالين جماعة من الملائكة لم يسجدوا لأنهم لم يؤمروا لأن ذلك قدح فى العموم المؤكد هذا التأكيد العظيم ، و فى تفسير العلماء له من غير شبهة ، و الآية من الاحتباك : دل فعل الاستكبار أولا على فعل العلو ثانيا ، و وصف العلو ثانيا على وصف الاستكبار ٥ أولا ، و سر ذلك أن إنكار الفعل المطلق مستلزم لإنكار المقيد لأنه المطلق بزيادة ، و إنكار الوصف مستلزم لإنكار الفعل [3] لأنه جزؤه مع أن إنكار الفعل من هذا مستلزم لإنكار[4] الفعل من ذاك ، فيكون كل من الفعلين مدلولا على إنكاره مرتين : تارة بانكار فعل بديله و أخرى بانكار وصفه نفسه ، و الوصفان كذلك ، و فعل الكبر أجدر بالإنكار ١٠ من فعل العلو و " أم " معادلة لهمزة الاستفهام و إن حذفت من قراءة بعضهم لدلالة " أم " عليها و إن اختلف الفعل ، قال أبو حيان[5] : قال سيبويه : تقول : أضربت زيدا أم قتلته ، فالبدء[6] هنا بالفعل[6] أحسن لأنك إنما تسأل عن أحدهما لاتدرى[7] أيهما كان ، و لاتسأل عن موضع أحدهما كأنك قلت : أى ذلك كان - انتهى . ١٥

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيما (٢) فى م : لما (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) راجع البحر المحيط ٧ / ٤١٠ (٥) من ظ و مد و البحر المحيط ، و فى الأصل و م : فالبداة (٦) زيد فى الأصل : اولى و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و البحر المحيط فحذفناها (٧) من مد و البحر المحيط ، و فى الأصل و ظ و م : لايدرى .

و لما صدعه سبحانه بهذا الإنكار ، دل على إبلاسه بقوله مستأنفا : ﴿ قال ﴾ مدعيا لأنه من العالين : ﴿ انا خير منه ﴾ أى فلا حكمة فى أمرى بالسجود [له ـ[1]] ، ثم بين ما ادعاه بقوله : ﴿ خلقتنى من نار ﴾ [أى ـ[1]] و هى فى غاية القوة و الإشراق ﴿ و خلقته من طين ﴾ أى و هو[2] فى غاية الكدورة و الضعف ، و استؤنف[3] بيان ما حصل التشوف[4] إليه من علم جوابه بقوله معرضا عن القدح فى جوابه لظهور سقوطه بان المخلوق المربوب لا اعتراض له على ربه بوجه : ﴿ قال فاخرج ﴾ أى بسبب تكبرك و نسبتك الحكيم الذى لااعتراض عليه إلى الجور ﴿ منها ﴾ أى من الجنة محل الطهر عن الأدواء الظاهرة و الباطنة ، ثم علل ذلك بقوله موكدا [لأجل ـ[5]] ادعاء أنه[6] أهل لأقرب القرب : ﴿ فانك رجيم ﴾ أى مستحق للطرد و الرجم[4] و هو الرمى بالحجارة الذى هو للمبالغة فى الطرد

و لما كان الطرد قد يكون فى وقت يسير ، بين انه دائم بقوله ، مؤكدا إشارة إلى الإعلام بما فى نفسه من مزيد الكبر : ﴿ و ان عليك ﴾ أى خاصة . و لما كان السياق هنا للتكلم[7] فى غير مظهر العظمة لم يات بلام الكلام بخلاف الحجر فقال : ﴿ لعنتى ﴾ أى إبعادى مع الطرد و الخزى و الهوان و[8] الذل مستعل ذلك عليك دائما قاهرا لك لاتقدر على

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هى (٣) من م و مد . و فى الأصل و ظ : استأنف (٤) فى م : التشوق (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لأنه (٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : للتكلم (٨) سقط من ظ .

الانفكاك عنه بوجه، و أما غيرك فلا يتعين للعن[1] بل يكون بين الرجاء و الخوف لا علم للخلائق بأنه مقطوع بلعنه ما دام حيا إلا من أخبر عنه نبي من الأنبياء بذلك، ثم غي هذا اللعن بقوله: ﴿ الى يوم الدين ﴾ أى فاذا جاء ذلك اليوم أخذ فى المجازاة لكل عامل بما عمل و لم يبق لمذنب وقت يتدارك فيه ما فاته، و حينئذ يعلم أهل الاستحقاق للعن كلهم[2]، و لم يبق علم ذلك خاصا بابليس، بل يقع العلم بجميع أهل اللعنة. فالغاية لعلم الاختصاص باللعن لا للعن. ٥

/ ٤٦٥

و لما كان ذلك، تشوف السامع إلى ما كان منه فأخبر سبحانه [به -[3]] فى سياق معلم أنه منعه التوفيق فلم يسأل التخفيف، و لا عطف نحو التوبة، بل أدركه الخذلان بالتمادى فى الطغيان. فطلب ما يزداد به لعنة من الإضلال و الإعراق فى الضلال [ضد -[3]] [4]ما أنعم به[4] على آدم عليه السلام، فقال ذاكرا صفة الإحسان و التسبيب[5] لسؤال الإنظار لما جرأه عليهما من ظاهر العبارة[6] فى أن اللعنة مغياة بيوم[7] الدين: ﴿ قال رب ﴾ أى[8] أيها المحسن إلىّ بايجادى و جعلى فى عداد الملائكة الكرام ﴿ فانظرنى ﴾ أى بسبب ما عذبتنى به من الطرد ﴿ الى يوم يبعثون ﴾ أى آدم و ذريته الذين تبعثهم ببعث جميع الخلائق: ﴿ قال ﴾ مؤكدا لأن ١٠ ١٥

(١) من م و مد. و فى الأصل و ظ: للعين (٢) سقط من ظ (٣) زيد من م و مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التسبب (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العبادة (٧) فى م: ليوم (٨) سقط من م.

[مثل - [1]] ذلك فى خرقه للعادة لايكاد يتصور : ﴿ فانك ﴾ اى بسبب هذا السؤال ﴿ من المنظرين ۝ ﴾ و هذا يدل على أن مثل هذا الإنظار لغيره أيضا .

و لما دبج فى عبارته بما يقتضى السؤال فى أن لايموت ، فان يوم البعث ظرف لفيض الحياة لا لغيضها و [2]لبسطها لا لقبضها ، منعه ذلك بقوله : ﴿ الى يوم الوقت ﴾ و لما كان تدبيجه فى السؤال قد أفهم تجاهله بما هو [4] أعلم الخلق به من تحتم الموت لكل من لم يكن فى دار الخلد الذى أبلغ الله تعالى فى الإعلام به ، قال : ﴿ المعلوم ۝ ﴾ و هو الصعقة الأولى [5]و ما يتبعها[5] .

و لما كانت هذه الإجابة سببا لأن يخضع و ينيب[6] شكرا عليها ، و أن يطغى و يتمرد و يخيب لأنها[7] تسليط و تهيئة للشر ، فاستشرف السامع إلى معرفة ما يكون من هذين المسببين ، عرف أنه منعه الخذلان من اختيار الإحسان بقوله : ﴿ قال فبعزتك ﴾ أى التى أبت أن يكون لغيرك فعل لابغير ذلك . و يجوز أن تكون الباء للقسم ﴿ لاغوينهم ﴾ أى ذرية آدم عليه السلام ﴿ اجمعين ۝ ﴾ قال القشيرى : و لو عرف عزته لما

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد فى الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يثيب (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لأنه .

أقسم

أقسم بها على مخالفته .

و لما كان عالما بأن القادر ما خلق آدم عليه السلام و شرفه بما شرفه به ليشقى ذريته كلهم قال: ﴿ الا عبادك ﴾ فأضافهم إليه سبحانه تنبيها على أن غيرهم قد انسلخوا من التشرف بعبوديته بالنسبة إلى من أطاعوه . و لما كان يمكن أن يكون المستثنى من غير البشر قيد بقوله: ٥ ﴿منهم المخلصين ه﴾ اى الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته فأخلصوا قصدهم لها، و عرف من الاستثناء أنهم قليل و أن الغواة هم الأصل .

و لما حصل التشوف إلى جوابه، دل عليه بقوله: ﴿قال فالحق د﴾ أى فبسبب إغوائك و غوايتهم أقول الحق ﴿و الحق﴾ أى لاغيره ابدا[1] ﴿ اقول ج﴾ أى لا أقول إلا الحق، فان كل شيء قلته ثبت، فلم يقدر ١٠ [أحد - [2]] على نقضه و لا نقصه . و لما كانت إجابته بالإنظار ربما[3] كانت سببا لطمعه فى الخلاص، قطع رجاءه بما أبرزه فى أسلوب التأكيد من قوله جوابا[4] لقسم مقدر / : بيانا للحق . و فى قراءة عاصم و حمزة[5] ٤/٦٦ برفع "فالحق" يكون هو المقسم به اى فالحق قسمى، [6]و الجواب[6] ﴿ لاملئن ﴾ و ما بينهما اعتراض مبين أن هذا مما لا يتخلف أصلا ١٥ ﴿ جهنم ﴾ أى النار العظيمة التى من شأنها بجهم من حكم بدخوله إياها ﴿ منك ﴾ اى نفسك و كل[7] من كان على شاكلتك من جنسك من

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بما (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : جوابه (٥) راجع نثر المرجان ٦ / ١١١ (٦ - ٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فالجواب . (٧) سقط من مد .

جميع الجن ﴿ ومن ﴾ .

ولما كان الأغلب[1] على سياقات هذه السورة سلامة العاقبة[2]، كان توحيد الضمير فى "تبع" أولى، وليفهم الحكم على كل فرد ثم الحكم على المجموع فقال: ﴿ تبعك ﴾ ولما كان ربما قال متعنت: إن المالىء ٥ لجهنم[3] من غير البشر قال: ﴿ منهم ﴾ أى الناس الذين طلبت الإمهال لأجلهم، وأكد ضمير "منك" والموصول فى "ممن" بقوله: ﴿ أجمعين ﴾ لا تفاوت فى ذلك بين أحد منكم، وهذا الخصام الذى بين سبحانه أنه كان بين الملأ[5] الأعلى كان سببا لهم إلى انكشاف علوم كثيرة منها أن السجود والتحيات والاستغفار والكفارات سبب ١٠ الوصول إلى الله والقربات، فصاروا بعد ذلك يختصمون فيها، فكانت هذه القضية[4] سببا لإطلاع النبى صلى الله عليه وسلم على أسرار الملك والملكوت، وإلى ذلك الإشارة بالحديث الذى رواه أحمد[5] والترمذى[6] - وقال: حسن غريب - والدارمى[7] والبغوى[8] فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إنى نعست فاستثقلت[9]

---

(١) من ظ وم ومد. وفى الأصل: الابلغ (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: العفية (٣) فى م: بجهنم (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ: القصة.
(٥) فى مسنده (٦/٣٦٨) فى جامعه باب تفسير سورة ص ٢ / ١٥٥ - ١٥٦.
(٧) فى مسنده كتاب الرؤيا باب فى رؤية الرب تعالى فى النوم ص ٢٥٤.
(٨) فى معالم التنزيل - راجع هامش لباب التأويل ٦ / ٥٣ - ٥٤ (٩) من م ومد والجامع، وفى الأصل وظ: فاستقلت.

فوها فأتانى ربى - و فى رواية : آت من ربى - فى أحسن صورة ، فقال لى : يا محمد ، قلت : لبيك ربى و سعديك ، قال : هل تدرى فيم يختصم[1] الملأ الأعلى ، فقلت : لا يا رب - و فى رواية : قلت : أنت أعلم أى رب مرتين - قال : فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديىّ[2] - أو[3] قال[4] : نحرى - فعلمت ما فى السماوات و ما فى الأرض - و فى رواية : ما بين المشرق و المغرب - و فى رواية الدارمى و البغوى : ثم تلا هذه الآية " وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموت و الارض و ليكون من الموقنين" قال : يا محمد ! هل تدرى فيم يختصم[1] الملأ الأعلى ، قلت : نعم ، فى الدرجات و الكفارات ، قال : و ما هن ؟ قلت : المكث فى المساجد بعد الصلوات ، و المشى على الأقدام إلى الجماعات ، و إسباغ الوضوء فى المكاره - و فى رواية : فى السبرات - و انتظار الصلاة بعد الصلاة ، قال : من فعل ذلك عاش بخير و مات بخير ، و كان من خطيئته كيوم ولدته أمه ، و قال : يا محمد ، قلت : لبيك و سعديك ، قال : إذا صليت فقل « اللهم إنى أسالك فعل الخيرات و ترك المنكرات و حب المساكين و أن تغفر لى و ترحمنى ، و إذا اردت بعبادك فتنة فاقبضنى إليك

(١) من م و مد والمراجع ، و فى الأصل وظ . اختصم (٢) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد و المراجع (٣) من ظ و م و مد و مسند أحمد ، و فى الأصل « و » (٤) زيد فى الأصل : فى - مكررا . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و مسند أحمد فحذفناها .

غير مفتون » قال : و الدرجات إفشاء السلام و إطعام الطعام و الصلاة بالليل و الناس نيام ، قال المنذرى[1] : الملأ الأعلى : [الملائكة - [2]] المقربون ، و السبرات - بفتح [السين - [2]] المهملة و سكون الباء الموحدة : جمع سبرة ، و هى شدة البرد ، و عزاه شيخنا فى تخريج أحاديث الفردوس

٥ إلى أحمد و الترمذى عن معاذ [3]رضى الله عنه أيضا[3] و قال : و فى اللباب عن ثوبان رضى الله عنه عند أحمد بن منيع و عن أبى هريرة و أبى سعيد الخدرى[4] و أبى رافع و أبى أمامة و أبى عبيدة و أسامة و جابر ابن سمرة و جبير بن مطعم و أسامة بن عمير و أنس رضى الله عنهم عند أحمد ، فهذا اختصام سبب العلم بتفاصيله الاختصام الأول و هو ما فى

١٠ شأن آدم عليه السلام و ذريته ، و العلم الموهوب لمحمد صلى الله عليه و سلم [بسبب السؤال عن هذا الاختصام كالعلم الموهوب لأبيه آدم عليه السلام - [5]] بسبب ذلك الاختصام ، و هذا الاختصام - و الله أعلم - هو اختلافهم فى مقادير[6] / جزاء العاملين[7] من الثواب المشار إليه / ٤٦٧

بالدرجات الحامل عليها العقل الداعى إلى أحسن تقويم ، و العقاب المشار

١٥ إليه بالكفارات الداعى إلى أسبابها الوساوس الشيطانية الرادة إلى اسفل سافلين التى [سال - [5]] إبليس الإنظار لأجلها ، و سبب اختلافهم فى

(١) فى الترغيب و الترهيب (٢) زيد من ظ و م و مد (٣ - ٣) فى ظ و م و مد : أيضا رضى الله عنه (٤) ليس فى م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تقارير (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المعاطين .

مقادير

مقادير الجزاء اختلاف مقادير الأعمال الباطنة من صحة النيات و قوة العزائم و شدة المجاهدات و لينها على حسب دواعى الحظوظ و الشهوات التى كان سبب علمهم بها الاختصام فى أمر آدم عليه السلام و ما نشأ عنه من تفصيله بأمور دقيقة المأخذ المظهرة لأن الفضل ليس بالأمور الظاهرة، و إنما هو بما يهبه الله من الأمور الباطنة، و سمى تقاولهم فى ٥ ذلك اختصاما دلالة على عظمة ما تقاولوا فيه، لأن الخصومة لاتكون إلابسبب أمر نفيس[1]، فالمعنى أن الملائكة كل واحد منهم مشغول بما اقيم فيه من الخدمة، فليس بينهم تقاول يكون بغاية الجد و الرغبة كما هو شأن الخصام إلا فى هذا[2] لشدة عجبهم منه لما يعلمون من صعوبة هذه الأمور على الآدمى لما عنده من الشواغل و الصوارف عنها بما وهبهم الله ١٠ من العلم جزاء لانقيادهم للطاعة بالسجود بعد ذلك الخصام فنزوع الآدمى عن صوارفه و حظوظه إلى ما للملائكة من الصفوف فى الطاعة و الإعراض أصلا عن المعصية غاية فى العجب، و علمه صلى الله عليه و سلم لما فى السماوات و ما فى الأرض علم عام لما كان فى حين الرؤيا ظهر له به ملكوتهما، و نسبة ذلك كله إلى علم الله تعالى كالنسبة التى ذكرها الخضر لموسى ١٥ عليهما السلام فى نقرة العصفور من البحر، و الذى ذكره العلماء فى ذلك أنه تقريب للافهام فانه لا نسبة فى الحقيقة لعلم أحد من علمه تعالى و لاينقص علمه أصلا سبحانه عما[3] يلم بنقص أو يدنى إلى وهن " قل

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تقيس (٢) فى ظ: هذه (٣) فى ظ: بما.

لو كان البحر مدادا" الآية " ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام" الآية " يوم يجمع الله الرسل فيقول ما ذا اجبتم قالوا لا علم لنا " و يقال للنبى صلى الله عليه و سلم فى ناس اختلجوا دونه عن حوضه « إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك ؟ فيقول : فسحقا سحقا » .

٥ و لما تم ما أراد من الدليل على أن ما ذكره لهم نبأ عظيم هم عنه معرضون بما أخبر به من الغيب مع ما له من الإعجاز ، فثبت بذلك ما اقتضى أنه صادق فى نسبته إلى الله تعالى ، و ختم بالتحذير من اتباع إبليس ، أمره بالبراءة من طريقه و[1] أن ينفى عن نفسه ما قد يحمل على التقول[2] بقوله : ﴿ قل ﴾ أى لأمتك : ﴿ ما اسئلكم[3] ﴾ سؤالا مستعليا ،

١٠ و علق به لا " باجر" قوله : ﴿عليه﴾ أى على التبليغ و الإنذار مما أنتم متعرضون له من الهلاك بالإعراض ، فأداة الاستعلاء للاحتراز عن سؤال المودة فى القربى و حسن الاتباع فانهما مسؤلان و هما روح الدين ، و لكن سؤالهما[4] [ليس - ٥] مستعليا على الإبلاغ بحيث أنهما لو انتفيا انتفى ، و أعرق فى النفى بقوله : ﴿من اجر﴾ أى فيكون لكم فى الرد شبهة

١٥ ﴿ و ما انا من المتكلفين[6] ٥ ﴾ اى المتحلين بما ليسوا من أهله من قول

---

(١) زيد فى م : امر (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التقول (٣) من م و مد و القرآن الكريم ، و فى الأصل و ظ : سالتكم (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سولهما (٥) زيد من م و مد (٦) من م ومد والقرآن الكريم ، و فى الأصل و ظ : المكلفين .

و لا فعل ، الذين يكلفون أنفسهم تزوير الكلام و التصنع فيه و ترتيبه على طريق من الطرق بنظم أو نثر سجع أوخطب أو غير ذلك ، أو وضع أنفسهم فى غير مواضعها ، كما فعل إبليس ، لست منهم بسبيل[1] و لا أعد فى عدادهم بوجه ، لا أفعل أفعالهم و لا أحبهم و لا أتعصب لهم ، فهو أبلغ من « و ما أنا متكلفا » قد عرفتمونى طول عمرى كذلك ، و من ٥ المعلوم أن[2] ذلك لو كان فى غريزتى / لما كففت عنه طول [زمانى -[3]] ٤٦٨/ النمو من الصبى و الشباب اللذين توجد فيهما الغرائز و لا توجد بعدهما ، فاذا ثبت أن ذلك لم يكن لى إذ ذاك ثبت أنه متعذر بعده ، لما تقرر من أنه لا توجد غريزة بعد الوقوف عن النمو فى سن الثلاث و الأربعين ، فاذا علم أنى لست كذلك علم أنى مأمور بما أنا فيه من القول و الفعل ، ١٠ فأنا من المكلفين لا المتكلفين ، فكل من قال أو فعل ما لم يؤمر به فهو متكلف ، و روى[4] الثعلبى بسنده[5] من حديث سلمة بن نفيل رضى الله عنه مرفوعا والبيهقى فى الشعب من قول على بن ارطاة و أبونعيم فى الحلية[6] من قول وهب : علامة المتكلف ثلاث : ينازع من فوقه ، و يتعاطى ما لا ينال ، و يقول ما لا يعلم . ١٥

و لما أثبت المقتضيات لأنه من عند الله و أزال الموانع ، بين حقيقته التى لا يتعداها الى ما نسبوه إليه بقوله : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هو الا ذكر ﴾

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لسبيل (٢) تكرر فى الأصل فقط .
(٣) زيد من م و مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : رواه (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بسند (٦) راجع ٤ / ٤٧ .

أى عظة و شرف ﴿ للعٰلمين ﴾ اى كلهم يفهم كل فرد منهم ما تحتمله قواه[1] [منه - [2]] ذكيا كان أو غبيا على ما هو عليه من العلو[3] الذى لايدانيه فيه كلام بخلاف الشعر و الكهانة التى محطها السجع و الكذب فى الإخبار ببعض المغيبات ، فانها مع سفول رتبتهما لايفهمهما من العالمين إلا ذاك و ذاك .

و لما كان التقدير: أنا عالم بذلك، عطف عليه قوله جوابا لقسم: ﴿ و لتعلمن ﴾ أى أنتم ايضا ﴿ نبأه ﴾ اى صدق فى جميع ما أنبأتكم به[4] فيه و عنه من الأخبار العظيمة و فيما أشار إليه افتتاح هؤلاء الأنبياء المذكورين فى هذه السورة بخليفة و ختامهم بخليفة من أن عزتكم تصير إلى ذل و شقاقكم[5] يصير إلى مسالمة و ألفة، و كثرتكم تصير إلى قل، و أن[6] ما أنا فيه الآن يفضى بى إلى خلافة الله فى أرضه، و أن أوسط أمرى يصير إلى مثل خلافة الأول فى جميع جزيرة العرب التى هى أرض المسجد الأعظم الذى هو قبل المسجد الأقصى الذى هو محل خلافته، ثم يزاد امر خلافتى فى سائر البلاد و لايزال حتى يعم[7] الأرض بطولها و العرض على [8] يد ابنه [8] عيسى عليه السلام خاتمة [أكابر - [2]] اتباعى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قوا (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المعلوم (٤) زيدت الواو فى الاصل وظ ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شقاكم (٦) سقط من ظ (٧) من م و مد ، و فى الأصل وظ : يعمر (٨-٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ابيه .

و أنصارى

و أنصارى و أشياعى . و ترك الجار إعلاما باستغراق العلم لزمان البعد فقال : ﴿ بعد حين ﴾ أى مبهم عندكم معلوم لى فى الدنيا إذا ظهر عبادى عليكم و فى الآخرة مطلقا ، و إنما أخروا إلى هذا الحين ليبلغ فى الإعذار إليهم فتنقطع حججهم و تتناهى ذنوبهم التى يستحقون الأخذ بها ، و لقد و الله علموا ذلك ثم ندموا من مات منهم و من عاش قبل مضى عشرين سنة من إعلاء كلمته و إظهار رسالته و إتمام دينه ، و استمر العلم لهم و لمن بعدهم بما بث فيه من العلوم ، و جمع فيه من شريف الرسوم ، و أظهر مما تقدم الوعد به فيه إلى هذا الزمان ، و إلى أن يفنى كل فان ، ثم يبعثوا إلى الجنان أو النيران ، فقد أثبتت هذه الآية من كون القرآن ذكرا ما أثبتته أول آية فيها على أتم وجه مع زيادة الوعيد ، فانعطف الآخر على الأول . و اتصل به احسن اتصال و أجمل ، و نظر إلى أول الزمر أعظم نظر و أكمل ، فلله در هذا الانتظام ، فهو لعمرى اضوأ من شمس الضحى و أتم من بدر التمام ، فسبحان من [انزله و -[1]] اجمله و فصله ، [2]و فضله و شرفه و كرمه - و الله أعلم[2] .

(١) زيد من م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

سورة الزمر[1] و تسمى تنزيل و الغرف

٤٦٩ / / مقصودها الدلالة على أنه سبحانه صادق الوعد، و أنه غالب لكل شيء، فلا يعجل لأنه لا يفوته شيء، و يضع الأشياء فى أوفق محالها يعرف ذلك أولوا الألباب المميزون بين القشر و اللباب، و على ذلك ٥ دلت تسميتها "الزمر[2]" لأنها إشارة إلى أنه أنزل كلا من المحشورين داره المعدة له بعد الإعذار فى الإنذار، و الحكم بينهم بما استحقته أعمالهم عدلا منه سبحانه فى أهل النار، و فضلا على المتقين الأبرار، وكذا[3] تسميتها "تنزيل" لمن تامل آيتها[4]، و حقق عبارتها و إشارتها، وكذا "الغرف"، لأنها[5] إشارة إلى حكمه سبحانه فى الفريقين أهل ١٠ الظلل النارية و الغرف النورية، تسمية للشيء بأشرف جزئيه[6]، فالقول فيها كالقول فى الزمر سواء، و يزيد أهل الغرف ختام آيتهم "وعد الله لا يخلف الله الميعاد" ﴿ بسم الله ﴾ الذى تمت كلمته فعز أمره ﴿ الرحمن ﴾ الذى وضع رحمته العامة احكم وضع فدق لذى الأفهام سره ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أولياءه بالتوفيق لطاعته فعمهم بره.

---

(١) التاسعة و الثلاثون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها خمس و سبعون فى الكوفى و ثلاث فى الشامى و اثنتان فى الباقى - راجع روح المعانى ٥ / ٣٨٠ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالزمر (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كذلك (٤) من ظ و مد، و فى الأصل و م: آياتها. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لأنه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: جزئياته.

لما تبين من التهديد[1] فى ص أنه سبحانه قادر على ما يريد، ثم ختمها بأن القرآن ذكر للعالمين، و أن كل ما فيه لا بد أن يرى لأنه واقع[2] لا محالة لكن من غير عجلة، فكانوا ربما قال متعنتهم: ما له إذا كان قادرا لا يعجل ما يريده بعد حين، علل ذلك بأنه ﴿ تنزيل ﴾ أى بحسب التدريج لموافقة المصالح فى أوقاتها و تقريبه[3] [للأفهام على ما له من العلو ٥ حتى صار ذكرا للعالمين، و وضع موضع الضمير قوله -[4]]: ﴿ الكتب[5] ﴾ للدلالة على جمعه لكل صلاح، أى لا بد أن يرى جميع ما فيه لأن الشأن العظيم إنزاله على سبيل التنجيم للتقريب فى فهمه و إيقاع كل شىء منه فى أحسن[6] أوقاته من غير عجلة و لا توان، ثم أخبر عن هذا التنزيل بقوله: ﴿ من الله ﴾ أى المتصف بجميع صفات الكمال ﴿ العزيز ﴾ فلا ١٠ يغلبه شىء و هو يغلب كل شىء ﴿ الحكيم ﴾ الذى يضع الأشياء فى محالها التى هى أوفق لها، فلكونه منه لا من غيره كان ذكرا للعالمين، صادقا فى كل ما يخبر به، حكيما فى جميع[7] أموره.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما بنيت سورة ص على ذكر المشركين و عنادهم و سوء ارتكابهم و اتخاذهم الأنداد و الشركاء، ناسب ١٥ ذلك ما افتتحت به سورة الزمر من الأمر بالإخلاص الذى هو نقيض

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التحديد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: واضح (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تعريفه (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) ليس فى الأصل و ظ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: احسان (٧) فى ظ: كل.

حال من تقدم، و ذكر ما عنه يكون و هو الكتاب، فقال تعالى " تنزيل الكتب من الله العزيز الحكيم " " انا انزلنا اليك الكتب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين " " الا لله الدين الخالص " و جاء قوله تعالى " و الذين اتخذوا من دونه اولياء " - الآية في معرض [1]أن لو[1] قيل : عليك بالإخلاص

٥ و دع من أشرك و لم يخلص، فسترى حاله، و هل ينفعهم اعتذارهم بقولهم "ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى" و هؤلاء هم الذين بنيت[2] سورة ص على ذكرهم، ثم وبخهم الله تعالى و قرعهم فقال[3] " لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى " - الآية، فنزه نفسه عن عظيم مرتكبهم بقوله سبحانه " هو الله الواحد القهار " ثم ذكر بما فيه أعظم شاهد من خلق السماوات

١٠ و الأرض و تكوير الليل على النهار [و تكوير النهار على الليل -[4]] و ذكر آيتي [5]النهار و الليل[5] ثم خلق [الكل من -[4]] البشر من نفس واحدة، و هي نفس آدم عليه السلام، و لما حرك تعالى إلى الاعتبار[6] بعظيم هذه الآيات [7]و كانت أوضح شيء و أدل شاهد، عقب ذلك بما

٤٧٠ / / يشير إلى معنى التعجب من توقفهم بعد[7] وضوح الدلائل، ثم بين تعالى

١٥ انه غني عن الكل بقوله " ان تكفروا فان الله غني عنكم " ثم قال

(١-١) من ظ و م و مد، و في الأصل : لو ان (٢) زيد في الأصل و م : لهم، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل : فقالوا (٤) زيد من م و مد (٥-٥) من م و مد، و في الأصل، ظ : الليل و النهار (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل : الاختبار (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

" و لا يرضى لعباده الكفر " فبين أن من اصطفاه و قربه و اجتباه من العباد لايرضى له بالكفر ، و حصل من ذلك مفهوم الكلام أن الواقع من الكفر إنما وقع بارادته و رضاه لمن ابتلاه به[1] ثم آنس من آمن و لم يتبع سبيل الشيطان[2] و قبيلته من المشار إليهم فى السورة قبل فقال تعالى " و لاتزر وازرة وزر اخرى "[3] " ان احسنتم احسنتم لانفسكم " ٥ " و لا تكسب كل نفس الا عليها " ثم تناسجت الآى و التحمت الجمل إلى خاتمة السورة - انتهى .

و لما أخبر أنه من عنده ، علل ذلك بما ثبت به جميع ما مضى من الخير ، فقال صارفا القول عن الغيبة منبها على زيادة عظمته بذكر إنزاله ثانيا ، مبرزا له فى أسلوب العظمة مخبرا أنه خص به أعظم خلقه ، ١٠ معبرا بالإنزال الظاهر فى الكل تجوزا عن الحكم الجازم الذى لا مرد له : ﴿ انآ ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ انزلنآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ، و قرن هذه العظمة بحرف الغاية المقتضى للواسطة إشارة إلى أن هذا كان فى البداية بدلالة اتباعه بالأمر بالعبادة ، بخلاف ما يأتى فى هذه السورة فانه للنهاية بصيرورته خلقا [له -] صلى الله عليه و سلم ، ١٥ فكان بحرف الاستعلاء أنسب دلالة على أن ثقله[5] الموجب لتفطر القدم و سبب اللم خاص به صلى الله عليه و سلم ، و من قرب منه

(١) سقط من ظ و م (٢) فى ظ بياض ، و فى مد : الله (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نقل .

و يسره و سهولته لأمته فقال : ﴿ اليك ﴾ أى خاصة بواسطة الملك ، لايقدر أحد من الخلق أن يدعى مشاركتك فى شىء من ذلك ، فتكون دعواه موجبة لنوع من اللبس[1] ، و أظهر موضع الإضمار تفخيما بالتنبيه على ما فيه من جمع الأصول و الفروع و اللطائف و المعارف ﴿ الكتب ﴾ اى الجامع لكل خير مع البيان القاطع و الحكم الجازم بالماضى و الآتى و الكائن ، متلبسا ﴿ بالحق ﴾ و هو مطابقة الواقع لجميع أخباره ، فالواقع تابع لأخباره ، لايرى له خبر إلا طابقه مطابقة لاخفاء بشىء منها ، لاحلية[2] له ولا لباس إلا الحق ، فلا دليل أدل على كونه من عنده من ذلك ، فليتبعوا خبره ، و لينظروا عينه و أثره .

و لما ثبت بهذا أنه خصه سبحانه بشىء عجز عنه كل أحد ، ثبت أنه سبحانه الإله وحده ، فتسبب عن ذلك قوله لفتا للقول عن مظهر العظمة إلى أعظم منه بلحظ جميع صفات الكمال لأجل العبادة تعظيما لقدرها لأنها المقصود بالذات : ﴿ فاعبد الله ﴾ أى الحائز لجميع صفات الكمال حال كونك ﴿ مخلصا ﴾ و الإخلاص هو القصد إلى الله بالنية بلا علة ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ الدين ﴾ بمعانقة الأمر على غاية الخضوع لأنه خصك بهذا الأمر العظيم فهو أهل منك لذلك و خساً عنك الأعداء ، فلا أحد منهم يقدر على الوصول إليك بما يوهن شيئا من أمرك فأخلص لتكون رأس المخلصين الذين تقدم آخر سورة ص أنه لاسبيل للشيطان

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الميل (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حية .

عليهم[1] و تقدم ذكر كثير من رؤسهم ، و وقع الحث على الاقتداء بهم بما ذكر من أمداحهم لأجل صبرهم فى إخلاصهم ، قال الرازى : قال الجنيد : الإخلاص أصل كل عمل و هو مربوط بأول الأعمال ، و هو تصفية النية و منوط بأواخر الأعمال بأن لا يلتفت إليها[2] و لا يتحدث بها[3] و يضمر فى جميع الأحوال ، و هو إفراد الله بالعمل . و فى الخبر / « أنا أغنى الشركاء عن الشرك » . ٤٧١ / ٥

و لما أمره سبحانه بهذا الأمر ، نادى باستحقاقه لذلك و أنه لم يطلب غير حقه ، و أن ذلك لا يتصور أن يكون لغيره ، فقال فى جواب من كأنه قال : لم منعه من الالتفات إلى غيره ؟ مناديا إشارة إلى أنه لا مكافئ له فلا [4]يسع أحدا[4] يبلغه هـــذا النداء إلا الخضوع طائعا[5] أوكارها : ١٠ ﴿ الا لله ﴾ أى الملك الأعلى وحده ﴿الدين الخالص[1]﴾ لأنه له [6]الأمر و الخلق[6] لا يشركه فيه أحد ، فكما تفرد بأن خلقك و خلق كل ما لك من شىء فكذلك ينبغى أن تفرده بالطاعة ، و لأنه إذا عبده أحد مخلصا كفاه [كل شىء -[7]] ، و أما غيره فلو أخلص له أحد لم يمكن أن يكفيه شيئا من الأشياء فضلا عن كل شىء ، و الدين الذى هو أهل ١٥ للاخلاص هو الإسلام الذى كان فى كل ملة المبنى على القواعد

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : إليهم (٢) من ظ و مد . و فى الأصل و م : إليه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : به (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يسمع أحد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طائع. (٦-٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الخلق و الأمر (٧) زيد من م و مد .

الخمس المثبتة بالإخلاص المحض الناشى من المراقبة فى الأوامر[1] و النواهى و جميع ما يرضى الشارع للدين أو يسخطه ، فتكون جملته لله من غير شهوة ظاهرة أو باطنة فى شهرة[2] و لا غيرها ، و إنما استحقه سبحانه دون غيره لأنه هو الذى شرعه و لا أمر لأحد معه فكيف يشركه من لا أمر له بوجه من الوجوه ، و أما ما كان فيه أدنى شرك فهو رد على عامله و الله غنى حميد ، و هذه كما ترى مناداة لعمرى تخضع لها الأعناق فتنكس الرؤس و لا يوجد لها جواب إلا بنعم و عزته [و أى -[3]] و كبريائه و عظمته ، قال القشيرى : و ما للعبد فيه نصيب فهو غن الاخلاص بعيد[4] [اللهم إلا أن يكون بأمره فانه إذا أمر العبد أن يحتسب الأجر على طاعته فأطاعه لا يخرج عن الاحتساب -[4]] باحتسابه أمره فيه ، و لو لا هذا لما صح أن يكون فى العالم مخلص ، قال ابن برجان : و ذلك - أى ترك الإخلاص - كله مولد عن حب البقاء فى الدنيا و نسيان لقاء الله تعالى ، ثم قال ما معناه : إن ذلك من الشرك ، و هو ثلاثة أنواع : شرك فى الالهية و هو [أن -[4]] يرى مع الله إلها آخر ، و هو شرك المجوس و المجسمة[5] : و لوثنية . و يضاهيه غلط القدرية ، الثانى شرك فى العبادة بالرياء و إضافة العمل إلى النفس . و الثالث الشرك الخفى و هو الشهوة الخفية . و هو أن يخفى العمل و يخاف من إظهاره و يحب لو اطلع عليه و مدح بإسراره . و من احسن العون على الإخلاص الحياء من الله

(١) من ظ وم ومد، وفى الاصل: الأمر (٢) فى م: شهوة (٣) زيد من ظ وم ومد (٤) زيد من م ومد (٥) من ظ وم و مد ، وفى الأصل : المحسة - كذا .

أن تتزين لغيره بعمل الهمك[1] إياه و قواك [عليه -[2]] و خلت فيه و زعمت تطلب التقرب إليه فاتاك عدوه إبليس الذى عاداه فيك فتطيعه فيما يضرك و لا ينفعك ، فاستعن على عبادتك[3] بالستر فاستر حسناتك كما تستر سيئاتك ، فان عمل السر يزيد على عمل العلانية سبعين ضعفا ، و ذلك كالشجرة إذا ظهرت عروقها ضعف شربها ، و أضر بها حرارة الهواء و برده ، و تعرضت الآفات من قطع و يبس و غير ذلك [4]و لم[4] تحسن فروعها و خف ورقها فقل نفعها ، و إذا غاضت عروقها عابت عن الآفات و أمنت القطع من أيدى الناس ، فكثر شربها لجرى ماؤها فيها ، فتزايدت لذلك فروعها و اخضر ورقها و كثر خيرها و طاب ثمرها لجانيها ، فكذلك العمل إذا كانت له اصول فى القلب مستورة زكا فى نفسه و ظهر من الأدناس و كثر خيره و طاب ثوابه لعاملة ، و إذا بدا لم يؤمن عليه من ابصار الناظرين ، و إذا خفى لم يبق ما يخاف منه إلا العجب و محبة أن يطلع عليه ، و هى الشهوة الخفية ، و من قولهم / « من عرف الله بعد الضلالة و عرف الإخلاص بعد الرياء و أنزل الموت حق منزلته لم يغفل عن الموت و الاستعداد له بما أمكنه » انتهى . / ٤٧٢

و لما أخبر سبحانه عما له وحده ، و كان محط أمر الإنسان بل جميع الحيوان[5] على الهداية إلى مصالحه ليفعلها و مفاسده ليتركها ، و ارشد

(١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الهك (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عبادك (٤ - ٤) من ظ و م و مد . و فى الأصل : عم (٥) من م و مد . و فى الأصل و ظ : الحيوانات .

السياق إلى أن التقدير : فمن أخلص له الدين هداه فى جميع أموره، و إن اشتد الإشكال، و تراكمت وجوه الضلال، عطف عليه الإخبار عمن لزم الضلال، و الغى و المحال، فقال محذرا من مثل حاله، بما حكم عليه فى مآله: ﴿ و الذين ﴾ و لما كان الإنسان مفطورا على الخضوع للملك الديان، و لا يلتفت إلى غيره إلا بمعالجة النفس بما لها من الهوى و الطغيان، عبر بصيغة الافتعال فقال: ﴿ اتخذوا ﴾ أى عالجوا عقولهم حتى صرفوها عن الله فأخذوا، و نبههم على خطائهم فى رضاهم بالأدنى على الأعلى بقوله: ﴿من دونه ﴾ و معلوم أن كل شىء دونه ﴿اولياء﴾ أى يكلون إليهم أمورهم، و يدخل فيهم الذين اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله مع اعترافهم بأن الله تفرد بخلقهم و رزقهم.

و لما كان من العجب العجيب فعلهم[1]، هذا بين ما وجهوا به فعلهم ليكون آية بينة فى أنه لا هدى لهم فقال: ﴿ما﴾ أى قائلين لمن أخلصوا له الدين إذا أنكروا [عليهم -] أن يتخذوا من دونه وليا: ما ﴿نعبدهم﴾ لشىء من الأشياء ﴿الا ليقربونا﴾ و نبه سبحانه على بعدهم عن الصواب بالتعبير بالاسم الأعظم مع حرف الغاية فقال: ﴿الى الله﴾ الذى له معاقد العز و مجامع العظمة، تقريبا عظيما على وجه التدريج و يزلفونا إليه ﴿زلفى[2]﴾ اى تقريبا حسنا سهلا بهجا زائدا ناميا متعاليا، قال القشيرى: و لم يقولوا هذا من قبل الله و لا باذنه، و إنما حكموا بذلك من ذات أنفسهم، فرد الله عليهم، و فى هذا إشارة إلى ما يفعله العبد

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فعلتم (٢) زيد من م و مد.

من القرب بنشاط نفسه من غير ان يقتضيه[1] حكم الوقت. فكل ذلك اتباع هوى - انتهى - و الآية من الاحتباك: ذكر فعل التقريب أولا دليلا على فعل الزلف ثانيا. و اسم الزلف ثانيا دليلا على الاسم من التقريب أولا، و سره أنهم[2] أرادوا بهذا الاعتذار المسكت عن قبيح[3] صنيعهم، فأتى سبحانه فى حكايته عنهم بالتأكيد على أبلغ وجه لأن[3] الدلالة على المعنى بلفظين أجدر فى ثباته و تكثيره من لفظ واحد، و بدأ، بأرشق الفعلين و أشهرهما و أخفهما و أوضحهما. و قد[4] خسر لعمرى غاية الخسارة قوم تمذهبوا بأقبح المذاهب و جعلوا [5]عذرهم هذه[5] الآية التى ذم الله المعتذر بها. و على ذلك فقد راج اعتذارهم بها على كثير من العقول، و هم أهل الاتحاد الذين لا[6] أسخف من عقولهم و لا أجمد من أذهانهم.

و لما كان إنما محط دينهم الهوى. و كان كل من تبع الهوى لا ينفك عن الاضطراب فى نفسه، فكيف إذا كان معه غيره فكيف إذا كانوا كثيرا فيكثر الخلاف و النزاع. و إن لم يحصل ذلك بالفعل كان بالقوة. و لذلك كان لكل قبيلة ممن يعبد الأصنام صنم غير صنم الأخرى. و كان بعض القبائل يعبد الشعرى. و بعضهم يعبد الملائكة. و بعضهم غير ذلك

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يقضيه. (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م و مد. و فى الأصل: انها (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل. لقد. (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عدهم هذا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: الا.

"ان الذين فرقوا دينهم و كانوا شيعا لست منهم فى شىء فتقطعوا امرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون" نبه على ذلك مهددا لهم بقوله مخبرا مؤكدا لأجل إنكارهم: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات / الكمال . و لما لم يقيد الحكم بالقيامة و كانوا معترفين بأن المصائب فى ٤٧٣ /
٥ الدنيا منه قال: ﴿ يحكم بينهم ﴾ من غير تأكيد آخر أى بين جميع المخالفين[1] فى الأديان و غيرها من المتخذين للأولياء من دونه و من المخلصين و غيرهم فلا بد أن ينصر أهل الحق على جميع أهل الباطل .

و لما كانوا أوزاعا أكثر قبائلهم[3] على خلاف ما يعتقده[4] غيرها، [قال-[2]]: ﴿ فى ما ﴾ اى فى الدين الذى و الأمر الذى . و لما كان
١٠ تحكيمهم للهوى موفرا لدواعيهم على الاختلاف، و كان الاتخاذ الذى بنى الكلام عليه له نظر عظيم إلى علاج الباطن بخلاف سورة يونس[5] أثبت الضمير هنا فقال: ﴿ هم ﴾ اى بضمائرهم ﴿ فيه يختلفون ﴾ أى ليس لهم أصل يضبطهم . فهم لا يرجعون إلا إلى الخلف كيف ما تقلبوا لأنهم مظروفون لذلك العمل الذى مبناه الهوى الذى هو منشأ الاختلاف ،
١٥ فكيف إذا انضم إلى ذلك خلاف المخلصين و إنكارهم عليهم الذى أرشد إليه اعتذارهم . فظهر من هذا أن اختلاف الأئمة فى فهم كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم لقواعد استنبطوها من ذلك لا يخرجون

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : المتحالفين (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قبائلهم (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعتقد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) راجع آية ٩٣ .

عنها

عنها ليس خلافا بل وفاق لوحدة ما يرجعون إليه من الأصل الصحيح الثابت عن الله، و من هذا إنكار النبي صلى الله عليه و سلم على عمر و أبي و غيرهما رضي الله عنهم لما أنكر كل منهم على من خالفه في القراءة و قال: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فلا تختلفوا، فلا فرق بين أن يستند كل من الأمرين إلى النبي صلى الله عليه و سلم نقلا ٥ أو اجتهادا لأنه في قوة الاتفاق لوحدة مرجعه - و الله الموفق، و يجوز أن يكون الضمير في «بينهم» لهم و لمعبوداتهم فانهم ليس منهم معبود[1] صامت و لا ناطق إلا و هو صارخ بلسان حاله إن لم ينطق لسان قاله بأنه مقهور مربوب عابد لامعبود. فهم مع من يعبدهم[2] في غاية الخلاف.

و لما كان [من - [3]] الأمر الواضح[4] أن الدين لايكون صالحا إلا ١٠ إن انتظم بنظام غير مختل، و كان الدين إذا كان معوجا داعيا إلى التفرق مناديا على نفسه بالانخلاع عنه و البعد منه[5]. فكان الحال مقتضيا للتعجب ممن تدين به، فضلا عمن يدوم[6] عليه. فضلا عمن لاينتبه عند التنبيه. فضلا عمن يقاتل دون ذلك. أجاب من كأنه قال: ما سبب عكوفهم على هذا الضلال الذي اوجب لهم قطعا الاختلاف بالفعل ١٥ أو بالقوة، فقال مؤكدا تكذيبا لمن ينكر ما تضمنه هذا الإخبار و إن

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: معبودهم (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: يعبد (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و في الاصل: الصحيح (٥) من ظ و مد، و في الأصل و م: عنه (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: لايدوم.

ظهر لبعض العمى غير ذلك مما يبدو من الكذبة و الكفرة من اعمال مزينة و أفكار دقيقة فتظن هدى و إنما هى استدراج . و لما أرشد السياق إلى أن المعنى : لأنهم غير مهتدين لأن الله لم يخلق الهداية فى قلوبهم ، نسق به قوله : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك القادر القاهر الحكيم . و لما كان الأصل : لايهديهم ، و أراد سبحانه التعميم و تعليق الحكم بالوصف تنفيرا عنه قال : ﴿ لايهدى ﴾ أى لايخلق الهداية فى قلب ﴿ من هو ﴾ أى لضميره ﴿ كذب ﴾ أى مرتكب الكذب[1] عريق فيه حتى أداه كذبه إلى أن يقول على ملك الملوك [أن - [2]] شيئا يقرب إليه بغير إذنه ، و يخضع بالعبادة التى هى نهاية التعظيم . فهى لاتليق بغير من ينعم غاية الإنعام لمن لا يملك ضرا و لا نفعا . و [3]لم يعبر[3] فى الكذب بصيغة مبالغة لأن الذين السياق لهم لم يقع منهم كذب إلا فى ادعائهم / أنهم يقربونهم[4] . /٤٧٤

و لما كان من كفر فى[5] حين [من -[6]] الدهر قد ضاعف كفره لكثرة ما على الوحدانية من الدلائل و ما لله عليه من الإحسان ، و كان هؤلاء الذين لهم السياق قد كفروا بتأهيلهم لشركائهم للعبادة و لعبادتهم بالفعل و لادعائهم فيهم التقريب[7] قال ﴿ كفار ﴾ بصيغة المبالغة . و الأحسن ان

(١) من م و مد ، و فى الاصل و ظ . الكذب (٢) زيد من م و مد (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يعبر (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقربوهم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ . التقرير .

يقال : إن المبالغة لإفهام[1] ان الذى لايهديه إنما هو من ختم عليه سبحانه الموت على ذلك ، قال القشيرى : و الإشارة إلى تهديد من يتعرض لغير مقامه و يدعى شيئا ليس بصادق فيه ، فالله لايهديه قط إلى ما فيه سداده و رشده ، و عقوبته أن يحرمه ذلك الشيء الذى تصدى له بدعواه قبل تحققه بوجوده و ذوقه .

٥

و لما أخبر سبحانه بالحكم بينهم ، فكان ذلك مع تضمنه التهديد وافيا بنفى الشريك ، كافيا فى ذلك لأن المحكوم فيه لا يجوز أن يكون قسيما للحاكم ، فلم يبق فى شيء من ذلك شبهة إلا عند ادعاء[2] الولدية ، قال نافيا لها على سبيل الاستئناف جوابا لمن يقول : فما حال من يتولى الولد ؟ - قال القشيرى : و المحال يذكر على جهة الإبعاد أن لو كان كيف ١٠ حكمه - : ﴿ لو اراد الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال ﴿ ان يتخذ ﴾ أى[3] يتكلف كما هو دابكم ، و لايسوغ فى عقل أن الإله يكون متكلفا ﴿ ولدا ﴾ أى كما زعم من زعم ذلك . و لما كان الولد لايراد إلا أن يكون خيارا ، و كان الله قادرا على كل شيء ، عدل عن أن يقول " لاتخذ " إلى قوله : ﴿ لاصطفى ﴾ أى اختار على سبيل التبنى[4] ١٥ ﴿ مما يخلق ﴾ أى يبدعه فى أسرع من الطرف ، و عبر بالأداة التى أكثر استعمالها فيما لايعقل إشارة إلى أنه قادر على جعل أقل الأشياء

(١) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : للافهام (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دعا (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٤) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : السى - كذا .

أجلّها على سبيل التكرار و الاستمرار - كما أشار إليه التعبير بالمضارع فقال : ﴿ ما يشآء لا ﴾ أى مما يقوم مقام الولد فانه لايحتاج إلى التطوير فى إتيان الولد إلا من لايقدر على الإبداع بغير ذلك .

و لما كان لايرضى إلا بأكمل الأولاد و هم الأبناء ، لكنه لم يرد ذلك فلم يكن ، فهذا[1] أقصى ما[2] يمكن أن يجوز فى العقل أن يخلق خلقا [شريفا -[3]] و يسميه ولدا[4] . إشارة إلى شدة إكرامه له و تشريفه إياه . أو يقربه غاية التقريب كما فعل بالملائكة و عيسى عليهم السلام ، فكان ذلك سببا لغلطكم فيهم حتى ادعيتم أنهم أولاد ثم زعمتم أنهم بنات ، فكنتم كاذبين من جهتين ، هذا غاية الإمكان ، و أما أنه يجوز عليه التوليد فلا ، بل هو مما يحيله العقل ، لأن ذلك لا يكون إلا لمحتاج ، و الإله لايتصور فى عقل أن يكون محتاجا أصلا ، قال ابن برّجان ما معناه : كان معهود الولاده على وجهين ، فولد منسوب إلى والده بنوة و ولادة[5] و رحما ، فهذا ليس له فى الوجود العلى وجود ، و لا فى الإمكان تمكن ، و لا فى الفعل[7] مساغ بوجه من لوجوه ، و ولد بمعنى التبنى و الاتخاذ ، و قد كانت العرب و غيرها من الأمم -[8]] يفعلونه حتى نسخه القرآن ، فلا يبعد أن تكون هذه العبارة[8] كانت جائزة فى الكتب قبلنا ، فلما أعضل

(١) من م و مد . و فى الاصل و ظ . و هذا (٢) من م و مد . و فى الأصل و ظ : مما (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و كذا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : ولاة (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العقل (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العبادة .

بهم

[بهم -[1]] الداء و ألحدوا[2] فى ذلك عن سواء القصد الذى هو الاصطفاء [3]إلى بنوة[3] الولادة أضلهم الله و أعمى ابصارهم و سد السبيل عن العبادة عن ذلك، و كشف معنى الاصطفاء، و اظهر معنى الولاية، و نسخ ذلك بهذا، لأن هذا لا يداخله لبس، و ذلك كله لبيان كمال هذه الأمة و علوها فى كل أمر. ٥

/ و لما كانت نسبة الولد إليه كنسبة الشريك او أشنع، و انتفى الأمران بما تقدم من الدليل بالحكم باعترافهم بأن حكمه سبحانه نافذ فى كل شيء لشهادة الوجود، و لقيام الأدلة على عدم الحاجة إلى شيء أصلا فضلا عن الولد، نزه نفسه بما يليق بجلاله من التنزيه فى هذا المقام، فقال: ﴿سبحنه﴾ اى له التنزيه التام عن كل نقيصة، ثم أقام الدليل ١٠ على هذا التنزيه المقتضى لتفرده فقال: ﴿هو﴾ أى الفاعل لهذا الفعال، و القائل لهذه الأقوال، ظاهرا و باطنا ﴿الله﴾ أى الجامع لجميع صفات الكمال، ثم ذكر من الأوصاف ما هو كالعلة لذلك فقال: ﴿الواحد﴾ أى الذى لاينقسم أصلا، و لا يكون له مثل فلا يكون له[4] صاحبة و لا ولد، لأنه لو كان شيء من ذلك لما كان لا مجانسا و لاجنس له و لاشبه ١٥ بوجه من الوجوه ﴿القهار﴾ أى الذى له هذه الصفة، فكل شيء تحت قهره ألهتهم و غيرها [على سبيل التكرار و الاستمرار -[5]]،

(١) زيد من م و مد (٢) من و مد، و فى الأصل و ظ و م: الحد.
(٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الاصل: لما بنوة (٤) سقط من ظ.
(٥) زيد من م و مد.

فصح من غير شك أنه لايحتاج إلى شيء اصلا ، و جُعِل ما لاحاجة إليه و لا داعى يبعث عليه عبث ينزه عنه العاقل فكيف من له الكمال كله .

و لما أثبت هذه الصفات التى نفت أن يكون له شريك أو ولد ، و أثبتت له الكمال المطلق ، دل عليها بقوله : ﴿ خلق السمٰوٰت والارض ﴾ أى أبدعهما من العدم ﴿ بالحق ﴾ أى خلقا متلبسا بالأمر الثابت الذى ليس بخيال و لاسحر ، على وجه لانقص فيه بوجه ، و لاتفاوت و لاخلل ¹يقول أحد¹ فيه انه مناف للحكمة و لما كان من أدل الأشياء على صفتى² الوحدانية و القهر . و تمام القدرة و كمال الأمر ، بعد إيجاد الخافقين اختلاف الملوين ، وكان التكوير³ـ و هو إدارة⁴ الشيء على الشيء بسرعة و إحاطته به بحيث يعلو عليه و يغلبه و يغطيه ـ ادل على صفة القهر من الإيلاج⁵ . قال مبينا لوقت إيجاد الملوين : ﴿ يكور ﴾ أى خلقهما اى صورهما فى حال كونه يلف و يلوى و يدير فيغطى مع السرعة و العلو و الغلبة تكويرا كثيرا متجددا مستمرا إلى أجله⁶ ﴿ الّيل على النهار ﴾ بأن يستره به ¹لا يدع له اثرا⁷ . و لعظمة هذا الصنع أعاد العامل فقال : ﴿ و يكور النهار ﴾ عاليا تكويره و تغطيته ﴿ على الّيل ﴾ فيذهبه كذلك

(١ - ١) من م و مد . و فى الأصل و ظ : مقول (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : صفة (٣) فى ظ : التكوين (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ارادة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الايلاح (٦) من م و مد . و فى الأصل و ظ : اجل (٧) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : اثر .

و يدخل فى هذا[1] الزيادة فى كل منهما بما[2] ينقص من الآخر لأنه إذا ذهب أحدهما و أتى الآخر مكانه . فكأن الآتى لف على الذاهب و ألبسه كما يلف اللباس على اللابس ، أو[3] أنه شبه الذاهب فى خفائه بالآتى بشىء[4] ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار ، أو[5] أن كلا منهما لما كان يكر على الآخر كرورا متتابعا شبه ذلك بتتابع[6] أكوار العمامة ٥ بعضها على بعض ، فتغيب ما تحتها .

و لما كانت الظلمة سابقة على الضياء ، و كان الليل إنما هو ظلمة يسبقها ضياء بطلوع الشمس ، رتب سبحانه هذا الترتيب[6] على حسب الإيجاد ، و لذلك قدم آية النهار فقال معبرا[7] بالماضى بخلقه الآيتين مسخرتين[8] على منهاج[9] معلوم لكل منها لا يتعداه ، و حد محدود لا يتخطاه ﴿و سخر﴾ ١٠ أى ذلل و أكره و قهر[10] و كلف لما يريد من غير نفع للسخر ﴿الشمس[1]﴾ أى التى محت[11] ما كان من الظلام فأوجبت اسم النهار ﴿و القمر[1]﴾ أى آية الليل . و لما أخبر بقهرهما ، بين ما صرفهما فيه . فقال بيانا لهذا

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذه ، و بين سطرى م : أى التكوير .
(٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : « و » (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شىء (٥) فى الأصل و ظ بياض ، ملأناه من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على .
(٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موكدا (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المسخرتين (٩) زيد فى م : واحد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اقهر (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تحت .

التسخير: ﴿ كل ﴾ أى منهما ﴿ يجرى ﴾ أى بقضائنا الذى لا مرد له ، و هـذا آية لاختلاف أحوال العبد لأن خلقه جامع ، فيختلف فى القبض و البسط و الجمع و الفرق / و الأخذ و الرد و الصحو و السكر ، و فى نجوم العقل ، و أقمار العلم ، و شموس المعرفة ، و نهار التوحيد ، و ليل الشك و الجحد ، و نهار الوصل و ليالى الهجر[1] و الفراق ، و كيفية اختلافها و زيادتها و نقصانها - قاله القشيرى .

/٤٧٦

و لما كان من مقصود السورة العزة التى محطها الغلبة ، و كان السياق للقهر ، و كان القضاء لعلة لا يتخلف[2] عنها المعلول أدل على القهر من ذكر الغاية مجردة عن العلة قال : ﴿ لاجل مسمى[4] ﴾ أى لمنتهى الدور و منقطع الحركة . و لما ثبت بهذا قهره ، قال مناديا رشقا فى قلوب المنكرين[3] : ﴿ الا هو ﴾ أى وحده ﴿ العزيز ﴾ و لما كان ربما قال متعنت : فما له لا يأخذ من يخالفه ؟ و كانت صفة القهر و العزة ربما أقنطت العصاة فأخرتهم عن الإقبال ، قال مبينا لسبب التأخير و مستعطفا : ﴿ الغفار[5] ﴾ أى الذى له صفة الستر على الذنوب متكررة فيمحو ذنوب من يشاء[4] عينا ، و أثرا بمغفرته و يأخذ من يشاء بعزته .

و لما كان خلق الحيوان أدل على الوحدانية و القهر بما خالف به الجمادات من الحياة التى لا يقدر على الانفكاك [عنها - ٥] قبل أجله ،

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : البحر (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا يختلف (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المتكبرين .
(٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شاء (٥) زيد من م و مد .

و بما

و بما له من أمور اضطرارية لامحيص له عنها ، و أمور اختيارية موكولة[1] فى الظاهر إلى مشيئته ، و كان [2]أعجبه خلقا[2] الإنسان بما له من قوة النطق ، قال دالا على ما دل عليه بخلق الخافقين لافتا[3] القول إلى خطاب النوع كله إيذانا بتأهلهم للخطاب ، و ترقيهم فى عُلا الأسباب ، من غير عطف إيذانا بأن كلا من خلقهم و خلق ما قبلهم مستقل[4] بالدلالة على ما سيق له : ﴿خلقكم﴾ أى أيها الناس المدعون لإلهية غيره ﴿من نفس واحدة﴾ هى آدم عليه السلام .

و لما كان إيجادنا منها بعد شق الأنثى منها ، قال عاطفا على ما تقديره : أوجدها من تراب ، مبينا بلفظ الجعل أن الذكر[5] هو سببها و مادتها منبها بأداة التراخى على القهر الذى السياق له بالتراخى فى الزمان بتأخير المسبب عن سببه المقتضى له إلى حين مشيئته لأن إيجادها منه كان بعد[6] مدة [من -[7]] إيجاده ، و الأصل فى الأسباب ترتب المسببات عليها من غير مهلة و على التراخى فى الرتبة أيضا بأن ذلك - لكونه شديد المباينة لأصله - من أعجب العجب : ﴿ثم﴾ أى بعد حين ، و عبر بالجعل لأنه كاف فى [نفى -[7]] الشركة التى هذا[8] أسلوبها و ليبين أنه ما خلق آدم عليه السلام إلا ليكون سببا لما يحدث عنه من الذرية ليترتب على ذلك إظهار ما له

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موكده (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اعجب خلق (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على فتا . (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مستقلا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذاكر (٦) فى م : بعده (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هى .

سبحانه من صفات الكمال فقال: ﴿ جعل منها ﴾ أى تلك النفس ﴿ زوجها ﴾ أى و نقلكم [بعد خلقكم -[1]] منه إليها ثم أبرزكم إلى الوجود الخارجى منها، و يجوز - و هو أحسن - أن يكون المعنى لأن السياق لإحاطة العلم المدلول عليه بانزال الكتاب و ما تبعه: قدر خلقكم على ما أنتم عليه من العدد و الألوان و جميع الهيئات حين خلق آدم بأن هيأه لأن[2] تفيضوا منه، فلا تزيدون على ما قدره شيئا و لا تنقصون، و أن تفيض منه زوجه، و ذلك قبل خلق حواء منه، ثم أوجدها فكان الفيض منها فيضا منه فالكل منه، و لهذا ورد الحديث فى مسند أحمد بن منيع[3] عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: خلق الله آدم يوم خلقه و ضرب على كتفه اليمنى فأخرج ذرية[4] بيضاء كأنهم الذر، و ضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية[4] / سوداء كأنهم الحمم[5]، فقال للذى فى يمينه: إلى الجنة و لا أبالى، و قال للذى فى يساره: إلى النار و لا أبالى. / ٤٧٧

و لما كان تنويع الحيوان إلى أنواع متباينة أدل على القدرة التى هى منشأ القهر، و كان سبحانه موصوفا[6] بالعلو، و كان أكثر الأنعام أشد من الإنسان، و كان تسخيره له [و تذليله[7]] إنزالا له عن قوته

(١) زيد من م و مد (٢) من م: مد، و فى الأصل و ظ: لا (٣) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ٧/٨٥، من رواية أحمد و البزار و الطبرانى (٤) من م و مد والمجمع، و فى الأصل و ظ: ذريته (٥) من المجمع، و فى الأصول: الحميم (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: موصفا (٧) زيد من مد، و موضعه فى ظ: أشد - كذا.

و إيهانا لشدتـــه ، قال دالا على ذلك الإنشاء و الجعل بلفظ الإنزال : ﴿ و انزل لـكم ﴾ أى خاصة ﴿ من الانعام ﴾ أى الإبل بنوعيها ، و البقر كـذلك ، و الضان و المعز . و لما لم يكن عند العرب البخاتى[1] و الجواميس لم يذكرها سبحانه ، و اقتصر على ما عندهم ، و قال : ﴿ ثمنية ازواج[2] ﴾ أى من كل نوع زوجين ذكرا و أنثى ، و الزوج اسم لواحد معه آخر لايكمل نفعه إلا به ، و إذا نظرت هذه العبارة مع العبارة عن خلق الإنسان فهمت أن الأنعام خلق كل من ذكرها و أنثاها على انفراده ، لا ان أحدا منها من صاحبه . و ذلك أدل على إطلاق التصرف و تنويعه مما لو جعل خلقها مثل خلق الآدمى .

و لما كان تـكوينهم فى تطويرهم عجبا ، قال مستأنفا بيانا لما أجمل قبل : ﴿ يخلقـــكم ﴾ أى يقدر إيجادكم أنتم و الأنعام على ما أنتم عليه من أخلاط العناصر ﴿ فى بطون امهتكم ﴾ و لما كان تطوير الخلق داخل البطن حيث لاتصل إليه يد مخلوق و لا بصره . قال[3] دالا على عظمته و دلالته على تمام القدرة و القهر : ﴿ خلقا ﴾ و دل على تـكوينه شيئا بعد شىء باثبات الحرف فقال : ﴿ من بعد خلق ﴾ أى فى تنقلات الأطوار و تقلبات[4] الأدوار . و لما كان الحيوان لايعرف ما هو [إلا -[5]]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النجامى (٢) العبارة من هنا إلى « و القهر » ساقطة من م (٣) زيد فى الاصل و ظ : فقال ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : الاطوار و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد من م و مد .

فى التطوير الرابع ، و كان الجهل ظلمة قال : ﴿فى ظلمت ثلث﴾ ظلمة النطفة ثم العلقة ثم المضغة ، فاذا صار[1] عظاما مكسوة لحما عرف هل هو ذكر أو أنثى فزالت[2] عنه ظلمات الجهل ، و صار خلقا آخر ، و قيل : ظلمة البطن و الرحم و المشيمة[3] ـ نقل عن ابن عباس[4] رضى الله عنهما و عزاه ابن أبى الدنيا فى [كتاب -[5]] القناعة إلى عيسى ابن مريم عليه السلام .

و لما ثبت له سبحانه كمال العظمة و القهر ، قال مستأنفا ما أنتجه الكلام السابق معظما بأداة البعد و ميم الجمع : ﴿ذلكم﴾ أى العالى المراتب بشهادتكم أيها الخلق كلكم ، بعضكم بلسان قاله ، و بعضكم بناطق حاله ، الذى جميع ما ذكر من أول السورة إلى هنا أفعاله . [6]و لما أشار إلى عظمته بأداة البعد . اخبر عن اسم الإشارة فقال[6] : ﴿الله﴾ أى [الجامع -[7]] لجميع صفات الكمال ، [8]و نبه على جهلهم[9] بما يعلمون من ربوبيته لعملهم بالشرك عمل جاهل بذلك فقال واصفا : ﴿ربكم﴾ أى المالك و المربى لكم بالخلق و الرزق . و لما كان المربى قد لايكون ملكا قال[6] نتيجة لما سبق[6] : ﴿له﴾ أى وحده ﴿الملك﴾ و لما كان المختص بالملك قد لايكون[10] إلها ، قال مثبتا له الإلهية على ما يقتضيه من الوحدانية [6]و هو[6]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فتزات (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المشية ـ كذا . (٤) راجع لباب التأويل ٤ / ٥٧ (٥) زيد من م و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) العبارة من هنا إلى « واصفا » ساقطة من م (٩) من ظ و مد . و فى الأصل : جعلهم (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ط : لايصلى .

[1]بمنزلة نتيجة النتيجة[1] : ﴿ لآ اله الا هو ج ﴾ .

و لما تكفل هـــذا السياق بوجوب الإخلاص فى الإقبال عليه و الإعراض عما سواه ، لأن الكل تحت قهره ، و شمول نهيه و أمره ، سبب [عنه - [2]] قوله : ﴿ فأنى ﴾ [أى - [3]] فكيف و من أى وجه ﴿ تصرفون ه ﴾ أى قهرا عن الإخلاص[4] له إلى الإشراك به بصارف ما ٥ و إن كان عظيما ، و نبه بالبناء للمفعول مع هذا على انهم مقهورون فى[5] فعل ما هم عليه لأنهم تابعون للهلاك المحض ، تاركون للأدلة التى لا خفاء فى شىء منها ، و معلوم أنه لا يترك أحد الدليل فى الميافى / المعطشة الذى / ٤٧٨ إن تركه هلك إلا قهرا ؛ و أن الناس هيئوا لطريق الهدى بما خلقوا عليه من أحسن تقويم بسلامة الفطر و استقامة العقول ، و أشار إلى ١٠ هذا لأنهم يأنفون[6] من النسبة إلى القهر و أن يفعلوا شيئا بغير اختيار لما عندهم من الأنفة و علو الهمم و العظمة .

و لما ظهرت الأدلة و بهرت الحجج ، بين ما على من غطاها بالإصرار ، و ما لمن تاب و رجع التذكار ، فقال[7] مستأنفا لما هو نتيجة ما مضى ، معرفا لهم نعمته عليهم بأنه ما تعبد لشىء[8] يخصه من نفع أو ضر ، ١٥ و إنما هو لمصالحهم خاصة بادئا بما هو من درء المفاسد : ﴿ إن تكفروا ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اخلاص (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٦) من م و مد . و فى الأصل و ظ : ينافون (٧) سقط من مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بشىء .

أى تستروا الأدلة فتصروا على الانصراف عنه بالإشراك ﴿ فان الله ﴾ لأنه[1] الجامع لصفات الكمال ﴿ غنى عنكم ﴾ اى[2] فلا يضره كفركم و لا تنفعه طاعتكم ، و أما أنتم فلا غنى لكم عنه بوجه . و لا بد أن يحكم بينكم فلم تضروا [3]إلا أنفسكم[3] ﴿ و لا يرضى ﴾ لكم - هكذا كان الأصل بدليل ما سبقه و لحقه . و إنما أظهر ليعم و ليذكرهم[4] بما يجدونه فى أنفسهم من أن أحدا [منهم - [5]] لايرضى لعبده أن يؤدى خرجه[6] إلى غيره بغير إذنه فقال : ﴿ لعباده ﴾ أى الذين تفرد بإيجادهم و تربيتهم ﴿ الكفر ج ﴾ بالإقبال على[7] سواه و أنتم لاترضون ذلك لعبيدكم مع ان ملككم لهم فى غاية الضعف ، و معنى عدم الرضى أنه لايفعل فعل الراضى بأن يأذن فيه و يقر عليه أو يثيب فاعله و يمدحه ، بل يفعل فعل الساخط بأن ينهى عنه و يذم عليه و يعاقب مرتكبه ﴿ و ان تشكروا ﴾ أى بالعبادة و الإخلاص فيها ﴿ يرضه ﴾ أى الشكر الدال عليه فعله ﴿ لكم[8] ﴾ أى الرضى اللائق بجنابه سبحانه بأن يقركم عليه أو[8] يامركم به و يثيبكم على فعله ، و القسمان بارادته . و اختلاف القراء فى هائه دال على مراتب الشكر - و الله أعلم . فالوصل للواصلين[9] إلى النهاية على اختلاف مراتبهم فى

(١) من م و مد . و فى الأصل و ظ : اى (٢) سقط من ظ و مد (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لانفسكم (٤) من م و مد . و فى الأصل و ظ : ليذكركم (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل . خراجه . (٧) زيد فى الأصل و ظ : ما ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لو (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للواصلين .

الوصول و الاختلاس للتوسطين و الإسكان[1] لمن فى الدرجة الأولى منه .

و لما كان فى سياق الحكم و القهر ، و كانت عادة القهارين أن يكلفوا بعض الناس ببعض و يأخذوهم بجرائرهم لينتظم لهم العلو على الكل لعدم إحاطة علمهم بكل[2] مخالف لأمرهم ، بين أنه سبحانه على غير ذلك فقال : ﴿ و لا تزر وازرة ﴾ اى وازرة كانت ﴿ وزر اخرى[3] ﴾ بل ٥ وزر كل نفس عليها لا يتعداها ، يحفظ عليها مدة كونها فى دار العمل ، و الإثم الذى يكتب على الإنسان بترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر ليس وزر غيره ، و إنما هو وزر نفسه ، فوزر الفاعل على الفعل ، و وزر الساكت على الترك لما لزمه من الأمر و النهى ﴿ ثم الى ربكم ﴾ أى وحده لا إلى احد ممن أشركتموه به ﴿ مرجعكم ﴾ أى بالبعث بعد ١٠ الموت إلى دار الجزاء . و لما كان الجزاء تابعا للعلم ، قال معبرا عنه به : ﴿ فينبئكم ﴾ أى فيتسبب عن البعث انه يخبركم إخبارا عظيما ﴿ بما كنتم تعملون ﴾ أى بما كان فى طبعكم العمل به سواء عملتموه بالفعل أم لا ثم يجازيكم عليه إن شاء .

و لما كان المراد - كما أشار إليه بكان - الإخبار بجميع الأعمال ١٥ الكائنة بالفعل أو القوة ، حسن التعليل بقوله : ﴿ انه عليم ﴾ أى بالغ العلم ﴿ بذات الصدور ﴾ أى بصاحبتها من الخواطر و العزوم[3] ، و ذلك بما دلت عليه الصحبة - كل ما لم يبرز إلى الخارج ، فهو بما برز أعلم .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اسكان (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بل (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العدوم .

و لما ذكر سبحانه أنه المختص بالملك وحده. و أتبعه بما يرضيه و ما يسخطه، أقام الدليل على ذلك الاختصاص مع أنه أوضح من الشمس بدليل وجدانى[1] لكل أحد على وجه ذمهم فيه بالتناقض الذى هم أعظم / البأس ذما له و نفرة منه و ذما به فقال: ﴿و اذا﴾ و هى - ٤٧٠ /
٥ و الله أعلم - حالية من واو "تصرفون" و كان الأصل: مسكم، ولكنه عمم[2] و دل بلفت القول عن الخطاب على الوصف الموجب للنسيان فقال: ﴿مس الانسان﴾ أى هذا النوع الآنس بنفسه مؤمنه و كافره ﴿ضر﴾ أى [3]ضر كان[3] [4]من جهة يتوقعها - بما اشار إليه الظرف بمطابقة لمقصود السورة مع تهديد اخر التى قبلها[4] ﴿دعا ربه﴾ أى المحسن إليه الذى
١٠ تقدم تنبيهكم من غفلتكم عليه بقوله «ذلكم الله ربكم» [5]ذاكرا صفة إحسانه[5] ﴿منيبا﴾ اى راجعا رجوعا عظيما ﴿إليه﴾ بباطنه مخلصا فى ذلك عالما انه لا يكفيه أمره غيره ضرورة يجدها فى نفسه لأن الضر أزال عنه الآلوية و الحظوظ، معرضا عما كان يزعم من الشركاء، معرفا لسان حاله أنه لا شريك له سبحانه كما هو الحق فتطابق فى حال الضراء[6] الحق
١٥ و الاعتقاد.

و لما كان الإنسان لما جبل عليه من الجزع و اليأس إذ كان فى

---

(١) من م و مد. و فى الأصل و ظ: وحداى (٢) من ظ و مد. و فى الاصل و م: عم (٣ - ٣) من ظ و م و مد. و فى الأصل: غير كاين.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥-٥) العبارة من هنا إلى «الحق و الاعتقاد» ساقطة من مد (٦) فى ظ: الضر.

ضر استبعد كل البعد أن يكشف عنه، لتقيده بالجزئيات و قصوره على التعلق بالأسباب، أشار إلى ذلك مع الإشارة إلى الوعد بتحقيق الفرج فقال: ﴿ثم﴾ أى بعد استبعادة جدا. و لما كان الرخاء محققا، و هو أكثر من الشدة، عبر بأداة التحقق، فقال منبها بالتعبير بـ «خول» على ان عطاءه ابتداء فضل منه لا يستحق أحد عليه شيئا، لأن التخويل لا يكون ٥ جزاء بل ابتداء: ﴿اذا خوله﴾ اى أعطاه عطاء متمكنا ابتداء، و جعله حسن القيام عليه قادرا على إجادة تعهده ﴿نعمة منه﴾ و مكنه فيها ﴿نسى﴾ أى مع ادعائه انه يشكر على الإحسان، فكانت مدة تخويله ظرف نسيانه، فعلم أن صلاحه بالضراء ﴿ما﴾ أى الأمر الذى ﴿كان يدعوا﴾ ربه على وجه الإخلاص ﴿اليه﴾ اى إلى كشفه من ذلك الضر الذى ١٠ كان، و أعلم بتقارب وقى النسيان و الإنابة باثبات الجار فقال: ﴿من قبل﴾ أى قبل حال التخويل ﴿و جعل﴾ زيادة على الكفران بنسيان الإحسان ﴿لله﴾ اى الذى لا مكافئ له بشهادة الفطرة و العقل و السمع ﴿اندادا﴾ اى لكونه يتأهلهم، فينزلهم بذلك منزلة من يكون قادرا على المعارضة و المعاندة، فقد علم من التعبير بالنسيان ١٥ أنه عالم بربه، و لذلك دعاه فى كشف ضره و أنه جعل علمه عند الإحسان إليه جهلا، فكان كمن لا يعلم من سائر الحيوانات العجم.

(١) من م و مد. و فى الأصل و ظ: اجازه (٢) زيدت فى م: اى عن (٣) فى ظ: بتفاوت (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الكفر (٥ - ٥) فى م و مد: بالنسيان للاحسان (٦) من ظ و م و مد، و فى الاصل: على.

و لما كان ذلك فى غاية الضلال ، لكونه - مع أنه خطاء - موجبا لقطع الإحسان [1] و عدم الإجابه فى كشف الضر مرة [أخرى - [2]] و كانوا يدعون أنهم أعقل الناس ، و كان هذا الضلال فى غاية الظهور ، و كان العاقل لايفعل شيئا إلا لعلة ، عظمهم تهكما بهم عن أن يكونوا ضلوا [3] هذا الضلال الظاهر من غير قصد إليه . فقال مشيرا إلى ذلك كله : ﴿ ليضل ﴾ أى بنفسه عند من فتح الياء ، و يضل غيره عند من ضمها [4] ﴿ عن سبيله [5] ﴾ اى الطريق الموصل إلى رضوانه ، الموجب للفوز باحسانه .

و لما كان من المعلوم المحقق المقطوع به المركوز فى الفطر الأولى المستمر فيما بعدها أن الملك / لايدع من [6] يعصيه بغير عقاب [7] ، و كان قد ثبت بقضية الإجماع وقت الاضطرار أنه لايلتفت إلى أحد سوى الله و كان من التفت - بعد أن أنجاه الله من ضرره و أسبغ عليه من نعمه - كافرا من غير شك عند ذى عقل ، و كان من كان بهذه المثابة فى هذه الدار [هم - [2]] أهل النعم الكبار ، و التمتع الصافى عن الأكدار ، كان من المعلوم انه لابد من [8] عقوبته فى دار القرار ، فقال تعالى مبينا

/ ٤٨٠

---

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : الاسباب (٢) زيد من م و مد (٣) زيد فى الأصل : عن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) راجع نثر المرجان ٦/ ١٢٥ (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حساب (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن .

لأن هذا التمتع إنما هو سبب [هذا ـ[1]] الكفران استدراجا مع الإعراض المؤذن[2] بالغضب . ﴿قل﴾ [أى ـ[1]] يا أحب خلقنا إلينا المستحق للاقبال عليه بالخطاب ، لهذا الذى قد حكم بكفره مهددا له بما يقوته بلذيذ عيشه فى الدنيا من الفيض من الجناب الأقدس و يؤل إليه أمره من العذاب الأكبر : ﴿ تمتع ﴾ أى فى هذه الدنيا التى هى و كل ما فيها ـ مع كونه زائلا ـ يفيض إلى الله ، فهو من جملة المقت إلا لمن صرفه فى طاعة الله .

و لما ذكر تمتيعه بالخسيس ، ذكر سببه الخسيس تعظيما لأجور المؤمنين لانصرافهم عن الكفر[3] مع علمهم بأنه من أسباب التمتيع و بيانا لذوى الهمم العوال من غيرهم فقال : ﴿ بكفرك ﴾ ثم أشار إلى قلة زمن الدنيا و ما فيها فى جنب الآخرة فقال : ﴿ قليلا ﴾ ثم علل ذلك بما إذا غمس فى عذابه أنعم أهل الدنيا غمسة واحدة قال : ما رأيت نعيما قط ، [4]فقال مؤكدا لأجل تكذيبهم بالنار ، و دفعا لما استقر فى نفوسهم أن تنعيمهم فى الدنيا[4] إنما هو لقربهم من الله و محبته لهم ، و أن ذلك يتصل بنعيم الآخرة على تقدير كونها : ﴿ انك ﴾ و هذا الأمر هنا يراد به الزجر ، تقديره : إن تمتعت هكذا كنت ﴿من اصحب النار ﴾ أى الذين لم يخلقوا[5] إلا لها " و لقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن و الانس

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالموذن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الفكر (٤ ـ ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم يمتلقوا .

لهم قلوب لايفقهون بها " - الآية .

و لما أرشدت " أم " قطعا فى قراءة من شدد[1] إدغاما لإحدى الميمين فى الأخرى أن التقدير شرحا لأحوال المؤمنين بعد أحوال المشركين : ا هذا - الذى يدعو الله مرة ، و غيره ممن يجعله له ندا أخرى[2] - أسد طريقة و أقوم قيلا : ﴿ امن هو ﴾ و التقدير فى قراءة نافع و ابن كثير و حمزة بالتخفيف : أمن هو بهذه الصفة خير أم ذلك الكافر الناسى لمن أحسن إليه ، و يرجح التقدير بالاستفهام دون النداء إنكار التسوية[3] بين العالم الذى حداه علمه على القنوت و الذى لايعلم حقيقة أو مجازا لعدم الانتفاع بعلمه ﴿ قانت ﴾ أى مخلص فى عبادته الله تعالى دائما ﴿ اناء الليل ﴾ أى جميع ساعاته .

و لما كان المقام للاخلاص ، و كان الإخلاص أقرب مقرب إلى الله لأنه التجرد[4] عن جميع الأغيار ، و كان السجود أليق الأشياء بهذا الحال ، و لذلك كان أقرب مقرب للعبد من ربه ، لأنه خاص بالله تعالى ، قال : ﴿ ساجدا ﴾ أى و راكعا ، و دل على تمكنه من الوصفين بالعطف فقال : ﴿ و قائما ﴾ أى و قاعدا ، و عبر بالاسم تنبيها على دوام إخلاصه فى حال سجوده و قيامه ، و الآية من الاحتباك : ذكر السجود دليلا على الركوع و القيام دليلا على القعود ، و السر فى ذكر ما ذكر و ترك ما ترك أن

(١) راجع نثر المرجان ٦ /١٢٥ (٢) زيدت الواو فى ظ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تسوية (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تجرد .

السجود يدل على العبادة. و قرن القيام به دال على أنه قيام منه فهو عبادة، و ذلك مع الإيذان بأنهما أعظم الأركان. فهو ندب إلى تطويلهما على الركنين الآخرين لأن القعود إنما هو للرفق بالاستراحة. و الركوع إنما أريد به إخلاص الأركان للعبادة، لأنه لا يمكن عادة أن يكون لغيرها، و أما السجود فيطرقه احتمال السقوط و القيام و القعود مما جرت ٥ به العوائد، فلما ضم إليهما الركوع تمحضا / للخضوع بين يدى الملك العليم ٤٨١ / العزيز الرحيم.

و لما كان الإنسان محل الفتور و الغفلة و النسيان، و كان ذلك فى محل الغفران، و كان لا يمكن صلاحه إلا بالخوف من الملك الديان، قال معللا أو مستأنفا جوابا لمن كأنه يقول: ما له يتعب نفسه هذا ١٠ التعب و يكدها هذا الكد: ﴿ يحذر الاخرة ﴾ أى عذاب الله فيها، فهو دائم التجدد لذلك كلما غفل عنه. و لما ذكر الخوف، أتبعه قرينه الذى لا يصح بدونه فقال: ﴿ و يرجوا رحمة ربه ﴾ [أى (١)] الذى لم يزل يتقلب فى إنعامه.

و لما كان الحامل على الخوف و الرجاء و العمل إنما هو العلم النافع، ١٥ و كان العلم الذى لا ينفع كالجهل او الجهل خير، كان جواب ما تقدم من الاستفهام: لا يستويان، لأن المخلص عالم و المشرك جاهل. فأمره بالجواب بقوله: ﴿ قل ﴾ أى لا يستويان، لأن الحامل على الإخلاص العلم و على الإشراك الجهل و قلة العقل، ثم أنكر (٢) على من يشك فى ذلك فقال

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد. و فى الأصل: فقال قل.

له: ﴿هل يستوى﴾ أى فى الرتبة ﴿الذين يعلمون﴾ أى فيعملون على مقتضى العلم، فأداهم علمهم إلى التوحيد و الإخلاص فى الدين ﴿و الذين لايعلمون[4]﴾ فليست أعمالهم على مقتضى العلم إما لجهل و إما لإعراض عن مقتضى العلم. فصاروا لا علم لهم [لأنه -[1]] لا انتفاع لهم به. لأنهم لو تأملوا أدنى تأمل مع تجريد الأنفس من الهوى لرجعوا إليه من أنه لايرضى أحد أصلا لعبده أن يخالف أمره، و إلى أنه لايطلق العلم إلا على العامل أرشد قول ابن هشام فى السيرة "و يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا" أن يقول الناس: علماء، و ليسوا[2] بأهل علم، لم[3] يحملوهم على هدى[4] و لا حق.

و لما كان مدار السداد التذكر. و كان مدار التذكر الذى به الصلاح و الفساد هو[5] القلب لأنه مركز العقل الذى هو آلة العلم، وكان القلب الذى لايحمل على الصلاح عدما، بل العدم خير منه، قال: ﴿انما يتذكر﴾ أى تذكرا[6] عظيما بما أفهمه إظهار التاء فيعلم[7] أن المحسن لايرضى بالإحسان إلى من يأكل خيره و يعبد غيره ﴿اولوا الالباب ع﴾ أى العقول الصافية و القلوب النيرة و هم الموصوفون آخر آل عمران بقوله تعالى "الذين يذكرون الله [قياما و قعودا و على جنوبهم"[1]] - إلى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد و السيرة ١/٢٠٣، و فى الأصل و ظ: ليس (٣) من ظ و م ومد و السيرة، و فى الأصل: بل (٤) من ظ و م و مد و السيرة و فى الأصل: هدد (٥) - قط من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تذكيرا (٧) من م ومد، و فى الأصل و ظ: نعلم.

آخرها ، و ما أحسن التعبير هنا باللب الذى هو خلاصة الشيء لأن السياق للاخلاص ، قال الرازى [1]فى اللوامع[1]: قال الإمام محمد بن على الترمذى : خلق الله تعالى الأشياء مسخرة للآدمى ، و خلق الآدمى للخدمة ، و وضع فيه أنواره ليخرج الخدمة لله تعالى من باطنه بالحاجة ، فالآدمى مندوب إلى العلم بالله تعالى و بأوامره حسب ما خلق له ، و الخدمة و القنوت ٥ بقلبك بين يديه مائلا منتصبا محقا مبادرا مسارعا سائقا مركبك فى جميع أمورك بالحب له ، و علم الخدمة علم البساطين : بساط القدرة و بساط العبودة[2] فاذا طالعت بساط القدرة بعقل وافر و هو أن تعرف نفسك و تركيبك من روحانى[3] و جسمانى ، و طالعت بساط العبودة بكياسة تامة أدركت تدبيره فى العبودة و باطن أمره و نهيه و علل التحريم و التحليل[4] ، و بسط ١٠ الله بساط الربوبية من باب القدرة ، و بسط بساط العبودة من باب العظمة ، ثم كان آخر خلقه سبحانه هذا الإنسان الذى بسط له هذين البساطين ، و جمع فيه العالمين ، و زاد على ما فيهما من قبول الأمر اختيارا و[5] طوعا ، و كل شيء أعطاك إنما أعطاك لتبرزه إلى جوارحك ، و تستعمله فيما خلق له ، فلو لم يعطك لم يطلب منك ، فلا تطلب الزكاة / ممن لامال ١٥ / ٤٨٢ له ، و لا الصلاة قياما ممن لارجل له .

و لما ثبت أن القانت خير ، و كان المخالف له كثيرا ، و كان أعظم

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العبودية (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رحمانى (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التحلل (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ « او » .

حامل له على القنوت التقوى، و كانت كثرة[1] المخالف اعظم مزلزل، وكان الإنسان ـ لما له من النقصان ـ أحوج شيء إلى التثبيت، و كان التثبيت من [2]المجانس، و التأنيس[2] من المشاكل أسكن[3] للقلب و أشرح للصدر، أمر أكمل الخلق و أحسنهم ملاطفة بتثبيتهم فقال: ﴿ قل ﴾

٥ و لما كان الثبات[4] لا يرسخ مع كثرة المخالف، و توالى الزلزال و المتالف، [إلا -[5]] إذا كان عن الملك، جعل ذلك عنه سبحانه ليجتمع عليه الخالق و الأقرب إليه من الخلائق، فقال: ﴿ يٰعباد ﴾ دون ان يقول: يا عباد الله، مثلا تذكيرا لهم[6] تسكينا لقلوبهم بما علم من أن التقدير: قال [الله ـ[5]]، و تشريفا لهم بالإضافة إليه بالضمير الدال على اللطف

١٠ و شدة الخصوصية، و إعلاما لهم بأنه حاضر لا يغيب عنهم بوجـــه: ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة و لو على أدنى حالاتها.

و لما كان الإحسان ربما جرأ[7] على المحسن، اشار سبحانه إلى سداد قول العارفين «اجلس على البساط و إياك و الانبساط» و نبه بلفت القول عن مظهر التكلم إلى[8] الوصف بما يدل على أن العاقل [من -[5]]

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: كثيرة (٢ - ٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المحاسن و التايبس (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: أشكل (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الثابت (٥) زيد من م و مد. (٦) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها. (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جرى (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: على.

أوجب

أوجب له[1] الإحسان إجلالا و إكبارا، و أثمر له العطف و التقريب ذلا فى نفسه و صغارا، و خوفا و انكسارا. مما أقله قطع الإحسان فقال: ﴿ اتقوا ربكم ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين غضب المحسن إليكم وقاية بأن تترقوا فى درجات طاعته مخلصين له كما خلقكم لكم لا لغرض [له -[2]] ليرسخ إيمانكم و يقوى إحسانكم، و هذا أدل دليل على أن الإيمان يكون مع عدم التقوى.

و لما أرشدهم بالاسم الناظر إلى الإحسان إلى أن يقولوا: فما لنا إن فعلنا؟ قال مجيبا معللا: ﴿ للذين احسنوا ﴾ أى لكم، و لكنه أظهر الوصف الدال على سبب جزائهم تشويقا إلى الازدياد منه، و لما كان العمل لاينفع إلا فى دار التكليف قال: ﴿ فى هذه ﴾ باسم الإشارة زيادة فى التعيين ﴿ الدنيا ﴾ أى الدنية الوضرة التى لاتطهر الحياة فيها إلا بالتقديس بعبادة الخالق و التخلق بأوصافه ﴿ حسنة ﴾ أى عظيمة فى الدنيا بالنصر و المعونة مع كثرة المخالف و فى الآخرة بالثواب، و يجوز أن يكون معنى « احسنوا » أوقعوا الإحسان، و معلوم أنه فى هذه الدنيا، فيكون ما بعده مبتدأ و خبرا، لكنه يصير خاصا بثواب الدنيا، فالأول حسن.

و لما كان ربما عرض للانسان فى أرض من يمنعه الإحسان، و يحمله على العصيان، حث سبحانه على الهجرة إلى حيث يزول عنه

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد من م و مد.

ذلك المانع ، تنبيها على أن مثل هذا ليس عذرا فى التقصير كما قيل :

و إذا [1] نبا بك [1] منزل فتحول

فقال : ﴿ و ارض الله ﴾ أى الذى له الملك كله و العظمة الشاملة ﴿ واسعة ﴾ و وجوده بعلمه و قدرته فى كل أرض على حد سواء ، فالمتقيد بمكان منها ضعيف العزم واهن اليقين ، فلا عذر للفرط فى الإحسان بعدم [2] الهجرة . و لما كان الصبر على هجرة الوطن و لاسيما إن كان ثم أهل و عشيرة شديدا جدا ، ذكر ما للصابر على ذلك لمن تشوف إلى السؤال عنه فقال : ﴿ انما يوفى ﴾ أى التوفية العظيمة ﴿ الصٰبرون ﴾ أى على ما تكرهه النفوس فى مخالفة الهوى و اتباع أوامر الملك الأعلى من الهجرة و غيرها ﴿ اجرهم بغير حساب ه ﴾ أى على وجه من الكثرة لا يمكن فى العادة حسبانه ، و ذلك لأن [3] الجزاء من جنس العمل ، و كل عمل يمكن عده و حصره إلا الصبر [4] فانه دائم مع الأنفاس ، / و هو معنى من المعانى الباطنة لا يطلع خلق على مقداره فى قوته و ضعفه و شدته و لينه [لأنه - [5]] مع خفائه يتفاوت مقداره ، و تتعاظم آثاره ، بحسب الهمم فى علوها و سفولها ، و سموها و نزولها . و يجوز أن يكون المعنى أن من كمل صبره - بما أشارت إليه لام الكمال - لم يكن عليه حساب ، لما رواه البزار و ابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاءت امرأة

/ ٤٨٣

(١ - ١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ساءك (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بعد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالصبر (٥) زيد من م و مد .

بها لم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت : يا رسول الله ، ادع الله لى ، قال : إن شئت دعوت الله فشفاك ، و إن شئت صبرت و لا حساب عليك ، قالت : بل أصبر و لا حساب على ،

و لما كانت الأعين ناظرة إلى الأمر هل يفعل [١]ما يأمر به[١] و مقيدة بالرئيس لتأتسى به ، و كان أعظم الصابرين من جاهد نفسه حتى خلص ٥ أعمالها من الشوائب و حماها من الحظوظ و العوائق ، و صانها من الفتور و الشواغل ، أمره بما يرغبهم فى المجاهدة ، و يكشف لهم عن حلاوة الصبر، بقوله : ﴿ قل ﴾ و لما كان الرئيس لقربه من الملك بحيث يظن أنه يسامحه فى كثير مما يكلف به غيره أكد قوله : ﴿ انى امرت ﴾ و بنى الفعل لما لم يسم فاعله تعظيما للآمر بانه قطع و مضى بحيث لم يبق ١٠ فيه مثنوية ، و أقام مقام الفاعل دليلا على أنه العمدة للحث على لزومه قوله : ﴿ ان اعبد الله ﴾ أى الذى الخلق كلهم سواء بالنسبة إلى قبضته و علوه و عظمته لأنه غنى عن كل شىء ﴿ مخلصا له الدين ﴾ أى العبادة التى[٢] يرجى منه الجزاء عليها .

و لما كان الرئيس إذا سابق إلى شىء شوق النفوس إليه . و اوجب ١٥ عليها العكوف عليه قال : ﴿ و امرت ﴾ اى ، وقع الأمر لى و انبرم بأوامر عظيمة وراء ما أمرتم[٣] به لاتطيقونها ﴿ لان ﴾ أى لأجل

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها.

أن ﴿ اكون ﴾ فى وقتى و فى شرعى ﴿اول﴾ أى أعظم ﴿المسلمين ٥﴾ أى المنقادين فى الرتبة الحائزين قصب السبق بكل اعتبار لأوامر الإله الذى لا فوز إلا بامتثال[1] أوامره أو[1] أسبق الكائنين منهم فى زمانى، فجهة [هذا ـ[2]] الفعل غير جهة الأول، فلذلك عطف عليه لأنه لإحراز قصب السبق، و الأول لمطلق الإخلاص فى العبادة .

و لما كان ما أمر به مفهما لأن يكون مع ترغيب و مع ترهيب، وكان ربما ظن أن الرئيس لا يرهب الملك لأمور ترجى منه أو تخشى، و كان تكرير الأمر بابلاغ المأمورين أوقع فى قلوبهم و أشد إقبالا بنفوسهم قال تعالى: ﴿ قل ﴾ أى لأمتك، و أكد ـ لما فى الأوهام أن الرئيس لايخاف ـ قوله: ﴿انى اخاف﴾ أى مع تأمينه لى بغفران ما تقدم و ما تأخر إخلاصا فى إجلاله و إعظامه[3] و فعلا لما على العبد لمولاه الذى له جميع الكبرياء [و العظمة ـ[4]]، و لما كان وصف الإحسان ربما جرا على العصيان، بين أنه لا يكون ذلك إلا لعادم العرفان فقال[5]: ﴿ان عصيت ربى﴾ أى المحسن إلى المربى لى بكل جميل فتركت الإخلاص له ﴿عذاب يوم عظيم ١٥﴾ و إذا كان يوم عظيما، فكيف يكون عذابه .

و لما بين ما أمر به، و أعلم أنه يخاف من مخالفة الأمر له بذلك فأفهم أنه ممتثل لما أمر به، أمره سبحانه بأن يصرح بذلك لأن للتصريح

(١) من م و مد . و فى الأصل و ظ : « و » (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : عظاما (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : قل (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ان .

من

من المزية ما لايخفى فقال: ﴿قل الله﴾ أى المحيط بصفات الكمال وحده ﴿اعبد﴾ تخصيصا له بذلك، لا أنحو اصلا بالعبادة نحو غيره أبدا ﴿مخلصا له﴾ وحده ﴿دينى ۝﴾ أى امتثالا لما أمرت به فلا أشينه بشائبة أصلا لا طلبا لجنة و لا خوفا من نار فانه قد غفر لى ما تقدم[1] و ما تأخر، فصارت عبادتى لأجل وجهه و كونه مستحقا للعبادة خاصة شوقا إليه و حبا له و حياء منه، و أما الرغبة فيما عنده سبحانه و الخوف من سطواته التى جماعها / قطع الإحسان لذى هو عند الأغبياء أدنى ما يخاف فانما خوفى لأجل إعطاء المقام حقه من ذل العبودية و عز الربوبية. / ٤٨٤

و لما علم من هذا غاية الامتثال بغاية الرغبة و الرهبة و هم يعلمون أنه صلى الله عليه و سلم أقواهم قلبا و أصفاهم لبا، و أجرأهم نفسا و أصدقهم إقداما و أشجعهم عشيرة و حزبا، كان خوف غيره من باب الأولى، فسبب عنه تهديدهم أعظم تهديد بقوله: ﴿فاعبدوا﴾ اى أنتم أيها الداعون له فى وقت الضراء المعرضون عنه فى وقت الرخاء ﴿ما شئتم﴾ اى من جماد أو غيره. و نبه على سفول رتبة كل شىء بالنسبة إليه سبحانه تسفيها لمن يلتفت إلى سواه بقوله: ﴿من دونه ۝﴾ فان عبادة ما دونه تؤدى إلى قطع إحسانه، و لا إحسان إلا إحسانه، فاذا انقطع حصل كل سوء، و فى ذلك جميع الخسارة.

و لما كانوا يدعون الذكاء، و يفعلون ما لايفعله عاقل، امره ان يقول لهم ما ينبههم على غباوتهم بما يصيرون إليه من شقاوتهم فقال:

(١) زيد فى الأصل و ظ: من ذنبى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

﴿ قل ان الخسرين ﴾ اى الذين خسارتهم هى الخسارة لكونها[1] النهاية فى العطب ﴿ الذين خسروا انفسهم ﴾ أى بدخولهم النار التى هى معدن الهلاك لعبادتهم غير الله من كل ما يوجب الطغيان . و لما كان[2] أعز ما على الإنسان بعد نفسه أهله الذين عزه بهم قال : ﴿ و اهليهم ﴾ أى لأنهم إن كانوا مثلهم فحالهم فى الخسارة كحالهم ، و لا يمكن أحدا منهم أن يواسى صاحبه بوجه فانه لكل منهم شأن يغنيه ، و إن كانوا ناجين فلا اجتماع بينهم .

و لما كانت العاقبة هى المقصودة بالذات ، قال : ﴿ يوم القيمة[3] ﴾ لأن ذلك اليوم هو الفيصل لايمكن لما فات فيه تدارك أصلا . و لما كان فى ذلك غاية الهول . كرر التعريف بغباوتهم تنبيها على رسوخهم فى ذلك الوصف على طريق النتيجة لما أفهمه ما قبله . فقال مناديا لأنه أهول مبالغا بالاستئناف و حرف التنبيه و ضمير الفصل و تعريف الخبر و وصفه : ﴿ الا ذلك ﴾ اى الأمر العظيم البعيد الرتبة فى الخسارة جدا ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الخسران ﴾ أى[3] بصيغة الفعلان المفهم مطلقا للمبالغة فكيف أذا بنيت على الضم الذى هو أثقل الحركات . و زاد فى تقريعهم بالغباوة بقوله : ﴿ المبين ٥ ﴾ .

و لما علم بهذا أنه البين فى نفسه المنادى بما فيه من القباحة بأنه لاخسران غيره ، فصله بقوله على طريق التهكم بهم : ﴿ لهم ﴾ فان عادة

(١) فى م : بكونها (٢) من ظ . م و مد ، و فى الأصل : كانوا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى .

اللام عند مصاحبة المجرور و لا سيما الضمير إفهام المحبوب للضمير[1] لاسيما مع ذكر الظلل، و أشار إلى قربها[2] منهم باثبات الجار فقال: ﴿ من فوقهم ظلل ﴾ و لما أوهمهم[3] ذلك الراحة، أزال ذلك بقوله: ﴿ من النار ﴾ و ذلك أنكأ مما لو أفهمهم الشر من أول الأمر. و لما كان فى القرار - كائنا ما كان على أىّ حال [كان -[4]] - نوع من الراحة بالسكون، بين أنهم معلقون فى غمرات الاضطراب، يصعدهم اللهيب تارة، و يهبطهم انعكاسه[5] عليهم برجوعه إليهم أخرى، فلا قرار لهم أصلا كما يكون الحب فى الماء على النار، يغلى به صاعداً و سافلا، لايقر فى أسفل القدر[6] أصلا بقوله: ﴿ و من تحتهم ﴾.

[و لما كان كون الظلة المأخوذة من الظل من تحت فى غاية الغرابة، أعادها و لم يكتف بالأولى، و لم يعد ذكر النار لفهمها فى التحت من باب الأولى فقال -[4]]: ﴿ ظلل[7] ﴾ و مما يدل على ما فهمته من عدم القرار ما رواه البخارى فى صحيحه[8] عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: كان النبى صلى الله عليه و سلم إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا، فسألنا يوما قلنا: لا، قال: لكنى رأيت

(١) بين سطرى م: أى الشبه الخفى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قربه (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اوهم (٤) زيد من م و مد. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: العكاسة (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: السست (٧) ليس فى الأصل و ظ (٨) راجع ١ / ١٨٥ - كتاب الجنائز.

الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى و أخرجانى إلى الأرض المقدسة - فذكره بطوله حتى قال : فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق و أسفله واسع ، توقد تحته نار ، فاذا فيه رجال و نساء عراة[1] فيأتيهم اللهيب من تحتهم ، فاذا / اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجون فاذا خمدت رجعوا فذكره ٤٨٥ / و هو طويل عظيم ، ثم فسرهم بالزناة .

و لما كان هذا أمرا مهولا ، و هم لايرهبونه و لايرجعون عن غيهم به ، ذكر فائدته مع الزيادة فى تعظيمه فقال : ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم الشأن ﴿يخوف الله﴾ أى الملك الأعظم الذى صفاته الجبروت و الكبر ﴿به عباده﴾ أى الذين لهم أهلية الإقبال عليه ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم فيعيذهم منه . و لما أهلهم للاضافة إليه و خوفهم سطواته ، أقبل عليهم عند تهيئتهم للاستماع منها على أنه تخويف استعطاف فقال : ﴿ يٰعباد فاتقون ﴾ أى سيبوا عن ذلك أن تجعلوا بينكم و بين ما يسخطنى وقاية مما يرضينى لأرضى عنكم .

و لما ذكر ما لمن عبد الطاغوت ، عطف عليه أضدادهم ليقترن الوعد بالوعيد ، فيحصل كمال الترغيب و الترهيب فقال : ﴿ و الذين اجتنبوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم ذلك لما [2]لها فى الانسياق إليه من الهوى مع تزيين الشيطان « حفت النار بالشهوات » و لما كان للاجمال ثم البيان [3]موقع عظيم[3] ، قال : ﴿الطاغوت﴾ و هو كل ما عبد من دون الله ، فلعوت من

(١) من م و مد و الصحيح ، و فى الأصل و ظ : عداة (٢) العبارة من هنا إلى ما سنبه عليه ساقطة من مد (٣-٣) فى الأصل و ظ و م : موقعا عظيما .

الطغيان، و هو صيغة مبالغة، و فيه مبالغة أخرى بجعل الذات عين المعنى، و دل على عكس من تبعها بتعكيس حروفها . و لما ذكر اجتنابها مطلقا ترغيبا فيه، بين خلاصة ما يجتنب لأجله مع التنفير منها بتأنيثها الذى أبصره المنيبون بتقوية[1] الله لهم عليها حتى كانوا ذكرانا و هم إناثا عكس ما تقدم للكفار فى البقرة . فقال مبدلا منها بدل اشتمال : ٥ ﴿ ان يعبدوها ﴾ .

و لما ذكر اجتناب الشرك، أتبعه التزام التوحيد فقال : ﴿ و انابوا ﴾ أى رجعوا رجوعا عظيما أزالوا فيه النوبة و جعلوها إقبالة واحدة لا صرف فيها ﴿ الى الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال فلا معدل عنه ﴿ لهم البشرى ج ﴾ فى الدنيا على السنة الرسل و عند الموت تتلقاهم الملائكة ١٠ فقد ربحوا ربحا لا خسارة معه لأنهم انتفعوا[2] بكلام الله فأخلصوا دينهم له فبشرهم ـ هكذا كان الأصل، و لكنه أظهر تعميما و تعليقا بالوصف فقال مسببا عن عملهم، صارفا القول إلى التكلم بالإفراد تشريفا للمبشرين الموصوفين : ﴿ فبشر عباد ۝ ﴾ [أى ـ[3]] الذين اهلوا أنفسهم بقصرهممهم علىّ للاضافة إلىّ ﴿ الذين يستمعون[4] ﴾ أى بجميع قلوبهم ﴿ القول ﴾ ١٥ اى هذا الجنس من كل قائل ليسوا جفاة عساة[5] إذا أقبلوا على[6]

(١) من م، و فى الأصل و ظ : لتقوية (٢) من ظ و م، و فى الأصل : انتفصوا (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م و القرآن الكريم، و فى الأصل : يجتمعون (٥) من ظ و م، و فى الأصل : عشاة (٦) زيد فى الأصل و ظ : كل، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

شيء أعرضوا عن غيره بغير دليل ﴿ فيتبعون ﴾ أى بكل عزائمهم بعد اتقاده : ﴿ احسنه ﴾ بما دلتهم عليه عقولهم من غير عدول إلى أدنى هوى ، و يدخل فى هذه الآية دخولا بينا حث أهل الكتاب على اتباع هذا القرآن العظيم ، فان كتب الله كلها حسنة ، و هذا القرآن أحسنها كلاما ، و معانى و نظاما ، لايشك فى هذا أحد له أدنى ذوق .

و لما بين عملهم ، أنتج ذلك مدحهم فقال ، مظهرا زيادة المحبة لهم و الاهتمام بشأنهم بالتأكيد : ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الهمة و الرتبة خاصة ﴿ الذين ﴾ و لما كان فى هؤلاء المحتبين العالو الرتبة جدا و غيره ، أبرز المفعول فقال محولا الأسلوب إلى الاسم الأعظم إشارة إلى عظيم هدايتهم[1] ﴿ هديهم الله ﴾ بما له من صفات الكمال فبين سبحانه أن لا وصول إليه إلا به ، و هـذا بخلاف آية الأنعام حيث ذكر الأنبياء عليهم الصلاة و السلام فقال " اولئك الذين هدى الله " فحذف المفعول لتصير هدايتهم مكررة بوجوب تسليط[2] العامل على الموصول[3] الذى [أعاد - [4]] عليه الضمير فى هذه الآيـة ، و كرر الإشارة زيادة / فى تعظيمهم فقال : ﴿ و اولئك هم ﴾ أى خاصة ﴿ اولوا الالباب ﴾ أى العقول الصافية عن شوب كدر .

٤٨٦ /

و لما خص سبحانه البشارة بالمحسنين ، علم أن غيرهم قد حكم بشقاوته ،

---

(١) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : تسلط (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : الوصول (٤) زيد من ظ و م .

و كان صلى الله عليه و سلم لما جبل عليه من عظيم الرحمة و مزيد الشفقة جديرا بالأسف على من أعرض، سبب عن أسفه عليهم قوله: ﴿افمن حق﴾ و أسقط تاء التأنيث الدالة على اللين تأكيدا للنهى عن الأسف عليهم ﴿عليه كلمة العذاب[1]﴾ بإبائه و توليه، فكان لذلك منغمسا فى النار التى أبرمنا [القضاء -[2]] بأنها جزاء الفجار لايمكن إنقاذه منها، أفأنت تنقذه من إعراضه الذى غمسه فى النار؟ ثم دل على هذا الذى قدرته بقوله مؤكدا باعادة حرف الاستفهام لأجل طول الكلام و لتهويل الأمر و تفخيمه للنهى عن تعليق الهم بهم لما عنده صلى الله عليه و سلم من جبلة العطف و الرقة على عباد الله: ﴿افأنت تنقذ﴾ أى تخلص و تمنع و تنجى، و وضع موضع ضميره قوله شهادة عليه بما هو مستحقه و لايمكن غير الله فكه منه ﴿من فى النار ج﴾ متمكنا فيها[3] شديد الانغماس فى طبقاتها، و الرسوخ بحيث أنها قد أحاطت به من كل جانب، و كان الأصل: أنت تنقذ من حق عليه العذاب، فقدم المفعول و جعله عمدة الكلام ليقرع السمع [3]و يترقب[3] الخبر عنه. ثم حذف خبره ليكون أهول[4] فتذهب النفس فيه كل مذهب، ثم أنكر أن يكون أعلى الخلق ينقذه، فغيره من باب الأولى. فصار الكلام بذلك من الرونق و البهجة و الهول و الإرهاب ما لايقدر البشر على مثله.

و لما بين أن من عبد الأنداد هالك لخروجه عن دائرة العقل بجرأة

(١) زيد من م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: فيه (٣ - ٣) فى م: فيترقب
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: اهل.

و عدم تدبير، بين ما لأضدادهم، فقال صارفا القول عن الاسم الأعظم إلى وصف الإحسان إشارة إلى كرم المتقين بما لهم من إصالة الرأي التي أوجبت خوفهم مع تذكر الإحسان ليدل على أن خوفهم عند تذكر الانتقام أولى: ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم ﴾ أي جعلوا بينهم و بين سخط المحسن إليهم وقاية في كل حركة و سكنة، فلم يفعلوا شيئا من ذلك إلا بنظر يدلهم على رضاه ﴿لهم غرف﴾ أي علالي من الجنة يسكنونها في نظير ظلل الكفار. و لما كانت الغرف في قرار تقر به العيون لم يقل «من فوقهم» كما قال في أهل النار و قال: ﴿ من فوقها غرف ﴾ أي شديدة[1] العلو. و لما كان ربما ظن أن الطبقة الثانية السماء، لأن الغرفة أصلها العالي، و لذلك سميت السماء السابعة غرفة، و أن تكون الغرفة مثل ظلل النار ليس لها قرار. قال تحقيقا للحقيقة مفردا كما هو المطرد في وصف[2] جمع الكثرة لما لا يعقل: ﴿ مبنية ﴾. و لما كانت المنازل لا تطيب إلا بالماء، و كان الجاري[3] أشرف و أحسن[3] قال: ﴿تجري من تحتها﴾ أي الغرف من[4] الطبقة السفلى و الطبقة العليا من غير تفاوت بين العلو و السفل، لأن القدرة صالحة لأكثر من ذلك ﴿ الأنهر ﴾.

و لما ذكر يوم القيامة و ما يكون فيه، بين أنه أمر لابد منه بقوله، رادا السياق إلى الاسم الأعظم الذي لا يتصور مع استحضار ما له من الجلال إخلاف: ﴿ وعد الله ﴾ مؤكدا لمضمون الجملة بصيغة المصدر

(١) من م. و في الأصل و ظ: شديد (٢) زيد في م: في (٣-٣) في م: أحسن و أشرف (٤) و من هنا تستأنف نسخة مد.

الدال على الفعل الناصب له ، و هو واجب الإضمار و الإضافة إلى الاسم الأعظم الجامع لجميع الصفات ، ثم أتبع ذلك بيان ما يلزم من كونه وعده بقوله على سبيل النتيجة : ﴿لايخلف الله﴾ أى الملك الذي لاشريك له يمنعه من شيء يريده . و لما كان الرعى لزمان الوعد[1] و مكانه إنما يكون للحافظة[2] عليه فهو أبلغ / من رعيه نفسه ، عبر بالمفعال فقال : ٥ ٤٨٧ / ﴿الميعاد﴾ لأنه لا سبب أصلا يحمله على الإخلاف .

و لما أخبر سبحانه بقدرته على البعث ، دل عليها بما يتكرر مشاهدته من مثلها ، و خص المصطفى صلى الله عليه و سلم بالخطاب حثا على [تأمل - ٣] هذا الدليل تنبيها على عظمته فقال مقدرا : ﴿ الم تر ﴾ [أى - ٣] مما يدلك على قدرته سبحانه على إعادة ما اضمحل و تمزق ، ١٠ و ارفت و تفرق : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له [4]كل صفة[4] كمال ﴿انزل من السمآء﴾ أى التى لايستمسك الماء فيها إلا بقدرة باهرة تقهره على ذلك ﴿مآء﴾ كما تشاهدونه فى كل عام[5] ﴿فسلكه﴾ أى فى خلال التراب حال كونه ﴿ ينابيع ﴾ أى عيونا فائرة ﴿ فى الارض﴾ فقهره على الصعود بعد أن غيبه فى أعماقها بالفيض و الصوب بعد أن كان ١٥ قسره على الانضباط فى العلو ثم أكرهه على النزول على مقدار معلوم و كيفية مدبرة و أمر مقسوم ، قال الشعبى و الضحاك[6] : كل ماء فى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الموعد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للحافظ (٣) زيد من م و مد (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صفة كل.
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : علم (٦) ذكره فى معالم التنزيل مختصرا عن الشعبى - راجع هامش اللباب ٦ / ٦٠ .

الارض من السماء ينزل إلى الصخرة ثم يقسم منها العيون و الركايا .

و لما كان إخراج النبات متراخيا عن نزول المطر ، عبر بثم ، و فيها أيضا تنبيه على تعظيم الأمر فيما تلاها بأنه محل الشاهد فقال : ﴿ ثم يخرج ﴾ أى الله ﴿ به ﴾ أى الماء ﴿ زرعا ﴾ و لما كان اختلاف المسبب مع اتحاد السبب أعجب فى الصنعة و أدل على بديع القدرة ، قال : ﴿ مختلفا الوانه ﴾ أى فى الأصناف و الكيفيات و الطبائع و الطعوم و غير ذلك مع اتحاد الماء الذى جمعه من أعماق الأرض بعد أن تفتت فيها و صار ترابا . و لما كان الإيقاف بعد قوة الإشراف دالا على القهر و نفوذ الأمر ، قال إشارة إلى أن الخروج عن الحد غير محمود فى شىء من الأشياء فانه يعود عليه بالنقص ﴿ ثم يهيج ﴾ و زاد فى تعظيم هذا المعنى للحث على تدبره باسناده إلى خير الخلق صلى الله عليه و سلم فقال : ﴿ فتراه ﴾ أى فيتسبب عن هيجه و هو شدة ثورانه فى نموه[1] بعد التمام بتوقيع الانصرام أنك تراه ﴿ مصفرا ﴾ آخذا فى الجفاف بعد تلك الزهرة و البهجة و النضرة . و لما كان السياق لإظهار القدرة التامة ، عبر بالجعل مسندا إليه سبحانه بخلاف آية الحديد التى عبر فيها[2] بالكون لأن السياق ثَمّ لأن الدنيا عدم فقال : ﴿ ثم يجعله حطاما ﴾ أى مكسرا مفتتا باليا .

و لما تم هذا على هذا المنوال البديع الدال بلا شك لكل من رآه على أن فاعله قادر على الإعادة لما يريد بعد الإبادة ، كما قدر على الإيجاد

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غده (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عنها .

من العدم و الإفادة لكل ما لم يكن، قال على سبيل التأكيد للتنبيه على [أن -[1]] إنكارهم غاية فى الحمق و الجمود: ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى التدبير على هذا الوجه ﴿ لذكرى ﴾ أى تذكيرا عظيما واضحا على البعث و ما يكون بعده، فان النبات كالإنسان سواء، يكون ماء ثم ينعقد بشرا، ثم يخرج طفلا، ثم يكون شابا، ثم يكون كهلا، ثم شيخا، ثم هرما. ثم ترابا مفتتا فى الأرض، ثم يجمعه فيخرجه كما أخرج الماء النبات: ﴿ لاولى الالباب ﴾ أى العقول الصافية جدا كما نبه عليه بخصوص الخطاب فى أول هذا الباب للمنزل عليه هذا الكتاب، و أما غيره و غير من تبعه باحسان فهم كبهائم الحيوان.

و لما كان الذى قرر به أمرا فيما يظنه السامع ظاهرا كما[2] كان جديرا بأن ينكر بعض الواقفين مع الظواهر تخصيص الألباء به، سبب عن ذلك الإنكار فى قوله: ﴿ افمن شرح الله ﴾ أى الذى له القدرة الكاملة و العلم الشامل ﴿ صدره للاسلام ﴾ أى للانقياد للدليل، فكان قلبه[3] لينا فانقاد للايمان فاهتدى لباطن هذا الدليل ﴿ فهو ﴾ أى فيتسبب عن إسلام ظاهره / و باطنه للداعى أن كان ﴿ على نور ﴾ أى بيان عظيم بكتاب، ٤٨٨ / به يأخذ، و به يعطى، و إليه فى [كل -[4]] أمر ينتهى قد استعلى عليه فهو كأنه راكبه، يصرفه حيث يشاء، و زاد فى بيان عظيم هدايته بلفت

(١) زيد من ظ وم ومد (٢) سقط من م و مد (٣) من م ومد، وفى الأصل و ظ: قلبا (٤) زيد من م و مد.

القول إلى مظهر[1] الإحسان فقال : ﴿ من ربه ﴾ أى المحسن إليه باحسانه فى انقياده ، فبشرى له فهو على صراط مستقيم ، كمن جعل صدره ضيقا [حرجا - [2]] فكان قلبه قاسيا . فكان فى الظلام خابطا ، فويل له - هكذا كان الأصل و لكن قيل : ﴿ فويل للقسية قلوبهم ﴾ أى لضيق صدورهم ، و زاد فى بيان ما بلاهم به من عظيم القسوة بلفت القول[3] إلى الاسم الدال على جميع الأسماء الحسنى و الصفات العلى فقال : ﴿ من ذكر الله ﴾ فان من تبتدئ قسوته مما تطمئن به القلوب و تلين له الجلود ، من مدح الجامع لصفات الكمال فهو أقسى من الجلمود .

و لما كان من رسم بهذا الخزى أخسر الناس صفقة ، أنتج وصفه قوله تعالى : ﴿ اولئك ﴾ أى الأباعد الأباغض ﴿ فى ضلل مبين ﴾ أى واضح فى نفسه موضح امره لكل أحد ، فالآية من الاحتباك : ذكر أولا الشرح و النور دليلا على حذف ضده ثانيا ، و ثانيا الويل للقاسى و الضلال دليلا على حذف ضده أولا - روى[4] البيهقى فى الشعب و البغوى[5] من طريق الثعلبى و الحكيم[6] الترمذى من وجه آخر عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه و سلم قرا هذه الآية ، قال : فقلنا : يا رسول الله ! كيف انشرح صدورهم ؟ قال : إذا دخل النور القلب

(١) زيد فى الأصل : العظمة و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) زيد من م (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : الخطاب (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و روى (٥) فى معالم التنزيل - راجع اللباب ٦/٦٠ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحاكم و .

انشرح و انفسح . قلنا : يا رسول الله ؟ فما علامة ذلك ؟ قال : الإنابة إلى دار الخلود و التجافى عن دار الغرور و التأهب للموت قبل نزول الموت . و قال الأستاذ ابو القاسم القشيرى : و النور الذى من قبله سبحانه نور اللوائح بنجوم العلم . ثم نور اللوامع ببيان الفهم ، ثم[1] نور المحاضرة بزوائد[2] اليقين . ثم نور المكاشفة بتجلى الصفات ، ثم نور المشاهدة بظهور الذات ، ثم أنوار الصمدية بحقائق التوحيد ، فعند ذلك لا وجد [و -[3]] لا قصد ، و لا قرب و لا بعد . كلا بل هو الله الواحد القهار ، و ذلك كما قيل : المؤمن بقوة عقله يوجب استقلاله بعلمه إلى أن يبدو و منه كمال تمكنه[4] من وقادة بصيرته . ثم إذا بدا له لائحة من سلطان المعارف تصير تلك[5] الأنوار مقمرة ، فاذا بدت أنوار التوحيد استهلكت تلك الجملة ، فلما استبان الصبح أدرج ضوءه بأنواره أنوار تلك[5] الكواكب .

و لما كان من المستبعد جدا ان يقسو قلب من ذكر الله ، بينه الله و صوره فى أعظم الذكر فانه كان للذين آمنوا هدى و شفاء ، و للذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر و فى أبصارهم عمى . فقال ممخما للمنزل[6] بجعل الاسم الأعظم [7]مبتدأ و بناء[7] الكلام عليه : ﴿ الله ﴾ أى الفعال

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ثور (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بزايد (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تمكنه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ط (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للستر (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نبامتبدا .

لما يريد الذى له مجامع العظمة و الإحاطة بصفات الكمال ﴿ نزّل ﴾ أى بالتدريج للتدريب و للجواب عن كل شبهة ﴿ احسن الحديث ﴾ و أعظم الذكر ، و لولا أنه هو الذى نزله لما كان الأحسن ، و لقدر - و لو يوما واحدا - على الإتيان بشىء من مثله ، و أبدل من "احسن" قوله : ﴿ كتبا ﴾ أى جامعا لكل خير ﴿ متشابها ﴾ أى فى البلاغة [المعجزة -[1]] و الموعظة الحسنة ، لا تفاوت فيه أصلا فى لفظ و لا معنى ، مع كونه نزل مفرقا فى نيف و عشرين سنة ، و أما كلام الناس فلا بد فيه من التفاوت و إن طال الزمان فى التهذيب سواء اتحد زمانه أو لا ، و الاختلاف فى [2]المختلف فى[2] الزمان أكثر ، و لم يقل : مشتبها ، لئلا يظن أنه [كله -[3]] غير واضح الدلالة[4] و ذلك لا يمدح به .

و لما كان مفصلا إلى سور و آيات و جمل ، وصفه بالجمع فى قوله : ﴿ مثانى ﴾ جمع مثنى مفعل [من التثنية بمعنى التكرير -[1]] أى تثنى فيه القصص و المواعظ و الأحكام و الحكم ، مختلفة البيان فى وجوه من الحكم ، متفاوتة الطرق فى وضوح الدلالات ، من غير اختلاف أصلا فى أصل المعنى ، و لا يمل من تكراره ، و ترداد قراءته و تأمله و اعتباره ، مع أن جميع ما فيه أزواج من الشىء و ضده : المؤمن و الكافر ، و المطيع[5] و العاصى ، و الرحمة العامة و الرحمة الخاصة ، و الجنة و النار ، و النعيم

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل : المحل ، و فى ظ بياض (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) بياض فى الأصل ، ملأناه من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الطائع .

و الشقاء، و الضلال و الهدى، و السراء و الضراء، و البشارة و النذارة، فلا ترتب على شيء من ذلك جزاء صريحا إلا ثنى بافهام ما لضده تلويحا، فكان مذكورا مرتين، و مرغبا فيه أو مرهبا منه كرتين، و يجوز أن يكون التقدير: متشابهة مثانيه، فيكون نصبه على التمييز، و فائدة التكرير أن النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ[1] و النصيحة، فما لم يكرر عليها عودا[2] على بدء لم يرسخ عندها و لم يعمل عمله، و من ثم كان النبي صلى الله عليه و سلم يكرر قوله ثلاث مرات فأكثر[3].

و لما كان التكرار يمل، ذكر أن من خصائص هذا الكتاب أنه يطرب مع التكرار، و يزداد حلاوة و لو ثنى آناء الليل و أطراف النهار، فقال: ﴿ تقشعر ﴾ اى تهتز [و تتجمع -[4]] و تتقبض تقبضا شديدا، من القشع و هو الأديم اليابس، و زيد [5]حرفا لزيادة[5] المعنى، و اختير حرف التكرير إشارة إلى المبالغة فيه، و كونه حرف التطوير أشد للناسبة ﴿ منه جلود ﴾ أى [ظواهر -[6]] أجسام ﴿ الذين يخشون ﴾ أى يخافون خوفا شديدا[7] و يلتذون لذة توجب إجلالا و هيبة، فيكون ذلك سبب ذلك، و زاد فى مدحهم بأنهم يخافون المحسن، فهم عند ذكر أوصاف الجلال أشد خوفا، فلذلك لفت القول إلى وصف الإحسان فقال:

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الوعد (٢) من م و مد. و فى الأصل و ظ: عود (٣) من ظ و م و مد. و فى الأصل: فاكد (٤) زيد من مد. (٥-٥) من ظ و م و مد. و فى الأصل: حرف الزيادة (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد. و فى الأصل: شديد.

﴿ربهم ج﴾ أى المربى لهم المحسن إليهم لاهتزاز قلوبهم ، روى الطبرانى عن العباس[1] رضى الله عنه [2]أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت خطاياه[2] ، و روى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه مر برجل من أهل العراق ساقط ، قال : فما بال هذا ؟ قال : إنه إذا قرئ عليه القرآن و سمع ذكر الله سقط ، قال ابن عمر رضى الله عنهما : إنا لنخشى الله و ما نسقط و إن الشيطان ليدخل فى جوف أحدهم ، ما كان هذا صنيع أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم . ﴿ثم تلين﴾ أى تمتد و تنعم ، و قدم ما صرح فيه بالاقشعرار الذى يلزمه اليبس ، و أخر القلوب إبعادا لها عما قد يفهم يبسا فيوهم قسوة [فقال - [3]] : ﴿جلودهم﴾ لتراجعهم بعد برهة إلى الرجاء و إن اشتدت[4] صلابتها ﴿و قلوبهم﴾ و ذكره لتجدد لين القلوب مع الجلود دال على تقدير اقشعرارها[5] معها من شدة الخشية ، فان الخشية لا تكون إلا فى القلب ، و كان سر حذف التصريح بذلك تنزيهها عن ذكر ما [قد - [6]] يفهم القسوة .

و لما كان القلب شديد الاضطراب و التقلب ، دل على حفظه له بنافذ أمره و باهر عظمته بالتعدية بـ « إلى » ليكون المعنى : ساكنة مطمئنة

(١) من مد و مجمع الزوائد ١٠/٣١٠ ، و فى الأصل و ظ و م : ابن عباس .
(٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اشتد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اقشعرار .
(٦) زيد من ظ و م و مد .

﴿الى ذكر الله﴾ أى ذى الجلال و الإكرام، فان الأصل فى ذكره[1] الرجاء لأن رحمته سبقت غضبه، و أظهر موضع الإضمار لأحسن الحديث لئلا يوهم أن الضمير للرب، فيكون شبهة لأهل الاتحاد أو غيرهم من أرباب البدع، و لم يقل: إلى الحديث أو الكتاب - مثلا، بل عدل إلى ما عرف / أنه ذكره سبحانه ليكون أفخم لشأنه، و زاده فخامة بصرف القول عن ٥ / ٤٩٠ الوصف المقتضى للاحسان إلى الاسم الجامع للجلال[2] و الإكرام.

و لما كان ما ذكر من الآثار[3] عجبا، دل على عظمته بقوله على طريق الاستنتاج: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم الغريب من الحديث المنزل و القبض و للبسط ﴿هدى الله﴾ [أى -[4]] الذى لايمتنع عليه شىء ﴿يهدى به من يشآء[5]﴾ و من هداه الله فما له من مضل. و يضل به من ١٠ يشاء فلا تتأثر جلودهم لقساوة قلوبهم، فيكون هدى لناس ضلالا لآخرين ﴿و من يضلل الله﴾ أى الملك الأعظم المحيط بكل شىء إضلالا راسخا فى قلبه بما أشعر به الفك ليخرج الضلال العارض ﴿فما له من هاد﴾ لأنه لا راد لأمره و لامعقب لحكمه، لأنه الواحد فى ملكه. فلا شريك له. فالآية من الاحتباك: ذكر أولا إطلاق امره فى الهداية دليلا على ١٥ حذف مثله [فى الضلال، و ثانيا انسداد باب الهداية على من أضله دليلا على و حذف مثله -[5]] فيمن هداه[6] و هى دامغة للقدرية.

---

(١) من و م و مد. و فى الأصل و ظ: ذكرها (٢) فى ظ: للاجلال (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاوصاف (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: هدا.

و لما أتم الإنكار على من سوى، بين من شرح صدره و من ضيق، و ما تبعه [و ـ[1]] ختم بأن الأول مهتد، و الثانى ضال، شرع فى بيان ما لكل منهما نشرا[2] مشوشا فى أسلوب الإنكار أيضا، فقال مشيرا إلى أن الضلال سبب العذاب، و الهدى سبب النعيم، و حذف هنا المنعم الذى سبب له النعيم لين قلبه كما حذف القاسى القلب فى آية الشرح الذى سببت له قسوته العذاب، لتتقابل الآيتان، و تتعادل العبارتان: ﴿ أفمن ﴾ و أفرد على لفظ "من" لئلا يظن أن الوجوه[3] الأكابر فقال: ﴿ يتقى ﴾ و دل على أن يده التى جرت العادة بأنه يتقى بها المخاوف مغلولة بقوله: ﴿ بوجهه ﴾ الذى كان يقيه المخاوف و يحميه منها بجعله و هو أشرف أعضائه وقاية يقى به غيره من بدنه[4] ﴿ سوء العذاب ﴾ أى شدته و مكروهه لأنه تابع نفسه على هواها حتى قسى قلبه و فسد لبه ﴿ يوم القيمة ﴾ لأنه يرمى به فى النار منكوسا و هو مكبل، لاشىء له من اعضائه مطلق يرد به عن وجهه. فى عنقه صخرة من الكبريت مثل الجبل العظيم، و يسحب فى النار على وجهه، كمن امن العذاب فهو يتلقى النعيم بقلبه و قالبه.

و لما كان مطلق التوبيخ و التقريع منكئا، بنى للمفعول قوله: ﴿ و قيل ﴾ له ـ هكذا كان الأصل، و لكنه أظهر الوصف تعميما و تعليقا للحكم به و جمع تنبيها على أن كثرتهم لم تغن عنهم شيئا فقال:

(١) زيد من ظ و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قسرا (٣) فى مد: الوجود (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المكاره.

﴿للظالمين﴾ أى الذين تركوا طريق الهدى و اتبعوا الهوى فضلوا و أضلوا: ﴿ذوقوا ما﴾ أى جزاء ما ﴿كنتم تكسبون ٥﴾ [أى -[1]] تعدونه فائدة و ثمرة لأعمالكم و تصرفاتكم، و قيل لأهل النعيم: طيبوا نفسا و قروا عينا جزاء بما كنتم تعملون، فالآية من الاحتباك: ذكر الاستفهام أولا دليلا على حذف متعلقه ثانيا. و ما يقال للظالم ثانيا دليلا على ما يقال للعدل أولا.

و لما ذكر ما أعد لهم فى الآخرة، و كانوا فى مدة كفرهم كالحيوانات العجم لاينظرون إلا الجزئيات الحاضرة، خوفهم بما يعملونه[2] فى الدنيا، فقال على طريق الاستئناف فى جواب من يقول: فهل يعذبون فى الدنيا: ﴿كذب الذين﴾ و أشار إلى قرب زمان المعذبين من زمانهم بادخال الجار فقال: ﴿من قبلهم﴾ أى مثل سبأ و قوم تبع و أنظارهم: ﴿فأتاهم العذاب﴾ و كان[3] أمرهم علينا يسيرا، و أشار إلى أنه[4] لم يغنهم حذرهم بقوله: ﴿من حيث﴾ أى من جهة ﴿لايشعرون ٥﴾ أنه يأتى منها عذاب، جعل اتيانه من مأمنهم ليكون ذلك أوجع للعذب، و أدل على القدرة بأنه سواء عنده تعالى الإتيان بالعذاب من جهة يتوقع منها و من جهة لايتوقع أبدا ان يأتى منها شر ما، فضلا عما اخذوا به، بل لايتوقع منها[5] إلا الخير.

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م، و فى الأصل و ظ و مد: يعلمونه.
(٣) زيد فى الأصل و ظ: من، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انهم (٥) من م و مد. و فى الأصل و ظ: منهم.

و لما بين سفههم و شدة حمقهم باستعجالهم بالعذاب استهزاء ، سبب عنه تبكيت من لم يتعظ بحالهم فقال : ﴿ فاذاقهم الله ﴾ [أى - [1]] الذى لا راد لأمره ﴿الخزى﴾ أى الذل الناشئ عن الفضيحة و العذاب الكبير بما أرادوه من إخزاء الرسل بتكذيبهم ﴿فى الحيوة الدنيا ج﴾ أى العاجلة الدنية . و لما كان انتظار الفرج مما يسلى ، قال معلما أن عذابهم دائم على سبيل الترقى إلى ما هو أشد ، و أكده لإنكارهم إياه : ﴿ و لعذاب الأخرة﴾ أى الذى انتقلوا إليه بالموت و يصيرون إليه بالبعث : ﴿ اكبر ج﴾ من العذاب الذى اهلكهم فى الدنيا ، و أشدهم إخزاء ، فالآية من الاحتباك : ذكر الخزى أولا دليلا على إرادته ثانيا ، و الأكبر ثانيا دليلا على الكبير أولا ، و سره تغليظ الأمر عليهم بالجمع بين الخزى و العذاب بما فعلوا برسله عليهم الصلاة و السلام بخلاف ما يأتى فى فصلت . فان سياقه للطعن فى الوحدانية ، و هى لكثرة أدلتها و بعدها عن الشكوك وعظيم المتصف بها و عدم تأثيره بشئ [2] يكفى فى نكال الكافر به مطلق العذاب .

و لما كان من علم أن فعله يورث نكالا كف عنه و لايكفون و لايتعظون قال : ﴿ لو كانوا يعلمون ه ﴾ أى لو كان لهم علم ما لعلموا أنه أدبر فاتعظوا و آمنوا . و لكنه لاعلم لهم أصلا ، بل هم كالأنعام بل هم أضل سبيلا ، لأن الجزئيات لاتنفعهم كما تنفع سائر الحيوانات ، فان الشاة ترى الذئب فتنفر منه إدراكا لان بينها و بينه عداوة بما خلق

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لشىء.

الله فى طبعه من أكل أمثالها ، و هؤلاء يرون ما حل بأمثالهم من العذاب لتكذيبهم الرسل فلا يفرون منه إلى التصديق .

و لما ذكر سبحانه حال الأولين موعظة للعرب ، فكان[1] كأنه قيل صرفا للقول إلى مظهر العظمة تذكيرا بما فى الأناة معها [من المنة -[2]] لأن حالها يقتضى المعاجلة بالأخذ و المبادرة باحلال السطوة ، ضربنا لكم ٥ حالهم مثلا لحالكم لتعتبروا به ، فان الأمثال يفهم بها المعانى الغائبة ، و تصير كأنها محسوسة مشاهدة ، عطف عليه قوله مؤكدا لإنكارهم أن يكون فى القرآن بيان شاف و ادعائهم أنه إنما هو شعر و كهانة و سحر : ﴿ و لقد ضربنا ﴾ على ما لنا من العظمة . و لما كان فى سياق المفاضلة بين المتقى و غيره من أوائل السورة حين قال « امن هو قانت » إلى أن ١٠ ختم [بقوله -[2]] " افمن يتقى بوجهه " و أسس ذلك كله على ابتداء الخلق من نفس واحدة ، كانت العناية فى هذا السياق بالمخاطبين أكثر ، فقدم قوله : ﴿ للناس ﴾ أى عامة لأن رسالة رسولكم عامة .

و لما كان المتعنت كثيرا ، عين المحدث عنه بالإشارة التى هى أعرف المعارف ، و جعلها ما يعبر به عن القرب ، إشارة إلى أنه لما ١٥ أتى به الرسول صلى الله عليه و سلم خلع القلوب و ملأها ، فلا حاضر فيها سواه و إن كان المعاند يقول غير ذلك فقوله زور و بهتان و إثم و عدوان ، فقال : ﴿ فى هذا القرآن ﴾ اى الجامع لكل علم . و لما كانت كلماته سبحانه لاتنفد ، عجائبه لا تعد و لا تحد ، و كان فى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فكانه (٢) زيد من م و مد .

سياق التعجيب من توقفهم قال: ﴿ من كل مثل ﴾ أى يكفى ضربه فى البيان لإقامة الحجة البالغة، ثم بين علة الضرب بقوله: ﴿لعلهم يتذكرون ﴾ أى ليكون حالهم بعد ضربه حال من يرجى تذكره بما ضرب له ما يعرفه فى الكون فى نفسه أو فى الآفاق[1] تذكرا واضحا مكشوفا - بما أرشد إليه الإظهار، فيتغط / لما فى تلك الأمثال المسوقة[2] ٤٩٢ / ٥
فى أحسن المقال المنسوقة بما يلائمها[3] من الأوضاع و الأشكال من البيان و أوضح البرهان.

و لما كان ذلك غاية فى الشرف، دل على زيادة شرفه بحال مؤكدة دالة على شدة عنادهم و تسمى موطئه لأن الحال فى الحقيقة ما بعدها بقوله: ﴿ قرآنا ﴾ [أى -[4]] حال كون ذلك المضروب[5] جامعا [6]لكل ما[6] يحتاج إليه، و يجوز أن يكون النصب على المدح ﴿ عربيا ﴾ جاريا على قوانين لسانهم فى جمعه باتساعه[7] و وضوحه و احتمال اللفظ الواحد منه لمعان كثيرة، فكيف إذا انضم إلى غيره فصار كلاما. و لما كان الشيء قد يكون مستقيما بالفعل و هو معوج[8] بالقوة، قال تعالى: ﴿ غير ذى عوج ﴾ اى ليس بمنسوب إلى شيء من العوج و لا من

(١) من م و مد. و فى الأصل و ظ: الاوقات (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المشوقة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: لا يلائمها.
(٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد. و فى الأصل و ظ: المضرب.
(٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لما (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: و اتساعه (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عوج.

شأنه العوج، فلا [يصح أن - ١] يكون معوجا أصلا فى شىء من نظمه و لا معناه باختلاف و لا غيره كما فى آية الكهف سواء، و فى الإتيان بعوج الذى هو مختص بالمعانى بيان أن الوصف له حقيقة، فهو أبلغ من غير معوج، لأنه يحتمل إرادة أهله على المجاز.

و لما كان التذكر بالتذكير لكونه أبلغ للوعظ حاملا، و لابد للعاقل ٥ على الخوف المسبب للنجاة قال: ﴿ لعلهم يتقون ﴾ أى ليكون حالهم بعد التذكير الناشئ عن التذكير حال من يرجى له أن يجعل بينه و بين غضب الله وقاية.

و لما أقام سبحانه الدليل المنير على التفاوت العظيم، بين من هو قانت آناء الليل ساجدا و قائما يدعو الله مخلصا له الدين و بين من يدعو لله ١٠ أندادا، و ختم بضرب الأمثال، و كان الأمثال أبين فيما يراد من الأحوال، قال منبها على عظمتها بلفت القول عن مظهر العظمة إلى الاسم [الأعظم - ١] الجامع لجميع صفات الكمال: ﴿ ضرب الله ﴾ أى الملك الأعظم المتفرد بصفات الكمال ﴿ مثلا ﴾ لهذين الرجلين مع أنه لا يشك ذو عقل أن المشرك لا يدانى المخلص فضلا عن أن يقول: إن المشرك أعظم كما يقوله ١٥ المشركون. و لما كان الذكر أقوى من الأنثى، و أعرف بمواقع النفع و الضر، و كان كونه بالغا أعظم لقوته و أشد لشكيمته، فيكون أنفى للعار[٢] عن نفسه و أدفع للظلم عن جانبه و أذب عن حماه، قال مبينا للمثل مشيرا إلى تبكيت الكفار و رضاهم لأنفسهم [بما لا يرضاه لنفسه - ١]

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المعار.

أدنى الأرقاء ﴿رجلا فيه﴾ أى خاصة . و لما كانت معبوداتهم - لكونها من جملة المخلوقات - كثيرة الأشباه[1] و النظائر، عبر عنها بجمع الكثرة فقال: ﴿ شركآء ﴾ فى الظاهر من الأصنام و فى الباطن من الحظوظ و الشهوات، و وصف الشركاء بقوله: ﴿ متشكسون ﴾ أى مختلفون ٥ عسرون يتجاذبون مع سوء الأخلاق و ضيقها و قباحة الشركة، فليس أحد منهم يرضى بالانصاف، فهو لا يقدر أن يرضيهم أصلا ﴿و رجلا سالما﴾ أى من نزاع ﴿ لرجل ﴾ فليس فيه لغيره شركة و لا علاقة أصلا، فهو أجدر بأن يقدر على رضاه مع راحته من تجاذب الشركاء - هذا على قراءة المكى و البصرى[2]، و على قراءة الباقين بحذف الألف و فتح اللام ١٠ هو وصف بالمصدر على المبالغة .

و لما انكشف الحال فيها جدا قال: ﴿هل يستويٰن﴾ أى الرجلان يكون أحدهما مساويا للآخر بوجه من الوجوه/ و لو بغاية الجهد و العناية . ٤٩٣ /
و لما كان الاستواء مبهما قال: ﴿ مثلا ﴾ أى من جهة المثل، أى هل يستوى مثلهما أى يجمعهما مثل واحد حتى أن يكونا هما متساويين فهو ١٥ تمييز محول فى الأصل عن الفاعل، و الجواب فى هذا الاستفهام الإنكارى قطعا: لا سواء، بل مثل الرجل السالم فى غاية الحسن فكذا ممثوله و هو القانت المخلص، و مثل الرجل الذى وقع فيه التشاكس فى غاية القبح فكذا ممثوله و هو الداعى للأنداد .

(١) من ظ ومد . و فى الأصل و م: الاشتباه (٢) راجع نثر المرجان ٦/١٤٥ .

و لما علم بهذا المثل المضروب للرجلين سفول المشترك و هو الداعى للانداد ، و علو السالم و هو القانت ، ظهر بذلك بلا ريب حقارة المتشاركين و جلالة المتفرد و هو الله ، فأنتج قطعا قوله: ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ لله[1] ج ﴾ الذى لامكافئ له ، يعلم ذلك كل أحد لما له من الظهور لما عليه من الدلائل ، فلا يصح أن يكون له شريك ٥ ﴿ بل اكثرهم ﴾ أى الناس ﴿ لايعلمون ه ﴾ لأنهم يعملون[3] بما لايليق بهذا العلم فيشركون به إما جليا و إما خفيا ، و يجوز أن يقال : له الكمال كله ، فليس الملتفتون[4] إلى غيره أدنى التفات علماء ، بل لا علم لهم أصلا ، و هم المشركون شركا [جليا -[4]] ، و أما أصحاب الشرك الخفى فهم ، و إن كان لهم علم - فليس بكامل . ١٠

و لما كان السالم مثلا له صلى الله عليه و سلم و لأتباعه ، و الآخر للمخالفين ، و كان سبحانه قد أثبت جهلهم ، و كان الجاهل ذا حمية و إباء[5] لما يدعى إليه من الحق و عصبيته :

و الجاهلون لأهل العلم أعداء

فكان لذلك التفكر[6] فى أمرهم و مايؤدى [إليه -[4]] من التقاعد عن ١٥ الاتباع و التصويب بالأذى و لاسيما و هم أكثر من أهل العلم مؤديا

(١) وقع فى الأصل و ظ بعد « الحمد » و الترتيب من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يعلمون (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المتلفتون (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اباة . (٦) زيد فى الأصل : فى اصلهم و ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها .

إلى الأسف و شديد القلق فكان موضع أن يقال : فما يعمل ؟ و كان لاينبغى فى الحقيقة أن يقلق إلا من ظن دوام النكد ، قال تعالى مسليا و معزيا و موسيا فى سياق التأكيد[1] ، تنبيها على أن من قلق كان حاله مقتضيا لإنكار انقطاع التأكيد : ﴿ انك ﴾ فخصه صلى الله عليه و سلم ٥ لأن الخطاب إذا كان للرأس كان اصدع[2] لأتباعه ، فكل موضع كان للاتباع و خص فيه صلى الله عليه و سلم بالخطاب دونهم فهم المخاطبون فى الحقيقة على وجه أبلغ .

و لما لم يكن لممكن من نفسه إلا العدم قال : ﴿ ميت ﴾ أى الآن لأن هذه صفة لازمة بخلاف « مايت » [يعنى -[3]] : فكن كالميت بين ١٠ يدى الغاسل فانك مستريح قريبا عما[4] تقاسى من أنكادهم[5] ، و راجع إلى ربك ليجازيك على[6] طاعتك له ﴿ و انهم ﴾ أى العباد كلهم أتباعك و غيرهم ﴿ ميتون ذ ﴾ فنقطع ما هم فيه من اللدد[7] و العيش و الرغد .

و لما كان الشفاء الكامل إنما يكون بأخذ الثار ، و إذلال الظالم . قال مشيرا بأداة التراخى إلى مدة البرزخ مؤكدا لأجل إنكارهم البعث ١٥ فضلا عن القصاص صادعا [لهم -[3]] بالخطاب بعد الغيبة : ﴿ ثم انكم ﴾ [أى [3]] أيها العباد كلكم ، فان كل أحد مسئول عن نفسه و عن غيره

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : التنكيد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اصرح (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ما (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انكارهم (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عند (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اللدود .

هل راعى[1] حق الله فيه ، او أنت و هم من باب تغليب[2] المخاطب و إن كان واحدا[3] لعظمته على[4] الغائبين ، و زاد فى إثبات المعنى بقوله : ﴿ يوم القيمة ﴾ فساقه مساق ما لا خلاف فيه ، و بين أن ذلك الحال مخالف لهذا الحال لانقطاع الأسباب بقوله ، صارفا القول إلى وصف التربية الذى يحق له الفضل على الطائع و العدل فى العاصى ﴿عند ربكم﴾ ٥ أى المربى لكم بالخلق و الرزق ، فلا / يجوز فى الحكمة أن يدعكم يبغى ٤٩٤ / بعضكم على بعض كما هو مشاهد من غير حساب كما أن أقلكم عقلا لا يرضى بذلك فى عبيده الذين ملكه الله إياهم ملكا ضعيفا ، أو ولاه عليهم ولاية مزلزلة ، فكيف بمن فوقه فكيف بالحكماء ﴿ تختصمون ﴾ أى تبالغون فى الخصومة ليأخذ بيد المظلوم و ينتقم له من الظالم ، و يجازى ١٠ كلا بما عمل ، أما فى الشر فسوءاً بسوء ، لايظلم مثقال ذرة و لا ما دونه ، و اما فى الخير فالحسنة بعشرة[5] أمثالها - إلى ما فوق ذلك مما[6] لايعلمه غيره ، فلا ينبغى أبدا لمظلوم ان يتوهم دوام نكده ، عدم الأخذ بيده فيقتصر فى العمل و يجنح إلى شىء من الخوف و الوجل ، بل عليه أن يفرح بما يجزل ثوابه ، و يسر بما ييسر حسابه ، و يشتغل بما يخلص به ١٥ نفسه فى يوم التلاق الذى الناس فيه فريقان ، و لايشتغل بما لا يكون

(١) من ظ و مد ، و فى الاصل و م : رعى (٢) من ظ و مد ، و فى الاصل و م : تقليب (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : واحد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عن (٥) فى ظ و م و مد : بعشر (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : بما .

من تصفية دار الكدر عن الأكدار، و قرارة الدنس عن [1]الأقذاء و[1] الأقذار. فان الدوام فيها محال على حال من الأحوال، قال القشيري: نعاه صلى الله عليه و سلم إليه و نعى المسلمين إليهم ففرغوا بأنفسهم عن مأتمهم[2]، و لاتعزية فى العادة بعد ثلاث، و من لم يتفرغ عن[3] مأتم نفسه و أنواع [4]غمومه و[4] همومه، فليس له من هذا الحديث شمة، و إذا فرغ [قلب -[5]] عن[6] حديث نفسه و عن الكون بجملته، فحينئذ يجد الخير من ربه: و ليس هذا الحديث إلا بعد فنائهم عنهم، و انشد بعضهم -[4]يعنى فى لسان الحال بما قدمنا[4]:

كتبت إليكم بعد موتى بليلة ... و لم أدر أنى بعد موتى أكتب

انتهى. و من المعلوم [أنهم -[7]] إذا أماتوا نفوسهم حييت أرواحهم، فانفسحت صدورهم، و انتعشت قوى قلوبهم فاتسعت علومهم، و استنارت فهومهم، و تجلت لهم حقائق الأمور، فحدثوا عن مشاهدة "الناس نيام" فاذا ماتوا انتبهوا.

و لما أخبر سبحانه بأنهم جعلوا لله أندادا، و أعلم بأنهم كذبة فى ذلك كافرون ساترون للحق. و أنه لايهدى من هو كاذب كفار، و أخبر أنه لابد من خصام الداعى لهم بين يديه سبحانه. لأنه لايجوز

(-) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى الاصل و ظ بياض، ملأناه من م و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: من (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من (٧) زيد من ظ و م و مد.

فى

فى الحكمة تركهم هملا كما هو مقرر فى العقول و موجود فى الفطر الأولى، و معلوم بالمشاهدة من أحوالهم فينعم على المظلوم، و ينتقم من الظالم، و كان الكاذب فى أقل الأشياء ظالما، و أظلم منه الكاذب على الأكابر، و أظلم الظالمين الكاذب على الله، قال تعالى مسببا عما مضى: ﴿فمن اظلم﴾ أى منهم - هكذا كان الأصل و لكنه قال: ﴿ممن كذب﴾ ٥ تعميما و تعليقا بالوصف، فكفر بستر الصدق الثابت و إظهار ما لاحقيقة له.

و لما كان الكذب عظيم القباحة فى نفسه فكيف إذا كان [كما مضى على الأكابر فكيف إذا كانوا ملوكا، فكيف إذا كان -[1]] على ملك الملوك، لفت القول إلى مظهر الاسم الأعظم تنبيها على ذلك ١٠ فقال: ﴿على الله﴾ أى الذى الكبرياء رداؤه و العظمة إزاره، فمن نازعه واحدة منهما قصمه. فزعم فى كذبه أن [2]له سبحانه[2] أندادا، و شركاء و أولادا.

و لما كان وقوع الحساب يوم القيامة حقا لكونه واقعا لامحالة وقوعا يطابق الخبر عنه، لما علم من أنه لايليق فى الحكمة غيره. لما علم ١٥ من أن أقل الخلق لايرضى أن يترك عبيده سدى، فكيف بالخالق؟ فكان الخبر به صدقا لوقوع العلم القطعى بأنه يطابق ذلك الواقع قال: ﴿و كذب﴾ / اى أوقع التكذيب لكل من أخبره ﴿بالصدق﴾ ٤٩٥ / [أى -[1]] الإخبار بأن الله واحد، و أنه يبعث الخلائق للجزاء المطابق

(١) زيد من م و مد (٢-٢) من م و مد. و فى الأصل و ظ: فله.

كل منهما للواقع لما دل على ذلك من الدلائل المشاهدة[1] ﴿ اذ جآءه[1] ﴾ أى من غير توقف و لا نظر فى دليل ، كما هو دأب المعاندين ، أولئك هم الكافرون لهم ما يضرهم من عذاب جهنم ، ذلك جزاء المسيئين .

و لما كان قد تقرر كالشمس أنه لايسوغ فى عقل عاقل ترك الخلق سدى ، فكان يوم الدين معلوما[2] قطعا ، و كان معنى هذا الاستفهام الإنكارى نفى مدخوله فترجمته : ليس أحد أكذب منهم ، و كان عرف اللغة فى تسليط هذا النفى على صيغة أفعل [إثبات مدلول أفعل -[3]] ليكون المعنى أنهم أكذب الخلق ، فكان التقدير : أليس هذا الكاذب المكذب عاقلا يخشى أن يحاسبه الله الذى خلقه ؟ أليس الله المتصف بجميع صفات الكمال يحاسب عباده كما يحاسب كل من الخلائق من تحت يده ؟ أليس يحبس الظالم منهم فى دار انتقامه كما يفعل أدنى الحكام ؟ أليس دار انتقامه جهنم التى تلقى داخلها بعبوسة و تجهم ؟ نسق به قوله : ﴿ اليس فى جهنم ﴾ أى النار التى تلقى داخلها بالتجهم و العبوسة كما [كان[4]] يلقى الحق و أهله ﴿ مثوى ﴾ أى منزل مهيأ للاقامة فيه على وجه اللزوم لهم . هكذا كان الأصل ، و لكنه قال تعميما و تعليلا بالوصف مبينا أن الكذب كفر أى ستر للصدق و إظهار لما لاحقيقة له ، و التكذيب بالصدق كذلك ﴿ للكفرين ﴾ أى الذين ستروا كذبهم فالبسوه ملابس[5] الصدق و ستروا الصدق الذى كذبوا به ،

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المشاهدة (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معلوم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما لابس .

ذلك جزاء المسيئين لأنهم ليسوا بمتقين ، وأقام سبحانه هذه المقدمة دليلا على تلك المقدمات كلها .

و لما ذكر [سبحانه الظالمين بالكذب ذكر -[1]] أضدادهم الذين يخاصمونهم عند ربهم و هم المحسنون بالصدق [فقال -[1]] : ﴿ و الذى ﴾ أى الفريق الذى ﴿ جآء بالصدق ﴾ أى الخبر المطابق للواقع ، فصدق على الله ، و تعريفه يدل على كماله . فيشير إلى أن الإتيان بـه ديدنه لايتعمد[2] كذبا ﴿ و صدق بهـ[3] ﴾ أى بكل صدق سمعه و قام عليه الدليل ، و ليس هو بجموده عدو[4] ما لم يعلم ، فهو يكذب بكل ما لم يسمع ، فمن [5]أعدل منه[5] لكونه صدق على الله و صدق بالصدق إذ ماءه و استمر عليه ، و لعله أفرد الضمير إشارة إلى قلة الموصوف بهذا الوصف من الصدق ، و هذا الفريق هو[6] الرسل و أتباعهم ، و لذلك حصر التقوى فيهم ، فقال مشيرا بالجمع إلى عظمتهم و إن كانوا قليلا : ﴿ اولـئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ هم ﴾ أى خاصة[7] ﴿ المتقون ٥ ﴾ الذين جانبوا الظلم ، فليس لجهنم عليهم سبيل ، و لا هم فيها منزل و لامقيل ، بل الجنة منزلهم ، أليس فى الجنة منزل للمتقين ؟ فالآية من الاحتباك : ذكر أولا المثوى فى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) ليس فى الأصل فقط (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عدوا (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : عدل عنه - كذا . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : هم (٧) زيد فى الأصل : هم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

جهنم دليلا على حذف ضده [ثانيا . و الاتقاء ثانيا دليلا على حذف ضده -١] أولا . و سره أنه ذكر [أنكأ -١] ما للجرم من الكفر و سوء الجزاء . و أسرّ ما للمسلم من قصر التقوى عليه ، و ذكر أحب جزائه إليه . و الإشارة إلى عراقته فى الإحسان ، و فى الآيات احتباك [آخر - ١]

٥ و هو أنه ذكر الكذب و التكذيب أولا دليلا على الصدق و التصديق ثانيا ، و الاتقاء و جزاءه و ما يتبعه ثانيا دليلا على ضده أولا ، و سره أنه ذكر فى شق المسيء انكأ ما يكون من الكذب و التكذيب فى اقبح مواضعه ، و لاسيما عند العرب . و أسر ما يكون فى شق المحسن من استقامة الطبع و حسن الجزاء .

٤٩٦ / ١٠ و لما مدحهم على تقواهم . قال فى جواب / من سأل عن ثوابهم ، فقال [لافتا القول إلى صفة الإحسان تعريفا بمزيد إكرامهم -٢] : ﴿ لهم ما يشآءون ﴾ أى يتجدد لهم إرادته متى أرادوه ﴿ عند ربهم ﴾ أى المحسن إليهم اللطيف بهم فى الدنيا و الآخرة لأنهم سلموا له فى الأولى ما يشاء ، فسلم لهم فى الأخرى ما يشاؤن . و لما كان هذا أعظم

١٥ الجزاء . مدحه على وجه بين علته و أوجب عمومه فقال : ﴿ذلك﴾ أى الثواب الكبير ﴿ جزؤا المحسنين ﴾ أى كل من اتصف بالإحسان كما تصفوا به بالتقوى . فأحبه الله سبحانه كما أحبهم . فكان سمعه الذى يسمع به و بصره الذى يبصر به . و يده التى يبطش بها . و رجله التى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد . و فى الاصل : ثواب هؤلاء المطيعين و ما اعد لهم (-) زيد من م و مد .

بمشى بها .

و لما كان العاقل من قدم فى كل أمر الأهم فالأهم فميز [1] بين خير الخيرين فأتبعه . و شر الشرين فاجتنبه ، كان المحسن من جعل أكبر ذنوبه نصب عينيه [2] و عمل على هدمه ، فلذلك علل الإحسان بقوله : ﴿ ليكفر ﴾ أى يستر سترا عظيما كأنه قال : المحسنين الذين أحسنوا لهذا الغرض ، ٥ و يجوز أن يكون التعليل للجزاء ، و [3] عبر بالاسم [3] الأعظم لفتا عن صفة الإحسان [إشارة ـ [4]] إلى عظيم الاجتهاد فى العمل [و ـ [5]] الإيذان بأنه لا يقدر على الغفران لمن يريد إلا مطلق التصرف فقال : ﴿ الله ﴾ أى الذى نصب المحسن جلاله و جماله بين عينيه ، فاستغرق فى صفاته ابتغاء مرضاته ، فعبده كأنه يراه ، و حقق الأمر باعترافهم بالخطأ [6] ١٠ و قصدهم التكفير لما أهمهم فعلهم له بقوله : ﴿ عنهم اسوأ ﴾ العمل ﴿ الذى عملوا ﴾ و تابوا عنه بالندم و الإقلاع و العزم على عدم [العود ـ [5]] و قد علم أنه إذا محى الأكبر انمحى الأصغر لأن الحسنات يذهبن السيئات ، فلله در أهل البصائر [و الإخلاص ـ [5]] فى الإعلان [و السرائر ـ [5]] . و لما أخبر بالتطهير من [7] أوضار السيء [7] ، أتبعه ١٥ [الإخبار ـ [4]] بالتنوير بأنوار الحسن فقال : ﴿ و يجزيهم اجرهم ﴾

---

(١) من م و مد . و فى الأصل و ظ : فميزه (٢) فى م و مد : عينه (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عظم عن الاسم (٤) زيد من م و مد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد . و فى الأصل و ظ : بالخطاب (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اوصاف المسيء .

أى الذى تفضل عليهم بالوعد به .

و لما كان تعالى مفضلا يزيد العمل الصالح و يربيه ، زاد الجار فى الجزاء إعلاما [1]بأنـــه يجعل[1] الأعمال الصالحة كلها مثل أعلاها فقال : ﴿باحسن﴾ . و لما كان مقصود هذه السورة أخص من مقصود سورة النحل ، وكانت « الذى » [و ـ[2]] « من » أقل إبهاما من « ما » قال : ﴿ الذى ﴾ أى العمل الذى ، و هو كالأول من إضافة الشىء إلى ما هو بعضه كخاتم فضة . و أشار إلى مداومتهم على الخير بالتعبير بالكون و المضارع فقال : ﴿ كانوا يعملون ﴾ مجددين له وقتا بعد وقت لأنه[3] فى طبائعهم . فهم عريقون فى تعاطيه ، فمن كان فى هذه الدار محسنا فى وقت ما يعبد الله كأنه يراه فهو فى الآخرة كل حين يراه ، قال القشيرى ، ثم يجب أن يكون على أحسن الأعمال أحسن الثواب ، و أحسن الثواب الرؤية ، فيجب أن يكون على الدوام . و هذا استدلال قوى .

و لما فهم من قوله "وكذب بالصدق اذ جاءه" أن المشركين يكذبونه . و كان من طبع الآدمى الاهتمام بمثل ذلك و لاسيما إذا كان المكذب كثيرا و قويا ، و تقرر أنه سبحانه الحكم العدل بين المتخاصمين و غيرهم فى الدنيا و الآخرة . و لزم كل سامع الإقرار بالآخرة ، و بشر المحسنين و حذر المسيئين . و كان من المعلوم أنهم يحذرونه آلهتهم كما يحذرهم إلهه ، حسن[4] كل الحسن قوله مقرا للكفاية غاية الإقرار ، و منكرا

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بجعل (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : كأنه (٤) فى ظ : احسن .

لنفيها كل الإنكار: ﴿ اليس الله ﴾ أى الجامع لصفات العظمة كلها المنعوت بنعوت الكمال من الجلال [و الجمال -[1]] ، و أكد المراد بزيادة الجار لما عندهم من الجزم بأنهم غالبون فقال: ﴿بكاف﴾ وحقق المناط بالإضافة فى قوله: ﴿عبده﴾ أى الخالص له الذى لم يشرك به أصلا كما تقدم فى المثل ممن كذبه و قصد مساءته . فينصره عليهم حتى يظهر دينه ٥ و يعلى امره و يغنيه عن أن يحتاج إلى غيره او يجنح إلى سواه، باعتقاد أن فى يده شيئا يستقل به ، و هذا لاينافى السعى فى الأسباب مع اعتقاد أنها بيد الله ، فان شاء ربط بها المسببات ، و إن شاء اعقمها[2] ، بل السعى أكمل[3] ، لأن ترتيب الأسباب بوضع الحكيم فالسعى فى طرحها ينافى وضع الحكمة ، و قرأ حمزة و الكسائى و أبو جعفر[4] : عباده - ١٠ بالجمع بمعنى الرسول و أتباعه .

و لما كان الجواب قطعا: بلى ، إنه ليكفى من يشاء ، و الأصنام الممثلون بالشركاء المتشاكسين لا يكفون من تولاهم ، بنى على ذلك حالا[5] عجيبا من أحوالهم ، فقال معجبا منهم و متهكما بهم: ﴿ و يخوفونك ﴾ أى عباد الأصنام يعلمون أن الله يكفى من أراد و[6] أن الأصنام لا كفاية عندها ١٥ بوجه و الحال أنهم يخوفونك . و لما كان الخوف ممن له اختيار ، فان كان عاقلا كان أقوى لمخالفته ، و كان من المعلوم بديهة أنه لا اختيار لهم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اعمقها .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالا كل (٤) راجع نثر المرجان ٦/١٥١ .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كمالا (٦) سقط من ظ .

فضلا عن العقل ، قال تهكما بهم بالتعبير بما يعبر به عن الذكور [العقلاء ـ[1]] لكونهم ينزلونهم بالعبادة و غيرها منزلة العقلاء مع اعترافهم بأنهم لا عقل لهم ، فصاروا بـذلك ضحكة و شهرة بين الناس : ﴿ بالذين ﴾ و بين حقارتهم بقوله : ﴿ من دونه ﴾ و هم معبوداتهم ضلالا عن المحجة فيقولون : إنا نخشى عليك أن يخبلك آلهتنا كما قالت عاد لهود عليه السلام " ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء " و سيأتى التعبير عنهم بالتأنيث زيادة فى توبيخهم .

و لما كان من الحق الواضح كالشمس أن ما قالوه لايقوله عاقل ، و كان التقدير : فقد أضلهم الله إهانة لهم و هداك إكراما لك ، بين أنه سبحانه قسرهم على ذلك ليكون إضلاله لهم آية كما ان هداه لمن هداه آية . فقال مخففا[2] عنه صلى الله عليه و سلم فى إذهاب نفسه عليهم حسرات دامغا للقدرية : ﴿ و من يضلل الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فلا يرد[3] أمره ﴿ فما له ﴾ لأجل أنه [هو ـ[4]] الذى أضله ﴿ من هاد ﴾ أى فخفض من حزنك عليهم ﴿ و من يهد الله ﴾ أى الذى لايعجزه شىء أبدا[5] ﴿ فما له من مضل ﴾ فهو سبحانه يهدى من شاء[6] منهم إن أراد .

و لما لم تبق شبهة و لا شىء من شك أن الهادى المضل إنما هو الله وحده و أنه جعل شيئا واحدا سببا لضلال قوم ليكون ضلالهم

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مخففا .
(٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل : فلا يراد (٤) زيد من م و مد .
(٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد . و فى الأصل : يشاء .

فى الظاهر علة للنقمة . و هدى لآخرين فيكون هداهم سببا للنعمة ، بلغ النهاية فى الحسن [قوله -[1]] : ﴿أليس الله﴾ أى الذى بيده كل شىء ﴿بعزيز﴾ أى غالب لما يريد فى إضلاله قوما يدعون أنهم النهاية فى كمال العقول لما هدى به غيرهم ﴿ذى انتقام﴾ أى له هذا الوصف ، فمن أراد النقمة منه سلط عليه ما يريد مما يحزنه و يذله كما [انه -[1]] إذا أراد يعميه عن أنور النور و يضله .

٥

. لما علم بهذه البراهين أنه سبحانه المتصرف فى المعانى بتصرفه فى القلوب بالهداية و الإضلال ، و كان التقدير : فلئن قررتهم بهذا الاستفهام الإنكارى ليقولن : بلى ! عطف عليه بيان أنه الخالق للذات كما انه المالك للمعانى و الصفات . فقال مفسدا لدينهم باعترافهم بأصلين : القدرة التامة [له -[1]] و العجز الكامل لمعبوداتهم : ﴿و لئن سألتهم﴾ أى فقلت لمن شئت منهم فردى أو مجتمعين : ﴿من خلق السموات﴾ أى على ما لها من الاتساع و العظمة و الارتفاع ﴿و الارض﴾ على ما لها من العجائب و فيها من الانتفاع ﴿ليقولن﴾ بعد تخويفهم لك بشركائهم الذين هم من جملة خلق من أرسلك بما انت فيه : الذى خلقها ﴿الله﴾ أى وحده الذى لاسمى له و لا إلباس يوجه فى أمره ، ولايصدهم عن ذلك الحياء من التناقض و [لا -[2]] الخوف من التفوت بالتعارض .

١٠

١٥

/ ٤٩٨

(١) زيد من م و مد . من م و مد . و فى الأصل و ظ : ع [illegible] من م و مد . و فى الأصل و ظ : أوار [illegible] من ط و م و مد (٥) من م و مد . و فى الأصل و ظ : التقارض .

و لما كان هذا مخبرا[1] لأنه بين و لابد أنهم لا يقبلون و لا يعرضون، كان كأنه قيل: فما ذا أصنع؟ فقال: ﴿ قل ﴾ مسببا عن اعترافهم له سبحانه بجميع الأمر قوله مقررا بالفرع بعد إقرارهم بالأصل، و مقرعا بتخويفهم ممن ليس له أمر بعقد و لا حل: ﴿ افرءيتم ﴾.

و لما كان السائل النصوح ينبغي [له[2]-] أن ينبه الخصم على محل النكتة[3] لينتبه من غفلته فيرجع عن غلطته، عبر بأداة ما لا يعقل عن معبوداتهم بعد التعبير عنها سابقا بأداة الذكور العقلاء بيانا لغلطهم، فقال معبرا عن مفعول "رايت" الأول و الثاني جملة الاستفهام، ﴿ ما تدعون ﴾ اى دعاء عبادة، [و -[4]] قرر بعدهم عن التخويف بهم بادعاء إلهيتهم بقوله: ﴿ من دون الله ﴾ أى الذى هو ذو الجلال و الإكرام فلا شيء إلا و هو من دونه و تحت قهره، [و لما كانت العافية اكثر من البلوى، أشار إليها بأداة الشك و نبه على مزيد عظمته سبحانه باعاده الاسم الأعظم فقال -[5]]: ﴿ ان ارادنى الله ﴾ اى الذى لا راد لأمره. و لما كان درأ المفاسد مقدما قال: ﴿ بضر ﴾ أى إن أطعتكم[6] فى الجنوح إليها خوفا منها، و بالغ فى تنبيههم نصحا[7] لهم ليرجعوا عن ظاهر غيهم بما ذكر من دناءتها و سفولها بانيألتث بعد سفولها بعدم العقل مع دناءتها بالعجز و بعد التهكم بهم بالتعبير عنها بأداة الذكور العقلاء فقال:

(١) من م و مد، و فى الاصل و ظ: مخبرا (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النكتة (٤) زيد من م و مد (٥) زيد من مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الهتكم (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نصا.

﴿ هل هن ﴾ أى هذه الأوثان التى تعبدونها ﴿ كشفت ﴾ أى عنى مع اعترافكم بأنه لاخلق لها و أنها مخلوقة لله تعالى ﴿ ضره ﴾ أى الذى أصابنى به نوعا من الكشف، لأرجوها[1] فى وقت شدتى[2] ﴿ او ارادنى برحمة ﴾ لطاعتى إياه فى توحيده[3]، و خلع ما سواه من عبيده ﴿ هل هن ممسكت ﴾ أى عنى ﴿ رحمته ﴾ أى لأجل عصيانى لهن نوع إمساك، لأطيعكم فى الخوف منهن - هذه قراءة أبى عمرو[4] بالتنوين و إعمال اسم الفاعل بنصب ما بعده، و هو الأصل فى اسم الفاعل، و الباقون بالإضافة. و "لا فائدة" غير التخفيف، و قد يتخيل منها أن الأوثان مختصة بهذا المعنى معروفة.

و لما كان من المعلوم أنهم يسكتون عند هذا السؤال لما يعلمون من لزوم التناقض إن أجابوا بالباطل، و من بطلان دينهم إن أجابوا بالحق، وكان الجواب قطعا عن هذا: لا! سواء نطقوا أو سكتوا، تحرر أنه لامتصرف بوجه إلا الله، فكانت النتيجة قوله: ﴿ قل ﴾ إذا ألقمتهم الحجر: ﴿ حسبى ﴾ أى كاف ﴿ الله ﴾ الذى أفردته بالعبادة لأن له الأمر كله مما يخوفونى به و من غيره ﴿ عليه ﴾ وحده لأن له الكمال كله ﴿ يتوكل المتوكلون ﴾ أى الذين يريدون أن يعلو أمرهم كل أمر، و أمره بالقول إعلاما بأن حالهم عند هذا السؤال التناقض

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لارجونا (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سرتى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: توحيد (٤) راجع نثر المرجان ٦ / ١٠٤ (٥ - ٥) من مد، و فى الأصل و ظ: لا افادة، و فى م: لافادة.

الظاهر جدا .

و لما كانوا مع هذه الحجج القاطعة ، و الأدلة القامعة و البراهين الساطعة ، التى لا دافع لها بوجه ، كالبهائم لا يبصرون إلا الجزئيات حال وقوعها ، قال مهددا مع الاستعطاف : ﴿ قل يقوم ﴾ أى [يا - ١] أقاربى الذين أرتجيهم ٢ عند الملمات ، و فيهم كفاية فى القيام بما ٣ يحاولونه ﴿ اعملوا ﴾ أى افعلوا أفعالا مبنية على العلم ﴿ على مكانتكم ﴾ أى حالتكم التى رتبتم فيها و جمدتم عليها لأنه جبلة ٤ لكم من الكون فى المكنة لتبصروا حقائق الأمور ، فتنتقلوا عن أحوالكم السافلة إلى المنازل العالية . فكأنه يشير / إلى أنهم كالحيوانات العجم ، لا اختيار لهم و يعرّض بالعمل الذى مبناه العلم و المكانة التى محطها الجمود بأن أفعالهم ليس فيها ما ينبنى على العلم ، و إنما هى جزاف لا اعتبار لها و لا وزن لها . ثم اجاب من عساه أن يقول له منهم : فما ذا تعمل أنت ؟ بقوله : ﴿ انى عامل ج ﴾ على كفاية الله لى ، ليس لى نظر إلى سواه ، و لا أخشى غيره ، و ليس لى مكانة ألتزم الجمود عليها ، بل انا واقف مع ما يرد من عند الله ، إن نقلنى انتقلت ، و إن أمرنى بغير ذلك امتثلت ، و أنا مرتقب كل وقت للزيادة ، ثم سبب عن قول من لعله يقول منهم : و ما ذا عساه يكون قوله ؟ إيذانا بانه - ٥] على ثقة من أمره ، لأن المخبر له [به - ١] الله : ﴿ فسوف تعلمون ﴾ أى بوعد لاخلف فيه

/ ٤٩٩

(١) زيد من م و مد (٢) فى ظ و م و مد : ارجيهم (٣) فى ظ و م : مما .
(٤) من ظ و م و مد . و فى الأصل : حبلا (٥) زيد من ظ و م و مد .

﴿ من ياتيه ﴾ أى منا و منكم ﴿ عذاب يخزيه ﴾ بأن يزيل عنه كل شيء يمكنه أن يستعذبه ﴿ و يحل عليه ﴾ اى يجب فى وقته، من حل عليه الحق يحل بالكسر أى وجب، و الدين: صار حالا بحضور أجله ﴿ عذاب مقيم ﴾ لإقامته على حاله و جموده على ضلالته، و من يؤتيه الله انتصارا يعليه و ينقله إلى نعيم عظيم، لانتقاله بارتقائه فى مدارج ٥ الكمال، بأوامر ذى الجلال و الجمال، و لقد علموا ذلك فى قصة المستهزئين ثم فى وقعة بدر فان من أهلكه الله منهم جعل[1] إهلاكه أول عذابه و نقله به إلى عذاب البرزخ ثم عذاب النار، فلا انفكاك له من العذاب، و لا رجاء لحسن المآب.

و لما تجلت عرائس هذه المعانى آخذة بالألباب، و لمعت سيوف ١٠ تلك المبانى من[2] المثانى قاطعة للرقاب، و ختمها بما ختم من صادع[3] الإرهاب، أنتجت و لابد قوله معللا لإتيان ما توعدهم به مؤكدا لما لهم من الإنكار لمضمون هذا الإخبار: ﴿ انآ انزلنا ﴾ أى بما لنا من باهر العظمة و نافذ الكلمة. و لما كان توسط الملك خفيا، لم يعده فأسقط حرف الغاية إفهاما لأنه فى الحقيقة بلا واسطة بعد ان أثبت وساطته أول السورة ١٥ [فقال -[4]] مقرونا بالأمر بالعبادة، إشارة إلى بداية الحال، فلما حصل التمكن فصار الكتاب خلقا له صلى الله عليه و سلم و صار ظهوره فيه هاديا لغيره، نبه على ذلك بأداة الاستعلاء فقال: ﴿عليك﴾ اى خاصة

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جعله (٢) من ظ و م و مد. و فى الأصل: عن (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صارع (٦) زيد من م و مد.

لا على غيرك من أهل هذا الزمان، لأنك عندنا الخالص لنا دون أهل القريتين و دون أهل الأرض كلهم، لم يكن [لشيء - ١] دوننا فيك حظ ﴿ الكتب ﴾ الجامع لكل خير لكونه فى غاية الكمال بما دل عليه «ال» ﴿ للناس ﴾ [٢] عامة لأن رسالتك عامة ﴿ بالحق ج ﴾ مصاحبا له، لا يقدر الخلق كلهم على أن يزيحوا معنى من معانيه عن قصده، و لا لفظا من ألفاظه عن سبيله وحده. بل هو معجز فى معانيه - حاضرة كانت أو غائبة - و نظومه، و ألفاظه و أسماء سوره و آياته و جميع رسومه، فلا بد من إتيان ما فيه من وعد و وعيد.

و لما تسبب عن علم ذلك وجوب المبادرة إلى الإذعان له لفوز الدارين، حسن جدا قوله تعالى تسلية له صلى الله عليه و سلم لعظيم ما له من الشفقة عليهم و تهديدا لهم: ﴿ فمن اهتدى ﴾ أى طاوع الهادي ﴿ فلنفسه ج ﴾ أى فاهتداؤه خاص نفعه بها ليس لك فيه إلا أجر التسبب ﴿ و من ضل ﴾ أى وقع منه ضلال بمخالفته [٣] لداعى الفطرة ثم داعى الرسالة عن علم و تعمد، أو إهمال للنظر و تهاون. و لما كان ربما وقع فى وهم أنه يلحق الداعى بعد البيان من إثم الضال، و كان السياق لتهديد الضالين، زاد فى التأكيد فقال: ﴿ فانما يضل عليها [٤] ﴾ أى ليس عليك شيء من ضلاله، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات.

و لما هدى السياق إلى أن التقدير: فما أنت عليهم بجبار لتقهرهم

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل و ظ: أى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بمخالفة.

على الهدى ، عطف عليه قوله : ﴿و ما انت﴾ أى فى هذا الحال ، و لمزيد العناية / بنفى القهر قدم أداة الاستعلاء فقال : ﴿عليهم بوكيل ع﴾ لتحفظهم عن الضلال ، فان الرسالة إليهم لإقامة الحجة لا لقدرة الرسول على هدايتهم و لا لعجز المرسل عن ذلك . /٥٠٠

و لما كان الوكيل فى الشىء لا تصلح وكالته فيه إلا إن كان قادرا ٥ عليه بطريق من الطرق ، وكان حفظهم على الهدى و عن الضلال لا يكون إلا لحاضر لايغيب و لايعتريه نوم و لايطرقه موت ، لم تصح وكالة أحد من الخلق فيه ، وكان كأنه قيل : لأنه[1] لو وكل إليك أمرهم لضاعوا عند نومك و موتك ، فدل عليه بما أدى معناه و زاد عليه من الفوائد ما يعرف بالتأمل من تشبيه الهداية بالحياة و اليقظة و الضلال بالموت ١٠ و النوم ، فكما أنه لايقدر على الإماتة و الإنامة إلا الله فكذلك لايقدر على الهداية و الإضلال إلا الله ، فمن عرف هذه الدقيقة عرف سر الله فى القدرة ، و من عرف السر فيه هانت عليه المصائب ، فهى تسلية له صلى الله عليه و سلم ، [2]لفت القول إلى التعبير بالاسم الأعظم لاقتضاء الحال له ، و أسند التوفى إليه سبحانه لأنه فى بيان أنه لايصلح ١٥ للوكالة غيره أصلا[2] ، فقال : ﴿الله﴾ أى الذى له مجامع الكمال ، و ليس لشائبة نقص إليه سبيل ﴿يتوفى الانفس﴾ التى ماتت عند انقضاء

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لأن (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م .

آجالها، أى يفعل فى وفاتها فعل من يجتهد فى ذلك بأن يقبضها وافية لايدع شيئا منها فى شىء من الجسد. [1]و عبر عن جمع الكثرة بجمع القلة إشارة إلى أنها و إن تجاوزت الحصر فهى كنفس واحدة، و لعله لم يوحده لئلا يظن أن الوحدة على حقيقتها[1] ﴿حين موتها﴾ أى منعها من التصرف فى أجسادها فى هذه الحياة الدنيا كائنة فى مماتها محبوسة فيه مظروفة له. و عطف على الأنفس قوله: ﴿و التى﴾ أى و يتوفى الأنفس التى ﴿لم تمت﴾ لأنها لم تنقض آجالها حين نومها كائنة ﴿فى منامها ج﴾ بمنعها من التصرف بالحس و الإدراك [ما دام النوم موجودا مظروفة له لا شىء منها فى الجسد على حال اليقظة، فالجامع بينهما عدم الإدراك -[2]] و الشعور و التصرف، و لو قيل: بموتها و بمنامها، لم يفد أن كلا من الموت و الوفاة آية مغايرة للأخرى.

و لما كان النوم منقضيا، دلنا بقرانه بالموت على أن الموت أيضا منقض، و لابد لأن الفاعل لكل منهما واحد، فسبب عن ذلك قوله: ﴿فيمسك﴾ أى فيتسبب عن الوفاتين أنه يمسك عنده ﴿التى قضى﴾ أى ختم و حكم و بت بتا مقدرا مفروغا منه. و قراءة البناء للمفعول[3] موضحة لهذا المعنى بزيادة اليسر و السهولة ﴿عليها الموت﴾ مظروفة لمنامها، لاتقدر على تصريف جسدها ما دام الموت محيطا بها كما أن النائمة كذلك ما دام النوم محيطا بها ﴿و يرسل الاخرى﴾ اى التى أخر موتها، و جعلها مظروفة للمنام لأنها لم ينقض أجلها الذى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد من م و مد (٣) راجع نثر المرجان ٦/١٥٧.

ضربه

ضربه لها بأن يفنى المنام فيوقظها لتصريف أبدانها، و يجعل ذلك الإمساك للميتة، و الإرسال للنائمة ﴿الى[٢] اجل مسمى[٣]﴾ لبعث[١] الميتة[٢] و لموت[٣] النائمة، لايعلمه غيره، فاذا جاء ذلك الاجل أمات النائمة و بعث الميتة. و قد ظهر من التقدير الذى هدى إليه قطعا السياق أن النفس التى تنام هى التى تموت و هى الروح، قال ابن الصلاح فى فتاويه: و هو الأشبه بظاهر الكتاب و السنة - انتهى. روى الطبرانى فى الأوسط - قال الهيثمى[٤]: و رجاله رجال الصحيح - عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: تلتقى[٥] أرواح الأحياء و الأموات، فيتساءلون بينهم، فيمسك الله أرواح الموتى و يرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها. و روى البخارى[٦] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى / صلى الله عليه و سلم قال: إذا أوى أحدكم إلى ٥٠١ / ١٠ فراشه فليقل " باسمك ربى وضعت جنبى اللهم إن أمسكت نفسى فارحمها و إن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين" و ظهر أيضا أن الآية من الاحتباك: ذكر الحين أولا دليلا على تقدير مثله فى النوم ثانيا، و المنام ثانيا دليلا على حذف الممات أولا.

و لما تم هذا على هذا الأسلوب الرفيع، و النظم المنيع، به على عظمته و ما فيه من الأسرار بقوله مؤكدا قرعا لمن رميه بالأساطير و غيرها من الأباطيل: ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر العظيم من الوفاة

(١) من ظ و م و مد. و فى الأصل: كبعث (٢) فى مد: الموتى (٣) من ظ و م و مد. و فى الأصل: موت (٤) فى مجمع الزوائد ٧ / ١٠٠ (٥) من مد و مجمع الزوائد، و فى الأصل و ظ و م: تتلقى (٦) راجع صحيحه ٢/٥٣٥ (الدعوات).

و النوم على هذه الكيفية و العبارة عنه على هذا الوجه ﴿ لآيت ﴾ أى على أنه لايقدر على الإحياء و الحفظ غيره ، و أنه قادر على البعث و غيره من كل ما يريده ﴿لقوم﴾ أى ذوى قوة فى مزاولة الأمور . و لما كان هذا الأمر لايحتاج إلى غير تجريد النفس من الشواغل و التدبر قال : ﴿يتفكرون ٥﴾ أى فى عظمة هذا التدبير ليعلم[1] به عظمة الله ، و ذلك أن النفس جوهر روحانى له فى التعلق بالبدن ثلاث حالات : إحداها أن يقع ضوء النفس على البدن كله ظاهرا و باطنا ، و ذلك هو الحياة مع اليقظة . و ثانيتها انقطاع ضوء النفس عن البدن ظاهرا لا باطنا ، و ذلك[2] بالنوم ، و ثالثها انقطاع ذلك ظاهرا و باطنا و هو بالموت ، [3]فالموت و النوم[3] من جنس واحد إلا أن الموت انقطاع تام ، و النوم انقطاع ناقص ، فلا يقدر على إيجاد شىء واحد على نوعين ، ثم يجعلهما فى شىء واحد على التعاقب و يفصل كلا منهما من الآخر إلا هو سبحانه ، و كما قدر على إنهاء الموتة الصغرى بحد جعله لها فهو قادر على إنهاء الكبرى بمثل ذلك .

و لما انتج هذا ، لابد نحو أن يقال توعدا لهم : هل علموا أنه لايقوم شىء مقامه ، و لا [يكون -[4]] شىء إلا باذنه ، و لايقرب أحد من القدرة على شىء من فعله . فحيف بالقرب[5] من رتبته فضلا عن

(١) فى م و مد : لتعلم (٢) زيد فى مد : هو (٣ - ٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فالنوم و الموت (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالعرب .

مماثلته ، فرجعوا عن ضلالهم ، عادله بقوله : ﴿ ام اتخذوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم بعد وضوح الدلائل عندهم ان أخذوا ﴿من دون الله﴾ اى[1] الذى لا مكافئ له و لامدانى ﴿شفعآء﴾ أى تقربهم إليه زلفى فى الدنيا و فى الآخرة على تقدير كونها مع قيام الأدلة الشهودية عندهم على أنه[2] لايشفع أحد إلا عند من يصح أن يكافئه بوجه من الوجوه ، و لذلك نبه على المعنى بقوله معرضا عنهم إشارة إلى سفولهم عن الفهم : ﴿قل اولو﴾ أى أيتخذونهم لذلك [و لو -[3]] ﴿كانوا لايملكون شيئا﴾ أى لا تتجدد لهم هذه الصفة ﴿و لايعقلون﴾ كما يشاهد من حال أصنامكم .

و لما نفى صلاحية أصنامهم لهذا الأمر ، أشار إلى نفيه عما سواه بقصر الأمر عليه فقال : ﴿قل لله﴾ أى المحتوى على صفات الكمال وحده ﴿الشفاعة﴾ أى هذا الجنس ﴿جميعا﴾ فلا يملك أحد[4] سواه منها[4] شيئا لكنه يأذن إن شاء فيما يريد منها لمن يشاء من عباده . و لما كان كل ما سواه ملكا له . و كان من المقرر أن المملوك لايصح أن يملك شيئا يملكه سيده ، لأن الملكين لايتواردان على شىء واحد من جهة واحدة ، علل [ذلك -[3]] بقوله : ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ ملك السموٰت و الارض ﴾ أى التى لا تشاهدون من ملكه سواهما و الشفاعة من ملكهما .

(١) سقط من م و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : انهم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منها سواه .

و لما كان المملوك ملكا ضعيفا قد يتغلب على مالكه فيناظره فيتأهل للشفاعة عنده ، نفى مثل ذلك فى حقه سبحانه بقوله دالا على عظمة القهر بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم اليه ﴾ أى لا إلى غيره / ﴿ترجعون﴾ معنى فى الدنيا بأن ينفذ فيكم جميع أمره و حسا ظاهرا و معنى فى الآخرة . ٥٠٢ /

٥ و لما دل على أن شفعاءهم ليست بأهل للشفاعة ، و على أن الأمر كله مقصور عليه ، و ختم بأنه لابد من الرجوع إليه المقتضى لأن تصرف الهمم كلها نحوه ، و توجه العزائم جميعها[1] تلقاءه ، و لأنه لا يخشى سواه و لا يرجى غيره ، ذكر حالا من أحوالهم فقال : ﴿ و اذا ﴾ أى[2] الحال ما ذكرناه و إذا ﴿ ذكر ﴾ [3]و أعاد الاسم الأعظم و لم يضمره تعظيما

١٠ لأمره زيادة فى تقبيح حالهم فقال[3] : ﴿ الله ﴾ اى الذى لا عظيم غيره و لا أمر لسواه ﴿وحده﴾ أى دون شفعائهم التى قد وضح أنه[4] لا شفاعة لهم : ﴿ اشمأزت ﴾ أى نفرت كراهية و ذعرا و استكبارا مع تمعر[5] الوجه و تقبضه قلوبهم - هكذا كان الأصل ، و لكنه قال : ﴿ قلوب الذين لا يؤمنون ﴾ أى لا يجددون[6] إيمانا ﴿ بالآخرة ج﴾ بيانا

١٥ لأن الحامل لهم على ذلك إضاعة اعتقاد ما ختم به الآية من الرجوع

---

(١) زيد فى الأصل : إليه أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) زيدت الواو فى الأصل وظ و لم تكن فى م ومد فحذفناها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انهم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تمحر (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : لا يتجددون .

إليه الذى أتمه و أظهره رجوع الآخرة ﴿ و اذا ذكر الذين ﴾ و بكت بهم فى رضاهم بالأدنى فقال : ﴿ من دونه ﴾ أى الأوثان ، و أكد فرط جهلهم فى اتباعهم[1] الباطل و جمودهم عليه دون تلبث لنظر فى دليل ، أو سماع لقال أو قيل ، بقوله : ﴿ اذا هم ﴾ أى بضمائرهم [المفيضة - [2]] على ظواهرهم ﴿ يستبشرون ﴾ أى فاجأوا طلب البشر و إيقاعه[3] و تجديده على سبيل الثبات فى ذلك كله[3] سواء ذكر معهم الله أو لا ، فالاستبشار حينئذ إنما هو بالانداد[4] ، و الاشمئزاز و الاستبشار متقابلان لأن الاشمئزاز : امتلاء القلب غما و غيظا فيظهر أثره ، و هو الانقباض فى أديم الوجه ، و الاستبشار : امتلاء القلب سرورا حتى يظهر أثره ، و هو الانبساط و التهلل فى الوجه - قاله[5] الزمخشرى[3] . و العامل فى « إذا » الأولى هو العامل فى الفجائية ، أى فاجأوا الاستبشار وقت هذا الذكر ، و عبر بالفعل أولا و بالاسمية ثانيا ، ليفيد ذمهم على مطلق الاشمئزاز و لو كان على أدنى الأحوال ، و على ثبات الاستبشار تقبيحا لمطلق الكفر ، ثم الثبات عليه فتحا لباب التوبة[3] .

و لما نفى صلاحية الوكالة على الناس فى الهدى و الضلال لغيره [و - [2]] دل على ذلك بملكه و ملكه و أخبر بتعمدهم الباطل ، أنتج ذلك وجوب اللجاء إليه[6] و الإعراض عما سواه و قصر العزم عليه[3] فقال

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اتباع (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالانذار (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قال (٦) زيد من م و مد .

معلما بذلك و معلما لما يقال عند مخالفة الداعى باتباع الهوى : ﴿ قل ﴾ أى يا من نزل عليه الكتاب فلا يفهم عنا حق الفهم غيره راغبا إلى ربك فى أن ينصرك عليهم فى الدنيا و الآخرة : ﴿ اللهم ﴾ أى يا الله ، و هذا نداء محض و يستعمل أيضا على نحوين آخرين - ذكرهما ابن الخشاب الموصلى فى كتابه النهاية شرح الكفاية - أحدهما أن تذكر لتمكين الجواب فى نفس السائل كما قال النبى صلى الله عليه و سلم لضمام بن ثعلبة رضى الله عنه حيث قال : الله أمرك أن تصلى الصلوات الخمس ، فقال : اللهم نعم - إلى آخر ما قال له ، و سره أن المسئول إذا ذكر الله فى جوابه . كان ذكره إياه[1] أبعث للسائل على[2] تصديقه لأنه أوقر فى صدره إن لم يتصد لذكر الله و لم يكن بصدده ، و هو ممن يدين باستعمال الكذب ، و الثانى أن[3] يدل به على الندرة[4] و قلة وقوع المذكور كقول المصنفين : لا يكون كذا [اللهم -[5]] إلا إذا[6] كان كذا - كأنه استغفر الله من جزمه أو [لا -[7]] يسد الباب فى أنه لا يكون غير ما ذكره فقال : اللهم اغفر لى ، فانه يمكن ان يكون كذا - انتهى . ثم أبدل عند سيبويه و وصف عند / غيره [فقال -[7]] : ﴿ فاطر ﴾ أى مبدع من العدم ﴿ السموٰت ﴾ أى كلهم ﴿ و الارض ﴾ أى جنسها . و لما كانت القدرة

٥٠٣/

(١) سقط من م (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عن (٣) من م و مد ، و فى الأصل وظ : انه (٤) من م و مد ، و فى الأصل وظ : الندارة . (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٧) زيد من ظ و م و مد .

لا تتم إلا بتمام العلم قال : ﴿عالم الغيب و الشهادة﴾ أى ما لا يصح[1] علمه للخلق و ما يصح[1] .

و لما كان غيره سبحانه لا يمكن له ذلك ، حسن التخصيص فى قوله : ﴿ انت ﴾ أى وحدك ﴿ تحكم بين عبادك ﴾ أى أنا و هم و غيرنا فى الدنيا و الآخرة لامحيص عن ذلك و لايصح فى الحكمة سواه كما أن كل أحد يحكم بين عبيده و من تحت أمره لا يسوغ فى رأيه غير ذلك ﴿ فى ما كانوا ﴾ أى دائما[2] بما اقتضته جبلاتهم التى جبلتهم عليها ﴿ فيه يختلفون ٥ ﴾ و أما غيرك فانه لايعلم جميع ما يفعلون ، فلا يقدر على الحكم بينهم ، [3]و أما غير ما هم عريقون فى الاختلاف فيه فلا يحكم بينهم فيه لأنه أما ما هيئوا بفطرهم السليمة و عقولهم القويمة للاتفاق عليه فهو الحق ، و أما ما يعرض لهم الاختلاف فيه لاعلى سبيل القصد أو بقصد غير ثابت فهو مما تذهبه الحسنات فعرف أن تقديم الظرف إنما هو للاختصاص لا للفاصلة[3] .

و لما كان التقدير : فيعذب الظالمين فلو علموا ذلك لما ظنوا بادعائهم له سبحانه ولدا و شركاء يقربونهم إليه زلفى جهلا منهم بجلاله و نزاهته عما ادعوه له و كماله ، عطف عليه تهويلا للأمر قوله : ﴿و لو ان﴾ و كان الأصل : لهم - ولكنه قال تعميما و تعليقا بالوصف : ﴿للذين ظلموا﴾ أى وقعوا

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : يصلح (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كاينا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م .

فى[1] الظلم فى شىء من الأشياء و لو قل ﴿ ما فى الارض ﴾ و لما كان الأمر عظيما أكد ذلك بقوله : ﴿جميعا﴾ و زاد فى تعظيمه بقوله : ﴿و مثله﴾ و قال: ﴿معه﴾ ليفهم بدل الكل [جملة -[2]] لا على سبيل التقطيع ﴿لافتدوا﴾ أى لاجتهدوا فى طلب أن يفدوا ﴿به﴾ أنفسهم ﴿من سوء العذاب﴾ و بين الوقت تعظيما له و زيادةفى هوله فقال: ﴿ يوم القيٰمة[3] ﴾ روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: يقول الله عز و جل لأهون أهل النار عذابا: لو أن لك ما على الأرض من شىء أكنت مفتديا به؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردت منك أهون من هذا و أنت فى صلب آدم عليه السلام أن لا تشرك بى شيئا فأبيت إلا أن تشرك بى. قوله: أردت أى فعلت معك بالأمر فعل المريد و هو معنى قوله فى رواية: قد سألتك.

و لما كان التقدير: و لو كان لهم ذلك و افتدوا به ما قبل منهم و لا نفعهم، لأن ذلك الوقت وقت الجزاء لا وقت العمل، و اليوم وقت العمل لا وقت الجزاء، فلو أنفقوا فيه أيسر شىء على وجهه قبل منهم، عطف عليه من أصله لا على جزائه قوله [4]معظما الأمر بصرف القول إلى الاسم الأعظم[4]: ﴿و بدا﴾ أى ظهر ظهورا تاما ﴿لهم﴾ فى ذلك اليوم ﴿من الله﴾ أى الملك الأعظم، و هول أمره بابهامه ليكون ضد "فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين" فقال: ﴿ ما لم يكونوا ﴾ بحسب

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٢) زيد من ظ م و مد (٣) راجع من صحيح البخارى أبواب الرقاق و من صحيح مسلم أبواب المنافقين (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م.

جبلاتهم

جبلاتهم و ما فطروا عليه من الإهمال و التهاون ﴿ يحتسبون ﴾ أى لم يكن فى طبائعهم أن يتعمدوا[1] أن يحسبوه و تجوزه[2] عقولهم من العذاب، و ما كان كذلك كان أشق على النفس وأروع للقلب ﴿و بدا لهم﴾ أى ظهر ظهورا تاما كأنه فى البادية لامانع منه ﴿ سيآت ما[3] ﴾ و لما كان فى سياق الافتداء، و كان الإنسان يبذل عند الافتداء فى فكاك نفسه ٥ الرغائب و النفائس، عبر هنا بالكسب الذى من مدلو له الخلاصة و العصارة التى هى سر الشىء فهو / أخص من العمل، و لذا جعله الأشعرى مناط ٥٠٤/ الجزاء، فقال مبينا[4] أن خالص عملهم ساقط فكيف بغيره، وهذا بخلاف ما فى الجاثية ﴿ كسبوا ﴾ أى [5]الشىء الذى[5] عملوه برغبة مجتهدين فيه لظنهم نفعه و أنه خاص أعمالهم و أجلها [5]و أنفعها[5] ﴿و حاق﴾ أى أحاط ١٠ على جهة اللزوم و الأذى ﴿بهم ما﴾ أى جزاء الشىء الذى ﴿ كانوا به﴾ أى دائما كأنهم[6] جبلوا عليه ﴿ يستهزءون ﴾ أى يطلبون و يوجدون الهزء و السخرية به[7] من النار و جميع ما كانوا يتوعدون به .

و لما أخبر عن ظهور هذا لهم، علله بأنهم كانوا يفعلون ما لم يكن فى العادة يتوقع منهم، و هو مجازاة الإحسان بالإساءة و قد كانوا جديرين ١٥

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: يعتمدوا، و زيد بعده فى الأصل: إلى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يجوز (٣) ليس فى الأصل فقط (٤) زيد فى الأصل و م: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) من ظ و مد، وفى الأصل و م: كانوا (٧) من م و مد، وفى الأصل و ظ: بهم .

بضده فقال : ﴿ فاذا ﴾ أى وقع لهم ذلك بسبب أنهم إذا مسهم، ولكنه أخبر عن النوع الذى[1] هم منه بما هو مطبوع عليه فقال : ﴿ مس الانسان ضر ﴾ أىّ ضر كان [2]من جهة يتوقعها كما تقدم فى التى [فى - [3]] أول السورة ، ويجوز أن يكون مسببا عن الإخبار بافتدائهم بما يقدرون عليه وأن يكون مسببا عن اشمئزازهم من توحيد الله تعجبا من حالهم فى تعكيسهم وضلالهم ، وتقدم فى الآية التى فى أول السورة سر كونها بالواو ، [4]ولفت القول إلى مظهر العظمة دالا على أن أغلب الناس لا يرجى اعترافه بالحق وإذعانه لأهل الإحسان إلا إذا مس باضرار فقال[4] : ﴿ دعانا ﴾ عالما بعظمتنا دون آلهته مع اشمئزازه[5] من ذكرنا واستبشاره بذكرها .

ولما كان ذلك الضر عظيما يبعد الخلاص عنه من جهة أنه لا حيلة لمخلوق فى دفعه ، أشار إلى عظمته [4]وطول زمنه[4] بأداة التراخى فقال [4]مقبحا عليه نسيانه للضر مع عظمه فى نفسه ومع طول زمنه[4] : [6]﴿ ثم اذا خولنه ﴾ أى أعطيناه على عظمتنا متفضلين[7] [عليه - [8]] [4]محسنين القيام بأمره وجعلناه خليقا بحاله جديرا بتدبيره[4] على غير عمل عمله محققين لظنه الخير فينا وأحسنا تربيتنا له والقيام عليه مع ما فرط

(١) فى م : الذين (٢) العبارة من هنا إلى « أول سورة » ساقطة من م (٣) زيد من مد (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) زيد فى الأصل وظ : فى حال شرورة ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٦) زيد قبله فى الأصل : فقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٧) من مد ، وفى الأصل وظ وم : مفضلين (٨) زيد من ظ وم ومد .

فى حقنا ﴿ نعمة منا ﴾ ليس [1]لأحد غيرنا[1] فيها شائبة منّ[1] و لولا عظمتنا ما كانت ﴿ قال ﴾ [2]ناسيا لما كان فيه من الضر و إن [3] كان قد[3] طال أمده ، قاصرا لها على نفسه [4]غير متخلق بما نبهناه على التخلق به من إحساننا إليه و إقبالنا عليه عند إذعانه[4] ، مذكرا[5] لضميرها تفخيما لها ، [4]و بنى الفعل للمجهول إشارة إلى أنه لا نظر له فى تعرف المعطى من هو يشكره ، و إنما نظره فى عظمة النعمة و عظمة نفسه ، و أنها على مقدار ما[4] : ﴿ انما اوتيته ﴾ أى هذا المنعم به علىّ الذى هو كبير و عظيم [لأنى عظيم -[6]] فانا أعطى على مقدارى ، [7]و « ما » هى الزائدة[8] الكافة لأن للدلالة على الحصر ، و يجوز أن تكون موصولة هى اسم إن و خبرها قوله : ﴿ على ﴾ أى إيتاء مستعليا متمكنا على ﴿ علم[4] ﴾ أى عظيم ، وجد منى بطريق الكسب و الاجتهاد و وجوه الطلب و الاحتيال ، فكان ذلك سببا لمجيئه إلىّ [4] أو علم من الله باستحقاقه له[4] .

و لما كان التقدير : ليس كذلك و [لا -[6]] هى نعمة ، قال [4]دالا على شؤم ذلك المعطى و حقارته[4] [لأنه من أسباب إضلاله بالتأنيث -[9]]

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : لاحدنا (٢) زيد فى الأصل : أى هذا القائل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها ، و العبارة من بعدها إلى « قد طال أمده » ساقطة من م (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد . (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تذكرا (٦) زيد من م ومد (٧) العبارة من هنا إلى « مستعليا متمكنا على » ساقطة من م (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الزيادة (٩) زيد من ظ و مد .

﴿بل هى﴾ أى العطية و النعمة ﴿فتنة﴾ لاختباره هل يشكر أم[1] يكفر لتقام عليه الحجة ، فان أدت إلى النار كانت استدراجا ، و أنث الضمير تحقيرا لها بالنسبة إلى قدرته سبحانه و تعالى و لأنها أدت إلى الغرور بعد أن ذكر ضميرها أولا تعظيما لها لإيجاب شكرها .

٥٠٥/ ٥ و لما كان من المفتونين [2]من ينتبه[2] و هم الأقل ، [قال جامعا تنبيها على إرادة الجنس و ان تعبيره أولا بافراد الضمير إشارة إلى أن أكثر الناس كأنهم فى ذلك الخلق النحس نفس واحدة - [3]] : [4]﴿و لكن اكثرهم﴾ أى أكثر هؤلاء القائلين لهذا الكلام ﴿لايعلمون ٥﴾ أى لايتجدد لهم علم أصلا لأنهم طبعوا على[5] الجلافة و الجهل و الغباوة ، ١٠ فلو أنهم إذا دعونا و هم فى جهنم أجبناهم و أنعمنا عليهم لكفروا نعمتنا و نسبوها إلى غيرنا كما كانو يفعلون فى الدنيا سواء .

و لما كان كفار قريش مقصودين بهذا[6] قصدا عظيما و إن كان شاملا بإطلاقه غيرهم من الأولين و الآخرين قال موضحا لذلك : ﴿قد قالها﴾ أى مقالتهم "انما اوتيته على علم" ﴿الذين من قبلهم﴾ أى ممن ١٥ هو أشد منهم قوة و أكثر جمعا كما قال قارون و من رضى حاله فتمنى ماله ﴿فما اغنى عنهم﴾ أى أولئك الماضين ﴿ما كانوا﴾ بما اقتضته

(١) من ظ و م و مد و فى الأصل : او (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اينتبه (٣) زيد من مد (٤) زيد قبله فى الأصل و ظ : لأنه من أسباب اضلاله بالتأنيث ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهذا .

جبلاتهم ﴿ يكسبون ﴾ أى يجددون على الاستمرار كسبه من المال و الجاه و إن كان ملئ السهل و الجبل : ﴿فاصابهم﴾ أى [1]إصابة شديدة بما دل عليه تذكير الفعل - أى [1] تسبب عن عدم الإغناء أنه أصابهم ﴿ سيئات ما كسبوا[4] ﴾ أى وبال ذلك و ما يسوء من آثاره ﴿ و الذين ظلموا ﴾ أى أوقعوا الأشياء فى غير محالها ﴿ من [2]هؤلاء ﴾ ٥ أى قومك[2] الذين لا يتدبرون القرآن [1]فانهم لو تدبروا آياته عرفوا و لكن سبق عليهم العمى[1] ﴿سيصيبهم﴾ أى [3]إصابة شديدة جدا بوعد لاخلف فيه[3] كما أصاب [4]من اصاب[4] من قبلهم ﴿سيئات ما كسبوا[4]﴾ أى عملوا برغبة و سرور[5] يظنون أنه نافع لهم ﴿ و ما هم بمعجزين ﴾ و إن ظنوا أن مالهم حصن[6] لهم و عملوا من الأشر و البطر فيه أعمال من يظن ١٠ أنه لاتناله مصيبة فى الدنيا و أنه[7] لايبعث إلى ما أعددنا له من الأهوال فى الآخرة ، و لقد أصابهم ذلك ، فأول ما أصابهم ما كشف عنه الزمان من وقعة بدر ثم ما تبعه إلى ما لا آخر له .

و لما ثبت أن الضار النافع إنما هو الله ، من شاء أعطاه ، و من شاء منعه ، و من شاء استلبه و وضعه بعد ما رفعه ، و كان التقدير : ألم ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اقوامك (٣-٣) فى م و مد : بوعد لاخلف فيه إصابة شديدة جدا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حصنا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لأنه .

يعلموا أن ما جمعه من قبلهم لم يدفع عنهم امر الله ، عطف عليه قوله : ﴿ ا ، لم ﴾ و لما كان السياق لنفي العلم عن الأكثر ، و كان مقصود السورة بيان أنه صادق الوعد و مطلق العلم كافٍ فيه ، عبر بالعلم بخلاف ما مضى فى الروم فقال : ﴿ يعلموا ﴾ [أى - ١] بما رأوا فى أعمارهم من التجارب . ٢و لفت الكلام إلى الاسم الأعظم تعظيما للمقام و دفعا للبس و التعنت بغاية الإفهام٢ : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الجلال و الجمال ﴿ يبسط ﴾ أى هو٣ وحده ﴿ الرزق ﴾ غاية البسط ﴿ لمن يشآء ﴾ و إن كان لاحيلة له و لا قوة ﴿ و يقدر٤ ﴾ أى يضيق مع النكد بأمر قاهر على من هو أوسع الناس باعا فى الحيل و أمكنهم فى الدول ، و من المعلوم أنه لولا أن ذلك كله منه وحده لما كان أحد ممن له قوة فى الجسم و تمكن فى العلم فقيرا أصلا .

و لما كان هـذا أمرا لا ينكره أحد ، عده مسلما و قال : ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى الأمر العظيم ، و أكده لأن أفعالهم أفعال من ينكر أن يكون فيه عبرة ﴿ لأيٰت لقوم ﴾ ذوى قوة و همم علية ﴿ يؤمنون ع ﴾ أى هيئوا لأن يوجد منهم الإيمان فيجددوا التصديق فى كل وقت تجديدا مستمرا بأن الأمور كلها من الله فيخافوه و يرجوه و يشكروه و لا يكفروه ، و أما غيرهم فقد حقت عليه الكلمة بما هيئ له من عمل النار ، فلا يمكنه الإيمان فليس له فى ذلك آيات لأنها لا تنفعه .

---

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) سقط من م .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عالية .

و لما حذر سبحانه فى هذه السورة و لاسيما فى هذه الآيات فطال التحذير، و أودعها / من التهديد و صادع الإنذار و الوعيد العظيم الكثير، و ختم بالحث على الإيمان، و النظر السديد فى العرفان، و كانت كثرة الوعيد ربما أيأست و نفرت و أوحشت، و صدت عن العطف و أبعدت، قال تعالى مستعطفا مترفقا بالشاردين عن بابه متلطفا جامعا بين العاطفين، ٥ كلام ذوى النعمة على لسان نبى الرحمة [1]صارفا القول إلى خطابه بعد أسلوب الغيبة: ﴿قل﴾ أى يا أكرم الخلق و أرحمهم بالعباد[1]. و لفت عما تقتضيه "قل" من الغيبة إلى معنى الخطاب زيادة فى الاستعطاف، و زاد فى الترفق بذكر العبودية و الإضافة إلى ضميره عريا عن التعظيم فقال: ﴿يا﴾ أى ربكم المحسن إليكم يقول: يا ﴿عبادى﴾ فلذذهم بعد تلك ١٠ المرارات بحلاوة الإضافة إلى جنابه تقريبا من بابه. و لما أضاف، طمع المطيعون أن يكونوا هم المقصودين، فرفعوا رؤسهم، و نكس العاصون و قالوا: من نحن حتى يصوب نحونا هذا المقال؟ فقال تعالى جابرا لهم: ﴿الذين اسرفوا﴾ أى تجاوزوا الحد فى وضع الأشياء [فى غير -[2]] مواضعها حتى صارت لهم أحمال ثقال ﴿على[3] انفسهم﴾ فأبعدوها عن ١٥ الحضرات الربانية، و أركسوها فى الدنايا الشيطانية، فانقلب الحال، فهؤلاء الذين نكسوا رؤسهم انتعشوا و زالت [3]ذلتهم و الذين رفعوا[3]

(١-١) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ بعد «عن التعظيم فقال» مع تقدم «قل أى يا أكرم الخلق و أرحمهم بالعباد» و الترتيب من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.

[1]رؤسهم أطرقوا و زالت صولتهم[1] - قاله القشيرى ، و أفهم تقييد الإسراف أن الإسراف [على الغير - [2]] لايغفر إلا بالخروج عن عهدة ذلك الغير ﴿لا تقنطوا﴾ أى ينقطع رجاؤكم و تيأسوا و تمتنعوا[3] - [4]و عظم الترجية بصرف القول عن التكلم و إضافة الرحمة إلى الاسم الأعظم الجامع لجميع صفات الجلال و الإكرام فقال[4] : ﴿ من رحمة الله[4] ﴾ أى إكرام المحيط بكل صفات الكمال ، فيمنعكم ذلك القنوط من التوبة التى هى باب الرحمة ، و لعظم المقام أضاف إلى الاسم الأعظم ، ثم علل ذلك بقوله على سبيل التأكيد لظنهم أن كثرة الوعيد منعت الغفران ، و حتمت الجزاء بالانتقام ، و كرر الاسم الأعظم تعظيما للحال ، و تأكيدا بما فيه من معنى الإحاطة و الجمع لإرادة العموم : ﴿ ان الله ﴾ أى الجامع لجميع نعوت [5]الجمال و[5] الجلال و الإكرام ، فكما أنه متصف بالانتقام هو متصف بالعفو و الغفران ﴿ يغفر ﴾ إن شاء ﴿ الذنوب ﴾ و لما أفهمت اللام الاستغراق أكده فقال : ﴿ جميعا[4] ﴾ و لا يبالى ، لكنه سبق منه القول أنه إنما يغفر الشرك بالتوبة عنه ، و أما غيره فيغفره إن شاء بتوبة [6]و إن شاء بلا[6] توبة ، لايقدر أحد أن يمنعه من شىء من ذلك .

و لما كان لايعهد فى الناس مثل هذا بل لو أراد ملك من ملوك الدنيا العفو عن أهل الجرائم ، قام عليه جنده [1]فانحل عقده و انثلم حده[1] ،

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تتمتعوا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م .
(٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٦ - ٦) فى ظ و م و مد : و غير .

علل هذه العلة بما يخصه[1]، فقال مؤكدا لاستبعاد ذلك بالقياس على ما يعهدون: ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿الغفور﴾ أى البليغ المغفرة بحيث يمحو الذنوب مهما شاء عينا و أثرا، فلا يعاقب و لا يعاتب ﴿الرحيم ۝﴾ أى المكرم بعد المغفرة و لا يقدر أحد[2] أصلا على نوع اعتراض عليه، و لا توجيه طعن إليه. ٥

و لما كان التقدير: فأقلعوا عن ذنوبكم، فانها قاطعة عن الخير، مبعدة عن الكمال، عطف عليه استعطافا قوله دالا على أن الغفران المتقدم إنما هو إذا شاء التفضل سبحانه بتوبة و بغير توبة: / ﴿و انيبوآ﴾ ٥٠٧ / أى ارجعوا بكلياتكم و كلوا حوائجكم و أسندوا أموركم و اجعلوا طريقكم ﴿الى﴾ [3]و لفت الكلام إلى صفة الإحسان زيادة فى الاستعطاف فقال[3]: ١٠ ﴿ ربكم ﴾ أى الذى لم تروا إحسانا إلا و هو منه ﴿ و اسلموا له ﴾ أى أوجدوا إسلام جميع ما ملكه لكم من الأعيان و المعانى متبرئين عنه لأجله فانه لو شاء سلبكموه. فاذا لم تكونوا مالكيه ملكا تاما فعدوا أنفسكم عارية عنه غير مالكة له و لا قادرة. و كان الذى لكم بالإصالة ما كان. ١٥

و لما كان ذلك شديدا[4] لأن الكف عما أشرفت النفس على بلوغ الوطر منه فى غاية المرارة[5]. قال مهددا لهم دالا بحرف الابتداء على

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لايخصه (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: احدا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: شديد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المرار.

رضاه منهم بايقاع ما أمر به فى اليسير[1] من الزمان لأنه لايقدر أحد أن يقدر الله حق قدره باستغراق الزمان فى الطاعة و إن كان إبهام الأجل يحدو العاقل على استغراقه فيها: ﴿ من قبل ان ياتيكم ﴾ أى و أنتم صاغرون ﴿ العذاب ﴾ أى القاطع لكل العذوبة المجرّع لكل مرارة و صعوبة . و لما كان الإنسان ربما توقع ضررا فى إقدامه على ما له فيه لذة ، و حاول دفعه[2]، قال معظما لهذا العذاب مشيرا بأداة التراخى إلى أنه لايمكن دفعه و لوطال المدى : ﴿ ثم لاتنصرون ﴾ أى لايتجدد لكم نوع نصر أبدا .

و لما أمر برؤية الأمور كلها من الله و إسلام القياد كله إليه ، [أمر - [3]] بما هو أعلى من ذلك ، و هو المجاهدة بقتل النفس فقال : ﴿ و اتبعوآ ﴾ أى عالجوا أنفسكم و كلفوها أن تتبع ﴿احسن ما آنزل﴾ واصلا[4] ﴿ اليكم ﴾ على سبيل العدل كالإحسان الذى هو أعلى من العفو الذى هو فوق الانتقام باتباع هذا القرآن الذى هو أحسن ما نزل[5] من كتب الله و باتباع أحاسن ما فيه ، فتصل من قطعك و تعطى من حرمك و تحسن إلى من ظلمك . هذا فى حق الخلائق و مثله فى عبادة الخالق بأن تكون «كأنك تراه» الذى هو أعلى من استحضار «انه يراك» الذى هو اعلى من أدائها مع الغفلة عن ذلك .

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : السير (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رفعه (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من م (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أنزل .

و لما كان هذا شديدا على النفس، رغب فيه بقوله [1]مظهرا صفة الإحسان موضع الإضمار[1]: ﴿ من ربكم ﴾ أى الذى لم يزل يحسن إليكم و أنتم تبارزونه بالعظائم. و لما كان من النفوس ما هو كالبهائم لاينقاد إلا بالضرب، قال منبها أيضا على رفقه باثبات الجار: ﴿ من قبل ان ياتيكم ﴾ [أى -[2]] على ما بكم من العجز عن الدفاع ٥ ﴿ العذاب ﴾ أى الأمر الذى يزيل ما يعذب و يحلو لكم فى الدنيا أو فى الآخرة. و لما كان الأخذ على غرة أصعب على النفوس قال: ﴿ بغتة ﴾ و لما كان الإنسان قد يشعر بالشيء مرة ثم ينساه فيباغته، نفى ذلك بقوله: ﴿ و انتم لا تشعرون ﴾ أى ليس عندكم شعور باتيانه لا فى حال إتيانه و لا قبله بوجه من الوجوه لفرط غفلتكم، ليكون أفظع ما يكون على ١٠ النفس لشدة مخالفته لما هو مستقر فيها و هى متوطنة[3] عليه من ضده.

و لما كان للانسان عند وقوع الخسران أقوال و أحوال لو تخيلها قبل هجومه لحسب حسابه فباعد أسبابه. علل الإقبال [على الاتباع -[2]] بغاية الجهد و النزاع فقال: ﴿ ان ﴾ أى كراهة ان ﴿ تقول ﴾ و لما كان الموقع للانسان فى النقصان إنما هو حظوظه و شهواته المخالفة لعقله، ١٥ عبر بقوله: ﴿ نفس ﴾ اى عند وقوع العذاب لها، و إفرادها و تنكيرها كاف / فى الوعيد لأن كل أحد يجوز أن يكون هو المراد ﴿ يحسرتى ﴾ / ٥٠٨ و التحسر: الاغتمام على ما فات و التندم[4] عليه، و ألحق الألف بدلا من الياء

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: موطنه (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التدم.

تعظيما له ، أى يا طول غماه لانكشاف ما فيه صلاحى عنى و بعده منى فلا وصول لى إليه لاستدراك[1] ما فات منه[2] ، و ذلك عند انكشاف أحوالها ، و حلول أوجالها و أهوالها ، [3] و دل على تجاوز هذا التحسر الحد قراءة[4] أبى جعفر[5] « حسرتاى » بالجمع بين العوض و هو الألف
٥ و المعوض عنه و هو الياء ، و حل المصدر لأن ما حل إليه أصرح فى الإسناد و أفخم ، و أدل على المراد و أعظم ، فقال : ﴿على ما فرطت﴾ أى بما ضيعت[6] فانفرط منى نظامه ، و تعذر انضمامه و التئامه .

و لما كان حق [كل - [7]] أحد قريبا منه حسا أو معنى حتى كأنه إلى جنبه ، [8] و كان بالجنب قوام الشىء و لكنه قد يفرط فيه
١٠ لكونه[9] منحرفا عن الوجاه و العيان ، فيدل التفريط فيه على[10] نسبة المفرط لصاحبه إلى الغفلة عنه ، و ذلك أمر لا يغفر ، قال : ﴿فى جنب﴾ [11] و صرف القول إلى الاسم الأعظم لزيادة التهويل بقوله[11] : ﴿الله﴾ أى حق الملك الأعظم الذى هو غير مغفول عنه و لا متهاون به .

و لما كان المضرور المعذب المقهور يبالغ فى الاعتراف ، رجاء

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لاستدراكات (٢) من م و مد . و فى الأصل و ظ : فيه (٣) العبارة من هنا إلى «وأعظم فقال» ساقطة من م (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : قرا (٥) راجع نثر المرجان ٦ / ١٧٢ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ضيقت (٧) زيد من م و مد (٨) العبارة من هنا إلى « أمر لا يغفر » ساقطة من م (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : لكنه (١٠) من ظ و مد . و فى الأصل : الى (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من م .

القبول و الانصراف، قال مؤكدا مبالغة فى الإعلام بالإقلاع[1] عما [كان -[2]] يقتضيه حاله، و يصرح به مقاله، من[3] أنه على الحق و أجد الجد: ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أنى ﴿ كنت ﴾ أى كان ذلك فى طبعى ﴿ لمن السخرين ﴾ أى المستهزئين المتكبرين المنزلين أنفسهم فى غير منزلتها، و ذلك أنه ما كفانى المعصية حتى كنت أسخر من أهل الطاعة، أى تقول: هذا لعله يقيل منها و يعفى عنها على عادة المترفقين فى وقت الشدائد، لعلهم يعادون إلى أجمل العوائد.

و لما كانت النفس إذا وقعت فى ورطة لاتدع وجها محتملا حتى تتعلق بأذياله، و تمت بحباله و تفتر بمحاله، قال ـ ا كيا كذبها حيث لايغنى إلا الصدق: ﴿ او تقول ﴾ [أى -[4]] عند نزول ما لا قبل لها به ﴿ لو ان ﴾ [5]و أظهر و لم يضمر إظهارا للتعظيم و تلذذا بذكر الاسم الشريف فقال[5]: ﴿ الله ﴾ أى الذى له القدرة الكاملة و العلم الشامل ﴿ هدنى ﴾ أى ببيان الطريق ﴿ لكنت ﴾ أى ملازما[6] ملازمة المطبوع على كونى ﴿ من المتقين ﴾ أى الذى لايقدمون على فعل ما لم يدلهم عليه دليل.

و لما ذكر حالها فى الاعتراف بالبطلان، ثم الفزع إلى الزور

(١) زيد فى الأصل و ظ: قال، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فى (٤) زيد من م و مد. (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) زيد فى الاصل و ظ: له، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

و البهتان ، أتبعه التمنى الذى لا يفيد غير الخسران ، فقال : ﴿ او تقول ﴾ أى تلك النفس المفرطة ﴿ حين ترى العذاب ﴾ أى [الذى -[1]] هاجها[2] للرحمة أو النقمة : ﴿ لو ان ﴾ أى يا ليت ﴿ لى كرة ﴾ أى رجعة إلى دار العمل لأتمكن منه ﴿ فاكون ﴾ أى فيتسبب عن رجوعى إليها أن ٥ أكون ﴿ من المحسنين ه ﴾ أى العاملين بالإحسان الذى دعا إليه القرآن ، [3]هذا الإعراب - و هو عطفه على الجواب - أوفق لبقية الآيات التى من سلكه[3] .

و لما حذر سبحانه بما يكون للمأخوذ من سيء الأحوال و فظيع الأهوال ، و كان معنى ما تقدم من كذبه و تمنيه أنه ما جاءنى بيان ١٠ و لا كان لى وقت أتمكن فيه من العمل ، قال تعالى مكذبا له : ﴿ بلى[1] ﴾ أى قد كان لك الأمران كلاهما ﴿ قد جآءتك ﴾ [3]و لفت القول إلى التكلم مع تجريد الضمير عن مظهر العظمة لما تقدم من / موجبات استحضارها /٥٠٩ إعلاما بتناهى الغضب بعد لفته إلى تذكير النفس المخاطبة المشير إلى أنها فعلت فى العصيان فعل الاقوياء الشداد من التكذيب و الكبر مع ١٥ القدرة فى الظاهر على تأمل الآيات ، و استيضاح الدلالات ، و المشى على طرق الهدايات ، بعد ما أشار تانيثها إلى ضعفها عن حمل العذاب و غلبة النقائص لها فقال[3] : ﴿ آيتى ﴾ على عظمتها فى البيان الذى ليس مثله بيان فى وقت كنت فيه متمكنا من العمل بالجنان و اللسان و الأركان

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هاجها .
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من م .

﴿ فكذبت بها ﴾ جرأة على الله و قلة مبالاة بالعواقب ﴿ و استكبرت ﴾ أى عددت نفسك كبيرا عن قبولها ﴿ و كنت ﴾ اى كونا كأنه جبلة لك لشدة توغلك فيه و حرصك عليه ﴿ من الكفرين ﴾ أى العريقين فى ستر ما ظهر من انوار الهداية للتكذيب تكبرا لم يكن لك مانع من الإحسان إلا ذلك لا عدم البيان [1]و لا عدم الزمان القابل للعمل . ٥

و لما كان قد تعمد الكذب عند مس العذاب فى عدم البيان[1] و الوقت القابل ، قال تعالى محذرا من حاله و حال أمثاله ، [2]و لفت القول إلى من لايفهمه حق فهمه غيره تسلية له و زيادة فى التخويف لغيره[2] : ﴿ و يوم القيمة ﴾ أى الذى لايصح فى الحكمة تركه ﴿ ترى ﴾ أى يا محمد ﴿ الذين كذبوا ﴾ [2]و زاد فى تقبيح حالهم فى اجترائهم بلفت ١٠ القول إلى الاسم الأعظم فقال[2] : ﴿ على الله ﴾ أى الحائز لجميع صفات الكمال بأن وصفوه بما لا يليق [به - [3]] و هو منزه عنه من أنه فعل ما لايليق بالحكمة من التكليف مع عدم البيان ، و من خلق الخلق يعدو بعضهم على بعض من غير حساب يقع فيه الإنصاف بين الظالم و المظلوم ، أو ادعوا له شريكا أو نحو ذلك ، قال ابن الجوزى : و قال الحسن : هم ١٥ الذين يقولون : إن شئنا فعلنا ، و إن شئنا لم نفعل - انتهى . و كأنه عنى المعتزلة الذين اعتزلوا مجلسه و ابتدعوا قولهم : إنهم يخلقون أفعالهم ، و يدخل فيه كل من تكلم فى الدين بجهل ، و كل من كذب و هو

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) زيد من ظ و م .

يعلم أنه كاذب فى أىّ شىء كان، فانه من حيث أن فعله فعل من يظن أن الله لا يعلم كذبه أو[1] لا يقدر على جزائه كأنه كذب على الله ـ تراهم بالعين حال كونهم ﴿وجوههم مسودة﴾ [2]مبتدأ و خبر، و هو حال الموصول[2] أى ثابت سوادها زائد البشاعة و المعظم فى الشناعة بجعل ٥ ذلك أمارة عليهم ليعرفهم من يراهم بما كذبوا فى الدنيا فانهم [لم ـ[3]] يستحيوا من الكذب المخزى، أليس ذلك زاجرا عن مطلق الكذب فكيف بالكذب على الله الذى جهنم سجنه فكيف بالمتكبرين عليه ﴿أليس فى جهنم﴾ أى[4] التى تلقى من تلقى فيها بالتجهم[5] و العبوسة ﴿مثوى﴾ أى منزل ﴿للمتكبرين﴾ الذى تكبروا على اتباع أمر الله.

١٠ و لما ذكر حال الذين أشقاهم، أتبعهم حال الذين أسعدهم، فقال عاطفا لجملة على جملة[6] لا على «ترى» المظروف ليوم القيامة، إشارة إلى أن هذا فعله معهم فى الدارين و إشارة إلى كثرة التنجية لكثرة الأهوال كثرة تفوت الحصر: ﴿و ينجى﴾ [7]أى مطلق إنجاء لبعض من اتقى بما أشارت إليه قراءة يعقوب بالتخفيف[8]، و تنجية عظمية لبعضهم بما أفادته قراءة الباقين بالتشديد، ١٥ و أظهر و لم يضمر زيادة على تعظيم حالهم و تسكين قلوبهم ﴿الله﴾ أى يفعل بما له من صفات الكمال فى نجاتهم فعل المبالغ فى ذلك ﴿الذين اتقوا﴾

---

(١) من م و مد. و فى الأصل وظ: «و» (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م. (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) سقط من م (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: فى التجهم (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جمله (٧) العبارة من هنا إلى «تسكين قلوبهم» ساقطة من م (٨) راجع نثر المرجان ٦/١٧٥.

اى[1] / بالغوا فى وقاية أنفسهم من غضبه فكما وقاهم فى الدنيا من / ٥١٠
المخالفات حماهم هناك من العقوبات ﴿ بمفازتهم ز ﴾ أى بسبب أنهم عدوا
أنفسهم فى مفازة بعيدة[2] مخوفة فوقفوا[3] فيها عن كل عمل إلا بدليل
لئلا يمشوا بغير دليل فيهلكوا، فأدتهم تقواهم إلى الفوز، و هو الظفر بالمراد
[4]و زمانه و مكانه[4] الذى سميت المفازة به تفاؤلا، و لذلك فسر ابن عباس ٥
رضى الله عنهما المفازة بالأعمال الحسنة لأنها[5] سبب الفوز، [4]و قرئ بالجمع
باعتبار أنواع المصدر[4]، و ذلك كله بعناية[6] الله بهم فى الدارين، ففازة
كل أحد فى الأخرى على قدر مفازته بالطاعات[7] فى الدنيا.

و لما كان كأنه قيل: ما فعل فى تنجيتهم؟ قال ذاكرا [8]نتيجة التنجية[8]
﴿ لا يمسهم السوء ﴾ أى [4]هذا النوع[4] فلا يخافون ﴿ و لا هم يحزنون ه ﴾ ١٠
أى و لا يطرق بواطنهم حزن على فائت لأنهم لا يفوت لهم شىء أصلا.

و لما كان المخوف منه و المحزون عليه جامعين لكل ما فى الكون
فكان لا يقدر على دفعهما إلا المبدع القيوم، قال مستأنفا أو معللا [4]مظهرا
الاسم الأعظم تعظيما للمقام[4]: ﴿ الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما

(١) زيد فى الأصل: الذين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: باعده (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فوفوا (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بانها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعيانة (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالطاعة (٨-٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تنجية النتيجة - كذا.

الذى نجاهم ﴿ خالق كل شىء ﴾ فلا يكون شىء أصلا إلا بخلقه، و هو لايخلق ما يتوقعون منه خوفا. و لايقع لهم عليه حزن. و لما دل هذا على القدرة الشاملة، كان و لابد معها من العلم الكامل قال: ﴿و هو﴾ [1]و عبر بأداة الاستعلاء لأنه من أحسن مجزآتها[2] ﴿على كل شىء﴾ أى مع القهر و الغلبة ﴿وكيل﴾ أى حفيظ لجميع ما يريد منه، قيوم لا عجز يلم[3] بساحته و لاغفلة.

و لما كان الخافقان خزائن الكائنات، و كان لايتصرف فى الخزائن إلا ذو المفاتيح، قال دالا على وكالته: ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ مقاليد ﴾ واحدها مقلاد مثل مفتاح، و مقليد مثل قنديل، و هى المفاتيح و الأمور الجامعة القوية و هى استعارة لشدة التمكن من ﴿السمٰوٰت﴾ أى جميع أعدادها ﴿و الارض﴾ أى جنسها. خزائنهما وأمورهما و مفاتيحهما الجامعة لكل ما فيهما، فلا يمكن أن يكون فيهما شىء و لا أن يتصرف فى شىء منهما و لا فيهما احد إلا باذنه [4]فلا بدع فى تنجيته الذين اتقوا[4].

و لما كان التقدير: فالذين آمنوا بالله و تقبلوا آياتـه أولئك هم الفائزون، عطف عليـه قوله الذى اقتضاه سياق التهديد: ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى لبسوا ما اتضح لهم من الدلالات، و جحدوا أن تكون الأمور كلها بيده ﴿ بايٰت الله ﴾ [أى -[5]] الذى[6] لا ظاهر غيرها، فانه

---

(١) العبارة من هنا إلى « أحسن مجزآتها » ساقطة من م (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مجازاتها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يسلم. (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) زيد من م و مد (٦) من مد، و فى الأصل و م: التى، و فى ظ: الذين.

ليس فى الوجود إلا ذاته سبحانه و هى[1] غيب لا يمكن المخلوق دركها، وأفعاله و هى أظهر الأشياء. و صفاته و هى غيب من جهة شهادة من جهة أخرى ﴿ اولـئك ﴾ البعداء البغضاء ﴿هم﴾ خاصة ﴿الخسرون ۝﴾ فانهم خسروا نفوسهم[2] و كل شىء يتصل بها على وجه النفع. لأن كفرهم أقبح الكفر من حيث أنه متعلق بأظهر الأشياء. ٥

و لما قامت هذه الدلائل كما ترى قيام الأعلام، فانجابت دياجير الظلام، و كان الجهلة قد دعوه صلى الله عليه و سلم - كما قال المفسرون فى[3] أول سورة[4] ص - إلى أن يكف عن آلهتهم، و كان الإقرار عليها عبادة لها، تسبب عن ذلك أمره صلى الله عليه و سلم بما يصدعهم به بقوله: ﴿ قل ﴾ و لما كان مقام الغيرة يقتضى محو الأغيار، و كان ١٠ الغير إذا انمحى تبعه جميع أعراضه، قدم الغير [5]المفعول [لأعبد المفعول -[6]] -على تقدير « أن » - لتامر / فقال: ﴿افغير الله﴾ أى[7] الملك الأعظم الذى ٥١١ / لايقر على فساد أصلا.

و لما كان تقديم[8] الإنكار على فعلهم لهم ارجع، و تأخير ما سبق من الكلام لإنكاره أروع، وكان مد الصوت أوكد فى معنى الكلام ١٥ و أفزع و أهول و أفظع، [9]قال صارفا الكلام إلى خطابهم، لأنه[9]

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هو (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انفسهم (٣) سقط من م و مد (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) العبارة من هنا إلى « ان لتامر » ساقطة من م (٦) زيد من ظ و مد (٧) سقط من ظ (٨) فى م: تقدم (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من م.

أقعد فى إرهابهم و أشد فى اكتئابهم: ﴿تأمروني﴾ بالإدغام المقتضى للمد فى قراءة اكثر القراء . و لعل الإدغام إشارة إلى أنهم حاولوه صلى الله عليه و سلم فى أمر آلهتهم على سبيل المكر و الخداع . و لما قرر الإنكار لإثبات الأغيار ، أتم تقرير ذكر العامل فى "غير" فقال [حاذفا -] ٥ «أن» المصدرية لتصير صلتها فى حيز الإنكار: ﴿ اعبد ﴾ و هو مرفوع لأن «أن» لما حذفت بطل عملها ، و لم يراع أيضا حكمها ليقال: إنه يمتنع نصب «غير» بها لأن معمول الصلة لايتقدم على الموصول.

و لما كانت عبادة غير الله أجهل الجهل ، وكان الجهل محط كل سفول ، قال: ﴿ايها الجهلون﴾ أى العريقون فى الجهل ، و هو التقدم ١٠ فى الأمور المبهمة بغير علم - قاله الحرالى فى سورة البقرة .

و لما كان التقديم يدل على الاختصاص ، و كانوا لم يدعوه للتخصيص ، بل للكف المقتضى للشرك ، بين أنه تخصيص من حيث [أن -] الإله غنى عن كل شيء فهو لايقبل عملا فيه شرك ، و متى حصل ادنى شرك كان ذلك العمل كله للذى أشرك ، فكان التقدير ١٥ بيانا لسبب امره بأن يقول لهم ما تقدم منكرا عليهم: قل كذا ، فقد أوحى إليك و إلى الذين من قبلك وجوب التوحيد ، فعطف عليه قوله مؤكدا لأجل ما استقر فى النفوس من ان من عمل لأحد شيئا فى

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد من مد (٣) وقع فى الأصل و ط و م بعد «غير فقال» و التر تيب من مد (٤) العبارة من «أن المصدرية» إلى هنا ساقطة من م (٥) زيد من ظ و م و مد .

سواء كان على وجه الشركة أو لا : ﴿ و لقد ﴾ و لما كان الموحى معلوما له صلى الله عليه و سلم ، بنى للمفعول قوله : ﴿ اوحى اليك ﴾ و لما كان التعميم أدعى إلى التقبل قال : ﴿ و الى الذين ﴾ و لما كان الإرسال إنما هو فى بعض الزمان لبعض الناس قال : ﴿ من قبلك ج ﴾ و لما كان الحكم على قوم ربما كان حكما على المجموع [مع قيد الجمع خص بيانا لأنه ٥ مع كونه حكما على المجموع - ١] حكم على [كل - ١] فرد ، و لأن خطاب الرئيس خطاب لأتباعه لأنه مقتداهم .

و لما كان الموحى إليهم انه من أشرك حبط عمله سواء كان هو أو غيره ، صح قوله بالإفراد ٢موضع نحو أن الإشراك محبط للعمل ٣و قائم٣ مقام الفاعل ، و عدل عنه إلى ما ذكر لأنه أعظم فى النهى و أقعد ١٠ فى الزجر لمن يتأهل له من الأمة ، و أكد لأن المشركين ينكرون معناه غاية الإنكار : ﴿ لئن ﴾ أى اوحى إلى كل منكم هذا اللفظ و هو و عزتى لئن ﴿ اشركت ﴾ [اى - ١] شيئا من الأشياء فى شىء من عملك [بالله - ١] - و هو من فرض المحال ، ذكره هكذا ليكون أروع للأتباع ، و الفعل بعد إن الشرطية للاستقبال ، فعدل هنا عن التعبير ١٥ بالمضارع للمطابقة بين اللفظ و المعنى لأن الآية سيقت للتعريض بالكفار فكان٤ التعبير بالماضى أنسب ليدل بلفظه على أن من وقع منه شرك

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) العبارة من هنا إلى « غاية الإنكار » ساقطة من م (٣-٣) فى مد : القائم (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لكان .

فقد خسر ، و بمعناه على أن الذى يقع منه ذلك فهو كذلك .

و لما تقرر الترهيب أجاب الشرط و القسم بقوله : ﴿ ليحبطن ﴾ أى ليفسدن فيبطلن عملك فلايبقى له أثرا ما من جهة القادر فلأنه أشرك به فيه و هو غنى لايقبل إلا الخالص ، لانه [لا -[1]] حاجة به إلى شىء ، و أما من جهة غيره فلأنه لايقدر على شىء . و لما كان السياق للتهديد ، و كانت العبادة شاملة لما تقدم على الشرك من الأعمال و ما تأخر عنه ، لم يقيده / بالاتصال بالموت اكتفاء بتقييده فى آية البقرة و قال : ﴿ و لتكونن ﴾ [اى -[1]] لأجل حبوطه ﴿ من الخسرين ﴾ فان من ذهب جميع عمله لاشك فى خسارته ، و الخطاب للرؤساء على هذا النحو - و إن كان المراد به فى الحقيقة أتباعهم - أزجر للأتباع ، و أهز للقلوب منهم و الأسماع .

/٥١٢

و لما كان التقدير قطعا : فلا تشرك ، بنى عليه قوله : ﴿ بل الله ﴾ [أى -[1]] المتصف بجميع صفات الكمال وحده[2] بسبب هذا النهى العظيم و التهديد الفظيع[2] مهما وقعت منك عبادة ما ﴿ فاعبد ﴾ أى مخلصا له العبادة ، فحذف الشرط ، عوض عنه بتقديم المفعول . و لما كانت عبادته لايمكن أن تقع إلا شكرا لما له من عموم النعم سابقا و لاحقا ، و شكر المنعم واجب ، نبه على ذلك بقوله : ﴿ و كن من الشكرين ﴾ أى العريقين فى هذا الوصف لأنه جعلك خير الخلائق .

و لما كان التقدير : فما أحسن هؤلاء و لا أجملوا حين دعوك

(١) زيد من م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م .

للاشراك بالله، و ما عبدوه حق عبادته إذ أشركوا به، عطف عليه قوله: ﴿ و ما قدروا ﴾ [1]و أظهر الاسم الأعظم فى أحسن مواطنه فقال[1]: ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ حق قدره ﷺ ﴾ أى [ما -[2]] عظموه كما يجب له فانه لو استغرق الزمان فى عبادته و خالص طاعته بحيث لم يخل شيء منه عنها لما كان ذلك حق قدره فكيف ٥ إذا خلا بعضه عنها فكيف إذا عدل به غيره.

و لما ذكر[3] تعظيم كل شيء ينسب إليه، دل على باهر قدرته الذى هو لازم القبض و الطى بما يكون من الحال فى طى هذا الكون، فقال كناية عن العظمة بذلك: ﴿ و الارض ﴾ أى و الحال أنها، و قدمها لمباشرتهم لها و معرفتهم بحقيقتها. و لما كان ما يدركون ١٠ منها من السعة و الكبر[4] كافيا فى العظمة[5] و إن لم يدركوا أنها سبع، أكد بما يصلح لجميع طبقاتها تنبيها للبصراء على أنها سبع من غير تصريح به فقال: ﴿ جميعا ﴾ و لما كان أحقر ما عند الإنسان و أخفه عليه ما يحويه فى قبضته، مثل بذلك[6] فى قوله [1]مخبرا عن المبتدأ[7] [1]مفردا بفتح القاف لأنه أقعد فى تحقير الأشياء العظيمة بالنسبة إلى ١٥ جليل عظمته[1]: ﴿ قبضته ﴾

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: كان (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: البر. (٥) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: ذلك (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م و مد.

و لما كان فى هذه الدنيا من يدعى الملك و القهر و العظمة و القدرة ، وكان الأمر فى الآخرة بخلاف هذا لانقطاع الأسباب قال : ﴿يوم القيٰمة﴾ و لا قبضة هناك حقيقة و لا مجازا ، و كذا الطى و اليمين ، و إنما [1]تمثيل و تخييل[1] لتمام القدرة . و لما كانوا يعلمون أن السماوات سبع متطابقة بما ٥ يشاهدون من سير النجوم ، جمع ليكون مع "جميعا" كالتصريح فى جميع الأرض أيضا [فى قوله -[2]] : ﴿و السمٰوٰت مطويٰت﴾ و لما كان العالم العلوى أشرف ، شرفه عند التمثيل باليمين فقال : ﴿بيمينه[4]﴾ و لما كان هذا إنما هو تمثيل بما نعهد و المراد به الغاية فى القدرة ، نزه نفسه المقدس عما ربما تشبث بـه المجسم[3] و المشبه فقال : ﴿سبحٰنه﴾ أى ١٠ تنزه من هذه القدرة قدرته عن كل شائبة نقص و ما يؤدى إلى النقص من الشرك و التجسيم و ما شاكله ﴿و تعٰلى﴾ علوا لايحاط بـه ﴿عما يشركون ه﴾ أى إن علوه عن ذلك علو من يبالغ فيه ، فهو فى غاية من العلو لايكون وراءها غاية لأنه لو كان له شريك لنازعه[4] هذه القدرة أو بعضها[5] فمنعه شيئا[6] منها . و هذه معبوداتهم لاقدرة لها على شىء ،

٥١٣ / ١٥ روى البخارى فى صحيحه فى التوحيد[7] و غيره عن / عبد الله رضى الله عنه قال : جاء حبر من اليهود إلى النبى صلى الله عليه و سلم فقال : إذا

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تخييل و تمثيل (٢) زيد من م و مد .
(٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : المتجسم ، و فى م : المجتسم (٤) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعضه (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شىء .
(٧) راجع ٢ / ١١٠٣ و ١١١٩ .

كان يوم القيامة جعل الله السماوات على إصبع ، و الأرضين على إصبع ، و الماء و الثرى على إصبع ، و الخلائق على إصبع ، ثم يميزهن ثم يقول : أنا الملك ، فلقد رأيت النبي صلى الله عليه و سلم[1] يضحك حتى بدت نواجذه - تعجبا [و تصديقا -[2]] لقوله - ثم قال النبي صلى الله عليه و سلم "وما قدروا الله حق قدره - إلى : يشركون" و روى الشيخان[3] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : يطوى الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون [ثم يطوى الأرضين ثم يأخذهن بشماله ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون -[4]] ، و للبخاري[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : يقبض الله الأرض يوم القيامة ، و يطوى السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض .

و لما دل على عظيم قدره[6] ببعض ما يكون يوم القيامة ، أتبعه ما لا يحتمله القوى من أحوال ذلك اليوم دليلا آخر ، فقال دالا على عظيم قدرته و عزه [و -[2]] عظمته بالبناء للمفعول : ﴿و نفخ في الصور﴾ أي [7]القرن العاطف للأشياء المقبل بها نحو صوته المميل لها عن أحوالها العالي عليها[8]

(١) زيد في الأصل : و هو ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) زيد من م و مد (٣) راجع من صحيح مسلم ٢/٣٠٧ ، و لم نقف بهذا اللفظ في صحيح البخاري (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) راجع من صحيحه ٢/١٠٩٨ .
(٦) من م و مد ، و في الأصل و ظ : قدرته (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م.

فى ذلك اليوم بعد بعث الخلائق و هى النفخة الأولى بعد البعث[1] التى هى بعد نفختى الموت و البعث المذكورتين فى سورة يس، و المراد بها - و الله أعلم - إلقاء الرعب و المخافة و الهول فى القلوب إظهارا للعظمة و تردیا بالكبرياء و العز فى عزة يوم المحشر ليكون أول ما يفجأهم ٥ [2]يوم الدين[2] ما لايحتمله القوى، و لا تطيقه الأحلام و النهى، كما كان آخر ما فجأهم فى يوم الدنيا و أن افترقا فى التأثير، فان تلك أثرت[3] الموت، و هذه أثرت[3] الغشى لأنه لا موت بعد البعث[4]، و هى الثالثة من النفخات ﴿ فصعق ﴾ أى مغشيا عليه ﴿ من فى السمٰوٰت ﴾ و لما كان المقام التهويل، و كان التصريح أهول، أعاد الفاعل بلفظه[5] فقال: ١٠ ﴿ و من فى الارض ﴾.

و لما كان منهم من لايصعق ليعرف دائما أنه فى كل فعل من أفعاله مختار قادر جبار، استثناه فقال: ﴿ الا من شاء الله[6] ﴾ [أى -[6]] الذى له مجامع العظمة و معاقد العز، فيجعل الشىء الواحد هلاكا لقوم دون قوم، و صعقا لقوم دون قوم، يجعل ذلك الذى ١٥ كان به الهلاك به الحياة، و ذلك الذى كان به الغشى به الإفاقة و إن كان بالنسبة إليهم على حد سواء، إعلاما بأن الفاعل المؤثر الفعالُ لما يريد لا الأثر، قيل: المستثنون الشهداء، و قيل: غيرهم ﴿ ثم نفخ فيه اخرٰى ﴾

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: البعثة (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م. (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: اكثرت (٤) العبارة من « كما كان آخر » إلى هنا ساقطة من م (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بنفسه (٦) زيد من م و مد.

أى نفخة ثانية من هذه ، و هى رابعة من النفخة المميتة ، و دل على سرعة[1] تأثيرها بالفجاءة فى قوله : ﴿فاذا هم قيام﴾ أى قائمون كلهم ﴿ينظرون ٥﴾ أى يقلبون أبصارهم أو ينتظرون ما يأتى بعد ذلك من أمثاله من دلائل العظمة ، و هاتان النفختان هما المرادتان فى حديث تخاصم اليهود مع المسلم الذى لطم وجهه ، و فى آخره : يصعق الناس يوم القيامة فأكون ٥ أول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا أدرى أفاق قبلى أم جوزى بصعقة الطور[2] - و قد رواه البخارى فى الخصومات فى موضعين[3] ، و فى أحاديث الأنبياء فى موضعين[4] ، و فى الرقاق[5] / و فى ٥١٤ / التوحيد[6] و مسلم فى الفضائل و أبو داود فى السنة ، و النسائى فى التفسير و النعوت ، و بتفصيل رواياته و جمع ألفاظها يعلم أن ما ذكرته هو المراد ، ١٠ روى البخارى و مسلم فى أحاديث الأنبياء عن أبى هريرة رضى الله عنه [قال -[7]] : بينما يهودى يعرض سلعة له - و قال البخارى : سلعته - أعطى بها شيئا كرهه أو لم يرضه . قال : لا و الذى اصطفى موسى على البشر ! فسمعه رجل من الأنصار فلطم -[8] و قال[8] البخارى : فقام فلطم - وجهه ،

(١) سقط من م (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الصور (٣) تحت باب ما يذكر فى الأشخاص و الخصومة بين المسلم و اليهودى ١/٣٢٥ (٤) تحت باب قول الله عز و جل « و واعدنا موسى ..... » ١/٤٨١ و تحت « باب وفاة موسى عليه السلام و ذكره بعد » ١/٤٨٤ (٥) تحت باب نفخ الصور ٢/٩٦٥ . (٦) تحت باب قوله « و كان عرشه على الماء » ٢/١١٠٤ (٧) زيد من م و مد . (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وجهه و فى .

قال: تقول: و الذى اصطفى موسى على البشر و رسول الله صلى الله عليه و سلم بين أظهرنا، فذهب اليهودى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: يا [1]أبا القاسم[1] إن لى ذمة و عهدا، و قال: فلان لطم وجهى، - و قال البخارى: فما بال فلان لطم وجهى؟ - فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لم لطمت وجهه؟ قال: قال يا رسول الله «و الذى اصطفى موسى على البشر» و أنت بين أظهرنا، فغضب رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى عرف الغضب فى وجهه، ثم قال: لاتفضلوا بين أنبياء الله فانه ينفخ فى الصور فيصعق من فى السماوات و من فى الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث - و فى رواية لمسلم: أو فى أول من بعث - فاذا موسى آخذ بالعرش فلا أدرى أحوسب بصعقة يوم الطور أو بعث قبلى و لا أقول: إن أحدا أفضل من يونس بن متى، و فى رواية للبخارى فى تفسير الزمر[2]: إنى من أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة فاذا أنا بموسى[3] متعلق بالعرش فلا أدرى أكذلك كان أم بعد النفخة، و فى رواية للبخارى فى الخصومات و الرقاق و أحاديث الأنبياء و هى لمسلم أيضا قالا[4]: استب رجلان: رجل من المسلمين و رجل من اليهود - و فى رواية لمسلم: رجل من اليهود و رجل من المسلمين - فقال المسلم: و الذى اصطفى محمدا

(١) من م و مد، و فى الاصل و ظ: رسول الله (٢) راجع ٢ / ٧١١ .
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: موسى (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قال .

صلى الله عليه و سلم على العالمين ، قال البخارى فى كتاب التوحيد و أحاديث الأنبياء : فى قسم يقسم به ، فقال اليهودى : و الذى اصطفى موسى على العالمين ، قال البخارى : فغضب المسلم عند ذلك فلطم وجه اليهودى ، و قال مسلم و كذلك[1] البخارى فى التوحيد و الخصومات و أحاديث الأنبياء : فرفع المسلم يده عند ذلك فلطم وجه اليهودى ، فذهب اليهودى إلى ٥ رسول الله صلى الله عليه و سلم فأخبره بما كان من امره و أمر المسلم ، قال البخارى فى الخصومات : فدعا النبى صلى الله عليه و سلم المسلم فسأله عن ذلك فأخبره - ثم اتفقا : فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا تخيرونى على موسى فان الناس يصعقون - قال البخارى فى الرقاق و الخصومات و أحاديث الأنبياء و نسخة فى التوحيد : يوم القيامة فأكون فى[2] أول ١٠ من يفيق ، و فى رواية له فى الخصومات : فأصعق معهم ، و فى رواية له فى الرقاق و فى رواية فى التوحيد و هى رواية لمسلم و أبى داود : فأكون أول من يفيق ، فاذا موسى باطش بجانب العرش ، و قال أبو داود : فى جانب العرش ، فلا أدرى أكان فيمن صعق فأفاق قبلى أم كان ممن استثنى الله ، و فى رواية : فلا أدرى أكان ممن[3] صعق فأفاق قبلى أو اكتفى ١٥ بصعقة الطور ، و فى رواية للبخارى فى أحاديث / الأنبياء : فلا أدرى ٥١٥/ أكان فيمن صعق فأفاق أو كان ممن استثنى الله - و لم يذكر « قبلى » ، و روى الحديث الترمذى فى تفسير سورة الزمر[4] و ابن ماجه فى الزهد[5] :

(١) فى م و مد : كذا (٢) سقط من م (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيمن (٤) راجع ٢ / ١٥٦ (٥) راجع ٢ / ٣٢٦ .

قال : قال اليهودى ، و قال ابن ماجه : رجل من اليهود بسوق المدينة : و الذى اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الأنصار يدا فصك بها وجهه - و قال ابن ماجه : فلطمه - قال : تقول هذا و فينا نبى الله صلى الله عليه و سلم ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و نفخ فى الصور - و قال ابن ماجه : تقول هذا و فينا رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : قال الله تعالى : و نفخ فى الصور - فصعق من فى السموات و من فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون ، فأكون أول من رفع رأسه فاذا موسى آخذ - و قال ابن ماجه : فاذا أنا بموسى آخذ - بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدرى أرفعَ رأسه قبلى أم كان ممن استثنى الله ، و من قال : أنا خير من يونس بن متى فقد كذب ، و قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح . و فى رواية للبخارى فى الرقاق : يصعق الناس حين يصعقون . فأكون أول من قام . فاذا موسى آخذ بالعرش ، فما أدرى أكان فيمن صعق . قال : و رواه أبو سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم ، و للبخارى فى الخصومات عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : بينا رسول الله صلى الله عليه و سلم جالس جاء يهودى فقال : يا أبا القاسم ! ضرب وجهى رجل من أصحابك ، قال : من ؟ قال : رجل من الأنصار ، قال : ادعوه ، قال : ضربته ؟ قال : سمعته بالسوق يحلف « و الذى اصطفى موسى على البشر » قلت : أى

خبيث[1] على محمد، فأخذتني غضبة ضربت وجهه، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: لا تخيروا بين الأنبياء، فان الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق [عنه -[2]] الأرض - و في رواية في أحاديث الأنبياء: فأكون أول من يفيق - فاذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن[3] صعق ام حوسب بصعقته الأولى، و في رواية في أحاديث الأنبياء: فلا أدري أفاق قبلي أم حوسب بصعقة الطور، [4]و الله أعلم[4] - هذا ما رأيته من ألفاظ الحديث في الكتب الستة، و أما معنى صعق فانه صاح و مات لجاءة أو غشي عليه. قال في القاموس[5]: الصاعقة الموت و كل عذاب مهلك و صيحة العذاب، [و صعق -[2]] كسمع صعقا و يحرك[6] و صعقة و تصعاقا[7]: غشي عليه. و الصعق محركة: شدة الصوت، و ككتف: الشديد الصوت. و قال عبد الحق في الواعي: الأزهري: الصاعقة صوت الرعد الشديد الذي يصعق منه الإنسان، أي يغشى عليه يقال: صعقتهم الصاعقة - يعني بالفتح - و أصعقتهم - إذا أصابتهم[8] فصعقوا و صعقوا، و منه حديث الحسن: ينتظر بالمصعوق ثلاثا ما لم يخافوا عليه نتنا - يعني الذي مات لجاءة. قال: و الصاعقة مصدر جاء على فاعلة، تقول: سمعت صاعقة الرعد و ثاغية[9] الشاء. و قوله

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: حبيب (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) في م: ممن (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) ٢ / ٢٤٩.
(٦) من مد و القاموس، و في الأصل و ظ و م: تحرك (٧) من ظ و م و مد و القاموس، و في الأصل: تصيعاقا (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: اجابتهم (٩) من م و مد، و في الأصل و ظ: باغية.

"وخر موسى صعقا" أى مغشيا عليه، دل على ذلك قوله سبحانه "فلما افاق" إنما يقال: أفاق من العلة و الغشية و بعث من الموت. قال: و جملة الصاعقة الصوت / مع النار، و قال أبو عبد الله - [يعنى -[1]] القزاز -: الصعق هو أن يسمع الإنسان صوت الهدة الشديدة فيصعق لذلك عقله، و اشتقاق الصاعقة من هذا، سميت صاعقة لشدة صوتها و تقول: إنه لصعق، أى شديد الصوت، و كذا هو صعاق - انتهى. فتحرر من هذا أن الصعق يطلق على الموت فجاءة، و على الغشى كذلك، و أن الإفاقة لا تكون إلا عن[2] غشى لا عن موت، فعلم أن الصعقة فى هذه الآية إنما هى غشى. لأن الثانية عنها إفاقة، و أيضا فمن الأمر المحقق أنه لايموت أحد من أهل البرزخ فكيف بالأنبياء عليهم السلام، فالصواب حمل الصعقة المذكورة فى الحديث على الغشى أو ما يشبهه، و يؤيده التجويز لأن تكون صعقة الطور جزاء عنها، و على تقدير أن تكون غشيا إن قلنا أنه يكون بنفخة الإماتة يلزم عليه أن لا يكون للغشى و لا لعدمه مدخل فى الشك فى أن موسى عليه السلام أفاق قبل أو لم يحصل له غشى أصلا. لأن الذى يكون به بطشه بالعرش - و هو بروحه و جسده - إنما هو البعث من الموت لا الإفاقة من الغشى و لا عدم الغشى قبل البعث. فالذى يوضح الأمر و لا يدع فيه لبسا أن يكون ذلك بعد البعث. و تكون حينئذ النفخات أربعا: الأولى لإماتة الأحياء، الثانية لإحياء جميع الموتى، و هاتان هما المذكورتان فى سورة يس،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد. و فى الأصل و ظ: من.

و لذلك لما ذكرهما صرح فى أمرهما بما لا يحتمل غيره " ما ينظرون الاصيحة واحدة تاخذهم و هم يخصمون فلا يستطيعون توصية و لا الى اهلهم يرجعون و نفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون" الثالثة لابتدائهم بعد البعث بالهول الشديد، و الحال يقتضيه لأن ذلك اليوم يوم الأهوال و الأرعاب و الأرهاب، و إظهار العظمة و الجلال ٥ لتقطيع الأسباب، و الذى يدل عليه فى هذا الحديث قوله صلى الله عليه و سلم فى كثير من رواياته «فان الناس يصعقون يوم القيامة» فان يوم القيامة اسم للوقت الذى أوله البعث و آخره تكامل دخول [كل - ١] فريق إلى داره و محل استقراره، و أما صعقة الموت فانها فى دار الدنيا و هى الانامة لا للاقامة[٢]، و يضعف حمله على ما قبل البعث الروايات ١٠ الصحيحة الجازمة بأن[٣] النبى صلى الله عليه و سلم أول من تنشق عنه الأرض، و ما حكاه الكرمانى من الإجماع على ذلك و لا فخر فيه إلا بحصول البعث [لا - ٤] باظهار الجسد من غير بعث، فهذا الجزم ينافى ذلك الشك، فاذا كان المراد بما فى الحديث الغشى كانت نفخة أخرى للايقاظ منه، و هاتان المرادتان بما فى هذه السورة كما فى رواية الترمذى ١٥ و ما فى النمل، و لذلك عبر عنها بالفزع، و يؤيد ذلك التعبير فى رواية البخارى فى التفسير بالنفخة الآخرة[٥]، و النبى صلى الله عليه و سلم قد أوتى

(١) زيد من م و مد (٢) فى م: للافاقة (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لأن (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الأخرى.

جوامع الكلم، و اختصر له الكلام اختصارا، و لو انهما نفختان فقط كان التعبير بالآخرة قاصرا عما تفيده الثانية مع المساواة فى عدة الحروف، و هو مما لا يظن ببليغ، فكيف بأبلغ الخلق المؤيد بروح القدس صلى الله عليه و سلم، فكان العدول عن الثانية إلى الآخرة مفيدا أنها أربع، و لعل ذلك معنى "امتنا اثنتين و احيتنا اثنتين" و سميت إماتة لشدة الغشى بها لعظم أمرها و معنى زلزلة الساعة / التى تسكر، ٥١٧ / و يؤيده التعبير عن القيام منها بالإفاقة[1] لا بالبعث، و لا يعكر على هذا شىء إلا رواية البخارى فى الخصومات: فأكون أول من تنشق عنه الأرض فاذا أنا بموسى - إلى آخره، فالظاهر أن راويها وهم، أو روى بالمعنى فما وفى بالغرض، و الراجح روايات من قالوا: فأكون أول من يفيق - بالكثرة و بزوال الإشكال، هذا ما كان ظهر لى فى النظر فى المعنى و تطبيق الآيات و الأحاديث عليه، ثم رأيت شيخنا حافظ عصره أحمد بن على بن حجر الكنانى العسقلانى المصرى رحمه الله نقل ما جمعت به بين الروايات فى كتاب الأنبياء من شرحه[2] للبخارى عن القاضى عياض فقال: و قال عياض: يحتمل أن يكون المراد صعقة فزع بعد البعث حين تنشق السماء و الأرض. و أقره على ذلك ثم نقل عن ابن حزم عين[3] ما قلته فى النفخات فقال ما نصه[4]: تكميل: زعم ابن حزم أن النفخات يوم القيامة أربع: الأولى نفخة إماتة[5] يموت فيها من بقى فى الأرض،

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالامامة (٢) راجع فتح البارى ١٣/٢٥٨ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عنى (٤) راجع فتح البارى ١٣/٢٥٩ (٥) من الفتح، و فى الأصول: الإماتة.

حيا، ثانيها نفخة إحياء فيقوم كل ميت، و الثالثة نفخة فزع و صعق [1]يفيقون منها[1] كالمغشى عليهم، لايموت منها أحد، و الرابعة إفاقة من [ذلك -[2]] الغشي، ثم رده شيخنا بأن الصعقات أربع، و لا يستلزم كون النفخات أكثر من اثنتين، و ذلك أنه ينفخ فى الصور النفخة الأولى فيموت من كان حيا و يغشى على من كان ميتا، [3]فهاتان صعقتان[3] فى النفخة الأولى، و ينفخ النفخة الثانية فيفيق من كان مغشيا عليه و يحيي من كان ميتا، فهاتان اثنتان فى النفخة الثانية، و هذا الرد مردود لمن حقق ما قلته بأدنى تامل، و يلزم عليه أن يكون أصفياء الله أشد حالا و فزعا ممن تقوم عليهم الساعة و هم شر عباد الله، و العجب أن الذى رده على ابن حزم سلّمه لعياض - والله الموفق.

و لما ذكر إقامتهم بالحياة التى هى نور البدن، أتبعه إقامتهم بنور جميع الكون ظاهرا بالضياء الحسى، و باطنا بالحكم على طريق العدل الذى هو نور الوجود الظاهرى و الباطنى على الحقيقة كما أن الظلم ظلامة كذلك فقال: ﴿ و اشرقت ﴾ [4]أى أضاءت إضاءة عظيمة مالت بها إلى الحمرة[4] ﴿ الارض ﴾ أى التى أوجدت لحشرهم. [4]و عدل الكلام عن الاسم الأعظم إلى صفة الإحسان لغلبة الرحمة لاسيما فى ذلك اليوم فانه لايدخل أحد الجنة إلا بها فقال[4]: ﴿بنور ربها﴾ أى الذى رباها بالإحسان إليها بجعلها محلا للعدل و الفضل، لا يكون فيها شيء غير ذلك أصلا،

(١-١) من الفتح، و فى الأصول: يبقون فيها (٢) زيد من الفتح.
(٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فهدان الصعقتان (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م.

و ذلك النور الذى هو شيء واحد يبصر به قوم دون آخرين كما كانت النفخة تارة للهلاك و تارة للحياة .

و لما كان [1]العلم هو النور فى الحقيقة ، و كان الكتاب أساس العلم و[1] كان لذلك اليوم من العظمة ما يفوت الوصف و لذلك[2] كذب به الكفار أتى فيما[3] يكون فيه باذنه بصيغة المجهول [1]على طريقة كلام القادرين[4] إشارة إلى هوانه و أنه طوع أمره لا كلفة عليه[4] فى شيء من ذلك ، و كذا ما[5] بعده من الأفعال زيادة فى تصوير عظمة اليوم بعظمة الأمر فيه فقال : ﴿ و وضع الكتب ﴾ أى الذى أنزل إلى كل أمة لتعمل به .

[1]و لما كان الأنبياء أعم من المرسلين ، و كان للنبي و هو المبعوث ليعمل من أمره أن يأمر بالمعروف ، و قد يتبعه من أراد الله به الخير ، و كان عدتهم مائة ألف و أربعة و عشرين ألفا ، و هي قليلة جدا / بالنسبة إلى جميع الناس ، عبر بهم دون المرسلين و بجمع القلة فقال[1] : ﴿ و جآئ بالنبيين ﴾ للشهادة على أممهم بالبلاغ . [1]و لما كان أقل ما يكون الشهود ضعف المكلفين ، عبر بجمع الكثرة فقال[1] : ﴿ و الشهدآء ﴾ أى الذين وكلوا بالمكلفين فشاهدوا أعمالهم فشهدوا بها و ضبطوها فأصلت الأصول و صورت الدعاوى و أقيمت البينات على حسبها من

/ ٥١٨

(١ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كذلك (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٤) فى م : عنه (٥) فى م و مد : عما .

طاعة أو معصية، و وقع الجزاء على حسب ذلك، فظهر العدل [1]رحمة للكفار[1]، و بان الفضل [1]رحمة للمسلمين[1] ﴿ و قضى بينهم ﴾ أى بين العباد الذين فعل ذلك كله لأجلهم. [1]و لما كان السياق ظاهرا فى عموم الفضل عدلا و فضلا كما يأتى التنبيه عليه قال[1]: ﴿ بالحق ﴾ بأن يطابق الواقع من المثوبات و العقوبات ما وقع الخبر به فى الكتب على ألسنة الرسل.

و لما كان المراد كمال الحق باعتبار عمومه لجميع الأشخاص و الأعمال [2]كان ربما طرقه احتمال تخصيص ما، أزال ذلك بقوله: ﴿ و هم ﴾ [1]أى باطنا و ظاهرا[1] ﴿ لا يظلمون ﴾ أى لا يتجدد لهم ظلم فى وقت أصلا، فلا يزادون فى جزاء السيئة على المثل شيئا و لا ينقصون فى جزاء الحسنة عن العشر شيئا.

و لما كان ذلك ربما كان بالنسبة إلى ما وقع فيه الحكم، و ليس نصا فى شمول الحكم لكل عمل، نص عليه بقوله، [[3]ذاكرا الوفاء و العمل لاقتضاء السياق ذلك بذكر الكتاب و ما فى حيزه من النبيين و الشهداء و القضاء الحق، و ذلك كله أليق بذكر العمل المؤسس على العلم، و الوفاء الذى هو الركن الأعظم فى الحق و مساق العلم، و العلم و الوفاء أوفق لجعل العمل نفسه هو الجزاء بأن يصور بما يستحقه من الصور المليحة إن كان ثوابا، و القبيحة إن كان عقابا، و الفرق بينه و بين العقل المؤسس

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد فى ظ: لما (٣) زيد ما بين الحاجزين من مد.

على الشهوة و قوة الداعية] : ﴿ و وفيت كل نفس ﴾ و لما كانت التوفية فى الجزاء على غاية التحرير و المبالغة فى الوفاء و المشاكلة فى الصورة و المعنى ، جعل الموفى نفس العمل فقال : ﴿ ما عملت ﴾ أى من الحسنات ، و لذلك عبر بالعمل الذى لا يكون إلا مع العلم [و أفهم الختام تقدير « و الله أعلم بما يعملون » - ١] .

و لما كان المراد بالشهداء إقامة الحقوق على ما يتعارفه العباد و كان ذلك ربما أوهم نقصا فى العلم قال : ﴿ و هو اعلم ﴾ اى من العاملين و الشهداء عليهم ﴿ بما يفعلون ع ﴾ أى بما عمل [به - ١] بداعية من النفس سواء كان مع مراعاة العلم أو لا . [فالآية من الاحتباك : ذكر ما عملت أولا يدل على ما فعلت ثانيا ، و ذكر ما يفعلون ثانيا يدل عليه ما يفعلون أولا ، و سره أن ما ذكر أوفق للمراد من نفى الظلم على حكم الوعد بالعدل و الفضل لأن فيه الجزاء على كل ما بنى على علم ، و أما المشتهى فما ذكر أنه يجازى عليه بل الله يعلمه - ١] .

و لما كان الأغلب على هذه المقامات التحذير ، قدم فى هذه التوفية حال اهل الغضب فقال : ﴿ و سيق ﴾ [أى - ٢] بأمر يسير من قبلنا بعد إقامة الحساب سوقا عنيفا ﴿ الذين كفروآ ﴾ أى غطوا أنوار عقولهم ، فالتبست عليهم الأمور فضلوا ﴿ الى جهنم ﴾ أى الدركة التى تلقاهم بالعبوسة كما تلقوا الأوامر و النواهى و القائمين بها بمثل ذلك ، فان ذلك لازم لتغطية العقل ﴿ زمرا ﴾ أى جماعات فى تفرقة

(١) زيد ما بين الحاجزين من مد (٢) زيد من ظ و م و مد .

بعضهم على[1] إثر بعض[2] - قاله أبو عبيد - أصنافا مصنفين، كل شخص مع من[3] يلائمه فى الطريقة و الزمرة، مأخوذة من الزمر و هو صوت فيه التباس كالزمر المعروف لأن ذلك الصوت من لازم الجمع .

و لما كان إغلاق الباب المقصود عن قاصده[4] دالا على صغاره، دل على أن أمرهم كذلك بقوله ذاكرا غاية السوق : ﴿حتى[5] اذا جآءوها﴾ ٥ أى على صفة الذل و الصغار، [6]و أجاب « إذا » بقوله[6] : ﴿فتحت ابوابها﴾ أى بولغ كما يفعل فى أبواب السجن لأهل الجرائم بعد تكاملهم عندها فى الإسراع فى فتحها ليخرج إليهم ما كان محبوسا باغلاقها من الحرارة التى يلقاهم ذكاؤها و شرارها على حالة هى أمر من لقاء السهام التى اختاروها فى الدنيا على تقبل ما خالف أهويتهم من حسن الكلام . ١٠

و لما كان المصاب ربما رجا الرحمة، فاذا وجد من يبكته كان تبكيته أشد عليه مما هو فيه قال : ﴿ و قال لهم خزنتها ﴾ إنكارا عليهم و تقريعا و توبيخا : ﴿ الم ياتكم رسل ﴾ و لما كان قيام الحجة بالمجانس أقوى قال [6]واصفا لرسل[6] : ﴿ منكم ﴾ أى لتسهل عليكم مراجعتهم . و لما كانت / المتابعة بالتذكير أوقع فى النفس قال [6]آتيا بصفة أخرى ١٥ / ٥١٩ معبرا بالتلاوة التى هى أنسب لما يدور عليه مقصد السورة من العبادة لما للنفوس من النقائص الفقيرة إلى متابعة التذكير[6] : ﴿ يتلون ﴾ أى يوالون ﴿ عليكم ايت ﴾ و لما كان أمر المحسن أخف على النفس

(١) سقط من م (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بعضهم (٣) فى م : ما .
(٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : قاصد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م.

[1]فيكون أدعى إلى القبول[1] قالوا : ﴿ ربكم ﴾ أى بالبشارة إن تابعتم . و لما كان الإنذار أبلغ فى الزجر قالوا : ﴿ و ينذرونكم لقآء يومكم ﴾ و لما كانت الإشارة أعلى فى التشخيص قالوا : ﴿ هذا ﴾ إشارة إلى يوم البعث كله ، أى من الملك الجبار إن نازعتم ، فالآية من الاحتباك : ذكر الرب أولا دلالة على حذف الجبروت ثانيا و الإنذار ثانيا دليلا على البشارة أولا ﴿ قالوا بلى ﴾ أى قد أتونا و تلوا علينا و حذرونا .

و لما كان عدم إقبالهم[2] على الخلاص مما وقعوا فيه مع كونه يسيرا من أعجب العجب ، بينوا موجبه بقولهم : ﴿ و لكن حقت ﴾ أى وجبت وجوبا يطابقه الواقع ، لايقدر معه على الانفكاك عنه ﴿ كلمة العذاب ﴾ أى التى سبقت فى الأزل علينا - هكذا كان الأصل ، و لكنهم قالوا : ﴿ على الكفرين ﴾ تخصيصا بأهل هذا الوصف و بيانا لأنه موجب دخولهم و هو تغطيتهم للأنوار التى أتتهم بها الرسل .

و لما فرغوا من إهانتهم بتبكيتهم ، أنكوهم بالأمر بالدخول ، و عبر بالمبنى للمفعول إشارة إلى أنهم وصلوا إلى أقصى ما يكون من الذل بحيث أنهم يمتثلون قول كل قائل جل أو قل ، فقيل فى جواب من كأنه قال : ماذا وقع بعد هذا التقريع ؟ : ﴿ قيل ﴾ أى لهم جوابا لكلامهم : ﴿ ادخلوآ ابواب جهنم ﴾ اى طبقاتها المتجهمة لداخليها . و لما كان الإخبار بالخلود حين الدخول أوجع لهم قالوا : ﴿ خلدين ﴾ [3]أى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاقبال (٣) العبارة من هنا إلى « الخلود » ساقطة من م .

مقدرين

مقدرين[1] الخلود ﴿ فيها ﴾ و لما كان سبب كفرهم بالأدلة هو التكبر، سبب عن الأمر بالدخول قوله [2]معرى عن التأكيد لأنه يقال فى الآخرة و لاتكذيب فيها يقتضى التأكيد و لم يتقدم منهم هنا كذب كالنحل [3]بل اعتراف[3] و تندم ﴿فبئس مثوى﴾ أى منزل و مقام ﴿المتكبرين ٥﴾ أى الذين أوجب تكبرهم حقوق كلمة العذاب عليهم، فلذلك تعاطوا أسبابها .

و لما ذكر أحوال الكافرين، أتبعه أحوال أضدادهم فقال : ﴿و سيق﴾ و سوقهم إلى المكان الطيب يدل على أن موقفهم كان طيبا لأن من كان فى أدنى نكد فهيئ له مكان هنيء لايحتاج فى الذهاب إليه إلى سوق، فشتان ما بين السوقين ! هذا سوق إكرام، و ذاك سوق إهانة و انتقام، و هذا لعمرى من بدائع أنواع البديع، و هو أن يأتى سبحانه بكلمة فى حق الكفار فتدل على هوانهم بعقابهم، و يأتى بتلك الكلمة بعينها و على هيئتها فى حق الأبرار فتدل على إكرامهم بحسن ثوابهم، فسبحان من أنزله معجز المبانى، متمكن المعانى، عذب الموارد و المثانى .

و لما كان هذا ليس لجميع السعداء بل للخاص منهم، دل على ذلك بقوله : ﴿ الذين اتقوا ﴾ أى لا جميع المؤمنين ﴿ربهم﴾ أى الذين كلما زادهم إحسانا زادوا له هيبة، روى أحمد و أبو يعلى[4] و ابن حبان فى صحيحه

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : مقدورين (٢) العبارة من هنا إلى «و تندم» ساقطة من م (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠ / ٣٣٧ من رواية أحمد و أبى يعلى .

عن أبي سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: يوما كان مقداره خمسين ألف سنة ، فقيل: ما أطول هذا اليوم ؟ قال[1] النبي صلى الله عليه و سلم: و الذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة . و روى الطبرانى[2] و ابن حبان فى صحيحه[3] عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: تجتمعون[4] يوم القيامة ـ فذكر الحديث حتى قال: قالوا: فأين المؤمنون يومئذ ؟ قال: توضع لهم كراسى[5] من نور و يظلل عليهم الغمام[6] يكون ذلك اليوم أقصر على المؤمنين من ساعة من نهار . [7]و يمكن أن يكون السوق إشارة إلى قسر المقادير للفريقين على الأفعال التى هى أسباب الدارين[7] ﴿ الى الجنة زمرا[1] ﴾ أهل الصلاة المنقطعين إليها المستكثرين منها على حدة ، و أهل الصوم كذلك ـ إلى غير ذلك من الأعمال التى تظهر آثارها على الوجوه .

و لما ذكر السوق ، ذكر غايته بقوله: ﴿ حتى[2] اذا جآءوها ﴾ و لما كان إغلاق الباب عن الآتى يدل على تهاون به ، و فى وقوفه إلى أن يفتح له نوع هوان قال: ﴿ و فتحت ﴾ أى و الحال أنها قد فتحت ﴿ ابوابها ﴾ اى إكراما [لهم ـ[8]] قبل وصولهم إليها بنفس الفتح و بما يخرج إليهم

(١) تكرر فى الأصل و ظ فقط (١) أورده الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/٣٣٧ من رواية الطبرانى (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صحيحهما . (٤) من م و مد و المجمع ، و فى الأصل و ظ : نجمعون (٥) فى المجمع : منابر . (٦) زيد فى الأصل : حتى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و المجمع فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) زيد من م و مد .

من رائحتها، و يرون من زهرتها و بهجتها، ليكون ذلك لهم سائقا ثانيا إلى ما لم تروا مثله و لا رأوا عنه ثانيا.

و لما ذكر إكرامهم بأحوال الدار، ذكر إكرامهم بالخزنة الأبرار، فقال عطفا على جواب "إذا" بما تقديره[1]: تلقتهم خزنتها بكل ما يسرهم: ﴿و قال لهم خزنتها﴾ أى حين الوصول: ﴿سلم عليكم﴾ تعجيلا للسرة لهم بالبشارة بالسلامة التى لاعطب فيها. و لما كانت دارا لاتصلح إلا للطهرين قالوا: ﴿طبتم﴾ أى صلحتم لسكناها، فلا تحول لكم عنها أصلا. ثم سببوا عن ذلك تنبيها على أنها دار الطيب، فلا يدخلها إلا مناسب لها، قولهم: ﴿فادخلوها﴾ فأنتج ذلك ﴿خلدين﴾ و لعل فائدة الحذف لجواب "إذا" أن تذهب النفس فيه من الإكرام كل مذهب و تعلم أنه لايحيط به الوصف، [2]و من أنسب الأشياء أن يكون دخولهم من غير مانع من إغلاق باب أو منع بواب، بل مأذونا لهم مرحبا بهم إلى ملك الأبد[2].

و لما كان التقدير: فدخلوها[3]، عطف عليه قوله: ﴿و قالوا﴾ أى جميع الداخلين: ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال، [2]و عدلوا إلى الاسم الأعظم حثا لأنفسهم على استحضار جميع ما تمكنهم معرفته من الصفات فقالوا[2]: ﴿لله﴾ اى الملك الأعظم ﴿الذى صدقنا وعده﴾ فى قوله "تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا" فطابق قوله الواقع

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تقديرا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فدخلوه.

الذى وجدناه[1] فى هذه الساعة ﴿ و اورثنا ﴾ كما وعدنا ﴿ الارض ﴾ التى لا أرض فى الحقيقة غيرها و هى أرض الجنة التى لا كدر فيها بوجه و فيها [كل ٢] ما تشتهى الانفس و تلذ الأعين ، بأن جعل حالنا فيها فى تمام الملك و عدم التسبب فى الحقيقة فيه حال الوارث الذى هو بعد مورثه و لاشىء بعده و لامنازع له [3]حال كوننا[3] ﴿ نتبوا ﴾ أى نتخذ منازل هى أهل لمن خرج منها أن يشتهى العود إليها ، [3]و يبوأ الأرض بقولهم فى موضع الضمير[3]: ﴿ من الجنة ﴾ أى كلها ﴿ حيث نشآء ج ﴾ لاتساعها فلا حاجة لأحد فيها أن ينازع أحدا فى مكان أصلا ، و لايشتهى إلا مكانه . و لما كانت بهذا الوصف الجليل ، تسبب عنه مدحها بقوله : ﴿فنعم﴾ [2]أجرنا - هكذا كان الأصل ، و لكنه قال[2] : ﴿ اجرالعملين ٥ ﴾ ترغيبا فى الأعمال و حثا على عدم الاتكال .

و لما ذكر سبحانه الذين ركب فيهم الشهوات ، و ما وصلوا إليه من المقامات ، أتبعهم اهل الكرامات الذين[4] لاشاغل لهم عن العبادات ، فقال صارفا الخطاب لعلو الخبر إلى اعلى الخلق لأنه لايقوم بحق هذه الرؤية غيره : ﴿ و ترى ﴾ [2]معبرا بأخص من الإبصار الأخص من النظر كما بين فى البقرة فى قوله تعالى "و ان القوة لله جميعا" ﴿ الملئكة ﴾ القائمين بجميع ما عليهم من الحقوق[2] ﴿حآفين﴾ أى محدقين و مستديرين و طائفين فى جموع لايحصيها إلا الله . من الحف و هو الجمع . و الحفة

(١) من م و مد . و فى الأصل و ظ : وجدنا (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) فى م : للذين .

[1]و هو جماعة الناس، و الأعداد الكثيرة، و هو جمع حاف، / و هو الواحد من الجماعة المحدقة[1] . ١٢١ /

و لما كان عظم الشيء من عظم صاحبه، و كان لا يحيط بعظمة العرش حق الإحاطة إلا الله تعالى، أشار إلى ذلك بادخال الجار فقال: ﴿من حول العرش﴾ [1]أى الموضع الذى يدار فيه به و يحاط به منه، من الحول و هو الإحاطة و الانعطاف و الإدارة[1]. محدقين ببعض أخفته أى جوانبه التى يمكن الحفوف بها بالقرب منها يسمع لحفوفهم صوت بالتسبيح و التحميد و التقديس و الاهتزاز خوفا من ربهم، فادخال "من" يفهم أنهم مع كثرتهم إلى حد لا يحصيه إلا الله، لا يملأون ما حوله، [1]حال كونهم[1] ﴿يسبحون بحمد﴾ [1]و صرف القول إلى وصف الإحسان مدحا لهم بالتشمير لشكر المنعم و تدريبا لغيرهم فقال[1]: ﴿ربهم ج﴾ أى يبالغون فى التنزيه عن النقص [2]بأن يتوهم متوهم[2] أنه محتاج إلى عرش أو غيره، و أن يحويه مكان. [1]متلبسين[1] باثبات الكمال للحسن إليهم بالزامهم بالعبادة من غير شاغل يشغلهم، و لا منازع من شهوة أو حظ يغفلهم، تلذذا بذكره و تشرفا بتقديسه، و لأن حقه إظهار تعظيمه على الدوام كما انه متصل الإنعام.

و لما تقدم ذكر الحكم بين أهل الشهوات بما برز عليهم من الشهادات،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) العبارة من هنا إلى «يحويه مكان» ساقطة من م (٣) زيد فى الأصل: إلى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) فى م و مد: ملتبسين.

ذكر هنا الحكم بينهم و بين الملائكة الذين[1] فارضوا فى أصل خلقهم بقولهم "اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء" الآية فقال : ﴿وقضى بينهم﴾ أى بين أهل الشهوات و أهل العصمة و الثبات . [2]و لما كان السياق عاما فى الترغيب و الترهيب عدلا و فضلا ، بخلاف سياق سورة يونس عليه السلام ، قال[2] : ﴿ بالحق ﴾ بأن طوبق بما أنزلنا فيهم فى الكتب التى وضعناها لحسابهم الواقع ، فمن طغى منهم أسكناه لظى بعدلنا ، و من اتقى نعمناه فى جنة المأوى بفضلنا ، لجهادهم ما فيهم من الشهوات حتى ثبتوا على الطاعات ، مع ما ينزعهم من الطبائع إلى الجهالات ، و أما الملائكة فأبقيناهم على حالهم فى العبادات : ﴿ و قيل ﴾ [أى من -[3]] كل قائل : آخر الأمور كلها ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بجميع[4] أوصاف الكمال[5] ، [6]و عدل بالقول إلى ما هو حق بهذا المقام فقال[6] : ﴿ لله ﴾ ذى الجلال و الإكرام ، علمنا ذلك فى هذا اليوم عين[7] اليقين كما كنا فى الدنيا نعلمه علم اليقين .

و لما كان ذلك اليوم أحق الأيام بمعرفة شمول الربوبية لاجتماع الخلائق و انفتاح البصائر و سعة الضمائر[8] ، [6]قال واصفا له سبحانه بأقرب الصفات إلى الاسم الأعظم[6] : ﴿ رب العلمين ع ﴾ أى الذى ابتدأهم ،

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذى (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لجميع (٥) زيد فى الأصل : لله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هسه (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الضمير .

أولا من العدم و اقامهم ثانيا بما رباهم به من التدبير، و أعادهم ثالثا بعد إفنائهم بأكمل قضاء و تقدير، و أبقاهم رابعا لا إلى خير، فقد حقق وعده كما أنزل فى كتابه و صدق و عيده لأعدائه كما قال فى كتابه، فتحقق أنه تنزيله، فقد ختم الأمر باثبات الكمال باسم الحمد عند دخول الجنان و النيران كما ابتدأ به عند ابتداء الخلق فى أول الإنعام، فله الإحاطة ٥ بالكمال فى أن الأمر كما قال كتابه على كل حال، فقد انطبق آخرها على أولها بأن الكتاب تنزيله لمطابقة كل ما فيه للواقع عند ما يأتى تأويله، و بأن الكتاب الحامل على التقوى المسببة للجنة أنزل للابقاء الأول، فمن أتبعه كان [له -[1]] سببا للابقاء الثانى، و هذا الآخر هو عين [2]أول سورة[2] غافر فسبحان من أنزله معجزا[3] نظامه، فائتا[4] القوى أول كل شىء منه ١٠ و ختامه، [5]و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و أهل بيته الطيبين الطاهرين و صحابته أجمعين[5].

---

(١) زيد من م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الأول سورة.
(٣) زيد فى الأصل: محور اوله و ختامه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فاتنا (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.

٥ ٥ ٥ ٥ ٥

خاتمة الطبع

لقد تم ـ و الحمد لله ـ طبع الجزء السادس عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة سلخ ذي القعدة سنة ١٤٠٠ هـ = العاشر من آكتوبر سنة ١٩٨٠ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضي المحكمة العليا سابقا ـ بارك الله جهوده. و ضاعف له أجوره.

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخي الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء ـ جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندي القادري (كامل الجامعة النظامية) ـ حفظهما الله.

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة ـ كان الله له و لوالديه.

و يليه الجزء السابع عشر باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة غافر.

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا بـه و يوفقنا لما يحبه و يرضاه. و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و اخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة غافر و تسمى سورة[1] المؤمن و الطول[2]

مقصودها الاستدلال على آخر التى قبلها من تصنيف الناس فى الآخرة إلى صنفين، و توفية كل ما يستحقه على سبيل العدل، بأن[3] فاعل ذلك له العزة الكاملة و العلم الشامل، و قد بين ما يغضبه و ما يرضيه غاية البيان على وجه الحكمة، فمن لم يسلم أمره كله إليه و جادل فى آياته الدالة على القيامة أو غيرها بقوله أو فعله فانه يخزيه فيعذبه و يرديه، و[4] على ذلك دلت تسميتها بغافر، فانه لايقدر على غفران ما يشاء لمن يشاء إلا كامل العزة، و لا يعلم جميع الذنوب ليسمى غافرا لها إلا بالغ العلم،

---

(١) سقط من م و مد (٢) الأربعون من سور القرآن الكريم، مكية، و آيها خمس و ثمانون فى الكوفى والشامى، و أربع فى الحجازى، واثنتان فى البصرى، و قيل: ست و ثمانون، و قيل: ثمان وثمانون ـ راجع روح المعانى ٧/٤٣١ و زيد فى مد: بسم الله الرحمن الرحيم، رب زدنى علما وفتحا فى كتابك و فهما يا كريم، قال أضعف الخلق و أحوجهم إلى عفو الحق إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن على بن أبى بكر البقاعى الشافعى مكملا لكتابه «نظم الدرر من تناسب الآيات و السور» (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فان (٤) زيد فى الأصل و ظ: كله، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

و كذا فى جميع الأوصاف التى فى الآية من المثاب و العقاب. و كذا الطول فانه لايقدر على التطول[1] المطلق إلا من كان كذلك، فان من كان ناقص العزة فهو قابل لأن يمنعه من بعض التطولات مانع، و لن يكون ذلك إلا بنقصان العلم، و كذا الدلالة بتسميتها بالمؤمن فان قصته ٥ تدل على هذا المقصد و لا سيما أمر القيامة الذى هو جل المقصود و المدار الأعظم لمعرفة المعبود ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الذى يعطى كلا من عباده ما يستحقه، فلا يقدر أحد أن يناقض فى شىء من ذلك و لايعارض ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمهم برحمته فى الدنيا بالخلق و الرزق و البيان الذى لا خفاء معه ﴿الرحيم ۝﴾ الذى يخص برحمته من ١٠ يشاء من عباده فيجعله حكيما، و فى تلك الأرض و ملكوت السماء عظيما ﴿ حمٓ ۝ ﴾ أى هذه حكمة محمد صلى الله عليه و سلم التى خصه بها الرحمن الرحيم الحميد المجيد مما له من صفة الكمال.

لما[2] كان ختام التى قبلها إثبات الكمال لله بصدقه فى وعده ووعيده بانزال كل فريق فى داره التى أعدها له، ثبت أن الكتاب ١٥ الذى فيه ذلك منه، و أنه تام العزة كامل العلم جامع لجميع صفات الكمال فقال: ﴿ تنزيل الكتب ﴾ أى الجامع من الحدود و الأحكام و المعارف و الاكرام لكل ما يحتاج إليه بانزاله بالتدريج على حسب المصالح و التقريب للأفهام الجامدة القاصرة، و التدريب للألباب السائرة

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الطول (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: و لما.

فى جو المعانى و الطائرة ﴿ من الله ﴾ أى الجامع لجميع صفات الكمال .
و لما كان النظر هنا من بين جميع الصفات إلى العزة و العلم أكثر،
لأجل أن المقام لإثبات الصدق وعدا و وعيدا قال: ﴿العزيز العليم ۝﴾ .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما افتتح سبحانه سورة الزمر
بالإخلاص و ذكر سببه و الحامل باذن الله عليه و هو الكتاب، و أعقب ٥
ذلك بالتعريض بذكر من بنيت على وصفهم سورة صٓ و تتابعت الآى
فى ذلك الغرض إلى توبيخهم بما ضربه سبحانه من المثل الموضح فى قوله
"ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشكسون و رجلا سلما لرجل"
ووصف الشركاء بالمشاكسة إذ بذلك الغرض يتضح عدم استمرار مراد
لأحدهم، و ذكر قبح اعتذار لهم بقولهم «ما نعبدهم[1] الا ليقربونا الى الله زلفى»، ١٠
ثم أعقب تعالى بالإعلام بقهره و عزته حتى لايتخيل مخذول شذوذ
أمر عن يده و قهره، فقال الله تعالى "اليس الله بكاف عبده - إلى
قوله: اليس الله بعزيز ذى انتقام" ثم أتبع ذلك بحال أندادهم من[2] أنها
لاتضر و لا تنفع فقال / "قل افرءيتم ما تدعون من دون الله ان ارادنى / ٥٢٣
الله بضر هل هن كشفت ضره او ارادنى برحمة هل هن ممسكت رحمته" ١٥
ثم أتبع هذا بما يناسبه من شواهد عزته فقال "قل لله الشفاعة جميعا" "قل
اللهم[3] فاطر السموت و الارض [4]عٰلم الغيب و الشهادة[4]" "او لم يعلموا

(١) من ظ و م و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل: مانعبد (٢) من مد،
و فى الأصل و ظ و م: فى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الله.
(٤-٤) ليس ما بين الرقمين فى م و مد.

ان الله يبسط الرزق لمن يشاء و يقدر" "الله خالق كل شيء" "له مقاليد السمٰوٰت و الارض" ثم عنفهم و قرعهم بجهلهم فقال تعالى "افغير الله تامرونى اعبد ايها الجهلون" ثم قال تعالى "و ما قدروا الله حق قدره و الارض جميعا قبضته يوم القيٰمة و السمٰوٰت مطويٰت بيمينه" ثم اتبع [تعالى - ١] ذلك بذكر آثار العزة و القهر فذكر النفخ فى الصور للصعق ثم نفخة القيام و الجزاء و مصير الفريقين ، فتبارك المتفرد بالعزة و القهر ، فلما انطوت هذه الآى من آثار عزته و قهره على ما أشير إلى بعضه ، أعقب ذلك بقوله سبحانه و تعالى "حٰمٓ تنزيل الكتٰب من الله العزيز العليم ، فذكر من أسمائه سبحانه هذين الاسمين العظيمين تنبيها على انفراده بموجبهما[٢] و أنه العزيز الحق القاهر للخلق لعلمه تعالى بأوجه الحكمة التى خفيت عن الخلق ما أخر الجزاء الحتم للدار الآخرة ، و جعل الدنيا دار ابتلاء و اختبار . مع قهره للكل فى الدارين معا ، و كونهم غير خارجين عن ملكه و قهره ، ثم قال تعالى "غافر الذنب و قابل التوب" تأنيسا لمن استجاب بحمده ، و أناب بلطفه ، و جريا على حكم سبقية الرحمة و تغليبها ، ثم قال "شديد العقاب ذى الطول" ليأخذ المؤمن بلازم عبوديته من الخوف و الرجاء ، و اكتنف قوله "شديـــد العقاب" بقوله "غافر الذنب و قابل التوب" و قوله "ذى الطول" و أشار سبحانه [بقوله - ١] "فلا يغررك تقلبهم فى البلاد - إلى قوله قبل "و اورثنا الارض" و كانه فى تقدير: إذا

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بموجبها .

كانت العاقبة لك و لأتباعك فلا عليك من تقلبهم فى البلاد، ثم بين تعالى أن حالهم فى هذا كحال الأمم قبلهم، و جدالهم فى الآيات كجدالهم، و أن ذلك لما حق عليهم من كلمة العذاب، و سبق لهم فى أم الكتاب ـ انتهى.

و لما تقدم آخر تلك [أن ـ[1]] كلمة العذاب حقت على الكافرين، ٥ فكان ذلك ربما[2] أيأس من تلبس بكفر من الفلاح، و أوهمه أن انسلاخه[3] من الكفر غير ممكن[4]، و كان الغفران ـ و هو محو الذنب عينا و أثرا ـ مترتبا على العلم به، و كان التمكن من الغفران و ما رتب عليه من الأوصاف نتيجة العزة، دل [5]عليها مستعطفا[5] لكل عاص و مقصر بقوله: ﴿غافر الذنب﴾ أى بتوبة و غير توبة إن شاء، و هذا الوصف له دائما ١٠ فهو معرفة، قال السمين: نص سيبويه على أن كل ما إضافته غير محضة جاز أن تجعل محضة و توصف بها المعارف إلا[6] الصفة المشبهة، و لم يستثن الكوفيون شيئا.

و لما أفهم تقديمه على التوبة أنه غير متوقف عليها فيما عدا الشرك، و كان المشركون يقولون: قد أشركنا و قتلنا و بالغنا فى المعاصى فلا ١٥ يقبل رجوعنا فلا فائدة لنا فى إسلامنا، رغبهم فى التوبة بذكرها و بالعطف

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: انصلاحه ـ كذا. (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: محكم (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عليها متعطفا (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا.

بالواو الدالة على تمكن الوصف إعلاما بأنه سبحانه لايتعاظمه ذنب فقال: ﴿ و قابل التوب ﴾ و جرد المصدر ليفهم أن أدنى ما يطلق عليه الاسم كاف. و جعله اسم جنس كأخواته[1] أنسب من جعله بينها[2] جمعا / كتمر و تمرة . و لما كان الاقتصار على الترغيب ربما أطمع عذر المتمادى[3] من سطوته، فقال معريا عن الواو لئلا يؤنس ما يشعر به كل من العطف و الصفة المشبهة من التمكن، و ذلك إعلاما بخفى لطفه فى أن رحمته سبقت غضبه، و أنه لو أبدى كل ما عنده من العزة لأهلك كل من عليها كما أشير إليه بالمفاعلة فى "و لو يؤاخذ الله الناس بظلمهم" فان الفعل إذا كان بين اثنين كان أبلغ: ﴿ شديد العقاب ﴾ على أن تنكيره و إبهامه - كما قال الزمخشرى - للدلالة على فرط الشدة و على ما لا شىء أدهى منه و أمر، لزيادة الإنذار و هى أخفى من دلالة الواو لو أوتى بها .

/٥٢٤

و لما أتم الترغيب بالعفو و الترهيب من الأخذ، أتبعه التشويق إلى الفضل. فقال معريا عن الواو لأن المقام لايقتضى المبالغة، و الحذف غير مخل بالغرض فان دليل العقل قائم على كمال صفاتـــه سبحانه: ﴿ ذى الطول[4] ﴾ أى سعة الفضل[4] و الإنعام و القدرة و الغنى و السعة و المنة، لايماثله فى شىء من ذلك أحد و لا يدانيه، ثم علل تمكنه فى كل شىء من ذلك بوحدانيته فقال: ﴿ لآ اله الاهو[4] ﴾ و لما أنتج

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كاخوانه (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بينهما (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المادى (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الفعل .

هذا كله تفرده، أنتج قطعا قوله: ﴿ اليه ﴾ أى وحده ﴿ المصير ٥ ﴾ أى فى المعنى فى الدنيا، و فى الحس و المعنى فى الآخرة. ليظهر كل من هذه الصفات ظهورا تاما، بحيث لايبقى فى شىء من ذلك لبس، فانه لايصح فى الحكمة أن يبغى أحد على العباد ثم يموت فى عزة من غير نقمة فيضيع ذلك المبغى عليه، لأن هذا أمر لايرضى أقل الناس أن ٥ يكون بين عبيده.

و لما تبين ما للقرآن من البيان الجامع بحسب نزوله جوابا لما يعرض لهم من الشبه، فدل بازاحته كل علة على ما وصف سبحانه به نفسه المقدس من العزة [و العلم - ١] بيانا لا خفاء فى شىء منه، أنتج قوله ذما لمن يريد إبطاله و إخفاءه: ﴿ ما يجادل ﴾ أى يخاصم ١٠ و يمارى و يريد أن يفتل٢ الأمور إلى مراده ﴿ فى ايٰت ﴾ و أظهر موضع الإضمار تعظيما للآيات فقال: ﴿ الله ﴾ أى فى إبطال أنوار الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال الدالة كالشمس على أنه إليه المصير، بأن يغش نفسه بالشك فى ذلك لشبه يميل معها، أو غيره بالتشكيك له، او فى شىء غير ذلك مما٣ أخبر به تعالى ﴿ الا الذين كفروا ﴾ اى غطوا ١٥ مرائى عقولهم و أنوار بصائرهم لبسا على أنفسهم و تلبيسا على غيرهم.

و لما ثبت أن الحشر لابد منه، و ان الله تعالى قادر كل قدرة

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يصل (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لنسبة (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كما.

لأنه لا شريك له و هو محيط بجميع أوصاف الكمال ، تسبب عن ذلك قوله : ﴿ فلا يغررك تقلبهم ﴾ أى تنقلهم بالتجارات و الفوائد و الجيوش و العساكر و إقبال الدنيا عليهم ﴿ فى البلاد ﴾ فانه لا يكون التفعل بالقلب إلا عن قهر و غلبة ، فتظن لإمهالنا[1] إياهم أنهم على حق ، أو[2] أن أحدا يحميهم علينا ، فلا بد من صيرورتهم عن قريب[3] إلينا صاغرين داخرين ، و تأخيرهم إنما هو ليبلغ الكتاب أجله .

و لما نهى عن الاغترار بما لا قوة لاحد على صرفه عن نفسه إلا بتأييد من الله ، علله بما يحقق معنى النهى من أن التقلب[4] و ما يثمره[5] لا يصح أن يكون معتمدا ليزهد فيه كل من سمع هاتين الآيتين ، فقال مشيرا بتانيث الفعل إلى ضعفهم عن المقاومة ، و تلاشيهم عند المصادمة ، و إن كانوا فى غاية القوة بالنسبة إلى أبناء جنسهم : ﴿ كذبت ﴾ و لما كان تكذيبهم عظيما و [كان -[6]] زمانه[7] قديما و ما قبله من / الزمان قليلا بالنسبة إلى ما بعده و طال البلاء بهم ، جعل مستغرقا بجميع الزمان ، فقال من غير خافض : ﴿ قبلهم ﴾ و لما كان الناس على زمن نوح عليه السلام حزبا واحدا مجتمعين على أمر واحد و لسان جامع ، وحدهم فقال : ﴿ قوم نوح ﴾ أى و قد كانوا فى غاية القوة و القدر على القيام

/ ٥٢٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاهمالنا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل « و » (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قرب (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التلقب (٥) من ظ و م و مد ، و فى لأصل : يعزه - كذا (٦) زيد من م و مد (٧) فى مد : زمانهم .

بما يحاولونه[1] و كانوا حزبا واحدا لم يفرقهم شيء . و لما كان الناس من بعدهم [قد كثروا - [2]] و فرقهم اختلاف الألسنة و الأديان، و كان للاجمال من الروع فى بعض المواطن ما ليس للتفصيل قال: ﴿ و الاحزاب ﴾ أى الأمم المتفرقة الذين لايحصون عددا، و دل على قرب زمان الكفر من الإنجاء من الغرق بقوله: ﴿ من بعدهم ﴾ . ٥

و لما كان التكذيب وحده كافيا فى الأذى، دل على انهم زادوا عليه بالمبالغة فى المناصبة بالمعاندة، و قدم قصد[3] الإهلاك لأنه أول ما يريده العدو فان عجز عنه نزل إلى ما دونه فقال: ﴿ و همت كل امة ﴾ أى من الأحزاب المذكورين ﴿ برسولهم ﴾ أى الذى أرسلناه إليهم . و لما كان الأخذ يعبر به عن الغلبة و القهر و الاستصغار مع الغضب ١٠ قال: ﴿ لياخذوه ﴾ و لما كان سوق الكلام هكذا دالا على أنهم عجزوا عن الأخذ، ذكر أنهم بذلوا جهدهم فى المغالبة[4] بغيره، فقال حاذفا للمفعول تعميما: ﴿ و جدلوا بالباطل ﴾ أى الأمر الذى لاحقيقة له، و ليس له من ذاته إلا الزوال، كما تفعل قريش و من انضوى إليهم من العرب، ثم بين علة مجادلتهم فقال: ﴿ ليدحضوا ﴾ أى ليزلقوا فيزيلوا[5] ١٥ ﴿ به الحق ﴾ أى الثابت ثباتا لاحيلة فى إزالته .

و لما كان من المعلوم لكل ذى لب[6] أن فاعل ذلك مغلوب، و أن

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: مجادلونه (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣) فى م: قصة (٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل: العالية (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: فيزلوا (٦) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها .

فعله مسبب لغضب المرسل عليه[1]، قال صارفا القول إلى التكلم دفعا للالباس، و إشارة إلى شدة الغضب و جرده[2] عن مظهر العظمة استصغارا لهم: ﴿ فاخذتهم ﴾ أى أهلكتهم و هم صاغرون غضبا عليهم و إهانة لهم . و لما كان أخذه عظيما، دل على عظمته بأنه أهل لأن يسأل عن حاله لزيادة عظمتها فى قوة بطشها و سرعة إهلاكها و خرقها للعوائد فقال: ﴿ فكيف كان عقاب ﴾ و من نظر ديارهم و تقرى آثارهم وقف على بعض ما أشرنا إليه و نبهنا عليه، و حذف ياء المتكلم إشارة إلى أن أدنى شيء من عذابه [3]بأدنى نسبة[3] كاف فى المراد و إن كان المعذب جميع العباد .

و لما كان التقدير: فحقت عليهم كلمة الله لأخذهم على هذا الجدال إنهم أصحاب النار التى جادلوا فيها، عطف عليه قوله: ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ما حقت عليهم كلمتنا بالأخذ، فلم يقدروا على التفصى من حقوقها ﴿ حقت ﴾ بالأخذ و النكال ﴿ كلمت ﴾ و صرف الكلام إلى صفة الإحسان تلطفا به صلى الله عليه و سلم و بشارة له بالرفق بقومه فقال: ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك بجميع أنواع الإحسان فهو لايدع أعداءك .

و لما كان السياق للمجادلة بالباطل و هى فتل الخصم عن[4] اعتقاده الحق،

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عليهم (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جوده (٣ ـ ٣) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ بعد « جميع العباد » و الترتيب من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عند .

و ذلك تغطية للدليل الحق و تلبيس ، كان الحال أحق بالتعبير بالكفر الذى معناه التغطية فلذا قال تعالى : ﴿ على الذين كفروآ ﴾ أى أوقعوا الكفر وقتا ما كلهم سواء هؤلاء العرب و غيرهم ، لأن علة الإهلاك واحدة ، و هى التكذيب الدال على أن من تلبس به مخلوق للنار ، ثم أبدل من « الكلمة » فقال : ﴿ انهم اصحٰب النار ﴾ أى من كفر فى حين من الأحيان فهو مستحق للنار فى الأخرى كما أنه[1] مستحق للأخذ[2] فى الدنيا لايبالى الله به بالة[3] ، فمن تداركته الرحمة بالتوبة نجا ، و من أوبقته اللعنة بالإصرار هلك .

/ ٥٢٦

و لما بين عداوة الكفار للانبياء عليهم الصلاة و السلام و أتباعهم رضى الله عنهم بقوله " ما يجادل فى ايٰت الله " و ما بعده ، وكان ذلك أمرا غائظا محزنا موجعا ، و ختم ذلك ببيان حقوق كلمة العذاب عليهم تسلية لمن عادوهم فيه سبحانه ، زاد فى تسليتهم شرحا لصدورهم و تثبيتا لقلوبهم ببيان ولاية الملائكة المقربين لهم مع كونهم أخص الخلق بحضرته سبحانه و أقربهم من محل أنسه و موطن قدسه و بيان حقوق رحمته للذين آمنوا بدعاء أهل حضرته لهم فقال ، أو يقال : إنه لما بين حقوق كلمة العذاب ، كان كأنه قيل : فكيف[4] النجاة ؟ قيل : بايقاع الإيمان بالتوبة عن الكفران[5] ليكون موقعه أهلا للشفاعة فيه من أهل الحضرة العلية ،

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هو (٢) فى م : الأخذ (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مال (٤) زيد فى الأصل : كان . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الكفر .

فيغفر له إن تاب ما قدم من الكفر، فقال مظهرا اشرف الإيمان و فضله: ﴿الذين يحملون العرش﴾ و هم المقربون و هم اربعة كما يذكر إن شاء الله تعالى فى الحاقة، فاذا كانت القيامة كانوا ثمانية، و هل هم أشخاص أو صفوف فيه كلام يذكر إن شاء الله تعالى ﴿و من حوله﴾ و هم ٥ جميع الملائكة و غيرهم ممن ربما[1] أراد الله كونه محيطا به كما تقدم فى التى قبلها «و ترى الملئكة حافين من حول العرش» أى طائفين به، فأفادت هذه العبارة النص على الجميع مع تصوير العظمة.

و لما كان ربما وقع فى وهم أنه سبحانه محتاج إلى حملهم لعرشه أو إلى عرشه أو [إلى -[2]] شىء، نبه[3] بالتسبيح على أنه غنى عن كل شىء ١٠ و أن المراد بالعرش و الحملة و نحو ذلك إظهار عظمته لنا فى مثل محسوسة لطفا منه بنا تنزلا إلى ما تسعه عقولنا و تحمله أفهامنا، فقال مخبرا عن المبتدأ و ما عطف عليه: ﴿يسبحون﴾ أى ينزهون أى يوقعون تنزيهه سبحانه عن كل شائبة نقص ملتبسين[4] ﴿بحمد﴾ و صرف القول إلى ضميرهم إعلاما بأن الكل عبيده من العلويين و السفليين القريب و البعيد، ١٥ و كائنون تحت تصرفه و قهره، و إحسانه و جبره، فقال: ﴿ربهم﴾ أى باحاطة المحسن إليهم بأوصاف الكمال.

و لما كان تعالى باطنا لايحيط أحد به علما، أشار إلى أنهم مع أنهم أهل الحضرة هم من وراء حجاب الكبر و أردية العظمة، لافرق بينهم

(١) من م، و فى الأصل: و مما، و سقط من ظ و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منه (٤) فى ظ: متلبسين.

فى ذلك و بين من هو فى الأرض السفلى بقوله : ﴿ و يؤمنون به ﴾ لأن الإيمان إنما يكون بالغيب . و لما كانوا لقربهم أشد الخلق خوفا لأنه على قدر[1] القرب من تلك الحضرات يكون الخوف ، فهم أشد [خوفا -[2]] من اهل السماء السابعة ، و أهل السماء السابعة أشد خوفا من [أهل السماء -[2]] السادسة و هكذا ، و كانوا [قد -[2]] علموا من تعظيم[4] ٥ الله تعالى للنوع الإنسانى ما لم يعلمه غيرهم لأمره سبحانه لهم بتعظيمه بما اختص به / سبحانه من السجود ، و كان من أقرب ما يتقرب [به -[2]] ٥٢٧ / إلى الملك التقرب إلى أهل وده . نبه سبحانه[5] على ذلك كله بقوله : ﴿ و يستغفرون ﴾ أى يطلبون محو الذنوب أعيانا و آثارا .

و لما كان الاشتراك فى الإيمان أشد من الا تحاد فى النسب ، قال ١٠ دالا على أن الاتصاف بذلك يجب ان يكون أدعى شىء إلى النصيحة و أبعثه على إمحاض الشفقة : ﴿ للذين آمنوا ج ﴾ أى أوقعوا هذه الحقيقة لما بينهم من أخوة الإيمان و مجانسته و إن اختلف جنسهم فى حقيقة التركيب و إن وقع منهم بعد ذلك خلل يحق عليهم الكلمة لولا العفو " و ما قدروا الله حق قدره " " و يعفو عن كثير " « لن يدخل أحد ١٥ الجنة بعمله » . و لما ذكر استغفارهم بين عبارتهم عنه بقوله : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا بالإيمان و غيره . و لما كان المراد بيان اتساع رحمته

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : تلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد إلا أن كلمة « السماء » ليست فى ظ و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : علم (٥) سقط من م .

سبحانه و علمه . و كان ذلك أمرا لا يحتمله العقول ، عدل إلى أسلوب التمييز تنبيها على ذلك مع ما فيه من هز السامع و تشويقه[1] بالإبهام إلى الإعلام فقال : ﴿ وسعت كل شيء ﴾ ثم بين جهة التوسع بقوله تميزا محولا عن الفاعل : ﴿ رحمة ﴾ أى رحمتك أى[2] بإيجاده من العدم فما فوق ذلك

٥ ﴿ و علما ﴾ اى و أحاط بهم علمك . فمن أكرمته فعن علم بما جبلته عليه مما يقتضى إهانة أو إكراما .

و لما كان له سبحانه أن يفعل ما يشاء من تعذيب الطائع و تنعيم العاصى و غير ذلك . قالوا منبهين على ذلك : ﴿ فاغفر للذين تابوا ﴾ اى رجعوا إليك عن ذنوبهم برحمتك لهم بأن تمحو[3] أعيانها و آثارها ،

١٠ فلا عقاب[4] و لا عتاب[4] و لا ذكر لها[5] ﴿ و اتبعوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم على ما لها من العوج أن لزموا ﴿ سبيلك ﴾ المستقيم الذى لا لبس فيه . و لما كان الغفران قد يكون لبعض الذنوب ، و كان[6] سبحانه له[6] أن يعذب من لا ذنب له . و أن يعذب من غفر ذنبه قالوا : ﴿ و قهم عذاب الجحيم ﴾ أى اجعل بينهم و بينه وقاية بأن تلزمهم الاستقامة و تتم نعمتك عليهم ،

١٥ فانك وعدت من كان كذلك بذلك ، و لا يبدل القول لديك . و إن كان يجوز أن تفعل ما تشاء .

و لما كانت النجاة من العذاب لا تستلزم الثواب ، قالوا مكررين صفة

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تشويفه (٢) سقط من م (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يمحو (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهذا (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : له سبحانه .

الإحسان زيادة فى الرقة فى طلب الامتنان : ﴿ ربنا ﴾ اى أيها المحسن إلينا[1] بتوفيق أحبابنا الذين لذذونا بالمشاركة فى عبادك بالجنان و اللسان و الأركان ﴿و ادخلهم جنت عدن﴾ أى إقامة لا عناد فيها . و لما كانوا عالمين بأنه سبحانه لايجب عليه لأحد شىء و لايقبح[2] منه شىء ، نبهوا على ذلك بقولهم : ﴿التى وعدتهم﴾ مع الزيادة فى التملق[3] و اللطافة فى الحث ٥ و إدخالهم [4]لأجل استعمالك[5] إياهم الصالحات .

و لما كان الإنسان لايطيب له نعيم دون أن يشاركه فيه أحبابه الذين كانوا يشاركونه فى العبادة قالوا[6] مقدمين أحق الناس بالإجلال : ﴿ و من صلح من ءابآئهم ﴾ ثم أتبعوهم ألصقهم[7] بالبال فقالوا : ﴿ و ازواجهم و ذريتهم ﴾ . و لما كان فاعل هذا منا ربما نسب إلى ١٠ ذل أو سفه ، و ربما عجز عن الغفران لشخص لكثرة المعارضين ، عللوا بقولهم مؤكدين لأجل نسبة الكفار العز إلى غيره ، و من ذلك تسميتهم العزى : ﴿ انك انت ﴾ أى وحدك ﴿العزيز﴾ فانت تغفر لمن شئت غير / مفسوب إلى وهن ﴿ الحكيم ﴾ فكل فعل لك فى أتم مواضعه ٥٢٨ / فلذلك[8] لايتهيأ لأحد نقضه و لا نقصه . ١٥

و لما كان الإنسان قد يغفر له و يكرم ، و فيه من الأخلاق ما ربما

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : إليها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاسح (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التمكن (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لاستعمالك (٥) فى ظ : قال (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصقوهم (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فكذا .

حمله على بعض الأفعال الناقصة دعوا لهم بالكمال فقالوا : ﴿ و قهم السيئات ﴾
أى بأن تجعل [1]بينهم و بينها[1] وقاية[2] بأن تطهرهم من الأخلاق الحاملة
عليها بتطهير القلوب بنزع كل ما يكره منها أو بأن يغفرها لهم و لا يجازيهم
عليها ، و عظموا هذه الطهارة ترغيبا فى حمل النفس فى هذه الدار على
٥ لزومها بقمع النفوس و إماتة الحظوظ بقولهم : ﴿ و من تق السيئات ﴾
أى جزاءها كلها ﴿ يومئذ ﴾ أى يوم إذ تدخل فريقا الجنة و فريقا النار
المسببة عن السيئات أو إذ تزلف الجنة للتقين و تبرز الجحيم للغاوين :
﴿ فقد رحمته ﴾ أى الرحمة الكاملة التى لايستحق غيرها[3] أن يسمى معها
رحمة ، فان تمام النعيم لايكون إلا بها لزوال التحاسد و التباغض و النجاة
١٠ من النار باجتناب السيئات و لذلك[4] قالوا : ﴿ و ذلك ﴾ أى الأمر العظيم
جدا ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الفوز العظيم ﴾ فالآية[5] من الاحتباك : ذكر
إدخال الجنات أولا دليلا على حذف النجاة من النار ثانيا ، و وقاية
السيئات ثانيا دليلا على التوفيق للصالحات أولا ، و سر ذلك التشويق
إلى المحبوب -[6]و هو الجنان - بعمل المحبوب[6] - و هو الصالح - و التنفير من
١٥ النيران باجتناب الممقوت من الأعمال ، و هو السيئ ، فذكر المسبب أولا
وحذف [7]السبب لأنه[7] لاسبب فى الحقيقة إلا الرحمة ، و ذكر السبب ثانيا

(١ - ١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بينها و بينهم (٢) زيد بعده فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غيره (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كذلك . (٥) فى م و مد : و الآية (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المسبب عنه .

فى إدخال النار و حذف المسبب .

و لما أتم حال الذين آمنوا ، فتشوفت النفس إلى معرفة ما لأضدادهم ، قال مستأنفا مؤكدا لإنكارهم هذه المناداة بانكار يومها : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى أوقعوا الكفر و لو لحظة ﴿ ينادون ﴾ أى يوم[1] القيامة بنداء يناديهم به من أراد الله من جنوده أو[2] فى هذه الدار ٥ بلسان الحال بهذا الكلام . و لما كان عندهم - لكونهم فى هذه الدار أرفع نعما - أنهم آثر عند الله من فقراء المؤمنين ، أكد قوله : ﴿ لمقت الله ﴾ [3]أى الملك[3] الأعظم إياكم بخذلانكم ﴿ اكبر من مقتكم ﴾ و قوله : ﴿ انفسكم ﴾ مثل قوله تعالى " انظر كيف كذبوا على انفسهم " جاز على سبيل الإشارة إلى تنزه الحضرة المقدسة عما لزم فعلهم من المقت ، ١٠ فان من دعا إلى أحد فأعرض[4] عنه إلى غيره كان إعراضه مقتا للمعرض عنه ، و هذا[5] المقت منهم الموجب لمقت الله لهم موصل لهم إلى عذاب يمقتون به أنفسهم . و المقت أشد البغض ؛ ثم ذكر ظرف مقتهم العائد وباله عليهم بقوله : ﴿ اذ ﴾ أى حين ، و أشار إلى أن[6] الإيمان لظهور دلائله ينبغى أن يقبل من أى داع كان ، فبنى الفعل لما لم يسم فاعله ١٥ فقال : ﴿ تدعون الى الايمان ﴾ أى بالله و ما جاء من عنده ﴿ فتكفرون ٥ ﴾ أى فتوقعون الكفر الذى هو تغطية الآيات موضع[7] إظهارها و الإذعان بها ،

(١) فى م و مد : فى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المالك (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعرض (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هم (٦) سقط من ظ (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مع .

و هذا[1] أعظم العقاب عند[2] أولى الألباب، لأن من علم أن مولاه عليه غضبان علم أنه لا ينفعه بكاء و لا يغنى عنه شفاعة و لا حيلة فى خلاصه[3] بوجه.

و لما كان من أعظم ذنوبهم إنكار البعث، و [4]كانوا قد استقراوا[4] العوائد، و سبروا[5] ما جرت[6] به الأقدار فى الدهور و المدائد، من أن كل ثان لابد له من ثالث، / و كان الإحياء لا يطلق عرفا إلا من كان عن موت، حكى سبحانه جوابهم بقوله[7] الذى محطه الإقرار بالبعث و الترفق بالاعتراف بالذنب حيث لا ينفع لفوات شرطه و هو الغيب: ﴿قالوا ربنآ﴾ أى أيها المحسن إلينا بما تقدم فى دار الدنيا ﴿امتنا اثنتين﴾ قيل: واحدة عند انقضاء الآجال فى الحياة الدنيا و أخرى بالصعق بعد البعث أو الإرقاد [بعد -[8]] سؤال القبر، و الصحيح أن تفسيرها آية البقرة "كيف تكفرون بالله و كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم" و أما الصعق فليس بموت، و ما فى القبر فليس بحياة حتى يكون عنه موت، و إنما هو إقدار على الكلام كما أقدر سبحانه الحصى على التسبيح و الحجر على التسليم، و الضب على الشهادتين، و الفرس حين قال لها

/٥٢٩

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هو (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خلاص (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كان قد استقر الداء - كذا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: ستروا (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حرجت - كذا (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بقولهم (٨) زيد من م و مد.

فارسها ثبي إطلال على قولها وثبا و سورة البقرة ﴿ و احييتنا اثنتين ﴾ واحدة فى البطن، و أخرى بالبعث[1] بعد الموت، أو واحدة بالبعث أو أخرى بالإقامة من الصعق. أو الإقامة فى القبر، فشاهدنا قدرتك على البعث -[2]] ﴿ فاعترفنا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنا اعترفنا بعد تكرر الإحياء ﴿ بذنوبنا ﴾ [الحاصلة -[3]] بسبب إنكار البعث لأن من لم يخش العاقبة بالغ فى متابعة الهوى، فذلك توبة لنا ﴿ فهل الى خروج ﴾ أى من النار و لو على أدنى أنواع الخروج بالرجوع إلى الدنيا فنعمل صالحا ﴿ من سبيل ﴾ فنسلكه فنخرج ثم تكون لنا موتة ثالثة و إحياءة ثالثة إلى الجنة التى جعلتها جزاء من أقر بالبعث.

و لما كان الجواب قطعا: لاسبيل إلى ذلك، علله بقوله: ﴿ ذلكم ﴾ أى القضاء النافذ العظيم العالى بتخليدكم فى النار مقتا منه لكم ﴿ بانه ﴾ أى كان بسبب أنه[4] ﴿ اذا دعى الله ﴾ أى وجدت و لو مرة واحدة دعوة الملك الأعظم من أى داع كان ﴿ وحده ﴾ أى محكوما له بالوحدة أو[5] منفردا من غير شريك ﴿ كفرتم ج ﴾ أى هذا طبعكم دائما رجعتم إلى الدنيا أو لا ﴿ و ان يشرك به ﴾ أى يوقع الإشراك به و يجدد و لو بعدد الأنفاس من أى مشرك كان ﴿ تؤمنوا ﴾ أى بالشركاء [و تجددوا ذلك غير متحاشين من تجديد الكفر -[3]] و هذا مفهم لأن

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فى البعث (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بانه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م «و».

حب الله للانسان أكبر من حبه له الدال عليه توفيقه له فى أنه إذا ذكر الله وحده آمن، و إن ذكر معه غيره على طريقة تؤل[1] إلى الشركة كفر بذلك الغير و جعل الأمر لله وحده ﴿ فالحكم ﴾ أى فتسبب عن القطع بأن لا رجعة، و أن الكفار ما ضروا إلا أنفسهم[2] مع ادعائهم العقول الراجحة و نفوذ ذلك أن كل حكم ﴿ لله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال خاص به لا دخل للعوائد فى أحكامه بل مهما شاء فعل إجراء على العوائد أو خرقا لها ﴿ العلى ﴾ أى وحده عن أن يكون له شريك، فكذب قول أبى سفيان يوم أحد «اعل هبل» و قول ابن عربى أحد أتباع فرعون أكذب و أقبح و أبطل حيث قال: العلى علا عن من و ما ثم إلا هو، فعليه الخزى و اللعنة و على من قال بقوله و على[3] من توقف فى لعنه.

و لما كانت النفوس لاتنقاد غاية الانقياد للحاكم إلا مع العظمة الزائدة و القدم فى المجد، قال معبرا بما يجمع العظمة و القدم: ﴿الكبير ٥﴾ الذى لايليق الكبر إلا له، و كبر كل[4] متكبر و كبر [كل - [5]] كبير متضائل تحت دائرة كبره و كبره. و عذابه مناسب لكبريائه فما أسفه من شقى بالكبراء فانهم يلجئون أنفسهم إلى أن يقولوا ما لايجديهم "ربنا انا اطعنا سادتنا و كبراءنا": و لما قصر الحكم عليه دل على ذلك

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: تزول (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بانفسهم (٣) سقط من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ و على (٥) زيد من م و مد.

بقوله ذاكرا من آيات الآفاق العلوية ما يرد الموفق عن غيه : ﴿هو﴾ [أى - [١]] وحده ﴿الذى يريكم﴾ أى بالبصر و البصيرة ﴿آيته﴾ أى علاماته الدالة على تفرده بصفات الكمال تكميلا لنفوسكم، فينزل من السماء ماء[٢] فيحيي به الأرض باعادة [ما - [٣]] تحطم فيها من الحبوب فتفتتت بعد موتها بصيرورة ذلك [الحب - [١]] ترابا لا تميز له عن ترابها، فيتذكر به البعث لمن انمحق فصار ترابا و ضل فى تراب الأرض حتى[٤] لاتميز له عنه من طبعه الإنابة، و هو الرجوع عما هو عليه من الجهل إلى الدليل بما ركز فى فطرته من العلم، [٥]و ذلك[٥] هو معنى قوله: ﴿و ينزل لكم﴾ أى خاصا بنفعكم أو ضركم ﴿من السمآء﴾ أى جهة[٦] العلو الدالة على قهر ما نزل منها بإمساكه إلى حين الحكم بنزوله ﴿رزقا[٤]﴾ لإقامة أبدانكم من [٧]الثمار و[٧] الأقوات بانزال الماء فهو سبحانه يدلكم عليه و يتحبب إليكم لتنفعوا أنفسكم و أنتم تتبغضون[٨] إليه و تتعامون عنه لتضروها ﴿و ما يتذكر﴾ ذلك تذكرا تاما - بما أشار إليه الإظهار - فيقيس عليه بعث من أكلته الهوام، و انمحق باقيه فى الأرض ﴿الا من ينيب ه﴾ أى له أهلية التجديد فى كل وقت للرجوع إلى

(١) زيد من م و مد (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل : صار ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : جهل (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الثمر او (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تتغضون .

الدليل بأن يكون حنيفا ميالا للطاقته[1] مع الدليل حيثما مال . ما هو بحلف[2] جامد على ما ألفه ، لايحول عنه أصلا ، لايصغى إلى قال و لا قيل ، و لو قام على خطابه كل دليل .

و لما كان كل من الناس يدعى انه لايعدل عن الدليل ، و كان كل أحد مأمورا بالنظر فى الدليل مأمورا بالإنابة لما دل عليه من التوجه إلى الله وحـــده . كان[3] ذلك سببا فى معرفة الكل التوحيد الموجب لاعتقاد القدرة التامة الموجب لاعتقاد البعث ، فكان سببا لإخلاصهم ، فقال تعالى مسببا عنه : ﴿ فادعوا ﴾ و صرح بالاسم الأعظم تدريبا للمخلصين على كيفية الإخلاص فقال : ﴿ الله ﴾ أى المتوحد بصفات الكمال دعاء خضوع و تعبد بعد الإنابة بعد النظر فى الدليل ﴿ مخلصين له الدين ﴾ أى الأفعال التى يقع الجزاء عليها ، فمن كان[4] يصدق بالجزاء و بأن ربه غنى لايقبل إلا خالصا اجتهد فى تصفية أعماله ، فيأتى بها فى غاية الخلوص عن كل ما يمكن أن يكدر من غير شائبة شرك جلى أو خفى كما أن معبوده واحد من غير شائبة نقص .

و لما كانت مخالفة الجنس شديدة لما تدعو إليه من المخاصمة الموجبة للشاقة الموجبة لاستطابة الموت قال تعالى : ﴿ و لو كره ﴾ أى الدعاء منكم ﴿ الكفرون ﴾ أى الساترون لأنوار عقولهم[5] ، و الإخلاص أن

(١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : للطاقة (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : بحلف (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وكان (٤) سقط من ظ .
(٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : عقولكم .

يفعل العباد لربهم مثل ما فعل لهم فلا يفعلوا فعلا من امر أو نهى إلا لوجهه خاصة من غير غرض لأنفسهم بجلب شيء من نفع أو ضر، و ذلك لأنه سبحانه فعل لهم كل إحسان من الخلق و الرزق لأنفسهم خاصة لا لغرض يعود عليه - سبحانه و ما أعز شأنه - بنفع و لا ضر، فلا يكون شكرهم له إلا بما تقدم، لكنه لما علم سبحانه أن هذا غير مقدور لهم إلا بغاية الجهد بل لا يقدر عليه إلا الأفراد[1]، خفف عنهم سبحانه بأن أباح لهم العمل لأجل الرجاء في ثوابه و الخوف من عقابه، و لم يجعل ذلك قادحا في الإخلاص، قال الأستاذ أبو القاسم القشيري: / و لولا إذنه في ذلك لما كان في العالم مخلص. ٥٣١ /

و لما كان الإخلاص لا يتأتى إلا ممن رفعه إشراق الروح عن كدورات الأجسام، و طارت به أنوارها عن حضيض ظلمات الجهل إلى عرش العرفان، فصار [2]إذ كان[2] الملك الديان سمعه الذي يسمع به، و بصره الذي يبصر به، و يده التي يبطش بها، و رجله التي يمشي بها، بمعنى أنه لا يفعل بشيء من هذه الجوارح إلا ما امره به سبحانه يتصرف في الأكوان باذن[3] الفتاح العليم تكسب القلوب من ضياء أنواره و يحيي ميت الهمم بصافي أسراره، [نبه -[4]] سبحانه على ذلك حثا عليه[5]

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: افراد (٢ - ٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: اركان (٣) زيد في الأصل: الملك الديان، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: فه.

و تشويقا إليه بقوله ممثلا بما يفهمه العباد مخبرا عن مبتدا محذوف تقديره : هو ﴿ رفيع الدرجٰت ﴾ [أى -[٢]] فلا يصل إلى حضرته الشماء إلا من علا فى معارج العبادات و مدارج الكمالات .

و لما كنا لانعرف ملكا إلا بغلبته على سرير الملك ، و كانت درج كل ملك[٣] ما يتوصل بها إلى عرشه ، أشار سبحانه بجمع القلة إلى السماوات التى هى دون عرشه [سبحانه -[٢]] ، [٣]ثم أشار[٣] إلى إن الدرج إليه لاتحصى بوجه ، لأنا لو انفقنا عمر الدنيا فى اصطناع درج للتوصل إلى السماء الدنيا ما وصلنا ، فكيف بما فوقها فكيف و[٤] علوه سبحانه ليس هو بمسافة بل علوّ عظمة و نفوذ كلمة تنقطع دونها الآمال و تفنى الأيام و الليال ، و الكاشف لذلك أتم كشف تعبيره فى " سأل " بصيغة منتهى الجموع " المعارج " - ثم قال ممثلا لنا بما نعرف : ﴿ ذو العرش ج ﴾ أى الكامل الذى لاعرش فى الحقيقة إلا هو ، فهو محيط لجميع الأكوان و مادة لكل جماد و حيوان ، و عال بجلاله و عظمه[٦] عن كل ما يخطر فى الأذهان .

و لما كان الملوك يلقون أوامرهم من مراتب عظمائهم إلى من أخلصوا[٧] فى ودادهم قال : ﴿ يلقى الروح ﴾ أى الذى تحيى به الأرواح

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مخبر (٢) زيد من م و مد .
(٣ - ٣) فى م و مد : اشارة (٤) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : الى .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : علوه (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اعظمه (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اخلطوا .

حيوة الأشباح بالأرواح ﴿من أمره﴾ أى من كلامه. و لاشك أن الذى يلقى ليس الكلام النفسى و إنما هو ما يدل عليه، و هو الذى يقبل النزول و التلاوة و الكتابة و نحو ذلك. و لما كان أمره عاليا على كل امر، أشار إلى ذلك بأداة الاستعلاء فقال: ﴿على من يشآء﴾ و لما كان ما رأوه من الملوك لايتمكنون من رفع كل من أرادوا من رقيقهم، نبه على عظمته بقوله: ﴿من عباده﴾ و أشار بذلك مع الإشارة إلى أنه مطلق الأمر لايسوغ لأحد الاعتراض عليه، و لو اعترض كان اعتراضه أقل من أن يلتفت [إليه -[1]] أو يعول بحال عليه إلى توهية قولهم "[2]او انزل[2] عليه الذكر من بيننا" بأنه عليه السلام المخاص فى عباده[3] لم يمل إلى شيء من اوثانهم ساعة ما و لا صرف لحظة عن الإله الحق طرفة عين. فلذلك اختصه من بينهم بهذا الروح الذى لاروح فى الوجود سواه، فمن أقبل عليه و أخلص فى تلاوته و العمل بما يدعو إليه و البعد عما ينهى عنه صار ذا روح موات يحيي الأموات و يزرى بالنيرات، قال الرازى: قال ابن عطاء[4]: حياة القلب على حسب ما ألقى إليه من الروح، فمنهم من ألقى إليه روح الرسالة، [5]و منهم من ألقى إليه روح النبوة[5]، و منهم [من -[6]] ألقى إليه روح الصديقية و الكشف و المشاهدة، و منهم من ألقى إليه روح العلم و المعرفة، و منهم من ألقى إليه روح العبادة

(١) زيد من م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انزل (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عبادته (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ابن عطية (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) زيد من ظ و م و مد.

و الخدمة . و منهم من التى إليه روح الحياة فقط ، ليس له علم بالله
و لا مقام مع الله . فهو ميت فى الباطن ، و له / الحياة البهيمية التى يهتدى ٥٣٢ /
بها إلى المعاش دون المعاد - انتهى . و بالجملة فكل من هذه الأرواح
منطق لمن التى عليه مطلق للسانه بديع بيانه و إن اختلف نطقهم فى
٥ بيانهم ، و تصرفهم فى عظيم شأنهم

و لما بين سر اختصاصه[1] بالإرسال لهذا النبى الكريم ، أتبع ذلك
بما يزيده بيانا من ثمرة الإرسال فقال : ﴿ لينذر ﴾ أى الذى اختصه
سبحانه بروحه ، [و عبر بما يقتضيه تصنيف الناس الذى هو مقصود السورة
من الاجتماع ، و أزال وهم من قد يستحيل لقاء سبحانه لرفعة درجاته
١٠ و سفول درجات غيره - [2]] ﴿ يوم التلاق ﴾ أى [الذى - [3]]
لا يستحق[4] أن يوصف بالتلاق على الحقيقة غيره لكونه يلتق فيه الأولون
و الآخرون و أهل السماوات و الأرض و لا حيلة لأحد منهم فى فراق
غريمه بغير فصل على وجه العدل ، و إلى هذا المعنى أشارت[5] قراءة
ابن كثير[6] باثبات الياء فى الحالين و هو[7] واضح جدا فى إفراد حزبى
١٥ الأسعدين و الأخسرين فانه تلاق لا آخر له ، و أشارت قراءة الجمهور
بالحذف فى الحالين إلى تلاق هذين الجزئين : أحدهما [بالآخر - [2]]

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اختصاصهم (٢) زيد من م و مد .
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا يصح .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اشارة (٦) راجع نثر المرجان ٦ / ٢٠٦ .
(٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذا .

فانه - و الله أعلم - قل ما يكون [حتى -[1]] يفترقا بالأمر بكل[2] إلى دارة: الأسعدين[3] بغير حساب، و الأخسرين لا يقام لهم وزن. [4]و أشار[4] الإثبات فى الوقف دون الوصل إلى الأمر [5]الوسط و هى[5] لمن بقى، فان لقاءهم يمتد إلى حين القصاص لبعضهم من بعض.

و لما أفهم ذلك عدم الحجاب من بيوت أو جبال، أو اشجار، أو تلال، أو غير ذلك من سائر ذوات الظلال، نبه عليه فى قوله [معيدا ذكر اليوم لأنه أهول له -[1]]: ﴿ يوم هم ﴾ أى بظواهرهم و واطنهم ﴿ بارزون ﴾ اى بروزا لا ساتر[6] فيه أصلا.

و لما كان من المعلوم عندهم إنما لا ساتر له معلوم، أجرهم على ما يعهدون[7]، و عبر بعبارة تعم ذلك فقال مستأنفا فى جواب من ظن أنه قد يخفى عليه شىء عند الساتر [معظما الأمر باظهار الاسم الأعظم -[1]]: ﴿ لايخفى[8] على الله ﴾ اى المحيط علما و قدرة ﴿ منهم شىء[9] ﴾ أى من ذواتهم و لامعانيهم سواء ظهروا أو استتروا فى هذا اليوم و فى غيره.

و لما كان من العادة المستمرة ان الملك العظيم إذا أرسل جيشه إلى من طال[10] تمردهم عليه و عنادهم له فظفروا بهم و أحضروهم إليه أن ينادبهم مناديه و هم وقوف بين يديه قد أخرستهم هيبته و أذلتهم عظمته

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعد (٣-٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٤-٤) فى الأصل بياض ملأناه من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ستر (٦) فى م: يعهدونه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: طالب.

بلسان قاله أو لسان حاله بما يبكتهم به و يوبخهم و يؤسفهم[1] على ما مضى من عصيانهم و يندمهم قال : ﴿لمن الملك اليوم﴾ أى يا من كانوا يعملون أعمال من يظن انه لايقدر عليه أحد ، فيجيبون بلسان الحال أو المقال[2] كما قال بعض من قال :

٥ سكت الدهر طويلا عنهم قد أبكاهم دما حين نطق[3]

﴿ لله ﴾ [أى - [3]] الذى له جميع صفات الكمال ، ثم دل على ذلك بقوله : ﴿الواحد﴾ أى الذى لايمكن أن يكون له ثان بشركة و لاقسمة و لاغيرها ﴿ القهار ﴾ أى الذى يقهر من يشاء متكررا وصفه بذلك دائما أبدا لما ثبت من غناه[4] المطلق بوحدانيته الحقيقية .

١٠ و لما أخبر عن إذعان كل نفس بانقطاع الأسباب ، أخبرهم بما يزيد رعبهم ، و يبعث رغبهم و رهبهم ، و هو نتيجة تفرده بالملك فقال : ﴿اليوم تجزى﴾ [5]أى تقضى و تكافأ[5] بناه[6] للمفعول لأن المرغب المرهب نفس الجزاء و لبيان سهولته عليه سبحانه ﴿ كل نفس ﴾ لاتترك نفس[7] واحدة لأن العلم قد شملهم و القدرة قد أحاطت بهم و عمتهم ، و الحكمة

٥٣٣/ ١٥ قد منعت من إهمال / أحد منهم .

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يسوفهم - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عباده (٥-٥) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ : بعد « و يبعث رغبهم » و الترتيب من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بنا .
(٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نفسة .

و لما كان السياق للملك و القهر يقتضى الجزاء و اعتماد الكسب الذى هو محط التكليف بالأمر و النهى و يقتضى النظر فى الأسباب، لأن ذلك شأن الملك، قال معبرا بالباء و الكسب: ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ كسبت[1] ﴾ أى عملت، و هى تظن أنه يفيدها[1] سواء بسواء بالكيل الذى كالت يكال لها. ٥

و لما كانت السببية مفهمة للعدل، فان الزيادة تكون بغير سبب، قال معللا نافيا مثل ما كانوا يتعاطونه من ظلم بعضهم لبعض فى الدنيا: ﴿ لا ظلم ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ اليوم[2] ﴾ و لما كان استيفاء الخلائق بالمجازاة أمرا لايمكن فى العادة ضبطه، و لا يتأتى حفظه و ربطه، فكيف إذا قصدت المساواة فى مثاقيل الذر فما دونها: ١٠

بميزان قسط لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل

ضاقت النفوس من خوف الطول، فخفف [عنها -[3]] بقوله معلما أن أموره على غير ما يعهدونه، و لذلك[4] أكد و عظم باظهار الاسم الأعظم: ﴿ان الله ﴾ أى التام القدرة الشامل العلم ﴿سريع الحساب ٥ ﴾ أى بليغ السرعة فيه، لايشغله حساب أحد عن حساب غيره فى وقت ١٥ حساب ذلك الغير، و لا يشغله شأن عن شأن لأنه لايحتاج إلى تكلف عد، و لايفتقر إلى مراجعة كتاب، و لا شىء، فكان فى ذلك ترجية للفريقين

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يفيد (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الذين يتعاطونها (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كذلك.

و تخويف، لأن الظالم يخشى إسراع الأخذ بالعذاب، و المؤمن يرجو إسراع البسط بالثواب .

و لما تم هذا على هذا الوجه المهول، و كان يوم القيامة له أسماء تدل على أهواله باعتبار مواقفه[1] و أحواله، منها يوم البعث و هو ظاهر، ٥ و منها يوم التلاق لما تقدم، و منها يوم التغابن لغبن أكثر من[2] فيه[3] خسارته[4]، و منها يوم الآزفة لقربه و سرعة أخذه، و كان كأنه قيل خطابا للنبي صلى الله عليه و سلم: و أنت ممن ألقينا إليك هذا الروح الأعظم من أمرنا فأنذرهم ما مضى من يوم التلاق و ما عقبناه به، عطف عليه قوله زيادة في بيان هوله [إعلاما بأنه مع ثبوته و ثبوت التلاق فيه ١٠ قريب تحذيرا من تزيين إبليس للشهوات و تقريره بالتسويف بالتوبة - *] : ﴿ و انذرهم ﴾ أي هؤلاء المعرضين إعراض من لا يجوز الممكن ﴿ يوم الازفة ﴾ أي الحالة الدائبة العاجلة السريعة جدا مع الضيق [في الوقت - *] و سوء العيش [لأكثر الناس - *]، و هي القيامة، كرر ذكرها و ذكر الإنذار [منها - *] تصريحا و تلويحا[6] ١٥ تهويلا [لها - *] و تعظيما لشأنها .

و لما ذكر اليوم، هول أمره بما يحصل فيه من المشاق فقال:

---

(١) من ظ و م و مد. و في الأصل: موافقة أموره (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: ما (٣) زيد في الأصل: من الناس، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: خسارتهم (٥) زيد من م و مد (٦) زيدت الواو في الأصل و ظ، و لم تكن في م و مد فحذفناها.

﴿ اذ القلوب ﴾ أى من كل من حضره . و لما كان هذا الرعب على وجه غريب باطن، عبر بـ «لدى». فقال: ﴿لدى الحناجر ﴾ أى حناجر المجموعين فيه إلا من شاء الله، و هى جمع حنجور و هى الحلقوم وزنا و معنى، يعنى أنها زالت عن أماكنها[1] صاعدة من كثرة الرعب حتى كادت تخرج و صارت مواضعها من الأفئدة هواء، و كانت الأفئدة ٥ معترضـــة كالشجا لا هى ترجع إلى مقارها فيستريحوا[2] و لا تخرج فيموتوا .

و لما كان الحديث - و إن كان فى الظاهر عن القلوب - إنما هو عن أصحابها، جمع على طريقة جمع العقلاء، و زاده حسنا أن القلوب محل الكظم، و بها صلاح الجملة و فسادها، و قد أسند إليها ما يسند ١٠ للعقلاء فقال: ﴿ كظمين ﴾ أى ممتلئين خوفا و رعبا و حزنا، ساكتين مكروبين، قـــد أنسدت مجارى / أنفاسهم و أخذ بجميع إحساسهم . ٥٣٤ / و لما كان من المعلوم أن ذلك الكرب إنما هو للخوف من ديان ذلك اليوم، و كان من المعهود أن الصداقات تنفع[3] فى مثل ذلك اليوم[4] و الشفاعات، قال مستأنفا[5]: ﴿ ما للظلمين ﴾ أى العريقين فى الظلم ١٥ [منهم -[6]] ﴿ من حميم ﴾ أى قريب صادق فى مودتهم مهتم بأمورهم

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : مكانها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيستريحون (٣ - ٣) من م و مد ، و فى الأصل : الصدقات تنتفع ، و فى ظ : الصداقات تنتفع (٤) سقط من م و مد (٥) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و م و مد .

مزيل لكروبهم، قال ابن برجان: و الحميم: الماء الحار الناهى فى الحرارة، سمى القريب به لأنه [يحمى - ٢] لقريبه غضبا، و الغضب حرارة تعرض فى القلب تخرج إلى الوجه فيحمر و تنتفخ الأوداج فيستشيط غيظا ﴿ و لا شفيع يطاع ﴾ أى ليس لهم شفيع أصلا لأن الشفيع يعلم أنه لو شفع ما أطيع فهو لا ينفع، و قد يشفع فى بعضهم بعض المقربين لعلامة فيهم يحصل بها اشتباه يظن بهم أنهم ممن يستحق الشفاعة فينبه على أنهم ليسوا بذلك، فيبرأ منهم.

و لما كانت الشفاعة إنما تقع و تنفع بشرط براءة المشفوع له من الذنب إما بالاعتراف بما نسب إليه و الإقلاع عنه، و إما بالاعتذار عنه، و كان ذلك إنما يجرى عند المخلوقين على الظاهر. و لذلك كانوا ربما وقع لهم الغلط فيمن لو علموا باطنه لما قبلوا الشفاعة فيه. علل تعالى ما تقدم بعلمه بأن المشفوع له ليس بأهل لقبول الشفاعة [فيه - ٢] لإحاطة علمه فقال: ﴿ يعلم خائنة ﴾ [و لما كان السياق هنا للابلاغ فى أن علمه تعالى محيط بكل كلى و جزئى، فكان من المعلوم أن الحال يقتضى جمع الكثرة، و أنه ما عدل عنه إلى جمع القلة إلا للاشارة إلى أن علمه تعالى بالكثير كعلمه بالقليل الكل، عليه هين، فالكثير عنده فى ذلك قليل فلذا قال - ٢]: ﴿ الاعين ﴾ أى خيانتها التى هى أخفى ما يقع من أفعال الظاهر، جعل الخيانة خائنة مبالغة فى الوصف و هى الإشارة بالعين،

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الجارى (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: خيانة.

قال أبو حيان[1] : من كسر جفن و غمز و نظر يفهم [منه=[2]] ما يراد[3] - انتهى . و ذلك يفعل بفعل ما يخالف الظاهر . و لما ذكر أخفى أفعال الظاهر ، أتبعه أخفى ما فى الباطن فقال : ﴿و ما تخفى الصدور ه﴾ أى عن المشفوع عنده و غير ذلك .

و لما كان العفو عن الظالم الذى لا يرجع عن ظلمه نقضا ، لكونه ٥ لاحكمة فيه ، عبر بالاسم الأعظم [فى جملة حالية - [4]] فقال : ﴿و الله﴾ أى و الحال أن المتصف بجميع صفات الكمال ﴿ يقضى بالحق[5] ﴾ أى الثابت الذى لايصح أصلا نفيه ، فلو قضى فيمن يعلم أنه ليس بأهل للشفاعة فيه بقبول الشفاعة لنفى الحق و أثبت الباطل ، فخالف ذلك الكمال ﴿ و الذين يدعون ﴾ أى الظالمون - على قراءة الجماعة ، و أيها الظالمون - ١٠ على قراءة نافع[5] و ابن عامر بخلاف[6] عن ابن ذكوان بالخطاب للمواجهة بالإزراء . و لما كانت المراتب دون عظمته سبحانه لاتنحصر[7] و لايحتوى عليها كلها شىء ، أثبت الجار فقال : ﴿ من دونه ﴾ أى سواه ، و من المعلوم أنهم خلقه فهم دون رتبته[8] لأنهم فى قهره ﴿لايقضون بشىء[1] ﴾ من الأشياء أصلا ، فضلا عن أن يقضوا بما يعارض حكمه ، فلا مانع ١٥ له من القضاء بالحق ، فلا مقتضى لقبول الشفاعة فيمن يعلم عراقته فى

(١) فى المد من البحر المحيط ٧/٤٠٤ (٢) زيد من المد (٣) من ظ و م و مد و المد ، و فى الأصل : يريه (٤) زيد من م و مد (٥) راجع نثر المرجان ٦/٢١١ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مخلف (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لاتحصر (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رتبة .

الظلم أنه[1] لا ينفك عنه .

و لما أخبر أنه لا فعل لشركائهم[2] ، و ان الأمر له وحده ، علل ذلك بقوله مرهبا من الخيانة و غيرها من الشر ، مرغبا فى كل خير ، مؤكدا لأجل أن أفعالهم تقتضى إنكار ذلك : ﴿ ان الله ﴾ عبر به لأن السياق لتحقير شركائهم و بيان أنها فى غاية النقصان ﴿ هو ﴾ أى وحده . و لما ذكر ما هو[3] غيب . وصفه[4] بأظهر ظاهر فقال : ﴿ السميع ﴾ أى لكل ما يمكن أن يسمع ﴿ البصير ﴾ أى بالبصر و العلم لكل ما يمكن أن يبصر / و يعلم ، فلا إدراك لشركائهم أصلا و لا لشىء غيره بالحقيقة ، و من لا إدراك له لا قضاء له ، فثبت أن الأمر له وحده ، فما تنفعهم شفاعة الشافعين و لا تقبل فيهم من أحد شفاعة بعد الشفاعة العامة التى هى خاصة بنبينا صلى الله عليه و سلم ، و هى المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون و الآخرون ، فان كل أحد يحجم عنها حتى يصل الأمر إليه صلى الله عليه و سلم فيقول : أنا لها أنا لها ، ثم يذهب إلى المكان الذى أذن له فيشفع ، فيشفعه الله تعالى [فيفصل - [4]] سبحانه بين الخلائق ليذهب كل أحد إلى داره : جنته أو ناره ، روى الشيخان : البخارى[5] و مسلم[6] عن أبى هريرة

/ ٥٣٥

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لأنه (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للشاكين (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل : غيبا وضعه ، و فى ظ : غيبا وصفه (٤) زيد من م و مد (٥) راجع من صحيحه تفسير سورة بنى إسرائيل ٢/ ٦٨٤ ، و أورده فى عدة مناسبات ، و راجع من صحيح مسلم باب إثبات الشفاعة من كتاب الإيمان ١/ ١١ .

رضى

رضى الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فى دعوة فرفع إليه الذراع، و كانت تعجبه، فنهش منها نهشة، فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، هل [1]تدرون مم[1] ذاك، يجمع الله الأولين و الآخرين فى صعيد واحد فيبصرهم الناظر، و يسمعهم الداعى، و تدنو منهم الشمس، فيبلغ الناس من الغم و الكرب ما لا يطيقون و لا يحملون، فيقول الناس[2]: ٥ ألا ترون إلى ما أنتم فيه و إلى ما بلغكم؟ ألا تنظرون [إلى -[3]] من يشفع لكم إلى ربكم، فيقول بعض الناس لبعض: أبوكم آدم فذكر سؤالهم أكابر الأنبياء، و كل واحد منهم يحيل على الذى بعده إلى أن يقول عيسى عليه السلام: اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه و سلم، فيقول النبى صلى الله عليه و سلم حين يأتونه: أنا لها، فينطلق[4] فيسجد تحت العرش - و هو مروى ١٠ عن غير أبى هريرة عن أنس و غيره من الصحابة رضى الله تعالى عنهم، و لكن لم أر فيه التصريح بالشفاعة العامة بعد رفع رأسه صلى الله عليه و سلم من السجود إلا فيما[5] رواه البخارى فى الزكاة من صحيحه[6] فى باب «من سأل الناس تكثرا» عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف ١٥ الأذن فبينماهم كذلك استغاثوا[7] بآدم ثم بموسى ثم بمحمد فيشفع[8] ليقضى

(١-١) من م و مد. و فى الأصل و ظ: ترون بما (٢) زيد فى الأصل: لبعضهم بعضا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مد. (٤) فى م و مد: ثم ينطلق (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ما (٦) ١/١٩٩. (٧) من م و مد و الصحيح، و فى الأصل و ظ: استعانوا (٨) من مد و الصحيح، و فى الأصل و ظ و م: ليشفع.

بين الخلق فيمشى حتى يأخذ بحلقة الباب ، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم ، و كذا فيما رواه أبو يعلى فى مسنده فقال : حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد ثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد ثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد [بن -[1]] زياد عن محمد بن كعب ٥ القرظى عن رجل من الأنصار عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه و سلم و هو فى طائفة من أصحابه فقال : إن الله تبارك و تعالى لما فرغ من خلق السماوات و الأرض خلق الصور فذكر [النفخ [2]] فيه للموت ثم للبعث ، ثم ذكر الحشر - و هو حديث طويل جدا إلى أن قال : ثم يقفون موقفا واحدا[3] مقدار سبعين عاما لا ينظر ١٠ إليكم و لا يقضى بينكم ، فتبكون حتى تنقطع الدموع ، ثم تدمعون دما و تعرقون إلى أن يبلغ ذلك منكم أن يلجمكم أو يبلغ الأذقان . فتضجون و تقولون : من يشفع لنا إلى ربنا يقضى بيننا ، فتقولون[4] : من أحق بذلك من أبيكم آدم ، خلقه الله بيده ، و نفخ فيه من روحه ، و كلمه[5] قبلا ، فتأتون آدم فتطلبون ذلك إليه فيأبى[6] فيقول : ما أنا بصاحب ذلك ، ثم ١٥ يستقربون الأنبياء نبيا نبيا كلما[7] جاؤا نبيا أبى عليهم ، قال رسول الله / صلى الله عليه و سلم : حتى تأتونى ، فأنطلق حتى آتى الفحص فأخر ساجدا ، /٥٣٦

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : واحد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فتقول (٥) زيد فى الأصل و ظ و م : قبله ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيأتى (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : كلهم .

فقال أبو هريرة : يا رسول الله ! ما الفحص ؟ قال : قدام العرش - حتى يبعث الله إلىّ ملكا فيأخذ بعضدى فيرفعنى فيقول : [لى -[1]] : يا محمد ! فأقول : نعم يا رب ! فيقول : ما شأنك - و هو أعلم ، فاقول : يا رب وعدتنى فشفعنى فى خلقك فاقض بينهم ، قال : قد شفعتك[2] أنا آتيكم فأقضى بينكم ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : فأرجع فأقف مع الناس فبينما ٥ نحن وقوف سمعنا حسا من السماء شديدا فنزل [أهل -[1]] السماء الدنيا مثل من فى الأرض من الجن و الإنس حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم ، و أخذوا مصافهم ، و قلنا لهم : أفيكم ربنا ؟ قالوا : لا ، و هو آت ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثل من نزل[1] من الملائكة ، و مثل الجن و الإنس ، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم ، و أخذوا ١٠ مصافهم و قلنا لهم : أفيكم ربنا ؟ قالوا : لا ، و هو آت ، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار تبارك و تعالى فى ظلل من الغمام ، و الملائكة تحمل عرشه يومئذ ثمانية ، و هو اليوم على أربعة - إلى أن قال : فيضع الله كرسيه حيث شاء من أرضه ، ثم يهتف بصوته فيقول : يا معشر الجن و الإنس ! إنى قد أنصت[5] لكم من يوم خلقتكم إلى ١٥ يومكم هذا أسمع قولكم ، و أبصر أعمالكم ، فأنصتوا لى[6] فانما هى أعمالكم

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الله (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شفعتكم (٤) زيد فى الأصل : من الأولى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ارصت (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و ظ : إلى .

و صحفكم تقرأ عليكم ، فمن وجد خيرا فليحمد الله ، و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ، ثم يقول الله عز و جل "ألم اعهد اليكم يبنى آدم ان لاتعبدوا الشيطن انه لكم عدو مبين و ان اعبدونى هذا صراط مستقيم و لقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون - أو بها تكذبون - شك أبو عاصم ، و امتازوا اليوم ايها المجرمون" ، فتمس النار الناس و تجثو الأمم و ترى كل أمة جاثية كل امة تدعى إلى كتابها فيقضى بين خلقه - فذكره و هو طويل جدا ، ثم ذكر الصراط و بعض الشفاعات الخاصة فى أهل الجنة . فذكر دخولهم الجنة ثم أنهم يشفعون فى بعض أهل النار إلى أن قال : ثم يأذن الله فى الشفاعة ، فلا يبقى نبى و لاشهيد ، إلا شفع - إلى أن قال : ثم يقول الله عز و جل : بقيت أنا و أنا أرحم الراحمين . فيدخل الله يده فى جهنم فيخرج منها ما لايحصيه غيره . و روى ابن حبان فى صحيحه - قال المنذرى : و لا أعلم فى إسناده مطعنا - عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم : قال : يقول إبراهيم عليه السلام يوم القيامة : يا رباه ، فيقول الرب جل و علا : يا ابيكاه ، فيقول إبراهيم : يا رب حرقت بى - فيقول الله[1] : أخرجوا من النار من كان فى قلبه ذرة أو شعيرة من الإيمان ، و روى الحاكم[2] و قال : صحيح على شرط مسلم [و أحمد بن منيع[3]] : يلقى رجل

(١) سقط من ظ و مد (٢) راجع المستدرك ٤ / ٥٨٩ حيث أورده الحاكم باختصار مما هنا و لعل السياق لأحمد بن منيع (٣) زيد من م و مد .

اباه يوم القيامة فيقول: يا ابة! أى ابن كنت لك؟ فيقول: خير ابن، فيقول: هل أنت مطيعى اليوم. فيقول: نعم، فيقول خذ بازرتى، فيأخذ بازرتـــه، ثم ينطلق حتى يأتى الله و هو يعرض بعض الخلق، فيقول: يا عبدى! ادخل من أى أبواب الجنة شئت /. فيقول: أى ربى، و أبى / ٥٣٧
معى فانك[1] وعدتنى أن لن تخزينى، فيعرض عنه و[2]يقضى بين[2] الخلق [3]ويعرضهم[3] ٥
ثم [ينظر إليه -[4]] فيقول[5]: يا ابن آدم، ادخل من [أى -[4]] أبواب الجنة شئت، فيقول[5]: أى[6] ربى [و أبى -[7]] معى فانك[8] [قد -[4]] وعدتنى أن لن تخزينى[9]. قال: فيمسخ[10] الله أباه ضبعا أمذر أو أجر - شك أبو جعفر أحد رواة ابن منيع - فيأخذ بانفه فيقول: أبوك هو، فيقول: ما هو بأبى، فيهوى فى النار. وهو فى البخارى فى أحاديث الأنبياء[11] و تفسير الشعراء[12] ١٠
بلفظ: يلقى إبراهيم عليه السلام أباه آذر يوم القيامة و على وجه آذر قترة و غبرة. فيقول له إبراهيم عليه السلام: ألم أقل لك: لا تعصنى. فيقول له أبوه: فاليوم [13]لا اعصيك[13]. فيقول إبراهيم: يا رب إنك و عدتنى ان لاتخزينى يوم يبعثون فأى خزى أخزى من أبى الأبعد، فيقول الله تعالى:

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انك (٢-٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يقبل على (٣-٣) من م ومد، و فى الأصل و ظ: فيعرضهم (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يقول (٦) فى م: يا (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انك (٩) زيد فى م: فيقول (١٠) من م و مد. و فى الأصل و ظ: فيسمح - كذا (١١) ١/٤٧٣. (٢١) ٢/٧٠٢ (١٣-١٣) من ظ و مد و الصحيح، و فى الأصل و م: لاعصيك.

إنى حرمت الجنة على الكافرين، ثم يقال لإبراهيم عليه السلام: انظر ما تحت رجلك فينظر فاذا هو بذيخ - و هو ذكر الضبعان - متلطخ[1] فيؤخذ بقوائمه فيلقى فى النار، و روى أبو يعلى الموصلى و الحاكم[2] [و قال -[3]]: صحيح على شرط الشيخين عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: ليأخذن رجل بيد أبيه يوم القيامة فتقطعه النار يريد أن يدخله الجنة. قال: فينادى أن الجنة لا يدخلها مشرك، ألا إن الله [قد -[4]] حرم الجنة على كل مشرك قال: فيقول: أى رب! أبى، فيحول فى صورة قبيحة و ريح منتنة فيتركه، فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم يرون[5] أنه إبراهيم عليه السلام، و روى الشيخان[6] و غيرهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يخطب على المنبر يقول[7]: إنكم ملاقو الله حفاة عراة غرلا كما بدانا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين، ألا و إن أول الخلائق يكسى إبراهيم عليه السلام ألا و إنه سيجاء برجال من أمتى فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب! أصحابى، فيقول: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح[8] " و كنت عليهم

---

(١) من الصحيح، وفى الأصول: ملتطخ (٢) راجع المستدرك ٤/٥٨٧ (٣) زيد من م و مد (٤) زيد من م و مد و المستدرك (٥) فى م: يرونه (٦) راجع صحيح البخارى كتاب الأنبياء باب قول الله عز و جل «واتخذ الله ابراهيم خليلا» ١٠/٤٧٣، و صحيح مسلم كتاب صفة الجنة باب نداء الدنيا و بيان الحشر يوم القيامة ٢/٣٨٤ (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فيقول (٨) فى م: الصالح.

شهيدا ما دمت فيهم - إلى قوله : و ان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم " و رواه الترمذى[1] و النسائى[2] بنحوه ، و من نحو ما قال عيسى عليه السلام قول إبراهيم عليه السلام كما حكاه الله عنه " فمن تبعنى فانه منى و من عصانى فانك غفور رحيم " و روى مسلم فى الإيمان من صحيحه[4] و النسائى فى التفسير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ٥ أن النبى صلى الله عليه و سلم تلا قول الله عز و جل فى إبراهيم عليه السلام « رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى » الآية - و قال عيسى عليه السلام « ان تعذبهم فانهم عبادك و ان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم » فرفع يديه و قال : اللهم أمتى اللهم أمتى اللهم أمتى - و بكى ، فقال الله عز و جل : يا جبريل ، اذهب إلى محمد - و ربك ١٠ أعلم - فاسئله ما يبكيك ؟ فأتاه جبريل عليه السلام فسأله ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه و سلم بما قال و هو أعلم ، فقال الله : يا جبريل اذهب إلى محمد فقل : إنا سنرضيك فى أمتك و لا نسوءك ، و للشيخين[6] فى الحوض[7] و الفتن[8] و مسلم فى فضل النبى صلى الله عليه و سلم[9] عن سهل بن سعد / و أبى سعيد رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم ١٥ / ٥٣٨ قال : أنا فرطكم على الحوض ، من مر على شرب ، و من شرب لم يظمأ

---

(١) راجع أبواب القيامة (٢) راجع أبواب الجنائز (٣) فى م : فى (٤) راجع باب دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لأمته وبكائه شفقة عليهم ١/١١٣ (٥) ليس فى م و مد (٦) من ظ و م و مد ٢ و فى الأصل : للشيخان. (٧) ٢ / ٩٧٤. (٨) ٢ / ١٠٤٥ (٩) ٢ / ٢٤٩.

أبدا ، ليردن عليّ أقوام أعرفهم و يعرفونى ثم يحال بينى و بينهم - زاد ابو سعيد رضى الله عنه : فأقول : إنهم[1] منى - فيقال : إنك تدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا لمن غير بعدى . و لمسلم و ابن ماجه[2] - و هذا لفظه - عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم - فذكر خطبته فى الحج ثم قال : ألا و إنى [فرطكم -[3]] على الحوض و اكاثر بكم الأمم . و لا تسودوا وجهى . الا و إنى مستنقذ أناسا و مستنقذ منى أناس فأقول : يارب : أصحابى أصحابى . فيقول : إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك . و لفظ مسلم[4] : أنا فرطكم على الحوض و لأنازعن اقواما ثم لأغلبن عليهم[5] [فأقول : يا رب ! أصحابى أصحابى - [6]] فيقال : إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك . و لمسلم[7] عن عائشة رضى الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول و هو بين ظهرانى أصحابه : إنى على الحوض أنظر[8] من يرد علىّ منكم . فو الله ليقطعن[9] دونى رجال فلأقولن : أى رب ! منى و من أمتى ، فيقول : إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك ، ما زالوا

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل وظ : منهم (٢) المناسك : الخطبة يوم النحر : ٢٢٦ (٣) زيد من م و مد و سنن ابن ماجه (٤) الفضائل : إثبات حوض نبينا صلى الله عليه و سلم و صفاته ٢/٢٥٠ (٥) من ظ و م و مد و صحيح مسلم ، و فى الأصل : عليهن (٦) زيد من ظ و م و مد و صحيح مسلم (٧) راجع الباب المذكور ٢ / ٢٤٩ (٨) فى صحيح مسلم : انتظر (٩) فى صحيح مسلم : ليقتطعن .

يرجعون على اعقابهم . و للشيخين[1] عن ابى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ترد علىّ أمتى الحوض و أنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل[2] الرجل عن إبله ، قالوا : يا نبى الله ! تعرفنا ؟ قال : نعم . لكم سيما ليست[3] لغيركم تردون علىّ غرا محجلين من آثار الوضوء ، و لتصدن عنى طائفة منكم فلا يصلون . فأقول : يا رب هؤلاء من أصحابى ، فيجيبنى ملك فيقول : و هل تدرى ما أحدثوا بعدك ؟ و فى رواية[4] : بينما أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم[5] خرج من بينى و بينهم رجل ، فقال : هلم ؛ فقلت : إلى أين ؟ فقال : إلى النار و الله ، فقلت : ما شأنهم ؟ فقال : إنهم ارتدوا على ادبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم . أى ضوالها - أى الناجى قليل ، و فى رواية لمسلم فى الوضوء[6] : ألا ليذادن رجال عن حوضى كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم ، فيقال[7] : إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا . قال المنذرى[8] :

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للشيخان ، و أورده البخارى فى الصحيح مختصرا فى المساقاة : باب من رأى أن صاحب الحوض و القربة أحق بمائه ١/٣١٨ . و أورده مسلم فى الصحيح كما هنا فى الطهارة باب استحباب إطالة الغرة ١ / ١٢٦ (٢) من ظ و م و مد و مسلم . و فى الأصل : ابر - كذا (٣) من م و مد و صحيح مسلم ، و زيد فيه بعده : لأحد ، و فى الأصل و ظ : ليس . (٤) راجع صحيح البخارى - الحوض ٢ / ٩٧٥ (٥) من م و مد و صحيح البخارى ، و فى الأصل و ظ : عرضهم (٦) راجع ١/١٢٧ (٧) زيد فى الأصل و ظ : الا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد و صحيح مسلم فحذفناها (٨) فى الترغيب و الترهيب .

والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة جدا .

ولما وعظهم سبحانه بصادق الإخبار عن قوم نوح ومن تبعهم من الكفار ، وختمه بالإنذار بما يقع فى دار القرار للظالمين الأشرار ، أتبعه[1] الوعظ والتخويف بالمشاهدة من تتبع الديار والاعتبار ، بما كان لهم فيها من عجائب الآثار ، من الحصون والقصور وسائر الأبنية الصغار والكبار ، فقال موبخا[2] ومقررا عاطفا[2] على ما تقديره : ألم يتعظوا بما اخبرناهم به عن الظالمين الأولين ، ومن تبعهم من الإهلاك فى الدنيا المتصل بالشقاء[3] فى الأخرى : ﴿ اولم يسيروا ﴾ ولما كان المتقدمون من الكثرة[4] والشدة والمكنة بحيث لايعلمه إلا الله ولايقدر آدمى على الإحاطة بمساكنهم ، نبه عليه بقوله : ﴿ فى الارض ﴾ أى أى أرض ساروا فيها وعظتهم بما حوت من الأعلام .

ولما كان السير سببا للنظر قال : ﴿ فينظروا ﴾ أى نظر اعتبار كما هو شأن أرباب البصائر الذين يزعمون أنهم اعلام . ولما كانت الأحوال المنظور فيها المعتبر بها شديدة الغرابة ، نبه عليها بقوله : ﴿ كيف ﴾ أى أنها[5] اهل لأن يسئل عنها ، ونبه على أن التصاقها بهم فى غاية العراقة[6] بحيث لا انفكاك لها بقوله : ﴿ كان عاقبة ﴾ اى آخر /٥٣٩

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبعه (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مقرعالها (٣) فى ظ و م : بالشقاوة (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لكثر (٥) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : إنما (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الغرابة .

أمر ﴿ الذين كانوا ﴾ أى سكان الأرض عريقين فى عمارتها . و لما كان المنتفع بالوعظ[1] يكفيه ادنى شىء منه ، نبه على ذلك بالجار فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ أى قبل زمانهم ﴿ كانوا ﴾ و لما كان السياق لمجادلة قريش لإدحاض الحق مع سماعهم لأخبار الأولين ، كانوا كأنهم ادعوا أنهم اشد الناس ، فاقتضى الحال تأكيد الخبر بأن الأولين اشد منهم ، ٥ فأكـــد أمرهم فيما نسبه إليهم معبرا بضمير الفصل بقوله : ﴿ هم ﴾ أى المتقدمون ، لما لهم من القوى الظاهرة و الباطنة .

و لما كان مرجع المجادلة القوة لا الكثرة[2] ، أسقطها و قال استئنافا فى جواب من لعله يقول : ما كان أمرهم ؟ : ﴿ اشد منهم ﴾ أى هؤلاء - قرأه[3] ابن عامر " منكم " بالكاف كما هو فى مصحف اهل الشام على ١٠ الالتفات للتنصيص على المراد ﴿ قوة ﴾ اى ذواتا[4] و معانى ﴿ و ﴾ أشد ﴿ اثارا فى الارض ﴾ لأن آثارهم [5]لم يندرس[5] بعضها إلى هذا الزمان و قد مضى عليها ألوف من السنين ، و أما المتأخرون فتنطمس آثارهم فى أقل من قرن .

و لما كانت قوتهم و مكنتهم سببا لإعجابهم و تكبرهم على أمر ربهم ١٥ و مخالفة رسله[6] ، فكان ذلك سبب هلاكهم قال : ﴿ فاخذهم الله ﴾ [أى -[7]]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالمواعظ (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المكاثرة (٣) فى الأصل بياض ، ملأناه من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذواة (٥ - ٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رسلهم (٧) زيد من ظ و م و مد .

الذى له صفات الكمال أخذ غلبة و قهر و سطوة ، و لما لم يتقدم شيء يسند إليه أخذهم ، قال مبينا ما أخذوا به : ﴿ بذنوبهم ﴾ [أى -[1]] التى سببت لهم الأخذ ، لم يغن عنهم شيء من ذلك الذى أبطرهم حتى عتوا به على ربهم و لاشفع فيهم شافع ﴿ و ما كان لهم ﴾ أى من شركائهم الذين ضلوا بهم كهؤلاء و من غيرهم ﴿ من الله ﴾ أى عوض المتصف بجميع صفات الكمال ، أو كونا مبتدئا من جهة عظمته و جلاله . و أكد النفى بزيادة الجار فقال : ﴿ من واق ﴾ أى يقيهم مراده سبحانه فيهم ، لا من شركائهم و لا من غيرهم ، فعلم أن الذين من دونه لايقضون بشيء ، و يجوز أن تكون « من » الأولى ابتدائية على بابها تنبيها على أن الأخذ فى غاية العنف لأنه إذا لم يبتدئ من جهته سبحانه لهم وقاية لم تكن لهم باقية بخلاف من عاقبه الله عقوبة تأديب . فان عذابه يكون سبب بقائه لما[2] يحصل له منه سبحانه من الوقاية .

و لما ذكر سبحانه أخذهم [ذكر سببه -[1]] بما حاصله[3] أن الاستهانة بالرسول استهانة بمن أرسله فى قوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الأخذ العظيم و لما كان مقصود السورة تصنيف الناس فى الآخرة[4] صنفين ، فكانوا إحدى عمدتى الكلام ، أتى بضميرهم فقال : ﴿ بانهم ﴾ أى الذين كانوا من قبل ﴿ كانت تاتيهم ﴾ أى شيئا فشيئا فى الزمان الماضى على وجه قضاه سبحانه فأنفذه[5] ﴿ رسلهم ﴾ أى الذين هم منهم ﴿ بالبينت ﴾

(١) زيد من م و مد (٢) فى م : لم (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حاصلهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الآخرين (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فانقده .

اى الآيات الدالة على صدقهم دلالة هى من وضوح الأمر بحيث لايسع[1] منصفا[2] إنكارها .

و لما كان مطلق الكفر كافيا فى العذاب ، عبر بالماضى فقال : ﴿ فكفروا ﴾ أى سببوا عن إتيان الرسل عليهم الصلاة و السلام الكفر موضع ما كان إتيانهم[3] سببا له من الإيمان . ٥ / ٥٤٤

و لما سبب لهم كفرهم الهلاك قال : ﴿ فاخذهم ﴾ أى أخذ غضب ﴿ الله[4] ﴾ اى الملك الأعظم . و لما كان قوله " فكفروا " معلما بسبب أخذهم لم يقل : بكفرهم . كما قال سابقا : بذنوبهم ، لإرشاد السياق إليه . و لما كان اجتراؤهم على العظائم فعل منكر للقدرة ، قال مؤكدا لعملهم عمل من لايخافه[5] : ﴿ انه قوى ﴾ لايغلبه شيء و هو يغلب كل شيء ١٠ ﴿ شديد العقاب ٥ ﴾ .

و لما كان ذلك عجبا لأن البينات تمنع من الكفر ، فكان التقدير لمن ينكر الإرسال على هذه الصفة : فلقد أرسلناهم كذلك ، و كان موسى عليه السلام من أجلّ المرسلين آيات . عطف على ذلك تسلية و نذارة لمن ادبر ، و بشارة لمن استبصر . قوله : ﴿ و لقد ﴾ [و لفت -[6]] ١٥ القول إلى مظهر العظمة [كما -[6]] فى الآيات التى أظهرها بحضرة هذا

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لايسمع (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مصنفا (٣) هنا تنتهى صفحة الأصل : ٥٣٩ ، و العبارة فيه إلى نهاية ص ٥٤٣ متكررة فحذفناها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايخالفه . (٥) زيد من ظ و م و مد .

الملك المتعاظم من الهول و العظم[1] الذى تصاغرت به نفسه [2]و تحاقرت[2] عنده همته[3] و انطمس حسه ، فقال : ﴿ ارسلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ موسى بآيٰتنا ﴾ أى الدالة على جلالنا ﴿ و سلطٰن ﴾ أى أمر قاهر عظيم جدا ، لاحيلة لهم فى مدافعة شيء منه ﴿مبين ۝﴾ أى بين فى نفسه مناد لكل من يمكن اطلاعه عليه انه ظاهر جدا ، و ذلك الأمر هو الذى كان يمنع فرعون من الوصول إلى أذاه مع ما له من القوة و السلطان ﴿ الى فرعون ﴾ أى ملك مصر . و لما كان الأكابر[5] أول من يتوجه إليه [الأمر -[4]] لأن بانقيادهم ينقاد غيرهم [قال -[4]] : ﴿ و هامٰن ﴾ أى وزيره . و لما كان من أعجب العجب أن يكذب الرسول [6]من جاء[6] لنصرته و استنقاذه من شدته قال : ﴿ و قارون ﴾ أى قريب موسى عليه السلام ﴿ فقالوا ﴾ أى هؤلاء و من تبعهم ، [7]أما من[7] عدا قارون فاولا و آخرا بالقوة و الفعل ، و أما قارون ففعله آخرا بين أنه مطبوع على الكفر و إن آمن أولا ، و إن هذا كان قوله و إن [9]لم يقله بالفعل[9] فى ذلك الزمان فقد قاله فى التيه ، فدل ذلك على أنه[10]

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العظمة (٢-٢) ما بين الرقمين بياض فى مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نفسه (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاكبار (٥) زيد من م و مد (٦ - ٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لمن (٧ - ٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امن ما (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : آخر (٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لم يفعله فى الفعل (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذلك .

لم يزل قائلا به، لأنه [١]لم يتب[١] منه ﴿ سحر ﴾ لعجزهم عن مقاهرته، و لم يقل، «سحار[٢]» لئلا يتوهم أحد أنه يمدحه بالبراعة[٣] فى علم السحر فتتحرك الهمم للاقبال عليه للاستفادة منه، و هو خبر مبتدأ محذوف، ثم وصفوه بقولهم: ﴿ كذاب ﴾ [٤]لخوفهم من تصديق الناس له، فبعث أخص عباده[٥] به إلى أخس[٦] عباده عنده ليقيم[٧] الحجة عليه[٨]، و أمهله عند ما قابل بالتكذيب و حلم[٩] عنه حتى أعذر إليه غاية الإعذار.

و لما أجمل أمره كله فى هاتين الآيتين، شرع فى تفصيله فقال مشيرا إلى مبادرتهم إلى العناد من غير توقف أصلا التى أشار إليها حذف المبتدأ و الاقتصار على الخبر الذى هو محط الفائدة: ﴿ فلما جآءهم ﴾ أى موسى عليه السلام ﴿ بالحق ﴾ أى بالأمر[١٠] الثابت الذى لا طاقة لأحد بتغيير[١١] شيء منه، كائنا ﴿ من عندنا ﴾ على ما لنا من القهر، فآمن معه طائفة من قومه ﴿ قالوا ﴾ أى فرعون و أتباعه ﴿ اقتلوآ ﴾ أى قتلا حقيقيا بازالة الروح ﴿ ابنآء الذين ءامنوا ﴾ أى به فكانوا ﴿ معه ﴾ أى

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ثبت (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سحارا (٣) من ظ و م و مد. و فى الأصل: فى البراعة (٤) زيد فى الأصل و م: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عبارة (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: أحسن. (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ليفهم (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عليهم (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: علم (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الأمر (١١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: بتغيير.

٥٤٥/ خصوهم بذلك و اتركوا من / عداهم لعلهم يكذبونه ﴿و استحيوا نساءهم﴾ أى اطلبوا حياتهن بأن لاتقتلوهن .

و لما كان [هذا -١] أمرا صادا فى العادة لمن يؤمن عن الإيمان و رادا لمن آمن إلى الكفران ، اشار إلى أنه سبحانه خرق العادة بابطاله فقال : ﴿و ما﴾ أى و الحال أنه ما كيدهم - هكذا كان الأصل و لكنه قال : ﴿كيد الكفرين﴾ تعميما و تعليقا بالوصف ﴿الا فى ضلل ٥﴾ أى مجانبة[٢] للسدد الموصل إلى الظفر و الفوز لأنه ما أفادهم أولا فى الحذر من موسى عليه السلام و لا آخرا فى صد من آمن به مرادهم ، بل كان فيه تبارهم[٣] و هلاكهم ، و كذا أفعال الفجرة مع أولياء الله ، ما حفر احد منهم لأحد منهم حفرة[٤] مكر إلا أركسه الله فيها .

و لما أخبر تعالى بفعله بمن تابع موسى عليه السلام ، أخبر عن فعله معه بما علم به أنه عاجز عنه فقال : ﴿و قال فرعون﴾ أى أعظم الكفرة فى ذلك الوقت لرؤساء أتباعه عند ما علم أنه عاجز عن قتله و ملأه ما رأى منه خوفا و ذعرا ، دافعا عن نفسه ما يقال من أنه ما ترك موسى عليه السلام مع استهانته [به-٥] إلا[٦] عجزا عنه ، موهما أن آله هم الذين[٧] يردونه عنه ، و أنه لولا ذلك لقتله : ﴿ذرونى﴾ أى اتركونى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بجانبه .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تبادهم (٤) زيد فى الأصل و ظ : أى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) زيد من مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : لا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى .

على اىّ حالة كانت ﴿اقتل موسى﴾ و زاد فى [1]إيهام الأغبياء[1] و المناداة على نفسه عند البصراء بالفضيحة بقوله : ﴿ وليدع ربه ج﴾ [أى الذى -[2]] يدعوه و يدعى إحسانه إليه بما يظهر على يديه من هذه الخوارق ، ثم علل ذلك بقوله مؤكدا إعلاما بأنه الأمر صعب جدا لأنه كان منهم من يوهى أمره بأنه لايؤثر ما هو فيه شيئا أصلا تقربا إلى فرعون ، ٥ و إظهارا للثبات على متابعته ﴿ انىّ اخاف ﴾ [أى -[2]] إن تركته ﴿ ان يبدل دينكم ﴾ أى الذى أنتم عليه من نسبة الفعل إلى الطبيعة بما يدعو إليه من عبادة إلهه .

و لما ألهبهم[3] بهذا الكلام إلى [4]مالأتهم له على[4] موسى عليه السلام ، زاد فى ذلك بقوله : ﴿و ان يظهر﴾ أى بسببه - على قراءة الجماعة بفتح حرف ١٠ المضارعة ﴿فى الارض﴾ أى كلها ﴿الفساد﴾ و قرأ المدنيان[5] و البصريان و حفص[6] بالضم إسنادا[7] إلى ضمير موسى عليه السلام و بنصب الفساد [أى -[8]] بفساد المعائش فانه إذا غلب علينا قوى على من[9] سوانا ، فسفك الدماء و سبى الذرية ، و انتهب الأموال ، ففسدت الدنيا مع فساد الدين ، فسمى اللعين الصلاح - لمخالفته[10] لطريقته الفاسدة - فسادا كما هو ١٥

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الايهام للاغبياء (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الهم (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امالتهم إلى (٥) راجع نثر المرجان ٦ /٢١٩ (٦) فى م : جعفر . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : استنادا (٨) زيد من م و مد (٩) ليس فى م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مخالفته .

شأن كل مفسد مع المصلحين[1]. و قرأ الكوفيون و يعقوب «أو أن» بمعنى أنه يخاف وقوع أحد الأمرين: التبديل أو ظهور ما هو عليه مما سماه فسادا، و إن لم يحصل التبديل عاجلا فانه يحصل به الوهن.

و لما أعلم بمقالة العدو، أتبعه الإعلام بقول الولى فقال:

٥ [﴿و قال موسى﴾ إبطالا لهذا القول و إزالة لآثاره مؤكدا لما استقر فى النفوس من قدرة فرعون -[2]]: ﴿انى عذت﴾ أى اعتصمت عند ابتداء الرسالة ﴿بربى﴾ و رغبهم فى الاعتصام بـه و ثبتهم بقوله: ﴿و ربكم﴾ اى المحسن إلينا أجمعين، فارسلنى لاستنقاذكم من أعداء الدين و الدنيا ﴿من كل متكبر﴾ أى عات طاغ متعظم [على الحق -[3]] هذا

١٠ و غيره ﴿لا يؤمن﴾ أى لا يتجدد له تصديق ﴿بيوم الحساب﴾ من ربه له و هو يعلم أنه لابد من حسابه هو لمن تحت يده من رعاياه و عبيده فيحكم على ربه بما لا يحكم به على نفسه، و معنى العوذ أنه لا وصول لأحد منهم / إلى قتلى بسبب عوذى، هذا أمر قد فرغ منه مرسلى لخلاصكم، القادر على كل شىء. /٥٤٦

١٥ و لما انقضى كلام الرأسين، و كانت عادة من لم يكن لهم نظام من الله رابط أن قلوبهم لا تكاد تجتمع[4] و أنه لابد ان يجاهر بعضهم بما عنده و لو عظم شأن الملك القائم بأمرهم، و اجتهد فى جمع مفترق[5]

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الصالحين (٢) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تجمع (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: متفرق.

علنهم و سرهم ، قال تعالى مخبرا عن كلام بعض الأتباع فى بعض ذلك : ﴿ و قال رجل ﴾ أى كامل فى رجوليته ﴿ مؤمن ﴾ أى راسخ الإيمان فيما جاء به موسى عليه السلام . و لما كان للانسان ، إذا عم الطغيان ، ان يسكن بين أهل العدوان ، إذا نصح بحسب الإمكان ، أفاد ذلك بقوله : ﴿ من آل فرعون ﴾ أى وجوههم و رؤسائهم ﴿ يكتم ايمانه ﴾ أى ٥ يخفيه إخفاء شديدا خوفا على نفسه لأن الواحد[1] إذا شذ عن قبيلة يطمع فيه ما لا يطمع إذا كان واحدا من جماعة مختلفة ، مخيلا لهم بما يوقفهم عن الإقدام على قتله من غير تصريح بالإيمان .

و لما رآهم قد عزموا على القتل عزما قويا أوقع عليه[2] اسم القتل ، فقال منكرا له غاية الإنكار : ﴿ اتقتلون رجلا ﴾ أى هو عظيم فى الرجال ١٠ حسا و معنى ، ثم علل قتلهم له بما ينافيه فقال : ﴿ أن ﴾ أى لأجل أن ﴿ يقول ﴾ و لو على سبيل التكرير : ﴿ ربى ﴾ أى المربى لى و المحسن إلىّ ﴿ الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ جاءكم بالبينت ﴾ أى الآيات الظاهرات من غير لبس ﴿ من ربكم[1] ﴾ أى الذى لا إحسان عندكم إلا منه ، و كما أن ربوبيته له اقتضت عنه ١٥ الاعتراف له بها فكذلك ينبغى أن تكون ربوبيته لكم داعية لكم إلى اعترافكم له بها .

و لما كان كلامه هذا يكاد أن يصرح بايمانه ، وصله بما يشككهم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الموحد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عليهم .

فى أمره و يوقفهم عن ضره . فقال مشيرا إلى أنه لا يخلو حاله من أن يكون صادقا أو كاذبا ، مقدماً القسم الذى هو أنفى للتهمة عنه و أدعى للقبول منه : ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أنه إن . و لما كان المقام لضيقه غاية الضيق بالكون بين شرور ثلاثة عظيمة : قتلهم خير الناس إذ ذاك ، و إتيانهم بالعذاب ، و اطلاعهم على إيمانه ، فأقل ما يدعوهم[1] ذلك إلى اتهامه[2] إن لم يحملهم على إعدامه[3] داعية للايجاز فى الوعظ و المسارعة إلى الإتيان بأقل ما يمكن ، حذف النون فقال : ﴿ يك كاذبا فعليه ﴾ أى خاصة ﴿ كذبه ج ﴾ [4]يضره ذلك و ليس عليكم منه ضرر ، و لم يقل : [أو -[5]] صادقا . و إن كان الحال مقتضيا لغاية الإيجاز لئلا يكون قد نقص الجانب المقصود بالذات حقه ، فيكون قد أخل ببعض الأدب ، فقال مظهرا لفعل[6] الكون عادلا عما له إلى ما عليهم معادلا لما ذكره عليه و نقصه عنه إظهارا للنصفة[7] و دفعا للتهمة عن نفسه : ﴿ و ان يك ﴾ حذف نونه لمثل ما مضى ﴿ صادقا يصبكم ﴾ أى على وجه العقوبة من الله و له صدقه[8]

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .
(٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : اتمامه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعلامه (٤) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها ، و « يضره ذلك » ساقطة من مد (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الفعل (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للقصة (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : صدق ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من مد إلى ما سننبه عليه .

ينفعه

ينفعه و لا ينفعكم شيئا .

و لما كان العاقل من نظر لنفسه فلم يرد كلام خصمه من غير حجة ، و كان أقل ما يكون من توعد من بانت مخايل صدقه البعض ، قال ملزما الحجة بالبعض ، غير تاف لما فوقه إظهارا للانصاف و أنه لم يوصله حقه فضلا عن التعصب[1] له نفيا للتهمة عن نفسه : ﴿ بعض الذى ﴾ ٥ و قال : ﴿ يعدكم[2] ﴾ / دون «يوعدكم» إشارة إلى أنهم إن وافوه أصابهم جميع ٥٤٧ / ما وعدهموه من الخير ، و إلا دهاهم ما توعدهم[3] من الشر ، و الآية من الاحتباك[4] : ذكر اختصاصه بضر الكذب[5] أولا دليلا على ضده و هو اختصاصه بنفع الصدق ثانيا ، و إصابتهم ثانيا دليلا على إصابته أولا ، و سره أنه ذكر الضار[6] فى الموضعين ، لأنه أنفع فى الوعظ لأن من شأن النفس ١٠ الإسراع[6] فى الهرب منه ، و لقد قام أعظم من هذا المقام - كما فى الصحيح[7] عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما - أبو بكر الصديق رضى الله عنه و هو [مظهر إيمانه و قد جد الجد بتحقق الشروع فى الفعل حيث أخذ المشركون بمجامع ثوب النبى صلى الله عليه و سلم و هو يطوف بالبيت فالتزمه أبو بكر رضى الله عنه و هو -[8]] يقول هذه الآية ، و دموعه ١٥

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : التعصيب (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : وعدهم (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : الكرب (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : بالضاد . (٦) فى الأصل و ظ بياض ، ملأناه من م (٧) راجع فضائل الصحابة و مناقب الأنصار و تفسير هذه السورة (٨) زيد ما بين الحاجزين من م .

تجرى على لحيته حتى فرج الله و قد مزقوا كثيرا من شعر رأسه ـ رضى الله عنه .

و لما كان فرعون قد نسب موسى عليه الصلاة و السلام بما زعمه[1] من إرادته إظهار الفساد إلى الإسراف بعد ما نسبه إليه من الكذب ، علل هذا المؤمن قوله هذا الحسن فى شق[2] التقسيم بما ينطبق[3] إلى فرعون [4]منفرا منه مع[4] صلاحيته لإرادة موسى عليه الصلاة و السلام على [5]ما زعمه[5] فيه فرعون فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له مجامع العظمة و معاقد العز ﴿ لايهـدى ﴾ أى[6] إلى ارتكاب ما ينفع و اجتناب ما يضر ﴿ من هو مسرف ﴾ أى باظهار الفساد [7]متجاوز للحد[7] ، و كأنه رضى الله عنه جوز أن يتأخر شيء مما[8] توعد به فيسموه كذبا ، و لذا قال " يصبكم بعض الذى يعدكم " فعلق الأمر بالمبالغة فقال : ﴿ كذاب ﴾ لأن أول خذلانه و ضلاله تعمقه فى الكذب ، و يهدى[9] من هو مقتصد صادق ، فان كان كاذبا كما زعمتم ضره كذبه ، و لم يهتد لوجه يخلصه ، و إن كان صادقا أصابتكم العقوبة و لم تهتدوا لما ينجيكم ، لاتصافكم

(١) من م ، و فى الأصل وظ : زرعه (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : سعى . (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : ينطلق (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مقراضه من (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : رحمه (٦) زيد فى الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من م ، و فى الأصل : متجاوزا للحدود ، و فى ظ : متجاوز للحدود (٨) من م ، و فى الأصل وظ : ما (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : تعدى .

بالوصفين .

و لما خيلهم بهذا الكلام الذى يمكنه توجيهه ، شرع فى وعظهم إظهارا للنصيحة لهم و التحسر عليهم فقال مذكرا لهم بنعمة الله عليهم محذرا لهم من سلبها مستعطفا بذكر أنه منهم : ﴿ يقوم ﴾ و عبر بأسلوب [الخطاب - ١] دون التكلم تصريحا بالمقصود فقال : ﴿ لكم الملك ﴾ ٥ و نبه على ما يعرفونه من تقلبات الدهر بقوله : ﴿ اليوم ﴾ و أشار إلى ما عهدوه من الخذلان فى بعض الأزمان بقوله : ﴿ ظهرين ﴾ أى غالبين على بنى إسرائيل و غيرهم ، و ما زال أهل البلاء يتوقعون الرخاء ، و أهل الرخاء يتوقعون البلاء ، و نبه على الإله الواحد القهار الذى له ملك السماوات فملك الأرض من باب الأولى ، بقوله معبرا بأداة الظرف الدالة على ١٠ الاحتياج ترهيبا لهم : ﴿ فى الارض ﴾ أى أرض مصر التى هى لحسنها و جمعها المنافع كالأرض كلها ، قد غلبتم الناس عليها .

و لما علم من هذا أنهم لا يملكون جميع الكون ، تسبب عنه أن المالك للكل هو الإله الحق و الملك المطلق الذى لا مانع لما يريد ، فلا ينبغى لأحد من عبيده ان يتعرض إلى ما لا قبل له به من سخطه ، ١٥ فلذلك قال : ﴿ فمن ينصرنا ﴾ اى أنا و أنتم ، ادرج نفسه فيهم عند ذكر الشر بعد إفراده لهم [بالملك - ١] إبعادا للتهمة و حثا على قبول النصيحة : ﴿ من باس الله ﴾ أى الذى له الملك [كله - ١] ، و نبه بأداة الشك على أن عذابه لهم أمر ممكن ، و العاقل من يجوز / الجائز و يسعى فى /٥٤٨

(١) زيد من م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .

التدرع منه فقال: ﴿ان جآءنا[1]﴾ أى غضبا لهذا الذى يدعى أنه أرسله، و يجوز أن يكون صادقا، بل يجب اعتقاد ذلك لما أظهره من الدلائل، و فى قوله هذا تسجيل عليهم بأنهم يعرفون أن الله ملك الملوك و رب الأرباب. و كذا[1] قول موسى عليه السلام "لقد علمت[2] ما انزل هؤلاء[2] الا رب السمٰوٰت و الارض[3]" و أن ادعاء فرعون الإلهية إنما [هو -[4]] محض عناد.

و لما سمع فرعون ما لامطعن له فيه، فكان بحيث يخاف من بقية قومه إن أفحش فى أمر هذا المؤمن، فتشوف السامع لجوابه، أخبر تعالى أنه رد ردا دون رد بقوله: ﴿ قال فرعون ﴾ أى لقومه جوابا لما قاله[5] هذا المؤمن دالا بالحيدة عن حاق جوابه على الانقطاع[6] بالعجز عن نقض شىء من كلامه: ﴿ مآ اريكم ﴾ أى من الآراء ﴿ الا مآ ارىٰ ﴾ أى إنه الصواب[7] على قدر مبلغ علمى، أى إن ما اظهرته لكم هو الذى أبطنه. و لما كان فى كلام المؤمن تعريض فى أمر الهداية، و كان الإنسان ربما يتوافق قلبه و لسانه، و يكون تطابقهما على ضلال، قال: ﴿ و مآ اهديكم ﴾ أى بما أشرت به من قتل موسى عليه السلام و غيره ﴿ الا سبيل الرشاد ﴾ أى الذى أرى أنه صواب، لا أبطن شيئا و أظهر[8] غيره. و ربما يكون فى هذا تنبيه لهم على ما يلوح

(١) من ظ و م، و فى الأصل: كذلك (٢ - ٢) تكرر ما بين الرقمين فى م. (٣) زيد فى الأصل: بصاير. و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من م (٥) فى م: قال (٦) من ظ و م، و فى الأصل: انقطاع (٧) فى م: صواب (٨) من م، و فى الأصل و ظ: اظهره.

من

من كلام المؤمن لأنه ارتاب فى أمره، و فى هذا أنه فى غاية الرعب من أمر موسى عليه السلام لاستشارته لقومه فى امره و احتمال هذه المراجعات التى يلوح منها أنه يكاد ينفطر غيظا منه و لكنه يتجلد .

و لما ظهر لهذا المؤمن رضى الله عنه ان فرعون ذل لكلامه، و لم يستطع مصارحته[1]، ارتفع إلى أصرح من الأسلوب الأول فأخبرنا تعالى عنه بقوله مكتفيا فى وصفه[2] بالفعل الماضى لأنه فى مقام الوعظ الذى ينبغى أن يكون من أدنى متصف بالإيمان بعد أن ذكر عراقته فى الوصف لأجل أنه كان فى مقام المجاهدة و المدافعة عن الرسول عليه و على نبينا أفضل الصلاة و السلام الذى لايقدم عليه إلا راسخ القدم فى الدين : ﴿ و قال الذى آمن ﴾ اى بعد قول فرعون هذا الكلام الذى هو ابرد من الثلج الذى[3] دل على جهله و عجزه و ذله ﴿ يقوم ﴾ و أكد لما رأى عندهم من انكار امره و خاف منهم من اتهامه [فقال -[4]] : ﴿ انى اخاف عليكم ﴾ أى من المكابرة فى أمر موسى عليه الصلاة و السلام .

و لما كان أقل ما يخشى يكفى العاقل، و كانت قدرة الله سبحانه عليهم كلهم على حد سواء لاتفاوت فيها فكان هلاكهم كلهم كهلاك نفس واحدة[5]، أفرد فقال : ﴿ مثل يوم الاحزاب ﴾ مع أن إفراده أروع و أقوى فى التخويف و أفظع للاشارة إلى قوة الله تعالى و أنه قادر على

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مصادحته (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : وضعه (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : واحد .

إهلاكهم فى أقل زمان .

ولما أجمل فصل و بين أو[1] بدل بعد أن هول ، فقال بادئا بمن كان عذابهم مثل عذابهم . و دأبهم شديها بدأبهم : ﴿ مثل داب ﴾ أى عادة ﴿ قوم نوح ﴾ أى فيما دهمهم من الهلاك الذى محقهم فلم يطيقوه مع ما كان فيهم من قوة المحاولة و المقاومة لما يريدونه ﴿ و عاد و ثمود ﴾ مع ما بلغكم من جبروتهم . و لما كان هؤلاء اقوى الأمم ، اكتفى بهم و أجمل من بعدهم فقال : ﴿ و الذين ﴾ و أشار بالجار إلى التخصيص بالعذاب لئلا يقال : هذه عادة الدهر ، / فقال : ﴿ من بعدهم[2] ﴾ أى بالقرب من زمانهم لا جميع من جاء بعدهم . /٥٤٩

و لما كان التقدير : أهلكهم الله و ما ظلمهم ، عبر عنه تعميما مقرونا بما[3] تضمنه من الخبر[3] بدليله فقال : ﴿ و ما الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بأوصاف الكمال . و لما كان[4] فى مقام الوعظ لهم و مراده ردهم عن غيهم بكل حال ، علق الأمر بالإرادة لأنها متى ارتفعت انتفى الظلم ، و نكر تعميما فقال : ﴿ يريد ظلما ﴾ أى يتجدد منه أن يعلق إرادته وقتا ما بنوع ظلم ﴿ للعباد ﴾ لأن احدا لا يتوجه أبدا إلى أنه يظلم عبيده الذين هم تحت قهره ، و طوع مشيته و أمره ، و متى لم يعرفوا حقه و أرادوا البغى على من يعرف حقه عاقبهم و لابد ، و إلا كان كفه عنهم ظلما

(١) من م ، و فى الأصل و ظ « و » (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : ما (٣) من ظ و م ، و فى الاصل : الخير (٤) زيد فى الأصل : هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

للبغى عليهم .

و لما أشرق من آفاق هذا الوعظ شمس البعث و نور الحشر، لأنه لايسوغ أصلا أن ملكا يدع عبيده[1] يبغى بعضهم على بعض من غير إنصاف بينهم و نحن نرى أكثر الخلق يموت مقهورا من ظالمه، و مكسورا من حاكمه. فعلم قطعا أن الموت الذى لم يقدر و لايقدر أحد أصلا أن ٥ يسلم منه إنما هو سوق إلى [2]داره العرض[2] و ساحة الجزاء للقرض - كما جرت به عادة الملوك إذا وكلوا بمن يأمرون باحضاره إليهم لعرضه عليهم ليظهر التجلى فى صفات الجبروت و العدل، و مظاهر الكرم [و الفضل -[3]] قال: ﴿و يقوم﴾ و لما كانوا منكرين للبعث أكد فقال: ﴿انى اخاف﴾ و عبر بأداة الاستعلاء زيادة فى التخويف فقال: ﴿عليكم﴾ و لما كان ١٠ قد سماه فيما مضى بالتلاقى[4] و الآزفة لما ذكر، عرف هنا أن الخلق فيه وجلون خائفون و أنهم[5] لكثرة الجمع يُنَادُون و يُنَادَون للرفعة أو الضعة[6] و غير ذلك من الأمور المتنوعة التى مجموعها يدل[7] على ظهور الجبروت و ذل الخلق لما يظهر[8] لهم من الكبرياء و العظموت فقال: ﴿يوم التناد﴾ أى أهواله و ما يقع فيه، فينادى الجبار سبحانه بقوله "الم اعهد اليكم ١٥

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: دار العوض (٣) زيد من م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: بالتا - كذا مع يسير من البياض (٥) بياض فى الأصل، ملأناه من ظ و م. (٦) من م، و فى الأصل و ظ: الضعفة (٧) من م، و فى الأصل و ظ: يكون (٨) بياض فى الأصل، و ظ ملأناه من م.

يٰبنى آدم ان لاتعبدوا الشيطٰن" و ينادونه « بلى يا ربنا » و تنادى الملائكة بصوت يسمعه [من بعد كما يسمعه -[1]] من قرب « يا فلان ابن فلان أقبل لفصل النزاع » و ينادى ذلك العبد « ألا سمعا و طاعة » و ينادى الفائز « ألا نعم اجر العاملين » و ينادى الخائب « ألا بئس منقلب الظالمين » و ينادى بالشقاوة و السعادة: ألا إن فلانا قد سعد ، ألا إن فلانا قد شقى ، و ينادى أصحاب الأعراف ، و أهل الجنة أهل النار ، و أهل النار أهل الجنة ، و ينادى الكل حين يذبح الموت ، و يدعى كل أناس بامامهم ، و تتنادى الملائكة و قد أحاطوا بالثقلين صفوفا مترتبة ترتب السماوات التى كانوا بها بالتسبيح و التقديس ، و ترتفع الأصوات بالضجيج ، بعضهم بالسرور و بعضهم بالويل و الثبور ، و تنادى ألسن النيران : أين الجبارون أين المتكبرون ، و تنادى الجنة : أين المشمرون فى مرضات الله [2]و الصابرون[2]، فيا له يوما يذل فيه العصاة العتاة ، و يعز المنكسرة قلوبهم من أجل الله ، و قرأ ابن عباس[3] رضى الله عنهما فى آخرين بتشديد الدال من التناد على [أنه -[4]] مصدر تناد من ند البعير - إذا هرب و نفر ، و هو كقوله يوم " يفر المرء من اخيه " و تقدم فى حذف ياء التلاق[5] و إثباتها ما يمكن الفطن تنزيله هنا . /و لما كانت[6] عادة المتنادين الإقبال ، /٥٥٠ وصف ذلك اليوم بضد ذلك لشدة الأهوال فقال مبدلا أو مبينا :

(١) زيد من ظ و م (٢) و من هنا تستأنف نسخة مد (٣) راجع نثر المرجان ٦/٢٢٥ (٤) زيد من م و مد (٥) زيد فى الأصل و ظ : لما ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان .

﴿ يوم تولون مدبرين ج ﴾ أى [حين - [١]] تخرج ألسنة النيران فتخطف أهل الكفران، و تزفر زفرات يخر أهل الموقف [من خشيتها، فترى كل أمة جاثية و يفرون فلا يقصدون مكانا إلا وجدوا به الملائكة - [٢]] صافين كما قال تعالى "و الملك على ارجائها" و ينادى المنادى "يمعشر الجن و الانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السمٰوٰت و الارض فانفذوا لاتنفذون الابسلطٰن" .

و لما كان المدبر إنما يقصد فى إدباره معقلا يمنعه و يستره او فئة تحميه و تنصره، قال مبينا حالهم: ﴿ ما لكم من الله ﴾ أى الملك الجبار الذى لا ند له، و أعرق فى النفى فقال: ﴿ من عاصم ج ﴾ أى مانع يمنعكم مما يراد بكم فما لكم من عاصم أصلا. فانه سبحانه يجير و لا يجار عليه .

و لما كان التقدير: لضلالكم فى الدنيا فان حالكم فى ذلك اليوم مكتسب من احوالكم فى هذا اليوم، عطف عليه قوله معما[٣]: ﴿ و من يضلل الله ﴾ اى الملك المحيط بكل شىء الباطن فى أردية الجلال الظاهر فى مظاهر القهر و الجمال، إضلالا جبلة عليه فهو فى غاية البيان - بما أشار إليه الفك ﴿ فما له من هاد ه ﴾ أى إلى شىء ينفعه بوجه من الوجوه، و أما الضلال العارض فبزيله [الله - [١]] لمن[٢] يشاء من عباده، و هذا لايعرف إلا بالخاتمة كما قاله الإمام أبو الحسن الأشعرى: فمن مات على شىء فهو مجبول عليه .

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تعميما (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما .

و لما كان حاصل ما مضى من حالهم فى أمر موسى عليه السلام أنه جاءهم بالبينات فشكوا فيها ، و ختم بتحذيرهم [من] عذاب الدنيا و الآخرة ، عطف عليه شك آبائهم فى مثل ذلك ، فقال مبينا أنهم مستحقون لما حذر منه من العذاب ليشكروا نعمة الله فى أمهاله[1] إياهم و يحذروا نقمته إن تمادوا و أكد لأجل إنكارهم أن يكونوا أتوا ببينة ، و افتتح بحرف التوقع لأن حالهم اقتضت توقع ذلك و دعت إليه : ﴿ و لقد جآءكم ﴾ أى جاء آباءكم يا معشر القبط ، و لكنه عبر بذلك دلالة على أنهم على مذهب [الآباء - ٢] كما جرت به العادة من التقليد ، و من أنهم على طبائعهم لاسيما إن كانوا [لم - ٢] يفارقوا مساكنهم : ﴿ يوسف ﴾ أى نبى الله بن نبى الله يعقوب بن نبى الله إسحاق بن خليل الله إبراهيم عليهم و على نبينا أفضل الصلاة و أتم التسليم .

و لما لم يكن مجيئه مستغرقا لما تقدم موسى عليه السلام من الزمان أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل ﴾ أى [قبل - ٢] زمن موسى عليه السلام : ﴿ بالبينت ﴾ أى الآيات الظاهرات و لا سيما فى أمر يوم التناد ﴿ فما زلتم ﴾ بكسر الزاى من زال يزال أى ما برحتم أنتم تبعا لآبائكم ﴿ فى شك ﴾ أى محيط بكم لم تصلوا إلى رتبة الظن ﴿ مما جآءكم به ﴾ من التوحيد و ما يتبعه ، و دل على تمادى شكهم بقوله : ﴿ حتى اذا هلك ﴾ و كأنه عبر بالهلاك إيهاما لهم أنه غير معظم له ، و أنه إنما يقول ما يشعر بالتعظيم لأجل محض النصيحة و النظر فى العاقبة ﴿ قلتم ﴾ اى

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اهماله (٢) زيد من م و مد .

من عند أنفسكم بغير دليل كراهة[1] لما جاء به و تضجرا منه جهلا بالله تعالى[2]: ﴿لن يبعث الله﴾ أى الذى له صفات / الكمال . ٥٥١

و لما كان مرادهم استغراق النفى حتى لايقع البعث فى زمن من الأزمان و إن قل، أدخل الجار فقال: ﴿من بعده﴾ أى يوسف عليه السلام ﴿رسولا[3]﴾ و هذا ليس إقرارا منهم برسالته، بل هو ضم منهم إلى الشك فى رسالته التكذيب برسالة من بعده، و الحجر على الملك الأعظم فى عباده و بلاده و الإخبار عنه بما ينافى كماله .

و لما كان كأنه قيل: هذا ضلال عظيم هل ضل أحد مثله؟ أجيب بقوله: ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا الضلال العظيم الشأن ﴿يضل﴾ و أبرز الاسم ولم يضمره لئلا يخص الإضلال بالحيثية الماضية، و جعله الجلالة تعظيما للأمر لصلاحية الحال لذلك[4] و كذا ما يأتى بعده ﴿الله﴾ أى بما له من صفات القهر ﴿من هو مسرف﴾ أى متعال فى الأمور خارج عن الحدود طالب للارتفاع عن طور البشر .

و لما كان السياق للشك فى الرسالة[5] و القول بالظن [الذى يلزم منه اتهام القادر سبحانه بالعجز أو مجانبة الحكمة -] قال: ﴿مرتاب ذ ج مله﴾

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: كراهته (٢) زيد فى الأصل: حيث قلتم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كذلك (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الرواية (٥) زيد من م و مد .

[اى - [1]] يشك فيما لايقبل الشك و يتهم[2] غيره بما لا حظ للتهمة[3] فيه، أى ديدنه التذبذب فى الأمور الدينية. فلا يكاد يحقق[4] أمرا من الأمور، و لا إسراف و لا ارتياب أعظم من حال المشرك فانه منع الحق أهله و بذله لمن[5] لا يستحقه بوجه، و هذه الآية دليل على أن القبط طول الدهر على مانشاهده من أنه[6] لا ثقة[7] بدخولهم فى الدين الحق، و لا ثبات لهم فى الأعمال الصالحة.

و لما ظهر ظهورا لا يحتمل شكا بما أتى به موسى عليه السلام من البينات أن شكهم فى رسالة الماضى و جزمهم فى الحكم بنفى رسالة الآتى أعظم ضلال و أنه من الجدال الذى لامعنى له إلا فتل المحق عما هو عليه من الحق إلى ما عليه المجادل من الضلال، وصل بذلك قوله على سبيل الاستئناف ذما لهم بعبارة تعم غيرهم: ﴿ الذين ﴾ أى جدال[8] من ﴿ يجادلون ﴾ أى يقاتلون و يخاصمون خصاما شديدا ﴿ فى آيات الله ﴾ أى المحيط بأوصاف الكمال لاسيما الآيات الدالة على يوم التناد، فانها أظهر الآيات على وجوده سبحانه و على ما هو عليه من الصفات و الأفعال و ما يجوز عليه أو يستحيل.

و لما كان الجدال بالتى هى أحسن مشروعا، و هو بما أمر به

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يتوهم (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فى التهمة (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: حقق (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: من (٦) فى م: أنهم (٧) زيد فى الأصل و ظ: لهم، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حال.

قال: ﴿ بغير سلطن ﴾ اى تسليط و دليل ﴿ اتنهم ﴾ أى من عند من له[1] الأمر كله ﴿ كبر ﴾ أى عظم هو، اى الجدال المقدر مضافا قبل " الذين " و بين ما أبهم من هذا العظم بتمييز محول عن الفاعل فقال: ﴿ مقتا عند الله ﴾ أى الملك لأعظم ﴿ و عند الذين 'امنوا' ﴾ أى الذين هم خاصته[2]. ٥

و لما كان فاعل هذا لا يكون إلا مظلم القلب، فكان التقدير: أولئك طبع الله على قلوبهم، وصل به استئنافا قوله: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الطبع العظيم ﴿ يطبع ﴾ أى يختم ختما فيه العطب ﴿ الله ﴾ [أى -[3]] الذى له جميع العظمة ﴿ على كل قلب ﴾ و لما كان فعل كل ذى روح إنما هو بقلبه، نسب[4] الفعل إليه فى قراءة أبى عمرو[5] و ابن ١٠ عامر فى إحدى الروايتين عنه بالتنوين فوصفه بقوله: ﴿ متكبر ﴾ أى متكلف ما ليس له و ليس لأحد غير الله ﴿ جبار ﴾ أى ظاهر الكبر قويه[6] قهار، و قراءة الباقين بالإضافة مثلها سواء فى [7]أن السور[7] داخل القلب ليعم جميع أفراده[8] / غير أن الوصف بالكبر و الجبروت للشخص / ٥٥٢ لا للقلب، و هى أبين من القراءة الشاذة بتقديم القلب على كل، لأن ١٥

(١) وقع فى الأصل بعد « كله »، و الترتيب من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خاصة معه (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل و م: تسبب (٥) راجع نثر المرجان ٦ / ٢٢٩ (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قوى (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السوء - كذا (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المراد.

تقديم كل نص فى استغراق أفراد القلوب ممن اتصف بهذا الوصف، و من المقطوع به أن آحاد القلوب موزعة على آحاد الأشخاص لأنه لا يكون لشخص أكثر من قلب بخلاف ما إذا قدم القلب فانه قد يدعى أن الشخص واحد، و أن السور[1] لأجل جمعه[2] لأنواع الكبر و الجبروت فيكون [المعنى -[3]] : على قلب شخص جامع لكل فرد من أفراد التكبر و التجبر - و الله الموفق .

و لما ذكر الطبع المذكور، دل عليه بما ذكر من قول فرعون و فعله عطفا على ما مضى من قوله و قول المؤمن، فانه قصد ما لامطمع فى نيله تيها و حماقة تكبرا و تجبرا لكثافة قلبه و فساد لبه، فصار به ضحكة لكل من سمعه، هذا إن كان ظن أنه يصل إلى ما أراد، و إن كان قصد بذلك التلبيس على قومه للدافعة عن اتباع موسى عليه السلام إلى وقت ما فقد نادى عليهم بالجهل، و الإغراق فى قلة الحزم و الشهامة و العقل، فقال تعالى: ﴿ و قال فرعون ﴾ أى بعد قول المؤمن هذا، معرضا عن جوابه لأنه لم يجد فيه مطعنا: ﴿ يٰهامٰن ﴾ و هو وزيره ﴿ ابن ﴾ و عرفه بشدة اهتمامه به بالإضافة إليه فى قوله: ﴿ لى صرحا ﴾ أى بناء ظاهرا يعلوه لكل أحد، قال البغوى[4]: لا يخفى على الناظر و إن بعد. و أصله من التصريح و هو الإظهار، و تعليله بالترجى الذى لا يكون إلا فى الممكن دليل على أنه كان يلبس على قومه و هو يعرف الحق،

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السود (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حجة (٣) زيد من م و مد (٤) فى المعالم - راجع لباب التأويل ٦ / ٨٠.

فان عاقلا لا يعد ما رامه فى عداد الممكن العادى فقال : ﴿ لعلىّ ابلغ الاسباب ﴾ أى التى لا أسباب غيرها لعظمها .

و لما كان بلوغها أمرا عجيبا ، أورده[1] على نمط مشوق عليه ليعطيه السامع حقه من الاهتمام تفخيما لشأنها ، ليتشوف السامع إلى بيانها ، بقوله : ﴿ اسباب السمٰوٰت ﴾ أى الأمور الموصلة إليها ، وكل ما أداك ٥ إلى شىء فهو سبب إليه .

و لما ذكر هذا السبب ، ذكر المسبب عنه فقال : ﴿ فأطلع ﴾ أى فلعله يتسبب عن ذلك و يتعقبه أنى أتكلف الطلوع ﴿ الىٰ اله موسىٰ ﴾ فيكون كما ترى عطفا على "ابلغ" ، و نصبه حفص[2] عن عاصم على الجواب تنبيها على أن ما أبرزه[3] الخبيث فى عداد الممكن إنما هو[4] تمنى ١٠ محال غير ممكن فى العادة .

و لما كان من جملة إرادته بذلك مع إيقاف[5] قومه إلى وقت ما عن المتابعة أن يخيلهم بأن يقول : طلعت فبحثت عما قال موسى فلم أقف له على صحة ، قدم لهم قوله مبينا لحاله إذ ذاك لما ظن من ميل قلوبهم إلى تصديق موسى عليه السلام : ﴿ و انى لاظنه ﴾ أى موسى ﴿ كاذبا ﴾ ١٥ فترك الكلام على احتمال أن يريد فى الرسالة[6] أو فى[6] الإلهية . و لما كان

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اورد (٢) راجع نثر المرجان ٦/٢٣٠ .
(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ابرز (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هى (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اتفاق (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ادنى .

هذا أمرا عجيبا، و هو كون أحد يظن أنه يخيل للعقول انه يصعد إلى السماء، و أن الإله الذى هو غنى عن كل[1] شىء و قد كان و لا شىء معه يكون فى السماء، أو فى محل من المحال، فان كل حال فى شىء[2] يحتاج إلى محله، و كل محتاج عاجز و لا يصلح العاجز للالهية لو لم يجىء عن الله لما كان أهلا لأن يصدق، فكان التقدير: عمله فرعون لأنا زيناه له. عطف عليه قوله زيادة فى التعجيب: ﴿ و كذلك ﴾ / أى و مثل ذلك التزيين العظيم الشأن اللاعب[4] بالألباب. و لما كان الضار هو التزيين لا المزين الخاص، بناه للمفعول فقال: ﴿ زين ﴾ أى زين المزين النافذ الأمر. و هو لله تعالى حقيقة بخلقه و إلزامه لأن كل ما دخل فى الوجود من المحدثات فهو خلقه، و الشيطان مجازا بالتسبب بالوسوسة التى هى خلق الله تعالى ﴿ لفرعون سوء عمله ﴾ فى جميع أمره، فاقبل عليه راغبا[5] فيه مع بعده عن عقل أقل ذوى[6] العقول فضلا عن ذوى الهمم منهم فضلا عن الملوك، و أطاعه فيه وقومه[6] ﴿ و صد ﴾ بنفسه و منع غيره على قراءة الفتح[7]، و منعه الله - على قراءة الكوفيين و يعقوب بالضم ﴿ عن السبيل ﴾ أى التى لاسبيل فى الحقيقة غيرها، و هى الموصلة

/٥٥٣

(١) زيد فى الأصل: احد و عن كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: محل (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اللاعبة (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: واغبا (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذى (٦) زيد فى الأصل: و ذويه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) راجع نثر المرجان ٦ / ٢٣٢.

إلى الله تعالى .

و لما كان هذا السياق بحيث يظن [منه - ١] الظان أن لفرعون نوع تصرف ، نفى ذلك بقوله : ﴿و ما كيد﴾ و أعاد الاسم و لم يضمره لئلا يخص بحيثية من الحيثيات فقال : ﴿فرعون﴾ اى فى إبطال أمر موسى عليه السلام ﴿الا فى تباب ع﴾ أى خسار و هلاك عظيم محيط به لا يقدر على الخروج منه ، و ما تعاطاه إلا لأنه محمول عليه و مقهور فيه ، كما كشف عنه الحال ، فدل ذلك قطعا على أنه لو كان له أدنى تصرف يستقل به لما أنتج فعله الخسار .

و لما كان فساد ما قاله فرعون أظهر من أن يحتاج إلى بيان ، اعرض المؤمن عنه تصريحا ، و لوّح إلى ما حكاه الله عنه من أنه محيط به الهلاك تلويحا فى قوله مناديا قومه و مستعطفا لهم ثلاث مرات : الأولى على سبيل الإجمال فى الدعوة ، و الأخريان على سبيل التفصيل ، فقال تعالى عنه : ﴿و قال الذى آمن﴾ [اى - ٢] مشيرا إلى ٣ وهى قول ٣ فرعون بالإعراض عنه ، و عبر بالفعل إشارة إلى أنه ينبغى لأدنى أهل الإيمان ان [لا - ٤] يحقر نفسه عن الوعظ : ﴿ يقوم ﴾ أى يا من لا قيام لى إلا بهم فأنا غير متهم فى نصيحتهم ﴿ اتبعون ﴾ أى كلفوا أنفسكم اتباعى لأن السعادة ٦ غالبا تكون فيما يكره الإنسان ﴿اهدكم سبيل﴾

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قول وهى .
(٣) من ظ و مد ، وفى الأصل و م : على (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المساعدة .

أى طريق ﴿ الرشاد ج ﴾ أى الهدى لأنه مع سهولته و اتساعه موصل و لابد إلى المقصود ، و أما ما قال فرعون مدعيا أنه سبيل الرشاد لايوصل إلا إلى الخسار ، فهو تعريض به شبيه بالتصريح .

و لما كان هذا دعاء على سبيل الإجمال ، و كان الداء كله فى الإقبال على الفانى ، و الدواء كله فى الإقدام على الباقى . قال استئنافا فى جواب من سأل عن تفصيل هذه السبيل مبينا أنها العدول عما يفنى إلى ما يبقى محقرا للدنيا مصغرا لشأنها لأن الإخلاد إليها أصل الشر كلـــه ، و منه يتشعب ما يؤدى إلى سخط الله ﴿ يقوم ﴾ كرر ذلك زيادة فى استعطافهم بكونهم [1]أهله فهو غير متهم[1] فى نصحهم لأنه لايريد لهم إلا ما يريد لنفسه . و لما كانت الأنفس لكونها مطبوعة على الوهم لاتعد الحاصل إلا الحاضر أكد فقال : ﴿ انما هذه الحيوة ﴾ و حقرها بقوله : ﴿ الدنيا ﴾ إشارة إلى دناءتها و بقوله : ﴿ متاع ز ﴾ إشارة إلى أنها جيفة لأنها فى اللغة[2] من جملة مدلولات المتاع . فلا يتناول / منها إلا كما يتناول المضطر[3] من الجيفة لأنها دار القلعة[4] و الزوال و التزود و الارتحال . /٥٥٤

و لما افتتح بذم الدنيا ، ثنى بمدح الآخرة فقال : ﴿ و ان الأخرة ﴾ لكونها المقصودة بالذات ﴿ هى دار القرار ه ﴾ التى لا تحول منها[5] أصلا

(١ - ١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قومهم (٢) زيد فى الأصل و م : من جهة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المفطر (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الغفلة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيها .

دائم كل شيء[1] من ثوابها و عقابها. فهى للتلذذ و الانتفاع، و الترفه و الاتساع، لمن توسل إلى ذلك بحسن الاتباع، أو للشقاوة و الهلاك، لمن اجترأ على المحارم و استخف الانتهاك. قال الأصفهانى: قال بعض العارفين: لو كانت الدنيا ذهبا [فانيا -[2]] و الآخرة خزفا باقيا، لكانت الآخرة خيرا من الدنيا فكيف و الدنيا خزف فان، و الآخرة ذهب باق بل أشرف و أحسن. و كما أن النعيم فيها دائم فكذلك العذاب، فكان الترغيب فى نعيم الجنان، و الترهيب من عذاب النيران، من أعظم وجوه[3] الترغيب و الترهيب، فالآية من الاختباك: ذكر المتاع أولا دليلا على حذف التوسع ثانيا، و القرار ثانيا دليلا على حذف الارتحال اولا.

و لما حرك الهمم بهذا الوعظ إلى الإعراض عن دار الأنكاد و الأمراض، و الإقبال على دار[4] الجلال و الجمال[5] بخدمة ذى العز و الكمال، قال فى جواب من سأل عن كيفية ذلك ما حاصله أنه بالإقبال على محاسن الأعمال، و ترك السيئ من الخلال، واصلا بذلك على[6] طريق البيان للبيان، ذاكرا عاقبة كل ليثبط عما يتلف، و ينشط لما[7] يزلف، مشيرا إلى أن جانب الرحمة أغلب، [مقدما لما هم عليه من السوء محذرا منه ليرجعوا -[2]]: ﴿من عمل سيئة﴾ أى ما يسوء من أى صنف كان: الذكور و الإناث

(١) سقط من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وجوب (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجمال و الجلال (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الى (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: إلى ما (٧) زيد من م و مد.

و المؤمنين و الكافرين ﴿ فلا يجزى ﴾ أى من الملك الذى لاملك سواه ﴿ الا مثلها ج ﴾ عدلا لا يزاد عليها مقدار ذرة و لا أصغر منها و يدخل النار إن لم يكن له ما يكفرها، فهذا هو الملك الذى ينبغى الإقبال على خدمته لكونه الحكم العدل القادر على الجزاء و المساواة فى الجزاء، فالكافر لما كان على عزم إدامة[1] الكفر كان عذابه دائما، و الفاسق [لما كان -[2]] على نية التوبة لاعتقاده أنه [فى -[3]] معصية و شر كان[4] عذابه منقطعا، و الآية على عمومها، و ما خرج [منها -[3]] بدليل كان مخصوصا فيخرج عليها جميع باب الجنايات و غيره، و من قال: إنها فى شىء معين، لزمه أن تكون مجملة، لأن ذاك[5] المعين غير مذكور، و التخصيص أولى من الإجمال - كما قال أهل الأصول.

و لما بين العدل فى العقاب، بين الفضل فى الثواب، تنبيها على أن الرحمة سبقت الغضب فقال: ﴿ و من عمل صالحا ﴾ أى و لو قل. و لما كان من يعهدون من الملوك إنما يستعملون الأقوياء لاحتياجهم، بين أنه على غير ذلك لأنه لاحاجة به أصلا فقال: ﴿ من ذكر او انثى ﴾ و لما كان العمل لايصح بدون الإيمان[6] قال مبينا شرطه: ﴿ و هو ﴾ أى عمل و الحال أنه ﴿ مؤمن ﴾ و لما كان فى مقام الترغيب فى عدله و جوده و فضله، جعل الجزاء مسببا[7] عن الأعمال فقال: ﴿ فاولئك ﴾

(١) من م و مد. و فى الأصل و ظ: ارادة (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كانه (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذلك (٦) من م و مد، و فى الأصل وظ: ايمان.
(٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سببا.

أى العالو الهمة و المقدار ﴿ يدخلون الجنة ﴾ [أى -[1]] بأمر من له الأمر كله بعد أن ضاعف[2] لهم أعمالهم فضلا ، و الآية من الاحتباك : ذكر المساواة أولا عدلا يدل على المضاعفة ثانيا فضلا . و ذكر إدخال الجنة ثانيا يدل على إدخال النار أولا ، و سره / أنه ذكر فضله فى كل من الشقين ﴿ يرزقون فيها ﴾ أى من [3]غير احتياج[3] [4]إلى تحول أصلا و لا إلى[4] أسباب . و لعل ذلك من أسرار البناء للمفعول ﴿ بغير حساب ﴾ لخروج ما فيها بكثرته عن الحصر ، فان أدنى أهلها منزلة لو أضاف كل أهل الأرض لكفاهم من غير ان ينقص من ملكه شيء ، و هذا من باب الفضل ، و فضل الله لاحد له . و رحمته غلبت غضبه ، و أما جزاء السيئة فمن باب العدل . فلذلك وقع الحساب فيها لئلا يقع الظلم . قال الأصبهانى : فاذا عارضنا[5] عمومات الوعيد بعمومات الوعد نرجح الوعد لسبق الرحمة الغضب ، فانهدمت قواعد المعتزلة .

/ ٥٥٥

و لما بلغ النهاية فى نصحهم ، و ختم باعلامهم بأن الناس قسمان : هالك و ناج ، و كان حاصل إرادتهم لأن يكون على ما هم عليه[6] الهلاك بالنار ، قال مبكتا لهم بسوء مكافأتهم مناديا[7] لهم مكررا للنداء لزيادة التنبيه

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى م و مد : تضاعف (٣ - ٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احتاج (٤ - ٤) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط . (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عرضنا (٦) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منديا .

و الإيقاظ من الغفلة . و التذكير بأنهم قومه و أعضاده ، و عاطفا على ندائه السابق لأنه غير مفصل[1] له و لا داخل فى حكمه : ﴿ و يقوم ما ﴾ أى أىّ شىء من الحظوظ و المصالح ﴿ لىَ ﴾ فى أنى ﴿ أدعوكم الى النجوة ﴾ و الجنة بالإيمان شفقة[2] عليكم و رحمة لكم و اعترافا بحقكم ﴿ و ﴾ ما لكم من[3] ٥ ذلك فى[4] كونكم ﴿ تدعوننىَ الى النار ﴾ و الهلاك بالكفران ، فالآية من الاحتباك : ذكر النجاة الملازمة للايمان أولا دليلا على حذف الهلاك الملازم للكفران ثانيا ، و النار ثانيا دليلا على حذف الجنة أولا ، و مراده هزهم[5] و إثارة عزائمهم إلى الحياء منه بتذكيرهم أن ما يفعلونه معه ليس من شيم أهل المروءة يجازونه على[6] إحسانه إليهم بالإساءة .

١٠ و لما أخبر بقلة إنصافهم إجمالا ، بينه بقوله : ﴿ تدعوننى ﴾ أى توقعون دعائى إلى معبوداتكم ﴿ لاكفر ﴾ أى لأجل أن أكفر ﴿ بالله ﴾ أى أستر ما يجب إظهاره بسبب الذى أناله لأن له كل شىء و له مجامع القهر و العز و العظمة و الكبر ﴿ و اشرك ﴾ أى أوقع الشرك ﴿ به ﴾ أى أجعل له شريكا . و لما كان كل ما عداه سبحانه ليس له من ذاته ١٥ إلا العـــدم ، اشار إلى حقارتـــه[7] بالتعبير بأداة ما لايعقل فقال :

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : منفصل (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مشفقة (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هزمهم . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حقارة .

﴿ ما ليس لى به علم ﴾ أى نوع من العلم بصلاحيته لشىء من الشركة، فهو دعاء إلى الكذب فى شىء لايحل الإقدام عليه إلا بالدليل القطعى الذى لايحتمل نوعا من الشرك، و إذا لم يكن به علم لم يكن له عزة[1] و لامغفرة، فلم يكن له وجود لأن الملك لازم الإلهية و هو أشهر الأشياء، فما أدعى له أشهر الأشياء. فكان بحيث لايعرف بوجه من الوجوه، كان عدما محضا.

و لما بين أنهم دعوه إلى ما هو عدم فضلا عن أن يكون له نفع أو ضر فى جملة فعلية إشارة إلى بطلان دعوتهم و عدم ثبوتها، بين لهم أنه ما دعاهم إلا إلى ما له الكمال كله، و لا نفع و لاضر إلا بيده، فقال مشيرا بالجملة الاسمية إلى ثبوت دعوته و قوتها: ﴿ و انآ ادعوكم ﴾ أى أوقع دعاءكم الآن و قبله و بعده ﴿ الى العزيز ﴾ أى البالغ العزة الذى يغلب كل شىء و لا يغلبه شىء. و لما وصفه بهذا الوصف ترهيبا، صح قطعا وصفه ترغيبا بقوله: ﴿ الغفار ه ﴾ أى الذى يتكرر له دائما محو الذنب عينا و أثرا و لايقدر على ذلك / غير من هو بصفة العزة، و من صح وصفه بهذين الوصفين فهو الذى لايجهل ما[2] عليه من صفات الكمال أحد، فالآية من الاحتباك: ذكر أولا عدم العلم دليلا على العلم ثانيا، و ثانيا العزة و المغفرة دليلا على حذفهما أولا. /٥٥٦

و لما كان انتفاء العلم بالشىء من أهل العلم انتفاء ذلك الشىء فى

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: غيره (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من.

أصول الدين، كان ما دعوه إليه [باطلا، و كان ما دعاهم إليه -[1]] هو الحق، فلذلك أنتج قطعا قوله: ﴿ لاجرم ﴾ و هى و إن كانت بمعنى: لا ظن و لا اضطراب أصلا - كما مضى فى سورة هود عليه السلام فيها معنى العلة، [أى -[1]] فلأجل ذلك لاشك فى ﴿ انما ﴾ أى الذى ﴿ تدعوننى اليه ﴾ من هذه الأنداد ﴿ ليس له دعوة ﴾ بوجه من الوجوه، فانه لا إدراك له، هذا إن أريد ما [لا -[2]] يعقل، و إن أريد شىء مما يعقل فلا دعوة له مقبولة بوجه، فانه لايقوم عليها دليل [بل -[1]] و لاشبهة موهمة ﴿ فى الدنيا ﴾ التى هى محل[3] الأسباب، الظاهرة لأن شيئا منه ليس له واحد من الوصفين ﴿ و لا فى الآخرة ﴾ لأن ما لاتعلم إلهيته[4] كذلك يكون ﴿ و ان ﴾ أى و لا اضطراب فى أن ﴿ مردنآ ﴾ أى ردنا العظيم بالموت و موضع ردنا و وقته منتهٍ ﴿ الى الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات الكمال [5]لما اقتضته[5] عزته، فيجازى كل أحد بما يستحقه ﴿ و ان ﴾ اى و لا شك فى [أن -[1]] ﴿ المسرفين ﴾ أى المجاوزين للحدود العريقين فى هذا الوصف ﴿ هم ﴾ أى خاصة لأجل حكم الله بذلك عليهم ﴿ اصحٰب النار ﴾ أى الذين[6] يخلدون فيها لايفارقونها كما يقتضيه معنى الصحبة[7] لأن إسرافهم[8] اقتضى

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تحول (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الميتة. (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كما اقتضاه (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التى (٧) من م و مد، و فى الأصل و م: الصحة (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: استرافهم.

إسراف ملازمتهم للنار التى [1]طبعها الإسراف[1]، و قد علم أن ربها لايجزى بالسيئة إلا مثلها .

و لما تقرر[2] أنه [لا أمر لغير الله و أنه -[3]] لابد من المعاد ، تسبب [عنه -[3]] قوله : ﴿ فستذكرون ﴾ أى قطعا بوعد لاخلف فيه مع القرب ﴿ ما اقول لكم[4] ﴾ حين لاينفعكم الذكر فى يوم الجمع الأعظم ٥ و الزحام الذى [يكون -[3]] فيه القدم على القدم إذا رأيتم الأهوال و النكال و الزلزال إن قبلتم نصحى و إن لم تقبلوه . و لما ذكر خوفهم الذى لايحميهم منه شىء ، ذكر خوفه الذى هو معتمد فيه على الله ليحميه منه فقال عاطفا على « ستذكرون[4] » غير مراعى[5] فيها معنى السين : ﴿ و افوض ﴾ [أى -[6]] أنا الآن بسبب أنه لادعوة لغير الله ﴿ امرى ﴾ ١٠ فيما تمكرونه[7] بى ﴿ الى الله[4] ﴾ أى[8] الذى أحاط بكل شىء علما و قدرة فهو يحمينى منكم : إن شاء ، قال صاحب المنازل : التفويض ألطف إشارة و أوسع من التوكل بعد وقوع السبب ، و التفويض قبل وقوعه و بعده ، و هو عين الاستسلام ، و التوكل شعبة منه . و هو على ثلاث درجات : الأولى أن تعلم أن العبد لايملك قبل علمه استطاعة ، فلا يأمن من مكر ، ١٥ و لايأس من معونة ، و لا يعول على نية ، و الثانية معاينة الاضطرار

(١ - ١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : طبعا الإسراق (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تكرر (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تذكرون (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مراعيا . (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تذكرونه . (٨) سقط من م و مد .

فلا ترى عملا منجيا و لا ذنبا[1] مهلكا و لا سببا حاملا ، و الثالثة شهود انفراد الحق بملك الحركة و السكون و القبض و البسط و التفريق و الجمع .

و لما علق تفويضه بالاسم العلم الجامع المقتضى للاحاطة ، علل ذلك بيانا لمراده بقوله مؤكدا لأن عملهم فى مكرهم به عمل من يظن أنه سبحانه[2] لا يبصرهم [و لا ينصره -[3]] : ﴿ ان الله ﴾ [و -[4]] كرر الاسم الأعظم بيانا لمراده بأنه[5] ﴿ بصير ﴾ أى بالغ البصر ﴿ بالعباد ﴾ ظاهرا و باطنا ، فيعلم من يستحق النصرة فينصره لاتصافه بأوصاف الكمال و يعلم من يمكر فيرد مكره عليه بما له من الإحاطة .

و لما تسبب عن نصحه هذا لهم و التجائه إلى ملك الملوك[6] حفظه منهم على عظم الخطر ، قال تعالى مخبرا أنه صدق ظنه ﴿ فوقيه الله ﴾ أى جعل له وقاية تجنه[7] منهم بما له سبحانه من الجلال و العظمة و الكمال جزاء على تفويضه ﴿ سيئات ﴾ أى شدائد ﴿ ما مكروا ﴾ دينا و دنيا ، فنجاه مع موسى عليه السلام تصديقا لوعده سبحانه بقوله " انتما و من اتبعكما الغالبون " و [لما -[8]] كان المكر السيء لا يحيق إلا بأهله قال : ﴿ و حاق ﴾ أى نزل محيطا[9] بعد إحاطة الإغراق ﴿ بآل فرعون ﴾ أى كلهم فرعون و أتباعه لأجل إصرارهم على الكفر و مكرهم ، فالإحاطة[10]

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رتبا (٢) سقط من م (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد من مد (٥) ليس فى ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الموت (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تجنبه (٨) زيد من م و مد (٩) زيد فى الأصل : باحاطة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ و مد : و الإحاطة .

بفرعون من باب الأولى و إن لم نقل : [1]إن الآل[1] مشترك بين الشخص و الأتباع ، لأن العادة جرت أنه[2] لايوصل إلى جميع أتباع الإنسان إلا بعد إذلاله و أخذه فهو [3]مفهوم موافقة[3] ﴿ سوء العذاب ج ﴾ أى العقوبة المانعة من كل مستعذب ، ثم بين ذلك بقوله : ﴿ النار ﴾ أى حال كونهم ﴿ يعرضون عليها ﴾ أى فى البرزخ ﴿ غدوا و عشيا ج ﴾ ٥ أى غادين و رائحين فى وقت استراحهم بالأكل و استلذاذهم به - هذا دأبهم طول أيام البرزخ ، و كان عليهم فى هذا العرض زيادة نكد فوق ما ورد [4]عاما مما[4] روى مالك[5] و الشيخان[6] و غيرهم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة و العشى . إن كان من أهل الجنة فمن ١٠ اهل الجنة ، و إن كان من أهل النار فمن أهل النار ، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة . و لعل زيادة النكد أنهم هم المعروضون ، فيذهب بهم فى الأغلال[7] يساقون لينظروا ما أعد الله[8] لهم ، و عامة الناس يقتصر فى ذلك على أن يكشف لهم - و هم فى محالهم - عن مقاعدهم ،

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : لأن الأول (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لأنه (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موافق . (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عاما - كذا (٥) راجع الموطأ أبواب الجنائز (٦) راجع صحيح البخارى أبواب الجنائز و صحيح مسلم أبواب الجنة (٧) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) ليس فى م و مد .

فى ذلك زيادة إهانة لهم . و هو مثل : عرض[1] الأمير فلانا على السيف إذا أراد قتله ، هذا دأبهم إلى أن تقوم الساعة ﴿و يوم تقوم الساعة﴾ يقال لهم : ﴿ ادخلوا آل ﴾ أى يا آل ﴿ فرعون ﴾ هو نفسه و أتباعه لأجل اتباعهم له فيما أضلهم بـه ، و جعله نافع[2] و حمزة و الكسائى و يعقوب و حفص فعل أمر من الإدخال ، فالتقدير : نقول لبعض جنودنا : أدخلوا آله لأجل ضلالهم به اليوم[3] ﴿ اشد العذاب ﴾ و إذا كان هذا [لآله -[4]] لأجله كان له أعظم منه من باب الأولى ، و هذه الآية[5] نص فى عذاب القبر كما نقل عن عكرمة و محمد بن كعب[6] .

و لما كان هذا من خبر موسى عليه السلام و فرعون امرا غريبا جدا ، قل من يعرفه على ما هو عليه ، لأنه من خفى العلم ، أشار [سبحانه -[7]] إلى ذلك بقوله : ﴿ و اذ ﴾ أى اذكر لهم هذا الذى أنبأناك به مما[8] كان فى الزمن الأقدم ، و لا وصول له إليك إلا من جهتنا ، لأنهم يعلمون قطعا أنك ما جالست عالما قط . و اذكر لهم ما يكون فى الزمن الآتى حين ﴿يتحآجون﴾ أى هؤلاء الذين نعذبهم ﴿فى النار﴾ أى يتخاصمون فيها أتباعهم و رؤساؤهم / بما لا يغنيهم : ﴿ فيقول الضعفؤا ﴾ أى الأتباع /٥٥/

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عوض (٢) راجع نثر المرجان ٦/٢٤٠ .
(٣) سقط من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الآيات (٦) ذكره أبو حيان فى البحر المحيط ٧/٤٦٨ و أضاف إليهما مجاهدا و مقاتلا (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فما .

﴿ للذين استكبروآ ﴾ اى طلبوا أن يكونوا كبراء . و لما كانوا لشدة ما هم فيه يتبرأ كل منهم من صاحبه . أكدوا قولهم : ﴿ انا كنا لكم ﴾ أى دون غيركم ﴿ تبعا ﴾ أى أتباعا ، فتكبرتم على الناس بنا ، وهو عند البصريين يكون واحدا [كجمل - ١] و يكون جمعا كخدم جمع خادم ، ولعله عبر به إشارة إلى أنهم [كانوا - ١] فى عظيم الطواعية لهم على قلب رجل واحد . و لما كان الكبير يحمى تابعه ، سيبوا عن ذلك سؤالهم فقالوا : ﴿ فهل انتم ﴾ أى أيها الكبراء ﴿ مغنون ﴾ أى كافون و مجزون و حاملون ﴿ عنا نصيبا من النار ٥ ﴾ .

و لما أتى بكلام الضعفاء مضارعا على الأصل ، و إشارة مع تصوير الحال لأنه أقطع إلى طول خصامهم لأنه ٢ أشد فى إيلامهم ، فتشوف السامع إلى جوابهم ، استأنف الخبر عنه بصيغة الماضى تأكيدا ٣ لتحقيق وقوعه ردا ٤ لما قد يتوهمه الضعيف من [أن - ١] المستكبر له قوة المدافعة و إباء الأنفة ٥ فقال : ﴿ قال الذين استكبروآ ﴾ [أى - ١] من شدة ما هم فيه . و لما كان الأتباع قد ظنوا أن المتبوعين يغنون عنهم ، أكدوا إخبارهم لهم بما ينافى ذلك فقالوا : ﴿ انا كل ﴾ أى كلنا كائنون ﴿ فيهآ ٦ ٧ ﴾ أى ٧ النار ، كل يناله من العذاب بقدر ما يستحقه [سواء] إن

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تاكيد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رد . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الانفعه - كذا (٦) تكرر فى الأصل بعد « انا كل » (٧) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

جادلتمونا أو تركتم جدالنا و لايظلم ربك أحدا، فلو قدرنا على شيء لأغنينا عن أنفسنا. و لو سألنا أن نزاد[1] أو ننقص لما أجبنا، فان هذه دار العدل[2] فاتركونا و ما نحن فيه.

و لما كان حكم الله تعالى مانعا مما كان يفعل فى الدنيا من فك المجرم و إيثاق غيره به، و كان سؤالهم فى[3] الإغناء سؤال من يجوز أن يكون حكمه على ما عليه الأحكام من حكام أهل الدنيا، عللوا جوابهم مؤكدين فقالوا: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بأوصاف الكمال ﴿ قد حكم بين العباد ﴾ أى بالعدل، فأدخل أهل الجنة دارهم. و أهل النار نارهم. فلا يغنى أحد عن أحد شيئا.

و لما دل ذلك على أنه لايغنى أحد عن أحد شيئا، أخبر أنهم لما رأوا بعدهم من الله و أنهم ليسوا بأهل لدعائه[4] سبحانه، علقوا آمالهم بتوسط الملائكة، فأخبر عن ذلك منهم بقوله: ﴿ و قال الذين فى النار ﴾ أى جميعا الأتباع و المتبوعون ﴿ لخزنة ﴾ و وضع موضع الضمير قوله: ﴿ جهنم ﴾ للدلالة على أن سؤالهم لأهل الطبقة التى من شأنها و شأن خزنتها بجهم داخليها ليدل على أنهم لسوء[5] ما هم فيه لايعقلون، فهم [لا ..[6]] يضعون شيئا فى محله كما كانوا فى الدنيا:

(١) من ظ و م و مد. و فى الأصل: نزال (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العذاب (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بدعايه (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ليسوء. (٦) زيد من م و مد.

﴿ ادعوا ربكم ﴾ أى لمحسن إليكم بأنكم لا تجدون ألما من النار ﴿ يخفف عنا يوما ﴾ أى فى مقداره[1] ﴿ من العذاب ٥ ﴾ أى بعضه .

و لما سألوهم ، استأنفوا جوابهم إشارة إلى ما حصل من تشوف السامع إليه ، معرفين لهم بسياقه بالسبب الجاعل لهم فى محل الإطراح و السفول عن التأهل لأن يسمع لهم كلام ، فقال تعالى مخبرا عنهم : ٥ ﴿ قالوآ ﴾ أى الخزنة . و لما كان التقدير : ألم تكن لكم عقول تهديكم إلى الاعتقاد[2] الحق ، عطف عليه قوله إلزاما لهم الحجة[3] و توبيخا و تنديما بتفويت أوقات الدعاء المجاب : ﴿ أو لم ﴾ و لما كان المقام خطرا ، و المرام وعرا عسرا ، فكانوا محتاجين إلى الإيجاز ، قالوا [مشيرين بذكر فعل الكون مع اقتضاء الحال للإيجاز إلى عراقة الرسل عليهم السلام فى النصح المنجى ١٠ من المخاوف بالمعجزات و الرفق و التلطف و طول الأناة و الحلم و الصبر مع شرف النسب و طهارة الشيم و حسن الأخلاق و بداعة الهيئات و المناظر و لطافة العشرة و جلالة المناصب -[4]] : ﴿ تك ﴾ باسقاط النون مع التصوير للحال بالمضارع ﴿ تاتيكم ﴾ على سبيل التجدد شيئا فى / أثر ٥٥٩ / شىء ﴿ رسلكم ﴾ اى الذين هم منكم فأنتم جديرون بالإصغاء إليهم و الإقبال ١٥ عليهم ، لأن الجنس إلى الجنس أميل ، و الإنسان من مثله أقبل ﴿ بالبينت ﴾ اى التى لا شىء أوضح منها ﴿ قالوا ﴾ أى الكفار : ﴿ بلى ﴾ [أى -[4]] أتونا كذلك ، ثم استأنفوا جوابهم لما حصل من التشوف إليه بما حاصله

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مقدار (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعتقاد (٣) فى مد : بالحجة (٤) زيد ما بين الحاجزين من م و مد .

عدم أجابتهم فسببوا عن إخبارهم بعدم إجابتهم للرسل عدم إجابة دعائهم فقال تعالى مخبرا عنهم: ﴿ قالوا ﴾ أى الخزنة: ﴿ فادعوا ج ﴾ اى انتم الآن الله أو أهل الله من رسل البشر او الملائكة او غيرهم. او لا تدعوا فانه لا يسمع لكم.

٥ ولما كان امرهم بالدعاء موجبا لأن يظنوا نفعه، أتبعوه بما أيأسهم لأن ذلك أنكا وأوجع وأشد عليهم وأفظع بقولهم: ﴿ وما ﴾ دعاؤكم - هكذا كان الأصل، ولكنه أتى بالوصف تعليقا للحكم به فقال: ﴿ دعؤا الكفرين ﴾ أى الساترين لمرائى عقولهم عن أنوار العقل المؤيد بصحيح النقل ﴿ الا فى ضلل ج ﴾ أى ذهاب فى غير طريق موصل كما

١٠ كانوا هم فى الدنيا كذلك فان الدنيا مزرعة الآخرة، من زرع شيئا فى الدنيا حصده فى الآخرة، والآخرة ثمرة الدنيا لا تثمر إلا من جنس ما غرس فى الدنيا.

ولما كان حاصل ما مضى من هذا القص[1] الذى هو احلى من الشراب، واغلى من الجوهر المنظم فى أعناق الكواعب الأتراب،

١٥ أنه سبحانه نصر الرسل على أممهم حين همموا باخذهم، فلم يصلوا إليهم ثم أهلكهم الله هذا فى الدنيا، وأما فى الآخرة فعذبهم أشد العذاب، [2]وكذلك[2] نصر موسى عليه السلام والمؤمن الذى دافع عنه، وكان نصر

(١) زيد فى الأصل و م: هذا، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٢) من م و مد، وفى الاصل و ظ: النص (٢ - ٢) من ظ و مد، وفى الأصل و م: فكذلك.

اهل الله قاطبة خفيا. لأنهم يبتلون ثم يكون لهم العاقبة. فكان اكثر الجامدين و هم اكثر الناس يظن انه[1] لا نصرة لهم. قال الله تعالى لافتا القول إلى مظهر العظمة. لأن النصرة عنها تكون على سبيل الاستنتاج مما[2] مضى مؤكدا تنبيها للأغبياء على ما يخفى عليهم: ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ لننصر رسلنا ﴾ اى على من ناوأهم ﴿ و الذين امنوا ﴾ ٥ أى اتسموا[4] بهذا الوصف و إن كانوا فى أدنى رتبة.

و لما كانت الحياة تروق و تحلو بالنصرة و تتكدر بضدها، ذكرها لذلك[5] و لئلا يتوهم لو سقطت أن نصرتهم تكون رتبتها دنية فقال: ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ بالزامهم طريق الهدى الكفيلة بكل فوز و بالحجة و الغلبة، و إن غلبوا فى بعض الأحيان فان العاقبة تكون لهم. و لو ١٠ بأن يقيض سبحانه لأعدائهم من يقتص منهم و لو بعد حين، و أقل ذلك أن لا يتمكن أعداؤهم من كل ما يريدون منهم ﴿ ويوم يقوم الاشهاد[5] ﴾ أى فى الدار الآخرة من الملائكة و النبيين و سائر المقربين، جمع شهيد كشريف و أشراف. إشارة إلى [أن -[6]] شهادتهم بليغة فى بابها، لما لهم من الحضور التام، و إلى ذلك يشير تذكير الفعل و التعبير بجمع ١٥ القلة، و لكن الجياد قليل مع أنهم بالنسبة إلى أهل الموقف كالشعرة

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ان (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عما (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اقسموا (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كذلك (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بدبدو - كذا (٦) زيد من م و مد.

البيضاء فى جلد الثور الأسود ، و إنما عبر بذلك إشارة إلى تجلى الحكم العدل[1] بصفات الجبروت للقسط ، فيرفع اولياءه بكل اعتبار ، / و يهين أعداءهم كل إهانة . /٥٦٠

و لما وصف اليوم الآخر بما لايفهمه كثير من الناس ، اتبعه ما اوضحه على وجـــه بين نصره لهم[2] غاية البيان . فقال مبدلا مما قبله : ﴿ يوم لاينفع الظلمين ﴾ الذين كانوا عريقين فى وضع الأشياء فى غير مواضعها ﴿ معذرتهم ﴾ أى اعتذارهم و زمانه و مكانه ـ بما أشار إليه كون المصدر ميميا و لو جل - بما اشار[3] إليه قراءة التذكير للفعل[4] . فعلم بذلك أنهم لايجدون دفاعا بغير الاعتذار ، و أنـــه غير نافعهم لأنهم لايعتذرون إلا بالكذب " و الله ربنا ما كنا مشركين " أو بالقدر[6] "ربنا غلبت علينا شقوتنا" ﴿ و لهم ﴾ أى خاصة ﴿ اللعنة ﴾ أى البعد عن كل خير ، مع الإهانة بكل ضير ﴿ و لهم ﴾ اى[5] خاصة ﴿ سوء الدار ﴾ و هى النار الحارية لكل سوء ـ هذا مع ما يتقدمها من المواقف الصعبة ، و إذا كان هذا لهم فما ظنك بما هو عليهم ، و قد علم[7] من هذا[7] أن لأعدائهم ـ و هم الرسل و اتباعهم ـ الكرامة و الرحمة و لهم قبول الاعتذار و حسن الدار . فظهرت بذلك أعلام النصرة ، و صح ما أخبر به من تمام القدرة .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالعدل (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : له (٣) فى م : اشارت (٤) راجع نثر المرجان ٦/٢٤٦ (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالمقدور (٦) ليس فى الأصل و ظ و م (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بهذا .

و لما كان التقدير: فلقد نصرنا موسى رسولنا مع إبراق فرعون و إرعاده، عطف عليه قوله دالا على الكرامة و الرحمة، مؤكدا لإزالة ما استقر فى النفوس من أن ملوك الدنيا لا يغلبهم الضعفاء: ﴿و لقد آتينا﴾ أى بما لنا من العزة ﴿موسى الهدى﴾ أى فى الدين اللازم منه أن يكون له العاقبة و إن تناهت ضخامة من يعانده، لأنه ضال عن الهدى، و الضال ٥ هالك و إن طال المدى، و ذلك بما آتيناه من النبوة و الكتاب.

و لما كانت النبوة خاصة و الكتاب عاما[1] قال: ﴿و اورثنا﴾ أى بعظمتنا ﴿بنى اسرآءيل﴾ بعد ما كانوا فيه من الذل ﴿الكتب﴾ أى [الذى -[2]] أنزلنا عليه و آتيناه الهدى به - و هو التوراة - إيتاء هو كالإرث[3] لا ينازعهم فيه أحد، و لا أهل له فى ذلك الزمان غيرهم، حال ١٠ كونه[4] ﴿هدى﴾ أى بيانا عاما لكل من تبعه ﴿و ذكرى﴾ أى عظة عظيمة ﴿لاولى الالباب﴾ [أى -[2]] القلوب الصافية و العقول الوافية الشافية، فذكر إيتاء موسى الثمرة و ذكر إيراثهم السبب إشارة إلى أن منهم من جنى ثمرته فاهتدى، و منهم من ضل، و ذلك تحذير الاتباع، و تشريف للأنبياء بما نالوه من مراتب الارتفاع. ١٥

و لما كان التقدير بعد أن تقدم الوعد المؤكد بنصرة الرسل و أتباعهم: و لقد آتيناك الهدى و الكتاب كما آتينا موسى، و لننصرنك مثل

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عام (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الارث (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كونهم على.

ما نصرناه ، إن زاد إبراق قومك و إرعادهم ، فانهم لايعشرون فرعون فيما كان فيه من الجبروت و القهر و العز و السلطان و المكر و لم ينفعه شيء منه ، سبب عنه قوله : ﴿فاصبر﴾ [أى - ١] على أذاهم فانا نوقع الأشياء فى أتم محالها على ما بنينا عليه أحوال هذه الدار من إجراء المسببات على أسبابها ، ثم علل ذلك بقوله صارفا القول عن[٢] مظهر العظمة الذى هو مدار النصرة إلى اسم الذات الجامع لجميع الكمالات التى من أعظمها إنفاذ الأمر و صدق الوعد : ﴿ان وعد الله﴾ [أى - ٣] الذى له الكمال كله ﴿حق﴾ [أى - ١] فى إظهار دينك و إعزاز أمرك ، فقد رايت ما اتفق لموسى عليه السلام مع أجبر أهل ذلك الزمان و ما [٤]كان له[٤] من العاقبة ، / قال القشيرى : الصبر فى انتظار الموعود ٥٦١/ من الحق على حسب الإيمان و التصديق ، فمن كان تصديقه و يقينه أتم و أقوى كان صبره أكمل و أوفى .

و لما تكفل[٥] هذا الكلام من التثبيت بانجاز المرام ، و كان من الأمر المحتوم أن لزوم القربات يعلى الدرجات فيوصل إلى قوة التصرفات ، أمر بالإعراض عن ارتقاب النصر و الاشتغال بتهذيب الأحوال لتحصيل الكلام ، موجها الخطاب إلى أعلى الخلق ليكون من دونه من باب الأولى [فقال - ٣] : ﴿ و استغفر لذنبك ﴾ أى و هو كل عمل كامل ترتقى منه إلى أكمل ، و حال فاضل تصعد منه إلى أفضل ، فيكون ذلك شكرا

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ناله (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تكمل .

منك لأن الله غفر لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر فتسن[1] بك[2] أمتك ، و سماه ذنبا من باب « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

و لما أمره بالاستغفار عند الترقية فى درجات الكمال ، المطلع على بحور العظمة و مفاوز الجلال ، أمره بالتنزيه عن شائبة نقص و الإثبات لكل رتبة كمال . لافتا القول إلى صفة التربية و الإحسان لأنه من أعظم مواقعها فقال : ﴿ و سبح ﴾ أى نزه ربك عن شائبة نقص كلما علمت بالصعود فى مدارج الكمال نقص المخلوق فى الذات و الأعمال ملتبسا ﴿ بحمد ربك ﴾ أى إثبات الإحاطة بأوصاف الكمال للمحسن إليك المربى اك . و لا تشتغل عنه بشىء فان الأعمال من أسباب الظفر . و لما كان المقام لإثبات قيام الساعة ، و كان العشى أدل عليها ، قدمه فقال : ﴿ بالعشى و الابكار ﴾ فان تقلبهما[3] دائما دل على كمال مقلبهما[4] و قدرته على إيجاد المعدوم المحوق كما كان و تسويته ، و من مدلول[5] الآية الحث على صلاتى الصبح و العصر ، و هما[6] الوسطى لأنهما تشهدهما ملائكة الليل و ملائكة النهار ، و قال ابن عباس رضى الله عنهما : بل على الصلوات الخمس ـ نقله البغوى[7] . و ذلك لأن العشى من زوال الشمس ، و الأبكار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لسن ـ كذا (٢) فى ظ و م : به (٣) من م و مد . و فى الأصل و ظ : تقبلها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تقلبها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مداولها يعنى (٦) زيد فى الأصل : الصلاة ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٨٢ .

و لما كان الأمر بشغل هذين الوقتين أمرا[1] بشغل غيرهما من باب الأولى، لأن أول النهار وقت الاشتغال بالأعمال و الاهتمام بالابتداء و التمام، و آخره وقت التهيؤ للراحة و المقيل بالأكل و الشرب و ما يتبعهما، و كان ذلك موجبا للاشتغال عن أعداء الدين رأسا، و كان ذلك أمرا على النفوس شاقا، علله بما يقتضى المداومة على الأعمال و الإعراض عنهم لأن خذلانهم أمر قد فرغ[2] منه فقال معللا للمداومة على الطاعة: ﴿ان الذين يجادلون﴾ أى يناصبون بالعداوة لنقل [أهل -[3]] هذا الدين عنه إلى ما هم عليه من الباطل. و لفت القول إلى الجلالة الدالة على نهاية العظمة تهوينا لشأنهم فقال: ﴿فى آيت الله﴾ أى الملك الأعظم الدالة على تمام قدرته اللازم منه قدرته على البعث الذى فى تذكره صلاح الدين و الدنيا ﴿بغير سلطن﴾ اى أمر مسلط و دليل مسلك ﴿اتىهم ان﴾ أى ما ﴿فى صدورهم﴾ [4]بصدودهم عن سواء السبيل، [و آذن -[5]] ذكر الصدور دون القلوب[6] [لعظم الكبر -[5]] جدا بأنه[7] قد ملأ القلوب، و فاض منها حتى شغل الصدور التى هى مساكنها ٥٦٢/ ١٥ ﴿الا كبر﴾ أى عن اتباع الحق مع إشراق ضيائه / و اعتلاء لألائه[8]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: امر (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تفرغ (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: القلب (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بأونه. (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا تلايه.

إرادة إطفائه أو إخفائه، و الكبر أرادة التقدم و التعظم و الرئاسة، و أن يكون مريد ذلك فوق كل أحد ﴿ ما هم ببالغيه ج ﴾ أى ببالغى مقتضاه من إبطال الدين تكبرا عن أن يكونوا تحت أوامره، لا يبلغون ذلك بوجه من الوجوه، و لا بد أن يظهر الدين بنصر الرسول و من تبعه من المؤمنين على أهل الكتاب والمشركين و غيرهم من أنواع الكافرين، ثم ٥ يبعثون فيكون أعدادهم أسفل سافلين صغرة داخرين .

و لما ظهر من أول هذا الكلام و آخره تصريحا و تلويحا بما افاده أسلوب كلام القادرين المصوغ لأعم ما يمكن أن يخطر فى البال أنه تعالى كما وصف[1] نفسه فى مطلع السورة بأنه غالب لكل شىء و لا[2] يغلبه شىء، و [أن -[3]] الذى بهم إنما هو إرادة أن يكونوا عالين غالبين، تسبب ١٠ عنه قوله تعالى : ﴿ فاستعذ ﴾ أى اطلب العوذ ﴿ بالله[4] ﴾ المحيط بكل شىء من شر كبرهم و غيره كما عاذ به موسى عليه السلام لينجز لك ما وعدك كما أنجز [له -[3]]، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ انه ﴾ أى على ما له من البطون ﴿هو﴾ أى وحده ﴿السميع﴾ لكل ما يمكن أن يسمع .

و لما كان السياق للعياذ من شياطين الإنس الذين لهم المكر الظاهر و الباطن، ١٥ ختم بقوله : ﴿البصير ه﴾ الصالح للبصر و البصيرة فيعم المحسوس و المعلوم، [و ختم -[4]] آيتى الأعراف و فصلت المسبوقتين لنزغ الشيطان الذى هو وساوس و خطرات باطنة بالعلم .

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : ه . و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لأن (٣) زيد من م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد .

و لما كان أعظم النظر فى آية المجادلة المكررة من اول السورة إلى هنا إلى البعث و صيرورة العباد إلى الله بالحشر ليقع فيه الحكم الفصل[1] و تحقق نصرة الأنبياء و أتباعهم يوم يقوم الأشهاد[2]، دل على قدرته عليه بما هو كالتعليل لما نفى[3] فى آية المجادلة من بلوغهم لما قصدوا من الكبر، فقال مؤكدا تنزيلا للمقر العالم منزلة الجاهل المعاند لمخالفة فعله[4] لاعتقاده: ﴿ لخلق السمٰوٰت ﴾ أى خلق الله لها على عظمها و ارتفاعها و كثرة منافعها و اتساعها ﴿ و الارض ﴾ [5]على ما[5] ترون من عجائبها و كثرة متاعها ﴿ اكبر ﴾ عند كل من يعقل من الخلق فى الخلق ﴿ من خلق الناس ﴾ أى خلق الله لهم لأنهم شعبة يسيرة من خلقهما، فعلم قطعا أن الذى قدر على ابتدائه على عظمه قادر على إعادة الناس على حقارتهم ﴿ و لكن اكثر الناس ﴾ و هم الذين ينكرون البعث و غيره مما يمكن أن تتعلق به القدرة و صح به السمع ﴿ لايعلمون ﴾ أي لا علم لهم أصلا، بل هم كالبهائم لغلبة الغفلة عليهم و اتباعهم أهواءهم، فهم لايستدلون بذلك على القدرة على البعث كما أن البهائم ترى الظاهر فلا تدرك به الباطن، بل هم أنزل رتبة من البهائم، لأن هذا النحو من العلم فى غاية الظهور فهو كالمحسوس[6]، فمن توقف فيه كان جمادا.

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالفصل (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المشاهد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بقى (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فعل (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عما. (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كالمحسوب.

و لما ثبت بهذا القياس الذى [١] لاخفاء به [١] لا دافع له و لامطعن فيه أن القادر على خلق الكبير ابتداء قادر على تسوية الصغير إعادة، و ثبت به أيضا أن خلق الناس ليس مستندا إلى طبائع السماوات و الأرض / و إلا لتساووا فى العلم و الجهل، و القدر [٢] و الهيئة و الشكل، لأن اقتضاء الطبائع لذلك [٣] على حد سواء لاتفاوت فيه. و هى لا اختيار لها، و كان من الناس من يقول: إن هذا الإيجاد إنما هو للطبائع، و من هؤلاء فرعون الذى مضى فى هذه السورة كثير من كشف عواره [٤] و إظهار عاره [٥]، دل على إبطاله بأن ذلك قول [٦] يلزمه التساوى فيما نشأ عن ذى الطبع لأنه لا اختيار له و نحن نشاهد الأشياء مختلفة، فدل ذلك قطعا على أنها غير مستندة إلى طبيعة [بل إلى فاعل مختار، فكان التقدير بما أرشد إليه سياق الآية قطعا مع ختمها بنفى العلم - [٧]] و عطف ما بعدها على غير مذكور: و أقلهم يعلمون، فثبت أن خالقهم الذى فاوت بينهم قادر مختار لاشريك له، فانه ما يستوى العالم و الجاهل: ﴿و ما يستوى﴾ أى بوجه من الوجوه من حيث البصر ﴿الاعمى و البصير﴾ و ذلك موجب للعلم بأن استناد المتخالفين ليس إلى الطبيعة، بل إلى فاعل مختار.

و لما ذكر الظلام و النور الحسيين، أتبعه المعنويين نشرا مشوشا

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سقا فيه (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: القدرة (٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: كذلك (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: عورات (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عادة (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قوله (٧) زيد من م و مد.

ليكشف[1] قسما الظلام[2] قسمى النور إشارة إلى أن[3] المهتدى عزيز الوجود، كالذهب الإبريز بين النقود، فقال: ﴿و الذين آمنوا﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة سواء ثبتت أو لا ﴿و عملوا الصلحت﴾ كذلك فكانوا محسنين ﴿و لا المسىء﴾ أى الثابت الإساءة الذى كفر و عمل الصالحات، و وقع التغاير فى العطف لأن المراد - و الله أعلم - [نفس -[4]] التساوى بين أفراد الأعمى و أفراد البصير و المحسن و المسىء، و لكنه لما كان[5] فى المخاطبين الغبى و الذكى، عطف البصير بغير «لا» ليكون ظاهر ذلك[6] نفى المساواة بين نوعى الأعمى و البصير، لأن نفى المساواة بين أفراد الأنواع دقيق، و اقتصر على الواو فى عطف "الذين آمنوا" لأنه لا ينتظم أن يراد جعل الأعمى و البصير فريقا و المؤمن الموصوف فريقا، و ينتفى التساوى بينهما لأنه لا لبس فى أن المؤمنين الموصوفين[7] كالبصير، و ليس فيهم[8] من يتوهم مساواته للأعمى، فكان[9] من الجلى معرفة أن المراد نفى مساواة الأعمى للبصير و[10] نفى مساواة المؤمن الموصوف للمسىء، و زيدت

(١) من م و مد، و فى الاصل و ظ: يكتنف (٢) زيد بعده فى الأصل: و النور. و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) سقط من ظ.
(٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: كانا.
(٦) زيد فى الأصل: سبب. و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٧) زيد فى الأصل: كالاعمى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٨) زيد فى الاصل و ظ و م: يتوهم، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.
(٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وكان (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: او.

"لا" فى المسيء [و عبر فيه بالإفراد - [1]] إشارة للفطن[2] إلى ان المراد نفى التساوى بين أفراد كل نوع لأن ذلك أدل على القدرة، و أنها بالاختيار، و هذا بخلاف الظلمات فى سورة فاطر لأنه لو تركت "لا" هناك لتوهم[3] متوهم أن المنفى المساواة بين الأعمى و البصير و بين الظلمات، فيوجد حينئذ الطعن بأن الظلمات مساوية[4] لهما باعتبار أن الظلمة منها كثيف جدا لا يمكن نفوذ البصر فيه، و منها خفيف جدا يكون تسميته ظلاما بالنسبة إلى النور الساطع[5]، [6] و الآية[6] من الاحتباك: ذكر عمل الصالحات أولا دليلا على ضدها ثانيا، و المسيء ثانيا دليلا[7] على المحسنين أولا، و سره انه ذكر الصلاح ترغيبا و الإساءة ترهيبا.

و لما تقرر هذا على هذا النحو من الوضوح الذى لا مانع للانسان من فهمه و رسوخه فى علمه إلا عدم تذكره لحسه حتى فى نفسه قال تعالى: / ﴿قليلا ما تتذكرون﴾ أى المجادلون أو أيها المجادلون او الناس لأن المتذكر غاية التذكر - بما دل عليه الإظهار - منكم قليل - على قراءة الكوفيين بالخطاب[8] لأنه أقوى فى التبكيت، و أدل على الغضب. / ٥٦٤

و لما ثبت بهذا كله تمام القدرة، و انتفى ما توهمه من لا بصر له

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للنظر (٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: يتوهم (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: متساوية (٥) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فالآية (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) راجع نثر المرجان ٦/٢٥١.

من الطبائع ، ثبت قطعا قوله : ﴿ ان الساعة ﴾ أى القيامة التى يجادله فيها المجادلون ﴿ لآتية ﴾ و عزتى ! للحكم بالعدل فى المفاوتة بين المسىء و المحسن [لأنه -[1]] لايسوغ فى الحكمة عند أحد من الخلق أن يساوى أحد[2] بين محسن عبيده و مسيئهم ، فكيف يظن ذلك باحكم الحاكمين الذى نشاهده[3] يميت المسىء و هو فى غاية النعمة و المعصية ، و المحسن و هو فى غاية البلاء و الطاعة . و المظلوم قبل أن ينتصف من الظالم ، و لهذا الأمر الظاهر قال : ﴿ لاريب فيها ﴾ أى لاشك فى إتيانها بوجه من الوجوه ، لأقضى فيها [بالعدل -[1]] فأدخل فيها ناسا دار رحمتى . و آخرين دار نقمتى .

و لما وصل الحال فى أمرها إلى حد لا خفاء به أصلا ، نفى الإيمان دون العلم فقال تعالى : ﴿ و لكن اكثر الناس ﴾ اى بما فيهم من النوس و هو لاضطراب ، [و راعى معنى الأكثر بجمع لأن الجمع أدل على المراد و أقعد فى التبكيت -[1]] : ﴿ لايؤمنون ﴾ أى لايجعلون المخبر لهم باتيانها آمنا من التكذيب مع وضوح علمها لديهم ، و ما ذاك إلا لعناد بعضهم و قصور نظر الباقين على الحس .

و لما كان التقدير : فعل[4] ذلك ربكم ليقضى بين عباده بالعدل فيدخل المحسن الجنة نصرة [له -[1]] ، و المسىء النار خذلانا و إهانة له ، لما برز به وعده من أنه ينصر رسله و أتباعهم فى الحياة الدنيا و فى الآخرة ،

(١) زيد من م و مد ، و سقط من م (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يشاهد (٤) فى م : فعله .

و قال لعباده كلهم: آمنوا لأسلمكم من غوائل تلك الدار، عطف عليه قوله: ﴿و قال ربكم﴾ اى المحسن إليكم بهدايتكم و وعدكم النصرة: ﴿ادعونى﴾ أى استجيبوا لى بأن تعبدونى وحدى فتسألونى[1] ما وعدتكم به من النصرة [2]على وجه[2] العبادة. و هذا معنى قوله صلى الله عليه و سلم «الدعاء هو العبادة» فقد [3]حصر الدعاء[3] فى العبادة سواء كانت بدعاء أو صلاة أو غيرهما[4]، فمن [كان -[5]] عابدا خاضعا لله تعالى بسؤال أو غيره كانت عبادته دعاء، عن ابن عباس[6] رضى الله عنهما: وحدونى أغفر[7] لكم، و عن الثورى[8] أنه قيل له: ادع، فقال: إن ترك الذنوب هو الدعاء. ﴿استجب﴾ اى أوجد الإجابة إيجادا عظيما كأنه ممن يطلب ذلك بغاية الرغبة فيه ﴿لكم[9]﴾ فى الدنيا أى بإيجاد ما دعوتم به، أو كشف مثله من الضر، او ادخاره فى الآخرة. ليظهر الفرق بين من له الدعوة ومن ليس له دعوة فى الدنيا و لا فى الآخرة، و لاتتكلوا[9] على ما سبق به الوعد فتتركوا الدعاء فتتركوا العبادة التى[10] الدعاء مخها، فكل ميسر

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فتسألون (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: حضر الداعى. (٤) من ظ و م و مد. و فى الأصل: غيرها (٥) زيد من م و مد (٦) ذكر هذا القول فى البحر المحيط ٧ / ٤٧٣ (٧) من ظ و م و مد و البحر، و فى الأصل: اكفر لكم من ظ و م و مد، و فى الأصل: الثوري، و راجع البحر المحيط لقول الثورى هذا (٩) من م، و فى الأصل و ظ: لاتتكلموا، و فى مد: لاتتكلموا (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الذى.

لما خلق له ، قال القشيرى : و قيل : الدعاء مفتاح الإجابة ، و أسنانه لقمة الحلال - انتهى - و الآية بمعنى آية البقرة " أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لى " .

/٥٦٥ ولما كان السبب / فى ترك الدعاء فى العادة[1] الكبر ، فكان[2] كأنه قيل : و لاتتركوا دعائى تكونوا مستكبرين ، علله ترهيبا فى طيه ترغيب بقوله : ﴿ ان الذين يستكبرون ﴾ أى يوجدون الكبر ، و دل على أن المراد بالدعاء العبادة بقوله : ﴿ عن عبادتى ﴾ أى عن الاستجابة لى فيما دعوت إليه من العبادة بالمجادلة فى آياتى و الإعراض عن دعائى فى جميع ما ينوبهم[3] فى الشدة و الرخاء ﴿ سيدخلون ﴾ بوعد لاخلف فيه ﴿ جهنم ﴾ فتلقاهم جزاء على كبرهم بالتجهم و العبوسة و الكراهة ﴿ داخرين ﴾ اى صاغرين حقيرين ذليلين ، فالآية من الاحتباك : ذكر الدعاء أولا دليلا على حذفه ثانيا ، و العبادة ثانيا دليلا على حذفها أولا .

و [لما -[4]] ختم ذلك أيضا[5] بأمر الساعة ، زاد فى الدلالة عليه و على الفعل[6] بالاختيار والحكمة التى لايسوغ معها إهمال الخلق من غير حساب . فى دار ثواب و عقاب ، بعد الإتقان لدار العمل بالخطا و الصواب ، فقال معللا مفتتحا بالاسم الأعظم الذى لا يتخبل[7] [أن -[4]] المسمى به

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العبادة (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وكان (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يتوهم (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) سقط من مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العقل . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يخيل .

يهمل المتكبرين عليه مع الإبلاغ فى الإحسان إليهم ﴿ الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿الذى جعل لكم﴾ [1]لاغيره[1] ﴿ الّيل﴾ [أى -[1]] مظلما ﴿ لتسكنوا فيه ﴾ راحة ظاهرية بالنوم الذى هو الموت الأصغر، و راحة حقيقية بالعبادة التى هى الحياة الدائمة ﴿و النهار مبصرا[5]﴾ لتنتشروا فيه[2] باليقظة التى هى إحياء فى المعنى، فالآية[4] من الاحتباك: حذف الظلام أولا لكونه ليس من النعم المقصودة فى أنفسها[6] لما دل عليه من الإبصار الذى هو المقصود من نعمة الضياء المقصود فى نفسه، و حذف الانتشار لأنه بعض ما ينشأ عن [نعمة -[6]] الإبصار لما دل عليه من السكون الذى هو المقصود الأعظم من الليل: للراحة لمن أرادها، و العبادة لمن اعتمدها و استزادها.

و لما كان بعض الكفرة ينسب الأفعال كما مضى للطبائع و يجعلها بغير اختيار، قال مستأنفا أو[7] معللا مؤكدا: ﴿ ان الله ﴾ اى ذا الجلال و الإكرام ﴿ لذو فضل ﴾ أى عظيم جدا باختياره ﴿ على الناس ﴾ أى كافة[8] باختلاف الليل و النهار و ما يحتويان عليه من المنافع. و لما بلغت هذه الآيات من الدلالة على الوحدانية و البعث و نفى أمر الطبائع حدا قل أن يوجد فى غيرها، فكان المخالف مذموما لذلك غاية الذم، فكان

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: إليه (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: والآية (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نفسها (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: «و» (٨) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

التعميم بالذم للمخالفين واقعا فى أوفق محالّه . و كان الاسم قد يراد به بعض مدلوله ، و كان المراد هنا التعميم ، أظهر للافهام إرادة ذلك ، و لم يضمر[1] ليتعلق الحكم بالوصف المفهم للنوس المشير إلى أن صاحبه قاصر عن درجة أول أسنان المؤمنين فيعلم أن هذا النوع مطبوع على ذلك

٥ فقال : ﴿ و لكن اكثر الناس ﴾ أى بما لهم من الاضطراب و عدم الثبات فى لزوم الصواب[2] ﴿ لايشكرون ﴾ فينسبون أفعاله سبحانه إلى غيره جهلا ، او يعملون[3] بما يسلب عنهم اسم[4] الشكر من الشرك و غيره ، و يجوز أن يكون المراد بالناس أولا كل من يتأتى منه النوس ، و هو كل من برز من الوجود ، و بهم[5] ثانيا الجن و الإنس - و الله أعلم .

٥٦٦/ ١٠ و لما ثبت بآية الخافقين / و آية الملون ثبوتا لاشك فيه أصلا شمول القدرة بالاختيار ، قال معظما بأداة البعد و ميم الجمع : ﴿ ذلكم ﴾ [أى -[6]] أيها المخاطبون ! - الواحد القهار العظيم الشأن الذى علم بما ذكر من أفعاله أنه لايشاركه أحد ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم المعلوم لكل أحد المتميز عن كل شىء بالأفعال التى لايشاركه فيها أحد ، و لذلك[7]

١٥ قال : ﴿ ربكم ﴾ أى المربى لكم و المحسن إليكم بقدرته و اختياره المتفرد بربوبيتكم لا رب لكم سواه . و لما كان فى سياق الامتنان بالنعم للدلالة

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لم يضمره (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الثبات (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعلمون (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عدم (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهم . (٦) زيد من م و مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كذلك .

على

على الساعة التى ينكرونها و يجادلون فى امرها ، قدم الخلق على التهليل فقال : ﴿ خالق كل شيء م ﴾ أى بما ثبت من تمام قدرته بابداع الخافقين ثابتين و الملوين متعاقبين دائبين ، و لا مانع له من إعادة الثقلين لأنه ﴿ لآ اله الا هو ذ ج ﴾ بل كان ذلك واجبا فى الحكمة ، لأن المنعم عليهم انقسموا إلى شاكر و كافر ، فوجب فى الحكمة إقامة الساعة للفصل بينهم ، ٥ و جاء ذلك على ترتيب مطلع السورة ، فان العزيز ناظر إلى كمال القدرة على الإيجاد و الإعدام ، و العليم هو المتوحد[1] بكمال الذات ، فان إحاطة العلم تستلزم كل كمال ، و القدرة قد لاتستلزم العلم كما للحيوانات[2] العجم ، و هذا بخلاف ما مضى فى آية الأنعام ، فان السياق هناك لإنكار الشرك و إثبات الوحدانية بما دل عليها من عموم الخلق طبق ما مضى أيضا ١٠ فى مطلعها .

و لما أنتجت هذه الأخبار - التى كل [منها - [3]] مقرر لما قبله بكونه كالعلة له - الوحدانية المطلقة اللازم منها كل كمال ، سبب عنها قوله منكرا مبكتا : ﴿ فانى ﴾ أىّ فكيف و من أى وجه ﴿ تؤفكون ه ﴾ أى تقلبون عن وجوه الأدلة إلى أقفائها فتعبدون الأوثان و تجادلون ١٥ فى الساعة التى يلزم من الطعن فيها الطعن فى الحكمة التى الطعن فيها طعن فى الإلهية التى الطعن فيها طعن فى وجود هذا الوجود و مكابرة فيه ، و ذلك مؤدٍ إلى سقوط المتكلم به بكل اعتبار لمكابرته فى المشاهد

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الموجد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للحيوان (٣) زيد من م و مد .

المحسوس، و فى المعقول المركوز فى جميع النفوس.

و لما كشف هذا السياق عن أن هذا الصرف أمر لايقدم عليه عاقل، كان كأنه قيل: هل وقع لأحد غير هؤلاء مثل هذا؟ فأجيب بقوله: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الصرف الغريب البعيد عن مناهج العقلاء ٥ ﴿ يؤفك ﴾ أى يصرف صرفا سيئا - بناه للمفعول إشارة إلى تمام قدرته عليه بكل سبب كان، و لأنه المتعجب منه ﴿الذين كانوا﴾[1] مطبوعين على أنهم ﴿ بآيات الله ﴾ أى ذى الجلال و الجمال ﴿يجحدون ٥﴾ أى ينكرون عنادا و مكابرة؛ فدل هذا على أن كل من تكبر عن حق فأنكره مع علمه به عوقب بمسخ القلب و عكس الفهم، فصار له الصرف ١٠ عن وجوه الدلائل إلى أقفائها ديدنا بحيث يموت كافرا إن لم يتداركه الله برحمة منه.

و لما تقرر أنه سبحانه ربنا وحده، و أن مدعى ربوبية ما سواه معاند؛ لأنه سبحانه متميز بأفعاله التى لايشاركه فيها أحد، دل على ذلك بوجه مركوز فى الطبائع صحته، واضح فى العقول معرفته، كالمعلل لتسمية ١٥ هذا الإنكار جحودا، فقال دالا بالخافقين بعد الدلالة بما نشا عنهما[2] / من الملوين، و أخر هذا لأنه مع كونه أجلى سبب بقرارية الأرض /٥٦٧ و فلكية السماء لذلك، بما حصل فيه من الاختلاف، فقال: ﴿ الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء ﴿ الذى جعل ﴾ أى وحده ﴿ لكم الارض ﴾ أى مع كونها فراشا ممهدا ﴿ قرارا ﴾ مع كونها فى

(١) زيد فى الأصل و م و مد: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من م و مد. و فى الأصل و ظ: عنها.

غاية الثقل . و لا ممسك لها سوى قدرته ﴿ و السمآء ﴾ على علوها و سعتها مع كونها أفلاكا دائرة بنجوم طول الزمان سائرة ، ينشأ عنها الليل و النهار و الإظلام و الإبصار ﴿ بنآء ﴾ مظلة كالقبة من غير عماد حامل ، و من المعلوم لكل ذى عقل أن الأجسام الثقيلة تقتضى بطبعها تراص بعضها على بعض ، فلا يمنع بعضها من السقوط على بعض إلا بقوة و قسر . فالآية من الاحتباك : ذكر القرار أولا دليلا على الدوران ثانيا ، و البناء ثانيا دليلا على الفراش أولا .

و لما ذكر المسكن ذكر الساكن[1] دالا على أنه الفاعل فى الكل باختياره و تمام قدرته بتصويره الإنسان بصورة لا يشبهها صورة شىء من الحيوانات . و فاوت[2] بين أفراده فى هيئة تلك الصورة على أنحاء لا تكاد تنضبط فى نفسها ، و لا تشبه واحدة منها الأخرى ، و لا فى الخافقين شىء يشبهها بحال تصويرها عليه فقال : ﴿ و صوركم ﴾ و التصوير على غير نظام واحد لا يكون إلا بقدرة قادر تام القدرة مختار لا كما يقول أهل الطبائع ﴿ فاحسن صوركم ﴾ على أشكال و أحوال مع أنها أحسن الصور ليس فى الوجود ما يشبهها ، و ليس فيها صورة تشبه الأخرى لتسندوا انطباع تصويرها إليه ، فثبت قطعا أنه [هو -[3]] المصور سبحانه على غير مثال كما أنه الذى أبدع الموجود كله كذلك .

و لما ذكر المسكن و الساكن[1] ، ذكر ما يحتاج إليه فى مدة السكن

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المساكن (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : فوات (٣) زيد من م و مد .

فقال: ﴿و رزقكم من الطيبت[1]﴾ الشهية الملائمة للطبائع النافعة على وجه لا احتياج معه بوجه، فلا دليل أدل على تمام [العلم -[1]] و شمول القدرة و وجود الاختيار من هذا التدبير فى حفظ المسكن و السقف و تدبير ما به البقاء على وجه يكفى الساكن من جميع الوجوه على مر السنين و تعاقب الأزمان، و بث[2] من الساكن - مع أنه قطعة يسيرة جدا من أديم الأرض - أنسالاً [3]شعبهم شعبا[3] فرعها إلى فروع لا تسعها الأرض، فدبر بحكمته و سعة علمه و قدرته تدبيرا وسع لهم به الأرض، و عمهم به الرزق، كما روى الإمام [أحمد -[1]] فى كتاب الزهد عن الحسن أنـــه قال: لما خلق الله آدم عليه الصلاة و السلام و ذريته قالت الملائكة عليهم السلام: إن الأرض لا تسعهم، قال: فانى جاعل موتا، قالوا: إذا لا يهنأهم العيش، قال: فانى جاعل أملا.

و لما دل هذا قطعا على التفرد، قال على وجه الإنتاج[4]: ﴿ذلكم﴾ [5]أى الرفيع[5] الدرجات ﴿الله﴾ أى المالك لجميع[6] الملك، [و دلهم على ما مضى بتربيتهم و ما فيها من بديع الصنائع فقال -[1]]: ﴿ربكم خالق﴾ [أى -[1]] لا غيره، و لما أفاد هذا الدليل تربية لا مثل لها، / دالة على إحاطة العلم و تمام القدرة فانها على وجه لا حاجة معه مع حسنه[7] و ثباته

٥٦/ ١٥

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ثبت (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شيعهم شيعا (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انتاج (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ارفع (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جميع (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حسه.

تسبب عنه ولابد[1] قوله: ﴿فتبارك﴾ أى [2]ثبت ثباتا[2] عظيما مع اليمن و الخير و حسن المدد و الفيض ﴿الله﴾ [أى -[3]] المختص بالكمال، [و رقى الخطاب و عظم إيضاحا للدلالة فقال -[4]]: ﴿رب العلمين ٥﴾ كلهم أنتم و غيركم، ثم دل على ما أفاده الدليل معللا بقوله: ﴿هو﴾ أى وحده[5] ﴿الحى﴾ و كل ما عداه لاحياة له، لأنه ليس له من ذاته ٥ إلا العدم، فأنتج ذلك قطعا قوله: ﴿لآ اله الا هو﴾ فتسبب عنه قوله: ﴿فادعوه﴾ أى وحده بالقول و الفعل على وجه العبادة، و ذلك معنى ﴿مخلصين له الدين[6]﴾ أى من كل شرك جلى أو خفى.

و لما أمر بقصر الهمم[6] عليه، علله بقوله: ﴿الحمد﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال، [و أظهر موضع الإضمار إشارة إلى أن له من الصفات ١٠ العلى ما لاينحصر -[4]]: ﴿لله﴾ أى المسمى بهذا الاسم الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى لذاته. و لما كان هذا الوجود على ما هو عليه من النظام و بديع الارتسام، دالا دلالة قطعية على الحمد، قال واصفا بما هو كالعلة للعلم بمضمون الخبر: ﴿رب العلمين ٥﴾ أى الذى رباهم هذه التربية فانه لا يكون إلا كذلك، و عن ابن عباس[7] رضى الله عنهما ١٥

---

(١) زيد فى الأصل و ظ: لا، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.
(٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الاصل: نبت نباتا (٣) زيد من مد (٤) زيد من م و مد (٥) زيد فى الأصل: لامشارك له فى البقاء، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: انعالية، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٨٥.

قال : من قال " لا إله إلا الله " فليقل على اثرها " الحمد لله رب العالمين " .

و لما أمر سبحانه بما دل على استحقاقه[1] إياه ، أنتج قطعا قوله : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء الذين يجادلونك فى التوحيد و البعث مقابلا لإنكارهم بالتأكيد : ﴿ انى نهيت ﴾ أى ممن [2]لا ناهى غيره[2] ، نهيا عاما ببراهين العقل ، و نهيا خاصا بأدلة النقل ﴿ ان اعبد ﴾ و لما أهلوهم لأعلى المقامات ، عبر عنهم إرخاء للعنان بقوله : ﴿ الذين تدعون ﴾ أى يؤهلونهم لأن تدعوهم ، و دل على سفولهم بقوله تعالى : ﴿ من دون الله ﴾ [أى -[3]] الذى له الكمال كله . و دل على أنه ما كان متعبدا قبل[4] البعث بشرع أحد بقوله : ﴿ لما جآءنى البينت ﴾ أى الحجج الواضحة جدا[5] من أدلة العقل و النقل ظاهرة ، [و لفت القول إلى صفة الإحسان تنبيها على أنه كما يستحق الإفراد بالعبادة لذاته يستحقها شكرا لإحسانه فقال -[6]] : ﴿ من ربى ﴾ أى المربى لى تربية خاصة هى أعلى من تربية كل مخلوق سواى[7] ، فلذلك أنا أعبده عبادة تفوق عبادة كل عابد .

و لما أخبر بما يتخلى عنه ، أتبعه الأمر بما يتحلى به فقال : ﴿ و امرت ان اسلم ﴾ أى بأن أجدد [8]إسلام كليتى[8] فى [كل -[3]]

---

(١) العبارة من هنا إلى ما سنبيه عليه ساقطة من م (٢-٢) فى مد : نهى لغيره ، (٣) زيد من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : قل (٥) سقط من ظ و مد (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى (٨ - ٨) من ظ و مد ، و فى الأصل اسلاما لكليتى .

وقت على سبيل الدوام ﴿ لرب العلمين ﴾ لأن كل ما سواه مربوب فالإقبال عليه خسار ، و إذا نهى هو صلى الله عليه و سلم عن ذلك و أمر بهذا لكون الآمر و الناهى ربه لأنه رب كل شيء ، كان [غيره - ١] مشاركا له فى ذلك لامحالة .

و لما قامت الأدلة و سطعت الحجج على أنه سبحانه رب العالمين ٥ الذين من جملتهم المخاطبون[٢] ، و لاحكم للطبيعة و لا غيرها ، أتبع ذلك آية أخرى فى أنفسهم هى أظهر مما مضى ، فوصل به على طريق العلة لمشاركتهم[٣] له صلى الله عليه و سلم فى الأمر و النهى فى التى قبلها قوله تعالى : ﴿ هو ﴾ لا غيره ﴿ الذى ﴾ و لما كان الوصف بالتربية ماضيا ، عبر عنه به فقال : ﴿ خلقكم من تراب ﴾ أى أصلكم و اكلكم التى تربى ١٠ به أجسادكم ﴿ ثم من نطفة ﴾ من منى يمنى ﴿ ثم من علقة ﴾ مباعدا[٤] حالها لحال[٥] النطفة كما كان حال النطفة [مباعدا - ٦] لحال[٥] التراب ، ﴿ ثم ﴾ بعد أن جرت / شؤن أخرى ﴿ يخرجكم ﴾ أى يجدد إخراجكم شيئا / ٥٦٩ بعد شيء ﴿ طفلا ﴾ لا تملكون شيئا و لاتعلمون شيئا ، ثم يدرجكم فى مدارج التربية صاعدين بالقوة فى أوج الكمال طورا بعد طور و حالا ١٥ بعد حال ﴿ لتبلغوآ اشدكم ثم ﴾ يهبطكم بالضعف و الوهن فى مهاوى

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : المخاطبين (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لمشاركته (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : مباعدة . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : كحال (٦) زيد من مد .

السفول ﴿ لتكونوا شيوخا ج ﴾ ضعفاء غرباء . قد مات أقرانكم ، و وهت[1] أركانكم ، فصرتم تخشون كل أحد .

و لما كان هذا مفهما لأنه حال الكل ، بين أنه ما أريد به إلا البعض لأن المخاطب الجنس ، و هو يتناول البعض كما يتناول الكل فقال :

٥ ﴿ و منكم من يتوفى ﴾ بقبض[2] روحه و جميع معانيه . و لما كان الموت ليس مستغرقا للزمن[3] الذى بين السنين ، و إنما هو فى لحظة يسيرة مما بينهما ، أدخل الجار على الظرف فقال : ﴿ من قبل ﴾ أى قبل حال الشيخوخة أو قبل حال الأشدية . و لما كان المعنى : لتتفاوت[4] أعماركم و أحوالكم و أعمالكم ، عطف عليه قوله : ﴿ و لتبلغوا ﴾ أى كل واحد

١٠ منكم ﴿ اجلا مسمى ﴾ اى [له -[5]] سماه الملك الذى وكل به فى بطن أمه عن إذننا و بأمرنا الذى قدرناه فى الأزل ، فلا يتعداه مرة ، و لا بمقدار ذرة ، فيتجدد للملائكة إيمان فى كل زمان .

و لما كانت هذه الأمور مقطوعا بها عند من يعلمها ، و غير مترجاة عند من يجهلها ، فانه لا وصول للآدمى بحيلة و لا فكر إلى شىء منها ،

١٥ فعبر فيها باللام ، و كان التوصل بالتفكر فيها و التدبر[6] إلى معرفة أن الإله واحد فى موضع الرجاء للعاقل قال : ﴿ و لعلكم تعقلون ﴾ [أى -[5]] فتعلموا بالمفاوتة بين الناس فيها ببراهين المشاهدة بالتقليب فى أطوار الخلقة

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : وهنت (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقبض (٣) فى ظ و مد : الزمن (٤) فى ظ و مد : لتفاوت (٥) زيد من ظ و مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : التدبير .

و أدوار

و أدوار الأسنان ، و إرجاع أواخر الأحكام على أوائلها أن فاعل ذلك قادر مختار [1]حكيم قهار ، لايشبه شيئا و لايشبهه شيء .

و لما نظم سبحانه هذا الدليل فى صنع الآدمى من التراب ، و ختمه بأن دلالته على البعث - باجراء سنته فى إرجاع أواخر الأمور على أوائلها و غير ذلك - لايحتاج إلى غير العقل ، أنتج [عنه -[2]] قوله : ﴿ هو ﴾ لا غيره ﴿ الذى يحيى و يميت ج ﴾ كما تشاهدونه فى أنفسكم و كما مضى لكم الإشارة إليه بخلق السماوات و الأرض ، فان من خلقهما خلق ما بينهما من الآجال المضروبة باختلاف الليل و النهار و الشهور و الأعوام لبلوغ الأفلاك مواضعها ، ثم رجوعها عودا[3] على بدء مثل تطوير[4] الإنسان بعد الترابية من النطفة إلى العلقة إلى ما فوقها ، ثم رجوعه فى مدارك هبوطه إلى أن يصير ترابا كما كان ، فليست النهاية بأبعد من البداية .

ولما كانت إرادته لاتكون إلا تامة نافذة ، سبب عن ذلك قوله معبرا بالقضاء : ﴿ فاذا قضى امرا ﴾ أى أراد أىّ أمر كان من القيامة أو غيرها ﴿ فانما يقول له كن ﴾ و لما كانت "إذا" شرطية أجابها فى قراءة ابن عامر بقوله : ﴿ فيكون ع ﴾ و عطفها فى قراءة غيره على "كن" بالنظر إلى معناه ، أو يكون خبرا لمبتدأ [أى -[1]] فهو يكون ، و عبر بالمضارع تصويرا للحال و إعلاما بالتجدد عند كل قضاء ، و قد مضى فى سورة البقرة إشباع الكلام فى توجيه قراءة ابن عامر بما تبين به أنها

(١) ومن هنا استأنفت نسخة م (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عود (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تطويل .

أشد من قراءة غيره .

/٥٧٠ و لما علم من هذا أنه لا كلفة / عليه فى شىء من الأشياء بهذه الأمور المشاهدة فى أنفسهم و فى الآفاق ، أنتج التعجب من حالهم لمن له الفهم الثاقب و البصيرة الوقادة[1] ، و جعل ذلك من آياته الباهرة و قدرته القاهرة الظاهرة ، فلذلك قال لافتا الخطاب إلى اعلى الخلق لأن [2]ذم الجدال بالباطل[2] من اجل مقصود هذه السورة : ﴿ الم تر ﴾ أى يا أنور الناس قلبا و أصفاهم لبا ، و بين بعدهم بأداة النهاية فقال : ﴿ الى الذين يجادلون ﴾ أى بالباطل ، و نبه على ما فى هذه الآيات من عظمته التى لا نهاية لها باعادة الاسم الجامع فقال : ﴿ فى آيٰت الله ﴾ أى الملك [الأعظم -[3]] ﴿ انى ﴾ أى كيف و من أى وجه ﴿ يصرفون ﴾ عن الآيات الحقة الواضحة التى سبقت بالفطرة الأولى إلى جذور قلوبهم ، فلا حجة يوردون و لا عذاب عن أنفسهم يردون ، لأنه سبحانه استاقهم - كما قال ابن برجان - بسلاسل قهره المصوغة من خالص عزماتهم و عزائم إرادتهم من حقيقة ذواتهم إلى خزى الدنيا و عذاب الآخرة - فصل ما جادلوا فيه واصفا لهم بما يزيد فى التعجيب[4] من شدة جهلهم و تعاظم عماهم فقال : ﴿ الذين كذبوا ﴾ و حذف المفعول إشارة إلى عموم التكذيب : ﴿ بالكتب ﴾ أى بسببه فى جميع ما له من الشؤن التى

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الواقدة (٢-٢) من ظ و م و مد ؛ و فى الأصل : ذم الجلال و الباطل (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التعجب .

تفوت[1] الحصر و العظمة فى كل أمر [كما - [2]] أشير بأداة الكمال إلى أنه لكماله كأنه لا كتاب غيره لأن[3] من سمعه فكأنما[4] سمعه من النبى صلى الله عليه و سلم لإعجازه، فمن كذب بحرف منه فقد كذب بكل كتاب الله[5].

و لما كان التكذيب به تكذيبا بجميع الرسالات الإلهية، أكد عظمته بذلك و بالإضافة إلى مظهر العظمة، تحذيرا للمكذبين من سطواته، و تذكيرا لهم بأن العمل مع الرسول عمل مع[6] من ارسله، [7]فلذا لفت[7] الكلام على الاسم الجامع لصفتى الجلال و الإكرام فقال تعالى: ﴿و بما ارسلنا﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿به رسلنا[8]﴾ من جميع الملل و الشرائع بكتاب كان أو بغيره، و هو بحيث لا يحاط بكنه جلاله و عظمة حاله، و لذا تسبب عنه تهديدهم فى قوله تعالى: ﴿فسوف يعلمون[9]﴾ أى بوعيد صادق لا خلف فيه، ما يحل بهم من سطوتنا.

و لما كانوا فى الدنيا قد جمعت أيديهم إلى أذقانهم بجوامع السطوة، ثم وصلت بسلاسل القهر يساقون بها عن مقام الظفر بالنجاح إلى أهويات الكفر بالجدال بالباطل و مهامه[8] الضلال المبين كما قال تعالى "انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا" الآية، فجعل باطن تلك السلاسل الدنيوية

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تفوق (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لكأنما (٥) فى م و مد: لله (٦) سقط من م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلذلك الفت (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مهانة.

و الأغلال ظاهرا فى ذلك المجمع قال: ﴿ اذ ﴾ اى حين تكون ﴿ الاغلل ﴾ جمع غل، قال فى ديوان الأدب: هو الذى يعذب به الإنسان، و قال القزاز[1]: الغل من الحديد معروف، ويكون من القد، و قال فى النهاية[2]: هو الحديدة التى تجمع يد الأسير إلى عنقه، و يقال لها جامعة أيضا - انتهى. و أصله الإدخال. يدخل فيه العنق و اليد فتجمعان به، و ذلك معنى / قول الصغانى فى مجمع البحرين: فى رقبته[3] غل من حديد، و قد غلت يده إلى عنقه ﴿ فى اعناقهم ﴾ أى جامعة لأيديهم إلى تراقيهم، و عبر باذ و معناها المضى مع سوف و معناها الاستقبال، لأن التعبير بالمضى إنما هو إشارة إلى تحقق الأمر مع كونه مستقبلا ﴿ و السلسل[4] ﴾ أى فى أعناقهم أيضا يقيدهم ذلك عن كل تصرف لكونهم لم يتقيدوا[5] بكتاب و لا رسول، و السلسلة من: تسلسل الشىء[5]: اضطرب، قال الراغب: كأنه تصور منه تسلسل[6] متردد، فردد لفظه تنبيها على تردد معناه، و[7]ما سلسل متردد فى مقره[7] حتى صفا، حال كونهم ﴿ يسحبون ﴾ أى بها، و السحب: الجر بعنف ﴿ فى الحميم ﴾ أى الماء الحار الحاضر الذى يكسب الوجوه سوادا، و الأعراض عارا، و الأرواح

/ ٥٧١

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الفراء (٢) راجع ٣/١٨٩ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رقبه (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم يتقيد. (٥) زيد فى الأصل: اذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالسلسل متردد فى هذه - كذا.

عذابا

عذابا و الأجسام نارا، و القلوب هما و اللحوم ذوبانا[1] و اعتصارا[2]؛ و ذلك عوض ترفيعهم لأنفسهم عن سحبها بأسباب الأدلة الواضحات فى كلف العبادات و مرارات[3] المجاهدات و حرارات المنازلات .

و لما أخبر عن تعذيبهم بالماء[4] الحار الذى من شأنه أن يضيق[5] الأنفاس، و يضعف القوى، و يخفف القلوب، أخبر بما هو فوق ذلك فقال: ﴿ ثم فى النار ﴾ أى عذابها[6] خاصة ﴿ يسجرون ﴾ أى يلقون فيها و توقد بهم مكردسين مركوبين كما يسجر التنور بالحطب - أى يملأ[7] و تهيج ناره، و كما يسجر - أى يصب - الماء فى الحلق، فيملأونها فتحمى بهم و يشتد اضطرامها لكونهم كانوا فى الدنيا وقود المعاصى، و الفتن بهم يشب وقودها، و يقوى عودها، و يثبت عمودها، لأنهم لم يلقوا أنفسهم فى نيران الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و مخالفات الشهوات فى أبواب الأوامر و النواهى، التى هى فى الظاهر نيران، و فى الحقيقة جنان .

و لما كان المدعو إنما[8] يدخر لأوقات الشدائد، قال موبخا لهم مندما[9] مقبحا لقاصر نظرهم لأنفسهم بانيا للمفعول لأن المنكى[9] هذا القول

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ذبانا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اعتصار (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مرامات (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عن الماء (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يضيف (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عذابا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لما كان (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مقدما (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ : المنى .

مطلقا لا لكونه من قائل معين : ﴿ثم قيل لهم﴾ أى بعد أن طال عذابهم ، و بلغ منهم كل مبلغ ، و لم يجدوا ناصرا يخلصهم و لا شافعا يخصصهم : ﴿ اين ﴾ و التعبير عنهم بأداة ما لا يعقل فى أحكم مواضعه فى قوله : ﴿ما كنتم﴾ أى دائما ﴿تشركون ۝﴾ أى بدعائكم لهم فى مهماتكم دعاء عبادة

٥ مع تجديده فى كل وقت ؛ ثم بين سفولهم بقوله لافتا القول عن[1] مظهر العظمة إلى أعظم منه فقال : ﴿ من دون الله[2] ﴾ أى المحيط بجميع العز[3] و كل العظمة ، لتطلبوا منهم تخليصكم مما[4] أنتم فيه أو تخفيفه : ﴿ قالوا ﴾ أى مسترسلين مع الفطرة [5]و هى الفطرة[5] الأولى على الصدق : ﴿ضلوا عنا﴾ فلا نراهم كما ضللنا نحن فى الدنيا عما ينفعنا .

١٠ و لما راوا أن صدقهم قد أوجب اعترافهم بالشرك ، دعتهم رداءة المكر و رذالة الطباع إلى الكذب ، فاسترسلوا معها فبادروا إلى أن أظهروا الغلظ فقالوا ملبسين على من يعلم خائنة الأعين و ما تخفى الصدور ظانين أن ذلك / ينفعهم كما كان ينفعهم عند[5] المؤمنين فى دار الدنيا : ٥٧٢ /
﴿ بل لم نكن ندعوا ﴾ أى لم يكن ذلك فى طباعنا . و لما كان مرادهم

١٥ نفى دعائهم لهم أصلا و رأسا فى لحظة فما فوقها ، لا النفى المقيد بالاستغراق ، فانه لا ينفى ما دونه ، أثبتوا الجار[6] فقالوا : ﴿ من قبل ﴾ أى قبل هذه

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٢) زيد فى الأصل : و الكمال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الى ما (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد . و فى الأصل : عن (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحال .

الإعادة ﴿ شيئا ﴾ لنكون قد أشركنا به ، فلا يقدرهم الله إلا على ما يزيد فى ضرهم[1] ويضاعف ندمهم و يوجب [لعن - ٢] أنفسهم و لعن بعضهم [بعضا - ٢] بحيث لا يزالون فى ندم كما كان حالهم فى الدنيا " انظر كيف كذبوا على انفسهم و ضل عنهم ما كانوا يفترون " فالآية من الاحتباك : ذكر الإشراك أولا دليلا على[3] نفيهم له ثانيا ، و الدعاء ثانيا ٥ دليلا على تقديره أولا .

و لما كان هذا فى غاية الإعجاب من ضلالهم ، كان كأنه قيل : هل يضل أحد من الخلق ضلال هؤلاء ، فأجيب بقوله : ﴿ كذلك ﴾ أى نعم مثل هذا الضلال البعيد عن الصواب ﴿ يضل الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ، عن القصد النافع من حجة و غيرها ﴿ الكفرين ٥ ﴾ أى الذين ١٠ ستروا مرائى بصائرهم لئلا يتجلى فيها[3] ثم صار لهم ذلك ديدنا .

و لما تم جواب السؤال عن[4] التعجب من هذا الضلال ، رجع إلى خطاب الضلال فقال معظما لما ذكر من جزائهم بأداة البعد و ميم الجمع نصا على تقريع كل منهم : ﴿ ذلكم ﴾ أى الجزاء العظيم المراتب ، [الصعب - ٢] المراكب ، الضخم المواكب ﴿ بما كنتم ﴾ أى دائما ﴿ تفرحون ﴾ أى ١٥ تبالغون فى السرور و تستغرقون فيه و تضعفون عن حمله للاعراض عن العواقب . و لما كانت الأرض سجنا[5] ، [فهى - ٢] فى الحقيقة

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ضررهم (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من .
(٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سجنا .

دار الأحزان، حسن قوله: ﴿في الارض﴾ أي ففعلتم فيها ضد ما وضعت له، و زاد ذلك حسنا قوله: ﴿بغير الحق﴾ فأشعر أن السرور لاينبغي إلا إذا كان مع كمال هذه الحقيقة، و هي الثبات دائما للفروح به، و ذلك لايكون إلا في الجنة ﴿و بما[1]﴾ أي و بسبب ما ﴿كنتم تمرحون ه﴾ أي تبالغون في الفرح مع الأشر و البطر و النشاط الموجب للاختيال و التبختر و الخفة بعدم احتمال الفرح.

و لما كان السياق لذم الجدال، و كان الجدال إنما يكون عن الكبر، [2]و كان[2] الفرح غير ملازم للكبر، لم يسبب دخول النار عنه، بل جعله كالنتيجة لجميع ما مضى فقال: ﴿ادخلوا﴾ أي أيها المكذبون. و لما كان في النار أنواع من العذاب، دل على تعذيبهم بكل نوع منها بذكر الأبواب جزاء على ما كانوا يخوضون بجدالهم في كل نوع من أنواع الأباطيل فقال: ﴿ابواب جهنم﴾ [أي -[3]] الدركة التي تلقى صاحبها بتكبر و عبوسة و تجهم ﴿خلدين فيها ج﴾ أي لازمين لما شرعتم فيه بالدخول من الإقامة لزوما لابراح منه أصلا.

و لما كانت نهاية في البشاعة و الخزي و السوء، و كان دخولهم فيها مقرونا[4] بخلودهم سببا لنحو أن يقال: فهي مثواكم، تسبب عنه قوله: ﴿فبئس مثوى﴾ دون أن يقال: مدخل ﴿المتكبرين ه﴾ أي موضع

(١) زيد في الأصل و ظ: كنتم، و لم تكن الزيادة و في م و مد فحذفناها.
(٢-٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: فكان (٣) زيد من ظ و م و مد.
(٤) من ظ و م و مد، و في الأصل: معروفا.

إقامتهم المحكوم بلزومهم إياه لكونهم تعاطوا ما ليس لهم، و لاينبغى أن يكون إلا لله[1] « الكبرياء ردائى و العظمة / إزارى فمن نازعنيهما قصمته » ٥٧٣ / و لم يؤكد جملة "بئس" هنا لأن مقاولتهم هذه بنيت على تجدد علمهم فى الآخرة بأحوال النار، [2]و أحوال[2] ما سببها[3]، و التأكيد يكون للمنكر و من فى عداده، و حال كل منهما مناف للعلم، و زاد ذلك حسنا أن ٥ أصل الكلام مع الأعلم للسر الذى تقدم - صلى الله عليه وسلم فبعد جدا من التأكيد. و لما كان فى هذا الجزاء أعظم الشماتة بهم، فكان فيهم أعظم التسلية لمن جادلوه و تكبروا عليه، سبب عنه قوله: ﴿ فاصبر ﴾ [أى -[4]] ارتقابا لهذه النصرة، ثم علل بقوله مؤكدا لأجل تكذيبهم بالوعد: ﴿ ان وعد الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿حق ج﴾ أى فى ١٠ نصرتك فى الدارين فلا بد من وقوعه، و فيه أعظم تأسية [لك -[4]] و لذلك سبب عنه مع صرف القول إلى ما يأتى الاعتراض إشارة إلى أنه لايسأل عما يفعل، قوله تعالى: ﴿ فاما نرينك ﴾ و أكده بـ «ما» و النون و مظهر العظمة لإنكارهم لنصرته عليهم و لبعثهم[5] ﴿بعض الذى نعدهم﴾ أى بما لنا من العظمة مما يسرك فيهم من عذاب ١٥ أو متاب قبل وفاتك، فذاك إلينا و هو علينا هين.

و لما ذكر فعل الشرط و حذف جوابه للعلم به، عطف عليه قوله:

---

(١) زيد فى الأصل: يقول الله تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سببها (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ليغيهم.

﴿ او نتوفينك ﴾ [أى -[1]] قبل أن ترى ذلك فيهم ، و أجاب هذا المعطوف بقوله : ﴿فالينا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ يرجعون ه ﴾ أى معنى فى الدنيا فنريهم[2] بعد وفاتك من نصر أصحابك عليهم بما تسرك به فى برزخك فانه لا بقاء لجولة باطلهم ، و حسا فى القيامة فنريك فيهم ٥ فوق ما تؤمل من النصرة المتضمنة لتصديقك و تكذيبهم ، و إكرامك و إهانتهم ، و الآية من الاحتباك : ذكر الوفاة ثانيا دليلا على حذفها أولا ، و الرؤية أولا دليلا على حذفها ثانيا .

و لما قسم له الله[3] سبحانه الحال إلى إصابتهم أو وفاته صلى الله عليه و سلم ، و كان قد بقى مما هو أقر لعينه و أشفى لصدره أن يريهم فى حياته ١٠ آية تلجئهم إلى الإيمان ، و تحملهم على الموافقة و الإذعان ، فيزول النزاع بحسن الاتباع ، كما وقع لقوم يونس عليه الصلاة و السلام ، قال عاطفا على ما تقديره فى تعليل الأمر بالصبر ، فلقد أرسلناك إليهم و لتنفذن[4] أمرنا فيهم ، و أما أنت فما عليك إلا البلاغ : ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ أى على ما[5] لنا من العظمة ﴿رسلا﴾ أى بكثرة . و لما كان الإرسال إنما ١٥ هو فى بعض الزمان الماضى و إن كان بلوغ رسالة كل لمن بعده موجبة لانسحاب حكم رسالته إلى مجىء الرسول الذى يقفوه ، أثبت الجار لإرادة الحقيقة فقال : ﴿ من قبلك ﴾ أى إلى أممهم ليبلغوا عنا ما أمرناهم به :

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تربتهم - كذا (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لتنفذن . (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما .

﴿ منهم من قصصنا ﴾ أى بما لنا من الإحاطة ﴿عليك ﴾ اى أخبارهم و أخبار أممهم ﴿ و منهم من لم نقصص ﴾ و إن كان لنا العلم التام و القدرة الكاملة ﴿ عليك[1] ﴾ لا أخبارهم و لا أخبار أممهم و لا ذكرناهم لك بأسمائهم ﴿ و ما ﴾ أى أرسلناهم و الحال أنه[1] ما ﴿ كان لرسول ﴾ أصلا ﴿ ان يأتى بآيـة ﴾ أى ملجئة أو غير ملجئة مما يطلب الرسول ٥ استعجالا[2] لاتباع قومه له، أو اقتراحا من قومه عليه أو غير ذلك مما يجادل[3] فيه قومه / أو يسلمون له أو ينقادون، و صرف الكلام عن المظهر ٥٧٤ / المشير إلى القهر إلى ما فيه - مع الإهانة[4] - الإكرام فقال: ﴿الا باذن الله ج﴾ اى بأمره و تمكينه، فان له الإحاطة بكل شىء، فلا يخرج شىء عن أمره، فان لم يأذن فى ذلك رضوا و سلموا و صبروا و احتسبوا[5]، و إن ١٠ أذن فى شىء من ذلك من عذاب أو آية ملجئة أو غير ذلك جاءهم ما أذن فيه ﴿فاذا جآء﴾ و زاد الأمر عظما لمزيد الخوف و الرجاء بالإظهار دون الإضمار فقال[6]: ﴿ امر الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما، و أمره ما توعد به من العذاب عند العناد بعد الإجابة إلى المقترح، و من القيامة و ما فيها، و تكريرا لاسم الأعظم لتعظيم المقام باستحضار ١٥ ما له من صفات الجلال و الإكرام، و لثبات ما أراد و لزومه عبر عنه

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انهم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: استعجالا (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يحاول (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاعانة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: احسبوا. (٦) سقط من ظ و مد.

بالقضاء، فقال مشعرا بصيغة المفعول بغاية السهولة: ﴿ قضى ﴾ أى بأمره على أيسر وجه و أسهله ﴿ بالحق ﴾ أى الأمر الثابت الذى تقدم الوعد به و حكم بثبوته[1] من إهلاك ناس و إنجاء آخرين أو إيمان قوم و كفر آخرين ـ هذا كله هو الذى أجرى سبحانه سنته القديمة بثبوته، و أما الفضل[2] من الإمهال[3] و التطول بالنعم فانما هو قبل الإجابة إلى المقترحات، و الدليل على أن هذا من مراد الآية ما يأتى من قوله "فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا" و ما أشبهه ﴿ و خسر ﴾ أى هلك أو تحقق و تبين بالمشاهدة أنه خسر ﴿ هنالك ﴾ أى فى ذلك الوقت العظيم بعظمة ما أنزلنا فيه، ظرف مكان استعير للزمان إيذانا بغاية الثبات و التمكن فى الخسار تمكن الجالس ﴿ المبطلون ع ﴾ أى المنسوبون إلى إيثار الباطل على الحق، إما باقتراح الآيات مع إتيانهم بما يغنيهم عنها و تسميتهم له[4] سحرا أو بغير ذلك، إما بتيسرهم على الرجوع عما هم فيه من العناد من غير إذعان، و إما بالهلاك، و إما بادحاض الحجج و الحكم عليهم بالغلب ثم النار و لو بعد حين، و من هذه الآية أخذ سبحانه فى رد مقطع السورة على مطلعها، فهذه الآية ناظرة إلى[5] قوله تعالى[5] "و همت كل امة برسولهم لياخذوه" ["و ما كان لرسول ان ياتى بآية" إلى ـ[6]] "و جادلوا بالباطل"

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بثبوته (٢) سقط من مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاهمال (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لها.
(٥ ـ ٥) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد.

و افلم

و[1] "افلم يسيروا فى الأرض" إلى "فاخذتهم فكيف كان عقاب" و هذا و ما بعده مما اشتمل عليه من الحكمة و القدرة إلى الثلاث الآيات الأول .

و لما كان المبطلون[2] ليسوا أشد نفرة و لا أقوى من بعض الحيوانات العجم ، دل على ما أخبر به من نافذ نصرته فيهم بقوله مذكرا لهم بنعمته مستعطفا إلى طاعته دالا على التوحيد بعد تليينهم بالوعيد مظهرا ٥ الاسم الجامع إشارة إلى أن ما فى هذه الآية من الدلالات لا يحصى : ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ الذى جعل لكم ﴾ لا غيره ﴿ الانعام ﴾ أى الأزواج الثمانية بالتذليل و التسخير ﴿ لتركبوا منها ﴾ و هى الإبل مع قوتها و نفرتها ، و التعبير باللام فى الركوب مطلقا ثم فيه مقيدا ببلوغ الأماكن الشاسعة إشارة إلى أن ذلك هو المقصود منها بالذات ، و هو ١٠ الذى اقتضى تركيبها على ما هى عليه ، فنشأ منه بقية المنافع فكانت تابعة . و لما كان الاقتيات منها - فى عظيم نفعه و كثرته و شهوته - بحيث لايناسبه غيره ، / عد الغير عدما فقال تعالى : ﴿ و منها ﴾ أى من الأنعام كلها ﴿ تاكلون ﴾ بتقديم الجار . / ٥٧٥

و لما كان التصرف فيها غير منضبط ، أجله بقوله : ﴿ و لكم فيها ﴾ ١٥ أى كلها ﴿ منافع ﴾ أى كثيرة بغير ذلك من الدر و الوبر و الصوف و غيرها . و لما [كان -[3]] سوقها و بلوغ الأماكن الشاسعة عليها فى أقرب مدة لنيل الأمور الهائلة عظيم الجدوى جدا ، نبه على عظمته[4] بقطعه

(١) زيد فى الأصل : قوله تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المطلوب (٣) زيد من ظ و م و مد .
(٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عظمة .

عما قبله باجمال المنافع ثم تفصيله منها فقال : ﴿و لتبلغوا﴾ اى مستعلين[1] ﴿عليها﴾ و هى فى غاية الذل و الطواعية ، و نبههم على نقصهم و عظيم نعمته عليهم بقوله : ﴿حاجة﴾ أى جنس الحاجة . و لما كان فى مقام التعظيم لنعمه لأنه من سياق الامتنان و إظهار القدرة وحدها و جمع ما تضمر فيه فقال : ﴿فى صدوركم﴾ إشارة إلى أن حاجة واحدة ضاقت عنها قلوب الجميع[2] حتى فاضت منها فملأت مساكنها . و لما كان الحمل يكون مع مطلق الاستعلاء سواء كان على أعلى الشىء أو لا بخلاف الركوب ، قال معبرا بأداة الاستعلاء فيها و فى الفلك غير سفينة نوح عليه الصلاة و السلام ، فانها كانت مغطاة كما حكى فكانوا فى بطنها [لا ـ[3]] على ظهرها : ﴿و عليها﴾ أى فى البر ﴿و على الفلك﴾ أى فى البحر ﴿تحملون ۝﴾ أى تحمل لكم أمتعتكم فان حمل الإنسان نفسه تقدم بالركوب ، و أشار بالبناء للمفعول إلى أنه سخر ذلك تسخيرا عظيما لايحتاج معه إلى علاج فى نفس الحمل .

و لما كانت هذه آية عظيمة جعلها سبحانه مشتملة على آيات كثيرة ، عبر فيها بالماضى و عطف بالمضارع تنبيها على التجدد على ما تقديره : فأراكم هذه الآيات البينات منها ، قوله : ﴿و يريكم﴾ أى فى لحظة ﴿آيته﴾ أى الكثيرة الكبيرة فيها و فى غيرها من أنفسكم و من الآفاق ، و دل[4] على كثرة الآيات و عظمتها باسقاط تاء التأنيث كما هو المستفيض

(١) فى م : مشتغلين (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الجمع (٣) زيد من م و مد (٤) فى م : ذلك .

فى غير النداء باظهار الاسم الأعظم فى قوله : ﴿ فاىّ ءايت الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ تنكرون ٥ ﴾ حتى تتوجه[1] لكم المجادلة فى آياته التى من أوضحها البعث .

و لما وصل الأمر إلى حد من الوضوح لايخفى على أحد ، تسبب عنه لفت الخطاب عنهم دلالة على الغضب الموجب للعقاب المقتضى للرهب ٥ فقال : ﴿ افلم يسيروا ﴾ [أى -[2]] هؤلاء الذين هم أضل من الأنعام ﴿ فى الارض ﴾ اىّ أرض كانت ، سير اعتبار ﴿ فينظروا ﴾ نظر ادكار فيما سلكوه من سبلها و نواحيها ، و نبه على زيادة العظمة فيما حثهم على النظر فيه بسوقه مساق الاستفهام تنبيها على خروجه عن أمثاله ، و مباينته لأشكاله ، بقوله : ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ الذين ﴾ ١٠ و لما كانوا لا يقدرون على استغراق نظر جميع الأرض و آثار جميع أهلها ، [نبه -[3]] بالجار [على -[4]] ما تيسر فقال تعالى : ﴿ من قبلهم ﴾ أى مع قرب الزمان و المكان ، و لما كانوا معتمدين فى مغالبة الرسول صلى الله عليه و سلم و مجادلته بالباطل[6] فى الآيات الظاهرة على كثرتهم و قوتهم و قلة أصحابه[7] مع ضعفهم ، و كان قد تقدم الإنكار عليهم فى ١٥ المجادلة لإدحاض الحق ، و عظم النكير عليهم بعدم النظر عند المسير فى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : توجد (٢) زيد من ظ و م و مد .
(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذلك (٤) زيد من م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان هؤلاء معتمدا (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بلاباطيل (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اصحابهم .

٥٧٦/ الأرض بأعين / الاعتبار فى الآثار، من المساكن و الديار، لمن مضى من الأشرار، و أثبت لهم الأشدية و أنها لم تغن عنهم، و ذكر فرعون و ما كان له من المكنة بالمال و الرجال، و انه أخذه أخذة صارت مثلا من الأمثال، و [١]كان قد[١] بقى مما قد يتعلل به فى المغالبة الكثرة، ذكرها مضمومة إلى الشدة تأكيدا لمضمون الخبر فى[٢] أنه [٣]لا أمر[٣] لأحد مع أمره، فقال مستأنفا جوابا لمن يقول: ما كانت عاقبتهم؟ فقال: ﴿ كانوا أكثر منهم ﴾ أى عددا أضعافا[٤] مضاعفة [و -[٥]] لاسيما قوم نوح عليه الصلاة و السلام: ﴿ و اشد قوة[٦] ﴾ فى الأبدان كقوم هود عليه الصلاة و السلام الذين قالوا كما يأتى فى التى بعدها "من اشد منا قوة" ﴿و اثارا فى الارض﴾ بنحت[٧] البيوت فى الجبال، و حفر الآبار، و إنباط المياه، و بناء المصانع الجليلة[٨] - و غير ذلك [٩]مما كانوا عليه[٩].

و لما كان [التقدير -[١٠]]: فنظروا فأهلكهم الله، سبب عن كثرتهم و شدتهم فى [قوتهم -[١١]] قوله نافيا صريحا، أو يكون استفهاما[١٢]

(١-١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كانه (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ «و» (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لامر (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اضعاف (٥) زيد من ظ و مد (٦) ليس فى الأصل فقط. (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نحت (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الجبلية (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد إلا أن السقوط امتد فى ظ إلى «فنظروا» (١٠) زيد من م ومد (١١) زيد من ظ وم ومد. (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: استفهام.

إنكاريا ﴿ فما ﴾ أى أىّ شىء ﴿ اغنى عنهم ﴾ أو لم يغن عنهم شيئا من الغنى ﴿ما كانوا﴾ أى دائما كما فى جبلاتهم من دواعيه ﴿ يكسبون ٥ ﴾ بقوة أبدانهم و عظم عقولهم و احتيالهم و ما رتبوا من المصانع لنجاتهم حين جاءهم أمرنا بل كانوا كأمس الذاهب .

و لما أخبر عن كثرتهم و قوتهم و آثارهم الدالة على [مكنتهم -[1]] ، ٥ سبب عنه شرح حالهم ، الذى أدى إلى هلاكهم و اغتيالهم ، فقال مبينا لما أغنى : ﴿ فلما جآءتهم رسلهم ﴾ اى الذين ارسلناهم إليهم و هم منهم يعرفون صدقهم و أمانتهم ﴿ بالبينت ﴾ أى الدالة على صدقهم لامحالة ﴿فرحوا﴾ أى القوم الموصوفون ﴿بما عندهم من العلم﴾ الذى أثروا به تلك الآثار فى الأرض من إنباط المياه و جر الأثقال و هندسة الأبنية ١٠ و معرفة[2] الأقاليم و إرصاد الكواكب لأجل معرفة أحوال المعاش ، و غير ذلك من ظواهر العلوم[3] المؤدية إلى[4] التفاخر و التعاظم و التكاثر وقوفا مع الوهم ، و تقييدا بالحاضر من [الرسم -[5]] ، من علم ظاهر الحياة الدنيا و قناعة بالفانى كما قال فى التى قبلها " ثم اذا خولنه نعمة منا قال انما اوتيته [على علم -[5]] " و كما قال قارون[6] لما قيل له "و احسن ١٥ كما احسن الله اليك[7] ": " انما اوتيته على علم عندى " و فرحهم به

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تعرفة (٣) زيد فى الأصل : الى الأمور ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : الظواهر و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فرعون (٧) زيد فى الأصل و ظ : قال ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

لأنه أداهم إلى التوسع فى الدنيا و التلذذ بما فيها و استهزأوا بما اتتهم به الرسل من علم الباطن الداعى إلى الإعراض عن الفانى و الإقبال على الباقى و الخوف مما بعد الموت من الأمور الغائبة و الأهوال الآتية و الكوائن العظيمة المستورة بحجاب هذه [الحياة - ١] الدنيا الواهى ، على ما فيها من الذوات و المعانى و الأحوال و الأوجال و الدواهى ، و الذى حركهم إلى الفرح بما عندهم [هو - ٢] ما ٣ هم فيه من الزهرة مع ما يرون من تقلل الرسل و أتباعهم من الدنيا . و إسراع المصائب إليهم ، وكثرة ما يعانونه من الهوم و الأنكاد ، و يكابدونه من الأنداد و الأضداد ، فاشتد استهزاؤهم بهم / و بما أتوا به بعدّهم ذلك محالا و ٤ باطلا و ضلالا ، وكانوا /٥٧٧ لاينفكون من فعل الفرح الأشر البطر بالتضاحك و التمايل كما قال الله تعالى " فلما [جاءهم - ٤] اذا هم منها يضحكون " و نصبوا للرسل و أتباعهم المكايد ، و أحاطوا بهم المكر و الغوايل ، و هموا بأخذهم فأنجينا رسلنا ٥ و من آمن بهم منهم و آتيناهم بما أزال فرحهم ، و أطال غمهم و ترحهم ﴿ و حاق ﴾ أى أحاط على وجه الشدة ﴿ بهم ما كانوا ﴾ أى عادة مستمرة .

و لما كان استهزاؤهم بالحق عظيما جدا ، عد استهزاءهم بغيره عدما ، و أشار إلى ذلك بتقديم الجار فقال : ﴿ به يستهزءون ٥ ﴾ من الوعيد الذى

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مما (٣) زيد فى الأصل و م : لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى م : ارسلهم .

كانوا قاطعين ببطلانه فعلم قطعا أنه إنما يفرح من العلم بما تضمن النجاة و السعادة الأبدية على أن سوق الكلام هكذا ملئ بالاستهزاء بهم و التهكم عليهم لأنهم نصبوا أنفسهم منصب العالم المطيق [المنطيق - [1]] الذى إذا غلب خصمه فأسكته[2] و ألقمه الحجر فأخرسه[3] و أفحمه بواضح الحجة و [4]قويم المحجة[4] ظهر عليه السرور و غلبه[5] الفرح . فان عاند خصمه و وقف مع وهمه استهزأ به و تضاحك منه - هذا مع ما عنده من عمايات الجهل التى لايقدرون على إنكارها بدليل اعتراف[6] هؤلاء الذين أرسل إليهم هذا النبى الكريم أن أهل الكتاب أعلم منهم ، فكانوا يوجهون ركابهم إلى اليهود يسألونهم عن [أمرهم - [1]] و أمره [على أنه - [7]] قد أتاهم بما يعلى به قدرهم على أهل الكتاب ، و يجعلهم المخصوصين بالسيادة على مر الأحقاب ، و هم يأبون بمجادلتهم بالباطل إلا سفولا و إعراضا عن الصواب ، و عدولا و نكوصا و نكولا ، [8]و الآية مرشدة[8] إلى أنه لايتعلم[9] إلا من ظن من نفسه القصور ، و لهذا [كان - [7]] أقبل شيء للعلم الصغار ، و الآية من الاحتباك : إثبات الفرح أولا دليل[10] على حذف

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : واسكنه (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و احرسه (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قوائم الحجة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عليه (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعترافهم (٧) زيد من م و مد (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شدة - مع بياض فى البداية (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لايعلم (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دليلا .

ضده ثانيا، و إثبات الاستهزاء ثانيا دليل على حذف مثله اولا .

و لما كانت هذه السورة فى بيان العزة التى هى نتيجة كمال العلم و شمول القدرة، و كان عظم العزة بحسب عظمة المأخوذ بها المعاند لها، كرر ذكر المجادلة فى هذه السورة تكريرا آذن بذلك فقال فى أولها ٥ " ما يجادل فى اٰيٰت الله الا الذين كفروا " ثم دل على أنهم مأخوذون من غير أن يغنى [عنهم -[1]] جدالهم الذى أنتجه ضلالهم، و على توابع ذلك ترغيبا و ترهيبا إلى أن قال " هو الذى يريكم اٰيٰته " و ذكر بعض ما اشتد إلفهم له حتى سقطت غرابته عندهم، فنبههم على ما فيه ليكفهم عن الجدال و يغتنوا به عن اقتراح غيره، ثم ذكر قصة موسى عليه ١٠ الصلاة و السلام مذكرا لهم ما حصل من تعذيب المكذبين المجادلين بعد وقوع ما اقترحوا من الآيات بقولهم " فائت بٰاية ان كنت من الصدقين" و مضى يذكر و ينـــذر و يحذر فى تلك الأساليب التى هى أمضى من السيوف، و أجلى من الشموس فى الصحو دون[2] الكسوف، حتى قال "الذين يجادلون فى اٰيٰت الله بغير سلطٰن اتٰهم كبر مقتا عند الله و عند ١٥ الذين اٰمنوا " ثم / شرع فى إتمام قصة موسى عليه السلام إلى أن قال /٥٧٧ " ان الذين يجادلون فى اٰيٰت الله بغير سلطٰن اتٰهم ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه " ثم شرع [3]يعدد الآيات[3] العظيمة التى تأبى لشدة وضوحها جدال المجادل، و ضلال المماحك المماحل، لولا أنـــه قد

(١) زيد من م و مد (٢) تكرر فى الأصل و ظ (٣-٣) من ظ و م و مد و فى الأصل : بعدادالات ـ كذا .

اخرجتها شدة الإلف لها من حيز الغرابة من [١]خلق الخافقين[١] و تكوير الملوين، و بسط الأرض و رفع السماء و تصوير الإنسان و ما فيه من عظم الشأن، فكشف ستورها، و بين دلالتها و ظهورها، و لفت الكلام إلى تهديد المجادلين بقوله منكرا عليهم "الم تر الى الذين يجادلون فى آيٰت الله انى يصرفون" على عادة البلغاء فى أنه إذا أخرس أحدهم خصمه بما هو ٥ من حججه كالشمس نورا و طلعة [و ظهورا -[٢]] أنكر بالاستفهام الذى هو أمر من وقع السهام . فلما ثبت بذلك عنادهم و غلظتهم و قوتهم فى لددهم و اشتدادهم، بين جهلهم بذلهم عند ما بدا لهم وبال[٣] أمرهم و حان أن تبرك[٤] عليهم أثقال العذاب الفائتة للقوى، فحلت ما أحكموا عقده من شرهم، فقال مبينا لما أجمل من الحيق[٥] مسببا عنه لافتا القول إلى ١٠ مظهر العظمة ترهيبا: ﴿ فلما راوا ﴾ أى عاينوا ﴿ باسنا ﴾ أى عذابنا الشديد على ما له من العظمة التى[٦] آذنت بها نسبته إلينا و صدوره عنا ﴿ قالوآ امنا بالله ﴾ أى الذى له مجامع العظمة، و معاقد العز و نفوذ الكلمة، كما ظهر لنا فى هذا البأس من غير إشكال و لا إلباس، و أكدوا ذلك نافين لما كانوا فيه [من الشرك -[٢]]: بقولهم ﴿ وحده ﴾ و دل على ١٥ انحلال عراهم و وهى قواهم بزيادة التصريح فى قولهم: ﴿ و كفرنا بما كنا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ به مشركين ۝ ﴾ لأنا علمنا أنه لا يغنى من دون الله شىء[٧] .

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خلف الخالفين (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ومال (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ينزل (٥) من مد، وفى الأصل و ظ: الحنق، وفى م: الحيف. (٦) من ظ و م و مد، و فى الاصل: الذى (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: شيئا .

و لما كان الكفر بالغيب سببا لعدم قبول الإيمان عند الشهادة قال : ﴿ فلم يك ﴾ أى لم يصح و لم يقبل بوجه من الوجوه لأنه لا كون يساعد على ذلك و لا بأدنى[1] درجات الكون ، فأشار بكان إلى أن هذا أمر مستقر و شأن مستمر لكل أمة ليس خاصا بالمحدث عنهم و من مضى قبلهم [و ـ[2]] بحذف لام الكلمة إلى أنهم أمعنوا فى الترقق بتقرير الإيمان و تكريره و تصريحه فى إطلاقه و تسريحه ، و الوقت ضيق و المجال حصير ، و قد أزفت الآزفة ، ليس لها من دون الله كاشفة ، فلم يكونوا لفوات الوقت موفين بما طلب منهم ﴿ ينفعهم ايمانهم ﴾ أى يتجدد لهم نفعه بعد ذلك لأنه إيمان إلجاء و اضطرار لا إيمان طواعية و اختيار ﴿ لما راوا ﴾ [و ـ[3]] أظهر موضع الإضمار زيادة فى الترهيب فقال : ﴿ باسنا[4] ﴾ لأن الإيمان لا يتحقق و لا يتصور إلا مع الغيب ، و أما عند الشهادة فقد كشفت سريرته على أنه قد فاتت حقيقته و صورته ، فلو ردوا لعادوا ، و لو أتاهم بعد ذلك العذاب لانقادوا ، و لهذا السر قال تعالى صارفا القول إلى الاسم المقتضى لمزج الحكمة بالعظمة : ﴿ سنت الله ﴾ أى سن[4] الملك الأعظم المحيط علما و قدرة ذلك فى كل دهر سنة ، و لذا قال : ﴿ التى قد خلت فى عباده ﴾ أن الايمان بعد كشف الغطاء لا يقبل ، و كل أمة كذبت الرسل أهلكت ، و كل من أجيب إلى الإيمان المقترحة فلم يؤمن عذب ، سنها سنة / و أمضاها عزمة ، فلا غير لها ، فربح /٥٧٩

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بادنى (٢) زيد من ظ و م و مد
(٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : الله . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها

إذ ذاك المؤمنون ﴿ و خسر ﴾ اى هلك او تحقق و تبين أنه خسر .
و لما كان المكان لاينفك عن الزمان ، استعير ظرفه له و ليدل على غاية
التمكن فقيل : ﴿ هنالك ﴾ أى فى ذلك الوقت العظيم الشأن بما كان
فيه و كان ﴿ الكٰفرون ﴾ أى العريقون فى هذا الوصف فلا انفكاك
بينهم و بينه ، و قد التف آخرها بما بين من كمال العزة و تمام القدرة ٥
و شمول العلم بما رتب من[1] أسباب الهداية و الإضلال و الإشقاء و الإسعاد
و النجاة و الإهلاك بأولها أى التفاف ، و اكتنفت[2] البداية و النهاية
بيان ذلك مع ما اشتمل عليه الوسط أيضا منه أعظم اكتناف[3] ، فسبحان
من هذا إنزاله ، و تبارك اسمه و جل جلاله ، [4]و لا إله سواه و لا حول
و لا قوة إلا بالله - رب سهل يا كريم[4] ١٠

* * * *

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : اكتشفت (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : اكتشاف (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

سورة حم السجدة و تسمى فصلت

مقصودها الإعلام بأن العلم إنما هو ما اختاره المحيط بكل شيء قدرة و علما من علمه لعباده فشرعه لهم، فجاءتهم به عنه رسله، و ذلك العلم هو الحامل على الإيمان بالله و الاستقامة على طاعته المقترن بهما - ٥ كما تقدم فى الزمر فى قوله " هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون" فتكون عاقبته الكشف الكلى حين يكون سبحانه سمع العالم الذى يسمع به، و بصره الذى يبصر به، و يده التى يبطش بها، و رجله التى يمشى بها - إلى آخر الحديث القدسى الذى معناه انه يوفقه سبحانه فلا يفعل إلا ما يرضيه، و على ذلك دل اسمها " فصلت " بالإشارة إلى [ما -] ١٠ فى الآية المذكورة فيها هذه الكلمة من الكتاب المفصل لقوم يعلمون، و السجدة بالإشارة إلى ما فى آيتها من الطاعة له بالسجود الذى هو اقرب مقرب من الملك الديان، و التسبيح الذى هو المدخل الأول للايمان ﴿ بسم الله ﴾ الذى لم يرض لإحاطته بأوصاف الكمال من جلال العلم إلا ما اقترن بجمال العمل ﴿الرحمن﴾ الذى وسع كل شيء رحمة و علما ١٥ ففصل الكتاب تفصيلا و بينه غاية البيان ﴿الرحيم﴾ الذى خص العلماء العاملين بسماع الدعوة و نفوذ الكلمة ﴿حمٓ ۝﴾ [-] أى حكمة محمد التى

(١) الحادية و الأربعون من سور القرآن الكريم، و عدد آياتها خمسون و آيتان بصرى و شامى و ثلاث مكى و مدنى، و أربع كوفى - كما فى روح المعانى ٧ / ٤٧٠ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يوافقه (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فيما (٥) زيد من م و مد.

أعجزت الخلائق] .

لما ختمت غافر بأن الكفرة جادلوا فى آيات الله بالباطل، و فرحوا بما عندهم من علم ظاهر الحياة الدنيا، و أنهم عند البأس انسلخوا عنه و تبرأوا منه و رجعوا إلى ما جاءت به الرسل فلم يقبل منهم، فعلم أن كل علم لم ينفع عند الشدة و البأس فليس بعلم، بل الجهل خير منه، ٥ و كان ذلك شاقا على النبى صلى الله عليه و سلم خوفا من أن يكون آخر أمر أمته الهلاك، مع الإصرار على الكفر إلى مجيء البأس، و ان يكون أغلب أحواله صلى الله عليه و سلم النذارة، افتتح سبحانه هذه السورة[1] بأن هذا القرآن رحمة لمن كان له علم و له قوة توجب له القيام فيما ينفعه، و كرر[2] الوصف بالرحمة فى صفة العموم و صفة الخصوص إشارة ١٠ إلى أن أكثر الأمة مرحوم، / و أعلم أن الكتاب فصل تفصيلا و بين ٥٨٠ / تبيينا لايضره جدال مجادل، و كيد ماحك ماحل، و أنه مغن بعجز الخلق عنه عن اقتراح الآيات فقال [مخبرا عن مبتدأ -[3]] : ﴿ تنزيل ﴾ أى بحسب التدريج عظيم ﴿ من الرحمن ﴾ اى الذى له الرحمة العامة للكافر و المؤمن بانزال الكتب و إرسال الرسل ﴿ الرحيم ﴾ [أى -[3]] ١٥ الذى يخص رحمته بالمؤمنين بالزامهم ما يرضيه عنهم .

و لما تشوف[4] السامع إلى بيان هذا التنزيل المفرق[5] بالتدريج، بين

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) زيد فى الأصل : هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مد (٤) فى ظ و مد : شوف (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : المعرق .

أنه مع ذلك حاوٍ لكل خير فقال [مبدلا من تنزيل -[1]] : ﴿ كتب ﴾ أى جامع قاطع غالب . و لما كان الجمع ربما أدى[2] إلى اللبس قال : ﴿ فصلت ﴾ أى تفصيل الجوهر ﴿ آيته ﴾ أى بينت بيانا شافيا فى اللفظ و المعنى مع كونها مفصلة إلى أنواع من المعانى ، و إلى مقاطع و غايات ترقى جلائل المعانى إلى أعلى النهايات ، حال كونه ﴿ قرآنا ﴾ أى جامعا مع التفصيل ، و هو مع الجمع محفوظ بما تؤديه مادة "قرا" من معنى الإمساك . و هو مع جمع اللفظ و ضبطه و حفظه و ربطه منشور اللواء منتشر المعانى لا إلى حد ، و لانهاية [و -[3]] عد ، بل [كلما -[4]] دقق النظر جل المفهوم ، و لذلك قال تعالى : ﴿ عربيا ﴾ لأن لسان العرب أوسع الألسن ساحة ، و أعمقها عمقا و اغمرها باحة ، و أرفعها[5] بناء و أفصحها لفظا ، و أبينها[6] معنى و أجلها فى النفوس وقعا ، قال الحرالى : هو قرآن لجمعه ، فرقان لتفصيله ، ذكر لتنبيهه على ما فى الفطر و الجبلات ، وجوده[7] حكيم لإنبائه الاقتضاءات الحكمية ، مجيد لإقامته قسطاس العدل ، عربى لبيانه عن كل شىء ، كما قال تعالى فى سورة أحسن القصص ، و تفصيل كل شىء مبين لمحوه الكفر بما ابان من إحاطة أمر الله ، محفوظ لإحاطته حيث لم يختص فيقبل العدول عن سنن .

و لما كان لايظهر إلا لمن له قابلية ذلك ، و أدمن اللزوم ذلا

---

(١) زيد من م و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : ادنى (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ارفها (٤) فى م : ثبتها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و حوزه - كذا .

للأعتاب، و القرع خضوعا و حبا للأبواب، قال معلقا[1] بـ«فصلت أو «تنزيل» أو «الرحمن الرحيم»: ﴿لقوم﴾ أى ناس فيهم قوة الإدراك لما يحاولونه ﴿يعلمون ۝﴾ أى فيهم قابلية العلم و تجدد الفهم بما فيهم من سلامة الطبع و سلاسة[2] الانقياد لبراهين العقل و السمع وحدة الأذهان و فصاحة اللسان و صحة الأفكار و بعد الأغوار، و [فى -[3]] هذا تبكيت لهم فى كونهم لا ينظرون ٥ محاسنه فيهتدوا بها كما يعتنون بالنظر فى القصائد حتى يقضوا لبعضها على بعض حتى[4] أنهم ليعلقون بعضها على الكعبة المشرفة تشريفا له، و فيه حث لهم - و هم أولوا العزائم الكبار - على العلم به ليغتنوا عن سؤال اليهود، و فيه بشرى بأنه تعالى يهب العرب بعد هذا الجهل علما كثيرا، و عن هذا الكفر إيمانا عظيما كبيرا، و فى الآية إشارة إلى ذم المقترحين ١٠ المشار إليهم آخر التى قبلها بأنهم قد آتاهم ما أغناهم عنه من آيات هذا الكتاب الذى[5] عجزوا عن مباراته، و مناظرته و مجاراته[6] و ذلك فى غاية الغرابة، لأنه كلام من جنس كلامهم فى كونه عربيا، و قد خالف كلامهم فى تخطيه من ذرى البلاغة إلى فنن تضاءلت عنها أشعارهم، و تقاصرت دونها خطبهم و أسجاعهم[7]، مع كونه ليس شعرا و لا سجعا أصلا و لا هو ١٥ من أنواع نثرهم، و لا من ضروب خطبهم، فعجزوا عن / الإتيان بشىء / ٥٨١

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معلنا (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سلامة (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: على (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التى (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: محاربه (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: اشجاعهم.

من مثله فى مر الأحقاب وكر الدهور و الأعصار، و كفى بذلك معجزة شديدة[1] الغرابة لمن ينيب .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت سورة غافر بيان حال المعاندين و جاحدى الآيات ، و ان ذلك ثمرة[2] تكذيبهم و جدلهم ، و كان بناء السورة على هذا الغرض بدليل افتتاحها و ختمها ، ألا ترى قوله تعالى ٥ "ما يجادل فى ايٰت الله الا الذين كفروا" و تأنيس نبيه عليه أفضل الصلاة و السلام بقوله "فلا يغررك تقلبهم فى البلاد" فقد تقدم ذلك من غيرهم فأعقبهم سوء العاقبة و الأخذ الوبيل "كذبت قبلهم قوم نوح و الاحزاب من بعدهم و همت كل أمة برسولهم ليأخذوه" فعصمتهم[3] واقية "انا لننصر رسلنا" و قال تعالى "و جدلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فاخذتهم فكيف ١٠ كان عقاب" أى رأيت ما حل[4] بهم وقد بلغك خبرهم ، فهلا اعتبر هؤلاء بهم "اولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم اشد منهم قوة و آثارا فى الارض فاخذهم الله بذنوبهم و ما كان لهم من الله من واق" و إنما أخذهم بتكذيبهم الآيات "ذلك بانهم كانت تاتيهم رسلهم بالبينٰت فكفروا فاخذهم الله" ثم ذكر تعالى ١٥ من حزب المكذبين فرعون و هامان و قارون ، و بسط القصة تنبيها على سوء عاقبة من عاند و جادل بالباطل و كذب الآيات ، ثم قال تعالى بعد آيات "ان الذين يجادلون فى ايٰت الله بغير سلطٰن اتٰهم ان فى

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نعصمهم (٤) من م و مد ، و فى للأصل و ظ : وصل .

صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه" إذ الحول و القوة ليست لهم "فاستعذ بالله" من شرهم، فخلق غيرهم لو استبصروا أعظم من خلقهم "لخلق السمٰوٰت و الارض اكبر من خلق الناس" و هم غير آمنين من الأخذ من كلا الخلقين "ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء" ثم قال تعالى بعد هذ "الم تر الى الذين يجادلون فى ايٰت الله ٥ انّى يصرفون"، ان[1] أمرهم لعجيب فى صرفهم عن استيضاح الآيات بعد بيانها، ثم ذكر تعالى سوء حالهم فى العذاب الأخراوى و واهى اعتذارهم بقولهم "ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا" ثم صبر تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم بقوله "فاصبر ان وعد الله حق" ثم أعاد تنبيههم فقال تعالى "افلم يسيروا فى الارض" إلى ختم السورة، و لم يقع من ١٠ هذا التنبيه الذى دارت عليه آى هـــذه السورة فى سورة الزمر شيء و لا من تكرار التحذير من[2] تكذيب الآيات، فلما بنيت على هذا الغرض أعقبت بذكر الآية العظيمة التى تحديت بها العرب، و قامت بها حجة الله سبحانه على الخلق، و كان قيل لهم: احذروا ما قدم لكم، فقد جاءكم محمد صلى الله عليه و سلم بأوضح آية و أعظم برهان "تنزيل من الرحمن ١٥ الرحيم كتٰب فصلت ايٰته قرٰانا عربيا لقوم يعلمون بشيرا و نذيرا" و تضمنت هذه السورة العظيمة من بيان عظيم الكتاب و جلالة قدره و كبير الرحمة به ما لا يوجد فى غيرها من أقرانها كما أنها فى الفصاحة

(١) فى م: إذ (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عن.

/ ٥٨٢ تبهر العقول بأول / وهلة ، فلا يمكن العربي الفصيح فى شاهد برهانها أدنى توقف ، و لا يجول فى وهمه إلى معارضة بعض آيها أدنى تشوف ، و أنه لكتاب عزيز " لا ياتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد" "و لو جعلنٰه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اٰيٰته ءاعجمى و عربى" فوبخهم سبحانه و تعالى و أدحض حجتهم و أرغم باطلهم و بكت دعاويهم[1] ثم قال " قل هو للذين اٰمنوا هدى و شفاء و الذين لايؤمنون فى اٰذانهم وقر و هو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد" [2]" انما يستجيب الذين يسمعون" و قرعهم تعالى فى ركيك جوابهم عن واضح حجته بقولهم[3] " قلوبنا فى اكنة مما تدعونا[4] اليه و فى اٰذاننا وقر" و قولهم " لاتسمعوا لهذا القراٰن و الغوا فيه " و هذه شهادة منهم على أنفسهم بالانقطاع عن معارضته ، وتسجيلهم بقوة عارضته[5] ، ثم فضحهم بقوله " قل ارءيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم بـــه " - الآية ، و تحملت السورة مع هذا بيان هلاك من عاند وكذب ممن كان قبلهم و أشد قوة منهم ، و هم الذين قدم ذكرهم مجملا فى سورة غافر فى آيتى " اولم يسيروا فى الارض" [" افلم يسيروا "-[6]] فقال تعالى مفصلا

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : دعاهم (٢) زيد فى الأصل : قل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بقلوبهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تدعوننا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عارضة (٦) زيد من م و مد .

لبعض ذلك الإجمال "فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود" ثم قال "فاما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق و قالوا من اشد منا قوة" ثم قال تعالى "فارسلنا عليهم ريحا صرصرا" - الآية، ثم قال "و اما ثمود" فبين [تعالى -[1]] حالهم و أخذهم، فاعتضد التحام السورتين، و اتصال المقصدين - و الله أعلم - انتهى. ٥

و لما كان حال الإنسان إن مال إلى جانب الخوف الهلع أو إلى جانب الرجاء البطر، فكان لا يصلحه إلا الاعتدال، بالتوسط الموصل إلى الكمال، بما يكون لطبعه بمنزلة حفظ الصحة و دفع المرض لبدنه. قال واصفا له «قرآنا» ﴿بشيرا﴾ أى لمن اتبع[2] ﴿و نذيرا ج﴾ أى لمن امتنع فانقطع - روى[3] أبونعيم فى الحلية فى ترجمة إمامنا الشافعى رضى الله عنه ١٠ و أرضاه أنه روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال فى خطبة له: و أعجب ما فى الإنسان قلبه، و له مواد من الحكمة و أضداد من خلافها إن سنح له الرجاء ادلهمه[4] الطمع، و إن هاج به الطمع أهلكه الحرص، و إن ملكه اليأس قتله الأسف، و إن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، و إن سعد بالرضى نسى التحفظ، و إن ناله الخوف ١٥ شغله الحزن، و إن أصابته مصيبة قصمه الجزع، و إن أفاد مالا أطغاه الغنى، و إن عضته فاقة شغله البلاء، و إن أجهده الجوع قعد به الضعف،

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد فى الأصل: النبى الامى أو الله سبحانه و النبى. و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: و روى (٤) من ظ و م و مد. و فى الأصل: اذا همه.

فكل تقصير به مضر[1] و كل إفراط به مفسد .

و لما كانت عادتهم دوام الاحتياط فى كل بشارة و نذارة بأمر دنيوى، سبب عن هذا مخالفتهم لعادتهم فى ترك الحزم [بالجزم -[2]] بالإعراض فقال : ﴿فاعرض اكثرهم﴾ أى عن / تجويز شىء من بشائره ٥٨٣ / أو نذائره[3] ﴿فهم﴾ لذلك ﴿لا يسمعون ٥﴾ أى يفعلون فعل من [4]لا يسمع فهم[4] لا يقبلون شيئا مما دعا إليه و حث عليه .

و لما أخبر عن إعراضهم، أخبر عن مباعدتهم فيه فقال : ﴿و قالوا﴾ أى عند إعراضهم ممثلين[5] لمباعدتهم فى عدم قبولهم : ﴿قلوبنا فى اكنة﴾ أى أغشية محيطة بها . و لما كان السياق فى الكهف للعظمة كان الأنسب له أداة الاستعلاء فقال " انا جعلنا على قلوبهم اكنة " و عبروا هنا بالظرف إبعادا لأن يسمعوا ﴿ مما ﴾ أى مبتدئة تلك الأغشية و ناشئة من الأمر الذى ﴿ تدعونآ ﴾ أيها[6] المخبر بأنه نبى ﴿ اليه ﴾ فلا سبيل له إلى الوصول إليها لنفيه أصلا . و لما كان القلب أفهم لما يرد إليه[7] من جهة السمع قالوا : ﴿ و فى اذاننا ﴾ التى هى أحد الطرق[8] الموصلة إلى القلوب[9] ﴿وقر﴾ أى ثقل [10]قد أصمها[10] عن سماعه ﴿و من بيننا و بينك﴾ أى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نصير (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نذارة (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يسمعون فيهم (٥) من مد . و فى الأصل و ظ و م : مملين (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اى (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عليه (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الطر (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القلب (١٠-١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقاصمها .

و مبتدئ من الحد الذى فصلك منا و الحد الذى فصلنا منك فى منتصف المسافة فى ذلك ﴿ حجاب ﴾ ساتر كثيف، فنحن لا نراك لنفهم عنك بالإشارة، فانسدت طرق الفهم لما نقول ﴿ فاعمل ﴾ [أى -[1]] بما تدين به . و لما كان تكرار[2] الوعظ موضعا للرجاء فى رجوع الموعوظ قطعوا ذلك الرجاء بالتأكيد[3] بأداته، و زادوه بالنون الثالثة و التعبير ٥ بالاسمية فقالوا : ﴿ انا عملون ﴾ أى بما ندين به فلا مواصلة بيننا بوجه ليستحى أحد منا من الآخر فى عمله أو يرجع إليه، و لو قال " [و -[4]] بيننا " من غير " من " لأفهم أن البينين بأسرهما حجاب، فكان كل من الفريقين ملاصقا لبينه، و هو نصف الفراغ الحاصل بينه و بين خصمه، فيكون حينئذ كل فريق محبوسا بحجابه لايقدر على عمل فينا فى ما بعده ١٠ أو يكون بينهما اتصال أقله *بالإعلام بطرق*[5] من أراد من المتباينين الحجاب، فأفادت " من " التبعيض مع إفادة الابتداء، فانهم لايثبتون الحجاب فى غير أمور الدين .

و لما أخبروا[6] باعراضهم و عللوا بعدم فهمهم لما يدعو إليه، أمره سبحانه بجواب يبين أنهم على محض العناد فقال: ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء ١٥ الذين عجزوا عن رد شىء من أمرك بشىء يقبله ذو عقل فادعوا[7] ما ينادى

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م : تكرير.
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بالتكيد (٤) زيد من م و مد .
(٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : باعلام بطريق (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اخبر (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فارعوا .

عليهم بالعجز : ﴿ انما انا بشر مثلكم ﴾ لاغير [1]بشر مما[1] لايرى ، و البشر يرى بعضه بعضا و يسمعه و يبصره[2] فقولكم أنه لاوصول لكم إلى رؤيتى و لا إدراك شيء مما أقول مما لا وجه له أصلا . و لما كان ادعاؤهم لعدم المواصلة بينهم قد تضمن شيئين : أحدهما فيه ، و الآخر فيما يدعو إليه ، و نقض الأول ، قال فى الثانى : ﴿ يوحىٰ الىّ ﴾ أى بطريق يخفى عليكم ﴿ انما الهكم ﴾ أى الذى يستحق العبادة[3] ﴿ اله واحد ﴾ لا غير [واحد - [4]] ، و هذا مما دلت عليه الفطر الأولى السوية ، و قامت عليه الأدلة العقلية ، و أيدتها[5] فى كل عصر[6] الطرق النقلية ، و انعقد عليه الإجماع فى أوقات الضرورات النفسانية ، أى لست مغايرا للبشر ممن يخفى عليكم شخصه كالملك ، و لا يعجم عليهم مراده بصوته كسائر الحيوانات ، و مع كونى بشرا فلست بمغاير لكم فى الصنف بكونى أعجميا ، بل أنا مثلكم سواء فى كونى عربيا ، و مع ذلك كله فأصل ما أوحى إلىّ ليس معبرا / عنه بجمل طوال تمل أو تنسى ، أو يشكل فهمها[7] ، و إنما هو حرف واحد و هو التوحيد ، فلا عذر لكم أصلا فى عدم فهمه و لاسماعه و لارؤية قائله . /٥٨٤

و لما قطع حجتهم و أزال علتهم ، سبب عن ذلك قوله :

(١ - ١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مبشرحا (٢) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : يبصر (٣) زيد فى الأصل و ظ : له ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ايدها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بحصر - كذا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فهما .

﴿ فاستقيموا ﴾ أى اطلبوا و اقصدوا و أوجدوا القوام[1] متوجهين و إن كان فى غاية البعد عنكم ﴿ اليه ﴾ غير معرجين أصلا على نوع شرك بشفيع و لا غيره . و لما [كان - [2]] أعظم المراد من الوحى العلم و العمل ، و كان رأس العلم التوحيد فعرفه و أمر بالاستقامة فيه ، أتبعه راس العمل و هو ما انبأ عن الاعتراف بالعجز مع الاجتهاد فقال : ٥ ﴿ و استغفروه[3] ﴾ أى اطلبوا منه غفران ذنوبكم ، و هو محوها عينا و أثرا [حتى - [2]] لا تعاقبوا عليها و لا تعاتبوا بالندم عليها ، و الإقلاع عنها حالا و مآلا . و لما أمر بالخير ، رغب فيه و رهب من ضده ، فكان التقدير للترغيب : فالفلاح و الفوز لمن فعل ذلك ، فعطف عليه ما السياق له فقال : ﴿ و ويل ﴾ أى سوأة و هلاك ﴿ للمشركين[4] ﴾ . ١٠

و لما كانت العقول و الشرائع ناطقة بأن خلاصة السعادة فى أمرين : التعظيم لأمر الله ، و الشفقة على خلق الله ، و كان [أفضل - [2]] أبواب التعظيم لأمر الله الإقرار بوحدانيته ، فكان أخس[5] الأعمال التى بين العبد و ربه الإخلال بذلك ، و كان اخس[5] الأعمال التى بين العبد و بين الخلق منع ما أوجبه[6] الله من الزكاة ، و كان معنى الشرك الحكم بأن ما لا ١٥ شىء له اصلا و ما لا يمكن أن يكون له ملك تام على شىء أصلا قد شارك من له الكل خلقا و تصرفا فيما هو عليه من الملك التام الذى

(١) فى م : القيام (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى مد : احسن (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الأخس ، و فى مد : احسن . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اوجب .

لا شوب فيه، و كانت الزكاة إشراك من له ملك غير تام لمثله فى جزء يسير من ماله، قال ذاما لمن أبى أن يشارك الخلائق و أشرك بالخالق: ﴿الذين لا يؤتون﴾ أى أمثالهم من أولاد آدم ﴿الزكوة﴾ من المال الذى لا صنع[1] لهم فى خلقه، فهو مخلف عن أبيهم آدم، فالقياس يقتضى اشتراكهم[1] كلهم فيه على حد سواء، و لكنا رحمناهم[2] بتخصيص كل واحد منهم بما ملكت يمينه منه بطريقه، فقد حكموا فى أمر ربهم بما لا يرضونه لأنفسهم، فانهم أبوا أن يشركوا ببذل الزكاة بعض أخوانهم فى بعض مالهم الذى ملكهم له ضعيف، و أشركوا ما لا يملك شيئا أصلا بما لا نفع فيه مع المالك المطلق.

و لما كان مما[3] تضمنه إشراكهم و إنكارهم البعث أنهم أداهم شحهم إلى استغراقهم فى الدنيا و الإقبال بكلياتهم على لذاتها، فأنكروا الآخرة، فصار محط حالهم أنهم أثبتوا لمن لا فعل له أصلا فعلا لا يمكنه تعاطيه بوجه، و نفوا عن الفاعل المختار الذى هم لأفعاله الهائلة فى كل وقت يشاهدون، و إليه فى منافعهم و مضارهم يقصدون، ما أثبت لنفسه من فعله، فقال مؤكدا تنبيها على أن إنكارهم هذا مما لا يكاد يصدق: ﴿و هم بالآخرة﴾ أى الحياة التى بعد هذه و لا بعد لها ﴿هم﴾ أى خاصة من بين أهل الملل ﴿كفرون﴾ فاختصموا[4] بانكار شىء لم يوافقهم عليه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: اشراكهم (٢) من ظ و م، و فى الأصل و مد: رحمنا (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ما (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فاختصوا.

أحد

أحد فى حق من يشاهدون فى كل وقت من أفعاله أكثر من ذلك، و أثبتوا لمن لم يشاهدوا له فعلا قط ما لايمكنه فعله أصلا، و هم يدعون العقول الصحيحة و الآراء المتينة و رضوا لأنفسهم بالدناءة فى منع [الزكاة -[1]] / و حكموا بأعظم منها على الله و هم يدعون مكارم الأخلاق / ٥٨٥
و معالى الهمم، فأقبح بهذه عقولا و أسفل بها همما [فقد -[1]] تضمنت ٥
الآية أن الويل لمن اتصف بصفات ثلاثة: الشرك الذى هو ضد التعظيم لأمر الله، و الامتناع من الزكاة الذى هو ضد الشفقة على خلق الله، و إنكار القيامة المؤدى إلى الاستغراق فيما أبعض الله من طلب الدنيا و لذاتها و [هو -[2]] من الاستهانة بأمر الله، قال الأصبهانى: و تمام الكلام فى أنه لا زيادة على [3]هذه المراتب[3] الثلاثة أن الإنسان له ثلاثة ١٠
أيام: أمس و اليوم و الغد، فمعرفة أنه كيف كانت أحواله بالأمس[4] فى الأزل هو بمعرفة الخالق لهذا العالم، و معرفة كيف ينبغى وقوع الأحوال فى اليوم الحاضر هو بالإحسان إلى أهل العلم بقدر الطاقة، و معرفة الأحوال فى اليوم المستقبل بالإقرار بالبعث و القيامة، فاذا كان الإنسان على ضد الحق فى هذه المراتب الثلاثة كان فى نهاية الجهل و الضلال. ١٥

و لما ذكر ما للجاهلين وعيدا و تحذيرا، ذكر ما لأضدادهم وعدا و تبشيرا، فقال مجيبا لمن تشوف لذلك[5] مؤكدا لإنكار من ينكره:

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هذا الترتيب (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: امس.
(٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بذلك.

﴿ان الذين امنوا﴾ أى بما آتاهم الله من العلم النافع ﴿وعملوا الصلحت﴾ من الزكاة و غيرها ليكون علمهم شرعيا نافعا ، و لما كان افتتاح السورة بالرحمن الرحيم مشعرا بأن الأسباب الظاهرية انمحت عند السبب الحقيقى الذى هو رحمته ، أعرى الخبر عن الفاء ، فقال إيذانا بعظم الجزاء لأن سببه رحمة الرحيم ، و لو كان بالفاء لآذنت أنه على مقدار العمل الذى هو سببه : ﴿لهم اجر﴾ أى عظيم ﴿غير ممنون ع﴾ أى مقطوع - جزاء على سماحهم بالفانى اليسير من أموالهم فى الزكاة و غيرها و ما أمر الله به من أقوالهم و أفعالهم فى الآخرة و الدنيا ، و الممنون : المقطوع من منت[1] الحبل أى قطعته بقطع منته[2] و منه قولهم[3] : قد منه السفر أى قطعه و أذهب منته .

و لما ذكر سبحانه سفههم فى كفرهم بالآخرة ، شرع فى ذكر الأدلة على قدرته عليها و على كل ما يريد بخلق الأكوان و ما فيها الشامل لهم و لمعبوداتهم من الجمادات و غيرها[4] الدال على أنه واحد لا شريك له ، فقال منكرا عليهم [و مقررا بالوصف لأنهم كانوا عالمين بأصل الخلق : ﴿ قل ﴾ أى لمن أنكر الآخرة منكرا عليه -[5]] بقولك[6] : ﴿ ائنكم ﴾ و أكد لإنكارهم التصريح بما يلزمهم من الكفر ﴿ لتكفرون ﴾ أى توجدون حقيقة الستر لأنوار العقول الظاهرة ﴿ بالذى خلق الارض ﴾

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منت (٢) فى م : منته (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : قوله (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غيرهم . (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بقوله .

أى على سعتها و عظمتها[1] من العدم ﴿ فى يومين ﴾ فتنكرون قدرته على إعادة ما خلقه [منها -[2]] ابتداء مع اعترافكم بأنه ابتدأ خلقها و خلق ذلك منها، و هذان اليومان الأحد و الاثنين - نقل هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما و عبد الله بن سلام رضى الله عنه - قال ابن الجوزى : و الأكثرين، و حديث مسلم الذى تقدم فى سورة البقرة « خلق الله التربة يوم السبت » ٥ يخالف هذا، فان البداءة فيه بيوم[3] السبت وهو مصرح بأن خلق الأرض و ما فيها فى ستة أيام كما هو ظاهر هذه الآية، و يجاب بأن المراد بالخلق فيه إخراج أقواتها بالفعل، و المراد هنا تهيئتها لقبول ذلك، و يشكل أيضا بأن الأيام إنما كانت بدوران الأفلاك، و إنما كان ذلك بعد تمام الخلق بالفعل، فالظاهر / أن المراد باليوم ما قال الحرالى: مقدار ما يتم ١٠ / ٥٨٦ فيه أمر ظاهر أو مقدار يومين تعرفونها من ايام الدنيا . و لما ذكر[4] كفرهم بالبعث و غيره، عطف على " تكفرون " قوله : ﴿ و تجعلون ﴾، اى مع هذا الكفر ﴿ له اندادا[5] ﴾ مما خلقه، فتثبتون له [6]افعالا و أقوالا[6] مع أنكم لم تروا شيئا من ذلك، فأنكرتم ما تعلمون مثله و أكبر منه، و[7] اثبتم ما لم تعلموه[7] أصلا، هذا هو الضلال المبين . و لما بكتهم على ١٥ قبيح معتقدهم، عظم ذلك بتعظيم شأنه سبحانه فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى

(١) فى ظ و مد : عظمها (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يوم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ذكرهم (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : افعالكم و اقوالكم (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل : اثبتم ما لم تعلموا، و فى مد : أتيتم بما لم تعلموه .

الإله العظيم ﴿ رب العٰلمين ﴾ اى موجدهم و مربيهم ، و ذلك يدل قطعا على [جميع -[1]] ما له من صفات الكمال .

و لما ذكر[2] ما هم به[3] مقرون من إبداعها ، أتبعه ما جعل فيها من الغرائب ، فقال عاطفا على ما تقديره : أبدع الأرض على ما ذكر :
٥ ﴿ و جعل ﴾ و لا يجوز عطفه على صلة الموصول للفصل بأجنبى ﴿ فيها رواسى ﴾ [هى أشدها -[1]] و هى الجبال ، و نبه على انها مخالفة للرواسى فى كونها تحت ما يراد إرساؤه فقال : ﴿ من فوقها ﴾ فمنعتها من الميد ، فعل ذلك لكونه أدل على القدرة ، فانها لو كانت من تحت لظن أنها ، أساطين حاملة ، و لتظهر منافع الجبال بها أنفسها و بما فيها ، و يشاهد أنها أثقال
١٠ مفتقرة[4] إلى حامل . و لما هيأها لما يراد منها ، ذكر ما أودعها فقال : ﴿ و بٰرك فيها ﴾ أى جعلها قابلة ميسرة صالحة بالأقوات و المنافع من الذوات و المعانى المعينة على محاسن الأعمال الميسرة للسير إليه و الإقبال عليه ، و دالة على جميع صفاته الحسنى و أسمائه العلى و غير ذلك من المعارف و القدر[5] و القوى ﴿ و قدر فيهآ اقواتها ﴾ أى جعلها
١٥ مع البركة على مقدار لا تتعداه[6] ، و منهاج بديع دبره فى الأزل و ارتضاه ، و قدره فأمضاه[7] ، و من ذلك أنه خص بعض البلاد بشىء لا يوجد فى غيرها لتنتظم عمارة الأرض كلها باحتياج بعضهم إلى بعض . فكان

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذكرهم (٣) زيد فى الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تفتقر (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القدرة. (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لايتعداها (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و امضاه .

جميع ما تقدم من إيداعها و إبداعها ما ذكر من متاعها، دفعة واحدة لاينقص عن حاجة المحتاجين أصلا، و إنما ينقص توصلهم أو توصل بعضهم إليه فلا يجد [له -[1]] حينئذ ما يكفيه، و فى الأرض أضعاف أضعاف كفايته، ثم ذكر فذلكة خلق الأرض[2] و ما فيها فقال: ﴿ فى اربعة ايام[4] ﴾ و هذا العدد عند ضم اليومين [الماضيين إلى -[3]] ٥ يومى الأقوات و هما الثلاثاء و الأربعاء، أو يكون المعنى فى تتمته أربعة أيام، و لايحمل على الظاهر ليكون ستة لأنه سيأتى للسماوات يومان[4] فكانت تكون ثمانية، فتعارض آية "الم السجدة" "الله الذى خلق السمٰوٰت و الارض و ما بينهما فى ستة ايام" و فصل مقدار ما [خلقها فيه و مقدار ما -[1]] خص الأقوات و المنافع لإحاطة العلم بأنه يخص كل أمر من ١٠ الأمرين يومان، و نص على الأولين ليكون ذلك أدل على القدرة فيحسن موقع النعى عليهم بما فصل به الآيتين من اتخاذ الأنداد، و إنما كان أدل على القدرة، لأنه إيجاد ذوات محسوسة من العدم[5] قائمة بأنفسها بخلاف البركة، و تقدير الأقوات فانه أمر لايقوم بنفسه، فلم يفرد يوميه[6] بالذكر، بل جعلهما تابعين كما أن ما قدر فيهما تابع، و لم يفعل ١٥ ذلك فى أقل من لمح البصر مع تمام القدرة عليه، لأن هذا أدل على الاختيار و أدخل فى الابتلاء و الاختبار. ليضل / به كثيرا و يهدى ٥٨٧ /

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الله (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل و م: يومين (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: العدد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يومه.

به كثيرا، فيكون أعظم لأجورهم لأنه أدل على تسليمهم، و جعل مدة خلقها ضعف مدة السماء مع كونها أصغر من السماء دلالة على أنها [هي -[1]] المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين، فزادت بما فيها من كثرة المنافع و تباين أصناف الأعراض و الجواهر لأن ذلك أدخل فى المنة على سكانها. و الاعتناء بشأنهم و شانها، و زادت أيضا بما فيها من الابتلاء بالتهيئة للمعاصى و المجاهدات و المعالجات[2] التى يتنافس فيها الملأ الأعلى و يتخاصم - كل ذلك دلالة على أن المدة ما هى لأجل القدرة بل لأجل التنبيه على ما فى المقدر من المقدور و عجائب الأمور، و ليعلم أيضا بخلق السماء التى هى أكبر جرما و أتقن جسما و اعظم زينة و اكثر منافع[3] بما لايقايس[4] فى أقل من مدة خلق الأرض أن خلقها فى تلك المدة ليس للعجز عن إيجادها فى أقل من اللمح، بل لحكم تعجز عن حملها العقول، و لعل تخصيص السماء بقصر المدة دون العكس لإجراء أمرها [على -[1]] ما تتعارفه[5] من أن بناء السقف[6] أخف من بناء البيت تنبيها على أنه بنى أمر دارنا هذه على الأسباب[7] تعليما للتأنى و تدريبا[7] على السكينة و البعد من العجلة.

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد. و فى الأصل: المصالحات. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: منافعا (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لايقاسى (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تتقادفه (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المسقف (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تعلما على التانى و تدربا.

و لما كان لفظ "سواء" الذى هو بمعنى العدل الذى لا يزيد عن[1] [النصف و لا ينقص يطلب اثنين ، تقول : سواء زيد و عمرو "الى كلمة سواء بيننا و بينكم" قال تعالى -[2]] مزيلا[3] لما أوهمه قوله "اربعة ايام" من أنها للأقوات و البركة ليكون مع يومين من الأرض ستة ، ناصبا على المصدر : ﴿سواء﴾ أى التوزيع إلى يومين و يومين على السواء ٥ ﴿للسآئلين ٥﴾ أى لمن سأل أو كان بحيث يسأل و يشتد بحثه بسؤال أو نظر عن التوفيق بين ظاهر هذه الآية و بين غيرها ، و لا يتأتى السواء إلا بين يومين و يومين [لا بين يومين -[4]] و أربعة ، لا يزيد أحد الشقين من اليومين على اليومين الآخرين ذرة بعلم محيط و قدرة شاملة ، و ليس ذلك كأيام الدنيا ، لابد فى [كل -[2]] يوم منها من زيادة عن[5] الذى قبله أو نقص ، ١٠ و مجموع الأربعة كأربعة من أيام الدنيا لا تزيد عليها و لا تنقص ، و قراءة يعقوب[6] بجر «سواء» معينة لأن تكون نعتا[7] لـ «اربعة» و قراءة أبى جعفر بالرفع خبر لمبتدأ[8] محذوف ، و عن خلقها و تتميمها [فى -[2]] أربعة أيام كانت فصولها أربعة[9] ، قال ابن برجان : ألا ترى الأمر ينزل إلى السماء أولا فى إنزال الماء فيخلقه فيما هنالك ثم ينزله إلى الأرض و النبات ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من بلا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٦) راجع نثر المرجان ٦ /٢٨٣ (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وصفا (٨) فى م و مد : مبتدأ (٩) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و الحيوان عن الماء الذى ينزل من السماء إلى الأرض بمنزلة النسل بين الذكر و الأنثى و بمنزلة تسخير السماء و الأرض و ما بينهما لما وجدتا له فافهم - أمر قويم و حكمة شائعة آية ذلك قضاؤه بركات الأرض فى أربعة أيام بواسطة ما قدر فى السماء من أمر و هى الأربعة الفصول[1] من السنة. الشتاء و[2] الربيع و الصيف[3] و الخريف ، فهذه الأيام معلومة بالمشاهدة ، فيهن يتم زرع الأرض و بركات الدنيا و جميع ما يخرجه منها من فوائد و عجائب ، قال : و قوله « للسائلين » تعجيب و إغراب و تعظيم للمراد المعنى بالخطاب ، و قد يكون معنى السواء زائدا إلى ما تقدم أن بهذه الأربعة الأيام استوت السنة مطالعها و مغاربها و قربها و بعدها و ارتفاعها و نزولها فى شمالى بروجها و جنوبيها[3] باحكام ذلك كله و توابعه - انتهى . و لما كانت السماوات أعظم من الأرض فى ذاتها بنور / أبنيتها و اتساعها [و زينتها -[4]] و دوران أفلاكها و ارتفاعها[5] ، نبه على[6] ذلك بالتعبير بأداة التراخى ، و لفظ الاستواء و حرف الغاية الدال على عظيم العناية[7] فقال : ﴿ [8] ثم استوى[8] ﴾ أى[8] قصد قصدا هو القصد منتهيا قصده ﴿ الى السمآء و هى ﴾ أى و الحال أنها ﴿ دخان ﴾ بعد ما فتقها من

/ ٥٨٨

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : فصول (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الصيف و الربيع (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : جنوبها. (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اتساعها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : عن (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الغاية. (٨-٨) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط .

الأرض ، قالوا : كان ذلك الدخان بخار الماء فهو مستعار من المرتفع من النار ، وهو تشبيه صورى ، فالسماء[1] متقدمة فى الدخانية على الأرض ، تقدم [2]الذكر على[2] الأنثى ثم خلقت ذات الأرض و بعد تصوير السماء و تتميمها دحيت أنثى [الأرض - [3]] و سويت لذكر السماء ، قال ابن برجان : فالذى يعتقد أن السماء أولا [4]إيجادا و تتميما[4] و الأرض بعدها[5] إيجادا و رتبة ، و أيام الخلق يومان لإيجاد الأرض و يومان لتسوية[6] السماء بعد أن كانت دخانا ، و يومان لتتميم المنافع فتداخلت الأعداد لتداخل الأفعال[7] . ﴿ فقال لها ﴾ أى عقب هذا الاستواء ﴿ و للارض ﴾ بعد خلقها و قبل دحوها : ﴿ ائتيا ﴾ أى تعاليا و أقبلا[8] [9]مواتيتين مقارنتين[9] لما قدرته فيكما و اردته منكما من إخراج المنافع من المياه و النبات و المعادن و غيرها ، و وضع المصدر موضع الحال مبالغة فقال : ﴿طوعا او كرها[10] ﴾ أى طائعتين أو كارهتين فى إخراج ما أودعتكما من الأمانة فى أوقاتها و على ما ينبغى من مقاديرها و هيآتها طوع تسخير لا تكليف

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و السماء (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذكر (٣) زيد من م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و إيجادا و تتميمها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بعد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لسوية (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اقبالا ، و زيد فى الأصل بعده : متواليين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متواتيين متقارنتين .

﴿ قالتآ اتينا ﴾ أى نحن و ما فينا و ما بيننا .

و لما جعلهما موضع المخاطبة التى هى للعقلاء و التكلم ، قال جامعا لهما باعتبار أفرادهما و ما فيهما جمع من يعقل : ﴿ طآئعين ٥ ﴾ أى فى كل ما رسمته فينا لانحمل من ذلك شيئا بل نبذله على ما أمرت به لا نغير و لانبدل ، و ذلك هو بذلهما للأمانة ، و عدم حملها ، و جمع الأمر لهما فى الإخبار[1] لايدل على جمعه فى الزمان ، بل قد يكون القول لهما متعاقبا ﴿ فقضٰهن ﴾ أى خلقهن و صنعهن حال كونهن معدودات ﴿ سبع سمٰوٰت ﴾ صنعا نافذا[3] هو كالقضاء[4] لا تخلف [فيه - ٤] ﴿ فى يومين ﴾ أى الخميس و الجمعة إذا حسب[5] مقدار ما يخصهن من التكوين فى الستة الأيام[6] التى كان فيها جميع الخافقين ، و ما بينهما كان بمقدار ما خص واحدا من الأرض و من أقواتها لا يزيد على مدة منهما و لاينقص ، فيكون الذى خصهما ثلث المجموع . قال ابن جرير[7] : و إنما سمى[8] [يوم - ٩] الجمعة[10] لأن الله تعالى جمع فيه خلق السماوات و الأرض . يعنى فرغ من ذلك و أتمه ﴿ و اوحىٰ ﴾ أى ألقى بطريق خفى و حكم مبتوت قوى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاختبار (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نافذ (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : القضا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد فى الأصل و ظ : ما ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : ايام (٧) فى تفسيره ٢٤ / ٥٨ . (٨) من ظ و م و مد و التفسير ، و فى الأصل : سميت (٩) زيد من التفسير . (١٠) زيد فى الأصل : جمعة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد و التفسير فحذفناها .

﴿ فى كل سمآء امرها[1] ﴾ أى الأمر الذى دبرها[2] و دبر منافعها به على نظام محكم لايختل ، و زمام[3] مبرم [لاينحل -[3]] .

و لما عم ، خص ما للتى تلينا إشارة إلى تشريفنا ، فقال صارفا القول إلى مظهر العظمة تنبيها على ما فى هذه الآية من العظم : ﴿ و زينا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ السمآء الدنيا ﴾ أى القربى إليكم لأجلكم ٥ ﴿ بمصابيح ﴾ من زواهر النجوم ، و شفوفها عنها لا ينافى أن تكون فى غيرها مما[4] هو / أعلى منها ، و دل السياق على أن المراد : زينة ﴿ و ﴾ ٥٨٩ / حفظناها بها ﴿ حفظا[5] ﴾ من الشياطين ، فالآية من الاحتباك : حذف فعل الحفظ بدلالة المصدر ، و مصدر الزينة بما دل عليه من فعلها .

و لما كان [هذا -[6]] أمرا باهرا ، نبه على عظمته بقوله صارفا الخطاب ١٠ إلى صفتى العز و العلم إعلاما بأنهما أساس العظمة و مدارها : ﴿ ذلك ﴾ [أى -[7]] الأمر الرفيع و الشأن البديع ﴿ تقدير العزيز ﴾ الذى لايغلبه شىء و هو يغلب كل شىء ﴿ العليم ﴾ المحيط علما بكل شىء و كما قدر سبحانه ذلك بعزته و علمه قضى أنه لايفيد العز الدائم إلا ما شرعه من العلم ، و فى ختمه بالوصفين بشارة للأمة التى خوطبت بها[6] أنه يؤتيها ١٥ من عزه و علمه[7] لاسيما بالهبة و ما شاكلها من الطبائع و غيرها ما لم يؤت

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دبره (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رما (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما. (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : علمها .

أمة من الأمم قبلها ، [و سر خلقه سبحانه العالم فى مدة و لم يكن فى لمحة و جعلها ستة لا اقل و لا اكثر أنه لو خلقه فى لمحة لكان ذلك شبهة لمن يقول : إنه فاعل بالذات لا بالاختيار ، فاقتضى الحال عددا[1] ، ثم اقتضى الحال أن يكون ستة لأنها أول عدد يدل على الكمال لأنها عدد تام كسورها لا تزيد عنها و لا تنقص ، فآذن ذلك بان للفاعل نعوت الكمال و أوصاف التمام [2]و التعال[2] ، و لم يخلقه فيما دون ذلك من العدد لأنه ناقص ، و خلق الأرض فى يومين لأن الاثنين عدد يدل على الفردانية فهو قائد للعبيد إلى التوحيد ، و جعل اليومين مكررين باعتبار الذات و المنافع إيذانا بما يقع فيها من المعصية بالشرك الذى هو تثنية و إفك ، و لم يكرر فى السماء لأن آياتها أدل على التوحيد و لم يحصل من أهلها ما يدل على الوعيد ، و ليكون إيجادها فى أقل من مدة الأرض - مع أنها أكبر جرما و أعجب صنعا و أتقن جسما - أدل على الفعل بالاختيار بعجائب الحكم[3] و غرائب الأسرار الكبار - [4]] .

و لما كان هذا القدر من العلم موجبا للانقياد لكل خير من الوحدانية و غيرها ، و الإقبال على الحق فى كل أمر ، فكان المتمادى على إعراضه قبل الوعظ [به - [4]] كأنه جدد إعراضا غير إعراضه الأول ، قال مفصلا بعض قوله " فاعرض أكثرهم " : ﴿ فان اعرضوا ﴾ أى استمروا على إعراضهم ، أو أعرض غيرهم عن قبول ما جئتهم به[5]

---

(١) من مد . و فى الأصل : عدد (٢ - ٢) ليس ما بين الرقمين من مد (٣) من مد ، و فى م : الحكمة (٤) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منه .

من

من الذكر بعد هذا البيان الواضح فى هذه الآيات التى دلت على الوحدانية و العلم و القدرة و غيرها من صفات الكمال أتم دلالة ﴿ فقل ﴾ أى لهم: إن لكم سلفا سلكتم طريقهم فى العناد، فان أبيتم إلا الإصرار ألحقناكم[1] بهم كأمثالهم[2] و هو معنى ﴿ أنذرتكم صعقة ﴾، أى حلول صاعقة مهيأة لمن كشف له الأمر فعاند، فان وظيفة الحجة قد تمت[3] على أكمل الوجوه، قال البغوى[4] و ابن الجوزى: و الصاعقة المهلكة من كل شىء - انتهى . و الحاصل أنه عذاب شديد الوقع كأنه[5] فى شدة وقعه صاعقة .

و لما كان التخويف بما تسهل مشاهدة مثله أوقع فى النفس قال: ﴿ مثل صعقة عاد و ثمود ﴾ أى الذين تنظرون ديارهم و تستعظمون آثارهم، و علل إيقاع ذلك [بهم -[6]] بقوله: ﴿ اذ ﴾ و يجوز أن يكون ظرفا[7] لصاعقة و ظرفيته لا تنافى عليته[8] أى حين ﴿ جآءتهم الرسل ﴾ لأن الزمان الطويل يجوز نسبة ما وقع فى جزء منه إليه . و لما كانت الرسل إنما أتت بالفعل فى بعض الزمان أدخل الجار فقال: ﴿ من بين ايديهم ﴾ أى من قبلهم لأن النذير الأول نذير لكل من أتى بعده بأنه إن واقع ما واقعه أتاه ما عذب به ﴿ و من خلفهم ﴾ و هم من أتى إليهم لأنهم

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الحق معكم (٢) سقط من م (٣) من م و مد، و فى الأصل: تقدمت (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/٨٩ (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و انه (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ظرف (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: علته .

لم يكونوا يعلمون[1] إتيانهم، فالخلف كناية عن الخفاء، و القدام عن الجلاء، و لاشك ان الإنسان لما انقاد له من قبله فسمعه منه أقبل مما رآه بعينه، لأن النفس لا تنقاد لما خالفها إلا بعد [2]جدال و جهاد[2]، فاذا تطاول الزمن[3] و انقاد له الغير، سهل عليها الأمر، و خف عليها الخطب. و أيضا الآتى إلى ناس إنما يأتيهم بعد وجودهم و بلوغهم حد التكليف، فهو بهذا آت إليهم من ورائهم اى[4] بعد وجودهم أو يكون ما بين الأيدى هو من جاءهم لأنهم علموا بمجيئه / علم من ينظر من[5] قدامه، و ما خلفهم ٥٩٠ / [6]ما غاب عنهم[6] ممن تقدمهم، فلم تنقل إليهم أخبارهم إلا على وجوه تحتمل الطعن[7]، أو المعنى: أتاهم رسولهم الذى هو باظهار المعجزة كجميع الرسل بالوعظ من كل جانب يخفى عليهم أو يتضح لهم و أعمل[8] فيهم كل حيلة بكل حجة حتى لم يدع لهم شبهة. ثم بين أن مجيء الرسل ينفى عبادة غير الله و قصر العبادة عليه، فقال مظهرا مع العبادة الاسم الذى هو أولى بها[9]: ﴿ان﴾: أى بأن قالوا لهم ﴿لا تعبدوا الا الله[10]﴾ أى الذى له جميع صفات [10]الكمال.

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يعلموا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) فى م: الزمان (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: إلى، و فى م: ما (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: إلى، و فى م: ما (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد (٧) من ظ و م و مد. و فى الأصل: الظن (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عمل (٩) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لها، و زيد فى الأصل و ظ بعده: فقال، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٠) سقط من ظ و م و مد.

ولما كان هذا موضعا لتشوف السامع إلى خبرهم عند ذلك أجابه[1] بقولهم[2] : ﴿قالوا﴾ أي كل منهم : ﴿لو شآء ربنا﴾ أي[3] الذي ربانا أحسن تربية وجعلنا من خواصه بما حبانا به من النعم أن يرسل إلينا رسولا ﴿لانزل﴾ أي إلينا ﴿ملئكة﴾ فأرسلهم إلينا بما يريده منا لكنه لم ينزل ملائكة فلم يشأ ان يرسل رسولا ، فتسبب عما قالوه من القياس الاستثنائي[4] الذي استنتجوا[5] فيه من نقيض تاليه نقيض مقدمه ، لما جعلوا بين المقدم والتالي من الملازمة بزعمهم قولهم : ﴿فانا بما﴾ أي بسبب الذي ، ولما كانوا لم ينكروا مطلق رسالتهم ، إنما أنكروا كونها من الله ، بنوا للمجهول قولهم مغلبا تعالى[6] في الترجمة[6] عنهم للخطاب على الغيبة لأنه أدخل في بيان قلة أدبهم : ﴿ارسلتم﴾ [أي -[7]] أيها الرسل ومن كان على مثل حالهم من البشر ﴿به﴾ أي [على -[7]] ما تزعمون خاصة لابغيره ما ارسلتم به مما أنزل به ملائكة مثلا ﴿كفرون ه﴾ لأن قياسنا قد دل على أنه تعالى لم يشأ الإرسال ، فأنتم لستم بمرسل عنه لأنكم بشر لا ملائكة وقد كذبوا في قياسهم الذي لم يأخذوه عن عقل ولا نقل لأنه لاملازمة بين مشيئة الإرسال إلى الناس كافة أو إلى أمة منهم وبين أن يكون المرسل إليهم كلهم ملائكة .

---

(١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : اجابوا (٢) في ظ و مد : بقوله .
(٣) سقط من م و مد (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الاستثناء .
(٥) في مد : انتجوا (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بالترجمة .
(٧) زيد من م و مد .

و لما جمعهم فيما اجتمعوا فيه حتى كأنهم تواصوا به ، فصل ما اختلفوا فيه فقال مسببا عما مضى من مقالهم : ﴿ فاما عاد ﴾ أى قوم هود عليه الصلاة و السلام ﴿ فاستكبروا ﴾ أى طلبوا الكبر و أوجدوه ﴿ فى الارض ﴾ أى كلها التى كانوا فيها بالفعل و بقيتها بالقوة ، أو فى الكل بالفعل لكونهم ملكوها[1] كلها . و لما كان الكبر قد يكون بالحق كما على من خالف أمر الله قال : ﴿ بغير الحق ﴾ أى الأمر الذى يطابقه[2] الواقع ، و هو إنكار رسالة البشر ، فان الواقع إرسالهم ﴿ و قالوا[3] ﴾ أى و ضموا إلى[4] استكبارهم على قبول ما جاءهم من الحق أن قالوا متعاظمين على أمر الله بما آتاهم الله من فضله : ﴿ من اشد منا قوة ﴾ فنحن نقدر على دفع ما يأتى من العذاب الذى يهددنا[5] به هود عليه الصلاة و السلام لأنهم كانوا أشد الناس قوى و اعظمهم أجساما .

و لما كان التقدير أن يقال إنكارا عليهم : ألم يروا أن الله لو شاء لجعلهم[6] كغيرهم ، عطف عليه قوله : ﴿ او لم يروا ﴾ أى[6] يعلموا علما كما هو كالمشاهدة لأنه غريزة فى الفطرة الأولى فهو علم ضرورى ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ الذى خلقهم ﴾ و لم يكونوا شيئا ﴿ هو اشد منهم قوة ﴾ و من علم أن غيره أقوى منه و كان عاقلا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مهكوها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يطابقه (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هددنا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جعلهم . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان .

انقاد له فيما ينفعه و لا يضره. و اجتماع / قوتهم التى هى شدة البنية و قوته سبحانه التى هى كمال القدرة و هى صفة قديمة قائمة بذاته سبحانه إنما هو فى الآثار الناشئة عن القوة، فلذلك جمعا بأشد.

و لما بين أنهم أوجدوا الكبر، عطف عليه من غرائزهم ما [هو -[1]] اصل لكل سوء، فقال [مبينا فرط جهلهم باجترائهم على العظمة التى ٥ شأنها قصم الظالم و أخذ الآثم -[2]]: ﴿ و كانوا ﴾ أى طبعا لهم ﴿ بآيتنا ﴾ على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا ﴿ يجحدون ﴾ أى ينكرون إنكارا يضمحل عنده كل إنكار عنادا مع علمهم بأنها من عندنا ﴿ فارسلنا ﴾ بسبب ذلك على ما لنا من العظمة، و دل على صغارهم و حقارتهم بأداة الاستعلاء فقال: ﴿ عليهم ﴾ و زاد فى تحقيرهم بأن أخبر أنه أهلكهم ١٠ لأجل ما تعززوا به من قوة أبدانهم و وثاقة خلقهم بما[3] هو من ألطف الأشياء جسما[4] و هو الهواء فقال: ﴿ ريحا ﴾ أى عظيمة ﴿ صرصرا ﴾ أى شديدة البرد و الصوت و العصوف حتى كانت تجمد البدن ببردها فتكون كأنها تصره[5] - أى تجمعه - فى موضع واحد فتمنعه التصرف بقوته، و تقطع القلب بصوتها، فتقهر شجاعته، و تحرق بشدة بردها ١٥ [كل -[2]] ما مرت عليه.

و لما تقدم فى هذا السياق استكبارهم على الوجه المذكور و ادعاؤهم

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ما (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سما (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نضره.

انهم أشد الناس قوة اقتضى الحال تحقيرهم فى إهلاكهم، فذكر الأيام دون الليالى و إن تضمنتها فقال تعالى: ﴿ فى ايام ﴾ [و لما كان -١] جمع القلة [قد -٢] يستعار للكثرة حقق أن المراد القلة بوصفه بجمع السلامة فقال: ﴿نحسات﴾ و كان ذلك أدل على هذا المراد من إفراد اليوم كما فى القمر لأنه قد يراد به زمان يتم فيه أمر ظاهر و لو طالت مدته، و يصح للجنس فيشمل مع القليل ما يصلح له جمع الكثرة. و فيه - مع أنه نذارة - رمز للنزل عليه هذا الوحى صلى الله عليه و سلم بأعظم بشارة بما أومأ إليه افتتاح السورة باسمى الرحمة، و قوله تعالى "لقوم يعلمون" من أنه يكون لقومه قوة و علم، و من قرن النذارة بالبشارة فى قوله "بشيرا و نذيرا" و من جعل أيام هذا العذاب ثمانية، أشار إلى الحلم و التأنى كما أشار إليه ما تقدم من خلق هذا الوجود فى ستة أيام، و قد كان قادرا على كل من التعذيب و الإيجاد فى لحظة [واحدة -٣]، فأشار ذلك إلى أنه فى السنة السادسة من الهجرة يكون الفتح السببى بعمرة الحديبية التى كانت سبب نزول سورة الفتح، و فى السابعة يكون الاعتمار الذى كان عليهم أشد من وقوع الصارم البتار، حتى ذهب عمرو بن العاص من أجل ذلك إلى الحبشة لئلا يرى من دخول النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضى الله عنهم ما لاصبر له

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لكثر (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن المنزل (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لقوم.

عليه، و فى الثامنة يكون الفتح الحقيق بعشرة الآف مقاتل أكثرهم دارع[1] لايرى منهم إلا الحدق، حتى خالوا بياض لأمهم السراب، فظنوا بهم غاية العذاب، فكانوا[2] رحمة، و عاد رأوا السحاب فظنوه رحمة فكان[3] عذابا و نقمة، و وصفها بالنحس مبالغة / مثل 'رجل عدل' ليدل على أنها كانت قابلة لانفعال[4] الجسد و ما كان[5] فيه من القوى[6] بهذه الريح، و هو مصدر جمع لاختلاف أنواع النحس فيها - هذا على قراءة الجماعة[7] بسكون الحاء، و أما قراءة ابن عامر و الكوفيين بكسر الحاء فهى صفة من فعل بالكسر مثل: فرح فهو فرح، و أول هذه الأيام[8] الأربعاء فى قول يحيى بن سلام[9]، و قال غيره: و ما عذب[10] قوم إلا يوم الأربعاء ﴿لنذيقهم﴾ و أضاف الموصوف إلى صفته على المبالغة من وادى رجل عدل فقال: ﴿عذاب الخزى﴾ أى الذى يهينهم و يفضحهم و يذلهم بما تعظموا[11] و افتخروا على كلمة الله التى آتتهم بها رسله، و[12] وصف العذاب بالخزى الذى هو للمعذب به مبالغة فى إخزائه له ﴿فى الحيوة الدنيا﴾ ليذلوا عند[13]

/ ٥٩٢

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وداع (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: و كانوا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و كان (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لانتقال (٥) سقط من مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: القوة (٧) راجع نثر المرجان ٦/٢٩١ (٨) سقط من م (٩) و فى البحر المحيط ٧/ ٤٩١: و قال يحيى بن سلام: يوم الأحد (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عدم (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تعاظموا. (١٢) سقطت الواو من م و مد (١٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن.

من تعظموا عليهم فى الدار التى اغتروا[1] بها فتعظموا فيها . فان ذلك أدل على القدرة عند من تفيد[2] بالوهم ﴿و لعذاب الأخرة﴾ الذى أعد للمتكبرين ﴿اخزى﴾ أى أشد إخزاء كما قالوا : هو اعطاهم للدراهم و أولاهم للمعروف ، و أكد لإنكارهم له . و لما انتفت مدافعتهم عن أنفسهم ، نفى دفع غيرهم فقال : ﴿ و هم ﴾ أى أصابهم هذا العذاب و سيصيبهم عذاب الآخرة و الحال انهم ﴿ لا ينصرون ﴾ اى لا يوجد و لا يتجدد لهم نصر أبدا بوجه من الوجوه .

و لما انهى امر صاعقتهم ، شرع فى بيان صاعقة ثمود فقال : ﴿ و اما ثمود ﴾ و هم قوم صالح عليه الصلاة و السلام ﴿ فهديناهم ﴾ [أى - [3]] بينا لهم طريق الهدى من أنا قادرون على البعث و على كل شىء ، فلا شريك لنا ، و كان بيان ذلك [4]بالناقة غاية البيان[4] فأبصروا ذلك بأبصارهم التى هى سبب [5]أبصار بصائرهم[5] غاية الإبصار ، [6]فكرهوا ذلك لما[6] يلزمه من [7]تنكب طريق آبائهم و اقبلوا[7] على لزوم طريق آبائهم : ﴿ فاستحبوا العمى ﴾ أى الضلال الناشئ عن عمى البصر او البصيرة أو هما معا ﴿ على الهدى ﴾ أى أوجدوا من الأفعال و الأقوال ما يدل

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انتهزوا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لقد (٣) زيد من مد (٤ - ٤) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ بعد « طريق الهدى » و الترتيب من م و مد (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : أبصارهم (٦-٦) من ظ و م و مد . و فى الأصل : فكسر - مع يسير من البياض (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بك طريقا - مع يسير من البياض .

على حب ذلك و على طلب حبه فعموا فضلوا[1]، و قال القشيرى : قيل : إنهم آمنوا و صدقوا ثم ارتدوا و كذبوا، فأجراهم مجرى إخوانهم فى الاستئصال . ﴿ فاخذتهم ﴾ أى بسبب ذلك أخذ قسر و هوان ﴿صعقة العذاب﴾ و أبلغ فى وصفه بجعله نفس الهون فقال : ﴿الهون﴾ أى ذى[2] الهون، قامت ضمته مقام ما فى الهوان من الصيغة[3] فعلم أن ٥ المراد أنه المهين المخزى ﴿بما كانوا﴾ أى دائما ﴿يكسبون ج﴾ أى يتجدد تحصيلهم له و عدهم له فائدة، فالآية من الاحتباك : ذكر الهداية أولا دليلا على حذف الضلال ثانيا و العمى ثانيا دليلا على حذف[5] الإبصار أولا، و سره أنه نسب إليه اشرف فعليه، و أسند إليهم ما لا يرضاه [ذو روح -[6]] . ١٠

و لما أتم الخبر عن الكافرين من الفريقين، أتبعه الخبر عن مؤمنيهم بشارة لمن اتبع النبى صلى الله عليه و سلم و نذارة لمن صد عنه فقال : ﴿ و نجينا ﴾ [أى -[6]] تنجية عظيمة ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف و لو على أدنى وجوهه من الفريقين ﴿ و كانوا ﴾ اى كونا عظيما ﴿يتقون ع﴾ أى يتجدد لهم هذا / الوصف فى كل حركة و سكون ١٥ / ٥٩٣ فلا يقدمون على شىء بلا دليل .

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : وصموا و ضلوا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ذا (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الصفة (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : او (٥) سقط من م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد .

و لما ذكر حالهم فى الدنيا، و أشار إلى حال الآخرة، أتبعه تفصيل ذلك فقال: ﴿ و يوم ﴾ أى اذكر أيام أعداء الله فى الدنيا فى إنزال عذابه بهم و إحلال مثلاته بساحاتهم، و اذكر يوم يحشرون - هكذا كان الأصل، و لكنه بين ما عذبوا به ليعم كل من اتصف به من الأولين و الآخرين فقال: ﴿ يحشر ﴾ أى يجمع بكثرة بأمر قاهر لا كلفة علينا فيه - هذا على قراءة الجماعة بالبناء للمفعول، و على قراءة نافع و يعقوب[1] بالنون مبنيا للفاعل يكون [2] ناظرا إلى [3] سياق «و نجينا» و فى كلتا القراءتين[3] معنى العظمة، فلذلك ناسبها[4] الاسم الأعظم الذى هو أعظم من مظهر العظمة الذى وقع الصرف عنه لما فى ذكره من زيادة التوبيخ لهم و التهجين لفعلهم و التخسيس[5] لعقولهم فى قوله: ﴿ اعداء الله ﴾ أى الملك الأعظم و لا يخفى إعرابه[6] بحسب كل قراءة ﴿ الى النار ﴾ دار الأشقياء ﴿ فهم ﴾ بسبب حشرهم ﴿ يوزعون ﴾ أى يدفعون و يرد بأيسر أمر أولهم على آخرهم، و من يريد ان يعرج منهم يمينا أو شمالا ظنا منه أنه قد يخفى بسبب كثرتهم و يزجرون زجر إهانة. و يجمع إليهم من شذ منهم، فان كل شىء من ذلك نوع من العذاب.

و لما بين إهانتهم بالوزع، بين غايتها فقال: ﴿ حتى[7] اذا ﴾ و أكد

---

(١) راجع نثر المرجان ٦/٢٩٤ (٢-٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ظرفا على (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: القراءة (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ناسبها (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التحيير (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اعداده.

الكلام لإنكارهم مضمونه بزيادة النافى ليكون اجتماعه مع الإثبات نفيا للضد فيفيد غاية القوة بمضمون[1] الخبر فى تحقيقه و ثباته و اتصاله بالشهادة على الفور فقال : ﴿ما جاؤها﴾ أى النار التى كانوا [بها -[2]] يكذبون ﴿شهد عليهم﴾ حين التكوير فيها مركومين[3] بعضهم على بعض . و لما كان فى مقام الترهيب ، و كان التفصيل أهول قال : ﴿سمعهم﴾ أفرده ٥ لتقارب الناس فيه ﴿و ابصارهم﴾ جمع لعظم[4] التفاوت فيها ﴿و جلودهم بما﴾ و اثبت الكون[5] بيانا لأنهم كانوا مطبوعين على ما أوجب لهم النار من الأوزار فقال : ﴿كانوا يعملون ه﴾ أى يجددون عمله مستمرين عليه ، فكأن هذه الأعضاء تقول فى ذلك الحين إقامة للحجة البالغة : أيها[6] الأكوان و الحاضرون من الإنس و الملائكة و الجان ، اعلموا أن صاحبى كان يعمل ١٠ بى كذا و كذا مع الإصرار ، فاستحق بذلك النار ، و غضب الجبار - ثم يقذف به .

و لما أخبر بهذا الذى يفتت الحجارة لو عقلت ساعة ما ، أخبر أنه لم يفدهم الرجوع عن طبعهم الجافى و بلادتهم الكثيفة ، فقال عاطفا على ما تقديره : فلم تفدهم هذه الشهادة خجلا من الله و لاخضوعا فى ١٥ أنفسهم و لارجوعا عن [7]الجدال و[7] العناد كما لم يفدهم ذلك مجرد علم الله

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لمضمون (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مركوبين (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعظيم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لكون (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الا بها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

فيهم[1] : ﴿ و[2] قالوا لجلودهم ﴾ و دخل فيها ما صرح به من منافعها بها لفقد ما يدعو إلى التفصيل . و لما فعلت فعل العقلاء خاطبوها مخاطبتهم فقالوا : ﴿ لم شهدتم علينا[4] ﴾ .

و لما كان هذا محل عجب منهم ، و كان متضمنا لجهلهم بظنهم انه كان لها قدرة على السكوت ، و كان سؤالهم عن العلة ليس على حقيقته و إنما المراد به اللوم ، أجيب من تشوف إلى الجواب بقوله معبرا لنطقها بصيغة ما يعقل : ﴿ قالوآ ﴾ [معتذرين -[3]] : ﴿ انطقنا ﴾ قهرا ﴿ الله ﴾ الذى له مجامع العز على وجه لم نقدر / على التخلف عنه . و لما كان حال الكفار دائما دائرا بين غباوة و عناد ، أقاموا لهم على ذلك دليلين شهوديين فقالوا : ﴿ الـــذىٓ انطق كل شىء ﴾ أى فعلا أو قوة أو حالا و مقالا .

٥٩٤ /

و لما كانت الأشياء كلها متساوية الأقدام فى الإنطاق و الإخراس و غيرهما[5] من كل ما يمكن بالنسبة إلى قدرته سبحانه ، نبههم على ذلك بقولهم : ﴿ و هو خلقكم اول مرة ﴾ و العلم القطعى حاصل عندكم بأنكم كنتم عدما ثم نطفا لاتقبل النطق فى مجارى العادات بوجه ، ثم طوركم فى أدوار الأطوار كذلك إلى أن أوصلكم إلى حيز الإدراك ، فقسركم

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : غيهم (٢) زيد فى الأصل : ذلك انهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مد (٤) فى ظ و م و مد : غيرها (٥) زيدت الواو فى الأصل و م ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .

على النطق بحيث لو أردتم سلبه عن أنفسكم ما قدرتم . و لما كان الخلق شيئا واحدا فعبر عنه بالماضى وكان الرجوع تارة بالحس و تارة بالمعنى وكان الذى بالمعنى كثير التعدد بكثرة التجدد قال[1] : ﴿و اليه﴾ [أى -[2]] إلى غيره ﴿ترجعون ه﴾ أى فى كل حين بقسركم بأيسر أمر على كل ما يريد من أول ما خلقتم إلى ما لانهاية له، فلو كان لكم نوع علم ٥ لكفاكم ذلك واعظا فى الدنيا تعلمون به أنكم فى غاية العجز، و أن له العظمة و الكبر و القدرة و القهر، روى مسلم فى صحيحه[3] عن أنس رضى الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فضحك فقال: هل[4] تدرون مما[5] أضحك؟ قلنا: الله و رسوله أعلم، قال: من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرنى[6] من الظلم؟ قال: يقول: بلى، ١٠ قال: فيقول: فانى لا أجيز[7] إلا شاهدا منى. قال: فيقول: كفى بنفسك [اليوم -[8]] شهيدا و بالكرام الكاتبين شهودا، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقى، فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه و بين الكلام فيقول: بعدا لكن و سحقا فعنكن كنت أناضل.

و لما اعتذروا بما إخبارهم به فى هذه الدنيا وعظ و تنبيه، و فى ١٥ الآخرة توبيخ و تنديم، قالوا مكررين للوعظ محذرين من جميع الكون:

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فقال (٢) زيد من م و مد (٣) راجع أبوب الزهد: ٢/٤٠٩ (٤) سقط من م (٥) من ظ و م و مد و صحيح مسلم، وفى الأصل: بم (٦) من ظ و مد و صحيح مسلم، و فى الأصل و م: الم تجزنى. (٧) زيد فى صحيح مسلم: على نفسى (٨) زيد من ظ و م و مد و صحيح مسلم.

﴿ و ما كنتم ﴾ أى بما هو [1]لكم كالجبلة[1] ﴿ تستترون ﴾ اى تتكلفون الستر عند المعاصى و أنتم تتوهمون ، و هو مراد قتادة بقوله : تظنون . ﴿ ان يشهد عليكم ﴾ بتلك المعاصى . و لما كان المقصود الإبلاغ فى الزجر ، أعاد التفصيل فقال : ﴿ سمعكم ﴾ و أكد بتكرير النافى فقال : ٥ ﴿ و لآ ابصاركم ﴾ جمع و أفرد لما مضى ﴿ و لاجلودكم و لكن ﴾ إنما كان استتاركم لأنكم ﴿ ظننتم ﴾ بسبب إنكاركم البعث جهلا منكم ﴿ ان الله ﴾ الذى له جميع الكمال ﴿ لايعلم ﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿ كثيرا مما تعملون ٥ ﴾ أى تجددون عمله مستمرين عليه ، و هو ما كنتم تعدونه خفيا فهذا هو الذى جرأكم على ما فعلتم ، فان كان هذا ظنكم ١٠ فهو كفر ، و إلا كان عملكم عمل من يظنه فهو قريب من الكفر و المؤمن حقا من علم أن الله مطلع على سره و جهره ، فلم يزل مراقبا خائفا هائبا ، روى الشيخان فى صحيحيهما[2] و اللفظ للبخارى فى كتاب التوحيد[3] عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : اجتمع عند البيت ثقفيان و قرشى أو قرشيان و ثقفى كثيرة شحم بطونهم قليلة فقه قلوبهم ، ١٥ فقال أحدهم : أترون أن الله يسمع ما نقول ؟ قال الآخر : يسمع إن جهرنا و لايسمع إن أخفينا ، و قال / الآخر : إن كان يسمع [إذا -[4]] جهرنا فانه يسمع إذا أخفينا ، فأنزل الله "و ما كنتم" - الآية . قال ٥٩٥ /

(١-١) فى م : كالجبلة لكم (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : صحيحهما ، و راجع من صحيح مسلم أبواب المنافقين (٣) ٢ / ١٢٢ (٤) زيد من م و مد و صحيح البخارى .

البغوى[١]: قيل: الثقفى عبديالیل و ختناه[٢]، و القرشيان: ربيعة و صفوان ابن أمية.

و لما كان ذكر المعصية و ما جرأ عليها يقتضى انتقاصا يقدح فى الإلهية، بين أنه الموجب للغضب فقال: ﴿و ذلكم﴾ أى الأمر العظيم فى القباحة، ثم بينه بقوله: ﴿ظنكم﴾ أى الفاسد، و وصفه بقوله: ﴿الذى ظننتم بربكم﴾ أى الذى طال إحسانه إليكم من أنه لا يعلم حالكم، ثم أخبر عنه[٣] بقوله: ﴿اردىكم﴾ أى تسبب عنه خاصة أنه أهلككم. و أما معاصى الجوارح مع التوحيد و التنزيه[٤] فأمرها أسهل، و الحاصل أن كل ظن كان غير مأذون فيه من الشارع فهو يردى صاحبه.

و لما كان الصباح محل رجاء الأفراح، فكان شر الأتراح ما كان فيه، قال: ﴿فاصبحتم﴾ أى بسبب أن ما أعطيتموه من النعم لتستنقذوا [٥]به أنفسكم[٥] من الهلاك [٦] كان سبب هلاككم[٦] ﴿من الخسرين﴾ أى العريقين[٧] فى الخسارة، المحكوم بخسارتهم فى جميع ذلك اليوم، و صوره بأقبح صورة و هو الصباح، فالمعنى[٨] أنه إذا صار حالكم حال من أصبح كذلك لم يكن للربح وقت يتدارك فيه بخلاف ما لو وجد ذلك عند المساء فانه

(١) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٦ / ٩٢ (٢) من مد و المعالم، و فى الأصل و ظ و م: حسناه (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عنهم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التنزيل (٥-٥) فى م و مد: انفسكم به (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المترتب عليكم (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الخاسرين الغارقين (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و المعنى.

كان ينتظر الصباح للسعى فى الربح ، و يوم القيامة لايوم بعده يسعى فيه للربح ، فينبغى للمؤمن أن يكون حال خلوته أشد ما يكون هيبة لله .

و لما كان ذلك ، تسبب عنه قوله لافتا القول عن خطابهم إيذانا بشدة الغضب و إشارة إلى أنهم لما وصلوا إلى ما ذكر من الحال أعيا عليهم المقال ، فلم يقدروا على نطق بلسان ، و لا إشارة[1] برأس ولا بنان : ﴿ فان يصبروا ﴾ أى على ما جوزوا به فليس صبرهم بنافعهم ، و هو معنى قوله[2] : ﴿ فالنار مثوى ﴾ أى منزلا ﴿ لهم ج و ان يستعتبوا ﴾ أى يطلبوا الرضى بزوال العتب ، و هو المؤاخذة بالذنب ﴿ فما هم من المعتبين ه ﴾ أى[3] المرضيين الذين يزال العتب [عليهم -[4]] عنهم ليعفى عنهم و يترك عذابهم .

و لما ذكر وعيدهم فى الدنيا و الآخرة ، أتبعه كفرهم الذى هو سبب الوعيد ، و عطفه على ما تقديره : فانا طبعناهم طبيعة سوء تقتضى أنهم لاينفكون عما يوجب العتب ، فأعرضوا و لم تنفعهم النذرى بصاعقة عاد و ثمود ، فقال صارفا القول إلى مظهر العظمة إشارة إلى ، أن التصرف فى القلوب أمر عظيم جدا : ﴿ و قيضنا ﴾ أى جئنا و[5] أتحنا و بعثنا و سببنا و وكلنا و هيأنا ، من القيض الذى هو المثل ، و قشر البيضة الأعلى اليابس ﴿ لهم قرناء ﴾ اى أشخاصا امثالهم فى الأخلاق و الأوصاف

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : باشارة (٢) ليس فى ظ و م و مد .
(٣) زيد فى الأصل : القوم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : او .

أقوياء و هم مع كونهم شديدى الالتصاق بهم و الإحاطة فى غاية النحس و الشدة فى اللؤم و الخبث و اللجاجة فيما يكون به ضيق الخير و اتساع الشر من غواة الجن و الإنس ﴿ فزينوا لهم ﴾ أى من القبائح ﴿ ما ﴾ و عم الأشياء كلها فلم يأت بالجار فقال: ﴿ بين ايديهم ﴾ أى يعلمون قباحته حتى حسنوه لهم فارتكبوه و رغبوا فيه ﴿ و ما خلفهم ﴾ [أى ما يجهلون أمره و لا يزالون -[1]] فى كل شىء يزينونه[2] و يلحون فيه و يكررونه حتى يقبل، فان التكرير مقرون / بالتأثير، قال القشيرى: إذا أراد الله بعبد سوءا قيض له إخوان سوء و قرناء سوء يحملونه على المخالفات و يدعونه إليها، و إذا أراد الله بعبد خيرا قيض له قرناء خير يعينونه[3] على الطاعات[4] و يحملونه عليها و يدعونه إليها، و من ذلك الشيطان، و شر منه النفس و بئس القرين، تدعو اليوم إلى ما فيه الهلاك و تشهد غدا عليه.

/ ٥٩٦

و لما كان التقدير: فلم يدعوا قبيحة حتى ارتكبوها، عطف عليه قوله: ﴿ و حق ﴾ أى وجب [و ثبت -[5]] ﴿ عليهم القول ﴾ أى بدوام الغضب.

و لما كان هذا مما يوجب شدة أسفه صلى الله عليه و سلم [عليهم -[5]]، خفف منه بقوله: ﴿ فى ﴾ أى كائنين [فى -[5]] جملة ﴿ امم ﴾ أى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يزينوه.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يعينوه (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الطاعة (٥) زيد من م و مد.

كثيرة . و لما عبر[1] عنهم بما يقتضى تعظيمهم بأنهم مقصودون ، حقرهم[2] بضمير التأنيث فقال : ﴿ قد خلت ﴾ أى لم تتعظ أمة منهم بالأخرى : و لما كان الخلو قد يكون بالموت فى زمانهم ، بين أنه مما مضى [3]وفات[3] .

٥ و لما كان بعض من مضى غير مستغرق لجميع الزمان ، عبر بـ «من» فقال : ﴿ من قبلهم ﴾ أى فى الزمان ، و قدم الأقوى لتفهم[4] القدرة عليه[5] القدرة على ما دونه من باب الأولى ، فان الإنس كانوا يعدون أنفسهم دون الجن فيعوذون بهم فقال : ﴿ من الجن و الانس ﴾ ثم علل حقوق الشقاء عليهم بقوله منبها بالتأكيد على أنهم ينكرون أن تكون القبائح

١٠ موجبة للخسر[6] ﴿ انهم ﴾ أى جميع المذكورين منهم و ممن قبلهم : ﴿ كانوا ﴾ أى طبعا و فعلا ﴿ خسرين ﴾ فعلى العاقل أن يجتهد فى اختيار أصحابه[7] و أخدانه[8] و أحبابه ، فان العاقبة فيهم حسنة جسيمة أو قبيحة وخيمة ، روى صاحب الفردوس[9] عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : إذا أراد الله بعبد شرا قيض له قبل موته

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اخبر (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : خفهم (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ليفهم منه (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للجزاء (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : صاحبه (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اخلايه (٩) راجع تلخيص مسند الفردوس (خط) ص : ١٦ / ب .

شيطانا فلا يرى [حسنا -[1]] إلا قبحه عنده و لاقبيحا[1] إلا حسنه عنده .
و لأحمد[2] و أبي داود و النسائي و أبي يعلى و ابن حبان في صحيحه عن عائشة
رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : إذا أراد الله بالوالي
خيرا جعل له وزير صدق ، إن نسي ذكره ، و إن ذكر أعانه ، و إن
أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء إن نسي لم يذكره ، إن ذكر لم يعنه ٥
و روى [البخاري -[4]] عن أبي سعيد الخدري و أبي هريرة رضي الله
عنهما[5] و النسائي[6] عن أبي هريرة وحده رضي الله عنه و البخاري أيضا عن
أبي أيوب[7] رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ما
بعث الله من نبي و لا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانة تأمره بالمعروف
و تحضه عليه ، و بطانة تأمره بالشر و تحضه عليه ، و المعصوم من عصمه الله ١٠
تعالى . و في رواية [النسائي -[8]] : ما من وال إلا و له بطانتان : بطانة
تأمره بالمعروف و تنهاه عن المنكر ، و بطانة لا تألوه خبالا ، فمن وقى
شرها فقد وقى ، [و هو إلى من يغلب عليه منهما ، و رواية البخاري عن
أبي أيوب نحوها .

و لما أخبر بخسرانهم ، دل عليه -[8]] بما[9] عطف على ما أرشد ١٥

(١) زيد من م و مد و التلخيص (٢) من ظ و مد ، و في الأصل و ظ : قبيحة ، و ليس هذا الشطر الاخير في التلخيص (٣) راجع مسند الإمام أحمد ٦ / ٧٠ حيث ذكر الحديث بدون ذكر وزير السوء (٤) زيد من م و مد .
(٥) راجع أبواب الأحكام و أبواب القدر من صحيح البخاري (٦) راجع أبواب البيعة من سننه (٧) من ظ و م و مد ، و في الأصل : أبي يعقوب .
(٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من م و مد ، و في الأصل و ظ : ما .

٥٩٧ / إليه السياق / من تقديره من قولى : فأعرضوا - أى هؤلاء العرب - و قالوا - هكذا كان الأصل و[1] لكنه قال تنبيها على الوصف الذى اوجب إعراضهم : ﴿ و قال الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دلتهم عليه عقولهم من الحق ﴿ لا تسمعوا ﴾ أى شيئا من مطلق السماع ﴿ لهذا القرآن ﴾ تعيينا بالإشارة احترازا من غيره من الكتب القديمة كالتوراة، قال القشيرى : لأنه يغلب القلوب و يسلب العقول ، و كل من استمع له صبا إليه ﴿ و الغوا ﴾ [اى اهذوا -[2]] من لغى - بالكسر يلغى - بالفتح - إذا تكلم بما لا فائدة [فيه -[3]] ﴿ فيه ﴾ أى اجعلوه ظرفا للغو بأن تكثروا من الخرافات و الهذيانات و اللغو[4] بالمكاء و التصدية اى الصفير و التصفيق و غيرهما [5]فى حال[5] تلاوته ليقع تاليه فى السهو و الغلط ، قال القشيرى : قالوا ذلك و لم يعلموا أن من نور قلبه بالإيمان و أيد بالفهم و أمد بالبصيرة و كوشف بسماع السر[6] من الغيب ، فهو الذى[7] يسمع و يؤمن ، و الذى هو فى ظلمات جهله لايدخل الإيمان قلبه ، و لا يباشر السماع سره . ﴿ لعلكم تغلبون ﴾ أى ليكون حالكم حال من يرجى له ان يغلب و يظفر بمراده فى أن[8] لايميل إليه أحد ، أو يسكت

(١) سقطت الواو من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : اللفظ (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من حالة (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الستر . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : كالذى (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امان .

او

او ينسى ما كان يقول، و هذا يدل على انهم عارفون بأن من سمعه و لا هوى عنده مال إليه و اقبل بكليته عليه، و قد فضحوا أنفسهم بهذا فضيحة لامثل لها، و ذلك لأنهم تحدوا به فى أن يأتوا بشىء من مثله ليعدوا غالبين فلم يجدوا شيئا يترجون به الغلب إلا[1] الصفير و التصفيق و نحوه[2] من اللغو فى معارضة ما علا عن أعلى ذرى الكلام إلى حيث لامطمع و لا مرام، فلا يفيد ما أتوا به معنى غير أنهم عاجزون عن المعارضة قاطعون بأنهم متى أتوا بشىء منها افتضحوا، و قطع كل من سمعه بأنهم مغلوبون.

و لما استحقوا بهذا العقوبة، سبب عن ذلك مؤكدا لإنكارهم قوله تعالى: ﴿فلنذيقن﴾ و أظهر فى موضع الإضمار تعميما و تعليقا بالوصف فقال: ﴿الذين كفروا﴾ أى هؤلاء و غيرهم ﴿عذابا شديدا﴾ فى الدنيا بالحرمان[3] و ما يتبعه من فنون الهوان[3] و فى الآخرة بالنيران ﴿و لنجزينهم﴾ أى بأعمالهم. و لما كان من قدر على الأغلظ، قدر على ما دونه قال: ﴿اسوا﴾ أى جزاء أسوأ العمل ﴿الذى كانوا﴾ بما هو لهم كالغرائز ﴿يعملون﴾ مواظبين عليه.

و لما أبلغ سبحانه فى الترهيب من عقابهم[4]، زاد فى تعظيمه و فضله لطفا لمن أراد هدايته من عباده و إقامة الحجة على غيرهم فقال:

(١) زيد فى الأصل: ان كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نحو (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م.
(٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عقابه.

﴿ذلك﴾ اى الجزاء الأسوا العظيم جدا ﴿جزآء﴾ و لما كانت عداوة من لايطاق أمرا[٢] زائد العظمة، نبه[٣] على ذلك بصرف الكلام عن مظهرها[٤] إلى أعظم منه فقال: ﴿اعدآء الله﴾ أى الملك الأعظم، لأنهم ما كانوا يفعلون ما دون الأسوأ إلا عجزا عنه لأن جبلتهم تقتضى ذلك، و بينه بقوله: ﴿النار ج﴾ و فصل بعض ما فيها بقوله: ﴿لهم فيها﴾ أى النار ﴿دار الخلد[٥]﴾ اى المحل المحيط بهم الدائر من غير علم / من زاوية أو غيرها يعرف[٥] به خصوص موضع منه، مع إيذانه بالدوام و اللزوم و عدم الانفكاك. أو هو على التجريد بمعنى: هى لهم دار خلود كما كان لهم فى الدنيا دار سرور بمعنى أنها[٦] كانت لهم نفسها دار لهو و غرور. /٥٩٨

و لما كانوا على أعمالهم التى استحقوا بها هذا العذاب مصرين إصرارا يمتنع انفكاكهم عنه، زاد حسنا قوله: ﴿جزآء﴾ أى وفاقا ﴿بما كانوا﴾ أى جبلة و طبعا، و رد الكلام إلى مظهر العظمة المقتضى للنكال فقال: ﴿بايٰتنا﴾ أى على ما لها من العظمة ﴿يجحدون ٥﴾ أى ينكرون عنادا من غير مراعاة لعلوها فى نفسها و لا علوها بنسبتها إلينا، فلأجل جحودهم كانوا يقدمون على ما لايرضاه عاقل من اللهو و غيره.

و لما تراءى [لهم -[٧]] أن الذى أوجب لهم هذا السوء جلودهم

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كان (٢) من م و مد، و فى الأصل: امر (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: منبها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مظهر (٥) من ظ و م و من، و فى الأصل: يرفون (٦) م و مد، و فى الأصل و ظ: انا (٧) زيد من م و مد.

بالشهادة عليهم و قرناؤهم [١]باضلالهم لهم[١] و كان التباغض و العداوة قد وقع[٢] بين الجميع، فصار تمنى كل للآخر السوء زيادة فى عـذابهم، و كانت مساءة جلودهم مساءتهم، خصوا القرناء بارادة الانتقام منهم، فحكى سبحانه قولهم بقوله عطفا على "و قالوا لجلودهم" أو على ما تقديره: فعلموا حينئذ أنهم كانوا على ضلال لتقصيرهم فى النظر و تقليدهم لغيرهم: ٥ ﴿ و قال الذين كفروا ﴾ أى غطوا أنوار عقولهم داعين بما [لو -[٣]] يسمع لهم، فهو زيادة فى عقوبتهم[٤]، و حكايته لنا وعظ و تحذير: ﴿ربنآ﴾ أى أيها الذى لم يقطع قط إحسانه عنا ﴿ارنا﴾ الصنفين ﴿الّذين اضلّنا﴾ عن المنهج الموصل إلى محل الرضوان ﴿ من الجن و الانس ﴾ المزينين لنا ارتكاب السوء خفية و جهرا، قرأ الجماعة بكسر الراء من ارنا، و قرأ ١٠ ابن كثير[٥] و ابن عامر و يعقوب و السوسى عن أبى عمرو و أبو بكر عن عاصم باسكان الراء[٦]هنا خاصة[٦]. قال الأصبهانى[٧]: يحكى عن الخليل أنك إذا قلت: أرنى ثوبك - بالكسر فالمعنى بصرنيـه، و إذا قلته[٨] بالسكون فهو [٩]استعطاء، و معناه[٩] أعطنى ثوبك، و نظيره اشتهار الإيتاء فى معنى الإعطاء، و أصله الإحضار - انتهى. ﴿ نجعلهما تحت اقدامنا ﴾ فى ١٥

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بضلالهم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وقعت (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عقولهم (٥) راجع نثر المرجان ٦/٣٠٣ - ٣٠٤ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٧) و ذكره الزمخشرى أيضا - راجع البحر المحيط ٧/٤٩٥ (٨) من م و مد و البحر، و فى الأصل و ظ: قلت (٨-٨) من ظ و م و مد و البحر، و فى الأصل: استعطاف و معنى.

النار إذلالا لهما كما جعلانا[1] تحت أمرهما ﴿ليكونا من الاسفلين﴾ أى من أهل الدرك الأسفل و ممن هو دوننا كما جعلانا كذلك فى الدنيا فى حقيقة الحال باتباعنا لهما[2] فيما أرادا[3] بنا، و فى الآخرة بهذا المآل، و الظاهر أن المراد أن كل أحد يتمنى أن يعرف من أضله من القبيلتين ٥ ليفعل بهم ذلك إن قدر عليه .

و لما ذكر الأعداء و قرناءهم نذارة، أتبعه[4] ذكر الأولياء و أوداءهم بشارة، فقال مبينا لحالهم القابل للاعراض و ثمراته جوابا لمن يسأل عنهم مؤكدا لأجل إنكار المعاندين: ﴿ان الذين﴾ قال أبو حيان[5]: قال ابن عباس رضى الله عنهما: نزلت فى الصديق رضى الله عنه و أرضاه . ١٠ ﴿قالوا﴾ أى قولا حقيقيا مذعنين به بالجنان و ناطقين باللسان تصديقا لداعى الله فى دار الدنيا متذللين حيث ينفع الذل جامعين بين الأس الذى هو المعرفة و الاعتقاد، و البناء الذى هو العمل الصالح بالقول و الفعل على السداد، فان أصل الكمالات النفسانية يقين مصلح و عمل صالح، / تعرف الحق لذاته و الخير لتعمل به و رأس المعارف اليقينية و رئيسها ٥٩٩ / ١٥ معرفة الله، و رأس الأعمال الصالحة الاستقامة على حد الاعتدال من غير ميل إلى طرف إفراط أو تفريط: ﴿ربنا﴾ أى المحسن إلينا ﴿الله﴾ المختص بالجلال و الإكرام وحده لاشريك له .

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جعلنا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لهم (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ارادوا (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اتبعها (٥) فى البحر المحيط ٧ /٤٩٦ .

و لما

و لما كان الثبات على التوحيد و مصححاته إلى الممات أمرا فى علو رتبته لا يرام إلا بتوفيق ذى الجلال و الإكرام، أشار إليه بأداة التراخى فقال: ﴿ثم استقاموا﴾ طلبوا و أوجدوا القوام بالإيمان بجميع الرسل و جميع الكتب و لم يشركوا به صنما و لا وثنا و لا آدميا و لا ملكا [1]و لا كوكبا[1] و لا غيره بعبادة و لا رياء، و عملوا بما يرضيه و تجنبوا كل ما يسخطه و إن طال الزمان، امتثالا لما أمر[2] به أول السورة فى قوله "انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه" فمن كان له أصل الاستقامة فى التوحيد أمن من النار بالخلود، و[3] من كان له كمال الاستقامة فى الأصول و الفروع أمن[4] الوعيد ﴿تتنزل﴾ على سبيل التدريج المتصل ﴿عليهم﴾ من حين نفخ الروح فيهم إلى أن يموتوا ثم إلى أن يدخلوا الجنة باطنا فظاهرا[5] ﴿الملئكة﴾ بالتأييد فى جميع ما ينوبهم فتستعلى الأحوال الملكية[6] على صفاتهم البشرية و شهواتهم الحيوانية فتضمحل عندها، و تشرق مرائيهم، ثم شرح ما يؤيدونهم[7] به و فسره بقال: ﴿الا تخافوا﴾ أى من شىء مثله يخيف، و كأنهم يثبتون ذلك فى قلوبهم ﴿و لا تحزنوا﴾ أى[8] على شىء فاتكم، فان ما حصل لكم أفضل منه، فأوقاتكم الأخراوية[9]

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اقر (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: دون (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: و ظاهرا (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: الملائكة (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يويدهم (٨) سقط من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الأخروية.

فيها بل هى كلها روح و راحة، فلا يفوتهم لذلك محبوب و لا يلحقهم مكروه ﴿ و ابشروا ﴾ أى املأوا صدوركم [سرورا -[1]] يظهر أثره على بشرتكم بتهلل الوجه و نعمة سائر الجسد ﴿ بالجنة التى كنتم ﴾ أى كونا[2] عظيما على ألسنة الرسل ﴿ توعدون ۝ ﴾ أى يتجدد لكم ذلك كل حين ٥ بالكتب و الرسل، و قال الرازى فى اللوامع : يبشرون فى ثلاثة مواضع : عند الموت، و فى القبر، و يوم البعث - انتهى . و هذا محمول على الكلام الحقيق و ما قبله على أنهم يفعلون معه ما ترجمته ذلك .

و لما أثبتوا لهم الخير، و نفوا عنهم الضير، عللوه بقولهم : ﴿ نحن اولياؤكم ﴾ أى أقرب الأقرباء إليكم، فنحن نفعل معكم كل ما يمكن ١٠ أن يفعله القريب ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ نجتلب لكم المسرات و نبعد عنكم[3] المضرات و نحملكم على[4] جميع الخيرات بحيث يكون لكم فيها ما تؤثره[5] العقول بالامتناع مما تهواه النفوس و إن تراءى للرائين فى الدنيا أن الأمر بخلاف ذلك، فنوقظكم من المنام، و نحملكم على الصلاة و الصيام، و نبعدكم عن الآثام، ضد[6] ما تفعله الشياطين مع أوليائهم ﴿ و فى الأخرة ج ﴾ ١٥ كذلك حيث يتعادى الأخلاء إلا الأتقياء ﴿ و لكم فيها ﴾ أى الآخرة فى الجنة و قبل دخولها فى جميع أوقات الحشر ﴿ ما تشتهى ﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : كونها . (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عنهم (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : إلى (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ثورة (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ضده .

[و لو على أدنى وجوه الشهوة بما يرشد إليه حذف المفعول -[1]]
﴿ انفسكم ﴾ لأجل[2] ما منعتموها من الشهوات فى الدنيا ﴿ و لكم ﴾ .
و لما كان السياق للذين استقاموا العام للسابقين و أصحاب اليمين على
ما أشير إليه الختم [بصفة -[1]] المغفرة و تقديمها ، قيد بالظرف بخلاف
ما فى يس فقال : ﴿ فيها ﴾ [3]أى الآخرة[3] ﴿ ما تدعون ﴾ [أى -[4]] ٥
ما تؤثرون دعاءه و طلبه و تسألونه و تمنونه بشهوة نفوسكم و رغبة قلوبكم .
و لما كان / هذا كله بالنسبة إلى ما يعطون شيئا يسيرا ، نبه عليه / ٦٠٠
بقوله : ﴿ نزلا ﴾ أى هذا كله يكون لكم كما يقدم إلى الضيف عند
قدومه إلى أن يتهيأ ما يضاف به . و لما كان من حوسب عذب ، فلا
يدخل أحد الجنة إلا بالرحمة ، أشار إلى ذلك بقوله[5] : ﴿ من ﴾ أى كائنا ١٠
ذلك النزل من ﴿ غفور ﴾ له صفة المحو للذنوب عينا و أثرا على
غاية لا يمكن وصفها ﴿ رحيم ﴾ أى بالغ الرحمة بما ترضاه الإلهية ، فالحاصل
أن المفسد يقيض[6] الله [له -[1]] قرناء السوء من الجن و الإنس يزيدونه
فسادا و المصلح ييسر الله له أولياء الخير من الإنس و الملائكة يعينونه
و يحببونه فى جميع الخيرات و يبعدونه و يكرهونه فى جميع المضرات - ١٥
و الله يتولى الصالحين .

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا (٣-٣) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد : فى الدنيا و لكم ، و الترتيب من ظ و م و مد ، و وقع فى الأصل : أى فى الآخرة (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بكله (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مقبض .

و لما كان هذا لمن كمل نفسه، أتبعه بمن أكمل غيره إشارة إلى أن السعادة التامة أن يكتسب الإنسان من الصفات الفاضلة ما يصير بها كاملا فى نفسه، فاذا فرغ اشتغل بتكميل الناقص عاطفا على ما تقديره: ما أحسن هذا الذى كمل نفسه، و قاله تنويها بعلو قدر النفع المتعدى و حثا على مداومة الدعاء و إن أبوا و قالوا "قلوبنا فى اكنة" ثم قالوا "لا تسمعوا لهذا القرآن" فانهم لم يقولوا من ذلك شيئا إلا ذكرت أجوبته الشافية الكافية فاندفعت جميع الشبهات و زالت غياهب الضلالات[1]، فصار تحذير الدعاء موضعا للقبول: ﴿و من احسن قولا﴾ أى من جهة القول ﴿ممن دعآ﴾ وحد الضمير دلالة على قلة هذا الصنف ﴿الى الله﴾ [أى -[2]] الذى عم بصفات كماله جميع الخلق فهو يستعطف كل أحد بما تعرف إليه سبحانه [به -[3]] من صفاته ﴿و عمل﴾ أى والحال أنه قد عمل ﴿صالحا﴾ فى نفسه ليكون ذلك أمكن لدعائه أعم من أن يكون ذلك الصالح[4] نية أو قولا أو عملا للجوارح الظاهرة سرا كان أو علنا[5]، و لذا حذف الموصوف لئلا يوهم تقيده بالأعمال الظاهرة و للاغناء عنها بقوله «دعا» بخلاف ما كان سياقه للتوبة كآية الفرقان أو اعتقاد الحشر كآية الكهف، فانه لابد فيه من إظهار العمل ليكون شاهدا على صحة الاعتقاد و كمال التوبة، و الدعاء هنا مغن[6] عن ذلك ﴿و قال﴾ مؤكدا

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الغلالات (٢) زيد من م و مد. (٣) زيد من ظ و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الصلح (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: علانية (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مغنى.

عند المخالف و المؤالف قاطعا لطمع المفسد فيه : ﴿ انني من المسلمين ﴾ أي الراسخين في صفة الإسلام متظاهرا بذلك لايخاف في الله لومة لائم و إن سماه أبناء زمانه كذا جافيا و غليظا[1] عاسيا لتصلبه في مخالفته إياهم فيما هم عليه بتسهله[2] في انقياده لكل ما أمره[3] به ربه سبحانه .

و لما كان التقدير : لا أحد[4] أحسن قولا منه ، بل هو المحسن وحده ، فلا يستوى هذا المحسن و غيره أصلا ، ردا عليهم أن حالهم أحسن من حال الدعاة[5] إلى الله ، [وكان -[6]] القيام بتكميل الخلق يحتاج إلى جهاد للنفس عظيم من تحمل المشاق و الصبر على الأذى ، و غير ذلك من جميع الأخلاق ، عطف عليه التفرقة بين عمليهما[7] ترغيبا في الحسنات فقال : ﴿ و لا تستوى ﴾ أي و إن اجتهدت[8] في التحرير و الاعتبار ﴿ الحسنة ﴾ أي لابالنسبة إلى أفراد جنسها / و لا بالنسبة إلى عامليها عند وحدتها ، لتفاوت الحسنات في أنفسها ، و الحسنة الواحدة باعتبار نيات العاملين لها و اجتهادهم فيها و لا بالنسبة إلى غيرها ، و إلى ذلك أشار بالتأكيد في قوله : ﴿ و لا السيئة[1] ﴾ أي في نفسها و لا بالنسبة إلى جنس آخر .

/ ٦٠١

(١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : غاليظا (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لتسهله (٣) من م و مد ، و في الأصل و ظ : امر (٤) من ظ و م و مد ، و في الاصل : احدا (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : الدعاء .
(٦) زيد من م و مد (٧) من م و مد ، و في الأصل و ظ : عمليها (٨) من م و مد ، و في الأصل و ظ : اجتهد .

و لما أنتج هذا الحث على الإقبال على الحسن و الإعراض عن السئ، و أفهم أن كلا من القسمين متفاوت الجزئيات متعالى الدرجات، و كان الإنسان لاينفك عن عوارض[1] تحصل له من الناس و من نفسه يحتاج إلى دفع[2] بعضها، أنتج عنه قصد الأعلى فقال: ﴿ادفع﴾ أى ٥ كل ما يمكن أن يضرك من نفسك و من الناس ﴿بالتى﴾ أى الخصال و الأحوال التى ﴿هى احسن﴾ على قدر الإمكان من الأعمال الصالحات فالعفو عن المسىء حسن، و الإحسان أحسن منه ﴿فاذا الذى بينك و بينه عداوة﴾ عظيمة قد ملأت ما بين البينين فاجأته حال كونه ﴿كانه ولى﴾ أى قريب فاعل ما يفعل القريب ﴿حميم﴾ [أى -[3]] فى غاية القرب ١٠ لا يدع مهما إلا قضاه و سهله و يسره، و شفا علله، و قرب بعيده، و أزال درنه، كما يزيل الماء الحار الوسخ.

و لما كانت هذه الخصلة أمّا جامعا[4] لجميع مصالح[5] الدين و الدنيا، قال منبها على عظيم فضلها و بديع نبلها[6] حاثا على الاستظلال بجميع[7] ظلها مشيرا بالبناء[8] للمفعول إلى أنها هى العمدة المقصودة بالذات على ١٥ وجه منبه على أنها مخالفة لجبلة الإنسان حثا على الرغبة فى طلبها من

(١) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رفع (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: جامعة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مصلح. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دبابها - كذا (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بجميل (٨) من ظ و م و مد، و فى الاصل: بالفاء.

واهبها ﴿ و ما يلقّٰها ﴾ اى يجعل لاقيا لهذه الخصلة التى هى مقابلة الإساءة بأحسن الحسن و هو الإحسان الذى هو أحسن من العفو و الحلم و الصبر و الاحتمال بأن يعلق الله تعالى إرادته على وجه الشدة و المبالغة بالقائها إليه ﴿ الا الذين صبروا ج ﴾ اى وجدت منهم هذه الحقيقة و ركزت فى طباعهم، فصاروا يكظمون الغيظ و يحتملون المكاره، و كرر إظهار ٥ البناء للمفعول للتنبيه على أنه لا قدرة عليها إصلا إلا بتوفيق الخالق بأمر باطنى يقذفه الله فى القلب قذفا وحيا تظهر ثمرته على سائر البدن، فقال دالا باعادة النافى على زيادة العظم و على أن أصحاب هذه الخصلة على رتبتين كل رتبة منهما مقصودة فى نفسها ﴿ و ما يلقّٰها ﴾ على ما هى عليه[1] من العظمة ﴿ الا ﴾ و أفرد هنا بعد جمع الصابر دلالة على ندرة ١٠ المستقيم على هذه الخصلة ﴿ ذو حظ ﴾ أى نصيب و قسم و بخت ﴿ عظيم ٥ ﴾ أى جليل فى الدنيا و الآخرة عند الله و عند الناس.

و لما كان التقدير: فان لقيت ذلك و أعاذك الله من الشيطان فانت أنت، عطف عليه قوله [معبرا بأداة الشك المفهمة لجواز وقوع ذلك فى الجملة، مع العلم بأنه صلى الله عليه و سلم معصوم إشارة إلى رتبة ١٥ الإنسان من حيث هو إنسان و إلى أن الشيطان يتوهم مع علمه بالعصمة أنه يقدر على ذلك فيعلق أمله به، و كأنه لذلك أكد لأن نزغه له فى محل الإنكار -[2]] : ﴿ و اما ﴾ و لما كانت[3] وسوسة الشيطان تبعث على ما

(١) سقط من م (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كان.

لا ينبغى ، و كان العاقل لايفعل ما لاينبغى إلابالإلجاء ، شبه المتعاطى له بالمنخوس الذى حمله النخس على ارتكاب ما يضر فقال : ﴿ ينزغنك ﴾ أى ينخسنك و يطعننك طعنا مفسدا [1]فيحصل لك تألم[1] ﴿ من الشيطن ﴾ البعيد من الرحمة المحترق باللعنة . و لما كان المقام خطرا لأن الطبع مساعد للوسواس ، جعل النزغ نفسه نازغا إشارة إلى ذلك فقال : ﴿ نزغ ﴾ أى وسوسة تحرك نحو الموسوس من أجله / و تبعث إليه بعث المنخوس إلى الجهة التى يوجه إليها ، فانه ينبعث إلى تلك الجهة بعزم[2] عظيم ﴿ فاستعذ بالله[3] ﴾ أى استجر بالملك [الأعلى -[2]] و اطلب منه الدخول فى عصمته مبادرا[4] إلى ذلك حين نخس بالنزغة فانه لايقدر على الإعاذة منه غيره ، و لاتذر النزغة تتكرر ، بل ارجع إلى المحيط علما و قدرة فى أول الخطرة ، فانك إن لم تخالف أول الخطرة صارت فكرة ، فيحصل العزم فتقع[5] الزلة فتصير قسوة فيحصل التمادى[6] - نبه عليه القشيرى .

/ ٦٠٢

و لما كانت الاستعاذة هنا من الشيطان ، وكان نزغه مما يعلم لا مما يرى ، وكانت صفة السمع تعم ما يرى و ما لا يرى ، قال مؤكدا لوقوف الجامدين مع الظواهر : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ السميع ﴾ و ختم بقوله : ﴿ العليم ﴾ الذى يسمع كل مسموع من استعاذتك و غيرها ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بحزم (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : متبادرا (٥) من م و مد ، و فى الأصل وظ : فتحصل (٦) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و يعلم كل معلوم من نزغه و غيره، فهو القادر على رد كيده، و توهين أمره و أيده. و ليس هو كما جعلتموه له من الأنداد الصم البكم التى لا قدرة لها على شيء أصلا .

و لما ذكر أنهم جعلوا له أندادا مع أنه خلق الأرض فى يومين، و ختم ذلك بأن أحسن الحسن الدعاء إلى الله، و ختم الأمر [بالدعاء -[1]] ٥ بصفة العلم. أتبعه دلائل التوحيد إعلاما بأن التوحيد أحسن الحسن يطرد[2] كل شيء، و تنبيها على أن الدعوة إلى الله تعالى عبارة عن تنوير الدلائل الدالة على الذات و الصفات، و ذلك ببيان الأفعال و آثارها و هو العالم بجميع ما فيه من الأجزاء و الأبعاض جوهرا [3]و عرضا، و[3] بدأ بذكر الفلكيات لأنها[4] أدل، فقال عاطفا على ما تقديره: فمن آياته الناشئة ١٠ عن شمول علمه المستلزم لشمول قدرته المنتجة لإعادته لمن يريد و نفوذ تصرفه فى كل ما يشاء المستلزم لتفرده بالإلهية أنه خلق الخافقين كما مضى فى ستة أيام: ﴿ و من آيته ﴾ الدالة على وحدانيته:

[5]و فى كل شيء له آية تدل على أنه الواحد[5]

و لما كانت الظلمة[6] عدما و النور وجودا و العدم مقدم قال: ١٥ ﴿ الليل و النهار ﴾ أى الدالان[7] باختلافهما و هيئتهما على قدرته على

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بطرد. (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اوعرض او - كذا (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لأنه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العظمة (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الدالين.

البعث و على[1] كل مقدور ﴿ و الشمس و القمر[2] ﴾ اللذ ن هما الليل و النهار كالروح لذوى الأجساد ، و هذه الموجودات - مع [ما -[3]] مضى من خلق الخافقين - كتاب الملك الديان ، إلى الإنس و الجان ، المشهود لهم بالعيان كما قيل [3]يا إنسان[3] :

٥ تأمل سطور الكائنات فانها من الملك الأعلى إليك رسائل
و قد خط فيها لو تأملت خطة ألا كل شيء ما خلا الله باطل

و لما ثبت[4] له سبحانه التفرد بالخلق و الأمر ، و كان باطنا إلا عند من نور الله أو كانت الشمس و القمر من آياته[5] المعرفة المشيرة فى وجود الدنيا و الآخرة إليه ، و كانا مشاهدين[6] . و كان الإنسان قاصر العقل مقيد

١٠ الوهم بالمشاهدات لما عنده من الشواغل إلا من عصم[7] الله ، أنتج قوله محذرا من عبادتهما لما يرى لهما من البهاء و فيهما من المنافع : ﴿ لا تسجدوا للشمس ﴾ التى هى أعظم أوثانكم فانها من جملة مبدعاته[8] ، و أعاد[9] النافى تأكيدا للنفى[9] و إفادة لأن النهى عن كل منهما على حدته ، و لذلك أظهر موضع الإضمار[10] فقال : ﴿ و لا للقمر ﴾ كذلك .

١٥ و لما نهى عن السجود لهما ، أمر بالسجود بما يبين[11] استحقاقه لذلك

---

(١) سقط من م و مد (٢) زيد من ظ و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اثبت (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : ايات (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شاهدين. (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عظم (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مبتدعاته (٩ - ٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التاكيد النافى فى تاكيد المنفى (١٠) سقط من م (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بين .

و عدم استحقاقهما ، او استحقاق شيء غيرهما له فقال : ﴿ و اسجدوا ﴾ [1]و نبه على مزيد عظمته بالإظهار موضع الإضمار فقال[1] : ﴿ لله ﴾ أى الذى له كل كمال من [غير -[2]] شائبة نقص [من أفول أو تجدد حلول -[3]] ﴿الذى خلقهن﴾ [4]أى الأربعة[4] لأجلكم فهو الذى يستحق الإلهية ، و أنث لأن [ما -[5]] لايعقل حكمه حكم المؤنث [فى الضمير -[2]] و هى أيضا ٥ آيات ، و فيـــه إشارة إلى تناهى سفولها عما أهلوها له و ذم عابديها بالإفراط فى الغباوة ، و يمكن أن يكون عد القمر اقمارا لأنه يكون تارة هلالا و اخرى بدرا و أخرى محوا ، فلذلك جمع إشارة إلى قهرهما بالتغيير له فى الجرم و لمهما بالتسيير ، و لذلك عبر بضمير المؤنث الذى يكون لجمع[6] الكثرة مما لايعقل . ١٠

و لما ظهر أن الكل عبيده ، و كان السيد لايرضى باشراك عبده عبدا آخر فى عبادة سيده قال : ﴿ان كنتم اياه﴾ أى خاصة بغاية الرسوخ ﴿ تعبدون ه ﴾ [كما -[5]] هو صريح قولكم فى الدعاء فى وقت الشدائد لاسيما فى البحر ، و محصل قولكم " ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى " فان اشركتم به شيئا بسجود أو غيره فما[7] خصصتموه بالعبادة لأن السجود ١٥

(١-١) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « تجدد حلول » و الترتيب من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد ، و زيد فى الأصل : و أتى باسمه الجامع للصفات العلية المنزه عن الأفول أو التجدد أو الحلول فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الأربعة أى (٥) زيد من م و مد (٦) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مما .

من العبادة و فعله و لو فى وقت واحد لغيره إشراك فى الجملة، و من أشرك به لم يعبده وحده، و من لم يعبده وحده لم يعبده أصلا، لأنه أغنى الأغنياء، لايقبل إلا الخالص و هو أقرب إلى عباده من كل شيء فيوشك أن ينتقم منكم باشراككم، و فى الآية إشارة إلى الحث على[١] صيانة الآدميين عن أن يقع منهم سجود[٢] لغيره رفعا لمقامهم عن[٣] أن يكونوا ساجدين لمخلوق بعد أن كانوا مسجودا لهم، فانه سبحانه أمر الملائكة الذين هم أشرف خلقه بعدهم بالسجود[٤] لآدم و هم فى ظهره فتكبر اللعين[٥] إبليس، فابد لعنه، فشتان ما بين المقامين.

و لما كانوا فى هذا الأمر بين طاعة و معصية، وكان درأ المفاسد مقدما، سبب عن ذلك قوله معبرا بأداة الشك تنبيها [لهم -[٦]] على أن استكبارهم بعد إقامة هذه الأدلة ينبغى أن لايتوهم، و صرف القول إلى الغيبة تحقيرا لهم و إبعادا على تقدير وقوع ذلك منهم: ﴿فان استكبروا﴾ أى أوجدوا الكبر عن اتباعك فيما أمرتهم به من التوحيد [٧]فلم يوحدوا الله و لم ينزهوه[٧] تعالى عن الشريك ﴿فالذين عند﴾ و أظهر موضع الإضمار معبرا بوصف الإحسان بشارة له و نذارة لهم ﴿ربك﴾ خاصة لاعندهم لكونهم مقربين لديه فى درجة الرضاء و الكرامة و لكونهم مما يستغرق

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: الى (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سجوده (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للسجود (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) فى الأصل و ظ و م: فلم ينزهوا الله.

و عدم استحقاقهما، او استحقاق شيء غيرهما له فقال: ﴿ و اسجدوا ﴾ [1]و نبه على مزيد عظمته بالإظهار موضع الإضمار فقال[1]: ﴿ لله ﴾ أى الذى له كل كمال من [غير -[2]] شائبة نقص [من أفول أو تجدد حلول -[3]] ﴿الذى خلقهن﴾ [4]أى الأربعة[4] لاجلكم فهو الذى يستحق الإلهية، و أنث لأن [ما -[5]] لايعقل حكمه حكم المؤنث [فى الضمير -[6]] و هى أيضا آيات، و فيه إشارة إلى تناهى سفولها عما أهلوها له و ذم عابديها بالإفراط فى الغباوة، و يمكن أن يكون عد القمر اقمارا لأنه يكون تارة هلالا و اخرى بدرا و أخرى محوا، فلذلك جمع إشارة إلى قهرهما بالتغيير له فى الجرم و لمهما بالتسيير، و لذلك عبر بضمير المؤنث الذى يكون لجمع[6] الكثرة مما لايعقل.

و لما ظهر أن الكل عبيده، و كان السيد لايرضى باشراك عبده عبدا آخر فى عبادة سيده قال: ﴿ان كنتم اياه﴾ أى خاصة بغاية الرسوخ ﴿ تعبدون ﴾ [كما -[7]] هو صريح قولكم فى الدعاء فى وقت الشدائد لاسيما فى البحر، و محصل قولكم "ما نعبدهم الا ليقربونا إلى الله زلفى" فان اشركتم به شيئا بسجود أو غيره فما[7] خصصتموه بالعبادة لأن السجود

(١-١) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « تجدد حلول » و الترتيب من ظ و م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد، و زيد فى الأصل: و أتى باسمه الجامع للصفات العلية المنزه عن الأفول أو التجدد أو الحلول فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الأربعة أى (٥) زيد من م و مد (٦) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مما.

من العبادة و فعله و لو فى وقت واحد لغيره إشراك فى الجملة ، و من أشرك به لم يعبده وحده ، و من لم يعبده وحده لم يعبده أصلا ، لأنه أغنى الأغنياء ، لايقبل إلا الخالص و هو أقرب إلى عباده من كل شىء فيوشك أن ينتقم منكم باشراككم ، و فى الآية إشارة إلى الحث على[1] صيانة الآدميين عن أن يقع منهم سجود[2] لغيره رفعا لمقامهم عن[3] أن يكونوا ساجدين لمخلوق بعد أن كانوا مسجودا لهم ، فانه سبحانه أمر الملائكة الذين هم أشرف خلقه بعدهم بالسجود[4] لآدم و هم فى ظهره فتكبر اللعين[5] إبليس ، فابد لعنه ، فشتان ما بين المقامين .

و لما كانوا فى هذا الأمر بين طاعة و معصية ، و كان درأ المفاسد مقدما ، سبب عن ذلك قوله معبرا بأداة الشك تنبيها [لهم -[6]] على أن استكبارهم بعد إقامة هذه الأدلة ينبغى أن لايتوهم ، و صرف القول إلى الغيبة تحقيرا لهم و إبعادا على تقدير وقوع ذلك منهم : ﴿فان استكبروا﴾ أى أوجدوا الكبر عن اتباعك فيما أمرتهم به من التوحيد [7]فلم يوحدوا الله و لم ينزهوه[7] تعالى عن الشريك ﴿فالذين عند﴾ و أظهر موضع الإضمار معبرا بوصف الإحسان بشارة له و نذارة لهم ﴿ربك﴾ خاصة لاعندهم لكونهم مقربين لديه فى درجة الرضاء و الكرامة و لكونهم مما يستغرق

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الى (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سجوده (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للسجود (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) فى الأصل و ظ و م : فلم ينزهوا الله .

ه الآدميون و لكون الكفار لاقدرة لهم على الوصول إليهم[1] بوجه : ﴿ يسبحون له ﴾ أى يوقعون التنزيه عن النقائص و يبعدون عن الشركة لأجل علوه الأقدس و عزه الأكبر لا لشيء غيره[2] إخلاصا فى عبادته و هم لايستكبرون .

/و لما كان حال الكفار فى الإخلاص مختلفا فى الشدة و الرخاء، ٥ / ٦٠٤ أشار إلى تقبيح ذلك منهم بتعميم خواصه عليهم[3] الصلاة و السلام بالإخلاص حالتى الإثبات الذى[4] هو حالة بسط فى الجملة، و المحو الذى هو حالة قبض كذلك يجددون هذا التنزيه مستمرين عليه فى كل وقت [فقال - [5]] : ﴿بالليل و النهار﴾ أى على مر الملوين و كر الجديدين لايفترون . و لما كان فى سياق الفرض لاستكبارهم المقتضى[6] لإنكارهم، أكد بالعاطف و الضمير ١٠ فقال مؤذنا بأن هذا ديدنهم لاينفكون عنه : ﴿و هم﴾ أى و الحال أنهم على هذا الدوام ﴿لا يسئمون ه﴾ أى لا يكون لهم فى وقت من الأوقات فتور و لاملل، فهو غنى عن عبادة هؤلاء [7]بل و[7] عن عبادة كل عابد، و الحظ الأوفر[8] لمن عنده . و أما هو سبحانه فلا يزيده شيئا و لاينقصه شيء فدع هؤلاء إن استكبروا و شأنهم، فسيعلمون من الخاسر، فالآية ١٥

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اليه (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الاصل و ظ : عليه . (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : التى (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و فى الاصل و ظ : المودى (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لابل (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الأفر .

[من الاحتباك - [1]] : ذكر الاستكبار اولا دليلا على حذفه [ثانيا والتسبيح ثانيا دليلا على حذفه - [1]] أولا ، و سر ذلك أنه ذكر أقبح ما لأعدائه و أحسن ما لأوليائه .

و لما ذكر بعض آيات السماء لشرفها ، و لأن بعضها عبد ، و من آثار الإلهية ، فذكر دلالتها على وحدانيته[2] اللازم منه إبطال عبادتها ، أتبعه بعض آيات الأرض بخلاف ما فى يس ، فان السياق هناك للبعث و آيات الأرض أدل فقال : ﴿ و من آيته ﴾ [أى - [3]] الدالة على عظم[4] شأنه و علو سلطانه ﴿ انك ترى الارض ﴾ أى بعضها بحاسة البصر و بعضها بعين البصيرة قياسا على ما أبصرته ، لأن الكل بالنسبة إلى القدرة[5] على حد سواء .

و لما كان السياق للوحدانية ، عبر بما هو أقرب إلى حال العابد[6] بخلاف ما مضى فى الحج فقال : ﴿ خاشعة ﴾ أى يابسة لانبات فيها فهى بصورة الذليل الذى لامنعة[7] عنده لأنه [لا - [1]] مانع من المشى[8] فيها لكونها متطأمنة[9] بعد الساتر لوجهها بخلاف ما إذا كانت مهتزة رابية[10] متزخرفة تختال بالنبات .

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الوحدانية .
(٣) زيد من م و مد (٤) فى م : عظيم (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قدرته (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العباد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : متعة (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الشى .
(٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مطمئنة (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تابية .

و لما كان إنزال الماء مما استأثر به سبحانه، فهو من اعظم الأدلة على عظمة الواحد، صرف القول إلى مظهر العظمة فقال: ﴿فاذآ انزلنا﴾ بما لنا من [1]القدرة التامة و[1] العظمة ﴿ عليها المآء ﴾ من الغمام أو سقناه إليها من الأماكن العالية و جلبنا به إليها من الطين ما تصلح به للانبات و إن كانت سبخة كأرض مصر ﴿ اهتزت ﴾ أى تحركت حركة عظيمة كثيرة سريعة، فكانت كمن يعالج ذلك بنفسه ﴿ و ربت[4] ﴾ أى تشققت فارتفع ترابها و خرج منها النبات و سما فى الجو مغطيا لوجهها، و تشعبت عروقه، و غلظت سوقه، فصار يمنع سلوكها على ما كان فيه من السهولة، و صار بحسن زيه بمنزلة المختال فى أثواب ثرية[2] بعد أن كان عاريا ذليلا فى أطمار رثة و حال زرىء، و كذلك القلوب إذا خشعت لاستشعارها بما ألمت به من الذنوب أقبل[3] الحق سبحانه عليها فطهرها[4] بمياه المعارف فظهرت / فيها بركات الندم و عفا عن أربابها ما قصروا فى صدق[5] القدم و أشرقت[5] بحلى الطاعات و زهت بملابس القربات، و زكـــت بأنواع التجليات. ٦٠٥ /

و لما كان هذا دليلا عظيما مشاهدا[6] على القدرة على إيجاد المعدوم، و إعادة البالى المحطوم، أنتج و لابد قوله مؤكدا لأجل ما هم فيه من الإنكار صارفا القول عن مظهر العظمة إلى ما ينبه على القدرة على البعث و لابد:

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: بزينة (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امد (٤) من م و مد، و فى الأصل وظ: فنزاها (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل وظ: القلب و اشفقت. (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: شاهدا.

﴿ان الذى احياها﴾ بما أخرج من نباتها الذى كان بلى و تحطم و صار ترابا ﴿لمحيي الموتى[1]﴾ كما فعل بالنبات من غير فرق . و لما كانوا مع إقرارهم بتمام قدرته كأنهم ينكرون قدرته لإنكارهم البعث [قال -[1]] معللا مؤكدا : ﴿ انه على كل شيء قدير ﴾ لأن الممكنات متساوية الأقدام بالنسبة إلى القدرة ، فالقادر قدرة تامة[2] على شيء منها قادر على غيره .

و لما بين أن الدعوة إلى الله أعظم المناصب ، و أشرف المراتب . و بين أنها إنما تحصل ببيان دلائل التوحيد التى[3] من أعظمها البعث ، و بينه إلى أن كان بهذا الحد من الوضوح ، كان مجز[4] التهديد من أعرض عن قبوله ، فقال فى[5] عبارة عامة له[6] و لغيره ، مؤكدا تنبيها على أن فعلهم فعل من يظن أنه سبحانه لايطلع [على -[1]] أعماله : ﴿ان الذين يلحدون﴾ أى يميلون بصرف المعانى عن القصد و سنن العدل بنحو قولهم "ما[7] نعبدهم الا[8] ليقربونا الى الله زلفى" ، او يماحلون باللغو بالمكاء[9] و التصدية و غير ذلك من أنواع اللغط و كل ما يشمله معنى الميل عما تصح إرادته .

و لما كان الاجتراء على الإلحاد قادحا فى الاعتراف بالعظمة ، أعاد[10] مظهرها فقال : ﴿ فى أيتنا ﴾ على ما لها من العظمة الدالة على ما لنا

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل و ظ : كل ، و لم تكن الزيادة فى م و مد لحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : محو (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عن (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لها (٧) فى م و مد : انما (٨) ليس فى م و مد . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالمكاية (١٠) فى م : اعادة .

من

من الوحدانية و شمول العلم و تمام القدرة . و لما كان العلم بالإساءة[1] مع القدرة سببا للأخذ، قال مقررا للعلم بعد تقرير[2] القدرة: ﴿لا يخفون علينا[1]﴾ أى فى وقت من الأوقات و لا وجه من الوجوه، و نحن قادرون على أخذهم، فمتى شئنا أخذنا، و لا يعجل إلا ناقص يخشى الفوت .

و لما كان الإلحاد سببا لإلقاء صاحبه فى النار، و كان التقدير: و نحن نحلم عن العصاة فمن رجع إلينا أمن[3] كل مخوف، و من أعرض إلى الممات ألقيناه فى النار، سبب عنه قوله تعالى: ﴿أفمن يلقى فى النار﴾ أى على وجهه بأيسر أمر بسبب إلحاده فى الآيات و إعراضه عن الدلالات الواضحات، فيكون خائفا يوم القيامة لما يرى من مقدمات ذلك حتى يدهمه[4] ما خاف منه ﴿خير ام من يأتى﴾ إلينا ﴿آمنا يوم القيٰمة[1]﴾ حين نجمع عبادنا للعرض علينا للحكم بينهم بالعدل[5] فيدخل[6] الجنة دار السلام فيدوم أمنه، و الآية من الاحتباك: ذكر الإلقاء فى النار أولا دليلا على دخول الجنة ثانيا، و الأمن ثانيا دليلا على الخوف أولا، و سره أنه ذكر المقصود بالذات، و هو ما وقع الخوف لأجله أولا، و الأمن الذى هو / العيش فى الحقيقة ثانيا . ١٥ / ٦٠٦

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالاشارة (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تقدير (٣) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى م: يدهم (٥) زيد فى الأصل: صارفا القول عن الغيبة إلى الخطاب لأنه أدل على الغضب على المتمادى بعد هذا البيان و من كان امنا؛ و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دخل .

و لما كان هذا [1]رادا و لابد[1] للعاقل عن سوء أعماله إلى الإحسان رجاء إنعام الله و إفضاله، أنتج قوله مهددا و مخوفا و[2] متوعدا صارفا القول [3]عن الغيبة إلى الخطاب[3] لأنه أدل على الغضب على المتمادى بعد هذا البيان: ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ أى فقد[4] علمتم مصير المسىء و المحسن، فمن أراد ٥ شيئا من الجزائين فليعمل أعماله، فانه ملاقيه[5]. و لما كان العامل[6] لا يطمع فى الإهمال إلا على تقدير خفاء الأعمال، و المعمول له لا يترك الجزاء إلا لجهل أو عجز، بين [أنه -[7]] سبحانه محيط العلم [8]عالم بمثاقيل[8] الذر فقال مرغبا مرهبا مؤكدا لأنهم يعملون عمل من يظن أن أعماله تخفى، عادلا[9] عن مظهر العظمة إلى ما هو أدل شىء على الفردانية، لئلا يظن أن ١٠ مزيد العلم بواسطة كثيرة: ﴿ انه ﴾ و قدم أعمالهم تنبيها على الاهتمام بشأنها جدا فقال: ﴿ بما تعملون ﴾ أى فى كل وقت ﴿ بصير ﴾ بصرا و علما، فهو على كل شىء منكم قدير.

و لما جعل إليهم الاختيار فى العمل تهديدا، أتبعه الإخبار بما لمن خالفه، فقال مؤكدا لإنكارهم مضامين ما دخل عليه التأكيد: ١٥ ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى ستروا مرائى العقول الدالة على الحق مكذبين

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ولابد رادا (٢) سقطت الواو من م. (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: إلى الخطاب بعد الغيبة (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لاقيه. (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العاقل (٧) زيد من م و مد (٨-٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عالما مثاقيل (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عادة.

بالذكر الذى لا ذكر فى الحقيقة غيره ﴿ لما جآءهم ﴾ من غير توقف أصلا ، فدل ذلك منهم على غاية العناد ﴿ و انه ﴾ أى و الحال أنه ﴿ لكتب ﴾ أى جامع لكل خير ﴿ عزيز ﴾ أى لا يوجد مثله فهو يغلب كل ذكر [و لا يغلبه ذكر -[1]] و لا يقرب من ذلك ، و يعجز كل معارض ، و لا يعجز أصلا عن إفعاد مناهض . ٥

و لما كان من معانى العزة انه ممتنع بمتانة[2] رصفه و جزالة نظمه و جلالة معانيه من أن يلحقه[3] تغيير ما ، بين ذلك بقوله : ﴿ لا ياتيه الباطل ﴾ أى البين البطلان إتيان غلبة فيصير [4]أو شيء[4] منه باطلا بينا . و لما كان المراد تعميم النفى ، لا نفى العموم ، أدخل الجار فقال : ﴿ من بين يديه ﴾ أى من جهة الظاهر مثل أمر أخبر به عما كان قبله ﴿ و لا من خلفه[5] ﴾ ١٠ من جهة العلم الباطن مثل علم ما لم يشتهر من الكائن و الآتى سواء كان حكما أو خبرا لأنه فى غاية الحقية و الصدق ، و الحاصل أنه لا يأتيه من جهة من الجهات ، لأن ما قدام أوضح ما يكون ، و ما خلف أخفى ما يكون ، فما بين ذلك من باب الأولى ، فالعبارة كناية عن ذلك لأن صفة الله [5]لا وراء لها و لا أمام[5] على الحقيقة ، و مثل ذلك ليس وراء الله ١٥ مرمى ، و لا دون الله منتهى ، و نحوه مما تفهم العرب و من علم لسانها[6]

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : علانه .
(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يخلفه (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ارشى (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امام لها و لا وراء .
(٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لشانها .

المراد بـــه دون لبس، ثم علل ذلك بقوله : ﴿ تنزيل ﴾ أى بحسب التدريج لأجل المصالح ﴿ من حكيم ﴾ بالغ الحكمة فهو يضع كل شىء منه فى أتم محاله فى وقت النزول و سياق النظم ﴿ حميد ﴾ أى بالغ الإحاطة بأوصاف الكمال من الحكمة و غيرها و التنزه و التطهر و التقدس عن كل شائبة نقص، يحمده كل خلق بلسان حاله إن لم يحمده بلسان قاله، بما ظهر عليـــه من نقصه أو كماله، و الخبر محذوف تقديره : خاسرون لا محالة لأنهم لايقدرون على شىء مما يوجهونه[1] إليه من الطعن لأنهم / عجزة ضعفاء صغرة[2] كما قال المعرى : /٦٠٧

أرى الجوزاء تكبر أن تصادا فعاند من تطيق له عنادا[3]

و حذف الخبر أهول لتذهب النفس كل مذهب .

و لما وصف الذكر بأنه لايصح و لايتصور أن يلحقه نقص، فبطل قولهم "لا تسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه" و نحوه مما مضى و حصل الأمن منه، أتبعه التسلية مما يلحق به من الغم ليقع الصبر على جميع أقوالهم و أفعالهم فقال : ﴿ ما يقال لك ﴾ أى يبرز إلى الوجود قوله سواء كان فى ماضى الزمان أو حاضره أو آتيه من[4] شىء من الكفار أو غيرهم يحصل به ضيق صدر أو تشويش فكر من قولهم "قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه" إلى آخره، و غير ذلك مما تقدم أنهم قالوه له

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يوجهون (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م : صغيرة (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الفسادا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عن .

متعنتين به ﴿الا ما﴾ أى شىء ﴿ قد قيل ﴾ أى حصل قوله على ذلك الوجه ﴿ للرسل ﴾ و إن لم يقل لكل واحد منهم فانه قيل للجموع ، و نبه على أن ذلك ليس لمستغرق للزمان بل تارة [و تارة -[1]] بادخال الجار فى قوله : ﴿ من قبلك[1] ﴾ و لما حصل بهذا الكلام ما أريد من التأسية ، فكان موضع التوقع لهم أن يحل بهم ما حل[2] بالأمم قبلهم من عذاب الاستئصال ، و كان صلى الله عليه و سلم شديد الشفقة عليهم و المحبة لصلاحهم ، سكن سبحانه روعه بالإعلام بأن رحمته سبقت غضبه ، فقال مخوفا مرجيا[3] لأجل إنكار المنكرين : ﴿ان﴾ و أشار إلى مزيد رفعته بذكر صفة الإحسان و إفراد[4] الضمير فقال : ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك بارسالك و إنزال كتابه [إليك -[1]] ، و من أكرم بمثل هذا لاينبغى له أن يحزن لشىء يعرض ﴿لذو مغفرة﴾ أى عظيمة جدا فى نفسها و زمانها [و مكانها -[1]] لمن يشاء منهم ، فلا يقطع لأحد بشقاء .

و لما رغبهم باتصافه بالمغفرة ، رهبهم باتصافه بالانتقام ، و أكد باعادة " ذو " و الواو فقال : ﴿ و ذو عقاب ﴾ و الختم بما رويه الميم مع تقديم الاسم الميمى فى التى قبلها دال للأشعرى الذى قال بأن الفواصل غير مراعية[5] فى الكتاب العزيز ، و إنما المعول عليه المعانى لا غير ، و المعنى [هنا على -[1]] إيلام من كانوا يؤلمون[6] أولياءه باللغو عند

(١) زيد من م و مد (٢) فى م : حصل (٣) زيد فى الأصل و ظ : لا راجيا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : افرد (٥) فى ظ ومد : مرعية (٦) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : يلامون .

التلاوة الدالة على غاية العناد، فلذلك[1] قدم حكيم، و لم [يقل -[2]] شديد، [و قال -[3]]: ﴿ اليم ﴾ [أى -[3]] كذلك، فلا يقطع لأحد بجاة[4] إلا من أخبر[5] هو سبحانه باشقائه أو إنجائه، و قد تقدم فعله لكل من الأمرين أنجى ناسا و غفر لهم كقوم يونس عليه الصلاة و السلام، و عاقب آخرين، و سيفعل فى قومك من كل من الأمرين ما هو الأليق بالرحمة بارسالك، كما أشار إليه ابتداؤه بالمغفرة، فالآية[6] نحو: إن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم، و لعله لم يصرح هنا تعظيما للقرآن الذى الكلام بسببه.

و لما افتتحت السورة بأنه أنزل على أحسن الوجوه و أجلها و أعلاها و أبينها و أكملها من التفصيل و الجمع و البيان بهذا اللسان العظيم الشأن، فقالوا فيه ما وقعت هذه التسلية لأجله / من قولهم "قلوبنا فى اكنة" / ٦٠٨ إلى آخره، و كان ربما قال قائل: لو كان بلسان غير العرب، و أعطى هذا النبى فهمه و القدرة على تبيينه لكان أقوى فى الإعجاز و أجدر بالاتباع، أخبر أن الأمر ليس كذلك، لأنهم لم يقولوا: هذا الشك حصل لهم فى أمره، بل عنادا، و المعاند لايرده شىء، فقال على سبيل التأكيد، معلما بأن الأمر على غير ما ظنه هذا الظان، و قال الأصبهانى: إنه جواب عن قولهم "و قالوا قلوبنا فى اكنة". و الأحسن عندى

(١) فى م و مد: فلذا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد من م و مد. (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بناجة (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اكبر (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فايه.

أن يكون عطفا على "فصلت آيته قرآنا عربيا" و بناه للمفعول لأنه بلسانهم فلم يحتج إلى تعيين المفصل[١]، فيكون التقدير: فقد جعلناه عربيا معجزا، و هم أهل العلم باللسان، فأعرضوا عنه و قالوا فيه ما تقدم، و لفت القول عن وصف الإحسان الذى اقتضى أن يكون عربيا إلى مظهر العظمة الذى هو محط إظهار الاقتدار و إنفاذ الكلمة ﴿و لو جعلنه﴾ ٥ أى هذا الذكر بما لنا من العظمة [٢]و القدرة[٢] ﴿قرآنا﴾ أى على ما هو عليه[٣] من الجمع ﴿اعجميا﴾ أى لايفصح و هو مع ذلك على وجه يناسب عظمتنا ليشهد [كل -[٤]] أحد أنه معجز للعجم كما [٥]ان هذا[٥] معجز للعرب و أعطيناك فهمه و القدرة على إفهامهم إياه ﴿لقالوا﴾ أى هؤلاء المتعنتون[٦] فيه كما يقولون فى هذا بغيا و تعنتا: ﴿لولا﴾ أى هلا و لم لا ﴿فصلت آيته[٤]﴾ ١٠ أى بينت على [٧]طريقة نفهمها[٧] بلا كلفة و لامبين، حال كونه قرآنا عربيا كما قدمنا أول السورة.

و لما تبين[٨] بشاهد الوجود[٩] أنهم قالوا فى العربى[١٠] الصرف و بشهادة

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الفعل (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) سقط من م (٤) زيد من م و مد (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل و م: المتعنتين - كذا (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: طريق تفهيما (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بين (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الوجوه. (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العرفى.

الحكيم الودود ، و أنهم يقولون فى الأعجمى[1] الصرف ، لم يبق إلا المختلط منهما المنقسم إليهما ، فقال مستأنفا منكرا عليهم للعلم بأن ذلك منهم مجرد لدد لاطلبا للوقوف على سبيل الرشد : ﴿ ءاعجمى ﴾ أى أمطلوبكم[2] أو مطلوبنا - على قراءة الخبر من غير استفهام - أعجمى ﴿ و عربى[3] ﴾ مفصل باللسانين ، [و الأعجمى -[3]] كما قاله الرازى فى اللوامع : الذى لا يفصح و لو كان عربيا . و العجمى من العجم و لو تفاصح بالعربية .

و لما كان من الجائز أن يقولوا : نعم ، ذلك مطلوبنا ، و كان نزولا من الرتبة العليا إلى ما دونها مع أنه لا يجيب إلى المقترحات إلا مريد للعذاب ، أو عاجز عن إنفاذ ما [نريد -[4]] ، بين أن[5] مراده نافذ من غير هذا فقال : ﴿ قل هو ﴾ أى هذا القرآن على ما هو عليه من العلو الذى لا يمكن ان يكون شىء يناظره ﴿ للذين ءامنوا ﴾ أى اردنا وقوع الإيمان منهم ﴿ هدى ﴾ بيان لكل مطلوب ﴿ و شفاء ﴾ لما فى صدورهم من داء الكفر و الهواء و الإفك فآذانهم به سميعة ، و قلوبهم له[6] واعية ، و هو لهم بصائر ، قال القشيرى ، فهو شفاء للعلماء حيث استراحوا عن كد الفكرة و تحير الخواطر و شفاء لضيق [صدور -[4]] المريدين[7] بما فيه من التنعم بقراءته و التلذذ بالتفكر فيه ، و لقلوب المحبين من لواعج[8]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العجمى (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : مطلوبكم - بدون همزة الاستفهام (٣) زيد من ظ و م و مد . (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يدبين (٦) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : به (٧) من مد ، و فى الأصل وظ وم : المهدين . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نواعج .

الاشتياق بما فيه من لطائف المواعيد، و لقلوب العارفين بما يتوالى عليها[1] من أنوار التحقيق و آثار خطاب الرب العزيز ﴿ و الذين لايؤمنون ﴾ أى اردنا أنه لايتجدد منهم إيمان[2] ﴿ فى اذانهم وقر ﴾ اى ثقل مذهب للسمع مصم، فهم لذلك لايسمعون سماعا ينفعهم لأنهم بادروا إلى رده [3]أول ما[3] سمعوه و تكبروا عليه[4] / فصاروا لايقدرون على تأمله ٥ / ٦٠٩ فهزهم الكسل و أصمهم الفشل[5] فعز عليهم فهمه ﴿ و هو عليهم ﴾ أى[6] خاصة ﴿ عمى[4] ﴾ [مستعلٍ -[7]] على أبصارهم و بصائرهم لازم لهم، فهم لايعونه حق الوعى، و لايبصرون[8] الداعى به [حق -[7]] الإبصار، فلهم به ضلال و داء، فلذلك قالوا " و من بيننا و بينك حجاب " و ذلك لما يحصل لهم من الشبه[9] التى هيئت قلوبهم لقبولها[10]، أو يتمادى بهم فى ١٠ الأوهام التى لا يألفون سوى فروعها و أصولها، فقد بان أن سبب الوقر فى آذانهم الحكم بعدم إيمانهم للحكم باشقائهم، فالآية من الاحتباك: ذكر الهدى و الشفاء أولا دليلا على الضلال و الداء ثانيا، و الوقر و العمى ثانيا دليلا على السمع و البصائر أولا، و سر ذلك أنه ذكر أمدح صفات المؤمنين و أذم صفات الكافرين، لأنه لا أحقر من أصم أعمى. ١٥

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عليهم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ايمانهم (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: او (٤) من م و مد، وفى الأصل وظ: عنه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٦) سقط من م و مد (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل و م: لايبصرونه (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: السبية (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لقلوبها.

و لما بان بهذا بعدهم عن عليائه و طردهم عن فنائه قال : ﴿اولـٰئك﴾ [أى -[1]] البعداء البعضاء مثالهم مثال من ﴿ ينادون ﴾ أى يناديهم من يريد نداءهم غير الله ﴿ من مكان بعيد ﴾ فهم بحيث لا يتأتى سماعهم ، و أما الأولون فهم ينادون بما هيئوا له من القبول من مكان قريب ، فهذه هى القدرة الباهرة ، و ذلك ان شيئا واحدا يكون لناس فى غاية القرب و لناس معهم فى مكانهم فى انهى البعد .

و لما كان التقدير : فلقد آتيناك الكتاب على هذه الصفة من العظمة ، فاختلفت فيه أمتك على ما اعلمناك به أول البقرة من انقسام الناس فعاقبنا الذين تكبروا عليه أن ختمنا على مشاعرهم ، عطف عليه مسليا قوله مؤكدا لمن يقول من اهل الكتاب إضلالا : لو كان نبيا[2] ما اختلف الناس عليه و نحو ذلك مما يلبس به : ﴿و لقد آتينا﴾ [أى -[1]] على ما لنا من العظمة ﴿ موسى الكتب ﴾ أى الجامع لما فيه[3] هداهم ﴿فاختلف ﴾ أى[4] وقع الاختلاف ﴿ فيه[5] ﴾ أى من أمته كما وقع فى هذا الكتاب لأن الله تعالى خلق الخلق[4] للاختلاف مع ما ركب فيهم من العقول الداعية إلى الاتفاق ﴿ و لولا كلمة ﴾ أى إرادة ﴿ سبقت ﴾ فى الأزل ، و لفت القول إلى صفة الإحسان ترضية بالقدر[5]

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بيننا (٣) زيد فى الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : فيه كذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالقدرة .

و تسلية ، و [زاد ـ ١] ذلك بافراده بالإضافة فقال : ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك بتوفيق الصالح لاتباعك و خذلان الطالح بالطرد عنك لإراحتك منه من غير ضرر لدينك و باهمال كل إلى أجل معلوم ثم إمهال الكل إلى يوم الفصل الأعظم من غير استئصال بعذاب كما صنعنا بغيرهم من الأمم ﴿ لقضى ﴾ أى وقع القضاء الفيصل ﴿ بينهم ﴾ ٥ المختلفين بانصاف المظلوم من ظالمه الآن . و لما علم بهذا و غيره ان يوم القيامة قد قدره و جعله موعدا من لايبدل القول لديه ، فاتضح أنه لابد منه و لا محيد عنه و هم يجادلون فيه ، قال مؤكدا : ﴿ و انهم لفى شك ﴾ أى محيط بهم ﴿ منه ﴾ أى [القضاء ـ ١] يوم الفصل ﴿ مريب ﴾ أى موقع فى الريب و هو التهمة و الاضطراب بحيث لايقدرون على ١٠ التخلص من دائرته أصلا .

و لما تقرر بما مضى أن / المطيع ناج ، و تحرر أن العاصى هالك ، / ٦١٠ كانت النتيجة من غير تردد : ﴿ من عمل صالحا ﴾ كائنا من كان [٢] من ذكر أو أنثى [٢] ﴿ فلنفسه ﴾ أى فنفع عمله لها [ببركتها به ـ ١] لايتعداها ، [و النفس فقيرة إلى التزكية بالأعمال الصالحة لأنها محل النقائص ، فلذا ١٥ عبر بها ، و كان قياس العبارة فى جانب الصلاح « و من عمل سيئا » فأفاد العدول إلى ما عبر به مع ذكر العمل أولا الذى مبناه العلم إن الصالح تتوقف صحته على نيته ، و أن السيء يؤاخذ به عامله فى الجملة من الله أو الناس و لو وقع خطأ فلذا قال ـ ١] : ﴿ و من اساء ﴾

(١) زيد من م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

أى[1] فى عمله ﴿ فعليها ﴾ أى على نفسه خاصة ليس على غيره منه شىء .

و لما كان لمقصد السورة نظر كبير إلى الرحمة ، كرر سبحانه وصف الربوبية فيها كثيرا ، فقال عاطفا على ما تقديره : فما ربك بتارك جزاء أحد أصلا خيرا كان أو شرا : ﴿ و ما ربك ﴾ أى المحسن [إليك -[2]] بارسالك لتتميم مكارم الأخلاق . و لما كان لايصح أصلا و لايتصور أن ينسب إليه سبحانه ظلم ، عبر للدلالة على ذلك بنكرة فى سياق النفى دالة[3] على النسبة مقرونة بالجار فقال : ﴿ بظلام ﴾ أى بذى ظلم ﴿ للعبيد ﴾ أى هذا الجنس فلا يتصور أن يقع منه ظلم لأحد منهم اصلا لأن له الغنى المطلق و الحكمة البالغة ، و عبر بـ « عبيد »[4] دون ' عباد ' لأنه موضع إشفاق و إعلام بضعف و عدم قدرة على انتصار و عناد[5] يدل على طاعة و عدم حقارة بل إكرام هذا أغلب الاستعمال ، و لعل حكمة التعبير بصيغة المبالغة الإشارة إلى أنه لو ترك الحكم و الأخذ للظلوم من الظالم ، لكان بليغ الظلم من جهة ترك الحكمة التى هى وضع الأشياء فى أتقن محالها ثم من جهة[6] وضع الشىء و هو العفو عن المسىء و ترك الانتصار للظلوم فى غير موضعه ، و من جهة التسوية بين المحسن و المسىء ، و ذلك أشد فى تهديد الظالم لأن الحكيم لايخالف الحكمة فكيف إذا كانت المخالفة فى غاية البعد عنها - هذا مع أن التعبير بها لايضر

(١) سقط من م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : دلالة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعبد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عباد (٦) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : وجهة - كذا .

لأنها

لأنها موضوعة ايضا للنسبة إلى أصل المعنى مطلقا و لأن نفى مطلق الظلم[1] مصرح به [فى - [2]] آيات أخرى .

و لما تضمنت الآية السالفة الجزاء على كل جليل و حقير ، و قليل و كثير ، و البراءة من الظلم ، كما قال تعالى "و قضى بينهم بالحق و هم لا يظلمون" "و وفيت كل نفس ما عملت" "و هو اعلم بما يفعلون" و أشير ٥ إلى التوعد بالجزاء فى يوم الفصل لأنا نشاهد أكثر الخلق يموت من غير جزاء ، و[3] كان من عادتهم السؤال عن علم ذلك اليوم ، و كان ترك الجزاء إنما يكون للعجز ، و الظلم إنما يكون للجهل ، لأنه وضع الأشياء فى غير محالها فعل الماشى فى الظلام ، دل على تعاليه عن كل منهما بتمام العلم المستلزم لشمول القدرة على وجه فيه جوابهم ١٠ عن السؤال عن علم الوقت الذى تقوم فيه الساعة الذى[4] كان سببا لنزول هذه الآية - كما ذكره ابن الجوزى - بقوله على سبيل التعليل :

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المظالم (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : او (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التى .

﴿ اليه ﴾ اى إلى المحسن إليك لا إلى غيره ﴿ يرد ﴾ من كل واد ﴿ علم الساعة [١] ﴾ أى التى لاساعة فى الحقيقة غيرها ، لما لها من الأمور التى لانسبة لغيرها بها ، فهى الحاضرة لذلك فى جميع الأذهان ، و إنما يكون الجزاء على الإساءة و الإحسان فيها حتى يظهر لكل أحد ظهورا بينا لكل أحد أنه لا ظلم أصلا ، فلا يمكن ان يسأل أحد سواه عنها و يخبر [عنها -[١]] بما يغنى فى تعيين وقتها [٢]و كيفيتها و صنعتها[٢] ، / و كلما[٣] انتقل السائل [من -[٤]] مسؤل إلى أعلم منه وجده كالذى[٥] قبله حتى يصل الأمر إلى الله تعالى ، و العالم منهم هو الذى يقول : الله أعلم ، فاستئثاره بعلمها دال على تناهى علمه ، و حجبه له عن كل من دونه دال على تمام قدرته ، و اجتماع[٦] الأمرين[٧] مستلزم لبعده عن الظلم ، و أنه لايصح اتصافه به ، فلابد من إقامته لها ليوفى كل ذى حق حقه ، و يأخذ لكل مظلوم ظلامته غير متعتع[٨] .

/ ٦١١

و لما كانوا ينازعون فى وقوعها فضلا عن العلم بها ، عدها امرا[٩] محققا مفروغا منه [١٠]و ذكرما[١٠] يدل على شمول علمه لكل حادث فى وقته دليلا على علمه بما يعين وقت الساعة ، و ذلك على وجه يدل على قدرته عليها و على كل مقدور بما لا نزاع لهم فيه من ثمرات النبات و الحيوان التى

(١) زيد من م و مد (٢-٢) ليس ما بين الرقمين فى م ومد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لما (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) من م ومد ، و فى الأصل وظ : كالتى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاجتماع (٧) زيد فى الأصل : و ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٨) من م و مد ، وفى الاصل وظ : متصنع (٩) سقط من م (١٠-١٠) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : ذكره .

هى خبء[1] فى ذوات ما هى خارجة منه، فهى كخروج الناس بعد موتهم من خبء[1] الأرض، فقال مقدما للرزق على الخلق كما هو الأليق، عطفا على ما تقديره: فما يعلمها و لا يعلمها إلا هو: ﴿و ما تخرج﴾ [اى -[2]] فى وقت من الأوقات الماضية و الكائنة و الآتية، فان «ما» النافية لا تدخل [إلا -[2]] على ما معناه الحلول، فالمراد مجرد تصوير الحال و إن كان زمانه قد مضى أو لم يأت، و أكد النفى بالجار فقال: ﴿من ثمرة﴾ أى صغيرة أو كبيرة صالحة أو فاسدة من الفواكه و الحبوب و غيرها؛ و الإفراد فى قراءة الجماعة للجنس[3] الصالح للقليل و الكثير، و نهت قراءة نافع و ابن عامر و حفص عن عاصم[4] بالجمع على كثرة الأنواع ﴿من اكمامها﴾ جمع كم و كمامة[5] بالكسر فيهما و هو: غطاء الطلع و غطاء النور، و كل ما غطى على وجه الإحاطة شيئا من شأنه أن يخرج فهو كم، و منه قيل للقلنسوة: كمة، و لكم[6] القميص و نحوه: كم، [اى إلا بعلمه -[2]] ﴿و ما تحمل من انثى﴾ خداجا أو تماما، ناقصا[7] او تاما[8]، [و أكد النفى باعادة النافى ليشمل كلا على حياله، و عبر بـ «لا» لأن الوضع ليس كالحمل يقع فى لحظة بل يطول زمان انتظاره فقال -[2]]: ﴿و لا تضع﴾ حملا حيا[9] أو ميتا ﴿الا﴾ حال كونه ملتبسا[10] ﴿بعلمه[9]﴾[10] و لا علم

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: حب (٢) زيد من م و مد. (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: الجنس، و الكلمة ساقطة من م (٤) راجع نثر المرجان ٦ / ٣٢٥ (٥) من ظ و م و مد، و فى الاصل: كمامة (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بكم (٧) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من مد، و فى الأصل و ظ و م: تماما. (٩) من م و مد، و فى الاصل و ظ: ما متلبسا (١٠) زيد فى الاصل: اى الابعلمه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

لأحد غيره بذلك ، و من ادعى علما به فليخبر بأن ثمرة الحديقة الفلانية و البستان الفلانى [و البلد الفلانى -[1]] تخرج فى الوقت الفلانى او لاتخرج العام شيئا أصلا ، و المرأة الفلانية تحمل فى الوقت الفلانى و تضع فى وقت كذا او لا تحمل العام شيئا ، و من المعلوم أنه لايحيط بهذا[2] علما إلا الله سبحانه و تعالى .

و لما ثبت بهذا علمه صريحا و قدرته لزوما و عجز من سواه و جهله ، و تقرر بذلك امر الساعة من انه قادر عليها بما أقام من الأدلة ، و انه[3] لابد من كونها لما وعد به من تكوينها لينصف المظلوم من ظالمه لأنه حكيم و لا يظلم أحدا و إن كانوا فى إيجادها ينازعون ، و له ينكرون ، قال تعالى مصورا ما تضمنه ما سبق من جهلهم ، و مقررا بعض أحوال القيامة ، عاطفا على ما ارشد [السياق -[1]] إلى تقديره من نحو : فهو على كل شيء قدير لأنه على كل شيء شهيد و هم بخلاف ذلك ، مقررا قدرته تصريحا و عجز ما أدعوا من الشركاء[4] : ﴿ و يوم يناديهم ﴾ اى المشركين بعد بعثهم من القبور ، للفصل بينهم فى سائر الأمور فيقول المحسن إليك بأنواع الإحسان الذى منه إنصاف المظلوم من ظالمه على سبيل التوبيخ[5] و التقريع و التنديم : ﴿ اين شركآءى لا ﴾ [أى -[1]] الذين زعمتم أنهم يشفعون لكم فى هذا اليوم و يحمونكم من العقاب و اللوم ، و العامل[6]

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بذلك (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لأنه (٤) زيد فى الأصل : و الانداد و الآلهة فقال تعالى - و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : و التوقيع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العلى فل - كذا .

فى

فى الظرف ﴿ قالوآ ﴾ أى المشركون : ﴿ آذنّاك ﴾ أى أعلمناك سابقا بألسنة أحوالنا و الآن بألسنة[1] مقالنا ، و فى كلتا الحالتين أنت سامع لذلك لأنك سامع لكل [ما -[2]] يمكن أن يسمع و إن لم يسمعه غيرك ، و لذا عبروا بما منه الإذن ﴿ ما منا ﴾ و أكدوا[3] النفى بادخال الجار فى المبتدأ المؤخر فقالوا[4] : ﴿ من شهيد ﴾ أى حى دائما حاضر دون غيبة ، مطلع على ما يريد من [غير -[5]] خفاء بحيث لايغيب عن علمه شىء فيخبر بما يخبر به على سبيل القطع و الشهادة ، فآل الأمر إلى[6] أن المعنى : لانعلم أين ما كنا نسميهم شركاء لأنه[7] ما منا من هو محيط العلم .

و لما قرر جهلهم ، أتبعه عجزهم فقال : ﴿ و ضل ﴾ أى ذهب [8]و شذ[8] و غاب و خفى ﴿ عنهم ﴾ و لما كانت معبوداتهم إما ممن لايعقل كالأصنام و إما فى عداد ذلك لكونهم لا فعل لهم فى الحقيقة ، عبر عنهم بأداة ما لايعقل فقال : ﴿ ما كانوا ﴾ أى دائما ﴿ يدعون ﴾ فى كل حين على وجه العبادة .

و لما كان دعاؤهم لهم غير مستغرق لزمان القبل ، [أدخل الجار -[5]] فقال : ﴿ من قبل ﴾ فهم لايرونه فضلا عن أنهم[9] يجدون نفعه و يلقونه ،

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالسن (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى م و مد : أكد (٤) فى الأصل : فقال تعالى قالوا ، و فى ظ : فقال تعالى ، و الكلمات ساقطة من م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لما (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لانا (٨-٨) ليس ما بين الرقمين فى ظ و م و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان .

و كأنهم كانوا لما هم عريقون فيه من الجهل وسوء الطبع يتوقعون أن يظفروا بهم فيشفعوا لهم ، فلذلك عبر بالظن فى قوله : ﴿ و ظنوا ﴾ اى فى ذلك الحال ﴿ ما لهم ﴾ و أبلغ فى النفى بادخال الجار على المبتدأ المؤخر فقال . ﴿ من محيص ٥ ﴾ اى مهرب و ملجأ و معدل .

٥ و لما دل اتباعهم للظن حتى فى ذلك اليوم الذى تنكشف فيه الأمور ، و تظهر عظائم المقدور ، و إلقاؤهم بأيديهم فيه على انهم فى غاية العراقة فى الجهل و الرسوخ فى العجز ، أتبع ذلك الدليل على أن ذلك طبع هذا النوع فلا يزال متبدل الأحوال متغير المناهج . إن احس بخير انتفخ عظمه و تطاول كبرا . و إن مس ببلاء تضاءل ذلا و املاً

١٠ ضعفا و عجزا ، و ذلك ضد مقصود السورة الذى هو العلم ، بيانا لأن حال هذا النوع بعيد من العلم ، عريق الصفات فى الجهل و الشر إلا من عصمه[1] الله فقال تعالى : ﴿ لا يسئم ﴾ أى يمل و يضجر ﴿ الانسان ﴾ اى من الأنس بنفسه الناظر فى أعطافه ، الذى لم يتأهل للمعارف الإلهية و الطرق الشرعية ﴿ من دعآء الخير ﴾ اى من طلبه طلبا عظيما ، و ذلك دال

١٥ مع شرهه على جهله ، فانه لو كان عالما بأن الخير يأتيه او لا يأتيه لخفف عن نفسه من جهده فى الدعاء " و لو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير و ما مسنى السوء " ﴿ و ان مسه الشر ﴾ اى هذا النوع قليله وكثيره بغتة من جهة لايتوقعها ﴿ فيؤس ﴾ أى عريق فى اليأس ، و هو انقطاع الرجاء و الأمل / و الحزن العظيم و القطع بلزوم تلك الحالة / ٦١٣

(١) فى م و مد : عصم .

بحيث صار قدوة فى ذلك ﴿ قنوط ه ﴾ اى مقيم فى دارة انقطاع الأمل و الخواطر الرديئة، فهو تأكيد للمعنى[1] على أحسن وجه و أتمه، و هذا هو ما طبع عليه الجنس، فمن أراد الله به[2] منهم خيرا عصمه، و من أراد به شرا أجراه مع الطبع فكان كافرا، لأنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون[3]، قال أبو حيان[4]: و اليأس من صفة[5] القلب، و هو ان ينقطع[6] رجاؤه من الخير، و القنوط ان يظهر عليه آثار اليأس فيتضاءل[7] و ينكسر، و بدأ بصفة[8] القلب لأنها هى المؤثرة فيما يظهر على الصورة من الانكسار[9] .

و لما دل ذلك على عظيم جهله و غلبة أفكاره الرديئة على عقله، أتبعه تأكيدا لذلك ما يدل على أن حاله بعد هذا اليأس الذى قطع فيه بلزوم الشر و امتناع حصول الخير أنه لو عاودته[10] النعمة بعثه من وجه لايرجوه، و ليس له دليل ما على دوامها و انصرامها لعاد إلى البطر و الكبر و الأشر، و نسى ما كان فيه من الشدة، فقال مسندا إلى نفسه الخير بعد أن ذكر الشر، و لم يسنده إليه تعليما للأدب[11] معبرا بمظهر العظمة

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المعنى (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بهم (٣) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها.
(٤) راجع البحر المحيط ٧ / ٥٠٤ (٥) فى البحر: صيغة (٦) فى البحر: يقطع.
(٧) من ظ و م و مد و البحر، و فى الاصل: فينضال (٨) فى البحر: بصيغة.
(٩) من البحر، و فى الأصول: الانكار (١٠) من م و مد، و فى الاصل و ظ: عاوته (١١) زيد فى م: و لفت القول.

تنبيها على أن ذلك من جليل التدبير ﴿ و لئن اذقنه ﴾ اى الإنسان الذى غلبت عليه حالة الأنس بنفسه حتى اسفلته عن أبناء جنسه إلى رتبة الحيوانات العجم بل دونها .

و لما اخبر آخر[1] الآية السالفة عن حاله عند الشر ، قدم هنا ضده على صلته[2] اهتماما بـه بخلاف ما فى سورة هود عليه السلام فقال : ﴿ رحمة ما ﴾ اى نعمة عظيمة دلت على إكرامه من جهة لا يرجوها ، و هو من فائدة التعبير بأداة الشك ، و دل باثبات الجار على انفصالها عن الضر مع قرب زمانها[3] منه ليكون قد جمع مباشرة الأحوال الثلاث[4] : الانتقام و الإكرام و ما بينهما من الوسط[5] الذى بين حالتى الرضا و السخط ؛ ثم شرع[6] بيان ذلك فقال : ﴿ من بعد ضرآء ﴾ أى محنة و شدة عظيمة ﴿ مسته ﴾ فطال بروكها عليه ، و أجاب القسم لتقدمه على الشرط بقوله : ﴿ ليقولن ﴾ بمجرد ذوق تلك الرحمة على أنها ربما كانت بلاء عظيما لكونها استدراجا إلى الهلاك : ﴿ هذا ﴾ أى الأمر العظيم ﴿ لى ﴾ أى مختص بى لما لى من الفضل ، لامشاركة لأحد معى فيه مع انه ثابت لايتغير انتقالا من حالة اليأس إلى حالة الأمن و البطر و الكبر و الآشر على قرب الزمن من ذوق المحن[7] و ينسى أنها من فضل الله ليقيدها بشكرها ،

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاخر (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العلة (٣) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : زمنها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الثلاثة (٥) فى م : الوسط (٦) فى م و مد : اسرع . (٧) فى م : المحسن .

و يطردها

و يطردها بكفرها ﴿ و ما اظن الساعة ﴾ أى[1] القيامة التى هى لعظمها المستحقة أن تختص باسم الساعة ﴿ قآئمة ﴾ أى ثابتا قيامها ، فقطع الرجاء منها سواء عبر عن ذلك بلسان قاله أو بلسان حاله ، لكونه يفعل أفعال الشاك فيها كما كان قطع الرجاء من الخير عند مباشرته للشر لكنه هنا [قال - [2]] على سبيل التقدير و الفرض ، لدفع من يعظه محققا لدوام نعمته : ﴿ و لئن رجعت ﴾ أى على سبيل الفرض بقسر قاسر ما ﴿ الى ربى ﴾ أى الذى أحسن إلىّ بهذا الخير الذى أنا فيه ﴿ ان لى عنده ﴾ و أكد للرد على من / يعظه بأنه يعذب إن لم يحسن قلبه و قالبه ﴿ للحسنى ﴾ أى الحالة و الرتبة البالغة[3] فى الحسن حدا لا يوصف لأنى أهل لذلك ، و الدليل على تأهلى له ما أنا فيه الآن من الخير ، و نسى ما يشاهده غالبا من أن كثيرا[4] من النعم يكون للاستدراج ، و من أن كثيرا من الناس يكون فى غاية النعمة فيصبح و قد أحاطت به كل نقمة ، فهو بين أمنيتين فى الدنيا بقوله[5] هذا[6] ، و فى الآخرة يقول : يا ليتنى كنت ترابا ، فلا يزال فى المحال[7] - نعوذ بالله من سوء الحال .

/ ٦١٤

و لما كان هذا هو الكفر الصراح[8] لنسيان نعمة المنعم و جعله الإنعام

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التى هى (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التى (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : كثير (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يقول (٦) زيد فى الأصل : لى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحال (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصريح .

من الواجب اللازم و شكه فيما اخبر سبحانه[1] على السنة جميع الرسل انه محط حكمته ، سبب عنه سبحانه قوله ، مؤكدا فى نظير تأكيد هذا الناسى :

﴿ فلننبئن ﴾ أى تنبئة عظيمة بحير الوصف فيها مستقصاة على سبيل العدل ، و جعل موضع الضمير الوصف تصريحا بالعموم و بيانا للعلة الموجبة فقال : ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دلت عليه العقول ، و أوجبته صرائح النقول ، من إقامة الساعه لإظهار جلاله و جماله ، و من أنه تعالى يحل بالإنسان السراء و الضراء ليخافه و يرجوه و يشكره و يدعوه ﴿ بما عملوا ﴾ لاندع منه قليلا و لا كثيرا [2]صغيرا و لا كبيرا ، فليرون عيانا ضد ما ظنوه فى الدنيا من ان لهم الحسنى "و قدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا" ﴿ و لنذيقنهم ﴾ بعد إقامة الحجه عليهم بموازين القسط الوافية لمثاقيل الذر ﴿ من عذاب غليظ ۝ ﴾ لا يدع جهة من اجسامهم و لا قواهم إلا أحاط بها و لا تقوى على دفعه قواهم .

و لما بين جهل الإنسان فى حالات مخصوصة باليأس عند [مس -[3]] الشر ، و الأمن عند ذوق النعمة بعد الضر ، بين حاله عند النعمة مطلقا و دعاءه عند الشر و إن كان قانطا تكريرا لتقلب أحواله و تناقض [4]أقواله و أفعاله[4] تصريفا لذلك على وجوه شتى ليكون داعيا له[5] إلى عدم الأنفة من الرجوع عن الكفر إلى الإيمان ، و مسقطا عنه[6] خوف الشبه[7]

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) زيد فى الأصل : و لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤-٤) من م ، و فى الاصل و ظ و مد : أفعاله و أقواله (٥) سقط من م (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : عند (٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : السيئة .

بذلك و النسبة إلى الخفة و عدم الثبات ، فقال معبرا بأداة التحقيق دلالة على غلبة نعمه تعالى فى الدنيا لنقمه ، و دلالة على حالة الإنسان عند [1] مس النعمة من جهة يتوقعها بعد بيان حاله عند مسها بغتة من غير توقع تأكيدا لبيان جهله حيث جعل ظرف النعمة ظرفا للاعراض من غير خوف من نزعها على قرب عهده بالضر : ﴿ و اذآ انعمنا ﴾ بما لنا من العظمة [2] و الإحسان [2] ﴿على الانسان﴾ أى الواقف مع نفسه نعمة تليق بعظمتنا ، فسه الخير ، [و لم يعبر فى هذا الجانب بما عبر به فى الذى بعده إيذانا بأن المعرض مسيء لمجرد الإعراض لا المبالغة فيه فقال - [3]] : ﴿ اعرض ﴾ أى انحرف عن سواء القصد إلينا عنا فى جميع مدة النعمة - بما أفهمه الظرف ، فلم يقيد تلك النعمة بالشكر بعد ما راى من حلالنا ، قاطعا بأن تلك النعمة خير محض ظاهرا و باطنا فهو يستديمها ، و ربما كانت [بلاء - [4]] استدراجا [2] و امتحانا [2] ﴿ و نا ﴾ أى أبعد [5] إبعادا شديدا بحيث [5] جعل بيننا و بينه حجابا عظيما [2] حال كونه مال [2] ﴿بجانبه ج﴾ أى بشقه كناية عن / تكبره و بأوه و إعجابه بنفسه و زهوه و تصويرا له بمن [كلمته - [3]] فازور عنك و التوى ، و أبعد فى ضلاله و غوى . / ٦١٥

و لما تقدم حال الإنسان عند مس الشر بغتة ، بين حاله عند مسه

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) زيد ما بين الحاجزين من م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد. (٥-٥) فى ظ و م و مد : بعدا .

و هو يتوقعه ، فقال معبرا فى جانب الشر بأداة التحقيق على غير عادة القرآن فى الأغلب ، ليدل على أنه لزيادة جهله على الحد يلزم الكبر و إن كان يتوقع الشر و لا يزال حاله حال الآمن إلى أن يخالطه و حينئذ تنحل عراه و تضمحل قواه : ﴿ و اذا مسه الشر ﴾ أى هذا النوع قليله و كثيره لانتقامنا منه ، فالآية من الاحتباك : ذكر الإنعام أولا دليل[1] الانتقام ثانيا و ذكر الشر ثانيا دليل الخير أولا ، و سره تعليم الأدب بنسبة الإنعام دون الشر إليه و إن كان الكل منه[2] .

و لما كان تعظيم العرض دالا على عظمة الطول ، قال معبرا بما يدل على الملازمة و الدوام : ﴿فذو دعآء﴾ أى فى كشفه ، و ربما كان نعمة باطنة و هو لا يشعر و لا يدعو إلا عند المس ، و قد كان [ينبغى -[3]] له أن يشرع فى الدعاء عند التوقع بل قبله تعرفا إلى الله تعالى فى الرخاء ليعرفه فى الشدة و هو خلق شريف لا يعرفه[4] إلا أفراد خصهم الله بلطفه ، فدل تركه له على عدم شكره لما مضى و خفة عقله لما يأتى و مفاجأته للزوم الدعاء عند المس على عدم صبره و تلاشى جلده و قلة حيائه ﴿عريض ۝﴾ أى مديد العرض جدا ، و أما طوله فلا تسئل[5] عنه ، و هذا كناية عن النهاية فى الكثرة .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دليلا على (٢) زيد فى الأصل : فى الحقيقة قدر الخير وأراده و ضده ولم يريده ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا يفعله (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلا شكل .

و لما

و لما ذكر سبحانه من أحوالهم المندرجة فى [أحوال -[1]] هذا النوع كله ما هو مكشوف بشاهد[2] الوجود من أنه لا ثبات لهم لاسيما عند الشدائد إعلاما بالعراقة فى الجهل و العجز، دل على الأمرين معا بما لا يمكن عاقلا دفعه من أنهم لا يجوزون[3] الممكن فيعدون له ما يمنعه على تقدير وقوعه، فأمره صلى الله عليه و سلم أن يذكر ذلك إيذانا بالإعراض عنهم دليلا على تناهى الغضب فقال: ﴿ قل ارءيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان كان ﴾ اى هذا القرآن الذى نصبتم لمغالبته[4] حتى بالإعراض عن السماع باللغو حال قراءته من الصفير[5] و التصفيق و غير ذلك، و ليس ذلك[6] منكم صادرا[7] عن حجة قاطعة فى أمره أنتم معها على يقين [بل هو -[1]] عن خفة و عدم تأمل منكم أنه ﴿ من عند الله ﴾ الذى له الإحاطة بجميع صفات الجلال و الجمال فهو لا يغالب.

و لما كان الكفر به على هذا التقدير فى غاية البعد، و كان مقصود السورة دائرا على العلم، نبه على ذلك بأداة التراخى مع الدلالة على أن ذلك ما كان منهم إلا بعد تأمل طويل، فكانوا معاندين حتى نزلوا بالصفير[7] و التصفيق عن[8] أعلى رتب الكلام[9] إلى أصوات الحيوانات العجم فقال:

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مشاهد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا يجيزون (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لمبالغته (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التصفير (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صادرا منكم (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالتصفير (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الكمال.

﴿ثم كفرتم به﴾ أى بعد إمعان[1] النظر فيه و التحقق لأنـه حق ، / فكنتم بذلك فى شقاق هو فى غاية البعد من الملاءمه لمن لم يزل يستعطفكم بجميل أفعاله ، و يردكم بجليل[2] اقواله و آمن به غيركم لأنه من عند الله ﴿من اضل﴾ منكم - هكذا كان الأصل و لكنه قال : ﴿ممن هو فى شقاق﴾ أى لأولياء الله ﴿بعيد﴾ تنبيها على انهم صاروا كذلك ، و أن من صار كذلك فقد عرض[3] نفسه لسطوات الله و تعالى التى من واقعته هلك لامحالة ، و من اهدى ممن هو فى إسلام قريب و هو الذى آمن لأنه سالم الله الذى من سالمه سالمه كل شىء ، فنجا من كل خطر[4] - فالآية من الاحتباك : ذكر الكفر اولا دليلا على الإيمان ثانيا ، و الضلال ثانيا دليلا على الهدى أولا ، و سره ان [5]ذكر المضار[5] اصدع للقلب فهو أنفع [6]فى الوعظ[6] .

و لما كان هذا محزنا للشفوق[7] عليهم لإفهامه لشدة بعدهم عن الرجوع ، قال منبها على أنه إذا أراد سبحانه قرب ذلك منهم غاية القرب لافتا القول إلى مظهر العظمة إيذانا بسهولة[8] ذلك عليه : ﴿سنريهم﴾ اى عن قرب[9] بوعد لا خلف فيه ﴿آيٰتنا﴾ أى على ما لها[10] من العظمة

(١) فى م و مد : انعام (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بجميل (٣) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٤) زيد فى الأصل : عظيم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الضلال (٦ - ٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للوعظ (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للشقوق (٨) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : لسهولة . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قريب (١٠) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : لنا .

و لما ذكر سبحانه من أحوالهم المندرجة فى [أحوال - [1]] هذا النوع كله ما هو مكشوف بشاهد[2] الوجود من أنه لا ثبات لهم لاسيما عند الشدائد إعلاما بالعراقة فى الجهل و العجز، دل على الأمرين معا بما لا يمكن عاقلا دفعه من أنهم لا يجوزون[3] الممكن فيعدون له ما يمنعه على تقدير وقوعه، فأمره صلى الله عليه و سلم أن يذكر ذلك ٥ إيذانا بالإعراض عنهم دليلا على تناهى الغضب فقال: ﴿ قل ارءيتم ﴾ أى أخبرونى ﴿ ان كان ﴾ اى هذا القرآن الذى نصبتم لمغالبته[4] حتى بالإعراض عن السماع باللغو حال قراءته من الصفير[5] و التصفيق و غير ذلك، و ليس ذلك [6] منكم صادرا[6] عن حجة قاطعة فى أمره أنتم معها على يقين [بل هو - [1]] عن خفة و عدم تأمل منكم أنه ﴿ من عند الله ﴾ ١٠ الذى له الإحاطة بجميع صفات الجلال و الجمال فهو لا يغالب.

و لما كان الكفر به على هذا التقدير فى غاية البعد، و كان مقصود السورة دائرا على العلم، نبه على ذلك بأداة التراخى مع الدلالة على أن ذلك ما كان منهم إلا بعد تأمل طويل، فكانوا معاندين حتى نزلوا بالصفير[7] و التصفيق عن[8] أعلى رتب الكلام[9] إلى أصوات الحيوانات العجم فقال: ١٥

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مشاهد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا يجيزون (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لمبالغته (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التصفير (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صادرا منكم (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالتصفير (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الكمال.

﴿ثم كفرتم به﴾ أى بعد إمعان[1] النظر فيه و التحقق لأنــه حق، / فكنتم بذلك فى شقاق هو فى غاية البعد من الملاءمه لمن لم يزل يستعطفكم بجميل أفعاله، و يردكم بجليل[2] اقواله و آمن به غيركم لأنه من عند الله ﴿من اضل﴾ منكم - هكذا كان الأصل و لكنه قال: ﴿ممن هو فى شقاق﴾ أى لأولياء الله ﴿بعيد﴾ تنبيها على انهم صاروا كذلك، و أن من صار كذلك فقد عرض[3] نفسه لسطوات الله و تعالى التى من واقعته هلك لامحالة، و من أهدى ممن هو فى إسلام قريب و هو الذى آمن لأنه سالم الله الذى من سالمه سالمه كل شىء، فنجا من كل خطر[4] - فالآية من الاحتباك: ذكر الكفر اولا دليلا على الإيمان ثانيا، و الضلال ثانيا دليلا على الهدى أولا، و سره ان [5]ذكر المضار[5] اصدع للقلب فهو أنفع [6]فى الوعظ[6].

و لما كان هذا محزنا للشفوق[7] عليهم لإفهامه لشدة بعدهم عن الرجوع، قال منبها على أنه إذا أراد سبحانه قرب ذلك منهم غاية القرب لافتا القول إلى مظهر العظمة إيذانا بسهولة[8] ذلك عليه: ﴿سنريهم﴾ اى عن قرب[9] بوعد لا خلف فيه ﴿آيٰتنا﴾ أى على ما لها[10] من العظمة

(١) فى م و مد: انعام (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بجميل (٣) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٤) زيد فى الأصل: عظيم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الضلال (٦ - ٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: للوعظ (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للشقوق، (٨) من م و مد، و فى الاصل و ظ: لسهولة. (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قريب (١٠) من م و مد، و فى الاصل و ظ: لنا.

﴿ فى الأفاق ﴾ اى النواحى، جمع افق كعنق و أعناق، أبدلت الهمزة الثانية ألفا لسكونها بعد مثلها[1]. أى و ما ظهر من نواحى الفلك او مهب الرياح، و ذلك بما يفتح [الله من - [2]] البلاد بغلب اهلها بوقائع كل واحد منها علم من أعلام النبوة، و شاهد عظيم كاف فى صحة الرسالة، تصديقا لوعده سبحانه و ما أهلك من أهلها لنصر أنبيائه و رسله و بما فيها من عجائب الصنع و غرائب الآثار و الوضع باختلاف الأحكام مع اتفاق جواهرها فى التجانس - و غير ذلك من الآيات المشاهدة بالبصر اللاتى يشرحها بآيات السمع.

و لما كان الإيمان بالغيب هو المعتبر، و كل ما كان اقرب إليه كان أقرب إلى الكمال، و كانت آيات الآفاق أقرب إلى ذلك، بدا بها، ثم قال: ﴿ و فى انفسهم ﴾ أى من فتح مكة و ما أصابهم من سنى الجوع و قصة أبى بصير و نحو ذلك، و تفصل لهم مع ذلك ما فى الآدمى نفسه من بدائع[3] الآيات و عجائب الخلق و غرائب الصنعة و ما فه من أمارات الحدوث و اختلاف الأوصاف و غير ذلك من الشواهد المطابقة لما تضربه من الأمثال و الدلائل المعقولة عند اعتبار الأقوال و الأفعال، و بما فى بلاد العرب من الآيات المرئية من نفى الشرك بعد إسراعهم إليه و إطباقهم عليه و إثبات التوحيد عن جميعهم بعد إبعادهم عنه و قتالهم الداعى إليه، و قد بين سبحانه فى هذه [4]من آيات[4] الآفاق فى آية

(١) فى م: بمثلها (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بديع (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الآيات.

" انكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين " و ما شاكلها، و فى الأنفس فى آيات "فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود [١] و الذين من بعدهم [١]" و نحوها، و آيات " لا يسئم الانسان من دعاء الخير" إلى آخرها الدالة على أن الإنسان مبنى أمره على الجهل و العجز، فأكثر ما يتصوره [٢] ليس كما تصوره، فعليه أن يتأمل كتاب ربه و يتدبره - [١] و الله أعلم [١]، / قال الرازى فى اللوامع: الاستدلال بالأفعال على فاعلها واضح و طريق لائح، و الأفعال على قسمين أحدهما الآفاق و هو جملة العالم، و الثانى النفوس، فان من عرف نفسه عرف ربه، أى من عرف روحه و كونها جوهرا متصرفا فى البدن تصرف التدبير و علم صفاتها من أنها باقية بغير البدن لايحتاج فى قوامها إلى البدن، بل البدن محتاج إليها و أنها محل المعرفة [٣] فمن عرف أمثال هذه المعارف عرف ربه و صفاته من وحدانيته و علمه و قدرته و إرادته و تصرفه فى جملة العالم يعنى و أن وجوده تعالى مباين وجود غيره.

/ ٦١٧

و لما كان التقدير: و [٤] لا نزال نواتر [٤] ذلك شيئا فى أثر شىء، عطف عليه قوله: ﴿ حتى يتبين لهم ﴾ غاية البيان بنفسه من غير إعمال فكر ﴿ انه ﴾ أى القرآن ﴿ الحق [٤] ﴾ الكامل فى الحقية [٥] الذى تطابقه [٦] الوقائع

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تصوره (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معرفة (٤ - ٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لايزال متواتر (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحقيقة (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يطابق.

و تصادقه

و تصادقه الأحوال العارضة و الصنائع ، فيجتمعوا عليه و يقبلوا بكل قلوبهم إليه ، فلا يأباه فى جزيرة العرب إنسان ، و لا يختلف فيه منهم اثنان ، ثم ينبثون[1] فى أرجاء الأرض بطولها[2] و العرض فيظهر بهم على سائر الأديان ، و يبيد على أيديهم أهل الكفران ، فى سائر البلدان ، و يزول كل طغيان ، فيكون ظهورهم فى هذا الوقت و ضعف المؤمنين بعد أن ٥ كان سببا لازديادهم من الكفر عظة لهم و لكل من يأتى بعدهم يوجب الثبات فى محال الزلزال[3] علما بأن الله أجرى عادته أن يكون للباطل ريح تخفق ثم تسكن ، و دولة تظهر ثم تضمحل ، و صولة تجول ثم تحول .

و لما كان هذا القول منبها على أن [فى -[4]] الآفاق و الأنفس من الآيات المرئية التى يقرأها أولو الأبصار بالبصائر ، و يتأملها أهل ١٠ الاعتبار بأعين السرائر ، أمرا لايحيط به الوصف ، فكان حاديا[5] على تجريد[6] الأفكار للنظر و الاعتبار ، و الوقوف على بعض ما فى ذلك من لطائف الأسرار ، كان كأنه قيل : ألم يروا بعقولهم ما فى ذلك من الأدلة على أن القرآن من عند الله فيكفيهم عن شهادة شىء خارج عن أنفسهم ، [عطف عليه -[4]] قوله : ﴿ او لم يكف ﴾ و أكد بادخال ١٥ الجار ، و حقق الفاعل فقال مؤكدا بالباء و محققا أنه الفاعل صارفا القول

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يثبتون (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : طولها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الزلازل (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حاويا (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تحديد .

إلى وصف الإحسان إيذانا بالرفق بهم بردهم إليه[1] دون ارتكابهم ما يوجب نكالهم و إهلاكهم و استئصالهم : ﴿ بربك ﴾ اى المحسن إليك بهذا البيان المعجز للانس و الجان شهادة بأنه من عنده ﴿ انه ﴾ أى أو لم يكف شهادة ربك[2] لانه ﴿ على كل شيء شهيد ﴾ لا يغيب عنه ٥ شيء من الأشياء ، لا هذا القرآن و لاغيره ، و قد شهد لك فيه باعجازه لجميع الخلق بكل ما تضمنته آياته ، و نطقت به كلماته ، ففيه أعظم بشارة بتمام أمر الدين و ظهوره على المعتدين ، و ذلك لأن كل احد يجد فى نفسه أنه إذا أراد ثبوت حق ينكره من هو عليه و لصاحب الحق من الشهود ما يتحقق قولهم فيه و وصوله بهم إليه أنه يكون مطمئنا لايزعج ٦١٨ / ١٠ بالجحد علنا منه بأن حقه / لابد أن يظهر و يخزى معانده و يقهر[4] ، و فى هـذا تأديب لكل من كان على حق و لا يجد من يساعده على ظهوره فان الله شاهده فلا بد ان يظهر أمره فتوكل على الله إنك على الحق المبين .

و لما لم يبق بعد هذا لمتعنت[5] مقال ، و لا شبهة أصلا لضال ، كان ١٥ موضع المناداة على من استمر على عناده بقوله مؤكدا لادعائهم[6] أنهم على جليه من أمرهم ، ﴿ الآ انهم ﴾ أى الكفرة ﴿ فى مرية ﴾ اى جحد و جدال و شك و ضلال عن[6] العث ﴿ من لقآء ﴾ و صرف القول

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : إلى (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بربك (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقهره (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المتعنت (٥) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : لا علايهم . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : على .

[إلى -[1]] إضافة وصف الإحسان [إليهم -[1]] إشارة إلى أنه لابد من كمال تربيتهم بالبعث لأنه أحكم الحاكمين فقال: ﴿ ربهم[4] ﴾ أى المحسن إليهم بأن خلقهم و رزقهم للحساب و الجزاء بالثواب و العقاب كما هو شان كل حكيم فيمن تحت أمره .

و لما كانوا مظهرين [2] الشك فى القدرة[2] على البعث ، قرره إعلامهم معترفون به من قدرته على كل شىء من البعث و غيره فقال : ﴿ الآ انه ﴾ اى هذا المحسن إليهم ﴿ بكل شىء ﴾ أى من الأشياء جملها و تفاصيلها كلياتها و جزئياتها أصولها و فروعها غيبتها و شهادتها ملكها و ملكوتها ﴿ محيط ع ﴾ قدرة و علما من كثير الأشياء و قليلها كليها و جزئيها ، فعما قليل يجمعهم على الحق و يبدلهم[4] بالمرية إذعانا و بالشك يقينا و برهانا[5] ، فرحمته عامة لجميع أهل الوجود و خاصة لمن من عليه بالإيمان الموصل إلى راحة الأمان ، فكيف يتصور فى عقل أن يترك البعث ليوم الفصل الذى هو مدار الحكمة ، و محط إظهار النعمة و النقمة ، و قد علم بذلك انطباق آخرها المادح للكتاب المقرر للبعث و الحساب على أولها المفصل للقرآن المفيض لقسمى الرحمة : العامة و الخاصة لأهل الأكوان ، على ما اقتضاه العدل و الاحسان ، بالبشارة لأهل الإيمان ، و النذارة لأهل الطغيان - و الله الهادى [6] و عليه التكلان[6] .

---

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى الشك القدرة (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قررهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يبداه (٥) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : برهانه .
(٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

سورة حم عسق[1] و تسمى أيضا[2] عسق [و الشورى -[3]]

مقصودها الاجتماع على الدين الذى أساسه[4] الإيمان، و أم دعائمه[5] الصلاة، و روح أمره الألفة بالمشاورة المقتضية لكون أهل الدين كلهم فيه سواء كما أنهم فى العبودية لشارعه سواء، و أعظم نافع فى ذلك الإنفاق و المؤاساة فيما فى اليد، و العفو و الصفح عن المسىء، و الإذعان للحق فى الخضوع للآمر الحق و إن صعب و شق، و ذلك كله الداعى إليه هذا الكتاب الذى هو روح جسد هذا الدين المعبر عما دعا إليه من محاسن الأعمال، و شرائف الخلال بالصراط المستقيم، و إلى ذلك لوح آخر السورة الماضية "حتى يتبين [لهم -[6]] أنه الحق" "الا انه بكل شىء محيط"، و صرح ما فى هذه[7] من قوله "اقيموا الدين و لا تتفرقوا فيه الا المودة فى القربى" "استجيبوا لربكم" "نهدى به من نشاء من عبادنا" "و انك لتهدى الى صراط مستقيم" "الا الى الله تصير الامور" و تسميتها بالشورى / واضح المطابقة لذلك لما فى الانتهاء و كذلك بالأحرف /٦١٩ المتقطعة فانها جامعة للخارج الثلاثة[8]: الحلق و الشفة و اللسان، و كذا

(١) الثانية و الأربعون من سور القرآن الكريم مكية باستثناء بعض الآيات، و عدد آيها ثلاث و خمسون فى الكوفى و خمسون فيما عداه - راجع روح المعانى ٧ / ٥٠٣ (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اسبابه على (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: دعاية (٦) زيد من م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هذا. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الثلاث.

جمعها لصنفى المنقوطة و العاطلة ، و وصفى المجهورة و المهموسة ، و هى واسطة جامعة بين حروف أم الكتاب الذكر الأول ، و حروف القرآن العظيم ، و هذا المقصود هو غاية المقصود من أختها سورة مريم الموافقة لها فى الابتداء بالتساوى فى عدد الحروف المقطعة ، وفى الانتهاء من حيث أن من اختص بمصير الأمور ، كان المختص بالقدرة على إهلاك القرون ، ٥ و ذلك لأن مقصودها اتصافه تعالى بشمول الرحمة بافاضة جميع النعم على جميع خلقه ، و غاية هـذا الاجتماع على الدين ، و لما توافقتا فى المقصود و فى الابتداء و الانتهاء ، و اختصت الشورى بأن حروفها اثنان ، دل سبحانه بذلك أرباب البصائر على أنه إشارة إلى أن الدين قسمان : أصول و فروع ، دلت مريم على الأصول " ذلك عيسى بن مريم قول ١٠ الحق الذى فيه تمترون " ، و ان الله ربى و ربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ، " هل تعلم له سميا " و الشورى على مجموع الدين أصولا و فروعا "شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا و الذى اوحينا اليك" - الآية ، هذا موافقة البداية ، و أما موافقة النهاية فهو انهما[1] ختمتا بكلمتين : أول كل منهما آخر الأخرى [2]و آخر كل أول الأخرى[2] إيذانا بأن السورتين ١٥ دائرة واحدة محيطة بالدين متصلة لا انفصام لها ، و ذلك أن آخر مريم أول الشورى و آخر الشورى أول مريم " فانما يسرنه بلسانك" ، الآية " هو كذلك يوحى اليك و الى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم " "و كذلك اوحينا اليك روحا من امرنا" " [3]ما كنت تدرى ما الكتب[3]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انما (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م و مد .

"ولا الايمان[1]" إلى آخرها هو "ذكر رحمة ربك عبده زكريا" - إلى آخر القصة فى الدعاء بارث[2] الحكمة و النبوة الذى روحه الوحى و الله[3] الهادى ، وكذا[4] تسميتها ببعضها بدلالة الجزء على الكل[5] ﴿بسم الله﴾ الذى أحاط بصفات الكمال ، فنفذ أمره ، فاستجاب له كل شيء طوعا أو كرها ﴿الرحمن﴾ الذى عمت رحمته [فهيأت -[6]] عباده لقبول أمره ﴿الرحيم﴾ الذى خص أولياءه بما ترتضيه[7] الإلهية من رحمته ، فجمع كلمتهم[8] على دينه عقدا و فعلا و مآلا . ﴿حم عسق ۝﴾ هذه الحروف يجوز أن تكون إشارة إلى كلمات منتظمة من كلام عظيم يشير إلى أن[9] معنى هذا الجمع يجوز ان يقال : حكمة محمد علت و عمت فعفت سقام القلوب ، و قسمت[10] حروفها قسمين موافقة لبقية أخواتها و بعدها آيتين ، و لم تقسم "كهيعص" لأنها آية واحدة [ولا أخت -[11]] لها ولم تقسم "المص" مثلا و إن كان لها اخوات لأنها آية واحدة ، و لم يعد فى شيء من القرآن حرف واحد آية ، و يجوز أن يعتبر مفردة فتكون إشارة إلى أسرار تملأ الأقطار ، و تشرح الصدور و الأفكار ، فان نظرت إلى مخارجها[12] وجدتها قد حصل الابتداء فيها بأدنى وسط

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٢) من ه و مد ، و فى الاصل و ظ : بارب (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هو (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كذلك (٥) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى ظ و م و مد : ترضاه (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كلهم (٩) سقط من م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سمت (١١) زيد من م و مد (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مجارى .

الحلق إلى اللسان باسم الحاء، و ثنى بأوسط حروف الشفة و هى الميم، و حصل الرجوع إلى وسط / الحلق بأقصاه من اللسان فى اسم العين، / ٦٢٠ و هو جامع للحلق و اللسان، و قصد رابعا إلى اللسان بالسين التى هى من أدناه إلى الشفتين و هو رأسه و لها التصاق بالشفتين و اتصال بأعلى الفم، ففيها بهذا الاعتبار جمع، ثم جعل بعد هذا الظهور بطونا إلى أصل ٥ اللسان، و هو أقصاه من الشفه بالقاف، و لاسم هذا الحرف جمع بالابتداء بأصل اللسان مع سقف الحلق و الاختتام بالشفة العليا و الثنيتين السفليين، فى هذه الحروف ثلاثة و هى أكثرها لها نظر بما فيها من الجمع إلى مقصود السورة، و قد اتسق الابتداء فيها فيما[1] كان من حرفين جمعهما مخرج بالأعلى ثم بالأدنى إشارة إلى أنه يكون لأهل هذا الدين بعد[2] ١٠ الظهور بطون كما كان فى أول الإسلام حيث [حصر -[3]] النبى صلى الله عليه و سلم و أقاربه فى الشعب، و ذلك أيضا إشارة إلى انه من تحلية الظاهر ينتقل إلى تصفية الباطن «من زين ظاهره بجمع الأعمال الصالحة صحح الله باطنه بالمراقبة الخالصة الناصحة» على أن فى هذا التدلى بشرى، بأن الحال الثانى يكون أعلى من الأول، كما كان [عند -[3]] الظهور ١٥ من الشعب بما حصل من نقض الصحيفة الظالمة الذى كان الضيق سببا له، لأن الثانى من مراتب هذه الحروف أقوى صفة مما هو اعلى منه مخرجا، فان الحاء لها من الصفات الهمس و الرخاوة و الاستفال

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بطل (٣) زيد من م و مد.

[و الانفتاح -] و الميم له من الصفات الجهر و الانفتاح و الاستفال و بين الشدة و الرخاوة ، و العين لها من الصفات ما للميم سواء ، و السين لها من الصفات ما للحاء ، و تزيد بالصفير ، و القاف له من الصفات الجهر و الشدة و الانفتاح و الاستعلاء و القلقلة[٢] فالحرف[٣] الأول أكثر صفاته الضعف ، و يزيد بالإمالة التى قرأ بها كثير من القراء ، و الثانى و الثالث على السواء ، و هما إلى القوة أرجح قليلا ، و ذلك كما تقدم من وسط الحال عند الخروج من الشعب ، و الرابع فيه قوة و ضعف و ضعفه أكثر ، فان فيه للضعف ثلاث[٤] صفات و للقوة صفتين ، و ذلك كما كان حال النبى صلى الله عليه و سلم عند آخر أمره بمكة المشرفة حين مات الوزيران خديجة رضى الله عنها و أبو طالب[٥] لكن ربما كانت الصفتان القويتان عاليتين على الصفات الضعيفة بما فيهما بالانتشار بالصفير و الجمع الذى مضت الإشارة إليه من الإشارة[٦] إلى ضخامة تكون باجتماع أنصار كما وقع من بيعة الأنصار ، و الخامس و هو الأخير كله قوة كما وقع بعد الهجرة عند اجتماع الكلمة و ظهور العظمة ، كما قال صلى الله عليه و سلم « فلما هاجرنا انتصفنا من القوم و كانت سجال الحرب بيننا و بينهم » ثم تكاملت القوة عند تكامل الاجتماع بعد قتال أهل الردة

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الفلقه (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و الحرف (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثلاثة (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاشارات .

بعد موته صلى الله عليه و سلم لاجرم انتشر أهل هذا الدين فى الأرض يمينا و شمالا ، فما قام لهم مخالف ، و لا وافقتهم[1] أمة من الأمم على ضعف حالهم و قلتهم[2] و قوة غيرهم و كثرتهم إلا دمروا عليهم فجعلوهم كأمس[3] الدابر ، و قد جمعت هذه الحروف كما مضى وصفى المجهورة و المهموسة [كانت -[4]] المجهورة أغلبها إشارة / إلى ظهور هذا الدين على كل دين ٥ / ٦٢١ كما حققه شاهد الوجود ، و صنفى[5] المنقوطة و العاطلة ، و كانت كلها عاطلة إلا حرفا واحدا ، إشارة إلى ان أحسن أحوال المؤمن أن يكون اغلب أحواله محوا لايرى له صفة من الصفات بل يعد فى زمرة[6] الأموات و إلى أن المتحلى بالأعمال الصالحة الخالصة من أهل القلوب من ارباب هذا الدين قليل جدا ، و كان المنقوط آخرها إشارة إلى أن نهاية المراتب ١٠ عند أهل الحق الجمع بعد المحو و الفرق ، و كان حرف الشفة من بين حروفها الميم ، و هى ذات الدائرة المستوية الاستدارة[7] إشارة إلى أن لأهل هذا الدين من[8] الاجتماع فيه و الانطباق عليه و الإطاقة به و الإسراع إليه ما ليس لغيرهم ، و إلى أن هم من القدم الراسخ فى القول المقتطع من الفم المختتم بالشفتين ما لايبلغه غيرهم بحيث أنه لا نهاية له ١٥

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وافقهم (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قوتهم (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كاسر (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صفا (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : زمرات (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : استدارة . (٨) سقط من م .

مع حسن استنارته بتناسب[1] استدارته، ثم إنك إذا بلغت نهاية الجمع فى هذه الأحرف بأن جمعت أعداد مسمياتها[2] و هو مائتان و ثمانية و سبعون إلى أعداد أسمائها، و هو خمسمائة و أحد و ثلاثون بلغ تسعا[3] و ثمانمائة، و فى السنة الموافقة لهذا العدد كانت ولادتى، فكان الابتداء فى هذا

٥ الكتاب الدينى حينئذ بالقوة القريبة من الفعل، و سنة انتهائى فيه بالفعل و هى سنة إحدى و ستين فى شعبان كان سنى إذ ذاك [قد -[4]] شارف أربعا و خمسين سنة، و هو موافق لعدد حرفى "دن" أمرا من الدين الذى هو مقصود السورة، فكأنه أمر إذ ذاك بالشروع فى الكتاب ليحصل مقصودها، و سنة وصولى إلى هذه السورة و هى سنة

١٠ إحدى و سبعين فى[5] شعبان منها كان سنى قد شارف أربعا و ستين سنة، و هو موافق لعدد [أحرف -[6]] "دين" الذى هو مقصود السورة، فأنا أرجو بهذا الاتفاق الغريب أن يكون ذلك مشيرا إلى أن الله تعالى يجمع بكتابى هذا الذى خصنى بالهامه و ادخر لى المنحة بحله و إبرامه، و اعتناقه و التزامه، أهل هذا الدين القيم جمعا عظيما جليلا جسيما، يظهر

١٥ له اثر بالغ فى اجتماعهم و حسن تأسيهم برؤس نقلته و أتباعه، و من الآثار الجليلة فى لحظها للجمع انه لما كان مقصود سورة مريم عليها

---

(١) زيد فى الأصل : استنارته و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : سمياتها (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد.

السلام بيان اتصاف الرحمن، المنزل لهذا القرآن، بشمول الرحمة لجميع الأكوان، و كانت هذه السورة لرحمة خاصة من آثار تلك الرحمة العامة، و هى الاجتماع على هذا الدين المراد ظهوره و علوه على كل دين و قهره لكل أمر، فكان لذلك محيطا قاهرا لحظ كل قاهر و ظالم، و كانت هذه الرحمة الخاصة - لنسبتها إلى الخلق - ثانية لتلك العامة و منشعبة[1] منها، كانت لكونها من أوصاف الخلق بمنزلة اليسار، و تلك لكونها من صفة الحق بمنزلة اليمين، ولذلك - و الله اعلم - قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى كتاب له فى الحرف: و لما كان ذلك - اى هذا الاسم المجتمع من هذه الأحرف المقطعة - أول هذه السورة مما ينسب[2] إلى أمر الشمال كان متى وضع[3] على أصابع اليسار ثم وضعت على هانجة ظلم أو جور استولى عليه بحكم إحاطة حكمة الله /، و كانت خمسها مضافة إلى خمس "كهيعص" المستولية على حكمة اليمين محيطا ذلك بالعشر المحيط بكل الحكمة التى مسندها الياء الذى هو أول العشر و محل الاستواء بما هو عائد وحدة الألف - انتهى. /٦٢٢

و لما كانت هذه الحروف - و الله أعلم - مشيرة إلى الاجتماع كما أشار إليه آخر السورة الماضية، قال الله سبحانه و تعالى: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل[4] هذا الإيحاء العظيم الشأن الذى أخبرك به ربك صريحا اول "فصلت" من [أن الإله -[5]] إله واحد و آخرها من انه ما يقال لك

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مشبهة (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يناسب (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: وقع (٤) فى م: بمثل. (٥) زيد من م و مد.

إلا ما قد قيل للرسل من قبلك ، و من أنه يجمع لك أمتك على هذا الدين بما يتبين لهم أن هذا القرآن هو الحق بما يريهم من الآيات البينات[١] و الدلالات الواضحات فى الآفاق و فى أنفسهم و بشهادته[٢] سبحانه بإعجاز القرآن لجميع[٣] الإنس و الجان و لاسيما إذا أقدم[٤] ضال على معارضته كمسيلمة فانه يتبين لهم الأمر بذلك غاية البيان ، و بضدها تتبين الأشياء ، و رمز لك به سبحانه تلويحا أول هذه السورة بهذه الأحرف المقطعة التى هى أعلى و أغلى من الجواهر المرصعة - إلى مثل ذلك ، فهما نوعان من الوحى : صريح و عبارة ، و تلويح و إشارة .

و لما كان المقصود الإفهام لأن الإيحاء منه سبحانه عادة مستمرة إلى جميع أنبيائه و رسله و البشارة له صلى الله عليه و سلم بتجديده له ، مدة حياته تثبيتا لفؤاده ، و دلالة على دوام وداده ، عبر بالمضارع الدال على التجدد و الاستمرار ، و تقدم فى أول البقرة نقلا عن أبى حيان و من قبله الزمخشرى و غيره أنه قد لا يلاحظ[٥] منه زمن معين ، بل يراد مطلق الوجود [فقال -[٦]] : ﴿ يوحى[٧] اليك ﴾ أى سابقا و لاحقا ما دمت حيا لا يقطع ذلك عنك أصلا توديعا و لا قلى[٧] بما يريد من أمره ، مما يعلى لك مقدارك ، و ينشر أنوارك و يعلى منارك .

---

(١) زيد فى الأصل : و الأدلة بل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمشادته ، (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بجميع (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قدم (٥) فى م : لا يلحظ .
(٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قلايره .

و لما

[و لما -[1]] كان الاهتمام بالوحى لمعرفة أنه حق - كما[2] إشارت إليه قراءة ابن كثير[3] بالبناء للمفعول - و الموحى إليه لمعرفة أنه رسول حقا [و كان -[1]] المراد بالمضارع مجرد إيقاع مدلوله[4] لايفيد الاستقبال صح أن [5]يتعلق به[5] قوله مقدما على الفاعل : ﴿ و الى الذين ﴾ و القائم مقام الفاعل فى قراءة ابن كثير ضمير يعود على « كذلك » . ٥

و لما كان الرسل مضى من تقدم فى بعض أزمنة القبل ، أدخل الجار فقال: ﴿ من قبلك ﴾ أي من الرسل الكرام و الأنبياء الأعلام ، بأن أمتك أكثر الأمم و أنك أشرف الأنبياء ، و أخذ على كل [منهم -[1]] العهد باتباعك ، و أن يكون من أنصارك و أشياعك . و لما قدم[6] ما هو الأهم من الوحى و الموحى إليه ، أتى بفاعل "يوحى" فى قراءة العامة ١٠ فقال: ﴿ الله ﴾ [أى -[7]] الذى له الإحاطة بأوصاف الكمال ، و هو مرفوع عند ابن كثير بفعل مضمر[8] تقديره الذى يوحيه . و لما كان نفوذ الأمر دائرا على العزة و الحكمة قال : ﴿العزيز﴾ [اى -[1]] الذى يغلب[9] كل شيء و لا يغلبه شيء ﴿ الحكيم ﴾ الذى يضع ما يصنعه[10] فى أتقن محاله ، فلأجل ذلك لايقدر أحد على نقض ما أبرمه ، و لا نقض ١٥

(١) زيد من م و مد (٢) فى م : لما (٣) راجع نثر المرجان ٦/ ٢٣٦ (٤) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سعا ، كذا مع يسير من البياض (٦) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : تقدم (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مقدر (٩) زيد فى الأصل و ظ : على ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٠) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : يضع .

ما احكمه[١] .

و قال الإمام أبو جعفر بن الزبير : لما تضمنت[٢] سورة غافر ما تقدم من بيان حالى[٣] المعاندين و[٤] الجاحدين ، و أعقبت[٥] بسورة السجدة بيانا[٦] ان حال كفار[٧] العرب فى ذلك كحال من تقدمهم و إيضاحا لأنه الكتاب العزيز و عظيم برهانه ، و مع ذلك فلم يجد على من قضى عليه تعالى بالكفر ، اتبعت السورتان بما اشتملت عليه سورة الشورى من ان ذلك كله إنما جرى على ما سبق فى علمه تعالى بحكم المشيئة [الأزلية -[٨]] " فريق فى الجنة و فريق فى السعير " " و ما انت عليهم بوكيل " " و لو شاء الله لجعلهم امة واحدة " " و لو لا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى لقضى بينهم " " [٩]لنا اعمالنا ولكم اعمالكم " " ولو لا كلمة الفصل لقضى بينهم[٩] " " و هو على جمعهم اذا يشاء قدير " " و ما انتم بمعجزين فى الارض " " و من يضلل الله فما له من سبيل " " ان عليك الا البلغ " " نهدى به من نشاء من عبادنا " فتأمل هذه و ما التحم بها مما لم[١٠] يجر فى السورة المتقدمة منه إلا النادر ، و محكم ما استجره[١١] ، و بناء هذه السورة

(١) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) فى م و مد : ضمنت (٣) من م ، وفى الاصل و ظ و مد : حال (٤) زيد فى الأصل : حال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد ، وفى و ظ : اعقب (٦) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : بيان إلى (٧) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : الكفار (٨) زيد من ظ و م و مد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من م (١٠) من م و مد ، وفى الاصل و ظ : ما (١١) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : استجده .

على ذلك و مدار آيها، يلح لك وجه اتصالها بما قبلها و التحامها بما جاورها .

و لما ختمت[1] سورة السجدة بقوله تعالى " الا انهم فى مرية من لقاء ربهم " أعقبها سبحانه بتنزيهه و تعاليه عن ريبهم و شكهم ، فقال تعالى " تكاد السمٰوٰت يتفطرن من فوقهن " كما أعقب بمثله فى قوله تعالى ٥ " و قالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا اذ تكاد السمٰوٰت يتفطرن منه " و لما تكرر فى سورة حم السجدة ذكر تكبر المشركين و بعد انقيادهم [2]فى قوله[2] تعالى "فاعرض اكثرهم و قالوا قلوبنا فى اكنة" إلى ما ذكر تعالى من حالهم المنبئة[3] عن بعد استجابتهم فقال تعالى فى سورة شورى " كبر على المشركين ما تدعوهم اليه " - انتهى . ١٠

و لما أخبر سبحانه أنه صاحب الوحى بالشرائع دائما قديما و حديثا ، علل ذلك بأنه صاحب الملك العام فقال : ﴿له ما فى السمٰوٰت﴾ أى من الذوات و المعانى ﴿و ما فى الارض﴾ كذلك . و لما كان العلو مستلزما للقدرة قال : ﴿و هو العلى﴾ أى على العرش الذى السماوات فيه علو رتبة و عظمة و مكانة لا مكان و ملابسة، فاستلزم ذلك أن تكون له السماوات ١٥ كلها و الأراضى كلها مع ما فيها ﴿العظيم﴾ أى فلا يتصور شىء فى وهم و لايتخيل فى عقل إلا و هو اعظم منه بالقهر و الملك ، فلذلك يوحى إلى من يشاء بما يشاء من إقرار و تبديل ، لا اعتراض لأحد عليه .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تضمنت هذه السورة (٢ - ٢) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : بقوله (٣) من م و مد، وفى لأصل و ظ : المسببة .

و لما كان هذا السياق[1] مفهما عظيم ملكه سبحانه و قدرته بكثرة ما فى الأكوان من الأجسام و المعانى التى هى لفظاعتها لا تحتمل ، قال مبينا لذلك : ﴿ تكاد السمٰوٰت ﴾ أى على عظم خلقهن و وثاقة إبداعهن ، و فلقهن[2] بما أعلم[3] به الواقع ، و نبه عليه بتذكير "تكاد" فى قراءه نافع و الكسائى[4] ﴿ يتفطرن ﴾ أى يتشققن و يتفرط أجزاؤهن مطلق انفطار فى قراءة [5]من قرأ[5] بالنون و خفف[4] و هم هنا ابو عمرو ويعقوب و شعبة[6] عن عاصم ، و تفطرا شديدا فى قراءة الباقين بالتاء المثناة من فوق مفتوحة و تشديد الطاء ، مبتدئا ذلك ﴿ من فوقهن ﴾ الذى جرت العادة أن يكون أصلب مما تحته ؛ فانفطار غيره من باب الأولى ، و ابتداء الانفطار من ثم لأن جهة الفوق أجدر بتجلى ما يشق حمله / من عظيم العظمة و الجلال و الكبرياء و العزة التى منها ما يحمل من الملائكة الذين[7] لا تسع عقولكم وصفهم على ما عليه من كل واحد منهم من عظم الخلق[8] فى الهيئة و الطول و المتانة و الكبر إلى غير ذلك مما لا يحيط به علما إلا الذى براهم[9] بحيث أن أحدهم إذا أشير له إلى الأرض حملها كما قال صلى الله عليه و سلم [10]« أقلت السماء و حق لها أن تئط[10] ما فيها موضع قدم

٦٢ / ١٠

١٥

(١) زيد فى الأصل : ملهما و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلعهن (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ابدع (٤) راجع نثر المرجان ٦/٣٣٧ (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) فى م : سعيد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التى (٨) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الخلقة (٩) فى م : يراهم (١٠) زيد فى الأصل و ظ : لها ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

إلا

إلا فيه ملك قائم يصلى »، و من غير ذلك من العظمة و الكبرياء و الجبروت و العلاء، او يكون انفطارهن من عظيم شناعة الكفر بالذى خلق الأرض فى يومين و جعلهم له أندادا كما قال فى السورة الماظرة لهذه سورة مريم " تكاد السمٰوٰت يتفطرن منه و تنشق الارض و تخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا " و نقص ما فى هذه عن تلك لأنه ٥ لم يذكر هنا الولد، و هذا كناية عن التخويف بالعذاب لأن من المعلوم أن العالى إذا انفطر تهيأ للسقوط، فاذا سقط أهلك من تحته[1] فكيف إذا كان من العلو و العظم و ثقل الجسم على صفة لايحيط بها إلا بارئها[2]، فذكر الفوق تصوير[3] لما يترتب على هذا الانفطار من البلايا الكبار، [و على - [4]] هذا يحسن أن يعود الضمير على الأراضى[5] التى كفروا ١٠ بفاطرها .

و لما بين ان سبب كيدودة انفطارهن جلالة[6] العظمة التى منها كثرة الملائكة و شناعة[7] الكفر، بين لها سببا آخر و هو عظم قولهم، فقال: ﴿ و الملٰئكة ﴾ أى و الحال أنهم، [و عدل عن التأنيث مراعاة للفظ إلى التذكير و ضمير الجمع، إشارة إلى قوة التسبيح و كثرة المسبحين ١٥ فقال - [4]] : ﴿ يسبحون ﴾ أى يوقعون التنزيه [8]و التقديس[8] لله سبحانه

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل : تحت (٢) من ظ و م و مد، وفى الأصل: با - مع يسير من البياض (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تصويرا (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، وفى الأصل و ظ : الأرض (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ : جلال (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : شياعه (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

و تعالى ملتبسين[1] ﴿بحمد ربهم﴾ أى باثبات الكمال للمحسن إليهم [تسبيحا يليق بما لهم - بما أشارت إليه الإضافة -[2]] دائما لا يفترون، فلهم بذلك زجل و أصوات لا تحملها العقول[3]، و لا تثبت لها الجبال، فلا تستبعدن ذلك، فكم من صاعقة سمعتها من السحاب فرجت لها الأرض فتصدعت لها الأبنية المتينة[4] و الجبال الصلاب، و لفت[5] القول إلى صفة الإحسان لمدح الملائكة بالإشارة إلى أنهم عرفوا إحسان المحسن و عملوا فى الشكر بما[6] اقتضاه إحسانه فصار تعريضا بذم الكفرة بما غطوا من إحسانه، و تذرعوا من كفرانه.

و لما كانوا[7] لما عندهم من العلم بجلال الله سبحانه يستحيون[8] منه سبحانه[9] كما يفعل[9] أهل الأرض و يقولون ما[10] لا يليق بحضرته الشماء و جنابه الأسمى، و كانوا[11] يعلمون مما جادلهم سبحانه عنهم أن له بهم عناية، فكانوا يرون أن الأقرب إلى رضاه الاستغفار لهم، فلذلك [عبر -[2]] عنهم سبحانه بقوله حاذفا ما اوجبه السياق فى "غافر" من ذكر الإيمان، إشارة إلى [أن -[2]] أقرب الخلق من[12] العرش كأبعد الناس فى الإيمان

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: متلبسين (٢) زيد من م ومد (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: القول (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ: المنبتة (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الفت (٦) من م ومد، وفى الاصل وظ: مما (٧) من م ومد، و فى الأصل وظ: كان الملائكة (٨) من ظ و م ومد، و فى الأصل: يسبحون (٩-٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: يفعل (١٠) فى م: مما (١١) من ظ وم و مد، وفى الأصل: كان (١٢) زيد فى الأصل: اله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

المشروط بالغيب إبلاغا فى التنزيه لأنه لامقتضى له هنا : ﴿و يستغفرون﴾ أى وهم مع التسبيح يطلبون الغفران ﴿لمن فى الارض[١]﴾ لما يرون من شدة تقصيرهم فى الوفاء بحق تلك العظمة التى لاتضاهى ، أما للمؤمن فمطلقا ، و أما للكافر فبتأخير[١] المعاجلة ، وكذا لبقية الحيوانات ، و ذلك لما يهولهم[٢] مما يشاهدونه من عظمة ذى الكبرياء و جلالة[٣] ذى الجبروت ، ٥ قال [ابن -[٤]] برجان : لم يشأ الله جل ذكره كون شيء [إلا -[٥]] قيض ملائكة من عباده يشفعون[٦] فى كونه ، و كذلك فى إبقاء ما شاء إبقاءه و إعدام ما شاء إعدامه ، و هذه أصول الشفاعة فلا تكن من الممترين ، / و ألطف من ذلك أن تكون كيدودة انفطارهن فى حال ٦٢٥ / تسبيح الملائكة و استغفارهم[٧] لما يرين من فوقهن من العظمة ، و من ١٠ تحتهن[٨] من ذنوب الثقلين ، فلولا ذكرهم انفطرن و حضر العذاب ، فعوجل الخلق بالهلاك ، و قامت القيامة ، و قضى الأمر ، و إذا كانت[٩] كيدودة الانفطار مع هذا التنزيه و الاستغفار ، فما ظنك بما يكون لو عرى[١٠] الأمر عنه و خلا منه ، و لذلك ذكر العموم هنا ولم يخص المؤمنين بالاستغفار كما فى " غافر " لما اقتضاه السياق هنا من العموم ، و لأن مقصود غافر ١٥

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ : فتاخير (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ : هولهم (٣) فى م ومد : جلال (٤) زيد من ظ و م ومد (٥) زيد من م (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيشفعون (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : استغفارهن (٨) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : تحتملن (٩) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : كان (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : عدى .

تصنيف الناس فى الآخرة صنفين ، و توفية كل ما يستحقه فناسب ذلك [إفراد - [1]] الذين تلبسوا بالإيمان ، و مقصود هذه الجمع على الدين فى الدنيا فناسب الدعاء للكل ليجازى كل[2] بما يستحقه من إطلاق [3]المغفرة فى الدارين[3] للمؤمن و تقييدها بالتأخير فى الدنيا للكافر .

٥ و لما كانت أفعال أهل الأرض و أقوالهم عظيمة المخالفة لما يرضيه سبحانه فهم يستحقون المعاجلة[4] بسببها ، أجاب من كأنه قال : هذا يستجاب لهم فى المؤمنين ، فكيف يستجاب [5]لهم فى الكافرين[5] ليجمع الكلام التهييب و التهويل فى أوله و البشارة و اللطف و التيسير فى آخره ، فقال لافتا القول عن صفة الإحسان إلى الاسم الأعظم تعريفا بعظيم

١٠ الأمر حملا على لزوم الحمد و إدامة[6] الشكر : ﴿ الآ ان الله ﴾ [أى - [1]] الذى له الإحاطة بصفات الكمال ، فله جميع العظمة ، و أكد لأن ذلك لعظمه لايكاد يصدق ﴿ هو ﴾ أى وحده ، [و رتب وصفيه سبحانه على أعلى وجوه البلاغة فبدأ بما أفهم إجابة الملائكة ، و أتبعه الإعلام بمزيد الإكرام فقال - [1]] : ﴿ الغفور الرحيم ﴾ أى العام الستر و الإكرام

١٥ على الوجه الأبلغ أما لأهل الإيمان فواضح دنيا و آخرة ، و أما لأهل الكفران فى الدنيا فهو برزقهم و يعافيهم و يملى لهم " و لو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة " و أما غير الله فلا يغفر

---

(١) زيد من م ومد (٢) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : كلا (٣ - ٣) فى الأصل وظ بياض ملأناه من م ومد (٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل: المعالجة. (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكم بالكافرين (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اداة.

لأهل

لأهل معصيته، و لو اراد ذلك ما تمكن .

و لما كان التقدير: فالذين تولوه و ماتوا فى ولايته فهو يغفر ذنوبهم بمعنى أنه يزيلها عينا و أثرا، عطف عليه قوله: ﴿ و الذين اتخذوا ﴾ اى عالجوا فطرهم الأولى و عقولهم حتى أخذوا ﴿ من دونه ﴾ اى [من -[1]] أدنى رتبة من رتبته ﴿ اولياء ﴾ يعبدونهم كالأصنام و كل من اتبع هواه فى شيء من الأشياء. فقد اتخذ الشيطان الآمر له بذلك وليا من دون الله بمخالفة امره .

و لما كان ما فعلوه عظيم البشاعة، اشتد التشوف إلى جزائهم عليه فأخبر [عنه -[1]] سبحانه بقوله معبرا بالاسم الأعظم إشارة إلى وضوح ضلالهم و عظم تهديدهم معريا[2] له عن الفاء لئلا يتوهم أن الحفظ مسبب عن الاتخاذ المذكور [عادلا إلى التعبير بالجلالة تعظيما لما فى الشرك من الظلم و تغليظا لما يستحق فاعله من الزجر -[1]]: ﴿ الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ حفيظ عليهم ﴾ أى رقيب و راع و شهيد على أعمالهم، لايغيب عنه شيء من أحوالهم، فهو إن شاء ابقاهم على كفرهم و جازاهم[3] عليه بما أعده للكافرين، و إن شاء تاب عليهم و محا ذلك عينا و أثرا، فلم يعاقبهم و لم[4] يعاتبهم، و إن شاء محاه عينا و أبقى الأثر حتى يعاتبهم[5] ﴿ و ما انت عليهم بوكيل ﴾ اى حتى

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م ومد، و فى الأصل: تعريا (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جزاهم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا.
(٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ليعاتبهم.

٦٢٦ / يلزمك ان تراعى جميع احوالهم من اقوالهم و أفعالهم ، / فتحفظها و تقسرهم[1] على تركها و نحو ذلك مما يتولاه الوكيل مما يقوم فيه مقام الموكل سواء قالوا " لا تسمعوا لهذا القرآن " أو قالوا " قلوبنا فى اكنة " أو غير ذلك .

٥ و لما كان الإيحاء السابق أول السورة للبشرى لأنها[2] المقصود بالذات و كانت البشرى مقتضية[3] تلويحا و رمزا بالأحرف المقطعة لاجتماع أهل الدين و غلبتهم على[4] سائر الأديان و أن دينهم يعم سائر الأمم و يحيط بجميع الخلق ، و لا يريد أحد بأهله سوءا إلا[5] كان له[6] فيه رفعة كما مضى بيانه ، [7]و كانت رمزا[7] لأن المقام للانذار بما تشهد به السورة ١٠ الماضية ، و كان المراد بها التكرار حتى لاتزال لذاذتها فى أذن المبشر و حلاوتها فى قلبه ، ذكرها بلفظ المضارع الدال على التجدد و التكرار و الحدوث و الاستمرار ، وكان المتعنت[8] ربما حمله[9] له على الوعد بالإيحاء [فى المستقبل -[10]] ، و كان العاقل يكفيه فى النذرى مرة واحدة فقال[11] معبرا بالماضى الدال على الإمضاء و القطع و القضاء الحتم فى كل من ١٥ الإيحاء و فائدته التى هى الإنذار ، عاطفا على ما يتصل بالآية السالفة المختومة

(١) فى ظ : تقرهم (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لأنه (٣) فى ظ : مقصودة (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى (٥) زيد فى الأصل و ظ : ان ، و لم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٦) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : لهم (٧-٧) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : كما رمز (٨) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : المتلفت (٩) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : يحمله (١٠) زيد من ظ و م ومد (١١) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : قال .

بنفي الوكالة مما تقديره: إنما عليك البلاغ بالبشارة و النذارة، و قد أوحينا إليك البشارة رمزا، كما جرت به عادة الأحباب فى محاورات الخطاب، و لفت القول إلى مظهر العظمة لأن الإنذار من مجازه[1]: ﴿ و كذلك ﴾ أي و مثل ذلك الإيحاء[2] الذى قدمنا أنا حبوناك به من وحى الإشارة بالحروف المقطعة ﴿ اوحينآ ﴾ بما لنا من العظمة مع الفرق بين كل ٥ ملبس ﴿ اليك قرانا ﴾ جامعا لكل حكمة[3] ﴿عربيا﴾ فهو بين الخطاب واضح الصواب معجز الجناب ﴿ لتنذر ﴾ أى به ﴿ ام القرى ﴾ مكة التى هى أم الأرض و أصلها، منها دحيت[4] و لشرفها اوقع الفعل عليها، عدا لها عداد العقلاء، ثم بين ان المراد أهلها بقوله: ﴿ و من ﴾ أى و تنذر من ﴿حولها﴾ و هم سكان جميع الأرض التى هى امها، و بذلك ١٠ فسره البغوى[5] فقال: قرى الأرض كلها، و كذا القشيرى و قال: العالم محدق بالكعبة و مكة لأنها سرة الأرض.

و لما كان مفعول " تنذر " الثانى على ما هدى إليه السياق ما عذبت به الأمم السالفة و القرون الماضية حين[6] تمادى بهم الكفر و غلب عليهم الظلم فى اتخاذهم أولياء من دون الله، عطف عليه: ﴿ و تنذر ﴾ اى أم ١٥ القرى و من حولها مع[7] عذاب الأمم فى الدنيا ﴿ يوم الجمع ﴾ أى لجميع الخلائق ببعثهم من الموت، حذف المفعول الأول من الشق الثانى،

(١) من ظ و مد، و فى الاصل و م: محاذة (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاحياء (٣) زيد فى الأصل: مهر - كذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: وحست (٥) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٦/٩٨ (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: حتى (٧) فى ظ: من.

والمفعول الثانى من الأول، فالآية [من الاحتباك -[1]]: ذكر المنذرين أولا دلالة على إرادتهم ثانيا، وذكر المنذر[2] به وهو يوم الجمع ثانيا دلالة على المنذر به من عذاب الأمم أولا، ليذهب [به -[3]] الوهم فى المحذوف كل مذهب، فيكون أهول، وذكر هذا المذكور ٥ أفخم وأوجل.

ولما كان الإنذار - وهو الإعلام بموضع المخافة[4] - تارة يكون عما لا علم به، وهو الأغلب، وتارة عما وقع العلم به ثم خالف المنذر [به -[3]] عليه فعمل[5] أعمال من لا علم له به، نبه على أن هذا من القسم الثانى بقوله فى جملة حالية: ﴿لاريب فيه[1]﴾ أى لأنه قد ركز[6] فى فطرة كل ١٠ أحد أن الحاكم إذا استعمل عبيده فى شىء ثم تظالموا فلا بد له بما تقتضيه السياسة من جمعهم / لينصف بينهم [و -[2]] إلا عد سفيها، فما ظنك بأحكم الحاكمين. ٦٣٧ /

ولما تشوف [السامع -[2]] إلى ما يفعل فى جمعهم، وكان الثقلان لما طبعوا عليه من النقصان أهل فرقة وطغيان، ذكر نهايته معبرا[8] بما ١٥ هو من الفرقة بقوله مسوغا الابتداء بالنكرة للتفصيل[9] أو تقرير الوصف: ﴿فريق﴾ أى من المجموعين أهل فرقة تداركهم الله بأن جعلهم أهل

(١) زيد من مد (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: المنذور (٣) زيد من م و مد (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ: المخالفة (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: بعمل (٦) من م ومد، وفى الأصل وظ: اركز (٧) زيد من ظ وم ومد (٨) من ظ وم و مد، وفى الأصل: معبر (٩) من ظ وم ومد، وفى الأصل: للتفضيل.

جمع ﴿فى الجنة﴾ فصلا منه و هم الذين قبلوا الإنذار و بالغوا فى الحذار ﴿و فريق﴾ أى منهم [أهل -[1]] فرقة خذلهم الله و وكلهم إلى أنفسهم فزادوا فى الفرقة ﴿فى السعير ه﴾ عدلا منه، قال القشيرى: كما أنهم فى الدنيا فريقان: فريق فى درجات الطاعة و [2]حلاوات العبادات[2]، و فريق فى ظلمات الشرك و عقوبات الجحد و الشك، فلذلك[3] غدا هم فريقان: فريق هم اهل اللقاء، و فريق[4] هم أهل البلاء و الشقاء، [روى الإمام أحمد[5] [عن -[6]] عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم و فى يده كتابان فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ قال: قلنا: لا، إلا ان تخبرنا يا رسول الله! قال للذى فى يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة و أسماء آبائهم و قبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، لايزاد فيهم و لا ينقص منهم أبدا، ثم قال للذى فى يساره: هذا كتاب أهل النار بأسمائهم و أسماء آبائهم و قبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، لايزاد فيهم و لا ينقص منهم أبدا، فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم: فلاىّ شىء نعمل إن كان هذا أمرا قد فرغ منه، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: سددوا و قاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة [و إن عمل أى عمل -[6]] و أن صاحب النار يختم له بعمل النار و إن عمل أى عمل، قال بيده

(١) زيد من م ومد (٢-٢) من ظ و م ومد، و فى الأصل: حلاوة العبادة.
(٣) من ظ وم ومد، و فى الأصل: فكذلك (٤) و من هنا انقطعت نسخة مد.
(٥) راجع مسنده ٢/١٦٧ (٦) زيد ولابد منه (٧) زيد من المسند.

فقبضها، ثم قال: فرغ ربكم عز و جل من العباد، ثم قال باليمنى فنبذ بها فقال: فريق فى الجنة، و نبذ باليسرى فقال: فريق فى السعير، قال ابن كثير: و هكذا رواه النسائى[1] و الترمذى جميعا[2]، و قال الترمذى: حسن صحيح غريب -[3]].

٥ و لما كان ملوك الدنيا غالبا لا يريدون أن يعصى أمرهم، فاذا حذروا من شيء أرادوا[4] أن لا يقرب، فان[5] فعله أحد كان فعله له خارجا عن مرادهم، فكانت عقوبتهم له لخروجه عن المراد شفاء لما حصل لهم من داء الغيظ، بين [أنه -[3]] سبحانه على غير ذلك، و أنه منزه[6] عن خروج شيء عن مراده، و عن أن يلحقه نفع بطاعة او ضر

١٠ بمعصية، و ان عقوبته إنما هى على مخالفة امره مع الدخول تحت مراده بالجائه و قسره، و هذا فى نفس الأمر، و أما فى الظاهر فالأمر أن لا يظهر [أنه -[3]] لشيء منهما مانع إلا صرف[7] الاختيار، فقال [صارفا القول عن مظهر العظمة استيفاء لإنذار ما هو حقيق به منها إلى الاسم الجامع صفات العظمة و غيرها لاقتضاء الحال له -[3]]: ﴿و لو شآء الله﴾

١٥ أى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ لجعلهم ﴾ أى المجموعين ﴿امة واحدة﴾ للعذاب أو الثواب و لكنه لم يشأ ذلك بل شاء أن يكونوا فريقين: مقسطين و ظالمين، ليظهر فضله و عدله و انه إله جبار واحد قهار،

---

(١) فى كتاب الإيمان (٢) فى جامعه ٢/٣٦ (٣) زيد ما بين الحاجزين من م.
(٤) من ظ و م، و فى الاصل: ارادا (٥) من م، و فى الأصل و ظ: فاذا.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: قهره (٧) من ظ و م، و فى الأصل: صرو.

لايبالى بأحد و هو معنى قوله : ﴿ و لكن يدخل من يشآء ﴾ اى إدخاله ﴿ فى رحمته ﴾ بخلق الهداية فى قلبه فتكون أفعالهم فى مواضعها و هم المقسطون ، و يدخل من يشاء فى نقمته بخلق الضلال فى قلوبهم فيكونون ظالمين ، فلا يكون لهم [فعل[1]] فى حاق موضعه ، فالمقسطون ما لهم من عدو و لانكير ﴿ و الظلمون ﴾ أى العريقون فى الظلم الذين شاء ٥ ظلمهم فيدخلهم فى لعنته ﴿ ما لهم من ولى ﴾ يلى[2] أمورهم فيجتهد[3] فى إصلاحها ﴿ و لانصير ه ﴾ ينصرهم من الهوان[4] ، فالآية من الاحتباك ، و هو ظاهر ذكر الرحمة أولا دليلا على اللعنة ثانيا ، و الظلم و ما معه ثانيا دليلا على أضداده أولا ، و سره أنه ذكر السبب الحقيق فى اهل السعادة ليحملهم على مزيد الشكر ، و السبب الظاهرى فى أهل الشقاوة لينهاهم ١٠ عن الكفر .

و لما كان التقدير : هل قصر هؤلاء الذين تنذرهم همهم و عزائمهم و أقوالهم و أفعالهم على الله تعالى اتعاظا و انتذارا بهذا الكلام المعجز ، عادل به قوله : ﴿ام اتخذوا﴾ أى عالجوا فطرهم الشاهدة بذلك بشهادة أوقات الاضطرار[5] حتى لفتوها عنه سبحانه فأخذوا ﴿من دونه اولياء ج﴾ ١٥ هم عالمون بأنهم لايغنون عنهم شيئا ، و لهذا قال : ﴿فالله﴾ أى فتسبب[6] عما أفهمته صيغة الافتعال من أنهم عالمون بأنه وحده الضار النافع علمهم

(١) زيد من م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : على (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يجتهد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الهول (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الاضطرارات (٦) من م ، و فى الاصل و ظ : تسبب .

بأنه ﴿ هو ﴾ وحده ﴿ الولى ﴾ لا غيره، ويجوز ان يكون مسببا عن هذا الاستفهام الإنكارى التوبيخى كأنه قيل: هل قصروا هممهم عليه سبحانه، فسبب[1] أنه وحده المستحق لما يقصدونه من التولى ﴿ و هو ﴾ أيضا[2] وحده [3]لاغيره[3] ﴿ يحى الموتى ﴾ أى يجدد إحياءهم فى أى[4] وقت يشاءه ﴿ و هو ﴾ [أى ـ[5]] وحده[6] ﴿ على كل شىء قدير ﴾ أى بالغ القدرة / لايشاركه شىء فى ذلك بشهادة كل عاقل، و أكده بالقصر لأن شركهم بالأولياء إنكار لاختصاصه بالولاية. ٦٢ /

ولما كانوا جميعا يقرون بجميع ما وصف به نفسه المقدسة فى هذه الآية عند الشدائد، بعضه تصريحا من الوحدانية فى الولاية و الإحياء فى هذه الدار و القدرة على كل شىء، و بعضه لزوما و هو الإحياء بالبعث، تسبب عن ذلك قطعا ان يقال مع صرف القول إلى الخطاب إشارة إلى أنه تعالى قرب إليهم كل خير [7]و قرب[7] إليهم فهم الوحدانية لعقولهم بعد أن فطرهم على لزومها عند الاضطرار[8]، فما اتفقتم فيه[9] من أمره سبحانه فهو الحق، و ذلك هو اصل الدين الذى أطبق عليه الخلائق فى وقت الاضطرار، لم يتلعثم فيه منهم ضعيف، و لاجبار منيف، عطف عليه قوله:

(١) من م، و فى الأصل و ظ: سبب (٢) سقط من ظ و م (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) فى م: كل (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل: لاشريك له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من م، و فى الأصل و ظ: فقرب (٨) من م، و فى الأصل و ظ: الاضرار (٩) من ظ و م، و فى الأصل: عليه.

وما

﴿و ما اختلفتم﴾ اى ايها الخلق ﴿ فيه من شيء ﴾ و ذلك هو الفروع مطلقا و الأصول فى حال الرفاهية ﴿ فحكمه الى الله[1] ﴾ أى[1] الذى هو الولى لا غيره و هو القدير لاغيره، فلا يخرج شيء عن أمره، فحصوا عنه تجدوه فى كتابه لأن[2] فيه تبيان كل شيء، فان قصرت أفهامكم عن إخراجه منه فاطلبوه فى سنة نبيه صلى الله عليه و سلم، فان عز عليكم ٥ فى إجماع اهل دينه، فان أعوزكم ذلك ففى القياس على شيء من ذلك، قال القشيرى: هذه الأشياء هى قانون الشريعة، و جملتها من كتاب الله، فان الكتاب هو الذى يدل على صحة هذه الجملة - انتهى. و ما اجتهدتم فيه على ما شرع لكم و فصلتموه بما ظهرلكم على حكم بذل [3]الجهد مضى[3]، و ما لا فصله بينكم[4] سبحانه فى هذا اليوم إن أراد بنصر المحق و خذلان[5] ١٠ الظالم، و إن أراد أخره إلى يوم الدين، فان شاء عفا [عنه -[6]] و إن شاء عاقب عليه، فلا حكم لغيره لا فى الدنيا و لا فى الآخرة.

و لما أنتج هذا أنه لاعظيم غيره، و لا إله إلا هو، ترجم ذلك بقوله مخاطبا للكل: ﴿ ذلكم ﴾ أى العظيم الرتبة جدا ﴿ الله ﴾ المحيط بجميع أوصاف الكمال، فلا شريك له فى شيء منها بوجه ﴿ ربى ﴾ ١٥ الذى لا مربى لى غيره فى ماض و لا حال و لا استقبال. و لما كان ذلك، أنتج و لابد قوله: ﴿عليه﴾ أى وحده ﴿توكلت﴾ أى أسلمت

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لأنه (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: المجهود قضى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يليكم (٥) زيد فى الأصل: المبطل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد من م.

جميع أمرى ﴿ واليه ﴾ أى[1] لا إلى غيره ﴿ انيب ﴾ أى ارجع بالتوبة إذا قصرت فى شىء من فروع شرعه و ارجع إلى كتابه إذا نابنى أمر من الأمور ، فأعرف منه حكمه فافعلوا انتم كذلك ، اجعلوه[2] الحكم تفلحوا[3] ، ولا تعدلوا عنه فى شىء من الأشياء تهلكوا .

٥ و لما تقرر بهذا الكلام أنه قد ركز فى الفطر أنه لا إله غيره لأنه لاخالق سواه كما يهدى إليه الاضطرار و إن أغفل عنه البطر ، وصفه بالدليل على ذلك الذى جبل عليه جميع الفطر : ﴿ فاطر السمٰوٰت و الارض[4] ﴾ أى مبتدئهما[5] بالخلق و الإخراج من العدم ، وكل ما اتخذتموه وليا[6] من دونه فهو منهما ، فهو مما فطره كما يعلم ١٠ كل أحد منكم ذلك لايتمارى فيه ، وهذا هو السبب فى العلم المركوز فى الفطر من أنه الواحد[6] الذى لا إله معه [كما كان فى الأزل و لاشىء معه -[7]] .

و لما ذكر سبحانه ما شق العدم بايجاده من غير سبب أصلا ، أتبعه ما سببه عن ذلك فأنشأه من العناصر التى [8]أبدعتها يد القدرة[8] ١٥ فى الخافقين ، فقال [معبرا بالفعلية تذكيرا بما يوجب لهم الاعتراف بما اعترف به نبيه صلى الله عليه و سلم من أنه وحده ربه لاشريك له فى ذلك ، فيوجب التوكل عليه وحده -[7]] : ﴿ جعل لكم ﴾ أى [بعد -[7]]

(١) سقط من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اجعلوا (٣) من ظ و م ، و فى الاصل : بينكم تسلموا و تغنموا (٤) فى م : مبديهما (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : عدوا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : واحد و هو (٧) زيد من م (٨-٨) فى ظ و م : ابدعها .

ان خلقكم من الأرض ﴿من انفسكم ازواجا﴾ يكون[1] بالسكون إليها بقاء نوعكم[2]، و لما كانت الأنعام و منافعها لأجلنا[3] قال: ﴿و من﴾ أى و جعل لكم[3] من ﴿الانعام﴾ التى هى أموالكم و جمالكم و بها أعظم قوامكم ﴿ازواجا ج﴾ أى من أنفسها، يكون بها أيضا بقاء نوعها، و كذا جميع الحيوانات، و معنى قوله مغلبا / العقلاء: ﴿يذرؤكم﴾ اى يخلقكم و يكثركم. ٥ / ٢٦٩

و لما كان الأزواج فى غاية المحبة للزواج بحيث أنه مستولٍ على القلوب، كان كأنه محيط بهم فقال: ﴿فيه[4]﴾ أى فى ذلك التزاوج[5] بحيث يجعلكم مولعين به، من قوله ذرأه: خلقه و كثره و أولعه بالشىء، فيكون لكم فى الأزواج من البشر نطفا[6] و جمالا و ولادة، و فى الأنعام غذاء و شرابا و أكلا، و غير ذلك مما لكم فيه[6] من المنافع، [و لا تزالون فى هذا الوجه ١٠ من الخلق و التزاوج نسلا بعد نسل و جيلا بعد جيل -[7]].

و لما تقرر فى الأوهام و ثبت فى كثير من الأذهان أنه لايكون شىء إلا بسبب التزاوج[5]، كان ربما سرى شىء من هذا الوهم فى حق الخالق سبحانه فنفاه على أبلغ وجه بقوله [استئنافا فى جواب من يسأل عنه -[7]]: ﴿ليس﴾ [و قدم الخبر لأن المراد نفيه فأولاه ١٥ النافى دلالة على شدة العناية بنفسه فقال -[7]]: ﴿كمثله﴾ أى مثل

(١) زيد فى الأصل و ظ: لكم، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نوع (٣) زيد فى م: اى لاجلكم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: التزوج (٥) من ظ و م، و فى الاصل: مطلقا (٦) فى م: فيها. (٧) زيد من م.

نفسه فى ذاته و لا فى شيء من صفاته : ﴿شيء ج﴾ يزاوجه او يناسبه ، و كل ما اتخذتموه[1] وليا من دونه ، فله ما يزاوجه و يماثله ، فالمراد بالمثل هنا النفس و هو أصله و حقيقته فى اللغة من قولهم : مثل الرجل يمثل - إذا قام و انتصب ، قال الإمام عبد الحق الأشبيلى فى كتابه الواعى : [و -[2]] المثل يكون هو الحديث نفسه "مثل الجنة التى وعد المتقون[3]" فمثلها هو الخبر عنها ، و قيل : المثل ههنا الصفة " و لما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم " أى صفتهم ، نقل ذلك الهروى و نقل عن أبى عبد الله القزاز قوله "ضرب مثل فاستمعوا له" كذلك ، لأنه قال : "ان الذين تدعون" [الآية -[4]] فصار الخبر عن ذلك هو المثل ، قال : و هو على اصل ما ذكرنا أن مثل[5] الشيء صفته و صورته ، و روى عن على ابن ابى طالب رضى الله عنه أنه قرأ " مثال " و قرأ " امثال الجنة التى وعد المتقون " ثم قال : و هذا كله يدل على [أن -[6]] معنى "مثل" صفة و صورة ، قال أبو عبد الله : مثلت له الشيء تمثيلا[7] : صورته له[7] حتى كأنه ينظر إليه ، و فى الحديث : مثلت لى الجنة و النار - انتهى . و فى القاموس : المثل[8] - بالكسر و التحريك و كأمر : المشبه ، و المثل محركة : الحجة

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : اتخذوه (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط فى الاصل : فيها كذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من م . (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : المثل (٦) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) سقط من ظ و م (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : بالمثل .

و الحديث و الصفة، [1]و المثيل: المقدار و القصاص و صفة الشيء و الفراش، جمعه أمثلة و مثل، و التمثال - بالكسر: الصورة و مثل قائما: قام منتصبا كمثل بالضم مثولا[2] - انتهى. و فى شمس العلوم: و العرب تقيم المثل مقام النفس فتقول: مثلى لايقول هذا [أى أنا - [3]] -انتهى. فقد بان أن المثل بالإسكان و التحريك واحد، و أنه فى الأصل عبارة عن نفس ٥ الشيء و صورته، ثم شاع فيما يشابهه، فمعنى[4] مثل اى انتصب تشكل[5] و تصور فكانت له صورة و شكل لأن بالانتصاب تتحقق صورته و تظهر، و كذا مثل بمعنى لصق بالأرض و إن [كان - [6]] ظهوره بالقيام اوضح، و كذا مثل إذا زال عن مكانه لأنه حصل الانتصاب أو اللصوق، و زاد الانتقال، و يوضح ذلك قولهم: مثله له - إذا صوره حتى كأنه ١٠ ينظر إليه، فعلم قطعا أن معنى الآية ما قلته، و أنه لو قيل "ليس كمثله شيء"، من غير كاف، لربما قال بعض أهل التعنت: هذا معناه أنه ليس شيئا، لأنا قد علمنا أن المثل هو الشيء، و قد كانوا يتعنتون بدون هذا، فأتى بالكاف إزالة لهذا التعنت [مع العلم القطعى بأن ظاهر ما نفهمه غير مراد، لأنه يؤدى إلى محالين هما فى غاية الظهور يحاشى عن أحدهما ١٥ فكيف إذا اجتمعا من له أدنى حكمة فكيف بأحكم الحكماء، احدهما أن له مثلا، و الثانى أن مثله لامثل له مع الحكم بأنه مثله، و ذلك تناقض

(١) ومن هنا استأنفت نسخة مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مثوى.
(٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فمضى.
(٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فتشكل (٦) زيد من م و مد.

ظاهر يتعالى الله عن إرادة مثله علوا كبيرا -[1]] - و الله الموفق .

و لما كان [قد -[1]] أبطن نفسه سبحانه بهذا التنزيه إبطانا عظيما ، و كان هذا الإعراق فى البطون لا تحتمله العقول ، فلا يؤمن عليها النزوع إلى التعطيل ، قربه بنوع ظهور بذكر ما نعقله من الأوصاف بعد الأمن من التشبيه لمن أمل الكلام ، و حكم العقل و طرد الوهم ، فأتى بأوضح ما يحسه[2] من أوصافنا و اظهره مع استلزامه لبقية الصفات فقال : ﴿ وهو ﴾ أى و الحال أنه لا غيره ﴿ السميع البصير ﴾ أى الكامل فى السمع و البصر و العلم من البصر و البصيرة ، و من المقطوع به أن ذلك لايكون على وجه الخصوص إلا بالوحدانية و الحياة و القدرة و الإرادة و الكلام ، فاستوفت هذه الآية ما لوح[3] إليه العاطف فى قوله " و ما اختلفتم " بعد ما صرح به ، فالله هو الولى من أصول الدين بالصفات السبع على أتم وجه - و الله الموفق ، قال الحرالى : السمع إدراك ألطف المثلين و هو الاسم ، و البصر إدراك أظهر المثلين و هو الصورة ، و بالحق[4] سبحانه بدأ كل مثل لطيف فهو السميع بالحقيقة ان لايسمع ما هو مبدئ ألطف مثليه ، أو لا يبصر ما هو مبدئ أظهر مثليه ، و لما كان سبحانه و تعالى عليما بأمثال البادئات قبل كونها كان سميعا لها بصيرا لها قبل كونها ، و إنما يستجد السمع و البصر من يتبع[5] علمه إدراك

٦٣٠/ ٥

(١) زيد من م و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يحسه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لوحت (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحق .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ينبع .

حسه ، لا من هو دائما سميع بصير بما هو دائما علم ، فهو سبحانه يسمع الأشياء و إن لم تتسم ، و يراها و إن لم تتصور ، رؤيته لها و سمعه فى خلقها و بريها و تصويرها رؤية دائمة و سمع دائم ، و الخلق لايرون الشيء قبل تصوره و لايسمعونه قبل تكلمه - انتهى . فقد صرحت الآية بتنزيهه عن مُساوٍ فى شيء ما ، فمن ادعى لأحد مساواته فى شيء من صفاته علم ٥ أو غيره فقد أشرك به فى تلك الصفة و هو أشد ملامة[1] من المشرك بالصنم و نحوه من المخلوقات لأن إشراك هذا ظاهر الوهى واضح الخلل بين السفسفة ، و إشراك الأول خفى لايقدر على حله إلا راسخ و إن كان كل منهما يصير إلى الركاكة و الهذيان لأنه لايسوغ فى عقل ان يكون أحد شريكا لأحد فى شيء إلا و هو مساو له فى حقيقة الذات ، ١٠ و صالح فى الجملة لأن يقوم مقامه فى جميع الصفات ، فاياك ثم إياك من مزلة[2] ربما استغوى بها الشيطان بعض من يريد الترقى فى درجات العرفان ، ليخرجه من جميع الأديان .

و لما قرر أمر الوحى بما ثبت به من[3] الإعجاز ، و أراهم الآيات فى الآفاق ، بأن له ما فى الوجود ، و أنه هو الذى فطره ، و كان ربما ١٥ كان للانسان شيء و لم يكن كامل التصرف فيه بأن يكون مفاتيح خزائنه مع غيره من شريك أو غيره ، و كان ربما اخترع [الإنسان -[4]] بناء و كان لغيره ، أخبر إكمالا لتنزيه الآية السالفة [و -[5]] شرحا له أنه

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ملاله (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منزلة (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امر (٤) زيد من م و مد . (٥) زيد من ظ و م و مد .

تعالى [١] ليس كمثله شيء وليس [١] كغيره فى هذا أيضا بل كما ان [٢] له ما فى الخافقين و هو مخترعهما فله مفاتيح خزائنهما، فقال: ﴿له﴾ أى وحده ﴿مقاليد السمٰوٰت و الارض ج﴾ أى خزائنهما و مفاتيح خزائنهما من الأمطار [٣] و الأنبات و غيرهما [٣] و قد ثبت أنه ابتدعهما، و أن له جميع ما فيهما مما اتخذ من دونه [وليا - [٤]] و غيره، قال القشيرى: و المفاتيح الخزائن و خزائنه مقدوراته - انتهى. و لما [٣] كان قد [٣] حصر الأمر فيه دل عليه بقوله: ﴿يبسط الرزق﴾ أى الذى فيهما و لا مانع منه إلا قدرته ﴿لمن يشآء﴾ اى أن يبسطه [٥] له ﴿و يقدر [٥]﴾ أى يضيق و يقبض على من يشاء كما وسع / على فارس [و - [٦]] الروم و ضيق على العرب و فاوت فى الأفراد، بين [أفراد - [٤]] من وسع [٧] عليهم [و من ضيق عليهم - [٤]]، فدل ذلك قطعا على أنه لاشريك له و أنه هو المتصرف وحده فقطع بذلك أفكار الموفقين من عباده عن غيره ليقبلوا عليه و يتفرغوا له، فان عبادته هى المقاليد بالحقيقة "استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا [٨] و يمددكم باموال [٨]" الآية، "و من يؤمن بالله و يعمل صالحا يدخله جنٰت تجرى من تحتها الانهر"

٦٣١ /

(١ - ١) ليس ما بين الرقمين فى ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الاصل: انه (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: النباتات و غيرها.
(٤) زيد من م و مد (٥) فى ظ و م ومد: يبسط (٦) زيد من ظ و م ومد.
(٧) زيد فى الأصل: فيهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م و مد.

"ولو ان اهل القرى امنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركت [1]من السماء و الارض[1]" "ولو ان اهل الكتب [1]امنوا و اتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم و لادخلناهم جنت النعيم" "ولو انهم اقاموا التورىة و الانجيل" الآية .

و لما كان كأنه قيل : لم [2]فعل ذلك ؟ علله[2] بقوله مؤكدا لأن[3] أعمال غالب الناس فى المعاصى عمل من يظن أنه سبحانه يخفى عليه ٥ عمله : ﴿ انه بكل شىء عليم ﴾ فلا فعل له إلا و هو جار على أتقن ما يكون من قوانين الحكمة ، فلو أنه وسع العرب و قواهم ثم اباحهم ملك أهل فارس و الروم لقتل[4] بقوتهم و مكنتهم ، و له فى كل شىء دق أو جل من الحكم[5] ما يعجز عن إدراك لطائفه أفاضل الأمم .

و لما ثبت أن[6] له كل شىء و أنه لامتصرف فى الوجود سواه ، ١٠ أنتج ذلك انه لا ناهج لطرق الأديان التى هى أعظم الرزق و أعظم قاسمة للرزق غيره ، فأعلمهم انه لم يشرع دينا قديما و حديثا غير ما اتفقوا عليه وقت الشدائد ، فقال دالا على ما ختم به الآية التى قبلها من شمول علمه و مرغبا فى لزوم ما هدى إليه و دل عليه : ﴿ شرع ﴾ أى طرق و سن طريقا ظاهرا بينا واضحا ﴿ لكم ﴾ أيتها[7] الأمة الخاتمة من الطرق ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فعله علل (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاو (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يقيل (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحكمة . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : انه (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ايها .

الظاهرة المستقيمة ﴿ من الدين ﴾ و هو ما يعمل فيجازى عليه . و لما كان السياق للدين، و كانوا هم المقصودين فى هذا السياق بالأمر به، لأن [الشارع -[1]] لهم قد أنتجه، و كانوا لتقليدهم الآباء يرون أن ما كان منه أقدم كان أعظم و أحكم، ذكر لهم [2]أول الآباء[2] المرسلين إلى المخالفين فقال: ﴿ما﴾ أى الذى ﴿وصى به﴾ [توصية عظيمة بعد إعلامه بأنه شرعه -[1]] ﴿ نوحا ﴾ فى الزمان الأقدم كما ختم به على لسان الخاتم، و أرسل به من توسط بينهما من الأنبياء المشاهير لأنه لا يرضيه[3] سواه، فان كنتم إنما تأنفون من الدخول فى هذا الدين لحدوثه فانه أقدم الأديان و كل ما سواه حادث مع أنه ما بعث نبيا من أنبيائكم و لا من غيرهم [إلا به -[1]] و مع أنه توفرت على الشهادة به الفطر الأولى دائما و الفطر اللاحقة حتى من القلوب العاتية فى أوقات الشدائد أبدا فادخلوا فيه على بصيرة .

و [لما -[1]] كان الإعجاز خاصا بنا[1]، أبرزه فى مظهر العظمة معبرا بالوحى، و بالأصل فى الموصولات، و دالا على زيادة عظمته بتقديمه على من كانوا قبله مع ترتيبهم عند ذكرهم على ترتيبهم فى الوجود فقال: ﴿ و الذىٓ اوحينآ اليك ﴾ و أفرد الضمير زيادة فى عظمته[5] دلالة على

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اولا لاباء.
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لا يوصيه (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بما (٥) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

أنه لايفهمه حق فهمه غيره صلى الله عليه و سلم ، و دل على عظمه [ما -[1]] كان لإبراهيم و بنيه بما ظهر من آثاره بمظهر العظمة ، و على نقصه عما إلى نبينا صلى الله عليه و سلم بالتعبير بالوصية فقال : ﴿و ما وصينا﴾ أى على ما لنا / من العظمة الباهرة التى ظهرت بها تلك المعجزات ٦٣٢ / ﴿ به ابرٰهيم ﴾ الذى نجيناه من كيد نمرود بالنار و غيرها[2] و وهبنا له على الكبر إسماعيل و إسحاق ، و هو أعظم آباء العرب و هم يدعون أكبر بالآباء[3] فليكونوا على ما وصيناه به ﴿ و موسى ﴾ الذى أنزلنا عليه التوراة موعظة و تفصيلا لكل شيء ﴿ و عيسى ﴾ الذى أنزلنا عليه الإنجيل فيه هدى و نور و موعظة ، و دخرناه فى سمائنا لأييد شريعة الخاتم الفاتح .

و لما اشتد تشوف السامع إلى الموحى الموصى به ، أرزه فى اسلوب الأمر فقال مبدلا من معمول " شرع " أو مستأنفا : ﴿ ان اقيموا ﴾ أى أيها المشروع لهم من هذه الأمة الخاتمة و من الأمم الماضية ﴿ الدين ﴾ اى الذى اتفق عليه الخلائق بالرجوع إلى ما فطروا عليه وقت الاضطرار و هو التوحيد و الوصف بجميع صفات الكمال على الإطلاق و غير ذلك من كل ما أرسل به رسله ، [هذا على تقدير ان تكون " ان " مصدرية ، و يجوز أن تكون مفسرة لتقدم ما هو بمعنى القول -[4]] .

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : غيره .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاباء (٤) زيد من م و مد .

و لما عظمه بالأمر بالاجتماع[1] ، أتبعه التعظيم بالنهى [2]عن الافتراق[2] فقال : ﴿ و لا تتفرقوا ﴾ أى [تفرقا عظيما بما أشار إليه إثبات التاء ، و كأن ذلك إشاره إلى التحذير من التفرق فى الأصل و إذن فى الاجتهاد على قدر القوة فى الفرع ﴿ فيه[4] ﴾ أى الدين - [3]] فى أوقات الرخاء عند التقلب فى لذيذ ما أنعم به الشارع له الآمر به المرغب فى اتباعه المرهب من[4] اجتنابه . و اجتمعوا على من أرسله الذى اثبتم له جميع صفات الكمال عند الشدائد من غير خلاف اصلا فى شىء من الأشياء ، فان التفرق سبب الهلاك[5] ، و الاجتماع سبب النجاة[6] ، فكونوا يدا واحدة يا أهل الكتاب [7]قال تعالى "يا اهل الكتب[7] تعالوا الى كلمة سواء بيننا و بينكم ان لانعبد الا الله و لا نشرك به شيئا و لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله" .

و لما نهى عن التفرق ، حث على لزوم الاجتماع اللازم به بتعليل النهى بقوله : ﴿ كبر على المشركين ﴾ أى جل و عظم و شق حتى ضاقت به صدورهم ، [7]و هو[7] ﴿ ما تدعوهم اليه[4] ﴾ [أيها - [8]] النبى الفاتح الخاتم من الاجتماع أبدا على ما اجتمعوا عليه وقت الاضطرار من وحدانية الواحد القهار ، فلأجل كبره عليهم هم يسعون فى تفرقكم عنه فان تفرقتم عنه

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالاجماع (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالافتراق (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ط : فى (٥) فى م ومد : للهلاك (٦) فى ظ و م و مد : للنجاة (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) زيد من ظ و م ومد .

كنتم قد تابعتم العدو[1] الحسود و خالفتم الولى الودود . و لما كان الإخبار بكرّه[2] عليهم ربما اوهم اتباع اتباعهم له ، أزال ذلك الوهم بقوله جوابا لمن[3] كأنه قال: كيف السبيل مع ذلك [إلى -[4]] دخول أحد فى هذا الدين ، [عادلا عن مظهر العظمة إلى أعظم منه تعظيما للقدرة على جمع القلوب -[4]] : ﴿ الله ﴾ أى الذى له مجامع العظمة و نفوذ الأمر ٥ ﴿ يجتبى ﴾ أى يختار غاية العناية و يصرف ﴿ اليه ﴾ أى إلى هذا الدين الذى تدعوهم إليه ﴿ من يشآء ﴾ اجتباءه .

و لما ذكر سبحانه بهذا المراد بغير تكسب منه ، أتبعه المزيد المعنى بالسلوك[5] فقال : ﴿ و يهدى اليه ﴾ بالتوفيق للطاعة ﴿ من ينيب ﴾ أى فيه أهلية لأن يجدد الرجوع إلى مراتب طاعاته كل حين بباطنه بعد ١٠ الرجوع بظاهره إلى ما كتبه له من[6] الدرجات [7] كأنه كان[7] الوصول إليها قد نزل عنها و هو بترقيه فى المنازلات بأحوال الطاعات يرجع إليها .

و لما كان المراد بالمشركين مع عباد الأوثان أهل الكتاب الذين اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله لقبولهم منهم التحليل و التحريم ،

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الحدود (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يكو (٣) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : بالسكوك . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كان كأنه ، و زيد بعده فى الأصل : قد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و كان ذلك مفهما لأنهم فارقوا اهل الطاعة ، و كان ذلك موهما لأنهم ما فارقوهم إلا عن جهل ، قال عاطفا على ما تقديره : فأتى الرسل إلى الناس / فأقاموا لهم الدين و بينوا لهم غاية التبيين فاجتبى الله بعضهم و أضل بعضهم فافترقوا : ﴿ و ما تفرقوآ ﴾ أى المشركون من قبلكم من أهل الكتاب و غيرهم فى أديانهم ﴿ الا ﴾ و أدخل الجار لعدم استغراق الزمان فقال : ﴿ من بعد ما جآءهم ﴾ أى على ألسنة أنبيائهم[1] الذين لم يدعوا لبسا ﴿ العلم ﴾ أى بما لايسوغ معه التفرق و منه أن الفرقة ضلالة ، و أشار[2] الجار ايضا إلى أن التفرق كان مع العلم لم يكن طال الزمان فتطرق إلى علمهم[3] نسيان كل ذلك بيانا لعظيم قدرة الله تعالى فى تصرفه فى القلوب ، فاياكم أن يكون حالكم كحالهم فليشتد خوفكم لربكم و رجاؤكم له .

٦٣٣ /

و لما كان ترك طريق العلم عجبا و مستبعدا ، قال مبينا أن الذى حملهم على ذلك حظوظ الأنفس التى لا نجاة منها إلا بعصمة الله تعالى : ﴿ بغيا ﴾ أى حال كون تفرقهم عداوة و لا شبهة فيها هى بينة الظلم لأجل حظوظ الأنفس و اتباع الأهواء التى يجب على العبد البعد عنها بأن لاتكون له إرادة [أصلا بل تكون إرادته -[4]] تابعة لأمر[5] مولاه .

(١) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) زيد فى الأصل و ظ : أى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .
(٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اعلمهم (٤) زيد من ظ و م و مد .
(٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لارادة .

و لما كان مطلق البغى منافيا لمكارم الأخلاق، فكان ارتكابه عجبا، زاد فى التعجب منه بيان [أن البغى - ١] لم يعد جماعتهم إلى غيرها، بل كان خاصا بها، فقال: ﴿ بينهم ﴾ .

و لما كان ذلك يقتضى المعالجة، قال عاطفا على ما تقديره: فلولا قدرة الله و لطفه لما اجتمعوا بعد الفرقة أبدا: ﴿ و لو لا كلمة ﴾ اى ٥ لاتبديل لها ﴿ سبقت ﴾ أى فى الأزل بتأخيرهم إلى آجالهم. و لما كان إمهالهم و الرفق بهم رحمة لهم، بين أن ذلك إنما هو لأجل خير الخلق ليكونوا أتباعا له فيزدادوا بذلك شرفا، و أفرده بالذكر تنبيها على ذلك فقال [مؤنسا له صلى الله عليه و سلم بلفت الكلام إلى صفة الإحسان إرضاء له بما يرجوه فى أمته، و زاد ذلك بالإضافة إلى ضميره فأفهم أن ١٠ إحسانه إليهم إحسان يليق بمقامه و يلتئم بمراده الشريف و مرامه - ١]: ﴿ من ربك ﴾ اى المحسن إليك بجعلك خير الخلائق و إمامهم، سبقت الكلمة بامهالهم ﴿ الى اجل مسمى ﴾ ضربه لآجالهم ثم لجمعهم فى الآخرة ﴿ لقضى ﴾ على أيسر وجه و أسهله ﴿ بينهم ﴾ حين الافتراق باهلاك الظالم و إنجاء المحق. ١٥

و لما أخبر عن حال المتقدمين، و كان [من ٤] فى زمانه صلى الله عليه و سلم من أهل الكتاب يدعون غاية العلم [بها - ١] و الاجتماع عليها، و هى كلها داعية إلى المبادرة إلى إرث هذا الكتاب الخاتم الجامع،

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: به (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لجعلهم (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: رمنه.

و كان بعضهم يتلبس[1] بالتنسك و الإعراض عن الدنيا و غير ذلك مما يقتضى انه على بصيرة من أمره، و إنكار أن يكون عنده نوع شك، قال على وجه [يعم -[2]] غيرهم، مؤكدا تنبيها على ذلك: ﴿و ان الذين﴾ و لما كان المراد الوصول إلى الكتاب من غير منازع، ٥ و لم تدع حاجة إلى العلم بالموصل، بنى للمفعول قوله: ﴿ اورثوا الكتب ﴾ أى الكامل الخاتم، و هم هذه الأمة بما نسخ كتابهم ما تقدمه كان غيرهم كأنه مات، فورثوا كما قال تعالى "ثم اورثنا الكتب الذين اصطفينا من عبادنا" فكان حالهم فى تمكنهم من التصرف فى الكتاب بالحفظ و الفهم و عدم المنازع فى ادعائه حال الوارث و الموروث منه فقال[3]: ١٠ ﴿ من بعدهم ﴾ أى المتفرقين، و أثبت الجار لعدم استغراق الزمان ﴿ لفى شك منه ﴾ أى إيراث للكتاب[4] المقتضى للاجتماع[5] لا للتفرق لما فيه من الخير، و ذلك [6]لعملهم عمل[6] الشاك فيقولون: إنه سحر و شعر و كهانة، و نحو/ ذلك، و أن الآتى به غير صادق بعد اطلاعهم على ما ٦٣٤ / أتى به من المعجزات و بعد معرفتهم [به -[7]]، أما العرب[8] و من[9] ساكنهم ١٥ من اهل الكتاب فباعجازه مع ما فى كتب أهل الكتاب من البشارة به،

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: يلتبس (٢) زيد من ظ و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قال (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الكتاب (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بلا جماع (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بعلمهم علم (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل: العذاب (٩) فى مد: ما.

و أما غير من ساكنهم فدعوة كتابهم ﴿ مريب ٥ ﴾ اى موقع فى التهمة الموقعة فى الحاجة الموقعة فى [١]صروف الدهر[١] و هى شدائده و آفاته[٢] و نوائبه، هذا على أن المراد كتابنا، و يجوز أن يكون الضمير لأهل الكتاب خاصة و الكتاب[٣] كتابهم، و شكهم فيه عملهم بغير ما دعاهم[٤] إليه من اتباع كتابنا باتباع نبينا صلى الله عليه و سلم. ٥

و لما ثبت بهذا ريبهم عن اوامر[٥] الكتاب الآتى من الله، سبب عنه أمره صلى الله عليه و سلم بابلاغ الناس ما ينفعهم عن رسالة ربه الذى أنزل تلك الكتب فى آية واحدة مفصلة بعشر كلمات [فى -[٦]] كل كلمة منها حكم براسه، قالوا: و لا نظير لها إلا آية الكرسى فانها [٧]عشرة أصول[٧] كل[٨] أصل منها مستقل [براسه[٩] -] فقال مسببا[١٠] عن ١٠ حالهم الاجتهاد فى إزالتها و العمل بضدها[١١]: ﴿فلذلك﴾ أى لهذا الوحى العلى الرتبة الذى وصينا بمقاصده[١٢] جميع الرسل اصحاب الشرائع الكبار من [أولى -[٦]] العزم و غيرهم، [أو لذلك -[٦]] التصرف المباعد

(١-١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الصروف (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: آياته (٣) زيدت الواو بعد فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: دعى (٥) من م و مد، و فى الاصل و ظ: امر (٦) زيد من ظ و م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اصول عشرة (٨) فى م: بكل (٩) زيد من م و مد. (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سببا (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يضادها (١٢) من م و مد، و فى الاصل و ظ: بقاصده.

للصواب و الشك فى امر الكتاب .

و لما كان سياق الدعوة للخلق إلى ما أوحى إليه فأنزل عليه ، قدم قوله : ﴿ فادع ج ﴾ إلى من أرسلك الله به من الاتفاق على ما أمر به الإله من الاجتماع على الملة الحنيفية . و لما كان الداعى لغيره لاينفع دعاءه لذلك الغير ما لم ينفع نفسه ، قال : ﴿ و استقم ﴾ أى اطلب القوم[1] من ربك على مشاق الدعوة ليعينك عليه و أوجده[2] على ما يدعو إليه كتابه مما تدعو إليه و يجب عليه ﴿ كما امرت ﴾ ممن لا أمر لغيره فى تفاصيل الدعاء من[3] اللين و الغلظة و التوسط و غير ذلك من تحديث الناس بما تحتمل عقولهم و تربيتهم على حسب ما ينفعهم .

و لما كان كل ما خالف كتابنا هوى ، و كل ما[4] خالف كتابنا فهو على مجرد الهوى ، قال : ﴿ و لاتتبع ﴾ [5]أى تعمدا[5] ﴿ اهوآءهم ج ﴾ فى شىء ما ، فان الهوى لايدعو إلى خير ، و المقصود من كل أحد أن يفعل ما أمر به لأجل أنه أمر به لا لأجل أنه يهواه .

و لما كانوا قد تفرقوا فى الكتاب و شكوا فآمنوا ببعض و كفروا ببعض ، أمره بما يخالف حالهم فقال : ﴿ و قل ﴾ أى لجميع أهل الفرق ، وكل من يمكن له القول فانك أرسلت إلى جميع الخلق : ﴿ امنت بما[6] ﴾

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القوام (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احده (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و (٤) فى مد : ما . (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الاصل . و لا تعتمد (٦) و قم فى الاصل و ظ قل و انزل الله ، و الترتيب من م و مد .

أى كل شىء . و لما كان أكمل الناس إيمانا أكثرهم استحضارا لأوصاف الكمال من الجلال و الجمال، صرف القول إلى الاسم الأعظم إشارة إلى سلوك أعلى المسالك فى ذلك فقال: ﴿أنزل الله﴾ أى الذى له العظمة الكاملة ﴿من كتب ج﴾ لا أفرق بين [شىء من -[1]] كتبه و لا أحد من رسله، بل [كل -[1]] كتاب ثبت أنه نزل على رسول ثبتت رسالته بالمعجزة فأنا به مؤمن و إليه داع كما اقتضاه كمال القوة النظرية، قال أبو على القالى فى ذيل الأمالى: حدثنا أبوبكر - هو ابن الأنبارى - حدثنا أبو جعفر محمد بن عثمان حدثنا صحاب بن الحارث أنا بشر[2] بن عمارة عن محمد بن سوقة قال: أتى عليا رضى الله عنه رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما الإيمان أو[3] كيف الإيمان؟ قال: الإيمان على [أربع -[1]] دعائم: على الصبر و اليقين و العدل و الجهاد، و الصبر على أربع شعب: على الشوق و الشفق و الزهادة و الترقب، فمن اشتاق إلى الجنة سلى عن الشهوات، و من أشفق من[4] / النار رجع عن الحرمات، و من زهد فى الدنيا تهاون بالمصيبات، و من ارتقب الموت سارع إلى الخيرات، و اليقين على أربع شعاب: تبصرة الفطنة و تأويل الحكمة و موعظة العبرة و سنة الأولين، فمن تبصر الفطنة تأول الحكمة. و من تأول الحكمة عرف العبرة، و من عرف العبرة عرف السنة. و من عرف السنة [5]فكأنما كان[5] فى الأولين،

/ ٦٣٥

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد. و فى الأصل: بكر (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ «و» (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن. (٥-٥) من م و مد و فى الأصل و ظ. وكان.

و العدل على اربع شعب : على غائص الفهم و رهره الحلم[1] ، رصة العلم [و شرائع الحكم -[2]] ، فمن فهم جمع العلم ، و من حلم[3] لم يضل [فى الحكم -[4]] ، و من علم عرف شرائع الحكم[3] ، و من حلم لم يفرط امره ، و عاش فى الناس . و الجهاد على أربع شعب : [على الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الصدق فى المواطن و شنآن الفاسقين -[4]] . فمن[5] أمر بالمعروف [6]شد ظهر المؤمنين[6] ، و من نهى عن المنكر [7]أرغم آناف الفاسقين[7] . و من صدق فى المواطن فقد قضى الذى عليه ، و من شنئ[8] المنافقين غضب لله و غضب الله له فأزلفه واعلى مقامه ، قال : فهام الرجل فقبل رأسه

و لما أخبر بالعدل [8]فى القوة[8] النظرية ، أتبعه ذلك فى القوة العملية فقال . ﴿ و امرت ﴾ اى من له الأمر كله بما أمرنى به مما انزل علىّ ﴿ لاعدل ﴾ أى لأجل أن اعدل ﴿ بينكم[4] ﴾ أيها المفرقون [فى -[4]] الأديان من العرب و العجم من الجن و الإنس كما دعا إليه كمال القوة العملية ، ثم علل[9] ذلك بقوله : ﴿ الله ﴾ [أى -[4]] الذى له الملك كله

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العلم (٢) زيد من م و مد (٣) فى ظ و م و مد ، و فى الاصل : علم (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل : سد ظهره ، و فى و ظ : شد ظهره (٧ - ٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رغم أنف المنافقين (٨ - ٨) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : بالقوه (٩) من م و مد ، و فى الاصل و ظ عدل .

ربنا

﴿ ربنا و ربكم[1] ﴾ اى موجدنا و متولى جميع امورنا ، فلهذا[1] امرنا بالعدل على سبيل العموم لأن الكل عباده .

و لما كان الرب واحدا ، انتج عنه قوله : ﴿ لنآ اعمالنا ﴾ خاصة [بنا لاتعدونا إلى غيرنا -[2]] ﴿ و لكم اعمالكم[4] ﴾ [خاصة بكم -[2]] لاتعدوكم إلى غيركم . لأنه لا داعى لأنا نأخذ عمل بعضنا فنعطيه لغيره ، لأن ذلك لايفعله إلا ذو غرض ، و هو سبحانه محيط بصفات الكمال ، فهو منزه عن الأغراض . و لما وصل بتمام هذه الجملة فى إزالة الريب و إثبات [الحق -[2]] إلى ما هو كالشمس لثبوت الرسالة بالمعجزات و إعجاز هذا الكتاب و تصادقه مع [3]ما عند[3] أهل الكتاب ، و بيان هاتين المقدمتين اللتين لانزاع بين احد من الخلق فيهما كانت نتيجة ذلك : ﴿ لا حجة ﴾ [أى -[2]] موجودة بمحاجة[5] أحد منا لصاحبه ﴿ بيننا و بينكم ﴾ لأن الأمر وصل إلى الانكشاف[6] التام فلا فائدة بعده للمحاجة[6] فما بقى إلا المجادلة[7] بالسيوف ، و إدارة كؤس الحتوف[8] ، لأنا نعلم باعلام[9] الله لنا فى كتابه الذى دلنا إعجازه للخلائق على أنه كلامه[10] ،

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فهذا (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منه (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بحاجة (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الانكاف (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : إلى المحاجة (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المجالدة (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الحقوق (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ لاعلام (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كلام .

فنحن نسمعه لذلك[1] منه أنا على محض الحق و أنكم على محض الباطل ، و قد أعذرنا إليكم و أوصلناكم ببراهينه إلى المشاهدة [2]فلم يبق إلا[2] السيف عملا بفضيلة الشجاعة .

و لما كان هذا موضع أن يقال : أفما[3] تخافون الله فيمن تقاتلونه و هم عباده ، أجاب بقوله مظهرا غير مضمر تعظيما [للأمر -[4]] : ﴿ الله ﴾ [أى -[5]] الذى هو أحكم الحاكمين ﴿ يجمع بيننا ج ﴾ أى نحن و أنتم على دين واحد إن أراد فلا يكون قتال ، و فى الآخرة على كل [حال -[4]] " فهو يحكم بيننا[6] "، "و سيعلم الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون" فما أقدمنا على القتال إلا عن بصيرة .

و لما كان الجامع بين ناس قد يكون مآلهم إلى غيره[7] ، بين أن الأمر فيه على غير ذلك ، فقال عاطفا على ما تقديره : فمنه كان المبدأ : ﴿ و اليه ﴾ أى[8] لا إلى غيره من حيث هذا الاسم الجامع لجميع[9] الصفات ﴿ المصير ۝ ﴾ حسا و معنى لتمام عزته و شمول عظمته [10]و كمال رحمته ، و ما كان فيما[10] بين المبدأ و المعاد من الأمور التى كانت بحيث يظن أنها خارجة

---

(١) من م و مد . و فى الأصل و ظ : فذلك (٢-٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غير السيف (٣) من ظ و م و مد . و فى الأصل : أفلا (٤) زيد من م و مد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) زيد فى الأصل بينكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م و مد . و فى الأصل و ظ غير (٨) سقط من م و مد (٩) فى م : بجميع (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (١١) من م و مد . و فى الاصل و ظ فيها .

- لتصرف[1] الغير فيها[2] - إنما كانت ابتلاء [منه-[3]] يقيم بها الحجة على العباد / ٦٣٦
على ما يتعارفونه بينهم، و ما كان المتصرف فيها[4] غيره فتصرفهم إنما كان
أمرا طارئا يصحح عليهم المحجة [و يلزمهم الحجة - [3]] .

و لما كان التقدير: فالذين رجعوا إليه طوعا فى هذه الدار بعد هذا
البيان و الإظهار، و تركوا الجدال حجتهم ثابتة و لهم الرضا و النعيم المقيم، ٥
عطف عليه قوله مبتدئا بالموصول[5] ليصله بما يفهم التجدد و الاستمرار:
﴿ و الذين يحآجون ﴾ أى يوردون[6] تشكيكا على دينه الحق من الشبه
ما يسمونه حججا، و لعل الإدغام يشير[7] إلى أن أهل هذا الضرب
منافقون يلقون شبههم فى خفاء [فتشربها - [3]] قلوب أمثالهم فتصير
أهوية فيضعف[8] أمرها و يؤيده تقييد الدحوض بما عند الرب[9] ﴿فى الله﴾ ١٠
أى فى دين الملك الأعظم ليعيدوا الناس بعد ما دخلوا فى نور[10] الهدى
إلى ظلام[11] الضلال .

و لما كانت إقامة الحجة و إظهار المعجزة أمرا ملزما لجميع [من بلغه -[3]]

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اشرف (٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيهما (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالموصول . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يودون (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يسموا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فيصحب (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الرحب (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دين (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كلام .

الاستجابة لوصول الأمر إلى حد [من -[1]] البيان سقط معه الجدال ، قال معلما أن ما كان فى قوة[2] الوجود يصح أن يطلق عليه أنه موجود ، و منبها [بالجار -[1]] على ذم [هذا -[1]] الجـــدال و لو قل زمنه : ﴿ من بعد ما ﴾ و لما كان المقصود مطلق[3] الاستجابة لامن مجيب معين قال : ﴿ استجيب له ﴾ أى استجاب له الرسول صلى الله عليه و سلم ، و صار الناس كلهم[4] بما يبين لهم مستجيبين بالقوة و إن لم يستجيبوا بالفعل ، فان الأمر قد ظهر[5] غاية الظهور ، و لم يبق إلا العناد ، فهذه الجملة هى المراد و الثمرة من قوله " لاحجة بيننا و بينكم " .

و لما كان من خالف ظاهره[6] باطنه ضعيف [الحجة -[1]] هلهل النسج ، قال معبرا [7]بمبتدا ثان[7] مفردا للحجة إشارة إلى ضعفها : ﴿ حجتهم ﴾ أى التى زعموها حجة ، و أخبر عن هذا المبتدأ الثانى ليكون هو [و -[1]] خبره خبرا عن الأول فقال : ﴿ داحضة ﴾ أى زالقة فهى ذاهبة غير ثابتة لأجل أنها فى معارضة ما ظهوره كالشمس بل أجلى ، و[8] العبارة[9]

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فود (٣) زيد فى الأصل : الاجابة و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل و ظ : أى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صار فى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ظهره . (٧-٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : مبتديا (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ثم (٩) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الاشاره .

لفت إلى صفة[1] الإحسان و العندية[2] إشارة إلى شدة ظهور ما فى حجتهم من الدحوض لأن "عند" للأمور[3] الظاهرة المألوفة، و صفة التربية للعطف و الرفق، و الإضافة إلى ضميرهم[4] تقتضى مزيد لطف و عطف، فهو إشارة إلى أنها هباء منثور عند تدقيق النظر و لاسيما إذا كان بصفة عزة[5] و قهر و غضب[5]، فالمعنى ان دحوضها[6] ظاهر جـــدا و لو عوملوا بصفة الإحسان [و -[7]] لو خصوا بمزيد عطف و بر، فأين[8] هذا مما [لو -[7]] قيل "لدى عليم قدير" فانه يفهم أن دحوضها لايدركه إلا بليغ العلم تام القدرة، و هو مع ذلك غريب فيصير فيه نوع مدح[9] لحجتهم فى الجملة: ﴿ عند ربهم ﴾ اى المحسن إليهم بافاضة العقل الذى جعلهم به فى أحسن تقويم، فهما جردوه[10] عن الهوى، دلهم على أن جميع ما كانوا فيه باطل، و فيه إشارة إلى أن أدنى ما يعذبهم به قطع إحسانه عنهم، و أنه يظهر بطلان ما سموه حجة لكل عاقل فيورثهم الخزى[11] فى الدنيا و العذاب فى الأخرى[12] على أن قطع إحسانه هو عند

(١) من م و مد، و فى الاصل و ظ: حهة (٢) من م و مد، و فى الاصل و ظ: العبديه (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: الامور (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ضمير (٥ - ٥) من م و مد، و فى الاصل و ظ: فهم. (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: دخولها (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فايد (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مديح (١٠) من م و مد، و فى الأصل: و ظ: جودوه (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجزاء (١٢) من م و مـد، و فى الأصل و ظ: الآخرة.

التأمل اعلى العذاب ﴿ و عليهم ﴾ زيادة على قطع الإحسان ﴿غضب﴾ أى عقوبة تليق بحالهم المذموم [و وصفهم المذؤم - [1]] و منه الطرد، فهم مطرودون عن بابه، مبعودون عن جنابه، مهانون بحجابه . و لما أفهم التعبير بـ" على" ذمهم / باستعلاء [2]النقم عليهم[2] لم يشكل التعبير باللام، بل / ٦٣٧

٥ كان مفهما التهكم و الملام فقال: ﴿ولهم﴾ اى[4] مع ذلك ﴿عذاب شديد ه﴾ لاتصلون إلى إدراك حقيقة وصفه، و الآية مشيرة إلى الانتصار على أهل الردة و ضربهم بكل شدة لسوء منزلتهم عنده[5] كما كشف عنه الحال عند ندب الصديق إليهم بالقتال رضى الله عنه و أرضاه .

[و - [6]] لما جزم سبحانه بما توعدهم به بعد أن حكم على حجتهم

١٠ بالدحوض، و كان لايجزم بالشيء إلامن كان نافذ الأمر محيط الحكم، نبه على أنه كذلك[7]، مبينا ما به يعرف ثبات الحجج و دحوضها المستلزم للغضب من الله[8] المستعقب للعذاب، بقوله لافتا القول إلى الاسم الأعظم تنبيها على عظمة المخبر عنه: ﴿ الله ﴾ أى الذى له جميع الملك ﴿ الذى ﴾ و أشار بالتعبير بالإنزال إلى أن المراد جملة الكتاب الذى لامطعن فى شيء منه فقال:

١٥ ﴿انزل الكتب﴾ أى أوجد إنزاله [9]هو لا[9] غيره ﴿ بالحق ﴾ أى متلبسا

---

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: النعم . (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معها (٤) سقط من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عندهم (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) فى م: لذلك (٨) فى م و مد: الاله (٩ - ٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مولا .

على أكمل الوجوه بالأمر الثابت الذى لايبدل و بسبب[1] العمل الحق العام للأقوال و الأفعال و العقائد لتعرف الحجج الثابتة من غيرها .

و لما كان الكتاب آمرا بالعدل قالا[2] و حالا ، و كان من محسوسات أوامره التقدير بالمقادير الظابطة ، قال مخصصا معبرا بأقومها[3] إشارة إلى أن الكتاب أعدل عدالة عند[4] العقل و أبين[4] من الميزان للحس : ٥ ﴿و الميزان[5]﴾ أى الأمر به مريدا به عينه حقيقة و جميعها بل جميع العدل الذى تقدم فى "لاعدل بينكم" مجازا . و لما ثبت أن من جادل فيه كانت حجته داحضة إذا حوسب فى[6] الساعة فكان معذبا ، و كان التقدير بما هدى[6] إليه السياق تسلية له صلى الله عليه و سلم فيما يقاسى فى إنفاذ ما أمر به من العدل فى جميع أقواله و أفعاله و صبره على أذاهم : فمن ١٠ فزع إلى الكتاب فى المعانى و إلى الميزان فى الأعيان فبنى[7] أمره على تحقق العدل فيهما بهما[8] فاز ، و من أهمل ذلك خاب ، فدحضت حجته ، و سقطت عند ربه منزلته ، و ما يدريك لعل من جار يعاجل فى الدنيا بالأخذ لكون أجله الذى سبقت الكلمة بتأخيره إليه قد حضر ، عطف[9] عليه قوله[9] موجها الخطاب إلى أعلى الخلق تعظيما للأمر : ﴿و ما يدريك﴾ ١٥

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نسب (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مالا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالونها (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القطع و اسن (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احدى (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فبين (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بها (٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قوله اليه .

[1] يا أكمل الخلق ﴿ لعل الساعة ﴾ التى اشير إليها فى هذه الآية بقوله "عند ربهم" بعد أن صرح بها فى غير آية . و لما كان تأنيث الساعة غير حقيقى لأنها بمعنى الوقت ، ذكرها فقال : ﴿ قريب ۝ ﴾ فأفهم ذلك أنها ذات شدائد و ان شدائدها ذكور الشدائد و أن قربها اسرع من لمع البرق لما له من الثبات فى الحق ، أو ذكرها على إرادة السبب اى ذات قرب ، أو [على -[2]] حذف مضاف أى مجيئها[3] ، و على كل حال فهو دال على تفخيمها[4] اى إنك بمظنة من قرب القيامة ، فيقع بهم ما توعدوا به مما ينبغى الإشفاق منه ، فيظهر فيها العدل بموازين القسط لجميع[5] الأعمال ظهورا لا يتمارى[6] فيه احد فيشرف[7] من و فى ، و يخزى[8] من جار و جفا[9] .

و لما تصور بهذا قربها[10] مشارا بالتعبير بلعل إلى[11] ان حال المستعجل بها حال المترجى لشىء محبوب و هو جهل منه عظيم ، شرع فى تفصيل الناس فى أمرها فقال مشيرا إلى أنه ينبغى للعاقل / الاستعداد لها للخلاص فى وقتها لظهور دلائلها[12] من غير بحث عن قربها أو بعدها ، فانه لابد

٦٣٨ /

(١) زيد فى ظ : اى (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حجتها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نعجبها (٥) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : بجميع (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايتمادى . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فليبشر (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يخوف (٩) من م ومد ، وفى الأصل وظ : خفى (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قريبا (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : أى (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ويليها .

من

من كونها ﴿ يستعجل بها ﴾ أى يطلب أن تكون قبل الوقت المضروب لها ﴿ الذين لايؤمنون بها ﴾ أى لايتجدد[1] لهم ذلك أصلا و هم غير مشفقين منها و يظنون انها الباطل ، و كان الحال يقتضى أن يكونوا أنفر الناس منها لكن حملهم[2] على ذلك تكذيبهم بها و استهزاءهم و ظنهم عدم كونها جهلا ممن[3] هم معترفون بقدرته و علوه و عظمته . ٥

و لما دل على جهل الكافرين ، دل على علم أضدادهم فقال : ﴿ و الذين امنوا ﴾ و إن كانوا فى أول درجات الإيمان ﴿ مشفقون ﴾ اى خائفون[4] خوفا عظيما ﴿ منها ﴾ لأن الله هداهم بايمانهم ، فصارت صدورهم معادن المعارف ، و قلوبهم منابع الأنوار ، فأيقنوا بما فيها من الأهوال [الكبار - ٥] ، فخافوا للطافتهم أن يكونوا مع صلاحهم من أهل النار . ١٠

و لما قدم الإشفاق تنبيها على أن العاقل ينبغى أن يخشى ما يمكن وقوعه ، قال : ﴿ و يعلمون انها الحق[6] ﴾ إعلاما بأنهم على بصيرة من أمرها ، فهم لايستعجلون بها ، فالآية من الاحتباك : ذكر الاستعجال أولا دليلا على حذف ضده ثانيا ، و الإشفاق ثانيا دليلا على حذف ضده أولا ، قال ابن كثير[6] : و قد روى من طرق[7] تبلغ درجة التواتر فى الصحاح ١٥ و الحسان[8] و السنن[8] و المسانيد أن رجلا سأل رسول الله عليه و سلم

(١) فى ظ و م : لايجدد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جهلهم (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يخافون اه) زيد من ظ و م و مد (٦) راجع من تفسيره ٤/١١٠ (٧) من مد والتفسير ، و فى الأصل و ظ و م : طريق (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م .

[بصوت جهورى وهو فى بعض أسفاره فناداه : يا محمد ، فقال له النبى صلى الله عليه و سلم - [١]] [٢]بنحو من[٢] صوته "هاوم[٣]" فقال : متى الساعة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليهم و سلم : ويحك إنها كائنة[٤] فما أعددت لها ؟ فقال : حب الله و رسوله ، فقال : أنت مع من احببت . قال ابن كثير : فقوله فى الحديث " المرء مع من أحب " متواتر[٥] لامحالة ، و الغرض أنه لم يجبه عن وقت الساعة ، بل أمره بالاستعداد لها - [انتهى - [٦]] ، و هو مشروط بالبراءة من [٧]أعداء الله[٧] بدليل قصة أبى طالب فانه لم ينفعه حب الولى نفعا تاما بدون البراءة من العدو .

و لما أعلم بتعريف الحق أنها ثابتة [٨]ثباتا كاملا[٨] لاانقضاء له أصلا و لا زوال لآثارها[٩]، أنتج قوله مؤكدا معظما[١٠] فى مقابلة [إنكارهم - [٦]] : ﴿ الآ ان الذين يمارون ﴾ أى يظهرون شكهم فى معرض اللجاجة الشديدة طلبا لظهور شك غيرهم من : مريت الناقة - إذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لتستخرج ما عساه يكون فيها من اللبن ﴿ فى الساعة ﴾ أى القيامة و ما تحتوى عليه ﴿ لفى ضلٰل ﴾ اى ذهاب جائر عن الحق

(١) زيد من م و مد والتفسير (٢ ٢) من م و مد، وفى الأصل و ظ : من نحو، وفى التفسير : نحو (٣) من ظ و م و مد و التفسير ، و فى الأصل : ماذم (٤) من م و مد والتفسير، وفى الأصل وظ : بانية (٥) من م و مد و التفسير ، وفى الأصل و ظ : متواترا (٦) زيد من م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الغدال قه (٨-٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كلاما (٩) من م و مد ، و فى الأصل وظ : الاثاربما (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حظها .

﴿ بعيد ه﴾ جدا عن الصواب ، فان لها من الأدلة الظاهرة فى العقل المؤيد بجازم النقل ما ألحقــها حال غيابها بالمحسوسات[١] لو كشف[٢] الغطاء ما ازددت يقينا .

و لما كان حاصل أمر الفريقين أنه[٣] أظهر خوف الكافرين فى غاية الأمن و أبطن أمن[٤] المؤمنين فى ازعج [خوف -[٥]] ، و كان هذا عين ٥ اللطف ، فانه الوصول إلى الشيء بضده ، و يطلق على إيصال البر إلى الخلق على وجه يدق إدراكه ، و كان أكثر ما يبطئ بالإنسان فى أمر الدين اهتمامه بالرزق ، انتج ذلك قوله : ﴿ الله ﴾ أى الذى له الأمر كله فهو[٦] يفعل ما يريد ﴿ لطيف ﴾ أى بالغ فى العلم و إيقاع الإحسان بايصال المنافع ، و صرف المضار على وجه يلطف إدراكه ، قال القشيرى : ١٠ اللطيف العالم بدقائق الأمور و غوامضها و هو الملطف[٧] المحسن و كلاهما فى صفته سبحانه صحيح ، [و أكثر -[٥]] ما يستعمل اللطف فى وصفه بالإحسان فى الأمور الدينية ، و قال الرازى فى اللوامع : هو اسم مركب من علم و رحمة و رفق خفى ﴿بعباده﴾ - انتهى . أما بالمؤمن فواضح ، / و أما الكافر فأقل لطفه به أنه لايعاجله فى الدنيا و لا يعذبه[٨] فوق ما ١٥ / ٦٣٩

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى المحسوسات (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كشفت (٣) من م و مد ، و فى الأصل : كانه (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : امر (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فهل (٧) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الطف (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايعرفه .

[يستحق -[1]] فى الأخرى، فالاسم [الأول -[1]] تخويف و الثانى ترجيه ظاهرة باطنها تخويف. إشارة إلى ما ينبغى من الخوف و الرجاء، و ان يكون الخوف اغلب .

و لما كان اظهر ما يكون هذا الوصف فى الرزق، فانه يوسع على من لاحيلة له، و يحرم من هو فى غاية القوة[2] و القدرة، و يرفع الضعيف الجبان و يخفض القوى الشجاع، و كل ذلك على حسب ما يعلم من بواطنهم و يريد من اعمالهم، قال دالا على ذلك استئنافا لمن[3] سأل عن كيفية[4] اللطف: ﴿رزق من يشآء ج﴾ مهما شاء على سبيل من السعة او[5] الضيق او التوسط لامانع له من شيء من ذلك، و يمنع الرزق عمن يشاء إذا علم فراغ اجله فيتوفاه إليه فاجهدوا أنفسكم[6] فى طلب[6] مرضاته، و لا تلتفتوا [7]إلى الخوف[7] من الحاجة فانه [8]قد فرغ[8] من تقدير[9] الرزق و نهى عن المبالغة فى طلبه .

و لما كان ذلك لايستطيعه أحد سواه لما يحتاج إليه من القوة الكاملة و العزة الشاملة [قال -[1]] : ﴿و هو القوى﴾ [أى -[1]]

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل وظ : العقل، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : كان كانه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ط : كيف (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ « و » (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لطلب : (٧-٧) من م و مد، و فى الاصل و ظ : للخوف (٨-٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فرق (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ : تقرير .

فلا يضيق عطاؤه بشيء ﴿العزيز ع﴾ فلا يقدر أحد ان يمنعه [عن شيء -[1]] .

و لما بين بهذا ان الرزق ليس إلا فى يده، أتبعه ما يزهد فى طلب رزق البدن، و يرغب فى رزق الروح فقال عل سبيل الاستئناف جوابا لمن يسأل: هل يكون الرزق بشدة السعى أو لا، و بدأ برزق الروح لشرفه: ﴿من كان﴾ أى من شريف أو دنىء ﴿يريد﴾ و لما كان مدار ٥ مقصد السورة على الدين، و كان الدين معاملة بين العبد و ربه يقصد به ما يقصد بالحرث [من حصول الفائدة، و كان الحرث من أجل أسباب المكاسب، و كانت الجنة قيعانا غراسها ذكر الله، عبر عن مطلق الكسب بالحرث -[2]] فقال: ﴿حرث الاخرة﴾ أى أعمالها التى تستنمى بها الفوائد . و لما كانت أسباب الحروث و ثمراتها لايقدر على تعطيلها ١٠ و إنجاحها إلا الله، و كان الآدمى يظن لنفسه فى ذلك قدرة، نبه سبحانه بالالتفات إلى أسلوب العظمة ان أمره سبحانه فى ذلك لايستطاع دفاعه و لا ممانعته و نزاعه[3]: ﴿نزد له﴾ [أى بعظمتنا التى لايقدر أحد على تحويلها -[2]] ﴿فى حرثه ج﴾ بأن يعينه على الأعمال الصالحة بانارة القلب و تصفية الحال و تهدئة[4] السر و نفوذ البصر فيما يضر و ينفع ١٥ و يضاعف[5] له ثوابها[6] من العشر لكل حسنة إلى ما لانهاية له و يغطيه من الدنيا التى أعرض عنها ما قدر له إعانة له[7] على ما أقبل عليه من

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: شرعه (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تهدر (٥) فى ظ و مد: لضعف (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ثوابه (٧) سقط من م.

الآخرة ، و طوى ذكر الدنيا فى هذا الشق تنبيها على أنها[1] أحقر من [2]أن تذكر[2] مع أنه معلوم من آيات أخر ﴿ و من كان ﴾ أى من [3]قوى أو[3] ضعيف ﴿ يريد حرث الدنيا ﴾ أى أرزاقها التى تطلب [4]بالكد والسعى[4] و يستنمى به[5] مكتفيا به مؤثرا [له - [6]] على الآخرة ٥ ﴿نؤته منها﴾ ما[7] قسمناه له ، و لو تهاون به و لم يطلبه لأتاه ، و لا ينال كل ما يتمناه و لوجهد كل الجهد ، و أما الآخرة فكل ما نواه طالبها من أعمالها حصل له و إن لم يعمله ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أن طالب الدنيا ما ﴿ له فى الأخرة من نصيب ﴾ أصلا ، روى أبى بن كعب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : " بشر هذه الأمة ١٠ بالسنا و الرفعة و النصرة و التمكين[8] فى الأرض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له فى الآخرة من نصيب " رواه أحمد[9] و ابن حبان[10] فى صحيحه[11] و الحاكم - و قال : صحيح الإسناد - و البيهقى ، و ذلك لأن الأعمال بالنيات ، و إنما لكل امرئ ما نوى ، و هذا تهاون بها فلم ينوها و هى أشرف من [أن - [6]] تقبل على من أعرض عنها [فانها - [6]]

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انه (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الذكر (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالسعى و الكد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بها (٦) زيد من م و مد (٧) فى م : مما (٨) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل و م : التمكن (٩) راجع المسند ٥ / ١٣٤ (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حسان (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تصحيحه .

ضرة الدنيا [و ضدها -[1]] ، فالدنيا لخساستها تقبل على من اعرض عنها و تبعد[2] عمن / أقبل عليها حتى تهلكه فى مهاويها ، و الآخرة تقبل على من أقبل عليها أضعاف إقباله[3] ، و تنادى من أدبر عنها لينتهى عن غيه وضلاله ، قال الرازى فى اللوامـــع : أهل الإرادة على أصناف : مريد للدنيا[4] و مريد للآخرة[5] و مريد للحق جل و علا ، و علامة إرادة الدنيا أن يرضى فى زيادة دنياه بنقص دينه و الإعراض عن فقراء[6] المسلمين و أن تكون حاجاته فى الدعاء مقصورة على الدنيا ، و علامة إرادة الآخرة بعكس ذلك[7] ، و أما علامة إرادة الله سبحانه و تعالى كما قال[8] " و يريدون وجهه " طرح الكونين و الحرية عن الخلق[9] و الخلاص من[9] يد النفس - انتهى ، و حاصله أن يستغرق أوقاته فى التوفية بحقوق الحق و حقوق الخلق و تزكية [النفس -[10]] لاطمعا فى جنة و لا خوفا من نار[10] ، بل امتثالا لأمر الملك الأعلى[11] الذى لا إله غيره[11] لأنه أهل لذلك مع اعترافه بأنه لن[12] يقدر الله حق قدره .

/ ٦٤٠

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، فى الأصل : تعرض (٣) من م ومد ، وفى لأصل وظ : اقبال (٤) من م و مد ، و فى الأصل وظ : الدنيا . (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الآخرة (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فقهاء (٧) زيد فى الأصل : و الله اعلم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل : عز من قايل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاخلاص (١٠) من م و مد ، وفى الأصل وظ : النار (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من م و مد. (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا .

و لما تقرر ما شرع من الدين مما وصى به[1] جميع النبيين فبانت اصوله و اتضحت فروعه و فصوله، و ظهرت غرائبه و اشرقت فرائده و آياته، و ختم بالقانون الأعظم فى[2] أمر الدارين مما [3]هو مشاهد[3] و لا يقدره عليه غيره، فكان التقدير من غير خفاء: هذا شرع الله الذى ارتضاه لعباده و حكم بأن الإقبال عليه غير ضار بطلب الرزق و قدر الأرزاق فلا قدرة لأحد[4] أن يزيد فى رزقه شيئا، و لا ان ينقص منه شيئا، اقبلوه؟ عادل ذلك بقوله تعالى مقررا[5] موبخا منبها على ما هو الأصل فى الضلال عن قوانينه المحررة و شرائعه الثابتة المقررة: ﴿ ام لهم ﴾ اى لهؤلاء الذين يروغون يمينا و شمالا ﴿ شركـؤا ﴾ على زعمهم شاركوا الشارع الذى مضى بيان عزته و ظهور جلاله و عظمته فى أمره حتى ﴿ شرعوا ﴾ اى الشركاء الذين طرقوا و نهجوا[6] ﴿ لهم ﴾ أى للكفار، و يجوز أن يكون المعنى: شرع الكفار لشركائهم ﴿ من الدين ﴾ فى العبادات و العادات التى تقرر فى الأذهان أنه لابد من الجزاء عليها لما[7] جرت به عوائدهم من محاسبة من تحت أيديهم و قدروا لهم من الأرزاق، و عدل عن اسلوب العظمة إلى الاسم الأعظم إشارة إلى ما فيه مع[8] العظمة

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بها (٢) من ظ و م و مد، و فى الاصل: من (٣ - ٣) من ظ و م و مد، و فى الاصل: يشاهد (٤) من ظ و م و مد. و فى الاصل: احد (٥) من ظ و م و مد، و فى الاصل: معورا. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هيبوا (٧) من م و مد، و فى الاصل و ظ: كما (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من.

من

من الإكرام الذى من جملته الحلم المقتضى لعدم معاجلتهم بالأخذ فقال تعالى: ﴿ ما لم يأذن به الله ﴾ أى يمكن العباد منه بأمرهم به و تقريرهم عليه الملك الذى لا أمر لأحد معه، و قد محقت[1] صفاتـه كل صفة و تضائل عندها كل عظمة، فأقبلوا عليه دون غيره لكونه معتدا به، فان كان كذلك فليسعدوا من أقبل على الدنيا التى هى محط أمرهم فلا يعرفون غيرها بأن يعطوه[2] جميع [3]مراده و يشقوا[3] من أراد الآخرة و سعى لها سعيها، و نسب الشرع إلى الأوثان لأنها سببه كما كانت سبب الضلال فى قوله سبحانه و تعالى حكاية عن إبراهيم خليله[4] /عليه الصلاة و السلام "رب انهن اضللن كثيرا من الناس" و يضاف الشركاء إليهم تارة لأنهم متخذوها [5]و تارة[5] إلى الله تعالى لأنهم [6]أشركوهم به[6]، و العبارة تأتى بحسب المقام. /٦٤١

و لما علم قطعا أن التقدير: فلولا ان هذه الأفعال التى يفعلونها من غير إذن منه لا تنقص من ملكه سبحانه شيئا، و لا تضر إلا فاعلها مع أنها بارادته، فكانت لمنعهم عنها لم[7] يصلوا إلى شىء منها، عطف عليه قوله تعالى: ﴿ و لو لا كلمة الفصل ﴾ التى سبق فى الأزل أنها لا تكون[8]

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: محت (٢) من ظ و م و مد، و فى الاصل: يعطون (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مرادهم و يسعوا.
(٤) ليس فى م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الاصل: تارته.
(٦-٦) من م و مد، و فى الاصل و ظ: اشركوه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلا (٨) زيد فى الأصل: الاهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

و لما كان أمرهم هينا، بنى الفعل للمفعول، فقال: ﴿ لقضى بينهم ﴾ أى بين الذين[1] امتثلوا أمره فالتزموا شرعه و بين الذين [اتبعوا - [2]] ما شرعوه لمن سموهم شركاء فى أقرب وقت[3] و لكنه [قد -[4]] سبق القضاء فى [أزل - [4]] الأزل بمقادير الأشياء و تحديدها على وجوه الحكمة، فهى تجرى على ما حد لها لا تقدم لشىء[5] منها و لا تأخر و لا تبدل و لا تغير، و ستكشف لكم الأمور و تظهر مخآت[6] المقدور فلا يقع الفصل إلا فى الآخرة كما سبق به القضاء بأن يكون للقسطين نعيم مقيم.

و لما كانوا ينكرون أن يقع بهم عذاب، قال[7] مؤكدا عطفا[8] على ما قدرته بما[9] أرشد إليه السياق: ﴿و ان الظلمين﴾ بشرع ما لم يأذن به الله من الشرك وغيره ﴿ لهم عذاب اليم ﴾ أى مؤلم بليغ إيلامه.

و لما علم من هذا السياق كما ترى أنه لابد من الفصل، و أن الفصل لا يكون إلا يوم القيامة، قال شارحا للفصل بين الفريقين فى ذلك اليوم[10] مقبلا على خطاب اعلى الخلق إشارة إلى أن هذا لايفهمه حق الفهم و يوقن به حق الإيقان غيره صلى الله عليه و سلم، أو يكون المراد

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الذى (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) من م و مد، و فى الاصل و ظ: وقته (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و فى الاصل و ظ: شىء (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: محات. (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فقال (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عاطفا (٩) من ظ و م و مد. و فى الأصل: بما (١٠) سقط من م.

كل من يصح أن يخاطب إشارة إلى أن الأمر في الوضوح بحيث لا يختص به احد دون أحد فقال : ﴿ ترى ﴾ أى فى ذلك اليوم الذى لا يشك فيه عاقل لما له من الأدلة الفطرية الأولية و العقلية و النقلية ﴿ الظلمين ﴾ اى الواضعين الأشياء فى غير مواضعها ﴿ مشفقين ﴾ أى خائفين اشد الخوف كما هو حال من يحاسبه من هو أعلى منه و هو مقصر . و لما كان الكلام فى الذين ظلمهم صفة راسخة لهم ، كان من المعلوم أن كل عملهم عليهم ، فلذلك عبر بفعل الكسب مجردا فقال : ﴿ مما كسبوا ﴾ أى عملوا معتقدين انه غاية ما ينفعهم ﴿ و هو ﴾ اى جزاؤه و وباله الذى هو من جنسه حتى كأنه[1] هو ﴿ واقع بهم[2] ﴾ لا محالة من غير أن يزيدهم خوفهم إلا عذابا فى غمرات النيران ، ذلك هو الخسران المبين ، ذلك الذى ينذر به [الذين ظلموا -[2]] ﴿ و الذين امنوا ﴾ [3]يصح أن يكون معطوفا على مفعول "ترى" و أن يكون معطوفا على جميع الجملة فيكون مبتدأ ﴿ و عملوا الصلحت ﴾ و هى التى أذن الله فيها [غير -[4]] خائفين مما كسبوا لأنهم [5]مأذون لهم[5] فى فعله و هو مغفور[6] لهم ما فرطوا فيه ﴿ فى روضت الجنت ﴾ أى فى الدنيا بما[7] يلذذهم الله[8] /به من لذائذ ١٥ / ٦٤٢

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كانه (٢) زيد من م و مد (٣) زيد فى الأصل و ظ : و الذين امنوا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م و مد (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ماذونون بهم . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمقصور (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مما (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انه .

الأقوال و الأعمال و المعارف و الأحوال، فى الآخرة حقيقة بلازوال ﴿ لهم ما يشآءون ﴾ أى دائما أبدا كائن[1] ذلك لكونه فى غاية الحفظ و التربية و التنبيه على[2] مثل هذا الحفظ لفت القول إلى صفة الإحسان، فقال: ﴿ عند ربهم ﴾ اى الذى لم يوصلهم إلى هذا الثواب العظيم إلا حسن تربيته لهم، و لطف بره بهم على حسب ما رباهم.

و لما ذكر مالهم من الجزاء عظمه فقال: ﴿ ذلك ﴾ [أى -[3]] الجزاء العظيم الرتبة الجليل القدر ﴿هو﴾ لا غيره ﴿الفضل﴾ [أى -[4]] الذى هو أهل لأن يكون فاضلا عن كفاية صاحبه، و لو بالغ فى الإنفاق ﴿ الكبير ﴾ الذى ملأ جميع جهات الحاجة و صغر عنده كل ما ناله غيرهم من هذا الحطام، فالآية كما ترى من الاحتباك: أثبت الإشفاق أولا دليلا على حذف الأمن ثانيا، و الجنات ثانيا دليلا على حذف النيران أولا.

و لما ذكر محلهم و مآلهم فيه، بين دوامه زيادة فى تعظيمه فقال مبتدئا: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم من الجنة و نعيمها، و أخبر عن المبتدإ بقوله: ﴿ الذى يبشر ﴾ أى مطلق بشارة عند من خفف و بشارة كثيرة عند من ثقل، و[6] زاد البشارة عظما[7] بالاسم الأعظم، فقال لافتا القول إليه: ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم و العائد و هو "به" محذوف

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كاينا (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن (٣) زيد من م و مد (٤) زيد من ظ و م و مد (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: عنه فكل (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: زاده بشارة.

تمحيا

تفخيما للبشر به لأن السياق لتعظيمه بالبشارة و بجعلها بأداة البعد و بالوصف بالذى[1]، و ذكر الاسم الأعظم و التعبير بلفظ العباد مع الإضافة إلى ضميره سبحانه فأفهم حذفه أن الفعل واقع عليه واصل[2] بغير واسطة إليه، فصار كأنه مذكور [و - [3]] ظاهر و منظور فقال: ﴿ عباده ﴾ و من المعلوم ان كل أحد يعظم من اختصه لعبوديته . ٥

و لما أشعر بالإضافة اصلاحهم، نص عليه بقوله: ﴿ الذين آمنوا ﴾ أي صدقوا بالغيب ﴿ وعملوا ﴾ تحقيقا لإيمانهم ﴿ الصلحت[4] ﴾، و ذلك الذى مضى قبله الذى ينذر به الذين كفروا . و لما كانت العادة جارية بان البشير لا بد له من حياء و إن لم يسأل[5] لأن بشارته قائمة مقام السؤال، قال كعب بن مالك رضى الله[5] عنه: لما أذن الله بتوبته علينا ركض نحوى[6] ١٠ راكض على فرس و سعى ساع على رجليه[6] فأوفى على جبل سلع[7] و نادى: يا كعب بن مالك أبشر، فقد تاب الله عليك، فكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءنى الذى سمعت صوته خلعت[8] له ثوبى، فدفعتهما إليه، و الله ما أملك يومئذ غيرهما، و استعرت ثوبين فلبستهما ـ إلى آخر حديثه، كان كأنه قيل: ما ذا تطلب على هذه البشارة، فأمر ١٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بالذكر (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: وصل (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم يسد (٥) ذكره البخارى فى أبواب المغازى و مسلم فى التوبة من صحيحيهما. (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: نحو (٧) من ظ و مد، و فى الأصل و ظ: يبلغ (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل خلقت.

بالجواب بقوله : ﴿قل﴾ أى لمن توهم فيك[1] ما جرت به عادة المبشرين : ﴿لا اسئلكم﴾ أى الآن و لا فى مستقبل الزمان ﴿عليه﴾ أى البلاغ بشارة و نذارة ﴿اجرا﴾ أى و إن قل ﴿الا﴾ أى لكن اسألكم ﴿المودة﴾ أى المحبة العظيمة الواسعة .

٥ و لما كانوا يثابرون على صلة الأرحام و إن بعدت و الأنساب لذلك[2] قال : ﴿فى القربى[3]﴾ أي مظروفة فيها بحيث يكون القربى موضعا للمودة و ظرفا لها ، لايخرج شيء من محبتكم عنها ، فانها بها يتم أمر الدين و يكمل الإجتماع فيه ، فانكم إذا وصلتم ما بينى و بينكم من الرحم لم تكذبونى بالباطل ، ولم تردوا ما جئتكم به من سعادة الدارين ، فأفلحتم

١٠ كل الفلاح و دامت[3] الألفة بيننا حتى نموت ثم ندخل الجنة فتستمر ألفتنا دائما أبدا ، / و قد شمل ذلك جميع القرابات[4] و لم يكن[5] بطن من قريش إلا و له صلى الله عليه و سلم فيهم قرابة ، رواه البخارى [عن -[6]] ابن عباس رضى الله عنهما[7] و قال : إلا أن تصلوا [ما -[8]] بينى و بينكم من القرابة ، و روى البخارى عن سعيد بن جبير[9] : إلا أن تودونى[9] فى قرابتى

/ ٦٦٣

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قبل (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كذلك (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : امت (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القربان (٥) زيد فى الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد من م و مد (٧) راجع صحيح البخارى ٢ / ٧١٣ - أبواب التفسير (٨) زيد من م و مد و الصحيح (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تزدولى .

أى[١] تبروهم و تحسنوا إليهم، قال ابن كثير[٢]: و قال السدى: لما جىء بعلى ابن الحسين أسيرا فأقيم على درج دمشق قام[٣] رجل من أهل الشام فقال: الحمد لله الذى قتلكم[٤] و استأصلكم و قطع قرن الفتنة، فقال له على: أقرأت القرآن؟ قال: [نعم قال: ما -[٥]] قرأت "قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة فى القربى" قال: و إنكم لأنتم هم، قال: نعم[٦]، و عن العباس رضى الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! إن قريشا إذا لقى بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن و إذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها، فغضب النبى صلى الله عليه و سلم غضبا شديدا و قال: و الذي نفسى بيده لايدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله[٧] و رسوله، و عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال[٨]: إنا لنخرج فنرى قريشا تحدث، فاذا رأونا[٩] سكتوا، فغضب رسول الله صلى الله عليه و سلم و در عرق بين عينيه، ثم قال: و الله لايدخل قلب امرئ [مسلم -[١٠]] إيمان حتى يحبكم لله[١١] و لقرابتى. و عبر فى المنقطع بأداة الاستثناء إعراقا فى النفى بالإعلام بأنه لايستثنى أجر أصلا إلا هذه المودة إن قدر[١٢] أحد أنها تكون أجرا، و يجوز ان تكون

(١) من م ومد، و فى الأصل وظ: او (٢) فى التفسير ٤/١١٢ (٣) من ظ و م و مد و التفسير، و فى الأصل: فقام (٤) من ظ و م و مد و التفسير، و فى الأصل: فتلكم (٥) زيد من م ومد والتفسير (٦) من ظ و م و مد و التفسير، و فى الأصل: هم (٧-٧) من م ومد و التفسير، و فى الأصل وظ: يحب الله. (٨) من ظ و م و مد و التفسير، و فى الأصل: قال (٩) من ظ و م و مد و التفسير، و فى الأصل: راينا (١٠) زيد من ظ و م ومد و التفسير (١٦) من ظ و م و مد و التفسير، و فى الأصل: الله (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قد.

«إلا» بمعنى «غير» فيكون من باب :

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

فمن كان بينه و بين أحد من المسلمين قرابة فهو مسؤل أن يراقب الله في قرابته تلك، فيصل صاحبها بكل ما تصل قدرته إليه من جميع ما أمره الله به من ثواب أو عقاب، فكيف بقرابة النبي صلى الله عليه و سلم فانه قد قال صلى الله عليه و سلم فيما رواه الطبراني[1] و أبو نعيم في الحلية عن أبي ذر رضي الله عنه "مثل أهل بيتي كمثل سفينة نوح عليه الصلاة و السلام، من ركب فيها نجا، و من تخلف عنها هلك" و قال فيما رواه في الفردوس[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما: أصحابي بمنزلة النجوم [في السماء -[3]] بأيهم اقتديتم اهتديتم. قال الأصبهاني: و نحن الآن [في -[4]] بحر التكليف محتاجون إلى السفينة الصحيحة و النجوم الزاهرة، فالسفينة حب الآل، و النجوم حب الصحب، فنرجو[5] من الله السلامة و السعادة بحبهم في الدنيا و الآخرة -[6] و الله أعلم[6].

و لما كان التقدير حتما: فمن يقترف سيئة فعليه وزرها، و لكنه طوى لأن المقام للبشارة كما يدل عليه ختم الآية مع سابقه، عطف عليه قوله: ﴿و من يقترف﴾ أي يكسب و يخالط و يعمل بجد و اجتهاد و تعمد و علاج ﴿حسنة﴾ [أي -[4]] و لو صغرت، و صرف القول

(١) راجع مجمع الزوائد للهيثمي ٦/١٦٨ (٢) راجع تلخيصه (خ) ص :
(٣) زيد من م و مد و التلخيص (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ : فتزودوا (٦-٦) ليس ما بين الرقمين في ظ و م و مد

إلى

إلى مظهر العظمة [إشارة إلى أنه لايزيد فى الإحسان إلا العظماء، و إلى أن الإحسان قد يكون سببا لعظمة -[1]] المحسن فقال: ﴿ نزد ﴾ على عظمتنا ﴿ له فيها حسنا ﴾ بما لايدخل تحت الوهم، و من الزيادة أن يكون له مثل أجر من اقتدى به [فيها -[2]] إلى يوم القيامة لاينقص / من أجورهم شيئا، و هذا من أجر الرسل على إبلاغهم إلى الأمم، فهم ٥ / ٦٤٤ أغنياء عن طلب غيره - هذا إن اهتدوا به، و إن دعاهم فلم يهتدوا كان له مثل أجورهم لو اهتدوا، فان عدم اهتدائهم ليس من تقصيره، بل قدر الله وما شاء فعل.

و لما كانوا يقولون: إنا قد ارتكبنا من المساوئ ما لم ينفع معه شيء، قال نافيا لذلك على سبيل التأكيد معللا مبينا بصرف القول إلى ١٠ الاسم الأعظم أن مثل ذلك لايقدر عليه ملك غيره على الإطلاق: ﴿ ان الله ﴾ أى الذى لايتعاظمه شيء ﴿ غفور ﴾ لكل ذنب تاب منه صاحبه أو[3] كان يقبل الغفران و إن لم يتب منه إن شاء، فلا[4] يصدن أحدا[4] سيئة عملها عن[5] الإقبال على الحسنة.

و لما كان إثبات الحسنة فضلا عن الزيادة عليها لايصح إلا مع ١٥ الغفران، و لايمكن أن يكون مع المناقشة، [6]فذكر ذلك[6] الوصف الذى هو أساس الزيادة، أفادها - أى الزيادة - بقوله: ﴿ شكور ﴾ فهو يجزى

(١) زيد من م ومد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ «و» (٤-٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يصدق (٥) من م ومد، و فى الأصل وظ: على (٦-٦) من ظ و م ومد، وفى الأصل: فذلك.

بالحسنة أضعافها و يترك سائر حقوقه . و لما أثبت أنه أنزل الكتاب بالحق ، و دل على ذلك إلى أن ختم بنفى الغرض فى البلاغ فحصل[1] القطع بمضمون الخبر ، كان كأنه [قيل -[2]] إنكارا عليهم و توبيخا لهم : هل عملوا بما نبهناهم عليه مما يدعون أنهم عريقون فيه من صلة الرحم و الإقبال على معالى[3] الأخلاق باجتناب السيئات و ارتكاب الحسنات ، و البعد عن الكذب و المكابرة و البهتان ، فاعتقدوا أنه حق و أنه وحى من عند الله بما قام على ذلك من البرهان : ﴿ام يقولون﴾ عنادا : ﴿افترى﴾ أى تعمد أن يقطع ، و قدم[4] ذكر الملك الأعظم[5] تنبيها على أنه لا أفظع من الكذب على ملك الملوك مع فهم المفعول به من لفظ الافتراء فقال : ﴿على الله﴾ الذى أحاط بصفات الكمال ، فله العلم الشامل بمن يتقول عليه و القدرة التامة على عقابه ﴿كذبا﴾ حين زعم أن هذا القرآن من عنده و أنه أرسله لهذا الدين .

و لما كان التقدير قطعا : إنهم ليقولون ذلك و كان قولهم [له -[2]] قولا [6]معلوم البطلان[6] لأنه تحداهم بشىء من مثله فى زعمهم أن له مثلا ليعلم صحة قولهم فلم يأتوا بشىء و هم و إن كانوا قد يدعون أنه يمنعهم من ذلك أنهم [لا -[2]] يستجيزون الكذب مبطلون لا يمترى عاقل

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فهل (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تعاطى (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تقدم (٥) زيد فى الأصل و ظ : لا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها . (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : معلوما بالبطلان .

فى بطلان ذلك [منهم أيضا لأنهم لم يطلب منهم أن ينسبوا ما يأتون به إلى الله على أنه لو طلب منهم ذلك -[1]] لما كان عذرا ، لأنه لايتوقف أحد فى أن الضرورات تبيح المحذورات ، و أنه يرتكب أخف الضررين لدفع أثقلهما ، فالإتيان بكلام يسير يسكن به فتن[2] طوال و تنقطع به شرور كبار فى غاية الحسن لأن الخطب فيه سهل ، و الأمر يسير ، ٥ فكان ذلك و هم يرتكبون[3] أكبر منه من قطع الأرحام و تفريق الكلمة لقتل النفوس و تخريب الديار و إتلاف الأموال دليلا قاطعا على أنهم [إنما -[1]] يتركونه[4] عجزا ، تسبب عن قولهم هذا و هو نسبتهم له إلى تعمد الكذب أن قال تعالى ردا[5] عليهم ببيان كذبهم فيما قالوا ببيان ما له صلى الله عليه و سلم من نور القلب اللازم عنه[6] استقامة القول : ١٠ ﴿ فان ﴾ و أظهر الجلالة و لم يضمر تعظيما للأمر بأن الختم لايقدر عليه إلا المتصف [7]بجميع صفات الكمال[7] على الإطلاق من غير [8]تقيد بقيد[8] أصلا فقال : ﴿يشا الله﴾ أى الذى له الإحاطة بالكمال[9] ﴿يختم﴾ و جرى على الأسلوب السابق فى الخطاب لأعظم أولى الألباب فقال معبرا بأداة الاستعلاء : ﴿على قلبك[1]﴾ فيمنعه من / [قبول -[1]] روح [هذا -[1]] ١٥ / ٦٤٥

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سنن (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يركبون (٤) فى م : يرتكبوا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رادا (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منه (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالكمال (٨-٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تقييد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بجميع أوصاف الكمال .

الوحى كما ختم على قلوب أعدائك من قبول ذلك، فتستوى حينئذ [1]معهم فى[1] عدم القدرة على الإتيان بشىء منه و تصير[2] لو قلت و قد أعاذك الله [3]عما يقولون[3] مما يصح نسبته إلى الباطل لم تقله إلا و معه الأدلة قائمة على بطلانه[4] كما أنهم هم كذلك لايزالون[5] مفضوحين بما على أقوالهم من الأدلة [قائمة -[6]] على بطلانها، و كان الأصل فى الكلام: أم يقولون [ذلك -[6]] [7]و أنهم لكاذبون فيه بسبب أن الله قد شرح صدرك و أنار قلبك فلا تقول قولا إلا كانت الأدلة قائمة على صدقه، و لكنه ساق الكلام هكذا لأنه مع كونه [8]أنصف دال على تعليق[8] الوصف بالافتراء على ختم القلوب، و ذلك دال[9] قطعا على أنهم هم الكاذبون لما على قلوبهم من الختم الموجب لأنها تقول ما الأدلة قائمة على كذبه.

و لما كان التقدير كما دل عليه السياق: و لكنه لم يشأ ذلك، بل شاء جعله قابلا لروح الوحى [10]واعيا لفنون[10] العلم فهو يقذف بأنواع المعارف، و يهتف بتلقى أعاجيب اللطائف، و يثبت الله ذلك كله من غير

(١-١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مع (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تعبر (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بطلانهم (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لم يزالوا (٦) زيد من م و مد (٧-٧) زيد فى م: أى تعمد الكذب (٨-٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لانصف على تعلق (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: إلى (١٠-١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و لقبول.

مانع

مانع و لا صارف، عطف عليه قوله: ﴿ و يمح الله ﴾ [أى -[1]] الذى له جميع صفات الكمال ﴿ الباطل ﴾ وهو قولهم « افترى » و كل كذب فلا يدع له أثرا، و هنالك يظهر خسران الجاحد و ينقطع لسان الألد المعاند، ولم يذكر أن آلة[2] المحو الكلمات و غيرها استهانة به بالإشارة إلى أنه تارة يمحوه بنفسه بلا سبب و تارة بأضعف[3] الأسباب و تارة بأعلى منه، و حذفت واوه فى [الخط فى -[4]] جميع المصاحف مع أنه استئناف غير داخل فى الجواب لأنه تعالى [يمحو -[4]] الباطل مطلقا إيماء إلى أنه سبحانه يمحق[5] رفعه و[6]علوه و غلبته[6] التى دلت عليها الواو مطابقة بين خطه و لفظه، و معناه تأكيدا[7] للبشارة بمحوه محوا لايدع له عينا و لا أثرا لمن ثبت لصولته[8]: و صبر كما أمر لحولته، اعتمادا على صادق وعد الله إيمانا بالغيب و ثقة بالرسل عليهم الصلاة و السلام، و فى الحذف أيضا تشبيه [له -[4]] بفعل الأمر إيماء إلى أن إيقاع هذا المحو أمر لابد من كونه على أتم الوجوه و أحكمها و أعلاها و أتقنها كما يكون المأمور به من الملك المطاع، و أما الحق فانه ثابت شديد مضاعف فلذا[9] قال: ﴿ و يحق ﴾ أى يثبت على وجه لايمكن زواله ﴿ الحق ﴾ أى كل ما من شأنه الثبات

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الآلة.
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: باصعب (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نحو (٦-٦) فى م: غلبته و علوه (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تاكيد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اصوته.
(٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فكذا.

لأنه أذن فيه و أقره، و عظم الحق و إحقاقه بذكر آلة الفعل فقال: ﴿ بكلمته ﴾ أى التى "لو كان البحر مدادا لها" الآية التى يقولون إن ما أتاهم من العبارة عنها افتراء للكذب، و الحاصل أنه سبحانه أثبت [1]صفاء لبه و نورانية[1] قلبه و سداد قوله و صواب أمره، [2]و ظلام[2] قلوبهم و بطلان أقوالهم إثباتا مقرونا بدليله أما لأمل[3] البصائر فبعجزهم عن معارضته، و أما للاغبياء[4] فباثبات قوله و محو قولهم.

و لما كانوا يعلمون أنه [على - [5]] حق و هم على باطل، و كان من أحاط علمه [6]بشىء قدر[6] على ما يريده من ذلك الشىء، بين ذلك بقوله معللا على وجه التأكيد لأن عملهم عمل من يظن أن الله لا يعلم مكرهم: ﴿ انه عليم ﴾ أى بالغ العلم ﴿ بذات الصدور ﴾ أى ما هو[7] فيها مما يعلمه صاحبه و مما لا يعلمه[8] فيبطل باطله و يثبت حقه و إن كره / الخلائق ذلك "و لتعلمن نبأه بعد حين" ولقد صدق الله فأثبت ببركة[9] هذا القرآن كل[10] ما كان يقوله صلى الله عليه و سلم، و أبطل[11] بسيف

/٦٤٦

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صقالته و نورانيته (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بظلام (٣) من م و مد، وفى الأصل و ظ: باهل. (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: الاعتناء (٥) زيد من م و مد. (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بكل شىء قادر (٧) زيد فى الأصل: مخفى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل: صاحبه أيضا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بركة (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: على (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بطل.

هذا البرهان كل ما كانوا يخالفونه فيه، و من أصدق من الله قيلا .

و لما اخبر بضلالهم و جزم بابطال [١]اعمالهم، رغبهم[١] رحمة منه لهم فى التوبة التى هى من الحق الذى يحقه و لو على اقل وجوهها بأن يقولوها بألسنتهم ليبلغه ذلك عنهم[٢]، فان قول اللسان يوشك أن يدخل [إلى -[٣]] الجنان، فقال[٤] مذكرا له[٥] بامتنانه عليهم بقبول توبتهم و[٦]تطهير حوبتهم[٦] كرما [٧]منه و حلما[٧] معبرا بالضمير الذى هو غيب إشارة إلى [٨]لطفه فى علمه[٨] الغيب نذارة فى طى هذه البشارة: ﴿و هو﴾ [أى -[٣]] لا غيره[٩] أزلا و أبدا[٩] ﴿الذى يقبل التوبة﴾ كلما شاء بالغة له [١٠]او متجاوزا[١٠] ﴿عن عباده﴾ الذين هم خالصون لطاعته، سئل [أبو -[١١]] الحسن البوشنجى عن التوبة فقال: إذا ذكرت الذنب فلا تجد له حلاوة فى قلبك .

و لما كان القبول قد يكون فى المستقبل مع الأخذ بما مضى قال: ﴿و يعفو عن السيئات﴾ [اى -[٣]] التى كانت التوبة عنها صغيرة

(١-١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : عملهم و غيهم (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : منهم (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : و هو الحنان المنان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لهم (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تطهر حربهم. (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٨-٨) من م و مد، و فى الاصل و ظ : ان لفظه فى علم (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (١٠-١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ : و تجاوزا (١١) زيد من ظ و م و مد.

كانت أو كبيرة . و عن غيرها فلا يؤاخذ بها إن شاء لأن التوبة تجب ما قبلها كما أن الإسلام الذى هو توبة خاصة يجب ما كان قبله .

و لما كانت تعدية القبول بـ«عن» مفهمة لبلوغه ذلك بواسطة ، فكان ربما أشعر بنقص فى العلم ، أخبر بما يوجب التنزيه عن ذلك ترغيبا و ترهيبا بقوله : ﴿و يعلم﴾ أى و الحال أنه يعلم كل وقت ﴿ما يفعلون﴾ أى كل ما يتجدد لهم عمله سواء كان عن علم أو داعية شهوة و طبع سيئة كان أو حسنة ، و قرأ حمزة[2] و الكسائى و حفص عن عاصم و رويس[3] عن يعقوب بالخطاب لافتا[5] للقول عن غيب العباد لأنه أبلغ فى التخويف و قرأ الباقون بالغيب نسقا على العباد و هو ، أعم[6] و أوضح فى المراد فعفوه[7] مع العلم عن سعة الحلم .

و لما رغب بالعفو زاد بالإكرام فقال : ﴿و يستجيب﴾ أى يوجد[7] بغاية العناية و الطلب إجابة ﴿الذين آمنوا﴾ أى دعاء الذين أقروا بالإيمان فى كل ما دعوه به أو[8] شفعوا عنده فيه[9] لأنه لولا إرادته[9] لهم الإكرام[10] بالإيمان ما آمنوا ، و عدى الفعل بنفسه تنبيها على زيادة بره لهم و وصلتهم به

(١) زيد فى الأصل و ظ : عن ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) راجع نثر المرجان ٦ / ٢٦٤ (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و رس (٤) فى م : لفتا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اشهر (٦) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : يعفوه و (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يوحب (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من م (١٠) فى م : للا كرام .

و عملوا

﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لدعواهم الإيمان[1] ﴿ الصلحت ﴾ فيثيبهم النعيم المقيم ﴿ و يزيدهم ﴾ أى [مع -[2]] ما دعوا بـــه[3] ما لم يدعوا به و لم يخطر على قلوبهم و لما كان هذا و إن كان الأول فضلا منه أبين فى الفضل قال تعالى : ﴿ من فضله[4] ﴾ على أنه يجوز تعليقه بالفعلين .

و لما رغب الذين طالت مقاطعتهم فى المواصلة بذكر إكرامهم إذا اقبلوا عليه ، رهب الذين استمروا على المقاطعة فقال : ﴿ و الكفرون ﴾ أى العريقون فى [هذا -[2]] الوصف ، الذين منعتهم عراقتهم من التوبة و الإيمان ﴿ لهم عذاب شديد ﴾ و لايجيب دعاءهم ، فغيرهم من العصاة لهم عذاب غير لازم التقيد[5] بشديد ، و الآية من الاحتباك : ذكر الاستجابة أولا دليلا على ضدها ثانيا ، و العذاب / ثانيا دليلا على ضده أولا ، و سره أنه ذكر الحامل على الطاعة و الصاد[5] عن المعصية . ٦٤٧

و لما كان المتبادر من[6] الاستجابة إيجاد كل ما سألوه فى هذه الدنيا على ما أرادوه و كان الموجود غير ذلك بل كان أكثر أهل الله مضيقا عليهم ، و كانت الإجابة إلى كل ما يسأل بأن يكون فى هذه الدار يؤدى فى الغالب إلى البطر المؤدى إلى الشقاء فيؤدى ذلك إلى عكس المراد ، قال على سبيل الاعتذار لعباده و هو الملك الأعظم مبينا ان استجابته تارة تكون كما ورد به الحديث لما سألوه ، و تارة تكون بدفع مثله

(١) فى م : للايمان (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : إليه (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التقييد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الصادر (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : صادر عن .

من البلاء و تارة تكون بتأخيره إلى الدار الآخرة[1] ﴿ و لو ﴾ أى[2] هو يقبل و يستجيب و الحال أنه لو ﴿ بسط ﴾ و لما كان هذا المقام عظيما لاحتياجه إلى الإحاطة بالخلائق و الإحاطة بأخلاقهم و أوصافهم و ما يصلحهم و يفسدهم و القدرة على كل بذل و منع، عبر بالاسم الأعظم فقال: ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم الجامع لجميع صفات الكمال تنبيها على عظمة هذا المقام: ﴿ الرزق ﴾ لهم - هكذا كان الأصل، لكنه كره أن يظن خصوصيته ذلك بالتائبين فقيل: ﴿ لعباده ﴾ أى كلهم التائب منهم و غيره بأن[3] أعطاهم فوق حاجتهم ﴿لبغوا فى الارض﴾ أى لصاروا يريدون كل ما يشتهونه، فان لم يفعل سعوا فى إنفاذه كالملوك بما لهم من المكنة بكل طريق يوصلهم إليه فيكثر القتل و السلب و النهب و الضرب و نحو ذلك من أنواع الفساد، و قد تقدم فى النحل[4] من الكلام على[5] البغى ما يتقن به علم هذا المكان.

و لما كان معنى الكلام أنه سبحانه لايبسط لهم ذلك بحسب[6] ما يريدونه[7]، بنى عليه قوله سبحانه: ﴿و لكن ينزل﴾ أى لعباده من الرزق

(١) زيد فى الأصل: فى وقت يكون محتاجا إليها أشد الاحتياج فقال تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بل. (٤) زيد فى الأصل: ما سبق، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٥) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (٧) فى مد: يرونه.

﴿ بقدر ﴾ أى بتقدير لهم جملة و لكل [واحد - [1]] منهم لا يزيد عن[2] تقديره ذره و لا ينقصها ﴿ ما يشآء[3] ﴾ من الماء الذى هو اصل الرزق و البركات التى يدبر بها عباده كما اقتضته حكمته التى بنى عليها احوال هذه الدار .

و لما كان اكثر الناس يقول فى نفسه : لو بسط لى الرزق[5] لعملت الخير، و تجنبت الشر، و أصلحت غاية الإصلاح . قال معللا ما اخبر به فى أسلوب التأكيد : ﴿ انـه ﴾ و كان الأصل : بهم، و لكنه قال : ﴿ بعباده ﴾ لئلا يظن ان الأمر خاص[4] بمن وسع عليهم او[5] ضيق عليهم : ﴿ خبير بصير ﴾ يعلم جميع ظواهر[6] امورهم[7] و حركاتهم و انتقالاتهم و كلامهم[7] و بواطنها[8] فيـقيم كل واحد فيما يصلح له من فساد و صلاح و بغى و عدل، و يهيئ لكل شيء [من ذلك - [9]] أسبابه[10] .

و لما ذكر إنزال الرزق على هذا المنوال، و كان من الناس ممن[11] خذله الإضلال من[12] يقول : إن ما الناس فيه من المطر و النبات

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الاصل و ظ : على (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الاصل : خاصا بهم (٥) من م و مد، و فى الاصل و ظ : لو (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ظواهرهم من (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : بواطنهم (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) زيد فى الأصل : كما يرى و يطلع لى كما يروى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) من ظ و م و مد، و فى الاصل : من (١٢) من ظ و م و مد، و فى الاصل : ممن .

و إحراج الأقوات إنما هو عادة الدهر، تبين[1] انه سبحانه هو الفاعل لذلك بقدرته و اختياره بما تهوله كالشمس من انه قد يحبس المطر عن إبانه[2]. و إعادته[3] في وقته و أوانه، حتى ييأس [الناس - [4]] منه ثم ينزله إن شاء، فقال معبرا الضمير[5] الذي هو غيب[6] لأجل ان إنزال الغيث من مفاتيح الغيب: ﴿ و هو ﴾ [اى - [4]] لا غيره [7]قادر على ذلك / فانه هو[7] ﴿ الذى ينزل الغيث ﴾ أى المطر الذى يغاث به الناس أى يجابون إلى ما سألوا و يغاثون ظاهرا كما ينزل الوحى الذى يغاثون به ظاهرا و باطنا . /٦٤٨

و لما كان الإنزال لايستغرق زمان القنوط، أدخل الجار فقال: ﴿ من بعد ما قنطوا ﴾ اى يئسوا من إنزاله و علموا انه لايقدر على إنزاله غيره، و لا يقصد فيه سواه. ليكون ذلك أدعى لهم إلى الشكر و ينشره - هكذا كان الأصل و لكنه لما بين انه غيث[8] قال بيانا لأنه رحمة[9]، و تعميما لأثره[10] من النبات و غيره: ﴿ و ينشر رحمته ﴾ [أى -[11]] على السهل و الجبل فينزل من السحاب المحمول بالريح من الماء ما يملأ الأرض

(١) من م و مد. و فى الأصل و ظ: من (٢) من م و مد. و فى الأصل و ظ: ايامه (٣) زيد فى الأصل: و لو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد. و فى الاصل و ظ: بالضمير. (٦) من م و مد، و فى الاصل و ظ: عجيب (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) فى مد عبث (٩) من م و مد، و فى الاصل و ظ: رحمته (١٠) من م و مد، و فى الاصل و ظ: لامره (١١) زيد من ظ و م و مد.

بحيث لو اجتمع عليه الخلائق ما أطاقوا حمله ، فتصبح الأرض ما بين غدران و أنهار ، و نبات بحب و أشجار ، و حب و ثمار ، و غير ذلك من المنافع الصغار و الكبار ، فلله ما[1] أعلى هذه القدرة الباهرة و الآية[2] الظاهرة ، فيخرج من الأرض التى هى من صلابتها تعجز عنها المعاول[3] بما هو فى لينه ألين من الحرير ، و فى لطافته ألطف من النسيم ، و من سوق[4] الأشجار التى تنثنى فيها المناقير أغصانا[5] ألطف من ألسنة العصافير ، فما أجلف من ينكر إخراجه الموتى من القبور ، أو يحيد عن ذلك بنوع من الغرور .

و لما أنكر عليهم فيما مضى اتخاذ ولى من دونه[6] بقوله تعالى "أم اتخذوا من دونه اولياء[6]" و أثبت أنه هو الولى ، و تعرف إليهم بآثاره التى حوت أفانين انواره ، و كانت كلها فى غاية[7] الكمال موجبة للحمد المتواتر المنوال ، قال : ﴿ و هو ﴾ أى وحده [8]لا غيره[8] ﴿ الولى ﴾ أى الذى لا أحد اقرب منه إلى عباده فى شىء من الأشياء ﴿ الحميد ﴾ اى الذى استحق مجامع الحمد مع أنه يحمد من يطيعه ويزيده من فضله و يصل

(١) زيد فى الأصل : أحلا و . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٢) زيد فى الأصل : البينة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٣) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الحاول (٤) من م و مد ، و فى الأصل وظ : شوق (٥) من م ومد ، وفى الأصل وظ : أغصانه ، وفى مد : أغصان .
(٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اوما (٧) زيد فى الأصل : الجمال و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

[1]حبله دائما[1] بحبله .

و لما كان ما مضى من بسط الرزق و قبضه ، و إنزال الغيث و حبسه ، من الآيات العظيمة ، عمم بذكر ما [2]ذلك بعض[2] منه ، و هو دال على جميع ما ختم به الآية السالفة من الحمد الذى هو الاتصاف بجميع صفات الكمال ، فقال عاطفا على ما تقديره : فذلك من آيات الله الدالة على قدرته و اختياره و انه [هو -[3]] الذى يحيي هذا الوجود بالمعانى من روح الوحى و غيره تارة و الأعيان من الماء و غيره اخرى : ﴿و من [1]ايته﴾ العظيمة على ذلك و على استحقاقه لجميع صفات الكمال ﴿خلق السمٰوٰت﴾ التى تعلمون أنها متعددة بما ترون من امور الكواكب ﴿ و الارض ﴾ أى[4] جنسها على ما هما عليه من الهيئات و ما اشتملا عليه من المنافع و الخيرات ﴿ و ما بث﴾ أى فرق بالأبدان و القلوب على هذا المنوال الغريب من الحس [5]و الحركة بالاختيار[5] مع التفاوت فى الأشكال ، و القدور و الهيئات و الأخلاق و غير ذلك من النقص و الكمال .

و لما كانت الأرض بناء و السما سقفه ، فمن كان فى أحدهما صح نسبته إلى أنه فى كل منهما : الأسفل بالإقلال و الأعلى بالإظلال[6] قال تعالى : ﴿فيهما﴾ أى السماوات و الأرض و لا سيما و قد جعل لكل منهما تسيا

(١ ١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دايما حبله (٢-٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذكر بعضى (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : من م و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الحركة بالأخبار (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : باظلال .

فى ذلك بما أودعها[1] من الجواهر و[2] أنشأ عنها[3] من العناصر .

و لما كانت الحياة التى هى سبب الانتشار و الدب ربما اورثت [صاحبها -] كبرا و غلظا فى [نفسه -] ظن انه / تام القدرة ، ٦٤٩ /
أنث تحقيرا لقدرته و توهية لشأنه و رتبته فقال ﴿من دآبة﴾ أى شىء
فيه أهلية الدب[4] بالحياة من الإنس و الجن و الملائكة و سائر الحيوانات ٥
على اختلاف أصنافهم و ألوانهم و أشكالهم و لغاتهم و طباعهم و اجناسهم
و أنواعهم و أقطارهم و نواحيهم و أصقاعهم[5] ، [و -] من نظر إلى
صنائعه[7] سبحانه تيقن وجوده و قدرته و اختياره ، ثم إذا أمعن فى النظر
و تابع التدبر فى الفكر وصل إلى معرفة الصانع بأسمائه و صفاته و ما
ينبغى له و يستحيل عليه فيحمده بمحامده[8] التى لا نهاية لها[8] و يسبحه ١٠
بسبحاته ثم إن[9] امعن سما إلى الوقوف على حكمة ما جاءت به الرسل
و نزلت به الكتب .

و لما كنا عالمين بأن من أوجد أشياء[10] قدر على ضم أشتاتهم متى
شاء مع نقص التصرف و العجز فى التقلب[11] كنا جديرين بالعلم[12] القطعى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اودعها (٢ - ٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ساغهما (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الدبيبة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اصعافهم (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : صانعه (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اذا (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شيئا (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جانب قدرته (١٢) و من هنا انقطعت نسخة مد .

بمضمون قوله تعالى: ﴿و هو﴾ اى بما له من صفات[1] العظمة التى يعلم الظاهر منها، و ما غاب عنا ادبر ﴿على جمعهم﴾ اى هذه الدواب من ذوى[2] العقول و غيرهم بعد تفرقهم بالقلوب و الأبدان بالموت و غيره[3] من الحظوظ و الأهواء و غير ذلك.

و لما كان الجمع لابد منه، عبر بأداة التحقق[4] فقال معلقا بجمع: ﴿اذا﴾ و حقق النظر إلى البعث فعبر بالمضارع فقال: ﴿يشآء قدير﴾ اى بالغ القدرة[5] كما كان بالغ القدرة عند[5] الإيجاد من العدم بجمعهم فى صعيد واحد يسمعهم الداعى و ينفذهم البصر[6]. و لما ذكرهم[7] سبحانه [بنعمه، و كان السياق لتعداد ما ناسب -[8]] مقصود هذه السورة منها، ١٠ و كان الفكر جديرا بأن يخطر له ما فى الدنيا من الأمراض و الأنكاد و الهموم و الفهوم بالإشقاء فيها و الإسعاد، قال شافيا لعى[9] سؤاله عن ذلك ببيان ما فيه من نعمته على وجه دال على تمام قدرته و علمه، عاطفا على ما هو مضمون[10] ما مضى [بما -[11]] تقديره: فهو الذى خلقكم و رزقكم و هو المتصرف فيكم بعد بثكم بالعافية و البلاء تمام التصرف، فلا نعمة

(١) فى م: الصفات (٢) من م، و فى الأصل و ظ: ذى (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م فحذفناها (٤) من م، و فى الأصل و ظ: التحقيق (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من م، و فى الأصل و ظ: البصير (٧) من م، و فى الأصل و ظ: ذكر (٨) زيد من م (٩) مما ظ و م، و فى الاصل: لعلى (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: المضمون (١١) زيد من ظ و م.

عندكم

عندكم و لا نقيمة إلا منه، لا يقدر أصحابها على ردها و لا رد شيء منها فهو وليكم وحده ﴿ و ما اصابكم ﴾ واجههم بالخطاب زيادة فى تقريب الطائع و تبكيت العاصى، و عم بقوله: ﴿ من مصيبة ﴾ و أخبر عن المبتدأ بقوله: ﴿ فبما ﴾ أى كائن بسبب الذى - هذا على [قراءة نافع و ابن عامر، و إثبات الفاء فى -] الباقين زيادة فى إيضاح السببية فقراوا "فبما" لتضمن المبتدأ الشرط أى فهو بالذى .

و لما كانت النفوس مطبوعة على النقائص، فهى لا تنفك عنها إلا بمعونة من الله شديدة، كان عملها كله أو جله عليها، فعبر بالفعل المجرد إشارة إلى ذلك فقال: ﴿ كسبت ﴾ .

و لما كان العمل غالبا باليد قال: ﴿ ايديكم ﴾ أى من الذنوب، فكل نكد لاحق إنما هو بسبب ذنب سابق أقله التقصير، روى ابن ماجة فى سننه و ابن حبان فى صحيحه - و الحاكم و اللفظ له - و قال: صحيح ا سناد - عن ثوبان رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يرد القدر إلا الدعاء و لا يزيد فى العمر إلا البر، و إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه . فالآية داعية لكل احد إلى المبادرة عند وقوع المصيبة إلى محاسبة النفس ليعرف من أين جاء تقصيره

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ثم (٢) من م، و فى الأصل و ظ: قول (٣) راجع نور الرحمانى ٦ / ٣٦٨ (٤) من م، و فى الأصل و ظ: فيها (٥) راجع المقدمة ص ٩٠ (٦) من م و السنن، و فى الأصل و ظ: بالدعاء (٧) فى م: ما ليعلم (٨-٨) فى م: الى .

/٦٥٠ فيبادر[1] إلى التوبة عنه و الإقبال على الله / لينقذ نفسه من الهلكة، و فائدة ذلك و إن كان الكل بخلقه و إرادته إظهار الخضوع و التذلل و استشعار[2] الحاجة و الافتقار إلى الواحد القهار، و لو لا ورود الشريعة لم يوجد سبيل [3]إلى الهدى، لا إلى[3] هذه الكمالات البديعة، و مثل هذه التنبيهات ٥ ليستخرج من العبد ما أودع فى طبيعته و ركز فى غريزته كغرس و زرع سبق إليه ماء و شمس لاستخراج ما أودع فى طبيعته من المعلومات الإلهية و الحكم العلية.

و لما ذكر عدله، أتبعه فضله فقال: ﴿و يعفو عن كثير[4]﴾ و لولا عفوه و تجاوزه لما[4] ترك على ظهرها من دابة و يدخل فى هذا [ما ـ[5]] ١٠ يصيب الصالحين لإنالة درجات [6]و فضائل و خصوصيات[6] لا يصلون إليها إلا بها لأن اعمالهم لم تبلغها فهى خير واصل[7] من الله لهم، و قيل لأبى سليمان الدارانى: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم؟ قال: لأنهم[8] علموا أن الله إنما ابتلاهم بذنوبهم ـ و قرأ هذه الآية.

و لما كان من يعاقب بما دون الموت ربما ظن أنه عاجز قال[9]: ١٥ ﴿و ما انتم بمعجزين﴾ لو أريد[10] محقكم بالكلية و لا فى شىء أراد سبحانه

(١) من م، و فى الأصل و ظ: فبادر (٢) من م، و فى الأصل و ظ: استشغال (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) فى م: ما (٥) زيد من م. (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: فضل (٧) سقط من ظ و م (٨) فى ظ و م: انهم (٩) من م، و فى الأصل و ظ: فقال (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل و ظ: اراد.

منكم كائنا ما كان . و لما كان من ثبتت قدرته على محل العلو بخلقه و ما اودعه من المصنوعات أجدر بالقدرة على ما دونه ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ فى الارض ﴾ و لما كان الكلام فى العقوبة فى الدنيا قبل الموت ، و لم يكن أحد يدعى فيها التوصل إلى السماء ، لم يدع داع إلى ذكرها بخلاف ما مضى فى العنكبوت . و لما نفى امتناعهم بأنفسهم ، و كان له سبحانه من العلو ما تقصر عنه العقول ، فكان كل شيء دونه ، فكان[1] قادرا على كل شيء قال : ﴿ و ما لكم ﴾ اى عند الاجتماع فكيف عند الانفراد .

و لما كانت الرتب فى غاية السفول عن رتبته و التضاءل[2] دون حضرته ، اثبت الجار منبها على ذلك فقال : ﴿ من دون الله ﴾ أى المحيط بكل شيء عظمة و كبرا و عزة ، و عم[3] بقوله : ﴿ من ولى ﴾ أى يكون متوليا لشيء من أموركم بالاستقلال ﴿ و لانصير ه ﴾ يدفع عنكم شيئا يريده[4] سبحانه بكم .

و لما دل سبحانه على تمام قدرته [و إختياره -[5]] و ختم بنفى الشريك اللازم للوحدانية التى اعتقادها أساس الأعمال الصالحة ، دل عليها بأعظم[6] الآيات عندهم و اوضحها فى أنفسهم و أقربها إلى أفهامهم لما لهم من الإخلاص عندها فقال تعالى : ﴿ و من ايته ﴾ أى الدالة على تمام قدرته و اختياره و وحدانيته و عظيم سلطانه تسخيره و تذليله لسير

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : و كان (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : التظاؤل (٣) فى م : عمم (٤) من م سقط فى الأصل و ظ : يريد (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، و فى الاصل و ظ : بما عظم .

الفلك فيه حاملة ما لا يحمله غيرها ، وهو معنى قوله : ﴿ الجوار ﴾ أى من السفن ، وهى من الصفات التى جرت مجرى الأعلام ، ودل على الموصوف ما بعده فلذلك حذف لأن القاعدة أن الصفة إذا لم تخص الموصوف امتنع حذفه فتقول : مررت بمهندس ، ولا تقول : مررت بماشٍ - إلا بقرينة كما هنا .

ولما كانت ثقيلة فى أنفسها ، وكان يوضع فيها من الأحمال[1] ما يثقل الجبال ، وكان كل ثقيل ليس له من ذاته إلا الغوص[2] فى الماء ، كانت كأنها فيه لا عليه لأنها جديرة بالغرق فقال تعالى محذرا[3] من سطواته متعرفا[4] بجليل نعمته معرفا[5] بحقيقة الجوارى[6] : ﴿ فى البحر كالاعلام ﴾ أى الجبال الشاهقة بما لها من العلو فى نفسها عن الماء ثم بما يوصلها[7] وما فيه من الشراع عليها[8] من الارتفاع[8] /، وقال الخليل : كل شىء مرتفع عند العرب فهو علم . /٦٥١

ولما كان كأنه قيل : وما تلك الآيات ؟ ذكر ما يخوفهم منها ويعرفهم أن جميع ما أتاحهم إياه من شؤنها[9] إنما هو بقدرته واختياره

(١) من م ، وفى الأصل و ظ : الاعمال (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : العرض (٣) زيد فى الأصل و ظ : لهم ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها . (٤) زيد فى الأصل : لهم . ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بجميع نعمائه وبمعرفا (٦) زيد فى الأصل و ظ : فقال ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) من ظ و م . وفى الأصل : لزمها . (٨-٨) فى م : وارتفاع (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : سورتها .

فقال

فقال: ﴿ ان يشأ ﴾ أى الله الذى حملكم فيها على ظهر الماء أية بينة سقط اعتبارها عندكم لشدة الفكر [لها -[1]] ﴿ يسكن الريح ﴾ التى[2] يسيرها و انتم مقرّون أن أمرها ليس إلا بيده ﴿ فيظللن ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنهن يظللن أى يقمن ليلا كان او نهارا ، و لعله عبر به مع أن أصله الإقامة[3] نهارا لأن النهار موضع الاقتدار على[4] الأشياء و هو المنتظر عند ٥ كل متعسر للسعى فى إزالة عسره و تيسر أمره ﴿ رواكد ﴾ أى ثوابت مستقرات من غير سير ﴿ على ظهره[5] ﴾ ثباتا[6] ظاهرا بما دل عليه إثبات [6]اللامين و فتح لامه[6] الأولى للكل

و لما كان ذلك موضع إخلاصهم[7] الدعوة لله و الإعراض عن الشركاء[8] فانهم كانوا يقولون فى مثل هذا الحال: اخلصوا فان آلهتكم - أى من ١٠ الأصنام و غيرها من دون الله - لاتغنى فى البحر شيئا، وكانوا ينسبون ذلك شركاء مع طلوعهم[9] إلى البر كانوا بمنزلة من لايعد ذلك آية أصلا، فلذلك[10] أكد قوله: ﴿ ان فى ذلك ﴾ أى ما ذكر من حال السفن فى سيرها و ركودها مما[11] لايقدر عليه إلا الله سبحانه بدليل ما للناس

(١) زيد من م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : اى (٣) من م . و فى الأصل و ظ : لاقامة (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : عن (٥) من م ، و فى الاصل و ظ : ثابتا (٦-٦) من م ، و فى الاصل و ظ : الابن وصح الامه (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : اطلاعهم (٨) من ظ و م ، و فى الاصل : الاشراك . (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : الطلوع (١٠) من م . و فى الاصل و ظ : فكذلك (١١) فى م : بما .

كافه من الإجماع على التوجه [1]فى ذلك إليه[1] خاصة و الانخلاع مما سواه ﴿ لأيت ﴾ أى على [ان - [2]] إحاطته سبحانه بجميع [صفات - [3]] الكمال امر مركوز فى العقول ثابت فى الفطر الأولى مما [4]لا يصد عنه[4] إلا الهوى ، و على أن بطلان أمر ما دونه لذلك[5] هو من الظهور ٥ بمكان لا يجهل .

و لما كانوا يتمادحون بالصبر على نوازل الحدثان و الشكر لكل إحسان و يتذامون بالجزع و الكفران ، و كان ذلك يقتضى ثباتهم على حال واحد فان كان الحق عليهم لمعبوداتهم فرجوعهم [عنها - [3]] عند الشدائد مما لاينحو نحوه و لايلتفت لفتة أحد من كل[6] الرجال ١٠ الذين يجابون [7]العار و الاتسام بميسم الإغمار ، و إن[7] كان الحق كما هو الحق لله فرجوعهم عنه عند الرخاء بعد إنعامه عليهم بانجائهم من الشدة لايفعله ذوعزيمة[8] ، قال مشيرا إلى ذلك بصيغتى المبالغة : ﴿لكل صبار﴾ أى فى الشدة ﴿ شكور ﴾ اى فى الرخاء و إن كثر مخالفوه ، و عظم نزاعهم له ، و هاتان [9]صفتا المؤمن[9] المخلص الذى وكل همته بالنظر فى ١٥ الآيات فهو يستملى منها العبر و يجلو بها من البصيرة عين[10] البصر .

(١-١) من م ، و فى الأصل و ظ : اليه فى ذلك (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م (٤ - ٤) من م . و فى الاصل و ظ : يصدر (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : بدلك (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كهل (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الصار ولا يسام عليم الإعمال و اذا (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : عظمة (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : صفاتان للومن (١٠) من م ، و فى الاصل و ظ : غير .

و لما نبه بهذا الاعتراض بين[1] الجزاء و معطوفه على ما فيه من دقائق المعانى فى جلائل المبانى، قال مكملا لما فى ذلك من الترغيب فى صورة الترهيب: ﴿ او ﴾ اى او ان يشاء فى كل وقت أراده[2]، و اسند الإيباق[3] إلى الجوارى تأكيدا لإرادة[4] العموم فى هلاك [5]الركاب فقال[5]: ﴿ يوبقهن ﴾ أى يهلكهن بالإغراق بارسال الريح و غير ذلك من التباريح حتى كأنهن ٥ بعد ذلك العلو[6] فى وقبه اى حفره، و طاق فى الماء و فعره، و قد تقدم تحقيق معنى "وبق" بجميع تقاليبه / فى سورة الكهف، و منه / ٦٥٢ [أن وبق -[7]] كوعد و وجل و ورث وبوقا[8] و موبقا: هلك، و الموبق كمجلس: المهلك و كل شىء حال بين شيئين[9] لأن[10] الوقبة تحول بين ما فيها و بين غيره[11]، و منه قيل للموعد: موبق، و أوبقه: حبسه[12] ١٠ أو أهلكه.

و لما كان الإهلاك لهن إهلاكا للركاب، قال مبينا أنهم المقصودون بمجردا الفعل[13] إشارة إلى [أن -[14]] ابن آدم لما طبع عليه من النقائص

(١) من م، و فى الأصل و ظ: مبين (٢) من م، و فى الأصل و ظ: ارزاد.
(٣) من ظ و م، و فى الاصل: الاباق (٤) من م، و فى الأصل و ظ: لارادته.
(٥-٥) من ظ و م، و فى الاصل: الركائب قال (٦) من م، و فى الأصل و ظ: العلوة (٧) و يد من ظ و م (٨) من م، و فى الأصل و ظ: بواق
(٩) من م، و فى الاصل و ظ: شىء (ح ل) و من هنا تستأنف نسخة مد.
(١١) من م، و فى الاصل و ظ: غيرها (١٢) من م، و فى الأصل و ظ: حبه
(١٣) من ظ و م و مد، و فى الاصل: الفعل (١٤) زيد من م و مد.

ليس له من نفسه فعل خال عن شوب نقص حثا له على اللجاء إلى الله في تهذيب [نفسه -[1]] و إخلاص فعله[2] : ﴿ بما كسبوا ﴾ اى فعلوا من المعاصى بجدهم فيه و اجتهادهم[3] .

و لما كان التقدير تفصيلا للايباق : فيغرق كل من فيهن إن شاء و يغرق [كثيرا - [1]] منهم[4] إن شاء ، عطف عليه قوله : ﴿ و يعف ﴾ [أى -[5]] إن يشأ ﴿ عن كثير ﴾ أى من الناس الذين فى هذه السفن الموبقه ، فينجيهم بعوم أو حمل[6] على خشبة[6] او غـــير ذلك ، و إن يشأ يرسل الريح[7] [طيبة - [1]] فينجيها و يبلـــغها أقصى المراد إلى غير ذلك من التقادير الداخلة تحت المشيئة ، فالفعل كما ترى عطف على يوبق[8] ، و عطف بالواو لأنه قسم [من -[1]] حالى الموبقة ، و هو بمعنى ما روى عن أهل المدينة من نصب « يعفو » بتقدير "ان" ليكون[9] المعنى : يوقع إيباقا و عفوا .

و لما كان هـــذا كله على صورة الاختيار[10] لمن يستبصر فيدوم إخلاصه[11] ، و من يرجع إلى العمى فلا يكون خلاصه ، قال مبينا بالنصب

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : فعليه (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جهادهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : منهن (٥) زيد من ظ و م و مد (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن عشبه (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الرياح (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : موبق (٩) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : يكون ، (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاختيان (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : خلاصه .

للصرف

للصرف عن[1] العطف على شيء من الأفعال الماضية لفساد المعنى لكونها في حيز الشرط، فيصير العلم أيضا مشروطا: ﴿ و يعلم الذين يجادلون ﴾ أي عند النجاة بالعفو. و لما كان مقام العظمة شديد المنافاة للمجادلة، لفت القول إليه فقال: ﴿ في آيتنا ﴾ أي هذه التي لا تضاهى عظمتها و لا تقايس جلالتها و عزتها رجوعا إلى ما كانوا عليه من الشرك و النزاع في تمام القدرة بانكار البعث، و من واو[2] الصرف يعرف[3] أن مدخولها[4] مفرد في تأويل المصدر لأن النصب فيها بتقدير أن فيكون مبتدأ[5] خبره ما يدل عليه السياق فالتقدير هنا: و علمه سبحانه بالمجادلين عند هذا حاصل، و التعبير عنه بالمضارع لإفادة الاستمرار لتجدد تعلق العلم بكل مجادل كلما حصل جدال[6]، و قراءة نافع[7] و ابن عامر [بالرفع -[8]] دالة على هذا، فان التقدير: و هو يعلم - فالرفع هنا و النصب[9] سواء، قال الرضي في شرح قول ابن الحاجب في نواصب الفعل: و الفاء - أي ناصبة - بشرطين: السببية، و الثاني أن يكون قبلها[10] [أحد الأشياء الثمانية، و الواو بشرطين: الجمعية و أن يكون قبلها -[8]] مثل ذلك، و قد تضمر "أن" الناصبة بعد الفاء و الواو الواقعتين بعد الشرط قبل الجزاء[11] نحو إن تأتني فتكرمني

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: على (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: راوا (٣) سقط من م (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: مدحلها. (٥) زيدت الواو في الأصل و ظ، و لم تكن في م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و في الأصل و ظ: بجدال (٧) راجع نثر المرجان ٦/٣٧٢-٣٧٣. (٨) زيد من م و مد (٩) من م و مد، و في الأصل و ظ: الرفع (١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ: فيها (١١) من ظ و م و مد، و في الأصل: الخبر.

أو تكرمني أنت، او بعد الشرط و الجزاء[1] : إن تأتني إنك[2] فأكرمك أو و أكرمك، و ذلك لمشابهة الشرط فى الأول و الجزاء فى الثانى النفى، إذ الجزاء مشروط و وجوده بوجود الشرط، و وجود الشرط مفروض، فكلاهما غير موصوفين بالوجود حقيقة، و عليه حمل قوله تعالى «و يعلم الذين» فى قراءة النصب، ثم قال: وكذا يقول فى الفعل المنصوب بعد واو الصرف أنهم [لما -[3]] قصدوا فيها معنى الجمعية نصبوا المضارع بعدها[4] ليكون الصرف / عن سنن الكلام المتقدم مرشدا من أول الأمر أنها ليست للعطف فهى[5] إذن إما واو[6] الحال و أكثر دخولها [على -[3]] الاسمية فالمضارع بعدها فى تقدير مبتدأ محذوف الخبر وجوبا، فمعنى قم و أقوم: [قم -[3]] و قيامى ثابت: أى فى حال ثبوت قيامى، و أما بمعنى مع و هى لاتدخل إلا على[7] الاسم قصدوا هاهنا مصاحبة الفعل للفعل منصوبا ما [بعدها، فمعنى قم و أقوم: قم مع قيامى كما قصدوا فى المفعول معه مصاحبة الاسم للاسم فنصبوا ما -[8]] بعد الواو، و لو جعلنا الواو عاطفة للصدر على مصدر متصيد[9] من الفعل قبله كما قاله النحاة، أى لم يكن منك [قيام و قيام منى، لم يكن فيه نصوصية على معنى الجمع، و الأولى فى -[3]] قصد النصوصية فى شىء على معنى أن يجعل على وجه

/ ٦٥٣

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الخبر (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انت (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بعدها (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فهو (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: او (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مع (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مقصد.

يكون ظاهرا فيما قصدوا النصوصية عليه، و إنما شرطوا فى نصب ما بعد فاء السببية كون ما قبلها أحد الأشياء المذكورة[١] أى الأمر و النهى [و النفى -[٢]] و الاستفهام و التمنى [و العرض -[٢]] و التحضيض[٣] و الرجاء لأنها غير حاصلة المصادر فتكون كالشرط الذى ليس بمتحقق الوقوع، و يكون ما بعد الفاء كجزائها ثم حملوا ما قبل وأو[٤] الجمعية فى وجوب كون أحد الأشياء المذكورة[٥] على ما قبل [فاء -[٢]] السببية التى هى أكثر استعمالا من الواو فى مثل هذا الموضع أعنى فى انتصاب المضارع بعدها[٦]، و ذلك لمشابهة الواو للفاء فى أصل العطف، و فى صرف ما بعدهما عن سنن العطف لقصد السببية فى إحداهما و الجمعية فى الأخرى، و لقرب الجمعية من التعقب الذى هو لازم السببية ثم قال: و كذا ربما لم يصرف بعد واو الجمعية إلى النصب أمنا من اللبس، نحو ائتنى و أكرمك - بالرفع، لأن واو الحال قد تدخل على المضارع المثبت كما ذكرنا فى باب الحال، نحو قمت و اضرب زيدا أى و أنا أضرب.

و لما كان علم القادر بالمعصية موجبا لعذاب من عصاه، كان كأنه قيل: قد خسر من فعل ذلك فيا ليت شعرى ما يكون حالهم؟ أجاب بقوله: ﴿ما لهم من محيص﴾ أى محيد و مفر أصلا عن عذابه، و لا بشىء

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المذكور (٢) زيد من م و مد.
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التخصيص (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ «و» (٥) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعد ما.

يسير ، وإن تأخر فى نظركم إيقاع العذاب بهم فان عذابه سبحانه منه ما هو باطن و هو الاستدراج بالنعم [و هذا -[1]] لايدركه إلا ارباب القلوب [2]المقربون لدى[2] علام الغيوب، و منه ما هو ظاهر، و يجوز أن يكون "الذين[3]" فاعل "يعلم"، و حينئذ يكون هذه الجملة فى محل ٥ نصب لسدها [5]مسد مفعول[4] العلم .

و لما علم أن جميع النعم من الغيث و اثاره، و من نشر الدواب را و بحرا بمعرض من الزوال و هو عظيم التقلبات هائل[6] الأحوال سبب، عنه قوله محقرا لدنياهم[6] و ما فيها من الزهرة بسرعة الذبول و الزوال، و الأفول و الارتحال، و لهم بأنها مع ما ذكر لا قدرة لهم على شىء منها ١٠ إلا بموت يمن عليهم بها، و[7] أما هم[7] فقوم ضعفاء لا قدرة لهم على شىء و ليس لهم من أنفسهم إلا[8] العجز، فلو عقلوا [9]اعلموا و لو علموا لعملوا[9] عمل العبيد، و اطاعوا القوى الشديد: ﴿ فمآ اوتيتم ﴾ اى أيها الناس ﴿ من شىء ﴾ أى من النعم الظاهرة، و أجاب "ما" الشرطية بقوله: ﴿فمتاع الحيوة الدنيا ج﴾ [أى -[10]] القريبة الدنيئة لا نفع [11]فيه لأحد[11]

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المقربين اللذين. (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الذى (٤-٤) من ظ و م و مد. و فى الاصل: من مفصول (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هل بل (٦) من ظ و م و مد، و فى الاصل: لدنيا (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: املهم (٨) فى م و مد: غير (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (١٠) زيد من م و مد (١١-١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لاحد فيه.

إلا مدة حياته، و ذلك جدير بالإعراض عنه[1] و عما يسببه من الأعمال إلا[2] ما يقرب إلى الله ﴿و ما﴾ أي و الذي. و لفت الكلام عن مظهر العظمة إلى أعظم منها[3] بذكر الاسم الجامع للترغيب في ذكر [آثار -[4]] الأوصاف/الجمالية و الترهيب من آثار[5] النعوت الجلالية فقال: ﴿عند الله﴾ ٦٠٤/
أي الملك الأعظم المحيط بكل شيء قدرة و علما من نعم الدارين ﴿خير﴾ ٥
أي في نفسه و أشد خيرية من النعم الدنيوية [المحضة -[6]] لانقطاع نفعها. و لما كانت النعم الدنيوية قد تصحب الإنسان طول عمره فتسبب بذلك إلى البقاء قال: ﴿و ابقى[1]﴾ أي من الدنيوية لأنه لابد من نزعها منه بالموت، ولذلك[7] قيد بالحياة فلا تؤثر [8]الفاني على خساسته[8] على الباقي مع نفاسته. ١٠

و لما بين ما لها من [النفاسة -[6]] ترغيبا فيها، بين من هي له فقال: ﴿للذين [1]امنوا﴾ أي أوجدوا هذه الحقيقة ﴿و على﴾ أي و الحال أنهم صدقوها بأنهم على، و لفت القول إلى صفة الإحسان [9]لأنها نسب شيء[9] للتوكل، و أحكم الأمر بالإضافة[10] إشارة إلى [11]أنه إحسان[11] هو في غاية

(١) من ظ و م و مد، و في الأصل: عنها (٢) من ظ و م و مد. و في الاصل: إلى (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: منه (٤) زيد من ظ و م و مد. (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل: الارا (٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: لذيد - كذا (٨-٨) من ظ و م و مد، و في الأصل: الفاء في حساسته - كذا (٩-٩) من م و مد، و في الاصل و ظ: لاسبب بشيء. (١٠) من ظ و م و مد، و في الاصل: باضافة (١١ - ١١) من م و مد، و في الأصل و ظ: ان احسانه.

[1]المناسبة لحالهم فقال[1]: ﴿ربهم﴾ أى الذى لم[2] يروا إحسانا قط إلا منه وحده بما رباهم من الإخلاص له ﴿يتوكلون ج﴾ أى يحملون جميع أمورهم عليه كما يحمل عيرهم متاعه على [من -[3]] يتوسم فيه قوة على الحمل ولا يلتفتون فى ذلك إلى شىء غيره اصلا لينتفى عنهم بذلك الشرك الخفى كما أنتفى بالإيمان الشرك الجلى، و التعبير بأداة الاستعلاء تمثيل للاسناد و التفويض إليه[4] بالحمل عليه لأن الحمل أبين فى الراحة، و أظهر فى البعد من[5] الهم و المشقة، و لعل التعبير بالمضارع للتخفيف فى [أمر[3]] التوكل بالرضى بتجديده[6] كلما تجدد مهم[6]، و من كان كذلك كان الله كافيه كل ملم، فيشاركون أهل الدنيا فى نيل نعمها و يفارقونهم فى أن ربهم سبحانه يجعلها على وجه[7] لا حساب[7] عليهم فيها، بل و لهم فيها الأجور الموجبة[8] للنعمة و الحبور، و فى أنه يجعلها كافية لمهماتهم[9] و سادّة لخلاتهم، و يزيدهم الباقيات الصالحات التى يتسبب عنها نعيم الآخرة بعد[10] راحة الدنيا.

و لما كان كل من الإيمان و التوكل أمرا باطنا فكان لابد من

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المكاسبة لحالهم على (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عليه (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كما يتجدد منهم (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاحسان (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المرجيه (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لمهاتهم (١٠) من م و مد، و فى الاصل و ظ: بقدر.

دلائله من ظواهر الأعمال. و كانت تخليات من الرذائل و تحليات بالفضائل، و كانت التخليات لكونها درء[1] للفاسد مقدمة على التحليات التى هى جلب للصالح قال عاطفا على "الذين": ﴿ و لذين يجتنبون ﴾ أى يكلفون أنفسهم أن يجانبوا ﴿ كبائر الاثم ﴾ اى [جنس -[2]] الفعال الكبار التى لا توجد إلا ضمن أفرادها[3] [و يحصل بها -[4]] دنس للنفس، فيوجب عقابا لها مع الجسم، و عطف على "كبائر" قوله: ﴿ و الفواحش ﴾ و هى ما أنكره الشرع و العقل و الطبع التى هى آيات الله الثلاث التى نصبها حجة على عباده و له الحجة البالغة فاستعظم [الناس -[4]] امرها و لو أنها صغائر لدلالتها على الإخلال[5] بالمروءة كسرقة لقمة و الإقرار[6] على المعصية من شيخ جليل القدر لمن لايخشاه ١٠ و لايرجوه، و قرأ حمزة و الكسائى: كبير[7]، و هو للجنس، فهو بمعنى قراءة الجمع[8] أو هى ابلغ لشمولها المفرد. و لما ذكر ما قد[9] تقود إليه[9] المطامع دون حمل[10] الغضب الصارع[10] قال منبها على عظمته[11] معبرا بأداة

(١) من م و مد، و فى الاصل و ظ: دارا (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انفرادها (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاحلال (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاضرار (٧) من ظ و م و مد و نثر المرجان ٦/٣٧٥، و فى الأصل: كثير. (٨) من ظ و مد. و فى الأصل و م: الجميع (٩ - ٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عليه، مع بياض قبله قدر أثملة (١٠ - ١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: النصب على المضارع (١١) فى م و مد: عظمه.

التحقق[1] دلالة على أنه لابد منه توطينا للنفس عليه معلقا بفعل الغفر: ﴿و اذا﴾ و أكد بقوله: ﴿ما﴾ و قدم[2] الغضب إشارة إلى الاهتمام باطفاء جمره و تبريد حره فقال: ﴿غضبوا﴾ /أى غضبا هو على حقيقته من إمر مغضب فى العادة، و بين بضمير الفصل أن[3] بواطنهم فى غفرهم[4] كظواهرهم فقال: ﴿هم يغفرون ج﴾ أى الإحصاء و الإخفاء بأنهم كلما تجدد لهم غضب جددوا غفرا[6] أى محوا للذنب عينا و اثرا مع القدرة على الانتقام فسجاياهم[7] تقتضى الصفح دون الانتقام ما لم يكن من الظالم بغى لأنه لايؤاخذ[8] على مجرد الغضب إلا متكبر، و الكبر لايصلح لغير الإله و ذلك لأنه لايغيب أحلامهم عند اشتداد الأمر ما يغيب أحلام غيرهم من طيش الجهل و سفاهة الرأى[9]، فدل ذلك على أن الغفر دون غضب لايعد[10] بالنسبة إلى الغفر معه، و فى الصحيح أنه[11] صلى الله عليه و سلم ما انتقم لنفسه قط إلا ان تنتهك حرمات الله، و روى ابن ابى حاتم عن إبراهيم قال: كان المؤمنون يكرهون أن يستذلوا و كانوا

/٦٥٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التحقيق (٢) من ظ و م و مد، و فى الاصل: قد (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: مقرهم (٥) زيد فى الأصل و ظ و م: هم، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غمرانا (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فيماهم (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لايوخذ. (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الراى (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لايعيد (١١) فى م و مد: ان النبى.

إذا

إذا قدروا عفوا ،

و لما أتم ما منه التحلي، أتبعه ما به التخلي، و ذكر أوصافا أربعة هي قواعد [1]النصفة ما انبنى عليها[1] قط ربعها إلا كان الفاعلون لها كالجسد الواحد لا تأخذهم نازلة في الدنيا و لا في الآخرة فقال: ﴿و الذين استجابوا﴾ اي أوجدوا الإجابة بما لهم من العلم الهادي إلى سبيل الرشاد ﴿لربهم﴾ ٥ اي الداعي لهم إلى إجابته إحسانه إليهم إيجادا هم من شدة حمل أنفسهم عليه يطلبونه من أنفسهم طلبا عظيما صادقا لم يبق [معه -[3]] لأحدهم نفس و لا بقية من وهم و لا رسم [4]إلا على موافقة رضاه سبحانه لأنهم يعلمون أنه ما[5] دعاهم إليه و هو مربيهم إلا لصلاحهم و سعدهم و فلاحهم، لأنه محيط العلم شديد الرحمة لا يتهم بوجه من الوجوه . ١٠

و لما كان هذا عاما لكل خير دعا[6] إليه سبحانه، خص أعظم عبادات البدن، و زاد في عظمتها بالتعبير بالإقامة فقال: ﴿و اقاموا﴾ أي بما لهم من القوة ﴿الصلوٰة﴾ فأفهم ذلك مع اللام أنهم أوجدوا صورتها محمولة بروحها على وجه يقتضي ثبوتها دائما . و لما كانت الاستجابة توجب للاتحاد القلوب بالإيمان الموجب للاتحاد في الأقوال ١٥ و الأفعال، و الصلاة توجب الاتحاد بالأبدان، ذكر الاتحاد بالأقوال

(١-١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : الصفه ما انتها إليها (٢) من ظ و م و مد ، و في الأصل : اجابة (٣) زيد من م و مد (٤) زيد في الأصل : مر ، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : انما (٦) من م و مد ، و في الاصل و ظ : دعاهم .

الناشئ [عنه -[1]] عند أولى الكمال الاتحاد فى الأفعال، فقال معبرا بالاسمية حثا على أن [2]جعلوا ذلك لهم خلقا ثابتا لايفك: ﴿و امرهم﴾ أى كل ما ينوبهم مما يحوجهم إلى تدبير ﴿شورى﴾ أى يتشاورون فيه مشاورة عظيمة مبالغين بما لهم من قوة الباطن و [3]صفائه فى[3] الإخلاص ٥ و النصح، من الشور و هو العرض و الإظهار ﴿بينهم ص﴾ أى بحيث أنهم لافرق فى حال المشاورة بين كبير منهم و صغير [بل كل منها -[1]] يصغى إلى كلام الآخر و ينظر فى صحته وسقمه بتنزيله على أصول الشرع و فروعه، فلا يستبدل[4] أحد منهم برأى لدوام اتهامه لرأيه لتحققه نقصه بما له من غزارة العلم و صفاء [الفهم -[1]] و لايعجلون[6] فى شىء بل ١٠ صار / التأنى لهم خلقا، و سوق المشورة[7] هذا السياق دال على عظيم جدواها و جلالة نفعها قال الحسن[8] رحمه الله: ما تشاور قوم إلا هدوا لأرشد أمرهم - على أنه روى الطبرانى فى الصغير و الأوسط لكن بسند ضعيف عن انس رضى الله عنه[9] أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: ما خاب من استخار و لاندم من استشار و لاعال من اقتصد، و روى فى الأوسط ١٥ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم[9] قال: من

٦٥٦ /

(١) زيد من م و مد (٢) فى م: بان (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صفاته بما لهم من (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فلا يستبدل (٥) من م ومد، و فى الأصل وظ: نفعه (٦) من ظ وم و مد، وفى الأصل: لايجعلون. (٧) زيد فى الأصل و ظ: على، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها. (٨) رواه عنه السيوطى فى الدر المنثور ٦/١٠ (٩) راجع مجمع الزوائد للهيثمى ٨/٩٦.

أراد أمرا فشاور فيه أمرا مسلما وفقه الله لأرشد أمره .

و لما كانت المواساة بالأموال بعد الاتحاد فى الأقوال و الاتفاق فى الأفعال أعظم جامع على[1] محاسن الخلال[2]، و اظهر دال على ما ادعى من الاتحاد فى الحال و المآل، قال مسهلا عليهم امرها [بأنه -[3]] لامدخل لهم فى الحقيقة فى تحصيلها راضيا منهم باليسير منها : ﴿ و مما ﴾ ٥ ولفت القول إلى مظهر العظمة تذكيرا بما يتعارفونه بينهم من أنه لامطمع فى التقرب من[4] العظماء إلا بالهدايا فقال : ﴿ رزقناهم ﴾ أى بعظمتنا من غير حول منهم و لا قوة ﴿ ينفقون ﴾ اى يديمون[5] الإنفاق كرما منهم و إن قل ما بأيديهم اعتمادا على فضل الله سبحانه و تعالى لايقبضون [أيديهم -[3]] كالمنافقين، و ذلك الإنفاق على حسب ما حددناه[6] لهم ١٠ فواسوا بالمشورة[7] فى فضل عقولهم و بالإنفاق فى فضل أموالهم تقوى [8]منهم و مراقبة لله[8] لاشهوة نفس

و لما كان فى العقوبة مصلحة و مفسدة فندب[9] سبحانه إلى المغفرة تقديما لدرء المفسدة لأن الإنسان لعدم علمه بالقلوب لايصح له بوجه أن يعاقب بمجرد الغضب لأنه قد يخطئ فيعاقب من أغضبه، و هو ١٥

(١) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : فى (٢) من م و مد . و فى الأصل وظ : الجلال (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ وم و مد ، و فى الاصل : الى (٥) من م ومد ، وفى الاصل وظ : يدعون (٦) من ظ وم ومد ، وفى الاصل: اوجده م (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى المشوره (٨-٨) من ظ و م ومد ، و فى الأصل - الله ومراقبته (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ندب .

شريف الذات كريم الطبع على[1] الهمة أبي النفس ، ما يقع منه الذنب الذى أعضب إلا خطأ معفوا عنه أو[2] كذب عليه[3] فيه فيربى فى نفسه أخته تفسد ذات البين فيجر[4] إلى خراب كبير ، وكانت إدامة الغفرجالبة[5] للفساد مجرئة على العناد[6] ، وكان البغى هو التمادى [فى السوء -[7]] محققا لقصد الذنب مجوزا للاقدام على الانتقام ، وكان الانتصار من الفجار ربما أحوج مع قوة الجنان إلى إنفاق المال ، عقب الإنفاق[8] بمدح الانتصار بقوله : ﴿ و الذين ﴾ و ذكر أداة التحقق[9] إشارة إلى ان شرطها لابد من وقوعه[10] بالفعل أو بالقوة فقال ناصبا بفعل الانتصار مقدما لما[11] من شأن النفس الاهتمام بدفعه لعدم صبرها عليه : ﴿اذا اصابهم﴾ أى وقع بهم و أثر فيهم ﴿ البغى ﴾ و هو التمادى على الرمى بالشر ﴿ هم ﴾ أى بأنفسهم خاصة لما لهم من قوة الجنان و الأركان المعلمة بأن ما تقدم من غفرانهم ما كان إلا لعلو شأنهم لا لهوانهم ﴿ينتصرون ٥﴾ أى يوقعون بالعلاج بما أعطاهم الله من سعة العقل و شدة البطش و قوة القلب النصر لأنفسهم فى محله على ما ينبغى من زجر الباغى عن معاودتهم[12] و عن

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عالى (٢) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : «و» (٣) سقط من م (٤) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : فيجرد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : حابسة (٦) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : الفساد . (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الانفاق (٩) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : التحقيق (١٠) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : وقوعها (١١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لهاما (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معاد تهم .

الاجتراء على غيرهم مكررين لذلك كلما كرر لهم فيكون [ذلك -٢] من إصلاح ذات البين، ليسوا بعاجزين ولا في أمر دينهم متوانين، و التعبير في هذه الأفعال بالإسناد إلى الجمع إشارة إلى أنه لا يكون تمام التمكن الرادع / إلا مع الاجتماع، ومن كان فيها مفردا كان همه طويلا و[٣] بثه جليلا[٣]، قال النخعي: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق. ٥٧/

و لما كان [الإذن -٢] في الانتصار في هذا السياق المادح[١] مرغبا فيه [مع ما للنفس من الداعية إليه، زجر عنه لمن كان له قلب أولا بكفها عن الاسترسال فيه -٢] و ردها[٥] على حد[٦] المماثلة، و ثانيا [٧]بتسميته سيئة[٧] و إن كان على طريق المشاكلة، و ثالثا بالندب إلى العفو، فصار المحمود منه إنما هو ما كان لإعلاء كلمة الله لا شائبة [٨]فيه للنفس[٨] أصلا [فقال -٩]: ﴿ و جزؤا سيئة ﴾ أي أي سيئة كانت ﴿ سيئة مثلها ج ﴾ [أي -٢] لا تزيد عليها في عين و لا معنى أصلا، و قد كفلت[١٠] هذه الجمل بالدعاء إلى أمهات[١١] الفضائل الثلاث العلم و العفة[١٢] و الشجاعة على

(١) من م و مد، و في الأصل و ظ: الى (٢) زيد من م و مد (٣-٣) من ط و م و مد، و في الأصل: سه خليلا (٤) زيد في الأصل: قال، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد، و في الاصل: ردا. (٦) من م ومد، وفي الأصل وظ: خبر (٧-٧) من ظ وم و مد، وفي الأصل: بتسميه سببه (٨-٨) من م و مد، و الأصل و ظ: للنفس فيه (٩) زيد من ظ و م و مد (١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ: تكلفت (١١) من ظ و م و مد، وفي الأصل: مهمات (١٢) من م و مد، و في الأصل وظ: امقه.

أحسن الوجوه ، فالمدح بالاستجابة و الصلاة دعاء إلى العلم ، و بالنفقة[1] إلى العفة ، و بالانتصار إلى الشجاعة ، حتى لا يظن ظان[2] أن إذعانهم لما مضى مجرد ذل ، و القصر على المماثلة دعاء إلى فضيلة التقسيط[3] بين الكل و هى العدل ، و هذه الأخيرة كافلة بالفضائل الثلاث ، فان من علم المماثلة

٥ كان عالما ، و من قصد الوقوف عندها كان عفيفا ، و من قصر نفسه على ذلك كان شجاعا ، و قد ظهر من المدح بالانتصار بعد المدح بالغفران أن الأول للعاجز[4] و الثانى للتغلب المنكر بدليل البغى .

و لما كان شرط[5] المماثلة نادبا بعد شرع العدل الذى هو القصاص إلى العفو الذي هو الفضل لأن تحقق المثلية من العبد الملزوم للعجز

١٠ لا يكاد يوجد ، سبب عنه قوله : ﴿ فمن عفا ﴾ أى باسقاط حقه كله أو بالنقص عنه لتتحقق البراءة مما حرم من المجاوزة ﴿ و اصلح ﴾ [أى أوقع الإصلاح -[6]] بين الناس بالعفو و الإصلاح لنفسه ليصلح الله ما بينه و بين الناس ، فيكون بذلك منتصرا من نفسه لنفسه ﴿ فاجره على الله[5] ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال فهو يعطيه على حسب ما يقتضيه مفهوم

١٥ هذا الاسم الأعظم ، و هذا سر لفت الكلام [إليه -[6]] عن مظهر العظمة و قوله صلى الله عليه و سلم : ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا .

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالتفقه (٢) سقط من ظ و م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التقسط (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : للفاجر .
(٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : كانت (٦) زيد من م و مد .

و لما كان هذا ندبا إلى العفو بعد المدح بالانتصار، بين ان علته كراهة أن يوضع شيء فى غير محله[1] لأنه لا يعلم المماثلة فى ذلك إلا الله، فقال[2] مضمرا إشارة إلى أن المثلية من الغيب الخفى مؤكدا لكف النفس لما لها من عظم الاسترسال فى الانتصار: ﴿ انه لا يحب الظلمين ﴾ أى لا يكرم[3] الواضعين للشيء فى غير محله داب من يمشى فى مأحد الاشتقاق ٥ إذا كان عريقا فى ذلك سواء كان ابتداء او مجاورة فى الانتقام بأحذ الثار.

و لما كان هذا سادا لباب الانتصار لما يشعر به من انه ظلم على كل، قال[4] مؤكدا [نفيا -[5]] لهذا الإشعار: ﴿ و لمن انتصر ﴾ اى سعى فى نصر نفسه بجهده ﴿ بعد ظلمه ﴾ اى بعد ظلم الغير له و ليس ١٠ قاصد البعد عن حقه و لو استغرق انتصاره جميع [6]زمان البعد[6]. و لما بين تعالى ما لذلك الناظر فى مصالح العباد المنسلخ[7] من حظ نفسه إحسانا إلى عباد الله من الرتبة العليا، بين ما لهذا الذاب عن نفسه القاصد لشفاء صدره و ذهاب / غيظه، فقال رابطا[8] للجزاء بفاء السبب بيانا لقصور نظره على دفع الظلم عن نفسه. و يجوز كون "من" موصولة و الفاء ١٥ / ٦٥٨

(١) فى م و مد: موضعه (٢) من م و مد، و فى الاصل و ظ: تعالى (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يكره (٤) من م و مد، و فى الاصل و ظ: حال (٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الزمان البعيد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المصلح (٨) من م ومد، و فى الأصل و ظ: ارتباطا.

[لما -[1]] للموصول من شبه الشرط .

و لما عبر أولا بالإفراد[2] فكان ربما قصر الإذن[3] على الواحد لئلا تعظم الفتنة، جمع إشارة إلى ان الفتنة[4] إنما هى فى إقرار الظلم لا فى نصر[5] المظلوم واحدا كان او جماعة [فقال -[1]] : ﴿ فاولٓئك ﴾ اى المنتصرون لأجل دفع[6] ظلم الظالم عنهم فقط ﴿ ما عليهم ﴾ و أكد باثبات الجار فقال : ﴿ من سبيل ﴾ أى عقاب و لا عتاب ، و روى النسائى و ابن ماجه[7] عن عائشه رضى الله عنها قالت : ما علمت حتى دخلت علىّ زينب رضى الله عنها بغير إذن و هى غضبى ثم أقبلت علىّ فأعرضت عنها حتى قال النبى صلى الله عليه و سلم : دونك فانتصرى ، فأقبلت عليها حتى رأيتها قد يبس ريقها فى فيها[8] ما ترد علىّ شيئا ، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم يتهلل وجهه .

و لما نفى السبيل عنه بعد تشوف السامع إلى موضع ما أشعر به الكلام السابق من الظلم ، بين[9] ذلك فقال : ﴿ انما السبيل ﴾ أى [10]الطريق السالك[10] الذى لا منع[11] منه أصلا بالحرج و العنت ﴿ على ﴾ و جمع إعلاما بكثرة المفسدين تجرئه[12] على الانتصار منهم و إن كانوا كثيرا

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاقرار (٣) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الادهان (٤ ـ ٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) فى م : نصرة (٦) من ظ و م و مد . و فى الأصل : قطع (٧) راجع سننه ص ١٤٣ (٨) فى ظ و م و مد : فمها (٩) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : من (١٠ ـ ١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المسلك (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مانع (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : عربه .

فان الله خاذلهم[1] فقال: ﴿الذين يظلمون الناس﴾ اى يوقعون بهم[2] ظلمهم تعمدا[3] عدوانا ﴿و يبغون﴾ أى يتجاوزون الحدود ﴿فى الارض﴾ بما يفسدها بعد إصلاحها بتهيئتها للصلاح طبعا [4]و فعلا[4] و علما و عملا. و لما كان الفعل قد يكون بغيا و إن كان مصحوبا بحق كالانتصار المقترن بالتعدى [فيه -[5]] قال: ﴿بغير الحق[6]﴾ [أى الكامل -[5]] و لما أثبت[6] ٥ عليهم بهذا الكلام السبيل، كان السامع[7] جديرا بأن يسأل عنه فقال: ﴿اولئك﴾ أى البغضاء[8] البعداء من الله ﴿لهم عذاب اليم﴾ أى مؤلم بما آلموا من ظلموه [من عباد الله -[9]] بحيث يعم إيلامه أبدانهم و أرواحهم بما لها من المشاعر الظاهرة و الباطنة.

و لما افهم سياق هذا الكلام [10]و ترتيبه هكذا[10] أن التقدير: فلمن صبر ١٠ عن[11] الانتصار أحسن حالا ممن انتصر، لأن الخطأ فى [العفو -[12]] أولى من الخطأ فى الانتقام، عطف عليه مؤكدا لما أفهمه السياق أيضا من مدح المنتصر: ﴿و لمن صبر﴾ عن الانتصار من غير انتقام و لا شكوى

(١) من م و مد، و فى الاصل و ظ: جادلهم (٢) من م و مد، و فى الأصل وظ: لهم (٣) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها. (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ثبت (٧) فى م: السايل (٨) سقط من ظ و م و مد (٩) زيد من م (١٠-١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل. برسه هذا. (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: على (١٢) زيد من ظ و م و مد.

﴿وغفر﴾ فصرح[1] باسقاط العقاب و العتاب فحاعين الذنب و أثره[2] :
﴿ان ذلك﴾ أى ذلك الفعل الواقع منه البالغ فى العلو جدا لا يوصف
﴿لمن عزم الامور ۝﴾ أى الأمور التى هى لما لها من الأهلية [3]لأن يعزم
عليها[3] قد صارت فى انفسها[4] كأنها[5] دوات العزم أو متأهلة[6] لأن تعزم
٥ على ما تريد ، و العزم : الإقدام على الأمر بعد الروية و الفكرة[7] ، قال
أبو على بن الفراء : ايات العفو محمولة على الجانى النادم ، و آيات مدح
الانتصار على المصر ، و ذلك إنما يحمد مع القدرة [على تمام النصرة -[7]]
كما قال يوسف عليه الصلاة و السلام / لإخوته : لا تثريب عليكم اليوم ٦٥٩ /
يغفر الله لكم - الآية ، و قال : فعل النبى صلى الله عليه و سلم فى مواطن
١٠ كثيرة منها الموقف الأعظم الذى وقفه يوم الفتح عند باب الكعبة
و قال لقريش و هم [تحته -[8]] كالغنم المطيرة : ما تظنون أنى فاعل بكم
يا معشر قريش ؟ قالوا : خيرا[9] ، أخ كريم و ابن أخ كريم ، قال : اذهبوا
فأنتم الطلقاء ، [و روى أحمد[10] و أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه
أن رجلا شتم أبا بكر رضى الله عنه -[11]] فلما رد عليه قام[12] صلى الله عليه

(١) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : و صرح (٢) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الاصل : لايعزم (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نفسها (٥) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتاهله (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الفكر . (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : خير (١٠) راجع مسند ٥ / ٤٣٦ (١١) زيد من م و مد (١٢) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : قال .

و سلم ثم قال : يا أبا بكر ! ثلاث كلهن حق [ما -[1]] من عبد ظلم مظلمة فعفى عنها لله إلا أعز[2] الله بها نصره ، و ما فتح رجل باب عطية يريد بها صلة إلا زاده[3] الله بها [كثرة و ما فتح رجل باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها [1]] قلة .

و لما بان فى هذا الكلام المقتصر على الصبر و الجامع إليه الغفر و المقتضى بالنصر ادراجهم كلهم فى دائرة الحق ، أتبعه من خرج عن تلك الدائرة ، فقال مخبرا أن ما شاءه كان و ما[4] لم يشأه لم يكن عطفا على نحو : فمن يهدى الله للوقوف عند هذه الحدود فما له من مضل ، مبينا بلفظ الضلال ان ما شرعه [من الطريق -[5]] فى غاية الوضوح[6] لا يزيغ عنه أحد إلا بطرد عظيم : ﴿ و من يضلل الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال إضلالا واضحا بما[7] افاده الفك[8] بعدم البيان أو بعدم التوفيق لمطلق الصبر أعم من أن يكون بالاقتصار على أخذ الحق و بتأخير الحق إلى وقت و بالعفو و بالغفر .

و لما كان الضال عن ذلك لا يكون إلا مجبولا على[9] الشر ، سبب عنه قوله : ﴿ فما له ﴾ أى فى ذلك الوقت ﴿ من ولى ﴾ أى يتولى[10]

---

(١) زيد من م و مد و المسند (٢) من م و مد و المسند ، و فى الأصل و ظ : اعزه . (٣) من ظ و م و مد و المسند . و فى الأصل : راد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مما (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الموضوع (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لما (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اليك (٩ - ٩) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : مجهولا عن . (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتوال .

أمره فى الهداية بالبيان لما أخفاه الله عنه أو التوفيق لما بينه له ﴿من بعده﴾ أى [من -[1]] بعد معاملة[2] الله له معاملة البعيد من وكله إلى نفسه و غيره من الخلق فى شىء من زمان البعد و لو قل .

و لما كان مبنى أمر الضال على الندم و لو بعد حين ، قال عاطفا على نحو : فترى[3] الظالمين قبل رؤيته العذاب فى غاية الجروت و البطر و التكذيب بالقدرة عليهم ، فهم لذلك[4] لا يرجون حسابا و لا يخافون عقابا : ﴿و ترى﴾ و قال : ﴿الظالمين﴾ موضع "و تراهم" ليبان أن الضال لا يضع شيئا فى موضعه . و لما كان عذابهم حتما ، عبر عنه بالماضى فقال : ﴿لما رأوا العذاب﴾ أى المعلوم[5] مصير الظالم إليه رؤية محيطة بظاهره و باطنه يتمنون الرجعة إلى الدنيا لتدارك ما فات من الطاعات الموجبة للنجاة ﴿يقولون﴾ أى مكررين مما اعتراهم من الدهش و غلب على قلوبهم من الوجل : ﴿ هل الى مرد ﴾ أى رد[6] إلى دار العمل و زمانه عظيم[7] مخلص من هذا العذاب ﴿ من سبيل ﴾ .

و لما أثبت رؤيتهم العذاب ، أثبت دنوهم من محله و بين حالهم فى ذلك الدنو فقال : ﴿و تراهم﴾ أى يا أكمل الخلق و يا أيها[8] المتشوف

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مقابلة (٣) من م و مد و فى الأصل و ظ : و ترى (٤) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : كذلك (٥) زيد فى الأصل و ظ : صير . و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها. (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ردا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عظم (٨) زيد فى الاصل و ظ : الخلق ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

إلى

إلى العلم بحالهم بعينك حال كونهم ﴿ يعرضون ﴾ أى يجدد عرضهم و يكرر، و هو إلجاؤهم إلى أن يقاربوها[1] بعرضهم الذى يلزم[2] [محاذاتهم لها أيضا بطولهم ليعلموا أنها مصيرهم فلا مانع لها منهم -[3]] ﴿عليها﴾ أى النار التى هى دار العذاب مكررا عرضهم [فى طول الموقف مع ما هم فيه من تلك الأهوال بمقاساة ما عليهم من الأحمال الثقال -[3]] حال ٥ كونهم ﴿ خشعين ﴾ أى فى غاية الضعة و الإلقاء[4] باليد خشوعا هو ثابت لهم .

و لما كان الخشوع قد يكون محمودا قال : ﴿ من الذل ﴾ لأنهم[5] عرفوا إذ ذاك ذنوبهم و انكشفت لهم عظمة من عصوه .

و لما كان الذل الوانا، صوره بأقبح صورة / فقال معبرا بلفظ ١٠ / ٦٦ النظر الذى هو مماسة[6] البصر لظاهر[7] المبصر : ﴿ ينظرون ﴾ أى يبتدئ نظرهم المتكرر ﴿من طرف ﴾ أى تحريك للاجفان[8] ﴿ خفى[9] ﴾ يعرف[9] فيه الذل لأنه لا يكاد [من -[3]] عدم التحديق يظن أنه يطرف[10] لأنهم يسارقون النظر مسارقة كما ترى الإنسان ينظر إلى المكاره، و الصبور ينظر

(١) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يلزمهم (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الاصل و ظ : الانعاد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فانهم (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مما (٧) من ظ و م و مد، و فى الاصل : نظاهر (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الاجفان (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يصرف . (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مطرف .

إلى السيف الذى جرد[1] له فهو بحيث لا يحقق منظورا إليه ، بل ربما تخيله[2] بأعظم مما هو عليه . و لما[3] صور حالهم و كان من أفظع[4] الأشياء و أقطعها للقلوب شماتة العدو ، قال مبشرا لجميع [أصناف -[5]] أهل الإيمان و رادعا لأهل الكفران : ﴿ و قال ﴾ أى فى ذلك [الموقف الأعظم -[5]] على سبيل التعبير لهم و التبكيت و التوبيخ[6] و التقريع ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أوقعوا هذه الحقيقة سواء كان إيقاعهم لها فى أدنى الرتب أو أعلاها عند رؤيتهم إياهم[7] على هذا الحال ، مؤكدين لتحقيق مقالهم عند من قضى بضلالهم [و الإعلام -[8]] بما لهم من السرور بصلاح حالهم ، و الحمد لمن من عليهم بحسن منقلبهم و مآلهم ، و يجوز أن يكون قولهم هذا فى الدنيا لما غلب على قلوبهم من الهيبة عند ما تحققوا هذه المواعظ : ﴿ ان الخسرين ﴾ أى الذين كملت خسارتهم هم خاصة ﴿ الذين خسروا انفسهم ﴾ [9]بما استغرقها من العذاب ﴿ و اهليهم ﴾ بمفارقتهم لهم إما فى اطباق العذاب إن كانوا مثلهم[10] فى الخسران أو فى دار الثواب إن كانوا من أهل الإيمان .

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جروا (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يجعله (٣) زيد فى الأصل : كان قد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعظم (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التخويف (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اياها (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) زيد قبله فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مسلمين .

و لما أخبر بخسارتهم بين ظرفها تهويلا[1] لها، و يجوز أن يكون ظرفا لهذا القول ، هو أردع لمن له مسكة لأن من جوز أن يخسر وأن عدوه[2] يطلع على خسارته [و -[3]] يظهر الشماتة به، كان جديرا بأن يترك السبب الحامل على الخسارة فقال: ﴿يوم القيمه[4]﴾ أى الذى هو يوم فوت التدارك لأنه للجزاء لا للعمل لفوات شرطه بفوات الإيمان بالغيب لانكشاف الغطاء . و لما كان هذا نهاية الخسارة. أنتج قوله مناديا ذاكرا سبب هذه[5] الخسارة المعينة مؤكدا لأجل إنكار الظالمين لها و إن كان من تتمة قول المؤمنين هناك ، فالتأكيد مع ما يفيد الإخبار به فى هذه الدار من ردع[6] المنكر للاعلام بما لهم من اللدة فيما رأوا من سوء حالهم و تقطع أوصالهم و رجائهم من أن ينقطع [عنهم ذلك كما ينقطع -[7]] عن عصاة المؤمنين : ﴿ الآ ان الظلمين ﴾ أى الراسخين فى هذا الوصف فهم بحيث لاينفكون عن فعل الماشى فى الظلام بوضع الأشياء فى غير مواضعها ﴿ فى عذاب مقيم﴾ لايزايلهم أصلا، فلذلك[8] لايفرغون منه فى وقت من الأوقات ، فلذلك كان خسرانهم لكل شىء .

و لما كانت العادة جارية بأن من وقع فى ورطة [وجد -[9]] فى الأغلب وليا ينصره أو سبيلا ينجيه، قال عاطفا على "و ترهم" أو

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يلا (٢) من م ومد ، و فى الأصل و ظ : عذره (٣) زيد من م و مد (٤) العبارة من هنا ساقطة من مد (٥) من م و فى الأصل و ظ : عمدة (٦) من م ، و فى الاصل و ظ : رجوع . (٧) زيد من ظ و م (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : فكذلك . (٩) زيد من م .

"الا ان": ﴿و ما كان﴾ أى صح و وجد ﴿لهم﴾ و أعرق فى النفى فقال[1] : ﴿من اولياء﴾ فما لهم من ولى لأن النصرة إذا انتفت من الجمع انتفت من الواحد من باب الأولى .

و لما كان من يفعل فعل القريب لا يفيد[2] إلا إن كان قادرا على النصرة قال: ﴿ينصرونهم﴾ أى يوجدون نصرهم فى وقت من الأوقات لا فى الدنيا بأن يقدروا / على إنقاذهم من وصف الظلم و لا فى الآخرة بانقاذهم مما جرى عليهم من العذاب . و لما كان الله تعالى يصح منه أن يفعل ما يشاء بواسطة أو غيرها قال: ﴿من دون الله[3]﴾ أى ما صح ذلك و ما استقام بوجه بغيره، و أما هو فيصح[3] ذلك منه و يستقيم له لإحاطته بأوصاف الكمال، و لو أراد لفعل[4] . و لما بين ما لهم[5] بين ما [لمن -[6]] اتصف بوصفهم كائنا من كان، فقال بناء على نحو: لأنه هو الذى أضلهم: ﴿و من يضلل الله﴾ [أى يوجد ضلاله إيجاداً بليغا بما أفاده الفك[7] على سبيل الاستمرار بعدم البيان [له -[6]] أو بعدم التوفيق بعد البيان: ﴿فما له﴾ بسبب إضلال من له جميع صفات الجلال و الإكرام، و أعرق فى النفى بقوله: ﴿من سبيل[8]﴾ أى تنجية[8] من الضلال و لا مما تسبب عنه من العذاب . [و لما -[6]] كان

٦٦١ /

(١) زيد فى الأصل و ظ : لهم ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الاصل : لايعيد (٣) من م ، و فى الاصل و ظ : يصح (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : افعل (٥) من م ، و فى الاصل و ظ : حالهم (٦) زيد من م (٧) من ظ و م و فى الأصل : الفكو (٨) من ظ و م . و فى الأصل : نتيجة .

هذا، أنتج قطعا قوله: ﴿ استجيبوا ﴾ أى اطلبوا الإجابة و اوجدوها، و لفت القول إلى الوصف الإحسانى[1] تذكيرا [2]بما يحث[2] على الوفاق، و يخجل من الخلاف و الشقاق، فقال: ﴿ لربكم ﴾ الذى لم تروا إحسانا إلا و هو منه فيما دعاكم إليه برسوله صلى الله عليه و سلم من الوفاء بعهده فى أمره و نهيه، و لا تكونوا ممن ترك ذلك [3]فتكونوا ممن[3] علم ٥ أنه أضله فانسد[4] عليه السبيل.

و لما كان الخوف من الفوت موجبا للمبادرة، قال مشيرا بالجار [إلى أنه -[5]] يعتد بأدنى خير يكون فى أدنى زمن يتصل بالموت: ﴿ من قبل ان يأتى يوم ﴾ أى يكون فيه ما لا يمكن معه فلاح، ثم وصفه بقوله لافتا إلى الاسم الأعظم الجامع لأوصاف الإحسان ١٠ و الإنعام على المطيعين و القهر و الانتقام من العاصين: ﴿ لا مرد ﴾ أى [6]لاردو لا موضع رد و لا زمان رد﴿ له ﴾ كائن ﴿ من الله[6] ﴾ أى الذى له جميع العظمة و إذا لم يكن له مرد [منه لم يكن له مرد -[7]] من غيره، و متى عدم ذاك أنتج قوله: ﴿ ما لكم ﴾ و أعرق فى النفى بقوله: ﴿ من ملجا يومئذ ﴾ أى مكان تلجأون إليه فى ذلك [اليوم -[7]] و حصن ١٥ تتحصنون فيه من شىء تكرهونه، و زاد فى التأكيد باعادة النافى و ما فى حيزه[8] إبلاغا فى التحذير [فقال[7] -]: ﴿ ما لكم من نكير ﴾ أى

(١) فى م: للاحسان (٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ: مما يحر (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: فكونوا من (٤) من م، و فى الأصل و ظ: فافسد.
(٥) زيد من ظ و م (٦) من م، و فى الأصل و ظ: راد (٧) زيد من م.
(٨) من م، و فى الأصل و ظ: خبره.

من إنكار يمكنكم به من النجاة لأن الحفظة يشهدون عليكم فان صدقتموهم و إلا شهدت عليكم أعضاؤكم و جلودكم، و لا لكم من أحد ينكر شيئا مما تتجاوزون به ليخلصكم منه[1] .

و لما أنهى ما قدمه فى قوله "شرع لكم من الدين" نهايته ، و دل عليه و على كل ما قادته[2] الحكمة فى حيزه[3] حتى لم يبق[4] لأحد شبهة فى شىء من الأشياء ، كان ذلك سببا لتهديدهم على الإعراض عنه و تسلية رسولهم[5] صلى الله عليه و سلم فقال معرضا عن خطابهم إيذانا بشديد الغضب : ﴿ فان اعرضوا ﴾ أى عن إجابة هذا الدعاء الذى وجبت[6] إجابته [و الشرع الذى وضحت وصحت طريقته -[7]] بما تأيد به من الحجج ، [و لفت القول إلى مظهر العظمة دفعا لما قد يوهم الإرسال من الحاجة فقال -[7]] : ﴿ فآ ارسلنك ﴾ مع ما لنا من العظمة ﴿ عليهم حفيظا[8] ﴾ أى نقهرهم على [8]امتثال ما[8] أرسلناك به. و لما كان التقدير: فأعرض عن غير إبلاغهم لأنا إنما أرسلناك مبلغا ، وضع موضعه : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ عليك الا البلغ[1] ﴾ لما أرسلناك به ، و اما الهداية و الإضلال فالينا .

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : به (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : افاوته .
(٣) من م ، و فى الأصل و ظ : غيره (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : لم يسبق .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : رسوله (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : وجب (٧) زيد من م (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : الامتثالى لما .

و لما ضمن هذه[1] الآية ما أرسله له، أتبعه[2] ما جبل عليه الإنسان بيانا لأنه صلى الله عليه و سلم لا حكم له على لطباع و ان الذى [عليه -[3]] إنما هو الإسماع لا السماع. فقال عاطفا على ما قبل آية الشرع من قوله "يبسط الرزق لمن يشاء" حاليا [له -[3]] فى أسلوب العظمة تنبيها على أنه الذى حكم عليهم بالإعراض عما[4] هو جدير بأن لا يعرض عنه عاقل، ٥ و إيماء إلى أن[5] الإنسان لغلبة[6] جهله و قلة عقله يجترئ[7] بأدنى تأنيس[8] على من تسجد[9] الجبال لعظمته و تندك الشوامخ من هيبته: "﴿و انا اذآ اذقنا﴾ بعظمتنا التى لا يمكن مخالفتها[10]. و لما كان [من -[3]] يفرح بالنعمة عند انفراده بها مذموما، عبر [11]بالجنس الصالح[11] للواحد فما فوقه تنبيها على أن طبع الإنسان عدم الاهتمام بشدائد الإخوان إلا من أقامه الله فى مقام ١٠ الإحسان فقال: ﴿الانسان﴾ أى بما جبلناه[12] عليه من النقص بالعجلة و عدم التمالك[13] ﴿منا رحمة﴾ أى نوعا من أنواع الإكرام من صحة

(١) من م، و فى الأصل و ظ: هذه (٢) زيد فى الأصل و ظ: موضعه، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بما (٥-٥) من م، و فى الاصل و ظ: انما (٦) لمن ظ و م، و فى الاصل: يغلبه (٧) من م، و فى الاصل و ظ: يجرى (٨) من م، و فى الأصل و ظ: تأسيس (٩) من م، و فى الاصل و ظ: سجد (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من م (١١-١١) من ظ و م، و فى الاصل: بالجنس الصالح (١٢) من م، و فى الأصل و ظ: حملناه (١٣) زيد فى م: و انا بما لنا من العظمة إذا اذقنا الانسان.

أو غنى و نحو ذلك ، و افرد الضمير إشارة إلى أنه مطبوع على أنه ليس عليه[1] إلا من نفسه و لو كان أهل [الأرض -[2]] كلهم على غير ذلك ، و كذا عبر بالإنسان فقال : ﴿ فرح بها ج ﴾ أى و لو أن[3] أهل الأرض [كلهم -[2]] فى نقمة و بؤس و عمى فأخرجه الفرح عن تأمل ما ينفعه ليشكر[4] ، فكان ذلك لذلك كافرا للنعمة لأنه أبدل الشكر بالفرح و الكفر ، فتوصل بالعافية إلى المخالفة ، فأوقع نفسه [5]فى أعظم[5] البلاء .

و لما دل بأداة التحقق على أن النعمة هى الأصل لعموم رحمته ، و أنها سبقت غضبه ، دل على أن السيئة قليلة بالنسبة إليها بأداة الشك و المضارع فقال : ﴿ و ان ﴾ و لما كانت المشاركة فى الشدائد تهون المصائب ، فكان من يزيد غمه بخصوص مصيبته عند العموم مذموما ، نبه على نقص[6] الإنسان بذلك بالجمع فقال : ﴿ تصبهم سيئة ﴾ أى نقمة و بلاء و شدة . و لما كانت الرحمة فضلا منه ، أعلمهم أن السيئة مسببة عنهم فقال : ﴿ بما قدمت ايديهم ﴾ و عبر باليد عن الجملة لأن أكثر العمل بها . و لما كان الجواب على نهج الأول : حزنوا [7]فكفروا ، و عدل[7] عنه إلى ما يدل على أن جنس الإنسان موضع الكفران ،

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : له (٢) زيد من م (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : للشكر (٥-٥) من م ، و فى الأصل و ظ : بأعظم (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : نقيض (٧-٧) من م ، و فى الاصل و ظ : و كفروا و اعدل .

و لما

و لما كانوا يدعون الشكر[١] و ينكرون الكفر، أكد قوله و سبب عن تلك الإصابة[٢] و الإذاقة معا إشارة إلى أنه لا أصل له غيرهما، فقال مظهرا [٣]موضع الضمير لينص على[٣] الحكم على الجنس من حيث هو: ﴿ فان الإنسان ﴾ أى الآنس بنفسه المعرض عن غيره بما هو طبع له[٤] بسبب مسه بضر ﴿ كفور ٥ ﴾ أى بليغ الستر للنعم نساه له، ينسى بأول صدمة من النقمة جميع ما تقدم [له -٥] من النعم، و لا يعرف[٦] إلا الحالة الراهنة، فان كان فى نعمة أشر و بطر، و إن كان فى نقمة أيس و قنط، و هذا حال الجنس من حيث هو، و من وفقه الله جنبه ذلك كما قال صلى الله عليه و سلم[٧]: المؤمن إن[٨] إصابته سراء شكر فكان خيرا [له -٥] و إن أصابته ضراء صبر فكان خيرا [له -٥]. [٩]و ليس[٩] ذلك إلا للمؤمن، و الآية من الاحتباك: ذكر الفرح أولا دال[١٠] على حذف الحزن ثانيا، و ذكر الكفران ثانيا دال[١١] على حذفه أولا.

و لما قدم / سبحانه فى هذه السورة أن له التصرف التام فى[١٢] عالم / ٦٦٣

(١) من م، و فى الأصل و ظ: بالشكر (٢) من م، و فى الأصل و ظ: الاجابة. (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الضمير يفيض عن (٤) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٥) زيد من م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لا يصرف (٧) راجع مسند الإمام أحمد ٤/٣٣٢ (٨) من م، و فى الأصل و ظ: اذا (٩-٩) من م، و فى الأصل و ظ: فليس (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: دليلا (١١) من ظ و م، و فى الأصل: دالا (١٢) من ظ و م، و فى الأصل: على.

الخلق بالأجسام المرئية[1] و فى عالم الأمر بالأرواح الحسية و المعنوية القائمة بالأبدان و المدبرة للأديان، و غير ذلك من بديع الشأن، فقال فى افتتاح السورة " كذلك يوحى اليك و الى [الذين -[2]] من قبلك " و أتبعه أشكاله إلى أن قال " ام يقولون افترى على الله كذبا فان يشا الله يختم على قلبك " الآية " فاطر السموٰت و الارض جعل لكم من انفسكم ازواجا و من الانعام ازواجا[3] " - الآية " له مقاليد السموٰت و الارض " " [الله -[4]] لطيف بعباده يرزق من يشاء "، " من كان يريد حرث الأخرة " - الآية، " و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض "، " و من ايته الجوار فى البحر كالاعلام " - الآية

١٠ إلى أن ذكر أحوال الآخرة[5] فى قوله " و ترى الظلمين لما راوا العذاب يقولون[5] " - الآيات، و ختم بتصرفه[6] المطلق فى الإنسان من [7]إنعام و انتقام[7]، و ما له من الطبع المعوج مع ما وهبه[8] له من العقل المقيم[9] فى أحسن تقويم، فدل ذلك على أن له التصرف التام ملكا و ملكوتا خلقا و أمرا، أتبعه الدليل على أن تصرفه ذلك على سبيل الملك و القهر إيجادا

١٥ و إعداما إهانة[10] و إكراما، فقال - صارفا القول عن أسلوب العظمة التى

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ : المرئية (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) زيد من م (٥) سقط من م (٦) من م، و فى الأصل و ظ : بتصريفه (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل : انتقام و انعام (٨) من م، و فى الأصل و ظ : وهب (٩) من ظ و م، و فى الأصل : المقوم (١٠) و من هنا تستأنف نسخة مد .

من حقها دوام الخضوع [١]و إهلاك الجبابرة إلى[١] أعظم منها بذكر الاسم الأعظم الجامع لمظهر[٢] العظمة و مقام اللطف و الإحسان و الرحمة بتيجه لكل ما مضى: ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعظم وحده [٣]لا شريك له[٣] ﴿ ملك السمٰوٰت ﴾ كلها على[٤] علوها [٣]وارتفاعها[٣] نطابقها و كبرها[٥] و عظمها و تباعد [٤]أقطارها ﴿ و الارض[٤] ﴾ جميعها[٦] على تباينها و تكاثفها[٧] و اختلاف أقطارها و سكانها و اتساعها

و لما أخبر بانفراده بالملك، دل عليه بقوله تعالى: ﴿ يخلق ﴾ اى على سبيل التجدد و الاستمرار ﴿ ما يشاء[٨] ﴾ اى و إن كان على غير اختيار العباد، ثم دل [على -[٨]] ذلك بما يشاهد من حال الناس فانه لما استوى [البشر -[٨]] فى الإنسانية و النكاح الذى هو سبب الولادة اختلفت[٩] أصناف أولادهم، كان ذلك أدل دليل على أنه لا اختيار لأحد معه و أن الأسباب لا تؤثر[١٠] اصلا إلا به. و لما كانت ولادة الإناث أدل[١١] على عدم اختيار الولد و كانوا يعدونه[١٢] من البلاء الذى ختم به ما قبلها قدمهن فى الذكر فقال: ﴿ يهب ﴾ خلقا و مولدا ﴿ لمن يشآء ﴾ أولادا

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الاصل: اهلال الجابر على (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المظهر (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) سقط من م (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كرها (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جميع (٧) من ظ و م و مد، و فى الاصل: تكاتفها (٨) زيد من م و مد (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اختلاف (١٠) من ظ و م و مد، و فى الاصل: لا تؤس (١١) من م و مد، و فى الاصل و ظ: دل. (١٢) من م و مد، و فى الاصل و ظ: يعدونها.

﴿إناثا﴾ أي فقط ليس معهن ذكر كما في لوط عليه الصلاة السلام، و عبر سبحانه فيهن بلفظ الهبة لأن الأوهام العادية قد [1]تكتنف العقل[1] فتحجبه عن تأمل[2] محاسن التدبيرات الإلهية، و ترمي به في مهاوي الأسباب الدنيوية، فيقع المسلم مع إسلامه في مضاهاة الكفار في كراهة البنات و في وادي الوأد[3] بتضييعهن أو[3] التقصير في حقوقهن[4] و تنبيها على أن الأنثى نعمة، أن نعمتها لا تنقص عن نعمة الذكر و ربما زادت، و إيقاظا من سنة الغفلة على / أن التقديم و إن كان لما قدمته لا تقدم تأنيسا و توصية بهن و اهتماما بأمرهن، نقل ابن ميلق[5] عن ابن عطية عن الشعبي أن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: [6]من يمن المرأة تبكيرها[6] بالأنثى قبل[7] الذكر لأن الله تعالى بدأ بالإناث، و لذلك[8] رغب [النبي -[9]] صلى الله عليه و سلم في الإحسان إليهن في أحاديث كثيرة و رتب على ذلك أجرا كبيرا و لأجل تضمين الهبة منع الخلق عداها باللام مع أن فعلها متعد بنفسه إلى مفعولين لئلا يتوهم أن الولد كان لغير[10] الوالد و وهبه الله له.

(١ - ١) من م و مد، و في الأصل و ظ: تكشف (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: تمام (٣ - ٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: بتضيقهن و. (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: حقهن (٥) من م و مد. و في الأصل و ظ: ابن ميعلق (٦ - ٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: عن عن المرأة يتكرها (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: تقيل (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: كذلك (٩) زيد من م (١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ: بعد

و لما

و لما كان الذكر حاضرا فى الذهن لشرفه و ميل النفس إليه لاسيما و قد ذكر به ذكر[1] الإناث، عرف لذلك و جبرا لما فوته[2] من التقديم فى الذكر تنبيها على أنه ما أخر إلا لما ذكر من المعنى فقال: ﴿ و يهب لمن يشآء الذكور ﴾ أى فقط ليس بينهن أنثى كما صنع لإبراهيم عليه السلام و هو عم لوط عليه السلام. و لما فرغ من القسمين الأولين عطف - [4]] عليهما قسيما[5] لهما و دل على أنه [6]قسم بأو[6] فقال: ﴿ او يزوجهم ﴾ أى الأولاد بجعلهم[7] أزواجا اى صنفين حال كونهم ﴿ذكرانا و اناثا ج ﴾ مجتمعين فى بطن و منفردين كما منح[8] محمدا صلى الله عليه و سلم، و رتبها [هنا -[4]] على الأصل تنبيها على أنه ما فعل غير ذلك فيما مضى إلا لنكت[9] جليلة فيجب تطلبها[10]، و عبر فى الذكر بما هو أبلغ فى الكثرة ترغيبا فى سؤاله، و الخضوع لديه رجاء نواله.

و لما فرغ من أقسام الموهوبين الثلاثة، عطف على الإنعام بالهبة سلب ذلك، فقال موضع أن يقال مثلا[11]: و لا يهب شيئا من ذلك لمن

(١) من م و مد، و فى الاصل و ظ: نكر (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فوته (٣) من ظ و م و مد، و فى الاصل: اخبر (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الاصل: فيبين (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الاصل: قسم تام (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فيجعلهم (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: صنع (٩) من ظ و م و مد، و فى الاصل: لتكون (١٠) من م و مد، و فى الاصل و ظ: طابها (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مثالا.

يشاء[1] : ﴿ويجعل من يشآء عقيما﴾ أى لا يولد له كيحيى بن زكريا عليهما الصلاة و السلام - كذا قالوه ، و الظاهر أنه لا يصح مثالا[2] فانه لم يتزوج ، قال ابن ميلق : و أصل العقم اليبس المانع من قابلية التأثر لما من شأنه أن يؤثر ، و الداء العقام هو الذى لا يقبل البرأ - انتهى . فهذا الذى ٥ ذكر أصرح [فى المراد -[3]] لأجل ذكر العقم ، و أدل على القدرة لأنه شامل لمن له قوة الجماع و الإنزال لئلا يظن أن [عدم الولد لعدم -[4]] تعاطى أسبابه ، و ذكروا فى هذا القسم عيسى عليه الصلاة و السلام . و لا يصح لأنه[5] ورد أنه يتزوج بعد نزوله و يولد له ، و هذه القسمة[6] الرباعية فى الأصول كالقسمة الرباعية فى الفروع ، بعضهم لا من ١٠ ذكر و لا أنثى كآدم عليه الصلاة و السلام ، و بعضهم من ذكر فقط كحواء عليها السلام . و بعضهم من [أنثى فقط كعيسى عليه السلام و بعضهم من -[4]] ذكر و أنثى و هم أغلب الناس ، فتمت[7] الدلالة على أنه ما شاء كان و لا راد له و ما لم يشأ لم يكن ، و لا مكون له و لا مانع لما أعطى و لا معطى لما منع .

١٥ و لما دل هذا الدليل الشهودى على ما بنيت الآية عليه من إثبات الملك له وحده مع ما زادت به من جنس السياق و عذوبة الألفاظ

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : فقال تعالى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها . (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مالا (٣) زيد من ظ و م و مد . (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انه (٦) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : أقيمت .

و إحكام الشك و إعجاز الترتيب و النظم، كانت النتيجة قطعا مؤكدة لتضمن إشراكهم به الطعن فى توحده بالملك مقدما فيها الوصف الذى هو أعظم شروط الملك: ﴿ انه عليم ﴾ أى بالغ العلم بمصالح العباد و غيرها ﴿ قدير ٥ ﴾ شامل القدرة على تكوين ما يشاء.

و لما تم القسم الأول مما بنى على العلم و القدرة، [و القدرة -[1]] ٥ فيه أظهر وفاقا لما ختمت به الآية، و كان قد يكون خلقه إياه إبداعا من غير توسط سبب، و قد يكون بتوسيط[2] سبب، أتبعه القسم الآخر الأعلى[3] الذى العلم فيه أظهر و هو الوحى الذى ختمت آيته أول السورة بالحكمة التى هى سر العلم، و قسمه أيضا إلى ما هو بواسطة و إلى ما هو بغير واسطة، و لكن سر التقدير فى القسم الأول الكلام و هو الذى ١٠ شرف به، و كان لا يمكن أحدا أن يتكلم إلا بتكليم الله له أى إيجاده[4] الكلام فى قلبه قال: ﴿ و ما ﴾ أى و هو سبحانه تام العلم شامل القدرة غرز فى البشر غريزة العلم و أقدره[5] على النطق به بقدرته وحيا منه إليه كما أوحى إلى النحل و نحوها و الحال أنه ما ﴿ كان لبشر ﴾ من الأقسام المذكورة، و حل المصدر الذى هو اسم "كان" ليقع التصريح ١٥ بالفاعل و المفعول على أتم وجوهه فقال: ﴿ ان يكلمه ﴾ [و -[1]]

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تبسيط (٣) زيد فى الأصل و ظ: العلم، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اتخاذه (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: أقدر.

أظهر موضع الإضمار إعظاما للوحى و تشريفا لمقداره بجلالة إيثاره فقال : ﴿ الله[1] ﴾ أى يوجد الملك الأعظم الجامع لصفات الكمال فى قلبه [كلاما - [2]] ﴿ الا[3] وحيا ﴾ أى كلاما خفيا يوجده فيه بغير واسطة بوجه خفى لا يطلع عليه أحد إلا بخارق العادة[4] إما بالهام أو برؤيا منام أو بغير ذلك سواء خلق الله فى المكلم [به - [5]] قوة السماع له و هو أشرف هذه الأقسام مطلقا سواء كان ذلك مع الرؤية ليكون قسيما لما بعده أولا [أو - [2]] يخلق فيه ذلك[6] و من هذا[6] القسم الأخير « و اوحينا الى ام موسى » " و اوحى ربك الى النحل " " و اوحى فى كل سماء امرها " فان إيداعها القوى التى[7] يحصل بها المنافع [مثل - [5]] إيداع الإنسان قوة الكلام ثم[8] قوة التعبير عنه - و الله أعلم . و هذا معنى قول القاضى عياض فى الشفاء فى آخر الفصل الثانى من الباب الرابع فى الإعجاز : و قد قيل فى قوله تعالى " و ما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا " الآية[9] أى ما يلقيه فى قلبه دون واسطة ، و معنى قول الإمام شهاب الدين السهروردى[10] فى الباب السادس و العشرين من عوارفه : و العلوم اللدنية

(١) وقع فى الأصل و ظ بعد « ان يكلمه » و الترتيب من م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) وقع فى الأصل و ظ قبل « اى يوجد » و الترتيب من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العبادة (٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مع هذه (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مع . (٩) سقط من م (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المهرودى .

فى

فى[1] قلوب المنقطعين إلى الله ضرب من المكالمة .

و لما كان الحجاب الحسى يخفى ما وراءه عن[2] العيان، استعير لمطلق[3] الخفاء فقال: ﴿او من﴾ أى كلاما كائنا بلا واسطة، لكنه مع السماع لعين كلام الله كائن صاحبه [من -[4]] ﴿وراء حجاب﴾ أى من وجه لا يرى فيه المتكلم مع السماع للكلام على وجه الجهر، قال القشيرى: و المحجوب العبد لا الرب، و الحجاب أن يخلق فى محل الرؤية ضد الرؤية، و تعالى الله أن يكون من وراء حجاب لأن ذلك صفة الأجسام - انتهى.

و الآية يمكن تنزيلها على الاحتباك[5] بأن يكون ذكر الحجاب ثانيا دليلا على نفيه أولا، و ذكر الوحى الدال على الخفاء أولا دليلا على الجهر ثانيا، و الحجاب ثانيا دليلا على الرؤية أولا، و سره أن ترك التصريح بالرؤية و الدلالة عليها بالحجاب أولى بسياق العظمة .

و لما كان الذى بلا واسطة مع كونه أخفى الأقسام ليس فيه صوت و لا ترتب فى كلمات، [6]عبر فيه[6] بالمصدر [و عبر -[4]] فيما يلقيه الملك بما يدل / على التجدد فقال: ﴿او يرسل﴾ و هو عطف على المصدر بعد تقدير حله[7] ﴿رسولا﴾ أى من الملائكة . و لما كان الوحى مسببا[8] / ٦٦٦

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بمطلق (٤) زيد من م و مد. (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الاحسان (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عرفية (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: حكمه (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ما.

عن الإرسال و مرتبا عليه قال: ﴿ فيوحى ﴾ أى على سبيل التجديد و الترتيب[١]، و قرأ نافع[٢] برفع "يرسل و يوحى" بتقدير: أو هو يرسل . و لما كان ربما ظن أن للواسطة فعلا يخرج عن فعله، رد ذلك بقوله: ﴿ باذنه ﴾ أى باقداره و تمكينه، فذلك المبلغ إنما هو آلة .

٥ و لما كان رسوله لا يخرج عما حده[٣] له بوجه قال: ﴿ ما يشآء[٤] ﴾ أى لا يتعدى مراده و إقداره أصلا فهو المكلم فى الحقيقة و قد بان أنها ثلاثة أقسام: أولها فيه قسمان، خص الأول بقسميه بالتصريح باسم الوحى لأنه كما مر أخفاها و هو أيضا يقع دفعة، و الوحى يدور معناه على الخفاء و السرعة .

١٠ و لما كانت الأقسام الثلاثة دالة على العظمة الباهرة، وكانت للروح البدنى لأن روح الوحى يكسب الروح البدنى[٤] حياة العلم كما أفاد الروح البدن حياة الحركة بالإرادة و الحس، كانت النتيجة [مؤكدة لتضمن طعنهم فى الرسول و القرآن و التوحيد طعنهم[٥] فى مضمون الجملة -[٦]]: ﴿ انه ﴾ أى الذى له هذا التصرف العظيم [٦]فى هذا الوحى الكريم ﴿ على ﴾

٦٦٧/ ١٥ أى بالغ العلو [حدا -[٧]] مما لا يليق به من الأوصاف و بما يكون للخلق / عن جنابه[٨] من السفول بما عليهم من الحجب فلا يلبس[٩] شىء مما يعبر

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الترتب (٢) راجع نثر المرجان ٦/٣٩٠.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: حد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اليه فى (٥) ونسخة مد مطموسة من هنا (٦) زيد من م و مد (٧) زيد من م (٨) من م، و فى الأصل و ظ: جناحه (٩) من ظ و م، و فى الأصل: يلتبس .

[به -[1]] تقريبا للعقول فيحمل على ما يوهم نقصا ، فان المجازات فى لسان العرب شهيرة ﴿ حكيم ﴾ يتقن ما يفعله إتقانا لا تحيط العقول بادراكه فيسكن روح العلم الذى هو من ألطف أسراره فى روح البدن المدبر [له -[1]] فيكون سرا فى سر كما كان برا بعد بر ، و يجعل ذلك تارة بواسطة [و تارة بغير واسطة -[1]] على حسب ما يقتضيه الحال ، ٥ و يعبر عن كل [2]معنى بما[2] يقتضيه حاله[2] فى ذلك السياق ، و مهما أوهم [4]شىء من ذلك[4] نقصا فرده المستبصر إلى المحكم بضرب من التأويل على[5] ما يقتضيه الشائع من استعمالات العرب رجع رجوعا بينا متقنا بحيث يصير فى غاية الجلاء .

و لما كان الوحى روحا مدبرا للروح كما أن الروح مدبر[6] للبدن ، ١٠ صرح به فقال : ﴿ و كذلك ﴾ أى و مثل ما أخبرناك بالكيفيات التى نوحيها إلى عبادنا ﴿ اوحينا اليك ﴾ صارفا القول إلى مظهر العظمة تعظيما لما أوحى إليه و أفاض من نعمه عليه على جميع تلك الأقسام ، فالتفت فى الروح مذكورا غير منكور ، و السماع [من دون الحجاب أصلا منقول فى الأخبار عن ليلة المعراج و معقول فى السماع -[1]] من وراء الحجاب ١٥ أيضا ذكر فيها فى قوله « أمضيت فريضتى[2] و خففت عن عبادى » و الوحى بواسطة الملك كثير جدا ، و أعظم الوحى و شرفه بقوله منكرا له تعظيما

(١) زيد من م (٢ - ٢) من م ، و فى الأصل و ظ : ما (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : حال (٤ - ٤) من م ، و فى الاصل و ظ : شيئا (٥) زيد فى الأصل : حكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من م ، و فى الاصل و ظ : مدبرا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : تعريضى .

لما عنده من الروح الأمرى بافادة أن هذا الكتاب الذى أبكم الفصحاء و أعجز البلغاء و حير[1] الألباب من الحكماء شعبة منه [2]و ذرة بارزة[2] عنه، و يمكن أن يكون تنكير تعظيم و إجلال و تكريم ﴿ روحا ﴾ أى من خالطه صار قلبه حيا و من عرى عنه كان قلبه[3] ميتا. و زاد عظمه بقوله:

٥ ﴿ من امرنا[4] ﴾ أى[3] بجعله من قسم الأمر و إظهاره فى مظهر العظمة فيا له من علو يتضاءل دونه كل شامخ و يتحاقر إكبارا له كل مادح، و المراد بهذا رد ما تقدم من نسبتهم له صلى الله عليه و سلم إلى الافتراء لأنه تعالى لم يختم على قلبه بل فتحه بيد القدرة و أحياه بروح الوحى فأنطقه / بالحكم التى خضعت لها الحكماء، و أقرت بالعجز عن إدانتها ألباب / ٦٦٧

١٠ العلماء، و دل[4] على ذلك بقوله، نافيا مبينا حاله صلى الله عليه و سلم قبل هذا الوحى: ﴿ما كنت﴾ أى فيما قبل الأربعين التى مضت لك و أنت بين ظهرانى قومك مساويا لهم فى كونك لا تعلم شيئا و لا تتفوه بشىء من ذلك و هو معنى ﴿ تدرى ﴾ و عبر بأداة الاستفهام إشارة إلى أن ما بعدها مما يجب الاهتمام به و السؤال عنه. و علق بجملة الاستفهام

١٥ الدراية[5] عن العمل و سدت مسد مفعولى[6] الدراية ﴿ ما الكتب ﴾ أى

(١) زيد فى الأصل: اولى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ: زمرة مبارزة (٣) سقط من م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: ذلك (٥) من م، و فى الأصل و ظ: الذى آية (٦) من ظ و م، و فى الأصل: معمولى.

ما كان فى جبلتك أن[1] تعلم ذلك بأدنى أنواع العلم بمجادلة و لا غيرها ﴿ و لا الايمان ﴾ [أى -[2]] بتفصيل الشرائع على ما حددناه لك بما أوحيناه إليك[3]، و هو صلى الله عليه و سلم و إن كان قبل النبوة[4] مقرا بوحدانية الله[5] تعالى و عظمته لكنه لم يكن يعلم الرسل على ما هم عليه، و لا شك أن الشهادة له نفسه صلى الله عليه و سلم بالرسالة ركن الإيمان ٥ و لم يكن له علم بذلك، و كذا الملائكة و اليوم الآخر فيصح نفى المنفى لفواته بفوات جزئه .

و لما كان المعنى : و لكن نحن أدريناك بذلك كله، عبر عنه إعلاما بأن الخلق كانوا فى ظلام لكونهم كانوا يفعلون بوضع الأشياء فى غير مواضعها فعل من يمشى فى الظلام بقوله : ﴿ و لكن جعلناه ﴾ ١٠ أى الروح الذى هو الكتاب المنزل منا إليك المعلم بالإيمان و كل عرفان بما لنا من العظمة ﴿ نورا نهدى ﴾ على عظمتنا ﴿ به من نشآء ﴾ خاصة لايقدر أحد على هدايته بغير مشيئتنا ﴿من عبادنا[1] ﴾ بخلق الهداية فى قلبه، قال ابن برجان : فمن رزقه الفرقان الذى يفرق [به -[2]] بين المتشابهات[6] و النور الذى يمشى به فى الظلمات، فذلك الذى أبصر شعاع ١٥ النور و شاهد الضياء المبثوث فى العالم المفطور، و على قدر إقباله عليه

(١) زيد فى الأصل و ظ : ما، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) زيد من م (٣) من م، و فى الأصل و ظ : لك (٤) زيد فى م : قد كان (٥-٥) من م، و فى الأصل و ظ : بالوحدانية لله (٦) من ظ و م، و فى الأصل : المشتبهات .

و التفرغ[1] عن كل شاغل عنه يكون قبوله[2] له و هدايته به، و قال الأصهاني في سورة النور[3]: هو الكيفية الفائضة من الشمس و القمر و النار مثلا على الأرض و الجدار و غيرهما، يقال: استنارت الأرض[4]، و قال "حجة الإسلام" الغزالي "رضي الله عنه": و من المعلوم أن هذه الكيفية إنما اختصت بالفضيلة و الشرف لأن المرئيات تصير بسببها ظاهرة، ثم من المعلوم أنه كما يتوقف إدراك هذه المرئيات على كونها مستنيرة فكذلك[6] يتوقف على وجود العين الباصرة و هي المدركة و بها الإدراك، و أما النور الخارج فليس بمدرك و لا به الإدراك بل عنده الإدراك، فكان وصف الإظهار بالنور الباصر أحق بالنور المبصر فلا جرم أطلقوا اسم[7] النور على نور العين المبصرة فقالوا في الخفاش: إن نور عينيه ضعيف، و في الأعمى أنه فقد نور البصر، إذا ثبت هذا فنقول: للانسان بصر و بصيرة، فالبصر هو العين الظاهرة[8] المدركة للاضواء و الألوان، و البصيرة هي[9] القوة العاقلة، و كل واحد من الإدراكين يقتضي نورا، و نور العقل أقوى و أشد من نور العين، / لأن القوة الباصرة لا تدرك نفسها و لا إدراكها و لا آلاتها، و القوة [العاقلة تدرك نفسها و إدراكها

٦٦٨ /

(١) من ظ و م، و في الأصل: التضرع (٢) من م، و في الأصل و ظ: قوله (٣) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٤) من م، و في الاصل و ظ: الشمس (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من م، و في الاصل و ظ: ولذلك (٧) سقط من م (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: الباصرة (٩) في م: هو.

وآلتها فنور العقل أكمل من نور البصر، و القوة العاقلة -[١] تدرك الكليات و القوة الباصرة لا تدركها، و إدراك الكليات أشرف لأنه لا يتغير[٢] بخلاف الجزئيات، و إدراك العقل منتج و إدراك الجزئى غير منتج، و القوة الباصرة لا تدرك إلا السطح الظاهر من الجسم و اللون القائم بذلك السطح بشرط الضوء، فاذا أدركت[٣] الإنسان لم تدرك منه إلا السطح الظاهر من جسمه و اللون القائم به، و القوة العاقلة تدرك ظاهر الأشياء و باطنها فان[٤] الباطن و الظاهر[٤] بالنسبة إليها على السواء، فكانت القوة العاقلة نورا بالنسبة إلى الظاهر و الباطن، و القوة الباصرة ظلمة بالنسبة إلى الباطن، و مدرك القوة العاقلة [هو الله -[١]] و صفاته و أفعاله، و مدرك القوة هو الألوان و الأشكال فيكون نسبة شرف القوة العاقلة إلى شرف القوة الباصرة كنسبة شرف ذات الله إلى شرف الألوان و الأشكال، و القوة الباصرة كالخادم و القوة العاقلة كالأمير، و الأمير أشرف من الخادم، و القوة [الباصرة قد تغلط -[١]] و القوة العاقلة لا تغلط[٥]، فثبت أن الإدراك العقلى أكمل و أقوى و أشرف من الإدراك البصرى، و كل واحد من الإدراكين يقتضى الظهور الذى هو أشرف خواص النور، فكان الإدراك العقلى أولى بكونه[٦] نورا، و الإدراك العقلى قسمان: أحدهما واجب الحصول

(١) زيد من م ومد، و استأنفت نسخة مد من «هذه المرئيات» ص: ٣٦٤ س ٦.
(٢) من م ومد، و فى الأصل و ظ: لا يعتبر (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ادرك (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الظاهر و الباطن.
(٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لا تغلط (٦) زيد فى الأصل: نور، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

عند سلامة القوى و الآلات و هى التعقلات الفطرية[1]، و الثانى ما يكون مكتسبا، و هى التعقلات النظرية[2]، و لا يكون من لوازم جوهر الإنسان لأنه[3] حال الطفولية لم يكن عالما البتة، فهذه الأنوار إنما حصلت بعد أن لم تكن، فلا بد لها من سبب، و الفطرة الإنسانية قد يعتريها الزيغ فلا بد من هاد و مرشد، و لا مرشد فوق كلام الله و أنبيائه، فتكون منزلة آيات القرآن عند عين العقل منزلة نور الشمس كما يسمى نور الشمس نورا فنور القرآن يشبه نور الشمس، و نور العقل يشبه نور العين، و بهذا يظهر معنى قوله تعالى " فآمنوا بالله و رسوله و النور الذى انزلنا"، "قد جاءكم برهان من ربكم" "و انزلنا اليكم نورا مبينا" و إذا ثبت أن بيان الرسول صلى الله عليه و سلم أقوى من نور الشمس وجب أن تكون نفسه القدسية أعظم فى النورانية من الشمس كما أن الشمس فى عالم الأجسام تفيد النور لغيرها و لا تستفيد من غيرها، فكذا نفس النبى صلى الله عليه و سلم تفيد الأنوار العقلية [لسائر النفوس البشرية و لا تستفيد النور العقلى -[4]] من شىء من النفوس البشرية، فلذلك[5] وصف الله الشمس بأنها سراج، و وصف محمدا صلى الله عليه و سلم بأنه سراج، [ثم -[4]] قال: و لمراتب الأنوار فى

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: النظرية (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: البصرية (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لان (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الاصل: فكذلك.

عالم الأرواح مثال، و هو أن ضوء الشمس إذا وصل إلى القمر ثم دخل
فى كوة بيت و وقع على[1] مرآة منصوبة [على حائط -[2]] ثم انعكس
منه إلى طشت مملوء[3] ماء موضوع على[4] الأرض ثم انعكس منه إلى سقف
البيت. فالنور الأعظم فى الشمس التى هى المعدن[5]، و ثانيها فى القمر،
و ثالثها فى المرآة، و رابعها فى الماء، و خامسها فى السقف، و كل ما ٥
كان أقرب إلى المعدن كان أقوى، فكذا الأنوار السماوية لما كانت
مترتبة لاجرم كان النور / المفيد أشد إشراقا، ثم تلك الأنوار لا تزال ٦٦٩ /
مترتبة حتى تنتهى إلى النور الأعظم و الروح الذى هو أعظم الأرواح
منزلة عند الله الذى هو المراد بقوله تعالى "يوم يقوم الروح و الملئكة
صفا" ثم نقول[6]: إن هذه الأنوار الحسية سفلية كانت كأنوار النيران ١٠
أو علوية [كأنوار الشمس و كذا الأنوار العقلية سفلية كانت كأرواح
الأنبياء و الأولياء و علوية -[7]] كأرواح الملائكة فانها ممكنة لذواتها[8]
[و الممكن لذاته -[2]] لايستحق الوجود لذاته بل وجوده من غيره،
و العدم هو الظلمة و الوجود هو النور، فكل ما سوى الله مظلم لذاته
مستنير بانارة الله تعالى، [و كذا جميع معارفها وجودها حاصل من ١٥
وجود الله تعالى -[2]] فان الحق سبحانه هو الذى أظهرها

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فى (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: علوه (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: إلى. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و م: معدن (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م: تقول (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لذاتها.

بالوجود بعد أن كانت فى ظلمات العـــدم[1]، و أفاض عليها أنوار المعارف[2] بعد أن كانت فى ظلمـات[3] الجهالة، فلا ظهور لشىء من الأشيـاء إلا باظهاره، و خاصـــة النور إعطاء الإظهار و التجلى و الانكشاف، و عند هذا يظهر أن النور المطلق هو الله سبحانه و أن

٥ إطـــلاق النور على غيره مجاز، و كل ما سوى الله من حيث هو هو[4] ظلمة محضة لأنه من حيث أنه ممكن عدم محض بل الأنوار إذا نظر إليها من حيث هى هى [فهى -[5]] ظلمات لأنها[6] من حيث هى هى ممكنات، و الممكن من حيث هو هو معدوم، و المعدوم مظلم، فالنور إذا نظر من حيث هو[7] ممـــكن مظلم، فأما إذا التفت إليها من حيث

١٠ أن الحق سبحـانه أفاض عليها نور الوجود بهـــذا الاعتبار صارت أنوارا، فثبت أنه سبحانه هو النور و أن كل ما سواه ليس بنور، و أضاف النور إلى الخافقين فى قولـــه "نور السمٰوٰت و الارض" لأنهما مشحونتان بالأنوار العقلية و الأنوار الحسية، أما الحسية فما نشاهده فى السماوات من الكواكب و غيرها، و فى الأرض من الأشعة

١٥ المنبسطة على سطوح الأجسام حتى ظهرت بها الألوان المختلفة، و لو لاها

(١) زيد فى الأصل وأضاف إليها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المعانى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كلمات (٤) زيد فى الأصل و ظ: الله، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لانه (٧) من م ومد، و فى الأصل و ظ: هى هى ظلمات.

لما كان [1]للألوان ظهور بل وجود[1]، و أما الأنوار العقلية فالعالم الأعلى مشحون بها و هى جواهر الملائكة ، و العالم الأدنى مشحون بها و هى القوى النباتية و الحيوانية و الإنسانية، و بالنور الإنسانى السفلى ظهر نظام العالم الأسفل كما أنه بالنور الملكى ظهر[2] نظام العالم العلوى[3]، و إذا عرفت هذا عرفت [أن العالم بأسره مشحون بالأنوار البصرية الظاهرة و العقلية الباطنة، ثم عرفت -[4]] أن السفلية فائضة[5] بعضها من بعض فيضان[6] النور من السراج، و السراج هو الروح النبوى، ثم إن الأنوار القدسية مقتبسة من الأنوار العلوية اقتباس السراج من النور، و إن العلويات مقتبسة بعضها من بعض و إن بينها ترتيبا فى الغايات، ثم ترتقى جملتها إلى نور الأنوار و معدنها و منبعها الأول، و ذلك هو الله وحده لا شريك له، فاذا الكل نوره، ثم قال: قال الإمام الغزالى: قد تبين أن القوى المدركة أنوار[7]. و مراتب القوى المدركة الإنسانية خمسة، أحدها[8] القوة الحساسة و هى التى تتلقى ما تورده الحواس الخمس، و كأنها أصل الروح الحيوانى إذ بها يصير الحيوان حيوانا، و هى موجودة للصبى و الرضيع، و ثانيها القوة الخيالية[9] و هى / التى تسبب ما أوردته الحواس و تحفظه مخزونا ٦٧٠ /

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للانوار ظهور بل ظهور (٢) زيد فى الأصل و ظ: منه، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: السفلى (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فايضته (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فيصار (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بأنوار (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: احداهما (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحالية.

عندها لتعرضه عن القوة[1] العقلية عند الحاجة إليه، و ثالثها القوة العقلية المدركة للحقائق الكلية، و رابعها القوة الفكرية و هى التى تأخذ المعارف العقلية فتؤلفها[2] تأليفا تستنتج منه علما بالمجهول، و خامسها القوة القدسية التى يختص بها الأنبياء و بعض الأولياء، و تنجلى فيها لوائح الغيب و أسرار الملكوت. و إليه أشار قوله "وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا" الآية، و إذا عرفت هذه القوى [3]فهى بجملتها[3] أنوار إذ بها تظهر أصناف الموجودات، و هذه المراتب الخمس يمكن تشبيهها بالأمور الخمسة التى ذكرها الله فى المشكاة و الزجاجة و المصباح و الشجرة و الزيت، أما الروح الحساس فاذا نظرت إلى خاصته وجدت أنواره خارجة من ثقب كالعينين و الأذنين و المنخرين، [4]فأرفق مثال[4] له من عالم الأجسام المشكاة، و أما الثانى و هو الروح الخيالى[5] فله خواص ثلاثة: الأول أنه من طينة العالم السفلى الكثيف لأن الشىء المتخيل ذو شكل و حيز، و من شأن العلائق الجسمانية أن تحجب عن الأنوار العقلية المحضة، و الثانى أن هذا الخيال الكثيف إذا صفا و رق صار موازنا للمعارف العقلية و مؤديا[6] لأنوارها، و لذلك[7] يستدل المعبر بالصور

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القوى (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فتالفها (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بجملتها فهى (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الاصل: فافق مثاله (٥) من م و مد، و فى الاصل و ظ: الخالى (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مويدا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كذلك.

[١]الخيالية على[١] المعانى العقلية[٢] كما يستدل بالشمس على الملك، و بالقمر على الوزير، و بنجم فروج الناس و أفواههم على الأذان قبل الصبح، و الثالث أن الخيال فى البداية محتاج إليه لتضبط به المعارف العقلية و لا تضطرب. و أنت لا تجد شيئا فى الأجسام يشبه الخيال فى هذه الصفات إلا الزجاجة فانها فى الأصل من جوهر كثيف و لكن[٣] صفا و رق حتى صار لا يحجب ٥ نور المصباح بل يؤديه[٤] على وجهه ثم يحفظه من الانطفاء بالزجاج، و أما الثالث و هو القوة العقلية القوية على إدراك الماهيات الكلية و المعارف الإلهية فلا يخفى عليك وجه تمثيله بالمصباح، و أما الرابع و هو القوة الفكرية فمن خاصيتها أنها تأخذ ماهية واحدة ثم تقسمها إلى قسمين كقولنا: الموجود إما واجب و إما ممكن، ثم تجعل كل قسم قسمين، ١٠ و هكذا إلى أن تنتهى إلى ما لا يقبل القسمة، ثم تنتهى بالآخرة إلى نتائج هى ثمرتها، فبالحرى أن يكون مثاله من هذا العالم الشجرة، و إذا كانت ثمارها مادة لتزايد أنوار المعارف و بيانها فبالحرى أن لا تمثل بشجرة السفرجل و التفاح [بل -[٥]] بشجرة الزيتون خاصة لأن لب ثمرتها هو الزيت الذى هو مادة المصابيح. و له من بين سائر الأدهان خاصة زيادة ١٥ الإشراق و قلة الدخان، و إذا كانت الماشية التى يكثر درها و نسلها

(١ - ١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الخالية عن (٢) زيد فى الأصل و ظ: مويدا لأنوارها، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جعل (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يوريه (٥) زيد من م و مد.

و الشجرة التى تكثر ثمرتها تسمى مباركة فالتى لا نهاية لمنفعتها و ثمرتها أولى أن تسمى [شجرة -[1]] مباركة ، و إذا كانت شعب الأفكار العقلية المحضة[2] مجردة عن لواحق الأجسام ، فبالحرى أن لا تكون شرقية و لا غربية ، و أما / الخامس و هو القوة القدسية النبوية فهى[3] فى نهاية / ٦٧١
٥ الشرف و الصفاء ، فان القوة الفكرية تنقسم إلى ما تحتاج إلى تعليم و إلى ما لا تحتاج إليه ، و لا بد من وجود هذا القسم دفعا [4]للتسلسل فبالحرى[4] [5]أن يعبر عن[5] هذا القسم لكماله و صفاته بأنه يكاد زيته يضىء و لو لم تمسسه نار ، فهذا المثال موافق لهذه الأقسام ، و هذه الأنوار مرتبة بعضها على بعض ، فالحس هو الأول و هو كالمقدمة للخيال ، و الخيال
١٠ كالمقدمة للعقل - انتهى كلام الغزالى رحمه الله تعالى عن نقل الأصفهانى فى تفسيره عنه - [6]و الله أعلم[6] .

و لما كان المعنى بناء على ما تقدم من صفة الروح الإلهى : فهديناك به ، عطف عليه قوله تعالى : ﴿ و انك لتهدى ﴾ أى تبين و ترشد ، و أكده لإنكارهم ذلك[7] ﴿الى صراط﴾ أى طريق واضح[8] جدا ، و إن

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل و ظ : المجردة المحضة ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و هى . (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل : التسال فبالحرى ، و فى ظ : للتسال فبالحرى (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يعتبر (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : واحد .

عانيت فى البيان مشقة بنفسك و بالوسائط بما أفادته التعدية بـ"إلى"، فيفهم من ذلك أنه يهدى للصراط بدون ذلك من العناية لمن يسر الله أمره و يهدى الصراط لمن هو أعظم توفيقا من ذلك ﴿مستقيم﴾ أى شديد التقوم لأنه كأنه يريد أن يقوم نفسه فهو بعد وجود تقومه[1] حافظ لها من أدنى خلل، و هو كل [2]ما دعا[2] إليه من خصال هذا الدين ٥ الحنيف[3] الذى هو ملة إبراهيم عليه الصلاة و السلام، ثم أبدل منه تعظيما لشأنه قوله بدل[4] كل من كل معرفة من نكرة لافتا القول من مظهر العظمة إلى أعظم منه، إشارة إلى جلالة هذا الصراط [بما -[5]] فيه من مجامع الرحمة و النقمة ترغيبا و ترهيبا: ﴿صراط الله﴾ أى الملك الأعظم الجامع لصفات الكمال، ثم وصفه بأنه مالك لما افتتح هذا الكلام ١٠ بأن[6] له ملكه فقال: ﴿الذى له﴾ ملك ﴿ما فى السمٰوٰت﴾ أى و هو جميع السماوات التى هى فى عرشه و الأرض لأنها فى السموات و ما فى ذلك من المعانى و الأعيان ﴿و ما فى الارض[1]﴾.

و لما أخبر سبحانه أنه[7] المخترع لجميع الأشياء و المالك لعالمى الغيب

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تقدمه (٢ - ٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: خفاء (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحنيفة (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بل (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بانه (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ان.

و الشهادة و الخلق و الأمر و أنه المتفرد بالعظمة كلها، و كان مركوزا
فى العقول مغروزا فى الفطر أن من ابتدأ شيئا و ليس له كفوء قادر
على إعادته و أن يكون مرجع[1] أمره كله إليه، فلذلك كانت نتيجة جميع
ما مضى على سبيل المناداة على المنكرين لذلك وعدا و وعيدا لأهل الطاعة
٥ و المعصية بناء على ما تقديره: كيف يكون له ما ذكر على سبيل الدوام
و نحن نرى لغيره أشياء كثيرة تضاف إليه و يوقف تصريفها و التصرف
فيها عليه: ﴿ الآ الى الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال الذى تعالى
عن مثل[2] أو مدان و هو الكبير المتعال، لا إلى أحد غيره ﴿ تصير ﴾
أى على الدوام و إن كانت فى الظاهر فى ملك غيره بحيث يظن
١٠ الجاهل أن ملكها مستقر له. قال أبو حيان[3]: أخبر بالمضارع و المراد
به الديمومة كقوله[4]: زيد يعطى و يمنع أى من شأنه ذلك و لا يراد به
حقيقة المستقبل. ﴿ الامور ﴾ أى كلها من الخلق و الأمر معنى و حسا
[خفيا - ٥] فى الدنيا بما نصب من الحكام[6] و جعل بين / الناس من ٦٧٢ /
الأسباب، وجليا فيما وراءها حيث قطع ذلك جميعه[7] فلا حكام ولا أسباب[7]،

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جميع (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مثيل (٣) راجع البحر المحيط ٧ / ٥٢٨ (٤) فى م و مد: كقولك.
(٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاحكام.
(٧-٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فالاحكام و الاسباب.

كما كانت الأمور كلها مبتدئة منه وحده، و من كان كذلك فهو وحده العزيز الحكيم العلى العظيم، فقد رجع آخر السورة على أولها، و انعطف [١] مفصلها على موصلها [١]، و اتصل من حيث كونه فى الوحى الهادى [٢] فى أول [٢] الزخرف على أتم عادة لهذا الكتاب المنير من اتصال الخواتم فيه بالبوادى و الروائح بالغوادى - و الله [٣] أعلم بالصواب [٣]. ٥

(٥)

(١-١) من م و مد ؛ و فى الأصل و ظ : موصولها على مفصلها (٢ - ٢) فى م و مد : بأول (٣ - ٣) فى م و مد : ولى التوفيق .

سورة الزخرف[1]

مقصودها البشارة باعلاء هذه الأمة بالعقل و الحكمة حتى يكونوا [2]أعلى الأمم فى[2] العلم و ما ينشأ عنه شأنا لان [3]هدايتهم بأمر لدنى[3] هو من أغرب الغريب الذى هو للخواص، فهو فى الرتبة الثانية من الغرابة و أن ذلك ٥ أمر لا بد لهم منه و إن اشتدت نفرتهم منه و إعراضهم عنه و أنه لذكر لك و لقومك حتى [تكونوا -[4]] أهلا للجنة و فيها ما تشتهى الأنفس و تلذ الأعين و أنتم فيها خالدون، و لم يقل: و هم، و على ذلك دلت تسميتها بالزخرف لما فى آيتها من أنه [لو -[4]] أراد أن يعم الكفر جميع الناس لعمهم بسبوغ النعم، و لكنه لم يعمهم بذلك، بل فاوت بينهم فأفقر ١٠ بعضهم و أكثر بؤسهم و ضرهم و فرق أمرهم، ليسهل ردهم[5] عن الكفر الذى أدتهم إليه طبائعهم و حظوظهم[6] و نقائصهم بما يشهدون من قباحة الظلم و العدوان إلى ما يرونه من محاسن الدين و الإيمان. و لذة الخضوع للملك الديان، فتخضع لهم الملوك [و -[4]] الأعيان، [7]و يصير لهم الفرقان[7] على جميع أهل العصيان ﴿ بسم الله ﴾ الذى له مقاليد الأمور كلها فهو

(١) الثالثة و الاربعون من سور القرآن الكريم مكية، و عدد آيها تسع وثمانون عند الجمهور، وثمان وثمانون عند الشامى - كما فى الدر المنثور ٦/٣٩٢.
(٢-٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: على (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: هذا الاسم بأمر الذى (٤) زيد من م و مد (٥) من م ومد، وفى الأصل و ظ: أمرهم (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: خوضهم.
(٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نصرتهم العرفان.

يعلى[1] من شاء[2] و إن طال سفوله ﴿الرحمن﴾ الذى نال بره جميع خلقه على حسب منازلهم عنده ﴿الرحيم ۝﴾ الذى يقبل بمن[3] شاء[4] إلى[5] ما يقربه لديه زلفى و إن وصل فى البعد إلى الحد الأقصى ﴿حمٓ ۝﴾ حكمة محمد التى أوحاها الله إليه .

و لما[6] قدم آخر تلك أنه جعل ما أوحى إليه صلى الله عليه و سلم نورا يهدى به من يشاء . و كان قد تقرر[7] فى السور الماضية ما له من الجلالة بأنه تنزيله ، و ختم بأنه لا أمر [8]يخرج عنه[8] سبحانه إشارة [إلى أنه -[9]] يردهم عن غيهم و كانوا يمكرون أن يرجعوا ، فاقتضى الحال غاية التأكيد ، و كان إقسام الله تعالى بالأشياء إعلاما بجلالة ما فيها من الحكم[10] و تنبيها على النظر فيما أودعـــها من الأسرار التى أهلها للاقسام بها ، افتتح هذه بتعظيم[11] هذا الوحى بالإقسام به حثا على تدبر[12] ما فيه من[13] الوجوه التى أوجبت أن يكون قسما [14]ثم تعظيم أثره[14] فقال : ﴿و الكتٰب﴾

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يعطى (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يشاء (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يشاء (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : على (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الى ما (٧) فى م : تقدم (٨-٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : محو (٩) زيد من م و مد (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكمالات المودعة للحكم (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : بالتعظيم . (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تدبير (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ما (١٤-١٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لم يعظم نصره .

أى و إعجاز هـــذا الجامع لكل خير و غير ذلك من أنواع عظمته ﴿ المبين ٥ ﴾ أى البين فى نفسه ، المبين لجميع ما فيه من العظمة و الشرائع و السنن[١] / ، و اللطائف و المعارف و المنن ، بيانا عظيما شافيا . ٦٧٣ /

و لما كانوا[٢] ينكرون أن يرجعوا به عما هم فيه ، و أن يكون من عند الله ، أكد ما يكذبهم من قوله فيما مضى آخر الشورى[٣] أنه نور و هدى و روح معبرا[٤] بالجعل لذلك[٥] دون الإنزال[٦] لأنه قد دل[٦] عليه جميع السور الماضيـــة تارة بلفظه[٧] و أخرى بلفظ الوحى ، فقال مقسما بالكتاب على عظمة الكتاب ، قال[٨] السمين : و من البلاغة عندهم كون القسم و المقسم عليه من واد واحد ، و هذا إن أريد بالكتاب القرآن [فان ـ[٩]] أريد به أعم منه كان بعض القسم به ، و صرف القول إلى مظهر العظمة تشريفا للكتاب[١٠] : ﴿ انا جعلنٰه ﴾ أى صيرناه و وضعناه و سميناه مطابقة لحاله بالتعبير عن معانيه بما لنا من العظمة ﴿ قرءٰنا ﴾ أى مع كونه بمجموع الحروف و المعانى[١١] جامعا ، و مع كونه جامعا فارقا بين

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الستر (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كان هؤلاء (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : السورة (٤) من و مد ، فى الأصل و ظ و م : معبر (٥) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : كذلك (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فدل (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بلفظ (٨) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد . (٩) زيد من م و مد (١٠) زيد فى الأصل و ظ : فقال تعالى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١١) زيد فى الأصل : مطابقة لحاله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

الملتبسات ﴿عربيا﴾ أى جاريا على قوانين لسانهم فى الحقائق و المجازات و المجاز فيه أغلب لأنه أبلغ و لاسيما الكنايات[1] و التمثيلات ، و صرف القول عن تخصيص نبيه صلى الله عليه و سلم بالخطاب إلى خطابهم تشريفا له صلى الله عليه و سلم و لهم [فيما -[2]] يريده بهم و تنبيها على سفول أمرهم فى وقت نزولها فقال : ﴿ لعلكم تعقلون ﴾ أى لتكونوا أيها العرب على رجاء [عند -[2]] من يصح منه رجاء[3] من أن تعقلوا أنه من عندنا لم تبغوا له أحدا علينا و تفهموا معانيه و جميع ما فى طاقة البشر مما يراد به من حكمه و أحكامه ، و بديع وصفه و معجز وصفه و نظامه ، فترجعوا عن كل ما أنتم فيه من المغالبة ، و لابد أن يقع هذا الفعل ، فان القادر إذا عبر[4] بأداة الترجى حقق ما [يقع -[2]] ترجيه ، ليكون بين كلامه و كلام العاجز فرق . و سيبلغ هذا الجامع أقصاكم كما عرض على أدناكم و كل منكم [يعلم -[2]] أنه عاجز عن مباراة[5] آية منه فى حسن معناها ، و جزالة ألفاظها و جلالة سبكها ، و نظم كل كلمة منها بالمحل الذى لايمكن زحزحتها عنه بتقديم و لا تأخير ، و لا أن يبدل شىء منها بما يؤدى معناه أو يقوم مقامه ، كما أن ذلك فى غاية الظهور فى موازنة " فى القصاص حياة " مع « القتل أنفى للقتل » و ذلك بعض آية فكيف بآية

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الآيات (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حر (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مبارزة .

فما فوقها فتخضع له جبارة ألبابكم و تسجد له جباه[1] عقولكم، و تذل لعزته شوامخ أفكاركم، فتبادرون إلى تقبله و تسارعون إلى حفظه و تحمله علما منكم [بأنه فخر لكم لايقاربه فخر، و عز لا يدانيه عز، ثم يتأمل الإنسان منكم -[2]] من خالفه [فيه -[2]] من بعيد أو قريب ولد أو والد[3] إلى أن تدين له الخلائق، و تتصاغر لعظمته الجبال[4] الشواهق، و الآية ناظرة إلى آية فصلت "و لو جعلنا قرآنا اعجميا لقالوا[5] " - الآية.

و لما كانوا ينكرون تعظيمه عنادا و إن كانوا / يقرون بذلك فى بعض الأوقات، قال مؤكدا لذلك و تنبيها على أنه أهل لأن يقسم به، و يزاد فى تعظيمه لأنه لا كلام يشبهه، بل و لايدانيه بوجه[6]: ﴿وانه﴾ أى القرآن، و قدم الظرفين على الخبر[7] المقترن باللام اهتماما بهما ليفيد بادئ بدء أن علوه و حكمته ثابتة [فى -[8]] الأم و أن الأم فى غاية [9]الغرابة عنده[9] ﴿ فى ام الكتب ﴾ [أى -[8]] كائنا فى[10] أصل كل كتاب سماوى، و هو اللوح المحفوظ، و زاد فى شرفه بالتعبير بلدى التى هى [لخاص -[8]] الخاص و أغرب[11] المستغرب و نون العظمة فقال

/٦٧٤

(١) من م ومد، و فى الأصل و ظ : حياة (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : والدا (٤) زيد فى الأصل : الشوامخ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) سقط من م (٦) زيد فى الأصل : من الوجوه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الجزاء (٨) زيد من م و مد (٩ - ٩) من م و مد، و فى الاصل و ظ : عده (١٠) زيدفى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اعرض.

مرتبا للظرف على الجار ليفيد أن أم الكتاب من أغرب الغريب الذى عنده ﴿ لدينا ﴾ على ما هو عليه هناك[1] ﴿ لعلى ﴾ .

و لما كان العلى قد يتفق علوه و لا تصحبه فى علوه حكمة ، فلا يثبت له علوه ، فيتهور بنيانه و ينقص سفوله و دنوه ، قال : ﴿ حكيم ﴾ أى بليغ فى كل من هاتين الصفتين راسخ فيهما رسوخا لا يدانيه [فيه -[2]] كتاب فلا[3] يعارض فى علىّ لفظه ، و لا يبارى فى [4]حكيم معناه[4] ، و يعلو و[5] لا يعلى عليه بنسخ و لا غيره ، بل هناك مكتوب بأحرف و عبارات فائقة رائقة تعلو عن فهم أعقل العقلاء ، و لا يمكن بوجه أن يبلغها أنبل النبلاء ، إلا بتفهيم العلى الكبير ، الذى هو على كل شىء قدير .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أخبر سبحانه بامتحان خلف[6] بنى إسرائيل فى شكهم فى كتابهم بقوله : "و ان الذين اورثوا الكتب من بعدهم لفى شك منه مريب" و وصى نبيه صلى الله عليه و سلم بالتبرئ من سيئ[7] حالهم و التنزه عن سوء محالهم فقال " و لا تتبع اهواءهم و قل امنت بما انزل الله من كتب " الآية ، و تكرر الثناء على الكتاب العربى كقوله " و كذلك اوحينا اليك قرءانا عربيا " و قوله " الله الذى انزل الكتب بالحق و الميزان " [و قوله -[2]] " و كذلك اوحينا اليك روحا

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هنا (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و لا (٤ - ٤) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٥) فى م : أو (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حلوه (٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : سوء .

من أمرنا ما كنت تدري ما الكتب و لا الايمان و لكن جعلنه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا "- إلى آخر السورة، أعقب ذلك بالقسم به و عضد الثناء عليه فقال " حم و الكتب المبين انا جعلنه قرءانا عربيا لعلكم تعقلون و انه فى ام الكتب لدينا لعلى حكيم " و لما أوضح عظيم حال الكتاب و جليل نعمته به، أردف ذلك بذكر سعة عفوه و جميل إحسانه إلى عباده و رحمتهم[1] بكتابه مع إسرافهم و قبيح مرتكبهم فقال: " افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين " و لما قدم فى الشورى قوله " لله ملك السمٰوٰت و الارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا و يهب لمن يشاء الذكور او يزوجهم ذكرانا و اناثا و يجعل من يشاء عقيما[2] " فأعلم أن ذلك إنما يكون بقدرته و إرادته، و الجارى على هذا أن يسلم الواقع من ذلك و يرضى بما قسم و اختار، عنف تعالى فى هذه السورة من اعتدى و زاغ[3] فقال / " و اذا بشر احدهم بما ضرب للرحمٰن مثلا ظل وجهه مسودا و هو كظيم " فكمل الواقع هنا بما تعلق به، و كذلك قوله تعالى " و لو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض " و قوله فى الزخرف " [و -[4]] لو لا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمٰن لبيوتهم سقفا من فضة " [5]إلى آخره[5]- انتهى.

/ ٦٧٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: رحمهم (٢) زيد فى الأصل: الى آخره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: زاعج (٤) زيد من م و مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.

و لما

و لما أفهم تكرير هذا التأكيد أنهم يطعنون في علاه، و يقدحون في بديع حلاه، فعل من يكرهه و يأباه، إرادة للاقامة على ما لا يحبه الله و لا يرضاه، [قال -[1]] منكرا عليهم: ﴿أفنضرب﴾ أي نهملكم[2] فنضرب أي ننحي و نسير [مجاوزين -[1]] ﴿عنكم﴾ خاصة من بين بني إبراهيم عليه الصلاة و السلام ﴿الذكر﴾ أي الوعظ المستلزم للشرف ﴿صفحا﴾ أي بحيث يكون حالنا معكم حال المعرض المجانب بصفحة عنقه، فلا نرسل إليكم رسولا، و لا ننزل معه كتابا فهو مفعول له أي نضرب لأجل إعراضنا[3] عنكم، أو يكون ظرفا بمعنى جانبا [أي نضربه عنكم جانبا -[4]]، قال الجامع بين العباب و المحكم: [أضربت -[4]] عن الشيء: كففت[5] و أعرضت، و ضرب عنه الذكر و أضرب عنه: صرفه، و قال الإمام عبد الحق في الواعي: [6]و الأصل[6] في ضرب عنه الذكر أن الراكب إذا ركب دابته فأراد أن يصرفه عن جهته ضربه بعصاه ليعدله عن جهته إلى الجهة التي يريدها، فوضع الضرب في موضع الصرف و العدل، قال الهروي: قال الأزهري: يقال: ضربت عنه و أضربت بمعنى واحد، و نقل النواوي عنه [أنه -[4]] قال: إن المجرد قليل، فالحاصل أن الضرب

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: انتهمكم.
(٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: اعراض (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: اكففت (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م.

إيقاع شيء على آخر بقوة ، [فمجرده -[1]] متعد[2] إلى واحد ، فان عدى[3] إلى آخر بـ «عن» ضمن معنى الصرف . و إذا زيدت[4] همزة النقل فقيل : أضربت عنه ، أفادت الهمزة قصر الفعل ، و أفهمت إزالة الضرب ، فمعنى الآية : أفنضرب صارفين عنكم الذكر صفحا ، أى معرضين إعراضا
٥ شديدا حتى كأنا ضربنا الذكر لينصرف عنكم معرضا كاعراض من ولى [إلى -[1]] صفحة عنقه ، ثم علل إرادتهم هذا الإعراض بما يقتضى الإقبال بعذاب [5] أو متاب[5] فقال : ﴿ ان ﴾ أى أنفعل ذلك لأن ﴿ كنتم قوما مسرفين ٥ ﴾ أى لأجل أن كان الإسراف جبلة لكم و خلقا راسخا ، وكنتم قادرين على القيام به فى تكذيب الرسول صلى الله عليه
١٠ و سلم و القدح فيما يأتى به و الاستهزاء بأمره بتركنا خشية من شدتكم أو[6] رجاء من غير تذكير لتوبتكم[7] و قد جعل حينئذ المقتضى مانعا ، فان المسرف أجدر بالتذكير و أحوج إلى الوعظ ، هذا إن[8] كان مقربا ، و أما البعيد فانه لا يلتفت إليه من أول الأمر ، بل لو أراد القرب طرد . و على قراءة نافع و حمزة و الكسائى[9] بكسر « ان » على كونها شرطية
١٥ يكون الكلام مسبوقا على غاية ما يكون من الإنصاف ، فيكون المعنى :

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : معتد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : عدا (٤) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : أريد. (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ام تاب (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اى (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لسوكم (٨) فى م : إذا (٩) راجع نثر المرجان ٦ / ٣٩٤ .

أنترككم مهملين فننحى عنكم الذكر و الحال أنكم قوم يمكن أن تكونوا متصفين بالإسراف، يعنى أن المسرف أهل لأن يوعظ و يكلم بما يرده عن الإسراف[1]، و أنتم و إن ادعتيم أنكم مصلحون / لاتقدرون أن تدفعوا عنكم إمكان الإسراف فكيف يدفع عنكم إنزال الذكر الواعظ و أنتم بحيث يمكن أن تكونوا مسرفين [فتحتاجوا إليه -[2]] - هذا ما لايفعله حكيم فى عباده، بل هو سبحانه للطفه و زيادة بره لا يترك دعاء عباده إلى رحمته[3] و إن كانوا مسرفين قد [4]أمعنوا فى الشراد[4]، و الجحد و العناد، فيدعوهم بأبلغ الحجة، و هو هذا القرآن الذى هو أشرف الكتاب على لسان هذا النبى الذى هو أعظم[5] الرسل ليهتدى من قدرت هدايته و تقوم[6] الحجة على غيره. /٦٧٦

و لما كان المعنى أن لا نترككم هملا، كان كأنه قيل: هيهاتِ منكم فلنرفعنكم[7] كما رفعنا بنى إسحاق من[8] إسراءيل و عيسو عليهم الصلاة و السلام، فلقد [9]أرسلنا إليكم[9] مع أنكم أعلى الناس رسولا هو أشرفكم نسبا و أزكاكم

(١) زيد فى الأصل: فكيف يدفع عنكم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من ظ و م و مد، و زيدت الواو بعده فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: رحمة (٤ - ٤) من م و مد، و فى الأصل: أسنوا فى الاسراف، و فى ظ: أسنوا فى الشراد (٥) زيد فى الأصل و ظ: الأنبياء، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يترك (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فلترفعكم (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن بنى. (٩-٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ارسلناك اليهم.

نفسا و أعلاكم همة و أرجحكم عقلا و أوفاكم أمانة و أكرمكم خلقا و أوجهكم عشيرة، فعطف قوله تأييسا للنبي صلى الله عليه و سلم و تأسية و تعزية و تسلية: ﴿وكم ارسلنا﴾ [أي -[1]] على ما لنا من[2] القدرة على ذلك و العظمة الباهرة المقتضية لذلك[2].

٥ و لما كان الإرسال يقع على أنحاء من الأشكال، ميزه بأن قال: ﴿من نبي في الاولين ۝﴾ ثم حكى حالهم الماضية إشارة إلى استمرار[3] حال الخلق على هذا فقال: ﴿و ما﴾ أي و الحال أنه ما ﴿ياتيهم﴾ و أعرق في النفي بقوله: ﴿من نبي﴾ أي في أمة بعد أمة و زمان بعد زمان ﴿الا كانوا﴾ أي خلقا و طبعا[4] و جبلة[4] ﴿به يستهزءون ۝﴾ كما

١٠ استهزئ قومك، و تقديم الظرف للاشارة إلى [أن -[1]] استهزاءهم به لشدة مبالغتهم فيه كأنه مقصور عليه.

و لما كان الاستهزاء برسول الملك استهزاء به، و كانت المماليك إنما تقام بالسياسة بالرغبة و الرهبة و إيقاع الهيبة حتى يتم الجلال و تثبت[5] العظمة، فكان لذلك[6] لا يجوز في عقل عاقل أن يقر[7] ملك على الاستهزاء

١٥ به، سبب عن الاستهزاء بالرسل الهلاك فقال: ﴿فاهلكنا﴾ و كان الأصل الإضمار، و لكنه أظهر الضمير بيانا لما كان[8] في الأولين[9] من

---

(١) زيد من م و مد (٢-٢) في ظ و م و مد: العظمة (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: استمراد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: تبعث (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ: كذلك (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل: يفي (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: كانوا (٩) زيد في الأصل: عليه، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.

الضخامة صارفا أسلوب الخطاب إلى الغيبة إقبالا على نبيه صلى الله عليه و سلم تسلية له و إبلاغا فى وعيدهم فقال: ﴿ اشد منهم ﴾ أى من قريش الذين يستهزؤن بك ﴿ بطشا ﴾ من جهة العدد و العدد و القوة و الجلد فما ظنهم بأنفسهم و هم أضعف منهم إن تمادوا فى الاستهزاء برسول الملك الأعلى.

٥

و لما ذكر إهلاك أولئك ذكر أن حالهم عند الإهلاك كان أضعف حال ليعتبر هؤلاء فقال: ﴿ ومضى مثل الاولين ﴾ [أى -١] وقع إهلاكهم الذى كان مثلا يتمثل به من بعدهم، و ذكر أيضا [فى -١] القرآن الخبر عنه بما حقه أن يشير مشير المثل بل ذكر أن من عبده الأولون و اعتمدوا عليه مثل بيت العنكبوت فكيف بالأولين ٢أنفسهم ١٠ فكيف٢ بهؤلاء، فان الحال أدى إلى أنهم أضعف / من الأضعف من ٦٧٧ / بيت العنكبوت فلينتظروا أن يحل بهم مثل ما حل بأولئك، بأيدى جند الله [من -٣] البشر أو الملائك٤.

و [لما -١] كان التقدير: فلئن٥ سألتهم عمن سمعوا بخبره ممن ذكرناهم من الأولين ليعترفن٦ بما سمعوا من خبرهم لأنا لم نجعل لهم على المباهتة٧ ١٥ فيه جرأة لما طبعناهم عليه فى٨ أغلب أحوالهم من الصدق، عطف

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: انفسكم.
(٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الملائكة (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فليس (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ليعرفوا (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الماهية (٨) زيد فى م: معظم.

عليه قولهم مبينا لجهلهم بوقوعهم فى التناقض مؤكدا له[1] لما فى اعترافهم به من العجب المنافى لحالهم: ﴿ و لئن سالتهم ﴾ أيضا عما هو أكبر من ذلك و أدل على القدرة ، و جميع صفات الكمال فقلت لهم: ﴿ من خلق السمٰوٰت ﴾ على علوها و سعتها ﴿ و الارض ﴾ على كثرة عجائبها و عظمتها ﴿ ليقولن ﴾ أى من غير توقف .

و لما كان السؤال عن[2] المبتدأ ، كان الجواب المطابق ذِكرَ الخبر ، فكان الجواب هنا: الله - كما فى غيره من الآيات ، لكنه عدل عنه إلى المطابقة المعنوية لافتا القول عن مظهر العظمة إلى ما يفيد من الأوصاف[3] القدرة على كل شىء ، و أنه تعالى يغلب[4] كل شىء ، و لا يغلبه شىء مكررا للفعل تأكيدا[5] لاعترافهم[6] زيادة فى توبيخهم و تنبيها على عظيم غلطهم ، فقال معبرا بما هو لازم لاعترافهم[6] له سبحانه بالتفرد بالإيجاد[7] لأنه أنسب الأشياء لمقصود السورة و للابانة[8] التى هى مطلعها . ﴿ خلقهن ﴾ الذى هو موصوف بأنه ﴿ العزيز العليم ۝ ﴾ أى الذى يلزم [المعترف -[9]] باسناد هذا الخلق إليه أن يعترف بأنه يغلب[10] كل شىء و لا يغلبه شىء

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهم (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : أوصاف (٤) زيد فى الأصل و ظ : على ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥-٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مكر العفل بالا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الإبانه (٩) زيد من م و مد (١٠) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و أن علمه محيط بكل شيء، فيقدر على [إيجاده على - [1]] وجه من البداعة [ثم - [1]] على أكمل منه ثم أبهج منه و هلم جرا إلى ما لا نهاية له[2] - هذا هو الأليق بكمال ذاته و جليل صفاته، و نعوذ بالله من عمى المعتزلة و الفلاسفة أصحاب الأذهان الجامدة و العقول الكاسدة و العرب الجهلهم يعبدون مع اعترافهم بهذا غيره، و ذلك الغير لا قدرة له على شيء أصلا، و لا علم له بشيء أصلا، فقد كسر[3] هذا السؤال بجوابه حجتهم، و بان به غلطهم و فضيحتهم، حتى بان لأولى الألباب أنهم معاندون.

و لما كان جوابهم بغير هاتين الصفتين و دل بذكرهما على أنهما لازمان [لاعترافهم - [1]] تنبيها لهم على موضع الحجة، أتبعهما[4] من كلامه دلالة على ذلك قوله التفاتا إلى الخطاب لأنه أمكن فى التقريع و التوبيخ و التشنيع و تذكيرا لهم بالإحسان الموجب للاذعان و تفصيلا للقدرة: ﴿الذى جعل لكم﴾ فانه لو كان ذلك قولهم لقالوا لنا ﴿الارض مهدا﴾ أى فراشا، قارة ثابتة وطية[5]، و لو شاء لجعلها مزلزلة لايثبت فيها شيء[6] كما ترون من بعض الجبال، أو جعلها مائدة لاتثبت لكونها على تيار الماء، و لما جعل الأرض قرارا لأشباحكم جعل الأشباح قرارا لأرواحكم و طوقها حمل قرارها و قوة التصرف به فى حضورها

(١) زيد من م و مد (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كبر (٤) من م و مد، وفى الأصل وظ: أتبعها (٥) من ظ و م ومد، و فى الأصل: والهية. (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: شيئا.

و أسفارها ليدلكم [ذلك -[1]] على تصرفه سبحانه فى الكون و تصريفه له حيث أراد ، و أنه الظاهر الذى لا أظهر منه و الباطن الذى لا أبطن منه[2]، قال القشيرى : فاذا انتهى مدة كون النفوس على الأرض حكم الله بخرابها ، كذلك[3] /إذا فارقت الأرواح الأشباح بالكلية قضى الله بخرابها[4]، ٦٧٨ /

٥ *و أعاد الفعل تنبيها على تمكنه تعالى من إقامة الأسباب لتيسير الأمور الصعاب إعلاما بأنه لايعجزه شيء*: ﴿و جعل لكم فيها سبلا﴾ أى طرقا تسلكونها[6] [7]بين الجبال و الأودية[7]، و لو شاء لجعلها بحيث لايسلك فى مكان منها [كما -[1]] جعل بعض الجبال كذلك[8]، ثم ذكر العلة الغائية فى ذلك فقال: ﴿ لعلكم تهتدون ﴾ أى ليكون خلقنا لها[9] كذلك[9]

١٠ جاعلا حالكم حال من يرجى له الهداية إلى مقاصد الدنيا فى الأسفار و غيرها ظاهرا [10]فتتوصلون بها إلى الأقطار الشاسعة و الأقاليم الواسعة للأمور الرافقة النافعة[10]، [فانها إذا تكرر سلوكها صار لها من الآثار الناشئة من كثرة التكرار ما يهدى كل مار -[11]] و إلى المقاصد الأخرى و حكمتها[12]

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) فى م : ذلك (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بجزائها (٥-٥) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ قبل « و لو شاء لجعلها » و الترتيب من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لتسلكونها . (٧-٧) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ بعد « قضى الله بخرابها » و الترتيب من م و مد (٨) فى م : لذلك (٩) سقط من م (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من م (١١) زيد من م (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : حكمها .

باطنا إذا تأمل الفطن حكمة مسخرها و واضعها[1] و ميسرها[2] .

و لما كان إنزال الماء من العلو فى غاية العجب لاسيما إذا[3] كان فى وقت دون وقت ، و كان إنبات النبات به أعجب ، و كان دالا على البعث و لابد ، و كان مقصود السورة أنه لابد من ردهم[4] عن عنادهم بأعظم الكفران إلى الإيمان ، و الخضوع له بغاية الإذعان ، قال دالا على كمال القدرة على ذلك و غيره بالتنبيه[5] على كمال الوصف بالعطف و باعادة الموصول الدال على الفاعل المذكر بعظمته للتنبيه على أن الإعادة التى هذا دليلها هى سر الوجود ، فهى أشرف مما أريد من الآية الماضية بمهد الأرض و سلك السبل : ﴿ و الذى نزل ﴾ أى بحسب التدريج ، و لو لا قدرته الباهرة لكان دفعة واحدة أو قريبا منها ﴿من السمآء ﴾ أى المحل العالى ﴿ مآء ﴾ [6]عذبا لزروعكم[6] و ثماركم و شربكم بأنفسكم و أنعامكم ﴿بقدر ﴾ و هو بحيث ينفع الناس و لا يضر بأن يكون[7] على مقدار حاجاتهم ، و دل على عظمة الإنبات بلفت القول إلى مظهر العظمة تنبيها على أنه الدليل الظاهر على ما وصل [به -[8]] من نشر الأموات فقال مسببا عن ذلك : ﴿ فانشرنا ﴾ أى أحيينا ، و المادة تدور على الحركة و الامتداد

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وضعها (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : مسيرها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وردهم (٥) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : من التنبيه (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عنه لزرعكم (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كان (٨) زيد من م و مد .

و الانبساط ﴿ به ﴾ أى الماء ﴿ بلدة ﴾ أى مكانا[1] يجتمع الناس فيه للاقامة معتنون باحيائه متعاونون على دوام إبقائه[2] ﴿ ميتا ج ﴾ أى كان قد يبس نباته و عجز أهله عن إيصال الماء إليه ليحيي به ، و لعله أنث البلد و ذكر الميت إشارة إلى أن بلوغها فى الضعف و الموت بلغ الغاية بضعف أرضه فى نفسها و ضعف أهله عن إحيائه و قحط الزمان و اضمحلال ما كان به من النبات .

و لما كان لافرق بين جمع[3] الماء للنبات من أعماق الأرض بعد [أن -[4]] كان ترابا من جملة ترابها و إخراجه كما كان رابيا يهتز بالحياة على هيئته و ألوانه و ما كان[5] من تفاريعه أعصانه بأمر الله و بين جميع الله تعالى لما تفتت من أجساد الآدميين و إخراجه كما كان بروحه و جميع جواهره و أعراضه إلا أن الله قادر بكل اعتبار و فى كل وقت بلا شرط أصلا ، و الماء لا قدرة له إلا بتقدير الله تعالى ، كان فخرا عظيما لأن[6] تنتهز الفرصة لتقدير ما هم له منكرون و به يكفرون من أمر البعث ، فقال تعالى إيقاظا لهم من رقدتهم بعثا[7] من موت / سكرتهم : ﴿ كذلك ﴾ / ٦٧٩
أى مثل هذا الإخراج العظيم لما تشاهدونه من النبات ﴿ تخرجون ه ﴾ من الموت الحسى و المعنوى بأيسر أمر من أمره تعالى و أسهل شأن

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مكان (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بقائه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جميع (٤) زيد من مد . (٥) زيد فى الأصل : منه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من مد ، و فى الاصل و ظ و م . لا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : بعثناهم .

فتخرجون فى زمرة الأموات من الأرض ثانيا "فاذا انتم بشر تنتشرون" و تخرجون من ظلمة الجهل إلى نور الإيمان فإذا أنتم حكماء عالمون .

و لما انتهزت هذه الفرصة ، وسوغ ذكرها ما أثره سوء اعتقادهم من عظيم الغصة[1]، شرع فى إكمال ما يقتضيه الحال من الأوصاف ، فقال عائدا إلى أسلوب العزة و العلم للايماء إلى الحث على تأمل الدليل على بعث الأموات بانتشار الموات [معيدا للعاطف تنبيها -[2]] على كمال ذلك الوصف الموجب لتحقيق مقصود السورة من [3]القدرة على[3] [4]ردهم بعد صـــدهم[4] : ﴿ و الذى خلق الازواج[5] ﴾ أى الأصناف المتشاكلة التى لايكمل شىء منها غاية الكمال إلا بالآخر على ما دبره سبحانه فى نظم هذا الوجود ﴿ كلها ﴾ من النبات و الحيوان ، و غير ذلك من سائر الأكوان ، لم يشاركه فى شىء منها أحد .

و لما ذكر الأزواج ، و كان المتبادر إلى الذهن إطلاقها على ما هو من نوع واحد ، دل على أن المراد ما هو أعم ، فقال ذاكرا ما تشاكل[6] فى الحمل و تباين فى الجسم : ﴿ و جعل لكم ﴾ لا لغيركم فاشكروه ﴿ من الفلك ﴾ أى السفن العظام فى البحر ﴿ و الانعام ﴾ فى البر ﴿ ما تركبون ﴾ و حذف العائد لفهم المعنى تغليبا للمتعدى بنفسه فى الأنعام على المتعدى بواسطة فى الفلك .

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القصة (٢) زيد من م و مد .
(٣-٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل و ظ (٤-٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و هم بعد ضرهم (٥) زيد فى الاصل : كلها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يشاء .

و لما ذكر النعمة الناشئة عن مطلق الإيجاد، ذكر بنعمة الراحة فيه[1] فقال معللا : ﴿ لتستوا ﴾ أى تكونوا مع الاعتدال و الاستقرار و التمكن و الراحة ﴿ على ظهوره ﴾ أى ظهور كل من ذلك المجعول، فالضمير عائد على ما جمع الظهر نظرا للمعنى تكثيرا للنعمة، و أفرد الضمير ردا على اللفظ دلالة على كمال القدرة بعظيم[2] التصريف برا و بحرا أو تنبيها بالتذكير على قوة المركوب لأن الذكر أقوى من الأنثى .

و لما أتم النعمة بخلق كل ما تدعو إليه الحاجة[3]، و جعله على وجه دال على ما له من الصفات، ذكر ما ينبغى أن يكون من غايتها على ما هو المتعارف بينهم من شكر المنعم، فقال [دالا على عظيم قدر النعمة و علو غايتها و علو أمر الذكر بحرف التراخى - [4]] : ﴿ ثم تذكروا ﴾ أى بقلوبكم، و صرف القول إلى وصف التربية حثا على تذكر إحسانه للانتهاء عن كفرانه و الإقبال على شكرانه فقال : ﴿ نعمة ربكم ﴾ الذى أحسن إليكم بنعمة تسخيرها لكم و ما تعرفونه من غيرها .

و لما كان الاعتدال عليه أمرا خارقا للعادة بدليل ما لا يركب من الحيوانات فى البر و الجوامد فى البحر و إن كان قد أسقط العجب [فيه-[4]] كثرة إلفه، ذكر به فقال : ﴿ اذا استويتم عليه ﴾ و لما كان تذكر النعمة

(١) سقط من م (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : و تعظيم (٣-٣) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : الحاجة إليه (٤) زيد من م و مد .

يبعث الجنان و اللسان [و الأركان -[١]] على الشكر لمن أسداها[٢] قال: ﴿ و تقولوا ﴾ [أى -[١]] بألسنتكم جمعا بين القلب و اللسان . و لما كان الاستواء على ذلك مقتضيا لتذكر النقص بالاحتياج إليها فى بلوغ ما ركبت لأجله و فى الثبات عليها و خوف العطب منها و تذكر أن من لايزال يحسن / إلى أهل العجز الذين هم [فى -[٣]] قبضته ابتداء و انتهاء ٥ / ٦٨٠ من غير شىء يرجوه منهم لا[٤] يكون إلا بعيدا من صفات الدناءة و أن استواءه على عرشه ليس كهذا[٥] الاستواء المقارن[٦] لهذه النقائص[٧] و أنه ليس كمثله شىء، كان المقام للتنزيه [فقال -[٣]]: ﴿ سبحن الذى سخر ﴾ أى بعلمه الكامل و قدرته التامة ﴿ لنا هذا ﴾ أى الذى ركبناه سفينة كان[٨] أو دابة ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنا ما ﴿ كنا ﴾ و لما كان ١٠ [كل[٩]] من المركوبين فى الواقع أقوى من الركاب، جعل عدم إطاقتهم له [و -[١]] قدرتهم عليه كأنه خاص به، فقال مقدما للجار دلالة على ذلك: ﴿ له مقرنين ﴾ أى ما كان[١٠] فى جبلتنا إطاقة أن يكون قرنا له وحده لخروج قوته من بين ما نعالجه و نعانيه عن طاقتنا

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اهداهما. (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لان (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: هكذا (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الموازن (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التعارض (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كانت (٩) زيد من مد (١٠) من م و مد، و فى الاصل و ظ: كنا.

بكل اعتبار و لا مكافئين فى القوة غالبين ضابطين، مطيقين من أقرن[1] الأمر: أطاقه[2] و قوى عليه فصار[3] بحيث يقرنه بما شاء.

و لما كان كل راكب شيئا من [4]هذين الصنفين[4] مستحضرا كل حين أنه ينقلب بطن شقة أسفاره إلى محل قراره[5]، ذكرهم سبحانه بذلك أن ظهر هذه الأرض لهم مثل ظهور السفن و الدواب يسبحون بها فى لجج[6] أمواج الزمان و تصاريف الحدثان، هم على ظهرها مسافرون، و لكنهم لطول الإلف عنه غافلون، و قليلا ما يذكرون، و أنهم على خطر فيما صاروا إليه من ظهور هذه الأشياء يوشك أن يكون سبب موتهم و مثير[7] هلكهم و فوتهم، فقال عاطفا على ما تقديره: فمن ربنا كان ابتداؤنا لا نعلم شيئا و لانقدر على شيء، و الآن نحن متى شئنا ساكنون، و مهما أردنا منتشرون ﴿و انآ الى ربنا﴾ المحسن إلينا بالبداءة و الإقرار على هذه التنقلات على هذه المراكيب لا إلى غيره ﴿لمنقلبون ه﴾ أي لصائرون[8] و متوجهون و سائرون بالموت و ما بعده إلى الدار الآخرة انقلابا لا أياب معه إلى هذه الدار، فالآية منبهة بالسير الدنيوى على السير الأخروى، و أكد لأجل إنكارهم للبعث حتى لايزالوا مراقبين

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: اقران (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحاقة (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: صار (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل هذه الأصناف (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قران (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحجج (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مشير (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: صائرون.

للنعم عليهم، و يجوز أن يكون المعنى أنه لما أمرهم بالمراقبة على نعمة الركوب، عبر بالانقلاب تذكيرا بنعمته عليهم فى حال الدعة و السكون قبل الانقلاب و بعده، أى و إنا[1] بعد رجوعنا إلى نعمة ربنا لمنقلبون أى إنا فى نعمة فى كل حال، روى أحمد و أبو داود و الترمذى[2] - و قال: حسن صحيح - و النسائى عن على رضى الله عنه أنه وضع رجله فى ٥ الركاب و قال: بسم الله، فلما استوى على الدابة قال: الحمدلله الذى سخر لنا هذا - الآية، ثم حمد الله ثلاثا و كبر ثلاثا ثم [قال -[3]]: سبحانك[4] لا إله إلا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى، ثم ضحك، و أخبر أن النبى صلى الله عليه و سلم فعل مثله، و قال: يعجب الرب من عبده إذا قال: رب اغفر لى و يقول: علم عبدى أنه لايغفر الذنوب غيرى. روى أحمد[5] ١٠ عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أردفه على دابة، فلما استوى عليها كبر / ثلاثا و حمد الله ثلاثا و سبح ثلاثا / ٦٨١ و هلل الله واحدة[6] ثم استلقى عليه فضحك ثم أقبل [علىّ -[7]] فقال: ما من امرئ مسلم[8] يركب دابته فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله عليه يضحك [إليه -[7]] كما ضحكت إليك: و روى أحمد[9] و مسلم و أبو داود ١٥

(١) و من هنا انقطعت نسخة م انقطاعا طويلا سننبه على استئنافها (٢) راجع ٢/١٨٢ باب ما جاء ما يقول إذا ركب دابة (٣) زيد من مد (٤) من مد و الترمذى، و فى الأصل و ظ: سبحان الله (٥) راجع ١ / ٣٣٠ (٦) من مد و المسند، و فى الأصل و ظ: وحده (٧) زيد من مد و المسند (٨) ليس فى المسند (٩) فى مسنده ٢ / ١٤٤.

و النسائى و الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا ركب راحلته كبر ثلاثا ثم قال : سبحن الذى سخر لنا هذا - الآية ، ثم يقول : اللهم إنى أسألك فى سفرى هذا البر و التقوى و من العمل ما ترضى اللهم هون علينا السفر و اطو لنا البعيد ، اللهم أنت الصاحب فى السفر و الخليفة فى الأهل ، اللهم اصحبنا فى سفرنا و اخلفنا[1] فى أهلنا ، و كان إذا رجع إلى أهله قال : آئبون تائبون إن شاء الله عابدون لربنا حامدون . و روى أحمد[2] عن أبى لاس[3] الخزاعى رضى الله عنه قال : حملنا رسول الله صلى الله عليه و سلم على إبل من إبل الصدقة إلى الحج ، فقلنا : يا رسول الله ! ما نرى أن تحملنا هذه ، فقال : ما من بعير إلا فى ذروته شيطان فاذكروا اسم الله عليها إذا ركبتموها كما أمركم[4] ثم امتهنوها[5] لأنفسكم فانما يحمل الله عز و جل .

و لما علم بهذا الاعتراف منه و ما تبعه من التقريب أن العالم كله متزاوج بتسخير بعضه لبعض ، فثبت أن خالقه مباين له لا يصح أصلا أن يكون محتاجا بوجه لأنه لا مثل له أصلا ، كان موضع التعجيب من نسبتهم الولد إليه سبحانه : فقال لافتا القول عن خطابهم للاعراض المؤذن بالغضب : ﴿ و جعلوا ﴾ أى و لئن سألتهم ليقولن [كذا -[6]] اللازم منه قطعا لأنه لا مثل ﴿ له ﴾ و الحال أنهم نسبوا له و صيروا[7] بقولهم قبل

(١) من ظ و مد و المسند ، و فى الأصل : اختلفنا (٢) راجع مسنده ٤ / ٢٢١ .
(٣) من ظ و مد و المسند ، و فى الاصل : ان لانه (٤) فى المسند : امرتكم .
(٥) من مد و المسند ، و فى الاصل و ظ : أشتهوها (٦) زيد من ظ و مد .
(٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : صبوا .

سؤالك إياهم نسبة هم حاكمون بها حكما لا يتمارون فيه كأنهم متمكنون من ذلك تمكن الجاعل فيما يجعله ﴿ من عباده ﴾ الذين[1] أبدعهم كما أبدع غيرهم ﴿ جزءا ﴾ أى ولدا هو لحصرهم إياه فى الأنثى أحد قسمى الأولاد، وكل ولد فهو جزؤ من والده، و من كان له جزؤ كان محتاجا فلم يكن إلاها، و ذلك لقولهم: الملائكة بنات الله، فثبت بذلك طيش عقولهم و سخافة آرائهم.

و لما كان هذا فى غاية الغلظة من الكفر، قال مؤكدا لإنكارهم أن يكون عندهم كفر: ﴿ ان الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى هم بعضه ﴿ لكفور مبين ﴾ أى مبين الكفر فى نفسه مناد عليها بالكفر بيانا لذلك لكل أحد هذا[2] ما تقتضيه طبعه بما هو عليه من النقص بالشهوات و الحظوظ ليبين[3] فضل من حفظه الله بالعقل على من سواه من جميع المخلوقات بمجاهدته لعدو [و -][4] هو بين جنبيه[5] مع ظهور قدرة الله الباهرة بذلك.

و لما كان كأنه قيل إنكارا عليهم و تهكما بهم حيث لم يرضوا بأن[6] جعلوا لمن إليه الجعل من عباده جزءا حتى جعلوه شر الجزئين الإناث، و هم[7] أشد الناس نفرة منهن: أوهب له ذلك الجزء الذى جعلتموه إناثا غيره قسرا بحيث لم يقدر / أن ينفك عنه كما قدم فى السورة التى / ٦٨٢

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٢) من ظ و مد، و فى الاصل: ها.
(٣) من مد، و فى الأصل و ظ: لبين (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: جلسه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: بمن (٧) فى مد: هو.

قبلها عن نفسه المقدس أنه يهب لمن يشاء إناثا و لا يقدر على التقصير عنهن بوجه ، عادله بقوله عائدا إلى الخطاب لأنه أقعد فى التبكيت على اختيار الغى عن الصواب : ﴿ام اتخذ﴾ [أى عالج هو نفسه فأخذ بعد المعالجة و هو خالق الخلق كلهم - [1]] ﴿[2]مما يخلق[2]﴾ أى يجدد إبداعه فى كل وقت كما اعترفتم[3] ﴿بنت[4]﴾ فلم يقدر بعد التكليف و التعب على غير البنات التى هى أبغض الجزئين إليكم ، و نكر لتخصيصهم اتخاذه ببعض هذا الصنف الذى شاركه فيه غيره ، و عطف على قوله "اتخذ" ليكون منفيا على أبلغ وجه لكونه فى حيز الإنكار: ﴿و اصفكم﴾ و هو السيد و أنتم عبيده ﴿بالبنين ٥﴾ أى الجزء الأكمل لديكم المستحق لأن يكون دائما مستحضرا فى الخاطر فلذلك[5] عرفه و لأنهم ادعوا أن هذا النوع كله خاص بهم لم يشاركهم فى شىء منه ، فكان هذا الكفر الثانى أعرق[6] فى المحال من الأول للزيادة على مطلق الحاجة بالسفه فى أنه رضى بالدون[7] الخسيس فلم يشاركهم فى شىء من الأعلى ، بل جعل لهم ذلك خالصا صافيا عن أدنى ما يشوبه من كدر . و لما كانت[8] نسبة الولد إليه سبحانه مما لا ينبغى أن يخطر بالبال على حال من الأحوال .

(١) زيد من مد (٢ - ٢) و قع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « كما اعترفتم » و الترتيب من مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : اعترفهم (٤) وقع فى الأصل و ظ : بعد « فيه غيره » و الترتيب من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ولذلك (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : اعرف (٧) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : كان .

و كانت نسبته على سبيل الحقيقة أبعد منها[1] على طريق المثال بأن يقال : الملائكة[2] عنده فى العزة بمنزلة البنات عند الأب ، قال مرشدا إلى أن ما قالوه لو كان على قصد التمثيل فى غاية القباحة فضلا عن أن يكون على التحقيق ، عائدا[3] إلى الإعراض المؤذن بالمقت و الإبعاد : ﴿ و اذا ﴾ أى جعلوا ذلك و الحال أنه إذا ﴿ بشر ﴾ من أى مبشر كان ﴿احدهم﴾ ٥ أطلق [4]عليه ذلك[4] تنبيها على أنه مما يسر[5] كالذكر سواء فى أن كلا منهما ولد[6] و تارة يسر و تارة يضر و هو نعمة من الخالق لأنـــه خير من العقم ﴿ بما ضرب ﴾ و عدل عن الوصف بالربوبية لأنه قد يدعى المشاركة فى مطلق التربية إلى الوصف الدال على عموم الرحمة ، فتأمله بمجرده كاف فى الزجر عن سوء قولهم فقال : ﴿للرحمن﴾ أى الذى لا نعمة على شىء[7] ١٠ من الخلق إلا و هى منه ﴿ مثلا ﴾ أى جعل له شبها و هو الأنثى ، و عبر به دون أن يقول : بما جعل ، موضع « بما ضرب » تعليما للأدب فى حقه سبحانه فى هذه السورة التى مقصودها العلم الموجب للأدب و زيادة فى تقبيح كفرهم لاسيما إن أرادوا الحقيقة بالإشارة إلى أن الولد لا يكون [إلا -[8]] مثل الوالد ، لايتصور أصلا أن يكون خارجا عن ١٥ شبهه فى خاص أوصافه .

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : منهما (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : للايكة (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : أبدا (٤-٤) فى ظ : ذلك عليه (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : بشر (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : والد .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : أحد (٨) زيد من مد .

و لما كان تغير الوجه لا سيما بالسواد لايدرك حق الإدراك إلا بالنهار، عبر بما هو حقيقة فى الدوام نهارا و إن كان المراد هنا مطلق الدوام: ﴿ ظل ﴾ أى دام ﴿ وجهه مسودا ﴾ أى شديد السواد لما يجد من الكراهة الموصلة إلى الحنق بهذه البشارة التى أبانت التجربة عن أنها قد تكون سارة[1] ﴿ و هو كظيم ﴾ أى حابس نفسه على ما ملئ من الكرب فكيف يأنف عاقل من شيء و يرضاه لعبده[2] فضلا عن مكافيه فضلا عن سيده / - هذا ما لا يرضى عاقل أن يمر بفكره فضلا عن أن يتفوه [به -[3]] . ٦٨٣ /

و لما كان الملك لا يأخذ فى[4] جنده إلا من يصلح للجندية بالمجالدة و المجادلة أو بأحداهما، نبه على إنكار آخر بأن الإناث لا يصلحن لشيء من هذين الوصفين، فقال معبدا لإنكار الثالث تنبيها على أنه بالغ جدا فى إثارة الغضب: ﴿ أو من ﴾ أى اتخذ من لا يرضونه لأنفسهم [... لنفسه مع أنفتهم منه -[3]] و اتخذ من ﴿ ينشؤا ﴾ أى على ما جرت به عوائدكم [على قراءة الجماعة، و من تنشؤنه و تحلونه بجهدكم على قراءة ضم الياء و تشديد الشين -[3]] ﴿ فى الحلية ﴾ أى فى الزينة فيكون كلا على أبيه[5] لا يصلح لحرب[6] و لا معالجة طعن و لا ضرب[6] ﴿ و هو ﴾

(١) من مد، و فى الاصل و ظ: سادة (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ابعده (٣) زيد من مد (٤ - ٤) من مد، و فى الأصل و ظ: لايا - كذا. (٥) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى مد فحذفناها (٦-٦) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ بعد « لا يرضونه لأنفسهم » و الترتيب من مد.

[أى و الحال أنه ، و قدم لإفادة الاهتمام قوله - [1]] : ﴿ فى الخصام ﴾ إذا احتيج[2] إليه ﴿ غير مبين ﴾ أى لا يحصل[3] منه إبانة مطلقة كاملة لما يريده لنقصان العقل و ضعف الرأى بتدافع الحظوظ و الشهوات و تمكن[4] السعة ، فلا دفاع عنده بيد و لا لسان .

و لما كان ربما ظن أن المحذور إنما هو جعلهم عليهم السلام إناثا بقيد النسبة إليه سبحانه ، نبه على [أن - [1]] ذلك قبيح فى نفسه مطلقا لدلالته على احتقارهم و انتقاصهم فهو كفر ثالث إلى الكفرين قبله : نسبة الولد إليه سبحانه ثم جعل أخص النوعين ، فقال : ﴿ و جعلوا ﴾ أى مجترئين على ما لا ينبغى لعاقل فعله ﴿ الملئكة الذين هم ﴾ متصفون بأشرف الأوصاف أنهم ﴿ عبد الرحمن ﴾ العام النعمة الذى خلقهم فهم بعض من يتعبد[5] له و هم عباده[6] و حقيقة لأنهم ما عصوه طرفة عين ، فهم أهل لأن يكونوا على أكمل الأحوال ، و قراءة « عند »[7] بالنون شديدة المناداة عليهم بالسفه ، و ذلك أن أهل حضرة الملك الذين يصرفهم فى المهمات[8] لا يكونون إلا على أكمل الأحوال و عنديته[9] أنهم لم[10] يعصوه قط و هم فى محل مقدس عن المعاصى مشرف بالطاعات و أهل الاصطفاء ،

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : انتج (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يصلح (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يمكن (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : يقصد (٦) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى مد فحذفناها (٧) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٠٦ (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : المهما (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : عبديتهم (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لا .

و ذكر المفعول الثانى للجعل الذى بمعنى التعبير الاعتقادى و القول فقال : ﴿اناثا[1]﴾ و ذلك أدنى الأوصاف خلقا وو خلقا ذاتا و صفة ، ثم دل على كذبهم فى هذا المطلق ليدل على كذبهم فى المقيد من باب الأولى فقال تهكما بهم و توبيخا لهم و إنكارا عليهم إظهارا[1] لفساد عقولهم بأن دعاويهم[2] مجردة عن الأدلة : ﴿اشهدوا﴾ أى حضروا حضورا هم فيه على تمام الخبرة ظاهرا و باطنا ـ هذا هو معنى قراءة الجماعة ، و أدخل نافع[3] همزة التوبيخ على أخرى مضمومة لبناء الفعل للمفعول تنبيها على عجزهم عن شهود ذلك إلا بمن يشهدهم إياه ، و هو الخالق لا غيره ، و مدها فى إحدى الروايتين زيادة فى المباداة عليهم بالفضيحة ، و سهل الثانية بينها[4] و بين الواو إشارة إلى انحطاط أمرهم و سفول آرائهم و أفعالهم ، و جميع تقلباتهم و أحوالهم كما[5] سيكشف عنه الزمان و نوازل الحدثان ﴿خلقهم[6]﴾ أى مطلق الخلق فى أصله أو[6] عند الولادة أو بعدها على حال من الأحوال[7] حضورا أوجب لهم تحقق ما قالوا بأن لم يغيبوا / عن شىء من الأحوال[7] الدالة على ذلك أعم من أن تكون تلك الشهادة حسية بنظر العين أو معنوية بعلم ضرورى أو استدلالى بعقل أو سمع .

٦٨٤ /

و لما كان الجواب قطعا : لا ، قال مهددا لهم مؤكدا لتهديدهم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اظهار (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : دعاهم .
(٣) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٠٦ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بينهما .
(٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ « و »
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من مد .

بالسين لظنهم أن[1] لا بعث [2]و لا حساب و لا حشر و لا [2]نشر فقال[2]: ﴿ستكتب﴾ بكتابة من وكلناهم[3] بهم[4] من[5] الحفظة الذين لا يعصوننا فنحن نقدرهم على جميع ما نأمرهم به - هذا على قراءة الجماعة بالتاء و البناء للمفعول[6]، و عظم الكتابة تفخيما للوعيد و إكبارا [لما -[7]] اشتمل عليه من التهديد فى قراءة النون المفيدة للعظمة و البناء للفاعل و نصب الشهادة ٥ ﴿شهادتهم﴾ أى قولهم فيهم أنهم أناث الذى لا ينبغى أن يكون إلا بعد تمام المشاهدة، فهو قول ركيك سخيف ضعيف - بما أشار إليه التأنيث فى قراءة الجماعة ﴿و يسئلون ه﴾ عنها عند الرجوع إلينا، و يجوز أن يكون فى السين استعطاف إلى التوبة قبل كتابة و لا علم لهم به، فانه قد روى أبو أمامة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: ١٠ كاتب الحسنات على يمين الرجل و كاتب السيئات على يسار الرجل، و كاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا، و إذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات، لعله يسبح الله أو يستغفر - رواه الشعبى و البغوى من طريقه و الطبرانى و البيهقى من طريق جعفر عن القاسم عن أبى أمامة و البيهقى ١٥ من رواية[8] بشر بن نمير[9] عن القاسم نحوه و أبو نعيم فى الحلية و ابن مردويه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: انه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: وكلهم (٤) فى مد: به (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: و هم (٦) راجع نثر المرجان ٦/٤٠٧ (٧) زيد من مد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: رواته (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: نهير.

من طريق إسماعيل بن عياش عن عاصم بن رجاء عن عروة بن رويم عن القاسم عن أبي أمامة رضي الله عنه، و روى[1] الحاكم[2] و قال: صحيح الإسناد عن أم عصمة العوصية[3] رضي الله تعالى عنها قال: ما من مسلم يعمل ذنبا إلا وقف الملك ثلاث ساعات، فان استغفر من ذنبه لم يوقعه عليه و لم يعذب[4] يوم القيامة.

و لما ذكر أنهم يسئلون بطريق الأولى عن العبادة، نبه[5] على أنهم عبدوهم مع ادعاء[6] الأنوثة فيهم، فقال معجبا منهم فى ذلك و فى جعل قولهم حجة دالة على صحة مذهبهم و هو من أوهى[7] الشبه: ﴿و قالوا﴾ أى بعد عبادتهم لهم و نهيهم عن عبادة غير الله: ﴿لو شآء الرحمن﴾ [أى-[8]] الذى له عموم الرحمة [﴿ما عبدناهم[9]﴾ لأن عموم الرحمة-[1]] يمنع الإقرار على ما لا ينبغى و لكنه لم يشأ عدم عبادتنا لهم فعبدناهم طوع مشيته، فعبادتنا لهم حق، و لو لا أنها حق يرضاه[9] لنا لعجل لنا العقوبة.

و لما كان كأنه قيل: بما ذا يجابون عن هذا، قال منبها على جوابهم بقوله دالا على أن أصول الدين لا يتكلم فيها إلا بقاطع: ﴿ما لهم بذلك﴾

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: رواه (٢) راجع المستدرك ٤ / ٢٦٢.
(٣) من مد و المستدرك، و فى الأصل و ظ: العصوية (٤) من المستدرك، و فى الأصول: لم يعذبه (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: منه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: ادعائهم (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: واهى.
(٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: يرضاها.

أى بهذا المعنى البعيد عن الصواب الذى قصدوا جعله دليلا على حقية[1] عبادتهم لهم و هو / أنه سبحانه لايشاء إلا ما هو حق و يرضاه و يأمر ٦٨٥ / به، و من أن الملائكة إناث، و أكد الاستغراق بقوله: ﴿ من علم ق ﴾ أى لأنه لو لزم هذا لكان وضعه بعموم الرحمة حينئذ [2]اضطراريا لا اختياريا[2] فيؤدى إلى نقص لا إلى كمال، و لكان أيضا ذلك يؤدى إلى إيجاب أن ٥ يكون الناس كلهم مرضيا عنهم لكونهم على حق، و ذلك مؤد بلا ريب إلى كون النقيضين معا حقا، و هو بديهى الاستحالة.

و لما كان العلم قد ينتفى[3] و المعلوم ثابت فى نفسه قال نافيا لذلك: ﴿ ان هم ﴾ أى ما هم ﴿ الا يخرصون ۝ ﴾ أى[4] يكذبون فى هذه النتيجة التى[5] زعموا أنها دلتهم على رضا الله سبحانه لكفرهم فانها مبنية على أنه ١٠ سبحانه لايشاء إلا ما هو حق، و الذى جرأهم على ذلك أنهم يجددون على الدوام القول بغير تثبت[6] و لا تحر، فكان أكثر قولهم كذبا، فصاروا لذلك يجترؤن[7] على تعمد القول للظن الذى لايأمن صاحبه من الوقوع فى صريح، و سيأتى تمام إبطال هذه الشبهة بقوله تعالى "قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العبدين" و أن ذلك هو المراد لاما طال الخبط فيه لإهمال ١٥ فى[8] السوابق و اللواحق الموجبة لسوق المقال، مطابقا[9] لمقتضى الحال،

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: حقيقة (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: اضطرار بالاختيار (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: ينبغى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الدين (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تثبيت (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يجرون (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مع (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: مطلقا.

و قد جهلوا فى [1]هذا الكلام[1] عدة جهالات : ادعاء الولدية[2] للغنى المطلق ، وكون الولد أدنى الصنفين ، و عبادتهم لهم مع أنفسهم منهم بغير دليل ، و احتياجهم على صحة فعلهم بتقدير علم على ذلك و هو قد نهاهم عنه بلسان كل رسول ، و ظنهم أنه لا يشاء إلا ما هو الحق المؤدى إلى الجمع بين النقيضين إذ لاريب فيه و لا خفاء [به -[3]] .

و لما كان الإيمان بالملائكة الذين هم جند الملك من دعائم أصول الدين ، و كان الإيمان بالشيء إن لم يكن على ما هو عليه الشيء و لو بأدنى الوجوه كان مختلا ، و أخبر سبحانه أنهم وصفوهم بغير ما هم عليه ففرطوا بوصفهم بالبنات حتى أنزلوهم إلى الحضيض و أفرطوا بالعبادة[4] حتى أعلوهم عن قدرهم فانسلخوا فى كلا الأمرين من صريح العقل بما أشار إليه ما مضى ، أتبع ذلك أنهم عريقون[5] أيضا من صحيح النقل ، فقال معادلا لقوله " اشهدوا خلقهم " إنكارا عليهم بعد إنكار ، [6]موجبا ذلك[6] أعظم العار ، لافتا القول عن الوصف بالرحمة تنبيها بمظهر العظمة على أن حكمه تعالى [7]متى برز لم يسمع سامعه إلا[7] الوقوف عنده و الامتثال على كل[8] حال و إلا حل به أعظم النكال : ﴿ام آتيناهم﴾ على

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه الألفاظ (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الولد (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الاصل : بالعباد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : غريقون (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : موجب لهم (٧-٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : بدى لم يسمع ما معه (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : أكل .

بما لنا من العظمة ﴿ كتبا ﴾ أى جامعا لما يريدون اعتقاده من أقوالهم هذه ﴿ من قبله ﴾ أى القرآن أخبرناهم فيه أنا جعلناهم إناثا و أنا لا نشاء إلا ما هو حق نرضاه و نأمر به ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب[1] عن هذا الإيتاء أنهم ﴿ به ﴾ أى وحده ﴿ مستمسكون ﴾ أى موجدون الاستمساك[2] به و طالبون للثبات عليه فى عبادة غير الله، و فى [أن -[3]] ذلك حق ٥ لكونه لم يعاجلهم بالعقوبة، و [فى -[3]] وصفهم الملائكة بالأنوثة، و فى غير ذلك من كل ما يرتكبونه / باطلا، و الإنكار يقتضى نفى ما دخل ٦٨٦ / عليه [من -[3]] إيتاء الكتاب كما انتفى إشهاده [لهم -[3]] خلقهم، و هذه المعادلة التى لايشك فيها من له بصر بالكلام تدل على صحة كون الإشارة فى " ما لهم بذلك من علم " شاملة لدعواهم الأنوثة فى الملائكة. ١٠

و لما كان الجواب قطعا عن هذين الاستفهامين: ليس لهم ذلك على مطلق ما قالوا و لا مقيده من صريح عقل و لا صحيح نقل إلى من يصح النقل عنه من أهل العلم بالأخبار الإلهية، نسق عليه قوله إرشادا إليه: ﴿ بل قالوا ﴾ أى فى جوابهم عن [4]قول ذلك و اعتقاده[4] مؤكدين إظهارا جهلا أو تجاهلا لأن ذلك لم يعب عليهم إلا لظن[5] أنه لا سلف ١٥ لهم أصلا فيه، [6]فاذا ثبت[6] أنه عمن تقدمهم[7] انفصل النزاع:

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فسبب (٢) فى مد: للامساك (٣) زيد من مد. (٤ - ٤) من مد، و فى الأصل و ظ: قولهم و اعتقادهم (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الظن (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فانه افلت (٧) من مد، و فى الاصل و ظ: تعذبهم.

﴿ انا وجدنآ ءآبآءنا ﴾ أى و هم أرجح منا عقولا و أصح أفهاما ﴿ علـٰى امة ﴾ أى طريقة عظيمة يحق لها أن تقصد و تؤم مثل رحلة بمعنى شيء هو أهل لأن يرحل إليه ، و كذا قدوة و نحوه ، و قراءة الكسر معناها حالة حسنة يحق لها ان تؤم ﴿ و انا علـٰى ءاثارهم ﴾ أى خاصة لا على غيرها و نحن فى غاية الاجتهاد و القص للآثار و إن لم نجد عينا تحققها .

و لما علم ذلك من حالهم ، و لم يكن صريحا فى الدلالة على الهداية ، بينوا الجار و المجرور ، و أخبروا بعد الإخبار و استنتجوا منه قولهم استئنافا لجواب من سأل : ﴿ مهتدون ﴾ أى نحن ، فاذا ثبت بهذا الكلام المؤكد أنا ما أتينا بشيء من عند أنفسنا و لا غلطنا فى الاتباع و اقتفاء الآثار ، فلا اعتراض علينا بوجه ، هذا قوله فى الدين بل فى أصوله التى من ضل فى شيء منها هلك ، و لو ظهر لأحد منهم خلل فى سعى [أبيه - ١] الدنيوى الذى به يحصل الدينار و الدرهم ما اقتدى به أصلا و خالفه أى مخالفة . ما هذا ٢ إلا لمحض الهوى و قصور النظر ، و جعل محطه الأمر الدنيوى الحاضر ، لا نفوذ لهم فى المعانى بوجه .

و لما كان ترك المدعو للدليل و اتباعه للهوى غائظا موجعا و منكئا ٣ مولما ، قال ٤ يسليه صلى الله عليه و سلم عاطفا على قوله : ﴿ و كذلك ﴾

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : لهذى ، و فى ظ : لهذلى (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : مبليا (٤) زيد فى الأصل : مسليا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

أى و مثل هذا الفعل المتناهى فى البشاعة فعلت الأمم الماضية مع إخوانك الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ؛ ثم فسر ذلك بقوله : ﴿ مآ ارسلنا ﴾ مع ما لنا من العظمة .

و لما كانت مقالة قريش قد تقدمت و المراد التسلية بغيرهم ، و كان صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين فلا أمة لغيره فى زمانه و لا بعده يسليه ٥ بها ، سلاه بمن مضى ، و قدم ذكر القبلية اهتماما بالتسلية و تخليصا لها من أن يتوهم أنه يكون معه فى زمانه أو بعده نذير ، و إفهاما لأن المجدد لشريعته إنما يكون مغيثا[1] لأمته و بشيرا لا نذيرا لثباتهم على الدين بتصديقهم جميع النبيين فقال تعالى : ﴿ من قبلك ﴾ أى فى الأزمنة السالفة حتى[2] القريبة منك جدا ، فان التسلية بالأقرب أعظم ، و أثبت ١٠ الجار لأن الإرسال بالفعل لم يعم جميع الأزمنة ، و أسقط هذه القبلية فى «سبإ» لأن المراد فيها التعميم لأنه لم يتقدم لقريش ذكر حتى يخص من قبلهم . و لما كان أهل / القرى أقرب إلى العقل و أولى بالحكمة و الحكم ، / ٦٨٧ قال : ﴿ فى قرية ﴾ و أعرق فى النفى بقوله : ﴿ من نذير ﴾ و بين به أن موضع الكراهة و الخلاف الإنذار على مخالفة الأهواء ﴿ الا قال مترفوهآ ﴾ ١٥ أى أهل الترفه بالضم و هى النعمة و الطعام الطيب و الشىء الطريف يكون خاصة بالمترف[3] ، و ذلك موجب للقلة و هو موجب للراحة و البطالة

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : مغشيا (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : على (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالمترفة .

الصارف عن جهد الاجتهاد إلى سفالة التقليد، و هو موجب لركوب الهواء و لو بان الدليل، و هو موجب للبغى و الإصرار عليه و اللجاجة فيـــه و التجبر و الطغيان. و معظم الناس فى[1] الأغلب أتباع لهؤلاء: ﴿ انا وجدنا ءابآءنا ﴾ أى و هم أعرف منا بالأمور ﴿ على[2] امة ﴾ أى أمر جامع يستحق أن يقصد و يؤم و طريقة و دين، و أكدوا[3] قطعا لرجاء المخالف من لفتهم عن ذلك ﴿ و انا على[2] ءاثارهم ﴾ لا غيرها، ثم بيـــنوا الجار و المجرور و أخبروا خبرا ثانيا و استأنفوا لإتمام مرادهم قولهم إيضاحا لأن سبب القص القدوة[4]: ﴿ مقتدون ﴾ أى مستنون[5] أى راكبون سنن طريقهم لازمون له[5] لأنهم مقتدون[6] لأن تقدم[6] عليهم، و حالنا أطيب ما يكون فى الاستقامة و أقرب و أسرع.

و لما كان كأنه قيل: فقال كل نذير: فما أصنع؟ أجاب بقوله: ﴿ قل ﴾ أى يا أيها النذير ـ هذا[7] على قراءة الجماعة، و على قراءة ابن عامر و حفص و عاصم[8] يكون التقدير أن السامع قال: فما قال النذير فى جوابهم؟ فأجيب بقوله: قال إنكارا عليهم: ﴿ اولو ﴾ أى أتقتدون[9] بآبائكم على كل حال و تعدونهم مهتدين و لو ﴿ جئتكم ﴾ و الضمير

(١) زيد فى الأصل و ظ: الأبلغ و، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.
(٢) من ظ و مد، و فى الأصل: أكد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: القدرة (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: مستسنون (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لها (٦-٦) فى مد: لتقدم (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: بهذا.
(٨) راجع نثر المرجان ٦ / ٤١١ (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: تقتدون ـ بدون همزة الاستفهام.

فيه للنذير، و فى قراءة أبى جعفر: أو لو جئتكم للنذر كلهم ﴿ باهدىٰ ﴾ أى أمر أعظم فى الهداية و أوضح فى الدلالة ﴿ مما وجدتم ﴾ أى أيها المقتدون بالآباء[1] ﴿ عليه ءابآءكم ﴾ كما تضمن قولكم أنكم تقتفون فى اتباعهم بالآثار فى أعظم الأشياء، و هو الدين الذى الخسارة [فيه -[2]] خسارة للنفس و أنتم تخالفونهم فى أمر الدنيا إذا وجدتم طريقا أهدى من التصرف فيها من طريقهم و لو بأمر يسير، و يفتخر أحدكم بأنه أدرك من ذلك ما لم يدرك أبوه فحصل من المال أكثر مما حصل، فيا له من نظر ما أقصره، و متجر ما أخسره.

و لما كان من المعلوم أن النذر[3] قالوا لهم ما أمروا به؟ فتشوف السامع إلى جوابهم لهم، أجيب بقوله: ﴿ قالوآ ﴾ مؤكدين ردا لما قطع به كل عاقل سمع هذا الكلام من أنهم يبادرون النظر فى الدليل و الرجوع إلى[4] سواء السبيل: ﴿ انا بمآ ارسلتم به ﴾ أى أيها المدعون للارسال من أى مرسل كان، و لو ثبت ما زعمتموه من الرسالة و لو جئتمونا بما هو أهدى ﴿ كٰفرون ٥ ﴾ أى ساترون لما ظهر من ذلك جهدنا حتى لا يظهر لأحد و لا يتبعهم فيه مخلوق.

و لما علم بهذا أن أمرهم وصل إلى العناد المسقط / للاحتجاج. /٦٨٨

(١) زيد فى الأصل: مما وجدتم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: النذراء (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: على.

سبب عنه قوله موعظة لهذه الأمة و بيانا لما خصها بـــه من الرحمة: ﴿فانتقمنا﴾ أى بما لنا من العظمة التى استحقوا بها ﴿منهم﴾ فأهلكناهم بعذاب الاستئصال، و عظم أثر النقمة بالأمر بالنظر فيها فى قوله: ﴿ فانظر ﴾ أى بسبب التعرف لذلك و بالاستفهام إشارة إلى أن ذلك أمر هو جدير لعظمه بخفاء سببه فقال: ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ المكذبين ﴾ أى إرسالنا فانهم هلكوا أجمعون، و نجا المؤمنون أجمعون، فليحذر من رد رسالتك من مثل ذلك.

و لما ذكر لهم الأدلة و حذرهم بالأخذ [1]و تحرر أنهم[1] مع التقليد لا ينفكون عنه، ذكرهم بأعظم آبائهم و محط فخرهم و أحقهم بالاتباع للفوز بأتباع الأب[2] فى ترك التقليد أو فى تقليده إن كان لا بد لهم من التقليد لكونه أعظم الآباء و لكونه مع الدليل، فقال عاطفا على ما تقديره للاشارة إلى تأمله و إمعان[3] النظر فيه: اذكر لهم ذلك: ﴿واذ﴾ أى و اذكر لهم حين ﴿ قال ﴾ أعظم أبائهم و محط فخرهم و المجمع على محبته و حقية[4] دينه منهم و من أهل الكتاب و غيرهم ﴿ ابرٰهيم لابيه ﴾ من غير [5]أن يقلده[5] كما أنتم قلدتم آباءكم، و لما كانت مخالفة الواحد للجمع شديدة، ذكر لهم حاله فيها بيانا[6] لأنهم أحق منهم بالانفكاك عن

(١ - ١) من ظ و مد، و فى الأصل: محورايهم (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: الأدب (٣) فى مد: انعام (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: حقيقة.
(٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل: تقليده (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: بيان.

التقليد ﴿ و قومه ﴾ الذين كانوا هم القوم فى الحقيقة لاحتوائهم على ملك جميع الأرض كما قلت: إنا لكم سواء و لما كانوا لايتخيلون أصلا أن أحدا يكون مخالفا لهم، أكد بالحرف و إظهار نون الوقاية فقال: ﴿ انني ﴾ و زاد بالنعت[1] بالمصدر الذى يستوى فيه الواحد و غيره و المذكر و غيره لكونه مصدرا و إن وقع موقع الصفة باللفظ الدال على أنه مجسد ٥ من البراءة ، جعله على صورة المزيد لزيادة التأكيد فقال: ﴿ برآء ﴾ و من ضمه[2] جعله وصفا محضا مثل طوال فى طويل ﴿ مما تعبدون ﴾ فى الحال و الاستقبال مهما كان غير من اشتبه ، فانهم كانوا مشركين فلا بد من الاستثناء و من كونه متصلا ، قال[3] الإمام أبو [على -[4]] الحسن بن يحيى بن نصر الجرجانى فى كتاب بيان نظم القران ما حاصله: سر قول ١٠ السلف أن الكلمة هنا أى الآية[5] فى قوله كلمة باقية " لا إله إلا الله " أن النفى و التبرئة[6] واحد فانفى براء بمنزلة لا ، و قوله " مما تعبدون " بمنزلة إله[7] إذ كل معبود يسمى إلها فآل[8] ذلك إلى: لا إله ﴿ الا الذى فطرنى ﴾ قال: فقد ضممت بهذا التأويل إلى فهمك الأول الذى استفدته [9]من الخبر[9] فهم المعرفة الحقيقية الذى أفاد له طباعك ١٥

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: بالنعمة (٢) راجع نثر المرجان ٣/٤١٤ (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: قاله (٤) زيد من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لايته (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: التركية (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الا (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: قال (٩ - ٩) فى مد: بالخبر.

بالعبرة ، و نبه بالوصف بالفطر على دليل اعتقاده أى الذى شق العدم فأخرجنى منه ثم شق هذه المشاعر و المدرك ، و من كان بهذه القدرة الباهرة كان منفردا بالعظمة .

و لما كان الله سبحانه - و له[1] المن - قد أنعم بعد الإيجاد بما أشار إليه من العقل و الحواس المهيء ، للهداية[2] من غير طلب ، فكان جديرا بأن يمنح قاصده بأعظم هداية / قال مسببا عن قطعه العلائق من سواه ، مؤكدا لأجل من ينكر وصوله إلى حد[3] عمى عنه أسلافه ﴿فانه سيهدين ٥﴾ أى هداية هى الهداية إلى ما لاح لى من الحقائق من كل ما يصلحنى لتوجهى إليه و توكلى عليه ، لا مرية عندى فى هذا الاعتقاد ، و قد أفاد بهذه المقترنة[4] بالسين هدايته فى الاستقبال بعد أن أفاد بقوله المحكى فى الشعراء " فهو يهدين " الهداية فى الحال و كأنه خص هذا بالسين لأجل ما عقبها به من عقبه ، فجعل هدايتهم هدايته ﴿و جعلها﴾ أى جعل إبراهيم عليه الصلاة و السلام هذه الكلمة التى هى التوحيد بدليله ﴿ كلمة باقية فى عقبه ﴾ أى ذريته دعاء[5] و هو مجاب الدعوة فى قوله : " و اجنبنى و بنى ان نعبد الاصنام " و فى قوله " و من ذريتى ربنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آيتك و يعلمهم الكتب و الحكمة و يزكيهم انك انت العزيز الحكيم " : ﴿لعلهم يرجعون ٥﴾ أى ليكون حالهم حال

/ ٦٨٩

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : له (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الهداية (٣) فى مد : خبر (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : المعبرة (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : بما دعوى .

من ينظر إليهم إن حصل منهم مخالفة و اعوجاج حال من يرجى رجوعه ، فانهم إذا ذكروا أن أباهم الأعظم الذى بنى لهم البيت و أورثهم الفخر قال ذلك تابعوه ، و يجوز أن يتعلق بما يتعلق به « اذ » أى اذكر لهم قول أبيهم ليكون حالهم عند من يجهل العواقب حال [من يرجى -١] رجوعه عن تقليد الجهلة من الآباء إلى اتباع هذا الأب الذى اتباعه ٥ لا يعد تقليدا لما على قوله من الأدلة التى تفوت الحصر فتضمن لمتبعها حتما تمام النصر ، و فى سوقه سوق المترجى إشارة إلى أنهم يكونون صنفين : صنفا يرجع و آخر لا يرجع .

و لما كان من المعلوم أن السامع يقول لمن أحاط علمه بهم و يعلم سرهم و علنهم : يا رب ! بل رجعوا ، أجيب بقوله : ﴿ بل ﴾ أى لم يرجعوا ١٠ بل استمروا لأجل إظهارى لقدرتى على القلوب باقحام أربابها برضاهم و اختيارهم فى أقبح الخطوب و أفحش الذنوب على ترك الطريق المنيع و الصراط الأقوم و زاغوا عنه زيغا عظيما . و استمروا فى ضلالهم و تيههم و لم أعاجلهم بالعقوبة لأنى ﴿ متعت ﴾ بافراده ضميره سبحانه لأن التمتيع يتضمن إطالة العمر التى لا يقدر عليها ظاهرا و لا باطنا سواه . ١٥ و أما الانتقام فقد يجعله بأيدى عباده من الملائكة و غيرهم [فهو -١] من وادى "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون و املى لهم ان كيدى متين" :

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تمكنهم (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالجام (٤) زيد من ظ و مد .

﴿ هؤلاء ﴾ أى الذين بحضرتك من المشركين و أعداء الدين ﴿ و آباءهم ﴾ فمددت من الأعمار مع سلامة الأبدان و متانة الأركان، و إسباغ النعم و الإعفاء من البلايا و النقم، فأبطرتهم نعمى و أزهدتهم أيادى جودى و كرمى، و تمادى بهم ركوب ذلك الباطل ﴿ حتى جاءهم الحق ﴾ بهذا الدين المتين ﴿ و رسول مبين ﴾ أى أمره ظاهر فى نفسه، لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بديهية تنبئك بالخبر و هو مع ظهوره فى نفسه مظهر لكل معنى يحتاج إليه، و "متعت" بالخطاب من لسان الرسول المنزل عليه / هذا الكتاب لأنه يدعو انتهازا للفرصة لعله يجاب بما يزيل الغصة[1] يقول: يا رب! قد أقمتهم لمن يجهل العواقب فى مقام من يرجى رجوعه فما نضيت بذلك بل متعت إلى آخره. /٦٩٠

و لما كان التقدير: فلم يردهم التمتيع بادرار النعم عليهم و إسراعنا [بها -[2]] إليهم [مع وضوح الأمر لهم، بل كان الإنعام عليهم سببا لبطرهم، و كان البطر سببا لتماديهم على الاستعانة بنعمتنا على عصيان أمرنا -[2]] و هم يدعون أنهم أتبع الناس للحق و أكفهم عن الباطل، عطف عليه قوله: ﴿ و لما جاءهم الحق ﴾ أى الكامل فى حقيته[3] [4]بمطابقة الواقع إياه من غير إلباس و لا اشتباه[4]، الظاهر فى كماله لكل من له أدنى لب بما عليه القرآن من الإعجاز فى نظمه، و ما عليه ما يدعو إليه

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الفصه (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: حقيقته (٤-٤) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ قبل «و هم يدعون» و الترتيب من مد.

من الحكمة من جميع حكمه ، و التصادق مع ما يعلمونه من دين إبراهيم عليه الصلاة و السلام قبل أن يبدلوه و من أمر موسى و عيسى عليهما الصلاة و السلام من التوحيد ، زادوا على تلك الغفلة التى أدى إليها البطر بالنعمة ما هو شر من ذلك و هو التكذيب بأن ﴿قالوا﴾ مكابرة و عنادا و حسدا و بغيا من غير وقفة و لا تأمل : ﴿ هذا ﴾ مشيرين إلى ٥ الحق الذى يطابقه الواقع ، فلا شيء أثبت منه و هو القرآن و غيره مما أتى [به -[1]] من دلائل العرفان ﴿ سحر ﴾ أى خيال لا حقيقه له .

و لما كان الحال مقتضيا من غير شك و لا وقفة لمعرفتهم لما جاء به و إذعانهم له قالوا مؤكدين لمدافعة ما ثبت فى النفوس من ذلك : ﴿ و انا به كفرون ﴾ أى عريقون فى ستره بخصوصه حتى لا يعرفه أحد ، ١٠ و لا يكون له تابع .

و لما أخبر عن طعنهم فى القرآن أتبعه الإخبار عن طعنهم فيمن جاء به تغطية[2] لأمره عملا بأحبارهم فى ختام ما قبلها[3] عن أنفسهم بالكفر زيادة و إمعانا فيما كانت النعم أدتهم إليه من البطر فقال : ﴿ و قالوا ﴾ لما قهرهم ما ذكروا به مما يعرفونه من [أمر -[1]] إبراهيم ١٥ عليه الصلاة و السلام من النبوة و الرسالة ، و كذا من بعده من أولاده فلم يتهيأ لهم الإصرار على العناد[4] بانكار أن يكون النبى من البشر قول من له أمر عظيم فى التصرف فى الكون و التحكم على الملك الذى

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تعظيمه (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : قبلهم (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الضاد .

لا يسئل عما يفعل ، فأنكروا التخصيص بما [أتوا -[1]] به من التخصيص في قولهم : ﴿ لولا ﴾ أي هل لا و لولا .

و لما كان إنزال القرآن نجوما على حسب التدريج ، عبروا بما يوافق ذلك فقالوا : ﴿ نزل ﴾ أي من المنزل الذي ذكره محمد صلى الله عليه و سلم . و عينوا مرادهم و نفوا اللبس فقالوا بقسر[2] و غلظة كلمة على من يطلبهم لاصلاح حالهم[2] ﴿ هذا القرآن ﴾ أي الذي[3] جاء به محمد صلى الله عليه و سلم و ادعى أنه جامع لكل خير ، ففيه إشارة إلى التحقير ﴿ على رجل من القريتين ﴾ أي مكة و الطائف ، و لم يقل : إحدى - اغتناء عنها بوحدة رجل ﴿ عظيم ﴾ أي بما [4]به عندهم[4] من[5] العظمة و الجاه و المال و السن و نحو ذلك و هم عالمون أن شأن الملك إنما هو إرسال من يرتضونه لا من يقترحه الرعية ، و[6] يعلمون أن للملك[7] المرسل له صلى الله عليه و سلم[8] الغني المطلق لكنهم جهلوا - مع أنه هو الذي / أفاض المال و الجاه - أنه ندب إلى الزهد فيهما و التخلي عنهما ، و أنه لا يقرب إليه إلا إخلاص الإقبال[9] عليه الناشيء عن طهارة الروح و ذكاء الأخلاق و كمال الشمائل و التحلي بسائر الفضائل و التخلي عن جميع الرذائل ، فقد

٦٩١ /

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) سقط من ظ .
(٤ - ٤) من ظ و مد ، و في الاصل : عند (٥) من مد ، و في الأصل و ظ : « و » (٦) زيد في الأصل : هم ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها .
(٧) من ظ و مد ، و في الأصل : الملك (٨) زيد في الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٩) من مد ، و في الأصل و ظ : اقبل .

جعلوا لإفراطهم فى الجهل الحالة البهيمية شرطا للوصول[١] إلى الحالة[٢] الملكية المضادة لها بكل اعتبار .

و لما تضمن قولهم إثبات عظمة لأنفسهم بالاعتراض على الملك . قال منكرا عليهم موبخا لهم بما معناه أنــه[٣] ليس الأمر مردودا إليهم و لاموقوفا عليهم[٤] بل هو[٤] إلى الله وحده - " و الله اعــلم حيث يجعل رسالته " ﴿ اهم ﴾ أى أهؤلاء الجهلة[٥] العجزة ﴿ يقسمون ﴾ أى على التجدد و الاستمرار : و لفت القول عن إفراد[٦] الضمير إلى صفة الرحمة المضافة إلى النبى صلى الله عليه و سلم تشريفا له و إظهارا لعلى قدره : ﴿ رحمت ربك[٤] ﴾ أى إكرام المحسن إليك و إنعامه و تشريفه بأنواع اللطف و البر و إعظامه بما رباك له من تخصيصك بالإرسال إليهم بتأهيلهم للانقاذ من الضلال ، و جعلك و انت أفضل العالمين الرسول إليهم ففضلوا بفضيلتك مع أنك أشرفهم نسبا و أفضلهم حسبا و أعظمهم عقلا و أصفاهم لبا و أرحمهم قلبا ليتصرفوا فى تلك الرحمة التى هى روح الوجود و سر الأمر بحسب شهواتهم و هم لايقدرون على التصرف فى المتاع الزائل بمثل ذلك .

و لما نفى أن يكون لهم شىء[٧] من القسم[٨] قال جوابا لمن كأنه

(١) فى مد : فى الوصول (٢) من ظ و مد ، وفى الأصل : الحال (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بانه (٤-٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : برموا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الحملة (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اقرار . (٧) سقط من مد (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : انفسهم .

قال: فمن القاسم؟ دالا على بعدهم عن أن يكون إليهم شيء من قسم ما أعد لأديانهم بما يشاهدونه من بعدهم عن قسم ما أعد لأبدانهم، لافتا القول عن صفة الإحسان إلى مظهر العظمة إشارة إلى أنها تأبى المشاركة فى شيء و تقتضى التفرد: ﴿ نحن قسمنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ٥ ﴿ بينهم ﴾ أى فى الأمر الذى يعمهم و يوجب تخصيص كل منهم[1] بما لديهم ﴿ معيشتهم ﴾ التى يعدونه رحمة و يقصرون عليها النعمة ﴿ فى الحيوة الدنيا ﴾ التى هى أدنى الأشياء عندنا، و أشار إلى أنها حياة ناقصة لا يرضاها عاقل، و أما الآخرة فعبر عنها بالحيوان لأنا لو تركنا قسمها إليهم لتعاونوا[2] على ذلك فلم يبق منهم أحد فكيف يدخل ١٠ فى الوهم أن يجعل إليهم شيئا من الكلام فى أمر النبوة التى هى روح الوجود، و بها سعادة الدارين: ﴿ و رفعنا ﴾ بما لنا من نفوذ الأمر ﴿ بعضهم ﴾ و إن كان ضعيف البدن قليل العقل ﴿ فوق بعض ﴾ و إن كان قويا غريز العقل ﴿ درجت ﴾ فى الجاه و المال و نفوذ الأمر و عظم القدر لينتظر حال الوجود، فانه لابد فى انتظامه من تشارك ١٥ الموجودين و تعاونهم، تفاوتنا بينهم فى الجثث و القوى و الهمم ليقتسموا[3] الصنائع، و المعارف و البضائع، و يكون كل ميسر لما خلق له، و[4] جانحا إلى ما هى له[4] لتعاطيه، فلم يقدر أحد من دنىء أو غنى أن يعدو قدره

(١) سقط فى ظ و مد (٢) فى ظ و مد: لتعانوا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يتقسموا (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: حايجا لما و هى.

و ترتقى فوق منزلته .

و لما ذكر ذلك، علله بما ثمرته[1] عمارة الأرض / فقال : ﴿ ليتخذ ﴾ / ٦٩٢
أى بغاية جهده ﴿ بعضهم بعضا ﴾ [2] و لما كان المراد هنا الاستخدام
دون الهزء لأنه لايليق التعليل به، أجمع القراء على ضم هذا الحرف
هنا فقال: ﴿ سخريا[4] ﴾ أى أن يستعمله فيما ينوبه أو يتعسر أو يتعذر ٥
[3]عليه مباشرته ويأخذ للآخر منه من المال ما هو مفتقر إليه، فهذا
بماله، و هذا بأعماله، و قد يكون الفقير أكمل من الغنى ليكمل بذلك
نظام العالم لأنه لو تساوت المقادير لتعطلت المعايش، فلم [يقدر -[2]] أحد
أن ينفك عما جعلناه إليه من هذا [الأمر الدنىء -[2]] فكيف يطمعون
فى الاعتراض فى أمر النبوة، أيتصور[4] عاقل أن يتولى قسم الناقص ١٠
و نكل العالى إلى غيرنا، قال ابن الجوزى: فاذا كانت الأرزاق بقدر
الله لايحول المحتال و هى[5] دون النبوة فكيف تكون النبوة - انتهى .
و هذا هو المراد بقوله تعالى صارفا القول عن مظهر العظمة و السلطان
إلى الوصف بالإحسان إظهارا لشرف النبى صلى الله عليه و سلم
﴿ و رحمت ربك ﴾ أى المربى لك و المدبر لأمرك بارسالك و إنارة ١٥
الوجود برسالتك التى هى لعظمتها جديرة بأن تضاف إليه و لايسمى
غيرها رحمة ﴿ خير مما يجمعون ٥ ﴾ من الحطام الفانى فانه و إن تأتى فيه
خير باستعماله فى وجوه البر بشرطه، فهذا بالنسبة إلى النبوة، و ما قارنا

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : عزته (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل و ظ : للآخر (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : اى يتصور فى ذهن.
(٥) من مد، و فى الأصل و ظ : هو .

مما دعا إلى الإعراض عن الدنيا متلاش .

و لما دلت صريح آيـــة التمتيع و تلويح ما بعدها أن البسط فى الرزق الموجب للعلو مع أنه خسيس المنزلة ناقص المقدار مقتض للخروج عن السواء ، و كان التقدير : فنحن نخص بهذا الخير للأفراد فى الأدوار[1] الآحاد من الأبرار لنستنقذ بهم من شئنا من الضلال و نعطى الحطام للعتاة[2] الطغام الأرذال[3] ابتلاء للعباد ليبين لهم أهل البغى من أهل الرشاد ، و لو لا ما اقتضته حكمتنا بترتيب هذا الوجود على الأسباب من المفاوتة بين الناس لقيام الوجود لساوينا بينهم ، و عطف : عليه قوله مذكرا بلطفه[3] بالمؤمنين و بره لهم برفعه ما يقتضى لهم شديد المجاهدة و عظيم المصابرة و المكابدة لحال تزل فيه الأقدام عن سنن الهدى من الميل و الإصغاء إلى مظان الغنا و الملك و تمام المكنة و العظمة : ﴿ و لو لآ ان يكون الناس ﴾ أى أهل التمتع بالأموال بما فيهم من الاضطراب و الأنس بأنفسهم ﴿امة واحدة﴾ أى فى الضلال بالكفر لاعتقادهم أن اعطاءنا المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه لحبهم الدنيا و جعلها محط أنظارها و همهم إلا من عصم الله ﴿ لجعلنا ﴾ أى فى كل زمان و كل مكان بما لنا من العظمة التى لم يقدر أحـــد على معارضتها لحقارة الدنيا عندنا و بعضنا لها

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاواريو (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : العظام للاراذل ، و فى ظ : العظام الأرذال (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لطفه .

﴿لمن يكفر﴾ و قوله: ﴿بالرحمن﴾ أى العام الرحمة دليل على حقارة الدنيا من جهة إعطائها للبعد[1] الممقوت، و على أن صفة الرحمة مقتضية لتناهى بسط النعم عـــلى الكافر لو لا العلة التى ذكرها سبحانه من الرفق بالمؤمنين.

و لما كان / تزيين الظرف دائما بحسب زينة المظروف، دل على [2]ما ٥ لهم[2] من ملابسهم و مراكبهم و غير ذلك من أمورهم بزينة المنازل، فقال مبدلا [من-[3]] "لمن" بدل الاشتمال لأن سوقه على طريق الإبدال أروع: ﴿لبيوتهم﴾ أى التى ينزلونها ﴿سقفا﴾ أى هذا الجنس فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو[4] بالموحدة[5] بدليل قراءة الباقين بضمتين جمعا ﴿من فضة﴾ كأنه [خصها -[3]] لإفادتها النور ﴿و معارج﴾ أى من فضة، و هى المصاعد ١٠ من الدرج لأن المشى عليها مثل مشى الأعرج ﴿عليها يظهرون﴾ أى يعلون[6] و يرتقون على ظهورها إلى المعالى ﴿و لبيوتهم ابوابا﴾ أى من فضة أيضا. ٦٩٣ /

و لما كان إفراد السرير يوهم أنه واحد يدار[7] به على الكل، جمع ليفهم أن لكل[8] واحد ما يخصه من الأسرة بخلاف السقف فانه لا يوهم ١٥ ذلك فلعله قرئ بافراده و جمعه، فقال: ﴿و سررا﴾ بالجمع خاصة، و دل

(١) فى ظ: للعبد (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: حالهم (٣) زيد من مد.
(٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) راجع نثر المرجان ٥/ ٤٢٠ (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: يعولون (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: يراد (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: الكل.

على هدوء بالهم و صفاء أوقاتهم و أحوالهم بقوله : ﴿ عليها يتكؤن ﴾ و دل على ما لايتناهى من غير ذلك بقوله : ﴿ و زخرفا ﴾ أى ذهبا و زينة عامة [كاملة [1]] .

و لما كان لفظ الزخرف دالا على كون ذلك [أمرا -[2]] ظاهريا متلاشيا عند التحقيق ، دل عليه بقوله مؤكـــدا لما تقرر فى النفوس من أن السادة فى مثل ذلك ، و ما كان مقررا عندهم من أن السعيد فى الأولى سعيد فى الآخرة عـــلى تقدير كونها : ﴿ و ان ﴾ أى و ما ﴿ كل ذلك ﴾ أى الأمر البعيد عن الخير لكونه فى الأغلب مبعدا عما يرضينا ، و لأن صاحبه لايزال فقيرا و أن استوسقت له الدنيا ملكا و ملكا ، لأنه لابد أن يبقى فى نفسه شيء لا تبلغه قدرته فهو لا يزال مغبونا ﴿ لما ﴾ أى إلا - هذا على قراءة عاصم و حمزة بالتشديد[3] : و هى فى قراءة الباقين بالتخفيف فارقة بين النافية و المخففة ، و ما مؤكدة و الخبر هو[4] ﴿ متاع الحيوٰة الدنيا[5] ﴾ أى التى اسمها[6] دال على دناءتها و أن لها ضرة هى[6] الآخرة ، و هو منقطع بالموت ، فلذلك اقتضت رحمته أن لا يضيق على المؤمنين فى الأغلب لأن السعة تنقصهم فى الآخرة و يطول الحساب ﴿ و الأٰخرة ﴾ التى لا دار تعدلها بل لا دار فى الحقيقة إلا هى .

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) راجع نثر المرجان ٥ / ٤٢١ .
(٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : اسا ـها (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : صورتين .

و لما كانت الإضافة إلى الجليل دالة على جلالة المضاف إليه فقال: ﴿ عند ربك ﴾ و أشار بالوصف بالرب إلى أن الجلالة بالحسن و الراحة، و بالإضافة إليه صلى الله عليه و سلم فى أعلى الغايات ﴿ للمتقين ﴾ أى الذين هم دائما[1] واقفون عن أدنى تصرف إلا بدليل لايشاركهم فيها غيرهم، و هذا لما ذكر عمر رضى الله عنه كسرى و قيصر و ما كانا فيه من النعم ٥ قال النبي صلى الله عليه و سلم: ألا نرضى أن يكون لهم الدنيا و لنا الآخرى. و لا يبعد أن يكون ما صار إليه الفسقة من الجبابرة من زخرفة[2] الأبنية و تركيب / السقوف و غيرها من مساوئ[3] الفتنة بأن يكون الناس أمة ٦٩٤ / واحدة بالكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول: الله، و فى زمن الدجال من يبقى إذ ذاك على الحق فى غاية القلة بحيث أنهم ١٠ لا عداد[4] لهم فى جانب الكفرة. لأن كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة، و إن خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك.

و لما كان التقدير: و لكنا لم نجعل ذلك علما منا بأن الناس كادوا[5] يكونون أمة واحدة و إن كنا نقيض من جبلناه على الخير على الإيمان لكن ينقصه ما أوتى فى الدنيا من خطر فى الآخرة لأن من وسع عليه ١٥ فى دنياه اشتغل فى الأغلب عن ذكر الله فنفرت منه الملائكة و لزمته الشياطين، فساقه ذلك إلى كل سوء، و من يتق الله فيديم ذكره يؤيده

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: دايا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: زخرف (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: مبادى (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عدد (٥) فى ظ و مد: كانوا.

يملك فهو له معين ، عطف عليه قوله معبرا عن غفلة البصيرة بالعشا[١] الذى هو ضعف البصر تصورا لمن ينسى ذكر الله بأقبح صورة تنفيرا عن ذلك : ﴿ و من يعش ﴾ أى يفعل فعل المعاشى ، و هو من شاء بصره بالليل و النهار أو عمى على قراءة شاذة و ردت عن يعقوب بفتح الشين[٢] و ركب[٣] الأمور[٤] متجاوزا ﴿ عن ذكر الرحمٰن ﴾ الذى عمت رحمته . فلا رحمة على أحد إلا وهى منه كما فعل هؤلاء حين متعناهم[٥] و آباءهم حيث ابطرهم ذلك ، و هو شىء يسير جدا ، فأعرضوا عن الآيات و الدلائل فلم ينظروا فيها إلا نظرا ضعيفا كنظر من عشى بصره ﴿ نقيض ﴾ [أى -[٦]] نقرر و نسلط و نقدر عقابا ﴿ له ﴾ على إعراضه عن ذكر الله ﴿ شيطٰنا ﴾ أى شخصا ناريا بعيدا من الرحمة يكون غالبا محيطا بـــه مضيقا عليه مثل قيض البيضة و هو القشر الداخل ﴿ فهو له قرين ﴾ مشدود به كما يشد الأسير ، ملازم فلا يمكنه التخلص منه ما دام متعاميا عن ذكر الله ، فهو يزين له العمى و يخيل إليه أنـــه على عين الهدى ، كما أن من يستبصر بذكر الرحمن يسخر له ملك[٧] فهو له ولى يبشره بكل خير ، فذكر الله حصن حصين من الشيطان ، متى خرج [العبد -[٤]] منه أسره العدو كما ورد فى الحديث ، قال فى القاموس :

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالعشاة (٢) راجع نثر المرجان ٦/٤٢٢ (٣) من مد ، و فى الاصل و ظ : ركوب (٤) زيد فى الأصل وظ :غير بيان ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : ملكا .

[العشى -[1]] مقصور: سوء البصر بالليل و النهار أو العمى، عشى كرضى و دعا، و العشوة بالضم و الكسر: ركوب الأمر على غير بيان، قال ابن جرير[2]: و أصل العشو النظر بغير ثبت لعلة فى العين، و قال الرازى فى اللوامع: و أصل اللغة أن العين و الشين والحرف المعتل يدل على ظلام[3] و قلة وضوح فى الشيء. ٥

و لما كانت "من" عامة، و كان القرين للجنس، و أفرده لأنه نص على كل فرد، فكان التقدير: فانهم ليحملونهم على أنواع الدنايا و يفتحون لهم أبواب الرذائل و البلايا، و يحسنون لهم ارتكاب القبائح و الرزايا، عطف عليه قوله مؤكدا لما [فى -[1]] أنفس الأغلب - كما أشار إليه آخر الآية - أن الموسع عليه هو المهتدى، جامعا دلالة على كثرة الضال: ١٠ ﴿و انهم﴾ أى القرناء ﴿ليصدونهم﴾ أى العاشين ﴿عن السبيل﴾ أى الطريق الذى من حاد عنه هلك، / لأنه لاطريق فى الحقيقة سواه. ٦٩٥ /

و لما كانت الحيدة عن السبيل إلى غير سبيل، بل إلى معاطب لايهتدى فيها دليل، عجبا، أتبعه عجبا آخر [فقال -[1]]: ﴿و يحسبون﴾ أى العاشون مع سيرهم فى المهالك لتزيين القرناء باحضار الحظوظ و الشهوات ١٥ و إبعاد المواعظ: ﴿انهم مهتدون﴾ أى عريقون فى هذا الوصف لما يستدرجون به من التوسعة عليهم و التضييق على الذاكرين.

و لما كان من ضل عن الطريق، و من ظن أنه على صواب لايكاد

(١) زيد من مد (٢) راجع جامع البيان ٢٥ / ٣٩ (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: كلام.

يتمادى بل ينجلي له الحال عن قرب[1] ضم إلى العجبين الماضيين عجبا ثالثا بيانا له على ما تقديره : [2]و نملي لهذا[2] العاشي استدراجا له و ابتلاء لغيره و نمد[3] ذلك طول حياته ﴿حتى[4]﴾ و حقق الخبر بقوله : ﴿ اذا ﴾ و لما علم من الجمع فيما قيل أن المراد الجنس ، و كان التوحيد أدل دليل على ٥ تناول كل فرد ، فكان التعبير به أهول[5] ، و كان السياق دالا على من الضمير له قال : ﴿ جآءنا ﴾ أى العاشى ، و من قرأ[6] بالتثنية أراد العاشى و القرين ﴿ قال ﴾ أى العاشى تندما و تحسرا لا انتفاع له به لفوات محله و هو دار العمل : ﴿ ياليت بينى و بينك ﴾ أيها القرين ﴿بعد المشرقين﴾ أى ما بين المشرق و المغرب على التغليب - قاله ابن جرير[6] و غيره ، ١٠ أو[7] مشرق الشتاء و الصيف أى[8] بعد أحدهما عن الآخر ؛ ثم سبب عن هذا التمنى قوله جامعا له أنواع المذام[9] : ﴿ فبئس القرين ﴾ أى إنى[10] علمت أنك الذى أضلنى و أوصلنى إلى هذا[11] العيش الضنك و المحل الدحض و أحسست فى هذا[12] الوقت بذلك الذى كنت تؤذينى به [أنه أذى -[13]]

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : قريب (٢ - ٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : على هذا (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : مدا (٤) ليس فى ظ و مد . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : مول (٦) راجع جامع البيان ٢٥/٤٠ (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : اى (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : او (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذم (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : ان . (١١) زيد فى الاصل : العشرو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذلك (١٣) زيد من مد .

بالغ

بالغ، فكنت كالذى يحك جسمه لما به من قروح متأكلة حتى يخرج منه الدم فهو [فى أوله - [1]] يجد له لذة [2]بما هو مؤلم له فى نفسه غاية الإيلام[2] . و لما كان [3]الإيلام قد يؤذى الجسد، و كان[3] التقدير حتما بما هدى[4] إليه السياق فيقال لهم: فلن[5] ينفعكم ذلك اليوم يوم جئتمونا إذ تمنيتم هذا التمنى حين عاينتم تلك الأهوال اشتراككم اليوم [فى يوم الدنيا فى الظلم و تمالؤكم عليه و منافرة بعضكم لبعض، عطف عليه قوله-[6]]: ﴿ و لن ينفعكم اليوم[7] ﴾ أى[8] فى الدنيا[9] شيئا من نفع أصلا ﴿ اذ ﴾ حين ﴿ظلمتم﴾ حال كونكم مشتركين[10] فى الظلم متعاونين[11] عليه متناصرين فيه، و كل واحد منكم يقول لصاحبه سرورا به و تقربا إليه و توددا: يا ليت أنا لانفترق[12] أبدا فنعم[13] القرين أنت، فيقال لهم توبيخا: ﴿ انكم فى العذاب ﴾ أى [14]العظيم[14]، و قدمه اهتماما بالزجر به و التخويف منه[10] ﴿ مشتركون ﴾

(١) زيد من ظ و مد (٢-٢) فى مد: بما هو نفسه مؤلم غاية الألم (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: يهدى (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لن (٦) زيد من مد، و وقع قبله فى الأصل و ظ: تجازون، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) ليس فى الأصل و ظ. (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: ما كنتم عليه (٩) زيد فى الأصل و ظ: ولا ينانكم، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: مشركون (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: متعارفين (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لاتقترن (١٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فبئس. (١٤) زيد فى الأصل: العذاب، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (١٥) زيد فى الأصل: قوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

أى[١] اشتراككم فيه دائما ظلمكم[٢] أنفسكم ظلما باطنا بأمور أخفاها الطبع[٣] على القلوب [٤]و هو الموجب[٤] للارتباك فى أشراك[٥] المعاصى الموصلة إلى العذاب الظاهر يوم التمنى و يوم القيامة عذابا ظاهرا محسوسا، و ذلك كمن يجرح جراحة بالغة و هو مغمى عليه فهو / معذب بها قطعا، ٦٩٦ / و لكنه لايحس إلا إذا أفاق [فهو -[٦]] كما تقول لأناس يريدون أن يتمالؤا على قتل نفس محرمة : لن ينفعكم اليوم إذ تتعاونون على قتله[٧] اشتراككم غدا فى الهلاك بالسجن الضيق و الضرب المتلف و ضرب الأعناق، مرادك بذلك زجرهم عن[٨] ظلمهم بتذكيرهم بأنهم يصلون إلى هذا الحال و يزول ما هم فيه من المناصرة[٩] فلا ينفعهم شىء منها - و الله الموفق، فالآية من[١٠] الاحتباك، و به زال عنها ما كان من إعراب المعربين لها موجبا للارتباك "فياليت" - إلى آخره، دال على تقدير ضده ثانيا "و لن ينفعكم" - إلى آخره، دال على تقدير مثله أولا .

و لما كان صلى الله عليه و سلم شديد الإرادة لإقبالهم يكاد يقتل نفسه أسفا على إدبارهم، و كان هذا الزجر الذى لايسمعه من له أدنى

(١) وقع فى الأصل بعد « فى العذاب » و الترتيب من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : ظلمتم (٣) من ظ ومد، وفى الأصل : ما طبع (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد، و فى ظ : الموجب (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : اشراط (٦) زيد من ظ و مد (٧) زيد فى الأصل : و هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : على (٩) من مد، وفى الأصل و ظ : الناصر (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ : فى .

عقل إلا خلع قلبه فرجع [١] عن غيه و راجع رشده قد تلى عليهم فلم يتنفعوا به، فكان كأنه قيل: إن هؤلاء لصم [٢] عمى محيط بهم الضلال إحاطة [٣] لايكادون ينفكون عنه [٣] من كل جانب، فلا وصول لأحد إلى إسماعهم و لاتبصيرهم و لاهدايتهم. قال بانيا عليه مسببا عنه تخفيفا على النبي صلى الله عليه و سلم فيما يقاسى من الكرب فى المبالغة فى إبلاغهم ٥ حرصا على إقبالهم و الغم من إعراضهم بهمزة الإنكار الدالة [٤] على نفى ما سيقت له [٥]: ﴿ افانت ﴾ أى وحدك من غير إرادة الله تعالى ﴿تسمع الصم﴾ و قد أصممناهم بما صببنا فى مسامع أفهامهم من رصاص الشقاء ﴿او تهدى العمى ﴾ الذين أعميناهم بما غشينا به أبصار بصائرهم من أغشية البلادة و الخسارة، فصار ما اختاروه لأنفسهم من العشى ١٠ عمى مقرونا بصممهم ﴿و من كان﴾ أى [٦] جبلة و طبعا [٦] ﴿فى ضلل مبين ه ﴾ أى بين [فى - [٧]] نفسه أنه ضال و أنه محيط بالضلال مظهر لكل أحد ذلك، فهو بحيث لايخفى على أحد، فالمعنى: ليس [شيء من - [٧]] ذلك إليك، بل هو إلى الله القادر على كل شيء، [و أما - [٧]] أنت فليس عليك إلا البلاغ [٨] . ١٥

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: و رجع (٢) زيد فى الأصل: بكم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: الدال (٥) سقط من ظ (٦-٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فى جبلته (٧) زيد من ظ و مد (٨) زيد فى الأصل: فقط، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها

و لما كان هذا كالمؤيس منهم ، و كان اليأس من صلاح الخصم موجبا لتمنى الراحة منه بموت أحدهما ، سبب عن التقديرين قوله مبينا أن الإملاء لهم ليس[1] لعجز عنهم و لا لإخلاف فى الوعد ، مؤكدا بالنون و "ما" ثم "انا" و الاسمية لمن يظن خلاف ذلك[1] و لأنه صلى الله عليه و سلم مشرف عنده سبحانه و تعالى معظم[2] لديه فذهابه به مما يستبعد ، و من حقه أن ينكر ، و كذا إراءته ما توعدهم به [لأن -[3]] المظنون[4] إكرامهم لأجله : ﴿فاما نذهبن بك﴾ أى من بين [أظهرهم -[3]] بموت أو غيره ﴿فانا منهم﴾ [أى -[3]] الذين[5] تقدم التعريض بأنهم عم[6] عمى ضلال لأنهم لن تنفعهم مشاعرهم ﴿منتقمون ۝﴾ أى بعد فراقك لأن وجودك بين أظهرهم هو[7] سبب تأخير العذاب عنهم[8] ﴿او نرينك﴾ و أنت بينهم ﴿الذى وعدنهم﴾ أى من العذاب . و عبر فيه بالوعد ليدل على الخير بلفظه و[9] على الشر بأسلوبه / فيعم ﴿فانا﴾ بما نعلم من عظمتنا التى أنت أعلم الخلق بها ﴿عليهم مقتدرون ۝﴾[10] على كلا التقديرين ، و أكد بـ « ان » لأن أفعالهم أفعال من ينكر قدرته ، و كذا بالإتيان

/ ٦٩٧

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : معظما (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : المعلنون (٥) من مد ، و فى الاصل و ظ : الذى (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : صمى . (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل « و » (٨) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ « او » (١٠) زيد فى الاصل و ظ بأى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

بنون العظمة و صيغة الافتعال ، و أحد هذين التقديرين سبق العلم الأزلى بأنه لا يكون ، فالآية من أدلة القدرة على المحال لغيره و هى كثيرة جدا ، و قد أكرم الله نبينا محمدا صلى الله عليه و سلم عن أن يريه[1] شيئا يكرهه [2]فى أمته حتى قبض[2] .

و لما أوقف سبحانه السامع بهاتين[3] الشرطيتين بين الخوف و الرجاء ٥ لبيان الاستبداد بعلم الغيب تغليبا للخوف ، و أفهم السياق و إن كان شرطا أن الانتقام منهم أمر لابد منه ، و أنه لاقدرة لأحد على ضرهم و لانفعهم إلا الله ، سبب عنه قوله : ﴿فاستمسك﴾ أى اطلب و أوجد بجد[4] عظيم على كل حال الإمساك ﴿ بالذى اوحى اليك ج ﴾ من حين نبوتك[5] و إلى الآن فى الانتقام منهم و فى غيره . ١٠

و لما كان المقام لكثرة المخالف محتاجا إلى تأكيد[6] يطيب خواطر الأتباع و يحملهم على حسن الاتباع ، علل ذلك بقوله : ﴿انك على صراط﴾ أى طريق واسع واضح جدا : ﴿ مستقيم ه ﴾ موصل إلى المقصود لايصح أصلا أن يلحقه شىء من عوج ، فاذا فعلت ذلك لم يضرك شىء من نقمتهم[7] . ١٥

و لما أثبت حسنه فى نفسه المقتضى للزومه[8] ، عطف [عليه -[9]] نفعه

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : يريد به (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد .
(٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بهابين (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بحط (٥) من مد ، و فى الأصل : لوتيه ، و فى ظ : نبوته (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تاكيده (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تصميمهم .
(٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : للروحه (٩) زيد من مد .

لهم . و أكد لإنكارهم فقال : ﴿ و انه ﴾ أى الذى أوحى[1] إليك فى الدين و الدنيا ﴿ لذكر ﴾ أى شرف عظيم جدا و موعظة و بيان ، عبر عن الشرف بالذكر للتنبيه على أن سببه الإقبال على الذكر و على ما بينه و شرعه و الاستمساك به و الاعتناء بشأنه : ﴿ لك و لقومك ج ﴾ [2]قريش خصوصا و العرب عموما و سائر من اتبعك و لو كان من غيرهم من جهة نزوله على واحد منهم و بلسانهم ، فكان سائر الناس تبعا [لهم-[3]] و من جهة إيرائه[4] الطريقة الحسنى و العلوم الزاكية الواسعة و تأثيره الظهور على جميع الطوائف و الإمامة لقريش بالخصوص كما قال صلى الله عليه و سلم « لايزال هذا الأمر فى قريش ما بقى فى الناس اثنان ما أقاموا الدين » فمن أقام هذا الدين كان شريفا مذكورا فى ملكوت السماوات و الأرض ، قال ابن الجوزى : و قد روى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم كان إذا سئل : لمن هـذا الأمر ، [4]من بعدك ، لم يخبر بشىء حتى نزلت هذه الآية ، فكان بعد ذلك إذا سئل قال : لقريش - و هذا يدل على أن النبى صلى الله عليه و سلم فهم من هذا أنه يلى على المسلمين بحكم[6] النبوة و شرف القرآن ، و أن قومه يخلفونه من بعده فى الولاية بشرف القرآن الذى أنزل على رجل

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اوحينا (٢) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد من مد (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : اراته (٥) زيد فى الأصل و ظ : قال لقريش ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : حكم .

منهم - انتهى.

و لما كان التقدير: فسوف تشرفون على سائر الملوك و تعلون[1]، عطف عليه قوله: ﴿و سوف تسئلون﴾ أى تصيرون فى سائر أنواع العلم محط رحال / السائلين دينا و دنيا بحيث يسألكم جميع أهل الأرض / ٦٩٨ من أهل الكتاب و من غيرهم عما يهمهم[2] من أمر دينهم و دنياهم لما ٥ يعتقدون من أنه لايوازيكم أحد فى العلم بعد أن كنتم عندهم أحقر الأمم ضعفا و جهلا كما وقع لبنى إسراءيل حيث رفعهم الله، و كان ذلك أبعد الأشياء عند فرعون و آله، و لذلك كانوا يتضاحكون استهزاء بتلك [الآيات -[3]] و ينسبون الآتى بها إلى ما لايليق بمنصبه العالى من المحالات، و تسئلون عن حقه و أداء شكره. و كيف كنتم فى العمل به و الاستجابة ١٠ له، و هذا بوعد صادق لا خلف فيه أصلا.

و لما أبطل سبحانه إلهية غيره التى أدى إليها الجهل، و استمر إلى أن ختم بالعلم الموجب لمعرفة الحق، فكان التقدير [4]إبطالا لشبهتهم[4] الوهمية القائلة "لو شاء الرحمن ما عبدناهم": فاستحضر جميع ما أوحى إليك و تأمله غاية التأمل، هل ترى فيه خفاء فى الإلهية لشىء دون الله، عطف ١٥ عليه قوله نفيا لدليل سمعى كما أشير إليه بقوله "ام اتيناهم كتبا" ﴿و سئل من ارسلنا﴾ أى على ما لنا من العظمة. و لما كان الممكن تعرفه من آثار الرسل إنما هو لموسى و عيسى و من بينهما من أنبياء بنى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تعلون (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: يعمهم (٣) زيد من مد (٤-٤) من مد، و فى الأصل و ظ: ابطال شبهتهم.

إسرائيل عليهم الصلاة و السلام الحافظ لسنتهم من التوراة و الإنجيل و الزبور و سفر الأنبياء، قال مثبتا للجار المفهم لبعض الزمان : ﴿ من قبلك ﴾ .

و لما كان أتباعهم قد [1]غيروا و بدلوا[1] فلم تكن بهم ثقة، عبر بالرسل فقال: ﴿ من رسلنآ ﴾ أى بقراءة [2]أتباعهم لكتبهم[2] التى حرفوا بعضها، و جعلت كتابك مهيمنا عليها[3] فانهم إذا قرأوها بين يديك و عرضوها عليك علمت معانيها و فضحت تحريفهم و بينت اتفاق الكتب كلها برد ما ألبس عليهم من متشابهها[5] إلى محكمها. فالمراد من هذا نحو المراد من آية يونس " فاسئل الذين يقرؤن الكتب من قبلك " و من آية الأنبياء " هذا ذكر من معى و ذكر من قبلى " مع زيادة الإشارة إلى تحريفهم، فالمسئول فى الحقيقة القرآن المعجز على لسان الرسول الذى شهدت له جميع الرسل الذين أخذ عليهم العهد بالإيمان به و المتابعة له، و بهذا التقرير[6] ظهر ضعف قول من قال: إن المراد سؤال الرسل حقيقة لما جمعوا له صلى الله عليه و سلم فى بيت المقدس ليلة الإسراء، فانه ليس المراد من هـذا إلا تبكيت الكفار من العرب و ممن عزهم من اهل الكتاب بقولهم[6] : دينكم خير من دينه و انتم أهدى سبيلا منه، فانهم

(١-١) فى ظ و مد: بدلوا و غيروا (٢) من مد، و فى الاصل و ظ : كتبهم. (٣) من ظ و مد، و فى الاصل : عليهم (٤) من ظ و مد، و فى الاصل : متشابهاتها (٥) من مد، و فى الاصل و ظ : التقدير (٦) من مد. و فى الأصل و ظ : بقولكم.

إذا أحضروا كتبهم علمت دلالتها القطعية على اختصاصه سبحانه بالعبادة كما بينته فى كتابى [هذا - [١]] برد المتشابه[٢] منها إلى المحكم، و جعلها ابن جرير[٣] مثل قوله تعالى "فان تنازعتم فى شيء فردوه الى الله و الرسول ان كنتم تؤمنون بالله و اليوم الأخر" و قال: و معلوم أن معنى ذلك: فردوه إلى كتاب الله و[٤] سنة رسوله[٥] صلى الله عليه و سلم، قال: فاستغنى بذكر الرسل عن ذكر الكتب. و هو عين / ما قلته، و لو كان المراد حقيقه السؤال و سؤال جميع الرسل لقال "قبلك" باسقاط "من" ليستغرق الكل - و الله أعلم. ٦٩٩ /

و لما ذكر المسؤل مفخما له بما اقتضته العبارة من الإرسال و الإضافة إليه، ذكر المسؤل عنه بقوله تعالى: ﴿ اجعلنا ﴾ أى أبحنا و[٦] أمرنا و[٦] رضينا على ما لنا من العظمة [٧]و القدرة التامة[٧]. مما ينافى ذلك، و قرر حقارة ما سواه بقوله: ﴿ من دون ﴾ و زاد بقوله: ﴿ الرحمن ﴾ أى الذى رحمته عمت[٨] جميع الموجودات ﴿ آلهة ﴾ و لما كان قد جعل لكل قوم وجهة يتوجهون فى عبادتهم إلها، و شيئا محسوسا بغلبة الأوهام على الأفهام يشهدونه[٩] و كان ربما تعنت به متعنت، قال محترزا: ﴿ يعبدون [٤] ﴾ [أى -[١٠]] من عابد ما بوجه ما[١١].

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: المابة (٣) راجع جامع البيان ٢٥/ ٤٢ (٤) زيد فى الأصل: اعرضوه على، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و جامع البيان فحذفناها (٥) من ظ و مد و الجامع، و فى الأصل: رسول الله (٦) من ظ و مد، و فى الأصل «او» (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) سقط من مد (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: ايشهدونه (١٠) زيد من مد (١١) من ظ و مد، و فى الاصل: من الوجوه.

و لما كان المترفون مولعين[1] بأن يزدروا من جاءهم بالرد عن اغراضهم الفاسدة بنوع من الازدراء كما قال كفار قريش "لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" و لا يزالون يردون هذا و أمثاله من الضلال حتى يقهرهم ذو الجلال بما أتتهم[2] بـه رسله[3] إما باهلاكهم ٥ أو غيره و إن كانوا فى غاية القوة. أورد سبحانه قصة موسى عليه الصلاة و السلام شاهدة على ذلك بما قال فرعون لموسى عليه الصلاة و السلام من نحو ذلك و من إهلاكه على قوته و إنجاء[4] بنى إسرائيل على ضعفهم، و تسلية للنبى صلى الله عليه و سلم و ترجية.

و لما كان التقدير: فلقد أرسلنا جميع رسلنا و هم أشرف الخلق ١٠ بالتوحيد الذى جئت به، و ما كنا فى إرسالنا إياهم مراعين لما يريده الأمم من جاه أو مال أو غير ذلك. فلا وجه للاتكال عليك فيما أرسلناك به من التوحيد و غيره. و لا لمعاداتك فيه. عطف عليه أول من أرشد[5] إلى سؤال[6] أتباعهم فقال مؤكدا لأجل ما يعاندون به من إنكار الرسالة، و أتى بحرف التوقع لما اقتضاه من الأمر بسؤال الرسل ١٥ عليهم الصلاة و السلام: ﴿ و لقد ارسلنا ﴾ أى بما ظهر من عظمتنا.

و لما كان الإرسال منه سبحانه ليس على حسب العظمة فى الدنيا

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مولعون (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: لم تتهم (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: رسلهم (٤) من ظ و مد، و فى الاصل: انجينا (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: ارسل (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: رسول.

بما يراه أهلها كما قال هؤلاء "لو لا نزل هذا القرآن" - الآية. قال مناقضا لهم: ﴿ موسى ﴾ أى الذى كان فرعون يرى أنه أحق الناس بتعظيمه لأنه رباه وكفله ﴿ بآيتنآ ﴾ أى التى[1] قهر بها عظماء الخلق و جبابرتهم، فدل ذلك على صحة دعواه و على جميع الآيات لتساويها فى[2] القدرة و خرق العادة. و لما كان السياق لسؤال النبى صلى الله عليه و سلم الرسل عن أمر التوحيد، كانت الآيات كافية. فلم يذكر السلطان لأنه للقهر و الغلبة: ﴿ الى فرعون ﴾ أى [3]لأنه طغى و بغى[3] و ادعى أنه هو[4] الرب الأعلى[4] [3]و وافقه الضالون[3]: ﴿ و ملائه ﴾ الذين جعلهم / آلهة دونه و عبدهم[5] قومهم فلم يقرهم على ذلك لأنا ما رضيناه ﴿فقال﴾ / ٧٠٠ بسبب إرسالنا ﴿ا ، رسول﴾ و أكد لأجل إنكارهم ما أنكره قومك من[6] الرسالة. و لما كان الإحسان سببا للاذعان قال: ﴿ رب العلمين ﴾ أى مالكهم [7]و مربيهم و مدبرهم[7].

و لما كانوا قد فعلوا من الرد لرسالته صلى الله عليه و سلم و الاستهزاء بها ما فعلته قريش. قال مسليا للنبى صلى الله عليه و سلم و مهددا لهم تسبيبا عما تقديره: فقالوا له ائت بآية، فأتى بها[3] على ما تقدم غير مرة بما هو كالشمس بيانا و حسنا: ﴿ فلما جآءهم بآيتنا ﴾ بالإتيان بآيتى

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: من (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) سقط من ظ (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: عهدهم (٦) من مد، و فى الاصل و ظ: فى (٧-٧) فى مد: مدبرهم و مربيهم.

اليد[١] و العصى اللتين شهدوا فيهما عظمتنا[٢] و دلناهم على[٣] قدرتنا على جميع الآيات ﴿ اذا هم ﴾ أى بأجمعهم [٤]استهزاء برسولنا، و طال ما يضحك عليهم هو و من آمن برسالته و بما جاء به عنا يوم الحسرة و الندامة[٤] ﴿ منها[٥] يضحكون ﴾ أى فاجأوا المجىء بها من غير توقف [و لا كسل -[٦]] بالضحك سخرية و استهزاء .

و لما كان ربما ظن ظان أن فى الآيات ما يقبل شيئا من ذلك، بين حالها[٧] سبحانه بقوله : ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنا ما ﴿ نريهم ﴾ على ما لنا من الجلال و العلو و الكمال، [و -[٨]] أعرق فى النفى باثبات الجار و أداة الحصر لأجل من قد يتوهم أنهم معذورون فى ضحكهم فقال : ﴿ من اية الا هى اكبر ﴾ أى فى الرتبة ﴿ من اختها ﴾ أى [التى -[٦]] تقدمت عليها بالنسبة إلى علم الناظرين لها لأن الآدمى لما له من النسيان إذا أتاه الثانى من المتساويين رأى جميع [٩]من أتاه[٩] ناسيا و لا بعض[١٠] [٩]من أتى[٩] الأول فيقطع[١١] بأنه أكبر منه، أو أن هذا كناية عن أنها كلها فى نهاية العظمة كما قال شاعرهم : « من تلق منهم

(١) من ظ و مد، و فى الأصل : اليدى (٢) زيد فى الأصل : و قدرتنا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : عظمتنا و، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد. (٥) ليس فى الأصل فقط (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : حاله (٨) زيد من ظ و مد (٩ - ٩) من مد، و فى الأصل و ظ : مزاياه (١٠) فى مد : لابد بعض (١١) من مد، و فى الأصل و ظ : فيقع .

تقل

تقل لاقيت سيدهم، أو[1] أن بينها[2] فى الكبر عموما و خصوصا من وجه، و أحسن من ذلك ما اشار إليه ابن جرير[3] من أن كل آية أوضح فى الحجة عليهم و أوكد مما قبلها، لأنها دلت على ما دلت عليه و زادت[4] ما أفادته المعاضدة [5]من الضخامة فصارت[5] هى مع ما قبلها أكبر مما قبلها عند ورودها و إقامة الحجة بها. ٥

و لما كان التقدير: فاستمروا على كفرهم و لم يرجعوا لشىء من الآيات لأنا أصممناهم و أعميناهم و أحطنا بهم الضلال [6]لعلمنا بحالهم[6]، عطف عليه قوله: ﴿و اخذنٰهم﴾ أى أخذ قهر و غلبة ﴿بالعذاب﴾ أى كله لأنا واترنا عليهم ضرباته على وجه معلم بأنا قادرون على ما نريد منه فأرسلنا عليهم [الطوفان و -[7]] الجراد و القمل و الضفادع ١٠ والدم[6] "[1]ايٰت مفصلٰت[6]" و القطع: البرد الكبار الذى لم يعهد مثله ملتهبا بالنار، و موت الأبكار، فكانت آيات على صدق موسى عليه الصلاة و السلام بما لها من الإعجاز، و عذابا لهم فى الدنيا موصولا بعذاب الآخرة، فيا لها من قدرة باهرة و حكمة ظاهرة ﴿لعلهم يرجعون﴾ أى ليكون حالهم عند ناظرهم الجاهل بالعواقب حال من يرجى رجوعه. ١٥

و لما كان فرعون فى كثير من الضربات التى كان يضربه بها

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: «و» (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: يليها (٣) راجع جامع البيان ٢٥/الآية المتعلقة (٤) زيد فى الأصل و ظ: على، ولم تكن الزيادة فى مد ولا فى الجامع فحذفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) زيد من مد.

/ ٧٠١ سبحانه - كما مضى فى الأعراف عن التوراة - / يقول لموسى عليه الصلاة و السلام : قد أخطأت و الرب بار و أنا و شعبى فجار، فصلينا بين يدى الرب فانه ذو إمهال و أناة . فيصرف عنى كذا ، فاذا صرف الله ذلك عنهم عاد على ما كان عليه من الفجور ، كان فعله ذلك فعل من لا يعتقد أنه موسى عليه الصلاة و السلام نبى حقيقة ، بل يعتقد أنه ساحر ، و أن أفعاله إنما هى خيال . فكذلك عبر عن هذا المعنى بقوله عطفا على [1] ما تقديره [1] : فلم يرجعوا : ﴿ و قالوا ﴾ أى فرعون بالمباشرة و أتباعه بالموافقة له : ﴿ يا أيها الساحر ﴾ فنادوه بأداة البعد مع الإفهام بقالوا دون " نادوا " أنه حاضر إشارة إلى بعده من قلوبهم ، و التعبير بهذا توبيخ لقريش بالإشارة إلى أنهم و غيرهم ممن مضى يرمون الرسول بالسحر و يقرون برسالته عند الحاجة إلى دعائه فى كشف ما عذبهم ربهم به ، و ذلك قادح فيما يدعون من الثبات و الشجاعة و العقل و الإنصاف و الشهامة ، و ذلك كما وقع لقريش لما قال النبى صلى الله عليه و سلم « اللهم عنى عليهم بسنين كسنى يوسف » فقحطوا ، فلما اشتد عليهم البلاء أتى أبو سفيان بن حرب إلى النبى صلى الله عليه و سلم بالمدينة الشريفة فقال : يا محمد ! إنك قد جئت بصلة الأرحام و إن قومك قد هلكوا فادع الله لهم ، فدعا لهم فأغيثوا ، فلا شك أن ترجمة [2] حالهم هذا الذى ذكره الله من التناقض الذى لا يرضاه لنفسه عاقل ، و هو وصفه بالسحر

(١-١) من مد ، و فى الأصل و ظ : تقدير (٢) زيد فى الأصل و ظ : لهم ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

و طلب الدعاء منه يمنع اعتقاد أنه ساحر ، و اعتقاد أنه ساحر يمنع طلب الدعاء منه عند العاقل ﴿ ادع لنا ربك ﴾ أى المحسن إليك بما يفعل معك من هذه الأفعال[1] التى نهيتنا بها إكراما لك ﴿ بما ﴾ أى بسبب ما ﴿ عهد عندك ج ﴾ من أنه يفعل من وضعها و رفعها على ما تريد[2] على ما أخبرتنا أنه إن آمنا[3] أكرمنا ، و إن تمادينا أهاننا ، ثم عللوا ذلك ٥ بقولهم مؤكدا تقريبا لحالهم البعيدة من الاعتداء بما يخبر به شاهد الوجود : ﴿ انا لمهتدون ه ﴾ أى اهتداء ثابتا يصير لنا وصفا لازما عند كشف ذلك عنا .

و لما كان العاقل لايخبر عن نفسه إلا بما هو صحيح ، فكيف إذا كان عظيما بين قومه فكيف إذا أكد ذلك بأنواع من التأكيد ، فكان ١٠ السامع لهذا الكلام يقطع بصدقه ، بين تعالى ما يصحح أن حالهم حال من يعتقد أنه ساحر بأنهم أسرعوا الخيانة بالكذب فيه من غير استحياء و لاخوف ، فقال معبرا بالفاء دلالة على ذلك : ﴿ فلما كشفنا ﴾ على ما لنا من العظمة التى ترهب الجبال ﴿ عنهم العذاب ﴾ [أى - [4]] الذى أنزلناه بهم ﴿ اذا هم ينكثون ه ﴾ أى فاجأوا الكشف بتجديد ١٥ النكث باخلاف بعد إخلاف ﴿ و نادى فرعون ﴾ أى زيادة على نكثه ﴿ فى قومه ﴾ أى الذين لهم غاية القيام معه ، و أمر كلا منهم أن يشيع قوله إشاعة تعم البعيد كما تشمل[5] القريب فتكون كأنها مناداة إعلاما

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لاسال (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يزيد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : انا (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : شمل .

/٧٠٢ بأنه مستمر على الكفر لئلا يظن بعضهم أنه رجع . و لما كان / كأنه قيل : [١]لم نادى[١] ؟ أجاب بقوله : ﴿ قال ﴾ أى خوفا من إيمان القبط لما رأى من [أن -[٢]] ما شاهدوا من باهر الآيات[٣] مثله يزلزل و يأخذ بالقلوب : ﴿ يقوم ﴾ [٤]مستعطفا لهم باعلامهم بأنهم لحمة[٥] واحدة ، و مستنهضا بوصفهم بأنهم ذوو[٦] قوة على مايحاولونه ، مقررا لهم على عذره فى نكثه[٧] بقوله : ﴿ اليس لى ﴾ أى وحدى[٨] ﴿ ملك مصر ﴾ أى كله ، فلا اعتراض على بنى إسراءيل و لا غيرهم ، لينتج له[٩] ذلك على زعمه أن غلبته على بنى إسراءيل و مقاهرته على إخراجهم[١٠] من تحت يده بغى على من له الملك فتكون فسادا فلا بأس عليه إذا خدع من فعل به ذلك بما عاهده عليه عند مس الضر ، و لم يقرأ بالصرف ليكون نصا على مراده من العلمية ، و لأن المصر يطلق على المدينة الواحدة ، و التنوين يأتى للتحقير و هو ضد مراده .

و لما كان قد حصل له مما رأى من الآيات و ورد عليه من تلك الضربات بأنواع المثلات ما أدهشه[١١] بحيث صار فى عداد من

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثم مادا (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل و ظ : مما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لحة (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : ذو (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : نلمه (٨) من ظ و مد ، و فى الاصل : وحده (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : لهم (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : اختراجهم (١١) من ظ و مد . و فى الأصل : اهشه .

يشك أتباعه فى ملكه، دل عليه بما بناه من الحال: ﴿ و هذه ﴾ أى و الحال أن هذه ﴿ الانهر ﴾ و كأنه كان قد أكثر من تشقيق الخلجان إلى بساتينه [و قصوره، و نحو ذلك من أموره فقال -[1]] : ﴿تجرى من تحتى ج﴾ [2]أى من أى موضع أردته بما لايقدر عليه غيرى، و زاد فى التقرير[2] بقوله: ﴿افلا تبصرون ۝﴾[3] أى الذى ذكرته لكم فتعلموا ببصائر قلوبكم أنه لاينبغى ٥ لأحد أن ينازعنى، و هذا لعمرى قول من ضعفت قواه و انحلت عراه.

و لما أرشد السياق إلى أن التقدير: أفهذا الذى جاء يسلبنا عبيدنا بنى إسرائيل خير [4]عندكم منى[4]؟ نسق عليه قوله: ﴿ ام انا خير ﴾ مع ما وصفت لكم من ضخامتى و ما لى من القدرة على إجراء المياه التى بها حياة كل شىء، و نقل ابن الجوزى و غيره من المفسرين عن سيبويه ١٠ و أستاذه الخليل أنها[5] معادلة لتقريرهم بالإبصار، فكأنه قال[6]: أفلا تبصرون ما ذكرتكم به فترون لعدم إبصاركم أنه خير منى ام أنا خير منه لأنكم لاتبصرون، و كان هو أحق بهذه النصيحة منهم فانه أراهم الطريق الواضحة إلى الضلال الموصلة إليه من غير مشقة و لاتعب بقوله: أفلا تبصرون[7] [أم أنتم بصراء، فيكون ذلك احتباكا تقديره: أفلا تبصرون -[1]] ما ١٥

(١) زيد من مد (٢ - ٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط قبل « تجرى من تحتى » (٣) زيد فى الأصل: « وغفل هو عن غير القدرة و غره الميس وغشا على قلبه و بصره و ختم على سمعه و بصره و جعل على قلبه غشاوة، فمن يهديه إلى أخ و أما قوله «أفلا تبصرون»، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤-٤) فى مد: منى عندكم (٥) من ظ ومد، و فى الأصل: انها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: قاله (٧) العبارة من هنا فى مد و من « وكان هو أحق » فى ظ ساقطة إلى « ولا تعب بقوله ».

نبهتكم عليه، فذكر الإبصار[1] أولا دليلا على حذف مثلها ثانيا و الخيرية ثانيا دليلا على خذف مثلها أولا ، و حقر من عظمة الآتى له بتلك الآيات صلى الله عليه و سلم لئلا يسرع الناس إلى اتباعه لأن آياته - لكونها من عند الله - كالشمس بهجة و علوا و شهرة فقال: ﴿من هذا﴾ فكنى باشارة القريب عن تحقيره، ثم وصفه بما يبين[2] مراده فقال: ﴿الذى هو مهين ۝﴾ أى ضعيف حقير قليل ذليل، لأنه يتعاطى أموره بنفسه، و ليس له ملك و لاقوة يجرى [بها -[3]] نهرا و لاينفذ بها أمرا ﴿و لايكاد يبين ۝﴾ أى لايقرب من أن يعرب[4] عن معنى من المعانى لما فى لسانه من الحبسة[5] فلا هو قادر فى نفسه و لا له قوة بلسانه على تصريف المعانى و تنويع البيان يستجلب[6] القلوب و يدهش الألباب فيكثر أتباعه و يضخم أمره، و قد كذب فى جميع قوله، فقد كان موسى عليه الصلاة و السلام أبلغ أهل زمانه قولا و فعلا بتقدير الله الذى أرسله [له -[3]] و أمره إياه و لكن الخبيث أسند[7] هذا إلى ما بقى فى لسانه من الحبسة[5] تخييلا لأتباعه لأن موسى عليه الصلاة و السلام ما دعا بازالة جميع حبسته[8] بل بعقدة منها .

و لما كان عند فرعون و عند من كان مثله مطموس البصيرة فاقد

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الابصل (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : بين (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يقرب (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : الحلسة (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : ليستخلب . (٧) سقط من مد (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : حلسته .

الفهم وقوفا مع الوهم[1] أن القرب من الملوك و الغلبة على الأمور لا تكون إلا بكثرة الأعراض الدنيوية ، و التحلى بحلى[2] الملوك ، سبب عن ادعائه لرسالته عن ملك الملوك اللازمة للقرب منه قوله : ﴿ فلولآ ﴾ و لما كانت الكرامات و الحبى[3] و الخلع تلقى على المكرم بها إلقاء ، عبر به فقال : ﴿ القى ﴾ أى من أىّ ملق كان ﴿عليه﴾ من عند مرسله الذى يدعى أنه الملك[4] بالحقيقة ﴿اسورة﴾ جمع أسورة - قاله الزجاج ، و صرف لصيرورته على وزن المفرد نحو علانية و كراهية ، و السوار : ما يوضع فى المعصم من الحلية ﴿ من ذهب ﴾ ليكون ذلك أمارة على صدق صحة دعواه كما نفعل نحن عند إنعامنا على أحد من عبيدنا بالإرسال إلى ناحية من النواحى لهم من المهمات ﴿ او جآء معه ﴾ أى صحبته [5]عند ما[5] أتى إلينا بهذا النبأ الجسيم و الملم العظيم ﴿ الملٓئكة ﴾ أى هذا النوع ، و أشار إلى كثرتهم بما بين[6] من الحال بقوله : ﴿ مقترنين ﴾ أى يقارن بعضهم بعضا بحيث يملأون الفضاء[7] و يكونون[8] فى غاية القرب منه بحيث يكون مقارنا لهم ليجاب[9] إلى هذا الأمر الذى جاء يطلبه كما نفعل نحن

(١ - ١) من ظ و مد ، و فى الأصل : العريم و قد قامع الفهم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : على (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : الحلى (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : ملك (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : عندنا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تبين (٧) زيد فى الأصل : غفل بل عمى انهم معه معنى و حسا باطنيا لا ظاهريا و لو تنبه رأى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : يكون (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليجتاب .

إذا أرسلنا رسولا إلى أمر يحتاج إلى دفاع و خصام و نزاع ، فكان حاصل أمره كما ترى أنه تعزز[1] باجراء المياه ، فأهلكه الله بها إيماء إلى أن من تعزز[2] بشيء دون الله أهلكه الله به ، و استصغر موسى عليه الصلاة و السلام و عابه بالفقر[3] و الغى فسلطه عليه إشارة إلى أنه ما استصغر أحد شيئا إلا غلبه ـ أفاده القشيرى .

و لما كان كلامه هذا واضحا له عند من تأمل لا رافعا[4] ، و كان قد مشى على أتباعه لأنهم مع المظنة دون المنة ، فهم أذل شيء لمن ثبتت له رئاسته دنيوية و إن صار ترابا ، و أعصى شيء على من لم تفقه[6] له الناس و إن فعل الأفاعيل العظام ، تشوف السامع / إلى ما يتأثر عنه ٧٠٤ / فقال : ﴿ فاستخف ﴾ أى بسبب هذه الخدع[7] التى سحرهم بها فى هذا الكلام الذى هو فى الحقيقة محقر له موهن لأمره قاصم لملكه عند من له لب ﴿ قومه ﴾ الذين لهم قوة عظيمة ، فحملهم بغروره على ما كانوا مهيئين له فى خفة الحلم ﴿ فاطاعوه[5] ﴾ بأن أقروا بملكه و أذعنوا لضخامته و اعترفوا بربوبيته و ردوا أمر موسى عليه الصلاة و السلام .

و لما كان كلامه كما مضى أعظم موهن لأمره و هو منقوض

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : يغر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تغرر (٣-٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : لما به بالفقر الحسى ، « والحسى » ساقطة من ظ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : رابعا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثنى (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : لم يبعد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : الخداع .

على تقدير متانته بأن موسى صلى الله على نبينا و عليه و سلم أتى بما يغنى عما قاله من الأساورة و ظهور الملائكة بأنه مهما هددهم فعله و مهما طلبوه منه أجابهم إليه، فلم يكن للقبط داع إلى طاعة فرعون بعد ما رأوا من الآيات إلا المشاكلة فى خباثة الأرواح، علل ذلك سبحانه بقوله مؤكدا لما يناسب أحوالهم فيرتضى أفعالهم و هم الأكثر[1]: ﴿انهم كانوا﴾ ٥ أى بما فى جبلاتهم من الشر[2] و النفاق لأنهم كانوا ﴿ قوما ﴾ أى عندهم[3] قوة شكائم توجب لهم الشماخة إلا عند من يقهرهم بما يألفون من أسباب الدنيا[4] ﴿ فسقين ٥ ﴾ أى عريقين فى الخروج عن طاعة الله إلى معصية، قد صار لهم ذلك خلقا ثانيا، و كأن مدة محاولة الكليم عليه الصلاة و السلام لهم كانت قريبة، فلذلك عبر بالفاء فى قوله: ١٠ ﴿ فلما آسفونا ﴾ أى فعلوا معنا ما يغضب إغضابا شديدا باغضاب أوليائنا كما فى الحديث القدسى[5] «مرضت فلم تعدنى» لنكثهم[6] مرة بعد مرة و كرة فى إثر كرة ﴿ انتقمنا منهم ﴾ أى أوقعنا بهم على وجه المكافأة لما[7] فعلوا [8]برسولنا عليه السلام[8] عقوبة عظيمة منكرة مكروهة

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: اكثر (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: خباثة الشرك (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: غير (٤) زيد فى الأصل: و المشهور عنهم عما نسوا إليه من الكفر، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل و ظ: عن الله سبحانه و تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لياهم (٧) من و مد، و فى الأصل و ظ: بما (٨ - ٨) من ظ و مد، و فى الأصل: مع رسول الله صلى الله عليه و سلم.

كأنها بعلاج ﴿فاغرقنهم﴾ [١]في اليم[١] ﴿اجمعين لا﴾ إهلاك نفس واحدة لم يفلت[٢] منهم أحد على كثرتهم و قوتهم و شدتهم، و هذا لا يكون [في -[٣]] العادة إلا بعد علاج كثير أو اعتناء كبير .

و لما كان إهلاكهم بسبب إغضابهم لله[٤] و بالكبر [٥]على رسله[٥]، كانوا سببا لأن يتعظ بحالهم من يأتي بعدهم فلذلك قال تعالى : ﴿فجعلنهم﴾ أي بأخذنا لهم على هذه الصورة من الإغراق و غيره مما تقدمه ﴿سلفا﴾ متقدما لكل من يهلك بعدهم إهلاك غضب [٧]في الهلاك[٧] في الدنيا و العذاب في الآخرة و قدوة لمن يريد العلو في الأرض فتكون عاقبته [٧]في الهلاك[٧] في الدارين أو إحداهما[٨] عاقبتهم كما قال سبحانه عز من قائل و تبارك و تعالى " وجعلنهم [٩]ائمة يدعون الى النار" : ﴿و مثلا﴾ أي حديثا عجيبا سائرا [٩]مسير المثل[٩] ﴿للاخرين[٦]﴾ الذين خلفوا بعدهم من زمنهم إلى آخر الدهر فيكون حالهم عظة لناس و إضلالا لآخرين، /فمن قضى[١٠] أن يكون على[١١] مثل حالهم عمل[١٢] مثل أعمالهم، و من أراد /٧٠٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من مد، و في الأصل و ظ : لم يغلب (٣) زيد من مد (٤) زيد في الأصل : ولرسوله عليه الصلاة والسلام، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و مد، و في الأصل : الذي قد اظهروه عليه عليه الصلاة و السلام (٦-٦) من ظ و مد، و في الاصل : بالهلاك (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) من مد، و في الأصل و ظ : احدهما (٩-٩) من مد، و في الأصل و ظ : مشيرا بالمثل (١٠) من ظ و مد، و في الأصل : رضي (١١) من ظ و مد، و في الأصل : حاله (١٢) من ظ و مد، و في الاصل : فليعمل .

النجاة مما نالهم تجنب أفعالهم، فمن أريد به الخير وفق لمثل خير رده عن غيه، و من أريد به الشر اقتدى بهم فى الشر، و جعل له منهم مثلا[١] يجترئ به على شره، و يقوى على خبثه و مكره، فيجعل الشرير ما أوتوه من الدنيا من النعمة و[٢] الحبرة و الرفاهية[٢] و النصرة مثلا له فى التوصل إليه مما كانوا عليه من الظلم، و يجعل الخير[٣] إهلاكهم[٤] مثلا له[٥] فيبعد عن[٦] أفعالهم ٥ لينجو من مثل نكالهم، يقول أحدهم: أخذ الفلانيون أخذ آل فرعون، أى لم يفلت منهم إنسان و نحو ذلك من أمثالهم فى جميع أحوالهم، و نقول نحن: إنا نهلك من ظلم[٧] و تمادى فى ظلمه بعد تحذيرنا له و غشم و إن عظم آله و أتباعه، و ظن عزه و امتناعه، كدأب آل فرعون، و يقول من أريد به الشر: ليس على ظهرها أحد يبقى إن خاف العواقب ١٠ فأحجم عن شهواته و انهمك فى رياض أهويته و إرادته و شهى طيباته و كذا ذاته كما وقع لفرعون فانه لم يرجع لشىء[٨] عن رئاسته، و بلوغ النهاية من صلفه و نفاسته إلى، أن ذهب به كما ذهب بغيره سواء سار بسيره أو بغير سيره، ولقد ضل به قوم و أضلوا، و حلوا لمن داناهم

(١) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: الرفاهية و الحبرة (٣) زيد فى الأصل: مثلا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: اهلا (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: فى التوصل إليه بما كانوا عليه من الظلم (٦) زيد فى الأصل: احوالهم و، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الظلم (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: بشىء.

عرى الدين فزلوا ، و ما كفاهم ذلك حتى ادعوا أنه من أعز المقربين لأن الذى كان آخر كلامه الإيمان ، فجب ما كان قبله و لم يتدنس بعده ، فمات طاهرا مطهرا ليس فيه شيء من الدنس مع أن ذلك ما كان إلا عند اليأس حيث لانفع فيه ، و غروا الضعفاء بأن[1] قالوا : [إنه -[2]]
٥ لاصريح فى القرآن بعذابه بعد الموت تعمية عن الدليل القطعى المنتظم من قوله ، تعالى " و ان فرعون لعال فى الارض و انه لمن المسرفين " " و ان المسرفين هم اصحب النار " المنتج من غير شك أن فرعون من أصحاب النار ، و قوله تعالى " فاخذنه و جنوده فنبذنهم فى اليم فانظر كيف كان عاقبة الظلمين " " و جعلنهم ائمة يدعون إلى النار و يوم
١٠ القيمة لاينصرون " و اتبعنهم فى هذه الدنيا لعنة و يوم القيمة هم من المقبوحين" و قوله تعالى " كذبت قبلهم قوم نوح و عاد و فرعون ذو الاوتاد " إلى أن قال " ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب " ، إلى غير ذلك من محكم الآيات و صريح الدلالات البينات ، و كذا غير فرعون و قومه من الصالحين و الطالحين جعلهم سبحانه سلفا و مثلا للآخرين ،
١٥ فمن أراد به خيرا يسر له مثل خير احتذى به ، و من أراد به شرا أضله
٧٠٦/ بمثل سوء اقتدى به ، فقد جعل الله عيسى عليه الصلاة و السلام / مثلا لتمام قدرته على اختراع الأشياء بأسباب و بغير أسباب ، و كان أعبد أهل زمانه و أعلمهم و أزهدهم و أقربهم إلى الخير و أبعدهم عن الشر[3] ، فاقتدى

(١) من ظ و مد ، و فى الاصل : بانهم (٢) زيد من ظ و مد (٣) فى مد : شر .

به من أراد الله به الخير فى مثل ذلك فاهتدى به ، و ضل به آخرون و ضربوا به لأنفسهم أمثال الآلهة ، و صاروا يفرحون بما لا يرضاه عاقل و لا يراه ، و ضربه قومك مثلا لآلهتهم لما أخبرنا أنهم معهم حصب جهنم و سروا[1] بذلك و طربوا[2] و ظنوا أنهم فازوا و غلبوا : ﴿ و لما ضرب ابن مريم ﴾ أى [3]ضربه ضارب منهم[3] ﴿مثلا﴾ لآلهتهم ٥ ﴿اذا قومك﴾ أى الذين أعطيناهم قدرة على القيام بما يحاولونه ﴿ منه ﴾ أى ذلك المثل ﴿ يصدون ٥ ﴾ أى يضجون[4] و يعلون أصواتهم سرورا بأنهم ظفروا على زعمهم بتناقض ، فيعرضون[5] به عن إجابة دعائك ، يقال : [صد -[6]] عنه صدودا : أعرض ، و صد يصد [و يصد -[6]] : ضج[7] - قاله فى القاموس ، فلذلك قال ابن الجوزى : معناهما جميعا - أى قراءة ضم ١٠ الصاد و قراءة كسرها - يضجون ، و يجوز أن يكون معنى المضمومة : يعرضون ، قال ابن برجان : و الكسر أعلى القراءتين - انتهى . و ذلك أن قريشا قالوا كما مضى فى الأنبياء "انا و ما نعبد فى جهنم" مقتض أن يكون [عيسى -[8]] كذلك ، و أن نستوى نحن وآلهتنا به ، فانه مما عبد و نحن راضون بمساواته لنا[9] - إلى آخر ما قالوا ١٥

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : سربوا (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : ضربوا (٣-٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ضربة صارت (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : يصيحون (٥) فى مد : فيغرضوا (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : صيح (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بنا .

و ما رد عليهم سبحانه به من الآية[1] من العام الذى أريد به الخصوص كما هو مقتضى [2]كلامهم و[2]لسانهم فى أن الأصل فى «ما» لما [لا -[2]] يعقل، [و-[3]] ذلك هو المراد من قوله تعالى حاكيا عنهم: ﴿و قالو آءالهتنا﴾ التى نعبدها من الأصنام و الملائكة ﴿خير[4] ام هو[4]﴾ اى عيسى فنحن ٥ راضون [5]بأن نكون معه[5] .

و لما اشتد التشوف إلى جوابهم، و كان قد تقدم الجواب عنه فى الأنبياء، قدم عليه هنا أن مرادهم بـذلك إنما هو المماحكة و المماحلة و المراوغة و المقاتلة فقال تعالى: ﴿ما ضربوه﴾ أى ما ضرب الكفار: [6]ابن الزبعرى[6] حقيقة و غيره من قومك مجازا، المثل لآلهتهم بعيسى عليه ١٠ الصلاة و السلام ﴿لك الا جدلا[4]﴾ أى لإرادة أن يقتلوك عن دعوتك مغالطة و هم عالمون بأن ما ألزموك به غير لازم و لم يعتقدوا لزومه قط لأن الكلام ما كان إلا فى أصنامهم، و لأن الخصوص فى كلامهم شائع، و لأنه قد عقب بما يبين الخصوص و يزيل اللبس على تقدير تسليمه، فلم يقتدوا قط بما ألزموا به أنه لازم ﴿بل[7] هم قوم﴾ أى ١٥ أصحاب قوة على القيام بما يحاولونه ﴿خصمون*﴾ أى شديدوا الخصام قادرون على اللدد[8]، روى الإمام أحمد[9] و الترمذى[10] و ابن ماجه[11] عن

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ادية - كذا (٢-٢) سقط مابين الرقمين من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) تكرر فى الأصل فقط بعد «ا آلهتنا». (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: ان يكون معنا (٦ - ٦) من ظ و مد، و فى الأصل: من الزبعرى (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اللدود (٩) راجع المسند ٥ / ٢٥٢ (١٠) راجع تفسير هذه الآية فى جامعه (١١) راجع مقدمة السنن .

أبي أمامة رضى الله عهم ، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل ، ثم قرأ الآية .

و لما تضمن هذا أنه غير مهان ، صرح به على وجه الحصر قصر قلب لمن[1] / يدعى أنه مقصور على الإلهية فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هو ﴾ / ٧٠٧ أى عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ الا عبد ﴾ و ليس هو بالٰه[2] ٥ ﴿ انعمنا ﴾ أى بما لنا من العظمة [3]و الإحسان[3] ﴿ عليه ﴾ أى بالنبوة و الإقدار على الخوارق ﴿ و جعلنٰه ﴾ بما[4] خرقنا به العادة فى ميلاده و غير ذلك من آياته ﴿ مثلا ﴾ أى أمرا عجيبا مع وضوحه و جلائه فيه[5] خفاء و موضع شبهة بأن جعلناه من أنثى فقط بلا واسطة ذكر ليضل بذلك من يقف مع المحسوسات ، و دللنا على الحق فيه بما منحنا[6] به من ١٠ الخوارق و زكاء[7] الأخلاق و طيب الشيم و الإعراق إسعادا لمن أعليناه بنور قلبه و صفاء لبه إلى إحسان النظر فى المعانى ﴿ لبنىٓ اسرآءيل ﴾ الذين هم أعلم الناس به ، بعضهم بالمشاهدة و بعضهم بالنقل القريب ، فلما جاءهم على تلك الحالة الجلية[8] فى كونها حقا بما كان على يديه و يدى أمه من الكرامات ، آمن به من بصره الله منهم بالحق من أمره بما كان فيه ١٥

(١) زيد فى الأصل : يرجوانه مقصور لمن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد فى الأصل وظ : ما هو الا عبد ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى.
(٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : نفسه (٦) من ظ ومد ، وفى الأصل : امتحننا.
(٧) من ظ ومد ، وفى الاصل : ذكاء (٨) من مد، وفى الأصل وظ : الجليلة.

من الكرامات ، و كان كلما رأى رجلا منهم على منهاجه فى أعماله و كرامته اهتدى إلى الحق من أمره ، و قال : هذا مثله مثل عيسى عليه الصلاة و السلام [1]فانتفع بالنبى[1] و من تبعه باحسان ، فنال من الله الرضوان ، و قال أيضا هذا الموفق مستبصرا فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام :
٥ مثله فى ذلك مثل أبيه آدم عليه الصلاة و السلام فى إخراجه من أنثى بلا ذكر ، بل آدم عليه الصلاة و السلام أعجب ، و مثل ابن خالته يحيى وجده إسحاق عليهما الصلاة و السلام فى إخراج كل منهما بسبب هو فى غاية الضعف ، هذه أمثاله الحسنة و قال من أراد [الله - [2]] به الضلال منهم غير ذلك من المحال ، فلما جعلوا له أمثال السوء ضرب الله عليهم
١٠ الذلة و المسكنة ، و قال ابن برجان : خصهم - أى بنى إسرائيل - بالذكر لأنهم المفتونون بالدجال المسارعون إليه ، ثم قال : و إنما المثل فى ذلك متى جاء الدجال بتلك الآيات يدعو إلى نفسه فيعارض ما يأتى به عيسى عليه الصلاة و السلام من إحياء الموتى و تأييده بروح القدس ، أى فيضل عن الأمر الواضح من أراد الله فتنته - انتهى ، و الأحسن أن يكون
١٥ معنى كونه مثلا أنه جعل أمره واضحا[3] جدا بحيث أنه يمثل به فيكون موضحا لغيره ، و لا يحتاج هو إلى مثل يوضحه عند من له أدنى بصيرة .

و لما كان التقدير : فلو شئنا لجعلنا الناس كلهم من أنثى بلا ذكر ، و لو شئنا لساوينا كم بهم فى ذلك الذى ضربناه عليهم من الذل عند ما

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فما ينتفع بالمتهى (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : واحدا .

جعلوا له مثل السوء فزدنا ما أنتم [فيه - [1]] من الذل و الحقارة عند سائر الأمم بأن سلطناهم عليكم حتى استباحوكم ، ولو شئنا لمحوناكم أجمعين عن وجه الأرض فتركناها[2] بياما؟ لا أنيس بها ، عطف عليه قوله : ﴿ ولو ﴾ معبرا بصيغة المضارع إشارة إلى دوام قدرته على تجديد الإبداع فقال : ﴿ نشآء لجعلنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ما / هو أغرب مما صنعناه ٥ /٧٠٨ فى أمر عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ منكم ﴾ أى جعلا مبتدئا منكم ، إما بالتوليد كما جعلنا عيسى عليه الصلاة و السلام من أنثى من غير ذكر و جعلنا آدم عليه الصلاة و السلام من تراب من غير أنثى و لاذكر و إما بالبدلية ﴿ ملآئكة فى الارض يخلفون ﴾ أى يكونون خلفا لكم شيئا بعد شىء بعد إعدامكم فجعلناهم مثلا لكم كما جعلنا عيسى عليه الصلاة ١٠ و السلام مثلا لبنى إسراءيل ، و يجوز أن يكون المعنى : لجعلنا[3] بعضكم ملائكة بأن نحول خلقتهم[4] فنجعلهم خلفا لمن تحولوا[5] عنهم و نخالف[6] بعضهم بعضا ، فانهم من جملة عبادنا أجسام تقبل التوليد كما تقبل الإبداع ، و على كلا التقديرين فذلك إشارة إلى أن الملائكة ذوات ممكنة من جملة عبيده سبحانه ، يصرفهم فى مراده إن شاء فى السماء ، و إن شاء فى الأرض ، ١٥ لا شىء منكم إلا و هو بعيد جدا عن رتبة الإلهية إرشادا لهم إلى الاعتقاد[7]

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : فنزلناها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لجعلنا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : خلقتهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تحلوا (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : نخلفه (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعتقاد .

الحق فى أمره سبحانه بشمول قدرته و كمال علمه اللازم منه أنه لا إله إلا هو .

و لما ذكر سبحانه الإعدام و الخلافة بسببه فرضا ، ذكر أن إنزاله إلى الأرض آخر الزمان أمارة على إعدام الناس تحقيقا ، فقال مؤكدا ٥ لأجل إنكارهم : ﴿و انه﴾ أى عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿لعلم للساعة﴾ أى نزوله سبب للعلم بقرب الساعة التى هى إعدام الخلائق كلهم بالموت ، و كذا ما نقل عنه من أنه كان يحيي و كذا إبراؤه الأسقام سبب عظيم للقطع بالساعة[1] التى هى القيامة ، فهو سبب للعلم بالأمرين : عموم الإعدام و عموم القيام .

١٠ و لما كان قريش يستنصحون اليهود يسألونهم - لكونهم أهل الكتاب - عن أمر النبي صلى الله عليه و سلم ، و كان النصارى مثلهم فى ذلك ، و كان كون عيسى عليه الصلاة و السلام من أعلام الساعة أمرا مقطوعا به عند الفريقين ، أما النصارى فيقولون : إنه [2]الذى أتى[2] إليهم و رفع إلى السماء كما هو عندنا ، و أما اليهود فيقولون : إنه إلى ١٥ الآن لم يأت ، و يأتى بعد ، فثبت بهذا أمر عيسى عليه الصلاة و السلام فيما أخبر الله تعالى عنه من إنعامه عليه ، و من أنه من أعلام الساعة بشهادة الفرق الثلاثة اليهود و النصارى و المسلمين ثباتا عظيما جدا ، فصارت كأنها مشاهدة ، فلذلك سبب عما سبق قوله على لسان نبيه عليه الصلاة و السلام ، لافتا القول إلى مواجهتهم مؤكدا فى مقابلة

(١) فى مد : للساعة (٢-٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : التى .

إنكارهم لها بما ثبت من شهادة الفرق الثلاثة : ﴿ فلا تمترن ﴾ أى تشكوا[1] أدنى شك و تضطربوا[2] أدنى اضطراب و تجحدوا[3] أدنى جحد و تجادلوا[4] أدنى جدل ﴿بها[5]﴾ أى[6] بسببها ، يقال : مرى الشيء و امتراه : استخرجه ، و مراه مائة سوط : ضربه ، و مراه حقه ، أى جحده ، و المرية[7] بالضم و الكسر : الجدل و الشك ﴿ و اتبعون[5] ﴾ أى أوجدوا تبعكم ٥ بغاية جهدكم ﴿ هذا ﴾ أى كل ما أمرتكم به من هذا و غيره ﴿صراط﴾ أى طريق واسع واضح ﴿مستقيم ٥ ﴾ أى لا عوج فيه[8] .

و لما حثهم على السلوك لصراط الولى / الحميد بدلالة الشفوق / ٧٠٩
النصوح الرؤف الرحيم ، حذرهم من العدو[9] البعيد المحترق الطريد[10] ، فقال
دالا على عظيم فتنته بما له من التزيين للمشتهى و الأخذ من المأمن[11] ١٠
و التلبيس للشكل و التغطية للخوف بالتأكيد ، لما هم تابعون من ضده[12] على
وجه التقليد : ﴿ و لا يصدنكم ﴾ أى عن هذا الطريق الواضح الواسع
المستقيم الموصل إلى المقصود بأيسر سعى ﴿الشيطن ج﴾ و لما كان كأنه قيل

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : تشكون (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : تضطربون (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : تجحدون (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : تجادلون (٥) تكرر فى الأصل بعد « فلا تمترن » (٦) زيد فى الأصل : الساعة أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يمريه (٨) فى ظ و مد : له (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : البعد و (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : الطريق (١١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنده .

ما له يصدنا عن سبيل ربنا؟ ذكر العلة تحذيرا فى قوله : ﴿ انه لكم ﴾ أى عامة ، و أكد الخبر لأن أفعال التابعين لكم أفعال من ينكر عداوته : ﴿ عدو مبين ٥ ﴾ أى واضح العداوة فى نفسه مناد بها ، و ذلك بابلاغه فى عداوة أبيكم حتى أنزلكم بانزاله عن محل الراحة إلى موضع النصب ، عداوة ناشئة عن الحسد ، فهى لاتنفك أبدا .

و لما قدم سبحانه أنه أنعم على عيسى عليه الصلاة و السلام و جعله مثلا لبنى إسرائيل ، و لوح إلى اختلافهم و أن بعضهم نزل مثله على غير ما هو به ، و حذر من اقتدى بهم فى نحو ذلك الضلال ، و أمر باتباع الهادى ، و نهى عن اتباع المضل ، صرح بما كان من حالهم حين أبرزه الله لهم على تلك[1] الحالة الغريبة ، فقال عاطفا على ما تقدم تقديره بعد قوله تعالى "و جعلنه[2] مثلا" : ﴿ و لما جآء عيسى ﴾ أى إلى بنى إسرائيل [3]بعد موسى عليهما الصلاة و السلام[3] : ﴿ بالبينت ﴾ أى[4] من الآيات المسموعة و المرئية ، ﴿ قال ﴾ منبها لهم : ﴿ قد جئتكم ﴾ مايدلكم قطعا على أنه آية من عند الله و كلمة منه أيضا[4] ﴿ بالحكمة ﴾ أى الأمر المحكم الذى لايستطاع نقضه و لا يدفع إلا بالمعانده لأخلصكم بذلك مما وقعتم فيه من الضلال .

(١) زيد فى الاصل : الصورة و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) من ظ و مد ، و فى الاصل : جعلنا (م-ه) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) سقط من ظ و مد .

و لما كان المراد بالحكمة ما نسخ[1] من التوراة و غيره من كل ما أتاهم به، فكان التقدير: لتتبعوه و تتركوا ما كنتم عليه أمرا خاصا هو من أحكم الحكمة فقال: ﴿ و لابين لكم ﴾ أى بيانا واضحا جدا[2] ﴿بعض الذى تختلفون﴾ أى الآن ﴿فيه ج﴾ و لاتزالون تجددون الخلاف بسببه، و هذا البعض الظاهر بما يرشد إليه ختام الآية أنه المتشابه الذى ٥ كفروا بسببه بيانا يرده إلى المحكم، و يحتمل أن يكون بعض المتشابه، و هو ما يكون بيانه كافيا فى رد بقية المتشابه إلى المحكم بالقياس عليه، فان الشأن فى كل كتاب أن يجمع المحكم و المتشابه، فالمحكم ما [لا -[3]] لبس فيه، و المتشابه ما يكون ملبسا، و فيه [ما -[4]] يرده إلى المحكم لكن على طريق الرمز و الإشارة التى لايذوقها إلا أهل البصائر ليتبين ١٠ بذلك الصادق من الكاذب فالصادق الذى رسخ علما[5] و إيمانا يرد[5] المتشابه منه إلى المحكم، أو يعجز فيقول: الله أعلم، ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، و لايتزلزل[6]، و الكاذب يتبع المتشابه فيجريه على ظاهره فيشبه كأهل[7] الاتحاد الجوامد المفتونين بالمشاهد و يأول بحسب هواه بما لايتمشى على قواعد [العلم -[4]] و لايوافق المحكم فيفتتن[8]. ١٥

و لما صح بهذا أن الذى أرسله الملك الأعلى الذى له الأمر ٧١٠

(١) من ظ و مد، و فى الاصل: بمح (٢) من ظ و مد، و فى الاصل: واجدا (٣) زيد ولا بد منه (٤) زيد من مد (- -) من ظ و مد، و فى الاصل: ايماء لايرد (٦) من ظ و مد، و فى الاصل: لا تتزلزل (٧) من ظ و مد، و فى الأصل. كاهل (٨) من ظ و مد، و فى الاصل: فيفتن.

كله ، فهو فعال لما يشاء ، وكان الحامل على الانتفاع بالرسل عليهم الصلاة و السلام التقوى ، سبب [عنه -[1]] قوله تعالى : ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى خافوه لما له من الجلال بحيث لا تقدموا على شىء إلا ببيان منه لأن له كل شىء منكم و من غيركم ، و من المعلوم لكل ذى عقل أنه لا يتصرف ٥ فى ملك الغير بوجه من الوجوه إلا باذنه ﴿ و اطيعون ﴾ فيما أنقلكم إليه و أبينه لكم مما أبقيكم عليه ، فانى لا آخذ شيئا إلا عنه ، و لا أتلقى إلا منه ، فطاعتى لأمره بما يرضيه هى ثمرة التقوى ، و كلما زاد المتقى فى أعمال الطاعة زادت تقواه .

و لما أمرهم بطاعته ، علل ذلك بما [2]أزال تهمته[2] ما يطاع فيه ، ١٠ فقال مؤكدا لما فى أعمالهم من المجاملة[3] المؤذنة بالتكذيب : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى اختص بالجلال و الجمال ، فكان أهلا لأن يتقى ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ ربى و ربكم ﴾ نحن فى العبودية باحسانه إلينا و سيادته لنا على حد سواء ، فلو لا أنه أرسلنى لما خصنى عنكم بهذه الآيات البينات ﴿ فاعبدوه[4] ﴾ بما آمركم به لأنه صدقنى فى أمركم باتباع ما ظهر على يدى ١٥ فصار هو الآمر لا أنا .

و لما كان دعاؤه إلى الله بما لا حظ له عليه الصلاة و السلام فيه[5] دل[6] قطعيا على صدقه و لا سيما و قد اقترن بالمعجزات مع كونه فى

(١) زيد من مد (٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : زال تهمة (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المجادلة (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاعبده .
(٥) تقدم فى الأصل على « عليه الصلاة و السلام » و الترتيب من ظ و مد .
(٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان ذلك .

نفسه فى غاية الخفية لايستطاع بعضه بوجه ، أشار إلى ذلك كله بقوله على وجه الاستنتاج مما مضى مرغبا فيه دالا على اقتضائه الطاعة ﴿هذا﴾ أى الأمر العظيم الذى دعوتكم إليه ﴿صراط﴾ أى طريق واسع جدا واضح ﴿مستقيم﴾ لا اعوج له[1].

ذكر ما يدل على أنه أتى بالحكمة من الإنجيل :

قال متى أحد مترجميه الأربعة و قد خلطت تراجمهم و أغلب السياق لمتى[2] : فلما خرج يسوع و جاء إلى نواحى صور صيدا[3] إذا بامرأة كنعانية - و قال مرقس[4] : يونانية - خرجت من تلك التخوم تصيح[5] و تقول : ارحمنى يا رب يا ابن داود ! ابنتى بها شيطان ردىء ، فلم يجبها بكلمة ، فجاء تلاميذه[6] و سألوه قائلين : [اصرف - [7]] هذه المرأة لأنها تصيح خلفنا ، أجاب و قال لهم : لم[8] أرسل إلا إلى[9] الخراف من بيت إسرائيل ، فأتت و سجدت له قائلة : يا رب أعنى فأجاب : ليس هو جيدا أن [10]يؤخذ خبز البنين[10] فيعطى للكلاب ، فقالت : نعم ! يا رب ،

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعوجاج له و لا فيه و لما (٢) راجع آية ٢١ و ما بعدها من الأصحاح الخامس عشر (٣) من ظ و مد و الإنجيل ، و فى الأصل : صعدو (٤) راجع آية ٢٤ و ما بعدها من الأصحاح السابع . (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : تضجج (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تلامذه (٧) زيد من الإنجيل ، و زيد فى مد شىء لا يتضح (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : ثم (٩) من ظ و مد ، و فى الاصل : لى (١٠-١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : يأخذ خير السير .

و الكلاب تأكل من الفتات الذى يسقط من موائد أربابها ، حينئذ أجاب يسوع و قال لها : يا امرأة عظيمة أمانتك يكون لك كما[1] أردت ، فبرئت ابنتها منه تلك الساعة ، و قال مرقس[2] : فقال لها من أجل هذه الكلمة اذهبى ، قد خرج الشيطان من ابنتك ، فذهبت إلى ابنتها

٥ [فوجدت الصبية - [3]] على السرير و الشيطان [قد خرج - [3]] منها ، فجؤا إليه بأخرس أصم فطلبوا إليه أن يضع يده عليه ، فأخرجوه وحده من الشعب ، و ترك أصابعه فى أذنيه ، و تفل ثم مس لسانه و نظر إلى السماء/ و شهد و قال : الفاثا[4] الذى هو انتفتح ، و للوقت انفتح سمعه / ٧١١

و سمع ، و انحل رباط لسانه و تكلم مستويا ، و وصاهم أن لا يقولوا لأحد

١٠ شيئا فأتاهم فكانوا ينكرون كثيرا و يبهتون جدا ، قائلين[5] : ما أحسن كل شىء ! يصنع الخرس يتكلمون و الصم يسمعون ، و قال مرقس[6] : ثم جاء إلى بيت صيدا فقدموا إليه أعمى ، و طلبوا منه أن يلمسه ، فأخذ بيد الأعمى ثم أخرجه خارجا من القرية ، و تفل فى عينيه و وضع يده عليه و سأله : ما ينظر؟ قال : أنظر الناس مثل الشجر يمشون ، فوضع يده

١٥ أيضا على عينيه ، فأبصر حينا و نظر إلى كل شىء ظاهرا ، قال : ثم جاء إلى ناحية قيسارية فيلقس[7] فسأل تلاميذه : ما ذا يقول الناس فى ابن

---

(١) من الإنجيل ، و فى الأصل : لما (٢) راجع الأصحاح المذكور (٣) زيد من مد (٤) جاءت الكلمة فى الأصول غير منقوطة ، و فى الإنجيل : افثا (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : قايلون (٦) راجع آية ٢٢ من الاصحاح الثامن . (٧) فى الإنجيل : فيلبس .

الإنسان؟ فقال[1] قوم : يوحنا المعمدان[2]، و آخرون : إليا، و آخرون : إرميا، و واحد من الأنبياء. فقال لهم : فأنتم ما ذا تقولون؟ أجاب سمعان بطرس - و قال : أنت هو المسيح، أجاب يسوع و قال له : [3]طوبى لك[3] يا سمعان ابن يونا لأنه ليس جسد يسعى و أبواب الجحيم لاتقوى عليه و لك أعطى ملكوت السماوات، و ما ربطته الأرض يكون مربوطا فى السماوات، و ما حللته على الأرض يكون محلولا فى السماوات، و بدأ يسوع من ذلك الوقت يخبر تلاميذه أنه ينبغى أن يمضى إلى يروشليم و يقبل آلاما كثيرة[4] من المشايخ و رؤساء الكهنة و الكتبة، و قال : من أراد أن يتبعنى فليكفر بنفسى، و من أراد أن يخلص نفسه فليهلكها، و من[5] أهلك نفسه من أجلى وجدها، ما ينفع الإنسان لو ربح العالم كله و خسر نفسه؟ و ما ذا يعطى الإنسان فداء لنفسه، و قال لوقا[6] : و كان جمع[7] كثير ينطلق فالتفت لهم و قال لهم : من يأتى إلىّ [و لا يبغض -[8]] أباه و أمه و امرأته و بنيه و إخوته و أخواته نعم حتى نفسه، فلا يقدر أن يكون لى تلميذا، من منكم يريد أن يبنى برجا و لايجلس أولا[9] و يحسب

(١) من ظ، و فى الأصل و مد : فقالوا (٢) من مد و الإنجيل، و فى الأصل : الهمدانى (٣-٣) من ظ و مد و الإنجيل، و فى الأصل : طوباك (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : كثير (٥) زيد فى الأصل و ظ : اهلكها اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) راجع آية ٢٥ من الأصحاح الرابع عشر (٧) من مد، و فى الأصل و ظ : جميع (٨) زيد من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : و لا.

نفقته؟ و هل له ما يكمله لكيما يستهزئ به كل من ينظره إذا وضع الأساس و لم يقدر على إكماله، و أى [ملك - [1]] يخرج إلى محاربة ملك آخر فلا يجلس أولا و يفكر هل يستطيع أن يلقى بعشرة آلاف الموافى إليه فى عشرين ألفا إلا فما دام [2]بعيدا منه[2] يرسل رسلا رسل
٥ سلامة، و هكذا كل منكم إن لم يرفض كل شيء له لايقدر أن يكون لى تلميذا، و ذكر لوقا[3] أيضا أنه عليه الصلاة و السلام كان فى وليمة فقال مثلا لأنهم كانوا يتخيرون المتكآت فقال لهم: متى دعاك[4] أحد إلى عرس فلا تجلس فى أول الجماعة. فلعله قد دعا هناك أكرم منك عليه فيأتى الذى دعاه فيقول له: يا حبيب! ارتفع إلى فوق، حينئذ يكون
١٠ [لك -[1]] مجدا / قدام المتكئين معك لأن كل من يرتفع يتضع، و كل /٧١٢
من يتضع يرتفع، و قال للذى دعاه: و إذا صنعت وليمة فلا تدع أحباءك و لا إخوتك و لا أقاربك و لا أغنياء جيرانك لعلهم أن يدعوك أيضا فيكون لك مكافأة، لكن إذا صنعت طعاما فادع المساكين و العور [و الضعفاء - [5]] و العميان، و طوباك لأنه ليس لك ما
١٥ يكافئونك، و مجازاتك تكون فى قيامة الصديقين، فسمع واحد من المتكئين ذلك، فقال له: طوبى لمن يأكل خبزا فى[6] ملكوت الله، و قال متى: و جاء تلاميذ[7] يسوع إليه و قالوا له: من هو العظيم فى ملكوت

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد، و فى الأصل و ظ: بعيد (٣) راجع آية ٩ من الأصحاح الرابع عشر (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: دكان (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: من (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: تلميذه.

[السماوات - [١]] ، فدعا طفلا و أقامه بينهم و قال : الحق أقول : إن لم ترجعوا و تكونوا مثل الصبيان لا تدخلوا ملكوت السماوات ، و من اتضع مثل هذا الصبي فهو العظيم فى ملكوت السماوات ، و من قبل صبيا مثل هذا باسمى فقد قبلنى ، [٢]قال مرقس : و من قبلنى فليس يقبلنى فقط [بل - [٣]] و الذى أرسلنى ، و قال لوقا : و من قبلنى فقد قبل الذى ٥ أرسلنى ، و الذى هو الصغير فيكم هو الأكبر ، قال متى : و من شك [٤] أحد هؤلاء الصغار المؤمنين فخير أن يعلق حجر الرحى فى رقبته ، و يغرق فى البحر ، الويل للعالم من الشكوك لكن الويل للانسان الذى يأتى منه الشكوك ، [٥]إن شكتك[٥] يدك أو رجلك فاقطعها و ألقها عنك ، فخير لك أن تدخل الحياة و أنت أعرج أو أعشم من أن يكون لك يدان ١٠ أو رجلان و تلقى فى نار الأبد ، و قال مرقس : و تذهب إلى جهنم حتى لا تطفأ نارها و لا يموت دودها - انتهى[٦] . و إن شكتك[٧] عينك فاقلعها و ألقها عنك فخير لك أن تدخل الحياة بعين واحدة من أن يكون لك عينان و تلقى فى جهنم ، و قال مرقس : وكل شىء بالنار يملح و كل ذبيحة تملح بالملح جيد هو الملح ، فان[٨] فسد الملح فبما ذا يملح فليكن فيكم ١٥ الملح ، و يكون سلام بعضكم بعضا ، و قال لوقا : ثم قال : من أجل

(١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا إلى « فقد قبل » ساقطة من مد .
(٣) زيد من ظ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : سأل (٥-٥) من مد ، و فى الأصل : شككتك و فى ظ : ان سكلتك (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تنتهى .
(٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : شككتك (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاذا .

أقوام يقولون : إنهم صديقون و يحقرون البقية، هذا المثل رجلان صعدا إلى الهيكل ليصليا[١]، أحدهما فريسى[٢] و الآخر عشار ، فأما الفريسى فانه كان يصلى بهذا فى نفسه : اللهم إنى أشكرك لأنى لست مثل سائر الناس العاصين الظلمة الفجار ، و لامثل هذا العشار ، فكان قائما من بعيد و لايرى أن يرفع عينيه إلى السماء ، و كان يضرب على صدره و يقول : اللهم اغفر لى فانى خاطىء ، أقول لكم : إن هذا نزل إلى بيته أمر من ذلك لأن كل من يرفع نفسه يتضع ، و كل من يضع[٣] نفسه يرتفع ، ثم قدم إليه صبيان ليضع يده عليهم ، فلما نظرهم التلاميذ نهروهم فقال : دعوا الصبيان يأتوا إلىّ و لا تمنعوهم لأن ملكوت الله لمثل هؤلاء ، الحق أقول لكم ، إن من لا يقبل ملكوت الله مثل صبى لايدخلها ، و قال متى : انظروا لاتحقروا أحد هؤلاء الصغار ، لم يأت ابن الإنسان إلا ليطلب و يخلص من كان ضالا[٤] ، ما ذا تظنون إذا [كان الإنسان -[٥]] مائة خروف فضل منها واحد ليس يترك التسعة و التسعين فى الجبل ، و يمضى يطلب الضال ؟ و قال لوقا : حتى يجده ، الحق [أقول -[٥]] لكم ، إنه يفرح به أكثر من التسعة و التسعين التى لم تضل ، هكذا[٦] ليس مشيئة ربى الذى فى السماوات أن يهلك أحد من هؤلاء الصغار ، و قال لوقا[٧] : و دنا منه

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ليصليان (٢) من ظ و مد : و فى الأصل : قربى (٣) من ظ و مد ، و فى الاصل : يتضم (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : حالا (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : هذا (٧) راجع آية ١ فما بعدها من الأصحاح الخامس عشر .

العشارون و الخطأة ليسمعوا منه فتذمر[١] الفريسيون و الكتبة قائلين : هذا يقبل الخطأة و يأكل معهم ، فقال لهم : أى رجل منكم له مائة خروف فيتلف واحد [منها -[٢]] ليس يترك التسعة و التسعين فى البرية و يمضى إلى الضال حتى يجده ، فاذا وجده حمله على منكبيه فرحا ، و يأتى به إلى بيته و يدعو أصدقاءه و جيرانه[٣] و يقول لهم : افرحوا[٤] معى لوجودى ٥ خروفى الضال ، أقول لكم : إنه يكون فرح فى السماء بخاطىء واحد يتوب أكثر من التسعة و التسعين الصديق الذين[٥] لا يحتاجون إلى توبة ، و أى[٦] امرأة لها عشرة دراهم يتلف واحد منها أليس[٧] توقد سراجا و تكنس بيتها و تطلبه مجتهدة حتى تجده ، فاذا وجدته دعت أحبابها و جاراتها قائلة[٨] : افرحوا [٩]لى لوجودى درهمى[٩] الضال ، هكذا أقول لكم : يكون ١٠ فرح قدام ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب ، و قال : إنسان[١٠] له ابنان فقال الأصغر يا أبتاه ! أعطنى نصيبى من مالك فقسم بينهما ماله ، و بعد أيام قليلة جمع الأصغر كل شىء له و سافر إلى كورة بعيدة ، و بذر[١١]

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : فتزمر (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : جيرتاه (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : افرعوا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الذى (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الى . (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : الجن (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : قايلا (٩ - ٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : الى وجودى دار - و بعده بياض قدر كلمتين (١٠) من مد و الإنجيل ، و فى الأصل : اثنان (١١) من الإنجيل ، و فى لأصول : يرد .

ماله هناك بعيش بذخ[1] ، فلما نفد كل شيء له حدث جوع شديد فى تلك الكورة فافتقر و انقطع إلى رجل منها فأرسله إلى حقله يرعى خنازير ، و كان يشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله ، فلا يعطى ذلك ، ففكر فى نفسه و قال : كم من [2]أجراء أبى[2] يفضل عنهم الخبز[3] و أنا ههنا أهلك جوعا ، أقوم أمضى إلى أبى و أقول : يا ابتاه ! أخطأت فى السماء و بين يديك ، و لست[4] بمستحق أن أدعى لك ابنا لكن اجعلنى كأحد أجرائك[5] فجاء إليه فنظره أبوه فتحنن و أسرع و اعتنقه و قبله فقال : يا ابتاه[6] ! أخطأت فى السماء و قدامك ، و لست بمستحق أن ادعى لك ابنا ، فقال أبوه لعبيده : قدموا الحلة الأولى و ألبسوه و أعطوه خاتما فى يده ، و حذاء[7] فى رجليه ، و ائتوا بالعجل المعلوف و اذبحوه [و نأكل و نفرح لأن ابنى هذا كان ميتا فعاش ، و ضالا فوجد . فبدأوا يفرحون ، و كان ابنه الأكبر فى -[8]] الحقل[9] ، فلما جاء و قرب من البيت سمع المزاهر و اتفاق الأصوات و الرقص ، فدعا واحدا من الغلمة و سأله فقال له : إن أخاك قدم ، و ذبح أبوك

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : مدح (٢ - ٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : احرالى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : التبر (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : ليس (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : اجزايك (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : اباتاه (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : جزء (٨) زيد من ظ و مد و الإنجيل (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : المثل .

العجل المعلوف، فغضب و لم يرد أن يدخل، فخرج أبوه و طلب إليه[1]
فقال: كم[2] لى من سنة أخدمك و لم أخالف لك وصية قط و لم تعطنى
جديا واحدا أتنعم به مع أصدقائى، فلما جاء ابنك هذا الذى أكل مالك
مع الزناة ذبحت له العجل المعلوف، فقال له: يا بنى! أنت معى فى كل
حين و فى كل شىء هو لى، و ينبغى لك أن تسر و تفرح لأن أخاك ٥
هذا كان / ميتا فعاش، و ضالا فوجد، و قال[3]: رجل كان غنيا يلبس ٧١٤ /
الأرجوان و كان يتنعم كل يوم و يلذ، و مسكين[4] كان اسمه العازر مطروحا
عند بابه مضروبا بقروح، و كان يشتهى أن يشبع من الفتات الذى
يسقط من مائدة ذلك الغنى، و كانت الكلاب تأتى و تلطع[5] قروحه، فلما
مات ذلك المسكين أخذته الملائكة إلى حصن إبراهيم، [و مات ذلك ١٠
الغنى و قبر فرفع عينيه فى الهاوية و هو فى العذاب، فنظر إبراهيم -[6]]
من بعيد و العازر فى حصنه، فنادى: يا ابتاه إبراهيم! أرحمنى و أرسل
العازر[7] ليبل طرف إصبعه بما يبرد لسانى لأنى معذب فى اللهب، فقال له
إبراهيم: يا ابنى اذكر أنك قد قبلت جيرانك فى حياتك و العازر فى بلائه
و الآن فهو يستريح هاهنا و أنت تعذب، و مع ذلك[7] فبيننا و بينكم أهوية ١٥
عظيمة نائية لايقدر أحد على العبور من ههنا إليكم، و لا من هنا إلينا،

(١) من مد و الإنجيل، و فى الأصل: انه، و فى ظ: ابنه (٢) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) راجع آية ١٩ فما بعدها من الأصحاح السادس عشر من إنجيل لوقا (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: مسكينا. (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: تلطلع - كذا (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: ما العارز (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: هذا.

قال له : أسألك يا أبتاه أن ترسله إلى بيت أبي ، فان خمسة أخوة لكي يناشدهم لئلا يأتوا إلى موضع هذا العذاب ، قال له إبراهيم : عندهم موسى و الأنبياء فليسمعوا[1] منهم ، فقال له : يا أبتاه إبراهيم ! إن لم يمض إليهم واحد من الأموات ما يتوبون ؟ فقال له : إن كانوا لا يسمعون من موسى و الأنبياء فليس إن قام[2] واحد من الأموات يصدقونه ، و قال لتلاميذه : سوف تأتى الشكوك و الويل ، الذى تأتى الشكوك من قبله خير له [لو -[3]] علق حجر رحى الحماز فى عنقه و يطرح فى البحر من أن يشكك[4] أحدا من هؤلاء الضعفاء - [5]و الله أعلم[5] .

و لما كان [6]الطريق الواضح[6] القديم موجبا للاجتماع عليه ، و الوفاق عند سلوكه ، بين أنهم سببوا عنه بهذا الوعظ غير ما يليق بها بقوله : ﴿فاختلف﴾ و بين أنهم أكثروا[7] الاختلاف بقوله : ﴿الاحزاب﴾ أى أنهم لم يكونوا فرقتين فقط ، بل فرقا كثيرة . و لما كانت العادة أن يكون الخلاف بين أمتين و قبيلتين و نحو ذلك ، و كان [8]اختلاف الفرقة الواحدة[8] عجبا . بين أنهم من أهل القسم فقال : ﴿ من بينهم ج﴾ أى اختلافا ناشئا ابتدأ من بين بنى إسرائيل الذين[9] جعلناهم مثلا لهم ،

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : فيسمعوا (٢) من مد و الإنجيل ، و فى الأصل و ظ : قاد (٣) زيد من مد و الإنجيل (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بسلك . (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الطابق بالواضح - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اكثروا (٨ - ٨) من ظ و مد ، و فى الاصل : الأختلاف لفرقة واحدة (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذى .

و قال

و قال لهم: قد جئتكم بالحكمة ، فسبب عن اختلافهم قوله: ﴿ فويل ﴾ و كان أن يقال: لهم، و لكنه ذكر الوصف الموجب للويل تعميما و تعليقا للحكم به . و لما كان فى سياق الحكمة، و هى وضع الشىء فى أتقن مواضعه، جعل الوصف الظلم الذى أدى[1] إليه الاختلاف فقال: ﴿ للذين ظلموا ﴾ أى وضعوا الشىء[2] فى غير موضعه مضادة لما أتاهم ٥ صلى الله عليه و سلم به من الحكمة ﴿ من عذاب يوم اليم ﴾ أى مؤلم، و إذا كان اليوم مؤلما فما الظن بعذابه .

و لما عم الظالمين[3] بالوعيد بذلك اليوم فدخل فيه قريش و غيرهم، أتبعه ما هو كالتعليل مبرزا له فى سياق الاستفهام لأنه أهول فقال: ﴿ هل ﴾ و جرد[4] الفعل إشارة إلى شدة القرب حتى كأنه بمرأى ١٠ فقال: ﴿ ينظرون ﴾ أى ينتظرون ﴿ الا الساعة ﴾ أى ساعة الموت العام و البعث و القيام، / فان ذلك لتحقق أمره كأنه موجود منظور إليه . / ٧١٥

و لما قدم الساعة تهويلا تنبيها على أنها لشدة ظهور دلائلها كأنها مرئية بالعين هزا لهم إلى تقليب أبصارهم لتطلب رؤيتها، أبدل[5] منها [زيادة -[6]] فى التهويل[7] قوله تعالى: ﴿ ان تاتيهم ﴾ و حقق احتمال ١٥

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : ادق (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : الشىء.
(٣) من ظ و مد، و فى الأصل: أعلم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : جود .
(٥) من ظ و مد و فى الأصل: انزل (٦) زيد من مد (٧) زيد فى الأصل : التأويل، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل : فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

رؤيتها بقوله[1] : ﴿ بغتة ﴾ و لما كان البعث قد يطلق على ما يجهل[2] من بعض الوجوه ، أزال هذا الاحتمال بقوله : ﴿ و هم لايشعرون ٥ ﴾ أى لايحصل لهم بعين الوقت الذى يجىء نوع من أنواع العلم ، و لا بما كالشعرة منه .

٥ و لما كانت الساعة تطلق على الحبس بالموت و على النشر بالحياة ، بين ما يكون فى الثانى الذى هم له منكرون من أحوال المبعوثين على طريق الاستئناف فى جواب من يقول : هل يقومون على ما هم عليه الآن ؟ فقال[3] : ﴿ الاخلآء ﴾ أى فى الدار ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ تكون الساعة و هى ساعة البعث [4]التى هى[4] بعض مدلول الساعة ﴿ بعضهم لبعض عدو ﴾

١٠ و لما[5] ينكشف لهم من أن تأخيرهم فى الحياة الدنيا هو السبب فى عذابهم ، فيقول التابع للمتبوع : أنت غررتنى فضررتنى ، و يقول المتبوع : بل أنت كبرتنى فصغرتنى ، و رفعتنى فوضعتنى ، و نحو هذا من الكلام المؤلم أشد الإيلام ﴿ الا المتقين ﴾ الذين تقدم أمرهم بالتقوى و حثهم عليها .

و لما أفهم هذا أنهم لاعداوة بينهم ، بل يكونون فى التواد على

١٥ أضعاف ما كانوا عليه فى الدنيا لما ظهر لهم من توادهم فيها و تناصرهم هو أفضى بهم إلى الفوز الدائم برضوان الله ، وصل به حالا بين فيها ما يتلقاهم به من تواد فيه سبحانه تشريفا لهم و تسكينا لما يقتضيه ذلك

---

(١) زيد فى الأصل : الا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يحمل (٣) سقط من ظ و مد (٤-٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : او الذى هو (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لا .

المقام من الأهوال : ﴿ يٰعباد ﴾ أى مقولا لهم هذا ، فخص[1] بالإضافة إليه كما خصوه بالعبادة ﴿لاخوف﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿عليكم اليوم﴾ أى فى الآخرة بما يحويه [2]ذلك اليوم العظيم[2] من الأهوال و الأمور الشداد و الزلازل ﴿ و لآ انتم تحزنون ج ﴾ أى لايتجدد لكم حزن على شىء فات فى وقت من الأوقات الآتية لأنكم لايفوتكم شىء تسرون به . ٥

و لما ناداهم بما يطمع فيه سائر أهل الموقف لأن كل حزب يقولون : نحن عباده ، خص المرادين بما [3]يوئس غيرهم[3] و لئلا يكون الوصف بالتقوى [موقفا -[4]] لمن سمعه اليوم من الكفار عن الدخول فى الدين ظنا منهم أن الرسوخ فى التقوى شرط فيه حين الدخول و كانوا لا يستطيعون ذلك ، فوصف سبحانه المتقين بما يهون الوصول إلى درجتهم على غيرهم ١٠ فقال : ﴿ الذين امنوا ﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة ﴿ بايٰتنا ﴾ الظاهرة عظمتها فى نفسها أولا و بنسبتها إلينا ثانيا ﴿و كانوا﴾ أى دائما [بما -[4]] هو لهم كالجبلة و الخلق ﴿مسلمين ج ﴾ أى منقادين للأوامر و النواهى أتم انقياد ، فبذلك يصلون / إلى حقيقة التقوى التامة . / ٧١٦

و لما ذكر ما لهم بشارة لهم و ترغيبا لغيرهم فى اللحاق بهم[6] على ١٥ وجه فيه إجمال ، شرح ذلك بقوله : ﴿ادخلوا الجنة﴾ و لما كانت الدار

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : محض (٢-٢)سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لوين عليهم (٤) زيد من مد .
(٥) من ظ ومد ، و فى الأصل : الدنيا (٦) من مد ، وفى الأصل و ظ : لهم .

لاتكمل إلا بالرفيق السار، قال تعالى: ﴿ انتم و ازواجكم ﴾ اى نساؤكم اللاتى كن مشاكلات لكم فى الصفات، و[1] أما قرناؤهم[2] من الرجال فدخلوا فى قوله " كانوا مسلمين " ﴿ تحبرون ﴾ أى تكرمون و تزينون فتسرون سرورا يظهر أثره عليكم مستمرا يتجدد أبدا .

٥ و لما كان هذا أمرا [سائقا إلى حالهم -[2]] سابقا لمن كان و اقفا عنهم إلى وصالهم، أقبل على من لعله يوقفه الاشتغال [3]بلهو أو[3] مال محركا لما جهل[4] منه[5]، و منبها على ما غفل عنه، فقال عائدا إلى الغيبة ترغيبا فى التقوى: ﴿ يطاف عليهم ﴾ أى المتقين الذين جعلناهم بهذا النداء ملوكا ﴿ بصحاف ﴾ جمع صحفة[6] و هى القصعة ﴿ من ذهب ﴾ فيها

١٠ من ألوان الأطعمة و الفواكه و الحلوى ما لايدخل تحت الوهم .

و لما كانت آنية الشرب فى الدنيا أقل من آنية الأكل، جرى على ذلك المعهود، فعبر بجمع القلة فى قوله: ﴿ و اكواب ﴾ جمع كوب و هو كوز مستدير مدور الرأس لا عروة له، قد تفوق عن[7] شىء منه اليد أو الشفة[8] أو يلزم منها بشاعة فى شىء من دائر الكوز، و إيذانا

١٥ بأنه لا حاجة أصلا إلى تعليق شىء لتزيد[9] أوصافه عن أذى[10]

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: لما قراناهم (٢) زيد من مد (٣ ٣) من ظ و مد، و فى الأصل: بلوو (٤) فى ظ و مد: جهد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: منهم (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: القفة (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: على (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: السعه (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: لتزايد (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: ادنى .

أو نحو ذلك .

و لما رغب فيها بهذه المغيبات ، أجمل بما[1] لا يتمالك معه عاقل عن المبادرة إلى الدخول فيما يخصها فقال : ﴿و فيها﴾ أى الجنة . و لما كانت اللذة محصورة فى المشتهى قال تعالى : ﴿ما تشتهيه الانفس﴾ من الأشياء المعقولة و المسموعة و الملموسة و غيرها جزاء لهم على ما منعوا أنفسهم من الشهوات فى الدنيا . و لما كان ما يخص المبصرات من ذلك أعظم ، خصها فقال : ﴿و تلذ الاعين ج﴾ من الأشياء المبصرة التى أعلاها النظر إلى وجهه الكريم تعالى ، جزاء ما تحملوه من مشاق الاشتياق .

و لما كان ذلك لا يكمل طيبه إلا بالدوام ، قال عائدا إلى الخطاب لأنه أشرف و ألذ مبشر لجميع المقبلين على الكتاب ، و الملتفت إليهم بالترغيب فى هذا الثواب ، بشارة لهذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة و السلام بما قدمه فى [أول -[2]] السورة و أثنائها من بلوغ قومه نهاية العقل و العلم الموصلين إلى أحسن[3] العمل الموجب للسعادة : ﴿و انتم فيها خلدون ج﴾ لبقائها و بقاء كل ما فيها ، فلا كلفة عليكم أصلا من خوف من زوال و لا حزن من فوات .

و لما كان التقدير : الجنة التى لمثلها يعمل العاملون ، عطف عليه قوله مشيرا إلى فخامتها بأداة البعد : ﴿و تلك الجنة﴾ أى العالية المقام ﴿التى﴾ و لما كان الإرث أمكن للملك ، و كان مطمح النفوس إلى المكنة

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بها (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : حسن .

فى الشىء مطلقا لا يبعد ، بنى[1] للمفعول قوله تعالى : ﴿ اورثتموها ﴾ و لما كان ما حصله[2] الإنسان [3]بسعيه ألذ فى نفسه[3] لسروره بالتمتع به و بالعمل /الذى كان من سببه ، قال تعالى : ﴿ بما ﴾ و بين أن العمل كان لهم كالجبلة التى جبلوا عليها ، فالمنة لربهم فى الحقيقة بما زكى لهم أنفسهم بقوله : ﴿ كنتم تعملون ﴾ أى مواظبين على ذلك لا تفترون . و لما كان الأكل[4] أعم الحاجات و أعم الطلبات ، قال تعالى مبينا أن جميع أكلهم تفكه ليس فيه شىء تقوتا لأنه لا فناء[5] فيها لقوة و لا غيرها لتحفظ بالأكل و لا ضعف ﴿ لكم فيها فاكهة ﴾ أى ما يؤكل تفكها و إن كان لحما و خبزا . و لما كان ما يتفكه[6] فى الدنيا قليلا قال تعالى : ﴿ كثيرة ﴾ و دل مع الكثرة على دوام النعمة بقصد التفكه بكل شىء فيها بقوله : ﴿ منها ﴾ أى لا من غيرها مما يلحظ فيه التقوت ﴿ تاكلون ﴾ فلا تنفد أبدا و لا تتأثر بأكل الآكلين لأنها على صفة الماء النابع ، لا يؤخذ منه شىء إلا خلف مكانه مثله [7]أو أكثر منه[7] فى الحال .

[و لما ذكر ما للقسم الثانى من الأنعام -[8]] و هم المتقون ترغيبا

/٧١٧/

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بناء (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : حاصله . (٣-٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : لسعيه فى الدنيا لنفسه - كذا (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الاقل (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فبانها . (٦) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) زيد من مد .

لهم[١] فى التقوى[٢] ، أتبعه ما لأضدادهم أهل القسم الأول تحذيرا من مثل أعمالهم ، فقال استئنافا مؤكدا فى مقابلة إنكارهم : ﴿ ان المجرمين ﴾ أى الراسخين فى قطع ما أمر الله به أن يوصل ﴿ فى عذاب جهنم ﴾ أى النار التى من شأنها لقاء داخلها بالتجهم و الكراهة و العبوسة كما كان يعمل عند قطعه لأولياء الله تعالى ﴿ خالدون ﴾ لأن إجرامهم كان طبعا لهم لاينفكون عنه أصلا ما بقوا .

و لما[٣] بين إحاطته بهم إحاطة الظرف بمظروفه[٤] ، و كان من المعلوم أن النار لاتفتر عمن لابسته إلا بمفتر يمنعها بماء يصبه[٥] عليها أو تقليل من وقودها أو غير ذلك خرقا للعادة ، بين أنه لايعتريها نقصان أصلا كما يعهد فى عذاب الدنيا [٦]لأنهم هم[٦] وقودها فقال تعالى : ﴿ لا يفتر عنهم ﴾ [أى -[٧]] لايقصد إضعافه [بنوع -[٨]] من الضعف ، فنفى التفتير نفى للفتور من غير عكس ، قال البيضاوى : و هو من فترت عنه الحمى - إذا سكنت ، و التركيب للضعف .

و لما كان انتظار الفرج مما يخفف [٩]عن المتضايق[٩] ، نفاه بقوله :

---

(١) سقط من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : و لما كان هذا ما وعده سبحانه و تعالى للتقين المطيعين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : كان الأمر كذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالمظروف (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينصبه (٦-٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الدنهم - كذا (٧) زيد من مد (٨) زيد من ظ و مد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

﴿ وهم فيه مبلسون ج ﴾ أى[1] ساكتون سكوت يأس من النجاة والفرج .

ولما [2] كان ربما ظن من لا بصيرة له أن هذا العذاب[2] أكبر وأكثر مما يستحقونه ، أجاب سبحانه بقوله ليزيد عذابهم برجوعهم باللائمة على نفوسهم ووقوعهم فى منادمات الندامات : ﴿ وما ظلمنهم ﴾ نوعا من الظلم [2]لأنه تعالى مستحيل فى حقه الظلم[2] ﴿ ولكن كانوا ﴾ جبلة وطبعا وعملا وصنعا دائما ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الظلمين ٥ ﴾ لأنهم بارزوا المنعم عليهم بالعظائم ونووا أنهم لا ينفكون عن ذلك ما بقوا ، والأعمال بالنيات ، ولو كانوا / يقدرون على أن [لا -[3]] يموتوا [4]لما ماتوا[4] . ٧١٨ /

ولما كان من مفهوم الإبلاس[5] السكوت ، أعلم بأن سكوتهم ليس دائما لأن الإنسان إذا وطن نفسه على حالة واحدة ربما خف عنه بعد الألم ، فقال مبينا [أنهم -[6]] من البعد بمحل كبير لا يطمعون معه فى خطاب الملك ، وأنهم مع علمهم باليأس يعلقون آمالهم بالخلاص كما يقع للمتمنين للحالات[7] فى الدنيا ليكون ذلك زيادة فى المهم : ﴿ ونادوا ﴾ ثم بين أن المنادى خازن النار فقال مؤكدا لبيان البعد بأداته : ﴿ يملك ﴾ وقراءة " يا مال[8] " للاشارة إلى أن العذاب أوهنهم

(١) زيد فى الأصل : حال كونهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) سقط من ظ و مد (٤-٤) من ظ و مد ، وفى الأصل : لماتوا (٥) من ظ و مد ، وفى الأصل : الالباس .
(٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد ، وفى الأصل : للحاولات (٨) من ظ و مد ، وفى الأصل : ياما .

عن

عن إتمام الكلام ، و لذا[1] قالوا : ﴿ليقض علينا﴾ أى سله سؤالا حتما أن[2] يقضى القضاء الذى لاقضاء مثله ، و هو الموت على[3] كل واحد [منا -[4]] ، و جروا على عادتهم فى الغباوة و الجلافة فقالوا : ﴿ربك[5]﴾ أى المحسن إليك فلم يروا لله عليهم إحسانا و هم فى تلك الحالة ، فلا شك أن إحسانه ما انقطع عن موجود أصلا ، و أقل ذلك أنه[5] لايعذب أحدا منهم ٥ فوق استحقاقه ، و لذلك[1] جعل[6] النار دركات كما كانت الجنة درجات ، و يجوز أن تكون عبارتهم بذلك تغييظا له بما رأوا من ملابسة النار من تأثير فيه ، و نداؤهم لاينافى إبلاسهم لأنه السكوت عن يأس ، و ذلك لازم لهم لأنهم كلما سكتوا كان سكوتهم عن يأس ، فسكوتهم[7] المقيد باليأس دائم ، فلذلك[8] سألوا الموت ، و الحاصل أنهم لايتكلمون بما يدل ١٠ على رجاء الفرج[9] [بل هم ساكتون أبدا عن ذلك .... اليأس لا على رجاء الفرج - [4]] باللحاق برتبة المتقين .

و لما ذكر نداءهم ، استأنف ذكر جوابهم بقوله : ﴿قال﴾ أى مالك عليه الصلاة و السلام مؤكدا قطعا لأطماعهم لأن كلامهم هذا بحيث يفهم الرجاء و يفهم بأن رحمة الله تعالى التى هى موضع الرجاء خاصة ١٥

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : كذلك (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : اى (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٤) زيد من مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ :بابه (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : جعلنا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل فشكوتهم (٨) من ظ و مد ، - فى الأصل : فكذلك . (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : القدح .

بغيرهم ﴿ انكم ممكثون ﴾ .

و لما ذكر سبحانه الساعة عند ذكر عيسى عليه الصلاة و السلام فقال "و انه لعلم للساعة" و أكد أمرها و شرح بعض أحوالها إلى أن ختم [1]بما دل[1] على انحلال عزائمهم و لين شكائمهم، وكانوا غير مقرين[2] بذلك، قال مؤكدا جوابا لمن يبصر بعض البصر فيقول: أحق هذا؟ و يتوقع الجواب: ﴿لقد جئناكم﴾ أى فى هذه السورة خصوصا و جميع القرآن عموما[3]، سمى مجىء الرسل [4]مجيئا لهم[4] لما لمجيئهم من العظمة التى أشارت إليها النون ﴿ بالحق ﴾ الكامل فى الحقية[5]، و لما كان ظهور حقيته[6] بحيث لايخفى على أحد و لكن شدة البغض و شدة الحب تريان الأشياء على غير ما هى عليه، قال إشارة إلى ذلك: ﴿و لكن اكثركم﴾ أى أيها المخاطبون ﴿ للحق كرهون ﴾ [7]لما فيه من المنع عن الشهوات فلذلك أنتم تقولون: إنه ليس بحق[8] لأجل كراهتكم فقط، لا لأجل أن فى حقيته نوعا من الخفاء .

و لما كان هذا مخزيا لا جواب فيه لظهور الدلائل و تعالى العظمة إلا الرجوع، وكان من لايرجع إنما يريد محاربة الإله الأعظم، قال

(١-١) من مد، و فى الأصل و ظ: بمال (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: غير معربين (٣) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٤-٤) من مد، و فى الأصل و ظ: مخابلة (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الحقيقة (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: حقيقة (٧) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: بقوله.

عادلا عن الخطاب إنزالا لهم بالغيبة منزلة البعيد الذى لا يلتفت إليه معادلا لما تقديره : أرجعوا لما ظهر لهم من الحق الظاهر / ﴿ام ابرموآ﴾ أى أحكموا ﴿امرا﴾ فى رد أمرنا و معاداة أوليائنا مع علمهم بأنا مطلعون عليهم . ٧١٩ /

و لما كان سبحانه مطلعا بطية أمرهم و غائب[1] سرهم ، سبب عما سأل عنه من إبرامهم ما دل على أنه عالم به و قد أبرم له قبل كونه ما [2]يزيله و يعدمه و يحيله[2] ، على سبيل التأكيد لإنكارهم أن يغلبوا فقال : ﴿فانا مبرمون ج﴾ أى دائما للأمور لعلمنا[3] بها قبل كونها و قدرتنا و اختيارنا ، تلك صفتنا التى لا تحول بوجه : العلم و القدرة و الإرادة ، لم يتجدد لنا شىء لم يكن .

و لما كان إصرارهم بين العزم على مجاهرة[4] القدير بالمعاداة و بين معاملته و هو عليم[5] بالمساترة و المماكرة[6] فى المعاداة و المباكرة و المسالمة[7] و المناكرة قال تعالى : ﴿ام يحسبون انا﴾ على ما لنا من العظمة المقتضية بجميع صفات الكمال[8] ﴿لانسمع﴾ و لما كان المراد إثبات[9] أن علمه تعالى محيط بالخفى و الجلى ، نسبة كل منهما [إليه -[10]] على السواء ، ذكرهما

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : غاية (٢ - ٢) من مد ، و فى الأصل : بريلو و بعد منه و يحليوه ، و فى ظ : يزيله و بعد منه و يحليوه (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٤) فى ظ و مد : مجاهدة (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : عليهم (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : لما كره (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : الملامة (٨) زيد فى الأصل و ظ : انا ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها . (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : مغيات (١٠) زيد من مد .

و قدم ما من شأنه أن يخفى و هو المكر المشار إليه بالإبرام ، لأن السياق له فقال تعالى : ﴿ سرهم ﴾ أى كلامهم الخفى و لو[1] كان فى الضمائر [فيما يعصينا ، و لما كان ربما وقع فى الأوهام أن المراد بالسمع إنما هو العلم لأن السر ما يخفى و هو يعم ما فى الضمائر - [2]] و هى[3] مما يعلم ، حقق أن المراد به حقيقته بقوله : ﴿ و نجوٰىهم[4] ﴾ أى كلامهم المرتفع حتى كأنه على نجوة أى مكان[5] عال ، فعلم أن المراد حقيقة السمع ، و أنه تعالى يسمع كل ما يمكن أن يسمع و لو لم يكن فى قدرتنا نحن سماعه ، فنكون فيه كالأصم بالنسبة إلى ما نسمعه نحن من الجهر و لا يسمعه[6] هو لفقد[7] قوة السمع فيه ، لا لأنه مما من حقه ألا يسمع .

و لما كان إنكار[8] عدم السماع [معناه السماع [8]] ، صرح به فقال : ﴿ بلى ﴾ أى نسمع[9] الصنفين كليهما على حد سواء ﴿ و رسلنا ﴾ و هم الحفظة من الملائكة على ما لهم من العظمة بنسبتهم إلينا . و لما كان حضور الملائكة معنا و كتابتهم لجميع أعمالنا على وجه لا نحس به نوع إحساس أمرا هو فى غاية الغرابة ، [10] قال معبرا بلدى التى يعبر بها عند اشتداد الغرابة[10] : ﴿ لديهم يكتبون ﴾ أى يجددون الكتابة [11] كلما تجدد[11]

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : لما (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : هو (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بمكان (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : لانسمعه (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : لفقده (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : انكارهم (٩) زيد من ظ و مد (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : تسمع (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ (١١-١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : كما يجدد .

ما يقتضيها لأن الكتابة أوقع فى التهديد، لأن من علم أن أعماله محصاة مكتوبة تجنب[1] ما يخاف عاقبته .

و لما تقدم أول السورة تبكيتهم و التعجيب منهم فى ادعائهم لله ولدا من الملائكة و هددهم بقوله "ستكتب شهادتهم و يسئلون" و ذكر شبههم[2] فى قولهم[3] "لو شاء الرحمن ما عبدناهم" و جهلهم فيها بقوله "ما لهم بذلك من علم" و نفى أن يكون لهم [على -[4]] ذلك دليل سمعى[5] بقوله[6] منكرا موبخا "ام اتيناهم كتبا" و مر فى توهية أمرهم فى ذلك و غيره بما [7]لاحم بعضه[7] بعضا على ما تقدم إلى أن تمم نفى الدليل السمعى على طريق النشر المشوش بقوله تعالى "و اسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا"، و نظم به ما أتى به [رسوله أهل الكتاب مما يصدق ما أتى به كتابنا من التوحيد و ما هدد به -[4]] من أعرض عنه إلى أن أخبر أنه الحق الذى لا زوال أصلا لشىء منه، و أن رسله سبحانه تكتب جميع / أعمالهم من شهادتهم فى الملائكة و غيرها، أعاد الكلام / ٧٢٠ فى إبطال شبهتهم فى أن عبادتهم لهم لو كانت ممنوعة لم يشأها الذى له عموم الرحمة لأن عموم رحمته يمنع على زعمهم مشيئة[8] ما هو محرم، فقال بعد أن نفى قوله "و اسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا" أن يكون لهم

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : بحيث (٢) فى مد : شبهتهم (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : قوله (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل : سمع (٦) من مد، و فى الأصل و ظ : فقوله (٧ - ٧) من مد، و فى الأصل و ظ : لاحضر بعضهم (٨) من مد، و فى الأصل و ظ : مشيته .

دليل سمعى[1] على أحد من رسله عليهم الصلاة و السلام: ﴿ قل ان كان للرحمٰن ﴾ أى العام الرحمة ﴿ ولد فانا ﴾ على ما زعمتم، و المراد به الجنس لادعائهم فى الملائكة، و غيرهم فى غيرهم، و قراءة حمزة و الكسائى[2] بضم ثم سكون على أنه جمع على إرادة الكثرة . و لما كان المعنى: [3]فأنا ما[3] عبدت ذلك الولد و لا أعبده، و لو شاء الرحمن ما تركت عبادته، و لكنه شاء تركى لها[4] و شاء فعلكم لها، فاحداهما قطعا مشيئة للباطل، و إلا لاجتمع النقيضان بأن يكون الشىء حقا باطلا فى حال واحد من وجه واحد، و هو بديهى الاستحالة، فبطلت شبهتكم[5] بدليل قطعى ـ هكذا كان الأصل، و لكنه عدل عنه إلى ما يفيد معناه و زيادة أنه يعبد الله مخلصا و لا يعبد غيره، و أنه لا يستحق اسم العبادة إلا ما كان له خالصا، فقال: ﴿ فانا ﴾ أى فى الرتبة ﴿ اول العٰبدين ﴾ للرحمن، العبادةَ التى هى العبادة و لا يستحق غيرها أن يسمى عبادة و هى الخالصة، أى فأنا لا أعبد غيره لا ولدا و لا غيره، و لم يشأ الرحمن لى أن أعبد الولد، أو يكون المعنى: أنا أول العابدين للرحمن على وجه الإخلاص، لم أشرك به شيئا أصلا فى وقت من الأوقات مما سميتموه ولدا أو شريكا أو غيره، و لو شاء ما عبدته على وجه الإخلاص، و لا شك عندكم وعند غيركم أن من أخلص لأحد كان أولى من غيره برحمة، فلو أن الإخلاص

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: سمع (٢) راجع نثر المرجان ٦/٤٥٨ (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: فما (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: له (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: شبهتهم .

له ممنوع ما شاء لى[1]، و لولا أن عبادة غيره ممنوعة لشاءها لى، و لو أن له ولدا لشاء لى عبادته، فان عموم رحمته لكافة خلقه [2]لكونهم خلقه[2] و خصوصها[3] بى لكونى عبده خالصا له يمنع على زعمكم من أن يشقينى و أنا أخلص له، فبطلت شبهتكم بمثلها بل أقوى منها، و هذا مما علق بشىء[4] هو بنقيضه أولى، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن "ان" نافية[5] بمعنى: [ما ينبغى-[6]] أى ما كان له ولد، فانى أول من عبده رتبة و ما علمت له ولدا، و لو كان له[7] ولد لعلمته فعبدته تقربا إليه بعبادة ولده.

و لما بطلت الشبهة على تقدير ببرهان، و على آخر بشبهة أقوى منها، و ظهر الأمر و اتضح الحق فى أنه سبحانه يشاء لشخص فعل شىء و لآخر عدم فعل ذلك الشىء و فعل ضده أو نقيضه، و من المعلوم قطعا أنه لا يكون فعل النقيضين[8] و لا الضدين فى آن واحد حقا[9] من وجه واحد، فعرف بذلك أن العبرة فى الحلال و الحرام بأمره و نهيه لا بارادته، و أنه لولا ذلك / لما علم أنه فاعل بالاختيار يخص من يشاء[10] من عباده بما يشاء[10] بعد أن عمهم بما شاء، كان موضع التنزيه عما نسبوه

/ ٧٢١

(١) زيد فى الأصل و ظ: به، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) فى مد: خصوصا (٤) سقط من مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل و ظ: فيه (٦) زيد من مد (٧) من ظ و مد، و فى (٩) من ظ و مد، الأصل: لى (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: النقيض. و فى الأصل: اخفا (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: شاء.

إليه من الباطل ، فقال منزها على وجه مظهر أنه لايصح أن ينسب إليه ولد أصلا: ﴿ سبحن رب ﴾ أى مبدع و مالك ﴿ السمٰوٰت ﴾ و لما كان المقام للتنزيه وجهة العلوية أجدر ، لأنه أبعد[1] عن النقص[2] و النقيض[3] ، لم يقتض الحال إعادة لفظ الرب بخلاف ما يأتى آخر الجاثية ، فانه ٥ لإثبات الكمال و نظره[4] إلى جميع الأشياء على حد سواء فقال: ﴿ و الارض ﴾ أى اللتين كل ما فيهما و من فيهما مقهور مربوب محتاج لا يصح أن يكون له منه سبحانه نسبة بغير العبودية بالإيجاد[5] و التربية[6] .

و لما كانت خاصة الملك[6] أن يكون له ما لا[6] يصل إليه غيره بوجه أصلا ، قال محققا لملكه لجميع ما سواه و من سواه [و ـ[7]] ملكه له ، ١٠ و لم يعد العاطف لأن العرش من السماوات : ﴿ رب العرش ﴾ أى المختص به لكونه خاصة الملك الذى وسع كرسيه السماوات و الأرض ﴿ عما يصفون ٥ ﴾ من أنه[8] له ولد أو شريك .

و لما حصحص[9] الحق لمعت[10] فى الموجود كله أعلام الصدق بعد بطلان شبهتهم و بيان أغلوطتهم ، عرف أنهم فاعلون بوضع الأشياء ١٥ فى غير مواضعها[11] فعل الخائض اللاعب ، فقال مسببا عن ذلك : ﴿ فذرهم ﴾

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : عن البعد (٢ـ٢) سقط ما بين الرقمين من مد . (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : نظيره (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالاتحاد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : التنزيه (٦ـ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : انه حالا (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : ان . (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : حصص (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : بلعت ـ كذا (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : موضعها .

أى اتركهم [على أسوأ أحوالهم -[1]] ﴿يخوضوا﴾ أى يفعلوا فعل الخائض فى الماء فى وضع رجله التى هى عماده[2] فيما لايعرفه، و قد لا يرضاه لكونه لاعلم له به ﴿ و يلعبوا ﴾ [أى يفعلوا فعل اللاعب فى انهماكه فى فعل ما ينقصه و لايزيده ﴿ حتى يلاقوا﴾ أى يفعلوا بتصريم أعمارهم فى فعل ما لاينفعهم فعل المجتهدين فى أن يلقوا ﴿ يومهم الذى يوعدون ﴾ ٥ بوعد لاخلف فيه فيظهر فيه وعيدهم[3] و يحق[4] تهديدهم .

و لما نزهه سبحانه عن الولد و دل على ذلك بأنه مالك كل شىء و ملكه، و كان ذلك غير ملازم للالوهية، دل على أنه مع ذلك هو الإله لاغيره فى الكونين بدليل بديهى يشترك فى علمه الناس كلهم، و قدم السماء[5] ليكون أصلا فى ذلك يتبع[6] لأن الأرض تبع لها فى ١٠ غالب الأمور، فقال دالا على ان نسبة الوجود كله إليه على حد سواء لأنه منزه عن الاحتياج[7] إلى مكان أو زمان عاطفا على ما تقديره : تنزه عما نسبوه إليه الذى هو معنى "سبحن"[8]: ﴿ و هو الذى ﴾ [9]هو ﴿ فى السمآء اله﴾ أى معبود لايشرك[10] به شىء ﴿ و فى الارض اله[11] ﴾ توجه الرغبات إليه فى جميع الأحوال، و يخلص له فى جميع أوقات[12] ١٥

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : عماره (٣) من مد، و فى الأصل و ظ : وعدهم (٤) من ظ و مد، و فى الأصل : تحقق (٥) من مد، و فى الأصل و ظ : الماء (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : تبع (٧) من ظ و مد، وفى الأصل : الاحتجاج (٨) من ظ ومد، وفى الأصل : سبحانه .
(٩) زيد فى الأصل : سبحانه وتعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(١٠) من ظ و مد، وفى الأصل : لايشترك (١١) ليس فى الأصول (١٢) من ظ و مد، و فى الأصل : الأوقاف .

الاضطرار ، فقد وقع الإجماع من جميع من فى السماء و الأرض على إلهيته[1] فثبت استحقاقه لهذه الرتبة و ثبت اختصاصه باستحقاقها فى الشدائد فباقى الأوقات[2] كذلك من غير فرق[3] لأنه لامشارك له فى مثل[4] هذا الاستحقاق ، فعبادة غيره باطلة . قال فى القاموس : أله ـ أى بالفتح ـ [5]إلاهة و ألوهة[5] و ألوهية : عبد[6] عبادة ، و منه : لفظ الجلالة ـ و أصله : إله بمعنى معبود[7] و كل ما اتخذ معبودا[8] فهو إله [9]عند متخذه[9]، و أله كفرح : تحير ، فقد علم من هذا جواز تعلق الجار بالله[10] .

و لما كان الإله لايصلح للألوهية إلا إذا كان يضع الأشياء فى محالها بحيث لايتطرق إليها فساد ، و لايضرها إفساد مفسد ، و كان لا يكون كذلك إلابالغ العلم [قال -[11]] : ﴿ و هو الحكيم ﴾ أى البليغ[12] الحكمة ، و هى العلم الذى لأجله وجب الحكم من قوام من أمر المحكوم عليه فى عاجلته و آجلته ، [13]و لما كانت[13] الحكمة العلم بما لأجله وجب الحكم قال تعالى : ﴿ العليم ﴾ أى البالغ فى علمه إلى حد لايدخل [فى -[11]] عقل العقلاء

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : الهيئة (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الافاق (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : فرت (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : به شيء ولا شك فى (٥-٥) من مد و القاموس ، و فى الأصل : الإهيه (٦) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و القاموس فحذفناها . (٧) فى القاموس : مالوه (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : معبود . (٩-٩) من مد و القاموس ، و فى الأصل : عنده اى عند من اتخذ (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اله (١١) زيد من مد (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالغ (١٣-١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : كان .

أكثر من وصفه به على طريق المبالغة و لو وسعوا أفكارهم و أطالوا أنظارهم[1] لأنه ليس كمثله شيء[2] فى ذاته[2] و لا صفة من صفاته ليقاس به، [و -[3]] كل من ادعى فيه أنه شريك له لايقدر من أشرك به أن يدعى له [4]ما وصف[4] به من الإجماع على ألوهيته[5] و من كمال علمه و حكمه، فثبت[6] قطعا ببطلان الشركة بوجه يفهمه كل أحد، فلا خلاص حينئذ ٥ إن[7] خالف كائنا من كان، و إذا قد صح أنه الإله وحده و أنه منزه عن شريك و ولد و كل شائبة نقص كان [بحيث -[3]] لا يخاف وعيده، فلا يخوض و لايلعب عبيده، و من خاض [منهم -[3]] أو لعب فلا يلومن إلا نفسه، فان عمله محفوظ بعلمه فهو مجاز عليه بحكمته.

و لما نزه ذاته الأقدس و أثبت لنفسه استحقاق الإلهية بالإجماع ١٠ من خلقه [8]بما ركزه[8] فى فطرهم و هداهم[9] إليه بعقولهم، أتبع ذلك أدلة أخرى باثبات كل كمال بما تسعه العقول و بما لا تسعه مصرحا بالملك فقال: ﴿و تبارك﴾ أى ثبت ثباتا[11] لايشبهه ثبات لأنه لا زوال مع التيمن و البركة و كل كمال، فلا تشبيه[12] له حتى يدعى أنه ولد له

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: انتظارهم (٢-٢) من ظ و مد، و فى الأصل: و ادانه (٣) زيد من مد (٤-٤) من مد، و فى الأصل و ظ: وصفا (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الهيبة (٦) من مد، و فى الأصل و ظ فيثبت. (٧) فى مد: بأن (٨-٨) من ظ و مد، و فى الأصل: كما ذكره (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: هواهم (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: اثبت. (١١) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها. (١٢) من مد، و فى الأصل و ظ: شبهة.

أو شريك، ثم وصفه بما يبين تباركه و اختصاصه بالإلهية فقال: ﴿ الذى له ملك السمٰوٰت ﴾ أى كلها[1] ﴿ و الارض ﴾ كذلك ﴿ و ما بينهما ج ﴾ و بين كل اثنين منها[2]، و الدليل على هذا الإجماعُ القائم على توحيده عند الاضطرار .

٥ و لما ثبت اختصاصه بالملك [و كان الملك لا يكون إلا عالما بملكه و كان ربما ادعى مدع و تكذب معاند فى الملك -[4]] أو العلم، قطع الأطماع بقوله: ﴿ و عنده ﴾ أى وحده ﴿ علم الساعة ج ﴾ سائقا له مساق ما هو معلوم الكون، لا مجال للخلاف فيه [إشاره -[3]] إلى ما عليها من الأدلة القطعية المركوزة فى الفطر[5] الأولى فكيف بما يؤدى إليه

١٠ الفكر من الذكر المنبه عليه السمع، و لأن من ثبت اختصاصه بالملك وجب قبول أخباره لذاته، و خوفا من سطواته، و رجاء فى بركاته ﴿ و اليه ﴾ أى وحده لا إلى غيره بعد قيام الساعة ﴿ ترجعون ۝ ﴾ بأيسر أمر تحقيقا لملكه و قطعا للنزاع فى وحدانيته، و قراءة الجماعة[6] و هم من عدا ابن كثير و حمزة و الكسائى و ورش عن يعقوب بالخطاب أشد

١٥ تهديدا من قراءة الباقين بالغيب، و أدل على تناهى الغضب على من لا يقبل إليه بالمتاب بعد رفع كل ما يمكن أن يتسبب عنه ارتياب .

(١) زيد فى الأصل: جميعا، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: منهما (٣) زيد من مد (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: الالة (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الفطرة (٦) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٦١ .

و لما

و لما أرشد السياق قطعا إلى التقدير: فلا شريك له فى شىء من ذلك و لا ولده و لايقدر أحد منهم على التخلف عن الرجوع إليه كما أنه لايقدر أحد[1] على مدافعة قضائه و قدره، عطف عليه قوله: ﴿ و لا يملك ﴾ أى بوجه من الوجوه فى وقت ما[2] ﴿ الذين يدعون ﴾ أى يجعلونهم فى موضع الدعاء بعبادتهم لهم، و بين سفول رتبتهم بقوله تعالى: ﴿ من دونه ﴾ من أدنى رتبة من رتبته[3] من الأصنام و الملائكة و البشر و غيرهم ﴿ الشفاعة ﴾ أى فلا يكون منهم شفيع كما زعموا أنهم شفعاؤهم ﴿ الا من شهد ﴾ أى منهم ﴿ بالحق ﴾ أى التوحيد الذى يطابقه[4] الواقع إذا انكشف [أتم انكشاف -[5]] و كذا ما يتبعه فانه يكون أهلا لأن يشفع كالملائكة و المسيح عليهم الصلاة و السلام، و المعنى أن أصنامهم التى ادعوا أنها تشفع[5] [لهم لاتشفع -[5]] غير أنه تعالى ساقه على أبلغ ما يكون لأنه كالدعوى.

و لما كان ذلك مركوزا حتى[6] فى فطر الكفار فلا يفزعون فى وقت الشدائد إلا إلى الله، و لكنهم لايلبثون أن يعملوا من الإشراك بما[7] يخالف ذلك، فكأنه لا علم لهم قال: ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أن

(١) سقط من مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: من الاوقات (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: رتبة (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لايطابقه.
(٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: جرم (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: مما.

من شهد ﴿ يعلمون ﴾ أى على بصيرة مما شهدوا به، فلذلك[1] لا يعملون[2] بخلاف ما شهدوا [إلا -[3]] جهلا منهم بتحقيق معنى التوحيد، فلذلك يظنون أنهم لم يخرجوا عنه و إن أشركوا. أو يكون المعنى: و هم من أهل العلم، و الأصنام ليسوا كذلك، وكأنه أفرد أولا إشارة إلى أن التوحيد ٥ فرض عين على كل أحد بخصوصه و إن خالفه كل غير، و جمع ثانيا إيذانا بالأمر بالمعروف ليجتمع الكل على العلم و التوحيد هو الأساس الذى لا تصح عبادة إلا به، و تحقيقه هو العلم الذى لا علم يعدله، [قال الرازى فى اللوامع: و جميع الفرق إنما ضلوا حيث لم يعرفوا -[3]] معنى الواحد على الوجه الذى ينبغى إذ الواحد قد يكون مبدأ العدد، و قد ١٠ يكون مخالطا للعدد، و قد يكون ملازما للعدد، و الله تعالى منزه عن هذه الوحدات - انتهى. ففى الآية تبكيت لهم فى أنهم يوحدون فى أوقات، فاذا أنجاهم الذى وحدوه[4] [5]جعلوا شكرهم[5] له فى الرخاء إشراكهم به، و منع لهم من ادعاء هذه الرتبة. و هى الشهادة بالحق لأنهم[6] انسلخوا باشراكهم عن العلم، و أن[7] الملائكة لا تشفع لهم لأن ذلك ١٥ يؤدى إلى أن تكون قد [8]عملت بخلاف[8] ما تعلم، و ذلك ينتج الانسلاخ

(١) من مد، و فى الأصل: فلذلك، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة إلى « شهدوا به » ساقطة من ظ (٢) من مد، و فى الأصل: يعلمون (٣) زيد من مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: وحدوه (٥ - ٥) من مد، و فى الأصل و ظ: شركهم (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لا (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: الى (٨-٨) من مد، و فى الأصل و ظ: علمت.

من العلم المؤهل للشفاعة، و قال ابن الجوزى: [و - ١] فى الآية دليل على أن شرط جميع الشهادات أن يكون الشاهد عالما بما يشهد به.

و لما كان التقدير [لتقرير - ٢] وجود إلهيته فى الأرض بالاجتماع ٣: فلئن سألتهم من ينجيهم فى وقت كروبهم ليقولن: الله، ٤ليس لمن ندعوه ٤ من دونه [هناك فعل - ١]، فقال عطفا عليه: ﴿و لئن سالتهم﴾ أى ٥ الكفار ٥ ﴿من خلقهم﴾ أى العابدين و المعبودين معا، ٦أجابوا بما يدل على عمى القلب الحقيق المجبول عليه و المطبوع بطابع الحكمة الإلهية عليه، و لم يصدقوا فى جواب مثله بقولهم / «إذا سالتهم» ٦: ﴿ليقولن الله﴾ ٧٢٤ / الذى له جميع صفات الكمال هو الذى خلق ٧ الكل ليس لمن يدعوه منه شىء، و لذلك سبب عنه قوله: ﴿فأنى﴾ أى كيف و من أى جهة ١٠ بعد أن أثبتوا له الخلق و الأمر ﴿يؤفكون﴾ أى يقلبون عن وجوه الأمور إلى أقفائها من قالب ما كائنا من كان، فيدعون أن له شريكا تارة بالولدية، و تارة بغيرها، مع ما ركز فى فطرهم ٨ مما ثبت به أنه ٩ لاشريك له لأن له الخلق و الأمر كله ١٠.

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: بالاجماع (٤-٤) من مد، و فى الأصل و ظ: لن يدعو (٥) زيد فى الأصل: بالمشركين من اى وجه كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها. (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) زيد فى الاصل: الكمال و هو الذى خلق، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: فطر (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: لأنه (١٠) سقط من ظ و مد.

و لما أبطل سبحانه شبهتهم [و -[1]] وهى غاية التوهية أمرهم[2] فى شركهم و ادعائهم الولد و غير ذلك مما تضمنته أقوالهم الفاسدة المنسوبة إليهم فى هذه السورة ، و أقام حجج الحق ، و نصب براهين الصدق ، و أثبت ما ينفعهم ، و حذرهم ما يضرهم ، حتى ختم ذلك بقوله ٥ [مقسما -[3]] مع جلالة[4] قدره و عظم أمره " لقد جئتكم بالحق " ثم [حصر -[3]] امرهم فى رد ذلك إن ردوه إلى قسمين فى حالين : حال مجاهرة و حال مما كرة ، و أخبر أنه لانجاة لهم على حالة منهما ، و[5] أخبر أن[6] رسله تعالى يكتبون جميع أمورهم ، ذلك [مع غناه عن ذلك لعلمه -[3]] بما يكتبونه من ذلك و غيره مما لا يطلعون عليه ، فكان ذلك فخرا عظيما ١٠ ملاحما أشد الملاحمة لما قدمه[7] من شبهتهم فى ادعاء الولد فأكد إبطالها و حقق زوالها ، و ختم بالتعجيب[8] من حالهم فى تركهم وجوه الأمور و اتباعهم أقفاءها ، و كان من جملة ذلك عملهم عمل من يظن أن الله سبحانه لايسمع قولهم الموجب لأخذهم و قول رسوله [الموجب -[3]] لنصره ، عطف على ما مضى من إنكارهم عليهم عدم سماعه لقولهم ، و لما ١٥ كان اشتدادهم فى تكذيبهم و مباعدتهم و عنادهم لايزداد بمرور الزمان

(١) زيد من مد (٢) من مد ، وفى الأصل وظ : امر (٣) زيد من ظ ومد .
(٤) فى مد : جلال (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : او (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : بان (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : قدمته (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالتعجب .

إلا قوة أوقع فى نفس الرسول[١] صلى الله عليه و سلم أسفا و رقة و شفقة عليهم و عطفا، و صار يشكو أمرهم إلى ربه شكوى المضطر سرا و علنا إرادة التيسير[٢] فى أمرهم و التهوين لشأنهم، فاختير للتعبير[٣] عن هذا المعنى مصدر[٤] "قال" المشترك لفظه مع لفظ الماضى المبنى للمجهول إشارة إلى أن شكواه بذلك كأنها صارت أمرا ضروريا له لا اختيار له فى قوله ٥ فكأنه[٥] صار قولا من غير قائل أو من غير قصد، لأنه صار حالا من الأحوال، و وصل به الضمير من غير تقدم ذكر، إشارة إلى [أن -[٦]] ضميره قد امتلأ[٥] بتلك الشفقة عليهم و الرحمة لهم، فقال تعالى عطفا على سرهم المقدر بعد "بلى" فى قوله تعالى "انا لانسمع سرهم و نجوٰهم [بلى -[٧]]" أو يكون معطوفا على [محل -[٦]] الساعة [أى -[٧]] ١٠ "و يعلم قيله" قاله الزجاج، و عدل فى هذا الوجه - و هو قراءة الجماعة - عن[٨] الجر عطفا على لفظها [تعظيما -[٦]] لما أوصله إلى هذا القيل[٩] من أذاهم، و الذى [دل -[٦]] على تقدير هذا الفعل قراءة عاصم[١٠] له [و حمزة -[١١]] بالجر فانه[١٢] ظاهر فى تعلقه بذلك لعطفه على لفظ

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: رسول الله (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: التيسر (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: للتخيير (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لفظا (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: فكان (٦) زيد من مد (٧) زيد من ظ و مد (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: بين (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: السبيل (١٠) راجع نثر المرجان ٦/٤٦٣ (١١) زيد من مد و نثر المرجان. (١٢) من ظ و مد. و فى الأصل: و انه.

" الساعة " ، و قرئ[1] شاذا بالرفع ، و وجهه أن الواو للحال ، أى كيف يصرفون عن اتباع رسولنا الآمر لهم بتوحيدنا فى العبادة كما أنا [2]توحدنا / بالخلق[2] و الحال أن قيله كذا فى شكايتهم ، أفيظنون أنا لانصره و قد أرسلناه : ﴿ و قيله ﴾ الذى صار فى ملازمته و عدم انفكاكه حالا من الأحوال ، الدال على وجه قيله و انكسار نفسه بما دلت عليه [كسرة -[3]] المصدر و ياؤه المجانسة لها ، و التعبير بقوله : ﴿ يرب ﴾ دال على ذلك بما [4]تفيده « يا » الدالة[4] على بعد ، أو تقديره : و الرب الدال على الإحسان و العطف و الشفقة و التدبير و السيادة و الاختصاص و الولاية ، و ذلك على غير العادة فى دعاء المقربين ، فانها جارية فى القرآن باسقاط أداة النداء .

/ ٧٢٥

[و لما كان الإرسال إليهم - و المرسل قادر - مقتضيا لإيمانهم ، أكد ما ظهر له من حالهم بقوله زيادة -[5]] فى التحسر و إشارة إلى أن تأخير أمرهم يدل على أن إيمانهم مطموع فيه : ﴿ ان هؤلاء ﴾ لم يضفهم إلى نفسه[6] بأن يقول : قومى ، و نحو ذلك من العبارات و لا[7] سماهم باسم قبيلتهم لما ساءه[8] من حالهم ، و أتى بهاء المنبهة قبل اسم على غير عادة الأصل إشارة إلى أنه استشعر من نفسه بعدا[9] استصغارا لها و احتقارا[10]

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : قرا (٢ - ٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : توعدنا بالحق (٣) زيد من مد (٤ - ٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : سده بالدلالة (٥) زيد من ظ و مد (٦) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد . (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : لما (٨) من ظ و مد و فى الأصل : ساله . (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : بعد (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : احتقار .

﴿ قوم ﴾ أى أقوياء على الباطل ﴿ لا يؤمنون ﴾ أى لا يتجدد منهم هذا الفعل .

و لما كان هذا قولا دالا على غاية ما يكون من بلوغ الجهد، تسبب عنه ما يسره بايمانهم و بلوغهم الرتب العالية التى هى نتيجة ما كان مترجى[1] لهم أول السورة، و ذلك كله ببركته صلى الله عليه و سلم ٥ فى سياق ظاهره التهديد و باطنه - بالنسبة إلى علمه[2] - البشارة[3] بالتشديد فقال: ﴿ فاصفح عنهم ﴾ أى اعف عمن أعرض منهم صفحا فلا تلتفت إليهم بغير التبليغ ﴿ و قل ﴾ أى لهم: ﴿ سلم ﴾ أى شأنى الآن[4] متاركتكم بسلامتكم منى و سلامتى منكم ﴿ فسوف يعلمون ﴾ بوعد لاخلف / فيه، فهذا ظاهره[5] تهديد كبير، و قراءة المدنيين و ابن عامر بالخطاب[6] أشد ١٠ تهديدا، و باطنه[7] من التعبير[7] بالصفح عنهم و[8] السلام بشارة[8] بأنهم يصيرون علماء فيفوقون الأمم فى العلم بعد أن يفوقوهم[9] فى العقل - بما أفهمه أول السورة - فيعلون الأمم فى المشى على مناهج العقل، فلله دره من

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مرتجى (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: علة (٣) زيد فى الأصل: التامة، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٤) من مد، و فى الأصل و ظ: لأن (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ظاهر.
(٦) راجع نثر المرجان ٦/٤٦٤ (٧-٧) من مد، و فى الأصل و ظ: بالتعبير.
(٨-٨) من مد، و فى الأصل و ظ: البشارة (٩) من مد، و فى الأصل و ظ: يروقوهم.

احر عانق الأول ، و مقطع رد إلى المطالع[1] [2]تنزل ، يا ناظم اللآلئ[2] أين تذهب عن هـــذا البناء العالى ، و تغفل[3] عن [4]هذا الجوهر[4] الرخص الغالى ، و تضل عن هذا الضياء اللامع المتلألئ ، ثم أعلاه فأنزله ، و أغلاه بدر المعانى[5] و فضله[6] .

* * * * *

(١) من ظ ، و فى الاصل و مد : المطلق (٢-٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تنزل بالاصم اللاتى (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : مقل - كذا (٤-٤) من ظ و مد ، و في الأصل : هذه الجواهر (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : المعالى (٦) زيد فى الأصل : على ما سواه من الكتب المنزلة و الله الهادى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

خاتمة الطبع

لقد تم ـ و الحمد لله ـ طبع الجزء السابع عشر من تفسير "نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى يوم الجمعة الخامس و العشرين من جمادى الثانية سنة ١٤٠١هـ = الأول من مايو سنة ١٩٨١ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضى المحكمة العليا سابقا ـ بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره.

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى السيد الفاضل محمد عمران الأعظمى الأنصارى العمرى (أفضل العلماء ـ جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) ـ حفظهما الله.

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة ـ كان الله له و لوالديه.

و يليه الجزء الثامن عشر باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة "الدخان".

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلى و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الدخان[1]

[2]مقصودها الإنذار من الهلكة لمن لم يقبل ما في الذكر الكريم[3] الحكيم من الخير و البركة رحمة جعلها بين عامة خلقه مشتركة، و على ذلك دل اسمها[4] الدخان إذا تؤملت آياته و إفصاح ما [5]فيها و إشاراته[5]. ﴿ بسم الله ﴾ الملك الجبار الواحد القهار ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة[6] النذارة ﴿ الرحيم ﴾ الذى [خص -[7]] أهل وداده برحمة البشارة. /﴿ حم ﴾ تقدمت الإشارة إلى شيء من أسرار أخواتها. /٧٢٦

لما[8] ختمت الزخرف ببشارة باطنة و نذارة ظاهرة، وكان ما بشر به سبحانه من علم العرب و سلامتهم من غوائل ما كانوا فيه مستبعدا، افتتح هذا بمثل ذلك مقسما عليه فقال: ﴿ و الكتب ﴾ [أى -[7]] الجامع

(١) الرابعة و الأربعون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها تسع و خمسون عند الكوفين و سبع عند البصريين، و ست عند المدنيين و المكى و الشامى (٢) زيد فى الأصل: قال رحمه الله تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) ليس فى ظ و مد (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: اسمه. (٥-٥) من ظ و مد، و فى الأصل: راته (٦) من مد، و فى الاصل و ظ: بنعمته (٧) زيد من مد (٨) فى الأصول: و لما، و ما أثبتناه ينسجم مع ما داب عليه المؤلف فى أوائل السور.

لكل خير ﴿ المبين ٥ ﴾ أى البين فى نفسه، الموضح لما تقدم من دقيق البشارة[1] لأهل الصفاء و البصارة، واضح[2] النذارة بصريح العبارة، و غير ذلك من كل ما يراد منه، و لأجل ما ذكر من الاستبعاد أكد جواب القسم و أتى به فى مظهر العظمة فقال[3]: ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة ٥ ﴿ انزلنه ﴾ أى الكتاب إما[4] جميعا إلى بيت العزة فى سماء الدنيا أو ابتدأنا إنزاله إلى الأرض ﴿ فى ليلة مبركة ﴾ أى ليلة القدر - قاله ابن عباس رضى الله عنهما[5] أو النصف من شعبان، فلذلك يتأثر[6] عنه من التأثيرات[7] ما لم تحط به الأفهام فى الدين و الدنيا، قال الأستاذ أبو القاسم القشيرى: ينزل إلى سماء[8] الدنيا كل سنة بمقدار ما كان جبريل ١٠ عليه السلام ينزله على الرسول صلى الله عليه و سلم فى تلك السنة، و سماها "مبركة" لأنها ليلة افتتاح الوصلة و أشد الليالى بركة ليلة يكون [9]العبد فيها[9] حاضرا بقلبه مشاهدا لربه، يتنعم فيها بأنوار الوصلة [10]و يجد فيها[10] نسيم القربة، و قال الرازى فى اللوامع: و أعظم الليالى بركة ما كوشف[11] فيها بحقائق الأشياء.

---

(١) من مد، و فى الأصل: البصارة (٢) من مد، و فى الأصل: اوضح. (٣) العبارة من « والكتاب » إلى هنا ساقطة من ظ (٤) فى مد: إلى - خطا. (٥) راجع أيضا معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/١١٩ (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: تباشر (٧) من مد، و فى الاصل و ظ: التأثرات (٨) فى مد: السماء (٩-٩) من ظ و مد، و فى الأصل: فيها العبد (١٠-١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: بحذفها (١١) من مد، و فى الأصل و ظ: كشف.

و لما

و لما كان هذا موضحا لما لوح به آخر تلك من البشارة فى ظاهر النذارة، علل الإنزال أو[1] استأنف ما فيه من واضح النذارة الموصل إلى المعانى المقتضية للبشارة ، فقال مؤكدا لأجل تكذيبهم: ﴿ انا ﴾ أى على ما [2]نحن عليه[2] من الجلال ﴿ كنا ﴾ بما لنا من العظمة دائما لعبادنا ﴿ منذرين ٥ ﴾ لانؤاخذهم[3] من غير إنذار، فلأجل رحمتنا لهؤلاء القوم ٥ و هم أرق الناس طبعا و أصفاهم[4] قلوبا و أوعاهم [سمعا - ٥] نوصلهم بما هيأناهم به من ذلك إلى ما لم يصل غيرهم إليه و لم يقاربه من المعالى فى الأخلاق و الشمائل و الاكتساب لجميع الفضائل .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت [سورة - ٥] حم السجدة و سورة الشورى من ذكر الكتاب العزيز ما قد أشير إليه مما ١٠ لم تنطو[6] سورة غافر على شىء منه ، وحصل[7] من مجموع ذلك الإعلام بتنزيله[8] من عند الله و تفصيله و كونه قرآنا عربيا إلى ما ذكر تعالى من خصائصه إلى قوله " و انه لذكر لك و لقومك / و سوف تسئلون" و تعلق الكلام بعد[9] هذا بعضه ببعض إلى آخر السورة، افتتح[10] تعالى سورة الدخان بما يكمل ذلك الغرض، و هو التعريف بوقت إنزاله إلى ١٥

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لنا (٣) فى مد : لانأخذهم (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اطفاهم (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : لم تنطوى (٧) من ظ و مد ، و فى الاصل : حاصل (٨) من ظ و مد ، و فى الاصل : مزيلة (٩) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (١٠) فى مد : استفتح .

سماء الدنيا فقال تعالى " انا انزلنه فى ليلة مبركة" ثم[1] ذكر من فضلها
فقال " فيها يفرق كل امر حكيم" فحصل وصف / الكتاب بخصائصه /٧٢٧
و التعريف بوقت إنزاله إلى سماء [الدنيا -[2]] و تقدم الاهم من ذلك
فى السورتين قبل ، و تأخر التعريف بوقت إنزاله[3] إلى سماء[4] الدنيا إذ
٥ ليس فى التأكيد كالمتقدم ، ثم وقع إثر هذا تفصيل[5] وعيد قد أجمل
فى قوله تعالى "فاصفح عنهم و قل سلم فسوف يعلمون" و ما تقدمه
من قوله " ام ابرموا امرا فانا مبرمون" و قوله سبحانه "ام يحسبون انا
لانسمع سرهم و نجوٰهم" و تنزيهه سبحانه و تعالى نفسه عن عظيم افترائهم
فى جعلهم الشريك و الولد - إلى آخر السورة ، ففصل بعض[6] ما أجملته
١٠ هذه الآى فى[7] قوله تعالى فى صدر سورة الدخان " فارتقب يوم تاتى
السماء بدخان مبين" و قوله تعالى " يوم نبطش البطشة الكبرى" ،
و الإشارة إلى يوم بدر ، ثم ذكر شأن غيرهم فى هذا و هلاكهم بسوء
ما ارتكبوا ليشعروا[8] أن لا فارق [9]إن هم[9] عقلوا و اعتبروا ، ثم عرض
بقرنهم[10] فى مقالته ما بين لابتيها أعز منى و لا أكرم ، ثم[11] ذكر تعالى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما (٢) زيد من مد (٣) فى مد : نزوله .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : السماء ، و هذه الكلمة مع ما قبلها و ما بعدها ساقطة
من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : التفصيل (٦) من ظ و مد ، و فى
الأصل : بعد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : من (٨) من مد ، و فى الأصل :
و ظ : حتى يشعروا (٩-٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : انهم (١٠) من مد ،
و فى الأصل و ظ : بفرعون هم (١١) فى مد « و »

شجرة الزقوم" إلى قوله "ذق انك انت العزيز الكريم" و التحم هذا كله التحاما يبهر العقول، ثم اتبع بذكر حال المتقين جريا على المطرد من شفع الترغيب و الترهيب ليبين حال الفريقين و ينتج[1] علم الواضح من الطريقين، ثم قال لنبيه صلى الله عليه و سلم "فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون" و قد أخبره مع بيان الأمر و وضوحه أنه "انما يتذكر من يخشى" ثم قال "فارتقب" وعدك و وعيدهم "انهم مرتقبون".

و لما وصف ليلة إنزال هذا القرآن بالبركة، و أعلم أن من أعظم بركتها النذارة، [2]و كانت النذارة[2] مع أنها [3]فرقت من[3] البشارة أمرا عظيما موجبا لفرقان ما بين المحاسن و المساوئ من الأعمال قائدة إلى كل خير بدليل أن اتباع ذوى البركة من العلماء، و إذا تعارض عندهم أمر العالم و الظالم، قدموا أمر الظالم لما يخافون من نذارته، و أهملوا أمر العالم و إن عظم الرجاء لبشارته، قال معللا لبركتها بعد تعليل الإنزال فيها، و معمما لما يحصل فيها من بركات التفضيل[4]: ﴿فيها﴾ أى الليلة المباركة سواء قلنا: إنها ليلة القدر أو ليلة النصف أصالة أو مآلا ﴿يفرق﴾ أى ينشر و يبين و يفصل و يوضح مرة بعد مرة ﴿كل امر حكيم ۝﴾ أى محكم الأمر لايستطاع أن يطعن فيه بوجه من جميع ما يوحى به من الكتب و غيرها و الأرزاق و الآجال و النصر و الهزيمة و الخصب

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: ينتهج (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من مد.
(٣-٣) من مد، و فى الأصل: فرقة مع، و فى ظ: فرقة من (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: التفصيل.

و القحط و غيرها من جميع أقسام[1] الحوادث و جزئيا[2] في أوقاتها و أماكنها. و يبين ذلك للملائكة من تلك الليلة إلى مثلها [3]من العام المقبل فيجدونه سواء فيزدادون بذلك إيمانا. قال البغوي[4] رحمه الله: قال ابن عباس رضي الله عنهما: يكتب من أم الكتاب [في ليلة القدر - [5]] ما هو كائن في السنة من الخير و الشر، و الأرزاق و الآجال، قال: و روى أبو الضحى عنه أن الله تعالى يقضي الأقضية في ليلة النصف من شعبان فيسلمها إلى أربابها [6]في ليلة القدر. و قال الكرماني: فيسلمها إلى أربابها[6] و عمالها من الملائكة ليلة السابع و العشرين من شهر رمضان.

و لما كان هذا مفهما لأمور لاحصر لها، بين أنه لا كلفة عليه سبحانه فيه، و لاتجدد عنده في وقت من الأوقات لشيء لم يكن قبل إلا تعلق القدرة بالمقدور على وفق الإرادة، فقال مؤكدا [7]لفخامة ما[7] تضمنه وصفه بأنه حكيم: ﴿ امرا ﴾ أي حال كون هذا كله مع انتشاره و عدم انحصاره أمرا عظيما جدا واحدا لا تعدد فيه[8] دبرناه في الأزل و قررناه و أتقناه و اخترناه ليوجد في[9] أوقاته بتقدير، و يبرز[9] على ما له من

(١) من ظ و مد، وفي الأصل: الاشياء (٢) من مد، وفي الأصل وظ: جزيتها.
(٣) من ظ و مد، و في الأصل: قبلها (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/١٢٠.
(٥) زيد من مد و المعالم (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧-٧) من مد، و في الأصل و ظ: لما (٨) زيد في الأصل: و نحن قد، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٩ - ٩) من مد، و في الأصل و ظ: اوقات بتقدير امرنا و برز.

الإحكام فى احيانه فى[1] أقل [من -[2]] لمح البصر ، و دل على أنه ليس مستغرقا لما تحت قدرته سبحانه باثبات الجار فقال: ﴿ من عندنا[4] ﴾ أى من العاديات و الخوارق و ما وراءها . و لما بين [حال -[3]] الفرقان الذى من جملته الإنذار ، علله بقوله مؤكدا لما لهم من الإنكار : ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من أوصاف الكمال و كمال العظمة ﴿ كنا ﴾ أى أزلا وأبدا ٥ ﴿ مرسلين ج ﴾ أى لنا صفة الإرسال بالقدرة عليها فى [كل -[3]] حين و الإرسال لمصالح العباد ، لابد فيه من الفرقان بالبشارة و النذارة و غيرهما حتى لايكون لبس ، فلا يكون لأحد على الله حجة[4] بعد الرسل[4] ، و هذا الكلام المنتظم و القول الملتحم بعضه[5] ببعض ، المتراصف[6] أجمل رصف فى وصف ليلة الإنزال دال على أنه لم تنزل[7] صحيفه و لا كتاب[8] إلا ١٠ فى هذه الليلة ، فيدل على أنها ليلة القدر للأحاديث الواردة فى أن الكتب كلها نزلت فيها كما بينته فى كتابى " مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور " و كذا قوله فى سورة القدر " تنزل الملئكة و الروح فيها باذن ربهم من كل امر " فان الوحى الذى [هو -[2]] مجمع ذلك هو روح الأمور الحكيمة[9] ، و بين سبحانه حال الرسالات ١٥

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : من (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و مد.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : بعض .
(٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : المراصف (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : لم ينزل (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : كتابا (٩) فى الأصل و ظ : الحكية ، و فى مد : الحكيم .

بقوله : ﴿ رحمة ﴾ و عدل لأجل ما اقتضاه التعبير بالرحمة عما كان من أسلوب التكلم بالعظمة [1]من قوله[1] "منا" إلى قوله : ﴿ من ربك[1] ﴾ أى المحسن[2] إليك بارسالك و إرسال كل نبى مضى[3] من قبلك ، فان رسالاتهم[4] كانت لبث الأنوار فى العباد ، و تمهيد الشرائع فى العباد ، حتى استنارت القلوب ، و اطمأنت النفوس ، بما صارت تعهد من شرع الشرائع و توطئة الأديان ، فتسهلت طرق الرب لتعميم رسالتك حتى ملات أنوارك الآفاق ، فكنت نتيجة كل من تقدمك من الرفاق .

و لما كانت الرسالة لابد فيها من السمع و العلم ، قال : ﴿ انه هو[5] ﴾ أى وحده ﴿ السميع ﴾ أى فهو الحى المريد[6] ﴿ العليم[5] ﴾ فهو القدير البصير المتكلم ، يسمع ما يقوله رسله و ما يقال لهم ، وكل ما يمكن أن يسمع و إن كان بحيث لايسمعه غيره من الكلام النفسى و غيره الذى هو بالنسبة إلى سمعنا كنسبة ما تسمعه من الكلام إلى سمع الأصم و سمعه ليس كأسماعنا ، بل هو متعلق / بالمسموعات على ما هى عليه قبل وجودها كما أن علمه متعلق بالمعلومات كما هى قبل كونها .

و لما ذكر إنزال الكتاب على تلك الحال العظيمة البركة لأجل الإرسال ، و بين أن معظم ثمرة الإرسال[6] الإنذار لما للرسل إليهم من أنفسهم

(١-١) من ظ و مد ، و فى الاصل : بقوله (٢) فى مد : المرسلى (٣) سقط من مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : رسالته (٥) من مد ، وفى الأصل وظ : الفريد (٦) زيد فى الأصل : الانزال و ثمرة الإنزال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

من التوار[1]، دل على ذلك من التدبير المحكم الذى اقتضته حكمة التربية فقال: ﴿ رب ﴾ أى مالك[2] ومنشئ و مدبر ﴿ السمٰوٰت ﴾ أى جميع الأجرام العلوية[3] ﴿ و الارض ﴾ [4] و ما فيها[4] ﴿ و ما بينهما[4] ﴾ مما تشاهدون من هذا الفضاء، و ما فيه من الهواء و غيره، مما تعلمون من اكتساب العباد، و غيرهما مما لاتعلمون، و من المعلوم أنه ذو العرش و الكرسى فعلم بهذا أنه مالك الملك كله.

و لما كانوا مقرين بهذه الربوبيـــة و ينافون[5] من وصفهم بانهم غير محققين لشىء يعترفون[6] به، أشار إلى ما يلزمهم[7] بهذا الإقرار إن كانوا [كا - [8]] يزعمون من التحقيق [فقال - [9]]: ﴿ ان كنتم موقنين ﴾ أى إن كان لكم إيقان[10] بأنه الخالق لما ركز[11] فى غرائزكم و جبلاتكم رسوخ العلم الصافى السالم عن شوائب الأكدار من حظوظ النفوس و عوائق[12] العلائق، فأنتم تعلمون أنه لابد لهذه الأجرام الكثيفة جدا المتعالى بعضها عن بعض بلا ممسك تشاهدونه مع تغير كل منها[13] بأنواع الغير من رب، و أنه لايكون و هى على [هذا - [9]] النظام إلا و هو

(١) كذا من مد، و فى الأصل وظ: التوارد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: مبدى (٣) فى ظ و مد: العالية (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: تابعون (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: يعرفونه (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يكرمهم (٨) زيد من ظ و مد. (٩) زيد من مد (١٠) سقط من مد (١١) فى مد: ذكر (١٢) من مد، و فى الأصل و ظ: عرائق (١٣) من مد، و فى الأصل و ظ: منهما.

كامل العلم شامل القدرة ، مختار فى تدبيره ، حكيم فى شأنه كله و جميع تقديره ، و أنه لايجوز فى الحكمة أن يدع من فيها من العلماء[1] العقلاء الذين هم خلاصة ما فيها هملا يبغى بعضهم على بعض من غير رسول معلم بأوامره ، و أحكامه و زواجره ، منبه لهم على أنه ما خلق هذا الخلق كله إلا لأجلهم ، ليحذروا سطواته و يقيدوا[2] بالشكر على [3]ما حباهم[3] به من أنواع هباته .

و لما ثبت بهذا النظر الصافى ربوبيته ، و بعدم[4] اختلال التدبير على طول الزمان وحدانيته ، و بعدم الجرى على نظام واحد من كل وجه فعله بالاختيار و قدرته ، صرح بذلك منبها لهم على أن النظر الصحيح أنتج ذلك و لابد فقال تعالى : ﴿ لآ اله الا هو ﴾ [أي - ٥] و إلا لنازعه فى أمرهما أو بعضه منازع ، أو أمكن أن ينازع فيكون محتاجا لامحالة ، و إلا لدفع عنه[6] من يمكن نزاعه له و خلافه إياه ، فلا يكون صالحا للتدبير و القهر لكل من يخالف رسله . و الإيجاء[7] لكل من يوافقهم على مر الزمان و تطاول الدهر و مد[8] الحدثان على نظام مستمر ، و حال ثابت مستقر[9] .

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد . و فى الأصل : يصدوا .
(٣ - ٣) من مد ، و فى الأصل : من حياهم ، و فى ظ : من حباهم - كذا .
(٤) من ظ و مد ، و فى الاصل : بعد (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : نزاعه (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : الايحاء (٨) فى ظ ومد : مر (٩) من ظ و مد . و فى الأصل : مستمر .

و لما

و لما ثبت أنه لامدبر للوجود غيره، ثبت قوله تعالى: ﴿يحيي و يميت[1]﴾ لأن ذلك من أجل ما فيهما من التدبير، و هو تنبيه على تمام دليل الوحدانية لأنه لاشيء ممن فيهما يبقى ليسند التدبير[1] إليه، و يحال شيء من الأمور عليه، فهما جملتان: الأولى نافية لما أثبتوه من الشركة، و الثانية مثبتة لما نفوه من البعث. ٥

و لما ثبت أنه المختص بالإفاضة[2] و السلب، و كان السلب / أدل على القهر، ذكرهم ما له من[3] ذلك في أنفسهم فقال سبحانه: ﴿ربكم﴾ أي الذي [4]أفاض عليكم[4] ما تشاهدون من النعم في الأرواح و غيرها ﴿و رب [5]آبائكم﴾ و لما كانوا يشاهدون[6] من ربوبيته لأقرب[7] آبائهم ما يشاهدون لأنفسهم، رقى[8] نظرهم إلى النهاية فقال: ﴿الاولين[9]﴾ أي الذين[10] أفاض عليهم ما أفاض عليكم ثم سلبهم ذلك كما تعلمون، فلم يقدر أحد منهم على ممانعة و لا طمع في منازعة بنوع مدافعة. ١٠ / ٧٣٠

و لما كان أكثرهم منكرا لما لزمه القطع به بهذا البرهان الزاهر[9] و السلطان الظاهر[10] القاهر عنادا و لددا و إن كان باطنه على غير ذلك،

---

(١) من مد، و في الأصل و ظ: التربية (٢) من مد، و في الأصل و ظ: بالاضافة (٣) من ظ ومد، و في الأصل: ما (٤-٤) في الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و في الأصل: يشاؤن (٦) من ظ و مد، و في الأصل: لاقرى (٧) من مد، و في الأصل و ظ: و في (٨) من مد، و في الأصل و ظ: الذى (٩) من ظ و مد، و في الأصل: الظاهر (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: الباهر.

فكان[1] فعله فعل[2] الشاك اللاعب ، كان التقدير لأجل ما يظهر [من حالهم - [3]] : لكنكم غير موقنين بعلم من العلوم ، بنى عليه قوله مع الصرف إلى الغيبة إعراضا عنهم[4] إيذانا بالغضب ، و [5]أنهم أهل[5] للعاجلة بالعطب : ﴿ بل هم ﴾ أى بضمائرهم ﴿ فى شك ﴾ لأنهم لايجردون أنفسهم من شوائب المكدرات لصفاء العلم ، ثم أعلم نبيه صلى الله عليه و سلم أن الشاغل لهم عن هذا المهم حال الصبيان مع ادعائهم الكمال بأخلاق الأجلاء من[6] الرجال [فقال - [3]] : ﴿ يلعبون ٥ ﴾ أى يفعلون دائما فعل التارك[7] لما هو فيه من أجد الجد الذى لامرية فيه إلى اللعب الذى لافائدة فيه و لا ثمرة [له - [3]] بوجه بعد فعل الشاك بالإعراض و عدم الإسراع إلى التصديق و الايفاض[8] .

و لما كان هذا موضع أن يقول الرسول صلى الله عليه و سلم المفهوم من [9] السياق : فما ذا صنع فيهم بعد هذا البيان[9] ، الذى لم يدع لبسا لإنسان[10] ؟ سبب عن ذلك قوله تسلية له و تهديدا لهم : ﴿ فارتقب ﴾ أى انتظر[11] بكل جهدك عاليا عليهم ناظرا لأحوالهم نظر من هو حارس

(١) زيد فى الأصل و ظ : اصله ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٣) زيد من مد (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ان هم اهلا (٦) زيد فى الأصل و ظ : اخلاق ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها . (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : المشارك (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الا - كذا مع بياض بعده (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : لالشان (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : انظر .

لها، متحفظا من مثلها بهمة كهمة الأسد الأرقب، و الفعل متعد و لكنه قصر تهويلا لذهاب الوهم فى مفعوله كل مذهب، و لعل المراد فى الأصل ما يحصل من أسباب نصرك و موجبات خذلانهم ﴿يوم تاتى السمآء﴾ أى فيما يخيل للعين لما يغشى البصر من شدة الجهد بالجوع إن كان المراد ما حصل [لهم -[1]] من المجاعة الناشئة عن القحط ٥ الذى سببه قوله صلى الله عليه و سلم "اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف" و روى فى الصحيح[2] أن الرجل منهم كان يرى ما بين السماء و الأرض كهيئة الدخان، و فى الواقع[3] ان المراد عند قرب الساعة و عقب قيامها، فانه ورد أنه يأتى إذ ذاك فيغشى الناس و يحصل للمؤمن منه كهيئة الزكام. و يجوز أن [يكون -[1]] المراد [4]عم[4] من ذلك ١٠ كله و أوله[5] وقت القحط [و كان آية على ما بعده، أو منه ما يأتى عند خروج الدخان من القحط -[6]] الذى يحصل قبله[7] أو غيره كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لابن صياد: إنى قد خبأت لك خبأ [8]فما هو؟ قال[8]: الدخ، ففسر بالدخان، فلذلك قال تعالى: ﴿بدخان مبين[9]﴾ أى واضح [9]لا لبس[9] فيه عند رائيه[10] و مبين[11] لما سواه من الآيات للفطن ١٥

(١) زيد من مد (٢) راجع ٢/٧١٤ (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: المراقع.
(٤) من مد، و فى الأصل وظ: اعلم (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: ادله.
(٦) زيد من ظ و مد (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: قوله (٨ - ٨) من مد، و فى الأصل و ظ: قال فما هو (٩ - ٩) من مد، و فى الأصل و ظ: ليس (١٠) من مد، و فى الأصل و ظ: رايه (١١) من ظ و مد، و فى الأصل: يبين.

﴿ يغشى الناس[1] ﴾ أى المهددين بهـذا . و هم الذين رضوا بحضيض النوس / و الاضطراب عن أوج الثبات فى رتبة الصواب[1] ، روى مسلم / ٧٣١
فى صحيحه[2] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : بادروا بالأعمال ستا : الدجال و الدخان و دابة الأرض[3] و طلوع الشمس من مغربها و أمر العامة و خويصة أحدكم .

و لما كان من المعلوم أنهم يقولون عند إتيانه جريا على عادة جهلهم : ما هذا ؟ أجيبوا بقوله تعالى حكاية عن لسان[4] الحال ، أو قول بعضهم أو بعض أولياء الله : ﴿ هذا عذاب اليم[5] ﴾ يخلص وجعه إلى القلب فيبلغ فى ألمه بما كنتم تؤملون دعاتكم إلى الله برد مقولهم و الاستخفاف[5] باغترارکم[6] بكثرة العدد [و القوة -[7]] و المدد .

و لما كان كأنه قيل : فما قالوا حين تحققوا ذلك ؟ قيل[8] : قالوا[9] و قد انحلت عرى تلك العزائم . و وهت تلك القوى من كل [عازم -[7]] ، و سفلت[10] بعد العلو تلك الشوامخ من الهمم[11] مدعين أنهم لغاية الإذعان من أهل القرب و الرضوان : ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المبدع لنا و المحسن

(١) زيدت الواو بعده فى الاصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٢) راجع صحيحه ٢/٤٠٦ (٣) سقط من مد (٤-٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : لبيان . (٥) من مد ، و فى الأصل وظ : الاستحقاق (٦) من ظ و مد ، وفى الأصل : باغراءكم (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل : قال (٩) العبارة من « حين تحققوا » إلى هنا ساقطة من ظ (١٠) من مد ، و فى الاصل و ظ : شغلت (١١) من مد ، و فى الاصل و ظ : الهم .

إلينا ﴿ اكشف عنا العذاب ﴾ ثم عللوا[1] ذلك بما علموا أنه الموجب كشفه، فقالوا مؤكدين لما لحالهم من المنافاة لخبرهم: ﴿ انا مؤمنون ٥ ﴾ أى عريقون فى وصف الإيمان واصلون إلى رتبة الإيقان، و هذا يصح أن يراد به بعد طلوع الشمس من مغربها، روى الشيخان[2] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فاذا طلعت و رآها الناس آمنوا أجمعون، و ذلك حين لاينفع نفسا إيمانها، ثم قرأ الآية، و إن [كان -[3]] المراد بالعذاب ما حصل [4]من القحط[4] كان هذا الإيمان على سبيل الوعد.

و لما كان كشف الآيات و إظهار العذاب لايفيد فى الدلالة على الحق أكثر مما أفاده الرسول صلى الله عليه و سلم بما أقامه من المعجزات بل إفادة الرسول أعظم، أجيب من[5] كأنه سأل عن حالهم عند ذلك بقوله معرضا عن خطابهم، إيذانا بدوام مصابهم. لئلا يظن ظان أنه ما كشف عنهم العذاب إلا لظن أنهم صادقون: ﴿ انى ﴾ أى كيف و من أين ﴿ لهم الذكرى ﴾ أى هذا التذكر[6] العظيم الذى وصفوا به[7] أنفسهم ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه[8] قد ﴿ جآءهم ﴾ ما هو أعظم من ذلك بما

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: علل (٢) راجع صحيح البخارى تفسير سورة الأنعام و صحيح مسلم - أبواب الإيمان (٣) زيد من ظ و مد (٤-٤) من مد، و فى الأصل و ظ: بالقحط (٥) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: لتذكر. (٧) من مد، و فى الأصل: فيه (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: انهم.

لا يقايس ﴿رسول مبين﴾ أى ظاهر غاية الظهور أنه رسولنا ، و موضح غاية الإيضاح لما جاء بـــه عنا بما أظهر من الآيات ، و غير ذلك من الدلالات .

و لما كان الإعراض عنه مع ما له من العظمة بالبيان استخفافا به و بمن جاء من بعده ، أشار إلى ذلك بأداة التراخى فقال : ﴿ثم﴾ أى بعد ما له من علىّ الرتبة فى نفسه و بالإضافة إلى من أرسله . و لما كانت الفطر الأولى داعية إلى الإقبال على الحق ، نازعة إلى الانقطاع [1] إلى الله و العكوف ببابه ، و اللجاء إلى جنابه . إلا بجهد من [2] النفس [3] فى النفور [3] و علاج دواعى الشور ، أشار [4] إلى ذلك / بالتعبير بصيغة التفعل فقال : ٧٣٢ /

﴿تولوا عنه﴾ أى أطاعوا ما دعاهم إلى الإدبار [5] عنه من دواعى الهوى و نوازع الشهوات و الحظوظ ﴿و قالوا﴾ أى زيادة على إساءتهم [6] بالتولى : ﴿معلم﴾ أى علمه غيره من البشر ﴿مجنون﴾ فلم [7] يبالوا بالتناقض البين الأمر ، و هذا يدل على أن من لا يبالى بعرضه و لا حياء له لا طيب لدائه لأنه لا وجود لدوائه ، و أنه إذا مس بما يلينه و يرده و يهينه لا يؤمن [من ـ [8]] رجوعه إلى الحال [9] السئ عند [9] كشف ذلك

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : على (٢) زيد فى الأصل و ظ : الحق ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣ـ٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالنفور ـ كذا (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : اشارة (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاباه (٦) زيد فى الأصل و ظ : بالقول ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : و لم (٨) زيد من مد (٩ ـ ٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : المسى عنه .

الضر عنه .

و لما لفت سبحانه الخطاب عنهم إهانة لهم، بين أن سببه أن دأبهم عضال، فليس له أبدا زوال، فقال مؤكدا لاستبعادهم زوال ما هم فيه: ﴿انا﴾ أى على ما لنا من العظمة [1]بالعلم المحيط[1] وغيره ﴿كاشفوا العذاب﴾ [أى -[2]] عنكم بدعاء رسولكم صلى الله عليه و سلم فى القول بأن الدخان ما كانوا يرونه بسبب[3] الجوع من القحط ﴿قليلا﴾ إقامة للحجة عليكم لا لخفاء ما فى ضمائركم علينا . و لما كانوا[4] قد أكدوا الإخبار بأيمانهم[5] ، و هو باطل ، أكد سبحانه الإخبار بكذبهم ، و من أصدق منه سبحانه قيلا[6]، فقال تحقيقا لقوله تعالى "و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه" و "انهم لكاذبون": ﴿انكم عائدون[7]﴾ أى ثابت عودكم بعد كشفنا عنكم فى ذلك الزمن القصير إلى الكفران و إن أكدتم حصول الإيمان [بأكيد الأيمان -[2]] لما فى جبلاتكم من العوج و لطباعكم من المبادرة إلى الزلل ، فايمانكم هذا الذى أخبرتم برسوخه عرض زائل و خيال باطل ، و إن كان هذا فى آخر الزمان فلا بدع أن يكون الخطاب لهم على حقيقته بملك أو غيره ممن يرده الله تعالى لأن ذلك زمان خرق العادات و نقض المطردات إقامة للحجة عليهم و له الحجة البالغة ، و تأديبا

(١-١) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالمحيط (٢) زيد من مد (٣) من مد ، وفى الأصل و ظ : سبب (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : كان وا - كذا .
(٥) فى مد : بكذبهم بايمانهم (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : قليلا (٧) من ظ و مد و القرآن ، و فى الأصل : لعايدون .

لنا و تعليما .

و لما كان اليوم قد يراد به الزمن المجتمع فى حكم من الأحكام، وكان زمان الدخان [إن - [1]] كان المراد به القحط الذى كان قبل يوم بدر أو[2] ما يقرب من الساعة يسمى[3] يوما واحدا لاتحاد ذلك الحكم، أبدل من " يوم الدخان " قوله تهديدا يشق الأكباد : ﴿ يوم نبطش ﴾ أى بما لنا من العظمة ، و البطش : الأخذ بقوة[4] ﴿ البطشة الكبرى ج ﴾ [أى -[5]] التى تنحل لها عراهم و تنخل بها[6] عزائمهم و قواهم ، و لايحتملها حقائقهم و لامناهم ، سواء كانت البطشة يوم بدر أو غيره فيخسر[7] هنالك من كشف حال الابتلاء عن طغيانه ، وتمرده على ربه و عصيانه ، و يجوز أن يكون هذا ظرفا لعائدون . و لما كان ما له سبحانه من الحلم و طول الإمهال موجبا لأهل البلادة و الغلظة الشكّ فى وعيده ، قال مؤكدا : ﴿ انا منتقمون ﴾ أى ذلك صفة ثابتة لم تزل نفعلها بأعدائنا لنسر أضدادهم من أوليائنا .

و لما كان التقدير : فلقد فتناهم بارسالك إليهم ليكشف ذلك لمن لايعلم الشىء إلا بعد وقوعه عما / نعلمه[8] فى الأزل ، و فيما لايزال[9] و لم يزل، ٧٣٣ / ١٥

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ « و » (٣) من ظ و مد ، و فى لأصل : سيجى - كذا (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالقوة . (٥) زيد من ظ و مد (٦) ليس فى ظ و مد (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : فيسر (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : فعله (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا نزل .

من بواطن أمورهم ، فتقوم الحجة على من خالفنا على مقتضى عاداتكم[١] ، عطف عليه محذرا لقريش و مسليا للنبى صلى الله عليه و سلم قوله : ﴿ و لقد فتنا ﴾ أى فعلنا على ما لنا من العظمة فعل الفاتن و هو المختبر[٢] الذى يريد أن يعلم حقيقة الشيء بالإملاء و التمكين ثم الإرسال[٣] .

و لما كان من المعلوم أن قوم فرعون لم يستغرقوا الزمان و لا كانوا ٥ أقرب الناس زمانا إلى قريش ، نزع الجار قبل الظرف لعدم[٤] الإلباس أو أنه عظم فتنتهم لما كان لهم من العظمة و المكنة ، فجعلها لذلك كأنها مستغرقة لجميع الزمان فقال : ﴿ قبلهم ﴾ أى قبل هؤلاء العرب ليكون ما مضى من خبرهم عبرة لهم و عظة .

و لما كان فرعون من أقوى من جاءه رسول قبلهم بما كان له من ١٠ الجنود و الأموال و المكنة ، [٥]و كان[٥] الرسول الذى أتاه قد جمع له - صلى الله عليه و سلم - [٦] الآيات التى اشتملت على التصرف فى العناصر الأربعة . فكان[٧] فيها الماء و التراب و النار و الهواء ، و كانوا إذا[٨] أتتهم الآية قالوا : يا أيها الساحر ! ادع لنا ربك بما عهد عندك إننا لمهتدون .

(١) من مد . و فى الأصل و ظ : عوايدكم (٢) من مد . و فى الأصل و ظ : المخبر (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالارسال (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : نظرا الى (٥-٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : فكان (٦) زيد فى الأصل و ظ : علم . و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : فكانوا (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : لما .

فاذا[1] كشف عنهم ذلك عادوا[2] إلى ما كانوا عليه كما أخبر تعالى عن هؤلاء عند مجيء الدخان - إلى [غير -[3]] ذلك مما شابههم فيه من الأسرار[4] التي كشفها هذا المضمار، و كان آخر ذلك أن[5] أهلكهم أجمعين، فكانوا أجلى مثل لقوله تعالى في التي قبلها " فاهلكنا اشد منهم بطشا " خصهم بالذكر من [بين -[6]] المفتونين قبل فقال: ﴿ قوم فرعون ﴾ أي مع فرعون لأن ما كان فتنة لقومه كان فتنة له[7] لأن الكبير أرسخ في الفتنة بما أحاط[8] به من الدنيا[9]. و سيأتي التصريح به في آخر القصة ﴿ و جآءهم ﴾ أي المضافين و المضاف إليه[10] في [زيادة -[6]] فتنتهم ﴿ رسول كريم ﴾ أي يعلمون شرفه نسبا و أخلاقا و أفعالا، ثم زاد بيان كرمه بما " ظهر لله[11] " به من العناية بما أيده به من المعجزات.

و لما أخبر بمجيئه إليهم بالرسالة التي لا تكون إلا بالقول، فسر ما بلغهم منها بقوله: ﴿ ان ادوآ ﴾ أي أوصلوا مع البشر - طيب النفس، و أبرز ذلك في صيغة الأمر الذي لا يسوغ مخالفته و لما كان بين موسى عليه الصلاة و السلام و بين تصرفه في قومه حائل كثيف من

(١) من مد، و في الأصل و ظ: فلما (٢) من ظ و مد، و في الأصل: حادوا. (٣) زيد من مد (٤) في مد: الاشرار (٥) سقط من مد (٦) زيد من ظ و مد (٧) في مد: لهم (٨) في مد: احاطه (٩) من ظ و مد، و في الاصل: الدين (١٠) من ظ و مد، و في الأصل: اليهم (١١-١١) من ظ و مد، و في الأصل: اظهر الله.

ظلم فرعون و قومه، أشار [إليه -[1]] بحرف الغاية[2] فقال: ﴿ الىّ ﴾ و نبهه على أنه لا حكم له عليهم بقوله. ﴿ عباد الله[4] ﴾ أى بنى إسرائيل الذين استعبدتموهم ظلما و ليست[3] عليهم عبودية[5] إلا للذى أظهر فى أمورهم صفات جلاله و جماله بما صنع مع آبائهم إبراهيم عليه الصلاة و السلام و من بعده و ما سيظهر مما ترونه و ما[6] يكون بعدكم. ٥

و لما كان لهم به من النفع إن تبعوا ما جاءهم به و الضر إن ردوه ما ليس لغيرهم، و كان لا يقدر على تأدية[7] بنى إسرائيل إليه من أهل الأرض غيرهم لاحتوائهم عليهم. كان تقديم الجار فى أحكم مواضعه فلذلك[7] قال مؤكدا لإنكارهم لرسالته عليه الصلاة و السلام: ﴿ انى لكم ﴾ أى خاصة بسبب ذلك ﴿ رسول ﴾ أى [من -[1]] عند من لا تكون ١٠ الرسالة الكاملة إلا منه. و لما كان الإنسان لا يأتمن على السياسة إلا ثقة كافيا، قال واصفا لنفسه [بما -[1]] يزيل عذرهم و يقيم الحجة عليهم: ﴿ امين ﴾ اى بالغ الأمانة لأن الملك الديان لا يرسل إلا من كان كذلك.

و لما كان استعباد[8] عبد الغير بغير حق فى صورة العلو على مالك ١٥ العبد قال: ﴿ و ان لا تعلوا ﴾ أى تفعلوا باستعبادكم لبنى إسرائيل نبى الله

(١) زيد من مد (٢) فى الأصول بياض (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: ليس (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: عبودته (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: لما (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: تاويه (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: فكذلك (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: اسعار.

ابن خليل الله فعل العالى ﴿ على الله ج ﴾ الذى له مجامع العظمة و معاقد[1] العزة بنفوذ الكلمة و جميع أوصاف الكمال فانكم إن فعلتم ذلك أخذكم بعزته و دمركم بعظمته .

و لما كان علو من يتصرف[2] فى العبد[3] على مالك العبد لا يثبت إلا بعد ثبوت[3] أنه ملكه و أنه لا يجب التصرف فيه، علل ذلك بقوله مؤكدا لأجل [أن -[4]] ما أتى به بصدد أن ينكروه[5] لأن النزوع عما استقر فى النفس و مضى عليه الإلف[6] بعيد: ﴿ انى آتيكم ﴾ و هو يصح أن يكون اسم فاعل و أن يكون فعلا مضارعا . و لما كان فعلهم فعل العالى على السلطان، قال: ﴿ بسلطن ﴾ أى أمر باهر قاهر من عند مالكهم، لا يسوغ لأحد الاستعلاء عليه فكيف بالاستعلاء على من هو بأمره[7] ﴿ مبين ج ﴾ أى واضح فى نفسه سلطنته و مظهر لغيره ذلك .

و لما كان من العجائب أن يقتل منهم نفسا ثم يخرج فارا[8] منهم ثم يأتى إليهم لاسيما إتيانا يقاهرهم فيه فى أمر عظيم من غير أن يقع بينهم و بينه ما يمحو ما تقدم منه، نبههم على إتيانه هذا على هذا الحال آيـــة أخرى دالة على السلطان، فقال مؤكدا تكذيبا لظنهم أنه فى قبضتهم: ﴿ و انى عذت ﴾ أى اعتصمت و امتنعت ﴿ بربى ﴾ الذى

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: مقاعد (٢-٢) من مد، و فى الأصل و ظ: بالعبد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ثبوته (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: ينكرونه (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الانف (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: يامر (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: فارا .

ربانى على ما اقتضاه لطفه بى[١] و إحسانه إلىّ ﴿ و ربكم ﴾ الذى أعاذنى من قتلكم[٢] لى بكم على[٣] ما دعت إليه حكمته من جبروتكم و تكبركم و قوة مكنتكم ﴿ ان ترجمون ۝ ﴾ أى أن[٤] يتجدد[٥] فى وقت من الأوقات قتل منكم لى ، ما أتيتكم حتى توثقت من ربى فى ذلك ، فانى قلت[٦] "انى اخاف ان يقتلون" فقال "سنشد عضدك باخيك و نجعل لكما سلطانا فلا يصلون اليكما بآيتنا[٧]" فهو من أعظم آياتى أن لا تصلوا [٨]على قوتكم[٨] و كثرتكم إلى قتلى مع أنه لا قوة لى بغير الله الذى أرسلنى .

و لما كان التقدير : فان آمنتم بذلك و سلمتم لى أفلحتم ، عطف عليه قوله : ﴿ و ان لم تؤمنوا لى ﴾ أى تصدقوا لأجلى ما أخبرتكم به ﴿ فاعتزلون ۝ ﴾ أى : إن لم تعتزلونى هلكتم ، و لا تقدرون[٩] على قتلى بوجه و أنا واحد ممن تسومونهم[١٠] سوء العذاب ، و ما قتلتم أبناءهم إلا من أجلى ، فربانى على كف من ضاقت عليه الأرض بسبى و سفك الدماء فى[١١] شأنى ، و منعه الله / من أن يصل [١٢]إلىّ منه[١٢] سوء قبل أن ٧٣٥ /

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : به (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : قبلكم .
(٣) سقط من مد (٤) سقط من ظ ومد (٥) زيد فى الأصل : منكم ، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : علمت .
(٧) زيد فى الأصل : انتما و من اتبعكما ، و لم تكن الزيادة فى ظ ومد فحذفناها .
(٨-٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : بقوتكم (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا تقدروا (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : تسومونه (١١) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (١٢-١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : منه إلى .

أعوذ به ، فكيف به بعد أن أرسلني و عدت به وأعاذني ، و استجرت به وأجارني .

و لما كان التقدير : لم يؤمنوا به و لا لأجله و لم يعتزلوه ، بل بغوا[1] له الغوائل و راموا أن يوقعوا به الدواهي و القواصم ، فلم يقدروا على ذلك و آذوا قومه و طال البلاء ، سبب عنه قوله : ﴿ فدعا ربه ﴾ الذي أحسن إليه و ضمن له سياسته و سياسة قومه . ثم فسر ما دعا به بقوله : ﴿ ان هؤلاء ﴾ [أي -[2]] الحقيرون الأراذل الذليلون[3] ﴿ قوم ﴾ أي لهم قوة على القيام بما[4] يحاولونه ﴿ مجرمون ﴾[5] أي عريقون[6] في قطع ما أمرت به أن يوصل ، و ذلك متضمن وصل ما أمرت[6] به ان يقطع ، فكان المعنى : فدعا بهذا المعنى ، و لذلك[7] أتى "بان" الدالة على المصدرية .

و لما كان ممن يستجيب دعاءه و يكرم نداءه ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاسر ﴾ أي فقلنا[8] له : سر عامة الليل - هذا على قراءة المدنيين و ابن كثير[9] بوصل الهمزة ، و على قراءة غيرهم بالقطع المعنى[10] : أوقع السرى[11] و هو السير عامة الليل ﴿ بعبادي ﴾ الذين هم أهل لإضافتهم إلى جنابي ، قومك الذين أرسلناك لإسعادهم باستنقاذهم ممن يظلمهم و تفريغهم لعبادتي

(١) من ظ و مد ، و في الأصل : نعوا (٢) زيد من ظ و مد (٣) سقط من ظ و مد (٤) في مد : فيما (٥) في مد : موصوفون بالعراقة (٦) من مد ، و في الأصل و ظ : امر (٧) من ظ و مد ، و في الأصل : كذلك (٨) من مد ، و في الأصل و ظ : قلنا (٩) راجع نثر المرجان ٦/٤٧٦ (١٠) من ظ و مد ، و في الأصل : المنع (١١) من ظ و مد ، و في الأصل : في السير .

[١] لا لعبادة غيرى [١] .

و لما كان سبحانه قد تقدم [٢] إلى بنى إسرائيل فى أن يكونوا متهيئين فى الليلة التى أمر بالسرى فيها بحيث لايكون لأحد منهم عاقة أصلا كما تقدم بيانه فى الأعراف عن التوراة ، بين تأكيده لذلك [٣] بقوله : ﴿ ليلا ﴾ فصار تأكيدا بغير اللفظ ، و إنما أمره بالسير فى الليل لأنه ٥ أوقع بالقبط موت الأبكار ليلا ، فأمر فرعون موسى عليه الصلاة و السلام أن يخرج بقومه فى ذلك خوفا من أن يموت القبط .

و لما علم الله تعالى أنهم إن تأخروا إلى [٤] أن يطلع [٤] الفجر و يرتفع عنهم الموت ، منعوهم [٥] الخروج ، و إن تأخروا إلى آخر الليل أدركوهم قبل الوصول إلى البحر فيقتلوهم ، علل هذا الأمر [بقوله - [٦]] مؤكدا ١٠ [٧] له لأن [٧] حال القبط عند ما أمروهم بالخروج كان [٨] حال من لايصدق له ترجع [٩] فى قوله : ﴿ انكم متبعون ﴾ أى مطلوبون بغاية الشهوة و الجهد من عدوكم ، فلا يغرنكم ما هم فيه عند أمركم بالخروج من الجزع من إقامتكم [١٠] بين أظهرهم و سؤالهم لكم فى الخروج عنهم بسبب وقوع الموت الفاشى [١١] فيهم ، فان القلوب بيد الله ، فهو يقسى قلب فرعون ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يقدم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : كذلك (٤ - ٤) فى مد : مطلع . (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : سفوهم (٦) زيد من مد (٧ - ٧) من ظ و مد . وفى الأصل : لهم لا (٨) زيد فى الأصل وظ : حالهم ، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : مرجع (١٠-١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : باقامتكم (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الغاشى .

بعد رؤية هذه الآيات حين ارتفع عنهم الموت و يفرغون من دفن موتاهم فيطلبكم لما دبرته فى القدم من سياستكم باغراقهم أجمعين ليظهر مجدى بذلك و أدفع[1] عنكم روع[2] مدافعتهم فانى أعلم أنه لاقوة لكم و لا طاقة[3] بهم، فلم أكلفكم لمباشرة شيء من أمرهم.

٥ و لما أمره بالإسراء وعلله، أمره بما يفعل فيه و علله فقال: ﴿و اترك البحر﴾ / أى أذا أسريت[5] بهم و تبعك العدو و وصلت إليه و أمرناك بضربه لينفتح لتدخلوا [فيه ـ[4]] فدخلتم و نجوتم[6] ﴿رهوا[7]﴾ بعد خروجكم منه باجمعكم أى منفرجا واسعا ساكنا بحيث يكون المرتفع من مائه مرتفعا و المنخفض منخفضا كالجدار، و طريقه الذى سرتم[6] به ١٠ يابسا[7] ذا سير سهل على الحالة التى دخلتم فيها ليدخل فيه عدوكم فنمجد باغراقهم كما وعدناكم، و قال البغوى[8]: راهبا أى[9] ذا رهو[9] فسمى بالمصدر ـ و عزاه إلى مقاتل ـ انتهى. و لما كانت هذه أسبابا لدخول آل فرعون فيه، علل بما يكون عنها تسكينا لقلوبهم فى ترك البحر طريقا مفتوحا يدخله العدو. فقال مؤكدا لأجل استبعاد بنى إسرائيل مضمون ١٥ الخبر لأنه[10] من خوارق العادات مع ما لفرعون و آله فى قلوبهم من

/ ٧٣٦

(١) فى مد: ارتفع (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: ردع (٣) زيد فى الأصل لكم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: سريت (٥) زيد من مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: نجيتم (٧ ـ ٧) من مد، و فى الأصل و ظ: بالليل ـ كذا (٨) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/١٢٢ (٩ ـ ٩) من مد، و فى الأصل و ظ: اذا رهوا (١٠) فى مد: لان.

الهيبة الموجبة لأن يستبعدوا معها عمومهم بالإهلاك : ﴿ انهم جند معرقون ٥ ﴾ أى متمكنون فى [هذا ـ ١] الوصف و إن كان لهم وصف القوه و التجمع الذى محطه النجدة الموجبة للعلو فى الأمور .

و لما أرشد السياق و لابد إلى تقدير : فأسرى موسى بعباد الله كما أمره ٢ الله فتبعهم آل فرعون كما اخبر سبحانه ، ففتح الله البحر بباهر قدرته و أمسك ماءه كالجدران ٣ بقاهر عظمته و تركه بعد طلوعهم منه على حالته فتبعهم عباد الشيطان ٤ بما فاض عليهم من شقاوته فأغرقهم الله بعزته لم يفلت منهم أحد . عبر سبحانه عن هـذا كله بقوله على طريق الاستئناف : ﴿ كم تركوا ﴾ أى الذين سبق الحكم باغراقهم فغرقوا ﴿ من جنت ﴾ أى بساتين هى فى غاية ما يكون من طيب الأرض وكثرة الأشجار و زكاء ٥ الثمار و النبات و حسنها الذى ٦ يسر المهموم و ٦ يستر الهموم ، و دل على كرم الأرض [بقوله ـ ١] : ﴿ و عيون ٥ و زروع ﴾ أى مما هو دون الأشجار . و لما كان ذلك لا يكمل إلا بمنازل و مناظر فى الجنان ٧ و غيرها فقال : ﴿ و مقام كريم ٥ ﴾ أى مجلس شريف هو أهل لأن يقيم ٨ الإنسان فيه ، لأن النهاية فيما يرضيه .

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : امر (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : كالجمدان (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : السلطان (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : ذكاه (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد . (٧) فى مد : الجنات (٨) فى مد : يقوم .

و لما كان ذلك قد يكون بتعب صاحبه[1] فيه، دل على أنه كان بكد غيرهم و هم فى غاية الترف ، و هذا هو الذى حملهم على اتباع من كان يكفيهم[2] ذلك حتى أداهم إلى الغرق قال: ﴿ و نعمة ﴾ هى بفتح النون اسم للتنعم بمعنى الترفه و العيش اللين الرغد. و أما التى بالكسر فهى الإنعام ﴿ كانوا فيها ﴾ أى دائما ﴿ فكهين ﴾ أى فعلهم فى عيشهم فعل المترفه لا فعل من يضطر إلى إقامة نفسه .

و لما كان هذا أمرا عظيما لايكاد يصدق أن يكون لأحد، دل على عظمه[3] و حصوله لهم بقوله: ﴿ كذلك قف ﴾ أى الأمر كما أخبرنا به من تنعيمهم[4] و إخراجهم و إغراقهم و أنهم تركوا جميع ما كانوا فيه لم يغن[5] عنهم شيء منه، فلا يغترن[6] أحد[7] بما ابتليناه به من النعم لئلا يصنع به من الإهلاك ما صنعنا بهم . و لما أفهم سوق الكلام هكذا إغراقهم كلهم، زاده إيضاحا بالتعبير بالإرث الذى[8] حقيقته الأخذ عن الميت[9] أخذا لامنازع فيه فقال عاطفا على ما تقدم تقديره بعد اسم الإشارة: ﴿ و اورثناها ﴾ أى تلك الأمور العظيمة ﴿ قوما ﴾ أى ناسا

٧٣٧/

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : انسان (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يكفهم (٣) زيد فى الأصل بعده : فيه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : نعيمهم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لن يغنى (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : فلا يغتر (٧) زيد فى الأصل : منهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل و ظ : هو، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : ميت .

ذوى قوة فى القيام على ما يحاولونـــه . و حقق أنهم غيرهم تحقيقا لإغراقهم بقوله : ﴿ آخرين ﴾ قال ابن برجان : و قال فى سورة الظلة : "و عيون و كنوز" مكان "و زروع" لما[1] كان المعهود من الزرع الحصد فى أقرب المدة أورث زروعها و جناتها و ما فيها من مقام كريم قوما ليسوا بآل فرعون فانهم أهلكوا و لا بنى إسرائيل فانهم قد عبروا البحر، ٥ و لما توطد[2] ملكهم فى الأرض المقدسة اتصل بمصر، فورثوا الأرض بكنوزها و أموالها و نعمتها و مقامها الكريم - انتهى .

و لما كان الإهلاك يوجب أسفا على المهلكين و لو من بعض الناس و لاسيما إذا كانوا جمعا[3] فكيف إذا كانوا أهل مملكة[4] و لاسيما إذا كانوا فى نهاية الرئاسة . أخبر بأنهم[5] كانوا لهوانهم عنده[6] سبحانه ١٠ و تعالى على خلاف ذلك ، فسبب عما مضى قوله : ﴿ فما بكت عليهم ﴾ استعارة لعدم الاكتراث[7] بهم لهوانهم[7] ﴿ السمآء و الارض ﴾ و إذا لم يبك السكن فما ظنك بالساكن الذى هو بعضه ، روى أبو يعلى فى مسنده و الترمذى[8] فى جامعه - و قال : غريب و الربذى[9] و الرقاشى[10] يضعفان

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : و لما (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : توطن (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : جميعا (٤) زيد فى الأصل و ظ : كاملة ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) فى مد : انهم (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : عندهم (٧-٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : بهوانهم (٨) راجع جامعه ٢ / ١٥٨ (٩) من التهذيب ، و فى الأصل : الزيدى ، و هو موسى بن عبيدة (١٠) هو يزيد بن أبان .

فى الحديث ـ عن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ما من مسلم إلا و له فى السماء بابان ، باب يصعد منه عمله و باب ينزل منه رزقه فاذا مات بكيا عليه ، و تلا هذه الآية ، و قال على[1] رضى الله عنه : إن المؤمن إذا مات بكى [2]مصلاه من الأرض و مصعد عمله من السماء .

و لما جرت العادة بأن العدو قد يستمهله عدوه فى بعض الأوقات لمثل وصية و قضاء حاجة فيمهله ، أخبر تتميما لعدم الاكتراث بهم أنهم كانوا دون ذلك فقال : ﴿ و ما كانوا ﴾ و لما كان هذا لكونه[3] خيرا عنهم بعد مضيهم المقصود منه تحذير[4] من بعدهم فقط ، لم يذكر التقييد *بذلك الوقت بإذن* و نحوها دلالة على أن ما كانوا فيه من طويل الإمهال[6] كان كأنه[7] لم يكن لعظم[8] هذا الأخذ بخلاف ما مر فى الحجر من التخويف من إنزال الملائكة عليهم ، فان [تقييد ـ[8]] عدم الإنظار بذلك الوقت لرد[9] السامعين عن طلب إنزالهم فقال تعالى : ﴿ منظرين ﴾ أى ممهلين عما أنزلنا بهم من المصيبة[10] من مهل [ما ـ[8]] لحظه فما

(١) أورده السيوطى فى الدر المنثور ٦ / ٣١ (٢) ليس فى ظ و مد (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكون (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يحذر . (٥-٥) من ظ و مد ، و فى الاصل : لوقت يأذن (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : كأنه كان (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : لعظيم (٨) زيد من ظ و مد (٩) من مد ، و فى الاصل و ظ : كرر (١٠) من ظ و مد ، و فى الأصل : المعصية .

فوقها ليتداركوا بعض ما فرطوا فيه و ينظروا فى شىء مما يهمهم بل كان أخذهم لسهولته علينا فى أسرع من اللمح ، لم يقدروا على [1]دفاع، فنالهم[1] عذاب الدنيا و صاروا [2]إلى عذاب[2] الآخرة فخسروا الدارين و ما ضروا غير أنفسهم[3] .

و لما / كان إنقاذ بنى إسرائيل من القبط أمرا[4] باهرا لا يكاد ٥ / ٧٣٨ يصدق فضلا عن أن يكون باهلاك أعدائهم ، أكد[5] سبحانه الإخبار بذلك إشارة إلى ما يحق له من العظمة تنبيها على أنه قادر أن يفعل بهذا النبى صلى الله عليه و سلم[6] و أتباعه كذلك و إن[7] كانت قريش[8] يرون ذلك محالا و أنهم فى قبضتهم[9] فقال : ﴿ و لقد نجينا ﴾ [أى -[10]] بما لنا من العظمة [11]تنجية عظيمة[11] مع كونها بسبب الآيات المتفرقات كانت ١٠ على التدريج ﴿ بنى اسرآءيل ﴾ عبدنا المخلص لنا ﴿ من العذاب المهين ﴾ بسبب أنهم كانوا عندهم فى عداد العبيد يستخدمون الرجال و النساء بل أذل للزيادة على التصرف فى العبيد بالتذبيح[12] للأبناء .

(١-١) من مد ، و فى الأصل و ظ : دفاعه ما لهم (٢-٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى عتاب (٣) زيد فى الأصل : فقط ، و لم تمكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : ظاهرا . و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٥) فى الاصل بياض ملأناه من ظ و مد (٦) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : فان (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : قريشا (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : قبضته . (١٠) زيد من مد (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من مد (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالتدريج .

ولما تشوف السامع إلى صاحب ذلك العذاب قال مبدلا مما قبله إفهاما لأن فرعون نفسه كان عذابا لإفراطه فى أذاهم[1] : ﴿ من فرعون ﴾ ثم علل ذلك بما يعرف منه صحة الوصف للعذاب فقال مؤكدا لأن حال قريش فى استذلال المؤمنين حال من يكذب[2] بأن الله أنجى بنى إسرايل على ضعفهم فهو ينجى غيرهم من الضعفاء أو يكذب بأن فرعون كان قويا ﴿ انه كان عاليا ﴾ فى جبلته العراقة فى العلو ﴿ من المسرفين ﴾ [3]أى العريقين فى مجاوزة الحدود[3] .

ولما كانت قريش[4] تفتخر بظواهر[5] الأمور من الزينة والغرور ويعدونه تعظيما من الله ويعدون ضعف الحال فى الدنيا شقاء[6] وبعدا من الله ، رد عليهم قولهم بما آتى بنى إسرائيل على ما كانوا فيه من الضعف و[7]سوء الحال[7] بعد إهلاك[8] آل فرعون بعذاب الاستئصال ، فقال مؤكدا لاستبعاد قريش أن يختار من قل[9] حظه من[10] الدنيا : ﴿ ولقد اخترناهم ﴾ أى فعلنا بما لنا من العظمة فى جعلنا لهم[11] خيارا فعل من اجتهد فى ذلك ، وعظم أمرهم بقوله بانيا على ما تقديره : اختيارا

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اذنهم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تكذيب (٣ - ٣) من مد ، و فى الأصل : المجاوزين فى الحدود حد التجاوز ، و فى ظ : المجاوزين فى الحدود (٤) و من هنا استأنفت نسخة م (٥) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : بظاهر (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مقتا. (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما سوء (٨) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : اهلاكهم اى (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قلة (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هم .

مستعليا ﴿ على علم ﴾ أى منا بما يكون منهم من خير و شر ، و قد ظهر من آثاره أنكم صرتم تسألونهم و أنتم صريح ولد إسماعيل عليه الصلاة و السلام عما ينوبكم و تجعلونهم قدوتكم فيما يصيبكم و[1] تضربون إليهم أكباد الإبل ، و هكذا يصير عن قليل كل من اتبع رسولكم صلى الله عليه و سلم منكم و من غيركم . و لما بين[2] المفضل ، بين المفضل ٥ عليه فقال : ﴿ على العلمين ج ﴾ أى الموجودين فى زمانهم بما أنزلنا عليهم من الكتب و أرسلنا إليهم من الرسل .

و لما أعلم باختيارهم ، بين آثار الاختيار فقال : ﴿ و آتينهم ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ من الأيت ﴾ أى العلامات الدالة على عظمتنا و اختيارنا لهم من حين أتى موسى عبدنا عليه الصلاة و السلام فرعون[3] ١٠ إلى أن فارقهم بالوفاة و بعد وفاته على أيدى الأنبياء المقررين لشرعه عليهم الصلاة و السلام ﴿ ما فيه بلؤا ﴾ / أى اختبار مثله يميل من ينظره / ٧٣٩ أو يسمعه أو يحيله إلى غير ما كان[4] عليه ، و ذلك بفرق البحر و تظليل الغمام و إنزال المن و السلوى و غير ذلك مما رأوه[5] من الآيات التسع ، و فى هذا ما هو رادع[6] للعرب عن بعض أقوالهم من خوف التخطف ١٥

(١) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٢) زيد فى الأصل : حال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : لعنه الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كانوا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : طلبوه (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ردع .

من العرب[1] و الفقر لقطع الجلب عنهم و غير ذلك ﴿ مبين ٥ ﴾ أى بين لنفسه موضح لغيره، و[2] ما أنسب هـذا الختم لقوله أول قصتهم "و لقد فتنا قبلهم قوم فرعون".

و لما ثبت بما مضى أنه سبحانه متصف بالإحياء و الإماتة، و كان إنكار ذلك عنادا لايستطيع أحد[3] يثبت الإله أن ينكره، و كان الإقرار بذلك فى بعض و إنكاره [3]فى بعض[4] تحكما و مخالفا[5] لحاكم العقل و صارم النقل، و كان من الآيات التى أوتوها إحياؤهم بعد إماتتهم حين طلبوا الرؤية فأخذتهم الصاعقة، و حين خرجوا من ديارهم و هم ألوف حذر الموت، و كان ذلك هو البعث بعينه، و كان العرب ينكرونه و يبالغون فى إنكارهم [له -[5]] و لا يسألونهم عنه، قال موبخا لهم مشيرا بالتأكيد إلى أنه لايكاد يصدق أن أحدا ينكر ذلك لما له من الأدلة: ﴿ ان ﴾ و حقرهم بقوله: ﴿ هؤلاء ﴾ أى الأدنياء الأقلاء الأذلاء ﴿ ليقولون ﴾ أى بعد قيام الحجة البالغة عليهم مبالغين فى الإنكار فى نظير تأكيد الإثبات: ﴿ ان ﴾ أى ما. و لما كان قد تقدم قوله تعالى "يحيى و يميت" و هم يعلمون أن المراد به أنه يتكرر منه الإحياء للشخص الواحد،

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: القرب (٢) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٣) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤ - ٤) من م و مد. و فى الأصل و ظ: لبعض (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مخالف (٥) زيد من م و مد.

و كان

و كان تعالى قد قال و لا يخاطبهم إلا بما يعرفونه " و كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون " أى بالانتشار[1] بعد الحياة [و -[2]] قال " امتنا اثنتين و احييتنا اثنتين " قالوا : ما ﴿ هى الاموتتنا ﴾ على حذف مضاف أى ما الحياة إلا حياة موتتنا ﴿الاولى﴾ أى التى كانت قبل نفخ الروح - كما سيأتى فى الجاثية " [ان هى -[3]] إلا[4] حياتنا الدنيا " ٥ و[5] عبروا عنها بالموتة[6] إشارة إلى أن الحياة فى جنب الموت المؤبد على زعمهم أمر متلاش لانسبه لها منه ، و ساق سبحانه كلامهم على [7]هذا الوجه[7] إشارة إلى أن الأمور [إذا قيس -[2]] غائبها على شاهدها ، كان الإحياء بعد الموتة [الثانية أولى لكونه بعد حياة من الإحياء بعد الموتة -[2]] الأولى ، فحط[8] الأمر على[9] أن الابتداء[10] كان من موت ١٠ لم يتقدمه حياة ، و القرار[11] يكون على حياة لايعقبها موت .

و لما كان المعنى : و ليس وراءها حياة ، أكدوه بما يفهمه [12]تصريحا فقالوا[12] برد ما أثبته[13] الله على [لسان -[14]] رسوله صلى الله عليه

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الانتشار (٢) زيد من مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل : هى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اثم (٦) فى مد : بالموت . (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذه (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : محط (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : إلى (١٠) من هنا سقطت نسخة مد إلى ما سننبه عليه (١١) من ظ و م ، و فى الاصل : الفرار . (١٢-١٢) من م ، و فى الأصل و ظ : تصريحا فقالوا (١٣) من ظ و م ، و فى الأصل : انزله (١٤) زيد من م.

و سلم : ﴿ و ما نحن ﴾ و أكدوا النفي فقالوا : ﴿ بمنشرين ٥ ﴾ أي من منشر ما بالبعث بحيث نصير ذوي حركة اختيارية ننتشر بها بعد الموت ، يقال : نشره و أنشره ـ إذا أحياه .

و لما كانوا يزعمون أن دعوى الإحياء لا يصح إلا إذا[1] شاهدوا أحدا[2] من الأموات الذين يعرفونه حيا[3] بعد أن تمزق [4]جلده و عظامه[4]، سببوا عن إنكارهم مخاطبين للنبي صلى الله عليه و سلم و من تبعه : ﴿ فأتوا ﴾ أي أيها الزاعمون[5] أنا نبعث بعد الموت إيذانا بأنهم لا يصدقون بذلك و إن كثر معتقدوه [4]من جنس بشرهم و تبعهم[4] ﴿ بآبائنا ﴾ أي لكوننا نعرفهم و نعرف وفور عقولهم[6] فلا نشك [في -[7]] أن ذلك إحياء لمن مات ليكون ذلك آية لنا على البعث ، و أكدوا تكذيبهم بقولهم : ﴿ ان كنتم صدقين ٥ ﴾ أي ثابتا صدقكم .

و لما أخبروا على هذه العظمة تنطعا[8] لأنها لو وقعت لم يكن بأدل على ثبوت النبوة المستلزمة لتصديق كل ما يقول لهم الرسول صلى الله عليه و سلم و ما يأتيهم به من الآيات ، غير خائفين من الله و هم يعلمون[9] قدرته و إهلاكه للماضين لأجل تكذيب الرسل عليهم الصلاة و السلام ، و كأنهم يدعون خصوصيته في مكنة من عين أو معنى

(١) في م : ان (٢) من ظ و م ، و في الأصل : من هو (٣) في م : في .
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و في الأصل : الانبياء و المرسلين الزاعمين (٦) من م ، و في الأصل و ظ : عقلهم (٧) زيد من م .
(٨) من ظ و م ، و في الأصل : سعفا ـ كذا (٩) من ظ و م ، و في الأصل : على .

يجون بها من مساواة من قبلهم فى ذلك، فقال تعالى منكرا عليهم: ﴿ أهم خير ﴾ أى فى الدين و الدنيا ﴿ أم قوم تبع[1] ﴾ أى الذين ملك بهم تبع الأرض بطولها و العرض و حير الحيرة و بنى قصر سمرقند و كان مؤمنا، و قومه حمير و من تبعهم أقرب المهلكين[1] إلى قريش زمانا و مكانا. و كان له بمكة المشرفة ما ليس لغيره من الآثار، و قال الرازى ٥ فى اللوامع: هو أول من كسى البيت و نحر بالشعب ستة آلاف بدنة و أقام به ستة أيام[2] و طاف به و حلق. و قال البغوى[3] بعد أن ذكر قصته مع الأنصار لما قتل ابنه غيلة بالمدينة[4] الشريفة و ما وعظته به اليهود فى الكف عن إخراب المدينة لأنها مهاجر نبى [من -[5]] قريش: فصدقهم و تبع دينهم، و ذلك قبل نسخه. و قال عن الرقاشي: آمن ١٠ تبع بالنبى صلى الله عليه و سلم قبل أن يبعث بسبعمائة[6] عام. و عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا.

و لما كان ذلك[7] فى سياق التهديد بالإهلاك[8] لأجل مخالفتهم، و كان الإهلاك لذلك إنما كان لبعض من تقدم زمانهم لا لجميع الخلق، أدخل الجار فقال: ﴿ و الذين من قبلهم[1] ﴾ أى [من -[5]] مشاهير ١٥ الأمم كمدين و أصحاب الأيكة و الرس و ثمود و عاد.

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: المهلين (٢) من م و معالم التنزيل، و فى الأصل و ظ: الاف (٣) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/١٢٣ (٤) فى م: فى المدينة (٥) زيد من م (٦) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل: سبعمائة (٧) سقط من ظ و م. (٨) من م، و فى الاصل و ظ: و الاهلاك.

و لما كان كأنه قيل : ما لهؤلاء الأمم ؟ قيل : ﴿اهلكنهم﴾ [1] أى بعظمتنا[1] و إن كانوا عظماء لا يعشرهم[2] هؤلاء فيما[3] لهم من المكنة لقطعهم من أمر الله به أن يوصل من الرسل و أتباعهم ، و تكذيبهم بما أتوا به ، و لذلك علل الإهلاك تحذيرا للعرب بقوله مؤكدا لظنهم أن هلاكهم[4] إنما هو على عادة الدهر : ﴿ انهم كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿مجرمين﴾ أى عريقين فى الإجرام ، فليحذر هؤلاء إذا[5] ارتكبوا مثل أفعالهم[6] من مثل حالهم [7]و أن يحل بهم ما حل بهم[7] .

و لما كان التقدير للاستدلال على الجزاء الذى جامعه التكفل بجميع أنحائه[8] يوم القيامة : فانا ما خلقنا الناس عبثا يبغى بعضهم على بعض ثم لا يؤاخذون[9] ، / عطف عليه ما هو أكبر فى الظاهر منه فقال : ﴿ و ما خلقنا السمٰوٰت ﴾ أى على عظمها [10] و اتساع كل واحدة منها و احتوائها لما تحتها . و جمعها[11] لأن العمل كلما زاد كان أبعد من العبث[12] مع أن إدراك تعددها بما يقتضى[13] المشاهدة بما فيها من الكواكب ،

/٧٤١

(١-١) من م . و فى الأصل و ظ : لعظمتنا (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : لا يعسرهم (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : فما (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : اهلاكهم (٥) فى م : ان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فعالهم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : انحاله ـ كذا . (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يواخذا ـ كذا (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : عظمتها (١١) من م ، و فى الاصل و ظ : جميعها (١٢) من م ، و فى الأصل و ظ : البعث (١٣) زيد فى م : به .

و وحد فى سورة الأنبياء تخصيصا بما يتحقق المكذبون بالبعث رؤيته لما ذكر هناك[1] من اختصاص "لدن" بما بطن .

و لما كان الدليل على تطابق الأراضى دقيقا [2]و حدها فقال[2] : ﴿و الارض﴾ أى على ما فيها من المنافع ﴿و ما بينهما﴾ أى النوعين و بين كل واحدة منهما [و ما -[3]] يليها ﴿لعبين ٥﴾ أى على ما لنا ٥ من العظمة [4]التى يدرك من[4] له أدنى عقل تعاليها عن اللعب لأنه لايفعله إلا ناقص ، و لو[5] تركنا الناس يبغى بعضهم على بعض كما تشاهدون ثم لا نأخذ لضعيفهم بحقه من قويهم لكان خلقنا لهم لعبا ، بل اللعب أخف [منه -[3]] ، و لم نكن على ذلك التقدير مستحقين لصفة القدوسية ، فانه "لا قدست أمة لايؤخذ لضعيفها بالحق من قويها غير متعتع[6] - رواه ابن ١٠ ماجه عن أبى سعيد و ابن جميع فى معجمه عن جابر ، و صاحب الفردوس عن أبى موسى رضى الله عنهم رفعوه ، و هو شىء لايرضى به لنفسه أقل حكام[7] الدنيا ، فكان هذا برهانا قاطعا على صحة الحشر ليظهر هناك الفصل بالعدل و الفضل .

و لما نفى أن يكون خلق ذلك اللعب الذى هو باطل ، أثبت ما ١٥ خلقه له و لم يصرح بما فى البين لأنه تابع ، و قد نبه عليه ما مضى ،

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : هنا (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : حد هناك (٣) زيد من م (٤ - ٤) من م ، و فى الاصل و ظ : الذى نز - كذا .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لما (٦) من م و سنن ابن ماجه ص : ١٧٧ ، و فى الاصل و ظ : متقنع (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : احكام .

فقال مستأنفا : ﴿ ما خلقناهما ﴾ أى[1] السماوات و الأراضى مع [ما -[2]] بينهما ﴿الا بالحق﴾ من الحكم بين من فيهما ، [فمن -[1]] عمل الباطل عاقبناه و من عمل الحق أثبناه ، وبذلك يظهر غاية الظهور إحاطتنا بجميع أوصاف الكمال كما نبهنا عليه أهل الكمال فى هذه الدار بخلقهما الذى واقعه مطابق للحق ، و هو ما لنا من تلك الصفات المقتضية للبعث لإحقاق الحق و إبطال الباطل بما لاخفاء فيه عند أحد .

و لما كان أكثر الخلق لايعلم ذلك لعظمته عن النظر فى دليله و إن كان قطعيا بديهيا قال : ﴿ و لكن اكثرهم ﴾ أى أكثر هؤلاء الذين أنت بين اظهرهم وهم يقولون " ان هى الا موتتنا الاولى " و كذا من نحا نحوهم ﴿ لايعلمون ﴾ [أى -[4]] أنا خلقنا الخلق بسبب إقامة الحق فهم لأجل ذلك يجترؤن على المعاصى و يفسدون فى الأرض لايرجون ثوابا و لايخافون عقابا ، و لو تذكروا ما ركزناه[5] فى جبلاتهم لعلموا علما ظاهرا أنه الحق الذى لا معدل عنه[6] كما يتولى[7] حكامهم المناصب لأجل إظهار[8] الحكم بين رعاياهم ، و يشرطون الحكم بالحق ، و يؤكدون على أنفسهم أنهم لايتجاوزونه . و لما كان[9] كأنه قيل : إنا

(١) من ظ و م . و فى الاصل : فى (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من م ، وفى الأصل و ظ : يخافوهم و هم (٤) زيد من م (٥) فى الأصول : ذكرناه .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : معه (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : يتوالى .
(٨) من ظ و م . و فى الأصل : اظهارهم (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : كانه .

ترى أكثر المظلومين يموتون بمرير غصصهم مقهورين ، و اكثر / الظالمين ٧٤٢ /
يذهبون ظافرين بمطالبهم مسرورين ، فمتى يكون هذا الحق ؟ قال جوابا
لذلك[1] مؤكدا لاجل تكذيبهم : ﴿ان يوم الفصل﴾ [2]عند جمع[3] الاولين
و الآخرين من جميع المكلفين الذين ينتظره كل أحد للفرق[4] بين كل
ملبس ، فلا يدع نوعا منه[5] حتى أنه يميز بين المكاره و المحاب و دار ٥
النعيم و غار الجحيم ، و بين أهل[6] كل منهما بتمييز المحق من المبطل بالثواب
و العقاب و هو بعد البعث من الموت ﴿ ميقاتهم ﴾ أى وقت جمع
الخلائق للحكم بينهم الذى ضرب لهم فى الأزل و أنزلت [7]به الكتب[7]
على ألسنة الرسل ﴿ اجمعين ﴾ لايتخلف عنه أحد ممن مات من الجن
و الإنس و الملائكة و جميع الحيوانات . ١٠

و لما ذكر هذا اليوم الذى دل على عظمته بهذه العبارة إفرادا
و تركيبا ، ذكر من وصفه ما يحمل على الخوف و الرجاء ، فقال مبدلا
منه : ﴿ يوم لايغنى ﴾ بوجه من الوجوه ﴿ مولى ﴾ بقرابة أو غيرها
بحلف أو رق من أعلى أو أسفل ﴿ عن مولى ﴾ أريد أخذه بما وقع
منه ﴿شيئا﴾ [8]من الإغناء . و لما كان الإغناء تارة يكون بالرفق و أخرى ١٥

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : كذلك (٢) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل و ظ : الخلق ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : للعرف (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : منهم (٦) سقط من م (٧ - ٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الكتب به (٨) زيد فى م : أى .

بالعنف، صرح بالثانى[1] لأنه أعظمهما[2] و السياق للاهلاك و القهر فقال: ﴿و لا هم﴾ أى القسمان ﴿ينصرون ۝﴾ أى من[3] ناصر ما لو أراد بعضهم نصرة بعض، أو أراد غيرهم لو فرض أن ينصرهم، و عبر بالجمع الذى أفاده الإبهام للولى ليتناول [4]القليل و الكثير[4] منه لأن النفى عنه نفى عن الأفراد من باب الأولى.

و لما نفى الإغناء استثنى منه فقال: ﴿الا من رحم الله[5]﴾ أى أراد إكرامه الملك الأعظم و هم المؤمنون يشفع بعضهم لبعض باذن الله فى الشفاعة لأحدهم فيكرم الشافع فيه بقبول شفاعته و يكرمه بقبول الشفاعة فيه. و لما كان ما تقدم دالا على تمام القدرة فى الإكرام و الانتقام، و كان الإكرام قد يكون عن ضعف، قال نافيا لذلك و مقررا لتمام القدرة اللازم منه الاختصاص بذلك مؤكدا له تنبيها على أنه مما ينبغى أن يجعل نصب العين[6] و تعقد عليه الخناصر، و لأن إشراكهم[7] و تكذيبهم بالبعث يتضمن التكذيب بذلك: ﴿انه هو﴾ أى وحده ﴿العزيز﴾ أى المنيع الذى لا يقدح[8] فى عزته عفو و لا عقاب، بل ذلك دليل على عزته فانه يفعل ما يشاء فيمن يشاء من غير مبالاة بأحد. و لما كان العزيز [قد ـ[8]] لا يرحم قال: ﴿الرحيم ۝﴾ أى الذى لا تمنع عزته أن يكرم

(١) زيد فى الأصل و ظ: فقال، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) فى الأصول: اعظمها (٣) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤ ـ ٤) من ظ و م، و فى الأصل: الكثير و القليل (٥) من م، و فى الأصل و ظ: لعين (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اشركهم (٧) من م، و فى الأصل و ظ: لا يقدر (٨) زيد من م.

من

من[1] يشاء .

و لما كان السياق للانتقام ، أخبر عن حال الفجار على سبيل الاستئناف ، فقال مؤكدا لما [2]يكذبون به[2] : ﴿ ان شجرت الزقوم ﴾ التى تقدم من وصفها ما يقطع القلوب من أنها تخرج من أصل الجحيم ، و أن طلعها كأنه رؤس الشياطين ، و غيره مما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى و الذى تعرفونه من ذلك فى الدنيا أنها شجرة / صغيرة الورق ٧٤٣/ ذفرة[3] أى شديدة النتن ـ مرة ، من الزقم ، أى اللقم الشديد و الشوب المفرط ، و قال عبد الحق فى كتابه الواعى : الزقوم شجرة غبراء صغيرة الورق لا شوك لها ذفرة[3] لها كهابر فى سوقها أى عقد كالأنابيب و لها ورد تجرسه النحل ، و رأس ورقها قبيح جدا ، و هى مرعى ، و منابتها السهل[5] ، قال ابن برجان : و هى فى النار فى مقابلة شجرة طوبى فى الجنة ، يضطرون إلى أكلها و إلى شرب الغسلين كما يضطر أهل الدنيا[4] لإدخال الطعام و الشراب ﴿ طعام الاثيم ﴾ أى المبالغ[6] فى اكتساب الآثام[7] حتى مرن عليها فصارت به إلى الكفر ﴿ كالمهل ﴾ أى القطران الرقيق و ما ذاب من صفر أو حديد أو دردية ، روى أحمد[8] و الترمذى[9] ـ و قال :

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : ما (٢ - ٢) من م ، و فى الأصل و ظ : يكذبونه (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : زفرة (٤) من م ، و فى الأصل : المشهل ، و فى ظ : المسهل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اللانيا ـ كذا . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : طعام الطامع (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الا ثم (٨) راجع المسند ٣/٧٠ - ٧١ (٩) راجع الجامع ٢ / ٨٢ .

لانعرفه إلا من حديث رشدين[1] ـ و ابن حبان فى صحيحه و الحاكم من وجه آخر ـ و قال الحاكم: صحيح الإسناد ـ عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم فى قوله "كالمهل" قال: كعكر[2] الزيت فاذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه. ﴿ تغلى ﴾ أى الشجرة ـ على قراءة الجماعة بالتأنيث، و الطعام على قراءة ابن كثير[3] و حفص عن عاصم و رويس[4] عن يعقوب بالتذكير و لا يعود الضمير على المهل لأنه "مشبه به"[5] ﴿ فى البطون ﴾ أى من شدة الحر[6].

و لما كان التذكير بما يعرف شأن عظيم فى الإقبال أو التنفير و إن كان دون ما شبه[7] [به ـ[8]] قال: ﴿ كغلى ﴾ أى مثل غلى ﴿ الحميم ﴾ أى الماء الذى تناهى حره بما يوقد تحته، فهو يثبت كأنه يريد أن يتخلص مما هو فيه من الحر، روى الترمذى ـ و قال حسن صحيح ـ و النسائى و ابن ماجه و ابن حبان فى صحيحه و الحاكم ـ و قال صحيح[9] على شرطهما ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه و سلم قال: [لو ـ[10]] أن قطرة من الزقوم قطرت فى الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا

(١) من م و الجامع، و فى الأصل و ظ: رشد (٢) فى م: لعكر (٣) راجع نثر المرجان ٦/٤٨٦ (٤) من ظ و نثر المرجان، و فى الأصل و م: روش. (٥ ـ ٥) من م، و فى الأصل و ظ: مشبهه (٦) من م، و فى الأصل و ظ: حره (٧) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٨) زيد من ظ و م (٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) زيد من م و جامع الترمذى ٢/٨٢.

معائشهم فكيف بمن يكون هذا[1] طعامه[2] . و لما كان كأنه قيل : ما للأثيم يأكل هذا الطعام ، و ما الحامل له عليه و على مقاربة مكانه ، أجيب بأنه مقهور عليه ، يقتضيه صفة العزة[3] فيه الرحمة[4] لاعادته بأن[4] يقال للزبانيـــة : ﴿ خذوه ﴾ أى أخذ قهر فلا تدعوه يملك من أمره شيئا . ﴿ فاعتلوه ﴾ أى جروه بقهر بغلظة و عنف و سرعة إلى العذاب و الإهانة ٥ بحيث يكون كأنه محمول ، و قال الرازى فى اللوامع : و العتل أن يأخذ بمجامع ثوبه عند صدره يجره ، و قراءة الضم[5] أدل على تناهى الغلظة و الشدة من قراءة الكسر ﴿ إلى سواء ﴾ أى وسط ﴿ الجحيم ﴾ أى النار التى هى فى غاية الاضطرام و التوقد ، و هى موضع خروج الشجرة التى هى طعامه . ١٠

و لما أفهم هذا أنه صار فى موضع يحيط به العذاب فيه من جميع الجوانب ، بين أن له نوعا آخر من النكد رتبته فى العظمة بما يستحق العطف بأداة / التراخى فقال : ﴿ ثم صبوا ﴾ أى فى جميع الجهة التى هى ٧٤٤ / ﴿ فوق رأسه ﴾ ليكون المصبوب محيطا بجميع جسمه ﴿ من عذاب الحميم ، ﴾ أى العذاب الذى يغلى به [الحميم -[6]] أو الذى هو الحميم نفسه ، و التعبير ١٥ عنه بالعذاب أهول[7] ، و هذا فى مقابلة ما كان لهم من البركة بما ينزل

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد بعده فى الأصل : و شرابه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٥) راجع نثر المرجان ٦/٤٨٧ .
(٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اهل .

من السماء من المطر ليجتمع[1] لهم حر الظاهر بالحميم و الباطن بالزقوم .

و [لما ـ[2]] علم بهذا أنه لا يملك من أمر نفسه شيئا، بل وصل إلى غاية الهوان، دل عليه بالتهكم[3] بما [4]كان يظن فى[4] نفسه من العظمة التى كانت يترفع[5] بها فى الدنيا على أوامر الله ، فقيل بناء على ما تقديره: يفعل به ذلك مقولا له: ﴿ ذق ﴾ أى من هذا أوصلك إليه تغررك على أولياء الله . و لما كان أولياء الله من الرسل و أتباعهم يخبرون فى الدنيا أنه ـ لإبائه[6] أمر الله ـ هو الذليل، و كان [هذا ـ[2]] الأثيم و أتباعه يكـــذبون بذلك و يؤكدون قولهم المقتضى لعظمته لإحراق أكباد الأولياء حكى له[7] قولهم على ما كانوا يلفظون به زيادة فى تعذيبه بالتوبيخ و التقريع[8] معللا للأمر بالذوق: ﴿ انك ﴾ و أكد بقوله: ﴿ انت ﴾ وحدك دون هؤلاء الذين يخبرون بحقارتك ﴿ العزيز ﴾ [أى ـ[2]] الذى يغلب و لا يغلب ﴿ الكريم ﴾ أى الجامع إلى الجود شرف النفس و عظم الإباء، فلا تنفعك عن ستر مساوئ الأخلاق باظهار معاليها[9] فلست بلئيم أى بخيل مهين النفس خسيس الإباء، فهو كناية عن مخاطبته بالخسة[10] مع إقامة الدليل على ذلك بما هو فيه من المهالك، و قراءة

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : ليجمع (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : النهكم (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يكون من (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : يرتفع (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : لابانه (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : لهم (٨) زيد فى الأصل و ظ : موبخا ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : معاليه (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : تخسة .

الكسائى[1] بفتح "ان" دالة على هذا العذاب قولا و فعلا على ما كان يقال له من هذا [فى الدنيا -[2]] و يعتقد [هو -[2]] أنه حق .

و لما دل على أنه يقال هذا لكل من الأسماء و يفعل[3] به على حدته، دل على ما يعمون به، فقال مؤكدا ردا لتكذيبهم سائقا لهم على وجه مفهم أنه علة ما ذكر من عذابهم : ﴿ ان هذا ﴾ أى العذاب قولا و فعلا و حالا ﴿ما كنتم﴾ أى جبلة و طبعا طبعناكم عليه لتظهر قدرتنا فى أمركم دنيا و أخرى ﴿ به تمترون ﴾ أى تعالجون أنفسكم و تحملونها على الشك فيه و تردونها[4] عما لها من الفطرة الأولى من التصديق بالممكن لاسيما لمن جرب صدقه و ظهرت خوارق العادات على يده[5] بحيث كنتم لشدة ردكم له كأنكم تخصونه بالشك .

و لما وصف سبحانه ما للبالغ فى المساوئ و أفرده أولا إشارة إلى قليل فى قوم هذا النبى الكريم الذين تداركهم [الله -[1]] بدعوته تشريفا له و إعلاء لمقداره، و جمع آخرا ذاكرا من آثار ما استحق به ذلك من مشاركة فى أوزاره، ففهم أن وصفه انقضى، و مر و مضى، فتاقت[6] النفس إلى تعرف ما لأضـــداده الذين خالفوه فى مبدأه و معاده، قال مؤكدا لما لهم من التكذيب[7] : ﴿ ان المتقين ﴾ أى

(١) راجع نثر المرجان ٦/٤٨٧ (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يعقل (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : عمرونها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : يديه (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : فعافت (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : التأكيد فى الكذب .

العريقين فى هذا الوصف ﴿ فى مقام ﴾ أى موضع إقامة لا يريد الحال فيه تحولا عنه ﴿ امين ۝ ﴾ أى يأمن صاحبه فيه من كل ما لا يعجبه .

/٧٤٥ و لما كان الوصف بعد الوصف شديد الترغيب / فى الشىء، قال مبدلا من "مقام": ﴿ فى جنت ﴾ أى بساتين تقصر العقول عن إدراك وصفها كل وصفها ﴿ و عيون ۝ ﴾ كذلك بحيث تقر بها العيون، و لما [1]كان قد[1] أشار [2]إلى وصف[2] ما للباطن من لذة النظر و لباس الأكل و الشرب، أتبعه كسوة الظاهر و ما لكل من القرب فقال: ﴿ يلبسون ﴾ .

[1]و لما وصف ما أعد لهم من اللبس فى الجنة[1]، دل على الكثرة جدا بقوله: ﴿ من سندس ﴾ و هو ما رق من الحرير يعمل وجوها، [1]و زاد صنفا آخر فقال: ﴿ و استبرق ﴾ و هو ما غلظ منه يعمل بطائن، و سمى بذلك لشدة بريقه . و لما كان وصف الأثماء بما لهم من القبض[3] الشاغل لكل منهم عن نفسه و غيره بعد ما تقدم فى الزخرف فى آية الأخلاء ما أعلم بكونهم مدابرين وصف أضدادهم بما لهم من البسط مع الاجتماع فقال: ﴿ متقبلين ۝ ﴾ أى ليس منهم[4] أحد يدابر[5] الآخر لا حسا و لا معنى، و ود [أن -[6]] كلا منهم يقابل الآخر ناظرا إليه، فاذا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ : بالوصف (٣) زيد فى الأصل : الشامل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل : فيهم (٥) من م، و فى الأصل و ظ : مدابر .
(٦) زيد من م .

أرادوا النساء[1] حالت الستور بينهم .

و لما كان هذا أمراً يبهر العقل ، فلا يكاد يتصوره ، قال مؤكدا له : ﴿ كذلك ﴾ أى الأمر كما ذكرنا سواء لا مرية [فيه] . و لما كان ذلك لايتم السرور به إلا بالأزواج[2] قال : ﴿ و زوجنهم ﴾ أى قرناهم كما تقرن الأزواج ، و ليس المراد به العقد لأنه فعل متعد بنفسه و هو لا يكون ٥ فى الجنة لأن[3] فائدته الحل ، و الجنة ليست بدار كلفة من تحليل أو تحريم ، و ذكر مظهر العظمة تنبيها على كمال الشرف ﴿ بحور ﴾ أى [على -][4] حسب التوزيع بحوارى بيض حسان نقيات الثياب ﴿ عين ﴾ أى واسعات[5] الأعين .

و لما كان الإنسان فى الدنيا يخشى كلفة النفقات ، وصف ما هنالك ١٠ من سعة الخيرات فقال : ﴿ يدعون ﴾ أى يطلبون طلبا هو بغاية المسرة ﴿ فيها بكل ﴾ لايمتنع عليهم صنف من الأصناف ببعد مكان و لافقد أوان ، و لاغير ذلك من الشأن ، و قال : ﴿ فاكهة ﴾[6] إيذانا بأن ذلك مع سعته ليس فيها شىء لإقامة البنية و إنما هو للتفكه و مجرد التلذذ . [7]و لما كان التوسع فى التلذذ[7] يخشى منه غوائل جمة قال : ﴿ امنين ﴾ أى ١٥ و هم فى غاية الأمن من كل مخوف .

---

(١) من ظ ، و فى الأصل و م : للنساء (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : بالزوائج (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لأنه فانه (٤) زيد من م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : واسعة (٦) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و لما ذكر الأمان، و كان أخوف ما يخاف أهل الدنيا[1] الموت، قال: ﴿ لايذوقون فيها ﴾ أى[2] الجنة[3] ﴿ الموت ﴾ أى لايتجدد لهم أوائل استطعامه فكيف بما وراء ذلك. و لما كان المراد نفى ذلك على وجه يحصل معه القطع بالأمن[4] على أعلى الوجوه، وكان الاستثناء معيار العموم، وكان من المعلوم أن ما كان فى الدنيا من ذوق الموت الذى هو معنى من المعانى قد استحال عوده، قال معللا معلقا على هذا المحال[5]: ﴿الا الموتة﴾ و لما كان المعنى مع إسناد[6] الذوق إليهم لايلبس لأن ما قبل نفخ الروح ليس مذوقا، عبر بقوله: ﴿ الاولى ج ﴾ و قد أفهم التقييد بالظرف أن / النار يذاق فيها الموت، و الوصف بالأولى أن المذوق ٧٤٦ / موتة ثانية، فكان كأنه قيل: لكن غير المتقين ممن كان عاصيا فيدخل النار فيذوق فيها موتة أخرى - كما جاء فى الأحاديث الصحيحة، و يجوز أن يجعل وصف المتقين أعم من الراسخين و غيرهم، فيكون الحكم على المجموع، أى أن الكل لايذوقون، و بعضهم - و هم من أراد الله من العصاة - يذوقونه فى غيرها و هو النار، و يجوز أن تكون الموتة الأولى كانت فى الجنة المجازية فلا يكون تعليقا بمحال، و ذلك أن المتقى لم يزل

(١) و من هنا استأنفت نسخة مد (٢) زيد فى الأصل: دار النعيم و هى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: لايعود إليهم. و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالامل (٥) زيد فى الأصل: انه لايعود، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لستناد.

فيها فى الدنيا مجازا بما له من التسبب و بما سبق من[1] حكم الله له بها، قال صلى الله عليه و سلم[2] «المؤمن إذا عاد أخاه لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع، قيل[3]: و ما خرفة الجنة، قال: جناها» «و إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا» و كذا المحكوم له بما هو فيها عند الموت و بعده بما له من التمتع بالنظر و نحوه من الأكل للشهداء و غير ذلك مما ورد فى الأخبار الصحيحة، و من ذلك ما رواه[4] البخارى عن أنس رضى الله عنه أن عمه النضر رضى الله عنه قال يوم أحد: يا سعد[5] بن معاذ الجنة و رب النضر إنى لأجد[6] ريحها من دون أحد، ثم قاتل حتى قتل. ثم يكون تمام ذلك النعيم بالجنة بعد البعث، قال ابن برجان: الدنيا إذا تحققت فى حق المؤمن المتقى و تتبع النظر فيها فانها جنة صغرى لتوليه[7] سبحانه إياهم[7] فيها و قربه منهم و نظره إليهم و ذكرهم له و عبادتهم إياه و شغلهم به و هو معهم أينما كانوا.

و لما كان السياق للمتقين قال: ﴿ ووقاهم ﴾ أى جملة[8] المتقين[9] فى جزاء ما اتقوه[9] ﴿عذاب الجحيم ۝﴾ أى التى تقدم إصلاء[11] الآثم لها، وأما غير المتقين من العصاة فيدخل الله من أراد منهم النار فيعذر كلا منهم

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: له فى (٢) راجع مسند أحمد ٥/٢٧٧ (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فسيل (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: روى (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سعيد (٦) فى م و مد: اجد. (٧-٧) من م مد، و فى الأصل و ظ: اياهم سبحانه (٨) سقط من ظ و م و مد (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اصل و - كذا.

على قدر ذنوبه ثم يميتهم [فيها -[1]] و يستمرون إلى أن يأذن الله فى الشفاعة فيهم فيخرجهم ثم يحييهم بما يرش عليهم أهل الجنة من ماء الحياة، روى الإمام أحمد فى مسنده[2] و مسلم فى الإيمان[3] من صحيحه و ابن حبان فى الشفاعة من سننه و الدارمى[4] فى صفة الجنة و النار من سننه المشهور بالمسند، و ابن أبى حاتم فى تفسيره عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال[5]: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: أما أهل النار الذين هم أهلها - و قال الدارمى: الذين هم للنار - فانهم لا يموتون فيها و لا يحيون، و لكن ناس منكم[6] أصابتهم النار بذنوبهم، - أو قال بخطاياهم - فأماتهم الله إماتة، و قال [الإمام أحمد: فيميتهم إماتة، و قال - [7]] الدارمى[8]: فان النار تصيبهم على قدر ذنوبهم فيحرقون فيها حتى إذا كانوا فحما أذن فى الشفاعة فجىء[9] بهم [و قال الدارمى - [7]]: فيخرجون من النار ضبائر ضبائر فنبتوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون، و قال الدارمى[10] فتنبت لحومهم نبات [11]الحبة فى حميل السيل. الضبائر[11] قال عبد الغافر الفارسى[12] فى مجمع الرغائب: / ٧٤٧ /

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) راجع ٣ / ٣٨٠ (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٤) راجع مسنده ص: ٣٨٠ (٥) سقط من مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: منهم (٧) زيد من م و مد. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الرازى (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيحيي (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العارى. (١١-١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجنة فى حمل السنبلة (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العارى.

جمع ضبارة مثل عمارة و عمائر: جماعات الناس، و روى أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال: يدخل ناس فى النار حتى إذا صاروا فحما أدخلوا الجنة، فيقول أهل الجنة: من هؤلاء، فيقال: هؤلاء الجهنميون، و لأحمد بن منيع عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه [عن النبى صلى الله عليه و سلم -[1]] قال: يوضع الصراط ٥ فذكر شفاعة المؤمنين فى إخوانهم بعد جواز الصراط و إذن [الله -[1]] لهم فى إخراجهم، [قال -[1]]: فيخرجونهم منها فيطرحونهم فى ماء الحياة فينبتون [نبات -[2]] الزرع[3] فى [غثاء -[2]] السيل[4]، و لابن أبى عمر عن[5] عبيد بن عمير رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يخرج الله قوما من النار بعد ما امتحشوا فيها و صاروا فحما فيلقون[6] ١٠ فى نهر على باب الجنة يسمى نهر الحياة، فينبتون فيه كما تنبت[7] الحبة فى حميل السيل[7] - أو كما تنبت الثعاريز - فيدخلون الجنة، فيقال: هؤلاء عتقاء الرحمن. الثعاريز - بالثاء المثلثة و العين و الراء المهملتين: نبات[8] كالهليون، و روى الترمذى - و قال: حسن صحيح - و روى من غير وجه عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: ١٥

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) فى مد: الزرعة (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السنبل (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ابن (٦) زيد فى الأصل: على باب الجنة فيلقون، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجنة فى حمل السنبل. (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نباتا.

يعذب ناس من أهل التوحيد فى النار حتى يكونوا فيها حمما ثم تدركهم الرحمة [فيخرجون - ١] و يطرحون على أبواب الجنة فيرش عليهم أهل الجنـــة الماء فينبتون كما تنبت الغثاء ٢ فى حمالة السيل ٣ ثم يدخلون الجنة .

٥ و لما كان السياق للتقين ، فكان ربما ظن أن هذا الذى فعل بهم حق لهم لابد و [لا - ٤] محيد عنه ، بين أن الأمر على غير ذلك ، و أنه سبحانه لو واخذهم و لم يعاملهم بفضله و عفوه لهلكوا ، فقال : ﴿ فضلا ﴾ أى فعل بهم ذلك [لأجل - ١] الفضل ، و لذلك عدل عن مظهر العظمة فقال تعالى : ﴿ من ربك ٥ ﴾ أى المحسن [إليك - ١] بكمال ١٠ إحسانه إلى أتباعك إحسانا يليق بك ٦ ، قال الرازى فى اللوامع : أصل الإيمان رؤية الفضل فى جميع الأحوال . و لما عظمه تعالى باظهار هذه الصفة مضافة إليه صلى الله عليه و سلم ، زاد فى تعظيمه بالإشارة بأداة البعد فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى الفضل العظيم الواسع ﴿ هو ﴾ [أى - ١] خاصة ﴿ الفوز ﴾ أى الظفر بجميع المطالب ﴿ العظيم ٥ ﴾ الذى لم يدع ١٥ جهة الشرف إلا ملأها .

و لما قدم سبحانه فى هذه السورة ما للقرآن ١ من البركة بما اشتمل عليه من البشارة و النذارة و الجمع و الفرق ، و ذكرهم بما يقرون به من

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : العيا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : السنبل (٤) زيد من مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بمقامهم و (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : للقرن .

أنه

أنه مبدع هذا الكون مما يستلزم إقرارهم بتوحيده المستلزم لأنه يفعل ما يشاء من إرسال و إنزال و تنبيه و بعث و غير ذلك، و هددهم بما لايقدر عليه غيره من الدخان و البطشة، و فعل بعض ذلك، وذكرهم بما يعرفون من أخبار من مضى من قروم القرون و أنهم مع ذلك كله[1] / أنكروا البعث، ثم ذكر ما يقتضى[2] التحذير و التبشير[3] - كل ذلك فى ٥ / ٧٤٨ أساليب فأتت كل المدى، فأعجزت جميع القوى، مع ما لها من المعانى الباهرة، و البدائع الزاهرة القاهرة، سبب عن قوله فذلك للسورة[4]: ﴿ فانما يسرناه ﴾ أى جعلنا[4] له يسرا عظيما و سهولة كبيرة.

و لما كان الإنسان كلما زادت فصاحته و عظمت بلاغته، كان كلامه أبين و قوله أعذب و أرصن و أرشق و أمتن، و كان صلى الله ١٠ عليه و سلم أفصح الناس و أبعدهم لذلك من التكلف، أضافه إليه فقط فقال: ﴿ بلسانك ﴾ أى هذا[5] العربى المبين و هم عرب تعجبهم[6] الفصاحة ﴿ لعلهم يتذكرون ٥ ﴾ أى ليكونوا عند من يراهم و هو عارف بلسانهم عن شأنه كشأنهم على رجاء[7] من أن يتذكرو[7] أن هذا[8] القرآن شاهد[9]

(١) زيد فى الأصل: آمنون، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢-٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: التخدر و التبشير (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: السورة (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جعلناه.
(٥) زيد فى الأصل: القرآن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٦) من م و مد، و فى الاصل: يعجبه (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من مد.
(٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لهذا (٩) من م و مد، و فى الاصل و ظ: شاهدا.

سورة الجاثية و تسمى[٢] الشريعة

مقصودها الدلالة على أن منزل [٣] هذا الكتاب[٣] ـ كما دل عليه في[٢] الدخان ـ ذو العزة لأنه لا يغلبه شيء و هو يغلب كل شيء، و الحكمة لأنه[٤] لم يضع شيئا إلا في أحكم مواضعه، فعلم أنه المختص بالكبرياء، ٥ فوضع شرعا [هو -[٥]] في غاية الاستقامة لا تستقل العقول بادراكه و لا يخرج شيء منه عنه[٦]، أمر فيه و نهى، و رغب [و رهب -[٧]] ثم بطن حتى أنه لا يعرف، ثم ظهر حتى أنه لا يجهل، فمن المكلفين [من حكم -[٥]] عقله و جانب هواه فشهد جلاله فسمع و أطاع، و منهم من تبع هواه فضل عن نور العقل فزاغ و أضاع[٨] فاقتضت الحكمة و لابد أن يجمع ١٥ سبحانه الخلق ليوم الفصل فيظهر كل الظهور و يدين عباده ليشهد رحمته المطيع و كبرياءه العاصي، و ينشر العدل و يظهر الفضل، و يتجلى في جميع صفاته لجميع خلقه، و على ذلك دل اسمها الشريعة، و اسمها الجاثية واضح

---

(١) الخامس و الأربعون من سور القرآن الكريم، و عدد آيها ثلاثون و سبع عند الكوفيين و ست عند المدنيين و المكي و البصريين و الشامي - راجع نثر المرجان ٢ / ٤٩٢ (٢) زيد في الأصل : سورة، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٣-٣) من م و مد، و في الأصل و ظ : الكتاب هذا. (٤) من ظ و م و مد، و في الأصل : و انه (٥) زيد من م و مد (٦) من م و مد، و في الأصل و ظ : عن (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل : ضاع.

الدلالة فيه إذا تؤمل كل من آيتيها - والله سبحانه وتعالى الهادي.

﴿بسم الله﴾ الذي تفرد بتمام العز والكبرياء ﴿الرحمن﴾ الذي أحكم رحمته بالبيان العام للسعداء والأشقياء ﴿الرحيم﴾ الذي خص بملابس طاعته الأولياء ﴿حم ۝﴾ أي حكمة محمد إليها المنتهى[1] كما تقدم في الدخان لما أفهم إنزاله من أم الكتاب جملة إلى بيت العزة، ودل على بركته بما دل على حكمة منزله وعزته[2] بالبشارة والنذارة والإيقاع بالمجرمين بعد طول الحلم[3] والأناة والنجاة للمتقين وغير ذلك من أمور هي في غاية الدلالة على ذلك لأنها راجعة إلى الحس لمن ألقى السمع، وهو شهيد، وأشار إلى سهولتها على من[4] تأمل هذا الذكر المترجم بلسان أعلى الخلق[5] وأكملهم وأشرفهم خلائق[6] وأفضلهم، ابتدأ[7] هذه بالإعلام[8] بأنه زاد ذلك يسرا وسهولة بإنزاله منجما بحسب الوقائع مطابقا لها أتم مطابقة بعد إنزاله جملة من أم الكتاب ثم مرتبا لما أنزل منه ترتيبا يفهم علوما ويوضح أسرارا غامضة مهمة فقال: ﴿تنزيل الكتب﴾ أي إنزال الجامع لكل خير مفرقا لزيادة التسهيل في التفهيم[9] والإبلاغ في اليسر[10] في التعليم[11] وغير ذلك من الفضل العميم[12]

(١) من م ومد، وفي الأصل وظ: المتسمى (٢) من م ومد، وفي الأصل وظ: غره (٣) من م ومد، وفي الأصل وظ: الحكم (٤-٤) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لمن (٥-٥) من ظ وم ومد، وفي الأصل: خلقا وخلقا (٦-٦) من ظ وم ومد، وفي الأصل: وانتهاء هذه الأعلام (٧) من مد، وفي الأصل وظ وم: التعميم (٨-٨) من م ومد، وفي الأصل وظ: بالتعميم (٩) من م ومد، وفي الأصل وظ: العظيم.

و زاده عظما بقوله: ﴿ من الله ﴾ أى كائن من المحيط بصفات الكمال .

و لما كان - كما مضى - للعزة و الحكمة أعظم بركة هنا قال[1]: ﴿ العزيز الحكيم ٥ ﴾ فكان كتابه عزيزا حكيما لا كما تقول الكفرة من أنه شعر أو كذب أو كهانة لأنه لاحكمة لذلك و لاعزة[2] بحيث يلتبس أمره بأمر هذا الكتاب المحيط [بدائرة الحكمة -[3]] و الصواب ، و دل بشواهد القدرة و آثار الصنعة من نسخة هذا الكتاب على الصفتين و على وحدانيته فيهما اللازم منه تفرده[4] المطلق فقال[5] مؤكدا لأجل من ينكر ذلك و لو بالعمل ، و ترغيبا فى تدقيق[6] النظر بتأمل آيات الوجود التى هذا الكتاب شرح[7] لمغلقها و تفصيل لمجملها ، و إيماء إلى أنها [أهل -[3]] لصرف الأفكار[8] إلى تأملها ﴿ ان فى ﴾[9] و لما كانت الحواميم - كما روى أبو عبيدة فى كتاب الفضائل عن ابن عباس رضى الله عنهما - لباب القرآن ، حذف ما ذكر[10] فى البقرة من قوله "خلق" ليكون ما هنا أشمل فقال : ﴿ السمٰوٰت ﴾ أى ذواتها[11] بما لها من الدلالة

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فقال (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غيره (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نفوذه (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فكان (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دقيق (٧) زيد فى الأصل : و مفتاح ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الانكار (٩) وقع فى الأصل بعده بياض ، و فى ظ : خلق (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذكره (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذاتها .

[على صانعها -[1]] و خلقها على ما فيها من العبر بما فيها من المنافع و عظيم الصنعة[2] و ما لها من الشفوف الدال على تعددها بما فيها من الكواكب ﴿و الارض﴾ كذلك [و -[1]] بما حوت من المعادن و المعايش[3] و المنابع و المعاون ﴿لآيت﴾ أي دلائل على وحدانيته و جميع كماله، فان من المعلوم أنه لابد لكل من ذلك من صانع متصف بذلك ٥ ﴿للمؤمنين﴾ أي لأنهم برسوخهم في هذا الوصف الشريف أهل للنظر لأن[4] ربهم يهديهم بايمانهم فشواهد[5] الربوبية لهم منها[6] لائحة، و أدلة الإلهية فيها واضحة، و لعله أشار بالتعبير بالوصف إلى أنه لابد في رد شبه أهل[7] الطبائع من تقدم الإيمان، و أن [من -[1]] لم يكن راسخ الإيمان لم يخلص من شكوكهم[8]. ١٠

و قال الإمام أبو جعفر[9] ابن الزبير: لما تضمنت السور[10] المتقدمة إيضاح أمر الكتاب و عظيم بيانه[11] و أنه شاف كاف و هدى[12] و نور، كان [13]أمر من[13] كفر من العرب أعظم شيء لاقطاعهم و عجزهم و قيام

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: الصفة (٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: المنافع (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: لانهم (٥) من ظ و م ومد، و في الأصل: بشواهد (٦) من مد، و في الأصل و ظ و م: منها (٧) من م و مد، و في الأصل و ظ: لاهل (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: شكوكه (٩) من م و مد، و في الأصل و ظ: ابن جعفر (١٠-١٠) من ظ و م و مد، و في الأصل: تقدم فتضمنت السورة. (١١) في الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (١٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: هوى (١٣-١٣) من ظ و م و مد، و في الأصل: امرين.

الحجة به عليهم حتى رضوا بالقتل و الخزى العاجل و ما [1]قاموا بادعاء[1] معارضته[2] و لاتشوفوا[3] إلى الإسناد إلى عظيم تلك المعارضة، أتبع ذلك [تعالى ـ[4]] تنبيها لنبيه[5] و المؤمنين إلى ما قد نصبه من الدلائل سواه مما[6] صد المعرض عن[7] الاعتبار بها أو ببعضها مجرد هواه، و من أضل ٥ ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، فقال تعالى بعد القسم بالكتاب المبين "ان فى السمٰوٰت و الارض لأيٰت للمؤمنين" أى [8]لو لم تجئهم يا محمد[8] بعظيم آية[9] الكتاب فقد كان لهم [10]فيما نصبنا[10] من الأدلة أعظم برهان و أعظم تبيان " او لم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السمٰوٰت و الارض و ما بينهما الا بالحق و اجل مسمى" فلما نبه بخلق السماوات و الأرض، ١٠ أتبع بذكر ما بث فى الارض فقال "و فى خلقكم و ما بث فيهما [11]من دابة [11]ايٰت لقوم يوقنون و اختلاف اليل و النهار" أى فى دخول أحدهما على الآخر بألطف[12] اتصال[13] و أربط انفصال[14] "لا الشمس ينبغى لها ان

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : قاوا باعاء ـ كذا (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م : معارضة (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : لاتشو ـ كذا (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) فى الأصل و ظ : نبته ـ كذا، و فى م و مد بياض (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : عما (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : من (٨ ـ ٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يوم تجيهم. (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ : آيات (١٠ ـ ١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فيه نسبة (١١) ليس فى مد (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بالطف (١٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ايصال (١٤) زيد فى الأصل و ظ : للشمس، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

تدرك

تدرك القمر و لا اليل سابق النهار " ثم نبه على الاعتبار بانزال الماء من السماء و سماه رزقا بحط القياس فقال " و ما انزل الله من رزق فاحيا به الارض بعد موتها " ثم قال " و [1]تصريف الرياح [1]ايٰت[1] لقوم يعقلون " الاستدلال بهذه الآى[2] يستدعى بسطا يطول ، ثم قال " تلك [1]ايٰت الله نتلوها عليك بالحق " أى علاماته و دلائله " و ان من شىء الا يسبح بحمده " ، ثم قال " فباىّ حديث بعد الله و [1]ايٰته يؤمنون " أ[3]بعد[3] ما شاهدوه[4] من شاهد الكتاب / و ما تضمنه خلق السماوات و الأرض و ما فيهما[5] / ٧٥١ و ما بينهن من عجائب الدلائل الواضحة لأولى الألباب ، فاذا لم يعتبروا[6] بشىء من ذلك فبماذا يعتبر[7] ، ثم أردف تعالى بتقريعهم و توبيخهم فى تصميمهم[8] مع وضوح الأمر فقال " ويل لكل افاك اثيم[9] " الآيات الثلاث ، ثم قال " هذا هدى " و أشار إلى الكتاب و جعله[10] نفس الهدى لتحمله[11] كل أسباب الهدى و جميع جهاته ، ثم توعد من كفر به

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نصرف الآيات (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاية الذى (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اى بعده (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شهدوه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : فيها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لم يعبروا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يعبر (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تصميم (٩) زيد فى الأصل وظ : يسمع آيات الله تتلى عليه ، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جعل (١١) زيد بعده فى الأصل و ظ : اسباب ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

ثم أردف ذلك بذكر نعمه و آلائه ليكون ذلك زائدا فى توبيخهم ، و التحمت الآى عاضدة هذا الغرض تقريعا و توبيخا و وعيدا و تهديدا إلى آخر السورة ـ انتهى .

و لما ذكر سبحانه بالنظر فى آيات الآفاق ، أتبعها آيات الأنفس فقال : ﴿و فى خلقكم﴾ أى المخالف لخلق الأرض التى أنتم منها بالاختيار و العقل و الانتشار و القدرة على السار و الضار ﴿ و ما يبث ﴾ أى [ينشر و-[1]] يفرق بالحركة الاختيارية بثا على سبيل التجدد و الاستمرار ﴿ من دآبة ﴾ [2]مما تعلمون و مما لاتعلمون مما فى ذلك من مشاركتكم فى الحركة بالاختيار و الهداية للنافع بادراك الجزئيات و مخالفتكم فى الصورة و العقل و إدراك الكليات و غير ذلك من مخالفة الأشكال و المنافع و الطبائع و نحوها ﴿ ا[3]يٰت ﴾ [أى ـ[1]] على صفات الكمال و لاسيما العزة و الحكمة ، و هى على قراءة حمزة و الكسائى و يعقوب[4] بالنصب هنا ، و فى الذى بعده عطف الآيتين على حيز[5] "ان" [فى ـ[1]] الآية الأولى من الاسم و الخبر ، فلهذه الآية نظر إلى التأكيد ، و هو على قراءة الجماعة مبتدأ بالعطف على «ان» و ما فى حيزها[6] ، و هى أبلغ لأنها تشير إلى أن[6] ما فى تصوير الحيوان و جميع شأنه من عجيب الصنع

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) راجع نثر المرجان ٦/٤٩٣ (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : خبر (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : خبرها (٦) سقط من مد .

ظاهر[1] الدلالة على الله [فهو -[2]] بحيث لا ينكره أحد، فهو غنى عن التأكيد، و يجوز أن تكون الآية على قراءة النصب من الاحتباك: حذف أولا الخلق بما دل عليه ثانيا، و ثانيا ذوات الأنفس بما دل عليه من ذوات السماوات أولا.

و لما كانت آيات الأنفس أدق و أدل على القدرة و الاختيار ٥ بما لها من التجدد و الاختلاف، قال: ﴿ لقوم ﴾ أى فيهم أهلية القيام بما يحاولونه ﴿ يوقنون ﴾ أى يتجدد لهم العروج فى درجات الإيمان إلى أن يصلوا إلى شرف الإيقان، فلا يخالطهم[3] شك فى وحدانيته؛ قال الحرالى فى تفسير "او كالذى مر على قرية": آية النفس منبهة على آية الحس، و آية الحس منبهة على آية النفس. إلا أن آية النفس ١٠ أعلق، فهى لذلك أهدى، غاية آية الآفاق الإيمان، و غاية آية النفس اليقين.

و لما ذكر الظرف و ما خلق لأجله من الناس، ضم إليهم بعض ما خلقه لأجلهم / [لشرفه -[2]] بالحياة، أتبعه ما أودع الظرف من المرافق لأجل الحيوان فقال: ﴿ و اختلاف الليل و النهار ﴾ بذهاب ١٥ أحدهما و وجود الآخر بعد ذهابه على التعاقب آية متكررة للدلالة على القدرة على الإيجاد بعد الإعدام بالبعث و غيره، و جر «اختلاف» بتقدير «فى»، فينوب حرف العطف مناب عامل واحد للابتداء عند من

/ ٧٥٢

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ظاهره (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلا يخالفهم.

رفع «آيات»، و مناب «ان» عند من نصب. فلم يلزم نيابته مناب عاملين مختلفين فى الا بتداء فى الرفع و فى "أن" فى النصب.

و لما كان المطر أدل مما مضى على البعث و العزة، لأن الشيء كلما قل الإلف له كان أمكن للتأمل فيه، اولاه أياه فقال: ﴿و ما انزل الله﴾ أى الذى تمت عظمته فنفذت كلمته. و لما كان الإنزال قد يستعمل فيما أتى من علو معنوى و إن لم يكن حسيا، بين أن المراد هنا الأمران فقال: ﴿من السمآء﴾[1].

و لما كانت منافع السماء غير منحصرة فى الماء قال: ﴿من رزق﴾ أى مطر و غيره من الأسباب المهيئة لإخراج الرزق ﴿فاحيا به﴾ أى بسببه و تعقبه ﴿الارض﴾ أى الصالحة للحياة، و لذلك قال: ﴿بعد موتها﴾ أى يبسها[3] و[4] تهشم ما كان فيها من النبات و انقلابه بالاختلاط[5] بترابها ترابا، فاذا نزل عليها الماء جمعه[6] منها فأخرجه على ما كان عليه كلما تجدد نزوله، و لذلك لم يأت بالجار[7] إشارة إلى دوام

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اى (٢) زيد فى الأصل: فيه مناسبة لقوله صلى الله عليه و سلم فى بعض حديث «و رزقتم من سبع» و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بسببها. (٤) زيد فى الأصل و ظ: لذلك، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها. (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من الاحتلاط (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جميعه (٧) زيدت الواو بعده فى الأصل و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها.

الحياة بالقوة إن لم يكن بالفعل .

و لما ذكر [ما يشمل الماء، ذكر -[1]] سبب السحاب الذى يحمله فقال: ﴿ و تصريف الريح ﴾ فى كل جهة [2]من جهات الكون[2] و فى كل معنى من رحمة و عذاب و غير ذلك من الأسباب ، و لم يذكر الفلك و السحاب كما فى البقرة لاقتضاء اللبابية[3] المسماة بها الحواميم، ٥ ذلك لأنها[4] من جملة منافع التصريف ، و توحيد حمزة و الكسائى[5] أبلغ لأن تصريف الشيء الواحد فى الوجوه الكثيرة أعجب ﴿ [1]ايت ﴾ قراءة الرفع أبلغ لإشارتها بعدم الحاجة إلى التأكيد إلى أن ما فى الآيـة ظاهر الدلالة على القدرة و الاختيار للصانع بما فى التصريف من الاختلاف ، و الماء بما يحدث عنه من الإنبات[6] أوضح دلالة من بقيتها ١٠ عـلى البعث ، و لأجل شدة ظهورها ناط الأمر فيها بالعقل فقال: ﴿ لقوم يعقلون ٥ ﴾ و قال القالى[7] : و المعنى أن المنصفين[8] لما نظروا فى السماوات و الأرض و أنه لابد لهما من صانع آمنوا . فاذا نظروا فى خلق أنفسهم و نحوها ازدادوا إيمانا فأيقنوا . فاذا نظروا فى سائر الحوادث عقلوا و استحكم علمهم . ١٥

(١) زيد من م و مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اللبابة (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لأنها (٥) راجع نثر المرجان ٦ / ٤٩٤ (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاثبات (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : العالى (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : المصنفين .

ولما ذكر هذه الآيات العظيمات، وكانت كلها مشتركة فى العظم، بعد ما أشار إلى تباين رتبها فى الخفاء والجلاء بفواصلها[1]، قال مشيرا إلى علو رتبها[2] بأداة البعد: ﴿تلك﴾ أى الآيات الكبرى ﴿آيات الله﴾ أى دلائل المحيط بصفات الكمال التى لاشىء أجلى[3] ولا أظهر ولا أوضح[3] منها[4] /٥ ولما كان كأنه قيل: ما لها؟ قال، أو يكون المراد: نشير إليها حال كوننا ﴿نتلوها﴾ أى نتابع قصها ﴿عليك﴾ سواء كانت مرئية أو مسموعة، متلبسة[5] ﴿بالحق﴾ أى الأمر الثابت الذى لايستطاع تحويله فليس بسحر ولا كذب، فتسبب عن ذلك حينئذ الإنكار عليهم وعلى من يطلب إجابتهم إلى المقترحات طمعا[6] فى إيمانهم فى قوله تعالى: ﴿فبأىّ حديث﴾ أى خبر عظيم صادق يتجدد علمهم به يستحق أن يتحدث به، واستغرق كل حديث فقال: ﴿بعد الله﴾ أى الحديث الأعظم عن[7] الملك الأعلى ﴿وآياته﴾ أى والحديث عن[8] دلالاته العظيمة[8] ﴿يؤمنون﴾ من خاطب ـ وهم الجمهور[9] ـ ردوه على قوله "وفى خلقكم" وهو أقوى تبكيتا، وغيرهم و[10]هم أبو عمرو وحفص[10] عن

٧٥٣ /

(١) من ظ و م و مد، وفى الأصل: تبعوا اصلها (٢) من م و مد، وفى الأصل: رتبتها (٣ ـ ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل وظ: انتهى، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها (٥) فى مد: ملتبسة. (٦) من م و مد، وفى الأصل و ظ: جمعا (٧) من مد، وفى الأصل و ظ و م: من (٨ـ٨) من ظ و م و مد، وفى الأصل: دلالته العظيم به (٩) راجع نثر المرجان /٤٩٦ (١٠ـ١٠) من مد، وفى الأصل و ظ و م: هو أبو حفص و عمرو.

عاصم و روح عن يعقوب رأوا ان ذلك الخطاب صرف إلى خطاب النبي صلى الله عليه و سلم فى قوله " نتلوها عليك بالحق " .

و لما كان لايبقى على الكفر نوع بقاء فضلا عن الإصرار بعد هذا البيان إلا من يستحق النكال لمجاهرته بالعناد[1]، قال على وجه الاستنتاج مهددا : ﴿ويل﴾ [2]أى مكان معروف فى جهنم[2] ﴿لكل فاك﴾ أى مبالغ فى صرف الحق عن وجهه ﴿ اثيم[3] ﴾ أى مبالغ فى اكتساب الإثم و هو الذنب ، و عمل ما لايحل مما يوجب العقاب ، و فسر هـذا بقوله : ﴿ يسمع [4]ايت الله ﴾ أى دلالات الملك الأعظم الظاهرة حال كونها ﴿ تتلى[5] ﴾ أى يواصل [6]استماعه لها[6] بلسان القال أو الحال من أىّ تال كان ، عالية ﴿ عليه ﴾ بجميع ما فيها من سهولة فهمها و عذوبة ألفاظها و ظهور معانيها و جلالة مقاصدها مع الإعجاز فكيف إذا كان التالى أشرف الخلق .

و لما كانت تلاوتها موجبة لإقلاعه فكان إصراره مع بعد رتبته فى الشناعة[7] مستبعدا كونه قال : ﴿ ثم يصر ﴾ اى يدوم دواما عظيما على قبيح ما هو فيه حال كونه ﴿ مستكبرا ﴾ أى طالبا الكبر عن الإذعان

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالجدال و العناد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل : عليه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : استماعها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مكان (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الساعة .

و موجدا له . و لما كان مع ما ذكر من حاله يجوز أن يكون سماعه لها[1]، خفف من[2] مبالغته فى الكفر، بين أنها لم تؤثر فيه نوعا من التأثير، فكان قلبه أشد قسوة من الحجر [فقال -[3]] : ﴿ كان ﴾ أى كأنه ﴿لم يسمعها[4]﴾ فعلم من ذلك و من الإصرار و ما قيد به من الاستكبار أن حاله عند ٥ السماع و قبله و بعده على حد سواء، و قد علم بهذا الوصف أن [كل -[3]] من لم ترده آيات الله تعالى كان مبالغا فى الإثم و الإفك، فكان له الويل . و لما كان الإصرار معناه الدوام المتحكم[5] لم يذكر الوقر الذى هو من الأمراض الثابتة كما ذكره فى سورة لقمان، قال ابن القطاع[6] و ابن ظريف فى أفعالهما : أصر على الذنب و المكروه : أقام، و قال [عبد -[3]] ١٠ الغافر الفارسى فى المجمع : أصررت على الشىء أى أقمت و دمت عليه[7]، و قال ابن فارس[6] فى المجمل : و الإصرار : العزم على الشىء و الثبات عليه[7]، و قال أبو[8] عبد الله القزاز فى ديوانه و نقله عنه عبد الحق فى واعيه : / و أصل الصر الإمساك، و منه يقال : أصر فلان[9] على كذا، أى أقام ٧٥٤ / عليه و أمسكه فى نفسه [و عقده لأنه قد يقول ما ليس فى نفسه -[3]] ١٥ و ما لا يعتقده، و الرجل مصر على الذنب أى ممسك له معتقد عليه، ثم

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : له (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : عن. (٣) زيد من م و مد (٤) راجع كتاب الأفعال ٢/٢٥٠ (٥) سقط من م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فارسى (٧) سقط من ظ و م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ابن (٩) زيد فى الأصل : اى أمسك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

قال : من الإصرار عليه و هو العزم على أن لا يقلع عنه ، و قال الأصفهانى[1] تبعا لصاحب الكشاف : و أصله من أصر الحمار على العانة[2] ، و هو أن ينحنى عليها صارا أذنيه .

و لما أخبر عن ثباته على الخبث ، سبب عنه تهديده فى أسلوب دال - بما فيه من التهكم - على شدة الغضب و على أنه إن كان له بشارة ٥ فهى العذاب فلا بشارة له أصلا فقال[3] تعالى : ﴿فبشره﴾ أى على هذا الفعل الخبيث ﴿بعذاب﴾ [4] لا يدع له عذوبة أصلا ﴿اليم﴾ أى بليغ الإيلام .

و لما بين تعالى كفره بما يسمع من الآيات ، أتبعه ما هو أعم منه فقال : ﴿و اذا علم﴾ أى أىّ نوع كان من أسباب العلم ﴿من ايتنا﴾ ١٠ أى على ما لها من العظمة باضافتها إلينا ﴿شيئا﴾ [5] [و راءه - [6]] و كان كلما رأوا الإنسان فى غاية التمكن منه ، قال مبينا للعذاب : ﴿جهنم[ج]﴾ أى تأخذهم[7] لا محالة و هم فى غاية الغفلة عنها بترك الاحتراز منها ، و يحسن التعبير بالوراء[8] أن الكلام فى الأفاك ، و هو انصراف[9]

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الأصبهانى (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الصافة - كذا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و لذلك قال (٤) وقع فى مد بياض من هنا إلى «جهنم أى تأخذهم» قدر صفحة مطبوعة و بضعة أسطر . (٥) وقع فى الأصل و ظ و م بياض من هنا قدر صفحة مطبوعة ، و ينتهى إلى « و كان كلما رأوا » و سقطت من الآية « اتخذها هزوا اولئك لهم عذاب مهين من ورآئهم » (٦) زيد من م (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاخذهم (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالواو (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : صرف .

الأمور عن أوجهها[1] إلى أقفائها[2] فهو ماش أبدا إلى ورائه فهو ماش إلى النار بظهره[3]. و يستعمل، "وراء" فى الأمام، فيكون حينئذ مجازا عن[4] الإحاطة أى تأخذهم من الجهة التى هم بها[5] عالمون و الجهة التى هم بها[6] جاهلون، فتلقاهم غاية التجهم و العبوسة و الغيظ و الكراهة ضد ما كانوا عليه عند [العلم -[7]] بالآيات المرئية و المسموعة من الاستهزاء الملازم للضحك و التمايل[8] بطرا و أشرا، و مثل ما كانوا عليه عند الملاقاة للمصدقين بتلك الآيات.

[و -[7]] لما كانوا يظهرون الركون إلى ما بأيديهم من الأعراض الفانية، قال: ﴿ و لا يغنى عنهم ﴾ أى فى دفع[9] ذلك ﴿ ما كسبوا ﴾ أى حصلوا[10] من الأمور التى أفادتهم العز الذى / أورثهم الاستهزاء[11] ﴿ شيئا ﴾ أى من إغناء[12]. و لما[13] كان هؤلاء لما هم عليه من العمى[14] يدعون إغناء آلهتهم[15] عنهم، قال[16] مصرحا بها: ﴿ و لا ما اتخذوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم

٧٥٥ / ١٠

(١) من ظ و م و مد، و فى الاصل: وجهها (٢) فى الأصل: اقولها، و فى ظ و م و مد: اقوالها - كذ (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بظهر. (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ. فى (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لها (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد من مد (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القايل (٩) من م و مد، و فى الاصل و ظ: رفع (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: حصوا (١١) زيد فى الأصل: و لم يغن عنهم الاستهزاء، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الاغناء (١٣-١٣) فى ظ و م و مد: كانوا (١٤) من ظ و م و مد، و فى الاصل: الالهة (١٥) زيد فى الأصل و ظ: نجيا مبينا، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

باخذه مخالفين لما دعتهم إليها فطرهم الأولى السليمة من البعد عنها .

و لما كان كفرهم إنما هو الإشراك، فكانوا يقولون "الله" أيضا، قال معبرا بما يفهم[1] سفول ما سواه: ﴿[2]من دون الله[2]﴾ أى أدنى رتبة من رتب الملك الأعظم ﴿اولياء ج﴾ أى يطمعون فى أن يفعلوا معهم ما يفعله القريب من النفع و الذب و الدفع[3] ﴿ و لهم ﴾ [4] مع عذابهم[5] بخيبة[3] ٥ الأمل ﴿عذاب عظيم ۝﴾ لا يدع جهة من جهاتهم و لا زمانا[7] من أزمانهم و لا عضوا من أعضائهم إلا ملأه .

و لما أخبر عما لمن أعرض [8]عن الآيات[8] بما [هو ـ[9]] أجل موعظة و أردع زاجر عن الضلال، قال مشيرا إلى ما افتتح به الكلام من المتلو الذى هذا منه: ﴿ هذا ﴾ أى التنزيل المتلو عليكم ﴿ هدى ج ﴾ أى[10] عظيم ١٠ جدا بالغ [فى ـ[9]] الهداية كامل فيها، فالذين اهتـــدوا بآيات ربهم [لأنهم ـ[11]] لم يغتروا بالحاضر لكونه زائلا فاستعملوا عقولهم فآمنوا

(١) زيد فى الأصل و ظ : سفولهم و، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .
(٢ - ٢) من م و مد و القرآن الكريم، و فى الأصل و ظ : دونه .
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الرفع (٤) زيد فى الأصل و ظ : اى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : أيضا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ و م : تخيبة - كذا (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : زمنا (٨-٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بالآيات (٩) زيد من مد (١٠) زيد فى الأصل : هـدى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) زيد من ظ و م و مد .

به لهم نعيم مقيم ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دلتهم[1] عليه مرائى عقولهم به - هكذا كان الأصل ، و لكنه نبه على أن كل جملة من جمله ، بل كل[2] كلمة من كلماته[3] دلالة واضحة عليه سبحانه فقال : ﴿ بآيت ربهم ﴾ أى و هذه التغطية بسبب التكذيب بالعلامات الدالة على وحدانية المحسن إليهم فضلوا عن السبيل لتفريطهم[4] فى النظر[5] لغرورهم بالحاضر الفانى ﴿ لهم عذاب ﴾ [كائن -[6]] ﴿ من رجز ﴾ [أى عقاب -[7]] قذر[8] شديد جدا عظيم القلقلة[9] و الاضطراب[10] متتابع[11] الحركات ، قال القزاز : الرجز و الرجس واحد ﴿ اليم ﴾ أى بليغ الايلام . الآية من الاحتباك : ذكر الهدى أولا دليلا على الضلال ثانيا ، و الكفر و العذاب ثانيا دليلا[12] على ضدهما أولا ، و سره أنه ذكر السبب المسعد ترغيبا فيه ، و المشقى ترهيبا منه .

و لما ذكر سبحانه و تعالى[13] صفة الربوبية ، ذكر بعض آثارها و ما

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دلهم (٢) سقط من م و مد (٣) فى مد : كلمات (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بتفريطهم (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) وقع فى الأصل و ظ بعد « رجز » و الترتيب من م و مد (٧) زيد من م و مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قدو - كذا (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : القلقة . (١٠) زيد فى الأصل و ظ : موقع ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها . (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : متابع (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دالان (١٣) زيد فى الاصل : السبب المسعد ترغيبا فيه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

فيها

فيها من آياته ، فقال مستأنفا دالا على عظمتها[1] بالاسم الأعظم : ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعلى المحيط بجميع صفات[2] الكمال . و لما كان آخر الآيات التى قدمها الرياح ، ذكر ما يتصرف بتسييرها فقال : ﴿ الذى سخر ﴾ أى وحده من غير حول منكم فى ذلك بوجه من الوجوه ﴿ لكم ﴾ أيها الناس بركم و فاجركم ﴿ البحر ﴾ [3]بما جعل فيه مما لا يقدر عليه [4]إلا واحد ٥ لاشريك له فاعل بالاختيار من القابلية للسير[5] فيه بالرقة و الليونة و الاستواء مع الريح الموافقة و أنه يطفو[6] عليه ما كان من الخشب مع ما علم من صنعته على هذا الوجه الذى تم به المراد ﴿ لتجرى الفلك ﴾ أى السفن ﴿ فيه بامره ﴾ و لو كانت موقرة[7] بأثقال[8] الحديد الذى يغوص فيه[9] أخف شىء منه كالإبرة / و ما دونها . ١٠ / ٧٥٦

و لما كان التقدير : لتعبروا بذلك فتعلموا أنه بقدرته خاصة لتؤمنوا به ، عطف عليه قوله : ﴿ و لتبتغوا ﴾ أى تطلبوا بشهوة نفس و اجتهاد بما تحملون فيه من البضائع[10] و تتوصلون إليه من الأماكن و المقاصد

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عظمها (٢) زيد فى الأصل : الجلال و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) و من هنا إلى ما سننبه عليه سقطت نسخة م (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالسير (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : مطعوا ـ كذا (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : موقورة . (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : باقفال (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى البحر (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : الصنائع .

بالصيد و الغوص و غير ذلك ﴿ من فضله ﴾ لم يصنع شيئا [منه -] سواه . و لما كان التقدير: لتظهر عليكم آثار نعمته، عطف عليه قوله تعالى: ﴿ و لعلكم تشكرون ج ﴾ أى و لتكونوا بحيث يرجو منكم من ينظر حالكم ذلك شكر من أنعم عليكم به ليزيدكم من فضله فى الدنيا و الآخرة .

و لما ذكر آية البحر لعظمتها، عم بمنافع الخافقين دلالة على أنه ما خلق ذلك كله على عظمه إلا لنا، تنبيها على أن الأمر عظيم فقال تعالى: ﴿ و سخر لكم ﴾ أى خاصة و لو شاء لمنعه ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ بانزاله إليكم منبها على أنها بحيث لا يمكنكم الوصول إليها بوجه، و أكد باعادة الموصول لأن[2] السياق للدلالة على عزته و حكمته الدالتين على توحده باستحقاق العبادة الذى هم له[3] منكرون كما دلتا[4] على توحده بالإيجاد و السيادة و هم معترفون بذلك بألسنتهم[1]، و أفعالهم[6] أفعال من ينكره، فقال: ﴿ و ما فى الارض ﴾ و أوصلكم إليه و لو شاء لجعلكم كما فى السماء لا وصول لكم إليه، و أكد ما دل على ما مضى من العموم بقوله: ﴿ جميعا ﴾ حال كون ذلك كله من أعيان تلك الأشياء و من تسخيرها[7] ﴿ منه[1] ﴾ لا صنع لأحد غيره فى شىء منه فى ذلك، قال الرازى فى اللوامع: قال أبو يعقوب النهرجورى[7]: سخر لك الكل لئلا يسخرك منها شىء،

(١) زيد من ظ و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: ان (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: دالا (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: افعال (٦) من مد، و فى الاصل و ظ: تسخير (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: المهرجورى .

و تكون مسخرا لمن سخر لك الكل و هو الله تعالى ، فانه يقبح بالمخدوم أن يخدم خادمه ، و قال القشيرى : ما من شيء من الأعيان الظاهرة إلا و [من - [1]] وجه للانسان به انتفاع ، فمن أن يستسخرك ما هو مسخرلك .

و لما صح أنه لاشريك له فى شيء من الخلق لامن الذوات و لامن المعانى ، حسن جدا قوله ، مؤكدا لأن[2] عملهم يخالفه : ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر العظيم و هو تسخيره لنا كل شيء فى[3] الكون ﴿ لأيٰت ﴾ أى دلالات[4] واضحات على أنهم فى الالتفات إلى غيره فى ضلال مبين بعد تسخيره لنا ما لنا من الأعضاء و القوى على هذ الوجه البديع مع أن من هذا المسخر لنا ما هو أقوى منا ﴿لقوم﴾ أى ناس فيهم أهلية للقيام بما يجعل إليهم ﴿يتفكرون[5]﴾ أنه المتوحد باستحقاق[6] الإلهية فلا[6] يشركون به شيئا .

و لما علمت دلائل التوحيد على وجه علم منه أنه قد بسط نعمه على جميع خلقه طائعهم و عاصيهم ، فعلمت بواسطة ذلك الأخلاق الفاضلة و الأفعال الحميدة ، وكان على المقبل عليه المحب [له -[7]] التخلق بأوصافه ، أنتج قوله مخاطبا لأفهم خلقه عنه و أطوعهم له الذى الأوامر إنما هى

(١) زيد من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل : علمهم و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكل شيء من (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : ذلك الايات (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالاستحقاقات (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلما (٧) زيد من مد .

له من شدة طواعته تكوين لا تكليف[1] : ﴿ قل ﴾ أى بقالك و حالك
/ ٧٥٧ ﴿ للذين / آمنوا ﴾ أى ادعوا التصديق بكل ما جاءهم من الله : اغفروا
تسننا[2] به من أساء إليكم . و لما كان هذا الأمر فى الذروة من اقتضاء
الإحسان إلى المسيء فكيف بالصفح عنه ، كان كأنه علة مستقلة فى
٥ الإقبال عليه و القبول منه و الإعراض عن مؤاخذة المسيء . فان ذلك
يقدح فى كمال الإقبال عليه مع أن من كان يريد هو سبحانه الانتقام
منه فهو يكفى أمره ، و من[3] لم يرد ذلك منه فلا[4] حيلة فى كفه بوجه
فالاشتغال[5] بـه عبث . فنبه على ذلك بأن جعل جواب الأمر قوله :
﴿ يغفروا ﴾ أى يستروا سترا بالغا .

١٠ و لما كان العاقل من سعى جهده فى نفع نفسه ، وكان الأذى
لعباد الله مظنة لتوقع الغضب منه و قادحا فيما يرجى من إحسانه قال :
﴿ للذين ﴾ و عبر فى موضع " أساؤا إليهم " بقوله تعالى : ﴿ لا يرجون ﴾
أى حقيقة و مجازا ، و التعبير فى موضع الخوف بالرجاء لما فيه من
الاستجلاب و الترغيب و التأليف و الاستعطاف ، و قال بعد ما نبه
١٥ [عليه -[6]] بتلك العبارة من جليل الإشارة : ﴿ ايام الله ﴾ أى مثل

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يخلف ، و زيد بعده فى الأصل : صلى الله عليه و على آله و اصحاب الكرام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تسببا (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : لمن .
(٤) من ظ و مد ، و فى الاصل : فال (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاشتغال (٦) زيد من مد .

وقائع

وقائع الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال فى[1] الأمم الخالية بإدالة الدول تارة لهم و أخرى عليهم، و فيه أعظم ترغيب[2] فى الحث على الغفران للموافق[3] فى الدين، و تنبيه على أنه لا يقدم على الإساءة إلى[4] عبيده إلا من أعرض عنه، فصار حاله حال الآئس من صنائعه[5] سبحانه فى جزائه للمسيء و المحسن فى الأيام و الليالى، و عبر بالاسم الشريف تنبيها على ما ٥ له من الجلال و الجمال فى معاملة كل منهما، قال [ابن -[6]] برجان: و هذه الآية و شبهها من النسى المذكور فى قوله تعالى "ما ننسخ من آية او ننسها[7]" و ليس بنسخ بل هو حكم يجيء[8] و يذهب بحسب القدرة على الانتصار، و كان ينزل مثل هذا بمكة و المسلمون فى ضعف، و نزل بعد الهجرة آية الجهاد و الأمر بالمعروف، و تركت[9] هذه و أمثالها ١٠ مسطورة فى القرآن[10] لما عسى أن يدور من دوائر أيام الله و من أيامه إزالة أهل الكفر تنبيها للمسلمين ليراجعوا أمرهم و يصلحوا ما بينهم و بين ربهم[11] .

---

(١) من مد، و فى الاصل و ظ: من (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: الترغيب (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: الموافق (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: على (٥) من مد، و فى الاصل وظ: صانعه (٦) زيد من مد (٧) زيد فى الأصل و ظ: نات. و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: محى (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: ترك (١٠) زيد فى مد: موصدة (١١) من مد، و فى الاصل و ظ: الله تعالى.

و لما كان من قوصص على جنايته فى الدنيا ، سقط [1]عنه أمرها[1] فى الآخرة ، و كان المسلط للجانى فى الحقيقة إنما هو الله تعالى و كان تسليطه إياه لحكم بالغة تظهر غاية الظهور فى الآخرة ، علل الأمر بالغفران مهددا[2] للجانى و مسليا للمجنى عليه : ﴿ ليجزى ﴾ أى الله فى قراءة الجماعة[3] بالتحتانية و البناء للفاعل ، و نحن بما لنا من العظمة فى قراءة ابن عامر و حمزة و الكسائى بالنون ، و بناه أبو جعفر للمفعول فيكون النائب عن الفاعل الخير أو الشر[4] بتقدير حرف الجر لجزائهم فى الدنيا و فى الآخرة حيث يظهر الحكم و ينجلى الظلم .

و لما كان ربما جوزى جميع الجناة ، و ربما عفى عن بعضهم بالتوبة عليه أو غيرها تفضلا / لحكم أخرى و يثاب المظلوم على ظلامته لمثل[5] ذلك قال : ﴿ قوما ﴾ أى من الجناة و إن كانوا فى غاية العلو و الكبرياء[6] و الجبروت و من المجنى عليهم و إن كانوا فى غاية الضعف ﴿ بما ﴾ أى بسبب الذى ﴿ كانوا ﴾ أى فى جبلاتهم و أرزوه إلى الخارج ﴿ يكسبون ٥ ﴾ أى يفعلون على ظن أنه ينفعهم أو بسبب كسبهم من خير أو شر ، و الحاصل أنه تعالى يقول : أعرض عمن ظلمك و كل أمره إلىّ فانى لا أظلمك[7] و لا أظلم[7] أحدا ، فسوف أجزيك على صبرك

/ ٧٥٨

(١ - ١) من مد ، و فى الأصل و ظ : امرها عنه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : بقول مهدد (٣) راجع نثر المرجان ٦ / ٥٠٢ (٤) زيدت الواو فى الاصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) فى ظ : لمثل (٦) من ظ ، و فى الأصل : الكبر ، و ليس واضحا فى مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ .

أجزيه على بغيه و أنا قادر . و أفادت قراءة أبي جعفر[1] الإبلاغ في تعظيم الفاعل [و -[2]] أنه معلوم، و تعظيم ما أقيم مقامه و هو الجزاء بجعله عمدة مسندا إليه لأن عظمته على حسب ما أقيم مقامه . فالتقدير لكون الفعل يتعدى إلى مفعولين كما قال تعالى "و جزاهم بما صبروا جنة و حريرا": ليجزى الملك الأعظم الجزاء الأعظم من الخير للمؤمن و الشر للكافر ٥ قوما ، فجعل الجزاء كالفاعل و [إن -[2]] كان مفعولا كما جعل "زيد" فاعلا في مات زيد و إن كان مفعولا في المعنى: تنبيها على عظيم تأثير الفعل. فانه لا انفكاك عنه لأنه يجعل متمكنا من المجزى [تمكن المجزى -[2]] من جزائه و محيصا به لأن الله تعالى[3] بعظم قدرته يجعل عمل الإنسان نفسه جزاء له، قال الله تعالى "سيجزيهم وصفهم" ١٠ بما[4] كانوا يعملون، و يجوز أن يكون النائب عن الفاعل ضمير "الذين" بالنظر إلى لفظه فيكون المعنى: سيجزى الذين آمنوا ناسا كانوا أقوياء على القيام في أذاهم بسبب أذاهم [لهم -[5]] فيجعل كلا[6] منهم فداء لكل منهم من النار ، و ربما[7] رأوا بعض آثار ذلك في الدنيا، روى مسلم و الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه ١٥ و سلم قال: ما نقصت صدقة من مال و ما زاد الله عبدا[7] بعفو إلا عزا ، و ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله عز و جل . و لأحمد و الترمذي -

(١) راجع نثر المرجان ٦ / ٥٠٢ (٢) زيد من ظ (٣) زيد في الأصل : محيطا ، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٤) في م : ما ، و استأهت النسخة من هنا (٥) زيد من م و مد (٦) في م : كل (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : بما (٧) في م : عبيد ، و الحديث مضى قريبا .

و اللفظ له و قال: حسن صحيح[1] عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: ثلاث أقسم عليهن و أحدثكم حديثا فاحفظوه: ما نقص مال عبد[2] من صدقة، و ما ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا، و لا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله باب فقر - أو كلمة نحوها، و روى الحاكم و صحح إسناده، قال المنذري: و فيه انقطاع عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: من سره أن يشرف له البنيان و ترفع له الدرجات فليعف عمن ظلمه و يعط من حرمه و يصل من قطعه[3].

و لما رغب سبحانه و رهب و تقرر أنه لابد من الجزاء، زاد في [الترغيب و -[4]] الترهيب بأن النفع و الضر لايعدوهم فقال شارحا للجزاء: ﴿من عمل صالحا﴾ قل أو جل ﴿فلنفسه[5]﴾ أي خاصة عمله يرى جزاءه في الدنيا [6]أو في[6] الآخرة ﴿و من اساء﴾ أي[6] كذلك [7]إساءة قلت أو جلت[7] ﴿فعليها[8]﴾ خاصة إساءته كذلك، و ذلك في غاية الظهور لأنه لايسوغ في عقل عاقل ان ملكا يدع[9]

(١) زيدت الواو في الأصل، و لم تكن في ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و في الأصل: احد (٣) بهامش م: روى مسلم عن أبي موسى رفعه: اذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا يقال: هذا فكاكك من النار (٤) زيد من م و مد (٥ - ٥) من م و مد، و في الاصل و ظ «و» (٦) سقط من ظ و م و مد (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) من ظ و مد، و في الأصل: رفع، و في م: روع.

عبيده من غير جزاء و لا سيما إذا كان حكيما و إن كانت نقائص النفوس[1] قد غطت على كثير / من العقول ذلك و من جزائه أنه يديل[2] المسيء على المحسن لهفوة[3] وقعت له[4] ليراجع حاله بالتوبة . ٧٥٩ /

و لما كان سبحانه قادرا[5] لايفوته شيء كان بحيث لايعجل فأخر الجزاء [6]إلى اليوم[6] الموعود : ﴿ ثم ﴾ أى بعد الابتلاء بالإملاء[7] فى الدنيا و الحبس فى البرزخ ﴿ الى ربكم ﴾ أى المالك لكم وحده لا إلى غيره ﴿ ترجعون ٥ ﴾ . ٥

و لما علم بهذه[8] الحكم ما افتتحت به السورة من [أن - [9]] منزل هذا الكتاب عزيز حكيم ، فكان التقدير فذلكم[10] لذلك : فلقد آتيناك الكتاب و الحكم و النبوة و فضلناك و أمتك على العالمين و أرسلناك ١٠ لتنبه الناس على ما أمامهم و كان قومه[11] بعد ائتلافهم على الضلال قد اختلفوا بهذا الكتاب الذى كان ينبغى لهم أن يشتد اجتماعهم به و استنصارهم[12] من أجله ، عطف عليه مسليا قوله : ﴿ و لقد آتينا ﴾ أى

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لنفوسهم (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بدليل (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لمنعوة (٤) سقط من م (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قادر ان - كذا (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لليوم (٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : بإملاء. (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بهذا (٩) زيد من م و مد (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فذلك (١١) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : قومهم (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : استبصارهم .

على ما لنا من العظمة [١]و القدرة[١] الباهرة ﴿ بنى اسرآءيل ﴾ نبى الله ابن عمكم إسحاق نبى الله ابن أبيكم إبراهيم خليل الله عليهم الصلاة و السلام ﴿ الكتب ﴾ الجامع للخيرات و هو يعم التوراة و الإنجيل و الزبور و غيرها[٢] مما أنزل على أنبيائهم ﴿ و الحكم ﴾ أى العلم و العمل الثابتين ثبات الاحكام ٥ [بحيث -[٣]] لا يتطرق إليهما[٤] فساد بما للعلم من الزينة بالعمل، و للعمل من الإتقان[٥] بالعلم ﴿ و النبوة ﴾ التى تدرك بها الأخبار العظيمة التى لايمكن اطلاع الخلق عليها بنوع اكتساب منهم، فأكثرنا فيهم من الأنبياء ﴿ و رزقنهم ﴾ بعظمتنا لإقامة أبدانهم ﴿ من الطيبت ﴾ من المن و السلوى و غيرهما من الأرزاق اللدنية و غيرها ﴿ و فضلنهم ﴾ بما لنا من العزة ١٠ ﴿ على العلمين ج ﴾ و هم الذين تحقق إيجادنا لهم فى زمانهم و ما قبله فانا آتيناهم من الآيات المرئية و المسموعة و أكثرنا فيهم من الأنبياء ما لم نفعله لغيرهم ممن سبق، و كل ذلك فضيلة ظاهرة ﴿ و اتينهم ﴾ مع ذلك[٦] ﴿ بينت من الامر ج ﴾ الموحى به إلى أنبيائهم من الأدلة القطعية و الأحكام و المواعظ المؤيدة بالمعجزات. و من صفات الأنبياء الآتين ١٥ بعدهم و غير ذلك مما هو فى غاية الوضوح لمن قضينا بسعادته، و ذلك أمر يقتضى الألفة و الاجتماع و [قد -[٧]] كانوا متفقين و هم فى زمن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م : غيرهما (٣) زيد من م و مد (٤) من م ومد، و فى الأصل و ظ : اليها. (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الاتفاق (٦) زيد فى الأصل : ايضا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) زيد من مد.

الضلال لايختلفون إلا اختلافا يسيرا لايضر مثله و لا يعد اختلافا .

و لما كان حالهم بعد هذا الإيتاء مجملا ، فصله فقال تعالى : ﴿ فما اختلفوآ ﴾ أى أوقعوا الاختلاف و الافتراق بغاية جهدهم . و لما لم يكن اختلافهم مستغرقا لجميع الزمن الذى بعد الإيتاء ، أثبت الجار فقال : ﴿ الا من بعد ما جآءهم العلم لا ﴾ الذى من شأنه الجمع على المعلوم ، فكان ما هو سبب الاجتماع سببا لهم فى الافتراق لأن الله تعالى أراد ذلك و هو عزيز .

و لما كان هذا عجبا ، بين علته محذرا من مثلها فقال : ﴿ بغيا ﴾ أى للمجاوزة[1] فى الحدود التى اقتضاها لهم طلب الرئاسة و الحسد و غيرهما من نقائص النفوس . و لما كان / البغى على البعيد مذموما ، زاده عجبا ٧٦٥ / بقوله : ﴿ بينهم[2] ﴾ واقعا فيهم لم يعدهم إلى غيرهم ، و قد كانوا قبل ذلك و هم تحت أيدى القبط فى غاية الاتفاق و اجتماع الكلمة على الرضا بالذل ، و لذلك إستأنف قوله الذى اقتضاه الحال على ما يشاهده العباد من أفعال الملوك فيمن[3] خالف أوامرهم[4] ، مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن اليك بارسالك و تكثير أمتك و حفظهم مما[5] ضل به القرون الأولى و بيان يوم الفصل الذى هو محط الحكمة بيانا لم يبينه على لسان أحد ممن سلف ﴿ يقضى بينهم ﴾ باحصاء الأعمال و الجزاء

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : المجاوزة (٢) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : ممن (٣) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : امرهم (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من .

عليها، لأن هذا مقتضى الحكمة و العزة ﴿ يوم القيمة ﴾ الذى ينكره قومك الذين شرفناهم برسالتك مع أنه لايجوز فى الحكمة إنكاره[1] ﴿ فيما كانوا ﴾ أى بما هو لهم كالجبلة[2] ﴿ فيه يختلفون ﴾ بغاية الجهد متعمدين له بخلاف ما كان يقع منهم خطأ فانه يجوز فى الحكمة أن ٥ يتفضل عليهم بالعفو عنه فقد علم أنه لايجوز فى الحكمة أصلا أن يترك المختلفون من [3]غير حكم[3] بينهم لأن هذا لايرضاه أقل الملوك فانه لايعرف الملك إلا بالقهر و العزة و لا يعرف كونه حكيما إلا بالعدل، و إذا كان هذا لايرضاه ملك فكيف [4]يرضاه ملك[4] الملوك، و إذا كان هذا القضاء مقتضى الحكمة كان لا فرق فيه بين ناس و ناس، فهو يقتضى ١٠ بينكم أيضا كذلك[5]، و من التأكيد للوعد بذلك اليوم[6] التعبير باسم الرب مضافا إليه صلى الله عليه و سلم.

و لما كان معنى هذا أنه سبحانه و تعالى جعل بنى إسرائيل على شريعة و هددهم على الخلاف فيها، فكان تهديدهم تهديدا لنا، قال مصرحا بما اقتضاه سوق الكلام و غيره من تهديدنا منبها على علو شريعتنا: ١٥ ﴿ ثم ﴾ أى بعد فترة من رسلهم و مجاوزة رتب[7] كثيرة عالية على

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: انكارها (٢) زيد فى الاصل: بن هو جبلة لها و طبعا، و لم تكن الزيادة فى ظ م و مد فحذفناها (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بجر حكم - كذا (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الاصل: الملك (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لذلك (٦) فى مد: الوعد. (٧) من ظ و م و مد، و فى الاصل: رسل.

[رتبة - [1]] شريعتهم ﴿ جعلناك ﴾ أى[2] بعظمتنا ﴿ على شريعة ﴾ أى طريقة واسعة عظيمة ظاهرة مستقيمة سهلة موصلة إلى المقصود هى جديرة بأن يشرع الناس فيها و يخالطوها مبتدئة[3] ﴿ من الامر ﴾ الذى هو وحينا و هو حياة الأرواح كما أن الأرواح حياة الأشباح .

و لما بين بهذه العبارة بعض فضلها على ما كان قبلها ، سبب عنه ٥ قوله موجها الخطاب إلى الإمام بما أراد به المأمومين[4] ليكون أدعى إلى اجتهادهم ، فان أمرهم تكليف و أمر إمامهم تكوين : ﴿ فاتبعها ﴾ أى بغاية جهدك . و لما كانت الشريعة العقل المحفوظ الذى أخبر الله أنه به يأخذ و به يعطى ، كان الإعراض عنها إلى غيرها إنما هو هوى ، و لما كان أحاد الأمة غير معصومين أشار إلى العفو[5] عن هفواتهم بقوله تعالى : ١٠ ﴿ و لاتتبع ﴾ أى تتعمدوا أن تتبعوا ﴿ اهوآء الذين لايعلمون ﴾ أى لاعلم لهم أو لهم علم و لكنهم يعملون عمل من ليس لهم علم أصلا من كفار العرب و غيرهم ، فان من تعمد أتباعهم[6] فعلت بهم[6] ما فعلت ببنى[7] إسراءيل / حيث لعنتهم على لسان داود و عيسى بن مريم عليهما ٧٦١ / الصلاة و السلام[8] بعد ما لعنتهم على لسان موسى عليه الصلاة و السلام ، ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل : تامة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المأمومون (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عفوه (٦ - ٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فعل (٧) من مد ، و فى الاصل و ظ و م : بنى . (٨) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها .

ثم علل هذا النهى مهددا بقوله [مؤكدا تنبيها على أن من خالف أمر الله لأجل أحدٍ كان عمله عمل من يظن أنه يحميه -[1]] : ﴿ انهم ﴾ و أكد[2] النفى فقال تعالى : ﴿ لن يغنوا عنك ﴾ أى لا يتجدد لهم نوع إغناء مبتدئ ﴿ من الله ﴾ المحيط بكل شىء قدرة و علما واصل إليه ، و كل ما لا يكون ذا وصلة به فهو عدم ﴿ شيئا[3] ﴾ من إغناء إن تبعتهم كما أنهم لن[4] يقدروا لك على شىء من أذى إن خالفتهم و ناصبتهم .

و لما كان التقدير : فانهم ظلمة لا يضعون شيئا فى موضعه ، و من اتبعهم فهو منهم ، قال تعالى عاطفا عليه : ﴿ و ان ﴾ و كان الأصل : و إنهم ، و لكنه[5] أظهر للاعلام[6] بوصفهم فقال : ﴿ الظلمين ﴾ أى[6] العريقين فى هذا الوصف الذميم[7] ﴿ بعضهم اولياء بعض[8] ﴾ فلا ولاية - أى قرب - بينهم و بين الحكيم أصلا لتباعد ما بين الوصفين فكانت أعمالهم [كلها -[1]] باطلة لبنائها على غير اساس خلافا لمن يظن بها غير ذلك تقيدا بالأمور الظاهرة فى هذه الدار ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع صفات [9]الجلال و الجمال و العز[9] و الكمال ﴿ ولى المتقين ﴾ الذين همهم[10] الأعظم الاتصاف بالحكمة باتخاذ الوقايات المنجية لهم من سخط الله

(١) زيد من م و مد (٢) زيد بعده فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) فى مد : لم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكن (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الاعلام (٦) زيد فى الأصل : فان الظالمين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) سقط من ظ و م و مد (٨) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : همتهم .

و لا ولاية بينه و بين الظالمين .

و لما أوصل سبحانه إلى هذا الحد من البيان ، الفائت لقوى الإنسان ، قال مترجما عنه : ﴿ هذا ﴾ أى الوحى المنزل . و لما كان فى عظم بيانه [1]و إزالة[1] اللبس عن كل ملبس دق أو جل بحيث لا يلحقه شىء من [2]خفاء، جعله[2] نفس البصيرة، مجموعة جمع كثرة بصيغة منتهى الجموع كما جعله ٥ روحا فقال : ﴿بصآئر للناس﴾ اى الذين هم فى أدنى المراتب، يبصرهم بما يضرهم و ما ينفعهم ، فما ظنك بمن فوقهم من الذين آمنوا ثم الذين يؤمنون و من فوقهم .

و لما بين ما هو لأهل السفول ، بين ما هو لأهل العلو فقال تعالى : ﴿و هدى﴾ أى قائد[3] إلى كل خير ، مانع[4] من كل زيغ ﴿ و رحمة ﴾ ١٠ أى كرامة و فوز[5] و نعمة ﴿لقوم يوقنون﴾ أى ناس فيهم قوة القيام بالوصول إلى العلم الثابت و تجديد الترقى فى درجاته إلى ما لا نهاية له أبدا[6] . و لما كان[7] التقدير بعد هذا البيان الذى لم يدع لبسا فى أمر الحساب بما حده من الملك الذى يوجب [ما له -[8]] من العظمة و الحكمة أن يحاسب عبيده لثواب المحسن و عقاب المسىء : أعلم[9] هؤلاء المخاطبون - لأنهم ١٥

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مازاله - كذا (٢-٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الخفاء جعلت (٣) من ظ ، و فى الأصل و م و مد : قائدا. (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و مانعا (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فوزا (٦) سقط من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل و ظ : هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد من م و مد (٩) زيد فى الأصل و ظ : ان ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

لا يعدون أن يكونوا من الناس أو من الذين يوقنون بهذه البصائر لما لهم من حسن الغرائز المعلية[1] لهم عن حضيض الحيوان إلى أوج الإنسان - أنا نفرق[2] بين[3] المسيئين الذين بعضهم أولياء بعض و بين المحسنين الذين نحن أولياؤهم، عطف عليه سبحانه و تعالى قوله: ﴿ام﴾ قال الأصبهاني:

٧٦٢/ ٥ قال الإمام/: كلمة وضعت للاستفهام عن شيء حال كونه معطوفا على آخر سواء كان المعطوف مذكورا أو مضمرا - انتهى. وكان الأصل: حسبوا[4]، و لكنه [عدل - [5]] عنه للتنبيه على أن ارتكاب[6] السوء مع للبصيرة مضعف للعقل كما أفاده التعبير بالحسبان كما تقدم بيانه في البقرة فقال: ﴿ حسب الذين اجترحوا ﴾ أي فعلوا[7] بغاية جهدهم

١٠ ونزوع[8] شهواتهم ﴿ السيئات ان نجعلهم ﴾ مع ما لنا من العظمة المانعة من الظلم المقتضية للحكمة ﴿ كالذين آمنوا و عملوا ﴾ تصديقا لإقرارهم [9]ظاهرا و باطنا و سرا و علانية[9] ﴿الصلحت﴾ بأن نتركهم بلا حساب للفصل بين المحسن و المسيء.

و لما كانت المماثلة مجملة، بينها استئنافا بقوله [10]مقدما ما[10] هو عين

---

(١) من مد، و في الأصل و ظ و م: العلية (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: نقرن (٣) زيد في الأصل: المسئتين، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: احسبوا (٥) زيد من م و مد (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: إلى التنبيه إلى ارتكاب (٧) في م و مد: فعلوا (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: ردع (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (١٠-١٠) من م و مد، و في الأصل و ظ: مبينا لما.

المقصود من الجملة الأولى : ﴿ سواء ﴾ أى مستو استواء عظيما ﴿ محياهم و مماتهم[1] ﴾ أى حياتهم و موتهم و زمان ذلك و مكانه فى الارتفاع و السفول و اللذة و الكدر و غير ذلك من الأعيان و المعانى[1] . و لما كان هذا مما لا يرضاه أحد لمن تحت يده و لا لغيره ، قال معبرا بمجمع الذم : ﴿ ساء ما يحكمون ﴾ أى بلغ حكمهم هذا فى نفسه و لاسيما و هم ٥ باصرارهم عليه فى تجديد [له -[2]] كل ساعة أقصى نهايات السوء ، فهو مما يتعجب منه ، لأنه لايدرى الحامل عليه ، و ذلك أنهم نسبوا الحكيم الذى لاحكيم فى الحقيقة غيره إلى ما لايفعله أقل الناس فيمن تحت يده .

و لما أنكر التسوية و ذمهم على الحكم بها ، أتبع ذلك الدليل القطعى على أن الفريقين لايستويان و إلا لما كان الخالق لهذا الوجود ١٠ عزيزا و لا حكيما ، فقال دالا على إنكار التسوية و سوء حكمهم بها ، عاطفا على ما تقديره : فقد خلق الله الناس كلهم بالحق و هو الأمر الثابت الذى يطابقه[3] الواقع ، و هو ثبات أعمال المحسنين و بطلان أفعال[4] المسيئين ، عطف عليه قوله : ﴿ و خلق الله ﴾ أى الذى له جميع أوصاف الكمال و لايصح و لايتصور أن يلحقه نوع نقص ﴿ السمٰوٰت و الارض ﴾ ١٥ اللتين هما ظرف لكم و ابتدئت [السورة -[2]] بالتنبيه على آياتهما ، خلقا ملتبسا[5] ﴿ بالحق ﴾ فلا يطابق الواقع فيهما [أبدا -[2]] شيئا باطلا ،

(١) زيد فى الأصل : و ما كان هذا مناسبا له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لايطابقه . (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اعمال (٥) فى ظ : متلهسا .

فتى وجد سبب الشيء و انتفى مانعه وجد ، و متى وجد مانع الشيء و انتفى سببه انتفى ، لايتخلف ذلك أصلا ، و لذلك جملة ما وقع من خلقهما طابقه الواقع الذى هو[1] قدرة الله و علمه و حكمته و جميع ما له من صفات الكمال التى دل خلقهما[2] عليها ، فاذا كان الظرف على هذا الإحكام فما الظن بالمظروف الذى ما خلق الظرف إلا من أجله ، هـل[3] يمكن فى الحكمة أن يكون على غير ذلك فيكون الواقع الذى هو تفضيل المحسن على المسيء غير مطابق لأحوالهم ، و من جملة المظروف ما بينهما فلذا لم يذكر هنا ، و لو [كان -[5]] ذلك من غير بعث و مجازاة[6] بحسب الأعمال[7] لما كان هذا الخلق العظيم بالحق بل بالباطل / الذى تعالى[8] عنه الحكيم فكيف و هو أحكم الحاكمين . /٧٦٣

و لما كان التقدير : ليكون كل مسبب مطابقا لأسبابه ، عطف عليه قوله : ﴿ و لتجزى ﴾ [بأيسر أمر -[5]] ﴿ كل نفس ﴾ أى منكم و من غيركم ﴿ بما ﴾ أى بسبب الأمر الذى . و لما كان السياق للعموم ، و كان المؤمن لايجزى إلا بما عمله[9] على عمد منه و قصد ليكتب فى أعماله ،

(١) زيد فى الأصل : تفصيل المحسن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) من م ، و فى الأصل و مد : خلقها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلذلك (٥) زيد من م و مد .
(٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مجاوزة (٧) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يتعالى.
(٩) زيد فى الأصل و ظ و م : وهو ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

[عبر -[1]] بالكسب الذى هو أخص من العمل فقال: ﴿ كسبت ﴾ أى[2] كسبها من خير أو شر ، فيكون ما وقع الوعد به مطابقا لكسبها ﴿ وهم ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ لا يظلمون ٥ ﴾ أى لا يوجد من [3]موجد ما[3] فى وقت [4]من الأوقات جزاء لهم فى غير موضعه ، و هذا [على - [5]] ما جرت به عوائدكم فى العدل و الفضل ، و لو وجد منه سبحانه غير ذلك لم يكن ظلما منه لأنه المالك المطلق و الملك الأعظم ، فلو عذب[6] أهل سماواته و أهل أرضه كلهم لكان غير ظالم لهم فى نفس الأمر ، فهذا[7] الخطاب إنما هو على ما[8] تتعارفه[9] من إقامة الحجة بمخالفة[10] الأمر .

و لما بين غاية البيان أنه الإله وحده بما له من الإحاطة بجميع صفات الكمال ، و أنه لابد [11]من جمعه[11] الخلائق ليوم الفصل للحكم بينهم بما له من الحكمة[12] و القدرة ، و حقر الهوى و نهى عن اتباعه ، و كانوا هم قد عظموه بحيث جعلوه معبودا ، فلزم من ذلك تحقيرهم الإله ، و لم يرجعوا عن ضلالهم ، تسبب عن ذلك [13]التعجيب ممن[13] يظن أنه يقدر

(١) زيد من م مد (٢) فى م و مد : او (٣ - ٣) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٤) فى الأصل و ظ : ما ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : عذاب. (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : وهذا (٨) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : متعارفة (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : مخالفة (١١ - ١١) من مد ، و فى و ظ و م : لجمعه . (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الحكم (١٣ - ١٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التعجب من .

على رد أحد منهم عن غيه بشيء من الأشياء فقال: ﴿ افرءيت ﴾ أى أعلمت علما هو فى تيقنه كالمحسوس بحاسة البصر التى هى أثبت الحواس ﴿من اتخذ﴾ [أى -[1]] بغاية جهده [2]و اجتهاده[2] ﴿ الهه هوٰىه ﴾ أى حول وصف الإله حتى صار هوى لنفسه، فهو تابع لهواه ليس غير، فهو فى أودية الضلال يهيم على غير سنن فهو معرّض لكل بلاء، فخسر أكثر من ربحه لكونه بلا دليل، و الدليل على أنهم لايعبدون إلا مجرد الهوى ما رواه البخارى فى وفد بنى حنيفة من المغازى من صحيحه[3] عن أبى رجاء العطاردى و هو مخضرم ثقة[4] أدرك الجاهلية و مات سنة خمس و مائة عن مائة و عشرين سنة، قال: كنا نعبد الحجر، فاذا وجدنا حجرا أحسن منه ألقيناه و أخذنا الآخر، فاذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب ثم جئنا بالشاة فحلبنا[5] عليه ثم طفنا به - انتهى. و مع ذلك فكيفما قلبت أمرهم وجدته شعبة يسيرة من كفر الاتحادية، و كل متشبثات[6] قريش التى عابهم الله بها تشبثت[7] بها الاتحادية حتى قولهم "ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى" و لو قدم الهوى لكان المعنى أنه حول و صفه إلى الألوهية فاضمحل الهوى، و لم يبق إلا ما ينسب إلى

(١) زيد من مد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م ومد (٣) راجع ٢/٦٢٨.
(٤) من ظ و م ومد، وفى الأصل: رقة (٥) من ظ ومد و الصحيح، و فى الأصل و م: فحلبناها (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مستبات (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تيشت.

الإلهية كما اضمحل الطين فى : اتخذت الطين حرقا ، فصار المعنى أن[1] العابد لا يتحرك إلا بحسب[2] ما يأمره به الإله[3] و يصير التركيب يفيد تعظيمه بغلبة الإثبات و إذهاب الهوى غاية الإذهاب . و لو كان التقديم فى هذا بحسب السياق من غير اختلاف المعنى لقدم[4] هنا [الهوى - [5]] لأن السياق و السباق [له - [5]] و قد تقدم فى سورة الفرقان ما ينفع [هنا - [6]] ٥ و مفعول " راى " الثانى مقدر يدل عليه قوله آخر الكلام " فمن يهديه " تقديره : أيمكن أحدا[7] غير الله هدايته ما دام هواه موجودا ، و عن ابن عباس رضى الله عنهما :- ما ذكر الله هوى فى القرآن إلا ذمه - انتهى . و معناه أنه يهوى بصاحبه فى الهواء الممدود[8] و هو الفضاء ، أى ينزل[9] به عن[10] درجة عليا إلى ما دونها ، فهو فى سفول ما دام [11]تابعا له[11] لأنه ١٠ بحيث [12]لا قرار و لا تمكن ، فلذلك هو يوجب الهوان ، قال [13]الأصبهانى : سئل ابن المقفع[13] عن الهوى ، فقال : هوان سرقت نونه[14] ، فنظمه من قال[15] :

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : لا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) فى مد : على حسب (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الالهية (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تقدم (٥) زيد من م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المدود (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : نزل (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى (١١-١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تابعه (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الا (١٣-١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ابن المقضع سيل الأصبهاى سيل ابن المقفع و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نون (١٥) زيد فى =

نون الهوان من الهوى مسروقة وأسير كل هوى أسير هوان

وقال آخر[1] و لم يخطئ المعنى و أجاد[1] :

إن الهوى لهو الهوان بعينه فاذا هويت فقد[2] لقيت هوانا

﴿ و أضله الله ﴾ أى بما[3] له من الإحاطة ﴿ على علم[4] ﴾ منه بما فطر عليه

٥ من أنه لايكون أثر بلا مؤثر، و من أنه لايكون منفردا بالملك[4] إلا و هو مستحق للتفرد بالعبادة . و هو أنه[5] لم يخلق الكون إلا حكيم ، و أن الحكيم لايدع من تحت يده يبغى بعضهم[6] على بعض[6] من غير فصل [بينهم -[7]] لاسيما . قد وعد بذلك و لاسيما و الوعد بذلك فى أساليب الإعجاز التى هم أعرف الناس بها ، أو على[8] علم من المضل بأن الضال مستحق

١٠ لذلك لأنه جبله جبلة شر .

و لما كان الضال أحوج إلى سماع صوت الهادى[9] منه إلى غيره ، و كان من لايتنفع بما هو له فى حكم العادم له قال : ﴿ و ختم ﴾ أى زيادة

= الأصل : شعر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلقد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لما (٤) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧) زيد من ظ و م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اعلى (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المنادى .

على الإضلال الحاضر ﴿ على سمعه ﴾ فلا فهم [له -[1]] فى الآيات المسموعة . و لما كان الأصم قد يفهم بالإشارة قال[2] : ﴿ و قلبه ﴾ أى فهو لا يعى بما[3] من حقه وعيه . و لما كان المجنون الأصم قد يبصر مضاره[4] و منافعه فيباشرها مباشرة البهائم قال : ﴿ و جعل على بصره غشوة[5] ﴾ فصار لايبصر الآيات المرئية ، و ترتيبها هكذا لأنها فى سياق الإضلال ٥ كما[6] تقدم فى البقرة .

و لما صار هذا الإنسان الذى [صار[1]] لايسمع الهادى فيقصده و لايعى المعانى لينتفع بما تقدم له علمه ، و لايبصر حق البصر ليهتدى[6] ببصره دون رتبة الحيوان ، قال تعالى منكرا مسببا للانكار[7] عما تقدمه[7] : ﴿ فمن يهديه ﴾ و أشار إلى قدرة الله عليه بقوله : ﴿ من بعد الله[5] ﴾ أى ١٠ إضلال الذى له الإحاطة بكل شىء . و لما كان من المعلوم قطعا أنه لاهادى له غيره ، سبب عنه الإنكار لعدم التذكر[8] حثا على التذكر[9] فقال[10] مشيرا بادغام تاء التفعل إلى[11] عدم الاحتياج بسبب وضوحه إلى كثير

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٣) فى مد : مما (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مضره (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لما (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا يهدى . (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على تقدم (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النكير (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التذكير (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قال (١١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : على .

تذكر : ﴿ افلا تذكرون ﴾ أى يكون لكم نوع تذكر فتذكرون[1] أنهم لايسمعون الآيات المتلوة و لايعتبرون بالآيات المرئية مع ما لكل منهما من الظهور ، / و أن من كان هذا حاله فلا سبيل لمخلوق مثله إلى هدايته . ٧٦٥/

و لما كان التقدير للدلالة على الختم على مشاعرهم ، فقد قالوا مع اعترافهم بتفرده تعالى بخلقهم و رزقهم و خلق جميع الموجودات فى إنكار الوحدانية : إن له شركاء[2] عطف عليه قوله : ﴿ و قالوا ﴾ أى فى إنكارهم البعث مع اعترافهم بأنه[3] قادر على كل شىء و معرفتهم أنه قد وعد بذلك فى الأساليب المعجزة [4]و أنه[4] لايليق بحكيم أصلا أن يدع من تحت يده يتهارجون من غير حكم بينهم : ﴿ ما هى ﴾ أى الحياة[5] ﴿ الا حياتنا ﴾ أى أيها الناس ﴿ الدنيا ﴾ أى هذه التى نحن فيها[6] مع أن تذكر مدلول هذا الوصف الذى هو أمر نسبى لايعقل إلا بالإضافة[7] إلى حياة أخرى بُعْدىٰ كافٍ[8] فى إثبات البعث .

و لما أثبتوا [9]بادعائهم الباطل هذه[9] الحياة أتبعوها حالها فقالوا :

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تذكرون (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شريكا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انه (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فانه (٥) زيد فى الأصل و م : الدنيا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) فى ظ و م و مد : بها (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بدون الاضافة (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كان .
(٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

﴿نموت ونحيا﴾ أى تنزع الروح من بعض فيموت، و تنفخ فى [بعض -[1]] آخر فيحيي، و ليس وراء الموت حياة أخرى للذى مات، [2]فقد أسلخوا أنفسهم بهذا القول[2] من الإنسانية إلى[3] البهيمية لوقوفهم مع الجزئيات. و لما كان هلاكهم فى زعمهم لا آخر له، عدوا الحياة [4]فى جنبه[4] عدما فلم يذكروها و قالوا بجهلهم[5]: ﴿و ما يهلكنآ﴾ أى بعد هذه[6] الحياة ٥ ﴿الا الدهر ج﴾ أى الزمان الطويل بغلبته علينا بتجدد إقباله و تجدد إدبارنا بنزول الأمور المكروهة بنا، من دهره - إذا غلبه. و لما[7] أسند إليهم هذا القول الواهى، بين حالهم عند قوله فقال تعالى: ﴿و ما﴾ أى قالوه و الحال أنه ما ﴿لهم بذلك﴾ أى القول البعيد من الصواب و هو أنه لاحياة بعد هذه، و أن الهلاك منسوب إلى الدهر على أنه مؤثر بنفسه، ١٠ و أعرق فى النفى فقال: ﴿من علم ج﴾ أى كثير ولا قليل ﴿ان﴾ [8]أى ما ﴿هم الايظنون ه﴾ [9]بقرينة أن الإنسان كلما تقدم فى السن ضعف، و أنه لم يرجع أحد من الموتى[10].

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢-٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فسلخوا بهذا القول أنفسهم (٣) زيد فى الأصل: الحالة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤ - ٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ثمن حسه (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ما اذا (٧) زيد فى الأصل و ظ: هم، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل و ظ: إلى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المولى.

و لما كان هذا من قولهم عجبا . زاده عجبا بحالهم عند سماعهم للبراهين القطعية ، فقال عاطفا على[1] "قالوا" : ﴿و اذا تتلى﴾ أى تتابع[2] بالقراءة من أىّ تال كان ﴿عليهم ايٰتنا﴾ أى[3] على ما لها من العظمة [4]فى نفسها[4] و بالإضافة إلينا حال كونها ﴿بينٰت﴾ أى فى غاية المكنة فى الدلالة على البعث ، فلا عذر لهم فى ردها ﴿ما كان﴾ أى[5] بوجه من وجوه الكون[6] ﴿حجتهم﴾ أى قولهم الذى ساقوه مساق الحجة . و هو لا يستحق أن يسمى شبهة ﴿الآ ان قالوا﴾ [7]قولا ذميما و لم ينظروا إلى مبدئهم[7] ﴿ائتوا﴾ أيها التالون للحجج البينة[8] من النبى - صلى الله عليه و سلم - و أتباعه [7]الذين اهتدوا بهداه[7] ﴿بابآئنا﴾ الموتى ، و حاصل هذا أنه ما كان لهم حجة إلا أن أتوا بكلام معناه : ليس لنا حجة لأنه ليس فيه شبهة فضلا عن حجة ، و ما كفاهم مناداتهم[9] على أنفسهم بالجهل حتى عرضوا[10] لأهل البينات بالكذب فقالوا : ﴿ان كنتم صدقين ٥﴾ أى عريقين فى الكون فى أهل الصدق / الراسخين فيه[11] من أنه سبحانه و تعالى يبعث الخلق بعد موتهم ، و ذلك استبعاد منهم لأن يقدر على

/ ٧٦٦

(١) زيد فى الأصل و ظ : ما ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تتابع (٣) سقط من م و مد (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نفسها (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) زيد فى الأصل : لكون ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المبينة . (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مادانهم (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تعرضوا (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى الصدق .

جمع الجسم بعد ما بلى ، و هم يقرون بأنه الذى خلق ذلك الجسم ابتداء ، و من المعلوم قطعا أن من قدر على إنشاء شيء من العدم قدر[1] على إعادته بطريق الأولى .

و لما كان سبحانه و تعالى إنما يقبل الإيمان عند إمكان تصوره ، و ذلك إذا كان بالغيب لم يجبهم[2] إلى إحياء آبائهم إكراما لهذه الأمة[3] لشرف نبيها عليه أفضل الصلاة و السلام [4]لأن سنته[4] الإلهية جرت بأن من لم يؤمن بعد كشف الأمر بإيجاد الآيات المقترحات أهلكه كما فعل بالأمم الماضية ، فرفعهم [5]عن الحس إلى[5] التدريب على[6] الحجج العقلية فقال آمرا[7] له صلى الله عليه و سلم بالجواب بقوله تعالى : ﴿ قل الله ﴾ أى المحيط [8]بكل شيء قدرة و علما[8] و حكمة ﴿ يحييكم ﴾ أى يجدد هذا[9] تجديدا لايحصى كما أنتم [به - [10]] مقرون إحياء لأجساد يخترعها من غير أن يكون لها أصل فى الحياة ﴿ ثم يميتكم ﴾ بأن يجمع أرواحكم من أجسادكم فيستلها منها لايدع [11]شيئا منها[11] فى شيء من الجسد [12]و ما[12]

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : قادر (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لم يجيبهم (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاسنة (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : الى الحسن عن (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : عن (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : امر (٨-٨) فى م و مد : علما و قدرة (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هذه الحياة (١٠) زيد من م . (١١-١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منها شيئا (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

[1]ذلك على الله بعزيز[1] فاذا هو[2] كما كان قبل الإحياء كما تشاهدون، و من قدر على هذا الإبداء [3]على هذا[3] الوجه من التكرر ثم على تمييز ما بث من الروح فى حال سلها من تلك الأعضاء الظاهرة عادة مستمرة كان المخبر عنه بأنه يجمع الخلق بعد موتهم من العريقين فى الصدق، فلذلك

٥ قال من غير تأكيد: ﴿ثم يجمعكم﴾ أى بعد التمزق فيعيد فيكم أرواحكم كما كانت[4] بعد طول مدة الرقاد، منتهين ﴿الى يوم القيٰمة﴾ أى القيام الأعظم لكونه عاما لجميع الخلائق الذين أماتهم.

و لما صح بهذا الدليل القطعى المدعى، أنتج قوله: ﴿لاريب﴾ أى[5] شك بوجه من الوجوه ﴿فيه﴾ بل هو معلوم علما قطعيا ضروريا

١٠ ﴿و لكن اكثر الناس﴾ [6]بما لهم من السفول بما ركبنا فيهم من الحظوظ و الشهوات التى غلبت على غريزة العقل فردوا[7] بها أسفل سافلين فى حد النوس و هو التردد لم يرتقوا [إلى سن الإيمان -[8]] ﴿[9]لايعلمون[9] ع ٥﴾ [أى لايتجدد لهم علم لما لهم من النوس و التردد و السفول -[8]] عن

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد (٣ - ٣) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: كان (٥) زيد فى الأصل و ظ: لا، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فراوا. (٨) زيد من م و مد (٩ - ٩) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ بعد «اكثر الناس» و الترتيب من م و مد.

أوج العقل إلى حضيض الجهل ، فهم واقفون مع المحسوسات ، لا يلوح لهم ذلك مع ما له من الظهور لتظهر قدرتنا و يتحقق اسمنا الباطن [١] كما تحقق الظاهر عند من هديناه لعلم ذلك .

و لما دل على قدرته على الإعادة بهذا الدليل [١] الخاص الذى تقديره : فالله الذى [ابتدأ - ٢] خلقكم من الأرض على هذا الوجه قادر على ٥ إعادتكم ، عطف عليه دليلا آخر جامعا فقال تعالى : ﴿و لله﴾ [أى - ٣] الملك الأعظم وحده ﴿ملك السمٰوٰت﴾ كلها ﴿و الارض [٤] ﴾ التى ابتدأكم منها ، و من تصرف فى ملكه بشىء من الأشياء ، كان قادرا على مثله ما دام ملكا .

و لما كان التقدير : له ملك ذلك أبـــدا ، فهو يفعل فيه اليوم ما ١٠ تشاهدون / مع رفع هذا و خفض هذا ، فلو أن الناس سلموا لقضائه / ٧٦٧ لوصلوا [٤] إلى جميع ما وصلوا إليه بالبغى و العدوان ، فانه لا يخرج شىء عن أمره و لكن [٥] أكثر الناس [٥] اليوم فى [٦] ريبهم يترددون ، بنى عليه قوله تعالى : ﴿و يوم تقوم الساعة﴾ أى توجد و تتحقق تحقق القائم الذى هو [٧] على كمال تمكنه و تمام أمره الناهض بأعباء ما يريد ، و كرر ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ ، و زيد بعده فى الأصل بالباطن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناه (٢) زيد من م و مد (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : توصلوا (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اكثرهم (٦) فى م : فهو (٧) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من م و مد .

سبحانه للتهويل و التأكيد قوله : ﴿يومئذ﴾ [أى -[1]] إذ تقوم يخسرون - هكـــذا كان الأصل ، و لكنه قال للتعميم و التعليق بالوصف : ﴿يخسر المبطلون ۝﴾ أى الداخلون فى الباطل العريقون فى الاتصاف به ، الذين كانوا لايرضون بقضائى فيستعجلون فيتوصلون إلى مراداتهم بما لم آمر به ، و لايزالون يبغون إلى أن يأتى الوقت[2] الذى[3] قدرت وصولهم إليها فيه ، فيصلون و يظنون أنهم وصلوا بسعيهم ، و أنهم لو تركوا لما كان لهم ذلك فيخسرون لأجل سعيهم بمـــا جعلت لهم من الاختيار [4]بمرادى فيهم[4] على خلاف أمرى ، خسارة مستمرة التجدد لا انفكاك لهم عنها و[5] يفوز المحقون[6] .

و لما كان ذلك من شأن اليوم مهولا ، عم فى الهول بقوله مصورا لحاله : ﴿و ترى﴾ أى فى[7] ذلك اليوم ﴿كل امة﴾ من الأمم الخاسرة فيها و الفائزة ﴿جاثية ف﴾ أى مجتمعة لايخلطها غيرها ، و هى مع ذلك باركة على الركب رعبا و استيفازا لما لعلها[8] تؤمر به ، جلسة المخاصم بين يدى الحاكم ، ينتظروا القضاء الحاتم ، و الأمر الجازم اللازم ، لشدة ما يظهر لها من هول[9] ذلك اليوم . و لما كان كأن قيل : هم[10] مستوفزون ، قال : ﴿كل امة﴾

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) فى الأصل بياض ملأناه من م و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م . التى (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عدادى منهم (٥) زيد فى الأصل : مع ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المحققون (٧) سقط من م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يعلمها (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شدة (١٠) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد .

أى من الجاثين ﴿ تدعى[٢] الى كتبها[١] ﴾ أى الذى أنزل إليها و تعبدها الله به و الذى نسخته الحفظة من أعمالها ليطبق أحدهما بالآخر، فمن وافق[١] كتابه ما أمر به من كتاب ربه نجا، و من خالفه هلك، و يقال لهم حال الدعاء: ﴿اليوم تجزون﴾ على وفق الحكمة بأيسر أمر ﴿ ما ﴾ أى عين[٢] الذى ﴿كنتم﴾ بما هو لكم كالجبلات ﴿ تعملون ٥ ﴾ أى مصرين عليه ٥ غير راجعين عنه [من -[٣]] خير أو شر.

و لما أخبر بالجزاء، بين كيفية ما به يطبق بين كتاب الإنزال و كتاب الأعمال، فما حكم به كتاب الإنزال أنفذه الكبير المتعال، فقال مشيرا إلى كتاب الإنزال بأداة القريب[٤] لقربه و سهولة فهمه: ﴿هذا كتبنا﴾ [أى -[٥]] الذى أنزلناه على ألسنة رسلنا ﴿ ينطق ﴾ أى يشهد شهاده ١٠ [هى -[٥]] فى بيانها كالنطق ﴿ عليكم بالحق[١] ﴾ أى الأمر الثابت الذى يطابقه الواقع من أعمالكم، و ذلك بأن يقول: من عمل كذا فهو كافر، و من عمل كذا فهو عاص، و من عمل كذا فهو مطيع، فيطبق ذلك على ما عملتموه فاذا الذى أخبر به الكتاب مطابق لأعمالكم[٦] لازيادة[٦] فيه و لانقص، كل كلى ينطبق على جزئيه سواء بسواء كما نعطيكم علم ١٥ ذلك فى ذلك اليوم، فينكشف أمر جبلاتكم / و ما وقع منكم من جزئيات ٧٦٨ / الأفعال لايشذ عنه [٧]منه ذرة[٧]، و تعلمون أن هذا الواقع منكم مطابق

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: و افى (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: غير (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: القرب (٥) زيد من م و مد (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لان سياقه (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مرة.

لما أخبر به[1] الكتاب الذى أنزلناه ، فهو حق لأن الواقع طابقه ، هذا نطقه عليكم ، و أما نطقه لكم فالفضل : الحسنة بعشر أمثالها إلى ما فوق ذلك .

و لما كانت العادة جارية فى الدنيا باقامة الحقوق بكتابة الوثائق[2] ، ٥ و كانوا كأنهم يقولون : من يحفظ أعمالنا على كثرتها مع طول المدة و بعد الزمان ، و كانوا ينكرون أمر الحفظة و غيره مما أتت به الرسل ، أكد قوله مجيبا بما يقرب إلى عقل من يسأل عن ذلك : ﴿ انا ﴾ على ما لنا من [3]القدرة و[3] العظمة الغنية عن الكتابة[4] ﴿ كنا ﴾ على الدوام ﴿ نستنسخ ﴾ أى نأمر ملائكتنا بنسخ أى نقل ﴿ ما كنتم ﴾ طبعا لكم ١٠ و خلقا ﴿ تعملون ٥ ﴾ قولا و فعلا و نية ، فان كان المراد بالنسخ مطلق النقل فهو واضح[6] ، و إن كان النقل من أصل فهو إشارة إلى لوح الجبلات المشار إليه بكنتم أو من اللوح المحفوظ ليطابق به ما يفعله العامل ، و من المشهور بين الناس أن كل احد يسطر[7] فى جبينه ما يلقاه من خير أو شر .

١٥ و لما صرح بالمبطلين حسب ما اقتضاه الحال كما تقدم ، و أشار

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الوفايق (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الكتاب أيضا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : أوضح (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ينظر .

إلى

إلى المحقين[1]، صرح بما لوح إليه من أمر [المحقين -[2]] و [عطف -[2]] عليهم أضدادهم، فقال بادئا بهم على طريق النشر المشوش مفصلا: ﴿فاما الذين امنوا﴾ أى من الأمم الجاثية ﴿و عملوا﴾ تصديقا لدعواهم الإيمان ﴿ الصلحت فيدخلهم ﴾ أى فى ذلك اليوم [3]الذى ذكرنا عظمته و شدة هوله[2] ﴿ ربهم ﴾ الذى أحسن إليهم بالتوفيق بالأعمال [4]الصالحة ٥ المرضية الموصلة[4] ﴿ فى رحمته[4] ﴾ أى تقريبه [5]و إكرامه[5] بجليل الثواب و حسن المآب، و تقول لهم الملائكة تشريفا[6]: سلام عليكم أيها المؤمنون، و دل على عظيم الرحمة بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الإحسان العالى المنزلة ﴿ هو ﴾ [أى -[2]] لا غيره ﴿ الفوز ﴾ .

و لما كان السياق لغباوتهم و خفاء الأشياء عليهم قال تعالى: ﴿ المبين ٥﴾ ١٠ الذى لايخفى على أحد شىء من أمره، لأنه لايشوبه كدر أصلا و لا نقص، بخلاف ما كان من أسبابه[7] فى الدنيا، فانها - مع كونها كانت فوزا - كانت خفية جدا على غير الموقنين ﴿ و اما الذين كفروا قف ﴾ أى ستروا ما جلته لهم مرائى عقولهم و فطرهم الأولى من الحق الذى أمر الله به و لو عملوا جميع الصالحات غير الإيمان، فيدخلهم الملك ١٥

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: المتقين (٢) زيد من م ومد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (٥-٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: و باكرامه (٦) زيد فى الأصل و ظ: لهم، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشيايه.

الأعظم فى لعنته .

و لما كان هذا الستر[1] سببا واضحا فى تبكيتهم[2] قال: ﴿ الم ﴾ أى فيقال لهم: ألم يأتكم رسلى، و أخلق لكم [3]عقولا تدلكم[3] على الصواب من التفكر فى الآيات المرئية من المعجزات التى أتوكم بها[4] و أنزل عليكم بواسطتهم [5]آيات مسموعة[5] فلم[6] ﴿تكن آيتى﴾ على / ما لها من عظمة[7] الإضافة إلىّ و عظمة[8] الإتيان إليكم على ألسنة رسلى الذين هم أشرف[9] خلقى .

٧٦٩ / ٥

و لما كانت [10]هذه الآيات[10] توجب الإيمان لما لها من العظمة بمجرد تلاوتها[11]، بنى للمفعول قوله: ﴿ تتلى ﴾ أى تواصل[12] قراءتها من أىّ تال كان، فكيف إذا كانت بواسطة الرسل، تلاوة مستعلية ﴿ عليكم ﴾ لا تقدرون على رفع[13] شىء منها بشىء برضاه منصف

١٠

(١) من ظ و م و مد، و فى الاصل: التستر (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تبكتهم (٣-٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عقلا يدلكم، و فى ظ: عقلا تدلكم (٤) زيد فى الأصل بعده: رسلى عليهم الصلاة و السلام، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥-٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: من الآيات المسموعة (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و هى كلامى وزادها وضوحا بقوله (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: العظمة. (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عظمته (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشرف (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تلاوتنا (١٢) من مد، و فى الأصل و ظ: تتواصل (١٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: دفع.

﴿ فاستكبرتم ﴾ أى[1] فتسبب عن تلاوتها التى من[2] شأنها إيراث الخشوع[3] و الإخبات و الخضوع أن طلبتم الكبر لأنفسكم و أوجدتموه على رسلى و آياتى ﴿ و كنتم ﴾ خلقا لازما ﴿ قوما ﴾ أى ذوى قيام و قدرة على ما تحاولونه ﴿ مجرمين ﴾ أى[4] عريقين فى قطع ما يستحق الوصل ، و ذلك هو الخسران المبين . [5]و الآية[5] من الاحتباك : ذكر الإدخال فى الرحمة أولا دليلا على الإدخال فى اللعنة ثانيا ، و ذكر التبكيت ثانيا دليلا على التشريف أولا ، و سره أن ما ذكره أدل على شرف الولى و حقارة العدو ﴿ و اذا ﴾ أى و كنتم ذا إ﴿ قيل ﴾ [6]من أىّ قائل كان و لو على سبيل التأكيد : ﴿ ان وعد الله ﴾ الذى [7]كل أحد يعلم[7] أنه محيط بصفات الكمال ﴿حق﴾ أى ثابت لامحيد عنه يطابقه الواقع من البعث و غيره لأن أقل الملوك لايرضى بأن[8] يخلف وعده فكيف به سبحانه و تعالى [9] فكيف إذا[9] كان الإخلاف فيه مناقضا للحكمة ﴿و الساعة﴾ التى هى مما وعد به و هى محط الحكمة فهى أعظم ما تعلق

(١) زيد بعده فى الاصل : عند سماعها من الرسل و غيرهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الخضوع (٤) سقط من م و مد (٥-٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فالآية (٦) زيد فى الاصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧-٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : يعلم كل احد (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٩-٩) فى الاصل بياض ملأناه من ظ و م و مد .

به الوعد ﴿لاريب فيها﴾ بوجه من الوجوه لأنها محل إظهار الملك لما له من الجلال و الجمال أتم إظهار ﴿قلتم﴾ راضين لأنفسكم بحضيض الجهل: ﴿ما ندرى﴾ أى الآن دراية علم و لو بذلنا جهدنا فى محاولة الوصول إليه ﴿ما الساعة[1]﴾ أي نعرف حقيقتها فضلا عما تخبروننا[1] به من أحوالها .

و لما كان أمرها مركوزا فى الفطر لايحتاج إلى كبير نظر، بما يعلم كل أحد من تمام قدرة الله تعالى، فمتى نبه عليها نوع تنبيه سبق إلى القلب علمها، سموا[2] ذلك ظنا عنادا و استكبارا، فقالوا مستأنفين فى جواب من[3] كأنه يقول: أفلم تفدكم[4] تلاوة هذه الآيات البينات[5] علما بها[5]: ﴿ان﴾ أى ما ﴿نظن﴾ أى نعتقد ما تخبروننا به عنها ﴿الا ظنا﴾ و أما وصوله إلى درجة العلم فلا . و لما كان المحصور لابد و أن يكون أخص من المحصور فيه[6] كان الظن الأول بمعنى الاعتقاد، و لعله عبر عنه بلفظ الظن تأكيدا لمعنى الحصر، و لذلك عطفوا عليه - تصريحا بالمراد لأن الظن قد يطلق على العلم - قولهم: ﴿و ما نحن﴾ و أكدوا النفى فقالوا: ﴿بمستيقنين[7]﴾ أى بموجود[7] عندنا اليقين فى أمرها و لا بطالبين

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: يجزون (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سواه (٣) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها. (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فلم تفدهم (٥ - ٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قبل قالوا (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عنه (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لموجود .

له

له[1] ـ هذا مع ما تشاهدونه من الآيات [فى الآفاق و فى أنفسكم و ما يبث من دابة و ما ينبهكم على ذلك من الآيات ـ[2]] المسموعة ، و هذا لاينافى [آية ـ[2]] " ان هى [الا ـ[2]] حياتنا الدنيا " لأن آخرها مثبت للظن ، فكأنهم كانوا / تارة يقوى عندهم ما فى جبلاتهم و فطرهم الأولى / ٧٧٠ من أمرها فيظنونها ، و[3] تارة تقوى[3] عليهم الحظوظ مع ما يقترن بها من ٥ الشبه المبنية على الجهل فيظنون عدمها فيقطعون به[4] لما للنفس إليه من الميل ، أو كانوا فرقتين ـ و الله أعلم .

و لما وصلوا إلى حد[5] عظيم من العناد ، التفت إلى أسلوب الغيبه إعراضا عنهم إيذانا بشديد[6] الغضب فقال تعالى : ﴿ و بدا ﴾ أى و لم يزالوا يقولون ذلك إلى أن بدت لهم الساعة بما فيها من الأوجال ، ١٠ و الزلازل [7]و الأهوال ، و ظهر[7] ﴿ لهم ﴾[8] غاية[9] الظهور ﴿ سيئات ما ﴾ و لما كان السياق للكفرة ، وكانوا مؤاخذين بجميع[10] أعمالهم فانه ليس

(١) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) زيد من م و مد (٣ ـ ٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ترى سوى (٤) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : بها (٥) فى م : حظ (٦) زيد فى الأصل : العطب و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧ ـ ٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الأموال (٨) زيد فى الأصل : اى فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) زيد فى الأصل : الاشتهار و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جميع .

لهم أساس صالح يكون سببا [1]لتكفير شيء[1] مما تقلبوا[2] فيه ولم يقتض[3] السياق خصوصا مثل الزمر، عبر بالعمل الذى هو[4] أعم من الكسب فقال: ﴿عملوا﴾ فتمثلت لهم وعرفوا مقدار جزائها واطلعوا[5] على جميع ما يلزم على ذلك ﴿وحاق بهم﴾ أى أحاط [على -[6]] حال القهر والغلبة، قال أبو حيان: ولا يستعمل إلا فى المكروه. ﴿ما كانوا﴾ جبلة وخلقا ﴿به[7] يستهزءون﴾ أى يوجدون الهزء به على غاية الشهوة واللذة إيجاد من هو طالب لذلك ﴿وقيل﴾ أى لهم على قطع الأحوال وأشدها قولا لامعقب له، فكأنه بلسان كل قائل: ﴿اليوم ننساكم﴾ أى نفعل معكم بالترك من جميع ما يصلحكم [فعل -[6]] المنسى الذى نقطع[8] عنه جميع إحساننا فيأتيه كل شر ﴿كما نسيتم﴾ وأضاف[9] المصدر إلى ظرفه لما فيه من الرشاقة والبلاغة فقال تعالى: ﴿لقآء يومكم هذا﴾ أى الذى[10] عملتم فى أمره عمل الناسى له، ومن نسى لقاء اليوم نسيء[11] لقاء الكائن فيه بطريق الأولى، وقد عابهم[12] الله سبحانه تعالى بذلك أشد

(١ - ١) من م ومد، وفى الاصل وظ: لم لتكفر شيئا (٢) من م ومد. وفى الأصل وظ: انقلبوا (٣) من م ومد. وفى الاصل وظ: لم يقتضى. (٤) زيد فى الأصل: اهم و. ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها. (٥) من م ومد. وفى الأصل وظ: اطلقوا (٦) زيد من م ومد. (٧) ليس فى الاصل وظ (٨) من ظ وم ومد، وفى الأصل: فقطع (٩) من م ومد، وفى الأصل وظ: اضافة (١٠) سقط من ظ وم ومد (١١) من م ومد، وفى الأصل وظ: انسى (١٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: عاتبهم.

العيب[1] لأن ما عملوه ليس من فعل الحزمة أن يتركوا ما ضرره محتمل لايعتدون له، و إنما هذا فعل الحمق الذين هم عندهم أسقاط [لا -[2]] عبرة بهم و لا وزن لهم، و عبر بالنسيان لأن علمه مركوز فى طبائعهم، و عبر فى فعله بالمضارع ليدل على [الاستمرار، و فى فعلهم بالماضى ليدل على -[2]] أن من وقع [3]منه ذلك[3] وقتا ما و إن قل كان على خطر عظيم بتعريض نفسه لاستمرار الإعراض عنه.

و لما كان تركه على هذا الحال يلزم منه استمرار العذاب، صرح به إيضاحا له لئلا يظن غير ذلك، فقال مبينا لحالهم: ﴿ و ماوٰكم النار ﴾ ليس لكم براح عنها أصلا، لأن أعمالكم أدخلتكموها، و لايخرج منها إلا من اذنا فى إخراجه، نحن قد جعلناكم فى عداد المنسى فلا يكون من قبلنا لكم فرج ﴿ و ما لكم ﴾ فى نفس الأمر سواء أفكرتم و أنتم مكذبون[4] فى مدافعة هذا اليوم أو تركتموه ترك المنسى ﴿ من نصرين[5] ﴾ ينقذونكم من ذلك بشفاعة و لامقاهرة.

و لما ذكر جزاءهم على ما هو الحق المساوى[6] لأعمالهم طبق الفعل بالفعل، علله بما لزم على[6] أعمالهم فقال: ﴿ ذٰلكم ﴾ أى العذاب العظيم ﴿ بانكم اتخذتم ﴾ أى بتكليف منكم لأنفسكم و قسر على خلاف

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العتب (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣ - ٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذلك منه (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مكذبين (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: المتساوى.
(٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من.

ما أدى إليه العقل، و جاءت به الرسل، و ساعدت عليه الفطر الأول[1]

/ ﴿ آيت الله ﴾ أى الملك الأعظم [2]الذى لا شىء أعظم منه[2] ﴿هزوا﴾ /٧٧١

أى جعلتموها عين ما أزلت للابعاد منه ﴿ و غرتكم ﴾ لضعف عقولكم

﴿ الحيوة الدنيا[3] ﴾ أى الدنية فآثرتموها لكونها حاضرة و أنتم كالبهائم

٥ لايعدو نظركم المحسوس فقلتم : لا حياة غيرها و لا بعث و لا حساب، و لو

تعقلتم وصفكم لها لأداكم إلى الإقرار بالأخرى .

و لما أوصلهم إلى هذا الحد من الإهانة، سبب عنه زيادة فى

إهانتهم و تلذيذا لأوليائه الذين [4]عادوهم فيه[4] و إشماتا لهم بهم : ﴿فاليوم﴾

بعد إيوائهم فيها ﴿لايخرجون﴾ بمخرج ما ﴿منها﴾ لأن الله لا يخرجهم

١٠ و لا يقدر غيره على ذلك ﴿و لا هم﴾ خاصة[5] ﴿ يستعتبون ٥ ﴾ أى يطلب

من طالب ما منهم الإعتاب، و هو الاعتذار بما يثبت لهم العذر و يزيل

عنهم العتب الموجب للغضب بعمل من الأعمال الصالحات لأنهم فى دار

الجزاء لا دار العمل .

و لما أثبت سبحانه بعده باثبات الآيات المرئية و المسموعة و إعزاز

١٥ أوليائه و إذلال أعدائه من غير مبالاة بشىء و لا عجز عن شىء مع

الإحاطة التامة بكل[6] شىء قدرة و علما، تسبب عن ذلك حتما قوله تعالى :

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الاولى (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣-٣) من م و مد، و فى الاصل و ظ : عاهدوهم (٤) زيد فى الأصل : لغيظهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد، و فى الاصل و ظ : لكل .

﴿فلله﴾ أى الذى له الأمر كله ﴿الحمد﴾ اى الإحاطة بجميع صفات[١] الكمال . و لما أبان سبحانه[٢] أن ذلك ثابت له لذاته لا لشيء آخر ، أثبت أنه له بالإحسان و التدبير فقال تعالى: ﴿ رب السمٰوٰت ﴾ أى ذات العلو و الاتساع و البركات . و لما كان السياق لإثبات الاختصاص بالكمال ، و كانوا قد جعلوا له سبحانه ما دل [على -[٣]] أنهم لاشبهة لهم فى عبادتهم ٥ بحصر[٤] أمرهم فى الهوى ، أعاد ذكر الرب تأكيدا و إعلاما أن له فى كل واحد من الخافقين أسرارا غير ما له فى الآخر[٥] ، فالتربية متفاوتة بحسب ذلك ، و أثبت العاطف إعلاما بأن كمال قدرته فى ربوبيته[٦] للاعلى و الأسفل[٦] على حد سواء دفعا لتوهم أن حكمه فى الأعلى أمكن لتوهم الاحتياج إلى مسافة فقال تعالى[٧]: ﴿ و رب الارض ﴾ أى ذات القبول للواردات . ١٠

و لما خص الخافقين تنبيها على الاعتبار بما فيهما من الآيات لظهورها ، عم تنبيها على [٨]أن له[٨] وراء ذلك من الخلائق ما لا يعلمه إلا الله [٩]سبحانه و تعالى[٩] فقال مسقطا العاطف لعدم الاحتياج إليه بعد إثبات استواء الكونين الأعلى و الأسفل فى حكمه من حيث العلم و القدرة للتنزه عن المسافة ،

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اوصاف (٢) سقط من م و مد . (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لحصر (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : الآخرة (٦-٦) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : الاعلى للاسفل (٧) زيد فى الأصل : مبينا و هو هنا لهذا الاشكال الواهى ، و لم تمكن الزيادة فى ظ و م و مد لحذفناها (٨-٨) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : انه (٩-٩) فى م و مد : هو .

و ذلك لايخرج عنه شيء من الخلق لأنه إما أن يكون علويا أو سفليا ﴿رب العٰلمين﴾ لجمع ما مفرده يدل على جميع الحوادث لأن العالم ما سوى الله. تنبيها على أصنافه و تصريحا بها و إعلاما بأنه أريد به مدلوله المطابق لا البعض بدلالة التضمن، و أعاد ذكر الرب تنبيها على أن حفظه للخلق و تربيته لهم ذو ألوان بحسب شؤن[1] الخلق، لحفظه لهذا الجزء على وجه يغاير حفظه [لجزء آخر، و حفظه للكل من حيث هو كل على وجه يغاير حفظه -[2]] لكل جزء على حدته، مع أن الكل بالنسبة إلى تمام القدره على حد سواء.

/ ٧٧٢ و لما أفاد / ذلك غناه[3] الغنى المطلق و سيادته و أنه لا كفوء له، عطف عليه بعض اللوازم لذلك تنبيها على مزيد الاعتناء به لدفع ما يتوهمونه من ادعاء الشركة التى [لا -[2]] يرضونها لأنفسهم فقال: ﴿و له﴾ أى وحده[4] ﴿ الكبريآء ﴾ أى الكبر الأعظم الذى لانهاية له[5]: ﴿ فى السمٰوٰت ﴾ كلها ﴿ و الارض ﴾ جميعها[6] اللتين فيهما آيات للمؤمنين[7]، روى مسلم و أبو داود[8] و ابن ماجة[9] عن أبى هريرة و مسلم

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سوبل - كذا (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غنى (٤) زيد فى الأصل: لامناف له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل: لمكانه، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جميعا (٧) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٨) راجع السنن أبواب اللباس (٩) راجع السنن أبواب الزهد.

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يقول الله عز و جل: الكبرياء ردائى و العظمة إزارى فمن نازعنى واحدا منهما أدخلته النار، و فى رواية: عذبتـــه، و فى رواية: قصمته. ﴿ و هو ﴾ وحده ﴿ العزيز ﴾ الذى يغلب كل شىء و لايغلبه شىء ﴿ الحكيم ﴾ الذى يضع الأشياء فى أتقن مواضعها و لايضع شيئا ٥ إلا كذلك[1] كما أحكم أمره و نهيه و جميع شرعه، و أحكم نظم هذا القرآن جملا و آيات، و فواصل و غايات، بعد أن حرر معانيه و تنزيله جوابا لما كانوا يعتنون به، فصار معجزا فى نظمه و معناه و إنزاله طبق أجوبة[2] الوقائع على ما اقتضاه الحال، فانطبق آخرها[3] على أولها بالصفتين المذكورتين، و بالحث على الاعتبار بآيات الخافقين، و التصريح بما لزم ذلك من الكبرياء ١٠ المقتضية لإذلال الأعداء و إعزاز الأولياء ـ و الله الهادى [4]إلى الصواب و إليه المرجع و المآب ـ و الله أعلم بمراده[4].

* * *

(١) من ظ و مد، و فى الأصل و م: لذلك (٢) زيد فى الأصل: الواقع من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: آخر السورة (٤ ـ ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.

سورة الأحقاف[1]

مقصودها إنذار الكافرين بالدلالة على صدق الوعد فى قيام الساعة اللازم للعزة و الحكمة الكاشف لها أتم كشف بما وقع الصدق فى الوعد به من إهلاك المكذبين بما يضاد حال[2] بلادهم[3] و أنه لايمنع من شىء من ذلك مانع لأن فاعل ذلك لاشريك له فهو المستحق للافراد بالعبادة، و على ذلك دلت تسميتها بالأحقاف الدالة على هدوء الريح و سكون الجو[3] بما دلت عليه قصة [قوم -[4]] هود عليه الصلاة و السلام من التوحيد و إنذارهم بالعذاب دنيا و أخرى و من إهلاكهم و عدم إغناء ما عبدوه[5] عنهم و لايصح تسميتها بهود و لاتسمية هود بالأحقاف لما ذكر من المقصود بكل منهما[6] ﴿ بسم الله ﴾ الذى لايذل من والى و لايعز من عادى ﴿الرحمن﴾ الذى سبقت رحمته غضبه بزواجر الإنذار ﴿الرحيم﴾ الذى خص حزبه بعمل الأبرار للفوز فى دار القرار بدخول الجنة و النجاة من النار ﴿حمٓ﴾ حكمة محمد صلى الله عليه و سلم التى هى النهاية[7] فى الصواب و السداد أحكمها الذى أحاطت قدرته فهو لايخلف الميعاد.

٧٧٣ / ١٥ لما[8] بنيت الجاثية على النظر فى آيات الخافقين / خطابا لأهل الإيمان

(١) السادسة و الأربعون من سور القرآن الكريم، و عدد آيها ٣٥ عند الكوفيين و ٣٤ عند غيرهم، و زيد بعده فى الأصل: الدالة على صدق الوعد بالساعة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رجال (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد من م ومد. (٥) من ظ و م ومد، و فى الأصل: عهدوه (٦) زيد فى الأصل: و الله اعلم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م ومد، و فى الأصل وظ: نهاية (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: و لما.

استدلالا على يوم الفصل المدلول عليه [١]في الدخان[١] بآيـة " و ما خلقنا السموٰت و الارض و ما بينهما لعبين" و التى بعدها، فأنتجت العلم بأن الكبرياء لخالقهما بما يشاهد من قهره للملوك فمن سواهم بالموت و ما دونه من غير مبالاة بأحد[٢] و بينت ـ بما[٣] أفهمه الملك و الكبرياء و الحكمة لأن عادة من كان بهذا الوصف ألا يكون [كلامه -[٤]] إلا بحسب الحاجة ـ ٥ أن الكتاب منزل نجوما لبيان ما [٥]يحاولون به[٥] مدحض لحجتهم[٦] هادم[٧] لعزتهم بحكمته و عزته، فثبت الحشر و حق النشر[٨]، و ختم بصفتى[٩] العزة و الحكمة. ذكر بما ثبت[١٠] من ذلك كله[١١] تأكيدا لأمر البعث و تحقيقا لليوم الآخر على وجه مبين[١٢] أن الخلق كله آيات و حكم و اعتبارات لأنه أثبت أنـه كله حق، و نفى عنه كل باطل، فقال خطابا لأهل ١٠ الأوثان من سائر الأديان الصابية و المجوس و غيرهم الذين افتتحت[١٣] السورة بهم و ختمت بالفسق الجامع لهم الموجب لكفرهم: ﴿تنزيل الكتٰب﴾ أى [١٤]الجامع لجميع[١٤] الخيرات بالتدريج على حسب المصالح ﴿من الله﴾

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالدخان (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: باحد (٣) من ظ و م و مد. و فى الأصل: ما (٤) زيد من م و مد (٥-٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يحاولونه (٦) زيد فى الأصل: بل و لحججهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: هاديا (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الشر. (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بصفاه (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ذكر (١١) سقط من م و مد (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يبين (١٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فتحت (١٤-١٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جامع.

أى الجبار المتكبر المختص بصفات الكمال[1] الذى هو[2] الحمد بما دلت عليه ربوبيته ، و ختم بقوله : ﴿ العزيز الحكيم ٥ ﴾ تقريرا لأنه[3] لم يضع شيئا إلا فى أوفق محاله ، و أنه الخالق [للشر كما أنه الخالق -[4]] للخير و لجميع الأفعال[5] و أنه يعز أولياءه و يذل أعداءه و يحكم أمر دينه فيظهره على الدين كله من غير أن يقدر أحد على معارضته فى شىء منه فصارت آية[6] الجاثية مقدمة لهذه و هذه نتيجة .

و لما ثبت فى الجاثية مضمون قوله تعالى فى الدخان "[و ما خلقنا -[4]] السمٰوٰت و الارض و ما بينهما لٰعبين" بما ذكر فيهما من [الآيات و -[4]] المنافع و الحكم ، أثبت [هنا -[4]] مضمون [ما بعد -[4]] ذلك بزيادة الأجل فقال دالا على عزته و حكمته : ﴿ ما خلقنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة الموجبة للتفرد بالكبرياء ﴿ السمٰوٰت و الارض ﴾ على ما فيهما من الآيات التى فصل بعضها فى الجاثية . و لما كان من المقاصد هنا الرد على المجوس و غيرهم ممن ثبت خلقا لغير الله قال[7]: ﴿ و ما بينهما ﴾ أى من الهواء المشحون بالمنافع و كل خير و كل شر[8] من أفعال العباد و غيرهم ، و قال ابن برجان فى تفسيره[9]: جميع الوجود أوله و آخره نسخة

(١) زيد فى الأصل : و الجمال و الكبرياء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : بانه (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الأعمال (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : آيات (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : فقال (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شىء .
(٩) زيد فى الأصل و ظ : كل هواء ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

لأم الكتاب و السماوات و الأرض إشارة إلى بعض الوجود[1] . و بعطه يعطى من الدلالة على المطلوب ما يعطيه لكل بوجه ما ، غير أن ما علا أصح دلالة و أقرب شهادة و أبين إشارة ، و ما صغر من الموجودات دلالته مجملة يحتاج المستعرض فيه إلى التثبت و [2]تدقيق النظر[2] و البحث - انتهى .

﴿ الا بالحق ﴾ أى الأمر الثابت من القدرة التامة و التصرف المطلق . ٥ فخلق [الباطل - [3]] بالحق لأنه[4] تصرف فى ملكه الذى لاشائبة لغيره فيه للابتلاء و الاختبار للجازاة بالعدل و المن بالفضل إلى غير ذلك من الحكم التى لايعلمها / سواه ، و فى خلق ذلك على هذا الوجه أعظم دلالة / ٧٧٤ على وجود الحق سبحانه . و أنه واحد لاشريك له ، و دل على قهره بقوله : ﴿ و اجل مسمى[5] ﴾ أى لبعث الناس إلى دار القرار لفصل أهل الجنة ١٠ من أهل النار ، و فناء الخلقين و ما نشأ عنهما من الليل و النهار .

و لما كان التقدير : و أمرنا الناس بالعمل فى ذلك الأجل بطاعتنا و وعدناهم عليها جنان[6] النعيم ، فالذين آمنوا على ما أنذروا مقبلون ، و من غوائله مشفقون ، فهم بطاعتنا عاملون ، عطف عليه ما السياق له من قوله : ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى ستروا من أعلام الدلائل ما ١٥ لو خلوا أنفسهم و ما فطرناها عليه لعلموه فهم لذلك[6] ﴿ عما انذروا ﴾

---

(١) من ظ و م و مد . و فى الاصل : الموجودات (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : التدقيق (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جنات (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : كذلك .

عن هم عارفون [١] بأن إنذاره [١] لايتخلف ﴿ معرضون ﴾ و من غوائله آمنون، فهم بما يغضبنا فاعلون، شهدت عندهم شواهد الوجود فما سمعوا لها و لا [٢] أصغوا إليها و أنذرتهم الرسل و الكتب من عند الله فأعرضوا عنها و اشمأزوا منها .

٥ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير رحمه الله تعالى : لما قدم ذكر [٣] الكتاب و عظيم الرحمة به و جليل بيانه ، و أردف ذلك بما تضمنته سورة الشريعة من توبيخ من كذب به وقطع تعلقهم و أنه سبحانه و تعالى قد نصب من دلائل السماوات و الأرض [إلى - [٤]] ما ذكر فى صدر السورة ما كل قسم منها [٥] كاف فى الدلالة و قائم بالحجة ، و مع ١٠ ذلك فلم يجر [٦] عليهم التمادى على ضلالهم و الانهماك فى سوء حالهم و سيء محالهم، أردفت [٧] بسورة الأحقاف تسجيلا بسوء مرتكبهم و إعلاما بأليم [٨] منقلبهم فقال تعالى " ما خلقنا السمٰوٰت و الارض و ما بينهما الا بالحق و اجل مسمى " و لو اعتبروا بعظيم ارتباط ذلك الحق و إحكامه و إتقانه لعلموا أنه لم يوجد عبثا [٩]، و لكنهم عموا عن الآيات و تنكبوا عن ١٥ انتهاج الدلالات " و الذين كفروا عما انذروا معرضون " ثم أخذ

(١ - ١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : بانذاره (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : صغوالها ولا (٣) فى مد: ذلك (٤) زيد من مد (٥) فى مد: منه. (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فلم يحرم (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اردف (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لهم - كذا . (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : غنا .

سبحانه و تعالى فى تعنيفهم و تقريعهم فى عبادة ما لايضر و لاينفع فقال "افرايتم ما تدعون[1] من دون الله - إلى قوله : و كانوا بعبادتهم كٰفرين" ثم ذكر عنادهم عند[2] سماع الآيات فقال "و اذا تتلى عليهم ايٰتنا بينٰت" الآيات ، ثم التحم الكلام و تناسج إلى آخر السورة - انتهى .

و لما قرر سبحانه الأصل الدال على التوحيد و إثبات العدل و الرحمة بالبعث للفصل[3] ، و كانوا يقولون : إنهم أعقل الناس ، و كان العاقل لا يأمن [4]غوائل الإنذار[4] إلا أن أعد لها ما يتحقق [5]دفعه لها[5] و كان لايقدر على دفع المتوعد[6] إلا من يساويه أو يزيد عليه بشركة أو غيرها ، و كانوا يدعون فى أصنامهم أنها[7] شركاء ، بنى على ذلك[8] الأصل تفاريعه[9] ، و بدأ بابطال متمسكهم فقال سبحانه و تعالى آمرا له صلى الله عليه و سلم بأن ينبههم على سفههم بأنهم أعرضوا عما قد يضرهم من غير احتراز منه دالا على عدم إلهية ما دعوه آلهة بعدم الدليل على إلهيتها من عقل أو نقل ، لأن منصب الإلهية لايمكن أن يثبت [و -[10]] له من الشرف / ما هو معلوم ٧٧٥ /

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تعبدون (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : عن (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : للفضل (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الغوائل (٥-٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دفعها به (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المتوحد (٧) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : انهم (٨) زيد فى الأصل و ظ : قوله ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تقاريعه (١٠) زيد من ظ و م و مد .

بغير دليل قاطع : ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء المعرضين أنفسهم لغاية الخطر منكرا عليهم تبكيتا و توبيخا : ﴿ ارءيتم ﴾ أى أخبرونى بعد تأمل و رؤية باطنة ﴿ ما تدعون ﴾ أى دعاء عبادة ، و نبه على سفولهم بقوله تعالى : ﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى كل شىء دونه ، فلا كفوء له .

و لما كان من المعلوم أن الاستفهام عن رؤية ما [1]مشاهدتهم له[1] معلومة لايصح إلا بتأويل[2] أنه عن بعض الأحوال ، و كان التقدير : أهم[3] شركاء فى الأرض . استأنف قوله : ﴿ ارونى ما ﴾ و أكد الكلام بقوله سبحانه و تعالى : ﴿ ما ذا خلقوا ﴾ أى اخترعوه ﴿ من الارض ﴾[4] ليصح ادعاء[5] أنهم شركاء فيها[6] باختراع ذلك الجزء . و لما كان معنى الكلام و ترجمته : أرونى أهم شركاء فى الأرض ؟ عادله بقوله : ﴿ ام لهم ﴾ أى الذين تدعونهم ﴿ شرك[7] فى السمٰوٰت[4] ﴾ أى نوع من أنواع الشركة : تدبير - كما يقول أهل الطبائع ، أو خلق أو غيره ، أرونى ذلك الذى خلقوه منها ليصح ادعاؤكم فيهم و اعتمادكم عليهم بسببه . فالآية من الاحتباك : ذكر الخلق أولا دليلا على حذفه ثانيا ، و الشركة ثانيا دليلا على حذفها أولا .

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : شاهدتهم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتأمل و تاويل (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هم .
(٤-٤) من ظ و م ومد ، وفى الأصل : لايصح الادعاء (٥) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : فى الارض (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تدعون انهم شركاء (٧) ورد فى الاصل بعده ام لهم ، و الترتيب من ظ و م و مد .

و لما كان الدليل أحد شيئين : سمع و عقل ، قال تعالى : ﴿ايتونى﴾ [أى -[1]] حجة على دعواكم فى هذه الأصنام أنها خلقت شيئا ، أو أنها تستحق أن تعبد ﴿بكتب﴾ أى[2] واحد يصح التمسك به ، لا أكلفكم إلى[3] الإتيان بأكثر من كتاب واحد . و لما كانت الكتب متعددة و لم يكن كتاب قبل القرآن عاما لجميع ما سلف من الزمان ، أدخل ٥ الجار فقال تعالى : ﴿من قبل هذآ﴾ [أى -[4]] الذى نزل علىّ كالتوراة و الإنجيل و الزبور ، و هذا من أعلام النبوة فانها كلها شاهدة بالوحدانية ، لو أتى بها آت لشهدت عليه .

و لما ذكر الأعلى الذى لا يجب التكليف إلا به ، و هو النقل القاطع ، سهل عليهم فنزل إلى ما دونه الذى منه العقل ، و أقنع [منه -[5]] ببقية ١٠ واحدة و لو كانت أثرا لا عينا فقال[6] : ﴿ او اثـرة ﴾ أى بقية رسم صالح للاحتجاج ، قال ابن برجان : و هى[7] البقية من أثر[8] كل شىء يرى[9] بعد ذهابه[9] و حال رؤيته بأثرها [10]خلف عن سلف[10] يتحدثون بها فى آثارهم ، قال البغوى[11] : و أصل الكلمة من الأثر و هو الرواية . ﴿ من علم ﴾

---

(١) زيد من مد (٢) سقط من ظ و م (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) زيد فى الأصل : مبينا لذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : هو (٨) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : اثار (٩-٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تعددها به (١٠-١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سلف عن خلف (١١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/١٣٠ .

أى قطعى بضرورة أو تجربة أو مشاهدة أو غيره و لو ظنا يدل على ما ادعيتم فيهم من الشركة . و لما كان لهم من النفرة من الكذب [و استهناءه - [1]] و استبشاعه و استفظاعه ما ليس لأمة من الأمم، أشار إلى تقريعهم بالكذب إن لم يقيموا دليلا على دعواهم بقوله تعالى:

٥ ﴿ان كنتم﴾ أى بما هو لكم كالجبلة ﴿صدقين ٥﴾ أى عريقين فى الصدق على ما تدعون لأنفسكم .

و لما أبطل سبحانه و تعالى قولهم فى الأصنام بعدم[2] [3]قدرتها على إتيان شىء من ذلك لأنها من جملة مخلوقات فى الأصل[3]، أتبعه إبطاله بعدم علمها ليعلم قطعا أنهم اضل الناس حيث ارتبطوا فى أجل الأشياء

٧٧٦ / ١٠ - / و هو أصول الدين - بما لا دليل عليه أصلا ، فقال تعالى منكرا[4] أن يكون أحد أضل منهم ، عاطفا على ما هدى السياق حتما إلى[5] تقديره و هو: فمن أضل ممن يدعى شيئا من الأشياء و إن قل بلا دليل : ﴿و من اضل ممن﴾ يدعى أعظم الأشياء بغير دليل ما[6] عقلى و لا نقلى ، فهو[7] ﴿ يدعوا ﴾ ما لاقدرة له و لا علم ، و ما انتفت[8] قدرته و علمه لم تصح عبادته ببديهة

١٥ العقل ، و أرشد إلى سفولها بقوله تعالى : ﴿من دون الله﴾ أى من أدنى

---

(١) زيد من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لعدم .
(٢-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) زيد فى الأصل و ظ : عليهم، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : اتى (٦) زيد فى الأصل و ظ : لا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .
(٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و هو و هو (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : انعمت كذا .

رتبة [من رتب - ١] الذى له جميع صفات [٢]الجلال و الجمال و الكمال[٢]، فهو سبحانه يعلم كل شيء و يقدر على كل شيء بحيث يجيب الدعاء و يكشف البلاء و يحقق الرجاء إذا شاء، و يدبر عبده لما[٣] يعلم من سره و علنه بما لا يقدر هو على تدبير نفسه [به - ٤]، و يريد العبد فى كثير من الأشياء ما لو وكل [العبد - ٥] فيه إلى نفسه و أجيب[٦] إلى طلبته كان فيه حتفه، فيدبره سبحانه بما تشتد كراهيته[٧] له فيكشف الحال عن أنه لم يكن له فرج إلا فيه ﴿من لا يستجيب له[٨]﴾ أى لا يوجد الإجابة و لا يطلب إيجادها من الأصنام و غيرها لأنه لا أهلية له لذلك .

و لما كان أقل الاستجابة مطلق الكلام، و كانوا فى الآخرة يكلمونهم فى الجملة و إن كان بما يضرهم، غيى هذا النفى[٩] بوقت لا ينفع فيه استجابة أصلا و لا يغنى أحد عن أحد أبدا[١٠] فقال تعالى: ﴿ الى يوم القيمة ﴾ أى الذى صرفنا لهم من أدلته ما هو أوضح من الشمس و لا يزيدهم[١١] ذلك [إلا - ١] إنكارا و ركونا إلى ما لا دليل عليه أصلا و هم يدعون الهداية و يعيبون [١٢]أشد عيب[١٢] الغواية . و لما كان من لا يستجيب قد يكون له [علم - ١] بطاعة الإنسان له ترجى معه إجابته يوما ما، نفى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد . (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بما (٤) زيد من م و مد (٥) زيد من مد (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اجب (٧) فى الأصل و مد ظ : كراهته (٨) ليس فى الأصل و م (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ : النقم (١٠) سقط من ظ و م و مد (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لازيدهم (١٢ - ١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : اشار بحيث كذا .

ذلك بقوله زيادة فى عيبهم فى دعاء ما لا رجاء فى نفعه : ﴿ و هم عن دعآئهم ﴾ أى دعاء المشركين إياهم ﴿ غفلون ٥ ﴾ أى لهم هذا الوصف ثابت لا ينفكون عنه ، لا يعلمون من يدعوهم و لا من لا يدعوهم ، و عبر بالغفلة التى هى من أوصاف العقلاء للجماد تغليبا إن كان المراد أعم من الأصنام و غيرها ممن ٥ عبدوه من عقلاء الإنس و الجن و غيرهم و اتصافا إن كان المراد الأصنام خاصة ، أو تهكما كأنه قيل : هم علماء فانكم أجل مقاما من أن تعبدوا ما لا يعقل ، و إنما عدم استجابتهم لكم دائما غفلة دائمة كما تقول لمن[1] كتب كتابا كله فاسد : أنت عالم لكنك كنت ناعسا - و نحو هذا .

و لما غيى سبحانه يوم القيامة فأفهم أنهم يستجيبون لهم فيه ، ١٠ بين ما يحاورونهم به[2] إذ ذاك فقال : ﴿ و اذا حشر ﴾ أى جمع بكره على أيسر[3] وجه و أسهل أمر[4] ﴿ الناس ﴾ أى كل من يصح منه النوس - أى التحرك - يوم القيامة ﴿ كانوا ﴾ أى المدعوون[5] ﴿ لهم ﴾ أي للداعين ﴿ اعدآء ﴾ و يعطيهم الله قوة الكلام فيخاطبونهم بكل ما يخاطب به العدو عدوه ﴿ و كانوا ﴾ أى المعبودون ﴿ بعبادتهم ﴾ أى ١٥ الداعين ، و هم المشركون - إياهم ﴿ كفرين ٥ ﴾ [6]لأنهم كانوا عنها غافلين كما قال سبحانه و تعالى / فى سورة يونس عليه الصلاة و السلام /٧٧٧

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٢) فى م : فيه (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : احسن (٤) زيد فى الأصل : جميع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المدعون . (٦) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

"و قال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون" .

و لما بين أنهم [١]في غاية السفه في عبادة ما لا دليل يوجه على عبادته، أتبعه بيان أنهم[١] في غاية الغباوة بانكار ما لا شيء أبين منه، فقال عاطفا على "و الذين كفروا عما انذروا معرضون": ﴿ و اذا تتلى ﴾ أي تقرأ من أيّ قارئ كان على وجه المتابعة ﴿ عليهم [١]ايٰتنا ﴾ [أي -[٢]] ٥ التي لا أعظم منها في أنفسها[٣] و باضافتها إلينا ﴿ بينٰت ﴾ لا شيء أبين منها قالوا - هكذا كان الأصل و لكنه بين الوصف الحامل لهم[٤] على القول فقال: ﴿قال الذين كفروا﴾ أي ستروا تلك الأنوار التي أبرزتها تلك التلاوة لها - هكذا كان الأصل و لكنه[٥] قال: ﴿ للحق ﴾ أي لأجله ﴿ لما ﴾ أي حين ﴿جآءهم[٦]﴾ [١]بيانها لأنها[٦] مع بيانها لا شيء أثبت ١٠ منها و أنهم بادروا أول سماعهم لها إلى إنكارها دون تفكر: ﴿هذا﴾ أي الذي تلي ﴿ سحر ﴾ أي خيال لاحقيقة له ﴿ مبين ﴾ أي ظاهر في أنه خيال، فدل قولهم هذا - بمبادرتهم[٧] إليه من غير تأمل أصلا، و بكونه أبعد الأشياء عن حقيقة ما قيل فيه - على أنهم أكثر الناس عنادا و أجرؤهم على الكذب و هم يدعون أنهم أعرق[٨] الناس [٩]في الإنصاف[٩] ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) زيد من م و مد (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ: نفسها (٤) زيدت الواو في الأصل و ظ و م و لم تكن في مد فحذفناها (٥) زيد في الأصل و ظ: بين الوصف الحامل لهم و لكنه، و لم تكن الزيادة في م ومد فحذفناها (٦-٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: بأياتنا (٧) من م ومد، و في الأصل و ظ: بما دلهم (٨) من م و مد، و في الأصل و ظ: اعرف (٩-٩) من م و مد، و في الاصل و ظ: بالانصاف.

و ألزمهم للصدق .

و لما دلت هذه الآيات بعظيم [١]حججها و زخار ما[١] أغرق من لججها، على أن ما يدينون به أوهى[٢] من الخيال، و أن هذا الكتاب فى صدقه و كل شيء من أمره أثبت من الجبال[٣]، فكانوا أجدر الخلق بأن يقولوا: رجعنا عما كنا فيه و آمنا[٤]، كان موضع أن يقال: هل أقروا بأنك صادق فى نسبة هذا الكتاب إلى الله، فعادله بقوله دليلا عليه: ﴿ ام يقولون ﴾ مجددين لذلك متابعين[٥] له ﴿ افتريٰه[٤] ﴾ أى تعمد كذبه، فيكون ذلك من قولهم عجبا لأنه قول مقرون بما يكذبه و يبطله كما يأتى فى تقريره .

و لما كان كأنه قيل: إنهم ليقولون ذلك، و قد قرحوا القلوب به فما ذا يردهم عنه؟ [قيل-[٦]]: ﴿ قل ﴾ ما هو أشد عليهم من وقع النبل، و هو ما يرد ما رموك به عليهم بحجة هى أجلى من الشمس فى الظهيرة صحوا[٧] ليس دونها سحاب . و لما كان من عادة الملوك أنه متى كذب عليهم أحد [٨]عاجلوه بالعقوبة[٨] قال: ﴿ ان افتريته ﴾ أى تعمدت

(١-١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: زخاريا - كذا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اوهو (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الخيال . (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لما (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: متتابعين (٦) زيد من م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: محوا . (٨-٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بما حلوه من العقوبه .

كذبه

كذبه على زعمكم[1] و أنا إنما أريد [به -[2]] نصيحتكم، فالذى[3] أقتربه عليه و أنسبه إليه يعاقبنى على ذلك و لا يتركنى أصلا، و ذلك هو معنى قوله: ﴿ فلا تملكون ﴾ أى أيها المنصوحون فى وقت من الأوقات بوجه من الوجوه ﴿ لى من الله ﴾ أى الملك الأعظم العزيز المتكبر الحكيم ﴿ شيئا ﴾ مما يرد عنى انتقامه منى لأن الملك لايترك من كذب عليه ٥ مطلق كذب، فكيف بمن يتعمد[4] الكذب عليه فى الرسالة بأمور عظيمة و يلازمه مساء و صباحا غدوا و رواحا، فأىّ [5]حامل لى حينئذ[5] على افترائه، و المقصود [به -[6]] لاينفعنى، و المكذوب عليه لا يتركنى؛ ثم علل ما أفاده الكلام من وجوب الانتقام بقوله: ﴿ هو اعلم ﴾ أى منكم و من كل أحد ﴿ بما تفيضون فيه[7] ﴾ من / نسبتى إلى الكذب، ١٠ /٧٧٨ فلو أنه كما تقولون ما ناظرنى فضلا عن أنه يؤيدنى و ينصرنى، و فيه على ذلك تهديد لهم و تسلية له و تفريج عنه.

و لما كان الإملاء وحده ليس قاطعا فى ذلك و إن كان ظاهرا فيه، فكان لابد فى دعوى الصدق من دليل قاطع و برهان ساطع، و كانت شهادة الملك الذى الكلام فيه أعظم الأدلة لأنه الأعلم، و مدار ١٥ الشهادة العلم، فأنتج الكلام قطعا قوله: ﴿ كفى ﴾ و أكد الكلام بما قرن بالفاعل من حرف الجر تحقيقا للفعل و نفيا للمجاز[7] فقال: ﴿ به شهيدا ﴾

---

(١) من م و مد، و فى الاصل و ظ: زعمهم (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الاصل و ظ و م: فى الذى (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تعمد.
(٥-٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فى (٦) زيد من م و مد (٧) من مد، و فى الاصل و ظ و م: للجار - كذا.

أى شاهدا بليغ الشهادة لأنه الأعلم بجميع أحوالنا ﴿ بينى و بينكم[١] ﴾ يشهد بنفسه الأقدس للصادق منا و على الكاذب ، و قد شهد بصدق بعجزكم عن معارضة شىء من هذا الكتاب الذى أتيت به ، فثبت بذلك أنه كلامه لأنى لا أقدر وحدى على ما لا تقدرون عليه فرادى و لا مجتمعين و أنتم عرب مثلى ، بل [و - [١]] أنا أمى و فيكم [أنتم - [١]] الكتبة و الذين خالطوا العلماء و سمعوا أحاديث الأمم و ضربوا - بعد بلاد العجم - فى بلاد العرب ، فظهر بذلك ظهور الشمس أنكم كاذبون ﴿ و هو الغفور ﴾ الذى من شأنه أن يمحو الذنوب كلها[٢] [٣]أعيانها و آثارها[٣] فلا يعاقب عليها و لا يعاتب ﴿ الرحيم[٥] ﴾ الذى يكرم بعد المغفرة و يفضل بالتوفيق لما يرضيه ، ففى هذا الختام ترغيب للنبى صلى الله عليه و سلم فى الصفح عنهم فيما[٤] نسبوه إليه فى افتتاحها من الافتراء ، و ندب إلى الإحسان إليهم ، و ترغيب لهم فى التوبة ، و منع من أن يقولوا : فلم لا يعاجلنا بالعقوبـــة على نسبتنا لك [إلى - [١]] الكذب إن كنت صادقا بأنه يجوز أن يمهل الكاذب ، و أما أنه يؤيده بما[٥] يشد به كذبه اللازم منه أنه يزيد فيه فلا يجوز ، لأن ذلك قادح فى الحكمة و [فى - [١]] الكبرياء و فى الملك .

(١) زيد من م و مد (٢) سقط من ظ و م و مد (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : آثارها و اعيانها (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بعد الذى (٥) فى ظ و مد : فيما .

و لما كان [من - [1]] أعظم الضلال أن ينسب [2] الإنسان إلى الكذب[2] من غير دليل فى شىء لم يبتدعه، بل تقدمه بمثله ناس قد ثبت صدقهم فى مثل ذلك و مضت عليه[3] الأزمان و تقرر غاية التقرر[4] فى القلوب و الأذهان، قال تعالى: ﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء الذين نسبوك إلى الافتراء: ﴿ ما كنت ﴾ أى كونا ما ﴿ بدعا ﴾ أى منشئا مبتدعا محدثا ٥ مخترعا بحيث أكون أجنبيا منقطعا ﴿ من الرسل ﴾ لم يتقدم لى منهم مثال فى أصل ما جئت به، و هو الحرف الذى طال النزاع بينى و بينكم فيه و عظم الخطب و هو التوحيد و محاسن الأخلاق. بل قد تقدمنى رسل كثيرون أتوا بمثل ما أتيت به و دعوا إليه كما دعوت و صدقهم [الله - [1]] بمثل ما صدقنى به، فثبتت بذلك رسالاتهم[5] و سعد بهم من صدقهم من ١٠ قومهم، و شقى بهم من كذبهم، فانظروا إلى آثارهم، و اسألوا عن سيرهم من أتباعهم و أنصارهم [و أشياعهم - [1]]، قال الإمام أبو عبد الله القزاز فى ديوانه: و البدعة الاسم لما ابتدع[7] و[7] ضد البدعة السنة، لأن[8] السنة ما تقدم له إمام، و البدعة ما اخترع على غير مثال، و فى الحديث «كل بدعة ضلالة و كل ضلالة فى النار» معناه - و الله أعلم - أن ١٥ يبتدع ما يخالف السنة إذ كانت البدعة ضد السنة، فاذا / أحدث ما يخالفها ٧٧٩ /

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الاصل: الى الانسان. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: عليهم (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التقرير (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: رسالتهم (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل: و البدعة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الان.

كان باحداثه لها ضالا مشركا، و كان ما أحدث[1] فى النار، و لم يدخل تحت هذا ما يخترع الإنسان من أفعال البر يسمى بدعة لعدم فعله قبل ذلك فيخرج عما ذكرنا إن كان له نظير فى الأصول، و هو الحض على كل أفعال البر ما علم منها و ما لم يعلم، فان[2] أحدث محدث من ذلك شيئا فكأنه زيادة فيما تقدم من البر و ليس بضد لما تقدمه من[3] السنة، بل هو باب من أبوابها، و يقولون: ما فلان يبدع[4] فى هذا الأمر أى ليس [هو - [5]] بأول من أصابه ذلك [6] ولكن سبقه غيره أيضا[6]، قال الشاعر:

و لست[7] بيدع من النائبات ونقض الخطوب و[7] إمرارها[8]

و يقال: أبدع بالرجل - إذا كلت[9] راحلته، و أبدعت الركاب[10] إذا كلت و عطبت، و قيل: كل من عطبت[11] ركابه [فانقطع به فقد أبدع به، و قال فى القاموس: و البدعة الحدث فى الدين بعد الإكمال أو ما استحدث بعده صلى الله عليه و سلم من الأهواء و الأعمال، و أبدع بالرجل: عطبت ركابه - [12]]، و بقى منقطعا به، و أبدع فلان بفلان: قطع به و خذله،

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشرك (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فاذ (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لمن (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بدع (٥) زيد من م و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فمن (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: امراوها (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اكلت، (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الركات (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كلت (١٢) زيد من مد.

و لم

و لم يقم بحاجته ، و حجته بطلت ، و قال الصغانى فى مجمع البحرين : و شىء بدع - بالكسر أى مبتدع ، و فلان بدع فى هذا الأمر أى بديع ، و قوم أبداع ، عن[1] الأخفش : [و -[2]] البديع المبتدِع و البديع المبتدَع أيضا ، و أبدعت حجة فلان - إذا بطلت ، و أبدعت : أبطلت - يتعدى و لا يتعدى .

و لما أثبت بموافقته صلى الله عليه و سلم للرسل أصل الكلام ، و بقى أن يقال : إن التكذيب فى أن الله أرسله [به ، قام الدليل على صدقه فى دعواه ، و ذلك بأنه مماثل لهم فى أصل الخلقة ليس له من ذاته من العلم إلا ما لهم ، و ليس منهم أحد يصح له حكم على المغيبات ، فلو لا أن الله أرسله -[3]] لما صح كل شىء حكم به على المستقبلات و لم يتخلف من ذلك شىء فقال : ﴿ و ما أدرى ﴾ أى فى هذا الحال بنوع حيلة و عمل و اجتهاد[4] ﴿ ما ﴾ [أى الذى -[3]] ﴿ يفعل ﴾ أى من أىّ فاعل [كان -[3]] سواء كان هو الله تعالى بلا واسطة أو بواسطة [غيره -[5]] ﴿ بى ﴾ و أكد النفى ليكون ظاهرا فى الاجتماع [6]و كذلك[6] فى الانفراد أيضا[7] [فقال -[5]] : ﴿ و لا ﴾ [أى و لا أدرى الذى يفعل -[3]] ﴿ بكم[4] ﴾ هذا فى أصل الخلقة و أنتم ترونى أحكم على نفسى بأشياء لا يختل شىء منها مثل أن أقول : إنى [8]آتيكم من القرآن[8]

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : و عن (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : و لو بتكلف و عدمه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧) سقط من ظ و م و مد (٨ - ٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اتيتكم بقرآن .

بما يعجزكم، فلا تقدرون كلكم على معارضة شيء منه فيصح ذلك على سبيل التكرار لايتخلف أصلا، فلولا أن الله أرسلني به لم أقدر وحدي على ما [لا -[1]] تقدرون عليه كلكم، و إن قدرت على شيء كنتم أنتم أقدر مني عليه، و في الآية بعمومها دليل على أن لله أن يفعل ما ٥ يشاء، فله أن يعذب الطائع و ينعم العاصي، و لو فعل ذلك لكان عدلا و حقا و إن كنا نعتقد أنه لايفعله .

و لما سوى نفسه الشريفة بهم في أصل الخلقة، و كان قد ميزه الله عنهم بما خصه من النبوة و الرسالة، [أبرز له ذلك -[2]] سبحانه و تعالى على وجه النتيجة فقال: ﴿ ان ﴾ أي ما ﴿ اتبع ﴾ [أي -[2]] بغاية ١٠ جهدي و جدي ﴿ الا ما ﴾ أي الذي ﴿ يوحى[3] ﴾ أي يجدد[3] إلقاؤه ممن لايوحى بحق [4]إلا هو[4] ﴿ الىّ ﴾ على سبيل التدريج سرا، لايطلع عليه حق اطلاعه غيري، و منه ما أخبر فيه عن المغيبات فيكون كما قلت، فلا يرتاب / في أني لا أقدر على ذلك بنفسي فعلم[5] أنه من الله . ٧٨٠ /

و لما نسبوه إلى الإفتراء تارة[6] و الجنون أخرى، و كان السبب ١٥ الأعظم في نسبتهم له [7]إلى ذلك[7] صدعهم بما يسوءهم على غير عادته السالفة و عادة أمثاله، قال على سبيل القصر القلبي: ﴿ و ما انا ﴾ أي

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد، و في الأصل و ظ : يتجدد (٤-٤) في م و مد : سواه (٥) من ظ و م و مد، و في الأصل : فلم (٦) زيد في الأصل : الى، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٧-٧) من م و مد، و في الأصل و ظ : في ذلك .

باخبارى[1] لكم عما يوحى إلىّ ﴿ الا نذير ﴾ أى لكم و لكل من بلغه القرآن ﴿ مبين ٥ ﴾ أى ظاهر[2] أنى كذلك فى نفسه مظهر له - أى كونى نذيرا - و لجميع[3] الجزئيات التى أنذر منها بالأدلة القطعية .

و لما أثبت أنه من عند الله بشهادة الله نفسه بعجزهم عن المعارضة، قبح عليهم إصرارهم على التكذيب على تقدير شهادة أحد ممن يثقون[4] ٥ بهم يسألونهم عنه من أهل الكتاب فقال تعالى : ﴿ قل ارءيتم ﴾ أى اخبرونى ٥ و بينوا لى و أقيموا ولو ببعض حجة أو برهان ٥ ﴿ ان كان ﴾ أى هذا الذى ٥ يوحى إلىّ و آتيكم به و أنذركم و أعلمكم أنه من الله فانه ﴿ من عند الله ﴾ أى الملك الأعظم .

و لما كان مقصود السورة إنذار الكافرين الذين لا ينظرون فى علم، ١٠ بل شأنهم تغطية المعارف و العلوم، عطف بالواو الدالة على مطلق الجمع الشامل لمقارنة الأمرين المجموعين من غير مهلة[6] فيدل على الإسراع فى الكفر من غير تأمل [قال -[7]] : ﴿ وكفرتم به ﴾ أى على هذا التقدير ﴿ و شهد شاهد ﴾ أى واحد و أكثر ﴿ من بنىّ اسرآءيل ﴾ الذين جرت عادتكم أن تستفتوهم و تثقوا بهم ﴿ على مثله ﴾ أى مثل ما فى القرآن ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : باخباركم (٢) زيد فى الأصل و ظ : فى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جميع (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يثبتون (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مهملة (٧) زيد من ظ و م و مد .

من أن من وحد فقد آمن، و من أشرك فقد كفر، و أن الله أنزل ذلك فى التوراة و الإنجيل و جميع أسفارهم، فطابقت عليه كتبهم، و تظافرت به رسلهم، و تواترت على الدعاء [إليه - ١] و الأمر به أنبياؤهم عليهم الصلاة و السلام، ثم سبب عن شهادته و عقب و فصل

٥ فقال: ﴿ فآمن ﴾ أى هذا الذى شهد هذه الشهادة بهذا القرآن عند ما رآه ٢ مصدقا لما ذكر و علم أنه الكتاب الذى بشرت به كتبهم، فاهتدى إلى وضع الشىء فى محله فوضعه و لم يستكبر.

و لما كان الحامل [لهم - ١] بعد هذه الأدلة على التمادى على الكفر إنما هو الشماخة و الأنفة قال: ﴿ و استكبرتم ٤ ﴾ أى أوجدتم

١٠ الكبر بالإعراض عنه طالبين بذلك الرئاسة و الفخر و النفاسة، فكنتم بعد شهادة هذا الشاهد معاندين من غير شبهة أصلا فضللتم [فكفرتم - ١] فوضعتم الشىء فى غير موضعه ٢ فانسد عليكم باب الهداية.

و لما كانوا يدعون أنهم أهدى الناس و أعدلهم، و كان من رد شهادة الخالق و الخلق ظالما شديد الظلم، فكان ضالا على علم، قال الله

١٥ تعالى ٤ مستأنفا دالا ٤ على أن تقدير الجواب: أفلم تكونوا بتخلفكم عن الإيمان بعد العلم قد ظلمتم ظلما عظيما بوضع الكفران موضع الإيمان، فتكونوا ضالين تاركين للطريق الموصل على عمد ﴿ ان الله ﴾ أى الملك

---

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: را (٣) من م و مد، و فى الاصل و ظ: محله (٤ - ٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: دالا مستأنفا.

الأعظم / ذا العزة و الحكمة ﴿ لايهدى القوم ﴾ أى الذين لهم قدرة على /ب٧٨١
القيام بما يريدون محاولته ﴿ الظلمين ﴾ أى الذين من شأنهم وضع
الأمور فى غير مواضعها ، فلأجل ذلك لايهديكم لأنه[1] لا أحد أرسخ
منكم فى الظلم الذى تسبب عنه ضلالكم ، أما من كان [2]منكم عالما[2] فالأمر
فيه واضـــح ، و أما من كان منكم[3] جاهلا فهو كالعالم لعدم تدبره مثل ٥
هذه الأدلة التى ما بين العالم بلسان العرب و بين انكشافها له إلا تدبرها
مع ترك الهوى ، و قال الحسن - كما نقله البغوى[4] - الجواب : فمن أضل
منكم كما قال فى " فصلت " "قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم
به من اضل ممن هو فى شقاق بعيد" فالآية من الاحتباك : ذكر الإيمان
أولا دليلا على ضده ثانيا ، و الاستكبار و الظلم و عدم الهداية ثانيـا ١٠
دليلا على أضدادها أولا ، و سره أنه ذكر سببى السعادة ترغيبا و ترهيبا .

و لما دل على أن تركهم للايمان إنما هو تعمد للظلم استكبارا ،
عطف على قولهم " انـــه سحر " ما دل على الاستكبار فقال تعالى :
﴿ و قال الذين كفروا ﴾ أى تعمدوا تغطية الحق[5] ﴿ للذين ﴾ أى لأجل
إيمان الذين ﴿ امنوا ﴾ إذ[6] سبقوهم إلى الإيمان : ﴿ لو كان ﴾ إيمانهم ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاجل انه (٢ - ٢) من م ، و فى الأصل و ظ : مثلكم ، و فى مد : منهم عالما (٣) سقط من م و مد (٤) راجع معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٦/١٣٢ (٥) زيد فى الأصل : بالباطل والتغافل عنه كأنهم على الرشاد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى .

بالقرآن [١]و بهذا الرسول[١] ﴿خيرا﴾ أى من جملة الخيور ﴿ما سبقونا اليه[٢]﴾ و نحن أشرف منهم و أكثر أموالا و أولادا و أعلم بتحصيل العز و السودد الذى هو مناط الخير فكأن[٣] لم يسبقونا[٤] إلى شىء من هذه الخيرات التى نحن فائزون بها و هم صفر منها، لكنه ليس بخير، فلذلك سبقوا[٥] إليه [فكان - ٥] حالهم فيه حالهم فيما هو محسوس من أمورهم فى المال و الجاه .

و لما أخبر عما قالوا حين سبقهم غيرهم، أخبر عما يقولون عند تعمد الإعراض عنه فقال : ﴿ و اذ ﴾ أى و حين ﴿ لم يهتدوا به ﴾ يقولون عنادا [١]و تكبرا و كفرا[١] : لو كان هدى لأبصرناه [١]و لم يعلموا أنها لاتعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التى فى الصدور[١] .

و لما كان التقدير : فان قيل لهم : فما هو ؟ أجابه بقوله مسببا عن هذا المقدر علما من أعلام النبوة : ﴿ فسيقولون ﴾ بوعد لاخلف فيه لأن الناس أعداء ما جهلوا و لأنهم لم يجدوا على ما يدعونه من أنه لو كان خيرا لسبقوا غيرهم [إليه - ٥] دليلا : ﴿ هذآ ﴾ أى الذى سبقتم إليه ﴿ افك ﴾ أى شىء مصروف عن وجهه إلى قفاه ﴿ قديم ٥ ﴾ أفكه غيره و عثر[٦] هو عليه فأتى به و نسبه إلى الله .

و لما كان هذا الكلام ساقطا فى نفسه لما قام من الأدلة الباهرة

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م، وفى الأصل ومد : كان (٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : لم يسبقوا (٤) من م ومد ، وفى الأصل وظ : سبقونا (٥) زيد من م ومد (٦) من م و مد ، وفى الأصل و ظ : غير .

على صدق القرآن و كان الوقوف مع المحسوسات غالبا عليهم لعدم نفوذهم
فى المعقولات ، دل على بطلانه[٢] لموافقة القرآن لأعظم[٣] الكتب القديمة
التوراة التى اشتهر أنها من عند الله و أن الآتى بها كلم و قد صدقه الله
فى الإتيان بها بما لم يأت به نبى قبله من المعجزات و الآيات البينات
/ و هم يستفتون أهلها ، فقال على وجه التبكيت [لهم -[٤]] و التوبيخ : ٥ / ٧٨٢
﴿ و من ﴾ أى قالوا ذلك و الحال أنه كان فى بعض الزمن الذى من
﴿ قبله ﴾ أى القرآن العظيم [٥]الذى حرموا تدبر آياته و حل مشكلاته
و أعجزهم فصاحته[٥] ﴿ كتب موسى[٦] ﴾ كلم الله و صفوته عليه الصلاة و السلام
[٦]و هو التوراة التى كلمه الله[٦] بها تكليما حال كون[٧] كتابه ﴿ اماما ﴾ أى
يستحق أن يؤمه كل من سمع به فى أصول الدين مطلقا و فى جميع ما ١٠
فيه قبل تحريفه و نسخه و تبديله ﴿ و رحمة[٨] ﴾ لما فيه من نعمة
الدلالة على الله و البيان الشافى فهبهم[٨] طعنوا فى هذا القرآن و هم لايقدرون
على الطعن فى كتاب موسى الذى قد سلموا لأهله أنهم أهل العلم و جعلوهم
حكماء يرضون بقولهم فى هذا النبى الكريم ، و كتابهم مصادق[٩] لكتابهم[١٠]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : تعودهم (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بطلان قولهم (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاعظم .
(٤) زيد من م و مد (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٧) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : كونه (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : فيهاهم - كذا (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يصادق (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لكتابه .

فقد صاروا بذلك مصدقين بما كذبوا بـه ، و لذلك قال الله تعالى : ﴿ و هذا ﴾ أى القرآن [١]المبين المبيّن[١] ﴿ كتب ﴾ أى جامع لجميع الخيرات . و لما أريد تعميم التصديق بجميع الكتب الإلهية و الحقوق الشرعية ، حذف المتعلق فقال : ﴿ مصدق[٢] ﴾ أى[٣] لكتاب موسى عليه الصلاة و السلام و غيره من الكتب التى تصح نسبتها إلى الله تعالى [٤]فان جميع الكتب التى جاءت بها الرسل ناطقة بتوحيد الله و أن هذا الكتاب لم يخرج عن هذا[٤] فأنى يصح فيما[٤] هذا شأنه أن يكون[٥] إفكا ، إنما الإفك ما كذب كتب الله التى أتت بها أنبياؤه و توارثها أولياؤه .

و لما كان الكتاب قد تقوم الأدلة على مصادقته لكتب الله و يكون بغير لسان المكذب[٦] به فيكون فى التكذيب أقل ملامة ، احترز عن ذلك بقوله : ﴿ لسانا ﴾ أى أشير إلى هذا المصدق القريب منكم زمانا و مكانا و فهما حال كونه ﴿ عربيا ﴾ فى أعلى طبقات اللسان العربى مع كونه أسهل الكتب تناولا و أبعدها[٧] عن التكليف[٨] ، ليس هو بحيث يمنعه علوه بفخامة الألفاظ و جلالة المعانى و علو النظم و [٩]رصافة السبك[٩] و وجازة

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م ومد (٢) من القرآن و ظ و م ومد ، و فى الأصل : مصدقا (٣) زيد فى الأصل : هذا الكتاب ، و لم تكن الزياده فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بما (٥) زيد فى الأصل و ظ : هذا ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : المكذب (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ابعد . (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : التكليف (٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : رضافة السياف - كذا .

العبارة، و ظهور المعانى و دقة الإشارة مع سهولة الفهم و قرب المتناول بعد بعد المغزى .

و لما دل على أن الكتاب حق، بين ثمرته فقال: ﴿ لينذر ﴾ أى أشير إلى هذا الكتاب [فى هذا الحال لينذر الكتاب - ١] بحسن بيانه و عظيم شأنه ﴿ الذين ظلموا ﴾ سواء كانوا عريقين فى الظلم أم لا، فأما العريقون فهو لهم نذرى كاملة، فانهم لايهتدون كما تقدم، و أما غيرهم فيهتدى بنذارته و يسعد بعبارته و إشارته، و ليبشر الذين أحسنوا فى وقت ما ﴿ و ﴾ هو ﴿ بشرى ﴾ ٢ كاملة ﴿ للمحسنين ﴾ لا نذارة لهم لا فى الدنيا و لا فى الآخرة، فالآية من الاحتباك: أثبت أولا "ينذر ١" [و - ١] "الذين ظلموا" دلالة على حذف [نحوه ثانيا، "و بشرى" و "للمحسنين" ثانيا دلالة على - ١] "نذرى" "و للظالمين" أولا .

و لما بين حالة المحسنين شرح أمرهم فقال مستأنفا فى جواب من سأل عنهم و عن بشراهم: ﴿ ان الذين قالوا ربنا ﴾ أى خالقنا و مولانا و المحسن إلينا ﴿ الله ﴾ سبحانه و تعالى لاغيره /٠و لما كانت الاستقامة - و هى الثبات على كل ما يرضى [الله - ١] مع ترتبها على التوحيد - عزيزة المنال ٣ علية الرتبة، و كانت فى الغالب لاتنال إلا بعد منازلات طويلة و مجاهدات شديدة، أشار إلى كل من بعدها و علو رتبتها بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم ﴾ أى [بعد - ٤] قولهم ذلك الذى وحدوا به ﴿ استقاموا ﴾ / ٧٨٣

(١) زيد من م ومد (٢) زيد فى الأصل: اى بشرى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م ومد، وفى الأصل وظ: المثال (٤) زيد ولا مد منه .

أى [طلبوا ـ ١] القوم طلبا عظيما و أوجدوه .

و لما كان الوصف لرؤس المؤمنين ، عد أعمالهم أسبابا فأخبر عنهم بقوله : ﴿فلا خوف عليهم ﴾ أى يعلوهم بغلبة الضرر ، و لعله [يعبر ـ ١] فى [مثل ـ ٢] هذا بالاسم إشارة إلى أن هيبته بالنظر إلى جلاله و قهره و جبروته و كبره و كماله لاتنثنى ، و يحصل للانسان باستحضارها إخبات[٣] و طمأنينة و وقار و سكينة يزيده فى نفسه جلالا و رفعة و كمالا ، فالمنفى خوف يقلق النفس ﴿و لا هم﴾ فى ضمائرهم و لا فى ظواهرهم ﴿يحزنون ۝﴾ أى يتجدد لهم شيء من حزن أصلا .

و لما نفى عنهم المحذور ، مدهم بايثار السرور ، فقال تعالى : ﴿اولـٰئك﴾ أى العالو الدرجات ﴿ اصحـٰب الجنة ﴾ و لما دلت الصحبة على الملازمة ، صرح بها بقوله تعالى : ﴿ خـٰلدين فيها ج ﴾ خلودا لا آخر [له ـ ١] ، جوزوا بذلك ﴿ جزآء ﴾ و لما كانوا محسنين فكانت[٤] أعمالهم فى غاية الخلوص جعلها تعالى أسبابا أولا وثانيا ، فقال مشيرا إلى دوامها لأنها فى جبلاتهم ﴿ بما كانوا ﴾ أى طبعا و خلقا ﴿ يعملون ۝ ﴾ على سبيل التجديد المستمر .

و لما تفضل سبحانه و تعالى على الإنسان بعد الأعمال التى هيأه لها و أقدره عليها و وفقه لها أسبابا قرن بالوصية بطاعته ـ لكونه المبدع ـ الوصية بالوالدين لكونه تعالى جعله سبب الإيجاد ، فقال فى هذا السياق

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احساها (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : و كانت .

الذى [1]عد فيه[1] الأعمال [لكونه -[2]] سياق الإحسان التى أفضلها الصلاة على ميقاتها، و ثانيها فى الرتبة بر الوالدين كما فى الصحيح[3]، و فى الترمذى[4]: رضى الله[5] فى رضى الوالدين و[6] سخطه [7] فى سخطهما[7]. و على هذا المنوال جرت عادة القرآن يوصى بطاعة الوالدين بعد الأمر بعبادته "و اذ [8]اخذ الله[8] ميثاق بنى اسراءيل لاتعبدون الا الله و بالوالدين احسانا" [[9]"و اعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا و بالوالدين احسانا"-[9]] و كذا ما بعدهما[10] عاطفا على ما قدرته أول السورة من [نحو -[9]] أن يقال: و أمرنا الناس أجمعين أن يكونوا بطاعتنا فى مهلة الأجل عاملين و لمعصيتنا مجتنبين: ﴿ و وصينا الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى أنس بنفسه ﴿ بوالديه ﴾ و لما استوفى "وصى" مفعوليه[11] كان التقدير: ليأتى إليهما حسنا. و قرأ الكوفيون: ﴿ احسانا ﴾ و هو أوفق للسياق.

و لما كان حق الأب ظاهرا لما له من الكسب و الإنفاق و الذب و التأديب لم يذكره، و ذكر ما للأم لأن أمده يسير. فربما استهين به فقال مستأنفا أو[12] معللا: ﴿ حملته امه ﴾ أى بعد أن وضعه أبوه

(١ - ١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فيه عد (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣) راجع أبواب مواقيت الصلاة (٤) راجع أبواب البر (٥) زيد فى الأصل وظ وم: عنه، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل وظ: فى، ولم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧-٧) من م و مد، وفى الأصل وظ: وفى سخطها.
(٨ - ٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اخذنا (٩) زيد من م و مد.
(١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بعد هنا (١١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: معموليه (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل «و».

بمشاركتها فى أحشائها . حملا ﴿ كرها ﴾ بثقل الحبل و أمراضه و أوصابه
٧٨٤ / و أعراضه ﴿ و وضعته ﴾ أى بعد تمام / مدة حمله ﴿ كرها [1] ﴾ فدل
هذا - مع دلالته على وجوب حق الأم - على أن الأمر فى تكوينه لله
وحده ، و ذكر أوسط ما للام من مدة التعب بذكر أقل مدة الحمل
٥ و أنهى مدة الرضاع لانضباطها فقال تعالى : ﴿ و حمله و فصله ﴾ أى
[و - [2]] مدة حمله و غاية فطامه [3] من الرضاع ، و عبر بالفصال لإرادة
النهاية لأن الفطام قد يكون قبل النهاية لغرض ثم تظهر الحاجة فتعاد
الرضاعة ﴿ ثلثون شهرا [4] ﴾ فانصرف الفصال إلى الكامل الذى تقدم فى
البقرة فعرف أن اقل مدة الحمل ستة أشهر ، و به قال الأطباء ، و ربما
١٠ [4] أشعر بأن [4] أقل مـــدة الرضاع سنة و تسعة أشهر لأن أغلب الحمل
تسعة أشهر .

و لما كان ما بعد ذلك تارة يشترك [5] فى مؤنته [6] الأبوان و تارة
ينفرد أحدهما ، طوى ذكرهما ، و ذكر حرف الغاية مقسما للوصى [7] إلى
قسمين : مطيع و عاصى ، ذاكرا ما لكل من الجزاء بشارة و نذارة ،
١٥ إرشادا إلى أن المعنى : و استمر كلًّا على أبويه أو أحـــدهما
﴿ حتى اذا بلغ اشده ﴾ قال فى القاموس : قوته ، و هو ما بين ثمانى

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بدل (٢) زيد من مد (٣) من م ومد ، و فى الاصل وظ : فصاله (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اسعران . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يستندل (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : مؤنة (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : موص .

عشرة سنة إلى ثلاثين ، واحد جاء على بناء الجمع كآنك و لانظير لها ، أو جمع لا واحد له من لفظه ، أو واحده شدة بالكسر مع [أن -[1]] فعلة لا[2] تجمع على أفعل ، أو شد ككلب و أكلب أو شد كمذئب و أذؤب ، و ما هما[3] بمسموعين بل قياس - انتهى[4] . و قد مضى فى سورة يوسف ما ينفع هنا جدا[5] ، و روى الطبرانى[6] فى ترجمة [ابن -[7]] احمد بن لبيد البيروتى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : الأشد ثلاث و ثلاثون سنة ، [8]و هو الذى[8] رفع عليه[9] عيسى بن مريم - قال[10] الهيثمى : و فيه صدقة ابن يزيد وثقه أبو زرعة و أبو حاتم و ضعفه أحمد و جماعة و بقية رجاله ثقات : قال الزمخشرى[11] : و هو أول الأشد و غايته الأربعون . و لما كانت أيام الصبى و الشباب و إن كانت صفوة عمر الإنسان و أوقات لذاذاته[12] و مجتمع شمله و راحاته فيها يظهر له سر عمره فى الغالب لغلبة الأنفس الخبيثة عليه البهيمية و السبعية لما يحملانه[13] عليه من نتائج الشهوات و نوازع

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هم (٤) زيد فى الاصل : و بلغ أربعين سنة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جيد . (٦) راجع لقول ابن عباس مجمع الزوائد ٧ / ١٠٦ (٧) زيد من ظ و م و مد . (٨-٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هى التى (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عليها (١٠) زيد فى الأصل : الحافظ ابن حجر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) فى الكشاف (١٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : لذاذته (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يحملان .

الغضب و البطالات ، عبر بما يدل على القحط و الشوم و الضيق تنبيها على ذلك، فقال شارحا للاستواء و معبرا عنه : [﴿و بلغ اربعين سنة﴾ -[1]] فاجتمع أشده [2]و تم حزمه[2] وجده ، و زالت عنه شرة[3] الشباب و طيش الصبا و رعونة الجهل ، و لذلك كان هذا السن وقت بعثة الأنبياء ، و هو ٥ يشعر بأن أوقات الصبى أخف[4] فى المؤاخذة[5] مما بعدها و كذا ما بين أول الأشد[6] و الأربعين ﴿قال﴾ إن كان محسنا قابلا لوصية ربه : ﴿رب﴾ أى أيها المحسن إلىّ بالإيجاد و تيسير[7] الأبوين و غيرهما و تسخيره ﴿اوزعنىّ﴾ أى اجعلنى أطيق ﴿ان اشكر نعمتك﴾ أى وازعا للشكر[8] أى كافا مرتبطا حتى لايغلبنى فى وقت من الأوقات ، ١٠ و ذلك الشكر بالتوحيد فى العبادة كما أنه يوحد بنعمة الإيجاد و الترزيق ، و وحدها تعظيما للأمر بالإشارة إلى / أن النعمة الواحدة لايبلغ شكرها ٧٨٥ / إلا بمعونة الله مع أن ذكر الأبوين يعرف أن المراد بها الجنس .

و لما كان ربما ظن ظان[9] أن المراد بنعمته قدرته على الإنعام ليكون المعنى : أن أشكرلك لكونك قادرا على الإنعام ، قال[10] : ﴿التىّ انعمت علىّ﴾

---

(١) زيد من م و مد (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل : بلغ حرمه ، و فى ظ : بلغ حزمه (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : شدة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اخذ (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الموجدة . (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاشداد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تيسر (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الكر (٩) سقط من ظ و م و مد (١٠) زيد فى الأصل و ظ : تعالى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

أى بالفعل لوجوب ذلك علىّ لخصوصه بى ﴿ و على والدىّ ﴾ و لو بمطلق الإيجاد و العافية فى البدن ، لأن النعمة عليهما نعمة علىّ ، و قد مضى فى النمل ما يتعين استحضاره هنا .

و لما كان المقصودُ الأعظم من النعمة الماضية نعمة الإيجاد المراد من شكرها التوحيد ، أتبعها [تمام - [١]] الشكر فقال : ﴿ و ان اعمل ﴾ ٥ [أى - [٢]] أنا فى خاصة نفسى [﴿ صالحا ﴾ - [١]] . و لما كان الصالح فى نفسه قد لايقع الموقع لعدم الإذن فيه قال : ﴿ ترضٰه ﴾ و التنكير[٣] إشارة إلى العجز عن بلوغ الغاية فانه لن[٤] يقدر الله حق قدره أحد .

و لما دعا[٥] لنفسه بعد أن أوصى برعاية حق أبيه ، لقنه[٦] سبحانه الدعاء لمن يتفرع منه[٧] ، حثا على رعاية حقوقهم لئلا يسلطهم على عقوقه ١٠ فقال : ﴿ و اصلح ﴾ أى أوقع الإصلاح ، و قال : ﴿ لى فى ذريتى ﴾ لأن صلاحهم يلحقه نفعه ، و المراد بقصر الفعل و جعلهم ظرفا له أن يكون ثابتا راسخا ساريا فيهم و هم محيطون به فيكونوا صالحين .

و لما استحضر عند كمال العقل فى الأربعين أن ما مضى من العمر كان أغلبه ضائعا فدعا ، و كان من شرط قبول الدعاء التوبة ، علله بقوله : ١٥ ﴿ انى تبت ﴾ أى رجعت ﴿ اليك ﴾ أى عن كل ما يقدح فى الإقبال

(١) زيد من م و مد (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من ظ و م ، و فى الأصل و مد : الشكر (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لأن (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ادعى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لفت . (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : من هذا المواد بعد ذلك فقال تعالى .

عليك، و أكده إعلاما بأن حاله فى الإقبال على الشهوات حال من يعد [1]منه الإقلاع فينكر[1] إخباره به، وكذا قوله: ﴿ وانى من المسلمين ﴾ أى الذين أسلموا ظواهرهم و بواطنهم لك[2] فانقادوا أتم انقياد [3]و احسنه[3].

و لما وصف هذا المؤمن بادئا به لكونه فى سياق الإحسان، و كان المراد بالإنسان الجنس، قال مادحا له بصيغة الجمع منبها على أن قبول الطاعات مشروط ببر[4] الوالدين لأن ما ظهر دليل ما بطن، و من لايشكر من كان من جنسه لاسيما و هو اقرب الناس إليه لاسيما[5] وهو السبب فى إيجاده لم يشكر الله كما فى الحديث "لا[6] يشكر الله من لايشكر الناس" و من صلح ما بينه و بين [الله صلح ما بينه و بين - [7]] الناس عامة لاسيما الأقارب نسبا او مكانا لاسيما الوالدين: ﴿اولئك﴾ أى العالو الرتبة ﴿ الذين يتقبل ﴾ بأسهل وجه[8] ﴿عنهم﴾ و أشار سبحانه بصيغة التفعل إلى أنه يعمل فى قبوله عمل المعتنى، و قرأ[9] حمزة و الكسائى و حفص[10] بالنون فيه و فى الذى بعده، و يدل على ذلك قوله تعالى:

(١ - ١) من م و مد، و فى الأصل: عنه الاقبال فينكره، و فى ظ: عنه الاقلاع فينكره (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لكم (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ببن. (٥) زيد بعده فى الأصل: الاقارب نسبا لامكانا لاسيما الوالدين اوليك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) فى ظ: لم (٧) زيد من ظ و مد (٨) زيد فى الأصل: كان و احسنه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) فى مد: قراءة (١٠) راجع نثر المرجان ٦/ ٥٤٤.

﴿ احسن ﴾ و يجوز أن يراد به مطلق [1]الدعاء أو الطاعات[1] و يكون ما دون / الأحسن مقبولا قبولا مطلقا على مقدار النية فيه، و تكون [2]التعدية بعن[2] إشارة إلى أن جبلاتهم مبنية على الترقى[3] فى معارج[4] الكمال فى كل وقت إلى غير نهاية، فتكون[5] هذه المحاسن ليست [منهم -[6]] بمعنى أنهم مجبولون على أعلى منها فى نهاياتهم و العبرة بالنهايات[7] و لذلك[8] قال تعالى: ﴿ما عملوا﴾ ولم يقل: أعمالهم. و لما كان الإنسان محل النقصان و إن كان محسنا، نبه على ذلك و عنى أن شرط تكفير السيئات التوبة بقوله تعالى: ﴿ و يتجاوز ﴾ أى بوعد مقبول لابد من كونه، و هو معنى قراءة حمزة و الكسائى بالنون فى الفعلين ﴿ عن سيئاتهم ﴾ أى فلايعاقبهم عليها.

/ ٧٨٦

و لما كان هذا مفهما لأنهم من أهل الجنة، صرح[9] به زيادة فى مدحهم بقوله: ﴿ فى أصحب الجنة ﴾ أى أنه فعل بهم ذلك و هم فى عدادهم لأنهم لم يزالوا فيهم[10] لأنهم ما برحوا[11] بعين الرضا. و لما كان هذا وعدا، أكد مضمونه بقوله: ﴿ وعد الصدق ﴾ لكونه مطابقا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: المبعدية يعنى (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الترافى. (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: درجات (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مكون (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالشهايات (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كذلك. (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: نفع (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فيها (١١) من م و مد، و فى الاصل و ظ: رحوا.

للواقع ﴿ الذى كانوا ﴾ [1]يكون ثابت[1] جدا ﴿ يوعدون ﴾ أى يقطع لهم الوعد بـــه فى الدنيا ممن لا أصدق منهم، و هم الرسل عليهم الصلاة و السلام .

و لما ذكر سبحانه هذا المحسن بادئا به لكون المقام للاحسان، أتبعه المسيء المناسب لمقصود السورة المذكور[2] صريحا فى مطلعها فقال تعالى: ﴿ و الذى قال لوالديه ﴾ [3]مع اجتماعهما كافرا لنعمهما[4] نابذا لوصيتنا بهما فكان [5]كافرا بنعمة أعظم منعم محسوس بعد الكفر بنعمة أعظم منعم مطلقا[5]، و التثنية مشيرة إلى أنه أغلظ الناس كبدا، لأن العادة جرت بقبول الإنسان كلام أصله و لو كان واحدا، و أن[6] الاجتماع مطلقا له تأثير فكيف إذا كان والدا: ﴿ اف ﴾ أى تضجر و تقذر و استرذال و تكره[7] منى و لغاتها[8] أربعون - حكاها فى القاموس، المتواتر منها عن القراء ثلاث[9]: الكسر بغير تنوين و هو قراءة الجمهور، و المراد به أن المعنى الذى قصـــده مقترن بسفول ثابت[10]، و مع التنوين و هو قراءة

(١ - ١) من مد، و فى الأصل و ظ : اى يكون ثابتا، و فى م : يكون ثابتا .
(٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م : المذكورة (٣) زيد فى الأصل و ظ : اى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : منعمهما (٥) زيد فى الأصل و ظ : قال، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : كان، و لم تكن الزيادة ظ و م و مد فحذفناها .
(٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م : يكره (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل : نعاتها (٩) من ظ و مد، و فى الأصل و م : ثلاثة (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ : دائم ثابت .

المدنيين و حفص[1] و المراد به انه سفول عظيم سائر مع الدهر بالغلبة و القهر، و الفتح من غير تنوين و هو قراءة ابن كثير ، ابن عامر و يعقوب، و المراد به اقتران المعنى المقصود [2]بالاشتهار بالعلو و الانتشار[2] مع الدوام ، و قد تقدم فى الإسراء عن الحرالى - و هو الحق - أن [3]التأفيف أنهى[3] الأذى و أشده، فان معناه[4] أن المؤفف به لاخطر له ٥ و لا وزن أصلا ، و لا يصلح لشىء بل [هو -[5]] عدم بل العدم خير منه مع أنهى القذر[6] .

و لما كان كأنه قيل : لمن هذا التأفيف ؟ قال : ﴿ لكمآ ﴾ و لما كانا[7] كانهما قالا له : لم هذا التقذير[8] العظيم بعد الإحسان الذى لا تقدر على [9]جزائنا به[9] ، قال مبكتا موبخا منكرا على تقدير كونه وعدا : ١٠

﴿ اتعدننىٓ ﴾ أى على سبيل الاستمرار بالتجديد / فى كل وقت ٧٨٧ /

﴿ ان اخرج ﴾ [أى -[10]] من مخرج ما يخرجنى من الأرض بعد أن غبت فيها و صرت ترابا يحيى كما كنت أول مرة ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ خلت ﴾ أى [11]تقدمت و سبقت[11] و مضت على

---

(١) راجع نثر المرجان ٦/٥٤٦ (٢-٢) من مد ، و فى الاصل و ظ : بالاشتهاه و العلوو انتشار ، و فى م : بالاشتهار و العلوو الانتشار (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل وظ : التانيف انتهى (٤) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : المعنى .
(٥) زيد من مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العذر (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : كان (٨) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : التعذر .
(٩-٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جزاء منا له (١٠) زيد من م و مد .
(١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

سنن الموت ﴿ القرون ﴾ أى الأجيال الكثيرة من صلابتهم، و أثبت الجار لأن القرن لاينخرم إلا بعد مدة طويلة، فالانخرام فى ذلك غير مستغرق للزمان فقال: ﴿ من قبلى ج ﴾ أى قرنا بعد قرن و أمة بعد أمة و تطاولت الأزمان و أغلبهم يكذب بهذا الحديث فأنا مع الأغلب،
٥ و تأيد ذلك بأنه لم يرجع أحد منهم ﴿ و هما ﴾ أى و الحال أنهما كلما قال[1] لهما ذلك ﴿ يستغيثن الله ﴾ أى يطلبان بدعائهما من له جميع الكمال أن يعينهما [2]بالهامه قبول[2] كلامهما، قائلين لولدهما مجتهدين بالنصيحة له بعد الاجتهاد بالدعاء: ﴿ ويلك ﴾ كما يقوله المشفق إذا زاد به الكرب و بلغ منه الغم، إشارة إلى أنه لم يبق [له - ٣] إن أعرض إلا الويل
١٠ و هو الهلاك ﴿ [4]امن ق صلے ﴾ أى أوقع الإيمان الذى لا إيمان غيره، و هو الذى ينقذ من كل هلكة، و يوجب كل فوز بالتصديق بالبعث و بكل ما جاء عن الله، ثم عللا[4] أمرهما على هذا الوجه مؤكدين فى مقابلة إنكاره فقالا[5]: ﴿ ان وعد الله ﴾ أى الملك الأعظم[6] المحيط بجميع صفات [7]المهابة و[7] الكمال الموصوف بالعزة و الحكمة ﴿ حق ج صلے ﴾ أى ثابت
١٥ أعظم ثبات لأنه لو لم يكن حقا لكان نقصا من جهة الإخلاف الذى لا يرضاه لنفسه أقل[8] العرب فكيف و هو يلزم منه منافاة[9] الحكمة بكون

---

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قيل (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالهامه (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و مد. و فى الأصل و م: علل (٥) من مد. و فى الأصل و ظ و م: فقال (٦) سقط من م و مد. (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٨) من م و مد، و فى الاصل و ظ: اقرب (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مناف.

الخلق حينئذ على وجه العبث [١] لأنهم عباد و رعايا لايعرضون على ملكهم الذى أبدعهم مع علمه بما هم عليه من ظلم بعضهم لبعض و بغى بعضهم على بعض ﴿ فيقول ﴾ [٢]مسببا عن قولهما و معقبا له : ﴿ ما هذآ ﴾ أى الذى [٣]ذكرتماه لى من[٣] البعث[٤] ﴿ الآ اساطير الاولين ٥ ﴾ أى خرافات [كتبها - ٥] على وجه الكذب الأوائل [٦]و تناقلها منهم الأعمار[٦] ٥ جيلا بعد جيل فصارت[٧] بحيث يظن الضعفاء أنها صحيحة - هذا و العجب كل العجب أنه بتصديقه لايلزمه فساد على تقدير من التقادير الممكنة ، بل يحمله التصديق على محاسن الأعمال و معالى[٨] الأخلاق التى هو مقر بأنها[٩] محاسن من لزوم طريق الخير و ترك طريق الشر ، و تكذيبه يجره إلى المرح و الأشر ، و البطر و أفعال الشر ، و دنايا الأخلاق مع احتمال ١٠ الهلاك الذى يخوفانه به و هو لاينفى أنه محتمل[١٠] و إن استبعده فما دعوه[١١] إليه كما ترى[١٢] لايأباه عاقل و لكنها[١٣] عقول كادها باريها .

---

(١) فى الأصل و ظ و م : العتب ، و فى مد : العيب - كذا (٢) زيد فى الأصل : اى قوله هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣-٣) فى ظ و م و مد : تذكرانه (٤) زيد فى الأصل : ما هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م ومد فحذفناها (٥) زيد من م ومد (٦-٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : تناقلهما من الأخبار (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : نصار (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : معانى (٩) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : بالها . (١٠) زيد فى الأصل : التى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دعوه (١٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يرى (١٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لكنهم .

و لما كان هذا الكلام، مع بلوغ النهاية فى حسن الانتظام، قد حصر الإنسان فى هذين القسمين مثلا بليغا لكفار العرب و مؤمنيهم، / فالأول للمؤمنين التابعين لملة إبراهيم عليه الصلاة و السلام، الآتى بها أعظم أنبيائه الكرام محمد عليه أفضل الصلاة و السلام. و الثانى للكفار المنابذين لأعظم آبائهم إبراهيم عليه الصلاة و السلام الذى يعرفون[1] منه نقلا[2] يتوارثونه من آبائهم، و قرآنا معجزا كأنهم سمعوه من خالقهم أنه موحد لله مقر بالبعث محذر من غوائله، و كان قد ابتدأ سبحانه الحديث عنهم بما ذكر مما كفروا فيه المنعمين و استحقوا كلتا السوءتين، خزى الدنيا و عذاب الآخرة، أخبر عنهم بما أنتجه تكذيبهم بموعود ربهم و عقوقهم لوالديهم حقيقة أو تعليما بقوله: ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء [من - [3]] العقل و المروءة و كل[4] خير[5] ﴿ الذين حق ﴾ أى ثبت و وجب. و لما كان هذا وعيدا، دل عليه بأداة الاستعلاء فقال: ﴿ عليهم القول ﴾ اى الكامل فى بابه بأنهم[6] أسفل السافلين[7]، و هذا يكذب من قال: إنها نزلت فى عبد الرحمن بن [أبى -[3]] بكر رضى الله عنهما، فانه أسلم و صار من أكابر الصحابة رضى الله عنهم أجمعين، فحقت له الجنة.

/ ٧٨٨

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: يوفونه (٢) فى مد: بنقل (٣) زيد من م ومد (٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها.
(٥) زيد فى الأصل وظ: طردو، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها.
(٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل، لانهم (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: سافلين.

و لما أثبت[1] لهم هذه الشنيعة ، عرف بكثرة من شاركهم فيها فقال: ﴿ فى ﴾ أى كائنين فى ﴿امم﴾ أى خلائق كانوا بحيث يقصدهم الناس و يتبع[2] بعضهم بعضا[3] ﴿ قد خلت ﴾ تلك الأمم . و لما كان المحكوم عليه بعض السالفين ، أدخل الجار فقال: ﴿ من قبلهم ﴾ فكانوا قدوتهم ﴿ من الجن ﴾ بدأ بهم لأن العرب تستعظمهم و تستجير بهم ، و ذلك لأنهم يتظاهرون لهم و يؤذونهم و لم يقطع[4] أذاهم لهم و تسلطهم عليهم [5]ظاهرا و باطنا[5] إلا القرآن ، فانه أحرقهم بأنواره و جلاهم عن تلك البلاد بجلى آثاره ﴿ و الانس[6] ﴾ [6]و ما نفعتهم[6] كثرتهم و لا أغنت عنهم قوتهم ، ثم علل حقوق الأمر عليهم [7]أو استأنف[7] بقوله مؤكدا تكذيبا لظن هذا القسم الذى الكلام فيه أن الصواب مع الأكثر: ﴿ انهم ﴾ أى كلهم ﴿ كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا و خلقا لايقدرون على الانفكاك عنه ﴿ خسرين ﴾ أى عريقين فى هذا الوصف .

و لما قسمهم فى الأعمال ، جمعهم فى العدل و الإفضال فقال: ﴿ و لكل ﴾ أى[8] من فريق السعداء و البعداء من القبيلتين: الجن

---

(١) من ظ و م و مد . و فى الأصل : ثبت (٢) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : يتبعهم (٣) زيد فى الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) فى مد : لم يقع (٥ - ٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : باطنا و ظاهرا (٦ - ٦) من ظ و م و مد . و فى الأصل : و انهم لم ينفعهم (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فاستأنف (٨) زيد فى الأصل : الفريقين و هم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و الإنس ، فى الدنيا و الآخرة ﴿ درجت ﴾ أى دركات أى منازل و مراتب متفاضلين فيها ﴿ من ﴾ أجل ﴿ ما عملوا ج ﴾ أو من جوهره و نوعه من الأعمال الصالحة و الطالحة . و لما كان التقدير: ليظهر ظهورا بينا أنه سبحانه فاعل بالاختيار بالمفاوتة[1] بين العقلاء[2] و يظهر[2] ظهورا بينا[3] لا وقفة فيه[3] أن الحقائق على غير ما كان[4] يترائى لهم فى الدنيا ، فان حجب المكاره و الشهوات كانت ترى الأمور على خلاف ما هى عليه ، عطف عليه قوله فى قراءة البصريين و عاصم و هشام عن ابن عامر[5] بخلاف / عنه : ﴿ و ليوفيهم ﴾ أى ربهم الذى تقدم إقبال المحسن عليه[6] و دعاؤه له ، و قراءة الباقين بالنون أنسب لمطلع السورة و لما يشير إليه من كشف حجب[7] الكبرياء فى يوم الفصل . /٧٨٩

و لما كان سبحانه يعلم مثاقيل الذر و ما دونها و ما فوقها و يجعل[8] الجزاء على حسبها فى المقدار و الشبه و الجنس و النوع و الشخص حتى يكاد يظن العامل أن الجزاء هو العمل قال: ﴿ اعمالهم ﴾ أى جزاءها من خير و شر و جنة و نار - و هذا ظاهر ، أو نص فى أن الجن يثابون بالإحسان كما يعاقبون بالعصيان ، و سورة الرحمن كلها خطاب للثقلين

(١) من م و مد و فى الأصل و ظ : بالمعاونة (٢ - ٢) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : ليظهر (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : رفعة (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : كا - كذا (٥) راجع نثر المرجان ٦/ ٥٤٩ (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اليه (٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : حجبه . (٨) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : يعلم .

بالثواب

بالثواب لأهل الطاعة ، و العقاب لأهل المعصية من كل من القبيلتين ؛ كما سيأتى إن شاء الله تعالى بيانه ، و يجزى مطيعهم بالثواب كما يجازى عاصيهم بالعقاب - قاله مالك و ابن أبى ليلى و الضحاك و غيرهم كما نقله البغوى[1] ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ لا يظلمون ٥ ﴾ أى لا يتجدد لهم شىء من ظالم ما من ظلم فى جزاء أعمالهم بزيادة[2] فى عقاب أو نقص ٥ من ثواب ، بل الرحمانية كما كانت لهم فى الدنيا فهى [3]لهم فى الآخرة[3] فلا يظلم ربك أحدا بأن يعذبه فوق ما يستحقه من العقاب ، أو ينقصه عما يستأهل من الثواب .

و لما كان الظاهر فى هذه السورة الإنذار كما يشهد به مطلعها ، قال ذاكرا بعض ما يبكت[4] به المجرمون يوم البعث الذى كانوا به يكذبون ١٠ و يكون فيه توفية جزاء الأعمال ، عاطفا على ما تقديره : اذكر لهم هذا لعلهم يأنفون أن يكونوا المسيئين فيكونوا من المحسنين : ﴿ و يوم ﴾ أى و اذكر لهم يوم يعرضون - هكذا كان الأصل و لكنه أظهر الوصف الذى أوجب لهم الجزاء إشارة إلى أن الأمر كان ظاهرا لهم و لكنهم ستروا ، أنوار عقولهم فقال : ﴿ يعرض الذين كفروا ﴾ أى من الفريقين ١٥ المذكورين ﴿ على النار[5] ﴾ أى يصلون لهبها و يقلبون فيها كما يعرض اللحم الذى يشوى ، مقولا لهم على سبيل التنديم و التقريع و التوبيخ و التشنيع

(١) لم نفز به فى المعالم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : زيادة (٣-٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى الآخرة لهم (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ينكب (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م . نشوى .

لأنهم لم يذكروا الله حق ذكره عند شهواتهم بل نالوها مع مخالفة أمره سبحانه و نهيه : ﴿ اذهبتم ﴾ فى قراءة نافع و أبى عمرو و الكوفيين[1] بالإخبار ، و قراءة الباقين بالاستفهام لزيادة الإنكار و التوبيخ ﴿طيبتكم﴾ أى لذاتكم باتباعكم الشهوات ﴿ فى حياتكم ﴾ و نفر[2] منها بقوله تعالى : ﴿ الدنيا ﴾ ٥ أى القريبة الدنية المؤذن وصفها لمن يعقل بحياة أخرى بعدها ، فكان سعيكم فى حركاتكم و سكناتكم لأجلها حتى نلتموها ﴿ و استمتعتم ﴾ أى طلبتم و أوجدتم انتفاعكم[3] ﴿ بها ج ﴾ و جعلتموها غاية حظكم فى رفعتكم و نعمتكم .

و لما كان ذلك استهانة بالأوامر و النواهى للاستهانة بيوم الجزاء ، ١٠ سبب عنه قوله تعالى : ﴿ فاليوم تجزون ﴾ أى على إعراضكم [عنا ـ[4]] بجزاء من لا تقدرون[5] / التفصى[6] من جزائه بأيسر أمر منه ﴿عذاب الهون﴾ /٧٩٠ أى الهوان[7] العظيم المجتمع الشديد الذى فيه ذل و خزى ﴿ بما كنتم ﴾ جبلة و طبعا ﴿ تستكبرون ﴾ أى تطلبون[8] الترفع و توجدونه[8] على الاستمرار ﴿ فى الارض ﴾ التى هى لكونها ترابا و موضوعة على الزوال و الخراب ،

(١) راجع نثر المرجان ٦/٥٤٩-٥٥٠ (٢) من ظ ومد ، و فى الأصل و م : يقر . (٣) من ظ و م و مد . و فى الاصل : اسفاؤكم (٤) زيد من م و مد (٥) زيد بعده فى الأصل : اعراضكم بجزاء من لا تقدرون على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : البعض (٧) زيد فى الأصل : الوان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨ - ٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الرفع و تجدونه .

أحق شيء بالتواضع و الذل و الهوان . و لما كان الاستكبار يكون بالحق لكونه على الظالمين فيكون ممدوحا ، فيده بقوله : ﴿ بغير الحق ﴾ أى الأمر الذى يطابقه الواقع و هو أوامرنا و نواهينا ، [و دل - [1]] بأداة الكمال على أنه لايعاقب على الاستكبار مع الشبهة ﴿ و بما كنتم ﴾ على الاستمرار ﴿ تفسقون ﴾ أى تجددون الخروج عن محيط الطاعة الذى تدعو إليه الفطرة الأولى و العقل [2] إلى نوازع [3] المعاصى .

و لما هددهم سبحانه بالأمور الأخروية ، و ستر الأمر بالتذكير بها لكونها مستورة و هم بها يكذبون فى قوله "و يوم" ، و ختم بالعذاب على الاستكبار المذموم و الفسق ، عطف عليه تهديدهم بالأمور المحسوسة لأنهم متقيدون بها مصرحا بالأمر بالذكر فقال تعالى : ﴿ و اذكر ﴾ أى لهؤلاء الذين لايتعظون بمحط الحكمة الذى [4] لايخفى على [ذى - [1]] لب ، و هو البعث . و لما كان أقعد ما يهددون به فى هذه السورة و أنسبه [5] لمقصودها عاد لكونهم أقوى الناس أبدانا و أعتاهم رقابا و أشدهم قلوبا و أوسعهم ملكا و أعظمهم استكبارا بحيث [6] كانوا يقولون "من اشد منا قوة" و بنوا البنيان الذى يفنى الدهر و لايفنى ، فلا يعمله إلا من نسى الموت أو [7] رجا الخلود و اصطنعوا [8] جنة على وجه الأرض لأن ملكهم

(١) زيد من م و مد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : على انواع ، و فى م : على نوازع (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التى (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الشبه (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حيث (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م «و» (٨) فى مد : اصطفوا .

عمها كلها مع قرب بلادهم لكونها فى بلاد العرب من قريش و معرفتهم بأخبارهم و رؤيتهم لديارهم و كون عذابهم نشأ[1] من بلدهم[2] بدعاء من دعا منهم، ذكر أمرهم على وجه دل على مقصود السورة، و عبر بالأخوة تسلية لنبيه صلى الله عليه و سلم لأن فظيعة القوم لمن هو منهم و يعلمون مناقبه و مفاخره أنكأ فقال: ﴿اخا عاد[3]﴾ و هو أخو[4] هود عليه الصلاة و السلام الذى كان بين قوم[5] لايعشرهم قومك فى قوة و لامسكنة، و صدعهم[6] مع ذلك بمر[7] الحق و بادأهم بأمر الله، لم يخف عاقبتهم و نجيته منهم، فهو لك قدوة و فيه أسوة، و لقومك فى قصدهم إياك بالأذى من أمره موعظة.

و لما ذكره عليه الصلاة و السلام لمثل هذه المقاصد الجليلة، أبدل منه قصته[7] زيادة فى البيان، فقال مبينا أن الإنذار[8] هو المقصد الأعظم من الرسالة: ﴿اذ﴾ أى حين ﴿انذر قومه﴾ أى الذين لهم قوة[9] زائدة على القيام فيما يحاولونه ﴿بالاحقاف﴾ قال الأصبهانى: قال ابن عباس[10]: واد بين عمان و مهرة، قال: و قال مقاتل: / كانت منازل /٧٩١

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ينشا (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بلادهم (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اخا (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: قومهم (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: صدعنهم. (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: غير (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قصة (٨) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها. (٩) فى الأصل بياض (١٠) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/١٣٧.

عاد باليمن فى حضرموت بموضع[1] يقال له مهرة، إليه ينسب الإبل المهرية، وكانوا أهل عمد[2] سيارة فى الربيع، فاذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم[3]. و قال قتادة: كانوا مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشجر، و الأحقاف جمع حقف بالكسر، و هو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء، و قال ابن زيد: هو ما استطال من الرمل ٥ كهيئة الجبل و لم يبلغ أن يكون جبلا، و قال فى القاموس: و هو الرمل العظيم المستدير، و أصل الرمل، و احقوقف الرمل و الظهر و الهلال: طال و اعوج. و من الأمر الجلى أن هذه الهيئة لا تكون فى بلاد الريح بها غالبة شديدة لأنه لو كان ذلك [4]نسف الجبل[4] نسفا بخلاف بلاد الجبال ككة المشرفة، فان الريح تكون بها غاية فى الشدة لأنها إما أن تصك ١٠ الجبل فتنعكس راجعة بقوة شديدة، أو يكون هناك جبال فتراد بينها[5] أو تنضغط فتخرج مما تجد [6]من الفروج[6] على هيئة مزعجة[7] فينبغى أن يكون أهل الجبال أشد من ذلك حذرا[8].

و لما ذكر النذير و المنذرين و مكانهم لما ذكر من المقاصد، ذكر

(١) من م ومد والمعالم ؛ وفى الأصل وظ : فى موضع (٢) من م ومد والمعالم، وفى الأصل وظ : عهد (٣) من م ومد والمعالم، وفى الأصل وظ : أدم (٤-٤) من مد، وفى الأصل : لسفته الريح، و فى ظ و م : نسفته الجبل (٥) من ظ و م و مد، وفى الأصل : منها (٦-٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فى العروج (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : منزعجة (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ : حذارا.

أنهم أعرضوا عنه و لم يكن بدعا[1] من الرسل و لا كان قومه جاهلين بأحوالهم، فاستحقوا العذاب تحذيرا من مثل حالهم، فقال: ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ خلت ﴾ أى مرت و مضت و ماتت ﴿ النذر ﴾ أى الرسل الكثيرون الذين محط أمرهم الإنذار .

٥ و لما لم يكن إرسالهم بالفعل مستغرقا لجميع الأزمنة، أدخل الجار فقال: ﴿ من بين يديه ﴾ أى قبله كنوح و شيث و آدم عليهم الصلاة و السلام فما كان بدعا منهم ﴿ و من خلفه ﴾ أى الذين أتوا [من-[2]] بعده فما كنت أنت بدعا منهم . و لما أشار إلى كثرة الرسل، ذكر وحدتهم فى أصل الدعاء، فقال مفسرا للانذار معبرا بالنهى :

١٠ ﴿ الا تعبدوآ ﴾ أى أيها العباد المنذرون، بوجه من الوجوه، شيئا من الأشياء ﴿ الا الله[3] ﴾ الملك الذى لاملك غيره و لاخالق سواه و لا منعم إلا هو، فانى أراكم تشركون به من لم يشركه فى شىء من تدبيركم، و الملك لايقر على مثل هذا .

و لما أمرهم و نهاهم، علل ذلك فقال[4] محذرا لهم من العذاب مؤكدا

١٥ لما لهم من الإنكار لاعتمادهم على قوة أبدانهم و عظيم شأنهم: ﴿ انى اخاف عليكم ﴾ لكونكم قومى و أعز الناس على ﴿ عذاب يوم عظيم ﴾ لايدع جهة إلا ملأها عذابه، إن أصررتم على ما أنتم فيه من الشرك .

---

(١) زيد فى الاصل و ظ : اعرضوا عنه ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل : منها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و لما تشوف السامع إلى[1] جوابهم عن[2] هذه الحكمة، أجيب بقوله تعالى: ﴿قالوآ﴾ أى منكرين عليه: ﴿اجئتنا﴾ أي يا هود ﴿لتافكنا﴾ أى تصرفنا عن وجه أمرنا إلى قفاه ﴿عن آلهتنا﴾ فلا نعبدها و لا نعتد بها. و لما كان معنى الإنكار النفى، فكان المعنى: إنا لانصرف[3] عنها، سببوا عنه قولهم: ﴿فاتنا[4] بما تعدنآ﴾ [5]سموا الوعيـــد وعدا[6] / استهزاء ٥ / ٧٩٢ به. و لما كان ذلك معناه تكذيبه، زادوه وضوحا بقولهم معبرين بأداة الشك إشارة إلى أن صدقه فى ذلك من فرض المحال: ﴿ان كنت﴾ أى كما يقال عنك، كونا ثابتا ﴿من الصدقين﴾[7] فى أنك رسول من الله و أنه يأتينا بما تخافه علينا من العذاب إن أصررنا.

و لما تضمن قولهم هذا نسبة داعيهم عليه الصلاة و السلام إلى ما لا ١٠ دلالة لكلامه عليه بوجه، و هو ادعاء[8] العلم بعذابهم و القدرة عليه و تكذيبه فى كل منهما اللازم منه [أمنهم اللازم منه -[9]] ادعاؤهم العلم بأنهم لايعذبون، و كانوا كاذبين فى جميع ذلك [كان -[9]] كأنه قيل:

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عن (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الى (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لانتصرف (٤) زيد فى الأصل: امر من الايتاء اى فاتنا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها. (٥) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: و هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بما - كذا (٩) زيد من م و مد.

بم أجابهم ؟ فقيل : ﴿ قال ﴾ مصدقا لهم فى سلب[1] علمه بذلك و قدرته عليه ، مكذبا لهم فى نسبتهم إليه ادعاء شىء منهما و إلى أنفسهم بأنه لايقع : ﴿ انما العلم ﴾ أى[2] المحيط بكل شىء عذابكم و غيره ﴿ عند الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ، فهو ينزل علم ما توعدون على[3] من يشاء إن شاء[4] و لاعلم لى الآن و لا لكم بشىء من ذلك و لاقدرة[5] .

و لما كان العلم المحيط يستلزم القدرة ، فكان التقدير : فليست القدرة على الإتيان بعذابكم إلا له سبحانه و تعالى لا لى و لا لغيرى ، و ليس علىّ إلا البلاغ[6] كما أوحى إلىّ ربى بقوله سبحانه " ان عليك الا البلاغ[1] " و قد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم من الوعظ بأن أعمالكم أعمال من قد أعرض عن سيده[6] و عرض نفسه[7] للهلاك و العذاب[7] باشتراكه بالمحسن المطلق من لايكافئه بوجه فهو[8] بحيث يخشى عليه الأخذ ، عطف عليه قوله : ﴿ و ابلغكم ﴾ أى أيضا فى الحال و الاستقبال ﴿ مآ ارسلت ﴾ أى ممن لا مرسل فى الحقيقة غيره ، فانه يقدر على نصر رسوله[9] ﴿ به ﴾

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سلبه (٢) زيد فى الأصل و ظ : العلم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الى (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يشاء (٥) زيد فى الأصل : ايضا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧-٧) فى م : للهلاك و للعذاب ، و فى مد : للعذاب (٨) سقط من مد (٩) زيد فى الأصل : و ان فى الحقيقة رسوله منصور ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

أى

أى من التوحيد و غيره ، سواء كان وعدا أو وعيدا أو غيرهما لو لم يذكر الغاية لأن ما أرسل به صالح لهم و لغيرهم .

و لما كان معنى الإخبار بالإبلاغ أنه ليس علىّ إلا ذلك ، و كان معنى قصر العلم المطلق على الله تصديقهم فى نفى علمه عليه الصلاة و السلام بذلك ، حسن قوله مستدركا[1] علمه بجهلهم : ﴿ولكنى ارنكم﴾ ٥ أى أعلمكم علما هو كالرؤية[2] ﴿قوما﴾ غلاظا شدادا عاسين ﴿تجهلون ٥﴾ أى [بكم -[3]] مع ذلك صفة الجهل ، و هو الغلظة فى غير موضعها مع قلة العلم ، تجددون ذلك على سبيل [الاستمرار بسبب -[3]] أنكم تفعلون باشراككم بالمحسن المطلق و [هو -[3]] للملك الأعظم من لا أحسان له بوجه[4] أفعال من يستحق العذاب ثم لاتجوزون[5] وقوعه و تكذبون ١٠ من ينبهكم[6] على أن ذلك أمر يحق أن يحترز منه ، و تنسبونه إلى غير ما أرسل له[7] من الإنذار من ادعاء القدرة على العذاب و نحوه .

و لما تسبب[8] عن قولهم هذا إتيان العذاب [فأتاهم -[3]] فى سحاب أسود[9] ، [10]استمروا على جهلهم[10] و عادتهم فى الأمن و عدم تجويز

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : مستركا (٢) زيد فى الأصل : انكم ، و لم تكن الزيادة فى ط و م و مد فحذفناها (٣) زيد من م (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الا له و منه بوجه و افعالكم - كذا (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لاتجرون (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : يمهيكم (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اليه (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : سبب (٩) زيدت الواو فى الاصل و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

/٧٩٣ الانتقام ، وكأن إتيانه كان قريبا من / استعجالهم به ، فلذلك أتى بالفاء
في قوله مسببا [1]عن تكذيبهم[1] مبينا لعظيم جهلهم بجهلهم في المحسوسات ،
مفصلا لما كان من حالهم عند رؤية البأس : ﴿فلما راوه﴾ أي العذاب
الذي يعدهم به ﴿عارضا﴾ أي سحابا أسود بارزا في الأفق ظاهر الأمر
٥ عند من له أهلية النظر ، حال كونه قاصدا [إليهم-[2]] ﴿مستقبل اوديتهم[3]﴾
أي طالبا لأن يكون مقابلا لها وموجدا لذلك ، وهو وصف لعارضا[4]
فهو نكرة إضافته[5] لفظية وإن كان مضافا[6] إلى معرفة ، وكذا "ممطرنا"
﴿قالوا﴾ على عادة جهلهم مشيرين إليه بأداة القرب الدالة على أنهم
في غاية[7] الجهل ، لأن جهلهم بـــه استمر حتى كاد أن يوافقهم[8] :
١٠ ﴿هذا عارض﴾ أي سحاب معترض في عرض السماء أي ناحيتها
﴿ممطرنا[9]﴾ لكونهم[8] رأوه أسود مرتادا فظنوه ممتلئا ماء يغاثون[9] به بعد
طول القحط وإرسال رسلهم إلى مكة المشرفة ليدعوا لهم هنالك الله الذي
استخفوا به بالقدح في ملكه بأن أشركوا به من هو دونهم ، علما منهم
بأن شركاءهم لا تغني عنهم في الإمطار شيئا ، غافلين عن ذنوبهم الموجبة
١٥ لعذابهم ، فلذلك قال الله تعالى مضربا[10] عن كلامهم ، والظاهر أنه حكاية

(١-١) من م و مد ، و في الأصل و ظ : عنهم (٢) زيد من م و مد (٣) من مد ، و في الأصل و ظ و م : لعارض (٤) من م و مد ، و في الأصل و ظ : اضافة (٥) من ظ و م و مد ، و في الأصل : مضافه (٦) من ظ و م و مد ، و في الأصل : عنابه (٧) من مد ، و في الأصل و ظ و م : يوافقهم (٨) من ظ و م و مد ، و في الأصل : لانهم (٩) من مد ، و في الأصل و ظ و م : يعانون (١٠) من م و مد ، و في الأصل و ظ : مضربهم .

لقول هود عليه الصلاة و السلام فى جواب كلامهم : ﴿ بل هو ﴾ أى هذا العارض الذى ترونه ﴿ ما استعجلتم به ﴾ أى طلبتم العجلة فى إتيانه إليكم من العذاب .

و لما اشتد تشوف السامع [1]إلى معرفته[1] قال[2] : ﴿ريح﴾ أى ركبت هذا السحاب الذى رأيتموه ﴿ فيها عذاب اليم ﴾ أى شديد الإيلام ، كانت تحمل الظعينة فى الجو تحملها و هودجها حتى ترى كأنها جرادة ، و كانوا يرون ما كان خارجا عن منازلهم من الناس و المواشى تطير بهم الريح بين السماء و الأرض ثم تقذف بهم ﴿تدمر﴾ أى تهلك إهلاكا عظيما شديدا سريعا تأتى بغتة على طريق الهجوم ﴿ كل شىء ﴾ أى [أتت عليه -[3]] ، هذا شأنها فمن سلم منها كهود عليه الصلاة و السلام و من آمن به رضى الله عنهم فسلامته أمر خارق للعادة كما أن أمرها فى [4]إهلاك كل ما[4] مرت عليه أمر خارق للعادة[5] ، و الجملتان يحتمل أن [6]تكونا وصفا لريح[6] و يحتمل و هو أعذب و أهز للنفس و أعجب أن تكونا[7] استئنافا . و لما كان ربما ظن ظان[8] أنها مؤثرة بنفسها قال :

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لمعرفته (٢) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : هلاك من (٥) زيد فى الأصل و ظ : كذلك ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦ - ٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يكون وصف الريح (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يكون . (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ظانا .

﴿ بامر ربها ﴾ أى المبدع لها و المربى و المحسن بالانتقام بها من أعدائه .

و لما ذكرها[1] بهذا الذكر الهائل ، و كان التقدير : جاءتهم فدمرتهم لم[2] تترك منهم أحدا ، سبب عن ذلك زيادة فى التهويل قوله : ﴿ فاصبحوا ﴾

٧٩٤/ ٥ و لما اشتد إصغاء السامع إلى كيفية إصباحهم ، قال / مترجما لهلاكهم : ﴿ لاترى[3] ﴾ اى أيها الرائى ، فلما عظمت روعة القلب و هول[4] النفس قال تعالى : ﴿ الا مسكنهم[5] ﴾ أى جزاء على إجرامهم ، فانطبقت العبارة على المعنى ، و علم أن المراد بالإصباح مطلق الكون ، و لكنه عبر به لأن المصيبة فيه أعظم ، و علم أنه لم يبق من المكذبين ديار و لانافخ

١٠ نار ، و هذا كناية عن عموم الهلاك[6] لهم سواء كان الرمل دفنهم[7] أو على وجه الأرض مرتبين كما فى الآية الأخرى " فترى القوم فيها صرعى كانه اعجاز نخل خاوية " و روى أن هودا عليه الصلاة و السلام لما أحس بالريح اعتزل بمن آمن معه فى حظيرة فأمالت الريح على الكفرة الأحقاف التى كانت مجتمعهم إذا تحدثوا و محل بسطهم إذا لعبوا ، فكانوا

١٥ تحتها سبع ليال و ثمانية ايام . ثم كشفت عنهم فاحتملتهم فقذفتهم فى البحر و كذا[7] أهلكت مواشيهم و كل شىء لهم فيه روح و لم يصب هودا

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : ذكرما (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلم (٣) راجع لاختلاف القراءة نثر المرجان ٦/٥٥٦ (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هو (٥) زيد فى الأصل : و العذاب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م ومد ، و فى الأصل : وقهم (٧) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : لذا .

عليه الصلاة و السلام و من معه رضى الله عنهم [منها -[1]] إلا ما لين أبشارهم و نعش[2] أرواحهم ، و الآية[3] على هذا على حقيقتها فى أنه لم يصبح الصباح و منهم أحد يرى .

و لما طارت لهذا الهول الأفئدة و اندهشت الألباب ، قال تعالى منبها على زبدة المراد بطريق الاستئناف : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء الهائل[4] فى أصله أو جنسه أو نوعه أو شخصه من الإهلاك[5] ﴿ نجزى ﴾ بعظمتنا دائما إذا شئنا ﴿ القوم ﴾ و إن كانوا أقوى ما يكون ﴿ المجرمين ﴾ أى العريقين فى الإجرام الذين يقطعون ما حقه الوصل فيصلون[6] ما حقه القطع ، و ذلك الجزاء هو الإهلاك على هذا الوجه الشنيع ، فاحذروا أيها العرب مثل ذلك إن لم ترجعوا .

و لما كان [هذا -[1]] محلا يتوقع فيه الإخبار عن حال[7] مكنتهم ليعلم هل تركوا الدفع لمانع فيهم أو لأن ما اتاهم بحيث لا يمكن لأحد دفاعه ، قال ذاكرا حرف التوقع مخوفا للعرب مقسما لأن قريشا قد قال قائلهم : إنهم يدفعون العذاب بدفع الزبانية ، و نحوها : ﴿ و لقد ﴾ أى فعل بهم ذلك و الحال أنا و عزتنا قد ﴿ مكنهم ﴾ تمكينا تظهر به عظمتنا

---

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بفش (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : علايه - كذا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الهايلة (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الهلاك (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل و ظ : و يصلون (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حالهم .

﴿ فيما ان ﴾ أى الذى ما ﴿مكنّكم فيه﴾ من قوة الأبدان وكثرة الأموال وغيرها، وجعل النافى «ان» لأنها أبلغ من «ما» لأن «ما» تنفى تمام الفوت لتركبها من الميم والألف التى حقيقة إدراكها فوت تمام الإدراك و «ان» تنفى[1] أدنى مظاهر مدخولها فكيف بما وراءه من تمامه لأن الهمزة[2] أول مظهر لفوت الألف والنون لمطلق الإظهار - هذا إلى ما فى ذلك من عذوبة اللفظ وصونه عن ثقل التكرار إلى غير ذلك من بدائع[3] الأسرار.

ولما كانت قريش تفتخر بعقولها[4] فربما ظنت أنها فى العقل ٧٩٥/ ومقدماته من الحواس أمكن منهم /، وأنهم ما أتى عليهم إلا من عدم فهمهم، قال تعالى: ﴿وجعلنا﴾ أى جعلا يليق بما [5]زدناهم عليكم[5] من المكنة على ما اقتضته عظمتنا ﴿لهم[6] سمعا﴾ بدأ به لأن المقام للانذار المنبه بحاسة السمع على ما فى الآيات المرئيات من[7] المواعظ، فهو أنفع لأنه أوضح، ووحده لقلة التفاوت فيه ﴿وابصارا﴾ أى منبهة[8] على ما فى الآيات المرئيات من مطابقة واقعها لأخبار السمع،

(١ - ١) من م ومد، وفى الأصل وظ: انتفى (٢) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الميزة (٣) من م ومد. وفى الأصل وظ: بديع (٤) من م ومد، وفى الأصل وظ: بقولها (٥ - ٥) من م ومد، وفى الأصل وظ: زدناكم عليهم (٦) وقع فى الأصل وظ وم بعد «جعلنا» والترتيب من مد، ووقع فى الأصل وظ: لكم (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: عن (٨) من م ومد، وفى الأصل وظ: منبه.

و جمع لكثرة التفاوت فى أنوار الأبصار ، و كذا فى قوله : ﴿ و افئدة ذ صلح ﴾ أى قلوبا ليعرفوا بها الحق فيتبعوه و الباطل فيجتنبوه و يشكروا من وهبها لهم ، و ختم بها لأنها الغاية التى ليس[1] بعد الإدراك منتهى و لا وراءها[2] مرمى ، و عبر بما هو من التفود[3] و هو التجرد إشارة إلى أنها فى غاية الذكاء ﴿ فما اغنى عنهم ﴾ [4]فى حال إرسالنا إليهم الرحمة على لسان نبيا[5] هود عليه الصلاة و السلام ثم النقمة بيد الريح ﴿ سمعهم ﴾ و أكد النفى[6] بتكرير النافى فقال : ﴿ و لا ابصارهم ﴾ و كذا فى قوله : ﴿ و لا افئدتهم ﴾ أى لما أردنا إهلاكهم ، و أكد باثبات الجار فقال : ﴿ من شىء ﴾ [أى -[7]] من الإغناء و إن قل[8] [لا -[8]] فى دفع العذاب ، و لا فى معرفة الصواب ، بل صرفوا ما وهبنا لهم من القوى فيما[9] لا ينبغى تعليق الهمم به من أمور الدنيا حتى فاقوا فى ذلك الأمم و عملوا أعمال من تخلد كما قيل :

و الخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

و لما ذكر نفى الإغناء ، ذكر ظرفه على وجه يفهم التعليل ، فانه إذا ذكر الانتقام فى وقت فعل الشىء علم أن علته فعل ذلك الشىء فقال :

---

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ليست (٢) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : ادراها (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : التعود (٤) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٥) سقط من ظ و م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل : بالنفى (٧) زيد من ظ و م و مد . (٨) زيد من م و مد (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مما .

﴿ اذ كانوا ﴾ أى[1] [2]طبعا لهم و خلقا[2] ﴿ يجحدون[3] ﴾ اى يكررون[3] على مر الزمان الجحد ﴿ بآيٰت الله ﴾ أى الإنكار لما يعرف من دلائل الملك الأعظم ﴿ و حاق ﴾ أى أحاط على جهة الإحراق و العظم بأمور لايدرى وجه المخلص منها ﴿ بهم ما ﴾ أى عقاب الذى ﴿ كانوا ﴾ على جهة الدوام لكونه خلقا لهم ﴿ به يستهزءون ع ﴾ أى يوجدونه[4] على سبيل الاستمرار إيجاد من هو طالب له عاشق فيه .

و لما تم المراد من الإخبار بهلاكهم على ما لهم من المكنة العظيمة ليتعظ بهم من سمع أمرهم ، أتبعهم من كان مشاركا لهم فى التكذيب فشاركهم فى الهلاك ، فقال مكررا لتخويفهم دالا[5] على إحاطة قدرته باحاطة علمه : ﴿ و لقد اهلكنا ﴾ بما لنا من العظمة[6] و القدرة المحيطتين الماضيتين بكل ما نريد[6] ﴿ ما حولكم ﴾ أى يا أهل مكة ﴿ من القرى ﴾ كأهل الحجر و سبا و مدين و الأيكة و قوم لوط و فرعون و أصحاب الرس[7] و ثمود[7] و غيرهم ممن[8] فيهم معتبر[9] . و لما كان الموعوظ به الإهلاك[10] ذكر مقدما ، فتشوف السامع إلى السؤال عن حالهم فى الآيات ، فقال

(١) زيد فى الأصل : اى الطائفة التى ذكرناهم و ذكرنا ما حصل لهم لأن هذا كان . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢ ـ ٢) فى ظ و م و مد : خلقا و طبعا (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يكثرون (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يوجدون (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دلالة (٦ـ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧ـ٧) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : بمن (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : معبرا (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الهلاك .

عاطفا

عاطفا بالواو [التى - [1]] لايمنع معطوفها التقدم على ما عطف عليه :

﴿و صرفنا الأيٰت﴾ أى حولنا الحجج البينات و كررناها موصلة[2] / مفصلة / ٧٩٦

مزينة[3] محسنة على وجوه شتى من الدلالات، خالصة عن كل[4] شبهة .

و لما كان تصريف الآيات لايخص أحدا بعينه، بل هو لكل من رآه أو سمع به، لم يقيدها بهم[5] و ذكر العلة الشاملة[6] لغيرهم فقال : ﴿لعلهم﴾ ٥ أى الكفار ﴿يرجعون﴾ أى ليكونوا عند من يعرف حالهم فى رؤية الآيات حال من يرجع عن الغى الذى كان يركبه[7] لتقليد أو شبهة كشفته الآيات و فضحته[8] الدلالات فلم يرجعوا، فكان عدم رجوعهم سبب [9]أهلاكنا لهم[9] .

و لما كانوا قد جعلوا محط حالهم فى الشركاء أنهم سبب التواصل[10] ١٠ بينهم و التفاوت، و ادعوا أنهم يشفعون فيهم فيقربونهم إلى الله زلفى و يمنعونهم من العذاب[11] فى الآخرة، و كان أدنى الأمور التسوية بينه

(١) زيد من م و مد (٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ و م و لم تكن فى مد فحذفناها (٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها . (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد . و فى الأصل : بها . (٦) زيد فى الأصل : بهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل : يرتكبه (٨) من ظ و مد، و فى الأصل و م : فضحتها (٩-٩) من م و مد، و فى الاصل و ظ : اهلاكهم (١٠) من م و مد، و فى الأصل و ظ : التوصل (١١) زيد فى الأصل : و شاهده قولهم ليقربونا الى الله زلفى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و بين عذاب الدنيا ، سبب عن أخباره عن إهلاك الأمم الماضية[1] قوله مقدما للعلة التى جعلها محط نظرهم منكرا عليهم موبخا لهم : ﴿ فلولا ﴾ أى فهل لاو لم لا ﴿ نصرهم ﴾ أى هؤلاء المهلكين ﴿ الذين اتخذوا ﴾ أى اجتهدوا فى صرف أنفسهم عن دواعي العقل و الفطر الأولى حتى أخذوا، و أشار إلى قلة عقولهم ببيان سفولهم فقال: ﴿ من دون الله ﴾ اى الملك الذى هو أعظم من كل عظيم ﴿ قربانا ﴾ [أى -[2]] لأجل القربة و التقريب العظيم يتقربون إليها و يزعمون أنها تقربهم إلى الله ﴿ آلهة[4] ﴾ أشركوهم مع الملك الأعظم لأجل ذلك - [3]قاتلهم الله و أخزاهم[3] .

و لما كان التخصيص يفهم أنهم ما نصروهم، أضرب عنه فقال: ﴿ بل ضلوا ﴾ أى غابوا [3]و عموا عن الطريق الأقوم و بعدوا[3] ﴿ عنهم ج ﴾ وقت روك[5] النقمة و قروع المثلة حسا و معنى . و لما كان التقدير: فذلك الاتخاذ الذى أدتهم[6] إليه عقولهم السافل جدا البعيد من الصواب كان الموصل إلى مآلهم هذا ، عطف عليه قوله : ﴿ و ذلك ﴾ أى الضلال البعيد من السداد الذى تحصل من هذه القصة من إخلاف ما كانوا يقولون : إن أوثانهم آلهة ، و أنها تضر و تنفع و تقربهم إلى الله و تشفع لهم عنده ﴿ افكهم ﴾ أى صرفهم الأمور عن وجهها إلى أقفائها ، و يجوز أن تكون الإشارة إلى العذاب ، أى و هذا[6] العذاب

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : نزول (٥) من م و مد ، و فى الأصل وظ : ادت (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ذلك .

[1]جزاؤهم فى مقابلة[1] إفكهم ﴿ و ما كانوا ﴾ أى على وجه الدوام لكونه[2] فى طباعهم ﴿يفترون ه﴾ أى يتعمدون كذبه لأن[3] إصرارهم عليه بعد مجيء الآيات لا يكون إلا [4]لذلك لأن من نظر[4] فيها مجردا نفسه عن الهوى اهتدى .

و لما كان ما ذكر من البعد من الإيمان مع تصريف العظات ٥ و العبر و الآيات يكاد أن يؤنس السامع من إيمان هؤلاء المدعوين[5]، قربه دلالة على عزته و حكمته بالتذكير بالإيمان [6]من هم[6] أعلى منهم عتوا و أشد نفرة و أبعد إجابة و أخفى شخصا ، فقال جوابا عما وقع له صلى الله عليه و سلم فى عرض نفسه الشريفة [على -[7]] القبائل و إبعادهم عنه لاسيما أهل الطائف ، دالا على تمام / القدرة بشارة للنزل [عليه -[7]] ١٠ / ٧٩٧ صلى الله عليه و سلم و توبيخا لمن تأخر عن إجابته من قومه عاطفا على ما تقديره: اذكر هذه الأخبار: ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكر حين ﴿ صرفنآ اليك ﴾ أى وجهنا توجيها خالصا حسنا متقنا فيه ميل إليك و إقبال[8] عليك ، و إعراض عن غيرك ، بوادى نخلة عند انصرافك من الطائف حين عرضت نفسك الشريفة عليهم بعد موت النصيرين[9] فردوك ١٥

(١-١) فى ظ و م و مد: جزاء (٢) من م و مد ، و فى الأصل وظ : لكونهم. (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٤ - ٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كذلك لامن يظن (٥) من مد ، و فى الاصل و ظ و م : المدعين (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : منهم (٧) زيد من م و مد (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اقبالا (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التصوير .

ردا تكاد تنشق منه المرائر ، و تسل من تذكاره النواظر .

و لما كان استعطاف من جبل على النفرة و إظهار من بنى على الاجتنان أعظم فى النعمة ، عبر بما يدل على ذلك فقال : ﴿نفرا﴾ و هو اسم يطلق على ما دون العشرة ، و هو المراد هنا ، و يطلق على الناس كلهم ، و حسن [1]التعبير به[1] أن هؤلاء لما خصوا بشرف السبق و حسن المتابعة كانوا كأنهم هم النفر لا غيرهم ﴿من الجن﴾ من أهل نصيبين من الناحية التى منها عداس الذى جبرناك[2] به فى[3] الطائف بما شهد به لسيديه[4] عتبة و شيبة ابنى ربيعة أنك خير أهل الارض مع أنه[5] ليس لهؤلاء النفر من جبلاتهم إلا النفرة و الاجتنان و هو الاختفاء و الستر فجعلناهم[6] ألفين لك ظاهرين عندك لتبلغهم ما أرسلناك[7] به فانا أرسلناك إلى جميع الخلائق ، و هذا جبر لك و بشارة بإيمان النافرين[8] من الإنس كما أيدناك منهم بعد نفرة[9] أهل الطائف بعداس ، ثم وصفهم بقوله : ﴿يستمعون القرآن﴾ أي يطلبون سماع الذكر الجامع لكل خير ، الفارق [10]بين كل[10] ملبس و أنت فى صلاة الفجر فى نخلة تصلى بأصحابك ، و دل

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : النصرية (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اخبرناك (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لسديه - كذا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ان (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يجعلنا (٧) زيد فى الأصل و ظ : اليهم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المسفرين (٩) من مد و م ، و فى الأصل و ظ : بضرة . (١٠-١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لكل .

على قرب زمن[1] الصرف من زمن الحضور بتعبيره[2] سبحانه بالفاء فى قوله تعالى مفصلا لحالهم: ﴿ فلما حضروه ﴾ أى صاروا بحيث يسمعونه ﴿ قالوآ ﴾ أى قال بعضهم[3] و رضى الآخرون[4]: ﴿ انصتوا ﴾ أى [اسكتوا و-[5]] ميلوا بكلياتكم و استمعوا[6] حفظا للادب على بساط الخدمة، و فيه تأدب مع العلم[7] فى تعلمه و[8]أيضا مع معلمه[8]، قال القشيرى: فأهل الحضور صفتهم الذبول و السكون و الهيبة و الوقار، و الثوران و الانزعاج يدل على غيبة أو قلة تيقظ[9] و نقصان من الاطلاع، و دل على أن ما [10]استمعوه كان[10] يسيرا و زمنه[11] قصيرا، و على تفصيل حالهم بعد انقضائه بالفاء فى قوله تعالى: ﴿فلما﴾ أى فأنصتوا[12] لحين ﴿قضى﴾ أى[13] حصل الفراغ من قراءته الدالة على عظمته من أىّ قارئ كان ﴿ولوا﴾ أى أوقعوا

(١) زيد فى الأصل و ظ: الفضل، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.
(٢) من مد، وفى الأصل وظ: بتيسره، وفى م: فتيسره (٣) زيد فى الأصل: لبعض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: آخرون (٥) زيد من م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اسمعوا اى (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: العلم (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: تنعظ. (١٠ - ١٠) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سمعوه (١١) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فانصتوا (١٣) زيد فى الأصل و ظ: حين، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها.

التولية - أى القرب - بتوجيه الوجوه و الهمم و العزائم ﴿الى قومهم﴾ الذين فيهم قوة القيام بما يحاولونه ، و دل على حسن تقبلهم لما[1] سمعوه و رسوخهم فى اعتقاده بقوله تعالى : ﴿منذرين﴾ أى مخوفين لهم و محذرين عواقب الضلال بأمر من رسول / الله صلى الله عليه و سلم ، قال [ابن -[2]] ٧٩٨ /

٥ عباس رضى الله عنهما : جعلهم رسول الله صلى الله عليه و سلم رسلا إلى قومهم .

و لما كان كأنه قيل : ما قالوا لهم فى إنذارهم[3] ؟ قيل : ﴿قالوا﴾ اى لقومهم حين أقبلوا عليهم[4] : ﴿ يقومنآ ﴾ مترققين لهم[6] و مشفقين بهم[6] بذكر ما يدل على أنهم منهم يهمهم ما يهمهم[4] و يكربهم ما يكربهم

١٠ كما قيل :

و إن أخاك الحق من كان معك و من يضر نفسه لينفعك[4] .

و لما كانوا - بنزول ما فى أسفار الأنبياء من بنى إسرائيل و الزبور و الإنجيل خالية من الأحكام و الحدود إلا يسيرا من ذلك فى الإنجيل - قاطعين أو كالقاطعين بأنه لا ينزل كتاب يناظر التوراة فى الأحكام و الحدود

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل : لهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٧) بهامش الأصل : و رفيق هذا البيت : و من اذا ريب زمان صدعك شق شمل نفسه ليجمعك .

و غيرها، فكان قومهم ربما توقفوا فى الإخبار بانزال ما هو اشرف من ذلك، أكدوا قولهم: ﴿ انا سمعنا ﴾ أى بيننا و بين القارئ واسطة، و أشاروا إلى أنه لم ينزل بعد التوراة شيء جامع لجميع ما يراد منه، مغن[1] عن جميع الكتب غير هذا، و بذلك عرفوا أنه ناسخ لجميع الشرائع فقالوا [2]على سبيل التبيين لما سمعوا[2]: ﴿ كتبا ﴾ أى ذكرا جامعا، لا كما ٥ نزل بعد التوراة على بنى إسرايل[3] ﴿ انزل ﴾ أى ممن لا منزل [2]فى الحقيقة[2] غيره، و هو مالك الملك و ملك الملوك لأن عليه من رونق الكتب[4] الإلهية ما يوجب القطع لسامعه بأنه منها فكيف إذا انضم إلى ذلك الإعجاز، و علموا قطعا بعربيته أنه عربى و بأنهم كانوا يضربون مشارق الأرض ومغار بها و يسمعون قراءة الناس لما يحدثونه من الحكم و الخطب ١٠ و الكهانة و الرسائل و الأشعار، و بأنه[5] مباين لجميع ذلك أنه قريب العهد بالنزول من محل العظمة، فقالوا مثبتين للجار: ﴿ من بعد موسى ﴾ عليه الصلاة و السلام، فلم[6] يعتدوا بما أنزل بين هذا الكتاب و بين التوراة من الإنجيل و ما قبله، لأنه لا يساوى التوراة فى الجمع، و لا يعشر[7] هذا الكتاب فى الأحكام و الحكم و اللطائف و المواعظ [مع -[8]] ما زاد ١٥

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مغنى (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) زيد فى الأصل: بن، و م تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و فى الاصل و ظ: الكتاب (٥) فى م مد: انه. (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: و لم (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لا يفسر (٨) زيد من م و مد.

به من الإعجاز و غيره .

و لما أخبروا بأنـــه منزل، أتبعوه ما يشهد له بالصحة فقالوا: ﴿مصدقا لما بين يديه﴾ أى من جميع كتب بنى إسرائيل الإنجيل و ما قبله؛ ثم بينوا تصديقه بقولهم: ﴿يهدى الى الحق﴾ أى الأمر الثابت الذى ٥ يطابقه الواقع فلا يقدر أحد على إزالة شىء مما يخبر به، الكامل فى جميع ذلك ﴿و الى طريق﴾ موصل إلى المقصود [1]الأعظم و هو الإيمان بمنزله[1] ﴿مستقيم﴾ فهو يوصل بغاية ما يمكن من السرعة، لايمكن أن يكون فيه عوج، فيقدر السالك فيه[2] على[3] أن يختصر طريقا يكون وترا لما تقوس منه .

١٠ و لما أخبروهم بالكـــتاب و بينوا أنه من عند الله و أنه أقرب موصل إليه، فكان قومهم جديرين بأن يقولوا: فما الذى ينبغى أن نفعل؟ أجابوهم[4] بقوله: ﴿يقومنآ﴾ الذين لهم قوة العلم والعمل ﴿اجيبوا/ داعى الله﴾ ٧٩٩ / أى الملك الأعظم المحيط بصفات الجلال و الجمال و الكمال، فان دعوة هذا الداعى عامـــة لجميع الخلق، فالإجابة واجبة على كل من ١٥ بلغه أمره .

و لما كان المجيب قد يجيب فى شىء دون شىء كما كان أبو طالب عم النبى صلى الله عليه و سلم، [1]عطفوا فى خطابهم لهم فى الدعوة أن[1] قالوا: ﴿و امنوا به﴾ أى أوقعوا التصديق بسبب الداعى لابسبب آخر، فان

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) سقط من ظ و مد .
(٣) سقط من مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : اجابهم .

المفعول معه مفعول مع [١]من أرسله و هو[١] الله [١]الذى جلت قدرته[١] وآمنوه من كل تكذيب، أو[٢] الضمير للمضاف إليه [و هو الله - [٣]] بدليل قولهم[٤]: ﴿يغفر لكم﴾: [١]فانه يستر و يسامح[١] ﴿من ذنوبكم﴾ أى الشرك و ما شابهه مما هو حق لله تعالى [١]أى و ذلك الستر لا يكون إلا إذا حصل منكم الإجابة التامة و التصديق التام[١] و أدخلوا ["من" -[٥]] إعلاما ٥ بأن مظالم العباد لاتغفر إلا بارضاء[٦] أهلها و كذا ما يجازى به صاحبه فى الدنيا بالعقوبات و النكبات و الهموم و نحوها مما أشار إليه قوله تعالى " و ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم و يعفو عن كثير" ﴿و يجركم﴾ أى يمنعكم [١]اذا أجبتم[١] منع الجار لجاره لكونكم بالتحيز إلى داعيه صرتم من حزبه ﴿من عذاب اليم﴾ و اقتصارهم على المغفرة تذكير ١٠ [٧]بذنوبهم لأن[٧] مقصودهم الإنذار لاينافى صريح قوله[٨] فى هذه [السورة -[٩]] " و لكل درجت مما عملوا" فى إثبات الثواب، و نقله أبو حيان[١٠] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لهم ثواب و عليهم عقاب يلتقون فى الجنة و يزدحمون على أبوابها.

و لما فرغوا من التعريف بالحق و الدلالة عليه و الدعاء إليه و الإنذار ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فان (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) فى ظ و م و مد: قوله. (٥) زيد من مد (٦) من م ومد، وفى الأصل و ظ: برضاه - كذا (٧-٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لذنوبهم الآن - كذا (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قولهم (٩) زيد من م و مد (١٠) فى البحر المحيط.

بالرفق بما أفهم كلامهم من أنهم إن لم يجيبوا انتقم منهم بالعذاب [الأليم -[1]]، أتبعوه ما هو أغلظ إنذارا منه فقالوا: ﴿ومن لا يجب﴾ أي لا يتجدد منه أن يجيب ﴿داعي الله﴾ أي الملك[2] الأعظم المحيط بكل شيء[3] الذي لا كفوء له[3] ولا طاقة [لأحد -[4]] بسخطه فعم[5] بدعوة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم جميع الخلق.

ولما دل الكتاب والسنة كما قدمته في سورتي[6] الأنعام والفرقان على عموم الرسالة، وكان التارك لإجابة من عمت رسالته عاصيا مستحقا للعذاب، عبر عن عذابه بما دل على تحتمه فقال تعالى: ﴿فليس بمعجز﴾ أي لما يقضى به عليه ﴿في الارض﴾ فانه[7] أية سلك[7] فيها فهو[8] في ملكه وملكه وقدرته محيطة به ﴿وليس له من دونه﴾ أي الله الذي لا يجير [1] الا هو[1] ﴿اولياء[1]﴾[9] يفعلون لأجله ما[10] يفعل القريب مع قريبه من الذب عنه والاستشفاع له[11] والافتداء والمناصبة لأجله.

ولما انتفى عنه الخلاص من كل وجه، وكان ذلك لا يختلف سواء كان العاصي واحدا أو أكثر[12]، أنتج قوله سبحانه وتعالى معبرا بالجمع

(١) زيد من م ومد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ وم ومد (٣) من ظ وم ومد، وفي الأصل: لأحد (٤) زيد من ظ وم ومد (٥) زيد في ظ وم: الذي [illegible] بكل شيء (٦) سقط من م ومد (٧-٧) من ظ وم ومد، وفي الأصل: أنه ملك (٨) من م ومد، وفي الأصل وظ: فانه (٩) زيد في الأصل: اي، ولم تكن الزيادة في ظ وم ومد فحذفناها (١٠) من ظ وم ومد، وفي الأصل: كما (١١) من م، وفي الأصل وظ: عنه (١٢) في م: كثيرا.

لأنه أدل على القدرة و دلالة على أن / العصاة كثيرة[1] لملاءمة المعاصى ٨٠٠ /
لأكثر الطبائع: ﴿اولئك﴾ أى البعيدون من كل خير ﴿فى ضلل مبين﴾
أى ظاهر فى نفسه أنه ضلال، مظهر لكل أحد قبح إحاطتهم به[2]، قال
القشيرى: و يقال: الإجابة على ضربين: إجابة الله، و إجابة الداعى، فاجابة
الداعى بشهود الواسطة و هو الرسول صلى الله عليه و سلم، و إجابة الله ٥
بالجهر إذا [3]بلغت المدعو[3] رسالته صلى الله عليه و سلم على لسان السفير،
و بالسر إذا حصلت التعريفات من الواردات على القلب، فستجيب بنفسه،
و مستجيب بقلبه، و مستجيب بروحه، و مستجيب بسره، و من توقف
عن دعاء الداعى إياه هجر فيما كان يخاطب به.

و لما أتم سبحانه و تعالى ما اقتضاه مقصود هذه السورة من أصول ١٠
الدين و فروعه و التحذير من سطواته بذكر بعض مثلاته، و ختم بضلال
من لم يجب الداعى، نبه على أن أوضح الأدلة على إحاطته بالجلال و الجمال
و قدرته على الأجل المسمى الذى خلق الخلق لأجله ما جلى به مطالع
السورة من إبداع الخافقين و ما فيهما[4] من الآيات الظاهرة[5] للأذن
و العين، فقال مبكتا لهم على ضلالهم عن إجابة الداعى و منكرا عليهم ١٥
و موبخا لهم[6] مرشدا بالعطف على[7] غير مذكور إلى أن التقدير: ألم ير[8]

---

(١) فى م و مد: كثير (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: بهم (٣-٣) فى ظ و م و مد: بلغته (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عنهما (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الظاهر (٦) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: إلى (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الم يرو - كذا.

هؤلاء الضلال[١] ما نصبنا فى هذه السورة من أعلام الدلائل و واضح[٢] الرسائل فى المقاصد و الوسائل ، عاطفا عليه قوله تعالى ردا لمقطع السورة بتقرير المعاد على[٣] مطلعها المقرر للبدء بخلق الكونين [بالحق : ﴿اولم يروا﴾ أى يعلموا علما هو فى الوضوح كالرؤيه - [٤]] ﴿[٥]ان الله[٥]﴾ و[٦] دل [٧]على هذا الاسم[٧] الأعظم بقوله : ﴿ الذى خلق السمٰوٰت ﴾ على ما احتوت عليه مما يعجز [الوصف - [٨]] من العبر ﴿ و الارض ﴾ على ما اشتملت عليه من الآيات المدركة بالعيان[٩] و الخبر[١٠] ﴿ و لم يعى ﴾ أى يعجز ، يقال : عيي بالأمر - إذا لم يهتد[١١] لوجه مراده أو عجز عنه و لم يطق إحكامه[١٢] ، قال الزجاج : يقال : عييت بالأمر - إذا لم تعرف وجهه ، و أعييت : تعبت[١٣] ، و[١٤] فى القاموس : و أعيي بالأمر : كل[١٥] ﴿بخلقهن﴾ أى بسببه[١٦] فانه لو حصل له شيء من ذلك لأدى إلى نقصان فيهما أو فى

(١) زيد فى الأصل وظ : الى غير مذكور ، ولم تكن الزيادة فى م ومد فحذفناها .
(٢) من م ومد ، وفى الأصل و ظ : اوضح (٣) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : الى .
(٤) زيد من ظ وم ومد (٥-٥) وقع فى الأصل بعد «الأعظم بقوله» والترتيب من ظ وم (٦) من م ومد ، وفى الأصل وظ : ما (٧-٧) من ظ وم ومد ، وفى الأصل : عليه بالاسم (٨) زيد من م و مد (٩) زيد فى الأصل : و ما فيها من البركة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الخبر (١١) فى الأصل : لم يهتدى (١٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ وم ومد فحذفناها (١٣) من م ومد ، وفى الأصل وظ : تعبا .
(١٤) زيدت فى الأصل و ظ : قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها .
(١٥) فى م : إلى شيء (١٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بسبب .

إحداهما، و أكد الإنكار المتضمن للنفي بزيادة الجار في حيز "ان" فقال تعالى: ﴿ بقدر﴾ أي قدرة عظيمة [1]تامة بليغة[1] ﴿ على ان يحيء ﴾ أي على سبيل التجديد مستمرا ﴿ الموتى[2] ﴾ والأمر فيهم لكونه إعادة و لكونهم[3] جزاء يسيرا منها ذكر اختراعه اصغر شانا و أسهل صنعا.

و لما كان هذا الاستفهام الإنكاري في معنى النفي، أجابه بقوله تعالى ٥ ﴿ بلى[4] ﴾ [4]قد علموا أنه قادر على ذلك علما هو في إتقانه كالرؤية بالبصر لأنهم يعلمون أنه المخترع لذلك، و أن الإعادة أهون من الابتداء في مجاري عاداتهم، و لكنهم عن ذلك، غافلون لأنهم عنه معرضون. و لما كانوا[4] مع هذه الأدلة الواضحة التي هي أعظم من المشاهدة بالبصر ينكرون ما / ٨٠١ دلت عليه هذه الصنعة من إحاطة القدرة، علل ذلك[5] مؤكدا له بقوله ١٠ مقررا للقدرة على وجه عام يدخل فيه البعث الذي ذكر أول السورة أنه ما خلق هذا الخلق إلا لاجله ليختم بما بدأ به[6] ﴿انه على كل شيء﴾ أي هو أهل لأن تتعلق القدرة به ﴿ قدير ﴾.

و لما ثبت البعث بما قام من الدلائل ذكر ببعض ما يحصل في يومه من الأهوال تحذيرا منه، فقال عاطفا على ما تقديره: اذكر لهم هذا ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و في الأصل و ظ: لكونه (٣) زيد في الأصل: اي، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٤) من م و مد، و في الأصل و ظ: كان (٥) زيد في الأصل و ظ: منكرا، و لم تكن الزيادة في م و مد فحذفناها (٦) زيد في الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.

القياس الناطق بالمراد و ما مضى فى هذه السورة من الزواجر[1] ﴿و يوم﴾ أى [و -[2]] اذكر[3] يوم ﴿يعرض﴾ [4]بأيسر أمر من أوامرنا ﴿الذين كفروا﴾ أى ستروا بغفلتهم[5] و تماديهم عليها هذه الأدلة الظاهرة ﴿على النار[6]﴾ عرض الجند على الملك فيسمعوا من تغيظها و زفيرها و يروا من لهيبها و اضطرامها[7] و سعيرها ما لو قدر أن أحدا يموت من ذلك لماتوا من معاينته و هائل رؤيته .

و لما كان كأنه قيل : ماذا يصنع بهم فى حال عرضهم ؟ قيل : يقال على سبيل التبكيت و التقريع و التوبيخ : ﴿اليس هذا﴾ أى الأمر العظيم الذى كنتم به توعدون[8] و لرسلنا فى أخبارهم تكذبون ﴿بالحق[9]﴾ أى الأمر الثابت الذى يطابقه الواقع ، فلا قدرة لكم على صليه أمر هو خيال و سحر ، فلا تبالون بوروده .

و لما اشتد تشوف[10] السامع العالم بما كانوا يبدون من الشماخة و العتو إلى جوابهم ، قال فى جوابه مستأنفا[11] : ﴿قالوا﴾ أى مصدقين

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الزاجر (٢) زيد من م و مد (٣) زيد فى الأصل : ايضا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد فى الاصل و ظ : الكامل ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اضطرابها (٧) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : تدعون (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : تشوق (٩) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

حيث لاينفع التصديق: ﴿ بلى ﴾ [و - [1]] ما كفاهم البدار[2] إلى تكذيب أنفسهم حتى أقسموا عليه لأن حالهم كان مباعدا للاقرار، و ذكروا صفة الإحسان زيادة فى الخضوع و الإذعان ﴿ و ربنا[4] ﴾ أى إنه لحق هو من أثبت الأشياء، و ليس فيه شيء مما يقارب السحر، ثم استأنف جواب من سأل عن جوابه [لهم - [3]] بقوله تعالى: ٥ ﴿ قال ﴾ مبكتا لهم بيانا لذلهم موضع كبرهم الذى كان فى الدنيا مسببا عن تصديقهم هذا الذى أوقعوه[4] فى غير موضعه و جعلوه فى دار العمل التى مبناها على الإيمان بالغيب تكذيبا معبرا بما يفهم غاية الاستهانة لهم: ﴿ فذوقوا العذاب ﴾ أى باشروه مباشرة الذائق باللسان، ثم صرح بالسبب[5] فقال: ﴿ بما كنتم ﴾ أى خلقا[6] و خلقا[6] مستمرا ١٠ [7]دائما أبدا[7] ﴿ تكفرون[8] ٥ ﴾ فى دار العمل.

و لما علم بما قام من الأدلة و انتصب من القواطع أن هذا مآلهم، سبب عنه قوله ردا على ما بعد خلق الخافقين فى مطلعها من أمر الرسول صلى الله عليه و سلم و نسبتهم له إلى الافتراء و ما بعده: ﴿ فاصبر ﴾ أى على مشاق ما ترى فى تبليغ الرسالة، قال القشيرى: و الصبر ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و مد، و فى الأصل و م: التذار. (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد. و فى الأصل و ظ: اوقعوا (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالتسبب (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: به تكذبون.

هو الوقوف بحكم الله و الثبات من غير بث و لا استكراه .

/٨٠٢ ﴿ كما صبر اولوا العزم ﴾ أى الجد / فى الأمر و الحزم فى الجد و الإرادة المقطوع بها و الثبات الذى لا محيد عنه ، الذين مضوا فى أمر[1] الله مضيا كأنهم أقسموا عليه فصاروا كالأسد[2] فى جبلته[3] و الرجل الشديد الشجاع

٥ المحفوف بقبيلته ، قال الرازى فى اللوامع : فارقت نفوسهم الشهوات و المنى فبذلوا نفوسهم لله صدقا لاتفاق[4] النفس القلب على البذل .

و لما تشوف [السامع - ٥] إلى بيانهم قال : ﴿ من الرسل ﴾ عليهم الصلاة و السلام ، و قيل و هو ظاهر جدا : ان « من » للتبعيض ، و المراد بهم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى تأسيس قواعدها و تثبيت

١٠ معاقدها ، و مشاهيرهم[6] نوح و إبراهيم و موسى و عيسى[7] صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين و قد نظمهم بعضهم فى قوله :

أولو العزم نوح و الخليل بن آزر و موسى و عيسى و الحبيب محمد

و الخلاف فى تعيينهم كثير منتشر هذا[8] القول أشهر ما فيه ، و كله مبنى على ان "من" للتبعيض و هو الظاهر ، و القول بأنهم جميع الرسل

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سبيل (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كالاصرر - كذا (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : جملته .
(٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لايقان (٥) زيد من ظ و م و مد .
(٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مشاهيرها (٧) زيد فى الأصل : و محمد . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فهذا .

- قال ابن الجوزى - قاله ابن زيد و اختاره ابن الأنبارى و قال: "من" للتجنيس لا للتبعيض، و فى قول أنهم جميع الأنبياء إلا يونس عليه الصلاة و السلام - قال ابن الجوزى: حكاه الثعلبى .

و لما أمره بالصبر الذى هو من أعلى الفضائل، نهاه عن العجلة التى هى من أمهات الرذائل، ليصح التحلى بفضيلة الصبر الضامنة للفوز ٥ و النصر فقال: ﴿و لا تستعجل لهم﴾ أى تطلب العجلة و توجدها بأن تفعل شيئا مما يسوءهم فى غير حينه الأليق به . و لما كان ما أمر به و نهى عنه فى غاية الصعوبة، سهله بقوله مستأنفا: ﴿كأنهم يوم يرون﴾ أى فى الدنيا [عند الموت مثلا] أو فى الآخرة [وقت العرض و الحساب و الهول الأعظم الأكبر الذى تقدمت الإشارة إليه جدا ١٠ و التحذير منه لأهل المعاصى و البشارة فيه لأهل الطاعة، فأما هذه الطائفة فاذا رأوا] ﴿ما يوعدون﴾ من ظهور الدين فى الدنيا و البعث فى الآخرة[٢]، و بناه للمفعول لأن المنكى هو الإيعاد لا كونه من معين[٣] ﴿لم يلبثوا﴾ أى فى الدنيا حيث كانوا عالين[٤] ﴿الا ساعة﴾ .

و لما كانت الساعة قد يراد بها الجنس و قد تطلق على الزمن ١٥ الطويل، حقق أمرها و حقرها بقوله: ﴿من نهار﴾ و لما تكفل ما ذكر فى هذه السورة من الحجج الظاهرة و البراهين الباهرة ببيان ما هو

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من م و مد . و فى الأصل و ظ : الارض (٣) فى الأصول : معينه (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : عالمين .

مقصودها بحيث لم يبق فيه لبس ، و كان مقصودها آئلا[1] إلى سورة إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، و هو التوحيد اللازم منه إحاطة العلم بكل شيء و شمول القدرة لكل شيء ختمت بما ختمت[2] به إبراهيم إلا أن لحواميم لبابا ، حذف المبتدأ و متعلق الخبر و قيل : ﴿ بلغ ج ﴾ أى
٥ هذا [الذى ـ[3]] ذكر هنا [هو ـ[3]] من الظهور و انتشار النور بحيث يرد المنذرين و يوصلهم إلى رضى العزيز الحكيم الكافل بالنور الدائم و النعيم المقيم ، و من لم يوصله فذلك الذى حكم العزيز بشقائه فلا حيلة لغيره فى شقائه من عظيم دائه ، و لذلك سبب عن كونه بلاغا قوله زيادة على ختام إبراهيم ما يناسب مطلعها : ﴿ فهل يهلك ﴾ بنى للمفعول من
١٠ أهلك[4] ، لأن المحذور الهلاك و إن لم يعين المهلك[5] ، و للدلالة على أن إهلاكهم عليه سبحانه و تعالى يسير جدا ﴿ الا القوم ﴾ الذين فيهم أهلية القيام بما يحاولونه من اللدد[6] ﴿ الفسقون ع ﴾ أى العريقون فى إدامة الخروج من محيط ما يدعو إليه هادى العقل و الفطرة الأولى من الطاعة الآتى بها النقل إلى مضل المعصية الناهى عنها النقل و العقل ، و أما
١٥ الذين فسقوا و الذين يفسقون فان هادى هذه السورة يردهم و يوصلهم إلى المقصود ، فهذا الآخر نتيجة قوله أولها « و الذين كفروا عما انذروا

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ايماء (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ختم (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اكمل الملك (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الملك (٦) زيد فى الأصل : وهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

معرضون " و ذكر اليوم الموعود[1] هو الأجل الذى [2] أوجد الخافقان[2] [3] لأجله و[3] بسببه و الدلالة على القدرة بخلقهما[4] من غير إعياء هو ذكره أولها أنهما ما خلقا إلا بالحق، و ذكر البلاغ هو تنزيل الكتاب من الله و حكمه على العريق بالفسق بالهلاك مع الهادى الشفيق و لغيره[5] بالنجاة بعد[6] انسيابه فى الفسق مع التكرر[7] هو من ثمرات العزة و الحكمة، فقد التحم هذا الآخر بذاك الأول أىّ التحام، و اتصل[8] بمعناه اتصال الجوهر النفيس فى متين النظام، و التأم بأول[9] التى تليها أحسن التئام[10] فسبحان من جعله[11] أشرف الكلام، لكونه صفة الملك العلام، منزلا[12] على خاتم الرسل الكرام، [2] و رسول الملك العلام - صلى الله عليه و على آله و أصحابه و أهل بيته الكرام و سلم تسليما كثيرا[2] .

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: الموجود (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خلق الخافقين (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لغير خلقهما (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مسره (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مع (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: التكرد و (٨) من م و مد. و فى الأصل و ظ: اتصال (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بالأول اعنى اول (١٠) زيد فى الأصل: بقوله "فهل يهلك الا القوم الفسقون الذين كفروا" الى آخره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جعل. (١٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: منزل.

سورة[1] محمد عليه أفضل الصلاة و السلام و تسمى القتال و [2]تسمى أيضا[2] الذين كفروا

مقصودها التقدم إلى المؤمنين فى حفظ حظيرة الدين بادامة الجهاد للكفار، حتى يلزموهم الصغار، أو يبطلوا[3] ضلالهم كما أضل [الله -[4]] أعمالهم، لاسيما أهل الردة الذين [فسقوا عن محيط الدين إلى -[5]] أودية الضلال المبين، و التزام[6] هذا الخلق الشريف إلى أن تضع الحرب أوزارها باسلام أهل الأرض كلهم بنزول[7] عيسى عليه الصلاة و السلام، و على ذلك دل اسمها " الذين كفروا " لأن من المعلوم أن من صدك عن سبيلك قاتلته و [أنك -[4]] إن لم تقاتله كنت مثله، و اسمها محمد واضح فى ذلك لأن الجهاد كان خلقه عليه / أفضل الصلاة و السلام إلى أن توفاه الله تعالى و هو نبى الرحمة بالملحمة لأنه لا يكون حمد و ثم نوع ذم كما تقدم تحقيقه فى سورة فاطر و فى سبا و فى الفاتحة، و متى كان كف عن أعداء الله [كان -[5]] الذم، ز و -[4]] أوضح أسمائها فى

٨٠٤/

(١) السابع و الأربعون من سور القرآن الكريم، و عدد آيها ٣٨ عند الكوفيين، و ٣٩ عند المدنيين و المكى و الشامى، و ٤٠ عند البصريين - راجع نثر المرجان ٦ / ٥٧٢ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: يبطل الله (٤) زيد من م و مد (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من م و مد، و فى الأصل وظ: الزام (٧) من مد، و فى الأصل و ظ و م: نزول.

هذا المقصد القتال، فإن من المعلوم أنه لأهل الضلال ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الذى [أقام - [1]] جنده للذب عن حماه ﴿ الرحمٰن ﴾ الذى عمت رحمته تارة بالبيان و أخرى بالسيف و السنان ﴿الرحيم ۝﴾ الذى خص حزبه بالحفظ فى طريق الجنان .

لما أقام سبحانه الأدلة فى الحواميم حتى صارت كالشمس، لا يزيغ ٥ عنها إلا هالك، و ختم بأنه لا يهلك بعد هذه الأدلة إلا القوم[2] الفاسقون، افتتح هذه بالتعريف بهم فقال سبحانه و تعالى: ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا أنوار الأدلة فضلوا على[3] علم ﴿ و صدوا ﴾ أى امتنعوا بأنفسهم و منعوا غيرهم لعراقتهم فى الكفر ﴿عن سبيل الله﴾ أى الطريق الرحب المستقيم الذى شرعه الملك الأعظم ﴿ اضل ﴾ أى أبطل إبطالا عظيما ١٠ [بزيل العين و الأثر - [1]] ﴿اعمالهم ۝﴾ التى هى أرواحهم المعنوية و هى كل شىء يقصدون به نفع أنفسهم من جلب نفع أو دفع ضر بعد أن وفر سيآتهم و أفسد بالهم، و من جملة أعمالهم ما يكيدونكم به لأنها إذا ضلت عما قصدوا بها بجعله سبحانه لها ضالة ضائعة هلكت من جهة أنها ذهبت فى المهالك و من جهة[4] أنها ذهبت فى غير الجهة التى قصدت ١٥ لها فبطلت منفعتها المقصودة منها فصارت هى باطلة فأذهبوا أنتم أرواحهم[5] الحسية بأن تبطلوا صورهم و أشباحهم بأن تقطعوا أوصالهم

(١) زيد من م و مد (٢) سقط من م و مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل و م: عن (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: جملة (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ارواحكم .

و أنتم فى غاية الاجتراء عليهم ، فان ربهم الذى أوجدهم قد أبطلهم و أذن لكم فى إبطالهم ، فانه قد علم أنه لاصلاح لهم و المؤذى طبعا يقتل شرعا ، فمن قدرتم على قتله فهو محكوم بكفره ، محتوم بخيبته و خسره .

٥ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : (١لما انبفت١) سورة الأحقاف على ما ذكر من مآل من كذب و افترى (٢و كفر٢) و فجر ، و افتتحت السورة باعراضهم ، ختمت بما [قد ـ٣] تكرر من تقريعهم و توبيخهم ، فقال تعالى : "الم يروا ان الله الذى خلق السمٰوٰت و الارض و لم يعى بخلقهن بقدر على ان يحيى الموتى" أى لو اعتبروا بالبداءة لتيسر عليهم

١٠ أمر العودة ، ثم ذكر عرضهم على النار إلى قوله "فهل يهلك الا القوم الفسقون" فلما ختم بذكر هلاكهم ، افتتح السورة الأخرى بعاجل ذلك اللاحق لهم فى دنياهم فقال تعالى "فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق ، فاما منا بعد و اما فداء حتى تضع الحرب اوزارها" الآية بعد ابتداء السورة بقوله "الذين كفروا

١٥ و صدوا عن سبيل الله اضل اعمالهم" فنبه على أن أصل محنتهم إنما هو

(١-١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انبات ـ كذا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل : بلى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى . (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حتى إذا (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

بما أراده تعالى بهم فى سابق علمه ليعلم المؤمنون أن الهدى و الضلال
/ بيده [١]، فنبه على الطريقين بقوله " اضل اعمالهم " و قوله فى الآخر [٢] / ٨٠٥
" كفر عنهم سيئاتهم و اصلح بالهم " ثم بين [٣] أنه تعالى [٣] لو شاء لانتصر
منهم و لكن [٤] أمر المؤمنين بقتالهم ابتلاء و اختبارا ، ثم حض المؤمنين
على ما أمرهم به من ذلك فقال " ان تنصروا الله ينصركم " ثم التحمت ٥
الآى - انتهى .

و لما ذكر أهل [٥] الكفر معبرا عنهم بأدنى طبقاتهم ليشمل من
فوقهم ، ذكر أضدادهم كذلك ليعم من كان منهم من جميع الفرق فقال
تعالى : ﴿ و الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان باللسان ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا
لدعواهم [٦] ذلك ﴿ الصٰلحٰت ﴾ أى الأعمال الكاملة فى الصلاح بتأسيسها ١٠
على الإيمان . و لما كان هذا الوصف لايخص أتباع محمد صلى الله عليه
و سلم ، خصهم بقوله تعالى : ﴿ و آمنوا ﴾ أى مع ذلك . و لما كان
بعضهم كحيي بن أخطب و من نحا نحوه قد طعن فى القرآن بنزوله منجما
مع أن التوراة ما نزلت إلا كذلك ، و ليس أحد منهم يقدر [٧] ان ينكره
قال : ﴿ بما نزل ﴾ أى [٨] ممن لامنزل إلا هو [٨] [٩] منجما مفرقا ليجددوا بعد ١٥

(١ - ١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الضلالة يعده (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الآخرة (٣-٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تعالى انه (٤) زيد فى الأصل : المؤمنين بقتالهم لكن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اصل (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لدعواه (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قادر على . (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩) زيد قبله فى الأصل : و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

الإيمان به[1] إجمالا الإيمان بكل نجم منه ﴿على محمد﴾ النبي الأمي العربي القرشي المكي [ثم -[2]] المدني الذي يجدونه مكتوبا عندهم[3] في التوراة و الإنجيل صلى الله عليه و سلم، [و لما كان هذا معلما بأن كل إيمان لم يقترن بالإيمان به صلى الله عليه و سلم -[2]] لم يعتد به، اعترض بين المبتدأ و جوابه بما يفهم علته حثا عليه و تأكيدا له فقال تعالى: ﴿و هو﴾ أي هذا الذي نزل عليه صلى الله عليه و سلم مختص بأنه ﴿الحق﴾ أي الكامل في الحقية لأنه ينسخ و لا ينسخ[4] كائنا ﴿من ربهم[5] ﴾ المحسن إليهم بارساله[6]، أما إحسانه إلى أمته فواضح، و أما سائر الأمم[7] فبكونه هو[7] الشافع فيهم الشفاعة العظمى يوم القيامة، و أمته هي الشاهدة لهم.

و لما ثبت بهذا أنهم أحق الناس بالحق، بين ما أثمر[2] لهم ذلك دالا على أنه لا يقدر [أحد -[2]] أن يقدر الله حق قدره، فلا يسع الخلق إلا العفو لأنهم و إن اجتهدوا في الإصلاح [8]بدا لهم[8] لنقصانهم من سيآت أو هفوات فقال تعالى: ﴿ كفر ﴾ أي غطى تغطية عظيمة ﴿عنهم﴾ في الدارين بتوبتهم و إيمانهم لأن التوبة تجب ما كان قبلها كالإيمان ﴿ سيئاتهم ﴾ أي الأعمال السيئة التي لحقتهم قبل ذلك بما يظهر لهم من

---

(١) سقط من م (٢) زيد من م و مد (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) زيد في الأصل: لكونه، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها (٥) من م و مد، و في الأصل و ظ: بارسالهم (٦-٦) من ظ و م و مد، و في الأصل: فلكونه (٧) من مد، و في الأصل و ظ و م: اغر (٨-٨) من مد، و في الاصل و ظ و م: بدرايه - كذا.

المحاسن و هدى أعمالهم . و لما كان من يعمل سوءا يخاف عاقبته فيتفرق فكره، إذ لا عيشة لخائف[1] قال تعالى: ﴿ و اصلح بالهم ﴾ أى موضع سرهم و فكرهم بالأمن و التوفيق و السداد و قوة الفهم و الرشاد[2] لما يوفقهم له من محاسن الأعمال و يطيب به اسمهم فى الدارين، قال ابن برجان: و إذا أصلح ذلك [من العبد -[3]] صلح ما يدخل[4] إليه و ما يخرج عنه و ما يثبت فيه، و إذا فسد / فبالضد من ذلك، و لذلك إذا اشتغل البال لم ينتفع [5]من صفات[5] الباطن بشىء، و قد علم أن الآية من الاحتباك: ذكر ضلال الكفار أولا دليلا على إرادة الهدى للمؤمنين ثانيا، و إصلاح البال ثانيا دليلا على [حذف -[6]] إفساده أولا .

/٨٠٦

و لما كان الجزاء من جنس العمل، علل ما تقدم من فعله بالفريقين بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى ذكر هنا من جزاء الطائفتين ﴿ بان ﴾ أى بسبب أن ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا مرائى عقولهم ﴿ اتبعوا ﴾ أى بغاية جهدهم و معالجتهم لما قادتهم إليه فطرهم الأولى ﴿ الباطل ﴾ من العمل الذى لاحقيقة [له -[3]] فى الخارج يطابقه، و ذلك هو الابتداع و الميل مع الهوى[7] ايثارا للحظوظ[7] فضلوا ﴿ و ان الذين آمنوا ﴾ أى و لو كانوا[8] فى أقل درجات الإيمان ﴿ اتبعوا ﴾

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: لخاف (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد لحذفناها (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يدخل (٥ - ٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بصفات (٦) زيد من م و مد (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: امان الخطوبا (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كان .

أى بغاية جهدهم متابعين لما تدعو إليه الفطرة الأولى مخالفين لنوازع الشهوات و دواعى الحظوظ على كثرتها و قوتها ﴿الحق﴾ أى الذى له واقع يطابقه و ذلك هو الحكمة و[1] هى العمل بموافقة العلم و هو معرفة المعلوم على ما [هو -[2]] عليه ﴿من ربهم[1]﴾ الذى أحسن إليهم بإيجادهم
٥ و ما سببه من حسن اعتقادهم فاهتدوا .

و لما [3]علم من[3] هذا أن باطن حال الذين كفروا الباطل ، و باطن حال الذين آمنوا الحق ، و تقدم فى البقرة أن المثل هو ما يتحصل فى باطن الإدراك من حقائق الأشياء المحسوسة ، فيكون ألطف من الشىء المحسوس ، و أن ذلك هو وجه الشبه ، علم أن مثل كل من الفريقين ما
١٠ علم[4] من باطن [حاله -[2]] فمثل الأول الباطل و مثل[5] الثانى الحق ، فلذلك[5] قال سبحانه استئنافا جوابا لمن كأنه قال لما أدركه من دهش العقل لما راعه من علو هذا المقال : هل [يضرب -[2]] مثل مثل هذا : ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا الضرب العظيم الشأن ﴿ يضرب الله ﴾ [أى -[2]] الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ﴿ للناس ﴾ أى كل
١٥ من[7] فيه قوة الاضطراب و الحركة ﴿ امثالهم ﴾ أى أمثال أنفسهم و أمثال

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اتى (٢) زيد من م و مد (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل و ظ (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لم . (٥) سقط من م و مد (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فذلك (٧) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

الفريقين المتقدمين أو أمثال جميع الأشياء التى[1] يحتاجون إلى بيان[2] أمثالها مبينا لها مثل هذا البيان ليأخذ كل واحد من ذلك جزاء حاله ، فقد علم من هذا المثل أن من اتبع الباطل أضل الله عمله و وفر سيئاته و أفسد باله ، و من اتبع الحق عمل به ضد[3] ذلك كائنا من كان ، و هو غاية الحث[4] على طلب العلم فى[5] كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و العمل[6] بهما .

[7]و لما تحرر أن[7] الكفار أحق الخلق بالعدم[8] لأن الباطل مثلهم[9] و حقيقة حالهم[10] ، سبب عنه قوله : ﴿ فاذا لقيتم ﴾ أى أيها المؤمنون ﴿ الذين كفروا ﴾[11] و لو بأدنى أنواع الكفر فى أىّ مكان كان و أىّ زمان[12] اتفق . و لما كان المراد القتل المجهر بغاية التحقق ، عبر عنه مؤكدا له من الاختصار بذكر المصدر الدال على الفعل مصورا له[13] بأشنع [14]صوره مع[14] ما فيه من الغلظة على الكفار و الاستهانة

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذى (٢) زيد فى الأصل و ظ : جميع . و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حبل - كذا (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الحب (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : العلم . (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بما محد - كذا (٨) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : مثله (١٠) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : حاله (١١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٢) زيد فى الأصل : كان او ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٣) فى م : به . (١٤-١٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تصور متبع .

/ ٨٠٧ / بهم فقال تعالى : ﴿فضرب الرقاب[1]﴾ أى عقبوا لقيكم لهم من غير مهلة بأن تضربوا رقابهم[1] ضربا بالصدق فى الضرب بما يزهق أرواحهم ، فان ذلك انتهاز للفرصة و عمل بالأحوط ، و كذلك[2] النفس التى هى أعدى العدو إذا ظفرت بها وجب عليك أن لاتدع لها[3] بقية ، قال القشيرى : فالحية إذا[4] بقيت منها بقية فوضعت عليها إصبع[5] ثبت فيها سمها .

و لما كان التقدير : [6]و لايزال ذلك فعلكم ، غياه[7] بقوله : ﴿حتى[3]﴾ و بشرهم بالتعبير بأداة التحقق[8] فقال تعالى : ﴿اذآ أثخنتموهم﴾ أى أغلظتم القتل فيهم و أكثرتموه[9] بحيث صاروا لاحراك[10] بهم كالذى ثخن فأفرط ثخنه ، فجعل ذلك شرطا للأسر كما قال تعالى "و ما كان لنبى ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض" [11]ثم قال تعالى مبينا لما بعد الثخن[11] : ﴿فشدوا﴾ أى لأنه لامانع لكم الآن من[12] الأسر[12] ﴿الوثاق[13]﴾ أى

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ارقابهم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الذلك (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بها (٤) فى مد : متى . (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اصبعا (٦) من م و مد و فى الأصل و ظ : فلا (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عناه (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : التحقيق (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : اكثروهم . (١٠) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احتراك (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد ، و زيد فى الأصل بعد «بعد الثخن» فقال ، فحذفناها (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بعد (١٣) زيد فى الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها .

الرباط الذى يستوثق[1] به[2] من الأسر بالربط[3] على أيديهم مجموعة إلى[4] أعناقهم - مجاز عن الأسر بغاية الاستيلاء[5] و القهر .

و لما كان الامام مخيرا[6] فى أسراهم[7] بين أربعة أشياء : القتل و الإطلاق مجانا و الإطلاق بالفدية و هى [8]شىء يأخذه[8] عوضا عن رقابهم و[9] الاسترقاق[9] ، عبر عن ذلك بقوله مفصلا : ﴿فاما منا﴾ أى أن ينعموا عليهم إنعاما ﴿بعد﴾ أى فى جميع أزمان ما بعد الأسر باستبقائهم ثم بعد الإنعام باستبقائهم إما أن يكون ذلك مع الاسترقاق أو مع الإطلاق ثم الإطلاق إما[10] مجانا ﴿و اما فداء﴾ بمال أو بأسرى من المسلمين و نحو ذلك ، فأفهم التعبير بالمن الذى معناه الإنعام أن الإبقاء غير واجب [بكل -[11]] جائز[12] ، و دخل فى الإبقاء ثلاث صور : الاسترقاق و الإطلاق مجانا و [13]بالفداء فصرح سبحانه و تعالى بالفداء الذى معناه الأخذ

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يتوثق (٢) زيد فى الأصل و ظ : و هو ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى الربط (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : على (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الاشتداد (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : بين اسرهم ، و سقط ما بين الرقمين من م (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ياخذ الامام (٨) زيد فى الأصل : الرابع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (٩) زيد فى الأصل : ثم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اى (١١) زيد من ظ و م و مد (١٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جابر (١٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : أو .

على وجه أنه قسيم للمن . فعلم أن المراد به الإبقاء مع عدم الأخذ فدخل فيه الإطلاق مجانا و هو واضح و الاسترقاق لأنه إنعام بالنسبة إلى القتل، و أفهم التعبير بالمن الذى معناه الإنعام من المنان الذى هو اسمه تعالى و معناه المعطى ابتداء جواز [القتل -[1]] لأن الإنعام مخير فيه لا واجب ٥ لأنه لو كان واجبا كان حقا لا نعمة ، فقد دخلت الصور الأربع فى التعبير بهاتين الكلمتين - و الله الهادى، و كل هذا على ما يراه الإمام أو نائبه مصلحة ، قال القشيرى : كذلك حال المجاهدة[2] مع النفس إذا كان فى إغفاء ساعة و إفطار يوم ترويح للنفس[3] من الكد و قوة على الجهد فيما يستقبل من الأمر على ما يحصل به الاستصواب من شيخ المريد و فتوى لسان ١٠ الوقت أو فراسة صاحب المجاهدة - انتهى . و قد أفهم هذا السياق أن هذا الحكم ثابت [4]غير منسوخ[4] و الأمر بالقتل [وحده -[5]] فى غيرها من الآيات عام [غير -[1]] مخصوص بما أفهمته الغاية من أن التقدير : / ٨٠٨ / و الجهاد على هذه الصفة باق و ماض مع كل أمير [6]برا كان[6] أو فاجرا ، لا يزال طائفة من الأمة قائمين به ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ١٥ حتى يأتى أمر الله ، و هو - و الله أعلم - المراد بقوله[7] تعالى : ﴿حتى﴾ أى افعلوا ما أمرتكم به على ما جددت لكم إلى أن ﴿تضع الحرب اوزارها قف ج﴾

(١) زيد من م و مد (٢) فى مد : المشاهدة (٣) من م و مد . و فى الأصل و ظ : النفس (٤-٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عن منسوخ (٥) زيد من ظ و م و مد (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كان برا (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بقاله .

و هى أثقالها أى الآلات التى تثقل القائمين بها من النفقات و السلاح و الكراع و نحوه، و ذلك لايكون و فى الأرض كافر، و ذلك على زمن عيسى عليه الصلاة و السلام حين تخرج الأرض بركاتها، و تكون الملة واحدة و هى الإسلام لله رب العالمين، فيتخذ [الناس -[1]] حديد السلاح سككا و مناجل و فؤسا ينتفعون بها فى معاشهم كما ورد فى الحديث[2] "الجهاد ماض [منـــذ بعثنى الله -[3]] إلى أن يقاتل آخر أمتى الدجال - رواه فى الفردوس عن أنس رضى الله عنه "الجهاد واجب عليكم مع كل بر و فاجر" رواه أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه[4] .

و لما كانت[5] الحرب كريهة إلى النفوس شديدة المشقة، أكد أمرها بما معناه: إن هذا أمر قد فرغ منه، فقال تعالى: ﴿ذلك[1]﴾ أى الأمر العظيم العالى الحسن النافع الموجب لكل خير. و لما كان هذا ربما أوهم أن التأكيد فى هذا الأمر لكون الحال لايمكن انتظامه إلا به، أتبعه ما[6] يزيل [هذا -[7]] الإيهام فقال[8]: ﴿ و لو ﴾ و لما كان لو عبر بالماضى [أفاد] أنه كان و لم يبق، عبر بالمضارع الدال على الحال و ما بعده

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الاصل و ظ : بذلك و فى الحديث، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٣) زيد من م و مد وليس فى تلخيص الفردوس رقم الحديث : ٥٣٩٢ (٤) راجع من سننه أبواب الجهاد (٥) من م و مد، و فى الاصل و ظ : كان (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بما. (٧) زيد من مد (٨) زيد فى الأصل : مشيرا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

فقال : ﴿ يشآء الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له جميع صفات[1] الكمال [2]و القدرة على ما يمكن[2] ﴿ لانتصر منهم ﴾ أى بنفسه من غير أحد انتصارا عظيما بأن لايبقى منهم أحدا ﴿ و لكن ﴾ [3]أوجب ذلك عليكم ﴿ ليبلوا ﴾ .

٥ و لما كان الابتلاء ليس خاصا بفريق منهم بل عاما للفريقين لأنه يكشف عن أهل المحاسن و [أهل ـ [4]] المساوئ من كل منهم، قال تعالى : ﴿ بعضكم ﴾ [2]من الفرقة المؤمنين بالإنكار عليهم من الفرقة الطاغين حتى يكون لهم بذلك اليد البيضاء[2] ﴿ ببعض[5] ﴾ أى يفعل فى ذلك فعل المختبر ليترتب عليه الجزاء على حسب ما تألفونه من العوائد[5] .

١٠ و لما أفهم هذا أن الابتلاء[6] بين فريقين بالجهاد ، قال عاطفا على ما تقديره : فالذين قاتلوا أو قتلوا فى سبيل الشيطان أضل أعمالهم : ﴿ و الذين قتلوا[7] ﴾ و فى قراءة البصريين و حفص[8] "قتلوا" و هى أكثر ترغيبا و الأولى[9] أعظم ترجية ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى لأجل تسهيل

(١) سقط من ظ و م و مد (٢ ـ ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .
(٣) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٤) زيد من م و مد (٥) زيد فى الأصل : سبحانه و تعالى يفعل ما يشاء و يحكم فى خلقه بما يريد لاراد لحكمه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .
(٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الابتداء (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : قتلوا (٨) راجع نثر المرجان ٦/ ٥٧٨ (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الاعظم لى .

طريق الملك الأعظم المتصف بجميع صفات الكمال .

و لما كان فى سياق الترغيب، قرن الخبر بالفاء إعلاما بأن أعمالهم سبيه[1] فقال تعالى: ﴿ فلن يضل ﴾ أى يضيع و يبطل ﴿ اعمالهم ﴾ لكونها غير تابعة لدليل بل ببصرهم بالأدلة و يوفقهم لاتباعها، و هو معنى قوله تعالى تعليلا: ﴿ سيهديهم ﴾ اى فى الدارين بوعد لاخلف فيه بعد المجاهدة إلى كل ما ينفعهم مجددا ذلك على سبيل الاستمرار ﴿و يصلح بالهم﴾ أى / موضع فكرهم فيجعله مهيأ لكل خير بعيدا عن كل شر آمنا من المخاوف [2]مطمئنا بالإيمان[2] بما فيه من السكينة، فاذا قتل أحد فى سبيله[3] تولى سبحانه و تعالى ورثته بأحسن من تولى[4] المقتول[5] لو كان حيا . / ٨٠٩

و لما كان هذا[6] ثوابا عظيما [7]و نوالا جسيما[7]، أتبعه ثوابا أعظم منه فقال تعالى: ﴿ و يدخلهم الجنة ﴾ أى [7]دار القرار[7] الكاملة فى النعم، و أجاب من [7]كأنه يسأل[7] عن كيفية إدخالهم إياها و كيفيتها عند ذلك بقوله تعالى: ﴿عرفها لهم﴾ [أى-[8]] بتعريف الأعمال الموصلة

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م: سببة (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سبيل (٤) زيد فى الأصل: فاذا رأى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل: ما اعدله تمنى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: الثواب، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها . (٧-٧) فى ظ و م و مد: سأل (٨) زيد من م و مد .

إليها و التوفيق لهم إليها فى الدنيا [١] و أيضا بالتبصير [٢] بالمنازل فى الآخرة حتى أن أحدهم يصير [٣] أعرف بمنزله فيها منه بمنزله فى الدنيا، و طيب رائحتها و جعل موضعها عاليا و جدرانها عالية و هى [٢] ذات أغراف و شرف، و فى هذه الآية بشرى عظيمة لمن جاهد ساعة ما بأن الله

٥ يميته على الإسلام المستلزم لئلا يضيع له عمل، و يؤيده [٤] ما رواه الطبرانى فى الكبير [٥] عن فضالة بن عبيد الأنصارى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: للاسلام ثلاث أبيات: سفلى و عليا و غرفة، فأما السفلى فالإسلام دخل فيه عامة المسلمين [٦] فلا تسأل أحدا [٦] منهم إلا قال: أنا مسلم، و أما العليا فتفاضل أعمالهم [٧] بعض المسلمين

١٠ أفضل من بعض، و أما الغرفة العليا فالجهاد فى سبيل الله لا ينالها [٨] إلا أفضلهم [٩].

و لما ذكر القتال، تشوف السامع لى حال المقاتل من النصر و الخذلان فأجاب بما يعرف بشرط النصر فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أى أقروا بذلك و إن كان فى أدنى الدرجات بما أشعرت به أداة البعد

---

(١) العبارة من هنا إلى «منزله فى الدنيا» ساقطة من مد و كلمة «أيضا» ساقطة من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: بالتبصر (٣) سقط من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: و يؤيد هذا (٥) راجع مجمع الزوائد للهيثمى ٥/٢٧٤ (٦ - ٦) من م و مد، و فى الاصل و ظ: فلا يسال أحد، و فى المجمع: فلا يسأل أحدا (٧) من ظ و م و مد و المجمع، و فى الأصل: اعمال (٨) من مد و المجمع، و فى الاصل و ظ و م: لا ينالهم (٩) من ظ و م و مد و المجمع، و فى الأصل: فضلهم.

و الصلة بالماضى ﴿ ان تنصروا الله ﴾ اى يتجدد [١]لكم نية [١] مستمرة و فعل دائم على نصرة دين الملك الأعظم بايضاح أدلته و تبيينها و توهية شبه أهل الباطل و قتالهم، و يكون ذلك خالصا له لا لغيره من النيات الفاسدة المعلولة بطلب الدنيا أو الشهرة بالشجاعة و العلم و طيب الذكر و الغضب للأهل و غير ذلك ﴿ ينصركم ﴾ فانه الناصر لا غيره من عدد ٥ أو عدد [٢] فيقمع أعداء الدين بأيديكم .

و لما كان النصر قد يكون مع العجز و الكسل و الجبن و الفشل، بين أنه يعميهم من ذلك فقال: ﴿ و يثبت اقدامكم ﴾ أى تثبيتا عظيما بأن يملأ قلوبكم سكينة [٣] و اطمئنانا و أبدانكم قوة و شجاعة [٣] فى حال القتل و وقت البحث و الجدال، و عند مباشرة جميع الأعمال، فتكونوا ٥٠ عالين [قاهرين - [٤]] فى غاية ما يكون من طيب النفوس و انشراح الصدور ثقة بالله و اعتزازا به و إن تمالأ عليكم أهل الأرض .

و لما ذكر أهل الإيمان، بين ما لأهل الكفران، فقال سبحانه: ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما دل عليه العقل و قادت إليه الفطر الأولى /، و بين أن سوء أعمالهم أسباب وبالهم بالفاء، فقال مؤكدا بجعل ١٥ / ٨١٠ الخبر مفعولا مطلقا [٦]لأجل استبعادهم [٦] بما لهم من القوة بكثرة العدد

(١ - ١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ذلك منكم بنية (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عدو (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.
(٤) زيد من م و مد (٥) زيدت الواو فى الأصل و ظ و م، و لم تكن فى مد فحذفناها (٦-٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لاستبعادهم للخذلان .

و الملاء[1] بالعدد : ﴿ فتعسا ﴾ أى فقد عثروا[2] فيقال لهم ما يقال للعاثر الذى يراد[3] أنه لايقوم : تعسا لا قيام معه ، كما يقال لمن عثر و أريد قيامه : تعسا [لك -[4]] ، و المراد بالتعس الانحطاط و السفول و الهوان و القلق . و لما كان كأنه قيل : لمن هذا ؟ قيل[5] : ﴿لهم﴾ فلا يكادون ٥ يثبتون فى قتال لمن صلحت[6] منه الأعمال .

و لما كان الإنسان قد يعثر و يقع و يقال له : تعسا ، و يقوم بعد ذلك ، و لايبطل عمله[7] ، بين أن قوله ليس كذلك ، بل مهما قاله كان لا يتخلف أصلا ، فقال معبرا بالماضى إشارة إلى التحتم فيه ، و أما الاستقبال فربما تاب[8] على بعضهم[9] فيه عاطفا على ما تقديره فقال تعالى ١٠ لهم ذلك : ﴿و اضل اعمالهم﴾ و إن كانت ظاهرة الإيقان لأجل تضييع الأساس بالإيمان .

و لما بين ما صنع بهم ليجترئ به حزبه عليهم ، بين سببه ليجتنب فقال : ﴿ ذلك ﴾ الأمر البعيد من الخير ﴿ بانهم ﴾ أى بسبب أنهم ﴿ كرهوا ﴾ [10]بغضوا و خالفوا و أنكروا[10] ﴿ما انزل الله﴾ اى الملك

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الملة (٢) من ظ و م و مد . و فى الأصل : غروا (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يراد - كذا (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فقيل (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : ضلت (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : علمه (٨) زيد فى الأصل و ظ : بعضهم ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٩) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بعض (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .

الأعظم الذى لانعمه إلا منه ، و الذى أنزله من القرآن و السنة هو روح الوجود الذى لايعاندونه ، فلما كرهو الروح الأعظم بطلت أرواحهم فتبعتها أشباحهم ، و هو معنى قوله مسببا بيانا لمعنى [1]إضلال أعمالهم[1] : ﴿فاحبط﴾ أى أبطل إبطالا لاصلاح معه ﴿اعمالهم﴾ بسبب أنهم أفسدوها بنياتهم فصارت و إن كانت صورها صالحة ليس لها أرواح ، لكونها [واقعة -[2]] على غير ما أمر به الله الذى لا أمر إلا له و لايقبل من العمل إلا ما حده و رسمه ، و هذا وعيد للأمة بأنها إن تخلت[3] عن نصر الله و الجهاد فى سبيله و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر وكلها سبحانه إلى نفسها و تخلى عن نصرها [و سلط عليها عدوها -[4]] ، و لقد وجد بعض ذلك من تسلط الفسقة لما وجد التهاون فى بعض ذلك و التواكل فيه .

و لما كان لايستهين بهذه القضايا و يجترئ مثل هذه البلايا إلا من أمن العقوبة ، و لا يأمن العقوبة إلا من أعرض عن الله سبحانه و تعالى . و كان يكفى فى الصد عن الأمرين وقائعه تعالى بالأمم الخالية لأجل تكذيب رسله و مناصبة أوليائه و الاعتداء على حدوده . قال منكرا عليهم و موبخا لهم [5]تقدما إليهم[5] بالتحذير من بطشه و سطوته و شديد أخذه و عقوبته ، مسببا عن كراهيتهم[6] المذكورة و ما تأثر عنها

(١ - ١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اضلالهم (٢) زيد من م و مد .
(٣) من م و مد . و فى الأصل و ظ : انحلت (٤) زيد من ظ و م و مد .
(٥-٥) من م و مد . و فى الأصل وظ : و مقدما لهم (٦) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : كرهتهم .

من العداوة لأهل الله : ﴿ افلم يسيروا ﴾ [اى ـ[1]] بسبب تصحيح أعمالهم و بنائها على أساس ﴿ فى الارض ﴾ أى التى فيها آثار الوقائع فانها هى الأرض / فى الحقيقة لما لها من زيادة التعريف بالله ﴿ فينظروا ﴾ ٨١١ / عقب سيرهم و بسببه . و لما كانت وقائعه خالعة للقلوب بما فيها من الأمور الباهرة الناطقة بها ألسنة الأحوال بعد التنبيه بالمقال[2]، ساق ذلك بسوقه فى[3] اسلوب الاستفهام مساقا منها على أنه من العظمة بحيث يفرغ الزمان للعناية بالسؤال عنه فقال : ﴿ كيف كان عاقبة ﴾ أى آخر أمر ﴿ الذين ﴾ و لما كان يمكنهم معرفة [ذلك من جميع المهلكين، نبه باثبات الجار على أنهم بعضهم بل بعض المكذبين للرسل، و هم الذين سمعوا أخبارهم و رأوا ديارهم ـ[4]] بعاد و ثمود و مدين و سبا و قوم لوط فقال تعالى[5] : ﴿ من قبلهم[6] ﴾ و لما كان كأنه قيل : ما لهم ؟ قال : ﴿ دمر الله ﴾ أى أوقع الملك الأعظم الهلاك العظيم الداخل بغير إذن، الهاجم بغتة ﴿ عليهم[5] ﴾ بما علم أعمالهم و أحوالهم و كل من رضى فعالهم أو مقالهم، و عدل [عن ـ[1]] ان يقول : «و لهؤلاء» إلى قوله : ﴿ و للكفرين ﴾ تعميما و تعليقا للحكم بالوصف و هو المرافقة فى الكفر[6]، فكان فيه بشارة بأن بعضهم سينجيه الله تعالى من أسباب الهلاك لكونه

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بالمقول (٣) زيد فى الأصل : اسباب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : مبينا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الكف .

ليس عريقا فى الكفر، لأنه لم يطبع عليه ﴿ امثالها ﴾ أى أمثال هذه العاقبة .

و لما بين أنه يعلى أو لياءه و يذل أعداءه، بين علته[1] فقال: ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم الذى فعله بالفريقين ﴿ بان الله ﴾ أى بسبب أن الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال ﴿ مولى الذين امنوا ﴾ أى القريب من ٥ المصدقين به المرضين له، فهو[2] يفعل معهم بما له من الجلال و الجمال ما يفعل القريب بقريبه الحبيب له، قال القشيرى: و يصح أن يقال: أرجى آية فى كتاب الله هذه الآية لأنه لم يقل: الزهاد و العباد و أصحاب الأوراد و الاجتهاد. يعنى بل ذكر أدنى أسنان أهل الإيمان. ﴿ و ان الكفرين ﴾ أى العريقين فى هذا الوصف ﴿ لامولى لهم ﴾ ١٠ بهذا المعنى، لأنهم [3]بعيدون من[3] الله [4]الذى لا يعبد على الحقيقة إلا هو[4]، فلا ينفعهم قرب قريب [أصلا -[5]] و إن [كان -[6]] الله مولاهم بغير هذا المعنى بل بمعنى أنه سيدهم و مالكهم، و فيه إيماء إلى أنه سبحانه و تعالى ولى من لم يكن عريقا فى الكفر فيخرجه من الظلمات إلى النور[7].

و لما[8] تشوف السامع[9] إلى تعرف تمام آثار الولاية، قال شافيا ١٥

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: علة ذلك (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فهل (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يعبدون دون - كذا. (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٥) زيد من م و مد (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل: سبحانه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل: كان فى هذا شدة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للسامع.

لعيّ سوالهم مؤكدا [1]لأجل كثرة[1] المكذبين : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له جميع الكمال ﴿ يدخل الذين [1]امنوا[1] ﴾ أى أوقعوا التصديق ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لما ادعوا أنهم [2]أوقعوه[2] ﴿ الصلحت ﴾ فتمتعوا بما رزقهم الله من الملاذ لا على وجه أنها ملاذ بل على وجه أنها مأذون فيها ،
٨١٢/ ٥ وهى بلاغ إلى الآخرة / و أكلوا لا للترفه بل لتقوية البدن على ما أمروا به [3]تقوتا لاتمتعا[3] ﴿ جنت ﴾ أى بساتين عظيمة الشأن موصوفة بأنها ﴿ تجرى ﴾ و بين قرب الماء من وجهها بقوله : ﴿ من تحتها الانهر[4] ﴾ أى فهى دائمة النمو[4] و البهجة و النضارة و الثمرة لأن أصول أشجارها ربى و هى بحيث متى أثرت بقعة منها أدنى أثارة جرى منها نهر ، فأنساهم
١٠ دخولها غصص ما كانوا فيه فى الدنيا من نكد العيش و معاناة الشدائد ، و ضموا نعيمها إلى ما كانوا فيه فى الدنيا من نعيم الوصلة بالله ثم لايحصل لهم كدر ما أصلا ، و هى مأواهم لايبغون عنها حولا ، و هذا فى نظير ما زوى عنهم من [الدنيا -[5]] و ضيق فيها عيشهم نفاسة منهم عنها حتى فرغهم لخدمته و ألزمهم حضرته حبا لهم و تشريفا لمقاديرهم
١٥ ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى غطوا ما دل عليه العقل فعملوا لأجل كفرهم الأعمال الفاسدة المبعدة عن جناب الله ﴿ يتمتعون ﴾ أى فى الدنيا بالملاذ

(١ - ١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لكثرة (٢) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣ - ٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تمتعا لا تقوتا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النسق .
(٥) زيد من م و مد .

لكونها ملاذ كما تتمتع الأنعام، ناسين ما امر الله معرضين عن لقائه بل[1] عن الموت أصلا[2] بل يكون ذكر الموت حاثا لهم على الانهماك فى اللذات مسابقة له جهلا منهم بالله ﴿و ياكلون﴾ على سبيل الاستمرار ﴿كما تاكل الانعام﴾ أكل التذاذ و مرح من أىّ موضع كان وكيف كان الأكل فى سبعة أمعاء، أى فى جميع بطونهم من غير تمييز[3] للحرام[4] من غيره لأن الله تعالى أعطاهم الدنيا و وسع عليهم فيها و فرغهم لها حتى شغلهم عنه هوانا بهم و بغضا لهم [5]لأنه علم حالهم قبل أن يوجدهم[5] فيدخلهم نارا وقودها الناس و الحجارة ﴿و النار﴾ أى و الحال أن ذات الحرارة العظمى و الإحراق الخارج عن الحد ﴿مثوى﴾ أى منزل و مقام ﴿لهم﴾ [6]تنسيهم أول انغماسهم[6] فيها كل نعيم كانوا فيه ثم لايصير لهم نعيم [ما -[7]] أصلا، بل لاينفك عنهم العذاب [وقتا ما -[8]]، فالآية من الاحتباك، ذكر الأعمال الصالحة و دخول الجنات[9] أولا دليلا على حذف الفاسدة و دخول النار ثانيا. و التمتع و المثوى ثانيا دليلا على حذف التعلل و المأوى أولا، فهو احتباك [فى احتباك -[8]]

(١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٢) زيد فى الأصل: الموصل الى الله. و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: تميز (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحرام (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد. (٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للسهم اولانغماسهم - كذا. (٧) زيد من م و مد (٨) زيد من ظ و م و مد (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الجنان.

و اشتباك مقارن لاشتباك[1] .

و لما وعد سبحانه أنه ينصر من ينصره لأنه مولاه و يدخله دار نعمته ، و يخذل من يعانده لأنه عاداه إلى أن يدخله دار شقوته ، كان التقدير دليلا على ذلك : فكأين من قوم هم أضعف من الذين اتبعوك نصرناهم على من كذبهم ، فلا خاذل لهم . فعطف[2] عليه قوله : ﴿وكاين﴾ و لما كانت قوة قريش فى الحقيقة ببلدهم[3] ، و كان الإسناد إليها أدل على تمالؤ أهلها و شدة اتفاقهم حتى كأنهم كالشىء الواحد [قال -[4]] : ﴿من قرية﴾ أى كذبت رسولها ﴿هى اشد قوة﴾ و أكثر عدة ﴿من قريتك﴾ و لما كان إنزال[5] هذه بعد الهجرة ، عين فقال : ﴿التى اخرجتك ج﴾ أى أخرجك / أهلها متفقين فى أسباب الإخراج[6] من أنواع الأذى على كلمة واحدة حتى كأن[7] قلوبهم قلب واحد فكأنها هى المخرجة - و هى مكة - كذبوك و آذوك حتى أخرجناك من عندهم لننصرك عليهم بمن أيدناك بهم من قريتك هذه الذى آوتك من الأنصار نصرا جاريا على ما تألفونه و تعتادونه ﴿اهلكنهم﴾ بعذاب الاستئصال كما اقتضت عظمتنا ، و حكى حالهم الماضية بقوله : ﴿فلا ناصر لهم ه﴾ .

٨١٣ / ١٠

و لما كان هذا دليلا شهوديا بعد الأدلة العقلية على ما تقدم الوعد

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لاحتباك الاشتباك (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : عطف (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بلدهم . (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انزل (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الخروج (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : كأنهم .

به ، سبب عنه[1] الإنكار عليهم فقال : ﴿ أفمن كان ﴾ أى فى جميع أحواله ﴿ على بينة ﴾ أى حالة ظاهرة البيان فى أنها حق ﴿ من ربه ﴾ المربى المدبر له المحسن إليه بما يقيم من الأدلة التى تعجز[2] الخلائق أجمع[3] عن أن يأتوا بواحد منها فبصر سوء عمله و أريه على حقيقته[4] فرآه سيئا فاجتنبه مخالفا لهواه ، قال القشيرى : العلماء فى ضياء برهانهم و العارفون فى ٥ ضياء بيانهم . ﴿ كمن زين له ﴾ بتزيين الشيطان بتسليطنا له عليه و خلقنا للآثار بأيسر أمر ﴿ سوء عمله ﴾ من شرك أو معصية دونه .

و لما كان التقدير : فرآه حسنا فعمله ملازما له ، فكان على عمى و ضلال ، و كان[5] قد أفرد الضمير لقبول "من" له من جهة لفظها ، جمع ردا على معناها بتعميم القبح مثنى و فرادى ، و إشارة إلى [أن -[6]] ١٠ القبيح يكون أولا[7] قليلا جدا[8] ، فمتى غفل عنه فلم تحسم مادته دب و انتشر[9] فقال عاطفا على [ما -[10]] قدرته: ﴿[11] و اتبعوا[11] اهواءهم ﴾ فلا شبهة لهم فى شىء من أعمالهم السيئة فضلا عن دليل ، و الآية من الاحتباك

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : منه (٢) زيد فى الأصل : عنها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) سقط من ظ و م و مد . (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حقيقة (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كانه (٦) زيد من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل : اهواءهم اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : جديد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : البس (١٠) زيد من م و مد (١١) وقع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « يكون اولا » و الترتيب من ظ و م و مد .

ذكر البينة أولا دليلا على ضدها ثانيا ، و التزيين و[1] اتباع الهوى [ثانيا -[2]] دليلا على ضدهما أولا ، و سره أنه ذكر الأصل الجامع للخير ترغيبا و الأصل الجامع للشر ترهيبا .

و لما تكرر ذكر الجنة و النار فى هذه السورة إلى أن ختم بهذه الآية التى قسم الناس فيها إلى أولياء مهتدين و أعداء ضالين معتدين ، فهدى سياقها إلى أن التقدير : أفمن كان على بينة [3]من ربه[3] أحياه الحياة الطيبة فى الدارين ، و من تبع هواه أرداه[4] فيهما ، أتبعه وصف الجنة التى هى دار أوليائه قادهم إليها الهدى ، و النار التى هى دار أعدائه ساقهم إليها الضلال المحتم للردى ، فقال : ﴿مثل الجنة﴾ أى البساتين العظيمة التى تستر[5] داخلها من كثرة أشجارها[6] .

و لما تكرر وعده سبحانه[7] للذين آمنوا بالجنة بالاسم الأعظم الجامع و بعضها بالضمير العائد إليه ، صار الوعد بها فى غاية التحقق فعبر / عنه ٨١٤/
هنا بالماضى المبنى للمفعول إشارة إلى أنه أمر قد تحقق بأسهل أمر ، و فرغ منه إلى أن صار حاضرا لامانع منه إلا الوصف الذى علق به الوعد و وصفها بصفات تفيد القطع بأنه لايقدر عليها إلا الله فصار مجرد

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : من (٢) زيد من ظ و م و مد . (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اراه (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تسر (٦) زيد فى الأصل : وأثمارها و انهارها و ما اعد لأهلها فيها من الحور العين والولدان و غير ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) و من هنا انقطعت نسخة م إلى ما سننبه عليه .

ذكرها و الإخبار به عنها بصيغة المجهول أعلى لأمره فقال: ﴿التي وعد المتقون[1]﴾ اى الذين حملتهم تقواهم بعد الوقوف عن كل فعل لم يدل عليه دليل على أن استمعوا منك فانتفعوا بما دللتهم عليه من أمور الدين حتى انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام: مقبل عليه بكليته فهو متبع، و معرض عنه جملة، و مستمع غير منتفع. ٥

و لما كان التقدير: مثل بستان عظيم لا يسقط ورقه و لا ينقطع ثمره و لا يتفطن نعيمه لما فيه من الأنهار المتنوعة، وكان ما هو بهذه الصفة إنما هو موهوم لنا لا معلوم، طواه و ذكر ما دل عليه من صفة الجنة الموعودة المعلومة بوعد الصادق الذى ثبت صدقه بالمعجزات فقال استئنافا: ﴿فيها﴾ أى[1] الجنة الموعودة. و لما كان ما يعهدونه من الجنان ١٠ لا يحتمل أكثر من ثلاثة أنهار، عبر بالجمع الذى يستعار للكثرة إذا دلت قرينة، و هى هنا المدح و الامتنان، فقال: ﴿أنهر من ماء﴾ و لما كان ماء الدنيا مختلف الطعوم [2]على ثلاثة: حلو و عذب و ملح[2]، مع اتحاد الأرض ببساطتها و شدة اتصالها للدلالة على [أن -[3]] فاعل ذلك [قادر -[3]] مختار[4]، و قد يكون آسنا أى متغيرا عن الماء الذى يشرب ١٥ بريح منتنة من أصل خلقه[5] أو من عارض عرض له من منبعه أو مجراه قال: ﴿غير آسن﴾ أى ثابت له فى وقت ما شىء[6] من الطعم أو الريح

(١) زيد فى ظ؛ فى (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) زيد من مد.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: مختارا (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: الخلقة (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: سىء - كذا.

او اللون بوجه من الوجوه و إن طالت إقامته و إن أضيف إليه غيره فانه لايقبل التغير بوجه .

و لما كان أكثر شرابهم بعد الماء اللبن، ثنى به فقال سبحانه : ﴿ و انهر من لبن ﴾ و لما كان التغير غير محمود ، و كانوا يعهدون فى الدنيا أن اللبن كله على جميع أنواعه[1] طيب حال نزوله من الضرع مع اختلاف ذوات الدر فى الأشكال و الأنواع و المقادير و الأمزجة ، و مع انفصال كل واحدة منها من الأخرى، و أنه إنما يتغير[2] بعد حلبه، عبر بما ينفى التغير فى الماضى فقال: ﴿ لم يتغير طعمه ج ﴾ أى بنفسه عن أصل خلقته[3] و إن أقام مدى الدهر ، و هذا يفهم أنهم[4] لو أرادوا تغييره[5] لشهوة اشتهوها تغير ، و أنه مع طيبه على أنواع كثيرة كما كان فى الدنيا متنوعا .

و لما كان أكثر ما بعد اللبن الخمر قال: ﴿ و انهر من خمر ﴾ و لما كانت الخمر يكثر طعمها ، و إنما يشربها شاربوها لأثرها ، و أنه متى تغير طعمها زال اسمها ، عرف أن كل ما فى خمر الجنة فى غاية الحسن غير متعرض لطعم فقال: ﴿ لذة ﴾ اى ثابتة لها اللذة و دائمة حال شربها و بعده ﴿ للشربين ج ﴾ فى طيب الطعم و حسن العاقبة[6] .

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : احواله (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تغير (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : خلقه (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : انه (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : تغيره (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : العافية .

و لما كان العسل أعزها و اقلها، أخره و إن كان أجلها فقال: ﴿ انهر من عسل ﴾ و لما كان عسل الدنيا لا يوجد إلا مخلوطا بالشمع و غيره من القذى قال: ﴿ مصفى ﴾ أى [هو - ١] صاف صفاء ما اجتهد فى تصفيته من ذلك، و هذا الوصف ثابت له دائما لا انفكاك له عنه فى وقت ما، فقد حصل بهذا غاية التشويق[٢] إلى الجنة بالتمثيل ٥ بما يستلذ به من أشربة الدنيا لأنه غاية ما نعلم من ذلك مجردا عما ينقصه أو ينغصه مع الوصف بالغزارة و الاستمرار قال البغوى[٣]: قال كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة، و نهر الفرات نهر لبنهم، و نهر مصر نهر خمرهم. و نهر سيحان نهر عسلهم. و هذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر. و قال ابن عبد الحكم فى فتوح مصر[٤]: حدثنا عثمان ١٠ ابن صالح [ثنا - ١] ابن لهيعة عن يزيد بن [أبى - ١] حبيب أن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما سأل كعب الأحبار رضى الله عنه: هل تجد لهذا النيل فى كتاب الله تعالى خبرا؟ قال: أى و الذى فلق البحر لموسى، إنى لأجده فى كتاب الله أن الله عز وجل يوحى إليه فى كل عام مرتين، يوحى إليه عند جريه أن الله يأمرك أن تجرى، ١٥ فيجرى ما كتب الله له ثم يوحى إليه بعد ذلك: يا نيل غر[٥] حميدا. حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن[٥] يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير

(١) زيد من مد (٢) من مد. وفى الاصل وظ: الشوق (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/١٤٨ (٤) من مد و كتاب الفتوح ١٤٩، و فى الأصل و ظ: عن (٥) من مد و الفتوح و فى الأصل و ظ: ابى.

عن كعب الأحبار أنه كان يقول: أربعة أنهار من الجنة وضعها الله عز وجل فى الدنيا. فالنيل نهر العسل فى الجنة، و الفرات نهر الخمر فى الجنة. و سيحان نهر الماء فى الجنة. و جيحان نهر اللبن فى الجنة.

حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا الليث بن سعد و عبد الله بن لهيعة قالا حدثنا يزيد بن [أبى] حبيب عن أبى الخير عن أبى جنادة الكنانى انه سمع كعبا يقول: النيل فى الآخرة عسلا[1] أغزر ما يكون من الأنهار التى سمى الله عز وجل، و دجلة فى الآخرة لبنا أغزر ما يكون من الأنهار التى سمى الله عزوجل، و [و الفرات خمرا أغزر ما يكون من الأنهار التى سمى الله عزوجل -[2]]، و جيحان ماء أغزر ما يكون من الأنهار التى سمى الله

و أصل هذا كله ما فى الصحيح فى[3] صفة الجنة[4] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: سيحان و جيحان و النيل و الفرات من أنهار الجنة: و قال ابو حيان[5] فى حكمة ترتيبها غير ما تقدم: إنه بدئ بالماء الذى لا يستغنى عنه[6] فى المشروبات، ثم باللبن إذ كان يجرى مجرى المطعومات فى كثير من أقوات العرب و غيرهم، ثم بالخمر لأنه إذا حصل الرى و المطعوم تشوفت النفس إلى ما يتلذذ به. ثم بالعسل لأن فيه الشفاء فى الدنيا مما يعرض من المطعوم و المشروب - انتهى. و أحسن منه أنه لما كان السياق للتعجب فى ضرب المثل لأنه قول

(١) من مد و هامش الفتوح، و فى الأصل و ظ و الفتوح: عسل (٢) زيد من مد و الفتوح (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: من (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/١٤٨ (٥) فى البحر المحيط ٨/٧٩ (٦) من البحر، و فى الأصل: من، و ليس فى ظ و مد.

لا ينفك عن غرابة بدأ بانهار الماء لغرابتها فى بلادهم و شدة حاجتهم إليها، و لما كان خلوها عن تغير[1] أغرب نفاه، و لما كان اللبن أقل فكان جريه أنهارا [أغرب، ثنى -[2]] به، و لما كان الخمر أعز ثلث به، / و لما كان العسل أشرفها و أقلها ختم به، و نبه - مع هذا التذكير بقدرته / ٨١٦ تعالى - على ما يريد بسبب و بغير سبب فان هذه المشروبات الثلاثة التى ٥ بعضهم متمحض للشرابية كالخمر و بعضها فيه غذائية[3] و هى فيه أغلب، و هو العسل، و بعضها ينزع إلى كل منهما و هو اللبن كلها من الماء مع تمايزها مذاقا و أثرا فى الغذاء و الدواء و غير ذلك، فان الماء أصل النبات، و من النبات يكون اللبن[4] و الخمر و العسل بما لا يخفى من الأسباب، و أما الآخرة فغنية عن[5] الأسباب لظهور اسمه الظاهر سبحانه هناك لأنه ١٠ لا ابتلاء[6] فيها، و بهذا فهم للترتيب سر آخر و هو [أنه -[7]] تعالى قدم الماء لأنه الأصل لها، و تلاه بأقرب الأشياء إليه فى الشرابية و الطبع : اللبن[7]، [ثم -[8]] بما هو أقرب إلى اللبن من جهة أنه شراب فقط، ثم بالعسل لأنه أبعدها منه .

و لما كانت الثمار ألذ مستطاب بعد [9]سائغ الشراب[9] قال تعالى: ١٥

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ : نصر- كذا (٢) زيد من مد (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: غذائه (٤) وقع فى الأصل و ظ : بعد « و العسل » و الترتيب من مد (٥) زيد فى الأصل : هذه، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : بتدا (٧) من مد، و فى الأصل و ظ : باللبن (٨) زيد من ظ و مد (٩ - ٩) من ظ و مد، و فى الأصل : ساير الاشربة .

﴿ ولهم فيها ﴾ ولما كان[1] أهلها متفاوتين[2] فى الدرجات فلا تجمع جنان أغلبهم جميع ما فى الجنة من الثمار بعض فقال: ﴿ من كل الثمرات ﴾ اى جميع أصنافها على وجه لاحاجة معه من قلة ولا انقطاع .

٥ ولما كان العيش لايطيب مع الانصاف بما يوجب العتب، قال مشيرا إلى أنه لايقدر أحد أن يقدر الله حق قدره، لأن الرتب متضائلة عن رتبته سبحانه: ﴿ ومغفرة من ربهم[3] ﴾ أى المحسن إليهم بمحو ذنوبهم السالفة أعيانها وآثارها بحيث لايخشون[4] لها عاقبة بعقاب ولا عتاب وعدم بلوغهم إلى ما يحق له من الشكر سبحانه .

ولما أرشد هذا السياق إلى أن التقدير: أفمن هو فى هذا النعيم الأكبر المقيم، بنى عليه قوله: ﴿ كمن هو خالد[5] ﴾ أى مقيم إقامة لا انقطاع معها، وحده لأن الخلود يعم من فيها على حد سواء ﴿ فى النار ﴾ أى التى لايطفأ لهيبها، لا يفك أسيرها ولا يؤنس غريبها .

ولما كان كل واحد من داخليها له سقى يخصه على حسب عمله ١٥ ولا يظلم ربك أحدا . كان المؤثر لضرهم السقى على الكيفية التى تذكر لا كونه من سقى معين . بنى للمجهول قوله مسندا إلى ضمير الجمع قوله تعالى:

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: كانت (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: متفاوتين (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: لايخون - كذا (٤) زيد فى الاصل و ظ: فى النار، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و فى الاصل: كون .

﴿ و سقوا ﴾ أى عوض ما ذكر من شراب أهل الجنة ﴿ ماء حميما ﴾ أى فى غاية الحرارة ﴿ فقطع امعاءهم ﴾ [1] و يمكن أن تكون الآية من الاحتباك، و ذلك أنه تعالى لما قدم أن المؤمنين فى جنات تجرى من تحتها الانهار، و أن الكافرين ماواهم النار، و كان التقدير إنكاره على من لم يرتدع للزواجر تنبيها على أن عمله عمل من يسوى بين الجنة و النار لان كون النار جزاء لمثله و الجنة جزاء المؤمن صار [2] فى حد لا يسوغ إنكاره: أمثل الجنة الموصوفة كمثل النار، و من [3] هو خالد [2] فى الجنة كمن هو خالد فى النار - والله الموفق للصواب [4].

و لما كان التقدير بعد هذا التمثيل و الوصف [5] و التشويق الذى يبهر العقول: فمن [الناس من - [6]] يسمع منك بغاية المحبة و الإنصاف فيعليه [7] الله بفهم ما يتلوه و اعتقاده و العمل به و اعتماده وهم المتقون الذين وعدوا / الجنة، / ٨١٧ عطف عليه قوله تعالى: ﴿ و منهم من يستمع ﴾ أى بغاية جهده لعله يجد فى المتلو مطعنا يشك به على الضعفاء، و بين تعالى بعدهم بقوله: ﴿ اليك - ﴾ و لما أفرد المستمع نظرا إلى لفظ «من» إشارة إلى قلة المستمع جمع نظرا إلى معناه إشارة إلى كثرة المعرضين الجامدين المستهزئين من المستمعين منهم و السامعين فقال تعالى: ﴿ حتى [2] ﴾ أى [8] و استمر

(١) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: كان خالدا.
(٤) سقط من ظ و مد (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: الصوف الحميد.
(٦) زيد من ظ ومد (٧) من ظ ومد. وفى الأصل: فعليه (٨) سقط من ظ.

إجهادهم لأنفسهم بالإصغاء حتى ﴿ اذا خرجوا ﴾ أى المستمعون و السامعون جميعا[1] ﴿ من عندك قالوا ﴾ أى الفريقان عمى و تعاميا و استهزاء . و لما كان مجرد حصول العلم النافع مبعدا ، أشار إلى تعظيمه ببنائه[2] لما لم يسم فاعله فقال تعالى : ﴿ للذين اوتوا العلم ﴾ أى[3] بسبب تهيئة الله لهم ٥ بما[4] آتاهم من صفاء الأفهام لتجردهم عن النفوس و الحظوظ و انقيادهم[5] لما تدعو إليه الفطرة الأولى : ﴿ ما ذا قال ﴾ أى النبى صلى الله عليه و سلم ﴿ انفا ق ﴾ أى قبل افتراقنا و خروجنا عنه من ساعة - أى أول وقت - تقرب منه ، من أنفة الصلاة - بالتحريك ، و هو ابتداؤها و أولها ، قال أبو حيان[6] : حال ، أى مبتدئا ، أى ما القول [الذى -[7]] ائتنفه الآن قبل ١٠ انفصالنا عنه . ورد كونه ظرفا بأنه تفسير معنى ، و أنه لا يعلم أحدا من النحاة عده فى الظروف . [و -[6]] قال [البغوى -[7]] : ائتنفت الأمر : ابتدأته ، و أنف الشىء أوله ، قال مقاتل : و ذلك أن النبى صلى الله عليه و سلم كان يخطب و يعيب المنافقين ، فاذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه استهزاء : ماذا قال محمد صلى الله عليه و سلم ؟ قال ١٥ ابن عباس رضى الله عنه : وقد سئلت فيمن سئل .

و لما دل هذا من المصغى و من المعرض على غاية الجمود الدال

---

(١) سقط من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ببيانه (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : من (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : انقيادا (٥) زيد من البحر المحيط ٧٩/٨ (٦) زيد من مد (٧) زيد من مد ، و راجع معالم التنزيل ١٤٩/٦ (٨) زيدت الواو فى مد .

على غاية الشقاء، أنتج قوله: ﴿ اولـٓئك ﴾ أى خاصه هؤلاء البعداء من الفهم و من كل خير ﴿ الذين طبع الله ﴾ أى[1] الملك الأعظم الذى لا تناهى لعظمه جل و علا ﴿على قلوبهم﴾ أى[2] فلم يؤمنوا و لم يفهموا فهم الانتفاع لأن مثل هذا الجمود لا يكون إلا بذلك . و لما كان التقدير: [2]إنهم ضلوا حتى[2] صاروا كالبهائم[3]، عطف عليه ما هو من أفعال البهائم[3] فقال: ﴿ و اتبعوا ﴾ أى بغاية جهدهم ﴿ اهوآءهم ﴾ أى مجانبين[4] لوازع العقل و ناهى المروءة، فلذلك هم يتهاوتون بأعظم الكلام و يقبلون على جمع[5] الحطام، فهم أهل النار المشار إليهم قبل آية "مثل الجنة" بأنهم زين لهم سوء أعمالهم .

و لما ذكر ما هم [2]عليه و شنع عليهم[2] أقبح[6] الذكر، ذكر الذين آتاهم العلم فقال: ﴿ و الذين اهتدوا ﴾ أى اجتهدوا باستماعهم منك فى مطاوعة داعى الفطرة الأولى إلى الوقوع على الهدى بالصدق فى الإيمان و التسليم و الإذعان بأنواع المجاهدات ﴿ زادهم ﴾ أى الله الذى طبع على قلوب الجهلة ﴿ هدى ﴾ [2]بأن شرح صدورهم و نورها بأنوار المشاهدات فصارت أوعية للحكمة "ان الذين [1]امنوا و عملوا الصلحت يهديهم ربهم بايمانهم" [2]﴿ و [1]اتـهم تقوٰهم ﴾[2] أى بين لهم ما هو أهل لأن يحذر[8] و وفقهم لاجتنابه[9]

(١) سقط من ظ و مد (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : مجانين .
(٥) من ظ ومد، وفى الأصل : بجميع (٦) من ظ ومد، وفى الأصل : بأقبح .
(٧) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) من ظ و مد، و فى الأصل : يجيدو (٩) من ظ و مد، و فى الأصل : لاجتناب .

٨١٨ / مخالفة للهوى، فهم القسم الأول من آية / توطئة المثل "الذين هم على بينة من ربهم" و معنى الإضافة أنه آتى كلا منهم منها بحسب ما يقتضيه حاله، قال ابن برجان: التقوى عمل الإيمان كما أن أعمال الجوارح عمل الإسلام - انتهى[1].

٥ و لما كان أشد ما يتقى القيامة التى هم بها مكذبون، سبب عن اتباعهم الهوى قوله تعالى: ﴿ فهل ينظرون ﴾ أى ينتظرون، و لكنه جرده[2] إشارة إلى شدة قربها ﴿ الا الساعة ﴾ و لما كان كأنه قيل: [ما -[3]] ينتظرون من أمرها؟ أبدل منها قوله[4]: ﴿ ان تاتيهم ﴾ أى تقوم عليهم، و عبر بالإتيان زيادة فى التخويف[5] ﴿ بغتة[6] ﴾ أى فجاءة من

١٠ غير شعور بها و لا استعداد لها.

و لما دل ذلك على مزيد القرب، و كان مجىء علامات الشىء ادل على قربه مع الدلالة على عظمته، قال معللا للبغتة[6]: ﴿ فقد ﴾[7] و دل على القوة بتذكير الفعل فقال[7]: ﴿ جآء اشراطها[6] ﴾ أى علاماتها[8] المنذرات بها

---

(١) ليس فى ظ و مد (٢) و من هنا تستأنف نسخة م (٣) زيد من م و مد. (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ماذا قال (٥) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) من ظ، و فى الأصل: بالبغتة، و ليست الكلمة فى م و مد (٧-٧) وقع ما بين الرقمين فى الأصل و ظ بعد «للبغتة» و الترتيب من م و مد (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: العلامت.

من مبعث النبي صلى الله عليه و سلم[1] "بعثت انا و الساعة كهاتين" . انشقاق القمر المؤذن بآية الشمس فى طلوعها من مغربها و غير ذلك ، و ما بعد مقدمات الشيء إلا حضوره[2] .

و لما كان المجيء من أهوالها تذكرها[3] قبل حلولها للعمل بما يقتضيه التذكر[4] ، و كانت إذا جاءت شاغلة عن كل شيء ، سبب عن مجيئها قوله تعالى : ﴿ فأنى ﴾ أى فكيف و من أين ﴿ لهم[5] إذا جآءتهم ﴾ أى الساعة و أشراطها المعينة لها[6] مثل طلوع الشمس من مغربها[7] ﴿ ذكرٰهم[8] ﴾ لأنهم فى أشغل الشغل ولو[9] فرغوا لما تذكروا فعملوا[10] ما أفاد لفوات وقت الأعمال و شرطها ، و هو العمل على الإيمان بالغيب ، و هكذا ساعة الإنسان التى

---

(١) زيد بعده فى الأصل و ظ : و فى هذا اشارة بقوله صلى الله عليه و سلم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حضور انتهى (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تذكرة . (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الذكر (٥) زيد فى الأصل : من شافع يشفع لهم أو راحم يرحمهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : و ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) زيد فى الأصل : و ما هو مذكور من أشراطها مما تقدم ، و لم تكن الزيادة فى ظ م و مد فحذفناها (٨) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : لما (١٠) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : لعملوا .

تخصه وهى[1] موته و أشراطها[2] الحائلة على الذكرى[3] وهو[3] المرض والشيب ونحو ذلك، ومن أشراطها المعينة لها التى [لا-[4]] ينفع معها العمل الوصول إلى حد الغرغرة.

ولما علم بذلك أن الذكرى غير نافعة[5] إذا انقضت هذه الدار التى جعلت للعمل أو جاءت الأشراط المحققة الكاشفة لها، سبب عنه أمر[6] أعظم الخلق[3] وأشرفهم وأرقاهم وأجلهم صلى الله عليه وسلم[7] تكوينا ليكون لغيره تكليفا[8] فقال تعالى: ﴿فاعلم انه﴾ أى الشأن الأعظم الذى ﴿لا اله الا الله﴾ أى اتق[9] اتقاء عظيما[9] أن يكون معبود[10] بحق غير الملك الأعظم، فان هذا العلم هو أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة، وإنما تكون علما إذا كان نافعا [وإنما يكون نافعا-[11]] إذا كان مع الإذعان والعمل بما يقتضيه وإلا فهو جهل صرف[12]، [و-[11]] هذا العلم يفيد أنه لا بد من قيام الساعة لأن الاله وعد بذلك وهو متصف

(١) من م ومد، وفى الأصل وظ: هو (٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: هى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ وم ومد (٤) زيد من ظ ومد. (٥) من ظ وم ومد، وفى الأصل: مانعة (٦) من ظ وم ومد، وفى الأصل: امرا (٧) من ظ وم ومد، وفى الأصل: تكلفا (٨) زيد فى الأصل: ما سوره، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٩) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ وم ومد فحذفناها (١٠) من ظ وم ومد، وفى الأصل: معبودا (١١) زيد من م ومد (١٢) من م ومد، وفى الأصل وظ: صرفه.

بالكمال و لا شريك له يمنعه من إنجاز وعده . قال القشيرى : و العبد يعلم [1]أولا ربه[1] بدليل و بحجة فعلمه بنفسه ضرورى و هذا هو أصل الأصول. و عليه بنى كل علم استدلالى ، ثم تزداد قوة علمه بزيادة البيان و كثرة الحجج و تناقص علمه بنفسه بغلبات / ذكره لله بقلبه ، فاذا انتهى إلى حال / ٨١٩ المشاهدة واستيلاء سلطان الحقيقة عليه صار علمه [2]فى تلك[2] الحالة ضروريا و يقل[3] إحساسه بنفسه حتى يصير علمه بنفسه كالاستدلال[4] و كأنه غافل عن نفسه أو ناس لنفسه ، و يقال[5] : الذى رأى البحر غلب عليه ما يأخذه فى [6]الرؤية للبحر[6] عن [7]ذكر نفسه[7] فاذا ركب البحر قوى هذا الحال ، فاذا غرق فى البحر فلا إحساس له بشىء سوى ما هو مستغرق فيه و مستهلك . و لهذه الكلمة من الأسرار ما يملأ[5] الأقطار منها أنها بكلماتها الأربع مركبة من ثلاثة أحرف إشارة إلى الوتر الذى هو الله سبحانه و تعالى و الشفع الذى هو الخلق أنشأه تعالى أزواجا ، [و -[8]] منها حرف لسانى و حرفان حلقيان : الهاء و الألف ، غير أن الألف عبر عنها بمظهرها و هو الهمزة[9] ظاهرا مرتين و خفيا فى أداة التعريف فى الابتداء مرة ، و ذكرت

(١-١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ربه اولا (٢-٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل و ظ : بتلك (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تقبل . (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كالاستقلال (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تعالى (٦-٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : الراوية من البحر (٧-٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : ذكره لنفسه (٨) زيد من مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المرة .

بلفظه أربع مرات، فتلك سبع هى أتم العدد لذلك[1] و بنى الخلق عليه، فالسماوات سبع و الأراضى كذلك سبع[2] إشارة إلى [أن - [3]] الإله الحق الذى هو غيب محض إنما علم بالتنزل بأفعاله، فهى وصلة إلى معرفته و هى منقسمة إلى علوى و سفلى كما أن الألف التى هى كالغيب لأنها لا يمكن[4] النطق بها[4] ابتداء نزلت فى مظهر الهمزة التى تكررت فى هذه الكلمة مرتين فى مقابلة الكونين العلوى و السفلى و بينهما ما لا نعلمه مما خفى عنا كما خفيت همزة الوصل. و عبر فى الأمر بهذه الكلمة بالعلم إعلاما بأن عمل القلب بها هو العمدة العظمى لكن لما كانت حروفها حلقيا و لسانيا كان فى ذلك إشارة إلى انه لا يكفى فى أمرها إلا إذعان الباطن و مطابقة الظاهر الذى هو اللسان، فهو ترجمان القلب، و متى لم يطابق اللسان القلب حيث لا مانع كان صاحبه من أهل آية الصافات[5] و أحرفها اللفظية أربعة عشر حرفا على عدد السماوات و الأرض الدالة على الذات الأقدس الذى هو غيب محض و المقصود[6] منها مسمى الجلالة الذى هو الإله الحق سبحانه و تعالى و الجلالة الدالة عليه خمسة أحرف على عدة دعائم الإسلام الخمس: و وتريته دلالة على التوحيد، و لم يجعل فيها شيئا شفعيا[7] لتمكن ملازمتها[7] لكونها أعظم مقرب إلى الله و أقرب موصل

(١) من م و مد، و فى الاصل و ظ: ذلك (٢) سقط من ظ و م و مد.
(٣) زيد من م و مد (٤ - ٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بها النطق.
(٥) من ظ و م و مد، و فى الاصل: الصفات (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الموصول (٧-٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ليكون بملازمتها.

إليه مع الإخلاص، فان الذاكر بها يقدر على المواظبه عليها و لا يعلم جليسه بذلك أصلا، لأن غيرك لا يعلم ما [فى -١] وراء شفتيك إلا باعلامك[٢]، و كما دل الكلام على التوحيد بهذه الكلمة صريحا دل على كلمة الرسالة التى لا ينفع التوحيد إلا بها تلويحا بتسمية السورة "سورة محمد"، فهى القتال لأنه أمر صلى الله عليه و سلم [٣]ان يقاتل الناس[٣] حتى يصرحوا ٥ بما صرحت به السورة من كلمة التوحيد. و هى سورة محمد صلى الله عليه و سلم لأن التوحيد لا ينفع بدون الشهاده له بالرسالة، و بين الكلمتين مزيد اتفاق[٤] يدل على تمام الاتحاد و الاعتناق، و ذلك[٥] / ان أحرف كل منهما إن نظرنا إليها خطا كانت اثنى عشر حرفا على عدد أجزاء السنة يكفر كل حرف منها[٦] شهرا، و إن نظرنا إليها نطقا كانت ١٠ أربعة عشر حرفا[٧] لملأ[٧] الخافقين نورا[٨] و عظمة و مهابة و جلالة و احتشاما[٨]، و إن نظرنا إليها بالنظرين معا كانت خمسة عشر لا يوقفها عن ذى العرش خالق الكونين موقف، و هو سر غريب دال على الحكم الشرعى الذى هو عدم انفكاك إحداهما عن الأخرى. فمن لم يجمعهما[٩] اعتقاده لم يقبل

/ ٨٢٠

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) زيد فى الأصل: اياه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣-٣) من ظ و م و مد، و فى الاصل: اى بالقتال للناس (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: التفات (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: بذلك (٦) وقع فى الأصل و ظ قبل «كل» و الترتيب من م و مد (٧) سقط من ظ و م و مد (٨-٨) سقط ما بين الرمين من ظ و م و مد (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لم يجمعها.

إيمانه، و قدمت هذه سوره [فى هذا - [1]] سابقة لأن[2] لها السبق و ذكرت[3] الأخرى فى الفتح تالية، و سميت [4]سورة هذه[4] بالقتال و سورة الكلمة المحمدية بالفتح إشارة إلى أنه ما قاتل أحد عليهما مع الإخلاص إلا فتح عليه و لا يقدر أحد على مخالفته مع مناصبته إلا نفاقا على وجه الذل و الاضطراب .

و لما كان حصول التوحيد الذى هو كمال النفس موجبا للاجابة كما فى حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عند الترمذى[6] و أبى يعلى «ما من مؤمن يدعو الله بدعوة الا استجيب له ما لم يكن اثما أو قطيعة رحم» الحديث، قال معلما أنه يجب على الإنسان بعد تكميل نفسه السعى فى تكميل غيره ليحصل التعاون على ما خلق العباد له . ﴿ و استغفر ﴾ أى اطلب الغفران من الله بعد العلم بأنه لا كفوء له[7] بالدعاء له و بالاجتهاد فى الأعمال الصالحة لذنبك، و هو كل مقام [عال - [1]] [8]ارتفعت عنه[8] إلى أعلى منه، و أوجده أنت من[9] نفسك لمن أساء إليك[10] لتكثر أتباعك، فان الاستقامة مهيئة للامامة[11] .

---

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لانها . (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : ذكرات . (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : السوره (٥) من م و مد، و فى الاصل و ظ : احدا (٦) راجع الجامع ٢/١٧٤ (٧) زيد فى الأصل : و كن مجدا . و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨ - ٨) من ظ و م و مد . و فى الأصل : انتفعت منه (٩) من ظ و م و مد، و فى الأصل : فى (١٠) من مد، و فى الاصل و ظ و م : عليك (١١) من ظ و م و مد، و فى الاصل : للاقامة .

و لما

و لما كان تكميل النفس مرقيا إلى تكميل الغير ليكون له مثل أجره ، قال تعالى [1]مبينا لهذه النعمة العظيمة و المنة الجسيمة[1] معيدا للجار معبرا بالإيمان و الوصف إيذانا بأن أعلى الأمة محتاج إلى ذلك ، لأنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره ، و هذا مشرفا[2] لهذه الأمة حيث أمر الشفيع المجاب الدعوة بالاستغفار[3] لهم [و هو - [4]] بالدعاء و الحث على الاجتهاد فى ٥ الأعمال الصالحة ، حاذفا المضاف إشارة إلى الاحتياج إلى المغفرة فى كل حال لما للانسان من النقصان بالخطأ و النسيان : ﴿ و للمؤمنين و المؤمنت[5] ﴾ أى الراسخين فى الإيمان لأنهم أحق الناس بذلك منك لأن ما عملوا من خير كان لك مثل أجره ، و لا يخلو أحد منهم من تقصير فى المعارف الإلهية و العمل بموجبها أو هفوة . ١٠

و لما كان معرفة من يذنب و من لا يذنب متوقفة على إحاطة العلم ، قال عاطفا على ما تقديره : فالله[6] يعلم حركاتكم و سكناتكم سرا و جهرا و يعلم أنكم لابد أن تعملوا[6] ما جبلكم عليه من ذنب و هو يغفر لمن أراد ممن يسعى فى كمال نفسه و تكميل غيره بغسل الذنوب ، بالرجوع إلى طاعة[7] علام الغيوب : / ﴿ و الله ﴾ المحيط بجميع صفات الكمال ١٥ / ٨٢١ ﴿ يعلم متقلبكم ﴾ أى تقلبكم و مكانه و زمانه ﴿ و مثواكم ﴾ اى موضع

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) من م و مد . و فى الأصل و ظ : مشرف (٣) سقط من م (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل و م : فان الله (٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تعلموا . (٧) زيد فى الأصل : الملك المعبود ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

سكونكم و قراره للراحة و كل ما يقع فيه من الثواء [فى وقته -[1]] فى الدنيا و الآخرة من حين كونكم نطفا إلى ما لا آخر له .

و لما كان أدل دليل على إحاطة العلم ، علم ما ابطنه الإنسان و لا سيما إن كان مخالفا لما أظهره ، قال دالا على إحاطة علمه باظهار أسرار المنافقين عاطفا على " و منهم من يستمع اليك " : ﴿ و يقول ﴾ على سبيل التجديد المستمر ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى ادعوا ذلك بألسنتهم و فيهم[2] الصادق و المنافق دالين على صدقهم فى[3] إيمانهم بالتحريض على طلب الخير بتجدد الوحى الذى هو الروح الحقيقى : ﴿ لولا نزلت ﴾ على سبيل التدريج ، و بناه للمفعول دلالة على إظهارهم أنهم صاروا فى صدقهم فى الإيمان[4] و اعتقادهم أن التنزيل لايكون إلا من الله بحيث[5] لايحتاجون إلى التصريح به ﴿ سورة ج ﴾ [6]أى سورة كانت لنسر بسماعها و نتعبد بتلاوتها و نعمل بما فيها كائنا ما كان ، و يستمر الوحى فينا متجددا مع تجدد الزمان ليكون ذلك أنشط لنا و أدخل فى تحريك عزائمنا ﴿ فاذآ انزلت سورة ﴾ اى قطعة[7] من القرآن تكامل نزولها [كلها -[8]] تدريجا أو جملة ، و زادت على مطلوبهم بالحس[9] بأنها ﴿ محكمة ﴾ اى

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فيه (٣) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : « و » (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ايمانهم (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حيث (٦) زيد فى الأصل و ظ : أى ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) زيد فى الأصل و ظ : كاملة ، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٨) زيد من م و مد (٩) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : بالحسن .

مبينة [لا - ١] يلبس شيء منها بنوع إجمال و لا ينسخ لكونه جامعا للمحاسن فى [كل - ١] زمان و مكان ﴿ و ذكر فيها القتال ﴾ [٢] بأى ذكر كان، و الواقع أنه [٣] لايكون إلا ذكرا مبينا [أنه - ١] لا يزداد إلا وجوبا و تأكدا حتى تضع الحرب أوزارها، قال البغوى [٤]: و كل سورة ذكر فيها الجهاد فهى محكمة و هى أشد القرآن على المنافقين. ٥

و هو مروى عن قتادة ﴿ رأيت ﴾ [أى - ١] بالعين و القلب ﴿ الذين فى قلوبهم مرض ﴾ أى ضعف فى الدين أو نفاق من الذين أقروا بالإيمان و طلبوا تنزيل القرآن و كانوا قد أقسموا بالله جهد أيمانهم: لئن أمرتهم ليخرجن ﴿ ينظرون اليك ﴾ كراهة لما نزل عليك بعد أن حرضوا على طلبه ﴿ نظر المغشىّ عليه ﴾ و لما كان للغشى أسباب، ١٠ بين أن هذا أشدها فقال تعالى: ﴿ من الموت [٥] ﴾ الذى هو نهاية [٥] الغشى فهو لايطرف بعينه بل هو شاخص لا يطرف كراهة للقتال من الجبن و الخور.

و لما كان هذا أمرا منابذا [٦] للانسانية لأنه مباعد [٧] للدين و المروءة، سبب عنه أعلى التهديد فقال متوعدا لهم بصورة الدعاء بأن يليهم [٨] المكروه: ١٥

---

(١) زيد من م و مد (٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لأنه (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٦ /١٥١ (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: غاية (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: مديدا (٧) من ظ و مد، و فى الأصل و م: صاعد (٨) من مد، و فى الأصل و ظ و م: بينهم.

﴿ فاو ﴾ أى أشد[1] ميل و ويل و انتكاس و عثار[2] موقع لهم فى الهلكة كائن ﴿ لهم ﴾ أى خاص بهم، و فسرته بذلك لما تقدم فى آخر الأنفال من أن مادة "ولى" تدور على الميل، فاذا[3] كانت على صيغة أفعل التفضيل - و هو قول الأكثر - جاءت الشدة، قال / الأصمعى: إنه[4] فعل ماض أى قاربهم ما يهلكهم[5] و أولاهم الله الهلاك، و قال الرضى فى باب المعرفة و النكرة: إنه علم للوعيد و فيه وزن الفعل[6] فلذا منع من الصرف، و ليس بأفعل تفضيل و لا أفعل فعلا و لا اسم فعل لأن أبا زيد حكى لحاق تاء التأنيث له فقالوا: أولاة الآن - كأرملة[7] و هو من وله الشر أى قرنه حال، و قبوله للتاء لايضر الوزن، لأن ذلك فى[8] علم آخر.

/ ٨٢٢

و لما علم بما ذكر من التسبب أن هذا الدعاء عليهم لما تقدم من سوء أدبهم فى مقالهم، و قبح ما ظهر من فعالهم، حصل التشوف إلى[9] ما ينبغى لهم، فقال تعالى[10] على طريق[11] النشر المشوش: ﴿طاعة﴾ أى

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اشل (٢) زيد فى الأصل: و عتاب، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: فان (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اى (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: يهكهم (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: القول (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كا دملة - كذا (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ: من (٩) زيد فى الأصل: سماع، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١٠) زيد فى الأصل: عاطفا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (١١) من ظ و مد، و فى الأصل و ظ: طريقة.

منهم ﴿و قول معروف ق﴾ أى بالتسليم و الإذعان و حسن الانقياد خير لهم مما أظهروا من المحبة فى الطاعة و ما كشف [١]حالهم عنه[١] من الكراهة، [و -[٢]] نكر الاسمين ليكونا[٣] صالحين للتعظيم و ما دونه، ثم سبب عنهما قوله مسندا إلى الأمر ما [هو -[٤]] لأهله تأكيدا لمضمون الكلام: ﴿فاذا عزم الامر ق﴾ أى فاذا أمر بالقتال الذى ذكر [فى -[٢]] ٥ أول السورة و غيره من الأوامر أمرا مجزوما به معزوما عليه ﴿فلو صدقوا الله﴾ أى الملك[٥] الأعظم [٦]المحيط قدرة و علما[٦] فى قولهم الذى قالوه فى طلب التنزيل ﴿لكان﴾ [٧]صدقهم له ﴿خيرا لهم ج﴾ أى من تعللهم و تسللهم عنه لواذا على تقدير[٨] التنزل فى تسليم أن فى جماحهم عن الأمر و تقاعدهم عنه نوع خير[٩]، و يجوز [أن يكون -[٢]] ١٠ "خير" اسما لا للتفضيل ليفهم أن كذبهم شر لهم.

و لما كان هذا تبكيتا لهم[١٠] من أجل فتورهم عن أمر الله، سبب [عن -[٢]] ذلك الفتور بيان ما يحصل منه من عظيم الفساد و يتأثر به

(١ - ١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: عنه حالهم (٢) زيد من م و مد.
(٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ليكونوا (٤) زيد من ظ و م و مد.
(٥) زيد فى الأصل: المعظم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.
(٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٧) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: سبيل (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: خسر (١٠) زيد فى الأصل: على ما حصل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

[من - ١] خراب البلاد و شتات العباد فى معرض سؤال فى أسلوب الخطاب بعد التبكيت و التهديد فى أسلوب الغيبة تنبيها على تناهى الغضب و بلوغه الغاية فقال تعالى : ﴿ فهل عسيتم ﴾ أى فتسبب عن تسرعكم إلى السؤال فى أن يأمركم الملك بما يرضيه ، فاذا أجابكم فرحكم[٢] بما يعلم أنه أصلح الأشياء لكم و هو الجهاد كرهتموه و وجهتم منه و قعدتم[٣] عنه أن يقال لكم لما يرى منكم من المخايل الدالة على ضعف الإيمان : هل يمكن عندكم نوع إمكان و تتوقعون[٤] شيئا من توقع أن يكون حالكم جديرا و خليقا لتغطية[٦] علم العواقب عنكم فتخافون من أنفسكم .

و لما كان المقام لذم الإعراض عن الأمر ، فصل بين "عسى" و خبرها بشرطية معبر[٦] فيها بالتولى بصيغة التفعل إشارة مع نهاية الذم إلى أن المعرض عن أمر الله معرض عما تدعوه الفطرة الأولى القويمة و العقل السديد إلى حسنه ، فهو لا يعرض عنه إلا بمجاهدة منه لنفسه فقال تعالى : ﴿ ان توليتم ﴾ أى بأنفسكم عن الجهاد الذى أمركم به ربكم[٧] الذى عرفكم من فوائده / ما لا مزيد عليه[٨] مما لا يشكه معه عاقل و لا يتخيل ترکه إلا على سبيل الفرض - بما أشارت إليه أداة الشرط - أو حصلت

/ ٨٢٣

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فقد رحمكم . (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تقدمتم (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : متوقعون (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : تغطية (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : معبرا (٧) زيد فى الأصل : ومربيكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : عنه .

توليتكم بتحصيل محصل أوجبها لكم و زينها فى أعينكم حتى فعلتموها، و هذا المعنى الثانى هو المراد ببنائه للمجهول[1] فى رواية رويس عن يعقوب[2] ﴿ ان تفسدوا ﴾ أى توقعوا الإفساد العظيم الذى يستمر تجديده[3] منكم[4] ﴿ فى الارض ﴾ بقتال يكرهه الله و يسخطه[5] و يغضب أشد غضب على فاعله و تكونوا فى غاية الجرأة عليه، فان الذى رحمكم بانزال ما أنزل ٥ حكم بأن[6] من جبن عما يرضيه رغبة فى الآخرة اجترأ على [ما -[7]] يسخطه حرصا فى الدنيا، و قد كنتم فى الجاهلية على ذلك فى الغارة من بعضكم على بعض و نحو ذلك ﴿ و تقطعوا ﴾ تقطيعا [8]عظيما شديدا[8] كثيرا منتشرا كبيرا ﴿ ارحامكم ﴾ فتكونوا بذلك أعزة على المؤمنين كما كنتم أذلة على الكافرين، و أقل ما فى إعراضكم حذلانكم للمؤمنين المجاهدين ١٠ بما قد يكون سببا لظهور الكافرين عليهم فتكونوا بذلك قد جمعتم بين [قطيعة -[9]] أرحامهم[10] و فقدكم لما كان يصل إليكم من منافعهم، فان كففتم[11] بعدهم عن قتلهم كنتم مع ما فاتكم من خيرهم [أجبن -[9]] الناس و أرضاهم بالعار، و إن تعاطيتم الأخذ بثأرهم كنتم[12] كمن أخذ فى

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: للفعول (٢) راجع نثر المرجان ٦/٥٩٧.
(٣) فى ظ و مد: تجدده (٤) سقط من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل: رسوله و سخطه (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ: ما (٧) زيد من ظ و م و مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد.
(٩) زيد من م و مد (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل و م: ارحامكم.
(١١) من مد، و فى الأصل و ظ و مد: كنتم (١٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اكنتم.

فعل ما أمر به بعد فواته و ان له ذلك، و قد علم من هذا أن من أمر بالمعروف و جاهد أهل المنكر أمن[1] الإفساد فى الأرض و قطيعة الرحم، و من تركه وقع فيهما، و يمكن أن يكون "توليتم" من ولاية الأمر، فتكون الآية مشيرة إلى ولاية الفجرة و منذرة بذلك أن اصنع الأمر بالمعروف، و قد وقع ذلك و شوهد ما ابتنى عليه من الفساد و القطيعة، و عزائم الأنكاد[2] و سوء الصنيعة .

و لما بين لهم ما يكون ممن تثاقل عن أمر الله، لأن الملك لا يطرق احتمالا فى شيء إلا و هو واقع فرقا بين كلامه و كلام غيره، فكيف بملك الملوك المحيط بكل شيء قدرة و علما[3]، بين حالهم الذى أنتج لهم ذلك، فقال ملتفتا عنهم إيذانا بالغضب مخاطبا لمن جبل على الشفقة على خلق الله و الرحمة لهم إعلاما له بأن هؤلاء قد تحتم شقاؤهم فليسوا بأهل للشفاعة فيهم و لا للأسى عليهم : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ الذين لعنهم الله ﴾ أى طردهم أشد الطرد الملك الأعظم[4] لما ذكر من إفسادهم و تقطيعهم[5] : ثم سبب عن لعنهم قوله تعالى : ﴿ فاصمهم ﴾ عن الانتفاع بما يسمعون[6] ﴿ و اعمى ابصارهم ﴾ عن الارتفاق بما يبصرون،

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ و م : امر (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ : الانكار (٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل : علمه (٤-٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الملك العظيم الكبير طردهم اشد الطرد (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : تقطيهم (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : يسمعونه .

فليس سماعهم سماع ادكار، و لا إبصارهم إبصار اعتبار، فلا سماع لهم[1] و لا إبصار.

و لما أخبر بذلك فكان ربما سأل من لا يعى الكلام حق وعيه عن السبب الموجب للعن المسبب للصم[2] و العمى، أجابه[3] بقوله منكرا موبخا مظهرا لتاء التفعل إشارة إلى أن المأمور به صرف جميع الهمة إلى التأمل: ﴿افلا يتدبرون﴾ أى كل من له أهلية التدبر / بقلوب منفتحة منشرحة ليهتدوا إلى [كل - [4]] خير ﴿ القرآن ﴾ بأن يجهدوا أنفسهم فى أن يتفكروا فى الكتاب الجامع لكل خير الفارق بين كل ملبس تفكر من ينظر فى أدبار الأمور و ما ذا يلزم من عواقبها ليعلموا أنه لا عون[5] على الإصلاح فى الأرض و صلة الأرحام و الإخلاص لله فى لزوم كل طاعة و البراءة من كل معصية مثل الأمر بالمعروف من الجهاد بالسيف و ما دونه، و ربما دل إظهار التاء على أن ذلك من أظهر ما فى القرآن من المعانى، فلا يحتاج فى العثور عليه إلى كبير تدبر - و الله أعلم.

/ ٨٢٤

و لما كان الاستفهام إنكاريا فكان معناه نفيا، فهو لكونه[6] داخلا على النفى نفى له فصار إثباتا، فكان كأنه قيل: هل يجددون التدبر تجديدا مستمرا لترق قلوبهم به و تنير بصائرهم له، فيكفوا عن

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل وظ: عن الصمم.
(٣) من ظ و م و مد، و فى الأصل: اجابهم (٤) زيد من م و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل وظ: يجوز (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: لكنه.

الإفساد و التقطيع، عادله بقوله مشبها للقلوب بالصناديق دالا على ذلك التشبيه بذكر ما هو مختص بالصناديق من الأقفال: ﴿أم على قلوب﴾ من قلوب الغافلين لذلك، و نكرها لتبعيضها و تحقيرها بتعظيم قسوتها ﴿اقفالها﴾ أى الحقيقة[1] بها الجديرة بأن تضاف إليها، فهى لذلك

٥ لاتعى شيئا و لاتفهم أمرا و لاتزداد إلا غباوة و عنادا، لأنها لا تقدر على التدبر، قال القشيرى: فلا تدخلها زواجر التنبيه و لاينبسط عليها شعاع العلم، فلا يحصل لهم فهم الخطاب. و الباب إذا كان مقفلا فكما لايدخل فيه شيء فلا يخرج ما فيه، فلا كفرهم يخرج و لا الإيمان الذي يدعون إليه يدخل - انتهى. و الإضافة تشعر بأن [بعض -[2]] المتولين

١٠ على قلوبهم أقفال، لكن ليست متمكنة فيها، فهو سبحانه يفتحها بالتوبة عليهم [3]إذا أراد[3]. و أما الأولون فلا صلاحية لهم، و فى هذه الآية اعظم حاث على قبول[4] أوامر الله لاسيما الجهاد [5]فى سبيله[5] و أشد زاجر عن الإعراض عنه لأن حاصلها أنه لعن من أعرض عنه لكونه لايتدبر القرآن مع وضوحه و يسره ليعلم فوائد الجهاد الداعية إليه

١٥ المحبة[6] فيه، فكان [كأن -[7]] قلبه مقفل، و الآية من الاحتباك:

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: الحقيرة (٢) زيد من ظ و م و مد.
(٣-٣) وقع فى الأصل بعد «سبحانه» و الترتيب من ظ و م و مد (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ: قلوب (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: للحبية (٧) زيد من م و مد.

ذكر التدبر اولا دليلا على ضده ثانيا، و الاقفال ثانيا دليلا على ضدها أولا، و سره أنه ذكر نتيجة الخير الكافلة بالسعادة اولا و سبب الشر الجامع للشقاوة ثانيا .

و لما أخبر سبحانه و تعالى بأقفال قلوبهم، بين منشأ ذلك، فقال مؤكدا تنبيها [لمن لايهتم به -[1]] على أنه مما ينبغى الاهتمام بالنظر فيه ليخلص الإنسان نفسه منه، و تكذيبا لمن يقال: إن ذلك حسن : ﴿ ان الذين ارتدوا ﴾ أى عالجوا نفوسهم فى منازعة[2] الفطرة الأولى فى الرجوع عن الإسلام، و هو المراد بقوله : ﴿على ادبارهم﴾ أى من أهل الكتاب و غيرهم، فقلبوا وجوه الأمور إلى ظهورها، فوقعوا فى الضلال فكفروا . ١٠

و لما كان الذى يلامون عليه ترك ما أتاهم به النبى صلى الله عليه و سلم مما أوحاه الله سبحانه إليه من الشريعة، لا ما فى غرائزهم من الملة التى / يكفى فى الهداية إليها نور العقل، و كان الذم لاحقا بهم و لو كان ارتدادهم فى أدنى وقت، أثبت الجار فقال : ﴿ من بعد ما تبين ﴾ غاية البيان [3]الذى لا خفاء معه بوجه ما و ظهر غاية الظهور[3] ﴿لهم﴾ بالدلائل ١٥ التى هى من شدة ظهورها غنية عن [4]بيان مبين[4] ﴿ الهدى لا ﴾ أى الذى أتاهم به رسولنا صلى الله عليه و سلم . /٨٢٥

(١) زيد من م و مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ و م: منازعتهم .
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٤ - ٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : البيان المبين .

و لما كانوا قد احرقوا بذلك أنفسهم و ابعدوها به غاية البعد عن كل خير، عبر عن المغوى بما يدل على ذلك فقال تعالى[1]: ﴿الشيطن﴾ أى المحترق باللعنة البعيد من الرحمة ﴿سول﴾ أى[2] حسن ﴿لهم[3]﴾ بتزيينه و إغوائه الذى حصل لهم منه استرخاء فى عزائمهم و فتور[4] فى همهم فجروا معه فى مراده فى طول الأمل، و الإكثار من موافقة الزلل و الأمانى من جميع الشهوات و العلل، بعد أن زين لهم سوء العمل[5]، بتمكين الله له منهم، [6]و هذا لما علم سبحانه منهم حال الفطرة الأولى[6] ﴿و املى لهم[7]﴾ أى أطال فى ذلك و وسع بتكرار ذلك عليهم على تعاقب الملوين و مر الجديدين حتى[8] نسوا المواعظ و أعرضوا عن الذكر

١ - هذا على قراءة الجماعة بفتح الهمزة و اللام، و أما على قراءة البصريين[7] بضم الهمزة و كسر اللام فالمراد أن الله تعالى هو المملى - أى المهل - لهم باطالة العمر و إسباغ النعم، و تسهيل الأمانى و الحلم، عن المعاجلة بالنقم، حتى اغتروا، و هى ايضا[8] موافقة لقوله تعالى "سنستدرجهم من حيث لايعلمون و املى لهم [6]ان كيدى متين[6]"، و أما فى قراءة

(١) زيد فى الاصل: مبينا ان دليلهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م، مد فحذفناها (٢) زيد فى الأصل: رين و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من ص و م و مد، و فى الأصل: فتورهم (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ عملهم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٦) زيد فى الأصل: انهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) راجع نثر المرجان ج ١ ص ٦٠ (٨) سقط من ظ و م و مد.

أبي عمرو بفتح الياء فهو[1] فعل ماض مبني للمفعول ، و دل على ان المملى هو الله سبحانه و تعالى قراءة يعقوب بإسكان الياء على أنه مضارع همزته للتكلم .

و لما بين تسليطه[2] الشيطان عليهم ، بين سببه فقال : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر البعيد من الخير و ما دل عليه صريح العقل ﴿ بانهم ﴾ أى ٥ بسبب[3] أن هؤلاء المتولين ﴿قالوا للذين كرهوا ما﴾ أى جميع ما ﴿نزل الله﴾ أى الملك الأعظم على التدريج بحسب الوقائع تنزيلا فيه إعجاز الخلق فى بلاغة التركيب مع فصاحة المفردات و جزالتها مع السهولة فى النطق و العذوبة فى السمع و الملاءمة للطبع[4] كما يشهد به كل ذوق من الأغبياء و الأذكياء على تباينهم فى مراتب الغباوة و الذكاء ، و إعجاز آخر لهم ١٠ فى رصانة المعنى و حكمته ، و ثالث[5] فى مطابقته للحال الذى اقتضى نزوله مطابقة يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها ، و رابع بنظمه مع ما نزل قبله من الآيات ، لا على ترتيب النزول ، بل على ما اقتضته الحكمة التى تتضاءل[6] دونها الأفكار ، و تولى خاسئة من جلالتها على الأدبار ، بصائر اولى الأبصار ، و هؤلاء المقول لهم هذا الكلام هم - و الله أعلم - المصارحون ١٥ بالكفر ، قالوا لهم بعد هذه الأدلة من الإعجازات ، و ما تقدمها من

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : فهى (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تسلطه (٣) من م و مد ، و فى الاصل و ظ : سبب (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى الطبع (٥) فى م : ثابت (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : ينضال .

الآيات البينات الواضحات[1] : ﴿ سنطيعكم ﴾ بوعد صادق لاخلف فيه
﴿ فى بعض الامر ﴾ ، هو القتال فى سبيل الله الذى تقدم أنهم عند ٨٢٦/
نزول [2]سورة يذكر بها يصيرون [3]كالذى يغشى عليه[3] من الموت ، [فأنتم فى
أمان ـ [4]] من أن نقاتلكم أبدا ، فانا إنما [5]أسلمنا الامان[5] على دمائنا
٥ و أموالنا ، و الذى نحبه مما ينزل هو التأمين لمن أقر بكلمة الإسلام
و القناعة منه بالظاهر و الوعد العام بالتبسط[6] فى البلاد و التوسعة فى الأرزاق
و نحو ذلك ، فكانوا بذلك كفرة [7]فان الدين[7] لايتجزأ ، فمن أضاع من
أصوله شيئ فقد أضاعه كله . و التقييد بالبعض يفهم أنهم لايطيعونهم فى
البعض الآخر ، و هو إظهار الإسلام و التصور بصورة المسالمة ، و ذلك
١٠ كله بأن الله تعالى جبلهم جبلة هيأهم فيها لمثل هذا ، فلما قالوه مضيعين
لما من عليهم من غريزة العقل استحقوا فى مجارى عاداتنا لاختيارهم طاعة
العدو ـ مع تعييب[8] علم العواقب عنهم ـ أن يخذلوا و يسلط عليهم ليكون
أخذهم فى الظاهر ممن أطاعوه فى الباطن ، و لو انهم استمسكوا بدينهم
و كانوا مع أهله يدا على من سواهم لم يقدر عليهم عدو ، و لاطرقتهم
١٥ طارقة يكرهونها سوء[9] .

---

(١) سقط من ظ و م و مد (٢ ـ ٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : هذه السورة (٣ـ٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : كالمغشى عليهم (٤) زيد من م و مد (٥ـ٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : ارسلنا الامان ، و فى م : ارسلنا للامان (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : باسط منه (٧ـ٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فى الدين (٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تغايب . (٩) زيد بعده فى الأصل : ابدا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

و لما كان من له أدنى عقل لايخون إلا [إذا -[1]] ظن أن خيانته[2] تخفى ليأمن عاقبتها، صور قباحة ما ارتكبوه فقال: ﴿ و الله ﴾ أى قالوا ذلك و الحال أن الملك الأعظم المحيط بكل شىء علما و قدرة ﴿يعلم﴾ على[3] مر الأوقات ﴿اسرارهم ه﴾ أى كلها هذا الذى [أفشاه -[4]] عليهم و غيره مما فى ضمائرهم مما[5] لم يبرز على ألسنتهم، و لعلهم لم يعلموه ٥ [هم -[4]] فضلا عن أقوالهم التى تحدثت بها ألسنتهم، فبان بذلك أنه لا أديان لهم و لا عقول و لا مروءات.

و لما بين تعالى إحاطة علمه بهم، أتبعه إحاطة قدرته فقال تعالى مسببا عن خيانتهم و هم فى القبضة بما لايخفى مما يريدون به صيانة أنفسهم عن القتل معبرا بالاستفهام تنبيها على أن حالهم[6] مما يجازون[6] به على ١٠ هذا الاستحقاق له من البشاعة و القباحة و الفظاعة[7] ما يحق[8] السؤال عنه لأجله [فقال -[4]]: ﴿فكيف﴾ أى حالهم ﴿اذا توفتهم الملئكة﴾ أى قبضت رسلنا و هم ملك الموت و أعوانه أرواحهم[9] كاملة، فجازتها إلى دار الجزاء مقطوعة عن جميع أسبابهم [و أنسابهم -[4]] فلم ينفعهم تقاعدهم[10] عن الجهاد فى تأخير[11] آجالهم، و صور حالهم وقت توفيهم ١٥

(١) زيد من ظ و م و مد (٢) من م و مد، و فى الأصل و ظ: خيانتهم.
(٣) سقط من م (٤) زيد م من و مد (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: لما.
(٦ - ٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل: فيما يجاوزونه (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الفظاظة (٨) من ظ و م و مد، و فى الأصل: يخف - كذا (٩) وقع فى الأصل بعد «رسلنا» و الترتيب من ظ و م و مد.
(١٠) من مد، و فى الأصل و ظ و م: مقاعدهم (١١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: تاخر.

فقال : ﴿ يضربون ﴾ أى يتابعون فى حال التوفية ضربهم ﴿ وجوههم ﴾ التى هى أشرف جوارحهم التى جبنوا عن الحرب صيانة [لها -[1]] عن ضرب الكفار . و لما كان حالهم فى جبنهم مقتضيا لضرب الأقفاء، صوره بأشنع صوره فقال : ﴿ و ادبارهم ﴾ التى ضربها أدل ما يكون على هوان المضروب و سفالته ثم[2] تتصل بعد ذلك [آلامهم و عذابهم و هوانهم إلى ما لا آخر له .

و لما كان كفران النعم يوجب -[3]] مع إحلال النعم[4] إبطال ما تقدم من الخدم قال : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الإهانة من [فعل -[1]] رسلنا [بهم -[2]] ﴿ بانهم اتبعوا ﴾ أى عالجوا فطرهم الأولى فى أن تبعوا[5] [6]عنادا منهم[1] ﴿ ما اسخط الله ﴾ أى الملك الأعظم و هو العمل بمعاصيه من موالاة أعدائه و مناواة أوليائه و غير ذلك .

/ ٨٢٧ و لما كان فعل ما يسخط قد يكون مع / الغفلة عن أنه يسخط، بين أنهم ليسوا كذلك فقال تعالى : ﴿ و كرهوا ﴾ أى[7] بالإشراك ﴿ رضوانه ﴾ [8]بكراهتهم [أعظم -[1]] أسباب رضاه و هو الإيمان، فهم لما دونه بالقعود عن سائر الطاعات أكره، لأن ذلك ظاهر غاية

(١) زيد من م و مد (٢) من ظ و م و مد ، وفى الأصل : عمهم (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : النعم (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : اتبعوا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد . (٧) سقط من ظ و م و مد (٨) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

الظهور فى أنه مسخط ففاعله[1] مع ذلك غير معذور فى ترك النظر فيه ﴿ فاحبط ﴾ أى فلذلك تسبب عنه أنه أفسد ﴿ اعمالهم ﴾ الصالحة فأسقطها بحيث لم يبق لها وزن[2] أصلا لتضييع الأساس من مكارم الأخلاق من قرى الضيف و الأخذ بيد الضعيف و الصدقة و الإعتاق و غير ذلك من وجوه الإرفاق . ٥

و لما صور سبحانه ما أثرته خيانتهم بأقبح صوره ، فبان [به -[3]] أنه ما حملهم على ما فعلوه إلا جهلهم و سفاهتهم ، فأنتج إهانتهم بالتبكيت فقال عاطفا على ما تقديره : أعلموا حين قالوا ما يسخطنا أنا نعلم سرهم و بجواهم ، و أن قدرتنا محيطة بهم[4] ليكونوا قد وطنوا أنفسهم على أنا نظهر للناس ما يكتمونه و نأخذهم أخذا وبيلا فيكونوا أجهل الجهلة : ١٠ ﴿ ام ﴾ حسبوا لضعف عقولهم - بما أفهمه التعبير بالحسبان - هكذا كان الأصل ، و لكنه عبر بما دل على الآفة التى أدتهم إلى ذلك فقال تعالى : ﴿ حسب الذين فى قلوبهم ﴾ التى إذا فسدت فسد جميع أجسادهم ﴿ مرض ﴾ أى آفة لاطب لها [5]حسبانا هو[5] فى غاية الثبات بما دل عليه التأكيد فى قوله سبحانه و تعالى : ﴿ ان لن يخرج الله ﴾ أى يبرز من هو ١٥ محيط بصفات[6] الكمال للرسول صلى الله عليه و سلم و المؤمنين رضوان الله عليهم

---

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : و فاعله (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وزنا (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بنا (٥ - ٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حسابانهم (٦) زيد فى الأصل : الجمال و العظمة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها .

على سبيل التجديد و الاستمرار ﴿ اضغانهم ﴾ أى ميلهم و ما يبطنونه [فى -[1]] [2]دواخل أكشاحهم[2] من اعوجاجهم الدال على احقادهم، و هى أنهم كاتمون عداوة فى قلوبهم مصرون عليها يترقبون الدوائر لانتهاز فرصتها، ليس الأمر كما توهموا بل الله يفضحهم و يكشف تلبيسهم .

٥ و لما[3] علم من ذلك إحاطة علمه سبحانه و تعالى و شمول قدرته علم ما له سبحانه من باهر العظمة و قاهر العزة، فنقل الكلام إلى أسلوبها تنبيها على ذلك عاطفا على ما تقديره: خابت[4] ظنونهم و قالت[5] آراؤهم فلنخرجن[6] ما يبالغون فى ستره حتى لاندع منه شيئا يريدون إخفاءه[7] إلا كشفناه و أبديناه للناس و أوضحناه، فانا نعلمهم و نعلم ذلك منهم من قبل أن

١٠ نخلقهم، فلو نشاء لفضحناهم حتى يعرفهم الناس أجمعون، فلا يخفى منهم أحد على أحد [منهم -[8]] فقال تعالى: ﴿ و لو ﴾ و يجوز أن تكون واوه للحال أى أم حسبوا ذلك و الحال أنا لو ﴿ نشآء ﴾ أى وقعت منا مشيئة الآن أو قبله أو بعده . و لما كانوا لشدة جهلهم لايتصورون أن سرائرهم كلها معلومة مقدور / على أن يعلمها بشر[9] مثلهم، أكد قوله : /٨٢٨

(١) زيد من ظ و م و مد (٢ - ٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: داخل حشائهم (٣) زيد فى الأصل: كان قد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: حات (٥) من مد، و فى الأصل و ظ و م: قالت (٦) زيد فى الأصل و ظ: على، و لم تكن الزيادة فى م و مد فحذفناها (٧) من ظ و م و مد، و فى الأصل: خفاءه (٨) زيد من م و مد . (٩) من م و مد، و فى الأصل و ظ: بشد .

﴿ لأريناكهم ﴾ [1]أى رؤية تامة كاشفة لك الغطاء عنهم[1] ﴿ فلعرفتهم ﴾ أى فتعقبت رؤيتك إياهم معرفتك لهم أنت بخصوصك ﴿ بسيماهم[2] ﴾ أى بسبب علاماتهم التى نجعلها عالية عليهم [غالبة لهم - [3]] فى إظهار ضمائرهم عليها لا[4] يقدرون على مدافعتها بوجه ، و لم يذكرهم سبحانه بأسمائهم إبقاء[5] على قراباتهم المخلصين[6] من الفتن . ٥

و لما انقضى ما علق بالمشيئة مما كان ممكنا له فى الماضى و غيره ، عطف عليه ما عجزه له مما كشف من أمرهم فى المستقبل فقال مؤكدا لاستبعاد من يستبعد ذلك منهم أو ممن شاركهم[7] فى مرض القلب من غيرهم فقال فى جواب قسم محذوف دل عليه باللام[7]: ﴿ و لتعرفنهم ﴾ أى بعد هذا الوقت[8] معرفة تتجدد بحسب تجدد أقوالهم مستمرة باستمرار ١٠ ضمائرهم الخبيثة و إسرارهم ﴿ فى لحن القول[9] ﴾ أى الصادر منهم ، و لحنه فحواه[10] أى معناه و مذهبه [و - [10]] ما يدل عليه و يلوح به من مثله عن حقائقه إلى عواقبه و ما [11]يؤل إليه[11] أمره مما يخفى على غيرك ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م و مد (٢) زيد من م و مد (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فلا (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : انفا (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : المخاصون (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : شاكلهم (٧) زيد فى الأصل : بقوله تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٨) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : القول (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : نجواه (١٠) زيد من ظ و م و مد (١١-١١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يدل عليه .

و قال ابن برجان : هو ما تنحو إليه بلسانك اى تميل[1] إليه ليفطن لك صاحبك و تخفيه على من لم يكن له عهد بمرادك ، و على القول بالتحقيق فلحن القول ما يبدو من غرض الكلام و خفيات الخطاب و سياق اللفظ و هيئة السحنة حال القول و إن لم يرد المتكلم أن يظهره و لكنه على الأغلب يغلبه حالا ، فلا يقدر على كل كتمه و إن كان فى تكليمه معتمدا على ذلك ، و حقيقته حال يلوح عن السر و إظهار كلام الباطن يكاد يناقض كلام اللسان بحال خفية و معان يقف[2] عليها باطن التخاطب [و -[3]] قال :

و لقد لحنت لكم لكيما تفقهوا[4] و اللحن يعرفه ذوو الألباب

و قال [آخر -[3]] :

عيناك قد دلتا[5] عيناى منك على أشياء لولا هما ما كنت أدريها

و قال أبو حيان[6] : كانوا اصطلحوا على ألفاظ يخاطبون بها الرسول صلى الله عليه و سلم مما ظاهره حسن و يعنون به القبيح ، و قال الأصبهانى : و قيل للمخطىء : لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب : و قال البغوى[7] : للحن[8] وجهان[9] : صواب [و خطأ -[10]] . فالفعل من الصواب لحن يلحن

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تمثل (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يناقص (٣) زيد من ظ و م و مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : نفهموا (٥) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : دليا (٦) راجع البحر المحيط ٨/٨٥ .
(٧) فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/١٥٣ (٨) من م و مد و المعالم ، و فى الأصل و ظ : اللحن (٩) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن الزيادة فى م و مد و المعالم فحذفناها (١٠) زيد من ظ و م و مد و المعالم .

لحنا فهو لحن - إذا فطن[1] للشيء، و الفعل من الخطأ لحن يلحن لحنا فهو لاحن، و الأصل فيه إزالة الكلام عن جهته، [قال -[2]] : فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي صلى الله عليه و سلم إلا عرفه، و قال الثعلبي: وعن أنس رضي الله عنه: ما خفي على رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين، [كان يعرفهم بسيماهم، ٥ و لقد كنا في غزوة و فيها سبعة من المنافقين -[3]] يشكرهم[4] الناس فناموا ذات ليلة و أصبحوا على جبهة كل واحد منهم مكتوب "هذا منافق" و مثل ابن عباس رضي الله عنهم بقولهم " ما لنا ان اطعنا من الثواب " قال: و لا / يقولون: [ما لنا -[5]] إن عصينا من العقاب[6]. / ٨٢٩

و لما أخبر سبحانه أنه يعلم ظواهرهم و بواطنهم، و أنه يجليهم لنبيه ١٠ صلى الله عليه و سلم في صور ما يخفونه من أقوالهم، و أكد ذلك لعلمه بشكهم[7] فيه، واجههم بالتبكيت زيادة في إهانتهم عاما لغيرهم إعلاما بأنه محيط بالكل[8] فقال عاطفا على ما تقديره: فالله يعلم أقوالكم: ﴿ و الله ﴾ أي بما له من صفات الكمال[9] ﴿يعلم اعمالكم﴾ كلها الفعلية و القولية جليها و خفيها، علما[10] ثابتا غيبيا و علما راسخا شهوديا يتجدد ١٥

(١) من م و مد و المعالم، و في الأصل و ظ : تفطن (٢) زيد من م و مد و المعالم (٣) زيد من م و مد (٤) من م و مد، و في الاصل و ظ : سكرهم. (٥) زيد من ظ و م و مد (٦) من ظ و م و مد، و في الاصل : العقبات. (٧) من ظ و م و مد، و في الأصل : بشكرهم (٨) من ظ و م و مد، و في الأصل : الكل (٩) سقط من ظ و م و مد (١٠) زيد في الأصل : شافيا، و لم تكن الزيادة في ظ و م و مد فحذفناها.

بحسب تجددها مستمرا باستمرار ذلك .

و لما أخبر سبحانه أنه يعرفهم لنبيه صلى الله عليه و سلم، أتبعه الإخبار بأنه يعرفهم لكافة المؤمنين أيضا، فقال مؤكدا لأجل ظنهم أن عندهم من الملكة الشديدة و العقل الرصين ما يخفون به أمورهم :

٥ ﴿و لنبلونكم﴾ أى نعاملكم معاملة المبتلى بأن نخالطكم بما لنا من صفات[1] العظمة بالأوامر الشديدة على النفوس و النواهى الكريهة إليها و المصائب، خلطة مميلة محيلة، و هكذا التقدير فى الفعلين الآتيين فى قراءة الجماعة[2] بالنون جريا على الأسلوب الأول، و فى قراءة أبى بكر عن عاصم بالياء الضمير لله تعالى الذى هو محيط بصفات[3] العظمة الراجعة إلى القهر

١٠ و غيرها[4] من صفات الإكرام[5] الآئلة إلى الإنعام، فهو فى غاية الموافقة لقراءة النون ﴿حتى نعلم﴾ بالابتلاء علما شهوديا يشهده غيرنا مطابقا لما كنا نعلمه علما غيبيا فنستخرج[6] من سرائركم ما كوناه فيكم [و جبلناكم عليه مما لا يعلمه أحد منكم -[7]] بل و لا تعلمونه أنتم حق علمه ﴿المجهدين منكم﴾ فى القتال و [فى -[7]] سائر الأعمال و الشدائد

١٥ و الأهوال امتثالا للأمر بذلك .

و لما كان عماد الجهاد الصبر على المكاره، قال تأكيدا لأمره :

---

(١) سقط من ظ و م و مد (٢) راجع نثر المرجان ٦/٦٠٦ (٣) زيد فى الأصل : الكمال و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : غيره (٥) من ظ و م و مد، و فى الأصل : القدرة (٦) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فسيخرج (٧) زيد من م و مد .

﴿ و الصبرين لا ﴾ أى على شدائد الجهاد و غيره من الأنكاد . قال القشيرى : فبالابتلاء و الامتحان تتبين جواهر الرجال ، فيظهر المخلص و يتضح المماذق و ينكشف المنافق . و لما نصب معيارا للعلم بالذوات ، أتبعه مسبارا[1] للمعرفة للأخبار ، فقال عاطفا على "نعلم" فى رواية الجماعة و على "نبلو" فى الرواية عن يعقوب باسكان الواو : ﴿ و نبلوا اخباركم ﴾ أى نخالطها[2] بان نسلط عليها من يحرفها فيجعل حسنها قبيحا و قبيحا مليحا[3] ليظهر للناس العامل لله[4] و العامل للشيطان ، فان العامل لله إذا سمى قبيحه باسم الحسن علم أن ذلك إحسان[5] من الله إليه فيستحيى منه و يرجع إليه ، و إذا سمى حسنه باسم القبيح و اشتهر به علم أن ذلك لطف من الله به كيلا يدركه العجب أو يهاجمه[6] الرياء فيزيد فى إحسانه ، و العامل للشيطان يزداد فى القبائح ؛ لأن شهرته عند الناس / محط نظره ، و يرجع عن[7] الحسن لأنه لم يوصله إلى ما أراد به من ثناء الناس عليه بالخير و لم يؤكد بنا ، و فى قراءة يعقوب[8] إشارة إلى أن إحالة حال المخبر بعد ظهور خبره أسهل من إحالته قبل ظهوره ، و عن الفضيل أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى و قال : اللهم لا تبلنا فانك إن بلوتنا هتكت أستارنا و فضحتنا .

/ ٨٣٠

(١) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : معيارا (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : انما بعلمنا (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حسنا (٤) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : به (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : احساناً . (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : يهاجه (٧) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : فى (٨) راجع نثر المرجان ٦/٦٠٦ .

و لما جرت[1] العادة بأن الإنسان لايعذب و لا[2] يهدد إلا من ضره كما تقدم من الإخبار بنكالهم و قبيح أعمالهم مهيئا[3] للسؤال عن ذلك فاستأنف قوله مؤكدا لظنهم أنهم هم[2] الغالبون لحزب الله : ﴿ان الذين كفروا﴾ أى غطوا ما دلت عليه عقولهم من ظاهر آيات الله لاسيما بعد إرسال الرسول المؤيد بواضح المعجزات صلى الله عليه و سلم ﴿و صدوا﴾ أى امتنعوا و منعوا غيرهم زيادة فى كفرهم ﴿عن سبيل الله﴾ أى الطريق الواضح الذى نهجه الملك الأعظم . و لما كان أكثر السياق للساترين بكفرهم[4]، أدغم فى قوله : ﴿و شآقوا الرسول﴾ اى الكامل فى الرسلية المعروف غاية المعرفة .

و لما كان سبحانه قد عفا عن إهمال الدليل العقلى على الوحدانية قبل الإرسال، قال مثبتا الجار إعلاما بأنه لايغفر لمضيعه بعد الإرسال و لو فى أدنى وقت : ﴿من بعد ما تبين﴾ أى غاية التبين بالمعجز[5] ﴿لهم الهدى﴾[6] بحيث صار ظاهرا بنفسه غير محتاج بما أظهره الرسول من الخوارق إلى مبين، و منه ما أخبرت به الكتب القديمة الإلهية .

و لما كان المناصب للرسول إنما ناصب من أرسله، دل على ذلك بقوله معريا له من الفاء دلالة على عدم التسبيب[7] بمعنى أن عدم هذا الضر

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ : جرى (٢) سقط من م و مد (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ : مهشا (٤) من م و مد، و فى الأصل و ظ : فى كفرهم (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : بالعجز (٦) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٧) من م ومد، و فى الأصل و ظ : التسبب .

موجود عملوا او لم يعملوا وجدوا او لم يوجدوا (١) ﴿ لن يضروا الله ﴾ أى ملك الملوك ، و لم يقل : الرسول ﴿ شيئا ﴾ أى كثيرا و لا قليلا من ضرر بما تجمعوا عليه من الكفر و الصد .

و لما كان التقدير : إنما ضروا أنفسهم ناجزا بأنهم أتعبوها بما لم يغن عنهم (٢) شيئا ، عطف عليه : ﴿ و سيحبط ﴾ أى يفسد (٣) فيبطل بوعد لاخلف فيه ﴿ اعمالهم ﴾ من المحاسن لبنائها من المنافق [على غير اساس ثابت ، فهو إنما يرائى بها ، و من المجاهر على غير - (٤)] أساس أصلا ، فلا ينفعهم شيء منها ، و من المكايد التى يريدون بها توهين الإسلام و نجعل تدميرهم بها فى تدبيرهم و إن تناهوا فى إحكامها ، فلا تثمرلهم إلا عكس مرادهم سواء (٥) .

و لما حدى ما تقدم كله من ترغيب المخلص و ترهيب المتردد و المبطل إلى الإخلاص و دعا إلى ذلك مع بيان (٦) أنه لا غرض أصلا ، و إنما هو رحمة و لطف و إحسان [و - (٧)] مّن ، أنتج قوله مناديا من احتاج إلى النداء (٨) من نوع (٩) بعد لاحتياجه إلى ذلك و عدم مبادرته (٩) قبله : ﴿ يأيها الذين امنوآ ﴾ أى أقروا بألسنتهم ﴿ اطيعوا الله ﴾ أى الملك

(١) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : لم يجدوا (٢ - ٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : تعرفهم (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : يحبط (٤) زيد من ظ و م و مد (٥) من ظ و م و مد ، و فى الاصل : و سوى (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : بيانه (٧) زيد من م و مد (٨ - ٨) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بنوع (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : منادرته .

٨٣١ / الأعظم تصديقا لدعواكم طاعته[1] بشدة الاجتهاد فيها / أنها خالصة، وعظم الرسول صلى الله عليه وسلم بافراده فقال تعالى: ﴿واطيعوا الرسول﴾ لأن طاعته من[2] طاعة الذى أرسله، فاذا فعلتم ذلك حققتم[3] أنفسكم وأعمالكم كما مضى اول السورة، فتكون صحيحة ببنائها على الطاعة[4] ٥ بتصحيح النيات وتصفيتها مع الإحسان للصورة فى الظاهر ليكمل العمل صورة وروحا.

ولما كانت الطاعة قد تحمل على إقامة الصورة الظاهرة، قال منبها على الإخلاص لتكمل حسا ومعنى: ﴿ولا تبطلوا اعمالكم﴾ اى بمعصيتهما، فان الأعمال الصالحة إذا نوى بها ما لا يرضيهما بطلت وإن كانت فى ١٠ الذروة من حسن الصورة، فكانت صورة بلا معنى، فهى مما يكون هباء منثورا مثل ما فعل أولئك المظهرون للايمان المبطنون للشاقة بالنفاق والرياء والعجب والمن[5] والأذى ونحو ذلك من المعاصى، ولكن السياق بسياقه ولحاقه يدل على أن الكفر هو المراد الأعظم بذلك، والآية [من الاحتباك -[6]]: ذكر الطاعة أولا دليلا على المعصية ١٥ ثانيا، والإبطال ثانيا دليلا على الصحة اولا، وسره أنه أمر بمبدأ[7]

(١) فى مد: طاعة (٢) زيد فى الأصل: طاعته اعنى من، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٣) من ظ وم ومد، وفى الأصل: حققتم (٤) من ظ وم ومد، وفى الأصل: الطلة - كذا (٥) زيد فى الأصل: والرياء، ولم تكن الزيادة فى ظ وم ومد فحذفناها (٦) زيد من ظ وم ومد. (٧) من م ومد، وفى الأصل وظ: بهذا.

السعادة و نهى عن نهاية الفساد ثانيا ، لأنه أعظم فى النهى عن الفساد لما فيه من تقبيح صورته و هتك سريرته .

و لما دل ما أخبر به أولا عن المشاقين على أنهم مغلوبون فى الدنيا خاسرون فى الآخرة ، وكانت الخسارة فى الآخرة مشروطة بشرط ، علل ما أمر به المؤمنون هنا من الطاعة و نهوا عنه من إبطال الأعمال بالمعصية ، [زيادة -[1]] فى حثهم على ما أمر به بعلتين كل منهما مستقل بامتثال أمره و اجتناب نهيه : إحداهما[2] عدم المغفرة ، و الثانية بطلان الأعمال و الأموال بكون الدنيا لاحقيقة لها ، و قدم الأولى لأن الثانية - و هى أن الدنيا لعب - كالعلة الحاصلة على ما أوجبها ، و من حسن التعليم بيان الحكم ثم تعليله بأقرب ما يحمل عليه أو يصد عنه ، فكأنه قيل : لاتبطلوها بالصد عن سبيل الله الحامل عليه الإقبال على الدنيا التى هى عين الباطل ، فانكم إن فعلتم ذلك فاتتكم المغفرة ، و ذلك من معنى قوله تعالى مؤكدا لإنكارهم مضمونه : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى أوقعوا الكفر بفعلهم فعل الساتر لما دله[3] عليه عقله من آيات الله المرئية ثم المسموعة ﴿ و صدوا عن سبيل الله ﴾ أى طريق الملك الأعلى الواضح المستقيم الموصل إلى كل ما ينبغى أن يقصد كل من أراده بتماديهم على باطلهم[4] و أذاهم لمن خالفهم .

و لما كان هذا أمرا قبيحا من جهات عديدة لما فيه من / مخالفة / ٨٣٢

(١) زيد من م و مد (٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : احدهما (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : دل (٤) من ظ وم و مد ، و فى الأصل : باطله .

الملك الأعظم المرهوب بطشه المحذورة[1] سطوته، و من ترك الواسع[2] إلى الضيق و المستقيم إلى المعوج و الموصل إلى الفوز [إلى -[3]] الموصل إلى الخيبة، فكان التمادى فيه فى غاية البعد، نبه على ذلك بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم ماتوا ﴾ أى بعد المدلهم فى مضارهم بالتطويل فى أعمارهم ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ كفار ﴾ و لما كان السبب الأعظم فى الإحباط الموت على الكفر، نبه[4] عليه بالفاء الدالة على ربط الجزاء بالشرط و تسببه عنه فقال مؤكدا [له -[3]] لإنكارهم ذلك: ﴿ فلن يغفر الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال التى تمنع من تسوية المسىء بالمحسن ﴿ لهم ﴾ فلا يمحو ذنوبهم و لا يستر عيوبهم، بل يفضح سرائرهم و يوهن كيدهم و يردهم على أعقابهم فى كل ما يتقلبون فيه لأنهم قد أبطلوا أعمالهم بالخروج عن دائره الطاعة، فلم يبق لهم ما يغفر لهم[5] بسببه، و قد دلت هذه الآية على ما دلت عليه آية البقرة من أن إحباط العمل[6] فى المرتد مشروط بالموت على الكفر.

و لما قدم سبحانه ذم الكفرة و أنه عليهم و أنه يبطل أعمالهم فى الدنيا فى الحرب و غيرها، و ختم بأن عداوته لهم متحتمة لا انفكاك

---

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: المحذور (٢) من ظ و م و مد، و فى الأصل: الوسع (٣) زيد من م و مد (٤) زيد فى الأصل: على ذلك بأداة التراخى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٥) سقط من مد. (٦) زيدت فى الأصل: كفر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها.

لها، و كان ذلك موجبا للاجتراء عليهم، سبب عنه قوله مرغبا لهم فى لزوم الجهاد[1] محذرا من تركه: ﴿ فلا تهنوا ﴾ أى تضعفوا ضعفا يؤدى بكم إلى الهوان و الذل ﴿ و تدعوآ ﴾ أى أعداءكم ﴿ الى السلم ق صلے ﴾ أى المسالمة و هى الصلح ﴿ و انتم ﴾ أى و الحال أنكم ﴿ الاعلون ق صلے ﴾ على كل من ناواكم لأن الله عليهم، ثم عطف على الحال قوله: ﴿ و الله ﴾ ٥ أى الملك الأعظم الذى لا يعجزه شىء و لا كفوء له ﴿ معكم ﴾ أى بنصره و معونته و جميع ما يفعله الكريم إذا كان مع غيره، و من علم أن سيده معه و علم أنه قادر على ما يريد لم يبال بشىء أصلا ﴿ و لن يتركم اعمالكم ﴾ [أى -[2]] فيسلبكموها فيجعلكم وترا منها بمعنى أنه يبطلها كما يفعل مع أعدائكم فى إحباط أعمالهم فيصيرون مفردين عنها لأنكم لم تبطلوا أعمالكم ١٠ بجعل الدنيا محط أمركم، فلا يجوز لإمام المسلمين أن يجيب[3] إلى مسالمة الكفار و به قوة على مدافعتهم، و لا يحل له ترك الجهاد إلا لمعنى يظهر [فيه النظر -[2]] للمسلمين، و متى لم يجاهد فى سبيل الله انصرف بأسه إلى المسلمين.

و لما أتم العلة الأولى أقبل على الثانية الصادة[4] عن الطاعة القائدة ١٥ إلى المعصية الملائمة للشهوة المبطلة للأعمال الموجبة للتهاون المؤدى إلى عدم المغفرة، فقال مرغبا فى طاعته الموجبة للفوز الدائم ببيان قصر أيام المحنة

---

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م و مد فحذفناها (٢) زيد من م و مد (٣) من مد، و فى الأصل و ظ و م: يحث (٤) من مد، و فى الأصل و ظ و م: الصادرة.

و تجرع مرارات المشقة[١] : ﴿ انما الحيوة ﴾ [١] و أشار إلى دناءتها تنفيرا عنها بقوله : ﴿ الدنيا ﴾ و لما كان مطلق العلو موجبا لأعظم اللذاذة فكيف إذا كان موجبه الدين الضامن لدوام اللذة / [موصولا -[٢]] ٨٣٣ / دنيويها بأخرويها ، و كان اللعب ما ينشأ من زيادة البسط و ينقضى بسرعة مع دلالته على الخفة[٣] كالرقص ، قدمه إشارة إلى أن العاقل من يسعى فى زيادة بسط[٤] يحمل على الرزانة[٥] و يدوم ، و أتبعه[٦] اللهو [٧] لأنه ما[٧] يستجلب به السرور كالغنا إشارة إلى أنه إن كان المراد بالدنيا زيادة بسطها فهو ينقضى بسرعة ، مع ما فيه من الرعونة ، و إن كان المراد أصل البسط و السرور فعندكم منه بالعلو الحاصل لكم بالجهاد ما هو فى غاية العظمة و الجد و الثبات فلا سفه أعظم من العدول عنه إلى ما إن سر [حمل -[٨]] على الطيش[٩] و انقضى بسرعة ، فقال : ﴿ لعب ﴾ أى [أعمال -[١٠]] ضائعة سافلة تزيد فى السرور و[١١] يسرع اضمحلاله ، فيبطل من غير ثمرة ﴿ و لهو[١] ﴾ أى مشغلة يطالب بها إثارة اللذة كالغنا و حيرة[١٢] و غفلة ، فان

---

(١) زيد فى الأصل و ظ و م : الدنيا (٢) زيد من ظ و م و مد (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : الجنة (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : بسطه . (٥) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : المواوزه (٦) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : يتبعه (٧-٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : فانه مما (٨) زيد من مد (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : البطش (١٠) زيد من م و مد . (١١) من مد . و فى الأصل و ظ و م : ما (١٢) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : حسرة .

تتبعوها تكفروا و تبطروا و تجترئوا[1] على الله ، [و إن تكفروا به و تجترئوا عليه -[2]] تبطل أجوركم فلا يكون لكم [أجر -[2]] و لا مال لأنه يبطل أعمالكم و أموالكم بكونها تصير صورا لامعانى لها .

و لما صور سبحانه الدنيا بألذ صورها عند الجاهل و أمضها عند العاقل ، و حاصله[3] أنها زيادة سرور لمن كان مسرورا ، و استجلاب ٥ [له -[4]] لمن كان مضرورا ، لكنه سريع الانصرام بخلاف ثمرة[5] الاجتماع على الدين من سرور العلو بالإسلام ، فانه باق على الدوام ، علم أن التقدير بناء على ما تبع وصف الدنيا ، [6]و الآخرة[6] جد و عمل و حضور فان تقبلوا عليها تؤمنوا و تتقوا فلا تخدعنكم الدنيا على دناءتها[7] عن نيل الآخرة بالجهاد الأكبر و الأصغر[8] على شرفها[9] و شرفه ، [قال بانيا على ما ١٠ أرشد السياق إلى تقديره -[2]] : ﴿و ان تؤمنوا و تتقوا﴾ أى تخافوا فتجعلوا بينكم و بين غضبه سبحانه وقاية من جهاد أعدائه و مقاساة لفح إيقاد الحروب و حر الأمر بالمعروف و إنفاق الأموال فى ذلك ، فتكونوا جادين فتتركوا اللهو و اللعب القائدين إلى الكفر ﴿ يؤتكم ﴾ أى الله الذى فعلتم ذلك من أجله فى الدار الآخرة ﴿ اجوركم ﴾ أى ١٥

(١) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : تنخترو ا (٢) زيد من ظ و م و مد. (٣) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : حاله (٤) زيد من م و مد (٥) فى م و مد : اثمره (٦-٦) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : بالآخرة (٧) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : وقاتها (٨) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و مد فحذفناها (٩) من ظ و م و مد ، و فى الأصل : سرفها .

ثواب كل أعمالكم لبنائها على الأساس و لأنه غنى لا ينقصه إلا عطاه، و الآية من الاحتباك : ذكر الحياة الدنيا و اللهو و اللعب أولا دال[1] على ذكر الآخرة و الجد ثانيا ، و ذكر الإيمان و التقوى ثانيا دال[1] على حذف ضدهما الكفران و الجرأة أولا ، و سره أن تصوير الشيء بحال الصبي و السفيه أشد فى الزجر عنه عند ذوى الهمم العالية . و ذكر الأجر المرتب على الخوف الذى هو فعل الحزمة[2] أعون على تركه .

و لما كان الملعوب به الملهو[3] منه يسأل اللاعب[4] اللاهى من ماله، و لا يقنع عند سؤاله ، فيكون سببا لضياع أعماله و أمواله ، بين [أن -[5]] المعبود بخلاف ذلك فى الأمرين، و أنه يعطى و لا يأخذ لنفسه شيئا و إنما أخذه أمره[7] بمواصلة بعضكم لبعض فقال / تعالى : ﴿و لا يسئلكم﴾ ٨٣٤ / أى [الله -[8]] فى الدنيا ﴿اموالكم﴾ أى لنفسه و لا كلها ، و هذا مفهم لأنهم إن لم يتقوا بما ذكر سلط عليهم من يأخذ أموالهم بما يخرج أضغانهم ، قال ابن برجان : و متى سئلوا أموالهم بخلوا ، فان أكرهوا على ذلك أضحنوا ضغائن و حقائد ، و لم يكن من الإمام لهم نصيحة و لا منهم للامام و لا لبعضهم لبعض ، و كان الخلاف ، [و -[9]] فى ذلك

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : دلالة (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : الحربه (٣) من م و مد ، و فى الأصل و ظ : اللهو (٤) زيدت الواو فى الأصل و ظ و م و لم تكن فى مد فحذفناها (٥) زيد من مد (٦) ليس فى م و مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ و م : امر (٨) زيد من م و مد . (٩) زيد من ظ و م و مد .

الخالقة، و هو إنذار منه سبحانه بما يكون بعد، و ما أنذر شيئا إلا كان منه ما شاء الله.

و لما كان الإنسان، لما جبل عليه من النقصان، قد يهلك جميع أمواله لهوا و لعبا بالمقامرة و نحوها، و لاينهاه ذلك بل لايزيده إلا إقبالا رجاء أن يظفر، و لو سئل جميع ماله فى الطاعة لبخل، قال تعالى ٥ ذاكرا لهم ذلك تنبيها عليه و إيماء إلى حلمه تعالى عنهم و تحببه إليهم معللا ما قبله: ﴿ان يسئلكموها﴾ أى الأموال كلها، و لما كانت[1] الأموال قد تطلق على معظمها، حقق المعنى بقوله: ﴿فيحفكم﴾ أى يبالغ فى سؤالكم و يبلغ فيه الغاية حتى يستأصلها فيجهدكم بذلك ﴿تبخلوا﴾ فلا تعطوا شيئا ﴿و يخرج﴾ أى الله أو المصدر المفهوم من "تبخلوا" ١٠ بذلك السؤال ﴿اضغانكم﴾ أى ميلكم عنه حتى يكون آخر[2] ذلك عداوة و حقدا، و قد دل[3] إضافة الأضغان إلى ضميرهم أن كل إنسان ينطوى بما له من النقصان، على ما جبل عليه من الأضغان، إلا من عصم الرحيم الرحمن، قال الرازى: و هذا دليل على ان العبد إذا منع فى مواسم الخيرات سوى الزكاة لم يخرج من البخل، فحد البخل منع ما يرتضيه ١٥ الشرع و المروءة فلا بد من مراعاة المروءة و رفع قبح الأحدوثة، و ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، و قدم المادة مهما[5] ظهر له أن فائدة البذل

(١) من م و مد، و فى الأصل و ظ: كان (٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و مد فحذفناها (٣) من م و مد، و فى الأصل و ظ: احس. (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل: ذلك ايضا أن (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ: منها.

أعظم من فائدة الإمساك ثم[1] يشق عليه البذل فهو بخيل محب للمال، و المال لاينبغى أن يحب لذاته بل لفائدته. و حفظ المروءة [2]أعظم و[2] أفضل و أقوى من التنعم بالأكل الكثير مثلا .

و لما أخبر ببخلهم لو سئلوا جميع أموالهم أو أكثرها، دل عليه بمن يبخل منهم عما سأله [منهم - [3]] و هو جزء يسير [جدا - [3]] من أموالهم، فقال منبها لهم على حسن تدبيره لهم و عفوه عنهم عند من جعل "ها[4]" للتنبيه، و من جعل الها بدلا من همزة استفهام[5] جعلها للتوبيخ و التقريع، لأن من حق من دعاه مولاه أن يبادر للاجابة مسرورا فضلا أن يبخل، و فى هاء التنبيه و لاسيما عند من يرى تكررها تأكيد لأجل استبعادهم أن أحدا يبخل عما يأمر الله بـــه سبحانه : ﴿هَٰأَنتُم﴾ و حقر أمرهم أو أحضره فى الذهن و صوره بقوله : ﴿هؤلاء تدعون﴾ [أى - [3]] إلى ربكم الذى لايريد بدعائكم إلانفعكم، و أما هو فلا يلحقه نفع و لا ضر[6] ﴿لتنفقوا﴾ شيئا يسيرا من الزكاة و هى[7] ربع العشر و نحوه، و من نفقة الغزو[8] و قد يحصل من الغنيمة أضعافها و الحج و قد[9] يحصل من المتجر أو أكثر، و قد عم ذلك و غيره

(١) من ظ و م و مد، و فى الأصل : لم - كذا (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من م و مد (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م و مد، و فى الأصل : الهاء . (٥) من م و مد، و فى الأصل و ظ : من به استفهام (٦) من ظ و م و مد، و فى الأصل : ضرر (٧) من م و مد، و فى الأصل و ظ : هو (٨) من م و مد، و فى الأصل و ظ : العشر (٩) من ظ و مد، و فى الأصل و م : ما .

قوله : ﴿ فى سبيل الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى / يرجى خيره و يخشى ضيره ، بخلاف من يكون و ما يكون به اللهو و اللعب . ٨٣٥ /

و لما أخبر بدعائهم ، فصلهم فقال تعالى : ﴿فمنكم﴾ أى أيها المدعون ﴿ من يبخل ﴾ و هو منكم لاشك فيه ، و حذف القسم [الآخر - ١] و هو « و منكم من يجود » لأن المراد الاستدلال على ٢ ما قبله من البخل . و لما كان بخله عمن أعطاه المال بجزء ٣ يسير منه إنما طلبه ليقع المطلوب منه فقط ، زاد العجب بقوله : ﴿ و من ﴾ أى و الحال أنه من ﴿يبخل﴾ ٤ بذلك ﴿فانما يبخل﴾ أى بماله بخلا صادرا ﴿عن نفسه ٤ ﴾ ٤ التى هى منبع الدنايا ، فلا تنفس و [لا - ١] تنافس إلا فى الشىء الخسيس ، فان نفع ذلك الذى طلب منه فبخل به إنما هو له ، و أكده لأنه لايكاد أحد يصدق أن عاقلا يتجاوز بماله عن نفع نفسه ، و لذا حذف « و من يجد فانما يجد على نفسه » لفهمه عن السياق و استغناء الدليل عنه ، هذا و الأحسن أن يكون "يبخل" متضمنا " يمسك " ثم حذف " يمسك " و دل عليه بحال محذوفة دل عليها التعدية بعن .

و لما كان سؤال المال قد يوهم شيئا ، قال مزيلا له مقررا ٥لأن بخل ٥ الإنسان إنما هو عن نفسه عطفا على ما تقديره: لأن ضرر بخله إنما ٦

---

(١) زيد من مد (٢) ومن هنا انقطعت نسخة م إلى سورة المجادلة (٣) من ظ و مد ، وفى الأصل : بجبرى (٤) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : البخل من (٦) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

يعود عليه و هو سبحانه لم يسالكم ذلك لحاجته إليه و لا إلى شيء منكم، بل لحاجتكم إلى الثواب ، و هو سبحانه قد بنى أمور هذه الدار كما اقتضته الحكمة على الأسباب : ﴿ و الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ﴿ الغنى ﴾ أى وحده ﴿ و انتم ﴾ [٢] أيها المكلفون خاصة ﴿ الفقرآء ﴾ لأن العطاء ينفعكم و المنع يضركم. فمن افتقر منكم إلى فقير مثله وقع فى الذل و الهوان ، و قد جرت عادتكم أن يداخلكم من [٣] السرور ما لايجد إذا طلب من أحد منكم [أحد -٤] من الأجواد [٥] الأغنياء شيئا طمعا فى جزائه ، فكونوا كذلك و أعظم إذا طلب منكم الغنى المطلق .

و لما كان التقدير : فان تقبلوا بنولكم تفلحوا ، عطف عليه قوله مرهبا لأن الترهيب أردع : ﴿ و ان تتولوا ﴾ أى توقعوا التولى عنه تكلفوا [٦] أنفسكم ضد [٧] ما تدعو إليه الفطرة الأولى من السماح بذلك الجزاء اليسير جدا الموجب للثواب الخطير و الفوز الدائم ، و من الجهاد فى سبيله ، و القيام بطاعته ، لكونه المحسن الذى لامحسن فى الحقيقة غيره ﴿ يستبدل ﴾ أى يوجد ﴿ قوما ﴾ فيهم قوة و كفاية لما يطلب منهم محاوله .

---

(١) سقط من ظ (٢) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى (٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الاجود (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تكفوا . (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : عند .

و لما

و لما كان ذلك مفهما انهم غيرهم ، لكنه لايمنع ان يكونوا - مع كونهم غير أعيانهم - [1]من قومهم أو أن يشأ دونهم فى الصفات و إن كانوا من غير قومهم ، نبه على أنهم يكونون[1] من غير قومهم و على غير صفاتهم ، بل هم أعلى منهم درجة و أكرم خليقة و أحسن فعلا فقال تعالى : ﴿ غيركم[1] ﴾ أى بدلا منكم و هو على غير صفة التولى[2] . ٥

و لما كان الناس متقاربين فى الجبلات . و كان المال محبوبا ، كان من المستبعد جدا أن يكون هذا البذل على غير ما هم عليه ، قال تعالى مشيرا إلى ذلك بحرف التراخى[3] تأكيدا لما أفهمه ما قلته من التعبير بـ" غير " و تثبيتا [له - ٤] : ﴿ ثم ﴾ أى بعد استبعاد من يستبعد [و - ٥] علو الهمة[6] فى مجاوزة جميع / عقبات[7] النفس و الشيطان : ١٠ / ٨٣٦ ﴿ لايكونوآ امثالكم ﴾ فى التولى عنه بترك شىء مما أمر به أو فعل شىء مما نهى [عنه - ٥] ، و من قدر على الإيجاد قدر على الإعدام . بل هو أهون فى مجارى العادات ، فقد ثبت [أنه - ٥] سبحانه لو شاء لانتصر من الكفار ، إما باهلاكهم [8]أو إما[8] بناس غيركم[9] بضرب رقابهم و أسرهم ، و غير ذلك من أمرهم ، و ثبت بمواصلة ذم الكفار مع قدرته عليهم ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) من مد ، وفى الأصل و ظ : التوالى . (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : الترجى (٤) زيد من مد (٥) زيد من ظ و مد (٦) زيد فى الأصل و ظ : ما قلته من التعبير ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٧) من مد ، وفى الأصل : غفلات ، و فى ظ : عقاب (٨-٨) فى ظ : أو (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : غيرهم .

أنــه ابطل أعمالهم ، فرجع بذلك اول السورة إلى آخرها . و عانق موصلها ما ترى من مفصلها ، و علم أن معنى هذا الآخر و ذلك[1] الأول أنه سبحانه لابد من إذلاله للكافرين و إعزازه للمؤمنين لأنهم إن أقبلوا على ما يرضيه فجاهدوا نصرهم نصرا عزيزا بما ضمنه قوله تعالى " ان تنصروا الله ينصركم و يثبت اقدامكم " و إن تتولوا[2] أتى بقوم غيركم[3] يقبلون عليه فيصدقهم وعده ، فصار خذلانهم[4] أمرا متحتما ، و هو معنى أول سورة[5] الفتح - و الله الموفق [6]لما يريد من الصواب[6].

---

(١) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) فى ظ و مد : تولوا (٣) فى مد : غيرهم (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : حدانــه . (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : السورة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

سورة الفتح[1]

مقصودها مدلول اسمها الذى يعم فتح مكة و ما تقدمه من صلح الحديبية و فتح خيبر و نحوهما ، و ما وقع تصديق الخبر به من غلب الروم على أهل فارس و ما تفرع من فتح مكة المشرفة من إسلام أهل جزيرة العرب و قتال أهل الردة و فتوح جميع البلاد الذى يجمعه كله إظهار الدين على ٥ الدين كله ، و هذا كله فى غاية الظهور بما نطق به ابتداؤها و أثناؤها فى مواضع منها " لقد صدق الله رسوله الرءيا بالحق " الآية و انتهاؤها "ليظهر على الدين كله" "محمد رسول الله" إلى قوله "ليغيظ بهم الكفار" أى بالفتح الأعظم و ما دونه من[2] الفتوحات "وعد الله الذين [3]امنوا و عملوا الصلحت منهم مغفرة - كما كان فى أولها للرسول صلى الله عليه ١٠ و سلم - [و [3]] أجرا عظيما" كذلك[4] [5]بسائر الفتوحات و ما حوت من الغنائم للثواب الجزيل على ذلك فى دار الجزاء[5] ﴿ بسم الله ﴾ [6]الملك الأعظم[6] المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم المكلفين بنعمة الوعد و الوعيد ﴿ الرحيم ﴾ الذى اختص اهل حزبه لإقامة دينه الحق فأظهرهم على سائر العبيد . ١٥

لما[7] كانت تلك [8]سورة الجهاد[8] و كانت هذه سورة الفتح بشارة

---

(١) الثامنة و الأربعون من سور القرآن الكريم ، مدنية و عدد آيها ٢٩ - راجع نثر المرجان ٩/٦١٤ (٢) سقط من ظ (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : لذلك (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : و لما (٨-٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : السورة للجهاد .

للمجاهدين من أهل هذا الدين بالفوز و [١]النصر و الظفر[١] على كل من كفر، و هذا كما سيأتي[٢] من إيلاء سورة النصر لسورة الكافرون، فأخبرت القتال عن[٣] الكافرين بابطال الأعمال و التدمير و إهلاكهم بالقتال، و إفساد جميع الأحوال، و عن الذين آمنوا بما نزل على محمد صلى الله عليه و سلم بالهداية و إصلاح البال، و ختمها بالتحريض على مجاهدتهم بعد أن ضمن لمن نصره منهم النصر و تثبيت الأقدام، و هدد من أعرض باستبدال غيره به، و أن ذلك البدل لايتولى عن العدو و لاينكل عنه، فكان ذلك محتما لسفول الكفر و علو الإيمان، و ذلك [٤]بعينه هو[٤] الفتح المبين، [فافتتح هذه بقوله على طريق النتيجة لذلك بقوله مؤكدا إعلاما بأنه لابد منه و أنه -[٥]] مما ينبغي أن يؤكد لابتهاج النفوس / الفاضلة به، و تكذيب من في قلبه مرض[٦] و هم أغلب الناس في ذلك الوقت: ﴿انا﴾ أي بما لنا من العظمة التي لاتثبت لها الجبال ﴿فتحنا﴾ أي أوقعنا الفتح المناسب لعظمتنا لكل متعلق باتقان[٧] الأسباب المنتجة له من غير شك، و لذلك عبر عنه بالماضي. /٨٣٧

و لما كانت منفعة ذلك له صلى الله عليه و سلم لأن إعلاء كلمة الله يكون به فيعليه و يمتلىء الأرض من أمنه، فلا يعمل منهم أحد حسنة

(١-١) في ظ و مد: الظفر و النصر (٢) من ظ و مد، و في الأصل: يأتي. (٣) من مد، و في الأصل و ظ: على (٤-٤) في مد: هو بعينه (٥) زيد من مد (٦) من مد، و في الأصل: شك، و الكلمة ساقطة من ظ (٧) من مد، و في الأصل و ظ: بايقان.

إلا كان له مثل أجرها و يكونون على قصر زمنهم ثلثى أهل الجنة ، فيكون ذلك شرفا له - إلى غير ذلك من الأسرار ، التى يعي دون أيسرها الكفار، قال : ﴿ لك ﴾ أى بصلح الحديبية فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة التى نزلت هذه السورة فى شأنه، يصحبان فى الرجوع منه إلى المدينة المشرفة[1]، قال الأزهرى : لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية ، و ذلك ٥ أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فرأوا ما لا أعدل منه و لا أحسن ، فاستولى الإسلام على قلوبهم و تمكن منهم [فأسلم منهم -[2]] فى ثلاث سنين خلق كثير ، و كذا كان من الفتح تقوية أمره صلى الله عليه و سلم بالتصديق فيما أنزل[3] عليه من سورة من غلبهم على أهل فارس فى رواية من قال : إنه كان فى زمن الحديبية ، ثم زاده تأكيدا ١٠ بقوله : ﴿ فتحا ﴾ و زاد فى إعظامه بقوله : ﴿ مبينا ﴾ أى لا لبس فيه على أحد ، بل يعلم كل ذى عقل به أنك ظاهر على جميع أهل الأرض لأنك كنت وحدك ، و كان عند أهل[4] الكفر أنك فى أيديهم ، و أن أمرك لا يعدو فك ، فتبعك ناس ضعفاء فعذبوهم و كانوا[5] معهم فى أسوأ الأحوال ، و تقرر ذلك فى أذهانهم مددا طوالا[6] ثلاث عشرة سنة ، ثم ١٥ إنقذ الله أتباعك منهم بالهجرة إلى النجاشى رحمه الله تعالى أولا ، و إلى

(١) فى الأصل و ظ : الشريفة (٢) زيد من ظ و مد إلا أن « منهم » ليس فى مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : نزل (٤) سقط من ظ (٥) زيد فى الأصل و ظ : اسرا ، و لم تكن الزياده فى مد فحذفناها (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : طويلا .

المدينة الشريفة ثانيا ، و هم مطمئنون بأنك أنت ـ و انت راسهم ـ لا ينتظم لهم[1] بدونك أمر ، و لا يحصل لكسرهم[2] ما لم تكن معهم جبر ، بأنك فى قبضتهم لا خلاص لك أبدا منهم و لا انفكاك من بلدتهم ، فاستخرجك الله من عندهم بعد أن حماك على خلاف القياس و أنت بينهم من أن ٥ يقتلوك ، مع اجتهادهم فى ذلك و استفراغهم قواهم فى أذاك[3] ، ثم بذلوا جهدهم فى منعك من الهجرة فما قدروا ، ثم [فى - [4]] ردك فما أطاقوا و لا فازوا و لا ظفروا . بل غلبوا و قهروا ، ثم أيدك بأنصار أبرار أخيار فكنتم على قلتكم[5] كالليوث الكواسر و البحار الزواخر . ما ملتم على جهة إلا غمرتموها ، و فزتم بالنصف[6] من أربابها[6] قتلتموها[7] أو أسرتموها[7] و لم تزالوا ١٠ تزدادون و تقوون ، و هم ينقصون و يضعفون ، حتى أتيتموهم[8] فى بلادهم التى هم قاطعون بأنهم ملوكها . يتعذر على غيرهم غلبهم عليها بل سلوكها[9] ، فما دافعوكم عن الدخول عليهم إلا بالراح ، و سألوكم فى[10] وضع الحرب للدعة و الإصلاح ، فقد ظهرت أعلام الفتح ثم ظهور ، و علم ارباب القلوب أنه لابد أن تكون / فى امتطائكم[11] الذرى و سموكم إلى رتب المعالى /٨٣٨

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : بهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : لكثيرهم (٣) من مد ، و فى الاصل و ظ : ذاك (٤) زيد من مد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : قتلكم (٦ - ٦) فى ظ : باربابها (٧ - ٧) من مد ، و فى الأصل : اوسرتموه ، و سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : ايتموهم (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : سلكوها . (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : سلوكهم فن (١١) من مد ، و فى الأصل و ظ : انتظامكم .

أمور و أيّ أمور ، و روى الإمام أحمد[1] [عن -[2]] مجمع بن جارية الأنصارى رضى الله عنه قال : شهدنا الحديبية مع النبى صلى الله عليه و سلم ، فلما انصرفنا منها إذا[3] الناس يهزون الأباعر فقال بعضهم : ما بال الناس ؟ قالوا : أوحى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم ، قال: فخرجنا نوجف[4]، فوجدنا النبى صلى الله عليه و سلم واقفا على راحلته [عند كراع -[5]] الغميم ، فلما اجتمع عليه[6] الناس قرأ " انا فتحنا لك فتحا مبينا " فقال عمر رضى الله عنه : أو فتح هو يارسول الله؟ قال: نعم ، و الذى نفسى بيده.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : ارتباط هذه السورة بالتى قبلها واضح من جهات - و قد يغمض بعضها - منها أن سورة القتال لما أمروا فيها بقتال عدوهم فى قوله تعالى " فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب " الآية ، و أشعروا[7] بالمعونة عند وقوع الصدق فى قوله " ان تنصروا الله ينصركم " استدعى ذلك تشوف النفوس إلى حال العاقبة فعرفوا ذلك فى هذه السورة فقال تعالى "انا فتحنا لك فتحا مبينا"- الآيات ، فعرف تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم بعظيم صنعه له ، و أتبع ذلك بشارة المؤمنين العامة فقال "هو الذى انزل السكينة فى قلوب المؤمنين"- الآيات[8]، و التحمت إلى التعريف بحال من نكث من مبايعته صلى الله

(١) راجع تفسير الطبرى ٢٦ / ٤١ (٢) زيد و لابد منه (٣) من مد و التفسير ، و فى الأصل و ظ : اذ (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : نرجف (٥) زيد من مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : إليه (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : اشعر (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : الآية .

عليه و سلم ، و حكم المخلفين من الأعراب ، و الحض على الجهاد ، و بيان حال ذوى الأعذار ، و عظيم نعمته سبحانه على أهل بيعته " لقد رضى الله عن المؤمنين " و أثابهم الفتح و أخذ المغانم[1] و بشارتهم بفتح مكة " لتدخلن المسجد الحرام " إلى ما ذكر سبحانه من عظيم نعمته عليهم

٥ و ذكرهم فى التوراة و الإنجيل ما تضمنت هذه السورة الكريمة ، و وجه آخر [و -[2]] هو أنه لما قال الله تعالى فى آخر سورة القتال " فلا تهنوا و تدعوا الى السلم و انتم الاعلون و الله معكم و لن يتركم اعمالكم " كان هذا إجمالا فى عظيم ما منحهم و جليل ما أعطاهم ، فتضمنت سورة الفتح تفسير هذا الإجمال و بسطه ، و هذا يستدعى من بسط الكلام ما

١٠ لم تعتمده[3] فى هذا التعليق ، و هو بعد مفهوم مما سبق من الإشارات فى الوجه الأول ، و وجه آخر مما يغمض و هو أن قوله تعالى " و ان تتولوا يستبدل قوما غيركم[4] ثم لا يكونوا امثالكم " إشارة إلى من[5] يدخل فى ملة الإسلام من الفرس و غيرهم عند تولى العرب ، و قد أشار أيضا إلى هذا قوله تعالى " يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه

١٥ فسوف ياتى الله بقوم يحبهم و يحبونه " - الآيات ، و أشار إلى ذلك عليه الصلاة و السلام : ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم ياجوج و ماجوج مثل هذا - و عقد السبابة بالإبهام ، أشار عليه الصلاة و السلام

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الغنايم (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : لم يعتمده (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهم . (٥) فى ظ : ما .

إلى

[1]إلى تولى العرب و استيلاء غيرهم الواقع فى الآيتين، و إنما إشار عليه الصلاة و السلام[1] [2]بقوله «اليوم»[2] إلى التقديم و التأخير، و فرغ هذا الأمر إلى[3] أيام أبى جعفر المنصور، فغلبت / [4]الفرس و الأكراد[4] و أهل الصين ٨٣٩ / و صين الصين - و هو ما يلى ياجوج و ماجوج - و كان فتحا و عزا و ظهورا لكلمة الإسلام، و[5] غلب هؤلاء فى الخطط و التدبير[6] الإمارى[7] و سادوا غيرهم، و لهذا جعل صلى الله عليه و سلم مجيئهم فتحا فقال "فتح اليوم" و لو أراد[8] غير هذا لم يعبر بفتح، ألا ترى قول عمر لحذيفة رضى الله عنهما فى حديث الفتن حين قال[9] له «إن بينك و بينها [1]بابا مغلقا[1]» فقال عمر: أيفتح ذلك[10] الباب أم يكسر؟ فقال: بل يكسر. ففرق بين الفتح و الكسر، و إنما أشار إلى قتل عمر رضى الله عنه، و لذا قال عليه الصلاة و السلام "فتح" و قال "من ردم ياجوج و ماجوج" و أراد من نحوهم و جهتهم و أقاليمهم، لأن الفرس و من أتى معهم هم أهل الجهات التى تلى الردم، فعلى هذا يكون قوله[11] تعالى "و ان تتولوا

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) من مد، و فى الأصل و ظ: باليوم. (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: اتى (٤-٤) من ظ و مد، و فى الأصل: النفوس و الاكدار (٥) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: التدبر (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: الامارای (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: كان (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: قبل (١٠) من ظ و مد، و فى الأصل: لك (١١) زيد فى الأصل: صلى الله عليه و سلم قوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

يستبدل قوما غيركم[١]" إشارة إلى غلبة من ذكرنا و انتشارهم فى الولايات[٢] و الخطط الدينية و المناصب العلمية . و لما كان هذا قبل أن يوضح أمره يوهم نقصا و خطأ ، بين أنه تجديد فتح و إعزاز منه تعالى لكلمة الإسلام ، فقال تعالى "انا فتحنا لك فتحا مبينا" الآيات ، ذكر القاضى أبو بكر بن العربى

٥ فى تلخيص التلخيص علماء المالكية مشيرا إلى تفاوت درجاتهم ثم قال : و أمضاهم فى النظر عزيمة و أقواهم فيه شكيمة أهل خراسان : العجم أنسابا و بلدانا ، العرب عقائد و إيمانا ، الذين ينجز فيهم وعد الصادق المصدوق ، و ملكهم الله مقاليد التحقيق حين أعرضت العرب عن العلوم و تولت عنها ، و أقبلت على الدنيا و استوثقت[٣] منها ، قال أصحاب رسول الله صلى

١٠ الله عليه و سلم : يارسول الله ! من هؤلاء الذين قال الله "و ان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا امثالكم" فأشار عليه الصلاة و السلام إلى سلمان و قال : لوكان الإيمان فى الثريا لناله رجال من هؤلاء - انتهى .

و لما أخبر سبحانه بالفتح عقب سورة "الذين كفروا" بشارة بظهور أهل هذا الدين و إدبار الكافرين - كما سيأتى فى إيلاء[٤] سورة

١٥ النصر بسورة الكافرين ، لذلك علل [الفتح -[٥]] بالمغفرة و ما بعدها رمزا إلى وفاة النبى صلى الله عليه و سلم - بروحى هو و أبى و أمى - و إيماء إلى أن المراد من إخراجه إلى دار الفنا إنما [هو -[٥]] [٦]إظهار الدين[٦]

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الويات (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : استوسقت (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : اتلا (٥) زيد من ظ و مد (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل ! اظهارا للدين .

القيم و إزهاق الباطل لعلو درجته و تعظم رفعته ، فعند حصول الفتح تم المراد كما كانت سورة [النصر - [1]] الوالية[2] للكافرين رامزة إلى ذلك كما هو [3]مشهور و مذكور و مسطور[3]، فالفتح الذى هو أحد العلامات الثلاث المذكورة كما فى سورة النصر على جميع المناوين ، الذى هو السبب الأعظم فى ظهور دينه على الدين كله الذى هو العلامة العظمى ٥ على اقتراب أجله - نفسى فداؤه و إنسان عينى / من كل سوء و قاؤه - / ٨٤٠ فقال تعالى : ﴿ ليغفر لك الله ﴾ مشيرا بالانتقال من أسلوب العظمة بالنون إلى أسلوب الغيبة المشير إلى غاية [4]الكبرياء بالإسناد إلى[4] الاسم الأعظم إلى أن هذه المغفرة بحسب إحاطة هذا الاسم الجامع لجميع الأسماء الحسنى : ﴿ ما تقدم من ذنبك ﴾ أى الذى تقدم فى القتال أمرك ١٠ بالاستغفار له و هو مما ينتقل به[5] من مقام كامل إلى مقام فوقه أكمل منه ، فتراه بالنسبة إلى أكملية المقام الثانى ذنبا ، وكذا قوله : ﴿ و ما تاخر ﴾ قال الرازى : المغفرة المعتبرة لها درجات كما أن الذنوب لها درجات « حسنات الأبرار سيئات المقربين » انتهى . و يجوز أن يكون المراد : لتشاهد[6] المغفرة بالنقلة إلينا بعد علم اليقين بعين اليقين و حق اليقين ، فالمعنى ١٥ أن الله يتوفاه صلى الله عليه و سلم عقب الفتح و دخول جميع العرب الذين

---

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : التالية (٣-٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : مشهورة و مذكورة و مسطورة (٤ - ٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الكبر باسناد (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : عنه (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : بشاهده .

يفتتحون[1] جميع البلاد و يهدى [الله ـ[2]] بهم سار[3] العباد فى دينه ، و يأس[4] الشيطان من أن يعبد فى جزيرتهم إلا بالمحقرات لوجود المقصود من امتلاء[5] الأكوان بحسناته صلى الله عليه و سلم ، و عموم ما دل عليه اسمه المذكور فى هاتين السورتين من حمده تعالى بكماله فى ذاته و صفاته

٥ ببلوغ أتباعه إلى حد لايحصرون فيه بعد ، و لا يقف لهم مخلوق على حد .

و لما كان تمام النعمة يتحقق بشيئين : إظهار الدين و التقلة إلى مرافقة النبيين ، قال تعالى مخبرا بالشيئين : ﴿ و يتم نعمته عليك ﴾ بنقلك من عالم الشهادة إلى عالم الغيب ، و من عالم الكون و الفساد إلى عالم الثبات و الصلاح ، الذى هو أخص[6] بحضرته و أولى برحمته و إظهار[7] أصحابك من

١٠ بعدك على جميع أهل الملل ، و يدحضون شبه الشيطان ، و يدمغون كل كفران ، و ينشرون رايات الإيمان فى جميع البلدان ، بعد إذلال أهل العدوان ، و محو كل طغيان .

و لما كانت هدايتهم من هدايته ، أضافها سبحانه إليه إعلاما له أنها هداية تليق بجنابه[8] الشريف سرورا له فقال : ﴿ و يهديك ﴾ أى بهداية

١٥ جميع قومك ﴿ صراطا مستقيما ﴾ أى واضحا جليلا جليا موصلا إلى

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : يفتحون (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : سامن ـ كذا (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بياس . (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : املاء (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : خص (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : اولى باظهار (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : بيابه .

المراد من كتب[1] لاعوج فيه بوجه، هداية تقتضى لزومه و الثبات عليه ﴿ و ينصرك الله ﴾ بنصرهم على ملوك الأمم و جلائهم لسائر الغمم[2]، نصرا يليق إسناده إلى اسمه المحيط بسائر العظم ﴿ نصرا عزيزا ﴾ أى يغلب المنصور به كل من ناواه[3] و لا يغلبه شيء مع دوامه فلا [ذل -[4]] بعده لأن الأمة التى تنصف به لايظهر عليها أحد، و الدين الذى قضاه ٥ لأجله لاينسخه شيء.

و لما كان صلى الله عليه و سلم قد أخبر المؤمنين برؤياه أنه يطوف بالكعبة الشريفة، وعزم على العمرة عام الحديبية، و خرج صلى الله عليه و سلم و خرج معه خلاصة أصحابه ألف و خمسمائة، فكانوا موقنين أنهم يعتمرون فى وجههم[5] ذلك، وقر [ذلك - [6]] فى صدورهم ١٠ / و أشربته قلوبهم، فصار نزعه منها أشق شيء يكون، قصدهم المشركون بعد أن بركت ناقته و صالحهم صلى الله عليه و سلم على أن يرجع عنهم فى ذلك العام و يعتمر فى مثل ذلك الوقت من القابل، و كان ذلك - بل أدنى منه - مزلزلا للاعتقاد مطرقا للشيطان الوسوسة فى الدين، و قد كان مثله فى الإسراء و لم يكن صلى الله عليه و سلم أخبر بما يوهم ١٥ فى أمره فارتد ناس كثير بسببه. قال تعالى دالا على النصر بتثبيت المؤمنين[1] فى هذا المحل الضنك إظهارا لتمام قدرته و لطيف حكمته:

/ ٨٤١

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: كتب (٢) فى ظ: العجم (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: لاواه (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: وجوههم (٦) زيد فى الأصل: يوم الحديبية و غيره و الثبات على الدين، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى انزل ﴾ فى يوم الحديبية ﴿ السكينة ﴾ أى الثبات على الدين ﴿ فى قلوب المؤمنين ﴾ أى الراسخين فى الإيمان و هم أهل الحديبية بعد أن دهمهم فيها ما من شأنه أن يزعج النفوس و يزيغ القلوب من صد الكفار و رجوع الصحابة رضى الله تعالى عنهم
٥ دون مقصودهم ، فلم يرجع أحد منهم عن الإيمان بعد أن ماج الناس و زلزلوا حتى عمر رضى الله عنه - مع أنه الفاروق و مع وصفه فى الكتب السالفة بأنه قرن من حديد - فما الظن [1]بغيره فى فلق[1] نفسه و تزلزل قلبه ، و كان للصديق رضى الله عنه من القدم الثابت و الأصل الراسخ ما علم بـــه رضى الله عنه أنه لايسابق ، ثم ثبتهم الله أجمعين ،
١٠ قال الرازى : و السكينة الثقة بوعد الله ، و الصبر على حكم الله ، بل السكينة ههنا معين يجمع فوزا و قوة و روحا ، يسكن إليه الخائف و يتسلى به الحزين ، و أثر هذه السكينة الوقار و الخشوع و ظهور الحزم فى الأمور - انتهى . و كل من رسخ فى الإيمان ، له فى هـــذه الآية نصيب [2]جناه دان[2] .

١٥ و لما أخبر بما [لا -[3]] يقدر عليه غيره ، علله بقوله : ﴿ ليزدادوآ ﴾ أى بتصديق الرسول حين قال[4] لهم : إنهم لابد أن يدخلوا مكة و يطوفوا بالبيت العتيق ، و حلهم الله به من الشبهة [5]بتذكرهم أنه[5] لم يقل لهم : إنهم

(١-١) من مد ، و فى الأصل و ظ : نعر فى فلو - كذا (٢-٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : حباه رار - كذا (٣) زيد من مد (٤) سقط من مد .
(٥-٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : بتذكرهم .

يدخلون العام ﴿ ايمانا ﴾ بهذا التصديق بالغيب من [أن ـ[1]] صلحهم للكفار و رجوعهم من [غير ـ[1]] بلوغ قصدهم هو عين الفتح لترتب الصلح عليه و ترتب فشو الإسلام على الصلح كما كشف عنه الوجود بعد ذلك ليقيسوا عليه غيره من الأوامر ﴿ مع ايمانهم[1] ﴾ الثابت من قبل هذه الواقعة ، قال القشيرى رحمه الله : بطلوع أقمار اليقين على نجوم علم اليقين ، ٥ ثم بطلوع شمس [حق ـ[1]] اليقين على بدر عين اليقين .

و لما كان ربما ظن شق من أخذ[2] الأمور بالتدريج شيئا فى القدرة قال : ﴿ و لله ﴾ أى الذى أنزل السكينة عليهم ليكون نصرهم فى هذه العمرة بالقوة ثم يكون عن قريب بالفعل و الحال أنه له وحده ﴿ جنود السمٰوٰت و الارض[1] ﴾ أى جميعها ، و منها السكينة ، يدبرهم بلطيف[3] ١٠ صنعه و عجيب تدبيره[4] ، فلو شاء لنصر المؤمنين الآن بالفعل ، و دمر على أعدائهم بجنود من جنوده او بغير سبب ، لكنه فعل ذلك ليكون النصر بكم ، فيعلو / أمركم و يعظم أجركم ، و يظهر الصادق فى نصره من الكاذب ، / ٨٤٢ فان الدار دار البلاء ، و بناء المسببات على الأسباب[5] على وجه[6] الأغلب فيه الحكمة ، لا القهر و ظهور الكلمة ، فاسمه الباطن هو الظاهر فى هذه الدار ، ١٥ فلذلك ترى المسببات مستورات بأسبابها ، فلا يعلم الحقائق إلا البصراء[7] ألا ترى أنه صلى الله عليه و سلم لما نزلت[8] عليه هذه السورة[8] فتلاها

(١) زيد من مد (٢) من ظ و م و مد ، و فى الأصل أحذر (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل . بلطف (٤) فى ظ : تدبيرهم (٥) فى مد : أسباب (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : الوجه (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : البصر (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : هذه السورة عليه .

عليهم قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين : اى رسول الله و فتح هو ؟ و قال بعضهم : لقد صدونا عن البيت و صدوا هدينا ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : بئس الكلام هذا ، بل هو أعظم الفتح ، اما رضيتم أن تطرقوهم فى بلادهم فيدفعوكم[1] عنها بالراح و يسألوكم[2] التضير و يرغبوا[3] إليكم فى الأمان[4] و قد رأوا منكم ما كرهوا و أظفركم الله عليهم و ردكم سالمين مأجورين ، فهو أعظم الفتوح ، انسيتم يوم أحد إذ تصعدون و لا تلوون على أحد و أنا أدعوكم فى أخراكم ، أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاؤكم من فوقكم و من اسفل منكم و إذ زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و تظنون بالله الظنون ، فقال المسلمون : صدق الله و رسوله فهو أعظم الفتوح . و الله يا نبى الله ما فكرنا فيما فكرت فيه و لأنت أعلم بالله و أمره منا . و أنزل الله تأكيدا لأمر الرؤيا لمن أشكل عليهم حالها "لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام" الآية ، فهذه الأشياء كلها كما ترى راجعة إلى الخفاء بالتعجب[5] فى أستار الأسباب ، فلا يبصرها إلا أرباب التدقيق[6] فى النظر فى حكمة الله سبحانه .

و لما كان مبنى ما مضى كله على القدرة بأمور خفية يظهر[6] منها

---

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : فيدفيكم (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يسالوكم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يرغبون (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الآن - كذا (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : بالتحجب .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

من

من الضعف غير ما كشف عنه الزمان من القوة ، و كان تمام القدرة متوقفا على شمول العلم ، قال تعالى : ﴿ و كان الله ﴾ أى الملك الأعظم أزلا و أبد ﴿ عليما ﴾ بالذوات و المعانى ﴿ حكيما ۝ ﴾ فى إتقان ما يصنع ، فرده لهم عن هذه العمرة بعد أن دبر امر الصلح ليأمن الناس فيداخل بعضهم بعضا لما[1] علم من أنه لا يسمع القرآن أحد له عقل مستقيم ٥ و يرى ما عليه أهله من شدة الاستمساك به و البغض لما كانوا فيه[2] من متابعة الآباء [3]إلا بادر[3] إلى المتابعة و دخل فى الدين برغبة ، و أدخل سبحانه خزاعة فى صلح النبى صلى الله عليه و سلم و بنى بكر وهم أعداؤهم فى صلح قريش ليبغوا عليهم فتعينهم قريش الصلح بعد أن كثرت جنود الله و عز ناصر الدين ، فيفتح الله بهم مكة المشرفة ، فتنشر أعلام الدين ، ١٠ و تخفق ألوية النصر المبين ، و يدخل الناس فى الدين أفواجا ، فيظهر دين الإسلام على جميع الأديان .

و لما دل على الفتح بالنصر و ما معه ، و علل الدين بالسكينة ، علل علة الدليل و هى " ليزدادوا ايمانا " و[4] علل ما دل عليه ملك الجنود من تدبيرهم و تدبير الأكوان بهم بقوله تعالى زيادة فى السكينة : ١٥ ﴿ ليدخل ﴾ أى بما أوقع فى السكينة ﴿ المؤمنين و المؤمنت ﴾ الذين جبلهم جبلة خير بجهاد بعضهم و دخول بعضهم / فى الدين بجهاد ٨٤٣ /

(١) من ظ و مد ، و فى الاصل : لم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليه .
(٣-٣) فى مد : الأدبار - خطأ (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : او .

المجاهدين ، و لو سلط على الكفار[1] جنوده من اول الأمر فاهلكوهم[2] أو دمر عليهم بعير واسطة لفات دخول أكثرهم الجنة ، و هم من آمن منهم بعد صلح الحديبية ﴿ جنت ﴾ أى بساتين لايصل إلى عقولكم من وصفها إلا ما تعرفونه بعقولكم و إن كان الأمر أعظم من ذلك ٥ ﴿ تجرى ﴾ و دل و قرب و بعض بقوله : ﴿ من تحتها الانهر ﴾ فأى موضع أردت أن تجرى منه نهرا قدرت على ذلك ، لأن الماء قريب من وجه الأرض مع صلابتها و حسنها . و لما كان الماء لا يطيب إلا بالقرار قال تعالى : ﴿ خالدين[3] فيها ﴾ أى لا إلى اخر .

و لما كان السامع لهذا ربما ظن أن فعله ذلك باستحقاق ، قال ١٠ إشارة إلى أنه لاسبب إلا رحمته : ﴿ و يكفر ﴾ أى يستر سترا بليغا شاملا[4] ﴿ عنهم سيئاتهم[5] ﴾ التى ليس من الحكمة دخول الجنة دار القدس قبل تكفيرها ، بسبب ما كانوا متلبسين[6] به منها من الكفر و غيره ، فكان ذلك التكفير سببا لدخولهم الجنة ﴿ و كان ذلك ﴾ اى الأمر العظيم من الإدخال و التكفير المهيئ[7] له ، و قدم الظرف تعظيما لها فقال تعالى : ١٥ ﴿ عند الله ﴾ أى الملك الأعظم ذى الجلال و الإكرام ﴿ فوزا عظيما[5] ﴾

---

(١) فى مد : الكافرين (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فاهلكهم (٣) زيد فى الأصل : لزلا و ابدا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) سقط من ظ و مد (٥) زيد فى الاصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : ملتبسين (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : و المهين .

يملأ جميع الجهات .

و لما كان من أعظم الفوز إقرار العين بالانتقام من العدو [و كان العدو - ١] المكاتم ٢ أشد من العدو ٣ المجاهر المراغم ٤ قال تعالى : ﴿ و يعذب المنفقين ﴾ أى يزيل كل ما لهم من العذوبة ﴿ و المنفقت ﴾ بما غاظهم من ازدياد الإيمان ﴿ و المشركين و المشركت ﴾ بصدهم الذى كان سببا للقام الدحض ٥ الذى كان سببا لإنزال السكينة ٦ الذى كان ٦ سببا لقوة أهل الإسلام بما تأثر عنه من كثرة الداخلين فيه ، الذى كان سببا لتدمير أهل الكفران ، ثم بعد ذلك عذاب النيران .

و لما أخبر بعذابهم ، أتبعه وصفهم بما سبب لهم ذلك فقال تعالى : ﴿ الظآنين بالله ﴾ اى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ ظن السوء ٦ ﴾ من أنه لا يفى بوعده فى أنه ينصر رسوله صلى الله عليه و سلم و أتباعه المؤمنين أو أنه ٧ لا يبعثهم . أو أنه ٧ لا يعذبهم لمخالفة رسوله ٨ صلى الله عليه و سلم و مشافقة أتباعه . و لما أخبر سبحانه و تعالى بعذابهم فسره بقوله : ﴿ عليهم ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة بما يخزيهم الله به من كثرة جنوده و غيظهم منهم و قهرهم بهم ﴿ دآئرة السوء ﴾ التى دبروها ا. قدروها للمسلمين لاخلاص لهم منها ، فهم مخذولون فى كل موطن خذلانا ظاهرا يدركه

(١) زيد من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : المكتم (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : الزاعم (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : الدخض (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : التى كانت (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : رسول الله .

كل أحد ، و باطنا يدركه من أراد الله تعالى من أرباب البصائر كما اتفق فى هـذه العمرة ، و السوء ـ بالفتح و الضم : ما يسوء كالكره إلا أنه غلب فى أن يضاف إلى ما يراد ذمه ، و المضموم جار[1] مجرى الشر الذى هو ضد الخير - قاله الكشاف . و لما كان من دار عليه السوء قد لا يكون مغضوبا / عليه ، قال : ﴿ و غضب الله ﴾ أى الملك الأعظم بما له من صفات الجلال و الجمال فاستعلى غضبه ﴿ عليهم ﴾ ، و هو عبارة عن أنه[2] يعاملهم معاملة الغضبان بما لا طاقة لهم به . و لما كان الغضب قد لا يوجب الإهانة و الإبعاد قال[3] : ﴿ و لعنهم ﴾ أى طردهم طردا سفلوا به أسفل سافلين ، فبعدوا به عن كل خير

٨٤٤ / ٥

و لما قرر ما لهم فى الدارين ، و كان قد يظن أنه يخص الدنيا فلا يوجب عذاب الآخرة ، أتبعه بما يخصها فقال : ﴿ و أعد ﴾ أى هيأ الآن ﴿ لهم جهنم[4] ﴾ تلقاهم بالعبوسة و الغيظ و الزفير و التجهم كما كانوا يتجهمون عباد الله مع ما فيها من العذاب بالجر و البرد و الإحراق ، و غير ذلك من أنواع المشاق . و لما كان التقدير : فساءت معدا ، عطف عليه قوله : ﴿ و ساءت مصيرا ﴾ .

١٠

١٥

و لما كان هذا معلما بأن الكفار ـ مع ما يشاهد منهم من الكثرة الظاهرة و القوة المتضافرة المتوافرة ـ لا اعتبار لهم لأن البلاء

(١) من مد . و فى الأصل : جارى (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : ان .
(٣) من ظ و مد . و فى الأصل : زاده تأكيدا فقال تعالى زيادة على ابعادهم .
(٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .

محيط بهم فى الدارين، و كان ذلك أمرا يوجب تشعب الفكر فى المؤثر فيهم ذلك، عطف على ما تقدره إعلاما بأن التدبير على هذا الوجه لحكم و مصالح يكل عنها الوصف، و دفعا لما قد يتوهمه من لم يرسخ إيمانه مما يجب التنزيه[1] عنه: فلله القوة جميعا يفعل ما يشاء فيمن يشاء من غير سبب ترونه: ﴿ و لله ﴾ اى[2] الملك الأعظم[3] ﴿جنود السمٰوٰت و الارض[4] ﴾ فهو يسلط ما يشاء منها على من يشاء.

و لما كان ما ذكر من عذاب الأعداء و ثواب الأولياء متوقفا على تمام العلم و نهاية القدرة التى يكون بها الانتقام و السطوة قال تعالى: ﴿ و كان الله ﴾ الملك الذى لا أمر لأحد معه أزلا و أبدا ﴿ عزيزا ﴾ يغلب و لا يغلب ﴿ حكيما ﴾ يضع الشىء فى أحكم مواضعه، فلا يستطاع نقض شىء مما ينسب إليه سبحانه و تعالى.

و لما تبين أنه ليس لغيره مدخل فى إيجاد النصر، و كانت السورة من أولها[4] حضرة مخاطبة و إقبال فلم يدع أمر[5] إلى نداء [بياء -[6]] و لا غيرها، و كان كأنه قيل: فما فائدة الرسالة إلى الناس؟ [أجيب -[6]] بقوله تقريرا لما ختم به من صفتى[7] العزة و الحكمة. ﴿ انا ﴾ بما لنا من العزة و الحكمة ﴿ ارسلنك ﴾ أى[2] بما لنا من العظمة التى هى معنى العزة

(١) من مد، و فى الاصل و ظ: التعرية (٢) سقط من ظ و مد (٣) زيد فى الأصل و ظ: له، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤-٤) من مد، و فى الأصل و ظ: منها (٥) من ظ و مد، و فى الاصل: امرا (٦) زيد من مد. (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: صفاى.

و الحكمة إلى الخلق كافة ﴿ شاهدا ﴾ على أفعالهم من كفر و إيمان و طاعة وعصيان، من كان بحضرتك فبنفسك[1] و من كان بعد موتك أو غائبا عنك فبكتابك، مع ما أيدناك به من الحفظة من الملائكة.

و لما كانت البشارة محبوبة إلى النفوس رغبهم فيما عنده من الخيرات و حببهم فيه بصوغ[2] اسم الفاعل منها مبالغة فيه فقال تعالى: ﴿ و مبشرا ﴾ أى لمن أطاع بأنواع البشائر. و لما[3] كانت لنذارة كريهة جدا، لا يقدم [على -[4]] إبلاغها [إلا -[4]] من كمل[5] عرفانه بما فيها من المنافع الموجبة لتجشم مرارة الإقدام على الصدع/ بها، أتى بصيغة المبالغة فقال تعالى: ﴿ و نذيرا ﴾. /٨٤٥

و لما ذكر حال الرسالة، ذكر علتها فقال: ﴿ لتؤمنوا ﴾ أى الذين حكمنا بإيمانهم ممن أرسلناك إليهم - هذا على قراءة ابن كثير و أبى عمرو بالغيب، و على قراءة الباقين بالخطاب المعنى. أيها الرسول و من قضينا بهداه من أمته. مجددين لذلك فى كل لحظة مستمرين عليه، و كذا الأفعال بعده، و ذلك أعظم لطفا لما فى الأنس بالخطاب[7] من رجاء الاقتراب ﴿ بالله ﴾ أى الذى لا يسوغ لاحد [من خلقه -[8]] - و الكل خلقه - التوجه إلى غيره لاستجماعه لصفات الجلال و الإكرام ﴿ و رسوله ﴾

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: فينفناد - كذا مصحفا (٢) من ظ و مد، و فى الأصل: بصريح (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ما (٤) زيد من ظ و مد (٥) من مد، و فى الأصل وظ: كل (٦) راجع نثر المرجان ٦/٦٢١.
(٧) من مد، و فى الأصل و ظ: من الخطاب (٨) زيد من مد.

الذى ارسله من له كل شىء ملكا و ملكا إلى جميع خلقه .

و لما كان الإيمان أمرا باطنا ، فلا يقبل عند الله إلا بدليل ، و كان الإيمان بالرسول إيمانا بمن أرسله ، و الإيمان بالمرسل إيمانا بالرسول[1] ، وحد الضمير فقال : ﴿ و يعزروه ﴾ أى يعينوه و يقووه و ينصروه على كل من ناواه و[2] يمنعوه عن[2] كل من يكيده ، مبالغين فى ذلك باليد و اللسان و السيف ، و غير ذلك من الشأن [3]فيؤثروه على أنفسهم[3] و غيرها ، تعظيما له و تفخيما ـ هذا حقيقة المادة ، و ما خالفه [فهو ـ[4]] إما من باب الإزالة كالعزور بمعنى الديوث ، و إما من باب الأول كاللوم و الضرب دون الحد ، فانه يوجب للوم و المضروب و تجنب ما نقم عليه فيعظم ، فهو من إطلاق الملزوم على اللازم ، و هو من وادى ما قيل :

عداى لهم فضل علىّ و منة فلا أذهب الرحمن عنى الأعاديا
هم بحثوا عن زلتى فاجتنبتها و هم نافسونى فاقتنيت المعاليا

و لما كان المعنى [يحتمل ـ[5]] الإزالة كما ذكر ، خلص المراد بقوله : ﴿ و يوقروه[6] ﴾ أى يجتهدوا فى حسن إتباعه فى تبجيله و إجلاله بأن يحملوا عنه[6] جميع الأثقال ، ليلزم السكينة باجتماع همه و كبر عزمه لزوال ما كان يشعب فكره من كل ما يهمه ﴿ ويسبحوه ﴾ اى ينزهوه عن

(١) زيد فى الأصل : فلذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .
(٢-٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : ينصروه على (٣-٣) فى ظ و مد : فتؤثر على انفسكم (٤) زيد من ظ و مد (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : عليه .

كل وصمة[1] من إخلاف الوعد بدخول مكة و الطواف بالبيت الحرام و نحو ذلك ، و يعتقدوا فيه الكمال المطلق ، و الأفعال الثلاثة يحتمل أن يراد بها الله تعالى ، لأن من سعى فى قمع الكفار فقد فعل فعل المعزر[2] الموقر ، فيكون إما عائدا[3] على المذكور و إما[4] أن يكون جعل الاسمين

٥ [واحدا ـ[5]] إشارة إلى اتحاد المسميين[6] ، فى الأمر فلما اتحد أمرها وحد الضمير إشارة إلى ذلك .

و لما كانت محبة الله و رسوله ترضى منها بدون النهاية قال كائنا عن ذلك : ﴿ بكرة و اصيلا ﴾ أى و عشيا إيصالنا لما بين [7]النهار و الليل[7] [بذلك ـ[8]] .

١٠ [و لما ـ[8]] ذكر الرسول صلى الله عليه و سلم و ما أرسله له ، و ختم الآية بأنه لا يرضى من ذكره و ذكر رسوله إلا بالمداومة بالفعل أو بالقوة مع توحيده الضمير [9]إشارة إلى وحدة الإرادة و المحبة من الرسول و المرسل ، أوضح المراد بتوحيد الضمير[9] بقوله مرغبا فى اتباعه و مرهبا لاتباعه عن[10] أدنى فترة أو توان فيما دخلوا فيه من الإيمان

---

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و مد (٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى مد فحذفناها (٣) فى الأصل : عدا ، و فى ظ و مد : عائد (٤) من ظ ومد ، و فى الأصل : ان (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل وظ : الاسمين (٧ ـ ٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : الليل و النهار (٨) زيد من ظ و مد (٩ ـ ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (١٠) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى .

الذى هو علة الرسالة، و ما ذكره[1] معه فى جواب من يسأل: ما سبب توحيد الضمير و المذكور اثنان[2]؟ مؤكدا لأجل ما غلب على الطباع البشرية من التقيد بالوهم و النكوص عما غاب و لا مرشد إليه سوى العقل: ﴿ ان الذين ﴾ .

و لما كان المضارع قد يراد به مطلق الوقوع لا بقيد[3] زمن معين كما ٥ نقلته فى أول سورة[4] البقرة عن أبى حيان و غيره، عبر [به -[5]] ترغيبا فى تجديد مثل ذلك و الاستمرار عليه فقال: ﴿يبايعونك﴾ [أى -[5]] فى بيعة الرضوان و قبلها و بعدها على ما جئت به من الرسالة التى مقصودها الأعظم النذارة التى مبناها على المخالفة التى تتقاضى الشدائد التى عمادها الثبات و الصبر، و سميت "مبايعة" لأنهم بايعوا أنفسهم فيها من الله ١٠ بالجنة[6] و هذا معنى الإسلام، فكل من أسلم فقد باع نفسه[7] سبحانه [منه -[8]] "ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم"، الآية. ﴿انما يبايعون الله[1]﴾ أى الملك الأعظم لأن عملك كله من قول و فعل له "و ما ينطق عن الهوى".

و لما عظم بيعته بما رغب فيها ترغيبا مشعرا بالترهيب، زادها تعظيما ١٥ بما الترهيب فيه أظهر من الأول، فقال مبينا للأول: ﴿ يد الله ﴾ أى

(١) فى مد: ذكر (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: امان (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: يقدر (٤) سقط من مد (٥) زيد من مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: من الجنة (٧) زيد فى الأصل: من الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٨) زيد من ظ و مد.

المتردى بالكبرياء . و لما كان منزها عما قد يتوهم من الجارحة مما فيه شائبة نقص ، أومأ إلى نفى ذلك بالفوقية مع ما فيه من الدلالة على تعظيم البيعة فقال : ﴿فوق ايديهم﴾ أى فى المبايعة عالية عليهم بالقدرة و [1]القوة و القهر[1] و العزة ، و التنزه عن كل شائبة نقص ، و لذلك كرر الاسم الأعظم فى هذه ثلاث مرات إشارة إلى العظمة الفائتة للوصف و الغيب العالى عن[2] الإدراك ، ثم أعاد ذكره بالضمير إيذانا بالغيب المحض ، هذا هو المراد من تعظيم البيعة و إجلال الرسول صلى الله عليه و سلم مع العلم القطعى بتنزيه الله سبحانه عن كل شائبة نقص من حلول أو اتحاد كما هو واضح فى مجارى عادات العرب ظاهر[3] جدا فى دأبهم[4] فى محاوراتهم ، لا يشك فيه منهم عاقل عالم أو جاهل أصلا ، فلعنة [الله -[5]] على من حمله على الظاهر من أهل العناد ببدعة الاتحاد على من تبعهم على ذلك من الرعاع الطغام الذين شاقوا الله و رسوله عليه الصلاة و السلام ، و جميع الأئمة الأعلام ، و سائر أهل الإسلام : و رضوا لأنفسهم بأن يكونوا أتباع فرعون اللعين ، و ناهيك به فى ضلال مبين .

و لما كان كلام الله تعالى - و إن جرى مجرى الشرط و التهديد - لابد أن يقع منه شىء و إن قل ، و كان من سر التعبير بالمضارع فى " يبايعونك " الإشارة إلى نكث الجد بن قيس أصل بيعته على الأسلام

(١-١) من ظ و مد ، و فى الأصل : القهر و الغلبة و القوة (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : من (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : ظاهرا (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : دارهم (٥) زيد من ظ و مد .

فانه[1] اختبأ فى الحديبية وقت البيعة فى وقت من الأوقات، فلم يبايع، سبب[2] عن ذلك و فصل ترغيبا / و ترهيبا، فقال معبرا بالماضى إيذانا ٨٤٧/ بأنه لاينكث أحد من أهل هذه البيعة: ﴿فمن نكث﴾ أى نقض فى وقت من الأوقات فجعلها كالكساء الخلق و الحبل البالى الذى ينقض ﴿فانما ينكث﴾ و عبر بالمضارع إشارة إلى أن من فعل النكث فهو ٥ فى كل لحظة ناكث نكثا جديدا ﴿على نفسه[3]﴾ لا على غيرها[3] فانه بمرأى من الله و مسمع [وهو -[4]] قادر عليه جدير بأن يعاقبه بعد ما عجل لنفسه من العار العظيم فى الدنيا و يستحل[5] به على نكثه عذابا أليما، و لايضر ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئا فان الله ناصره لا محالة، وكذا كل منكوث به [إذا -[4]] أراد الله نصرته فان يده ١٠ سبحانه فوق كل يد.

و لما أتم الترهيب لأنه مقامه للحث على الوفاء الذى به قيام الدين على أبلغ وجه، أتبعه [6]على عادته[6] الترغيب إتماما للحث فقال تعالى: ﴿و من اوفى﴾ أى فعل الإتمام و الإكثار و الإطالة ﴿بما عهد﴾ [7]و قدم الظرف[7] اهتماما به فقال: ﴿عليه الله﴾ أى الملك المحيط بكل ١٥

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: فى (٢) من مد، وفى الأصل و ظ: بسبب.
(٣) من مد، و فى الأصل: غيره، و فى ظ: فعل غيره (٤) زيد من مد.
(٥) من مد، و فى الأصل: يحل، و فى ظ: سيحل - كذا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٧-٧) من مد، و فى الأصل: عدم الطوف، و فى ظ: عدم الظرف.

شيء قدرة و علما من هذه المبايعة و غيرها فانما وفاؤه لنفسه ﴿ فسيؤتيه ﴾ أى بوعد لا خلف فيه ﴿اجرا عظيما ۝﴾ لايسع عقولكم شرح وصفه، و من قرأ بالنون[1] أظهر ما ستر فى الجلالة من التعظيم، و الآية من الاحتباك : ذكر أولا أن النكث عليه دليلا على أن الوفاء له ثانيا، و إيتاء الأجر ثانيا دليلا على إحلال العقاب أولا و سره أنه بين [أن -[2]] ما يريده الناكث من الأذى لغيره إنما هو واقع به، لأن ذلك أعظم فى الترهيب عن النكث لما جبل الإنسان عليه من النفرة عن ضر نفسه[3] و بعده عنه، و ذكر الأجر للوفى لأنه أعظم فى الترغيب، و سبب بيعة الرضوان هذه أن النبى صلى الله عليه و سلم لما فهم من بروك[4] ناقته فى الحديبية الإشارة من الله سبحانه و تعالى إلى أنه لم يأذن فى دخولهم البلد الحرام فى هذه السفرة، فمشى مع إرادته سبحانه و تعالى لأنه ليس فيها مخالفة لما أمر به سبحانه إلى أن وقع الصلح الذى كان الفتح هو[5] بعينه، و كان فى غضون[6] ذلك أن أرسل عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه إلى مكة المشرفة ليخبر[7] قريشا أن النبى صلى الله عليه و سلم [لم يجىء لقتال و أنه لا يريد إلا الاعتمار، فارجف مرجفون بأنه قد قتل، فعزم النبى صلى الله عليه و سلم -[8]] على مناجزتهم فبايع الصحابة

(١) راجع نثر المرجان ٦/٦٢٤ (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل و ظ : و نفع، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : نزول (٥) وقع فى الأصل و ظ : بعد « الصلح الذى » و الترتيب من مد. (٦) من ظ و مد، و فى الأصل عصور (٧) من ظ و مد، و فى الأصل : يخبر (٨) زيد من ظ و مد.

رضى الله عنهم على ان لايفروا عنه. فبايع كل من [كان -[1]] معه إلا جد بن قيس، فانه اختبأ تحت إبط بعيره فلم يبايع، و قال النبى صلى الله عليه و سلم: كلكم مغفور له[2] إلا صاحب الجمل الأحمر.

و لما ذكر سبحانه و تعالى أهل بيعة الرضوان، و أضافهم إلى حضرة الرحمن، تشوف السامع إلى الخبر عمن غاب عن ذلك الجناب، ٥ و أبطا عن حضرة تلك العمرة، فاستؤنف[3] الإخبار عما ينافقون به بقوله تعالى: ﴿ سيقول ﴾ أى بوعد لا خلف فيه، و أكد أمر نفاقهم تنبيها على جلدهم فيه و وقاصهم[4] به و لطف النبى صلى الله عليه و سلم و شدة رحمته [و رفقه -[1]] و شفقته فقال: ﴿ لك ﴾ أى لأنهم يعلمون / أنك ألطف الخلق عشرة و أعظمهم شفقة على عباد الله، فهم يطمعون ١٠ / ٨٤٨ فى قبولك من فاسد عذرهم ما لايطمعون فيه من غيرك من خلص المؤمنين، و غاب عنهم - لما عندهم من غلظ[5] الأكباد أن الكذب بحضرتك[6] فى غاية القباحة لأنك أعظم الخلق و أفطنهم، مع ما يأتيك من الأنباء عن علام الغيوب، و حقر أمرهم بسلب العقل عنهم و جعلهم مفعولين لا فاعلين إشارة إلى أنهم طردوا عن هذا المقام، لأنهم أشرار ١٥ لئام[7]، فقال تعالى[8] ﴿ المخلفون ﴾ أى الذين - خلفهم الله عنك و لم يرضهم

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: لكم (٣) من مد، و فى الأصل و ظ: و استوتف (٤) من ظ و مد، و فى الأصل: و خفاحا. (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: غطا (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: فى حضرة (٧) من مد، و فى الأصل و ظ: لاءم (٨) زيد فى الأصل: مبينا من هم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

لصحبتك فى هذه العمرة ، فجعلهم كالشىء التافه الذى يخلفه الإنسان ، لأنه لا فائدة فيه فلا يؤبه له و لا يعبأ به ، و ذلك أنه صلى الله عليه و سلم لما أراد الاعتمار ندب أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين لذلك ، و ندب من الأعراب الذين حول المدينة الشريفة من كان [1]قد أقر[1] بالإسلام ، فلم يرد الله حضورهم لأن إسلامهم لم يكن خالصا ، فلو حضروا لفسد بهم الحال ، و إن حفظ الله بحوله و قوته من الفساد ، أعقب ذلك فسادا آخر و هو أن يقال : إنه لم يكف عنهم الأعداء إلا الكثرة ، فتخلفوا لما علم الله فى تخلفهم من الحكم .

و لما كان قد تخلف بالجسد من خلص الأنصار و غيرهم من كان حاضرا معه صلى الله عليه و سلم بالقلب [أخرجهم بقوله - [3]] : ﴿من الاعراب﴾ أى أهل البادية كذبا و بهتانا جرأة على الله و رسوله ﴿شغلتنا﴾ أى عن إجابتك فى هذه العمرة ﴿اموالنا و اهلونا﴾ [أى - [4]] لأنا لو تركناها ضاعت ، لأنه لم يكن لنا من يقوم بها و أنت قد نهيت عن إضاعة المال و التفريط فى العيال ، ثم سببوا عن هذا القول المراد به السوء قولهم : ﴿ فاستغفر ﴾ أى اطلب المغفرة ﴿ لنا ج ﴾ من الله إن كنا أخطانا أو قصرنا .

و لما كان هذا ربما يغتر به من لا خبرة له ، رده تعالى بقوله منبها

(١-١) من مد ، و فى الأصل و ظ : قدم (٢) من مد ، و فى الأصل و م : ان (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد .

على أن من صدق مع الله لم يشغله عنه شاغل، و من شغله [1]عنه شيء[1] كان شوما عليه: ﴿يقولون﴾ و عبر بالمضارع إشارة إلى أن هذا ديدن لهم لاينفكون عنه. و لما صح بعد ذلك إيمان، لم يعبر بالأفواه[2] دأبه، في المنافقين، بل قال: ﴿بالسنتهم﴾ أي في الشغل و الاستغفار، و أكد ما أفهمه ذكر اللسان من أنه قول ظاهري نفيا للكلام الحقيقي الذي ٥ هو النفسي بكل اعتبار بقوله: ﴿ما ليس في قلوبهم[4]﴾ لأنهم لم يكن لهم شغل و لا كانت لهم نية في سوال الاستغفار.

و لما كان فعلهم هذا من تخلفهم و اعتلالهم و سؤالهم الاستغفار[3] ظنا منهم أنهم يدفعون عن أنفسهم بذلك المكروه و يحصلون لها المحبوب و كان كأنه قيل: قد علم كذبهم، فما ذا يقال لهم؟ استأنف سبحانه ١٠ الجواب بقوله: ﴿قل﴾ أي لهؤلاء الأغبياء واعظا لهم مسببا عن مخادعتهم لمن لا يخفى عليه خافية [1]إشارة إلى أن العاقل يقبح عليه أن يقدم على ما هو بحيث تخشى عاقبته[1]: ﴿فمن يملك لكم﴾ أيها المخادعون ﴿من الله﴾ أي الملك الذي لا أمر لأحد معه لأنه لا كفؤ له ﴿شيئا﴾ / يمنعكم منه[5] ٨٤٩ / ﴿ان اراد بكم﴾ أي خاصة ﴿ضرا﴾ أي نوعا من أنواع الضرر ١٥ عظيما أو حقيرا، فأهلك الأموال و الأهلين و أنتم محتاطون في حفظهما

(١-١) من ظ و م و مد، و في الأصل: شيء عنه (٢) زيد في الأصل: كما هو، و لم تكن الزيادة في ظ و مد فحذفناها (٣) من مد، و في الأصل و ظ: للاستغفار (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) سقط من ظ و مد.

فلا ينفعها[1] حضوركم أو أهلكم أنم ﴿ او اراد بكم نفعا[2] ﴾ بحفظها به مع غيبتكم فلا يضرها بعدكم عنها ، و يحفظكم فى أنفسكم ، و قد علم من تصنيفه سبحانه حالهم إلى صنفين مع الإيهام أنه يكون لبعضهم الضر لأن منهم من ارتد فى زمن الردة ، و لبعضهم النفع لأنه ثبت على الإسلام .

٥ و لما كان التقدير قطعا : لا أحد يملك منه سبحانه لهم شيئا من ذلك ، بل هو قادر على كل ما يريد منه ، و فعلكم لما عندكم من الجلافة و الغباوة و الكثافة فعل من يظن أنه لا يقدر عليكم و لا يعلم كثيرا مما تعملون ، فيخفى عليه كذبكم ، و ليس الأمر كما ظننتم فانه لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ، بنى عليه ما ارشد إلى تقديره فقال تعالى : ﴿ بل كان الله ﴾

١٠ أى المحيط أزلا و أبدا بكل شيء قدرة و علما ﴿ بما تعملون ﴾ أى الجهلة[3] ﴿ خبيرا[4] ﴾ أى[5] يعلم بواطن أموركم هذه و غيرها كما يعلم ظواهرها .

و لما أضرب عن ظنهم أن كذبهم يخفى عليه بأمر عام ، و قدمه لأنه أعم نفعا بما فيه من الشمول . أتبعه الإضراب عن مضمون كلامهم فقال : ﴿ بل ﴾ أى ليس تخلفكم لما[1] أخبرتم به من الاشتغال بالأهل[6]

١٥ و الأموال ﴿ ظننتم ﴾ و انتم واقفون مع الظنون الظاهرة ، ليس لكم نفوذ إلى البواطن ، و أشار إلى تأكد ظنهم على زعمهم فقال : ﴿ ان لن ينقلب ﴾ و لما كان الكلام فيما هو شأن الرسول من الانبعاث

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلا ينفعهما (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : الجملة (٣) سقط من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : بما .
(٥) من ظ و مد ، و فى الاصل : بالأهوال .

و المسير ، قال مشيرا إلى [أن - [1]] من أرسل رسولا إلى شيء و هو لا يقدر على نصره ليبلغ ذلك الشيء إلى الغاية التى أرادها منه كان عاجزا عما يريد : ﴿ الرسول ﴾ و عظم التابعين فقال : ﴿ و المؤمنون ﴾ معبرا [2] بما يحق لهم من الوصف المفهم للرسوخ [3] و أفهم تأكيد [4] ذلك عندهم بقوله تعالى [1] : ﴿ الى اهليهم ابدا ﴾ اى لما فى قلوبكم من عظمة المشركين و حقارة المؤمنين فحملكم ذلك على [5] أن قلتم : ما هم فى قريش إلا أكلة رأس .

و لما كان الإنسان قد يظن ما لا يجب ، قال مشيرا بالبناء للمفعول إلى أن ما حوته قلوبهم مما ينبغى أن ينزه سبحانه و تعالى عن نسبته إليه و إن كان هو الفاعل له فى الحقيقة : ﴿ و زين ذلك ﴾ أى الأمر القبيح الذى خراب الدنيا ﴿ فى قلوبكم ﴾ حتى احببتموه .

و لما علم أن ذلك سوء ، صرح [6] به على و جه يعم غيره فقال : ﴿ و ظننتم ﴾ أى بذلك و غيره مما يترتب عليه من إظهار الكفر و ما يتفرع عنه ﴿ ظن السوء ﴾ أى الذى لم يدع شيئا مما يكره غاية الكراهة إلا أحاط به . و [لما - [7]] انكشف جميع أمره كشف أثره فقال : ﴿ و كنتم ﴾ أى بالنظر إلى جمعكم من حيث هو جمع فى علمنا قبل ذلك بما جبلناكم عليه و على ما كشفه الحال عنه من له بصيرة ﴿ قوما ﴾

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : فعبر (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : للرسول (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : تأكد (٥) فى ظ : الى (٦) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٧) زيد من ظ و مد .

أى مع قوتكم على ما تحاولونه ﴿بورا ٥﴾ أى فى غاية الهلاك و الكساد
و الفساد ، /و عدم الخير لأنكم جبلتم على ذلك الفساد ، [1]فلا انفكاك لهم /٨٥٠
عنه ، و هذا[1] كما مضى بالنظر إلى الجميع من حيث هو جمع لا بالنسبة
إلى كل فرد فانه قد أخلص منهم بعد ذلك كثير ، و ثبتوا فلم يرتدوا .

٥ و لما كان التقدير : ذلك لأنكم لم تؤمنوا ، فمن آمن منكم و من
غيركم[2] و أخلص ، أبحناه جنة و حريرا ، عطف عليه قوله معمما :
﴿و من لم يؤمن﴾ منكم و من غيركم ﴿بالله﴾ [أى -[3]] الذى لا موجود
فى الحقيقة سواه ﴿و رسوله﴾ أى الذى أرسله لإظهار دينه و هو الحقيق
بالإضافة إليه ، معبرا عنه بالاسم الأعظم ، و للزيادة فى تعظيمه [و تحقير
١٠ شأنه و توهية كيده -[4]] التفت إلى مقام التكلم بمظهر العظمة فقال[5] :
﴿فانا﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿اعتدنا﴾ [6]له او لهم[6] هكذا كان
الأصل ، و لكنه قال معلقا للحكم بالوصف إيذانا بأن من لم يجمع الإيمان
بهما فهو كافر ، و إن [السعير لمن -[4]] كان كفره راسخا فقال تعالى :
﴿للكفرين﴾ أى الذين لا يجمعون الإيمان بالمرسل و الرسول فيكونون
١٥ بذلك كفارا ، و يستمرون على وصف الكفر لأنهم جبلوا عليه ﴿سعيرا ٥﴾
أى نارا شديدة الإيقاد و التلهب ، فهى عظيمة الحر [7] توجب الجنون [7]

(١-١) تكرر فى الأصل قبل « و عدم الخير » (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : غيرهم (٣) زيد من مد (٤) زيد من ظ و مد (٥) سقط من مد . (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لهم أوله باثبات الضمير لما يأتى (٧-٧) من مد ، و فى الأصل : تجب الجنود و فى ظ : تجب الجنون .

و إيقاد الباطن بالجوع بحيث لايشبع صاحبه و الانتشار بكل شر[١]، فان التنكير[٢] هنا [٣]للتهويل و التعظيم[٣]، و هذه الآية مع ما أرشد السياق إلى عطفها عليه ممن يؤمن دالة - و إن كانت فى سياق الشرط - على أن أكثرهم يخلص إيمانه بعد ذلك .

و لما انقضى حديث الجنود عامة ثم خاصة من المنتدبين[٤] و المخلصين ٥ و ختم بعذاب الكافرين، و كان المتصرف فى الجنود ربما كان بعض خواص الملك، فلا يكون تصرفه فيهم تاما، و كان الملك قد لايقدر على عذاب من أراد من جنوده، و كان إذا قدر قد لايقدر على العذاب بكل ما يريده من السعير الموصوف [٥]و غيره لعدم[٥] عموم ملكه[٦] قال تعالى عاطفا على آية الجنود: ﴿ و لله ﴾ أى [٧]الملك الأعظم[٧] وحده ١٠ ﴿ ملك السمٰوٰت و الارض[٨] ﴾ أى من الجنود و غيرها، يدبر ذلك كله كيف يشاء [٧]لا راد لحكمه و لامعقب[٧] .

و لما[٨] لم يكن فى هؤلاء من عذب بما عذب به الأمم الماضية من الريح و غيرها، لم يذكر ما بين الخافقين، و ذكر نتيجة التفرد بالملك

---

(١) زيد فى الأصل و ظ : فهى، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) من مد، و فى الأصل و ظ : الشكر (٣ - ٣) فى مد : التعظيم و التهويل (٤) من مد، و فى الأصل و ظ : المبتدين (٥ - ٥) من ظ و مد، و فى الأصل : الموت و الاحياء بالعذاب و غير ذلك مما اشتملت عليه القدرة الالهية و الملك التام الذى لاشبيه له، و قد دل السياق على عدم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل : ملك غيره (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٨) زيد فى الأصل : كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

بما[1] يقتضيه الحال من الترغيب و الترهيب : ﴿ يغفر لمن يشآء ﴾ أى لا اعتراض لأحد عليه [2]بوجه ما[2] ﴿ و يعذب من يشآء[3] ﴾ أى[2] لأنه لا يجب عليه شىء و لا يكافيه شىء ، و ليس هو كالملوك الذين لا يتمكنون من مثل ذلك لكثرة الأكفاء المعارضين لهم فى الجملة ، و علم من هذا التقسيم المبهم [أيضا -[4]] أن منهم من يرتد فيعذبه ، و منهم من يثبت[5] على الإسلام فيغفر له لأنه لا يعذب بغير ذنب و إن كان له أن يفعل ذلك ، لأنه لا يسئل عما يفعل و ملكه تام ، فتصرفه فيه عدل كيفما كان . و لما كان من يفعل الشىء فى وقت / قد لا يستمر على وصف القدرة عليه قال تعالى : ﴿ وكان الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال أزلا و أبدا ، لم يتجدد[6] له شىء لم يكن . و لما ابتدأ الآية بالمغفرة ترغيبا فى التوبة ، ختم بذلك لأن المقام له ، و زاد الرحمة تشريفا لنبى المرحمة[7] بالترغيب و الدلالة على أن رحمته غلبت غضبه فقال : ﴿ غفورا ﴾ أى لذنوب المسيئين ﴿ رحيما ﴾ أى مكرما بعد الستر بما لا تسعه العقول ، و قدرته على الإنعام كقدرته على الانتقام . و لما ذم[8] المخلفين بما منه -[2]أى من الذم[2]- أنهم هالكون بعد أن قدم أنه لعنهم ، وكان قد وعد

/ ٨٥١

---

(١) فى مد : ما (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ ومد (٣) سقط من ظ ومد.
(٤) زيد من مد (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : لا يثبت (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : لم يتجد (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : الرحمة (٨) زيد فى الأصل : سبحانه و تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

سبحانه أهل الحديبية فتح خيبر جبرا لهم بما منعهم من الاستيلاء على مكة المشرفة لما له [١]فى ذلك[١] من الحكم البالغة الدقيقة ، و ختم بأنه نافذ الأمر ، و [كان -[٢]] ذلك مستلزما لإحاطة العلم ، دل على كلا الأمرين بقوله استئنافا ، جوابا لمن كأنه[٣] قال : هل يغفر للمخلفين حتى يكونوا كأنهم ما تخلفوا ؟ : ﴿ سيقول ﴾ أى بوعد لاخلاف فيه . ٥

و لما كان النبى صلى الله عليه و سلم بحيث لامطمع لأحد فى أن يظفر منه بشىء من خلاف لأمر الله ، أسقط ما عبر به فى ذكرهم أولا من خطابه و قال : ﴿ المخلفون ﴾ أى لمن يطمعون فيه من الصحابة أن يسعى فى تمكينهم من المسير فى جيشه صلى الله عليه و سلم لخفاء الحكم عليه و نحو ذلك ، ولم يقيدهم بالأعراب ليعم كل من كان يتخلف من ١٠ غيرهم ﴿ اذا انطلقتم ﴾ بتمكين الله لكم ﴿ الى مغانم ﴾ .

و لما أفهم اللفظ الأخذ ، و التعبير بصيغة منتهى الجموع كثرتها ، صرح بالأول رفعا للمجاز فقال : ﴿ لتاخذوها ﴾ أى من خيبر ﴿ ذرونا ﴾ أى [٤]على أىّ[٤] حالة شئتم من الأحوال الدنية ﴿ نتبعكم ج ﴾ و لما كان يلزم من تمكينهم من ذلك إخلاف وعد الله بأنها تخص أهل الحديبية ، ١٥ و أنه طرد المنافقين و خيب قصدهم ، علل تعالى قولهم بقوله : ﴿ يريدون ﴾ أى بذهابهم معكم ﴿ ان يبدلوا كلم الله [٥] ﴾ أى المحيط [٥]بكل شىء[٥] قدرة

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : كان (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد ، و فى ظ : اى (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

و علما فى الإخبار بلعنهم و إبارتهم، و ان فتح خيبر مختص باهل الحديبية، لايشركهم فيه إلا من وافقهم فى النية و الهجرة، ليتوصلوا بذلك إلى تشكيك أهل الإسلام فيه[1]، و المراد أن فعلهم فعل من يريد ذلك، و لايبعد أن يكونوا صنفين: منهم من يريد ذلك، و منهم من لم يرده، ٥ و لكن فعل من يريده.

و لما كان السامع جديرا بأن يسأل عما يقال لهم، قال مخاطبا لأصدق الخلق عليه الصلاة و السلام: ﴿ قل ﴾ أى [2]ياحبيبى[2] لهم إذا بلغك كلامهم أنت بنفسك، فان غيرك لايقوم مقامك فى هذا الأمر المهم، قولا مؤكدا: ﴿ لن تتبعونا ﴾ و إن اجتهدتم فى ذلك، و ساقه ١٠ مساق النفى و إن كان المراد به النهى، لأنه مع كونه آكد يكون علما من أعلام النبوة، و هو أزجر و أدل على الاستهانة.

و لما أذن هذا التأكيد أنه من عند من [لا -[3]] يخالف أصلا فى مراده، بينه تعالى بقوله: / ﴿ كذلكم ﴾ أى مثل هذا القول البديع الشان العلى الرتبة ﴿ قال الله ﴾ أى الذى لا يكون إلا ما يريد[4] و ليس ١٥ هو كالملوك الذين لا قدرة لهم على الغفران لمن شاءوا[5] و العقاب لمن شاءوا[6] ﴿ من قبل[4] ﴾ هذا الوقت، و هو الذى لا يمكن الخلف فى قوله، فانه قضى أن لا يحضر « خيبر » المرادة بهذه الغنائم إلا من حضر الحديبية، /٨٥٢

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: عليه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٣) زيد من ظ و مد (٤) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: شاء (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: يشاءوا.

و أمر بذلك فكان ما قال بعد اجتهاد بعض المخلفين فى إخلافه فانهم غيّرهم الطمع بعد سماعهم قول الله هذا، فطلبوا أن يخرجوا معه صلى الله عليه و سلم فنعوا[1] فلم يحضرها غيرهم أحد، و ذلك أنه صلى الله عليه و سلم رجع من الحديبية فى ذى الحجة سنة ست، فأقام إلى أثناء محرم سنة سبع، و خرج بأهل الحديبية إلى خيبر ففتحها الله عليه، و أخذ ٥ جميع أموالها من المنقولات و العقارات، و أتى إليه صلى الله عليه و سلم و هو بها بعد فتحها ابن عمه جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه و بعض من معه من مهاجرة الحبشة، فأشركهم النبى صلى الله عليه و سلم مع أهل الحديبية لأنهم لم يكونوا مخلفين بل كانوا متخلفين لعذر عدم الإدراك. ١٠

و لما كانوا منافقين لايعتقدون شيئا من هذه الأقوال، بل يظنون أنها حيل على التوصل إلى المرادات الدنيوية، سبب عن قولهم له ذلك تنبيها على جلافتهم و فساد ظنونهم: ﴿فسيقولون﴾: ليس الأمر كما ذكر مما ادعى أنه قول الله ﴿بل﴾ إنما ذلكم لأنكم ﴿تحسدوننا[1]﴾ فلا تريدون أن يصل إلينا من مال الغنائم شىء. و لما كان التقدير: و ليس الأمر ١٥ كما زعموا، رتب عليه قوله: ﴿بل كانوا﴾ أى جبلة و طبعا ﴿لايفقهون﴾ أى لايفهمون فهم الحاذق الماهر ﴿الا قليلا﴾ فى أمر دنياهم، و من ذلك إقرارهم بالإيمان لأجلها، و أما أمور الآخرة فلا يفهمون منها شيئا.

---

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: فسعوا.

و لما كان ذلك يوقع فى نفس السامع السؤال عن هذا الطرد : هل يستمر ؟ أجيب بأنهم سيمتحنون بأمر شاق يحدثه الله للتميز بين [1]الخلص و غيرهم[1]، فقال مكررا لوصفهم بالتخلف إعلاما بأنهم فى الحقيقة ما تخلفوا ، بل منعوا طردا لهم و إبعادا معذبا لهم بما خلفهم عن اتباع النبى صلى الله عليه و سلم فى هذه العمرة من الخوف من قتال قريش لشدة بأسهم كما أثاب المحبين له صلى الله عليه و سلم بضد ما عزموا عليه من القتال إلى النصر أو الموت من كف أيديهم عنهم[2] بما جعله الله سببا للفتح الأعظم [3]و التفرغ[3] لفتح خيبر و أخذ غنائمها الكثيرة من غير[4] كبير كلفة ﴿ قل ﴾ يا أعظم الخلق ﴿ للمخلفين ﴾ و زاد فى ذمهم بنسبتهم إلى الجلافة فقال : ﴿ من الاعراب ﴾ أى أهل غلظ الأكباد ، و يجوز أن يكون هذا القيد للاحتراز عن المخلفين من أهل المدينة [فيكون إشارة إلى أن الأعراب ينقسمون عند هذا الدعاء إلى مطيع و عاص - كما أشار إليه تقسيمه سبحانه لهم - و أن المخلفين من أهل المدينة -[5]] لمثل ما اعتل بـــه الأعراب لا مطمع فى صلاحهم : ﴿ ستدعون ﴾ بوعد لاخلف فيه باخبار[6] محيط العلم و القدرة دعوة محيطة و [7]نفيرا عاما[7] لما أفهمه الإسناد إلى جميعهم من داع صحت إمامته[8]

(١-١) من مد ، و فى الأصل : المخاض و غيره ، و فى ظ : المخلص و غيرهم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنكم (٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : المتفرع (٤) زيد فى الأصل : تكبير و لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد ما بين الحاجزين من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : من اخبار (٧ - ٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : معمرا عالما (٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : امامه .

فوجبت طاعته ، و دل على بعدهم من أرضهم بقوله تعالى: ﴿الى قوم﴾ .

و لما أفهم / التعبير بذلك أن لهم قوة و شدة على ما يحاولونه ، أوضح ٨٥٣ /
المعنى بقوله : ﴿ اولى باس[1] ﴾ أى شدة فى الحرب و شجاعة مع مكر و دهاء
﴿ شديد[1] ﴾ . و لما كان المعنى كأنه قيل[2]: لما ذا؟ قال تعالى: ﴿تقاتلونهم﴾
أى بأمر إمامكم ﴿ او يسلمون ج﴾ أى يدعوكم إليهم ليكون أحد الأمرين ٥
المظهرين لأن كلمة الله هى العليا : المقاتلة منكم أو الإسلام منهم ، فان
لم يسلموا كان القتال لا غير ، و إن أسلموا لم يكن قتال ، لأن الإمام
لا غرض له إلا إعلاء كلمة الله ، و لا يكون شىء غير هذين الأمرين
من إبقاء بجزية أو مصالحة أو متاركة إلى مدة ، و نحو ذلك ، و هذا الداعى
هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، و القوم [3]بنو حنيفة و غيرهم من أهل ١٠
الردة الذين كان الدعاء لهم أول خلافة الصديق رضى الله عنه[3]، و أما قول
من قال: إنهم ثقيف ، فضعيف ، لأن الدعاء لم يكن إليهم ، إنما كان المقصود
بالذات فتح مكة ، و كان أمر هوازن و ثقيف و غيرهما تبعا له فى غزوته[4]،
لم يكن بينهم شىء ، و أيضا فان ثقيف لما عسر أمرهم تركهم النبى صلى الله
عليه و سلم حتى أسلموا بعد ذلك ، و ترك أيضا فلال هوازن فلم يتبعهم ١٥
و لم يؤمر باتباعهم ، فظاهر الآية أنه إذا انتشب القتال لم يترك إلا أن
حصل الإسلام ، و القول بأنهم فارس و الروم ضعيف أيضا ، فان كلا منهم[5]

(١) وقع فى الأصل : قبل « تقاتلونهم » و الترتيب من ظ و مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : قلل (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و مد و فى الأصل : غزته (٥) من ظ و مد ، و فى الأصل : هم .

تقبل منه الجزية ، و تأويله بأنه إسلام لغوى لا داع له مع إمكان الحقيقة ، و قد كان ما أشار إليه التقسيم فانهم لما دعوا [إليهم انقسموا -[1]] إلى مجيب و هم الأكثر ، و قد آتاهم الله الأجر الحسن فى الدنيا بالغنيمة و الذكر الجميل و هو المرجو فى الآخرة ، [2]و مرتد و هم قليل[3] و قد أذاقهم الله العذاب الأليم فى الدنيا بالقتل على أقبح حال ، و هو يذيقهم فى الآخرة أعظم النكال ، و أما قتال غير العرب فأطاع فيه الكل و لم يحصل فيه ما أشير إليه من التقسيم ، فتحقق بهذا[4] أنهم أهل الردة - و الله الموفق ، و لذلك سبب عن دعوة الحق قوله مرددا القول فى حالهم مبهما له إشارة إلى أنهم عند الدعاء ينقسمون إلى مقبل و متول : ﴿فان تطيعوا﴾ أى توقعوا الطاعة للداعى إلى ذلك ، و هو أبو بكر رضى الله عنه ﴿ يؤتكم الله ﴾ أى الذى له الإحاطة [5]و القدرة على الإعطاء و المنع ، لا راد لأمره[5] ﴿ اجرا حسنا ج ﴾ دنيا و أخرى ، جعل الله طاعة أبى بكر رضى الله عنه فى هذا الأمر بالخصوص كطاعة رسول الله صلى الله عليه و سلم الذى طاعته طاعة الله ، جزاء له على خصوصه فى مزيد تسليمه لما فعله النبى صلى الله عليه و سلم من الصلح و ثباته بما أجاب به عمر رضى الله عنهما بمثل جواب النبى صلى الله عليه و سلم من غير أن يكون حاضرا له كما هو معلوم من السيرة .

---

(١) زيد من ظ و مد (٢) العبارة من هنا الى « فى الآخرة » ساقطة من ظ .
(٣) من مد ، و فى الأصل : قليلا (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : هذا .
(٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد .

و لما كانت مخالفة الرسول صلى الله عليه و سلم و من يقوم مقامه لا تكون إلا عن منازعة فى الفطرة الأولى و معالجة لها، عبر بالتفعل[1] فقال: ﴿ و ان تتولوا ﴾ عن قبول دعوته عصيانا ﴿ كما توليتم ﴾ أى عالجتم أنفسكم وكلفتموها التولى بالتخلف عن الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿من قبل﴾ / اى بعض الأزمان التى تقدمت على هذا الدعاء، [2]و ذلك فى[2] ٥ / ٨٥٤ الحديبية ﴿ يعذبكم ﴾ أى يخالطكم بعقوبة تزيل العذوبة فى الدنيا أو فى الآخرة أو فيهما ﴿ عذابا اليما ﴾ [3]لأجل تكرر ذلك منكم.

و لما توعد المتخلفين بتخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ثم توعدهم فى التقاعد عن هذا الإمام القائم بعده بالحق، [4]و كان[4] أهل الأعذار لايتيسر لهم ما أريد بهذا الدعاء، و كان الدين مبنيا على الحنيفية ١٠ السمحة، استأنف قوله تعالى مسكنا لما استثاره[5] الوعيد من روعهم: ﴿ ليس على الاعمى ﴾ اى فى تخلفه عن الدعاء إلى الخروج مع النبى صلى الله عليه و سلم أو مع غيره من أئمة الدعاء ﴿ حرج ﴾ أى ميل بثقل الإثم لأجل أن عماه موهن لسعيه و جميع بطشه، و لأجل تأكيد المعنى تسكينا لما ثار من روع المؤمن كرر النافى و الحرج فى كل جملة ١٥ مستقلة تأكيدا لهذا الأمر فقال: ﴿ و لا على الاعرج ﴾ و إن كان

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: بالفعل (٢ - ٢) من ظ و مد، و فى الأصل: ذلكم كان فى امر (٣) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤ - ٤) من ظ و مد، و فى الأصل: فكان (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: استاره.

نقصه ادنى من نقص العمى ﴿ حرج ﴾ و جعل كل جملة مستقلة تأكيدا لهذا الحكم .

و لما ذكر هذين الأثرين الخاصين المزيد سررهما فى العاقة عن كمال الجهاد ، عم بقوله : ﴿ و لا على المريض ﴾ أى بأىّ مرض ﴿ حرج[1] ﴾ فلم يخرج أهل هذه الأعذار الذين لم يمنعهم إلا إعذارهم عن أهل الحديبية ، و أطلق الحرج المنفى ليقبل التقدير بالتخلف و لا حاجة لأن حضورهم لايخلو عن نفع فى الجهاد ، و ذكر هكذا[1] دون أسلوب الاستثناء إيذانا بأنهم لم يدخلوا فى الوعيد أصلا حتى يخرجوا منه .

و لما بشر[2] المطيعين لتلك الدعوة و توعد القاعدين عنها و عذر المعذورين ، و كانت إجابة المعذورين جائزة ، بل أرفع من قعودهم ، و لذلك لم ينف إجابتهم إنما نفى الحرج ، قال معمما عاطفا على ما تقديره : فمن تخلف منهم فتخلفه مباح له : ﴿ و من يطع الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال المفيض من آثار صفاته على من يشاء و لو كان ضعيفا ، المانع منها من يشاء و إن كان قويا ﴿ و رسوله ﴾ من المعذورين و غيرهم فيما ندبا إليه من أى طاعة كانت إجابته ﴿ يدخله ﴾ أى الله الملك الأعظم [جزاء له -[3]] ﴿ جنت تجرى ﴾ و نبه على قرب منال الماء بإثبات الجار فى قوله : ﴿ من تحتها الانهر ﴾ اى فى أىّ موضع أردت أجريت نهرا ﴿ و من يتول ﴾ أى كائنا من[4] كان من المخاطبين الآن و غيرهم ، عن

(١) من ظ ومد ، و فى الأصل : هذا (٢) فى مد : توعد (٣) زيد من ظ ومد .
(٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : ما .

طاعة من الطاعات التى أمرا[1] بها من أىّ طاعة كانت ﴿ يعذبه ﴾ اى على توليه فى الدارين أو إحداهما ﴿ عذابا اليما ﴾ و قراءة أهل المدينة و الشام " ندخله و نعذبه " بالنون أظهر فى إرادة العظمة لأجل تعظيم النعمة و النقمة .

و لما وعد المطيع و أوعد العاصى ، و كانت النفوس إلى الوعد أشد ٥ التفاتا ، دل عليه بثواب عظيم[2] منه أمر محسوس يعظم جذبه للنفوس القاصرة عن النفوذ[3] فى عالم الغيب . فقال مؤكدا لأن أعظم المراد به المذبذبون ، مفتتحا بقد لأن السياق موجب للتوقع لما جرى من السنة الإلهية أنها إذا شوقت إلى شىء دلت عليه بمشهود يقرب الغائب الموعود : ﴿ لقد رضى الله ﴾ أى الذى له الجلال و الجمال ﴿ عن المؤمنين ﴾ أى ١٠ الراسخين / فى الإيمان ، أى فعل معهم فعل الراضى بما جعل لهم من الفتح / ٨٥٥ و ما قدر له من الثواب ، و أفهم ذلك أنه لم يرض عن الكافرين فخذلهم فى الدنيا مع ما أعد لهم فى الآخرة ، فالآيات تقرير لما ذكر من جزاء الفريقين بامور مشاهدة .

و لما ذكر الرضى ، ذكر وقته للدلالة على سببه فقال : ﴿ اذ ﴾ ١٥ أى حين ، و صور حالهم إعلاما بأنها سارة معجبة شديدة الرسوخ فى الرضا فقال : ﴿ يبايعونك ﴾ فى عمرة الحديبية لما صد المشركون عن الوصول إلى البيت ، فبعثت عثمان رضى الله عنه إليهم ليخبرهم بأنك لم تجئ

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : امر (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعظم (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : القعود .

لقتال و إنما جئت للعمرة . فبلغك أنهم قتلوه فدعت إلى البيعة لمناجزتهم فبايعك كل من كان معك على ان لايفروا لتناجز بهم القوم ؛ و زاد الأمر بيانا و قيده تفضيلا لأهل البيعة بقوله : ﴿تحت الشجرة﴾ و اللام للعهد الذهنى ، و كانت شجرة فى الموضع الذى كان النبى صلى الله عليه ٥ و سلم نازلا به فى الحديبية ، و لأجل هذا الرضى سميت بيعة الرضوان . و روى البغوى[1] من طريق الثعلبى عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : لايدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة .

و لما دل على إخلاصهم بما وصفهم ، سبب عنه قوله : ﴿فعلم﴾ أى لما له من الإحاطة ﴿ما فى قلوبهم﴾ أى من مطابقته لما قالوا ١٠ بألسنتهم فى البيعة ، و أن ما حصل لبعضهم من الاضطراب فى قبول الصلح و الكآبة منه إنما هو لمحبة الله و رسوله صلى الله عليه و سلم و إيثار ما يريد من إعلاء دينه و إظهاره لا عن شك فى الدين ، و سبب عن هذا العلم ترغيبا [فى -[2]] مثل هذا المحدث عنهم قوله : ﴿فأنزل السكينة﴾ أى بثبات القلوب و طمانينتها فى كل حالة ترضى الله و رسوله ، و دل ١٥ على عظمها بحيث أنها تغلب الخوف و إن عظم بقوله : ﴿عليهم﴾ فأثر ذلك أنهم لم يخافوا عاقبة القتال لما ندبوا إليه و إن كانوا فى كثرة الكفار كالشعرة البيضاء فى جنب الثور الأسود ، لا آثر الصلح مما يتراءى فيه من الضعف و غيره[3] من مخايل النقص فى قلوبهم فى ذلك المقام الدحض

(١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/١٦٤ (٢) زيد من ظ و مد (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها .

و الموطن الضنك إلا ريثما[1] رأوا صدق عزيمة الرسول صلى الله عليه و سلم و مضى أمره فى ذلك بما يفعل و يقول .

و لما ذكر منّه سبحانه و تعالى عليهم بما هو الأصل الذى لا يبنى[2] إلا عليه ، أتبعه آثاره فقال : ﴿ و اثابهم ﴾ أى أعطاهم جزاء لهم على ما وهبهم من الطاعة و السكينة فيها جزاء ، مقبلا عليهم ، يملأ[3] مواضع احتياجهم ، هو أهل[3] لأن يقصده الإنسان و يتردد فى طلبه لما له من الإقبال و المكنة و الشمول ﴿ فتحا ﴾ بما أوقع سبحانه من الصلح المترتب على تعجيز قريش عن القتال ﴿ قريبا ﴾ بترك القتال الموجب بعد راحتهم و قوتهم و جمومهم[4] لاختلاط بعض الناس ببعض فيدخل فى الدين من كان مباعدا له لما يرى من محاسنه ، فيكون الفتح الأعظم فتح المكة المشرفة الذى هو سبب لفتح جميع البلاد .

و لما ذكر الفتح ذكر بعض ثمرته فقال : ﴿ و مغانم ﴾ فنبه بصيغة منتهى الجموع إلى أنها عظيمة ، ثم صرح بذلك فى قوله : ﴿ كثيرة ﴾ و لما كان / الشيء ربما أطلق على ما هو بالقوة دون الفعل ، أزال ذلك / ٨٥٦ بقوله تعالى ﴿ يأخذونها[1] ﴾ و هى خيبر . و لما كان ذلك مستبعدا لكثرة الكفار و قلة المؤمنين ، بين سببه فقال عاطفا على ما تقديره : بعزة الله و حكمته : ﴿ و كان الله ﴾ أى الذى لا كفوء له ﴿ عزيزا ﴾ أى يغلب و لا يغلب ﴿ حكيما ﴾ يتقن ما يريد فلا ينقض .

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : ابتما (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : ينبى .
(٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : اصل (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : جموحهم .

و لما قرب ذلك و تأكد و تحرر و تقرر، اقبل سبحانه و تعالى عليهم بالخطاب تأكيدا لمسامعهم فقال مزيلا لكل احتمال يتردد فى خواطر المخلفين[1]: ﴿وعدكم الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿مغانم﴾ و حقق معناها بقوله: ﴿كثيرة تاخذونها﴾ أى فيما يأتى من بلدان شتى لاتدخل ٥ تحت حصر، ثم سبب عن هذا الوعد قوله: ﴿فعجل لكم﴾ أى منها ﴿هذه﴾ أى القضية التى أوقعها بينكم و بين قريش من وضع الحرب عشر سنين، و من أنكم تأتون فى العام المقبل فى مثل هذا الشهر[2] معتمرين فانها سبب ذلك كله، عزاه أبو حيان[3] لابن[4] عباس رضى الله عنهما و هو فى غاية الظهور، و يمكن أن يكون المعنى: التى فتحها عليكم من خيبر من ١٠ سبيها و أموالها المنقولات و غيرها ﴿وكف ايدى الناس﴾ أى من أهل خيبر و حلفائهم أسد و غطفان أن يعينوا أهل خيبر أو يغيروا على عيالاتكم[5] بعد ما وهموا بذلك بعد ما كف أيدى قريش و من دخل فى عهدهم بالصلح ﴿عنكم﴾ على ما أنتم فيه من القلة و الضعف.

و لما كان التقدير: رحمة لكم على طاعتكم لله و رسوله و جزاء لتقوى ١٥ أيديكم، و تروا أسباب الفتح القريبة بما يدخل من الناس فى دينكم عند المخاطبة بسبب الايمان، عطف عليه قوله: ﴿و لتكون﴾ أى هذه

---

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: المكلفين (٢) زيد فى الأصل: و انتم، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٣) راجع البحر المحيط ٩٧/٨.
(٤) من ظ و مد، و فى الأصل: لان ابن (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: عيالكم.

الأسباب من الفتح و الإسلام ﴿ آية ﴾ أى علامة هى فى غاية الوضوح ﴿ للمؤمنين ﴾ أى منكم على دخول المسجد الحرام[1] آمنين فى العمرة[2] ثم فى الفتح و منكم و من غيركم من الراسخين فى الإيمان إلى يوم القيامة على جميع ما يخبر الله به على ما وقع التدريب عليه فى هذا التدبير الذى دبره لكم من أنه لطيف يوصل إلى الأشياء العظيمة بأضداد أسبابها فيما يرى الناس فلا يرتاع مؤمن لكثرة المخالفين و قوة المنابذين أبدا ، فان سبب كون الله مع العبد هو الاتباع بالإحسان الذى عماده الرسوخ فى الإيمان الذى علق الحكم به . فحيث ما وجد عليه وجد المعلق و هو النصر بأسباب جلية أو خفية ﴿ و يهديكم ﴾ فى نحو هذا الأمر الذى دهمكم فأزعجكم بالثبات عند سماع الموعد و الوعيد و الثقة بمضمونه لأنه قادر حكيم ، فهو لايخلف الميعاد بأن يهديكم ﴿ صراطا مستقيما ﴾ أى طريقا واسعا واضحا موصلا إلى الكرامة من غير شك ، و هذا من أعلام النبوة فانه [3]لم يزغ أحد[3] من المخاطبين بهذه الآية و هم أهل الحديبية [و كأنه [4]] و الله أعلم لذلك لم يقل : و يهديهم[5] بالغيب على ما اقتضاه السياق لئلا يغم غيرهم ممن يظهر صدقه فى الإيمان ثم يزيغ ، و لذا أكثر تفاصيل هذه السورة من أعلام النبوة ، فانه وقع الإخبار به قبل وقوعه . و لما سرهم سبحانه بما بشرهم به من كون القضية فتحا

(١) زيد فى ظ : إن شاء الله (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : العجزة .
(٣-٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : يرع احدكم (٤) زيد من ظ و مد .
(٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : يهديكم .

و من غنائم خيبر ، أتبع ذلك البشارة دالا على انها لامطمع لهم فى
/ ٨٥٧ حوزه و لاعلاجه / لولا [١] معرنته فقال : ﴿ و اخرى ﴾ أى و وعدكم
مغانم كثيرة غير هذه و هى - و الله أعلم - مغانم هوازن التى لم يحصل
قبلها ما يقاربها . و لما كان فى علمه سبحانه و تعالى أن الصحابة رضى الله
٥ تعالى عنهم مقرون فيها إلا من لا يمكنه فى العادة أن يهزمهم ليحرى
الغنائم ، فكان ما فى علمه تعالى لتحققه كالذى وقع و انقضى ، قال تعالى :
﴿ لم تقدروا ﴾ أى بما علمتم من قراركم ﴿ عليها ﴾ و لما توقع [السامع -[٢]]
بعد علمه بعجزهم عنها الإخبار عن السبب الموصل إلى أخذها بما تقرر
عند من صدق الوعد بها ، قال مفتتحا بحرف التوقع : ﴿ قد احاط الله ﴾
١٠ أى المحيط بكل شىء علما و قدرة ﴿ بها [٣] ﴾ فكانت بمنزلة ما أدير عليه [٤] سور
مانع من أن يغلب منها شىء عن حوزتكم أو يقدر غيركم أن يأخذ منها
شيئا ، [٥] و لذلك [٥] [و - [٢]] للتعميم ختم الآية بقوله : ﴿ و كان الله ﴾ أى
المحيط بجميع صفات [٥] الكمال أزلا و أبدا ﴿ على كل شىء ﴾ منها و من
غيرها ﴿ قديرا ٥ ﴾ بالغ القدرة لأنه بكل شىء عليم .
١٥ و لما قدم سبحانه أنه كف أيدى الناس عنكم أجمعين ، ذكر حكمهم
لو وقع قتال ، فقال مقررا لقدرته عاطفا على نحو : ولو أراد لمكنكم [٦] من
الاعتبار ، مؤكدا لأجل استبعاد من يستبعد ذلك من الأعراب و غيرهم :

---

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : لو (٢) زيد من ظ و مد (٣) من مد ،
و فى الأصل و ظ : عليها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) من ظ و مد ،
و فى الأصل : اوصاف (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : سكنكم - كذا .

﴿ولو قاتلكم﴾ أى فى هذا الوجه ﴿الذين كفروا﴾ أى أوقعوا هذا الوصف من الناس عموما الراسخ فيه و من دونه، و هم أهل مكة و من لافّهم، و كانوا قد اجتمعوا و جمعوا الأحابيش[1] و من أطاعهم و قدموا[2] خالد بن الوليد طليعة لهم إلى كراع الغميم، و لم يكن أسلم بعد ﴿لولوا﴾ أى بغاية جهدهم ﴿الادبار﴾ منهزمين. ٥

و لما كان عدم نصرهم بعد التولية مستبعدا أيضا لما لهم من كثرة الأمداد و قوة الحمية، قال معبرا بأداة البعد: ﴿ثم﴾ أى بعد طول الزمان و كثرة الأعوان ﴿لايجدون﴾ فى وقت من الأوقات ﴿وليا﴾ أى يفعل معهم فعل القريب من الحياطة و الشفقة و الحراسة من عظيم ما يحصل من رعب تلك التولية ﴿و لا نصيرا﴾. ١٠

و لما كانت هذه عادة جارية قديمة مع أولياء الله تعالى حيثما كانوا من الرسل و أتباعهم، و أن جندنا لهم الغالبون، قال تعالى: ﴿سنة الله﴾ أى سن المحيط بهذا الخلق فى هذا الزمان و ما بعده كما كان محيطا بالخلق فى قديم الدهر، و لذلك[3] قال: ﴿التى قد خلت﴾ أى سنة مؤكدة لاتتغير، و أكد الجار لأجل [أن -[4]] القتال ما وقع فى الزمان الماضى ١٥ إلا بعد نزول التوراة فقال: ﴿من قبل﴾ و أما قبل ذلك فانما كان يحصل الهلاك بأمر من عند الله بغير[5] أيدى المؤمنين ﴿و لن تجد﴾[6] أيها

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: الاجانيس (٢) من مد، و فى الأصل: قد. و فى ظ: قدم (٣) فى ظ: ذلك (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل: من، و فى ظ: من غير (٦) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

السامع ﴿ لسنة الله ﴾ الذى لايخلف قولا[1] لأنه محيط بجميع صفات الكمال ﴿ تبديلا ٥ ﴾ أى تغيرا من مغير ما ، يغيرها[2] بما يكون بدلها .

و لما تقرر أن الكفار مغلوبون و إن قاتلوا ، و كان ذلك من خوارق العادات مع كثرتهم دائما و قلة المؤمنين حتى يأتى أمر الله موقعا للعلم القطعى بأنه ما دبره إلا الواحد القهار القادر المختار ، عطف عليه عجبا آخر و هو عدم تغير / أهل مكة فى هذه العمرة للقتال بعد تعاهدهم و تعاقدهم عليه مع ما لهم من قوة العزائم و شدة الشكائم ، فقال عاطفا[3] على ما تقديره : هو الذى سن هذه السنة العامة : ﴿ و هو الذى كف ﴾ أى وحده [4]من غير معين له على ذلك[4] ﴿ ايديهم ﴾ أى الذين كفروا من أهل مكة و غيرهم ، فان الكل شرع واحد ﴿ عنكم و ايديكم ﴾ أيها المؤمنون ﴿ عنهم ﴾ .

/٨٥٨

و لما كان الكفار لو بسطوا أيديهم مع ما حتمه[5] الله و سنه من تولية الكفار دخلوا مكة قال : ﴿ ببطن مكة ﴾ أى كائنا كل منكم و منهم فى داخل مكة هم حالا و أنتم مآلا ، و عن القفال أنه قال : يجوز أن يراد به الحديبية لأنها من الحرم - انتهى . و عبر بالميم دون الباء كما فى آل عمران إشارة إلى أنه فعل هنا ما اقتضاه مدلول هذا الاسم من الجمع و النقض و التنقية ، فسبب لهم أسباب الاجتماع و التنقية من الذنوب -

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : قوله (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : تغيرها (٣) فى مد : عطفا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٥) من مد و فى الأصل و ظ : ختم .

بما أشارت[1] إليه آية المعرة[2] حالا و آيات الفتح مآلا ، و وفى بما[3] يدل عليه اسمها من الأهل[4] على خلاف القياس .

و لما كان هذا ليس مستغرقا لجميع الزمان الآتى ، بل لابد أن يبسط أيدى المؤمنين بها يوم الفتح ، أدخل الجار فقال تعالى : ﴿من بعد ان اظفركم﴾ أى أوجد فوزكم بكل ما طلبتم منهم و جعل لكم الطول و العز ﴿عليهم[5]﴾ ٥ و ذلك فيما رواه أصحاب السير[6] قالوا : و دعا رسول الله صلى الله عليه و سلم خراش بن أمية الخزاعى رضى الله عنه فبعثه إلى قريش بمكة و حمله على بعير له فقال له الثعلب : ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له[7] فعقروا[7] جمل رسول الله صلى الله عليه و سلم و أرادوا قتله ، فمنعه الأحابيش فخلوا سبيله حتى أتى رسوله الله صلى الله عليه و سلم ، و بعثت قريش أربعين ١٠ رجلا منهم أو خمسين و أمروهم أن يطوفوا[8] بعسكر رسول الله صلى الله عليه و سلم ليصيبوا لهم من أصحابه أحدا[9] فأخذوا أخذا فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فعفا عنهم و خلى سبيلهم ، و قد كانوا رموا فى عسكره بالحجارة و النبل ، ثم ذكروا إرساله صلى الله عليه و سلم

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اشار (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : البقرة (٣) فى مد : بما (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : الهلاك (٥) فى ظ : السنن . (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : به (٧) زيد فى الأصل : به ، و فى مد : آية ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨) من مد ، و فى الأصل : يطيقوا ، و فى ظ : يطيفوا (٩) من مد ، و فى الأصل و ظ : واحدا .

لعثمان رضى الله عنه إلى مكة ثم إرسال قريش لسهيل بن عمرو فى الصلح ، وروى مسلم فى صحيحه[1] عن سلمة بن الأكوع رضى الله عنه قال : لما اصطلحنا و اختلط بعضنا ببعض أتيت شجرة فاضطجعت فى أصلها فأتانى[2] أربعة من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقعون[3] فى النبى صلى الله عليه و سلم فأبغضتهم ، فتحولت إلى شجرة أخرى ، و علقوا سلاحهم و اضطجعوا ، فبينماهم كذلك إذ نادى مناد من أسفل الوادى : يا آل المهاجرين[4] : [5]قتل ابن زنيم ، فاخترطت سيفى ثم شددت[6] على أولئك الأربعة [7]و هم رقود[7] فأخذت سلاحهم ، فجعلته ضغثا فى يدى ، ثم قلت : و الذى كرم وجه محمد صلى الله عليه و سلم ! لا يرفع أحد منكم رأسه إلا [ضربت -[8]] الذى فيه[9] عيناه ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و جاء عمى عامر رضى الله عنه برجل من العبلات يقال له مكرز / يقوده إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم على فرس مجفف فى سبعين من المشركين . فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : دعوهم يكن[10] لهم بدؤ الفجور و ثناه ، فعفا عنهم فأنزل الله تعالى /٨٥٩

(١) راجع ٢ / ١١٣ (٢) من ظ و مد و صحيح مسلم ، و فى الأصل : فاتى . (٣) من ظ و مد و صحيح مسلم ، و فى الأصل : يقعونى (٤) فى صحيح : يا للمهاجرين (٥) و زيد قبله فى الأصل و ظ : قد ، و لم تكن الزيادة فى مد و صحيح مسلم فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : عليهم اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد و صحيح مسلم فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) زيد من مد و صحيح مسلم (٩) من مد و صحيح مسلم ، و فى الأصل و ظ : فيها (١٠) من مد و صحيح مسلم ، و فى الأصل و ظ : يكون .

"و هو الذى كف ايديهم عنكم و ايديكم عنهم" الآية - انتهى . و روى مسلم[1] و النسائى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن ثمانين رجلا من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم من قبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضى الله عنهم، و فى رواية النسائى: قالوا: نأخذ محمدا - صلى الله عليه و سلم - و أصحابه، فأخذهم النبى صلى الله عليه و سلم سلما[2] فاستحياهم فأنزل الله عزوجل "و هو الذى كف ايديهم عنكم" الآية .

و لما كان هذا و نحوه من عنف أهل مكة و غلظتهم و صلابتهم و شدتهم و رفق النبى صلى الله عليه و سلم و لينه لهم مما أحزن أغلب الصحابة رضى الله تعالى عنهم قال تعالى يسليهم: ﴿ و كان الله ﴾ أى المحيط بالجلال و الإكرام ﴿ بما يعملون ﴾ أى الكفار - على قراءة أبى عمرو بالغيب[3]، و أنتم - على قراءة الباقين[4] بالخطاب فى ذلك الوقت و فيما بعده كما كان قبله ﴿ بصيرا ﴾ أى محيط العلم ببواطن ذلك كما هو محيط بظواهره[5] فهو يجريه فى هذه الدار التى[6] ربط فيها المسببات بأسبابها على أوثق الأسباب فى نصركم و غلبكم لهم و قسركم، و ستعلمون ما دبره من دخولكم مكة المشرفة آمنين لا تخافون فى عمرة القضاء صلحا ثم فى الفتح بجحفل جرار قد نيطت[7] أظفار المنايا بأسنة رماحه. و عادت[8]

(١) راجع أبواب الجهاد (٢) سقط من ظ (٣) راجع نثر المرجان ٦/٦٤٢ (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: بظواهرهم (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: الذى (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: سمطت (٨) من مد، و فى الأصل و ظ: غارت .

رؤس الحمام طوعا لبيض صفاحه، فيؤمن أكثر أهل مكة و غيرهم ممن هو الآن جاهد عليكم، و يصيرون أحب الناس فيكم يقدمون أنفسهم فى جهاد الكفار دونكم، فيفتح الله بكم البلاد، و يظهركم[1] - و هو أعظم المحامين عنكم - على سائر العباد.

٥ و لما كان ما مضى من وصفهم على وجه يشمل غيرهم من جميع الكفار، عينهم مبينا لسبب كفهم عنهم مع استحقاقهم فى ذلك الوقت للبوار و النكال و الدمار فقال: ﴿ هم ﴾ أى أهل مكة و [من -[2]] لافهم ﴿ الذين كفروا ﴾ أى أوغلوا فى هذا الوصف بجميع بواطنهم و تمام ظواهرهم ﴿ و صدوكم ﴾ زيادة على كفرهم فى عمرة الحديبية هذه ١٠ ﴿ عن المسجد الحرام ﴾ أى مكة، و نفس المسجد الحرام، و الكعبة، للاخلال بما أنتم فيه من شعائر الاحرام [بالعمرة -[2]] ﴿ و الهدى ﴾ أى و صدوا ما أهديتموه إلى مكة المشرفة لتذبحوه بها و تفرقوه على الفقراء، و منه أربعون، و فى رواية: سبعون بدنة، كان أهداها النبى صلى الله عليه و سلم ﴿ معكوفا ﴾ أى حال كونه محبوسا مع رعيكم له ١٥ و إصلاحه [3]لما أهدى[3] لأجله ﴿ ان يبلغ محله[4] ﴾ أى الموضع الذى هو أولى المواضع لنحره، و هو الذى إذا أطلق انصرف الذهن إليه، و هو فى العمرة المروة، و يجوز الذبح فى الحج و العمرة فى أى موضع كان من الحرم، فالموضع الذى نحر فيه النبى صلى الله عليه و سلم فى هذه

(١) فى مد: يظهرهم (٢) زيد من مد (٣-٣) من ظ و مد، و فى الأصل: ما اهديتم.

المرة عند الإحصار ليس محله المطلق .

و لما كان التقدير : فلولا ما أشار إليه من ربط المسببات بأسبابها لسلطكم عليهم فغلبتموهم / على المسجد و أتممتم عمرتكم على ما أردتم ، ثم عطف [عليه -[1]] أمرا أخص[2] منه فقال : ﴿و لو لا رجال﴾ أى مقيمون بين أظهر الكفار بمكة ﴿مؤمنون﴾ أى [عريقون فى الإيمان فكانوا لذلك أهلا للوصف بالرجولية ﴿و نسآء مؤمنٰت﴾ أى -[3]] كذلك[4] حبس الكل عن الهجرة العذر لأن الكفار لكثرتهم استضعفوهم فمنعوهم الهجرة ، على أن ذلك شامل لمن جبله الله على الخير و علم منه الإيمان و إن كان فى ذلك الوقت مشركا ﴿لم تعلموهم﴾ أى لم[5] يحط علمكم بهم من جميع الوجوه لتميزوهم بأعيانهم عن المشركين [6]لأنهم ليس[6] لهم قوة التميز منهم بأنفسهم و أنتم لاتعرفون أما كنهم لتعاملوهم بما هم له أهل و لاسيما فى حال الحرب و الطعن و الضرب ، ثم أبدل من " الرجال و النساء " قوله : ﴿ان تطؤهم﴾ أى تؤذوهم بالقتل[7] أو ما يقاربه من الجراح و الضرب و النهب و نحوه من الوطء الذى هو الإيقاع بالحرب منه قوله صلى الله عليه و سلم " آخر وطأة وطئها الله بوج" يكون ذلك الأذى منكم لهم على [ظن -[1]] أنهم مشركون أذى الدائس لمدوس

/ ٨٦٠

(١) زيد من مد (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : خص (٣) زيد من ظ و مد.
(٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : لذلك (٥) ليس فى مد (٦ - ٦) من ظ و مد . و فى الاصل : لان (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : اى .

و تضغطوهم[1] و تأخذوهم أخذا شديدا بقهر و غلبة تصيرون به لا تردون[2] يد لامس و لا تقدرون على مدافعة ﴿ فتصيبكم ﴾ أى فيتسبب عن هذا الوطئ أن يصيبكم ﴿ منهم ﴾ أى من جهتهم و بسببهم ﴿ معرة ﴾ أى مكروه و أذى هو كالجرب فى انتشاره و أذاه، و إثم و خيانة بقتال دون إذن خاص، و بعدم الإمعان فى البحث، و غرم و كفارة وديـة و تأسف و تعيير ممن لا علم له، ثم علق بالوطئ المسبب عنه إصابة المعرة إتماما للمعنى قوله: ﴿ بغير علم ﴾ أى بأنهم[3] من المؤمنين .

و لما دلّ السياق على أن جواب "لولا"[4] محذوف تقديره: لسلطكم عليهم و ما كف أيديكم عنهم، و لكنه علم ذلك، و علم أنه سيؤمن ناس من المشركين فمن عليكم بأن رفع حرج إصابتهم بغير علم عنكم، و سبب لكم أسباب الفتح الذى كان يتوقع بسبب تسليطكم[5] عليهم بأمر سهل، و كف أيديكم و لم يسلطكم عليهم ﴿ ليدخل الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ فى رحمته ﴾ أى إكرامه و إنعامه ﴿ من يشآء ﴾ من المشركين بأن يعطفهم إلى الإسلام، و من المؤمنين بأن يستنقذهم منهم على أرفق وجه . و لما كان ذلك[6]، أنتج قوله تعالى: ﴿ لو تزيلوا ﴾ أى تفرقوا فزال أحد الفريقين عن الآخر زوالا[7] عظيما بحيث لا يختلط صنف

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: تضعفوهم (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: لا ترد (٣) من مد، و فى الأصل: بإيمانهم (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: او (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: تسلطكم (٦) زيد فى الأصل: كذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٧) فى مد: زولا .

بغيره فيؤمن وطئ المؤمنين له بغير علم ﴿ لعذبنا ﴾ أى بأيديكم بتسليطنا أو بمجرد ايدنا من غير واسطة ﴿ الذين كفروا ﴾ أى أوقعوا ستر الإيمان .

و لما كان هذا عاما لجميع من اتصف بالكفر من أهل الأرض ، صرح بما دل عليه السياق فقال : ﴿ منهم ﴾ أى الفريقين و هم الصادون ٥ ﴿ عذابا اليما ﴾ أى شديد الإيجاع بأيديكم أو من عندنا لتوصلكم إلى قصدكم من الاعتمار و الظهور على الكفار ، ففيه اعتذار[1] و تدريب على تأدب بعضهم مع بعض ، و فى الإشارة إلى بيان سر من أسرار منع الله تعالى لهم من التسليط[2] /عليهم حث للعبد[3] على أن لا يتهم[4] الله فى قضائه / ٨٦١ فربما عسر عليه أمرا يظهر له أن السعادة كانت فيه و فى باطنه سم ١٠ قاتل ، فيكون منع الله له منه رحمة فى الباطن و إن كان نقمة فى الظاهر ، فالزم التسليم مع الاجتهاد فى الخير و الحرص عليه و الندم على[5] فواته و إياك[6] و الاعتراض[6] ، و فى الآية أيضا [أن -[7]] الله تعالى قد يدفع عن الكافر لأجل المؤمن .

و لما بين شرط استحقاقهم للعذاب ، بين وقته ، و فيه بيان لعلته ، ١٥ فقال : ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ جعل الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما ترآى من الحق فى مرأى عقولهم ﴿ فى قلوبهم ﴾ أى قلوب أنفسهم ﴿ الحمية ﴾ أى

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : اعتداد (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : التسلط (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : للتعبد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : لا ياتيهم (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : فى (٦ - ٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : فى الاعراض (٧) زيد من مد .

المنع الشديد و الأنفة و الإباء الذى هو فى شدة حره و نفوذه فى أشد الأجسام كالسم و النار . و لما كان مثل هذه الحمية قد تكون موجبة للرحمة بأن تكون لله ، قال مبينا معظما لجرمها : ﴿حمية الجاهلية﴾ التى مدارها مطلق المنع[1] أى سواء كان بحق أو بباطل ، فتمنع من الإذعان للحق ، و مبناها التشفى[2] على مقتضى الغضب لغير الله فتوجب[3] تخطى حدود الشرع ، [4]و لذلك[4] أنفوا من دخول المسلمين مكة المشرفة لزيارة البيت [العتيق -[5]] الذى الناس فيه سواء ، و من الإقرار بالبسملة ، فأنتجت لهم هذه الحمية أن تكبروا عن كلمة التقوى و طاشوا و خفوا إلى الشرك الذى هو أبطل الباطل .

و لما كانت هذه الحمية مع الكثرة موجبة و لابد ذل من تصوب إليه و لاسيما إن كان قليلا ، بين دلالة على أن الأمر تابع لمشيئته لا لجارى العادة أنه تأثر عنها ضد ما تقتضيه عادة ، فقال مسببا عن هذه الحمية : ﴿فانزل الله﴾ أى الذى لا يغلبه شىء و هو يغلب كل شىء بسبب[1] حميتهم ﴿سكينته﴾ أى الشىء اللائق إضافته إليه سبحانه من الفهم عن الله و[7] الروح الموجب لسكون القلب المؤثر للاقدام على العدو و النصر عليه ، إنزالا كائنا ﴿على رسوله﴾ صلى الله عليه و سلم[8] الذى عظمته من عظمته ،

(١) من مد ، و فى الأصل و ظ : الجمع (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : الشقى (٣) زيد فى الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها . (٤-٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : فلذلك (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : تسبب (٧) من مد ، و فى الأصل و ظ : او (٨) زيد فى الأصل و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

ففهم عن الله مراده فى هذه القضية فجرى على أتم ما يرضيه ﴿وعلى المؤمنين﴾ رضى الله تعالى عنهم[1] العريقين فى الإيمان لأنهم أتباع رسوله صلى الله عليه و سلم و أنصار دينه فألزمهم قبول أمره الذى [فهمه عن الله و -[2]] خفى عن أكثرهم حتى [فهمتموه -[2]] صلى الله عليه و سلم عند نزول سورة الفتح و حماهم عن همزات الشياطين ، و لم يدخلهم ما دخل ٥ الكفار من الحمية ليقاتلوا غضبا لأنفسهم فيتعدوا حدود الشرع ﴿و ألزمهم﴾ أى المؤمنين إلزام إكرام أو تشريف ، لا إلزام إهانة و تعنيف ﴿ كلمة التقوى﴾ و هى كل قول أو فعل ناشئ عن التقوى و إعلاء كلمة الإخلاص المتقدم فى سورة القتال و هى لا إله إلا الله التى هى أحق الحق ، يقتضى التحقق بمدلولها من أنه لا فاعل إلا الله الثبات على كل ما أخبر به رسول الله ١٠ صلى الله عليه و سلم / من التوحيد و البسملة و الرسالة مع تغيير الكتابة / ٨٦٢ بكل منهما لأجل الكفار فى ذلك المقام الدحض الذى لا يكاد يثبت فيه قدم ، و أضافها إلى التقوى التى هى اتخاذ ساتر يقى حر النار فجعلها وصفا لازما لهم غير منفك عنهم لأنها سببها الحامل عليها ، و يجمع الحامل على التقوى اعتقاد الوحدانية و هى لا إله إلا الله[3] فانها كلمة - ١٥ كما قال الرازى - أولها نفى الشرك و آخرها تعلق بالإلهية ، و هذا من أعلام النبوة ، فان أهل الحديبية الذين ألزموا هذه الكلمة ماتوا كلهم

(١) زيد فى الأصل : و هم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل : وحده لاشريك له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها .

على الإسلام ﴿ وكانوآ ﴾ أى جبلة و طبعا . و لما كان من الكفار من يستحقها فى علم الله فيصير مؤمنا . عبر بأفعل التفضيل فقال تعالى : ﴿ احق بها ﴾ أى كلمة التقوى من الكفار و الأعراب و غيرهم من جميع الخلق ، و لمثل هذا التعميم [1] أطلق الأمر بحذف المفضل عليه [2].

٥ و لما كان الأحق بالشىء قد لا يكون أهله من أول الأمر قال تعالى: ﴿ و اهلها [4] ﴾ أى ولاتها و الملازمون لها ملازمة العشير بعشيره و الدائنون لها و الآلفون لها. و لما كان الحكم بذلك لا يكون إلا لعالم قال عاطفا على ما تقديره : لما علم الله من صلاح قلوبهم و صفائها : ﴿ وكان الله ﴾ أى المحيط [3] بالكائنات كلها [3] علما و قدرة ﴿ بكل شىء ﴾

١٠ من ذلك و غيره [4] ﴿ عليما ﴾ أى محيط العلم [5] [3] الدقيق و الجلى [3] ، و الآية من الاحتباك : ذكر حمية الجاهلية أولا دليلا على ضدها ثانيا ، و كلمة التقوى ثانيا دليلا على ضدها أولا ، و سره أنه ذكر مجمع الشر أولا ترهيبا منه و مجمع الخير ثانيا ترغيبا فيه . و لما [6] قرر سبحانه و تعالى علمه [6] بالعواقب لإحاطة علمه و وجه أسباب كفه أيدى الفريقين و بين ما فيه من المصالح

١٥ و ما فى التسليط من المفاسد من قتل [7] من حكم بإيمانه من المشركين و إصابة

---

(١) من مد ، وفى الأصل وظ : التنعيم (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : علته . (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : غير (٥) من ظ ومد ، وفى الأصل : التام (٦-٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : تقرر علمه سبحانه و تعالى (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : قبل .

من لا يعلم[1] من المؤمنين ـ و غير ذلك إلى أن ختم باحاطة علمه المستلزم لشمول قدرته، أنتج ذلك قوله لمن توقع الإخبار عن الرؤيا التى أقلقهم أمرها و كاد بعضهم أن يزلزله ذكرها على سبيل التأكيد: ﴿لقد﴾.

و لما كان للنظر إلى الرؤيا اعتباران: أحدهما من جهة الواقع و هو غيب[2] عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين. و الآخر من جهة الإخبار ٥ و هو مع الرؤيا شهادة بالنسبة إليه سبحانه و تعالى، عبر بالصدق و الحق فقال تعالى: ﴿صدق الله﴾ أى الملك الذى لا كفوء له المحيط بجميع صفات الكمال ﴿رسوله﴾ صلى الله عليه و سلم الذى هو أعز الخلائق عنده و هو غنى عن الإخبار عما لا يكون أنه يكون، فكيف إذا كان المخبر رسوله ﴿الرءيا﴾ التى هى من الوحى لأنه سبحانه يرى الواقع و يعلم مطابقتها ١٠ فى أنكم تدخلون المسجد الحرام آمنين يحلق بعض و يقصر[3] آخرون، متلبسا خبره و رؤيا رسوله صلى الله عليه و سلم ﴿بالحق ج﴾ لأن مضمون الخبر إذا وقع فطبق بين الواقع و بينه، كان الواقع يطابقه لايخرم[4] شىء منه[5] عن شىء منه[5] /، و الحاصل أنك إذا نسبتها للواقع طابقته فكان صدقا، / ٨٦٣ و إذا نسبت الواقع إليها طابقها فكانت[6] حقا. ١٥

(١) من مد، و فى الأصل و ظ: علم له (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: غيبا (٣) من ظ و مد، و فى الأصل: تقصير (٤ ـ ٤) من مد، و فى الأصل و ظ: منه شىء (٥) زيد فى الأصل: انتهى. و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: فى الحقيقة، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

و لما أقسم لأجل التأكيد لمن [1]كاد يتزلزل[1]، أجابه بقوله مؤكدا بما يفهم القسم أيضا إشارة إلى عظم الزلزال: ﴿ لتدخلن ﴾ أى بعد هذا دخولا [فد [2]] تحتم أمره ﴿ المسجد ﴾ أى الذى يطاف [3]فيه بالكعبة[3] و لا يكون دخوله إلا بدخول الحرم ﴿ الحرام ﴾ أى[4] الذى ٥ أجاره الله من امتهان الجبابرة و منعه من كل ظالم.

و لما كان لايجب عليه سبحانه و تعالى شيء و إن وعد به، أشار إلى ذلك بقوله تأديبا لهم أن يقول أحد منهم بعد ذلك: ألم يقل أننا ندخل البيت و نحو ذلك، و لغيرهم[5] أن يقول: نحن ندخل: ﴿ان شآء الله﴾ اى الذى له الإحاطة بصفات الكمال، حال كونكم ﴿[6]امنين[6]﴾ ١٠ لاتخشون [إلا -[6]] الله منقسمين بحسب التحليق و التقصير إلى قسمين ﴿ محلقين رءوسكم ﴾ و لعله أشار بصيغة التفعيل الى أن فاعل الحلق[7] كثير، و كذا ﴿و مقصرين[6]﴾ غير أن التقديم يفهم أن الأول أكثر.

و لما كان الدخول حال الأمن لايستلزم الأمن بعده قال تعالى: ﴿ لا تخافون [6] ﴾ أى لايتجدد لكم خوف بعد ذلك إلى أن تدخلوا ١٥ عليهم عام الفتح قاهرين [8]لهم بالنصر[8]. و لما كان من المعلوم أن سبب هذا الإخبار إحاطة العلم، فكان التقدير: هذا أمر حق يوثق به غاية

(١-١) من ظ و مد، و فى الأصل: كان مزلزلا (٢) زيد من مد (٣-٣) من مد، و فى الأصل و ظ: به بالكعبة (٤) سقط من ظ (٥) من مد، و فى الأصل و ظ: لغيره (٦) زيد من ظ و مد (٧) فى الأصل و ظ بياض ملأناه من مد (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ.

الوثوق لأنه إخبار عالم الغيب و الشهادة، صدق سبحانه فيه، و ما ردكم عنه هذه الكرة على هذا الوجه إلا لأمور دبرها و شئون أحكمها و قدرها، قال عاطفا على " صدق[1] " مسببا عنه أو معللا: ﴿ فعلم ﴾ أى بسبب، أو لأنه علم من أسباب الفتح و موانعه و بنائه[2] على الحكمة ﴿ ما لم تعلموا ﴾ أى أيها[3] الأولياء ﴿ فجعل ﴾ أى[3] بسبب إحاطة علمه ﴿ من دون ﴾ أى أدنى رتبة [من - [4]] ﴿ ذلك ﴾ اى الدخول العظيم فى هذا العام ﴿ فتحا قريبا ﴾ يقويكم به من فتح خيبر و وضع الحرب بين العرب بهذا الصلح، و اختلاط بعض الناس بسبب[5] ذلك ببعض، الموجب لإسلام[6] بشر كثير تتقوون بهم، فتكون تلك الكثرة و القوة سبب هيبة الكفار المانعة لهم من القتال، فتقل القتلى رفقا بأهل حرم الله تعالى إكراما لهذا النبى الكريم صلى الله عليه و سلم عن إغارة قومه و إصابة من عنده[7] من المسلمين المستضعفين من غير علم.

و لما اخبر بهذه الامور الجليلة الدقيقة المبنية على إحاطة العلم، عللها سبحانه و بين الصدق فيها بقوله تعالى: ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى ارسل رسوله[8] ﴾ اى الذى[9] لا رسول أحق منه باضافته إليه

(١) زيد فى الأصل: الوعد، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: بيانه (٣) سقط من ظ و مد (٤) زيد من مد. (٥) زيد فى الأصل: عن، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: باسلام (٧) من ظ و مد، و فى الأصل: عندهم. (٨) وقع فى الأصل بعد: « باضافته اليه » و الترتيب من ظ و مد (٩) من ظ و مد، و فى الأصل: رسولا.

ـ صلى الله عليه و سلم ﴿ بالهدى[1] ﴾ الكامل الذى يقتضى أن[2] يستقيم به أكثر الناس ، و لو أنه أخبر بشيء يكون فيه أدنى مقال[3] لم يكن الإرسال[4] بالهدى ﴿ و دين الحق ﴾ أى الأمر الثابت الكامل فى الثبات الذى يطابقه الواقع ﴿ ليظهره ﴾ أى دينه ﴿ على الدين كله[5] ﴾ دين أهل مكة [و ـ[6]] العرب عباد الأصنام ، الذى يقتضى / إظهاره عليه[6] ٨٦٤/ ٥ دخوله إليها آمنا ، و إظهاره على من سواهم من أهل الأديان الباطلة بأيدى صحابته الأبرار و التابعين[7] لهم باحسان إظهارا يتكامل بنزول عيسى عليه الصلاة و السلام مع الرفق بالخلق و الرحمة لهم ، فلا يقتل إلا من لاصلاح له أصلا ، و على قدر الجبروت يحصل القهر ، فلأجل ذلك هو ١٠ يدبر أمره بمثل هذه الأمور التى توجب نصره و تعلى[8] قدره مع الرفق بقومه و جميل الصنع لأتباعه ، فلا بد أن تروا من فتوح أكثر البلاد و قهر الملوك الشداد ما تعرفون به قدرة الله سبحانه و تعالى .

و لما كان فى سياق إحاطة العلم ، و كان التقدير : شهد ربه سبحانه بتصديقه[9] فى كل ما قاله بإظهار المعجزات على يده ، بنى عليه قوله تعالى

---

(١) ليس فى الأصل (٢) من مد ، و فى الاصل و ظ : انه (٣) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : الا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد من ظ و مد (٦) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليهم (٧) زيد فى الأصل و ظ : و التابعى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٨) من مد ، و فى الأصل و ظ : تعالى (٩) من ظ و مد ، و فى الأصل : بتصديق .

﴿ و كفى بالله ﴾ أى الذى له الإحاطة بجميع صفات[1] الكمال ﴿شهيدا[4]﴾ أى ذا رؤية و خبرة بطية كل شىء و دخلته لما له[2] الغنا فى أمره، و لا شهيد فى الحقيقة إلا هو سبحانه لأنه [3]لا إحاطة و خبرة و رقبة[3] إلا له سبحانه، و هو يشهد بكل ما أخبر به رسوله صلى الله عليه و سلم فى هذه الصورة خصوصا و فى غيرها عموما. ٥

و لما[4] ختم سبحانه بإحاطة العلم بالخفايا و الظواهر فى الإخبار بالرسالة، عينها فى قوله جوابا لمن يقول: من الرسول المنوه باسمه[5]: ﴿محمد رسول الله[4]﴾ أى الملك الذى لا كفوء له، فهو[6] الرسول الذى لا رسول يساويه لأنه رسول إلى جميع الخلق ممن أدرك زمانه بالفعل فى الدنيا و من تقدمه بالقوة فيها و بالفعل فى الآخرة يوم يكون الكل تحت لوائه، و قد أخذ ١٠ على الأنبياء كلهم الميثاق بأن يؤمنوا به إن أدركوه، و أخذ ذلك الأنبياء على أممهم، لا يكتب الرحمة التى وسعت كل شىء إلا لمن وقع العلم بالمحيط بأنه يؤمن به. فما عمل عامل عملا صالحا إلا كان له مثل أجره، تقدم ذلك العامل أو تأخر، كان من أهل السماء أو من أهل الأرض،

(١) زيد فى الأصل: الجمال و الجلال، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.
(٢) من مد، و فى الأصل و ظ: فيه (٣ - ٣) من ظ و مد، و فى الأصل: الاحاطة و حيره و رونته - كذا (٤) زيد فى الأصل: اخبر و، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) زيد فى الأصل: فقال تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: و رسوله هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها.

و هذا أمر لا يحصيه إلا الله سبحانه و تعالى ، و أشار بذلك إلى هذا الاسم بخصوصه فى سورة الفتح إلى أنه صلى الله عليه و سلم هو الختام - بما أشارت إليه الميم التي مخرجها ختام المخارج ، و هي محيطة بما أشارت إليه صورته ، و كررت فى الاسم [1]بعده غاية[1] التأكيد ، و هو ثلاث - كما أشار إليه اسمه : أحمد - إلى أنه مع كونه خاتما فهو فاتح بما أشار إليه قوله صلى الله عليه و سلم "كنت أولهم خلقا و آخرهم بعثا" و اختصت به سورة الصف ليعادل ذلك بتصريح المبشر به عليه[2] الصلاة و السلام بالبعدية فى قوله "رسول يأتى من بعدى اسمه احمد" و أشارت الميم أوله ايضا إلى بعثه عند الأربعين ، و ما بقى من حروفه و هى حمد يفيد[5] له كمال[3] الحمد بالفعل فى السنة الثانية و الخمسين من عمره و هى الثانية [6]عشرة من نبوته[6] ببيعة الأنصار رضى الله عنهم ، و قد أشارت هذه السورة إلى كلمة الإخلاص تلويحا بما ذكرت من كلمة الرسالة تصريحا و بطنت[7] سطوة الإلهية [4]و ظهرت[8] الرحمة المحمدية - كما أشارت القتال إلى الرسالة تلويحا [و صرحت بسطوة الإلهيه -[9]] بكلمة الإخلاص و الناشئة[10] عن

(١ - ١) من مد ، و فى الاصل و ظ : بعد دعائه (٢) من ظ و مد ، و فى الأصل : عليهم (٣) من مد ، و فى الأصل و ظ : بالتعدية (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : يبتدأ (٥) من مد ، و فى الأصل و ظ : كما (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل و ظ : عشر ثبوته - كذا (٧) من ظ و مد ، و فى الأصل : تطوب (٨-٨) من ظ و مد ، و فى الأصل : فظهرت (٩) زيد من ظ و مد .
(١٠) فى ظ و مد : الناسبة .

القتال تصريحا ، و قد تقدم فى القتال نبذة من اسرار الكلمتين[1] . و لما ذكر الرسول ذكر المرسل إليهم فقال تعالى : ﴿ و الذين معه ﴾ أى بمعية الصحبة من أصحابه و حسن التبعية من التابعين لهم باحسان . و لما كان شرف القوم شرفا لرئيسهم ، مدحهم بما يشبهه فقال تعالى : ﴿ اشدآء على الكفار ﴾ فهم لا تأخذهم بهم رأفة بل هم معهم كالأسد على فريسته ، لأن الله أمرهم بالغلظة عليهم ﴿ رحمآء بينهم ﴾ كالوالد مع الولد ، لأن الله تعالى أمرهم باللين للمؤمنين ، و لامؤمن فى زمانهم إلا من كان من اهل دينهم ، فهم يحبهم و يحبونه بشهادة آية المائدة .

و لما كان هذا بخلاف ما وصفت به الأمم الماضية من أنهم ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، فكان عجبا ، بين الحامل عليه بقوله : ﴿ تريهم ﴾ أى أيها الناظر لهم ﴿ ركعا سجدا ﴾ أى دائمى الخضوع فأكثر أوقاتهم صلاة قد غلبت صفة الملائكة على صفاتهم الحيوانية ، فكانت الصلاة امرة لهم بالخير مصفية عن كل نقص و ضير[2] .

و لما كانت الصلاة مما يدخله الرياء ، بين إخلاصهم بقوله : ﴿ يبتغون ﴾ أى يطلبون بذلك و غيره من جميع أحوالهم بغاية جهدهم تغليبا لعقولهم على شهواتهم و حظوظهم ﴿ فضلا ﴾ أى زيادة من الخير ﴿ من الله ﴾ اى الذى له الإحاطة بصفات الكمال و الجمال الذى اعطاهم ملكة الغلظة على الكفار بما وهبهم من جلاله و الرقة على أوليائه بما اعطاهم من

(١) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : يمنعه (٣) من ظ و مد ، و فى الأصل : صبين .

رحمته التى هيأهم بها للاحسان إلى عياله فنزعوا الهوى من صدورهم فصاروا يرونه وحده سيدهم المحسن إليهم لايرون سيدا غيره، و لامحسن سواه. و لما ذكر عبادتهم و طلبهم الزيادة منها و من غيرها من فضل الله الذى لايوصل إلى عبادته إلا بمعونته، أتبعه المطلوب الأعلى فقال: ﴿و رضوانا﴾ أى رضاه منه عظيما.

و لما ذكر كثرة عبادتهم و أتبعها إخلاصهم فيها اهتماما به لأنه لايقبل عملا بدونه، دل على كثرتها بقوله: ﴿سيماهم﴾ أى علامتهم التى لاتفارقهم ﴿فى وجوههم﴾ ثم بين العلامة بقوله: ﴿من اثر السجود﴾ فهى نور يوم القيامة - رواه الطبرانى[1] عن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم[2] - هذا مع ما لهم من مثل ذلك فى الدنيا من أثر الخشوع و الهيبة بحيث أنه إذا رئى أحدهم أورث لرائيه[3] ذكر الله، و إذا قرأ أورثت قراءته حزنا و خشوعا و إخباتا و خضوعا، و إن كان رث الحال ردىء الهيئة، و لايظن أن من السيما ما يصنعه بعض المرائين من هيئة أثر سجود فى جبهته، فاذاً ذلك من سيما الخوارج، و فى نهاية ابن الأثير [فى تفسير -[4]] الثفن[5]: و منه حديث أبى الدرداء رضى الله عنه: رأى رجلا بين عينيه [مثل -[6]] ثفنة العنز، فقال: لو لم يكن هذا لكان خيرا - يعنى كان على جبهته أثر السجود، / و إنما كرهها خوفا من الرياء بها، و قد روى صاحب الفردوس عن أنس رضى الله عنه

٨٦٦ /

(١) سقط من ظ (٢) راجع مجمع الزوائد ٧/ ١٠٧ (٣) من مد، و فى الأصل وظ: لمرايه (٤) زيد من ظ و مد (٥) راجع ١/ ١٠٠ (٦) زيد من مد و النهاية.

عن[١] النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال[٢]: إني لأبغض الرجل و أكرهه إذا رأيت بين عينيه أثر السجود[٣].

و لما أتم وصفهم بهذا الأمر الذي لا يقدر عليه أحد إلا من صفاه الله من جميع حظوظه و شهواته، أشار إلى علوه فقال: ﴿ذلك﴾ أي هذا الوصف العالي جدا البديع المثال البعيد المنال ﴿مثلهم في التوراة ج﴾ ٥ فانه[٤] قال فيها: اتانا ربنا من سينا و شرق لنا من جبل ساعير، و ظهر لنا من جبل فاران، معه ربوات[٥] الاطهار على يمينه، أعطاهم و حببهم إلى الشعوب و بارك على جميع اطهاره و هم يتبعون آثارك. فظهوره من فاران صريح في نبوة محمد صلى الله عليه و سلم فانه لم يأت منها - و هي جبال مكة باتفاقهم - بعد نزول التوراة بالنبوة غيره صلى الله عليه و سلم، ١٠ و ربوات الاطهار إشارة إلى كثرة أمته، و أنهم في الطهارة كالملائكة، و أيد ذلك جعلهم من أهل اليمين، و وصفهم بالتحبيب إلى الشعوب، فكل ذلك دال على ما وصفوا به منا من شهادة الوجود - هذا [مع -[٦]] ما وجدته في التوراة بعد تبديلهم لما بدلوا منها و إخفائهم كما قال [الله -[٧]] تعالى لكثير[٨]، و روى[٩] أصحاب فتوح[٩] البلاد في فتح بيت المقدس ١٥ عن كعب الأحبار أن سبب إسلامه أن أباه [كان -[١٠]] أخبره أنه ذخر[١١]

---

(١) في ظ: ان (٢) سقط من ظ (٣) الحديث في تلخيص مسند الفردوس تحت رقم ٢٧٤١ (٤) من مد، و في الأصل و ظ: فانها (٥) من ظ و مد، و في الأصل: روات (٦) زيد من ظ (٧) زيد من مد (٨) في مد: الكثير (٩-٩) من مد، و في الأصل: فتحوح أصحاب، و في ظ: فتوج أصحاب (١٠) زيد من ظ و مد (١١) من ظ و مد، و في الأصل: ادخر.

عنه ورقتين جعلهما فى كوة و طين عليهما، و أمره أن يعمل بهما بعد موته، قال: فلما مات فتحت عنهما فاذا فيهما: محمد رسول الله خاتم النبيين لا نبى بعده مولده بمكة و مهاجره[1] بطيبة ليس بفظ و لا غليظ و لا سخاب فى الأسواق، و لا يجزى السيئة بالسيئة، و لكن يجزى بالسيئة الحسنة و يعفو و يغفر و يصفح، و إن[2] أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شىء و على كل حال، و يذلل ألسنتهم بالتكبير، و ينصر الله نبيهم على كل من ناواه، يغسلون فروجهم بالماء، و يؤتزرون على أواسطهم، و أناجيلهم فى صدورهم، يأكلون قربانهم[3] فى بطونهم و يؤجرون عليها، تراحمهم بينهم تراحم بين الأم و الأب، و هم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم، هم السابقون المقربون و الشافعون و المشفع لهم. و أصله فى الصحيح عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما و فى الدارمى عن كعب هذا، و لأصحاب الفتوح عن سمرة بن حوشب عن كعب قال: قلت لعمر رضى الله عنه و هو بالشام عند انصرافه: يا أمير المؤمنين! إنه مكتوب فى كتاب الله «إن هذه البلاد التى كان فيها بنو إسرائيل و كانوا أهلها مفتوحة على رجل من الصالحين، رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين، سره مثل علانيته، و علانيته مثل سره، و قوله لا يخالف فعله، و القريب و البعيد عنده فى الحق سواء، أتباعه رهبان بالليل أسد بالنهار، متراحمون متباذلون» فقال عمر: ثكلتك / أمك أحق ما تقول؟ قلت: أى و الذى /٨٦٧

(١) من مد، و فى الاصل و ظ: مهاجرته (٢) سقط من ظ و مد (٣) من ظ و مد، و فى الاصل: قرناهم.

أنزل التوراة على موسى و الذى يسمع ما نقول! إنه لحق ، فقال عمر : فالحمد لله الذى أعزنا و شرفنا و أكرمنا و رحمنا بمحمد صلى الله عليه و سلم و رحمته[1] التى وسعت كل شىء - هذا على أن المراد بالمثل الوصف ، و يمكن أن يكون على حقيقته ، و يكون الذى فى التوراة ما ترجمته "هم على أعدائهم كقرن الحديد و فيما بينهم فى النفع و التواصل كالماء و الصعيد ، و لربهم كخامة الزرع مع الريح و الصديق النصيح[2] ، و فى الإقبال على الآخرة كالمسافر الشاحب و الباكى الناحب" فعبر عنه فى كتابنا بما ذكر .

و لما ذكر مثلهم فى الكتاب الأول ، أتبعه الكتاب الثانى الذى هو ناسخ ليعلم أنه قد[3] أخذ على كل ناسخ لشريعته[4] أن يعرفهم لأمته ليتبعوهم إذا دعوهم فقال : ﴿ و مثلهم فى الانجيل[5] ﴾ أى الذى نسخ الله به بعض أحكام التوراة ﴿ كزرع ﴾ أى مثل زرع ﴿ اخرج شطأه ﴾ أى فراخه و ورقه و ما خرج حول أصوله ، فكان ذلك كله مثله .

و لما ذكر هذا الإخراج سبب عنه قوله ﴿ فآزره ﴾ أى فأحاط به الشطأ ، فقواه و طهره من غير نبتة نبتت عنه فتضعفه و [5]ساواه و حاذاه[5] و عاونه ، و يظهر أن قراءة الهمزة بالمد[6] على المفاعلة أبلغ من قراءة ابن عامر بالقصر ، لأن الفعل إذا كان بين اثنين يتجاذبانه كان الاجتهاد[7]

(١) من ظ و مد ، و فى الأصل : رحمة (٢) من مد ، و فى الأصل و ظ : التصحيح (٣) سقط من ظ و مد (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : بشريعته (٥-٥) من مد ، و فى الأصل : سواه وحدده ، و فى ظ : سواه و حاذاه .
(٦) راجع نثر المرجان ٦ /٦٥٥ (٧) فى مد : الجهاد .

فيه أكثر، ثم سبب عن المؤازرة قوله: ﴿ فاستغلظ ﴾ أى فطلب المذكور من الزرع و الشطأ[1] الغلظ و أوجده[2] فتسبب عن ذلك اعتداله[3] ﴿ فاستوى ﴾ أى وجد فيه القيام العدل وجودا عظيما [كأنه -[4]] كان بغاية الاجتهاد و المعالجة ﴿ على سوقه ﴾ أى قصبه، جمع ساق،
٥ و هو ما قام عليه الشيء، حال كون هذا المذكور من الزرع و الشطأ ﴿ يعجب الزراع ﴾ و يجوز كونه استئنافا للتعجب منه و المبالغة فى مدحه و إظهار السرور فى أمره، و إذا أعجبهم[5] و هم فى غاية العناية بأمره و التفقد لحاله و الملابسة له و معرفة معانيه كان[6] لغيرهم أشد إعجابا، و مثل لأنهم يكونون قليلين ثم يكثرون مع البهجة فى عين الناظر لما لهم
١٠ من الرونق[7] الذى منشأه نور الإيمان و ثبات الطمأنينة و الإيقان و شدة الموافقة[7] من بعضهم لبعض، و نفى المخالف لهم و إبعاده، و قد تقدم فى هذا الكتاب فى آخر المائدة أمثال ضربت فى الإنجيل بالزرع أقربها إلى هذا مثل حبة[8] الخردل فراجعه.

و لما أنهى سبحانه [مثلهم -[9]]، ذكر الثمرة فى جعلهم كذلك
١٥ فقال: ﴿ ليغيظ ﴾ معلقا له بما يؤخذ من معنى الكلام و هو جعلهم

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى مد فحذفناها (٢) من مد، و فى الأصل و ظ: حده (٣) زيد فى الأصل: فقال تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) زيد من مد (٥) زيد فى الأصل: فى امره، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٦) من ظ و مد، و فى الأصل: كما (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و مد، و فى الأصل: جة (٩) زيد من ظ و مد.

كذلك لأجل أن يغيظ ﴿بهم﴾ أى غيظا شديدا[1] بالغ القوة و الإحكام ﴿الكفار[2]﴾ و ذلك أنهم لما كانوا أول الأمر قليلا، كان الكفار طامعين[3] فى أن لا يتم لهم أمر، فكلما ازدادوا[3] كثرة مع تمادى الزمان زاد غيظ الكفار منهم، فكيف إذا رأوا مع الزيادة و القوة منهم حسنا و نضارة و رونقا و بهجة، فهو[4] فى الغيظ مما [لو -[5]] كانوا فى أول الأمر كثيرا لأنه كان يكون دفعه و يقصر زمنه، / فمن أبغض صحابيا خيف عليه الكفر لأنهم أول مراد بالآية، و غيرهم بالقصد الثانى و بالتبع[6]، و من أبغضهم كلهم كان كافرا، و إذا حملناه على غيرهم كان دليلا على أن كل[7] من خالف الإجماع كفر - قاله القشيرى. ٨٦٨/

و لما تم مثلهم و علة جعلهم كذلك، بشرهم فقال فى موضع وعدهم[8] لتعليق الوعد بالوصف على عادة القرآن ترغيبا فى التمسك به و ترهيبا من مجانبته: ﴿وعد الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿الذين آمنوا﴾ و لما كان الكلام فى الذين معه صلى الله عليه و سلم، و كانت المعية ظاهرة فى الاتحاد فى الدين لم تكن شاملة للمنافقين، فلم يكن الاهتمام[9] بالتقييد بمنهم هنا

(١) فى مد: عظيما (٢) من مد، و فى الأصل: ذاعنين، و فى ظ: طاغين. (٣) زيد فى الأصل: مع، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل و ظ: وهو (٥) زيد من مد (٦) من مد، و فى الأصل و ظ: بالتبيع (٧) ليس فى مد (٨) من مد، وفى الأصل وظ: وعدم (٩-٩) من مد، و فى الأصل: بالقصد هنا منهم، و فى ظ: بالقصد هنا.

كالاهتمام به فى سورة النور ، فأخره و قدم العمل لأن العناية [به -[1]] هنا أكثر ، لأنه من سيماهم المذكورة[2] فقال : ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا لدعواهم الكون معه فى الدين ﴿ الصٰلحٰت ﴾ و لما كان قوله « معه[3] » يعم كما مضى من بعد الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، و كان الخلل فيمن بعدهم كثيرا ، قيد بقوله : ﴿ منهم ﴾ أى من الذين معه صلى الله عليه و سلم سواء كانوا من أصل الزرع أو فراخه التى أخرجها و هم التابعون[4] لهم باحسان .

و لما كان الإنسان و إن اجتهد مقصرا عن بلوغ ما يحق له من العبادة ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ مغفرة ﴾ أى لما يقع منهم من الهفوات أو الذنوب و السيئات ﴿ و اجرا عظيما ﴾ بعد ذلك الستر ، و قد جمعت هذه الآية الخاتمة لهذه السورة جميع حروف المعجم بشارة تلويحية مع ما فيها من البشائر[5] التصريحية باجتماع أمرهم و علو نصرهم ، و ذلك أنه لما كانت هذه العمرة قد حصل لهم فيها كسر لرجوعهم قبل وصولهم إلى قصدهم من الدخول إلى مكة المشرفة و الطواف بالبيت العتيق ، و لم يكن ذلك بسبب خلل أتى من قبلهم كما كان فى غزوة أحد على ما مضى من[6] بيانه فى آل عمران التى هى سورة التوحيد الذى كلمته

(١) زيد من مد (٢) من مـد ، و فى الأصل و ظ : المذكور (٣) زيد فى الأصل : يدل و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل و ظ : التابعين (٥) من مـد ، و فى الأصل و ظ : البشارة . (٦) سقط من ظ .

كلمة التقوى عند الآية الثانية لهذه، بشرهم سبحانه بما فى هذه السورة من البشائر الظاهرة تصريحا و بما فى هذه الآية الخاتمة من جمعها لجميع حروف المعجم تلويحا إلى أن أمرهم لابد من تمامه، و اشتداد سلكه و انبرامه، و اتساق شأنه و انتظامه، و خفوق ألويته و أعلامه، و افتتحها بميم "محمد" و هى مضمومة، و ختمها بميم "عظيما" المنصوبة إشارة ٥ بما للميم من الختام بمخرجها إلى أن تمام الأمر قد دنا جدا[1] إبانه، و حضر زمانه، و بما فى أولها من الضم إلى رفعة دائمة فى [حمد -[2]] كثير، و بما فى آخرها من النصب إلى تمام الفتح و انتشاره، و قربه و اشتهاره، على وجه عظيم، و شرف فى علو جسيم، و أومأ تدويرها إلى أنه أمر لا انتهاء له، بل كلما ختم ابتدأ، و قد ظهر من هذا و ما فى صريح ١٠ الآية من القوة المعزة للمؤمنين المذلة للكافرين رد مقطعها على مطلعها بالفتح للنبى صلى الله عليه و سلم و التسكين العظيم [لأصحابه -[3]] رضى الله عنهم، و الرحمة و المغفرة و الفوز العظيم لجميع أتباعه و أنصاره و أشياعه رضى الله تعالى عنهم أجمعين، و جعلنا[4] بمنه و كرمه منهم[5]، و هذا آخر القسم الأول من القرآن، و هو المطول، و قد ختم - كما ترى - بسورتين ١٥ هما فى الحقيقة للنبى صلى الله عليه و سلم، و حاصلهما الفتح له بالسيف

(١) من ظ و مد، و فى الأصل: حمدا (٢) زيد من مد، و فى ظ: محمد.
(٣) زيد من مد (٤) زيد فى الأصل: الله تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فجعلناها (٥) من ظ و مد، و فى الأصل: من اتباعهم.

و النصر على من قاتله ظاهرا كما ختم الثانى المفصل بسورتين هما نصرة له صلى الله عليه و سلم بالحال على من قصده بالضر باطنا - [1]و الله الهادى للصواب و إليه المرجع و المآب و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه[1] . [2]

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و مد (٢) زيد فى الأصل بعده : و قد تم الجزء الرابع من المناسبات للشيخ العالم العلامة البقاعى عفا الله تعالى عنه و نفعنا به و بعلومه فى الدين و الدنيا و الآخرة و رضى الله عن العلماء العاملين و التابعين لهم أجمعين آمين .

و وافق الفراغ من كتابته فى يوم الأحد سابع عشرى محرم الحرام افتتاح سنة سبع و تسعين و ألف - يتلوه سورة الحجرات إن شاء الله تعالى .

١/ بسم الله الرحمن الرحيم [١]

سورة الحجرات [٢]

مقصودها الإرشاد إلى مكارم الأخلاق بتوقير النبي صلى الله عليه و سلم بالأدب معه فى نفسه و فى أمته، و حفظ ذلك من إجلاله بالظاهر [ليكون ـ [٣]] دليلا على الباطن فيسمى إيمانا، كما أن الإيمان [بالله ـ [٣]] يشترط فيه فعل [٤] الأعمال الظاهرة و الإذعان لفعلها بشرائطها و أركانها و حدودها لتكون [٥] بينة على الباطن و حجة شاهدة له " الم احسب الناس ان يتركوا ٥ ان يقولوا آمنا [و ـ [٣]] هم لا يفتنون " فحاصل مقصودها مراقبة النبي صلى الله عليه و سلم فى الأدب معه لأنها أول المفصل الذى هو [٦] ملخص

---

(١) زيد فى الأصل بعده: اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، الحمد لله رب العالمين و العاقبة للمتقين و لا عدوان إلا على الظالمين، و أفضل الصلاة و أتم التسليم على سيدنا محمد خاتم النبيين و المرسلين و على آله و صحبه و أهل بيته الطيبين الطاهرين (٢) التاسع و الأربعون من سور القرآن الكريم، مدنية، و عدد آيها ١٨ بلا خلاف، و من هنا ترافقنا نسخة مد فقط، و أما نسخة م فانقطعت عنا ـ كما نبهنا عليه ـ الى سورة المجادلة، و أما نسخة ظ فهى الأخرى انقطعت من هنا إلى سورة الرحمن (٣) زيد من مد (٤) فى مد: نقل (٥) من مد، و فى الأصل: لكون (٦) زيد فى الأصل: مقصود انه، و لم تكن الزيادة فى مد لحذفناها.

القرآن كما كان مقصود الفاتحة التى هى أول القرآن مراقبة الله، و ابتدئى ثانى[1] المفصل بحرف من الحروف المقطعة كما ابتدئى ثانى[2] ما عداه بالحروف المقطعة، و اسمها الحجرات واضح الدلالة على ذلك بما[3] دلت عليه [آيته -[4]] ﴿ بسم الله ﴾ الملك الجبار المتكبر الذى من أخل بتعظيم
٥ رسوله صلى الله عليه و سلم لم يرض عنه عملا ﴿الرحمن﴾ الذى من عموم رحمته إقامة الآداب للتوصل إلى حسن المآب ﴿الرحيم﴾ الذى خص أولى الألباب بالإقبال على ما يوجب [لهم -[4]] جميل الثواب[5].

لما نوه سبحانه فى القتال بذكر النبى صلى الله عليه و سلم و صرح فى ابتدائها باسمه الشريف و سمى السورة به، و ملأ[5] سورة الفتح بتعظيمه،
١٠ و ختمها[6] باسمه، و مدح أتباعه لأجله، افتتح هذه باشتراط الأدب معه فى القول و الفعل للعد[7] من حزبه و الفوز بقربه، و مدار ذلك معالى الأخلاق، و هى إما مع الله سبحانه و تعالى أو مع رسوله صلى الله عليه و سلم أو مع غيرهما و إن كان كل قسم لا يخلو عن لحظ الآخر، و غيرهما إما أن يكون داخلا مع المؤمنين فى رتبة الطاعة أو خارجا
١٥ عنها، و هو الفاسق، و الداخل فى طاعة المؤمنين السالك لطريقتهم إما أن يكون حاضرا عندهم أو غائبا عنهم، فهذه خمسة أقسام، فصل النداء بسببها خمس مرات، كل مرة لقسم منها، و افتتح بالله لأن الأدب معه هو

(١) من مد، و فى الأصل : اى (٢) من مد، و فى الأصل : ثانى (٣) من مد، و فى الأصل : ما (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل : المنوال - كذا (٦) من مد، و فى الأصل : ختم (٧) من مد، و فى الأصل :المعتد.

الأصل الجامع للكل و الأس[1] الذى لا يبنى إلا عليه ، فقال مناديا للمتسمين بأول أسنان القلوب تنبيها[2] على أن سبب نزولها من أفعالهم [لا -[3]] من أفعال أهل الكمال ، فهو هفوة تقال ، و ما [كان -[3]] ينبغى أن يقال[4] ، و ليشمل الخطاب المعهود للأدنى - و لو مع النفاق - من فوقه من باب الأولى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ اى أقروا بالإيمان ﴿ لا تقدموا ﴾ / و حذف ٥ ٢/ المفعول ليعم[5] كل ما يصح تقديمه فيذهب [الوهم -[3]] كل مذهب ، و يجوز أن يكون حذفه من قصد إليه أصلا ، بل يكون النهى موجها إلى [6]نفس التقدمة[6] أى لا تتلبسوا[7] بهذا الفعل ، و يجوز أن يكون من قدم - بالتشديد بمعنى أقدم و تقدم أى شجع نفسه على التقدم ، و منه مقدمة الجيش ، و هم متقدموه[8] ، و أشار إلى تهجين[9] ما نهوا عنه و تصوير شناعته ، و إلى أنهم ١٠ فى القبضة[10] ترهيبا لهم[11] فقال : ﴿ بين يدى الله ﴾ أى الملك الذى لا يطاق انتقامه .

و لما كان السياق للنهى عن التقديم و التقدم ، و كان مقتضى الرسالة إنفاذ الأوامر و النواهى عن الملك من غير أن يكون من المرسل

---

(١) من مد ، و فى الأصل : الامن - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : بينها (٣) زيد من مد (٤) فى مد : تقال (٥) من مد ، و فى الأصل : يعم (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : التقديم (٧) من مد ، و فى الأصل : لا تتسلبوا (٨) من مد ، و فى الأصل : مقدموه (٩) من مد ، و فى الأصل : التهجيس (١٠) من مد ، و فى الأصل : العنعنة - كذا (١١) من مد ، و فى الأصل : له .

إليهم اعتراض[1] أصلا ، و بذلك استحق ان لايتكلم بحضرته فى مهم و لا يفعل مهم إلا باذنه . لأن العبيد[2] لما لهم من النقص لا استقلال لهم بشيء أصلا ، عبر بالرسول دون النبى بعد أن ذكر اسمه تعالى الأعظم زيادة فى تصوير التعظيم فقال : ﴿ و رسوله ﴾ أى الذى عظمته ظاهرة جدا ، و لذلك قرن اسمه باسمه و ذكره بذكره ، فهو تمهيد لما يأتى من تعظيمه ، فالتعبير بذلك إشارة إلى أن النفس إذا خليت و فطرتها الأولى ، امتلأت بمجرد رؤيته هيبة منه و إجلالا له ، فلا يفعل أحد غير ذلك إلا بتشجيع منه لنفسه و تكليفها ضد[3] ما تدعو إليه الفطرة الأولى القويمة ، فالمعنى : لاتكونوا[4] متقدمين فى شيء من الأشياء والله يقول الحق و يهدى السبيل ، و رسول الله صلى الله عليه وسلم يبلغ عنه لاينطق عن الهوى ، فعلى الغير[5] الاقتداء و الاتباع ، لا الابتداء و الابتداع ، سواء كان النبى صلى الله عليه و سلم غائبا أو حاضرا بموت أو غيره . فان[6] آثاره كعينه[6] ، فمن بذل الجهد فيها هدى للأصلح[7] ، "و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا" .

و لما استعار للدلالة على القدره التعبير باليدين و صور البينة ترهيبا من انتقام القادر إذا خولف ، صرح بذلك بقوله تعالى : ﴿ و اتقوا الله[8] ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين [غضب - [8]] الملك الأعظم وقاية . فان التقوى

(١) من مد ، و فى الأصل : اعراض (٢) من مد ، و فى الأصل : الصيد .
(٣) من مد ، و فى الأصل : منه (٤) من مد ، و فى الأصل : لايكونوت .
(٥) من مد ، و فى الأصل : المعبر - كذا (٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : اشارة كهيئة (٧) من مد ، و فى الأصل : للاصلاح (٨) زيد من مد .

مانعة من أن تضيعوا حقه و تخالفوا أمره و تقدموا على شيء لم تعلموا رضاه فيه .

و لما كان سبحانه مع كل بعلمه، و أقرب إليه من نفسه، فكان مع ذلك غيبا محضا لكونه محتجبا برداء الكبر و إزار العظمة و القهر، وكان الإنسان لما غاب عنه نساه[1]، ذكره مرهبا[2] بقوله مستأنفا أو معللا مؤكدا[3] تنبيها على ما فى ذلك من الغرابة و العظمة التى يحق للانسان مجاهدة نفسه لأجلها فى الإيمان به[4] و المواظبة على الاستمرار على استحضاره، لأن أفعال العاصى أفعال من ينكره : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بصفات[5] الكمال . و لما [كان ـ[6]] ما يتقدم[7] فيه إما قولا أو فعلا قال : ﴿ سميع ﴾ أى لأقوالكم قبل أن تقولوها[8] ﴿ عليم ٥ ﴾ أى بأعمالكم[9] قبل أن تعملوها .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما وصف سبحانه عباده المصطفين صحابة نبيه و المخصوصين [10]بفضيلة مشاهدته[10] و كريم عشرته فقال / " محمد رسول الله و الذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم " [11]إلى آخره[11]، فأثنى سبحانه عليهم و ذكر وصفه تعالى بذلك فى التوراة و الإنجيل، و هذه

/ ٣

(١) من مد ، و فى الأصل : بسا ـ كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : ترهبا.
(٣) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل : بها (٥) من مد ، و فى الأصل : « و » (٦) زيد من مد .
(٧) من مد ، و فى الأصل : تقدم (٨) فى مد : تقولها (٩) من مد ، و فى الأصل : لاعمالكم (١٠-١٠) من مد ، و فى الأصل : بمشاهدته (١١-١١) ليس ما بين الرقمين فى مد .

خصيصة [١] انفردوا بمزية تكريمها [١] و جرت على واضح قوله تعالى "كنتم خير امة اخرجت للناس [٢] تامرون بالمعروف" إلى آخره [٢]، و شهدت لهم بعظيم [٣] المنزلة لديه، ناسب هذا طلبهم بتوفية الشعب الإيمانية [٤] قولا و عملا ظاهرا و باطنا على أوضح عمل و أخلص نية، و تنزيههم [٥] عما وقع من [٦] قبلهم فى [٧] مخاطبات أنبيائهم كقول بنى إسرائيل "يموسى ادع لنا ربك" [إلى - [٨]] ما شهد من هذا الضرب بسوء حالهم فقال تعالى "يايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدى الله و رسوله" الآية [و - [٨]] "يايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى و لا تجهروا له بالقول - إلى قوله: و الله غفور رحيم" فطلبوا بآداب تناسب علىّ إيمانهم [٩] و إن اغتفر بعضه لغيرهم ممن ليس فى درجتهم و قد قيل "حسنات الأبرار سيئات المقربين" فكأن قد [قيل - [٨]] لهم: لا تغفلوا ما منح [١٠] لكم فى التوراة و الإنجيل، فانها [١١] درجة لم ينلها غيركم [١٢] من الأمم فقابلوها بتنزيه أعمالكم عن أن يتوهم فى ظواهرها أنها صدرت عن عدم اكتراث [١٣] فى الخطاب، أو [١٤] سوء قصد فى الجواب، و طابقوا بين [١٥] ظواهركم و بواطنكم [١٥]

(١ - ١) من مد، و فى الاصل: اتقدروا بتكريمها (٢-٢) ليس ما بين الرقمين من مد (٣) من مد، و فى الاصل: بتعظيم (٤) زيد فى مد: و أخرى (٥) من مد، و فى الأصل: نزههم - كذا (٦) من مد، و فى الأصل: ممن (٧) من مد، وفى الأصل: من (٨) زيد من مد (٩) من مد، وفى الأصل: آدابهم. (١٠) من مد، و فى الأصل: صح (١١) من مد، و فى الأصل: فانهم. (١٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى مد فحذفناها (١٣) من مد، و فى الأصل: اكتساب - كذا (١٤) من مد، و فى الأصل «و» (١٥ - ١٥) فى مد: بواطنكم و ظواهركم.

و ليكن

و[1]ليكن علنكم[1] منبئا بسليم سرائركم "ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى" ثم عرفوا بسوء حال من عدل به عن هذه الصفة فقال تعالى "ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون" ثم أمروا بالتثبت عند نزغة الشيطان، أو تقول ذى بهتان "يايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ" الآية، ثم أمرهم بصلاح ذات بينهم و التعاون فى ذلك بقتال الباغين العتاة[2] و تحسين العشرة و التزام[3] ما يثمر الحب و التودد الإيمانى و التواضع، و أن الخير كله فى التقوى "ان اكرمكم عند الله اتقاكم" و كل ذلك محذر لعلى صفاتهم التى وصفوا بها فى خاتمة سورة الفتح.

و لما ثبت إعظام[4] الرسول صلى الله عليه و سلم بأن لا يفتات عليه [5]بأن يتأهب[5] ما هو وظيفته من التقدم فى الأمور و قطع المهمات، فلا يكلم إلا جوابا أو سؤالا فى أمر ضرورى لا يمكن تأخيره، و كان من يكلمه لذلك ربما رفع صوته رفعا الأولى به غيره مما هو دونه، و كان من جملة أحواله أن يوحى إليه بالأمور العظيمة، و كان رفع الصوت إذ ذاك من المشوشات فى حسن التلقى للوحى مع ما فيه من قلة الاحترام و الإخلال بالإجلال و الإعظام، قال ذاكرا لثانى الأقسام، و هو ما كان النظر فيه إلى مقامه صلى الله عليه و سلم بالقصد الأول،

(١-١) من مد، و فى الأصل: لكم عليكم (٢) من مد، و فى الأصل: العصاة.
(٣) من مد، و فى الأصل: الزام (٤) زيد فى الأصل: سورة الفتح باعظام، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥-٥) من مد، و فى الأصل: ايتناهبوا.

مستنتجا مما مضى من وصفه بالرسالة[1] الدالة على النبوة ، آمرا بحفظ حرمته
٤/ و مراعاة الأدب فى خدمته و صحبته بتبجيله[2] / و تفخيمه ، و إعزازه و تعظيمه ،
مكررا لندائهم بما ألزموا انفسهم به من طاعته بتصديقه و[3] استدعاء
لتجديد[3] الاستنصار و تطرية الندب إلى الإنصات و إشارة إلى أن المنادى
٥ له أمر يستحق أن يفرد بالنداء و يستقل[4] بالتوصية[5] : ﴿يا ايها الذين امنوا﴾
مكررا للتعبير بالأدنى من أسنان[6] القلوب للتنبيه على أن فاعل مثل هذه
المنهيات و المحتاج فيها إلى التنبيه بالنهى قد فعل من هذا حاله
﴿ لا ترفعوآ اصواتكم ﴾ أى فى شىء من الأشياء ﴿ فوق صوت النبى ﴾
أى الذى يتلقى عن الله ، و تلقيه[7] عنه متوقع فى كل وقت ، و هذا يدل
١٠ على أن أذى[8] العلماء الذين هيأهم الله لتلقى فهم دينه عنه شديد[9] جدا ،
فان تكدير أوقاتهم يمنعهم عن كثير من ذلك .

و لما بين ما فى ذلك لأجل النبوة ، بين ما ينبغى فى نفسه من المزية فقال :
﴿ ولا تجهروا له بالقول ﴾ أى إذا كلمتوه سواء كان [10]ذلك بمثل[10] صوته
أو اخفض من صوته ، فان ذلك غير مناسب لما يهاب به العظماء ، و يوقر[11]

(١) من مد ، و فى الأصل : بالراسلة (٢) من مد ، و فى الأصل : و تبجيله .
(٣ - ٣) من مد ، و فى الأصل : استدعاهم بتجديد (٤) من مد ، و فى الأصل : يستقبل (٥) زيد فى الأصل : فقال تعالى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .
(٦) من مد و فى الأصل : اسباب (٧) من مد ، و فى الأصل : بلقبه (٨) من مد ، و فى الأصل : هذا اذا (٩) من مد ، و فى الأصل : شديدا (١٠-١٠) من مد ، و فى الأصل : مثل ذلك (١١) من مد ، و فى الأصل : يوقره .

الكبراء . و لما شمل هذا كل جهر مخصوص، و هو ما يكون مسقطا للزية، قال: ﴿ كجهر بعضكم لبعض ﴾ أى فانكم إن لم تفعلوا ذلك لم يظهر فرق[1] بين النبى صلى الله عليه و سلم و بين غيره . و لما نهى عن ذلك، بين ضرره[2] فقال مبينا أن من الأعمال ما يحبط و لا يدرى أنه محبط، ليكون العامل كالماشى فى طريق خطر لا [يزال -[3]] يتوقى خطره و يديم حذره: ﴿ ان ﴾ أى النهى لأجل [خشية -[3]] أن ﴿ تحبط ﴾ أى تفسد فتسقط ﴿ اعمالكم ﴾ أى التى [هى -[3]] الأعمال بالحقيقه و هى الحسنات كلها ﴿ و انتم لا تشعرون ﴾ أى بأنها حبطت، فان ذلك إذا اجترأ الإنسان عليه استخف به و إذ استخف بـه واظب عليه، و إذا واظب عليه أوشك أن يستخف بالمخاطب فيكفر و هو لا يشعر .

و لما تقدم سبحانه فى الإخلال بشىء من حرمته صلى الله عليه و سلم و نهى عن رفع الصوت و الجهر الموصوف، أنتج المخافة عنده على سبيل الإجلال، فبين ما لمن حافظ على ذلك الأدب العظيم، فقال مؤكدا لأن [فى -[3]] المنافقين و غيرهم من[4] يكذب بذلك . و تنبيها على أنه لمحبة الله له و رضاه به أهل لأن يؤكد أمره و يواظب على فعله: ﴿ ان الذين يغضون ﴾ أى يخفضون و يلينون لما وقع عليهم من السكينة من هيبة حضرته، قال الطبرى[5]: و أصل الغض الكف فى[6] لين ﴿ اصواتهم ﴾ تخشعا و تخضعا

(١) زيد فى الأصل: بينكم، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) من مد، و فى الأصل: صوره (٣) زيد من مد (٤) من مد، و فى الأصل: ممن (٥) راجع تفسيره ٢٦ / ٦٩ (٦) من مد و التفسير، و فى الأصل: من .

و رعاية للأدب و توقيرا .

و لما كان المبلغ ربما أنساه اللفظ[1] و رفع الأصوات ما [كان -[2]] يريد أن يبلغه ، [3]إنه بينت لى[3] ليلة القدر فخرجت لأخبركم بها فتلاحى رجلان فأنسيتها و عسى أن يكون خيرا لكم ، قال : ﴿عند رسول الله﴾ أى الذى من شأنه أن يعلو كلامه على كل كلام ، لأنه [4]مبلغ من[4] الملك الأعظم و عبر بعند التى للظاهر إشارة إلى أن أهل حضرة الخصوصية لايقع منهم إلا أكمل الأدب .

٥ / و لما ابتدأ ذكرهم مؤكدا / تنبيها على عظيم ما ندبوا إليه ، زاده إعظاما بالإشارة إليهم بأداة البعد فقال : ﴿ اولـٰئك ﴾ أى العالو الرتب[5] لما لهم من علو الهمم بالخضوع لمن أرسله مولاهم[6] الذى لا إحسان عندهم[7] إلا منه ﴿الذين امتحن الله﴾ أى فعل المحيط بجميع صفات الكمال فعل المختبر بالمخالطة البليغة بالشدائد[8] على وجه يؤدى إلى المنحة[9] باللين و الخلوص من كل درن ، و الانشراح و الاتساع ﴿قلوبهم﴾ فأخلصها ﴿للتقوى[1]﴾ أى الخوف المؤدى إلى استعداد صاحبه باقامة ما يقيه من كل مكروه ، و الامتحان : اختبار بليغ يؤدى إلى خبر ، فالمعنى أنه طهر قلوبهم و نقاها

(١) من مد ، و فى الأصل : اللفظ (٢) زيد من مد (٣ - ٣) من مد ، و فى الأصل : ان يثبت إلى (٤-٤) من مد ، و فى الأصل : شانه - كذا (٥) من مد ، و فى الأصل : الرتبة (٦) من مد ، و فى الأصل : مولاه (٧) من مد ، و فى الأصل : عندكم (٨) من مد ، و فى الأصل : بالسداد (٩) من مد ، و فى الأصل : المنحة .

كما[1] يمتحن الصائغ الذهب و الفضة بالإذابة للتنقية و التخليص من كل غش [2]لأجل إظهار[2] ما بطن [3]فيها من التقوى[3] ليصير معلوما للخلق فى عالم الشهادة كما كان معلوما [له سبحانه -[4]] فى عالم الغيب، و هو خروجهم عن العادات البشرية و مفارقتهم لما توجبه الطبيعة، و هو حقيقة التوحيد، فان التقوى لاتظهر إلا عند المحن و الشدائد بالتكاليف و غيرها، و لاتثبت ٥ إلا بملازمة الطاعة فى المنشط و المكره و الخروج عن مثل ذلك.

و لما كان الإنسان و إن اجتهد فى الإحسان محلا للنقصان، استأنف الإخبار عن جزائهم بقوله، معريا له من فاء السبب، إشارة [إلى -[4]] أن ذلك بمحض إحسانـــه: ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى لهفواتهم و زلاتهم ﴿ واجر عظيم ﴾ أى جزاء لايمكن وصفه على محاسن ما فعلوه. ١٠

و لما نهى سبحانه عن الإخلال بالأدب، و أمر بالمحافظة على التعظيم، و ذكر وصف المطيع، أتبع ذلك على سبيل النتيجة وصف من أخل به، فقال مؤكدا لأجل أن حالهم كان حال من يدعى عقلا تاما: ﴿ ان الذين ينادونك ﴾ أى يجددون نداءك من غير توبة و الحال أن [5]نداءهم إياك[5] كائن ﴿ من وراء ﴾ إثبات هـــذا الجار يدل على أنه ١٥ صلى الله عليه و سلم كان[6] داخلها، و لو سقط لم يفد ذلك، بل كان

(١) من مد، و فى الأصل: لما (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل: لاظهار.
(٣ - ٣) من مد، و فى الأصل: منها للتقوى (٤) زيد من مد (٥-٥) من مد، و فى الأصل: نداءك إياهم (٦) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.

يفيد أن نسبة الأماكن التى وراءها الحجرات كلها بالنسبة إليه و إليهم على حد سواء ، و ذلك بأن يكون الكل خارجها[1] ، و الوراء : الجهة التى تواريك و[2] تواريها من خلف أو قدام .

و لما كان الرسول صلى الله عليه و سلم من العظمة فى نفسه و فى تبليغ رسالات الله فى [3]هيئتها بمكان[3] من العظمة بحيث لايخفى على أحد . فليس لأحد أن يفتات فيها[4] عليه و لا أن يعجله عن[5] شىء ، وكان نداؤه لذلك[6] من وراء حجرة واحدة كندائه من وراء كل حجرة جمع فقال : ﴿ الحجرٰت ﴾ و لم يضفها إليه إجلالا له ، و ليشمل كونه فى غيرها أيضا ، و المعنى : مبتدئين النـــداء من جهة تكون الحجرات فيها بينك و بينهم فتكون موازية لك منهم و لهم منك ، و هى جمع حجرة ، و هى ما حوط من قطع الأرض بحائط يمنع ممن يكون خارجه من أذى [من -[7]] يكون داخله بقول أو فعل ، فانه يكون فيما يختص به من الاجتماع بنسائه أو إصلاح شىء من حاله ، لايتهيأ له بحضور الناس فيما يتقاضاه المروءة . و أسند الفعل إلى الجمع[8] و إن كان / المنادى بعضهم للرضى به أو السكوت عن النهى . ٦ /

و لما كان الساكت [قد لايكون راضيا قال : ﴿ اكثرهم ﴾ أى

---

(١) من مد ، و فى الأصل : خارجا (٢) من مد ، و فى الأصل : او (٣-٣) من مد ، و فى الأصل جهة المكان (٤) سقط من مد (٥) من مد ، و فى الأصل : على (٦) من مد ، و فى الأصل : كذلك (٧) زيد من مد (٨) من مد ، و فى الأصل : الجميع .

المنادى و الراضى -[1]] دون [الساكت -[1]] لعذر[2] ﴿ لا يعقلون ﴾ لأنهم لم يصبروا، بل فعلوا معه صلى الله عليه و سلم كما يفعل بعضهم مع من يماثله، و العقل يمنع من مثل ذلك لمن اتصف بالرئاسة فكيف إذا كانت رئاسة النبوة و الرسالة عن الملك الجبار الواحد القهار.

و لما ذمهم بسوء عملهم، أرشدهم إلى ما يمدحون به من حسنه فقال: ﴿ و لو أنهم ﴾ أى المنادى و الراضى ﴿ صبروا ﴾ أى حبسوا أنفسهم و منعوها عن مناداتهم، و الصبر: حبس النفس عن أن تنازع إلى هواها و هو حبس فيه شدة، و صبر عن كذا - محذوف الفعل لكثرة دوره، أى نفسه ﴿ حتى تخرج ﴾ من تلقاء نفسك عند فراغ ما أنت فيه مما يهمك من واردات الحق و مصالح الخلق[3]. و لما كان الخروج قد يكون إلى غيرهم من المصالح، فلا يسوغ فى الأدب أن يقطع ذاك عليه قال: ﴿ اليهم ﴾ أى ليس لهم أن يكلموك حتى تفرغ لهم فتقصدهم فانك لا تفعل [شيئا -[1]] فى غير حينه بمقتضى أمر الرسالة ﴿ لكان ﴾ أى الصبر.

و لما كان العرب أهل معال[4] فهم بحيث لا يرضون إلا الأحسن فقال: ﴿ خيرا لهم[1] ﴾ أى من استعجالهم فى إيقاظك وقت الهاجرة و ما لو قرعوا الباب بالأظافير كما كان يفعل غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم،

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل: عذر قال (٣) من مد، و فى الأصل: الحق (٤) من مد، و فى الأصل: مقال.

و هذا على تقدير أن يكون ما ظنوا من ان فيه خيرا [1]فكانوا يعقلون[1]، فى التعبير بذلك مع الإنصاف بل الإغضاء و الإحسان هز لهم [إلى - [1]] المعالى و إرشاد إلى ما يتفاخرون به من المحاسن؛ قال الرازى: قال أبو عثمان: الأدب عند الأكابر يبلغ بصاحبه[2] إلى الدرجات العلى ٥ و الخير فى الأولى و العقبى - انتهى . و أخيرية صبر فى الدين معروفة، و أما فى الدنيا فانهم لو تأدبوا لربهم زادهم النبى صلى الله عليه و سلم فى الفضل فأعتق جميع سبيهم و زادهم، و الآية من الاحتباك: حذف التعليل بعدم الصبر أولا [1]لما دل[1] عليه ثانيا، و العقل ثانيا لما دل عليه [من -[2]] ذكره أولا .

١٠ و لما كان التقدير تأديبا لنا و تدريبا على الصفح عن الجاهل و عذره و تعليمه: و لكنهم لم يصبروا و أساؤا الأدب فكان ذلك شرا لهم و الله عليم بما فعلوا حليم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة لإساءتهم الأدب على رسوله صلى الله عليه و سلم، عطف عليه استعطافا لهم مع إفهامه الترهيب: ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى ستور لذنب من ١٥ تاب من جهله ﴿ رحيم ٥ ﴾ يعامله[3] معاملة الراحم فيسبغ عليه نعمه . و لما تابوا، أعتبهم الله فى غلطتهم[6] على خير خلقه أن جعلهم أغلظ الناس على شر[7] الناس: الدجال، فان النبى صلى الله عليه و سلم قال: إنهم

(١ - ١) من مد، و فى الأصل: كانوا (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: صاحبه (٤ - ٤) من مد، و فى الأصل: دليلا (٥) من مد، و فى الأصل: معامله (٦) من مد، و فى الأصل: خلطهم (٧) من مد، و فى الأصل: اشر .

أشد

أشد الناس عليه .

و لما أنهى سبحانه ما أراد من النهى عن أذى الرسول صلى الله عليه و سلم فى نفسه ، و كان من ذلك أذاه فى[1] أمته ، فانه عزيز عليه ما عنتوا و كان من آذاه فيهم فاسقا . و كان[2] أعظم الأذى فيهم ما أورث كربا فأثار حربا ، و كان ربما اتخذ أهل الأغراض هذه الآداب ٥ ذريعة إلى [أذى ـ[3]] بعض المسلمين فقذفوهم بالإخلال بشىء منها فوقعوا هم فيها فيما قذفوا به غيرهم من الإخلال بحقه و التقيد / بولائه و رقه ، ٧/ و كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخلاق الطاهرة و المعالى الظاهرة ما يؤمن معه أن يوقع شيئا فى غير محله ،أو يأمر بأمر من غير حله[4] ـ هذا مع ما له من العصمة ، قال منبها على ما فى القسم الثالث ١٠ من مكارم الأخلاق من ترك العجز بالاعتماد على أخبار الفسقة ، تخاطبا لكل من أقر بالإيمان على طريق الاستنتاج مما مضى ، نادبا إلى الاسترشاد بالعقل الذى نفاه عن أهل الآيـــة السالفة ، و العفو عن المذنب و الرحمة لعباد الله ، مناديا بأداة البعد إشارة إلى أن من احتاج إلى التصريح بمثل هذا التنبيه غير مكتف بما أفاده من قواعد الشرع وضع ١٥ نفسه فى محل بعيد ، و تنبيها على أن ما فى حيزها[5] كلام له خطر عظيم و وقع[6] جسيم : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ و عبر بالفعل الماضى الذى هو

(١) من مد ، و فى الأصل : من (٢) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣) زيد من مد (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى مد فحذفناها (٥) من مد ، و فى الأصل : خيرها (٦) من مد ، و فى الأصل : رفع .

لأدنى أسنان القلوب، و عبر بأداة الشك إيذانا بقلة الفاسق فيهم و قلة مجيئه إليهم بخبر له وقع، فقال: ﴿ان جآءكم﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿فاسق﴾ أى خارج من ربقة الديانة[1] أىّ فاسق كان ﴿بنبا﴾[2] أى خبر يعظم خطبه فيؤثر شرا[3]، أىّ خير كان مما يكون كذلك؟

٥ ﴿فتبينوآ﴾ أى عالجوا البيان و هو فصل الخطأ من الصواب، استعمالا لغريزة العقل المنفى عن المنادين[4] و اتصافا بالغفران و الرحمة ليرحمكم الله و يغفرلكم، و هذه القراءة غاية لقراءة حمزة و الكسائى[5] بالمثلثة ثم المثناة الفوقية، و السياق مرشد إلى أن [خبر -[6]] الفاسق كالنمام و الساعى بالفساد كما أنه لايقبل فلذلك لايرد حتى يمتحن، و إلى أن خبر العدل

١٠ لا وقفة فيه، و إلا لاستوى مع الفاسق، فالتثبت معلل بالفسق، فاذا انتفى و لم توجد علة أخرى توجب التثبت وجب القبول، و المعلق على شىء بكلمة "إن" عدم [عند -[6]] عدمه، و التبين بأحد شيئين: بمراجعة النبى صلى الله عليه و سلم إن كان حاضرا، و بمراجعة آثاره من كتاب الله و سنته إلى أن تبين الأمر منهما [إن كان غائبا، فانه لا تكون أبدا

١٥ كائنة إلا و فى الكتاب و السنة المخرج منها -[6]].

و لما أمر بالتبين، ذكر علته فقال: ﴿ان﴾ [أى -[6]] لأجل كراهة أن ﴿تصيبوا﴾ أى بأذى ﴿قوما﴾ أى هم مع قوتهم النافعة

---

(١) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣) من مد، و فى الأصل: سره - كذا (٤) من مد، و فى الأصل: المارين (٥) راجع نثر المرجان ٦/٦٦٢.
(٦) زيد ما بين الحاجزين من مد.

لأهل الإسلام براء مما نسب إليهم ﴿ بجهالة ﴾ أى مع الجهل بحال استحقاقهم ذلك .

و لما كان الإنسان إذا وضع شيئا فى غير موضعه جديرا[1] بالندم، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فتصبحوا ﴾ أى فتصيروا، و لكنه عبر بذلك لأن أشنع الندم ما استقبل الإنسان صباحا وقت انتباهه و فراغه و إقباله على لذاته ﴿ على ما فعلتم ﴾ [أى - [2]] من إصابتهم ﴿ نادمين ﴾ أى عريقين فى الأسف على ما فات مما[3] يوقع الله فى نفوسكم من أمور ترجف القلوب و تخور الطباع، و تلك سنته فى كل باطل، فانه لكونه مزلزلا فى نفسه لاينشأ[4] عنه إلا الزلزال و الندم على ما وقع من تمنى أنه لم يقع، و هو غم يصحب الإنسان صحبة لها دوام[5] بما تدور مادته عليه مما يرشد [إليه - [2]] مدن و دمن، و هو ينشأ من تضييع أثقال الأسباب التى أمر الإنسان بالسعى فيها كما أشار إليه حديث "احرص على ما ينفعك و لاتعجز فان غلبك أمر فقل[6] : قدر الله و ما شاء فعل، و لاتقل : [لو أنى - [2]] فعلت كذا، فان "لو" تفتح / عمل الشيطان" . ٨/

و الفاسق المذكور فى الآية المراد به الجنس، و الذى نزل ذلك بسببه هو الوليد بن عقبة، و لم يزل كذلك حتى أن عثمان رضى الله عنه ولاه الكوفة فصلى بالناس و هو سكران صلاة الفجر أربعا ثم قال : [هل أزيدكم

(١) من مد، و فى الأصل : جدير (٢) زيد ما بين الحاجزين من مد (٣) من مد، و فى الأصل : بما (٤) من مد، و فى الأصل : لا يثبت (٥) من مد، و فى الأصل : دواما (٦) من مد، و فى الأصل : قال - كذا .

فعزله عثمان رضى الله عنه .

و لما كان إقدامهم على كثير من الأمور من غير -[١] مشاورة لمن أرسله الله رحمة لعباده ليعلمهم ما يأتون و ما يذرون عمل من لايعلم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قريب منـــه ، و كان الإعراض عنه حيا و عن بذل الجهد فى استخراج الأمور من شريعته بعد موته أمرا مفسدا للبين إن لم يعتبر و يتنبه [له -[١]] غاية التنبه ، أخبرهم به منزلا لهم منزلة من [لا -[١]] يعلم أنه موجود معه مشيرا بكلمة التنبيه إلى [أن -[١]] من أخل[٢] بمراعاة ذلك فى عداد الغافلين [فقال -[١]] : ﴿ و اعلموآ ﴾ أى أيها الأمة ، وقدم الخبر إيذانا بأن بعضهم[٣] باعتراضه أو باقدامه[٤] على ما لا علم له به يعمل عمل من لايعلم مقدار ما خصه الله به من إنعامه عليه به صلى الله عليه و سلم ، فهو يفيد توبيخ[٥] من فعل ذلك : ﴿ان فيكم﴾ [أى -[١]] على وجه الاختصاص لكم و يا له من شرف ﴿ رسول الله[٦] ﴾ أى الملك الأعظم المتصف بالجلال و الإكرام على حال هى أنكم تريدونه [أن -[١]] يتبع أذاكم ، و ذلك أمر شنيع جدا ، فانه لايليق أن يتحرك إلا بأمر من أرسله ، فيجب عليكم الرجوع عن تلك الحالة ، فانكم تجهلون أكثر مما تعلمون ، و لإرادتهم أن لايطيعهم فى جميع الأمور عبر بالمضارع فقال : ﴿ لو يطيعكم ﴾ و هو [لا -[١]] يحب عنتكم و لاشيئا يشق عليكم

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : انتحل - كذا (٣) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) فى مد : اقدامه (٥) زيد فى الأصل : ذلك إى توبيخ ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

فى

﴿ فى كثير من الامر ﴾ أى الذى تريدونه على فعله من أنه يعمل فى الحوادث على مقتضى ما يعن لكم و تستصوبونه ليكون فعله معكم فعل المطواع[1] لغيره التابع له، فينقلب حينئذ الحال، و يصير المتبوع تابعا و المطاع طائعا ﴿ لعنتم ﴾ [2]أى لاممتم و هلكتم[2]، و من أراد دائما أن يكون أمر الرسول صلى الله عليه و سلم تابعا[3] لأمره فقد زين له الشيطان الكفران، فأولئك هم الغاوون، و سياق "لو" معلم قطعا أن التقدير: و لكنه صلى الله عليه و سلم لا يطيعكم لكراهة[4] لما يشق عليكم لما هو متخلق به من طاعة الله و الوقوف عند حدوده و التقيد فى جميع الحركات و السكنات بأمره، مع ما له من البصر فى التمييز بين الملبسات و الخبرة التامة بالأمور المشتبهات، التى هى سبب هلاك الأغلب لكونها لا يعلمها كثير من الناس، و التقييد[5] بالكثير معلم بأنهم يصيبون وجه الرشاد فى كثير من الأمور.

و لما كان التقدير حتما بما هدى إليه السياق: و لو خالفتموه فى الأمور التى [لا -[6]] يطيعكم فيها لعنتم، استدرك عنه قوله: ﴿ و لكن الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى يفعل ما يريد ﴿ حبب اليكم الايمان ﴾ فلزمتم طاعته و عشقتم متابعته. و لما كان الإنسان قد يحب شيئا و هو يعلم فيه عيبا، فيكون جديرا بأن يتزلزل[7] فيه، نفى ذلك بقوله:

(١) من مد، و فى الأصل: المطاوع (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل: لاعم و هلكم - كذا (٣) من مد، و فى الأصل: شائعا (٤) فى مد: مع كراهته. (٥) من مد، و فى الأصل: التقيد (٦) زيد من مد (٧) من مد، و فى الأصل: يزلزل.

﴿ و زينه فى قلوبكم ﴾ أى فلا شىء عندكم أحسن منه و [لا - ١] يعادله و لا يقاربه بوجه ﴿ و كره اليكم الكفر ﴾ و هو تغطية ما أدت إليه الفطرة الأولى و العقول المجردة عن الهوى من الحق بالجحود ﴿ و الفسوق ﴾ و هو المروق من ربقة الدين ، و لو من غير تغطية بل بغير تأمل ﴿ و العصيان ﴾ و هو الامتناع من الانقياد عامة ٢ فلم تخالفوه ، و رأيتم خلافه هلاكا ، فصرتم و المنة لله أطوع شىء للرسول صلى الله / عليه و سلم ، فعلم [من هذا - ١] أن الله تعالى هو الفاعل وحده لجميع الأفعال من الطاعات و المعاصى و العادات و العبادات ، لأنه خالق لكل ، و مدحوا لفعل الله بهم لأنهم الفاعلون فى الظاهر فهو واقع موقع : أطعتم الرسول صلى الله عليه و سلم و لم تخالفوه ٣ ، [و إنما وضع - ١] فعل الله و هولا يمدحون عليه موضع فعلهم الذى يمدحون عليه للحث على الشكر و الانسلاخ من العجب .

/ ٩

و لما أرشد السياق إلى متابعتهم على هذا الوجه ، أنتج قوله مادحا لهم ثانيا الكلام عن خطابهم إلى خطابه صلى الله عليه و سلم ليدل على عظم هذه الأوصاف و بينه بأداة البعد على علو مقام المتصف : ﴿ اولـٰئك ﴾ [أى - ١] الذين أعلى الله ٤ القادر على كل شىء ٤ مقاديرهم ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الراشدون ﴾ أى الكاملون فى الرشد و هو الهدى على أحسن سمت و تقدير ، و فى تفسير الأصبهانى : الرشد الاستقامة على طريق الحق

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : عادة (٣) من مد ، و فى الأصل : لم تخالفوا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من مد .

مع تصلب فيه - انتهى . و الذى أنتج الرشاد متابعة الحق ، فان الله تكفل لمن تعمد الخير و جاهد نفسه على البر باصابة الصواب و إحكام المساعى المنافى للندم ، " و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و ان الله لمع المحسنين" و قد دل السياق على أنهم كانوا فى خبر الوليد صنفين : صنف صدقه و أراد [1]غزوة بنى[1] المصطلق و أشار به ، و صنف توقف ، و أن الصنفين سلموا آخر الأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم فهدوا[2] ، فالآية من الاحتباك و هى شبيهة به : دلت الشرطية فى " لو يطيعكم " على الاستدراكية ، و الاستدراكية فى " و لكن الله " على تقدير الشرطية دلالة ظاهرة .

و لما ذكر التحبيب و التزيين و التكريه و ما أنتجه من الرشاد ، ذكر علته إعلاما بأنه تعالى لايجب عليه شيء حثا على الشكر فقال : ﴿ فضلا ﴾ أى زيادة و تطولا و امتنانا عظيما جسيما و درجة عالية ﴿ من الله ﴾ الملك الأعظم الذى بيده كل شيء ﴿ و نعمة[4] ﴾ [أى -[3]] و عيشا حسنا ناعما و خفضا[4] و دعة و كرامة .

و لما كان التقدير : فالله منعم بفضل ، بيده كل ضر و نفع ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال ﴿ عليم ﴾ أى محيط العلم ، فهو يعلم أحوال المؤمنين و ما بينهم من التفاضل ﴿ حكيم ﴾ بالغ الحكمة ، فهو يضع الأشياء فى أوفق محالها و أتقنها ، فلذلك وضع نعمته من الرسالة

(١-١) من مد ، و فى الأصل و ظ : غترة - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : مرشد (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : خصيبا .

و الإيمان على حسب علمه و حكمته[1] .

و لما كانت النميمة و نقل الأخبار الباطلة الذميمة ربما جرت فتنا و أوصلت إلى القتال ، و كان [2]العليم الحكيم[2] لا ينصب سببا إلا ذكر مسببه و أشار إلى دوائه[3] ، و كان لا ينهى عن الشيء إلا من كان متهيئا له لما فى جبلته من الداعى إليه ، فكان قد يواقعه و لو فى وقت ، قال تعالى معلما لنا طريق الحكمة[4] فى دفع ما جرت إليه[5] الأخبار الباطلة من القتال ، معبرا بأداة الشك إشارة إلى أن [ما -[6]] فى حيزها لا ينبغى أن يقع بينهم ، و لا أن يذكروه إلا على سبيل الفرض : ﴿ و ان طائفتن ﴾ أي جماعتان بالفعل أو القوة جدير كل جماعة منهما بأن يجتمع [على -[6]] ما دهمها[7] من الأمير بحيث تصير من شدة مراعاته كالطائفة حوله و المتحلقة به ، بحيث لا يدرى من شدة اجتماعها على ذلك أولها من آخرها ﴿من المؤمنين﴾ أى ممن هو معدود فى عداد العريقين فى الإيمان سواء كان هو عريقا أو فاعلا ما يطلق[8] عليه به الاسم فقط .

و لما كانت الشناعة و الفساد فى قتال الجماعة أكثر ، عبر بضمير الجمع دون [9]التثنية تصويرا[9] لذلك بأقبح صورة فقال : ﴿اقتتلوا﴾ [أى -[3]] فاختلطوا بسبب القتال حتى كانوا كالفرقة الواحدة ﴿فاصلحوا﴾ أى

---

(١) من مد ، و فى الأصل : حكمه (٢ - ٢) فى مد : الحكيم العليم (٣) من مد ، و فى الأصل : رواية (٤) من مد ، و فى الأصل : الحق (٥) من مد ، و فى الأصل : به (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و فى الأصل : دهمهما (٨) من مد ، و فى الأصل : ينطلق (٩-٩) من مد ، و فى الأصل : التبنية .

فأوقعوا الإصلاح ليحصل الصلح ، و لما كانت[1] العبرة فى الصلح إذا وقع بين الطائفتين ما يسكن به الشر و إن تخلف شذان من الجانبين لا يعبأ بهم ، عبر بالتثنية دون الجمع فقال : ﴿ بينهما ﴾ أى بالوعظ و الإرشاد الدنيوى و الأخروى ، و لا تظنوا أن الباغى غير مؤمن فتجاوزوا فيه أمر الله . ٥

و لما كان البغى من أشنع الأمور فكان ينبغى أن لا يلم به أحد ، عبر بأداة الشك إرشادا إلى ذلك فقال : ﴿ فان بغت ﴾ أى أوقعت الإرادة السيئة الكائنة من النفوس التى لا تأمر بخير ﴿ احدىهما ﴾ أى الطائفتين ﴿ على الاخرى ﴾ فلم ترجع إلى حكم الله الذى[2] خرجت عنه و لم تقبل الحق . و لما كان الإضمار هنا ربما أوهم لبسا فتمسك به متعنت ١٠ فى أمر فساد ، ازال بالإظهار كل لبس فقال : ﴿ فقاتلوا ﴾ أى أوجدوا و اطلبوا مقاتلة ﴿ التى ﴾ . و لما كان القتال لا يجوز إلا بالاستمرار على البغى ، عبر بالمضارع إفهاما لأنه متى زال البغى و لو بالتوبة[3] من غير شوكة حرم القتال فقال : ﴿ تبغى ﴾ أى توقع الإرادة و تصر عليها ، و أديموا القتال لها ﴿ حتى تفىء ﴾ أى ترجع مما صارت إليه من ١٥ جر القطيعة الذى كأنه حر الشمس حين نسخه الظل إلى ما كانت فيه[4] من البر و الخير الذى هو كالظل الذى ينسخ الشمس ، و هو معنى قوله

(١) فى مد : كان (٢) من مد ، و فى الأصل : التى (٣) من مد ، و فى الأصل : بالتوصيه (٤) من مد ، و فى الأصل : اليه .

تعالى : ﴿ الى امر الله ج ﴾ أى [التزام - [1]] ما أمر[2] به الملك الذى لا يهمل الظالم ، بل لابد أن يقاصصه و أمره ما[3] كانت عليه[3] من العدل قبل البغى . و لما كانت مقاتلة الباغى جديرة بترجيعه ، أشار إلى ذلك بقوله : ﴿ فان فآءت ﴾ أى رجعت إلى ما كانت عليه من التمسك بأمر الله الذى هو العدل ﴿ فاصلحوا ﴾ أى أوقعوا الإصلاح ﴿ بينهما ﴾ .

و لما كان الخصام يجر فى الغالب من القول و الفعل ما يورث للصلحين أحنة على بعض المتخاصمين ، فيحمل ذلك على الميل مع بعض على بعض ، قال : ﴿ بالعدل ﴾ و لا يحملكم القتال على الحقد على المتقاتلين فتحيفوا . و لما كان العدل فى مثل ذلك شديدا على النفوس لما تحملت من الضغائن قال تعالى : ﴿ و اقسطوا[4] ﴾ أى و أزيلو القسط - بالفتح و هو الجور - بأن تفعلوا القسط بالكسر و هو العدل العظيم الذى لاجور فيه ، فى ذلك و فى جميع أموركم ، ثم علله ترغيبا فيه بقوله مؤكدا تنبيها على أنه من أعظم ما يتمادح به[4] ، و ردا على من لعله يقول : إنه لايلزم نفسه الوقوف عنده إلا ضعيف : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى بيده النصر و الخذلان ﴿ يحب المقسطين[5] ﴾ أى يفعل مع أهل العدل من الإكرام فعل المحب .

و لما أمر بما قد يفضى إلى القتال ، و كان الباغى ربما كان أقرب إلى الصلح من جهة النسب من المبغى عليه فروعى ، و كان / القتال أمرا شاقا ربما حمل على الإحجام عن الإصلاح[6] ، علل ذلك سبحانه بما قدم

/ ١١

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : اراد (٣ - ٣) من مد ، و فى الأصل : كان فيه (٤) من مد ، و فى الأصل : فيه (٥) من مد ، و فى الأصل : الصلح .

فيه قرابة الدين على قرابة النسب، وكشف كشفا [تاما -[1]] عن أنه لايسوغ له[2] تركه لما يؤدى [إليه من[3] تفريق الشمل المؤدى إلى وهن الإسلام و أهله المؤدى إلى ظهور الباطل المؤدى إلى الفساد الأعظم الذى لا تدارك له فقال تعالى: ﴿ انما المؤمنون ﴾ أى كلهم و إن تباعدت أنسابهم و أغراضهم و بلادهم ﴿ اخوة ﴾ لانتسابهم إلى أصل واحد و هو الإيمان، لا بعد بينهم، ولايفضل أحـــد منهم على أحد بجهة غير جهة الإيمان.

و لما كانت الاخوة داعية و لابد إلى الإصلاح[4]، سبب عنها قوله: ﴿ فاصلحوا ﴾.

و لما كانت الطائفة قد تطلق على ما هو أصل لأن يطاف حوله كما يطلق على ما فيه أهلية التحلق و الطواف، و كان أقل ما يكون ذلك فى الاثنين، و أن مخاصمتها يجر إلى مخاصمة طائفتين بأن يغضب لكل ناس من قبيلته و أصحابه، قال واضعا الظاهر موضع المضمر مبالغة فى تقرير الأمر و تأكيده، و إعلاما بأن المراد بالطائفة القوة لا الفعل بحيث يكون ذلك شاملا للاثنين فما فوقهما: ﴿ بين اخويكم ﴾ أى المختلفين[5] بقتال أو غيره كما تصلحون بين أخويكم من النسب، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض و فساد كـــبير، بل الأمر كما نقل عن أبى عثمان الحيزى أن أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، و قرأ يعقوب[6] "اخوتكم"

(١) زيد من مد (٢) سقط من مد (٣-٣) من مد، و فى الأصل: الى - كذا.
(٤) من مد، و فى الأصل: الاصطلاح (٥) من مد، وفى الأصل: المتخلفين.
(٦) راجع نثر المرجان ٦/ ٦٦٨.

بالجمع ، و قراءة الجماعة أبلغ لدلالتها على الاثنين فما فوقهما بالمطابقه ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى الملك الأعظم الذين هم عباده فى الإصلاح بينهما بالقتال و غيره ، لا تفعلوا ما صورته إصلاح و باطنه إفساد ، و أشار إلى سهولة الأمور عنده و نفوذ أمره و أن النفوس إنما تشوفها إلى الإكرام لا إلى كونه من معين ، فبنى للمفعول قوله تعالى : ﴿ لعلكم ترحمون ﴾ أى لتكونوا إذا فعلتم ذلك على رجاء عند أنفسكم و من ينظركم من أن يكرمكم[1] الذى لا قادر فى الحقيقه على الإكرام غيره بأنواع الكرامات كما رحمتم إخوتكم باكرامهم عن إفساد ذات البين التى هى الحالقة ، و قد دلت الآية أن الفسق بغير الكفر لايخرج عن الإيمان ، و على أن الإصلاح من أعظم الطاعات ، و على وجوب نصر المظلوم لأن القتال لايباح بدون الوجوب ، قال القشيرى : و ذلك يدل على عظم وزر الواشى و النمام و المضرب فى إفساد ذات البين ، و قال : من شرط الأخوة أن لا تحوج أخاك إلى الاستعانة بك و التماس النصرة منك[2] ، و لا تقصر فى تفقد أحواله بحيث يشكل عليك موضع حاجته[3] فيحتاج إلى مسألتك .

و لما نهى عن الإسراع بالإيقاع بمجرد سماع ما يوجب النزاع ، و ختم بما ترجى به الرحمة ، و كان ربما كان الخبر الذى أمر سبحانه بتبينه[4] صريحا ، نهى عن موجبات الشر التى يخبر بها فتكون سببا للضغائن التى يتسبب عنها الشر الذى هو سبب للنقمة رحمة لعباد الله و توقعا للرحمة منه ،

(١) من مد ، و فى الأصل : : يكرمكم - كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : بك (٣) من مد ، و فى الأصل : حاجتك (٤) من مد ، و فى الأصل : تثبيه .

قال

فقال على سبيل النتيجة من ذلك ذاكرا ما فى القسم الرابع من الآداب و المنافع من وجوب ترك أذى المؤمنين فى حضورهم و[1] الإزراء بحالهم المذهب لسرورهم الجالب لشرورهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أى أوقعوا الإقرار بالتصديق ﴿ لا يسخر ﴾ / أى يهزأ و يستذل[2] . ١٢/

و لما كانت السخرية تكون بحضرة ناس ، قال معبرا بما يفهم أن ٥ من شارك أو رضى أو سكت و هو قادر فهو[3] ساخر مشارك للقائل[4] : ﴿ قوم ﴾ أى ناس فيهم قوة المحاولة ، و فى التعبير بذلك هز إلى قيام الإنسان على نفسه و كفها [عما تريده - ٥] من النقائص شكرا لما أعطاه الله من القوة : ﴿ من قوم ﴾ فان ذلك يوجب الشر لأن أضعف الناس إذا حرك للانتقاص قوى بما يثور عنده من حظ النفس . ١٠

و لما كان الذى يقتضيه الرأي الأصيل أنه لا يستذل الإنسان إلا من أمن أن يصير فى وقت من الأوقات أقوى منه فى الدنيا أو [فى - ٥] الآخرة ، علل بقوله : ﴿ عسى ﴾ أى لأنه جدير و خليق لهم ﴿ أن يكونوا ﴾ أي المستهزأ بهم ﴿ خيرا منهم ﴾ فينقلب الأمر عليهم[6] و يكون لهم سوء العاقبة ، قال [ابن - ٥] مسعود رضى الله عنه[7] : البلاء موكل بالقول ١٥ و [لو - ٥] سخرت من كلب خشيت [أن - ٥] أحول كلبا ، و قال

(١) من مد ، و فى الأصل : من (٢) من مد ، و فى الأصل : يذل (٣) من مد ، و فى الأصل : و هو (٤) زيد فى الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) زيد من مد (٦) من مد ، و فى الأصل : عليه (٧) راجع كتاب الزهد لابن المبارك ص ٢٥٧ .

القشيرى : ما استضعف[1] أحد أحدا إلا سلط[2] عليه ، ولا ينبغى أن تعتبر بظاهر أحوال الناس ، فان [فى - [3]] الزوايا خبايا ، و الحق سبحانه يستر أولياءه فى حجاب الظنة ، كذا فى الخبر « كم من أشعث أغبر ذى طمرين[4] لايوبه له لو أقسم على الله لأبره » .

٥ و لما كان إطلاق القوم لمن كان[5] فيه أهلية المعاومة و هم الرجال ، قال معبرا بما هو من النسوة بفتح النون أى ترك العمل : ﴿ و لا نسآء من نسآء ﴾ ثم علل النهى بقوله : ﴿ عسى[6] ﴾ أى[6] ينبغى[7] أن يخفن[7] من ﴿ ان يكن ﴾ المسخور بهن ﴿ خيرا منهن[6] ﴾ أى الساخرات .

و لما كانت السخرية تتضمن العيب ، و لا يصرح فيها ، وكان اللمز ١٠ العيب نفسه ، رقى الأمر إليه فقال : ﴿ و لا تلمزوآ ﴾ أى تعيبوا على وجه الخفية ﴿ انفسكم ﴾ بأن يعيب بعضكم بعضا باشارة أو نحوها ، فكيف إذا كان على وجه الظهور ، فانكم فى التواصل و التراحم كنفس واحدة ، أو يعمل الإنسان ما يعاب[8] به ، فيكون قد لمز نفسه أو يلمز غيره فيكون لمزه له سببا لأن[9] يبحث عن عيوبه فيلمزه فيكون هو ١٥ الذى لمز نفسه ﴿ و لا تنابزوا ﴾ أى ينبز بعضكم بعضا ، أى يدعو على وجه التغير و التسفل ﴿ بالالقاب[1] ﴾ بأن يدعو المرء صاحبه بلقب يسوءه سواء

(١) من مد ، و فى الأصل : استغفر (٢) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن . الزيادة فى مد فحذفناها (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : طريق . (٥) سقط من مد (٦) من مد ، و فى الأصل : ان (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من مد (٨) من مد ، و فى الأصل : يعاقب (٩) من مد ، و فى الأصل : عن أن .

كان هو المخترع له أولا ، و أما ألقاب المدح فنعم هى كالصديق و الفاروق .

و لما كان الإيمان قيدا لأوابد العصيان ، وكان النبز و السخرية قطعا لذلك القيد ، علل بما يؤذن بأنه فسق ، معبرا بالكلمة الجامعة لجميع المذام تنفيرا[1] من ذلك فقال : ﴿ بئس الاسم الفسوق ﴾ أى الخروج من ربقة الدين ﴿ بعد الايمان ج ﴾ ترك الجار إيذانا بأن من وقع فى ذلك أوشك أن يلازمه فيستغرق زمانه فيه فان النفس عشاقة للنقائص ، و لا[2] سيما ما فيه استعلاء ، فمن فعل ذلك فقد رضى لنفسه أن يوسم بالفسق بعد أن كان موصوفا بالإيمان .

و لما كان التقدير : فمن تاب فأولئك هم الراشدون ، و كان المقام بالتحذير أليق ، عطف عليه قوله : ﴿ و من لم يتب ﴾ أى يرجع عما نهى الله عنه ، فخفف عن نفسه ما كان شدد عليها ﴿ فاولئك ﴾ أى البعداء من الله ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الظلمون ه ﴾ أى العريقون فى وضع الأشياء فى غير مواضعها[3] .

و لما كان الإنسان ربما دعا صاحبه بلقب له شيء غير قاصد به / عيبه ، أو فعل فعلا يتنزل على الهزء غير قاصد به الهزء ، نهى تعالى عن المبادرة إلى الظن من غير تثبت لأن ذلك من وضع الأشياء فى غير مواضعها ، الذى هو معنى الظلم[4] فقال خاتما بالقسم الخامس منبها على ما فيه من

/ ١٣

(١) من مد ، و فى الأصل : تتعيرا ـ كذا (٢) من مد ، و فى الأصل : لما كان (٣) من مد ، و فى الأصل : مواضع (٤) من مد ، و فى الأصل : الظالم .

المعالى و النفائس : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أى اعترفوا بالإيمان و إن كانوا فى أول مراتبه ﴿اجتنبوا﴾ أى كلفوا أنفسكم أن تتركوا و تبعدوا و تجعلوا فى جانب بعيد عنكم ﴿ كثيرا من الظن ﴾ أى فى الناس و غيرهم فاحتاطوا فى كل ظن و لا تمادوا معه حتى تجزموا[1] به فتقدموا بسببه على ٥ ما يقتضيه من الشر إلا بعد التبين لحقه من باطله بأن يظهر عليه أمارة صحيحة و سبب ظاهر ، و البحث عن ذلك الذى أوجب الظن ليس بمنهى عنه كما فتش النبى صلى الله عليه و سلم فى قصة الإفك و تثبت حتى جاءه[2] الخبر اليقين من الله ، و أفهم هذا أن كثيرا منه مجتنب[3] كما فى الاجتهاد حيث لا قاطع ، و كما فى ظن الخير بالله تعالى ، بل [قد ـ[4]] يجب كما ١٠ [قال ـ[4]] تعالى " و لو لا اذ سمعتموه ظن المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيرا " و قد أفاد التنكير شياع النهى فى كل ظن ، فكان بمعنى " بعض " مع الكفالة بأن كثيرا منه[5] منهى عن الإقدام عليه إلا بعد تبين أمره ، و لو عرف لأفهم أنه لا يجتنب إلا إذا اتصف بالكثرة ، قال القشيرى : و النفس لا تصدق ، و القلب لا يكذب ، و التمييز بين النفس ١٥ و القلب مشكل ، و من بقيت عليه من حظوظه بقية و إن قلت فليس له أن يدعى بيان القلب ، بل هو بنفسه [ما ـ[4]] دام عليه شىء من بقيته ، و يجب عليه أن يتهم نفسه فى كل ما يقع له من نقصان غيره ،

(١) من مد ، و فى الأصل : يخربوا (٢) من مد ، و فى الأصل : جاء (٣) من مد ، و فى الأصل : متنجب (٤) زيد من مد (٥) من مد ، و فى الأصل : منهم .

ثم علل ذلك مشيرا إلى أن العاقل من يكف نفسه عن أدنى احتمال من الضرر احتمالا مؤكدا لأن أفعال الناس عند الظنون أفعال من هو جازم بأنه[1] برىء من الإثم: ﴿ ان بعض الظن اثم ﴾ أى ذنب يوصل صاحبه لاستحقاق العقوبة كالظن فى أصول الدين، و حيث يخالفه قاطع؛ قال الزمخشرى[2] رحمه الله تعالى: الهمزة فى الإثم عن الواو وكأنه يثم الأعمال أى يكسرها باحباطه.

و لما نهى عن اتباع الظن، أتبعه ما يتفرع عنه فقال: ﴿ و لا تجسسوا ﴾ أى تمعنوا فى البحث عن العورات و لا يكون ذلك إلا فى المستورين.

و لما كانت الغيبة أعم من التجسس، قال: ﴿ و لا يغتب ﴾ أى يتعمد أن يذكر ﴿ بعضكم بعضا[3] ﴾ فى غيبته بما يكره، قال القشيرى: و ليس تحصل الغيبة من الخلق إلا بالغيبة[4] عن الحق، و قال أبو حيان[5]: قال ابن عباس رضى الله عنهما: الغيبة إدام كلاب[6] الناس.

و لما كان تمزيق عرض الناس كتمزيق أديمهم و لا يكون[7] ذلك سار عظمة[8] الذى به قوامه[9] كما أن عرضه[10] ساتر عليه، و[11] كونه لا يرد عن نفسه بسبب غيبته كموته[12] و أعمال الفم و الجوف فى ذلك كله،

(١) من مد، و فى الأصل: به (٢) راجع البحر المحيط ١١٤/٨ (٣) فى مد: من الغيبة (٤) من مد والبحر، وفى الأصل: كلام (٥) من مد، و فى الأصل: جمعهم لأن (٦) من مد، و فى الأصل: عظمهم (٧) من مد، و فى الأصل: قوامهم (٨) من مد، و فى الأصل: عرضهم (٩ - ٩) من مد، و فى الأصل: كونهم لا يردون عن أنفسهم بسبب غيبتهم كوتهم.

و كأن هذا لو تأمله[1] العاقل كان منه على غاية النفرة، و لكنه لخفائه لايخطر بباله، جلاه له فى قوله تقريرا و تعبيرا بالحب عما[2] هو فى غاية الكراهة لما للغتاب من الشهوة [فى الغيبة - [3]] ليكون التصور بذلك رادا له عنها / ومكرها فيها : ﴿ايحب﴾ و عم بقوله : ﴿احدكم﴾ و عبر ١٤ /
٥ بأن و الفعل تصويرا للفعل فقال : ﴿ ان ياكل ﴾ و زاد فى التنفير بجعله فى إنسان هو أخ فقال : ﴿ لحم اخيه ﴾ و أنهى الامر بقوله : ﴿ميتا﴾ .

و لما كان الجواب قطعا : لايحب أحد ذلك ، أشار إليه بما سبب من قوله : ﴿ فكرهتموه[4] ﴾ أى بسبب ما ذكر طبعا فأولى أن تكرهوا الغيبة المحرمة عقلا ، لأن داعى العقل بصير عالم ، و داعى الطبع
١٠ أعمى جاهل ، و قد رتب سبحانه هذه[5] الحكم أبدع ترتيب ، فأمر سبحانه بالتثبت . و كان ربما أحدث ضغينة ، نهى عن العمل بموجبه من السخرية و اللز و و النبز و التمادى مع ما ينشره ذلك من الظنون ، فان أبت النفس[6] إلا تماديا مع الظن[6] فلا يصل إلى التجسس و البحث عن المعايب ، فان حصل الاطلاع عليها كف عن ذكرها ، وسعى فى
١٥ سترها ، و فعل ذلك كله لخوف الله ، لا شىء غيره ، فان وقع فى شىء من ذلك بادر المتاب رجاء الثواب .

---

(١) من مد ، و فى الأصل : تعمده (٢) من مد ، و فى الأصل : بما (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : هذا (٥) من مد ، و فى الأصل : النفوس . (٦) من مد ، و فى الأصل : الذنب .

و لما كان التقدير: فاتركوه بسبب كراهتكم لما صورته، عطف عليه ما دل على العلة العظمى و هى[1] خوف الله تعالى فقال: ﴿ و اتقوا الله[1] ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين الملك الأعظم وقاية بترك ذلك و إصلاح ذات البين . و لما كان التقدير: فان الله يتوب عليكم إن تركتموه، علله بما دل على أن ذلك صفة له متكررة التعلق فقال: ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ تواب ﴾ أى مكرر للتوبة، و هى الرجوع عن المعصية إلى [ما -[2]] كان قبلها من معاملة التائب و إن كرر الذنب، فلا ييأس أحد و إن كثرت ذنوبه و عظمت[3] ﴿ رحيم ﴾ يزيده على ذلك أن[4] يكرمه غاية الإكرام .

و لما ذكر سبحانه الأخوة الدينيه تذكيرا بالعاطف الموجب للاكرام، المانع من الانتقام[5]، و نهى عن أمور يجر إليها الإعجاب بالنفس من جهة التعظم بالآباء و العراقة فى النسب العالى، أسقط [ذلك -[2]] مبينا أن لانسب إلا ما يثمره الإيمان الذى بدأ به من التقوى، و عبر بما يدل على الذبذبة و الاضطراب إشارة إلى سفول رتبة من افتخر بالنسب، و إلى [أن -[2]] من [لم -[2]] يتعظ بما مضى فيعلو عن رتبة الذين آمنوا فقد سفل سفولا عظيما: ﴿ يآيها الناس ﴾ أى كافة المؤمن و غيره ﴿ انا ﴾ على عظمتنا[6] و قدرتنا[6] ﴿ خلقنٰكم ﴾ أى أوجدناكم عن العدم

(١) من مد، و فى الأصل: هو (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل: وجد الله، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) من مد، و فى الأصل « و » .
(٥) فى مد: الانتقاص (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من مد .

على ما أتم عليه من المقادير فى صوركم و ما أتم عليه من التشعب الذى[1] يفوت الحصر ، و أخرجنا كل واحد منكم[2] ﴿ من ذكر ﴾ هو المقصود بالعزم و القوة ﴿ و انثى ﴾ هى موضع[3] الضعف و الراحة ، لامزية لأحد منكم فى ذلك على آخر ، و لا فخر فى نسب .

٥ و لما كان تفضيلهم إلى فرق لكل منهما تعرف [به -[4]] أمرا باهرا ، عبر فيه[5] بنون العظمة فقال : ﴿ و جعلنكم ﴾ أى بعظمتنا ﴿ شعوبا ﴾ تتشعب[6] من أصل واحد ، جمع شعب بالفتح و [هو -[4]] الطبقة الأولى من الطبقات الست من طبقات النسب التى عليها العرب ﴿ و قبآئل ﴾ تحت الشعوب ، و عمائر تحت القبائل ، و بطونا تحت العمائر ،

١٠ [و -[4]] أفخاذا تحت البطون[7] ، و فصائل تحت الأفخاذ ، و العشائر تحت

١٥ / الفصائل ، خزيمة شعب ، و كنانة / قبيلة ، و قريش عمارة ، و قصى بطن ، و عبد مناف فخذ ، و هاشم فصيلة ، و العباس عشيرة ، قال البغوى[8] : و ليس بعد العشيرة حى يوصف به - انتهى . و اقتصر على الأولين لأنهما أقصى ما يسهل على الآدمى معرفته فما دونه أولى ، ثم ذكر علة التشعب ليوقف

١٥ عندها فقال : ﴿ لتعارفوا[4] ﴾ أى ليعرف الإنسان من يقاربه فى النسب ليصل من رحمه ما يحق له ، لاالتواصفوا و تفاخروا .

و لما كانت فائدة التفاخر بالتواصف[9] عندهم الإكرام لمن كان

---

(١) من مد ، و فى الأصل . التى (٢) من مد ، و فى الأصل : منهم (٣) فى مد : موطن (٤) زيد من مد (٥) من مد ، و فى الأصل : به (٦) من مد ، و فى الأصل : تشعبوا (٧) فى الاصل و م : العمائر (٨) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٦ / ١٩١ (٩) من من مد ، و فى الأصل : بالوصف .

أفخر . فكانت الآية السالفة التى ترتبت[1] عليها هذه آمرة بالتقوى كان التقدير : فتتقوا الله فى أقاربكم و ذوى أرحامكم ، فقال مبطلا للتفاخر بالأنساب معللا لما أرشد إلى تقديره السياق مؤكدا لأجل ما عندهم من ان الكرم إنما هو بالنسب : ﴿ ان اكرمكم ﴾ ايها المتفاخرون ﴿عند الله﴾ أى الملك الذى لا أمر لأحد معه و لا كريم إلا من أكرمكم بكرمه و لا كمال لأحد سواه ﴿ اتقٰكم ﴾ فذلك هو الذكر الذى يصح أصله باقتدائه بأبيه آدم عليه السلام فلم يمل إلى الأنوثة و إن كان أدناكم نسبا و لذلك[2] أكده ، و هذا معنى قوله صلى الله عليه و سلم «خياركم فى الجاهلية خياركم فى الإسلام إذا فقهوا» أى علموا[3] بان[4] كانت لهم ملكة الفقه فعملوا[5] بما علموا كما قال الحسن رحمه الله : إنما الفقيه العامل بعلمه . و قد تقدم أن هذا [هو -[6]] المراد بقوله تعالى "هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون" لما دل عليه سياقها و سباقها ، و الأتقى لا يفتخر على غيره لأنه لا يعتقد أنه أتقى ، قال الرازى فى اللوامع : أكرم الكرم التقوى ، و هو مجمع الفضائل الإنسانية ، و ألأم اللؤم الفجور ، و ذلك أن الكرم اسم للأفعال المحمودة ، و هذه الأفعال إنما تكون محمودة إذا كانت عن علم ، و قصد بها الله ، و هذا هو التقوى ، فليس التقوى إلا العلم و تحرى الأفعال المحمودة - انتهى . و ذلك لأن[7] التقوى تثبت الكمالات و تنفى النقائص فيصير

(١) من مد ، و فى الأصل : رتب (٢) فى مد : أخبركم (٣) من مد ، و فى الأصل : كذلك (٤) فى مد : فعملوا (٥) من مد . و فى الأصل : فان (٦) زيد من مد (٧) من مد ، و فى الأصل : ان .

صاحبها بشريا ملكيا .

و لما كان هذا مركوزا فى طبائعهم مغروزا فى جبلاتهم متوارثا[1] عندهم أن الفخر إنما هو بالأنساب ، و أن الكرم إنما هو من طاب أصله ، و كان قلع ذلك من نفوسهم فيما أجرى به سبحانه العادة فى دار الأسباب يتوقف على تأكيد ، أكد سبحانه معللا قوله لإخباره بالأكرم : ﴿ان الله﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿عليم﴾ أى بالغ العلم بالظواهر ﴿خبير ٥﴾ محيط العلم بالبواطن و السرائر أيضا ، روى البغوى[2] بسند من طريق عبد الله ابن حميد عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم طاف يوم الفتح على راحلته ليستلم الأركان بمحجنه ، فلما خرج لم يجد مناخا فنزل على أيدى الرجال ، ثم قام فخطبهم ثم حمد الله و أثنى عليه و قال : الحمد لله الذى أذهب عنكم عبية الجاهلية و تكبرها بآبائها . [إنما] الناس رجلان : برتق كريم على الله ، و فاجر شقى هين على الله - ثم تلا "يا ايها الناس" الآية ، ثم قال : اقول قولى هذا و أستغفر الله لى و لكم ، و أخرجه أبو داود[3] و الترمذى[4] [و حسنه - *] و البيهقى - قال المنذرى[5] ، باسناد [حسن ، و - *] اللفظ له - عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال قال : إن الله عز وجل أذهب عنكم عبية الجاهلية و فخرها بالآباء ، الناس : بنو آدم و آدم من تراب ، مؤمن تقى وفاجر شقى ، لينتهين أقوام يفتخرون

(١) من مد ، و فى الأصل : متوازيا (٢) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/ ١٩٢ .
(٣) راجع السنن ٢ / ٣٠٠ (٤) راجع الجامع أبواب التفسير ٢ / ١٥٩ (٥) زيد من مد (٦) فى الترغيب و الترهيب .

برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أو[1] ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع النتن بأنفها .

و لما أمر سبحانه باجلال رسوله صلى الله عليه و سلم و إعظامه، و نهى عن أذاه فى نفسه أو فى أمته، و نهى عن التفاخر الذى هو سبب التقاطع و التداحر، و ختم بصفة الخبر، دل عليها بقوله [مشيرا -[2]] إلى أنه لايعتد بشىء مما أمر بـــه أو نهى عنه إلا مع الإخلاص فقال: ﴿قالت الاعراب﴾ أى أهل البادية من بنى أسد و غيرهم الذين هم معدن الغلظة [و الجفاء -[2]] الذين تقدم تأديبهم[3] فى سورة الفتح، و ألحق التاء فى فعلهم إشارة إلى ضعفهم فى العزائم، قال ابن برجان: هم قوم شهدوا شهادة الحق [4]و هم لا[4] يعلمون ما شهدوا بـه غير أن أنفسهم [ليست -[2]] تنازعهم إلى التكذيب: ﴿ آمنا ﴾ [أى -[2]] بجميع ما جئت به فامتثلنا ما أمرنا به فى هذه السورة و لنا النسب الخالص، فنحن أشرف من غيرنا من اهل المدر .

و لما كان الإيمان التصديق بالقلب فلا اطلاع عليه لآدمى إلا باطلاعه سبحانه فكانوا كاذبين فى دعواه، قال: ﴿ قل ﴾ أى تكذيبا لهم مع مراعاة الأدب فى عدم التصريح بالتكذيب: ﴿ لم تؤمنوا ﴾ أى لم تصدق قلوبكم لأنكم لو آمنتم لم تمنوا[5] بإيمانكم لأن الإيمان التصديق بجميع

(١) من مد، و فى الأصل: «و» (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: تذبذبهم (٤-٤) من مد، و فى الأصل: هم (٥) من مد، و فى الأصل: لم تؤمنوا .

ما لله من الكمال الذى منه أنه لو لا منه بالهداية لم يحصل الإيمان، فله و لرسوله - الذى كان ذلك على يديه - المن و الفضل .

و لما كان التقدير ما كان [1]الأصل فى[1] أن يكون الرد به و هو : فلا تقولوا : آمنا ، فانه كذب ، و عدل عنه للاحتراز عن النهى عن القول بالإيمان ، عطف عليه قوله : ﴿ و لكن قولوا ﴾ لأنكم أسلمتم للدنيا لا للدين ، و عدل عنه لئلا تكون شهادة لهم بالإسلام [2]فى الجملة[2] : ﴿اسلمنا﴾ أى أظهرنا الانقياد فى الظاهر للأحكام الظاهرة فأمنا من أن نكون حزبا للمؤمنين و عونا للمشركين ، يقال : أسلم الرجل - إذا دخل فى السلم ، كما يقال : أشتى - إذا دخل فى الشتاء ، و لم يقل : و لكن أسلمتم ، لما فيه من الشهادة لهم بالإسلام الملازم للايمان المنفى عنه ، فكان يكون تناقضا ، و الآية من الاحتباك : نفى الإيمان الشرعى أولا يدل على إثبات الإسلام اللغوى ثانيا ، [و الأمر بالقول بالإسلام - [3]] ثانيا يدل على النهى عن القول بالإيمان [أولا - [3]] .

و لما كانت "لم" غير مستغرقة ، عطف عليها ما يستغرق [4]ما مضى من[4] الزمان كله ليكون الحكم بعدم إيمانهم مكتنفا بأمرهم بالاقتصاد على الإخبار باسلامهم ، فقال معلما بأن ما يجتهدون فى إخفائه [5]منكشف لديه[5] "الا يعلم من خلق" : ﴿ و لما يدخل[6] ﴾ [أى - [3]] إلى هذا الوقت

(١ - ١) من مد ، و فى الأصل : و (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد .
(٣) زيد من مد (٤ - ٤) فى مد : ماضى (٥ - ٥) فى الأصل : منكشفا يديه ، و فى مد : منكشفا لديه (٦) زيد فى الأصل : الايمان ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

﴿ الايمان ﴾ [أى ـ [1]] المعرفة التامة ﴿ [1]فى قلوبكم[2] [1]﴾ فلا يعد إقرار اللسان إيمانا إلا بمواطأة القلب، فعصيتم الله و رسوله صلى الله عليه و سلم و أحبطتم أعمالكم، و التعبير بـ « لما » يفهم أنهم آمنوا بعد ذلك، و يجوز أن يكون المراد بهذا النفى نفى التمكن فى القلب، لا نفى مطلق الدخول بدليل " انما المؤمنون " [دون " انما ـ [1]] الذين [1]امنوا " . ٥

و لما كان التقدير: فان تؤمنوا[3] يعلم الله ذلك من قلوبكم غنيا عن قولكم، عطف عليه قوله ترغيبا لهم فى التوبة: ﴿ و ان تطيعوا الله ﴾ أى الملك الذى من خالفه لم يأمن عقوبته ﴿ و رسوله ﴾ الذى طاعته من طاعته على ما أنتم عليه من الأمر الظاهرى فتؤمن قلوبكم ﴿لا يلتكم﴾ أى ينقصكم و يبخسكم[4] من لاته يليته، و هى لغة أهل الحجاز، و قرأ ١٠ البصريان[5]: [6]يألتكم من الألت و هو[6] النقص أيضا، و هى لغة أسد و غطفان، و هم المخاطبون بهذه الآية المعاتبون بها، قال أبو حيان[7]: قال مجاهد: نزلت فى [بنى] أسد بن خزيمة ـ انتهى . فلذلك اختار أبو عمرو القراءة بها، و عدل عن لغة الحجاز ﴿ من اعمالكم شيئا[4] ﴾ فلا حاجة إلى إخباركم عن إيمانكم بغير ما يدل عليه من الأقوال و الأفعال، قال ابن برجان: فعموم ١٥ الناس و أكثر أهل الغفلة مسلمون غير مؤمنين، فان يعلموا علم ما شهدوا و عقدوا عليه عقدا[8] علما و يقينا فهم المؤمنون . و فى الآية احتباك من

---

(١) زيد من مد (٢ ـ ٢) ليس ما بين الرقمين فى الأصل (٣) من مد، و فى الأصل: لم تومنوا (٤) من مد، و فى الأصل: يحبسكم (٥) راجع نثر المرجان ٦ / ٦٧٦ (٦-٦) من مد، و فى الأصل: يلتكم من الات و هى (٧) فى البحر المحيط ٨ / ١١٧ (٨) سقط من مد .

وجه آخر : ذكر عدم الإيمان أولا دليلا على إثباته ثانيا ، و ذكر توفير الأعمال ثانيا دليلا [1]على بخسها[1] أو إحباطها أولا ، و سره أنه نفى أساس الخير أولا و رغب فى الطاعة بحفظ ما تعبوا [عليه -[2]] من الأعمال ثانيا[2] .

٥ و لما كان الإنسان مبنيا على النقصان ، فلو وكل إلى عمله هلك ، و لذهب عمله فيما يعتريه من النقص ، قال مستعطفا [لهم -[2]] إلى التوبة ، مؤكدا تنبيها على أنه مما يحق تأكيده[4] [لأن الخلائق -[2]] لايفعلون مثله : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى ستور للهفوات و الزلات لمن تاب و صحت نيته ، و لغيره إذا أراد ، فلا عتاب

١٠ و لا عقاب ﴿ رحيم ٥ ﴾ أى يزيد على الستر عظيم الإكرام .

و لما نفى عنهم الإيمان ، و كان ربما غلط شخص فى نفسه [فظن -[2]] أنه مؤمن[1] ، و ليس كذلك ، أخبر بالمؤمن على سبيل الحصر ذاكرا أمارته الظاهرة الباطنة ، و هى أمهات الفضائل : العلم و العفة و الشجاعة ، فقال[5] جوابا لمن قال : فمن الذى آمن ؟ عادلا عن جوابه إلى وصف الراسخ

١٥ ترغيبا فى الاتصاف بوصفه و إيذانا بأن المخبر عن نفسه بآية إيمانه[6] لا يريد إلا أنه راسخ : ﴿ انما المؤمنون ﴾ أى العريقون فى الإيمان الذى هو حياة القلوب ، قال القشيرى : و القلوب لا تحيى إلا بعد ذبح النفوس ،

(١ - ١) من مد ، و فى الأصل : بخرها (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) فى مد : توكيده (٥) من مد ، و فى الأصل : قال (٦) فى مد : انه .

و النفوس لا تموت و لكنها تعيش ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى صدقوا معترفين ﴿ بالله ﴾ معتقدين جميع ما له من صفات الكمال ﴿ و رسوله ﴾ شاهدين برسالته، و هذا هو المعرفة التى هى العلم، و غايتها الحكمة، و هذا الإثبات هنا يدل على [أن - ١] المنفى فيما قبل الكمال لا المطلق، و إلا لقال "إنما الذين آمنوا" . ٥

و لما كان هذا عظيما و الثبات عليه أعظم، و هو عين الحكمة، أشار إلى عظيم مزية الثبات بقوله : ﴿ ثم ﴾ أى بعد امتطاء هذه الرتبة العظيمة [﴿ لم يرتابوا ﴾ أى ينازعوا - ١] الفطرة الأولى فى تعمد التسبب إلى الشك و لم يوقعوا الشك فى وقت من الأوقات الكائنة بعد الإيمان، فلا يزال على تطاول الأزمنة وحصول الفتن وصفهم ٢ بعدم الريب ٢ ١٠ غضا جديدا، و لعله عبر بصيغة الافتعال إشارة إلى العفو عن حديث النفس الذى لا يستطيع الإنسان دفع أصله و يكرهه غاية الكراهة ٣ و يجتهد فى دفعه، فاذا ان ؟ المذموم المشى معه و المطاولة منه حتى يستحكم .

و لما ذكر الأمارة الباطنة على وجه جامع لجميع العبادات المالية ١٥ و البدنية قال ٤ : ﴿ و جاهدوا ﴾ / أى أوقعوا الجهاد بكل ما ينبغى أن ١٨ / تجهد النفس فيه تصديقا لما ادعوه بألسنتهم من الإيمان ﴿ بأموالهم ﴾ و ذلك هو العفة ﴿ و انفسهم ﴾ أعم من النية و غيرها، و ذلك هو

(١) زيد من مد (٢ - ٢) من مد، و فى الأصل : بعد الرتب (٣) من مد، و فى الأصل : الاكراه (٤) فى الأصل و مد : فقال .

الشجاعة، و قـــدم الأموال لقلتها فى ذلك الزمان عند العرب ﴿فى سبيل الله[٤]﴾ أى طريق الملك الأعظم بقتال الكفار و غيره من سائر العبادات المحتاجة إلى [١]المال و النفس[١] لا الذين يتخلفون و يقولون: شغلتنا أموالنا و أهلونا، قال القشيرى: جعل [الله ـ[٢]] الإيمان مشروطا[٣] بخصال ذكرها، و ذكر بلفظ "انما" و هى للتحقيق، تقتضى الطرد و العكس، فمن أفرد الإيمان عن شرائطه التى جعلها له فمردود [عليه ـ[٢]] قوله، و الإيمان للعبد [الأمان ـ[٢]]. فايمان[٤] لا يوجب الأمان لصاحبه فخلافه أولى به[٥].

و لما عرف بهم بذكر أمارتهم على سبيل الحصر، أنتج ذلك حصرا آخر قطعا لأطماع المدعين على وجه أثنى عليهم فيه بما تعظم المدحة به عندهم ترغيبا[٦] فى مثل[٦] حالهم فقال: ﴿أولـئك﴾ أى العالو الرتبة الذين حصل لهم استواء الأخلاق و العدل فى الدين بجميع امهات الأخلاق ﴿هم﴾ أى خاصة ﴿الصدقون﴾ قالا و حالا و فعالا، و أما غيرهم فكاذب.

و لما كانوا كـأنهم يقولون: نحن كذلك، امره صلى الله عليه و سلم بالإنكار عليهم و التوبيخ [لهم ـ[٢]] دلالة على ما أشار إليه ختام الآية من إحاطة علمه الذى تميز به الصادق من غيره من جميع الخلق فقال:

(١-١) من مد، و فى الأصل: النفس و المال (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: مخلوطا (٤) من مد، و فى الأصل: كايمان (٥) من مد، و فى الأصل: لصاحبه (٦-٦) من مد، و فى الأصل: لمثل.

﴿ قل ﴾ أى لهؤلاء الأعراب مجهلا [لهم -[1]] مبكتا : ﴿ اتعلمون ﴾ [أى -[1]] أتخبرون إخبارا [عظيما -[1]] بليغا ، كأنهم لما آمنوا كان [ذلك -[1]] إعلاما منهم ، فلما قالوا آمنا كان ذلك تكريرا ، فكان فى[2] صورة التعليم ، فبكتهم بذلك ﴿ الله ﴾ اى الملك الأعظم المحيط قدرة و علما ﴿ بدينكم[3] ﴾ فلذلك تقولون : آمنا ، ففى ذلك نوع بشرى لهم لأنه ٥ أوجد لهم دينا و أضافه إليهم - قاله ابن رجان . و لما أنكر عليهم و بكتهم وصل به ما يشهد له[2] فقال : ﴿ و الله ﴾ أى و الحال ان الملك المحيط بكل شىء ﴿ يعلم ما فى السمٰوٰت ﴾ كلها على عظمها و كثرة ما فيها و من فيها . و لما كان فى سياق الرد [عليهم -[1]] و التبكيت لهم كان موضع التأكيد فقال : ﴿ و ما فى الارض[3] ﴾ كذلك[4] . ١٠

و لما كان المقام للتعميم ، أظهر و لم يضمر لئلا يوهم[5] الاختصاص بما ذكر من الخلق فقال : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة ﴿ بكل شىء ﴾ أى مما ذكر و مما لم يذكر ﴿ عليم ﴾ .

و لما كان قولهم هذا صورته صورة المنة ، قال مترجما له مبكتا لهم عليه معبرا بالمضارع تصويرا لحاله فى شناعته : ﴿ يمنون عليك ﴾ أى ١٥ يذكرون ذكر من اصطنع [عندك -[1]] صنيعة و أسدى إليك نعمة ، إنما فعلها لحاجتك إليها لا لقصد الثواب عليها ، لأن المن هو القطع - قال فى الكشاف : لأنه إنما يسديها إليه ليقطع بها حاجته [لا غير -[1]] ، من

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : ذلك (٣) من مد ، و فى الأصل : لهم (٤) من مد ، و فى الأصل : ذلك (٥) فى مد : يتوهم .

غير أن يعمد لطلب مثوبة ، ثم يقال : من عليه ضيعة - إذا اعتده عليه منة و إنعاما . و لما كان الإسلام ظاهرا فى الدين الذى هو الانقياد بالظاهر مع إذعان [الباطن -[1]] لم يعبر به ، و قال : ﴿ان اسلموا[1]﴾ أى أوقعوا الانقياد للأحكام فى الظاهر .

٥ و لما كان المن هو القطع من العطاء الذى لايراد عليه جزاء ، قال : ﴿ قل ﴾ أى فى جواب قولهم هذا : ﴿ لا تمنوا ﴾ معبرا بما من المن إشارة إلى أن الإسلام لايطلب جزاؤه إلا من الله ، فلا ينبغى عده صنيعة على أحد ، فان ذلك يفسده ﴿ علىّ اسلامكم ج ﴾ لو فرض أنكم [2] كنتم مسلمين[2] أى متدينين بدين الإسلام الذى هو انقياد الظاهر

١٩/ ١٠ / مع إذعان الباطن ، [أى -[1]] لا تذكروه على وجه الامتنان أصلا ، فالفعل و هو " تمنوا " مضمن " تذكروا " نفسه لامعناه كما تقدم [فى -[1]] " و لتكبروا الله على ما هداكم " ﴿ بل الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له المنة على كل موجود و لا منة عليه بوجه ﴿يمن عليكم﴾ أى يذكر أنه أسدى إليكم نعمة [3]ظاهرة و باطنة منها ما هو[3] ﴿ ان ﴾

١٥ أى بأن ﴿ هدىكم للايمان ﴾ أى بينه لكم أو وفقكم للاهتداء و هو تصديق الباطن مع الانقياد بالظاهر ، و التعبير عن هذا بالمن أحق مواضعه ، فانه سبحانه غير محتاج إلى عمل فانه لانفع يلحقه و لا ضر ، و إنما طلب الأعمال لنفع[4] العاملين أنفسهم ، و من عليهم بأن أرسل رسوله صلى الله

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : مسلمون (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد فى الأصل : المسلمين او ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

عليه و سلم فبين لهم فكذبوه بأجمعهم ، فلم يزل يقويه حتى أظهر فيه [آية -[1]] مجده و أظهر دينه على الدين كله ، و دخل فيه الناس[2] طوعا وكرها على وجوه من المجد يعرفها من [3]استحضر السيرة[3] و لاسيما من عرف أمر بنى أسد و غطفان الذين نزلت فيهم هذه الآيات ، وكيف كان حالهم فى غزوة خيبر [4]و غيره[4]. ٥

و لما كان [المراد -[5]] بهذا تجهيلهم و تعليمهم حقائق الأمور ، لا الشهادة لهم بالهداية ، قال منبها على ذلك : ﴿ ان كنتم ﴾ أى كونا أنتم عريقون فيه ﴿ صٰدقين ﴾ فى ادعائكم ذلك ، فانه على تقدير الصدق إنما هو بتوفيق الله و هو الذى خلق لكم قدرة الطاعة ، فهو الفاعل فى الحقيقه فله المنة عليكم ، قال الأستاد أبو القاسم القشيرى : من لاحظ شيئا ١٠ من اعماله و أحواله فان رآها دون نفسه كان شركا ، و إن رآها لنفسه كان مكرا ، فكيف يمن العبد بما هو شرك أو مكر ، و الذى يجب عليه قبول المنة كيف يرى لنفسه على غيره منة ، هذا لعمرى فضيحة ، و المنة تكدر الصنيعة ، إذا كانت من المخلوقين ، و بالمنة تطيب النعمة إذا كانت من قبل الله . ١٥

و لما نفى عنهم ما هو باطن ، و ختم جدالهم سبحانه بهذه الشرطية ، فكان ربما توهم قاصر النظر جامد الفكر عدم العلم بما هو عليه ، أزال

(١) زيد من مد (٢) سقط من مد (٣-٣) من مد ، و فى الأصل : استحفره .
(٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من مد (٥) فى الأصل بياض ملاناه من مد .

ذلك على وجه عام، و أكده لذلك فقال: ﴿ان الله﴾ أى المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿ يعلم ﴾ أى بطريق ثبوت الصفة و تجريد التعلق و استمراره كلما تجدد محدث أو كان بحيث [1]يتجدد ﴿ غيب السمٰوٰت ﴾ أى كلها ﴿ و الارض[1] ﴾ كذلك .

٥ و لما أريد التعميم من غير تقييد بالخافقين أظهر و لم يضمر قوله: ﴿و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بذلك و بغيره مما لا تعلمون ﴿ بصير﴾ أى عالم أتم العلم ظاهرا و باطنا ﴿بما تعملون ﴾ من ظاهر إسلامكم و باطن إيمانكم فى الماضى و الحاضر و الآتى سواء كان ظاهرا أو باطنا سواء كان قد حدث فصار بحيث تعلمونه أنتم أو كان مغروزا فى جبلاتكم و هو

١٠ خفى عنكم - هذا على قراءة الخطاب[2] التفات[3] إليهم لاستنقاذ من توهم منهم هذا التوهم، و هى أبلغ، و على قراءة ابن كثير بالغيب يكون على الأسلوب الأول مما أمر النبى صلى الله عليه وسلم بابلاغه لهم، فهو سبحانه

٢٠ / عالم بمن انطوى ضميره على الإيمان، و من هو متكيف بالكفران، و من يموت على ما هو عليه، و من يتحول حاله بابعاد عنه أو جذب إليه،

١٥ قال القشيرى رحمه الله تعالى: و من وقف ههنا تكدر عليه العيش إذ ليس يدرى ما غيبه فيه، و فى المعنى قال[4]:

---

(١) من مد، و فى الأصل: يحب (٢) راجع نثر المرجان ٦/٦٨٠ (٣) من مد، و فى الأصل: التفاتا (٤) سقط من مد.

أبكى و هل تدرين ما يبكينى أبكى حذارا أن تفارقينى
و تقطعى حبلى[1] و تهجرينى

انتهى . و فى ذلك أعظم زجر[2] و ترهيب لمن قدم بين [يدى - [3]] الله و رسوله و لو أن تقدمه فى سره . فانه لا تهديد أبلغ من إحاطة العلم ، فكأنه قيل : لا تقدموا بين يديه فان الله محيط العلم فهو يعلم سركم و جهركم ، فقد رجع[4] هذا "الآخر إلى الأول" ، و التف به التفاف الأصل بالموصل .

(١) من مد ، و فى الأصل : جيلى (٢) من مد ، و فى الأصل : زاجر (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : التفت (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل : الأول إلى الآخر .

سورة ق و تسمى الباسقات[1]

مقصودها تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فى الرسالة التى معظمها الإنذار و أعظمه[2] الإعلام[3] بيوم الخروج بالدلالة على ذلك بعد الآيات المسموعة الغنية بإعجازها عن تأييد بالآيات المرئية الدالة قطعا على الإحاطة بجميع صفات الكمال، و أحسن من هذا أن يقال: مقصودها الدلالة على إحاطة القدرة التى هى نتيجة ما ختمت به الحجرات من إحاطة العلم[4] لبيان أنه لابد من البعث ليوم الوعيد، فتكتنف هذه الإحاطة بما يحصل من الفصل بين العباد بالعدل لأن ذلك هو سر الملك الذى هو سر الوجود و ذلك هو نتيجة مقصود البقرة، و الذى تكفل بالدلالة على هذا كله ما شوهد من إحاطة [مجد - ٥] القرآن بإعجازه فى بلوغه فى كل من جميع المعانى و علو التراكيب و جلالة المفردات و تلازم الحروف و تناسب النظم و رشاقة الجمع و حلاوة التفصيل إلى حد لا تطيقه القوى، و من إحاطة أوصاف الرسول الذى اختاره سبحانه لإبلاغ هذا الكتاب فى الخلق، و ما شوهد من إحاطة القدرة بما هدى إليه القرآن من آيات[6] الإيجاد و الإعدام، و على كل من الاحتمالين دل اسمها "ق" لما فى آياته[7] من إثبات المجد بهذا الكتاب، و المجد هو الشرف و الكرم[8]

---

(١) الخمسون من سور القرآن الكريم مكية و عدد آيها ٤٥ بالاتفاق (٢) من مد، و فى الأصل: معظمه (٣) فى مد: الانذار (٤) سقط من مد (٥) زيد من مد (٦) من مد، و فى الأصل: الآيات (٧) فى مد: آيته (٨) من مد، و فى الأصل: الاكرام.

و الرفعة و العلو ، و ذلك لا يكون إلا و الآتى به كذلك ، و هو ملازم لصدقه فى جميع ما أتى به ، و للقاف وحدها أتم دلالة على ذلك ، أولا بمخرجها فانه من أصل [1] اللسان مما يلى الحلق و يحاذيه من الحنك الأعلى ، فان ذلك إشارة إلى أن مقصود السورة الأصل و العلو ، و كل منها دال على الصدق دلالة قوية ، فان الأصل فى وضع الخبر الصدق ، ٥ و دلالته على الكذب وضعية لاعقلية ، و هى أيضا محيطة باسمها أو مسماها بالمخارج الثلاث ، و الإحاطة بالحق لاتكون إلا مع العلو ، و هو لا يكون إلا مع الصدق ، و لإحاطتها سمى بها الجبل المحيط بالأرض ، هذا بمخرجها ، و أما صفتها فانها عظيمة فى ذلك فان لها الجهر و الشدة و الانفتاح و الاستعلاء و القلقلة ، و كل منها ظاهر الدلالة على ذلك جدا ، ١٠ / و أدل ما فيها من المخلوقات على هذا المقصد النخل ، لما انفردت به / ٢١ عما شاركها من النبات بالإحاطة بالطول و كثرة المنافع ، فانها جامعة للتفكه بالقلب ثم الطلع ثم البسر ثم الرطب و بالاقتيات بالتمر و بالخشب و الحطب و القطا و الخوص النافع للافتراش و الليف النافع للحبال ، و دون ذلك و أعلاه من الخلال ، هذا مع كثرة ملابسة العرب الذين ١٥ هم أول مدعو بهذا الكتاب الذكر لها و معرفتهم بخواصها . و أدل ما فيها الطول مع أنه ليس لعروقها من الامتداد فى الأرض و التمكن ما لغيرها ، و مثل ذلك غير كاف فى العادة فى الإمساك عن السقوط و كثرة الحمل و عظم الأقناء و تناضد الثمر ، و لذلك سميت سورة الباسقات لا النخل

(١) و من هنا إلى ما سننبه عليه ليست نسخة مد واضحة .

﴿ بسم الله ﴾ الذى من إحاطة حمده بيانه ما لنبيه صلى الله عليه و سلم من إحاطة الحمد ، و لقدرته سبحانه من الإحاطة التى ليس لها حد ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم خلقه برحمته حين أرسل إليهم محمدا صلى الله عليه و سلم بشرائعه ، فهو أصدق العباد ، و أظهر بعظيم معجزاته أن قدرته ما لها من نفاد ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الذى خص بالفوز فى دار القرار أهل الرغاد .

لما ختم سبحانه الحجرات باحاطة العلم قال أول هذه : ﴿ قٓ ﴾ إشارة إلى أنه هو سبحانه وحده المحيط علما و قدرة بما له من العلو و الشدة و القوة و القيومية و القهر و نافذ القضاء و الفتح لما أراد من المغلقات ، بما اشارت إليه القاف بصفاتها و أظهرته بمخرجها المحيط بما جمعه مسماها من المخارج الثلاث : الحلق و اللسان و الشفاه .

و قد قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى فى سر افتتاح المفصل بهذا الحرف فقال فى آخر كتابه فى هذا الحرف : اعلم أن القران منزل مثانى ، ضمن ما عدا المفصل منه الذى هو من قاف إلى آخر الكتاب العزيز و فاتحة ما يختص بأولى العلم و الفقه من مبسوطات الحكم و محكمات الأحكام و مطولات الأقاصيص ، و متشابه الآيات ، و السور المفتتحة بالحروف الكلية للاحاطة لغيبية المتهجى المسندة إلى آحاد الأعداد ، فلعلو رتبة إيراده و طوله ثنى الحق سبحانه الخطاب و انظمه فى سور كثيرة العدد يسيرة عدد الآى قصيرة مقدارها ، ذكر فيها من أطراف القصص و المواعظ و الأحكام و الثناء و أمر الجزاء ما يليق بسماع العامة ليسهل عليهم

سماعه و ليأخذوا بحظ مما أخذه الخاصة و ليكرر على أسماعهم فى قراءة الأئمة له فى الصلوات المفروضة التى لامندوحة لهم عنها ما يكون لهم خلفا مما يعولهم من مضمون سائر السور المطولات، فكان أحق ما افتتح به مفصلهم حرف ق الذى هو وتر الآحاد، و الظاهر منها مضمون ما يحتوى عليه مما افتتح بألف لام ميم، و كذلك كان صلى الله عليه و سلم يكثر ٥ أن يقرأ فى خطبة يوم الجمعة إليهم لأنها صلاة جامعة الظاهر بفاتحة المفصل الخاص بهم، و فى مضمونها من معنى القدرة و القهر المحتاج إليه فى إقامة أمر العامة ما فيه كفاية، و شفعت بسورة المطهرة فخصوا بما فيه القهر و الإنابة، و اختصرت سورة نون من مقتضى العلم بما هو محيط بأمر /العامة المنتهى إلى غاية الذكر الشامل للعالمين . ١٠ / ٢٢

و لما كان جميع السور المفتتحة بالحروف المتضمنة للمراتب التسع، و العاشر الجامع قواما و إحاطة فى جميع القرآن، لذلك كانت[1] سورة قاف و سورة ن قواما خاصا و إحاطة خاصة بما يخص العامة[2] من القرآن الذين يجمعهم الأرض بما أحاط بظاهرها من صورة جبل قاف، و ما أحاط بباطنها من صورة حيوان " نون " الذى تمام أمرهم بما بين مددى إقامتهما ١٥ و لهذه السورة المفتتحة بالحروف ظهر اختصاص القرآن و تميزه عن سائر الكتب لتضمنها الإحاطة التى لاتكون إلا بما للخاتم الجامع، و اقترن بها من التفضيل فى سورها ما[3] يليق باحاطتها، و لإحاطة معانيها

(١) فى الأصل : كان (٢) تكرر فى الأصل (٣) و من هنا عادت نسخة مد واضحة .

و إتمامها كان كل ما فسرت به من معنى يرجع إلى مقتضاها، فهو صحيح فى إحاطتها و منزلها من أسماء الله و رتبها فى جميع العوالم، فلا يخطئ فيها مفسر لذلك لأنه كلما قصد وجها[1] من التفسير لم يخرج عن إحاطة ما تقتضيه، و مهما فسرت به من [أنها من -[2]] أسماء الله تعالى ٥ أو[3] من أسماء الملائكة أو من أسماء الأنبياء أو من مثل الأشياء، و صور الموجودات أو[3] من أنها أقسام[4] أقسم بها، او فواتح عرفت بها السور، أو[3] أعداد تدل على حوادث و حظوظ من ظاهر الأمر أو باطنه على اختلاف رتب و أحوال مما أعطيه محمد صلى الله عليه و سلم من مقدار أمد[5] الخلافة و الملك و السلطنة و ما ينتهى إليه أمره من ظهور الهداية ١٠ و نحو ذلك مما يحيط بأمد يومه إلى غير ذلك، و كل داخل فى إحاطتها، و لذلك[6] أيضا لاتختص بمحل مخصوص تلزمه علامة إعراب مخصوصة فمهما قدر فى مواقعها من هذه السورة جرا[7] أو نصبا[7] أو رفعا، فتداخل فى إحاطة رتبتها و لم يلزمها معنى خاص و لا إعراب خاص لما لم يكن لها انتظام، لأنها مستقلات محيطات، و إنما ينتظم ما يتم معنى - كل ١٥ واحد من المنتظمين بحصول الانتظام، و ذلك يختص من الكلم بما يقصر عن إحاطة مضمون الحروف حتى انه متى وقع[8] استقلال و إحاطة فى

(١) من مد، و فى الأصل: وجهها (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: و (٤) من مد، و فى الأصل: اختتام (٥) من مد، و فى الأصل: احد (٦) فى مد: كذلك (٧-٧) من مد، و فى الأصل: وبصلاة (٨) من مد، و فى الأصل: وضع.

كلمة لم يقع فيها انتظام .

و لما أشار[1] سبحانه إلى هذه الإحاطة بالقاف، أقسم على ذلك قسما هو فى نفسه دال عليه فقال: ﴿و القرآن﴾ أى الكتاب الجامع الفارق[2] ﴿المجيد ج﴾ الذى له العلو و الشرف و الكرم و العظمة على كل كلام، و الجواب أنهم ليعلمون ما أشارت إليه القاف من قوتى و عظمتى و إحاطة ٥ علمى و قدرتى، و ما اشتمل عليه القرآن من المجد بإعجازه و اشتماله على جميع العظمة، و لم ينكروا شيئا من ذلك بقلوبهم، و مجيد القرآن كما تقدم فى أثناء[3] الفاتحة ما جربت[4] أحكامه من بين عاجل ما شهد و آجل ما علم بعلم ما شهد، و كان معلوما بالتجربة المتيقنة بما تواتر من القصص الماضى، و ما شهد[5] من الأثر الحاضر و ما يتجدد مع الأوقات من ١٠ أمثاله و أشباهه، و إذا تأملت السورة وجدت آيها منزلة على جميع ذلك، فانه سبحانه ذكرهم [فيها -[6]] ما يعلمون من خلق السماوات و الأرض [و ما فيهما -[6]] و من مصارع الأولين و كذا السورة الماضية و لاسيما آخرها المشير إلى أنه أدخل على الناس الإيمان برجل واحد غلبهم بمجده و إعجازه لمجد منزله[7] بقدرته و إحاطة علمه - و الله الهادى، ١٥ و من أحاط علما بمعانيه و عمل ما فيه مجد عند الله و عند الناس .

---

(١) زيد فى الاصل : إليها، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) من مد، و فى الاصل : الفاروق (٣) ليس فى مد (٤) من مد، و فى الأصل : جرت .
(٥) زيد فى الأصل : له، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) زيد من مد .
(٧) من مد، و فى الأصل : منزله .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما كانت سورة الحجرات قد انطوت على جملة من الألطاف التى خص الله [١] بها عباده المؤمنين كذكره تعالى أخوتهم و أمرهم بالتثبت عند غائلة معتد فاسق "يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ" الآية ، و أمرهم بغض الأصوات عند نبيهم و أن لايقدموا بين يديه و لايعاملوه فى الجهر بالقول كمعاملة بعضهم بعضا ، و أمرهم باجتناب كثير من الظن و نهيهم عن التجسس و الغيبة ، و أمرهم بالتواضع فى قوله "يا ايها الناس انا خلقنـــكم من ذكر و انثى" و أخبرهم تعالى [أن -[٢]] استجابتهم و امتثالهم[٣] هذه الأوامر ليست[٤] بحولهم ، و لكن بفضله و إنعامه ، فقال : " و لكن الله حبب اليكم الإيمان و زينه فى قلوبكم و كره اليكم الكفر و الفسوق و العصيان " الآيتين . ثم اعقب ذلك بقوله "يمنون عليك أن اسلموا" الآية ، ليبين أن ذلك كله بيده و من عنده ، أراهم سبحانه حال من قضى عليه الكفر و لم يحبب إليه الإيمان و لازينه فى قلبه ، بل جعله فى طرف من حال من أمر و[٥] نهى فى سورة الحجرات مع المساواة فى الخلق و تماثل الأدوات فقال تعالى "و القرآن المجيد بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم" الآيات ، ثم ذكر سبحانه و تعالى وضوح الأدلة "افلم ينظروا إلى السماء فوقهم" الآيات ، ثم ذكر حال غيرهم ممن كان على رأيهم " كذبت قبلهم قوم [نوح -[٢]] "ليـــتذكر بمجموع هذا من قدم ذكره بحاله [و -[٢]]

(١) ليس فى مد (٢) زيد من مد (٣) فى مد : امتثال (٤) من مد ، و فى الأصل : ليس (٥) من مد ، و فى الأصل ٤ او .

أمره

أمره و نهيه فى سورة الحجرات ، و يتأدب المؤمن بآداب الله و يعلم ان ما أصابه من الخير فانما هو من فضل ربه و إحسانه ، ثم التحمت الآى إلى[1] قوله خاتمة السورة " نحن أعلم بما يقولون و ما انت عليهم" الآيات - انتهى .

و لما كان هذا ظاهرا على ما هدى إليه السياق ، بنى عليه قوله دلالة ٥ أخرى على شمول علمه : ﴿ بل ﴾ [أى -[2]] أن تكذيبهم ليس لإنكار شىء من مجده و لا لإنكار[3] صدقك الذى هو[4] من مجده بل لأنهم ﴿ عجبوآ ﴾ أى الكفار ، و أضمرهم قبل الذكر إشارة إلى أنه إذا ذكر شيئا خارجا عن سنن الاستقامة انصرف إليهم ، و العجب من تغير النفس لأمر خارج [عن العادة -[2]] . ١٠

و لما كان المقام لتخويف من قدم بين يدى رسول الله صلى الله عليه و سلم أو مَن عليه بالإسلام أو غيره ، أو لتخويف من أنكر البعث ، اقتصر على النذارة فقال : ﴿ ان جآءهم منذر ﴾ [5]أنذرهم حق الإنذار من عذاب الله عند البعث الذى هو محط الحكمة ، و عجب منهم هـذا العجب بقوله : ﴿ منهم ﴾ لأن العادة عندهم و عند جميع[6] الناس [أنه -[2]] ١٥ إذا كان النذير منهم لم يداخلهم فى إنذاره شك بوجه من الوجوه ، و هؤلاء خالفوا عادة[7] الناس فى تعجبهم من كون النذير - و هو أحدهم -

(١) من مد ، و فى الأصل : فى (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : انكار (٤) سقط من مد (٥) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٦) زيد فى مد : العرب (٧) من مد ، و فى الأصل : عنا داخلا فالعداد.

خص بالرسالة دونهم ، و لم يدركوا وجه الخصوصية لكونه مثلهم ، فكذلك أنكروا رسالته و فصل كتابه بألسنتهم نفاسة و حسدا لأنهم كانوا معترفين بخصائصه التى رفعه الله تعالى [1]عليهم بها[1] قبل الرسالة فحطهم عجبهم ذلك إلى الحضيض من دركات السفه و خفة الأحلام ، لأنهم عجبوا أن كان الرسول بشرا و أوجبوا [أن يكون ـ [2]] الإله حجرا ، و عجبوا من[3] أن يعادوا من تراب ، و تثبت له الحياة ، و لم يعجبوا أن يبتدؤا من تراب و لم يكن له أصل فى الحياة ، و لذلك سبب عنه قوله : ﴿ فقال ﴾ أى بسبب إنذاره بالبعث و عقبه / ﴿ الكفرون ﴾ فأظهر فى موضع الإنذار إيذانا بأنهم لم يخف عليهم شىء من أمره ، و لكنهم[4] ستروا تعديا بمرأى عقولهم الدالة على جميع أمره دلالة ظاهرة ، و عبر بما دل على النذارة لأنها المقصود الأعظم من هذه السورة ، و جميع سياق الحجرات ظاهر فيها : ﴿ هذا ﴾ أى كون النذير منا خصص بالرسالة من دوننا ، و كون ما أنذر به هو البعث بعد الموت ﴿ شىء عجيب ﴾ أى بليغ فى الخروج عن عادة أشكاله ، و قد كذبوا فى ذلك ، أما من جهة النذير فان أكثر الرسل من الطوائف الذين أرسلوا إليهم ، و قليل منهم من كان غريبا ممن أرسل إليه ، و أما من جهة البعث فان أكثر ما فى الكون مثل ذلك من إعادة كل من الملوين بعد ذهابه و إحياء الأرض [من ـ[2]] بعد موتها و ابتداء الإحياء لجميع موات الحيوان و إخراج النبات و الأشجار

/ ٢٤

(١ ـ ١) من مد ، و فى الأصل : عنهم بها (٢) زيد من مد (٣) سقط من مد . (٤) من مد ، و فى الأصل : لكنه .

و الثمار و غير ذلك مما [هو -[1]] ظاهر جدا .

و لما كان المتعجب منه مجملا ، أوضحه بقوله حكاية عنهم مبالغين في الإنكار ، بافتتاح إنكارهم باستفهام إنكاري : ﴿ ءاذا متنا ﴾ فقارقت أرواحنا أشباحنا ﴿ و كنا ترابا ج ﴾ لافرق بينه و بين تراب الأرض .

و لما كان العامل في الظرف ما تقديره : نرجع ؟ دل عليه بقوله و الإشارة بأداة البعد [2] إلى عظيم[2] استبعادهم : ﴿ ذلك ﴾ أي الأمر الذي هو في [3]تمييز ترابنا من بقية التراب[3] في غاية البعد ، و هو مضمون الخبر برجوعنا ﴿ رجع ﴾ أي رد إلى ما كنا عليه[4] ﴿ بعيد ه ﴾ [جدا -[1]] لأنه لايمكن تمييز ترابنا من بقية التراب . و لما كان السياق لإحاطة العلم بما نعلم و ما لانعلم ، توقع السامع الجواب عن هذا الجهل ، فقال مزيلا لسببه ، مفتتحا بحرف التوقع : ﴿ قد ﴾ أي بل نحن على ذلك في غاية القدرة لأنا قد ﴿ علمنا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ ما تنقص الارض منهم ج ﴾ أي من أجزائهم المتخللة من أبدانهم بعد الموت و قبله ، فانه [لو -[1]] زاد الإنسان بكل طعام يأكله و لم ينقص صار كالجبل بل نحن دائما في إيجاد و إعدام[5] تلك الأجزاء ، [و -[1]] ذلك فرع العلم بها كل جزء في وقته الذي كان نقصه فيه قل ذلك الجزء[6] أو جل[7] ، و لم يكن شيء من ذلك إلا بأعيننا

---

(١) زيد من مد (٢ - ٢) من مد ، و في الأصل : و هو (٣ - ٣) ليس ما بين الرقمين في مد (٤) زيد في الأصل : هذا هو ، هذا أمر ، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها (٥) من مد ، و في الأصل : عدم (٦) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في مد فحذفناها (٧) زيد في الأصل : في ذلك ، و لم تكن الزيادة في مد فحذفناها .

بما لنا من القيومية و الخبرة النافذة فى البواطن فضلا عن الظواهر و الحفظ، الذى لايصوب إلى جنابه عى و لا غفلة و لا غير، [1]و لكنه[1] عبر بمن لأن الأرض لا تأكل عجب الذنب، فانه كالبزر لأجسام بنى آدم.

و لما كانت العادة جارية عند جميع الناس بأن ما كتب حفظ، أجرى الأمر على ما جرت به عوائدهم فقال مشيرا بنون العظمة إلى غناه عن الكتاب: ﴿ و عندنا ﴾ أى على ما لنا من الجلال[2] الغنى عن كل شىء ﴿ كتب ﴾ أى جامع لكل شىء ﴿ حفيظ ﴾ أى بالغ فى الحفظ لايشذ عنه شىء من الأشياء دق أو جل، فكيف يستبعدون على عظمتنا أن لا نقدر على تمييز ترابهم من تراب الأرض [و لم يختلط فى علمنا شىء من جزء منه بشىء من جزء آخر فضلا عن أن يختلط شىء منه بشىء آخر من تراب الأرض -[3]] أو غيرها.

و لما كان التقدير: و هم / لاينكرون ذلك من عظمتنا لأنهم معترفون بأنا خلقنا السماوات و الأرض و خلقناهم من تراب و إنا نحن ننزل[4] الماء فينبت[5] النبات، أضرب عنه بقوله: ﴿ بل الذين كذبوا بالحق ﴾ أى الأمر الثابت الذى لا أثبت منه ﴿ لما ﴾ أى حين ﴿ جآءهم ﴾ لما ثار عندهم من أجل تعجبهم من إرسال رسولهم من حظوظ[6] النفوس و غلبهم من الهوى، حسدا منهم من غير تأمل لما قالوه و لا تدبر، و لا نظر فيه

/ ٢٥

(١-١) من مد، و فى الأصل: ثم (٢) زيد فى الأصل: اى (٣) زيد من مد.
(٤) من مد، و فى الأصل: نزلنا (٥) من مد، و فى الأصل: ليست.
(٦) من مد، و فى الأصل: حظوظى.

و لا تفكر

و لا تفكر . فلذلك قالوا ما لا يعقل من ان من قدر على إيجاد شيء من العدم و إبدائه لا يقدر على إعادته بعد إعدامه و إفنائه .

و لما تسبب عن انتسابهم فى هذا القول الواهى[1] و ارتهانهم فى عهدته اضطرابهم[2] فى الرأى : هل يرجعون فينسبوا إلى الجهل و الطيش و السفه و الرعونة أم يدومون عليه فيؤدى ذلك مع كفرهم بالذى خلقهم إلى أعظم من ذلك من القتال و القتل ، و النسبة إلى الطيش و الجهل ، قال معبرا عن هذا المعنى : ﴿فهم﴾ أى لأجل مبادرتهم إلى هذا القول السفساف ﴿فى أمر مريج﴾ أى مضطرب جدا مختلط ، من المرج و هو اختلاط النبت بالأنواع المختلفة ، فهم [تارة -[3]] يقولون : سحر و تارة كهانة ، و تارة شعر ، و تارة كذب ، و تارة غير ذلك ، و الاضطراب موجب للاختلاف ، و ذلك أدل دليل على الإبطال كما أن الثبات و الخلوص موجب للاتفاق ، و ذلك أدل دليل على الحقية[4] ، قال الحسن : ما ترك قوم الحق[5] إلا مرج أمرهم - و كذا قال قتادة[6] ، و زاد : و التبس عليهم دينهم .

و لما أخبرهم أنهم قالوا عن غير تأمل أنكر عليهم ذلك موبخا لهم دالا على صحة ما أنكروه و فساد إنكارهم بقوله ، مسببا عن عجلتهم إلى الباطل ، ﴿افلم ينظروا﴾ أى بعين البصر و البصيرة ﴿الى السماء﴾ أى المحيطة بهم و بالأرض التى هم عليها . و لما كان هذا اللفظ يطلق على كل ما علا من سقف و سحاب و غيره و إن كان ظاهرا فى السقف المكوكب

(١) من مد ، و فى الأصل : الهاوى (٢) من مد ، و فى الأصل : اضرارا بهم .
(٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : الحقيقة (٥) من مد ، و فى الأصل : نوح (٦) راجع المعالم بهامش اللباب ٦ / ١٩٤ .

حققه بقوله : ﴿ فوقهم ﴾ فان غيرها إنما هو فوق ناس منهم لا[1] فوق الكل . و لما كان أمرها عجبا ، فهو أهل لأن يسأل عن كيفيتـــه دل عليه بأداة الاستفهام فقال : ﴿ كيف بنيٰها ﴾ أى أوجدناها على ما لنا من المجد و العزة مبنية كالخيمة إلا أنها من غير عمد ﴿ و زيّنٰها ﴾ ٥ أى بما فيها من الكواكب الصغار و الكبار السيارة و الثابتة ﴿ و ما ﴾ أى و الحال انه ما ﴿ لها ﴾ و أكد النفى بقوله : ﴿ من فروج ﴾ أى فتوق و طاقات و شقوق ، بل هى ملساء متلاصقة الأجزاء ، فان كانت هذه الزينة من تحتها فالذى أوقع ذلك على هذا الإحكام الذى يشاهدونه بما فيه من[2] المنافـــع و الستر الذى لايختـــل على مر الجديدين ، ١٠ فهو من القدرة بحيث لايعجزه شىء ، و إن كانت الزينة من فوقها فكذلك ، و إن كان بعضها من فوق و بعضها من تحت فالأمر عظيم ، و هذا يدل على أن السماء كرة مجوفة الوسط مقببة كالبيضة ، فان نفى الفروج فيها / على هذا لوجه المؤكد يدل على ذلك دلالة ظاهرة ، و أفرد / ٢٦ السماء و لم يجمع لأن بناءها على ما ذكر[3] و إن كانت واحدة يدل على كمال ١٥ القدرة ، فان البناء المجوف لا يمكن بانيه إكمال[4] بنائه من غير أن يكون له فروج ، و إن اختل ذلك كان موضع الوصل ظاهرا للرائين ما فيه من فتور و شقوق و قصور و ما يشبه ذاك[5] ، و لم يمكنه مع[5] ذلك الخروج منه ،

---

(١) من مد ، و فى الأصل : هو (٢) فى الأصل : المعالى و ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : كان كذلك ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل : الكمال (٥-٥) من مد ، و فى الأصل : لم يمكن فيه بعد .

إن كان داخله فلم يقدر على حفظ خارجه ، و إن كان خارجه لم يتمكن من حفظ داخله[1]، و هذا الكون محفوظ من ظاهره و باطنه ، فعلم أن صانعه منزه عن الاتصاف بما تحيط به العقول بكونه داخل العلم أو خارجه أو متصلا به أو منفصلا [عنه] ، أو محتاجا فى الصنعة إلى إله أو فى الحفظ إلى ظهير أو معين ، و جمع الفرج للدلالة على إرادة الجنس بالسماء ٥ بعد ما أفاده إفراد لفظها ، فيدل الجمع مع[2] إرادة الجنس على[3] التوزيع ، مع الإفهام إلى أن البانى لو احتاج فى هـــذا الخلق الواسع الأطراف المتباعد الأكناف إلى فرج واحد لاحتاج[4] إلى فروج كثيرة . فان هذا الجرم الكبير لايكفى فيه فرج واحد لمن يحتاج إلى الحركة ، فنزل كلام العليم[5] الخبير على مثل هذه المعانى ، و لا يظن أنه غيرت فيه صنعة من ١٠ الصنع لأجل الفاصلة فقط ، فان ذلك لا يكون إلا من محتاج ، و الله[6] متعال عن ذلك ، و يجوز - و هو أحسن - أن يراد بالفروج قابلية الإنبات لتكون - مثل الأرض - يتخللها المياه فيمتد فيها عروق الأشجار و النبات و تظهر منها ، و أن يراد بها الخلل كقوله تعالى " ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور " أى خلل و اختلاف ١٥ و فساد ، و هو لاينفى الأبواب و المصاعد - و الله أعلم .

---

(١) من مد ، و فى الأصل : خارجه (٢) من مد ، و فى الأصل : بعد (٣) زيد فى الأصل : الجنس ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل : احتاج (٥) زيد فى الأصل : الكبير ، و لم تكن الزيادة فى مد . فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : المتعال ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

و لما دل سبحانه على تمام قدرته و كمال علمه و غير ذلك من صفات الكمال بآية السماء[1]، أتبع ذلك الدلالة على أنه لا يقال فيه داخل العالم و لا خارجه لأنه متصل [به] و لا منفصل عنه، نبه على ذلك بالدلالة على آية الأرض، و أخرها لأن السما أدل على المجد الذى هذا سياقه، لأنها أعجب صنعة و أعلى علوا و أجل مقدارا و أعظم أثرا، و أن الأرض لكثرة الملابسة لها و الاجتناء من ثمارها يغفل الإنسان عن دلالتها، بما له فى ذلك من الصنائع و المنافع، فقال: ﴿ و الارض ﴾ أى المحيطة بهم ﴿ مددنٰها ﴾ أى جعلناها بما لنا من العظمة مبسوطة لامسنمة. و لما كان الممدود يتكفأ، قال: ﴿ و القينا ﴾ بعظمتنا ﴿فيها رواسى ﴾ أى جبالا ثوابت كانت سببا لثباتها، و خالفت عادة المراسى فى أنها من فوق، و المراسى تعالجونها أنتم من تحت.

و لما كان سكانها لاغنى لهم عن الرزق، قال ممتنا عليهم: ﴿و انبتنا﴾ بما لنا من العظمة ﴿فيها﴾ و عظم قدرتها بالتبعيض فقال: ﴿من كل زوج﴾ أى صنف من النبات تزاوجه أشكاله بأرزاقكم كلها ﴿ بهيج ۝ ﴾ أى هو فى غاية الرونق و الإعجاب، فكان - مع كونه رزقا - متنزها.

و لما ذكر هذه الصنائع الباهرة، عللها بقوله: ﴿ تبصرة ﴾ أى جعلنا هذه الأشياء / كلها، أى لأجل أن تنظروها بأبصاركم، ثم تتفكروا ببصائركم، فتعبروا منها إلى صانعها، فتعلموا ما له من العظمة ﴿و ذكرٰى﴾ أى و لتتذكروا بها تذكرا عظيما[2]، بما لكم من القوى و القدر فتعلموا

/٢٧

(١) العبارة من هنا إلى ما سننبه عليه مطموسة فى مد (٢) فى الأصل: عظمة.

بعجزكم

بعجزكم عن كل شيء من ذلك أن صانعها لايعجزه شيء، و أنه محيط بجميع صفات الكمال، [لو ألم -[1]] بجنابه شائبة من شوائب النقص لما فاض عنه هذا الصنع الغريب البديع .

و لما كان من لا ينتفع بالشيء كأنه عادم لذلك الشيء، قصر الأمر على المنتفع فقال: ﴿ لكل عبد ﴾ يتذكر بما له من النقص و بما دل عليه هذا الصنع من الكمال أنه عبد مربوب لصانعه . و لما كان الإنسان لما له من النقصان لايزال كلما أعلاه عقله أسفله طبعه، فكان ربما ظن أنه لايقبل إذا رجع، رغبه فى الرجوع بقوله: ﴿ منيب ﴾ أي رجاع عما حطه عنه طبعه إلى ما يعليه إليه عقله، فيرجع من شهود هذه الأفعال إلى شهود هذه الصفات إلى علم الذات .

و لما كان إنزال الماء أبهر الآيات و أدلها على أنه أجلّ من ان يقال: إنه داخل العالم أو خارجه، أو متصل به أو منفصل عنه، مع أن به تكوّن النبات و حصول الأقوات و به حياة كل شيء، أفرده تنبيها على ذلك فقال: ﴿ و نزلنا ﴾ أى شيئا فشيئا فى أوقات على سبيل التقاطر و بما يناسب[2] عظمتنا التى لاتضاهى بغيب، بما له من الثقل و [النبوع -[3]] و النفوذ فنزل دفعة واحدة فأهلك ما نزل عليه فزالت المفقرة و عادت المنفعة مضرة ﴿ من السمآء ﴾ أى المحل العالى الذى لايمسك فيه الماء عن دوام التقاطر إلا بقاهر ﴿ مآء مبٰركا ﴾ أى نافعا جدا ثابتا لاخيالا محيطا

(١) فى الأصل بياض ملأناه من مد لأن جانبا منها يظهر لبعض الحد .
(٢) ليس واضحا فى مد (٣) زيد من مد من الجانب الواضح .

بجميع منافعكم .

و لما كان الماء سببا فى تكون الأشياء ، و كان ذلك سببا فى انعقاده حتى يصير خشبا و حبا و عنبا ، و غير ذلك عجبا ، قال : ﴿ فأنبتنا ﴾ معبرا بنون[1] العظمة ﴿ به جنّت ﴾ من الثمر و الشجر و الزرع و غيره مما ٥ تجمعه البساتين فتجن - أى تستر - الداخل فيها . و لما كان القصب الذى يحصد فيكون حبه قوتا للحيوان و ساقه للبهائم ، خصه بقوله : ﴿ و حب الحصيد ﴾ أى النجم الذى من شأنه أن يحصد من البر و الشعير و نحوهما ، و أومأ بالتقييد إلى أن هذه الحبوب أشرف من حب اللآلئ الذى ينبته الله من المطر لأنها لقيام النبتة؟ و تلك للزينة ، و لما ١٠ كان النخل من أعجبه ما يتكون منه مع ما له من المنافع التى [2]لا يساويه فيها[2] شجر ، و الطباق للزرع بالطول و القصر و الاتساق بالاقتيات للآدميين و البهائم ، قال : ﴿ و النخل بسقت ﴾ أى عاليات طويلات على جميع الأشجار المثمرة ذوات أثمار طيبة ﴿ لها ﴾ مع يبس ساقها ﴿ طلع نضيد ﴾ أى مصفوف متراكم بعضه فوق بعض ، و هو حشو طلعه ، ١٥ و الطلع ذلك الخارج من أعلى النخلة كأنه فلان مطبقان ، و الحمل النضيد بينهما ، و الطرف محدد ، أ[3]ى الطلع ما يبدو من ثمر النخل أول ظهورها ، و ذلك القشر يسمى الكفرى لتغطيته إياه على أحكم ما يكون و أوثق ، و الطلع[4] / يشبه ما للناقة المبسق من اللبا المتكون فى ضرعها /٢٨

(١) فى الأصل : عن عظمة (٢-٢) فى الأصل : لا يساويها ، و التصحيح من مد (الجانب الواضح) (٣) من مد ، و فى الأصل : و (٤) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

قبل[1] النتاج، ثم يصير بعد اتحاده فى البياض و هو طلع إلى الافتراق حال الينوع إلى أحمر و أصفر و أخضر و غير ذلك من الألوان الغريبة، و الأوصاف العجيبة، و هى محيطة المنافع بالتفكـــه على عدة أنواع و الاقتيات و غير ذلك، و طلعها مخالف [2]لعادة اكثر[2] الأشجار فان ثمارها مفردة، كل حبة منفردة عن أختها. ٥

و لما ذكر سبحانه بعض ما له فى الماء من العظمة، ذكر له علة هى غاية فى المنة على الخلق فقال: ﴿ رزقا للعباد لا ﴾ أى أنبتنا به ذلك لأجل أنه بعض ما جعلناه رزقهم.

و لما كان فى ذلك أعظم مـــذكر للبصراء بالبعث و لجميع صفات الكمال، أتبعه ما له من التذكير بالبعث بخصوصه فقال: ﴿ و حيينا به ﴾ ١٠ أى الماء بعظمتنا ﴿ بلدة ﴾ وسمها بالتاء إشارة إلى أنها فى غاية الضعف و الحاجة إلى الثبات و الخلو عنه، و ذكر قوله: ﴿ ميتا[4] ﴾ للزيادة فى تقرير تمكن الحاجة فيها. و لما كان هذا خاصة من أوضح أدلة البعث، قال على سبيل النتيجة: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الإخراج العظيم ﴿ الخروج ﴾ الذى هو لعظمته كأنه مختص بهذا المعنى، و هو بعث[3] ١٥ الموتى من قبورهم على ما كانوا عليه فى الدنيا، لا فرق بين خروج النبات بعد ما تهشم فى الأرض و صار ترابا كما كان من بين أصفره [و أبيضه -[4]] و أحمره [5]و أخضره[5] و أزرقه إلى غير ذلك، و بين إخراج

(١) و من هنا تستأنف نسخة مد (٢ - ٢) فى مد: لا كثر (٣) من مد، و فى الأصل: بعض (٤) زيد من مد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد.

ما تفتت من الموتى كما كانوا فى الدنيا، قال أبو حيان[1]: ذكر تعالى فى السماء ثلاثة: البناء و التزيين و نفى الفروج، و فى الأرض ثلاثة: المد و إلقاء الرواسى و الإنبات، قابل المد بالبناء لأن المد وضع و البناء رفع، و إلقاء الرواسى بالتزيين بالكواكب لارتكاز كل واحد منها - أى على سطح ما هو فيه، و الإنبات المترتب على الشق بانتفاء الفروج، فلا شق فيها، و نبه فيما تعلق به الإنبات على ما يقطف كل سنة و يبقى أصله، و ما يزرع كل سنة أو سنتين و يقطف كل سنة، و على ما اختلط من جنسين، فبعض الثمار فاكهة لا قوت، و أكثر الزرع قوت و الثمر فاكهة و قوت.

ولما وصل الأمر إلى حد لاخفاء معه، فصح انهم يعلمون ذلك ولم يحملهم على التصريح بالتكذيب به إلا المبادرة إلى ذلك بغلبة الهوى من غير تأمل لعاقبته، فصار من باب لزوم الغلط، وكان السياق لإنكار البعث الذى جاء به منذر من القوم المنذرين. كان كأنه قيل: إن إنكار هؤلاء أعجب، فهل وقع هذا لأحد قط، فقال تعالى مسليا لهذا النبى الكريم لأن المصيبة إذا عمت هانت، مبينا لمجد القرآن و لمجد آياته تحقيقا للانذار و تحذيرا به لا للنصيحة: ﴿كذبت﴾ رسم الفعل بالتاء إشارة إلى هوانهم فى جنب هذا المجد و لما كان هؤلاء الأحزاب المذكورون لقوتهم وكثرتهم كأنهم أهل المجد قاطبة قد استغرقوا زمانها و مكانها. أسقط الجار فقال: ﴿قبلهم﴾.

ولما لم تكن لهم شهرة يعرفون بها قال: ﴿قوم نوح﴾ و اشار

---

(١) راجع البحر المحيط ٨/١٢٢.

إلى

إلى عظيم التسلية بأنهم / جاءهم منذر منهم ، و كانوا فى القوة فى القيام فيما ٢٩ /
يحاولونه و الكثرة بحيث لا يسع الأفهام جميع أوصافهم ، فآذوا رسولهم
و طال أذاهم قريبا من عشرة قرون و لما كان آخر أمرهم أنه التقى
عليهم الماءان : ماء السماء ، و طلع إليهم[1] ماء الأرض فأغرقهم ، أتبعهم
من طائفتهم قصتهم بأن نزل بهم الماء فأوبقهم لما بين حاليهم من الطباق[2] ٥
دلالة على عظيم القدرة و الفعل بالاختيار فقال : ﴿ و أصحب الرس ﴾
أى البئر التى تقوضت بهم فخسفت مع ما حولها فذهبت بهم و بكل ما لهم
كما ذكرت قصتهم فى الفرقان . و لما كانت آية [قوم - ٣] صالح من
أعظم الدلالات على القدرة على البعث ، و كان إهلاكهم مناسبا لإهلاك
من قبلهم ، أما لأصحاب الرس فكان بالرجفة التى هى [على - ٣] مبدأ ١٠
الخسف ، و أما لقوم نوح فلأن الرجفة تأثرت عن الصيحة التى حملتها
الريح التى من شأنها حمل السحاب الحامل للماء ، أتبعهم بهم ، و كانوا[4]
أصحاب بئر ، لم يخسف بهم فقال : ﴿ و ثمود[5] ﴾ و لما اتفق قوم هود
عليه السلام و القبط بالإهلاك بالريح التى أثرت بها صيحة[5] ثمود ، أولئك
مع الحجارة ، الرمل ، و هؤلاء بالماء الذى فرقه الله بالريح عند ضرب ١٥
العصى ، و كان لكل منهما من ضخامة الملك و عز السلطان ما هو مشهور
قدم أشدهما أبدانا و أوسعهما ملكا لأن إهلاكهم كان أدل دليل على
القدرة و أقرب [6]شبها بهلاك[6] ثمود فقال : ﴿ و عاد ﴾ و عطف عليه

(١) من مد ، و فى الأصل : عليهم (٢) من مد ، و فى الأصل : الطبقات .
(٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : كان (٥) سقط من مد
(٦ - ٦) من مد ، و فى الأصل : تشبيها بملاك .

أقرب الطائفتين شبها بالهلاك بقوم نوح و أصحاب الرس فقال: ﴿ و فرعون ﴾ نص عليه لأنه ليس فى مادة هذا الغرق كافر غيره، و النص عليه يفهم غيره، و ما تقدم [1]فى غير هذه السورة[1] غير مرة من وصفه بأنه ملك قاهر و أنه استخفهم فأطاعوه فيعلم كفرهم طاعة له، ٥ و أنه ليوافق ما قبله و ما بعده . و لما كان السياق للعزة و الشقاق، فلم يدع داع إلى إثبات ذى الأوتاد . و لما كان هلاك المؤتفكات جامعا فى الشبه بهلاك جميع من تقدم بالخسف و غمرة الماء بعد القلب فى الهواء، أتبعهم بهم معبرا عنهم بأخصر من تسميه قبائلهم أو مدنهم لأنها عدة مدن، و عبر بالإخوة دون القوم لأن السياق لتكذيب من هو منهم ١٠ لأنه أدخل فى التسلية فقال[2]: ﴿ و اخوان لوط ﴾ أى أصهاره الذين جبروا بينهم و بينه مع المصاهرة بالمناصرة لملوكهم و رعاياهم على من ناواهم بنفسه و عمه إبراهيم عليهما السلام كما مضى بيانه فى البقرة ما صار كالاخوة، و مع ذلك عاملوه بما اشتق من لفظ هذا الجمع من الجناية له و لأنفسهم و غيرهم .

١٥ و لما كان الشجر مظلة الهواء البارد و الريح، و كان أصحابه قد عذبوا بضد ذلك قال: ﴿ و اصحب الايكة ﴾ لمشاركتهم لهم[3] فى العذاب بالنار، / ٣٠ و أولئك بحجارة / الكبريت النازلة من العلو و هؤلاء [بالنار -[4]] النازلة من ظلة السحاب، و عبر عنهم بالواحدة و المراد الغيضة إشارة إلى أنها

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) من مد، و فى الأصل: قوله .
(٣) سقط من مد (٤) زيد من مد .

من شدة التفافها كالشجرة الواحدة . و لما كان " تبع " مع كونه من قومه ملكا قاهرا ، و خالفوه مع ذلك ، و كان لقومه[1] نار [فى بلادهم -[2]] يتحاكمون إليها فتأكل الظالم ، ختم بهم فقال : ﴿ و قوم تبع[3] ﴾ مع كونه مالكا ، و هو يدعوهم إلى الله ، فلا يظن أن التكذيب مخصوص بمن كان قويا لمن كان مستضعفا ، بل هو واقع بمن شئنا من قوى و ضعيف ، لا يخرج شيء عن مرادنا .

و لما لم يكن هنا ما يقتضى التأكيد مما مر بيانه فى ص قال معريا منه : ﴿ كل ﴾ أى من هذه الفرق ﴿ كذب الرسل ﴾ أى كلهم بتكذيب رسولهم ، فان الكل متساوون فيما يوجب الإيمان من إظهار العجز و الدعاء إلى الله ﴿ فحق ﴾ [أى -[2]] فتسبب عن تكذيبهم لهم أنه ثبت عليهم و وجب ﴿ وعيد ﴾ [أى -[2]] الذى كانوا يكذبون به عند إنذارهم لهم إياه ، فعجلنا لهم منه فى الدنيا ما حكمنا به عليهم فى الأزل فأهلكناهم إهلاكا عاما كإهلاك نفس واحدة على أنحاء مختلفة كما هو مشهور عند من له بأمثاله عناية[3] و أتبعناه ما هو فى البرزخ و أخرنا ما هو فى القيامة إلى البعث ، بإهلاكنا لهم على تنائى ديارهم و تباعد أعصارهم و كثرة أعدادهم أن لنا الإحاطة البالغة فتسل باخوانك المرسلين و تأس بهم ، و لنحذر قومك ما حل بمن كذبهم إن أصروا .

و لما ذكر سبحانه التسلية بتكذيب هذه الأحزاب بعد ذكر

(١) من مد ، و فى الأصل : فى قومه (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : عباده .

تكذيب قريش و إقامة الأدلة القاطعة على ما كذبوا به و بطلان تكذيبهم ، و ختم بحقوق الوعيد الذى شوهدت أوائله باهلاكهم ، فثبت صدق الرسل و ثبتت القدرة على كل ما يريد سبحانه بهذا الخلق من الإيجاد و الإعدام أنكر عليهم التكذيب و وبخهم عليه تقريرا لحقوق الوعيد ، فقال مسببا عن تكذيبهم بعد ما ذكر أنه خلق جميع الوجود : ﴿ افعينا بالخلق ﴾ أى حصل لنا على ما لنا من العظمة الإعياء ، و هو العجز بسبب الخلق فى شىء من إيجاده و إعدامه ﴿ الاول[1] ﴾ أى من السماوات و الأرض و ما بينهما حين ابتدأناه اختراعا من العدم ، و من خلق الإنسان و سائر الحيوان مجددا ، ثم فى كل أوان من الأطوار المشاهدة على هذه التدريجات المعتادة بعد أن خلقنا أصله على ذلك الوجه مما ليس له أصل فى الحياة ، و فى إعدامه بعد خلقه جملة كهذه الأمم أو تدريجا كغيرهم ليظنوا بسبب العجز بالخلق الأول الذى هو أصعب فى مجارى العادات من الإعادة أنا نعجز عن الإعادة ثانيا ، يقال : عيي بالأمر - إذا لم يهتد [1]لأمره أو لوجه[1] مراده أو عجز عنه ، و لم يطق[2] إحكامه .

و لما كان التقدير قطعا بما دلت عليه همزة الإنكار : لم نعى بذلك بل أوجدناه على غاية الإحكام للظرف و المظروف و هم يعلمون ذلك و لا ينكرونه / و يقرون بتمام القدرة عليه ، [و فى طيه -[3]] الاعتراف / ٣١

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : لم يطاق .
(٣) زيد من مد .

بالبعث

بالبعث و هم لا يشعرون ، أضرب عنه لقولهم الذى يخل باعتقادهم إياه فقال : ﴿بل هم فى لبس﴾ أى خلط شديد و شبهة [موجبة -١] التكلم بكلام مختلط لايعقل له معنى ، بل السكوت عنه أجمل ، قال على رضى الله عنه : يا جار ، أنه ملبوس عليك ، اعرف بالحق تعرف أهله . و لبس الشيطان عليهم تسويله لهم أن البعث خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح ٥ و الحكم بطريق الأولى ﴿من﴾ أجل ﴿خلق جديد ۝﴾ أى الإعادة٢ . و لما ذكر خلق الخافقين ، أتبعه خلق ما هو جامع لجميع ما هو فيها فقال : ﴿و لقد﴾ أى [و -١] الحال أنا قد ﴿خلقنا﴾ بما لنا من العظمة ﴿الانسان﴾ و هو أعجب خلقا و أجمع من جميع ما مضى ذكره بما فيه من الأنس و الطغيان ، و الذكر و النسيان ، و الجهل و العرفان ، ١٠ و الطاعة و العصيان ، و غير ذلك من عجيب الشأن ، و وكلنا به من جنودنا من يحفظه فيضبط حركاته و سكناته و جميع أحواله ﴿و نعلم﴾ أى و الحال أنا نعلم بما لنا من الإحاطة ﴿ما توسوس﴾ أى تكلم على وجه الخفاء ، ﴿به﴾ الآن و فيما بعد ذلك مما لم ينقدح بعد من خزائن الغيب إلى [سر -١] النفس كما علمنا ما تكلم ﴿نفسه ج ۝﴾ و هى الخواطر التى تعترض ١٥ له حتى أنه هو ربما عجز عن ضبطها ، فنحن نعلم أن قلوبهم عالمة بقدرتنا٣ على أكمل ما نريد و بصحة القرآن و إعجازه و صدق الرسول به صلى الله عليه و سلم و امتيازه ، و إنما حملهم الحسد و النفاسة و الكبر

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : العادة (٣) من مد ، و فى الأصل : بقدرتها .

و الرئاسة على الإنكار باللسان حتى صار ذلك لهم خلقا و تمادوا فيه حتى غطى على عقولهم ، فصاروا فى لبس محيط [بهم ـ [1]] من جميع الجوانب .

و لما كان العالم بالشىء كلما كان قريبا منه كان علمه به [2] أثبت و أمكن [2] ، قال ممثلا لعلمه و مصورا له بما نعلم أنه موجبه : ﴿ و نحن ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ اقرب اليه ﴾ قرب علم و شهود من غير مسافة ﴿من حبل الوريد﴾ لأن أبعاضه و أجزاءه تحجب بعضها بعضا ، و لا يحجب علم الله شىء [3] ، و المراد به الجنس ، [4] و الوريدان عرقان [4] كالحبلين [5] مكتنفان لصفحتى [5] العنق فى مقدمها متصلات من الرأس إلى الوتين و هو عرق القلب ، و هذا مثل فى فرط القرب ، و إضافته مثل مسجد الجامع ، و قد مضى فى [6] تفسير سورة المائدة [6] عند قوله "و الله يعصمك من الناس" ما ينفع هنا ، قال القشيرى : و فى هذه الآية هيبة و فزع و خوف لقوم ، و روح و أنس و سكون قلب لقوم [7] .

و لما كان سبحانه قد وكل بنا حفظة تحفظ أعمالنا و تضبط أقوالنا و أحوالنا ، فكان المعروف لنا أن سبب الاستحفاظ خوف الغفلة و النسيان ، قدم سبحانه الإخبار بكمال علمه فأمن ذلك المحذور ، علق بأقرب أو نعلم

(١) زيد من مد (٢-٢) فى مد : أمكن و أثبت (٣) من مد ، و فى الأصل : شيئا (٤-٤) من مد ، و فى الأصل : الوريدين عرقين (٥-٥) من مد ، و فى الأصل : مكتنفين لصفحة (٦-٦) فى مد : سورة المائدة ـ و وقع بعده « من الناس » (٧) من مد ، و فى الأصل : قوم .

قوله تأكيدا لما علم من إحاطة علمه من عدم حاجته، وتخويفا بما هو أقرب إلى مألوفاتنا ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ يتلقى ﴾ أى بغاية الاجتهاد و المراقبة و المراعاة من كل إنسان خلقناه و أبرزناه إلى هذا الوجود ﴿ المتلقيان ﴾ و ما أدراك ما هما؟ [هما -[1]] ملكان عظيمان حال كونهما / ﴿ عن اليمين ﴾ لكل إنسان [قعيد منهما -[1]] ﴿ و عن الشمال ﴾ ٥ / ٣٢ كذلك ﴿ قعيد ﴾ أى رصد و حبس مقاعد لذلك الإنسان بأبلغ[2] المقاعدة و نحن أقرب منهما و أعلم علما، و إنما استحفظناهما لإقامة الحجة بهما على مجارى عاداتكم و غير ذلك من الحكم.

و لما كانت الأفعال اللسانية و القلبية و البدنية ناشئة عن كلام النفس، فكان الكلام جامعا، قال مبينا لإحاطة علمه باحاطة من أقامه لحفظ ١٠ هذا الخلق الجامع فى جواب من كأنه قال: ما يفعل الملتقيان: ﴿ما يلفظ﴾ أى يرمى و يخرج المكلف من فيه، و عم فى النفى بقوله: ﴿من قول﴾ أى مما تقدم النهى عنه فى الحجرات من الغيبة و ما قبلها و غير ذلك [3]قل أو جل[3] ﴿ الا لديه ﴾ أى الإنسان أو القول على هيئة من القدرة و العظمة هى من أغرب المستغرب ﴿ رقيب ﴾ من حفظتنا شديد ١٥ المراعاة له فى كل من أحواله ﴿ عتيد ﴾ أى حاضر مراقب غير غافل بوجه، روى البغوى[4] بسنده من طريق الثعلبى عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: كاتب الحسنات على يمين

(١) زيد من مد (٢) فى مد: بليغ (٣-٣) فى مد: جل أو قل (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/١٩٥.

الرجل ، و كاتب السيئات على يسار الرجل ، و كاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات ، فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا ، و إذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : دعه سبع ساعات لعله يسبح [1]أو يستغفر[1] .

٥ و لما كان مثل إرسال الخافقين ثم الموت ثم النفخ بارسال الملك فى الدنيا إلى الناس لعرضهم فيصير الإنسان منهم ساعيا فى التزين للملك بما يعجبه فى[2] مقصود ذلك العرض فى الأجل الذى ضربه لهم ، فاذا جاء ذلك الوقت الذى هو كالموت أخذته الرسل فيا أوانى؟ كما يفعل حال الموت بالميت ، و من أحضروه منهم حبسوه على باب الملك لتكامل ١٠ المعروضين ، فاذا كمل جمعهم و أمر بقيامهم للعرض [3]زعق لهم[3] المنادى بالبوق الذى يسمى النفير و هو كالصور ، فلهذا قال تعالى مبينا لإحاطة قدرته بجميع خلقه عاطفا على ما تقديره : فاضطرب ذلك الإنسان الموكل به فى الوقت المأمور بالتردد فيه بما يرضى الله بالقول و الفعل على حسب إرادته سبحانه سواء كان موافقا للأمر أو مخالفا إلى أن آن أوان ١٥ الرحيل معبرا بالماضى تنبيها على أن الموت مع أنه لابد منه قريب جدا : ﴿ و جآءت ﴾ أى أتت و حضرت ﴿ سكرة الموت ﴾ أى حالته عند النزع و شدته و غمرته ، يصير الميت بها كالسكران ، لايعى و تخرج [بها - [4]] أحواله و أفعاله و أقواله عن قانون الاعتدال ، مجيئا متلبسا[5]

(١-١) من مد و المعالم ، و فى الأصل : يستغفر الله أو يسبح (٢) من مد ، و فى الأصل : من (٣ - ٣) من مد ، و فى الأصل : دق (٤) زيد من مد ، (٥) فى مد : ملتبسا .

﴿ بالحق[١] ﴾ أى الأمر الثابت الذى يطابقه الواقع فلا حيلة فى الاحتراس منه من بطلان الحواس و كشف الغطاء عن أحوال البرزخ من فتنة السؤال و ضيق المجال [١]أو سعة الحال[١]، و قيل للميت بلسان الحال إن لم يكن بلسان القال: ﴿ ذلك ﴾ أى هذا الأمر العظيم العالى الرتبة الذى يحق لكل أحد الاعتداد له بغاية الجد ﴿ما﴾ أى الأمر الذى ﴿ كنت ﴾ ٥ جبلة و طبعا . و لما كانت نفرته منه و هربه من وقوعه بحفظ الصحة و دواء الأدواء فى الغاية ، كان كأنه لاينفر إلا منه، فأشار الى / ذلك ٣٣/ - بتقديم الجار فقال: ﴿منه تحيد ﴾ أى تميل و تنفر و تروع[٢] و تهرب .

و لما كان التقدير: فأخذ ذلك الإنسان بالقهر من بين الأهل و الإخوان، و العشائر و الجيران، و ضم إلى عسكر الموتى و هم بالبرزخ ١٠ نزول[٣]، و لانتظار بقيتهم حلول، و لم يزالوا كذلك حتى تكامل القادمون عليهم و الواصلون إليهم، عطف عليه قوله مبنيا لإحاطة من عالم الملكوت و العز و الجبروت: ﴿ و نفخ ﴾ أى بأدنى إشارة و أيسر أمر ﴿ فى الصور[١] ﴾ و هو القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام للموت [العام -[٤]] و البعث العام عند التكامل، و انقطاع أوان التعامل، ١٥ و هو بحيث لا يعلم قدر عظمه و اتساعه إلا الله تعالى، و هو عليه الصلاة و السلام التقم الصور من حين بعث النبى صلى الله عليه و سلم و حنى جبهته و أصغى سمعه ينتظر متى يؤمر، فيا لها من عظمة ما أغفلنا عنها،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : تريع (٣) من مد ، و فى الأصل : نزد ـ كذا (٤) زيد من مد .

و أنسانا لها ، و آمننا منها ، و المراد بهذه[1] نفخة البعث .

و لما كان ذلك الأثر عن النفخ هو سر الوجود ، و أشار إلى عظمته بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الوقت الكبير العظيم الأهوال و الزلازل[2] و الأوجال ﴿ يوم الوعيد ﴾ أى الذى يقع فيه ما وقع الإيعاد به .

٥ و لما كان التقدير : فكان من تلك النفخة صيحة هائلة و رجة شاملة[3] ، فقام الناس عامة من قبورهم ، و حصل ما فى صدورهم ، عطف عليه قوله بيانا لإحاطة العرض : ﴿ و جآءت كل نفس ﴾ [أى -[4]] مكلفة [كائنا -[5]] ﴿ معها سآئق ﴾ يسوقها إلى ما هى كارهة للغاية لعلمها بما قدمت من النقائص ﴿ و شهيد ﴾ يشهد عليها بما عملت ،

١٠ و الظاهر من هذا أن السائق لا تعلق [له -[4]] بالشهادة أصلا ، لئلا تقول تلك النفس : إنه خصم ، و الخصم لا تقبل شهادته ، و يقال حينئذ للفرط فى الأعمال فى أسلوب التأكيد جريا على ما كان يستحقه إنكاره فى الدنيا ، و تنبيها على أنه لعظمه مما يحق تأكيده : ﴿ لقد كنت ﴾ أى كونا كأنه جبلة لك ﴿ فى غفلة ﴾ أى عظيمة محيطة بك ناشئة لك ﴿ من هذا ﴾

١٥ أى من تصور هذا اليوم على ما هو عليه من انقطاع الأسباب ، و الجزاء بالثواب أو[6] العقاب لأنه على شدة جلالته خفى على من اتبع الشهوات ﴿ فكشفنا ﴾ بعظمتنا بالموت ثم بالبعث[7] ﴿ عنك غطآءك ﴾ الذى كان

---

(١) من مد ، و فى الأصل : هذه (٢) من مد ، و فى الأصل : الزلزال .
(٣) من مد ، و فى الأصل : شامل (٤) زيد من مد (٥) ليس فى الأصل .
(٦) فى مد « و » (٧) فى مد : البعث .

يحجبك عن رؤيته من الغفلة بالآمال [١]في الجاه[١] و الأموال و سائر الحظوظ و الشهوات ، تحقيقا لما له سبحانه من الإحاطة بالتقدير و التعجيز ، و عن الواسطى : من كشف عنه غطاء الغفلة أبصر الأشياء كلها فى أسر القدرة و انكشف له حقائق الأشياء بأسرها ، و هذا عبارة عن العلم بأحوال القيامة . ٥

و لما تسبب عن هذا الكشف الانكشاف التام ، عبر عنه بقوله : ﴿ فبصرك اليوم ﴾ أى / بعد البعث ﴿ حديد ﴾ أى فى غاية الحدة و النفوذ ، فلذا تقر بما كنت تنكر . ٣٤/

و لما أخبر تعالى بما تقوله له الملائكة أو من أراد الله من جنوده ، و كان قد أخبر أن معبوداتهم من الأصنام و الشياطين و غيرها تكون عليهم ١٠ يوم القيامة ضدا ، أخبر بما يقول القرين من السائق و الشهيد و الشيطان الذى تقدم حديثه فى الزخرف ، فقال [عاطفا -[٢]] على القول المقدر قبل " لقد " معبرا بصيغة المضى تأكيدا لمضمونه و تحقيقا : ﴿ و قال قرينه ﴾ أى الشيطان الذى سلط على إغوائه [٣]و استدراجه[٣] إلى ما يريد - نقله الكرمانى عن ابن عباس رضى الله عنهما[٤] ﴿ هذا ﴾ أى الإنسان ١٥ الذى قرنتنى به . و لما كان الأمر فى كل من الطائع و العاصى فى غاية العجب ، لأن الطائع ينابذ هواه فيكون ملكيا مجردا من حظوظه و نوازع نفوسه و ما بنيت عليه من النقائص و الشهوات ، [و العاصى -[٢]] طوع

(١-١) من مد ، و فى الأصل : بالجاه (٢) زيد من مد (٣ - ٣) من مد ، و فى الأصل : باستدراجه (٤) و المشهور عنه أنه الملك - راجع اللباب ٦/١٩٦ .

يدى الشيطان، يصرفه فى اغراضه كيف يشاء، فيطيعه بغاية الشهوة مع علمه بعداوته، و أن طاعته لا تكون إلا بمخالفة أمر الله الولى الودود، و كان العاصى أكثر كثرة يكون الطائع فيها بالنسبة إليه كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود، و كان ذلك منابذا للعقل، أشار إلى هذه المنابذة بأداة من لا يعقل و إلى جميع ما فى أمره من العجب بلدى فقال: ﴿ ما لدىّ ﴾ أى [الأمر -[1]] الذى عندى من الأمر المستغرب جدا لكون المطيع عصانى، و هو مطبوع على النقائص و الحظوظ التى[2] يرى [أنها -[1]] حياته و لذته و راحته، و العاصى أطاعنى و هو يعلم[3] بعقله أنى شر محض، و ترك الخير المحض و هو عالم بأن فى ذلك هلاكه ﴿ عتيد ﴾ أى حاضر مهيأ لما يراد منه.

و لما كانت العادة جارية بأن من أحضر إليه شىء تبادر إلى أمره بقول أو فعل، وصل بذلك ما هو نتيجته، و بدأ بالعاصى لأن المقام له، فقال ما يدل على أنه لا وزن له، فلا وقفة فى عذابه بحسابه و لا غيره، مؤكدا خطابا للمؤكد بالإلقاء أو خطابا للسائق و الشهيد، أو السائق وحده مثنيا لضميره تثنية للامر كأنه قال: ألق ألق - تأكيدا له و تهويلا: ﴿ القيا ﴾ أى اطرحا دفعا من غير شفقة، و قيل: بل هو تثنية و أصل ذلك أن الرفقة أدنى ما يكون ثلاثة، فجرى كلام الواحد على صاحبه، ألا ترى أن الشعراء أكثر شىء قيلا: ياصاحبىّ ياخليلىّ، و السر فيه إذا كان المخاطب[4] واحدا إفهامه أنه يراد منه الفعل بجد عظيم تكون قوته

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل: الذى (٣) سقط من مد.
(٤) من مد، و فى الأصل: الخطاب.

فيه معادلة لقوة اثنين ﴿ فى جهنم ﴾ أى النار التى تلقى الملقى[1] فيها بما كان يعامل به عباد الله من الكبر و العبوسة و التكره و التعصب. و لما كان المقصود تعليل إلقائه بوصف يعم غيره ليكون لطفا لمن أراد الله عصمته عن[2] سمع هذا المقال و حجة على من أراد الله[3] إهانته : ﴿ كل كفار عنيد[4] ﴾ اى مبالغ /فى ستر الحق[5] و المعاداة لأهله [6]من غير[6] حجة حمية و أنفة ٥ نظرا إلى استحسان ما عنده و الثبات عليه تجبرا و تكبرا على ما عند غيره ازدراء له كائنا من[7] كان ﴿ مناع[8] ﴾ أى كثير المنع ﴿ للخير ﴾ من المال و غيره من كل معروف يتعلق بالمال و القال و الفعال ﴿ معتد ﴾ متجاوز للحدود ﴿ مريب[9] ﴾ أى داخل فى الريب و هو الشك و التهمة فى أمر الدين، و موقع غيره فيه ، ثم أبدل من " كل " قوله بيانا لمبالغته فى ١٠ الكفر الذى أوجب له كل شر ﴿ الذى جعل ﴾ كفرا مضاعفا و عنادا و منعا للخير الذى يجب عليه فى قلبه و لسانه و بدنه ، و تجاوزا للحدود دخولا فى الشك و إدخالا لغيره فيه ﴿ مع الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال، فليس أمره خفيا عن كل ذى عقل ﴿ الها ﴾ .

و لما كان ربما تعنت متعنت فنزّل الآية على من يدعو الله بغير هذا ١٥ الاسم الأعظم ، صرح بالمراد بقوله : ﴿ اخر ﴾ و زاد الكلام أنه[9] مأخوذ

(١) من مد ، و فى الأصل الملتقى (٢) من مد ، و فى الأصل : لمن (٣) سقط من مد (٤) و قع فى الأصل بعد « كائنا من كان » و الترتيب من مد (٥) من مد ، و فى الاصل : العقل (٦-٦) فى مد : بغير (٧) من مد ، و فى الأصل : ماء. (٨) و قع فى الأصل بعد «المنع» و الترتيب من مد (٩) من مد ، و فى الأصل: كانه.

من التأخر الناظر إلى الرداءة و السقوط عن [عين - ١] الاعتبار بالكلية .

و لما كان هذا قد جحد الحق الواجب له لذاته مع قطع النظر عن كل شيء [٢]ثم ما[٢] يجب له من [جهة - ١] ربوبيته و إنعامه على كل موجود ، ثم من جهة إدامة إحسانه مع المعصية بالحلم ، و عاند فى ٥ ذلك و فى إثباته للغير ما لا يصح[٣] له بوجه من الوجوه ، سبب عن وصفه قوله : ﴿ فالقيه فى العذاب ﴾ [أى - ١] الذى يزيل [كل - ١] عذوبة ﴿ الشديد ﴾ .

و لما كان القرين قد قال ما تقدم مريدا به - جهلا منه - الخلاص من العذاب باظهار أنه ليس بأوصاف هذه النفس ، بل من كبار المؤمنين ، ١٠ فأجيب مقاله بالقاء تلك النفس معللا للأمر بالقائها بما شمل هذا القرين ، فتشوف السامع إلى ما يكون من حاله ، و كانت العادة جارية أن من تكلم فى شخص بما فيه مثله و لا سيما إن كان هو السبب فيه أو كان قد تكلم ذلك الشخص فيه ، فكان قياس ذلك يقتضى و لا بد أن تقول تلك النفس القول فيها ، و هذا عند الأمر بالقائها : ربنا هو أطغانى ، أجاب ١٥ تعالى عن هذا التشوف بقوله : ﴿ قال قرينه ﴾ مناديا باسقاط الأداة دأب أهل القرب إيهاما أنه منهم : ﴿ ربنا ﴾ أيها المحسن [إلينا - ١] أيتها[٤] الخلائق كلهم ﴿ ما اطغيته ﴾ أى ما اوقعته فيما كان فيه من الطغيان ، فانه لا سلطان لى عليه و أنت أعلم بذلك ﴿ و لكن كان ﴾ بجبلته و طبعه

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : مما (٣) من مد ، و فى الأصل: لا يصلح (٤) فى مد : اينها .

﴿ فى ضلال بعيد ﴾ محيط به من جميع جوانبه لا يمكن رجوعه معه ، فلذلك كان يبادر إلى كل ما يغضب الله ، و إن حركته إليه ان[1] فانه لا يحتاج إلى أدنى تحريك فيثور له ثورة من هو مجبول مركوز فى طباعه .

و لما كان كأنه قيل : بم يجاب عن هذا ؟ و هل يقبل منه ؟ قيل : لا ﴿ قال ﴾ أى الملك المحيط علما و قدرة الذى حكم عليهم فى الأزل : ٥ ﴿ لا تختصموا ﴾ أى لا توقعوا الخصومة بهذا الجد و الاجتهاد ﴿ لدىّ ﴾ أى فى دار الجزاء بهذه الحضرة التى هى / فوق ما كنتم تدركونه من ٣٦/ الأخبار عنها بكثير ، و أعجب بما يدرك حق الإدراك ، فقد أتم انكشاف ما كان يستغربه الخاصـــة بل خاصة الخاصة ، فقات بانكشافها نفع إيمان جديد ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنه قد ﴿ قدمت ﴾ أى تقدمت ، ١٠ أى أمرت و أوصيت قبل هذا الوقت موصلا و منهيا ﴿ اليكم ﴾ أى كل ما ينبغى تقديمه حتى لم يبق لبس و لا ترك لأحد حجة بوجه ، و جعلت ذلك رفقا بكم ملتبسا[2] ﴿ بالوعيد ﴾ أى التهديد و هو التخويف العظيم على جميع ما ارتكبتموه من الكفران و العدوان فى الوقت الذى كانت فيه [هذه -[3]] الحضرة التى هى غيب الغيب و مستورة بستائر الكبرياء ١٥ و العظمة ، بل كان ما دونها من الغيب مستورا ، فكان الإيمان به نافعا .

و لما كانت الأوقات كلها عنده سبحانه حاضرة ، عبر سبحانه فى تعليل ذلك بـ « ما » التى هى للحاضر دون " لا " التى للمستقبل فقال : ﴿ ما يبدل ﴾ أى يغير من مغير [ما كان من -[3]] كان بوجه من الوجوه بحيث يجعل

(١) ليس واضحا فى الأصل و مد (٢) من مد ، و فى الأصل : مكتسبا (٣) زيد من مد .

له بدل فيكون فيه خلف ﴿ القول لدىّ ﴾ أى الواصل إليكم من حضرتى التى لا يحاط بأمر[1] غرابتها بأن من أشرك بى لا أغفر له و أغفر ما دون ذلك لمن أشاء ، و العفو عن بعض المذنبين ليس تبديلا لأن دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد ، و أنه مشروط بشرائط ﴿ و ما أنا ﴾ و أكد النفى فقال : ﴿ بظلام ﴾ أى بذى ظلم ﴿ للعبيد ﴾ لا القرين و لا من أطغاه و لا غيرهم ، فأعذب من لا يستحق أو[2] أعفو عمن قلت : إنى لا أغفر له و أمرت جندى فعادوه فىّ . و لو عفوت عنه كنت مع تبديل القول قد سوّيتهم بالكرام من عادوه فىّ ليس إلا .

و لما كان هذا التقاول مما يهول امره و يقلع القلوب ذكره ، صور وقته بصورة تزيد فى ذلك الهول ، و ينقطع دون وصفها القول ، و لا يطمع فى الخلاص منها بقوة و لا حول ، فقال ما معناه : [يكون - ٣] هذا كله ﴿ يوم ﴾ و لما كان المقصود الإعلام بأن النار كبيرة مع ضيقها ، فهى تسع من الخلائق ما لا يقع[4] تحت حصر ، و أنها مع كراهتها لمن يصلاها و تجهمها لهم تحب تهافتهم فيها و جلبهم[5] إليها عبر عنه على طريق الكناية بقوله : ﴿ نقول ﴾ أى على ما لنا من العظمة التى [لا - ٣] يسوغ لشىء[6] أن يخفى عنها ﴿ لجهنم ﴾ دار العذاب مع الكراهة و العبوسة و التجهم إظهارا للهول بتصوير الأمر المهدد به ، و تقريع الكفار ، و تنبيه من يسمع

(١) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) من مد ، و فى الأصل : « و » (٣) زيد من مد (٤) فى مد : يدخل (٥) من مد ، و فى الأصل : حبلهم (٦) من مد ، و فى الأصل : منها .

هذا

هذا الخبر عن هذا السؤال من الغفلة : ﴿ هل امتلأت ﴾ فصدق قولنا " لاملان جهنم من الجنة و الناس اجمعين " و ذلك بعد أن يلقى فيها من الخلائق ما لا يحيط به الوصف، فتقول : لا ، ﴿و تقول﴾ طاعة لله و محبة فى عذاب أعدائه و إخبارا بأنها لم تمتلئ لأن النار من شأنها أنها كلما زيدت حطبا زادت لهبا : ﴿هل من مزيد﴾ أى زيادة أو شىء من العصاة / ازادة ، ٥ ٣٧/ سواء (١كان كثيرا أو قليلا١) ، فانى أسع مايؤتى به إلىّ و لا تزال كذلك كما ورد فى الحديث« لا تزال جهنم يلقى فيها و تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه » أى يضربها من جبروته بسوط إهانة فينزوى بعضها إلى بعض و تقول: قط قط و عزتك ، ثم يستمرون بين دولتى الحر و الزمهرير ، و قد جعل الله سبحانه لذلك آية فى هذه الدار باختلاف الزمان فى الحر ١٠ و البرد ، فاذا أفرط الحر جاءت رحمته [تعالى بالبرد و بالماء من السماء فامتزجا معا فكان التوسط ، و إذا أفرط البرد جاءت رحمته - (٢] بالحر بواسطة الشمس ، فامتزج الموجودان ، فكان له توسط ، وكل ذلك [له -(٢] دوائر موزونة بأقساط مقسطة معلومة بتقدير العزيز العليم - ذكر ذلك ابن رجان .

و لما ذكر النار و قدمها لأن المقام للانذار ، أتبعها دار الأبرار ، ١٥ فقال سارا لهم باسقاط(٣ مؤنة السير و طىّ شقة البعد : ﴿و ازلفت﴾ أى قربت بأيسر أمر مع الدرجات و الحياض الممتلئة ﴿ الجنة للمتقين ﴾ أى العريقين فى هذا الوصف ، فاذا رأوها تسابقوا إليها و تركوا ما كانوا فيه من

(١-١) من مد ، و فى الأصل : قليلا أم كثيرا (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : بالاسقاط .

الموقف من منابر النور و كثبان المسك و نحو هذا ، و أما غيرهم من اهل الإيمان فقد يكون لهم على غير هذا الوصف ، فيساق إليها الذين اتقوا كما مضى فى الزمر . و لما كان القرب أمرا نسبيا أكده بقوله : ﴿غير بعيد﴾ أى إزلافا لا يصح وصفه ببعد .

٥ و لما كان التقريب قد لا يدرى الناظر ما سببه ، قال سارا لهم : ﴿هذا﴾ أى الإزلاف و الذى ترونه من كل ما يسركم ﴿ما﴾ أى الأمر الذى ﴿توعدون﴾ أى وقع الوعد لكم به فى الدنيا ، و عبر بالمضارع حكاية للحال الماضية ، و عبر عن الإزلاف بالماضى تحقيقا لأمره و تصويرا لحضوره الآن ليكون المضارع من الوعد فى أحكم مواضعه ، و أبهم الأمر لأنه أكثر تشويقا ،

١٠ و التعيين بعد الإبهام ألذ ، فلذلك قال بيانا للمتقين ، معيدا للجار[1] لما وقع بينه و بين المبدل منه من الجملة الاعتراضية جوابا لمن كأنه قال : لمن هذا الوعد ؟ فقال تعالى : ﴿لكل اواب﴾ أى رجاع إلى الاستقامة بتقوى القلب إن حصل فى ظاهره عوج ، فنبه بذلك على أنه من فضله لم يشترط فى صحة وصفه بالتقوى دوام الاستقامة ﴿حفيظ ج﴾ أى مبالغ فى حفظ

١٥ الحدود و سائر العهود بدوام الاستقامة و الرجوع بعد الزلة ، ثم أبدل من "كل" [تتميما - ٢] لبيان المتقين قوله : ﴿من خشى﴾ و لم يعد الجار لأنه لا اعتراض قبله كالأول ، و نبه على كثرة [خشيته - ٢] بقوله : ﴿الرحمن﴾ لأنه إذا خاف مع استحضار الرحمة العامة للطيع و العاصى كان خوفه مع استحضار غيرها اولى ، و قال القشيرى : التعبير بذلك

(١) من مد ، و فى الاصل : مجازا (٢) زيد من مد .

للاشارة إلى أنها خشية تكون مقرونة بالأنس يعنى الرجاء كما هو المشروع، قال: و لذلك[1] لم يقل "الجبار" أو "القهار" قال: و يقال: الخشيه ألطف من الخوف، فكأنها قريبة من الهيبة ﴿بالغيب﴾ / أى مصاحبا له من غير أن يطلب آية أو أمرا يصير به إلى حد المكاشفة، بل استغنى بالبراهين القاطعة[2] التى منها [أنه -[3]] مربوب، فلا بد له من رب، و هو أيضا بيان لبليغ خشيته. ٣٨ / ٥

و لما كان النافع من الطاعة الدائم إلى الموت، قال: ﴿ و جآء ﴾ أى بعد الموت ﴿ بقلب منيب ۝ ﴾ أى راجع إلى الله تعالى بوازع العلم، و لم يقل: بنفس، لطفا بالعصاة لأنهم و إن قصرت نفوسهم لم يكن لها صدق القدم فلهم الأسف بقلوبهم و صدق الندم. ١٠

و لما كان الإخبار بكونها لهم و إن كان أمرا سارا لا يقتضى دخولها فى ذلك الوقت، زاد سرورهم بالإذن بقوله معبرا بضمير الجمع بيانا لأن المراد من «من» جميع المتقين: ﴿ادخلوها﴾ أى يقال لهم: ادخلوا الجنة. و لما كان المراد استقبالهم بالإلذاذ بالبشارة قال: ﴿ بسلٰم ﴾ أى مصاحبين للسلامة من كل ما يمكن أن يخاف، فأنتج ذلك قوله إنهاء للسرور إلى غاية لا توصف: ﴿ ذلك ﴾ أى اليوم العظيم جدا ﴿يوم﴾ ابتداء أو تقرير ﴿ الخلود ۝ ﴾ أى الإقامة التى لا آخر لها و لا نفاذ لشىء من لذاتها أصلا، و لذلك وصل به قوله جوابا لمن كأنه قال: على أى وجه خلودهم؟: ﴿لهم﴾ بظواهرهم و بواطنهم ﴿ما يشآؤن﴾ أى يتجدد ١٥

(١) من مد، و فى الأصل: كذلك (٢) فى مد: القطعية (٣) زيد من مد.

مشيئتهم أو تمكن مشيئتهم [له -[1]] ﴿ فيها ﴾ أى الجنة ﴿ و لدينا ﴾ أى عندنا من الأمور التى فى غاية الغرابة عندهم و إن كان كل ما عندهم مستغربا ﴿ مزيد ﴾ اى مما لايدخل تحت أوهامهم يشاؤه[2]، فان سياق الامتنان يدل على أن تنوينه للتعظيم، و التعبير بلدى يؤكد ذلك تأكيدا يناسبها بأن يكونوا كل لحظة فى زيادة لم يحط بها علم أخص الخواص، فهم فى كل لحظة فى زيادة[3] على أمانيهم عكس ما كانوا فى الدنيا، و بذلك تزداد علومهم، فمقدورات الله لاتنحصر، لأن معلوماته لاتنتهى.

و لما ذكر سبحانه أول السورة تكذيبهم بالقدرة على اعترافهم بما يكذبهم فى ذلك التكذيب، ثم سلى و هدد بتكذيب الأمم السابقة، و ذكر قدرته عليهم، و أتبعه الدلالة على كمال قدرته إلى أن ختم بالإشارة إلى أن قدرته لا نهاية لها، و لا تحصر بحد و لا تحصى بعد، ردا على أهل العناد و بدعة الاتحاد فى قولهم «ليس فى الإمكان أبدع مما كان» عطف على [ما -[1]] قدرته بعد "لحق وعيد" من إهلاك تلك الأمم ما هو أعم منه بشموله جميع الزمان الماضى و أدل على شمول القدرة، فقال: ﴿ و كم اهلكنا ﴾ أى بما لنا من العظمة. و لما كان المراد تعميم الإهلاك فى جميع الأزمان لجميع الأمم، نزع الجار بيانا لإحاطة القدرة فقال: ﴿ قبلهم ﴾ و زاد فى دلالة التعميم فأثبته فى قوله: ﴿ من قرن ﴾ أى جيل هم فى غاية القوة، و زاد فى بيان القوة فقال:

(١) زيد من مد (٢) ليس واضحا فى مد (٣) من مد، و فى الأصل: زيادتهم.

/ ﴿هم﴾ اى اولئك القرون بظواهرهم و بواطنهم ﴿اشد منهم﴾ أى من ٣٩/
قريش ﴿بطشا﴾ أى قوة و أخذا لما يريدونه بالعنف[1] و السطوة و الشدة،
و حذف الجار هنا يدل على أن كل من كان قبل قريش كانوا أقوى
منهم، و إثباته فى ص يدل على أن المذكورين بالإهلاك هناك[2] مع الاتصاف
بالنداء المذكور بعض المهلكين لا كلهم. و لما أخبر سبحانه بأشديتهم سبب ٥
عنه قوله: ﴿فنقبوا﴾ اى أوقعوا النقب ﴿فى البلاد﴾ بأن فتحوا فيها
الأبواب الحسية و المعنوية و خرقوا فى أرجائها ما لم يقدر غيرهم عليه
و بالغوا فى السير فى النقاب، و هى طرق الجبال و الطرق الضيقة فضلا عن
الواسعة و ما فى السهول، بعقولهم الواسعة و آرائهم النافذة و طبائعهم القوية،
و بحثوا مع ذلك عن الأخبار، و أخبروا غيرهم بما لم يصل إليهم، و كان ١٠
كل منهم نقابا فى ذلك أى علامة فيه فصارت له به مناقب أو مفاخر.

و لما كان التقدير: و لم يسلموا مع كثرة تنقيبهم و شدته من إهلاكنا
بغوائل الزمان و نوازل الحدثان، توجه سؤال كل سامع على ما فى ذلك
من العجائب و الشدة و الهول و المخاوف سؤال تنبيه للذاهل الغافل، و تقريع
و تبكيت للعاند الجاهل، بقوله: ﴿هل من محيص﴾ أى معدل و محيد ١٥
و مهرب و إن دق، من قضائنا ليكون لهؤلاء وجه ما فى رد أمرنا.

و لما ذكر هنا من المواعظ ما أرقص[3] الجماد، فكيف بمن يدعى أنه
من رؤس النقاد، أنتج قوله مؤكدا لأجل إنكار الجاحد و عناد المعاند:

---

(١) من مد، و فى الأصل: بالقبوة - كذا (٢) من مد، و فى الأصل: هنا.
(٣) من مد، و فى الأصل: افرض.

﴿ ان فى ذلك ﴾ أى [الأمر - ١] البديع من العظات التى صرفناها هنا على ماترون من الأساليب العجيبة و الطرق الغريبة فى الإهلاك و غيره ﴿ لذكرى ﴾ أى تذكيرا عظيما جدا . و لما كان المتذكر بمصارع المهلكين [تارة - ١] بأن يكون حاضرا فيرى مصارعهم حال الإيقاع بهم أو يرى آثارهم بعد ذلك ، و تارة يخبر عنها ، قال بادئا بالرائى لأنه أجدر بالتذكير: ﴿ لمن كان ﴾ أى كونا عظيما ﴿ له قلب ﴾ هو فى غاية العظمة و النورانية إن رأى شيئا من ذلك فهو بحيث يفهم مايراه و يعتبر به ، و [من - ١] لم يكن كذلك فلا قلب له لأن قلبه لما كان غير نافع كان عدما .

و لما ٣كان قد٣ بدأ بالناظر لأنه أولى بالاعتبار و أقرب إلى الادكار ، ثنى بمن نقلت إليه الأخبار فقال : ﴿ او القى ﴾ أى إلقاء عظيما بغاية إصغائه حتى كأنه يرمى بشىء ثقيل من علو إلى سفل ﴿ السمع ﴾ أى الكامل الذى قد جرده عن الشواغل من الحظوظ و غيرها إذ سمع ما غاب عنه ﴿ و هو ﴾ أى [و - ١] الحال انه فى حال إلقائه ﴿ شهيد ﴾ أى حاضر بكليته ، فهو فى غاية مايكون من تصويب الفكر و جمع الخاطر ، فلا يغيب عنه شىء مما تلى عليه / و ألقى إليه ، فيتذكر بما ذكرناه به عن قدرتنا من الجزئيات ما أنتجه من القدرة على كل شىء ، و رأى مجد القرآن فعلم أنه كلام الله فسمعه منه فصدق الرسول ، و قبل كل ما يخبر به ، و من سمع شيئا و لم يحضر له ذهنه فهو غائب ، فالأول لعالم٤ بالقوة٤ و هو المجبول

/ ٤٠

(١) زيد من مد (٢) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : بالقدرة .

على الاستعداد الكامل فهو بحيث لايحتاج إلى غير التدبر[1] لما عنده من الكمال المهيئ بفهم ما يذكر به القرآن، و الثانى القاصر بما عنده من كثافة الطبع فهو بحيث يحتاج إلى التعليم فيتذكر بشرط أن يقبل[2] بكليته، و يزيل الموانع كلها، فلذلك حسن جدا موقع "أو" المقسمة و علم منه عظيم شرف القرآن فى أنه مبشر للكامل و الناقص، ليس منه مانع ٥ غير الإعراض.

و لما دل على تمام علمه و شمول قدرته بخلق الإنسان إثر ما ذكره من جميع الأكوان، ثم باعدامه لأصناف[3] الإنسان فى كل زمان، ذكر بخلق ما أكبر منه فى المقدار و الإنسان بعضه على وجه آخر، فقال عاطفا على "و لقد خلقنا الانسان" و أكده تنبيها لمنكرى البعث و تبكيتا، ١٠ و افتتحه بحرف التوقع لأن من ذكر بخلق شيء [توقع الإخبار -[4]] عما هو أكبر منه: ﴿و لقد خلقنا﴾ أى بما لنا من العظمة التى لايقدر قدرها[5] و لا يطاق حصرها ﴿ السمٰوٰت و الارض ﴾ على ما هما عليه من الكبر و كثرة المنافع ﴿و ما بينهما﴾ من الأمور التى لاينتظم الأمر على قاعدة الأسباب و المسببات بدونها ﴿فى ستة ايام﴾ الأرض فى يومين، ومنافعها ١٥ فى يومين، و السماوات فى يومين، و لو شاء لكان ذلك فى أقل من لمح البصر، و لكنه سن لنا[6] التأنى بذلك ﴿ و ما مسنا﴾ لأجل ما لنا من

(١) من مد، و فى الأصل: التدبير (٢) من مد، و فى الأصل: لايقبل.
(٣) من مد، و فى الأصل: لاتصاف (٤) زيد من مد (٥) من مد، و فى الأصل: قدرتها (٦) من مد، و فى الأصل: له.

العظمة ﴿ من لغوب ﴾ أى إعياء فانه لو كان لاقتضى ضعفا فاقتضى فسادا، فكان من ذلك شيء على غير ما أردناه، فكان تصرفنا فيه غير تصرفنا فى الباقى، و أنتم تشاهدون الأمر فى الكل على حد سواء من نفوذ الأمر و تمام التصرف، من اللغب[1] و هو الإعياء، و الريش اللغاب و هو الفاسد.

٥ و لما دل سبحانه على شمول العلم و إحاطة القدرة، و كشف فيهما الأمر أتم كشف، كان علم الحبيب القادر بما يفعل العدو أعظم نذارة للعدو و بشارة للولى، سبب عن ذلك قوله: ﴿ فاصبر على ما ﴾ أى جميع الذى ﴿ يقولون ﴾ أى الكفرة و غيرهم. [و لما -[2]] كانت أقوالهم لاتليق بالجناب الأقدس، أمر سبحانه بما يفيد أن ذلك بارادته

١٠ و أنه موجب لتنزيهه، كماله، لأنه قهر قائله على قوله، و لو كان الأمر بارادة ذلك القائل استقلالا لكان ذلك فى غاية البعد عنه، لأنه موجب للهلاك، فقال: ﴿ و سبح ﴾ أى أوقع التنزيه عن كل شائبة نقص متلبسا[3] ﴿ بحمد ربك ﴾ أى باثبات الإحاطة بجميع صفات الكمال للسيد المدبر المحسن / إليك بجميع هذه البراهين التى خصك بها تفضيلا لك على ٤١ /

١٥ جميع الخلق فى جميع ما ﴿ قبل طلوع الشمس ﴾ بصلاة الصبح، و ما يليق به من التسبيح غيرها ﴿ و قبل الغروب ﴾ بصلاة العصر و الظهر كذلك، فالعصر أصل لذلك[4] الوقت و الظهر تبع لها.

و لما ذكر ما هو أدل على الحب فى المعبود لأنه وقت الانتشار

---

(١) من مد، و فى الأصل: التعب (٢) زيد من مد (٣) فى مد: ملتبسا.
(٤) فى مد: فى ذلك.

إلى[1] الأمور الضرورية التى بها القوام و الرجوع لقصد الراحة الجسدية بالأكل و الشرب و اللعب و الاجتماع بعد الانتشار و الانضمام مع ما فى الوقتين من الدلالة الظاهرة على طى الخلق ثم نشرهم، أتبعه ما يكون وقت السكون المراد به الراحة بلذيذ الاضطجاع و المنام فقال: ﴿و من الّيل﴾ أى فى بعض أوقاته ﴿فسبحه﴾ بصلاتى المغرب و العشاء و قيام الليل لأن الليل وقت الخلوات و هى ألذ المناجاة - و لما ذكر الفرائض التى لامندوحة عنها على وجه يشمل النوافل من الصلاة و غيرها، أتبعها النوافل المقيدة بها فقال: ﴿و ادبار السجود﴾ أى الذى هو أكمل فى بابه و هو صلاة الفرض بما يصلى بعدها من الرواتب و التسبيح بالقول أيضا، قال الرازى: و اعلم أن ثواب الكلمات بقدر صدورها عن جنان المعرفة و الحكمة و أن تكون عين قلبه تدور [2]دوران لسانه[2] و يلاحظ حقائقها و معانيها، فالتسبيح تنزيه من كل ما يتصور فى الوهم أو يرتسم فى الخيال أو ينطبع فى الحواس أو[3] يدور فى الهواجس، و الحمد يكشف عن المنة و صنع الصنائع و أنه المتفرد بالنعم - انتهى. و معناه أن هذا الحمد هو الحقيقة. فاذا انطبقت فى الجنان قامت باللسان، و تصورت بالأركان، و حمل على الصلاة لأنها أفضل العبادات، و هى جامعة بما فيها من الأقوال و الأفعال لوجهى الذكر: التنزيه و التحميد، و هاتان الصلاتان المصدر بهما أفضل الصلوات فهما أعظم ما وقع

(١) من مد، و فى الأصل: فى (٢-٢) من مد، و فى الأصل: بدوران الانسان (٣) من مد، و فى الأصل: اى.

التسبيح بالحمد ، و المعنى - و الله أعلم - أن الاشتغال استمطار من المحمود المسبح للنصر على المكذبين ، و أن الصلاة أعظم ترياق للنصر و إزالة الهم ، و لهذا كان النبى صلى الله عليه و سلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

و لما سلاه سبحانه عما يسمع منهم من التكذيب [و - [1]] غيره من الأذى بالإقبال على علىّ حضرته و الانتظار لنصرته ، أتبعه تعزية الإشارة فيها أظهر بما صوره يوم مصيبتهم و قربه حتى أنه يسمع فى وقت نزول هذه الآية ما فيه لهم من المثلات و قوارع المصيبات ، تحذيرا لهم و بشرى لأوليائه بتمام تأييده عليهم و نصره لهم فى الدنيا و الآخرة فقال : ﴿و استمع﴾ أى اسمع بتعمدك للسمع بغاية جهدك باصغاء سمعك و إقبال قلبك بعد تسبيحك بالحمد ما يقال لهم ﴿يوم[1] يناد المناد﴾ لهم فى الدنيا يوم بدر أول الأيام التى أظهر الله فيها لأوليائه مجده بالانتقام من أعدائه ، / و فى الآخرة يوم القيامة فى صورة[2] النفخة الثانية و ما بعده . ٤٢ /

و لما كان المراد إظهار العظمة بتصوير تمام القدرة ، و كان ذلك يتحقق باسماع البعيد من محل المنادى كما يسمع القريب سواء ، وكان القرب ملزوما للسماع ، قال مصورا لذلك : ﴿من مكان﴾ هو صخرة بيت المقدس ﴿قريب ۝﴾ أى يسمع الصوت من بعد كما يسمعه من قرب ، يكونون فى البقاع سواء لاتفاوت بينهم أصلا .

و لما عظم هذا المقام بما كساه من ثوب الإجمال أبدل منه إيضاحا

---

(١) وقع فى الأصل بعد: واستمع و الترتيب من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : الصورة .

و زيادة فى التعظيم قوله : ﴿ يوم يسمعون ﴾ أى الذين ينادون ﴿الصيحة﴾ أى صيحة أصمتهم المستنفر لهم إلى بدر فى الدنيا ، فكانت صيحة قاضية بصممهم عن جميع تصرفاتهم ، و صيحة النفخة الثانية فى الصور فى الآخرة فهما نفختا حشر إلى القضاء بين المحق و المبطل ﴿بالحق﴾ أى الأمر الثابت الذى كانوا يسمونه سحرا ، و يعدونه خيالا ، فيعلمون حينئذ أن الواقع قد يطابقه ، فكان حقا فانه قد طابقه الواقع ، فكان الإخبار به صدقا .

و لما عظمه سبحانه باجمال بعد إجمال ، إشارة إلى أن ما فيه من شديد الأهوال ، يطول شرحه بالمقال ، زاده تعظيما بما أنتجه الكلام فقال : ﴿ذلك﴾ أى اليوم العظيم الذى يظهر به المجد و يعلو بضعفاء المؤمنين المجد ﴿يوم الخروج ۝﴾ أى الذى لاخروج أعظم منه و هو خروجهم من بيوتهم فى الدنيا إلى مصارعهم ببدر ، و من قبورهم من الأرض التى [خلقوا -[1]] منها إلى مقامعهم فى النار .

و لما بنيت دعائم القدرة و دقت بشائر النصرة و ختم بما يصدق على البعث الذى هو الإحياء الأعظم دالا عليه بما هو مشاهد من أفعاله ، و أكده لإنكارهم البعث ، فقال : ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿نحن﴾ خاصة ﴿ نحيي و نميت ﴾ تجدد[2] ذلك شيئا بعد شيء سنة مستقره و عادة مستمرة كما تشاهدونه ، فقد كان منا بالإحياء الأول البدأ ﴿ و الينا ﴾ خاصا بالإماتة ثم الإحياء ﴿المصير ۝﴾ أى الصيرورة و مكانها و زمانها بأن نحيي جميع من أمتناه يوم البعث و نحشرهم إلى محل الفصل ، فنحكم

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : نجد .

بينهم و ليس المعاد باصعب من المبدأ ، فمن أقر به و أنكر البعث كان معاندا أو مجنونا قطعا .

و لما تحقق بذلك أمر البعث غاية التحقق ، صور خروجهم فيه فقال معلقا بما ختم به الابتداء مما قبله زيادة فى تفخيمه و تعظيمه و تبجيله: ٥ ﴿ يوم تشقق الارض ﴾ و عبر بفعل المطاوعة لاقتضاء الحال له ، و حذف تاء المطاوعة إشارة إلى سهولة الفعل و سرعته ﴿عنهم﴾ أى مجاوزة لهم بعد أن كانوا فى / بطنها فيخرجون منها أحياء كما كانوا على ظهرها أحياء، ٤٣ / حال كونهم ﴿ سراعا ﴾ إلى إجابة مناديها، و أشار إلى عظمه بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الإخراج العظيم جدا ﴿ حشر ﴾ أى جمع بكره ، و زاد ١٠ فى بيان عظمة هذا الأمر بدلالته على اختصاصه بتقديم الجار فقال: ﴿علينا﴾ أى خاصة ﴿ يسير ﴾ فكيف يتوقف عاقل فيه فضلا عن أن ينكره، و اما غيرنا فلا يمكنه ذلك بوجه - انتهى .

و لما أقام سبحانه الأدلة على تمام قدرته و شمول علمه و ختم بسهولته عليه و اختصاصه به ، وصل تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم بتهديدهم ١٥ على تكذيبهم بالعلم الذى هو أعظم التهديد فقال : ﴿ نحن ﴾ أى لا غيرنا و لا هم أنفسهم ﴿ اعلم﴾ أى من كل من يتوهم فيه العلم ﴿ بمايقولون ﴾ أى فى الحال و الاستقبال من التكذيب بالبعث و غيره مع إقرارهم بقدرتنا .

و لما كان التقدير: فنحن قادرون على ردهم عنه بما لنا من العلم المحيط ٢٠ و أنت لهم منذر تنذرهم وبال ذلك ، عطف عليه قوله: ﴿ وما انت عليهم ﴾

و لما

و لما أفاد حرف الاستعلاء القهر و الغلبة صرح به مؤكدا فى النفى فقال : ﴿ بجبار قف ﴾ أى متكبر قهار عات تردهم قهرا عما تكره منهم من الأقوال و الأفعال، إنما أنت منذر . و لما نفى عنه الجبروت، أثبت لهم ما أفهمه واو العطف من النذارة كما قدرته قبله، فقال مسببا عنه معبرا بالتذكير الذى يكون عن نسيان لأن كل ما فى القرآن من وعظ إذا تأمله الإنسان ٥ وجده شاهدا فى نفسه أو فيما يعرفه من الآفاق ﴿ فذكر ﴾ أى بطريق البشارة و النذارة ﴿ بالقرآن ﴾ أى الجامع بمجده لكل خير المحيط بكل صلاح ﴿ من يخاف وعيد ﴾ أى يمكن خوفه، و هو كل عاقل، و لكنه ساقه هكذا إعلاما بأن الذى يخاف بالفعل فيكشف الحال عن إسلامه هو المقصود بالذات، و غيره إنما يقصد لإقامة الحجة عليه لا لدده، ١٠ و لا يؤسف عليه و لا يتأثر بتكذيبه بل يعتقد أنه عدم لا تضر عداوته و لا تنفع ولايته، و ما آذى إلا نفسه وكل من والاه فى الدنيا و الآخرة، و هذا هو المجد للقرآن و لمن أنزله و لمن أتى به عنه بتمام قدرة من هو صفته و شمول علمه، فقد انعطف هذا الآخر على [ذلك - ١] الأول أشد انعطاف، و التفت فروعه بأصله أتم[٢] التفاف، فاعترفت به [أولو - ١] ١٥ براعة و أهل الإنصاف [والاتصاف - ١] بالتقدم فى كل صناعة بالسبق الذى لا يمكن لحاقه أىّ اعتراف[٣] - و الله الهادى للصواب .

---

(١) زيد من مد (٢) فى مد : أى (٣) فى الأصل و مد : اعترافه .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الذاريات[1]

/ ٤٤ / مقصودها الدلالة على صدق ما أنذرت به سورة ق تصريحا و بشرت به تلويحا، و لا سيما آخرها[2] من مصاب الدنيا و عذاب الآخرة، و اسمها الذاريات ظاهر فى ذلك بملاحظة جواب القسم فانه مع القسم لشدة ٥ الارتباط كالآية الواحدة[3] و إن كان خمسا، و التعبير عن الرياح بالذاريات أتم إشارة إلى ذلك، فان تكذيبهم بالوعيد لكونهم لا يشعرون بشىء من أسبابه و إن كانت موجودة معهم كما أن ما يأتى من السحاب من الرحمة و النقمة أسبابه موجودة، و هى الرياح و إن كانوا لا يرونها، و الريح من شأنها الذرء و هو التفريق، فاذا أراد الله جمعت فكان ١٠ ما أراد، فانها تفرق الأبخرة، فاذا أراد الله سبحانه جمعها لحملها ما أوجد فيها فأوقرها به فأجراها إجراء سهلا، فقسم منها ما أراد تارة برقا و أخرى رعدا، يصل صليل الحديد على الحديد، أو الحجر على مثله مع لطافة السحاب، كل ما يشاهد[4] فيه من الأسباب، و آونة مطرا شديد الانصباب، و مرة [5]بردا و مرة ثلجا[5] يرجى و يهاب، و حينا صواعق و نيرانا لها ١٥ أى التهاب، و وقتا جواهر و مرجانا بديعة الإعجاب، فتكون مرة

(١) الحادية والخمسون من سوره القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها ستون بالاتفاق (٢) من مد، و فى الأصل: آخره (٣) من مد، و فى الأصل: واحدة. (٤) من مد، و فى الأصل: يشا (٥-٥) فى مد: ثلجا و بردا.

سرورا و رضوانا ، و أخرى غموما و احزانا ، و غبنا و خسرانا ، على أنهم أخيل الناس فى بعض ذلك ، يعرفون السحاب الذى يخيل المطر و الذى لا يخيله و الذى مطره دان ، و الذى لم يأن له أن يمطر - إلى غير ذلك من أشياء ذكرها أهل الأدب و حملها أهل اللغة عنهم ، و كل ذلك بتصريف الملائكة عن أمر الله ، و لذلك - و الله أعلم - سن أن يقال عند سماع[1] الرعد[2] : ٥ "سبحان الله" سبوح قدوس ، بيانا لأن المصرف الحق هو الله تعالى "رب الملئكة" أى الذين أقيموا لهذا "و الروح" الذى يحمله هذا الجسم من مطر أو نار أو غيرهما و الله الموفق ﴿ بسم الله ﴾ المحيط بصفات الكمال فهو لا يخاف الميعاد ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم الخلائق بنعمة الإيجاد ﴿الرحيم٥﴾ الذى خص من اختاره بالتوفيق لما يرضاه من المراد . ١٠

لما[4] ختم سبحانه ق بالتذكير بالوعيد ، افتتح هذه بالقسم البالغ على صدقه ، فقال مناسبا "بين القسم" و المقسم عليه : ﴿ و الذريٰت ﴾ أى الرياح التى من شأنها الإطارة و الرمى و التفريق و الإذهاب ، و أكد ذلك بقوله : ﴿ذروا٥﴾ أى بما تصرفها فيه الملائكة ، قال الأصبهانى : الرياح تحت أجنحة الكروبيين حملة العرش ، فتهيج من ثم فتقع بعجلة الشمس ١٥ ثم تهيج[6] عن عجلة الشمس فتقع برؤس الجبال ، ثم من رؤس الجبال

---

(١) سقط من مد (٢) زيد فى الأصل : يقال ، و لم تكن الزيادة فى مد . فحذفناها (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : و لما (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل : للقسم (٦) زيد فى مد : فتقع .

تقع فى البر، فأما الشمال [1]فانها تمر[1] تحت عدن فتأخذ من عرف طيبها فتمر على أرواح الصديقين، ثم تأخذ حدها من كرسى بنات نعش إلى مغرب الشمس، و تأتى الدبور حدها من مغرب الشمس إلى مطلع / سهيل، و تأتى الجنوب حدها من مطلع سهيل إلى مطلع الشمس، و تأتى الصبا حدها من مطلع الشمس إلى كرسى بنات نعش، فلا تدخل هذه فى حد هذه [و لا هذه فى حد هذه - [2]] .

٤٥/

و لما كانت غايـــة الذرو التهيئة للحمل، قال مسببا و معقبا: ﴿ فالحٰملٰت [3] ﴾ أى من السحب[4] التى فرقت الريح أصلها و هو الأبخرة، و أطارته فى الجو أى جهة العلو ثم جمعته، فانعقد سحابا فبسطه مع الالتئام فحمله الله ما أوجد فيه من مراده من الماء و الصواعق و غيرها ﴿ وقرا[5] ﴾ أى حملا ثقيلا، و قد كان قبل ذلك لايرى [5]شىء منه[5] و لا من محموله، فتحققوا قدرة الله على كل ما يريد و إن لم تروا أسبابه، و لا يغرنكم بالله الغرور .

و لما كان الحمل إنما هو [6]الوضع فى[6] الأماكن التى يراد ضرها أو نفعها، و كان سير الغمام بعد الحمل فى ساحة الجو و باحة الأفق من غير ممسك يرى أدل على القدرة، و لا سيما إذا كان مع الجرى الذى يضرب [به - [2]] لسرعته المثل، و كذا جرى السفن فى باحة البحر بعد ثقلها

(١-١) من مد، وفى الأصل : فان (٢) زيد من مد (٣) وقع فى الأصل بالهامش.
(٤) من مد، و فى الأصل : السحاب (٥ - ٥) من مد، و فى الأصل : منه - شىء (٦-٦) من مد، و فى الأصل : المواضع .

بالوسق قال: ﴿ فالجٰرِيٰت يسراً ﴾ أى جريا ذا سهولة .

و لما كان فى غاية الدلالة على تمام القدرة بغريق محمولها فى الأراضى المجتاحة و لاسيما إن تباعدت أماكن صبه و مواطن سكبه، و كان ذلك التفريق [هو -١] غاية الجرى المترتب على الحمل المترتب على الذرو، قال مسببا معقبا مشيرا بالتفعيل إلى غرابة فصلها لقطراتها و بداعة تفريقها لرحمتها من عـــذابها٢، و غير ذلك من أحوال الجاريات و تصريف الساريات: ﴿ فالمقسمٰت ﴾ أى من السحب٣ بما تصرفها فيه الملائكة عليهم السلام، و كذا السفن بما يصرفها الله به من الرياح اللينة أو٤ العاصفة من سلامة و عطب و سرعة و إبطاء، و كذا غيرهما من كل ٥مر تصرفه الملائكة بين العباد و تقسمه .

و لما كان المحمول مختلفا كما تقدم، قال جامعا لذلك: ﴿ امراً ﴾ أى من الرحمة أو العذاب، قال الرازى فى اللوامع: و هذه أقسام يقسم الله بها و لايقسم بها [الخلق لأن قسم -١] الخلق استشهاد على صحة قولهم بمن يعلم السر كالعلانية و هو الله تعالى، و قسم الخلائق إرادة تأكيد الخبر ٥فى نفوسهم فيقسم٥ ببعض بدائع خلقه على وجه يوجب الاعتبار و يدل٦ على توحيده، فالرياح بهبوبها و سكونها لتأليف السحاب و تذرئة الطعام و اختلاف الهواء و عصوفها مرة و لينها أخرى و السحاب بنحو وقوفها مثقلات بالماء من غـــير عماد و صرفها فى وقت الغنى عنها

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل: عداها (٣) من مد، و فى الأصل: الصحاب (٤) من مد، و فى الأصل «و» (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من مد .

بما لو دامت لأهلكت، و لو انقطعت لم يقدر احد على قطرة منها، و بتفريق المطر و إلا هلك الحرث و النسل، و السفن بتسخير البحر لجريانها و تقدير الريح لها بما لو زاد لغرق، و لو ركد لأهلك، و الملائكة تقسم الأمور بأمر ربها، كل ذلك دليل على وجود الصانع الحكيم، و الفاطر العليم، القادر الماجد الكريم.

و لما كانوا يكذبون بالوعيد، أكد الجواب بعد التأكيد بنفس القسم فقال: ﴿ انما ﴾ [أى الذى - ١] ﴿ توعدون ﴾ أى من الوعد / للطائع و الوعيد للعاصى، و إن لم تروا أسبابه. و لما كان ما توعدوا به لتحقق وقوعه و قربه كأنه موجود يخاطبهم عن نفسه، عبر عن المصدر باسم الفاعل فقال: ﴿لصادق ۝﴾ أى مطابق الإخبار [به - ١] للواقع، و سترون مطابقته له إذا وقع، و تعلمون أن ذلك الواقع حق ثابت لا خيال لمطابقته للخبر، قال ابن برجان: و اعلم أن الله عز و جل ما أقسم بقسم إلا مطابقا معناه لمعان فى المقسم من أجله بسراج منير يهدى به الله تعالى من يشاء، و إنما يعمى عن رؤية ذلك ظواهر اشخاص المحسوسات، و يصم عن اسماع ندائها ضوضاء المشاهدات، و لو لا ذلك لنودوا بها من مكان قريب، و قال البيضاوى: كأنه استدل باقتداره على هذه الأشياء العجيبة المخالفة لمقتضى الطبيعة على اقتداره على البعث.

٤٦ /

و لما كان أجل وعيدهم ما يتعلق بالجزاء يوم القيامة و كانوا ينكرونه، قال: ﴿ و ان الدين ﴾ أى المجازاة لكل أحد بما كسب يوم

(١) زيد من مد.

البعث، و الشرع الذى أرسلت به هذا النبى الكريم ﴿لواقع﴾ لا بد منه و إن أنكرتم ذلك، فيظهر دينه على الدين كله كما وعد بذلك، ثم نقيم الناس كلهم للحساب .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه : لما ذكر سبحانه المواعيد الأخراوية[1] فى سورة ق و عظيم تلك الأحوال من لدن قوله "و جاءت سكرة الموت بالحق" إلى آخر السورة، أتبع[2] سبحانه ذلك بالقسم على وقوعه و صدقه فقال: "و الذاريات ذروا" [إلى -[1]] قوله " انما توعدون لصادق و ان الدين لواقع " و الدين الجزاء. أى أنهم سيجازون [3]على ما[3] كان منهم و يوفون قسط أعمالهم " فلا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظلمون " " انما نملى لهم ليزدادوا اثما " . و لما أقسم الله على صدق وعده و وقوع الجزاء، عقب ذلك بتكذيبهم بالجزاء و ازدرائهم فقال " يسالون ايان يوم الدين " ثم ذكر تعالى حال الفريقين و انتهاء الطريقين إلى قوله " و فى الارض ايٰت للموقنين " فوبخ تعالى من لم يعمل فكره و لا بسط نظره فيما أودع سبحانه فى العالم من العجائب، و اعقب بذكر إشارات إلى أحوال الأمم و ما أعقبهم تكذيبهم، و كل هذا تنبيه لبسط النظر إلى قوله "و من كل شىء خلقنا" بقوله " كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون " أى إن هذا دأبهم و عادتهم حتى كأنهم تعاهدوا عليه و ألقاه بعضهم إلى بعض فقال

(١) من مد، و فى الأصل : الاخوية (٢) من مد، و فى الاصل : اتبعه .
(٣-٣) من مد، و فى الأصل : لما .

تعالى " تواصوا به ام هم قوم طاغون " أى عجبا لهم فى جريهم على التكذيب [و - [1]] الفساد فى مضمار واحد ، ثم قال تعالى " بل هم قوم طاغون " أى أن علة تكذيبهم [هى - [1]] التى اتحدت فاتحد معلولها ، و العلة طغيانهم و إظلام قلوبهم بما سبق " و لو شئنا لأتينا كل
٥ نفس هداها " ثم زاد نبيه عليه السلام أشياء مما ورد [2]على طريقة[2] تخييره عليه السلام فى أمرهم من قوله تعالى " فتول عنهم فما انت بملوم " ثم أشار تعالى بقوله " و ذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين " إلى أن إحراز أجره / عليه السلام إنما هو فى التذكار و الدعاء إلى الله تعالى ، ٤٧ / ثم ينفع الله بذلك من سبقت له السعادة " انما يستجيب الذين يسمعون "
١٠ ثم أخبر نبيه عليه الصلاة و السلام بأن تكذيبه [3]سينالهم قسط[3] و نصيب مما نال غيرهم[4] ممن ارتكب[5] مرتكبهم ، و سلك مسلكهم ، فقال تعالى " و ان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب اصحٰبهم " إلى آخر السورة - انتهى .

و لما أخبر سبحانه عن ثبات خبره[6] ، أتبعه الإخبار عن وهى كلامهم ، فقال مقسما عليه لمبالغتهم فى تأكيد مضامينه مع التناقض بفعله[7] الجيل
١٥ و صنعه الجليل ، إشارة إلى أنهم [لم - [1]] يتخلقوا من أخلاقه الحسنى بقول و لا فعل : ﴿ و السمآء ذات الحبك ﴾ أى الآيات المحتبكة بطرائق النجوم

---

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : عليه لطريقه (٣-٣) من مد ، وفى الأصل : شىء له قطع (٤) من مد ، و فى الأصل : غيره (٥) زيد فى الأصل و مد : من (٦) من مد . و فى الأصل : خبرهم (٧) من مد ، و فى الأصل : بفعل .

المحكمة، الحسنة الصنعة، الجيدة الرصف و الزينة، حتى كأنها منسوجة، الجليلة الصنعة الجليلة الآثار، الجامعة بين القطع و الاختلاط و الاتفاق و الاختلاف[1]، و أصل الحبك الإحكام فى امتداد و اطراد - قاله الرازى فى اللوامع. ﴿ انكم ﴾ يا معشر قريش ﴿ لفى قول ﴾ محيط بكم فى أمر القرآن [و - [2]] الآتى به و جميع أمر دينكم و غيره مما تريدون به إبطال الدين الحق ﴿ مختلف ﴾ كاختلاف طرائق السماء التى لاتكاد تنتظم، و لايعرف أولها من آخرها، و اختلاف هذه الأشياء المقسم بها من أول السورة[3] و اختلاف غاياتها لكنه مع ذلك متدافع، و إن كنتم تجتهدون فى تزيينه و تقريبه للأفهام و تحسينه فانه لايكاد إذا عرضه الناقد على الفكر[4] النافذ ينضبط بضابط و لايرتبط برابط، بل تارة تقولون: هذا شعر فيلزمكم وصفه بما تصفون به الشعر من الاتساق بالوزن المجرد و الروى المتحد، و العذوبة و الرشاقة، و تارة تقولون: هذا سحر فيلزمكم مع الإقرار بالعجز [عنه - [2]] أنه لاحقائق [له - [2]] و الواقع[5] أنه لايتأمله ذو فهم إلا رأى حقائقه أثبت من الجبال، و تارة تقولون: أضغاث أحلام، فيلزمكم أنه لاينضبط بضابط، و لايكون له مفهوم يحصل. و لايعجز أحد عن تلفيق مثله، فقد أبطلتم قولكم: إنه شعر و انه سحر. و تارة تقولون: إنه كهانه فيلزمكم أن تعتقدوا منه

(١) من مد، و فى الأصل: الاحساب - كذا (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: السوال (٤) من مد، و فى الأصل: الكفر (٥) من مد، و فى الأصل: الوقائع.

ما تعتقدون فى أقوال الكهان من الإخبار بالمغيبات و إظهار الخبء و فصل الحكم، فأبطلتم و ما مضى من قولكم أضغاث أحلام و سحر و شعر، و تارة تقولون : إنه جنون، فقد نقضتم جميع أقوالكم الماضية و ناديتم على أنفسكم بالمباهتة، تقولون فى الآتى به : إنه شاعر و ساحر و مجنون و كاهن ٥ و كاذب، و كل قول منها ينقض الآخر، و انتم تدعون أنكم أصدق الناس و أبعدهم عن عار الكذب، و انكم أعقل الناس و أنصفهم، فقد تباعد أولا ما بين أقوالكم، ثم ما بينها و بين أفعالكم، فكان اختلاف[1] طرائق النجوم دالا على مانع مختار تام العلم كامل القدرة، و كذا اختلاف قولكم على هذا الوجه مع ما لكم من العقول دال على قاهر لكم على ذلك، ١٠ فهما آيتان فى الآفاق و فى أنفسكم .

٤٨ / / و لما كان هذا الاختلاف مما لايكاد يصدق لأنه لايقع[2] فيه عاقل، بين سببه بأنهم مغلوبون عليه بقهر يد القدرة فقال : ﴿ يوفك ﴾ أى يصرف بأيسر أمر[3] و أسهله عن سنن الاستقامة . و يقلب من وجهه لقفاه ﴿ عنه ﴾ أى يصدر صرفه عن هذا القول مجازا لما يلزمه من عاره، ١٥ فهو لأجل ذلك يقوله ﴿ من افك ﴾ أى قلبه قلب قاهر أى تبين بهذا الصرف الذى هو أعظم الصرف انه حكم فى الأزل حكما ثابتا جامعا، فصار لايصد عنه قول و لا فعل إلا كان[4] مقلوبا وجهه إلى قفاه

(١) من مد، و فى الأصل : اختلاط (٢) من مد، و فى الأصل : يقدر . (٣) زيد فى الأصل : و أسره، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) تكرر فى الأصل .

لايمكن أن يأتى منه بشىء على وجهه ، فكأنه لا مأفوك سواه لشدة أفكه و عجيب أمره .

و لما كان الكذب الإخبار بما لاحقيقة له و تعمد الافتراء ، وكان الخرص الكذب و الافتراء و الاختلاف و كل قول بالظن ، قال معلما بما لهم على قولهم هذا : قتلوا أو قتلتم - هكذا كان الأصل و لكنه ٥ أظهر[1] الوصف الذى استحقوه بقولهم : ﴿ قتل الخراصون ﴾ أى حصل بأيسر امر قتل الكذابين[2] و لا محالة من كل قاتل ، و المتقولين بالظن المنقطعين للكلام من أصل لايصلح للخرص و هو القطع ، و هم الذين يقولون عن غير سند من كتاب أو سنة أو أثارة من علم ، و هو دعاء أو[3] خبر لأنه مجاب : ﴿ الذين هم ﴾ خاصة ﴿ فى غمرة ﴾ أى أعماق ١٠ من العمى و الضلال ، غارقون فى سكرهم و جهلهم الذى غمرهم ، و لذلك هم مضطربون اضطراب من هو يمشى فى معظم البحر فهو لايكاد ينتظم له أمر من قول و لا فعل و لا حال ﴿ ساهون ﴾ أى عريقون فى السهو و هو النسيان و الغفلة و الحيرة و ذهاب القلب إلى غير ما يهمه ، ففاعل ذلك ذو الوان متخالفة من هول ما هو فيه و شدة كربه ١٥

و لما حكم بسهوهم ، دل عليه بقوله : ﴿ يسئلون ﴾ أى حينا بعد حين على سبيل الاستمرار استهزاء بقولهم : ﴿ ايان ﴾ أىّ متى و أى حين ﴿ يوم الدين ﴾ أى وقوع الجزاء الذى يخبرنا به ، و لو لا أنهم بهذه الحالة

(١) من مد ، و ليست الكلمة واضحة فى الأصل (٢) من مد ، و فى الأصل : الكذابون (٣) من مد ، و فى الأصل : و .

لتذكروا من أنفسهم أنه ليس أحد منهم يبث عبيده أو أجراءه فى عمل من الأعمال إلا و هو يحاسبهم على أعمالهم، و ينظر قطعا فى أحوالهم، و يحكم بينهم فى أقوالهم و أفعالهم فكيف يظن بأحكم الحاكمين أن يترك عبيده الذين خلقهم على هذا النظام المحكم و أبدع لهم هذين الخافقين
٥ و هيأ لأجلهم فيها ما لاضرورة لهم فى التزود للمعاد إلى سواه فيتركهم سدى و يوجدهم عبثا .

و لما تقرر أمر القيامة بالتعبير بساهون [1] قال : ﴿ يوم ﴾ أى نقول يوم ﴿ هم على النار يفتنون ﴾ أى يرمون فيحرقون و يعذبون و يصبحون ... من الاختلاف مقولا لهم على سبيل القرع و التوبيخ :
١٠ ﴿ ذوقوا فتنتكم ﴾ .... العقوبة من الفتنة المحيطة ... و استعجالكم ما توعدون استهزاء و تكذيبا ﴿ هذا الذى كنتم به تستعجلون ﴾ أى تطلبون عجلته .... ﴿ ان المتقين ﴾ أى الذين كانت التقوى لهم وصفا ثابتا ﴿ فى جنت ﴾ أى بساتين عظيمة نحن داخلها ... ﴿ و عيون ﴾ .... ﴿ اٰخذين ... ما ﴾ أى كل شىء ﴿ اٰتىهم ... ربهم ﴾ أى المحسن
١٥ إليهم ... بتمام علمه و شامل قدرته و هو لايدع لهم لذة إلا اتحفهم بها فيقبلونها بغاية الرغبة لأنها فى غاية العاسة . و لما كان هذا أمرا عظيما يذهب الوهم فى سببه كل مذهب، علله بقوله مؤكدا لنسبة الكفار لهم إلى الإساءة : ﴿ انهم كانوا ﴾ أى كونا هو كالجبلة . و لما كان الإنسان

(١) العبارة من هنا زيدت من مد ، و بما أن العبارة مطموسة فيها فلذلك لم نتأكد من النص الوارد فيها كليا فوضعنا على الكلمات المهملة نقاطا .

إما أن يكون مطيعا فى مجموع عمره او فى بعضه ... على الطاعة ، و كانت الطاعة تجب ما قبلها ، و تكون سببا فى تبديل السيئات حسنات فضلا منه سبحانه ، فكان كل من القسمين مطيعا فى جميع زمانه ، نزع الجار فقال : ﴿ قبل ذلك ﴾ أى فى دار العمل ، و قيل : أخذوا ما فرض عليهم بغاية لقبول لأنهم كانوا قبل فرض الفرائض يعملون على المحبة و هو معنى ٥ ﴿ محسنين ۝ ﴾ اى فى معاملة الخالق و الخلائق ، يعبدون الله كأنهم يرونه ، ثم فسر إحسانهم معبرا عنه بما هو فى غاية المبالغة بقوله : ﴿ كانوا ﴾ أى لما عندهم من الإجلال له و الحب فيه بحيث كأنهم مطبوعون عليه ، و لغاية التأكيد وقع الإسناد إليهم مرتين ﴿ قليلا من الّيل ﴾ الذى هو وقت الراحات و قضاء الشهوات ، و أكد المعنى باثبات « ما » فقال : ١٠ ﴿ ما يهجعون ۝ ﴾ أى يفعلون الهجوع و هو النوم الخفيف القليل ، فما ظنك بما فوقه لأن الجملة تثبت هجوعهم و هو النوم للراحة ، و كسر التعب و ما ينفيه[1] ، و ذكر الليل لتحقق المعنى فان الهجوع النوم ليلا ، فالمعنى أنهم يحيون أكثر الليل و ينامون أقله . و لما كان المحسن لايرى نفسه إلا مقصرا ، قال دالا على ذلك و على أن تهجدهم يتصل بآخر الليل مؤكدا ١٥ بالإسناد مرتين أيضا : ﴿ و بالاسحار ﴾ قال ابن زيد : السحر : السدس الأخير من الليل ﴿ هم ﴾ اى دائما بظواهرهم و بواطنهم ﴿ يستغفرون ۝ ﴾ أى يعدون مع هذا الاجتهاد أنفسهم مذنبين و يسألون غفران ذنوبهم لوفور علمهم بالله] و أنهم لايقدرون على أن يقدروه حق قدره و إن اجتهدوا لقول سيد الخلق " لا أحصى ثناء عليك " و إبراز الضمير دال ٢٠

(١) ليس واضحا فى مد .

على أن غيرهم لو فعل هذا ليلة لأعجب بنفسه و رأى أنه لا أحد أفضل منه ، و على أن استغفارهم فى الكثرة يقتضى أنهم يكونون بحيث يظن أنهم أحق بالتذلل من المصرين على المعاصى ، فان استغفارهم ذلك على / بصيرة لأنهم نظروا ما له سبحانه فى الآفاق و فى أنفسهم من الآيات / ٤٩

٥ و الحكم البالغة التى لاتحصى فعلموا أنه اهل لأن يطاع و يخشى فاجتهدوا و تركوا الهجوع ، و أجروا الدموع ، ثم قابلوا ذلك بنعمه فاذا الأعمال فى غاية التقصير فأقبلوا على الاستغفار عالمين بأنه لايمكن أن يقدر حق قدره .

و لما ذكر معاملتهم للخالق ، أتبعه المعاملة للخلائق تكميلا لحقيقة الإحسان فقال : ﴿ و فى اموالهم ﴾ اى كل أصنافها ﴿ حق ﴾ أى

١٠ نصيب ثابت . و لما كان السياق هنا للاحسان ، فكان إحسانهم لفرط محبتهم إلى عباد الله لايوقفهم عن الواجب بخلاف ما فى "سأل" من سياق المصلين مطلقا ترك وصفه بالمعلومية فقال[1] : ﴿ للسآئل ﴾ أى الذى ينبه على حاجته بسؤال الناس و هو المتكفف ﴿ و المحروم ﴾ و هو المتعفف الذى لايجد ما يغنيه ، و لا يسأل الناس و لا يفطن له ليتصدق عليه ،

١٥ و هذه صفة أهل الصفة رضى الله عنهم ، فالمحسنون يعرفون صاحب [هذا -[2]] الوصف لما لهم [3]من نافذ[3] البصيرة و لله بهم من العناية .

و لما دل إقسامه بالسماء و ما قبلها من الذاريات على ما له فى العلويات من الآيات إلى أن ختم بالأموال التى تنبتها الأرض ، فكان

(١) زيد فى الأصل : معلوم ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢) زيد من مد (٣-٣) من مد ، و فى الأصل : بعد .

التقدير : فى السماوات آيات للمؤمنين دالات[1] على عظمته و استحقاقه للعبادة بغاية الخضوع رغبا و رهبا، عطف عليه قوله : ﴿ و فى الارض ﴾ مما فيها أيضا من الاختلاف بالمعادن الكثيرة المتباينة مع اتحاد أصلها و النبات و الحيوان و الجماد والبر و البحر و غير ذلك من الأسرار الدالة على الفاعل المختار ﴿ آيٰت ﴾ أى دلالات عظيمات هى مع وضوحها بعد التأمل خفيات ﴿ للموقنين ﴾ الذين صار الإيقان[2] لهم غريزة ثابتة ، فهم لذلك يتفطنون لرؤية ما فيها مع ما يلابسهم منها من الأسباب فيشغلهم و لا يرون أكثر أسباب ما فيها من الآيات فأداهم ذلك إلى الإيقان بما نبهت[3] عليه الرسل مما لاتستقل به العقول من البعث[4] و غيره ، قال القشيرى : من الآيات فيها أنها تحمل كل شيء ، فكذلك العارف يحمل كل أحد و من استثقل أحدا أو تبرم برؤيته أحدا فلغيبته عن الحقيقة و مطالعة الخلق بعين التفرقة . و أهل الحقائق لايتصفون بهذه الصفة ، و من الآيات فيها أنه يلقى عليها كل قذارة و قامه فتنبت كل زهر و نور و كذلك العارف يتشرب ما يلقى من الجفاء و لا يترشح إلا بكل خلق علىّ و شيمة زكية .

و لما اشار إلى ايات الآفاق ، أتبعها آيات الأنفس فقال : ﴿ و فىٓ انفسكم ﴾ أى من الآيات التى شاركتم بها الجماد ، ثم فارقتموه بالنمو ثم بالحس ثم فارقتم الحيوان الخسيس بالعقل الموصل إلى بدائع

(١) من مد ، و فى الأصل : دلت (٢) من مد ، و فى الأصل : الايمان (٣) من مد ، و فى الأصل : ثبتت (٤) من مد ، و فى الأصل : البعض .

العلوم و دقائق الفهوم . و لما كانت اظهر الآيات، سبب عن التنبيه
٥٠/ عليها الإنكار عليهم فى ترك الاعتبار / بها فقال : ﴿افلا تبصرون﴾ أى
بأبصاركم و بصائركم فتتأملوا ما فى ذلك من الآيات و تتفكروا هل ترون
أسباب أكثرها، فان كل هذه آيات دالة على قدرة الصانع على كل ما
٥ يريد و اختياره، و أنه ما خلق هذا الخلق سدى، فلابد أن يجمعهم إليه
للعرض عليه، فالموقنون لا يزالون ينظرون فى أمثال هذا بعيون باصرة
و أفهام نافذة، فكلما رأوا آية اعتبروا بها، فازدادوا إيمانا إلى إيمانهم، و إيقانا
مع إيقانهم، و أول نظرهم فيما أودعوا من الآيات الحاجة، فمن تأملها
علم أنه عبد، و متى علم ذلك علم ان له ربا غير محتاج، و من أبصر
١٠ ذلك أبصر جميع الصفات و الأسماء فنفذ فهمه فى شفاف الكائنات، فارتقى
إلى أعلى الدرجات .

و لما بان بما قدمته فى "المقسمات امرا" ما فى جهة العلو من الأسباب
الموجبة للنعمة و العذاب، قال : ﴿و فى السمآء﴾ أى جهة العلو ﴿رزقكم﴾
بما يأتى من المطر و الرياح و الحر و البرد و غير ذلك مما رتبه سبحانه
١٥ لمنافع العباد ﴿و ما توعدون﴾ و جميع ما أتتكم به الرسل من الوعد و الوعيد
[1]و الصعقة و الزلزال[1] و غير ذلك من الأهوال و موجبات النكال. و كذا
الرحمة و الخير و النعمة و كل ما يتعلق به الآمال، فكما أنكم تصدقون بذلك
و أنتم لا ترونه فكذلك صدقوا بالجنة و النار و إن لم تروها، فانه لا فرق
بين ماء ينزله[2] الله فيكون منه رياض و جنات و شوك و أدواء

(١-١) فى مد : من الصواعق و الزلازل (٢) من مد، و فى الأصل : ينزل .

و مرارات

[و-[1]] مرارات، و سموم و[2]عقارب و حيات[2]، وحشاش و سباع وحشرات، و بين ماء يعيد به الأموات، ثم يحشرهم إلى جنان و نيران، فكما أنه لامرية فى إظهار هذا الغيب [فكذلك لا لبس فى إظهار ذلك الغيب-[1]]، و من المعنى أيضا أنك لاتشتغل برزق فانه فى السماء، و لاسبيل لك إلى العروج إليها. و اشتغل بما كلفته من الخدمة لمن عنده الرزق ففى السماء ٥ الرزق و إليها يرفع العمل، فان أردت أن ينزل إليك رزقك فاصعد إليها الصالح من عملك، و لهذا قالوا: الصلاة قرع باب الرزق" و اصطبر عليها لانسئلك رزقا نحن نرزقك".

و لما أقسم بما له من المقدورات لمن وقف مع المحسوسات المشهورات، فترقوا بذلك إلى أعلى الدرجات، و انكشف ما له من ١٠ الكمال انكشافا تاما، و علم أن فى خزائنه سبحانه كل ما أخبرت عنه به الرسل من وعد و وعيد، سبب عنه قوله مقسما بنفسه الأقدس لكن بصفة مألوفة فقال: ﴿فو رب﴾ أى مبدع و مدبر ﴿السمآء و الارض﴾ بما أودع فيهما مما علمتموه و ما[3] لم تعلموه ﴿انه﴾ أى الذى توعدونه من الخير و الشر و الجنة و النار و تقدم الإقسام عليه أنـــه صادق ١٥ ﴿لحق﴾ أى ثابت يطابقه الواقع فقد جمع الحق مع[4] الصدق ﴿مثل مآ انكم﴾ أى و أنتم مساوون لبقية ما فى الأرض من الجمادات و غيرها ﴿تنطقون[4]﴾ نطقا مجددا فى كل وقت مستمرا، ليس[5] هو بخيال و لا سحر، /[6]أى أن[6] /٥١

(١) زيد من مد (٢-٢) من مد، و فى الأصل: حيات و عقارب (٣) من مد و فى الأصل: مما (٤) ليس فى الأصل (٥) فى مد: ما (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل.

ذلك لحق مثل ما ان هذا حق ، فالذى جعل لكم قوة النطق من بين ما فى الأرض بأسباب لاترونها و لا تحصونها ، و مع ما عداكم من[1] ذلك بأسباب [مثل ذلك -[2]] قادر على الإتيان بوعده من الرزق و غيره ما دمتم تحتاجون إلى ذلك بما جعل فيكم من الحياة التى يصح بها العلم الناشئ عنه النطق المحوج إلى الرزق من أى جهة أرادوا ، و إن لم تروا أسبابه كما أنه لو أراد لأنطق جميع من فى السماوات و الأرض من الجمادات بما يقيمه لها من الأسباب التى أقامها لكم و إن لم تروا ذلك .

و لما بين بما مضى من القسم و ما أتبعه من أنه أودع فى السماوات و الأرض و ما بينهما أسبابا صالحة للاتيان بما وعدناه من الخير ، و ما توعدنا به من الشر و إن كنا لم نرها و هو قادر مختار ، فصار ذلك كالمشاهد ، و لا وجه للتكذيب بوعد و لا وعيد ، دل عليه و صوره بما شوهد من أحوال الأمم و بدأ - لأن السياق للحسنين - برأس المحسنين من اهل هذه الأنباء الذى أخبرته الملائكة عليهم السلام بما سببه معه و إن كان على غير العادة . فتعجبت[3] زوجته من ذلك مع كونها أعلى نساء ذلك الزمان . و أتبع قصته قصة لوط ابن أخيه عليهما السلام لاتصال ما بين قصتيهما فى الزمان ، و لمناسبة عذابهم لما أقسم به فى أول السورة ، فانه سبحانه امر الذاريات فاقتلعتهم بقراهم و حملتها[4] كما تحمل السحاب ثم كبتهم فرجمتهم ، و الأرض فخسفت بهم ، و الملائكة الموكلة بمثل ذلك ،

(١) من مد . و فى الأصل : مثل (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : فتعجب (٤) من مد ، و فى الأصل : حملتهم .

فعلوا جميع ما امروا به و راوهم فى قريتهم و قصدوهم[1] بالمكر لأنهم خفى عليهم أمرهم، و أتوا الخليل عليه السلام و هو أعلى ذلك الزمان و هم فى ذلك و لم يعلم اول الأمر بشىء من حالهم و لا ظنهم إلا آدميين، فقال مفخما لأمر القصة بتخصيص الخطاب لأعلى الخلق و أنفذهم فهما إشارة إلى أنه لايفهم هذا حق فهمه سواه [2]على طريق الاستفهام على عادة ٥ العرب فى الإعلام بالأمور الماضية[2] و إن كان المخبر عالما بأن المخاطب لاعلم له بذلك لأن المقصود ليس إلا التنبيه على أن ذلك الأمر مما ينبغى الاهتمام به و البحث فيه ليعرف ما فيه من الأمور الجليلة؛ قال أبو حيان[3]: تقرير لتجتمع نفس المخاطب كما تبدأ المرأ إذا أردت أن تحدثه بعجيب فتقرره: هل سمعت ذلك أم لا؟ فكأنك تقتضى بأن يقول: لا، و يستطعمك ١٠ [الحديث-[4]] - انتهى. ﴿هل اتىك﴾ يا أكمل الخلق ﴿حديث ضيف﴾ عبر عنهم بلفظ الواحد إشارة إلى اتحاد كلمتهم ﴿ابرٰهيم﴾ و هو خليلنا، و دل على أنه لم يعرف شيئا مما أتوا به دالا على أنهم جمع ﴿المكرمين﴾ أى الذين هم أهل الكرامة، و أكرمهم إبراهيم عليه السلام بقوله و فعله، فى حديثه ذلك آية بينة على ما بين فى هـذه السورة من قدرة الله ١٥ تعالى وصدق وعده و وعيده، مع ما فيه من التسلية لك و لمن تبعك، و البشارة باكرام المصدق و إهانة المكذب، قال القشيرى: و قيل: كان عددهم اثنى عشر ملكا، و قيل: جبريل عليه / السلام، و كان معه تسعة، ٥٢/

(١) من مد، و فى الأصل: صدوهم (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد.
(٣) فى البحر المحيط ٨ / ١٣٨ (٤) زيد من البحر.

و قيل : [كانوا ـ[1]] ثلاثة[2] : ﴿اذ﴾ أى حديثهم حين ﴿دخلوا عليه﴾ أى دخول استعلاء مخالف لدخول بقية الضيوف ﴿ فقالوا سلٰما[3] ﴾ أى نحدث ، ثم استأنف الإخبار عن جوابه بقوله : ﴿قال﴾ أى بلسانه : ﴿ سلٰم ج ﴾ أى ثابت دائم ، فهو أحسن من تحيتهم .

٥ و لما كان ما ذكر من دخولهم و سلامهم غير مستغرب عند المخاطبين بهذا ، و كانت القصة قد ابتدئت بما دل على غرابة ما يقص منها[4] ، تشوف السامع إلى ما كان بعد هذا فأجيب بقوله : ﴿ قوم ﴾ أى ذوو قوة على ما يحاولونه و يقومون فيه ﴿ منكرون ج ﴾ أى حالهم لإلباسه أهل لأن ينكره المنكر ، و قدم هذا على موضعه الذى كان ألق به فيما يظهر

١٠ بادى الرأى ، و إيضاحا لأن السياق لخفاء[5] الأسباب على الآدمى و بعدها و إن كانت فى غاية الظهور و القرب و لو أنه فى غاية العلو [6]فان إنكاره[6] لهم كان متأخرا عن إحضار الأكل لكونهم لم يأكلوا ، و هذا القول كان فى نفسه و لم يواجههم به .

و لما أشار إلى انه حين إنكاره لهم لم يعرف من أى نوع هم

١٥ و لاخصوص ما هم فيه ، رتب على رده لسلامهم[6] أنه أسرع غاية الإسراع فى إحضار ما ينبغى للضيف على ظن أنهم آدميون فقال : ﴿ فراغ ﴾

---

(١) زيد من مد (٢) راجع المعالم ـ سورة هود (٣) من مد ، و فى الأصل : منه (٤) من مد ، و فى الأصل : لخف ـ كذا (٥ـ٥) من مد ، و فى الأصل : فانكاره (٦) من مد ، و فى الأصل : لسلامه .

أى

أى ذهب فى [١] خفية و خفة [١] و مواضع سترة عن أعينهم كما هو من آداب الضيافة خوفا من أن يمنعوه أو يكدر عليهم الانتظار: ﴿ الى [٢] اهله ﴾ [اى - [٢]] الذين عندهم بقرة ﴿ فجاء بعجل ﴾ أى فتى من أولاد البقر ﴿ سمين ﴾ قد شواه و أنضجه ﴿ فقربه اليهم ﴾ و لما أخبر بما ينبغى [الإخبار به - [٢]] من أمر الضيافة إلا الأكل [٣]، كان من المعلوم أن التقدير: فكان كأنه قيل: فما ذا قال لهم حين لم يأكلوا؟ قيل: ﴿ قال ﴾ [أى - [٢]] متأدبا غاية التأدب [٤] ملوحا بالإنكار: ﴿ الا تاكلون ﴾ أى منه.

و لما كان كأنه قيل: فلم يأكلوا، سبب عنه قوله: ﴿ فأوجس ﴾ أى أضمر إضمار الحال فى [جميع - [٢]] سره ﴿ منهم خيفة [٤] ﴾ لأجل إنكاره عدم أكلهم فانه لما رأى إعراضهم [٥] عن الطعام ذهب وهمه فى سبب إتيانهم إليه كل مذهب ﴿ قالوا ﴾ مؤنسين له: ﴿ لاتخف [٤] ﴾ وأعلموه بأنهم رسل الله ﴿ و بشروه بغلم ﴾ على شيخوخته و يأس امرأته بالطعن فى السن بعد عقمها، و هو إسحاق عليه السلام. و لما كان السياق لخفاء الأسباب كان فى الذروة وصفه بقوله: ﴿ عليم ﴾ أى مجبول جبلة مهيأة للعلم و لايموت حتى يظهر علمه بالفعل فى أوانه.

و لما كانا بعيدين عن قبول الولد، تسبب عن ذلك قوله، دالا

(١ - ١) فى مد: خفة و خفية (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: الاعلى (٤) من مد، و فى الأصل: الادب (٥) زيد فى مد: عن الا كل، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها.

على أن الولد إسحاق مع الدلالة على ان خفاء الأسباب لايؤثر فى وجود[1] المسببات : ﴿ فاقبلت ﴾ أى من[2] سماع هذا الكلام ﴿امراته﴾ و لما كانت قد امتلأت عجبا ، عبر بالظرف فقال : ﴿فى صرة﴾ أى صيحة وكرب من الصرير قد أحاط بها ، فذهب وهمها فى[3] ذلك كل مذهب ٥ ﴿ فصكت ﴾ أى ضربت بسبب تعجبها بأطراف أناملها فعل المتعجب ﴿ وجهها ﴾ لتلاشى أسباب الولد فى علمها / بسبب العادة مع معرفتها ٥٣/ بأن العبرة فى الأسباب و إن كانت سليمة بالمسبب لا بها . قال البغوى[4] : و أصل الصك ضرب الشىء بالشىء العريض ﴿و قالت﴾ تريد أن تستبين الأمر هل الولد منها أم من غيرها : ﴿عجوز﴾ و مع العجز ﴿عقيم[5]﴾ ١٠ فهى فى حال شبابها لم تكن تقبل الحبل ، قال القشيرى رحمه الله تعالى : قيل : إنها كانت يومئذ ابنة ثمان و تسعين سنة .

و لما كان [فى -[5]] هذا أشد تشوف إلى الجواب ، استأنف تعالى الجواب بقوله : ﴿ قالوا كذلك ۙ ﴾ أى مثل ما قلناه من هذه البشرى العظيمة ﴿ قال ربك ۚ﴾ أى المحسن إليك بتأهيلك لذلك على ما ذكرت من حالك ١٥ و بتأهليك من قبل الاتصال بخليله صلى الله عليه و سلم . و لما كان محط تعجبها أن ذلك كان بأيام شبابها أولى ، عللوا إخبارهم تأكيدا له مؤكدين لأن قولها و فعلها فعل المنكر و إن كانت ما أرادت به إلا الاستثبات : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿العليم ﴾ الذى يضع الأشياء فى أحق مواضعها

---

(١) من مد ، و فى الأصل : الوجود (٢) من مد ، و فى الأصل : فى (٣) زيد فى الأصل : كل ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٢٠٣ (٥) زيد من مد .

فرتب عظمة هذا المولود على كل من عقمك و عجزك ؛ ثم عللوا ذلك بقولهم : ﴿الحكيم ۝﴾ أى المحيط العلم فهو كذلك لايعجزه شىء لما تقدم من البرهان فى سورة طه أن إحاطة العلم مستلزم شمول القدرة .

و لما كان الخليل عليه السلام أعلم أهل زمانه بالأمور الإلهية ، علم أن اجتماع الملائكة على تلك الهيئة التى يراهم فيها ليس لهذه البشارة ٥ فقط ، فلذلك استأنف تعالى الجواب لمن كان كأنه قال : ما كان من حاله و حالهم بعد هذا ؟ بقوله : ﴿قال﴾ أى قال مسببا عما رأى من حالهم : ﴿[1]فما خطبكم﴾ أى خبركم العظيم ﴿ايها المرسلون ۝﴾ أى لأمر عظيم ﴿قالوا﴾ قاطعين بالتأكيد بأن مضمون خبرهم حتم لابد منه ، و لا مدخل للشفاعة فيه : ﴿انا ارسلنآ﴾ أى بارسال من تعلم ﴿الى قوم مجرمين ۝﴾ ١٠ أى هم فى غاية القوة على ما يحاولونه و قد صرفوا ما أنعم الله به عليهم من القوة فى قطع ما يحق وصله و وصل ما يحق قطعه ﴿لنرسل عليهم﴾ أى من السماء التى فيها ما وعد العباد به و توعدوا ﴿حجارة من طين ۝﴾ أى مهيأ للاحتراق و الإحراق ﴿مسومة﴾ أى معلمة بعلامة العذاب المخصوص . و لما [2]كان قد[2] رأوا اهتمامه بالعلم بخبرهم[2] خشية من أن ١٥ يكونوا أرسلوا لعذاب أحد يعز عليه أمره ، أمنوا خوفه بوصف الإحسان فقالوا : ﴿عند ربك﴾ أى المحسن إليك بهذه البشارة و غيرها ﴿للمسرفين ۝﴾

(١) و من هنا يبتدئ الجزء ٢٧ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من مد (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

[أى ـ ١] المتجاوزين للحدود غير قانعين بما ابيح لهم .

و لما كان من المعلوم أن القوم يكونون تارة فى مدر و تارة فى شعر ، و علم من الآيات السالفة أن العذاب مختص بذوى الإسراف ، سبب عن ذلك مفصلا لخبرهم قوله تعالى معلما أنهم فى مدر : ﴿فأخرجنا﴾ بما لنا من العظمة بعد أن ذهبت رسلنا إليهم و وقعت بينهم و بين لوط عليهم السلام محاولات معروفة لم تدع الحال هنا إلى ذكرها ، و الملائكة سبب عذابهم ، و أهل القرية المحاولون فى أمرهم لايعرفون ذلك ، و هذه العبارة إن كانت إخبارا لنا كانت خبرا عما وقع لنعتبر به ، و إن كانت لإبراهيم عليه السلام كان معناها أن الحكم الأعظم وقع باخراجهم

٥٤ / ١٠ / بشارة له بنجاتهم ﴿ من كان فيها ﴾ أى قراها . و لما كان القلب عماد البدن الذى [به ـ ١] صلاحه أو فساده ، فكان عمله أفضل الأعمال لأنه به يكون استسلام الأعضاء أو جماحها ، بدأ به فقال : ﴿ من المؤمنين ج ﴾ أى المصدقين بقلوبهم لأنا لانسويهم بالمجرمين فخلصناهم من العذاب على قلتهم و ضعفهم و قوة المخالفين و كثرتهم ، و سبب عن التعبس و الستر و التعرض للظواهر و البواطن قوله : ﴿ فما وجدنا ﴾ أسند الأمر إليه تشريفا لرسله إعلاما بأن فعلهم فعله ﴿ فيها غير بيت ﴾ واحد و هو بيت لوط بن أخى إبراهيم عليه السلام ، و قيل : كان عدة الناجين منهم ثلاثة عشر . و لما كان الإسلام قد تطلق على الظاهر فقط و إن كان المراد هنا الأخص أخره فقال : ﴿ من المسلمين ج ﴾ أى العريقين فى الإسلام

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : قلة .

الظاهر و الباطن لله من غير اعتراض اصلا و هم إبراهيم و آله عليهم السلام فانهم أول من وجد منه الإسلام الأتم ، و تسموا به كما مضى فى البقرة و سموا به أتباعهم ، فكان هذا البيت الواحد صادقا عليه الإيمان الذى هو التصديق و الإسلام الذى هو الانقياد ، قال البغوى[1] : وصفهم الله تعالى [2]بالإيمان و الإسلام[2] جميعا لأنه ما آمن مؤمن إلا و هو مسلم . يعنى لما ٥ بينها من التلازم و إن اختلف المفهومان ، و قال الأصبهانى: [و ـ[3]] قيل: كان لوط و أهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر .

و[لما ـ[4]] و كان إبقاء آثار المهلكين أدل على قدرة من أهلكهم قال: ﴿ و تركنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ فيها ﴾ أى تلك القرى بما أوقعنا بها[5] من العذاب الذى كان مبدأه أنسب شىء بفعل الذاريات ١٠ [5]من السحاب[5] فانا قلعنا قراهم كلها و صعدت فى الجو كالغمام إلى عنان السماء و لم يشعر احد من أهلها بشىء من ذلك ثم قلبت و أتبعت الحجارة ثم خسف بها و غمرت بالماء الذى لايشبه شيأ من مياه الأرض كما أن خباثتهم[6] لم تشبه خباثة[7] أحد ممن تقدمهم من أهل الأرض ﴿ آية ﴾ أى علامة عظيمة على قدرتنا على ما نريد ﴿للذين يخافون﴾ كما تقدم ١٥ آخر ق أنهم المقصودون فى الحقيقة بالإنذار لأنهم المنتفعون به دون من

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/٢٠٤ (٢-٢) من مد و المعالم ، و فى الأصل : بالاسلام و الايمان (٣) زيد من مد (٤) من مد ، و فى الأصل : فيها . (٥ ـ ٥) فى مد : بالسحاب (٦) من مد ، و فى الأصل : جنايتهم (٧) من مد ، و فى الأصل : جناية .

قسا قلبه و لم يعتبر ﴿العذاب الاليم﴾ اى ان يحل بهم كما حل بهذه القرى فى الدنيا من رفع الملائكة لهم فى الهواء الذارى إلى عنان السماء و قلبهم و أتباعهم الحجارة المحرقة ، و غمرهم بالماء المناسب لفعلهم بنتنه وعدم نفعه ، و ما ادخر لهم فى الآخرة أعظم .

٥ و لما قدم سبحانه أحق[1] القصص الدالة على قسمه و ما أقسم عليه بما فيها من خفاء الأسباب مع وجودها ، ثم ما فيها من إنزال ما به الوعيد من السماء [2]بالنار و الماء[2] الذى أشير إليه بالمقسمات ، مع الفرق بين المسلم و المجرم ، أتبعها قصة[3] من أيده بحاملات فيها مطر و برد و نار مضطرمة ، كما مضى بيانه فى الأعراف ، ثم بعد ذلك بريح فرقت البحر

١٠ و نشفت أرضه و دخله فرعون و القبط ، و هو واضح الأمر فى أنه سبب

٥٥/ لهلاكهم و هم لايشعرون به ، / فقال عاطفا على المقدر فى قصة إبراهيم عليه السلام أو الظاهر فى "و فى الارض" أو على "فى" التى فى قوله "و تركنا فيها [4]اية للذين يخافون" و هذا أقرب من غيره و أولى: ﴿و فى موسى[5]﴾ أى فى قصته و أمره آية على ذلك عظيمة ﴿اذ ارسلنه﴾

١٥ بعظمتنا ﴿الى فرعون﴾ الذى كان قد[4] أساء إلى إبراهيم عليه السلام بعد عظيم [6]إحسانهم إليه[6] و إلى جميع قومه بما أحسن إليهم يوسف عليه السلام ﴿بسلطن مبين﴾ أى معجزات ظاهرة فى نفسه منادية من شدة

(١) من مد ، و فى الأصل : اخر (٢-٢) من مد ، و فى الأصل : بالماء والنار .
(٣) من مد ، و فى الأصل : بقصة (٤) سقط من مد (٥-٥) من مد ، و فى الأصل : احسانه إليهم .

ظهورها بأنها معجزة، فكان فيها دلالة واضحة على صدق وعيده و مع ذلك فلم ينفعهم [1]علمها و لذلك سبب[1] عنه و عقب به قوله: ﴿فتولى﴾ أي كلف نفسه الإعراض بعد ما دعاه علمها [2]إلى الإقبال إليها[2]، و أشار إلى توليه بقوله: ﴿ركنه﴾ أي بسبب ما يركن إليه من القوة في نفسه و بأعوانه و جنوده أو بجميع جنوده - كناية عن المبالغة في الإعراض، ٥ ﴿و قال﴾ معلما بعجزه عما أتاه به و هو لا يشعر: ﴿سحر﴾ ثم ناقض كمناقضتكم[3] فقال بجهله عما يلزم على قوله: ﴿او مجنون ه﴾ أي لاجترائه علي[3] مع ما لي من عظيم الملك بمثل هذا الذي يدعو إليه و يتهدد عليه.

و لما وقعت التسلية بهذا للأولياء، قال تعالى محذرا للأعداء: ﴿فاخذنه﴾ أي أخذ غضب و قهر عظمتنا بما استدرجناه به و أوهناه ١٠ به من العذاب الذي منه سحاب حامل ماء و بردا و نارا و صواعق ﴿وجنوده﴾ [أي -[4]] كلهم ﴿فنبذنهم﴾ أي طرحناهم طرح مستهين بهم [مستخف لهم كما تطرح -[4]] الحصيات ﴿في اليم﴾ أي [البحر -[4]] الذي هو أهل لأن [يقصد -[4]] بعد أن سلطنا[5] الريح فغرقته لما ضربه موسى عليه السلام بعصاه و نشفت أرضه، فأيبست ما أبرزت[6] ١٥ فيه من الطرق لنجاة أوليائنا و هلاك أعدائنا ﴿و هو﴾ أي و الحال أن فرعون ﴿مليم ه﴾ أي آت بما هو بالغ في استحقاقه الملامة، و يجوز

(١-١) من مد، و في الأصل: عليهم و سبب (٢-٢) من مد، و في الأصل: بالاقبال النهار (٣) من مد. و في الأصل: مناقضتكم (٤) زيد من مد. (٥) من مد، و في الأصل: تسلطنا (٦) من مد، و في الأصل: ابرز.

أن يكون حالا من "اليم" بمعنى أنه فعل بهم فعل اللائم[1] من ألامه ـ إذا بالغ فى عذله، و صار ذا لائمة أى لهم، من ألام ـ لازما، [و ـ[2]] أن يكون مخففا من لأم المهموز فيكون المعنى: فهو مصلح أى فاعل فعل المصلحين فى إنجاء الأولياء و إغراق الأعداء[3] بالالتئام و الانطباق عليهم،

٥ قال فى القاموس: اللوم العدل، لام لوما و ألامه و لومه للمبالغة، و ألام: أتى ما يلام عليه أو صار ذا لائمة، و لأمه بالهمز كمنعه: نسبه إلى اللوم، و السهم: أصلحه كألامه و لأمه فالتأم، و لا يضر يونس عليه السلام أن يعبر فى حقه بنحو هذه العبارة[4]، فان أسباب اللوم تختلف كما أن أسباب[5] المعاصى تختلف فى قوله "و عصوا رسله" "و عصى آدم

١٠ ربه" و بحسب ذلك يكون اختلاف نفس اللوم و نفس المعاصى.

و لما أتم قصة من جمع له السحاب و الماء و النار و الريح، أتبعها

٥٦ / قصة / من أتاهم بريح ذارية لم يوجد قط مثلها، و كان أصلها موجودا[6] بين ظهرانيهم و هم لايشعرون به، بل قاربت الوصول إليهم و هم يظنونها مما ينفعهم: ﴿ و فى عاد ﴾ أى آية عظيمة ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ارسلنا﴾

١٥ بعظمتنا ﴿ عليهم ﴾ إرسال علو و أخذ ﴿ الريح ﴾ فأتتهم تحمل سحابة سوداء و هى تذرو الرمل و ترمى بالحجارة على كيفية لاتطاق ﴿ العقيم ﴾ أى التى لاثمرة لها فلا تلقح شجرا و لا تنشىء سحابا و لا تحمل مطرا و لا رحمة

(١) من مد، و فى الأصل: لهم (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: العدا (٤) و من هنا انقطعت نسخة مد إلى ما سننبه عليه (٥) من هامش الأصل، و فى الاصل: اصحاب (٦) فى الأصل: موجود.

فيها

فيها و لا بركة فلذلك أهلكهم هلاك الاستئصال ، ثم بين عقمها و إعقامها بقوله : ﴿ ما تذر ﴾ أى تترك على حالة ردية ، و أعرق فى النفى فقال : ﴿ من شىء ﴾ و لما كان إهلاكها إنما هو بالفاعل المختار ، نبه على ذلك بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ اتت عليه ﴾ أى إتيان إرادة مرسلها ، استعلاها على ظاهره و باطنه ، و أما من إريدت رحمته[1] كهود عليه السلام و من ٥ معه رضى الله عنهم فكان لهم روحا و راحة لاعليهم ﴿ الاجعلته كالرميم ﴾ أى الشىء البالى الذى ذهاته الأيام و الليالى ، فصيره البلى إلى حالة الرماد ، و هو فى كلامهم ما يبس من نبات الأرض و دثر - قاله ابن جريج ، و خرج بالتعبير بـ"تذر" هود عليه السلام و من معه من المؤمنين رضى الله عنهم أجمعين ، فانهم تركتهم على حالة حسنة لم يمسهم منها سوء كما أشير ١٠ إلى مثل ذلك بأداة الاستعلاء .

و لما تم ما اقتضاه سياق السورة من قصة أهل الريح الذارية ، أتبعها قصة من أهلكوا بما يحمله السحاب من الريح و ما تحمله الريح من صوت الصيحة الراجفة الماحقة فقال : ﴿ و فى ثمود ﴾ أى قوم صالح عليه السلام آية عظيمة كذلك ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ قيل لهم ﴾ ممن لايخلف ١٥ الميعاد : ﴿ تمتعوا ﴾ أى بلبن الناقة و غيره مما مكناكم فيه من الزرع و النخيل و الأبنية فى الجبال و السهول و غير ذلك من جلائل الأمور الذى أمرناكم به و لا تطغوا ﴿ حتى حين ﴾ أى وقت ضربناه لآجالكم ﴿ فعتوا ﴾ أى أوقعوا بسبب إحساننا إليهم العتو ، و هو التكبر و الإباء ﴿ عن امر ربهم ﴾ أى مولاهم الذى أعظم إحسانه إليهم فعقروا الناقة ٢٠

(١) فى الأصل : رحمة .

و ارادوا قتل نبيه عليه السلام ﴿ فأخذتهم ﴾ بسبب عتوهم اخذ قهر و عذاب ﴿ الصعقة ﴾ اى الصيحة العظيمة التى حملتها الريح ، فأوصلتها إلى مسامعهم[1] بغاية العظمة ، و رجت ديارهم رجة ازالت أرواحهم بالصعق ، و قوله : ﴿ و هم ينظرون ﴾ دال على أنها كانت فى غمام ، و كان فيها نار ، و يجوز - مع كونه من النظر - أن يكون أيضا من الانتظار ، فانهم وعدوا نزول العذاب بعد ثلاثة أيام ، وجعل لهم فى كل يوم علامة وقعت بهم فتحققوا وقوعه اليوم الرابع ﴿ فما ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه ما ﴿ استطاعوا ﴾ أى تمكنوا ، و أكد النفى فقال : ﴿ من قيام ﴾ أى بعد مجيئها بأن عاجلتهم باهلاكها عن القيام .

و لما كان الإنسان قد لا يتمكن من القيام لعارض[2] فى رجليه و ينتصف من عدوه بما رتبه من عقله و يدبره برأيه قال : ﴿ وما كانوا ﴾ أى كونا ما ﴿ منتصرين ﴾ أى /لم يكن فيهم أهلية للانتصار[3] بوجه ، لا بأنفسهم و لا بناصر ينصرهم فيطاوعونه فى النصرة لأن تهيأهم لذلك سقط بكل اعتبار . /٥٧

و لما أتم قصة من أهلكوا بما من شأنه الإهلاك و هو الصاعقة ، أتبعهم قصة من أهلكوا بما من شأنه الإحياء ، و هو الماء الذى جل ما يشتمل عليه الحلامات التى أثارتها الذريات ، و قد كانوا موجودين[4] فى الأرض و السماء - و أسبابه مهيأة - و هم لا يحسون بشىء من ذلك ،

(١) فى الاصل : سامعهم (٢) فى الاصل : العارض (٣) فى الأصل : الابتصار .
(٤) فى الأصل : موجودا .

و أما عبادنا المؤمنون[1] فهيأنا لهم أسباب النجاة من السفينة و غيرها، و أعلمناهم بها، فكان كل ما أردنا و قاله عنا أولياؤنا فقال مغبرا للأسلوب تنبيها على العظمة بنفس الإهلاك لكونه بما من شأنه الإحياء و الإبقاء و التصرف فى الأسباب: ﴿و قوم﴾ أى و أهلكنا قوم ﴿نوح﴾ على ما كان فيهم من الكثرة و قوة المحاولة و القيام بما يريدونه، و يجوز أن يكون معطوفا على "فيها" أى و تركناهم آية، و يحسن هذا الإعراب أنهم هلكوا جميعا و كانوا جميع أهل الأرض، و عم عذابهم جميع الأرض، كانوا لهم الآية، و يؤيد هذا الإعراب قراءة أبى عمرو و حمزة و الكسائى[2] بالجر عطفا على ضمير «فيها».

و لما كان إهلاكهم على عظمه و انتشاره فى بعض الزمان، أدخل الجار فقال: ﴿من قبل﴾ أى قبل هذه الأمم كلها، ثم علل إهلاكهم بقوله: ﴿انهم كانوا﴾ خلقا و طبعا، لاحيلة لغيرنا من أهل الأسباب فى صلاحهم ﴿قوما﴾ أى أقوياء ﴿فسقين[4]﴾ أى عريقين فى الخروج عن حظيرة الدين.

و لما كان إهلاكهم بالماء الذى نزل من السماء، و طلع من الأرض بغير حساب، كان ربما ظن ظان أن ذلك كان لخلل كان فيهما، ثم أصلح بعد ذلك كما يقع لبعض من يصنع من الملوك صنعا يبالغ فى إتقانه فيختل[3]، قال عاطفا على ما نصب "يوم" مبينا[1] أن فعل ذلك

(١) فى الأصل: المومنين (٢) راجع نثر المرجان ٨/٤٥ (٣) فى الأصل: فيحيل.
(٤) فى الأصل: مبليا.

ما كان بالاختيار ، دالا على وحدانيته لتمام [القدرة -١] الدالة على ما تقدم من أمر البعث : ﴿ و السمآء بنينها ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ بايد ﴾ أى بقوه و شدة عظيمة لا يقدر قدرها . و لما كانت السماء أليق لعظمتها و طهارتها بصفات الإلهية ، قال - و أكد لما يلزم إنكارهم البعث من الطعن فى القدرة :

٥ ﴿ و انا ﴾ على عظمتنا مع ذلك ﴿ لموسعون ه ﴾ أى أغنياء و قادرون ذو سعة لا تتناهى ، أى قدرة ، من الوسع و هو اللطافة ، و كذلك أوسعنا مقدار جرمها و ما فيها من الرزق عن أهلها فالأرض كلها على اتساعها كالنقطة فى وسط دائرة السماء بما اقتضته صفة الإلهية التى لا يصح فيها الشركة أصلا ، و مطيقون لما لا يحصى من أمثال ذلك ، و مما هو أعظم

١٠ منه مما لا يتناهى ، و محيطون بكل شيء قدرة و علما ، و جديرون [و - ٢] حقيقون / بأن يكون ذلك من أوصافنا فنوصف به لما يشاهد لنا من القوة / ٥٨ على كل ما نريد ، فلسنا كمن يعرفون من الملوك لأنهم إذا فعلوا لا يقدرون على أعظم منه و إن قدروا [كان - ١] ذلك منهم بكلفة و مشقة ، و سترون فى اليوم الآخر ما يتلاشى و ما تريدون فى جنبه ، و من اتساعنا جعلها بلا

١٥ عمد مع ما هى عليه من العظمة إلى غير ذلك من الأمور الخارقة للعوائد : ﴿ و الارض فرشنها ﴾ كذلك بما لنا من العظمة ، فصارت ممهدة جديرة بأن يستقر عليها الأشياء و هى آية على تمهيدنا لأرض الجنة و شقنا لأنهارها و غرسنا لأشجارها ﴿ فنعم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن يقال فى وصفنا : نعم ﴿ المهدون ه ﴾ أى نحن لكمال قدرتنا ، فما نزل من

(١) زيد و لا بد منه .

السماء شيء و لا نبع من الأرض شيء إلا بارادتنا و تقديرنا و اختيارنا من الأزل لأنا إذا صنعنا شيئا علمنا ما يكون منه من حين إنشائه إلى حين إنباته ، و لا يكون شيء منه إلا بتقديرنا ، و ذلك تذكير بالجنة و النار ، فما فوقها من خير فهو آية على الجنة ، و ما فيها من جبال و وهاد وعر و خروبة فهو آية على النار . ٥

و لما كان الأشياء المتضادة من الشيء الواحد أدل على القدرة من هذا الوجه ، قال: ﴿ و من كل شيء ﴾ أي من الحيوان و غيره ﴿ خلقنا ﴾ بعظمتنا . و لما كان الفلاسفة يقولون : لاينشأ عن الواحد إلا واحد ، قال ردا عليهم : ﴿ زوجين ﴾ أي مثله شيئين كل منهما يزاوج الآخر من وجه و إن خالفه من آخر ، و لا يتم نفع أحدهما إلا بآخر من ١٠ الحيوان و النبات و غيرها و يدخل فيه الأضداد من الغنا و الفقر ، و الحسن و القبح ، و الحياة و الموت ، و الضياء و الظلام ، و الليل و النهار ، و الصحة و السقم ، و البر و البحر ، و السهل و الجبل ، و الشمس و القمر ، و الحر و البرد ، و السماوات و الأرض ، و أن الحر و البرد من نفس جهنم آية بينة عليها ، و بناءهما على الاعتدال فى بعض الأحوال آية على الجنة ١٥ مذكرة بها مشوقة إليها .

و لما كان ذلك فى غاية الدلالة على أن كلا من الزوجين يحتاج إلى الآخر و أنه لا بد أن ينتهى الأمر إلى واحد لامثل له و أنه لايحتاج بعد ذلك التنبيه إلى تأمل كبير قال: ﴿ لعلكم تذكرون ﴾ فأدغم تاء التفعل الدالة على العلاج و الاجتهاد و العمل فصار (؟) فتكونوا عند ٢٠

من ينظر ذلك حق النظر على رجاء من أن يتذكروا قليلا من التذكر فيهديكم إلى سواء السبيل .

و لما كان كل شيء مما سواه لابد له من ضد يضاده أو قرين يسد مسده ، و أما سبحانه فلا مثل له لأنه لوكان له مثل لنازعه ، فلم يقدر ٥ على كل ما يريد " لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا " و ثبت[1] أنه أهلك القرون الأولى بمخالفة الرسل عليهم الصلاة و السلام ، فثبت أن وراء المكلفين عذابا يحق لهم الفرار منه ، و ثبت أن كل شيء غيره محتاج إلى زوجه يثبت حاجة الكل إليه ، و أنه لا كفاية عند شيء فى كل ما يرام منه ، [2]وجب أن لايفزع إلا إلى الواحد / الغنى فسبب عن ذلك /٥٩ ١٠ قوله : ﴿ ففروآ ﴾ أى أقبلوا و الجاؤا . و لما درب عباده فى هذه السورة بصفة الربوبية كثيرا ، فتأهلوا إلى النفوذ فى الغيب ، و كانت العبادة لاتكون خالصة إلا إن علقت بالذات لا لشيء آخر ، ذكر اسم الذات فقال : ﴿ الى الله ﴾ أى إلى الذى لامسمى له من مكافئ ، و له الكمال كله ، فهو فى غاية العلو ، فلا يقر و يسكن احد إلى محتاج مثله فان المحتاج ١٥ لاغنى عنده ، و لايقر سبحانه إلا من تجرد عن حضيض عوائقه الجسمية إلى أوج صفاته الروحانيـــة ، و ذلك من وعيده[3] إلى وعده اللذين دل عليهما بالزوجين ، فتنقل السياق بالتحذير و الاستعطاف و الاستدعاء ، فهو من باب " لاملجأ منك إلا إليك أعوذ بك منك " و استمر إلى آخر

(١) فى الأصل : يثبت (٢) و من هنا استأنفت نسخة مد مع بعض الطمس.
(٣) من مد ، و فى الأصل : وعيد .

السورة فى ذكره إشارة إلى على أمره، ثم علل بقوله مؤكدا لما لهم من الإنكار: ﴿انى لكم منه﴾ أى لا من غيره ﴿نذير﴾ أى من أن يفر أحد إلى غيره فانه لايحصل له قصده .

و لما أقام الدليل العقلى الظاهر جدا بما يعلمه أحد فى نفسه على ما قاله فى هذا الكلام الوحيد قال: ﴿مبين ج﴾ ففرار العامة من الجهل ٥ إلى العلم عقدا و سعيا، و من الكسل إلى التشمير حذرا و حزما، و من الضيق إلى السعة ثقة و رجاء، و فرار الخاصة من الخير إلى الشهود، و من الرسوم إلى الأصول، و من الحظوظ إلى التجريد، و فرار خاصة الخاصة مما دون الحق إلى الحق إشهادا فى شهود جلاله و استغراقا فى وحدانيته، قال القشيرى: و من صح فراره إلى الله صح فراره مع الله - انتهى . و هو ١٠ بكمال المتابعة ليس غيره، و من فهم منه اتحادا بصفة أو ذات فقد ماحد طريق القوم فعليه لعنه الله .

و لما ثبت أنه لاملجأ إلا إلى الله الواحد المنزه عن الزوج، و ذلك هو الله الذى له الكمال كله، و كان ربما وقع فى وهم[1] أن [فى -[2]] الوجود من غير الزوجين المعروفين من نفزع إليه كما نفزع إلى وزير الملك ١٥ و بوابه و نحو ذلك مما يوصل إليه، قال محذرا من سطواته[3]: ﴿و لا تجعلوا﴾ أى بأهوائكم ﴿مع الله﴾ وكرر الاسم الأعظم ولم يضمر تعيينا للمراد لأنه لم يشاركه فى التسمية به أحد و تنبيها على ما له من

(١) من مد، و فى الأصل: فهم (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: سهوانه .

صفات الكمال و تعميما لوجوه المقاصد لئلا يظن، و قيل "معه" أن المراد النهى عن الجعل[1] من جهة الفرار لامن جهة غيرها ﴿ الها ﴾ .

و لما كان المراد كمال البيان، [منع -[2]] مجاز التجريد منع تعنت من يطعن بتكثر الأسماء كما أشار إليه بقوله " قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن" الآية بقوله : ﴿ اخر ﴾ ثم علل النهى مع التأكيد لطعنهم فى نذارته فقال: ﴿ انى لكم منه ﴾ أى لا من غيره فان غيره لايقدر على شىء ﴿ نذير ﴾ أى محذر من الهلاك الأبدى بالعقوبة التى لاخلاص منها إن فعلتم ذلك ﴿ مبين ﴾ أى لا أقول شيئا من واضح النقل إلا و دليله ظاهر[3] من صريح العقل . و لما ذكر قولهم المختلف الذى منه تكذيب الرسول صلى الله عليه و سلم و نسبته إلى السحر و الجنون و غير ذلك من الفنون، و منه الإشراك مع اعترافهم[4] بأنه لاخالق إلا الله و لا كاشف ضر غيره إلى غير ذلك من أنواع الاضطراب، و أخبر بهلاكتهم[5] على ذلك و حذرهم منه و دل عليه إلى أن ختم بانذار من اتخذ إلها غيره / قال مسليا: ﴿ كذلك ﴾ أى مثل[6] قول قومك المختلف العظيم الشناعة، البعيد من الصواب، بما له من الاضطراب، وقع لمن قبلهم، و دل على هذا المقدر بقوله مستأنفا: ﴿ ما اتى الذين ﴾ و لما كان الرسل إنما كان إرسالهم فى بعض الأزمان الماضية و لم يستغرقوا

/ ٦٠

(١) من مد، و فى الأصل : الجهل (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل : الظاهر (٤) من مد، و فى الأصل : الاعتراف (٥) من مد، و فى الأصل : عدلالهم (٦) زيد فى الأصل : قوله، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

جميعها بالفعل، أثبت الجار فى قوله: ﴿ من قبلهم ﴾ و عمم النفى بقوله: ﴿من رسول﴾ أى من عند الله ﴿ الا قالوا ﴾ و لو بعضهم برضا الباقين: ﴿ ساحر او مجنون ﴾ لأن الرسول يأتيهم بمخالفة مألوفاتهم التى قادتهم إليها أهواؤهم، و الهوى هو الذى أوجب لهم هذا التناقض الظاهر سواء كانت "أو" للتفصيل بأن بعضهم قال واحـــدا و بعضهم قال آخر، ٥ أو كانت للشك لأن الساحر يكون لبيبا فطنا آتيا بما يعجز عنه كثير من الناس، و المجنون بالضد من ذلك، ثم عجب منهم بقوله: ﴿اتواصوا به﴾ [أى -[1]] أوصى بهذا بعض الأولين و الآخرين بعضا.

و لما ساق هذا فى أسلوب الاستفهام إشارة إلى أنه قول ينبغى السؤال عن سببه لما له من الخفاء، أجاب عنه بأنهم لم يتواصوا به لأن ١٠ الأولين ما اجتمعوا مع الآخرين: ﴿بل هم﴾ اجتمعوا فى وصف أداهم إلى ذلك. و هو أنهم ﴿ قوم ﴾ أى ذوو[2] شماخة و كبر ﴿ طاغون ﴾ أى عالون فى الكفر مسرفون فى [3]الظلم و المعاصى[3] مجاوزون للمقدار، و أشار بالضمير إلى أن الطغيان أمر ذاتى لهم. فهو يمدح منه سبحانه بأنه هو الذى قهرهم بسوقهم إلى هلاكهم بقدرته التامة و علمه الشامل. ١٥

و لما كان صلى الله عليه وسلم يكاد يتلف نفسه الشريفة - بأبى هو و أمى - غما عليهم و أسفا لتخلصهم عن الإسلام و خوفا أن لا يكون و فى بما عليه من التنبيه[4] و الإعلام، سبب تعالى عن حالهم قوله:

---

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل: ذو (٣ - ٣) فى مد: المعاصى. و الظلم (٤) من مد، و فى الأصل: البينة.

﴿فتول عنهم﴾ أى كلف نفسك الإعراض عن الإبلاغ فى إبلاغهم بالمجادلة و الصدع بالتغليظ بعد ما تقدم منك من الإبلاغ ﴿فما انت﴾ بسبب الإعراض بعد الإنذار ﴿بملوم ۝﴾ أى بمستحق الملامة بسبب إعراض من اعرض منهم عنك ، فانى إنما حكمت بذلك لأنى إنما قسمت الناس
٥ إلى مؤمن تنفعه الذكرى ، و طاغ لاينفعه شىء ، و لذلك قال : ﴿و ذكر﴾ أى بالرفق و اللين ، و لما أصروا على التكذيب و الإعراض حتى أيس منهم ، أكد ما سببه عن[1] التذكير بقوله : ﴿فان الذكرى﴾ أى التذكر بالنذارة البليغة ﴿تنفع المؤمنين ۝﴾ أى الذين قدر الله أن يكونوا[2] عريقين [3]فى وصف[3] الإيمان و لابد من إكثار التذكير ليغلب ما عندهم
١٠ من نوازع الحظوظ و صوارف الشهوات ، مع ما هم مجبولون عليه من النسيان .

و لما كان هذا ربما أوهم ان سواهم غير مقدور عليهم ، قال مؤكدا بالحصر دالا على انه هو الذى قسم الناس إلى طاغين و مؤمنين بالعطف على ما تقديره : فما حكم عليهم بذلك الضلال و الهدى غيرى ،
٦١/ ١٥ و ما أرسلت الرسل / و أنزلت الكتب إلا لاستخلاص المؤمنين و إقامة الحجة على الضالين : ﴿و ما خلقت الجن و الانس﴾ الذين أكثرهم كافرون[4] ﴿الا ليعبدون ۝﴾ أى لينجروا تحت أقضيتى على وجه ينفعون به أنفسهم أو يضرونها لا لشىء يلحقنى أنا منه شىء من نفع أو ضرر ، فانى

(١) من مد ، و فى الأصل : على (٢) فى مد : يصيروا (٣ ـ ٣) من مد ، و فى الأصل : بوصف (٤) من مد ، و فى الأصل : كافرين .

بنيتهم على العجز و أودعتهم نوازع الهوى ، و ركبت فيهم غرائز فهيأتهم لاتباع الهدى ، فمن أطاع عقله كان عابدا لى فارا إلىّ مع جريه تحت الإرادة ، عبادة شرعية أمرية يستفيد بها الثواب[1] ، و من أطاع الهوى كان عابدا لى مع مخالفته أمرى عبادة إرادية قسرية يستحق بها العقاب ، وكل تابع لهواه[2] إذا حقق[3] النظر علم أن الخير فى غير ما هو مرتكبه ، فما ألزمه ما[4] هو فيه مع علمه بأن غيره خير منه إلا قهر إرادتى ، فهذه عبادة لغوية ، و ذاك عبادة شرعية ، و قد مر فى آخر هود ما ينفع هنا ، و هذا كله معنى قول ابن عباس[5] : إلا ليقروا لى بالعبادة طوعا وكرها .

و لما حصر سبحانه خلقهم فى إرادة العبادة ، صرح بهذا المفهوم بقوله : ﴿ ما اريد منهم ﴾ أى فى وقت من الأوقات ، و عم فى النفى بقوله : ﴿من رزق﴾ أى شىء من الأشياء على وجه[6] ينفعنى من جلب أو دفع ، لأنى منزه عن لحاق نفع أو ضر ، كما يفعل[7] غيرى من الموالى بعبيدهم[8] من الاستكثار بغلاتهم و الاستعانة بقواتهم لأنى الغنى المطلق و كل شىء مفتقر إلىّ ﴿ و ما اريد ﴾ أصلا ﴿ ان يطعمون ٥ ﴾ أى [أن -] يرزقونى رزقا خاصا هو[10] الإطعام ، و فيه تعريض

(١) من مد ، و فى الاصل : الثبات (٢) من مد ، و فى الأصل : هواه (٣) من مد ، وفى الأصل : تحقق (٤) من مد ، و فى الأصل : مما (٥) راجع البحر المحيط ١٤٣/٨ (٦) من مد، وفى الأصل : شىء (٧) من مد، وفى الأصل: ينفع (٨) من مد ، وفى الأصل : عبيدهم (٩) زيد من مد (١٠) من مد ، وفى الأصل «و» .

بأصنامهم[1] فانهم كانوا يعملون معها ما ينفعها و يحضرون لها الأكل، فربما اكلتها الكلاب ثم مالت على الأصنام. ثم لا يصدهم ذلك، و هذه الآية دليل على أن الرزق أعم من الأكل، و التعبير بالإرادة دال على ما قلت إنه مقصود بالعبادة. و هو الجرى تحت الإرادة، تارة بموافقة الشرع و تارة بمخالفته.

و لما كان الاهتمام بأمر الرزق - و قد ضمنه سبحانه - شاغلا عن كثير من العبادة، و كان الإنسان يظن أن الذى حصل له ما حواه من الرزق سعيه، قال حاصرا ذلك مؤكدا إزالة لتلك الظنون معللا لافتا الكلام إلى سياق الاسم الأعظم الذى لم يتسم به غيره، نصا على المراد و بالغا[2] من الإرشاد[2] أقصى المراد: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال المنزه عن شوائب النقص ﴿ هو ﴾ أى لا غيره ﴿ الرزاق ﴾ أى على سبيل التكرار لكل حى و فى كل وقت. ثم وصفه بما يبين هوان ذلك عنده فقال[3]: ﴿ ذو القوة ﴾ أى التى لا تزول بوجه ﴿ المتين ۝ ﴾ أى الشديد الدائم الشدة.

و لما أقسم سبحانه على الصدق فى وعيدهم، و دل على ذلك حتى بجميع قصد أحوالهم على إرادته. و ختم بقوته التى لا حد لها، سبب عن ذلك إيقاعه بالمتوعدين، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم: ﴿ فان للذين ظلموا ﴾ أى الذين أوقعوا الأشياء فى غير مواقعها. و لما كان القسم على ما

(١) من مد، و فى الأصل: لأصنامهم (٢-٢) من مد، و فى الأصل: للارشاد.
(٣) من مد، و فى الأصل: ثم قال.

يوعدون بما يحمل المطر ، عبر عن نصيبهم الذى قدره / عليهم من ذلك ٦٢/
بقوله : ﴿ ذنوبا ﴾ أى خطا من العذاب طويل الشر . كأنه من طوله
صاحب ذنب و هو على ذنوبهم ﴿ مثل ذنوب أصحبهم ﴾ أى الذين[1]
تقدم ظلمهم بتكذيب الرسل و هو فى مشابهته له كالدلو الذى يساجل
به دلو آخر ، و ذلك دليل واضح على أن ما يوعدون صادق ، و أن ٥
الدين واقع ﴿ فلا يستعجلون ﴾ أى يطلبوا أن آتيهم به قبل أوانه
اللاحق به . فان ذلك لا يفعله إلا ناقص ، و أنا[2] متعال عن ذلك لا أخاف
الفوت و لا يلحقنى عجز ولا أوصف به ، و لا بد أن أوقعه بهم فى الوقت
الذى قضيت به فى الأزل ، لأنه أحق الأوقات بعقابهم لتكامل ذنوبهم ،
و حينئذ تكون فيا له من تهديد ما أفظعه . و وعيد ما أعظمه و أوجعه ، ١٠
أمرا لا يدفعه دافع ، و لا يمنع من وقوعه مانع ، و لذلك سبب عنه قوله :
﴿ فويل ﴾ أى شر حال و عذاب يوجب الندب و التفجع ﴿ للذين كفروا ﴾
أى ستروا ما ظهر من هذه الأدلة التى لا يسع عاقلا إنكارها ﴿ من يومهم ﴾
أضافه إليهم لأنه خاص بهم دون المؤمنين ﴿ الذى يوعدون ﴾ فى الدنيا
و الآخرة ، و قد انطبق آخرها على أولها بصدق الوعيد ، و ثبت بالدليل ١٥
القطعى ذلك القسم الأكيد - و الله أعلم بالصواب و إليه المرجع و المآب .

* * *

(١) من مد ، و فى الأصل : الذى (٢) من مد ، و فى الأصل : انه .

خاتمة الطبع

لقد تم ـ و الحمد لله ـ طبع الجزء الثامن عشر من تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الجمعة ٢٢/ محرم الحرام سنة ١٤٠٢ هـ = ٢٠/ نوفمبر سنة ١٩٨١ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضي المحكمة العليا سابقا ـ بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره.

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخي الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء ـ جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندي القادري (كامل الجامعة النظامية) ـ حفظهما الله.

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة ـ كان الله له و لوالديه.

و يليه الجزء التاسع عشر باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الطور.

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطور[1]

مقصودها تحقيق وقوع العذاب الذى هو مضمون الوعيد المقسم على وقوعه فى الذاريات الذى هو مضمون الإنذار المدلول على صدقه فى ق ، فان وقوعه أثبت و أمكن من الجبال التى أخبر الصادق بسيرها ، وجعل دك بعضها آية على ذلك ، و من الكتاب فى أثبت أوضاعه[2] لإمكان غسله و حرقه ، و من البيت الذى يمكن عامره و غيره إخرابه ، و السقف الذى يمكن رافعه وضعه ، و البحر الذى يمكن من سجره أن يرسله ، و قد بان أن اسمها أدل ما يكون على ذلك بملاحظة القسم و جوابه حتى بمفردات الألفاظ فى خطابه ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم ذى الملك و الملكوت ﴿الرحمن﴾ الذى عم بالرحموت من حققه الثبوت ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص برحمته و توفيقه أهل القنوت .

لما ختمت الذاريات بتحقيق الوعيد ، افتتحت هذه باثبات العذاب الذى هو روح الوعيد ، فقال تعالى : ﴿و الطور ۝﴾ و ذلك أنهم لما كانوا يقولون عما أتاهم به الرسول صلى الله عليه و سلم : إنه سحر خيال لاحقيقة

(١) الثانية و الخمسون من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آيها ٤٩ عند الكوفيين والشامى و ٤٨ عند البصريين و ٤٧ عند المدنيين و المكى - راجع نثر المرجان ٧ / ٥٣ (٢) من مد ، و فى الأصل : أوضاعها .

له . أقسم بالجبل - الذى هو عندهم و عند غيرهم من ذوى العقول - أثبت الأرض و أشدها و أصلبها ، و عبر عنه بالطور الذى هو مشترك بين مطلق الجبل و بين المضاف[1] إلى سينا / الذى كان فيه نبوة موسى عليه السلام و إنزال كثير من كتابه و غير ذلك - آيات تعلمها بنو إسرايل الذين يستنصحونهم و يسألونهم عن النبى صلى الله عليه و سلم و يرضون بقولهم فيه . فمن آياته أنه كانت فيه الرحمة بمناجاة موسى عليه السلام و ما كتب له فيه على ألواح الجوهر و ما أنزل عليه من الناموس الذى جعله هدى و رحمه و موعظة و ذكرا و تفصيلا لكل شىء و كان فيه مع الرحمة العذاب بما أتاهم من الصاعقة[2] التى أماتتهم ثم أحياهم الله و بما كانوا يشاهدون من السحاب الذى تخلله فيكون كقتار الأتون ، و فيه بروق كأعظم[3] ما يشاهد من النار ، و أبواق[4] تزعق بصوت هائل ، و لما شوهد من اندكاك الجبل عند التجلى و صعق موسى عليه السلام إلى غير ذلك من الآيات التى تكشف[5] الظلمات ، و أيضا فالطور كل جبل ينبت ، و إنبات الجبل عجيب ، فان نباته لا يكون إلا بسبب ، و سبب النبات الماء ، و الماء منبث فى الأرض لتركبها عليه و هو مواز لما انكشف منه من ماء البحار ، و كلما علت الأرض بعدت عن الماء ، و الجبال أبعدها منه ، فسبب إنباته خفى جدا لا يعلمه إلا الله [و من فهمه إياه -[6]] .

/٦٣

(١) من مد ، و فى الأصل : مضاف (٢) من مد ، و فى الأصل : الصناعه .
(٣) من مد ، و فى الأصل : كان عظم (٤) من مد ، و فى الأصل : البوارق .
(٥) فى مد : بعضها يكشف (٦) زيد من مد .

و لما كانت الأرض لوح السماء التى منها الوعيد ، و كانت الجبال أشدها ، فذكر أعظمها آية . و كان الكتاب لوح الكاتب[1] ، و كانت الكتب الإلهية أثبت الكتب ، و كان طور سينا قد نزل فيه كتاب إلهى قال : ﴿ و كتب ﴾ وحقق أمره بقوله : ﴿ مسطور ﴾ أى متفق الكتابة بسطور مصفوفة من[2] حروف مرتبة جامعة لكلمات متفقة ككتاب موسى عليه السلام الذى أنزله[3] عليه و كلمه بكثير منه فى الطور [و -[4]] تنكيره للتعظيم لأنه إن كان المراد به الكتب الإلهية فهو أثبت الأشياء ، و إن كان المراد القرآن بخصوصه فهو أثبتها لامبدل لكلماته ، و إن كان المراد صحيفة قريش فقد [كانوا -[4]] ظنوها أثبت العهود ، و ذكر امتن ما يكتب فيه و أشده و أتقنه فقال : ﴿ فى رق ﴾ أى فى[6] جلد مهيأ بالقشر للكتابة ﴿ منشور ﴾ أى مهيأ للقراءة و الاتعاظ بما فيه ، و يمكن أن يكون أراد به جميع الكتب المنزلة عاما بعد خاص ، قال الرازى : قال الصادق : إن الله تجلى[7] لعبده [بكتابه -[4]] كما تجلى[7] بالطور لما كان محلا للتجلى خلقا ، و الكتاب لما كان محلا للتجلى أمرا ، أجرهما[8] [فى قرن -[4]] - انتهى . و يجوز أن يكون أراد به سبحانه صحيفة الظلم التى كتبوها بما تعاقدوا عليه من أنهم لايعاشرون بنى هاشم

(١) من مد ، و فى الأصل : الكتاب (٢) فى مد : فى (٣) فى الأصل : هو انزاله ، و فى مد : انزل (٤) زيد من مد (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل : ذامين .
(٦) سقط من مد (٧) من مد ، و فى الأصل : يجتلى (٨) من مد ، و فى الاصل : مما جرا مما - كذا .

ولا يكلمونهم ولا يبايعونهم ولا يشاورونهم ولا يناكحونهم ولا يؤازرونهم ولا يعاملونهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلقوها فى جوف الكعبة فانحاز بنو هاشم إلى شعب / أبى طالب خلف ٦٤ / أبى قبيس وتبعهم بنو المطلب رهط إما منا الشافعى رضى الله عنه، فتحيزوا[1] معهم من بين بنى عبد مناف، فكان ذلك سبب شرفهم على مدى الدهر، فأرسل الله على الصحيفة - بعد أن مضى على ذلك سنتان حين جهدهم العيش ومضّهم الزمان وزلزلتهم القوارع زلزالا شديدا وهم ثابتون ليظهر الله [بذلك -[2]] شرف من شاء من عباده - الأرضة، فأبقت[3] ما فيها من أسماء الله تعالى ومحت[4] ما كان من ظلمهم وقطيعتهم، فكان ذلك سببا لأن قام فى نقضها معشر منهم، فنقضها الله بهم، وكانوا إذ ذاك كفرة كلهم ليظهر الله قدرته سبحانه على كل من النقض والإبرام بما شاء ومن شاء ﴿ والبيت المعمور[5] ﴾ الذى هو قيام للناس كما كانت قبة الزمان قياما لبنى إسرائيل، هذا إن كان تعالى اراد به الكعبة التى علقوا فيها الصحيفة بعد أن كانوا لما عمروها اختلفوا فيمن يضع الحجر الأسود فى موضعه، وزاد بهم الإختلاف حتى تهيأوا للقتال وتحالفوا عليه، فكان منهم لعقة الدم، ومنهم المطيبون كما هو مشهور فى السير، ثم وفقوا لأن رضوا أن يحكم بينهم أول داخل من باب عينوه، فكان أول داخل منه النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا بأجمعهم[5] : هذا محمد هذا الأمين، رضينا

(١) فى مد : لتحيزوا (٢) زيد من مد (٣) من مد، وفى الأصل : فالق (٤) من مد، وفى الاصل : سميت (٥) ليس فى مد.

بحكمه، فحكم صلى الله عليه و سلم بأن يوضع[1] الحجر الشريف فى ثوب و يأخذ رئيس كل قبيلة بطرف من أطرافه و يرفعوه كلهم، فلما وازى موضعه أخذه هو صلى الله عليه و سلم بيده الشريفة فوضعه فى موضعه، فكان الفخر له مضاعفا بحكمه و إصلاحه بينهم، و اختصاصه بوضعه و هو معمور بالزوار و الخدمة و كثرة الحاشية. ٥

و لما كان البيت لابد فى مسماه من السقف قال: ﴿و السقف المرفوع ۝﴾ يريد سقف الكعبة إشارة إلى أنه محكم البناء مغلق الباب متقن السقف إتقانا هو أعظم [2]من إتقان[2] سقف قبة الزمان التى شاهد [فيها ـ[3]] بنو إسرائيل من العظمة الإلهية و الجلال ما إن سألتموهم عنه أخبروكم به، و مع ذلك ساط على الصحيفة ـ التى فى جوفه، و لعلها كانت فى سقفه ١٠ بحيث لايصل إليها أحد ـ ما أفسدها تحقيقا لثبوت ما أراد من أمره تحذيرا مما توعد به، و يمكن أن يراد به مع ذلك السماء التى فيها ما توعدون، و من المعلوم أن لكل ذى عقل أن أقل السقوف لايرتفع [4]بغير عمد[4] إلا بأسباب لاترى، فكيف بالسماء التى لها من السعة و العظمة و الثخن و ما فيها من الكواكب ما لها مما لايسع العقول شرحه، و هم ١٥ لاينظرون أسبابه كما قال تعالى "بغير عمد ترونها" و نقل عن ابن عباس[5] رضى الله عنهما أنه قال: إنه العرش و هو سقف الجنة.

و لما كان الماء أقوى من كل ما تقدم، ختم به فقال:

(١) فى مد: يضع (٢-٢) من مد، و فى الأصل: اتقانا من (٣) زيد من مد. (٤-٤) من مد، و فى الأصل: عمد (٥) راجع البحر المحيط ١٤٦/٨.

﴿و البحر المسجور ۝﴾ أى الذى فيه من الماء أكثر من[1] ملئه و هو ساجره
/٦٥ - / أى مانعه - كما يمنع الكلب بساجوره عن الانسباح ، و لو أراد خلاه
فاندفق فجرى فأهلك ما مر عليه من جبل و كتاب[2] و بيت كما شوهد لما
سجره سبحانه لبنى إسرائيل فانفلق ، و نشفت أرضه ثم لما أراد سيبه على
٥ آل فرعون فعذبهم به فأهلكهم حتى لم يبق منهم أحد .

و لما أقسم بما يدل على نبوة موسى عليه السلام و ثلث بما أشار
إلى نبوة محمد صلى الله عليه و سلم ، و ثنى بما هو مشترك بينهما ، و كان
الأول مع ذلك دالا على استقرار الأرض ، و الثالث على صلاحيتها
للسكنى ، و الثانى على الحافظ فى ذلك ، و ربع بما كمل المنافع ، و حذر
١٠ من السقوط كما خوف بالأول من الخسف ، و خمس بما دل على ما
أريد بالأول من الاستقرار [لأنه -[3]] لو كان ميل لانطلق البحر إلى
جهته ، أجاب القسم بقوله : ﴿ان عذاب﴾ و لما كان سبحانه [عظيم -[3]]
الإكرام له صلى الله عليه و سلم ، أضاف العذاب إلى صفة الإحسان
و التربية الخاصة به ، و أضاف الصفة إلى ضميره إيذانا بأنه يريه فى أمته
١٥ ما يسره ، و أن مماثلة " ذنوبهم كذنوب اصحابهم " الماضين إنما هى
فى مجرد الإذلال ، لا فى أنه يستأصلهم كما استأصل أولئك فقال : ﴿ربك﴾
أى الذى تولى تربيتك أى عذاب أراده بكل من أراد به لاسيما المعادى
لأوليائه سبحانه ﴿لواقع ۝﴾ أى ثابت نازل بمن أراد نزول ما هو ثقيل

(١) من مد . و فى الأصل : مما (٢) من مد . و فى الأصل : كتابت (٣) زيد
من مد .

من مكان عال كما أنه لو أراد لقلب الأرض التى ثبتها و[١] أوقع السقف الذى رفع، و أطلق البحر الذى سجر، كما علم من إطلاقه البحر فلقة على آل فرعون حتى أغرقهم به ﴿ما له من دافع ۝﴾ لأنه لاشريك لموقعه لما دلت عليه هذه الأقسام من كمال قدرته و جلال حكمته و ضبط أعمال العباد للجازاة سواء قلنا: إن الكتاب هو الذى يكتبه الحفظة ٥ [أو -[٣]] الذى يضبط [الدين -[٢]]، فلما أوقع الجزاء بهم فى الصحيفة، و نقض معاقدتهم، و فض جمعهم، أخرج معاشرك[٣] من ذلك الضيق فكذلك يؤيدك حتى توقع بهم و تنقض جمعهم و تكسر شوكتهم [و نقتل سرواتهم -[٢]] و يظهر دينك على دينهم، و يصير من بقى منهم من حزبك و أنصار دينك، قال البغوى[٤]: [قال جبير بن مطعم رضى الله ١٠ عنه -[٥]]: قدمت المدينة لأكلم رسول الله صلى الله عليه و سلم فى أسارى بدر، فدفعت إليه و هو يصلى بأصحابه المغرب و صوته يخرج من المسجد فسمعته يقرأ "و الطور - إلى قوله: إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع" فكأنما صدع قلبى حين سمعته[٦]، و لم أكن أسلمت[٧] يومئذ، فأسلمت خوفا من نزول [العذاب -[٥]] ما كنت أظن [أن -[٥]] ١٥ أقوم من مقامى حتى يقع بى العذاب.

(١) من مد، و فى الأصل: ما (٢) زيد من مد (٣) من مد، و فى الأصل: معاشره (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٦/ ٣٠٧ (٥) زيد من مد و المعالم. (٦) المعالم و فى الاصل و مد: سمعت (٧) زيد فى مد: حينئذ.

و قال[1] الإمام [ابو -[2]] جعفر بن الزبير : لما توعد تعالى كفار قريش و من كان على طريقتهم من سائر من كذب رسول الله صلى الله عليه و سلم أنهم[3] سيصيبهم ما أصاب غيرهم من مكذبي الامم ، المنبه على ذكرهم فى السورة قبل ، ثم أشار سبحانه إلى عظيم / ما ينالهم من الخزى ٦٦ / و أليم العذاب بقوله " فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون " أقسم سبحانه على صحة ذلك و وقوعه - و العياذ به سبحانه من سخطه و أليم عذابه - فقال تعالى " و الطور - إلى قوله تعالى : ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع " ثم أومأ سبحانه إلى مستحقيه و مستوجبيه فقال " فويل للمكذبين " ثم ذكر [ما -[2]] يعنفون به و يوبخون على ما سلف منهم من نسبته عليه الصلاة و السلام إلى السحر فقال تعالى " ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون " " افسحر هذا ام انتم لاتبصرون " ثم أعقب بذكر حال المؤمنين المستجيبين[4] ، ثم ذكر - [إثر -[2]] إعلامه بحال الفريقين - نعمته على نبيه عليه الصلاة و السلام و عصمته و وقايته مما يقول المفترون فقال تعالى " فذكر فما انت بنعمة ربك بكاهن و لا مجنون " ثم جرت الآى على توبيخهم فى مقالتهم و وهن انتقالاتهم ، فمرة يقولون : كاهن ، و مرة يقولون : مجنون ، و مرة يقولون : شاعر يترقب موته . فوبخهم على ذلك كله و بين كذبهم و أرغمهم و أسقط ما بأيديهم [بقوله -[2]] " فلياتوا بحديث مثله ان كانوا صٰدقين "

(١) من مد ، و فى الأصل : اقام (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : ان (٤) من مد ، و فى الأصل : المستوحبين .

و هذا هو المسقط لما تقولوه أولا و آخرا ، و هذا الذى لم يجدوا عنه جوابا، و رضوا بالسيف و الجلاء ، لم يتعرضو [1]لتعاطى معارضته[1]، و هذا هو الوارد[2] فى قوله تعالى فى صدر سورة البقرة [3]" و ان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا [3]فاتوا بسورة من مثله[3]" - الآيات، فما نطقوا فى جوابه ببنت شفة " قل لئن اجتمعت الانس و الجن على ان ياتوا بمثل هـذا القرآن لاياتون بمثله " فتبارك من جعله آية باهرة و حجة قاهرة - انتهى .

و لما أثبت وقوع العذاب ، تشوفت[4] نفس الموقن إلى وقته ، قال مستأنفا لبيان[5] أنه واقع على تلك الصفة : ﴿ يوم تمور ﴾ أى تتحرك و تضطرب و تجىء و تذهب و تتكفأ تكفأ السفينة و تدور دوران الرحى ، و يموج بعضها فى بعض ، و تختلف أجزاؤها بعضها فى بعض ، و لا تزول عن مكان ؛ قال البغوى[6] : و المور يجمع هذه المعانى فهو فى اللغة الذهاب و المجىء و التردد و الدوران و الاضطراب ، قال الرازى : و قيل : تجىء و تذهب كالدخان ثم تضمحل . ﴿ السمآء ﴾ التى هى سقف بيتكم الأرض ﴿ مورا ﴾ أى اضطرابا شديدا ﴿ و تسير الجبال ﴾ أى تنتقل من أمكنتها انتقال السحاب ، و حقق معناه بقوله : ﴿ سيرا ﴾ فتصير هباء

(١ - ١) من مد ، و فى الأصل : المعارضة (٢) من مد ، و فى الاصل : العار .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد فى الأصل : النفس أى ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٥) فى مد : بيان (٦) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٢٠٧ .

منثورا و تكون الأرض قاعا صفصفا .

و لما حقق العذاب و بين يومه ، بين أهله بقوله مسببا عن ذلك : ﴿ فويل ﴾ هى كلمة يقولونها لمن وقع فى الهلاك . و معناه حلول شر فاضح يكون [1]فيه ندبة[1] و تفجع ﴿ يومئذ ﴾ أى يوم إذ يكون ما[2]

٦٧ / ٥ تقدم ذكره ﴿ للمكذبين ﴾ / اى العريقين فى التكذيب و هم[3] من مات على نسبة الصادقين إلى الكذب .

و لما كان التكذيب قد يكون فى محله ، بين أن المراد تكذيب ما محله الصدق فقال : ﴿ الذين هم ﴾ أى من بين الناس بظواهرهم و بواطنهم ﴿ فى خوض ﴾ أى أعمالهم و أقوالهم أعمال الخائض فى

١٠ ماء ، فهو لا يدرى أين يضع رجله . و لما كان ذلك قد يكون من دهشة بهم أو غم ، نفى ذلك بقوله : ﴿ يلعبون ﴾ فاجتمع عليهم أمران موجبان للباطل : الخوض و اللعب ، فهم بحيث لا يكاد يقع لهم قول و لا فعل فى موضعه ، فلا يؤسس على بيان أو حجة . و لما[4] صور تكذيبهم بأشنع[5] صورة ، بين ويلهم ببيان ظرفه و ما يفعل فيه فقال[6] : ﴿ يوم يدعّون ﴾

١٥ أى يدفعون دفعا عنيفا بجفوة و غلظة [7]من كل[7] من يقيمه الله لذلك ، ذاهبين و منتهين ﴿ الى نار جهنم ﴾ و هى الطبقة التى تلقاهم بالعبوسة و الكراهة و التغيظ[8] و الزفير ، و أكد المعنى و حققه بقوله : ﴿ دعّا ﴾

(١-١) من مد ، و فى الأصل : بدمه (٢) من مد ، و فى الأصل : مما (٣) من مد ، و فى الأصل : هو (٤) من مد ، و فى الأصل : لو (٥) من مد ، و فى الأصل : باصنع (٦) من مد ، و فى الأصل : قال (٧-٧) من مد ، و فى الأصل : بكل (٨) من مد ، و فى الأصل : التغليظ .

قال البغوى[١] : و ذلك أن خزنة جهنم يغلون أيديهم إلى أعناقهم و يجمعون نواصيهم إلى أقدامهم ثم يدفعونهم دفعا على وجوههم و زجا فى أقفيتهم ، مقولا لهم تبكيتا و توبيخا : ﴿ هذه النار ﴾ أى الجسم المحرق المفسد لما [أتى - [٢]] عليه ، الشاغل عن اللعب ﴿ التى كنتم ﴾ بجبلاتكم الفاسدة .

و لما كان تكذيبهم [بها - [٢]] فى أقصى درجات التكذيب ، و كان ٥ [سببا - [٢]] لكل تكذيب ، كان كأنه مقصور عليه فقال مقدما للظرف إشارة إلى ذلك : ﴿ بها[٤] تكذبون ﴾ أى فى الدنيا على التجديد و الاستمرار .

و لما كانوا يقولون عنادا : إن القرآن بما فيه [من الوعيد - [٢]] سحر ، سبب عن ذلك الوعيد [قوله - [٢]] مبكتا موبخا متهكما : ﴿ افسحر هذآ ﴾ أى الذى أنتم فيه من العذاب مع هذا الإحراق الذى ١٠ تصلون منه ﴿ ام انتم ﴾ فى منام و نحوه ﴿ لاتبصرون ﴾ بالقلوب كما كنتم تقولون فى الدنيا " قلوبنا فى اكنة " و لا بالأعين كما كنتم تقولون للنذرين " من بيننا و بينك حجاب فاعمل اننا عاملون " ، اى أنتم عمى عن المخبر عنه مع إحراقه لهم كما كنتم عميا عن الخبر أى هل تستطيعون أن تقولوا أنكم لاتبصرون المخبر عنه كما كنتم تقولون فى الخبر كذبا ١٥ [و - [٢]] فجورا ، ثم يقال لهم بعد هذا التبكيت الذى يقطع بأن جوابهم يكون بأن يقولوا : لا و عزة ربنا ما هو بسحر و لا خيال ، بل هو حقيقة ،

---

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٦ / ٢٠٧ (٢) زيد من مد (٣) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) وقع فى الأصل قبل « بجبلاتكم الفاسدة » والترتيب من مد (٥) من مد ، و فى الأصل : انتم .

و نحن فى غاية الإبصار [على سبيل ـ[1]] الإخزاء، و الامتهان و الإذلال: ﴿ اصلوها ﴾ أى باشروا حرها و قاسوه و واصلوه كما كنتم تواصلون أذى عبادى[2] بما يحرق قلوبهم ﴿ فاصبروآ ﴾ أى فيتسبب عن تكذيبكم[3] فى الدنيا و مباشرتكم لها الآن أن يقال لكم: اصبروا على هذا الذى لاطاقه لكم به ﴿ او لا تصبروا ج ﴾ فانه لامحيص لكم عنها ﴿ سوآء عليكم[4] ﴾ أى الصبر و الجزع .

و لما كان المعهود أن الصبر له مزية على الجزع، بين أن ذلك حيث لاتكون المصيبة إلا على وجه الجزاء / الواجب[4] وقوعه فقال ٦٨/ معللا: ﴿ انما تجزون ﴾ أى يقع جزاؤكم الآن و فيما يأتى على الدوام ﴿ ما كنتم ﴾ أى دائما بما هو لكم كالجبلة ﴿ تعملون ٥ ﴾ [مع ـ[5]] الأولياء غير مبالين بهم، فكان هذا ثمرة فعلكم بهم .

و لما ذكر ما للمكذبين من العذاب المشار إليه بكلمات القسم، أتبعه ما لأضدادهم من الثواب المنبه عليه أيضا بتلك الكلمات ليتم الخبر ترغيبا و ترهيبا، فقال جوابا لمن كأنه قال: فما لمن عاداهم فيك؟ مؤكدا لما للكفار من التكذيب: ﴿ ان المتقين ﴾ أى الذين صارت التقوى لهم صفة راسخة ﴿ فى جنت ﴾ أى بساتين دائما فى الدنيا حكما و فى الآخرة . و لما كانت البساتين ربما يشق داخلها أو صاحبها، [نفى هذا بقوله ـ[4]]:

(١) زيد من مد (٢) فى مد : عباد الله (٣) من مد، و فى الأصل : تكذيبهم .
(٤) و من هنا انقطعت نسخة مد إلى ما سننبه عليه (٥) زيد نظرا للسياق .

﴿ونعيم﴾ أى نعيم فى العاجل ، يعنى بما هم فيه من الأنس ، و الآجل بالفعل ، و زاد فى تحقيق التنعم بقوله : ﴿فاكهين[1]﴾ أى معجبين متلذذين ﴿بما آتاهم ربهم﴾ الذى تولى تربيتهم بعملهم بالطاعات إلى أن أوصلهم إلى هذا النعيم ، فهو لأن عظمته من عظمته لا يبلغ كنه وصفه . و لما كان المتنعم قد تكون نعمته بعد عذاب ، فبين أنهم ليسوا كذلك فقال: ٥ ﴿و وقاهم﴾ أى قبل ذلك ﴿ربهم﴾ أى المتفضل بتربيتهم بكفهم عن المعاصى و القاذورات ﴿عذاب الجحيم﴾ أى النار الشديدة التوقد .

و لما كان من باشر النعمة و جانب النقمة فى هناء عظيم ، قال مترجما لذلك على تقدير القول : ﴿كلوا﴾ أى أكلا هنيئا ﴿و اشربوا﴾ شربا ﴿هنيئا﴾ أى لانقص فيه ، و هو صفة فى موضع المصدر أى هنأتم ١٠ بمعنى أن كل ما تتناولونه مأمون العاقبة من التخمة و السقم و نحوها ﴿بما كنتم﴾ أى كونا راسخا ﴿تعملون﴾ اى مجددين له على سبيل الاستمرار حتى كأنه طبع لكم .

و لما كان النعيم لا يتم إلا بأن يكون الإنسان مخدوما ، نبه عليه بقوله : ﴿متكئين﴾ أى مستندين استناد راحة ، لأنهم يخدمون فلا ١٥ حاجة لهم إلى الحركة ﴿على سرر مصفوفة﴾ أى منصوبة واحدا إلى جنب واحد ، مستوية كأنها السطور على أحسن نظام و أبدعه ، قال الأصبهانى: و الصفة : مد الشيء على الولاء . و لما كان السرور لا يتم إلا بالتنعم بالنساء قال : ﴿و زوجناهم﴾ أى تزويجا يليق بما لنا من العظمة .

---

(١) و قراءة عاصم « فكهين » راجع نثر المرجان ٧ /٥٧ .

و لما كانت تلك الدار غنية عن الأسباب ، فكانوا غنيين عن العقد ، قال مشيرا بالباء إلى صرف الفعل عن ظاهره فانه إذا كان بمعنى النكاح تعدى بنفسه ، و تضمين الفعل " قرناهم " أى جعلناهم أزواجا مقرونين ﴿بحور﴾ أى نساء هن فى شدة بياض العين و شدة سوادها و استدارة حدقتها ٥ و رقة جفونها فى غاية لا توصف ﴿عين ۝﴾ أى واسعات الأعين فى رونق و حسن ۝

و لما وصف حال المتقين من أعداء المكذبين و بدأ بهم لشرفهم ، أتبعهم من هو أدنى منهم حالا لتكون النعمة تامة فقال : ﴿و الذين آمنوا﴾ يعنى أقروا بالإيمان و لم يبدلوا و لابالغوا فى الأعمال ١٠ الصالحة ۝ و لما كان من هؤلاء من لايتبعه ذريته بسبب إيمانه لأنه يرتد عنه ، عطف على فعلهم تمييزا لهم و احترازا عمن لم يثبت / قوله : ﴿و اتبعتهم[1]﴾ أى بما لنا من الفضل الناشىء عما لنا من العظمة ﴿ذريتهم[2]﴾ الصغار و الكبار و إن كثروا ، و القرار لأعينهم بالكبار بايمانهم و الصغار بايمان آبائهم ﴿بايمان﴾ أى بسبب إيمان حاصل منهم ، و لو كان فى ١٥ أدنى درجات الإيمان ، و لكنهم ثبتوا عليه إلى أن ماتوا ، و ذلك هو شرط إتباعهم الذريات ، و يجوز ان يراد و هو أقرب : بسبب إيمان الذرية حقيقة إن كانوا كبارا ، و حكما إن كانوا صغارا ، ثم أخبر عن الموصول بقوله : ﴿ الحقنا بهم ﴾ أى بفضلنا لأجل عمل آبائهم ﴿ذريتهم[2]﴾ و إن لم يكن للذرية أعمال ، لأنه قيل فى المعنى : " و لأجل عين ألف عين تكرم "

٦٩ /

(١) و قراءة عاصم « اتبعتهم » راجع نثر المرجان ٧ / ٦٠ (٢) و قراءة عاصم : « ذريتهم » راجع نثر المرجان ٧/٦١ ۝

و يلحق

و يلحق بالذرية من النسب الذرية بالسبب و هو المحبة ، فان كان معها آخذ لعلم أو عمل كانت أجدر ، فتكون[1] ذرية الإفادة كذرية الولادة ، و ذلك لقول النبي صلى الله عليه و سلم « المرء مع من أحب » في جواب من سأل عمن يحب القوم و لم يلحق بهم .

و لما كان ربما خيف أن ينقص الآباء بسبب إلحاق ذرياتهم بهم ٥ شيئا من درجاتهم ، قال : ﴿و مآ التنٰهم﴾ أي نقصنا الآباء وحبسنا عنهم ﴿من عملهم﴾ و أكد النفي بقوله : ﴿من شيء﴾ بسبب هذا الإلحاق و كان من فوق رتبتهم من الذين يؤمنون و المؤمنين و المتقين و غيرهم أولى منهم ، و إنما فصلهم منهم لأن هؤلاء قد لا يوقنون قبل دخول الجنة العذاب ، قال جامعا للفريقين ، أو يقال - [و -[2]] لعله أقرب - أنه ١٠ لما ذكر إتباع الأدنى للأعلى في الخير فضلا ، أشفقت النفس من أن يكون إتباع في الشر فأجاب تعالى بأنه لا يفعل بقوله : ﴿كل امرئ﴾ أي من الذين آمنوا و المتقين و غيرهم ﴿بما كسب﴾ أي من ولد و غيره ﴿رهين﴾ أي مسابق و مخاطر و مطلوب و آخذ شيئا بدل كسبه و موفى على قدر ما يستحقه و محتبس به إن كان عاصيا ، فمن كان صالحا ١٥ كان آخذا بسبب صلاح[3] ولده لأنه كسبه ، و لا يؤخذ به ذلا و هو حسن في نفسه لأجل الحكم بإيمانه سواء كان حقيقة أو حكما و كل حسن مرتفع ، فلذلك يلتحق بأبيه ، و أما الإساءة فقاصرة على صاحبها يؤخذ بها و يرهن بذنبه و لا يؤخذ بذنب غيره ، و الحاصل أن المعالي التي هي

(١) في الأصل : فيكون (٢) زيد نظرا للسياق (٣) في الأصل : صلاحه .

كالحياة تفيض من صاحبها على غيره فتحييه ، و المساوئ التى هى كالموت لايتعدى صاحبها ، قال الرازى فى اللوامع . أعلم أن الذوات بقاؤها و دوامها ببقاء صورها ، فحيث ما كانت الصورة المقومة لها أدوم كانت الذوات بها أقوم ، و أن النفوس الإنسانية ذوات و صورها علومها و أخلاقها ، فحيث ما كانت العلوم حق اليقين ثم عين اليقين ، و الأخلاق مقومة على نهج الشرع المبين ، كانت النفوس دائمة بدوامها غير مستحيلة ، إذ لا تتطرق الاستحالة إلى اليقين و العلم الحق ، و غير كائنة و لا فاسدة / إذ ليس عين اليقين و لا العلوم الحقيقية من عالم الكون و الفساد ، و إن لم تبلغ النفس إلى كمال اليقين فتعلقت بدليل صاحبه كما انخرطت فى سلكها حتى يخرط الإنسان فى سلك محبته ، و لواحب أحدكم حجرا لحشر معه ، فان الدين هو الحب فى الله و البغض فى الله ، و لهذا اكتفى الشرع من المكلفين باسلام و تسليم و تفويض و تحكيم دون الوقوف على المسائل العويصة بالبراهين الواضحة الصحيحة ، و ما لم يبلغ الولد حد التكليف و اخترم ألحقوا بآبائهم و حكم عليهم بحكم عقائدهم و آرائهم حتى يكون [حكم -[1]] آبائهم جاريا عليهم و حكم القيامة نافذا فيهم ، و أما إذا كانت الصورة القائمة بالذوات مستحيله بأن كانت جهلا و باطلا ينقص أوله آخره و آخره أوله ، كانت ذات النفس لاتنعدم و لاتفنى بل تبقى على حال لايموت فيها و لايحيى ، فانها لوفنيت لاستراحت و لو بقيت لاستطابت ، فهى على استحالة بين الموت و الحياة ، و هذه الاستحالة

(١) زيد نظرا للسياق .

لاتكون إلا فى أجساد و أبدان " كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها " انتهى . و هو كما ترى فى غاية النفاسة ، و يؤيده « يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » و يجوز أن تكون الجملة تعليلا لما قبلها من النفى ، أى ما نقصناهم لأنه قد سبق فى حكمنا بأن يكون « كل امرئ » قدرنا أن يرتهن بما قد ينقصه "بما كسب" أى لايضر ما كسب ما كسبه غيره " رهين " أى معوق عن النعيم حتى يأتيه بما يطلق من العمل الصالح .

و لما جمعهم فى إلحاق الذرية بهم لأنه من أعظم النعيم ، و أمنهم مما قد يخشى من نقصهم بنقصه غيرهم ، و علل ذلك ليكون أرسخ فى النفس ، أتبعه بما يشاكله فقال : ﴿ و امددناهم ﴾ أى الذين آمنوا و المتقين و من ألحق بهم من ذرياتهم بما لنا من العظمة زيادة على ما تقدم ﴿ بفاكهة ﴾ . و لما كانت الفاكهة ظاهرة فيما يعرفونه فى الدنيا و إن كان عيش الجنة بجميع الأشياء تفكـــها ليس فيه شيء يقصد به حفظ البدن قال : ﴿ و لحم مما يشتهون ﴾ ليس فيه شيء منه مما لايعجبهم غاية الإعجاب .

و لما كان هذا النعيم العظيم المقيم يدعو إلى المعاشرة ، بالقرينة العاطرة ، بين أن ذلك حالهم اللازمة الظاهرة ، من الخصال اللائقة الطاهرة ، فقال : ﴿ يتنازعون ﴾ أى يشربون متجاذبين مجاذبة الملاعبة لفرط المحبة و السرور و تحلية المصاحبة ﴿ فيها كاسا ﴾ أى خمرا من رقة حاشيتها تكاد ان لاترى فى كأسها . و لما كان فى خمر الدنيا غوائل نفاها عنها فقال : ﴿ لا لغو ﴾ أى سقط مما يضر و لا ينفع ﴿ فيها ﴾

أى فى تنازعها و لا بسببها لأنها لا تذهب بعقولهم و لا يتكلمون إلا بالحسن الجميل ﴿ و لا تأثيم ﴾ أى و لا شىء فيها مما يلحق شاربها إثما و لا يسوغ نسبه .

و لما كانت المعاطاة لا يكمل بسطها و لا يعظم إلا بخدم و سقاة قال :

٧١/ ٥ ﴿ و يطوف / عليهم ﴾ أى بالكؤس و غيرها من أنواع التحف ﴿ غلمان ﴾ و لما كان أحب ما إلى الإنسان[1] ما يختص به قال : ﴿ لهم ﴾ و لم يضفهم لئلا يظن أنهم الذين كانوا يخدمونهم فى الدنيا فيشفق كل من خدم أحدا فى الدنيا بقول أو فعل أن يكون خادما له فى الجنة فيحزن بكونه لا يزال تابعا ، و أفاد التنكير أن كل من دخل الجنة

١٠ وجد له خدما لم يعرفهم قبل ذلك ﴿ كأنهم ﴾ فى بياضهم و شدة صفائهم ﴿ لؤلؤ مكنون ﴾ أى مصون فى الصدف لم تغيره العوارض ، هذا حال الخادم فما ظنك بالمخدوم .

و لما كان ألذ ما إلى الحبيب و أعظم ما يكون من أربه ذكر محبوبه و الثناء عليه بما منّ به ، قال تعالى شارحا لذلك عاطفا على ما تقديره :

١٥ فأقبلوا على تعاطى ما ذكر من النعم : ﴿ و اقبل بعضهم ﴾ لما ازدهاهم من السرور ، و راقهم[2] من اللذة و الحبور ﴿ على بعض يتساءلون ﴾ أى يسأل بعضهم بعضا عن السبب الموصل له إلى هذا النعيم الذى لا يقدر مخلوق على وصفه حق وصفه ، ثم استأنف شرح ذلك بقوله : ﴿ قالوا ﴾ أى

(١) و من هنا تستأنف نسخة مد (٢) زيد فى الأصل : و اراقهم ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

قال كل منهم مؤكدا استلذاذا بما أداهم إلى ما هم فيه لأنه [لا -[1]] يكاد يصدق، مسندين النعمة بفعل الكون إلى الله الذى جبلهم جبلة خير، مسقطين الجار إشارة إلى دوام خوفهم، تنبيها على أن الخوف الحامل على الكف عن المعاصى يشترط فيه الدوام، بخلاف الرجاء الحامل على الطاعات، فانه يكفى فيه ما تيسر كما تأتى الإشارة إليه باثبات الجار: ٥ ﴿انا كنا قبل﴾ أى فى دار العمل ﴿فى اهلنا﴾ على ما لهم من العدد و العدد و النعمة و السعة، و لنا بهم من جوالب اللذة و الدواعى إلى اللعب ﴿مشفقين﴾ أى عريقين فى الخوف من الله لا يلهينا عنه شىء مع لزومنا لما نقدر عليه من طاعته لعلمنا بأنا[2] لا نقدره لما له من العظمة و الجلال و الكبرياء و الكمال حق قدره، و أنه لو واخذنا بأصغر ذنوبنا أهلكنا؛ ١٠ قال الرازى: و الإشفاق: دوام الحذر مقرونا بالترحم، و هو أن يشفق على النفس قبل أن تجمح إلى العناد، و له أقسام: إشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع، و إشافق على الخليقة لمعرفة مقاديرها، و إشفاق على الوقت أن يشوبه تفرق و على القلب أن يمازجه عارض [و -[1]] على النفس أن يداخلها سبب - انتهى. ١٥

و لما حكى عنهم سبحانه أنهم أثبتوا لأنفسهم عملا تدريبا لمن أريدت سعادته، فكان بحيث يظن أنهم رأوه هو السبب لما وصلوا إليه، قالوا نافين لهذا الظن، مبينين أن ما هم فيه [إنما هو -[1]] ابتداء تفضل من الله تعالى لأن إشفاقهم[3] منه سبحانه لكيلا يعتمد الإنسان على شىء من عمله

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل: بان (٣) من مد، و فى الأصل: واشفاقه.

فلا يزال معظما لربه خائفا منه : ﴿فمَنّ الله﴾ الذى له جميع الكمال بسبب إشفاقنا منه ﴿علينا﴾ بما يناسب كماله فأمّننا ﴿و وقنا﴾ أى و جنبنا بما سترنا / به[1] ﴿عذاب السموم ۝﴾ أى الحر النافذ فى المسام نفوذ السم. ٧٢ /

و لما ذكروا إشفاقهم، بينوه مؤكدين أيضا لمثل ذلك بقولهم : ﴿انا كنا﴾ أى بما طبعنا عليه و هيئنا له . و لما كان الدعاء بمعنى فعل العبادة، وكانت تقع فى بعض الزمان، أثبت الجار إشارة إلى ذلك مع إسقاطه قبل هذا [2]فى الدعاء[2] بالقوة إشارة إلى أن التحلى بالفضائل يرضى منه باليسر، و التخلى عن الرذائل لابد فيه من البراءة عن كل قليل وكثير فقيل : ﴿من قبل﴾ أى فى الدنيا ﴿ندعوه[1]﴾ أى نسأله و نعبده بالفعل، و أما خوفنا بالقوة فقد كان فى كل حركة و سكنة، ثم علموا دعاءهم إياه مؤكدين لأن إنعامه عليهم مع تقصيرهم مما لايكاد يفعله غيره، [فهو -[3]] مما يعجب منه غاية العجب فقالوا : ﴿ انه هو ﴾ أى وحده ﴿ البر ﴾ الواسع الجود الذى عطاؤه حكمة و منعه رحمة، لأنه لاينقصه إعطاء[4] و لايزيده منع، فهو يبر عبده المؤمن بما يوافق نفسه فربما بره بالنعمة و ربما بره بالبؤس، فهو يختار له من الأحوال ما هو خير له ليوسع له فى العقبى، فعلى المؤمن أن لايتهم ربه فى شىء من قضائه ﴿الرحيم ۝﴾ المكرم لمن أراد من عباده باقامته فيما يرضاه من طاعته،

(١) زيد فى الأصل من، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٢-٢) من مد، و فى الأصل : بالدعاء (٣) زيد من مد (٤) من مد، و فى الأصل : عطاء .

ثم بافضاله عليه و إن قصر في خدمته .

و لما كان هذا مع تشويقه[1] إلى الجنة و الأعمال الموصلة إليها وعظا يرقق القلوب و يجلى الكروب ، سبب عنه قوله : ﴿ فذكر ﴾ أى جدد التذكير بمثل هذا لكل من يرجو خيره و دم على ذلك ، و سماه تذكيرا لأنه مما يعلمه الإنسان إذا أمعن النظر من نفسه أو من الآفاق ، و علل التذكير بقوله : ﴿ فما انت ﴾ أى و أنت اشرف الناس عنصرا و أكملهم [نفسا -[2]] و أزكاهم خلائق هم بها معترفون لك قبل النبوة ﴿ بنعمت ربك ﴾ أى بسبب ما أنعم به[3] عليك المحسن إليك من هذا الناموس الأعظم بعد تأهيلك له بما هيأك به من رجاحة العقل و علو الهمة و كرم الفعال وجود الكف و طهارة الأخلاق و شرف النسب ، و أكد النفى بقوله : ﴿ بكاهن ﴾ ى تقول كلاما - مع كونه سجعا متكلفا - أكثره فارغ و تحكم على المغيبات بما يقع خلاف بعضه . و لما كان للكاهن[4] و المجنون اتصال بالجن ، أتبع ذلك قوله : ﴿ و لا مجنون ﴾ أى تقول كلاما لانظام له مع الإخبار ببعض المغيبات ، فلا يفترك قولهم "هذا عن" التذكير فانه قول باطل لا تلحقك به معرة أصلا ، و عما قليل يكون عيبا لهم لا يغسله عنهم إلا اتباعهم لك ، فمن اتبعك منهم غسل عاره ، و من استمر على عناده استمر تبابه و خساره .

---

(١) من مد ، و فى الأصل : تشويقهم (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : الله (٤) من مد ، و فى الأصل : بالكاهن (٥ - ٥) من مد ، و فى الأصل : عن هذا .

و لما كانت نسبته صلى الله عليه و سلم فيما أتاهم به من هذا القرآن الآمر بالحكمة إلى أنه أتى به عن الجن الذين طبعهم الفساد مما[1] لا ينبغى أن يتخيله[2] أحد فضلا أن يقوله له صلى الله عليه و سلم . و لا يكاد / يصدق أن أحدا يرميه به ، فكان فى ٣طيه سؤال٣ تقريع و توبيخ ، نبه على ذلك بالعطف على ما تقديره : أيقولون هـــذا القول البعيد من اقوال أهل العقول : ﴿ ام يقولون ﴾ ما هو أعجب فى مجرد قوله فضلا عن تكريره . فأم معادلة للاستفهام قبلها لامقطوعة ، و كذا جميع ما بعدها و هو معنى ما نقله البغوى[4] عن الخليل أنه قال : ما فى سورة الطور من ذكر "أم" كله استفهام و ليس بعطف . ﴿ شاعر ﴾ يقول[5] كلاما موزونا بالقصد ، يلزمه التكلف لذلك فيغلب إلزام الوزن قائله حتى يجعل اللفظ[6] هو الأصل و يجعل المعنى تابعا له ، فيأتى كثير من كلامه ناقص المعانى هلهل النسج مغلوبا فيه على أمره معترفا [إذا وقف عليه بتقصيره متعذرا -[7]] بما زانه به زعم من أوزانه ، و ساق سبحانه هذا و كذا ما بعده من الأقسام على طريق الاستفهام مع أن نسبتها إليهم محققة ، تنبيها على أن مثل هذا لا يقوله عاقل ، و إن قاله أحد لم يكد الناقل عنه يصدق :

/٧٣

(١) من مد ، و فى الأصل : بما (٢) من مد ، و فى الأصل : محله (٣-٣) من مد ، و فى الاصل : سواله طى (٤) لم نعثر عليه فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل فى مظانه ، و القول أورده أبو حيان فى البحر ٨ / ١٥١ فقال : و حكى الثعلبى عن الخليل - فتأمل (٥) من مد ، و فى الأصل : يقولون (٦) من مد ، و فى الاصل : الوزن (٧) زيد من مد .

﴿ نتربص ﴾ أى ننتظر ﴿ به ريب المنون ﴾ أى حوادث الدهر من الموت و غيره القاطعة ، من المن و هو القطع .

و لما كان كأنه قيل لهم : إنهم ليقولون ذلك ، قال معلما جوابهم : ﴿قل تربصوا﴾ و لم يعرج على محاججتهم فى قولهم هذا تنبيها على أنه من السقوط بمنزلة لايحتاج معها إلى رد بمجادلة ، ثم سبب عن أمره لهم بالتربص قوله : ﴿ فانى معكم ﴾ و أكده تنبيها على أنه يرجو الفرح بمصيبتهم [كما يرجون الفرح بمصيبته -[1]] و إن كانت كثرتهم و قوتهم عندهم مانعة من مثل هذا التربص ﴿من المتربصين﴾ أى العريقين فى التربص و إن ظننتم خلاف ذلك ، و أشار بالمعية إلى أنه مساو لهم [فى ذلك و إن ظنوا لكثرتهم و قوتهم و وحدته و ضعفه أن الأمر خلاف ذلك ، قال القشيرى -[1]] : جاء فى التفسير أن جميعهم - أى الذين تربصوا به - ماتوا ، قال : و لاينبغى لأحد أن يؤمل نفاق سوقه بموت أحد لتنتهى النوبة إليه فقل من تكون هذه صفته إلا سبقته المنية ، و لا يدرك ما تمناه من الأمنية .

و لما كان قولهم هذا مما لايقال أصلا و إن قيل على بعده كان قوله كأنه على جهة سبق اللسان أو[2] نحو ذلك ، نبه عليه بمعادلة ما تقديره : أقالوا ذلك ذهولا : ﴿أم تامرهم﴾ أى تزين لهم تزيينا يصير مآلهم إليه من الانبعاث كالأمر ﴿احلامهم﴾ اى عقولهم التى يزعمون أنهم اختصوا بجودتها دون الناس بحيث أنه كان يقال فيهم : أولوا الأحلام و النهى

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل « و » .

﴿ بهذآ ﴾ أى و هم يعتقدون صحته و أنه العدل السواء لأنهم متقيدون بالأحلام و النهى على ما فيه من الفساد بالتناقض بعد اختلال كل قول منه على حدته كما[1] تقدم بيانه، و هو توبيخ عظيم بالإشارة إلى أنه ليست لهم عقول أصلا لقولهم هذا، فان الكاهن شرطه أن يكون فى غاية المعرفة عندهم حتى أنهم يجعلونه حكما [و -[2]] ربما عبدوه، و المجنون لايصلح لصالحة لأنه لايعقل، و الشاعر بعيد الأمر بوزن الكلام و كثرته من سجع / الكاهن [3]و غيره[3] و كلام المجنون: ﴿ام هم﴾ بظواهرهم و بواطنهم ﴿قوم﴾ أى ذوو قوة على ما يحاولونه فهم لذلك ﴿طاغون ج﴾ اى مجاوزون للحدود، و ذلك عادة لهم بما أفهمه الوصف، فهم لذلك لايبالون بالعناد الظاهر فى مخالفته لما تأمر به الأحلام و النهى، و لايقوله إلا الطغاة السفهاء مع ظهور الحق لهم، فهم يقولون الكلام المتناقض غير مبالين بأحد و لامستحيين من أن ينسبوا إلى العدوان و المبالغة فى العصيان[4]، و الآية من الاحتباك: ذكر الأحلام أولا دليلا على ضدها ثانيا، و الطغيان ثانيا على ضده "العدل السواء" أولا، و سره أن ما ذكر أشد[5] تنفيرا من السوء و أعظم تقبيحا له و تحذيرا منه ﴿[6]ام يقولون[6]﴾ ما هو أفحش عارا من التناقض: ﴿تقوله ج﴾ أى تكلف قوله من عند نفسه

٧٤ /

(١) من مد، و فى الأصل: بما (٢) زيد من مد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من مد (٤) زيد فى الأصل: امر يقولون، ولم تكن الزيادة فى مد فحذفناها. (٥) من مد، و فى الأصل: اولا (٦ - ٦) و قع فى الأصل قبل «و الآية من الاحتباك» و الترتيب من مد.

كذبا و ليس بشعر و لا كهانة و لا جنون ، و هم على كثرتهم و إلمام بعضهم بالعلم و عراقة آخرين فى الشعر و الخطب و الترسل و السجع يعجزون عن مثله بل عن مثل شيء منه . و لما كان الكلام حقيقة فى النفس ، و كانوا يعلمون بطلان جميع ما يقولونه من ذلك ، كان التقدير : لم يقولوا شيئا من ذلك حقيقة و اعتقادا ﴿ بل لا يؤمنون ج ﴾ أى لا يقرون بالحق ٥ مع علمهم ببطلان قولهم و تناقضه عنادا منهم لا تكذيبا فى الباطن .

و لما كان هذا القول أظهر بطلانا من كل ما قالوه لأن تكذيبهم لهم على تقدير كذبه - على زعمهم - غير موقوف على شيء خارج عن القوة ، طالبهم بالمعارضة لأنهم إذا عارضوه بمثله انفصل النزاع ، و لذلك سبب عما مضى قوله تكذيبا لهم فى قولهم هذا الذى أظهروه بألسنتهم ١٠ يوقفون به غيرهم عن الخير : ﴿ فلياتوا ﴾ أى على أىّ تقدير أرادوه ﴿ بحديث ﴾ أى كلام مفرق مجدد إتيانه مع الأوقات لا تكلفهم أن يأتوا به جملة ﴿ مثله ﴾ أى القرآن فى البلاغة و صحة المعانى و الإخبار بالمغيبات مما كان أو يكون على ما هى عليه و الحكم .

و لما كان المقصود هنا مطلق التعجيز للمكذبين لا بقيد الاجتماع كما ١٥ فى سبحان لأن نزول هذه أوائل ما نزل ، تحداهم بالإتيان بالمثل فى التنجيم و التطبيق على الوقائع سورا أو آيات أو دون ذلك ، تحدث و تتجدد شيئا فى أثر شيء - بما أشار إليه التعبير بالحدوث ، و لذلك أعراه عن تظاهرهم بالاجتماع و دعاء المستطاع ، و لكونهم[1] كاذبين فى جزمهم[2] بنسبته إلى

(١) من مد ، و فى الأصل : لكونكم (٢) من مد ، و فى الأصل : جزمكم .

التقول و غيره ، أشار إلى ذلك بقوله مقرعا لهم إلهابا إلى الخوض فى المعارضة : ﴿ان كانوا﴾ أى كونا هم راسخون فيه ﴿ صٰدقين ﴾ أى فى أنه تقوله من عند نفسه شيئا فشيئا ، [كونا - [1]] هم عريقون فيه كما يزعمون سواء ادعوا أنه شاعر أو كاهن أو مجنون أو غير ذلك ، لأن العادة تحيل أن يأتى واحد من قوم و هو مساو لهم بما لايقدرون [كلهم - [1]] على مثله ، / و العاقل لايجزم بشىء إلا و هو عالم به ، و يلزم[2] من علمهم بذلك قدرتهم على مثل ما يأتى به ، فانه صلى الله عليه و سلم مثلهم فى الفصاحة و البلد و النسب ، و بعضهم يزيد عليه بالكتابة و قول الشعر و مخالطة العلماء ، و مزاولة الخطب و الرسائل و غير ذلك ، فلا يقدر على ما يعجزون عنه إلا بتأييد إلهى ، و هو المراد من تكذيبهم ، و قد علم من هذا و مما تقدم من نحوه مفرقا فى السور التى فيها مثله أن المتحدى به فى كل سورة غير المتحدى به فى الأخرى - و الله الهادى ، و هذه الأقسام الماضية من تكذيبهم تتأتى أن تكون على تقدير الاعتقاد للاله على ما هو عليه من صفات الكمال فأتبعها قسما على تقدير التعطيل ، و إذا لم يكن إله لم يكن رسول فيأتى التكذيب ، ثم أتبع ذلك قسما آخر هو على تقدير إثبات الإله لكن مع الضعف بالشركة ، و لكون[3] الشركة تارة تكون من المتكلم و تارة من غيره ، قدم منها ما للمتكلم على زعمه ، و قدم[4] تقدير شركته بالخلق ثم بضبط الخزائن ثم بالكتابة ثم بسماع

/٧٥

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : يلزمهم (٣) من مد ، و فى الأصل : لكن (٤) من مد ، و فى الأصل : قد تقدم .

الأسرار ثم بضعف السعة بالرضا بالصنف الأردأ .

و لما مضت فضيحتهم بالتحدى ، وكانت عندهم فضيحة التناقض دون فضيحة المعارضة ، فكانوا يقدمونها عليها ، فلم يحدث أحد منهم يوما من الأيام بشيء مما يعارضه به علما منهم بأنهم يصيرون بذلك إلى خزى لايمكن أن يغسل عاره كما صار مسيلمة ، لأنهم [كانوا -[1]] أعقل العرب ٥ وكان التقدير كما هدى إليه السياق : فانك مستو معهم بالنسبة إلى إيجاد الله لكم، هو سبحانه خالقهم كما أنه خالقك، و لاخصوصية لك منه على زعمهم : أهو خالقهم كما هو خالقك فيلزمهم أن يأتوا بمثل ما تأتى به ، وكان ذلك على تقدير إقرارهم بالله و ادعائهم لكذبه صلى الله عليه و سلم ، عادله سبحانه تبكيتا لهم و إظهارا لفضائح هى أشنع مما فروا[2] ١٠ منه من المعارضة بقوله على تقدير أن يكونوا منكرين للاله أو مدعين لأن يكونوا آلهة[3] : ﴿ ام خلقوا ﴾ أى وقع خلقهم على هذه الكيفية المتقنة ﴿من غير شيء﴾ فيكونوا مخالفين لصريح العقل إذ تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم كتعلقه بالمخلوق ليسلم لهم أنك تأتى بما لايقدرون على معارضته لأنك أقوى منهم بكونك مستندا إلى خالق و هم ليسوا مستندين ١٥ إلى شيء أو ليكونوا لذلك أقوى منك و أعلى ، فيكون لهم التكبر عليك ﴿ ام هم الخلقون ﴾ أى الذين لهم هذا الوصف فيكونون قد خلقوا أنفسهم ليكونوا بذلك شركاء فيكون[4] الخالق و المخلوق واحدا ،

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : قرارا (٣) زيد فى الأصل : فقالوا ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٤) من مد ، و فى الأصل : فيكونوا .

و هو مثل القسم الذى قبله فى عدم الاستناد إلى شىء أو يكون ثبوت هذا الوصف لهم موجبا لأن يكونوا على ثقة مما يقولون و للتكبر[1] عليك ، فإن ادعوا ذلك حكم أدنى الخلق بجنونهم : ﴿ ام خلقوا ﴾ أى [على ـ[2]] وجه الشركة ﴿ السمٰوٰت و الارض ﴾ فهم / لذلك عالمون ٧٦ / بما فيها على وجه الإحاطة و اليقين حتى علموا أنك تقولته ليصير لهم رده و التهكم عليه ؛

و لما كان التقدير: لم يكن شىء من ذلك ليكون لهم شبهة فى الكلام فيك ، عطف عليه قوله : ﴿ بل لايوقنون ﴾ أى ليس لهم نوع يقين ليسكنوا إلى شىء[3] واحد لكونه الحق أو ليعلموا أن هذه الملازم الفاضحة تلزمهم فيكفوا عن أمثالها ﴿ ام عندهم ﴾ أى خاصة دون غيرهم ﴿ خزآئن ﴾ و لما كان ذكر الرحمة لايقتضيه مقصود السورة الذى هو العذاب ، لم تذكر كما فى ص و سبحان فقيل[4] : ﴿ ربك ﴾ المحسن إليك بارسالك بهذا الحديث فيعلموا أن هذا الذى أثبت به ليس من قوله لأنه لاتصرف له فى الخزائن إلا بهم ، فيصح قولهم: إنك تقولته و حينئذ يلزمهم فضائح لا آخرلها ، منها أن يأتوا بحديث مثله بل أحسن منه من تلك الخزائن ﴿ ام هم ﴾ لا غيرهم ﴿ المسيطرون ﴾ أى الرقباء الحافظون و الجبارون و المسلطون الرؤساء الحكماء الكتبة ، ليكونوا ضابطين للأشياء كلها كما هو شأن كتّاب السر عند الملوك فيعلموا أنك تقولت هذا

(١) من مد ، و فى الأصل : لتنكر (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : قول (٤) زيد فى الأصل : رحمة ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

الذكر لأنهم لم يكتبوا به إليك ﴿ ام لهم سلّم ﴾ يصعدون به [إلى -[1]] السماء ﴿ يستمعون ﴾ أى يتعمدون السمع لكل ما يكون فيها و منها ﴿ فيه ج ﴾ أى فى ذلك السلم و بسببه كما يكون بعض من يحضر مجالس الملوك فى الدنيا [و يعلم ما -[1]] يقع فيها ليكونوا ضابطين[2] لما يأتى من الملك فيعلموا أن ما قالوه فيك حق . و لما كان من يكون هكذا متمكنا من الإتيان منها بالعجائب ، سبب عنه قوله : ﴿ فليات مستمعهم ﴾ إن ادعوا ذلك ﴿ بسلطن مبين ۚ ﴾ أى حجة قاهرة بينة فى نفسها ، موضحة لأنها من السماء على صحة ما يرمونك به .

و لما كان ما مضى على تقدير وجود الإله مع الشركة ، وكان ادعاؤهم الولد[3] عظيما جدا لدلالته على حاجته و ضعفه ، و كان جعله بنات أعظم لأنه دال مع ضعفه على سفهه ، دل على استعظامه بالالتفات إلى خطابهم بعذابهم فقال : ﴿ ام له البنت ﴾ [أى -[1]] كما ادعيتم ﴿ و لكم ﴾ أى خاصة ﴿ البنون ۚ ﴾ لتكونوا أقوى منه فتكذبوا رسوله محمدا صلى الله عليه و سلم و تردوا قوله من غير حجة فتكونوا آمنين من عذاب يأتيكم منه لضعفه و قوتكم . و هذه[4] الأقسام كلها على تقدير التكذيب ، و هى هنا بذكر ما على تقدير التصديق ، و إنما وقع الرد فيها لعارض عرض .

و لما كان المكذب بشىء قد يكون معترفا بأنه من عند إلهه ، و أن

(١) زيد من مد (٢) زيد فى الأصل : للاشياء كلها ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣) فى الأصل بياض ملأناه من مد (٤) من مد ، وفى الأصل : هذا .

إلهه متصف بجميع [1]صفات الكمال[1] فلا شريك له، و إنما تكذيبه لقادح لايقدر عليه، وكرب رمى بجميع[2] أنكاده إليه، أعرض عنهم التفاتا إلى الأسلوب الأول فقال مخاطبا له صلى الله عليه و سلم تنويها بذكره و رفعا لعظيم قدره و تسلية لما يعلم من نفسه الشريفة البراءة منه :/ ﴿ام تسئلهم﴾ أى / ٧٧
٥ أيها الطاهر الشيم البعيد عن مواضع[3] التهم ﴿اجرا﴾ على إبلاغ ما أتيتهم به ﴿فهم من مغرم﴾ و لوقل، و المغرم : التزام[4] ما لا يجب ﴿مثقلون[5]﴾ أى حمل عليهم حامل بذلك ثقلا فهم لذلك يكذبون من كان سببا فى هذا الثقل بغير مستند ليستر يحوا مما جره لهم من الثقل .

و لما كان من يدعى الانفراد بشىء يحسد من يدعى مشاركته فيه
١٠ قال : ﴿ام عندهم﴾ اى خاصة بهم ﴿الغيب﴾ أى علمه ﴿فهم يكتبون[5]﴾ أى يجددون للناس [كتابة - ٥] جميع ما غاب عنهم مما ينفعهم و يضرهم حتى يحسدونك[6] فيما شاركتهم به منه . فيردوه لذلك . و ينسبوك إلى ما نسبوك إليه مما يعلم كل أحد ترافعك عنه و بعدك منه ﴿ام يريدون﴾ بهذا القول الذى رمونك به ﴿كيدا[7]﴾ [7]أى مكرا[7] أو ضررا عظيما
١٥ يطفؤن به نور الله بزعمهم مع علمهم بأنك صادق فيه، [فهم - ٥] بسبب إرادتهم ذلك - هكذا كان الأصل، و لكنه قال تعميما و تعليقا للحكم بالوصف : ﴿ فالذين كفروا ﴾ أى ستروا الأدلة تارة عنادا و تارة

(١ - ١) من مد، و فى الأصل : انواع الكلام (٢) من مد، و فى الأصل : بعظيم (٣) فى مد : مواقع (٤) من مد، و فى الأصل : الزام (٥) زيد من مد . (٦) من مد، و فى الأصل : يحسدون (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من مد .

بالإعراض

بالإعراض عن تأملها ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ المكيدون ٥ ﴾ أى يختص وبال الكيد بلزومه لهم و قطعه لدابرهم لأن من كان الإله عليه كان خاسرا ، و أقرب مآ لهم من الكيد الظاهر فى بدر عن انتهاء سنين عدتها عدة ما هنا من " أم " و هى خمسة عشر مرة لأن بدرا كانت فى الثانية من الهجرة ، و هى الخامسة عشرة من النبوة ، فقد سبب الله فيها من الأسباب ٥ ما أوجب سعيهم[1] إلى هلاكهم بأمور خارقة للعادة ، فلو كانت لهم بصائر لكفتهم فى الهداية، و الرد عن الضلالة و الغواية .

و لما كان التقدير : أكذلك الأمر عادله بقوله : ﴿ أم لهم اله ﴾ يمنعهم من التصديق بكتابنا ، أو يستندون إليه للأمان من عذابنا ﴿ غير الله[2] ﴾ الذى أحاط بجميع صفات الكمال ، فلا يمكن بوجه من الوجوه و لا على ١٠ تقدير من التقادير أن يكون معه إله ، و لذلك وصل بـه قوله : ﴿ سبحن الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى تعالى أن يدانى جنابه شائبة نقص ﴿ عما يشركون ٥ ﴾ من الأصنام و غيرها ، و أخر سبحانه هذا القسم و هو من الشركة لكن بالغير لأنه آت على تقدير التصديق للرسول صلى الله عليه و سلم و لأنه دينهم الذى أوقفهم عن الهدى ، فأوقعهم فى ١٥ الردى ، ليختم بنفسه و التنزيه عن الاقسام فيحصل به غاية القصد و المرام ، و الحاصل أنه قسم به سبحانه حالهم فى ردهم القرآن إلى التكذيب و غيره ، و لما كان التكذيب - و هو النسبة إلى الكذب و هو عدم المطابقة للواقع - إما فى الإرسال ، و إما فى المعانى ، [و -[3]] ما وقع به الإرسال

(١) من مد ، و فى الأصل : سببهم (٢) زيد من مد .

إما لنقص فى الرسول [1]و إما[1] النقص فى المرسل ، و الذى فى الرسول
إما أن يكون لأمر خارج عنه او لأمر داخل فيه . و لما كان الخارج
قد يكون معه نقص / دخل بذاته ، و لما كان ذلك قد يكون فيه ما يمدح ٧٨ /
به و لو من وجه ، و هو الكهانة بدأ بها ، و اتبعه الداخل لذلك بأدنا
٥ بما قد يمدح به و هو الشعر . و لما كان القول بجمع الكهانة و[2] الشعر
و الجنون[2] فى شخص واحد على غاية من ظهور التناقض لايخفى ، اتبعها
الرمى بالتهكم على عقولهم . و لما كان الكذب فى الرمى بالتقول قد يخفى ،
أتبعه دليله بالعجز عن المعارضة . و لما قسم ما رموا به الرسول ، أتبعهم
ما ألزمهم به فى المرسل ، و لما كان ذلك إما أن يكون بالتعطيل أو لا ،
١٠ و كان التعطيل أشد ، بدأ به و هو الخلق من غير شىء ، و لما كان النقص
مع الإقرار بالوجود إما أن يكون بالشركة أولا ، و كان ما بالشركة إما
أن يكون المكذب هو المشارك أولا ، و كانت شركة المكذب [أقعد
فى التكذيب بدأ بها ، و لما كانت شركة المكذب -[1]] إما أن تكون
فى الخلق أو لا ، و كان الأول إما أن يكون بخلق النفس أو[4] الغير ،
١٥ و كانت الشركة بخلق النفس ألصق ، بدأ بها فى قوله : " أم هم الخالقون "
و لما كانت الشركة بغير الخلق إما أن يكون بضبط الحواس أو لا ،
و كان الثانى إما أن يكون بضبط الكتابة فيها و إليه الإشارة بالمسيطر ،
أو بضبط ما يؤمر به فيها و إليه الإشارة بالسلم أو بسفه صاحب الخزائن
لرضاه بالبنات ، و كان كل قسم أشد مما بعده رتبه[5] هكذا . و لما انتهى ما يرجع

(١ - ١) فى مد : او (٢ - ٢) فى مد : الجنون و الشعر (٣) زيد من مد .
(٤) من مد ، و فى الأصل « و » (٥) فى مد : رتبها .

إلى التكذيب، اتبعه الرد لا للتكذيب بل لأمر آخر. و لما كان ذلك الأمر إما من الآتى أو من المأتى إليه [أو من غيرهما، و كان ما من الآتى ألصق بدأ به و هو المغرم، و لما كان ما من المأتى إليه -[1]] إما لحسد أو غيره، و كان أمر الحسد أشد، بدا به و هو المشاركة فى الأنباء بما يكون به الفخر و الرئاسة و هو علم الغيب -[1]] الناظر بوجه للكهانة ٥ المبدوء بها فى قسم التكذيب، و أخر ما من الغير[2] و هو الشريك المانع لهم من القبول، و خلطه بهذا القسم مع كونه قسيما لما فرض فيه المكذب مشاركا لخلوه عما قارن تلك الأقسام من التكذيب، هذا تمام القول فى إبطال ما لزمهم فيما تقولوه فى أمر القرآن، و قد تضمن ما ترى من تأصيله و تقسيمه و تفصيله من بيان مقدورات الله و عجائب ١٠ مصنوعاته ما ألزمهم حتما التوحيد الملزم بتصديق الرسالة و الإذعان للحق مع ما له من الإعجاز فى ترتيبه و نظمه و تهذيبه و تسهيله و تقريبه مجلوا أسلوبه العظيم بألفاظ هى الدر النظيم، و معان علت عن لاحق بغريزة أو تعليم، يكاد لها أثبت القلوب يهيم فيطير، و أبلغ البلغاء فى افنان روحها يتدله و يحير، فكان ذلك كما قال جبير بن مطعم رضى الله عنه ١٥ كما روى البخارى و مسلم و أبو داود و النسائى و ابن ماجه رضى الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قرأ فى المغرب بالطور، و قال البخارى فى التفسير: فلما بلغ هذه الآية "ام خلقوا من غير شىء ام هم الخالقون" [ام خلقوا السمٰوٰت و الارض بل لايوقنون أم عندهم خزائن ربك

(١) زيد من مد (٢) من مد، و فى الأصل: الغيب.

أم هم المسيطرون" كاد قلبي يطير ، و قال ابن ماجه : فلما سمعته يقرأ "ام من غير شيء أم هم الخالقون"-[1]] إلى قوله : "فليات مستمعهم بسلطن مبين" كاد قلبي يطير . و سبق فى أول السورة ما ذكره البغوى من هذا الحديث .

٧٩/ ٥ و لما كان التقدير تسكينا / لقلب من يريد إجابتهم إلى الآيات المقترحات طمعا فى إيمانهم : فلقد تلونا عليهم فى هذه السورة و غيرها من الآيات ، و خلونا من المعجزات البينات ، و أتينا من تناقضهم فى هذه التقسيمات ، بما يهد الجبال الشامخات ، و بينا من فضائحهم[2] بحسن سوقها و حلاوة ذوقها ، و صحة معانيها و إحكام مبانيها ، ما يزلزل الراسيات ، و يحل ١٠ العزمات ، و يفرج الأزمات ، و يصد ذوى المروات عن أمثال هذه النقائص الفاضحات ، بما لها من الأدلة الواضحات ، و لكنهم لما ألزمناهم به من العكس لا يؤمنون ، و كيدناهم بما[3] أعمينا من بصائرهم فهم لا يعلمون أنهم المكيدون ، عطف عليه قوله : ﴿و ان يروا﴾ أى معاينة ﴿كسفا﴾ قطعة ، و قيل : قطعا واحدتها كسفة مثل سدرة و سدر ﴿من السمآء﴾ نهارا ١٥ جهارا ﴿ساقطا يقولوا﴾ لددا و تجلدا فى البغى إصرارا ، و تعلقهم بما امكنهم من الشبه تخييلا على العقول و إيقافا لذوى الآراء و الفهوم دأب الأصيل فى نصر الباطل و مكابرة الحق لما لهم من العراقة فى عمى القلوب بما لنا من القدرة على صرفهم عن وجوه الأمر : هذا ﴿سحاب﴾ فان قيل

(١) زيد من مد (٢) من مد ، و فى الأصل : قضائهم (٣) زيد فى الأصل : اعيناهم و ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها .

لهم

لهم: هو مخالف للسحاب بصلابته، قالوا: ﴿مركوم﴾ أى تراكم بعضه على بعض فتصلب، و لذلك سبب عن هذا الحال الدال على أنهم وصلوا فى عمى البصائر إلى أنه لو جاءتهم كل آيـــة لا يؤمنون، قوله لنبيه صلى الله عليه و سلم و من تبعه: ﴿فذرهم﴾ أى اتركهم على شر أحوالهم ﴿حتى يلقوا﴾[1] سعيا [بسوء أعمالهم -[2]] ﴿يومهم﴾ كما [3]أنه هو[3] يسعى ٥ إليهم لاستحقاقهم لما فيه ﴿ الذى فيه ﴾ لا [فى -[2]] غيره لأن ما حكمنا [به -[2]] لا يتقدم و لا يتأخر ﴿يصعقون﴾[4] بالموت من شدة الأهوال وعظيم الزلزال كما صعق بنو إسرائيل فى الطور، و لكنا لا نقيمهم كما أقمنا أولئك إلا عند النفخ فى الصور لنحشرهم إلى الحساب الذى يكذبون به، و الظاهر أن هذا اليوم يوم بدر فانهم كانوا قاطعين بالنصرة فيه فما أغنى أحد ١٠ منهم عن أحد شيئا كما قال أبو سفيان بن الحارث: ما هو إلا أن لقيناهم فمنحناهم أكـــتافنا يقتلوننا[4] كـــيف شاؤا و يأسروننا كيف شاؤا. ﴿يوم لا يغنى﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿عنهم كيدهم﴾ الذى يرمونه بهذه الأقوال المتناقضة ﴿ شيئا ﴾ أى من الإغناء فى دفع شىء يكرهونه من الموت و لا غيره كما يظنون أنه يغنى عنهم فى غير ذلك من أحوال ١٥ هذه الدار بتثبيط الناس عن اتباع القرآن بما يصفونه به من البهتان ﴿ولا هم ينصرون﴾ أى لا يتجدد لهم نصر من أحد ما فى ساعة ما.

و لما أفهم هذا الكلام السابق أن التقدير: فان لكل ظالم فى ذلك

---

(١) من مد، و فى الأصل: لاقوا (٢) زيد من مد (٣ - ٣) من مد، و فى الأصل: انهم (٤) من مد، و فى الأصل: فيقتلوننا.

اليوم عذابا لايحيط به الوصف ، فان الإصعاق من أشد ما يكون من العذاب ، عطف عليه قوله مؤكدا لما لهم من الإنكار أن ينصر عليهم المؤمنون و هم من الكثرة و القوة / بحيث لامطمع فيهم لأحد لاسيما لمن هم مثل فى الضعف و القلة ﴿و ان﴾ وكان الأصل : لهم ، و لكنه أظهر تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال : ﴿للذين ظلموا﴾ أى أوقعوا الأشياء فى غير مواقعها كما يقولونه فى القرآن و يفعلونه من العصيان و يعتقدون من الشرك و البهتان ﴿عذابا دون ذلك﴾ أى غير عذاب ذلك اليوم الصعب المرير ، أو أدنى رتبة منه ، إن كان المراد بالصعق ما يكون بعد البعث فبعذاب البزرخ فى القبور ، و إن كان المراد به الموت فبما يلقونه فى الدنيا من عذابى بواسطتكم مثل تحيزكم إلى الأنصار فى دار الهجرة و معدن النصرة و صيرورتكم فى القوة بحيث تناصبوبهم[1] الحرب ، و تعاطونهم الطعن و الضرب ، فتكونوا بعد أن كنتم [طوع -[2]] أيديهم قذى فى أعينهم و شجا فى حلوقهم و دحضا لأقدامهم و نقضا لإرامهم ، و مثل القحط الذى حصل لهم و السرايا التى لقيتموها[3] فيها مثل سرية حمزة أسد الله و أسد رسوله ، و عبيدة بن الحارث و عبيد الله ابن جحش التى كانت مقدمة لغزوة بدر .

/٨٠

و لما كان بعضهم يبصر هذا مثل عتبة بن ربيعة و الوليد بن مغيرة و النضر بن الحارث و يقولون : و الله ما هو شاعر و لا كاهن و لا ساحر و لا مجنون ، و ليكونن لقوله الذى يقول نبأ ، قال : ﴿و لكن اكثرهم﴾

(١) من مد ، و فى الأصل : تناصبوا منهم (٢) زيد من مد (٣) من مد ، و فى الأصل : لقيتموه .

بسبب ما يرون من كثرتهم و حسن حالهم فى الدنيا وقوتهم ﴿ لا يعلمون ﴾ أى يتجدد لهم علم بتقويتكم عليهم لأنهم[1] لا علم لهم أصلا حتى يروا ذلك معاينة .

و لما كان العلم المحيط من الملك القاهر أعظم مسل للولى و أكبر مخيف للعدو ، قال عاطفا على " فذرهم " أو على ما تقديره : فكن أنت من العلماء بذلك ليكون فيه لك أعظم تسلية : ﴿ و اصبر ﴾ أى أوجد هذه الحقيقة لتصبر على ما أنت فيه من أداء الرسالة و ما لها من الكلف من أذى الناس و غيره و لكونه فى مقام الإعراض[2] عن الكفار و كون إعراضه عنهم أصعب عليه من مقاساة إنذاره و إن نشأ عنها تكذيبهم و استهزاؤهم ، اشتدت العناية هنا بالصبر فقدم ، و أيضا فان الإعراض عنهم مقتض لعدهم فانين ، و ذلك هو مقام الجمع ، و الجمع لا يصلح إلا بالفرق ، فلذلك قدم الأمر بالصبر ، و ذكر الحكم إشارة إلى أنه متمكن فى مقام الفرق كما انه عريق فى مقام الجمع بخلاف المدثر ، فان سياقها للانذار الناشىء عنه غاية الأذى فاشتدت العناية هناك[3] بتقديم ذكر الإله نظرا إلى الفناء عن الفانين و إن كان مباشرا لدعائهم ، و عبر بما يذكر بحسن التربية زيادة فى التعزية فاقتضى هذا السياق أن رغبه سبحانه بقوله : ﴿ لحكم ربك ﴾ أى المحسن إليك فانه هو المريد لذلك و لو لم يرده لم يكن شىء منه ، فهو إحسان [منه -[4]] إليك و تدريب لك و ترقية فى معارج

(١) فى مد : لأنه (٢) زيد فى الاصل : عن الناس ، و لم تكن الزيادة فى مد فحذفناها (٣) من مد ، و فى الأصل : هنا (٤) زيد من مد .

/٨١ الحكم ، و سبب عن ذلك قوله لما يغلب على الطبع البشرى / فى بعض أوقات الامتحان من نوع نسيان : ﴿فانك باعيننا﴾ جمع لما اقتضته نون العظمة[1] التى هذا سياقها ، و هى ظاهرة فى الجمع و إشارة إلى أنه محفوف بالجنود الذين رؤيتهم من رؤيته سبحانه فهو مكلوء مرعى به بجنوده و فاعل فى حفظه فعل من له أعين محيطة بمحفوظه من كل جهة من جهاته .

و لما كانت الطاعة أعظم ناصر و أكبر معز ، و كانت الصلاة أعظمها قال : ﴿و سبح﴾ أى أوقع التنزيه عن شائبة كل نقص بالقلب و اللسان و الأركان ، متلبسا ﴿بحمد ربك﴾ أى المحسن إليك ، فأثبت له[2] كل كمال مع تنزيهه له عن كل نقص ، فلا يكون فى ملكه ما لا يريد و لا يريد إلا [ما - [3]] هو حكمه بالغة ﴿حين تقوم﴾ أى من الليل فى جميع الأوقات التى هى مظنة القيام على الأمور الدنيوية و الأشغال النفسانية ، و هى أوقات النهار الذى [هو - [3]] للانتشار بصلاة الصبح و الظهر و العصر ، و تحتمل العبارة التسبيح عند كل قيام بكفارة المجلس و هو[4] «سبحانك اللهم و بحمدك اشهد أن لا إله انت أستغفرك و اتوب ليك» فانها تكفر ما كان فى المجلس - كما رواه أبو داود و الترمذى و قال : حسن صحيح غريب و النسائى و ابن حبان فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم ﴿و من الليل﴾ الذى هو محل السكون و الراحة ﴿فسبحه﴾ كذلك بالنية و القول كلما انتبهت و بالفعل بصلاة

(١) من مد ، و فى الأصل : عظمتنا (٢) من مد ، و فى الأصل : لك (٣) زيد من مد (٤) فى مد : هى .

المغرب و العشاء و صلاة الليل ، و لتعظيمه صرح بذلك و قدمه على الفعل ، و الضمير يعود على المضاف إليه ، و أشار إلى التهجد بعد دخوله فيما قبله بقوله : ﴿ و ادبار النجوم ﴾ أى و سبحه فى وقت إدبارها أى إذا أدبرت ، و ذلك من آخر الليل فى نصفه الثانى ، و كلما قارب الفجر كان أعلى و بالإجابة[1] أولى ، و إلى قرب الفجر تشير قراءة الفتح[2] جمع دابر أى فى أعقابها عند خفائها أو افولها ، و ذلك بصلاة الفجر سنة و فرضا أحق و أولى لأنه وقت إدبارها حقيقة ، فصارت [عبادة] الصبح محثوثا[3] عليها مرتين تشريفا لها و تعظيما لقدرها[4] فان ذلك ينجى من العذاب الواقع ، و ينصر على[5] العدو الدارع ، من المجاهر المدافع ، و المنافق المخادع ، و قد رجع آخرها على أولها ، و مقطعها على موصلها ، بحلول العذاب على الظالم ، و بعده عن[6] الطائع السالم - [و الله الموفق -[7]]

(١) من مد ، و فى الأصل : بالاحاطة (٢) راجع نثر المرجان ٧/٧٩ (٣) من مد ، و فى الأصل : محبونا (٤) من مد ، و فى الأصل : بقدرتها (٥) من مد ، و فى الأصل : من (٦) من مد ، و فى الأصل : على (٧) زيد من مد ، و زيد بعده فيه « تم الجزء المبارك على يد أقل عبيده و أحوجهم إليه الفقير سالم السنهورى المالكى بعيد الثمين من يوم الأربعاء سابع عشرى محرم سنة ٩٧١ » و أدناه بيتان :

تم الكتاب تكاملت نعم السرور لصاحبه
و عفا الإله بفضله عن قارئيه و كاتبه

و من هنا أفل نجم نسخة مد لا للشروق مرة أخرى .

سورة النجم[1]

مقصودها ذم الهوى لإنتاجه الضلال و العمى بالإخلاد إلى الدنيا التى هى دار الكدور و البلاء، و التصرم و الفناء، و مدح العلم لإثماره الهدى فى الإقبال على الأخرى لأنها دار البقاء فى السعادة أو الشقاء، و الحث على اتباع النبي صلى الله عليه و سلم فى نذارته التى بينتها سورة ق و صدقتها[2] / الذاريات و أوقعتها ؛ عينتها الطور كما تتبع فى بشارته لأن علمه هو العلم /٨٢ لأنه لا ينطق عن الهوى لا فى صريح الكناية و لا فى بيانه له لأن الكل عن الله الذى له صفات الكمال فلا [بد] من بعث الخلق إليه و حشرهم لديه لتظهر حكمته غاية الظهور فيرفع أهل التزكى و الظهور، و يضع أهل الفجور، و يفضح كل متحل بالزور، متجل للشرور، و على ذلك دل اسمها النجم عن تأمل القسم و الجواب و ما نظم به من نجوم الكتاب ﴿ بسم الله ﴾ الذى أحاط بصفات الكمال فلا يكون رسوله إلا من ذى الكمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم الموجودات بصفة الجمال ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أهل وده بالإنقاذ من الضلال و الهداية إلى ما يرضى من الخلال و صالح الأعمال .

و لما ختمت الطور بأمره صلى الله عليه و سلم بالتسبيح و التحميد، و كان أمره تكوينا لا تكليفا، فكان فاعلا لا محالة، و ذاك بعد تقسيمهم القول فى النبى صلى الله عليه و سلم بأنه كاهن و ساحر و مجنون، و كان

(١) الثالثة و الخمسون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها ٦٢ عند الكوفيين و ٦١ عند غيرهم - كما فى نثر المرجان ٧ / ٧٩ ! ٢) فى الأصل : صدقها .

لذلك تعلق بالشياطين، وكانت الشياطين مباينة للقرآن بختلها و بمنعها بالرجوم من النجوم كما بين آخر الشعراء، افتتحت هذه بالحث على الاهتداء بهديه و الاستدلال بدله و اتباع أثره، و لما كان من ذلك تسبيحه بالحمد فى إدبار النجوم أقسم أول هذه بالنجم على وجه أعم مما فى آخر تلك فعبر بعبارة تفهم عروجه و صعوده لأنه لايغيب فى الأفق الغربى واحد من ٥ السيارة إلاوطلع من الأفق الشرقى فى نظير له منها لما يكون عند ذلك من تلك العبارة العالية، و الأذكار الزاكية، مع ما فيه من عجيب الصنع الدال على وحدانية مبدعه من زينة السماء التى فيها ما توعدون و الحراسة من المردة حفظا لنجوم الكتاب و الاهتداء به فى الدين و الدنيا، و غير ذلك من الحكم التى يعرفها الحكماء، فقال تعالى: ﴿ و النجم ﴾ أى هذا ١٠ الجنس من نجوم السماء أو القرآن لنزوله منجما مفرقا و هم يسمون[1] التفريق تنجيما - أو النبات، قال البغوى[2]: سمى النجم[3] نجما لطلوعه و كل طالع نجم. ﴿ اذا هوى ﴾ أى نزل للأفول أو لرجم الشياطين عند الاستراق كما رواه عكرمة عن ابن عباس[4] رضى الله عنهما إن كان المراد السمائى، فكانت عنده العبادة و الاستغفار و الدعاء للملك الجبار بالأسحار، أو صعد ١٥ فكان به اهتداء المصلى و القارئ و السارى، فانه يقال: هوى هويا - بالفتح إذا سقط، و بالضم - إذا علا و صعد، أو نزل به الملك للاصعاد و للابعاد إن كان المراد القرآنى لما يحصل من البركات فى الدين و الدنيا و الشرح

(١) فى الأصل: يسمعون (٢) فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٢١٢.
(٣) فى المعالم: الكوكب (٤) راجع المعالم.

للصدور، و الاطلاع على عجائب المقدور، أو إذا سقط منبسطا على الأرض أو ارتفع عنها إن كان المراد النبات، لما فيه من غريب الصنعة و جليل التقدير الدال على عام القدرة و كمال العلم و التوحد بالملك و الغنى المطلق .

٨٣ / و لما أقسم / بهذا القسم الجليل، أجابه بقوله معبرا بالماضى نفيا لما كانوا رموه به و ليسهل ما قبل النبوة فيكون ما بعدها بطريق الأولى: ﴿ ما ضل ﴾ أى عدل عن سواء المحجة الموصلة إلى غاية المقصود أى إنه ما عمل عمل الضالين يوما من الأيام فتى تقول القرآن عنده و لاعلم فيه عمل المجانين و لا غيرهم ما رموه به و أما «وجدك ضالا» فالمراد غير عالم، و عبر بالصحبة مع كونها أدل على القصد مرغبة لهم فيها و مقبلة بهم إليه و مقبحة عليهم اتهامه فى إنذاره و هم يعرفون طيب أعرافه و طهارة شمائله و أخلاقه فقال: ﴿ صاحبكم ﴾ أى فى إنذاره لكم فى القيامة فلا وجه لكم فى اتهامه .

و لما كان الهدى قد يصحبه ميل لايقرب الموصول إلى القصد و إن حصل به نوع خلل فى القرب أو نحوه فقد يكون القصد مع غير صالح قال: ﴿ و ما غوى ﴾ و ما مال أدنى ميل و لا كان مقصوده مما يسوء فانه محروس من أسبابه التى هى غواية الشياطين و غيرها، و قد دفع سبحانه عن نبينا صلى الله عليه و سلم، و أما بقية الأنبياء فدفعوا عن أنفسهم «ليس بى ضلالة»، «ليس بى سفاهة»، و نحو ذلك ـ قاله القشيرى .

و لما كان قد يكون مع الهوى مصادقة [قال -[1]]: ﴿ و ما ينطق ﴾

(١) زيد ولا بد منه .

اى

أى يجاوز نطقه فمه فى وقت من الأوقات لا فى الحال و لا فى الاستقبال، نطقا ناشئا ﴿عن الهوى ۝﴾ أى من أمره كالكهان الذين يغلب كذبهم صدقهم و الشعراء و غيرهم، و ما تقول هذا القرآن من عند نفسه . و لما أكد سبحانه فى نفسه ذلك عند التأكيد تنزيها له عما نسب إليه، فكان ذلك مظنة السؤال عن أصل ما تقوله، أجاب بالحصر و الآية أصرح و أدفع لإنكارهم البالغ فقال: ﴿ان﴾ أى ما ﴿هو﴾ أى الذى يتكلم به من القرآن و بيانه، و كل أقواله و أفعاله و أحواله بيانه ﴿الا وحى﴾ أى من الله تعالى، و أكده بقوله: ﴿يوحى ۝﴾ أى يجدد إليه إيحاؤه منا وقتا بعد وقت، و يجوز أن يجتهد صلى الله عليه و سلم، فاذا استقر اجتهاده على شىء أوحى إليه أنك قد أصبت الحق، مع أنه سبحانه قد أذن له فى الاجتهاد بالوحى مع أن من يرد ما يجتهد فيه إلى ما أوحى إليه برئ من الهوى .

و قال أبو جعفر ابن الزبير فى برهانه: لما قطع سبحانه تعليقهم بقولهم: ساحر و شاعر و مجنون - إلى ما هو به مما علموا أنه لا يقوم على ساق، و لكن شأن المنقطع المبهوت أن يستريح إلى ما أمكنه و إن لم يغن عنه، أعقب الله سبحانه بقسمه على تنزيه نبيه و صفيه من خلقه عما تقوله و توهمه الضعفاء فقال تعالى: "والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم و ما غوى" ثم أتبع سبحانه هذا القسم ببسط الحال فى تقريبه عليه السلام و إدنائه و تلقيه لما يتلقاه من ربه و عظيم /منزلته لديه، و فى إبداء ذلك يحركهم عز وجل و يذكرهم و يوبخهم على سوء نكاياتهم بلطف و استدعاء كريم /٨٤

منعم فقال تعالى " افرأيتم اللات و العزى " و التحمت الآى على هذه الأغراض إلى الإعلام بانفراده سبحانه بالإيجاد و القهر و الإعزاز و الانتقام ، لايشاركه فى شيء من ذلك غيره فقال " و ان الى ربك المنتهى و انه هو اضحك و ابكى " . و لما بين ذلك فقال " فباى آلاء ربك تتمارى" اى فى أىّ نعمة تشكون أم بأى آية تكذبون ؟ ثم قال " هذا نذير من النذر الاولى " و إذا كان عليه الصلاة و السلام .... فشأن مكذبيه شأن مكذبى غيره ـ انتهى .

و لما كان الوحى ظاهرا فيما بواسطة الملك ، تشوف[1] السامع إلى بيان ذلك فقال مبينا له بأوصافه لأن ذلك أضخم فى حقه و أعلى لمقداره : ﴿ علمه ﴾ أى صاحبكم الوحى الذى أتاكم به ﴿ شديد القوى ﴾ أفلا تعجبون من هذه البحار الزاخرة التى فأقكم بها و هو أمى فان معلمه بهذه الصفة التى هو بها بحيث ينفذ كل ما أمره الله به ﴿ ذو مرة ﴾ أى جزم فى قوة و قدرة عظيمة على الذهاب فيما أمر به و الطاقة لحمله فى غير آية النشاط و الحدة كأنه ذو مزاج غلبت عليه الحدة فهو صعب المراس ماض فى مراوته على طريقة واحدة على غاية من الشدة لاتوصف لا التفات له بوجه إلى غير ما أمر به ، فهو على غاية الخلوص فهو مجتمع القوى مستحكم الشأن شديد الشكيمة ، لابيان فى شيء بزواله و من جملة ما أعطى من القوه و القدرة على التشكل ، و إلى ذلك كله أشار بما سبب عن هذا من قوله : ﴿ فاستوى ﴾ فاستقام و اعتدل بغاية ما يكون

(١) فى الأصل : تشوق .

من قوته على أكمل حالاته فى الصورة التى فطر عليها ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أن جبرئيل عليه السلام ، و جوزوا أن يكون الضمير المنفصل للنبى صلى الله عليه و سلم أى استوى جبرئيل عليهما السلام معه ﴿ بالافق الاعلى ۝ ﴾ أى الناحية التى هى النهاية فى العلو و الفضل من السماوات مناسبة لحالة هذا الاستواء ، و ذلك حين رآه النبى صلى الله عليه ٥ و سلم جالسا على كرسى بين السماء و الأرض قد سد الأفق .

و لما كان الدنو من الحضرة الإلهية - التى هى مهيئة لتلقى الوحى - من العلو و العظمة بحيث لايوصف ، أشار إلى ذلك بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم ﴾ أى بعد ذلك الاستواء العظيم ﴿ دنا ﴾ أى جبرئيل عليه السلام من الجناب الأقدس دنو زيادة فى كرامة لادنو مسافة ، و كل قرب يكون ١٠ منه سبحانه فهو مع أنه منزه عن المسافة يكون على وجهين : قرب إلى كل موجود من نفسه ، و قرب ولاية حتى يكون سمع الموجود و بصره بمعنى أنه لايسمع ولايبصر إلا ما يرضاه - أشار إليه ابن برجان ، فأخذ الوحى الذى أذن له فى أخذه / فى ذلك الوقت ﴿ فتدلى ۝ ﴾ عقب ٨٥ / ذلك من الله رسولا إلى صاحبكم أى أزل إليه نزولا هو فيه كالمتدلى ١٥ إليه بحبل فوصل إليه و لم ينفصل عن محله من الأفق الأعلى لما له من القوة و الاستحكام ، قال البيضاوى : فان التدلى هو استرسال مع تعلق كتدلى الثمرة ﴿ فكان ﴾ فى القرب من صاحبكم فى رأى من يراه منكم ﴿ قاب ﴾ أى على مسافة قدر ﴿ قوسين ﴾ من قسيكم ، قال الرازى فى اللوامع : أى بحيث الوتر فى القوس مرتين ، و عن ابن عباس ٢٠

رضى الله عنهما : القوس الذراع بلغة أزدشنوءة ، و قال ابن برجان : قاب القوسين : ما بين السيين ، و قيل : ما بين القبضة و الوتر ﴿ أو ادنى ﴾ بمعنى أن الناظر منكم لو رآه لتردد و قال ذلك لشدة ما يرى له من القرب منه صلى الله عليه و سلم ، روى مسلم فى الإيمان من صحيحه[1] عن الشيبانى قال :

٥ سالت زر بن حبيش عن قوله تعالى " فكان قاب قوسين " فقال : أخبرنى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم رأى جبرئيل عليه السلام له ستمائة جناح ﴿ فاوحى ﴾ أى ألقى سرا من كلام الله بسبب هذا القرب ، و عقبه بقوله : ﴿ الى عبده ﴾ أى عبد الله ، و إضماره من غير تقدم ذكره صريحا لما هو معلوم مما تقدم فى آخر الشورى أن

١٠ كلام الله يكون وحيا بواسطة رسول يوحى باذنه سبحانه ، و المقام يناسب الإضمار لأن الكلام هو الوحى الخفى ، و عبر بالبعد إشارة إلى أنه لم يكن أحد ليستحق هذا الأمر العظيم غيره لأنه لم يتعبد قط لأحد غير الله ، وكل من عاداه حصل منهم تعبد لغيره فى الجملة ، فكان أحق الخلق بهذا الوصف مع[انه] كان يتعبد لله فى غار حراء و غيره ، و هذه النزلة

١٥ - و الله أعلم - كانت على هذا التقدير فى أول الوحى لما كان بحراء و فرق منه صلى الله عليه و سلم فرجع ترجف بوادره ، و قال : زملونى زملونى . و أشار إلى عظمة ما أنزل بقوله : ﴿ ما اوحى ﴾ أى إنه يجل عن الوصف فأجمل له ما فصل له بعد ذلك ، هذا الذى ذكر من تفسير لضمائر مظاهر العبارة و إن كان الإضمار فى جميع الأفعال لايخلو عن التباس

(١) راجع ١ / ٩٧ .

و اشكال

و إشكال، و يمكن لأجل احتمال الضمائر لما يناسبها من الظواهر أن يكون ضمير "دنا" و ما بعده لله تعالى، و حينئذ يصير فى "عبده" واضحا كما تقدم فى هذا الوجه جعله له سبحانه لأنه لايجوز لغيره، روى البخارى[1] فى التوحيد فى باب "و كلم الله موسى تكليما" عن أنس رضى الله عنه فى قصة الإسراء رسول الله صلى الله عليه و سلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ٥ ثلاثة[2] نفر قبل أن يوحى إليه و هو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم، فقال آخرهم: خذوا خيرهم، و كانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه[3] و تنام / عينه و لاينام قلبه، و كذلك الأنبياء تنام أعينهم و لاتنام قلوبهم، فلم / ٨٦ يكلموه[4] حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبرئيل عليه ١٠ السلام فشق جبرئيل ما بين نحره إلى لبته حتى فرغ من صدره و جوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوا إيمانا و حكمة فحشا [به -[5]] صدره و لغاديده[6] - يعنى عروق حلقه، ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال: جبرئيل، قالوا: و من ١٥ معك، قال: معى محمد، قالوا: و بعث إليه، قال: نعم، قالوا: فرحبا به

---

(١) راجع ٢ / ١١٢٠ - كتاب التوحيد (٢) من الصحيح، و فى الأصل: بثلاث (٣) من الصحيح، و فى الأصل: قبله (٤) من الصحيح، و فى الأصل: فلم يكلموه (٥) زيد من الصحيح (٦) من الصحيح، و فى الأصل: تفاديه - كذا.

و أهلا[1] - ثم ذكر عروجه إلى السماوات السبع ، و أنه لما وصل إلى السماء السابعة [2]علا به[2] فوق ذلك بما لايعلمه إلا الله [حتى - [3]] جاء سدرة المنتهى ، و دنا الجبار رب العزة فتدلى منه فكان قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى إليه فيما يوحى الله إليه خمسين صلاة - فذكر مشورة موسى عليهما السلام فى سؤال التخفيف حتى صارت خمسا كل واحدة بعشرة ، و دنا الجبار رب العزة فى هذا الوجه و هو رب العزة ، و هو فى غاية الحسن إذا جمعته مع ما يأتى فى هذا الوجه المنقول عن جعفر الصادق رضى الله عنه فيكون المعنى أنه صلى الله عليه و سلم لما استوى بالأفق الأعلى فوصل إلى حد لايمكن المخلوق الصعود عنه تنزل له الخالق سبحانه ، و لذلك عبر عنه بـ"ثم" يعنى أنه سبحانه تنزل له تنزلا[4] لا يمكن الاطلاع على كنه رتبته فى العلو و العظمة ، ثم نزل ثم تنزل .

و لما كانت العبارة ربما أوهمت شيأ لايليق [به -[5]] نفاه صلى الله عليه و سلم بما فى الرواية من تخصيص التعبير باسم الجبار فعلم أنه قربه تقريبا يليق به ، و سمى ذلك دنوا فكان الدنو و التدلى تمثيلا لما وصل منه سبحانه إلى عبده محمد صلى الله عليه و سلم بغاية السهولة و اليسر و اللطافة مع اتصاله بالحضرات القدسية ، و التعبير بالتدلى لإفهام العلو مثل ما كنى بالنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا عن إجابة الدعاء بفتح أبواب

(١) من الصحيح ، و فى الأصل : الملا ذا - كذا (٢ - ٢) من الصحيح ، و فى الأصل : علاه (٣) زيد من الصحيح (٤) فى الأصل : تنزيلا (٥) زيد نظرا للسياق .

السماء كما رويناه فى جزء العيشى من حديث عثمان بن أبى العاص رضى الله عنه تمثيلا بما نعرفه من[1] حال الملوك فى أن أحدهم يكون نزوله عن سريره أدنى فى إتيان خواصه إليه، و فتح بابه أدنى لمن يليهم، و كلما نزل درجه كان الإذن أعم إلى أن يصل إلى الإذن العام لجميع الناس، هذا علم المخاطبين بأن ذلك على سبيل التمثيل بمن يحتاج إلى هذه الدرجات، و أما ٥ من هو غنى عن كل شىء فله سبحانه المثل الأعلى و لا يشبه شيئا، و لا يشبهه شىء، و فى "قرآن الفجر" من سورة سبحان لهذا مزيد بيان، و قال القاضى عياض فى الشفاء[2] ما حاصله أن تلك الضمائر للنبى صلى الله عليه و سلم فقال: قال جعفر بن محمد - يعنى الصادق بن الباقر /: أدناه ربه حتى كان / ٨٧ منه كقاب قوسين، و قال أيضا[2]: انقطعت الكيفية عن الدنو، ألا ترى ١٠ كيف حجب جبريل عليه السلام عن دنوه و دنا محمد صلى الله عليه و سلم إلى ما أودع قلبه من المعرفة و الإيمان فتدلى بسكون قلبه إلى ما أدناه و زال عن قلبه الشك و الارتياب، و قال جعفر أيضا[2]: و الدنو من الله تعالى لا حد له، و من العباد بالحدود - انتهى. و حينئذ يكون ضمير «استوى» له صلى الله عليه و سلم، و يكون المعنى: فتسبب عن تعليم جبريل ١٥ له استواوه - أى اعتدال علمه - إلى غاية لم يصلها غيره من الخلق علما و كسبا بالملك و الملكوت و الحال أنه بالأفق الأعلى ليلة الإسراء، و تدليه كناية عن وصوله بسبب عظيم حامل حمل السبب للتدلى، و عبر به و هو ظاهر فى النزول من علو مع عدم الانفصال منه لئلا يوهم اختصاص

(١) فى الأصل: ما (٢) راجع ص ٩٥.

جهة العلو به سبحانه دون بقية الجهات، و منه «أقرب ما يكون العبد من ربه و هو ساجد»، و كذا قيل فى الإشارة بـ "لا تفضلونى على يونس بن متى"، و من المحاسن جدا أن تكون ألف "تدلى" المنقلبة عن ياء فى هذا الوجه بدلا من لام فيكون من التدلل و هو الانبساط وثوقا بالمحبة، يقال: تدلل عليه، أى انبسط و وثق بمحبته فأفرط عليه، و انبساطه صلى الله عليه و سلم فى تلك الحالة إفراط كثرة سؤاله، و شفاعته فى أمته، و بذلك ظهر إلى عالم الشهادة أنه أرحم الخلق كما كان معلوما إلى عالم الغيب، فتسبب عنه زيادة تقريبه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، و إبراز هذا الكلام فى هذه الضمائر المتحملة لهذه الوجوه من غير ظاهر يعين المراد يناسب لتلك الحالة، فانها كانت حالة غيب و خفاء و ستر، و كان العلم فيها واسعا، و سوق الضمائر هكذا يكثر احتمال الكلام للوجوه، فيتسع العلم مع أنه ليس فيها وجه يؤدى إلى لبس فى الدين و لا ركاكة فى معنى و لا نظم و لا مجال للعلم - و الله أعلم.

و لما أثبت هذا الكلام ما أثبت من القرب من النبى صلى الله عليه و سلم ممن أوحى إليه على كلا التقديرين، قرره على وجه أفاد الرؤية فقال: ﴿ما كذب الفؤاد﴾ أى القلب الذى هو فى غاية الذكاء و الاتقاد ﴿ما رأى﴾ البصر أى حين رؤية البصر كان القلب، لا أنها رؤية بصر فقط تمكن فيها - للخلو[1] عن حضور القلب - النسبة إلى الغلط، و قال القشيرى ما معناه: ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه و سلم ما رآه بصره، بل

(١) فى الأصل: الحلو - كذا.

رآه على الوصف الذى علمه قبل أن رآه فكان علمه حق اليقين ، و فى صحيح مسلم عن أبى ذر رضى الله[1] عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه و سلم : هل رأيت ربك ؟ قال : نور إلىّ أراه ، و فى صحيح مسلم أيضا[2] عن مسروق أنه قال لعائشة رضى الله عنها لما أنكرت الرؤية : ألم يقل الله تعالى "و لقد رآه بالافق المبين" و "لقدا رآه نزلة أخرى" فقالت : ٥ أنا أول / هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال : /٨٨ إنما هو جبرئيل عليه السلام ، لم أره على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين ، رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء و الأرض . قال البغوى[3] : و ذهب جماعة إلى أنه رآه فقال بعضهم : جعل بصره فى فؤاده ، ثم روى من صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما ١٠ أنه قال : رآه بفؤاده مرتين ، و ذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه و هو قول أنس رضى الله عنه[4] ، و قال ابن برجان ما معناه : إن النوم و الصعق من آيات الله على لقاء الله و هى مقدمات لذلك ، و لكل حقيقة حق يتقدمها كأشراط الساعة ، و الإسراء و إن لم يكن موتا و لا صعقا و لا نوما على أظهر الوجوه فقد خرج عن مشاهدات الدنيا إلى مشاهدات ١٥ الأفق الأعلى فلا تنكر الرؤية هنالك ، فالإسراء حالة غير حالة الدنيا ، بل هى من أحوال الآخرة و عالم الغيب - و الله الهادى .

و لما تقرر ذلك غاية التقرر ، و كان موضع الإنكار عليهم ، قال

(١) راجع ١ / ٩٩ (كتاب الإيمان) (٢) راجع ١ / ٩٨ (كتاب الإيمان).
(٣) فى المعالم بهامش اللباب ٦ / ٢١٤ (٤) زيد فى المعالم : و الحسن و عكرمة .

مسببا عن ذلك: ﴿ افتمرونه ﴾ أى تستخرجون منه بجدالكم له فيما أخبركم به شكا فيه و لاشك فيه، و عبر بالمفاعلة فى قراءة الجماعة عن حمزة و الكسائى و يعقوب إشارة إلى اجتهادهم فى تشكيكه، من مرى الشىء: استخرجه، و مرى الناقة: مسح ضرعها، فأمرى: در لبنها، والمرية - بالكسر و الضم: الشك و الجدل ﴿على ما يرى ٥﴾ على صفة مطابقة القلب و البصر، و ذلك مما لم تجر[1] العادة بدخول الشك فيه و لا قبوله للجدال، و زاد الأمر وضوحا بتصوير الحال الماضية بالتعبير بالمضارع إشارة إلى أنه كما أنه لم يهم لم يلبس الأمر عليه، بل كأنه الآن ينظر.

و لما كان الشىء أقوى ما يكون إذا حسر البصر، فاذا وافقه كون القلب فى غاية الحضور كان أمكن، فاذا تكرر انقطعت الأطماع عن التعلق بالمجادلة منه. قال مؤكدا لأجل إنكارهم: ﴿و لقد رآه﴾ أى الله تعالى أو جبرئيل عليه السلام على صورته الحقيقية، روى مسلم فى الإيمان[2] عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال "ما كذب الفؤاد ما رأى" "[و لقد رآه ـ ٣] نزلة اخرى"، قال: رآه بفؤاده مرتين، و جعل ابن برجان الإسراء مرتين: الأولى بالفؤاد مقدمة و هذه بالعين.

و لما كان ذلك لايتأتى إلا بتنزل يقطع مسافات البعد التى هى الحجب ليصير به بحيث يراه البشر، عبر بقوله: ﴿نزلة﴾ و انتصب على الظرفية لأن الفعلة بمعنى المرة ﴿ اخرى ١٣ ﴾ أى ليكمل له الأمر مرة فى عالم الكون و ففساد و أخرى فى المحل الأنزه الأعلى، و عين الوقت بتعين

(١) فى الأصل: لم تجرى (٢) راجع ١ / ٩٨ (٣) زيد من صحيح مسلم.

المكان فقال: ﴿عند سدرة المنتهىٰ ۝﴾ اى الشجرة التى هى كالسدر و ينتهى إليها علم الخلائق و ينتهى إليها ما يعرج من تحت و ما ينزل من فوق، فيتلقى هنالك، و ذلك - و الله أعلم - ليلة الإسراء فى السنة الثالثة عشرة من النبوة / قبل الهجرة بقليل بعد الترقى فى معراج الكمالات ٨٩/ من السنين على عدد السماوات و ما بينهما من المسافات، فانتهى إلى ٥ منتهى يسمع فيه صريف الأقلام؛ و عظمها بقوله: ﴿عندها﴾ أى السدرة ﴿جنة الماوىٰ ۝﴾ الذى لا مأوى فى الحقيقة غيره لأنه لا يوازى فى عظمه، و زاد فى تعظيمها بقوله: ﴿اذ يغشى السدرة ما يغشىٰ ۝﴾ أى يغطيها و يركبها و سمره(؟) من فراش الذهب و الرفرف الأخضر و الملائكة و النبق و غير ذلك فان الغشو النبق ﴿ما يغشى﴾ لا تحتملون وصفه و هو بحيث ١٠ يكاد أن لا يحصى، و إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و سلم فى الحديث: و غشيها، ألا و إنى لا أدرى ما هى فليس أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها أو كما قال صلى الله عليه و سلم، و أكد الرؤية و قررها مستأنفا بقوله: ﴿ما زاغ﴾ أى ما مال أدنى ميل ﴿البصر﴾ أى الذى لا بصر لمخلوق أكمل منه، فما قصر عن النظر فيما أذن له فيه و لا زاد ﴿و ما طغىٰ ۝﴾ ١٥ أى تجاوز الحد إلى ما لم يؤذن له فيه مع أن ذالك العالم غريب عن بنى آدم، و فيه من العجائب ما يحير الناظر، بل كانت له العفة الصادقة المتوسطة بين الشره و الزهادة على أتم قوانين العدل، فأثبت ما رآه على حقيقته، و كما قال السهروردى فى أول الباب الثانى و الثلاثين من عوارفه: و أخبر تعالى بحسن أدبه فى الحضرة بهذه الآية، و هذه غامضة من ٢٠

غوامض الأدب ، اختص بها رسول الله صلى الله عليه و سلم .

و لما كانوا قد أنكروا الإسراء إنكارا لم يقع لهم فى غيره مثله ، زاد فى تأكيده على وجه يعم غيره فقال : ﴿ لقد رأى ﴾ أى أبصر بسبب ما أهلناه له من الرسالة إبصارا ساريا إلى البواطن غير مقتصر على الظواهر ﴿ من آيٰت ربه ﴾ أى المحسن إليه بما لم يصل إليه أحد قبله و لا يصل إليه أحد بعده ، و من ادعى ذلك فهو كافر ﴿ الكبرىٰ ﴾ من ذلك ما رآه فى السماوات من الأنبياء عليه و عليهم الصلاة و السلام إشارة بكل شىء إلى أمر دقيق جليل و حالة شريفة ، و قال الإمام أبو القاسم السهيلى فى الروض الأنف[1] : و الذى أقول فى هذا أن مأخذ فهمه من علم التعبير ، فانه من علم النبوة ، و أهل التعبير يقولون : من رأى نبيا[2] بعينه فى المنام فان رؤياه تؤذن بما يشبه من حال ذلك النبى فى[3] شده أو رخاء أو غير ذلك من الأمور التى أخبر بها عن الأنبياء فى القرآن و الحديث ، و حديث الإسراء كان بمكة ، و مكة حرم الله و أمنه ، و قطانها جيران الله لأن فيها بيته ، فأول ما رأى صلى الله عليه و سلم من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام آدم عليه الصلاة و السلام / الذى كان فى أمن الله و جواره ، فأخرجه إبليس عدوه منها ، و هذه القصة تشبهها[4] الحالة الأولى من أحوال النبى صلى الله عليه و سلم حين أخرجه أعداؤه من حرم الله و جوار بيته ، فكربه[5] ذلك و غمه فأشبهت قصته فى هذا

٩٠/

(١) راجع ١ / ٢٥٠ (٢) من الروض الأنف ، و فى الأصل : نبينا (٣) فى الروض : من (٤) من الروض ، و فى الأصل : تشبها (٥) من الروض ، و فى الأصل : كربه .

قصة آدم عليه الصلاة و السلام مع أن آدم تعرض عليه أرواح ذريته البر و الفاجر منهم، فكان فى السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لأن أرواح أهل الشقاء لاتلج فى السماء و لا تفتح لهم أبوابها، كما قال الله تعالى، ثم رأى فى الثانية عيسى [و يحيى] عليهما الصلاة و السلام و هما الممتحنان باليهود، أما عيسى عليه السلام فكذبته اليهود و آذته و هموا بقتله ٥ فرفعه الله إليه[١]، و أما يحيى عليه السلام فقتلوه، و رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد انتقاله إلى المدينة صار إلى حالة ثانية من الامتحان، وكانت محنته فيها باليهود[٢] آذوه و ظاهروا عليه و هموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله كما نجى عيسى عليه السلام منهم، ثم سموه فى الشاة و لم تزل تلك الأكلة تعاوده[٣] حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت «و هكذا ١٠ [فعلوا -[٤]] بابنى الخالة يحيى و عيسى» لأن أم يحيى أشياع بنت عمران أخت مريم بنت عمران أمهما[٥] جنة، و أما لقاؤه ليوسف عليه السلام فى السماء الثالثة فانه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حالة يوسف عليه السلام، و ذلك أن يوسف ظفر باخوته من بعد ما أخرجوه من بين ظهرانيهم، فصفح عنهم و قال: لاتثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم، الآية، و كذلك نبينا ١٥ صلى الله عليه و سلم أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوهم [فيهم -[٤]] عمه العباس و ابن عمه عقيل فمنهم من أطلق، و منهم من [قبل -[٤]] أفديته،

(١) سقط من الروض (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى الروض فحذفناها (٣) من الروض، و فى الأصل: معاه (٤) زيد من الروض (٥) من الروض، و فى الأصل: اختها.

ثم ظهر [عليهم - [1]] بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم : أقول ما قال أخي يوسف : لا تثريب عليكم اليوم ، ثم لقاؤه إدريس عليه السلام فى السماء الرابعة و هو المكان الذى سماه [الله - [1]] مكانا عليا [و إدريس - [1]] أول من آتاه الله الخط بالقلم ، فكان ذلك مؤذنا بالحالة الرابعة و هو علو شأنه عليه السلام حتى أخاف الملوك و كتب إليهم يدعوهم إلى طاعته حتى قال أبو سفيان و هو عند ملك الروم حين جاء كتاب النبي صلى الله عليه و سلم و رأى ما رأى من خوف هرقل : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة حتى أصبح يخافه ملك بنى الأصفر ، و كتب عنه بالقلم إلى [2]جميع ملوك[2] الأرض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشي و ملك بنى عمان و منهم من هادنه و أهدى إليه و أتحفه كهرقل و المقوقس ، و [منهم - [1]] من تعصى عليه فأظهره الله عليه[3] ، فهذا مقام على ، و خط بالقلم كنحو ما أوتى إدريس عليه السلام ، و لقاؤه فى السماء الخامسة لهارون عليه السلام المحبب فى قومه يؤذن بحب قريش و جميع العرب له بعد بعضهم فيه ، و لقاؤه فى السماء السادسة لموسى عليه السلام يؤذن بحالة تشبه حالة موسى عليه السلام حين أمر / بغزو الشام ، فظهر على الجبابرة[4] الذين كانوا فيها ، و أدخل بنى إسرائيل [البلد - [1]] الذى خرجوا منه بعد هلاك عدوهم ، و لذلك غزا رسول الله صلى الله عليه و سلم تبوك من أرض الشام و ظهر على صاحب دومة

٩١ /

(١) زيد من الروض (٢ - ٢) من الروض ، و فى الأصل : الملوك جميع .
(٣) من الروض ، و فى الأصل : به (٤) من الروض ، و فى الأصل : الجبارة .

حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيرا ، و افتتح مكة و دخل أصحابه البلد الذى خرجوا منه ، ثم لقاؤه فى السماء السابعة إبراهيم عليه السلام لحكمتين : إحداهما[1] أنه رآه عند البيت المعمور مسندا ظهره إليه ، و البيت المعمور جبال مكة ، و إليه تحج الملائكة كما أن إبراهيم عليه السلام هو الذى بنى الكعبة و أذن فى الناس بالحج إليها ، و الحكمة الثانية[2] أن آخر أحوال النبى صلى الله عليه و سلم [حجه -[3]] إلى البيت الحرام ، و حج معه [4]فى ذلك العام[4] نحو من سبعين ألفا من المسلمين ، و رؤية إبراهيم عليه السلام عند أهل التأويل تؤذن بالحج لأنه الداعى إليه و الرافع لقواعد الكعبة المحجوجة - انتهى . و هذا المقام هو الإسراء و ما تفرع منه الموصل إلى أعلى ما يكون من تجريد التوحيد ، فجعل سبحانه عنوانه المفروض فيه الحاجز بين الإسلام و الشرك و هو الصلاة الجامعة لمعانى الدين الشاملة لجميع البركات بأن جعلت خمسين مستغرقة لجميع الفراغ ثم ردت إلى خمس دون القوى بكثير ثم رتب عليها جزاء الخمسين و رفع كل واحدة من صلاة الجماعة إلى سبع وعشرين صلاة و فضل صلاتى الطرفين : الصبح الثانية و العصر الرباعية بشهادة فريقى الملائكة وكتابتهما فى صحيفتى كل من الجمعين ، فقال حمزة الكرمانى فى جوامع التفسير : فأسرى بـه فى شهر ربيع الأول قبل الهجرة من بيت أم هانىء رضى الله عنها ، ثم ساق حديث الإسراء مساقا عجيبا جدا طويلا .

---

(١) من الروض ، و فى الأصل : احدهما (٢) من الروض ، و فى الأصل : الثالثة (٣) زيد من الروض (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من الروض .

و لما أخبر سبحانه من استقامة طريق نبيه عليه الصلاة و السلام بما ثبتت رسالته بما اوحى إليه و ما أراه من آياته التى ظهر بها استحقاقه سبحانه الإلهية متفردا بها ، سبب عنه الإنكار عليهم فى عبادة معبوداتهم على وجه دال على أنها لاتصلح لصالحة فقال : ﴿ افرءيتم ﴾ أى أخبرونى ٥ بسبب ما تلوت عليكم من هذه الآيات الباهرات . هل رأيتم رؤية خبرة بالباطن و الظاهر ﴿اللّٰت﴾ و هو صنم ثقيف ﴿و العزّٰى ۝﴾ و هى شجرة لغطفان و هما أعظم أصنامهم فانهم كانوا يحلفون بهما ﴿و مَنوة﴾ و هو صخرة لهذيل و خزاعة ، و دل على أنها عندهم بعدهما فى الربوبية بقوله مشيرا بالتعدد بالتعبير عنه بما عبر به إلى أن شيئا منها لايصلح لصالحة حتى و لا أن ١٠ يذكر : ﴿ الثالثة الاخرٰى ۝﴾ أى أنه ما كفاهم فى خرق سياج منها العقل فى مجرد تعديد الإله بجعله الاثنين حتى أضافوا ثالثا أقروا بأنه متأخر الرتبة فكان الإله عندهم قد يكون سافلا و يكون ملازما للا نزال و للسفول بكونه / أنثى ، قال الرازى فى اللوامع : و أنثوا أسماءها تشبيها ٩٢ / لها بالملائكة على زعمهم بأنها بنات الله - انتهى ، و لا شك عند من له ١٥ أدنى معرفة بالفصاحة أن هذا الاستفهام الإنكارى و التعبير بما شانهم بالولادة التى هى أحب الأشياء إلى الإنسان بل الحيوان لايوافقه أن يقال بعده ما يقتضى مدحا بوجه من الوجوه ، فتبين بطلان ما نقل نقلا واهيا من أنه قيل حين قرئت هذه السورة فى هذا المحل : تلك الغرانيق العلا - إلى آخره لعلم كل عربى أن ذلك غاية فى الهذيان فى هذا السياق ، فلا ٢٠ وصلة بهذا السياق المعجز بوجه .

و لما كان التقدير بما أفهمه السياق: كيف ادعيتم أنها آلهة أهى كذلك مع أن عادتكم احتقار الإناث من أن تكون لكم أولادا، فكيف رضيتم أن تكون لكم آلهة و تكونوا لها عبادا مع أنها لم تنزل لكم وحيا و لا أرسلت لكم رسولا و لا فعلت مع أحد منكم شيئا مما كرمنا به عبدنا محمدا صلى الله عليه و سلم و لا أرتكم قط آية و لا هى متأهلة لشىء من ٥ ذلك، بل لا تملك ضرا و لا نفعا و ادعيتم أنها بناته و استوطنها جنيات هى بناته و ادعيتم مع ادعاء مطلق الولدية لمن لايلم به حاجة و لا شبه له أن له أردأ الصنفين، فكان ذلك نقصا مضموما إلى نقص ـ و علا سبحانه تعالى عن صاحبة أو ولد، فاستحققتم بذلك الإنكار الشديد، و علم بهذا التقدير الذى هدى إليه السياق بطلان حديث الغرانيق و لاسيما مع تعقيبه ١٠ بقوله: ﴿ الكم ﴾ أى خاصة ﴿ الذكر ﴾ أى النوع الأعلى ﴿ و له ﴾ أى وحده ﴿ الانثى ﴾ أى النوع الأسفل.

و لما كان الاستفهام إنكاريا رد الإنكار بقوله فذلكة لفعلهم: ﴿ تلك ﴾ أى هذه القسمة البعيدة عن الصواب ﴿ اذا ﴾ اى إذ جعلتم البنات له و البنين لكم ﴿ قسمة ضيزى ﴾ أى جائرة ناقصة ظالمة فيما يحسن للحق ١٥ للغاية عرجاء غير معتدلة حيث خصصتم به ما أوصلتكم الكراهة له إلى دفنه حيا، و قد علم أن الآية من الاحتباك: دل ذكر اسمها فى أسلوب الإنكار على حذف إنكار كونها آلهة و إنكار تخصيصه بالإناث على حذف ما يدل على أنهم جعلوها بناته.

و لما أفهم هذا الإنكار بطلان قولهم هذا، حصر القول الحق فيها ٢٠

فقال مستأنفا : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هى ﴾ أى هذه الأصنام ﴿ الآ اسمآء ﴾ أى لاحقائق لها ، فما ادعيتم لها من الإلهية ليس لها من ذلك إلا الأسماء ، و أكد ذلك بقوله مبينا : ﴿ سميتموهآ ﴾ أى ابتدعتم تسميتها أنتم ، و اجتث[1] قولهم من أصله فقال : ﴿ وءابآؤكم ﴾ أى لاغير بمجرد الهوى لم تروا منها آية و لا كلمتكم قط كلمة تعتدونها ، و على تقدير أن تتكلم الشياطين على ألسنتها فأى طريقه قويمة شرعت إليكم و أى كلام مليح أو بليغ وصل إليكم و أى آية كبرى أرتكموها - انتهى .

/ و لما علم بهذا أن الله تعالى لم يأمرهم بشىء من ذلك ، صرح به نافيا أن يدل على ما وسموه بـــه دليل فقال : ﴿ مآ ﴾ و لما قدم فى الأعراف ترك النافى للتصريح لما تقدم بما اقتضاه ، نفى هنا الإفعال النافى لأصل الفعل سواء كان بالتدريج أو غيره لأن المفصل لباب القرآن فهو للقاصد ، و ذلك كاف فى ذم الهوى الذى هو مقصود السورة فقال : ﴿ انزل الله ﴾ الذى له جميع صفات الكمال ﴿ بها ﴾ أى بالاستحقاق للأسماء و لا لما وسمتموها به من الإلهية ، و أعرق فى النفى بقوله : ﴿ من سلطن ﴾ اى حجة تصلح مسلطا على ما يدعى فيها .

و لما كان هذا النفى المستغرق موجبا للخصم إيساع الحيلة فى ذكر دليل على أى وجه كان ، و كان هؤلاء قد أبلسوا عند سماع هذا الكلام و لم يجدوا ما يقولون و لا يجدوا ، فكان من حقهم أن يرجعوا فلم يرجعوا ، أعرض عنهم إيذانا بشديد الغبن قائلا : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ يتبعون ﴾

(١) فى الأصل : اخبث .

أى فى وقت من الأوقات فى أمر هذه الأوثان بغاية جهدهم من أنها آلهة، و أنها تشفع لهم أو تقربهم من الله ﴿الا الظن﴾ أى غاية أمرهم لمن يحسن الظن بهم، فالظن ترجيح أحد الجائزين على رغم الظان.

و لما كان الظن قد يكون موافقا للحق مخالفا للهوى قال: ﴿و ما تهوى الانفس ج﴾ أى تشتهى، و هى - لما لها من النقص - لا تشتهى ٥ أبدا إلا بما يهوى بها عن غاية أوجها إلى أسفل حضيضها، و أما المعالى و حسن العواقب فانما تشوق إليها العقل. قال القشيرى: فالظن الجميل بالله فليس من هذا الباب، و التباس عواقب الشخص عليه ليس من هذه الجملة بسبيل، إنما الظن المعلول فى الله و صفاته و أحكامه. ﴿ولقد﴾ أى العجب أنهم يفعلون ذلك و الحال أنه قد ﴿جآءهم من ربهم﴾ أى ١٠ المحسن إليهم ﴿الهدى ۝﴾ أى الكامل فى بابه إلى الدين الحق الناطق بالكتاب الناطق بالصواب على لسان الرسول صلى الله عليه و سلم، و الرأى يقتضى أن من رأى الهدى تبعه و لو أتاه به عدوه، فكيف إذا أتاه به من هو أفضل منه من عند من إحسانه لم ينقطع عنه قط. و لما كان التقدير: أعليهم أن يتركوا أهويتهم و يهتدوا بهدى ربهم الذى لاملك ١٥ لهم معه ﴿ام﴾ لهم ما تمنوا - هكذا كان الأصل، و لكنه ذكر الأصل الموجب لاتباع الهوى فقال: ﴿للانسان﴾ أى الآنس بنفسه المحسن لكل ما يأتى و ما يذر ﴿ما تمنى ۝﴾ أى من اتباع ما يشتهى من جاه و مال و طول عمر و رفاهية عيش و من كفره و عناده، و قوله "لئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى". ٢٠

و لما كان الاستفهام إنكاريا، كان المعنى: ليس له ما تمنى، وكان ذلك دليلا قطعيا[1] على أنه مربوب مقهور ممن له الأمر كله، فسبب عنه قوله: ﴿ فلله ﴾ أى الملك الأعظم وحده. و لما كانت الأخرى دار اللذات و بلوغ جميع الأمانى و حرمانها، و كانوا يدعون فيها / على ٩٤ / تقدير كونها جميع ما يتمنون من شفاعة آلهتهم و إجابتها إلى إسعادهم و نحو ذلك، قدم قوله: ﴿ الآخرة ﴾ فهو لايعطى الأمانى فيها إلا لمن تبع هداه و خالف هواه ﴿ و الاولىٰ ﴾ فهو لايعطى جميع الأمانى فيها لأحد أصلا كما هو مشاهد، فمن ترك هواه فيها نال امانيه فى الآخرة، و من تبع هواه لم يصل إلى مراده فى الدنيا و حرم أمانيه فى الآخرة: فلهذا قدمها لا للفاصلة فانه لو قيل «الأخرى» لصلحت للفاصلة.

و لما كان التقدير: فكم من شخص ترونه فى الأرض مع أنه فى غاية المكنة فيما يظهر لكم لايصل إلى ربع ما يتمناه، عطف عليه قوله، مظهرا لضخامة ملكه و أنه لا يبالى بأحد، دالا على الكثرة: ﴿ و كم من ملك ﴾ أى مقرب، و دل على زيادة قربه بشرف مسكنه فقال: ﴿ فى السمٰوٰت ﴾ أى و هم فى الكرامة و الزلفى ﴿ لا تغنى ﴾ أى لا تجزى و تسد و تكفى، و لما كان رد الجمع لحال اجتماعهم أدل على العظمة، عبر بما يحتمل ذلك فقال: ﴿ شفاعتهم ﴾ أى عن أحد من الناس ﴿ شيئا ﴾ فقصر الأمر عليه و رده بحذافيره إليه بقوله: ﴿ الا ﴾ و دل باثبات[2] الجار على أنه مع ما يحده سبحانه لامطلقا فقال: ﴿ من بعد ان ياذن ﴾ أى يمكن و يريد ﴿ الله ﴾

(١) فى الأصل: قطعا (٢) فى الأصل: باسباب.

أى

أى الذى لا أمر لأحد أصلا معه ، و عبر بأن و الفعل دلالة على أنه لا عموم بعد الإذن بجميع الأوقات ، و إنما ذلك يجدد بعد تجدد الإذن على حينه و قبل الأمر الباب ؟ لعموم العظمة بقوله : ﴿ لمن يشآء ﴾ أى بتجدد تعلق مشيئته به لأن يكون مشفوعا أو شافعا .

و لما كان الملك قد يأذن فى الشفاعة و هو كاره ، قال معلما أنه ليس كأولئك : ﴿ و يرضى ﴾ فحينئذ تغنى شفاعتهم إذا كانوا من المأذون لهم - كل هذا قطعا لأطماعهم و عن قولهم بمجرد الهوى أى آلهتهم تشفع لهم . و لما أخبر باتباعهم للهوى و نفى أن يكون لهم من ذلك ما يتمنونه . دل على اتباعهم للهوى بقوله موضع " انهم " : ﴿ ان الذين ﴾ و أكد تنبيها على أنه قول بالغ فى العجب الغاية فلا يكاد يصدق أن عاقلا بالآخرة يقوله بما جرى لهم على قولهم ذلك و أمثاله بقوله : ﴿ لايؤمنون ﴾ [أى - [1]] لايصدقون و لا هم يقرون بالآخرة ، و لذلك أكد قوله : ﴿ ليسمون الملئكة ﴾ أى كل واحد و هم رسل الله ﴿ تسمية الأنثى ﴾ بأن قالوا : هى بنات الله ، كما يقال فى جنس الأنثى : بنات ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنهم ما ﴿ لهم به ﴾ أى بما سموهم به ، و أعرق فى النفى بقوله : ﴿ من علم ﴾ و لما نفى علمهم تشوف السامع إلى الحامل لهم على ذلك فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ يتبعون ﴾ أى بغاية ما يكون فى ذلك و غيره ﴿ الا الظن ﴾ .

و لما كانوا كالقاطعين بأن ذلك ينفعهم ، أكد قوله : ﴿ و ان الظن ﴾

(١) زيد من السياق .

أى مطلقا فى هذا و غيره ، و لذلك اظهر فى موضع الإضمار ﴿ لا يغنى ﴾ إغناء مبتدئا ﴿ من الحق ﴾ أى الأمر الثابت فى نفس الأمر الذى هو حقيقة الشىء و ذاته بحيث يكون الظن بدله ، و الظن إنما يعبر [به] فى العمليات لا العلميات و لاسيما الأصولية / ﴿ شيئا ﴾ من الإغناء[2] عن أحد من الخلق / ٩٥

٥ فانه لايؤدى أبدا إلى الجزم بالعلم بالشىء على ما هو عليه فى نفس الأمر فهو ممنوع فى أصول الدين ، فان المقصود بتحقق الأمر على ما هو عليه فى الواقع ، و أما الفروع فان المكلف به فيها هو الظن لكن بشرطه المأذون فيه ، و هو رده إلى الأصول المستنبط منها لعجز الإنسان على القطع فى جميع الفروع ، تنبيها على عجزه و افتقاره إلى الله ليقبل عليه

١٠ و يتبرأ من حوله و قوته ليكشف له من الأحقاف .

و لما كانوا بعد مجىء الهدى قد أصبروا على الهوى ، وكانت هذه السورة فى أوائل ما نزل ، و المؤمنون قليل ، سبب عن ذلك : ﴿ فاعرض عن من تولى ﴾ أى كلف نفسه[1] خلاف ما يدعو إليه العقل و الفطرة من ولى ﴿ عن ذكرنا ﴾ أى ذكره إيانا ، فأعرض

١٥ عن الذكر الذى أنزلناه فلم ينله و لم يتدبر معانيه فلا يلتفت إلى شىء علمه فانه مطموس[2] على قلبه و لو كان ذهنه أرق من الشعر فانه لايؤل[3] إلا إلى شر "و لا تذهب نفسك عليهم حسرات" فانه ما عليك إلا البلاغ .

(١) فى الأصل : الاغنياء (٢) فى الأصل : ملموس (٣) فى الأصل : لا يقول .

و لما كان المعرض فى وقت قد يقبل فى آخر ، دل على دوامه على وجه بليغ بقوله : ﴿ و لم يرد ﴾ أى فى وقت من الأوقات ﴿ الا الحيوة الدنيا ﴾ أى الحاضرة ليقصده بالمحسوسات كالبهائم فى العمى عن دناءتها و حقارتها، ثم ترجم جملتى الإعراض و الإرادة بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر المتناهى فى الجهل و القباحة ﴿ مبلغهم ﴾ أى نهايه بلوغهم و موضع بلوغهم و الحاصل لهم ، و تهكم بهم بقوله : ﴿ من العلم ﴾ أنه لا علم لهم لأن عيون بصائرهم عمى ، و مرائيها كثيفة مظلمة لا تكشف عن نظر الآخره التى هى أصل العلوم كلها ، ثم علل هذه الجملة بقوله مؤكدا قطعا لطمع من يظن أن وعظه و كلامه يرد أحدا من غيه و إن أبلغ فى أمره و دعائه فى سره و جهره ، و إعلاما بأن ذلك إنما هو من الله ، فمن وعظ له سبحانه راجيا منه فى إيمانه أوشك أن ينفع به كما فعل فى وعظ مصعب بن عمير رضى الله عنه فصغى له أسيد ابن حضير و سعد بن معاذ رضى الله عنهما فى ساعة واحدة كما هو مشهور ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بالإرسال و غيره ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ اعلم بمن ضل عن سبيله ﴾ ضلالا مستمرا ، فلا تعلق أملك بأن يصل علمه إلى ما وراء الدنيا ، و عبر بالرب إشارة إلى أن ضلال هذا من الإحسان إليه صلى الله عليه و سلم لأنه لو دخل فى دينه لأفسد أكثر مما يصلح كما قال تعالى "لا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة[1] و فيكم سماعون لهم[1]" و ذلك لأنه جبل جبلة غير قابلة للخير ﴿ و هو ﴾ أى وحده

(١) آية ٤٧/ ٩ .

﴿ اعلم بمن اهتدى ﴾ أى ظاهرا و باطنا .

و لما كان هذا ربما أوهم أن من ضل على هذه الحالة ليس فى قبضه ، قال نافعا لهذا الإبهام مبينا أن له الأسماء الحسنى و مقتضياتها فى العالم موضع "و الحال أنه له" أو عطفا على ما تقديره : فلله من فى السماوات و من فى الأرض: ﴿ و لله ﴾ أى الملك الأعظم وحده ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ من / الذوات و المعانى فيشمل ذلك السماوات و الأراضى ، فان كل سماء فى التى تليها ، و الأرض فى السماء ﴿ و ما فى الارض ﴾ و كذلك الأراضى و الكل فى العرش و هو ذو العرش العظيم .

٩٦ /

و لما أمره صلى الله عليه و سلم بالإعراض عنهم و سلاه و أعلمه أن الكل فى ملكه ، فلو شاء لهداهم و رفع النزاع ، و لكنه له فى ذلك حكم تحار فيها الأفكار ، علل الإعراض كما تقدم فى الجاثية فى قوله " قل للذين آمنوا يغفروا " بقوله : ﴿ ليجزى ﴾ أى يعاقب هو سبحانه كافيا لك ما أهمك من ذلك ، و يجوز أن يكون التقدير : و كما أنه سبحانه مالك ذلك فهو ملكه ليحكم بجزاء كل على حسب ما يستحق ، فان الحكم نتيجة الملك ﴿ الذين أسآؤا ﴾ بالضلال ﴿ بما عملوا ﴾ أى بسببه و بحسبه إما بواسطتك و بسيوفك و سيوف أتباعك إذا أذنت لكم فى القتال ، و إما بغير ذلك بالموت حتف الأنف بضرب الملائكة وجوههم و أدبارهم ، ثم بعذاب الآخرة على جميع ذنوبهم من غير أن يكون عجل لهم فى الدنيا شىء ينقص بسببه عذاب الآخرة ﴿ و يجزى ﴾ أى يثبت و يكرم ﴿ الذين احسنوا ﴾ أى على ثباتهم على الدين و صبرهم عليه و على أذى أعدائهم ﴿ بالحسنى ﴾

أى

أى الثبوت الذى هو فى غاية الحسن ما بعدها غاية، فان الحسنى تأنيث الأحسن .

و لما وعد الذين وقع منهم الإحسان ، وصفهم فقال: ﴿ الذين يجتنبون ﴾ أى يكلفون أنفسهم و يجهدونها على أن يتركوا ﴿ كبائر الاثم ﴾ أى ما عظم الشارع إثمه بعد تحريمه بالوعيد و الحد، ٥ و عطف على " كبائر الاثم " قوله : ﴿ و الفواحش ﴾ و الفاحشة من الكبائر ما يكرهه الطبع و ينكره العقل و يستخسّه .

و لما أفهم هذا التقييد [أن] من خالط ما دون فما دون كان مغفورا له، صرح به فقال: ﴿ الا ﴾ أى لكن ﴿ اللمم[1] ﴾ معفو، فمن خالطه لا يخرج عن عداد من أحسن ، فهو استثناء منقطع ، و لعله وضع فيه ١٠ " الا " موضع " لكن " إشارة إلى[1] أن الصغير يمكن أن يكون كبيرا باستهانته مثلا كما قال تعالى "و تحسبونه هينا و هو عند الله عظيم[2]" و اللم هو صغار الذنوب ، و المراد هنا ما يحصل منها فى الأحيان كأنه وقع فى صاحبه فلتة بغير اختيار منه ، لاما يتخذ عادة أو يكثر حتى يصير كالعادة ، قال الرازى فى اللوامع : و أصله مقاربة الذنب ثم الامتناع ١٥ منه قبل الفعل ، قال ذو النون : ذكر الفاحشة من العارف كفعلها من غيره - انتهى . يقال : و ألم بالمكان - إذا قل لبثه فيه ، و قال البغوى[3] : قال السدى : قال أبو صالح أنه سئل عن اللم فقال : هو الرجل يلم بالذنب

(١) فى الأصل : الا (٢) آية ١٥/ ٢٤ (٣) فى المعالم بهامش اللباب ٦ / ٢٢٠ .

ثم لا يعاوده ، قال : فذكرت [ذلك - ١] لابن عباس رضى الله عنهما فقال : لقد أعانك عليها ملك كريم ، ثم قال البغوى : فأصل اللم و الإلمام [ما - ١] يعمله الإنسان الحين بعد الحين ، و لا يكون له إعادة[٢] و لا إقامة [عليه - ١] - انتهى - و على هذا يصح أن يكون الاستثناء متصلا . ٩٧ / ٥ /

و لما كان الملوك لا يغفرون لمن تكررت ذنوبه إليهم و إن صغرت ، فكان السامع يستعظم أن يغفر ملك الملوك سبحانه مثل هذا ، علل ذلك بقوله : ﴿ ان ربك ﴾ أى المحسن إليك بارسالك رحمة للعالمين و التخفيف عن أمتك ﴿ واسع المغفرة ﴾ فهو يغفر الصغائر حقا أوجبه على نفسه و يغفر الكبائر إن شاء بخلاف غيره من الملوك فانه لو أراد ذلك ما أمكنه أتباعه ، و لو جاهد حتى تمكن من ذلك فى وقت فسدت مملكته فأدى ذلك إلى زوال الملك من يده أو اختلاله .

و لما وصف الذين أحسنوا فكان ربما وقع فى وهم أنه لا يعلمهم سبحانه إلا بأفعالهم ، و ربما قطع من عمل بمضمون الآية أنه ممن أحسن ، قال نافيا لذلك : ﴿ هو اعلم بكم ﴾ أى بذواتكم و أحوالكم منكم بأنفسكم ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ انشا كم ﴾ ابتداء ﴿ من الارض ﴾ التى طبعها طبع الموت : البرد و اليبس بانشاء أبيكم آدم عليه السلام منها و تهيئتكم للتكوين بعد أن لم يكن فيكم تقوية قريبة و لا بعيدة أصلا يميز الثواب الذى يصلح لتكونكم منه و الذى لا يصلح ﴿ و اذ ﴾ أى حين ﴿ انتم اجنة ﴾ أى مستورون .

(١) زيد من المعالم (٢) من المعالم ، و فى الأصل : عادة .

و لما كان البشر قد يكون فى بطن الأرض و إن كان الجنين معروفا للطفل فى البطن ، حقق معناه بقوله : ﴿فى بطون امهٰتكم﴾ بعد أن مزج بذلك التراب البارد اليابس الماء و الهواء ، فنشأت الحرارة و الرطوبة ، فكانت هذه الأربعة الأخلاط الزكية و الدنية ، و لكن لاعلم لكم أصلا ، فهو يعلم إذ ذاك ما انتم صائرون إليه من خير و شر و إن عملتم مدة من العمر بخلاف ذلك فانه يعلم ما جبلكم عليه من ذلك و أنتم لاتعلمون إلا ما يكون فى أنفسكم حال كونه أنكم لاتحيطون به إذ ذاك علما .

و لما كان من عادة من أسلم من الذنوب أن يفتخر على من قارفها لما بنى الإنسان عليه من محبة الفخر لما جبل عليه من النقصان ، و كان حاله قد يتبدل فيسبق عليه الكتاب فيشقى ، سبب عن ذلك قوله : ﴿فلا تزكوآ﴾ أى تمدحوا بالزكاة و هو البركة و الطهارة عن الدناءة ﴿ انفسكم ﴾ اى حقيقة بأن يثنى على نفسه فان تزكيته لنفسه من علامات كونه محجوبا عن الله - قاله القشيرى - أو مجازا بأن يثنى على غيره من إخوانه فانه كثيرا ما يثنى بشىء فيظهر خلافه ، و ربما حصل له الأذى بسببه "و إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه و بينها إلا باع أو ذراع" الحديث ، و لذلك علل بقوله : ﴿ هو اعلم ﴾ أى منكم و من جميع الخلق ﴿ بمن اتقى ﴾ أى جاهد نفسه حتى حصل فيه تقوى ، فهو يوصله فوق ما يؤمل من الثواب فى الدارين ، فكيف بمن صارت له التقوى وصفا ثابتا .

و لما أمره سبحانه بالإعراض / عمن تولى عن التشرف بذكر الملك ٢٠_٣/ ٩٨

الأعظم و اللجاء إليه، و نهى عن التزكية للجهل بالعواقب، و كان قد ارتد ناس عن الإسلام، كان سبب ارتدادهم إخباره صلى الله عليه و سلم عن بعض ما رأى من الآيات الكبرى ليلة الإسراء، و كان لما نزلت عليه صلى الله عليه و سلم سجدة النجم و سجد فيها صلى الله عليه و سلم سجد معه ٥ - كما فى البخارى[1] - المسلمون و المشركون و الجن و الإنس، و لم يكن فى ظن أحد من الخلق انقلابهم على أدبارهم بعد حتى و لا فى ظن المرتدين، سبب عن ذلك قوله: ﴿ افرءيت ﴾ أى أخبرونى ﴿ الذى تولّى ﴾ أى [عن] ذكرنا بعد أن كان حريصا عليه، يظن هو و أهله أنه عريق فى أهله بأيمانه و أعماله فى ايام إيمانه ﴿ و اعطى قليلا و اكدى ﴾ أى قطع ١٠ ذلك العطاء على مكده و قلته و أبطله و أفسده فصار كالحافر الذى وصل فى حفره إلى كدية، يقال لحافر البئر: أجبل - إذا وصل إلى جبل، و أكدى - إذا وصل إلى كدية أى صفاة عظيمة شديدة لاتعمل فيها المعاول، فصار لايقدر معها على شىء من علمه، و لايستطيع النفوذ فيها بشىء من حيله، و قد كان قبل ذلك لما صادف التراب اللين يظن أنه ١٥ لايمنعه مانع مما يريد، فهذا دليل خبرى شهودى على أنه لا علم لأحد من الخلق بما حباه الله فى نفسه فضلا عن غيره، فلا ينبغى لأحد أن يزكى نفسه و لاغيره، قيل[2]: نزلت فى الوليد بن المغيره أسلم ثم ارتد لتعيير بعض المشركين له، و قوله له "ارجع و أنا أتحمل عنك العذاب" و هى تصلح لكل من ارتد ظاهرا أو نافق أو انهمك فى المعاصى بعد

(١) راجع ٢ /٧٢١ (٢) راجع البحر المحيط ٨ /١٦٦ .

إيمانه معرضا عن الأعمال الصالحة .

و لما كان هذا - و قد وقع فى خطر عظيم من إفساد العمل فى الماضى و تركه فى المستقبل فصار على خطأ عظيم فى أحدهما - يتعلق بأصل الدين: الكفر و الإيمان ، و كان مثل هذا لايفعله عاقل بنفسه إلا عن بصيرة ، قال تعالى موبخا له مقرعا: ﴿ اعنده ﴾ أى خاصة ﴿ علم الغيب ﴾ أى ٥ كله بحيث لايشاركه فيه مشارك يمكن أن يخفى عليه شىء منه ﴿فهو﴾ أى فيتسبب عن ذلك أنه ﴿ يرى ﴾ أى الرؤية الكاملة فيعلم جميع ما ينفعه فيرتكبه و جميع ما يضره فيجتنبه و يعلم أن هذا القليل الذى أعطاه قد قبل و أمن به من العطب فاكتفى به .

و لما كان النبى قد يظن أن عمل غيره ينفعه ، عبر عنه جامعا للوعظ ١٠ و التهويل بقوله: ﴿ ام لم ينبا ﴾ أى يخبر إخبارا عظيما متتابعا ﴿ بما فى صحف موسى ﴾ أى التوراة المنسوبة إليه بانزالها عليه وكذا ما يتبعها من أسفار الأنبياء الذين جاؤا بعده بتقريرها .

و لما قدم كتاب موسى عليه السلام لكونه أعظم كتاب بعد القرآن مع أنه موجود بين الناس يمكن مراجعته ، قال: ﴿ و ابراهيم ﴾ ١٥ و مدحه بقوله دالا بتشديد الفعل على غاية الوفاء: ﴿ الذى وفى ﴾ أى أتم ما أمر به و ما امتحن به و ما قلق شيئا من قلق ، و كان أول من هاجر قومه و صبر على حر ذبح الولد و كذا على حر النار و لم يستعن بمخلوق ، و خص هذين النبيين لأن المدعين / من بنى إسرائيل اليهود ٩٩ /

(١) زيدت الواو فى الأصل .

و النصارى يدعون متابعة عيسى عليه السلام ، و من العرب يدعون متابعة إبراهيم عليه السلام ، و من عداهم لامتمسك لهم و لا سلف فى نبوة محققة و لا شريعة محفوظة ، ثم فسر الذى فى الصحف أو استأنف بقوله : ﴿ الا تزر ﴾ أى تأثم و تحمل ﴿ وازرة ﴾ أى نفس بلغت مبلغا ٥ تكون فيه حاملة ﴿وزر اخرى﴾ أى حملها الثقيل من الإثم ، يعنى فمن يحمل عنه أثم أحد الشقين الذى لزمه فلا بد أن يكون آثما و هما قبل التولى و ما بعده .

و لما نفى أن يضره إثم غيره ، نفى أن ينفعه سعى غيره فقال : ﴿و ان ليس للانسان ﴾ كائنا من[1] كان ﴿ الا ما سعى ﴾ فلا بد ان ١٠ يعلم الحق فى أى جهة فيسعى ، و دعاء المؤمنين للمؤمن سعيه بموادته لهم و لو بموافقته لهم فى الدين و كذا الحج عنه و الصدقة و نحوهما ، و أما الولد فواضح فى ذلك ، و أما ما كان لسبب العلم و نحوهما (؟) فكذلك ، و تضحية للنبى صلى الله عليه و سلم فى عزامته أصل كبير فى ذلك ، فان من تبعه فقد وادده ، و هذا أصل فى التصدق عن الغير و إهداء ما له ١٥ من الثواب فى القراءة و نحوها .

و لما ثبت أنه ليس له و لا عليه إلا ما عمل ، و كان فى الدنيا قد يفعل الشىء من الخير و الشر و لايراه من فعله لأجله و لا غيره ، نفى أن يكون الآخرة كذلك بقوله : ﴿و ان سعيه ﴾ أى من خير و شر ﴿ سوف ﴾ أى من غير شك بوعد لاخلف فيه و إن طال المدى .

(١) فى الأصل : ما .

و لما كان الاطلاع نفسه مرضيا أو مخزيا لا بالنسبه لاحد بعينه، بناه للمجهول بقوله: ﴿ يرى ﴾ و لما كان المخوف منه المجازاة مطلقا لا من مجاز معين قال: ﴿ثم يجزيه﴾ و لما كان فى هذه الدار ربما وقعت المسامحة ببعض الأشياء و الغفلة عن بعضها، قال: ﴿الجزآء الاوفى﴾ أى الأتم الأكمل؛ إن كان خيرا فمع المضاعفة، و إن كان غيره فعلى السواء لمن أراد الله ذلك له و يعفو عن كثير، لكنه تذكرة له.

و لما كانت رؤية الأعمال لا تقطع رؤية المتوكلين بها من الملائكة أو غيرها ممن أقامه الله لذلك، و كان الرائى كلما كان أكثر كان الأمر أهول، و كان رؤية الملك الأعظم أخوف، قال عاطفا على "لا تزر" مبينا بحرف الغاية أن الرائين للأعمال كثير لكثرة جنوده سبحانه: ﴿ و ان الى ربك ﴾ أى المحسن اليك لاغيره ﴿ المنتهى ﴾ أى الانتهاء برجوع الخلائق حسا بالبعث و معنى بالعمل و العلم، و إسناد الأمور و إرسال الآمال، و مكان رجوعهم و زمانه كما كان منه المبتدأ، أكد ذلك خلقا لذلك كله و حسابا عليه. روى البغوى[1] من طريق أبى جعفر الرازى عن أبى بن كعب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم فى هذه الآية قال: لا فكرة فى الرب، قال: و مثل هذا ما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا: تفكروا فى الخلق و لا تتفكروا فى الخالق فانه لايحيط به الفكرة. و رواه أبو نعيم فى الحلية عن ابن عباس رضى الله عنهما: و لا تتفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره، هذا [هو]

(١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦ / ٢٢٣ .

المراد و هو واضح ، فمن أول الآية باتحاد أو غير ذلك من الإلحاد فعليه لعنة الله و على الذاب عنه و الساكت عنه .

١٠٠ / و لما ذكر تعالى الأمور الاختيارية / و قدمها لأنها محط للبلاء و سلب علمها عن أصحابها ، و حذر من عاقبتها باحاطته بكل شيء ، وكان معنى ذلك انه القادر لا غيره و العالم لاغيره ، عطف عليه قوله ذاكرا للامور الاضطرارية التى هى فى غاية التنافى إكمالا للدليل على أنه يعلم ما فى النفوس دون أصحابها و غيرهم و أنه إليه المنتهى إعادة و إبداء ، يوقف ما يشاء على ما يريد من الأسباب التى تفعل باذنه من الضحك أو البكاء و غيرهما من الأمور المنافية التى لولا الالف لها لقضى الإنسان أن المتلبس بأحدهما لا يتلبس بضده أصلا و من غيرها ﴿ و انه ﴾ و لما كانت التأثيرات الإدراكية تحال على أسبابها ، أكد الكلام فيها فقال : ﴿ هو ﴾ أى لا غيره ﴿ اضحك و ابكى ﴾ اى و لا [يعلم] أحد قبل وقت الضحك أو البكاء انه يضحك أو يبكى و لا أنه يأتيه ما يعجبه أو يحزنه ، و لو قيل له حالة الضحك أنه بعد ساعة [يبكى] لانكر ذلك ، و ربما أدركه ما أبكاه و هو فى الضحك و بالعكس .

و لما كانت الإماتة و الإحياء أعظم تنافيا بما مضى ، فكانت القدرة على إيجادهما فى الشخص الواحد أعظم ما يكون ، و كان ربما نسب إلى من قتل او داوى من مرض أو أطلق من وجب قتله ، أكد فقال : ﴿ و انه هو ﴾ أى لاغيره . و لما كان الإلباس فى الموت أكبر ، وكان الموت أنسب للبكاء ، و الإحياء أنسب للضحك ، وكان طريق النشر المشوش

أفصح، قدمه فقال: ﴿ امات و احيا ﴾ و ان رأيتم اسبابا ظاهرية فانه لاعبرة بها أصلا فى نفس الأمر بل هو الذى خلقها .

و لما كان ذكر الإحياء، و كان تصنيف الولد إلى نوعيه ظاهرا فى اختصاصه، بل و هو فى غاية التعذر على [من] سواه، أعراه عن مثل التأكيد فى الذى قبله فقال: ﴿ و انه خلق الزوجين ﴾ ثم فسرها بقوله: ﴿ الذكر و الانثى ﴾ فانه لو كان ذلك فى غيره لمنع البنات لأنها مكروهة لكل أحد، ثم ذكر ما يظهر و لا بد أنه من صنعه فتسبب أن مادة الاثنين واحدة و هو الماء الذى هو أشد الأشياء امتزاجا فقال: ﴿ من نطفة ﴾ و صور كونها منها بقوله: ﴿ اذا تمنى ﴾ أى تراق و تدفق بالفعل لاقبل ذلك ليمكن فيه طعن بأنه كان بدؤا أو غيره بل أنتم تعلمون أنه لايخلق الولد إلا بعد الإمناء بالفعل، و خرج أصله ما يمكن خلقا من خلق الله ان يعرف بمجرد رؤيته أهو صالح للانثى فقط أو للذكر فقط أو لهما أو للاشكال بالخنوثة .

و لما ساق هذه الأشياء دليلا على إحاطة علمه فلزمها أن دلت على تمام قدرته، و ختمها بالنشأة الأولى فلزم من ذلك الإقرار حتما بأنه قادر على البعث، عبر بما يقتضى أنه لما تقدم به وعده على جميع ألسنة رسله صار واجبا عليه بمعنى أنه لابد من كونه لأنه لايبدل القول لديه، لاغير ذلك، فعبر بحرف الاستعلاء تأكيدا له ردا لإنكارهم إياه فقال: ﴿ و ان عليه ﴾ أى خاصا به علما و قدرة ﴿ النشأة ﴾ أى الحياة و هو ممدود[1] لابن

(١) راجع نثر المرجان ٧/١٠٣ .

كثير و أبى عمرو و مقصور لغيرهما مصدر نشا ـ اذا حتى و ربى و سن ﴿ الاخرى ﴾ أى التى ينشأ بها الخلق بعد ان يميتهم . و لما كان الغنى و الفقر من الأمور المتوسطة بين الاختيارية و الا ضطرارية له بكل الأمرين لسبب و كان مقسوما بين الإناث و الذكور بحكمة ربانية لاينفع الذكر فيها / قوته و لا يضر الأنثى ضعفها ، و كان ذكر النشأة الآخرة كالمعترض إنما أوجب ذكر النشأة الأولى ، تعقب ذكرهما به و كان ذكر الغنى مع أنه يدل على الفقر أليق بالامتنان ، و النسبة إلى الرب ، وكان الغنى الحقيقى إنما يكون فى تلك الدار ، أخر ذكره فقال : ﴿ و انه ﴾ و لما كان ربما سب إلى السعى و غيره ، أكد بالفعل فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده من غير نظر إلى سعى ساع ولا غيره ﴿ اغنى ﴾ و لما كان الغنى فى الحقيقة إنما هو غنى النفس ، و هو رضاها بما قسم[1] لها و سكونها و طمأنينتها ، و إنما سمى ذو المال غنيا لأن المال بحيث تطمئن معه النفس ، فمن كان راضيا بكل ما قسم الله به فهو غنى ، و هو فى الجنانه مغنى و إن كان فى الدنيا ﴿ و اقنى ﴾ أى أمكن من المال و أرضى بجميع الأحوال ، قال البغوى[2] : أعطى أصول المال و ما يدخر بعد الكفايه ، قال : و قال الأخفش أقنى أفقر ـ انتهى . و نقل الإصبهانى مثله عن أبى زيد ، فتكون الهمزة للازالة[3] و يقال ، أقناه بكذا أرضاه ، و اقناه الصد : أمكنه منه .

و لما كانت الشعرى لأنها تقطع السماء عرضا ادل النجوم بعد تمام

(١) فى الاصل : قسما (٢) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٦/ ٢٢٤ (٣) فى الأصل : للازاليه .

القدرة على الفعل بالاختيار مع أنها مما دخل تحت ذلك الجنس المقسم به اول السورة، و هى لمرورها فى سيرها عرضا على جميع المنازل التى كانت العرب تستمطر بها و تنسب بالإتيان بالحد الموجب للغنى إليها كانت قد عبدها من دون الله أبو كبشة الخزاعى لكونها عنده أجل الكواكب، قال تعالى دالا بالتأكيد على سفاهة من عبدها: ﴿و انه هو﴾ أى لا غيره ﴿رب الشعرى ٥﴾ أى الكاملة فى معناها و هى العبور، و أهل علم النجوم يقولون: إن الأحكام النجومية المنسوبة إليها أصح ما ينسب إلى العالم العلوى، و هى نجم يضىء [خلف] الجوزاء، و يسمى كلب الجبار، و سميت الجوزاء بالجبار تشبيها لها بملك على كرسيه و على رأسه تاج، و قال الرازى فى اللوامع: هى أحد كوكبى ذراعى الأسد، و قال ابن القاص فى كتاب دلائل القبلة: و ترى عند صلاة الصبح نيرة زائدا نورها على نور سائر الكواكب حولها، و قد طمس الصبح نور سائر الكواكب، و أما الشعرى الأخرى فهى الغميصاء - بالغين المعجمة و الصاد المهملة - فهى أقل نورا منها، و لذلك سميت الغميصاء، و قال القزاز فى جامعه: و قيل: بكت على أختها فغمصت عينها، أى غارت و ذهبت ٥

و لما دل سبحانه على كمال علمه و شمول قدرته بأمور الخافقين: العلوى و السفلى، فكان ذلك داعيا إلى الإقبال على ما يرضيه، و ناهيا عن الإلمام بما يسخطه، شرع فى التهديد لمن وقف عن ذلك بما وقع فى مصارع الأولين من عجائب قدرته فقال: ﴿و انه اهلك عادا﴾ و لم يأت بضمير الفصل لأنه لم يدع فى أحد غيره إهلاكهم، و هول أمرهم بقوله: ٢٠

﴿ الاولى ﴾ أى القدماء فى الزمان جدا دلالة على أنه المنصرف فى جميع الأزمنة ، و قدمهم لأن الشر أتاهم من حيث ظنوه خيرا و جزموا بأنه من الأنواء النافعة التى كانت عادتهم استمطارها ، و قيل : إن عادا قبيلتان: و الأولى قوم هود عليه السلام و الأخرى أرم ذات [العماد - [1]] - قاله جماعة منهم القشيرى . قال البغوى[2] : وكان لهم عقب فكانوا عادا الأخرى ، و قال ابن جرير[3] : و عادا الأولى / هم الذين عنى الله بقوله " الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم " و إنما قيل لهم عادا الأولى [لأن] بنى لقيم بن هزال هزيل بن عنبل بن عاد كانوا ايام ارسل الله على هؤلاء عذابه سكانا بمكة مع إخوانهم من العمالقة ولد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام فلم يصبهم من العذاب ما أصاب قومهم و هم عاد الأخرى ، ثم هلكوا بعد بغى بعضهم على بعض فتفانوا ، و قال غير ابن جرير: إن أرم هم عاد الأخرى ، و عطف عليهم قوله : ﴿ و ثمودا ﴾ أى أهلكهم ثم سبب عن الإهلاك قوله : ﴿ فما ابقى ﴾ أى من الفريقين أحدا ، و من قال : إن عادا قبيلتان جعل عدم الإبقاء خاصا بثمود ، و قراءة عاصم و حمزة و يعقوب[4] بمنع الصرف نص فى أنهم قوم صالح عليه السلام ، و قراءة الباقين بالصرف أنسب للاهلاك و الإعدام .

١٠٢ /

و لما قدم من كان إهلاكهم بنفس الريح التى هى مبدأ الأمطار الآتية لهم فى السحاب ، و أتبعهم من إهلاكهم بها بحملها للصيحة و إرجافها

(١) زيد من القرآن (٢) راجع المعالم بهامش اللباب ٦ / ٢٢٥ (٣) راجع تفسيره ٢٧ / ٤١ (٤) راجع نثر المرجان ٧ / ١٠٦ .

بهم، أتبعهم من كان إهلاكهم بالماء الذى هو غاية السحاب فقال: ﴿ و قوم نوح ﴾ اى أهلكهم لأجل ظلمهم بالتكذيب، و لما كان إهلاكهم فى بعض الزمان الماضى قال: ﴿ من قبل ﴾ أى قبل الفريقين فصار فى الكلام تهويلان يهزان القلب و يفعلان فى النفس وصف هؤلاء بالقبيلتين و أولئك بالأولى، و لو لا تقديمهم ما كان هذا، و علل هلاكهم بما يؤذن أنه لافرق عنده بين قوى و ضعيف و قليل و كثير مؤكدا لأن ما اشتهر من طغيان عاد يوجب أنهم أطغى الناس: ﴿ انهم كانوا ﴾ أى بما لهم من الأخلاق التى هى كالجبال التى لا انفكاك عنها ﴿ هم ﴾ اى خاصة ﴿ أظلم ﴾ من الطائفتين المذكورتين ﴿ و اطغى ﴾ أى و أشد تجاوزا فى الظلم و علوا و إسرافا فى المعاصى و تجبرا و عتوا لبادى دعوة نوح عليه السلام و لأنهم أطول أعمارا و أشد أبدانا، وكانوا مع ذلك ملء الأرض. و يجوز أن يكون الضمير للفرق الثلاثة.

و لما ذكر الهلاك بالريح العاصفة الناشئة عنها ثم بالماء الناشئ عن السحاب الناشئ عن الريح، ذكر الإهلاك بالريح والنار و الماء إعلاما بأنه الفاعل وحده بما أراد من العذاب من العناصر التى سبب الحياة مجتمعة و منفردة، فقال مقدما عن العامل إعلاما بالتخصيص بما ذكر من العذاب إفادة بأنه تعالى قادر على كل شىء فلم يعذب فرقه بما عذب به الأخرى: ﴿ و المؤتفكة ﴾ أى المدن المنقلبة عن وجوهها إلى أقفائها بقدرة جعلتها من شدتها و عظمتها كأنها انقلبت بنفسها من غير قالب و ذلك أنه سبحانه فتقها من الأرض ففتقها ثم دفعها فى الهواء إلى عنان السماء ثم

قلبها و أتبعها حجارة النار الكبريتية و غمرها بالماء الذى لايشبهه شيء من مياه الدنيا، و لذلك قال: ﴿اهوىٰ﴾ أى رفع و حط و أزل، فكان الإنزال إهواء حقيقيا، و الرفع مجازيا لأنه سببه و هى مدن قوم لوط عليه السلام، و أشار إلى الحجارة و الماء بقوله مسببا عن الإهواء و معقبا له: ﴿فغشّٰها﴾ أى أتبعها ما غطاها فكان لها بمنزلة الغشاء، و هولها بقوله: ﴿ما غشىٰ﴾ أى أمرا عظيما من الحجارة و غيرها لايسع العقول وصفه، و قد اشتمل ما ذكره سبحانه من الصحف على بيان ما ينفع من الأعمال و ما يضر / و بيان التوحيد باحاطة الله سبحانه بالنهايات التى لانهاية بعدها علما و قدرة لاختصاصه ببيان المصنوعات و ببيان البعث للتخويف بالآجل و إهلاك المرتدين للتخويف بالعاجل لمن كان قلبه جافيا عن النفوذ إلى الآجل. /١٠٣

و لما أهلك كل واحدة من هذه الفرق فلم يبق من فجارها احد، و أبجى من أطاعه منهم فلم يهلك منهم أحد، و كان إهلاكه لكل منها بشيء غير ما هلك به الفريق الآخر، فدل كل من ذلك على تمام علمه و كمال قدرته، و كان كل ما تقدم فى هذه السورة من النعم و النقم لكونه كان أعم أوجه الحكم نعمة على كل مؤمن لما فيها من الترغيب فى ثوابه و الترهيب من عقابه، خاطب سبحانه رأس المؤمنين لأن خطابه له أشد فى تذكر غيره فقال مسببا عما مضى: ﴿فبأىّ آلاء ربك﴾ أى عطية المحسن إليك التى هى وجه الإنعام و الإكرام و هى إشارة المعرفة به سبحانه بمنزلة ظل الشخص من الشخص كما أنه لايتصور ظل إلا لشخص

فكذلك فعل الفاعل و لا أثر للمؤثر ﴿تمارى﴾ أى تشك باجالة الخواطر
فى فكرك فى إرادة هداية قومك بحيث لا تريد أن أحدا منهم يهلك
و قدحكم ربك باهلاك كثير منهم لما اقتضته حكمته ، و كان بعض خطرك
فى تلك الإجالة يشكك بعضا ، و لما تم الكلام على هذا المنهاج البديع
و النمط الرفيع فى حسان البيان للواعظ و الشرع و القصص القديمة ٥
و الإنذار العظيم التام على وجه معجز من وجوه شتى ، أنتج قوله مرغبا
مرهبا خاتما السورة بما بدأ هنا به من ذكره صلى الله عليه و سلم : ﴿هذا﴾
النبى صلى الله عليه و سلم ﴿نذير﴾ أى محذر بليغ التحذير ، و لما كانت
الرسل الماضون عليهم الصلاة و السلام قد تقررت رسالتهم فى النفوس
و سكنت إليها القلوب ، بحيث أنه لايسع إنكارها ، فكان قد أخبر عن ١٠
إنكار من كذبهم لأجل تكذيبهم ، و إنجائهم و إنجاء من صدقهم لأجل
نصرتهم ، و كان لا فرق بينه صلى الله عليه و سلم و بينهم فى ذلك إلا أن
الرحمة به أبلغ و أغلب ، مرغبا فى اتباعه مرهبا من نزاعه ، قال :
﴿من النذر الاولى﴾ يجب له ما وجب لهم و أنتم كالمنذرين الأولين ،
فاحذروا ما حل بالمكذبين منهم و ارجوا ما كان للمصدقين . ١٥

و لما كان كل آت قريبا ، و كانت الساعة ـ و هى ما أنذر به من
القيامة و مما دونها ـ لابد من إتيانها لما وقع من الوعد الصادق به المتحف
بالدلائل التى لا تقبل شكا بوجه من الوجوه ، فكان باعتبار ذلك لاشىء
أقرب منها ، قال دالا على ذلك بصيغة الماضى الذى قد تحقق وقوعه
و باشتقاق الواقع الفاعل مما منه الفعل : ﴿ ازفت الأزفة﴾ أى دنت ٢٠

الساعة الدانية فى نفسها التى وصفت لكم بالفعل بالقرب غير مرة لأنها محط الحكمة و إظهار العظمة ، و ما خلق الخلق / إلا لأجلها ، المشتملة على الضيق ١٠٤/
و سوء العيش من القيامة ، و كل ما وعدتموه فى الدنيا مما يكون به ظهور هذا الدين و قمع المفسدين . و لما ضاق الخناق من ذكرها على هذا الوجه ،
٥ تشوف السامع إلى دفعها ، فاستأنف قوله : ﴿ ليس لها ﴾ و استدرك بقوله : ﴿ من دون الله ﴾ أى من أدنى رتبة من رتبة الملك المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ كاشفة ﴾ أىّ كاشف يوجدها و يقيمها و يجلى علمها ، أو يدفع كربها و همها و إن بالغ فى الكشف و بذل الجهد فيه ، فالهاء للمبالغة ، و يجوز أن تكون مصدرا كالجاثية و الكاذبة و الباقية فيكون
١٠ الهاء للتأنيث .

و لما أفهم هذا أن الله يكشفها أى يكشف كربها ممن يريد من عباده و يثقله على من يشاء ، و يكشف علمها باقامتها ، و لاحيلة لغيره فى شىء من ذلك بوجه ، سبب عنه و عما تقدمه من الإنذار[1] قوله منكرا موبخا : ﴿ افمن هذا الحديث ﴾ أى القول العظيم الذى يأتيكم على سبيل
١٥ التجدد بحسب الوقائع و الحاجات ﴿ تعجبون ﴾ إنكارا و هو فى غاية ما يكون من ترقيق القلوب .

و لما كان المعجب قد يمسك نفسه عن الضحك ، بين أنهم ليسوا كذلك فقال : ﴿ و تضحكون ﴾ أى استهزاء تجددون ذلك فى كل وقت مبتدأ ضحككم منه و هو بعيد من ذلك ، و لما كان إنما يورث الحزن بكونه

(١) زيدت الواو فى الأصل .

نزل

نزل بالحزن قال: ﴿ و لا تبكون ﴾ أى كما هو حق من يسمعه .

و لما كان البكاء قد يكون على التقصير فى العمل ، بين أن الأمر أخطر من ذلك [فقال] : ﴿ و انتم ﴾ أى و الحال أنكم فى حال بكائكم ﴿ سٰمدون ﴾ أى دائبون فى العمل جاهدون فى العمل ، فان الأمر جد ، فالدأب فى العمل و الجد فيه حينئذ علة للبكاء ، فكأنه قيل : و لا تدأبون فى العمل فتبكون ، و إنما قلت ذلك لأن " سمد " معناه دأب فى العمل و رفع رأسه تكبرا و علا ، و سمد الإبل : جد فى السير ، و سار سيرا شديدا ، و اسمادّ : ورم ، و سمد : قام متحيرا و حزن و سر و غفل و لها و قام و حصل و نام و اهتم و تكبر و تحير و بطر و أشر ، و سمد الأرض : سهلها ، و أيضا جعل فيها السماد ، أى السرقين ، و الشعر : استأصله ، و هو لك سمدا أى سرمدا ، و السميد : الحوارى ، ذكر ذلك مبسوطا القزاز فى جامعه و صاحب القاموس . فالمادة كما ترى تدور على انتشارها على الدأب فى العمل فتارة بذكر مبدئه الباعث عليه ، و تارة الناشىء عنه ، و تارة ما بينهما ، و هو الجد فى العمل ، فينطلق الاسم على كل من ذلك تارة حقيقة و مرة بمجاز الأول ، و أخرى بمجاز الكون ، فالقصد باعث ، و كذا الاهتمام و القيام و رفع الرأس ناشئان عنهما ، و ذلك أوله ، و السدم بمعنى الحرص و الهم و اللهج بالشىء ، و السديم : الضباب الرقيق ، هو مبدأ الكشف ، و المسدم : البعير المهمل و ما دبر ظهره ، كأنه من الإزالة ، و ركية سدم : متدفقه ـ للمعالجة فى فتحها ، و لأن تدفقها دأب فى العمل ، و كذا سدم الباب أى ردمه ، و الدسم / : الودك ، لأنه منشط على العمل و منشأ ١٠٥ /

منه، و الوضر و الدنس، و دسم المطر الأرض: بلها قليلا، لأنه مبدأ الكثير، و القارورة: سدها، و الباب: أغلقه، لأنه يعالج فى فتحه، و الدسمة: غبرة إلى السواد ـ كأنه مبدأ السواد، و الدسيم لما لم يكن أبواه من نوع واحد ـ كأنه مبدأ لكل نوع منهما و لأنه يلزم الخلط فى العادة العلاج، و منه الدسمة للردىء من الرجال ـ كأنه لم يكمل فيه النوع، و لأن نقص الشيء عن عادته يلزمه العلاج و الفعل بالاختيار، و الديسم: الرفيق بالعمل المشفق، و أنا على دسم من الأمر أى طرف منه، و المسد ـ محركة: المحور من الحديد، لأنه آلة الفتل، و حبل من الليف أو ليف المقل لأنه محل الدأب، و المساد: نحى السمن، و دمسه: دفنه، يصلح أن يكون مبدأ و مقصدا، و منه دمس بينهم: أصلح، لأنه دفن أحقادهم و عالج فى ذلك، و الدمس: إخفاء الشيء و الظلام، لأنه منشق التعب، و دمس الموضع: درس ـ للتعب فى معرفته، و دمس الإهاب: غطاه فيمشط شعره، و الدمس: الشخص، و بالتحريك: ما غطى، و الدودمس بالضم: حية مجرنفشة الغلاصيم تنفخ فتحرق ما أصابت بنفخها، و من آثاره الناشئة عنه الورم، و كذا القيام متحيرا و الغفلة و السرور و الحزن و اللهو و النوم و الكبر و التبختر و العلو و العتا، و السميد أى الحوارى، و السمد بمعنى السرمد: و السمد: الهم مع ندم أو الغيظ مع حزن، و الديماس: الكن، و بما بين ذلك سمد الأرض و الشعر و السير الشديد و الجد فيه، و هو نفس الدأب، و كذا السديم للكثير الذكر، و ماء مسدم و عاشق مسدم: شديد العشق، و الدسيم: ظلمة السواد، و الدسيم: الكثير الذكر، و دسم البعير: طلاه بالحناء ـ و المسد:

إدآب السير - و بالتحريك : المضفور المحكم الفتل ، و رجل ممسود : مجدول الخلق - شبه به - و هى بهاء ، و دمس[1] بينهم : أصلح ، و هو من الدفن أيضا لأنه دفن أحقادهم فتبين أن جعل السمود فى الآية بمعنى الدأب فى العمل هو الأولى ، و أن كون الجملة حالا من جعلها معطوفة على "تضحكون" - انتهى و الله أعلم . ٥

و لما حث على السمود ، فسره مسببا عن الاستفهام و مدخوله قوله : ﴿ فاسجدوا ﴾ أى اخضعوا خضوعا كثيرا بالسجود الذى فى الصلاة ﴿ لله ﴾ أى الملك الأعظم ﴿ و اعبدوا ﴾ أى بكل أنواع العبادة فانه "ما ضل صاحبكم" عن الأمر بذلك "و ما غوى" قال الرازى فى اللوامع : قال الإمام محمد بن على الترمذى : تعبدنا ربنا مخلصين أن نكون له كالعبيد ١٠ و أن يكون لعبيده كما هو لهم - انتهى ، و لو كان السمود بمعنى اللهو كان الأنسب تقديمه على "تبكون" - و الله أعلم ، و قد ظهر أن آخرها نتيجة أولها ، و مفصلها ثمرة موصلها - و الله الهادى .

* * * * *

(١) من القاموس ، و فى الأصل : مس .

سورة القمر[١] و تسمى "اقتربت" /

/١٠٦

مقصودها بيان آخر النجم فى أمر الساعة من تحققها و شدة قربها و تصنيف أهلها - باعتبار ما ذكر هناك من العجب من القرآن و الضحك و البكاء و العمل - إلى طالب علم مهتد به، و إلى متبع نفسه هواها و شهواتها ضال باهمالها فهو خائب، و ذلك لأنه سبحانه وعد بذلك باخبار نبيه صلى الله عليه و سلم و تحقق صدقه بما أيده به من آياته التى ثبت بها اقتداره على ما يريد من الإيجاد و الإعدام، فثبت تفرده بالملك و أيد اقترابها بالتأثير فى آية الليل بما يدل على الاقتدار على نقض السماوات المستلزم لإهلاك ... فان ذلك ... بأنه ما بقى إلا تأثير آية النهار و عند ما يكون طى الانتشار و عموم البوار المؤذن بالإحضار لدى الواحد القهار، و أدل ما فيها على هذا الغرض كله أول آياتها، فلذلك سميت بما تضمنته من الاقتراب و الساعة و القمر، و كانت تسميتها بالقمر أشهر لدلالته بسرعة سيره و كثرة تقلبه على الاقتراب المنجم به النجم بالإشارة لا بالعبارة، و لم تسم بالانشقاق لأنه إذا أطلق انصرف إلى الأتم، فالسماء أحق به ﴿ بسم الله ﴾ الذى أحاط علمه فتمت قدرته ﴿ الرحمن ﴾ الذى وسعت رحمته كل شىء فعمت الشقى و السعيد ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى خص باتمام النعمة من اصطفاه فأسعدتهم رحمته .

لما ختمت النجم بالتهديد باقتراب القيامة التى ينكرونها بعد أن

---

(١) الرابعة و الخمسون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها (٥٥) بالاتفاق - راجع نثر المرجان ٧ / ١١٠ .

فتحها بالأقسام البلس(؟) فى النجم الذى هو أعم من القمر و غيره بتسييره طلوعا و أفولا و صعودا و هبوطا ، افتتح هذه بذلك مع الدلالة عليه عقلا و سمعا فى التأثير فى أعظم آيات الله و غير ذلك ليقطع العباد عن الفساد ، و يستعدوا لها قبل مجيئها أحسن استعداد ، فقال دالا على عظيم اقتداره عليها بتأنيث فعلها : ﴿ اقتربت الساعة ﴾ اشتدت قربا الساعة : اللحظة التى ٥ لاساعة فى الحقيقة غيرها التى تقوم فيها القيامة لأنه قل ما بقى بيننا و بينها بالنسبة إلى ما مضى من زمن آدم عليه السلام لبعث خاتم الأنبياء الذى لم يبق بعد أمته أمة تنتظر ، فيكون فى الزمان مهلة لذلك .

ولما كان الإخبار باقترابها يحتاج عند المعاند [الى] آية دالة عليه ، وكانت الآيات السماوية أعظم ، فالتاثير فيها أدل على تمام الاقتدار ، و كان القمر ١٠ أدل على الأنواء التى بها منافع الخلق فى معاشهم ، و كانت العرب أعرف الناس بها ، دلهم على التأثير فيه على اقترابها مع الإرهاب من شدائد العذاب باعدام الأسباب فقال : ﴿ و انشق ﴾ بغاية السرعة و السهولة ﴿ القمر ٥ ﴾ آية للرسول المنذر لكم بها ، فكان انشقاقه - مع الدلالة على ذلك باعجاز القرآن و غيره - دالا على كونها و قربها أيضا بالتأثير ١٥ العظيم الخارق لعادة ما قبله من التأثير فى أحد النيرين اللذين هما أعظم الأسباب / المقامة للمعايش الدال على القدرة على التأثير فى الآخرة الدال / ١٠٧ ذلك على القدرة على تمام التصرف فيهما من جمعهما و خسفهما و اعتدامهما و لسيبهما(؟) الذى هو من أسباب خراب الأرض ، يقول الإسان عنده : أين المفر ؟ المؤذن بطىّ العالم المعلم بأن له ربا فاعلا بالاختيار مدبرا بالحكم ٢٠

الدال على بعث عباده ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، فيثيب من تابع رسله و يعاقب من خالفهم، و انشقاق القمر على حقيقته فى زمان النبي صلى الله عليه و سلم أمر شهير جدا، و إجماع أهل التفسير عليه كما قاله القشيرى، و قال: رواه ابن مسعود رضى الله عنه و لا مخالف له فيه - انتهى . و ذلك أن قريشا سألوا النبى صلى الله عليه و سلم أن تريهم آية فأراهم انشقاق القمر بحيث طلعت فرقة عن يمين حراء و أخرى عن يساره - رواه الشيخان[1] عن ابن مسعود و أنس رضى الله عنهما، و معلوم أن الأمة تلقت كتابيهما بالقبول فهو يكاد يلحق بالمتواتر و قد أيده القرآن فلم يبق فيه شك، قال القشيرى: و روى أيضا ابن عمر و حذيفة و ابن عباس و جبير بن مطعم رضى الله عنهم، و قال أبو حيان[2]: سبب نزولها أن مشركى العرب من قريش قالوا للنبى صلى الله عليه و سلم: إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين، و وعدوه بالإيمان إن فعل ذلك، و كانت ليلة البدر فسأل ربه فانشق - انتهى، و من قال: المراد به "سينشق" يحتاج فى صرف الماضى عن حقيقته إلى المستقبل إلى صارف و أنى له ذلك و لا سيما و قد تأيدت الحقيقة بالنسبة الصحيحة الشهيرة .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما أعلمهم سبحانه بأن إليه المنتهى، و أن عليه النشأة الأخرى، و إذ ذاك يقع جزاء كل نفس بما أسلفت، أعلمهم سبحانه بقرب ذلك و حسابه ليزدجر من وفقه للازدجار فقال تعالى "اقتربت الساعة و انشق القمر" ثم إن سورة ص تضمنت من عناد

(١) راجع صحيح البخارى - التفسير و صحيح مسلم - أبواب المنافقين (٢) راجع البحر المحيط ٨/١٧٣ .

المشركين و سوء حالهم و توبيخهم فى عبادتهم ما لايضر و لاينفع ما يكاد يوجد فى غيرها مما تقدمها ، و بعد التنبيه فى السورة قبلها و التحريك بآيات لايتوقف عنها إلا من أضله الله و خذله ، و أثبتت السورة بعد على تمهيد ما تضمنته سورة ص فلم يخل سورة منها من توبيخهم و تقريعهم لقوله فى الزمر "و الذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا ٥ الى الله زلفى" و قوله "لواراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء" و قوله "قل الله اعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه" و قوله مثلا لحالهم "ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون" الآية إلى ما بعد من التقريع و التوبيخ ، و قوله فى سورة غافر "ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد" و قوله "ذلكم بانه ١٠ اذ دعى الله وحده كفرتم و ان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله" و قوله "افلم يسيروا فى الارض" الآية ، و قوله "ان الذين يجادلون فى ايات الله بغير سلطن اتاهم ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه /" و قوله /١٠٨ "الم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله انى يصرفون" "الذين كذبوا بالكتب و بما ارسلنا به رسلنا فسوف يعلمون" إلى قوله "فاما نرينك بعض ١٥ الذى نعدهم او نتوفينك فالينا يرجعون" و قوله "اولم يسيروا فى الارض" إلى ما تخلل هذه الآيات ، وقوله فى السجدة "فاعرض اكثرهم فهم لايسمعون و قالوا قلوبنا فى اكنة" "و قال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه" "ان الذين يلحدون فى ايتنا لايخفون علينا" إلى قوله "اولئك ينادون من مكان بعيد" و قوله "سنريهم ايتنا فى الآفاق ٢٠

و فى انفسهم " إلى آخر السورة ، و قوله فى الشورى " و الذين اتخذوا من دونه اولياء الله حفيظ عليهم و ما انت عليهم بوكيل " " كبر على المشركين ما تدعوهم اليه و الذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم " الآية " ام لهم شركا شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله " الآية ، " فان اعرضوا فما ارسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلٰغ " و قوله فى الزخرف " افنضرب عنكم الذكر صفحا " الآية ، " و جعلوا له من عباده جزءا " إلى ما تردد فى هـذه السورة مما قرعوا به أشد التقريع ، و تكرر فى آيات كثيره فتأملها مثل قوله تعالى فى الدخان "بل هم فى شك يلعبون" إلى قوله " يوم نبطش البطشة الكبرى" انا منتقمون " و قوله " ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين " إلى قوله هذا " ما كنتم به تمترون " وقوله فى الجاثية " فباىّ حديث بعده يؤمنون" إلى قوله " و الذين كفروا بايٰت ربهم لهم عذاب من رجز اليم " و قوله " افرءيت من اتخذ الهه هواه " إلى آخر السورة ، و قوله فى الأحقاف " و الذين كفروا عما انذروا معرضون " و معظم هذه الآية لم يخرج عن هذا إلى ختامها ، و كذلك سورة القتال و لم يتضمن إلا الأمر بقتلهم و أسرهم و تعجيل حربهم " فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب " و أما سورة الفتح فما تضمنته من البشارة و الفتح أشد على الكفار من كل ما قرعوا بـه ، و لم تخرج عن الغرض المتقدم ، و كذا سورة الحجرات لتضمنها من الأمر بتقدير النبي صلى الله عليه و سلم و إجلاله ما يقر عين المؤمن و يقتل العدو الحاسد و ما فيها

أيضا

أيضا من إتلاف أمر المؤمنين و جمع كلمتهم و تآخيهم، و موقع هذا لايخفى على أحد، و أما سورة الذاريات والطور و النجم فما تضمنته مما ذكرناه قبل أوضح شيء، و بذلك افتتحت كل سورة منها فتأمل مطالعها ففي ذلك كفاية في الغرض - و الله تعالى هو أعلم بالصواب، فلما انتهى ما قصد من تقريع مكذبي رسول الله صلى الله عليه و سلم ٥ و بلغت الآى في هذه السورة من ذلك أقصى غاية، و تمحض باطلهم و انقطع دابرهم، و لم يحيروا جوابا فيما عرض عليهم سبحانه في سورة القمر من أحوال الأمم مع أنبيائهم، و كان القصد من ذلك - و الله أعلم - مجرد التعريف بأنهم ذكروا فكذبوا فأخذوا ليتبين لهؤلاء أن لافرق بينهم و بين غيرهم و أن لايغرهم عظيم حلمه سبحانه عنهم، فهذه ١٠ السورة إعذار عند تبكيتهم و انقطاع حجتهم بما تقدم و بعد أن انتهى الأمر في وعظهم و تنبيههم بكل آية إلى / غاية يعجز عنها البشر، و لهذا ١٠٩ / افتتح سبحانه هذه السورة بقوله تعالى "و لقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر" و ختمها سبحانه بقوله "اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة في الزبر" و هذا يبين ما قدمنا، و كان قد ١٥ قيل لهم: أي فرق بينكم و بين من تقدم حتى ترتكبوا مرتكبهم و تظنوا أنكم ستفوزون بعظيم جزائكم، فذكر سبحانه لهم قصة كل أمة و هلاكها عند تكذيبها بأعظم إيجاز و أجزل إيراد و أفخم عبارة و ألطف إشارة، فبدأ بقصة قوم نوح بقوله "كذبت قوم نوح" إلى قوله "و لقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي و نذر" ثم استمر في ذكر الأمم ٢٠

مع أنبيائهم حسبما ذكروا فى السورة الوارد فيها إخبارهم من ذكر أمة بعد أمة إلا أن الواقع هنا من قصصهم أوقع فى الزجر و أبلغ فى الوعظ و أعرق فى الإفصاح بسوء منقلبهم و عاقبة تكذيبهم، ثم ختمت كل قصة بقوله "فكيف كان عذابى و نذر" و تخلل هذه القصص بقوله ٥ تعالى "و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" و هى إشارة إلى ارتفاع عذر من تعلق باستصعاب الأمور على زواجره و تنبيهاته و مواعظه و يدعى بعد ذلك و استعلاءه فقيل له أنه ميسر قريب المرام، و هذا فيما يحصل عند التنبيه و التذكير لما عنده بكون الاستحاقة باذن الله تعالى و وراء ذلك من المشكل و المتشابه ما لا يتوقف عليه ما ذكره و حسب ١٠ عموم المؤمنين الإيمان بجميعه و العمل بمحكمه، ثم يفتح الله تعالى فهم ذلك على من شرفه به و أعلى درجته، فيتبين بحسب ما يشرح الله تعالى صدره "يرفع الله الذين آمنوا منكم و الذين اوتوا العلم درجات" و من تيسر المقصود المتقدم تكرار قصص الأنبياء مع أممهم فى عدة سورة أىّ حفظ منها اطلع على ما هو كاف فى الاعتبار بهم، ثم إذا ضم بعضه ١٥ إلى بعض اجتمع منه ما لم يكن ليحصل من بعض تلك السورة، فسبحان من جعله حجة باهرة و برهانا على صدق الآتى به محمد صلى الله عليه و سلم، و صراطا مستقيما و نورا مبينا . و لما ذكر سبحانه عواقب الأمم فى تكذيبهم قال لمشركى العرب "اكفاركم خير من اولئكم" و من هذا النمط قول شعيب عليه السلام "و يقوم لا يجرمنكم شقاقى ان يصيبكم ٢٠ مثل ما أصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح و ما قوم لوط منكم ببعيد"

ثم قال تعالى "ام يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع و يولون الدبر"
أى إنكم تعلقتم بتألفكم و جماعتكم فسأفرق ذلك بهزيمتكم يوم بدر / بقتل ١١٠
صناديدكم فما حجتكم بعد هذا ، إنما مساق القصص فى هذه السورة و اعتماد
التعريف بحال من ذكر فى أن كذبوا و عاندوا ، فأعقب تكذيبهم
أخذهم و هلاكهم ، ثم تعقب هذا كله بصرف الكلام فى مشركى ٥
العرب فى قوله "أكفاركم خير من أولئكم" و ليس شىء من السور المذكورة
فيها قصص على هـــذا الاستيفاء كالأعراف و هود ، و بظاهرهما ليس
فى شىء من ذلك تعقيب بذكر مشركى العرب على الصفة الواردة هنا ، فأنبأ
ذلك بكمال المقصود من الوعظ و التحريك بذكره و انقضاء هذا الغرض ،
و ذلك أنهم ذكروا أولا بعرض أحوال الأمم و التعريف بما آل إليه ١٠
أمرهم ، و كان ذلك فى صورة عرض من يريد تأديب طائفة من إليه
نظرهم قبل أن يظهر منهم تمرد و عناد ، فهو يستلطف فى دعائهم
و لا يـــكلمهم تـــكليم الواجـــد عليهـم ، بـــل يفهم الإشفاق
و الاستعطاف و إرادة الخير بهم ثم يذكرهم بذلك و يكرره عليهم المرة
بعد المرة و إن تخلل ذلك ما يبين منهم فظاعة التهديد و شدة الوعيد ، ١٥
فلا يصحبه تعيين المخاطب و صرف الكلام بالكلية إليه ، بل يكون ذلك
على طريق التعريض و التوبيخ ، ثم لو كان لايحتقر بما قبله و ما بعده من
التلطف حتى إذا تكررت الموعظة فلم تقبل ، فهنا محل الغضب و شدة
الوعيد ، و على هذا وردت السور المذكور فيها حال الأمم كسورة
الأعراف و هود و المؤمنين و الظلة و الصافات ، و ما من سورة منها إلا ٢٠

والتى بعدها أشد فى التعريف وأمل فى الزجر بعد التعريف، فتأمل تعقيب القصص فى سورة الأعراف بقوله تعالى "وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون" وقوله بعد موعظة بالغة بذكر من حرمه بعد إشرافه على الفوز وهو الذى أخلد إلى الأرض واتبع هواه فقال بعد ذلك ٥ "فاقصص القصص لعلهم يتفكرون" وتذكيره إياه لمحه الغفلة إلى ما ختمت به السورة وذلك غير خاف فى التلطف بالموعظة وقال تعالى بعد قصص سورة هود "وكذلك أخذ ربك" الآية، وقال تعالى "فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء - إلى قوله: وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص" وتكررت الآى إلى آخر السورة يجارى ما ذكر ولم تبق ١٠ هذه وآى الأعراف فى تلطف الاستدعاء، وقال تعالى فى قصص آخر سورة المؤمنين "فذرهم فى غمرتهم إلى حين - إلى قوله: لا يشعرون" ثم قال "ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب اذا هم يجأرون" استمرت الآى على شدة الوعيد يتلو بعضها بعضا إلى قوله "أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون" ١٥ وقوله تعالى بعد "انه لايفلح الكافرون" ولم يبين هذه الآى، وبين الواقعة / عقب قصص سورة هود، وقال فى آخر قصص الظلة "وانه / ١١١ لتنزيل رب العلمين" إلى قوله خاتمة السورة "وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون" فوبخهم وعنفهم ونزه نبيه صلى الله عليه وسلم [عن] توهمهم وعظيم إفكهم وافترائهم، وكل هذا تعنيف وإن لم يتقدم له مثله ٢٠ فى السورة المذكورة. ثم هو صريح فى مشركى العرب معين لهم فى غير

تلويح و لاتعريض ، ثم إنه وقع عقب كل قصة فى هذه السورة قوله تعالى " ان فى ذلك " و فيه تهديد و وعيد ، و قال تعالى فى آخر و الصافات " فاستفتهم الربك البنات و لهم البنون ام خلقنا الملٓئكة اناثا و هم شاهدون الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله و انهم لكاذبون " و هذا أعظم التوبيخ و أشد التقريع ، ثم نزه نبيه سبحانه عن بهتان مقالهم و سوء ٥ ارتكابهم و قبح فعالهم ، بقوله " سبحان ربك رب العزة عما يصفون " ، فلما أخذوا بكل مأخذ فما أغنى ذلك عنهم قال تعالى فى سورة القمر " و لقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر " " حكمة بالغة فما تغنى النذر " ، ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم " فتول عنهم " و لم يقع أمره صلى الله عليه و سلم بتركهم و الإعراض عنهم و التولى إلا بعد حصول ١٠ القصص فى السورة المذكورة و أخذهم بكل طريق ، و أول أمره بذلك صلى الله عليه و سلم فى سورة السجدة " فأعرض عنهم و انتظر انهم منتظرون " ثم فى سورة و الذريات " فتول عنهم فما انت بملوم " بأشد وعيد و أعظم تهديد بعقب كل قصة بقوله " و لقد تركناها آية فهل من مدكر " و قوله " فكيف كان عذابى و نذر " ثم صرف اليهم ١٥ بما تقدم قوله " اكفاركم خير من اولٓئكم أم لكم براءة فى الزبر " فبلغ ذلك أعظم مبلغ فى البيان و إعذار ، ثم قال تعالى " و كل شى فعلوه فى الزبر " ففرق سبحانه بسابق حكمته فيهم " انا كل شىء خلقناه بقدر " و انقضى ذكر القصص فلم يتعرض لها مستوفاة على هذا المساق فيما بعد إلى آخر الكتاب - فسبحان من رحم به عباده المتقين و جعله آية و أى ٢٠

آية باهرة إلى يوم الدين، و قطع عناد الجاحدين و غائلة المعتدين و جعله بيانا كافيا و نورا هاديا و واعظا شافيا ـ جعلنا الله سبحانه و تعالى ممن اهتدى و اعتلق بسببه إنه أهل الاستجابة و العفو و المغفرة ـ انتهى .

و لما كان التقدير: فأعرض الكفار عن آية انشقاقه و قالوا : سحر، مع علمهم بأنه دال قطعا على صدق من انشق لتصديقه، عطف عليه الإعلام بحالهم فى المستقبل قطعا لمن يطلبه من المؤمنين إجابة مقترحة من مقترحاتهم رجاء إيمانهم فقال : ﴿ و ان يروا ﴾ أى فيما يأتى ﴿ اية ﴾ أى أية آية كانت ﴿ يعرضوا ﴾ أى عن / الانتفاع بها كما أن أعرضوا عن هذه لما رأوها، و قال بعضهم: سحر، و قال بعضهم: أمهلوا حتى يجىء السفار، فان قالوا: إنهم رأوا كما رأيتم فليست بسحر، فان محمدا لايستطيع أن يسحر أهل الأرض كلهم، فجاء السفار و شهدوا برؤيته منشقا، و مع ذلك فلم يؤمنوا ﴿ و يقولوا ﴾ أى على سبيل التجديد منهم و الاستمرار: هذا ﴿ سحر ﴾ أى هذا الذى يأتينا به هذا الرجل من وادى الخيال الذى لا حقيقة له و هو ﴿ مستمر ٥ ﴾ أى لأنه فارق السحر بأنه لاينكشف فى الحال لأنه محكم قوى ثابت دائم بشموله و إحاطته بجميع الأنواع، و لذلك يتأثر عنه غاية الخوارق المتباينة الأنواع الكثيرة .

/ ١١٢

و لما فطم عن التشوف إلى إجابتهم فى المقترحات على ما قدرته، تسبب منهم عن الانشقاق بقوله: ﴿ و كذبوا ﴾ أى بكون الانشقاق دالا على صدق الرسول صلى الله عليه و سلم و جزموا بالتكذيب عنادا

أو خبثا منهم . و لما كان التكذيب فى نفسه قد يكون حقا ، قال مبينا أنه باطل ، فبين عن حالهم بقوله : ﴿ و اتبعوآ ﴾ أى بمعالجة فطرهم الأولى المستقيمة فى دعائها إلى التصديق ﴿ اهوآءهم ﴾ أى حتى نابذوا ما دلتهم عليه بعد الفطر الأولى عقولهم ، قال القشيرى : إذا حصل اتباع الهوى فمن شؤمه يحصل التكذيب ، لأن الله سبحانه و تعالى يلبس على ٥ قلب صاحبه حتى لايستبصر الرشد ، و اتباع الرضى مقرون بالتصديق لأن الله تعالى ببركات الاتباع للحق يفتح عين البصيرة فيأتى بالتصديق - و الله الهادى . و لما كان ذلك مفظعا لقلوب المحقين ، سلاهم بالوصول إلى محط تظهر فيه الحقائق و تضمحل فيه الشقاشق ، فقال عاطفا على ما تقديره : فسيستقر أمر كل من أمر المحق و المبطل فى قراره ، و يطلع على ١٠ دقائقه و أسراره : ﴿ و كل أمر ﴾ من أموركم و غيرها ﴿ مستقر ٥ ﴾ أى ثابت و موجود ، انتهاؤه إلى غاية تظهر فيها حقيقته من غير حيلة تصاحبه إلى رد ذلك القرار و لا خفاء على أحد ، فلابد ان ينتهى الحق من كل شىء من الآجال و الهدايات و الضلالات و السعادات و الشقاوات و غيرها إلى نهايته فيثبت ثبوتا لا زوال له ، و ينتهى الباطل مما دعاه ١٥ الخلق فيه إلى غايته فيتلاشى تلاشيا لا ثبات له بوجه من الوجوه ، فاذا استقرت الأمور ظهر ما لهم عليه و علموا الخاسر من الفائز ، و فى مثل هذا قال ابن عمرو التيمى أخو القعقاع فى وقعة السى (؟) من بلاد العراق :

و الموت خيلنا لما التقينا بقارن و الأمور لها انتهاء .

و قرأ أبو جعفر[1] بالجر صفة لأمر ، فيكون معطوفا على الساعة أى و اقترب ٢٠

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ١١٢ .

/ ١١٣ / / كل أمر مستقر أى ثابت و هو الحق أى اقترب الظهور و ثباته ، و ذلك لايكون إلا وقد كان خفاء الباطل و فواته. و لما حذر و بشر قال معلما أنه محيط العلم بأمرهم من قبل الإجابة إلى شق القمر و أنـه ما شقه لطمع فى إيمانهم بل للاعلام بخذلانهم مؤكدا لمن يتعلق رجاؤه بأن ٥ تواتر الآيات ربما أوجب لهم التصديق المتضمن لأن ما جاءهم ليس فيه كفاية: ﴿ و لقد جآءهم ﴾ من قبيل الانشقاق ﴿ من الانبآء ﴾ أى الأمور العظيمة المرئية، المسموعة التى تستحق لعظمتها أن يخبر بها إخبارا عظيما سيما ما جاء فى القرآن من تفصيل أصول الدين و فروعه و أخبار الأولين و الآخرين و الأولى و الأخرى ﴿ما فيه﴾ خاصة ﴿مزدجر ۙ﴾ ١٠ أى موضع للزجر من شأنه أن يكون لهم به انزجار عظيم عما فيه من الباطل ، و لكن لم يزدجر منهم إلا من أراد الله ، قال القشيرى: لأن الله أسبل على أبصارهم سجوف الجهل فعموا عن مواضع الرشد .

و لما كان ما فيه ذلك قد لايكون محكما ، بينه بقوله : ﴿حكمة﴾ عظيمة ﴿ بالغة ﴾ أى لها معظم البلوغ إلى منتهى غايات الحكمة لصحتها ١٥ و طهارتها و وضوحها، ففيها مع الزجر ترجية و مواعظ و أحكام و دقائق تجل عن الوصف . و لما تسبب عنها انزجارهم . سبب عن ذلك قوله : ﴿فما﴾ نفيا صريحا أو باستفهام إنكارى موبخ ﴿تغن النذر ۙ﴾ الإنذارات و المنذرون و الأمور المنذر بها ـ إنما المغنى بذلك هو الله تعالى، فما شاءه كان و ما لم يشأه لم يكن ، و لعل الإشارة باسقاط ياء " تغنى " ٢٠ باجماع المصاحف من غير موجب فى اللفظ إلى أنه كما سقطت غاية

أحرف الكلمة سقطت نمرة الإنذار و هو القبول .

و لما كان صلى الله عليه و سلم شديد التعلق بطلب نجاتهم ، فهو لذلك ربما اشتهى إجابتهم إلى مقترحاتهم ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فتول عنهم ﴾ أى كلف نفسك الإعراض عن ذلك فما عليك إلا البلاغ ، و أما الهداية فالى الله وحده . و لما بين اقتراب الساعة بالإجابة إلى بعض مقترحاتهم ٥ القائمة مقامها كلها بدلالته على القدرة عليها ، و أتبع ذلك الفطم عن طلب الإجابة إلى شيء فيها لأنها لاتغنى شيئا ، تطلعت النفوس الكاملة إلى وصف الساعة فأجاب عن ذلك على سبيل الاستئناف بذكر ظرفها و ذكر ... ما يقع فيه من الأهوال ، فقال معلقا بما تقديره : الساعة كائنة على وجه الاقتراب الشديد : ﴿ يوم يدع ﴾ و يجوز ـ و الله أعلم ـ أن يكون الناصب له "تول" ١٠ لأنهم لما أعرضوا حين دعاهم كان جزاءهم أن يعرض عنهم يوم حاجتهم إليه لأن الجزاء من جنس العمل ، فكأنه قيل بعد أن عد القيامة / أمرا ١١٤ / محققا لايأتى النزاع فيه : تول عنهم فى ذلك اليوم العبوس الذى أنت فيه الشافع المقبول ... و اتركهم لأهواله و دواهيه ، فقد بان الخاسر فتوليهم إنما يضرهم ، لأن توليهم عنك لايضرك شيئا أصلا ، و توليك عنهم يضرهم ١٥ ضررا ما بعده ضرر ـ و الله أعلم ، و حذف واو « يدعو » للرسم باجماع المصاحف من غير موجب لأن المقام لبيان اقترابها ، فكأنه إشارة إلى كونها بأدنى دعاء ، و أيضا ففى حذفه تشبيه للخبر بالأمر إشارة إلى أن هذا الدعاء لابد على أن يكون على أعظم وجه و أتقنه و أهوله و أمكنه كما يكون كل مأمور من الأمر المطاع ، و الوقف على هذا و أمثاله ٢٠

بغير واو لجميع القراء موافقة للرسم لأن القاعدة أن ما كان فيها رواية اتبعت و إن خالفت الرسم أو الأصل، و ما لم يرد فيه عن أحد منهم رواية اتبع فيه الرسم و إن خولف الأصل، لأن التخفيف معهود فى كلام العرب كالوال و المتعال من أسمائه الحسنى، لكن قال علامة ٥ القراءات شمس الدين الجزرى فى كتابه المسمى بالنشر فى هذه الأحرف الأربعة: هذا و "يدع الانسان" فى سبحان و "يمح الله الباطل" فى شورى و "سندع الزبانية" فى العلق: نص الحافظ أبو عمرو الدانى عن يعقوب على الوقف عليها بالواو على الأصل، ثم قال: قلت: و هو من انفراده، و قد قرأت به من طريقه ﴿الداع﴾ اى النفخ فى الصور ﴿الى شيء نكر﴾ ١٠ عظيم الوصف فى النكارة بما تكرهه النفوس فتوجل منه القلوب لأنه لاشيء منه إلا و هو خارج عما تقدمه من العادة.

و لما بين دعاءه بما هال أمره، بين حال المدعوين زيادة فى الهول فقال: ﴿ خشعا ابصارهم ﴾ أى ينظرون نظرة الخاضع الذليل السافل المنزلة المستوحش الذى هو بشر حال، و نسب الخشوع إلى الأبصار ١٥ لأن العز و الذل يتبين من النظر، فان الذل ان يرمى به صاحبه إلى الأرض مثلا مع هيئة يعرف منها ذلك كما قال تعالى "خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفى" و إفراده فى قراءة أبى عمرو و يعقوب و حمزة و الكسائى على أن الخشوع بلغ فى النهاية من الشدة و نسبته إلى كل بصر على حد سواء، و جمع على لغة "أكلونى البراغيث" فى قراءة الباقين بضم

راجع نثر المرجان ٧ /١١٥.

الخاء و تشديد الشين مفتوحة أو مستندا المدعوين، و الإبصار يدل بعض الإشارة إلى أن كل ذلك موزع على الأبصار .

و لما بين من حالهم هكذا ما يدل على نكارة ذلك اليوم، بين كيفية خروجهم بيانا لما يلزم من تصوره زيادة الذعر فقال: ﴿يخرجون﴾ أى على سبيل التجدد الأشرف فالأشرف ﴿من الاجداث﴾ أى القبور ٥ المهيأة لسماع النفخ فى الصور ﴿كأنهم﴾ فى كثرتهم و تراكم بعضهم على بعض من كبيرهم / و صغيرهم و ضعيفهم و قويهم ﴿جراد منتشر﴾ / ١١٥ أى منبث متفرق حيران مطاوع لمن نشره بعد ما كان فيه من سكون مختلط بعضه ببعض، لاجهة له فى الحقيقة يقصدها لو خلى و نفسه .

و لما كان الانتشار قد يكون وجه المهل و الوقار، قال مبينا أن ١٠ الأمر عل خلاف ذلك زيادة فى هول ذلك اليوم و تقريرا لما تقدم من وصفه: ﴿مهطعين الى الداع﴾ أى مسرعين خائفين مقبلين بأبصارهم عليه لايقلعون عنـــه، مادين أعناقهم نحوه مصوبى رؤسهم لايلتفتون إلى سواه كما يفعل من ينظر فى ذل و خضوع و صمت و استكانة .

و لما بين حال الكل حصر حال المبطلين فقال: ﴿يقول﴾ أى على ١٥ سبيل التكرار: ﴿الكفرون﴾ أى الذين كانوا فى الدنيا عريقين فى ستر الأدلة و إظهار الأباطيل المضلة: ﴿هذا﴾ أى الوقت الذى نحن فيه بما نرى من الأهوال ﴿يوم عسر﴾ أى فى غاية العسر و الصعوبة و الشدة، و ذلك بحسب حالهم فيه .

و لما تقدم أمره سبحانـــه لنبيه صلى الله عليه و سلم بالتولى عنهم ٢٠

تهديدا لهم ، و صرح بما أراد من أمر الساعة لما دعا إلى ذلك من تقدم ذكرها ، و لأنها أشد هول يهددون به ، و بيانا أن الخلق ما خلق إلا لأجلها لأنها محط الحكمة ، و ختم بعسرها على الكافرين ، تمم ذلك التهديد بعذاب الدنيا ردعا لأهل الغلظة الموكلين بالمحسوسات ، فذكر عسر
٥ يوم كان على الكافرين فيها ، فقال مهددا لقريش بجعل القصة مثلا لهم فى إهلاكهم و فى أمر الساعة من حيث أنه كما أهلك أهل الارض فى آن واحد بما أرسله من الماء فهو قادر على أن يهلكهم فى آن واحد بالصيحة ، و كما صرف هذا التصريف الذى [ما] سمع بمثله فى الإهلاك فهو قادر على أن يصرفه فى الإحياء عند البعث على وجه ما عهد مثله تنبت
١٠ فيه الأجساد و تحيا فيه العباد ، جوابا لمن كأنه قال : هذا ما يوعدونه بعد الموت ، فهل لهم عذاب قبله دال على كمال القدرة : ﴿ كذبت ﴾ أى أوقعت التكذيب العظيم الذى عموا به جميع الرسالات و جميع الرسل ، و أنث فعلهم تحقيرا لهم و تهوينا لأمرهم فى جنب قدرته .

و لما كان ما كان من تصميمهم عليه و عزمهم على عدم الانفكاك
١٥ عنه لكونه جبلة مستغرقا لجميع ما بعدهم من الزمان ، و كانوا قد سنوا سنة التكذيب فكان عليهم مع وزرهم وزر من أتى بعدهم ، و كان ما قبلهم من الزمان يسيرا فى جنب ما بعده عدما ، فلذلك ذكر الظرف من غير حرف [جر] لأنه مع أنه الحق أعظم فى التسلية فقال : ﴿ قبلهم ﴾ أى فى جميع ما سلف من الزمان و مضى بعضه بالفعل و بعضه بالقوة لقوة
١١٦ / ٢٠ العزم / : ﴿ قوم نوح ﴾ مع ما كان بهم من القوة و لهم من الانتشار

فى

فى جميع الأقطار .

و لما ذكر تكذيبهم إشارة إلى أنه جبلة لهم جحدوا بها النبوة رأسا فلاحظ لهم فى التصديق للحق فلا يفترق حالهم بالنسبة إلى أحد من الناس كان من كان ، فلذلك سبب عن هذا المطلق قوله : ﴿ فكذبوا عبدنا ﴾ أى على ما له من العظمة نسبة إلينا لكونه لم يتعبد لغيرنا قط مع تشريفنا ٥ إياه بالرسالة ، فكان تكذيبهم فرا مما دخل فى تكذيبهم المطلق الشامل لكل ما يمكن تكذيبه و هو ميد(؟) ﴿ و قالوا ﴾ مع التكذيب أيضا زيادة على تغطية ما ظهر منه من الهداية : ﴿ مجنون ﴾ أى فهذا الذى يظهر له من الخوارق من أمر الجن .

و لما كان إعلاء الصوت على النبى كائنا من كان عظيم القباحة جدا ١٠ زائد الفظاظة فكيف إذا كان مرسلا فكيف إذا كان من أولى العزم فكيف إذا كان على سبيل الإنكار عليه ، فكيف إذا كان على صورة ما يفعل ممن لاخطر له بوجه ، قال بانيا للمجهول إشارة إلى تبشيعه من غير نظر إلى قائل و إيذانا بأن ذلك لم يكن من أكابرهم فقط بل من كبيرهم و صغيرهم : ﴿ و ازدجر ه ﴾ أى أعملوا أنفسهم فى انتهاره و توعده ١٥ و تهديده و انتشر ذلك فى جميعهم بغاية ما يكون من الغلظة كفا له عن الرسالة و منعا له عنها ، و المعنى أنهم قالوا : إنه استظهر عليهم بالجنون .

و لما طال ذلك منهم و مضت عليه أجيالهم جيلا بعد جيل حتى مضى له من إنذارهم أكثر مما مضى من الزمان لأمة هذا النبى الخاتم إلى يومنا هذا ، و أخبره الله أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن معه ، ٢٠

تسبب عن ذلك الدعاء بالراحة منهم ، فلذلك قال صارفا وجه الخطاب إلى صفة الإحسان و الربوبية[1] و الامتنان إيذانا بأنه أجاب دعاءه و لبى نداءه : ﴿ فدعا ربهٓ ﴾ أى الذى رباه بالإحسان إليه برسالته معلما له لما أيس من إجابتهم : ﴿ انى مغلوب ﴾ أى من قومى كلهم بالقوة و المنعة ٥ لا بالحجة ، و أكده لأنه من يأبى عن الملك الأعظم يكون مظنة النصرة ، و إبلاغا فى الشكاية إظهارا لذل العبودية ، لأن الله سبحانه عالم بسر العبد و جهره ، فما شرع الدعاء فى أصله إلا لإظهار التذلل ، و كذا الإبلاغ فيه ﴿ فانتصر ﴾ أى أوقع نصرى عليهم أنت وحدك على أبلغ وجه .

و لما استجاب له سبحانه ، سبب عن دعائه قوله ، عائدا إلى مظهر ١٠ العظمة إعلاما بمزيد الغضب الموجب دائما للاستيعاب بالغضب : ﴿ ففتحنآ ﴾ أى تسبب عن دعائه [أنا فتحنا -[2]] فتحا يليق بعظمتنا ﴿ ابواب السمآء ﴾ كلها فى جميع الأقطار ، و عبر بجمع القلة عن الكثرة / لأن عادة العرب ٢١٧/ أن تستعيره لها و هو أرشق و أشهر من بيان ، و سياق العظمة يأبى كونه لغيرها . و لما كان المراد تهويل أمر الماء بذكر حاله التى كان عليها حتى ١٥ كأن المحدث بذلك شاهده جعلت كأنه آية فتحت بها السماء فقال : ﴿ بمآء منهمر ﴾ أى منصب بأبلغ ما يكون من السيلان و الصب عظما و كثرة ، و لذلك لم يقل : بمطر ، لأنه خارج عن تلك العادة ، و استمر ذلك أربعين يوما ﴿ و فجرنا ﴾ أى صدعنا بما لنا من العظمة و شققنا و بعثنا و أسلنا ﴿ الارض عيونا ﴾ أى جميع عيون الأرض ، و لكنه

(١) فى الأصل : الرتبة (٢) زيد نظرا للسياق .

عدل عنه للتهويل بالإبهام ثم البيان، و إفادة لأن وجه الأرض صار كله عيونا .

و لما كان الماء اسم جنس يقع على الأنواع المختلفة كما يقع على النوع الواحد، وكان قد ذكر ماء السماء و الأرض، سبب عن ذلك قوله: ﴿فالتقى الماء﴾ أى المعهود و هو ماء السماء و ماء الأرض بسبب ٥ فعلنا هذا، و زاد فى تعظيمه بأداة الاستعلاء فقال: ﴿على امر﴾ و لما تقررت هذه العظمة لهذه الواقعة، فكان ربما ظن أنه صار جزافا، و زاد على الحد المأمور به، أشار إلى أنه بالنسبة إلى عظمته فى غاية الحقارة فقال: ﴿قد قدر﴾ أى مع كونه مقدورا عليه فى كل وقت بغاية السهولة قد وقع تقديره فى الأزل، فلم يستطع أن يزيد على ذلك قطرة فما فوقها ١٠ و لا أن يهلك غير من أمرناه باهلاكه، و أشار بالتخفيف إلى غاية السهولة فى ذلك سبحانه .

و لما ذكر ما علم منه بقرينة ما ذكر من خرقه للعادة، و أن إجابته لدعوته عليه الصلاة و السلام، ذكر تمام الانتصار بنجاته فقال: ﴿و حملنه﴾ أى بما لنا من العظمة على متن ذلك الماء بعد أن صار جميع وجه الأرض ١٥ مجرى واحدا، و حذف الموصوف تهويلا بالحث على تعرفه بتأمل الكلام فقال: ﴿على ذات﴾ أى سفينة ذات ﴿الواح﴾ أى أخشاب نجرت حتى صارت عريضة ﴿و دسر﴾ جمع دسار و هو ما يشد به السفينة و توصل بها ألواحها و يلج بعضها ببعض بمسمار من حديد أو خشب أو من خيوط الليف على وجه الضخامة و القوة و الدفع و المتانة، و لعله ٢٠

عبر عن السفينه بما شرحها تنبيها على قدرته على ما يريد من فتق الرتق و رتق الفتق بحيث يصير ذلك المصنوع، فكان إلى ماهيأه ليراد منه و إن كان ذلك المراد عظيما و ذلك المصنوع .

و لما كان ذلك خارقا للعادة فكان يمكن أن يكون فى السفينة خارق آخر باسكانها على ظهر الماء من غير حركة، بين أن الأمر ليس كذلك فقال مظهرا خارقا آخر فى جريها : ﴿تجرى﴾ / أى السفينة ﴿باعيننا ج﴾ ١١٨ / أى محفوظة أن تدخل بحر الظلمات، أو يأتى عليها غير ذلك من الآفات، بحفظنا على ما لنا من العظمة حفظ من ينظر الشيء كثرة و لا يغيب عنه أصلا، و جوزوا أن يكون جمع تكسير لعين الماء، ثم علل ذلك بقوله : ﴿جزآء﴾ أى لعبدنا نوح عليه السلام، و لكنه عبر هنا بما يفهم العلة ليحذر السامع وقوع مثل ذلك العذاب له إن وقع منه مثل فعل قومه فقال : ﴿لمن﴾ و عبر عن طول زمان كفرهم [بقوله] : ﴿كان كفره﴾ أى وقع الكفر به و هو أجل النعم، فقال (؟) على أهل ذلك الزمان و ذلك جزاء من كفر النعم، و يجوز أن يكون المراد به قومه بين أنه وقع الكفر منهم وقوعا كأنهم مجبولون عليه حتى كأنه وقع عليهم لتوافق قراءة[1] مجاهد بالبناء للفاعل .

و لما تم الخبر عن نجاته بحمله فيها، نبه عن آثارها بقوله : ﴿و لقد تركنها﴾ أى هذه الفعلة العظيمة من جرى السفينة على هذا الوجه و إبقاء نوعها دالة على ما لنا من العظمة، و قيل : تلك السفينة

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ١٢٠ .

بعينها

بعينها بقيت على الجودى حتى أدرك بقايا ما هذه الأمة ﴿ آية ﴾ أى علامة عظيمة على ما لنا من العلم المحيط و القدرة التامة ﴿فهل من مدكر ٥﴾ أى مجتهد فى التذكير بسبب هذا الأمر لما يحق على الخلق من شكر الخالق بما هدت إليه رسله كما قالوه .

و لما قدم تعالى قوله " فما تغن النذر " و أتبعه ذكر إهلاكه ٥ المكذبين ، وكان ما ذكره من شأنهم أمرهم فى الجلالة و العظمة بحيث يحق للسامع أن يسأل عنه و يتعرف أحواله ليهتدى بها على ذلك بقوله مسببا عن التذكير باستفهام الإنكار و التوبيخ : ﴿ فكيف كان ﴾ أى وجد و تحقق ﴿عذابى﴾ أى لمن كذب و كفر و كذب رسلى ﴿ونذر ٥﴾ أى الإنذارت الصادرة عنى و المنذرون المبلغون عنى فانه أنجى نوحا عليه ١٠ السلام و من آمن معه من أولاده و غيرهم و متعهم بعد إهلاك عدوهم و جعل الناس الآن كلهم من نسله ، قال القشيرى : فى هذا قوة لرجاء أهل الدين إذا لقوا فى دين الله محنة فجحد غيرهم ما آتاه الله أن يهلك الله عن قريب عدوهم و يمكنهم من ديارهم و بلادهم و يورثهم ما كان إليهم ، وكذلك سنة الله فى جميع أهل الضلال - انتهى . وكان المعنى ١٥ فى تكرير ذلك عليهم بعد التذكير بما أتيناهم به من قصص هذه الأمم ميسرا لفهم صغيرهم و كبيرهم و ذكرهم و أنثاهم كيف كان أخذى لهم و عاقبة تخويفى إياهم لعلهم يتعظون فينفعهم إنذار المنذرين .

و لما كان هذا التفصيل مما أنزل أول القرآن تيسيرا على الأمة ، نبه على ذلك / بقوله : ﴿ و لقد يسرنا ﴾ أى على ما لنا من العظمة ٢٠ / ١١٩

﴿ القرآن ﴾ أى على ما له من الجمع و الفرق و العظمة المناسبة لكونه صفة لنا ﴿ للذكر ﴾ أى الاتعاظ و التذكر و التدبر و الفهم و الحفظ و التشريف لمن يراعيه، قال ابن برجان: أنزلناه باللسان العربى و أنزلناه للأفهام تنزيلا و خاطبناهم بعوائدهم و أعلمنا من قبل أعمالهم و أقبسناهم المعرفة و اليقين من قبل ذواتهم و ضربنا لهم الأمثال وأطلنا لهم فى هذه الأعمال ليتذكروا الميثاق المأخوذ عليهم، و قال القشيرى: يسر قراءته على ألسنة قوم، و علمه على قلوب قوم، و فهمه على قلوب قوم، و حفظه على قلوب قوم، وكلهم أهل القرآن وكلهم أهل الله و خاصته ـ انتهى. و الآية ناظرة بالعطف و المعنى إلى "و لقد جاءهم من الانباء" الآيتين، فالمعنى أنا و لو شئنا بما لنا من العظمة لجئناهم بعبارات لا يشمون رائحتها، و بلاغات لا يهتدون إلى وجه معناها أصلا لكنا لم نفعل ذلك بل خاطبناهم بأبلغ من بلاغتهم مع تيسير فهم ما خاطبناهم به فكان [فى] ذلك إعجازان: أحدهما أنه فوق بلاغتهم، و الثانى أنه مع علوه يشترك فى أصل فهمه الذكى و الغبى. و لما كان هذا القرآن العظيم الجامع ترجمة لأفعاله سبحانه فى هذا الوجود الشاهد و الغائب الذى أخبرنا عنه و شرحنا لما أنزل علينا من أسمائه الحسنى و صفاته العليا التى تعرف لنا بها، و كان سبحانه قد جعل خلق الآدمى جامعا، فما من شىء من أفعاله إلا و فى نفسه منه أثر ظاهر ناظر للتفكر فى القرآن و التعرف للأسرار منه بالتذكر الذى يكون ... لما كان الإنسان يعرفه ثم نسيه حتى صار لا يستقل باستحضاره فاذا ذكر به ذكره، فقال منبها على عظيم فعل العلم و القرآن الذى هو طريقه بالتكرار

و التعبير بما هو من الذكر على أنه المحفوظ للانسان بما هيأ له من تيسير أمره ﴿فهل من مدكر ٥﴾ قال البخارى فى آخر صحيحه: قال مطر الوراق: هل من طالب علم فيعان عليه، و قد تكررت هذه الموعظة فى هذه السورة أربع مرات، و ذكرت الجملة الأخيرة منها منفكة عن تيسير القرآن مرتين: مرة فى أول القصص و هى قصة نوح عليه السلام، و مرة كما يأتى ٥ فى آخرها، و ذلك عقب قصة فرعون و هو قوله "فكيف كان عذابى و نذر" مثل ذلك، و كررت "فباى آلاء ربكما تكذبان" فى الرحمن إحدى و ثلاثين مرة، فنظرت فى سر ذلك فظهر لى - و الله الهادى - أن الذى تقدم فى سورة المفصل على هذه السورة أربع سور هذه السورة خاتمتها فأشير إلى التذكر بكل سورة منها حثا على تدبرها بآية ختمت كلماتها بكلمة ١٠ عادت حروفها [فى] السور الخمس / و ادغم حرف منها فى آخر بعد قلب / ١٢٠ كل منهما، فكانت هذه الكلمة التى مدلولها الذكر مشيرة إلى الحواس الخمس الظاهرة التى هى مبادئ العلم، و كان ما فى أول هذه المواعظ و آخرها لخلوه عن ذكر القرآن موازيا للحرفين اللذين طرفهما للوهن بالتعبير و القلب لكن لما كان الحرفان بالإدغام كحرف واحد، كانت الجملتان الموازيتان ١٥ لهما كآية واحدة من تلك الأربع، و كان هذا الأول و الآخر مشارا به إلى هذه السورة التى جمعت التذكير بالسور الأربع، و أعريت عن ذكر تيسير القرآن لافتتاح السور بمحو و ما يقرب من المحو و هو آية الليل و التيسير فيها و الساعة التى هى أغيب الغيب، و كل من فيها سوى الله محوصرف لسلب الأمر كله عنهم و خصت بها الأولى و الآخرة ٢٠

لجامع بينهما من غرق العصاة فى الماء و نجاة المطيعين بعضهم بالسفينة و بعضهم بنفس البحر الذى هو مسرح السفن، و كانت الموعظة المذكور فيها القرآن فى ختام قصة نوح عليه السلام مع عمومها لجميع القرآن إشارة إلى خصوص التذكير بسورة ق لما بينهما من جامع الإحاطة باحاطة جبل ق بالأرض كلها و طوفان قوم نوح عليه السلام بعموم جميع الأرض و التى فى سورة عاد إشارة إلى سورة الذاريات لأن كلاهم كان بالريح، و التى فى قصة ثمود إشارة إلى التذكر بالطور بجامع ما بينهما من الرج و الرجف و الذل و الصعق، أما فى قصة ثمود فظاهر، و أما فى الطور فلما كان من دكه و صعق بنى إسرايل فيه، و قد ذكر الصعق فى آخر الطور، و ما فى قصة لوط إشارة إلى النجم لأن مدائنهم ارتفعت إلى عنان السماء ثم أهويت و أتبعت الحجارة، فلما كان الأمر هكذا، و كانت النعم محيطة بالإنسان من جهاته الست. فضربت الحواس الخمس فى الجهات الست، فكانت ثلاثين. كأنه قيل: هل مدكر بهذا القرآن، و لا سيما ما تقدم [على] هذه السورة منه فى المفصل ما لله عليه من النعم فى نفسه و فى الآفاق المشار إلى القسم الأول منها بمدكر. و إلى الثانى بتكرير ذكر الآلاء فكل آية تكرير انتهى إلى العدد المخصوص و إلى المجموع بالمجموع ليعلم أن نعم الله محيطة به على وجه لا يقدر على صنعه إلا الله الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال التى أعظمها - من حيث كونه أساسا يبنى عليه - الوحدانية المنزهة عن الشركة فيخشى من معصيته أن يسلبه نعمه أو واحدة منها فلا يجد من يقوم بها و لا بشىء منها

غيره أو يعذبه بشيء مثل عذاب هذه الأمم أو بغير ذلك مما له من
إحاطة القدرة و العلم فلا يجد من يرد عنه شيئا منه سبحانه ، و أما الواحد
الزائد فهو إشارة إلى أن المدار فى / ذلك الإدراك هو العقل و الحواس / ١٢١
كما أن المقصود بذلك كله واحـــد و هو الله تعالى ، و كل هذه
الأشياء أسباب لمعرفته و أيضا فالواحد إشارة إلى أن زيادة الآلاء من ٥
فضل الله تعالى لاتنقطع كما أن الواحد الذى هو أصل العدد لايزال ،
فكلما أغنت زيادتها [ابتدأ] دور ثم ابتدأ دور اخر دائما أبدا ، و للتكرير
نكتة أخرى بديعة جدا ، و هى تأكيد التقرير دلالة على اشتداد الغضب
المقتضى لأنهى العقوبة كما أن من اشتد غضبه من إنكار شخص لشيء من
قتله إذا بينه غاية البيان بأمور متنوعة و هو يتمرد و يلد غاية اللدد يأخذه ١٠
فيجمع له جمعا لايقدر على العدول عن الحق بحضرتهم ، و هو يذعن
و هو فى قبضته فيذكر تلك المعانى بين ذلك الجمع ، فيصير كلما ذكر له
نوعا منها بحضرتهم ، قال له : هل ظهر لك هذا ؟ فيقول ذاك المنكر : نعم
ظهر لى ، فلا يريد ذلك إلا غضبا لما تقدم له من عظيم غضبه [و] لدده فيذكر
له معنى آخر ثم يقول : هل ظهر لك هذا ؟ فيقول : نعم و الله لايعرج ١٥
على اعترافه ذلك و يذكر له نوعا آخر ، و يقول مثل ذلك يريد الزيادة
فى تبكيته و تخجيله . و هكذا إلى أن يشتفى - كل ذلك للتنبيه على لدده
و كفاية كل نوع منها لما أريد منه من البيان ، و قال فى الكشاف :
فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكارا و اتعاظا
و أن يستأنفوا تنبها و استيقاظا إذا سمعوا الحث عليه و البعث على ذلك ٢٠

كله و أن يقرع لهم العصى مرات و يقعقع لهم السن تارات، لئلا يعلبهم السهود و يستولى عليهم حكم الغفلة ، و هكذا حكم التكريرات لتكون العبر حاضرة للقلوب مصورة الأذهان مذكورة غير منسية فى أوان - انتهى ، و لمثل ما مضى أو قريب منه كرر التهويل بالعذاب ست مرات: أربع منها " فكيف كان عذابى و نذر " و اثنان منها " فذوقوا عذابى و نذر " فهما بمنزلة واحدة من الأربع ليرجع الست إلى الخمس الدال عليها " مدكر " إشارة إلى أن الحواس الخمس كما ضربت فى الجهات الست لأجل النعم التى هى جلب المصالح ضربت فيها للتذكير بدفع النقم الذى هو درأ المفاسد و التحذير منها ، و من فوائد تكرر الست الراجعة إلى الخمس مرتين : مرة لجلب النعم و أخرى لدفع النقم أن الحواس مكررة ظاهرا و باطنا ، فمن ذل لسانه بالقرآن ظاهرا صحت حواسه الظاهرة و نورت له الباطنة ، و من أبى عذب بسبب الباطنة فتفسد الظاهرة ، و اختير للموعظتين عدد الست مع إرادة جماعة إلى خمس لأن الست عدد تام و ذلك لأن عدد كسورها إذ جمعت سادتها و لم تزد عنها و لم تنقص و هى النصف و الثلث و السدس ، و هذا العدد مساو لدعائم الإسلام الخمس و حظيرته الجهاد التى هى عماد تقوى المتقين أهل مقعد الصدق الذين يؤمنون بالغيب و يقمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون و الذين يؤمنون بما أنزل إلى نبيهم صلى الله عليه و سلم و ما أنزل من قبله المشار به إلى الصيام " كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم " و الحج " و اذ جعلنا البيت مثابة للناس و أمنا " و الجهاد " أم حسبتم إن

تدخلوا الجنة" إلى قوله "كتب عليكم القتال و هو كره لكم" و ذلك إشارة إلى أن هذا الدين تام لا زيادة فيه و لا نقص لأن النبي الذى أرسل ختام الأنبياء، و تمام الرسل الأصفياء. و لما كان قوم عاد قد تكبروا بشدتهم وقوتهم، و كانت حال قريش قريبة من ذلك لقولهم إنهم أمنع العرب و أقواهم و أجمعهم للكمالات و أعلاهم، كرر ذلك فى قصتهم مرتين ٥ زيادة فى تذكير قريش و تحذيرهم و لا سيما و قد كان بدء عذابهم من بلدهم مكة المشرفة كما هو مشروح فى قصتهم، و كرر الأمر بالذوق فى قصة لوط عليه السلام لأنهم عذبوا بما يردع من كان له قلب بالطمس، فلما لم ينفعهم ذلك أتاهم أكبر منه فكانوا كأمس الدابر، فلكل مرة من العذاب من الأمر بالذوق، و خصوا بالأمر بالذوق لما فى فاحشتهم ١٠ الخبيثة ما يستلذونه، و قد عم عذاب هذه الأمم جميع الجهات بما لقوم نوح و لوط عليهما السلام من جهة الغرق بالماء الماطر و حجارة السجيل و من الحب (؟) من الماء النابع و الخسف، و ما فى عموم عذابهم من استغراق بقية الجهات - و الله الهادى .

و لما انقضت قصه نوح عليه السلام على هذا الهول العظيم، كان ١٥ ذلك موجبا للسامع أن يظن أنه لايقصر أحد بعدهم و إن لم يرسل برسول فكيف إذا أرسل، فتشوف إلى علم ما كان بعده هل كان كما ظن أم رجع الناس إلى طباعهم؟ و كانت قصة عاد أعظم قصة جرت بعد قوم نوح عليه السلام فيما يعرفه العرب فيصلح أن يكون واعظا لهم، و كان عذابهم بالريح التى أهلكتهم و نسفت جبالهم التى كانت فى محالهم ٢٠

من الرمال المتراكمة ، فنقلها إلى أمكنة أخرى أقرب دليل إلى أنه تعالى يسير الجبال يوم الدين ، هذا إلى ما فى صفها الخارج عن العوائد من تصوير / النفخ فى الصور تارة للقيامة و تارة للاحياء ، فأجيب بقوله : ﴿ كذبت عاد ﴾ أى أوقعت التكذيب العام المطلق الذى أوجب ٥ تكذيبهم برسولى هود عليه السلام فى دعوته لهم إلىّ و إنذاره لهم عذابى .

١٢٣ /

و لما كان عادة الملوك أو بعضهم أنه إذا أهلك قوما كثيرين من جنده نجا ناس مثلهم بمثل ذنوبهم أن يرفع بهم ، و يستألفهم لئلا يهلك جنده ، فيختل ملكه ، عقب الإخبار بتكذيبهم الإعلام بتعديهم لأنه لايبالى بشىء لأن كل شىء فى قبضته ، و لما كان تكذيبهم إلا بارادته ١٠ كما أن عذابه بمشيئته ، قال مسببا عن ذلك : ﴿ فكيف ﴾ أى فعلى الأحوال لأجل تكذيبهم ﴿ كان عذابى لهم و نذر ﴾ أى و إنذارى إياهم بلسان رسولى ، و كرر فى آخر قصتهم هذا الاستخبار ، فكان فى قصتهم مرتين كما تقدم من سره - و الله أعلم .

١٥ و لما ذكر تكذيبهم و أعقبه تعذيبهم ، علم السامع أنه شديد العظمة فاستمطر أن يعرفه فاستأنف قوله ، مؤكدا تنبيها على أن قريشا أفعالهم فى التكذيب كأفعالهم كأنهم يكذبون بعذابهم : ﴿ انآ ارسلنا ﴾ بعظمتنا ، و عبر بحرف الاستعلاء إعلاما بالنقمة فقال : ﴿ عليهم ريحا ﴾ و لما كانت الريح ربما كانت عيانا ، وصفها بما دل على حالها فقال : ﴿ صرصرا ﴾ أى شديد البرد و الصوت . و لما كان مقصود السورة تقريب قيام الساعة

وصف

و وصف سيرهم إلى الداعى بالإسراع ، ناسب أن يعبر عن عذابهم بأقل ما يمكن ، فعبر باليوم الذى يراد به الجنس الشامل للقليل و الكثير و قد يعبر به عن مقدار من الزمان يتم فيه أمر ظاهر سواء لحظة أو أياما أو شهورا أو كثيرا من ذلك أو أقل كيوم البعث و يوم بدر و يوم الموت بقوله تعالى ـ" الى ربك يومئذ المساق"ـ : ﴿فى يوم﴾ و أكد ٥ شؤمها بذم زمانها فقال : ﴿نحس﴾ أى شديد القباحة ، قيل : كان يوم الأربعاء آخر الشهر و هو شوال لثمان بقيت إلى غروب الأربعاء ، و حقق لأن المراد باليوم الجنس لا الواحد بالوصف فقال : ﴿مستمر﴾ أى قوى فى نحوسته نافذ ماض فيما أمر به من ذلك شديدة أسبابه ، موجود مرارته وجودا مطلوبا من مرسله فى كل وقت ، مستحكم المرارة قويها ١٠ دائمها إلى وقت إنفاذ المراد .

و لما علم وصفها فى ذاتها ، أتبعه وصفها [بما] يفعل فيه فقال : ﴿تنزع﴾ أى تأخذ من الأرض بعضهم من وجهها و بعضهم من حفر حفروها ليمتنعوا بها من العذاب ، و أظهر موضع الإضمار ليكون نصا فى الذكور / و الإناث فعبر بما هو من النوس تفضيلا لهم فقال : ﴿الناس﴾ الذين هم ١٥ / ١٢٤ صور لا ثبات لهم بأرواح التقوى ، فتطيرهم بين السماء و الأرض كأنهم الهباء المنثور ، فتقطع رؤسهم من جثثهم و تغير ألوانهم تعتيما لهم إلى السواد ، ولذا قال : ﴿كانهم﴾ أى حين ينزعون فيلقون لا أرواح فيهم كأنهم ﴿اعجاز﴾ أى أصول ﴿نخل﴾ قطعت رؤسها . و لما كان الحكم هنا على ظاهر حالهم و كان الظاهر دون الباطن ، حمل على اللفظ قوله : ﴿منقعر﴾ ٢٠

أى منقصف أى منصرع من أسفل قعره و أصل مغرسه ، و التشبيه يشير إلى أنهم طوال قد قطعت رؤسهم ، و فى الحاقة وقع التشبيه فى الباطن الذى فيه الأعضاء الرئيسة ، و المعانى اللطيفة ، فأنث الوصف حملا على معنى النخل لا للطفها - و الله أعلم .

٥ و لما طابق ما أخبر به من عذابهم ما هوله به أولا ، أكد ذلك لما تقدم من سره فقال مسببا عنه مشيرا إلى أنه لشدة هوله مما يجب السؤال عنه : ﴿فكيف كان﴾ أيها السائل ، و لفت القول إلى الإقرار تنبيها للعبيد على المحافظة على مقام التوحيد : ﴿عذابى﴾ لمن كذب رسلى ﴿و نذر﴾ أى و إنذارى أو رسلى فى إنذارهم هل صدق .

١٠ و لما أتم سبحانه تحذيره من مثل حالهم بأمر ناظر أتم نظر إلى تدبير ما فى سورة الذاريات ، أتبع ذلك التنبيه على أنه ينبغى للسامع أن يتوقع الحث على ذلك ، فقال مؤكدا لما لأكثر السامعين من التكذيب بالقال أو بالحال معلما أنه سهل طريق الفرار من مثل هذه الفتن الكبار إليه ، و سوى من الاعتماد عليه ، عائدا إلى مظهر العظمة إيذانا بأن تيسير

١٥ القرآن لما ذكر من إعجازه لايكون إلا لعظمة تفوت قوى البشر ، و تعجز عنها القدر ﴿و لقد يسرنا﴾ على ما لنا من العظمة فى الذات و الصفات ﴿القرآن﴾ الجامع الفارق كله و ما أشارت إليه هذه القصة من مفصله ﴿للذكر﴾ للحفظ و الشرف و الفهم و التدبير و الوعظ و الاتعاظ ما صرفنا فيه من أنواع الوعظ مع التنبيه للحفظ بالإيجاز و عذوبة اللفظ

٢٠ و قرب الفهم و جلالة المعانى و جزالة السبك و تنويع الفنون و تكثير

الشعب و إحكام الربط ﴿فهل من مدكر ۝﴾ أى تسبب عن هذا الأمر العظيم الذى فعلناه أنه موضع السؤال عن أحوال السامعين: هل فيهم من يقبل على حفظه ثم تدبره و فهمه و يتعظ بما حل بالأمم السالفة، و يتذكر جميع ما صرف من الأقوال و ينزلها على نفسه و ما لها من الأحوال، و يجعل ذلك لوجهنا فيلقيه بتشريفه به أمر دنياه و أخراه. ٥

و لما كان هذا موضع الإقبال على تدبر مواعظ القرآن، و كان ثمود أعظم وعظ كان بعد عاد لما فى صيحتهم / الخارجة عن العهود من ١٢٥ / تصوير الساعة بنفختيها المميتة ثم المحيية، و قال مؤنثا فعلهم إشارة إلى سفول هممهم و سفول فعلهم معلما أن من كذب هلك - على طريق الجواب لمن لعله يقول استبعادا للتكذيب بعد ما جرى فى القصتين الماضيتين من ١٠ التعذيب: ﴿كذبت ثمود﴾ أى قوم صالح ﴿بالنذر ۝﴾ الإنذارات والمنذرين كلهم لأنهم شرع واحد، ثم علل ذلك و عقبه بقوله معلما بالضمير أن المباشر لهذا الكفر رجالهم لئلا يظن أنهم نساء فقط: ﴿فقالوآ﴾ منكرين لما جاءهم من الله غاية الإنكار: ﴿ابشرا﴾ إنكارا لرسالة هذا النوع ليكون إنكار النبوة [إنكارا] لنبوة نبيهم على أبلغ الوجوه، و أعظم الإنكار بقولهم مقدمين ١٥ عدم الانفراد عنهم لخصوصيته: ﴿منا﴾ أى فلا فضل له علينا فما وجه اختصاصه بذلك من بيننا، و زادوا ذلك [تأكيدا] فقالوا: ﴿واحدا﴾ أى ليس معه من يؤيده، ثم فسر الناصب لقوله "بشرا" بقوله: ﴿نتبعه ۝﴾ أى نجاهد نفسنا فى خلع مألوفنا و خلاف آبائنا و الإقرار على أنفسنا بسخافة العقل و العراقة فى الجهل و نحن [أشد] الناس كثرة ٢٠

وقوة وفهما ودراية، ثم استنتجوا عن هذا الإنكار الشديد قولهم مؤكدين الاستشعار بأن كلامهم أهل لأن يكذب ﴿ أئنا إذا ﴾ أي إن اتبعناه ﴿ لفي ضلال ﴾ أي ذهاب عن الصواب محيط بنا ﴿ وسعر ﴾ أي تكون عاقبتنا في ذلك الضلال الكون في أوائل أمر لا ندري عاقبته، فانه لم يجرب ولم يختبر ولم يمض أحد قبلنا سلفا لنا فيجرنا ذلك إلى جنون وجوع ونار كما يكون من يأتوه في القفار في أنواع من الحر بتوقد حر الجبال وحر الضلال وحر الهموم والأوجال - وذلك من النار التي توعدنا بها، وهو معنى تفسير ابن عباس رضي الله عنهما له بالعذاب[1]، وجعل سفيان ابن عيينه له جمع سعير، والمعنى انا [نكون] إذا اتبعناك كما تقول جامعين بين الضلال والعذاب بسائر انواعه.

ولما كان فيما قالوه أعظم تكذيب مدلول على صحته في زعمهم بما اوماوا إليه من كونه ادميا مثلهم، هو مع ذلك واحد من أحادهم فليس هو بأمثلهم وهو منفرد فلم يتأيد فكره بفكر غيره حتى يكون موضع الوثوق به، دلوا عليه بأمر آخر ساقوه أيضا مساق الإنكار. وأومأوا للإلقاء إلى أنه في إسراعه كأنه سقط من علو فقالوا: ﴿ ءالقي ﴾ أي أنزل نعته في سرعة لأنه لم يكن عندهم في مضمار هذا الشأن ولم يأتمروا فيه قبل إتيانه به شيء منه بل أتاهم به نعته في غاية الإسراع، ولما كان الإلقاء يكون للأجسام غالبا، فكان لدفع هذا الوهم تقديم النائب عن الفاعل أولى بخلاف ما تقدم في ص فقالوا: ﴿ الذكر ﴾

(١) راجع البحر المحيط ٧ : ١٨٠

أى الوحى الذى يكون به الشرف الأعظم، و عبروا بعلى إشارة إلى أن مثل هذا الذى تقوله لا يقال إلا عن قضاء غالب و أمر قاهر فقال: ﴿عليه﴾ و دلوا على وجه التعجب و الإنكار بالاختصاص بقولهم: ﴿من بيننا﴾ أى و بيننا من هو أولى بذلك سنا و شرفا و نبلا.

و لما كان هذا الاستفهام / لكونه إنكاريا بمعنى النفى، أضربوا عنه ٥ / ١٢٦ بقولهم على وجه النتيجة عطفا على ما أفهمه الاستفهام من نحو: ليس الأمر كما زعم: ﴿بل هو﴾ لما أبديناه من الشبه ﴿كذاب﴾ أى بليغ فى الكذب ﴿اشر ٥﴾ أى مرح غلبت عليه البطالة حتى أعجبته نفسه بمرح و تجبر و بطر، و نشط فى ذلك حتى صار كالمنشار الذى هو متفرغ للقطع مهيأ له خشن الأمر سيء الخلق و الأثر فهو يريد الترفع. ١٠

و لما كان هذا غاية الذم لمن يستحق منهم غاية المدح، أجاب تعالى عنه موعظة لعباده لئلا يتقولوا ما يعلمون بطلانه أو يقولوا ما لا يعلمون صحته بقوله: ﴿سيعلمون﴾ بوعد لا خلف فيه. و لما كان المراد التقريب لأنه أقعد فى التهديد، قال: ﴿غدا﴾ أى فى الزمن الآتى القريب لأن كل ما حقق إتيانه قريب عند نزول العذاب فى الدنيا و يوم ١٥ القيامة، و قراءة ابن عامر و حمزة و رويس عن يعقوب بالخطاب[1] التفات يعلم بغاية الغضب ﴿من الكذاب الاشر ٥﴾ أى الكذب و الأشر و هو احتقار الناس و الاستكبار على ما أبدوه من الحق مختص به و مقصود عليه لا يتعداه إلى مرميه و ذلك بأنهم جعلوا الكذب ديدنه و لم يتعدهم حتى

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ١٢٥.

يدعى شيء منه لصالح عليه الصلاة و السلام ، فكان الكلام معينا لهم فى الكذب قاصرا عليهم بسياقه على هذا الوجه المبهم المنصف الذى فيه من روعة القلب و هز النفس ما لا يعلمه حق علمه إلا الله تعالى ، وكلما كان الإنسان أسلم طبعا و أكثر علما كان له أعظم ذوقا .

٥ و لما علم من هذا أنه سبحانه فصل الأمر بينهم ، تشوف السامع إلى علم ذلك فقال تعالى مستأنفا دالا بأنهم طالبوه بآية دالة على صدقه : ﴿انا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿مرسلوا الناقة﴾ أى موجدوها و مخرجوها كما اقترحوا من حجر أمكناه لذلك و خصصناه من بين الحجارة دلالة على إرسالنا صالحا عليه السلام مخصصين له من بين قومه ، و ذلك أنهم ١٠ قالوا لصالح عليه السلام : نريد أن نعرف الحق منا بأن ندعو آلهتنا و تدعو إلهك فمن أجابه إلهه علم أنه المحق ، فدعوا أوثانهم فلم تجبهم ، فقالوا : ادع أنت ، فقال : فما تريدون ؟ قالوا : تخرج لنا من هذه الصخرة ناقة تبعر (؟) عشراء ، فأجابهم إلى ذلك بشرط الإيمان ، فوعدوه بذلك و أكدوا فكذبوا بعد ما كذبوا فى أن آلهتهم تجيبهم ، و صدق هو صلى الله ١٥ عليه و سلم فى كل ما قال ، فأخبره ربه سبحانه أنه يجيبهم إلى إخراجها ﴿فتنة لهم﴾ أى امتحانا يخالطهم به فيمبلهم عن حالتهم التى وعدوا بها و يجيبهم عنها ، و سبب سبحانه عن ذلك أمره بانتظارهم فيما يصنعون بعد إخراجهم لما توصلهم إليه عواقب الفتنة فقال : ﴿فارتقبهم﴾ أى كلف نفسك انتظارهم فيما يكون لهم جزاء على أعمالهم انتظار من يحرسهم و هو ٢٠ عالم عليم فانهم واصلون بأعمالهم إلى الداهية التى تسمى بأم العرقوب

ليكونوا كمن جعل فى رقبته، و دل بصيغة الافتعال على أنه يكون / له منه ١٢٧/
أذى بالغ قبل انفصال النزاع فقال: ﴿ و اصطبر ﴾ أى عالج نفسك
و اجتهد فى الصبر عليهم ﴿ و نبئهم ﴾ اى أخبرهم إخبارا عظيما بأمر
عظيم، و هو أن الماء الذى يشربونه و هو ماء بئرهم ﴿ ان الماء قسمة بينهم ج ﴾
أى بين ثمود و بين الناقة، غلب عليها ضمير من يعقل، يعنى إذا بعثناها ٥
كان لهم يوم لاتشاركهم فيه فى الماء، و لها يوم لاتدع فى البئر قطرة يأخذها
أحد منهم، و توسع الكل بدل الماء لبنا. و لما أخبر بتوزيع الماء، أعلم أنه
على وجه غريب بقوله استئنافا: ﴿ كل شرب ﴾ أى من ذلك و حظ
منه و مورد البرو وقت يشرب فيه ﴿ محتضر ﴾ أى أهل لما فيه من الأمر
العجيب أن يحضره الحاضرون حضورا عظيما، و تتكلف أنفسهم لذلك ١٠
لأنه صار فى كثرته و حسنه كماء الحاضرة للبادية و تأهل لأن تعارضه
حاضروه من حسنه و يرجعوا إليه و أن يجتمع عليه الكثير و يعودوا
أنفسهم عليه.

و لما كان التقدير: فكان الأمر كما ذكرنا، و استمر الأمد الذى
ضربنا فافتتنوا [كما] أخبرنا ﴿ فنادوا ﴾ بسبب الفتنة ﴿ صاحبهم ﴾ قدار بن ١٥
سالف الذى انتدبوه بطرا و أشرا لقتل الناقة، و كذبنا فيها بوعدهم الإيمان
و إكرامها بالإحسان و هو أشقى الأولين ﴿ فتعاطى ﴾ أى أوقع بسبب
ندائهم التعاطى الذى لاتعاطى مثله، فتناول ما لايحق له أن يتناوله بسبب
الناقة و هو سيفه بيده قائما فى الأمر الناشىء عن هذا الأخذ على كل
حال. و رفع رأسه بغاية الهمة و مد يديه مدا عظيما و رفعها و قام على ٢٠

أصابع رجليه حين عاطوه ذلك أى سألوه فيه فطاوعهم و تناول الناقة بذلك السيف غير مكترث و لا مبال ﴿ فعقر ﴾ أى فتسبب عن هذا الجد العظيم أن صدق فيما أثبت لهم الكذب فى الوعد بالإحسان إليها و الأشر، و هو إيقاع العقر الذى ما كان فى ذلك الزمان عقر مثله ٥ و هو عقر الناقة التى هى آية الله و إهلاكها .

و لما وقع كذبهم على هذا الوجه العظيم المبنى على غاية الأشر، حقق الله تعالى صدقه فى توعدهم على تقدير وقوع ذلك، فأوقع عذابهم سبحانه على وجه هو من عظمه أهل لأن يتساءل عنه، فنبه سبحانه على عظمه بإيراده فى أسلوب الاستفهام مسببا عن فعل الأشقى فقال: ١٠ ﴿ فكيف كان ﴾ و حافظ على مقام التوحيد كما مضى فقال: ﴿عذابى﴾ أى كان على حال و وجه هو أهل لأن يجتهد فى الإقبال على تعرفه و السؤال عنه ﴿ و نذر ﴾ أى إنذارى . و لما علم تفرغ ذهن السائل الواعى، استأنف قوله مؤكدا إشارة إلى أن عذابهم مما يستلذ و ينجح به، و إرغاما لمن يستبعد النصيحة الواحدة بفعل مثل ذلك، و إعلاما بأن القدرة ١٢٨ / ١٥ على عذاب من كذب من غيرهم / كهى على عذابهم فلا معنى للتكذيب: ﴿ انآ ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ ارسلنا ﴾ إرسالا عظيما، و دل على كونه عذابا بقوله: ﴿ عليهم صيحة ﴾ و حقر شأنهم بالنسبة إلى عظمة عذابهم بقوله تعالى: ﴿ واحدة ﴾ صاحها عليهم جبريل عليه السلام فلم يكن بصيحته هذه التى هى واحدة طاقة، و تلاشى عندها صياحهم حين نادوا ٢٠ صاحبهم لعقر الناقة . و لما تسبب عنها هلاكهم قال: ﴿ فكانوا ﴾ كونا

عظيما

عظيما ﴿ كهشيم المحتظر ﴾ أى محطمين كالشجر اليابس الذى جعله الراعى و من فى معناه ممن يجعل شيئا يأوى إليه و يحتفظ به و يحفظ به ماشيته فى وقت ما لا يقاله (؟) و هو حظيره أى شىء مستدير مانع فى ذلك الوقت لمن يدخل إليه فهو يتهشم و يتحطم كثير منه و هو يعمله فتدوسه الغنم ثم تتحطم أولا فأولا ، و كل ما سقط منه شىء فداسته الغنم كان ٥ هشيما ، و كأنه الحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته .

و لما كان التقدير : فلقد أبلغنا فى الموعظة لكل من يسمع هذه القصة ، عطف عليه قوله مؤكدا لأجل من يعرض عن هذا القرآن و يعلل إعراضه عنه بصعوبته : ﴿ و لقد يسرنا ﴾ أى على ما لنا من القدرة و العظمة ﴿ القرآن ﴾ أى الكتاب الجامع لكل خير ، الفارق بين كل ١٠ ملبس ﴿ للذكر ﴾ أى الحفظ و التذكير و التذكر و حصول النباهة به و الشرف إلى الدارين . و لما كان هذا غاية فى وجوب الإقبال عليه لجميع المتولين ، قال : ﴿ فهل من مدكر ﴾ أى ناظر فيه بسبب قولنا هذا بعين الإنصاف و التجرد عن الهوى ليرى كل ما أخبرنا به فنعينه عليه .

و لما كان النذير : كأنه قال المنذرين (؟) لم يتعظوا به فزاد فى وعظهم ، و كانت ١٥ قصة لوط عليه السلام مع قومه أعظم ما كان بعد ثمود مما تعرفه العرب بالأخبار و رؤية الآثار ، و مع ما فى قصتهم من تصوير الساعة من تبديل الأرض غير الأرض ، استأنف قوله : ﴿ كذبت قوم لوط ﴾ أى و هم فى قوة عظيمة على ما يحاولونه و إن كانوا فى تكذيبهم هذا فى ضعف وقوع النساء عن التجرد بما دل عليه تأنيث الفعل بالتاء و كذا ٢٠

ما قبلها من القصص ﴿ بالنذر ﴾ أى الإنذار و الإنذارات و المنذرين ، و دل على تناهى القباحة فى مرتكبهم بتقديم الإخبار عن عذابهم فقال : ﴿ انآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ ارسلنا ﴾ و دل على أنه إرسال إهانة بقوله : ﴿عليهم﴾ و دل على هوانهم و بلوغ أمره كل ما يراد به بقوله : ٥ ﴿ حاصبا ﴾ أى ريحا ترمى بحجارة هى دون ملء الكف فكانت مهلكة لهم محرقة خاسفة مفرقة ﴿ الآ ءال لوط ﴾ و هم من آمن به و كان بحيث إذا رأيته فكانك رأيت لوطا عليه السلام لما يلوح عليه من أفعاله و المشى على منواله فى أقواله و أحواله و أفعاله .

و لما كان استثناؤهم مفهما إنجاءهم مع التجويز لإرسال شىء عليهم ١٠ غير مقيد بما ذكر ، قال مستأنفا جوابا لمن كأنه قال: ما حالهم : ﴿نجينهم﴾ أى تنجية عظيمة بالتدريج ، و ذكر أول الشروع لإنجاءهم فقال : ﴿بسحر ﴾ أى بآخر ليلة من الليالى و هى التى عذب فيها قومه ، فكأن تنكيره لأنا لانعرف تلك الليلة بعينها ، و لو قصدت سحر الليلة التى صبحت منها كان معرفة لاينصرف ، و السحر : السدس الأخير من الليل : الوقت الذى يكون فيه ١٥ الإنسان لاسيما النساء و الأطفال فى غاية الغفلة بالاستغراق فى النوم ، و يفتح الله فيها أبواب السماء باذن الدعاء ليحصل منه الإجابة لأن الملوك إذا فتحوا أبوابهم كان ذلك إذنا للناس فى الدخول لقضاء الحوائج ، فالنزول و فتح الأبواب كناية عن ذلك - و الله سبحانه و تعالى متعال عن حاجة إلى نزول أو فتح باب أو غير ذلك .

٢٠ و لما كان المراد من الموعظين الطاعة التى هى سبب النجاة ، فلذا

قال ذاكرا للانعام معبرا عنه بغاية المقصود منه معرفا أن انتقامه عدل و معافاته فضل، لأن أحدا لا يقدر أن يكافئ نعمه و لا نعمة نها، معللا للنجاة: ﴿نعمة من عندنا﴾ أى عظيمة غريبة جدا لشكرهم، و لما كان كأنه قيل: هل هذا مختص بهم... الإنجاء من بين الظالمين و هو مختص بهم، أجاب بقوله: ﴿كذلك﴾ أى مثل هذا الإنجاء العظيم الذى جعلنا ٥ جزاء لهم ﴿نجزى﴾ بقدرتنا و عظمتنا ﴿من شكر﴾ أى أوقع الشكر بجميع انواعه فآمن و أطاع ليس .... بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر كائنا من كان من سوقة أو سلطان جائر شجاع أو جبان، فاننا عليه بالإنجاء بعد هلاك عدوه، قال القشيرى: و الشكر على نعم الدفع أتم من الشكر على نعم النفع، و لا يعرف ذلك إلا كل موفق كيس، ١٠ فالآية من الاحتباك: ذكر الإنعام أولا - لأنه السبب الحقيقى - دليلا على حذفه ثانيا، و الشكر ثانيا - لأنه السبب الظاهر - دليلا على حذفه أولا.

و لما كان التقدير دفعا لعناد .... استشراف السامع إلى ما كان من حاله صلى الله عليه و سلم معهم قبل العذاب: لقد بالغ فى شكرنا بوعظهم و نصحهم و دعائهم إلينا صرفا لما أنعمنا به عليه من الرسالة فى أتم مواضعه، ١٥ عطف عليه إيماء إليه قوله، مؤكدا لأن تمادى المحذور من العذاب على الإقامة فى موجبه يكاد أن لا يصدق: ﴿و لقد انذرهم﴾ أى رسولنا لوط عليه السلام ﴿بطشتنا﴾ أى أخذتنا لهم المقرونة بشدة ما لنا من العظمة، و وحد إشارة إلى أنه لا يستهان بشىء من عذابه سبحانه بل الأخذة الواحدة كافية لما لنا من العظمة فهى غير محتاجة إلى التثنية، ٢٠

و دل على أن إنذاره كان جديرا بالقبول لكونه واضح الحقيقة بما سبب عن ذلك من قوله: ﴿ فتماروا ﴾ أى تكلفوا الشك الواهى ﴿ بالنذر ﴾ أى الإنذار مصدرا و الإنذارات أو المنذرين حتى أداهم إلى التكذيب. فكان سببا للأخذ.

١٣٠ / ٥ و لما كان ترك الاحتياط فى / إعمال الحيلة فى وجه الخلاص من إنذار النذير عظيم العراقة فى السفه، دل على أنهم تجاوزوا ذلك إلى انتهاك حرمة النذير، فقال مقسما لأن مثل ذلك لايكاد يقع فلا يصدق من حكاه: ﴿ و لقد راودوه ﴾ أى زادوا فى التكذيب الموجب للتعذيب أن عالجوا معالجة طويلة تحتاج إلى فتل و دوران ﴿ عن ضيفه ﴾ ليسلمهم إليهم و هم ١٠ ملائكة فى هيئة شباب مرد، و أفردوا و إن كان المراد الجنس استعظاما لذلك لو كان الضيف واحدا ﴿ فطمسنآ ﴾ اى فتسبب عن مراودتهم أن طمسنا بعظمتنا ﴿ اعينهم ﴾ فسويناها مع سائر الوجوه فصارت بحيث لا ترى لها شق، قال البغوى[1]: هذا قول أكثر المفسرين، و ذلك بصفقة صفقها لهم جبريل عليه الصلاة و السلام، و قال القشيرى: مسح بجناحيه ٥ على وجوههم فعموا و لم يهتدوا للخروج، و قال ابن جرير[2]: و العرب تقول: طمست الريح الأعلام - إذا دفنتها بما يسفى عليها من التراب. فانطلقوا هرابا مسرعين إلى الباب لايهتدون إليه و لا يقعون عليه بل يصادمون الجدران حوفا مما هو أعظم من ذلك و هم يقولون: عند لوط أسحر الناس، و ما أدتهم عقولهم أن يؤمنوا فينجوا أنفسهم مما حل بهم، قال القشيرى:

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٦ / ٢٣٠ (٢) راجع تفسير هذه الآية فى جامعه.

وكذلك

و كذلك أجرى الله سبحانه سنته فى أوليائه بأن يطمس على قلوب أعدائهم حتى يلتبس عليهم كيف يؤذون أولياءه و يخلصهم من كيدهم .

و لما كان ..... أول عذابهم قال : ﴿ فذوقوا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن قال قائل عن الله بلسان القال أو الحال : أيها المكذبون ذوقوا بسبب تكذيبكم لرسلى فى إنذارهم ﴿ عذابى و نذر ﴾ أى و عاقبة انذارى على ألسنة رسلى .

و لما كان بقاؤهم بعد هذا على حال كفرهم عجبا إذ العادة قاضية بان من أخذ ارعوى و لو كان أفجر الخلق ، و سأل العفو عنه صدقا أو كذبا خداعا و مكرا ليخلص مما هو فيه ... بثباتهم على تكذيبهم حتى عذبوا على قرب العهد فقال مقسما : ﴿ و لقد صبحهم ﴾ أى أتاهم فى وقت الصباح ، و حقق المعنى [بقوله] : ﴿ بكرة ﴾ أى فى أول النهار العذاب ، و لو كان أول نهارك الذى أنت به كان معرفة فامتنع ... ﴿ عذاب ﴾ أى قلع بلادهم و رفعها ثم قلبها ، و حصبها بحجارة من نار و خسفها و غمرها بالماء المنتن الذى لايعيش به حيوان ﴿ مستقر ﴾ أى ثابت عليهم غير مزايل بخيال و لاسحر كما قالوا عند الطمس فانه أهلكهم فاتصل بعذاب البرزخ المتصل بعذاب القيامة المتصل بالعذاب الأكبر فى الطبقة التى تناسب أعمالهم من عذاب النار فقال لهم لسان الحال إن لم ينطق لسان القال : ﴿ فذوقوا ﴾ بسبب أعمالكم ﴿ عذابى و نذر ﴾ .

و لما كرر هذا التكرير ، علم منه أن سبب العذاب / التكذيب بالإنذار لأى رسول كان ، و كان استئناف كل قصة منبها على أنها أهل ٢٠ / ١٣١

على حدتها لأن يتعظ [بها] ، علم أن التقدير : فلقد بلغت هذه المواعظ النهاية لمن كان له قلب ، فعطف عليه قوله مذكرا بالنعمة التى لا عدل لها : ﴿ و لقد يسرنا ﴾ أى تعالى جدنا و تناهى مجدنا ﴿ القرآن ﴾ الجامع الفارق ﴿ للذكر ﴾ و لو شئنا لأعليناه بما لنا من العظمة إلى الحد حتى تعجز القوى عن فهمه ، كما أعليناه إلى رتبة وقفت القوى عن معارضته فى نظمه ، أو مطلع لا يتشبث بأذيال أدنى علمه ، إلا الأفراد من حذاق العباد ، فكيف بما فوق ذلك .

و لما كانوا مع ذلك واقفين عن المبادرة إليه و الإقبال عليه ، قال تلطفا بهم و تعطفا عليهم مسببا عن ذلك : ﴿ فهل ﴾ و أكد فقال : ﴿ من مدكر ﴾ مفتك لنفسه من مثل هذا الذى أوقع فيه هؤلاء أنفسهم ظنا منهم أن الأمر لا يصل إلى ما وصل إليه جهلا منهم و عدم اكتراث بالعواقب .

و لما كان الآخر ينبغى له أن يحذر ما وقع للأول ، و كان قوم فرعون قد [جاء] بعد قوم لوط عليه السلام ، فكان ربما ظن أنهم لم ينذروا لأن من علم أن العادة جرت أن من كذب الرسل هلك أنكر أن يحصل ممن تبع ذلك تكذيب ، قال مقسما : ﴿ و لقد جآء آل فرعون ﴾ اى ملك القبط بمصر و أشرافه الذين [إذا] رؤوا كان كأنه رئى فيهم لشدة قربهم منه و تخلقهم بأخلاقهم ﴿ النذر ﴾ أى الإنذارات و المنذرون بنذارة موسى و هارون عليهما السلام ، فان نذارة بعض الأنبياء كنذارة الكل لأنه لم يأت أحد منهم إلا و له من الآيات ما مثله آمن

عليه البشر ، و المعجزات كلها متساوية فى خرق العادة ، و كان قد أنذرهم يوسف عليه السلام . و لما كان كأنه قيل : فما فعلوا عند مجيء ذلك إليهم ، قال : ﴿ كذبوا ﴾ أى تكذيبا عظيما متسهينين ﴿ بآيتنا ﴾ التى أتاهم بها موسى عليه السلام و غيرها لأجل تكذيبهم بها على ما لها من العظمة المعروفة قطعا [عن] أنها من عندنا . ٥

و لما كانت خوارق العادات كما مضى متساوية الأقدام فى الدلالة على صدق الآتى بها ، و كانوا قد صمموا على أنه مهما أتاهم بآية كذبوا بها ، كانوا كأنهم قد أتتهم كل آية فلذلك قال : ﴿ كلها ﴾ وسبب عن ذلك قوله : ﴿ فأخذناهم ﴾ أى بما لنا من العظمة بنحو ما أخذنا به قوم نوح من الإغراق ﴿ أخذ عزيز ﴾ أى لا يغلبه شيء و هو يغلب كل شيء ١٠ ﴿ مقتدر ﴾ أى لا يعجل بالأخذ لأنه [لا] يخاف الفوت و لا يخشى معقبا لحكمه ، بالغ القدرة إلى حد لا يدرك الوصف كنهه لأن صيغة الافتعال مبناها على المعاجلة و من عاجل فعلا اجهل نفسه فيه ، فكان على أتم الوجوه ، و هذه الغاية هى المرادة ليس غيرها ، فهو تمثيل لأنه سبحانه يخاطبنا بما نعبده ، و بهذه المبالغة فلم يفلت منهم أحد ، و قد ختمت القصص / بمثل ١٥ / ١٣٢ ما افتتحت به من عذاب المفسدين بالإغراق ليطابق الختم البدأ ، و كانت نجاة المصلحين من الأولين بالسفينة ، و كانت نجاة المصلحين من الآخرين بأرض البحر كانت هى سفينتهم ، ليكون الختم اعظم من البدأ كما هو شأن أهل الاقتدار .

و لما بلغت هذه المواعظ الانتهاء ، و علت أقدامها على رتبة السها ، ٢٠

و لم يبن ذلك كفار قريش عن شرادهم ، و لا فتر من جحودهم و عنادهم ، كان لسان حالهم قائلا : إنا لانخاف شيئا من هذا ، فكان الحال مقتضيا لأن يقال لهم إلزاما بالحجة : ﴿ اكفاركم ﴾ الراسخون منكم فى الكفر الثابتون عليه يا أيها المكذبون لهذا النبي الكريم الساترون لشموس دينه ﴿ خير ﴾ ٥ فى الدنيا بالقوة و الكثرة أو الدين عند الله أو عند الناس ﴿ من اولـٰئكم ﴾ أى الكفار العظماء الجبابرة الأشداء الذين وعظناكم بهم فى هذه السورة ليكون ذلك سببا لافتراق حالهم منهم فيأمنوا العذاب مع جامع التكذيب و إن لم يكن لهم براءة من الله ﴿ ام لكم ﴾ اجمعين دونهم كفاركم و غير كفاركم ﴿ برآءة ﴾ من العذاب من الله ﴿ فى الزبر ﴾ أى الكتب ١٠ الآتية من عنده أأمنتم بها من العذاب مع أنهم خير منكم ، فالآية من الاحتباك : أثبت الخيرية أولا دليلا على حذفها ثانيا ، و البراءة ثانيا دليلا على حذفها أولا .

و لما بلغوا إلى هذا الحد من التمادى فى الكفر مع المواعظ البالغة و الاستعطاف المكين ، استحقوا أعظم الغضب ، فأعرض عنهم الخطاب ١٥ إيذانا بذلك و إهانة لهم و احتقارا و إقبالا على النبي صلى الله عليه و سلم تسلية له فقال عاطفا على ما تقديره : أيدعون جهلا و مكابرة شيئا من هذين الأمرين : ﴿ ام يقولون ﴾ أى هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم تعاملهم باللين فى القال و القيل و الصفح الجميل امتثالا لأمرنا تعظيما لقدرك فاستهانوا بك : ﴿ نحن جميع ﴾ أى جمع واحد مبالغ فى اجتماعه ٢٠ فهو فى الغاية من الضم فلا افتراق له ﴿ منتصر ﴾ أى على كل من

يناويه

يناويه لأنهم على قلب رجل واحد، فالإفراد للفظ «جميع» و لإفهام هذا المعنى، أو أن كل واحد محكوم له بالانتصار.

و لما كان لسان الحال ناطقا بأنهم يقولون: هذا كله فأى الفريقين خير مقاما و أحسن نديا و نحوها. و قال بعضهم: لئن بعثنا لأوتينا مالا و ولدا، و لاشك أنهم كانوا فى غاية الاستحالة لغلبة المؤمنين لهم على قلتهم و ضعفهم، ٥ أستأنف الجواب بقوله: ﴿سيهزم﴾ بأيسر أمر من أى هازم كان بوعد لاخلف فيه، و قراءة الجمهور[1] بالبناء للمفعول مفهمة للعظمة بطريقة كلام القادرين، فهى أبلغ من قراءة يعقوب بالنون و البناء للفاعل الدالة على العظمة صريحا ﴿الجمع﴾ الذى تقدم أنه بولغ فى جمعه فصدق الله وعده و هزموا فى يوم بدر و غيره فى الدنيا عن / قريب، و لم يزالوا يضعفون حتى ١٠ / ١٣٣ اضمحل أمرهم و زال بالكلية سرهم، و هى من دلائل النبوة البينة ﴿و يولون الدبر﴾ أى يقع توليتهم كلهم بهذا الجنس بأن يكون و اليا لها من منهم مع الهزيمة لأنه لم يتولهم فى حال الهزيمة نوع مسكنة يطمعون بها فى الخيار، و كل من إفراد الدبر و المنتصر و جمع المولين أبلغ مما لو وضع غيره موضعه و أقطع للتعنت. ١٥

و لما وقع هذا فى الدنيا، و كان فى يوم بدر، و كان ذلك من أعلام النبوة، و كان ربما ظن ظان أن ذلك هو النهاية، كان كأنه قيل: ليس ذلك الموعد الأعظم: ﴿بل الساعة﴾ القيامة التى يكون فيها الجمع الأعظم و الهول الأكبر ﴿موعدهم﴾ أى الأعظم للجزاء المتوعد به

(١) راجع نثر المرجان ٧ /١٣٢.

﴿و الساعة ادهىٰ﴾ من كل ما يفرض وقوعه فى الدنيا، أفعل تفضيل من الداهية و هى أمر هائل لايهتدى لدوائه ﴿و امرّ﴾ لأن عذابها للكافر غير مفارق و مزايل . و لما أخبر عن الساعة بهذا الإخبار الهائل، علله مقسما لأهلها مجملا بعض ما لهم عند قيامها بقوله مؤكدا لما [أظهروا] من التكذيب: ﴿ان المجرمين﴾ أى القاطعين لما أمر الله به أن يوصل ﴿فى ضلٰل﴾ اى عمى عن القصد بتكذيبهم بالبعث محيط بهم مانع من الخلاص من دواهى الساعة و غيرها، و من الوصول إلى شىء من مقاصدهم التى هم عليها الآن معتمدون ﴿و سعر﴾ أى نيران تضطرم و تتقد غاية الاتقاد ﴿يوم﴾ أى فى ذلك اليوم الموعود به ﴿يسحبون﴾ أى فى الساعة دائما بأيسر وجه إهانة لهم من أى صاحب كان ﴿فى النار﴾ أى الكامنة فى النارية ﴿على وجوههم﴾ لأنهم فى غاية الذل و الهوان جزاء بما كانوا يذلون أولياء الله تعالى، مقولا لهم من أى قائل اتفق: ﴿ذوقوا﴾ أى لأنهم لامنعة لهم و لاحمية عندهم بوجه ﴿مس سقر﴾ أى ألم مباشرة الطبقة النارية التى تلفح بحرها فتلوح الجسم و تذيبه فيسيل ذهنه... و عصارا كما يسيل الدبس و عصارة الرطب فتسمى النخلة بذلك مسقارا .

و لما أخبر بقيام الساعة و ما يتفق لهم فيها جزاء لأعمالهم التى قدرها عليهم و هى ستر فرضوا بها لاتباع الشهوات و احتجوا على رضاه بها، و كان ربما ظن ظان أن تماديهم على الكفر لم يكن بارادته سبحانه، علل ذلك منبها على أن الكل فعله، و إنما نسبته إلى العباد بأمور ظاهرية، تقوم عليهم بها الحجة فى مجارى عاداتهم، فقال: ﴿انا﴾ أى بما لنا من العظمة

العظمة ﴿ كل شيء ﴾ أى من الأشياء المخلوقة كلها صغيرها و كبيرها .

و لما كان هذا التعميم فى الخلق أمرا أفهمه النصب ، استأنف قوله تفسيرا للعامل المطوى و إخبارا بجعل ذلك الخلق كله على نظام محكم و أمر مقدر مبرم ﴿ خلقنه بقدر ﴾ أى قضاء و حكم و قياس مضبوط / و قسمة محدودة و قودة بالغة و تدبير محكم فى وقت معلوم و مكان ٥ / ١٣٤ محدود مكتوب فى ذلك اللوح قبل وقوعه تقيسه الملائكة بالزمان و غيره من العد و جميع أنواع الأقيسة - فلا يخرم عنه مثقال ذرة لأنه لامنازع لنا مع ما لنا من القدرة الكاملة و العلم التام ، فهذا العذاب بقدرتنا و مشيئتنا فاصبروا عليه و ارضوا به كما كنتم ترضون أعمالكم السيئة ثم تحتجون على عبادنا بأنها بمشيئتنا بنحو "و لوشاء الله ما اشركنا" ١٠ فقد أوصلكم إلى ما ترون و انكشف أتم انكشاف أنه لايكون شيء على خلاف مرادنا ، و لا يقال لشيء قدرناه : لم ؟ قال الرازى فى اللوامع : الكمية ساقطة عن أفعاله كما أن الكيفية و الكمية ساقطتان عن ذاته و صفته - انتهى . و لا يكون شيء من أمره سبحانه إلا ما هو على غاية الحكمة ، و لوكان الخلق لايبعثون بعد الموت ليقع القصاص و القياس ١٥ العدل ليكون القياس جزافا لابقدر و عدل ، لأن المشاهد أن الفساد فى هذه الدار من المكلفين من الصلاح أضعافا مضاعفة ، و قرئ فى الشواذ برفع " كل " و جعله ابن جنى أقوى من النصب ، و ليس كذلك لأن الرفع لايفيد ما ذكرته ، و ما حمله على ذلك إلا أنه معتزلى ، و النصب على [ما] قدرته قاصم لأهل الاعتزال . ٢٠

و لما بين أن كل شيء بفعله ، بين يسر ذلك و سهولته عليه فقال : ﴿ و ما امرنا ﴾ أى كل شيء أردناه و إن عظم أثره ، و عظم القدر و حقر المقدورات بالتأنيث فقال : ﴿ الا واحدة ﴾ أى فعلة يسيرة لامعالجة فيها و ليس هناك إحداث قول لأنه قديم بل تعلق القدرة ٥ بالمقدور على وفق الإرادة الأزلية ، ثم مثل لنا ذلك بأسرع ما يعقله و أخفه فقال : ﴿ كلمح بالبصر ﴾ فكما أن لمح أحدكم ببصره لا كلفة عليه فيه ، فكذلك الأفعال كلها ، بل أيسر من ذلك .

و لما أخبر بتمام قدرته ، و كان إهلاك من ذكر من الكفار و إنجاء من ذكر من الأبرار فى هذه السورة نحوا مما ذكر من أمر الساعة فى ١٠ السهولة و السرعة ، دل على ذلك بانجاء أوليائه و إهلاك أعدائه فذكر بهم حملة و بما كان من أحوالهم بأيسر أمر لأن ذلك أوعظ للنفوس و أزجر للعقول ، فقال مقسما تنبيها على عادتهم فى الكفر مع هذا الوعظ فعل المكذب بهلاكهم لأجل تكذيبهم عاطفا على ما تقديره : و لقد أنجينا رسلنا و أشياعهم من كل شيء خطر : ﴿ و لقد اهلكنا ﴾ أى بما لنا من ١٥ العظمة ﴿ اشياعكم ﴾ الذين أنتم و هم شرع واحد فى التكذيب ، و القدرة عليكم كالقدرة عليهم ، فاحذروا أن يصيبكم ما أصابهم ، فلذلك سبب عنه قوله : ﴿ فهل من مدكر ﴾ أى بما وقع لهم أنه مثل من مضى بل أضعاف ... ، و أن قدرته سبحانه عليه كقدرته / عليهم ليرجع عن غيه ١٣٥ / خوفا من سطوته سبحانه .

٢٠ و لما تمت الدلالة على إحاطة القدرة بما شوهد من الأفعال الهائلة

التى

التى لاتسعها قدرة غيره سبحانه ، و كانوا يظنون أن أحواله غير مضبوطة لأنه لايمكن ضبطها و لا يسعها علم عالم و لا سيما إذا ادعى أنه واحد ، شرع فى إتمام الإخبار بعظمة القدرة بالإخبار بأن أفعالهم كلها مكتوبة فضلا عن كونها محفوظة فقال : ﴿ وكل شيء فعلوه ﴾ أى الأشياع فى أىّ وقت كان ، كائن بالكتابة ﴿ فى الزبر ﴾ أى كتب الحفظة فليحذروا ٥ من أفعالهم فانها غير منسية ، هذا ما أطبق عليه القراء مما أدى إلى هذا المعنى من رفع كل ، لأنه لو نصب لأوهم تعلق الجار بالفعل فيوهم أنهم فعلوا فى الزبر كل شيء من الأشياء و هو فاسد .

و لما خصهم ، عم بقوله واعظا و مخوفا و محذرا بأن كل شيء محفوظ فمكتوب فمعروض على الإنسان يوم الجمع : ﴿ وكل صغير وكبير ﴾ ١٠ من الجواهر و المعانى منهم و من غيرهم ﴿ مستطر ﴾ أى مكتوب على وجه عظيم من اجتهاد الحفظة فى كتابته و تحريره مع يسر ذلك و سهولته .

و لما أخبر عن أحوال الكفرة فى الدنيا و الآخرة واعظا بها و إعلاما بعظمته و علىّ صفاته وسعة مملكته و شامل علمه و قدرته ، ختم ١٥ بأحوال القسم الآخر من أهل الساعة و هم أهل طاعته تتميما لذلك و إشارة و بشارة للسالك فى أحسن المسالك ، فقال مؤكدا ردا على المنكر : ﴿ ان المتقين ﴾ أى العريقين فى وصف الخوف من الله تعالى الذى أداهم إلى أن لايفعلوا شيئا إلا بدليل . و لما كان من البساتين و المياه ما هو ظاهر بكل مراد على عكس ما عليه الضال البعيد عن القصد ٢٠

الواقع فى الهلاك و النار [قال]: ﴿ فى جنت ﴾ أى فى بساتين ذات أشجار تسر داخلها، قال القشيرى: و الجمع إذا قوبل بالجمع فالآحاد تقابل الآحاد. و لما كانت الجنان لاتقوم و تدوم إلا بالماء قال: ﴿ و نهر ﴾ و أفرده لأن التعبير بـ «فى» مفهم لعمومهم به عموم ما كأنه ظرف و هم مظروفون له، و لكثرة الأنهار و عظمها حتى أنها لقرب بعضها من بعض و اتصال منابعها و تهيء جميع الأرض لجرى الأنهار منها كأنها شيء واحد، و ما وعد به المتقون من النعيم فى تلك الدار فرقائقه معجلة لهم فى هذه الدار، فلهم اليوم جنات العلوم و انهار المعارف، و فى الآخرة الأنهار الجارية و الرياض و الأشجار و القصور و الزخارف، و هو يصلح مع ذلك لأن يكون مما منه النهار فيكون المعنى: أنهم فى ضياء و سعة لا يزايلونه أصلا بضد ما عليه المجرم من العمى الناشيء عن الظلام، [و] لمثل هذه الأغراض أفرد مع إرادة الجنس لا للفاصلة فقط.

١٣٦/ و لما كانت البساتين لاتسكن / فى الدنيا لأنه ليس فيها جميع ما يحتاجه الإنسان، بين ان حال تلك غير حال هذه، فقال مبدلا مما[1] قبله: ﴿ فى مقعد ﴾ أى تلك الجنان محل إقامتهم التى تراد للقعود ﴿ صدق ﴾ أى فيما أراده الإنسان صدق وجوده الإرادة و لا يقعد فيه إلا اهل الصدق، و لا يكون فيه إلا صدقه، لا لغو فيه و لا تأثيم، و التوحيد لإرادة الجنس مع أن الإبدال يفهم أنه لاموضع فى تلك الجنان إلا و هو الصالح للتسمية بهذا الاسم و لأنهم لاتحاد قلوبهم و رضاهم

(١) فى الأصل: ما.

كأنهم فى قعد واحد على أنه قرئ بالجمع .

و لما كان هذا غير معهود ، بين أن سببه تمكين الله لهم منه لاختصاصه لهم و تقريبه إياهم لإرضائه لهم ، فقال مقيدا لذلك بالتعبير بالعندية لأن عنديته سبحانه تعالى منزهة عن قرب الأجسام و الجهات : ﴿عند مليك﴾ أى ملك تام الملك ﴿مقتدر ع﴾ أى شامل القدرة بالغها إلى حد لا يمكن ٥ إدراكه لغيره سبحانه كما تقدم قريبا . فهو يوصلهم إلى كل خير و يدفع عنهم كل ضير ، و كما أن لهم فى الآخرة عندية الإشهاد ، فلهم فى الدنيا عندية الإمداد ، و لهذا الاسم الشريف سر فى الانتصار على الظالمين ، و لقد ختمت السورة كما ترى كما ابتدئت به من أمر الساعة ، و كانت البداية للبداية و النهاية للنهاية ، و زادت النهاية بيان السبب الموجد لها ، و هو ١٠ قدرته سبحانه و عز شأنه و عظمت رحمته و إحسانه ، و عفوه و مغفرته و رضوانه ، و لتصنيف الناس فيها إلى كافر مستحق للانتقام ، و مؤمن مؤهل لغاية الإكرام ، لم يذكر الاسم الأعظم الجامع الذى يذكر فى سياق مقتضى جمع الجلال و الإكرام لصنف واحد و هو من يقع منه الإيمان و [لا] يتدنس بالعصيان ، و هم الذين آمنوا ، و لمشاركتها للسورتين اللتين بعدها ١٥ فى هذا الغرض ، و هو الكلام فى حق الصنفين فقط من غير ذكر عارض ممن آمن . أشرك الثلاثة فى الخلو عن ذكر الاسم الأعظم ، فلم يذكر فى واحدة منها و جاء فيها من الصفات ما يقتضى العظمة على أهل الكفران ، و ما ينبئ عن الإكرام و الإحسان لأهل الإيمان "و لمن خاف مقام ربه جنتان" و لهذا ختمت هذه بصفة الملك المقتضى للسطوة التامة ٢٠

و الإكرام البالغ و عدم المبالاة بأحد كائنا من كان، لأن الملك من حيث هو ملك إنما يقتضى مقامه إهانة العدو و إكرام الولى، و جعل ذلك على وجه المبالغة أيضا، كل ذلك للاعلام بأن تصريفه سبحانه لأحوال الآخرة كما قصد فى هذه السورة من تصريفه فى أحوال الدنيا ٥ من إهلاك الأعداء و إنجاء الأولياء. و كأن هذه السورة كانت هكذا لأنها جاءت عقب النجم التى شرح فيها الإسراء و كان للنبي صلى الله عليه و سلم من العظمة بخرق العوائد باختراق /السماوات، و الوصول إلى أنهى[1] الغاية /١٣٧ من المناجاة، و غيرها من سر الملكوت و محل الجبروت، بعد أن لوح بمقامه عليه الصلاة و السلام بالطور ليعلم الفرق و يوصف كل بما هو ١٠ الحق، فكان ذلك مقتضيا لئلا يكون بعده من الناس إلا مؤمن خالص، فان كان غيره فهو معاند شديد الكفر، و كأنها جعلت[2] ثلاثا لإرادة غاية التأكيد لهذا المعنى الشديد، فلما انقضت الثلاث كان متبركا به فى معظم آيات الحديد ثم توجت كل آية من آيات المجادلة به إشارة إلى أنه قد حصل غاية التشوف إليه و ترهيبا لمن يعصى و لاسيما من يظاهر، ١٥ و ترغيبا فى الطاعة للملك الغافر، و الله الموفق [3]لما يريد إنه قوى فعال لما يريد[3] .

* * * * *

(١) فى الأصل : انتهى (٢) و من هنا تستأنف نسخة ظ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .

سورة الرحمن[1] عز و جل و تسمى عروس القرآن[2]

مقصودها الدلالة على ما ختمت به سورة[3] القمر من عظيم الملك و تمام الاقتدار بعموم رحمته و سبقها لغضبه، المدلول عليه بكمال علمه، اللازم عنه شمول قدرته، المدلول عليه بتفصيل عجائب مخلوقاته و بدائع مصنوعاته فى أسلوب التذكير بنعمائه. و الامتنان بجزيل آلائه، على وجه ٥ منتج للعلم باحاطتـــه بجميع أوصاف الكمال، فمقصودها[4] بالذات إثبات الاتصاف بعموم الرحمه ترغيبا فى إنعامه و إحسانه، و ترهيبا من انتقامه بقطع مزيد امتنانه. و على ذلك دل اسمها الرحمن لأنه العام الامتنان و اسمها عروس القرآن واضح البيان فى ذلك، لأنها الحاوية لما فيه من حلى و حلل، و جواهر وكلل. و العروس بجميع النعم و الجمال، و البهجة ١٠ من نوعها و الكمال ﴿ بسم الله ﴾ الذى ظهرت إحاطة كماله بما ظهر من عجائب مخلوقاته ﴿ الرحمن ﴾ الذى ظهر عموم رحمته بما بهر من بدائع مصنوعاته و اشتهر من عظيم آياته و بيناته ﴿ الرحيم ﴾ الذى ظهر اختصاصه لأهل طاعته بما تحققوا به من الذل المفيد للعز بلزوم عباداته.

لما ختم سبحانه القمر بعظيم الملك و بليغ القدرة، و كان الملك ١٥ القادر لايكمل ملكه إلا بالرحمة، و كانت رحمته لاتتم إلا بعمومها، قصر

(١) الخامسة و الخمسون من سور القرآن الكريم، مدنية، و عدد آيها (٧٨) عند الكوفيين والشامى و (٧٧) عند المدنيين و المكى (٧٦) عند البصريين كما فى نثر المرجان ١٣٦/٧ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) سقط من ظ.
(٤) من ظ. و فى الاصل. فالمقصود.

هذه السورة على تعداد نعمه على خلقه فى الدارين ، و ذلك من[1] آثار الملك ، و فصل فيها ما أجمل فى آخر القمر من مقر[2] الأولياء و الأعداء فى الآخرة ، و صدرها بالاسم الدال على عموم الرحمة براعة للاستهلال ، و موازنة لما حصل بالملك و الاقتدار من غاية التبرك و الظهور و الهيبة
٥ و الرعب باسم هو مع أنه فى غاية الغيب دال على أعظم الرجاء مفتتحا لها بأعظم النعم و هو تعليم الذكر الذى هز ذوى الهمم العالية فى القمر إلى الإقبال عليه بقوله "و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر" لأنه لما كان للعظمة الدالة[3] عليها نون / "يسرنا" التى هى عماد الملك / ١٣٨
نظران : نظر الكبرياء و الجبروت يقتضى ان يتكلم بما يعجز خلقه من
١٠ كل جهة فى الفهم و الحفظ و الإتيان بمثله وكل معنى من معانيه ، و نظر الإكرام و الرحمة ، و كانت رحمته سابقة لغضبه نظر بها لخلقه لاسيما هذه الأمة المرحومة فيسر لها الذكر تحقيقا للرحمة بعد أن أبقى من آثار الجبروت الإعجاز[4] عن النظر ، و من الإعجاز[5] عن الفهم الحروف المقطعة أوائل السور ، و منع المتعنت من أن يقول : إنه لامعانى لها بأن فهم [بعض -[6]]
١٥ الأصفياء بعض اسرارها ، فقال جوابا لمن كأنه قال : من هذا المليك المقتدر . فقيل : ﴿ الرحمن ﴾ أى العام الرحمة ، قال ابن برجان : و هو ظاهر اسمه الله ، و باطن اسمه الرب ، جعل هذه الأسماء الثلاثة فى ظهورها

(١) من ظ ، و فى الأصل : فى (٢) سقط من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : الدال (٤) من ظ ، و فى الأصل : الايجاز (٥) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٦) زيد من ظ .

مقام الذات يخبر بها عنه و حجابا بينه و بين خلقه ، يوصل بها الخطاب منه إليهم ، ثم أسماؤه الظاهرة مبينة لهذه الأسماء الثلاثة - انتهى .

و من مقتضى اسمه " الرحمن " انبثت جميع النعم ، و لذا ذكر فى هذه السورة أمهات النعم فى الدارين .

و لما كان لاشيء من الرحمة أبلغ و لا أدل على القدرة من إيصال ٥ بعض صفات الخالق إلى المخلوق نوع إيصال ليتخلقوا به بحسب[1] ما يمكنهم منه فيحصلوا على الحياة الأبدية و السعادة السرمدية قال : ﴿علم القرآن ۝﴾ أى المرئى المشهود بالكتابة و المتلو [المسموع - [2]] الجامع لكل خير ، الفارق بين كل لبس ، و كان القياس [يقتضى - [2]] أن لا يعلم المسموع أحد لأنه صفة من صفاته ، و صفاته فى العظم كذاته ، و ذاته غيب ١٠ محض ، لأن الخلق أحقر من أن يحيطوا به علما ، « و أين الثريا من يد المتناول » فدل تعليمه القرآن على أنه يقدر أن يعلم ما أراد من أراد " و علم آدم الاسماء كلها " و لا يخفى ما فى تقديمه على جميع النعم من المناسبة لأن [أجل النعم - [2]] نعمة الدين التى تتبعها نعمة الدنيا و الآخرة ، و هو أعلى مراتب ، فهو سنام الكتب السماوية و عمادها ١٥ و مصداقها و العبار عليها ، و فائدتها[3] الإيصال إلى مقعد[4] الصدق المتقدم لأنه بين ما يرضى الله ليعمل به و ما يسخطه ليجتنب .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : من المعلوم أن الكتاب العزيز

---

(١) فى ظ : بسبب (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : فائدته .
(٤) من ظ ، و فى الاصل : معدم .

و إن [كانت -[1]] آية كلها معجزة باهرة و سورة فى جليل النظم و بديع التأليف قاطعة بالخصوم قاهرة، فبعضها أوضح من بعض فى تبين إعجازها، و تظاهر بلاغتها و إيجازها، ألا ترى إلى تسارع الأفهام إلى الحصول على بلاغة آيات و سور من أول وهلة دون كبير تأمل كقوله تعالى "[و -[1]] قيل يا ارض ابلعى ماءك و يا سماء اقلعى" و قوله "فاصدع بما تؤمر و اعرض عن المشركين" الآيات، لا يتوقف فى باهر إعجازها إلا من طبع الله على قلبه أو سد دونه باب الفهم فانى له بر لوجه وقوعه، و سورة القمر من هذا النمط / ، ألا ترى اختصار القصص فيه مع حصول أطرافها و توفية أغراضها، و ما جرى مع كل قصة من الزجر و الوعظ و التنبيه و الإعذار، و لولا أنى لم أقصد التعليق مما بنيته عليه من ترتيب السور لأوضحت ما أشرت إليه مما لم أسبق إليه، و لعل الله سبحانه ييسر ذلك فيما باليد من التفسير نفع الله به و يسر فيه، فلما انطوت هذه السورة على ما ذكرنا و بان فيها عظيم[2] الرحمة فى تكرر القصص و شفع العظات، و ظهرت حجة الله على الخلق، و كان ذلك من أعظم ألطافه تعالى لمن يسره لتدبر القرآن[3] و وفقه لفهمه و اعتباره، أردف ذلك سبحانه بالتنبيه على هذه النعمة فقال تبارك و تعالى "الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان" و خص من أسمائه الحسنى هذا الاسم إشعارا برحمته بالكتاب و عظيم إحسانه به "و ان تعدوا نعمة الله لاتحصوها" ثم قد تمهد أن سورة القمر إعذار و من أين للعباد بجميل

١٣٩ /

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : عظام (٣) فى ظ : الكتاب .

هذا اللطف و عظيم هذا الحلم حتى يرادوا إلى بسط الدلالات و إيضاح البينات إن تعذر إليهم زيادة فى البلاغ، فأنبأ تعالى أن هذا رحمة فقال "الرحمن علم القرآن" ثم إذا تأملت سورة القمر وجدت خطابها و إعذارها خاصا ببنى آدم بل بمشركى العرب منهم فقط، فاتبعت سورة القمر بسورة الرحمن تنبيها للثقلين و إعذارا إليهم و تقريرا للجنسين على ما أودع سبحانه فى العالم[1] من العجائب و البراهين الساطعة فتكرر فيها التقرير و التنبيه بقوله تعالى "فبأى آلاء ربكما تكذبان" خطابا للجنسين و إعذارا للثقلين فبان اتصالها بسورة القمر أشد البيان - انتهى.

و لما كان كأنه قيل: كيف [عليه -[2]] و هو صفة من صفاته و لمن عليه، قال مستأنفا أو معللا: ﴿خلق الانسان﴾ أى قدره و أوجده على هذا الشكل المعروف و التركيب الموصوف منفصلا عن جميع الجمادات و أصله منها ثم[3] عن سائر الناميات[4] ثم عن غيره من الحيوانات، و جعله أصنافا، و فصل بين كل قوم بلسانهم عمن عداهم و خلقه[5] لهم دليل على خلقه لكل شىء موجود "انا كل شىء خلقنه بقدر" و الإنسان و إن كان اسم جنس لكن أحقهم بالإرادة بهذا أولهم و هو آدم عليه السلام، و إرادته - كما قال ابن عباس رضى الله عنهما - لاتمنع إرادة الجنس من حيث هو.

---

(١) من ظ، و فى الأصل: العام (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) من ظ، و فى الأصل: فيها، مع يسير من البياض (٤) من ظ، و فى الأصل: المناسبات.
(٥) من ظ، و فى الأصل: خلقهم.

و لما كان كأنه قيل : فكان ما ذا بخلقه[1] له ، قال : ﴿علمه البيان ٥﴾ و هو القوة الناطقة ، و هى الإدراك للأمور الكلية و الجزئية و الحكم على الحاضر و الغائب بقياسه على الحاضر تارة بالتوسم[2] و أخرى بالحساب و مرة بالعيافة و الزجر و طورا بالنظر فى الآفاق و غير ذلك من الأمور مع التمييز بين الحسن و القبيح و غير ذلك مما أودعه سبحانه و تعالى له مع تعبيره عما أدركه بما هو غائب فى ضميره و إفهامه للغير / تارة بالقول و تارة بالفعل نطقا و كتابة و إشارة و غيرها ، فصار بذلك ذا قدرة على الكمال فى نفسه و التكميل لغيره ، فهذا تعليم البيان الذى مكن من تعليم القرآن ، و هذا و إن كان سبحانه جبلنا عليه و خلقنا به قد صار عندنا مألوفا و مشهورا معروفا ، فهو عند غيرنا على غير ذلك [3]مما أوضحه لنا[3] سبحانه نعمة علينا بمحاجته لملائكته الكرام عن نبينا آدم عليه الصلاة و السلام و ما أبدى لهم من علمه و بهرهم من رسم كل شىء بمعناه و اسمه .

/ ١٤٠

و لما بين سبحانه النعمة فى تعليم القرآن الذى هو حياة الأرواح ، و بين الطريق فيها ، دل على البيان بذكر البينات التى يجمعها أمر و يفرقها آخر ، و لها مدخل فى حياة الأشباح ، و عددها[4] على سبيل الامتنان بيانا لأنها من اكبر النعم فقال فى جواب من قال : ما بيانه ؟ بادئا بالكوكب الأعظم الذى هو أعظم نورا و أكبر جرما و أعم نفعا ليكون خضوعه

(١) من ظ ، و فى الأصل : من خلقه (٢) من ظ ، و فى الاصل : بالنوم .
(٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : كما أوضحته (٤) من ظ ، و فى الأصل : عدد .

لقبول الآثار أدل على خضوع غيره بيانا لحكمته فى تدبيره و قوته فى تقديره: ﴿الشمس﴾ و هى آية النهار ﴿و القمر﴾ و هو آية الليل اللذان[1] كان بهما البيان الإبراهيمى، و لعله بدأ لهذه الأمة بغاية بيانه عليه الصلاة و السلام تشريفا لها بالإشارة إلى علو أفهامها ﴿بحسبان ۝﴾ أى جريهما، يجرى كل منهما - مع اشتراكهما فى أنهما كوكبان سماويان[2] - ٥ بحساب عظيم جدا لاتكاد توصف جلالته فى دقته و كثرة سعته و عظم ما يتفرع عليه من[3] المنافع الدينية و لدنيوية، و من عظم[4] هذا الحساب الذى أفادته صيغة الفعلان أنه على نهج واحد لايتعداه، تعلم به الأعوام و الشهور و الأيام و الساعات و الدقائق و الفصول فى منازل معلومة، و يعرف موضع كل منهما فى الآفاق العلوية و ما يحدث له و ما يتأثر ١٠ عنه فى الكوائن السفلية بحيث أن به انتظام غالب الأمور السفلية إلى غير ذلك من الأمور التى خلقهما[5] الله عليها و لها، و بين الإنسان و بين كل منهما من المسافات ما لا يعلمه على التحرير إلا العليم الخبير، و هذا على تطاول الأيام و الدهور لا يختل ذرة دلالة على أن صانعه قيوم لايغفل، ثم بعد هذا الحساب المستجد و الحساب الأعظم الذى قدر ١٥ لتكوير الشمس و انكدار القمر دلالة على أنه فاعل بالاختيار مع ما أفاد ذلك من تعاقب الملوين تارة بالاعتدال و تارة بالزيادة و أخرى بالنقص، و غير ذلك من الأمور فى لطائف المقدور.

(١) من ظ، و فى الأصل: اللذين (٢) من ظ، و فى الأصل: نعايان (٣) من ظ، و فى الأصل: عن (٤) فى ظ: عظمة (٥) من ظ، و فى الأصل: خلقها.

و لما كان سيرهما على هذا المنهاج مع ما لهما فيه من الدؤب فيه بالتغير و التنقل طاعة منهما[1] لمدبرهما و مبدعهما و مسيرهما ، و كان خضوعهما - و هما النيران الأعظمان - دالا على خضوع ما دونهما من الكواكب بطريق الأولى ، كان ذكرهما مغنيا عن ذكر ما عداهما بخصوصه ، فأتبعهما حضور ما هو للأرض كالكواكب للسماء فى الزينة و النفع و الضر و الصغر و الكبر / و الكثرة و القلة من النبات مقدما صغاره لعموم نفعه و عظيم[2] وقعه بأن منه أكثر الأقوات لجميع الحيوان و الملا بس من القطن و الكتان و غير ذلك من عجيب[3] الشأن، معبرا بما يصلح لبقية الكواكب فقال: ﴿ و النجم ﴾ أى و جميع الكواكب السماوية و كل نبت ارتفع من الأرض و لا ساق له من النباتات الأرضية التى هى أصل قوام الإنسان و سائر الحيوان ﴿ و الشجر ﴾ و كل ما له ساق و يتفكه به أو يقتات ﴿ يسجدان ﴾ أى يخضعان و ينقادان لما يراد منهما و يذلان للانتفاع بهما انقياد الساجد من العقلاء لما أمر به بجريهما لما [4]سخرا له و طاعتهما لما [5]قدرا فيه من غير إباء على تجدد الأوقات من نمو [فى -[6]] النبات و ذبول و اخضرار و يبس و إثمار و عطل ، لا يقدر النجم أن يعلو إلى رتبة الشجر و لا الشجر أن يسفل إلى وهدة النجم إلى غير ذلك مما صرفنا فيه من سجود الظلال و دوران الجبال[7]

١٤١ /

(١) من ظ ، و فى الأصل : منه (٢ - ٢) من ظ ، و فى الأصل : عموم دفعه .
(٣) فى ظ : عظم (٤) فى ظ : فيما (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : قدر .
(٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : الخنال .

و المثال مما يدل على وحدانية الصانع و فعله بالاختيار ، و نفى الطبائع ، و من تسيير فى الكواكب و تدبير فى المنافع فى الحر و البرد اللذين جعل سبحانه بهما الاعتدال فى النبات من الفواكه و الأقوات ، و غير ذلك من وجود الانتفاعات .

و لما كان تغير ما تقدم من الشمس و القمر و النجم و الشجر يدل ٥ دلالة واضحة على أنه سبحانه هو المؤثر فيه ، و كانت السماء و الأرض ثابتتين على حالة واحدة ، فكان ربما أشكل أمرهما كما ضل فيهما خلق من أهل الوحدة أهل[1] الجمود و الاغترار و الوقوف مع الشاهد و غيرهم ، و كان إذا ثبت أنه تعالى المؤثر فيهما ، فلذلك قال مسندا التأثير فيهما إليه بعد أن أعرى ما قبلهما من مثله لما أغنى عنه من الدلالة ١٠ بالتغير و السير و التنقل عطفا على ما تقديره : و هو الذى دبر ذلك : ﴿و السمآ رفعها﴾ أى حسا بعد أن كانت ملتصقة بالأرض ففتقها منها و أعلاها عنها بما يشهد لذلك من العقل عند كل من له تأمل فى أن كل جسم ثقيل ما رفعه عما تحته إلا رافع ، و لا رافع لهذه إلا الله فانه لا يقدر على التأثير غيره ، و لعظمها قدمها على الفعل تنبيها على التفكر فيما ١٥ فيها من جلالة الصنائع[2] و أنواع البدائع ، و معنى بأنه جعلها منشأ أحكامه و مصدر قضاياه و متنزل[3] أوامره و نواهيه و مسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه .

و لما كانت السماء مع علوها الدال على عزة موجدها و مدبرها

(١) من ظ ، و فى الأصل : هو (٢) من ظ ، و فى الأصل : مشترك .

دالة على عدله باعتدال جميع أحوالها من الحر و البرد و المطر و الثلج [و الندى -[1]] و الطل و غير ذلك فى أن كل فصل منها معادل [2]لضده و أنها[2] لا ينزلها سبحانه إلا بقدر معلوم، و إلا لفسدت الأرض [كلها -[1]]، و دلنا على أنه شرع لنا مثل ذلك العدل لتقوم أحوالنا و تصلح أقوالنا و أفعالنا بما قامت به السماوات و الأرض / فقال: ﴿ و وضع الميزان ۝ ﴾ أى العدل الذى دبر به الخافقين من الموازنة و هى المعادلة لتنتظم أمورنا .

١٤٢ / ٥

و لما ذكر أولا القرآن الذى هو ميزان المعلومات، و دل على رحمانيته بأنواع من البيان، الذى رقى به الإنسان فصار أهلا للفهم، و ذكره نعمة الميزان للمحسوسات، أقبل بالخطاب عليه لافتا له عن أسلوب الغيبة تنشيطا له إلى ارتقاء مراتب الكمال بحسن الامتثال معللا فقال: ﴿ان﴾ أى [لأن -[1]] ﴿لا تطغوا﴾ أى لا تتجاوزوا الحدود ﴿فى الميزان ۝﴾ أى الأشياء الموزونة من الموزونات المعروفة و العلم و العمل المقدر أحدهما بالآخر، و فى مساواة الظاهر و الباطن و القول و الفعل، فالميزان الثانى عام لميزان المعلومات و ميزان المحسوسات .

١٠

١٥

و لما كان التقدير: فاقتدوا بأفعالى و تخلقوا بكل ما أمر به من أقوالى، عطف عليه قوله: ﴿ و اقيموا الوزن ﴾ أى جميع الأفعال التى يقاس لها الأشياء ﴿ بالقسط ﴾ .

و لما كان المراد العدل العظيم، بينه بالتأكيد بعد الأمر بالنهى عن

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ، و فى الأصل: لضدها و انه .

الضد فقال: ﴿و لا تخسروا الميزان ۝﴾ أى توقعوا فى شىء من آلة العدل التى يقدر بها الأشياء من الذرع و الوزن و العدل و الكيل و نحوه - نوعا من أنواع الخسر - بما دل عليه تجريد الفعل فتخسروا ميزان أعمالكم و جزائكم يوم القيامة، و قد علم بتكرير الميزان ما[1] أريد من التأكيد فى الأمر به لما له من الضخامة سواء كان بمعنى واحد أو بمعان مختلفة. ٥

و لما ذكر إنعامه الدال على اقتداره برفع السماء، ذكر [2]على ذلك[2] الوجه مقابلها بعد أن وسط بينهما ما قامتا به من العدل تنبيها على شدة[3] العناية و الاهتمام به فقال: ﴿ و الارض ﴾ أى و وضع الأرض: ثم فسر ناصبها ليكون كالمذكور[4] مرتين إشارة إلى عظيم تدبيره لشدة ما فيه من الحكم فقال: ﴿ وضعها ﴾ أى دحاها و بسطها على الماء ﴿ للانام ۝ ﴾ ١٠ أى كل من فيه قابلية النوم أو[5] قابلية الونيم و هو الصوت بعد أن وضع لهم الميزان الذى لا تقوم الأرض إلا به.

و لما كان فى [6]سياق بيان[6] الرحمة بمزيد الإنعام، و كانت إقامة البينة أعظم نعمة، و كانت الفواكه ألذ ما يكون، و كانت برقتها و شدة لطافتها منافية للأرض فى يبسها و كثافتها، فكان كونها فيها عجبا دالا على عظيم ١٥ قدرته، و كان ذكرها يدل على ما تقدمها من النعم من جميع الأقوات،

(١) من ظ، و فى الأصل: من (٢ - ٢) من ظ، و فى الأصل: ذلك على.
(٣) من ظ، و فى الأصل: الشدة (٤) فى ظ: المذكور (٥) من ظ، و فى الأصل: «و» (٦-٦) من ظ، و فى الأصل: بيان سياق.

بدأ بها ليصير[1] ما يتقدمها كالمذكور مرتين، فقال مستأنفا وصفها بما هو أعم: ﴿فيها فاكهة﴾ أى ضروب منها عظيمة جدا يدرك الإنسان بما له من البيان تباينها[2] فى الصور و الألوان، و الطعوم و المنافع - و غير ذلك من بديع الشأن.

٥ و لما كان المراد بتنكيرها[3] تعظيمها، نبه عليه بتعريف نوع منها، ونوه به لأن فيه مع التفكه التقوت، و هو أكثر ثمار العرب المقصودين بهذا الذكر بالقصد الأول فقال: ﴿و النخل﴾ و دل على تمام القدرة بقوله: ﴿ذات﴾ أى صاحبة / ﴿الاكمام﴾ أى أوعية ثمرها، و هو الطلع قبل أن ينفتق بالثمر، و كل نبت يخرج ما هو مكمم فهو ذو كام، ١٤٣ /

١٠ و لكنه مشهور فى النخل لشرفه و شهرته عندهم، قال البغوى[4]: و كل ما ستر شيئا فهو كم و كمة، و منه كم القميص، و فيه تذكير بثمر الجنة الذى ينفتق عن ثيابهم، و ذكر أصل النخل دون ثمره للتنبيه على كثرة منافعه من الليف و السعف و الجريد و الجذوع و غيرها من المنافع التى الثمر منها.

١٥ و لما ذكر ما يقتات من الفواكه و هو فى غاية الطول، أتبعه الأصل فى الاقتيات للناس و البهائم و هو بمكان من القصر[5]، فقال ذاكرا ثمرته لأنها المقصودة بالذات: ﴿و الحب﴾ أى من الحنطة و غيرها، ونبه[6] على

(١) من ظ، و فى الأصل: البصير (٢) فى ظ: شانها (٣) من ظ، و فى الأصل: بانكارها (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ٣ (٥) من ظ، و فى الأصل: الفضة (٦) زيد فى الأصل: عنه، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

تمام

تمام القدرة بعد تنبيهه بتمايز هذه المذكورات مع أن أصل الكل الماء بقوله : ﴿ذو العصف﴾ أى الورق و البقل الذى إذا زال عنه ثقل الحب كان مما تعصفه الرياح التى تطيره ، و هو التبن الذى هو من قوت البهائم . و لما كان الريحان يطلق على كل نبت [طيب الرائحة خصوصا ، و على كل نبت -[1]] عموما ، أتبعه به ليعم و يخص جميع ما ذكر من سائر ٥ النبات و غيره على وجه مذكر بنعمه بغذاء الأرواح بعد ما ذكر غذاء الأشباح فقال : ﴿ و الريحان ﴾ و لما كان من كفر به سبحانه بانكاره أو إنكار شيء من صفاته ، أو كذب بأحد من رسله قد انكر نعمه أو نعمة منها فلزمه [2]بانكاره لتلك[2] النعمة إنكار جميع النعم ، لأن الرسل داعية إلى الله بالتذكير بنعمه ، و كان ما مضى من هذه السورة إلى هنا اثنتى عشرة آية ١٠ على عدد الكوفى و الشامى ، عدد فيها أصول نعمه سبحانه على وجه دل بغاية البيان على أن له كل كمال ، وكان هذا العدد أول عدد زائد إشارة إلى تزايد النعم لأن كسوره النصف و الثلث و الربع و السدس تزيد على أصله ، و كان قد مضى ذكر الثقلين الجن و الإنس فى قوله "الانام" قال تعالى إشارة إلى أنهم المقصودون بالوعظ ، منكرا موبخا مبكتا لمن ١٥ أنكر شيئا من نعمه أو قال قولا أو فعل فعلا يلزم منه إنكار شيء منها مسببا عما مضى من تعداد هذه النعم المتزايدة التى لايسوغ إنكارها و لا إنكار شيء منها فيجب شكرها : ﴿ فبأىّ آلاء ﴾ أى نعم و عطايا ﴿ ربكما ﴾ أى المحسن إليكما بما أسدى من المزايا التى أسداها إليكم على

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : لانكار تلك .

وجه الكبرياء و العظمة و هى دائمة لاتنقطع من غير [حاجة إلى -[1]] مكافأة أحد و لاغيرها - أيها الثقلان - المدبر لكما الذى لامدبر و لا سيد لكما غيره، من آياته و صنائعه و حكمه و حكمته و عزته فى خلقه و استسلام الكل له و خضوعها إليه، فان كل هذه النعم الكبار آيات دالة عليه و صنائع محكمة و أحكام و حكم ظهرت بها عزته و بانت بها قدرته ﴿ تكذبٰن ﴾ فمخاطبته بهذا الثقلين دليل على أن هذه الأشياء تعم على الجن كما أنها تعم على الإنس[2]، و أن لهم من ذلك ما لهم، و ذكره لهذه الآية بعد ذكر هذا العدد من الآيات إشارة إلى أن زيادة النعم إلى حد لايحصى بحيث ان استيفاء عددها لا تحيط به / عقول المكلفين ١٤٤/ لئلايظنوا أنه لانعمة غير ما ذكر فى هذه السورة، و التعبير عنها بلفظ الآلاء من أجل أنها النعم المخصوصة بالملوك لما لها من اللمعان و الصف المميز لها [من] غيرها و لما لرؤيتها من الخير و الدعاء، و هى و إن كانت من الوا فيمكن أخذها من اللؤواء إلى أن الأصل الهمزة و اللام، فاذا انضم إليهما لام أخرى أو ألف ازداد المعنى الذى كان ظهورا لأن الألف غيب الهمزة و باطنها، و اللام هى عين ما كان فلم يحصل خروج عن ذلك المعنى، فاذا نظرت إلى الآل كان المعنى أن تلك النعم الكبار الملوكية تظهر للعباد معرفته سبحانه و أنه يؤل إليه كل شيء أولا من غير نزاع كما أنه كان بكل شيء، و تكل عن نظرها الأبصار النوافذ كما تكل عن رؤية الأشخاص التى يرفعها الآل لأنها تدل عليه سبحانه...

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل : الانسان .

نعم عظيمة و إن كانت نقما لأنه لا نعمة تدل مثل ما دل عليه سبحانه ، وكرر هذه الآية فى هذه السورة من هنا بعد كل آية إلى آخرها لما تقدم فى القمر من أن المنكر إذا تكرر إنكاره جدا بحيث أحرق الأكباد فى المجاهرة بالعناد حسن سرد ما أنكره عليه ، و كلما ذكر بفرد منه قيل له : لم تنكره ؟ سواء أقر به حال التقرير أو استمر على العناد ، فالتكرار ٥ حينئذ يفيد التعريف بأن إنكاره تجاوز الحد ، و لتغاير النعم و تعددها و اختلافها حسن تكرير التوقيف عليها واحدة واحدة تنبيها على جلالتها ، فان كانت نعمة فالأمر فيها واضح ، و إن كانت نقمة [فالنعمة -[1]] دفعها أو تأخير الإيقاع بها ، و لما تقدم [من -[1]] أن كل تذكير[2] بما أفاده الله تعالى من النعم بالحواس الخمس مضروبة فى الجهات الستّ على أنك ١٠ إذا اعتبرت نفس الآية وجدتها مشيرة إلى ذلك ، فان كل كلمة منها - إلا الأخيرة فى رسم من أثبت ألفها من كتبة المصاحف - خمسة أحرف إن اعتبرت هجاء الأولين و الثالثة خمسة فى الرسم ستة فى الهجاء و النطق ، فهى للحواس و للجهات لأن الكل من الرب ، و الكلمة الأخيرة ستة أحرف إن اعتبرت رسمها فى المصاحف التى أسقطت ألفها ، فان فى ١٥ إثباتها و حذفها اختلافا بين أئمة المصاحف ، و هى إشارة إلى الجهات لأنها التى يملك الإنسان التصرف فيها ، أما[3] الحواس فلا اختيار له فيها ، و إن اعتبرت هجاءها بحسب النطق كانت سبعة أحرف إشارة إلى أن النعم

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : مذكر تذكرا (٣) من ظ ، و فى الأصل : او .

أكثر من أن تحصى لما تقدم من أسرار عدد السبعة و إلى أن تكذيب المكلفين متكاثر جدا ، فلذلك كان فى غاية المناسبة ان تبسط هذه النعم على عدد ضرب الحواس الخمس فى الجهات الست ، و ذلك فى الحقيقة فائدة ، فانه من المألوف المعروف و الجميل الموصوف أن التكرير [عند] التكذيب
٥ يوجب التكرير عند التقرير ، و يبلغ به النهاية فى حسن التأثير ، و زاد العدد على مسطح الخمس فى الست واحدة / إشارة إلى أن نعم الواحدة ١٤٥ / لا انقطاع لها ، و لذلك فصلت إلى ثمان ذكرت أولا عقب النعم ، فكانت على عدد السبع الذى هو أول عدد تام لأنه جمع الفرد و الزوج و زوج الفرد و زوج الزوج ، و زاد بواحد إشارة إلى أنه كلما انقضى دور من عدد
١٠ تام جدير لنعم أخرى فهى لاتتناهى لأن موليها له القدرة الشاملة و العلم التام و رحمته سبقت غضبه ، و فى كونها ثمانية إشارة إلى أنها سبب إلى الجنة ذات الأبواب الثمانية إن شكرت ، و فى تعقيبها بسبع نارية إشارة إلى أنها سبب للنار ذات الأبواب السبعة إن كفرت ، و فى تعقيبها بها إشارة إلى أن سببيتها للنار أقرب لكونها حفت بالشهوات ، و فى ذلك
١٥ إشارة إلى أن من اتقى ما توعد عليه بشكر هذه النعم وقى أبواب النار السبعة ، ثم عقبها بثمانية ذكر فيها جنة المقربين إشارة إلى أن من عمل لما وعده كما أمره به الله نال أبواب الجنة الثمانية ، و ثمانية أخرى عقب جنة أصحاب اليمين إشارة إلى مثل ذلك و الله أعلم ، و كان ترتيبها فى غاية الحسن ، ذكرت النعم أولا استعطافا و ترغيبا فى الشكر ثم الأهوال ترهيبا
٢٠ و درأ للمفسدة بالعصيان و الكفر ثم النعم الباقية لجلب المصالح ، و بدأ

بأشرفها فذكر الجنة العليا لأن القلب إثر التخويف يكون أنشط و الهمم تكون أعلى و العزم يكون أشد، فحينئذ هذه الآية الأولى من الإحدى و الثلاثين مشيرة إلى أن نعمة البصر من جهة الأمام، فكأنه قيل: أبنعمة البصر مما يواجهكم أو غيرها [تكذبان].

و لما كان قد تقدم فى إشارة الخطاب الامتنان بخلق الإنسان، ٥ ثم ذكر أصول النعم عليه على وجه بديع الشأن، إلى أن ذكر [1]غذاء روحه[1]: الريحان، أتبع ذلك تفصيلا لما أجمل فقال: ﴿خلق الانسان﴾ أى أصل هذا النوع الذى هو من جملة الأنام الذى خلقنا الريحان لهم و الغالب عليه الأنس بنفسه و بما ألفه.

و لما كان أغلب عناصره التراب و إن كان من العناصر الأربعة، ١٠ عبر عنه إشارة به[2] إلى مطابقة اسمه - بما فيه مما يقتضى الأنس الذى حاصله الثبات على حالة واحدة - لمسماه الذى أغلبه التراب لثقله و ثباته ما لم يحركه محرك، و عبر عن ذلك بما هو فى غاية البعد عن قابلية البيان فقال: ﴿من صلصال﴾ أى طين يابس له صوت إذا نقر عليه ﴿كالفخار﴾ أى كالخزف المصنوع المشوى بالنار لأنه أخذه [3]من التراب[3] ثم خلطه ١٥ بالماء حتى صار طينا ثم تركه حتى صار حماء مسنونا مدنا، ثم صوره كما يصور الإبريق و غيره من الأوانى ثم أيبسه حتى صار فى غاية الصلابة فصار كالخزف الذى إذا نقر عليه صوت صوتا يعلم [منه -[4]] هل

(١-١) من ظ، و فى الأصل: روحه - كذا (٢) سقط من ظ (٣-٣) من ظ، و فى الأصل: بالتراب (٤) زيد من ظ.

فيه عيب أم لا، كما أن الآدمى بكلامه يعرف حاله و غاية أمره و مآله، فالمذكور هنا [1]غاية / تخليقه[1] و هو أنسب بالرحمانية، و فى غيرها تارة مبدأوه و تارة إنشاؤه، فالأرض أمه و الماء أبوه ممزوجين بالهواء الحامل للجزء الذى هو من فيح جهنم، فمن التراب [2]جسده و نفسه[2]، و من الماء روحه و عقله، و من النار غوايته وحدته، و من الهواء حركته و تقلبه فى محامده و مذامه. ١٤٦ /

و لما كان الجان الذى شمله أيضا اسم الأنام مخلوقا من العناصر الأربعة، و أغلبها فى جبلته النار، قال تعالى: ﴿ و خلق الجآنّ ﴾ أى هذا النوع المستتر عن العيون بخلق أبيهم، و هو اسم جمع للجن. و لما كان الجن [يطلق ـ[3]] على الملائكة لاستتارهم، بين أنهم لم يرادوا به هنا فقال: ﴿ من مارج ﴾ أى شىء صاف خالص مضطرب شديد الاضطراب جدا و الاختلاط، قال البغوى[4]: و هو الصافى من لهب النار الذى لا دخان فيه، و قال القشيرى، هو اللهب المختلط بشواد النار ـ انتهى. و مرجت نارهم ـ أى اختلطت ـ ببرد الزمهرير. و لما كان المارج عاما[5] فى النار و غيرها، بينه بقوله: ﴿ من نارٍ ﴾ هى أغلب من عناصر، فتعين المراد بذكر النار لأن الملائكة عليهم السلام من نور لا من نار، و ليس عندهم مروج و لا اضطراب، بل هم فى غاية الثبات على الطاعة فيما أمروا به، و قد عرف بهذا كل مضطرب[6] قدره

(١ ـ ١) فى ظ: آخر تخليقة (٢ ـ ٢) من ظ، و فى الأصل: نفسه وجسده.
(٣) زيد من ظ (٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤ (٥) من ظ، و فى الأصل: ما (٦) من ظ، و فى الأصل: مطرب.

لئلا يتعدى طوره .

و لما كان خلق هذين القبيلين على هذين الوجهين اللذين هما فى غاية التنافى مستورا أحدهما عن الآخر مع منع كل [من - [1]] التسلط على الآخر إلا نادرا ، إظهارا لعظيم قدرته و باهر حكمته من أعظم النعم ، قال مسببا عنه : ﴿ فبأىّ آلاء ربكما ﴾ أى النعم الملوكية الناشئة عن مبدعكما و مربيكما و سيدكما ﴿ تكذبان ﴾ أى بنعمة البصر من جهة الوراء [1] و غيرها من خلقكم على هذا النمط الغريب ، و إيداعكم ما أودعكم [2] من القوى ، و جعلكم خلاصة مخلوقاته ، و من منع أحد قبيليكم عن الآخر ، و تيسيره لكم الأرزاق و المنافع ، و حملكم على الحنيفية السمحة ، و قدرته على إعادتكم كما قدر على ابتدائكم .

و لما ذكر سبحانه هذين الجنسين اللذين أحدهما ظاهر و الآخر مستتر ، إرشادا إلى التأمل فيما [3] فيهما من الدلالة على كمال قدرته ، فكانا محتاجين إلى ما هما فيه من المحل ، و كان صلاحه بما دبر سبحانه فيه من منازل الشروق الذى هو سبب الأنوار و الظهور ، و الغروب الذى هو منشأ الظلمة و الخفاء ، أتبعه قوله منبها على النظر فى بديع صنعه الدال على توحيده : ﴿ رب ﴾ أى هو خالق و مدبر ﴿ المشرقين ﴾ و مدبرهما على كيفية لا يقدر على شىء منها غيره ﴿ و رب المغربين ﴾ كذلك ، و هذه [4] المشارق و المغارب هى ما للشتاء من البروج ، السافلة الجنوبية التى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ابدعكم (٣) من ظ ، و فى الأصل : لما (٤) من ظ ، و فى الاصل : هى .

هى سبب الأمطار و الثلوج ، التى هى سبب الحياة و الظهور ، حال[1] كون
الشمس منحدرة فى آفاق السماء ، و ما للصيف من البروج العالية / فى ١٤٧/
جهة الشمال التى هى سبب التهشم و الأفول و الشمس مصعدة فى جو
السماء ، و ما بينهما من الربيع الذى هو للنمو ، و الخريف الذى هو
٥ للذبول ، فهى آية الإيجاد و الإعدام ، فأول المشارق الصيف وقت استواء
الليل و النهار [عند - [2]] حلول الشمس بأول البروج الشمالية صاعدة
و هو الكبش ، يعتدل الزمان حينئذ بقطعها الجنوبية و استقبالها الشمالية ،
ثم آخر مشارقه إذا كانت الشمس فى آخر الشمالية و أول الجنوبية عند
حلولها برأس الميزان يعتدل الزمان ثانيا لاستقبالها البروج الجنوبية ، ثم
١٠ بحلولها بآخر القوس و رأس الجدى يكون الانتهاء فى قصر الأيام و طول
الليالى لتوسطها البروج الجنوبية ، ثم بحلولها كذلك عند خروجها من برج
التوأمين إلى السرطان من بروج الشمال ، و هى آخر درجات الشمس ،
يكون طول الأيام و قصر الليالى ، فيختلف على هذين الفصلين الحر
و البرد ، و كون الشمس فى أول برج الحمل هو بمثابة طلوعها من المشرق
١٥ فى أول كل نهار ، و كونها فى الاعتدال الثانى عند استقبالها البروج الجنوبية
إذا حلت برأس الميزان هو بمثابة غروبها ، ثم بكونها فى الانتهائين فى
طول الأيام حين حلولها برج السرطان هو بمنزلة استوائها فى الصيف
فى كبد السماء كما أن حلولها برأس الجدى عند الانتهاء فى الشتاء
[فى - [2]] قصر الأيام و طول الليالى هو بمثابة استوائها فيما يقابل

(١) من ظ ، و فى الأصل : بحال (٢) زيد من ظ .

استواءها فى الشتاء فى كبد السماء فى النهار[1] - ذكر ذلك ابن برجان و قال بعد ذلك : سخر سبحانه لعباده جهنم - أى بواسطة الشمس - و هى أعدى عدو لهم ، فأخرج لهما بواسطتها الزرع و الزيتون و الرمان و النخيل و الأعناب و الجنان المعروشات و غير المعروشات و من كل الثمرات .

و لما كان فى [2]هذا من[2] النعم مالايحصى ، قال مسببا : ﴿ فبأىّ آلآء ربكما ﴾ ٥ الذى [3]دبر لكم[3] هذا التدبير العظيم ﴿ تكذبان ﴾ أى بنعمة البصر من جهة اليمين أو غيرها من تسخير الشمس و القمر دائبين دائرين لإدارة الزمان و تجديد الأيام ، و عدد الشهور و الأعوام ، و اعتدال الهواء و اختلاف الأحوال على الوجه الملائم لمصالح الدنيا و معايشها على منهاج محفوظ و قانون لايزيغ . ١٠

و لما كانت باحة البحر لجرى[4] المراكب كساحة السماء لسير الكواكب مع [ما - [4]] اقتضى ذكره من تضمن ذكر المشارق و المغارب للشتاء الحاصل فيه من الأمطار ما لو جرى على القياس لأفاض البحار ، فأغرقت البرارى و القفار ، و علت[5] على الأمصار و جميع الأقطار ، فقال : ﴿ مرج ﴾ أى أرسل الرحمن ﴿ البحرين ﴾ أى الملح و العذب فجعلهما مضطربين ، ١٥ من طبعهما الاضطراب ، حال كونهما ﴿ يلتقيان ﴾ أى يتماسان[6] على ظهر الأرض بلا فصل بينهما فى رؤية العين و فى باطنها ، فجعل الحلو آية دالة

(١) من ظ ، و فى الأصل : النار (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : فيها (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : دبر لما (٤) من ظ ، و فى الأصل : تجرى (٥) من ظ ، و فى الأصل : غلب (٦) من ظ ، و فى الأصل : يتمسان .

١٤٨ / على مياه الجنة ، و الملح آية دالة على بعض شراب أهل النار / لايروى شاربه و لايغنيه ، بل يحرق بطنه و يعييه ، أو بحرى فارس و الروم هما ملتقيان فى البحر المحيط لكونهما خليجين منه .

[1]و لما كان التقاء المايعين و لاسيما مع الاضطراب الدائم الاختلاط[1] فيحيل ما لأحدهما أو لكل منهما من الصفات إلى الصفات الأخرى ، فتشوفت النفس إلى المانع[2] من مثل ذلك فى البحرين ، قال[3] مستأنفا : ﴿بينهما برزخ﴾ أى حاجز عظيم من القدرة المجردة على الأول و تسيب الأرض على الثانى يمنعهما مع[4] الالتقاء من الاختلاط ، و قال ابن برجان : البرزخ ما ليس هو بصريح هذا و لابصريح هذا ، فكذلك السهل و الجبل بينهما برزخ يسمى الخيف ، كذلك الليل و النهار بينهما برزخ يسمى غبشا ، كذلك بين الدنيا و الآخرة برزخ ليس من هذا و لا من هذا و لا هو خارج عنهما ، و كذلك الربيعان هما[5] برزخان بين الشتاء و الصيف بمنزلة غبش أول النهار و غبش آخره ، جعل بين[6] كل صنفين من الموجودات برزخا ليس من هذا و لا من هذا و هو منهما كالجماد و النبات و الحيوان[7] .

و لما كانت نتيجة ذلك كذلك قال : ﴿لايبغيان﴾ أى لايطغيان فى هلاك الناس كما طغيا فأهلكا من على الأرض أيام نوح عليه الصلاة

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ : المنافع (٣) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٤) فى ظ : من (٥) من ظ ، و فى الأصل : هو (٦) من ظ ، و فى الأصل : سر (٧) من ظ ، و فى الأصل : الحيوانات .

و السلام ، و لا يبغى و احد منهما على الآخر بالممازجة ، و لا يتجاوزان ما حده لهما خالقهما و مدبرهما لا فى الظاهر و لا فى الباطن ، فتى حفرت على جنب المالح وجدت الماء العذب ، و إن قربت الحفرة منه بل كلما قربت كان أحلى ، فخلطهما الله سبحانه فى رأى العين و حجز بينهما فى رأى عين القدرة ، هذا و هما جمادان لا نطق لهما و لا إدراك ، فكيف يبغى ٥ بعضكم على بعض أيها المدركون العقلاء .

و لما كان هذا أمرا باهرا دالا دلالة ظاهرة على تمام قدرته لاسيما على الآخرة ، قال مسببا عنه : ﴿فبأيّ آلاء ربكما﴾ أى الموجد لكما و المربى ﴿تكذبان ۝﴾ أى بنعمة الإبصار من جهة اليسار أو غيره ، فهلا اعتبرتم بهذه الأصول من أنواع الموجودات فصدقتم بالآخرة لعلمكم بهذه البرازخ ١٠ أن موتتكم هذه برزخ و فصل بين الدنيا و الآخرة كالعشاء بين الليل و النهار ، و لو استقرأتم[1] ذلك فى ايات السماوات و الأرض وجدتموه شائعا فى جميع الأكوان .

و لما ذكر المنة بالبحر ذكر النعمة بما ينبت فيه كما فعل بالبر ، فقال معبرا بالمبنى للمفعول لأن كلا من وجوده فيه و التسليط على إخراجه ١٥ منه خارق من غير نظر إلى مخرج معين ، و النعمة نفس الخروج ، و لذلك قرأ [غير -[2]] نافع و البصريين بالبناء[3] للفاعل من الخروج : ﴿يخرج منهما﴾ أى بمخالطة العذب الملح من غير واسطة أو بواسطة السحاب ، فصار ذلك

(١) من ظ ، و فى الأصل : استقرانكم (٢) زيد من مد (٣) راجع نثر المرجان ٧ / ١٤٤ .

كالذكر والأنثى ، قال الرازى: فيكون العذب كاللقاح للملح ، و قال أبو حيان[1]: قال الجمهور : إنما يخرج من الأجاج فى المواضع التى يقع فيها الأنهار و المياه العذبة فناسب إسناد ذلك إليهما ، و هذا مشهور عند الغواصين ، و قال ابن عباس رضى الله عنهما و عكرمة مولاه رضى الله عنه : / تكون هذه الأشياء ١٤٩ / فى البحر بنزول المطر لأن الصدف [و غيرها] تفتح أفواهها للمطر - انتهى . فتكون الأصداف كالأرحام للنطف و ماء البحر كالجسد الغاذى ، و الدليل على أنه من ماء المطر كما قال الأستاذ حمزة الكرمانى: إن من المشهور أن السنة إذا أجدبت هزلت الحيتان ، و قلت الأصداف و الجواهر - انتهى . ثم لاشك فى أنهما و إن كانا بحرين فقد جمعهما وصف واحد بكونهما [ماء -[2]] ، فيسوغ إسناد الخروج إليهما كما يسند خروج الإنسان إلى جميع البلد ، و إنما خرج من دار منها كما نسب الرسل إلى الجن و الإنس بجمعهما فى خطاب واحد فقال "رسل منكم" وكذا "و جعل القمر فيهن نورا" و مثله كثير ﴿ اللؤلؤ ﴾ و هو الدر الذى [هو -[2]] فى غاية البياض و الإشراق و الصفاء ﴿ و المرجان ﴾ أى القضبان الحمر التى هى فى غاية الحمرة ، فسبحان من غاير بينهما فى اللون و المنافع و الكون - نقل هذا [القول -[2]] ابن عطية عن ابن مسعود رضى الله عنه ، و قال : [و -[2]] هذا هو المشهور الاستعمال - [انتهى -[2]] ، و قال جمع كثير : [إن -[2]] اللؤلؤ كبار الدر و المرجان صغاره .

و لما كان ذلك من جليل النعم[3] ، سبب عنه قوله : ﴿ فبأىّ آلاء ربكما ﴾

---

(١) راجع البحر المحيط ٨/١٩١ (٢) زيد من ظ (٣) زد فى الاصل : المنعم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

أى

أى المالك لكما الذى هو الملك الأعظم ﴿تكذبن ه﴾ مع هذه الصنائع [العظمى -[1]] ، أبنعمة البصر من جهة الفوق أو غير ذلك من خلق المنافع فى البحار و تسليطكم عليها و إخراج الحلى الغريبة و غيرها .

و لما كان قد ذكر سبحانه الخارج منه بماء السماء ، ذكر السائر عليه[2] بالهواء ، و أشار بتقديم الجار إلى أن السائر فى الفلك لا تصريف له ، و إن ظهر له تصريف فهو لضعفه كلا تصريف ، فقال : ﴿و له﴾ اى لا لغيره ، فلا تغتروا بالأسباب الظاهرة فتقفوا معها فتسندوا شيئا من ذلك إليها كما وقف أهل الاغترار بالشاهد ، الذين هم أجمد أهل[3] الأرض أذهانا و أحقرهم شأنا فقالوا بالاتحاد و الوحدة ﴿الجوار﴾ أى السفن الكبار و الصغار الفارغة و المشحونة . و لما كانت حياة كل شىء كونه على صفة كماله ، و كانت السفن تبنى من خشب بجمع و توصل حتى تصير على هيئة تقبل المنافع الجمة ، و كانت تربى بذلك الجمع كما تربى النبات و الحيوان ، و كانت ترتفع على البحر و يرفع شراعها و تحدث فى البحر بعد أن كانت مستترة بجبال الأمواج[4] قال تعالى : ﴿المنشئت﴾ من نشأ - إذا حيى و ربا ، و السحابة : ارتفعت ، و أصل الناشىء كل ما حدث بالليل و بدأ ، و معنى قراءة حمزة[4] و أبى بكر بكسر الشين أنها رافعة شراعها بسبب استمساكها عن الرسوب و منشئة للسير ، و معنى قراءة الباقين أنه أنشأها الصانع و أرسلها و رفع شراعها .

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : عنه (٣) من ظ ، و فى الاصل : الاموال (٤) راجع نثر المرجان ٧ / ١٤٠ .

و لما كانت مع كونها عالية على الماء منغمسة فيه مع أنه ليس لها من نفسها إلا الرسوب و الغوص قال: ﴿ فى البحر ﴾ و لما كانت ترى على البعد كالجبال على وجه الماء قال: ﴿ كالاعلام ﴾ / أى كالجبال الطوال. ١٥٠ /

و لما كان ما فيها من المنافع بالتكسب من البحر بالصيد و غيره و التوصل إلى البلاد الشاسعة للفوائد الهائلة، و كانت أعمالهم فى البحر الإخلاص [الذى -[1]] يلزم منها الإخلاص فى البر، لأنهما بالنسبة إلى إبداعه لهما و قدرته على التصرف فيهما بكل ما يريده على حد سواء، سبب عن ذلك قوله: ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾ أى النعمة العظمى ﴿ تكذبان ﴾ أبنعمة البصر من تحتكم أو غيرها من الأسفار، فى محل الأخطار، و الإنجاء عند الاضطراب و الريح فى محل الخسار، و الإرشاد إلى ذلك بعد خلق مواد السفن[2] و تعليم صنعتها و تسخيرها و الفلك لعدصى لوهما (؟) بمثابة جميع الكون، فخدامها كالملائكة فى إقامة الملكوت و تحسين تماسكه باذن ربهم، و المسافرون بها الذين أنشئت لأجلهم وزان المأمورين المكلفين المتهيئين الذين من أجلهم خلقت السماوات و الأرض و ما بينهما فعبر بهم من غربتهم إلى قرارهم، و من غيبتهم إلى حضورهم و مشاهدهم، و مدبرها أمرها فى أعلاها يأمرهم بأمره فيعدونه و يسمعون له، ثم قد يصرف الاعتبار إلى أن تكون آية على قطع المؤمن أيام الدنيا فالدنيا هى البحر، و السفينة جسمه، و باطن العبد هو المحمول فيها، و العقل صاحب سياستها، و القوى خدمتها، و أمر الله و تدبيره محيط بها، و الإيمان أمنتها، و التوفيق

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: الشخص.

ريحها ، و الذكر شراعها ، و الرسول سائقها بما جاء به من عند ربه ، و العمل الطيب يصلح شأنها - ذكر ذلك ابن برجان .

و لما أخبر تعالى أنه خلق السماوات و الأرض و ما بث فيهما من المنافع [من الأعيان -[1]] و المعانى ، و استوفى الأرض بقسميها برا و بحرا ، مضمنا ذلك العناصر الأربعة التى[2] أسس عليها المركبات ، و كان أعجب ٥ ما للمخلوق من الصنائع ما فى البحر ، و كان راكبه فى حكم العدم ، دل على أنه المتفرد بجميع ذلك بهلاك الخلق ، فقال مستأنفا معبرا بالاسمية الدالة على الثبات و بـ « من » للدلالة على التصريح تهويلا بفناء العاقل [على فناء غير العاقل -[1]] بطريق الأولى : ﴿ كل من عليها ﴾ أى الأرض بقسميها و السماء أيضا ﴿ فان ﴾ أى هالك و معدوم بالفعل ١ بعد أن كان هو و غيره من سائر ما [سوى -[1]] إليه ، و ليس لذلك كله من ذاته إلا العدم ، فهو فان بهذا الاعتبار ، و إن كان موجودا فوجوده بين عدمين أولهما أنه لم يكن ، [و] ثانيهما أنه يزول ثم هو فيما [بين -[1]] ذلك يتعاوره [3]الايجاد و الإفناء فى[3] حين من أحواله و أعراضه و قواه ، و أسباب الهلاك محيطة به حسا و معنى و هو لا يراها كما أنها ١٥ محيطة بمن هو فى السفينه من فوقه و من تحته و من جميع جهاته .

و لما كان الوجه أشرف ما فى الوجود ، و كان يعبر به عما أريد به صاحب الوجه مع أنه لا يتصور بقاء الوجه بدون صاحبه ، فكان

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الذى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .

التعبير به عن حقيقة ذلك الشيء أعظم و أدل على الكمال، و كان من
١٥١ / المقرر عند أهل الشرع أنه سبحانه ليس كمثله شيء فلا / يتوهم أحد
[منهم -[1]] من التعبير به نقصا قال: ﴿ و يبقى ﴾ أى بعد فناء الكل،
بقاء مستمرا إلى ما لا نهاية له ﴿ وجه ربك ﴾ أى المربى لك بالرسالة
٥ والترقية بهذا الوحى إلى ما لايحد من المعارف، و كل عمل أريد به
وجهه سبحانه و تعالى خالصا. و لما ذكر مباينته للمخلوقات، وصفه بالإحاطة
الكاملة بالنزاهة و الحمد، و قال واصفا الوجه لأن المراد به الذات الذى
[هو] أشرفها معبرا به و[لأنها أبلغ من «صاحب» و بما ينبه على التنزيه
عما ربما توهمه من ذكر الوجه بليد جامد مع المحسوسات يقيس الغائب
١٠ - الذى لا يعتريه حاجة و لا يلم بجنابه الأقدس نقص - بالشاهد الذى كله
نقص و حاجة ﴿ ذو الجلل ﴾ أى العظمة التى لاترام و هو صفة ذاته
التى تقتضى إجلاله عن كل ما لا يليق به ﴿ و الاكرام ﴾ أى الإحسان
العام و هو صفة فعله.

و لما كان الموت نفسه فيه نعم لاتنكر. و كان موت ناس نعمة
١٥ على ناس، مع ما ختم به الآية من وصفه بالإنعام قال: ﴿ فبأى آلاء ربكما ﴾
أى [المربى لكما على هذا الوجه الذى مآله إلى العدم إلى أجل مسمى -[1]]
﴿ تكذبان ﴾[2] أى أيها الثقلان[2] الإنس و الجان، أبنعمة السمع من جهة الأمام
أو غيرها من إيجاد الخلق ثم إعدامهم و تخليف بعضهم فى أثر بعض

(١) زيد من ظ (٢-٢) وقع ما بين الرقمين فى الأصل قبل «تكذبان» و الترتيب من ظ.

و إيراث

و إيراث البعض ما فى يد البعض - و نحو ذلك من أمور لايدركها على جهتها إلا الله تعالى .

و لما كان أدل دليل على العدم الحاجة ، و على دوام الوجود الغنى ، قال دليلا على ما قبله : ﴿ يسئله ﴾ [1] أى على سبيل[1] التجدد و الاستمرار ﴿ من فى السمٰوٰت ﴾ أى كلهم ﴿ و الارض[1] ﴾ أى كلهم من ناطق ٥ أو صامت بلسان الحال أو القال [أو بها -[2]] ، و لما كان كأنه قيل : فما [3]ذا يفعل[3] عند السؤال ، و كان اقل الأوقات المحدودة المحسوسة "اليوم" ، عبر به عن أقل الزمان كما عبر [به -[2]] عن أخف الموزونات بالذرة فقال مجيبا لذلك : ﴿ كل يوم ﴾ أى وقت من الأوقات من[4] يوم السبت و على اليهود لعنة الله و غضبه حيث قالوا فى السبت ما هو مناف لقوله ١٠ سبحانه و تعالى " و لقد خلقنا السمٰوٰت و الارض و ما بينهما فى ستة ايام و ما مسنا من لغوب " " و لايؤده حفظهما و هو العلى العظيم " ﴿ هو فى شان [4] ﴾ أى من إحداث أعيان و تجديد معان أو إعدام ذلك ، قال القشيرى : [فى -[2]] فنون أقسام المخلوقات و ما يجريه عليها من اختلاف[5] الصفات - انتهى . و هو شؤن يبديها لاشؤن يبتدئها تتعلق قدرته على وفق ١٥ إرادته على ما تعلق به العلم فى الأزل أنه يكون أو يعدم فى أوقاته ، فكل شىء قانت له خاضع لديه ساجد لعظمته شاهد لقدرته دال عليه " و ان من شىء الايسبح بحمده " و ذلك التعبير - مع أنه من أجل النعم - أدل دليل على

(١ - ١) من ظ ، و فى الأصل : سوال (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) فى ظ : هو الفعل (٤) فى ظ : فى (٥) من ظ ، و فى الأصل : الاختلاف و .

صفات الكمال [له و صفات -[1]] النقص للمتغيرات و أنها عدم فى نفسها و لأنها نعم قال : ﴿ فبأىّ آلاء ربكما ﴾ أى المربى لكما بهذا التدبير العظيم لكل ما يصلحكما ﴿ تكذبان ﴾ أبنعمة السمع من [جهة -[1]] الخلف أو غيرها من تصريفه إياكم فيما خلقكم له هو أعلم به منكم من معايشكم و جميع تقلباتكم ، و قد تكررت فى هذه الآية المقررة على النعم من أولها إلى هنا ثمانى مرات عقب النعم إشارة - و الله أعلم - إلى أن نعمه الله سبحانه و تعالى / لاتحصى لأنها تزيد على السبعة التى هى العدد التام الواحد هو مبدأ لدور جديد[2] من العدد إشارة إلى أنه كلما انقضى منها دور ابتدأ دور آخر ، و وجه آخر و هو أن الأخيرة صرح فيها بـ « من فى السماوات و الأرض » و السبع التى قبلها يختص بأهل الأرض إشارة إلى أن أمهات النعم سبع كالسماوات و الأرض و الكواكب السيارة و نحو ذلك .

/ ١٥٢

و لما انقضى عد النعم العظام على وجه هو فى غاية الإمكان من البيان ، و كان تغير سائر الممكنات من النبات و الجماد و الملائكة و السماوات [و الأرض -[1]] و ما حوتا[3] مما عدا الثقلين على نظام واحد لاتفاوت فيه ، و أما الثقلان فأحوالهما لأجل تنازع العقل و الشهوات لاتكاد تنضبط ، بل تغير حال الواحد منهم فى اللحظة الواحدة إلى ألوان كثيرة متضادة لما فيهم من المكر و أحوال المغالبة و البغى و الاستئثار باللهو

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : حد (٣) من ظ ، و فى الأصل : حوت .

بالأمر و النهى ، و كان أكثرهم يموت بناره من غير أخذ ثأره ، و اقتضت الحكمة و لا بد أنه لابد لهم من يوم يجتمعون فيه يكون بينهما فيه الفصل على ميزان العدل ، خصهما بالذكر فقال آتيا فى النهاية بالوعيد لأنه ليس للعصاة بعد الإنعام و البيان إلا التهديد الشديد للرجوع إلى طاعة الملك الديان ، و الالتفات فى قراءة الجماعة بالنون إلى التكلم أشد تهديدا من ٥ قراءة[1] حمزة و الكسائى بالتحتية على نسق ما مضى : ﴿ سنفرغ ﴾ أى بوعد[2] قريب لاخلف فيه من[3] جميع الشؤن التى ذكرت ﴿ لكم ﴾ أى نعمل عمل من يفرغ للشىء فلا يكون له شغل سواه بفراغ جنودنا من الملائكة و غيرهم مما أمرناهم به مما سبقت به كلمتنا و مضت به حكمتنا من الآجال و الأرزاق و غير ذلك فينتهى كله و لا يكون لهم ١٠ حينئذ عمل إلا جمعكم ليقضى بينكم : ﴿ ايه الثقلن ﴾ بالنصفة[4] ، و الثقل هو ما يكون به قوام صاحبه ، فكأنهما سميا بذلك تمثيلا لهما بذلك إشارة إلى أنهما المقصودان[5] بالذات من الخلائق ، [و - [6]] قال الرازى فى اللوامع : وصفا بذلك يعظم ذلك شأنهما ، كأن ما عداهما لاوزن له[7] بالإضافة إليهما - انتهى . و هذا كما قال صلى الله عليه و سلم " انى تارك ١٥ فيكم الثقلين : كتاب الله و عترتى " و قال جعفر الصادق : سميا بذلك لأنهما مثقلان بالذنوب .

---

(١) راجع نثر المرجان ٧/١٤٧ (٢) من ظ ، و فى الأصل : بوعيد (٣) فى ظ : عن (٤) من ظ ، و فى الأصل : بالصفه (٥) من ظ ، و فى الأصل : المقصود . (٦) زيد من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : لها .

و لما كان هذا من اجلّ النعم التى يدور عليها العباد ، و يصلح بها البلاد ، و تقوم بها السماوات و الأرض ، لأن مطلق التهديد يحصل به انزجار النفس عما لها من الانتشار فيما يضر و لا ينفع ، فكيف بالتهديد بيوم الفصل قال : ﴿ فبأىّ آلاء ربكما ﴾ أى المحسن إليكما بهذا الصنع [المحكم - ١] ﴿ تكذبان ﴾ أبنعمة السمع عن اليمين أو بغيرها من إثابة اهل طاعته و عقوبة أهل معصيته ، و سمى ابن برجان هذا الإخبار الذى لا نون جمع فيه خطاب القبض يخبر فيه عن موجوداته و ما هو خالقه ، قال : و ذلك إخبار منه عن محض الواحدانية ، و ما قبله من "سنفرغ" و نحوه و ما فيه نون الجمع إخبار عن وصف ملكوته و جنوده و هو خطاب البسط .

و لما كان التهديد بالفراغ ربما أوهم أنهم الآن معجوز عنهم او عن بعض أمرهم ، بين بخطاب القبض المظهر لمحض الوحدانية أنهم فى القبضة ، لافعل لأحد منهم بدليل أنهم / لايصلون إلى جميع مرادهم مما هو فى مقدورهم ، و لكنه ستر ذلك بالأسباب التى يوجب التقيد بها إسناد الأمور إلى مباشرتها فقال بيانا للمراد بالثقلين : ﴿ يـمعشر ﴾ أى يا جماعة فيهم الأهلية و العشرة و التصادق ﴿ الجن ﴾ قدمهم لمزيد قوتهم و نفوذهم فى المسام و قدرتهم على الخفاء و التشكل فى الصور بما ظن أنهم لايعجزهم شىء ﴿ و الانس ﴾ أى الخواص و المستأنسين و المؤانسين المبنى أمرهم على الإقامة و الاجتماع .

/ ١٥٣

و لما بان بهذه التسمية المراد بالتثنيه ، جمع دلالة على كثرتهم فقال :

أن

﴿ان استطعتم﴾ [أى -[1]] إن وجدت لكم طاعة الكون فى ﴿ان تنفذوا﴾ أى تسلكوا بأجسامكم و تمضوا من غير مانع يمنعكم ﴿ من اقطار ﴾ أى نواحى ﴿السمٰوٰت و الارض﴾ التى يتخللها القطر لسهولة انفتاحها لشىء تريدونه من هرب من الله من إيقاع الجزاء بينكم، أو عصيان عليه فى قبول أحكامه[2] و جرى مراداته و أقضيته عليكم من الموت و غيره أو غير ذلك ٥ ﴿فانفذوا[1]﴾ و هذا يدل على أن كل واحدة منها محيطة بالأخرى لأن النفوذ لايكون حقيقة إلا مع الخرق .

و لما كان نفوذهم [3]فى حد[3] ذاته ممكنا و لكنه منعهم من ذلك بانه لم يخلق فى أحد منهم قوته و لاسيما و قد منعهم منه يوم القيامة بأمور منها إحداق أهل السماوات السبع [بهم -[1]] صفا بعد صف و سرادق ١٠ النار قد أحاط بالكافرين و لامنفذ لأحد إلا على الصراط و لايجوزه إلا كل ضامر يخف، أشار إليه بقوله مستأنفا: ﴿ لاتنفذون ﴾ أى [من -[1]] شىء من ذلك ﴿الا بسلطٰن ج﴾ إلا بتسليط عظيم منه سبحانه بأمر قاهر و قدرة بالغة و أنى لكم بالقدرة على ذلك، قال البغوى[4]: و فى الخبر: يحاط [5]على الخلق[5] بالملائكة و بلسان من نار[6] ثم ينادون: يا معشر الجن ١٥ - الآية . انتهى، و هذا حكاية ما يكون من ذلك يوم القيامة لا أنه خاص بهم .

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : احكامها (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : الابعد (٤) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / ٦ (٥-٥) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : بالخلق (٦) زيد فى الأصل : جهنم، و لم تكن الزيادة فى ظ و المعالم فحذفناها .

و لما كان هذا نظرهم فيما بينهم و بين بقية الحيوانات بما أعطاهم من القوى[1] الحسية و المعنوية و ما نصب لهم من المصاعد العقلية و المعارج النقلية التى ينفذون بها إلى غاية الكائنات و يتخللون بما يؤديهم[2] إليه علمها إلى أعلى المخلوقات، ثم نظرهم فيما بين الحيوانات و بين النباتات ثم بينها و بين الجمادات دالا دلالة واضحة على أنه سبحانه و تعالى يعطى من يشاء ما يشاء، فلو أراد قواهم على النفوذ منها، و لو قواهم على ذلك لكان من أجل النعم، و أنه سبحانه قادر على ما يريد منهم، فلوشاء أهلكهم و لكنه يؤخرهم إلى آجالهم حلما[3] منه و عفوا منه عنهم، سبب عن ذلك قوله: ﴿فبأىّ آلاء ربكما﴾ أى المحسن إليكما المربى لكما بما تعرفون به قدرته على كل ما يريد ﴿تكذبٰن ه﴾ أبنعمة السمع من جهة اليسار أو غيرها من جعلكم سواء فى أنكم لاتقدرون على مخالفة مراده سواء كنتم جمعا أو فرادى، أو من ضمكم إلى يوم الجمع و قد جمعكم قبل حين ابتدأ بخلقكم أو اليوم المشهود و قد أشهدكم قبل على أنفسكم و عهد إليكم أو بتكشيط السماوات و قد شاهدتم / تكشيط السحاب بعد بسطه، ١٥٤ / أو بالجزاء و قد رأيتم الجزاء العاجل و شاهدتم ما أصاب الأمم الماضية.

و لما سلب عنهم القدرة على النفوذ المذكور تنبيها على سلب جميع القدرة عنهم و على أن ما يقدرون عليه إنما هو بتقديره لهم نعمة منه عليهم، و لما كان منهم من بلغ الغاية فى قسوة القلب و جمود الفكر

(١) من ظ، و فى الأصل: القوة (٢) من ظ، و فى الأصل: يؤيدهم. (٣) من ظ، و فى الأصل: حكما.

فهو يحيل العجز عن بعض الأمور إلى انه لم يجر بذلك عادة، لا إلى انه سبحانه المانع من ذلك، فعمهم[1](؟) شيء من ذلك سطوته فقال: ﴿ يرسل عليكما ﴾ أى أيها المعاندون، قال ابن عباس رضى الله عنهما: حين [تخرجون من القبور -[2]] بسوقكم إلى المحشر ﴿شواظ﴾ أى لهب عظيم منتشر مع التضايق محيط بكم من كل جانب له صوت شديد كهيئته ٥ ذى الخلق الضيق الشديد النفس.

و لما كان الشواظ يطلق على اللهب الذى لا دخان فيه و على دخان النار و حرها و على غير ذلك، بينه بقوله: ﴿ من نار و نحاس ﴾ أى دخان هو فى غاية الفظاعة فيه شرر متطاير و قطر مذاب، قال ابن جرير[3]: و العرب تسمى الدخان نحاسا بضم النون و كسرها، و أجمع القراء على ١٠ ضمها - انتهى. و جرها أبو عمرو و ابن كثير عطفا على "نار" و رفعه الباقون[4] عطفا على "شواظ".

و لما كان ذلك ممكنا عقلا و عادة، و كانوا عارفين بأنهم لو وقعوا فى مثل ذلك لم يتخلصوا منه بوجه، سبب عنه قوله: ﴿فلا تنتصران﴾ قال ابن رجان: هذا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه و سلم: يخرج عنق ١٥ من نار فيقول بكل جبار عنيد فيلتقطهم من بين الجمع لقط الحمام حب السمسم، و يغشى المجرمين دخان جهنم من بين المؤمنين و لا يضرهم، و آية الشواظ

(١) من ظ، و فى الأصل: فعمم (٢) زيد من ظ (٣) راجع جامع البيان ٢٧/ تفسير هذه الآية (٤) راجع نثر المرجان ٢٧/ ١٥٠ (٥) من ظ، و فى الأصل: ملك.

و عنق النار هنالك صواعق ما هنا و بروقه و النار المعهودة .

و لما كان التهديد بهذا لطفا بهم فهو نعمة عليهم و العفو عن المعالجة بارساله لذلك ، سبب عنه قوله : ﴿فبأيّ آلاء ربكما﴾ أى المربى لكما بدفع البلايا و جلب المنافع ﴿ تكذبان ﴾ أبنعمة السمع من فوق أو غيرها ، ألم يكن لكم فيما شهدتموه فى الدنيا من دلائل ذلك و آياته ما يوجب لكم الإيمان . و لما كان هذا مما لم تجر عادة بعمومه و إن استطردت بجريانه منه فى أشياء منه فى أماكن متفرقة كأشخاص كثيرة ، بين لهم وقته بقوله : ﴿ فاذا ﴾ أى فيتسبب عن هذا الإرسال أنه إذا ﴿ انشقت السمآء ﴾ من هوله و عظمته فكانت أبوابا لنزول الملائكة و غيرهم ، و غير ذلك من آيات الله ﴿ فكانت ﴾ لما يصيبها من الحر ﴿ وردة ﴾ أى حمراء مشرقة من شدة لهيبه ، و قال البغوى[1] : كلون الفرس الورد و هو الأبيض الذى يضرب إلى حمرة و صفرة . ﴿ كالدهان ﴾[2] أى ذائبة صافية كالشىء الذى يدهن به أو كالأديم الأحمر و المكان الزلق ، و آية ذلك فى الدنيا الشفقان عند الطلوع و عند الغروب ، و جواب «إذا» محذوف تقديره : علمتم ذلك علما شهوديا ، أو فما اعظم الهول حينئذ و نحو ذا أن يكون الجواب شيئا دلت عليه [3]الآيات الآتية[3] نحو : فلا يسأل أحد إذ ذاك عن ذنبه ، و حذفه أفخم / [4]ليذهب الوهم فيه كل مذهب . /١٥٥

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ /٧ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) من ظ ، وفى الأصل : هى (٤) من ظ . وفى الأصل : التاخير (٥) و العبارة من هنا إلى ماسننبه عليه جرى نسخها من ظ الطمس نسخة الأصل .

و لما كان حفظ السماء عن مثل ذلك بتأخير إرسال هذا و غيره من الأسباب و جعلها محل الروح و الحياة و الرزق من أعظم الفواضل قال مسببا عنه : ﴿ فبأيّ آلاء ربكما ﴾ أى المربى لكما هذا التدبير المتقن ﴿ تكذبان ﴾ أبنعمة السمع من تحت أو غيرها و ليس شيء بما أخبرتكم به من أحوال الآخرة إلا قد أقمت لكم فى الدنيا ما تهتدون به إلى العلم ٥ بكونه . و لما كان يوم القيامة ذا ألوان كثيرة و مواقف مهولة طويلة شهيرة تكون فى كل منها شوؤن عظيمة و أمور كبيره ، ذكر بعض ما سببه هذا الوقت من التعريف بالعاصى و الطائع بآيات جعلها الله سببا فى علمها فقال : ﴿ فيومئذ ﴾ أى فسبب عن يوم انشقت السماء لأنه ﴿ لا يسئل ﴾ سؤال تعرف و استعلام بل سؤال تقريع و توبيخ و كلام ، و ذلك أنه ١٠ لا يقال له : هل فعلت كذا ؟ بل يقال له : لم فعلت كذا ، على أنه ذلك اليوم طويل ، و هو ذو ألوان تارة يسئل فيه و تارة لا يسئل ، و الأمر فى غاية الشدة ، و كل لون من تلك الألوان يسمى يوما ، فقد مضى فى الفاتحة أن اليوم عبارة عن وقت يمتد إلى انقضاء أمر مقدر فيه ظاهر من ليل أو نهار أو غيرهما لقوله تعالى " إلى ربك يومئذ المساق " أى يوم إذا بلغت ١٥ الروح التراقى و هو لا يختص بليل و لا نهار ، و بناه للمفعول تعظيما للأمر بالإشارة إلى أن شأن المعترف بالذنب لا يكون خاصا بعهد دون عهد بل يعرفه كل من أراد علمه ، و أضمر قبل الذكر لما هو مقدم فى الرتبة ليفهم الاختصاص فوحد الضمير لأجل اللفظ فقال : ﴿ عن ذنبه ﴾ أى خاصة و قد سئل المحسن عن حسنته سؤال تشريف له و تنديم لمن دونه .

و لما كان الإنس أعظم مقصود بهذا . و لهذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم منهم، و كان التعريف بالشاهد المألوف أعظم فى التعريف ، و كان علم أحوال الشيء الظاهر أسهل، قدمهم فقال : ﴿انس﴾ ولما كان لا يلزم من علم أحوال الظاهر علم أحوال الخفى، بين أن الكل عليه سبحانه ٥ هين فقال : ﴿ و لا جآن ج ﴾ و لما كان هذا التمييز من أجل النعم لئلا يؤدى الالتباس إلى روبع بعض المطيعين عاملا(؟) او نكاية بالسؤال عنه قال : ﴿ فباىّ آلآء ربكما ﴾ أى الذى ربى كلا منكم بما لا مطمع فى إنكاره و لاخفاء فيه ﴿ تكذبٰن ه ﴾ أبنعمة الشم من الأمام أم من غيرها . و لما كان الكلام عاما عرف أنه خاص بتعرف المجرم من غيره دون ١٠ التعزير بالذنب أو غيره من الأحوال فقال معللا لعدم السؤال : ﴿يعرف﴾ أى لكل أحد ﴿ المجرمون ﴾ أى العريقون فى هذا الوصف ﴿ بسيمٰهم ﴾ أى العلامات التى صور الله ذنوبهم فيها فجعلها ظاهرة بعد أن كانت باطنة ، و ظاهرة الدلالة عليهم كما يعرف أن الليل إذا جاء لا يخفى على أحد أصلا و كذلك النهار و نحوهما لغير الأعمى، و تلك السيما - و الله أعلم - ١٥ زرقة العيون و سواد الوجوه و العمى و الصمم و المشى على الوجوه و نحو ذلك ، و كما يعرف المحسنون سيماهم من بياض الوجوه [1] و إشراقها و تبسمها ، و الغرة و التحجيل و نحو ذلك ، و سبب عن هذه المعرفة قوله مشيرا بالبناء للمفعول إلى سهولة الأخذ من أى آخذ كان ﴿فيؤخذ بالنواصى﴾ أى منهم و هى مقدمات الرؤس ﴿ و الاقدام ج ﴾ بعد [2] ان يجمع بينهما

(١) من هنا استأنف الأصل (٢) من ظ ، و فى الأصل : بين

كما انهم كانوا [هم - [1]] يجمعون ما[2] أمر الله به ان يفرق . و يفرقون[3] ما أمر الله به أن يجمع ، فيسحبون بها سحبا من كل ساحب[4] اقامه الله لذلك لايقدرون على الامتناع بوجه فيلقون[5] فى النار .

و لما كان ذلك نعمة لا يقام بشكرها لكل من يسمعها لأن كل أحد ينتفى[6] من الإجرام[7] و يود للمجرمين[8] عظيم الانتقام ، سبب عنه قوله : ﴿ فبأىّ آلاء ربكما ﴾ اى النعم الكبار من الذى دبر مصالحكم بعد أن أوجدكم ﴿ تكذبان ﴾ أبنعمة الشم من الوراء أم بغيرها مما يجب ان يفعل من الجزاء فى الآخرة لكل شخص بما كان يعمل[9] فى الدنيا أو بغير ذلك من الفضل .

و لما كان أخذهم على هذا الوجه مؤذنا بأنه [يصير] إلى خزى عظيم ، صرح به فى قوله ، بانيا على ما هدى إليه السياق [10]من نحو[10]: أخذا مقولا فيه عند وصولهم إلى محل النكال على الحال التى ذكرت من الأخذ بنواصيهم و أقدامهم : ﴿ هذه ﴾ [أى - [1]] الحفرة العظيمة الكريهة المنظر [11]القريبة منكم[11] [الملازمة للقرب لكم - [1]] ﴿ جهنم التى يكذب ﴾

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : من (٣) زيد فى الأصل : و يفرق ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ ، و فى الأصل : سحب (٥) من ظ ، و فى الأصل : فيلتقون (٦) من ظ ، و فى الأصل : ينبغى (٧) من ظ ، و فى الأصل : الاحترام (٨) من ظ ، و فى الأصل : المجرمون (٩) من ظ ، و فى الأصل : يفعل (١٠-١٠) من ظ ، و فى الأصل : بنحو (١١-١١) من ظ ، و فى الأصل : القريب لكم .

أى ماضيا و حالا و مآلا استهانة «و لو ردوا إلى الدنيا ـ بعد إدخالهم إياها ـ لعادوا لما نهوا عنه» ﴿بها المجرمون﴾ أى العريقون فى الإجرام، و هو قطع ما من حقه أن يوصل [و هو ـ[1]] ما أمر الله به، و خص هذا الاسم إشارة إلى أنها تلقاهم بالتجهم و العبوسة و الكلاحة و الفظاظة

٥ كما كانوا يفعلون مع الصالحين عند الإجرام [المذكور ـ[1]]؛ قال ابن برجان: و قرأ عبد الله "هذه جهنم التى كنتم بها تكذبن فتصليانها[2] لا تموتان فيها و لا تحييان" ثم استأنف ما يفعل بهم فيها فقال: ﴿يطوفون بينها﴾ أى بين دركة النار التى تتجهمهم ﴿و بين حميم﴾ أى ماء حار هو من شدة حرارته ذو دخان.

١٠ و لما كان هذا الاسم يطلق على البارد، بين أمره فقال: ﴿آن﴾ أى بالغ حره إلى غاية ليس وراءها غاية، قال الرازى فى اللوامع: و قيل: حاضر، و به سمى الحال بالآن لأنه الحاضر الموجود، فان الماضى لاتدارك[3] له و المستقبل أمل و ليس لنا إلا الآن، ثم «الآن» ليس بثابت طرفة عين، لأن الآن هو الجزء[4] المشترك بين زمانين، فهم دائما

١٥ يترددون بين عذابى النار المذيبة للظاهر و الماء المقطع بحره للباطن الذى لايزال حاضرا لهم تردد الطائف الذى لا أول لتردده و لا آخر.

و لما كان عذاب المجرم ـ القاطع لما من شأنه أن يكون متصلا ـ من أكبر النعم و أسرها لكل أحد حتى لمن سواه من المجرمين، سبب

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: بان تصليانها، و فى نثر المرجان ١٥٣/٧: تصليان (٣) من ظ، و فى الأصل: يدرك (٤) من ظ، و فى الأصل: الخبر.

قوله : ﴿ فبأيّ آلاء ربكما ﴾ اى المحسن إليكما أيها الثقلان باهلاك المجرم فى الدارين و إنجاء المسلم مما أهلك به المجرم لطفا بالمهددين ليرتدعوا /و ينزجروا عما يكون سبب إهلاكهم [1]هم و من والاهم[1] ﴿ تكذبٰن ﴾ / ١٥٧ أبنعمة الشم من اليمين أم من غيرها مما أراكم من [1]اياته، و ظاهر عليكم من بيناته، فى السماوات و الأرض، [2]و ما[2] أراكم من مطالع الدنيا من الشمس التى هى آية النهار و القمر الذى هو آية الزمهرير، و غير ذلك من آياته المحكمة المرئية و المسموعة. و قد كررت هذه الآية عقب ذكر النار و أهوالها سبع مرات تنبيها على استدفاع أبوابها السبعة[3] كما مضى - و الله المستعان .

[1]و لما كان[1] قد عرف ما للمجرم المجترئ على العظائم، و قدمه لما اقتضاه مقام التكبر من الترهيب و جعله سبعا إشارة إلى أبواب النار السبعة. عطف عليه ما للخائف الذى أداه خوفه إلى الطاعة و جعله [ثمانية -[4]] على [عدد -[4]] أبواب الجنة الثمانية فقال : ﴿ و لمن ﴾ [اى -[4]] و لكل [من -[4]]، و وحد الضمير مراعاة للفظ «من» إشارة إلى قلة الخائفين ﴿ خاف ﴾ أى من الثقلين .

و لما كان ذكر الخوف من الزمان المضروب للحساب [و التدبير و المكان المعد لها أبلغ من ذكر الخوف من الملك المحاسب -[4]] المدبر، و الخوف مع ذكر وصف الإكرام أبلغ من ذكر الخوف عند ذكر

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : مما (٣) من ظ ، و فى الأصل : السبع (٤) زيد من ظ .

اوصاف الجلال ، قال دالا بذلك على ان المذكور رأس الخائفين[1] : ﴿ مقام ربه ﴾ أى مكان قيامه الذى يقيمه و غيره فيه المحسن إليه للحكم [2]و زمانه الذى ضربه[2] له و قيامه عليه و على [غيره -[2]] بالتدبير ، فهو رقيب عليه و عليهم ، فكيف إذا ذكر مقام المنتقم الجبار المتكبر فترك
٥ لهذا ما يغضبه و فعل ما يرضيه ﴿ جنتن ج ﴾ عن يمين و شمال ، واحدة للعلم و العقل و أخرى للعمل ، و يمكن أن يراد بالتثنية المبالغة إفهاما لأنها جنان متكررة و متكثرة مثل " القيا فى جهنم كل كفار عنيد " و نحو ذلك .

و لما كانت هذه نعمة جامعة ، سبب عنها قوله : ﴿ فباىّ آلاء ربكما ﴾
١٠ أى نعم المربى لكما [2]و المحسن إليكما[2] باحسانه الكبار التى لا يقدر غيره على شىء منها ﴿ تكذبن ٥ ﴾ أبنعمة الشم من اليسار المنبعثة[5] من القلب أو غيرها من تربة جنان الدنيا بنفس جهنم من حر الشمس و حرورها ، فجعل من ذلك جميع الفواكه و الزروع إلى غير ذلك من المرافق التى طبخها بها "و كاين من اية فى السموت و الارض يمرون عليها [و هم
١٥ عنها معرضون " -[3]] و غير ذلك من نعمه التى لا تحصى .

و لما كانت البساتين لا يكمل مدحها إلا بكثرة الأنواع و [الألوان -[4]] و الفروع المشتبكة[6] و الأغصان ، قال واصفا لهما : ﴿ ذواتا ﴾ أى صاحبتا[7]

---

(١) من ظ ، و فى الاصل : الخائفين (٢-٢) عبارة ما بين الرقمين تكررت فى الأصل ، و لم يكن التكرار فى ظ فحذفناها (٣) زيد من ظ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الاصل : المنبعث (٦) فى ظ : الممسكة (٧) من ظ ، و فى الاصل : صاحبا .

رد عين الكلمة فان اصلها « ذوو » ﴿ افنان ج ﴾ أى جمع فن يتنوع فيه الثمار ، و فن و هو الغصن المستقيم طولا الذى[1] تكون به الزينة بالورق و الثمر و كمال الانتفاع ، قال عطاء : فى كل غصن فنون من الفاكهة ؛ و لهذا سبب عنه قوله : ﴿ فبأىّ آلاء ربكما ﴾ [أى] المربى لكما و المحسن إليكما ﴿ تكذبان ه ﴾ أبنعمة الشم من جهة الفوق أو غيرها مما ذكره لكم من وصف الجنة الذى ٥ جعل لكم من أمثاله ما تعتبرون به .

و لما كانت الجنان لا تقوم إلا بالأنهار قال : ﴿ فيهما عينان ﴾ اى فى كل واحدة عين ﴿ تجريان ه ج ﴾ أى فى كل مكان شاء صاحبهما / و إن ١٥٨ / علا مكانه كما تصعد المياه فى الأشجار فى كل غصن منها ، و إن زاد علوها جرى على عينى دموعه الجاريتين من خشية الله . و ذلك على ١٠ مثال جنان الدنيا ، و الشمس صاعدة فى البروج[2] الشمالية من[3] تكامل المياه و تفجرها عيونا فى أيام الربيع و الصيف لقرب العهد بالأمطار ﴿ فبأىّ آلاء ربكما ﴾ أى المالك لكما و المحسن إليكما ﴿ تكذبان ه ﴾ أبنعمة الشم من جهة التحت [أو غيرها -[4]] مما ذكره و جعل له فى الدنيا أمثالا كثيرا . ١٥

و لما كان بالمياه حياة النبات و زكاؤه ، قال ذاكرا أفضل النبات : ﴿ فيهما ﴾ أى هاتين الجنتين العاليتين ، و دل على جميع كل ما يعلم و زيادة بقوله : ﴿ من كل فاكهة ﴾ أى تعلمونها أو لا تعلمونها ﴿ زوجان ج ﴾

(١) سقط من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : البرزخ (٣) فى ظ : حين .
(٤) زيد من ظ .

أى صنفان[1] يكمل أحدهما بالآخر كما لايدرك كنه أحد الزوجين بسبب العمل بما يرضى و الآخر بالانتهاء عما يسخط ﴿فبأىّ آلاء ربكما﴾ أى النعم الكبار التى رباها الموجد لكما المحسن إليكما ﴿تكذبان ۝﴾ أبنعمة اللمس من الأمام أو غيرها من أنه أوجد لكما جنان الدنيا بواسطة حر النار التى هى أعدى عدوكما[2] إشارة إلى أنه قادر على أنه يوجد رضوانه و محبته من موضع غضبه و انتقامه إكراما، فقد جعل ما فى الدنيا مثالا[3] لما ذكر فى الآخرة، فبأىّ[4] شىء من ذلك تكذبان، لا يكمل الإيمان حتى يصدق المؤمن أنه تعالى قادر على أن يجعل من جهنم جنة بأن يجعل من[5] موضع سخطه رحمة و يشاء ذلك و يعتبر ذلك بما أرانا من نموذجه .

و لما كان التفكه لايكمل حسنه إلا مع التنعم من طيب الفرش و غيره، قال مخبرا عن الذين يخافون مقام ربهم من قبيلى الإنس و الجن مراعيا معنى "من" بعد مراعاة لفظها تحقيقا للواقع: ﴿متكئين﴾ أى لهم ما ذكر فى حال الاتكاء و هو التمكن بهيئة المتربع أو غيره من الكون على جنب، قال فى القاموس: توكأ عليه: تحمل، و اعتمد كأوكأ، و التكأة كهمزة: العصا، و ما يتوكأ عليه، و ضربه فأتكأه: ألقاه على هيئة المتكىء أو على جانبه الأيسر، و قال ابن القطاع[6]: و ضربته حتى أتكأته

(١) من ظ، و فى الأصل: صنفين (٢) فى الأصل و ظ: عدوكم (٣) من ظ، و فى الأصل: مثلا (٤) زيد فى الأصل: الآء ربكما، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) سقط من ظ (٦) راجع كتاب الأفعال ١/١٢١ .

أى

أى سقط على جانبه، و هو يدل على تمام التنعم بصحة الجسم و فراغ البال ﴿على فرش﴾ و عظمها بقوله مخاطبا للمكلفين بما تحتمل عقولهم [١]و إلا فليس[١] فى الجنة ما يشبهه على الحقيقة شىء من الدنيا ﴿بطآئنها﴾ أى فما ظنك بظواهرها[٢] و وجوهها ﴿من استبرق[٤]﴾ و هو ثخين الديباج يوجد فيه من حسنه بريق كأنه [من -[٣]] شدة لمعانه يطلب إيجاده ٥ حتى كأنه نور مجرد .

و لما كان المتكئ[٥] قد يشق عليه القيام لتناول ما يريد قال: ﴿و جنا الجنتين﴾ أى مجنيهما اسم بمعنى المفعول[٤] كأنه عبر به ليفهم سهولة نفس المصدر الذى هو الاجتناء ﴿دان ج﴾ أى قريب من كل من[٥] يريده من متكىء و غيره لايخرج إلى صعود شجرة، و موجود من كل ١٠ حين يراد غير مقطوع و لا ممنوع .

و لما كان ربما وجد مثل من ذلك شاهد [له -[٣]] من أغصان تنعطف بجملتها فتقرب و أخرى تكون قريبة من ساق الشجرة فيسهل تناولها قال: ﴿فبأىّ آلآء ربكما﴾ أى النعم الكبار الملوكية التى أوجدها لكما / هذا المربى لكما الذى يقدر على كل ما يريد ﴿تكذبٰن ء﴾ أبنعمة ١٥ / ١٥٩ اللمس من جهة الوراء أم غيرها من قدرته [على -[٣]] عطف الأغصان و تقريب الثمار .

(١ - ١) من ظ، و فى الأصل: ليس (٢) فى الاصل: بظاهرها، و فى ظ: ظواهرها (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: مفعول (٥) فى ظ: فى .

و لما كان ما ذكر لا تتم نعمته إلا بالنسوان الحسان، قال دالا على الكثرة بعد سياق الامتنان بالجمع الذى هو أولى من التثنية بالدلالة على أن فى كل بستان جماعة من النسوان، لما بهن من عظم اللذة و فرط الأنس: ﴿ فيهن ﴾ أى الجنان التى علم مما مضى أن لكل فرد من ٥ الخائفين[1] منها جنتين[2] . و لما كان سياق الامتنان معرفا بأن جمع القلة أريد به الكثرة مع ما ذكر من محسناته فى سورة «ص»، قال معبرا به: ﴿ قاصرات الطرف ﴾ أى نساء مخدرات هن فى وجوب الستر بحيث يضن من ذكرهن بغير الوصف من غير تصريح، قد قصرن طرفهن و هممهن على أزواجهن و لهن من الجمال ما قصرن به أزواجهن عن الالتفات ١٠ إلى غيرهن لفتور الطرف و سحره و شدة أخذه للقلوب جزاء لهم على قصر هممهم فى الدنيا على ربهم .

و لما كان الاختصاص بالشىء لاسيما المرأة من أعظم الملذذات [قال ـ] : ﴿ لم يطمثهن ﴾ أى يجامعهن و يتسلط عليهن فى هذا الخلق الذى أنشئن فيه نوع من أنواع السلطة سواء من إنسيات أو جنيات أوغير ١٥ ذلك ، يقال : طمثت المرأة كضرب و فرح : حاضت ، و طمثها الرجل : افتضها و أيضا جامعها ، و البعير عقلته(؟) ، فكأنه قيل : هن أبكار لم يخالط موضع الطمث منهن ﴿ انس ﴾ و لما كان المراد تعميم الزمان أسقط الجار فقال : ﴿ قبلهم ﴾ اى المتكئين ﴿ و لا جآن ج ﴾ و قد جمع هذا

(١) من ظ ، و فى الأصل : الخافقين (٢) من ظ ، و فى الأصل : جنتان .
(٣) زيد من ظ .

كل من[1] يمكن منه جماع من ظاهر و باطن، و فيه دليل على أن الجنى يغشى الإنسى كما نقل عن الزجاج ﴿فبأيّ آلاء ربكما﴾ أى النعم الجسام [من] المربى الكامل العلم الشامل القدرة[2] القيوم ﴿تكذبان﴾ أبنعمة اللمس من جهة اليمنى أم غيرها مما جعله الله لكم مثالا لهذا من الأبكار الحسان، أو غير ذلك من أنواع الإحسان. ٥

و لما دل ما تقدم من وصف المستمتع بهن بالعزة و النفاسة، زاده على وجه أفاد أنه يكون بهن غاية ما يكون من سكون النفس و قوة القلب و شدة البدن و اعتدال الدم و غير ذلك من خواص ما شبههن به فقال: ﴿كأنهن الياقوت﴾ الذى هو فى صفائه بحيث يشف عن سلكه و هو جوهر معروف، قال فى القاموس: أجوده الأحمر الرمانى نافع للوسواس ١٠ و الخفقان و ضعف القلب شربا و لجمود الدم تعليقا. ﴿و المرجان﴾ فى بياضه، و صغار الدر أنصع بياضا، قال أبو عبد الله القزاز: و المرجان صغار اللؤلؤ، و هذا الذى يخرج من نبات البحر أحمر معروف - انتهى. و قد يستفاد من ذلك أن ألوانهن البياض و الحمرة على نوع من الإشراب هو فى غاية الإعجاب من الشفوف و الصفاء، و هو مع ذلك ثابت لا يعتريه ١٥ تغير ليطابق الحديث الذى فيه "يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة"، و قال / أبو حيان[3]: شبههن بهما فيما يحسن التشبيه به فالياقوت فى إملاسه و شفوفه و المرجان فى إملاسه و جمال منظره ﴿فبأيّ آلاء ربكما﴾ أى ١٦٠ /

(١) زيد فى الأصل: جميع، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من ظ، و فى الأصل: المقدر (٣) راجع البحر المحيط ٨ /١٩٨.

النعم الغريبة البالغة فى الحسن من المالك الملك المربى ببدائع التربية ﴿ تكذبن ﴾ أ بنعمة اللمس من جهة اليسرى ام غيرها مما جعله مثالا لما ذكر من وصفهن من تشبيه شيء بشيئين لبلوغ الأمر فى الحسن إلى حد لايساويه فيه[1] شيء واحد[2] ليشبه به، فهو [كما -[3]] قيل: بيضاء فى دعج صفراء فى نعج كأنها فضة قد شابها ذهب، و قد جعل سبحانه الأشياء الشفافة مثالا لذلك و أنت ترى بعض الأجسام يكاد يرى فيه الوجه [بل فى سواد العين أعظم غرة حيث يرى فيه الوجه -[3]] فان السواد منشأ الظلام.

و لما كان ألذ ما أفاده الإنسان من النعم ما كان تسبب منه، قال سارا لهم بذلك مع ما فيه من لذة المدح لاسيما و المادح الملك الأعلى، معظما له بسياق الاستفهام المفيد الاثبات بعد النفى المفيد للاختصاص على وجه الإنكار الشديد على من يتوهم غير ذلك: ﴿هل جزاء الاحسان﴾ أى فى العمل [الكائن -[3]] من الإنس أو الجن أو غيرهم ﴿الا الاحسان﴾ أى فى الثواب، فهذا من المواضع التى أعيدت فيها المعرفة و المعنى مختلف، روى البغوى[4] بسنده عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: يقول: هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة. و ذلك جزاء إحسان العبد فى العمل فى مقابلة إحسان ربه إليه بالتربية ﴿فباى آلاء ربكما﴾

(١) سقط من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: كاحد (٣) زيد من ظ.
(٤) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ١٠.

أى النعم العظيمة الحسن من السيد الكريم العظيم الرحيم الجامع لأوصاف الكمال ﴿ تكذبٰن ﴾ أبنعمة اللمس من جهة الفوق أم غيرها مما جعله الله سبحانه مثالا فى أن من احسن قوبل بمثل إحسانه ، و هذه الآية ختام ثمان آيات حاثة على العمل الموصل إلى الثمانية الأبواب الكائنة لجنة المقربين - و الله الهادى . ٥

و لما كان قد علم مما ذكر أول هذا الكلام من الخوف مع ذكر وصف الإكرام ، و آخره من ذكر الإحسان أن هذا الفريق محسنون ، و كان من المعلوم أن العاملين طبقات ، و أن كل طبقة أجرها على مقدار أعمالها ، اقتضى الحال بيان ما أعد لمن دونهم : ﴿ و من دونهما ﴾ أى من أدنى مكان و رتبة مما تحت جنتى هؤلاء المحسنين [المقربين ﴿ جنتٰن ﴾ ١٠ أى لكل واحد لمن دون هؤلاء المحسنين - ١] من الخائفين و هم أصحاب اليمين ، قال ابن عباس رضى الله عنهما : دونهما فى الدرج ، و جعل ابن برجان الأربع موزعة بين الكل ، و أن تخصيص هذه العدة إشارة إلى أنها تكون جامعة لما فى فصول الدنيا الأربعة : الشتاء و الربيع و الصيف و الخريف ، و فسر بذلك قول النبى صلى الله عليه و سلم : جنتان من ذهب ١٥ اوتيتهما و ما فيهما و جنتان من فضة أوتيتهما و ما فيهما . ثم جوز أن يكون المراد بالدون الأدنى إلى الإنسان ، و هو البرزخ ، فتكون هاتان لأهل البرزخ كما كان "و ان للذين ظلموا عذابا دون ذلك" من ٢ عذاب القبر ﴿ فبأىّ آلاء ربكما ﴾ أى المحسن بنعمه السابغة إلى الأعلى و من دونه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : فى .

﴿تكذبٰن ۝﴾ أبنعمة اللمس من جهة التحت أم غيرها / مما جعله الله فى الدنيا مثالا لهذا من أن بعض البساتين أفضل من بعض إلى غير ذلك من أنواع التفضيل .

و لما كان ما فى هاتين من الماء دون ما فى الباقيتين، فكان ربما ظن أن ماءهما لا يقوم بأعلى كفايتهما قال : ﴿مدهامتن ۝﴾ أى خضراوان خضرة تضرب من شدة الرى إلى السواد، من الدهمة، قال الأصبهانى: الغالب على هاتين الجنتين النبات و الرياحين المنبسطة على وجه الأرض و فى الأوليين الأشجار و الفواكه ﴿فبأىّ آلآء ربكما﴾ أى نعم المحسن إلى العالى منكما و من دونه بسعة رحمته ﴿تكذبٰن ۝﴾ أبنعمة الذوق من جهة الأمام أم غيرها مما جعله مثالا لذلك من جنان الدنيا الكثيرة الرى و غيره .

و لما كان ذكر ما يدل على ريهما، حققه بقوله : ﴿فيهما﴾ اى فى كل جنة لكل شخص منهم ﴿عينٰن نضاختٰن ۝﴾ أى تفوران بشدة [1]توجب لهما رشاش[1] الماء بحيث لا ينقطع ذلك . و لم يذكر جريهما فكأنهما بحيث يرويان جنتهما و لا يبلغان الجرى، و النضخ دون الجرى و فوق النضح، قال الأصبهانى: و أصل النضخ بالمعجمة - انتهى . و كأنهما لمن تغرغر عيناه بالدمع فتمتلئان من غير جرى، و قال ابن رجان ما معناه أن حر(؟) عدم جريهما لكونهما على مثال جنة خريف ما ههنا و شتاء [به -[2]] لبعد عهدهما بنزول الماء [و -[2]] سكنا فى أعماق الأرض

(١-١) من مد، و فى الأصل : توحدهما رشا (٢) زيد من ظ .

لينعكس بالنبع و الفوران صاعدا مع أن الجنة لا مطر فيها ﴿فبأيّ آلاء ربكما﴾ أي نعم المربي البليغ الحكمة في التربية ﴿تكذبان ۝﴾ أبنعمة الذوق من جهة ماوراء اللسان أم غيرها مما جعله مثالا لذلك من الأعين التي تفور و لاتجري و الأنابيب المصنوعة للفوران لأنها بحيث تروق[1] ناظرها لصعودها بقوة نبعها و ترشيشها من النعم الكبار . و لما ذكر الري و السبب فيه ، [ذكر -[2]] ما ينشأ عنه فقال : ﴿فيهما فاكهة﴾ أي من كل الفاكهة ، و خص أشرفها و أكثرها وجدانا في الخريف و الشتاء كما في جنان الدنيا التي جعلت مثالا لهاتين الجنتين فقال : ﴿و نخل و رمان ۝﴾ فان كلا منهما فاكهة و إدام ، فلذا خص تشريفا و تنبيها على ما فيهما[3] من التفكه و أولاهما أعم نفعا و أعجب [خلقا -[2]] فلذا قدم ﴿فبأيّ آلاء ربكما﴾ أي نعم[4] المحسن إليكما أيها الثقلان بجليل التربية ﴿تكذبان ۝﴾ أبنعمة الذوق من اليمين أم من غيرها مما جعل مثالا لهذا من جنان الدنيا و غير ذلك .

و لما كان ما ذكر لاتكمل لذته إلا بالأنيس ، و كان قد ورد أنه يكون في بعض ثمار الجنة و حمل أشجارها نساء و ولدان كما أن امثال ذلك في بطن مياه الدنيا "و جعلنا من الماء كل شيء حي" قال جامعا على نحو ما مضى من الإشارة إلى أن الجنتين لكل واحد من أفراد هذا الصنف : ﴿فيهن﴾ أي الجنان الأربع أو الجنان التي خصت للنساء ، و جوز ابن برجان أن يكون الضمير للفاكهة و النخل و الرمان فانه يتكون منها نساء و ولدان

(١) من ظ . و في الأصل : ترزق (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و في الأصل : قبلها (٤) من ظ و في الأصل : بنعمه .

١٦٢/ فى داخل قشر الرمان و نحوه ﴿ خيرٰت ﴾ اى نساء / بليغ ما فيهن من الخير ، أصله حير مثقلا لأن " خير " الذى للتفضيل لا يجمع جمع سلامة ، و لعله خفف لاتصافهن[1] بالخفة فى وجودهن و جميع شأنهن ، و لكون[2] هاتين الجنتين دون ما قبلهما ﴿ حسان ﴾ أى فى غاية الجمال خلقا و خلقا ﴿ فبأىّ آلآء ربكما ﴾ اى نعم الكامل الإحسان [إليكما -[3]] ﴿ تكذبٰن ﴾ انعمة الذوق من جهة اليسار أم من غيرها مما[4] جعله مثالا لتكوين النساء و الولدان و الملابس و الحلى من ثمار الأشجار و الزروع التى من المياه[5] التى بها العيش . ففيها[6] التوليد و غير ذلك مما تظهره الفكرة لأهل العبرة لأن كل ما فى الجنة ينشأ عن الكلمة من الرزق كما ينشأ عنه سبحانه فى هذه الدار على تسبيب ... و الحكمة[7] ، ثم بينهن بقوله : ﴿ حور ﴾ أى ذوات أعين شديدة سواد السواد و شديدة بياض البياض ، و قال ابن جرير[8] : بيض جمع ﴿ مقصورٰت ﴾ أى على أزواجهن و محبوسات ، صيانة عن التبذل ، فهو كناية عن عظمتهن ﴿ فى الخيام ﴾ التى هى من الدر المجوف الشفاف جزاء لمن قصر نفسه عن ... الله فكف جوارحه عن الزلات ، و صان قلبه عن الغفلات ﴿ فبأىّ آلآء ربكما ﴾ أى الجليل الإحسان إليكما ﴿ تكذبٰن ﴾ أنعمة الذوق من جهة الفوق

(١) من ظ ، و فى الأصل : لاتصافه (٢) من ظ ، و فى الأصل : لكن . (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : ما (٥) من ظ ، و فى الأصل : الثمار (٦) من ظ ، و فى الأصل : عندها (٧) ومن هنا انقطعت نسخة ظ .

(٨) فى جامع البيان ٢٧ / ٨٢

ام بغيرها مما جعله مثالا لهذا فى الدنيا ، فانه كما خلقنا من تراب ثم طورنا فى أطوار الخلقة بحسب حكمة الأسباب كذلك خلق أولئك من أرض الجنة و رياضها و فواكهها عن كلمة السكان من غير أسباب .

و لما كانت أنفس الأخيار ذوى الهمم العالية الكبار فى الالتفات إلى الأبكار قال : ﴿ لم يطمثهن ﴾ أى يتسلط عليهن نوع سلطة ٥ ﴿ انس ﴾ و عم الزمان بحذف الجار فقال : ﴿ قبلهم ﴾ أى انتفى الطمث المذكور فى جميع الزمان الكائن قبل طمث أصحاب هذه الجنان لهن ، فلو وجد فى لحظة من لحظات القبل لما صدق النفى ﴿ و لا جآن ج ﴾ فهن فى غاية الاختصاص كل بما عنده ﴿ فباىّ ﴾ أى فتسبب عن هذا التعدد لمثل هذه النعم العظيمة أنا نقول تعجبيا ممن يكذب توبيخا له ١٠ و تنبيها على ما له تعالى من النعم التى تفوت الحصر : بأىّ ﴿ 'الآء ربكما ﴾ أى النعم الجليلة من المدبر لكما بما له من القدرة التامة و العظمة الباهرة العامة ﴿ تكذبٰن ج ﴾ أبنعمة الذوق من تحت أم بغيرها مما جعله مثالا لهذا من الأبكار المخدرات ، و جميع ما ذكر من النعم العامة الظاهرة فى كل حالة فى الدنيا و الآخرة ، و ختم بالتقرير أربع و عشرون ١٥ ثمان منها أول السورة من النعم الدنياوية ، وست عشرة جنان ، و جعلها على هذا العدد ، إشارة إلى تعظيمها بتكثيرها فانه عدد تام لأنه جامع لأكثر الكسور ، و لذا قسم الدرهم و غيره أربعة و عشرون قيراطا . و لما تم التقرير بالنعم المحيطة بالجهات الست و الحواس الخمس على الوجه الأكمل من درء المفاسد و جلب المصالح كما تقدمت الإشارة إليه بمدكر ، ٢٠

/ ١٦٣ بقوله «فهل من مدكر» فى القمر، بالحسن(؟) فيها إلى الحواس الخمس وبتكرارها. و تكرار "فكيف كان عذابى و نذر" سنا إلى الجهات الست من جهة الوراء و الخلف، أوتزها بنعمة أخرى واحدة إشارة إلى أن السبب فى هذا اعتقاد وحدانية الواحد تعالى اعتقادا أدى الخضوع لأمر مرسل كلما ٥ جاء من عنده تعالى فلذلك كانت نعمة لاتنقطع أصلا، بل كلما تم دور منها ابتدأ دور اخر جديد، و هكذا على وجه لا انقطاع له أبدا كما أن الواحد الذى هو أصل العدد لا انتهاء له أصلا، و هذه النعمة الدالة على الراحة الدائمة التى هى المقصودة بالذات على وجه لا يرى أغرب منه و لا أشرف، فقال تعالى مبينا حال المحسنين و من دونهم مشركا لهم ١٠ فى الراحة على ما لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر: ﴿ متكئين ﴾ أى لهم ذلك فى حال الاتكاء ديدنا لأنهم لاشغل لهم بوجه إلا التمتع ﴿ على رفرف ﴾ اى ثياب ناعمة و فرش رقيقة النسج من الديباج لينة و وسائد عظيمة [و ـ] رياض باهرة و بسط لها أطراف فاضلة. و رفرف السحاب هدبه أى ذيله المتدلى.

١٥ و لما كان الأخضر أحسن الألوان و أبهجها قال: ﴿ خضر و عبقرى ﴾ اى متاع كامل من البسط و غيرها هو فى كماله و غرابته كأنه من عمل الجن لنسبته إلى بلدهم، قال فى القاموس: عبقر موضع كثير الجن، و قرية بناؤها فى غاية الحسن، و العبقرى الكامل من كل شىء، و السيد و الذى [ليس ـ [1]] فوقه شىء. و قال الرازى: هو الطنافس المخملة،

(١) زيد من ظ و القاموس.

قال[1] ابن جرير[2]: الطنافس الثخان. و قال القشيرى: العبقرى عند العرب كل ثوب موشى. و قال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال و غيرهم، و منه قول النبى صلى الله عليه و سلم فى عمر رضى الله عنه[3]: فلم أر عبقريا من الناس يفرى فريه. و قال قطرب: ليس هو من المنسوب بل هو بمنزلة كرسى و بختى. ٥

و لما كان المراد به الجنس، دل على كثرته بالجمع مع التعبير بالمفرد إشارة إلى [4]وحدة تكامله[4] بالحسن فقال: ﴿حسان ج﴾ أى هى فى غاية من كمال الصنعة و حسن المنظر لاتوصف ﴿فبأىّ [5]آلاء ربكما﴾ أى النعم العظيمة من المحسن الواحد الذى لامحسن غيره [و -[6]] لا إحسان إلا منه و لاتعد نعمه و لاتحصى ثناء عليه ﴿تكذبٰن ه﴾ و بهذه الآية تمت النعم ١٠ الثمان المختصة بجنة أصحاب اليمين إشارة إلى العمل لأبوابها الثمانية - و الله الموفق.

و لما دل ما ذكر فى هذه السورة من النعم على إحاطة مبدعها بأوصاف الكمال، و دل بالإشارة بالنعمة الأخيرة على أن نعمه لانهاية لها لأنه مع أن له الكمال كله متعال عن شائبة نقص، فكانت ترجمة ذلك ١٥ قوله فى ختام نعم الآخرة مناظرة لما تقدم من ختام نعم الدنيا معبرا هناك بالبقاء لما ذكر قبله، من الفناء، و هذا [بما[5] -] من البركة[6] إشارة

(١) من ظ، و فى الأصل: قيل (٢) راجع جامع البيان ٢٧ /٥ (٣) راجع صحيح البخارى - المناقب (٤-٤) من ظ، و فى الأصل: الوحدة الكاملة (٥) زيد من ظ (٦) زيد فى الأصل. ولا يكاد، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

إلى [أن] نعمه لا انقضاء [لها -[1]] : ﴿ تبارك ﴾ قال ابن برجان : تفاعل من البركة ، و لايكاد يذكره جل ذكره إلا عند أمر معجب - انتهى ، و معناه ثبت ثباتا لايسع العقول جمع وصفه لكونه على / صيغة المفاعلة المفيدة لبذل الجهد إذا كانت ممن تمكن منازعته ، و ذلك مع اليمن و البركة و الإحسان . و لما كان تعظيم الاسم أقعد و أبلغ فى تعظيم المسمى قال : ﴿ اسم ربك ﴾ أى المحسن إليك بانزال هذا القرآن الذى جبلك على متابعته فصرت مظهرا له و صار خلقا لك فصار إحسانه إليك فوق الوصف ، ولذلك قال واصفا للرب فى قراءة الجمهور : ﴿ ذى الجلال ﴾ أى العظمة الباهرة فهو المنتقم من الأعداء ﴿ و الا كرام ع ﴾ أى الإحسان الذى لايمكن الإحاطة به فهو المتصف بالجمال الأقدس المقتضى لفيض الرحمة على جميع الأولياء ، و قراءة ابن عامر " ذو " [1]صفة للاسم ، و كذا هو فى مصاحف أهل الشام ، و الوصفان الأخيران من شبه الاحتباك لأنه حذف من الأول متعلق الصفة و هى النقمة للأعداء ، و من الثانى أثر الإكرام و هو الرحمة للأولياء ، فاثبات الصفة أولا يدل على حذف ضدها ثانيا ، و إثبات الفعل ثانيا يدل على حذف ضده أولا ، و قال الرازى [2]فى اللوامع[2] : كأنه يريد بالاسم الذى افتتح به السورة و قد انعطف [3]آخر السورة على أولها[3] على وجه أعم ، فيشمل الإكرام بتعليم القرآن و غيره و الانتقام بادخال النيران و غيرها - الله سبحانه و تعالى هو الموفق للصواب .

١٦٤ /

---

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ١٦١ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : اول السورة على آخرها .

سورة الواقعة[1]

مقصودها شرح[2] أحوال الأقسام الثلاثة المذكورة فى الرحمن للأولياء من السابقين و اللاحقين و الأعداء المشاققين[3] من المصارحين و المنافقين[4] من الثقلين للدلالة على تمام القدرة بالفعل بالاختيار الذى دل عليه آخر الرحمن باثبات الكمال [و - ٥] دل عليه آخر هذه بالتنزيه بالنفى لكل شىء به نقص ثم الإثبات بوصف العظمة بجميع الكمال من الجمال و الجلال ، و لو استوى الناس لم يكن ذلك من بليغ الحكمة ، فان استواءهم يكون شبهة لأهل الطبيعة ، و اسمها الواقعة دال على ذلك بتأمل آياته و ما يتعلق الظرف به ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الكمال كله ففاوت بين الناس فى الأحوال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة البيان و فاضل فى قبولها بين أهل الإدبار و اهل الإقبال ﴿ الرحيم ﴾ الذى أقبل[6] بأهل حزبه إلى[7] أهل قربه ففازوا بمحاسن الأقوال و الأفعال .

لما صنف سبحانه الناس [فى - ٥] تلك إلى ثلاثة أصناف : مجرمين و سابقين و لاحقين ، و ختم بعلة ذلك و هو أنه ذو الانتقام و الإكرام ، شرح احوالهم فى هذه السورة و بين الوقت الذى يظهر فيه

(١) السادسة و الخمسون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها (٩٦) عند الكوفيين و (٩٧) عند البصريين ، و (٩٩) عند المدنيين والمكى والشامى .
(٢) من ظ ، و فى الأصل : سر (٣) من ظ ، و فى الاصل : المنافقين .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : المشاققين (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : عم (٧) من ظ ، و فى الاصل : و .

إكرامه و انتقامه بما ذكر فى الرحمن غاية الظهور فقال بانيا على ما أرشده السياق إلى أن تقديره : يكون ذلك كله كونا يشترك فى علمه الخاص و العام : ﴿ اذا وقعت الواقعة ۝ ﴾ أى التى لابد من وقوعها و لا واقع يستحق أن يسمى الواقعة بلام الكمال و تاء المبالغة غيرها ، و هى النفخة الثانية التى يكون عنها البعث الأكبر / الذى هو القيامة الجامعة لجميع ١٦٥ / ٥ الخلق للحكم بينهم على الانفراد الظاهر الذى لامدعى للمشاركة فيه بوجه من الوجوه ، و يجوز أن يكون " إذا " منصوبا بالمحذوف لتذهب النفس فيه كل مذهب ، فيكون أهول[1] أى إذا وقعت كانت [2]أمور يضيق عنها[2] نطاق الحصر .

١٠ و لما كان هذا معناه الساعة التى أبرم القضاء بأنه لابد من كونها ، عبر عنه بانيا على مبتدأ محذوف فقال : ﴿ ليس لوقعتها ﴾ أى تحقق وجودها ﴿ كاذبة ۝ ﴾ [أى كذب [3]] فهى مصدر عبر عنه باسم الفاعل للمالغة بأنه ليس فى[4] أحوالها شىء يمكن أن ينسب[5] إليه كذب و لا يمشى فيها كذب أصلا و لا يقر عليه ، بل كل ما أخبر بمجيئه جاء من غير ١٥ أن يرده[6] شىء ، و كل ما أخبر بنفيه انتفى فلا يأتى به شىء ، و قرر عظمتها و حقق بعث الأمور فيها بقوله مخبرا عن مبتدأ محذوف : ﴿ خافضة ﴾ أى هى لمن يشاء الله خفضه[7] من عظماء أهل النار و غيرهم

(١) من ظ ، و فى الاصل : اهوال (٢ ـ ٢) من ظ ، و فى الاصل : اسرها و يضيق (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : من (٥) من ظ ، و فى الأصل : سبب (٦) من ظ ، و فى الأصل : يره (٧) من ظ ، و فى الأصل : الحفضة .

مما يشاءه من الجبال و غيرها إلى أسفل سافلين ﴿رافعة﴾ اى لضعفاء أهل الجنة و غيرهم من منازلهم و غيرها مما يشاءه إلى عليين، لا راد لأمره و لا معقب لحكمه . و لما كان فى هذا من الهول ما يقطع القلوب الواعية أكده بقوله و زاد ما يشاء منه أيضا بقوله مبدلا من الظرف الأول بعض ما يدخل فى الرفع و الخفض : ﴿اذا رجت الارض﴾ أى كلها على ٥ سعتها وثقلها بأيسر أمر ﴿رجا﴾ أى زلزلت زلزالا شديدا بعنف فانخفضت و ارتفعت ثم انتفضت بأهلها انتفاضا شديدا، قال البغوى[1] : و الرج فى اللغة التحريك . و لما ذكر حركتها المزعجة، أتبعها غايتها فقال : ﴿و بست الجبال﴾ أى إقتتت على صلابتها و عظمها بأدنى إشارة و خلط حجرها بترابها حتى صار شيئا واحدا، و صارت كالعهن المنفوش، و سيرت و كانت ١٠ تمر مرّ السحاب ﴿بسا فكانت﴾ أى بسبب ذلك ﴿هبآء﴾ غبارا [هو -[2]] فى غاية الانمحاق، و إلى شدة لطافته أشار بصيغة الانفعال فقال: ﴿منبثا﴾ أى منتشرا متفرقا بنفسه من غير حاجة إلى هواء يفرقه فهو كالذى يرى فى شعاع الشمس إذا دخل[3] فى كوة .

و لما ذكر غاية مبادئها المرجفه المرهبة، ذكر مبادئ غاياتها فقال: ١٥ ﴿و كنتم﴾ أى قسمتم بما كان فى جبلاتكم و طباعكم فى الدنيا ﴿ازواجا ثلثة﴾ أى أصنافا لا تكمل حكمة صنف منها إلا بكونها [قسمين -[1]] : أعلى و دونه، ليكون ذلك أدل على تمام القدرة و هم أصحاب الميمنة المنقسمين إلى سابقين و هم المقربون، و إلى لاحقين و هم

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٧/١٢ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: دخلت .

الأبرار أو أصحاب اليمين ، و كأنهم من أولى القلب الذى هو العدل السواء من أصحاب المشئمة إلى آخر أصحاب الميمنة فأصحاب السواء هم المقربون ، و بقية أصحاب الميمنة أصحاب اليمين ، و أصحاب المشئمة هم أصحاب القسم الثالث ، و كل من الثلاثة ينقسم إلى أعلى و دونه ، و قد تبينت الأقسام الثلاثة آخر السورة ، قال البيضاوى : و كل صنف يكون أو يذكر مع صنف آخر زوج . و لما قسمهم إلى ثلاثة / أقسام و فرع تقسيمهم ، ذكر أحوالهم و ابتدأ ذلك بالإعلام بأنه ليس الخبر كالخبر كما أنه ليس العين كالأثر فقال : ﴿ فأصحٰب الميمنة ﴾ أى جهة اليمين و موضعها و أعمالها ، ثم فخم أمرهم بالتعجيب من حالهم بقوله منبها على أنهم [أهل - [1]] لأن يسأل عنهم فيما يفهمه اليمين من الخير و البركة فكيف إذا عبر عنها بصيغة مبالغة فقال : ﴿ ما ﴾ و هو مبتدأ ثان ﴿ أصحٰب الميمنة ﴾ أى جهة اليمين و موضعها و أعمالها[2] ، و الجملة خبر عن الأولى ، و الرابط تكرار المبتدأ بلفظه . قال أبو حيان رحمه الله تعالى[3] : و أكثر ما يكون ذلك فى موضع التهويل و التعظيم .

/ ١٦٦

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم الإعذار فى السورتين المتقدمتين و التقرير على عظيم البراهين ، و أعلم فى آخر سورة القمر أن كل واقع فى العالم فبقضائه سبحانه و قدره "انا كل شىء خلقنٰه بقدر"

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : ثم فخم أمرهم بالتعجيب من حالهم بقوله منها على أنهم أهل لأن يسأل عنهم فيما يفهمه اليمين ، و هو تكرار فحذفناها .
(٣) راجع البحر المحيط ٨ / ٢٠١ .

و كل

"و كل شيء فعلوه فى الزبر" و اعلمهم سبحانه فى الواقعة بانقسامهم الأخروى فافتتح ذكر الساعة "اذا وقعت الواقعة" إلى قوله "و كنتم ازواجا ثلاثة" فتجردت هذه السورة للتعريف بأحوالهم الأخروية، و صدرت بذلك كما جرد فى هذه السورة قبل التعريف بحالهم فى هذه الدار، و ما انجر فى السور الثلاث جاريا على غير هـذا الأسلوب فبحكم استدعا الترغيب و الترهيب اصفا بالعباد و رحمة و مطالعها مبنية على ما ذكرته تصريحا لاتلويحا، و على الاستيفاء لا بالإشارة و الإيماء، و لهذا قال تعالى فى آخر القصص الأخراوية فى هذه السورة: "هذا نزلهم يوم الدين" فأخبر أن هذا حالهم يوم الجزاء و قد قدم حالهم الدنياوى فى السورتين قبل و تأكيد التعريف المتقدم فيما بعد، و ذلك[1] قوله "فاما ان كان من المقربين" إلى خاتمتها - انتهى.

و لما ذكر الناجين بقسميهم، أتبعهم أضدادهم فقال: ﴿و اصحٰب المشئمة﴾ أى جهة الشؤم و موضعها و أعمالها، ثم عظم ذنبهم فقال: ﴿ما اصحٰب المشئمة﴾ أى لأنهم أهل لأن يسأل عما أصابهم من الشؤم و الشر و السوء بعظيم قدرته التى ساقتهم إلى ما وصلوا إليه من الجزاء الذى لا يفعله بنفسه عاقل بل و لا بهيمة مع ما ركب فيهم من العقول الصحيحة و الأفكار العظيمة و صان الأولين عن خذلان هؤلاء فأوصلهم إلى النعيم المقيم.

و لما ذكر القسمين، و كان كل منهما قسمين، ذكر أعلى أهل

(١) من ظ، و فى الأصل: ذكر.

القسم الأول ترغيبا فى أحسن حالهم و لم يقسم أهل المشئمة ترهيبا من سوء مآلهم فقال: ﴿ و السبقون ﴾ أى إلى أعمال الطاعة أصحاب الجنتين الأولين فى الرحمن و هم أصحاب القلب ﴿السبقون ۝﴾ أى هم الذين يستحقون الوصف بالسبق لا غيرهم لأنه منزلة أعلى من منزلتهم فلذلك سبقوا إلى منزلتهم و هى جنتهم و هم قسمان كما يأتى عن الرازى، و عن المهدوى ان النبى صلى الله عليه و سلم قال: السابقون الذين إذا أعطوا الحق قبلوه و إذا / سئلوه بذلوه و حكموا للناس كحكمهم لأنفسهم. / ١٦٧

و لما بين علو شأنهم و نسب السبق إليهم، ترجمه نازعا للفعل منهم بقوله: ﴿ اولـٰئك ﴾ أى العالو الرتبة جدا من [1]الذين هم[1] أصحاب الميمنة ﴿المقربون ۝﴾ أى الذين اصطفاهم الله تعالى للسبق فأرادهم لقربه أو[2] أنعم عليهم [بقربه -[3]] و لو لا فعله فى تقريبهم لم يكونوا سابقين، قال الرازى فى اللوامع: المقربون تخلصوا من نفوسهم فأعمالهم كلها لله دينا و دنيا من حق الله و حق الناس، و كلاهما عندهم حق الله، و الدنيا عندهم آخرتهم لأنهم يراقبون ما يبدو لهم من ملكوته فيتلقونه بالرضا و الانقياد، و هم صنفان، فصنف قلوبهم فى جلاله و عظمته هائمة قد ملكتهم[4] هيبتهم فالحق يستعملهم، و صنف آخر قد أرخى[5] من عنانه، فالأمر عليه أسهل لأنه [قد -[3]] جاور بقلبه هذه الحطة و محله أعلى فهو أمين الله فى أرضه، فيكون الأمر عليه أسهل لأنه قد جاور - انتهى. ثم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: «و» (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: ملكهم (٥) من ظ، و فى الأصل: رجا.

[بين - [1]] تقريبه لهم بقوله : ﴿ فى جنّٰت النعيم ۝ ﴾ أى الذى لا نعيم غيره لأنه لا كدر فيه بوجه و لا منغص ، و الصنف الآخر منهم المتقربون و المتشاققون من أصحاب المشئمة ، أولئك المغضوب عليهم المبعودون ، و من دونهم الضالون البعيدون و هم أصحاب الشمال .

و لما ذكر السابقين فصلهم فقال : ﴿ ثلة ﴾ أى جماعة كثيرة حسنة ، و قال البغوى[2] : و الثلة جماعة غير محصورة العدد ، ﴿ من الاولين ۝ ﴾ و هم الأنبياء الماضون عليهم الصلاة و السلام ، و من آمن بهم من غير واسطة رضى الله عنهم ﴿ و قليل من الأخرين ۝ ﴾ و هم من آمن بمحمد - عليه الصلاة و السلام - كذلك بغير واسطة رضى الله عنهم ، فقد كان الأنبياء عليهم الصلاة و السلام مائة ألف و نيفا و عشرين ألفا ، و كان من خرج مع موسى عليه السلام من مصر و هم من آمن به من الرجال المقاتلين ممن هو فوق العشرين و دون الثمانين و هم ستمائة ألف فما ظنك[3] بمن عداهم من الشيوخ و من دون العشرين من التابعين و الصبيان و من النساء ، فكيف بمن عداه من سائر النبيين عليهم الصلاة و السلام المجددين من بنى إسرائيل و غيرهم ، و قيل : الثلة و القليل كلاهما من هذه الأمة ، رواه الطبرانى و ابن عدى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، و فيه أبان بن أبى عياش و هو متروك و رواه إسحاق بن راهويه و مسدد بن مسرهد و أبو داود الطيالسى و إبراهيم الحربى و الطبرانى[4] من رواية على بن زيد

(١) زيد من ظ (٢) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ١٣ (٣) من ظ ، و فى الأصل : تان (٤ راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٨٨ .

و هو ضعيف عن عقبة بن صهبان عن أبي بكرة رضى الله عنه مرفوعا و موقوفا ، و الموقوف أولى بالصواب ، و تطبيقه على هذه الأمة سواء كان مرفوعا أو موقوفا صحيح لا غبار عليه ، فتكون الصحابة رضى الله عنهم كلهم من هذه الثلة و كذا من تبعهم باحسان إلى رأس القرن الثالث

٥ و هم لا يحصيهم إلا الله تعالى ، [و ـ[1]] من المعلوم أنه تناقص الأمر بعد ذلك إلى أن صار / السابق فى الناس أقل من القليل لرجوع الإسلام [إلى الحال ـ[1]] الذى بدأ عليها من الغربة " بدأ الإسلام غريبا و سيكون غريبا فطوبى للغرباء " و يجوز أن يقدر أيضا : [و ـ[1]] ثلة ـ أى جماعة كثيرة هلكى ـ من الأولين ، وهم المعاندون من الأمم الماضين ، و قليل من

١٦٨ /

١٠ الآخرين ـ و هم المعاندون من هذه الأمة .

و لما ذكر السابقين فى الخير [بصنفيهم مشيرا إلى السابقين فى الشر ـ[1]] بصنفيهم ، ذكر جزاء أهل الخير ليعلم منه جزاء أولئك ، فقال مبينا أنهم ملوك لكن ملكهم لاينافس [فيه ـ[1]] و لا يحاسد ، بل هو كله يقابل بالوداد و الصفاء ﴿ على سرر ﴾ و هو ما يسر الإنسان من المقاعد

١٥ العالية المصنوعة للراحة و الكرامة التى هى آية الملك و هو العرش ﴿ موضونة ﴾ أى منسوجة نسجا مضاعفا منضودة داخلا[2] بعضها فى بعض مقارب النسج معجبا كالدرع لكن نسجها بالذهب مفصلا بالجوهر من الدر و الياقوت .

و لما ذكر السرر و بين عظمتها ، ذكر غايتها فقال : ﴿ متكئين ﴾

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : داخل .

أى متكئين هيئة المتربع أو غيرها من الجنب أو غيرها ﴿ عليها ﴾ و لما كان الجمع إذا كثر كان ظهور بعض أهله إلى بعض ، أعلم أن جموع أهل الجنة على غير ذلك فقال : ﴿ متقبلين ٥ ﴾ فلا بعد و لا مدابرة لاينظر بعضهم إلى قفا بعض و لايكره بعضهم بعضا .

و لما كان المتكئ قد يصعب عليه القيام لحاجته قال : ﴿ يطوف عليهم ﴾ ٥ أى لكفاية كل ما يحتاجون إليه ﴿ ولدان ﴾ على أحسن صورة و زى و هيئة ﴿ مخلدون ٥ ﴾ قد حكم الله ببقائهم على ما هم عليه من الهيئة ، قال البغوى[1] : تقول العرب لمن كبر و لمن شمط : إنه مخلد ، قال : قال الحسن : هم أولاد أهل الدنيا ، لم يكن لهم حسنات يثابون[2] عليها و لا سيئات يعاقبون عليها لأن الجنة لا ولادة فيها ، فهم خدام أهل الجنة . ١٠

و لما كان مدخهم هذا فى غاية الإبلاغ مع الإيجاز ، وكان فيه - إلى تبليغ ما لهم - تحريك إلى مثل أعمالهم ، وكان الأكل الذى هو من أعظم المآرب مشارا إليه بالمدح العظيم الذى[3] من جملته الاستراحة على الأسرة التى علم أن من عادة الملوك أنهم لايتسنمونها إلا بعد قضاء الوطر منه فلم يبق بعده إلا ما تدعو الحاجة إليه من المشارب و ما يتبعها قال ١٥ تعالى : ﴿ باكواب ﴾ أى كيزان مستديرة الأفواه بلا عرى و لا خراطيم لايعوق الشارب منها عائق عن الشرب من أى موضع أراد منها فلا يحتاج أن يحول الإناء إلى الحالة التى تناوله عنها ليشرب ، و يمكن أن تكون

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ١٤ (٢) من ظ ، و فى الأصل : يتاهبون .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : التى .

البدأة بالشراب لما نالوا من المتاعب من العطش كما لمن يشرب من الحوض فيكون حينئذ قبل الأكل و الله أعلم ﴿ و اباريق ﴾ أى أوانى لها عرى و خراطيم فيها من أنواع المشارب ما تشتهى الأنفس و تلذ الأعين ﴿ وكاس ﴾ أى إناء معد للشرب فيه و الشراب نفسه .

٥ و لما كان الشراب عاما بينه بقوله : ﴿ من معين ﴾ أى خمر جارية صافية صفاء الماء ليس يتكلف عصرها بل ينبع كما ينبع الماء . و لما أثبت نفعها و ما يشوق إليها ، نفى ما ينفر عنها فقال : ﴿ لايصدعون ﴾ / أى تصدعا يوجب المجاوزة ﴿ عنها ﴾ أى بوجع فى الرأس و لا تفرق الملالة ﴿ و لاينزفون ﴾ أى يذهب بعقولهم بوجه من الوجوه أى يصرع ١٦٩ /

١٠ شرابهم ، من نزفت البئر ـ إذا نزح ماؤها كله ، و نزف فلان : ذهب عقله أو سكر ، و بنى الفعلان للمجهول لأنه لم تدع حاجة إلى معرفة الفاعل ، و قال الرازى فى اللوامع : قال الصادق : لاتذهل[1] عقولهم عن موارد الحقائق عليهم و لايغيبون عن مجالس المشاهدة بحال .

و لما بدأ بالألذ الهاضم للأكل ، تلاه بما يليه مما يدعو إليه الهضم

١٥ تصريحا به بعد التلويح فقال : ﴿ و فاكهة مما يتخيرون ﴾ أى هو فيها بحيث لو كان فيها جيد و غيره و اختاروا وبالغوا فى التنقية لكان مما يقع التخير عليه ، و لما ذكر ما جرت[2] العادة بتناوله لمجرد اللذة ، أتبعه ما العادة انه لإقامة البنية و إن كان هناك لمجرد اللذة أيضا فقال :

(١) من ظ ، و فى الأصل : لا يذهب (٢) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

﴿ و لحم طير ﴾ و لما كان فى لحم الطير مما يرغب عنه ، احترز عنه بقوله : ﴿ مما يشتهون ﴾ أى غاية الشهوة بحيث يجدون لآخره من اللذة [1]ما لأوله[1] .

و لما كان لم يكن بعد الأكل و الشرب أشهى من الجماع ، قال عاطفا على "و لدان" : ﴿ و حور عين ﴾ أى يطفن عليهم ، و جره حمزة و الكسائى[2] عطفا على "سرر فان النساء فى معنى الاتكاء لأنهن يسمين فراشا . و لما كان المثل فى الأصل الشىء نفسه كما مضى فى الشورى قال : ﴿ كامثال ﴾ أى مثل أشخاص ﴿ اللؤلؤ المكنون ﴾ أى المصون فى الصدف عما قد يدنسه .

و لما أبلغ فى وصف جزائهم بالحسن و الصفاء ، دل على أن أعمالهم كانت كذلك لأن الجزاء من جنس العمل فقال تعالى : ﴿ جزآء ﴾ أى فعل لهم ذلك لأجل الجزاء ﴿ بما كانوا ﴾ جبلة و طبعا ﴿ يعملون ﴾ أى يجددون عمله على جهة الاستمرار .

ولما أثبت لها الكمال و جعله لهم ، نفى عنها النقص فقال : ﴿ لا يسمعون ﴾ أى على حال من الأحوال ﴿ فيها لغوا ﴾ أى شيئا مما لا ينفع فان انكأ... بالسميع الحكيم ذلك ، و اللغو : الساقط ﴿ و لا تأثيما ﴾ أى ما[3] يحصل به الإثم أو النسبة إلى الإثم ، بل حركاتهم و سكناتهم [كلها - [4]] رضى الله ، و ما قطع قلوب السائرين إلى الله إلا هاتان الخصلتان بينا أحدهم

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : ما لا يجدون لآخره (٢) راجع نثر المرجان ٧/١٦٨ .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : مما (٤) زيد من ظ .

يبنى ما ينفعه مجتهدا فى البناء إذ هو قد غلبه طبعه فهدم أكثر ما بنى ، و بينا هو يظن أنه قد قرب إذا هو[1] تحقق بمثل ذلك أنه قد بعد ، نزحت داره وشط مزاره ، فالله المستعان .

و لما كان الاستثنا ، معيار (؟) العموم ، ساق بصورة الاستثناء قوله :

٥ ﴿ الا قيلا ﴾ أى هو فى غاية اللطافة و الرقة بما دل عليه المبنى على ما قبلها محاسن مع ما تدل عليه مادة قولة . و لما تشوف السامع إليه بالتعبير بما ذكر ، بينه بقوله : ﴿ سلاما ﴾ و دل على دوامه بتكريره فقال : ﴿ سلاما ﴾ أى لايخطر فى النفس و لا يظهر فى الحس منهم قول إلا دالا على السلامة لأنه لاعطب فيها أصلا ، [و - [2]] ساقه مساق

١٠ الاستثناء المتصل دلالة على أنه إن كان فيها لغو فهو ذلك حسب ، و هو ما يؤمنهم و ينعمهم و يبشرهم مع انه دال على حسن العشرة و جميل الصحبة و تهذيب / الأخلاق و صفاء المودة . / ١٧٠

و لما أتم سبحانه القسم الأول القلى السواى المولى من الثلاثة بقسميه ، و ذكر فى جزائه بما لأصحاب المدن ما لا يمكنهم الوصول إليه ،

١٥ عطف عليه الثانى الذى هو دونه لذلك و هم و الله أعلم الأبرار و هم أيضا صنفان ، و ذكر فى جزائهم من جنس ما لأهل البوادى أنهى ما يتصورونه و يتمنونه فقال : ﴿ و اصحٰب اليمين ﴾ ثم فخم أمرهم و أعلى مدحهم لتعظيم جزائهم ، و الإشارة[3] إلى أنهم أهل لأن يسأل عن حالهم فانهم فى غاية الإعجاب فقال : ﴿ ما اصحٰب اليمين ﴾ و لما عبر عنهم بما

(١) من ظ ، و فى الأصل : قد (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى . الأصل : اشارة .

أفهم

أفهم أنهم أولو القوة و الجد فى الأعمال ، و البركة فى جميع الأحوال ، ذكر عيشهم بادئا بالفاكهة لأن عيش الجنة كله تفكه ، ذاكرا منها ما ينبت فى بلاد العرب من غير كلفة بغرس و لا خدمة ، و أشار إلى كثرة ما يذكره بأن جعله ظرفهم ، فقال من غير ذكر لسرير الملك الذى حبا به المقربين من الملك ، و لم يزد على ذلك المأكول و ما معه بما يتصور للبهائم : ٥ ﴿ فى سدر ﴾ أى شجر نبق متدلى الأغصان من شدة حمله ، من سدر الشعر - إذا سدله ﴿ مخضود ﴾ أى هو مع أنه لاشوك له و لاعجم بحيث تثنى أغصانه من شدة الحمل ، من خضد الشوك : قطعه ، و الغصن : ثناه و هو رطب ، و فى ذكر هذا[1] تنبيه على أن كل ما لانفع فيه أو فيه نوع أذى له فى الجنة وجود كريم لأن الجنة إنما خلقت للنعيم . ١٠

و لما ذكر ما يطلع فى الجبال و الأماكن المعطشة و الرمال ، اتبعه ما لايطلع إلا على المياه دلالة على أن أماكنهم فى غاية السهولة و الرى فقال : ﴿ و طلح ﴾ أى شجر موز أو نخل ، و قال الحسن : شجر له ظل بارد طيب ، الرائحة [و قال الفراء و أبو عبيدة : شجر عظام لها شوك ، و قيل : هو أم غيلان ، و له نور كثير -] ، و يحكى عن أبى تراب النخشبى ١٥ أنه كان سائرا مع قوم من الصوفية على قدم التوكل ، فجاعوا أياما فقال : أتريدون ان تأكلوا ، قالوا : نعم ، فضرب بيده على شجرة أم غيلان فاذا عليها عراجين موز ، فأكلوا إلا شابا منهم ، فقال : لا آكل

(١) من ظ ، و فى الأصل : ذلك هذا (١) زيد من ظ .

و لا أصحبك بعدها ، لأنى كنت أسير بلا معلوم ، و قد صرت أنت الآن معلومى ، كلما جعت التفتت نفسى إليك . ﴿منضود ۝﴾ اى منظوم بالحمل من أعلاه إلى أسفله متراكم يتراكب بعضه على بعض على ترتيب هو فى غاية الإعجاب ، قال فى القاموس : الطلح : شجر عظيم ، و الطلع : و الموز ، ٥ و الطلع من النخل : شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان و الحمل بينهما منضود ، و الطرف محدد . أو ما يبدو من ثمرته أول ظهورها .

و لما ذكر ما لا يكون إلا فى البلاد الحارة قال : ﴿ و ظل ممدود ۝ ﴾ أى مستوعب للزمان و المكان فهو دائم الاستمداد كما بين الإسفار و طلوع الشمس لافناء له و لانهاية . و لما كان ما ذكر من الرى لا يستلزم ١٠ الجرى[٢] قال : ﴿ و ماء مسكوب ۝﴾ أى جار فى منازلهم من غير أخدود و لا يحتاجون فيه إلى جلب من الأماكن البعيدة ، و لا الإدلاء فى بئر كما لأهل البوادى .

و لما ذكر ما تقدم ، عم بقوله : ﴿ و فاكهة كثيرة ۝﴾ أى اجناسها و أنواعها و أشخاصها . و لما كانت لا تكون عندنا إلا فى أوقات يسيرة ، ١٥ بين أن أمر الجنة على غير ذلك فقال : ﴿ لامقطوعة ﴾ و لما كانت فى الدنيا قد يعز التوصل إليها مع وجودها لشيء من الأشياء أقله صعود الشجرة أو التحجز / بجدار أو غيره قال : ﴿و لاممنوعة ۝﴾ و لما كان التفكه ١٧١/ لا يكمل الالتذاذ به إلا مع الراحة قال : ﴿ و فرش مرفوعة ۝﴾ أى هى رفيعة القدر و عالية بالفعل لكثرة الحشو و لتراكم بعضها على بعض

(١) من ظ ، و فى الأصل : الحبر .

و لأنها على السرر ، و روى البغوى[1] من طريق النسائى عن أبى سعيد و أبى هريرة رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : ارتفاعها كما بين السماء و الأرض مسيرة خمسمائة عام .

و لما كانت النساء يسمين فرشا ، قال تعالى معيدا للضمير على غير ما يتبادر إليه الذهن من الظاهر على طريق الاستخدام مؤكدا لأجل ٥ إنكار من ينكر البعث : ﴿ انآ ﴾ أى بما لنا من [2]القدرة و[2] العظمة التى لايتعاظمها شىء ﴿ انشا نهن ﴾ أى الفرش التى معناها النساء من أهل الدنيا بعد الموت و لو عن الهرم و [3]العجز بالبعث[3]، و زاد فى التأكيد فقال : ﴿ انشآءً ﴾ أى من غير ولادة ، بل جمعناهن[4] من التراب كما فعلنا فى سائر المكلفين ليكونوا كأبيهم آدم عليه الصلاة و السلام فى خلقه من ١٠ تراب ، فتكون الإعادة كالبداءة ، و لذلك يكون الكل عند دخول الجنة على شكله عليه الصلاة و السلام ، و يجوز أن [5]يكون المراد[5] بهن الحور العين فيكون إنشاءا مبتدعا لم يسبق له وجود .

و لما كان للنفس أتم التفات إلى الاختصاص ، و كان الأصل فى الأنثى المنشأة أن تكون بكرا ، نبه على أن المراد بكارة لاتزول إلا حال ١٥ الوطئ ثم تعود ، فكلما عاد إليها وجدها بكرا ، فقال : ﴿ فجعلنهن ﴾ أى الفرش الثيبات و غيرهن بعظمتنا المحيطة بكل شىء ﴿ ابكارا ﴾ أى

(١) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٧ / ١٥ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣ - ٣) من ظ ، و فى الأصل : للبعث بالعجز (٤) من ظ ، و فى الأصل : جعلناهن (٥ - ٥) فى ظ : يراد .

بكارة دائمة لأنه لاتغيير فى الجنة و لا نقص .

و لما كان مما[1] جرت به العادة أن البكر تتضرر من الزوج لما يلحقها من الوجع بازالة البكارة، دل [على] أنه لا نكد هناك أصلا بوجع و لا غيره بقوله : ﴿ عربا ﴾ جمع عروب ، و هى الغنجة المتحببة إلى زوجها ، ٥ قال الرازى فى اللوامع : الفطنة بمراد الزوج كفطنة العرب . و لما كان الاتفاق فى السن أدعى إلى المحبة و مزيد الألفة قال : ﴿ اترابا ﴾ أى على سن واحدة و قد واحد ، بنات ثلاث و ثلاثين [سنة - [2]] و كذا أزواجهن . قال الرازى فى اللوامع : أخذ من لعب الصبيان بالتراب - انتهى ، و روى البغوى[3] من طريق عبد بن حميد عن الحسن : قال أتت عجوز[4] ١٠ النبي صلى الله عليه و سلم فقال : يا رسول الله ! ادع [5]الله أن يدخلنى[5] الجنة ، فقال : يا أم فلان ! [إن -[6]] الجنة لاتدخلها عجوز ، فولت تبكى ، قال : أخبروها أنها لاتدخلها و هى عجوز ، إن الله تعالى يقول : إنا انشاناهن ، الآية ، رواه الترمذى عنه فى الشمائل هكذا مرسلا ، و رواه البيهقى فى كتاب البعث عن عائشة رضى الله عنها و الطبرانى فى الأوسط من وجه ١٥ عنها ، و من وجه آخر عن أنس رضى الله عنه ، قال شيخنا حافظ عصره ابن حجر : و كل طرقه ضعيفة ، و روى البغوى[3] أيضا من طريق الثعلبى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم فى هذه الآية

(١) من ظ ، و فى الاصل : ما (٢) زيد من ظ (٣) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ١٦ (٤) زيد فى الأصل : إلى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و المعالم فحذفناها . (٥-٥) من ظ و المعالم ، و فى الأصل : الى ان أدخل (٦) زيد من المعالم .

قال: عجائزكن فى الدنيا عمشا رمصا فجعلهن أبكارا .

و لما كان هذا الوصف البديع مقتضيا لما يزدهى [عنه - ١] النفس لأن يقال : لمن هؤلاء؟ و إن كان قد علم قبل ذلك، نبه عليه بقوله تعالى : ﴿ لاصحٰب اليمين ط ﴾ و يجوز أن يتعلق بـ "أترابا" نصا على أنهن فى أسنان أزواجهن[٢] . ٥

/ و لما أنهى وصف ما فيه أهل هذا الصنف على أنهى ما يكون لأهل البادية بعد أن وصف ما للسابقين بأعلى ما يمكن أن يكون لأهل الحاضرة، و كان قد قدم المقايسة فى السابقين بين الأولين و الآخرين، فعل هنا كذلك فقال: ﴿ ثلة من الاولين لا ﴾ أى من أصحاب اليمين ﴿ و ثلة ﴾ أى منهم ﴿ من الأخرين ط ﴾ فلم يبين فيهم قلة و لا كثرة، ١٠ و الظاهر أن الآخرين أكثر، فان وصف الأولين بالكثرة لاينافى كون غيرهم أكثر ليتفق مع قول النبى صلى الله عليه و سلم : إن هذه الأمة ثلثا أهل الجنة، فانهم عشرون و مائة صف، هذه الأمة منهم ثمانون صفا .

و لما أتم وصف ما فيه الصنفان المحمودان، و به تمت أقسام أصحاب ١٥ الميمنة الأربعة الذين هم أصحاب القلب و البين، أتبعه أضدادهم فقال : ﴿ و اصحٰب الشمال ط ﴾ أى الجهة التى تتشاءم العرب بها و عبر بها عن الشىء الأخس و الحظ الأنقص[٣]، و الظاهر أنهم أدنى أصحاب المشأمة كما

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ازواج (٣) من ظ ، و فى الأصل : الأنفس .

كان أصحاب اليمين دون السابقين من اصحاب الميمنة ، ثم عظم ذمهم و مصابهم فقال : ﴿ ما أصحب الشمال ﴾ [أى -[1]] إنهم بحال من الشوم [2]هو جدير[2] بأن يسأل عنه[3]. و لما ذمهم و عابهم ، ذكر عذابهم ليعلم أن القسم الأشد منهم فى الشؤم أشد عذابا فقال : ﴿ فى سموم ﴾ أى ظرفهم المحيط بهم لفح من لفح النار شديد ينخلل[4] المسام ﴿ و حميم ﴾ أى ماء حار بالغ فى الحرارة إلى حد يذيب اللحم .

و لما كان للتهكم فى القلب من شديد الوقد ما يجل عن الوصف و الحد قال : ﴿ و ظل ﴾ ثم أتبعه ما صرح بأنه تهكم فقال : ﴿ من يحموم ﴾ أى دخان أسود كالحم أى الفحم شديد السواد بما أفهمته الزيادة و شبه صيغة المبالغة . و لما كان المعهود من الظل البرد و الإراحة ، نفى [5]ذلك عنه[5] فقال : ﴿ لا بارد ﴾ ليروح النفس ﴿ و لا كريم ﴾ ليؤنس به و يلجأ إليه و يرجى خيره[6] و يعول فى حال عليه بأن يفعل ما يفعله الواسع الخلق الصفوح من الإكرام ، بل هو مهين ، سماه ظلا لترتاح النفس إليه ثم نفى عنه نفع الظل و بركته لينضم حرقان : الياس بعد الرجاء إلى إحراق اليحموم فتصير الغصة غصتين .

و لما أنتج هذا أنه على خلق اللئيم فهو موضع الحرارة و الضيق و الخسة و الشدة ، علله بقوله : ﴿ انهم ﴾ أكده و إن كان فيهم أهل

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) من ظ ، و فى الأصل : هم جديرون (٣) من ظ ، و فى الأصل : عنهم (٤) من ظ ، و فى الأصل : متحلل (٥ - ٥) من ظ ، و فى الأصل : عن ذلك (٦) من ظ ، و فى الأصل : غيره .

الضر لاجتماعهم فى الاسترواح إلى منابذة الدين باتباع الشهوات، و لأن ما مضى لهم بالنسبة إلى هذا العذاب حال ناعم، و عبر بالكون دلالة على العراقة فى ذلك و لو بتهيؤهم له جبلة و طبعا فقال: ﴿ كانوا ﴾ أى فى الدنيا. و لما كان ذلك ملازما للاستغراق فى الزمان بميل الطباع، نزع الجار فقال: ﴿ قبل ذلك ﴾ اى الأمر العظيم [الذى -١] وصلوا ٥ إليه ﴿مترفين ۝﴾ أى فى سعة من العيش منهمكين فى الشهوات مستمتعين بها متمكنين فيها لترامى طباعهم إليها فأعقبهم ما فى جبلاتهم من الإخلاد إلى الترف عدم الاعتبار و الاتعاظ فى الدنيا و التكبر على الدعاة إلى الله، و فى الآخرة شدة الألم لرقة أجسامهم المهيئة للترف بتعودها بالراحة باخلادها إليها و تعويلها عليها ﴿ و كانوا ﴾ أى مع الترف ١٠ ﴿ يصرون ﴾ أى يقيمون و يدومون[٢] على سبيل التجديد مما لهم من الميل الجبلى إلى ذلك ﴿ على الحنث ﴾ أى الذنب / ، و منه قولهم: بلغ الغلام الحنث، أى الحلم الذى هو وقت المؤاخذة بالذنب، و يطلق الحنث على الكذب و الميل إلى الأباطيل و اليمين الغموس و نقض العهد المؤكد. / ١٧٣

و لما كان ذلك قد يكون من[٣] المعهود مما يغتفر بكونه صغيرا ١٥ أو فى وقت يسير قال: ﴿ العظيم ۝ ﴾ دالا على أنهم يستهينون العظائم من القبائح و الفواحش.

و لما وصفهم بالترف و الإصرار على السرف، و كان ذلك يلازم

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: يدعون (٣) من ظ، و فى الاصل: فى.

البطالة ، و كان يلزم عنها الغباوة و الفساد الموجب للشقاوة ، ذكر إنكارهم لما لا أبين منه ، فقال عاطفا على ما أفهمه التعبير عن الإثم بالحنث [من نحو - [1]]: فكانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم انهم لايبعثون و أن الرسل كاذبون : ﴿ و كانوا يقولون ۝ ﴾ أى إنكارا مجددين لذلك دائما ٥ جلافة أو عنادا : ﴿ ائذا ﴾ أى أنبعث إذا ، و حذف العامل لدلالة "مبعوثون" عليه ، و لا يعمل هو لأن الاستفهام و حرف التأكيد اللذين لهما الصدر منعاه ﴿ متنا ﴾ أى فلم يبق فى رد أرواحنا طب بوجه ﴿ وكنا ﴾ أى كونا ثابتا ﴿ ترابا و عظاما ﴾ و لما كان استفهامهم هذا لإنكار ان يكون فى شىء من إقامة أبدانهم أو رد أرواحهم طب ، أعاد[2] الاستفهام ١٠ تأكيدا لإنكارهم فقال: ﴿ ءانا لمبعوثون ۝ ﴾ أى كائن و ثابت بعثنا ساعة من الدهر ، و أكدوا ليكون إنكارهم لما دون المؤكد بطريق الأولى .

و لما كانت أفهامهم واقفة مع المحسوسات لجمودهم . و كان البلى كلما كان أقوى كان ذلك البالى فى زعمهم من البعث أبعد ، قالوا مخرجين فى جمله فعلية عطفا على الواو من "معبوثون" من غير تأكيد بضمير ١٥ الفصل بالاستفهام : ﴿ او ءابآونا ﴾ أى يبعث أباؤنا أى يوجد بعثهم من حين ، و زادوا الاستبعاد على ما أفهموا بقولهم : ﴿ الاولون ۝ ﴾ أى الذين قد بليت مع لحومهم عظامهم ، فصاروا كلهم ترابا و لاسيما إن حملتهم السيول ففرقت ترابهم فى كل أوب ، و ذهبت به فى كل صوب ، و سكن نافع و ابن عامر الواو على أن العاطف "أو" و يجوز أن

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ : اعادوا .

يكون

يكون العطف على محل "ان" و اسمها .

و لما كانوا فى غاية الجلافة، رد إنكارهم باثبات ما نفوه، و زادهم الإخبار باهانتهم ثم دل على صحة ذلك بالدليل العقلى لمن يفهمه، فقال مخاطبا لأعلى الخلق و أوقفهم به لأن هذا المقام لايذوقه حق ذوقه إلا هو كما أنه لايقوم بتقريره لهم و الرفق بهم [إلا هو]: ﴿قل﴾ أى لهم و لكل من كان مثلهم، و أكد لإنكارهم: ﴿ ان الاولين ﴾ الذين جعلتم الاستبعاد فيهم أوليا، و نص على الاستغراق بقوله: ﴿ و الأخرين ۝ ﴾ و دل على سهولة بعثهم و أنه فى غاية الثبات، منبها على أن نقلهم بالموت و البلى تحصيل لاتفويت: ﴿لمجموعون ۝﴾ بصيغة اسم المفعول، فى المكان الذى يكون فيه الحساب . و لما كان جمعهم بالتدريج، عبر بالغاية فقال: ﴿ الى ميقات ﴾ أى زمان و مكان ﴿ يوم معلوم ۝ ﴾ أى معين عند الله، ومن شأنه أن يعلم بما عنده من الأمارات، و الميقات: ما وقت به الشىء من زمان أو مكان أى حد .

و لما كان زمان البعث متراخيا عن نزول القرآن، عبر بأداته و أكد لأجل إنكارهم فقال: ﴿ ثم ﴾ أى بعد البعث بعد الجمع المدرج ﴿ انكم ﴾ / و أيد ما فهمه من أصحاب الشمال هم القسم الأدنى من أصحاب المشأمة فقال: ﴿ ايها الضآلون ﴾ أى الذين غلبت عليهم الغباوة فهم لايفهمون، ثم أتبع ذلك ما أوجب الحكم عليهم بالضلال فقال: ﴿ المكذبون ۝ ﴾ أى تكذيبا ناشئا عن الضلال و التقيد بما لايكذب

به[1] إلا عريق فى التكذيب بالصدق ﴿ لآكلون من شجر﴾ منبته النار .
و لما كان الشجر معدن الثمار الشهية[2] كالسدر و الطلح ، بينه بقوله :
﴿من زقوم﴾[3] أى شىء هو فى غاية الكراهة و البشاعة فى المنظر و نتن
الرائحة و الأذى ، قال أبو عبد الله القزاز فى ديوانه الجامع و عبد الحق
٥ فى واعيه : الزقم[3] : شوب اللبن و الإفراط فيه ، يقال : بات يزقم اللبن
زقما ، و من هذا الزقوم الذى ذكره الله[4] تبارك و تعالى ، و قالا : قال
أبو حنيفة : الزقوم شجرة غبراء صغيرة [الورق -[5]] لا شوك لها زفرة لها
كعابر فى رؤسها و لها ورد تجرشه النحل ، و نورها أبيض و رأس ورقها
قبيح جدا ، وهى مرعى ، و منابتها السهل ، و قال فى القاموس : فى الدفر
١٠ بالدال المهملة ، الدفر - بالتحريك : وقوع الدود فى الطعام و الذل
و النتن ، و يسكن ، و قال فى المعجمة : الذفر - محركة : شدة ذكاء[6] الريح كالذفرة
أو يخص[7] برائحة الإبط المنتن ، و النتن و ماء الفحل ، و الذفراء من الكتائب :
السهكة من الحديد ، و الكعبرة بضمتين و عين وراء مهملتين : عقدة أنبوب
الزرع ، و عن السهيلى ان أبا حنيفة ذكر فى النبات أن شجرة باليمن
١٥ يقال لها الزقوم لا ورق لها ، و فروعها أشبه شىء برؤس الحيات ، و قال
البيضاوى : شجرة صغيرة الورق دفرة مرة تكون بتهامة ، و فى القاموس :
و الزقة : الطاعون ، و قال فى النهاية : فعول من الزقم : اللقم الشديد

(١) من ظ و فى الأصل : فيه (٢) من ظ ، و فى الاصل : المشبهة (٣) من ظ ،
و فى الأصل : الزقوم (٤) من ظ ، و فى الأصل : ذكر (٥) زيد من ظ .
(٦) من ظ ، و فى الأصل : ذكاة (٧) فى القاموس : يخصان .

و الشرب المفرط ، و قال ابن القطاع[1] : زقم زقما : بلع ، و قد علم من [مجموع - [2]] هذا الكلام تفسيره بالطاعون تارة و الشرب المفرط أخرى ، و من الاشتراط و الشجرة المنتنة و البشعة المنظر أنه شيء كريه يضطر آكله إلى التملؤ منه بنهمة و همة عظيمة ، و من المعلوم أن الحامل له على هذا مع هذه الكراهة لا يكون إلا فى أعلى طبقات ٥ الكراهة ، و لذلك حسن جدا [موقع - [2]] قوله مسببا عن الأكل : ﴿ فمالئون ﴾ أى ملئا هو فى غاية الثبات و أنتم فى غاية الإقبال عليه [مع ما هو عليه - [2]] من عظيم الكراهة ﴿ منها ﴾ أى الشجر ، أنثه لأنه جمع شجر أو[3] هو اسم جنس ، و هم يكرهون الإناث فتأنيثه - و الله أعلم - زيادة [فى - [2]] تنفيرهم منه ﴿ البطون ج ﴾ أى لشيء عجيب يضطركم إلى ١٠ تناول هذا الكريه مما هو أشد منه كراهة بطبقات من جوع أو غيره ، و إن فسرت بما قالوا [من - [2]] أنه معروف لهم أنه الزبد بالتمر لم يضر ذلك بل يكون المعنى أنهم يتملؤن منها تملأ من يأكل من هذا فى الدنيا مع أنه من المعلوم أنه لا شيء فى النار المعدة [للعذاب - [2]] لمن أعدت لعذابه حسن . ١٥

و لما كان من يأكل كثيرا يعطش عطشا شديدا فيشرب ما قدر عليه رجاء تبريد ما به من حرارة العطش ، سبب عنه قوله : ﴿ فشربون عليه ﴾ أى على [هذا - [2]] الملء أو الأكل / ﴿ من الحميم ج ﴾ أى الماء الذى ١٧٥ / هو فى غاية الحرارة بحيث ضوعف إحماؤه و إغلاؤه .

و لما كان شربهم[4] لأدنى قطرة من ذلك فى غاية العجب ، ٢٠

(١) فى كتاب الأفعال ٢ / ٨٦ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : و .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : شومهم .

أتبعه ما هو اعجب منه و هو شدة تملؤهم منه فقال مسببا عما مضى: ﴿ فشربون ﴾ أى منه ﴿ شرب ﴾ بالفتح فى قراءة الجماعة و بالضم لنافع و عاصم و حمزة، و قرئ شاذا بالكسر و الثلاثة مصادر، قال فى القاموس: و شرب كسمع شربا و يثلث أو الشراب مصدر و بالضم و الكسر ٥ اسمان، و بالفتح القوم: يشربون، و بالكسر: الماء و الحظ منه، و المورد و وقت الشرب، و الكل يصلح هنا ﴿ الهيم ﴾ أى الإبل العطاش لأن بها الهيام و هو داء يشبه الاستسقاء جمع أهيم، و قال القزاز: جمع هيماء و هو اى - الهيام - بالضم: داء يصيب الإبل فتشرب و لا تروى - انتهى. و قال: ذو الرمة:[1]

١٠ فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد صداها و لا يقضى عليها هيامها

ويقال: الهيم: الرمل، ينصب فيه كل ما صب عليه، والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم إلى الأكل ثم من العطش ما يضطرهم إلى الشرب على هذه الهيئة.

و لما كان كأنه قيل: هذا عذابهم كله، قيل تهكما بهم و نكاية لهم: ﴿ هذا نزلهم ﴾ أى ما يعد لهم أول قدومهم مكان ما يعد للضيف أول ١٥ حلوله كرامة له ﴿ يوم الدين ﴾ أى الجزاء الذى هو حكمة القيامة، و إذا كان هذا نزلهم فما ظنك بما يأتى بعده على طريق من يعتنى به فما ظنك بما يكون [لمن -[2]] هو أغنى منهم من المعاندين و هو فى طريق التهكم مثل قول أبى الشعراء الضبى:

و كنا إذا الجبار[3] بالسيف[4] ضافنا جعلنا القنا و المرهفات له نزلا

---

(١) راجع البحر المحيط ٨/٢٠٨ (٢) زيد من ظ و البحر المحيط (٣) من ظ، وفى الأصل: ما الجار (٤) فى البحر: بالجيش.

و لما

و لما ذكر الواقعة و ما يكون فيها للأصناف الثلاثة، و ختم بها على وجه بين فيه حكمتها و كانوا ينكرونها، دل عليه بقوله: ﴿ نحن ﴾ أى لا غيرنا ﴿ خلقنكم ﴾ أى بما لنا من العظمة، و لعل هذا الخطاب للدهرية المعطلة من العرب. و لما كانوا منكرين [للبعث عدوا منكرين للابتداء-[1]] و إن كانوا من المخلصة (؟) بالمقرين بالخالق لأنهما لما بينهما من ٥ الملازمة لا انفكاك لأحدهما عن الآخر فقال: ﴿ فلو لا ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن يقال تهديدا و وعيدا: هلا و لم لا ﴿ تصدقون ﴾ أى بالخلق الذى شاهدتموه و لا منازع لنا فيما فيه فتصدقوا بما لا يفرق بينه و بينه إلا بأن يكون أحق منه فى مجارى عاداتكم، و هو الإعادة فتعملوا عمل العبيد لساداتهم ليكون حالكم حال مصدق بأنه مربوب. ١٠

و لما حضضهم على التصديق بالاستدلال بإيجادهم، و كان البعث إنما هو تحويلهم من صورة بالية إلى الصورة التى كانوا عليها من قبل، سبب عن تكذيبهم به مع تصديقهم بالخلق عدم النظر فى تبديل الصور فى تفاصيله، أو سبب عن قول من عساه يقول من أهل الطبائع: إنما خلقنا من نطفة حدثت بحرارة كامنة[2]، فقال: ﴿ افرءيتم ﴾ أى أخبرونى هل ١٥ رأيتم بالبصر أو البصيرة أنا خلقناكم فيهديكم ذلك أنا نقدر على الإعادة كما قدرنا على البداءة فرأيتم ﴿ ما تمنون ﴾ أى تريقون - /من النطف التى هى منى فى الأرحام بالجماع. ١٧٦ /

و لما كانت العبرة بالمسبب لا بالسبب، نبه على ذلك بتجديد الإنكار

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: كامله.

تنبيها على انهم و إن كانوا معترفين بتفرده بالإبداع، فان إنكارهم للبعث مستلزم لإنكارهم لذلك فقال: ﴿ءانتم تخلقونه﴾ أى [1]توجدونه مقدرا[1] على ما هو عليه من الاستواء و الحكمة بعد خلقه من صورة النطفة إلى صورة العلقة ثم من صورة العلقة إلى صورة المضغة ثم منها إلى صورة العظام و الأعصاب ﴿ام نحن﴾ خاصة . و لما كان المقام لتقرير المنكرين ذكر[2] الخبر المفهوم من السياق على وجه أفهم أن التقدير: أو أنتم الخالقون له أم نحن؟ فقال: [3]بل نحن[3] ﴿الخلقون﴾ أى الثابت لنا ذلك، فالآية من الاحتباك: ذكر أولا "تخلقون" دليلا على حذف مثله [له ـ[4]] سبحانه ثانيا، و ذكر الاسم [ثانيا ـ[4]] دليلا على حذف مثله لهم أولا، و سر ذلك [أنه ذكر ـ[4]] ما هو الأوفق لأعمالهم مما[5] يدل على وقت التجدد [و لو ـ[4]] وقتا ما، و ما هو الأولى بصفاته سبحانه مما يدل على الثبات و الدوام .

و لما كان الجواب: أنت الخالق وحدك، و كان الطبيعى ربما قال: اقتضى ذلك الحرارة [المخمرة ـ[4]] للنطفة، و كانت المفاوتة للآجال مع المساواة فى اسمية الحياة من الدلائل العظيمة على تمام القدرة على الإفناء و الإبداء بالاختيار مبطلة لقول أهل الطبائع دافعة لهم، أكد ذلك الدليل بقوله: ﴿نحن﴾ اى بما لنا من العظمة لا غيرنا ﴿قدرنا﴾ أى تقديرا

(١ - ١) من ظ، و فى الأصل: تجدونه مقدورا (٢) من ظ، و فى الأصل: اكد (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: ما .

عظيما، لا يقدر سوانا على نقض شيء منه ﴿بينكم﴾ أى كلكم لم نترك أحدا منكم بغير حصة منه ﴿ الموت ﴾ أى أوجبناه على مقدار معلوم لكل أحد لا يتعداه، فقصرنا عمر هذا و ربما كان فى الأوج من قوة البدن و صحة المزاج، فلو اجتمع الخلق كلهم [على] إطالة عمره ما قدروا أن يؤخروه لحظة، و أطلنا عمر هذا و قد يكون فى الحضيض من ضعف ٥ البدن و اضطراب المزاج فلو تمالؤا على تقصيره طرفة عين لعجزوا، و أنتم معترفون بأنه سبحانه رتب أفعاله على مقتضى الكمال و القدرة و الحكمة البالغة، فلو كانت فائدة الموت مجرد القهر لكانت نقصا لكونه يعم الغنى و الفقير و الظالم و المظلوم، و لكان جعل الإنسان مخلدا أولى و أحكم، ففائدته غير مجرد القهر و هى الحمل على إحسان العمل للقاهر خوفا من ١٠ العرض عليه و المحاسبة بين يديه ثم النقلة إلى دار الجزاء و الترقية إلى العلوم التى البدن حجابها من تمييز الخبيث و الطيب و العلم بمقادير الثواب و العقاب، و غير ذلك مما يبصره أولو الألباب .

و لما كان حاصل الموت أنه تغيير الصورة التى كانت إلى غيرها، و كان من قدر على تحويل صورة شيء إلى شيء قدر على تحويلها ١٥ إلى شيء آخر مماثل لذلك الشيء قال: ﴿ و ما نحن ﴾ أى على ما لنا من العظمة، و أكد النفى فقال: ﴿ بمسبوقين ﴾ أى بالموت و لا عاجزين و لا مغلوبين ﴿ على ان نبدل ﴾ تبديلا عظيما ﴿ امثالكم ﴾ أى صوركم و أشخاصكم لما تقدم فى الشورى من أن المثل فى الأصل هو الشيء نفسه ﴿ و ننشئكم ﴾ أى إنشاء جديدا بعد تبديل ذواتكم ﴿ فى ما لا تعلمون ﴾ ٢٠

/ ١٧٧ فان بعضهم تأكله السباع أو الحيتان/ أو الطيور فتنشأ أبدانها منه، [1]بعضهم يصير ترابا فربما نشأ منه نبات فأكلته الدواب، فنشأ منه[1] أبدانها، و ربما صار ترابه من معادن الأرض كالذهب و الفضة و الحديد و الحجر و نحو ذلك، و قد لمح إلى ذلك قوله تعالى "قل كونوا حجارة او حديدا ٥ [1]او خلقا[1]" إلى آخرها[2]، أو يكون المعنى كما قال البغوى[3]: نأتى بخلق مثلكم بدلا منكم و نخلقكم فيما لاتعلمون من الصور . أى بتغيير[4] أوصافكم و صوركم فى[5] صور أخرى بالمسخ، و من قدر على ذلك قدر على الإعادة .

و لما كان التقدير: فلقد علمتم النشأة الثانية النطفية، عطف عليه قوله مؤكدا تنبيها على أنهم لما كانوا يعملون بخلاف ما يعلمون كانوا كأنهم ١٠ منكرون لهذا العلم: ﴿ و لقد علمتم ﴾ أى[6] أيها العرب ﴿ النشأة الاولى ﴾ الترابية لأبيه آدم عليه الصلاة و السلام: او اللحمية لأمكم حواء عليها السلام حيث لم يكن هناك طبيعة تقتضى ذلك، و إلا لوجد مثل ذلك بعد ذلك، و النطفية لكم، و كل منها تحويل من شىء إلى غيره، فالذى شاهدتم قدرته على ذلك لايقدر على تحويلكم بعد أن تصيروا ترابا إلى ١٥ ما كنتم عليه أولا من الصورة؟ و لهذا سبب عما تقدم قوله: ﴿ فلو لا ﴾ أى فهلا ولم لا ﴿ تذكرون ﴾ أى تذكرا عظيما تكرهون أنفسكم و إن كان فيه خفاء ما ـ مما أشار إليه الإدغام من أن الملوم عليه غيب، و كذا

(١ ـ ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: آخره .
(٣) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ /١٩ (٤) من ظ، و فى الأصل: بتغير (٥) فى ظ: إلى (٦) سقط من ظ .

بعض ما قيس به ان من قدر على هذه الوجوه من الإبداءات قدر على الإعادة، بل هى أهون فى مجارى عاداتكم.

و لما كان علمهم بأمر النبات الذى هو الآيـة العظمى لإعادة الأموات أعظم من علمهم بجميع ما مضى، و كان أمره فى الحرث و إلقاء البذر [فيه -[1]] أشبه شيء بالجماع و إلقاء النطفة، و لذلك سميت المرأة حرثا، وصل بما مضى مسببا عنه قوله منكرا عليهم: ﴿ افرءيتم ﴾ أى أخبرونى هل رأيتم بالبصر أو البصيرة ما نبهناكم عليه وفيما تقدم فتسبب عن تنبهكم لذلك أنكم رأيتم ﴿ ما تحرثون ﴾ أى تجددون حرثه على سبيل الاستمرار بتهيئة أرضه للبذر [2]و إلقاء البذر فيه[2].

و لما كانوا لايدعون القدرة على الإنبات بوجه، وكان القادر عليه قادرا على كل شيء، و هم يعتقدون فى أمر البعث ما يؤدى إلى الطعن فى قدرته، كرر الإنكار عليهم فقال: ﴿ ءانتم تزرعونه ﴾ أى تنبتونه بعد طرحكم البذر فيه و تحفظونه إلى أن يصير مالا ﴿ ام نحن ﴾ خاصة، وأكد لما[3] مضى بذكر الخبر المعلوم من السياق فقال: ﴿ الزرعون ﴾ أى المنبتون له و الحافظون، فالآيه من الاحتباك بمثل ما مضى فى أختها قريبا سواء.

و لما كان الجواب قطعا: أنت الفاعل لذلك وحدك؟ [قال -[1]] موضحا لأنه ما زرعه غيره بأن الفاعل الكامل من يدفع عما صنعه ما

(١) زيد من ظ (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: بما.

يفسده، و من إذا أراد إفساده لم يقدر أحد على منعه ﴿لو نشآء﴾ أى لو عاملناكم بصفة العظمة، و أكد لأن فعلهم فعل الآمن [من -[1]] ذلك مع أنهم فى غاية الاستبعاد لأن يهلك زرعهم كما زرعوه أو لأن المطعوم أهم من المشروب و أعظم، فانه الأصل فى إقامة البدن و المشروب

٥ تبع له فقال: ﴿لجعلنه﴾ أى بتلك العظمة ﴿حطاما﴾ أى مكسرا مفتتا / لا حب فيه قبل النبات حتى لا يقبل الخروج أو بعده ببرد مفرط / ١٧٨
أو حر مهلك أو غير ذلك فلا ينتفع به ﴿فظلتم﴾ أى فأقمتم بسبب ذلك نهارا فى وقت الأشغال العظيمة و فى كل وقت و تركتم كل ما يهمكم ﴿تفكهون﴾ قال فى القاموس: فكههم بملح الكلام: أطرفهم

١٠ بها و فكه - كفرح فكها فهو فكه و فاكه: طيب النفس أو يحدث صحبه فيضحكهم و منه تعجب كتفكه، و التفاكه: التمازح، و تفكه: تندم، و الأفكوكة: الأعجوبة، و قال ابن برجان: الفكه هو المتردد فى القول الذاهب فيه كل مذهب - انتهى. فأقمتم دائما تندمون على العاقكم (؟) أو معاصيكم التى سببت ذلك التلف أو تتعجبون أو تحدثون فى ذلك

١٥ و لم تعرجوا على شغل غيره كما تفعلون عند الأشياء السارة التى هى فى غاية الإعجاب و الملاحة و الملاءمة، و لهذا عبر عما المراد به الإقامة مع الدوام بـ "ظل" الذى معناه أقام نهارا إشارة [إلى ترك الأشغال التى تهم و محلها النهار، يمنع الإنسان من أكثر مايهمه من الكلام لهذا النازل الأعظم، و حذف إحدى لامى ظل و تاء التفعل من تفكه إشارة -[1]]

(١) زيد فى ظ: تفكه.

إلى ضعف المصابين عن الدفاع فى بقائهم و فى كلامهم حال بقائهم الضعيف، و كون المحذوف عين الفعل و هو الوسط، إشارة إلى خلع القلب و اختراق الجوف و القهر العظيم، فلا قدرة لأحد منهم على ممانعة هذا النازل بوجه و لا على تبريد ما اعتراه منه من حرارة الصدر و خوف الفقر بغير الشكاية إلى آماله ممن يعلم أنه لا ضر فى يده و لا نفع، ٥ و ربما كان ذلك إشارة إلى [أنه -[1]] عادته سبحانه قرب الفرج فى شدائد الدنيا ليكون الإنسان متمكنا من الشكر لاعذر له فى تركه، و يكون المعنى أنكم مع [كثرة -[1]] اعتيادكم للفرج بعد الشدة عن قرب تيأسون أول ما يصدمكم البلاء، فتقبلون على كثرة الشكاية، و لاينفعكم كثرة التجارب لإدرار النعم أبدا. ١٠

و لما ذكر تفكههم، و كان التفكه يطلق على ما ذكر من التعجب و التندم و على التنعم، قال الكسائى: هو من الأضداد، تقول العرب: تفكهت أى تنعمت، و تفكهت، أى حزنت، بين المراد بقوله حكاية لتفكههم: ﴿ انا ﴾ و أكد إعلاما بشدة بأسهم [فقال -[1]]: ﴿ لمغرمون ﴾ أى مولع بنا و ملازمون بشر دائم و عذاب و هلاك لهلاك رزقنا، ١٥ أومكرمون بغرامة ما أنفقنا و لم ينتفع به، و قراءة أبى بكر عن عاصم بالاستفهام لإنكار هذا الواقع و الاستعظام له و التعجب منه، و هى منبهة على أنهم لشدة اضطرابهم[2] من ذلك الحادث مذبذبون تارة يجزمون باليأس و الشر و تارة يشكون فيه و ينسبون الأمر إلى سوء تصرفهم، و عليه يدل

(١) زيد من ظ (٢) فى ظ: اضطرارهم.

إضرابهم[1]: ﴿ بل نحن ﴾ أى خاصة ﴿ محرومون ٥ ﴾ أى حرمنا غيرنا و هو من لا يرد قضاؤه، فلا حظ لنا فى الاكتساب، فلو كان الزارع ممن له حظ لأفلح زرعه، قال فى القاموس: الغرام: الولوع[2] والشر الدائم والهلاك و العذاب، و الغرامة ما يلزم أداؤه، و حرمه: منعه، و المحروم، الممنوع عن الخير و من لا ينمى له مال و المحارف - [أى -[3]] بفتح الراء - و هو الممنوع من الخير الذى لا يكاد يكتسب، و قال الأصبهانى فى تفسيره: و المحروم ضد المرزوق، أى و المرزوق المجرود بالجيم و هو المحظوظ.

/ و لما وقفهم على قدرته فى الزرع مع وجود أسبابه، و قدمهم بشدة إليه، و كان ربما ألبس نوع لبس لأن لهم فيه سببا فى الجملة، أتبعه التوقيف على قدرته على التصرف فى سببه الذى هو الماء الذى لا سبب لهم فى شىء من أمره أصلا، فقال مسببا عما أفادهم هذا التنبيه مذكرا[4] بنعمة الشرب[5] الذى يحوج إليه الغذاء: ﴿ افرءيتم ﴾ أى أخبرونى هل رأيتم بالبصر أو البصيرة ما نبهنا عليه مما مضى فى المطعم و غيره، أفرأيتم ﴿ الماء ﴾ و لما كان منه ما لا يشرب، و كانت النعمة فى المشروب أعظم، قال واصفا له بما أغنى عن وصفه بالعذوبة، و بين موضع النعمة التى [6]لا محيد عنها فقال[6]: ﴿ الذى تشربون ٥ ﴾ و لما كان عنصره فى[7] جهة العلو، قال منكرا عليهم مقررا لهم: ﴿ ءانتم انزلتموه ﴾ و لما كان الإنزال

/ ١٧٩

(١) فى الأصل: اضطرابهم، و فى ظ: اصرارهم (٢) من ظ و القاموس، و فى الأصل: الوداع (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: مذكر (٥) من ظ، و فى الأصل: الرب (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: من.

قد

قد يطلق على مجرد إيجاد الشيء النفيس ، و كان السحاب من عادته المرور مع الريح لايكاد يثبت ، عبر بقوله تحقيقا لجهة العلو و توقيفا على موضع النعمة فى إثباته إلى أن يتم حصول النفع به : ﴿من المزن﴾ أى السحاب المملوء الممدوح الذى شأنه الإسراع فى المضى ، و قال الأصبهانى : [و -[1]] قيل : السحاب الأبيض خاصة ، و هو أعذب ماء ٥ ﴿ ام نحن ﴾ أى خاصة . و أكد بذكر الخبر و هو لايحتاج إلى ذكره فى أصل المعنى فقال : ﴿ المنزلون ٥ ﴾ أى له ، رحمة [لكم -[1]] و إحسانا إليكم بتطييب عيشكم على ما لنا من مقام العظمة الذى شأنه الكبر و الجبروت وعدم المبالاة بشيء ، و الآية من الاحتباك بمثل ما مضى فى الآيتين السابقتين سواء . ١٠

و لما كان الجواب : أنت وحدك فعلت ذلك على غناك عن الخلق بما لك من الرحمة و كمال الذات و الصفات ، قال مذكرا بنعمة أخرى : ﴿ لونشآء ﴾ أى حال إنزاله و بعده قبل أن ينتفع به . و لما كانت صيرورة الماء [ملحا -[1]] أكثر من صيرورة النبت حطاما ، لم يؤكد لذلك و للتنبيه على أن السامعين لما مضى التوقيف على تمام القدرة صاروا فى ١٥ حيز المعترفين فقال تعالى : ﴿ جعلنه ﴾ أى بما تقتضيه صفات العظمة ﴿ اجاجا ﴾ أى ملحا مرا محرقا كأنه فى الأحشاء لهيب النار المؤجج فلا يبرد عطشا و لا ينبت نبتا ينتفع به . و لما كان هذا مما لايساغ[2] لإنكاره ،

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : له ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .

سبب عنه على سبيل الإنكار و التحضيض قوله : ﴿ فلو لا تشكرون ٥ ﴾ أى فهل لا و لم لا تجددون الشكر على سبيل الاستمرار باستعمال ما أفادكم[1] ذلك من القوى فى طاعة الذى أوجده لكم و مكنكم منه و جعله ملائما لطباعكم مشتهى لنفوسكم نافعا لكم فى كل ما ترونه .

٥ و لما كانت النار سببا لعنصر ما فيه الماء فيتحلب فيتقاطر كما كان الماء سببا لتشقيق الأرض بالزرع ، و لم يكن لمخلوق قدرة على التوصل بنوع سبب ، أتبعه بها كما أتبع الزرع بالماء لذلك و لبيان القدرة على ما لاسبب فيه لمخلوق فى السفل كما كان إنزال الماء عريا عن سنتهم فى العلو ، فقال مسببا عما مضى تنبيها على أنه أهلهم للتأمل فى مصنوعاته

١٨٠ / ١٠ و التبصر فى عجائب آياته فقال : / ﴿ افرءيتم ﴾ أى أخبرونى هل رأيتم بالأبصار و البصائر ما تقدم فرأيتم ﴿ النار ﴾ و لما كان المراد نارا مخصوصة توقفهم[2] على تمام قدرته و تكشف لهم ذلك كشفا بينا بايجاد الأشياء من أضدادها فقال : ﴿ التى تورون ٦ ﴾ أى تستخرجون من الزند فتوقدون به سواء كان الزند يابسا أو أخضر بعد أن كانت خفية فيه

١٥ لايظن من لم يجرب ذلك أن فيه نارا أصلا ، فكان ذلك مثل التورية التى يظهر فيها شىء و يراد غيره ، ثم صار بعد ذلك الخفاء[3] إلى ظهور عظيم و سلطة متزايدة و عظمة ظاهرة[4] تحرق كل ما لابسها حتى ما خرجت منه ، و العرب أعرف الناس بأمر الزند ، و ذلك أنهم يقطعون

(١) من ظ ، و فى الأصل : افاد (٢) من ظ ، و فى الأصل : توقفتم (٣) من ظ ، و فى الأصل : الاخفاء (٤) فى ظ : باهرة .

غصنا من شجر المرخ و آخر من العفار، و يحكون أحدهما على الآخر فتقدح منها النار على أن النار فى كل شجر، و إنما خص المرخ و العفار لسهولة القدح منهما، و قد قالوا: فى كل شجر نار واستمجد المرخ و العفار.

و لما كان هذا من عجائب الصنع، كرر التقرير و الإنكار تنبيها عليه فقال: ﴿ ءانتم انشاتم ﴾ أى اخترعتم و أوجدتم و أودعتم ٥ و أحييتم و ربيتم و أوقعتم ﴿شجرتها﴾ أى المرخ و العفار التى تتخذون منها الزناد الذى يخرج منه. و أسكنتموها النار مختلطة بالماء الذى هو ضدها و خبأتموها فى تلك الشجرة لايعدو واحد[1] منها على الآخر مع المضادة فيغلبه حتى يمحقه و يعدمه ﴿ ام نحن ﴾ اى خاصة، و أكد بقوله: ﴿ المنشئون ﴾ أى لها بما لنا من العظمة على تلك[2] الهيئة، فمن قدر على ١٠ [إيجاد -[3]] النار التى هى أيبس ما يكون من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها فى كيفيتها، كان أقدر على إعادة الطراوة و الغضاضة فى تراب الجسد الذى كان غضا طريا فيبس و بلى، و الآية من الاحتباك بمثل[4] ما مضى فى أخواتها سواء.

و لما كان الجواب قطعا: أنت وحدك، قال دالا على ذلك ١٥ تنبيها على عظم هذا الخبر: ﴿ نحن ﴾ أى خاصة ﴿جعلنٰها﴾ بما اقتضته عظمتنا، و قدم من منافعها ما هو أولى بسياق البعث الذى هو مقامه فقال: ﴿ تذكرة ﴾ أى شيئا تتذكرونه [5]و تتذكرون[5] به تذكرا عظيما جليلا عن[6]

(١) من ظ، و فى الأصل: واحدا (٢) من ظ، و فى الأصل: ذلك (٣) زيد من ظ (٤) من ظ، و فى الأصل: مثل (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٥) سقط من ظ.

كل ما أخبرنا به من البعث و عذاب النار الكبرى و ما ينشأ فيها من شجرة الزقوم [1]و غير ذلك[1] مما نيره لأولى البصائر و الفهوم من العلوم، قال ابن برجان: فوزان قدح الزناد من الشجر، و الزناد وزان الصيحة بهم و وزان إنشائه الأجسام وزان إنشائه الشجرة النار، و يتذكر بانشائها ٥ فى الشجر إنشاء الحياة فى الأجسام و بانشائها من غيبها أن النار الكبرى فى غيب ما نشاهده، و هذا من آثار كونها فى الجو - انتهى. و علق بها سبحانه كثيرا من أسباب المعاش التى لاغنى عنها ليكون مذكرا لهم بما أوقدوا به حاضرا دائما فيكون أجدر باتعاظهم ﴿و متاعا﴾ أى إنشاء و بقاء و تعميرا و نفعا و إيصالا إلى غاية المراد من الاستضاءة و الاصطلاء ١٠ و الإنضاج و التحليل و الإذابة و التعقيد و التكليس، و هروب السباع و غير ذلك، و المراد أنها سبب لجميع ذلك ﴿للمقوين ج﴾ أى الجياع الذين أقوت بطونهم - أى خلت - من الفقر و الإغناء من النازلين بالأرض[2] القواء، و القواء بالكسر و المد أى القفر الخالية المتباعدة الأطراف / البعيدة ١٨١ / من العمران، و كل آدمى مهيأ للقواء فهو موصوف به و إن لم يكن حال ١٥ الوصف كذلك، و قال الرازى: أقوى من الأضداد: اغتنى و افتقر، و قال أبو حيان[3]: و هذه الأربعة التى ذكرها الله تعالى و وقفهم عليها من أمر خلقهم و ما به قوام عيشهم من المطعوم و المشروب، و النار من أعظم الدلائل على البعث إذ فيها انتقال من شىء إلى شىء و إحداث

(١ - ١) من ظ، و فى الأصل: غيرك (٢) من ظ، و فى الأصل: بارض.
(٣) راجع البحر المحيط ٨ / ٢١٢.

شيء من شيء، و لذلك امر فى آخرها بتنزيهه ـ انتهى .

و لما دل [سبحانه ـ[1]] فى هذه الآيات على عجائب القدرة و غرائب الصنع، فبدأ بالزرع و ختم بالنار و الشجر، و أوجب ما نبه عليه من التذكر لأمرها و التبصر فى شأنها [أنها ـ[1]] من أسباب ما قبلها، و أنه سبب لها لكونه سببا لها لإثبات ما هى له، وكان مجموع ذلك إشارة ٥ إلى [2]العناصر الأربعة، قال ابن برجان: إلا أن الماء و الأرض لخلق الأركان، و الأخلاق و الصفات للهواء و النار، و كان ذلك من جميع وجوهه أمرا باهرا، أشار إلى زيادة عظمته بالأمر بالتنزيه مسببا عما أفاد ذلك، فقال معرضا عمن قد يلم به الإنكار مقبلا على أشرف خلقه إشارة إلى[2] أنه لايفهم هذا المقام حق فهمه سواه و لا يعمل به حق عمله ١٠ غيره[2]: ﴿ فسبح ﴾ أى أوقع التنزيه العظيم عن كل شائبة نقص من ترك البعث و غيره و لا سيما بعد بلوغ هذه الأدلة إلى حد المحسوس تسبيح متعجب من آثار قدرته الدالة على تناهى عظمته و تسبيح شكر له و تعظيم له و إكبار و تنزيه عما يقول الجاحدون و تعجيب منهم مقتديا بجميع ما فى السماوات و الأرض، و من أعجب ذلك أنه سخر لنا ١٥ فى هذه الدار جهنم، قال ابن برجان: جعل منها بحرارة الشمس جنات و ثمرات و فواكه و زروع[4] و معايش.

(١) زيد من ظ (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ، و فى الأصل: زرع .

و لما كان تعظيم الاسم اقعد[1] فى تعظيم المسمى قال : ﴿ باسم ﴾ أى متلبسا بذكر اسم ﴿ ربك ﴾ اى المحسن بعد التربية إليك بهذا البيان الأعظم بما خصك به مما لم يعطه أحدا غيرك ، و أثبتوا ألف الوصل هنا لأنه لم يكثر دوره كثرته فى البسملة منها و حذفوه منها لكثرة دورها و هم[2] شأنهم الإيجاز و تقليل الكثير إذا عرف معناه ، و هذا معروف لا يجهل ، و إثبات ما أثبت من أشكاله مما لا يكثر دليل على الحذف منه ، و كذا لا تحذف الألف مع غير الباء في اسم الله و لا مع الباء فى غير الجلالة من الأسماء لما تقدم من العلة .

و لما كان المقام للتعظيم قال : ﴿ العظيم ع ﴾ الثلثة الذي ملأ الأكوان كلها عظمة ، فلا شيء منها إلا و هو مملوء بعظمته تنزها عن أن تلحقه شائبة نقص أو يفوته شيء من كمال ، قال القشيرى : و هذه الآيات التى عددها سبحانه تمهيد لسلوك طريق الاستدلال و كما فى الخبر " تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة " هذه الفكرة التى نبه الله عليها .

و لما كان من العظمة الباهرة[3] ما ظهر فى هذه السورة من أفانين الإنعام فى الدارين ، و بدأ بنعمة الآخرة لكونها النتيجة ، ثم دل عليها بانعامه فى الدنيا فكان تذكيرا بالنعم لتشكر ، و دلالة على النتيجة لتذكر ، و فى كل حالة تستحضر فلا تكفر ، فوصلت الدلالة إلى حد هو أوضح من المحسوس و أضوأ من المشموس ، و كان / مع هذه الأمور الجليلة / ١٨٢

(١) من ظ ، و فى الأصل : انفذ (٢) من ظ ، و فى الأصل : هو (٣) من ظ ، و فى الأصل : التى نبه الله عليها .

فى مظهر أعجز الخلائق على أن يأتوا بمثله من كل وجه، [أما -[1]] من جهة الجواب عن[2] تشبههم و تعنتهم فلكونه يطابق ذلك مطابقة لايمكن أن يكون شيء مثلها[3]، و يزيد على ذلك بما شاء الله من المعارف من غير أن يدع لبسا، و [أما -[1]] من جهة المفردات فلكونها النهاية فى جلالة الألفاظ و رشاقة الحروف و جمع المعانى، فيفيد ذلك أنه[4] لاتقوم كلمة ٥ أخرى مقام كلمة منه أصلا، و أما من[5] جهة التركيب فلكون كل [كلمة -[1]] منها أحق فى مواضعها بحيث أنه لو قدم شيء منها أو أخر لاختل المعنى المراد فى ذلك السياق بحسب ذلك المقام، و أما من جهة الترتيب[6] فى الجمل و الآيات و القصص فى المبادئ و الغايات فلكونه مثل تركيب الكلمات، كل جملة منتظمة بما قبلها انتظام [الدر -[1]] اليتيم فى العقد المحكم النظيم، ١٠ لأنها إما أن تكون علة لما تلته أو دليلا أو متممة بوجه من الوجوه الفائقة[7] على وجه ممتع الجناب جليل الحجاب لتكون أحلى فى فمه، و أجلى بعد ذوقه فى نظمه و سائر علمه، فكان ثبوت جميع ما أخبر به على وجه لامغتمز فيه و لاوقفة فى اعتقاد حسنه، فثبت أن الله تعالى أرسل الآتى بهذا القرآن صلى الله عليه و سلم بالهدى و بالحق، لا أنه أتاه كل ما ينبغى ١٥ له، فآتاه الحكمة و هى البراهين القاطعة و استعمالها على وجوهها، و الموعظة الحسنة، و هى الأمور المرققة للقلوب المنورة للصدور، و المجادلة التى هى على أحسن الطرق فى نظم معجز موجب[7] للايمان، فكان من سمعه

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: على (٣) من ظ، و فى الأصل: منها (٤) من ظ، و فى الأصل: ان (٥) من ظ، و فى الأصل: التركيب (٦) من ظ، و فى الأصل: الفايتة (٧) فى ظ: مسقط.

و لم يؤمن لم يبق له من الممحلات إلا أن يقول : هذا البيان ليس لظهور المدعى و ثبوته بل لقوة عارضة المدعى و قوته على تركيب الأدلة و صوغ[1] الكلام و تصريف وجوه المقال ، و هو يعلم أنـــه يغلب لقوة جداله لا لظهور مقاله[2]، كما أنه ربما يقول أحد المتناظرين عند انقطاعه لخصمه : أنت تعلم أن الحق معى لكنك تستضعفنى و لا تنصفنى ، فحينئذ لا يبقى للخصم جواب إلا الإقسام بالإيمان التى لا مخرج عنها أنه غير مكابر و أنه منصف ، و إنما يفزع[3] إلى الإيمان لأنه لو أتى بدليل آخر لكان معرضا لمثل هذا ، فيقول : و هذا غلبتنى فيه لقوة جدالك و قدرتك على سوق الأدلة ببلاغة مقالك ، فلذلك كانوا إذا ألجمهم النبى صلى الله عليه و سلم قالوا : إنه يريد أن يتفضل علينا فيما نعلم خلافه ، فلم يبق إلا الإقسام ، فأنزل الله أنواعا من الاقسام بعد الدلائل العظام ، و لهذا كثرت [الآيات -[4]] فى أواخر القرآن ، و فى السبع الأخيرة خاصة أكثر ، فلذلك سبب عن هذه الأدلة الرائعة و البراهين القاطعة قوله : ﴿ فلآ اقسم ﴾ باثبات " لا " النافية[6] ، إما على أن يكون مؤكدة بأن ينفى[6] ضد ما أثبته القسم ، فيجمع الكلام بين إثبات المعنى المخبر به و نفى ضده ، و إما على تقدير أن هذا المقام يستحق لعظمته و إنكاركم له أن

(١) من ظ ، و فى الأصل : صدع (٢) من ظ ، و فى الأصل . لمقاله .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : يصوع (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : الناهية (٦) من ظ ، و فى الأصل : يبقى .

يقسم

يقسم عليه بأعظم من هذا على ما له من العظمة لمن له علم[1] - و الله أعلم .

/ و لما كان [الكلام -[2]] السابق فى الماء الذى جعله سبحانه مجمعا . / ١٨٣
للنعم الدنيوية الظاهرة و قد رتب سبحانه لإنزاله الأنواء على منهاج دبره
و قانون أحكمه ، و جعل إنزال القرآن نجوما مفرقة و بوارق متلالئة ٥
متألقة قال : ﴿ بمواقع النجوم ﴾ أى بمساقط الطوائف القرآنية المنيرة
النافعة المحيية للقلوب ، و بهبوطها الذى ينبنى عليه ما ينبنى من الآثار الجليلة
و أزمان ذلك و أماكنه و أحواله ، و بمساقط الكواكب و أنوائها و أماكن
ذلك و أزمانه فى تدبيره على ما ترون من الصنع المحكم و الفعل المتقن
المقوم ، الدال بغروب الكواكب على القدرة على الطى بعد النشر و الإعدام ١٠
بعد الإيجاد ، و بطلوعها الذى يشاهد أنها ملجأة إليه إلجاء الساقط من علو
إلى سفل لايملك لنفسه شيئا ، لقدرته على الإيجاد بعد الإعدام ، و بآثار
الأنواء على مثل ذلك بأوضح منه - إلى غير ذلك من الدلالات التى يضيق
عنها العبارات ، و يقصر دون علياها مديد الإشارات ، و لمثل هذه
المعانى الجليلة و الخطوب العظيمة جعل فى الكلام اعتراضا بين القسم ١٥
و جوابه ، و فى الاعتراض اعتراضا بين الموصوف و صفته تأكيدا للكلام ،
و هزا لنافذ الأفهام تنبيها على أن الأمر عظيم و الخطب فادح جسيم ،
فقال موضحا له بالتأكيد رحمة للعبيد بالإشارة إلى أنهم جروا على غير
ما يعلمون من عظمتنا فعدوا غير عالمين : ﴿ و انه ﴾ أى هذا القسم على

(١) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ .

[هذا - ١] المنهج ﴿لقسم لو تعلمون﴾ أى لو تجدد لكم فى وقت علم لعلمتم أنه ﴿عظيم﴾ و إقسامه لنا على ذلك و نحن أقل قدرا و أضعف أمرا إعلاما بما له من الرحمة التى من أعظمها أنه لايتركنا سدى - كل ذلك ليصلح أنفسنا باتباع أمره و الوقوف عند زجره ، قال ابن برجان :
٥ و من إتقانه جل جلاله فى خليقته و حكمه فى بريته أن جعل لكل واقع من النجوم الفلكية طالعا يسمى بالإضافة إلى الواقع الرقيب دون تأخر ، و ذلك هو المشار إليه بقوله تعالى "رب المشرقين و رب المغربين فباى آلاء ربكما تكذبان" يجمع ذلك الشمس و القمر و النجوم و هى نجوم[٢] منازل القمر عددها ثمانية و عشرون منزلة سوى تحجبها الشمس
١٠ فتمت تسع و عشرون منزلة يستشرفها القمر ، فربما استتر ليلة و ربما استتر ليلتين ، فالقمر ينزل فى هذه المنازل كل ليلة منزلة حتى يتمها [لتمام - ١] الشهر ، و أما الشمس فانها تقيم فى كل منزلة [منها - ١] ثلاثة عشر يوما خلا الجهة فانها تقيم فيها أربعة عشر يوما و يسمى حلولها فى هذه المحال ثم طلوع المنزلة التى تليها لوقوع هذا رقيب لها
١٥ نوء - انتهى . و هو يعنى أن من تأمل هذه الحكم علم ما فى هذا القسم من العظم ، و أشبع القول فيها أبو الحكم ، و بين ما فيها من بدائع النعم ، ثم قال : و يفضل [الله - ١] بفتح رحمته كما شاء فينزل [من السماء - ١] ماء مباركا يكسر به من برد الزمهرير فيرطبه و يبرد من حر السعير فيعدله ، و قسم السنة على أربعة فصول أتم / فيها أمره فى الأرض بركاتها و تقدير /١٨٤

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لنجوم .

أقواتها ، [قال : و بارك فيها و قدر بها أقواتها -[1]] فى اربعة أيام ، ثم قال : و جعل هذه الدنيا على هذا الاعتبار الجنة الصغرى ، و لو أتم القسم على هذا الوجه تم على الاعتبار تخفيفه القبح و إنارته الزمهرير و السعير هى جهنم الصغرى .

و لما اتم القسم على هذا الوجه الجليل ، أجابه بقوله مؤكدا [لما -[1]] ٥ لهم من ظاهر الإنكار : ﴿ انه ﴾ أى القرآن الذى أفهمته النجوم بعموم أفهامها ﴿ لقرآن ﴾ [أى -[2]] جامع سهل قريب مفقه مبين للغوامض ذو أنواع جليلة ﴿ كريم ﴾ ظهرت فيه أفانين إنعامه[3] سبحانه فيما دق من أمور هذه الدنيا و جل[3] من أمور الدارين بما ذكر فى هذه السورة و ما تقدمها من إصلاح المعاش و المعاد ، فهو بالغ الكرم منزه عن كل ١٠ شائبة نقص و لؤم و دناءة ، من كرمه كونه من الملك الأعلى إلى خير الخلق بسفارة[4] روح القدس و بلسان العرب [الذين اتفق الفرق على أن لسانهم أفصح الألسن و على وجه أعجز العرب -[1]] .

و لما ذكر المعنى ، ذكر محل النظم الدال عليه بلفظ دال على نفس النظم فقال : ﴿ فى كتب ﴾ أى خط و مخطوط فيه جامع على وجه ١٥ هو فى غاية الثبات ﴿ مكنون ﴾ أى هو فى ستر مصون لما له من [5]النفاسة و العلو[5] فى السماء فى اللوح المحفوظ ، و فى الأرض فى الصدور المشرفة ،

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : فيها ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : جعل (٤) من ظ ، و فى الأصل : لسعار (٥-٥) فى ظ : العلو و النفاسة .

و فى السطور فى المصاحف المكرمة المطهرة، محفوظا مع ذلك من التغيير و التبديل .

و لما كان ما هو كذلك قد يحصل له خلل يسوء خدامه قال: ﴿ لايمسه ﴾ أى الكتاب [1]الذى هو مكتوب فيه أعم من أن يكون
٥ فى السماء أو فى الأرض أو القرآن أو المكتوب منه[1] فضلا عن أن يتصرف فيه ﴿ الا المطهرون[1] ﴾ أى الطاهرون الذين بولغ فى تطهيرهم و هم رؤس الملائكة الكرام، و لم يكن السفير به إلا هم و لم ييسر [الله -[2]] حفظه إلا لأطهر عباده، و لم يعرف معناه إلا لأشرف حفاظه و أطهرهم قلوبا، و من عموم ما يتحمله اللفظ من[3] المعنى بكونه كلام العالم لكل
١٠ شىء فهو لايحمل لفظا إلا و هو مراد له أنه يحرم منه على من لم يكن له فى غاية الطهارة[4] بالبعد عن الحدثين الأكبر و الأصغر، فهو على هذا نفى بمعنى النهى و هو أبلغ، قال البغوى[5]: و هو قول أكثر اهل العلم، و روى باسناد من طريق أبى مصعب عن مالك عن عبد الله بن ابى بكر بن عمرو بن حزم ان فى الكتاب الذى كتبه رسول الله صلى الله
١٥ عليه و سلم لعمرو بن حزم رضى الله عنه أن لايمس القرآن إلا [6]طاهر، و المراد به المصحف للجوار كما فى النهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو. و مما يحتمله ايضا التعبير باللمس أنه لايقرأه بلسانه إلا طاهر،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: فى (٤) من ظ، و فى الأصل: الظاهر (٥) راجع المعالم بهامش اللباب ٧/٢١٠.
(٦) زيد فى الأصل: و هو، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.

فان

فان اريد الجنابة كان النهى للحرمة أو للأكمل .

و لما ذكر الذى منه صيانته ، أتبعه شرفه بشرف منزله و إنزاله على حال هو فى غاية العظمة مسميا له باسم المصدر للمبالغة و لأن هذا المصدر أغلب أحواله ، و لذلك[1] [غلب -[2]] عليه هذا الاسم : ﴿ تنزيل ﴾ أى وصوله إليكم بالتدريج بحسب الوقائع و التقريب الأفهام و التأنى و الترقية من حال إلى حال و حكم إلى حكم بواسطة[3] الرسل من الملائكة . و لما كان هذا فى غاية الاتفاق و اليسر[4] ذكر من صفاته / ما يناسبه[5] فقال : ﴿ من رب العٰلمين ﴾ من الخالق العالم بتربيتهم . ١٨٥ /

و لما أفصح[6] من وصف هذا الكتاب العظيم ما يقتضى أن يكون بمجرده مثبتا [7]لما لا[7] تدركه العقول من كماله و كافيا فى الإذعان لاعتقاده فكيف إذا كان ما تحكم العقول و تقضى بفساد ما سواه ، فكيف إذا كان مما يتذكر الإنسان مثله فى نفسه ، عجب منهم فى جعله سببا لإنكار البعث الذى إذا ذكر الإنسان أحوال نفسه كفاه ذلك فى الجزم به فقال منكرا تعجبا : ﴿ افبهذا ﴾ و لما كان الإنسان مغرما بما يجدد له من النعم و لو كان فكيف إذا كان أعلى النعم قال : ﴿ الحديث ﴾ أى الذى تقدمت أوصافه العالية و هو متجدد إليكم إنزاله وقتا بعد وقت ﴿ انتم ﴾ أى و أنتم العرب الفصحاء و المفوهون البلغاء ﴿ مدهنون ﴾

(١) زيد من ظ ، و فى الأصل : ذلك (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : بوسائط (٤) من ظ ، و فى الأصل : التيسير (٥) من ظ ، و فى الأصل : يناسب (٦) من ظ ، و فى الأصل : اتضح (٧-٧) من ظ . و فى الأصل : لمدركه .

أى كذابون منافقون بسببه تظهرون غير ما تبطنون أنه كذاب[1] و انتم تعلمون صدقه بحسن معانيه، و عجزكم عن مماثلته فى نظومه و مبانيه، و تقولون: لوشئنا لقلنا مثل هذا: و جميع أفعالكم تخالف هذا فانكم تصبرون لوقع السيوف و معانقة الحتوف، و لا تأتون بشىء يعارضه يبادئ شيئا منه

٥ أو يناقضه أو تلاينون أيها المؤمنون من يكذب به و يطعن فى علاه، أو يتوصل و لو على وجه خفى إلى نقض[2] شىء من عراه، تهاونا به و لا يتصلبون فى تصرفه[3] تعظيما لأمره حتى يكونوا أصلب من الحديد، قال فى القاموس: دهن: نافق، [و -[4]] [5]المداهنة: إظهار خلاف ما تبطن[5] كالادهان و الغش، و قال البغوى رحمه[6] الله: هو الادهان و هو

١٠ الجرى فى الباطن على خلاف الظاهر، و قال الرازى: و الفرق بين المداراة و المداهنة يرجع إلى القصد، فما قصد به غرض سوى الله فهو المداهنة، و ما قصد به أمر يتعلق بالدين فهو المداراة، و قال ابن برجان: الادهان و المداهنة: الملاينة فى الأمور و التغافل و الركون إلى التجاوز - انتهى. فهو على هذا إنكار على من سمع أحدا يتكلم فى القرآن بما

١٥ لايليق ثم لايجاهره بالعداوة، و أهل الاتحاد كابن عربى الطائى صاحب الفصوص و ابن الفارض صاحب التائية أول من صوبت[7] إليه هذه الآية، فانهم تكلموا فى القرآن على وجه يبطل الدين أصلا و راسا و يحله عروة عروة، فهم أضر الناس على هذا الدين. و من يؤول لهم أو ينافح عنهم

(١) من ظ، و فى الأصل: كذب (٢) من ظ، و فى الاصل: بعض
(٣) من ظ، و فى الاصل: نصرته (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ: تضمر
(٦) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ٢٢ (٧) من ظ، و فى الأصل: صوب.

و بعتدرلهم او بحسن الظن بهم مخالف لإجماع الأمة أبحس حالا منهم فان[1] مراده إبقاء كلامهم الذى لا أفسد الاسلام منه من [غير -[2]] أن يكون لإبقائه مصلحة ما بوجه من الوجوه .

و لما كان هـذا القرآن متكفلا بسعادة الدارين ، قال تعالى : ﴿ و تجعلون رزقكم ﴾ أى حظكم [و نصيبكم -[2]] و جميع ما تنتفعون به من هذا الكتاب و هو نفعكم كله ﴿ انكم تكذبون ﴾ / أى توجدون حقيقة التكذيب فى الماضى و الحال ، و تجددون ذلك فى كل وقت به و بما ارشد إليه من الأمور الجليلة[4] و هى[5] كل ما هو أهل للتصديق بـه و تصفونه بالأوصاف المتناقضة ، و من ذلك ما أرشد إليه من أنه لا فاعل إلا الله تعالى فتقولون أنتم إذا أمطركم ما يرزقكم به : هذا بنوء كذا ، معتقدين تأثير ذلك النوء ، و إنما هو بالله تعالى ، فجعلتم جزاء الرزق و بذل الشكر على الرزق التكذيب ، و قال ابن برجان : و تجعلون رزقى إياكم من قرآن عظيم أنزلته ، و كلام عظيم نزلته ، و نور إيمان بينته ، و ضياء يقين جليته ، و ما أنزلته من السماء [من] بركات قدرتها [و] من رياح أرسلتها ، و سحب ألفتها ، تجعلون مكان الشكر على ذلك التكذيب .

/ ١٨٦

و لما أنكر عليهم هذا الإنكار ، و عجب منهم هذا التعجيب فى أن ينسبوا لغيره فعلا أو يكذبوا له خبرا . سبب عن ذلك تحقيقا لأنه لا فاعل سواه قوله : ﴿ فلولآ ﴾ و هى أداة تفهم طلبا بزجر و توبيخ و تقريع

(١) من ظ ، و فى الأصل : فانه (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : بمصلحة (٤) فى ظ : الحلية (٥) من ظ ، و فى الأصل : هو .

بمعنى هل لا و لم لا ﴿ اذا بلغت ﴾ [أى -[1]] الروح منكم و من غيركم عند الاحتضار ، أضمرت من غير ذكر لدلالة الكلام عليها دلالة ظاهرة ﴿ الحلقوم ۝ ﴾ و هو مجرى الطعام فى الحلق ، و الحلق مساغ الطعام و الشراب معروف ، فكان الحلقوم أدنى الحلق إلى جهة اللسان لأن الميم لمنقطع التمام ﴿ و أنتم ﴾ أى و الحال أنكم أيها العاكفون حول المحتضر المتوجعون له ﴿ حينئذ ﴾ أى حين إذ بلغت الروح ذلك الموضع . و لما كان بصرهم لكونه لاينفذ فى باطن كالعدم [قال -[2]] : ﴿ تنظرون ۝ ﴾ أى و لكم وصف التحديق إليه و لاحيلة لكم و لافعل بغير النظر ، و لم يقل : تبصرون ، لئلا يظن أن لهم إدراكا بالبصر لشىء [3]من البواطن[3] من حقيقة الروح و غيرها نحوها ﴿ و نحن ﴾ أى و الحال أنا نحن بما لنا من العظمة ﴿ أقرب اليه ﴾ أى المحتضر حقيقة بعلمنا و قدرتنا التامة و ملائكتنا ﴿ منكم ﴾ على شدة قربكم منه ﴿ و لكن لاتبصرون ۝ ﴾ أى مع تحديقكم إليه لايتأثر عن ذلك التحديق غايته . و هو الإبصار لقربنا منه ، و لا ملائكتنا الموكلين بقبض روحه ، لتعلموا أن الفعل لنا لا لغيرنا ، فلا يتجدد لكم شىء من هذا الوصف لتدركوا به حقيقة ما هو فيه ، فثبت ما أخبرنا به من الاختصاص بباطن العلم و القدرة اللذين عبرنا عنهما بالقرب الذى هو أقوى أسبابهما .

و لما كان الكلام لإثبات هذه الأغراض المهمة قبل جواب "لولا" أعادها تأكيدا لها و تبيينا فقال : ﴿ فلولآ ان كنتم ﴾ أيها المكذبون

(١) زيد من ظ (٢) زيد ولا بد منه (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : بالبواطن .

بالبعث و غيره ﴿ غير مدينين ۝ ﴾ أى مقهورين مملوكين مجربين محاسبين بما عملتم فى دار البلاء التى أقامكم فيها أحكم الحاكمين بامتناعكم بأنفسكم عن أن يجازيكم أو يمنع غيركم لكم منه، و أصل تركيب " دان " للذل و الانقياد - قاله البيضاوى ﴿ ترجعونها ﴾ أى الروح إلى ما كانت عليه ﴿ ان كنتم ﴾ أى كونا ثابتا ﴿ صدقين ۝ ﴾ أى فى أنكم غير / مقهورين على ٥ ١٨٧/
الإحضار على الملك الجبار الذى أقامكم فى هذه الدار للابتلاء و الاختبار، و أنه ليس لغيركم أمركم، و فى تكذيبكم لما يخبر به من الأمور الدنيوية بذل شكركم، و هذا دليل على أنه لاحياة لمن بلغت روحه الحلقوم أصلا و هذا إلزام لهم بالبعث حاصله أنه سبحانه إن كان لايعيدكم فليس هو الذى قدر الموت عليكم، و إن [كان -١] لم يقدره فما لكم لاترفعونه عنه ١٠ لأنه من الفوادح التى لايدرك علاجها، و أنتم تعالجون مقدماته. و إن قلتم: إنه مقدر لايمكن علاجه، لزمكم الإقرار بأن البعث مقدر لايمكن علاجه، فان أنكرتم أحدهما فأنكروا الآخر، و إن أقررتم بأحدهما فأقروا بالآخر، و إلا فليس إلا العناد، فان[٢] قلتم: [نحن -١] لانعلم أنه قدره فاعلموا أنه [لو] لم يكن بتقديره لأمكنت مقاومته وقتا ما لاسيما و النفوس ١٥ مجبولة على كراهته، و فى الموتى الحكماء و الملوك، و تقريبه أنكم قد بالغتم فى الجحود بآيات الله تعالى و أفعاله فى كل شىء إن أرسل إليكم رسولا قلتم: ساحر كذاب، و إن صدقه مرسله بكتاب معجز قلتم: سحر و افتراء و أمر عجاب، و إن رزقكم من الماء الذى به حياة كل شىء مطرا ينعشكم

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: وان.

به قلتم : صدق نوء كذا . على حال مؤد إلى التعطيل و الإهمال [1] و العبث [1] ، فما لكم لاترجعون الروح إلى البدن عند بلوغه الحلقوم إن لم يكن ثم مدبر لهذا الكون بالإرسال و الإنزال و إفاضة الأرواح و قبضها و بعث العباد لدينونتهم [2] على ما فعلوا فيما أقامهم فيه . فهو تمثيل بأفعال الملوك على ما يعهد . فكما أن ملوك الدنيا لا يرسل [3] أحد منهم إلى أحد من رعيته فيأخذه قهرا إلا للدينونة فكيف يظن بملك الملوك غير ذلك ، فتكون ملوك الدنيا أحكم منه ، فان كان ليس بتام القدرة فافعلوا برسله كما تفعلون برسل الملوك ، فانه ربما خلص المطلوب منهم بنوع من أنواع الخلاص بعد بلوغه إلى باب [الملك - [4]] فارساله سبحانه هو مثل [5] إرسال الملوك غير أنه لتمام قدرته يأخذ أخذا لايقدر احد على رده ، و لا أن يتبع مأخوذه أصلا لا ليخدمه بعد الأخذ و لا ليخفف عنه شيئا مما هو فيه بغير ما امر به سبحانه على ألسنة رسله من الدعاء و الصدقة و لا ليعلم حاله بوجه [من الوجوه - [4]] بل الأمر كما قيل :

إذا غيب المرء استسر حديثه ولم يخبر الأفكار عنه بما يغنى

و لما كان التقدير : لايقدر أحد أصلا على ردها بعد بلوغها إلى ذلك المحل لأنا نريد جمع الخلائق للدينونة بما فعلوا فيما أقمناهم فيه و أمرناهم به و لا يكون إلا ما نريد ، فكما أنكم مقرون بأنه خلقكم من تراب و بأنه يعيدكم قهرا إلى التراب [يلزمكم حتما أن تقروا بأنه قادر على أن يعيدكم

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : اى الغيب (٢) من ظ ، و فى الأصل : لدنولهم .
(٣) فى ظ : لا ينزل (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : قبل .

من التراب -[١]] فان أنكرتم هذا اللازم لزمكم إنكار ملزومه ، و ذلك مكابرة فى الحس فليكن الآخر مثله ، فثبت أنا إنما نعيد الخلائق إلى التراب لنجمعهم فيه ثم نبعثهم منه لنجازى كلا بما يستحق و نقسمهم إلى أزواج ثلاثة ﴿ فأما ان كان ﴾ / أى الميت منهم ﴿ من المقربين ﴾ ١٨٨ /
أى السابقين الذين اجتذبهم الحق من أنفسهم فقربهم منه فكانوا مرادين ٥
قبل أن يكونوا مريدين[٢] ، و ليس القرب قرب مكان لأنه تعالى منزه عنه ، و إنما هو بالتخلق بالصفات الشريفة على قدر الطاقة البشرية ليصير الإنسان روحا خالصا كالملائكة لاسبيل للحظوظ و الشهوات عليه ، فان قربهم إنما هو بالانخلاع من الإرادة أصلا و رأسا ، و ذلك أنه لا شهوات لهم فلا أغراض فلا فعل إلا ما أمروا به فلا إرادة ، إنما الإرادة للولى ١٠
سبحانه و هو معنى « و ينهى عن الفحشاء و المنكر و البغى » أى مطلق الإرادة فى [غير -[١]] أمر من الله ، لأن المملوك الذى هو لغيره لاينبغى أن يكون له شىء لا إرادة و لا غيرها - وفقنا الله تعالى لذلك ﴿ فروح ﴾ [أى -[١]] فله راحة و رحمة و ما ينعشه من نسيم [الريح -[١]] و معنى قراءة يعقوب[٣] بالضم طمأنينة فى القلب و سكينة و حياة لا موت بعدها ﴿ و ريحان ﴾ ١٥
أى رزق عظيم و نبات حسن بهج و أزاهير طيبة الرائحة .

و لما ذكر هذه اللذاذة ، ذكر ما يجمعها و غيرها فقال : ﴿ و جنت ﴾ أى بستان جامع للفواكه و الرياحين و ما يكون عنها و تكون عنه .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : مرادين (٣) راجع نثر المرجان ١٩٤/٧ .

و لما كان جنان الدنيا قد يكون فيها نكد، أضاف [هذه الجنة -[1]] إلى المراد بهذه الجنان إعلاما بأنها لاتنفك عنه فقال: ﴿ نعيم ﴾ أى ليس فيها غيره بل هى مقصورة عليه ﴿ و اما ان كان ﴾ أى الميت منهم ﴿ من اصحٰب اليمين ﴾ أى الذين هم فى الدرجة الثانية من أصحاب ٥ الميمنة ﴿ فسلٰم ﴾ [أى سلامة -[1]] و نجاة و أمر و قول دال عليه .

و لما كان ما يواجه به الشريف من ذلك أعلى قال: ﴿ لك ﴾ أى يا أعلى الخلق أو يا أيها المخاطب .

و لما كان من [أصاب -[1]] السلام على وجه من الوجوه فائزا، فكيف إذا كان مصدرا للسلام و منبعا منه قال: ﴿ من اصحٰب اليمين ﴾ ١٠ أى أنهم فى غاية [من -[1]] السلامة و إظهار السلام، لايدرك وصفها، و هو تمييز فيه معنى التعجيب، فان إضافته لم تفده تعريفا، و فى اللام و «من» مبالغة فى ذلك، فالمعنى: فأما هم فعجبا لك و أنت أعلى الناس فى كل معنى، و أعرفهم بكل أمر غريب منهم فى سلامتهم و سلامهم و تعافيهم و ملكهم و شرفهم و علو مقامهم، و ذلك كله إنما أعطوه لأجلك زيادة ١٥ فى شرفك لاتباعهم لدينك، فهو مثل قول [2]القائل حيث قال[2]:

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار العمل شدت بدبل

[2]و قول القائل أيضا حيث قال[2]:

لله در أنو شروان من رجل ما كان أعرفه بالدون و السفل

أى عجبا لك من ليل و عجبا من أنوشروان .

---

(١) زيد من ظ (٢-٢) فى ظ : قوله .

و لما ذكر الصنفين الناجين ، أتبعهما الهالكين جامعا لهم فى صنف واحد لأن من أريدت له السعادة يكفيه ذلك ، و من ختم بشقائه لاينفعه ذلك الإغلاظ و الإكثار فقال : ﴿ و أما ان كان ﴾ أى ذلك الذى أخذناه من أصحاب المشأمة و أنتم حوله تنقطع أكبادكم له و لا تقدرون / له على شىء أصلا ﴿ من المكذبين ﴾ . ١٨٩ / ٥

و لما كان المكذب تارة يكون معاندا ، و تارة [يكون - ١] جاهلا مقتصرا ، قال : ﴿ الضآلين ﴾ أى أصحاب الشمال الذين وجهوا وجهة هدى فزاغوا عنها لتهاونهم فى البعث ﴿ فنزل ﴾ أى لهم و هو ما يعد للقادم على ما لاح ﴿ من حميم ﴾ أى ماء متناه فى [الحرارة - ١] بعد ما نالوا من العطش كما يرد أصحاب الميمنة الحوض كما يبادر به القادم ١٠ ليبرد[٢] به غلة عطشه و يغسل به وجهه و يديه ﴿ و تصلية جحيم ﴾ أى لهم بعد النزل[٣] أن يصلوا النار الشديدة التوقد صليا عظيما .

و لما تم ما أريد من إثبات البعث على هذا الوجه المحكم البين ، و كانوا مع البيان يكذبون به ، لفت الخطاب عنهم إلى أكمل الخلق ، و أكد تسميعا لهم[٤] فقال سائقا له مساق النتيجة : ﴿ ان هذا ﴾ أى الذى ١٥ ذكر فى هذه السورة من أمر البعث الذى كذبوا به فى قولهم "ءانا لمبعوثون" و من قيام الأدلة عليه . و لما كان من الظهور فى حد لايساويه فيه غيره ، زاد فى التأكيد على وجه التخصيص فقال :

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ايرد (٣) من ظ ، و فى الأصل : لترك (٤) من ظ ، و فى الأصل : له .

﴿ لهو حق اليقين ﴾ أى لكونه ـ لما عليه من الأدلة القطعية المشاهدة[1] ـ كأنه مشاهد مباشر، قال الأصبهانى: قال قتادة فى هذه الآية: إن الله عز و جل ليس تاركا أحدا من الناس حتى يوقفه على اليقين من هذا القرآن، فأما المؤمن فأيقن فى الدنيا فنفعه ذلك، و أما المنافق فأيقن يوم القيامة حيث لاينفعه ـ انتهى.

و لما تحقق له هذا اليقين، سبب عنه أمره بالتنزيه له سبحانه عما وصفوه به مما يلزم منه وصفه بالعجز بعد تقسيمه للأزواج الثلاثة على طريق الإيجاز كما أمره بـذلك بعد الفراغ من تقسيمهم على طريق الإطناب إشارة إلى أن المفاوتة بينهم مع ما لهم من العقول من أعظم الأدلة على الفعل بالاختيار و على فساد القول بالطبيعة: ﴿ فسبح ﴾ أى أوقع التنزيه كله عن كل شائبة نقص بالاعتقاد و القول و الفعل و الصلاة و غيرها بأن تصفه بكل ما وصف به نفسه من الأسماء الحسنى و تنزهه عن كل ما نزه عنه نفسه المقدس، و لقصره الفعل[2] لإفادة العموم أثبت الجار بقوله: ﴿ باسم ربك ﴾ أى المحسن إليك بما خصك به مما لم يعطه أحدا غيرك عما وصفه به الكفرة من التكذيب بالواقعة، و إذا كان هذا لاسمه فكيف بما له و هو ﴿ العظيم ﴾ الذى ملأت عظمته جميع الأقطار و الأكوان، و زادت على ذلك بما لا يعلمه حق العلم سواه لأن من له هذا الخلق على هذا الوجه المحكم، و هذا الكلام [الأعز الأكرم-[3]]، لا ينبغى

(١) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) من ظ، و فى الأصل: نفسه (٣) زيد من ظ.

لشائبة نقص أن تلم بجنابه ، أو تدنو من فناء بابه ، و قد انطبق آخر السورة على اولها فى الإخبار بالبعث و تصنيف الخلائق فيه إلى الأصناف المذكورة فى أولها أىّ انطباق ، و زاد هذا الآخر بأن اعتنق بدليله أىّ اعتناق ، و اتفق مع أول التى بعدها أىّ اتفق ، و طابقه / أجل طباق ، / ١٩٠ و ختمت بصفتى الرحمة و العظمة ، و جلت عن الاسم الجامع كاللتين قبلها ٥ لما ذكره فى أواخر القمر من أنه لم يذكر فى واحدة من الثلاث أحد من أهل المعصية المصاحبة للايمان ، ليخاطب[1] بالاسم الجامع للاهانة و الإحسان ، و إنما ذكر أهل الكفران المستوجبين للهوان بالخلود فى النيران ، و أهل الإيمان المتأهلين للاحسان بتأبيد الإمكان فى أعلى الجنان ـ انتهى .

١٠

(١) من ظ ، و فى الأصل يخاطب .

* * * * *

سورة الحديد[١]

مقصودها بيان أن عموم الرسالة لعموم الإلهية بالبعث [إلى -[٢]] الأزواج الثلاثة المذكورة فى السورتين الماضيتين من الثقلين تحقيقا لأنه سبحانه مختص بجميع صفات الكمال تحقيقا لتنزهه عن [٣]كل شائبة[٣] نقص المبدء به هذه السورة المختوم به ما قبلها الراد لقولهم "ائنا لمجموعون او اباونا الاولون" المقتضى لجهاد[٤] من يحتاج إلى الجهاد ممن عصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف و ما ترتب عليه من النفقة ردا لهم عن النقائص الجسمانية و إعلاء إلى الكمالات الروحانية التى دعا إليها الكتاب حذرا من سواء الحساب يوم التجلى للفصل بين العباد [بالعدل - [٢]] ليدخل أهل الكتاب و غيرهم فى الدين طوعا أو كرها ، و يعلم أهل الكتاب الذين كانوا يقولون : ليس أحداً فضل منهم ، فضيلة هذا الرسول صلى الله عليه و سلم على جميع من تقدمه من الرسل عليهم الصلاة و السلام بعموم رسالته و شمول خلافته ، و انتشار دعوته و كثرة أمته تحقيقا لأنه لا حد لفائض رحمته[٥] سبحانه لتكون هذه السورة التى هى آخر النصف الأول و التى بعدها التى هى أول النصف الثانى من حيث العدد غاية للمقصود من السورة التى هى أوله عند الالتفات و الرد كما كانت السورة التى[٦] غاية النصف الأول[١]

(١) السابعة والخمسون من القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آيها (٢٩) عند الكوفيين والبصريين و (٢٨) عند المدنيين والمكى و الشامى - كما فى نثر المرجان ٧ / ١٩٦ (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) من ظ ، و فى الأصل : شائبة كل (٤) من ظ ، وفى الأصل : بجهاد (٥) فى ظ : فضله (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

فى

فى المقدار و هى الإسراء، وكذا السورة التى[1] هى أول النصف الثانى وهى الكهف كاشفتين لمقصد الأولى فيما دعت إليه من الهداية و شدت إليه من الإنذار، على ذلك دل اسمها الحديد بتأمل آياته و تدبر سر ما ذكر فيه و غاياته. أسند صاحب الفردوس[2] عن جابر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لاتحتجموا يوم الثلاثاء فان سورة الحديد أنزلت يوم الثلاثاء. ﴿بسم الله﴾ الذى أحاطت إلهيته بجميع الموجودات ﴿الرحمن﴾ الذى وسعهم جوده فى جميع[3] الحركات و السكنات ﴿الرحيم ٥﴾ الذى خص من بينهم بما له من الاختيار فى كمال الاقتدار اهل ولايته بما يرضيه / من العبادات. / ١٩١

لما ختمت الواقعة بالأمر بتنزيهه عما أنكره الكفرة من البعث، جاءت هـذه لتقرير ذلك التنزيه [و -[4]] تبيينه بالدليل و البرهان و السيف و السنان فقال تعالى كالتعليل لآخر الواقعة: ﴿سبح﴾ أى أوقع التسبيح بدلالة الجبلة تعظيما له سبحانه و إقرارا بربوبيته و إذعانا لطاعته، و قصره، و هو متعد ليدل على العموم بقصره، و على الإخلاص بتعديته باللام و جعله ماضيا هنا و فى الحشر و الصف و مضارعا فى الجمعة و التغابن ليدل على أن مما أسند إليه التسبيح هو[4] من شأنه و هجيراه وديدنه و تخصيص كل من الماضى و المضارع بما افتتح به لما يأتى [فى[1]] أول الجمعة، و الإتيان بالمصدر أول الإسراء أبلغ من حيث أنه يدل باطلاقه

(١) زيد من ظ (٢) راجع المخطوطة ص: ٢٠٤/ب (٣) من ظ، وفى الأصل: جميع (٤) فى ظ: هنا.

على استحقاق التسبيح [من كل شيء -[1]] و فى كل حال ﴿ لله ﴾ أى الملك المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ما فى السمٰوٰت﴾ أى الأجرام العالية و الذى فيها و هى الأرض و من فيها و كل سماء و من فيها، و ما بينهما لأنها كلها فى العرش الذى هو أعلى الخلق .

٥ و لما كان الكلام آخر الواقعة مع أهل الخصوص بل هو أخص أهل الخصوص، لم يحتج إلى تأكيد لحذف ما جعلا للخافقين كشيء واحد لأن نظره لهما نظر علو نظرا واحدا لما أخبر به عنهما من التنزيه فقال: ﴿ و الارض ﴾ أى و ما فيها و كذا [نفس -[1]] الأراضى كما تقدم، فشمل، ذلك جميع الموجودات لأنه إذا سبح ذلك كله فتسبيح العرش

١٠ بطريق الأولى و تنزيه[2] هذه الأشياء بما فيها من الآيات الدالة على أنه سبحانه لا يلم بجنابه شائبة نقص، و ان كل شيء واقف على الباب يشاهد الطلب، قال القشيرى: التسبيح: التقديس و التنزيه، و يكون بمعنى سباحة الأسرار فى بحار الإجلال، فيظفرون بجواهر التوحيد، و ينظمونها فى عقد الإيمان، و يرصعونها فى أطواق الوصلة .

١٥ و لما قرر ذلك، دل على أنه لاقدرة لشيء على الانفكاك عنه، و أن له كل كمال، فهو المستحق للتسبيح و الحمد فقال: ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ العزيز ﴾ الذى يغلب كل شيء و لا يغلبه شيء ﴿ الحكيم ﴾ الذى أتقن كل شيء صنعه .

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير العاصمى فى برهانه: لما تقدم قوله

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: تنزيهه .

[سبحانه -[1]] تعالى " فلولا تصدقون " و فيه من التقريع و التوبيخ لمن قرع به ما لا خفاء به، ثم اتبع بقوله تعالى " افرءيتم ما تمنون " الآيات إلى قوله " و متاعا للمقوين " فعزروا و وبخوا على سوء جهلهم و قبح ضلالهم، ثم قال سبحانه و تعالى بعد ذلك «ابهذا الحديث انتم مدهنون» و استمر توبيخهم[2] إلى قوله " ان كنتم صدقين " فلما أشارت هذه الآيات ٥ إلى قبائح مرتكباتهم، أعقب تعالى [ذلك -[1]] تنزيهه عز و جل عن سوء ما انتحلوه و [3]ضلالهم فيما[3] جهلوه فقال تعالى "فسبح باسم ربك العظيم" أى نزهه عن عظيم ضلالهم و سوء اجترائهم، ثم أعقب ذلك بقوله " سبح لله ما فى السمٰوٰت و الارض " أى سبح باسم ربك، فهى سنة العالم بأسرهم / " و له أسلم من فى السمٰوٰت و الارض " " سبح لله ما ١٠ / ١٩٢ فى السمٰوٰت و الارض " ثم أتبع ذلك بقوله " له الملك و له الحمد " [فبين تعالى انفراده بصفة الجلال و نعوت الكمال، و أنه المتفرد بالملك و الحمد -[1]] و أنه الأول و الآخر و الظاهر و الباطن إلى قوله "و هو عليم بذات الصدور" فتضمنت هذه الآيات إرغام من أشير إلى حاله فى الآية المتقدمة من سورة الواقعة و قطع ضلالهم و التعريف بما جهلوه من صفاته ١٥ العلى و أسمائه الحسنى جل و تعالى، و افتتحت آى السورتين و اتصلت معانيها ثم صرف الخطاب إلى عباده المؤمنين فقال تعالى " آمنوا بالله و رسوله " و استمرت الآى على خطابهم الى آخر السورة - انتهى .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل : توبيخه (٣ - ٣) من ظ، و فى الأصل : ضلال ما .

و لما أخبر بذلك، دل على وجه مصرح بما أفهمه الأول من تسبيح السماوات و الأرض بقوله: ﴿له﴾ أى وحده ﴿ملك السمٰوٰت والارض﴾ أى و ملك ما فيهما و ما بينهما ظاهرا و باطنا، فالملك الظاهر ما هو الآن موجود فى الدنيا من أرض مدحية و سماء مبنية و كواكب مضية و أفلاك علية و رياح محسوسة وسحاب مرئية ـ و ما تفصل إلى ذلك من خلق و أمر، و الملك الباطن [الغائب ـ[1]] عنا، و أعظمه المضاف إلى الآخرة و هو الملكوت، قال القشيرى: الملك مبالغة من الملك يعنى بدلالة الضمة، قال، و الملك بالكسر أى القدرة على الإبداع[2] فلا مالك إلا الله، و إذا قيل لغيره: مالك، فعلى المجاز بالأحكام المتعلقة فى الشريعة على ملك الناس أى بتصحيحه أو إفساده و نحوه ذلك، فالآية من الاحتباك: ذكر ما بين السماوات و الأرض أولا دليلا على حذف ما بينهما ثانيا، و ذكر الخافقين ثانيا دليلا على حذف مثل ذلك أولا ليكون التسبيح و الملك شاملا للكل.

و لما كان ذلك مما لانزاع فيه، و كان ربما عاند معاند، دل عليه بما لامطمع فيه لغيره فقال مقدما الإحياء لأنه كذلك فى الخارج و لأن زمن الحياة أكثر لأن البعث حياة دائمة لاموت بعدها: ﴿يحيى﴾ أى له صفة[3] الإحياء فيحيى ما يشاء من الخلق بأن يوجده على صفة الإحياء كيف شاء فى أطوار يتقلبها كيف شاء[4] و كيف يشاء[4] و مما يشاء

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: الابلاغ (٣) من ظ، و فى الأصل: صفات (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و يميت

﴿و يميت ج﴾ أى له هاتان الصفتان على سبيل الاختيار و التجدد و الاستمرار، فهو قادر على البعث بدليل ما ثبت له من صفة الإحياء . و لما كان هذا شاملا للقدرة على التجديد و الإعادة، عم الحكم بقوله : ﴿وهو على كل شيء﴾ أى من الإحياء و الإماتة و غيرهما من كل ممكن ﴿ قدير ه ﴾ أى بالغ القدرة إلى حد لا يمكن الزيادة عليه . ٥

و لما أخبر بتمام القدرة ، دل على ذلك بقوله : ﴿هو﴾ أى وحده ﴿ الاول ﴾ أى بالأزلية قبل كل شيء فلا أول له ، و القديم الذى منه وجود كل شيء و ليس[1] وجوده من شيء لأن كل ما نشاهده متأثر لأنه حقير ، و كل ما كان كذلك فلابد له من موجد غير متأثر ﴿و الآخر﴾ بالأبدية ، الذى ينتهى إليه وجود كل شيء فى سلسلة الترقى و هو بعد ١٠ فناء كل شيء و لو بالنظر إلى ما له من ذاته فلا آخر له لأنه يستحيل عليه [نعت -[2]] العدم لأن كل ما سواه متغير ، و كل ما تغير بنوع من التغيير جاز إعدامه ، و ما جاز إعدامه فلابد له من معدم يكون بعده و لايمكن إعدامه .

و لما كان السبق يقتضى البطون ، و التأخر يوجب / الظهور ، و كانا ١٥ / ١٩٣ أمرين متضادين لايكاد الإنسان يستقل بتعلقهما فى شيء واحد ، نبه على اجتماعهما فيه ، فقال مشيرا بالواو إلى تمام الاتصاف و تحققه : ﴿و الظاهر﴾ أى بالأحدية للعقل بأدلتـــه الظاهرة فى المصنوعات بما له من الأفعال ظهورا لا يجهله عاقل ، و هو الغالب فى رفعته و علوه فليس فوقه شيء

(١) زيد فى الأصل : منه ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ .

﴿و الباطن ج﴾ بالصمدية و عن انطباع الحواس و ارتسام الخيال و تصور الفهم و الفكر و بتمام العلم و الحكمة بما له من العظمة فى ذاته بكثرة التعالى و الحجب بطونا [لا -[1]] يكتنهه شيء، و قال القشيرى: الأول بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، الظاهر بلا خفاء، [الباطن -[1]] بنعت العلا و عز الكبرياء - انتهى، و العطف للدلالة كما أشير إليه على الإحاطة التامة لأنها لما كانت متضادة كانت بحيث لو أعريت عن الواو لربما ظن أن وجودها لا على سبيل التمكن، فلا تكون محيطة بل مقيدة بحيثية مثلا، فجاءت الواو دلالة على تمكن الوصف و إحاطته و أنه واقع بكل اعتبار ليس واحد من الأوصاف مكملا لشيء آخر و لاشارحا لمعناه، فهو أول على الإطلاق[2] و آخر كذلك، و ظاهر حتى فى حال بطونه و باطن كذلك، و هذا على الأصل فان صفاته تعالى محيطة فلا إشكال، إنما الإشكال عند الخلو من العطف فهو الأغلب فى إيرادها كما فى آخر الحشر، و لعل ذلك مراد الكشاف بقوله: [إن -[1]] الواو الأولى معناها الدلالة على الجامع بين الصفتين[3] الأولية و الآخرية، أى جمعا هو فى غاية المكنة، و الثالثة على أنه الجامع بين الظهور و الخفاء، و أما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الأوليين و مجموع الصفتين الأخيرتين، فهو المستمر الوجود فى جميع الأوقات الماضية و الآتية - انتهى.

و لما كان من ظهر لشيء بطن عن غيره، و من بطن لشيء غاب

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، وفى الأصل: الاطبادق - كذا (٣) من ظ، و فى الأصل: الصنفين.

عنه علمه، و كان سبحانه فى ظهوره على ذلك بمعنى[1] أنه ليس فوقه شىء، و فى بطونه بحيث ليس دونه شىء، فقد جمعت الأوصاف إحاطة العلم و القدرة، أعلم نتيجة ذلك فقال: ﴿ و هو بكل شىء عليم ﴾ أى لكون[2] الأشياء عنده[3] على حد سواء، [و - [4]] البطون و الظهور إنما هو بالنسبة إلى الخلق، و أما هو سبحانه فلا باطن من الخلق عنده بل ٥ هو فى غاية الظهور لديه لأنه الذى أوجدهم، و هذا معنى ما قال البغوى[5] رحمه الله تعالى: سأل عمر رضى الله عنه كعبا عن هذه الآية فقال: معناها أن علمه بالأول كعلمه بالآخر، و علمه بالظاهر كعلمه بالباطن - انتهى. لأن العلم يستلزم القدرة على حسبه. و لما كان الصانع للشىء عالما به، دل على علمه و ما تقدم من وصفه بقوله: ﴿ هو ﴾ أى[6] وحده ١٠ ﴿ الذى خلق السمٰوٰت ﴾ و جمعها لعلم العرب بتعددها[7] ﴿ و الارض ﴾ أى الجنس الشامل للكل، أفردها لعدم توصلهم إلى العلم بتعددها ﴿ فى ستة ايام ﴾ سنا للتأنى و تقريرا للأيام التى أوترها سابعها الذى خلق فيه الإنسان الذى دل خلقه باسمه "الجمعة" على أنه المقصود بالذات و بأنه السابع[8] على أنه نهاية المخلوقات - انتهى[6]. ١٥

/ و لما كان تمكن الملك من سرير الملك كناية عن انفراده بالتدبير / ١٩٤

(١) من ظ، و فى الأصل: بل بمعنى (٢) من ظ، و فى الأصل: لكونه. (٣) من ظ، و فى الأصل: على يده (٤) زيد من ظ (٥) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / ٢٥ (٦) سقط من ظ (٧) من ظ، و فى الأصل: بتعدده. (٨) من ظ، و فى الأصل: السابق.

و إحاطة قدرته و علمه ، و كان ذلك هو روح الملك ، دل عليه منبها على عظمته بأداة التراخي فقال : ﴿ثم استوى﴾ أي أوجد السواء و هو العدل إيجاد من هو شديد العناية ﴿على العرش﴾ المحيط بجميع الموجودات بالتدبير المحكم للعرش و ما دونه و من دونه ليتصور للعباد أن العرش منشاء التدبير ، و مظهر التقدير ، كما يقال في ملوكنا : جلس فلان على سرير الملك ، بمعنى أنه انفرد بالتدبير ، و قد لا يكون هناك سرير فضلا عن جلوس .

و لما كان المراد بالاستواء الانفراد بالتدبير ، و كان التدبير لا يصح إلا بالعلم و القدرة ، كشفه بقوله دالا على أن علمه بالخفايا[1] كعلمه بالجلايا : ﴿ يعلم ما يلج ﴾ أي يدخل دخولا يغيب به ﴿ في الارض ﴾ أي من النبات و غيره من أجزاء الأموات و غيرها و [إن -[2]] كان ذلك بعيدا من العرش ، فان ألاماكن كلها بالنسبة إليه على حد سواء في [3]القرب و البعد[3] ﴿و ما يخرج منها ﴾ كذلك ، و في التعبير بالمضارع دلالة على ما أودع في الخافقين من القوى فصار بحيث يتجدد منهما ذلك بخلقه تجدد استمرار إلى حين خرابهما .

و لما قرر ذلك فيما قد يتوهم بعده لبعده عن العرش بسفوله[4] تنبيها على التنزه عن التحيز فكان اولى بالتقديم ، أتبعه قسيمه و هو جهة العلو تعميما للعلم بسائر الخلق فقال : ﴿و ما ينزل من السمآء﴾ و لم يجمع

(١) من ظ ، و في الأصل : بالخفاء (٢) زيد من ظ (٣-٣) في ظ : البعد و القرب (٤) من ظ ، و في الأصل : سفوله .

لأن

لأن المقصود حاصل بالواحدة[1] مع إفهام التعبير[2] بها الجنس السافل للكل، و ذلك من الوحى و الأمطار و الحر و البرد و غيرها من الأعيان و المنافع التى يوجدها سبحانه من مقادير أعمار بنى آدم و أرزاقهم و غيرها من جميع شؤنهم ﴿ و ما يعرج ﴾ أى يصعد و يرتقى و يغيب ﴿ فيها[3] ﴾ كالأبخرة و الأنوار و الكواكب و الأعمال و غيرها . ٥

و لما كان من يتسع ملكه يغيب عنه علم بعضه لبعده عنه، عرف أنه لامسافة أصلا بينه و بين شىء من الأشياء فقال: ﴿ و هو معكم ﴾ أى أيها الثقلان المحتاجان إلى التهذيب بالعلم و القدرة المسببين عن القرب ﴿ اين ما كنتم[4] ﴾ فهو عالم بجميع أموركم و قادر عليكم تعاليا عن اتصال بالعلم و مماسة، أو انفصال عنه بغيبة أو مسافة، قال أبو العباس ابن تيمية ١٠ فى كتابه الفرقان[5] بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان: لفظ ["مع -[4]"] لا يقتضى فى لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطا بالآخر لقوله " اتقوا الله و كونوا مع الصدقين " و قوله " محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار " و لفظه "مع" جاءت فى القرآن عامة و خاصة، فالعامة " ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم و لاخمسة إلا هو سادسهم ١٥ و لا أدنى من ذلك و لا أكثر إلا هو معهم " الآية، فافتتح الكلام بالعلم و اختتمه[6] بالعلم، و لهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما و الضحاك

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالوحدة (٢) من ظ ، و فى الأصل : بالتعبير .
(٣) مثله فى الأعلام ١ / ١٤١ ، و فى ظ « الفرق » (٤) زيد من ظ (٥) فى ظ : ختمه .

١٩٥ / و سفيان الثورى و أحمد بن حنبل : هو معهم بعلمه[1] ، و أما المعية / الخاصة فقوله تعالى "ان الله مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون" و قوله تعالى لموسى و هارون عليهما السلام "انني معكما اسمع و ارى" و قال "اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا" يعنى النبى صلى الله عليه و سلم و أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، فهو مع موسى و هارون عليهما السلام دون فرعون ، و مع محمد صلى الله عليه و سلم و صاحبه رضى الله عنه دون أبى جهل و غيره من أعدائه ، و مع الذين اتقوا و الذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين ، فلو كان معنى المعية أنه بذاته فى كل مكان تناقض الخبر الخاص و الخبر العام ، بل المعنى[2] أنه مع هؤلاء بنصره و تأييده دون أولئك ، و قوله تعالى "و هو الذى فى السماء إله و فى الارض إله" أى هو إله فى السماء و إله[3] فى الأرض كما قال تعالى "و له المثل الأعلى فى السمٰوٰت و الارض و هو العزيز الحكيم" وكذلك فى قوله تعالى "و هو الله فى السمٰوٰت و فى الارض" كما فسره أئمة العلم[4] كأحمد و غيره[4] أنه المعبود فى السماوات و الأرض .

و لما كانت الأعمال منها ظاهر و باطن ، عبر فى أمرها باسم الذات دلالة على شمولها بالعلم و القدرة [و ـ[5]] تنبيها على عظمة الإحاطة بها و بكل صفة من صفاته فقال : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ، و قدم الجار لمزيد الاهتمام و التنبيه عل تحقق الإحاطة كما مضى

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالعلم (٢) من ظ ، و فى الأصل : بمعنى (٣) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤ ـ ٤) من ظ ، و فى الأصل : و غيرهم (٥) زيد من ظ .

التنبيه عليه [غير مرة -[1]] و تمثيله بنحو : أعرف فلانا و لا أعرف غيره : فقال : ﴿ بما تعلمون ﴾ أى على سبيل التجدد[2] و الاستمرار ﴿ بصير ه ﴾ أى عالم بجلائله و دقائقه .

و لما كان صانع الشيء قد لا يكون ملكا ، و كان الملك لا يكمل ملكه إلا بعلم جميع ما يكون فى مملكته و القدرة عليه ، و كان إنكارهم للبعث ٥ إنكارا لأن[3] يكون ملكا ، أكد ذلك بتكرير الإخبار به فقال : ﴿ له ﴾ اى وحده ﴿ ملك السمٰوٰت ﴾ و جمع لاقتضاء المقام له[4] ﴿ و الارض[4] ﴾ أفرد لخفاء تعددها عليهم مع إرادة الجنس ، و دل على دوام ملكه و إحاطته بقوله عاطفا على ما تقديره : فمن الله المبدأ ، معبرا بالاسم الأعظم الجامع لئلا يظن الخصوص بامور ما تقدم : ﴿ و الى الله ﴾ أى الملك الذى ١٠ لا كفؤ له وحده ﴿ ترجع ﴾ بكل اعتبار على غاية السهولة ﴿ الامور ه ﴾ أى كلها حسا بالبعث و معنى بالإبداء[5] و الإفناء ، و دل على هذا الإبداء و الإفناء بأبدع الأمور و أروقها فقال : ﴿ يولج ﴾ أى يدخل و يغيب بالنقص و المحو ﴿ الّيل فى النهار ﴾ فاذا قد قصر بعد طوله ، و قد انمحى بعد تشخصه و حلوله ، فملأ الضياء الأقطار بعد ذلك الظلام ١٥ ﴿ و يولج النهار ﴾ الذى عم الكون ضياؤه و أناره لألاؤه ﴿ فى الّيل[4] ﴾ الذى قد كان غاب فى علمه ، فاذا الظلام قد طبق الآفاق ، و الطول[6] ، الذى

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : التجديد (٣) من ظ ، و فى الأصل : لا (٤) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها . (٥) من ظ ، و فى الأصل : بالابتداء (٦) فى ظ : الطلول .

[كان ـ[1]] له قد صار نقصا .

و لما كان فى هذا إظهار أخفى الأشياء[2] حتى يصير فى غاية الجلاء، أتبعه علم ما هو عند الناس / أخفى ما يكون فقال: ﴿و هو﴾ أى وحده ﴿عليم﴾ أى بالغ العلم ﴿بذات الصدور﴾ أى ما يصحبها فتخفيه فلا ٥ يخرج منها من الهمزات على مدى الأيام على كثرة اختلافها و تغيرها و إن خفيت على اصحابها .

و لما قامت الأدلة على تنزيهه سبحانه عن شائبة كل نقص، و إحاطته بكل صفة كمال، المقتضى لثبوت أن الملك له، الموجب قطعا لتفرده بعموم الإلهية، المقتضى لإرسال من يريده إلى جميع من فى ملكه، و ختم بالعلم ١٠ بالضمائر التى أجلها الإيمان، قال آمرا بالإذعان له و لرسوله صلى الله عليه و سلم: ﴿آمنوا﴾ أى أيها الثقلان ﴿بالله﴾ أى الملك الأعظم الذى لامثل له ﴿و رسوله﴾ الذى عظمته من عظمته . و لما كان الإيمان أساسا، و الإنفاق[3] وجها ظاهرا و رأسا، قال جامعا بين الأساس الحامل الخفى و الوجه الظاهر الكامل البهى: ﴿و انفقوا﴾ أى فى إظهار دينه: ١٥ و رغبهم فى ذلك بطلب اليسير مما أعطاهم [الله ـ[1]] و زهدهم منه بقوله: ﴿مما جعلكم﴾ أى بقدرته ﴿مستخلفين﴾ أى مطلوبا موجودا خلافتكم ﴿فيه[1]﴾ و هو له دونكم بما يرضى من استخلفكم فى تمهيد سبيله فطيبوا بها نفسا لأنها ليست فى الحقيقة لكم و إنما أنتم خزان، و خافوا من عزلكم من الخلافة بانتزاعها من أيديكم بتولية غيركم أمرها، إما فى حياتكم، و إما

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الاسباب (٣) من ظ ، و فى الأصل : الانطاق .

بعد مماتكم، كما فعل بغيركم حين أوصل إليكم ما وصل من أموالهم، فليس لكم منها إلا ما أكلتم فأفنيتم أو لبستم فأبليتم أو تصدقتم فأبقيتم - و فى رواية: فأمضيتم، و ليهن الإنفاق منها عليكم كما يهون على الإنسان النفقة من مال غيره إذا أذن له فيه.

و لما أمر بالإنفاق و وصفه بما سهله، سبب عنه ما يرغب فيه ٥ فقال مبالغا فى تأكيد الوعد لما فى ارتكابه من العسر بالتعبير عنه بالجملة الاسمية و بناء [الحكم - ١] على الضمير بالوصف بالكبير و غير ذلك: ﴿ فالذين آمنوا ﴾ و بين أن هذا خاص بهم لضيق الحال فى زمانهم فقال: ﴿ منكم و انفقوا ﴾ أى من أموالهم فى الوجوه التى ندب إليها على وجه الإصلاح كما دل عليه التعبير بالإنفاق ﴿ لهم اجر كبير ﴾ أى ١٠ لا تبلغ عقولكم حقيقة كبره فاغتنموا الإنفاق فى أيام استخلافكم قبل عزلكم و إتلافكم.

و لما رغب فى الإنفاق و الإيمان، و كان الإيمان مقتضى بالإنفاق، عجب ممن لا يبادر إلى الحاصل على كل خير، فقال مفصلا لما أجمل من الترغيب فيهما، بادئا بأبين كل خير، منفسا عنهم بالتعبير بأداة الاستقبال ١٥ بالبشارة بالعفو عن الماضى مرهبا موبخا لمن لا يبادر إلى مضمون ما دخل عليه الاستفهام، عاطفا على ما تقديره: فما لكم لا تبادرون إلى ذلك: ﴿ و ما ﴾ أى و أىّ شىء ﴿ لكم ﴾ من الأعذار أو غيرها فى أنكم، أو حال كونكم ﴿ لا تؤمنون بالله ﴾ أى تجددون الإيمان - أى تجديدا

(١) زيد من ظ.

مستمرا - بالملك الأعلى أى الذى له الملك كله و الأمر كله بعد سماعكم لهذا الكلام : لأن «لا» لا تدخل على /مضارع إلا و هو بمعنى الاستقبال ، و لو عبر بعبارة تدل على الحال لربما تعنت متعنت فقال : فأت ما طلب منا ، و الذى بعد هذا من الحال التى هى فى معنى العلة دالة على هذا ، و هى قوله : ﴿و الرسول﴾ أى و الحال أن الذى له الرسالة العامة ﴿يدعوكم﴾ صباحا و مساء على ما له من مقتضيات القبول منه من حسن[1] السمت و جلالة القدر و إظهار الخوارق و غير ذلك ﴿لتؤمنوا﴾ أى لأجل أن تجددوا الإيمان ﴿بربكم﴾ أى الذى أحسن تربيتكم بأن جعلكم من أمة هذا النبى الكريم صلى الله عليه و سلم و شرفكم به ﴿و قد﴾ أى و الحال أنه قد ﴿اخذ ميثاقكم﴾ أى وقع أخذه [فصار -[2]] فى غاية [القباحة -[2]] ترك ما وقع التوثق بسببه بنصب الأدلة و التمكين[3] من النظر بابداع العقول ، و ذلك كله منضم إلى أخذ الذرية من ظهر آدم عليه الصلاة و السلام و إشهادهم على أنفسهم و إشهاد الملائكة عليهم ، و بنى الفعل للمفعول فى قراءة أبى عمرو ليكون المعنى أىّ آخذ كان لأن الغدر عند الكرماء شديد من غير نظر إلى معين لاسيما العرب فكيف إذا كان الآخذ الملك الأعظم القادر على كل شىء العالم بكل شىء ، و رسوله الذى تعظيمه من تعظيمه ، كما صرحت به قراءة الجماعة بالبناء للفاعل و لا يخفى الإعراب ، و الحاصل أنهم نقضوا الميثاق فى الايمان ، فلم يؤاخذهم

(١) من ظ ، و فى الأصل : جنس (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : التمكن .

حتى أرسل الرسل .

و لما حثهم على تجديد الإيمان على سبيل الاستمرار بالتعجب من ترك ذلك ، وكان كل واحد يدعى العراقة فى الخير ، هيجهم و ألهبهم بقوله: ﴿ ان كنتم ﴾ أى جبلة و وصفا ثابتا ﴿ مؤمنين ﴾ أى عريقين فى وصف الإيمان، و هو الكون على نور الفطرة الأولى . ٥

و لما وصفه بالربوبية ، دل عليها بقوله : ﴿ هو ﴾ اى وحده [لا غيره -[1]] ﴿ الذى ينزل ﴾ أى على سبيل التدريج و الموالاة بحسب الحاجة . و لما كان الخطاب فى هذه السورة للخاص ، قال مضيفا إلى ضميره غير مقرون بما يدل على الجلال و الكبرياء ﴿ على عبده ﴾ أى الذى هو أحق الناس بحضرة جماله[2] و إكرامه لأنه ما تعبد لغيره قط ﴿ ءايت ﴾ ١٠ أى علامات هى من ظهورها حقيقة بأن يرجع إليها و يتقيد [بها -[1]] ﴿ بينت ﴾ جدا على ما له من النعوت التى هى فى غاية الوضوح ﴿ ليخرجكم[3] ﴾ أى الله أى عبده بما أنزل إليه مع أنه بشر مثلكم ، و الجنس إلى جنسه أميل و منه أقبل ، و لا سيما إن كان قريبا و لبيبا أريبا ﴿ من الظلمت ﴾ التى أنتم منغمسون فيها من الحظوظ و النقائص[4] التى جبل عليها الإنسان ١٥ و الغفلة و النسيان ، الحاملة على تراكم الجهل . فمن آتاه سبحانه العلم و الإيمان فقد أخرجه من هذه الظلمات التى طرأت عليه ﴿ الى النور[5] ﴾ الذى كان[6] وصفا لروحه و فطرته الأولى السليمة .

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : جلاله (٣) ليس فى الأصل .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : النقصان (٥) زيد فى ظ : له .

/١٩٨ و لما كان التقدير : / فان الله به للطيف خبير ، عطف عليه قوله مؤكدا لأجل زلزال من يطول به البلاء من المؤمنين و إنكار الكفار : ﴿ و ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿ بكم ﴾ قدم الجار لأن عظيم رحمته لهذه الأمة موجب لعد نعمته[1] على غيرنا عدما بالنسبه إلى نعمته ٥ علينا ﴿ لرؤف رحيم ٥ ﴾ أى كنتم بالنظر إلى رحمته الخاصة التى هى لإتمام النعمة العامة صنفين : منكم من كان له به وصلة بما يفعل فى أيام جاهليته من الخيرات كالإنفاق[2] فى سبيل المعروف ، و عبر بالإنفاق لكونه [خيرا -[3]] لا رياء و نحوه [فيه] كالصديق[4] رضى الله عنه فعاد عليه ، بعد عموم [5]رحمته بالبيان[5]، بخصوص رحمة عظيمة أوصلته إلى [6]أعظم درجات[6] ١٠ العرفان ، و منكم من كان بالغا فى اتباع الهوى فابتدأه بعد عموم رحمة البيان بخصوص رحمة هداه بها إلى أعمال الجنان ، و هى دون ما قبلها فى الميزان ، و فوقها من حيث أنها بدون سبب من المرحوم .

و لما أمرهم بالإيمان و الإنفاق ، و كان[7] الإيمان مع كونه الأساس الذى لا يصح عمل بدونه ليس فيه[8] شىء من خسران أو نقصان ، فبدأ به ١٥ لذلك ، و رغب بختم الآية بالإشارة بالرأفة[9] إلى أن [من -[3]] توصل

(١) من ظ . و فى الأصل : رحمته (٢) من ظ ، و فى الأصل : كانفاق (٣) زيد من ظ (٤) زيد بعده فى الأصل : نحوه ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥-٥) فى ظ : رحمة البيان (٦-٦) فى ظ : أعلى درجة (٧) من ظ ، و فى الأصل : كون . (٨) من ظ ، و فى الأصل : فيها (٩) من ظ ، و فى الأصل : الى الرافه .

إليه

إليه بشيء من الإيمان أو غيره زاده من فضله « من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا - إلى قوله : و من أتانى يمشى أتيته هرولة » عطف عليه الترغيب فى التوصل إليه [١]بالإنفاق منكرا على من تركه موبخا لمن حاد عنه[١] و هو يعلم أنه فان، مفهما بزيادة "أن" المصدرية اللوم على تركه فى جميع الأزمنة الثلاثة فقال : ﴿ و ما ﴾ أى و أىّ شيء يحصل ٥ ﴿لكم﴾ فى ﴿ الا تنفقوا ﴾ اى توجدوا الإخراج للمال ﴿فى سبيل الله﴾ أى فى كل ما يرضى الملك الأعظم الذى له صفات الكمال لتكون لكم به وصلة فيخصكم بالرأفة التى هى أعظم الرحمة ، فانه ما بخل [به -[٢]] أحد عن وجه خير إلا سلط الله عليه غرامة فى وجه شر ، و أظهر موضع الإضمار فى جملة حالية باعثا على الإنفاق بأبلغ بعث[٣] فقال : ﴿ و لله ﴾ ١٠ تأكيدا للعظمة بالندب إلى ذلك باستحضار جميع صفات الكمال لاسيما صفة الإرث المقتضية للزهد فى الموروث ﴿ميراث﴾ [أى -[٢]] الإرث [٤]و الموروث[٤] و الموروث عنه و غير ذلك ﴿السمٰوٰت و الارض[٥]﴾ جميعا لا شيء فيهما أو منهما إلا هو كذلك يزول عن المنتفع به و يبقى لله بقاء الإرث[٥] ، و من تأمل أنه زائل هو و كل ما فى يده و الموت من ورائه ، ١٥ و يد طوارق الحوادث مطبقه به ، و عما قليل ينقل ما فى يده إلى غيره

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل : قبل « بشيء من الإيمان » س ١ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : نعت (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : الأرض .

هان عليه الجود بنفسه و ماله .

و لما رغبهم فى الإنفاق على الإطلاق ، رغبهم فى المبادرة إليه ، مادحا أهله خاصا منهم أهل السباق فقال : ﴿ لايستوى ﴾ . و لما كان المراد أهل الإسلام بين بقوله : ﴿ منكم من انفق ﴾ أى أوجد الإنفاق فى ماله و جميع قواه و ما يقدر عليه . / و لما كان المقصود الإنفاق فى زمان الإيمان لامطلق الزمان ، خص بالجار فقال : ﴿من قبل الفتح﴾ أى الذى هو فتح جميع الدنيا فى الحقيقة و هو فتح مكة الذى كان سببا لظهور[1] الدين [على الدين -[2]] كله لما نال المنفق إذذاك بالإنفاق من كثرة المشاق لضيق المال حينئذ ، و ذلك مستلزم لكون المنفق أنفذ بصيرة و نفقته أعظم غنا و أشد نفعا ، و فيه دليل على فضل أبى بكر رضى الله عنه فانه أول من أنفق و لم يسبقه فى ذلك أحد ، و فيه نزلت الآية - كما حكاه البغوى[3] عن الكلبى .

/ ١٩٩

و لما كان المراد بالإيمان خدمة الرحمن ، و كان الإنفاق و إن كان مصدقا للايمان لايكمل تصديقه إلا ببذل النفس قال : ﴿و قتل﴾ أى سعيا فى إنفاق نفسه لمن آمن به ، و حذف المنفى للتسوية به و هو [من -[1]] لم ينفق مطلقا أو بقيد القبلية لدلالة ما بعده ، و لعله أفرد الضمير إشارة إلى قلة السابقين .

و لما كان نفى المساواة لايعرف منه الفاضل من غيره ، و قد كان

(١) من ظ ؛ و فى الأصل : فى ظهور (٢) زيد من ظ (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / ٢٧ .

حذف قسيم من أنفق لوضوحه و التنفير منه و دلالة ما بعده عليه، نفى اللبس بقوله : ﴿اولـٰئك﴾ أى المنفقون المقاتلون و هم السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار، [1]المقربون من أهل الرتبة العلية لمبادرتهم إلى الجود بالنفس و المال ﴿اعظم درجة﴾ و بعظم الدرجة يـكون عظم صاحبها ﴿من الذين انفقوا﴾ و لما كان المراد التفضيل على من أوجد الإنفاق و القتال [فى زمان بعد ذلك، لا على من استغرق كل زمان بعده بالإنفاق و القتال ـ[2]] أدخل الجار فقال: ﴿من بعد و قـٰتلوا[1]﴾ و لما كان التفضيل مفهما اشتراك الكل فى الفضل، صرح به ترغيبا فى الإنفاق على كل حال فقال: ﴿و كلا﴾ أى من القسمين ﴿وعد الله﴾ [أى ـ[2]] الذى له الجلال و الكمال و الإكرام ﴿الحسنى[1]﴾ أى الدرجة التى هى غاية الحسن و إن كانت فى نفسها متفاوتة، و قرأ ابن عامر[3] "و كل" و هو أوفق لما عطف عليه .

و لما كان زكاء الأعمال إنما هو بالنيات، و كان التفضيل مناط العلم، قال [4]مرغبا فى[4] إحسان النيات مرهبا[5] من[6] التقصير فيها: ﴿و الله﴾ أى الذى له الإحاطة الشاملة بجميع صفات الكمال، و قدم الجار إعلاما بمزيد اعتناء بالتمييز عند التفضيل فقال: ﴿بما تعملون﴾ أى تجددون عمله على مر الأوقات ﴿خبير﴾ أى عالم بباطنه و ظاهره علما لا مزيد

(١) زيدت الواو فى الأصل: و لم تكن فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ .
(٣) راجع نثر المرجان ٧/٢٠٥ (٤-٤) من ظ، و فى الأصل: ابن عباس (٥) من ظ، و فى الأصل: فى (٦) من ظ، و فى الأصل: ممر .

عليه بوجه، فهو يجعل جزاء الأعمال على[1] قدر النيات التى هى أرواح صورها .

و لما فضل السابقين بالإنفاق، و وعد [2]بالحسنى اللاحقين[2] بحسن الاتباع، و أشار إلى[3] أنه ربما ألحقهم ببعضهم بصفاء الإخلاص فتوفرت الدواعى على البذل، أثمر [4]ذلك قوله[4] مسميا الصدقة التى[5] صورتها [صورة -[6]] إخراج من غير عوض باسم القرض الذى هو إخراج بعوض ترغيبا فيها لما أعد عليها من الجزاء المحقق فكيف إذا كان مضاعفا : /﴿من﴾ و أكد بالإشارة بقوله : ﴿ ذا ﴾ لأجل[7] ما للنفوس من الشح ﴿ الذى يقرض الله ﴾ أى يعطى[8] الذى له جميع صفات الجلال و الإكرام باعطاء المستحق لأجله عطاء من ماله هو على صورة القرض لرجائه الثواب ﴿ قرضا حسنا ﴾ أى طيبا خالصا فيه متحريا به أفضل الوجوه طيبة به النفس من غير من و لا كدر بتسويف و نحوه .

/ ٢٢٠

و لما كان ما يعطى الله المنفق من الجزاء مسببا عن إنفاقه، ربطه بالفاء فقال عطفا على "يقرض": ﴿ فيضعفه له ﴾ مرغبا فيه بجعله مبالغا فيه بالتضعيف أولا و جعله من باب المفاعلة ثانيا، و كذا التفضيل

(١) من ظ ، و فى الاصل : لا (٢-٢) من ظ ، وفى الأصل : اللاحقين بالحسنى.
(٣) من ظ ، و فى الأصل : لهم (٤ - ٤) من ظ ، و فى الأصل : قوله ذلك .
(٥) زيد فى الأصل : هى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) زيد من ظ .
(٧) من ظ ، و فى الأصل : جل (٨) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ فحذفناها .

فى

فى قراءة ابن كثير و ابن عامر و يعقوب[1] "فيضعفه" و قرأه ابن عامر [و يعقوب -[2]] بالنصب جوابا للاستفهام تأكيدا للربط و التسبيب .
و لما كانت المضاعفة[3] منه سبحانه لايعلم كنهها إلا هو قال: ﴿ و له ﴾ أى المقرض من بعد ما تعقلونه من المضاعفة زيادة على ذلك ﴿ اجر ﴾ لايعلم قدره إلا الله، و هو معنى وصفه بقوله: ﴿ كريم ﴾ أى حسن ٥ طيب زاك نام .

و لما بين ما لهذا المقرض، بين بعض وصفه بالكرم ببيان وقته فقال: ﴿ يوم ﴾ أى لهم ذلك فى الوقت الذى ﴿ ترى ﴾ فيه [بالعين -[2]] ، و أشار إلى أن المحبوب من المال لايخرج عنه و لاسيما [مع -[2]] الإقتار إلا من وقر الدين فى قلبه بتعبيره بالوصف فقال: ١٠ ﴿ المؤمنين و المؤمنت ﴾ أى الذين صار الإيمان لهم صفة راسخة ﴿ يسعىٰ ﴾ شعارا لهم و أمارة على سعادتهم ﴿ نورهم ﴾ الذى يوجب إبصارهم لجميع ما ينفعهم فيأخذوه[4] و ما يضرهم فيتركوه[5]، و ذلك بقدر أعمالهم الصالحة التى كانوا يعملونها بنور العلم الذى هو ثمرة الإيمان كما أنهم قدموا المال الذى إنما يقتنيه الإنسان لمثل[6] ذلك جزاء وفاقا . ١٥

و لما كان من يراد تعظيمه يعطى ما يحب و ما بعده شريفا (؟) فى الأماكن التى يحبها قال: ﴿ بين ايديهم ﴾ أى حيث ما توجهوا، و لذلك

(١) راجع نثر المرجان ٧/٢٠٦ (٢) زيد من ظ (٣) تكرر فى الأصل (٤) من ظ، و فى الأصل: فياخذونه (٥) من ظ، و فى الأصل: فيتركونه (٦) من ظ، و فى الأصل: بمثل .

حذف الجار ﴿ و بايمانهم ﴾ [أى - ١] و تلتصق بتلك الجهه لأن هاتين الجهتين أشرف جهاتهم ، و هم إما من السابقين ، و إما من أهل اليمين . و يعطون صحائفهم من هاتين الجهتين ، و الشقى بخلاف ذلك لانور له و يعطى صحيفته بشماله و من وراء ظهره ، فالأول نور الإيمان و المعرفة و الأعمال المقولة ، و الثانى نور الإنفاق لأنه بالإيمان٢ - [نبه - ١] عليه الرازى .

و لما ذكر نفوذهم فيما يحبون من الجهات و تيسيره لهم ، أتبعه ما يقال لهم من المحبوب فى سلوكهم لذلك المحبوب فقال : ﴿ بشرنكم اليوم ﴾ أى بشارتكم العظيمة فى جميع ما يستقبلكم من الزمان . و لما تشوفوا لذلك أخبروا بالمبشر به بقوله مخبرا إشارة إلى أن المخبر به يحسد من البشرى لكونه معدن السرور ﴿ جنت ﴾ أى كائنة لكم تتصرفون فيها أعظم تصرف ، و الخبر فى الأصل دخول ، و لكنه عدل عنه لما ذكر من المبالغة ثم وصفها بما لا / تكمل اللذة إلا به فقال : ﴿ تجرى ﴾ و أفهم القرب باثبات الجار فقال : ﴿ من تحتها الانهر ﴾ و لما كان ذلك لايتم مع خوف الانقطاع قال : ﴿ خلدين فيها ٣ ﴾ خلودا لا آخر له لأن الله أورثكم ذلك ما لايورث عنكم كما كان حكام الدنيا لأن الجنة لاموت فيها . و لما كان هذا أمرا سارا٢ فى ذلك المقام الضنك٤ محبا بأمر(؟) استأنف مدحه بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى هذا الأمر العظيم جدا ﴿ هو ﴾ أى وحده

/ ٢٢١

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : الايمان (٣) من ظ ، و فى الأصل : اشار (٤) من ظ ، و فى الأصل : بالصنك .

﴿الفوز العظيم ج﴾ أى الذى ملأ بعظمته جميع الجهات من ذواتكم و أبدانكم و نفوسكم و أرواحكم .

و لما عظم هذا الأجر الكريم ببيان ما لأهله فى الوقت الكائن فيه، عظمه بما لأضدادهم من النكال ، فقال مبدلا من الظرف الأول: ﴿يوم يقول﴾ اى قولا مجددا لما[1] يلجىء إليه من الأمور العظيمة الشاقة ٥ ﴿المنفقون و المنفقت﴾ أى بالعراقة فى إظهار الإيمان و إبطان الكفران ﴿للذين امنوا﴾ أى ظاهرا و باطنا ، و أما من علا من هذا السن من المؤمنين و من فوقهم فالظاهر أنهم لا يرونهم ليطمعوا فى مناداتهم[2] «و أين الثريا من يد المتناول» ﴿انظرونا﴾ أى انظرونا بأن تمكثوا فى مكانكم لنلحق بكم ، و كأن الفعل جرد فى قراءة الجماعة لاقتضاء الحال الإيجاز بغاية ١٠ [ما -[3]] توصل المقدرة إليه خوف الفوت ، لأن المسؤلين يسرعون إلى الجنة كالبرق الخاطف ، و قد حققت المعنى قراءه حمزة[4] بقطع الهمزة و كسر الظاء أى أخرونا فى المشى و تأنوا علينا و أمهلوا علينا ، لا تطلبوا منا السرعة فيه بل امكثوا فى مكانكم لننظر فى أمرنا كيف نلحق بكم ، و الحاصل[5] أنهم عدوا تأنيهم فى المشى و تلبثهم ليلحقوا بهم إنظارا لهم ﴿نقتبس﴾ ١٥ أى نأخذ و نصيب و نستصبح ﴿من نوركم ج﴾ أى هذا الذى نراه لكم و لا يلحقنا منه بشىء كما كنا فى الدنيا نرى إيمانكم بما نرى من ظواهركم[6]

(١) من ظ ، و فى الأصل : بما (٢) من ظ ، و فى الأصل : مادتهم (٣) زيد من ظ (٤) راجع نثر المرجان ٧/٢٠٨ (٥) من ظ ، و فى الأصل : الحال (٦) من ظ ، و فى الأصل : ظهوركم .

و لاتعلق من ذلك بشيء جزاء وفاقا ، و سبب هذا القول أنهم يعطون مع المؤمنين نورا [1] خديعة لهم بما خادعوا فى الدنيا لتعظم عليهم المشقة بفقده لأنه لايلبث أن يبعث الله عليهم ريحا و ظلمة فتطفىء نورهم و يبقون فى الظلمة ، و إلى ذلك ينظر قول المؤمنين "اتمم لنا نورنا" أى [لا -[2]] تطفئه كما أطفأت نور المنافقين .

و لما كان المنكىء لهم إنما هو الرد من أى قائل كان ، بنى للمفعول قوله : ﴿قيل﴾ أى لهم جوابا لسؤالهم قول رد و توبيخ و تهكم و تنديم : ﴿ارجعوا ورآءكم﴾ أى فى جميع جهات الوراء التى هى أبعد الجهات عن الخير كما كنتم فى الدنيا لاتزالون مرتدين على أعقابكم عما يستحق أن يقبل عليه و يسعى إليه ﴿فالتمسوا﴾ بسبب ذلك الرجوع ﴿نورا[1]﴾ و يصح أن يراد بالوراء الدنيا لأن هذا النور إنما هو منها بسبب ما عملوا فيها من الأعمال الزاكية و المعارف الصافية ، و لهذا قال الإمام الغزالى رحمه الله تعالى فى كتاب المحبة من الإحياء : إن هذه الآية تدل على / أن الأنوار لابد أن يتجدد أصلها فى الدنيا ثم يزداد فى الآخرة إشراقا [فاما -[2]] أن يتجدد ثم نور فلا .

٢٢٢ /

و لما كان التقدير : فرجعوا أو فأقاموا فى الظلمة ، سبب عنه و عقب قوله : ﴿فضرب﴾ مبنيا للمفعول على نحو الأول ، و لإفادة أن الضرب كان فى غاية السرعة و السهولة ، و يجوز أن تكون الفاء معقبة على ما

(١) من ظ، و فى الأصل : نور (٢) زيد من ظ (م) من ظ ، و فى الأصل : على .

قبله

قبله من غير تقدير ﴿ بينهم ﴾ أى فى [جميع -[1]] المسافة التى بين الذين آمنوا و أضدادهم فى وقت قولهم هذا . و لما كان المقصود أن ضربه كان فى غاية السرعة ، لم يوقع الفعل و أتى بالفاء ليقيد أنه كان كأنه عصى ضربت به الأرض ضربة واحدة ، فقال : ﴿ بسور ﴾ أى جدار محيط محيل بين الجنة و النار لايشذ عنه أحد منهم و لا يقدر ٥ أحد ممن سواهم أن يتجاوزه إليهم ﴿ له باب[1] ﴾ موكل به حجاب لايفتحون إلا لمن أذن الله له من المؤمنين بما[2] يهديهم إليه من نورهم الذى بين أيديهم لشفاعة أو نحوها ﴿ باطنه ﴾ أى ذلك السور و الباب و هو الذى من جهة الذين آمنوا جزاء لإيمانهم الذى هو غيب ﴿ فيه الرحمة ﴾ و هى ما لهم من الكرامة بالجنة التى هى ساترة يبطن من فيها بأشجارها ١٠ و بأسبابها كما كانت بواطنهم ملآء رحمة[3] ﴿ و ظاهره ﴾ أى السور أو[4] الباب الذى يظهر لأهل النار ، مبتدئ ﴿ من قبله ﴾ أى تجاه ذلك الظاهر و ناحيته وجهته و عنده ﴿ العذاب[5] ﴾ من النار[6] و مقدماتها لاقتصار أهله على الظواهر من غير أن يكون لهم نفوذ إلى باطن و عكس ما أرادوا من حفظ ظواهرهم فى الدنيا مع فساد بواطنهم ، و دل على ما أفهمه ١٥ التعبير بالمضارع فى " يقول " من التكرير بقوله استئنافا : ﴿ ينادونهم ﴾ أى المنافقون و المنافقات ، يواصلون النداء و هم فى الظلمة للذين آمنوا يترفقون لهم فى مدة هذا القول و الضرب : ﴿ الم نكن ﴾ أى بكليتنا

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ان (٣) من ظ ، و فى الأصل : الرحمه (٤) من ظ ، و فى الأصل : « و » (٥) من ظ ، و فى الأصل : العذاب .

﴿ معكم ﴾ أى فيما كنتم فيه من الدين فنستحق المشاركة فيما صرتم إليه بسبب ذلك [الدين -[1]] الذى كنا معكم فيه ﴿ قالوا ﴾ أى الذين آمنوا : ﴿ بلى ﴾ قد كنتم معنا ﴿ و لكنكم فتنتم ﴾ أى كنتم بما كان لكم من الذبذبة تختبرون ﴿ انفسكم ﴾ فتخالطونها[2] باختبار أحوال الدين[3] مخالطة ٥ محيلة لها مميلة عما كانت عليه من أصل الفطرة من الاستقامة ، تريدون بذلك أن تظهر لكم فيه أمور محسوسة لتخلصوا فيه من الشكوك فتخلصوا ، فما آمنتم بالغيب فأهلكتموها[4] و تبعتم أيضا الأمور التى كنتم تفتنون بها [من - [1]] الشهوات ، فأوجبتم لكم الإعراض عن المعالى الباطنات ﴿ و تربصتم ﴾ أى كلفتم أنفسكم أن أخرجتموها عن الفطرة الأولى ١٠ فأمهلتم و انتظرتم لتروا الأمر عيانا أو لم تفعلوا كما فعلنا من الإيمان بالغيب و ترك التجربة و نسبة ما يحصل لنا مما فيه فتنة إلى أنفسنا بتقصيرنا ، وكنا كلما حصل لنا ما يزلزل نقول : هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و لا يزيدنا ذلك إلا ايمانا و تسليما ، و انتظرتم أيضا الدوائر بأهل الإيمان لتظهروا النفاق ﴿ و ارتبتم ﴾ أى شككتم بتكليف أنفسكم الشك ٢٢٣ / ١٥ بذلك التربص ﴿ و غرتكم الامانى ﴾ أى ما تتمنون / أى تريدون و تقدرون من الإرادات التى معها شهوة عظيمة من الأطماع الفارغة التى لا سبب لها غير شهوة النفس إياها بما كنتم تتوقعون لنا من دوائر السوء ﴿ حتى جآء امر الله ﴾ اى قضاء الملك المتصف بجميع صفات الكمال ، فلا كفوء له و لا خلف لقوله من الموت ، و مقدمات من الأمور الدهشة ،

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : نتخالطوبهم (٣) من ظ ، و فى الأصل : الدنيا (٤) من ظ ، و فى الأصل : فانهكتموها .

فكما كنتم فى الدنيا مقصرين كنتم فى هذا الموطن ﴿ و غركم بالله ﴾ أى الملك الذى له جميع العظمة، فهو بحيث لايخلف الميعاد و هو الولى الودود ﴿الغروره﴾ أى من [لا -[1]] صنع له إلا الكذب و هو الشيطان و هو العدو الحسود، فانه ينوع لكم بغروره التسويف و يقول: إن الله غفور رحيم [و -[1]] عفو كريم، و ما ذا عسى أن تكون ذنوبكم عنه ٥ و هو عظيم و محسن و حليم و نحو هذا، فلا يزال حتى يوقع الإنسان، فاذا أوقع واصل عليه مثل ذلك حتى يتمادى، فاذا تمادى صار الباعث له حينئذ من قبل نفسه فصار طوع يده.

و لما أقروا لهم بالكون الجامع. و ذكروا ما حصل به و الفرق المانع فظهر أن لا كون، سببوا عنه قولهم: ﴿ فاليوم ﴾ أى بسبب أفعالكم ١٠ تلك ﴿لا يؤخذ﴾ بناء للمفعول لأن الضار عدم الأخذ[2]لا كونه[2] من آخذ معين و ليفيد سد باب الأخذ مطلقا ﴿ منكم فدية ﴾ أى نوع من أنواع الفداء و هو البدل و العوض للنفس على أى حال من قلة أو كثرة أو حسن أو غيره لأن الإله غنى و قد فات محل العمل الذى شرعه لإنقاذ أنفسكم. و لما كانوا مكذبين أكد فقال: ﴿و لا من الذين كفروا[1]﴾ أى أظهروا ١٥ كفرهم و لم يستروه كما سترتموه أنتم لمساواتكم لهم فى الكفر. و لما كان كأنه قيل: فاين نكون؟ قال: ﴿ ما ويكم ﴾ أى منزلكم و مسكنكم و مجمعكم ﴿ النار[1]﴾ لا مقر لكم غيرها، تحرقكم كما كنتم تحرقون قلوب الأولياء باقبالكم على الشهوات، و إضاعتكم حقوق ذوى الحاجات، و أكد ذلك

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ، و فى الأصل: لكونه.

بقوله : ﴿ هى ﴾ أى لاغيرها ﴿ مولـكم ﴾ أى قرينتكم و موضع قربكم و مصيركم و ناصركم على نحو "تحية بينهم[1] ضرب وجيع" فهى أولى لكم، لاقرب لـكم إلى غيرها، و لا غيرها مولى و لامصير [إلى -[3]] سواها و لا ناصر إلا هى . و لما كان التقدير : فبئس المولى هى، عطف عليه

٥ قوله : ﴿ و بئس المصير ﴾ أى هذه النار التى صرتم إليها .

و لما كان هذا وعظا شافيا لسقام القلوب، وكاشفا لغطاء الـكروب، انتج قوله حاثا على الإقبال على كتابه الذى رحم به عباده بانزاله على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم على وجه معلم باعجازه أنه كلام الله مستعطفا لهم إلى جنابه زاجرا لهم[2] عما سألهم بعضهم فيه سلمان رضى الله عنه من أن

١٠ يحدثهم عن التوراة و الانجيل ، فكانوا كلما سألوه عن شىء أنزل سبحانه آية يزجرهم بها و ينبههم على أن هذا القرآن فيه [كل ما -[2]] يطلب إلى أن أنزل هذه الآية زاجرة هذا الزجر العظيم لئلا يظن ظان أن القرآن غير كاف، مخوفا لهم بما وقع لأهل الـكتاب من الإعراض عن كتابهم . قال الكلبى[4] نزلت فى المنافقين بعد الهجرة بسنة ، و قال ابن عباس

٢٠٤ / ١٥ رضى الله عنهما : إن الله استبطأ قلوب المؤمنين على رأس / ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن ، فقال : ﴿ الم يان ﴾ اى يحن و ينتهى و يدرك إلى الغاية ﴿ للذين امنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان بألسنتهم صدقا أو كذبا ﴿ ان تخشع ﴾ اى أن يـكون لهم رتبة عالية فى الإيمان بأن تلين و تسكن و تخضع و تذل و تطمئن فتخبت فتعرض عن الفانى و تقبل على الباقى ﴿ قلوبهم لذكر الله ﴾

(١) من ظ ، و فى الأصل : بينكم (٢) زيد من ظ (٣) سقط من ظ (٤) راجع.

اى الملك الأعظم الذى لاخير إلا منه فيصدق فى إيمانه من كان كاذبا و يقوى فى الدين من كان ضعيفا ، فلا يطلب لذلك دينه دواء و لا لمرض قلبه شفاء فى غير القرآن ، فان ذكر الله يجلو أصداء القلوب و يصقل مرائيها .

و لما كان الذكر وحده كافيا فى الخشوع و الإنابة و الخضوع لأنه مجمع لكل رغبة و منبع لكل رهبة ، و كان من الناس من لانفوذ له فيما له سبحانه من الجلال و الإكرام قال : ﴿ و ما نزل ﴾ أى الله تعالى بالتدريج - على قراءة الجماعة بالتشديد[1] ، و ما وجد إنزاله[2] من عند الله على خاتم رسله صلى الله عليه و سلم على قراءة نافع و حفص عن عاصم و رويس بخلف عنه عن يعقوب بالتخفيف ﴿من الحق[3]﴾ أى من الوعد و الوعيد و الوعظ و غير ذلك على نبيكم صلى الله عليه و سلم من القرآن إشارة إلى ان غير هذا الذكر دخله الدخيل ، و اما هذا فثابت ثباتا لايقدر أحد على إزالته .

و لما كان للمسابقة و المنافسة أمر عظيم فى تحريك الهمم لأهل الأنفة و أولى المعالى قال : ﴿ و لايكونوا كالذين ﴾ و لما كان العلم بمجرده كافيا فى إعلاء الهمة فكيف [إذا -[3]] كان من عند الله فكيف إذا كان بكتاب ، إشارة[4] إلى ذلك بالبناء للمجهول فقال : ﴿اوتوا الكتب﴾ أى لو كان الإتيان من عند غير الله لكان جديرا بالهداية فكيف و هو من عنده . و لما كان إنزال الكتب لم يكن إلا على بنى إسراءيل

(١) راجع نثر المرجان ٧/٢١٤ (٢) من ظ ، و فى الأصل : انزله (٣) زيد من ظ .
(٤) من ظ ، و فى الأصل : اشارة .

فلم يكن مستغرقا للزمان الماضى أدخل الجار فقال: ﴿ من قبل ﴾ أى قبل ما نزل إليكم و هم اليهود و النصارى . و لما كانوا[1] فى كل قليل يعبرون قال عاطفا على "اوتوا الكتاب": ﴿ فطال عليهم الامد ﴾ أى الزمان الذى ضربناه لشرفهم و مددناه لعلوهم من أول إيتائهم[2] الكتاب الذى من شأنه ترقيق القلوب، و الأمد الأجل، و كل منهما يطلق على المدة كلها و على آخرها، و كذا الغاية بقول النحاة: "من" لابتداء الغاية و «إلى» لانتهائها، و المراد جميع المدة ﴿ فقست ﴾ أى بسبب الطول ﴿ قلوبهم[3] ﴾ أى صلبت و اعوجت حتى كانت بحيث لا تنفعل للطاعات و الخير فكانوا [3]كل القليل[3] فى تعنت شديد على أنبيائهم عليهم الصلاة و السلام يسألونهم المقترحات، و أما بعد ايتائهم فابعدوا فى القساوة، فمالوا إلى دار الكدر بكلياتهم و أعرضوا عن دار الصفا فانجروا إلى الهلاك باتباع الشهوات، قال القشيرى: و قسوة القلب إنما تحصل من اتباع الشهوة[4] و أن الشهوة و الصفوة لا تجتمعان .

و لما كان التقدير: فبعضهم ثبت على تزلزل، عطف عليه قوله: ﴿ وكثير منهم ﴾ أخرجته قساوته عن الدين أصلا و رأسا فهم/ ﴿ فسقون ﴾ أى عريقون فى وصف الإقدام على الخروج من دائرة الحق التى عداها لهم الكتاب، و عن عبد الله بن الزبير عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه قال: لم يكن بين إسلامهم و بين أن نزلت هذه الآية يعاتبهم الله

٢٠٥/

(١) من ظ، و فى الأصل: كان (٢) من ظ، و فى الاصل: اتيانهم .
(٣-٣) من ظ، و فى الأصل: قليلا (٤) من ظ، و فى الأصل: الهوى .

بها إلا أربع سنين - رواه الطبرانى فى الكبير[1]، قال الهيثمى: و فيه موسى ابن يعقوب الربعى وثقه ابن معين و غيره و ضعفه ابن المدينى و بقية رجاله رجال الصحيح - انتهى.

و لما كان الموجب الأعظم للقسوة إنكار البعث، وكان[2] العرب يزيدون على أهل الكتاب من موجبات القسوة به، وكان عمل العامل بما يدل[3] على القسوة عمل من ينكره، قال مهددا لهم به مقررا لما ابتدأ به السورة من أمر الإحياء مشيرا إلى القدرة على إحياء القلوب ممثلا لإزالة القسوة عنها بصقل الذكر و التلاوة ترغيبا فى إدامة ذلك[4]: ﴿اعلموآ﴾ أى يا من آمن بلسانه ﴿ان الله﴾ أى الملك الأعظم الذى له الكمال كله فلا يعجزه شىء ﴿يحيي﴾ أى على سبيل التجديد و الاستمرار كما تشاهدونه ﴿الارض﴾ اليابسة بالنبات. و لما كان هذا الوصف ثابتا دائما بالفعل و بالقوة أخرى، و كان الجار هنا مقتضيا للتعميم قال: ﴿بعد موتها[5]﴾ من غير ذكر الجار و كما أنه يحييها فيخرج بها النبات بعد أن كان قد تفتت و صار ترابا فكذلك يحيي بجمع[6] أجسامهم و إفاضة الأرواح عليها كما فعل بالنبات و كما فعل بالأجسام أول مرة سواء، لا فرق بوجه إلا بأن يقال: الابتداء أصعب فى العادة، فاحذروا سطوته و اخشوا غضبه و ارجوا رحمته لإحياء القلوب، فانه قادر على إحيائها بروح الوحى كما

(١) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٢١ (٢) من ظ، و فى الأصل: ان (٣) من ظ، و فى الأصل: دل (٤) زيد فى الأصل: فقال تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥) من ظ، و فى الأصل: لجميع.

أحيي الأرض بروح الماء لتصير باحيائها بالذكر خاشعة بعد قسوتها كما صارت الأرض بالماء رابية بعد خشوعها و موتها .

و لما انكشف الأمر بهذا غاية الانكشاف ، أنتج قوله : ﴿قد بينا﴾ أى على ما لنا من العظمة، و لما كان العرب يفهمون من لسانهم ما لايفهم غيرهم فكانوا يعرفون - من إعجاز القرآن بكثرة فوائده و جلالة مقاصده و دقة مسالكه و عظمة مداركه، و جزالة تراكيبه و متانة أساليبه و غير ذلك من شؤنه و أنواعه و فنونه، المنتج لتحقق أنه كلام الله - (١ما لا١) يعلمه غيرهم فكأنما كانوا مخصوصين بهذا البيان ، فقدم الجار فقال: ﴿لكم الآيٰت﴾ أى العلامات المنيرات . و لما كان السياق للبعث ، وكان من دعائم أصول الدين ، و كان العقل كافيا فى قياسه على النبات ، وكان الفعل(٢) الذى لايعود إلى سعادة الآخرة ناقصا ، و كان العقل الذى لاينجى صاحبه مساويا للعدم ، قال معبرا بأداة التراخى بخلاف ما سبق فى آل عمران فانه من مصالح النفس التى اختفت ، و دواع تدعو إلى فهمها ، و تبعث إلى إتقان / علمها ﴿لعلكم تعقلون ٥﴾ أى لتكونوا عند من يعلم ذلك و يسمعه من الخلائق على رجاء من حصول العقل لكم بما يتجدد لكم من فهمه على سبيل التواصل الدار بالاستمرار .

٢٠٦ /

و لما كانت الصدقة كالبذر الذى تقدم أن الله تعالى يحييه و يضاعفه أضعافا كثيرة على حسب زكاء الأرض ، قال منتجا مما مضى ما يعرف

(١-١) من ظ ، و فى الأصل . دالا ا٢) من ظ ، و فى الأصل : العقل .

أن من أعظم ما دل على الخشوع المحثوث عليه و البعد عن حال[1] الذين أوتوا الكتاب فى القسوة الصدقة بالإنفاق الذى قرنه فى أولها بالإيمان، وحث عليه فى كثير من آياتها تنبيها على أنه ثمرته التى لاتخلف عنه، معبرا عنه بما يرشد إلى أنه المصدق لدعواه، و أكده[2] لمن يشك فى البعث من إنكار بركة الصدقة عاجلا أو آجلا تقيدا بالمحسوسات: ﴿ان المصدقين﴾ ٥ أى العريقين فى هذا الوصف من الرجال ﴿ و المصدقت ﴾ أى من النساء، بأموالهم على الضعفاء الذين إعطاؤهم يدل على الصدق فى الإيمان لكون[3] المعطى لايرجى منه نفع دنيوى، و لعله أدغم إشارة إلى إخفاء الصدقات، و قراءة [أبى -[4]] رضى الله عنه بالإظهار ترشد إلى الإكثار من الصدقة حتى تصير ظاهرة، و قراءة ابن كثير و أبى بكر عن عاصم ١٠ بالتخفيف[5] تدل مع ذلك على التصديق بالإيمان، فكل من القراءات يدل عليهما، و من التفصيل بذكر النوعين تعرف شدة الاعتناء.

و لما كانت صيغة التفعل تدل على التكلف حثا على حمل النفس على التطبع بذلك حتى يصير لها خلقا فى غاية الخفة عليها فقال عاطفا على صلة الموصول فى اسم الفاعل معبرا بالماضى بعد إفهام الوصف الثبات ١٥ دلالة على الإيقاع بالفعل عطفا على [ما -[4]] تقديره موقعا ضمير المذكر على الصنفين تغليبا الذين صدقوا إيمانهم بالتصدق[6]: ﴿ و اقرضوا الله ﴾

(١) من ظ، و فى الأصل: الحال (٢) من ظ، و فى الأصل: اكد كما (٣) من ظ، و فى الأصل: لكونه (٤) زيد من ظ (٥) راجع نثر المرجان ٧ / ٢١٧ (٦) من ظ، و فى الأصل: بالصدق.

الذى له الكمال كله بتصديقهم سواء كانوا من الذكور أو الإناث ، و إنفاقهم فى كل ما ندب [إلى الإنفاق -[1]] فيه ، و أكد و وصف بقوله : ﴿قرضا حسنا﴾ أى بغاية ما يكون من طيب النفس و إخلاص النية فى الصدقة و النفقة فى سبيل الخير ، و حسنه أن يصرف [2]بصره إلى النظر[2] إلى فعله ٥ و الامتياز بـــه و طلب العوض عليه ، قاله الرازى . ﴿يضعف﴾ أى ذاك القرض ﴿لهم﴾ و يثابون بحسب تلك المضاعفة لأن الذى كان القرض له سبحانه حليم كريم و لا يرضى فى الخير إلا بالفضل ، و ثقل فى قراءة ابن كثير و ابن عامر و أبى جعفر [و يعقوب -[1]] دلالة على المبالغة فى التكثير ، و عبر بالمفاعلة [3]فى قراءة الجماعة لإفهام أن تلك الكثرة ١٠ مما لابد من كونه ، و أنه عمل فيه عمل من يبارى آخر و يغالبه ، و بنى للمفعول دلالة على باهر العظمة اللازم عنه كونه بغاية السهولة ﴿و لهم﴾ أى مع المضاعفة ﴿اجر كريم ٥﴾ أى لا كدر فيه بانقطاع و لا قلة و لا زيادة بوجه من الوجوه أصلا .

/ ٢٠٧ / و لما بين سبحانه و تعالى أن الصدقة كالبذر الذى هو من أحسن ١٥ الأرباح و أبهجها ، بين الحامـــل عليها ترغيبا فيها ، فقال عاطفا بالواو ، إشارة إلى التمكن فى جميع هذه الصفات : ﴿و الذين 'امنوا﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة العظيمة فى أنفسهم ﴿بالله﴾ أى الملك الأعلى الذى له الجلال و الإكرام ﴿و رسله﴾ أى كلهم لما[4] لهم من النسبة إليه ، فمن

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل : البصر بالنظر (٣) راجع نثر المرجان ٧ / ٢١٧ (٤) فى ظ : لأجل ما .

كذب بشيء على أحد منهم أو عمل عمل المكذب له لم يكن مؤمنا به ﴿أولئك﴾ أى الذين لهم الرتب العالية و المقامات السامية ﴿هم﴾ أى خاصة الا غيرهم ﴿الصديقون﴾ أى الذين هم فى غاية الصدق و التصديق لما يحق له أن يصدقه من سمعه، و قال القشيرى: الصديق من استوى ظاهره و باطنه، و يقال: هو الذى يحمل الأمر على الأشق و لا ينزل[٢] ٥ إلى الرخص، و لا يحتاج للتأويلات، و لما كان الصديق لا يكون غريقا فى الصديقية إلا بالتأهيل لرتبة الشهادة قال تعالى: ﴿و الشهداء﴾ معبرا بما مفرده شهيد عاطفا بالواو إشارة إلى قوة التمكن فى كل من الوصفين، [قال القشيرى - ٣]: هم الذين يشهدون بقلوبهم بواطن الوصلة و يعتكفون بأسرارهم فى أوطان القربة، و زاد الأمر عظما بقوله: ﴿عند ربهم[١]﴾ ١٠ أى الذى أحسن إليهم بالقربة [بمثل تلك الرتبة - ٣] العالية من الشهادة لله بكل ما أرسل به رسله و الأنبياء الماضين على أممهم و الحضور فى جميع الملاذ بالشهادة فى سبيل الله، قال مجاهد[٤]: كل مؤمن صديق و شهيد - و تلى هذه الآية ﴿لهم﴾ اى جميع من مضى من الموصوفين[٥] [بالخير - ٣] ﴿أجرهم﴾ أى الذى جعله ربهم [لهم - ٣] ﴿و نورهم[١]﴾ [أى - ٣] ١٥ الذى زادهموه من فضله برحمته، أولئك أصحاب النعيم المقيم.

و لما ذكر أهل السعادة جامعا لأصنافهم، أتبعهم أهل الشقاوة لذلك قال: ﴿و الذين كفروا﴾ أى ستروا ما دلت عليه أنوار عقولهم و مرائى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: لا يتزلزل (٣) زيد من ظ (٤) راجع البحر المحيط ٨/٢٢٣ (٥) من ظ، و فى الأصل: الموضعين.

فكرهم ﴿ وكذبوا بآيٰتنآ ﴾ على ما لها من العظمة بنسبتها إلينا سواء كانوا فى ذلك مسارين أو مجاهرين أو عمل العالم بها عمل المكذب ﴿اولٰـئك﴾ أى المبعدون [١]من الخير[١] [خاصة -[٢]] ﴿اصحٰب الجحيم﴾ أى النار التى هى [٣]غاية فى[٣] توقدها، خالدون فيها من بين العصاة، و أما غيرهم فدخولهم [لها - [٢]] إذ دخلوها ليس على [وجه - [٢]] الصحبة الدالة على الملازمة، و أولئك هم الكاذبون الذين لا تقبل [٤]لهم شهادة[٤] عند ربهم، لهم عقابهم و [عليهم -[٢]] ظلامهم، و الآية من الاحتباك: ذكر الصديقية [٥]و ما معها أولا[٥] دليلا على أضدادها ثانيا، و[٦] الجحيم ثانيا دليلا على النعيم أولا، و سره أن الأول أعظم فى الكرامة، و الثانى أعظم فى الإهانة.

و لما ذكر [سبحانه -[٢]] حال الفريقين: الأشقياء و السعداء، فتقرر[٧] بذلك أمر الآخرة، فعلموا أنها / الحيوان الذى لا انقضاء له من إكرام أو هوان، و كان الموجب للهوان فيها إنما هو الإقبال على الدنيا لحضورها و نسيان الآخرة لغيابها[٨]، قال منتجا مما[٩] مضى مبينا لحقيقة ما يرغب فيه المكلف المركب على الشهوة من العاجلة بما نزهه فيه مصدرا له بما يوجب /٢٠٨

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣ - ٣) من ظ، و فى الأصل: فى غاية (٤ - ٤) من ظ، و فى الأصل: شهادتهم (٥ - ٥) من ظ، و فى الأصل: اولا ومعها (٦) زيد فى الأصل: أهل، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) من ظ، و فى الأصل: فقرر (٨) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٩) من ظ، و فى الأصل: لما.

غاية اليقظة و الحضور[1]: ﴿اعلموا﴾ أى ايها العباد المبتلون، و أكد المعنى بزيادة "ما" [لما -[2]] للناس من الغفلة عنه فقال قاصرا قصر قلب: ﴿انما الحيٰوة الدنيا﴾ أى الحاضرة التى رغبت فى الزهد فيها و الخروج عنها بالصدقة و القرض الحسن ﴿لعب﴾ أى تعب لاثمرة له فهو باطل كلعب الصبيان ﴿و لهو﴾ أى شىء يفرح الإنسان به فيلهيه و يشغله ٥ عما يعنيه ثم ينقضى كلهو الفتيان، ثم اتبع ذلك عظم ما يلهى فى الدنيا فقال: ﴿و زينة﴾ أى شىء يبهج العين و يسر النفس كزينة النسوان، و أتبعها ثمرتها فقال: ﴿و تفاخر﴾ أى كتفاخر[3] الأقران يفتخر بعضهم على بعض. و لما كان ذلك مخصوصا بأهل الشهوات قال: ﴿بينكم﴾ أى يجر إلى الترفع الجارّ إلى الحسد و البغضاء، ثم أتبع ذلك ما يحصل به الفخر ١٠ فقال: ﴿و تكاثر﴾ أى من الجانبين ﴿فى الاموال﴾ أى التى لايفتخر بها إلا أحمق لكونها مائلة ﴿و الاولاد[4]﴾ الذين لايغتر بهم إلا سفيه لأنهم الأعداء، و أن جميع ما ذكر زائل و أن الدنيا آفاتها هائلة، و إنما هى فتنة و ابتلاء يظهر بها الشاكر من غيره، ثم إلى ذلك كله [4]قد يكون[4] ذهابه عن قرب فتكون على أضداد ما كان عليه، فيكون أشد فى ١٥ الحسرة، و مطابقة ذلك لما بعده أن الإنسان ينشأ فى حجر وليه فيشب و يقوى و يكسب المال و الولد و تغشاه الناس فيكون بينهم أمور معجبة و أحوال ملهية مطربة، فاذا تم شبابه و أطفأه مجيئه و ذهابه

(١) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢) زيد من ظ
(٣) فى ظ: تفاخر (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

و أشكاله و أترابه، أخذ فى الانحطاط و لا يزال حتى يشيب و يسقم و يضعف و يهرم و تصيبه النوائب و القوارع و المصائب فى ماله وجسمه و أولاده و أصحابه، ثم فى آخر ذلك يموت، فاذا قد اضمحل أمره و نسى عما قليل ذكره، و صار ماله لغيره و زينته متمتعا بها سواه فالدنيا حقيرة ٥ و أحقر منها طالبها و أقل منها خطر المزاحم فيها، فما هى إلا جيفة، و طلاب الجيفة ليس لهم خطر، و أخسهم من بخل بها، قال القشيرى: و هذه الدنيا المذمومة هى ما يشغل العبد عن الآخرة [فكل ما يشغله عن الآخرة -[1]] فهو الدنيا - انتهى.

و لما قرر سبحانه أنها ظل زائل و عرض هائل، و كان بعض ١٠ الناس يتنبه فيشكر[2] و بعضهم يعمى فيكفر، و كان القسم الثانى أكثر لأن وجودها و إقبالها يعمى أكثر القلوب عن حقارتها، ضرب لذلك مثلا مقررا لما مضى من وصفها لأن للأمثال[3] فى تقرير الأشياء و تصويرها ما ليس لغيرها فقال تعالى: ﴿ كمثل ﴾ أى هذا الذى ذكرته من أمرها يشبه مثل ﴿ غيث ﴾ أى مطر / حصل بعد جدب [و -[1]] سوء حال. /٢٠٩

١٥ و لما كان المثل فى سياق التحقير للدنيا و التنفير عنها، عبر عن الزراع بما ينفر فقال: ﴿ اعجب الكفار ﴾ أى الزراع الذين حصل منهم[4] الحرث و البذر الذى يستره الحارث بحرثه كما يستر الكافر حقيقة أنوار الإيمان لما يحصل منه من الجحدو الطغيان ولا يتناهى إعجاب[5] الزارع [إلى -[1]]

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: و يشكر (٣) من ظ، و فى الأصل: الامثال (٤) من ظ، و فى الأصل: لهم (٥) من ظ، و فى الأصل: اعجب.

حد يلهى عن الله إلا مع الكفر به سبحانه ، فان المؤمن و إن أعجبه ذلك يتذكر به قدرة الله سبحانه و تعالى و عظمته و ما أعد لأهل طاعته فى الآخرة ، فيحمله ذلك على الطاعة ، فالتعبير بالكفار الذى هو بمعنى الزراع دونه إشارة إلى عظمة ذلك النبات فانه لايعجب العارفين به الممارسين له الذين لهم غاية الإقبال على تلك الحرفة فالمنافسة فيها إلا ما يكون منها[1] نهاية فى الإعجاب ، و إلى أنه لايعجب أحدا شىء من الدنيا إعجابا يركن و يأنس به أنسا يؤدى إلى ما فى الآية من اللهو و ما معه إلا لكفر فى نفسه أقله كفر النعمة التى من شأنها أن تدعو إلى تذكر الخالق[2] و تذكر الجميل على الشكر ، و ترك الشكر كفر ﴿نباته﴾ أى نبات ذلك الغيث كما يعجب الكافر فى الكفر فى الغالب بسط الدنيا له استدراجا من الله تعالى .

و لما كان الزرع يشيخ بعد مُدَيْدةٍ فيضمحل كما هو شأن الدنيا كلها قال[3] : ﴿ثم يهيج﴾ أى يسرع تحركه فيتم جفافه فيحين حصاده ﴿فتراه مصفرا﴾ أى[4] عقب ذلك و بالقرب منه على حالة لا ثمر معها [بل -[5]] و لانبات ، و لذلك قال معبرا بالكون لأن السياق للتزهيد فى الدنيا و أنها ظل زائل لاحقيقة لها[6] : ﴿ثم﴾ أى بعد تناهى جفافه[7] و ابيضاضه ﴿يكون﴾ أى كونا كأنه مطبوع عليه ، و أبلغ سبحانه فى تقرير اضمحلاله بالإتيان مع فعل الكون هنا للمبالغة لأن السياق لتقرير

(١) فى ظ : منه (٢) من ظ ، و فى الأصل : الخلق (٣) من ظ ، و فى الأصل : فقال (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : له .
(٧) فى الأصل : الجفافة ، و فى ظ : الجفاف .

أن الدنيا عدم و إن كانت فى غاية الكثرة و الإقبال و المؤاتاة[1] بخلاف ما مضى فى الزمر فقال : ﴿حطاما[2]﴾ كأن الحطامية[2] كانت فى جبلته و أصل طبعه .

و لما ذكر الظل الزائل ، ذكر أثره[3] الثابت الدائم مقسما له على قسمين ، فقال عاطفا على ما تقديره هذا حال الدنيا فى سرعة زوالها و تحقق فنائها [و اضمحلالها -[4]] : ﴿و فى﴾ أى هذا الذى غر من حال الدنيا و هو فى ﴿الأخرة﴾ على أحدهما ﴿عذاب شديد[1]﴾ أى لمن أخذها بغير حقها معرضا عن ذكر الله لأن الاغترار بها سببه ، فكان كأنه هو .

و لما قدم ما هو السبب الأغلب لأن أكثر الخلق هالك ، اتبعه الصنف الناجى فقال : ﴿و مغفرة﴾ أى لأهل الدرجة الأولى فى الإيمان ﴿من الله﴾ أى الملك الأعظم لمن يذكر بما صنعه له فى الدنيا عظمته سبحانه و جلاله فتاب من ذنوبه ، و رجع إليه فى التطهير من عيوبه ﴿و رضوان[1]﴾ لأهل الدرجة العليا و هم من أقبل عليه سبحانه فشكره حق شكره ببذل وسعه[4] فيما يرضيه ، فآخر الآية تقسيم للدنيا على الحقيقة لئلا يظن من حصرها فيما ذكر أول الآية أنها لاتكون إلا / كذلك ، ٢١٠ / فالمعنى أن الذى ذكره أولا هو الأغلب لأحوالها و عاقبته النار ، و ما كان منها من إيمان و طاعة و نظر توحيد لله و تعظيم و معرفة تؤدى إلى

(١) من ظ ، و فى الأصل : الموالاة (٢) من ظ ، و فى الأصل : الحاطمة .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : أثر (٤) زيد من ظ .

أخذها تزودا[١] و نظرها اعتبارا و تعبدا ، فهو[٢] آخرة لا دنيا ، و قد تحرر أن مثل الغيث المذكور الحطام و تارة يعقبه نكد لازم و أخرى سرور دائم ، فمن عمل فى ذلك عمل الحزمة فحرس الزرع مما يؤذيه و حصده فى وقته و عمل فيه ما ينبغى و لم ينس حق الله فيه سره أثره و حمدت عاقبته ، و من أهمل ذلك [أعقبه الأسف ، و ذلك هو مثل الدنيا : من عمل فيها بأمر الله أعقبته حطاميتها سرورا دائما ، و من أهمل ذلك -[٣]] أورثته حزنا لازما ، و كما كان التقدير : فما الآخرة لمن سعى لها سعيها و هو مؤمن إلا حق مشهور و سعى مشكور ، عطف عليه قوله : ﴿ و ما الحيوٰة الدنيآ ﴾ أى لكونها تشغل بزينتها مع أنها زائلة[٤] ﴿ الا متاع الغرور ه ﴾ أى لهو فى[٥] نفسه [غرور -[٣]] لاحقيقة له إلا ذلك ، لأنه لايجوز لمن أقبل على التمتع إلا ذلك لأنه لايسر بقدر ما يضر .

و لما بين أن الدنيا خيال و محال ليصرف الكملة من العباد عنها لسفولها و حقارتها ، و أن الآخرة بقاء و كمال ليرغبوا غاية الرغبة فيها و ليشتاقوا كل[٦] الاشتياق لكمالها و شرفها و جلالها ، أنتج ذلك قوله تعالى: ﴿ سابقوآ ﴾ أى افعلوا فى السعى[٧] لها بالأعمال الصالحة حق السعى فعل

(١) من ظ ، و ، الأصل : من ردا (٢) من ظ ، و فى الأصل : فلو (٣) زيد من ظ (٤) زيد فى الأصل : فكان تمام الجواب عنها و هى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : المتاع (٦) من ظ ، وفى الأصل : عاته (٧-٧) من ظ ، و فى الأصل : بالسعى .

من يسابق شخصا فهو يسعى و يجتهد غاية الاجتهاد فى سبقه، و لكن ربما كان قرينه بطيئا فسار هوينا، و أما المسارعة فلا تكون إلا بجهد النفس من الجانبين مع السرعة فى العرف؛ فآية آل عمران الآمرة بالمسارعة الأخص من المسابقة[1] أبلغ لأنها للحث على التجرد عن النفس و المال و جميع الحظوظ أصلا و رأسا، و لذلك كانت جنتها للمتقين الموصوفين، و أما هـذه ففى سياق التصديق الذى هو تجرد عن فضول الأموال و لذلك كانت [جنته -[2]] للذين آمنوا .

و لما كان المقام عظيما، و الإنسان - و إن بذل الجهد - ضعيفا، لايسعه إلا العفو سواء كان سابقا أو لاحقا من الأبرار و المقربين، نبه على ذلك بقوله فى السباقين: ﴿الى مغفرة﴾ أى ستر[3] لذنوبكم عينا و أثرا ﴿من ربكم﴾ أى المحسن إليكم بأن رباكم و طوركم بعد الإيجاد بأنواع الأسباب بأن تفعلوا أسباب ذلك بامتثال أوامره سبحانه و اجتناب زواجره. و لما كان المقصود من المغفرة ما يترتب عليها من نتيجتها قال: ﴿و جنة﴾ أى و بستان هو من عظم أشجارها و إطراد أنهارها بحيث يستر داخله . و لما كان ذلك لايكمل إلا بالسعة قال: ﴿عرضها﴾ أى فما ظنك بطولها . و لما كان السياق كما بين للتجرد عن فضول الأموال فقط لأن الموعود به دون ما فى آل عمران فأفرده و صرح بالعرض فقال: ﴿كعرض السمآء و الارض﴾ أى لو وصل بعضها ببعض، فآية آل عمران تحتمل الطول و جميع السماوات و الأرض على هيئتها، و يحتمل أن

(١) من ظ، و فى الاصل: المسافة (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: ساتر .

/٢١١ يكون ذلك على تقدير / أن تقد[1] كل واحدة منهما و يوصل [رأس -[2]] كل قدة برأس الأخرى ، و تمتد جميع القدات إلى نهايتها على مثل الشراك ، و هذه الآية ظاهرها[3] عرض واحد و أرض واحدة ﴿اعدت﴾ أى هيئت هذه الجنة الموعود بها و فرغ من أمرها بأيسر أمر ﴿ للذين 'امنوا ﴾ أى أوقعوا هذه الحقيقة و هم من هذه الأمة إيقاعا ٥ لاريب معه و لو أنه على أدنى الوجوه فكانوا من السابقين ، و هذا يدل على أن الجنة موجودة الآن فى آيات كثيرة ، و أن الإيمان كاف فى استحقاقها ، و أحاديث الشفاعة مؤيدة لذلك ﴿بالله﴾ أى الذى له جميع العظمة لأجل ذاته[4] مخلصين له بالإيمان ﴿و رسله[5]﴾ فلم يفرقوا بين أحد منهم ، فهذه الجنة غير مذكورة فى آل عمران ، و إن قيل : إن السماء هنا ١٠ للجنس لكون السياق فيه الصديقون و الشهداء كانت أبلغته تلك بالتصريح بالجمع و عدم التصريح بالعرض لكونها فى سياق صرح فيه بالجهاد ، و قد جرت السنة الإلهية باعظام المواعيد للمجاهدين لشدة الخطر فى أمر النفس و صعوبة الخروج عنها و عن جميع المألوفات .

و لما كان ما ذكر من الوعد بالمغفرة و الجنة عظيما لاسيما لمن آمن ١٥ و لو كان إيمانه على أعلى الدرجات و مع التجرد من جميع الأعمال ، عظمه بقوله ردا على من يوجب عليه سبحانه شيئا من ثواب أو عقاب : ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم جدا ﴿فضل الله﴾ أى الملك الذى لا كفوء له

(١) من ظ ، و فى الأصل : تقدير (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : ظاهره (٤) من ظ و فى الأصل : و أنه (٥) من ظ ، و فى الأصل : من .

فلا اعتراض عليه ﴿ يؤتيه من يشآء ﴾ و لعل التعبير بالمضارع للاشارة إلى أن هذا خاص بهذه الأمة التى هى أقل عملا و أكثر أجرا، فاذا حسدهم أهل الكتاب قال تعالى: [هل -[1]] ظلمتكم من أمركم شيئا، فاذا قالوا: لا، لأن المصروف من الأجر لجميع الطوائف على حسب الشرط، قال: ذلك فضلى أوتيه من أشاء. ﴿ و الله ﴾ أى و الحال أن الملك المختص بجميع صفات الكمال فله الأمر كله ﴿ ذو الفضل العظيم ﴾ أى الذى جل عن أن يحيط بوصفه العقول.

و لما كانت الدنيا مانعة عن العكوف إلى الآخرة بلذاتها و آلائها[2]، وكانت كما انها منزل رخاء هى دار [بلاء -[1]]، و كان قد اقتصر سبحانه فى الآية السالفة على الأول لأن السياق للانفاق و الترغيب فى معالى الأخلاق و جعل المسابقة إلى السعادة نتيجة الزهد فيها، تحركت النفس [3]إلى السؤال[3] عما يعوق عن الخير من الضرب بسياط البلاء فقال مسليا عنه لأن النفوس أشد تأثرا بالمكاره و أسرع انفعالا بالمقارع و محققا و مغريا بالإعلام بأنه لم يكن فيها خير و لاشر إلا بقضاء حتم فى الأزل و قدر أحكم و وجب حين لم يكن [غيره -[1]] شىء عز و جل، و ذكر فعل المؤنث الجائز التذكير لكون التأنيث غير حقيقى إشارة إلى عظم وقع الشر: ﴿ ما اصاب ﴾ و أكد النفى فقال: ﴿ من مصيبة ﴾ / و هى فى الأصل لكل آت من خير أو شر إلا[4] أن العرف خصها بالشر، و عم الساكن

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: الامهات (٣-٣) من ظ، و فى الأصل: للسوال (٤) من ظ، و فى الأصل: لا.

و المتحرك

و المتحرك بقوله : ﴿فى الارض﴾ أى من منابتها و مياهها و نحو ذلك ﴿و لا فى انفسكم﴾ [أى-[1]] بموت و مرض و عين و عرض ﴿الا﴾ هى كائنة ﴿فى كتب﴾ أى مكتوب لأنه مقدر[2] مفروغ من القدم ، و بين أن الكتابة حدثت بعد أن كان هو سبحانه و لا شىء معه بادخال الجار فقال : ﴿من قبل ان نبرأها[3]﴾ أى نخلق و نوجد و نقدر المصيبة و الأرض و الأنفس ، و هذا دليل على أن اكتساب العباد بجعله سبحانه و تقديره .

و لما كان ذلك متعذرا على المخلوق فهو أشد شىء تكرها له وقوفا مع الوهم قال مؤكدا : ﴿ان ذلك﴾ أى الأمر الجليل و هو علمه بالشىء و كتبه له على تفاصيله قبل كونه ، ثم سوقه النفوس و الأسباب إلى إخراجه بعد التكوين على مقدار ما سبق علمه به و كتبه له ﴿على الله﴾ أى على ما له من الإحاطة بالكمال ﴿يسير﴾ لأن علمه محيط بكل شىء و قدرته شاملة لا يعجزها شىء .

و لما بين هذا الأمر العظيم الدال على ما له سبحانه من الكبرياء و العظمة ، بين ثمرة أعماله بقوله : ﴿لكيلا﴾ أى أعلمناكم بأنا على ما لنا من العظمة قد فرغنا من التقدير ، فلا يتصور فيه تقديم و لا تأخير و لا تبديل و لا تغيير ، لأن الحزن لا يدفعه ، و لا السرور يجلبه و يجمعه ، كما قال النبى صلى الله عليه و سلم : يا معاذ ليقل همك ما قدر يكن . لأجل أن لا ﴿تاسوا﴾ أى تحزنوا حزنا كبيرا زائدا ﴿على﴾ [ما -[1]] فى أصل الجبلة ، يوصل[2] إلى المبلغ بتعاطى أسبابه و التمادى فيها ليتأثر عنها

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : تقدر (٣) من ظ ، و فى الأصل : يبلغ .

السخط و عدم الرضا بالقضاء، فربما جر ذلك إلى أمر عظيم ﴿ما فاتكم﴾ من المحبوبات الدنيوية ﴿و لا تفرحوا﴾ أى تسروا سرورا يوصل إلى البطر بالتمادى مع [ما] فى أصل الجبلة ﴿بما آتاكم[1]﴾ أى جاءكم منها على قراءة أبى عمرو[1] بالقصر، و أعطاكم [الله -[2]] على قراءة الباقين بالمد،

٥ و هى تدل على أن النعم لابد فى إيجادها و إبقائها من حافظ، ثم إنها لوخليت و نفسها فاتت لأنه ليس من ذاته إلا العدم، و قد بين سبحانه أن فى تقديره هذا و كتبه من السر أن من وطن نفسه على فقد ما لديه من أعيان و معان[3] قبل أن تأمره بالعدم و الوجدان، فلم يغيره ذلك عن المسابقة المذكورة، فالمنهى عنه التمادى مع الحزن حتى يخرج

١٠ عن الصبر و مع الفرح حتى يلهى عن الشكر، لا أصل المعنى لأنه ليس من الأفعال الاختيارية؛ قال جعفر الصادق: ما لك تأسف على مفقود و لا يرده إليك الفوت، و مالك تفرح بوجود و لا يتركه فى يدك[4] الموت - انتهى، و لقد عزى الله المؤمنين رحمة لهم فى مصائبهم و زهدهم فى رغائبهم بأن أسفهم على فوت المطلوب لايعيده، و فرحهم بحصول

١٥ المحبوب لايفيدهم، و لأن ذلك لامطمع فى بقائه إلا بادخاره عند الله /٢١٣/ ، و ذلك بأن يقول فى المصيبة: قدر الله و ما شاء [الله -[2]] فعل و يصير و فى النعمة هكذا قضى، و ما أدرى ما مثاله "هذا من فضل

(١) راجع نثر المرجان ٧/سورة الحديد (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: معادن (٤) فى ظ: يديك.

ربى ليبلونى اشكر ام اكفر" فلا يزال [خائفا -[1]] عند النقمة راجيا أثر النعمة، قائلا فى الحالين: ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن، و أكمل من هذا أن يكون مسرورا بذكر ربه له فى كلتى الحالتين كما قال [القائل -[1]]:

سقيا لمعهدك الذى لو لم يكن ما كان قلبى للصبابة معهدا . ٥

و هذه صفة المتحررين[2] من رق النفس، و قيمة الرجال إنما تعرف بالواردات المغيرة. فمن لم تغيره المضار و لم يتأثر بالمسار فهو سيد وقته، أشار إليه القشيرى .

و لما كان الإمعان فى استجلاب الأسى إنما هو من اليأس و نسيان النعم و زيادة الفرح الموصل إلى المرح إنما يجره الكبر و المرح، و كان ١٠ فى أوصاف أهل الدنيا التفاخر، قال تعالى مبينا أن المنهى عنه سابقا التمادى مع الجبلة فى الحزن و الفرح، عاطفا على ما تقديره: "فان الله لايحب كل يؤوس كفور" ﴿ و الله لا يحب ﴾ [3] أى لا يفعل فعل المحب بأن يكرم[4] ﴿ كل مختال ﴾ أى متكبر نظر إلى ما فى يده من الدنيا ﴿ فخور ﴾ قال القشيرى: الاختيال من بقايا النفس و رؤيتها، و الفخر [من -[1]] رؤية ١٥ خطر ما به يفتخر .

و لما كان من جملة صفات المختال المكاثر[5] بالمال البخل، و كان قد تقدم الحث على الإنفاق، و كان ما يوجبه لذة الفخار و الاختيال

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: المتجردين (٣) زيد فى الأصل: كل مختال (٤) من ظ، وفى الأصل: يكره (٥) من ظ، وفى الأصل: التكاثر،

التى أوصل إليها المال حاملة على البخل خوفا من الإقتار الموجب عند أهل الدنيا للصغار ، قال تعالى واصفا للمختال أو "لكل" : ﴿الذين يبخلون﴾ أى يوجدون هذه الحقيقة مع الاستمرار ﴿و يامرون الناس﴾ أى كل من يعرفونه ﴿ بالبخل[1] ﴾ إرادة أن يكون لهم رفقاء يعملون بأعمالهم الخبيثة فيحامون عنهم أو أنهم يوجبون بأعمالهم من التكبر و البطر فى الأموال التى حصلها لهم البخل استدراجا من الله لهم بخل غيرهم لأنه إذا رآهم عظموا بالمال بخل ليكثر ماله و يعظم ، و ذلك كله نتيجة فرحهم بالموجود و بطرهم عند إصابته ، فكانوا آمرين بالبخل لكونهم أسبابا له و السبب كالآمر [2]فى إيجاد شىء[2] .

و لما كان التقدير : فمن أقبل على ما ندب [إليه -[3]] من الإقراض الحسن و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فان الله شكور حليم ، عطف عليه [قوله -[3]] ذاما للبخل محذرا منه : ﴿و من يتول﴾ أى يكلف نفسه [من -[3]] الإعراض ضد ما فى فطرته من محبة الخير و الإقبال على الله ﴿فان الله﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿هو﴾ أى وحده ﴿الغنى﴾ أى عن ماله و إنفاقه و كل شىء إلى الله مفتقر ﴿الحميد ٥﴾ أى المستحق للحمد و سواء حمده الحامدون أم لا ، و قراءة نافع و ابن عامر[7] باسقاط [" هو -[3] "] مفيدة [4]الحصر المبتدأ فى الخبر للتعريف[4] و إن كانت قراءة الجماعة آكد .

(١-١) من ظ ، وفى الأصل : بالايجاد شىء (٢) زيد من ظ (٣) راجع نثر المرجان ٧/ سورة الحديد (٤-٤) من ظ ، وفى الأصل : للحصر المبدا للخر فى التعريف.

و لما ظهرت الأدلة [حتى -[1]] لم يبق لأحد علة ، و انتشر نورها حتى ملأ الأكوان ، و علا علوا تضاءل دون عليائه كيوان ، و كان فيما تقدم / شرح مآل الدنيا و بيان حقيقتها ، و أن الآدمى إذا خلى و نفسه ارتكب[2] ما لا يليق من التفاخر و ما شاكله[3] و ترك ما يراد به مما دعى إليه من الخير جهلا منه و انقيادا مع طبعه ، و كان ختم الآية السابقة ربما أوهم المشاركة ، قال تعالى نافيا ذلك فى جواب من توقع الإخبار عن سائر الأنبياء: هل أوتوا من البيان ما أزال اللبس ، مؤكدا لإزالة العذر بإقامة الحجج بارسال الرسل بالمعجزات الحاضرة و الكتب الباقية ، معلما أن من أعرض كلف الإقبال بالسيف ، فان الحكيم العظيم تأبى عظمته و حكمته أن يخلى المعرض عن بينة ترده عما هو فيه ، و قسر يكفه عما يطغيه[4]: ﴿ لقد ارسلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ رسلنا ﴾ أى [5]الذين لهم نهاية[5] الإجلال بما لهم بنا من الاتصال من الملائكة [6]إلى الأنبياء[6] على جميعهم أفضل الصلاة و السلام [و التحية -[1]] و الإكرام ، و من الانبياء إلى الأمم[7] ﴿ بالبينت ﴾ أى الموجبة للاقبال فى الحال لكونها لالبس فيها أصلا ، و دل على عظمة أنبيائه عليهم الصلاه و السلام بأنهم لعلو مقاماتهم[8] بالإرسال كأنهم[9] أتوا إلى العباد من موضع عال جدا فقال: ﴿ و انزلنا ﴾ بعظمتنا

/ ٢١٤

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : ارتكبت (٣) من ظ ، و فى الأصل : يشاكه (٤) زيد فى الأصل : قال تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : هم آية (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل : للانبياء (٧) من ظ ، و فى الأصل : من (٨) فى ظ : مقالهم (٩) من ظ ، و فى الأصل : فانهم .

التى لاشىء أعلى منها ﴿معهم الكتب﴾ أى الحافظ فى زمن الاستقبال فى الأحكام و الشرائع .

و لما كان فهم الكتاب ربما أشكل فانه يحتاج[1] إلى ذهن صقيل و فكر طويل ، و صبر كبير و علم كثير - قال الرازى : و بهذا [قيل -[3]] :
٥ لو لا الكتاب لأصبح العقل [حائرا و لولا العقل -[2]] لم ينتفع بالكتاب ، - عقبه بما يشترك فى معرفته الكبير و الصغير ، و الجاهل و النحرير ، و هو أقرب الأشياء إلى الكتاب فى العلم بمطابقة[4] الواقع لما يراد فقال : ﴿و الميزان﴾ أى العدل و الحكمة ، و لعله كل ما يقع به التقدير حسا أو معنى ، و تعقيبه به إشارة إلى أن عدم زيغه لعدم حظ و نحوه ، فمن
١٠ حكم الكتاب خاليا عن حظ نفس وصل إلى المقصود ﴿ليقوم الناس﴾ أى الذين فيهم قابلية التحرك إلى المعالى كلهم ﴿بالقسط ج﴾ أى العدل الذى لا مزيد عليه لانتظام جميع أحوالهم ، [هذا -[2]] لمن أذعن للبينات لذات من أقامها أو[4] للرغبة فيما عنده .

و لما كان الإعراض بعد الإبلاغ فى الإيضاح موجبا للرد عن
١٥ الفساد بأنواع الجهاد ، قال مهددا و ممتنا ترغيبا و ترهيبا معبرا عن الخلق بالإنزال تشريفا و تعظيما : ﴿و انزلنا﴾ أى خلقنا خلقا عظيما بما لنا من القدرة[5] ﴿الحديد﴾ أى المعروف على وجه من القوة و الصلابة

(١) من ظ ، و فى الأصل : محتاج (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : مطابقته (٤) فى ظ « و » (٥) فى ظ : العزة .

و اللين و الحدة لقبول التأثير يعد به كالبائن لما فى الأرض، فلذلك سمى إيجاده إنزالا، و لأن الأوامر بالإيجاد و الإعدام تنزل من السماء على ايدى[1] الملائكة لأن السماء محل الحوادث الكبار، و البدائع و الأسرار[2]، لأن الماء[3] الذى هو أصله [و أصل -[4]] كل نام ينزل من السماء و تكون الأرض له بمنزلة الرحم للنطفة. ٥

و لما وقع التشوف إلى سبب إنزاله، قال: ﴿فيه باس﴾ أى قوة و شدة[5] و عذاب ﴿شديد﴾ لما فيه من الصلابة الملائمة للضاء و الحدة ﴿و منافع للناس﴾ بما يعمل منه من مرا فقهم و معاونهم لتقوم / أحوالهم ٢١٥ / بذلك، قال البيضاوى: ما من صنعة إلا و الحديد آلتها. و لما كان التقدير: ليعلم الله من يعصيه و يخذل أولياءه، بوضع[6] باسه فى غير ما[6] أمر به ١٠ نصرة لشيطانه و هواه و افتنانه، عطف عليه قوله: ﴿و ليعلم الله﴾ أى الذى له جميع العظمة علم شهادة لأجل إقامة الحجة بما يليق بعقول الخلق فيكون الجزاء على العمل لا على العلم، و أوقع ضمير الدين [عليه -[4]] سبحانه تعظيما له لأنه شارعه فقال: ﴿من ينصره﴾ أى يقبل مجدا على الاستمرار على نصر دينه ﴿و رسله﴾ بالذب عنهم و الدعاء إليهم، كائنا ١٥ ذلك النصر ﴿بالغيب﴾ من الوعد و الوعيد، [أى -[4]] بسبب تصديق

(١) من ظ. و فى الأصل: يد (٢) زيد فى الأصل: و لما كان كذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٣) من ظ. و فى الأصل: ان (٤) زيد من ظ (٥-٥) من ظ. و فى الأصل: شدة و باس (٦-٦) من ظ. و فى الأصل: اسمه فيما.

الناصر لما[1] غاب عنه من ذلك، أو غائبا عن كل ما أوجب له النصرة، و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : ينصرونه و لايبصرونه - انتهى . فلم يدع سبحانه فى هذه الآية لأحد عذرا بالرسل الذين هم الجنس مع تأييدهم بما ينفى عنهم اللبس، و الكتاب العالى عن كلام الخلق، و العقل الذى عرف العدل، و السلاح الذى يرد أولى الجهل، كما قال صلى الله عليه و سلم «بعثت بين يدى الساعة بالسيف» فبيان الشرائع بالكتاب، و تقويم أبواب العدل بالميزان، و تنفيذ هذه المعانى بالسيف، فان مصالح الدين من غير هيبة السلطان لايمكن رعايتها، فالملك و الدين توأمان، فالدين بلا ملك ضائع، و الملك من غير دين باطل، و السلطان ظل الله فى الأرض، فظواهر الكتاب للعوام، و وزن معارفه لأهل الحقائق بالميزان، و من خرج عن الطائفتين فله الحديد و هو السيف، لأن تشويش[2] الدين منه - نبه عليه الرازى .

و لما كان طلب النصرة مظنة لتوهم الضعف، قال نافيا لذلك مؤكدا قطعا لتعنت المتعنتين مظهرا للاسم الأعظم إشارة إلى ان من له جميع صفات الكمال لا يمكن أن تطرقه حاجة : ﴿ان الله﴾ أى الذى له العظمة كلها . و لما لم يكن هنا داع إلى أكثر من هذا التأكيد، بخلاف ما أشير إليه من الإخراج من الديار المذكورة فى الحج و نحوه، قال معلما بأنه غنى عن كل شىء معريا الخبر من اللام : ﴿ قوى ﴾ أى فهو قادر على

(١) من ظ ، و فى الأصل : له (٢) من ظ ، و فى الأصل : يشوش .

[1]إهلاك جميع[1] أعدائه و تأييد من ينصره من أوليائه ﴿عزيز﴾ فهو غير مفتقر إلى نصر أحد، و إنما دعا عباده إلى نصر دينه ليقيم الحجة عليهم فيرحم من أراد بامتثال المأمور، و يعذب من يشاء بارتكاب المنهى، ببنائه هذه الدار على حكمة ربط المسببات[2] بالأسباب .

و لما عم الرسل جامعا لهم فى البينات، فكان السامع جديرا بأن يتوقع التعيين، و خص من بينهم من أولى العزم أبوين جامعين[3] فى الذرية و الرسالة، لأن ذلك أنسب لمقصود السورة لتبيين فضل محمد صلى الله عليه وسلم الذى عم برسالته عموما لم يكن لأحد غيره، فنوح عليه السلام أرسل لأهل الأرض لكونهم كانوا على لسان واحد، و عموم إراهيم عليه السلام بأولاده عليهم السلام و نص[4] بعدهما على عيسى عليه السلام بما له من عموم الرسالة إلى / بنى إسراءيل بالنسخ ٢١٦/ و التشريع، ثم من نزوله فى هـذه الأمة بالتقرير و التجديد فقال: ﴿و لقد ارسلنا﴾ أى بما لنا من صفات الكمال و الجمال و الجلال ﴿نوحا﴾ الأب الثانى، و جعلنا[5] الأغلب على رسالته مظهر الجلال ﴿و ابرٰهيم﴾ أبا العرب و الروم و بنى إسراءيل الذى أكثر الأنبياء من نسله، و جعلنا الأغلب عـلى رسالته مجلى الإكرام ﴿و جعلنا﴾ بما لنا من العظمة ﴿فى ذريتهما النبوة﴾ المقتضية للوصلة بالملك الأعظم لتنفيذ الأوامر

(١-١) فى الأصل و ظ : جميع اهلاك (٢) من ظ ، و فى الأصل : المسميات.
(٣) زيد فى الأصل فقط : فى أبوين جامعين (٤) من ظ ، و فى الأصل : نفر .
(٥) فى الأصل : فجعلناه ، و فى ظ : و جعلناه .

﴿ و الكتب ﴾ الجامع للأحكام الضابط للشرائع بأن استنبأنا بعض ذريتهما و أنزلنا إليهم الكتب[1] فلا يوجد نبي و لا كتاب إلا و هو مدلٍ إليهما بأمتن الأسباب و أعظم الأنساب .

و لما كان مظهر العظمة مقتضيا لإشقاء [2]من أريد إشقاؤه[2] مع عدم المبالاة به، كائنا من كان، سواء اتصل بالأولياء أو الأعداء لئلا يأمن أحد فيقع فى الخسران أو ييأس أحد فيلزم الهوان [قال: ﴿ فمنهم ﴾ أى ذرية هذين الصنفين ﴿ مهتد ج ﴾ هو بعين الرضا منا -[3]] و هو من لزم طريق الأصفياء و استمسك بعهدهم و لم يزغ أصلا و إن كان من أولاد الأعداء .

و لما كان من زاغ بعد تذكيره بالكتب و الرسل، كان مستحقا للمبالغة فى الذم و لو أنه واحد فكيف إذا كان كثيرا، نبه بتغيير السياق على ذلك و على أن الأغلب الضلال فقال: ﴿ و كثير منهم ﴾ أى الذرية الموصوفين ﴿ فسقون ه ﴾ هم بعين السخط و إن كانوا أولاد الأصفياء وهم من خالف الأولياء بمنابذة أو ابتداع أو زيغ عن سبيلهم بما لم ينهجوه [4]من تفريط و إفراط[4] .

و لما كان من مقاصد هذه السورة العظمى الإعلام بنسخ الشرائع كلها بشريعة هذا النبى الفاتح الخاتم العام الرسالة لجميع الخلائق صلى الله عليه و سلم، قال مشيرا إلى عظمة الإرسال و الرسل بأداة التراخى:

(١) فى ظ : الكتاب (٢-٢) فى ظ : أراد شقاوة (٣) زيد ما بين الحاجزين من ظ (٤-٤) فى ظ : بافراط و تفريط .

﴿ ثم قفينا ﴾ أى بما لنا من العظمة تقفية لها من العظمة ما يجل وصفه ﴿ على آثارهم ﴾ أى الأبوين المذكورين و من مضى قبلهما من الرسل، و لا يعود الضمير على " الذرية " لأنها باقية مع الرسل و بعدهم ﴿ برسلنا ﴾ اى فأرسلناهم واحدا فى أثر واحد بين ما لايحصى من الخلق من الكفرة محروسين منهم فى الأغلب بما تقتضيه العظمة، لا تنثنى ٥ آثار الأول منهم حتى نرسل الذى بعده فى قفاه، [فكل رسول بين يدى الذى بعده، و الذى بعده فى قفاه - [1]] فهو مقف له[2] لأن الأول ذاهب إلى الله و الثانى تابع له. فنبينا[3] صلى الله عليه و سلم أعرق الناس فى هذا الوصف لأنه لا نبى بعده، و لهذا كان الوصف أحد أسمائه.

و لما كان عيسى عليه السلام أعظم من جاء بعد موسى عليه السلام ١٠ من بنى إسراءيل فهو الناسخ لشريعته و المؤيد به هذا النبى الخاتم صلى الله عليه و سلم فى تجديد دينه و تقرير شريعته، و كان الزهد[4] و الرأفة و الرحمة فى تابعيه فى غاية الظهور مع أن ذلك لم / يمنعهم من القسوة المنبهة سابقا ٢١٧ / على أن الموجب لها طول الأمد الناشىء عنها الإعراض عن الآيات[5] الحاضرة معه و الكتاب الباقى بعده، خصه بالذكر و أعاد العامل فقال: ﴿ و قفينا ﴾ ١٥ أى اتبعنا[6] بما لنا من العظمة على آثارهم قبل أن تدرس ﴿ بعيسى ابن مريم ﴾ و هو آخر من قبل النبى الخاتم عليهم الصلاة و السلام، فأمته أول الأمم بالأمر باتباعه صلى الله عليه و سلم ﴿ و آتيناه ﴾ بما لنا من العظمة

(١) زيد من ط (٢) من ظ، و فى الأصل: لها (٣) من ظ، و فى الأصل: ولبيهنا (٤) زيد فى ظ: به (٥) من ظ، و فى الأصل: اتبعناه.

﴿الانجيل﴾ كتابا ضابطا لما جاء به مقيما لملته مبينا للقيامة مبشرا بالنبى العربى موضحا لأمره مكثرا من ذكره ﴿ و جعلنا ﴾ لعزتنا ﴿ فى قلوب الذين اتبعوه ﴾ أى بغاية جهدهم، فكانوا على منهاجه[1] ﴿رافة﴾ أى أشد رقة على من كان يتسبب إلى الاتصال بهم ﴿ورحمة﴾ أى رقة و عطفا على من لم يكن له سبب فى الصلة بهم كما كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم رحماء بينهم حتى كانوا أذلة على المؤمنين مع أن قلوبهم فى غاية الصلابة فهم أعزة على الكافرين، و ترتيب الوصفين هكذا أدل دليل على أنهما لم يقصد بهما مراعاة الفواصل فى "رؤف رحيم" كما قاله[2] بعض المفسرين و تقدم فى آخر براءة أن[3] ذلك قول لايحل التصويب إليه و لا التعويل عليه و إن قاله من قال ﴿ و رهبانية[5] ﴾ أى أمورا[4] حاملة على الرهبية و التزيى بزيها و العمل على حسبها مبالغة فى العبادة و الرياضة و الانقطاع عن الناس .

و لما قدم المعمول لفعل غير مذكور ليدل عليه بما يفسره ليكون مذكورا مرتين تأكيدا له إفهاما لذم نفس الابتداع، أتبعه المفسر لعامله فقال: ﴿ ابتدعوها ﴾ أى حملوا أنفسهم على عملها و التطويق بها[5] من غير أن يكون لهم فيها سلف يعلمونه أو يكون بما صرح به كتابه و إن كانت مقاصده لا تأباها[6] فاعتزلوا لأجلها الناس، و انقطعوا فى الجبال

(١) من ظ ، و فى الأصل : منها (٢) من ظ ، و فى الأصل : قال (٣) زيد فى الأصل و ظ : فى (٤) من ظ ، و فى الأصل : امور (٥) من ظ ، و فى الأصل : اليها (٦) من ظ ، و فى الأصل : لاتناها .

عن

عن الاستئناس، و كانت لهم [بذلك -[1]] أخبار شائعة فى النواحى و الأمصار، و فى التقديم على العامل سر آخر و هو الصلاحية للعطف على ما قبلها لئلا يتوهم من لفظ الابتداع أن لا صنع لله فيها ﴿ما كتبنٰها﴾ أى فرضناها [بعظمتنا -[1]] ﴿عليهم﴾ فى كتابهم و لا [على -[1]] لسان رسولهم ﴿الا﴾ أى [لكن -[1]] ابتدعوها ﴿ابتغآء﴾ أى لأجل تكليفهم ٥ أنفسهم الوقوع بغايـــة الاجتهاد فى تصفية القلوب و تهذيب النفوس و تزكية الأعمال على ﴿رضوان الله﴾ أى الرضا العظيم من الملك الأعظم، و ساق المنقطع مساق المتصل إشارة ألى أنه مما يرضى الله، و أنه ما ترك فرضها عليهم إلا رحمة لهم لأجل صعوبتها، و أنه صيرها بعد إلزامهم[2] بها كالمكتوبة، فيكون التقدير حينئذ: إلا لأجل أن يبتغوا رضوانه على ١٠ وجه الثبات و الدوام. قال[3] الإمام أبو القاسم عبد الرحمن[4] بن عبد الله ابن [عبد -[1]] الحكم المصرى فى كتـابه "فتوح مصر و المغرب[5]": / فلما أن أغرق الله عز و جل فرعون و جنوده كما حدثنا هانئ بن المتوكل ٢١٨ / عن ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن تبيع قال: استأذن الذين كانوا آمنوا من السحرة لموسى عليه السلام فى[6] الرجوع إلى أهله[7] و ماله ١٥ بمصر فأذن لهم و دعا لهم فترهبوا فى رؤس الجبال، فكانوا أول من

(١) زيد من ظ (٢) من ظ، و فى الأصل: الزامهم (٣) زيد فى الأصل: الاصبهانى و، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ، و فى الأصل: عبد الله (٥) راجع ص: ٤٤ (٦) من ظ و الفتوح، و فى الأصل: من (٧) زيد فى الأصل الرجوع، و لم تكن الزيادة فى ظ و الفتوح فحذفناها.

ترهب، وكان يقال لهم الشيعة، و بقيت[1] طائفة منهم مع موسى عليه السلام حتى توفاه الله عز و جل، ثم انقطعت الرهبانية بعدهم حتى ابتدعها بعد ذلك أصحاب المسيح عليه السلام .

و لما تسبب عن صعوبتها انهم أضاعوها بالتقصير عن شؤنها و السفول عن عليائها قال: ﴿ فما رعوها ﴾ أى حفظوها كلهم بحفظ من هو مرتاع من خوف ضياعها ﴿ حق رعايتها ج ﴾ بصون العناية فى رعاية الأعمال و الأحوال و الأقوال، فصون الأعمال توفيرها لتحقيرها من غير إلتفات إليها، و رعاية الأحوال عند الاجتهاد من أتاه و الحال دعوى، و رعاية الوقت الوقوف مع حضور على بساط شهود الجلال - ذكره الرازى . بل غلبت عليهم صفات البشر فقصر بعضهم عن عالى مداها، و انحطوا عن شامخ ذراها، هذا تنفير عظيم عن البدع؛ و حث شديد على لزوم ما سنه الله و شرع، و تحذير[2] من التشديد، فانه لن يشاد [3]الدين أحد إلا غلبه و هو الترحال إلى البدعة و لهذا أكثر فى أهل الرهبانية المروق من الدين بالاتحاد و الحلول و غير ذلك من البلايا و لو كان يظهر أن [4]التشدد و التعمق[4] خير لأن الشارع الذى أحاط علما بما لم يحط به نهى عنه، و قد أفادت التجربة أنه قد يغر لأن هؤلاء ابتدعوا ما أرادوا الخير، فكان داعيا لكثير منهم إلى دار البوار، و فيه أيضا حث عظيم على المداومة على ما اعتيد من الأعمال الصالحة خصوصا، ما عمل النبى صلى الله عليه و سلم [5]عملا إلا[5] داوم عليه، وكان ينهى

(١) فى ظ : بقى (٢) فى ظ : تحذيرا (٣-٣) من ظ ، و فى الأصل : احد الدين (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : التشديد و التعميق (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : من عمل .

عن التعمق فى الدين، و يأمر بالرفق[1] و القصد .

و لما كانت متابعة النفس فى التقصير بالإفراط أو[2] التفريط قد توصل إلى المروق[3] من الدين فيوجب[4] الكفر فيحط على الهلاك كله، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿ فآتينا ﴾ أى بما لنا من صفات الكمال ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى استمروا على الإيمان الكامل، و لعل فى التعبير بالماضى بعد إرادة ٥ التعميم للأدنى و الأعلى إشارة إلى أن المتعمق بين إيمان و كفر لا تجرد معصيته كما أشار إليه ختم الآية فهو فى غاية الذم للتعمق[5] و المدح للاقتصاد[6] ﴿ منهم ﴾ أى من هؤلاء المبتدعين لأنهم رعوها حق رعايتها و وصلوا إيمانهم بعيسى و من قبله عليهم الصلاة و السلام بإيمانهم بمحمد صلى الله عليه و سلم الذى دعا إليه الخروج عن النفس الذى هو روح ١٠ الرهبانية [7]بموافقتهم لما فى كتابهم من البشائر به ﴿ أجرهم ﴾ أى اللائق بهم و هو الرضوان المضاعف[7] .

و لما كانت متابعة / الأهواء تكسب صفات ذميمة تصير ملكات راسخة للأنفس، أشار إلى ذلك بالعدول عن النهج الأول فقال: ﴿ و كثير منهم ﴾ أى هؤلاء الذين ابتدعوا فضيعوا ﴿ فاسقون ﴾ أى ١٥ عريقون فى وصف الخروج عن الحدود التى حدها الله تعالى، روى البغوى[8]

/ ٢١٩

(١) من ظ ، و فى الأصل : بالروى (٢) من ظ ، و فى الأصل : « و » .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : المعروف (٤) من ظ ، و فى الأصل : توجب .
(٥) من ظ ، و فى الأصل : للتعميق (٦) من ظ ، و فى الأصل : للاقتصار .
(٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧/٣٣ .

من طريق الثعلبي عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: من آمن بي فقد رعاها [حق رعايتها -[1]] ، و من لم يؤمن بي فأولئك هم الهالكون - انتهى . و مثل هذه الرهبانية فى أنها لا تأباها قواعد الدين ما يفهمه بعض العلماء من الكتاب و السنة فيتذكره . فيكون أخذنا له من الأصول التى نبه عليها لا منه ، كما أن الصحابة رضى الله تعالى عنهم [كانوا -[2]] يفعلون أشياء فان قررهم النبي صلى الله عليه و سلم عليها كانت شرعا لنا و كنا آخذين لها من تفسيره صلى الله عليه و سلم لا منهم ، فان من ملكه الله رتبة الاجتهاد فى شيء و أمكنه فيه من القواعد فأداه اجتهاده إلى[3] أن هذا مندوب إليه مرغوب فيه مثلا ، كان ذلك بما يشهد له من قواعد الدين بمنزلة ما قاله الصحابة رضى الله عنهم فأقرهم النبي صلى الله عليه و سلم ، و لافرق بين أن يقرره النبي صلى الله عليه و سلم بنفسه أو بقواعد شريعته[4] ، و مهما كان مقررا بقواعد شرعه كان عليه أمره ، و مهما لم يكن مقررا بها كان مما[5] ليس عليه أمره فهو رد على قائله ، فهذا فرق بين البدع الحسنة و البدع القبيحة - و الله الموفق ، و ذكر ابن برجان تنزيل هذا الحديث الذى فيه « لتتبعن سنن من كان قبلكم » فذكر أن أصحاب عيسى عليه السلام عملوا بعده بالإنجيل حتى قام فيهم ملك بدل كتابهم ، و شايعه على ذلك روم و يونان ، فضعف أهل الإيمان ، فاستذلوهم حتى هربوا إلى البرارى ، و عملوا الصوامع

(١) زيد من ظ و المعالم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : على .
(٤) فى ظ : شرعية (٥) من ظ ، و فى الأصل : بما .

و ابتدعوا

و ابتدعوا الرهبانية ، [1]و كذلك كان[1] فى هذه لتصديق الحديث الشريف فانه لما توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم تبعه خلفاؤه باحسان ، فلما مضت الخلافة الراشدة تراكمت الفتن كما أخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم و اشتد البلاء على المتمسكين بصريح الإيمان ، و رجم البيت العتيق بحجارة المنجنيق و هدم ، و قتل عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما و استبيحت ٥ مدينة النبى صلى الله عليه و سلم ثلاثة أيام ، و قتل [2]خيار من فيها[2] فرأى المسلمون العزلة واجبة ، فلزموا الزوايا[3] و المساجد و ابتنوا الروابط على سواحل البحر و أخذوا فى الجهاد للعدو و النفوس ، و عالجوا تصفية أخلاقهم و لزموا الفقر أخذا من أحوال أهل الصفة ، و تسموا بالصوفية و تكلموا على الورع [4]و الصدق[4] و المنازل و[5] الأحوال و المقامات[5] فهؤلاء ١٠ وزان أولئك - و الله الموفق .

ذكر ما فى الإنجيل من الحكم التى توجب الزهد فى الدنيا و الإقبال على الله التى يصح تمسك أهل هذه الرهبانية بها : قال متى[6] و غيره و أغلب / السياق لمتى : إن أخطأ عليك أخوك فاذهب أعتبه وحدكما ، فان سمع / ٢٢٠ منك فقد ربحت أخاك ، و إن لم يسمع منك [فخذ معك -[7]] واحدا ١٥ أو اثنين ، لأن من فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة ، و إن لم يسمع

(١-١) من ظ ، و فى الأصل : كان كذلك (٢-٢) فى ظ : فيها خيار المسلمين .
(٣) من ظ ، و فى الأصل : الزاويا (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : بالصدق .
(٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : المقامات وأحوال (٦) راجع آية ١٠ فما بعدها من الأصحاح ١٨ (٧) زيد من ظ .

منهم فقل للبيعة ، فان لم يسمع من البيعة فيكون عندك كالوثنى و العشار ، الحق أقول لكم ، و قال لوقا[1] : انظروا [الآن - [2]] ! إن أخطأ إليك أخوك فانهه ، فان تاب فاغفر له ، فان أخطأ[3] إليك سبع دفعات[4] فى اليوم و رجع إليك سبع دفعات يقول لك : أنا تائب ، فاغفر له ، و قال متى[5] :
٥ حينئذ جاء إليه بطرس و قال له : إذا أخطأ إلىّ أخى لم أغفر له سبع مرات ، قال : ليس أقول لك إلى سبع مرات ، بل إلى سبعين مرة ، و لهذا يشبه ملكوت السماوات ملكا أراد أن يحاسب عبيده ، فلما بدأ بمحاسبتهم قدم إليه عبد مديون عليه جملة وزنات ، و لم يكن معه ما يوفى ، فأمر سيده أن تباع امرأته و بنوه و كل ما له حتى يوفى ، فخر ذلك العبد [له - [2]]
١٠ ساجدا قائلا : يا رب ، ترأف علىّ تأن ، أوفك كل مالك ، فتحنن عليه سيده و ترك له كل ما عليه ، فخرج ذلك العبد فوجد[6] عبدا من أصدقائه عليه مائة دينار فأمسكه و خنقه و قال : أعطنى ما عليك ، فخر ذلك العبد على رجليه و طلب [إليه - [2]] قائلا : ترأف علىّ فأنا أعطيك مالك ، فأبى و مضى و تركه فى السجن حتى يوفى الدين ، فرأى العبد
١٥ أصحابه فحزنوا عليه [جدا - [2]] و أعلموا سيده بكل ما كان منه ، حينئذ دعاه سيده و قال له : أيها العبد الشرير ! كل ما كان عليك تركت بذلك لأنك سألتنى ، ما كان ينبغى لك أن ترحم ذلك العبد صاحبك كرحمتى

(١) راجع آية ٤ فما بعدها من الأصحاح ١٧ (٢) زيد من ظ (٣) من ظ ، و فى الأصل : اخطات (٤) من ظ ، و فى الأصل : مرات (٥) راجع آية ٢١ فما بعدها من الأصحاح ١٨ (٦) من ظ ، و فى الأصل : فوجدا .

إياك ، و غضب سيده و دفعه إلى المعذبين حتى يوفى جميع ما عليه ، هكذا أبى السماوى يصنع بكم إن لم تغفروا لإخوانكم سيئاتهم من كل قلوبكم ، فلما أكمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل و جاء إلى تخوم يهود عبر الأردن فتبعه جمع كثير فأبرأهم[1] هناك ، قال لوقا[2] : فلما أكمل أيام صعوده أقبل بوجهه إلى يروشليم ، و أرسل مخبرين قدام وجهه فمضوا ٥ و دخلوا قرية السامرة ، لكيما يعدوا له فلم يقبلوه فقال تلميذاه[3] يعقوب [4]و يوحنا[4] : يا رب تريد أن نقول فتنزل عليهم نار[5] من السماء فتهلكهم كما فعل إليا ، فالتفت فنهرهما قائلا : لستما تعرفان أى روح أنتما ، إن ابن البشر لم يأت ليهلك نفوس الناس بل يحيي ، و مضى إلى قرية أخرى ، و قال متى[6] : حينئذ قدم إليه صبيان ليضع يده عليهم و يباركهم فنهرهم التلاميذ فقال[7] لهم ١٠ يسوع : دعوا الصبيان و لا تمنعوهم أن يأتوا إلىّ[7] لأن ملكوت السماوات لمثل هؤلاء ، و وضع يده عليهم و بارك لهم ، و قال مرقس[8] : الحق أقول لكم ، إن من لا يقبل ملكوت الله مثل صبي لا يدخلها ، و احتضنهم و وضع يده عليهم و باركهم ، و قال متى[9] : و مضى من هناك و جاء إليه واحد و قال : يا معلم صالح - و قال مرقس[10] : أيها المعلم الصالح - ما أعمل من ١٥

(١) فى ظ : فابقاهم (٢) راجع آية ٥٢ فما بعدها من الأصحاح ٩ (٣) من ظ ، و فى الأصل : تلميذه (٤ - ٤) من ظ ، و فى الأصل : ريحنا - كذا .
(٥) فى ظ : نارا (٦) راجع آية ١٣ فما بعدها من الأصحاح ١٩ .
(٧) من ظ ، و فى الأصل : اليهم (٨) راجع آية ١٥ فما بعدها من الأصحاح ١٠ .
(٩) راجع آية ١٦ فما بعدها من الأصحاح ١٩ (١٠) راجع آية ١٧ من الأصحاح ١٠ .

الصلاح لأرث الحياة الدائمة، [1]قال له: لماذا تقول: صالح، و لا صالح
إلا الله الواحد، إن كنت[1] / تريد أن تدخل الحياة احفظ الوصايا، ٢٢١ /
قال[2] له: و ما هي؟ قال يسوع: لا تقتل و لا تسرق و لا تزن و لا تشهد
الزور، و قال مرقس: لا تجر، أكرم أباك و أمك - حب قريبك مثلك،
٥ قال له الشاب: كل هذا قد حفظته[3] من صغرى، قال له يسوع: إن
كنت تريد أن تكون كاملا فاذهب، و قال مرقس: [فنظر إليه يسوع
و أحبه، و قال: تريد أن تكون كاملا -[4]]، واحدة بقيت عليك: امض
و بع كل شيء لك و أعطه للمساكين ليكون لك كنز فى السماء و تعال
اتبعنى، فلما سمع الشاب الكلام مضى حزينا لأنه كان له مال كثير،
١٠ فقال يسوع لتلامذته: الحق أقول [لكم -[4]]! إنه يعسر على الغنى الدخول
إلى ملكوت السماء، و أيضا أقول لكم: إنه أسهل أن يدخل الجمل فى
ثقب الإبرة من غنى يدخل ملكوت السماوات، فلما سمع التلاميذ بهتوا
جدا و قالوا: من يقدر أن يخلص، فنظر يسوع و قال لهم: أما عند
الناس فلا يستطاع هذا، و أما عند الله فكل يستطاع، حينئذ أجاب
١٥ بطرس و قال له: هو ذا نحن قد تركنا كل شيء و تبعناك، فما ذا عسى
أن يكون لنا، قال لهم يسوع: الحق و الحق أقول [لكم -[4]]! أنتم الذين
اتبعتمونى فى "الجيل الآتى" إذا جلس ابن الإنسان على كرسى مجده تجلسون

(١ - ١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل (٢) من ظ، و فى الأصل: قيل.
(٣) من ظ، و فى الأصل: حقيقته (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) فى إنجيل متى: التجديد.

أنتم

أنتم على اثنى عشر كرسيا، تدينون اثنى عشر سبط بنى إسرائيل، كل من ترك بنين أو أخا أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو بيتا أو حقلا من[1] أجل اسمى يأخذ مائة ضعف و يرث حياة الأبد، و قال [لوقا[2]: ما من أحد ترك منزلا أو والدين أو إخوة أو امرأة أو مالا من أجل ملكوت الله إلا و ينال العوض أضعافا كثيرة فى هذا الزمان و فى الدهر الآتى حياة الأبد. و قال -[3]] متى[4] و غيره: كثيرا أولون يصيرون آخرين، و آخرون يصيرون أولين، يشبه ملكوت السماوات إنسانا رب بيت خرج الغداة ليستأجر فعلة لكرمه، فشارك الأكرة[5] على دينار واحد فى اليوم - إلى آخر ما مضى فى الأعراف من البشارة بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فى مثل الفعلة فى الكرم الذى فضل آخرهم و هو العامل قليلا على من عمل أكثر النهار، و قد ساقه ابن برجان فى آخر تفسير سورة الحديد عن الإنجيل بعبارة أخرى تفسيرا كثيرا[6] من عبارة النسخة التى نقلت ذاك منها، فأحببت أن أذكر عبارة ابن برجان هنا تكميلا للفائدة، قال: و فى الكتاب الذى [يذكر -[3]] أنه الإنجيل: وكثيرا يتقدم الآخرون الأولين و يكون [الأولون -[7]] ساقة الآخرين، و لذلك يشبه ملكوت السماوات برجل ملى خرج فى استئجار الأعوان لحفر كرم فى

(١) من ظ، و فى الأصل: ما (٢) راجع آية ٢٩ فما بعدها من الأصحاح ١٨.
(٣) زيد من ظ (٤) راجع آية ٣٠ فما بعدها من الأصحاح ١٩ و راجع آية ٣١ من الأصحاح ٣٠ من مرقس (٥) فى انجيل متى: الفعله (٦) من ظ، و فى الأصل: كثير (٧) زيد من إنجيل متى.

أول النهار، و عامل كل واحد فى نهاره على درهم ثم أدخلهم كرمه، فلما كان فى الساعة الثالثة بصر لغيرهم فى الرحاب لا شغل لهم فقال: اذهبوا أنتم [أيضا -[1]] إلى الكرم و سآمر لكم بحقوقكم، ففعلوا، ثم فعل مثل ذلك فى الساعة السادسة [و التاسعة -[2]]، فلما كان فى[3] الساعة الإحدى عشرة [4]وجد غيرهم وقوفا[4] فقال لهم: لم و قفتم هنا طول نهاركم دون عمل؟ فقالوا له: إنا لم يستأجرنا / أحد، فقال لهم: اذهبوا أنتم و سآمر لكم بحقوقكم، فلما انقضى النهار قال لوكيله: ادع الأعوان و أعطهم أجرتهم و ابدأ بالآخرين حتى تنتهى إلى الأولين، فبدأ بالذين دخلوا فى الساعة الإحدى عشرة و أعطى كل واحد [منهم -[5]] درهما، فاقبل الأولون و هم الذين يرجون الزيادة، فأعطى كل واحد منهم درهما[6]، فاستذكروا ذلك على صاحب الكرم[7] و قالوا: سويتنا بالذين لم يعملوا إلا ساعة من النهار فى شخوصنا طول نهارنا و عذابنا بحرارته، فأجاب أحدهم و قال: لست أظلمك يا صديق، أما عاملتنى على درهم فخذ حقك و انطلق فانه يوافقنى أن أعطى[8] الآخر كما أعطيتك، أفلا يحل لى[9] ذلك؟ و إن كنت حسودا فانى أنا رحيم، و من أجل ذلك يتقدم الآخرون الأولين، و يكون الأولون ساقة الآخرين فالمدعوون كثير، و الخيرون قليل، و ذكر ابن برجان أن الساعة السادسة لعيسى عليه السلام و أصحابه

/٢٢٢

(١) زيد من ظ (٢) زيد من انجيل متى (٣) من ظ، و فى الأصل: الى (٤-٤) من ظ، و فى الأصل: وجدهم وتوفى (٥) زيد من ظ (٦) فى انجيل متى: دينارا (٧) فى ظ: الكرمة (٨) من ظ، و فى الأصل: اعط (٩) فى ظ: لك.

فى أول الأمر و التاسعة[1] لمحمد صلى الله عليه و سلم و الحادية عشرة لآخر[2] الزمان ـ كأنه يعنى ما بعد الدجال من أيام محمد صلى الله عليه و سلم التى يكون فيها عيسى عليه السلام مجددا ، و لهذا جعلهما النبى صلى الله عليه و سلم فى حديثه الصحيح شيئا واحدا من العصر إلى غروب الشمس ، ثم قال متى[3] فى بقية ما مضى من الإنجيل فى النسخة التى نقلت منها عقب ما تقدم أنه فى الأعراف : فصعد يسوع إلى يروشليم و أخذ الاثنى عشر ، حينئذ[4] جاءت إليه أم ابنى زبدى ـ هما يعقوب و يوحنا ـ مع ابنيها[5] و سجدت له ، فقال لها : ما ذا تريدين ؟ قالت : أن يجلس ابناى[6] أحدهما عن يمينك و الآخر عن يسارك فى ملكوتك ، أجاب يسوع : أما جلوسهما عن يمينى و يسارى فليس لى بل للذى أعده لهم ربى ، فلما سمع العشرة تقمقموا على الآخرين ـ و قال مرقس[7] : على يعقوب و يوحنا ـ فدعاهم يسوع و قال لهم : أما علمتم [أن ـ[8]] رؤساء الأمم يسودونهم و عظائمهم مسلطون[9] عليهم ، ليس هكذا يكون فيكم ، لكن من أراد أن يكون [10] فيكم كبيرا[10] فيكون لكم خادما ، و من أراد أن يكون فيكم أولا فيكون لكم عبدا ، و قال مرقس : فيكون آخرا للكل و خادما للجمع ، كذلك ابن

(١) من ظ ، و فى الأصل : السادسة (٢) من ظ ، و فى الأصل : فى اول النهار .
(٣) راجع آية ١٧ فما بعدها من الأصحاح ٢٠ (٤) راجع آية ٢٠ من الأصحاح ٢٠ (٥) من ظ ، و فى الأصل : ابنيهما (٦) من ظ ، و فى الأصل : ابنى (٧) راجع آية ٤٢ من الأصحاح ١٠ (٨) زيد من ظ (٩) من ظ ، و فى الأصل : يسيون .
(١٠-١٠) من ظ ، و فى الأصل : كبير منكم .

الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم[1] ، و يبذل نفسه فداء عن كثير ، فلما خرج من أريحا تبعه جمع كثير و إذا أعميان جالسان على الطريق فسمعا أن يسوع مجتاز فصرخا[2] قائلين : ارحمنا يا رب يا ابن داود ، فوقف يسوع و دعاهما و قال لهما : ما تريدان أن أفعل لكما ، قالا له : يا رب ، أن تفتح أعيننا ، ٥ فتحنن يسوع و لمس أعينهما و للوقت أبصرت أعينهما و تبعاه ؛ و عبارة مرقس عن ذلك[3] : و جاء إلى أريحا و خرج من هناك و تبعه تلاميذه و جمع كثير و إذا طيماس بن طيماس الأعمى جالس يسأل عن الطريق - و قال لوقا : يتوسل - فسمع الجمع المجتاز فسأل : ما هذا . فأخبروه أن يسوع الناصرى جاء ، [و -[4]] قال[5] مرقس : فلما سمع بأن يسوع مقبل بدأ يصيح ١٠ و يقول : يا يسوع الناصرى ابن داود ارحمنى ، فانتهروه ليسكت ، فازداد صياحا قائلا : يارب يا ابن داود ، ارحمنى ، فوقف يسوع و قال : ادعوه ، فدعى [الأعمى -[4]] و قالوا له : ثق و قم فانه يدعوك ، و طرح ثوبه و نهض و جاء إلى يسوع[6] فأجابه يسوع[6] و قال له : ما تريد أن أصنع بك ؟ فقال له الأعمى : يا معلم ، و قال لوقا : يا رب - أن أبصر ، فقال له يسوع : اذهب ، ١٥ إيمانك خلصك ، و للوقت أبصر ، و تبعه فى الطريق - قال لوقا : يمجد الله - وكان جميع الشعب الذين رأوه يسبحون الله . و قال أيضا : و كان بينما[7] هو منطلق إلى يروشليم اجتاز بين السامرة و الجليل ، و فيما هو داخل

(١) من ظ ، و فى الأصل : ليستخدم (٢) من ظ ، و فى الأصل : فصرخوا . (٣) راجع آية ٤٦ فما بعدها من الأصحاح ١٠ (٤) زيد من ظ (٥) تكرر فى الأصل (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ ، و فى الأصل : بينهما .

إلى إحدى القرى استقبله عشرة رجال برص[١] فوقفوا من بعيد و رفعوا أصواتهم قائلين: يا يسوع المعلم ارحمنا! فنظر إليهم و قال لهم: اذهبوا [٢]و أروا أنفسكم[٢] للكهنة، و فيما هم منطلقون طهروا، فلما رأى أحدهم أنه قد طهر رجع [٣]بصوت عظيم يمجد[٣] الله و خر على وجهه عند رجليه شاكرا له، و كان[٤] سامريا، أجاب يسوع و قال: أليس العشرة قد طهروا ٥ فأين التسعة، ألم يجدوا [٥]ليرجعوا و يمجدوا الله[٥] ما خلا / هذا الغريب، ٢٢٣/ ثم قال له: قم فامض، إيمانك خلصك.

قال متى: و لما قربوا من يروشليم و جاؤا إلى بيت فاجى عند جبل الزيتون - و قال [مرقس -[٦]]: عند باب فاجى و بيت عنيا جانب طور الزيتون - قال متى[٧]: حينئذ أرسل يسوع اثنين من تلاميذه: و قال ١٠ لهما: اذهبا إلى القرية التى أمامكما[٨] فتجدان أتانة مربوطة و جحشا معها[٩] فحلاهما و ائتيانى بهما! فان قال لكما أحد شيئا فقولا له: إن الرب محتاج إليهما! فهو يرسلهما للوقت، كان هذا ليتم[١٠] ما قيل فى النبى القائل قولوا [١١]لابنة صهيون[١١] هو ذاملكك يأتيك متواضعا راكبا على أتانة

(١) من ظ و الأصحاح السابع عشر - لوقا، و فى الأصل: مومن (٢-٢) فى الأصل: فاروا تفوسكم - والتصحيح من ظ و الأصحاح (٣-٣) فى الأصل: مجد (٤) من الأصحاح، و فى الأصل و ظ: قال (٥-٥) من ظ، و فى الأصل: بصوت بعظيم لرجعوا و يحمد (٦) زيد من ظ و راجع آية ١ فما بعدها من الأصحاح ١١ (٧) راجع آية ١ من الأصحاح ٢١ (٨) من ظ و الأصحاح، و فى الأصل: أمامهما (٩) من ظ و الأصحاح ٢١، و فى الأصل: معهما (١٠) من ظ والأصحاح، و فى الأصل: اليتم (١١-١١) وقع فى الأصل: انه نعون - مصحفا.

و جحش ابن أتانة . فذهب التلميذان و صنعا كما أمرهما يسوع ، فأتيا بالأتانة و الجحش[1] و تركوا ثيابهم عليهما ، و جلس معهما ، و جمع كثير فرشوا ثيابهم فى الطريق [و آخرون قطعوا أغصانا من الشجر و فرشوها فى الطريق -[2]] ، و عبارة مرقس[3] عن ذلك : تجدان جحشا مربوطا لم يركبه أحد من الناس قط ، فحلاه و ائتيا به ، فان قال لكما أحد[4] : ما تفعلان بهذا ؟ فقولا : إن الرب محتاج إليه فمن ساعة يرسله ، *فذهبا و وجدا* الجحش[5] مربوطا عند الباب خارجا على[7] الطريق فحلاه فقال لهما قوم من القيام هناك : ما تصنعان ؟ فقالا لهم كما قال يسوع فتركوهما ، و جاءا بالجحش[6] إلى يسوع *فألقوا عليه ثيابهم و جلس عليه[8] و كثير بسطوا ثيابهم فى الطريق و آخرون [قطعوا -[9]] أغصانا من الحقل و فرشوها فى الطريق . قال متى[10] : و الجمع الذى تقدمه و الذى تبعوا صرخوا قائلين : أوصنا يا ابن داود[11] مبارك الآتى باسم الرب ، قال مرقس : و مباركة المملكة الآتية باسم الرب لأبينا داود اوصنا فى العلاء ، و قال لوقا : و كان لما قرب من منحدر[12] جبل الزيتون بدأ جمع الملأ و التلاميذ

(١) من الأصحاح ٢١ ، و فى الأصل و ظ : العفور ، مصحفا ، و هو اليعفور بمعنى الجحش (٢) زيد من ظ . و مثله فى الاصحاح ٢١ (٣) راجع آية ٢ من الأصحاح ١١ .
(٤) زيد فى الأصل : شيئا ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : فوجدوا (٦) من الاصحاح الحادى عشر ، و فى الأصل و ظ : بالعفور .
(٧) من ظ ، و فى الأصل : عن (٨-٨) فى الأصحاح : و القيا عليه ثيابهما (٩) زيد من الأصحاح (١٠) راجع آية ٩ فما بعدها من الأصحاح ٢١ (١١-١١) سقط من ظ .
(١٢) من الأصحاح ١٩ ، و فى الأصل : مسجدو ، و فى ظ : صخور .

[يفرحون و -[1]] يسبحون الله ويمجدونه [2]بجميع الأصوات[2] من أجل جميع القوات / التى نظروا قائلين : تبارك الملك الآتى باسم الرب و السلامة / ٢٢٤
فى السماء و المجد فى[3] العلا ، و قوم من الفريسيين من بين الجمع قالوا له : يا معلم انتهر تلاميذك ، فقال لهم : إن سكت التلاميذ[4] نطقت الحجارة ، فلما قرب نظر المدينة و بكى عليها و قال : لو علمت فى هذا اليوم ما لك ٥ فيه من السلامة، فأما الآن فانه قد خفى عن عينيك ، و سوف تأتى أيام تلقى أعداؤك معلمك[5] و يحيطون بك[6] و يضيقون عليك من كل موضع و يقتلونك و بنيك فيك و لايتركون فيك حجرا ، و قال متى[7] : فلما دخل إلى روشليم ارتجت المدينة كلها قائلين : من هذا[8] ؟ فقال[9] الجمع : هذا يسوع النبى الذى هو من ناصرة الجليل ، فدخل يسوع إلى هيكل الله ١٠ و أخرج جميع الذين[10] يبيعون و يشترون فى الهيكل و قلب موائد الصيارف وكراسى باعة الحمام و قال لهم : مكتوب أن بيتى بيت الصلاة يدعى ، و أنتم جعلتموه مغارة للصوص . و قال يوحنا[11] : فصعد يسوع إلى روشليم فوجد فى الهيكل باعة[12] البقر و الكباش و الحمام و صيارف جلوسا . فصنع[13]

(١) زيد من ظ ، و مثله فى الاصحاح (٢-٢) فى ظ و الاصحاح : بصوت عظيم .
(٣) من ظ و الاصحاح ، و فى الأصل : و (٤) فى الاصحاح : هؤلاء (٥) كذا من ظ ، و فى الأصل : معالمك (٦) من ظ ، و فى الاصل : به (٧) راجع آية ١١ فما بعدها من الأصحاح ٢١ . (٨) من ظ ، و فى الأصل : هودا (٩) من ظ ، و فى الأصل : فاين (١٠) من انجيل متى ، و فى الأصل و ظ : الذى .
(١١) راجع آية ١٣ فما بعدها من الأصحاح ٢ (١٢) فى الأصل و ظ : فباعه .
(١٣) من ظ ، و فى الأصل : فجعل .

محضرة[١] من حبل و أخرج جميعهم من الهيكل فطرد[٢] البقر و الخراف وأبدد دراهم الصيارف و قلب موائدهم، [و -[٣]] قال متى[٤]: و قدم [إليه -[٤]] عميان و عرج فى الهيكل فشفاهم، فرأى رؤساء الكهنة العجائب التى صنع[٥] و الصبيان يصيحون فى الهيكل و يقولون: أوصنا يا ابن داود، مبارك الآتى باسم الرب، فتقمقموا و قالوا: ما تسمع ما يقول هؤلاء، فقال لهم يسوع: نعم، أما قرأتم قط أن من فم الأطفال و المرضعين أعددت سبحا، و تركهم و خرج خارج المدينة و بات هناك فى بيت عنيا و فى غد عبر إلى المدينة فجاع[٦] و نظر إلى شجرة تين على الطريق فجاء إليها فلم يجد فيها شيئا إلا الورق، فقال لها[٧]: لايخرج منك ثمرة إلى الأبد، فيبست تلك الشجرة للوقت[٨]، فنظر التلاميذ و تعجبوا و قالوا: كيف يبست التينة للوقت، أجاب يسوع و قال لهم: الحق أقول لكم! إن كان لكم إيمان [٩]و لاتشكون ليس مثل[٩] هذه الشجرة التين [فقط -[٣]] تصنعون و لكن تقولون لهذا الجبل: تعال و اسقط فى البحر، فيكون، و قال مرقس[١٠]: إن كان لكم إيمان بالله، الحق أقول لكم: إن من قال لهذا

(١) فى انجيل يوحنا: سوطا (٢) من ظ، و فى الأصل: فطردوا (٣) زيد من ظ (٤) راجع آية ١٤ فما بعدها من الأصحاح ٢١ (٥) من ظ، و فى الأصل: تصنع (٦) من ظ، و فى الأصل: بجاح (٧) من إنجيل متى، و فى الأصل و ظ: لهم (٨) من ظ، و فى الأصل: إلى الوقت (٩ - ٩) من ظ، و فى الأصل: لا تسابون - عن كذا (١٠) راجع آية ٢٢ فما بعدها من الأصحاح ١١.

الجبل : انتقل و اسقط فى هذا البحر ، و لا يشك فى قلبه بل يصدق[1] فيكون له الذى قال ، من [أجل -[2]] هذا أقول لكم : إن كل ما تسألونه فى الصلاة بايمان إنكم تنالونه فيكون لكم ، و قال متى[3] : و كل ما تسألونه فى الصلاة بايمان تنالونه ، و قال مرقس[4] : فقال له يوحنا ، يا معلم ! رأينا واحدا يخرج الشياطين باسمك فمنعناه لأنه لم يتبعنا ، قال لهم يسوع : لا تمنعوه ليس يصنع أحد قوة باسمى ، و يقدر سريعا أن يقول[5] على الشر ، كل من ليس [هو -[2]] [6]عليكم فهو معكم[6] و من سقاكم كأس ماء باسم أبيكم المسيح [الحق -[2]] أقول لكم : إن أجره لا يضيع . و فيه مما لا يجوز إطلاقه فى شرعنا إطلاق الأب على الله و [إطلاق -[2]] الرب على غيره [بلا قيد -[2]] ، و قد تقدم التنبيه على مثل ذلك غير مرة - و الله الهادى للصواب .

/ و لما قرر سبحانه أن الرسل دعاة للحق إلى سيدهم طوعا أو كرها بالكتاب و الحديد ، و قرر أن السعادة كلها فى اتباعهم ، و أن البدع لا تأتى بخير و إن زين الشيطان أمرها و خيل أنه خير ، و أن أصحاب الذى كان نسخ شريعة[7] من قبله ابتدعوا بدعة حسنة فوكلوا إليها ففسق أكثرهم ، فاقتضى ذلك إرسال من ينسخ كل شريعة[7] تقدمته نسخا لا زوال /٢٢٥

(١) من ظ ، و فى الأصل : يسل - كذا (٢) زيد من ظ (٣) راجع آية ٢٢ من الأصحاح ٢١ (٤) راجع آية ٣٨ فما بعدها من الأصحاح ٩ (٥) من ظ ، و فى الأصل : يكون (٦ - ٦) فى انجيل مرقس : علينا فهو معنا (٧) من ظ ، و فى الأصل : شريعته .

له لأنه لانبى بعده و نهى عن البدع نهيا لم يتقدمه أحد إلى مثله ، أنتج ذلك قوله تعالى : ﴿ يـايها الذين امنوا ﴾ أى أقروا بذلك إقرارا صحيحا بنبي مما تقدم أو بالنبي صلى الله عليه و سلم ﴿ اتقو الله ﴾ أى خافوا عقابه فاجعلوا بينكم و بين سخطه - لأنه الملك الأعظم - وقاية بحفظ الأدب معه ولا تأمنوا مكره ، فكونوا على حذر [من -[1]] أن يسلبكم ما وهبكم ، فاتبعوا الرسول تسلموا ، و حافظوا على اتباعه لئلا تهلكوا ﴿ و امنوا برسوله ﴾ أى الذى لا رسول له الآن غيره ، إيمانا مضموما إلى إيمانكم بالله فانه[2] لايصح الإيمان به إلا مع الإيمان برسوله ، و بأن تثبتوا على الإيمان به ، و تضموا الإيمان به إلى الإيمان بمن تقدمه يا أهل الكتاب . لأن رسالته عامة ، لقد نسخ جميع ما تقدمه من الأديان[3] فاياكم أن يميلكم عنـــه ميل من حسد أو غيره ، فبادروا إلى إجابته و الزموا [4]جميعاحذره[4] فلا تميلوا إلى بدعة أصلا ﴿ يؤتكم ﴾ ثوابا على اتباعه[5] ﴿ كفلين ﴾ أى نصيبين ضخمين[6] ﴿ من رحمته ﴾ تحصينا لكم من العذاب كما يحصن الكفل الراكب من الوقوع ، و هو كساء يعقد على ظهر البعير فيلقى مقدمه على الكاهل و مؤخره على العجز ، و هذا التحصين[7] لأجل إيمانكم بـــه صلى الله عليه و سلم و إيمانكم بمن تقدمه مع خفة العمل و رفع الأصار[8] وهو [أعلى -[1]] بالأجر من الذى عمل الخير فى الجاهلية ، و قال النبى

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل و ظ : الأبا (٣) من ظ ، و فى الأصل : الايمان (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل : جميع عدره - كذا (٥) زيد فى الأصل : و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٦) من ظ ، و فى الأصل : صحيحين . (٧) من ظ ، و فى الأصل : التحصيل (٨) من ظ ، و فى الأصل : الأصل .

صلى الله عليه و سلم لمن سأله[1] عنه : أسلمت على ما أسلفت من خير .
و دل على أن الكفلين برفع الدرجات و إفاضة خواص من الخيرات
بقوله : ﴿ و يجعل لكم ﴾ أى مع ذلك ﴿ نورا ﴾ مجازيا فى الأولى
بالتوفيق للعمل من المعلوم و المعارف القلبية و حسيا فى الآخرة بسبب
العمل ﴿ تمشون به ﴾ أى مجازا فى الأولى بالتوفيق للعمل ، و حقيقة فى ٥
الآخرة بسبب العمل .

و لما كان الإنسان لايخلو من نقصان ، فلا يبلغ جميع ما يحق للرحمن ،
قال : ﴿ و يغفرلكم ﴾ أى [ما -[2]] فرط منكم من سهو و عمد و هزل
وجد . و لما قرر سبحانه و ذلك ، أتبعه التعريف بأن الغفران و ما يتبعه
صفة له شاملة لمن[3] يريده فقال : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات ١٠
الكمال[4] و العظمة و الكبرياء[4] ﴿ غفور ﴾ أى بليغ المحو للذنب عينا و أثرا
﴿ رحيم ﴾ أى بليغ الإكرام لمن يغفرله و يوفقه / للعمل بما يرضيه . / ٢٢٦

و لما كان أهل الكتاب قد تابعوا أهويتهم على بغض الأميين[5] ،
و أشربت قلوبهم أن النبوة مختصة بهم لأنهم أولاد إبراهيم عليه السلام
من ابنة عمه ، و العرب - و إن كانوا أولاده - فانهم من الأمة و ما دروا ١٥
[أن -[2]] كونهم من أولاده مرشح لنبوة بعضهم و كونهم من الأمة ،
مهيئ لعموم الرسالة لأجل عموم النسب ، قال دالا على أنهم صاروا

(١) من ظ ، و فى الأصل : سال (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و فى الأصل : ممن (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ ، و فى الأصل : الاتيان - كذا .

كالبهائم لايبصرون إلا المحسوسات معلقا الجار بـ «آمنوا» و "يؤتكم" و ما بعده: ﴿لئلا يعلم﴾ أى ليعلم[1] علما عظيما [يثبت -[2]] مضمون خبره و ينتفى ضده - بما أفاده زيادة النافى ﴿أهل الكتب﴾ أى من الفريقين الذين اقتصروا على كتابهم و أنبيائهم و لم يؤمنوا بالنبى الخاتم و ما أنزل ٥ عليه ﴿الا﴾ أى أنهم لا ﴿يقدرون﴾ أى فى زمن من الأزمان ﴿على شىء﴾ [أى و إن قل -[2]] ﴿من فضل الله﴾ أى الملك الأعلى الذى خصكم [بما خصكم -[2]] به لايمنع و لاباعطائكم [حيث -[2]] نزع النبوة منهم و وضعها فى بنى عمهم إسماعيل عليه السلام الذين كانوا لايقيمون لهم وزنا فيقولون: إنهم بنو الأمة، و إنهم أميون، و إنهم ١٠ ليس عليهم منهم سبيل، و جعل النبوة التى خصكم بها عامة - كما أشار إليه ما فى ابن الأمة من شمول بنسبته و انشعابه[3] و حيث عملوا كثيرا و أعطوا قليلا: اليهود من أول النهار على [4]قيراط قيراط، و النصارى من الظهر على قيراط قيراط[4]، و هذه الأمة من صلاة العصر على قيراطين قيراطين، فقال الفريقان[5]: ما لنا أكثر عملا و أقل أجرا، قال: هل ظلمتكم ١٥ من حقكم شيئا. قالوا: لا، قال: ذلك فضلى أوتيه من أشاء. و ذكر ابن برجان معنى هذا الحديث - كما تقدم عنه قريبا - من الإنجيل و طبقه عليه و ذكرته [أنا -[2]] فى الأعراف، روى الإمام [أحمد -[2]] فى

(١) من ظ، و فى الأصل: يعلم (٢) زيد من ظ (٣) من ظ، و فى الأصل: اتساعه (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل: الفريقين.

مواضع[١] من المسند و البخارى فى سبعة مواضع[٢] فى الصلاة و الإجارة و ذكر بنى إسراءيل و فضائل القرآن و التوحيد، و الترمذى فى الأمثال[٣] - و قال: حسن صحيح - من وجوه شتى جمعت بين ألفاظها عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم [قال -[٤]]: "مثلكم - و فى هذه الرواية: مثل هذه الأمة، و فى رواية: مثل أمتى، و فى رواية: إنما مثلكم ٥ و مثل اليهود و النصارى كرجل"، و فى روايه: مثلكم و مثل أهل الكتابين كمثل رجل استعمل عملاء، و فى رواية: استأجر أجراء[٦] فقال: من يعمل لى من صلاة الصبح، [و -[٤]] فى رواية [أخرى -[٧]]: من غدوة إلى نصف النهار على قيراط[٨]، ألافعملت اليهود - و فى رواية: قالت اليهود: نحن - فعملوا، ثم قال: من يعمل لى من نصف النهار إلى ١٠ صلاة العصر على قيراط، ألا فعملته النصارى، و فى رواية: قالت النصارى: نحن، فعملوا، ثم قال: من يعمل لى من صلاة العصر إلى غروب الشمس - و فى رواية: إلى أن تغيب الشمس - على قيراطين قيراطين، ألافأنتم الذين[٩] عملتم، و فى رواية: "تعملون، و فى رواية"[٥]: و أنتم المسلمون تعملون من صلاة العصر إلى الليل، و فى رواية إلى مغارب، و فى رواية[١٠]: ١٥ مغرب الشمس على قيراطين قيراطين / ألا لكم الأجر مرتين، فغضبت[١١] / ٢٢٧

(١) راجع مثلا ٢ / ١١١ (٢) راجع مثلا ١ / ٧٩ (٣) راجع ٢ / ١١٠ (٤) زيد ولابد منه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ (٦) من ظ، و فى الأصل: احيرا. (٧) زيد من ظ (٨) زيد فى ظ: فيراط (٩) من ظ، و فى الأصل: الذى (١٠) زيد فى الأصل: الى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (١١) من ظ، و فى الأصل: فغضب.

اليهود و النصارى و قالوا : نحن - و فى رواية : ما لنا[1] - أكثر عملا و أقل عطاء ، و فى رواية : أجرا ، قال الله تعالى : هل - و فى رواية : و هل - نقصتكم - و فى رواية : هل ظلمتكم - من حقكم شيئا - و فى رواية : أجركم شيئا ، قالوا : لا ، قال : فانه - و فى رواية : فانما - هو
٥ فضل ، و فى رواية : فذلك فضلى أوتيه من أشاء ، و فى رواية : أعطيه من شئت . و فى رواية : سمعت النبى صلى الله عليه و سلم و هو قائم على المنبر يقول : ألا إن بقاءكم[2] ، و فى رواية : إنما بقاؤكم[3] ، و فى رواية : إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم - و فى رواية : فيما سلف من قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر و المغرب - و فى رواية : إلى
١٠ غروب الشمس ، و فى رواية : إلا إن مثل آجالكم فى آجال الأمم قبلكم كما بين صلاة العصر إلى مغيربان ، و فى رواية : [4]إلى مغرب ، و فى رواية[4] : إلى مغارب الشمس ، أعطى - و فى رواية : أوتى - أهل التوراة التوراة ، فعملوا بها[5] حتى انتصف النهار فعجزوا ، فأعطوا قيراطا [قيراطا -[6]] ، و أعطى - و فى رواية : ثم أوتى - أهل الإنجيل الإنجيل
١٥ فعملوا به حتى - و فى رواية : إلى - صلاة العصر ، و فى رواية : حتى صليت العصر ، ثم عجزوا فأعطوا قيراطا قيراطا ، ثم أعطيتم القرآن فعملتم به حتى غربت الشمس ، و فى رواية : [حتى غروب الشمس -[6]]

(١) من ظ ، و فى الأصل : له (٢) من ظ ، و فى الأصل : اتقاكم (٣) من ظ ، و فى الأصل : اتقياكم (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد فى الأصل و ظ : حتى انتصف النهار فعجزوا و فى رواية - كذا (٦) زيد من ظ .

فاعطيتم قيراطين قيراطين، و فى رواية: ثم أوتينا القرآن فعملنا إلى غروب الشمس فأعطينا قيراطين قيراطين، فقال أهل الكتابين - و فى رواية: أهل التوراة و الإنجيل - ربنا هؤلاء أقل[1] منا عملا و أكثر أجرا، و فى رواية: جزاء، و فى رواية: أى ربنا أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين و أعطيتنا قيراطا قيراطا، و نحن أكثر عملا منهم، قال الله تبارك و تعالى: [هل-[2]] و فى رواية: فهل ظلمتكم من أجركم - و فى رواية: من أجوركم - من شيء؟ فقالوا: لا، فقال: فهو فضلى، و فى رواية: فذلك فضلى، أوتيه من أشاء. و قد أخذ بعض العلماء من هذا الحديث ما قبل هذه الأمم و ترك على ذلك أحوالها فقال: إنه دال على قوم نوح و إبراهيم عليهما السلام، كان لهم الليل، فكان قوم نوح فى أوله فى ظلام صرف طويل لم يلح لهم شيء من تباشير الضياء و لا أمارات الصبح، و نوح عليه السلام يخبرهم به و يأمرهم بالتهيئو له، فلذلك طال بلاؤه عليه السلام بهم، و ما آمن معه إلا قليل، و أما قوم إبراهيم عليه السلام فكانوا كأنهم فى أواخر الليل، قد لاحت لهم تباشير الصباح و أومضت لهم بوارق الفلاح، فلذلك آمن لوط عليه السلام و كذا سارة زوجته و أولاده[3] منها و من غيرها كلهم، و استمر الإسلام فى أولاده و النبوة حتى جاء موسى عليه السلام، فكان وقته كما بين الصبح و الظهر، فكان قومه تارة و تارة، تارة يحسبون أنهم فى ضياء كيفما كانوا، فيروغون يمينا و شمالا

(١) العبارة من هنا إلى «تباشير الضياء» ساقطة من ظ (٢) زيد لاستقامة العبارة و إلا فلا وجه لزيادة «و فى رواية» (٣) من ظ، و فى الأصل: الاولاد.

فيكونون[1] كمن دخل غيرانا و كهوفا و أسرابا ثم يخرجون منها فيرجعون
إلى الضياء، فكانت غلطاتهم / تارة كباوا و تارة صغارا، و أما قوم عيسى ٢٢٧ /
عليه السلام فكانوا كمن هو في الظهيرة في شدة الضياء فالغلط منه
لا يكون إلا عن عمى عظيم[2]، فلذلك كان غلطهم أفظع الغلط و أفحشه
٥ - و الله الموفق - ﴿ و ان ﴾ أي و لتعلموا أن ﴿ الفضل ﴾ [أي -[3]]
الذي لا يحتاج إليه من هو عنده ﴿ بيد الله ﴾ أي الذي له الأمر كله
﴿ يؤتيه من يشاء[4] ﴾ منهم أو من غيرهم [نبوة كانت أو غيرها -[3]] .

و لما كان ربما ظن ظان أنه لا يخص به إلا لأنه لا يسع جميع
الناس دفع[4] ذلك بقوله: ﴿ و الله ﴾ أي الذي أحاط بجميع صفات
١٠ الكمال ﴿ ذو الفضل العظيم ع ﴾ أي مالكه ملكا لا ينفك عنه و لا ملك
لأحد [فيه -[3]] معه و لا تصرف بوجه أصلا، فلذلك يخص من يشاء بما
شاء، فلا يقدر أحد على اعتراض بوجه، فقد نزه له التنزيه الأعظم جميع
ما في السماوات و الأرض فهو العزيز الحكيم الذي لا عزيز غيره و لا حكيم
سواه، فقد انطبق كما ترى آخرها على أولها، و رجع مفصلها على
١٥ موصلها - و الله الهادي للصواب و إليه المرجع و المآب .

(١) في الأصل و ظ : فيكون (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ (٤) من ظ
و في الأصل : بين (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المجادلة[١]

مقصودها الإعلام بإيقاع البأس الشديد، الذى[٢] أشارت إليه الحديد، بمن حاد الله و رسوله صلى الله عليه و سلم لما له سبحانه من تمام العلم، اللازم عنه تمام القدرة، اللازم عنه الإحاطة بجميع صفات الكمال، و على ذلك[٣] دلت تسميتها بالمجادلة بأول قصتها و آخرها، و على تكرير الاسم الأعظم الجامع ٥ فى القصة و بجميع السورة تكريرا لم يكن فى سواها بحيث لم تخل منه آية، و أما الآيات التى تكرر[٤] فى كل منها[٥] المرتين فأكثر فكثرة كل ذلك للدلالة على أن الأكثر منها المراد فيها بالخطاب[٦] من يصح أن ينظر إليه تارة بالجلال، و تارة بالكمال، فيجمع له الوصفان، و هو من آمن و وقع منه هفوة أو عصيان، و لهذا ضمتها أشياء شدد النكير[٧] فيها حين ١٠ وقع فيها بعض أهل الإيمان، و لم يبحها لهم عند وقوعهم فيها ردا للشرع إلى ما دعا إليه الطبع كما فعل فى غيرها كالأكل و الجماع فى ليل رمضان من غير تقييد بيقظة[٨] و لا منام، لمنابذتها للحكمة، و بعدها عن موجبات الرحمة،

---

(١) الثامنة و الخمسون من سور القرآن الكريم، مدنية، و عدد آيها (٢٢) عند غير المدنى الاخير و المكى، و عندهما (٢١) آية، و من هنا تستأنف و الحمد لله نسخة م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الذين (٣) من م، و فى الأصل و ظ: هذا (٤) من م، و فى الأصل و ظ: فصلها (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: فيها كل من (٦) من م، و فى الأصل و ظ: الخطاب (٧) موضعه بياض فى م، و فى ظ: التكبر (٨) من ظ و م، و فى الأصل: يقظة.

و هذا مؤيد لما تقدم من سر إخلاء الواقعة و الرحمن و القمر من هذا الاسم الجامع - و الله الموفق. ﴿ بسم الله ﴾ الذى أحاط علمه فتمت قدرته فكملت جميع صفاته ﴿ الرحمن ﴾ الذى شمل الخلائق جودا بالإيجاد و إرسال هداته[1] ﴿ الرحيم ﴾ الذي خص أصفياءه فتمت عليهم نعمة ٥ مرضاته .

لما ختمت الحديد بعد إثبات عجز[2] الخلق بعظيم الفضل له سبحانه، و كان سماع أصوات جميع الخلائق من غير أن يشغل[3] صوت عن صوت و كلام عن كلام من الفضل العظيم ، و كان قد تقدم ابتداع بعض المتعبدين[4] من الرهبانية بما لم يصرح لهم بالإذن فيه ، فكان سببا للتضييع، ١٠ و كان الظهار على نوعين : موقت و مطلق ، وكان الموقت مما يدخل فى الرهبانية لأنه من التبتل و تحريم ما أحل الله من الطيبات ، وكان بعض الصحابة رضى الله عنهم قد منع نفسه[5] بالموقت منه من مرغوبها مما لم يأت عن الله ، فظاهر من امرأته محافظة على كمال التعبد خوفا

(١) فى الأصل و ظ : هداية ، و فى م : هدايته (٢) من م ، و فى الأصل و ظ: العجز (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يشغله (٤) زيد بعده فى الأصل : الا لكم الأجر مرتين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن ، و فى رواية : ما لم اكثر عملا واقل عطاء ، و فى رواية : اجرا قال الله تعالى : هل ، وفى رواية : وهل نقصتكم . و فى رواية : هل ظلمتكم من حقكم شيئا ، و فى رواية : اجركم شيئا قالوا : لا . قال فانه و فى رواية فانما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها ، و هى تكرار على ما سبق (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لفنه - كذا .

من الجماع فى نهار رمضان، وكان ذلك مما لم يأذن به بل نهى عنه كما روى أبو داود[1] عن أنس رضى الله عنه والطبرانى فى الأوسط عن سهل ابن حنيف رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لا تشددوا على أنفسكم، فانما هلك من كان قبلكم بتشديدهم على أنفسهم، و ستجدون بقاياهم فى الصوامع و الديارات. و كان بعض الصحابة - رضى الله عنهم أجمعين - قد ظاهر مطلقا فشكت امرأته ما لحقها من الضرر إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم و هتفت[2] باسم الله، و كان علمه سبحانه بخصوص شكاية هذه المرأة المسكينة[3] و إزالة ضررها [بحكم -[4]] عام لها و لغيرها من عباده حتى صارت واقعتها رخصة عامة للمسلمين إلى يوم القيامة معلما بأنه ذو الفضل العظيم، و أنه الظاهر الباطن، ذو الملك كله، و كان قد أمر بالإيمان به و برسوله و وعد على ذلك بالنور، [كان -[4]] السامع لذلك جديرا[5] بتوقع البيان الذى هو النور فى هذه الرهبانية التى ابتدعت [فى -[4]] هذه الأمة، و تخفيف الشديد الذى وقع عن بعضهم ليعلم أهل الكتاب ما لهذه الأمة من الكرامة [6] على ربها [6] و أنه يختص برحمته من يشاء فقال: ﴿قد سمع الله﴾ أى أجاب[7] بعظيم فضله الذى أحاط بجميع صفات الكمال فوسع[8] سمعه الأصوات ﴿قول﴾ و عبر بالوصف دون الاسم

(١) راجع السنن ٢ / ٣٢٤ (٢) من ظ و م: و فى الأصل: عتقت (٣) من ظ و م. و فى الاصل: الشكية (٤) زيد من م و مد (٥) من ظ و م، و فى الأصل: حدير (٦-٦) من م، و فى الأصل و ظ: لربها (٧) فى ظ: اجاز. (٨) من ظ. و فى الاصل و م: فسمع.

تعريفا برحمته الشاملة فقال : ﴿ التى تجادلك ﴾ أى تبالغ فى أن تقبلك إلى مرادها ﴿ فى زوجها ﴾ أى فى الأمر المخلص له من ظهاره رحمة لها[1] ﴿ و تشتكى ﴾ أى تتعمد بتلك المجادلة الشكوى، منتهية ﴿ الى الله ﴾ أى الملك العظيم الرحيم الذى أحاط بكل شىء علما، و لصدقها فى شكواها و قطع رجائها فى كشف ما بها من غير الله كانت هى و النبى صلى الله عليه و سلم متوقعين أن الله يكشف ضرها ﴿ و الله ﴾ أى و الحال ان الذى وسعت رحمته كل شىء لأن له الأمر كله ﴿ يسمع تحاوركما[2] ﴾ أى مراجعتكما التى يحور - أى يرجع - [فيها -[3]] إلى كل منكما جواب كلامه من الآخر كأنها لثقل ما قدح فى أمرها و نزل من ضرها ناشئة عن[3] حيرة

و لما كان ذلك فى غاية ما يكون من خرق العادة بحيث أن الصديقة عائشة رضى الله عنها قالت عند نزول الآية : « الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات، لقد كلمت رسول الله صلى الله عليه و سلم و أنا فى جانب البيت ما أسمع كثيرا مما تقول » أكده تنبيها على شدة غرابته [و لأنه -[4]] ربما استبعده من اشتد جهله لعراقته فى التقيد[5] بالعادات فقال : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى أحاط بجميع صفات الكمال فلا كفوء له ﴿ سميع بصير ﴾ أى بالغ السمع لكل مسموع، و البصر لكل ما يبصر و العلم لكل / ما يصح أن يعلم أزلا و أبدا، و قد مضى نحو هذا التناسب ٢٣٠ /

(١) من ظ و م، و فى الأصل : بها (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م، و فى الأصل : من (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : التقييد.

فى المائدة حين أتبع تعالى آية القسيسين و الرهبان قوله تعالى " يأيها الذين [آمنوا -] لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم[1] " غير أن هذا خاص و ذاك[2] عام ، فهذا فرد منه ، فالمناسبة واحدة لأن الأخص فى ضمن الأعم ، و الحاصل أنه سبحانه امتن عليهم بما جعل فى قلوبهم من الرهبانية و غيرها ، و أخبر أنهم لم يوفوها حقها ، و أنه آتى مؤمنيهم الأجر ، و أمر المسلمين بالتقوى و إتباع الرسول صلى الله عليه و سلم ليحصل لهم من فضله العظيم ضعف ما حصل لأهل الكتاب ، و نهاهم عن التشديد على أنفسهم بالرهبانية ، فصاروا مفضلين من وجهين : كثرة الأجر و خفة العمل ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء - و الله أعلم ، روى البزار[3] من طريق خصيف عن عطاء و من غيرها أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا قال : يا رسول الله ! إنى ظاهرت من امرأتى و رأيت ساقها فى القمر فواقعتها[4] قبل أن أكفر ، قال : كفر و لا تعد . و روى أبو داود[5] عن عكرمة أن رجلا ظاهر من امرأته ثم واقعها قبل أن يكفر ، فأتى النبى صلى الله عليه و سلم فأخبره فقال : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : رأيت بياض ساقيها فى القمر ، قال : فاعتزلها حتى تكفر عنك . قال المنذرى : و أخرجه أيضا عن عكرمة عن النبى صلى الله عليه و سلم و عن عكرمة عن [ابن -[6]] عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه و سلم بمعناه ،

(١) راجع آية ٨٧ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٣) ما وجدناها فى مجمع الزوائد فى مضانها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فوقعتها (٥) راجع السنن ١ / ٣١٠ (٦) زيد من ظ و م .

و أخرجه النسائى[١] و ابن ماجه[٢] و الترمذى[٣] - و قال : [حديث -[٤]] حسن غريب صحيح - و قال النسائى : المرسل أولى بالصواب من المسند ، و قال أبو بكر المعافرى[٥] : ليس فى الظهار حديث صحيح يعول[٦] عليه ، قال المنذرى : و فيما قاله نظر ، فقد صححه [٧]الترمذى كما ترى ، و رجال إسناده ثقات ، و سماع بعضهم من بعض مشهور ، و ترجمة عكرمة[٧] عن ابن عباس رضى الله عنهما احتج بها البخارى فى غير موضع - انتهى . و للترمذى[٨] - و قال : حسن غريب - عن سلمة بن صخر رضى الله عنه فى المظاهر يواقع قبل أن يكفر قال : كفارة واحدة . و روى أحمد[٩] و الحاكم[١٠] و أصحاب السنن[١١] إلا النسائى و حسنه الترمذى ، قال ابن الملقن : و صححه ابن حبان و الحاكم - من طريق سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر البياضى رضى الله عنه قال : كنت امرأ أصيب من النساء ما لا يصيب غيرى ، فلما دخل شهر رمضان خفت أن اصيب من امرأتى شيئا [يتابع بى -[٤]] حتى أصبح[١٢] فظاهرت منها حتى ينسلخ شهر رمضان ، فبينا هى تخدمنى ذات ليلة تكشف[١٣] لى منها شىء فما لبثت أن نزوت عليها[١٤] ، فلما أصبحت

---

(١) راجع السنن ٢ / ٨٨ (٢) راجع السنن ص : ١٥٠ (٣) راجع الجامع ١ / ١٤٤ (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : العامرى ، و راجع لترجمته معجم المؤلفين ١١ / ٦١ (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يقول (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) راجع الجامع ١ / ١٤٣ (٩) راجع المسند ٤ / ٣٧ (١٠) راجع المستدرك ٢ / ٢٠٣ (١١) راجع سنن ابن ماجه ص ١٥٠ وسنن أبى داود ١ / ٣٠٨ و سنن الدارمى ص ٢٩٥ وجامع الترمذى ١ / ١٤٤ (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يصبح (١٣) من م ، و فى الأصل وظ : تكشفت (١٤) من ظ و مد ، و فى الأصل : عنها .

خرجت إلى قومى فأخبرتهم الخبر و قلت: امشوا معى إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، قالوا: لا و الله: فانطلقت إلى النبي صلى الله عليه و سلم فأخبرته، فقال[1]: أنت بذاك[2] يا سلمة؟ قلت: أنا بذاك[3] يا رسول الله - مرتين، و أنا صابر لأمر الله، فاحكم فيّ بما أراك الله، و فى رواية: فأمض فيّ حكم الله فانى صابر لذلك، قال: حرر رقبة، قلت: و الذى بعثك ٥ بالحق ما أملك غيرها - وضربت / صفحة رقبتى[4]، قال: فصم شهرين متتابعين، / ٢٣١ قلت: و هل أصبت الذى أصبت إلا من الصيام، قال: فأطعم وسقا من تمر بين ستين مسكينا، قال: و الذى بعثك بالحق، لقد بتنا وحشين ما لنا طعام، قال: فانطلق إلى صاحب صدقة بنى زريق فليدفعها إليك فأطعم ستين مسكينا وسقا من تمر و كل أنت و عيالك بقيتها، فرجعت ١٠ إلى قومى فقلت: وجدت عندكم الضيق و سوء الرأى، و وجدت عند النبى صلى الله عليه و سلم السعة و حسن الرأى، و فى رواية: و البركة، و قد أمرنى - [5]أو أمر لى[5] - بصدقتكم، و فى رواية: فادفعوها إلىّ، فدفعوها إلىّ. و أعله عبد الحق بالانقطاع، و أن سليمان لم يدرك سلمة، حكى ذلك الترمذى عن البخارى، و قال الترمذى: إن سلمة بن صخر يقال له سلمان ١٥ أيضا، و رواه الإمام أحمد [أيضا -[6]] من طريق أخرى[7] قال حدثنا عبد الله بن إدريس - هو الأودى - عن محمد بن إسحاق عن محمد بن

(١) من ظ، و فى الأصل و م: قال (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ذاك.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: بذلك (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عنقى.
(٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: امرنى (٦) زيد من ظ و م (٧) راجع المسند ٥/٤٣٦.

عمرو بن عطاء عن [سليمان بن يسار عن -[1]] سلمة بن صخر البياضي رضى الله عنه قال: كنت امرءا أصيب من النساء ما لا يصيب غيرى، فلما دخل شهر رمضان خفت فتظاهرت من امرأتى فى الشهر فبينا[2] هى تخدمنى ذات ليلة إذ تكشف لى منها شيء فلم ألبث[3] أن وقعت عليها، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال: حرر رقبة، فقلت: والذى بعثك بالحق، ما أملك غير رقبتى، قال: صم شهرين متتابعين، قلت: وهل أصابنى ما أصابنى إلا فى الصيام؟ قال: فأطعم ستين مسكينا. وهذا سند حسن متصل إن شاء الله إن سلم من تدليس ابن إسحاق، وروى [الحاكم و -[4]] البيهقى[5] من طريق محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان وأبى سلمة بن عبد الرحمن أن سلمة بن صخر البياضى رضى الله عنه جعل امرأته عليه كظهر أمه إن غشيها حتى يمضى رمضان، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أعتق[6] رقبة. وقصة سلمة هذه أصل الظهار الموقت، وقد دلت على أنه لا عود فيه فلا كفارة عليه [إلا -[7]] بوطئها فى مدة الظهار، وروى أبو داود[8] عن خويلة بنت مالك بن ثعلبة رضى الله عنها قالت: ظاهر منى زوجى أوس بن الصامت رضى الله عنه فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم أشكو إليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يجادلنى فيه

(١) زيد من المسند (٢) من م، وفى الأصل وظ: فبينما (٣) من ظ وم، وفى الأصل: فلم اثلث - كذا (٤) زيد من ظ، وراجع المستدرك ٢/٣٠٤ (٥) راجع السنن الكبرى ٧/٣٩٠ (٦) من ظ وم، وفى الأصل: اعتقت. (٧) زيد من ظ (٨) راجع السنن ١/٣٠٩.

ويقول

و يقول[١]: اتق[٢] الله فانه ابن عمك، فما برحت حتى نزل [القرآن -[٣]] "قد سمع الله" إلى الفرض، فقال: يعتق رقبة، قالت: لا يجد، قال: يصوم شهرين متتابعين، قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به من صيام، قال: فليطعم ستين مسكينا، قالت: ما عنده من شيء يتصدق به، قالت[٤]: فأتى ساعتئذ بعرق "من[٥] تمر، قلت: يا رسول الله، فانى أعينه بعرق آخر، قال: قد أحسنت اذهبي فأطعمي بها عنه / ستين مسكينا، و ارجعي إلى ابن عمك، قال: و العرق ستون صاعا، و فى رواية: و العرق مكتل[٦] يسع ثلاثين صاعا، و روى الدارقطنى[٧] أن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: إن أوس بن الصامت رضى الله عنه ظاهر من امرأته خويلة بنت ثعلبة رضى الله عنها فشكت إلى النبي صلى الله عليه و سلم فقالت: ظاهر منى [حين -[٣]] كبر سنى و رق عظمى، فأنزل الله آية الظهار، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لأوس: أعتق رقبة، قال: ما لى بذلك يدان، قال: فصم[٨] شهرين متتابعين، قال: أما أنى إذا أخطأنى أن آكل فى اليوم مرتين يكل بصرى[٩]، قال: فأطعم ستين مسكينا، قال: ما أجد إلا [أن -[١٠]] تعينى "منك بعون[١١]" وصلة، فأعانه رسول الله صلى الله عليه و سلم

٢٣٢ /

(١) زيد بعده فى الأصل: لى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اتق (٣) زيد من م و مد (٤) من ظ و م، و فى الأصل: قال (٥-٥) من م، و فى الأصل و ظ: فيه (٦) من م، و فى الأصل و ظ: مكيل (٧) راجع السنن ص: ٤٢٢ (٨) من ظ و م، و فى الأصل: صم (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بصر (١٠) زيد من م (١١-١١) من ظ و م و فى الأصل: بعون منك.

بخمسة عشر صاعا [١]حتى جمع[١] الله له، و الله [٢]رحيم، قال: و كانوا يرون أن عنده مثلها. و[٣]ذلك لستين[٣] مسكينا، و للدارقطنى[٤] [أيضا_٥] و البيهقى[٦] أن خولة[٧] بنت ثعلبة رضى الله عنها رآها زوجها و هو أوس بن الصامت أخو عبادة[٨] رضى الله عنهما و هى تصلى فراودها فأبت فغضب، وكان به[٩] لمم و خفة فظاهر منها، فأتت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالت: إن أوسا تزوجنى و أنا شابة مرغوب فىّ، فلما خلا سنى و نثرت له بطنى جعلنى عليه كأمه. و للطبرانى[١٠] من طريق أبى معشر عن[١١] محمد بن كعب القرظى قال[١٢]: كانت خولة بنت ثعلبة تحت أوس بن الصامت وكان به لمم، فقال فى بعض هجراته: أنت علىّ كظهر أمى، قال: ما أظنك إلا قد حرمت علىّ، [١٣]فجاءت إلى النبى صلى الله عليه و سلم فقالت: يا رسول الله إن أوس بن الصامت أبو ولدى و أحب الناس إلىّ، و الذى أنزل عليك الكتاب ما ذكر طلاقا، قال: ما أراك إلا قد حرمت عليه، فقالت: يا رسول الله لا تقل كذلك و الله ما ذكر طلاقا، فرادّت النبى صلى الله

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: مجمع (٢) زيد فى الأصل: غفور، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و السنن فحذفناها (٣-٣) من م، و فى الأصل و ظ: لذلك ستين (٤) ماوجدنا فى نطانها (٥) زيد من م (٦) راجع السنن الكبرى ٧/٣٩٢ (٧) فى ظ: خويلة (٨) من ظ و م، و فى الأصل، ابو عبيدة (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بهم (١٠) لم يذكر فى مجمع الزوائد من هذا الطريق (١١) زيد فى الأصل: الى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٢) من ظ، و فى الأصل و م: قالت (١٣) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

عليه و سلم مرارا، ثم قالت: اللهم إنى أشكو إليك فاقتى و وحدتى وما يشق علىّ من فراقه - الحديث، و من طريق أبى العالية قال: فجعل كلما قال لها "حرمت عليه" هتفت و قالت: أشكو إلى الله، فلم ترم مكانها حتى نزلت الآية، و روى أبو داود[1] عن هشام بن عروة أن جميلة كانت تحت أوس بن الصامت و كان رجلا[2] به لمم فكان إذا اشتد به لمه ظاهر من امرأته فأنزل الله عز و جل فيه كفارة الظهار، و أخرجه من حديث عروة عن عائشة رضى الله عنها مثله. [و -[3]] قال القشيرى: و فى الخبر أنها قالت: يا رسول الله! إن أوسا تزوجنى شابة غنية ذات أهل و مال كثير، فلما كبر عنده سنى، و ذهب مالى و تفرق أهلى، جعلنى عليه كظهر أمه، و قد ندم و ندمت، و إن لى صبية صغارا إن ضممتهم إليه ضاعوا، و إن ضممتهم إلىّ جاعوا، يعنى ففرج الله عنها، و قد[4] حصل من هذا مسألة، و هو أن كثيرا من الأشياء ظاهر / العلم يحكم فيه بشىء ثم الضرورة تغير ذلك الحكم لصاحبها، قال البغوى[5]: و[6] كان هذا[6] اول ظهار[7] فى الإسلام، و قال أبو حيان[8]: و كان عمر رضى الله عنه يكرم خولة رضى الله عنها إذا دخلت [عليه و يقول -[9]]: سمع الله لها، فالمظاهرة فى حديث سلمة رضى الله عنه موقتة، و فى حديث خولة رضى الله عنها

/ ٢٣٣

(١) راجع السنن ١/٣٠٩ (٢) من م، و فى الأصل و ظ: رجل (٣) زيد من م.
(٤) سقط من ظ و م (٥) فى معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / ٣٦ (٦-٦) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل: هو (٧) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل: الظهار (٨) فى البحر المحيط ٨ / ٢٣٢ (٩) زيد من ظ و البحر.

مطلقة ، و هي في قصة سلمة رضي الله عنه و من لحا نحوه رهبانية مبتدعة لم ترع حق رعايتها كرهبانية النصارى ، و لم يتبع النبي صلى الله عليه و سلم في ابتداعها حق الاتباع[1] ، و أما في قصة خولة رضي الله عنها فهي مصيبة كان ينبغي فيها التسليم و عدم الحزن كما في آية " لكيلا تأسوا " الآية على أن امتناعها من زوجها حين راودها فيه إلمام بالرهبانية[2] ، و إزالة شكايتها مع أنها امرأة ضعيفة من عظيم الفضل ، و زاده عظما جعله [حكما -[3]] عاما لمن وقع فيه من جميع الأمة .

و لما أتم تعالى الخبر عن إحاطة العلم ، استأنف الإخبار عن حكم الأمر المجادل بسببه ، فقال ذاما للظهار ، و كاسيا له ثوب العار : ﴿ الذين ﴾ و لما كان الظهار منكرا لكونه كذبا ، عبر بصيغة التفعل الدالة عليه فقال : ﴿ يظهرون ﴾ أي يوجدون الظهار في أي رمضان [كان -[3]] وكانه أدغم تاء التفعل و المفاعلة لأن حقيقته أنه يذهب ما أحل الله له من مجامعة زوجته . و لما كان الظهار خاصا بالعرب دون سائر الأمم ، نبه على ذلك تهجينا[5] له عليهم و تقبيحا لعادتهم فيه ، تنبيها على أن اللائق بهم أن يكونوا أبعد الناس من[6] هذا الكلام لأن الكذب لم يزل

(١) من ظ و م ، و في الأصل : الانتداع (٢) من ظ و م ، و في الأصل : من الرهبانيه (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، و في الأصل و ظ : الحكم .
(٥) من م ، و في الأصل و ظ : تهبيجا (٦) زيد في الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

مستهجنا

مستهجنا عندهم فى الجاهلية ، ثم [ما -[1]] زاده الإسلام [إلا -[1]] استهجانا فقال : ﴿ منكم ﴾ أى أيها العرب المسلمون الذين يستقبحون الكذب ما لا يستقبحه غيرهم وكذا من دان دينهم ﴿ من نسآئهم ﴾ أى يحرمون نساءهم على أنفسهم تحريم الله عليهم ظهور أمهاتهم بأن[2] يقول أحدهم[3] لزوجته شيئا من صرائحه مثل [4]أنت علىّ كظهر[4] أمى أو كناياته[5] كأنت أمى ، وكل زوج صح طلاقه صح ظهاره من حر أو عبد مسلم أو ذمى دخل بالزوجة أو لا قادرا كان على الجماع أو عاجزا[6] ، صغيرة كانت الزوجة أو كبيرة ، عاقلة كانت[7] أو مجنونة ، سليمة كانت أو رتقاء ، مسلمة كانت أو ذمية ، و لو كانت رجعية .

و لما كان[8] وجه الشبه التحريم ، و كان للتحريم رتبتان[9] : عليا موصوفة بالتأبيد و الاحترام ، و دنيا خالية عن كل من الوصفين ، و كان التقدير خبرا للمبتدأ : مخطؤن فى ذلك لأنه كذب ، لأن التشبيه إن أسقطت أداته[10] لم يكن حمله على الحقيقة ليكون من الرتبة العليا و لو على أدنى أحوالها من أنه طلاق لا رجعة فيه ، كما كانوا يعتقدونه ، و إن أثبتت ليكون[11] من

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : أن (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : أحد (٤-٤) من م ، و فى الأصل : ظهر (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : كناية (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : لا (٧) زيد فى الأصل : الزوجة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : كانت . (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : رتبتين (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : ان اشتبه (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : ان يكون .

الدنيا لم يكن صحيحا لأنه ممنوع منه لأن التشريع إنما هو لله ، و الله لم يكن
٢٣٤ / يشرع ذلك ، و كان تعليل شق التشبيه يفيد معنى الخبر بزيادة[1] / التعليل ،
حذف الخبر ، و اكتفى بالتعليل فقال معللا له مهجنا للظهار الذى تعوده
العرب من غير أن يشاركهم فيه أحد من الأمم : ﴿ ما هن ﴾ أى
٥ نساؤهم[2] ﴿ امهٰتهم[3] ﴾ على تقدير إرادة أحدهم [أعلى -[3]] رتبتى التحريم ،
و الحاصل أنهم لما كانوا يعتقدون أنه طلاق لا رجعة فيه جعلوا معتقدين
أن المرأة أم لأن الحرمة المؤبدة[4] من خصائص الأم فخوطبوا بذلك تقريعا
لهم لأنه أردع ، و فى سورة الأحزاب ما يوضح هذا .

و لما كانوا قد مرنوا على هذا الحكم فى الجاهلية ، و استقر[5] فى
١٠ أنفسهم استقرارا لا يزول إلا بغاية التأكيد ، ساق الكلام كذلك فى الشقين
فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ امهٰتهم[3] ﴾ [أى -[6]] حقيقة ﴿ الا الّٰئى ولدنهم[3] ﴾
و نساؤهم لم تلدهم ، فلا يحرمن عليهم حرمة مؤبدة للاكرام و الاحترام ،
و لا هن ممن ألحق بالأمهات بوجه يصح و كأزواج النبى صلى الله عليه
و سلم فانهن أمهات لما[7] لهن من حق الإكرام و الاحترام و الإعظام
١٥ [8]ما لم يكن لغيرهن[8] لأن النبى صلى الله عليه و سلم أعظم فى أبوة الدين
من أب النسب [و -[6]] كذلك المرضعات لما لهن من الإرضاع

(١) فى م : زيادة (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : نساؤهن (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مؤبدة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : استقروا (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لأنهن (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م .

الذى هو وظيفة الأم بالأصالة، و أما الزوجة فمباينة[1] لجميع ذلك .

و لما فرغ من تعليل الشق الأول على أتم وجه، أتبعه تعليل الآخر كذلك، فقال عاطفا عليه مؤكدا لأنهم كانوا قد ألفوا قوله فأشربته قلوبهم: ﴿ و انهم ﴾ أى المظهرون[2] ﴿ ليقولون ﴾ أى فى هذا التظهر على كل حالة ﴿ منكرا من القول ﴾ ينكره[3] الحقيقة و[3] الأحكام، ٥ قال ابن الملقن فى عمدة[4] المحتاج: و هو حرام اتفاقا كما ذكره الرافعى فى الشهادات. ﴿ و زورا[5] ﴾ أى قولا مائلا عن السداد، منحرفا عن القصد، لأن الزوجة معدة للاستمتاع الذى هو فى الغاية من الامتهان، و الأم فى غاية البعد عن ذلك لأنها أهل لكل احترام، فلا هى أم حقيقة و لا شبيهة بها بأمر نصبه الشارع للاحترام كالإرضاع، و كونها فراشا ١٠ لعظيم كالنبى أو للأب أو للحرمة كاللعان، *فقد علم* أن ذلك الكلام ليس بصدق و لا جاء به مسوغ، فهو زور محض، و أخصر من هذا أن يقال: و لما كان ظهارهم هذا يشتمل على [6]فعل و قول[6]، و كان الفعل هو التحريم الذى هو موضع وجه الشبه، [و كانت العادة فى وجه الشبه -[7]] أن يقنع منه بأدنى ما ينطلق عليه الاسم، و كانوا قد خالفوا ذلك فجعلوه فى أعلى ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فمبايعة (٢) من م. و فى الأصل و ظ: المظاهرين (٣-٣) من م، و فى الأصل و ظ: القول من (٤) زيد فى الأصل: الاحكام، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: فعلم (٦ - ٦) من ظ، و فى الأصل و م: قول و فعل (٧) زيد من ظ و م.

طبقاته وهو الحرمة المؤبدة التي[1] يلزم منها أن تكون المشابهة من كل وجه
[2]في الحرمة مع أن ذلك بغير مستند من الله تعالى الذي لا حكم لغيره ، ألزمهم
أن يكون الشبه من كل وجه[2] مطلقا فيكونوا جاعلين الزوجة إما حقيقة
لا دعوى كما جعلوا الحرمتين [كذلك من غير فرق بل أولى لأن
٥ الشبه إنما وقع بين الحيثيتين لا بين الحرمتين -[3]] ثم وقفهم على جهلهم
فيه فقال " ما هن" إلى آخره ، ولما وقفهم على جهلهم في الفعل وقفهم على
جهلهم في القول : فقال : [و -[4]] أنهم إلى آخره ، قال النووي في الروضة : قال
الأصحاب : الظهار حرام ، وله حكمان : أحدهما تحريم الوطئ إذا وجبت
٢٣٥ / الكفارة / إلى أن يكفر ، والثاني وجوب الكفارة بالعود - انتهى ،
١٠ وهذا القول وإن أفاد التحريم فانه[5] يفيده لكونه ممنوعا منه على وجه
ضيق[6] حرج الموزد عسر المخرج ليكون عسره زاجرا عن الوقوع فيه ، قال
أبو عبد الله القزاز في ديوانه الجامع : وظاهر الرجل امرأته[2] وظاهر من
امرأته[2] إذا قال : أنت عليّ كظهر أمي أو كذات محرم ، وإنما استخصوا
الظهر في الظهار لأن الظهر موضع الركوب ، والمرأة[2] مركب الرجل[2]
١٥ في النكاح فكنى به عن ذلك ، فكأنه قال : ركوبك عليّ للنكاح كركوب
أمي ، وكان الظهار في الجاهلية طلاقا ، ولذلك أشكل معنى قوله تعالى
"ثم يعودون لما قالوا" وقال ابن الأثير في النهاية[7] : ظاهر الرجل [من -[8]]

(١) من م ، وفي الأصل و ظ : الذي (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ
(٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من م ، وفي الأصل و ظ : كأنه .
(٦) سقط من ظ (٧) راجع ٣/٦٥ (٨) زيد من ظ و م و النهاية .

امرأته ظهارا و تظهر و تظاهر [إذا قال لها : أنت علىّ كظهر أمى ، وكان فى الجاهلية طلاقا -[1]] ، و قيل : إنهم إرادوا أنت علىّ كبطن أمى أى كجماعها ، فكنوا بالظهر عن البطن للمجاورة ، و قيل إن إتيان المرأة و ظهرها [2]إلى السماء[2] كان حراما عندهم ، وكان أهل المدينة يقولون : إذا أتيت المرأة و وجهها إلى الأرض جاء الولد أحول ، فلقصد ٥ الرجل المطلق منهم إلى التغليظ فى تحريم امرأته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك[3] حتى جعلها كظهر أمه ، و إنما عدى الظهار بـ "من" لأنهم كانوا إذا ظاهروا المرأة تجنبوها كما يتجنبون المطلقة و يحترزون منها ، فكأن قوله : ظاهر من امرأته ، أى بعد و احترز منها كما قيل : آلى من امرأته ، لما ضمن معنى التباعد عدى بـ "من" - [انتهى -[4]] ، قال : و قال ابن ١٠ الملقن فى العمدة شرح المنهاج : و كان طلاقا فى الجاهلية ، و نقل عن صاحب الحاوى أنه عندهم لا رجعة فيه ، قال : فنقل الشارع حكمه إلى التحريم بعد العود و وجوب الكفارة - انتهى . و قال أبو حيان[5] : قال ابو قلابة [و غيره -[6]] : كان الظهار فى الجاهلية يوجب عندهم فرقة مؤبدة . ١٥

و لما كان التقدير : فان الله حرمه ، عطف عليه مرغبا فى التوبة و داعيا إليها قوله مؤكدا لأجل ما يعتقدون من غلظه و أنه لا[7] مثنوية فيه

(١) زيد من ظ و م و النهاية (٢ - ٢) من ظ و م و النهاية ، و فى الأصل : للسماء (٣) من ظ و م ، و النهاية ، و فى الأصل : ذلك (٤) زيد من م (٥) فى النهر المادّ من البحر المحيط ٨/٢٣٠ (٦) زيد من ظ و م و النهر (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : به .

﴿ و ان الله ﴾ أى الملك الأعظم [الذى -[1]] لا أمر لأحد معه فى شرع ولا غيره ﴿ لعفو ﴾ من صفاته أن يترك عقاب من شاء ﴿ غفور ٥ ﴾ من صفاته أن يمحو عين الذنب و أثره حتى أنه كما[2] لا يعاقب عليه لا يعاتب[3]، فهل من تائب طلبا للعفو عن زلله، و الإصلاح لما كان من خلله .

و لما هجن[4] سبحانه الظهار، و أثبت تحريمه على أبلغ وجه و آكده، و كان ما مضت عليه العوائد لابد أن يبقى منه بقايا، أتبع ذلك بيان حكم هذه الواقعة و ما لعله يقع من نظائرها فقال[5] : ﴿ و الذين يظهرون ﴾ و لما كان فى بيان الحكم، أسقط التقييد إعلاما بعمومه الكافر كعمومه[6] المسلم ليفيد تغليظ العقاب [عليه -[1]] لئلا يتوهم أنه يخص العرب الذين [7]قصد تهجينه[7] عليهم بأنهم[8] انفردوا به عن سائر الناس فقال : ﴿ من نسآئهم ﴾ بدون "منكم" .

و لما كان مقتضى اللفظ المباعدة ممن قيل ذلك فيها، فكان إمساكها بعده ينبغى أن يكون فى غاية البعد، / قال مشيرا إلى ذلك [بأداة -[1]]

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد بعده فى الأصل : انه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م، و فى الأصل : لا يعاقب، و « عليه لا يعاتب » ساقطة من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل : هجا (٥) من م، و فى الأصل و ظ : قال (٦) زيد فى الأصل : فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل : قصدت هجينة (٨) من م، و فى الأصل و ظ : انهم .

البعد ﴿ ثم يعودون ﴾ اى بعد هذا القول ﴿ لما قالوا ﴾ بالفعل بأن يعاد هذا القول مرة أخرى أو بالقوة بأن يمسكوا المقول[1] ذلك لها[1] زمنا يمكن أن يعاد فيه هذا القول مرة ثانية من غير مفارقة بلفظ مما ناط الله [2]الفرقة به[2] من طلاق [أو -[3]] سراح[4] أو نحوهما، فيكون المظاهر عائدا إلى هذا القول بالقوة لإمكان [هذا -[3]] القول فى ذلك الزمن، ٥ و ذلك لأن العادة قاضية بأن من قال قولا [و لم يبته -[3]] و ينجزه و يمضه بأن يعود إلى قوله مرة أخرى و هلم جرا، أو يكون التقدير لنقض ما قالوا: فيحلوا ما حرموا على أنفسهم بعدم البت بالطلاق، فان كان الظهار معلقا لم يلزم حكمه إلا بالحنث، فان طلق فى الحال[5] و إلا لزمته [الكفارة -[3]]، و حق العبارة التعبير باللام لدلالتها[6] على ١٠ الاتصال كما يقتضيه الحال بخلاف "الى" فانها تدل على مهلة و تراخ، هذا فى الظهار المطلق، و أما الموقت بيوم أو شهر أو نحو ذلك فلا يكون عائدا فيه إلا بالوطء فى الوقت المظاهر فيه، و أما مجرد إمساكها فليس بعود لأنه إنما أمسكها لما [له -[7]] فيها من الحل بعد وقت الظهار. ١٥

و لما كان المبتدأ الموصول مضمنا معنى الشرط، أدخل الفاء فى خبره ليفيد السببية فيتكرر الوجوب بتكرر سببه فقال: ﴿ فتحرير ﴾

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: لها ذلك (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: به الفرقة (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ، و فى الأصل و م: سراحا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الحلال (٦) من ظ و م، و فى الأصل: للالة - كذا. (٧) زيد من ظ.

أى فعليهم بسبب هذا الظهار و العود تحرير ﴿ رقبة ﴾ اى سليمة عن عيب يخل بالعمل كاملة الرق مقيدة [أيضا -[1]] بمؤمنة لأنها قيدت [بذلك -[1]] فى كفارة القتل ، فيحمل هذا على ذاك ، و لأن معاوية ابن الحكم رضى الله عنه كانت له جارية فقال للنبى صلى الله عليه و سلم :
٥ علىّ رقبة أفأعتقها ، فسألها رسول الله صلى الله عليه و سلم [2]عن الله[2] فأخبرته بما دل على توحيدها[3] فقال : من أنا ؟ فقالت : أنت رسول الله ، قال : أعتقها فانها مؤمنة - رواه[4] مالك[5] و مسلم[6] ، فعلل الإجزاء بالإيمان و لم يسأله عن سبب الوجوب ، فدل على أنه لا فرق بين واجب و واجب ، و الموجب للكفارة [الظهار -[1]] و العود جميعا كما أن الموجب فى اليمين [اليمين -[7]]
١٠ و الحنث معا .

و لما كان التحرير لا يستغرق زمن القبل بل يكون فى بعضه ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل ﴾ و لما كان المراد المس بعد المظاهرة لا مطلقا قال : ﴿ ان يتماسا ﴾ أى يتجدد منهما مس و هو الجماع سواء كان ابتداء المباشرة منه أو منها بما أفادته صيغة التفاعل ، و هو حرام
١٥ قبل التكفير و لو كان على أدنى وجوه[8] التماس و أخفاها بما أشار إليه الإدغام و لو كان بايلاج الحشفة فقط مع الإنزال أو بدونه ، و أما

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : توحيده (٤) فى ظ : رواها (٥) راجع الموطا - العتق (٦) راجع صحيح مسلم - المساجد (٧) زيد من م (٨) من م ، وفى الأصل وظ : الوجوه .

مقدمات الجماع فهى[1] فيها كالحائض لا تحرم على الأظهر ، فان جامع عصى و لم تجب كفارة أخرى ، لما روى الترمذى عن سلمة بن صخر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم فى المظاهر يواقع قبل أن يكفر ، قال : كفارة واحدة[2] .

و لما كان الوعظ هو الزجر عن الفعل الموعوظ لأجله ، قال ٥ مستأنفا : ﴿ ذلكم ﴾ أى الزجر العظيم جد الذى هو عام لكم من غير شبهة ﴿ توعظون به[3] ﴾ أى يكون / بمشقة زاجرا لكم عن العود إلى مقاربة ٣٣٧ / مثل ذلك فضلا عن مقارفته لأن من حرم من أحلها الله تحريما متأبدا[3] على زعمه [كان - ٤] كأنه قد قتلها ، و لكون [ذلك - ٤] بلفظ اخترعه و انتهك فيه حرمة[5] أمه كان[5] كأنه قد عصى معصية أو بق بها نفسه ١٠ كلها إيباقا أخرجه إلى [أن - ٤] يقتلها عضوا عضوا باعتاق [رقبة - ٤] تماثل رقبته و رقبة[6] من كان قتلها .

و لما كان التقدير : فالله بما يردعكم بصير ، عطف عليه قوله : ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة بالكمال ، و قدم الجار إشارة إلى إرادة المبالغة للتنبيه على الاهتمام بالزام الانتهاء عن ذلك فقال : ﴿ بما تعملون ﴾ أى تجددون فعله ١٥ ﴿ خبير ﴾ أى عالم بظاهره و باطنه ، فهو عالم بما يكفره ، فافعلوا ما أمر الله[7] به و قفوا عند حدوده ، قال القشيرى : [و الظهار - ٤] و إن لم يكن له فى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فهو (٢) مضى الحديث قبل صفحات .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مويدا (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الله (٦) من ظ ، و فى الأصل : رغبة (٧) سقط من م .

الحقيقة أصل و لا بتصحيحه نطق و لا له شرع، بعد ما رفع إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أمره و لوح بشيء ما و قال: إنه حكمه لم يخل الله من بيان ساق إليه شرعه فقضى فيه بما انتظم فيه الجواب ارتفاع شكواها.

٥ و لما كانت الكفارة مرتبة، و كان المظاهر كأنه قد قتل نفسه بقتل المظاهر عنها كما مضى، فكان مفتقرا إلى ما يحيي[1] نفسه فشرع له العتق الذى هو كالإحياء، شرع له عند العجز عنه ما يميت نفسه التى[2] إماتتها له إحياؤها، وكان الشهران نصف المدة التى ينفخ فيها الروح، فكان صومها كنصف قتل النفس التى قتلها إحياء الروح و إنعاش العقل، فكان كأنه ١٠ إماتتها[3] فجعله سبحانه بدلا عن القتل الذى هو كالإحياء فقال: ﴿فمن لم يجد﴾ أى الرقبة المأمور بها بأن[4] كان فقيرا، فان كان غنيا و ماله غائب فهو واجد ﴿فصيام﴾ أى فعليه صيام ﴿شهرين﴾. و لما كان المراد كسر النفس كما مضى، و كانت المتابعة أنكا و لذلك[5] سمى رمضان شهر الصبر، قيد بقوله: ﴿متتابعين﴾ أى على أكمل وجوه التتابع على حسب ١٥ الإمكان بما أشار إليه الإظهار، فلو قطع التتابع بشيء ما و لو كان بنسيان النية وجب عليه الاستئناف و الإغماء لا يقطع التتابع لأنه ليس فى الوسع وكذا[6] الإفطار بحيض أو نفاس أو جنون بخلاف الإفطار بسفر أو مرض[7] أو خوف[7]

(١) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٣) من ظ و م، و فى الاصل: اماتها (٤) من م، و فى الاصل و ط: ان (٥) زيد فى الأصل: شهر رمضان (٦) من ظ و م، و فى الاصل: كذلك (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: خوف أو مرض أو خوف.

على حمل أو رضيع لأن الحيض معلوم فهو مستثنى شرعاً، و غيره مغيب [للعقل -[1]] مزيل للتكليف، و أما المرضع و نحوه ففيه تعمد الإفطار مع وجود العقل.

و لما كان الإمساك عن المسيس قد يكون أوسع من الشهرين، أدخل الجار فقال: ﴿ من قبل ﴾ و حل المصدر إفادة[2] لمن يكون بعد المظاهرة فقال: ﴿ ان يتماسا ﴾ فان جامع ليلا عصى و لم ينقطع التتابع. و لما كان إطعام نفس قوت نصف يوم كاماتة نفسه بالصيام يوما قال تعالى / : ﴿فمن لم يستطع﴾ أى يقدر على الصيام قدرة تامة - / ٢٣٨ بما أشار إليه إظهار التاء لهرم أو مرض أو شبق مفرط يهيجه[3] الصوم ﴿ فاطعام ﴾ أى فعليه إطعام ﴿ ستين مسكينا[4] ﴾ لكل مسكين ما يقوته نصف يوم، و هو مد بمد النبي صلى الله عليه و سلم و ذلك نحو نصف قدح بالمصرى، و هو ملء حفنتين بكفى معتدل الخلق[5] من غالب قوت البلد، و هو كما فى الفطرة سواء، و حذف قيد المماسة لذكره فى الأولين، و لعل الحكمة فى تخصيص هذا به أن ذكره فى أول الخصال لا بد منه، و إعادته[6] فى الثانى لطول مدته فالصبر عنه فيها[6] مشقة، و هذا يمكن أن يفعل فى لحظة لطيفة لا مشقة للصبر فيها عن المماسة، هذا إذا عاد، فان وصل الظهار بالطلاق أو مات أحدهما فى الحال قبل إمكان الطلاق فلا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اعادة (٣) من م. و فى الأصل و ظ: وهيجه (٤) من م، و فى الأصل و ظ: الحلقة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اعتاقه (٦) فى ظ: فيه.

كفارة، قال البغوي[1]: لأن العود[2] في القول[3] هو المخالفة، وفسر ابن عباس رضي الله عنهما العود بالندم فقال: يندمون و يرجعون إلى الألفة، و هذا يدل على ما قال الشافعي رضي الله عنه: فان ظاهر [عن -[3]] الرحمية إنعقد ظهاره[4] فان راجعها لزمته الكفارة لأن الرجعة عود.

٥ و لما ذكر الحكم، بين علته ترغيبا فيه فقال: ﴿ذلك﴾ أي الترخيص العظيم لكم و الرفق بكم و البيان الشافي من أمر[5] الله الذي هو موافق للحنيفية السمحة ملة أبيكم إبراهيم عليه الصلاة و السلام كان ﴿لتؤمنوا﴾ [أي -[6]] و هذا الفعل العظيم الشاق ليتجدد إيمانكم و يتحقق وجوده ﴿بالله﴾ أي الملك الذي لا أمر لأحد معه فتطيعوه بالانسلاخ من

١٠ فعل الجاهلية ﴿و رسوله[6]﴾ الذي تعظيمه من تعظيمه و قد بعث بملة [أبيه -[6]] إبراهيم عليهما الصلاة و السلام، فلو ترك هذا الحكم الشديد على ما كان عليه في الجاهلية لكان مشككا في البعث بتلك الملة السمحة.

و لما رغب في هذا الحكم، رهب من التهاون به فقال: ﴿و تلك﴾ أي[7] هذه الأفعال المزكية و كل ما سلف من أمثالها في هذا الكتاب

١٥ الأعظم ﴿حدود الله[6]﴾ أي أوامر الملك الأعظم و نواهيه و أحكامه[8] التي يجب امتثالها و التقيد بها لترعى حق رعايتها فالتزموها[9] و قفوا

---

(١) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ٣٨ (٢ - ٢) في المعالم: للقول (٣) زيد من المعالم (٤) من ظ و م، و في الأصل: ظاهرة (٥ - ٥) من ظ و م، و في الأصل: لأمر (٦) زيد من ظ و م (٧) زيدت الواو في الأصل ولم تكن في ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و في الأصل: احكامها (٩) من ظ و م، و في الأصل: فالتزموا.

عند

عندها و لا تعتدوها[1] فانه لا يطاق انتقامه إذا تعدى نقضه لو[2] إرادته ـ و لما كان التقدير: فللمؤمنين بها جنات النعيم، عطف عليه قوله ﴿ و للكافرين ﴾ أي الفريقين في الكفر [بها ـ[3]] أو بشيء من شرائعه ﴿ عذاب اليم ﴾ بما آلموا المؤمنين به من الاعتداء.

و لما ذكر حدوده، و لوح بالعطف على غير معطوف عليه إلى ٥
بشارة حافظها، و صرح بتهديد متجاوزيها، أتبع ذلك تفصيل عذابهم الذي منه بشارة المؤمنين بالنصر عليهم، فقال مؤكدا لأجل إنكارهم لأن يغلبوا على كثرتهم و قوتهم و ضعف حزبه[4] و قلتهم: ﴿ ان الذين يحادون الله ﴾ أي يغالبون الملك الأعلى على حدوده ليجعلوا حدودا غيرها، و ذلك صورته صورة العداوة، مجددين ذلك مستمرين عليه بأي محادة [كانت ـ[5]] ١٠
و لو كانت / خفية[6] ـ بما أشار إليه الإدغام كمحادة[6] أهل الاتحاد الذين ٢٣٩ /
يتبعون المتشابه فيجرونه[7] على ظاهره فيخلون[8] به المحكم لتخل الشريعة بأسرها، فان كثيرا من السورة[9] نزل في المنافقين و اليهود و المهادنين كما يأتي في النجوى و غيرها ﴿ و رسوله ﴾ الذي عزه من عزه[10] ﴿ كبتوا ﴾ أي صرعوا و كبوا لوجوههم و كسروا و أذلوا[11] و أخزوا فلم يظفروا ١٥

(١) من ظ و م، و في الأصل: ولا تتعدوها (٢) من ظ و م، و في الأصل «و» (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و في الأصل: حزبهم به (٥) من ظ و م، و في الأصل: حقيقة (٦) من ظ و م، و في الأصل: بمحادة (٧) من ظ و م، و في الأصل: فيجرون (٨) من ظ و م، و في الأصل: فيجعلون. (٩) من م، و في الأصل و ظ: السور (١٠) من ظ و م، و في الأصل: عزره (١١) من ظ و م، و في الأصل: ازلوا ـ كذا.

و ردوا بغيظهم في [كل -[1]] أمر يرومونه من أي كابت[2] كان بأيسر أمر و أسهله[3]، و عبر بالماضي إشارة إلى تحقق وقوعه و الفراغ من قضائه كما فرغ مما مضى، فلذا قال لتكون الدعوى مقرونة بدليلها: ﴿كما كبت الذين﴾ و لما كان المحادون لم يستغرقوا جميع[4] الأزمان الماضية[4] و الأماكن، أدخل الجار فقال: ﴿من قبلهم﴾ أي[5] المحادين كقوم نوح و من بعدهم ممن أصر على العصيان، و لم ينقد لدليل و لا برهان، قال القشيري: و من ضيع لرسول الله صلى الله عليه و سلم سنة و أحدث في دينه بدعة انخرط في هذا السلك، و وقع في هذا الذل.

و لما استوفى المقام حظه بيانا و ترغيبا و ترهيبا، عطف على أول السورة أو[6] على ما يقدر من نحو: فقد كان لكم فيما مضى من أول الإسلام إلى هذا الأوان مما يدل على كونه سبحانه بالنصر و المعونة مع نبيه صلى الله عليه و سلم و أتباعه رضي الله عنهم معتبر، قوله: ﴿وقد أنزلنا﴾ [أي -[1]] بما لنا من العظمة عليكم و على من قبلكم ﴿آيات بينات[4]﴾ أي دلالات عظيمة هي في غاية البيان لذلك و لكل ما يتوقف عليه الإيمان بترك المحادة و يحصل الإذعان. و لما كان التقدير: فللمؤمنين بها نعيم مقيم في مقام أمين[7]، عطف عليه قوله: ﴿و للكفرين﴾ [أي -[1]]

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: أمر (٣ - ٣) من ظ و م، و في الأصل: بأمره بأسهله (٤ - ٤) من م، و في الأصل: الزمان الذي مضى، و في ظ: الازمان الذي مضى (٥) زيد في ظ و م: من (٦) من ظ و م، و في الأصل: «و» (٧) من ظ و م، و في الأصل: امنين.

الراسخين فى الكفر بها و تغيرها من أمر الله ﴿عذاب مهين ج﴾ بما تكبروا و اغتروا على أولياء الله و شرائعه ، يهينهم[1] ذلك العذاب و يذهب عزهم و شماختهم و يتركون به محادتهم .

و لما ذكر عذابهم ، [ذكر -[2]] وقته على وجه مقرر لما مضى من شمول علمه و كمال قدرته فقال : ﴿يوم يبعثهم الله﴾ أى يكون ذلك فى ٥ وقت إعادة الملك الأعظم للكافرين المصرح بهم و المؤمنين المشار إليهم احياء كما كانوا ﴿جميعا﴾ [3]فى حال كونهم مجتمعين فى البعث . و لما كان لا أوجع من التبكيت بحضرة بعض[4] الناس فكيف إذا كان بحضرتهم كلهم فكيف إذا كان بمرأى من جميع الخلائق و مسمع . سبب عن ذلك و عقب قوله : ﴿فينبئهم﴾ [أى -[5]] يخبرهم إخبارا عظيما مستقصى ١٠ ﴿بما عملوا[4]﴾ إخزاء لهم و إقامة للحجة عليهم .

و لما كان ضبط ذلك أمرا عظيما ، استانف قوله بيانا لهوانه عليه : ﴿احصنه الله﴾ اى أحاط به عددا كما و كيفا و زمانا و مكانا بما له من صفات الجلال و الجمال . و لما ذكر إحصاءه له ، فكان ربما[6] ظن أنه[6] مما يمكن فى العادة إحصاؤه ، نفى ذلك بقوله : ﴿و نسوه[4]﴾ اى كلهم مجتمعين ١٥ لخروجه عن الحد فى الكثرة فكيف بكل واحد على انفراده و نسوا ما فيه من المعاصى تهاونا بها . و ذلك عين التهاون بالله و الاجتراء عليه ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لهم - كذا (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) سقط من م (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يظن انما .

/٢٤٠ قال القشيرى: إذا حوسب احد[١] فى / القيامة على عمل عمله تصور[٢] له ما فعله ثم يذكر حتى كأنه فى تلك الحالة قام من بساط الزلة فيقع عليه من الخجل و الندم ما ينسى فى جنبه كل عقوبة، فسبيل المسلم أن [٣]لا يخالف أمر مولاه[٣] و لا يحوم حول مخالفة أمره[٤]، فان جرى المقدور و وقع فى هجنة التقصير فليكن من زلته على بال، و ليتضرع إلى الله بحسن الابتهال.

و لما كان التقدير بما أرشد إليه العطف على غير مذكور: فالله بكل شىء من ذلك و غيره عليم، عطف عليه قوله: ﴿و الله﴾ أى بما له من القدرة الشاملة و العلم المحيط ﴿على كل شىء﴾ على الإطلاق من غير مثنوية اصلا ﴿شهيد﴾ أى حفيظ حاضر لا يغيب، و رقيب لا يغفل، حفظه له و رقبه و حضوره إياه مستعل[٥] عليه قاهر له باحاطة قهره بكل شىء ليمكن حفظه له على أتم وجه يريده.

و قال الإمام أبو جعفر [ابن -[٦]] الزبير: لما نزه سبحانه نفسه عن تقول الملحدين، و اعلم ان العالم بأسره ينزهه عن ذلك بألسنة أحوالهم لشهادة العوالم [٧]على أنفسها[٧] بافتقارها لحكيم أوجدها، لا يمكن [أن -[٨]] يشبه شيئا منها بل يتنزه[٩] من أوصافها و يتقدس[١٠] عن سماتها، فقال

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اخذ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تصور - كذا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) فى م: امر مولاه (٥) من م، و فى الأصل و ظ: مستقل (٦) زيد من م (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: بانفسها (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: تنزل. (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: قدس.

"سبح لله ما فى السمٰوٰت و الارض" و مضت اى تعرف بعظيم سلطانه وعلىّ ملكه، ثم انصرف الخطاب إلى عباده فى قوله "امنوا بالله و رسوله" إلى ما بعد ذالك من الآى، و كان ذلك ضرب من الالتفات، و الواقع [هنا -[1]] منه أشبه بقوله سبحانه فى سورة البقرة "و اذ قال ربك للملٰئكة" فانه بعد تفصيل حال المتقين و حال من جعل[2] فى طرف منهم و حال من يشبه بظاهره بالمتقين و هو معدود فى شرار الكافرين، فلما تم هذا النمط عدل بعده إلى دعاء الخلق إلى عبادة الله و توحيده "يا ايها الناس اعبدوا ربكم" ثم عدل بالكلام جملة و صرف الخطاب إلى تعريف نبيه عليه الصلاة و السلام بين أيدى الخلق "و اذ قال ربك للملٰئكة إنى جاعل فى الارض خليفة" فجاء ضربا من الالتفات فكذا[3] الواقع هنا بين سبحانه حال مشركى العرب و قبح عنادهم[4] و قرعهم و وبخهم فى عدة سور غالب آيها جار على ذلك [5]و مجدد له أولها[5] سورة «ص» كما نبه عليه فى سورة القمر، و إلى الغاية التى ذكرت فيها إلى أن وردت سورة القمر منبئة بقطع دابرهم، و انجر فيها [6]الإعذار المنبه[6] عليه و كذا فى سورة الرحمن بعدها، ثم أعقب ذلك بالتعريف بحال النزل الأخراوى فى سورة الواقعة مع زيادة تقريع و توبيخ على مرتكبات استدعت تسبيحه تعالى و تقديسه عن شنيع [7]قراتهم فأتبعت بسورة[7] الحديد، ثم صرف فيها

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: حصل (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فبكذا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عناده (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: بحمد الله اوله - كذا (٦ - ٦) من م، و فى الأصل و ظ: الاعداد المنبهة (٧) من م، و فى الأصل و ظ: سورة.

الخطاب إلى المؤمنين، و استمر ذلك إلى آخر السورة، جرت سورة المجادلة على هـــذا القصد مصروفا[1] خطابها إلى نازلة تشوف المؤمنين إلى تعرف حكمها، و هو الظهار المبين أمره فيها، فلم يعد فى الكلام بعد كما كان قد صرف إليه فى قوله "آمنوا بالله و رسوله" بأكثر من التعرض لبيان حكم يقع منهم، ثم أن السور الواردة بعد إلى أخر الكتاب استمر معظمها على هذا الغرض لانقضاء[2] ما قصد من التعريف بأخبار القرون / السالفة و الأمم الماضية، و تقريع من عاند و توبيخه، و ذكر مثال الخلق و استقرارهم الأخراوى، و ذكر تفاصيل التكاليف و الجزاء عليها من الثواب و العقاب، و ما به استقامة [3]من استجاب و آمن[3] و ما يجب أن يلتزمه على درجات التكاليف و تأكيدها، فلما[4] كمل ذلك صرف الكلام إلى ما يخص المؤمنين فى أحكامهم و تعريفهم[5] بما فيه من خلاصهم، فمعظم آى سورة بعد هذا شأنها، و إن اتجر غيرها فلا ستدعاء موجب و هو الأقل كما بينا - انتهى.

/٢٤١

و لما كان هذا الإخبار عن إحاطة علمه و شمول قدرته مع أنه بديهى التصور - يحتاج عند من جره الهوى إلى الشرك المقتضى للنقص إلى دليل [معه -[6]] فقد كان العرب ينكرون أن يسع الناس كلهم إله

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مصروف (٢) زيد فى الأصل: معظم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣ - ٣) من ظ و م، و فى الأصل: المخبات - كذا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: و لما (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تقريعهم (٦) زيد من ظ.

واحد ، قال تعالى دالا على ذلك بدليل شهودى ليفيد الإنسان بما يراه من المحسوسات ، قاصرا الخطاب على أعلى الخلق إشارة إلى أنه لا يفهم ذلك حق فهمه[1] غيره : ﴿ الم تر ﴾ أى تعلم علما هو فى وضوحه كالرؤيـة بالعين ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له صفات الكمال كلها ﴿ يعلم ما فى السموت ﴾ كلها ، و لما كان الخطاب لأعلى الخلق ، و كان المقام لإحاطة العلم ، و كان خطابه صلى الله عليه و سلم بذلك إشارة للسامعين إلى وعورة هذا المقام و أنه بحيث لا يكاد يتصوره و لا يفهمه حق فهمه إلا هو صلى الله عليه و سلم و من ألحق به ممن صفا فهمه و سوى ذهنه و انخلع من الهوى و العوائق ، جمع و أكد باعادة الموصول ، فافراده صلى الله عليه و سلم بالخطاب بعد ان كان مع المظاهرين ثم المجادين إشارة إلى التعظيم و تأكيده تنبيه على صعوبة المقام بالتعميم ليرعى حق الرعى توفية بحق التعليم[2] كما رعته الصديقة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى قولها " سبحان من وسع[3] سمعه الأصوات[4] " يعنى فى سماعه[5] مجادلة المراة و هو فى غاية الخفاء فقال تعالى : ﴿ و ما فى الارض[1] ﴾ أى كليات ذلك و جزئياته ، لا يغيب عنه شىء منه ، بدليل أن تدبيره محيط بذلك على أتم ما يكون ، و هو يخبر من يشاء من أنبيائه و أصفيائه بما يشاء من أخبار ذلك ، القاصية و الدانية ، الحاضرة و الغائبة ، الماضية

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : علمه (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : التعظيم ، (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : سمع (٤) مضى فى أوائل هذه السورة . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل و ظ : سمعه .

و الآتية، فيكون كما أخبر .

و لما كان ذلك و إن كان معلوما يتعذر إحاطة الإنسان بكل جزئي[1] منه، دل عليه بما هو أقرب [منه -[2]] فقال : ﴿ ما تكون ﴾ بالفوقانية في قراءة أبي جعفر[3] لتأنيث النجوى إشارة إلى العلم بها و لو ضعفت[4] إلى أعظم حد، و قرأ الباقون بالتحتانية للحائل، و لأن التأنيث غير حقيقي، و هي على كل حال من «كان» التامة، و عمم النفي بقوله : ﴿ من نجوى ﴾ أي تناجي متناجين، جعلوا نجوى مبالغة، و النجوى : السر و المسارون، اسم و مصدر - قاله في القاموس، و قال عبد الحق في الواعي : النجوى / الكلام بين الاثنين كالسر و التشاور - انتهى . [و -[2]] ٢٤٢ / أصله من النجوى - للمرتفع[5] من الأرض، و النجو : الخلوص و القطع و كشط الجلد و الحدث و الكشف، لأن المسارر يرفع ما كان في ضميره إلى صاحبه و يخلصه بمساررته له و يقطعه من ضميره و يكشطه منه و يحدثه و يكشفه .

و لما كانت النجوى لا تكمل إلا بثالث[6] يحفظ الأنس بادامة الاجتماع لأن الاثنين ينفردان عند عروض حاجة لأحدهما و يكونان [في -[2]] التناجي و التشاور كالمتنازعين، و الثالث [7] وسط بينهما[7] مع أنه سبحانه

(١) من م، و في الأصل و ظ : جزء (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع نثر المرجان ٧/٢٤٤ (٤) زيد في الأصل و ظ : بها، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها. (٥) من م، و في الأصل و ظ : المرتفع (٦) في ظ : بثلاث (٧-٧) من ظ و م، و في الأصل : بينهما و - ط .

وتر يحب الوتر، و الثلاثة أول أوتار العدد، كما كان حافظا لها فى أزل الأزل قال: ﴿ ثلثة ﴾ أى فى حال من الأحوال ﴿ الا هو رابعهم ﴾ أى مصيرهم أربعة، فهو اسم فاعل و المعنى يعلمه و قدرته كما يكون كل من المتناجين عالما بنجوى البعض، فروح النجوى العلم بالسر.

و لما كان الثلاثة قد يريد أحدهم أن ينفرد بآخر منهم، فيصير ه الثالث وحده، فاذا كانوا أربعة دام الأنس بينهم ثم لا يكمل إلا بخامس يحفظ الاجتماع إذا عرضت لأحد الاثنين حاجة[1] قال: ﴿ و لا خمسة ﴾ أى من نجواهم ﴿ الا هو سادسهم ﴾ كذلك، فالحاصل أنه ما يكون من وتر إلا كان هو سبحانه شافع وتريته، و أما وتريته [هو -[2]] سبحانه فقد كانت و لا شيء معها أصلا، و ستكون و لا حى معها، فلا وتر ١٠ فى الوجود على الحقيقة غيره.

و لما علم بالتكرير أن ما ذكر على سبيل المثال لا لمعنى يخصه من[3] جهة بالعلم، عم[4] بقوله: ﴿ و لا ادنى ﴾ فبدأ بالقليل لأنه قبل الكثير. و [هو -[2]] أخفى منه ﴿ من ذلك ﴾ أى الذى ذكر و هو الواحد و الاثنان و الأربعة الذى بعيد عن رتبته و إن كان قد شرفه سبحانه ١٥ باطلاق معيته بعد أن لا نسبة له منها.

و لما كان العلم بالكثير أعسر من أجل انتشاره [قال -[6]]:

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: جماعة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: على (٤) زيد فى الأصل: النفى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: التكثير (٦) زيد ولا بد منه.

﴿ و لا ﴾ أي يكون من نجوى ﴿ اكثر ﴾ أي من ذلك كالستة فما فوقها لا إلى نهاية - هذا التقدير على قراءة الجماعة بالجر بفتحة[1] الراء و رفع يعقوب[2] على محل من « نجوى » ﴿ الا هو معهم ﴾ أي يعلم ما يجري منهم و بينهم، و يلزم من إحاطة علمه إحاطة قدرته كما تقدم في طه لتكمل شهادته .

و لما كان العموم في المكان يستلزم [العموم - [3]] في الزمان، و كان المكان أظهر في الحس قال : ﴿ اين ما ﴾ أي في مكان ﴿ كانوا ﴾ فانه لامسافة بينه و بين شيء من الأشياء لأنه الذي خلق المسافة، و علمه بالأشياء ليس لقرب مكان حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة و لا بسبب من الأسباب غير وجوده على ما هو عليه من صفات الكمال، قال الرازي: ما فارق الأكوان الحق و لا قارنها، كيف يفارقها و هو موجدها و حافظها و مظهرها، و كيف يقارن[4] الحدث القدم و هو به قوام الكل، و هو القيوم على الكل - انتهى . و الحاصل[5] أنه سبحانه لايخفى عليه شيء من العالم و إن بلغ في دقته إلى[6] ما لا ينقسم . و هو شاهد لذلك كله حفظا و علما و إحاطة و حضورا، و آية ذلك في خلقه أن جملة الجسم[7] يحيي / بالروح، فلا يبقى جزء منه إلا و هو محفوظ بالروح ٢٤٣ /

(١) من ظ و م ، و في الأصل : بفتح (٢) راجع نثر المرجان ٧ / ٢٤٥ (٣) زيد ولابد منه (٤) م ، و في الأصل و ظ : يفارق (٥) من ظ و م . و في الأصل : ليس (٦) في الأصل : الا - كذا (٧) من ظ و م ، و في الأصل : الاسم .

يحس بسببها[1] و هو سبحانه لا يحجب علمه و لاشيئا من صفاته حجاب ، فقد صحت المعية و هو بحيث لايحويه المكان و لايحصره[2] العد ، يقبض المخلوق و يبسطه ، لايصعد المخلوق و لاصفته و لافعله و لامعنى من معانيه إلى صفة من صفاته ، إنما له من المكان المكانة ، و من العلم العلا ، و من الأسماء و الصفات متقضاها - أشار إلى ذلك ابن برجان و قال : و من تدبر ما قرأه و تفهم ما تعلمه أدرك من التحقيق ما نحن بسبيل تبيانه ما قدر له ، ألا ترى إلى الجن أين مكانهم و إن كانوا موصوفين به ثم الملائكة[3] أرفع قدرا و مكانة ، بل إن الروح من جميع الجملة التى تحمله ، به حييت و به تدبيرها و به قيامها باذن الله خالقه ، قال عليه الصلاة و السلام فى خطبته الكبرى و هى آخر خطبة خطبها أخرجها الحارث ابن أبى أسامة : رقى[4] المنبر و قال : أيها الناس ادنوا و أوسعوا لمن خلفكم - ثلاث مرات ، فدنى الناس و انضم بعضهم إلى بعض ، و التفتوا فلم يروا أحدا ، فقال رجل منهم بعد الثالثة : لمن نوسع[5] يا رسول الله أللملائكة[6] ؟ فقال[7] : لا إنهم إذ كانوا معكم لم يكونوا بين أيديكم [و لامن خلفكم - [8]] و لكن عن أيمانكم و عن شمائلكم ، [و على ذلك - [8]] فليسوا فى مكان

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : نشبيها (٢) من ظ و م ، و فى الاصل : لايحصر (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : ملائكة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : و فى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اوسع (٦) و من هنا انقطعت نسخة م إلى ما سننبه عليه (٧) زيد فى الأصل : الا ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٨) زيد من ظ .

الأيمان[1] هنا و الشمائل بل فى المكان[2] من ذلك ، فالله جل جلاله أعلى و أجل و أنزه مكانة و أكرم استواء - انتهى .

و لما كان الإنسان نساءا و لاسيما إن تمادى [به -[3]] الزمان ، قال عاطفا على ما تقديره: فيضبط[4] عليهم حركاتهم و سكناتهم من أقوالهم و أفعالهم و أحوالهم ، و يحفظها على طول الزمان كما كان حافظا[5] لها قبل خلقها ثم أزل الأزل ﴿ ثم ينبئهم ﴾ أى يخبر أصحابها إخبارا عظيما ﴿ بما عملوا ﴾ دقيقة و جليلة ﴿ يوم القيمة[6] ﴾ الذى هو المراد الأعظم من الوجود لإظهار الصفات العلى فيه[6] أتم إظهار . و لما أخبر تعالى بهذا الأمر العظيم ، علله بما هو دليل على الشهادة فقال مؤكدا لما لهم [من الإنكار -[3]] قولا أو فعلا بالاشتراك الذى [يلزم -[3]] منه النقص ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له الكمال كله . و لما كان المقام للابلاغ فى إحاطة العلم ، قدم الجار كما مضت الإشارة إليه غير مرة قال: ﴿ بكل شىء ﴾ مما ذكر و غيره ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم فهو على كل شىء قدير ، فهو على كل شىء شهيد ، لأن نسبة ذاته الأقدس إلى الأشياء كلها على حد سواء لا فرق أصلا بين شىء و آخر ، قال القشيرى: معية الحق سبحانه و إن كانت على العموم بالعلم و الرؤية[7] و على الخصوص بالفضل و النصرة ، فلهذ الخطاب فى قلوب أهل المعرفة أثر عظيم إلى أن ينتهى الأمر بهم

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ ، و فى الأصل : المكانة (٣) زيد من ظ (٤) من ظ ، و فى الأصل : فيغضه (٥) من ظ ، و فى الأصل : حافظ (٦) من ظ ، و فى الأصل : فيها (٧) من ظ ، و فى الأصل : التروية .

إلى التأويل ، فللوله و الهيمان فى خمار سماع هذا عين رغد .

و لما كان هذا الدليل [أيضا -[1]] تتعذر الإحاطة[2] به ، قال دالا عليه بأمر[3] جزئى واقع بعلم المحدث عنه حقيقة ، فان عاند بعده سقط عنه[4] الكلام إلا بحد الحسام : ﴿ الم تر ﴾ أى تعلم علما هو كالرؤية ، و دل على سفول رتبه المرئى بابعاده عن أعلى الناس قدرا بحرف الغاية فقال : ﴿ الى الذين ﴾ و لما كان العاقل من إذا زجر عن شىء انزجر حتى يتبين له أنه لاضرر عليه فى فعل ما زجر عنه ، [عبر -[1]] / بالبناء للمفعول فقال : ﴿ نهوا ﴾ أى من ناه ما[5] لاينبغى للمنهى مخالفته حتى يعلم أنه مأمون الغائلة ﴿ عن النجوى ﴾ أى[6] الإسرار لإحلال أنفسهم بذلك فى محل التهمة بما لايرضى [من -[1]] رسول الله صلى الله عليه و سلم - كما قال أبو العلاء المعرى :

/ ٢٤٤

و الخل كالماء يبدى لى ضمائره[7] مع الصفاء و يخفيها من الكدر[8]

و لما كان الناهى هو الله ، فكان هذا للنهى أهلا لأن يبعد منه غاية البعد ، عبر بأداة التراخى فقال : ﴿ ثم يعودون ﴾ أى على سبيل الاستمرار لأنه إذا وقعت مرة بادروا إلى التوبة منها أو فلتة وقعت معفوا عنها ﴿ لما نهوا عنه ﴾ أى من غير أن يعدوا لما يتوقع من جهة الناهى من

(١) زيد من ظ (٢) من ظ ، و فى الأصل : لاحاطة (٣) من ظ ، و فى الأصل : بامرى (٤) فى ظ : عند (٥) فى الأصل و ظ : مما (٦) فى الأصل و ظ : عن .
(٧) من ظ ، و فى الأصل : ضماير (٨) من ظ ، و فى الأصل : الكد .
(٩) سقط من ظ .

الضرر عدة ﴿ و يتنجون ﴾ أى يقبل جميعهم على المناجاة إقبالا واحدا، فيفعل كل منهم ما يفعله الآخر مرة بعد أخرى على سبيل الاستمرار، و قراءة حمزة[1] « و ينتجون » بصيغة الافتعال يدل على التعمد و المعاندة ﴿ بالاثم ﴾ [أى -[2]] بالشىء الذى يكتب عليهم به الإثم بالذنب

٥ و بالكذب و بما لايحل[3] . و لما ذكر المطلق أتبعه المقيد بالشدة فقال: ﴿ و العدوان ﴾ اى العدو الذى هو نهاية فى قصد الشر بالإفراط فى مجاوزة[4] الحدود . و لما كان ذلك شرا فى نفسه أتبعه الإشارة إلى أن الشىء يتغير وصفه بالنسبة إلى من يفعل معه فيكبر بكبر المعصى فقال: ﴿ و معصيت الرسول[5] ﴾ أى الذى جاء إليهم من الملك الأعلى، و هو

١٠ كامل الرسلية، لكونه مرسلا إلى جميع الخلق و فى كل الأزمان، فلا نبى بعده، فهو لذلك يستحق غاية الإكرام .

و لما أنهى "تعظيم الذنب" إلى غايته آذن بالغضب بأن لفت الكلام إلى الخطاب فقال: ﴿ و اذا جآؤك ﴾ أيها الرسول[6] الأعظم الذى يأتيه الوحى ممن أرسله و لم يغب أصلا عنه لأنه المحيط علما و قدرة ﴿ حيوك ﴾

١٥ أى واجهوك بما يعدونه تحية من قولهم: السام[7] عليك و نحوه، و عم كل لفظ بقوله: ﴿ بما لم يحيك به الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا أمر

---

(١) راجع نثر المرجان ٧ / ٢٤٦ (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٤) من ظ ، و فى الأصل : محاوز . (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل : التعظيم (٦) زيد فى الأصل : العظيم ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) من ظ ، و فى الأصل : السلام .

لأحد معه فمن تجاوز ما شرعه فقد عرض نفسه لسخطه ، و مما دخل فيه قول بعض الناس لبعض « صباح الخير » و نحوه معرضا عن السلام . و لما [١]كان المشهور عنهم أنهم[١] يخفون ذلك جهدهم و يعلنون باملاء الله لهم أن رسول الله صلى الله عليه و سلم لايطلع عليه ، و إن اطلع عليه [٢]لم يقدر على أن ينتقم منهم ، عبر عن ذلك بقوله : ﴿ و يقولون ﴾ أى عند ٥ الاستدراج بالإملاء مجددين قولهم مواظبين عليه ﴿ فى انفسهم ﴾ من غير أن يطلعوا عليه أحدا : ﴿ لولا ﴾ أى هلا و لم لا ﴿ يعذبنا الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء على زعم من باهانا ﴿ بما نقول[٤] ﴾ مجددين مع المواظبة إن كان يكرهه - كما يقول محمد صلى الله عليه و سلم .

و لما تضمن هذا علمه سبحانه و تعالى بهذه الجزئية من هؤلاء القوم ١٠ فثبت بذلك علمه سبحانه بجميع ما فى الكون ، / لأن نسبة الكل إليه على ٢٤٥ / حد سواء ، فاذا ثبت علمه بالبعض ثبت علمه بالكل [فثبتت قدرته على الكل -[٢]] فكان على كل شىء شهيدا ، [قال -[٢]] مهددا لهم مشيرا[٣] إلى أنه لاينبغى لأحد أن يقول مثل[٥] هذا إلا إن كان قاطعا بأنه لايحصل له عذاب ، أو يحصل له منه ما لايبالى به ثم رده بقوله : ﴿ حسبهم ﴾ ١٥ أى كفايتهم فى الانتقام منهم و فى عذابهم و رشقهم بسهام لهيبها و منكى شررها و تصويب صواعقها ﴿ جهنم ج ﴾ أى الطبقة التى تلقاهم بالتجهم و العبوسة و التكره و الفظاظة . فان حصل لهم فى الدنيا عذاب كان

(١ - ١) فى ظ : كانوا (٢) من ظ ، و فى الأصل : لايقدر (٣) زيد من ظ .
(٤) و من هنا تستأنف نسخة م (٥) سقط من ظ .

زيادة على الكفاية، فاستعجالهم بالعذاب محض رعونة ﴿يصلونها﴾ أى يقاسون عذابها دائما فانى قد أعددتها لهم. و لما كان التقدير فانهم [يصيرون - ١] إليها و لابد، سبب عنه قوله: ﴿فبئس المصير﴾ أى مصيرهم، و سبب ذلك أن اليهود و المنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم و ينظرون إلى المؤمنين[٢] و يتغامزون[٣] يوهمونهم أنهم يتناجون فيما يسوءهم فيظنون أنه بلغهم شيء من إخوانهم الذين خرجوا فى السرايا غزاة فى سبيل الله من قتل أو هزيمة فيحزنهم ذلك، فشكوا [ذلك - ٤] إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فنهاهم عن التناجى فى[٥] هذه الحالة فلم ينتهوا. [و - ٤] روى أحمد[٦] و البزار و الطبرانى باسناد - قال الهيثمى فى المجمع[٧]: إنه[٨] جيد لأن حمادا سمع من عطاء بن السائب فى حالة[٩] الصحة - عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم: سام عليك، ثم يقولون فى أنفسهم: لو لا يعذبنا الله بما نقول، فنزلت. و روى أبو يعلى عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال عند ذلك: إذا سلم عليكم أحد من اهل الكتاب فقولوا "و عليك".

و لما نهى عن النجوى و ذم على فعلها و توعد عليه فكان ذلك

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ثم انهم (٣) زيد فى الأصل: حتى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) فى ظ: على (٦) راجع المسند ٢/١٧٠ (٧) راجع ٧/١٢٢ (٨) سقط من ظ و م (٩) من ظ و م و المجمع، و فى الأصل: حال.

موضع الذي يظن أن النهي عام لكل نجوى و إن كانت بالخير، استأنف قوله[1] منادياً بالأداة التي لا يكون ما بعدها له وقع عظيم، معبراً بأول أسنان[1] الإيمان باقتضاء الحال له: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي ادعوا أنهم أوجدوا هذه الحقيقة ﴿إذا تناجيتم﴾ أي قلع كل منكم الكلام من نفسه فرفعه[2] و كشفه لصاحبه سراً ﴿فلا تتناجوا﴾ أي توجدوا هذه الحقيقة ظاهرة كتناجي المنافقين ﴿بالإثم﴾ أي الذنب و كل فعل يكتب بسببه عقوبة. و لما عم خص فقال: ﴿و العدوان﴾ أي الذي هو العدو الشديد بما يؤذي و إن كان العادي يظن أنه لا يكتب عليه به إثم. و لما كان السياق لإجلال[3] النبي صلى الله عليه و سلم مع أنه لا تعرف حقيقة الإثم إلا منه قال تعالى: ﴿و معصيت الرسول﴾ أي الكامل في الرسلية[4] فإن ذلك يشوش فكره فلا يدعه يبلغ رسالات ربه / و هو منشرح[5] الصدر طيب النفس. ٢٤٦ /

و لما علم أن نهيهم إنما هو عن شر يفسد[6] ذات البين و هو ما لا يريدون إطلاع النبي صلى الله عليه و سلم [عليه -[7]]، صرح بقوله حثاً على إصلاح ذات البين لأن خير الأمور ما عاد [بإصلاحها، و شر الأمور ما عاد -[7]] بإفسادها: ﴿و تناجوا بالبر﴾ أي بالخير الواسع الذي فيه [حسن -[8]]

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م، و في الأصل: فرفعوا.
(٣) من ظ و م، و في الأصل: لاجل (٤) من ظ و م، و في الأصل: الرسالة.
(٥) في ظ: مفتوح (٦) من ظ و م، و في الأصل: يفيد (٧) زيد من م.
(٨) زيد من ظ و م.

التربية . و لما كان ذلك قد يعمل طبعا حث على القصد الصالح بقوله : ﴿ و التقوى ﴾ وهى[1] ما يكون فى نفسه ظاهرا أنه يكون سترة تقى من عذاب الله بأن يكون مرضيا لله و لرسوله .

و لما كانت التقوى أم المحاسن ، أكـــدها و نبه عليها بقوله : ﴿ و اتقوا الله ﴾ أى اقصدوا قصدا يتبعه العمل أن تجعلوا بينكم و بين سخط الملك الأعظم وقاية . و لما كانت ذكرى[2] الآخرة هى مجمع المخاوف و لاسيما فضائح الأسرار على رؤس الأشهاد قال : ﴿ الذى اليه ﴾ أى خاصة ﴿ تحشرون ٥ ﴾ أى تجمعون بأيسر أمر و أسهله بقهر و كره ، و هو يوم القيامة ، فيتجلى فيه سبحانه للحكم بين الخلق و الإنصاف بينهم بالعدل و محاسبتهم على النقير و القطمير[3] لايخفى عليه خافية و لاتقى منه واقية تنكشف فيه سرادقات[4] العظمة ، و يظهر [ظهورا -[5]] تاما نفوذ الكلمة ، و يتجلى فى مجالى العز سطوات القهر ، و تنبث[6] لوامع الكبر ، فإذا فعلتم ذلك مستحضرين لذلك لم تقدموا على شىء تريدون إخفاءه من النبى صلى الله عليه و سلم ، فيكون ذلك أقر لعينه و أطهر لكم .

و لما شدد سبحانه فى [7]أمر النجوى[7] و كان لايفعلها إلا أهل النفاق ، فكان ربما ظن ظان أنه يحدث عنها ضرر لأهل الدين ، قال سارا للمخلصين

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكر . (٣) زيد فى الأصل : الفتيل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مراودات (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : تثبت (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : امرا .

[و -[1]] غاما للمنافقين، و مبينا أن ضررها إنما يعود عليهم: ﴿إنما النجوى﴾ أى المعهودة و هى المنهى عنها، و هى ما كره[2] صاحبه أن يطلع[3] عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قيل: ما خيله الشيطان من الأحكام المكروهة للانسان ﴿من الشيطن﴾ أى مبتدئة[4] من المحترق بطرده عن رحمة الله تعالى فانه الحامل عليها بتزيينها ففاعلها تابع لأعدى أعدائه ٥ مخالف لأوليائه.

و لما بين أنها منه، بين الحامل له على تزيينها فقال: ﴿ليحزن﴾ أى الشيطان[5] ليوقع الحزن فى قلوب[5] ﴿الذين امنوا﴾ أى يتوهمهم أنها بسبب شىء وقع مما يؤذيهم، و الحزن: هم غليظ و توجع يرق له القلب، حزنه و أحزنه بمعنى، و قال فى القاموس: أ. أحزنه: جعله حزينا، و حزنه: ١٠ جعل فيه حزنا، فعلى هذا قراءة نافع[6] من أحزن أشد فى المعنى من قراءة الجماعة.

و لما كان ربما خيل هذا من فى قلبه مرض أن فى يد الشيطان شيئا [من الأشياء -[1]]، سلب[7] ذلك بقوله: ﴿و ليس﴾ أى الشيطان و ما حمل[8] عليه من التناجى، / و أكد النفى بالجار فقال: ﴿بضآرهم﴾ أى ١٥ / ٢٤٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ذكره (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يتطلع (٤) فى ظ و م: ممتدة (جـ - ٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) راجع نثر المرجان ٧ / ٢٥١ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: سبب عن (٧) من ظ و م، و فى الأصل: هو.

الذين آمنوا ﴿ شيئا ﴾ من الضرر و إن قل و إن حقى - بما أفهمه الإدغام ﴿ الا باذن الله ﴾ أى تمكين الملك المحيط [1]بكل شىء[1] علما و قدرة، روى الشيخان[2] عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا باذنه فان ذلك يحزنه.

٥ و لما كان التقدير: فقد علم أنه لا يخشى أحد غير الله لأنه لا ينفذ إلا ما أراده، فاياه فليخش المربوبون، عطف عليه قوله: ﴿ و على الله ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له، لا على أحد غيره ﴿ فليتوكل المؤمنون ﴾ أى الراسخون فى الإيمان فى جميع أمورهم. فانه القادر وحده على إصلاحها و إفسادها، و لا يحزنوا من أحد أن يكيدهم بسره و لا بجهره، فانهم إذا

١٠ توكلوا عليه و فوضوا أمورهم[3] إليه. لم يأذن فى حزنهم، و إن لم يفعلوا أحزنهم، و خص الراسخين لإمكان ذلك منهم فى العادة، و أما أصحاب البدايات فلا يكون ذلك منهم إلا خرق عادة.

و لما ذكر ما يحزن من السر لكونه اختصاصا عن الجليس[4] بالمقال فينشأ عنه ظن الكدر و تباعد القلوب، أتبعه الاختصاص بالمجلس[5] الذى

١٥ هو مباعدة الأجسام اللازم لها من الظن ما لزم من الاختصاص بالسر فى الكلام فينشأ عنه الحزن، معلما لهم بكمال رحمته و تمام رأفته بمراعاة

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) راجع صحيح البخارى ٢ / ٩٣١ وصحيح مسلم ٢ / ٢١٩ (٣) من م. وفى الأصل وظ: امرهم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الحس بالكلام و (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بالمجن.

حسن الأدب[1] بينهم و إن كان من أمور العادة دون أحكام العبادة، فقال مخاطبا لأهل الدرجة الدنيا فى الإيمان لأنهم المحتاجون لمثل هذا الأدب: ﴿ يآيها الذين آمنوآ ﴾ حداهم بهذا الوصف على الامتثال ﴿ اذا قيل لكم ﴾ اى من أىّ قائل كان فان الخير يرغب فيه لذاته: ﴿ تفسحوا ﴾ أىّ توسعوا[2] اى كلفوا أنفسكم فى إيساع المواضع ٥ ﴿ فى المجلس ﴾ أى الجلوس أو مكانه لأجل من يأتى فلا يجد مجلسا يجلس فيه، و المراد بالمجلس جنس[3] المكان الذى هم ما ثون به بجلوس[4] أو قيام فى صلاة او غيرها لأنه أهل لأن يجلس فيه، و ذلك فى كل عصر، و مجلس النبى صلى الله عليه و سلم أولى بذلك، و قراءة عاصم[5] بالجمع موضحة لإرادة الجنس ﴿ فافسحوا ﴾ أى وسعوا فيه عن سعة ١٠ صدر ﴿ يفسح الله ﴾ أى الذى له الأمر كله و العظمة الكاملة ﴿ لكم ج ﴾ فى كل ما تكرهون ضيقه[6] من الدارين.

و لما كانت[7] التوسعة يكفى فيها التزحزح مع دوام الجلوس تارة و أخرى تدعو الحاجة فيها إلى القيام للتحول[8] من مكان إلى آخر قال: ﴿ و اذا قيل ﴾ أىّ من قائل كان - كما مضى - إذا[9] كان يريد الإصلاح ١٥

(١) فى ظ: الآداب (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اتسعوا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: حلس (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فى جلوس (٥) راجع نثر المرجان ٧ / ٢٥٣ (٦) من م، و فى الأصل و ظ: ضعفة (٧) من ظ، و فى الأصل و م: كان (٨) من ظ و م، و فى الاصل: المتحول (٩) من م، و فى الأصل و ظ: ان.

/ ٢٤٨ و[1] الخير ﴿ انشزوا ﴾ أى ارتفعوا و انهضوا / إلى الموضع الذى تؤمرون به أو يقتضيه الحال للتوسعة أو غيرها من الأوامر كالصلاة أو الجهاد و غيرهما ﴿ فانشزوا ﴾ [أى - [2]] فارتفعوا و انهضوا ﴿ يرفع الله ﴾ الذى له جميع صفات الكمال ، عبر بالجلالة و أعاد[3] إظهارها موضع الضمير ٥ ترغيبا فى الامتثال لما للنفس من الشح بما يخالف المألوف ﴿ الذين آمنوا ﴾ و إن كانوا غير علماء ﴿ منكم ﴾ ايها المأمورون بالتفسح[4] السامعون للأوامر ، المبادرون إليها[5] فى الدنيا و الآخرة بالنصر و حسن الذكر بالتمكن فى وصف الإيمان الموجب لعلو الشأن بطاعتهم لرسوله صلى الله عليه و سلم فى سعة صدورهم بتوسعتهم لإخوانهم .

١٠ و لما كان المؤمن قد لا يكون[6] من المشهورين[7] بالعلم قال : ﴿ و الذين ﴾ و لما كان العلم فى نفسه كافيا فى الإعلاء من غير نظر إلى مؤت معين ، بنى للمفعول قوله : ﴿ اوتوا العلم ﴾ أى و هم مؤمنون ﴿ درجت[1] ﴾ درجة بامتثال الأمر و أخرى بالإيمان ، و درجة بفضل علمهم و سابقتهم[7] - روى الطبرانى[8] و أبو نعيم فى كتاب العلم عن ابن عباس رضى الله عنهما ان ١٥ النبى صلى الله عليه و سلم قال : من جاءه أجله[9] و هو يطلب العلم ليحيى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اراد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بالتوسع (٥) زيد فى الأصل : بالامتثال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م (٦ - ٦) من ظ ، و فى الأصل و م : مشهورا (٧) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) راجع مجمع الزوائد ١ /١٢٣ (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اخوه - كذا .

به الإسلام لم يفضله النبيون إلا بدرجة واحدة ، رواه الدارمي[1] و ابن السني في رياضة المتعلمين عن الحسن غير منسوب ، قال شيخنا : فقيل : هو البصري فيكون مرسلا ، و عن الوزير : العلم ذكر فلا يحبه[2] إلا ذكور[3] الرجال . و كلما كان الإنسان أعلم كان أذكر[4] ، و لعله ترك التقييد بـ «من» في هذا و إن كانت مرادة[5] ليفهم أن العلم يعلي صاحبه مطلقا ، فإن كان مؤمنا عاملا بعلمه كان النهاية ، و إن كان عاصيا كان أرفع من مؤمن عاص و عار عن العلم ، و إن كان كافرا كانت رفعته دنيوية بالنسبة إلى كافر لا يعلم ، و دل على ذلك بختم الآية بقوله مرغبا مرهبا : ﴿و الله﴾ أي و الحال أن المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿بما تعملون﴾ أي حال الأمر و غيره ﴿خبير﴾ أي عالم بظاهره و باطنه ، فإن كان العلم مزينا بالعمل بامتثال الأوامر و اجتناب النواهي و تصفية الباطن[6] كانت الرفعة على حسبه ، و إن كان[7] على غير ذلك فكذلك ، [8]و قدم الجار و مدخوله و إن كان علمه سبحانه بالأشياء كلها على حد سواء تنبيها على مزيد الاعتناء بالأعمال[8] ، لاسيما الباطنة من الإيمان و العلم اللذين هما الروح الأعظم ، لأن المقام لنزول الإنسان عن مكانه[9] بالتفسح و الانخفاض و الارتفاع ، و لا يخفى

(١) راجع السنن ص : ٥٥ (٢) من ظ و م ، و في الأصل : فلا يحبيه (٣) من ظ ، و في الأصل و م : ذكورة (٤) في ظ : أشد الرجال في الذكورة و أفضلهم (٥) من ظ و م ، و في الأصل : موافقة (٦) من ظ و م ، و في الأصل : البواطن . (٧) من ظ و م ، و في الأصل : كانت (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد بعده في الأصل : و مقامه ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

ما فى ذلك من حظ النفس الحامل على الجرى مع الدسائس ، فكان جديرا بمزيد الترهيب ، و سبب الآية أن أهل العلم لما كانوا أحق بصدر المجلس لأنهم أوعى لما يقول صاحب المجلس . كان النبى صلى الله عليه و سلم يقول : ليلينى أولو الأحلام منكم و النهى[1] ، و كان صلى الله عليه و سلم يكرم أهل

٢٤٩ / ٥ بدر[2] / من المهاجرين و الأنصار فجاء أناس من أهل بدر منهم ثابت بن قيس بن شماس و قد سبق غيرهم إلى المجلس فقاموا حيال النبى صلى الله عليه و سلم فقالوا : السلام عليك أيها النبى و رحمة الله و بركاته ، فرد عليهم النبى صلى الله عليه و سلم ثم سلموا على القوم فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع[3] لهم فلم يفعلوا فقال لمن حوله من

١٠ [غير -[4]] أهل بدر : قم يا فلان و أنت يا فلان ، فأقام من المجلس بقدر القادمين من أهل بدر ، فشق ذلك على من أقيم ، و عرف النبى صلى الله عليه و سلم الكراهية فى وجوههم ، فقال المنافقون : ألستم تزعمون أن صاحبكم يعدل ، فو الله ما عدل على هؤلاء ، إن قوما أخذوا مجالسهم و أحبوا القرب من نبيهم فأقامهم و أجلس من أبطأ عنه مكانهم ، فأنزل الله

١٥ هذه الآية ، و كان النبى صلى الله عليه و سلم يقول « لا يقيم الرجل [الرجل -[4]] من مجلسه ثم يجلس فيه ، و لكن افسحوا يفسح الله لكم » رواه مسلم[5] عن ابن عمر رضى الله عنهما ، و قال الحسن[6] : بلغنى أن

(١) والحديث من الشهرة بحيث يغنينا عن التعليق عليه (٢) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / ٤٢ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يوسعوا (٤) زيد من ظ و م (٥) فى الصحيح ٢ /٢١٧ (٦) ذكره البغوى عن الحسن وغيره فى المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٣ .

رسول الله صلى الله عليه و سلم كان إذا قاتل المشركين فصف[1] أصحابه رضى الله عنهم للقتال تشاحوا[2] على الصف الأول فيقول الرجل لإخوانه: توسعوا لنلق العدو فنصيب الشهادة، فلا يوسعون له رغبة منهم فى الجهاد و الشهادة، فأنزل الله هذه الآية، و هى دالة على [3]أن الصالح[3] إن كره مجاورة فاسق منع من مجاورته لأنه يؤذيه و يشغله عن كثير من مهماته، ٥ و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم: لا ضرر و لاضرار، و قال: أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحول. و قال: شر الناس من لايأمن جاره بوائقه. فقال[4] تعالى معظما لرسوله صلى الله عليه و سلم و ناهيا عن إبرامه صلى الله عليه و سلم بالسؤال و المناجاة، و نافعا للفقراء و التمييز[5] بين المخلص و المنافق و محب الآخرة و محب الدنيا، ١٠ و لما نهى عما يحزن من [6]المقال و المقام[6]، و كان المنهى عنه من التناجى إنما هو لحفظ قلب الرسول صلى الله عليه و سلم عما يكدره فهو منصرف إلى مناجاتهم غيره، و كان ذلك مفهما أن مناجاتهم له صلى الله عليه و سلم لا حرج فيها، و كان كثير منهم يناجيه و لا قصد له إلا الترفع بمناجاته فأكثروا فى ذلك حتى شق عليه صلى الله عليه و سلم، و كان النافع للانسان ١٥ إنما هو كلام من يلائمه فى الصفات و يشاكله فى الأخلاق، و كان

(١) من م، و فى الأصل و ظ: يصف (٢) من م، و فى الأصل و ظ: قساحوا - كذا (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الصلح (٤) من م، و فى الأصل و ظ: و قال (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تميزا (٦-٦) من م، و فى الأصل و ظ: المقام و المقال.

رسول الله صلى الله عليه و سلم أبعد الناس من الدنيا تقذرا لها لأجل بغض الله لها، أمر من أراد ان يناجيه بالتصدق ليكون ذلك [1] أمارة على [1] الاجتهاد [2] فى التخلق [2] بأخلاقه الطاهرة من الصروف عن [3] الدنيا و الإقبال على الله، و مظهرا له عما سلف من الإقبال [عليها - [4]] فان الصدقة برهان على الصدق فى الإيمان، و ليخفف عنه صلى الله عليه و سلم ما كانوا قد أكثروا عليه من المناجاة، فلا يناجيه إلا من قد خلص [5] إيمانه فيصدق، فيكون ذلك مقدمة لانتفاعه بتلك المناجاة [كما أن الهدية تكون مهيئة للقبول كما و رد « نعم الهدية أمام الحاجة » - [2]] فقال تعالى: ﴿ يا ايها الذين امنوا ﴾ أى ادعوا أنهم أوجدوا هذه الحقيقة أغنياء كانوا او فقراء ﴿اذا ناجيتم﴾ أى أردتم أن تناجوا ﴿ الرسول﴾ صلى الله عليه و سلم أى الذى لا أكمل منه فى الرسلية [6] فهو أكمل الخلق و وظيفته تقتضى أن يكون منه الكلام بما أرسله به الملك و تكون هيبته مانعة من ابتدائه بالكلام، فلا يكون من المبلغين إلا الفعل بالامتثال لا غير ﴿ فقدموا ﴾ أى بسبب هذه الإرادة العالية [7] على سبيل الوجوب و مثل النجوى كشخص [8] له يدان يحتاج أن يطهر نفسه ليتأهل للقرب من الرسول صلى الله عليه و سلم [فقال - [4]] : ﴿بين يدى نجوٰىكم﴾ أى

/ ٢٥٠ /

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: اشارة الى (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: بالتخلق (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٤) زيد من ظ و م (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الرسالة (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الغالبة (٨) فى ظ: شخص.

قبل سركم الذى تريدون أن ترتفعوا به ﴿ صدقة ﴾ تكون لكم[1] برهانا قاطعا على إخلاصكم كما ورد أن الصدقة برهان، فهى مصدقة لدكم فى دعوى الإيمان التى هى التصديق بالله تعالى و رسوله[2] صلى الله عليه و سلم و بكل ما جاء به عن الله تعالى، و معظمه الإعراض عن الدنيا و الإقبال على الآخرة، و لذلك[3] استأنف[4] قوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الخلق العالى جدا من تقديم التصدق قبل المناجاة يا خير الخلق، و لعله أفرده بالخطاب لأنه لا يعلم كل ما فيه من الأسرار غيره. و عاد إلى الأول فقال: ﴿ خير لكم ﴾ أى فى دينكم من الإمساك عن الصدقة ﴿ و اطهر[5] ﴾ لأن الصدقة طهرة و نماء و زيادة فى كل خير، و لذلك[6] سميت زكاة "خذ من اموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها" و التعبير بأفعل لأنهم مطهرون [قبله -[7]] بالإيمان.

و لما أمر بذلك، و كانت عادته أن لا يكلف بما فوق الوسع للتخفيف على عباده لاسيما هذه الأمة قال: ﴿ فان لم تجدوا ﴾ أى ما تقدمونه.

و لما كان المعنى الكافى فى التخفيف: فليس عليكم شىء، دل عليه بأحسن منه فقال: ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال، و أكده لاستبعاد مثله فان المعهود من الملك إذا ألزم رعيته[7] بشىء أنه لا يسقطه[8]

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: له (٢) من ظ و م، و فى الأصل: برسول الله (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شبه دلك (٤) زيد فى الأصل: ذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: كذلك. (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: رغبته (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لا يسقط.

أصلا و رأسا ، و لاسيما إن كان يسيرا ، و دل على أنه سبحانه لن يكلف بما فوق الطاقة بقوله : ﴿ غفور رحيم ﴾ أى له صفتا[1] الستر للساوئ و الإكرام باظهار المحاسن ثابتتان[2] على الدوام فهو يغفر و يرحم تارة بعدم العقاب للعاصى[3] و تارة للتوسعة للضيق بأن ينسخ ما يشق [إلى ما يخف ـ[4]] ، و هذه الآية قيل : إنها نسخت قبل العمل بها ، و قال على رضى الله عنـــه[5] : ما عمل بها أحد غيرى ، أردت المناجاة و لى دينار فصرفته بعشرة دراهم و ناجيته عشر مرات أتصدق فى كل مرة بدرهم ، ثم ظهرت مشقة ذلك على الناس ، فنزلت الرخصة فى ترك الصدقـــة ، و روى النسائى فى الكبرى و الترمذى[6] و قال : حسن غريب و ابن حبان و أبو يعلى و البزار[7] عن على رضى الله عنه أنه قال : لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : مرهم أن يتصدقوا ، قلت : بكم/ يا رسول الله ؟ /٢٥١ قال : بدينار ، قلت : لا يطيقون . قال : فنصف دينار ، قلت : لا يطيقون ، قال : فبكم ؟ قلت[8] : بشعيرة : قال[9] رسول الله صلى الله عليه و سلم : إنك لزهيد ، فأنزل الله تعالى " ءاشفقتم " الآية . و كان على رضى الله عنه يقول : بى خفف الله عن هذه الأمة . و عدم عمل غيره لا يقدح فيه لاحتمال أن يكون لم يجد عند[10] المناجاة شيئا أو أن [لا -[11]] يـــكون احتاج

(١) من ظ و م . و فى الأصل : صفات (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ثابتان (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : للعاصى (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ /٤٤ (٦) راجع الجامع ٢/١٦٣ (٧) راجع مجمع الزوائد ٧/١٢٢ (٨) فى ظ و م : قال (٩) زيد فى ظ و م : له (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : عنه (١١) زيد من م .

إلى

إلى المناجاة .

ولما دل ختم الآية على التخفيف ، وكان قد يدعى مدعون عدم الوجدان كذبا[1] فيحصل لهم حرج ، وكان تعالى شديد العناية بنجاة هذه الأمة دل على لطفه بهم بنسخه بعد فرضه ، فقال موبخا لمن يشح على المال نادبا إلى الخروج عنه من غير إيجاب : ﴿ ءاشفقتم ﴾ أي خفتم من العيلة لما يعدكم بـه الشيطان من الفقر خوفا كاد أن يفطر قلوبكم ﴿ ان تقدموا ﴾ [اى -[2]] باعطاء الفقراء وهم إخوانكم ﴿ بين يدى نجوٰىكم ﴾ أي للرسول صلى الله عليه وسلم ، وجمع لأنه أكثر توبيخا[3] من حيث أنـه يدل على أن النجوى تتكرر ، وذلك يدل على عـدم خوفهم من مشقة النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك ووجود خوفهم من فعل التصدق فقال : ﴿ صدقٰت ﴾ وكان بعضهم ترك وهو واجد فبين سبحانه رحمته لهم بنسخها عنهم لذلك فى موضع العقاب لغيرهم عند الترك .

ولما كان من قبلنا [إذا -[2]] كلفوا الأمر الشاق وحملوا على التزامه بمثل رفع الجبل فوقهم ، فاذا خالفوا عوقبوا ، بين فضل هذه الأمة بأنه خفف عنهم ، فقال معبرا بما قد يشعر بأن بعضهم ترك عن قدرة : ﴿ فاذ ﴾ أى فحين ﴿ لم تفعلوا ﴾ أى ما أمرتم به من الصدقة للنجوى بسبب هذا الإشفاق ﴿ وتاب الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى كان من شأن ما هو عليه من العظمة أن يعاقب من ترك أمره ﴿ عليكم ﴾ أي رجع

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : كذب (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

بمن[1] ترك الصدقة عن وجدان، و بمن تصدق و بمن لم يجد إلى مثل حاله قبل ذلك من سعة الإباحة و العفو و التجاوز و المعذرة و الرخصة و التخفيف قبل الإيجاب و لم يعاقبكم على الترك و لا على ظهور اشتغال ذلك منكم، قال مقاتل بن حيان[2]: كان ذلك عشر ليال[3] ثم نسخ[3]، و قال الكلبي[2]: ما كانت إلا ساعة من نهار. و على كل منهما[4] فهي لم تتصل بما قبلها نزولا و إن اتصلت بها تلاوة و حلولا ﴿ فأقيموا ﴾ بسبب العفو عنكم شكرا على هذا الكرم و الحلم ﴿ الصلوة ﴾ التي هي طهرة[5] لأرواحكم و وصلة لكم بربكم ﴿ و آتوا الزكوة ﴾ التي هي نزاهة لأبدانكم و تطهير[6] و نماء لأموالكم و صلة بإخوانكم، و لا تفرطوا في شيء من ذلك فتهملوه، فالصلاة نور تهدي إلى المقاصد الدنيوية و الأخروية، و تعين على نوائب الدارين، و الصدقة برهان على صحة القصد في الصلاة.

و لما خص أشرف[7] العبادات البدنية و أعلى المناسك المالية، عم فقال حاثا على زيادة النور و البرهان اللذين بهما تقع المشاكلة في الأخلاق فتكون المناجاة عن[8] أعظم[9] إقبال و إتفاق[9] فقال: ﴿ و أطيعوا الله ﴾ ٢٥٢ / ١٥ / أي الذي له الكمال كله فلم يشركه في إبداعه لكم على ما أتم عليه أحد

(١) من ظ و م، و في الأصل: من (٢) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / ٤٥ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م، و في الأصل: منها (٥) من ظ و م، و في الأصل: ظهر (٦) من ظ و م، و في الأصل: تطهيرا (٧) من ظ و م، و في الأصل: اشراف (٨) عن م، و في الأصل و ظ: من (٩-٩) من ظ و م، و في الأصل: الاقبال

﴿ و رسوله ﴾ الذى عظمته من عظمتـــه فى سائر ما يأمر[1] به فانه ما أمركم لأجل إكرام رسولكم صلى الله عليه و سلم إلا بالحنيفية السمحة، و جعل المحافظة على ذلك قائمة مقام ما أمركم به، ثم نسخه عنكم من تقديم الصدقة على النجوى .

و لما كان قد عفا عن أمر أشعر السياق بأنه وقع فيه تفريط، فكان ٥ ذلك ربما[2] جرى على انتهاك الحرمات، رهب من جنابه باحاطة العلم، و عبر بالخبر لأن أول الآية و بخ على أمر باطن و لم يبالغ بتقديم الجار لما فيها من الأمور الظاهرة. فقال عاطفا على ما تقديره: فالله يحب الذين يطيعون: ﴿ و الله ﴾ أى الذى أحاط بكل شىء قدرة و علما ﴿ خبير بما تعملون ﴾ أى تجددون عمله، يعلم بواطنه كما يعلم ظواهره . ١٠

و لما أخبر باحاطة علمه ردعا[3] لمن يغتر[4] بطول حلمه، دل على ذلك باطلاعه على نفاق المنافقين الذى هو أبطن الأشياء، فقال معجبا مرهبا معظما للمقام بتخصيص الخطاب بأعلى الخلق صلى الله عليه و سلم تنبيها على أنه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره: ﴿ الم تر ﴾ و دل على بعدهم عن الخير بحرف الغاية فقال: ﴿ الى الذين تولوا ﴾ أى تكلفوا بغاية جهدهم ١٥ أن جعلوا أولياءهم الذين ينزلون بهم أمورهم ﴿ قوما ﴾ ابتغوا عندهم[5] العزة اغترارا بما يظهر لهم منهم من القوة ﴿ غضب الله ﴾ أى الملك

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يأمركم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: امر بما - كذا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ودعا (٤) من ظ و م، و فى الاصل: يعر - كذا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عنده .

الأعلى الذى لا ند[1] له ﴿ عليهم[2] ﴾ أى على المتولين و المتولَّين[2] لأنهم قطعوا ما بينهم و بينه ، و الأولون هم المنافقون تولوا اليهود ، و زاد فى الشناعة عليهم بقوله مستأنفا: ﴿ ما هم ﴾ أى اليهود المغضوب عليهم ﴿ منكم ﴾ أيها المؤمنون لتوالوهم خوفا من السيف و رغبة فى السلم ﴿ و لا منهم[3] ﴾ أى المنافقين ، فتكون موالاتهم لهم[3] لمحبة سابقة و قرابة شابكة ، ليكون ذلك لهم عذرا ، بل هم مذبذبون ، فهم مع المؤمنين بأقوالهم ، و مع الكفار بقلوبهم ، فما تولوهم إلا عشقا فى النفاق لمقاربة[4] ما بينهم فيه ، أو يكون المعنى: ما المنافقون المتولون من المسلمين و لا من اليهود المتولين ، و زاد فى الشناعة عليهم بأقبح الأشياء الحامل على كل رذيلة ، فقال ذاكرا لحالهم فى هذا الاتحاد: ﴿ و يحلفون ﴾ أى المنافقون يجددون الحلف على الاستمرار ، و دل بأداة الاستعلاء على أنهم[5] فى غاية الجرأة على استمرارهم[6] على الأيمان الكاذبة بأن التقدير: مجترئين ﴿ على الكذب ﴾ فى دعوى الإسلام و غير ذلك مما يقعون فيه من عظائم الآثام ، فاذا عوتبوا عليه بادروا إلى الإيمان .

و لما كان الكذب قد يطلق فى اللغة على ما يخالف الواقع و إن كان عن غير تعمد بأن يكون[7] الحالف يجهل عدم مطابقته للواقع ، قال

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مذل (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المولين .
(٣) سقط من ظ (٤) فى ظ : لتقارب (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : انه .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الاستمرار (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : كان - كذا .

نافيا

نافيا لذلك مبينا انهم جراوا على اليمين الغموس : ﴿ و هم يعلمون ٥ ﴾ أي أنهم كاذبون فهم متعمدون[1]، و ذلك[2] أن النبي صلى الله عليه و سلم قال لأصحابه : يدخل عليكم رجل قلبه قلب جبار و ينظر بعيني شيطان ، فدخل عبد الله بن نبتل و كان أزرق أسمر قصيرا[3] خفيف / اللحية ، فقال النبي صلى الله عليه و سلم : علام تشتمني أنت و أصحابك ، فحلف بالله ما فعل ، فقال له : فعلت . فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه ، فنزلت . / ٢٥٣

و لما أخبر عن حالهم ، أتبعه الإخبار عن مآلهم ، فقال دالا - كما[4] قال القشيري - [على أن -[5]] من وافق مغضوبا عليه أشرك نفسه في استحقاق غضب من هو غضبان عليه ، فمن تولى مغضوبا عليه من قبل الله استوجب غضب الله[6] و كفى بذلك هوانا [و -[7]] حزنا و حرمانا ، معبرا بما دل على أنه أمر قد فرغ منه : ﴿ اعد الله ﴾ أي الذي له العظمة الباهرة فلا كفوء له ، و عبر بما دل على التهكم بهم فقال : ﴿ لهم عذابا ﴾ أي امرا قاطعا[8] لكل عذوبة ﴿ شديدا[1] ﴾ يعلم من [9]رآه و رآهم[9] أن ذواتهم متداعية إليه ضعيفة عنه .

---

(١) من م ، و في الأصل و ظ : يتعمدون (٢) الحديث ذكره البغوي في المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٠ (٣) من ظ و م ، و في الأصل : قصير (٤) من ظ و م ، و في الأصل : ولذلك (٥) زيد من ظ (٦) زيد في الأصل : عليه ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، و في الأصل : قال عاطفا (٩-٩) من ظ و م ، و في الأصل : يراه ويراهم .

و لما اخبر بعذابهم، علله[1] بما دل على[2] انه واقع فى أتم مواقعه فقال مؤكدا تقبيحا على من كان يستحسن افعالهم[3]: ﴿انهم ساء﴾ أى بلغ الغاية بما يسوء، و دل على أن ذلك كان لهم كالجبلة بقوله: ﴿ما كانوا يعملون ۝﴾ أى يجددون عمله مستمرين عليه لا ينفكون عنه من غشهم المؤمنين و نصحهم الكافرين و عيبهم للاسلام و أهله، و اجترائهم على الأيمان الكاذبة، و أصروا على ذلك حتى زادهم التمرن عليه جرأة على[4] جميع المعاصى.

و لما دلت هذه الجملة على سوء أعمالهم[3] و مداومتهم عليها، أكد ذلك بقوله: ﴿اتخذوا﴾ أى كلفوا فطرهم الأولى المستقيمة لما لهم من العراقة فى اعوجاج الطبع و المحبة للأذى[5] ﴿ايمانهم﴾ الكاذبة التى لا تهون على من فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ﴿جنة﴾ أى وقاية و سترة من كل ما يفضحهم من النفاق كائنا ما كان، أو يوجب قتلهم بما يقع منهم من الكفران.

و لما كان علمهم بأنه يرضى منهم بالظاهر و يصدق أيمانهم [6]هو الذى[6] جرأهم على العظائم، فكانوا يرغبون الناس فى النفاق بعاجل الشهوات

(١) من ظ و م، و فى الأصل: علل (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عليه.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: حالهم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عليها.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: فى الأذى (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: الذى هو.

و يثبطونهم[1] عن الدين بما فيه من عاجل الكلف[2] و آجل الثواب ، سبب عن[3] قبول إيمانهم قوله مظهرا بزيادة التوبيخ [لهم -[4]] : ﴿ فصدوا ﴾ أى كان قبول ذلك منهم و تأخير عقابهم سببا لإيقاعهم الصد ﴿عن سبيل الله﴾ أى شرع الملك[5] الأعلى الذى هو الطريق إلى رضوانه الذى هو سبب الفوز الأعظم ، فانهم كانوا يثبطون من لقوا عن الدخول ٥ فى الإسلام و يوهون أمره و يحقرونه ، و من رأهم قد خلصوا من[6] المكاره بأيمانهم الحانثة [و -[7]] ردت عليهم الأرزاق استدراجا و حصلت لهم الرفعة عند الناس بما رضونهم من أقوالهم المؤكدة بالأيمان غره ذلك فاتبع سنتهم فى أقوالهم و أفعالهم . و نسج على منوالهم ، غرورا بظاهر أمرهم ، معرضا عما توعدهم الله سبحانه عليه من جزاء خداعهم و مكرهم ، ١٠ و أجرى الأمر على أسلوب التهكم باللام التى تكون فى المحبوب فقال : ﴿فلهم﴾ / أى فتسبب عن صدهم أنهم كان لهم ﴿عذاب مهين ٥﴾ جزاء / ٢٥٤ بما طلبوا بذلك[8] الصد [9]إعزاز أنفسهم[9] و إهانة أهل[10] الإسلام .

و لما كان لهم أموال و أولاد يتعززون بها ، قال مستأنفا [دالا -[4]] على أن من استتر بجنة دون طاعته لتسلم دنياه وراءه تكشف لسبهام ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يثبطون (٢) فى ظ : الكلفة (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : عنه (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ملك . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اعزازا لانفسهم (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لاهل .

التقدير من حيث لا يشعر، ثم لا دينه يبقى و لا دنياه تسلم: ﴿لن تغنى﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿عنهم﴾ أى فى الدنيا و لا فى الآخرة بالافتداء و لا بغيره ﴿اموالهم﴾ و أكد النفى باعادة النافى للتنصيص على كل منهما فقال: ﴿و لآ اولادهم﴾ أى بالنصرة و المدافعة ﴿من الله﴾ أى

٥ إغناء[1] مبتدئا من الملك الأعلى الذى لا كفوء له ﴿شيئا[2]﴾ أى من إغناء و لو قل جدا، فهما أراد بهم سبحانه كان و نفد و مضى، لا يدفعه شىء تكذيبا لمن قال منهم: لئن كان يوم القيامة لنكونن أسعد فيه منكم كما نحن الآن و لننصرن بأنفسنا و أموالنا و اولادنا. و لما انتفى الإغناء المبتدئ من الله [فانتفى -[2]] بانتفائه كل إغناء سواه، أنتج ذلك قوله:

١٠ ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء من كل خير [﴿ اصحب النار[3] ﴾ -[2]] و لما أفهمت الصحبة الملازمة، أكدها بقوله: ﴿هم﴾ أى خاصة لاضمحلال عذاب غيرهم - لكونهم فى الهاوية - فى جنب عذابهم ﴿ فيها ﴾ أى خاصة دون شىء يقصر عنها ﴿ خلدون ﴾ أى مقيمون باقون دائمون لازمون إلى غير نهاية.

١٥ و لما كان إفسادهم لذات البين سرا، و حلفهم على نفى ذلك جهرا مع الإلزام[2] بقبول ما ظهر من ذلك منهم مع علمه سبحانه و تعالى بأنه كذب غائظا موجعا، و كان ربما توهم متوهم أنه تعالى كما ألزم بقبولنا لما ظهر منهم فى دار العمل يأمر بقبولهم فى دار الجزاء، قال نافيا لذلك

(١) من ظ و م، و فى الأصل: غناء (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اللازم.

معزيا للمؤمنين بأنهم يفعلون ذلك معه سبحانه بعد[1] كشف الغطاء و تحقيق الأمور ، لأن الإنسان يبعث على ما مات عليه ، لأن ذلك جبلته التى لاينفك عنها . و لاينفعهم ذلك ، ذاكرا ظرف الخلود و إظهار التعذيب[2] : ﴿يوم يبعثهم الله﴾ أى الملك[3] الذى له جميع صفات الكمال بأحيائهم عما كانوا [4]فيه من الموت[4] و ردهم إلى ما كانوا قبله ﴿جميعا﴾ لايترك أحدا ٥ منهم و لامن غيرهم إلا أعاده إلى ما كان [عليه] قبل موته ﴿فيحلفون﴾ أى فيتسبب عن ظهور القدرة التامة لهم و معاينة ما كانوا يكذبون به من البعث و النار أنهم يحلفون ﴿له﴾ أى الله فى الآخرة أنهم مسلمون فيقولون : و الله ربنا ما كنا مشركين . و نحوه من الأكذوبات التى تزيدهم ضررا . و لاتغنى عنهم شيئا بوجه من الوجوه ، جريا على ما طبعوا ١٠ عليه من إيثار[5] الهوى و القصور على النظر فى المحسوسات التى ألفوها ﴿كما يحلفون﴾ فى الدنيا ﴿لكم﴾ لكونكم لاتعلمون الغيب مع[6] توقعهم أن الله يفضحهم كما فعل لهم ذلك مرارا ، و حلفهم ناشىء عن اعتقاد بعدهم من القبول فانه لا يحلف لك[7] إلا من يظن[8] أنك تكذبه ؛ / قال القشيرى : / ٢٥٥ عقوبتهم الكبرى ظنهم الأجنبية ، و غاية الجهد كبهم على مناخرهم فى ١٥ وهدة ندمهم[9] .

---

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : مع (٢) فى ظ : التعريف (٣) ليس فى ظ و م .
(٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اياز - كذا (٦) سقط من ظ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك (٨) فى م : ظن (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : تذمهم .

و لما كان[1] الذى يحملهم على الإقدام على ذلك ضعف عقولهم و توغلهم فى النفاق و مرودهم عليه حتى بعثوا على مثل ذلك مع علمهم بأن ذلك لاينجيهم لإحاطة علمه سبحانه، عبر بالحسبان، فقال دالا على أنهم فى الغاية من الجهل و قلة العقل: ﴿ و يحسبون ﴾ أى فى القيامة ٥ بأيمانهم الكاذبة ﴿ انهم على شىء ﴾ أى يحصل لهم به نفع لتخيلهم أن أيمانهم تروج على الله فتنجيهم كما كانت [2]فى الدنيا تنجيهم[2].

و لما أفهم ذلك أن أمورهم لاحقائق لها لا فى إخباراتهم و لا فى أيمانهم و لا فى حسبانهم، [قال مناديا عليهم مؤكدا لتكذيب حسبانهم -[3]]: ﴿ الآ انهم ﴾ أى خاصة ﴿ هم الكٰذبون ﴾ أى المحكوم بكذبهم فى ١٠ حسبانهم و فى أخبارهم فى الدارين لعراقتهم فى وصف الكذب حيث لا يستحيون من الكذب عند الله.

و لما كان هذا الانهماك فيما لايغنى مما يحصل لسامعه غاية العجب من وقوع عاقل فيه مرة من الدهر، فضلا عن ملازمته، أخبر عن الحامل لهم عليه، فقال مستأنفا: ﴿ استحوذ ﴾ أى طلب ان يغلب ١٥ و يسوق و يسرع و يضرب الحوطة و يحث و يقهر و يستولى ﴿ عليهم الشيطٰن ﴾ مع [أنه] طريد و محترق، و وجد منه جميع ذلك، و وصل منهم إلى ما يريده، و ملكهم ملكا لم يبق لهم معه اختيار فصاروا

(١) زيد فى الأصل: وكان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: تنجيهم فى الدنيا (٣) زيد من ظ و م.

رعيته و أقطاعه ، و صار هو محيطا بهم من كل جهة ، غالبا عليهم ظاهرا و باطنا ، من قولهم : حذت الإبل أى استوليت عليها ، و حاذ [١] الحمار العانة [١] - إذا جمعها و ساقها غالبا لها ، و الحوذ : السوق السريع [٢] ، و منه الأحوذى : الخفيف فى المشى لحذقه ، و جاء على الأصل على حكم الصحيح لأنه لم يبن على حاذ كافتقر [٣] فانه لا مجرد له ، لم يقولوا : فقر . ﴿ فانسٰهم ﴾ أى ٥ فتسبب عن استحواذه عليهم أنه أنساهم ﴿ ذكر الله [٤] ﴾ أى الذى له الأسماء الحسنى و الصفات العلى بعد أن كان ذكره مركوزا فى فطرهم الأولى ، فصاروا لا يذكرونه أصلا [٤] بقلب ، لا لسان .

و لما كان ذلك ، [٥] أنتج و لا بد [٥] قوله : ﴿ اولٰئك ﴾ أى الذين [٦] أحلوا أنفسهم [٧] أبعد منزل ﴿ حزب الشيطٰن [٤] ﴾ أى أتباعه و جنده ١٠ و جماعته و طائفته و أصحابه [٨] و المحدقون به [٨] و المتحيزون إليه لدفع [ما - [٩]] حزبه أى نابه و اشتد عليه ، المبعدون المحترقون [١٠] لأنهم تبعوه و لم يخافوا [فى - [٩]] مجازيـــته و إنفاذ ما يريد لومة لائم مع أنه كله نقائص و معايب ، و هم مطبوعون على بغضه ، و تركوا من [له - [٩]] الكمال كله ، و ذكره وحبه مركوز فى فطرهم ، فلذلك كانت ترجمة هذا و نتيجته قوله : ١٥

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : الجهار الغاية (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المربع (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : فتفر - كذا (٤) زيد فى الأصل : لا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) من ظ ، وفى الأصل و م : ولا بد انتج (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : الذى (٧) فى م : نفوسهم . (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) زيد من ظ و م (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : المتحرقون .

﴿ الآ ﴾ و أكد لظنهم الربح بما لهم فى الدنيا من الكثرة و ظهور التعاضد و الاستدراج بالبسط و السعة فقال : ﴿ ان / حزب الشيطن ﴾ ٢٥٦ / أى الطريد المحترق ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ الخسرون ٥ ﴾ أى العريقون فى هذا الوصف لأنهم لم يظفروا بغير الطرد و الاحتراق .

٥ و لما بين ما أوصلهم[1] إليه نسيان الذكر من الخسار ، بين أنه أوقعهم فى العداوة ، فقال معللا الخسار [2]و النسيان و التحزب[2]، و أكد تكذيبا[3] لحالفهم على نفى ذلك مظهرا[4] موضع الإضمار للتنبيه على الوصف الموقع فى الهلاك : ﴿ ان الذين يحآدون ﴾ و لعل الإدغام لسترهم ذلك بالأيمان ، و يفهم منه الحكم [على - [5]] من جاهر بطريق الأولى ﴿ الله ﴾ أى ١٠ يفعلون مع الملك الأعظم الذى لا كفوء له فعل من ينازع آخر فى أرض فيغلب على طائفة منها[6] فيجعل لها حدا لايتعداه خصمه ﴿ و رسوله ﴾ الذى عظمته من عظمته .

و لما كانوا لايفعلون ذلك إلا لكثرة اعوانهم[7] و أتباعهم ، فيظن من رآهم أنهم الأعزاء الذين لا أحد[8] أعز منهم ، قال تعالى نفيا لهذا ١٥ الغرور الظاهر : ﴿ اولئك ﴾ أى الأباعد الأسافل ﴿ فى الاذلين ٥ ﴾ [أى -[5]]

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اصلهم (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : العداوة و التخويف (٣) من ظ ، و فى الأصل و م : تاكيدا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مظهر (٥) زيد من م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : منهم . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : انواعهم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : احدا .

الذين يعرفون أنهم اذل[1] الخلق بحيث يوصف كل منهم بأنه[2] الأذل مطلقا من غير مفضل عليه ليعم [3]كل من[3] يمكن منه ذل، و ذلك فى الدنيا و الآخرة سواء كانوا فارس و الروم أو أعظم منهم سواء كانوا ملوكا كفرة كانوا أو فسقة، كما قال الحسن: إن للمعصية فى قلوبهم لذلا، و إن طقطقت بهم اللجم. و لما أنزلهم بالحضيض الأسفل، علل ذلك ٥ [بما يدل على -[4]] أنه[5] سبحانه لا شريك له باتمام كلماته بنصر أوليائه على ضعفهم و خذلان أعدائه على قوتهم لأنه سبحانه [غيب -[6]] محض لا دلالة[7] عليه إلا بأفعاله فقال: ﴿كتب﴾ أى فعل فعل من أبرم أمرا[8] ففرغ منه و كتبه فأوجب و حتم و قضى و بت ﴿الله﴾ [أى الملك -[6]] الذى لا كفوء له ﴿لاغلبن﴾ [9]اكد لما لهم[9] من ظن الغلب بالكثرة ١٠ و القوة ﴿انا و رسلى[10]﴾ أى بقوة الجدال و شدة الجلاد، فهو صادق بالنسبة إلى من بعث بالحرب، و إلى من بعث بالحجة، و علل هذا القهر بقوله مؤكدا لأن أفعالهم [11]مع أوليائه[11] أفعال من يظن ضعفه: ﴿ان الله﴾ [أى -[6]] الذى له الأمر كله ﴿قوى﴾ فهو يفيض من[11] باطن قوته

(١) من ظ و م، و فى الاصل: اولى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: انه. (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: لمن (٤) زيد من ظ (٥) من ظ، و فى الأصل و م: بانه (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الاصل: دلة. (٨) من م، و فى الاصل: امر (٩ - ٩) من ظ و م، و فى الأصل: و اكد ضلالهم (١٠ - ١٠) من ظ و م، و فى الأصل: بأوليائه (١١) من ظ و م، و فى الاصل: على.

ما يظهر به ظاهر قدرة أوليائه ، فان القوى من له استقلال باطن بما يحمله القائم فى الأمر و لو ضوعف عليه ما عسى أن يضاعف و حمايته مما يتطرق إلى الإجلال بشـــدة و بطش منبعث عن ذلك الاستقلال الباطن ، و ما ظهر من أثر ذلك فهو قدرة ، فلا اقتدار يظهر من الخلق ٥ إلا بالاستناد إلى القوة بالله ، و لا قيام بالحقيقة لباطن إلا بالله الذى بيده ملكوت كل شىء ، فلذلك كان بالحقيقة لا قوى إلا هو .

و لما كان القوى [١]من المخلوقات[١] قد يكون غيره[٢] [أقوى من غيره ـ[٢]] و لو فى وقت ، [نفى ـ[٣]] ذلك[٤] بقوله : ﴿ عزيزه ﴾ أى غالب غلبة لا يحد معها المغلوب نوع / مدافعة و انفلات[٥] ، ثابت له هذا الوصف دائما . /٢٥٧

١٠ و لما ظهر بهذا كالشمس أن من والاه[٦] سبحانه كان فائزا ، و من عاداه كان خاسرا ، كانت نتيجته قطعا التحذير من موالاة أعداء الله فى سياق النفى المفيد للمبالغة فى النهى عنه و الزجر عن قربانه فقال[٧] : ﴿ لا تجد ﴾ أى بعد هذا البيان ﴿ قوما ﴾ أى ناسا لهم قوة على [٨]ما يريدون محاولته[٨] ﴿ يؤمنون ﴾ أى يجددون الإيمان و يديمونه ﴿ بالله ﴾ أى الذى له الأسماء ١٥ الحسنى و الصفات العلى ﴿ و اليوم الآخر ﴾ الذى هو موضع الجزاء لكل عامل [بكل ما ـ[٣]] عمل ، الذى هو محط الحكمة ﴿ يوآدون ﴾

(١-١) ـ سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : غير . (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : بينه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : انقلاب (٦) من ظ و م ، و فى الاصل : لاذ به (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : قال (٨-٨) من ظ و م ، و فى الاصل : محاولة ما يريدونه

أى يحصل منهم ود [لا -[1]] ظاهرا و[2] لا باطنا- بما أشار إليه الإدغام و أقله الموافقة فى المظاهرة[3] ﴿من حآد الله﴾ أى عادى[4] بالمناصبة فى الحدود الملك[5] الأعلى لذلك فالمحادة[6] لا تخفى و إن كانت باطنة يستتر بها صاحبها، لأن الظاهر عنوان الباطن، و الأفعال دليل [على -[1]] الأقوال، و هذا حامل على زيادة[7] النفرة منهم ﴿ و رسوله ﴾ فان من حاده فقد حاد الذى أرسله، بل لا تجدهم إلا يعادونهم، لا أنهم يوادونهم، و زاد ذلك تأكيدا بقوله: ﴿ و لو كانوا ءابآءهم ﴾ الذين أوجب الله على الأبناء[8] طاعتهم بالمعروف، و ذلك كما فعل أبو عبيدة عامر[9] بن الجراح رضى الله عنه، قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد ﴿ او ابنآءهم ﴾ الذين جبلوا على محبتهم و رحمتهم كما فعل أبو بكر رضى الله عنه فانه دعا ابنه يوم بدر إلى المبارزة، و قال: دعنى يا رسول الله أكن فى الرعلة الأولى. فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: متعنا بنفسك يا أبا بكر، أما تعلم أنك بمنزلة سمعى و بصرى[10]. ﴿او اخوانهم﴾ [الذين -[11]] هم أعضادهم[11]

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الاصل: او (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الظاهر (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عاداه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: للملك (٦) فى ظ و م: المحادة (٧) من ظ و م، و فى الاصل: ارادة (٨) من ظ و م، و فى الاصل: ابنائهم (٩) الكلمة ساقطة من ظ و م. (١٠) و كل هذا، مع ما يأتى، ذكره البغوى من طريق عبد الله بن مسعود - راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧/٤٦ (١١) زيد من ظ (١٢) من ظ، و فى الأصل و م: اعضاده.

كما فعل مصعب بن عمير رضى الله عنه ، قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد و خرق سعد[1] بن أبى وقاص رضى الله عنه الصفوف يومئذ على أخيه عتبة ابن أبى وقاص غير مرة ليقتله فراع عنه روعان[2] الثعلب ، فنهاه رسول الله صلى الله عليه و سلم و قال : أتريد أن تقتل نفسك ، و قتل [محمد -[3]] ابن مسلمة الأنصارى رضى الله عنه أخاه من الرضاع كعب بن الأشرف اليهودى رأس بنى النضير ﴿ او عشيرتهم[4] ﴾ الذين هم أنصارهم و أمدادهم[4] كما فعل عمر رضى الله عنه ، قتل خاله العاصى بن هشام بن المغيرة[5] يوم بدر و على[5] و حمزة و عبيدة بن الحارث رضى الله عنهم قتلوا يوم بدر بنى عمهم عتبة و شيبة ابنى[6] ربيعة و الوليد بن عتبة ، و عن الثورى[7] [8] أن السلف[8] كانوا يرون أن الآية نزلت فيمن يصحب السلطان - انتهى . و مدار ذلك على أن الإنسان يقطع رجاءه من غير[9] الله ، و إن لم يكن كذلك لم يكن مخلصا فى إيمانه .

و لما كان لا يحمل على البراءة ممن[10] هذا شأنه إلا صريح الإيمان ، أنتج قوله : ﴿ اولئك ﴾ أى الأعظمون شأنا الأعلون همما ﴿ كتب ﴾

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : سعيد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : رواع . (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : انداده‌م (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : و على دينه - كذا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ابنا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : النووى (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : عن - مع يسير من البياض (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : دون (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل فمن .

أى / وصل و اثبت وصلا هو فى لحمته كالخرز فى الأديم، و كالطراز[1] / ٢٥٨
فى الثوب الرقيم، فلا انفكاك له ﴿ فى قلوبهم الإيمان ﴾ فجعلها[2] أوعية
له فأثمر ذلك نور الباطن و استقامة الأعمال فى الظاهر ﴿ و ايدهم ﴾
أى واهم و شددهم و أعانهم و شجعهم و عظمهم و شرفهم ﴿ بروح ﴾
أى نور شريف جدا يفهمون به ما أودع فى كتابه و سنة رسوله صلى الله ٥
عليه و سلم من كنوز العلم و العمل[3] فهو لقلوبهم كالروح للأبدان، فلا
يفعلون شيئا من أحوال [اهل -[4]] الجاهلية كالمظاهرة، و زاد هـذا
التأييد شرفا بقوله: ﴿ منه[5] ﴾ أى أحياهم به فلا انفكاك لذلك عنهم فى
وقت من الأوقات فأثمر لهم استقامة المناهج ظاهرا[6] و باطنا، فقهروا
بالدلائل و الحجج، و ظهروا بالسيف المفنى للهج، و عملوا الأعمال الصالحة ١٠
فكانوا للدنيا كالسرج، فلا تجد شيئا أدخل فى الإخلاص[7] من موالاة
أولياء الله و معاداة أعدائه، بل هو عين الإخلاص، و من جنح إلى
منحرف عن دينه أو داهن مبتدعا فى عقده نزع الله نور التوحيد
من قلبه.

و لما أخبر بما اتاهم فى الدنيا و هو غير مفارق لهم فى الآخرة، ١٥
أخبر بما يؤتيهم[7] فى الآخرة فقال: ﴿ و يدخلهم جنت ﴾ أى بساتين

(١) من م، وفى الأصل وظ: الطراز (٢) من ظ و م، و فى الأصل: جعلها.
(٣) العبارة من هنا الى « فلا انفكاك » ساقطة من ظ (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ظاهر (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: للاخلاص.
(٧) من ظ و م، و فى الاصل: يتوهم.

يستر داخلها من كثرة أشجارها، و أخبر عن ريها بقوله : [﴿تجرى﴾ و لما كانت المياه لو عمت الأرض لم يكن بها مستقر، أثبت الجار فقال -[1]] : ﴿من تحتها الانهر﴾ أى فهى لذلك كثيرة الرياض و الأشجار و الساحات و الديار . و لما كان ذلك لايلذ إلا بالدوام قال : ﴿خلدين فيها﴾ ،

٥ و لما كان ذلك لايتم الا برضا مالكها قال : ﴿رضى الله﴾ أى الملك[2] الأعظم الذى له الأمر كله فلا التفات إلى غيره ﴿عنهم﴾ و لما كان ذلك لايكمل سروره إلا برضاهم ليتم حسن المجاورة قال : ﴿و رضوا عنه﴾ أى لأنه أعطاهم فوق ما يؤملون . و لما أخبر عنهم بما يسر كل سامع فيشتاق[3] إلى مصاحبتهم و معاشرتهم و مرافقتهم ومقاربتهم[4] ،

١٠ و مدحهم و عرفهم بقوله : ﴿اولئك﴾ أى الذين هم فى الدرجة العليا من العظمة لكونهم قصروا ودهم على الله علما منهم بأنه ليس النفع [و الضر -[5]] إلا بيده ﴿حزب الله﴾ أى جند الملك الأعلى[6] الذى [أحاط -[7]] بجميع صفات الكمال و أولياءه، فانهم[8] هم يغضبون له و لايخافون فيه لومة لائم . و لما تبين مما[9] أعدلهم و أعد لأضدادهم أنهم المختصون بكل

١٥ خير، قال على طريق الإنتاج مما[9] مضى مؤكدا لما لأضدادهم من الأنكاد : ﴿الآ ان حزب الله﴾ اى جند الملك الأعلى و هم هؤلاء الموصوفون و من

(١) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ملك .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مشتاق (٤) من م ، و فى الاصل ظ : مراقبتهم.
(٥) زيد من م (٦) سقط من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الذين هم.
(٨) من ظ ، و فى الأصل و م : ما (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : بما .

والاهم ﴿هم﴾ أى خاصة [1]لا غيرهم[1] ﴿المفلحون ع﴾ أى الذين حازوا الظفر بكل ما يؤملون فى الدارين ، و قد علم من الرضى من الجانبين و الحزبية و الإفلاح عدم الانفكاك عن السعادة فأغنى ذلك عن تقييد الخلود بالتأبيد ، خصهم بذلك لأن له / العزة و القوة و العلم و الحكمة ، ٢٥٩ / فلذلك علم أمر المجادلة و رحم شكواها لأنها من حزبه و سمع لها ، و من سمع له فهو مرضى عنه ، و حرم الظهار بسبب شكواها إكراما لها بحكمته لأنه منابذ للحكمة [1]لأنه تشبيه[2] خارج عن قاعدة التشبيهات[3] ، و فيه امتهان للأم التى لها فى دينه غاية الإكرام بالتسوية بالزوجة التى هى محل الافتراش ، و ختم آيها[4] بأن من تعدى حدوده فعاود[5] أحوال الجاهلية فهو مجادله سبحانه فهو من حزب الشيطان ، فقد عاد [6] آخرها إلى أولها[6] بأدل دليل على أحسن سبيل ، لأن هذا القرآن العظيم أشرف حديث ، أقوم قيل ، و هذا مقصود التى بعدها ، و لاشك أنه موجب للتنزيه مبعد عن التشريك و التشبيه ، فسبحان من أنزله آية دائمة البيان ، موجبة للإيمان ، قامعة للطغيان ، على مدى الدهور و تطاول الأزمان[7] .

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، و فى الاصل : بسببه - كذا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الشبهات (٤) فى م : أيتها .
(٥) من م ، و فى الأصل و ظ : فعادوا (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اولها الى آخرها (٧) فى م : الزمان .

سورة الحشر[١] و تسمى سورة النضير[٢]

مقصودها بيان ما دل عليه آخر المجادلة من التنزه عن شوائب النقص باثبات القدرة الشاملة بدليل[٣] شهودى على أنه يغلب هو و رسله، و من حاده فى الأذلين. لأنه قوى عزيز، المستلزمة للعلم التام المستلزم ٥ [للحكمة البالغة المستلزمة -[٤]] للحشر المظهر لفلاح المفلح و خسار الخاسر على وجه الثبات الكاشف أتم كشف لجميع صفات الكمال، و أدل[٥] ما فيها على ذلك تأمل قصة [بنى -[٦]] النضير المعلم بأول الحشر المؤذن بالحشر الحقيقى بالقدرة عليه بعد إطباق الولى و العدو على ظن أنه لا يكون، فلذا[٧] سميت بالحشر و بنى النضير لأنه سبحانه و تعالى حشرهم بقدرته من المدينة ١٠ الشريفة إلى خيبر و الشام و الحيرة ثم حشرهم [و غيرهم -[٦]] من اليهود الحشر الثانى من خيبر إلى الشام الذى هو آية الحشر الأعظم إلى أرض الحشر لقهر هذا النبى الكريم أهل الكتاب المدعين لأنهم[٩] أفضل الناس

(١) التاسعة والخمسون من سور القرآن الكريم، مدنية وعدد آيها (٢٤) بالاتفاق - راجع نثر المرجان ٧ / ٢٦٦ (٢) من ظ و م و معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / ٤٦، و فى الأصل: النصر (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بدل. (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٦) زيد من ظ و م. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فكذا (٨) من م، و فى الأصل: الحشر. (٩) من م، و فى الأصل و ظ: انهم.

و أنهم

و أنهم مؤيدون بما[1] لهم من الدين الذى أصله قويم[2] بما لوحت إليه الحديد كما قهر أهل الأوثان الذين هم عالمون بأنهم بدلوا الدين الصحيح فثبت -بظهور دينه على كل دين على حد سواء كما وعد به سبحانه صدقه فى كل ماجاء به بعد التوحيد[3] - الإيمان بالبعث الآخر لأنه محط الحكمة و موضع إظهار النقمة و الرحمة[4] ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الذى لا راد ٥ لأمره[5] فلا خلف لعباده ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمت نعمة إيجاده فلا محيص عن معاده ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أهل وداده بالتوفيق لما يرضيه عنهم فيوجب لهم الفوز باسعاده[6] .

/ لما[7] ختمت المجادلة بأنه معز أهل طاعته ، و مذل أهل معصيته / ٢٦٠ و محادته ، علله بتنزهه[8] عن النقائص تأييدا للوعد بنصرهم فقال : ﴿ سبح ﴾ ١٠ أى أوقع التنزيه[9] الأعظم عن كل شائبة نقص ﴿ لله ﴾ الذى أحاط بجميع [صفات -[10]] الكمال .

و لما كان الكفار من جميع بنى آدم قد عبد بعضهم الشمس

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : لما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قومم . (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لحكمه (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : بالسعادة ، و زيد بعده فى الأصل : فى الدنيا و الآخرة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : ولما (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : بتنزيهه (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : للشبه (١٠) زيد من ظ .

و بعضهم القمر و بعضهم [غيرهما من -[1]] الكواكب ، و كانت الكواكب مبثوثة فى السماوات كلها لا تخص سماء بعينها وكذا الملائكة ، جمع دلالة على أن الكل عبيد فقال : ﴿ ما فى السمٰوٰت ﴾ أى كلها . و لما كان الكلام فى النهى عن موادة الذين يحادون الله ، وكان ذلك لمن دون الخلص ، أكد باعادة النافى لاحتياجهم للتأكيد فقال : ﴿ و ما ﴾ و لما كان جميع ما عبدوه مما أشركوا به من الأرضيات من شجر و صنم و بقر و غيرها لا يعد و الأرض التى هم عليها ، أفرد فقال : ﴿ فى الارض ج ﴾ .

و لما شمل هذا جميع العالم ، أشار إلى أن عظمته لا تنتهى فقال : ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه وحده ﴿ العزيز ﴾ الذى يغلب كل شىء و لا يمتنع عليه شىء[2] ﴿ الحكيم ه ﴾ الذى نفذ علمه[3] فى الظواهر و البواطن و أحاط بكل شىء فأتقن[4] ما أراد ، فكل ما خلقه جعله على وحدانيته دليلا ، و إلى بيان ما له من العزة و الحكمة سبيلا .

و قال الإمام أبو جعفر[5] بن الزبير : لا خفاء باتصال آيها بما[6] تأخر من آى سورة المجادلة ، ألا ترى أن قوله تعالى " يا يها الذين امنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم " إنما يراد به يهود فذكر سبحانه سوء سريرتهم و عظيم جرأتهم ثم قال فى آخر السورة " لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله " فحصل من هذا كله

(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حكمه .
(٤) زيد فى الأصل : كل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ما .

تنفير المؤمنين عنهم و إعلامهم بأن بغضهم من الإيمان و زدهم من النفاق لقبيح ما انطووا عليه و شنيع[1] ما ارتكبوه ، فلما أشارت هذه الآى إلى ما ذكر أتبعت بالإعلام فى أول سورة الحشر بما عجل لهم من هوانهم[2] و إخراجهم من ديارهم و أموالهم و تمكين المسلمين منهم ، جريا على ما تقدم الإيماء إليه من سوء مرتكبهم ، و التحمت الآى باتحاد المعنى و تناسبه ، و تناسج الكلام ، و افتتحت السورة بالتنزيه لبنائها على ما أشار إليه غضبه تعالى عليهم إذ لا يكون إلا على أعظم جريمة و أسوإ مرتكب وهو اعتداؤهم وعصيانهم المفصل فى مواضع من الكتاب و قد قال تعالى فيهم بعد ذكر غضبه عليهم "أولئك شر مكانا و أضل عن سواء السبيل" و قال تعالى "لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود و عيسى ابن مريم ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون" فبين تعالى أن لعنته إياهم إنما ترتبت على عصيانهم و اعتدائهم ، و قد فصل اعتداءهم أيضا فى مواضع ، فلما كان الغضب[3] مشيرا إلى ما ذكر من عظيم الشرك ، أتبعه سبحانه و تعالى / تنزيه نفسه جل و تعالى فقال "سبح لله ما فى السموات و ما فى الارض" و إنما يرد[4] مثله من التنزيه أثر جريمة تقع من العباد و عظيمة يرتكبونها و تأمل ذلك حيث وقع ، ثم عاد الكلام إلى الإخبار بما فعل تعالى بأهل الكتاب مما يتصل[5] بما تقدم ، ثم تناسجت الآى - انتهى .

/ ٢٦١

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : تشنيع (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هواهم (٣) زيد فى الأصل : أيضا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها : (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يسره (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : يتوصل .

و لما نزه نفسه الأقدس دل على ذلك التنزه [و - [1]] على العزة و الحكمة بدليل شهودى من أنه أنفذ ما كتب من أنه يغلب [هو - [2]] و رسله و من [3]أنه كبت الذين حادوه و خيب ظن الذين نافقوا ، فتولوا اليهود من[3] أهل الكتاب ليعتزوا[4] بهم ، فأذل اليهود و طردهم من مهبط الوحى و أخزى المنافقين الذين جعلوهم محط[5] اعتمادهم و موضع ولايتهم و ودادهم ، فقال : ﴿ هو ﴾ أى وحده من غير إيجاف[6] خيل و لاركاب ﴿ الذى اخرج ﴾ على وجه القهر ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما فى كتبهم من الشواهد [7]التى تشهد[7] لمحمد صلى الله عليه و سلم بأنه النبى الخاتم و ما فى فطرهم الأولى من أن اتباع الحق أحق ، و قبح عليهم كفرهم بقوله موضع "من بنى النضير" أو "اليهود" مثلا : ﴿ من اهل الكتب ﴾ أى الذى انزله الله على رسوله موسى صلى الله على نبينا و عليه و سلم ، و فى التعبير بـ « كفروا » إشعار بأنهم الذين أزالوا بالتبديل أو الإخفاء ما قدروا عليه مما بقى من التوراة دالا على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم .

و لما كان الوطن عديل الروح لأنه للبدن كالبدن للروح ، فكان الخروج منه فى غاية العسر ، دل على مزيد قهرهم به بأن قال : ﴿ من ديارهم ﴾ و لما كان منهم من جلى من المدينه الشريفة إلى خيبر ، و هم آل أبى الحقيق و آل حيى بن أخطب و لحق سائرهم بأريحا من

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يعزوا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : محل .
(٦) من م، وفى الأصل وظ : ايجاب (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ وم .

أرض الشام أرض المحشر، و لحق بعضهم بالحيرة، لوح إلى فتح خيبر وحشرهم منها حشرا ثانيا بقوله معللا أو[1] موقتا: ﴿ لاول ﴾ أى لاجل أول أو عند أول ﴿الحشر[1]﴾ و فى ذلك إشارة إلى أن كل بلد حشروا إليه سيفتح، و يزلزلون [منه -[2]] زلزلة أخرى، لا تزال مصائبهم بأهل الإسلام قائمة حتى يكون الحشر الأعظم بالقيامة، و الحشر[3]: الجمع من مكان و السوق إلى غيره بكره، و سمى أولا لأنهم أول من أجلى من اليهود من جزيرة العرب، و الحشر الثانى لهم من خيبر على زمن عمر رضى الله عنه[4]، و عند ابن إسحاق[5] أن إجلاءهم فى مرجع النبى صلى الله عليه و سلم من أحد و فتح قريظة فى مرجعه من الأحزاب و بينهما سنتان، قال لهم النبى صلى الله عليه و سلم: اخرجوا، قالوا: إلى أين، قال: إلى أرض المحشر، و قال ابن عباس[6] رضى الله عنهما: من شك أن المحشر بأرض الشام فليقرأ هذه الآية. انتهى، [7]و هذا الحشر[7] يدل على المحشر الأعظم و بينه [على قوله -[8]] صلى الله عليه و سلم[9]: بعثت أنا و الساعة كهاتين.

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: و (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) هذا قول الكلبى - كما فى المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٨ (٥) و قول ابن إسحاق ذكره البغوى فى المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٧ (٦) وقول ابن عباس ذكره البغوى فى المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٨ (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: هذه الآية (٨) زيد من ظ و م. (٩) زيد بعده فى الأصل: بقوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و لما كان قد أخبر أن حشرهم لم يكن بسبب غير محض قدرته ،
/ ٢٦٢ / استأنف شرح ذلك بقوله : ﴿ما ظننتم﴾ أي أيها المؤمنون ﴿ان يخرجوا﴾
أي يوقعوا الخروج من[1] شيء أورثتموه[2] منهم لما كان لكم من الضعف
و لهم من القوة لكثرتهم و شدة بأسهم و شكيمتهم و قرب بني قريظة
٥ [منهم -[3]] فكانوا بصدد مظاهرتهم ، و أهل خيبر أيضا غير بعيدين عنهم
و كلهم أهل ملتهم ، و المنافقون من أنصارهم و أسرتهم ، فخابت ظنونهم
في جميع ذلك و فالت آراؤهم و سلط[4] عليهم المؤمنون على قلتهم و ضعفهم ؛
و إذا أراد الله نصرة عبد استأسد أرنبه و اذا أراد قهر عدو
استنوق[5] أسده .

١٠ و لما كانت الحصون تمنع إلى[6] إتيان الأمداد قال : ﴿و ظنوا انهم﴾
و دل على قوة ظنهم و ثباته بالجملة الاسمية فقال : ﴿ مانعتهم حصونهم ﴾
أي ثابت لها المنع و لهم الامتناع ، قالوا : و في تقديم الخبر على المبتدأ
دليل على فرط وثوقهم بحصانتها و منعها إياهم ، و في جعل ضميرهم[7] اسم
"ان" [و -[8]] إسناد الجملة إليه دليل على اعتقادهم في أنفسهم أنهم في عز[9]

---

(١) من ظ و م ، و في الأصل : في (٢) من ظ و م ، و في الأصل : اريتموه .
(٣) زيد من م (٤) زيد في الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة في ظ و م
فحذفناها (٥) من م ، و في الأصل و ظ : استونق (٦) من ظ و م ، و في
الأصل : من (٧) من ظ و م ، و في الأصل : ضمز اسم (٨) زيد من ظ و م .
(٩) من ظ و م ، و في الأصل : غير .

و منعة لامطمع معها فى معازّتهم[1]، و دل على ضعف عقولهم بأن [2]عبر عن[2] جنده باسمه و باسمه الأعظم فقال: ﴿ من الله ﴾ أى الملك الأعظم [3]الذى لا عز إلا له و أنتم جنده، لا تقاتلون إلا فيه و به، بأسكم من بأسه، فقد اجتمع الظنان على شىء واحد. و لما كان إسناد ما للمضاف إلى المضاف إليه شائعا فى لسان العرب و كثيرا[4] جدا[5] لأنه لايلتبس على من[6] له إلمام ٥ بكلامهم، و بليغا[7] جدا لما له من العظمة، قال: ﴿ فأتاهم الله ﴾ أى جاءهم الملك الأعظم الذى لايحتملون مجيئه بما صور لهم من حقارة[8] أنفسهم التى اضطرتهم إلى الجلاء ﴿ من حيث لم يحتسبوا ق ﴾ أى من الجهة التى لم يحملوا أنفسهم على حسبها [9]و هى خذلان المنافقين لهم رعبا كرعبهم و استضعافا كاستضعاف أنفسهم[9] عن مقاومة جند الله بعد أن كان الشيطان ١٠ زين لهم غير ذلك، و ملأ قلوبهم من الأطماع الفارغة حتى قطعوا بما[10] مناهم و قربه لهم و أغواهم.

و لما كان التقدير: فاوهنهم الله[11] بذلك، عطف عليه قوله: ﴿ و قذف ﴾ أى أنزل إنزالا كأنه قذفه بحجارة، فثبت و ارتكز ﴿ فى قلوبهم الرعب ﴾

(١) من ظ و م، و فى الأصل: معادهم (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: عين (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الأعز (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كثير (٥) زيد فى الأصل: ما ألفوه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٦) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بليغ (٨) من ظ و م، و فى الأصل: حقيقة (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: بها (١١) سقط من ظ

أى الخوف الذى سكنها فرّضها و ملأها و عبر منها إلى جميع قواهم فاجتثها من [1]أصلها، ثم[1] بين حالهم عند ذلك أو[2] فسر قذف الرعب بقوله: ﴿يخربون بيوتهم﴾ أى يبالغون - على قراءة أبى عمرو[3] بالتشديد - فى إخرابها، أى إفسادها[4]، فان الخربة الفساد، و قراءة[5] غيره يفهم الفعل المطلق الذى لاينافى المقيد ﴿بايديهم﴾ ضعفا منهم - بما أشار إليه جمع القلة، و يأسا من قوتهم ليأخذوا ما استحسنوا من آلاتها، فكان الرجل منهم [لما -[6]] تحملوا للرحيل يهدم[7] بيته عن نجاف بابه و ما[7] استحسن من خشبه فيضعه على ظهر بعيره فيأخذه / و ينقب الجدار و يهدم السقف حسدا للمسلمين أن يسكنوها بعدهم لأن النبى صلى الله عليه وسلم أمرهم أن يخلوا له[8] عن البلد ولهم ما حملت إبلهم. /٢٦٣

و لما كان السبب فى تخريب الصحابة رضى الله عنهم لبيوتهم[9] ما أحرقوهم به من المكر و الغدر[10] كانوا كأنهم أمروهم بذلك، فنابوا عنهم فيه، فقال[11] أيضا بجمع القلة للدلالة على أن الفعل له سبحانه وحده: ﴿و ايدى المؤمنين ق﴾ أى الراسخين فى الإيمان استيلاء و غلبة عليهم و قد كان المؤمنون يخربون ما ضيق عليهم المجال منها[12] لأجل القتال، و قدم

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: اصلابها و (٢) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٣) راجع نثر المرجان ٧/٢٦٨ (٤) فى ظ و م: فسادها (٥) زيد من م. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يحمل (٧) من م، و فى الأصل: مما (٨) من م، و فى الأصل و ظ: لهم (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بيوتهم (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: العز (١١) من ظ و م، و فى الأصل: فقالوا. (١٢) من م، و فى الأصل و ظ: منهم.

تخريبهم لأنه أعجب .

و لما كان في غاية الغرابة أن يفعل[1] الإنسان في نفسه كما يفعل فيه[2] عدوه ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاعتبروا ﴾ أي احملوا أنفسكم بالإمعان في التأمل في عظيم قدرة الله تعالى على أن تعبروا[3] من ظواهر العلم في هذه القضية بما دبر الله في إخراجهم إلى بواطن الحكمة بأن لاتعدوا لكم ناصرا من الخلق و لاتعتمدوا على غير الله ، فان الاعتبار - كما قال القشيري - أحد قوانين الشرع ، و من لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره - انتهى . و قد احتج بالآية مثبتو القياس فانه مجاوزة من الأصل إلى الفرع ، و المجاوزة اعتبار ، و هو مأمور به في هذه الآية فهو[4] واجب .

و لما كان الاعتبار عظيم النفع ، لايحصل إلا للكمل ، زاده تعظيما بقوله تعالى : ﴿ يا أولي الابصار ﴾ بالنظر بأبصاركم و بصائركم في غريب هذا الصنع لتحققوا به ما وعدكم على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم من إظهار دينه و [5]إعزاز نبيه[5] و لا تعتمدوا على غير الله كما اعتمد هؤلاء على المنافقين ، [6]فان من[6] اعتمد على مخلوق أسلمه ذلك إلى صغاره و مذلته ، و لا تلبوا بغدر كما أرادوا أن يغدروا برسول الله صلى الله عليه و سلم فيطرحوا عليه و هو قاعد بفناء دار من دورهم رحى من السطح ليقتلوه [بها -[7]] - زعموا ، و لاتفعلوا شيئا من قبيح أفعالهم لئلا يحصل لكم مثل

(١) في م : يعمل (٢) من ظ و م ، و في الأصل : في (٣) من ظ و م ، و في الأصل : يصيروا (٤) من ظ و م ، و في الأصل : هو (٥-٥) من ظ و م ، و في الأصل : اعتزاز دينه (٦-٦) من م ، و في الأصل و ظ : و ان (٧) زيد من ظ و م .

دكالهم كما أحكمه قوله صلى الله عليه و سلم "لتتبعن سنن من كان قبلكم" الحديث، و ذلك الغدر منهم بعد أن حرضوا قريشا على غزوة أحد و دلوهم على بعض العورات، و قال البغوى[1]: إن كعب بن الأشرف أتى قريشا بعد أحد فى أربعين راكبا فحالفهم على النبى صلى الله عليه ٥ و سلم فنزل جبريل عليه السلام عليه يخبره بذلك، و قال[2]: إنه لما قصدهم[3] عليه السلام أرسلوا إليه أن يخرج فى ثلاثين و يخرج منهم ثلاثون[4] ليسمعوا منه، فان آمنوا به آمن الكل. فأجابهم فأرسلوا أن الجمع كثير فأخرج فى ثلاثة ليخرج ثلاثة منا[5]، فأرسلت امرأة منهم إلى أخيها و كان مسلما أنهم اشتملوا على الخناجر يريدون الفتك برسول الله صلى الله عليه ١٠ و سلم فكف صلى الله عليه و سلم عن ذلك، و كل ما ذكر من أسباب قصتهم / [كما ترى -[6]] دائر على المكر بل هو عين المكر - /٢٦٤

و لما دل هذا على غاية لوهن منهم[7] فكان موضع التعجب من الكف[8] عن قتلهم[8]، بين أن السبب فى ذلك أمره الباهر و عزه القاهر حثا على ما ختم به الآية السابقة[9] من الاعتبار و التدبر و الاستبصار ١٥ فقال: ﴿ و لولا ان كتب الله ﴾ أى فرض فرضا حتما الملك الذى له

(١) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / ٤٦ (٢) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٧ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: قدسه (٤) من ظ و م والمعالم، و فى الأصل: ثلاثين (٥) من م، وفى الأصل و ظ: منها، وفى المعالم: من علمائنا. (٦) زيد من ظ و م (٧) فى ظ: فيهم (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: من قبلهم (٩) من ظ و م. و فى الاصل: السالفة.

الأمر كله ، و دل على أنه كتب إذلالا و إخزاء بقوله : ﴿ عليهم ﴾ أى بخصوصهم فيما كتب على بنى إسراءيل فى الأزل كما كتب على بنى قينقاع ﴿ الجلآء ﴾ أى الخروج من ديارهم و الجولان فى الأرض ، فاما معظمهم فأجلاهم بخت نصر من بلاد الشام إلى العراق ، و أما هؤلاء فحماهم الله بمهاجر رسول الله صلى الله عليه و سلم من ذلك الجلاء و جعله على ٥ يدى[1] رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فأجلاهم فذهب بعضهم إلى خيبر و بعضهم إلى الشام مرة بعد مرة ﴿ لعذبهم فى الدنيا ﴾ أى بالسيف كما سيفعل[2] بأخوالهم من بنى قريظة الذين كتب عليهم العذاب دون الجلاء من قتل المقاتلة و سبى الذرية ، فانه تعالى قد قضى قضاء حتما أنه يطهر المدينة بلد الوحى منهم . ١٠

و لما كان التقدير : و لكنه كتب عليهم ذلك فهو عذابهم الآن فى الدنيا لامحالة و إن اجتمع أهل الأرض على نصرهم ، عطف عليه قوله على طريق التهكم بالتعبير بأداة النفع : ﴿ و لهم ﴾ أى[3] على كل حال أجلوا أو تركوا ﴿ فى الاخرة ﴾ التى هى دار البقاء ﴿ عذاب النار ﴾ و هو العذاب الأكبر . ١٥

و لما أخبر بما نالهم فى الدنيا و ينالهم فى الآخرة ، علله[4] بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر [العظيم -[5]] الذى فعله بهم من الجلاء و مقدماته

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فعل.
(٣) سقط من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه (٥) زيد من م .

[فى الدنيا -[1]] و يفعله بهم فى الآخرة ﴿ بانهم ﴾ و لما كانوا قد ضموا فى هذه القضية[2] إلى ما كانوا عليه من الكفر الظاهر كفرا[3] باطنا بما أرادوا من إلقاء الرحى و غيره من الأذى مكرا منهم، أدغم[4] فى قوله: ﴿ شآقوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة التامة، فكانوا فى شق غير شقه بأن صاروا فى شق الأعداء المحاربين بعد ما كانوا فى شق الموادعين.

و لما جازى[5] رسول الله صلى الله عليه و سلم إخفاءهم لما أرادوا [أن -[1]] يفعلوا به بالإخفاء[6] لخلاصه منهم بأن رجع إلى المدينة الشريفة و ترك اصحابه رضى الله عنهم عندهم[7] قال: ﴿ و رسوله ج ﴾ الذى إجلاله من إجلاله. و لما أخبر بفعله و بسببه، عطف عليه تأكيدا لمضمونه و إفادة لأنه يفعل فى غيرهم ممن كان على أمرهم أعظم من فعلهم فقال: ﴿ و[8] من يشآق الله ﴾ اى يوقع فى الباطن مشاقة الملك الأعلى الذى لا كفوء له فى الحال أو الماضى أو الاستقبال سواء أبطن معها مشاقة أخرى أو لا، و ترك الإدغام على حاله لأنهم ما أظهروا معاداة[9] و إنما كان ما فعلوا مكرا و مساترة، و ذلك أخف من المجاهرة، و اظهر[10] فى الأنفال

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: القصة (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اعم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: حاذى (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بالاعطاء (٧) من ظ و م. و فى الأصل: عنهم (٨) ليس فى الأصل (٩) فى ظ: المعاداة (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: ظهر.

لقوة [أمر -[1]] المجاهرين[2] كما مضى، و لم يعد ذكر الرسول تفخيما له
[3]بافهام أن[3] مشاققته مشاققة / لله من غير مثنوية أصلا، و إشارة إلى أنهم ٢٦٥ /
بالغوا فى إخفاء مشاققتهم، فلم يظهر عليها غير الله، فلم يحصل منهم فى
ذلك مفاعلة بينهم و بين الرسول صلى الله عليه و سلم فانه لم يمكر بهم،
و إنما جاهرهم[4] حين أعلمه الله بمكرهم بخلاف ما تقدم فى الأنفال، فان ٥
المقام اقتضى هناك الذكر لأنهم مكروا به كما قال تعالى "و اذ يمكر بك
الذين كفروا" الآية و هو صلى الله عليه و سلم أخفى أمر هجرته و أعمل
الحيلة فى الخلاص من مكرهم على حسب ما أمره الله به فحصلت[5] المفاعلة
فى تحيز كل من الفريقين إلى شق غير شق الآخر خفية ﴿ فان الله ﴾
أى المحيط بجميع العظمة يشدد عقابه له لأنه ﴿شديد العقاب﴾ و ذلك ١٠
كما فعل ببنى قريظة بعد هذا حيث نقضوا عهدهم[6] و أظهروا المشاققة فى
غزوة الأحزاب و كما فعل أهل خيبر، و كانوا يماكرون و يسارون فى
الأولى[7] عند فتحها و فى الثانية[8] عند إجلائهم منها، فقد سوى بين المسارين
و المجاهرين[9] فى العذاب و هو للمجاهرين[10] أشد عذابا كما هو واضح.

و لما دل سبحانه على عزته و حكمته بما فعل ببنى النضير الذين يقولون ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: المجاهدين (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: بان (٤) فى ظ: جاهدهم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فحصل (٦) من م، و فى الأصل و ظ: عهده (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الأول (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الثانى (٩) من م، و فى الأصل و ظ: المهاجرين (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: للمهاجرين.

إنهم أشجع الناس و أشدهم شكيمة بما لهم من الأصالة و الاصطفاء على العالمين، مع التأييد بالكتاب و الحكمة، و ختم بأن من شاق رسوله فقد شاقه. و من شاقه فقد شدد عقابه، أتبعه بيان ما عاقبهم به من قطع الصحابة رضى الله عنهم بأمر النبي صلى الله عليه وسلم لنخلهم الذى هو أعز عليهم من أبكارهم و هم ينظرون إليه لا يغنون شيئا و لا منعة[1] لديهم فقال: ﴿ ما ﴾ و هى شرطية و أتبعها بشرطها الناصب لها فقال: ﴿ قطعتم ﴾ أى كل ما قطعتموه، و بين ما [فى « ما » - [2]] من الإبهام بقوله معبرا عن النخل بما يفيد نوعه وأنه[3] هان عليهم القطع و لان: ﴿ من لينة ﴾ و هى ضرب من النخل، قال ابن إسحاق: هو ما خالف العجوة من النخل، [و - [4]] قال ابن هشام: اللينة من الألوان، و هى ما لم يكن برنية و لا عجوة من النخل فيما حدثنى أبو عبيدة - انتهى. و قال صاحب القاموس: اللون: الدقل من النخل، و هى جماعة واحدتها[5] لونة و لينة. قال المهدوى: [6] و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما و مجاهد [و غيرهما - [2]] أنها النخل كله. و عن ابن عباس رضى الله عنهما أيضا أنها[7] لون من النخل، و قال البغوى[8]: و رواية زاذان[9] عن

(١) من م، و فى الأصل و ظ: صفة - كذا (٢) زيد من م (٣) من م، و فى الأصل و ظ. لأنه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م و القاموس، و فى الأصل: واحد منها (٦) العبارة من هنا إلى « عنهما أيضا » ساقطة من ظ. (٧) من م، و فى الأصل و ظ: انه (٩) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٩. (٩) من المعالم، و فى الأصول: باذان.

ابن عباس رضى الله عنه قال: كان النبى صلى الله عليه و سلم [يقطع -[1]] نخلهم إلا العجوة. و أهل المدينة يسمون ما خلا[2] العجوة من التمر الألوان واحدها لون و لينة، و قال عطية و[3] الحسن و مجاهد و ابن زيد و عمرو ابن ميمون: اللينة: النخلة، اسمان بمعنى واحد، و جمعها لين و ليان، و قال سفيان الثورى: اللينة ما تمرها لون و هو نوع من التمر شديد الصفرة ٥ يشف / عن[4] نواة فيرى من خارج. قال البغوى[5]: يغيب فيها الضرس[6]، / ٢٦٦ و كان من أجود تمرهم و أعجبها إليهم، و كانت [النخلة -[1]] الواحدة ثمنها ثمن وصيف احب إليهم من وصيف، فلما رأوهم يقطعونها شق عليهم و قالوا للمؤمنين: إنكم تكرهون الفساد و أنتم تفسدون، دعوا هذه النخلة، فانما هى لمن غلب عليها، و قال الرازى فى اللوامع: ١٠ و اختلاف الألوان فيها ظاهر[7] لأنها اول حالها [بيضاء -[8]] كصدف ملىء درا منضدا، ثم غبراء ثم خضراء كأنها قطع زبرجد خلق فيها الماء [ثم -[9]] حمراء كأنها ياقوت رص بعضه ببعض ثم صفراء[10] كأنها شذو عقيان، و لذلك إذا بلغ الإرطاب نصفها [سميت -[9]] مجزعة لاختلاف ألوانها كانها الجزع الظفارى. ١٥

و لما كان ما فسر بمؤنث هو اللينة، أعاد الضمير مؤنثا فقال:

---

(١) زيد من ظ و م والمعالم (٢) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل: ماعدا. (٣) سقط من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: من (٥) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ٤٩ (٦) من ظ و المعالم، و فى الأصل و م: الفرس (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ظاهرة (٨) زيد من م (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: صفى.

﴿ او تركتموها ﴾ و لما كان الترك يصدق ببقائها مغروسة أو مقطوعة قال : ﴿قآئمة﴾ و لما كان المراد نخيلا كثيرة لإرادة الجنس قال : ﴿على اصولها﴾ بجمع الكثرة ﴿فباذن الله﴾ أى فقطعها بتمكين الملك الأعظم و رضاه ، قال القشيرى : و فى هذا دليل على [أن -[1]] الشريعة غير معللة و إذا[2] جاء الأمر الشرعى بطل طلب[3] التعليل و سكتت الألسنة عن التقاضى بـ« لِمَ » ، و حضور الاعتراض و الاستقباح بالبال خروج عن حد العرفان .

و لما فطم عن طلب العلل خطابا للكمل ، طيب قلوب من دونهم بعلة معطوفة على ما تقديره : فليس ذلك بفساد و لكنه صلاح أذن لكم فيه ليشفى به صدور المؤمنين و يذهب غيظ قلوبهم ، فقال واضعا موضع ضميرهم ظاهرا يدل على ما أوجب خزيهم : ﴿و ليخزى الفسقين ٥﴾ الذين هم أصلاء فى المروق[4] من دائرة الحق بأن يذلهم و يفضحهم ببيان كذبهم فى دعواهم العز و الشجاعة و التأييد من الله لأنهم على الدين الحق و أنه لا يتطرق إليه نسخ[5] ، و روى أبو يعلى[6] عن جابر رضى الله عنه أنه قال : رخص لهم فى قطع النخل ثم شدد [عليهم -[1]] فأتوا النبى صلى الله عليهم و سلم فقالوا : يا رسول الله ! علينا إثم فيما قطعنا أو علينا فيما تركنا ، فأنزل الله الآية - انتهى . و كان ناس من المؤمنين مالوا إلى

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : انما (٣) من م ، و فى الأصل وظ : بطلب (٤) من م . و فى الأصل وظ : الرقة (٥) زيد فى الأصل : انتهى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) راجع الدر المنثور ٦ /١٨٨ .

الكف عن القطع لما سموه اليهود فسادا و طائفة أشاروا بالاستمرار على القطع لأنه يغيظهم، فصوب سبحانه فى الآية من أمر بالكف و حلل [من أشاروا بالاستمرار بالقطع -[1]] من الإثم، فدلت الآية على جواز إفساد[2] [أموال -[3]] أهل الحرب[4] على أى حال كان مثمرا[5] كان أو لا بالتحريق و التغريق و الهدم و غيره لإخزائهم بذلك . ٥

و لما كانت الغنائم التى تقسم بين الجيش[6] إنما هى ما قاتلوا عليه، و أما ما أتى منها بغير قتال فهو فئ[7] يأخذه الإمام فيقسمه[7] خمسة أخماس، ثم يقسم خمسا منها[8] خمسة أقسام[9]، أحدها و هو كان للنبى صلى الله عليه و سلم يكون بعده لمصالح المسلمين، و الأقسام الأربعة [الأخرى -[3]] من هذا الخمس لمن ذكر فى الآية بعدها، / و الأربعة الأخماس الكائنة ١٠ / ٢٦٧ من أصل القسمة[10] و هى التى كانت لرسول الله صلى الله عليه و سلم لأنها حصلت بكفايته و إرعابه للعدو، تفرق بين المرتزقة من جميع النواحى، فكانت الأموال كلها لله[11] إنعاما على من يعبده بما شرعه على ألسنة رسله عليهم الصلاة و السلام، كانت أموال الكفار فى أيديهم غصبا غصبوه

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : فساد (٣) زيد من ظ و م .
(٤) من ظ و م، و فى الأصل : العرب (٥) من ظ و م، و فى الأصل : مستمرا (٦) زيد فى الأصل : وغيره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٧) من ظ و م، و فى الأصل : ويقسمه (٨) من ظ، و فى الأصل و م : منه.
(٩) من ظ و م، و فى الأصل : اخماس (١٠) من م، و فى الأصل و ظ : الغنيمة (١١) زيد فى الأصل : انواعا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

من أوليائه، فخص سبحانه رسول الله صلى الله عليه و سلم بأموال بنى النضير يضعها حيث يشاء لأنها فئ فقال: ﴿ و ما افاء الله ﴾ أى رد الملك الذى له الأمر كله ردا سهلا بعد أن كان فيما يظهر فى غاية العسر و الصعوبة ﴿ على رسوله ﴾ فصيره فى يده بعد أن كان خروجه

٥ عنها بوضع أيدى الكفار عليه ظلما و عدوانا كما دل عليه التعبير بالفئ[1] الذى هو عود الظل إلى الناحية التى كان ابتدأ منها ﴿ منهم ﴾ أى ردا مبتدئا من الفاسقين، فبين أن هذا فئ لا غنيمة، و يدخل فى الفئ أموال من مات منهم عن غير وارث و كذا الجزية، و أما الغنيمة فهى ما كان[2] بقتال و إيجاف خيل و ركاب.

١٠ و لما كان الحرب إنما هو كر و فر فى إسراع و خفة و رشاقة بمخاتلة[3] الفرسان و مراوغة الشجعان و مغاورة أهل الضرب و الطعان[4]، قال معللا لكونه فيئا: ﴿ فما اوجفتم ﴾ أى أسرعتم، و قال ابن إسحاق: حركتم و اتبعتم فى السير - انتهى. و ذلك الإيجاف للغلبة ﴿ عليه ﴾ و أعرق فى النفى بالجار فقال: ﴿ من خيل ﴾ و أكد باعادة النافى لظن من ظن انه غنيمة

١٥ لإحاطتهم بهم فقال: ﴿ و لا ركاب ﴾ اى إبل، غلب ذلك عليها من بين المركوبات، و لا قطعتم من أجله مسافة، فلم تحصل لكم كبير مشقة فى حوز أموالهم لأن قريتهم كانت فى حكم المدينة الشريفة ليس بينها

(١) من ظ و م. و فى الأصل: فى الفى (٢) من م، و فى الأصل و ظ: كانت.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: لمحالة (٤) من م، و فى الأصل و ظ: الطغيان (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لا.

و بين ما يلى منها مسافة بل هى ملاصقة لإحدى قرى الأنصار التى المدينة اسم لها كلها ، و هى قرية بنى[1] عمرو بن عوف فى قباء بينها[2] و بين القرية [التى -[3]] كان[4] رسول الله صلى الله عليه و سلم نازلا بها نحو ميلين ، فمشى الكل مشيا و لم يركب إلا رسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يقاتلوا بها قتالا بعد ، فلذلك جعلها الله فيئا و لم يجعلها غنيمة ، فهى تقسم قسمة الفيء لاقسمة الغنيمة ، فخمسها لأهل خمس الغنيمة و هم[5] الأصناف الخمسة المذكورون فى الآية التى بعدها ، و ما فضل فهو الأربعة الأخماس له صلى الله عليه و سلم مضمومة إلى ما حازه من خمس الخمس .

و لما كان معنى هذا : فما كان التسليط بكم ، استدرك بقوله : ﴿ و لكن الله ﴾ أى الذى له العز كله فلا كفوء له ﴿ يسلط رسله ﴾ أى له هذه السنة فى كل زمن ﴿ على من يشآء ﴾ بجعل ما آتاهم سبحانه من الهيبة رعبا فى قلوب أعدائه ، فهو الذى سلط رسوله صلى الله عليه و سلم على هؤلاء / بأن ألقى فى روعه الشريف أن يذهب إليهم فيسألهم الإعانة فى دية العامريين اللذين قتلهما[6] عمرو بن أمية الضمرى رضى الله عنه خطأ ، فلما جلس رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى جانب بيت من بيوتهم ، وكانوا موادعين له صلى الله عليه و سلم نقضوا عهدهم خفية مكرا منهم بعد أن رحبوا به و وعدوه الإعانة و أمروا أحدهم أن يرمى عليه من

/ ٢٦٨

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بين (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بينهما .
(٣) زيد من ظ و م (٣) زيد بعده فى الأصل وظ : فيها ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : هى (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : قبلم .

فوق السطح صخرة لتقتله، فأعلمه [الله -[1]] بهذا فذهب و ترك أصحابه[2] هناك حتى لحقوا به، و هذا بعد ما كان حيي فعل من قدومه مكة و ندمه لقريش إلى حرب النبي صلى الله عليه و سلم[3] و معاقدته لهم[3] على أن[4] يكون معهم[4] عليه الصلاة و السلام، و إعلام الله بذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم

٥ فأرسل إليهم بعد[5] ما أصبح أنكم [قد -[1]] ختم الله و رسوله، فأردتم أن تفعلوا كذا، و أن الأرض لله و رسوله، فاخرجوا منها و قد أجلتكم عشرا، فمكثوا على ذلك أياما يتجهزون و دس إليهم ابن أبي و من معه[7] من المنافقين أنهم معهم في الشدة و الرخاء لا يسلمونهم، و قال ابن أبي: معي ألفان من قومي و غيرهم من العرب يدخلون حصنكم فيموتون من عند

١٠ آخرهم، و تمدكم قريظة و حلفاؤكم[8] من غطفان فطمع حيي بن أخطب في ذلك فأرسل انا لا نخرج من ديارنا فاصنع[9] ما بدا لك، فقصدهم رسول الله صلى الله عليه و سلم في المؤمنين يحمل رأيته علي بن أبي طالب رضي الله عنه فصلى العصر بفنائهم بعد أن استعمل على المدينه ابن [أم -[6]] مكتوم رضي الله عنه و أقام عليهم ست ليال و هم متحصنون، فقطع من

١٥ نخلهم [و حرق -[1]] فنادوه أن قد كنت تنهى عن الفساد و تعيبه على من صنعه فما بالك تقطع النخل، و تربصوا نصر ابن أبي و من معه على

(١) زيد من م (٢) زيد في م من (٣-٣) في ظ: معاقدتهم له (٤-٤) من ظ و م، و في الأصل: يكونوا معه (٥) في م: عند (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و في الأصل: معهم (٨) من ظ و م، و في الأصل: خلفاوهم. (٩) من ظ و م، و في الأصل: فافعل.

ما قالوا فلم يفوا لهم، فألقى الله الرعب فى قلوبهم فأرسلوا بالإجابة، فقال: لا إلا أن يكون [لى - [1]] سلاحكم و ما لم تقدروا على حمله على إبلكم من أموالكم، فتوقفوا ثم أجابوا فحملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل إلا الحلقة، و ذهبوا على ستمائة بعير، و أظهروا الحلى و[2] الحلل و أبدى نساءهم زينتهن فلحق بعضهم بخيبر و بعضهم الشام و خلوا الأموال و الحلقة ٥ لرسول الله صلى الله عليه و سلم و لم يسلم منهم إلا رجلان يامين[3] بن عمرو و أبو سعد[4] بن وهب، أسلما على أموالهما فأحرزاها[5] فجعل الله أموال من لم يسلم منهم فيئا لرسول الله صلى الله عليه و سلم خاصة به يضعها حيث يشاء كما روى ذلك فى الصحيح عن عمر رضى الله عنه فى قصة مخاصمة على و العباس رضى الله عنهما، و فيه أنه من خصائصه صلى الله عليه و سلم ١٠ فانه قال: إن الله قد خص رسوله صلى الله عليه و سلم فى هذا الفئ بشىء لم يعطه أحدا غيره، ثم قرأ "ما أفاء الله على رسوله منهم" إلى قوله تعالى: قدير، فكانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه و سلم [6] و الله / ما احتازها دونكم و لا استأثر بها عليكم قد أعطاكموها و بثها[7] فيكم حتى / ٢٦٩ بقى[8] منها هذا المال - يعنى الذى وقع خصامهما فيه، فكان ينفق رسول الله ١٥

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: من (٣) من م، و فى الأصل و ظ: باس - كذا (٤) من م، و فى الأصل و ظ: ابوسعيد (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فاختارها (٦) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: منهـا (٨) من ظ و م، و فى الأصل: يبقى.

صلى الله عليه و سلم على أهله نفقة سنتهم من هذا المال ثم يأخذ ما بقى فيجعله مجعل ما لله ، و فى الصحيح[١] أيضا عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضى الله عنه قال: كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه و سلم مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل و لا ركاب ،

٥ فكانت لرسول الله صلى الله عليه و سلم خاصة ينفق [على أهله - [٢]] منها نفقة سنة[٣] ثم يجعل ما بقى فى السلاح و الكراع عدة[٤] فى سبيل الله - انتهى ، و قد قسم رسول الله صلى الله عليه و سلم أموالهم بعد ما تركه لنفسه[٥] بين المهاجرين ، لم يعط الأنصار منه شيئا إلا ثلاثة نفر كانت بهم حاجة شديدة : أبو دجانة سماك بن خرشة و سهل بن حنيف و الحارث

١٠ ابن الصمة رضى الله عنهم ، [و كان لسيف ابن أبى الحقيق عندهم ذكر فنفله سعد بن معاذ رضى الله عنه - [٢]] و قال الأصبهانى : إن الفىء كان يقسم على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم على خمسة و عشرين سهما أربعة أخماسها و هى عشرون سهما لرسول الله صلى الله عليه و سلم يفعل بها[٦] ما يشاء و يحكم فيها ما أراد ، و الخمس الباقى على ما يقسم[٧] عليه

١٥ خمس[٨] الغنيمة - يعنى على رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذوى القربى و من بعدهم ، هكـــذا كان عمله صلى الله عليه و سلم [فى صفاياه ،

---

(١) راجع ٢/٧٢٥ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ساعة .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : هذه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لنصبه .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فيها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يحكم .
(٨) من ظ و م ، و فى الأصل : خمسة .

فلما توفى كانت إلى إمام المسلمين وكذا جميع ما ترك رسول الله صلى الله عليه و سلم -[١] لأنه قال : لانورث[٢]، ما تركناه صدقة ، فولى ذلك أبو بكر رضى الله عنه ثم عمر رضى الله عنه ، فكانا يفعلان [فيها -[١]] ما فعله رسول الله صلى الله عليه و سلم : و قال الأصبهانى رضى الله عنه أيضا عن مالك بن أوس بن الحدثان رضى الله عنه : قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه "انما الصدقت للفقراء" حتى بلغ "[٤]عليم حكيم[٤]" ثم قال : هذه لهؤلاء ثم قرأ ["واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه" الآية . ثم قال هذه لهؤلاء ، ثم قرا -[١]] "ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى" الآية حتى بلغ "الفقراء المهاجرين و الذين تبؤوا الدار و الإيمان و الذين جاؤا من بعدهم" ثم قال : استوعبت هذه المسلمين عامة فليس أحد إلا له فيها حق ، ثم قال : لئن عشت ليأتين الراعى نصيبه منها لم يعرق جبينه فيه - [٥]انتهى . و قال ابن عطية : ما أخذ النبى صلى عليه و سلم لبنى النضير و من فدك فهو خاص بالنبى صلى عليه و سلم ، و ليس على حكم الغنيمة التى يوجف عليها و يقاتل فيها . و مذهب الشافعى رضى الله عنه أن هذه الأموال التى هى فىء كبقية الفىء يقسم على [خمسة -[١]] أسهم : خمس[٦] منها للأصناف المذكورة أولها النبى صلى الله عليه و سلم و أربعة أخماسها له صلى الله عليه و سلم وحده ، و أجاب الشافعى عن قول عمر رضى الله عنه ،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الاصل : يورث (٣) زيد من ظ .
(٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : حكيم عليم (٥) ليس فى ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : خمسة .

" فكانت هذه لرسول الله صلى الله عليه و سلم خاصة " بانــه عام أريد به الخاص، و معناه: فكان ما بقى منها فى يد رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد إعطاء الخمس لأربابه خاصا به صلى الله عليه و سلم /، لايشك أحد فى خصوصيته به، ثم أنــه مع ذلك ما احتازه[1] دونهم بل كان يفعل ما ذكر فى الحديث من الإيثار، قال الشافعى رضى الله عنه: لأنا لا[2] نشك أن النبى صلى الله عليه و سلم أعطى الأصناف المذكورين فى الآية منها حقهم و قد عهدنا أن حق هؤلاء الأصناف من مال المشركين الخمس كما هو صريح فى سورة الأنفال، [3]و استفيد[3] من قول عمر رضى الله عنه " انها كانت للنبى صلى الله عليه و سلم" أنه كان له ما كان يشترك[4] فيه المسلمون [من الخمس من الغنيمة التى حصلت بما حصل للكفار من الرعب منهم، و الذى كان يشترك فيه المسلمون -[5]] بعد الخمس هو [6]أربعة الأخماس[6] و النبى صلى الله عليه و سلم قام مقام المسلمين فيه إذ هم[7] لم يوجفوا عليــه بخيل و لا ركاب. و إنما حصل ذلك بالرعب الذى القاه الله لرسوله صلى الله عليه و سلم فى قلوب المشركين. فكانت الأربعة الأخماس تختص بمن كان السبب فى حصول الجميع [كما فى الغنيمه، فعلى هذا الفىء الغنيمة لايختلفان فى أن الأربعة الأخماس تختص لمن كان السبب

/٢٧٠

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اختاره (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣-٣) من م، و فى الأصل و ظ: فاستفيد (٤) من ظ: و فى الأصل و م: شرك (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: الأربعة اخماس (٧) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٨) زيد من ظ.

فى

فى حصول الجميع -[1] و أن خمس المالين يكون للأصناف المذكورة[2]، و الذى كان له صلى الله عليه و سلم من الفىء من الأربعة الأخماس يكون بعد موته صلى الله عليه و سلم للمقاتلة لأنه حصل بالرعب الحاصل للكفار[3] منهم كأربعة أخماس الغنيمة التى حصلت بقتالهم.

و لما كانت قدرته سبحانه عامة بالتسليط و غيره، أظهر و لم يضمر ٥ فقال: ﴿و الله﴾ أى الملك الذى له الكمال كله ﴿على كل شىء﴾ أى [أى شىء -[4]] يصح أن تتعلق المشيئة به و هو كل ممكن من التسليط و غيره ﴿قدير﴾ أى بالغ القدرة إلى أقصى الغايات، و الآية تدل على أن إيجاف الخيل و الركاب و قصد العدو إلى الأماكن الشاسعة له وقع كبير فى النفوس و رعب[5] عظيم. ١٠

و لما نزع سبحانه أموالهم من أيدى الجيش، بين مصرف[6] غيرها مما كان مثلها بأن فتح له صلى الله عليه و سلم بغير قتال فقال مستأنفا جوابا لمن كأنه قال: هل يعم هذا[7] الحكم [8]كل فىء[8] يكون بعد بنى النضير[8]: ﴿ما أفاء الله﴾ أى الذى اختص بالعزة[9] و الحكمة و القدرة ﴿على رسوله﴾ و لما كان سبحانه محيط العلم بأنه يسلط على أهل وادى القرى و غيرهم ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من م، و فى الأصل و ظ: المذكورين (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بالرعب (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: وقع. (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ذلك (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: فى كل تكون معيد النصير - كذا (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بالعز.

أعظم من هذا التسليط ، قال ليكون علما من أعلام النبوة : ﴿ من اهل القرى ﴾ أى قرية بنى النضير و غيرها من وادى القرى و الصفراء و ينبع و ما هنالك من قرى العرب التى تسمى قرى[1] عربية ﴿ فلله ﴾ أى الملك الأعلى الذى الأمر كله بيده ﴿ و للرسول ﴾ لأنه أعظم خلقه ، فرتبته

٥ تلى رتبته ، و هذان يترا آى أنهما[2] قسمان و ليس كذلك ، هما قسم واحد ، و لكنه ذكر سبحانه نفسه المقدس تبركا ، فان كل أمر لايبدأ به فهو أجذم ، و تعظيما لرسوله صلى الله عليه و سلم إعلاما بأنه لاهوى له أصلا فى شىء من الدنيا ، و إنما رضاه[3] رضا مولاه ، خلقه القرآن الذى هو صفة الله [فهو -[4]] مظهره و مجلاه ، و سهمه[5] صلى الله عليه و سلم يصرف

٢٧١ / ١٠ بعده لمصالح المسلمين كالسلاح و الثغور و العلماء و القضاة / و الأئمة .

و لما أبان هذا الكلام لرسول الله صلى الله عليه و سلم من الفضل و العظمة ما لايدخل تحت الوصف ، أتبعه تعظيما آخر بتعظيم أقاربه لأجله ، و لذلك أعاد العامل فقال : ﴿ و لذى القربى ﴾ أى منه[6] لأن رتبتهم من بعد رتبته و هم بنو هاشم و بنو المطلب رهط إمامنا الشافعى

١٥ رضى الله عنه سواء فيه غنيهم و فقيرهم ؛ لأن أخذهم لذلك بالقرابة لابالحاجة كما هو مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه . و لما ذكر أهل الشرف ، أتبعه أهل الضعف جبرا لوهنهم فقال مقدما أضعفهم : ﴿ و اليتمى ﴾

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : قرية (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : انهم .
(٣) من م ، و فى الأصل و ظ : ارضاها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قسمه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : منهم .

[أى -[1]] الذين هم[2] أحق الناس بالعطف لأن مبنى الدين على التخلق بأخلاق الله التى من أجلها تقوية الضعيف و جبر الكسير[3] ﴿و المسكين﴾ [فانهم[6]] فى الضعف [على أثرهم -[4]] و دخل فيهم الفقراء فانه[5] إذا انفرد لفظ الفقير أو المساكين دخل كل منهما فى الآخر[6] ، و إنما يفرق إذا جمع بينهما ، و كذا الفىء و الغنيمة إذا أفردا[7] جاز أن يدخل كل فى الآخر ، و إذا جمعا فالفىء ما حصل بغير قتال و إيجاف خيل و ركاب ، و الغنيمة ما حصل بذلك ﴿و ابن السبيل لا﴾ و هم الغرباء لانقطاعهم عن أوطانهم و عشائرهم ، و قسمة الفىء على هذه الأصناف كما مضى أن يقسم خمسة أقسام : خمس منها[8] لرسول الله صلى الله عليه و سلم [و -[1]] من ذكر معه من المخلوقين و ذكر الله فيهم للتبرك ، لأن الأصناف المذكورة هى التى يعبر عنها باسمه سبحانه ، و الأربعة الأخماس خاصة له صلى الله عليه و سلم ينفق منها نفقة سنة و ما فضل عنه أنفقه فى مصالح المسلمين السلاح و [الكراع و -[4]] نحوه ، و ما كان له صلى الله عليه و سلم فى حياته فهو للصالح بعد وفاته ، كما كان يفعل بعد ما يفضل عن حاجته ، قال الشافعى رضى الله عنه [فى الأم -[9]] : و ما أخذ من مشرك

(١) زيد من ظ و م (٢) من م . و فى الأصل و ظ : هو (٣) زيد فى الأصل : ثم قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : فانهم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الآخرة (٧) من م ، و فى الأصل : افرد ، و فى ظ : انفردا (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : منه .
(٩) زيد من ظ ، و راجع كتاب الأم ٤ / ٦٤ .

بوجه من الوجوه غير ضيافة من [١]مر بهم[١] من المسلمين فهو على وجهين لا يخرج منهما[٢]، كلاهما مبين فى كتاب الله تعالى و [على -[٣]] سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و فى فعله فأحدهما الغنيمة، قال الله تعالى فى سورة الأنفال "و اعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه و للرسول" الآية[٤]،

٥ و الوجه الثانى الفىء، و هو مقسوم فى كتاب الله فى سورة الحشر، قال الله تبارك و تعالى "[٥]و ما[٥] افاء الله على رسوله منهم - إلى قوله: رؤف رحيم" فهذان المالان اللذان خولهما الله من جعلهما له من أهل دينه، و هذه[٦] أموال يقوم بها الولاة لا يسعهم تركها. فالغنيمة و الفىء تجتمعان فى أن فيهما معا الخمس من جميعهما لمن سماه الله تعالى، و من سماه الله

١٠ تعالى فى الآيتين [معا -[٧]] سواء مجتمعين غير مفترقين، ثم يفترق الحكم فى الأربعة الأخماس[٨] بما بين الله عز و جل على لسان نبيه صلى الله عليه و سلم و فى فعله فانه[٩] قسم أربعة أخماس الغنيمة، و الغنيمة هى الموجف عليها بالخيل و الركاب لمن حضر / من غنى و فقير، و الفىء و هو ما ٢٧٢/

لم يوجف عليه بخيل و لا ركاب، فكانت سنة النبى صلى الله عليه و سلم

١٥ فى [١٠]قرى عرينة[١٠] التى أفاءها الله عليه أن أربعة أخماسها لرسول الله صلى الله

(١-١) من ظ و م و الأم، و فى الأصل: قربهم (٢) من ظ و م و الأم، وفى الأصل: عنهما (٣) زيد من ظ و م والأم (٤) زيد فى الأصل وظ: انتهى، و لم تكن الزيادة فى م والأم فحذفناها (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: بما. (٦) من ظ و م و الأم، و فى الأصل: هذا (٧) زيد من م والأم (٨) من ظ و م والأم، وفى الأصل: اخماس (٩) من م والأم، وفى الأصل وظ: انه. (١٠-١٠) من ظ و م والأم، و فى الأصل: القرى العربية.

عليه

عليه و سلم خاصة دون المسلمين يضعه رسول الله صلى الله عليه و سلم حيث أراه[١] الله عز و جل ، ثم ذكر حديث عمر رضى الله عنه من رواية [مالك بن] أوس بن الحدثان رضى الله عنه فى خصام على و العباس رضى الله عنهما ، قال الشافعى[٢] : فأموال بنى النضير التى أفاء الله على رسوله صلى الله عليه و سلم التى ذكر عمر رضى الله عنه فيها ما بقى منها فى يد النبى صلى الله عليه ٥ و سلم[٣] بعد الخمس و بعد أشياء فرقها النبى صلى الله عليه و سلم منها بين رجال من المهاجرين لم يعط منها أنصاريا [إلا رجلين-[٤]] ذكرا فقرا و هذا مبين فى موضعه ، و فى هذا الحديث دلالة على[٥] أن عمر رضى الله عنه إنما حكى أن أبا بكر رضى الله عنه و هو أمضيا ما بقى من هذه الأموال التى كانت بيد رسول الله صلى الله عليه سلم على وجه ما رأيا رسول الله ١٠ صلى الله عليه و سلم يعمل به فيها ، و انهما[٦] لم يكن لهما مما [لم-[٧]] يوجف عليه المسلمون من الفىء ما كان لرسول صلى الله عليه و سلم و أنهما[٨] إنما كانا فيه أسوة للمسلمين ، و ذلك سيرتهما و سيرة من بعدهما ، و الأمر الذى لم يختلف فيه أحد من أهل العلم عندنا علمته[٩] و لم يزل يحفظ[١٠] من

(١) من ظ و م والأم ، و فى الأصل : اراد (٢) راجع الأم ٤/ ٦٤ (٣) زيد فى الأصل و ظ : ما بقى ، ولم تكن الزيادة فى م والأم فحذفناها (٤) زيد من ظ و م والأم (٥) من ظ و م والأم ، و فى الأصل : عن (٦) من ظ و م والأم ، و فى الاصل : وإنما (٧) زيد من م والأم (٨) من ظ و م والأم ، و فى الأصل : انها. (٩) من ظ و م والأم ، و فى الأصل : علمه (١٠) من ظ و م والأم ، و فى الأصل : يحفظه .

قولهم أنه ليس لأحد ما كان لرسول الله صلى الله عليه و سلم من صفى الغنيمة و لامن أربعة أخماس ما لم يوجف عليه منها، و قد مضى من كان [ينفق -[1]] عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم من أزواجه و غيرهن إن كان معهن، فلم أعلم أحدا من أهل [العلم -[1]] قال لورثتهم تلك [النفقة التى كانت لهم، و لاخلاف أن تجعل تلك النفقات حيث كان النبي صلى الله عليه و سلم يجعل فضول غلات تلك -[1]] الأموال فيما فيه صلاح الإسلام و أهله، قال الشافعي[2]: و الجزية من الفيء و سبيلها سبيل جميع ما أخذ مما أوجف من مال مشرك أن يخمس فيكون لمن[3] سمى الله عز و جل الخمس و أربعة أخماسه على ما سأبينه إن شاء الله تعالى، و كذلك كل ما أخذ من مشرك من [مال] غير إيجاف، و ذلك[4] مثل ما أخذ منه إذا اختلف فى بلاد المسلمين و مثل ما أخذ منه إذا مات و لا وارث له، و غير ذلك مما أخذ من ماله، و قد كان فى زمن النبي صلى الله عليه و سلم فىء من غير قرى عرينة، و ذلك مثل جزية أهل البحرين و هجر و غير ذلك فكان له أربعة أخماسها يمضيها حيث أراد الله[5] عز و جل و أوفى[6] خمسه من جعله الله له - انتهى.

و لما حكم[7] سبحانه هذا الحكم فى الفيء المخالف لما كانوا عليه فى

(١) زيد من ظ و م و الام (٢) راجع الأم ٤/٦٥ (٣) من ظ و م و الأم، و فى الأصل: من مال من (٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و الأم فحذفناها (٥) من ظ و م و الأم، و فى الأصل: اراد (٦) من ظ و م و الأم، و فى الأصل: زاد فى (٧) من ظ و م، و فى الأصل: احكم.

الجاهلية من [اختصاص -[1]] الأغنياء به[2]. بين علته المظهرة لعظمته سبحانه و حسن تدبيره و رحمته فقال معلقا بما علق به الجار: ﴿كي لا يكون﴾ أي الفيء الذي سيره الله سبحانه بقوته و ما خص به نبيه صلى الله عليه و سلم من قذف الرعب في قلوب أعدائه / و من حقه أن يعطاه الفقراء ﴿دولة﴾ / ٣٧٣
أي شيئا يتناوله أهل الغنى و الشرف على وجه القهر و الغلبة إثرة[3] جاهلية - ٥
هذا على قراءة الجماعة، و قرأ أبو جعفر و هشام عن ابن عامر[4] بالتأنيث من[5] "كان" التامة و "دولة" بالرفع على أنها فاعل ﴿بين الاغنياء منكم[6]﴾ يتداولونه بينهم فانهم كانوا يقولون: من عزيز، و منه قال الحسن: اتخذوا عباد الله خولا و مال الله دولا - يريد من غلب منهم أخذه[7] و استأثر به، و قيل: الضم اسم للتداول كالغرفة اسم لما[7] يغترف، و الفتح التداول. ١٠

و لما كان التقدير: فافعلوا[8] ما أمرتكم من قسمته لمن أمرت بهم، عطف عليه قوله: ﴿و ما﴾ أي و كل شيء ﴿اتكم﴾ اي أحضر إليكم و أمكنكم منه ﴿الرسول﴾ أي الكامل في الوسلية من هذا و غيره ﴿فخذوه ق﴾ أي وتقبلوه تقبل من حازه ﴿و ما نهكم عنه﴾ من جميع الأشياء ﴿فانتهوا ج﴾ لأنه لا ينطق عن الهوى و لا يقول و لا يفعل إلا ما ١٥ أمره به الله ربه، فمن قبل ذلك هانت "عليه الأمور[9]" كما ورد "القرآن صعب مستصعب على من تركه ميسر على من طلبه و تبعه" روى أن الآية

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ، و في الأصل و م: ثم (٣) من م، و في الاصل و ظ: اشده (٤) راجع نثر المرجان ٧ / ٢٧٤ (٥) من ظ و م، و في الاصل: ما (٦) من ظ و م، و في الأصل: احد (٧) من ظ، و في الأصل و م: ما. (٨) من ظ و م، و في الأصل: افعلوا (٩-٩) من ظ و م، و في الأصل: هذه الأمور عليه وغيرها.

نزلت فى ناس من الأنصار قالوا : لنا من هذه[1] القرى سهمنا[2] .

و لما كان الكف عما ألفته النفوس صعبا ، و لا سيما ما كان مع كونه تمتعا[3] بمال على وجه الرئاسة ، رهب من المخالفة فيه بقوله : ﴿ و اتقوا الله[4] ﴾ أى اجعلوا لكم بطاعة رسول الله صلى الله عليه و سلم وقاية من عذاب الملك الأعظم المحيط علما و قدرة ، و علل ذلك بقوله ، معظما له باعادة الجلالة مؤكدا لأن فعل[5] المخالف فعل المنكر : ﴿ ان الله ﴾ أى الذى له وحده الجلال و الإكرام على الإطلاق ﴿ شديد العقاب ﴾ أى العذاب الواقع بعد الذنب ، و من زعم ان شيئا مما فى هذه السورة نسخ بشىء مما فى سورة الأنفال فقد اخطأ ، لأن الأنفال نزلت فى بدر و [هى -] قبل هذه بمدة .

و لما نزع سبحانه أموال الفىء و ما كانت عليه فى الجاهلية ، و بين مصرف الفىء من القرى ، و تهدد فى المخالفة فى ذلك لصعوبته على النفوس ، فكان ذلك جديرا بالتقبل بعد أن أفهم أن أموال بنى النضير لمن سلطه عليهم وهو رسوله صلى الله عليه و سلم ، و كان من المعلوم من حاله صلى الله عليه و سلم الإيثار على نفسه و القناعة بما دون الكفاف ، بين المصرف فيها بعد كفايته صلى الله عليه و سلم لأن بيان ذلك هو المقصود الأعظم لكونه حاصلا حاضرا ، الموطأ له بأموال أهل القرى ، فقال مبدلا [من -] "لله

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : منهما .
(٣) من ظ و م ، و فى الاصل : متمتعا (٤) من ظ و م . و فى الأصل : الفعل .
(٥) زيد من ط و م .

و للرسول" و ما عطف عليهما لأن [1]من أعطى المهاجرين لهجرتهم و تجردهم من أموالهم و ديارهم فانما أعطاهم لوجه الله و وجه رسوله صلى الله عليه و سلم، و لا يكون بدلا من "ذى القربى" لئلا يختص بفقيرهم، أو يكون جوابا لمن كأنه[2] قال: قد سمعنا و أطعنا فلمن[3] / يكون ما سلط الله و رسوله صلى الله عليه و سلم من أموالهم؟ فقيل له: ﴿للفقرآء﴾ أى الذين كان الإنسان منهم يعصب الحجر على بطنه من الجوع و يتخذ الحفرة فى الشتاء لتقيه[4] البرد، ما له دثار[5] غيرها بعد أن كان له من الأموال ما يسعه و يفضل منه ما يصل به غيره، و إنما وصفهم بالفقر لأنهم كانوا عند نزولها[6] كذلك، ثم خصص بالوصف فقال: ﴿المهجرين﴾ و لما كانت الهجرة قد تطلق على من هجر أهل الكفر[7] من غير مفارقة[8] الوطن فقال: ﴿الذين اخرجوا﴾ و بناه للمفعول لأن المنكى الإخراج، لا كونه من مخرج معين ﴿من ديارهم﴾ و لما كان الإخراج هنا مضمنا معنى المنع، و اختير التعبير به [إشارة - [9]] إلى أن المال السترة للانسان لأنه ظرف له، قال: ﴿و اموالهم﴾.

/ ٢٧٤

(١) من ظ، و فى الأصل و م: لا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: كان. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فلن (٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل و ظ: زناد (٦) من ظ و م، و فى الأصل: نزول القرآن (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يسره. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: مصادفة (٩) زيد من ظ و م.

و لما كان طلب الدنيا من النقائص ، بين أنه إذا كان [١]من الله[١] لم يكن كذلك ، و أنه لا يكون قادحا فى الإخلاص ، و أن أمر بنى النضير إنما يسر [٢] تحقيقا لرجائهم فقال : ﴿ يبتغون ﴾ أى [أخرجوا -[٣]] حال كونهم يطلبون[٤] على وجه الاجتهاد . و بين انه لا يجب عليه شىء لأحد بقوله تعالى : ﴿ فضلا من الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له لأنه المختص بجميع صفات الكمال من الدنيا و الدين و الآخرة فيغنيهم بفضله عمن سواه ﴿ و رضوانا ﴾ يوفقهم لما [٥] يرضيه عنهم و لا يجعل[٦] رغبتهم فى العوض منه قادحا فى الإخلاص فيوصلهم إلى دار كرامته .

و لما وصفهم بتعليق بواطنهم به سبحانه و قطعها بالرضا بالإخراج عمن [و عما -[٣]] سواه ، [وصفهم -[٧]] ببذل ظواهرهم له فقال : ﴿ و ينصرون ﴾ [أى -[٧]] على سبيل التجديد فى كل وقت و الاستمرار ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم المجيد[٨] ﴿ و رسوله[٨] ﴾ الذى عظمته من عظمته بأنفسهم و أموالهم ليضمحل حزب الشيطان . و لما بان ما له بهم سبحانه من العناية[٩] ترقب السامع من مدحهم ما يليق بهذا الإخبار . فقال مستأنفا ما هو كالعلة لتخصيصهم : ﴿ أولئك ﴾ أى العالو الرتبة فى الأخلاق الفاضلة ﴿ هم ﴾

(١-١) من م ، و فى الأصل و ظ : لله (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يستر . (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : من النقائص ، بين انه اذا كان من - وهو تكرار فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بما (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لايحل (٧) زيد من م (٨) سقط من ظ و م (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : الغاية .

أى خاصة [١]لا غيرهم[١] ﴿الصدقون ج﴾ العريقون فى هذا الوصف لأن مهاجرتهم لما[٢] ذكر و تركهم لما وصف دل على كمال[٣] صدقهم فيما ادعوه من الإيمان بالله و رسوله صلى الله عليه و سلم حيث نابذوا من عاداهما[٤] و هو القريب الصافى نسبا و دارا و أولوا أولياءهما[٥] من كانوا و إن بعدت دارهم و شط مزارهم، و هذا يدل على أن مبنى الدين على إقامة البينات[٦] بالثبات عند الابتلاءات[٧] على أن العون قد[٨] يأتى على قدر البلاء لأن الله تعالى قد[٩] خص المهاجرين بما أذن فيه من أموال بنى النضير.

و لما مدح المهاجرين و أعطاهم فطابت نفوس الأنصار بذلك و كانوا فى كل حال معه صلى الله عليه و سلم / كالميت بين يدى الغاسل، مهما شاء فعل، و مهما أراد منهم صار إليه و وصل، أتبعه مدحهم جبرا لهم و شكرا لصنيعهم فقال عاطفا على مجموع القصة: ﴿و الذين تبوؤ﴾ اى جعلوا بغاية جهدهم ﴿الدار﴾ الكاملة فى الدور و هى التى أعدها الله فى الأزل للهجرة و هيأها للنصرة و جعلها دائرة على جميع البلدان محيطة بها غالبة عليها محل إقامتهم و ملابستهم و صحبتهم و ملازمتهم لكونها أهلا لأن يعود إليها من خرج منها فلا يهجرها[١٠] أصلا، فهى محل مناه و ليست

/ ٢٧٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من م، و فى الأصل و ظ: لم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: كما (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عادا الله و رسوله صلى الله عليه و سلم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اوليائها (٦) من م، و فى الأصل و ظ: البيان (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الابتلاء (٨) سقط من م (٩) سقط من ظ (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: فلا يهجر.

موضعا[1] يهاجر منه[2] لبركتها أو خيرها .

و لما كان المراد الإبلاغ فى مدحهم، قال مضمنا "تبوؤا" معنى لازم: ﴿و الايمان﴾ أى [و -[3]] لابسوه و صحبوه و خصوه بالصحبة و لزموه لزوما هو كلزوم المنزل الذى لاغنى لنازله عنه، و يجوز أن يكون [الإيمان -[4]] وصفا للدار باعادة العاطف للاشارة إلى[4] التمكن فى كل من الوصفين فيكون كأنه قيل: تبوؤا المدينة التى هى الدار و هى الإيمان لأنها محل تمكن الإيمان و انتشاره و ظهوره فى سائر البلدان، فلشدة ملابستها[5] [له -[4]] سميت به، و يجوز أن يكون المعنى: و محل الإيمان إشارة إلى أنهم ما أقاموا بها لأجل أن أموالهم بها بل محبة فى الإيمان علما منهم بأنه لايتم بدره، و يكمل شرفه و قدره، و تنشر أعلامه و يقوى ذكره إلا بها، ولولا ذلك لهجروها[6] و هاجروا إلى النبى صلى الله عليه و سلم فى أى مكان حله، فهو مدح لهم بأنهم متصفون بالهجرة بالقوة مع اتصافهم بالنصرة بالفعل[7] .

و لما كان انفرادهم باقامة الإيمان فى الدار المذكورة قبل قدوم المهاجرين عليهم مدحا تاما، قال مادحا لهم بذلك دالا باثبات الجار على أنهم لم يستغرقوا زمان القبل من حين إرسال الرسول صلى الله

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مواضعا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: منها. (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لهجروا (٧) من ظ و م، و فى الأصل: والفعل .

عليه

عليه و سلم بالأمرين[1] : ﴿ من قبلهم ﴾ أى قبل هجرة المهاجرين لأن وصفهم بالهجرة لم يكن إلا بعد إيجادها فالأنصار جمعوا التمكن فى الإيمان إلى التمكن فى الدار من قبل أن يجمع المهاجرون بينهما بالهجرة .

و لما ابتدأ ذكرهم هذا الابتداء الجليل ، أخبر عنهم بقوله : ﴿ يحبون ﴾ أى على سبيل التجديد و الاستمرار ، و قيل : العطف على المهاجرين ، و هذه[2] حال فيكون هذا حكما بالمشاركة ﴿ من هاجر ﴾ و زادهم محبة فيهم و عطفا عليهم بقوله : ﴿ اليهم ﴾ لأن القصد إلى الإنسان يوجب حقه عليه لأنه لولا كمال محبته له ما خصه بالقصد إليه ، و الدليل الشهودى على ما أخبر الله عنهم به من المحبة أنهم شاطروا المهاجرين فى أموالهم و عرضوا عليهم أن يشاطروهم نساءهم على شدة غيرتهم ، فأبى المهاجرون المشاطرة فى النساء و قبلوا منهم الأموال .

و لما أخبرهم بالمحبة و رغبهم فى إدامتها ، عطف على هذا الخبر ما هو من ثمراته فقال : ﴿ و لا يجدون ﴾ [أى -[3]] أصلا ﴿ فى صدورهم ﴾ التى هى مساكن / قلوبهم فتصدر منها أوامر[5] القلوب فضلا عن [أن -[4]] تنطق ألسنتهم . و لما كان المراد نفى الطلب منهم لما خص به المهاجرين ، و كان الحامل على طلب ذلك الحاجة ، و كان كل أحد[6] يكره أن ينسب

/ ٢٧٦

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بالامرهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : به عنهم (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : او من (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : واحد .

إلى الحاجة و إن أخبر بها عن نفسه فى وقت ما لغرض قال: ﴿حاجة﴾ موقعا اسم السبب على المسبب ﴿مما اوتوا﴾ أى المهاجرون من الفىء و غيره من أموال بنى النضير و غيرهم من اى مؤت كان فكيف إذا كان المؤتى هو الله و رسوله صلى الله عليه و سلم، و إذا لم يجدوا حاجة ٥ تدعوهم إلى الطلب فلأن لايجدوا حسدا و لاغيظا من باب الأولى، فهذه الآية من أعظم حاث على حسن الإخاء محذر من الحسد و الاستياء. و لما اخبر عن تخليهم عن الرذائل أتبعه الاخبار بتحليهم بالفضائل[1] فقال: ﴿و يؤثرون﴾ عظم ذلك بقصر الفعل فصار المعنى: يوقعون الإثرة و هى اختيار[2] الأشياء الحسنة لغيرهم تخصيصا لهم بها لاعلى أحبائهم مثلا ١٠ بل ﴿على[3] انفسهم﴾ فيبذلون لغيرهم [كانا -[3]] من كان ما فى أيديهم، و ذكر النفس دليل على [انهم فى -[3]] غاية النزاهة من الرذائل لأن النفس إذا طهرت كان القلب أطهر، و أكد ذلك بقوله: ﴿و لو كان﴾ أى كونا هو فى غاية المكنة ﴿بهم﴾ [4]أى خاصة لا بالمؤثر[4] ﴿خصاصة[5]﴾ أى فقر و خلل فى الأحوال و حاجة شديدة تحيط بهم من كل جانب، ١٥ من خصائص البناء و [هى -[3]] فرجه.

و لما كان التقدير: فمن كان كذلك فهو من الصادقين، عطف [عليه -[3]] قوله: ﴿و من﴾ و لما كان المقصود النزاهة عن الرذيلة من أى جهة كانت. و كان علاج الرذائل صعبا جدا، لا يطيقه الإنسان

(١) من ظ و م، و فى الأصل: على الفضائل (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الاختيار (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

إلا بمعونة من الله شديدة، بنى للمفعول[1] قوله: ﴿ يوق شح نفسه ﴾ أى يحصل بينه و بين أخلاقه الذميمة المشار إليها بالنفس وقاية تحول بينه و بينها، فلا يكون مانعا لما عنده، حريصا على ما [2]عند غيره[2] حسدا، قال ابن عمر رضى الله عنه: الشح أن تطمح عين الرجل فيما[3] ليس له، قال صلى الله عليه و سلم[4]: اتقوا الشح فانه أهلك من كان قبلكم، حملهم[5] على أن سفكوا دماءهم و استحلوا محارمهم.

و لما كان النظر [إلى -[6]] التطهير من سفساف الأخلاق عظيما، سبب عنه إفهاما لأنه[7] لايحصل ما سببه عنه بدونه قوله ﴿فاولئك﴾: أى العالو المنزلة ﴿هم﴾ أى خاصة لاغيرهم ﴿المفلحون ع ٥﴾ [أى -[8]] الكاملون فى الفوز بكل مراد، [قال القشيرى: و تجرد القلب من الأعراض و الأملاك صفة السادة -[6]] و الأكابر، و من أسرته[9] الأخطار و بقى فى شح نفسه فهو فى مصارفة معاملته و مطالبة الناس فى استيفاء حظه، فليس له من مذاقات هذه الطريقة شىء. و شرح الآية [أن -[6]] الأنصار كانوا لما قدم عليهم المهاجرون قسموا دورهم و أموالهم بينهم و بينهم، فلما أفاء الله على رسوله صلى الله عليه و سلم أموال بنى النضير خطب النبى صلى الله عليه و سلم فذكر ما صنعوا / بالمهاجرين من إنزالهم إياهم ٢٧٤ /

(١) من ظ، وفى الأصل وم: المفعول (٢-٢) من ظ وم، وفى الأصل: عنده.
(٣) من ظ و م، وفى الأصل: لما (٤) أخرجه مسلم فى الصحيح: أبواب البر.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: حملوا (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بانه (٨) زيد من ظ (٩) من ظ و م، و فى الأصل: سرته.

و إثرتهم على أنفسهم، ثم قال: ان احببتم[1] قسمت بينكم و بين المهاجرين ما أفاء الله علىّ من بنى النضير، و كان المهاجرون[2] على ما هم عليه من السكنى فى منازلكم و أموالكم، و إن أحببتم أعطيتهم و خرجوا من دياركم، فقال السعدان رضى الله عنهما: بل يقسم بين المهاجرين خاصة و يكونون ٥ فى دورنا[3] كما كانوا، و قالت الأنصار: رضينا و سلمنا، و فى رواية [أنهم -[4]] قالوا: اقسم فيهم[5] هذه خاصة و اقسم لهم[6] من أموالنا ما شئت، فنزلت[7]، و يؤثرون على أنفسهم» - الآية، و قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: اللهم ارحم الأنصار و أبناء الأنصار، و قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: جزاكم الله خيرا يا معشر الأنصار، فو الله ما مثلنا و مثلكم ١٠ إلا كما قال العنزي:

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا و لو أن أمنا تلاقى الذى يلقون منا لملت[8]

فهم لعمرى الحقيقون باسم إخوان الصفا، و خلان المروءة و الوفا، و الكرامة و الاصطفا، [9]و رضى الله عنهم و عن تابعيهم من الكرام الخلفا ١٥ و السادة الحنفا[9].

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: جيتم (٢) من ظ و م، و فى الاصل: المهاجرين (٣) من ظ، و فى الأصل و م: دونها (٤) زيد من ظ و م.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: منهم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بهم.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: فنزل (٨) زيد فى ظ: انتهى (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

و لما

و لما أثنى الله سبحانه و تعالى على المهاجرين و الأنصار رضى الله عنهم بما هم أهله، عقب[1] التابعين لهم باحسان ما يوجب لهم الثناء فقال عاطفا على المهاجرين فيقتضى التشريك[2] معهم، أو على أصل القصة من عطف الجمل: ﴿ و الذين جآؤ﴾ أى من أى طائفة كانوا[3]، [و لما كان المراد -[4]] المجىء ولو فى زمن يسير، أثبت الجار فقال: ﴿ من بعدهم﴾ ٥ أى بعد المهاجرين و الأنصار و هم من آمن بعد انقطاع الهجرة بالفتح و بعد إيمان الأنصار الذين أسلموا بعد[5] النبى صلى الله عليه و سلم إلى يوم القيامة، ثم ذكر الخبر أو الحال على [نحو -[6]] ما مضى فى الذى قبله فقال تعالى: ﴿ يقولون ﴾ أى على سبيل التجديد و الاستمرار تصديقا لإيمانهم بدعائهم لمن سنه لهم: ﴿ ربنا ﴾ أى [أيها -[6]] المحسن إلينا ١٠ بإيجاد من مهد الدين قبلنا. و لما كان الإنسان و إن اجتهد موضعا للنقصان قال ملقنا لنا: ﴿ اغفر ﴾ أى أوقع الستر [على -[6]] النقائص أعيانها و آثارها ﴿ لنا ﴾ و لما بدأوا بأنفسهم، ثنوا بمن كان السبب فى إيمانهم فقالوا: ﴿ و لاخواننا ﴾ أى فى الدين فانه أعظم أخوة، [7]و بينوا[7] العلة بقولهم: ﴿ الذين سبقونا بالايمان ﴾ و لما لقنهم[8] سبحانه حسن الخلافة ١٥ لمن مهد لهم ما هم فيه، أتبعه تلقين ما يعاشرون بـــه أعضادهم الذين هم

(١) من ظ، و فى الأصل: من، و الكلمة ساقطة من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: التشديد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: كان (٤) زيد من ظ.
(٥) فى ظ: مع (٦) زيد من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: ثم بنوا.
(٨) من ظ و م، و فى الأصل: لقبهم.

معهم على وجه يعم من قبلهم، فقال معلما بأن الأمر كله بيده حثا على الالتجاء إليه من أخطار النفس التى هى أعدى الأعداء[١]: ﴿ ولا تجعل ﴾ و أفهم قوله: ﴿ فى قلوبنا ﴾ أن[٢] رذائل النفس قل[٣] أن تنفك و أنها إن كانت مع صحة القلب أوشك أن [لا -[٤]] تؤثر ﴿ غلا ﴾ أى ضغنا[٥] / و[٦]حسدا و حقدا[٦] و هو [حرارة و -[٤]] غليان يوجب الانتقام[٧] ﴿ للذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان و إن كانوا فى أدنى درجاته. ٢٧٥ / ٥

و لما كان هذا دعاء جامعا للخير، لقنهم ما يجيبهم فى لزومه و التخلق به مع ما فيه من التملق للاله و التعريض له بقوة الرجاء فقال: ﴿ ربنا ﴾ أى أيها المحسن إلينا بتعليم ما لم نكن نعلم، و أكدوا إعلاما بأنهم يعتقدون ما يقولونه و إن ظهر من أفعالهم ما يقدح فى اعتقادهم و لو فى بعض الأوقات فقالوا: ﴿ انك رءوف ﴾ أى راحم أشد الرحمة لمن كانت له بك وصلة بفعل من أفعال الخير ﴿ رحيم ﴾ مكرم غاية الإكرام لمن أردته و لو لم يكن له وصلة، فأنت جدير بأن تجيبنا لأنا بين أن يكون لنا وصلة فنكون من أهل الرأفة، أولا فنكون من اهل الرحمة، فقد أفادت هذه الآية أن من كان فى قلبه غل على احد من الصحابة رضى الله عنهم ١٠ ١٥

(١) زيد فى الأصل و ظ: فقال، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اى (٣) من ظ و م، و فى الاصل: قبل (٤) زيد من ظ و م (٥) فى ظ: بغضا (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: حقدا و حدا. (٧) زيد فى الأصل: تقدير و لا تجعل شيئا من هذا الغل فى قلوبنا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

فليس ممن عنى الله بهذه الآية .

و لما دل على [انه - [1]] هذا الثناء[2] للصادقين فى الإيمان باقامة[3] السنة بالهجرة و الإيثار و الاجتهاد فى الدعاء لمن[4] تبين الإيمان فسهل به طريق الأمان ، فأخرج ذلك المنافقين و أفهم أنهم لا يفعلون ذلك لأنهم لارسوخ لهم فى الإيمان الحامل على ذلك ، دل على نفاقهم الموجب ٥ لكذبهم بقوله متمما للقصة مخاطبا لأعلى الخلق إشارة إلى أنه لايطلع على نفاقهم لما لهم فيه من دقة المكر حق الاطلاع غيره صلى الله عليه وسلم معجبا من حالهم[5] فى عدم رسوخهم مع ما يرون من المعجزات و الآيات البينات و يرون من حال المؤمنين من إسباغ الرحمة عليهم بتسهيل الأمور و النصرة على الجبابرة و الإعراض[6] عن الدنيا مع الإقبال ١٠ على الآخرة و الاجتهاد فى الدين [الذى - [7]] هو وحده داع إلى الإيمان و مرقق للقلوب و مبين للحقائق[8] غاية البيان : ﴿ الم تر ﴾ أى تعلم علما هو فى قوة[9] الجزم [به - [10]] كالمشاهد[11] يا أعلى الخلق ، و بين بعدهم عن جنابه العالى و منصبه الشريف الغالى بأداة الانتهاء[12] فقال تعالى :

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : النداء (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فى اقامة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لمن (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : حالهم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الا - كذا (٧) زيد من ظ (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : للحقوق (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : غلبة (١٠) زيد من م (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : كالمشاهدة (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الاستفهام .

﴿الى الذين نافقوا﴾ أى أظهروا غير ما أضمروا، أظهروا[1] الخير و بالغوا فى إخفاء عقائدهم بالشر مبالغة من ساجل[2] غيره، و هم عبد الله بن أبى و أصحابه، قالوا: و النفاق لفظ إسلامى لم تكن العرب تعرفه قبله، و هو استعارة من [3]فعل الضب[3] فى نافقائه و قاصعائه، و صور حالهم بقوله:
٥ ﴿يقولون لاخوانهم﴾ أى فى الموالاة بالضلالة[4].

و لما جمعهم فى الكفر و إن افترقوا فى المساترة و المجاهرة، وصف المجاهرين بنوع مسارة توجب النفرة منهم و تقضى بهلاك من صادقهم فقال: ﴿الذين كفروا﴾ أى غطوا أنوار المعارف التى دلتهم[5] على الحق، و عينهم بما أبلغ فى ذمهم [6]من حيث[6] أنهم ضلوا على علم فقال:
١٠ ﴿من اهل الكتب﴾ و هم بنو[7] النضير هؤلاء، و بكتهم بكذبهم فيما أكدوا الموعد به / لأنه فى حيز ما ينكر من جهة أنهم لايقدرون على المجاهرة بكفرهم فكيف بالمبارزة بالخلاف لقومهم الإنصار و النبى صلى الله عليه و سلم فيهم فى قولهم: ﴿لئن اخرجتم﴾ [أى -[8]] من مخرج ما من بلدهم الذى فى المدينة الشريفة فخرجتم من غير أن تقاتلوا
١٥ ﴿لنخرجن معكم﴾ فكان ما قضى به على إخوانهم من الإخراج فالا و كل بمنطقهم. /٢٧٩

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: سجل (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: لفظ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الضلال (٥) من ظ و م، و فى الأصل: دلت (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: بحيث (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بنى (٨) زيد من ظ و م.

و لما

و لما كان من المعلوم [أن للمنافقين أقارب من أكابر المؤمنين ، وكان من المعلوم -[1]] أنهم يقومون عليهم فى منعهم من القيام معهم نصيحة[2] لهم و إحسانا إليهم ، و كان تجويز بنى النضير موهنا لذلك[3] ، قالوا مؤكدين للكون معهم : ﴿ و لانطيع فيكم ﴾ اى فى خذلانكم ، و المعنى أنه لو فرض أنه صار أحد فى القرب منكم مثل قرب المظروف من الظرف ما أطعناه فى التقصير فيما يسركم ﴿ احدا ﴾ أى يسألنا خذلانكم من الرسول و المؤمنين ، و أكدوا بقولهم : ﴿ ابدا ﴾ أى ما دمنا نعيش ، و بمثل[4] هذا العزم استحق الكافر الخلود الأبدى فى العذاب .

و لما قدموا فى معونتهم ما كان فالا قاضيا عليهم ، أتبعوه قولهم : ﴿ و ان قوتلتم ﴾ أى من أى مقاتل[5] كان فقاتلتم و لم تخرجوا ﴿ لنتصرنكم[6] ﴾ فالآية من الاحتباك : ذكر الإخراج أولا دليلا على ضده ثانيا ، و القتال ثانيا دليلا على حذف ضده أولا ، و معنى الآية أن النبى صلى الله عليه و سلم أرسل إلى بنى النضير : اخرجوا من بلدى و لاتساكنونى ، قد هممتم بالغدر بى و قد أجلتكم عشرا ، فمن رئى بعد ذلك منكم ضربت عنقه ، فأرسل[5] إليهم ابن أبى بما تقدم .

و لما كان قولهم هذا كلاما يقضى عليه سامعه بالصدق من حيث

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فضيحة (٣) فى ظ : لهم .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مثل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قاتل .
(٦) زيد فى الأصل : لهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

كونه مؤكدا مع كونه متبدأ من غير سؤال فيه، بين حاله[1] سبحانه بقوله: ﴿ والله ﴾ أى يقولون ذلك [2]والحال[2] أن المحيط بكل شىء قدرة وعلما ﴿ يشهد ﴾ بما يعلم من بواطنهم فى عالم الغيب . ولما كان بعض من يسمع قولهم هذا ينكر أن لا يطابقه الواقع، وكان إخلافهم[3] فيه متحققا فى علم الله، أطلق عليه ما لا يطلق إلا على ما كشف الواقع عن أنه غير مطابق، فقال تشجيعا للمؤمنين على قتالهم مؤكدا: ﴿ انهم ﴾ أى المنافقون ﴿ لكذبون ﴾ وهذا من أعظم دلائل النبوة لأنه إخبار بمغيب بعيد عن العادة بشهادة ما ظننتم أن يخرجوا لحققه الله عن قريب[4] .

ولما كان الكذب فى قولهم هذا كونه إخبارا بما [لا ـ[5]] يكون، شرحه بقوله مؤكدا بأعظم من تأكيدهم: ﴿ لئن اخرجوا ﴾ أى بنو النضير من أى مخرج كان ﴿ لا يخرجون ﴾ أى المنافقون ﴿ معهم ﴾ أى حية [لهم ـ[6]] لأسباب يعلمها الله ﴿ ولئن قوتلوا ﴾ أى اليهود من أى مقاتل كان فكيف بأشجع الخلق وأعلمهم صلى الله عليه وسلم ﴿ لا ينصرونهم ﴾ أى المنافقون ولقد صدق الله وكذبوا فى الأمرين معا: القتال والإخراج، لا نصروهم ولا خرجوا / معهم، فكان ذلك من أعلام النبوة، وعلم به من كان شاكا فضلا عن الموقنين، صدق

٢٨٠ /

(١) من م، وفى الأصل وظ: حالهم (٢ ـ ٢) من ظ وم، وفى الأصل: فالحال (٣) من ظ وم، وفى الأصل: من اخلاقهم (٤) من ظ، وفى الأصل وم: قرب (٥) زيد من م (٦) زيد من ظ وم.

الكلام على ما لم يكن و لا ليكون لو كان كيف [١] كان يكون [١] بصدق الكلام على ما لم يكن و يكون كيف يكون إذا كان فى [٢] قوله تعالى: ﴿ و لئن نصروهم ﴾ أى المنافقون فى وقت من الأوقات ﴿ ليولن ﴾ أى المنافقون و من ينصرونه [٣]، و حقرهم بقوله: ﴿ الادبار ﴾ ، و لما كان من عادة العرب الكر بعد الفر، بين أنهم لا كرة [٤] لهم بعد هذه الفرة [٥] و إن طال المدى فقال: ﴿ ثم لا ينصرون ﴾ أى لا يتجدد لفريقيهم [٦] و لا لواحد منهما نصرة فى وقت من الأوقات، و قد صدق سبحانه لم يزل المنافقون و اليهود فى الذل و لا يزالون .

و لما كان ربما قيل: إن تركهم لنصرهم إنما هو لخوف الله أو غير ذلك مما يحسن وقعه [٧]، علل بما ينفى ذلك و يظهر أن محط نظرهم المحسوسات كالبهائم فقال مؤكدا له لأجل أن أهل النفاق ينكرون ذلك و كذا من قرب حاله منهم: ﴿ لأنتم ﴾ أيها المؤمنون ﴿ اشد رهبة ﴾ أى من جهة الرهبة و هو تمييز محول عن المبتدأ أى لرهبتكم الكائنة فيهم [٨] أشد و أعظم [٩] ﴿ فى صدورهم ﴾ أى اليهود و من ينصرهم [١٠] مما أفاض [١١] إليها من قلوبهم

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل: يكون كان (٢) من ظ و م ، و فى الأصل: قلنا (٣) من م ، و فى الأصل و ظ: ينصرونهم (٤) من ظ و م ، و فى الأصل: كثرة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل: الفرقة (٦) من ظ و م ، و فى الأصل: لفرقتهم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل: وقفة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: فيكم (٩) فى ظ و م: اعظمها (١٠) فى ظ: ينصرونهم (١١) من م ، و فى الأصل و ظ: اقاص .

﴿من الله﴾ أى من رهبتهم التى يظهرونها لكم منه و إن ذكروه بكل صفة من صفاته فرهبتهم منكم سبب لإظهارهم أنهم يرهبون الله رياء لكم.

و لما كان هذا مما يتعجب منه المؤمن علله بقوله: ﴿ذلك﴾ اى الأمر الغريب و هو خوفهم الثابت اللازم من مخلوق مثلهم ضعيف ٥ يزينهم له و عدم خوفهم من الخالق على ما له من العظمة فى ذاته و لكونه غنيا عنهم ﴿بانهم قوم﴾ [أى -[٩]] على ما لهم من القوة ﴿لا يفقهون﴾ أى لا يتجدد لهم بسبب كفرهم و اعتمادهم على مكرهم فى وقت من الأوقات فهم يشرح صدورهم ليدركوا به أن الله هو الذى ينبغى أن يخشى لاغيره، بل هم كالحيوانات لا نظر لهم إلى الغيب إنما هم ١٠ مع المحسوسات، و الفقه هو العلم بمفهوم الكلام ظاهره الجلى و غامضه الخفى بسرعة فطنة و جودة قريحة.

و لما أخبر برهبتهم دل عليها بقوله: ﴿لا يقاتلونكم﴾ أى كل من الفريقين اليهود و المنافقين أو أحدهما. و لما كان الشيء قد يطلق و يراد بعضه، حقق الأمر بقوله: ﴿جميعا﴾ أى [٢]قتالا يقصدونه مجاهرة ١٥ و [هم -[١]] مجتمعون كلهم فى وقت من الأوقات و مكان من الأماكن ﴿الا فى قرى محصنة﴾ أى ممنعة[٣] بحفظ الدروب و هى السكك الواسعة بالأبواب و الخنادق و نحوها ﴿او من وراء جدر[١]﴾ أى محيط بهم سواء كان بقرية أو غيرها لشدة خوفهم، و قد أخرج بهذا ما حصل من بعضهم[٤]

(١) زيد من م (٢) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ وم فحذفناها.
(٣) من ظ، و فى الأصل وم: ممتنعه (٤) من ظ وم، و فى الأصل: لبعضهم.

عن ضرورة كاليسير ، و من كان ينزل[1] من أهل خيبر من الحصن يبارز و نحو ذلك ، فانه لم يكن عن اجتماع ، أو يكون هذا خاصا ببنى النضير فى هذه الكرة[2] .

و لما كان ربما ظن أن هذا عن عجز منهم لازم لهم دفعه[3] بقوله إعلاما بانه إنما هو من معجزات هذا الدين[4]: ﴿ باسهم ﴾ أى قوتهم[5] ما فيهم من الصفات التى يتأثر عنها[6] العذاب ﴿ بينهم شديد ﴾ أى إذا أداروا[7] رأيا أو حارب بعضهم بعضا فجرأ المؤمنين عليهم[8] بأن ما ينظرونه من[8] شدتهم و شجاعتهم إذا حاربوا المشركين [9]لا يكر[9] عند محاربة[10] المؤمنين كرامة[11] أكرم الله بها المؤمنين تتضمن علما من أعلام النبوة [12]تقوية لإيمانهم[12] و إعلاء لشأنهم .

و لما كانت علة الشدة الاجتماع ، شرح حالتى الشدة و الرهبة بقوله مخاطبا للنبى صلى الله عليه و سلم إشارة إلى شدة ما يظهرون[13] من ألف

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يترك (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : الكثرة.
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فقيد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : النبى .
(٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : شدتهم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فيها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ارادوا (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : دل مايشير اوله على (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من ظ (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : المحاربة (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : كم النعمة (١٢-١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لتقوية دايمافيهم (١٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يغرمون .

بعضهم لبعض: ﴿ تحسبهم ﴾ أى اليهود و المنافقين يا أعلى الخلق و يا أيها الناظر من كان لذلك التعاطف[1] الظاهر ﴿ جميعا ﴾ لما هم فيه من اجتماع [الدفاع -[2]] و عن ذلك نشأت الشدة ﴿ و قلوبهم شتى ﴾ أى مفترقة أشد افتراق، و عن ذلك نشأت الرهبة، و موجب هذا الشتات[3] اختلاف الأهواء[3] التي لاجامع لها من نظام[4] العقل كالبهائم و إن اجتمعوا فى عداوة أهل الحق كاجتماع[5] البهائم فى الهرب من الذئب، قال القشيرى: اجتماع النفوس مع تنافر[6] القلوب و اختلافها أصل كل فساد [و -[2]] موجب كل تخاذل، و مقتض لتجاسر[7] العدو، و اتفاق القلوب[8] و الاشتراك[8] فى الهمة و التساوى فى القصد[9] يوجب كل ظفر[10] و كل سعادة[11].

و لما كان السبب الأعظم فى الافتراق ضعف العقل، قال معللا: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر الغريب من الافتراق بعد[12] الاتفاق الذى يخيل[13] الاجتماع ﴿ بانهم قوم ﴾ أى مع شدتهم[14] ﴿ لا يعقلون ﴾ فلا دين لهم

(١) من ظ و م، و فى الأصل: متطف (٢) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: يختلاف الأصل (٤) من ظ و م، و فى الأصل: النظام. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فاجتماع (٦) من ظ و م، و فى الأصل: تنافرت (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لتحاير (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: بل اشتراك (٩) من ظ و م، و فى الأصل: العصمة (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: الظفر (١١) من ظ و م، و فى الأصل: السعادة. (١٢) من ظ و م، و فى الأصل: بعده (١٣) من ظ و م، و فى الأصل: يخل. (١٤) زيد فى الأصل: و فوتهم بمحق إن كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

يجمعهم[1] لعلمهم أنهم على الباطل فهم[2] أسرى الأهوية، و الأهوية فى غاية الاختلاف، فالعقل مدار الاجتماع كما[3] كان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين فى زمن النبى صلى الله عليه و سلم [4]كما أن[4] الهوى مدار الاختلاف.

و لما كان الإخبار بعدم عقلهم دعوى دل عليها [5]بأمر مشاهد[5] فقال: ﴿ كمثل ﴾ أى قصتهم فى عدم فقههم بل عقلهم الذى نشأ عنه إخراجهم هذا و ما[6] سيه من مكرهم و غدرهم[7] و اعتمادهم على ابن أبى و من معه من المنافقين كمثل قصة ﴿الذين من قبلهم﴾ و لما كان إدخال الجار مع دلالته على عدم استغراق زمان القبل يدل على قرب الزمن[8]، صرح به فقال: ﴿ قريبا ﴾ و هم كما قال ابن عباس رضى الله عنهما بنو قينقاع من أهل دينهم اليهود أظهروا بأسا شديدا عند ما قصدهم النبى صلى الله عليه و سلم غزوة بدر فوعظم و حذرهم بأس[9] الله فقالوا: لا يغرنك[10] يا محمد أنك لقيت قوما[11] أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم، و أما و الله لو قاتلتنا[12] لعلمت أنا نحن الناس، ثم مكروا بامرأة من المسلمين فأرادوها

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بجيعهم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فهو.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: كمال.
(٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: باشد شدهد (٦) من ظ و م، و فى الأصل: كما (٧) من ظ و م، و فى الأصل: عدادهم (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الذين (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بامر (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: لا نعرفك (١١) من ظ و م، و فى الأصل: اقواما (١٢) من ظ و م و فى الأصل: قاتله.

/٢٨٢ على كشف وجهها / فأبت فعقدوا طرف ثوبها من تحت خمارها، فلما قامت انكشفت سوأتها[1] فصاحت فغار لها شخص من الصحابة رضي الله عنهم فقتل اليهودي الذي عقد ثوبها فقتلوه، فانتقض عهدهم، فأنزل النبي صلى الله عليه و سلم بساحتهم جنود الله فأذلهم[2] الله و نزلوا من حصنهم على حكمه صلى الله عليه و سلم و قد كانوا حلفاء[3] ابن أبي، و لم يغن عنهم شيئا غير أنه سأل النبي صلى الله عليه و سلم [فيه-[4]] أن لا يقتلهم و ألح عليه حتى كف عن قتلهم فذهبوا عن المدينة الشريفة بأنفسهم من غير حشر لهم بالإلزام بالجلاء.

و لما كان كأنه قيل: ما [كان-[4]] خبرهم؟ قال: ﴿ذاقوا وبال﴾ أي وخامة و سوء عاقبة ﴿امرهم ج﴾ [في الدنيا-[5]] و هو كفرهم و عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه و سلم و حزبه الذين [هم حزب-[5]] الله، و سماه أمرا لأنه مما ائتمروا فيه ﴿و لهم﴾ أي في الآخرة ﴿عذاب اليم ج﴾ أي شديد الإيلام.

و لما شبه سبحانه امرهم في [6]طاعتهم لابن[6] أبي و من معه و هم البعداء المحترقون بسبب إبعاد المؤمنين لهم بابعاد الله و احتراق أكبادهم لذلك[7] مع ما أعد[8] لهم في الآخرة بأمر بني قينقاع، شبه قصة الكل بقصة

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: سواقيها (٢) من ظ و م، و في الأصل: فادلهم (٣) من ظ و م، و في الأصل: خلف (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد من م (٦-٦) من ظ و م، و في الأصل: ضمهم في ابن (٧) من ظ و م، و في الأصل: بذلك (٩) زيد في الأصل: الله، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

الشيطان [و ـ[1]] من أطاعه من الإنس و الجن[2]، فقال مبينا لمعنى ما حط[3] عليه آخر الكلام: ﴿ كمثل ﴾ أى مثل الكل[4] الواجدين بالنصر و المغترين بوعدهم مع علمهم بأن الله كتب فى الذكر "لاغلبن أنا و رسلى" فى إخلافهم الوعد و إسلامهم إياهم عند ما حق الأمر يشبه مثل[5] ﴿ الشيطن ﴾ أى البعيد من كل خير لبعده من الله المحترق بعذابه، و الشيطان هنا مثل المنافقين ﴿ اذ قال للانسان ﴾ أى كل من فيه نوس و اضطراب و هو هنا مثل اليهود: ﴿ اكفر ﴾ أى بالله بما [زين ـ[6]] له و وسوس إليه من اتباع الشهوات القائم مقام الأمر.

و لما كان الإنسان بما يساعد تزيين الشيطان عليه من شهواته و حظوظه و أخلاقه يطيع أمره غالبا قال: ﴿ فلما كفر ﴾ أى[6] أوجد الكفر على أى وجه كان، و دلت الفاء على إسراعه فى متابعة تزيينه ﴿ قال ﴾ أى الشيطان الذى هو هنا عبارة عن المنافقين مؤكدا لما لمن تعلق بمن أكد له الوعد بشىء من صادق الاعتماد عليه و التكذيب بأنه[7] يخذله: ﴿ انى برىء منك ﴾ أى ليس بينى و بينك علاقة فى شىء[8] أصلا ظنا منه أن هذه البراءة تنفعه شيئا [9]مما استوجبه[9] المأمور بقبوله لأمره، و ذلك

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الجان (٣) من ظ و م، و فى الأصل: حد (٤) زيد فى الأصل اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: من (٦) زيد فى الأصل و م: الانسان، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الاصل: بان (٨) زيد فى الأصل: منه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م، و فى الأصل: لما يستوجبه.

كناية [عن -[1]] أنه فعل معه من الإعراض عنه و التمادى فى كل ما يدل على إهماله فعل من أكد البراءة منه، و ذلك كما فعل المنافقون باليهود[2] جرأوهم على أمر ينهى و هو الإقامة فى بلدهم، فلما نصبوا الحرب طمعا فى نصرهم فعل المنافقون بتباطؤهم عنهم فعل المتبرئ منهم[3] فكان ٥ ذلك أشد عليهم مما لم يطمعوهم فى نصرهم لأن هذا بمنزله انهزامهم[4] عنهم من الصف الموجب لانهزامهم / لامحالة، ثم علل البراءة بقوله: ٢٨٣ / ﴿انى اخاف الله﴾ أي الملك[5] الذى لا أمر لأحد معه فلا تطاق صولته، ثم شرح ذلك بقوله: ﴿ رب العلمين ﴾ أى الذى أوجدهم من العدم و رباهم بما يدل [على -[6]] جميع الأسماء الحسنى و الصفات العلى، فلا ١٠ يغنى أحد من خلقه عن أحد شيئا إلا باذنه و [هو -[6]] لايغفر أصلا لمن يقدح[7] فى ربوبيته و لاسيما إن نسبها إلى غيره، و كان هذا كمثل ما يجد الإنسان بعد الوقوع فى المعصية من الندم و الحيرة، فاذا وجد ذلك و هم بالتوبة زين له المعصية و صعب عليه أمر التوبة و عسره وجرأه على المعصيته بعينها أو على ما هو أكبر منها، و لايزال كذلك حتى يتعذر ١٥ عليه الرجوع فيتحقق هلاكه و هلاك من أوقعه، فلذلك سبب عنه قوله: ﴿ فكان ﴾ و لما كان تقديم الشيء على محله موجبا لروعة تنبه الإنسان للتفتيش[8] عن السبب و التشويق إلى المؤخر قال: ﴿ عاقبتهما ﴾ مقدما

(١) زيد من ظ و م (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عنهم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اعتزالهم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الامر (٦) زيد من م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: قدح (٨) من ظ و م، و فى الأصل: للتنفير.

لخبر «كان» ﴿ انهما ﴾ أى الغار[1] و المغرور ﴿ فى النار ﴾ حال كونهما ﴿خلدين فيها[1] ﴾ لأنهما ظلما [ظلما -[2]] لا فلاح معه . و لما كان ذلك قد يحمل على أنه [فى -[3]] الإنسان بعينه ، قال معلقا بالوصف[4] ، تعميما و زجرا عنه : ﴿و ذلك﴾ أى العذاب الأكبر ﴿جزآؤا[5] الظلمين﴾ أي كل [من -[2]] وضع العبادة فى غير محلها . ٥

و لما أبلغ سبحانه فى المواعظ فى هذه السورة قولا و فعلا ، وكانت الإيقاعات المذكورة فيها مسببة عن الخيانات ممن كان له عهد فنقضه ، أو ممن كان أظهر الإيمان فأبان فعله كذبه ، قال سبحانه و تعالى استئناجا عن ذلك [6]وعظا للمؤمنين لأن الوعظ بعد المصائب أوقع فى النفس و اعظم فى ترقيق القلب و تحذيره مما يوجب العقوبة : ﴿ يآايها الذين ءامنوا ﴾ ١٠ مناديا لهم نداء[7] البعد معبرا بأدنى أسنان الإيمان لأنه عقب ذكر من اقر بلسانه فقط ﴿ اتقوا الله ﴾ اى اجعلوا لكم وقاية تقيكم سخط الملك الأعظم الذى لا أمر لأحد معه و لا بد[8] أن يستعرض عبيده ، فاحذروا عقوبته بسبب التقصير فيما حده لكم من أمر أو نهى ﴿و لتنظر نفس﴾ أى كل نفس تنظر إلى نفاستها و تزيد العلو على أقرانها ، و لعله وحدها ١٥ للاشارة مع إفادة التعميم إلى[9] قلة الممتثل لهذا الأمر جدا ﴿ما قدمت ﴾

(١) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بالعطف (٥) ليس فى الاصل فقط (٦) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها . (٧) من ظ وم ، و فى الأصل : حدا (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد . (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : او .

أى من الزاد الذى يكون به صلاح المنزل الذى من لم يسع فى إصلاحه لم يكن له راحة ، هل يرضى الملك ما قدمته فينجيها أو [١]يغضبه فيرديها[١] .

و لما كان الأجل مبهم الوقت ، فكان لقاء الله فى كل يوم بل كل لحظة للعاقل مترقبا لكونه ممكنا [مع كونه -[٢]] على الإطلاق [محققا -[٢]] لايجهله أحد ، قال مشيرا بتنكيره و إبهامه إلى تهويله و إعظامه : ﴿لغد﴾ أى لأجل العرض بعد الموت أو فى يوم القيامة الذى هو فى غاية القرب لأن هذه الدنيا كلها / يوم واحد يجىء فيه ناس و يذهب آخرون ، و الموت أو الآخرة غده ، لابد [من -[٣]] كل منهما ، و كل ما لابد منه فهو فى غاية القرب لاسيما إن كان باقيا غير منقض ، و كل من نظر لغده أحسن مراعاة يومه ، و تنوينه[٤] للتعظيم من جهات [لا تحصى -[٣]] .

/ ٢٨٤

و لما أمر بتقواه سبحانه خوفا من سطوته أمر بتقواه لأجل مراقبته حياء من جلالته و هيبته تأكيدا للأمر لأن مدار النجاة على التقوى لأن مكايد الشيطان دقيقة ، فمن لم يبالغ فى محاسبة نفسه و تفقد[٥] ما يمكن أن يكون من الخلل فى أعماله أوشك أن يحبط [الشيطان -[٣]] أعماله فقال تعالى : ﴿و اتقوا الله[٦]﴾ أى الجامع لجميع صفات الكمال [٦]أى اتقوه[٦] حياء منه ، فالتقوى الأولى لإيجاد صور الأعمال ، و هذه لتصفيتها و تزكية أرواحها ، و لذلك علل بقوله

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : يعقبه فيزدريها (٢) زيد من م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بنويه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يفقد (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

مرغبا مرهبا : ﴿ان الله﴾ اى الذى له الأسماء الحسنى و الصفات العلى[1] ﴿خبير﴾ أى عظيم الاطلاع على ظواهركم و بواطنكم و الإحاطة ﴿بما تعملون﴾ فلا تعملون عملا إلا كان بمرأى منه و مسمع فاستحيوا منه ، و لرر الاسم الأعظم كراهية أن [2]يظن تقييد[2] التقوى بحيثية من الحيثيات تعظيما لهذا المقام إعلاما بأن شؤنه لا تنحصر[3] و أن إحاطته لا تخص مقاما دون مقام و لا شأنا سوى[4] شان

و لما هز إلى تقواه تارة بالخوف و أخرى[5] بالحياء تأكيدا لها ، و علل ذلك بما له شعبة [من التحذير - [6]] ، و كان الإنسان لما له من النسيان أحوج إلى التحذير ، قال مؤكدا لشعبته و إيضاحا لأن التقوى الثانية[7] لمحاسبة النفس فى تصفية العمل : ﴿ و لا تكونوا﴾ أيها[8] المحتاجون إلى التحذير و هم الذين آمنوا[9] ﴿كالذين نسوا الله﴾ [أى - [6]] أعرضو عن أوامره و نواهيه و تركوها ترك الناسين لمن برزت عنه مع ما له من صفات الجلال و الإكرام لما استغواهم به من أمره الشيطان حتى أبعدهم جدا عن العمران ﴿ فانسهم﴾ أى فتسبب عن ذلك أنه أنساهم بما له من

(١) زيد فى الأصل : سبحانه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يفيد (٣) زيد فى الأصل : ولا تدخل تحت حصر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : دون. (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تارة (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد فى الأصل : هى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : اى. (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : جبلتهم نسيان التقوى .

الإحاطة بالظواهر و البواطن ﴿انفسهم[٤]﴾ فلم يقدموا لها ما ينفعها و إن قدموا شيئا كان مشوبا بالمفسدات [١]من الرياء[١] و العجب، فكانوا ممن قال فيه سبحانه و تعالى " وجوه يومئذ خاشعة عاملة [٢]ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين [آنية[٢]]" لأنهم لم يدعوا بابا من أبواب الفسق فان رأس الفسق الجهل بالله، و رأس العلم و مفتاح الحكمة معرفة النفس، فأعرف[٣] الناس بنفسه[٤] أعرفهم بربه[٥] "[٦]من عرف نفسه فقد عرف ربه[٦]" .

و لما كانت ثمرة ذلك أنهم أضاعوها - [١]أى التقوى[١] - فهلكوا قال: ﴿اولئك﴾ اى البعيدون من كل خير ﴿هم﴾ أى خاصة[١]دون غيرهم[٦] ﴿الفسقون﴾ اى العريقون [٧]فى المروق[٧] من دائرة الدين .

ولما تم الدليل على أن حزب الله هم المفلحون لما أيدهم به فى[٨] هذه الحياة الدنيا من النصر و الشدة على الأعداء و اللين و المعاضدة للأولياء و سائر الأفعال الموصلة إلى / جنة المأوى، و صرح فى آخر الدليل بخسران حزب الشيطان فعلم أن [٦]لهم مع[٦] هذا الهوان عذاب النيران، وكان المغرور بعد هذا بالدنيا الغافل عن الآخرة لأجل شهوات فانية و حظوظ زائلة عاملا عمل من يعتقد أنه لافرق [بين -[٩]] الشقى بالنار

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: بالرياء (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ، و فى م: الآية (٣) فى ظ: فان اعرف (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بربه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بنفسه (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: من المروقة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: من (٩) زيد من ظ و م.

و السعيد بالجنة لتجشمه التجرع لمرارات الأعمال المشتملة عليها، أشبع ذلك قوله منزلا لهم منزلة الجازم بذلك أو الغافل عنه تنبيها لهم على غلطتهم و إيقاظا من غفلتهم؛ ﴿لا يستوى﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿أصحب النار﴾ التى هى محل الشقاء الأعظم ﴿و أصحب الجنة﴾ التى هى دار النعيم الأكبر لا فى الدنيا و لا فى الآخرة و هى من أدلة أنه لا يقتل مسلم بكافر. ٥

و لما كان نفى الاستواء غير معلم فى حد ذاته بالأعلى من الأمرين، وكان هذا السياق معلما بما حفه من القرائن بعلو أهل الجنة، صرح به فى قوله: ﴿أصحب الجنة هم﴾ أى[1] خاصة ﴿الفآئزون﴾ المدركون[2] لكل محبوب الناجون من كل مكروه، و أصحاب النار هم الهالكون فى الدارين كما وقع فى هذه الغزوة لفريق المؤمنين و بنى النضير و من والاهم من ١٠ المنافقين، فشتان ما بينهما.

و لما كان قد مر فى هذه السورة فضلا عما تقدمها من حكمة هذا القرآن و إعجازه تارة بمطابقته لما نزل بسببه مطابقة تجلو عنه كل إشكال، و تارة بما يشاهد من صدقه فيما أخبر[3] باتيانه من الأفعال، و أخرى بما يتحدى به من الأقوال، و مرة بنظم كل جملة مع ما[4] تقدمها على ما لم يمكن ١٥ لبشر[5] مثله فى الأحوال إلى غير ذلك من أمور لا يحصرها المقال، ترتب على ذلك قوله مبينا أن سبب افتراق[6] الفريقين فى العقبى افتراقهم فى

(١) و لم فى الأصل قبل «هم» و الترتيب من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: المذكورون (٣) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بما (٥) من م، و فى الأصل و ظ: السر (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اقتران.

هذا القرآن [فى الأولى - [1]] تمثيلا [2] للقلوب فى قسوتها أو ليها عند سماع القرآن و تخييلا ، توبيخا للقاسى و مدحا للعاطف اللين ، لافتا القول إلى أسلوب العظمة لاقتضاء الحال لها : ﴿ لو انزلنا ﴾ بعظمتنا التى أبانها هذا الإنزال ﴿ هذا القرآن ﴾ الى الجامع لجميع العلوم ، الفارق بين كل ملتبس ، المبين لجميع الحكم [3] ﴿ على جبل ﴾ أى أى [4] جبل كان ﴿ لرأيته ﴾ [5] مع صلابته و قوته [6] لأشرف الخلق [إن لم يتأهل غيرك لمثل تلك الرؤية - [1]] ﴿ خاشعا ﴾ أى مطمئنا مجتبا على صلابته متذللا باكيا ﴿ متصدعا ﴾ أى متشققا غاية التشقق كما تصدع [7] الطور لتجلينا له بما دون ذلك من العظمة التى جلونا كلامنا الشريف لموسى عليه السلام فى ملابسها ﴿ من خشية الله [1] ﴾ أى من الخوف العظيم ممن له الكمال كله حذرا من أن لا يكون مؤديا ما افترض عليه من تعظيم القرآن عند سماعه فما لابن آدم و قد آتاه الله [2] من العقل ما لم يؤت الجبل يستخف بحقه ، و يعرض عما فيه من العبر ، و فى الآية مدح / للنبى صلى الله عليه و سلم فى ثباته [8] لما لا تثبت [8] له الجبال ، و ذم للمعرضين بسونهم أقسى من الجبال .

٢٨٦ /

و لما كان التقدير تبكيتا و توبيخا لمن لم يرق للقرآن " افلم يان

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بمنكم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الاحكام (٤) سقط من م (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تدع - كذا (٧) سقط من م (٨-٨) من م ، و فى الأصل و ظ : مما لم تثبت .

للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله و ما نزل من الحق" فانا قد فصلنا لهم الحلال و الحرام و الأمر و النهي و أوضحنا الحكم و دللنا على المتشابه و قصصنا الأقاصيص بعد جعلهم عقلاء ناطقين ، فتلك أقاصيص الماضين[1] لعلهم يعتبرون . عطف عليه قوله: ﴿ و تلك الامثال ﴾ أي التي لا يضاد فيها شيء ﴿ نضربها للناس ﴾ أي الذين يحتاجونها و هم من فيهم تذبذب و إضطراب ﴿ لعلهم يتفكرون ﴾ أي لتكون حالهم عند من ينظرهم حال من يرجى تفكره في تلك الأمثال فينفعه ذلك إذا أداه[2] التفكر إلى التذكر فرأى تنبيه الرسول الله صلى الله عليه و سلم [له -[3]] أن كل ما في القرآن من شيء ففيه [مشاهد -[3]] منه فتطابق له كتاب الخلق و[4] كتاب الأمر فتخلى عن الشهوات البهيمية فنجا من الحظوظ النفسية فتحلى بالملابس الروحانية فصار بالمجاهدات و المنازلات[5] إلى الصفات الملكية فكان أهلا للمقامات القدسية في الجنان العلية .

و لما أعلى سبحانه أولياءه بأن فتح السورة [بالإيمان -[3]] بالغيب و هو العزيز الحكيم بعد التنزيه عن نقائص التعطيل و كل شائبة نقص و ينزل لعباده في أسباب الصفات و الأفعال إلى أن أوصلهم إلى محسوس الأمثال فتأهلوا للفناء في ذاته و ما على من صفاته الموجبة لخشيته ، رقاهم إلى التفكر في تفصيل ما افتتح به ، فقال عادلا عن أسلوب العظمة إلى

(١) من ظ و م ، و في الأصل : الماضي (٢) من ظ و م ، و في الأصل : اداوه
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م . و في الأصل : او (٥) من م ، و في الاصل : المنازات

أعظم منها باسبال حجب العزة[1] على منهاج الحكمة : ﴿ هو ﴾ أى الذى وجوده من ذاته فلا عدم له أصلا[2] بوجه من الوجوه ، فلا يستحق الوصف بـ « هو » غيره لأنه الموجود دائما أزلا و أبدا ، فهو حاضر فى كل ضمير غائب بعظمته عن كل حس ، فلذلك يتصدع الجبل من خشيته .

و لما عبر بأخص أسمائه ، أخبر عنه لطفا بنا و تنزلا[3] لنا بأشهرها الذى هو مسمى الأسماء كلها فقال : ﴿ الله ﴾ أى المعبود الذى لا ينبغى العبادة إلا له ، الذى بطن بما لم تحط[4] و لا تحيط [به -[5]] العقول من نعوت الكبرياء و العظمة و الإكرام ، فظهر بأفعاله[6] التى لا تضاهى بوجه غاية الظهور ، فتميز غاية التميز ، فلم يلحقه شرك أصلا فى أمة[7] من الأمم و لا نسمة من النسم ، قال الحرالى فى شرح الأسماء : و هو لوه[8] القلوب و العقول أى محارها[9] الذى لا تدركه ، فلزم الخلق من توحيد اسم الإله ما حصل لهم من توحيد اسم الله [من الأحدية الإحاطية - انتهى -[5]] فلذلك [كان وصفه " الذى لا اله الا هو " فانه لا مجانس له و لا يليق و لا يصح و لا يتصور أن يكافئه أو يدانيه شىء و الإله أول اسم لله فلذلك -[5]]

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : العز (٢) سقط من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : تنزيلا (٤) زيد فى الأصل : به الأفكار ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : من العالى (٧) من م ، و فى الأصل : امته (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : او . (٩) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

لا يكون احد مسلما إلا بتوحيده فتوحيده فرض و هو أساس كل فريضة[1]، و توحيد سائر الأسماء نفل و هو أساس كل نافلة، فمن وحد [فى ـ[2]] الكل فقد كمل دينه / و تمت النعمة عليه و إلا كان من الذين آمنوا، فان / ٢٨٧
كان ذلك منه قولا عصم من نار الأحكام على الأبدان فى الدنيا، و إن كان علما تخلص من نار الهلع[3] على النفوس فى الدنيا، و هو الجزع ٥
عند مس الشر، [4]و المنع و البخل[4] عند مس الخير، و لن يشهد التوحيد فى هذه الكلمة التى مضمونها توحيد اسم الإله إحسانا إلا بعد إحصاء جميع الأسماء [علما ـ[5]]، قال الحرالى: و الاله[6]: التعبد و هو التذلل، فمن توهم حاجته بشىء و توهم أن عنده قوام حاجته تذلل [له ـ[2]] فكان تذلله له تألها[7]، [8]و كل من عبد ما أحاط به عينه[9] فقد خذل عقله عن ١٠
تصحيح معنى الإله الذى يجب أن يكون غيبا[10]، فكان تصحيح معنى الإله[11] أنه غيب قائم مستحق للعبادة و التذلل لأجل قيامه و الاستغناء به.

و لما أخبر بتفرده، دل عليه بآية استحقاقه لذلك، فقال مقدما لما هو متقدم فى الوجود: ﴿ عٰلِمُ الْغَيْبِ ﴾ اي الذى غاب عن علم جميع

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فرض (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و فى الأصل وظ: الهامع (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اضع ـ كذا (٥) زيد من م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الادلة (٧) من ظ و م، وفى الأصل: لقلوها (٨) زيد فى الأصل و ظ: هو و، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: يمينه (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: سببا (١١) فى ظ و م: اله.

خلقه . و لما كان ربما ظن أن وصفه بالغيب أمر نسبي[1] سمى غيبا بالنسبة لناس دون ناس ، دل بذكر الضد على أن المراد كل ما غاب وكل ما شهد فقال تعالى : ﴿ و الشهادة ﴾ أى الذى وجد فكان بحيث يحسه[2] و يطلع عليه بعض خلقه .

٥ و لما تعالى فى صفات العظمة و نعوت الجلال و الكبر فبطن غاية البطون ، أخذ فى رحمة العباد[3] بالتنزل لهم بالتعرف إليهم بعواطف الرحمة فقال بانيا الكلام على الضمير إعلاما بأن المحدث عنه أولا هو بعينه المحدث عنه ثانيا : ﴿هو الرحمن﴾ أى العام الرحمة، قال الحرالى رحمه الله تعالى : و الرحمة إجراء الخلق على ما يوافق حسبهم[4] و يلائم خلقهم

١٠ و خلقهم و مقصد أفئدتهم ، فاذا اختص ذلك[5] بالبعض كان رحيمية[6]، و إذا استغرق كان رحمانية ، و لاستغراق[7] معنى اسم الرحمن [لم يكن لاتمام معناه وجود فى الخلق ، فلم يجر بحق على أحد منهم فلذلك لحق اسمه الرحمن-[8] فى معنى استغراقه[9] - يعنى باسم الله .

و لما كانت الرحيمية خاصة بما ترضاه الإلهية قال تعالى : ﴿الرحيم﴾

١٥ أى ذو الرحمة العامة المسعدة[10] فى الظاهر و الرحمة الخاصة المسعدة[11] فى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : سبى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يحثه .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : للعناد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مسهم .
(٥) من م ، و فى الأصل و ظ : بذلك (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : رحمه .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لاستغراق (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : لاستغراقه (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : المستعدة .
(١١) من ظ و م ، و فى الأصل : المسعد .

الباطن ، قال [الحرالى -[1]] : الرحمة من الرحيم اختصاص من شملته الرحمانية بمزية ما أوثر به من الرحمة [2]فى مقابلة من آل أمره إلى نعمه ليجمع مقتضى الاسمين بين عموم الرحمانية و اختصاص الرحيمية[2] . و لما أظهر على الخلق خصوص الإيثار ، أجرى عليهم اسم الرحيم كرحمة الخلق ابناءهم . و لما كان حق[3] اسم الرحيم إثبات رحمة [4]غير مجذوذة[4] و لم يكن ذلك ٥ للخلق لم يكن بالحقيقة الرحيم إلا الله الذى إذا اختص بالرحمة لم يحدها "فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام / لها [5]و الله سميع عليم[5] " "إن الله لا ينزع العلم انتزاعا بعد أن أعطاكموه" / ٢٨٨ "و اما الذين سعدوا ففى الجنة خلدين فيها ما دامت السموٰت و الارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ" فلذلك لا رحيم بالحقيقة إلا الله تحقيق[6] ١٠ علم كما أنه لا رحمان إلا الله بادى معنى[7] .

و لما كان الملك[8] كمال استيلاء على الخلق يقصرهم[9] به ملكهم على بعض مستطاعهم و يدينهم - اى يجزيهم - على حسب دينهم أى ما وضع لهم من عادة قصره لهم و حكمه عليهم و بحسب إحصائه عليهم دقيق أعمالهم و إحاطته بخفى أحوالهم[10] و الاطلاع على سرائرهم بتحقيق استيفاء الجزاء فيتحقق بذلك كمال الملك ، فكان لذلك لا تتحقق حقيقة الملك فيمن هو دون العلم ١٥

(١) زيد من م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : احق (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : محدودة (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يتحقيق (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : منى (٨) فى ظ و م : للملك (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : يقصر (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : اعمالهم .

بالسر و أخفى ، و المحصى الحسيب لمثاقيل الذر ، الخبير بخبأ الكون ، فكان لاملك فى الحقيقة إلا الله ، و لكنه تعالى لما كان قد أولى الخلق من رفعة بعضهم فوق بعض ما أجرى عليهم اسم الملك فتنة لهم فضل [1]بسبب ذلك قوم[1] ادعوا الملك الحقيق ، فغلط من أراد الله من الخلق فيهم فضلوا بهم ، أعاد التهليل مع اسمه الملك كما ابتدأه مع اسمه الإله أول أسماء الله ، و لذلك أيضا قال النبي صلى الله عليه و سلم فى حديث أبى هريرة رضى الله عنه الذى رواه الشيخان و أبو داود و الترمذى فى حديث الذى يسمى ملك الملوك فى رواية مسلم : لاملك إلا الله ، فقال مصرحا بما فى باطن اسمى الرحمة من القهر و الجبر على النسق الأول فى البناء على الضمير تأكيدا لتعين المحدث عنه [و توحيده - [2]] : ﴿ هو الله ﴾ أى الذى لايقدر على تعميم الرحمة لمن أراد و تخصيصها بمن شاء ﴿ الذى لآ اله ﴾[3] اى[4] معبود بحق ﴿ الا هو ج الملك ﴾ فلا ملك فى الحقيقة إلا هو لأنه لا يحتاج إلى شيء ، فانه مهما أراد كان .

و لما كان الملك أصل ما لحق الخلق[5] من الآفات لأنه رأس الشرف الذى هو باب الترف[6] الملازم لمخالفة كتاب الله أما فى الأعمال فيكون فتنة ، و أما فى الرأى فيكون علوا و كبرا و كفرا ، فان أمر الله فى آدم على ما هو نبوة ثم ينزل فيصير خلافة ثم ينتهى نزوله فيكون

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : قوم سبب ذلك (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى ظ و م : إلا هو (٤) زيد فى الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و مد فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الحق (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اشرف .

ملكا ثم تتداعى الأحداث ، فلمكان تداعى الملك لموجبات الذم قال عقب صفات الملك : ﴿ القدوس ﴾ مصرحا بما لزم عن تمام ملكه من أنه بليغ فى النزاهة عن كل وصم يدركه حس أو يتصوره خيال أو يسبق إليه وهم أو يختلج به[1] ضمير ، فان القدس طهر لايقبل التغير و لا يلحقه رجس فلا يزال على وصف الحمد بثبات القدس، و لمكان ما حوّل سبحانه ٥ الخلق من حال طهر لايظهر فيه تغير [بما -[2]] دونه أجرى عليهم اسم القدس كروح القدس المؤيد للشارع ينفث فى روعة المؤيد لشاعره[3] فى مكافحته[4] عنه ، و لاجل / قصر تخلى الخالق بالملك فى قليل متاع[5] الدنيا ٢٨٩ / رغب النبي العبد صلى الله عليه و سلم عنه ، و اختار العبودية الدائمة بدوام العزة لسيده ، فوضح بذلك علم أن لا قدوس[6] إلا الله حقيقة معنى ١٠ و تصحيح إحاطة .

و لما كان سبحانه لتمام ملكه و علو ملكه و كمال قدسه لايتصور أن يلحقه نقص فى ذات[7] و لا صفة و لا فعل ، فلا يقبح[8] منه إهلاك[9] على حال من الأحوال و لامس بضر فى الدنيا و الآخرة فى وقت من الأوقات لأنه سبحانه، لعلمه[10] بالظواهر و البواطن على حد سواء، يضع الأمور فى ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فيه (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل : لشارعه ، و العبارة من « ينفث » الى هنا ساقطة من ظ (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : مكافحة (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : امتاح (٦) زيد فى الأصل : حقيقة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك ب - كذا (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا تصح . (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : هلاك (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : يعلم .

احكم [1]مواضعها بما[1] لايدركه غيره أصلا أولا يدركه حق إدراكه فاحتيج إلى ما يؤمن من ذلك، وكان السلام حد ما بين الألفة والفرقة وحد ما بين الرحمة والسطوة وهو أدنى منال[2] الجاهل من[3] عباد الرحمان، ومنال المعتدى[4] من المقتدر، وكان سلام المسلم للجاهل مداراة لئلا ٥ يزيد فى جهله عليه، أو ارتقابا لاستقبال مكنة، وكان الله لايعبأ بالخلق ولايحتاج[5] لارتقاب مكنة لأنه لايعجزه شيء فلم يتحقق السلام بكل معنى من وجود[6] السلامة له وإفاضتها[7] على غيره[8] تماما إلا منه [إعفاء من معاجلة استحقاق السطوة وحفيظة لحرمة اختصاص الرحمة، أتبع ذلك مؤمنا -[9]] للعاصى من المعاجلة وللطيع من سوء المعامله قوله: ١٠ ﴿السلم﴾ لأنه حد ما بينهما ظاهرا، ولذلك أردفه بما يتعلق بالباطن لتحصل إحاطة السلامة ظاهرا وباطنا فقال: ﴿المؤمن﴾ لأن الأمن[10] حد ما بين المحبة والكره فيمن لا وسيلة له للحب [وهو أدنى ما يقبله ذو الحق ممن يستحق منه الحب، ولذلك لم يقبل بذل الحق ممن كان ظاهر الوسيلة للحب -[9]] إلا بالحب فلم يثبت إيمان المؤمن بمجرد الإيمان

(١ - ١) من ظ و م، وفى الأصل: موضعها ما (٢) من ظ و م، وفى الأصل: مثال (٣) من ظ و م، وفى الأصل: عن (٤) من ظ و م، وفى الأصل: للتعدى (٥) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها. (٦) من ظ و م، وفى الأصل: وجوه (٧) من ظ و م، وفى الأصل: اضافتها (٨) من ظ و م، وفى الأصل: عزة (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م. وفى الأصل: المومن.

حبا

حبا له بل إيثارا لمحبته على كل حب و مساواة لأخيه المؤمن فيما يحب لنفسه، و أدناه الأمنة [فى - ١] الغيب٢ من الغيبة و العيب إلى غاية الأمان من بوائق الغشم٣ و الظلم من الجار المستحق حفظ جاره فى غيبه، فالإخلال بالإيمان لكونه الأمنة فى الغيب نفاق، و الإخلال بالإسلام لكونه السلم فى المواجهة إجرام، فبأدنى إخلال فى جانب الحق أو الخلق ٥ ينثلم الإسلام و الإيمان، و ذلك [كله - ١] إنما هو فى الحقيقة من الله تعالى فهو الذى يعزى إليه الأمن و الأمان بافادته أسبابه و منع أسباب المخاوف فلا أمن فى الوجود و لا امان إلا و هو مستفاد من جهته.

و لما كان الاطلاع على بيّن ما ذكر ليتحقق معنى السلم و الأمن، و على كل من تلك الحدود خفيا جدا يفتقر إلى مزيد علم، قال: ١٠ ﴿ المهيمن ﴾ فان الهيمنة شهادة خبرة و إحاطة و إبصار لكلية ظاهر الأمر و باطنه بحيث لا يخفى منه خافية هوية و لا بادية ظاهر٤، و لإحاطة معناه لايكاد يقع له فى الخلق مسوغ إطلاق إلا مسامحة لأن الخلق لايشهدون إلا الظواهر و لا يشهدون من الباطن، و لذلك انعجم معناه على كثير من فصحاء العرب، ففهوم٥ معناه موجب توحيده فواضح إذ لامهيمن ١٥ / بمعنى أنه شهيد على الوجه المشروح٦ مع الأمانة المأمونة و الحفظ و الرعاية ٢٩٠ / فيكون قائما على [كل - ١] شيء بكل ما له من رزق و عمل و أجل

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: المغيب (٣) من ظ و م، و فى الأصل: انقسم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ظاهرة (٥) من ظ و م، و فى الاصل: فهو (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المروح.

إلا هو ، و لذلك كان القرآن الذى هو صفته سبحانه و تعالى مهيمنا على جميع الكتب التى قبله مصدقا لما يستحق التصديق منها مكذبا لما يستحق التكذيب ، فمن كان به أمهر[1] كان بذلك أعلم .

و لما كان تمام الخبرة[2] ملزوما لتمام القدرة ، صرح بهذا اللازم فقال : ﴿العزيز﴾ و العزة غلبة لا يجد معها المغلوب وجه مدافعة و لا انفلات و لا إعجاز ، فالعزيز الذى صعب على طالبه إدراكه مع افتقار كل شىء إليه فى [كل - [3]] لحظة ، [4]الشديد فى انتقامه الذى لا معجز له فى إنفاذ حكمه ، و لذلك ينظم كثيرا بآيات إمضاء الأحكام متصلا بالحكمة و العلم انباء عن العدل ، قال الغزالى : و هو الذى يقل وجود مثله و تشتد الحاجة إليه و يصعب[5] الوصول [إليه - [6]] . و لما كان المغلوب على[7] الشىء فيؤخذ من يده قد لا ينقاد باطنا فلا يباشر[8] ما غلب عليه للغالب و قد [لا - [3]] يكون العز[9] ظاهرا لكل أحد ، أردفه بقوله : ﴿الجبار﴾ و هو العظيم الذى يفوت المقاوم مناله ، فهو على هذا من أسماء الذات و يصلح أمور من يريد من الخلق و يقهرهم على ما يريد . فهم أحقر من أن يعصوه طرفة عين بغير إرادته ، و الجبر : طول يلجئ الأدنى لما[10] يريد منه الأعلى و يغيب من

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : امر (٢) زيد فى الأصل : بذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : بل هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : يعصب . (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فيباشر (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : العزيز (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : الى ما .

الأعلى ما يحاول منالهِ [منه -[1]] الأدنى مع الظهور التام الذى تدور مادته عليه، فالجبار لايخرج شيء[2] من قبضته، و تقصر الأيدى عن حمى عز[3] حضرته، و لاينال منه إلا ما نوّل، و هو أبعد شيء عن أوصاف الخلق لمنال الذباب منهم ما شاء و عجزهم عنه، [و -[1]] لما فيه من الإلجاء[4] كان هو الاسم الذى يلجىء النار لقصرها على مراده منها من الحسب الذى جبلها ٥ على ضده من الاستزادة فلا تزال تقول ما جبلت عليه: هل من مزيد، حتى يضع الجبار فيها قدمه[5] أى يهينها فان القدم موضع الإهانة[6]، [و هذه الإهانة -[1]] هى من مبدأ ظهور غلبة الرحمة للغضب، فله الملك ظهورا بالأيدى الظاهرة من الإنسان و ما دونه، و له الملكوت بطونا بالأيدى الباطنة من الملك و ما دونه، و له الجبروت اختصاصا من وراء كل ١٠ ملك و ملكوت.

و لما كان الإلجاء قد يكون بنوع ملاطفة، أتبعه قوله: ﴿المتكبر[1]﴾ ليعم الإلجاء الظاهر و الباطن فالكبرياء جملة تأدى امر الله و ظاهر خلقه الذى [7]يجد الخلق[7] صغرهم من دونه و كبره عليهم و امتناعه[8] عما لا يريد من مرادهم، لأن الكل حقيرون بالإضافة إلى جلاله و عز[9] جبروته و عظمته ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م. و فى الأصل: من (٣) من ظ و م، و فى الأصل: غير (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الحاه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قدميه (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اهانة (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: يخلق (٨) من ظ و م، و فى الأصل: امتناعهم (٩) من ظ و م، و فى الأصل: غيره.

و كماله ، و لسواء الخلق فى عام حضرة القدرة شملهم الصغر فلم يصح منهم كبر ، و لا شرع لهم تكبر ، فلم يكن للخلق منهم حقيقة حظ و لا لبس حق ، فاختص بهذا الاسم لاستيلائه على الظواهر باظهار / ما له من الكبر لعدم الحاجة إلى شىء و بالجاء غيره إلى الاحتياج إليه و الإيقاع[1] بجبابرتهم و إذلالهم و غير ذلك من الأمور المزعجة المرهبة من غير مبالاة بشىء كما اختص بالجبار لاستيلائه على البواطن . /٢٩١

و لما تقرر بما ذكر من مظاهر عظمته استيلاؤه على الظواهر و البواطن باللطف و العنف ، أنتج ذلك تعاليه عن شوب نقص لاسيما بالشرك فقال سبحانه : ﴿ سبحن الله ﴾ أى تنزه الملك الأعلى الذى اختص بجميع صفات الكمال تنزها لاتدرك العقول منه أكثر من أنه علا عن أوصاف الخلق فلا يدانيه شىء من نقص ﴿ عما يشركون ۝ ﴾ أى من هذه المخلوقات [من -[2]] الأصنام و[3] غيرها مما فى الأرض أو فى السماء من كبير و صغير و[4] جليل و حقير .

و لما تم دليل الوحدانية بما حصل من التفهيم بالتدنى إلى الملك ثم بالتعلى إلى التكبر . فأنتج هذه الخاتمة ، ابتدأ سبحانه دليلا آخر هو[5] فى غاية التنزل و الوضوح ، فقال مفتتحا بما افتتح به الأول من الترتيب فى المراتب الثلاث ، غيب الغيب ثم الغيب ثم الظهور على مراتبه ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الانتفاع (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م . و فى الأصل : او (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فهو .

إعلاما بأنه لا براح عن الإيمان بالغيب ، و من برح عنه هلك ﴿ هو ﴾ اى الذى لاشىء يستحق أن يطلق عليه [هذا الضمير -[1]] غيره لأن وجوده من ذاته و لا شىء غيره إلا و هو ممكن فهو أهل لأن لايكون فلا يكون له ظهور ليكون له بطون .

و لما ابتدأ بهذا الغيب المحض الذى هو أظهر الأشياء ، أخبر عنه[2] ٥ بأشهر الأسماء الذى لم يقع فيه شركة بوجه فقال : ﴿ الله ﴾ أى الذى ليس له سمى[3] فلا كفوء له فهو المعهود بالحق فلا شريك له بوجه . و لما بدأ سبحانه بهذا الدليل الجامع بين[4] الغيب و الظهور ، ثنى بتنزل متضمن للعلم و القدرة فهو فى غاية الظهور فقال : ﴿ الخالق ﴾ أى الذى لاخالق على الحقيقة[5] إلا هو لأن الخلق فرض حد و قدر فى مطلق منه لم يكن[6] ١٠ فيه بعد حد و لا قدر كالحاذى يخلق أى يقدر فى الجلد حدا[7] و قدرا لنعل و نحوه و هو سابق للفرى و البرى و نحوه "سبق العلم العمل" فالخالق[8] فى الحقيقة[8] هو الذى كل شىء عنده بمقدار ، الذى يقول "يخلقكم فى بطون امهتكم خلقا من بعد خلق" "و ان من شىء إلا عندنا خزائنه و ما ننزله الابقدر معلوم" و من ناشئة القدر الفرق و الترتيب ، و من ناشئة ١٥

(١) زيدت العبارة من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عنهم (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : مسمى (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥) زيد فى الأصل : غيره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فلم يكن (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : حد (٨-٨) فى ظ و م : حقيقة .

الفرق و الترتيب الإحياء و الإماتة، و من معاد الفرق [1]و الإحياء و الإماتة[1] على أول أمره الجمع و الرب، فلا يملك الخلق و الفرق إلا من يملك الجمع و الرب، و قد أوتى الخلق ملكة ما فى الفرق و الشتات، و لم يملكوا جمع[2] ما فرقوا و لا ألف ما شتتوا كالقاطع[3] عضوا لا يقدر على لأمه، و الهادم بناء لا يقدر على رمه على حده، و الكاسر شيئا / لا يقدر على وصله، ٢٩٢ / ٥ فلان الخلق لا يحيطون بتقدير ما يسرعون فى قدره و لا يقدرون بعد الفرق و الفرى على رمه و وصله. كان المحيط التقدير فى الشىء من جميع جهاته و جملة حدوده، القادر على جمع[4] ما فرق الذى كما بدء أول خلق يعيده هو أحسن الخالقين. و تلاح تحت هذا اللبس فى إطلاق اسم ١٠ الخالق [على الخالق -[5]] الحق ذى الحول و القوة و القدرة و الإحاطة و الإبداء و الإعادة، و على الخالق من الخلق المقدر بغير إحاطة علم و لا تأصيل حول و لا قدرة، و لا إتمام إبداء لا حظ من اعادة أنه لا خالق إلا الله كما انه لا معيد لما ابدأ إلا الله، و أن ليس إطلاق هذا الاسم على الخلق مبدأ فتنته التى يضل بها من يشاء و يهدى من يشاء، و تحقيق ١٥ أفراد الخالق لله[6] فيما ظهر[7] على أيدى أهل الملك و الملكوت و إحاطة جبروته بما ظهر و ما بطن من اعمالهم وصنائعهم، هو أول بجمع من

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: جميع.
(٣) من ظ، و فى الأصل و م: طالقا (٤) من م، و فى الأصل و ظ: جميع.
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الى الله (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يظهر.

مجامع التوحيد ، و هو أساس لإيمان أمة محمد صلى الله عليه و سلم ، حيث فرض عليهم فى الفاتحة "إياك نعبد و اياك نستعين" فهم خير أمة أخرجت للناس حيث أخلصوا الدين لله ، [1]و لموقع الشرك[1] فيه كانت القدرية مجوس هذه الأمة .

و لما كان [2]الخالق الحق هو من أتقن التقدير و البرئ و إن كان أغلب الخلق لقصورهم لايفهمون منه إلا مطلق التقدير كما قال شاعرهم[3] :

و لأنت تفرى ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لايفرى

أردفه تنبيها على ذلك و تصريحا و تأكيدا قوله : ﴿ البارئ ﴾ [أى -[4]] الذى يدقق[5] بما وقع[6] به التقدير و يقطعه و يصلحه لقبول الصورة على أتم حال ، فان كان من المحيط العلم كان تمام التهيؤ للصورة على كمال المشيئة فيها ، و إن كان ممن[7] لايحيط علما طرأ له فى البرئ[8] من النقص عن التمام ما لايمكن معه حصول المقصود فى الصورة ، و لا يكاد يقع الإحسان للخلق فى مصوراتهم إلا وفاقا لايعلمون كنهه و لايثقون بحصوله

و لما كان من يهيء الأمور للتصوير قد لايتقنه قال : ﴿ المصور ﴾

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : الموقع للشرك (٢) من ظ و م و فى الأصل : القادر (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الشاعر (٤) زيد من ظ و م .
(٥) من م ، و فى الأصل و ظ : لايدقق (٦) زيد فى الأصل و ظ : من ؛ و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) من ظ ، و فى الاصل و م : مما (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : البر .

فان التصوير إتمام تفصيل الخلق الظاهر و إكمال تخطيطه و إحكام أعضائه و هو حد ما انتهى إليه الخلق فى الظهور ، و ليس وراء ظهور الصور كون إلا لطائف تطويرها فى إسنان كمالها بعد بعثها باحيائها بما لها من الروح المقوم لها سواء كان حيوانيا أو غيره إلى غاية كمالها الذى ٥ يعطيه المصور لها إفضالا و مزيدا و يظهره إبداعا ، و يتضح[1] الفرق جدا بين الأسماء الثلاثة بالبناء فانه يحتاج أولا إلى مقدر[2] يقدر ما لابد منه من الحجر[3] و اللبن و الخشب و الحديد و مساحة الأرض و عدد الأبنية و طولها و عرضها ، و هذا يتولاه المهندس فيرسمه و هو الخلق ثم يحتاج إلى حجار ينحت الحجارة و يهيئها لتصلح لمواضعها[4] التى تكون ٢٩٣/ ١٠ فيها / من الأبواب و أوساط الجدر و أطرافها و زواياها ، غير ذلك ، وكذا الخشاب و الحداد فى الخشب و الحديد و هو البرئ[5] ثم يأخذ الكل البناء فيضعها مواضعها إلى أن تقوم صورتها التى رسمها المهندس أولا و قدرها ، و لا تقوم الصورة[6] بالحق إلا إذا كانت محكمة بحسب الطاقة كما أن البناء يضع الحجارة أولا ثم يجعل[7] الخشب فوقها لا بالاتفاق بل ١٥ بالحكمة ، و لوقلب ذلك لم تثبت الصورة و لم يكن لها الاسم إلا على أقل وجوه الضعف[8] فكل من كان أحكم كان تصويره أعظم ، و لذلك[9]

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يصح (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مقدار . (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الصخر (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : تواضعها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اليه (٦) زيد فى الأصل : الا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : جعل . (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : الصنف (٩) من ظ ، و فى الأصل : ذلك .

لا

لامصور فى الحقيقه إلا الله الخالق [1]البارئ المصور سبحانه[1]، قال الرازى فى اللوامع: و التصوير موجود فى كل أجزاء العالم و إن صغر حتى فى الذرة و النملة بل فى كل عضو من أعضاء النملة، بل الكلام يطول فى طبقات العين و عددها و هيئاتها و شكلها و مقاديرها و ألوانها، و وجه الحكمة فيها، فمن لم يعرف صورتها لم يعرف مصورها إلا بالاسم المجمل، و هكذا القول فى كل صورة لكل حيوان و نبات بل لكل جزء من نبات و حيوان.

و لما علم من هذا أنه لابد أن يكون المصور بالغ الحكمة، أردفه بقوله تعالى: ﴿له﴾ أى خاصة [1]لا لغيره[1] ﴿الاسمآء الحسنى[1]﴾ أى من الحكيم و غيره ممن لايتم التصوير إلا به و لا تدركونه [أتم -[2]] حق إدراكه.

و لما أخبر سبحانه أول السورة أن الكائنات أوجدت تسبيحه خضوعا[3] لعزته و حكمته، و دل على ذلك بما تقدم إلى أن أسمعه الآذان الواعية بالأسماء الحسنى، دل على دوام اتصافه [بذلك -[2]] من يحتاج لما [له -[2]] من النقص من الخلق إلى التذكير فعبر بالمضارع فقال: ﴿يسبح﴾ أى يكرر[4] التنزيه الأعظم من كل شائبة نقص على سبيل التجدد و الاستمرار ﴿له﴾ أى على وجه التخصيص بما أفهمه قصر المتعدى و تعديته باللام ﴿ما فى السمٰوٰت﴾ و لما كان هذا المنزه[5] الذى استجلى التنزيه من الأسماء الحسنى قد أشرقت انفاسه و لطفت أقطاره

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: خصوصا (٤) فى ظ: ينزه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: التنزه.

و أغراسه حتى صار علويا[1] فرأى الأرض عالية كالسماء لما[2] شاركتها به في الدلالة على تمام كماله فجعلها معها لأنه لايحتاج إلى تأكيد كالشيء الواحد باسقاط "ما"[3] وألصقها بها[4] إلاحة إلى ذلك فقال: ﴿و الارض ج﴾ فمن تأمل الوجود مجملا و مفصلا، علم تسبيح[5] ذلك كله بنعوت الكمال

٥ و أوصاف الجلال و الجمال ﴿و هو﴾ أي و الحال أنه وحده ﴿العزيز﴾ [أي -[6]] الذي يغلب كل شيء و لايغلبه شيء و لايوجد له مثل. و يعز الوصول إليه و يشتد الحاجة إليه.

و لما كان من يكون بهذه الصفة لايتم أمره و يثبت كل ما يريده إلا إن كان على قانون الحكمة قال: ﴿الحكيم ج﴾ من الحكمة

١٠ و هي[5] إتقان الحكم و إنهاؤها إلى حد لا يمكن نقضه، و الحكم قال الحرالي: المنع عما / يترامى إليه المحكوم إيالة عليه و حمله[6] على ما يمتنع منه نظرا /٢٩٤ له، ففي ظاهره الجهد و في باطنه الرفق، و في عاجله الكره. و في آجله الرضى و الروح. فموقعه في الأبدان المداواة "تداووا عباد الله فان الذي أنزل الداء انزل الدواء" و موقعه في الأديان التزام الأحكام و الصبر

١٥ و المصابرة على مجاهدة[7] الأعمال و جهاد الأعداء ظاهرا من عدو[8] الدين و البغي و باطنا من عدو النفس «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: علوية (٢) من ظ و م، و في الأصل: ما.
(٣) من م، و في الأصل و ظ: به (٤) من ظ و م، و في الأصل: استنتج.
(٥) من ظ و م، و في الأصل: هو (٦) من ظ و م، و في الأصل: حلمه.
(٧) من م، و في الأصل و ظ: مجاهدات (٨) من ظ و م، و في الأصل: عدم.

و من بعض[1] الأهل و الولد عدو ، و الشيطان عدو يجرى من ابن آدم مجرى الدم " ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا "، فالحمل على جميع أنواع الصبر والمصابرة ظاهرا بالإيالة العالية هو الحكم و العلم بالأمر الذى لأجله وجب الحكم من قوام أمر عاجلته و حسن العقبى فى أجلته من الحكمة. فالحكم مباح التعليم للناس عامة بل واجب أن يتعلم كل امرئ من الأحكام ٥ ما يخصه، و أن يندب طائفة لعلم[2] ما يعم جميع الناس "فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين"، و الحكمة التى هى العلم بما لأجله وجب الحكم من[3] مشروطه التعليم بالتزكية "هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة[4] و ان كانوا من قبل لفى ضلال مبين[4]" [فما يعلمهم الحكمة -[5]] إلا بعد التزكية ١٠ فمن تزكى فهو من أهلها و من لم يتزك فليس من أهلها، فالحكمة تحلى مرارة جهد العمل بالأحكام فييسر بها ما يعسر دونها، و الحكم ضيق الأمر للنفس كما أن السجن ضيق الخلق للبدن، و الحكمة توطد محل ضيق الحكم لأنها تخرج و تؤل إلى سعة الواسع، و لا يتم الحكم و تستوى الحكمة إلا بحسب سعة العلم . و لما لم يكن للخلق[6] من العلم إلا بقدر ما يهبهم ١٥ الله لم يكن لهم من الحكمة إلا مقدار ما يورثهم " و لقد آتينا لقمان

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ابغض (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : العلم.
(٣) سقط من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و م.
(٦) من م ، و فى الأصل و ظ : للحلق .

الحكمة" و لما كان إنما العلم عند الله كان إنما الحكمة حكمة الله و إنما الحكم حكم الله، فهو الحكيم الذى لاحكيم إلا هو - انتهى. و قد علم سر اتباع الأسماء الشريفة من غير عطف، و ذاك أنه لما ابتدأ بـ «هو» و أخبر عنه بالاسم العلم الأعظم المفرد المصون الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى، أتبعه تلك الأوصاف العلى من غير عطف إعلاما بأنه لاشىء منها يؤدى جميع معناه بالمفهوم المتعارف عند أهل اللغة، و لذلك جمع[1] بعدها الأسماء إشارة إلى أنه لايجمع معناه إلا جميع الأوصاف المنزلة فى كتبه و المأخوذة عن أوليائه التى استأثر بها فى غيبه و ليس شىء مما ذكر ههنا مضادا[2] فى [المعنى -[3]] الظاهرى للآخر كالأول و الآخر حتى يظن لأجله نقص فى المعنى بسبب ترك العطف، و أما ترتيبها هكذا فلأن كل اسم منها كما مضى شارح لما خفى من الذى قبله و مبين للازمه، و موضح لما ألاح أنه من مضمونه، / و قد انعطف على افتتاحها ختامها و عانق ابتداؤها تمامها، و وفى مطالعها مقطعها، و زاد و بلغ الغاية[4] من الإرشاد إلى سبيل الرشاد، فسبحان[5] من أنزله برحمته[6] رحمة للعباد، و هاديا إلى الصواب و السداد[7].

/٢٩٥

(١) من م، و فى الأصل و ظ: جمعها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مضادة (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الآية (٥) من ظ و م، و فى الأصل: سبحان (٦) سقط من م (٧) زيد فى الأصل: و إلى طريق الرشاد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

سورة الممتحنة[1]

مقصودها براءة من أقر بالإيمان [2]ممن اتسم[2] بالعدوان دلالة على صحة مدعاه كما أن الكفار تبرأوا[3] من المؤمنين و كذبوا بما جاءهم من الحق لئلا يكونوا[4] على باطلهم أحرص من المؤمنين على حقهم، و تسميتها بالممتحنة أوضح شيء فيها و أدله على ذلك لأن الصهر أعظم الوصل، و أشرفها بعد الدين، فاذا نفى[5] و منع دل على أعظم المقاطعة لدلالته على الامتهان بسبب الكفران الذى هو أقبح العصيان ﴿ بسم الله ﴾ الكافى من لجأ إليه فمن تولاه أغناه عمن[6] سواه ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة الإيجاد من فلق عن وجوده العدم و براه و شمل، برحمته البيان من حاطه بالعقل[7] و رعاه ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص بالتوفيق من أحبه و ارتضاه.

لما كان التأديب عقب الإنعام جديرا بالقبول، و كان قد أجرى سبحانه سنته الإلهية بذلك، فأدب عباده المؤمنين عقب سورة الفتح السبى بسورة الحجرات، وكانت سورة الحشر مذكرة بالنعمة فى فتح بنى النضير

(١) الستون من سور القرآن الكريم، مدنية، و عدد آيها (١٣) بالاتفاق - راجع نثر المرجان ٧/٢٩٦ (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: من اقسم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يتبرون (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لئلا يكون. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بقى (٦) من ظ و م، و فى الأصل: عما. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: العقل.

[و -[1]] معلمة بانه لا ولى إلا الله ، و لذلك ختمها بصفتى العزة و الحكمة بعد [2]أن افتتحها[2] بهما ، و ثبت أن من الحكمة حشر الخلق ، و أن أولياء الله هم المفلحون ، و أن اعداءه هم الخاسرون ، و كان الحب فى الله و البغض فى الله أفضل الأعمال و أوثق عرى الإيمان ، و لذلك[3] ذم سبحانه لمن والى أعداءه و ناصرهم[4] ، و سماهم مع التكلم بكلمة الإسلام منافقين ، أنتج [ذلك -[5]] قطعا وجوب البراءة من أعدائه و الإقبال على خدمته و ولائه[6] ، فقال معيدا للتأديب[7] عقب سورة الفتح على أهل الكتاب بسورة جامعة تتعلق بالفتح الأعظم و الفتح السبى : ﴿ يَا أيها الذين آمنوا[8] ﴾ مناديا بأداة البعد و إن كان من نزلت بسببه من أهل القرب ، و معبرا بالماضى إقامة[9] لمن والى الكفار نوع موالاة فى ذلك المحل إلهابا له و تهييجا إلى الرفع عنه[10] لئلا يقدح فى خصوصيته و يحط من[11] علىّ رتبته مع اللطف [به -[12]] بالتسمية له بالإيمان حيث شهد سبحانه على من فعل نحو فعله مع[13] بنى النضير بالنفاق[14] . و أحله محل أهل الشقاق ، فحكم على

البعد صح

(١) زيد من ظ (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فتحها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يضرهم (٥) زيد من م . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ولايته (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : للتاب (٨) ليس فى الأصل (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اقامته (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : له (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (١٢) زيد من ظ و م (١٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من (١٤) من م ، و فى الأصل و ظ : بالشقاق .

القلوب فى الموضعين فقال هناك " الذين نافقوا " كما قال هنا " الذين آمنوا " .

و لما كان قد تقدم فى المجادلة النهى الشديد عن إظهار[1] مطلق الموادة للكفار ، و فى الحشر الزجر[2] العظيم عن إبطان ذلك فتكفلت[3] السورتان بالمنع من مصاحبة ودهم ظاهرا أو[4] باطنا ، [5]بكت هنا[5] من اتصف بالإيمان و قرعه و وبخه على السعى فى موادتهم و التكلف لتحصيلها ، فان ذلك قادح فى اعتقاد تفرده سبحانه بالعزة و الحكمة ، فعبر لذلك[6] بصيغة الافتعال فقال بعد التبكيت بالنداء بأداة البعد و التعبير بأدنى أسنان الإيمان : ﴿ لا تتخذوا ﴾ و زاد فى ذلك المعنى من وجهين : التعبير بما منه العداوة تجرئة عليهم و تنفيرا منهم و التوحيد لما يطلق على الجمع لئلا يظن أن المنهى عنه المجموع بقيد الاجتماع و الإشارة إلى أنهم فى العداوة على قلب واحد ، فأهل الحق أولى بأن[7] يكونوا كذلك فى الولاية فقال : ﴿ عدوى ﴾ أى و أنتم تدعون موالاتى [و من المشهور أن مصادق العدو أدنى مصادقة لا يكون وليا فكيف بما هو فوق الأدنى -[8]] و هو فعول من عدى ، و أبلغ فى الإيقاظ بقوله : ﴿ و عدوكم ﴾ أى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الظهار (٢) زيد فى الأصل : العنيف ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فتكاملت .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : « و » (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : أوباكيا بكيا (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : ذلك (٧) لمن م ، و فى الأصل و ظ : ان (٨) زيد من ظ و م .

العريق في عداوتكم بما دمتم على مخالفته في الدين.

ولما وحد لأجل ما تقدم من الإشارة إلى اتحاد الكلمة، بين أن المراد الجمع فقال: ﴿ أولياء ﴾ ثم استأنف بيان هذا الاتحاد بقوله مشيرا إلى غاية الإسراع والمبادرة إلى ذلك بالتعبير بقوله: ﴿ تلقون ﴾

٥ أي جميع ما هو في حوزتكم مما لا تطمعون فيه[1] إلقاء الشيء الثقيل من علو ﴿ إليهم ﴾ على بعدهم منكم حسا ومعنى ﴿ بالمودة ﴾ [أي -[2]] بسببها ولما توقع السامع التصريح بمضادتهم في الوصف الذي فاداهم به بعد التلويح إليه، قال ملهبا ومهيجا إلى عداوتهم بالتذكير بمخالفتهم إياه في الاعتقاد المستلزم لاستصغارهم لأنه أشد المخالفة: ﴿ قد ﴾ أي

١٠ في الحال أنهم قد ﴿ كفروا ﴾ أي غطوا جميع ما لكم من الأدلة ﴿ بما ﴾ أي بسبب ما ﴿ جاءكم من الحق ﴾ أي الأمر الثابت الكامل في الثبات الذي لا شيء أعظم ثباتا منه، ثم استأنف بيان كفرهم بما يبعد من مطلق موادتهم فضلا عن السعي فيها بقوله مذكرا لهم بالحال الماضية زيادة في التنفير منهم ومصورا لها بما يدل على الإصرار بأنهم ﴿ يخرجون الرسول ﴾

١٥ أي الكامل في الرسلية الذي يجب على كل أحد عداوة من عاداه أدنى[3] عداوة[4] ولو كان أقرب الناس فكيف إذا كان عدوا، وبين أن المخاطب [من -[5]] أول السورة من المهاجرين وأن إيراده على وجه الجمع للسر

---

(١) زيد في الأصل وظ: بهم، ولم تكن الزيادة في م فحذفناها (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ وم، وفي الأصل: اه (٤) زيد في الأصل وظ: كانت ولم تكن الزيادة في م فحذفناها (٥) زيد من م.

والتعميم

و التعميم فى النهى بقوله : ﴿و اياكم﴾ أى من دياركم من مكة المشرفة .

و لما بين كفرهم معبرا بالمضارع إشارة إلى دوام أذاهم لمن آمن ، المقتضى لخروجه عن وطنه ، علل الإخراج بما يحقق معنى الكفر و العداوة فقال : ﴿ان﴾ أى أخرجوكم من أوطانكم لاجل أن ﴿تؤمنوا﴾ أى توقعوا حقيقة الإيمان مع التجديد و الاستمرار . ٥

و لما كان الإيمان به سبحانه مستحقا من وجهى الذات و الوصف لفت الخطاب من التكلم إلى الغيبة للتنبيه عليهما فقال : ﴿ بالله ﴾ أى الذى اختص بجميع صفات الكمال ، و لما عبر بما أبان أنه مستحق للايمان لذاته أردفه بما يقتضى / وجوب ذلك لإحسانه فقال : ﴿ربكم﴾ / ٢٩٧ و لما ألهبهم على مباينتهم لهم بما فعلوا معهم و اقتضى ما أوليه من ١٠ التنبيه بسياق الغيبة عاد إلى التكلم لانه أشد تحببا و أعظم استعطافا و أدل على الرضا فألهبهم بما كان من جانبهم من ذلك [الفعل] أن لا يضيعوه ، فقال معلما ان ولايته سبحانه لا تصح إلا بالإيمان ، و لا يثبت الإيمان إلا بدلائله من الأعمال ، و لا تصح الأعمال إلا بالاخلاص ، و لا يكون الإخلاص إلا بمباينة الأعداء : ﴿ان كنتم﴾ اى كونا راسخا حين أخرجوكم ١٥ من أوطانكم لأجل إيمانكم بى ﴿خرجتم﴾ اى منها و هى أحب البلاد إليكم ﴿جهادا﴾ أى لأجل الجهاد ﴿فى سبيلى﴾ أى بسبب إرادتكم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : دياركم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : انكم .
(٣) فى ظ و م : و بينهم (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مباينتهم له .
(٥) زيد من ظ و م .

تسهيل طريق التى شرعتها لعبادى أن[1] يسلكوها ﴿ وابتغآء مرضاتى ق صلے ﴾ أى و لأجلى تطلبكم بأعظم الرغبة لرضاى و لكل فعل يكون موضعا له، و جواب هذا الشرط محذوف لدلالة «لا تتخذوا» عليه.

و لما فرغ من بيان [حال -[2]] العدو و شرط إخلاص الولى، ٥ وكان التقدير: فلا تتخذوهم أولياء، بنى عليه قوله مبينا " تلقون "، إعلاما بأن الإسرار إلى أحد بما فيه نفعه لا يكون إلا توددا: ﴿ تسرون ﴾ أى توجدون إسرار جميع ما يدل على مناصحتهم و التودد إليهم، و أشار إلى بعدهم عنهم بقوله: ﴿ اليهم ﴾ إبلاغا فى التوبيخ بالإشارة إلى أنهم يتجشمون فى ذلك مستفتين[3] إبلاغ الأخبار التى يريد النبى صلى الله عليه ١٠ و سلم و هو المؤيد بالوحى كتمها عنهم على وجه الإسرار خوف الافتضاح و الإبلاغ إلى المكان البعيد ﴿ بالمودة ق صلے ﴾ أى بسببها أو[4] بسبب الإعلام بأخبار يراد بها أو يلزم منها المودة. و لما كان المراد بالإسرار الستر على من يكره ذلك، قال مبكتا لمن يفعله: ﴿ و انا ﴾ أى و الحال أنى ﴿ اعلم ﴾ أى من كل أحد من نفس الفاعل ﴿ بمآ اخفيتم ﴾ أى ١٥ من ذلك ﴿ و مآ اعلنتم[5] ﴾ فأىّ فائدة لإسراركم إن كنتم تعلمون أنى عالم به، و إن كنتم تتوهمون[6] أنى لا أعلمه فهى القاصمة.

و لما كان التقدير بما هدى[6] إليه العاطف: فمن فعل منكم فقد ظن

(١) من م، و فى الأصل و ظ: الى (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل مستقين (٤) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٥) من م، و فى الأصل و ظ: تتهمون (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اهدى.

أنى لا أعلم الغيب أو فعل ما يقتضى ظن ذلك ، عطف عليه [قوله -[1]] : ﴿و من يفعله﴾ أى يوجد الاتخاذ سرا أو علنا أو يوجد الإسرار بالمودة فالإعلان أولى فى وقت من الأوقات ماض أو حال أو استقبال ، و لما كان المحب قد يفعل بسبب الإدلال ما يستحق به التبكيت ، فاذا بكت ظن أن ذلك ليس على حقيقته لأن محبته لايضرها شىء ، وكان قد ستر ٥ المعايب بأن أخرج[2] الكلام مخرج العموم ، صرح بأن هذا العتاب مراد به الإحباب فقال : ﴿منكم﴾ و حقق الأمر و قربه بقوله : ﴿فقد ضل﴾ أى عمى و مال و أخطأ ﴿سوآء السبيل ٥﴾ أى قويم الطريق الواسع الموسع إلى القصد قويمه و عدله ، و سبب نزول هذه الآية روى من وجوه / كثيرة / ٢٩٨ فبعضه فى الصحيح عن على و منه فى الطبرانى عن أنس و منه فى التفاسير[3] ١٠ أن سارة مولاة أبى عمرو بن صيفى بن هاشم بن عبد مناف أتت المدينة و رسول الله صلى الله عليه و سلم يتجهز لفتح مكة فسألها ما أقدمها ، فقالت : ذهبت موالى و قد احتجت حاجة شديدة ، وكنتم الأهل و العشيرة و الموالى ، فحث رسول الله صلى الله عليه و سلم بنى عبد المطلب و بنى المطلب فأعطوها وكسوها و حملوها ، فكتب معها حاطب بن أبى بلتعة ١٥ حليف بنى أسد[4] بن عبد العزى « من حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه و سلم يريدكم[5] فخذوا حذركم » فأعطاها عشرة

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اخرج (٣) راجع مثلا معالم التنزيل بهامش اللباب ٧/٦٢ (٤) من ظ و م و المعالم ، وفى الأصل : سيد. (٥) من ظ و م و المعالم ، و فى الأصل : يريد .

دنانير ، فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه و سلم عمر و عليا و عمارا و الزبير و طلحة و المقداد و أبا مرثد و كانوا كلهم فرسانا فقال : انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب إلى المشركين ، فخذوه[1] منها و خلوا سبيلها ، و إن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها . فانطلقوا[2] نغادى بهم خيلهم ، فأدركوها[3] فى ذلك المكان فأنكرت و حلفت بالله ؛ ففتشوها فلم يجدوه[4] فهموا بالرجوع ؛ فقال على رضى الله عنه : ما كذبنا و لا كذبنا ، و سل سيفه فقال : أخرجى الكتاب أو لألقين الثياب و لأضربن عنقك ؛ فقالت : على أن لا تردونى . ثم أخرجته[5] من عقاصها قد لفت عليه شعرها ، فخلوا سبيلها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم لحاطب : هل تعرف الكتاب ، قال : نعم ، قال : فما حملك على هذا ؟ قال : لا تعجل يا رسول الله ، و الله ما كفرت منذ أسلمت و لا غششت[6] منذ نصحتك و لا أحببتهم منذ فارقتهم ، و لكن لم يكن أحد من المهاجرين إلا و له بمكة من يدفع الله به عن عشيرته ، و كنت غريبا خليفا فيهم[7] ، و كان أهلى بين ظهرانيهم فأردت أن أتخذ[8] عندهم يدا[9] يدفع الله بها عن أهلى ، و قد علمت أن الله تعالى ينزل بهم بأسه ،

(١) من ظ و م و المعالم ، و فى الأصل : نفذوا (٢ - ٢) من م و المعالم . و فى الأصل و ظ : بذلك (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : فلم يجدوا (٤) من ظ و م و المعالم ، و فى الأصل : و (٥) زيد فى الأصل : عنقها او . و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عشيت ، و فى المعالم : غششتك . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بينهم (٨) من م و المعالم ، و فى الأصل و ظ : يتخذ (٩) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م و المعالم .

و أن

و أن كتابي لا يغني عنهم شيئا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم : صدق و لا تقولوا له إلا خيرا ، فقال [عمر -[1]] بن الخطاب رضي الله عنه : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : و ما يدريك يا عمر لعل[2] الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، ففاضت عينا عمر رضي الله عنه و قال : الله و رسوله أعلم ، فأنزل الله " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي و عدوكم " الآيات .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : افتتحت - يعني هذه السورة - بوصية المؤمنين على ترك[3] موالاة أعدائهم و نهيهم عن ذلك [و أمرهم -[4]] بالتبرء منهم ، و هو المعنى الوارد في قوله خاتمة المجادلة " لا تجد قوما يؤمنون بالله و اليوم الآخر يوادون من حاد الله و رسوله و لو كانوا آباءهم أو ابناءهم " إلى آخر السورة ، و قد حصل [منها -[4]] ان / أسنى أحوال أهل الإيمان و أعلى مناصبهم " اولئك كتب في قلوبهم الايمان و ايدهم بروح منه " فوصى عباده في افتتاح الممتحنة بالتنزه عن موالاة الأعداء و وعظهم بقصة[5] إبراهيم عليه الصلاة و السلام و الذين معه في تبرئهم من قومهم و معاداتهم ، و الاتصال في هذا بين ، و كان سورة الحشر وردت مورد الاعتراض المقصود بها تمهيد الكلام و تنبيه[6] السامع

/ ٢٩٩

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : ان (٣) سقط من ظ (٤) زيد من ظ و م (٥ - ٥) من ظ و م ، و في الأصل : عدوهم - كذا (٦) من م ، و في الأصل و ظ : بينة .

على ما به تمام الفائدة لما ذكر أن شأن المؤمنين أنهم لا يوادون من حاد الله و رسوله و لو[1] كانوا أقرب الناس إليهم، اعترض بتنزيهه عن مرتكباتهم، ثم أتبع ذلك ما[2] عجله لهم من النقمة و النكال، ثم عاد الأمر إلى النهي عن موالاة الأعداء جملة له، ثم لما كان أول سورة ٥ الممتحنة إنما نزل[3] في حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه و كتابه[4] لكفار قريش بمكة، و القصة مشهورة و كفار مكة ليسوا من يهود، و طلبوا المعاداة [5]للجميع واحد[5]، فلهذا فصل بما هو من تمام الإخبار بحال يهود، و حينئذ عاد الكلام إلى الوصية عن نظائرهم من الكفار المعاندين، و التحمت السور الثلاث و كثر في سورة الممتحنة ترداد الوصايا و العهود، ١٠ و طلب بذلك كله و لهذا المناسبة ذكر فيها الحكم في بيعة النساء و ما يشترط عليهن في ذلك، فبنى[6] السورة على طلب الوفاء افتتاحا و اختتاما حسب[7] ما بين في التفسير لينزه المؤمن عن حال من قدم ذكره في سورة الحشر [و -[8]] في خاتمة[9] سورة المجادلة - انتهى.

و لما كان ما بينه تعالى من إخراجهم لهم موطحا بعداوتهم و كان[10] ١٥ طول كفهم عن قصدهم بالأذى من سنة الأحزاب سنة خمس إلى سنة

(١) من ظ و م، و في الأصل: لما (٢) من ظ و م، و في الأصل: بما.
(٣) من ظ و م، و في الأصل: نزلت (٤) من ظ و م، و في الأصل: كتابته.
(٥-٥) من ظ و م، و في الأصل: الجميع و احدا (٦) من ظ و م، و في الأصل: مبني (٧) من ظ و م، و في الأصل: حس (٨) زيد من ظ و م.
(٩) من ظ و م، و في الأصل: خلقه (١٠) من ظ و م، و في الأصل: كانوا.

ثمان ربما شكك فى أمرها ، و كان سبحانه قد أعز المؤمنين بعد ذلهم و قواهم بعد وهنهم و ضعفهم ، و ثقفهم[1] بعد جهلهم ، بين ظلال معتقد ذلك بأن كف الكفار إنما هو لعجزهم و أنهم[2] لوحصل لهم ما هو للمسلمين الآن من القوة لبادروا إلى إظهار العداوة مع أن ذلك فى نصر الشيطان، فأولياء الرحمان أولى باتباع ما آتاهم من الإيمان ، فقال مبينا لبقاء عداوتهم : ٥ ﴿ ان يثقفوكم ﴾ أى يجدوكم فى وقت من الأوقات و[3] مكان من الأماكن و هم يطمعون فى أخذكم بكونهم أقوى منكم أو أعرف بشىء مما[4] يتوصل به إلى الغلبة ، و أشار بأداة الشك إلى أن وجدانهم و هم على صفة الثقافة مما لا تحقق له ، و إنما هو على سبيل الفرض و التقدير ، و أنه إنما علم سبحانه أنه لو كان كيف كان يكون ، مع أنه مما لايكون ، ١٠ و نبه على عراقتهم فى العداوة بالتعبير بالكون فقال : ﴿ يكونوا لكم ﴾ أى خاصة ﴿ اعدآء ﴾ أى يعدون إلى[5] أذاكم كل عدو يمكنهم و إن واددتموهم . و [لما -[6]] كانت العداوة قد تكون[7] باغراء الغير، عرف أنهم لشدة غيظهم لايقتصرون[8] على ذلك فقال : ﴿ و يبسطوآ اليكم ﴾ أى خاصة / و إن كان هناك فى ذلك الوقت من غيركم من[9] قتل أعز ١٥ / ٣٠٠

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فقهم - كذا (٢) فى م : انه (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : أو (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لاتكون (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لاينتصرون (٩) زيد فى الأصل : السعة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

الناس إليهم ﴿ ايديهم ﴾ أى بالضرب إن استطاعوا ﴿ و السنتهم ﴾ اى بالشتم مضمومة إلى فعل أيديهم فعل من ضاق صدره بما نجرع من آخر من غيركم من القصص حتى أوجب له غاية السعة ﴿بالسوء﴾ أى بكل ما من شأنه أن يسوء .

٥ و لما كان أعدى الأعداء [لك - ١] من تمنى أن يفوتك أعز الأشياء لديك ، وكان أعز الأشياء عند كل أحد دينه ، قال متمما للبيان : ﴿ و ودوا ﴾ أى وقعت منهم هذه الودادة قبل هذا[٢] لأن مصيبة الدين أعظم [فهم إليها أسرع لأن دأب العدو القصد إلى أعظم - ١] ضرر يراه لعدوه ، و عبر بما يفهم التمنى[٣] الذى يكون فى المحالات ليكون المعنى ١٠ أنهم أحبوا ذلك غاية الحب و تمنوه ، و فيه بشرى بأنه من قبيل المحال ﴿ لو تكفرون ﴾ أى يقع منكم الكفر الموجب للهلاك الدائم ، [و - ١] قدم الأول لأنه أبين فى العداوة و إن كان الثانى انكأ .

و لما كانت عداوتهم معروفة و إنما غطاها محبة القرابات لأن الحب للشىء يعمى و يصم ، فخطأ رايهم فى موالاتهم بما أعلمهم به من حالاتهم[٤] ، ١٥ زعد فيها بما يرجع إلى حال من والوهم لأجلهم بما تورثه من الشقاء الدائم يوم البعث ، فقال مستأنفا إعلاما بأنها خطأ على كل حال : ﴿ لن تنفعكم ﴾ أى بوجه [من الوجوه - ١] ﴿ ارحامكم ﴾ أى قراباتكم الحاملة لكم على

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : الان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : النهى (٤) فى ظ و م : حالهم .

رحمتهم

رحمتهم و العطف عليهم ﴿ و لآ اولادكم ج ﴾ الذين هم أخص ارحامكم إن واليتم أعداء الله لأجلهم فينبغى أن لا تعدوا قربهم منكم بوجه أصلا ، ثم علل ذلك و بينه بقوله : ﴿ يوم القيمة ۚ ﴾ أى القيام الأعظم .

و لما كان النافى للنفع وقوع الفصل لا كونه[1] من فاصل معين قال بانيا للمفعول على قراءة أبى عمرو و نافع و ابن كثير و أبى جعفر و ابن عامر[2] من أكثر طرقه إلا أنه شدد الصاد للمبالغة فى الفصل : ﴿ يفصل ﴾ أى يوقع الفصل و هو الفرقة العظيمة بانقطاع جميع الأسباب ﴿ بينكم[4] ﴾ أى أيها الناس فيدخل[3] من شاء من أهل طاعته الجنة ، و من شاء من أهل معصيته النار ، فلا ينفع أحدا منكم بشىء من الأشياء إلا إن كان [قد -[4]] أتى الله بقلب سليم فيأذن الله فى إكرامه بذلك .

و لما كان التقدير إعلاما بأن الله هو الفاصل و هو الضار النافع بما دلت [عليه -[4]] قراءة الباقين إلا أن حمزة و الكسائى بضم الياء و فتح الفاء و كسر الصاد مشددة إشارة إلى عظمة هذا الفصل بخروجه عن المألوف عودا إلى الاسم الأعظم إشارة إلى عظم الأمر بانتشار الخلائق و أعمالهم : فالله على ذلك قدير ، عطف عليه[5] قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة[6] التامة ﴿ بما تعملون ﴾ أى من كل عمل فى كل وقت ﴿ بصير ۝ ﴾ فيجازيكم عليه فى الدنيا و الآخرة ، و قد مضى غير مرة أن

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لكونه (٢) راجع نثر المرجان ٧/١٠٣ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فيه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : على ذلك (٦) زيد فى الأصل : الكامل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

تقديم الجار فى مثل هذا للتنه على مزيد الاعتناء بعلم ذلك لا على الاختصاص و لا لأجل الفواصل .

و لما أبلغ سبحانه فى وعظهم فى ذلك ، و كانت عادته التربية بالماضين ، كان موضع توقع ذلك فقال معبرا بأداة التوقع : ﴿قد كانت﴾

٣٠١ / ٥ أى وجدت وجودا تاما ، و كان تأنيث الفعل إشارة إلى الرضا / بها و لو كانت على ادنى الوجوه ﴿لكم﴾ أى [ايها -[1]] المؤمنون ﴿اسوة﴾ اى موضع اقتداء و تأسية و تسنن و تشرع و طريقة مرضية ﴿حسنة﴾ يرغب فيها ﴿فى ابرٰهيم﴾ أى فى قول أبى الأنبياء ﴿و الذين معه ج﴾ أى [ممن -[1]] كانوا قبله من الأنبياء ، قال القشيرى : و ممن آمن به فى

١٠ زمانه كابن أخيه لوط عليهما الصلاة و السلام و هم قدوة أهل الجهاد و الهجرة ﴿اذ﴾ أى حين ﴿قالوا﴾ و قد كان من آمن به أقل منكم و أضعف ﴿لقومهم﴾ الكفرة ، و قد كانوا[2] أكثر من عدوكم و أقوى و كان لهم[3] فيهم أرحام و قرابات و لهم فيهم رجاء بالقيام و المحاولات .

١٥ و لما كان ما ذكر من ضعفهم و قوة قومهم مبعدا لأن يبارزوهم ، أكدوا قولهم فقالوا : ﴿انا[4]﴾ أى من غير وقفة و لاشك ﴿برءٰؤا﴾ أى متبرؤن تبرئة عظيمة ﴿منكم﴾ و إن كنتم أقرب الناس إلينا و لا ناصر لنا منهم غيركم . و لما تبرؤا منهم أتبعوه ما هو أعظم عندهم منهم و هو سبب العداوة فقالوا : ﴿و مما تعبدون﴾ أى توجدون عبادته فى وقت

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لكم (٤) ورد فى الأصل بعد « لاشك » والترتيب من ظ و م .

من الأوقات الماضية المفيد[1] التعبير [عنها -[2]] بالمضارع تصوير الحال أو[3] الحاضرة أو الآتية كأنا من كان لا يخاف شيئا من ذلك لأن إلهنا الذى قاطعنا كل شيء فى الانقطاع إليه لا يقاويه شيء، و لا تقدرون أنتم مع إشراككم به على البراءة منه.

و لما كانوا مشركين قالوا مستثنين و مبينين لسفول كل شيء عن متعالى مرتبة معبودهم: ﴿ من دون الله[4] ﴾ أى الملك الأعظم[5] الذى هو كاف لكل مسلم[5]. و لما كانت البراءة على أنحاء كثيرة، بينوا أنها براءة الدين الجامعة لكل براءة فقالوا: ﴿ كفرنا بكم ﴾ أى أوجدنا الستر لكل ما ينبغى ستره حال كوننا مكذبين بكل ما يكون من جهتكم من دين و غيره الذى يلزم منه الإيمان. و هو إيقاع الأمان من التكذيب لمن يخبرنا بسبب كل ما يضاده مصدقين بذلك[6]. و لما كان المؤمن على جبلة مضادة لجبلة الكافر، عبر بما يفهم [أن -[2]] العداوة [كانت موجودة -[2]] و لكنها كانت مستورة، فقال دالا على قوتها بتذكير الفعل: ﴿ و بدا ﴾ أى ظهر ظهورا عظيما، و على عظمتها بالدلالة بنزع الخافض على أنها شاحنة لجميع البينين فقال: ﴿ بيننا و بينكم ﴾ أى فى جمع الحد[7] الفاصل بين كل واحد منا و كل واحد منكم ﴿ العداوة ﴾ و هى المباينة فى الأفعال بأن يعدو كل [على -[2]] الآخر و لا يكون [ذلك -[2]]

(١) من ظ و م، و فى الأصل: المفيدة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: و (٤) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: منكم (٦) فى م: بتلك المضاد (٧) من ظ، و فى الأصل و م: جد.

إلا عند ما - [يستخف - [1]] الغيظ [2] الإنسان لإرادة ان يشفى صدره من شدة ما حصل له من حرارة الحنق. فالعداوة مما [3] يمتد فيكون مالئة لظرفها، قال الشيخ سعد الدين التفتازانى فى تلويحه [4] على توضيح صدر الشريعة فى أوائله فى علاقات المجاز: الفعل المنسوب إلى ظرف الزمان بواسطة تقدير [5] «فى» دون ذكره يقتضى كون الظرف معيارا له [6] غير زائد عليه مثل صمت الشهر، يدل على صوم جميع أيامه بخلاف صمت فى الشهر. فاذا امتد الفعل امتد الظرف ليكون معيارا [6] [له - [1]] فيصح حمل اليوم [7] - فى نحو صرت يوم كذا [8] - على حقيقته، و هو / ما يمتد من الطلوع إلى الغروب، و إذا لم يمتد الفعل - يعنى مثل وقوع الطلاق - لم يمتد الظرف، لأن الممتد لا يكون معيارا لغير الممتد فحينئذ [9] لا يصح حمل اليوم على النهار الممتد بل يجب أن يكون [مجازا - [1]] عن جزء من الزمان الذى لا يعتبر فى العرف ممتدا، و هو الآن سواء كان من النهار أو من الليل بدليل قوله تعالى "و من يولهم يومئذ دبره" فان التولى عن الزحف حرام ليلا كان أو نهارا و لأن مطلق الآن جزء من الآن اليومى و هو جزء من اليوم، فيكون مطلق الآن جزءا من اليوم، فتحقق العلاقة.

/٣٠٢

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: انضبط (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بما (٤) ص: ٢١٩ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تقديره. (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يوم. (٨) زيد فى الاصل: او، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: وحينئذ.

و لما

و لما كان ذلك قد يكون لغير البغض بل لتأديب و نحوه قالوا: ﴿ و البغضآء ﴾ اى و هى المباينة بالقلوب بالبغض العظيم . و لما كان ذلك قد يكون سريع الزوال قالوا: ﴿ ابدا ﴾ و لما كان ذلك مرئيا من صلاح الحال، و كان قد يكون[1] لحظ نفس، بينوا غايته على وجه عرفت به علته[2] بقولهم: ﴿ حتى تؤمنوا ﴾ أى توقعوا الأمان من التكذيب لمن أمركم بالإيمان و أخبركم عن الرحمان، حال كونكم مصدقين و معترفين ﴿ بالله ﴾ اى الملك الذى له الكمال كله . و لما كانوا يؤمنون به مع الإشراك قالوا: ﴿ وحده ﴾ أى تكونوا مكذبين بكل ما يعبد من دونه .

و لما حث سبحانه المخاطبين على التاسى بقول إبراهيم و من معه فى ذلك الوقت عليهم السلام استثنى منه فقال تأنيسا لمن نزلت القصة[3] بسببه و استعطافا [له -[4]] و هو حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه: ﴿ الا قول ابراهيم ﴾ أى فلا تأسى لكم به ﴿ لابيه ﴾ واعدا له قبل أن يبين له أنه ثابت العداوة لله تعالى لكونه مطبوعا على قلبه، فلا صلاح له . يقال: إن أباه وعده أنه يؤمن فاستغفر له، فلما تبين له، أنه لا يؤمن تبرأ منه: ﴿ لاستغفرن ﴾ أى لأوجدن طلب الغفران من الله ﴿ لك ﴾ فان هذا الاستغفار لكافر، فلا ينبغى لهم أن يتأسوا به فيه مطلقا غير ناظرين إلى علم أنه مطبوع على قلبه أو فى حيز[5] الرجوع .

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لا يكون (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عليه (٣) فى م: القضية (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عصير .

و لما وعده بالاستغفار رغيبا له ، رهبه لئلا يترك السعى فى النجاة بما معناه أنه ليس فى يدى غير الاستغفار ، فقال : ﴿و مآ املك لك﴾ أى لكونك كافرا ﴿من الله﴾ اى لأنه الملك[1] الأعلى المحيط بنعوت[2] الجلال ، وأعرق فى النفى بقوله : ﴿من شىء[3]﴾ و الاستثناء وقع [على -[4]] هذا القول بقيد الاجتماع ، و لا يلزم منه التعرض للأجزاء ، فلا تكون هذه الجملة على حيالها مستثناة لأن النبى صلى الله عليه و سلم لما نادى : وا صباحاه حين[5] أنزل الله سبحانه و تعالى "و انذر عشيرتك الاقربين" كان يقول لكل من سماه : لا أملك لك[6] من الله شيئا ، حتى قال فى آخر ذلك : يا فاطمة بنت محمد ! سلينى من مالى[7] ما شئت لا أغنى عنك من الله شيئا .

و لما حثهم على التأسى بقول الخلص . و قدم [منه -[8]] المحافاة لأنها المقصودة ، و استثنى ما لاينبغى التاسى فيه اعتراضا به بين أجزاء مقالهم بيانا للاهتمام به للتنفير منه[9] من قوله ، أتم ما يؤيسى[9] فيه فقال مبينا أنهم ما أقدموا على مجافاتهم[10] بما قال إلا وقد قرروا جميع ما يقولونه و رضوا به دون موادتهم و انقطعوا إلى الله وحده انقطاعا تاما يفعل بهم ما يشاء من تسليطهم عليهم / أو حمايتهم منهم ، لكنهم سألوا الحماية ٣٠٣/

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : المالك (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ثبوت (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لما (٥) سقط من ظ . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : مالك (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : به (٩) زيد فى الاصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : محافهم .

لا لذاتها و لا لأنفسهم بل لئلا يزيد [ذلك -[1]] أعداءهم ضلالا[2]:
﴿ربنا﴾ أى أيها المحسن إلينا بتخليصك لنا من الهلاك باتباعهم
﴿عليك﴾ أى لا على غيرك ﴿توكلنا﴾ أى فعلنا فى جميع [3]امورنا معك[3]
فعل من يحملها على قوى ليكفيه أمرها لأنا نعلم أنك تكفى إذا شئت
كل ملم[4]، و أنه لا يذل من واليت و لا يعز من عاديت و قد عادينا[5] فيك ٥
قوما عتاة أقوياء و نحن ضعفاء و رضينا بكل ما يحصل لنا منهم غير ان
عافيتك هى أوسع لنا .

و لما كان الذى ينبغى لكل أحد و إن كان محسنا أن يعد نفسه
مقصرا شاردا عن ربه لأنه أعظم جلاله لا يقدر أحد أن يقدره حق
قدره . و أن يعزم على الاجتهاد فى العبادة قالوا مخبرين بذلك عادين ١٠
ذلك العزم رجوعا : ﴿و اليك﴾ أى وحدك [1]لا إلى غيرك[6] ﴿انبنا﴾
أى رجعنا بجميع ظواهرنا و بواطننا . و لما كان المعنى تعليلا : فانه منك
المبدأ ، عطف عليه قوله : ﴿و اليك﴾ أى وحدك ﴿المصير﴾ و لما
أخبروا باسلامهم له سبحانه و عللوه بما اقتضى الإحاطة فاقتضى مجموع[7] ذلك
الثناء الأتم ، فلزم منه الطلب ، صرحوا به فقالوا داعين باسقاط الأداة ١٥
للدلالة على غاية قربه سبحانه بما له من الإحاطة : ﴿ربنا﴾ أى أيها
المربى لنا و المحسن إلينا ﴿لا تجعلنا﴾ باضعافنا و التسليط علينا ﴿فتنة﴾

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ضلالا (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الامور مع (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مسلم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عادينا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : جميع .

أى موضع اختبار ﴿للذين كفروا﴾ بأن يعذبونا بعذاب يميلنا عما نحن عليه[١] و يميلهم عما و صلوا[٢] إليه بسبب إسلامنا من الزلازل بما يوجب ذلك لهم من اعتقاد لو أنك كنت راضيا بدينا لكنا[٤] على الحق و كانوا هم على الباطل ما أمكنت منا، فيزيدهم ذلك طغيانا ظنا منهم أنهم على الحق و إنا ٥ على الباطل.

و لما كان رأس مال المسلم[٥] الأعظم الاعتراف بالتقصير و إن بلغ النهاية فى المجاهدة فان[٦] الإله فى غاية العظمة و العبد فى نهاية الضعف، فبلوغه [ما يحق له -[٧]] سبحانه لا يمكن بوجه قالوا: ﴿و اغفر لنا﴾ أى استر ما عجزنا فيه و امح عينه و أثره. و لما طلبوا منه الحياطة من ١٠ جميع الجوانب، عللوه زيادة فى التضرع و الخضوع و استجاز المطلوب مكررين صفة الإحسان زيادة فى الترقق و الاستعطاف بقولهم: ﴿ربنا﴾ أى المحسن إلينا، و أكدوا إعلاما بشدة رغبتهم بحسن الثناء عليه[٨] سبحانه و اعترافا[٩] بانهم قد يفعلون[٩] ما فيه شىء من تقصير فيكون من مثل أفعال من [لا -[١٠]] يعرفه سبحانه فقالوا: ﴿انك انت﴾ أى وحدك ١٥ لاغيرك ﴿العزيز﴾ الذى يغلب كل شىء و لايغلبه شىء ﴿الحكيم﴾

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فيه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: وصوا.
(٣) من م، و فى الأصل: انزنزال (٤) من ظ و م، و فى الأصل: وكنا.
(٥) من م، و فى الاصل و ظ: السلم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فى.
(٧) زيد من ظ (٨) من ظ و م، و فى الأصل: اليه (٩ - ٩) من ظ و م، و فى الاصل: بانه قد يفعلوا (١٠) زيد من ظ و م.

الذى

الذى يضع الأشياء فى أوفق محالها فلا يستطاع[1] نقضها ، و من كان كذلك فهو حقيق بأن يعطى من أمله فوق ما طلب .

و لما أتم ما حثهم على التأسى فيه بذكر أعظم آبائهم لأن دواعى الإنسان إلى المداراة عما يخاف عليه من أقاربه و آله و جميع أحواله[2] عظيمة جدا إن كان المدارأ عظيما لا سيما إن كان / قد تقدم له صداقة ٥ / ٣٠٤ و به ألفة ، فكان جديرا بعد الوعظ و التأسية أن[3] يبقى عنده بقايا و لا سيما و الناس متفاوتون ، منهم من يرده أيسر وعظ و منهم من يحتاج إلى أكثر من ذلك ، اعاد التأسية تأكيدا لها على وجه بلغ الذروة من جمال[4] الترغيب و جلال الترهيب ، و ليكون فيها أتم دلالة على أن ما بينهما من قول إبراهيم عليه السلام المأمور بالتأسى به من الدعاء و غيره إلا ما ١٠ استثنى لتشتد الرغبة فيه ، فقال مصدرا بما دل على القسم إشارة إلى أن من فعل غير هذا كان فعله فعل منكر[5] لحسن هذا التأسى ، و لذلك ذكر الفعل الذى أنثه فى الأول : ﴿لقد كان لكم﴾ أى أيها الذين ادعوا الإيمان ، و قدم الظرف [6]بيانا للاهتمام به[6] فقال : ﴿فيهم﴾ أى إبراهيم عليه السلام ومن معه ﴿ اسوة حسنة ﴾ و أبدل من "لكم" ما هو الفيصل فى ١٥ الدلالة على الباطل ، فقال مشيرا إلى ان من لم يتأس بهم فى هذا لم يكن راجيا لما ذكر : ﴿ لمن كان ﴾ أى جبل على أنه ﴿ يرجوا الله ﴾ أى الملك

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا يساع (٢) فى ظ : اخوانه (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : بان (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : كمال (٥) من ظ و م ، و فى الاصل : المنكر (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اهتماما به و بيانا .

المحيط بجميع صفات الكمال . فهو ذو الجلال الذى يجير و لا يجار عليه ، و الإكرام الذى هو جدير بأن يعطى جميع ما يسأله ﴿ و اليوم الآخر ﴾ الذى يحاسب على النقير و القطمير ، و لا تخفى عليه خافية ، فمن لم يتأس[1] بهم[2] كان تركه للتأسى دليلا على سوء عقيدته ، فلا يلومن[3] إلا نفسه ، فقد أذن لإمام المسلمين إن عثر عليه فى عقوبته . فان علم الغيب الذى أعلمناه[5] نبينا صلى الله عليه و سلم بأن حاطبا رضى الله عنه صحيح العقيدة[5] غير متأهل للعقوبة منقطع بموته صلى الله عليه و سلم و لا يبقى إلا ما نصبناه من الشعار ، و أقمناه من الدلائل .

و لما كان التقدير : فمن أقبل على هذا التأسى لكونه يرجو الله و اليوم الآخر فلم يخلد إلى الدنيا ، يتوله الله ، فان الله[6] رحيم ودود ، عطف عليه قوله : ﴿ و من يتول ﴾ أى يوقع الإعراض عن أوامر الله تعالى فى وقت من الأوقات مطلقا لكونه أخلد إلى الدنيا[7] و لم ير اليوم الآخر أعرض الله عنه ، و أشار بصيغة التفعل إلى أن ذلك لا يقع إلا بمعالجة الفطرة الأولى ، و أكد لأن فاعل ذلك كالمنكر لمضمون[8] الكلام فقال : ﴿ فان الله ﴾ أى الذى له الإحاطة [الكاملة -[9]] ﴿ هو ﴾ أى خاصة

(١) فى ظ و م : لم يانس (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : به (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا يكون من (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : علمناه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : العقوبة (٦) زيد فى الأصل : غفور ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الارض (٨) من ظ و م و فى الأصل : لمفهوم (٩) زيد من م .

﴿ الغنى ﴾ أى عن كل شىء ﴿ الحميد ﴾ [أى -[1]] الذى له الحمد المحيط، لإحاطته بأوصاف الكمال فى حال الطاعة له و المعصية فان العاصى عبد لإرادته، كما أن المطيع عبد لآمره و إرادته و لطفه، فلا يخرج شىء عن مراده، و كل شىء خاضع لحكمه، و قد بينت الآية أدب العشرة لما ألهبت و هيجت على المفارقة للعصاة و التبرء منهم حسا و معنى، و إظهار ٥ ذلك لهم قولا و فعلا، إلى [أن -[2]] تحصل التوبة، و من لم يفعل ذلك كان شريكا فى الفعل فيكون شريكا فى الجزاء كما ورد، ثم [لا -[2]] يمنعه ذلك أن يكون أكيله و جليسه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، و لعنهم على ألسنة الأنبياء، و من فعل ما أمره[3] الله به كان فعله جديرا بأن يكون سبب / الوصله و القرب و المودة، فالآية[4] من الاحتباك: ١٠ / ٣٠٥ ذكر الرجاء أولا دليلا على ضده ثانيا. و التولى ثانيا دليلا على ضده أولا، و سره أنه ذكر سبب السعادة ترغيبا و سبب الشقاوة ترهيبا.

و لما أتم وعظهم بما هو الأنفع و الأقرب إلى صلاحهم ففعلوا، و كان ذلك شاقا لما جبل عليه البشر من حب ذوى الأرحام[5] و العطف عليهم، فتشوفت النفوس إلى تخفيف بنوع من الأنواع، أتبعه الترجمة فيما ١٥ قصده حاطب رضى الله عنه بغير الطريق الذى يتوصل به[6] فقال على عادة الملوك فى الرمز إلى ما [7]يريدونه فيقنع[7] الموعود به بل يكون ذلك الرمز

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: امر.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: والآية (٥) من م، و فى الأصل و ظ: الارواح (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اليه (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: يرونه فيقع.

عنده[١] أعظم من البت من غيرهم [لما لهم -[٢]] من العظمة التى تقتضى[٣] النزاهة عما يلم بشائبة نقص ، و ذلك أعظم فى الإيمان بالغيب لأن الوعود لا تزال بين خوف و رجاء جوابا لمن كأنه[٤] كان يقول : كيف يكون الخلاص من مثل هذه الواقعة و قد بنيت يا رب هذه الدار على حكمة الأسباب : ﴿ عسى الله ﴾ أى أنتم جديرون بأن تطمعوا فى الملك المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ ان يجعل ﴾ بأسباب لا تعلمونها ﴿ بينكم و بين ﴾ أى فى جميع الحد الفاصل بين المجموعين أو بين كل شخصين من الجمعين ﴿ الذين عاديتم ﴾ أى بالمخالفة فى الدين ﴿ منهم ﴾ أى من هؤلاء الذين عادوكم بما تقدم باعيانهم[٥] من أهل مكة ﴿ مودة[٤] ﴾ و قد جعل ذلك عام الفتح تحقيقا لما رجاه سبحانه ، و أجرى سنته[٦] الالهية بأن من عاديته فيه جعل عاقبة ذلك إلى ولاية عظيمة ، و من تهاونت[٧] فى مقاطعته [فيه -[٢]] سبحانه أقامه لك ضدا .

و لما كان التقدير : فالله بكم رفيق ، عطف عليه تذكيرا لهم بما له سبحانه من العظمة [قوله -[٢]] ﴿ و الله ﴾ أى الذى له[٨] الإحاطة بالكمال[٨] : ﴿ قدير[٤] ﴾ أى بالغ القدرة على كل ما يريده فهو يقدر على تقليب القلوب و تيسير العسير ، فلما تم الرجاء لم يبق إلا كدر الذنب

(١) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تفيض (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : من اعيانهم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : سنة (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : تهاون (٨ - ٨) فى م : كمال الإحاطة .

فأتبعه

فأتبعه تطييبا للقلوب مما نزلت هذه الآيات بسببه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى محاء لأعيان الذنوب و آثارها[1] ﴿ رحيم ۝ ﴾ يكرم الخاطئين[2] إذا أراد بالتوبة [ثم -[3]] بالجزاء غاية الإكرام ، قال الرازى فى اللوامع : كان النبى صلى الله عليه و سلم[4] استعمل أبا سفيان رضى الله عنه على بعض اليمن ، فلما قبض رسول الله صلى الله ٥ عليه و سلم[4] أقبل فلقى ذا الحجار مرتدا فقاتله ، فكان أول من قاتل على الردة ، فتلك المودة بعد المعاداة .

و لما تم الوعظ و التأسية و تطييب النفوس بالترجئة ، و كان [وصف -[3]] الكفار بالإخراج لهم من ديارهم يحتمل أن يكون بالقوة فيعم[5] ، و يحتمل ان يكون / بالفعل فيخص أهل مكة أو من باشر الأذى ١٠ /٣٠٦ الذى تسبب عنه الخروج منهم ، بين ذلك بقوله مؤذنا بالإشارة إلى الاقتصاد فى الولاية و العداوة كما قال صلى الله عليه و سلم[6] : احبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما ، [و أبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما -[3]] . ﴿ لا ينهكم الله ﴾ أى الذى اختص بالجلال و الإكرام ﴿ عن الذين لم يقاتلوكم ﴾ أى بالفعل ﴿ فى الدين ﴾ ١٥ أى بحيث تكونون مظروفين له[7] ليس شيئا من أحوالكم خارجا عنه ،

(١) من ظ وم ، وفى الأصل : لآثارها (٢) من ظ وم ، و فى الأصل : بالخاطئين .
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ وم ، و فى الأصل : فيقص (٦) راجع جامع الترمذى - البر (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : فيه .

فأخرج ذلك[1] القتال[1] بسبب حق دنيوى لاتعلق له بالدين، و اخرج من لم يقاتل أصلا كخزاعة و النساء، و من ذلك أهل الذمة بل الإحسان إليهم من محاسن الأخلاق و معالى الشيم لأنهم جيران .

و لما كان الذين لم يقاتلوا لذلك[2] ربما كانوا قد ساعدوا على الإخراج قال: ﴿ و لم يخرجوكم ﴾ و قيد بقوله: ﴿ من دياركم ﴾ و لما كان قد وسع لهم سبحانه بالتعميم فى إزالة النهى خص بقوله مبدلا من " الدين " : ﴿ ان ﴾ أى لا ينهاكم عن أن ﴿ تبروهم ﴾ بنوع من أنواع البر الظاهرة فان ذلك غير صريح فى قصد الموادة ﴿ و تقسطوآ ﴾ أى تعدلوا العدل[3] الذى هو فى غاية الاتزان بأن تزيلوا القسط الذى هو الجور، و بين [أن - [4]] المعنى: موصلين لذلك الإقساط ﴿ اليهم[4] ﴾ إشارة إلى أن فعل الإقساط ضمن الاتصال، و إلى أن ذلك لايضرهم و إن تكلفوا الإرسال إليهم من البعد بما أذن لهم[5] فيه فان ذلك من الرفق و الله يحب الرفق فى جميع الأمور و يعطى عليه ما لايعطى على الخرق، ثم علل ذلك بقوله مؤكدا دفعا لظن من يرى أذى الكفار بكل طريق، ﴿ ان الله ﴾ [أى - [4]] الذى له الكمال كله ﴿ يحب ﴾ أى يفعل فعل المحب مع ﴿ المقسطين ٥ ﴾ أى الذين يزيلون الجور و يوقعون العدل .

و لما علم الحال من هذا و مما فى أول السورة، أتبعه التصريح بما

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اتصال (٢) من ظ و م، و فى الأصل: كذلك (٣) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٤) زيد من ظ و م (٥) سقط من ظ و م .

أفاده مجموعا أحسن جمع مصورا أحسن تصوير فقال تعالى: ﴿ انما ينهكم الله ﴾ [أى - [1]] الذى له الإحاطة الكاملة علما و قدرة ﴿ عن الذين قتلوكم ﴾ متعمدين لقتالكم [كائنين - [1]] ﴿ فى الدين ﴾ - ليس [شىء من ذلك - [2]] خارجا عنه، لتكون العداوة [2] فى الله [2] ﴿ و اخرجوكم من دياركم ﴾ أى بأنفسهم لبغضكم ﴿ و ظهروا ﴾ أى عاونوا غيرهم ﴿ على اخراجكم ﴾ ٥ و لما تناول هذا المقصودين صريحا، و كان النهى الذى موضعه الأفعال قد علق بأعيانهم تأكيدا له، عرف بالمقصود بقوله: ﴿ ان ﴾ أى إنما ينهاكم عن [3] المذكورين فى أن ﴿ تولوهم ﴾ أى تكلفوا فطركم الأولى أن تفعلوا معهم جميع ما يفعله القريب الحميم الشفيق فتصرحوا بأنهم أولياؤكم و تناصروهم و لو كان ذلك على أدنى الوجوه - بما أشار إليه إسقاط التاء. ١٠

و لما كان التقدير: فمن أطاع فأولئك هم / المفلحون، عطف عليه / ٣٠٧ قوله: ﴿ و من يتولهم ﴾ أى يكلف نفسه الحمل على [4] غير ما يدعو إليه الفطرة الأولى من المنابذة، و أطلق و لم يقيد بـ «منكم» ليعم المهاجرين و غيرهم و المؤمنين و غيرهم: ﴿ فاولئك ﴾ أى الذين أبعدوا عن العدل ﴿ هم ﴾ أى خاصة [5] لا غيرهم [5] العريقون فى أنهم ﴿ الظلمون ﴾ أى العريقون ١٥ فى إيقاع الأشياء فى غير مواضعها كمن [6] يمشى فى مأخذ الاشتقاق بسبب هذا التولى.

---

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: فه (٣) زيد فى الأصل: المقصودين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من م، و فى الأصل و ظ: لمن.

و لما كان نزول هذه الآيات الماضية فى الفتح الأعظم حين قصد النبى صلى الله عليه و سلم سنة ثمان المسير بجنود الله إلى مكة المشرفة -[1]شرفها الله تعالى[1]- لدخولها عليهم بالسيف حين نقضوا بقتالهم لخزاعة الذين كانوا قد تحيزوا[2] إلى النبى صلى الله عليه و سلم فكانوا فى عقده
٥ و عهده فى صلح الحديبية الذى كان سنة ست على وضع الحرب بينهم و بين النبى صلى الله عليه و سلم [و -[3]] من دخل فى عقده ، و كان من ذلك الصلح أن من جاء إلى النبى صلى الله عليه و سلم من قريش و من دخل فى صلحهم رده إليهم و إن كان مسلما ، و من جاءهم ممن كان مع النبى صلى الله عليه و سلم لم يردوه إليه بحيث قام من ذلك وقعد
١٠ كثير من الصحابة رضى الله عنهم من أعظمهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى سكنه الصديق رضى الله تعالى عنه بما وقر فى صدره من الحكم، و رد إليهم[4] صلى الله عليه و سلم أبا بصير رضى الله عنه ، و كان رده إليهم للوفاء بالعهد بسبب التصديق لقوله صلى الله عليه و سلم « أما من جاءنا منهم فرددناه إليهم فسيجعل الله له فرجا و مخرجا » و قصته [فى ذلك كله -[5]]
١٥ مشهورة ، و كانت « من » [من -[5]] صيغ العموم ، و كانت دلالة العام قطعية فى الحكم على الأفراد ظنية - كما قال الشافعى رضى الله تعالى عنه - فى الدلالة على الجزئى[6] من تلك الأفراد بخصوصه حيث لا قرينة

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : تحدروا.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عليهم (٥) زيد من ظ و م.
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الجزء .

لأن

لأن تلك الصيغ ترد تارة[1] على عمومها و تارة يراد بها بعض الأفراد فتكون من العام الذى أريد به الخصوص، و تارة يقع فيها التخصيص، فتكون من العام [2]الذى أريد به الخصوص[2] فطرقها الاحتمال فاحتاج ما دلت عليه من الظاهر[3] إلى قرينة، و كان دخول النساء تحت لفظ «من» فى صلح الحديبية أما عريا عن القرينة أو أن [القرينة -[4]] القتال الذى وقع الصلح [عليه -[4]] بسببه صارفة عنه، وكذا قرينة التعبير عنهن بـ«ما» دون «من» فى كثير من الكتاب العزيز «فانكحوا ما طاب لكم من النساء أو[5] ما ملكت ايمانكم» «[و لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء» «و المحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم -[4]]» «و أحل لكم ما وراء ذلكم» «فما استمتعتم به منهن» «فما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات» «إلا على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم»، وكان قد ختم سبحانه هذه الآيات التى / أدب بها فى غزوة الفتح بما أبان به ما لا يخرج عن الصلح فى عمرة الحديبية بما هو أقرب إلى الخير من البر و العدل، و نهى عن تولى الكفار، فكانت المصاهرة و المناكحة من أعظم التولى، وصل بذلك ما لا يخرج[6] عنه و لا يحل [7]بالعهد فى أن[7] من جاء من[8] الكفار إلى النبى صلى الله عليه و سلم رده إليهم و إن كان مسلما، فقال مخاطبا لأدنى أسنان إهل الإيمان الذين

/ ٣٠٨

(١) وقع فى الأصل بعد «على عمومها» والترتيب من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ، و فى م: المخصوص (٣) من ظ و م، و فى الأصل: المظاهر. (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لم يخرج (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالعدل ممن (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الى.

يحتاجون إلى التفهيم[1]، و أما من هو أعلى منهم فهو عالم بذلك مؤتمر به بما آتاه الله من الفهم و أنار به قلبه[2] الشريف من فنون العلم ليكفوا النبي صلى الله عليه و سلم مقدمات البيعة منه لهن؛ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي أقروا بالإيمان - و هو إيقاع الأمان من التكذيب - لمن يخبرهم ما ٥ ينبغي التصديق به بسبب تصديقهم بالله سبحانه و تعالى.

و لما كان في علمه سبحانه و تعالى [أنه] يأتيهم[3] نساء يهربن بدينهن إلى الله، بشرهم بذلك بالتعبير بأداة التحقيق فقال: ﴿اذا﴾ أي صدقوا ما ادعيتموه من الإيمان بأنه في أي زمان ﴿جاءكم﴾ و لما كان لا يهجر داره[4] و عشيرته لاسيما إن كانوا أقارب بسبب كفرهم إلا من رسخ في الإيمان ١٠ ذكرا كان أو أنثى قال: ﴿المؤمنت﴾ أي النساء اللاتي[5] صار وصف[6] الإيمان لهن[7] صفة راسخة بدلالة الهجرة عليه: ﴿مهجرت﴾ للكفار و لأرضهم ﴿فامتحنوهن[1]﴾ أي اختبروهن تأكيدا لما دلت عليه الهجرة من الإيمان بالتحليف بأنهن[8] ما خرجن لحدث أحدثنه و لا بغضا في زوج و لا رغبة في عشير و لا خرجن إلا حبا لله و رسوله و رغبة في دين ١٥ الإسلام؛ قال الإمام شهاب الدين ابن النقيب في الهداية من مختصره للكفاية[9] لفقيه المذهب نجم الدين احمد بن الرفعة في شرح التنبيه:

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: التعميم (٢) من ظ و م، و في الأصل: قلب.
(٣) من ظ و م، و في الأصل: ياتيه (٤) من ظ و م، و في الأصل: زمانه.
(٥) من م، و في الأصل و ظ: التي (٦) من ظ و م، و في الأصل: وصفه.
(٧) من ظ و م، و في الاصل: لهم (٨) من ظ و م، و في الأصل: بالايمان.
(٩) من ظ و م، و في الأصل: في الكفاية.

و اختلف [قول - [1]] الشافعى رحمه الله تعالى : هل كان النبى صلى الله عليه وسلم شرط لقريش فى الصلح رد[2] النساء فى قول : لم يشترطه بل أطلق رد من جاءه فتوهموا تناول النساء ، وكان النبى صلى الله عليه و سلم عالما بعدم دخولهن ، فأطلق ذلك حذيفة يعنى و من شرعه أن الحرب خدعة ، و فى قول : شملهن الشرط ، لكن هل شرطه صريحا أم دخلن فى الإطلاق فيه وجهان أظهرهما الثانى ، و هل كان شرطهن جائزا[3] فيه وجهان: أحدهما نعم ثم نسخ ، و هل ناسخه الآية المذكورة أم منع النبى صلى الله عليه و سلم من الرد فيه وجهان مبنيان على أنه [هل - [1]] يجوز نسخ السنة بالقرآن[4] و فيه قولان للشافعى رحمه الله تعالى ، و مختاره منهما المنع و هو الجديد ، و كذا لا يجوز عنده و عند أصحابه نسخ الكتاب بالسنة و إن كانت متواترة[5] - انتهى . و معناه أنه لم يقع فان وقع نسخها بالقرآن كان معه سنة ، و إن وقع نسخه / بالسنة كان معها قرآن[6] ، و هو معنى قول ابن السبكى فى جمع الجوامع : قال الشافعى رضى الله عنه : و حيث وقع بالسنة فمعها قرآن أو بالقرآن فمعه سنة عاضدة تبين توافق الكتاب و السنة .

/ ٣٠٩

و لما كان الاختبار ربما دل على إيمانهن لا يعلم[7] إلا به ، نفى ذلك بقوله مستأنفا فى جواب من يقول : أليس الله بعالم بذلك ، و مفيدا أن علمكم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فرد (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : جائز (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عن القران (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : مواترة (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : قرانا (٧) زيد فى الأصل : ذلك ، و لم تكن الزياد فى ظ و م فحذفناها .

الذى تصلون إليه بالامتحان ليس بعلم، و إنما [سماه - ١] به إيذانا بأن الظن الغالب فى حقكم بالاجتهاد و القياس قائم مقام العلم يخرج من عهدة "و لا تقف ما ليس لك به علم": ﴿الله﴾ أى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿اعلم﴾ أى منكم و منهن بأنفسهن ﴿بايمانهن ج﴾ هل هو كائن أو لا على وجه الرسوخ أو لا، فانه محيط بما غاب كاحاطته بما شهد، و إنما وكل الأمر إليكم فى ذلك سترا للناس و لئلا تكون شهادته لأحد بالإيمان و[٢] الكفران موصلة إلى عين اليقين فيخرج عن مبنى هـذه الدار، قال القشيرى: و فى الجملة الامتحان طريق إلى المعرفة، و جواهر النفس تتبين بالتجربة، و من أقدم على شىء [٣]من غير[٣] تجربة يجنى كأس الندم، قال: ﴿فان علمتموهن﴾ أى العلم المتمكن لكم و هو الظن المؤكد بالأمارات الظاهرة بالحلف و غيره ﴿مؤمنت﴾ أى مخلصات فى الهجرة لأجل[٤] الإيمان، و التعبير بذلك للايذان بمزيد الاحتياط.

و لما ذكر هذا الامتحان بين أنه علة لحمايتهن و الدفع عنهن فأتبعه مسببه فقال: ﴿فلا ترجعوهن﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿الى الكفار[٤]﴾ و إن كانوا أزواجا، و من الدليل [على - ١] أن هذا ظاهر فى المراد و أن القرائن موضحة له أنه صلى الله عليه و سلم لما [أبى - ١] أن يرد إليهم من جاءه[٥] من النساء لم يعب أحد من الكفار ذلك، و لا نسب

(١) زيد من ظ و م (٢)من ظ و م، و فى الأصل: و (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: بغير (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٥) من ظ و م، و فى الأصل: جاء.

إلى

إلى عهده صلى الله عليه وسلم - و حالماه - خللا ، و لولا أن ذلك [كذلك -[1]]
لملؤا الأرض تشغيبا كما فعلوا فى سرية عبد الله بن جحش رضى الله عنه
إلى نخلة التى نزل بسببها "يسئلونك عن الشهر الحرام" الآيات على أن
الأخبار الصحيحة و غيرها ناطقة[2] بأن هذه [الآية -[1]] نزلت فى الحديبية
قبل أن ينفصل الأمر غاية الانفصال و يستقر ، روى البخارى فى ٥
المغازى من صحيحه و البغوى[3] من طريقه و هذا لفظه عن المروان و المسور
ابن مخرمة عن أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم قالوا : كاتب سهيل بن عمرو
فكان مما اشترط على النبى صلى الله عليه و سلم أنه[4] لا يأتيك أحد منا
و إن كان على دينك إلا رددته إلينا ، فكاتبه النبى صلى الله عليه و سلم
على ذلك ، فرد يومئذ أباجندل إلى[5] أبيه سهل بن عمرو ، و لم يأته أحد ١٠
من الرجال إلا رده فى تلك المدة و إن كان مسلما ، و جاءت المؤمنات
/ مهاجرات ، و كانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط ممن خرج إلى / ٣١٠
النبى صلى الله عليه و سلم و هى [عاتق -[1]] فجاء أهلها [6]إلى المدينة[6]
يسئلون النبى صلى الله عليه و سلم أن يرجعها إليهم فلم يرجعها إليهم كما
أنزل الله فيهن "اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن" و قال البغوى[3] : ١٥
قال ابن عباس رضى الله عنهما : أقبل رسول الله صلى الله عليه و سلم معتمرا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قاطعة (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧ / (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

حتى إذا كان بالحديبية صالحه مشركو [مكة -[1]] على أن من أتاه [من -[1]] أهل مكة رده إليهم فجاءت سبيعة بنت الحارث مسلمة بعد الفراغ من الكتاب، فأقبل زوجها، و كان كافر، فقال: يا محمد! اردد عليّ امرأتي فانك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا، و هذه طينة الكتاب لم تجف، فأنزل الله تعالى "يايها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن[2] الله أعلم بايمانهن[2]" و قال ابن عباس رضى الله عنهما: امتحانها أن تستحلف أنها[3] ما هاجرت لبغض زوج و لا عشقا لرجل من المسلمين و لا رغبة عن أرض و لا لحدث أحدثته و لا التماس[4] الدنيا و ما خرجت إلا رغبة[5] فى الإسلام و حبا لله و رسوله صلى الله عليه و سلم، [فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه و سلم -[1]] على ذلك فحلفت فلم يردها و اعطى زوجها ما أنفق عليها، فزوجها[6] عمر رضى الله عنه، وكان صلى الله عليه و سلم يرد من جاءه[7] من الرجال و يحبس من جاءه من النساء بعد الامتحان، و يعطى أزواجهن مهورهن، [و -[1]] دعوى النسخ ليست بشيء إلا تؤول بأنه لما كان من العام الذى أريد به الخصوص أن[8] بعض ما تناوله ظاهر اللفظ من الحكم مرفوع، و ذلك بأن[9] الله لا يأمر باخلاف الوعد فكيف بنقض العهد. و لما نهى عن رد المهاجرات

(١) زيد من ظ و م و المعالم (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) سقط من م (٤) من م، وفى الأصل و ظ: لالتماس (٥) من ظ و م، و فى الأصل: حبا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ثم تزوجها (٧) فى ظ و م: جاء (٨) من ظ و م، و فى الأصل: بان (٩) من ظ و م، و فى الأصل: ان.

إلى المشركين و عبر بالكفار تعميما[1] ، علل ذلك بقوله مقدما حكمهن[2] تشريفا لهن لهجرتهن : ﴿ لا هن ﴾ أى الأزواج ﴿ حل ﴾ [3]أى موضع[3] حل ثابت ﴿ لهم[4] ﴾ أى للكفار باستمتاع[5] و لا غيره . و لما كان نفى الحل الثابت غير مانع من تجدد حل الرجال لهن[6] و لو على تقدير من التقادير و فرض من الفروض ، قال معيدا[7] لذلك و مؤكدا لقطع العلاقة من كل جانب : ٥ ﴿ و لا هم ﴾ أى رجال الكفار ﴿ يحلون ﴾ أى يتجدد فى وقت من الأوقات أن يحلوا ﴿ لهن[1] ﴾ أى للمؤمنات [حتى - [8]] لو تصور أن يكون رجالهن نساء وهن ذكورا ما حلوا لهن بخلاف أهل الكتاب ، كذا تنفك الملازمة فى مسألة المظاهرة و الإيلاء فيحل للمرأة أن تستمتع به إذا[9] كان نائما مثلا ، و أما هو فيحرم عليه ذلك قبل التكفير ، و قال ١٠ البيضاوى : الأولى لحصول الفرقة ، و الثانية للمنع من الاستئناف - انتهى . [فنفت - [8]] هذه الجملة الفعلية من وجه تجدد الحل للنساء فأفهمت الجملتان عدم الحرج فيما كان قبل ذلك تطييبا لقلوب المؤمنات[10] .

و لما نهى عن الرد و علله ، أمر بما قدم[11] من الإقساط إليهم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : تتميما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : حكمين . (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) ليس فى الأصل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : باستماع (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لهم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : مقيدا (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : ان . (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : المؤمنين (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : تقدم .

فقال: ﴿ و اتوهم ﴾ أى الأزواج ﴿ ما انفقوا[1] ﴾ أى عليهن من المهور فان المهر فى نظير أصل العشرة و دوامها / و قد فوتتها المهاجرة فلا يجمع عليه خسران الزوجية و المالية، و أما الكسوة و النفقة فانها لما يتجدد من الزمان.

٥ و لما جزم[1] بتأبيد منعهن[2] عن الكفار، أباحهن للمسلمين فقال على وجه الرفق و اللطف: ﴿ و لا جناح ﴾ أى ميل و حرج ﴿ عليكم ﴾ أيها المشرفون بالخطاب ﴿ ان تنكحوهن ﴾ أى تجددوا زواجكم[3] بهن بعد الاستبراء و إن كان أزواجهن من الكفار لم يطلقوهن لزوال العلق منهم عنهن و لأن[4] الإسلام فرق بينهم فانه لن يجعل الله للكافرين على ١٠ المؤمنين سبيلا. و لما كان قد أمر برد مهور الكفار، فكان ربما ظن أنه مغن عن تجديد مهر لهن إذا نكحهن المسلم نفى ذلك بقوله: ﴿ اذا اتيتموهن ﴾ أى لأجل النكاح ﴿ اجورهن[1] ﴾ و لما قطع [ما[5]] بين الكفار و المسلمات مع الإعراض عن الكفار لعصيانهم قطع ما بين المؤمنين و الكافرات مع الإقبال عليهم لطاعتهم رفعا لشأنهم فقال: ﴿ ولا ﴾ ١٥ و لما كان إمساك المرأة مع عداوتها لمخالفتها فى الدين دليلا على غاية الرغبة فيها، دل على ذلك إشارة إلى التوبيخ[6] بالتضعيف فى قراءة البصريين

(١) من ظ و م، و فى الأصل: حرم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: منعمين (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ازواجكم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فان (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: التلويح بالتوبيخ.

فقال

فقال[1] : ﴿ تمسكوا ﴾ أى بعدم التصريح فى الطلاق ﴿ بعصم الكوافر ﴾ جمع عصمة و هى [2]ما يديم[2] علقة النكاح ﴿ وسئلوا ﴾ أى أيها المؤمنون الذين ذهبت[3] أزواجهم إلى الكفار ﴿ مآ انفقتم ﴾ أى من مهور نسائكم اللاتى اعتصمن عنكم بهم او فررن إليهم . و لما أمر برد مهور المؤمنين إلى الكفار و أذن للمؤمنين فى المطالبة بمهور أزواجهم، أذن للكفار فى مثل ذلك إيقاعا للقسط بين عباده مسلمهم و كافرهم معبرا بالأمر مع الغيبة إعراضا عنهم إعلاما بشدة كراهته سبحانه للظلم و أنه يستوى فيه الكافر مع عداوته بالمؤمن مع ولايته : ﴿ و ليسئلوا ﴾ أى الكفار ﴿ مآ انفقوا[4] ﴾ أى من مهور أزواجهم اللاتى أسلمن و اعتصمن بكم عنهم، و هل هذا الحكم باق، قال قوم : نعم، و قال عطاء و مجاهد وقتادة : نسخ فلا يعطى [الكفار -[4]] شيئا و لوشرطنا الإعطاء .

و لما كان هذا حكما عدلا لايفعله مع عدوه و وليه إلا حكيم . قال مشيرا إلى مدحه ترغيبا فيه بميم[5] الجمع إلى العموم : ﴿ ذٰلكم ﴾ أى[6] الحكم الذى ذكر فى هذه الآيات البعيدة بعلو الرتبة عن كل سفه ﴿ حكم الله[4] ﴾ [أى -[4]] الملك الذى له صفات الكمال ، فلا ينبغى لشائبة نقص أن يلحقه[7] .

---

(١) زيد فى الأصل : ولا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تقديم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ثبتت (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بجيم (٦) زيد فى الاصل : هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يحق به .

و لما كان هذا مما يفرح به و يغتم عند تقدير فواته ، قال مستأنفا مبشرا بادامة تجديد أمثاله لهم : ﴿ يحكم ﴾ أى الله أو حكمه على سبيل المبالغة ، و دل على استغراق الحكم لجميع ما يعرض بين العباد و أنه سبحانه لم يهمل[1] شيئا منه باعراء الجار من قوله : ﴿ بينكم[2] ﴾ أى فى هذا الوقت / ٣١٢

٥ و فى غيره على هذا المنهاج البديع ، و ذلك لأجل الهدنة التى وقعت بين النبى صلى الله عليه و سلم و بينهم ، و أما قبل الحديبية فكان النبى صلى الله عليه و سلم يمسك النساء و لا يرد الصداق .

و لما كان التقدير : فالله حكم عدل ، قال : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطة التامة ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم لا يخفى عليه شىء ﴿ حكيم ﴾ أى

١٠ فهو لتمام علمه يحكم كل أموره غاية الإحكام فلا يستطيع أحد نقض شىء منها .

و لما كان المظنون بالكفار عدم العدل فلا يعطون المؤمنين مهور نسائهم الكافرات ، قال مداويا لذلك [الداء - ٢] : ﴿ و ان فاتكم ﴾ أى بالانفلات منكم بعد الهجرة أو بادامة الإقامة فى بلاد[3] الحرب ﴿ شىء ﴾

١٥ أى قل أو كثر ﴿ من ازواجكم ﴾ أى من أنفسهن أو مهورهن ﴿ الى ﴾ أى متحيزا أو واصلا[5] إلى ﴿ الكفار ﴾ فعجزتم عنه ﴿ فعاقبتم ﴾ أى تمكنتم من المعاقبة بأن فات الكفار شىء من أزواجهم بالهجرة إليكم أو اغتنمتم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يهمل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : دار (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اوصلا (٥) فى م : غنمتم .

من [أزواج -[1]] الكفار فجاءت نوبة[2] ظفركم بأداء المهر إلى إخوانكم طاعة و عدلا عقب نوبتهم التى اقتطعوا فيها ما أنفقتم عصيانا و ظلما ﴿فآتوا﴾ أى فأحضروا[3] و أعطوا من مهر المهاجرة ﴿الذين ذهبت ازواجهم﴾ [أى -[4]] منكم إن اختاروا الأخذ ﴿مثل ما انفقوا[4]﴾ على الكافرة الفائتة إلى[5] الكفار مما غنمتم من أموالهم أو بأن تدفعوا إليهم مثل مهور أزواجهم مما[6] كنتم تعطونه[7] لأزواج المهاجرات، فيكون ذلك جزاء و قصاصا لما فعل الكفار.

و لما كان التجزى فى مثل ذلك عسرا على النفس[8] فان المهور تتفاوت تارة و تتساوى أخرى، و تارة تكون نقودا و[9] تارة تكون عروضا إلى غير ذلك من الأحوال مع أن المعامل عدو فى الدين فلا يحمل على العدل فيه إلا خالص التقوى قال: ﴿و اتقوا﴾ أى فى الإعطاء و المنع و غير ذلك[10] ﴿الله﴾ الذى له صفات الكمال و قد أمركم بالتخلق بصفاته على قدر ما تطيقون، ثم وصفه بما يؤكد صعوبة الأمر[11] و يحث على العدل فقال ملهبا لهم كل الإلهاب هازا لهم بالوصف بالرسوخ[12] فى الإيمان[12]:

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نوبته (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فاحصوا (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: على. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٧) من م، و فى الأصل و ظ: تعطون. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: النفوس (٩) من ظ و م، و فى الأصل: او. (١٠) زيد فى الأصل: راقبوا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١) من ظ و م، و فى الأصل: البر (١٢-١٢) من ظ و م، و فى الأصل: بالايمان.

﴿الذى آتم به﴾ أى خاصة ﴿مؤمنون ه﴾ اى متمكنون فى رتبة الإيمان.

و لما خاطب سبحانه المؤمنين الذين لهم موضع الذب و الحماية و النصرة بما وطن به المؤمنات فى دار الهجرة فوقع الامتحان و عرف الإيمان، أمر النبى صلى الله عليه و سلم بعد الحكم بإيمانهن بمبايعتهن فقال:

٥ ﴿يآيها النبى﴾ مخاطبا له بالوصف المقتضى للعلم، و دل على [تحقق -[1]] كون ما يخبر به من مجيئهن بأداة التحقيق[2] علما من أعلام النبوة فقال: ﴿اذا جآءك المؤمنت﴾ جعل إقبالهن [عليه -[1]] صلى الله عليه و سلم لاسيما مع الهجرة مصححا لإطلاق الوصف عليهن ﴿يبايعنك﴾ أى كل واحدة[3] منهن تبايع ﴿على[4] ان لايشركن﴾ أى يوقعن الإشراك

٣١٣/ ١٠ لأحد من الموجودات / فى وقت من الأوقات ﴿بالله﴾ أى الملك الذى لاكفوء له ﴿شيئا﴾ أى من إشراك على الإطلاق.

و لما كان الشرك بذل حق الملك لمن لايستحقه، أتبعه أخذ مال المالك بغير حق[5] لاقتضاء الحال لذلك بتمكن المرأة من اختلاس مال الزوج و عسر تحفظه منها[6] فقال: ﴿و لا يسرقن﴾ أى يأخذن مال

١٥ الغير بغير استحقاق فى خفية، و أتبع ذلك بذل حق الغير لغير أهله فقال: ﴿و لا يزنين﴾ اى يمكن أحدا من وطئهن بغير عقد صحيح. و لما كان الزنا قد يكون سببا فى إيجاد أو إعدام نسمة بغير حقها، أتبعه إعدام

(١) زيد من ظ و م (٢) فى م: التحقق (٤) من ظ و م، و فى الأصل: واحد (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المالك (٥) من ظ و م، و فى الأصل. عنها.

نسمة بغير حقه فقال: ﴿ و لا يقتلن اولادهن ﴾ أى بالوأد[1] كما تقدم فى النحل و سواء فى ذلك كونه من زنا أو لا .

و لما ذكر إعدام نسمة بغير [2]حق و لاوجه شرعى[2] أتبعه ما يشمل[3] إيجاد نسمة بغير حل، فقال مقبحا له على سبيل الكناية[4] عنه بالبهتان و ما معه بالتصوير له بلوازمه و آثاره لأن استحضار القبيح و تصور صورته ٥ أزجر عنه فقال: ﴿ و لا يأتين ببهتان ﴾ أى ولد من غير الزوج يبهت من إلحاقه به حيرة فى نفيه عنه ﴿ يفترينه ﴾ أى يتعمدن كذبه، و حقق المراد [به -[5]] و صوره بقوله: ﴿ بين ايديهن ﴾ [أى -[6]] بالحمل فى البطون[7] ﴿ و ارجلهن ﴾ أى بالوضع من الفروج و لأن عادة الولد مع أنه يسقط بين أيدى أمه و رجليها أنه يمشى أمامها، و هذا شامل لما كان ١٠ من شبهة أو لقطة .

و لما حقق هذه الكبائر العظيمة[8] تعظيما لأمرها لعسر الاحتراز منها، و أكد النهى عن الزنا مطابقة و إلزاما لما يجر إليه من الشرور[9] القتل فما دونه، و غلظ أمر النسب[10] لما يتفرع عليه من إيقاع الشبهات

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بالود (٢-٢) فى ظ و م : وجه (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يوجب (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : النكاية (٥) زيد من ظ م (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل : مدته ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) سقط من م (٩) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناه (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : السبب .

و انتهاك الحرمات، عم فى النهى فقال: ﴿و لا يعصينك﴾ أى على[1] حال من الأحوال ﴿فى معروف﴾ أى فرد كان منه صغيرا [كان -[2]] أو كبيرا، و فى ذكره مع العلم بأنه صلى الله عليه و سلم لا يأمر إلا به إشعار بأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق، و قدم المنهيات على المأمورات المستفادة من المعروف لأن التخلى عن الرذائل مقدم على التحلى بالفضائل لأن درء المفاسد أولى من جلب المصالح: ﴿فبايعهن﴾ أى التزم[3] لهن بما[4] وعدت على ذلك من إعطاء الثواب لمن وفت منهن فى نظير ما ألزمن أنفسهن من الطاعة. و لما كان الإنسان محل النقصان لاسيما النسوان، رجاهن سبحانه بقوله: ﴿و استغفر﴾ أى اسأل ﴿لهن الله[5]﴾ أى الملك الأعظم ذا الجلال و الإكرام فى الغفران إن وقع منهن تقصير و هو واقع لأنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره.

و لما كانت عظمته سبحانه مانعة لعظيم الهيبة من سؤاله ما طمع به، علله بقوله معيدا الاسم الأعظم لئلا يظن باضماره و تقيده[5] بحيثية الهجرة من النساء و نحو ذلك مؤكدا لما طبع الآدمى عليه من / أنه لا يكاد ٣١٤ / يترك المسىء[6] من عقاب أو عتاب فضلا عن التفضل بزيادة الإكرام: ﴿ان الله﴾ أى الذى له صفات[7] الجلال و الإكرام[7] فلو أن الناس لا يذنبون

(١) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الزم (٤) من ظ و م. و فى الأصل: ما (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بعبده - كذا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المنهي (٧-٧) فى ظ و م: الكمال.

لجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم لتظهر صفة إكرامه ﴿غفور﴾ أى بالغ الستر للذنوب عينا و أثرا ﴿رحيم﴾ أى بالغ الإكرام بعد الغفران فضلا منه و إحسانا، و قد حقق سبحانه ذلك و صدق، و من أصدق من الله قيلا، فأقبل النساء للبيعة عامة ثانى يوم الفتح على الصفا بعد فراغه[1] صلى الله عليه و سلم من بيعة الرجال فنزلت هذه الآية و هو على الصفا فقام عمر ٥ ابن الخطاب رضى الله أسفل منه يبايعهن بأمره و يبلغهن عنه و هند بنت عتبة[2] متنقبة متنكرة مع النساء خوفا من رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يعرفها، فلما ذكر الشرك قالت[3]: و الله إنك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على [الرجال -[4]]، و بايع الرجال يومئذ[5] على الإسلام و الجهاد، فقال "و لا يسرقن" فقالت: إن أبا سفيان رجل شحيح و إنى اصيب[6] ١٠ من ماله هنات فلا أدرى أيحل لى أم لا؟ فقال أبو سفيان: ما أصبت من شىء فيما مضى و فيما غبر فهو لك حلال، فضحك رسول الله صلى الله عليه و سلم و عرفها فقال: و إنك لهند بنت عتبة[2]، قالت: نعم، فاعف عنى ما سلف عفا الله عنك، فقال: "و لا يزنين" فقالت: أو تزنى الحرة، فقال "و لا يقتلن اولادهن" فقالت: ربيناهم [صغارا -[4]] ١٥ و قتلتموهم كبارا و أنتم و هم أعلم، و كان ابنها[7] حنظلة بن أبى سفيان

(١) فى ظ و م: ما فرغ (٢) من م، و فى الأصل و ظ: عقبة (٣) من ظ و م، و فى الأصل: قال (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يوم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: به (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ابنه.

قتل يوم بدر فضحك [عمر رضى الله عنه حتى استلقى و تبسم -[1]] رسول الله صلى الله عليه و سلم و ذكر البهتان و هو أن تقذف ولدا على زوجها ليس منه، قالت هند: و الله إن البهتان لقبيح و ما تدعونا إلا إلى الرشد و مكارم الأخلاق، فقال "و لا يعصينك [2]فى معروف[2]"

٥ فقالت: ما جلسنا مجلسنا هذا و فى أنفسنا أن نعصيك فى شىء، و ما مست يد رسول الله صلى الله عليه و سلم يد امرأة لاتحل له، وكانت أسماء بنت يزيد بن السكن فى المبايعات فقالت: يا رسول الله ابسط يدك نبايعك، فقال: إنى لا أصافح النساء لكن آخذ عليهن، و عن الشعبى أنه صلى الله عليه و سلم دعا بقدح من ماء فغمس يده [فيه -[3]] ثم غمسن

١٠ أيديهن فيه، و عنه أنه صلى الله عليه و سلم لقنهن فى المبايعة "فيما[4] استطعتن و أطقتن" فقالت: الله و رسوله أرحم بنا [من -[1]] أنفسنا.

و لما ذكر ما أمر به [نبيه -[1]] صلى الله عليه و سلم فى المبايعات بعد أن عد الذين آمنوا أصلا فى [امتحان -[1]] المهاجرات فعلم من ذلك أن تولى النساء مع أنه لا ضرر فيهن بقتال و نحوه لايسوغ إلا بعد العلم

١٥ بايمانهن، وكان الختم بصفتى الغفران[5] و الرحمة بما جرأه على محاباة المؤمنين لبعض الكفار من أزواج او غيرهم / لقرابة أو غيرها لعلة يبديها /٣١٥ الزوج أو غير ذلك من الأمور، كرر سبحانه الأمر بالبراءة من كل عدو، ردا لآخر السورة على أولها تأكيدا للاعراض عنهم و تنفيرا

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) -سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ -
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الغفر.

من توليهم كما أفهمته آية المبايعة و آية الامتحان ، فقال ملذذا لهم بالإقبال بالخطاب كما فعل أولها بلذيذ العتاب : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ .

و لما كان الميل عن الطريق الأقوم على خلاف ما تأمر به الفطرة الأولى فلا يكون إلا عن[1] معالجتها ، [عبر -[2]] بالتفعل كما عبر به أول السورة بالافتعال فقال : ﴿لا تتولوا﴾ أى تعالجوا أنفسكم[3] أن تتولوا ٥ ﴿قوما﴾ أى[4] ناسا لهم قوة على ما يحاولونه فغيرهم من باب الأولى ﴿غضب الله﴾ أى أوقع الملك الأعلى الغضب ﴿عليهم﴾ لإقبالهم على ما أحاط بهم من الخطايا فهو عام فى كل من اتصف بذلك يتناول اليهود تناولا أوليا . .

و لما كان السامع لهذا يتوقع بيان سبب الغضب ، قال معللا و مبينا أنه ١٠ لا خير فيهم يرجى و إن ظهر خلاف ذلك : ﴿قد يئسوا﴾ أى تحققوا عدم الرجاء ﴿من الآخرة﴾ أى من ان ينالهم منها[5] خير ما لإحاطة معاصيهم بهم أو لعدم اعتقادهم لقيامها[6] و لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، فيوشك من والاهم يكتب[7] منهم[8] فيحل به الغضب ﴿كما يئس﴾ من نيل الخير [منها -[2]] ﴿الكفار﴾ و لما كان[9] من مات فصار أهلا ١٥ للدفن كشف [له -[2]] عن أحوال القيامة فعرف أنه ناج أو هالك ، و كان الموتى أعم من الكفار ، و موتى الكفار أعم ممن يدفن منهم [فقال] :

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : قبل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : امامها . (٧) فى ظ و م : يكتسب (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لهم (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : كانت .

﴿من أصحٰب القبور﴾ فان الكفار منهم قد علموا يأسهم من حصول الخير منها علما قطعيا، و يجوز أن يكون "من" ابتدائية فيكون المعنى: كما يئس عباد الأوثان من لقاء من مات، فدفن باعتقاد أنه لا اجتماع بينهم[1] أصلا لأنه لا يمكن بعثه لا إلى الدنيا و لا إلى الآخرة[2] لأنه لا آخرة[3] عندهم أصلا[4] لاسيما إن كان مدفونا فى قبر. و على هذا[5] يكون[6] الظاهر وضع [موضع -[7]] المضمر للدلالة على [أن -[8]] الذى أياسهم تغطية الدلائل مع وضوحها لو أنصفوا، فلا تتولوا من هذه صفته فيكون بينكم و بينه[9] ما بين القريب [مع قريبه -[7]] من تولى كل منهم من الآخر ما يتولاه القريب الصديق لقريبه فان توليهم[10] ضرر لا نفع فيه فان من غضب عليه الملك الشهيد لكل حركاته و سكناته لا يفلح هو و لا من تولاه، و أقل ما فى ولايته من الضرر أنها تنقطع المعاونة فيها، و المشاركة بالموت و إن كان بعد الموت مشاركة فى العذاب الدائم [11]المستمر الذى لا ينقطع عنهم[11] و الخزى اللازم، و قد علم أن هذا الآخر هو أولها، و هذا الموصل مفصلها، فسبحان من أنزله كتابا معجزا [حكيما -[7]]، و قرآنا موجزا جامعا عظيما.

(١) من ظ و م، و فى الأصل: نهم (٢) فى م: دنيا (٣) فى م: الآخرة.
(٤) سقط من م (٥) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: وضع، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٧) زيد من ظ و م (٨) زيد من ظ (٩) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: توليه.
(١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

* * *

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمد لله - طبع الجزء التاسع عشر من تفسير "نظم الدرر فى تناسب الآيات و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى يوم الجمعة ١٠ / رمضان المبارك سنة ١٤٠٢ هـ = ٢ / يوليو سنة ١٩٨٢ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد، قاضى المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الأعظمى الأنصارى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمة مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله .

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء العشرون باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة الصف .

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلى و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

/ سورة الصف[1] وتسمى الحواريين /٣١٦

مقصودها الحث[2] على الاجتهاد التام فى[3] الاجتماع على قلب[4] واحد
فى جهاد من دعت الممتحنة إلى البراءة منهم، بحملهم على الدين الحق،
أو محقهم عن جديد الأرض أقصى المحق، تنزيها للملك[5] الأعلى عن الشرك،
و صيانة لجنابه الأقدس عن الإفك، و دلالة على الصدق فى البراءة منهم ٥
و العداوة لهم، فهى[6] نتيجة سورة التوبة، و أدل ما فيها على هذا المقصد
الصف بتأمل آيته، و تدبر ما له[7] من جليل النفع فى أوله و أثنائه
[و غايته ـ[8]]، وكذا الحواريون ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الذى له
الأمر كله لأنه لا كفوء له ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة[9] البيان عما
يرضيه ممن شاقه، فقد شرع لكل أحد أن يرده أو يقبله ﴿ الرحيم ﴾ ١٠
الذى خص[10] باتمام الإنعام الموصل إلى دار السلام من شاء من عباده
فهيأه لذلك و أهله .

---

(١) الحادية والستون من سور القرآن الكريم، مدنية وعدد آيها ١٤ .
(٢) زيد فى الأصل : التام، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل : على (٤) زيد فى الأصل : رجل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل : الملك (٦) من ظ و م، و فى الأصل : فهو (٧) من ظ و م، و فى الأصل : فيه (٨) زيد من ظ و م .
(٩) من ظ و م، و فى الأصل : بنعمته (١٠) من م، و فى الأصل وظ : خلق .

لما ختمت الممتحنة بالأمر بتنزيهه سبحانه عن[1] تولى من يخالف أمره بالتولى عنهم و البراءة منهم اتباعا لأهل الصافات المتجردين عن كل ما سوى الله لاسيما عمن[2] كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون، افتتحت الصف بما هو كالعلة لذلك فقال: ﴿ سبح لله ﴾ أى أوقع التنزيه الأعظم للملك الأعظم الذى له ﴿ ما فى السموٰت ﴾ من جميع الأشياء التى لا يغفل من أفلاكها و نجومها و غير ذلك من [3]جواهرها و أعراضها[3] فى طلوعها و أفولها و سيرها فى ذهابها و رجوعها و إنشاء السحاب و إنزال المياه و غير ذلك . و لما كان الخطاب مع غير الخلص أكده فقال: ﴿ و ما فى الارض ﴾ أى بامتثال جميع ما يراد منه مما هو كالمأمور بالنسبة إلى أفعال العقلاء من نزول المياه و إخراج النبات من النجم و الشجر و إنضاج الحبوب و الثمار - و غير ذلك من الأمور الصغار و الكبار .

و لما كان امتثال غير العاقل و عصيان العاقل ربما[4] اوهم نقصا قال: ﴿ و هو ﴾ أى وحده لا شريك له ﴿ العزيز ﴾ أى العظيم النفع الذى يغلب كل شىء و لا يغلبه شىء، و يعسر الوصول [إليه-[5]] ﴿ الحكيم ﴾ أى الذى يضع الأشياء فى اتقن مواضعها، فما مكّن العاقل من المعصية إلا لإظهار صفات الكمال من العلم و القدرة و الحلم[6] و الكرم و الرحمة

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : عمن (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : من . (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اعراضها وجواهرها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : وبما (٥) زيد من ظ م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الحكم .

و الغضب و غير ذلك، و قد علم بهذا التنزيه و ختم آيته بهاتين الصفتين أنه تعالى منزه عما تضمنه يأس الكفار المذكور [من ـ [1]] أنه لا بعث وعن [2]أن يجعل سبحانه لهم[2] حظا فى الآخرة لأن كلا من عدم البعث والتسوية بين المسيء و المحسن نقص[3]/ . /٣١٧

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : افتتحت بالتسبيح لما ختمت به سورة الممتحنة من قوله " لا تتولوا قوما غضب الله عليهم " و هم اليهود ، [4]و قد تقدم[4] الإيماء إلى ما استوجبوا به هذا فأتبع بالتنزيه لما تقدم بيانه فانه مما تعقب به ذكر جرائم المرتكبات و لا يرد فى غير ذلك ، ثم أتبع ذلك بأمر العباد بالوفاء و هو الذى حد لهم[5] فى الممتحنة ليتنزهوا عن حال مستوجبى الغضب بنقيض الوفاء و المخالفة بالقلوب [و الألسنة ـ [6]] " يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم" "ليا بالسنتهم و طعنا فى الدين" من "الذين قالوا [آمنا ـ [1]] بافواههم و لم تؤمن قلوبهم" " و يقولون آمنا بالله و الرسول و اطعنا ثم يتولى فريق منهم " و بمجموع هذا استجمعوا [7]اللعنة و الغضب فقيل للمؤمنين: " يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون " احذروا ان تشبه أحوالكم حال من استحق المقت و اللعنة و الغضب ، ثم أتبع بحسن الجزاء لمن[8] وفى قولا و عقدا لسانا و ضميرا، و ثبت على [ما ـ [1]] أمر به فقال : " إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : انه يعجل لهم سبحانه .
(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : انتهى (٤-٤) من ظ وم ، و فى الأصل : قدم .
(٥) من ظ وم ، و فى الأصل : بهم (٦) زيد من ظ (٧) فى ظ : استحقوا .
(٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لم .

صفا" - الآية ثم تناسج ما بعد. و لما كان الوارد من هذا الغرض فى سورة الممتحنة قد جاء على طريق[1] الوصية و سبيل النصح و الإشفاق، أتبع فى سورة الصف بصريح العتب فى ذلك و الإنكار ليكون بعد [ما-[2]] تمهد فى السورة قبل أوقع فى الزجر، و تأمل كم بين قوله سبحانه "يا يها الذين امنوا لاتتخذوا عدوى و عدوكم اولياء[3]" و ما تضمنه من اللطف[4] و بين قوله "لم تقولون ما لاتفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون" - انتهى.

و لما تقدمت فى الممتحنة قصه الفتح الأعظم فى شأن حاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه و جعل منابذة الكفار بكل اعتبار علما على صحة الهجرة و ادعى التجرد لجهاد أعداء الله: و قصة الفتح السببى من تحريم المؤمنات على المشركين و تحريم المشركين على المؤمنات فى غزوة الحديبية، و أبدى سبحانه فى ذلك من الصنائع التى تعجز قوى الخلق عنها أن رتب ما فى الفتح السببى على ما فى الفتح الفعلى الحقيقى، فجعل الأول فى الزمان أخر فى الرتبة و الآخر فى الزمان أولا فى الرتبة مع شدة الإحكام فى ترصيف النظام و البلوغ فى الرشاقة و الانسجام[5] إلى حد لايطيقه نوافذ الأفهام مع بداعة المعانى و متانة المبانى، و كان فعل من ناصح[6] الكفار ممن امن بلسانه و أذعن[7] بجنانه و هاجر بأركانه نوع منا صحة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: سبيل (٢) زيد من ظ و م (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) فى م: التلطف (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الانسجاه (٦) من ظ و م و فى الأصل: صالح (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ادعى.

فعل من يقول ما لايفعل [فى منابذتهم و التجرد بعداوتهم ، فـــذكر أول هذه السورة من تنزيهه بألسنة أحوال ما لايعقل -[1]] ما يخجل المسلم بشىء من ذلك تأديبا لأمثاله ، و تدريبا لمن يلم بشىء من المخالفة بياله ، وكان العاقل أولى[2] من غيره بتنزيه جناب القدس بالطاعة ، فكيف [إذا -[1]] كان ممن أقر بالإيمان و تقلد عهدة[3] الإذعان ، وكان من عصى ٥ / منهم مناديا على نفسه بمخالفة[4] قوله لفعله ، و من نزهه حق تنزيهه لم يقصر / ٣١٨ فى حق من حقوقه بتضييع شىء من أوامره كما أن تنزيه ما لا يعقل بأن لا يخالف[5] شيئا من مراده ، قال مرهبا بنداء البعد و التوبيخ الذى من مبادئ الغضب و الإنكار بالاستفهام و التعبير بما يفهم أدنى مراتب الإيمان : ﴿يٰأيها الذين ءامنوا﴾ أى ادعوا الإيمان ﴿لم﴾ قال فى الكشاف : هى ١٠ لام الإضافة داخلة على " ما " الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر فى بم و فيم و مم و عم و إلام و علام ، و إنما حذفت الألف لأن[6] "ما" و الحرف كشىء واحد . و وقع استعمالها بزيادة هاء السكت أو الإسكان ، و من أسكن فى الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثه أربعه بالهاء وإلقاء حركة الهمزة عليها محذوفة ، و قال الرضى فى الموصول : إنها ١٥ حذفت لأن[7] لها صدر الكلام و لم يمكن تأخير الجار عنها فقدم و ركب

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : والى (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : جهده (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بمحالة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لايخالفه (٦) زيد فى الأصل : صدر الكلام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : لانها .

معها [حتى -[1]] يصير المجموع موضوعة للاستفهام، فلا يسقط الاستفهام عن مرتبة الصدر، و جعل حذف الألف [2]دليل التركيب[2] ﴿تقولون﴾ أى من دعوى الإيمان التى مقتضاها إلزام الإخلاص فى جميع الأحوال ﴿ما لاتفعلون﴾ أى ما لاتصدقونه بالفعل الذى يكون بغاية الرغبة و القوة فتتخذوا العدو وليا بالإقبال عليه و إرسال التنصح إليه و قد تلفظتم بالإيمان الذى يستلزم المعاداة لكل من كفر، و خلف الوعد فى نفسه [قبيح -[1]] و مع الخالق أقبح.

و لما كان ذلك مهلكا، رحم المخاطبين بتعظيمه لينجوا [أنفسهم -[3]] بالكف عنه فقال: ﴿كبر﴾ فقصد به التعجيب[4] و هو تعظيم الأمر فى قلوب السامعين لأن التعجب[5] لايكون إلا فى أمر خارج عن نظائره و أشكاله، و فسر ما قصد منه للدلالة على خلوصه فى المقت بقوله: ﴿مقتا﴾ أى عظم جدا و ما أعظمه من بغض هو أشد البغض، و زاد فى تبشيعه[6] زيادة فى التنفير منه بقوله: ﴿عند الله﴾ أى الملك الأعظم الذى يحقر عنده كل متعاظم. و لما أبلغ فى تبشيعه تشوفت النفس إلى المسند إليه ذلك قال: ﴿ان تقولوا﴾ أى عظم[7] من تلك الجهة

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: دليلا للتركيب.
(٣) زيد من ظ (٤) من م، و فى الأصل و ظ: التعجب (٥) من ظ و م، و فى الأصل: التعجيب (٦) من ظ و م، و فى الأصل: تشنيعه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: اعظم.

أن[1] يقع فى وقت من الأوقات أو حال من الأحوال قولكم ﴿ما لا تفعلون ۝﴾
و قال القشيرى : [و يقال -[2]] : لم يتوعد الله على زلة بمثل ما توعد على
هذا - انتهى . وكل ما ذكروه فى سببها صالح للسببيـــة قول[3] بعضهم
"لوندرى أحب الأعمال إلى الله لاجتهدنا فيه" ثم ولوا يوم أحد ، و توانى
بعضهم فى الجهاد ، وكون صهيب رضى الله عنه قتل يوم بدر رجلا آذى ٥
المسلمين و أنكى فيهم و ادعى غيره أنه قتله فأعجب رسول الله صلى الله عليه
و سلم فقال عمر / و عبد الرحمن بن عوف لصهيب [رضى الله عنهم -[4]] : / ٣١٩
أخبر رسول الله صلى الله عليه و سلم أنك قتلته ، فقال صهيب رضى الله عنه :
إنما قتلته لله و لرسوله ، فأخبر عمر و عبد الرحمن رضى الله عنهما النبى
صلى الله عليه و سلم فقال : أكذلك أبا يحيى ، فقال : نعم يا رسول الله ، ١٠
و التزام[5] المنافقين أحكام الإسلام ، و تخلفهم[6] إخلافا فى الأمور العظام ،
و كذا قصة حاطب رضى الله عنه .

و لما عظم ما يكرهه بعد ما ألهب به من تنزيه غير العاقل ، فكان
العاقل جديرا بأن يسأل عما يحبه لينزهه به ، قال [7]ذاكرا الغاية[7] التى هى
أم[8] جامعة [لكل -[4]] ما قبلها من المحاسن ، مؤكدا لأن الخطاب مع
من قصر أو [هو -[4]] فى حكمه : ﴿ان الله﴾ أى الذى له جميع صفات ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م ، و فى
الأصل : قل (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الزام .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : خطمهم (٧-٧) من م ، و فى الأصل و ظ :
ذكر للغاية (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : امر .

الـكمال ﴿يحب﴾ أى يفعل فعل المحب مع ﴿الذين يقاتلون﴾ أى[1] يوقعون القتال ﴿فى سبيله﴾ أى بسبب تسهيل طريقه الموصلة إلى رضاه إيقاعا مظروفا للسبيل، لا يكون شىء منه كشىء[2] خارج عنه. فيقاتلون أعداء الدين من الشيطان بالذكر القلبى و اللسان، و الإنسان بالسيف و السنان ﴿صفا﴾ أى مصطفين حتى كأنهم فى اتحاد المراد على قلب واحد كما كانوا فى التساوى فى الاصطفاف كالبدن الواحد.

و لما كان الاصطفاف يصدق مع التقدم و التأخر اليسير نفى ذلك بقوله حالا بعـــد حال: ﴿كأنهم﴾ أى من شدة التراص[3] و المساواة بالصدور و المناكب و الثبات فى[4] المراكز ﴿بنيان﴾ و زاد فى التأكيد بقوله: ﴿مرصوص﴾ أى عظيم الاتصال شديد الاستحكام كأنما رص بالرصاص فلا فرجة فيه و لاخلل، فان من كان هكذا كان جديرا بأن لايخالف شىء من أفعاله شيئا من أقواله. فالرص إشارة إلى اتحاد القلوب و النيات [5]فى موالاة[5] الله و [6]معاداة من[6] عاداه المنتج لتسوية الصفوف فى الصلاة التى هى محاربة الشيطان، و الحرب [7]التى هى[7] مقارعة حزبه أولى الطغيان، و الأفعال التى هى ثمرات الأبدان.

(١) زيد فى الأصل: الذين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بشى (٣) من ظ و م، و فى الأصل: المراض (٤) من ظ و م، و فى الأصل: و (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: الموالاة الله. (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: المعاداة لمن (٧-٧) من م، و فى الأصل و ظ: الذى هو.

و لما كان التخلف عن أمر الله تعالى و الغفله عن شيء يؤدى تركه إلى التهاون به و الإخلال بأدب من آدابه موجبا للكون فى صف الشيطان و مفارقة حزب الرحمن، فيكون أذى الرسول صلى الله عليه وسلم، فيوجب ذلك الشقاء كله لأنه جدير بأن يجر إلى أكبر منه إلى أن تحيط الخطايا فتيتح[1] الرزايا، و كان للتذكير بالمشاهدات و الأمور الواقعات ما ليس لغيره فى التأديب[2] و مرجع الترهيب، ذكر بما كان لبنى إسرائيل ترهيبا من مثل[3] حالهم، لئلا يوقع فى نكالهم، حين تقاعسوا عما أمروا به من فتح بيت المقدس من الله تعالى غضب من فعلهم ذلك فسماهم فاسقين و ضربهم بالتيه أربعين سنة، و أمات فى تلك الأربعين كل من توانى منهم فى ذلك، فلم يدخل إلى بيت المقدس منهم أحد، فحرموا[4] البلاد التى[5] تقاعدوا / عن فتحها، و هى بعد مكة و المدينة خير بلاد الله تعالى و مهاجر أبيهم إبراهيم عليه الصلاة و السلام و مواطن أبويها[6] إسحاق و يعقوب عليهما الصلاة و السلام و أنزه الأرض، و أكثرها خيرا و أركها، مع ما كانوا فيه من الضيق و النكد من التيه الذى هو طرد عن جناب الله بما أراد - بما أشار إليه التعبير عن زمنه بالسنين - إلى ما أبقوا بعدهم من سوء الذكر و شناعة القالة إلى آخر الدهر فقال تعالى: ﴿و اذ﴾ عطفا على ما تقديره: اذكروا ما فعل بعضكم - بما أشرت إليه أول هذه الآيات

/ ٣٢٠

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فتنتج (٢) من ظ و فى الأصل و م: التادب.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: مثله (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فرموا.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ابيهما.

من الآداب من تنبيه الكفار بما قد يمنع من الفتح أو يكون سببا فى عسره أو [فى - [1]] إهلاك خلق [كثير - [1]] من عبادى الذين[2] خلقتهم فى أحسن تقويم من المؤمنين و غيرهم ، أو من الفرار من الكفار عند المقارعة ، أو التقاعس عن[3] اللقاء عند البعث عليه ، فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم الذى أذاه من أذى الله فحلم عنكم ، و قبل بما له من بليغ الرحمة بكم و الشفقة عليكم منكم[4] ، و كان أنهى ما عاتبكم به مرسله سبحانه النداء بما هو أدنى الأسنان فى الإيمان فى نظير إطلاقه على بنى إسرائيل الفسق بالوصف المؤذن بالرسوخ : و اذكروا حين ﴿قال موسى لقومه﴾ و هم - مع كونه منهم - ممن له قوة على ما يحاولونه : ﴿ يٰقوم ﴾ استعطافا لهم و استنهاضا إلى رضى ربهم ﴿لم تؤذوننى﴾ أى تجددون أذائى مع الاستمرار بالتوانى فى أمر الله و التقاعد عن فتح بيت المقدس مع قولى عن الله أنكم فاتحوها إن أطعتموه و أن الله أقسم لآبائكم أنه مانحكموها لامحالة .

و لما كان هذا الاستفهام الإنكارى موجبا لتوقع ما يأتى بعده من موجب التعظيم بدل الأذى ، و التبجيل و الانقياد موضع التوقف و الإباء ، قال محققا بحرف التحقيق مضمون الكلام : ﴿ و قد ﴾ أى و الحال أنكم ﴿ تعلمون ﴾ أى علمتم علما قطعيا مع تجدده لكم فى كل[5] وقت بتجدد أسبابه بما آتيتكم به من المعجزات و بالكتاب الحافظ لكم من الزيغ

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عند (٤) من ظ و م ، و فى الأصل ؛ من (٥) سقط من ظ و م .

﴿ انى رسول الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له و رسوله أيضا يعظم[1] و يحترم لا أنه تنتهك جلالته و تحترم ﴿اليكم[1] ﴾ لا أقول لكم شيئا إلا عنه ، و لا أنطق عن الهوى ، فعصيانى عصيانه مع أنى ما قلت لكم شيئا إلا تم ، و إن كنتم قاطعين بخلافه فهى معصيته لاحامل عليها أصلا إلا ردءاة الجبلات . و لما تحنن إليهم و استعطفهم و ذكرهم ما يعلمون من رسليته ٥ و صلته بالله بما شاهدوا من الآيات التى هى أعظم الإحسان إليهم ، أعلم أنهم أوشكوا العصيان ، فقال معبرا عن ذلك بالفاء تسببا عن هذا القول الذى هو أهل لأن[2] يسبب الثبات و تعقيبا و تقريبا : ﴿فلما زاغوآ ﴾ أى تحقق[3] زيغهم عن قرب عن أوامر الله فى الكتاب الآتى إليهم بما أبوا من قبول أمره فى الإقدام على الفتح ﴿ ازاغ الله ﴾ أى الذى له الأمر ١٠ كله ﴿ قلوبهم[1] ﴾ من الاستواء ، / و جمع الكثرة يدل على[4] أنه لم يثبت ٣٢١ / منهم إلا القليل فهزمهم بين يدى[5] أعدائهم و ضربهم بالتيه لأنهم فسقوا عن أمر الله [فالله - [6]] لايهديهم ، فأسند الذنب إليهم و العقوبة إليه و إن كان الكل فعله تعليما لعباده الأدب و إعلاما بأن أفعالهم الاختيارية ينسب إليهم كسبها و يقوم به الحجة عليهم لعدم علمهم بالعاقبة ﴿و الله﴾ ١٥ أى الملك الأعظم الذى له الحكمة البالغة لأنه المستجمع لصفات[7] الكمال

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لا (٣) زيد فى الأصل و ظ : منكم ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) سقط من م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ايدى (٦) زيد من م (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الصفات .

﴿ لا يهدى ﴾ أى بالتوفيق بعد هداية البيان ﴿ القوم الفسقين ﴾ أى العريقين فى الفسق[1] الذين لهم قوة المحاولة فلم يحملهم على الفسق ضعف، فاحذروا[2] أن تكونوا مثلهم فى العزائم فتساووهم فى عقوبات الجرائم - انتهى .

٥ و لما كان أذى النبى صلى الله عليه و سلم بمخالفة أمره تارة يكون مع العلم برسالته و الإقرار بها و تارة مع الإنكار ، و قدم العتاب على ما كان منه على تقدير التصديق ، و ذكر فيه بقصة موسى عليه الصلاة و السلام الذين[3] كانوا يؤذونه مع العلم برسالته ، و هدد بما اتفق لهم من زيغ القلوب التى هى عماد الأبدان و صلاح الإنسان ، أتبعه ما يكون ١٠ منه عند فرض الإنكار . و لما كان رد المنكر تارة بالعقل و تارة بالنقل ، و كان الذى بالعقل يكون بنظر المعجزات و لا سيما إخراج الخبأ و قد[4] كان منه فى قصة حاطب رضى الله تعالى عنه فى إخراج كتابه الذى اجتهد فى إخفائه و اجتهدت الظعينة[5] الحاملة له فى كتمانه ما فيه مقنع[6] فى العلم بالرسالة و تحقق الجلالة ، أتبع ذلك دليلا نقليا تأييدا للعقل مع ١٥ كونه دليلا على صحة الإخبار بازاغة قلوب بنى إسرائيل جزاء على زيغهم عن الحق فقال : ﴿ و اذ ﴾ أى و اذكروا حين ﴿ قال عيسى ﴾ و وصفه

(١) من ظ و م . و فى الأصل : فسق (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : كما حذروا (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : الذى (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : ان (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الطيبة - كذا (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : منع .

بما حقق[1] من هو فقال: ﴿ ابن مريم ﴾ أى لقوم موسى عليهما الصلاة و السلام الذين أرسل إليهم و ثبتت نبوته لديهم بالمعجزات مع[2] إخلاص الدعوة[3] لله [4]و تصديق[4] من كان قبله من أهل الله: ﴿يٰبَنِىٓ اسرآءيل﴾ و ذكرهم[5] بما كان عليه أبوهم من الدين و ما وصى به نبيه من التمسك بالإسلام، و لم يعبر بالقوم كما قال موسى عليه الصلاة و السلام لأنه ٥ لا أب له فيهم [و -[6]] إن كانت أمه منهم، فان النسب إنما هو من جهة الأب، و أكد لإنكار بعضهم فقال[7]: ﴿ انى رسول الله ﴾ أى الملك الأعظم [8]الذى أحاط علمه بكل شىء[8] ﴿اليكم﴾ أى لا إلى غيركم، حال كونى ﴿مصدقا﴾ نصبه بما فى الرسول من رائحة الفعل و لا ينصب بـ «اليكم» لأنه صفة للرسول، و حروف الجر لا تعمل بأنفسها بل بما فيها ١٠ من معنى الفعل، فاذا[9] كانت صلات لم تكن متضمنة لمعنى فعل فلا تعمل، و هو الحرف الذى يسمى فى [غير -[10]] [11]الكتاب العزيز[11] [لغوا -[10]] ﴿لما بين يدىّ﴾ أى تقدمنى و كان من قبلى ﴿من التورٰىة﴾ التى تعلمون أن الله تعالى أنزلها على موسى / عليه الصلاة و السلام و هى أول الكتب ٣٢٢/

(١) من م، و فى الأصل و ظ: يحقق (٢) من م، و فى الأصل و ظ: من. (٣) من م، و فى الأصل و ظ: الدعوى (٤-٤) من م، و فى الأصل و ظ: فتصديق (٥) من م، و فى الأصل و ظ: ذكر (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل و ظ: تعالى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بل اذا (١٠) زيد من ظ و م (١١-١١) من ظ و م، و فى الأصل: كتاب الله.

التى نزلت بعد الصحف و حكم بها النبيون، فتصديق لها مع تأييدى[1] لها مؤيد لأن ما أقمته[2] من الدلائل حق و مبين أنها دليلى فيما لم أنسخه منه كما يستدل الإنسان بما قدامه من الأعلام و يراعيه ببصره .

و لما ذكر أول[3] الكتب ذكر [4]أيضا أول الأنبياء خلقا و آخرهم بعثا و هو[4] آخر الرسل ليكون فى ذلك إشارة إلى [أن - [5]] البشارة به فى التوراة و الإنجيل فقال : ﴿و مبشرا﴾ أى فى حال تصديق للتوراة . و لما كانت رسالته صلى الله عليه و سلم عامة لجميع الخلق لم يذكر فى رسالته حرف الغاية كما ذكر فى الرسالتين المذكورتين قبل فقال : ﴿برسول﴾ أى إلى كل من شملته المربوبية ﴿يأتى﴾ و لما كان إتيانه بعده بمدة طويلة أدخل الجار فقال : ﴿من بعدى﴾ و لما كان الإتيان بغاية البيان و إزاحة اللبس بكل اعتبار أقعد فى العتاب لمن هفا[6] بعده و الأخذ لمن جفا فنقض عهده ، أتى بالاسم الذى [7]ما شارك[7] النبى صلى الله عليه و سلم فيه أحد فى زمانه و لاقبله أصلا ، و وزنه دال على المبالغة فى معناه فقال : ﴿اسمه احمد[8]﴾ أى دال على أنه أبلغ الخلق حامدا و محمودا و هو اسمه صلى الله عليه و سلم فى السماء التى[8] سيصير إليها هذا المبشر ، و فى تخصيصه بالذكر احتراز عن أن يتوهم أن البعدية فى الرتبة[9] لأنه يليح بتصديره

---

(١) من م ، و فى الأصل وظ : تابيد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : افهمته .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : الذى (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : التربية .

بالهمزة التى هى أول الحروف مخرجا و أشد حروف الحلق الذى هو أول المخارج و تضمينه الميم إلى أنه صلى الله عليه و سلم كما أنه خاتم بما أشار إليه أشهر أسمائه و أعظمها "محمد" لابتدائه بالميم التى هى أمكن حروف الشفة التى هى خاتمة[1] للحروف لأن مخرجها آخر المخارج، لا نبى بعده فهو فاتح مقدم باعتبار الذكر و الشرف و الحكم بالوصف الشريف[2] ٥ لا نبى قبله [3]فى الخلق[3] وجبت له النبوة و إن آدم لمنجدل فى طينه و بين الروح و الجسد كما فى الحديث الذى أخرجه أحمد[4] عن ميسرة الفجر رضى الله عنه و الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه و أخرجه البيهقى فى أول دلائل النبوة و قال: إن معناه[5] أنه كذلك فى قضاء الله و تقديره، و كأنه يريد قضاء مكتوبا فى أم الكتاب و مذكورا لمن أراد من الملائكة ١٠ قبل إتمام خلق آدم عليه الصلاة و السلام فانه يحتمل أنه سبحانه و تعالى لما صور آدم عليه الصلاة و السلام جعل طينته شفافة تشف عن ذريته و جعل لصالحيهم[6] نورا [7]يرى دون غيره[7]، فلما رأوا أعظمهم نورا سألوا عنه فأخبرهم سبحانه و تعالى به و أثبت ما أراد من أوصافه فى أم الكتاب كما أنه كان نبيا بالإخبار فى دعوة [أبيه -[8]] إبراهيم عليه ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الخاتمة (٢) زيد فى الأصل: قبله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) راجع المسند ٥/٥٩ (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها. (٦) من م، و فى الأصل و ظ: بصالحهم (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م. (٨) زيد من ظ و م.

/٣٢٣ الصلاة و السلام و ببشارة عيسى ابن مريم عليه الصلاة / و السلام و بأمارات النور الذى خرج من أمه كما فى الحديث الذى رواه البيهقى فى الدلائل و غيره[1] عن العرباض بن سارية رضى الله عنه "انى عبد الله و خاتم النبيين" و فى رواية «إنى عبد الله لخاتم النبيين و [إن -[2]] آدم لمنجدل[3] فى طينته و سأخبركم عن ذلك : دعوة أبى إبراهيم و بشارة عيسى[4] بى و رؤيا أمى التى رأت . و كذلك أمهات النبيين يرين» و أن أم رسول الله صلى الله عليه و سلم رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام ، فتأويل ذلك بذكره سبحانه [له -[5]] لملائكته مثل تأويله بدعوة إبراهيم عليه الصلاة و السلام فى قوله تعالى حكاية عنه "ربنا و ابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة" و بشارة عيسى عليه الصلاة و السلام فى مثل حكايته عنه فى[6] هذه الآية ، و تأويله بالنور الذى رأت أمه مثل تأويله بالنور الذى يحتمل أن يكون الملائكة عليهم السلام [رأوا فى شفاف طينة آدم عليه السلام -[5]] و الله سبحانه و تعالى أعلم . و كانت سورة القتال احق باسمه الدال على الختم لأن الختام محتاج إلى علاج فى [لأم -[5]] ما كان من صدع الافتراق ، و كذا سورة الفتح لما يلزمه من محاولة المغلق و إزالة الأغلاق ، و ختام السورتين بالميم عظيم المناسبة لذلك

(١) راجع مسند أحمد ١٢٧/٤ (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : منجدل (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل و ظ : مثله ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

لأن الميم اسم لتمام الظاهر المقام بالألف ، و [1]إلى ذلك[1] إشار رسم ألف التنوين فى الفتح بعد الميم مع أنه لا يخلو من إشارة إلى أنه الفاتح مع كونه[2] الخاتم ، و يؤيد ذلك افتتاح السورة بأول حروف الاسم المليح إلى الفتح ، وكانت هذه السورة أحق [به -[3]] لأنه أدل دال على الاتفاق[4] و اجتماع الكلمة دون اختلاف و افتراق ، كما كان عند نزول آدم عليه الصلاة و السلام و[5]بعده بمدة[5] ، و إلى ذلك أشار ختمها و ختم نظيرتها الصافات بالنون الذى [6]هو مظهر مبين[7] محيط بما أظهره ، فهو مبشر لهذه الأمة بالاجتماع و الظهور على الاسم الذى يحيط آخره بجميع أهل الأرض على زمن المبشر عيسى عليه السلام المؤيد للبشر به بتجديد أمره و إقامة دينه صلى الله عليه و سلم ، و آخر هذه نتيجة آخر الصافات بالحمد الذى هو الإحاطة بأوصاف الكمال - و الله تعالى أعلم بالصواب .

* * *

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : لذلك (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : انه (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الاتقان (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد مدة (٦) العبارة من هنا الى « أعلم بالصواب » ساقطة من ظ (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : من .

ذكر ما يصدق هذه الآية[1] من الإنجيل من تصديقه للتوراة

و بشارته بأحمد صلى الله عليه و سلم، قال[2]: و كان رجل مريض اسمه العازر من بيت عنيا و هو أخو مريم و مرتا، فأرسلت الأختان إلى يسوع أن / الذى تحبه مريض، فأقام فى الموضع الذى هو فيه يومين ٣٢٤ /
٥ ثم[3] قال لتلاميذه: امضوا بنا إلى اليهودية، فقال[4] له تلاميذه: الآن يا معلم أراد اليهود رجمك[5] و أنت تريد المضى إليهم، فقال: إن العازر حبيبنا قد نام، فانا انطلق فأوقظه، فقالوا: يا سيدنا، إن كان نائما فهو يستيقظ، فقال: العازر مات، فأقبلوا إلى بيت عنيا، فاذا له أربعة أيام فى القبر و كانت بيت عنيا من يروشليم على [نحو -[6]] خمس عشرة
١٠ غلوة، و كان كثير من اليهود [قد -[7]] جاؤا إلى مرتا و مريم يعزوهما، فلما سمعت مرتا بقدوم يسوع خرجت لتلقاه[8] فقالت له: يا سيد[9]، لو كنت ههنا لم يمت أخى و أنا أعلم أن الله يعطيك كل ما سألته، قال: سيقوم أخوك، قالت: أنا أعلم أنه سيقوم فى القيامة، ثم جاءت[10] مريم

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الامة (٢) راجع آية ١ فما بعدها من الأصحاح ١١ من إنجيل يوحنا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: « و » (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فقالوا (٥) من م، و فى الأصل و ظ: يرجمك (٦) زيد من ظ. (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: اليه تلقاه (٩) فى ظ: سيدى (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: قامت.

للقائه، فظن اليهود الذين [كانوا -[1]] يعزونها أنها[2] تذهب إلى القبر فتبعوها، فلما انتهت إلى المكان الذى كان فيه يسوع خرت على قدميه ساجدة، فلما رآها تبكى و رأى اليهود الذين كانوا معها قال: أين وضعتموه؟ فقالوا له: ياسيد، تعال و انظر، فدمع يسوع فقال اليهود: انظروا كيف كان يحبه، فقال ناس منهم: أما كان هذا الذى فتح عينى الأعمى يقدر أن يجعل هذا لا يموت، فجاء إلى القبر وكان مغارة و عليه حجر موضوع فقال: ارفعوا الصخرة، فقالت له مرتا أخت الميت: ياسيد، إنه[3] قد أنتن لأن له أربعة أيام، قال لها[4] يسوع: ألم أقل لك إن آمنت رأيت مجد الله، فرفعوا الصخرة فرفع يسوع بصره إلى فوق و قال: أشكرك، لأنك تسمع لى، أقول هذا من أجل هذا الجمع ليؤمنوا أنك أرسلتنى، قال هذا القول و نادى بصوت عظيم و صاح: عازر اخرج، فخرج الميت و يداه و رجلاه ملفوفة باللفائف و وجهه ملفوف بعمامة، فقال يسوع: حلوه و دعوه [5]يمضى، و[5] إن كثيرا من اليهود الذين جاؤا إلى مريم لما رأوا ما صنع يسوع آمنوا، و مضى قوم منهم إلى الفريسيين فأخبروهم، فجمع[6] عظماء الكهنة و الفريسيون[7] محفلا فقالوا: ما ذا نصنع إذ كان هذا الرجل يعمل آيات كثيرة و إن تركناه فيؤمن به[8] جميع الناس و تأتى الروم فتنقلب

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: قد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) سقط من ظ و م (٤) سقط من م (٥ - ٥) من م، و فى الأصل وظ: يعنى (٦) من ظ وم، وفى الأصل: فجمعوا (٧) فى ظ وم: الفريسيين.
(٨) زيد فى الأصل: ناس كثير و يتبعهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

على أمتنا و موضعنا ، و إن واحدا منهم اسمه قيافا كان أعظم الكهنة
فى تلك السنة قال لهم : إنه[1] خير لنا أن يموت[2] واحد من الشعب من
أن تهلك الأمة كلها - إلى آخر ما مضى فى النساء عند قوله تعالى « و ما
قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم » الآيات ، نرجع إلى متى[3] قال : حينئذ
٥ ذهب الفريسيون و تشاوروا ليصطادوه بكلمة فأرسلوا إليه تلاميذهم
و الهردوسيين قائلين[4] : يا معلم ، قد علمنا أنك محق و طريق الله بالحق تعلم
و لا تبالى بأحد و لا تنظر لوجه إنسان[5] فقل لنا ما عندك ، أيجوز لنا أن
نعطى الجزية لقيصر أم لا ؟ فعلم يسوع شرهم فقال : لما ذا تجربونى
/٣٢٥ يا مراؤن أرونى[6] دينار الجزية ، فأتوه بدينار فقال لهم يسوع : لمن هذه
١٠ الصورة و الكتابة ؟ فقالوا : لقيصر ، حينئذ قال[7] لهم : أعطوا ما لقيصر يقصر
و ما لله لله ، فلما سمعوا تعجبوا و تركوه و مضوا ، و قال يوحنا[8] : فقال
يسوع : أنا ماكث[9] فيكم زمانا يسيرا ، ثم انطلق إلى من أرسلنى
و تطلبونى فلا تجدونى ، و حيث أكون أنا [10]لستم تقدرون[10] على المجىء إلى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يمت ، و زيد بعده فى ظ : رخل (٣) راجع آية ١٥ فما بعدها من الأصحاح ٢٢ (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : قالوا (٥) زيد فى الأصل : ابد ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : ادونى (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فقال (٨) راجع آية ٣٣ فما بعدها من الأصحاح ١٣ (٩) من ظ ، و فى الأصل : ما مكثت ، و فى م : مكثت (١٠-١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لم تقدروا .

فقال اليهود فيما بينهم : إلى أين هذا مزمع[1] ان يذهب حتى لا تجده ، لعله مزمع أن يذهب إلى منفى اليونانيين ، و قال متى[2] : و فى اليوم جاء إليه الزنادقة القائلون : ليس قيامة ، و سألوه - فذكر سؤالهم و جوابه لهم إلى أن قال فى آخر جوابه : أما قرأتم ما قيل لكم من الله ، و قال مرقس : فى سفر موسى قول الله على العوسج إذ قال : أنا هو إله إبراهيم و إله إسحق و إله يعقوب و أنتم تضلون كثيرا ، و عبارة لوقا : فقد[3] نبأ بذلك موسى فى العليقة كما قال الرب : أنا إله إبراهيم و إله إسحق و إله يعقوب ، و قال متى : فلما سمع الجمع بهتوا من تعليمه ، فلما سمع ذلك الفريسيون أنه قد أبكم الزنادقة اجتمعوا عليه جميعا و سأله[4] كاتب منهم ليجربه قائلا : يا معلم ! أى الوصايا أعظم فى الناموس ؟ قال له يسوع : تحب الرب إلهك من كل قلبك ، و قال : اسمع ، يا إسرائيل ، الرب إلهك واحد هو ، و تحب إلهك من كل قلبك - انتهى ، و من كل نفسك و من كل فكرك ، هذه الوصية الأولى العظيمة ، و الثانية[5] التى تشبهها أن تحب قريبك مثل[6] نفسك ، قال مرقس : ليس وصية أعظم من هاتين - انتهى ، فى الوصيتين سائر الناموس[7] و الأنبياء يتعلق ، قال مرقس : فقال له الكاتب : فحينئذ يا معلم الحق قلت أنه واحد ليس آخر غيره ، و أن تحبه من كل القلب

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : تزمع (٢) راجع آية ٢٣ فما بعدها من الأصحاح ٢٢ .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : و انا (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : سالوه .
(٥) من ظ ، و فى الأصل و م : الثانى (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : من .
(٧) من م ، و فى الأصل و ظ : النوموس .

و من كل النية و من كل النفس و من كل القوة، و تحب القريب مثلك، هذه أفضل من جميع الذبائح و المحترقات، فلما رأى يسوع عقله أجابه قائلا: لست بعيدا من ملكوت الله، و قال لوقا[1]: فقال ليسوع: و من هو قريبي؟ قال يسوع: كان رجل نازلا من يروشليم إلى أريحا، فوقع بين اللصوص فسلبوه[2] و جرحوه و مضوا و تركوه مثخنا[3] قريب الموت، و اتفق أن كاهنا نزل فى تلك الطريق فأبصره و جاز[4]، و كذلك لاوى جاء إلى المكان فأبصره و جاز، و إن سامريا[5] جاز به، فلما رآه تحنن و دنا منه[6] و ضمد جراحاته و حمله على دابته و جاء به إلى الفندق و عنى بأمره[7]، و فى الغد أخرج بدينارين أعطاهما لصاحب الفندق و قال: أهتم به فان أنفقت[8] عليه أكثر من / هذين دفعت لك عند عودتى، فمن من هؤلاء الثلاثة تظن أنه قد صار قريبا للذى وقع بين اللصوص. فقال له: الذى صنع معه رحمة، فقال له يسوع: اذهب أنت و افعل هكذا، و قال مرقس: فلم يتجرا أحد أن يسأله ثم قال: و كانت جماعة كثيرة يسمعون منه بشهوة، و قال يوحنا: و آمن باسمه عند كونه بايروشليم فى عيد الفسح كثير لأنهم عاينوا الآيات التى عمل، ثم قال: و كان رجل من الفريسين اسمه نيقوديميس رئيسا لليهود أتى إلى يسوع ليلا و قال له: [يا -[9]] معلم

/٣٢٦

(١) راجع آية ٢٠ فما بعدها من الأصحاح ١٠ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فلبسوه.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: منحا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: جاور.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: ساميا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: «و»
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: به امر (٨) من م، و فى الأصل و ظ: انفق.
(٩) زيد من ظ و م.

نحن نعلم أنك من الله أتيت معلما لأنه ليس يقدر أحد أن يعمل هذه الآيات التى تعمل [1]أنت إلا من كان[1] الله معه ، قال متى[2] : و حينئذ كلم يسوع الجمع و تلاميذه و قال : على كرسى موسى جلس الكتبة و الفريسيون و كل ما قالوه لكم احفظوه أنتم و افعلوه ، و مثل[3] أعمالهم لا تصنعوا لأنهم يقولون و لا يفعلون ، لأنهم يربطون أحمالا ثقالا صعبة الحمل و يحملونها على أعناق الناس و لا يريدون أن يحركوها باصبعهم ، و كل أعمالهم يصنعونها لكى يراؤوا الناس ، يعرضون أرديتهم و يعظمون أطراف ثيابهم ، و يحبون أول الجماعات فى الولائم و صدور المجالس فى المجامع و السلام فى الأسواق ، و أن يدعوهم الناس معلمين ، فأما أنتم فلا [تدعوا -[4]] لكم معلما على الأرض و لا مدبرا فان مدبركم واحد هو المسيح ، و أنتم جميعا إخوة ، و لا تدعوا لكم أبا على الأرض فان أباكم واحد ، هو الذى فى السماوات ، و الكبير الذى فيكم يكون لكم خادما ، فمن رفع نفسه اتضع ، و من وضع نفسه ارتفع ، الويل لكم أيها الكتبة و الفريسيون ، لأكلكم بيوت الأرامل و الأيتام ، لعلة تطويل صلاتكم ، و من [أجل -[4]] هذا تأخذون أعظم دينونة ، الويل لكم أنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس فلا أنتم تدخلون و لا تتركون الداخلين يدخلون ، الويل لكم أنكم تطوفون البر و البحر لتصطفوا[5] غريبا واحدا ، فاذا صار صيرتموه لجهنم ابنا مضعفا ، لكم الويل يا [أيها] الهداة العميان الذين يقولون : من حلف بالهيكل

(١-١) سقط من ظ و م (٢) راجع آية ١ فما بعدها من الأصحاح ٢٣ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مثلهم (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لتعطفوا .

فليس عليه شيء، و من حلف بذهب الهيكل يخطئ، أيها الجهال العمى أيما أعظم ؟ [1] الذهب ام الهيكل [1] الذى يقدس الذهب، و من حلف بالمذبح فلا شيء، و من حلف بالقربان الذى فوقه فهو يخطيء [2] يا جهال و عميان، أيما أعظم ؟ القربان أم المذبح الذى يقدس القربان ؟ و من حلف بالمذبح فقد حلف به و بكل ما فوقـــه، و من حلف بالهيكل فهو [3] يحلف به و بالساكن فيه، و من حلف بالسماء [3] فهو يحلف بكرسى الله و بالجالس عليه، الويل لكم أنكم تعشرون الشبث و النعنع و الكمون و تتركون أثقل [4] الناموس الحكم و الرحمة و الإيمان، و قال لوقا [5] : تعشرون النعنع و السداب / و كل البقول، و ترفضون حكم الله و محبته، قد كان ينبغى أن [6] تعقلوا / ٣٢٧ هذا و لاتغفلوا [7] عن تلك - انتهى، ياهداة عميان الذين يتركون البعوضة و يبلعون الجمل، الويل لكم أنكم [8] تنقون خارج [8] الكاس [3] و السكرجة و داخلها مملوء اختطافا و ظلما، أيها الأعمى، نق أولا داخل الكأس و السكرجة [3] لكيما يتطهر خارجها، و قال لوقا : اعطوا الرحمة فكل [9] شيء يتطهر لكم - الويل لكم لأنكم [10] لاتشبهون القبور المكلسة التى ترى من

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل : الهيكل أم الذهب (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م، و فى الأصل : فعن (٥) راجع آية ٤٢ من الاصحاح ١١ (٦) من ظ و م، و فى الأصل : بان (٧) من ظ و م، و فى الأصل : لايعقلون (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل : تتركون و تنقون خاج (٩) من م، و فى الأصل و ظ : لكل (١٠) من ظ و م، و فى الأصل : لامنكم.

خارجها حسنة و داخلها مملوء عظام[1] الأموات و كل نجس ، و قال لوقا : لأنكم مثل القبور المخفية[2] و الناس يمشون عليها و لا يعلمون ـ انتهى ، و كذلك أنتم ترون[3] الناس ظواهركم[4] مثل الصديقين ، و من داخل تمتلئون[5] إثما و رياء ، قال لوقا : و أنتم أيها الكتبة الويل[6] لكم لأنكم تحملون أوساقا[7] وأثقالا وأنتم لا تدنون منها باحدى أصابعكم ، الويل لكم لأنكم أخذتم مفاتيح الغرفة فما دخلتم ، و منعتم الذين[8] يريدون الدخول[8] ـ انتهى ، الويل لكم لأنكم تبنون قبور الأنبياء ، قال لوقا : الذين قتلهم آباؤكم ـ انتهى ، و تزينون مدافن[9] الصديقين و تقولون : لوكنا فى أيام آبائنا لم نشاركهم فى دم الأنبياء ، فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء إنكم تكملون مكيلة آبائكم ، أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ، [من أجل [10]] هذا أرسل إليكم أنبياء وحكماء و كتبة فتقتلون منهم و تصلبون و تجلدون منهم فى مجامعكم[11] و تطردونهم[12] من مدينة إلى مدينة لكى يأتى عليكم دم الصديقين المسفوك على الأرض ، و قال لوقا : و انتم تشهدون

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عظاما (٢) من ظ و م . و فى الاصل : المخبية .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تراون (٤) فى ظ : ظاهرهم ، و فى م : ظاهرون (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : مملوون (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الاثم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : أوزارا (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : يريد الدين (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : مداين (١٠) زيد من ظ و م (١١) زيد فى الأصل : ومن ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تطرونهم .

و تسرون بأعمال آبائكم لأنهم قتلوهم و أنتم تبنون قبورهم، و لهذا قالت حكمة الله : هوذا أرسل إليهم أنبياء و رسلا فيقتلون منهم و يطردونهم لينتقم عن دم جميع الأنبياء الذى أهريق من أول العالم إلى هذا الجيل . و قال متى[1] : من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا ابن براشيا الذى قتلتموه بين الهيكل و المذبح[2] ، الحق أقول [لكم -[3]] إن هذا كله يأتى على هذا الجيل ، يا أروشليم ، يا قاتلة الأنبياء و راجمة المرسلين[4] إليها كم من مرة [أردت -[3]] أن أجمع بنيك فيك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها فلم تريدوا ، هو ذا يترك بيتكم لكم خرابا ، أنا أقول لكم : إنى لا ترونى من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب ، [و -[3]] قال مرقس[5] : ثم جاء يسوع عند باب الخزانة ينظر[6] الجمع يلقى نحاسا فى الخزانة و أغنياء كثير ألقوا كثيرا ، فجاءت / امرأة أرملة مسكينة ، فألقت فلسين فاستدعى تلاميذه و قال لهم : الحق أقول لكم ، إن هذه الأرملة المسكينة ألقت أكثر من الكل الذين ألقوا فى الخزانة ، لأن الكل القوا من فضل ما عندهم ، و هذه ألقت مع مسكنتها كل ما لها ، ثم خرج من الهيكل - انتهى . هذا ما فيه الدلالة على الرسالة و تصديق التوراة ، و أما البشارة بمحمد صلى الله عليه و سلم فقد تقدم فى هذا الكتاب مفرقا فى السور[7]

/ ٣٢٨

---

(١) راجع آية ٣٥ فما بعدها من الاصحاح ٢٣ (٢) من ظ و م، و فى الأصل : مذبح (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المسلمين (٥) راجع آية ٤١ فما بعدها من الأصحاح ١٢ (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ينتظر (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة .

كالأعراف و النساء و غيرهما ، و قال ابن هشام فى تهذيب السيرة[1] النبوية[2] جمع ابن إسحاق ، قال ابن إسحاق : و قد كان فيما بلغنى عما كان وضع[3] عيسى ابن مريم عليهما الصلاة و السلام فيما جاءه[4] من الله تعالى فى الانجيل[5] [لأهل الإنجيل -[5]] من صفة[6] رسول الله صلى الله عليه و سلم مما أثبت يحنس الحوارى لهم حين نسخ لهم الإنجيل عن عهد عيسى ابن ٥ مريم [فى -[5]] رسول الله صلى الله عليه و سلم إليهم أنه قال : من أبغضنى فقد أبغض الرب ، و لولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة ، و لكن من الآن [7]بطروا و ظنوا[7] أنهم يعزوننى و أيضا للرب و لكن لابد أن تتم الكلمة التى فى الناموس أنهم أبغضونى مجانا أى باطلا فلو[8] قد جاء المنحمنا هذا الذى[9] يرسله الله إليكم من عند ١٠ الرب روح القدس[10] هذا الذى من عند الرب خرج فهو شهيد علىّ و أنتم أيضا لأنكم قديما كنتم معى [فى - [5]] هذا قلت لكم لكى [لا -[11]] تشكوا . فالمنحمنا بالسريانية محمد صلى الله عليه و سلم و هو بالرومية

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة (٢) راجع ١ / ٨٠ (٣) من ظ و م و السيرة ، و فى الأصل : موضع (٤-٤) من ظ و م و السيرة ، و فى الأصل : من الانجيل من الله تعالى (٥) زيد من السيرة (٦) من السيرة ، و فى الأصل و م : عهد عيسى بن مريم ، و العبارة ساقطة من ظ (٧-٧) من ظ و م و السيرة ، و فى الأصل : نطرق (٨) من ظ و م و السيرة ، و فى الأصل : فاولا (٩) من ظ و م و السيرة ، و فى الأصل : الدين (١٠) من ظ و م و السيرة ، و فى الأصل : القسط (١١) زيد من ظ و م و السيرة .

البارقليطس ـ انتهى .

و لما تم الدليل النقلى على نبوة محمد صلى الله عليه و سلم و على كونه أشرف الأنبياء فاتحا لهم و خاتما عليهم ، دل [على] إلزام بنى إسرائيل[1] الزيغ فقال : ﴿ فلما جآءهم ﴾ أى عيسى أو محمد صلى الله عليهما و سلم بنى إسرايل و[2] غيرهم ﴿ بالبيّنت ﴾ أى [من ـ[3]] المعجزات العظيمة التى لا يسوغ لعاقل إلا التسليم لها و [من ـ[3]] الكتاب المبين ﴿قالوا﴾ أى عند[4] مجيئها سواء من غير نظرة لتأمل و لا غيره : ﴿هذا﴾ أى المأتى به من البينات أو الآتى بها على المبالغة كما دل عليه قراءة حمزة[5] "ساحر" إشارة بالإشارة [إلى القريب بعد الإشارة ـ[3]] بفاء التعقب إلى شدة اتصال الكفر بأول أوقات المجىء : ﴿ سحر ﴾ فكانوا أول كافر به[6] ، لأن هذا[6] وصف لهم لازم [سواء ـ[7]] بلغهم ذلك و[8]هم بمفردهم أو منضما إليهم غيرهم ﴿ مبين ﴾ أى فى البيان فى سحريته حتى أن شدة ظهوره فى نفسه مظهرة لكل من رآه أنه سحر عنادا منهم و مكابرة للحق الذى لا لبس فيه .

و لما كان التقدير إعلاما بأنهم أظلم الناس لتعمدهم للكذب : فمن أظلم منهم لتهتكهم فى ذلك ، / عطف عليه قوله : ﴿ومن اظلم﴾ و عم[9]

٢ /

(١) زيد فى الأصل : و غيرهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : أو (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، فى الأصل عنده (٥) راجع نثر المرجان ٧ / ٣٦ (٦ ـ ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لأنه (٧) زيد من ظ (٨) سقطت الواو من م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : هم .

كل من اتصف بوصفهم فقال: ﴿ممن افترى﴾ أى تعمد ﴿على الله﴾ أى الملك الأعلى ﴿الكذب﴾ الذى هو أقبح الأشياء ﴿و هو﴾ أى و الحال أنه ﴿يدعى﴾ أى من أى داع كان ﴿الى الاسلام﴾ الذى هو أحسن الأشياء فيكفى فى الدعاء إليه أدنى تنبيه لأنه الاعتراف بالحق لمن هو له، فيجعل مكان الإجابة افتراء الكذب فى [تلك الحالة -[1]] الحسنى. ٥

و لما كان التقدير: فهو لا يهديه الله لأجل ظلمه، عطف عليه قوله: ﴿و الله﴾ أى الذى له الأمر كله فلا أمر لأحد معه ﴿لا يهدى القوم[2]﴾ أى لا يخلق الهداية فى قلوب من فيهم قوة المحاولة للأمور الصعاب[3] ﴿الظالمين﴾ أى الذين يخبطون فى عقولهم خبط من هو فى الظلام.

و لما أخبر عن ردهم للرسالة، علله بقوله: ﴿يريدون﴾ أى يوقعون ١٠ إرادة ردهم للرسالة بافترائهم ﴿ليطفؤا﴾ أى لأجل أن يطفؤا ﴿نور الله﴾ أى الملك الذى لا شىء يكافيه ﴿بافواههم﴾ أى بما يقولون من الكذب[4] لامنشأ له غير الأفواه لأنه لااعتقاد له فى القلوب لكونه[5] لا يتخيله عاقل، فهم فى ذلك كالنافخين فى الشمس إرادة أن يمحو نفخهم عينها و[6] ينقص شينهم زينها، فمثل إرادتهم لإخفاء القرآن بتكذيبهم و جميع كيدهم بمن[7] ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) وقع فى الأصل بعد «الصعاب» والترتيب من ظ و م.
(٣) زيد فى الأصل: اى الفرقة و الطائفة الذين طبعهم الكذب على الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل: الذى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م. و فى الأصل و ظ: لأنه (٦) من ظ و م، و فى الأصل: أو (٧) من ظ و م، و فى الأصل: كن.

يريد إطفاء الشمس بنفخه فهو فى أجهد الجهد و أضل الضلال :

وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها ويجهد أن يأتى لها[1] بضريب

فأفاد قصر الفعل أن إرادتهم كلها مصروفه لهذا الغرض و أنه لا إرادة لهم غير ذلك و أنه لا ينبغى أن يكون [لهم -[2]] إرادة لأنهم عبيد، و الإرادة لا ينبغى[3] إلا للسيد ليكون إرادة العبد تابعة لها، فتكون امتثالا لإرادته، فكأنه لا إرادة له، فهو أبلغ [4]مما فى براءة[4] لأن هذه نتيجتها .

و لما أخبر بعلة إرادتهم و أشار إلى وهى أمرهم بعد أن أخبر بردهم للحق وجرأ عليهم بالإخبار باضلالهم[5]، زاد ذلك بقوله مظهرا غير مضمر تنبيها على [جميع -[2]] صفات الجلال و الإكرام : ﴿ والله ﴾ أى الذى لا مدافع [له -[6]] لتمام عظمته . و لما كانت هذه السورة نتيجة سورة براءة التى أخبر فيها بأنه يأبى إلا إتمام نوره، أخبر فى هذه بنتيجة ذلك و هى ثبات تمام النور و دوامه، لأن هذا شأن الملك الذى لا كفوء له إذا إراد شيئا فكيف إذا أرسل[7] رسولا فقال : ﴿ متم ﴾ و هذا المعنى يؤيد قول الجمهور [أنها -[2]] مدنية بعد التأييد بذكر الجهاد، فان فرضه كان[8] بعد الهجرة من و الظاهر من ترتيبها على الممتحنة التى نزلت فى غزوة الفتح / أنها بعد براءة فى النزول أيضا . /٣٣٠

(١) من ظ و م، و فى الأصل : بها (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل و ظ : ان يكون، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل : مايراد (٥) من ظ و م، و فى الأصل : بضلالهم (٦) زيد من م . (٧) من ظ و م، و فى الأصل : ارسله (٨) سقط من م .

و لما

و لما كان النور لإظهار صور الأشياء بعد انطماسها سببا لوضع الأشياء فى أتقن مواضعها ، وكان ما أتى من عند الله من العلم كذلك ، جعل عينه فأطلق عليه اسمه فقال : ﴿نوره﴾ فلا يضره[1] ستر أحد له بتكذيبه و لا إرادة إطفائه ، و زاد ذلك بقوله : ﴿و لو كره﴾ أى إتمامه [له -[2]] ﴿الكفرون ه﴾ أى الراسخون فى صفة الكفر[3] المجتهدون فى المحاماة عنه .

و لما أخبر بذلك ، علله بما هو شأن كل ملك فكيف بالواحد فى ملكه فقال : ﴿هو﴾ أى الذى ثبت أنه جامع لصفات الجمال و الجلال وحده من غير أن يكون له شريك أو وزير ﴿الذى ارسل﴾ [4]بما له من القوة و الإرادة[4] ﴿رسوله﴾ أى الحقيق بأن يعظمه كل من بلغه أمره لأن عظمته من عظمته ، و لم يذكر حرف الغاية إشارة إلى عموم الإرسال إلى كل من شمله الملك كما مضى ﴿بالهدى﴾ أى البيان الشافى ﴿و دين الحق﴾ أى الملك الذى ثباته لا يدانيه ثبات ، فلا ثبات لغيره ، فثبات هذا الدين بثباته ، و يجوز أن يكون المعنى : و الدين الذى هو الحق الثابت فى الحقية[5] الكامل فيها كمالا ليس لغيره ، فيكون من إضافة الموصوف إلى صفته اشارة إلى شدة التباسه بها[6] ﴿ليظهره﴾ أى يعليه

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا يضر (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل و م : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الحقيقة (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : به .

مع الشهرة و إذلال المنازع ﴿ على الدين ﴾ أى جنس الشريعة التى تجعل ليجازى من يسلكها و [1]من يزيغ[1] عنها، بها يشرع فيها من الأحكام ﴿ كله ﴾ فلا يبقى دين إلا كان دونه و انمحق به و ذل أهله له ذلا لايقاس به ذل ﴿ و لوكره ﴾ أى[2] إظهاره ﴿ المشركون ﴾ أى المعاندون

٥ فى كفرهم[3] الراسخون فى تلك المعاندة، و أعظم مراد بهذا أهل العناد ببدعة الاتحاد، فانهم ما تركوا شيئا مما سواه حتى أشركوا به - تعالى [الله -[4]] عما يقولون علوا كبيرا، - و هم مع بعد نحلتهم من العقول و فسادها من الأوهام و مصادمتها لجميع النقول فى غاية الكثرة لمصير الناس إلى ما وعد الله و رسوله - [و صدق الله و رسوله -[4]] - من أن

١٠ أكثرهم قد مرجت عهودهم[5] وخفيت أماناتهم[6] وصاروا حثالة كحثالة التمر لايعبأ الله بهم، لكنهم على كثرتهم بما تضمنته هذه الآية فى أمثالها فى غاية الذل و لله الحمد لاعز لهم إلا باظهار الاتباع للكتاب[7] و السنة و هم يعلمون أنهم يكذبون فى هذه الدعوى لأنهم فى غاية المخالفة لهما[8] بحيث يعتقدون أنهما شرك لإثباتهما لله تعالى وجودا يخالف وجود الخلق و هم يقولون

١٥ مكابرة للضرورة ان الوجود واحد و أنه لاموجود ظاهرا و باطنا سواه، و لذلك سموا الوجود به ثم[9] لايردهم علمهم / بذلهم وأنهم لا عز لهم إلا ٣٣١ /

(١ - ١) من ظ و م، و فى الاصل: يغيب (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٣) زيد فى الأصل و م: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها.
(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عقولهم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: امارانهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لكتاب.
(٨) من ظ و م، و فى الأصل: لها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: وكذا.

بحمى الشريعة عن ضلالهم فأعجب لذلك و ألجأ إلى الله تعالى بسؤال العافية ، فان القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء ، و ضربهم بالذل مع كثرتهم فى [1] غاية الدلالة على الله سبحانه لأن الملك الكامل القدرة لا يقر من يطعن فى ملكه و يسعى فى رد رسالته و إهانة رسله ، و لقد أنجز سبحانه كثيرا من وعده بما دل [2] - لكونه تغليبا على أقوى الملوك من الأكاسرة والقياصرة [3] - على القدرة على الباقين ، و ذلك أنه لما تقاعد قومه عن نصرته و انتدبوا لتكذيبه و جحد [4] ما شاهدوه من صدقه يسر الله له أنصارا من أمته هم [6] نزاع القبائل [6] و أجاد الأفاضل و سادات الأماثل فبلغوا فى تأييده أقصى الأمل .

و لما أنتج هذا كله نصر رسول الله صلى الله عليه و سلم على كل حال و دمار من يخالف أمره ، أنتج قطعا أن الجهاد معه [7] متجر رابح [7] لأن النصر مضمون ، و الموت منهل لابد من وروده سواء خاض الإنسان الحتوف أو احترس فى القصور المشيدة ، فقال تعالى فى أسلوب النداء و الاستفهام لأنه أفخم و أشد تشويقا [8] بالأداة التى لا يكون ما بعدها إلا بالغا فى العظم إلى النهاية : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ أى قالوا

(١) من م ، و فى الاصل وظ : على (٢) زيد فى الأصل وظ : عليه ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الا قاصرة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : حجدوا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يسره (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يراع القلائل (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : متجرا رابحا (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : تسويفا .

[فى -[1]] إقرارهم بالإيمان ما عليهم أن يفعلوا بمقتضاه ﴿ هل ادلكم ﴾ و أنا المحيط علما و قدرة ، فهى إيجاب فى المعنى ذكر بلفظ الاستفهام تشويقا ليكون أوقع فى النفس فتكون له أشد تقبلا ، و الآية أيضا نتيجة ما مضى باعتبار آخر[2] لأنه لما وبخ على انحلال العزائم و أخبر بما يجب من القتال ، و بكت على أذى الرسول صلى الله عليه و سلم بالمخالفة ، و أخبر أن من خالفه لا يضر إلا نفسه ، كان موضع الاشتياق فى طاعته فرتب عليه الاشتياق إلى[3] ذكر ثمرته فذكرها ، و لما [كان -[4]] فعل حاطب رضى الله عنه لاجل أن[5] لا يجاح أهله الذين كانوا بمكة فى أنفسهم و لا فى شىء من مالهم ، و كان هذا فى معنى التجارة قال : ﴿ على تجارة ﴾ و قراءة ابن عامر[6] ﴿ تنجيكم ﴾ بالتشديد أنسب لهذا المقام من قراءة الجماعة بالتخفيف ، و قراءة الجماعة أنسب لمقصود[7] حاطب رضى الله عنه ﴿ من عذاب اليم ﴾ بالإجاحة[8] فى النفس أو[9] المال .

و لما كان الاتجار إجهاد النفس فى تحصيل [الربح النافع ، و كان الإيمان و الجهاد أعظم إجهاد النفس فى تحصيل -[1]] الجنة الباقية التى لا ربح[10] بوازيها ، فاستعار لهـا / اسمها ، و كان جواب النداء الإقبال ٣٣٢ /

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الاصل : امر (٣) من ظ و م ، و فى الاصل : فى (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : انه (٦) راجع نثر المرجان ٣٢٩/٧ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : المقصود (٨) من ظ و م ، و فى الاصل : بالاجابة (٩) من م و فى الأصل و ظ « و » (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : تحصيل .

وجواب

و جواب الاستفهام نعم ، عدوا كأنهم أقبلوا و انعموا تنبيها على ما هو الأليق بهم ، فاستأنف[1] لهم بيان التجارة بأنه الجمع بين الإيمان الذى هو أساس الأعمال كلها ، و الجهاد بنوعيه المكمل للنفس و المكمل للغير فقال[2]: ﴿تؤمنون﴾ [أى -[3]] آمنوا بشرط تجديد الإيمان على سبيل الاستمرار ﴿بالله﴾ الذى له جميع صفات الكمال ﴿و رسوله﴾ الذى تصديقه آية ٥ الإذعان المعنوية و الخضوع لكونه ملكا ﴿و تجاهدون﴾ أى و جاهدوا[4] بيانا لصحة إيمانكم على سبيل التجديد و الاستمرار . و يدل على أنهما[5] بمعنى الأمر ما[6] أرشد إليه جزم ما أقيم فى موضع الجواب مع قراءة عبد الله رضى الله عنه : آمنوا و جاهدوا - بصيغة الأمر ﴿فى سبيل الله﴾ أى بسبب تسهيل طريق الملك الأعظم الموصل إليه الذى لا أمر لغيره بحيث يكون ١٠ ظرفا[7] لكم فى [جميع - [8]] هذا الفعل فلا شىء يكون منه خارجا عنه ليكون خالصا بفتح بلد الحج ليسهل الوصول إليه من كل من أراده و غير ذلك من شرائعه فتكونوا ممن يصدق فعله قوله ، و هـذا المعنى لا وقفة فيه لأنه فرق بين قولنا : فلان فعل كذا - الصادق بمرة ، و بين قولنا بفعله الدال[9] على أن فعله[10] قد صار ديدنا له ، فالمعنى: يا من فعل ١٥

(١) فى ظ و م : فاستؤنف (٢) فى ظ و م : فقال (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : تجاهدوا (٥) من ظ و م ، و فى الاصل : ان على (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كما (٧) من ظ و م ، و فى الاصل : طريقا (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الصادق (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : قوله .

الإيمان إن أردتم النجاة فكونوا عريقين فى وصف الإيمان حقيقين به ثابتى الإقدام فيه و أديموا الجهاد دلالة على ذلك فان الجهاد لما فيه من الخطر و المشقة و الضرر أعظم دليل على صدق الإيمان، و يؤيد ذلك أن السياق لقصة حاطب رضى الله عنه المفهمة فى الظاهر لعدم الثبات فى الإيمان و إرادة[1] الجهاد الدال على المصدق فيه، و لذلك[2] قال عمر رضى الله عنه ما قال- و الله الهادى .

و لما كان الجمع بين الروح و عديلها المال على وجه الرضى و الرغبة أدل على صحة الإيمان، قال: ﴿ باموالكم ﴾ و قدمها لعزتها فى ذلك الزمان و لأنها قوام الأنفس و الأبدان، فمن بذل ماله كله لم يبخل بنفسه لأن[3] المال[4] قوامها . و لما قدم القوام أتبعه القائم به فقال: ﴿ و انفسكم[5] ﴾ و لما أمر بهذا فى صيغة الخبر اهتماما به و تائيدا لشأنه. أشار إلى عظمته بمدحه قبل ذكر جزائه، فقال: ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العظيم من الإيمان و تصديقه بالجهاد ﴿ خير لكم ﴾ أى خاصة مما تريدون من الذبذبة بمناصحة الكفار ﴿ ان كنتم ﴾ أى بالجبلات الصالحة ﴿ تعلمون[6] ﴾ أى إن كان يمكن أن يتجدد لكم علم فى وقت[5] من الأوقات[5] فأنتم[6] تعلمون أن ذلك خير لكم، فاذا علمتم، أنه خير[7] أقبلتم عليه فكان لكم به أمر

/ ٣٣٣

(١) من م، و فى الأصل و ظ : اراد (٢) من ظ و م، و فى الأصل : كذلك .
(٣) من م، و فى الأصل و ظ : لأنها (٤) زيد فى الأصل : و هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل : فايكم (٧) من ظ و م، و فى الأصل : خيرا .

عظيم ، و إن كانت قلوبكم قد طمست طمسا لا رجاء لصلاحها فصلوا على أنفسكم صلاة الموت .

و لما كان معنى[1] «تؤمنون» : فالأمر كما تقدم ، لكنه حول عن ذلك لما ذكر ، و كان أهم ما إلى الإنسان خوفه [2]مما هدد عليه ، أمن[2] سبحانه من ذلك دالا[3] على أصل الفعل بجزم ما هو فى موضع الجواب ٥ فقال : ﴿ يغفر لكم ﴾ أى خاصة دون من لم يفعل ذلك ﴿ ذنوبكم ﴾ أى بمحو أعيانها و آثارها كلها .

و لما قرع القلوب من كدر العقاب[4] و العتاب ، لذذها[5] بطيب الثواب فقال : ﴿ و يدخلكم ﴾ أى بعد التزكية بالمغفرة رحمة لكم ﴿جنت تجرى﴾ و دل على قرب الجارى و تخلله[6] الأراضى بالجار فقال : ١٠ ﴿ من تحتها ﴾ أى[7] تحت أشجارها و غرفها و كل متنزه فيها ﴿ الانهر ﴾ فهى لاتزال غضة زهراء ، و لم يحتج هذا الأسلوب إلى ذكر الخلود لإغناء ما بعده عنه ، و دل على الكثرة المفرطة فى الدور بقوله بصيغة منتهى الجموع : ﴿ و مسكن ﴾ و لما كانت المساكن لا تروق إلا بما يقارنها[8] من المعانى الحسنة قال : ﴿طيبة﴾ أى فى الاتساع و اختلاف ١٥

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : المعنى (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : من الله و عليه امن (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : دلائل (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : العذاب (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى هو (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه ـ كذا (٧) زيد فى الأصل : تحتها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : يعاينها .

أنواع[1] الملاذ و علو الأبنية و الأسرة[2] مع سهولة[3] الوصول إليها و في بهجة المناظر و تيسر مجارى الريح بانفساح الأبنية مع طيب الغرف، لم يفسد الماء الجارى تحتها شيئا من ريحها و لا في اعتدالها فى شيء مما يراد منها . ولما كانت لا يرغب فيها إلا بدوام الإقامة، بين صلاحيتها لذلك بقوله: ﴿ فى جنت عدن[4] ﴾ أى بساتين هي أهل للاقامة بها لا يحتاج فى إصلاحها إلى شيء خارج يحتاج في تحصيله إلى الخروج عنها [له-[4]]، و لا آخر لتلك[5] الإقامة، قال حمزة الكرمانى فى كتابه جوامع التفسير: هى قصبة الجنان و مدينة[6] الجنة أقربها إلى العرش .

و لما كان هذا أمرا شريفا لا يوجد فى غيرها قال: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم جدا وحده ﴿ الفوز العظيم[7] ﴾ . و لما ذكر ما أنعم[8] عليهم به[8] فى الأخرى لأنه أهم[9] لدوامها، كان التقدير بما دل عليه[10] العطف: هذا لكم، عطف عليه ما جعل لهم فى الدنيا فقال: ﴿ و اخرى[11] ﴾ أى و لكم نعمة، أو ويعطيكم، أو يزيدكم نعمة أخرى . و لما كان الإنسان أحب فى العاجل و أفرح بالناجز قال: ﴿ تحبونها[1] ﴾ أى محبة كثيرة متجددة

(١) من م، و فى الأصل و ظ: علوا (٢) من م، و فى الأصل و ظ: الاكرة. (٣) من م، و فى الأصل و ظ: سرعة (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بذلك (٦) من ظ و م، و فى الأصل: معرفته (٧) وقع فى الأصل بعد "فى الدنيا فقال" و الترتيب من ظ و م (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: قه به عليهم (٩) من ظ و م، و فى الأصل: اوهم (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: على (١١) وقع فى الأصل بعد «بالتأخير قال» و الترتيب من ظ و م .

متزايدة ، فى ظاهر هذه البشرى / تشويق إلى الجهاد و تحبيب ، و فى ٣٣٤ /
باطنها حث على [حب -[1]] الشهادة بما يشير إليه من[2] التوبيخ أيضا على
حب العاجل و التقريع : ﴿ نصر من الله ﴾ أى الذى أحاطت عظمته
بكل شىء لكم و على قدر إحاطته تكون نصرته ﴿ و فتح قريب[4] ﴾ أى
تدخلون منه إلى [كل -[3]] ما كان متعسرا عليكم من حصون أعدائكم ٥
و غيرها من أمورهم فى حياة نبيكم صلى الله عليه و سلم أعظمه فتح مكة
الذى كتب حاطب رضى الله عنه بسببه ، و بعد مماته ، و فيه شهادة لحاطب
رضى الله عنه بأنه يحب نصرة النبى صلى الله عليه و سلم و الفتح عليه
مكة و غيرها لصحة إيمانه كما أخبر به النبى صلى الله عليه و سلم الذى
لا ينطق عن الهوى . ١٠

و لما كان ما تقدم من المعاتبة إنذارا لمن خالف فعله قوله من
الذين آمنوا ، و كان المقام قد أخذ حظه من الإنذار و التوبيخ ، طوى ما
تقديره : فأنذر من لم يكن راسخا فى الدين من المنافقين ، و من خالف فعله
قوله من المؤمنين ، عطف عليه دلالة عليه ليكون [أوقع -[1]] فى النفس
لمن يشير إليه طيه من الاستعطاف قوله : ﴿ و بشر المؤمنين ﴾ أى الذين ١٥
صار الإيمان لهم وصفا راسخا كحاطب بن أبى بلتعة رضى الله عنه بأن الله
يفتح لك البلاد شرقا و غربا ، و أول ذلك مكة المشرفة و لا يحوجهم

(١) زيد من م (٢) هنا تكرار فى عبارة الأصل (٣) زيد من ظ و م (٤) زيدت
الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها .

إلى أن يدرؤا عن عشائرهم و أموالهم و لا أن يكون شيء[1] من أفعالهم يخالف شيئا من أقوالهم . و لما هز سبحانه إلى الجهاد و شوق إليه[2] بأنه متجر رابح ، و لوح إلى النذارة بالتنشيط بالبشارة ، فتهيأت النفوس إلى الإقبال عليه و انبعثت أيّ انبعاث ، حض عليه بالإيجاب المتقضى للثواب أو العقاب ، فقال مناديا بأداة البعد و التعبير بما يدل على أدنى الأسنان تأنيبا على أنه لا يعدم الوصف بالإيمان إلا مقرون بالحرمان تشويقا و تحبيبا : ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ [أي -[3]] أقروا بذلك[4] فأذعنوا بهذا الوعظ غاية الإذعان أني أمرت رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يقول لكم : ﴿كونوا﴾ أي بغاية جهدكم ﴿أنصار الله﴾ أي راسخين في وصف النصرة و في الذروة العليا من ثبات الأقدام في تأييد الذي له الغنى المطلق لتكونوا - بما[5] أشارت إليه قراءة الجماعة [6]بالإضافة - بالاجتهاد[6] في ذلك كأنكم جميع أنصاره ، فإنكم أشرف من قوم عيسى عليه الصلاة و السلام ، و ما ندبكم سبحانه لنصرته إلا لتشريفكم بمصاحبة رسله الذين هم خلاصة خلقه عليهم الصلاة و السلام فقولوا " سمعنا و أطعنا نحن أنصار الله " و قرأ نافع و ابن كثير و أبو عمرو بالتنوين[7] و لام الجر على معنى : كونوا بعض أنصاره ، / و يشبه أن يكون المأمور به في هذه القراءة الثبات على /٣٣٥

(١) من م ، و في الأصل و ظ : شيئا (٢) وقع في الأصل قبل « اى انبعاث » والترتيب من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و في الأصل : بهذا .
(٥) من ظ و م ، و في الأصل : كما (٦ - ٦) من م ، و في الأصل و ظ : في الاضافة في الاجتهاد (٧) راجع نثر المرجان ٧ /٣٣٣ .

الإيمان و لو فى أدنى الدرجات ، و فى قراءة الجمهور[1] الرسوخ فيه .

و لما كان التقدير على صفة هى من الثبات و السرعة على صفة الحواريين ، عبر عن ذلك بقوله : ﴿ كما ﴾ أى كونوا لأجل أنى أنا [ندبتكم -[2]] بقولى من غير واسطة و لذذتكم بخطابى مثل ما كان الحواريون انصار الله حين ﴿قال عيسى ابن مريم ﴾ حين أرسلته إلى بنى إسراءيل ناسخا لشريعة موسى عليه الصلاة و السلام ﴿ للحواريّين ﴾ أى خلص أصحابه و خاصته منهم : ﴿من انصارى[1] ﴾ حال كونهم سائرين فى منازل السلوك و المعاملات و مراحل المجاهدات و المنازلات ﴿ الى الله[1] ﴾ أى المحيط بكل شىء فنحن إليه راجعون كما كنا به مبدوئين .

و لما اشتد تشوف السامع إلى جوابهم ، أبان ذلك بقوله : ﴿ قال الحواريون ﴾ معلمين أنهم جادون فى ذلك جدا لا مزيد عليه عاملين فيما دعاهم إليه عمل الواصل لا السائر [لعلمهم أن إجابته إجابة الله لأنه لاينطق عن الهوى فليس كلامه إلا عن الله -[2]] : ﴿ نحن ﴾ أى بأجمعنا ﴿ انصار الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى هو غنى عنا و قادر على تمام نصرنا ، و لو كان عدونا كل أهل الأرض نصره الآن بالفعل ، لا نحتاج إلى تدريب يسير و لا نظر [إلى -[2]] [3]غير ، لاستحضارنا[3] لجميع ما يقدر عليه الآدمى من صفات جلاله و جماله و كماله ، و لذلك أظهروا و لم يضمروا .

و لما كان التقدير : ثم دعوا من خالفهم من بنى إسراءيل و بارزوهم ،

(١) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م.
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : غيره بالاستحضار .

سبب عنه قوله : ﴿ فآمنت ﴾ أى به ﴿ طآئفة ﴾ أى ناس فيهم أهلية الاستداوة[1] لما لهم من الكثرة ﴿ من بنى اسرآءيل ﴾ أى قومه ﴿ وكفرت طآئفة ج ﴾ أى منهم ، و أصل الطائفة : القطعة من الشىء[2] ﴿ فايدنا ﴾ أى قوينا بعد رفع عيسى عليه الصلاة و السلام ﴿ الذين امنوا ﴾ أى الذين أقروا بالإيمان المخلص منهم و غيره فى القول و الفعل و شددنا قلوبهم ﴿ على عدوهم ﴾ الذين عادوهم لأجل إيمانهم . و لما كان الظفر بالمحبوب [أحب ما يكون -[3]] إذا كان أول النهار ، تسبب عن تأييده قوله : ﴿ فاصبحوا ﴾ أى صاروا بعد ما كانوا فيه من الذل ﴿ ظهرين ع ﴾ أى عالين غالبين قاهرين فى أقوالهم و أفعالهم لايخافون أحدا[4] إلا الله[5] و لا يستخفون منه[6] ، فالتأييد تارة يكون [بالعلم وتارة -[6]] بالفعل[7] " علمه شديد القوى " فصار علمه فى غاية الإحكام و تبعته قوة هى فى منتهى التمام ، لأنه ناشىء عن علم مستفاد من قوة ، و إلا لقال : علمه كثير[8] العلم . " قال الذى عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك " قوة مستفادة من علم ، و الظاهر كما هو ظاهر قوله تعالى " جاعل الذين اتبعوك [فوق الذين كفروا -[6]] إلى يوم القيامة " و غيرها أن تأييد المؤمنين [به -[6]] كان بعد رفعه بيسير حين[9] ظهر

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الاستدراك (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : انبسوء (٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فيه (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل و ظ : و تارة بالقول ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : المعلم. (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : حتى .

الحواريون و انبثوا[1] / فى البلاد يدعون إلى الله بما آتاهم من الآيات، / ٣٣٦
فاتبعهم الناس، فلما تمادي الزمان و مات الحواريون رضى الله عنهم
افترق الناس و دب إليهم الفساد، فغلب أهل الباطل و ضعف أهل الحق
حتى كانوا عند بعث النبي صلى الله عليه و سلم عدما أو فى حكم العدم،
-كما دلت عليه قصة سلمان الفارسى رضى الله عنه، فقد رجع آخر السورة ٥
كما ترى بما وقع من التنزه عما[2] يوهمه علو الكفرة من [3]النقص بنصر[3]
أوليائه و قسر أعدائه. و من الأمر بما أخبر أولها أنه يحبه من القتال
فى سبيله حثا عليه و تشويقا إليه-على أولها، و اتصل بما بشر به من آمن
و لو على أدنى وجوه الإيمان من العز موصلها بمفصلها، بما أزيل من
الأسباب الحاملة له على المداراة. و الأمور التى أوقعته فى المماشاة مع ١٠
الكفار و المجاراة، فأوجب ذلك رسوخ الإيمان، و حصول الإتقان، المقتضى
للتنزيه بالفعل عن كل شوب نقصان، والله الموفق [4]للصواب و عليه التكلان[4].

(١) من م، و فى الأصل و ظ: اثبتوا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مما.
(٣-٣) من ظ وم، و فى الأصل: النصر بنصر (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

* * *

سورة الجمعة[١]

مقصودها بيان مسمى الصف بدليل هو أوضح شرائع الدين و أوثق عرى الإسلام، و هو الجمعة التى اسمها مبين للمراد منها من فرضية[٢] الاجتماع فيها و إيجاب الإقبال عليها و هو التجرد عن غيرها و الانقطاع لما وقع من التفرق حال الخطبة عمن[٣] بعث للتزكية بالاجتماع عليه فى الجهاد[٤] و[٥]غيره فى العسر و اليسر و المنشط و المكره، و اسمها الجمعة أنسب شيء فيها لهذا المقصد بتدبر آياته و تأمل أوائله و غاياته، الحاثة[٦] على قوة التواصل و الاجتماع، و الحاملة على دوام الإقبال على المزكى و الحب له و الاتباع ﴿ بسم الله ﴾ الذى [أحاط -[٧]] علمه بكل معلوم فتم بيانه ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمت[٨] نعمة بيانه بعد شمول كرامة إيجاده فهو العظيم شأنه ﴿الرحيم﴾ الذى خص حزبه بالتوفيق لما يرضاه فثبت فى سويداء كل منهم حبه له و إيمانه به .

و لما ختمت الصف بالإقبال ببعض بنى إسرائيل على[٩] جنابه الأقدس بعد أن زاغوا فأزاغ الله[١٠] قلوبهم كلهم أو الشاذ منهم بما أفهمه إطلاق الضمير عليهم ثم تأييدهم على من استمر منهم على الزيغ، فثبت أن له

(١) الثانية والستون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آيها ١١ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فريضة (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الاجتهاد (٥) من ظ و م، و فى الأصل: أو (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الحادثة (٧) زيد من م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: همت (٩) فى م: الى (١٠) سقط من ظ و م .

تمام القدرة المستلزم لشمول العلم [1]اللازم منه[1] التنزه عن كل شائبة نقص، وكان سبحانه قد ذكر[2] التسبيح الذى هو الأعظم الأشهر للتنزيه بلفظ الماضى ثلاث مرات فى افتتاح ثلاث سور، و ذلك نهاية الإثبات المؤكد، فثبت بذلك أنه وقع تنزيهه من كل ناطق و صامت، أخبر أول هذه السورة[3] أن ذلك التنزيه على وجه التجديد[4] و الاستمرار ٥ / بالتعبير بالمضارع لاستمرار ملكه فقال: ﴿يسبح﴾ أى يوقع[5] التنزيه الأعظم الأبهى الأكمل ﴿لله﴾ أى الملك المحيط بكل شىء قدرة وعلما، و أكد بذلك لما فى التغابن و لم يحتج بعد الإقرار بالوقوع على هذا الوجه إلى[6] التأكيد بأكثر من مرة و جعل بين كل مسبحتين سورة خالية من ذلك ليكون ذلك أدل[7] على قصد التأكيد من حيث شدة الاعتناء ١٠ بالذكر، و إن وقع فصل و يكون التأكيد أكثر تنبيها و أعظم صدعا و تذكيرا.

/ ٣٣٧

و لما كان تقريع العاقل الناطق بطاعة الصامت أعظم. قال: ﴿ما فى السمٰوٰت﴾ و إن كان العاقل يدخل فى ذلك ما عليه فيكون تسبيحه تارة طوعا موافقة للأمر، و تارة كرها بالانقياد مع الإرادة، ١٥ و تسبيح الصامت طوعا فى كل حال. و لما كان الخطاب مع الذين آمنوا، دعا ذلك إلى التأكيد لاحتياجهم إليه فقال: ﴿و ما فى الارض﴾ كذلك.

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: اللازمة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: كرر (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: التجريد (٥) من ظ و م، وفى الأصل: يرفع (٦) من م، وفى الأصل: على (٧) فى الأصل: دل.

ولما ثبت بالسور الثلاث الماضية أن الموجودات أوقعت له التسبيح، وأخبرت هذه باستمرار ذلك على سبيل التجديد، دل ذلك مع التنزيه عن النقائص على إثبات الكمال الذى لا يكون إلا[1] لملك عظيم الشأن مطاع الأمر، وكان الاقتصار على الصامت بالتعبير بما هو ظاهر فيه ربما أوهم شيئا، قال مصرحا بما أفهمه السياق: ﴿الملك﴾ أى الذى ثبتت[2] له جميع الكمالات فهو ينصر من يشاء من جنده ولو كان ذليلا فيصبح[3] ظاهرا ﴿القدوس﴾ الذى انتفت عنه جميع النقائص، فلا يكون شىء إلا باذنه وتنزه عن إحاطة أحد من الخلق بعلمه أو إدراك كنه ذاته فليس فى أيدى الخلق إلا التردد فى شهود أفعاله، والتدبر لمفاهيم نعوته وجلاله، وأحقهم بالقرب والعداد فى حزبه المتخلق بأوصافه على قدر اجتهاده، فينبغى للمؤمن التنزه عن أن يقول ما لا يفعل [4]أو يبنى[4] شيئا من أموره على غير إحكام، وقد مضى شرح الاسمين الشريفين قريبا وذكر خلاصة [شرحها -[5]] بما هو خاصة الملك وآية الطهارة للطاهر[6] فقال: ﴿العزيز﴾ أى الذى يغلب كل شىء ولا يغلبه شىء، فلو أراد لجعل العقلاء كلهم أيضا مع تسبيحهم بالجرى تحت مراده طوعا وكرها مسبحين بالموافقة لأمره طوعا ﴿الحكيم﴾ الذى يوقع كل ما أراده فى أحكم

(١) زيد فى الأصل: هما، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٢) من م، وفى الأصل وظ: ثبت (٣) من م، وفى الأصل وظ: فيصح (٤-٤) من م، وفى الأصل وظ: فينبغى (٥) زيد من م (٦) من م، وفى الأصل وظ: للظاهرة.

مواقعه و أتمها و أتقنها .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما ختمت سورة الصف بالثناء على الحواريين فى حسن استجابتهم و جميل إيمانهم ، و قد أمر المؤمنين بالتشبه بهم فى قوله تعالى " يأيها الذين آمنوا كونوا انصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من انصارى إلى الله"- الآية ، كان ذلك مما يوهم فضل أتباع عيسى عليه السلام على أتباع محمد صلى الله عليه و سلم / فاتبع ذلك بذكر هذه الأمه ، و الثناء عليها[1] ، فافتتحت السورة بالتنزيه عما أشار إليه قوله "و كفرت طائفة" فانهم ارتكبوا العظيمة و قالوا بالبنوة ، فنزه سبحانه نفسه عن ذلك [ثم - [2]] قال "هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم" إلى قوله "ذو الفضل العظيم" ثم[3] أعلم تعالى بحال طائفة لاح لهم نور[4] الهدى و [5]وضح لها سبيل[5] الحق فعميت عن ذلك و ارتبكت فى ظلمات جهلها و لم تزدد بما حملت إلا حيرة و ضلالة فقال تعالى "مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا" الآيات ، و هى فى معرض التنبيه لمن تقدم الثناء عليه و رحمه الله إياه لئلا يكونوا فيما يتلو عليهم نبيهم من الآيات و يعلمهم من الكتاب و الحكمة مثل أولئك الممتحنين ، فانهم مقتوا و لعنوا بعد حملهم التوراة ، و زعموا أنهم التزموا حمله و الوفاء به فوعظ هؤلاء بمثالهم[6] لطفا من الله

/ ٣٣٨

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : و (٤) فى م : انوار (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : وضع لهم طريق (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : بمالئهم - كذا .

لهذه الأمة "وما يتذكر الا اولوا الالباب" انتهى .

و لما كانت القدرة على تزكية الجلف الجافى [بحمله - [1]] على التنزيه أدل على القدرة على غيره ، و كان قد أسلف عن بنى إسرائيل أنهم لم يقبلوا التزكية بل زاغوا ، دل على قدرته فى عزته و حكمته و ملكه و قدسه على تزكية جميع العقلاء بقوله : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى بعث ﴾ أى من حضرة غيب غيبه بشرع أو امره و نواهيه ﴿ فى الاميين ﴾ أى العرب لأنهم كانوا معروفين من[2] بين سائر الأمم لايكتبون بل هم على الخلقة الأولى حين الخروج من بطن الأم ، و ذكر ظرف البعث و إهمال غايته دال على أنها كل من يتأتى البعث إليه و هم جميع الخلق ، و يجوز أن تطلق الأمية على جميع أهل الأرض لأن بعثه[3] صلى الله عليه و سلم كان حين ذهب العلم من الناس ، و لأن العرب اصل لجميع الباقين تبع لهم . فلا بدع أن يحمل[4] عليهم وصفهم ﴿ رسولا ﴾ و لما كان تقويم الشى بمثله أعجب قال : ﴿ منهم ﴾[5] بل الأمية [بمعنى - [1]] عدم الكتابة و التجرد عن كل تكلف وصف لازم له دائما و علمه لما يكن يعلم من غير تطلب[6] ، فكانت آثار البشرية عنه مندرسة ، و أنوار الحقائق عليه لائحة ، و ذلك لئلا يتوهم الافتقار إلى الاستعانة بالكتب لأن منشأ

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : انهم (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : بعثته (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : يحملهم (٥) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : مصلب .

مشاكلته لحال من بعث فيهم أقرب إلى مساواتهم له لو أمكنهم[1]، فيكون عدم إمكان المساواة أدل على الإعجاز، و ذكر [بعثه ـ[2]] منهم إن خص الوصف بالعرب لا ينفى بعثه[3] إلى غيرهم و لاسيما مع ما ورد فيه من الصرائح و أثبته من الدلائل القواطع[4]، فذكر موضع البعث و ابتداءه فتكون الغاية مطلقة تقديرها: / إلى عامة الخلق. ٥ / ٣٣٩

و لما كان كونه منهم مفهما [لأنه لا يزيد عليهم من حيث كونه منهم ـ[2]] و إن زاد فبشيء يسير، عجب[5] من أمره و نبه[6] على معجزة عظيمة له بقوله مستأنفا: ﴿يتلوا﴾ أى يقرأ قراءة يتبع بعضها بعضا على وجه الكثرة و العلو و الرفعة ﴿عليهم﴾ مع كونه أميا مثلهم ﴿آياته﴾ أى يأتيهم بها على سبيل التجدد و المواصلة آية بينة على صدقه لأنه أمى مثلهم ١٠ بل فيهم الكاتب و العالم و إن كانوا معمورين فى كثرتهم [فما ـ[2]] خصه عنهم بذلك إلا القادر على كل شيء.

و لما كان المقام للتنزيه [و لتأديب من وقع فى موادة الكفار و نحو ذلك، قدم التزكية فقال ـ[2]]: ﴿و يزكيهم﴾ أى عن الأخلاق الرذيلة و العقائد الزائغة، فكانت[7] تزكيته لهم مدة حياته بنظره الشريف ١٥ إليهم و تعليمه لهم و تلاوته عليهم، فربما نظر إلى الإنسان نظرة محبة فزكاه

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اهلكهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: معه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: القوامع (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عجيب (٦) من ظ و م، و فى الأصل: نوع (٧) من م، و فى الأصل و ظ: وكانت.

الله بها ، و ربما سرت تلك النظرة إلى ثان فأشرقت أنوارها عليه على حسب القابليات كما وقع لعمير بن وهب ثم صفوان بن أمية و كذا ذو النور[1] الطفيل بن عامر الدوسى رضى الله عنه ثم قومه ، فأما عمير فكان من أعظم المؤذنين[2] للنبى صلى الله عليه و سلم و لمن آمن به فتذاكر مع صفوان وقعة بدر فى الحجر و من فقدوا من صناديدهم و أنه ليس فى العيش بعدهم خير ، ثم تمنوا رجلا بقتال النبي صلى الله عليه و سلم ، فقال عمير : لولا فقرى و بنات لى و عيال أخشى عليهم الضيعة من بعدى لأتيته بغلة[3] أسيرى عندهم فقتلته ، فأغتنمها صفوان فعاهده أن يكفى عياله إن مات و أن يواسيه إن عاش ، فقال : اكتم عنى ثلاثا ، ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه و سلم فهداه الله فحلف صفوان أن لا يكلمه أبدا ، فلما فتحت مكة فر صفوان ليركب البحر من جدة ، فاستأذن عمير النبي صلى الله عليه و سلم ثم ذهب إليه فلحقه فلم يزل به حتى رجع ثم أسلم فكان[4] من خيار الصحابة رضى الله عنه ، و أما ذوالنور فحين دعاه النبي صلى الله عليه و سلم ثم سأل آية يعينه الله بها على قومه فآتاه الله نورا حين أشرف على الحى الذى هو منه ، ثم دعا أباه و أمه فأسلما ، ثم صاحبته فكذلك ثم قومه ، فما تخلف منهم أحد ، و أما غير الصحابة رضى الله عنهم فتزكيته لهم بآثاره بحسب القابليات و الأمور التى قضى الله أن يكون مهيأ ، [5]فمن كان[5] له أعشق كان لاتباعه ألزم ، فكان فى كتاب الله و سنته أرسخ من

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ذو النون (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : الموذنين (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لعله (٤) من ظ و م ، و فى الأصل: فكانا (٥ - ٥) من م ، و فى الأصل و ظ : فكان .

سيرة و غيرها علما و عملا فكان[1] أشد زكاء[2] .

و لما كانوا بعد التزكية التى هى تخلية عن الرذائل أحوج ما يكون إلى تحلية بالفضائل قال : ﴿و يعلمهم الكتب﴾ أى المنزل عليه / الجامع لكل خير دينى و دنيوى فى الأولى و[3] الأخرى ﴿و الحكمة ق﴾ و هى غاية الكتاب[4] فى قوة فهمه و العمل به ، فهى العلم[5] المزين بالعمل [و العمل -[6]] المتقن بالعلم معقوله و منقوله ليضعوا كل شيء منه فى أحكم مواضعه فلا يزيغوا عن الكتاب كما زاغ بنو إسرائيل ، فيكون مثلهم[7] كمثل الحمار [8]يحمل أسفارا[8] و [لو -[6]] لم يكن له صلى الله عليه و سلم [معجزة[6]] إلا هذه لكانت غاية . //٣٤٠

و لما كان الوصف بالأمية مفهما للضلال ، و كان كثير منهم حال إنزال هذه السورة يعتقد أنهم على دين متين و حال جليل مبين ، وكانوا[9] بعد هدايته لهم بعد الأمية سيضلون لأن الإرسال[10] من حضرة غيب الغيب فى العلوم المنافية للأمية إلى ما لم تصل إليه أمة من الأمم قبلهم ، وكان ذلك موجبا للتوقف[11] فى كونهم كانوا أميين ، أكد هذا المفهوم بقوله :

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فكانوا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : زكاة (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٤) زيد فى الأصل : فى قوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : العمل (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : مثل (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : الاضلال (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : الوقف .

﴿ و ان ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ كانوا ﴾ أى كونا هو كالجبلة لهم . و لما كان[1] كونهم ذلك فى بعض الزمن الماضى ، أدخل الجار فقال : ﴿ من قبل ﴾ أى قبل إرساله إليهم من حين غيروا دين أبيهم إسماعيل[2] عليه الصلاة و السلام و عبدوا الأصنام ﴿ لفى ضلل ﴾ أى بعد عن المقصود ﴿ مبين ﴾ أى ظاهر فى نفسه مناد لغيره[3] أنه ضلال باعتقادهم الأباطيل الظاهرة و ظنهم أنهم على شىء و عموم الجهل لهم و رضاهم به و اختيارهم له و عيبهم [4] من يميل [4] إلى التعلم و ينحو نحو التبصر كما وقع لهم مع زيد بن عمرو بن نفيل و غيره ، فوصفهم بهذا غاية فى نفى التعلم من[5] مخلوق عن نبيهم إعظاما[6] لما جاء به من الإعجاز و تقريرا لشدة احتياجهم إلى نبى يرشدهم إلى الهدى ، و ينقذهم[7] مما كانوا فيه من العمى و الردى .

و لما كانت[8] تزكيته لهم مع أميتهم و غباوتهم لوصف الأمية فى الجهل أمرا باهرا فى دلالته على تمام القدرة ، زاد فى الدلالة على ذلك بالحاق كثير ممن فى غيرهم[9] من الأمم مثلهم فى الأمية [بهم -[10]]

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : كانوا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ابراهيم .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لغيرهم (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عن ميل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٦) زيد فى الأصل و ظ : له ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ينقيدهم .
(٨) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : عجزهم .
(١٠) زيد من ظ و م .

فقال: ﴿ و [1]آخرين ﴾ أى و بعثه فى آخرين ﴿ منهم ﴾ فى الأمية [1]لا فى العربية[1] ﴿ لما يلحقوا بهم[1] ﴾ أى فى وقت من الأوقات الماضية فى صفة[1] من الصفات، بل هم أجلف الناس كعوام المجوس و اليهود و النصارى و البرابر و نحوهم من طوائف العجم الذين هم ألكن الناس لسانا و أجدهم[2] أذهانا و أكثفهم طبعا و شأنا، و سيلحقهم الله بهم فى العلم و التزكية . ٥

و لما كان عدم إلحاقهم [بهم -[3]] فى الماضى ربما أوهم شيئا فى القدرة[4]، و إلحاقهم بهم فى المستقبل فى غاية الدلالة على القدرة، قال: ﴿ وهو ﴾ أى و الحال أنه وحده ﴿العزيز﴾ الذى يقدر على كل شىء و لا يغلبه / شىء فهو يزكى من يشاء و يعلمه ما[5] أراد من أىّ طائفة كان، ٣٤١ / و لو كان أجهد[6] أهل [تلك - [3]] الطائفة لأن الأشياء كلها بيده ١٠ ﴿ الحكيم ﴾ فهو إذا أراد شيئا موافقا لشرعه و أمره جعله[7] على أتقن الوجوه و أوثقها فلا يستطاع نقضه، و مهما أراده كيف كان فلا بد من إنفاذه فلا يطاق رده بوجه، و يكون المراد بالآخرين العجم، و أن الله تعالى سيلحقهم بالعرب، قال ابن عمر رضى الله عنهما و سعيد بن جبير أيضا[8] رضى الله عنه و هو رواية ليث عن مجاهد و يؤيده[9] [1]ما روى ١٥ عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا سأل عنهم لما نزلت سورة[1]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اجهدهم. (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اعداوة (٥) من م، و فى الأصل و ظ: من (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اجهل (٧) زيد فى الأصل: موافقا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) سقط من م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: يويد

[1]الجمعة فوضع رسول الله صلى الله عليه و سلم يده[1] على سلمان رضى الله عنه و قال " لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء[2] ".

و لما كان هذا أمرا باهرا ، عظمه بقوله على وجه الاستثمار[3] من قدرته : ﴿ذلك﴾ أى الأمر العظيم الرتبة من تفضيل الرسول و قومه ٥ و جعلهم متبوعين بعد أن كان العرب أتباعا لا وزن لهم عند غيرهم من الطوائف ﴿فضل الله﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ، و الفضل ما لم يكن مستحقا بخلاف الفرض ﴿يؤتيه من يشآء[4]﴾ بحوله و قوته بأن يهيئه له و لو كان أبعد الناس منه ﴿و الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿ذوا الفضل﴾ و لما كانت " ال " دالة على الكمال دل على ذلك بقوله : ١٠ ﴿العظيم﴾ أى الذى يحقر دونه كل عطاء من غيره .

و لما أدب عباده المؤمنين فى الممتحنة عما يؤذى رسول الله صلى الله عليه و سلم و أتمه فى الصف بما حذر من إزاغة القلوب لمن آذى نبيه موسى عليه الصلاة و السلام ، و أعلم أنه سبحانه جمع الآداب كلها فى هذا الكتاب الذى أنزله على نبيهم الذى جعله خاتم الأنبياء و أشرف ١٥ الأصفياء ، و دل على فضله العظيم بتعليم الجاهل ، دل على عقابه الأليم تتميما للدلالة على باهر قدرته بتجهيل العالم بإزاغة[1] قلبه و إذهاب[1] لبه بيأسه من الآخرة لغضبه عليه تحذيرا من الوقوع بما يوجب الإضلال بعد العلم ، فقال جوابا لمن كأنه قال : هذا فضله على الجاهل فكيف

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) راجع معالم التنزيل ٧ /٧٣ (٣) من ظ و م و فى الأصل: الاستمار (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : القلوب واذب.

فعله

فعله بالعالم؟ فقال تحذيرا لمن يزكى فلا يتزكى بأن يقول ما لا يعمل، و يحمل الكتاب فيحمله غير عالم به من أن يفعل به ما فعل[1] باليهود من الذل فى الدنيا و الخزى [و العذاب -[2]] فى الآخرة بازاغة القلوب و إحاطة الذنوب فيكون أقبح مما قيل فيه:

من فاته العلم و أخطأ الغنى فذاك و الكلب على حد سوا: ٥

﴿مثل الذين﴾ و لما كان العلم و لاسيما الربانى يجب أن يفرح به و يرغب فيه من أىّ موصل كان، بنى للمجهول قوله و صيانة لاسمه الشريف عن أن يذكر عند العصيان: ﴿ حملوا التورٰىة ﴾ أى كلفوا و ألزموا حمل الكتاب الذى آتاه الله لبنى إسراءيل على لسان موسى عليه الصلاة و السلام بأن علمهم إياها سبحانه و كلفهم حفظ ألفاظها عن التغيير و النسيان و معانيها ١٠ عن التحريف و التلبيس / و حدودها و أحكامها عن الإهمال و التضييع. / ٣٤٢

و لما كان تركهم لحملها و هى من عند الله و على لسان رجل منهم هو أعظم فى أنفسهم و أجلهم إحسانا إليهم فى غاية البعد و لاسيما مع طول الزمان المسهل لحفظها الميسر لتدبرها و تعرف[3] مقدارها، عبر بأداة البعد فقال: ﴿ثم لم يحملوها﴾ بأن حفظوا ألفاظها و لم يعملوا بما فيها[4] ١٥ من الوصية باتباع عيسى عليه الصلاة و السلام إذا[5] جاءهم ثم محمد صلى الله عليه و سلم إذا[5] جاء، فهى ضارة لهم بشهادتها عليهم قاذفة لهم فى النار

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يفعل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: تعريف (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فيه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اذ.

من غير نفع أصلا ﴿ كمثل ﴾ أى مِثْل مَثَل ﴿ الحمار ﴾ الذى هو أبله الحيوان. فهو مثل [فى -[1]] الغباوة، حال كونه ﴿ يحمل اسفارا[1] ﴾ أى كتبا من العلم كاشفة للأمور[2] تنفع الألباء، جمع سفر، و هو الكتاب الكبير المسفر عما فيه.

٥ و لما كان المثل[3] الجامع لها - و هو وجه الشبه - شخصا مثقلا[4] متعبا جدا بشىء لانفع له به أصلا فهو ضرر عليه صرف لايدرك ما هو حامله غير أنه متعب و لايدرى أصخر هو أم كتب، أنتج قوله معبرا بالأداة التى هى لجامع الذم ترهيبا للآدميين من أن يتهاونوا بشىء من أحكام القرآن فيكونوا أسوأ مثلا من أهل الكتاب فيكونوا دون الحمار

١٠ لأن رسولهم صلى الله عليه و سلم أعظم و كتابهم أعلى و أفخم فقال: ﴿ بئس مثل القوم ﴾ أى الذين لهم قوة شديدة على محاولة ما يريدونه فلم يؤتوا من عجز يعذرون به ﴿ الذين كذبوا ﴾ أى عمدوا على علم عنادا منهم و كفرا ﴿ بآيٰت الله[1] ﴾ أى دلالات الملك الأعظم على رسله و لا سيما محمد صلى الله عليه و سلم و جميع ما يرضيه مثلهم فان

١٥ مثلهم قد تكفل بتعريف أنهم قد اجتمعوا مع الحمار فى وصف هو الروح الباطى، و هو الضرر الصرف الذى لا نفع فيه بوجه بأنفع الأشياء، و هو ما دل على الله فضمن سعادة الدارين، وهذا المثل و إن كان نصا

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الامور (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الشبه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: مثلا (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

فى اليهود فهو لجميع قراء السوء من كل ملة لاشتراكهم معهم فى وجه الشبه كما أن مثل الكلب فى الأعراف على هذا النحو ، و كأنه لم يدخل سبحانه هذه الأمة فى ذلك صريحا[1] إشارة إلى حفظها من غير أن يكلها إلى[2] نفسها كما أنه آتاها العلم مع الأمية منها و من رسولها من غير أن يكلهم إلى كتابة و لا تقدم علم ما و لا تكلف لشىء . ٥

و لما كان التقدير : فاستحقوا الوصف بجميع المذام لأنهم ظلموا أشد الظلم ، عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال لا يهديهم - هكذا كان الأصل ، و لكنه أظهر تعميما و تعليقا للحكم بالوصف[3] فقال: ﴿لا يهدى القوم﴾ أى لا يخلق الهداية فى قلوب الأقوياء الذين[4] تعمدوا الزيغ : ﴿ الظلمين ٥ ﴾ أى الذين تعمدوا الظلم ١٠ بمنابذة الهدى الذى هو البيان الذى لم يدع / لبسا حتى صار الظلم لهم / ٣٤٣ صفة راسخة .

و لما كان قولهم أنهم أولياء الله و أحباؤه فى غاية البعد من هذا المثل ، استأنف ما يدل على صحة المثل قطعا ، فقال معرضا عنهم آمرا لمن كذبوه[5] بتبكيتهم : ﴿ قل ﴾ أى يا أيها الرسول الذى[6] هم قاطعون بأنه ١٥ رسول الله : ﴿ يآيها الذين هادوآ ﴾ أى تدينوا باليهودية . و لما كان الحق

(١) من م ، و فى الاصل و ظ : تصريحا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : على .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ما يوصف (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يكذبونه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الذين .

يصدع من له أدنى مسكة ، فكانوا جديرين بالرجوع عن العناد ، عبر بأداة الشك فقال : ﴿ ان زعمتم ﴾ أى قلتم قولا هو معرض للتكذيب ولذلك أكدتموه ﴿ انكم اولياء الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا أمر لأحد معه ، خصكم بذلك خصوصية مبتدأة ﴿من دون﴾[1] أى أدنى رتبة

٥ من رتب ﴿ الناس ﴾ فلم تتعد الولاية تلك الرتبة الدنيا إلى أحد منكم غيركم ، بل خصكم بذلك عن كل من فيه أهلية الحركة لاسيما الأميين[2] ﴿ فتمنوا الموت ﴾ و أخبروا عن أنفسكم بذلك للنقلة من دار البلاء إلى محل الكرامة و الآلاء ﴿ ان كنتم ﴾ أى كونا راسخا ﴿ صٰدقين ﴾ أى عريقين عند أنفسكم [3]فى الصدق[3] فان من علامات المحبة الاشتياق إلى

١٠ المحبوب ، و من التطوع به أن من كان فى كدر و كان له ولى قد وعده عند الوصول إليه الراحة التى لايشوبها ضرر أنه يتمنى النقلة إلى وليه ، روى أنه صلى الله عليه و سلم قال لهم « و الذى نفسى بيده لايقولها منكم أحد إلا غص بريقه » فلم يقلها [4]أحد منهم[4] علما منهم بصدقه صلى الله عليه و سلم فلم يقولوا و لم يؤمنوا عنادا منهم .

١٥ و لما كان التقدير : فقال لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم امتثالا لأمرنا ذلك ، فلم يتمنوه فى الوقت الحاضر ، تصديقا منا لنبوته و تعجيزا و تحقيقا لمعجزات رسالته ، دل على هذا المقدر بما عطف عليه من قوله

---

(١) زيد فى الاصل : الناس ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من م ، و فى الاصل و ظ : الأدميين (٣-٣) من م ، و فى الأصل و ظ : الصدق . (٤-٤) فى ظ و م : منهم أحد .

الدال قطعا على صدقه بتصديقهم له بالكف عما أخبر أنهم لا يفعلونه: ﴿و لا يتمنونه﴾ أى فى المستقبل، و اكتفى بهذا [1] فى التعبير [1] بلا لأن المذكور من دعواهم هنا أنهم أولياء لا كل الأولياء [2] فهى دون دعوى الاختصاص بالآخرة، و أيضا الولاية للتوسل إلى الجنة، و لا يلزم منها الاختصاص بالنعمة بدليل أن الدنيا ليست خالصة للأولياء المحقق لهم ٥ الولاية، بل البر و الفاجر مشتركون فيها. و لما [3] أخبر بعدم [4] تمنيهم، وسع لهم المجال تحقيقا للمراد فقال: ﴿ابدا﴾ و عرف أن سببه [5] معرفتهم بأنهم أعداء الله فقال: ﴿بما قدمت﴾ و لما كان أكثر الأفعال باليد [6]، نسب الكل إليها لأنها صارت عبارة عن القدرة فقال: ﴿ايديهم [7]﴾ أى من المعاصى التى أحاطت بهم فلم تدع لهم حظا فى / الآخرة بعلمهم. ١٠ / ٣٤٤

و لما كان التقدير تسببا [8] عن هذا: لئلا يقولوا: سلمنا جميع ما قيل فى الظالمين لكنا لسنا منهم فالله عليم [9] بهم فى أفعالهم و نياتهم، عطف عليه قوله معلقا بالوصف تعميما و إعلاما بأن وصف ما قدموا من الظلم: ﴿و الله﴾ أى الذى له الإحاطة بكل شىء قدرة و علما ﴿عليم﴾ أى بالغ العلم محيط [9] بهم - هكذا كان الأصل، و لكنه قال: ﴿بالظلمين﴾ ١٥

(١-١) فى ظ: بالتعبير (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اولياء (٣) من ظ و م، و فى الأصل: قلما (٤) فى م: عن عدم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: سبب (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اليد (٧) فى م: تسببيا (٨) من ظ و م، و فى الأصل: اعلم (٩) من ظ و م، و فى الأصل: محيط.

تعميما و تعليقا بالوصف لا بالذات . فالمعنى أنه عالم بأصحاب هذا الوصف الراسخين فيه منهم و من غيرهم فهو يجازيهم على ظلمهم و هم يعلمون ذلك، و أعظم مصدق لله - و من أصدق من الله [قيلا -[1]] - فى هذا أنهم ما قوتلوا قط إلا أرزوا إلى حصونهم و قراهم كما مر فى سورة الحشر،

٥ فدل ذلك على أنهم أحرص على الحياة[2] الدنيا من الذين أشركوا كما مر فى سورة البقرة فانهم عالمون بأنهم يصيرون إلى النار، و العرب يظنون أنهم لايبعثون فهم لايخافون [ما -[3]] بعد الموت و هم شجعان يقدمون على الموت كما قال عنترة بن شداد العبسى[4] :

بكرت تخوفنى المنون كأننى أصبحت عن عرض الحتوف بمعزل

١٠ فأجبتها أن المنيـــة منهـــل لابـــد أن أسقى[5] بذاك المنهل

فاقنى حياك لا أبا لك و اعلمى أنى امرؤ سأموت إن لم أقتل

و لما كان عدم تمنيهم علم من أعلام نبوته صلى الله عليه و سلم لموافقته ما اخبر به، و كان ذلك فعل من يعتقد أن التمنى يقدمه عن أجله و عدمه يؤخره، فصاروا بين[6] التكذيب بما عندهم و نهاية البلادة،

١٥ أمره صلى الله عليه و سلم بتنبيههم على بلادتهم تبكيتا لهم فقال: ﴿قل﴾ و أكد إعلاما لهم بأنه يلزم من فعلهم هذا إنكار الموت الذى لاينكره

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الاصل: حيث قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م. و فى الأصل: اشقا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: من.

أحـــد فقال: ﴿ ان الموت ﴾ و زاد فى التقريـــع و التوبيخ بقوله: ﴿الذى تفرون منه﴾ أى بالكف عن التمنى الذى هو أيسر ما يكون مع أنه يوصلكم إلى تكذيب من أنتم جاهدون فى تكذيبه، و أكد وقوعه بهم لأن عملهم عمل من هو منكر له[1]، و ربطه بالفاء جعلا لفرارهم كالسبب له، فان الجبن من أسباب الموت مع ما يكسب من العار ٥ كما قال "ان الجبان حتفه من فوقه" أى هو غالب عليه [غلبة - [2]] العالى على السافل فقال: ﴿ فانه ملقيكم ﴾ أى مدركم فى [3] كل وجه[3] سلكتموه بالظاهر أو[4] الباطن.

و لما كان الحبس فى البرزخ أمرا - مع أنه لابد منه - مهولا، نبه عليه و على طوله بأداة التراخى فقال: ﴿ ثم تردون ﴾ و نبه بالبناء ١٠ للمفعول على القهر منه سبحانه و الصغار منهم[5] و أنه عنده[6] فى غاية السهولة / ﴿الى عٰلم الغيب﴾ و هو كل ما غاب عن العباد فهو مخبر عن أخلاقكم / ٣٤٥ عن علم. و لما كان بعض الفلاسفة يقر بعلمه تعالى بالكليات، و ينكر علمه بالجزئيات قال: ﴿ و الشهادة ﴾ و هى كل ما ظهر و تشخص و لو لواحد من الخلق قبل كونه و بعد كونه. و لما كان التوقيف على ١٥ الأعمال فظيعا مرجفا، قال مسببا عن الرد: ﴿ فينبئكم ﴾ أى يخبركم إخبارا عظيما مستقصى مستوفى ﴿ بما كنتم ﴾ أى بما هو لكم كالجبلة

(١) من م، و فى الأصل و ظ: به (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: وقت (٤) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٥) من م. و فى الأصل و ظ: لهم (٦) من م، و فى الأصل و ظ: عندهم.

﴿ تعملون ﴾ أى بكل جزء منه مما [1]برز إلى الخارج[1] و مما كان فى جبلاتكم و لو لقيتم لعلمتموه ليجازيكم عليه .

و لما قبح سبحانه المخالفة بين القول و الفعل و صور صاحبها بصورة الحمار على الهيئة السابقة ، و حذر من ذلك بما هيأ به العاقل للاجابة إلى دوام الطاعة بعد أن بين أن جميع الكائنات مقرة بشمول ملكه بما لها من التسبيح بألسنة الأحوال ، و القيام فى مراداته بغاية الامتثال ، فكان العاقل جديرا بالمبادرة إلى غاية التسبيح بلسان المقال ، و ختم بالتحذير من الإخبار يوم الجمع الأعظم بجميع الأعمال ، قال على طريق الاستنتاج مما مضى من الترغيب و الترهيب ، نادبا لهم - ليكونوا أولياء الله - إلى التزكية المذكورة التى هى ثمرة الرسالة بما حاصله الإقبال بالكلية على الله[2] و الإعراض بالكلية عن الدنيا ليجمع المكلف بين التحلى بالمزايا و التخلى عن الدنايا ، فخص من المزايا أعظم تسبيح يفعله العاقل فى أيام[3] الأسبوع و هو الإسراع بالاجتماع[4] العظيم فى يوم الجمعة الذى يناظر الاجتماع لإجابة المنادى فى يوم الجمع الأكبر . ثم الإقبال الأعظم بفعل [صلاة -[5]] الجمعة [6]التى هى[6] سر اليوم الذى ضيعه [اليهود - [5]] و استبدلوا به ما كان سبب تعذيبهم بعذاب لم يعذب به أحد من العالمين كما جعل نتيجة

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : خرج الى الظاهر (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) زيد فى الأصل و ظ : تسبيح ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : بالاجماع (٥) زيد من ظ و م . (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى .

السورة الماضية النداء بالإرشاد إلى الإيمان و الجهاد [الموجب -[1]] للأمان: ﴿ يايها الذين امنوآ ﴾ أى أقروا بألسنتهم بالإيمان و ألهبهم بأداة البعد[2] - المشيرة إلى احتياجهم إلى التزكية - إلى المبادرة إلى الاقبال على ما يتعقب ذلك من الأوامر ﴿اذا نودى﴾ أى من أى مناد كان من أهل النداء ﴿للصلوة﴾ أى لأجل الحضور إليها و إليه عند قعود الإمام على المنبر ٥ للخطبة . و لما كانت الإجابة يكفى فى إيجابها النداء فى الوقت المعروف للنداء و لا يشترط لها استغراق النداء لجميع[3] اليوم أتى بالجار فقال: ﴿من يوم الجمعة﴾ أى اليوم الذى عرض على من قبلنا فأبوه فكانوا كمثل الحمار يحمل أسفارا و ادخره الله لنا و وفقنا لقبوله، فكانوا لنا تبعا مع تأخرنا / عنهم فى الزمان، / ٣٤٦ سمى بذلك لوجوب الاجتماع فيه للصلاة[4]. فعلة بالسكون و يضم اسم ١٠ للمفعول[5] كالضحكة للضحوك منه. فان فتح ميمه كان بمعنى الوقت[6] الجامع كالضحكة للكثير الضحك، و من جمعه أن فيه اجتمع خلق آدم عليه الصلاة و السلام فاجتمع بخلقه جميع الخلق، و هو مذكر[7] يوم البعث و الجمع الذى يقع فيه الإنباء بالأعمال، و تظهر فيه ظهورا بينا تاما الجلال و الجمال "يوم ينادى المنادى من مكان قريب" و فيه تقوم الساعة، ١٥ روى مالك عن أبى هريرة[8] رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ابعيد (٣) من م، و فى الأصل و ظ: بجميع (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فى الصلاة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المفعول (٦) من ظ و م، و فى الأصل: وقت (٧) من م، و فى الأصل و ظ: مذكور (٨) راجع الموطأ ص (٣٨).

و سلم : خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة [1]فيه خلق[1] آدم عليه الصلاة و السلام و فيه أهبط و فيه مات و فيه تيب عليه ، و فيه تقوم الساعة ، و ما من دابة إلا و هى مصيحة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس مشفقا [من الساعة -[2]] إلا الجن و الإنس ، و فيه ساعة
٥ لا يصادفها عبد مسلم و هو يصلى يسأل الله تعالى شيئا إلا اعطاه إياه . و فى آخر الحديث أن عبد الله بن سلام رضى الله عنه قال : إنها آخر[3] ساعة فى يوم الجمعة ، و أول الصلاة بما هو أعم من فعلها و انتظارها لقول النبى صلى الله عليه و سلم[3] « من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصليها » و كان النداء فى زمن النبى صلى الله عليه و سلم عند باب المسجد إذا
١٠ صعد صلى الله عليه و سلم على المنبر ، فاذا نزل بعد الخطبة أقيمت الصلاة ، و كذا فى زمن أبى بكر و عمر رضى الله عنهما ، فلما كان عثمان رضى الله عنه و كثر الناس و تباعدت المنازل و قلت الهمم زاد مؤذنا آخر على داره التى تسمى الزوراء ، فاذا جلس على المنبر أذن المؤذن ثانيا الأذان الذى كان على زمن النبى صلى الله عليه و سلم ، فاذا نزل من[4]
١٥ المنبر أقيمت الصلاة ، و لم [يعب -[5]] أحد على عثمان زيادة الأذان الأول لعلمهم أنه من السنة بما جعل إليه النبى صلى الله عليه و سلم حين قال « عليكم بسنتى و سنة الخلفاء [الراشدين -[2]] من بعدى » .

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : خلق فيه (٢) زيد من م (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٥) زيد من ظ و م .

و لما كان المراد إيجاب المعنى جزما من غير تردد مع قطع كل علاقة بلا التفات إلى شيء من غير ما عذر الشارع به، عبر عنه بالسعى، و هو معنى قول الحسن أنه السعى بالنية لا بالقدم، فقال: ﴿فاسعوا﴾ أى لتكونوا أولياء الله و لاتهاونوا فى ذلك لتكونوا [1] أعداءه [2] كاليهود ﴿الى ذكر الله﴾ أى الخطبة و الصلاة المذكرة بالملك الأعظم الذى من ٥ انقطع عن خدمته هلك، هذا المراد بالسعى لاحقيقة بل هى منهى عنها كما قال صلى الله عليه و سلم "اذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون و لكن ائتوها و عليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا و ما فاتكم فأتموا."

و لما أمر بالمبادرة إلى تجارة الآخرة، و كان طلب / الأرباح لكونها ٣٤٧ / [حاضرة - [3]] أعظم مانع عن أمور الآخرة [لكونها - [4]] غايته، ١٠ و كان البيع أجل [5] ذلك لتعين الفائدة فيه و لكونه أكثر ما يشتغل به أهل الأسواق لكثرة الوافدين إلى [6] الأمصار يوم الجمعة من الحواضر و اجتماعهم للتجارة عند تعالى النهار، قال ناهيا عن تجارة الدنيا و كل ما يعوق عن الجمعة معبرا به عنها لأنه أعظمها: ﴿و ذروا البيع﴾ أى اتركوه و لو [على - [4]] أقبح حالاته و أذلها و أحقرها، [فأفاد - [4]] النهى ١٥ عن غيره من باب الأولى، و وقت التحريم من الزوال إلى فراغ الصلاة، فان خالف و باع صح العقد مع عصيانه، فان النهى ليس

(١) فى ظ و م: تكونوا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اعد الله (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لأجل (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لأهل.

لعينه و لا [لما -[1]] هو داخل فيه و لا لما هو خارج و لازم له بل لأمر مقارن بطريق الاتفاق، و هو ما هو فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة فى الدار المغصوبة و الثوب المغصوب[2] و الوضوء بالماء المغصوب .

٥ و لما أمر بما هو شاق على النفوس معبرا بالفعل المريض لفظا و معنى، رغب فيه بقوله : ﴿ ذلكم ﴾ أى الأمر العالى الرتبة من فعل السعى و ترك الاشتغال بالدنيا ﴿خيرلكم﴾ لأن الذى أمركم به له الأمر كله و هو يريد تطهيركم فى أديانكم و أبدانكم و أموالكم و بيده إسعادكم و إشقاؤكم، و ألهب إلى ذلك و زاد فى الحث عليه بقوله : ﴿ان كنتم﴾

١٠ أى بما هو لكم كالجبلة ﴿تعلمون ۝﴾ أى يتجدد لكم [علم -[1]] فى يوم من الأيام فأنتم ترون ذلك خيرا، [فاذا علمتموه خيرا أقبلتم عليه فكان ذلك لكم خيرا -[1]]، و صلاة الجمعة فرض عين على كل من جمع البلوغ و العقل و الحرية و الذكورة و الإقامة إذا لم يكن له عذر مما ذكره الفقهاء، و إنما عبر عنها بهذا إشارة[3] إلى أن عاقلا لا يسعه أن يترك ما يعلم أنه

١٥ أعلى وجوه الخير، و كل من لا يجب عليه حضور الجمعة فاذا حضر و صلى مع الإمام سقط عنه فرض من الظهر و لا يكمل به عدد الجمعة إلا صاحب العذر، فإنه إذا حضر يكمل به العدد .

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : المغصوبة (٣) من ظ و م، و فى الأصل : الاشارة .

و لما

و لما حث على الصلاة[1] و أرشد إلى [ان -[2]] وقتها لايصلح لطلب شيء غيرها، و أنه متى طلب فيه شيء من الدنيا محقت بركته مع ما اكتسب من الإثم، بين وقت المعاش[3] فقال مبيحا لهم ما كان حظر عليهم، و لهذا قال ابن عباس رضى الله عنهما[4]: إن شئت فاخرج و إن شئت فاقعد: ﴿ فاذا قضيت الصلوة ﴾ أى وقع الفراغ منها على أى ٥ وجه كان ﴿فانتشروا﴾ أى فدبوا و تفرقوا مجتهدين فى الأرض فى ذلك ﴿فى الارض﴾ جميعها[5] إن شئتم، لاحجر عليكم و لاحرج رخصة من الله لكم ﴿و ابتغوا﴾ أى و تعمدوا و كلفوا أنفسكم مجتهدين بالسعى[6] فى طلب المعاش ﴿من فضل الله﴾ أى نافلة الملك الأعلى الذى له كل كمال و لايجب [7]لأحد عليه[7] شيء بالبيع و الشراء و غيرهما من مصالح الدين ١٠ و الدنيا التى كنتم نهيتم عنها.

و لما كان السعى فى طلب الرزق ملهيا عن الذكر، بين أنه أعظم السعى فى المعاش و أن من / غفل عنه لم ينجح له [8]مقصد و[8] إن تحايل له ٣٤٨ / بكل الحيل و غير ذلك فقال: ﴿ و اذكروا الله ﴾ أى الذى بيده كل شيء و لاشيء لغيره فانه لارخصة فى ترك ذكره أصلا. و لما كان العبد ١٥ مطلوبا بالعبادة فى كل حال فانه مجبول على النسيان. فهما فتر عن نفسه

(١) زيد فى الأصل وظ: وارشد. ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: المعايش (٤) راجع معالم التنزيل ٧/٧٨. (٥) من م، و فى الأصل و ظ: جمعيا (٦) من م، و فى الأصل و ظ: فى السعى (٧-٧) من ظ وم، و فى الأصل: عليه لأحد (٨-٨) من ظ وم: وفى الأصل: مقدر.

استولت عليها[1] الغفلة فمرنت على البطالة فهلكت قال: ﴿ كثيرا ﴾ اى بحيث لاتغفلوا عنه بقلوبكم[2] أصلا و لا بألسنتكم حتى عند الدخول إلى الخلاء و عند أول الجماع و عند الإنزال، [و -[3]] استثنى من اللسانى وقت التلبس بالقذر كالكون فى قضاء الحاجة .

٥ و لما كان مراد الإنسان من جميع تصرفاته الفوز بمراداته[4] قال معللا لهذا الأمر: ﴿ لعلكم تفلحون ﴾ أى لتكونوا عند الناظر لكم و المطلع عليكم من أمثالكم[5] ممن يجهل العواقب على رجاء من أن تظفروا بجميع مطلوباتكم، فان الأمور كلها بيد من تكثرون ذكره، و هو عالم بمن يستحق الفلاح فيسعفه به و بمن عمل رياء و نحوه فيخيبه، فاذا امتثلتم

١٠ أمره كان جديرا بتنويلكم ما تريدون، و إن نسيتموه كنتم جديرين[6] بأن يكلكم إلى أنفسكم فتهلكوا .

و لما كان التقدير مما ينطق به نص الخطاب: هذه أوامرنا الشريفة[7] و تقديساتنا العظيمة و تفضلاتنا الكريمة العميمة. فما لهم إذا نودى [لها -[3]] توانى[8] بعضهم فى الإقبال إليها، وكان قلبه متوجها نحو البيع و نحوه من

١٥ الأمور الدنيوية عاكفا [عليها -[3]] ساعيا بجهده إليها فخالف قوله أنه أسلم لرب العالمين فعله هذا، عطف عليه قوله: ﴿ و اذا راوا ﴾ أى بعد

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: عليه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بقلوكم.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بمرادته (٥) من م، و فى الأصل و ظ: افعالكم (٦) من م، و فى الأصل و ظ: جديرون.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: اشريف (٨) من ظ و م، و فى الأصل: توانوا .

الوصول إلى موطنها المريح و محلها الفسيح الشرح المليح ، و الا شتغال بشأنها العالى ﴿ تجارة ﴾ أى حولا هى[1] موضع للتجارة . و لما ذكر ما من شأنه إقامة المعاش أتبعه ما هو أنزل منه و هو ما أقل شؤونه البطالة التى [لا - [2]] يجنح إليها ذو قدر و لا يلق لها باله فقال: ﴿ او لهوا ﴾ أى ما يلهى عن كل نافع . و لما كان مطلق الانفضاض قبيحا لأنه ٥ لايكون إلا تقريا[3] على حال سيء ، من الفض و هو الكسر بالتفرقة ، و الفضاض ما تفرق من الشيء عند الكسر ، و يقال : فض الفم و الطلع : كسرهما ، فكيف[4] إذا كانت علته قبيحة ، قال تعالى معبرا به : ﴿انفضوآ﴾ أى نفروا متفرقين من العجلة .

و لما كان [سبب - [2]] نزول الآية أنه كان أصاب الناس جوع ١٠ وجهد ، فقدم دحية الكلبى رحمه الله تعالى بعير تحمل الميرة ، و كان فى عرفهم أن يدخلوا فى مثل ذلك بالطبل و المعازف و الصياح ، وكان قصد بعض المنفضين العير ، و بعضهم ما قارنها من اللهو ، و لكن قاصد التجارة [هو - [5]] الأكثر ، أث: الضمير فقال معلما بالاهتمام بها لأن اللهو مسبب[6] عنها : ﴿ اليها ﴾ و للدلالة على أنه إذا ذم قاصدها مع / ما فيها ١٥ / ٣٤٩ [من النفع - [2]] و الإنسان لابد له من إصلاح معاشه لقيام [حاله - [2]]

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : الا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل و ظ : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : مسببا .

ولا سيما والحاجة إذ ذاك شديدة ، كان الذم لقصد اللهو من باب الأولى .

ولما كان ذلك حال الخطبة التى هى جديرة بشدة الإصغاء إليها والاتعاظ بها فى صرف النفس عن الدنيا والإقبال على الآخرة قال: ﴿ وتركوك ﴾ أى تخطب حتى بقيت فى اثنى عشر رجلا ، قال جابر رضى الله عنه : أنا أحدهم ، ودل على مشروعية القيام بقوله : ﴿قآئما[1] ﴾ فالواجب خطبتان : قائما يفصل بينهما بجلوس ، والواجب فيهما أن يحمد الله تعالى ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويوصى بتقوى الله تعالى ، هذه الثلاثة واجبة فى الخطبتين معا ، ويجب أن يقرأ فى الأولى آية من القرآن وفى الثانية أن يدعو للمؤمنين ، فلو ترك واحدة من هذه الخمس لم تصح الخطبة عند الشافعى رضى الله عنه ، ولجواز الجمعة خمس شرائط : [الوقت - [1]] وهو وقت الظهر ، والعدد وهو الأربعون ، والإمام [والخطبة - [1]] و[2] دار الإقامة ، فان فقد شرط وجبت[3] الظهر ، ولا تبتدأ الخطبة إلا بعد تمام ، وبقاء هذا العدد شرط إلى آخر الصلاة . فان[4] انفض بعضهم ثم عاد ولم يفته شىء من الأركان صحت .

ولما كان هذا فعل من سفلت[5] همته عن سماع كلام الحق من الحق ، أمره[6] صلى الله عليه وسلم بوعظهم إلهابا لهم إلى الرجوع إلى تأهلهم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : او (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : وجب (٤) فى ظ و م : فلو (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : شعلت (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : امر .

للخطاب و لو بالعتاب قال : ﴿ قل ﴾ أى لهم ترغيبا فى الرجوع إلى ما كانوا عليه من طلب الخير من معدنه : ﴿ ما عند الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال من الأعراض العاجلة فى الدنيا من واردات القلوب و بوادر الحقيقة ، الحاصل من سماع الخطبة الآمر بكل خير ، الناهى عن كل شر[1] ، المفيد لتزكية الباطن و تقويم[2] الظاهر و البركة فى جميع الأحوال ٥ و الآجلة فى الآخرة مما [لا -[3]] يدخل تحت الوصف ﴿ خير ﴾ و لما قدم التجارة أولا اهتماما بها ، قدم هنا ما كانت سببا له[4] ليصير كل[5] منهما مقصودا بالنهى فقال : ﴿ من اللهو ﴾ و لما بدأ به لإقبال الأغلب فى حال الرفاهية عليه قال معيدا الجار للتأكيد : ﴿ و من التجارة[6] ﴾ أى و إن عظمت . ١٠

و لما كان من عنده الشىء قد لا يعطيه بسهولة[6] و إذا أعطاه[6] لا يعطيه إلا من يحبه قال : ﴿ و الله ﴾ أى ذو الجلال و الإكرام وحده ﴿ خير الرزقين ﴾ لأنه يرزق متاع الدنيا لسفوله و لكونه زادا إلى الآخرة البر و الفاجر و المطيع و العاصى . و يعطى من يريد ما لا يحصيه العد ولا يحصره الحد ، و أما المعارف الإلهية و الأعمال الدينية الدال عليها ١٥ رونق الصدق وصفاء الإخلاص و جلالة المتابعة فلا يؤتيها إلا الأبرار و إن كانوا أضعف الناس و أبعدهم من ذلك و لا يفوت أحدا ، أقبل

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : شىء (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تقوية .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لها (٥-٥) من م ، و فى الأصل : ليكون كلا (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اولا .

/ ٣٥٠ / على ما شرعه / شيئا كان ينفعه فلا تظنوا ان الغنى فى البيع و التجارة إنما هو فى متابعة أمر من أحل البيع و أمر به و شرع ما [هو -[1]] خير منه تزكية و بركة و نماء فى الظاهر و الباطن ، روى صاحب الفردوس[2] عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : من قال يوم الجمعة « اللهم أغننى بحلالك عن حرامك [3] و بطاعتك عن معصيتك[3] و بفضلك عمن سواك " سبعين مرة لم تمر به جمعتان حتى يغنيه الله تعالى » و أصل الحديث أخرجه أحمد[4] و الترمذى[5] - و قال حسن - عن على رضى الله عنه ، و فى الباب عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فأقبلوا على متابعة رسوله صلى الله عليه و سلم و[6] الزموا هديه و استمسكوا بغرزه[6] تنالوا خيرى الدارين بسهولة ، فقد رجع آخر السورة كما ترى على أولها بما هو [من -[7]] شأن الملك من الرزق و إفالة الأرباح و الفوائد و لاسيما إذا كان قدوسا و تبكيت من أعرض عن خطبة رسول الله صلى الله عليه و سلم اللازم منه استمرار الإقبال عليه و دوام الإقامة بين يديه ، لأنه لايدعوهم إلا لما يحييهم من الصلاة و الوعظ الذى [هو -[8]] عين تنزيه الله و تسبيحه " يتلو عليهم آياته و يعلمهم الكتب و الحكمة " يزكيهم ربهم و يرزقهم[9] من فضله [3] إنه كريم و هاب - و الله أعلم بالصواب[3] .

(١) زيد من ظ (٢) راجع ص : ٣١٠ /ب (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) راجع المسند ١/١٥٣ (٥) راجع الجامع ٢/٢٩٥ (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : استمسكوا هدية و الزموا بغرزه (٧) زيد من م (٨) زيد من ظ و م. (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : يزيدهم .

سورة المنافقين [1]

مقصودها كمال التحذير مما [2] يثلم الإيمان من الأعمال الباطنة، [و الترهيب - [3]] مما يقدح فى الإسلام من الأحوال الظاهرة، بمخالفة [4]الفعل للقول[4] فانه نفاق فى الجملة فيوشك أن يجر إلى كمال النفاق فيخرج من الدين و يدخل الهاوية، ليكون هذا التحذير سببا فى صدق الأقوال ثم[5] صدق الأعمال ثم صدق الأخلاق[6] ثم صدق الأحوال ثم صدق الأنفاس، فصدق القول [أن - [3]] لايقول القائل إلا عن برهان، و صدق العمل أن لايكون للبدعة عليه سلطان، و صدق الأخلاق[6] أن لايلاحظ ما[7] يبدو منه من الإحسان بعد المبالغة فيه بعين النقصان، و صدق الأحوال أن يكون على كشف و بيان، و صدق الأنفاس أن لا يتنفس إلا عن وجود كالعيان. و تسميتها بالمنافقين واضحة فى ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الإحاطة العظمى علما و قدرة فمن زاغ أرداه[8] ﴿الرحمن﴾ الذى ستر[9] بعموم رحمته من أراد من عباده [10]و فضح[10] من

(١) الثالث و الستون من سور القرآن الكريم، مدنية، و عدد آيها ١١ (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: و القول و الفعل (٥) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الاخلاص (٧) من م، و فى الأصل و ظ: من (٨) من ظ و م، و فى الأصل: اراده (٩) من ظ و م، و فى الأصل: يستر (١٠-١٠) من ظ و م، و فى الأصل: فتح ممن.

شاء و إن دقق مكره و أخفاه ﴿الرحيم﴾ الذى وفق[1] أهل وده باتمام نعمته لما يحبه و يرضاه .

/٣٥١ لما نهى سبحانه فى الممتحنة / عن اتخاذ عدوه وليا، وذم فى الصف على المخالفة بين القول و الفعل، و حذر آخر الجمعة من الإعراض عن حال من أحوال[2] النبى صلى الله عليه و سلم على حال من الأحوال و لو مع الوفاق، لأن صورة ذلك كله صورة النفاق، قبح فى أول هذه حال من أقبل[3] عليه على حال النفاق، لأنه يكون كاليهود الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها، و استمرت السورة كلها فى ذمهم بأقبح الذم ليكون زاجرا عن كل ما ظاهره نفاق، فقال تعالى: ﴿اذا جآءك﴾ أى يا أيها الرسول المبشر به فى التوراة و الانجيل ﴿المنفقون[4]﴾ أى العريقون فى وصف النفاق و هو إسلام الظاهر و كفر الباطن، و أغلبهم من اليهود ﴿قالوا﴾ مؤكدين لأجل استشعارهم لتكذيب من يسمعهم[5] لما عندهم من الارتياب: ﴿نشهد﴾ قال الحسن: هو بمنزلة يمين كأنهم قالوا: نقسم ﴿انك﴾ - التاكيد لذلك و إبهاما[6] لأن قوة[7] تأكيدهم لشدة رغبتهم فى مضمون ما يقولونه ﴿لرسول الله[2]﴾ أى الملك الذى [له -] الإحاطة الكاملة. فوافقوا الحق بظاهر[8] أحوالهم، و خالفوا بقلوبهم و أفعالهم.

(١) من ظ و م، و فى الاصل: و فى (٢) من م، و فى الأصل و ظ: الأحوال.
(٣) من م، و فى الاصل و ظ: اقبله (٤) تكرر فى الاصل بعد «اذا جاءك».
(٥) زيد فى الاصل: لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) من ظ و م، و فى الاصل: قوة (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الاصل: بظواهر.

و لما

و لما كانت الشهادة الإخبار عن علم اليقين لأنها من الشهود و هو كمال الحضور و تمام الاطلاع و مواطأة القلوب للألسنة ، صدق سبحانه المشهود به و كذبهم فى الإقسام بالشهادة و مواطأة ألسنتهم لقلوبهم [فقال -[1]] : ﴿ و الله يعلم ﴾ أى و علمه هو العلم فى الحقيقة ، و أكده سبحانه بحسب إنكار المنافقين فقال : ﴿ انك لرسوله[2] ﴾ سواء شهد المنافقون بذلك أم لم يشهدوا ، فالشهادة بذلك حق ممن يطابق لسانه[3] قلبه ، و توسط هذا بين شهادتهم و تكذيبهم لئلا يتوهم أن ما تضمنته شهادتهم من الرسالة كذب .

و لما كان ربما ظن أن هذا تأكيد لكلام المنافقين ، دل على أنه تحقيق لمضمون كلامهم دون شهادتهم فقال : ﴿ و الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ يشهد ﴾ شهادة هى الشهادة [لأنها محيطة -[4]] بدقائق الظاهر و الباطن ﴿ ان المنفقين ﴾ أى الراسخين فى وصف النفاق ﴿ لكذبون ﴾ أى فى إخبارهم عن أنفسهم أنهم يشهدون لأن[5] قلوبهم لا تطابق ألسنتهم فهم لا يعتقدون ذلك ، و من شرط قول الحق أن يتصل ظاهره بباطنه[6] و سره بعلانيته ، و متى تخالف ذلك فهو كذب ، لا[7] المراد أنهم كاذبون فى صحة ما تضمنته شهادتهم من انك رسول الله .

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الرسول الله (٣) زيدت الواو فى الاصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م .
(٥) من م ، و فى الأصل و ظ ان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : وباطنه .
(٧) من م ، و فى الأصل و ظ : لأن .

و الحاصل أن الشهادة تتضمن شيئين : صدق مضمون الخبر و الإذعان له ، فصدقهم الله فى الأول وكذبهم فى الثانى فصاروا بنفاقهم أسفل حالا و شر مآلا من اليهود .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أعقب حال المؤمنين فيما خصهم الله به مما انطوت / عليه الآيات الثلاث إلى صدر سورة الجمعة ٣٥٢ / ٥
إلى قوله "و الله ذو الفضل العظيم" بذكر حال من [لم - ١] ينتفع بما حمل حسبما تقدم ، و كان فى ذلك من المواعظ و التنبيه ما ينتفع به من سبقت له السعادة ، أتبع بما هو أوقع فى الغرض و أبلغ فى المقصود ، و هو ذكر طائفة بين أظهر من قدم الثناء عليهم و من أقرانهم[٢] و أترابهم و أقاربهم ، تلبست فى الظاهر بالإيمان ، و أظهرت الانقياد ١٠
و الإذعان ، و تعرضت فأعرضت و تنصلت فما وصلت ، بل عاقتها الأقدار ، فعميت البصائر و الأبصار ، و من المطرد المعلوم أن اتعاظ الإنسان بأقرب[٣] الناس إليه و بأهل زمانه أغلب من[٤] اتعاظه بمن بعد عنه زمانا و نسبا ، فاتبعت سورة الجمعة بسورة المنافقين وعظا للمؤمنين بحال أهل النفاق[٥] ، و بسط من قصصهم ما يلائم ما ذكرناه ، و كان قيل[٦] لهم : ليس من أظهر ١٥
الانقياد و الاستجابة ، ثم(؟) بنى إسرائيل ثم كان فيما حمل كمثل الحمار يحمل أسفارا بأعجب من حال إخوانكم زمانا و قرابة ، و أنتم أعرف الناس

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اقربائهم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بما هو أقرب (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : فى (٥) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تقدم .

بهم و أنهم [قد -[1]] كانوا فى الجاهلية موصوفين بجودة الرأى و حسن النظر "و اذا رأيتهم تعجبك اجسامهم و ان يقولوا تسمع لقولهم" "و لكن المنافقين لا يفقهون" قلت: و قد مر[2] فى الخطبة ما رويناه فى مصنف ابن أبى شيبة من قول أناس من المؤمنين: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يقرأ فى الجمعة بسورة الجمعة [و المنافقين -[3]] فيبشر بها المؤمنين و يحرضهم، و أما سورة المنافقين فيؤنس بها المنافقين و يوبخهم، و هذا نحو ما ذكرناه أولا - انتهى. ٥

و لما كان المعنى أنهم لم يعتقدوا ما شهدوا به، و كان كأنه قيل: فما الحامل لهم على هذا الكلام المؤكد و الكذب فى غاية الفباحة لاسيما عند العرب، علله بقوله مسميا شهادتهم إيمانا لأن الشهادة تجرى مجرى القسم فى إرادة التوكيد، و لذلك يتلقى بما يتلقى به القسم: ﴿اتخذوآ﴾ أى أخذوا بجهدهم ﴿ ايمانهم ﴾ أى كلها من شهادتهم هذه المجتهد فى توكيدها و كل يمين سواها ﴿ جنة ﴾ أى وقاية تقيهم المكاره الدنيوية [و -[1]] يستترون بها منها فيصونون[4] بها دماءهم و أموالهم، فاستضاؤا بنور الإجابة فلم[5] ينبسط عليهم شعاع نور السعادة فانطفأ نورهم بقهر الحرمان، و بقوا فى ظلمات القسمة السابقة بحكم الخذلان ﴿ فصدوا ﴾ أى فسبب لهم اتخاذهم هذا أن أعرضوا بأنفسهم مع[6] سوء البواطن[7] ١٠ ١٥

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: من (٣) زيد من ظ و م.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: فيضربون (٥) من م، و فى الأصل و ظ: لم.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٧) من م، و فى الأصل و ظ: الباطن.

و حرارة الصدور ، و حملوا غيرهم على الإعراض لما يرى من سيء أحوالهم بتلك الظواهر مع بقائهم على[1] ما كانوا ألفوه من الكفر الذى يزينه الشيطان ﴿ عن سبيل الله[1] ﴾ أى عن طريق الملك الأعظم الذى شرعه لعباده ليصلوا به إلى محل رضوانه ، و وصلوا إلى ذلك بخداعهم و مكرهم بجرأتهم على الأيمان الحانثة التى يمشون حالهم بها لما شرعه / الله فى هذه الحنيفية السمحة من القناعة من الحالف بيمينه فيما لا يعلم إلا من قبله . ٣٥٣ / ٥

و لما كان ما أخبر بـه من حالهم فى غاية القباحة ، أنتج قوله : ﴿ انهم ﴾ و أكده لأن حالهم يعجبهم و يعجب كثيرا ممن قاربهم ﴿ ساء ما كانوا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ يعملون ٥ ﴾ أى يجددون عمله مستمرين عليه بما هو كالجبلة من جرأتهم على الله و رسوله صلى الله عليه و سلم و خلص عباده بالأيمان الحانثة . ١٠

و لما كانت المعاصى تعمى القلب فكيف بأعظمها ، علله بقوله : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العظيم فى البعد من الخير من الكذب بالإخبار بالشهادة و الحلف على الصدق و الصد عن السبيل[2] و الوصف لعملهم[3] بالسوء ﴿ بانهم امنوا ﴾ أى بسبب أنهم أقروا بالإيمان بألسنتهم من غير مطابقة لقلوبهم . و لما كان الكفر مستبعدا فكيف إذا كان بعد الإقرار ، عبر بأداة البعد لذلك و لتفهم الذم على التعقيب من باب الأولى ، و لئلا يتوهم أن الذم إنما هو على تعقيب الايمان بالكفر فقط ، لا على مطلقه ، ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : سبيل الله .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لعلمهم .

فالتعبير بثم[1] يفهم أن من استمر طول عمره على الإيمان ثم كفر قبل موته بلحظة كان له هذا الذم فقال: ﴿ ثم كفروا ﴾ أى سرا فهابوا الناس و لم يهابوا الله . و لما كان مجرد الطبع على القلب فى غاية البشاعة، كان مفهما لبشاعة ما كان منه من الله من باب الأولى، بنى للمجهول قوله: ﴿ فطبع ﴾ أى فحصل الطبع و هو الختم مع أنه معلوم أنه لا يقدر على ٥ ذلك غيره سبحانه ﴿ على قلوبهم ﴾ لأجل اجترائهم[2] على ما هو أكبر الكبائر على وجه النفاق حتى مرنوا[3] على الكفر و استحكموا فيه. و كذلك[4] من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أنهم ﴿ لا يفقهون ۝ ﴾ أى لا يقع لهم فقه فى شىء من الأشياء فهم لا يميزون صوابا من خطأ و لا حقا من باطل لأن المختوم عليه لا يصل إليه شىء ١٠ و لا يخرج منه شىء .

و لما وصف سبحانه بواطنهم بما زهد فيهم[5] لأن الإنسان بعقله[6] كما أن المأكول بشكله. و كانت لهم أشكال تغر ناظرها لأن العرب كانت تقول: جمال[7] المنظر يدل غالبا على حسن المخبر، قال تعالى: ﴿ و اذا رايتهم ﴾ أى ايها[8] الرسول على ما لك من الفطنة و نفوذ الفراسة ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بهم (٢) من ظ و فى الأصل : اجترامهم .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : موتوا (٤) فى ظ و م : لذلك (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : هم فيه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بفعله .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : كمال (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : يايها .

أو أيها الرائي كائنا من كان بعين البصر ﴿ تعجبك اجسامهم[1] ﴾ لضخامتها وصباحتها، فان غايتهم كلها بصلاح ظواهرهم وترفيه أنفسهم، فهم أشباح وقوالب ليس وراءها ألباب وحقائق، قال ابن عباس رضى الله عنهما[1]: كان ابن أبي - [يعنى -[2]] الذى نزلت السورة بسببه - جسيما فصيحا صحيحا ذلق اللسان، وقوم من المنافقين فى مثل صفته وهم رؤساء المدينة، وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى عليه وسلم ويستندون فيه ولهم [3]جهارة / المناظر[3] وفصاحة الألسن. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهيا كلهم. ولما وصف البواطن والظواهر، وكان قولهم: المرء بأصغريه قلبه ولسانه مشروطا كما هو ظاهر العبارة بمطابقة اللسان للقلب، قال معبرا بأداة الشك إشارة إلى أنهم لا يكلمونه صلى الله عليه وسلم إلا اضطرارا لأنهم لايحبون مكالمته ولا باعث لهم عليها لما عندهم من أمراض القلوب: ﴿ وان يقولوا ﴾ أى يوجد منهم قول فى وقت من الأوقات ﴿ تسمع لقولهم[1] ﴾ أى لأنه يكون بحيث يلذذ السمع ويروق الفكر لما فيه من الادهان مع الفصاحة فهو يأخذ بمجامع القلب.

/ ٣٥٤

ولما أخبر عن ظاهرهم، دل على أن ذلك الظاهر امر لاحقيقة له. وأنهم لما وطنوا أنفسهم على الوقاحة وخلعوا لباس[6] الحياء بالكذب

(١) راجع معالم التنزيل ٧ / ٨٢ (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م وفى الأصل: جهالة المناظر (٤) من م وفى الأصل و ظ: على (٥) من ظ و م وفى الأصل: انه (٦) من ظ و م، وفى الأصل: الياس.

بذلوا جميع الجهد فى تحسين القول لأنه لا درك عليهم فيه فيما يحسبون بوجه لأنهم لايحسبون للآخرة حسابا فقال: ﴿كأنهم﴾ أى فى[1] حسن ظواهرهم و سوء بواطنهم و فى الجبن و الخور و عدم الانتفاع بهم فى شىء من فهم أو ثبات[2] فانهم لاحقيقة لهم ﴿خشب﴾ جمع كثرة لخشبة و هو دليل على كثرتهم . و لما كان الخشب ربما أطلق على المغروس، ٥ نفى ذلك بقوله منبها بالتشديد على الكثرة: ﴿مسندة[3]﴾ أى قد قطعت من مغارسها و قشرت[4] و أسندت إلى الجدر لئلا يفسدها التراب، فهى بيض تلوح تعجب[5] ناظرها و لا ثبات لها و لا باطن بثمرة و لاسقى فلا مدد سماوى [لها[5]] أصلا يزكيها نوع زكاء[6] فقد فقدت[7] روح الإثبات الذى به كمالها كما فقد المنافق [8]روح الإيمان[8] الذى به كمال الناطق و بقاؤه، ١٠ فهم فى تلك الحالة أشباح بلا أرواح أجسام بلا أحلام .

و لما كان من يقول ما[9] لايفعل يصير متهما لكل من يكلمه، لأنه لإخلافه له قد صار عدوه فيتوهم الناس كلهم أعداء له فيكسبه ذلك أشد الجبن، و ذلك هو السبب الأعظم فى تحسين قوله، قال: ﴿يحسبون﴾ أى لضعف عقولهم و كثرة ارتيابهم لكثرة ما يباشرون من سوء أعمالهم ١٥

(١) من م، و فى الأصل و ظ: من (٢) من م، و فى الأصل و ظ: اثبات.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: فسرت (٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: زكاة (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فقد (٨ - ٨) من م، و فى الأصل و ظ: روحه (٩) من ظ و م، و فى الأصل: و .

﴿ كل صيحة ﴾ أى من نداء مناد فى انفلات دابة أو إنشاد ضالة، ونحو ذلك ﴿عليهم[1]﴾ أى واقعة . و لما كان من يظن عداوة الناس له[1] يكون هو عدوا لهم، قال نتيجة ما مضى : ﴿هم﴾ أى خاصة ﴿العدو﴾ أى كامل العداوة بما دل عليه الإخبار بالمفرد الذى يقع على الجمع دون الجمع إشارة إلى أنهم - فى شدة عداوتهم للاسلام و أهله و كمال قصدهم و شدة سعيهم فيه - على قلب واحد و إن أظهروا التودد[2] فى الكلام، و التقرب به إلى أهل الإسلام ، فإن ألسنتهم معكم إذا لقوكم، و قلوبهم عليكم مع أعدائكم، فهم عيون لهم عليكم .

و لما بين ذلك من سوء أحوالهم سبب عنه قوله : ﴿ فاحذرهم[1] ﴾ لأن أعدى الأعداء / العدو المداحى الذى يكاشرك و تحت ظلوعه الداء الدوى، فان من استشعر أنك عدو له بغى لك الغوائل ، و أغلب من يعجبك قوله على هذا الوصف يكون، و لكنه [يكون -[3]] بلطف الله دائم الخذلان منكوسا فى أكثر تقلباته بيد[4] القهر و الحرمان لسر قوله تعالى : ﴿ قتلهم الله ﴾ أى أحلهم الملك المحيط علما و قدرة محل [من -[3]] يقاتله عدو قاهر له أشد مقاتلة على عادة الفعل الذى يكون بين اثنين .

و لما كان حالهم فى غاية العجب فى صرفهم عن الإسلام أولا

٣٥٥ /

(١) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : التود (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بيده .

بالعمى عن الآيات الظاهرات ، و ثانيا عن الإخبار بأسرارهم ، و خفى مكرهم و أخبارهم ، و فى عدم صرفهم عما[1] هم عليه من قبح السرائر و سوء الضمائر بتعكيس[2] مقاصدهم ، [3]و تخييب[3] مصادرهم فى مكرهم و مواردهم ، دل على ذلك بقوله : ﴿ انّى ﴾ أى كيف و من أىّ وجه ﴿ يؤفكون ﴾ أى يصرفهم[4] عن إدراك قبح ما هم عليه صارف ما كائنا ما كان ليرجعوا عنه[5] إلى حسن الدين و الأنس به و إدراك بركته و عظيم أثره .

و لما كان هذا أمرا عظيما قاطعا عن الله و رسوله فيحتاج فاعله حاجة شديدة إلى التطهير و هو جدير بعظمه أن لا يطهره غاية الطهر إلا سؤال النبى صلى الله عليه و سلم و كانوا لم يفعلوا ذلك ، دل على سوء بواطنهم و غلظ أكبادهم و أنهم[6] كالخشب المسندة فى أنهم لا ثمرة لهم و لا زكاء أصلا بقوله : ﴿ و اذا قيل لهم ﴾ [أىّ -[7]] من أى قائل كان : ﴿ تعالوا ﴾ أى ارفعوا أنفسكم مجتهدين فى ذلك بالمجىء إلى أشرف الخلق الذى لا يزال مكانه [8]عاليا لعلو مكانته[8] ﴿ يستغفر لكم ﴾ أى يطلب الغفران لأجلكم خاصة بعد أن تتولوا من ذنبكم[9] من أجل هذا الكذب الذى أنتم مصرون عليه . و لما تقدم عاملان ، أعمل الثانى منهما

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : على ما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تنعكس .
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : او محسب (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : مصرفهم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : منه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هم (٧) زيد من م (٨ - ٨) من ظ و م ، و فى الأصل : عليا لعلو مكانه (٩) فى ظ و م : و بكم .

[1]كما هو المختار[1] من مذهب البصريين فرفع قوله : ﴿ رسول الله ﴾ أى أقرب الخلق إلى الملك الأعظم الذى لاشبيه لجوده ﴿ لووا رءوسهم ﴾ [أى فعلوا ـ[2]] اللى بغاية الشدة و الكثرة ، و هو الصرف إلى جهة أخرى إعراضا و عتوا و إظهارا للبغض و النفرة ، و بالغوا فيه مبالغة تدل على انهم مغلوبون عليه لشدة ما فى بواطنهم من المرض ﴿ و رأيتهم ﴾ أى بعين البصيرة ﴿ يصدون ﴾ أى يعرضون إعراضا قبيحا عما دعوا إليه مجددين لذلك كلما دعوا إليه ، و الجملة فى موضع المفعول الثانى لرأيت ﴿ و هم مستكبرون ٥ ﴾ أى ثابتو الكبر عمن دعوا إليه و عن إحلال أنفسهم فى محل الاعتذار، فهم لشدة غلظتهم لايدركون قبح ما هم عليه و لايهتدون إلى دوائه . و إذا أرشدهم غيرهم و نبههم لاينبهون ، فقد روى أنه لما نزل القرآن فيهم أتاهم عشائرهم من المؤمنين و قالوا : ويحكم افتضحتم و أهلكتم أنفسكم . فأتوا رسول الله صلى الله عليه و سلم و تولوا إليه و اسألوه أن يستغفر لكم ، فأبوا ذلك فأنزل الله هذه الآية ، و روى[4] [أن ـ[5]] ابن أبى رأسهم لوى رأسه و قال لهم : أشرتم علىّ بالإيمان فآمنت و أشرتم علىّ بأن أعطى زكاة مالى ففعلت ، و لم يبق إلا [أن] تأمرونى بالسجود لمحمد . و لما كان النبى صلى الله عليه و سلم يحب صلاحهم فهو يحب أن يستغفر لهم، و ربما ندبه[6] إلى ذلك بعض أقاربهم ، فكان

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : كالمختار (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : بطونهم (٤) راجع معالم التنزيل ٧/٨٤ (٥) زيد من م . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : نبه .

استغفاره بحيث يسأل عنـــه ، قال [منبها -[1]] على أنهم ليسوا بأهل للاستغفار لأنهم لا يؤمنون : ﴿ سوآء ﴾ أى غلب و استعلى هذا الاستواء الذى عالجوا أنفسهم عليه حتى تخلقوا بـــه فصار[2] مجردا عن أدنى ميل و كلفة ﴿ عليهم ﴾ .

و لما كان قد سلخ فى هذا السياق عن[3] الهمزة معنى الاستفهام كان ٥ معنى ﴿استغفرت لهم﴾ أى فى هذا الوقت ﴿ ام لم تستغفر لهم[4] ﴾ أى فيه أو فيما بعده - مستو عندهم استغفارك لهم و تركه ، لأنه لا أثر له عندهم ، ولهذا كانت نتيجته[5] - عقوبة لهم - النفى[6] المبالغ فيه بقوله : ﴿لن يغفر الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿ لهم[1] ﴾ و لعل التعبير بالاستفهام بعد سلخ معناه للاشارة إلى أنهم لو شاهدوا الملك يستفهمك عن ذلك ما ردهم عن[6] نفاقهم و ما[6] ١٠ زادهم ذلك على ما عندهم شيئا ، و كان النبى صلى الله عليه و سلم قيد هذه الآية بآية[7] براءة المحتملة للتخيير[8] و أنه إن زاد على السبعين كان الغفران مرجوا[9] ، فاستجاز بذلك الصلاة على ابن أبى رأس المنافقين و الاستغفار له لما عنـــده صلى الله عليه و سلم من [عظيم -[1]] الشفقة على عباد الله و مزيد الرحمة لهم و لا سيما من كان فى عداد أصحابه و الأنصار رضى الله ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : نصاروا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نتيجة ذلك (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : نفى (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : نفاقك ولا. (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بسورة (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : للتخير (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : موجودا .

عنهم [به -[1]] عناية .

و لما كان التقدير لتعليل المبالغة فى الإخبار بعد الغفران لهم: لأن فسقهم قد استحكم فصار وصفا لهم ثابتا ، عبر عن ذلك بقوله : ﴿ان الله﴾ أى الذى له صفات[2] الكمال ﴿ لا يهدى القوم ﴾ أى الناس الذين لهم

٥ وة فى أنفسهم على ما يريدونه ﴿ الفسقين ﴾ لأنهم لاعذر لهم فى الإصرار على الفسق و هو المروق من حصن الإسلام بخرقه و هتكه مرة بعد مرة و التمرن عليه حتى استحكم فهم راسخون فى النفاق و الخروج عن مظة الإصلاح .

و لما كان هذا داعيا إلى السؤال عن الأمر الذى فسقوا به ، قال

١٠ مبينا له : ﴿ هم ﴾ أى خاصة[3] بواطنهم ﴿ الذين يقولون ﴾ أى أوجدوا هذا[4] القول و لا يزالون يجددونه لأنهم كانوا مربوطين بالأسباب محجوبين عن شهود التقدير غير محققين بتصريف الأحكام . فأنطقهم ما خامر قلوبهم من تمنى إطفاء نور الله / فتواصوا فيما بينهم بقولهم : ﴿لا تنفقوا﴾ ٣٥٧ / أيها المخاصرون فى العصرة ﴿ على من ﴾ أى الذين[5] ﴿ عند رسول الله ﴾

١٥ أى الملك المحيط بكل شىء . و هم فقراء المهاجرين ، و كأنهم[7] عبروا بذلك و هم [لا -[1]] يعتقدونه تهكما و إشارة إلى أنه [لو -[1]] كان رسوله

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م . و فى الأصل ، صفة (٣) فى ظ : بخاص.
(٤) زيد فى الأصل : الذى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى (٧) من ظ و م . و فى الاصل : كانوا .

و هو الغنى المطلق لأغنى أصحابه و لم يحوجهم إلى أن ينفق الناس عليهم ، و ما درى الأغبياء [1]أن ذلك[1] امتحان منه سبحانه لعباده - فسبحان من يضل من يشاء - حتى يكون كلامه أبعد شيء عن الصواب بحيث يعجب العاقل كيف يصدر ذلك من أحد ، أو أن هذه ليست عبارتهم و هو الظاهر ، و عبر سبحانه عنهم بذلك إشارة إلى أن كلامهم يؤل إلى إرادة ضر ٥ من الله معه توقيفا على كفرهم و تنبيها على أن من أرسل رسولا لا يكله إلى أحد بل يكفيه جميع ما يهمه من غير افتقار إلى شيء أصلا ، فقد أرسل سبحانه إليه صلى الله عليه و سلم بمفاتيح خزائن الأرض فأباها[2] و ما كفاهم هذا الجنون حتى زادوه ما دل على أنهم ظنوا أن أبواب الرزق تغلق إذا امتنع المنفقون من الناس / عن إنفاقهم ، و عبروا بحرف ١٠ غاية ليكون لما[3] بعده حكم ما قبله فقالوا : ﴿حتى ينفضوا[4]﴾ أي يتفرقوا تفرقا قبيحا فيه كسر فيذهب أحد منهم إلى أهله و شغله الذى كان له قبل ذلك ؛ قال [الحرالى -[4]] : «حتى» كلمة تفهم غاية محوطة يدخل ما بعدها فى حكم ما قبلها[5] مقابل معنى «إلى» . و قال أهل العربية : لا يجر بها إلا آخر أو متصل بالآخر نحو الفجر فى "حتى مطلع الفجر" و حتى آخر الليل ، ١٥ و لا تقولوا : حتى نصف الليل ، و ما درى الأجلاف أنهم لو فعلوا ذلك

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : انه (٢) من ظ و م . و فى الأصل : فاماه و قصة ملك الجبال معه صلى الله عليه و سلم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قبله .

أتاح[1] الله غيرهم للانفاق، أو أمر رسوله صلى الله عليه و سلم فدعا فى الشيء اليسير فصار كثيرا، أو كان بحيث لاينفد، [أو أعطى كلا يسيرا من طعام على كيفية لاتنفد -[2]] معها كتمر أبى هريرة و شعير عائشة و عكة أم أيمن رضى الله عنهم و غير ذلك كما روى ذلك غير مرة، و لكن ٥ [3]ليس لمن[3] يضل الله من هاد، و لذلك عبر فى الرد عليهم بقوله: ﴿ولله﴾ أى قالوا [ذلك -[2]] و استمروا على تجديد قوله[4] و الحال أن للملك[5] الذى لا أمر [6]لأحـــد معه فهو الآمر الناهى[6] ﴿خزآئن السمٰوٰت﴾ [أى كلها -[2]] ﴿و الارض﴾ كذلك من الأشياء المعدومة الداخلة تحت مقدرة "انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون" و من ١٠ الأشياء التى أوجدها فهو يعطى من يشاء منها ما يشاء حتى من أيديهم، لايقدر أحد على منع شيء من ذلك لا مما فى يده و لا مما فى يد غيره، و نبه على سوء غباوتهم و أنهم تقيدوا بالوهم حتى سفلوا عن رتبة البهائم كما قال بعضهم: إن كان محمد صادقا فنحن شر من البهائم، أشار إلى ذلك بقوله: ﴿و لكن المنفقين﴾ أى العريقين فى وصف النفاق.

١٥ و لما كان ما يساق إلى الخلق من الأرزاق فيظن كثير منهم أنهم حصلوه بقوتهم، عبر بالفقه / الأخص من العلم فقال: ﴿لا يفقهون ٥﴾ أى ٣٥٨ /

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اباح (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) فى ظ و م: من (٤) من م، وفى الأصل و ظ: قولهم (٥) من م. وفى الأصل و ظ: الملك (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

لا يتجدد لهم فهم أصلا لأن البهائم إذا رأت[1] شيئا ينفعها[2] يوما ما فى مكان طلبته مرة أخرى ، و هؤلاء رأوا غير مرة ما أخرج الله من خوارق البركات على يد رسول الله صلى الله عليه و سلم فلم ينفعهم ذلك ، فمن رأى أن رزقه بيد[3] الخلق فألهاه ذلك عن الله حتى ضيع حقوقه و داهن فى دينه فقد برئ من القرآن ، و دل على عدم فقههم ٥ بقوله تعالى : ﴿ يقولون ﴾ أى يوجدون هذا القول و يجددونه مؤكدين له لاستشعارهم بأن أكثر قومهم ينكره : ﴿ لئن رجعنآ ﴾ أى [نحن أيتها العصابة المافقة -[4]] من غزاتنا هذه - التى قد رأوا فيها من نصرة النبى صلى الله عليه وسلم ما يعجز الوصف وهى غزوة بنى المصطلق حى[5] من هذيل بالمريسيع[5] و هو ماء من مياههم من ناحية قديد إلى الساحل و فيها تكلم[6] ١٠ ابن أبى بالإفك و أشاعه - ﴿ الى المدينة ﴾ [و -[7]] دلوا على تصميمهم على عدم المساكنة بقولهم : ﴿ ليخرجن الاعز ﴾ يعنون أنفسهم ﴿ منها الاذل[8] ﴾ و هم كاذبون فى هذا ، لكنهم تصوروا لشدة غباوتهم أن العزة لهم و أنهم يقدرون على إخراج المؤمنين ﴿ و لله ﴾ أى و الحال أن [8]كل من له[8] نوع بصيرة يعلم أن للملك[9] الأعلى الذى له وحده عز الإلهية ١٥ ﴿ العزة ﴾ كلها ، فهو قهار لمن دونه [و كل ما عداه دونه -[10]] .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : رأوا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ينفعهم. (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من يد (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بالمريسيع من بنى هذيل (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تكل (٧) زيد من م (٨ - ٨) من ظ و م ، و فى الأصل : له من كل (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الملك (١٠) زيد من ظ و م .

و لما حصر[1] العزة بما دل على ذلك من تقديم المعمول، أخبر أنه يعطى منها من أراد و أحقهم بذلك من أطاعه فترجم ذلك بقوله: ﴿ و لرسوله ﴾ لأن[2] عزته من عزته بعز النبوة و الرسالة و إظهار الله دينه على الدين كله، [3]و كذلك أيضا أن العزة لمن أطاع الرسول بقوله[3]: ﴿ و للمؤمنين ﴾ أى الذين صار الإيمان لهم وصفا راسخا لأن عزتهم بعزة الولاية، و نصر الله إياهم عزة لرسولهم صلى الله عليه و سلم، و من تعزز بالله لم يلحقه ذل.

و لما كان جهلهم فى هذا أشد لكثرة ما رأوا من نصرة الله لرسوله صلى الله عليه و سلم و من تابعه رضى الله عنهم و إعلائهم على كل من ناواهم، قال منبها على ذلك: ﴿ و لكن المنفقين ﴾ أى الذين استحكم فيهم مرض القلوب. و لما كانت الدلائل على عزة الله لا تخفى على أحد لما تحقق من قهره للملوك و غيرهم بالموت الذى لم يقدر[4] أحد على الخلاص منه و لا المنازعة فيه، و من المنع من أكثر المرادات، و من نصر الرسول و أتباعهم باهلاك أعدائهم بأنواع الهلاك، و بأنه سبحانه ما قال شيئا إلا تم و لا قالت الرسل شيئا إلا صدقهم فيه، ختم الآية بالعلم الأعم من الفقه فقال: ﴿ لا يعلمون ﴾ أى لا [5]لأحد لهم[5] علم الآن، و لا يتجدد

(١) من ظ و م، و فى الأصل: حصره (٢) من م، و فى الأصل و ظ: فان.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لا يقدر.
(٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: لأحدهم.

فى

فى حين من الأحيان ، فلذلك[1] هم يقولون مثل هذا الخراف ، و روى[2] أنه لما نزلت هذه الآية جاء عبد الله ولد عبد الله بن أبى [بن -[3]] سلول الذى نزلت بسببه إلى أبيه ، و ذلك فى غزوة المريسيع لبنى المصطلق فأخذ بزمام ناقة أبيه و قال : أنت و الله الذليل ، و رسول الله صلى الله عليه و سلم / العزيز ، و لما دنوا من المدينة الشريفة جر سيفه و أتى أباه فأخذ ٥ / ٣٥٩ بزمام ناقته و زجرها إلى ورائها و قال : إياك وراءك و الله لا تدخلها حتى يأذن رسول الله صلى الله عليه و سلم و لئن لم تقر بأن رسول الله صلى الله عليه و سلم الأعز و أنت الأذل لأضر بن عنقك ، قال : أفاعل أنت ؟ قال : نعم ، قال : أشهد أن العزة لله و لرسوله و للمؤمنين ، و شكى ولده[4] إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فأمره أن يدعه[5] يدخل المدينة ، ١٠ فأطلقه فدخل .

و لما كان هذا[6] الذى حكاه سبحانه و تعالى عن المنافقين بحيث يعجب غاية العجب من [7]تصور قائله[7] له فضلا عن أن يتفوه به فكيف بأن يعتقده ، نبه على [أن -[3]] العلة الموجبة له طمس البصيرة ، و أن العلة فى طمس البصيرة الإقبال بجميع القلب على الدنيا رجوعا على إيضاح ما تقدم [فى -[8]] ١٥

(١) زيد فى الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) راجع معالم التنزيل ٧/٨٤ (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : والده . (٥) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) سقط من ظ (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : تصوره فاعله (٨) زيد من م .

نتيجة الجمعة من الإذن[1] فى [2]طلب الرزق[2] و التحذير من مثل فعل حاطب رضى الله عنه و فعل من انصرف عن خطبة الجمعة لتلك [العير -[3]]، و كان هذا التنبيه على وجه حاسم لمادة شرهم فى كلامهم فان كلمة الشح [كما قيل -[4]] مطاعة ، و لو بأن تؤثر أثرا ما و لو بأن تقتر نوع تقتير

٥ فى وقت ما ، فقال مناديا لمن يحتاج إلى ذلك : ﴿ يايها الذين امنوا ﴾ أى أخبروا بما يقتضى أن بواطنهم مذعنة كظواهرهم ﴿ لا تلهكم اموالكم ﴾ و لما كان الخطاب مع من يحتاج إلى التأكيد قال : ﴿ و لآ اولادكم ﴾ أى لا تقبلوا على شىء من ذلك بجميع قلوبكم إقبالا يحيركم سواء كان ذلك فى إصلاحها أو التمتع [بها -[5]] بحيث[6] تشتغلون و تغفلون

١٠ ﴿ عن ذكر الله ﴾ أى من[7] توحيد الملك الأعظم الذى له الإحاطة الكاملة بكل شىء فله الملك و له الحمد يعطى من يشاء و يمنع من يشاء ، فاذا كان العبد ذاكرا له بقلبه دائما لم يقل كقول المنافقين "لا تنفقوا" و لا "ليخرجن الأعز منها الأذل" لعلمه أن الأمر كله لله ، و أنه لن يضر الله شيئا ، و لا يضر بذلك إلا نفسه ، و هذا يشمل ما[7] قالوه من التوحيد و الصلاة

١٥ و الحج و الصوم و غير ذلك ، و لإرادة المبالغة فى النهى وجه النهى إلى الأموال و الأولاد بما المراد منه نهيهم .

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : الأذان (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قلب التروق - كذا (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من ظ (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : لا بحيث (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : عن (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : لما .

و لما كان التقدير: فمن انتهى فهو من الفائزين، عطف عليه قوله: ﴿و من يفعل﴾ أى [يوقع -[1]] فى زمن من الأزمان على سبيل التجديد و الاستمرار فعل ﴿ذلك﴾ أى الأمر البعيد عن أفعال ذوى الهمم من الانقطاع إلى الاشتغال بالفانى و الإعراض عن الباقى و الإقبال على العاجل مع نسيان الآجل ﴿فاولئك﴾ أى البعداء عن الخير ﴿هم﴾ ٥ أى[2] خاصة ﴿الخسرون ه﴾ أى العريقون فى الخسارة حتى كأنهم كانوا مختصين بها دون الناس، و ذلك ضد ما أرادوا بتوفير النظر إليهم و الإقبال عليهم من السعى للتكثير و الزيادة و التوفير، و فى إفهامه أن من شغله ما يهمه من أمر دينه الذى أمره[3] سبحانه به و نهاه عن إضاعته و توعده عليها[4] كفاه سبحانه أمر دنياه / الذى ضمنه له و نهاه أن يجعله ١ / ٣٦٠ أكبر همه و توعده على ذلك، فما ذكره[5] إلا من وجده فى جميع أموره دينا و دنيا، و توجه إليه فى جميع نوائبه، و أقبل عليه بكل همومه، و بذل نفسه له بذل من يعلم انه مملوك مربوب فقد أمر ربه على نفسه و اتخذه وكيلا فاستراح من المخاوف، و لم يمل إلى شىء من المطامع فصار حرا.

و لما حذر من الإقبال على الدنيا، رغب فى بذلها مخالفة للنافقين ١٥ فقال: ﴿و انفقوا﴾ أى ما امرتم[6] به من واجب أو مندوب، و زاد فى الترغيب بالرضى منهم باليسير مما [هو -[1]] كله له بقوله: ﴿من ما رزقنكم﴾

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: هم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م، و فى الأصل و ظ: امر (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عليه (٥) من م، و فى الأصل و ظ: ذكر (٦) من ظ و م، و فى الأصل: امرتكم.

أى من عظمتنا و بلغ النهاية فى ذلك بالرضا بفعل ما أمر به [١]مع التوبة[١] النصوح فى زمن ما و لو قل بما أرشد إليه إثبات الجار، فقال مرغبا [٢]فى التأهب[٢] للرحيل و المبادرة لمباغتة الأجل، محذرا من الاغترار بالتسويف فى أوقات السلامة: ﴿[٤]من قبل﴾ و فك المصدر ليفيد «أن» مزيد القرب

٥ [فقال -[٣]]: ﴿ان يأتى﴾ و لما كان تقديم المفعول كما تقدم فى النساء أهول قال: ﴿ احدكم الموت ﴾ [أى -[٣]] برؤية دلائله و أماراته، و كل لحظة مرت فهى من دلائله و أماراتـــه. و لما كانت الشدائد تقتضى الإقبال [٤]على الله[٤]، سبب عن ذلك بقوله: ﴿ فيقول﴾ سائلا فى الرجعة، و أشار إلى ترقيقها للقلوب بقوله: ﴿ رب[٥] لولا ﴾ أى هل[٦] لا

١٠ و لم لا ﴿ اخرتنى ﴾ أى أخرت موتى إمهالا لى ﴿ الى اجل ﴾ أى زمان، و بين أن مراده استدراك ما فات ليس إلا بقوله: ﴿قريب[٦] فاصدق﴾ أى للتزود فى سفرى هـذا الطويل الذى أنا مستقبله، قال الغزالى فى كتاب التوبة من الإحياء[٧]: قال بعض العارفين: إن ملك الموت إذا ظهر للعبد أعلمه أنه قد بقى من عمرك ساعة، و أنك لاتستأخر عنها طرفة عين

١٥ فيـــبدو للعبد من الأسف و الحسرة مما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منهـا على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: بالتوبة (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: بالتاهب (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: اليه.
(٥) وقع فى الأصل بعد «فيقول» والترتيب من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لو (٧) راجع ٤ / ٩، والحديث اختصره المصنف.

و يتدارك

و يتدارك تفريطه، يقول: يا ملك الموت! أخرني يوما [1]أعتذر فيه[1] إلى ربي و أتوب و أتزود فيها صالحا لنفسي، [فيقول -[2]]: فنيت الساعات فلا ساعة، فيغلق عليه باب التوبة فيتغرغر بروحه و تردد أنفاسه في شراسيفه و يتجرع غصة اليأس عن التدارك و حسرة الندامة على تضييع العمر، فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأهوال، فاذا زهقت نفسه فان كان[3] ٥ سبقت له [من -[2]] الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد، فذلك حسن الخاتمة، و إن سبق له القضاء بالشقوة و العياذ بالله تعالى خرجت روحه على الشك و الاضطراب، و ذلك سوء الخاتمة[4]، و من ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين[5] خطرين عظيمين: أحدهما أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى / يصير رينا و طبعا فلا يقبل المحو، الثاني أن ١٠ / ٣٦١ يعاجله[6] المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو، فيأتي الله تعالى بقلب غير سليم، و القلب أمانة الله عند عبده، قال بعض العارفين: إن لله تعالى إلى عبده سرين على سبيل الإلهام: أحدهما إذا خرج من[7] بطن أمه يقول له: عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا و استودعتك و ائتمنتك عليه فانظر كيف تحفظ الأمانة و انظر كيف تلقاني، و الثاني ١٥ عند خروج روحه يقول: عبدي ما ذا صنعت في أماتي [عندك -[2]]

(١-١) من ظ و م و الإحياء، و في الأصل: عيد منه (٢) زيد من ظ و م و الإحياء (٣) في م: كانت (٤) من ظ و م و الإحياء، و في الأصل: الخاتم. (٥) من م و الإحياء، و في الأصل و ظ: على (٦) من الإحياء، و في الأصول: يعاجله (٧) من م و الإحياء، و في الأصل و ظ: الى.

هل حفظتها حتى تلقانى على العهد فألقاك على الوفاء أو أضعتها فألقاك[1] بالمطالبة و العذاب . و لعله أدغم تاء التفعل إشارة إلى أنه إذا أخر[2] فعل ذلك على وجه [الإخفاء ليكون افضل، أو يكون إدغامها اختصارا لبلوغ الأمر إلى حد محوج إلى - [3]] الإيجاز فى القول كما طلب فى الزمن ، و يؤيده قراءة الجماعة[4] غير[5] أبى عمرو ﴿ و اكن ﴾ بالجزم عطفا على الجواب الذى هدى السياق إلى تقديره ، فان حال هذا [الذى -[3]] أشرف هذا الإشراف يقتضى أن يكون أراد إن " اخرتنى اتصدق " و لكنه حذفه لضيق المقام عنه و اقتضاء الحال لحذفه ، و هو[6] معنى ما حكاه سيبويه عن الخليل أن الجزم على توهم الشرط الذى [دل -[3]] عليه التمنى على الموضع . فان الجازم غير موجود ، و معنى ما قال غيره أن " لولا " لكونها تحضيضية متضمنة معنى الأمر و معنى الشرط ، فكأنه قيل : أخرنى ، فيكون جوابه العارى عن الفاء مجزوما لفظا و المقرون بها مجزوما[7] محلا فـ ﴿ لكن ﴾ عطف على المحل ، و نصب أبو عمرو عطفا على اللفظ لأنه جواب التمنى الذى دلت عليه " لولا " و إجماع المصاحف على حذف الواو لا يضره لأنه قال : إنها[8] للاختصار ، و هو ظاهر ، و ذلك للمناسبة بين اللفظ و الخط و الزمان و المراد ، و من هنا تعرف جلالة

---

(١) من ظ و م و الإحياء ، و فى الأصل : فاقفاك (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اصر (٣) زيد من ظ و م (٤) راجع نثر المرجان ٧/ ٣٦٠ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : هى (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : مجزوم (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : لانها .

القراء و مرادهم إن شاء الله تعالى بقولهم فى الضابط المشهور و إن توافق رسم المصحف[1] و لو احتمالا ﴿من الصلحين ۝﴾ أى العريقين فى هذا الوصف العظيم، و زاد فى الحث على المبادرة بالطاعات[2] قبل الفوات بقوله مؤكدا لأجل عظيم الرجاء من هذا المحتضر للتأخير عطفا على [ما -[3]] تقديره: فلا يؤخره الله فيفوته ما أراد: ﴿ و لن ﴾ و يجوز أن تكون الجملة حالا أى قال ذلك و الحال أنه لن ﴿يؤخر الله﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له فلا اعتراض عليه ﴿نفسا﴾ أى أىّ نفس كانت، و حقق الأجل بقوله: ﴿ اذا جآء اجلها[4] ﴾ أى وقت موتها الذى حده الله لها فلا يؤخر الله نفس[4] هذا القائل لأنها من جملة النفوس التى شملها النفى.

و لما كان المعنى على طريق النتائج التى لاشك فى إرشاد اللفظ إليها[5]: الله عالم[6] فانه يقول ذلك، عطف عليه قوله حاثا على المسارعة إلى الخروج عن عهدة الطاعات و الاستعداد لما لابد منه من اللقاء محذرا من الإخلال و لأنه لا تهديد كالعلم: ﴿ و الله ﴾ أى الذى له الإحاطه / الشاملة علما و قدرة ﴿خبير﴾ أى بالغ الخبرة و العلم ظاهرا و باطنا ﴿بما تعملون ۝﴾ أى توقعون عمله فى الماضى و الحال و المآل كله ظاهره و باطنه من هذا الذى أخبرتكم أن المحتضر العاصى يقوله و من غيره [منه و من غيره -[7]]

/ ٣٦٢

(١) من ظ و م، و فى الاصل: المصاحف (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى الطاعات (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: نفسا على.
(٥) من م، و فى الأصل و ظ: لها (٦) من م، و فى الأصل و ظ: اعلم.
(٧) زيد من م.

أيها الناس - هذا على قراءة الجمهور بالخطاب[1]، و على قراءة أبي بكر عن عاصم بالغيب يمكن أن يراد[2] المنافقون، و يمكن أن يعم فيكون الضمير للنفس على المعنى و يمكن [أن يكون -[3]] الضمير للناس على الالتفات للاعراض تخويفا لهم، و لذلك علم سبحانه كذب المنافقين فى أنهم يعتقدون ما شهدوا به فى أمر الرسالة و علم جميع ما قص[4] من أخبارهم " الايعلم من خلق و هو اللطيف الخبير " [5]و الله أعلم[5] .

(١) راجع نثر المرجان ٧ /٣٦٣ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: يكون المراد .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل : يقص (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة التغابن[1]

مقصودها الإبلاغ فى التحذير مما حذرت منه[2] المنافقون باقامة الدليل القاطع على أنه لابد من العرض على الملك للدينونة على النقير و القطمير يوم القيامة يوم الجمع الأعظم، و اسمها التغابن واضح الدلالة على ذلك، [و -[3]] هو أدل ما فيها عليه فلذلك سميت[4] به ﴿بسم الله﴾ ٥ مالك الملك فلا كفوءله و لامثيل ﴿الرحمن﴾ الذى وسع الخلائق بره الجليل ﴿الرحيم ٥﴾ الذى خص من عمه بالبر قوما فوفقهم للجميل .

لما ختمت تلك باثبات القهر بنفوذ الأمر و إحاطة العلم، افتتح هذه باحاطة الحمد و دوام التنزه[5] عن كل شائبة نقص، إرشادا إلى النظر فى أفعاله و التفكر فى مصنوعاته لأنه الطريق إلى معرفته، و أما معرفته ١٠ بكنه الحقيقة فمحال فانه[6] لايعرف الشىء كذلك إلا مثله و لا مثل له، فقال مؤكدا لما أفهمه[7] أول الجمعة: ﴿يسبح﴾ أى يوقع التنزيه التام مع التجديد و الاستمرار ﴿لله﴾ الذى له الإحاطة بأوصاف الكمال ﴿ما فى السمٰوٰت﴾ الذى من جملته الاراضى و ما فيها فلا يريد من شىء [8]منه شيئا[8] إلا كان على وفق الإرادة، فكان لذلك[9] الكون و الكائن ١٥

---

(١) الرابعة والستون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آيها ١٨ (٢) من م، وفى الأصل وظ: به (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و م، وفى الأصل: سمى. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: التنزيه (٦) فى م: لأنه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: افهمته (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: عينه فيها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: كذلك .

شاهدا له بالبراءة عن كل شائبة نقص .

و لما كان الخطاب مع من[1] تقدم فى آخر المنافقين ممن هو محتاج إلى التأكيد ، قال مؤكدا باعادة الموصول : ﴿ و ما فى الارض ﴾ أى كذلك بدلالتها على كماله و استغنائه ، و قد تقدم أن موافقة العاقل للأمر مثل موافقة غير العاقل للارادة ، فعليه أن يهذب نفسه غاية التهذيب فيكون فى طاعته بامتثال الأوامر كطاعة غير العاقل [2]فى امتثاله[2] لما راد منه .

و لما ساق سبحانه ذلك الدليل النقلى على كمال نزاهته على وجه يفهم الدليل العقلى لمن له لب كما قال على رضى الله عنه : لاينفع مسموع إذا لم يكن مطبوع ، كما لاتنفع الشمس [و - [3]] ضوء العين ممنوع ، و ذلك لكونه سبحانه جعلهم مظروفين كما هو المشاهد ، و المظروف / محتاج لوجود ظرفه قبله فهو عاجز فهو مسبح دائما ان لم يكن بلسان قاله كان بلسان حاله ، و صانعه الغنى عن الظرف فغيره سبوح ، [علل - [3]] ذلك بقوله : ﴿ له ﴾ أى وحده ﴿ الملك ﴾ [أى - [4]] كله مطلقا فى الدنيا و الآخرة ، و هو السيادة العامة للخاص و العام و السياسة العامة بركنيها[5] دفع الشرور و جلب الخيور الجالب للسرور

/ ٣٦٣ /

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بامتثاله (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بركنها .

و الحبور من الإبداع و الإعدام ، فهو أبلغ مما فى الجمعة ، فان الملك قد يكون ملكا فى الصورة ، و ذلك الملك الذى هو ظاهر فيه لغيره ، فداوم التسبيح الذى اقتضته عظمة الملك هنا أعظم من ذلك الداوم .

و لما أتبعه فى الجمعة التنزيه عن النقص ، أتبعه هنا الوصف بالكمال فقال : ﴿ و له ﴾ أى وحده ﴿ الحمد ﴾ أى الإحاطة بأوصاف الكمال ٥ كلها فلذلك ينزهه جميع مخلوقاته ، فمن فهم تسبيحها فذلك[1] [المحسن -[2]] ، و من كان فى طبعه و فطرته الأولى بالفهم ثم ضيعه يوشك أن يرجع فيفهم ، و من لم يهيأ لذلك فذلك الضال الذى لاحيلة فيه ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ على كل شىء ﴾ أىّ شىء أى ممكن أن يتعلق بـــه المشيئة ﴿ قدير ﴾ لأنه وحده بكل شىء مطلقا عليم ، لأن نسبة ذاته المقتضية ١٠ للقدرة إلى الأشياء كلها على حد سواء و هذا واضح جدا ، و لأن من عرف نفسه بالنقص عرف ربه[3] بالكمال و قوة السلطان و الجلال .

و قال [الإمام -[4]] أبو جعفر بن الزبير رحمه الله تعالى : لما بسط فى السورتين قبل من حال من حمل التوراة من بنى إسرائيل ثم لم يحملها ، و حال المنافقين المتظاهرين بالإسلام ، و قلوبهم كفرا و عنادا متكاثفـــة ١٥ الإظلام ، و بين خروج الطائفتين عن سواء السبيل المستقيم ، و تنكبهم عن هدى الدين القويم ، و أوهم ذكر اتصافهم بمتحد أوصافهم خصوصهم[5] فى الكفر بوسم الانفراد وسما ينبىء عن عظيم ذلك الإبعاد ، سوى ما

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فكذلك (٢) زيد من م (٣) من م ، و فى الأصل وظ : نفسه (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : خصوصا .

تناول غيرهم من أحزاب الكفار، فأنبأ تعالى [عن -[1]] أن الخلق بجملتهم و إن تشعبت الفرق و افترقت الطرق راجعون بحكم السوابق إلى طريقين[2] فقال تعالى " هو الذى خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن " و قد أوضحنا الدلائل أن المؤمنين على درجات، و [أهل -[1]] الكفر ذو طبقات، و أهل النفاق أدونهم حالا و أسوأهم كفرا و ضلالا «إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار» و افتتحت السورة بالتنزيه لعظيم مرتكب المنافقين فى جهلهم[3] و لو لم تنطو[4] سورة المنافقين من عظيم مرتكبهم إلا على ما حكاه تعالى من قولهم " لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها[5] الأذل " و قد أشار قوله تعالى " يعلم ما فى السمٰوٰت و ما فى الارض و يعلم ما تسرون و ما تعلنون و الله عليم بذات الصدور " إلى ما قبله و بعده من الآيات إلى سوء جهل المنافقين و عظيم حرمانهم فى قولهم بألسنتهم مما[6] لم تنطو عليه قلوبهم " و الله يشهد / ان المنافقين لكٰذبون " ٣٦٤/ و اتخاذهم أيمانهم جنة [7]و صدهم عن سبيل الله[7] إلى ما وصفهم سبحانه به، فافتتح سبحانه و تعالى سورة التغابن بتنزيهه عما توهموه من مرتكباتهم التى لاتخفى عليه سبحانه " ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم و نجواهم " ثم قال تعالى " و يعلم ما يسرون و ما يعلنون " فقرع و وبخ فى عدة آيات ثم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : الطريقين (٣) من م، و فى الأصل و ظ : جهنم (٤) من ظ و م، و فى الأصل : لم تنطق (٥) من ظ و م، و فى الأصل : منه (٦) من ظ و م، و فى الأصل : ما (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م.

أشار

اشار إلى ما منعهم من تأمل الآيات، و صدهم عن اعتبار المعجزات، و انه الكبر المهلك غيرهم، فقال تعالى مخبرا عن سلفهم فى هذا المرتكب، ممن أعقبه ذلك أليم العذاب و سوء المنقلب " ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا فكفروا و تولوا " ثم تناسج الكلام معرفا بمآلهم الأخروى و مآل غيرهم إلى قوله " و بئس المصير " و مناسبة ما ٥ بعد يتبين فى التفسير بحول الله - انتهى .

و لما كان أعظم الدلائل عليه سبحانه آيات الآفاق " [1]سنريهم آيتنا فى الآفاق[1] " و آيات الأنفس، و قدم الأول علويه و سفليه لوضوحه، أتبعه الثانى دليلا على عموم قدرته الدال على تمام ملكه بأنه المختص بالاختراع لأعجب الأشياء خلقا و الحمل على المكاره فقال: ﴿ هو ﴾ أى ١٠ وحده ﴿ الذى خلقكم ﴾ أى أنشأكم على ما أنتم عليه بأن قدركم و أوجدكم بالحق على وفق التقدير خلافا لمن أنكر ذلك من الدهرية و أهل الطبائع.

و لما كان قد تقدم فى سورة المنافقين ما أعلم أنهم فريقان، عرف فى هذه أن ذلك مسبب عن إبداعه لأن من معهود الملك أن يكون فى مملكته الولى و العدو و المؤالف و المخالف و الطائع و العاصى ١٥ و الملك ينتقم و يعفو و يعاقب و يثيب و يقدم و يؤخر و يرفع و يضع، و لذلك[2] قال صلى الله عليه و سلم " لو لم تذنبوا فتستغفروا لذهب الله بكم ثم جاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم " أخرجه مسلم[3] و الترمذى[4] عن

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لذا.
(٣) راجع صحيحه: التوبة (٤) راجع الجامع - الجنة .

ابى أيوب رضى الله عنه ، فقال تعالى مقدما للعدو إشارة إلى أنه عالم[1] به و قادر[2] عليه ، و ما كان منه شيئا إلا بارادتـه ، و فيه تلويح إلى أنه الأكثر و مع كثرته[3] هو الأضعف ، لأن الله تعالى ليس معه بمعونته و إلا لأعدم الصنف الآخر : ﴿فمنكم﴾ أى فتسبب عن خلقه لكم و تقديره ٥ لأشباحكم التى تنشأ عنها[4] الأخلاق إن كان منكم بابداعه لصفاتكم كما أبدع لذواتكم ﴿كافر﴾ أى عريق فى صفة الكفر مهلك نفسه بما هيأه لاكتسابه و يسره له بعد ما خلقه فى أحسن تقويم على الفطرة [الأولى -[5]] ، و فى الحديث أن الغلام الذى قتله الخضر عليه السلام طبع كافرا بمعنى أن فطرته الأولى خلقت مهيأة للكفر[6] ، / فان الأفعال ٣٦٥/ ١٠ عامة [و -[5]] خاصة ، فالخاصة تضاف [7]إلى العبد[7] يقال : صلى و صام[8] و آمن و كفر ، و العامة تضاف إلى الله تعالى فيقال : أوجد القدرة على الحركة [و السكون و خلق الحركة و السكون -[5]] ، و الأفعال الخاصة متعلق الأمر و النهى ﴿و منكم مؤمن[9]﴾ أى راسخ فى الإيمان فى حكم الله تعالى فى الأزل منج نفسه بالأعمال الصالحة التى طابق بها العلم الأزلى ، فهو سبحانه خلق ١٥ الكافر و خلق كفره فعلا له ، و المؤمن و إيمانه[9] فعلا له ، لأنه خلق القدرة

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عالما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قادرا .
(٣) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : منها (٥) زيد من م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : لكفر .
(٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : للعبد (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : مسلم .
(٩) من م ، و فى الأصل و ظ : الايمان .

و الاختيار و غيب امر العاقبة[1]، فكل منهما يكتب باختياره بتقدير الله ، و لا يوجد من كل منهما إلا ما قدره عليه و أراده منه لأن وجود غير المقدور عجز ، و خلاف المراد المعلوم جهل ، و قد علم من هذه القسمة علما قطعيا أن أحد القسمين مبطل ضال مخالف لأمر الملك الذى ثبت ملكه ، و من المعلوم قطعا أن كل ملك لابد له أن يحكم بين رعيته فى [الأمر -[2]] الذى اختلفوا فيه و ينصف المظلوم من ظالمه ، و من المشاهد أن بعضهم يموت على كفرانه من غير نقص يلحقه ، و بعضهم على إيمانه كذلك ، فعلم أن هذه الدار ليست دار الفصل ، و أن الدار المعدة له إنما هى بعد الموت و البعث ، و هذا مما هو مركوز فى الطبائع لايجهله أحد ، و لكن الخلق أعرضوا عنه بما هم[3] فيه[4] من القواطع ، فصار مما لايخطر بانكارهم ، فصار بحيث لا تستقل به عقولهم ، و لكنهم إذا ذكروا به و أوضحت لهم هذه القواطع التى أشار سبحانه إليها و جردوا النفس[5] عن الحظوظ و المرور مع الألف عدوه[6] كلهم من الضروريات ، و علم من تسبيبه تقسيمهم هذا عن تقديره وجوب [الإيمان -[7]] بالقدر خيره و شره[8] .

و لما كان التقدير : فالذى أبدعكم و حملكم على ذلك و فاوت بينكم

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : مصرين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م . و فى الأصل : عليه . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : انفسهم (٦) سقط من ظ (٧) زيد من م . (٨) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

على كل شيء قدير، عطف عليه قوله تعالى: ﴿ والله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة بفعله ذلك، و قدم الجار لا للتخصيص بل إشارة إلى مزيد الاعتناء كما تقول لمن سألك: هل تعرف كذا، و ظهر منه التوقف فى علمك له: نعم أعرفه و لا أعرف غيره، فقال: ﴿ بما تعملون ﴾ أى توقعون عمله كسبا ﴿ بصير ﴾ أى بالغ العلم بذلك، فهو الذى خلق جميع أعمالكم التى نسب كسبها إليكم، و هو خالق جميع الاستعدادات و الصفات كما خلق الذوات خلافا للقدرية لأنه لايتصور أن يخلق الخالق ما لايعلمه، و لوسئل الإنسان كم مشى فى يومه من خطوة لم يدر، فيكف لو سئل أين موضع مشيه و متى زمانه فكيف و أنه ليمشى أكثر مشيه و هو غافل عنه، و من جهل أفعاله كما وكيفا و أينا و غير ذلك لم يكن خالقا لها بوجه.

و لما ذكر المظروف ذكر ظرفه دالا على / تمام إحاطته بالبواطن و الظواهر بأنه يخلق الشيء العظيم جدا[1] فيأتى على وفق الإرادة ثم لايحتاج إلى أن يزاد فيه و لا أن ينقص منه فقال: ﴿ خلق السمٰوٰت ﴾ التى هى السقف لبيت عبيد الملك على كبرها و علوها كما ترون ﴿ و الارض ﴾ التى هى قرار بيتهم و مهاده على سعتها و ما فيها من المرافق و المعاون ﴿ بالحق ﴾ أى بالأمر الذى يطابقه الواقع فلا زائدا عنه و لا ناقصا بل جاء الواقع منها[2] مطابقا لما أراد سواء [3]لا كما يريد أحدنا الشيء فاذا[3] أوجده

/ ٣٦٦

(١) زيد فى الأصل: فيتصرف، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ.

[1]أوجده لم يكن على وفق مراده سواء[1]. و بسبب إظهار الأمر الثابت و إبطال الباطل فهو خالق المسكنين : الدنيوى و الأخروى ، خلافا لمن لايقول بذلك من صابئ و فلسفى و غيرهم .

و لما كان أهل الطبائع يقولون : إن الأفلاك لها تأثير بحسب الذات و الطبع ، قال نافيا لذلك مذكرا بنعمته لتشكر : ﴿ و صوركم ﴾ ٥ أى أيها المخاطبون على صور لا توافق[2] شيئا من صور العلويات و لا السفليات و لا فيها [3]صورة توافق[3] الأخرى من كل وجه ﴿ فاحسن صوركم ج ﴾ فجعلها أحسن صور الحيوانات كلها كما هو مشاهد فى الدنيا و كذا فى الآخرة خلافا لأهل التناسخ مع أن وضعها فى نفسها أحسن الأوضاع ، لو غير شىء منها عن مكانه[4] إلى شىء مما نعلمه فحصلت البشاعة[5] به مع تفضيل الآدمى بتزيينه ١٠ بصفوة أوصاف الكائنات و جعل سبحانه أعضاء متصرفة بكل ما يتصرف به أعضاء سائر الحيوان مع زيادات اختص بها الآدمى إلى حسن[6] الوجه و جمال الجوارح ، فهو أحسن بالنسبة إلى النوع من حيث هو هو ، و بالنسبة إلى الأفراد فى نفس الأمر و إن كان بعضها أحسن من بعض ، فقبح القبيح منه إنما هو بالنسبة إلى أحسن منه ، و لذا قال الحكماء ، شيئان لاغاية ١٥ لهما[7]: الجمال و البيان ، فخلق الانسان فى أحسن تقويم لاينفى أن يكون

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : لا تخالف.
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : صور تشبهه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مكانها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الشفاعة (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : احسن (٧) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م .

للنوع الذى جعل أحسن أفراد أنواع لما فوقه من الجنس، لا نهاية لاحسنية بعضها بالنسبة [إلى بعض -[1]] يشاهد ما وجد من أفراد نوع من الذوات فقدرة الله لاتتناهى، فاياك أن تصغى لما وقع فى كتب الإمام الغزالى أنه ليس فى الإمكان أبدع مما كان، و إن كان قد علم أنه اعترض عليه فى ذلك [2]و أجاب[2] عنه فى الكتاب الذى أجاب فيه عن[3] أشياء اعترض عليه فيها فانه لاعبرة بذلك الجواب أيضا، فان ذلك ينحل إلى أنه سبحانه و تعالى لايقدر على أن يخلق أحسن من هذا العالم، و هذا لايقوله أحد، و هو لاينقص مقدار الغزالى فان كل أحد يؤخذ من كلامه و يرد كما قال الإمام مالك رضى الله عنه، و عزاه الغزالى نفسه إلى ابن عباس رضى الله عنهما، و قال الإمام الشافعى / رضى الله عنه و أرضاه: صنفت هذه الكتب و ما ألوت فيها جهدا و إنى لأعلم أن فيها الخطأ لأن الله تعالى يقول "و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا".

٣٦٧ /

و لما كان التقدير: فكان منه سبحانه المبدأ، عطف عليه قوله: ﴿ و اليه ﴾ أى وحده ﴿ المصير ٥ ﴾ أى بعد البعث بعين القدرة التى قدر بها على البدأة. فمن كان[3] على الفطرة الأولى لم يغيرها أدخله الجنة، و من كان قد أفسدها فجعل روحه نفسا بما طبعها به من حيث جسده أدخله

(١) زيد من م (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: فافهم فاجاب (٣) من ظ و م، و فى الأصل: من (٤) زيد فى الأصل: فيها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

النار، و فى الدنيا أيضا بانفراده بالتدبير، فلا يكون من الملك و السوقة إلا ما يريد، [لاما يريد -[1]] ذلك المريد الفاعل.

و لما تقرر بما مضى إحاطة قدرته بما دل على ذلك من إبداعه للخلق على هذا الوجه المحكم و شهد البرهان القاطع بان ذلك صنعه وحده، لافعل[2] فيه لطبيعة و لا غيرها، دل على أن [3]ذلك بسبب شمول ٥ علمه إشارة إلى أن من لم يكن تام العلم فهو ناقص القدرة فقال: ﴿يعلم﴾ أى علمه[3] حاصل فى الماضى و الحال و المآل يتعلق بالمعلومات على حسب تعليق قدرته على وفق إرادته بوجدانها ﴿ما﴾ أى الذى أو كل شىء ﴿فى السمٰوٰت﴾ كلها.

و لما كان الكلام بعد قيام الدليل القطعى البديهى[4] على جميع أصول ١٠ الدين مع الخلص لأن بداهة الأدلة قادتهم إلى الاعتقاد أو إلى[5] حال صاروا فيه أهلا للاعتقاد، و التحلى بحلية اهل السداد، و لم يؤكد[6] باعادة الموصول بل قال: ﴿و الارض﴾ و لما ذكر حال الظرف على وجه يشمل[7] المظروف، و كان الاطلاع على أحوال العقلاء أصعب، قال مؤكدا باعادة العامل: ﴿و يعلم﴾ أى على سبيل الاستمرار ﴿ما تسرون﴾ ١٥

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: صنع (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد فى الأصل و ظ: الذى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها. (٥) زيد فى الأصل و ظ: حاصل، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) من م، و فى الأصل و ظ: لم يكد (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يشتمل.

أي[1] حال الانفراد و حال الخصوصية مع بعض الإفراد . و لما كانت لدقتها و انتشارها بحيث ينكر بعض الضعفاء الإحاطة بها ، وكان الإعلان ربما خفي لكثرة لغط و اختلاط[2] أصوات و نحو ذلك أكد فقال: ﴿ و ما تعلنون[4] ﴾ من الكليات و الجزئيات خلافا لمن يقول: يعلم الكليات [فقط -[3]] و [لا يعلم -[3]] الجزئيات [إلا بعد وجودها ، من فلسفي و غيره ، و لمن يقول: يعلم الكليات -[3]] خاصة . و لما ذكر حال المظروف على وجه يشمل ظروفه و هي الصدور ، و كان أمرها أعجب من أمر غيرها ، قال مصرحا بها إشارة إلى دقة أمرها مظهرا موضع [الإضمار -[3]] تعظيما : ﴿ و الله ﴾ أي الذي له الإحاطة التامة لكل كمال ﴿ عليم ﴾ أي بالغ العلم ﴿ بذات ﴾ أي صاحبة ﴿ الصدور * ﴾ من الأسرار و الخواطر التي لم تبرز إلى الخارج سواء كان صاحب الصدر قد علمها أو لا ، و علمه [4]لكل ذلك[4] على حد سواء لا تفاوت فيه بين علم الخفي و علم الجلي ، لأن نسبة المقتضى لعلمه و هو وجود ذاته على ما هي عليه من صفات الكمال إلى الكل على حد سواء ، فراقبوه في الإخلاص و غيره مراقبة من يعلم / أنه بعينه لا يغيب عنه و احذروا[5] أن يخالف السر العلانية ، فان حقه أن يتقى و يحذر ، و تكرير العلم في معنى

٣٦٨ /

(١) زيد في الأصل : على ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) من م ، و في الأصل و ظ : اختلاف (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م ، و في الأصل و ظ : لذلك (٥) من ظ و م ، و في الأصل : احذر .

تكرير الوعيد و تقديم تقرير القدرة على تقريره[1] لأن دلالة المخلوقات على قدرته أولا و بالذات ، و كمال قدرته يستلزم كمال علمه لأن من لا يكمل علمه لا تتم قدرته ، فلا يأتى مصنوعه محكما .

و لما تقرر الإيمان به من أنه الملك الذى له وحده الملك ، و أشار بما يشاهد من انقسام عبيده إلى مؤمن وكافر إلى أنه لابد من الأخذ على يد الظالم منهما كما هى عادة الملوك ، لا يسوغ فى الحكمة و لا فى العادة غير ذلك ، و أخبر أن علمه محيط لنسبته إلى العلويات و السفليات و[2] الظواهر و البواطن على حد سواء ، أتبع ذلك وجوب الإيمان برسله لجمع الكلمة عليه سبحانه لتكمل الحياة باصلاح ذات البين لئلا يقع الخلاف فتفسد الحياة و وجوب الاعتبار لمن مضى من أممهم ، فمن لم يعتبر عثر فى مهواه من الأمل ، و دل عليه باهلاكه من خالفهم إهلاكا منسقا فى خرقه للعادة[3] و خصوصه لهم على وجه مقرر[4] ما مضى من انفراده بالملك معلم أن الكفرة هم المبطلون فقال : ﴿ الم يأتكم ﴾ أى أيها الناس ولاسيما الكفار لتعلموا أنه شامل العلم محيط القدرة ينتقم من / المسىء ﴿ نبؤا الذين ﴾ و عبر بما يشمل[5] شديد الكفر و ضعيفه فقال : ﴿ كفروا ﴾ أى خبرهم العظيم . و لما كان المهلكون على ذلك الوجه بعض الكفار و هم الذين أرسل إليهم الرسل ، فلم يستغرقوا ما مضى من الزمان قال : ﴿ من قبل ﴾

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : تقديره (٢) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : من العادة .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مقدر (٥) من م ، وفى الأصل وظ : يشتمل .

كالقرون المذكورين فى الأعراف، ثم سبب عن كفرهم وعقب قوله: ﴿ فذاقوا ﴾ أى باشروا مباشرة الذائق بالعدل الثانى كما كان حكم عليهم بالعدل الأول بالتقسيم إلى كافر و مؤمن ﴿ وبال امرهم ﴾ أى شدة ما كانوا فيه مما يستحق أن يشاور فيه و يؤمر و ينهى و ثقله و وخامة ٥ مرعاه فى الدنيا، و أصله الثقل كيفما قلب ﴿ و لهم ﴾ أى مع ما ذاقوه بسببه فى الدنيا ﴿ عذاب اليم ٥ ﴾ فى البرزخ ثم القيامة التى هى موضع الفصل الأعظم .

و لما ذكر ما أحله بهم سبحانه و أشار إلى القطع بأنه من عنده باتساقه فى خرقه العوائد بالاستئصال و الخصوص لمن كذب الرسل ١٠ و التنجية لمن صدقهم، علله بقوله : ﴿ ذلك ﴾ اى الأمر الشنيع العظيم من الوبال الدال قطعا على أن الكفر أبطل الباطل و أنه مما يغضب الخالق . و لما لم يكن مقصودها كمقصود غافر من تصنيف الناس صنفين، و إنما حصل تصنيفهم هنا بالعرض للدلالة على الساعة اكتفى بضمير الشأن فقال : ﴿ بانه ﴾ أى بسبب أن الشأن العظيم البالغ فى الفظاعة ١٥ ﴿ كانت تاتيهم ﴾ على عادة مستمرة[1] ﴿ رسلهم ﴾ أى رسل الله الذين أرسلهم[2] إليهم و خصهم بهم ليكونوا موضع سرورهم بهم / ﴿ بالبينت ﴾ اى الأمور التى توضح غاية الإيضاح أنهم رسل الله من الكتب و غيرها، فشاهدوا الأمر من معدنه، فلذلك كان عذابهم أشد . /٣٦٩

(١-١) من ظ و م، و فى الاصل : عادتهم المستمرة (٢) زيد فى الأصل : الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و لما كان سبحانه و تعالى قد اودع[1] الإنسان من جملة ما منحه به خاصة لطيفة و هى العزة و حب الكبر و العلو ، فمن وضعها موضعها [بالتكبر -[2]] على من أمر الله بالتكبر عليه و هم[3] شياطين الأنس والجن عن عصاه سبحانه نجا ، و من وضعها فى غير موضعها بالتكبر على أولياء الله رب العزة هلك ، بين تعالى أن الكفار وضعوها فى غير موضعها : ﴿ فقالوآ ﴾ أى الكل لرسلهم منكرين غاية الإنكار تكبرا : ﴿ ابشر ﴾ أى هذا الجنس و هو مرفوع على الفاعلية لأن الاستفهام يطلب الفعل ، و لما كان تكذيب الجمع أعظم ، وكان لو أفرد الضمير لم يكن له روعة الجمع قال : ﴿ يهدوننا ﴾ فأنكروا على الملك الأعظم إرساله لهم ﴿ فكفروا ﴾ بذلك عقب مجىء الرسل و بسببه من غير نظر و تفكر و أدنى تأمل و تبصر حسدا للرسل لكونهم مساوين لهم فى البشرية فاستبعدوا أن يخصوا من بينهم بأمر و لا سيما إن كان عظيما جدا ، فلزمهم ارتكاب أقبح الأمور و هو استبعاد أن يكون النبى بشرا مع الإقرار بأن[4] يكون الإله حجرا ﴿ و تولوا ﴾ أى كلفوا أنفسهم خلاف ما تدعو إليه الفطرة الأولى من الإعراض عن الرسل بعد إنكار رسالتهم لشبهة قامت عندهم ، و ذلك أنهم قالوا : إن الله عظيم لا يشبه البشر فينبغى أن يكون رسله من غير البشر ، و لو تأملوا حق التأمل لعلموا أن هذا

(١) من م ، و فى الاصل وظ : اوع (٢) زيد من م (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : هو (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الشى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ان .

هكذا، و أن الرسل إنما هى ملائكة ، لكن لما كان لايقوى جميع البشر على رؤية الملائكة كما هو مقتضى العظمة التى توهموها و لم يثبتوها على وجهها ، خص سبحانه من البشر ناسا و هم الأنبياء عليهم الصلاة و السلام بقوى زائدة طوقهم بها على معالجتهم ، فأتوا إليهم ليكونوا واسطة بين الله و بين خلقه لأن بعض الجنس أميل إلى بعض و أقبل .

و لما كان هذا كله إنما هو لمصالح الخلق لايعود على الله سبحانه و تعالى و عز شانه نفع من وجوده و لا يلحقه ضرر من عدمه و لا بالعكس ، نبه على ذلك بقوله : ﴿ و استغنى الله[1] ﴾ أى فعل الملك الأعظم [الذى -[1]] لا أمر[2] لأحد معه فعل من يطلب الغنى عنهم و أوجده إيجادا عظيما عن هداه لاتباع الرسل فأعرض عنهم حين أعرضوا عن رسله فضرهم إعراضه [عنهم -[3]] و لم يضره إعراضهم و ما ضروا إلا أنفسهم و أطلق الاستغناء ليعم كل شىء .

و لما كان التعبير بذلك قد يوهم حدوث ما لم يكن له ، نفى ذلك بقوله مظهرا[4] زيادة فى العظمة[4] / : ﴿ و الله ﴾ أى المستجمع لصفات الكمال / ٣٧٠ من غير تقيد بحيثية ﴿ غنى ﴾ [5]عن الخلق جميعا[5] ﴿ حميد ﴾ له صفة الغنى المطلق و الحمد الأبلغ الذى هو الإحاطة بجميع أوصاف الكمال

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فعل (٣) زيد من م .
(٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : للعظمة (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

على

على الدوام أزلا و أبدا، لم يتجدد له شيء لم يكن .

و لما قرر وجوب الإيمان به و برسله و كتبه و بالقدر [1]خيره و شره[1]، و قسم الناس إلى مؤمن و كافر، و أخبر أن الكافر تكبر عن الرسل، عين الموجب الأعظم لكفرهم بقوله دالا على وجوب الإيمان بالبعث و ترك القياس و الرأى فان عقل الإنسان لايستقل ببعض أمور الالهية، معبرا بما أكثر إطلاقه [2]على ما[2] يشك فيه و يطلق على الباطل إشارة إلى أنهم شاكون و إن كانوا جازمين، لكونهم لا دليل لهم، و إلى أنهم فى نفس الأمر مبطلون: ﴿ زعم ﴾ قال ابن عمر رضى الله عنهما: هى كنية الكذب[3]، و فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه عند أبى داود[4]: بئس مطية الرجل زعموا ﴿ الذين كفروآ ﴾ أى أوقعوا الستر لما دلت عليه العقول من وحدانية الله تعالى و لو على أدنى الوجوه .

و لما كان الزعم ادعاء العلم و كان مما يتعدى إلى مفعولين، أقام سبحانه مقامهما قوله: ﴿ ان لن يبعثوا[5] ﴾ [أى من باعث ما بوجه من الوجوه . و لما كان قد أشار سبحانه بنوعى المؤمن و الكافر إلى الدليل القطعى الضرورى على وجود المبطل اللازم منه ودعه اللازم منه وجوب البعث، اكتفى فى الأمر باجابتهم بقوله -[5]]: ﴿قل ﴾ أى لهم: ﴿بلى﴾ أى لتبعثن، ثم أكده بصريح القسم فقال: ﴿ و ربى ﴾ أى المحسن إلىّ

(١-١) فى م: كله و ما بين الرقمين ساقط من ظ (٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ: بما (٣) أخرجه ابن أبى شيبة فى كتاب الأدب (٤) راجع كتاب الأدب و أخرجه ابن المبارك فى الزهد ص: (١٢٧) (٥) زيد من ظ و م .

بالانتقام ممن كذب بى، و باحقاق كل حق أميت، و إبطال كل باطل أقيم ﴿ لتبعثن ﴾ مشيرا ببنائه للمفعول إلى أنه و يكون على وجه القهر لهم بأهون شىء و أيسر أمر و كذلك[1] قوله : ﴿ ثم لتنبئون ﴾ أى لتخبرن[2] حتما إخبارا عظيما ممن يقيمه الله لإخباركم ﴿ بما عملتم[3] ﴾ للدينونه عليه .

٥ و شرح بعض ما أفاده بناء الفعلين للمجهول بقوله : ﴿ و ذلك ﴾ أى الأمر العظيم عندكم من البعث و الحساب ﴿ على الله ﴾ أى المحيط بصفات الكمال / وحده ﴿ يسير ﴾ لقبول المادة و حصول القدرة، و كون قدرته سبحانه كذلك شأنها، نسبة الأشياء الممكنة كلها جليلها و حقيرها إليها على حد سواء . / ٣٧١

١٠ و لما كان فى رد قولهم على هذا الوجه مع الإقسام من غير استدلال إشارة إلى تأمل الكلام السابق بما اشتمل عليه من الأدلة التى منها ذلك البرهان البديهى، سبب عنه قوله فذلكة[4] لما مضى من الأدلة و جمعا لحديث جبريل عليه الصلاة و السلام فى الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و القدر خيره و شره و الإسلام و الإحسان :

١٥ ﴿ فآمنوا بالله ﴾ أى الذى لا أظهر من أن له الإحاطة الكاملة بكل شىء و أنه لا كفؤ له و لا راد لأمره . و لما دعاه هذا إلى الإيمان به سبحانه عقلا و نقلا ذكرا و فكرا، ثنى بالإيمان بالرسل من الملائكة و البشر فقال : ﴿ و رسوله ﴾ أى كل من أرسله [و -] لاسيما محمد صلى الله

(١) من ظ و م، و فى الأصل : كذا (٢) من ظ و م، و فى الاصل : تخبرون (٣) من ظ و م . و فى الأصل : فلذلك هو (٤) زيد من ظ و م .

عليه وسلم بما ثبت من / تصديقه بالمعجزات من أنه رسوله، و يلزم من ٣٧١ /
الإيمان به الإيمان بمن أبلغه من الملائكة . و لما كانت تلك المعجزات
موجبات للعلم كانت أحق الأشياء باسم النور فان النور هو المظهر للأشياء
بعد انحجابها برداء الظلام[1] و كان أعظم تلك المعجزات و أحقها بذلك
كتب الله المنزلة على أنبيائه عليهم الصلاة و السلام، و أعظمها القرآن ٥
الذى هو مع إعجازه بيان لكل شيء، قال: ﴿و النور﴾ و عينه بقوله:
﴿الذى أنزلنا[2]﴾ أى بما لنا من العظمة فكان معجزا فكان باعجازه[3]
ظاهرا بنفسه مظهرا لغيره، و هذا و إن كان [هو -[3]] الواقع لكن
ذكر هذا الوصف صالح لشمول كل ما أوحاه الله سبحانه و تعالى إلى
رسله صلى الله عليهم و سلم، و من المعلوم أن أعظمه القرآن المنزل على أشرف ١٠
رسله صلى الله عليه و عليهم أجمعين، فهو أحق ذلك باسم النور لما مضى
من إعجازه، فمن آمن[4] به أدخل الله قلبه من أنوار الفهوم و الألطاف
و السكينة ما يضيء الأقطار .

و لما كان التقدير: و الله محاسبكم على ما قابلتم[5] به إنعامه عليكم
بذلك[6] من إيمان و كفران، عطف عليه مرغبا مرهبا قوله: ﴿و الله﴾ ١٥
أى المحيط علما و قدرة، و قدم الجار لما تقدم غير مرة من مزيد التأكيد
فقال: ﴿بما تعملون﴾ أى توقعون عمله فى وقت من الأوقات

(١) من ظ و م، و فى الأصل: المظالم (٢) من م، و فى الأصل و ظ: إعجازه (٣) زيد من م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: من (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قبلتم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لذلك .

﴿ خبير ﴾ أى بالغ العلم بباطنه و ظاهره .

ولما أخبر بالبعث و أقسم عليه ، و أشار إلى دليله السابق ، و سبب عنه ما ينجى فى يومه ، ذكر يومه و ما يكون فيه ليحذر[1] فقال متبعا ما مضى من دعائم الإيمان دعامة اليوم الآخر واعظا[2] لمن يقول : يا ليت شعرى ما حالى بعد ترحالى ؟ و قامعا لمن يقول : لاحال بعد الترحال ، بالإعلام بانها أحوال أى أحوال ، تشيب[3] الأطفال ، و تقصم ظهور الرجال ، بل تهد شم الجبال : ﴿ يوم ﴾ أى تبعثون فى يوم ﴿ يجمعكم ﴾ أى أيها الثقلان . و لما كان الوقت المؤرخ به فعل من الأفعال إنما يذكر لأجل ما وقع فيه ، صار كأنه علة لذلك الفعل فقال تعالى : ﴿ليوم الجمع﴾ لأجل ما يقع فى ذلك [اليوم - [4]] الذى يجمع فيه أهل السماوات و أهل الأرض من الحساب و الجزاء الذى يكون فوزا لناس فيكونون غابنين ، و يكون خيبة لناس فيكونون مغبونين ، و كل منهم يطلب أن يكون غابنا .

و لما كان هذا المقصد أمرا عظيما مقطعا ذكره الأكباد ، قال تعالى مشيرا إلى هوله بأداة البعد مستأنفا : ﴿ ذلك ﴾ أى اليوم العظيم المكانة الجليل الأوصاف ﴿ يوم التغابن[1] ﴾ الذى لا تغابن فى الحقيقة غيره لعظمه و دوامه ، و الغبن : ظهور النقصان / للحظ الناشئ عن خفاء لأنه يجمع /٣٧٢

(١) زيد فى الأصل : السامع ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) فى ظ : وعظا (٣) زيد فى الأصل وظ : لها ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها .
(٤) زيد من ظ و م .

فيه الأولون و الآخرون و سائر الخلق أجمعون، و يكون فيه السمع و الإبصار على غاية لا توصف بحيث أن جميع ما [يقع -[1]] فيه [يمكن -[2]] أن يطلع عليه كل أحد من أهل ذلك الجمع، فاذا فضح أحد افتضح عند الكل، و ما من عبد يدخل الجنة إلا أرى مقعده من[3] النار لو أساء ليزداد[4] شكرا، و ما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد[5] حسرة فيغبن كل كافر بتركه[6] الإيمان و كل مؤمن بتقصيره[7] فى الإحسان، و مادة "غبن" تدور على الخفاء من مغابن الجسد و هى ما يخفى عن العين، و سمى الغبن فى البيع - لخفائه عن صاحبه، فالكافر و الظالم يظن أنه غبن المؤمن بنعيم الدنيا الذى استأثر به الكافر، و بالنقص الذى أدخله الظالم على المظلوم، و قد غبنهما المؤمن و المظلوم على الحقيقة بنعيم الآخرة و كمال جزائها العظيم الدائم، فالغبن فيه لا يشبهه غبن، فقد بعث ذكر هذا اليوم على هذا الوجه على التقوى أتم بعث، و هى الحاملة على اتباع الأوامر و اجتناب النواهى لئلا يحصل الغبن بفوات النعيم أو نقصانه، و يحصل بعده للكافر[7] العذاب الأليم.

و لما كان كل أحد يحسب أن يكون فى النور، و يكره أن يكون فى الظلام، و يحب أن يكون غابنا، و يكره أن يكون مغبونا، أرشدت

(١) زيد من ظ (٢) زيد من م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: فى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فيزداد (٥) من م، و فى الأصل و ظ: لتركه (٦) من م، و فى الأصل و ظ: لتقصيره (٧) زيد فى الأصل و ظ: من، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها.

سوابق الكلام و لواحقه إلى أن التقدير : فمن آمن كان فى النور ، وكان فى ذلك اليوم رجحان ميزانه من[1] الغابنين ، و من كفر كان فى الظلام ، وكان فى ذلك اليوم بنقصان ميزانه من المغبونين ، فعطف[2] عليه قوله بيانا لآثار ذلك الغبن ، و تفضيلا له باصلاح الحامل على التقوى و هو ٥ أمور منها القوة العلمية : ﴿ و من يؤمن ﴾ أى يوقع الإيمان و يجدده على سبيل الاستمرار ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفؤ له . و لما ذكر الرأس و هو إصلاح القوة العلمية ، أتبعه البدن و هو إصلاح القوة العملية فقال : ﴿ و يعمل ﴾ تصديقا لإيمانه ﴿ صالحا ﴾ أى عملا هو مما ينبغى الاهتمام بتحصيله لأنه لامثل له [فى -[3]] جلب المنافع ١٠ و دفع المضار .

و لما كان الدين مع سهولته متينا لن يشاده أحد إلا غلبه ، قال حاملا على التقوى بالوعد بدفع المضار ، و لعله أفرد الضمير إشارة إلى أن زمان التكفير و الدخول متفاوت بحسب طول الحساب و قصره ، كلما[4] فرغ واحد من الحساب دخل الجنة إن كان من أهلها : ﴿ يكفر ﴾ ١٥ أى الله - على قراءة الجماعة بأن يستر سترا عظيما ﴿ عنه[5] سيئاته ﴾ التى غلبه عليها نقصان الطبع ، و أتبع ذلك الحامل الآخر و هو الترجئة يجلب المسار لأن الإنسان / يطير إلى ربه سبحانه بجناحى الخوف و الرجاء ٣٧٣ /

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : بطف.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كما (٥) وقع فى الأصل قبل « سترا عظيما » و الترتيب من ظ و م .

و الرهبة [و الرغبة - [1]] و النذارة و البشارة فقال: ﴿ و يدخله ﴾ أى رحمة له و إكراما [و فضلا - [1]] ﴿ جنّت ﴾ أى بساتين ذات أشجار عظيمة و أغصان ظليلة تستر داخلها، و رياض مديدة منوعة الأزاهير[2] عطرة النشر تبهج رائيها، و أشار إلى دوام ريها بقوله: ﴿ تجرى ﴾ و لما كان عموم الماء لجميع الأرض [غير - [1]] ممدوح، بين أنه فى خلالها على [أحسن - [1]] الأحوال فقال: ﴿ من تحتها ﴾ و بين عظمه بقوله: ﴿ الانهر ﴾ و لما كان النزوح[3] أو توقعه عن مثل هذا محزنا، أزال توقع ذلك بقوله جامعا لئلا يظن الخلود لواحد بعينه تصريحا بأن من معناها الجمع و أن كل من تناوله مستوون فى الخلود: ﴿ خلدين فيها ﴾ و أكد بقوله[4]: ﴿ ابدا ﴾ و التقدير[5] على قراءة نافع و ابن عامر[6] بالنون: نفعل التكفير[7] و الإدخال إلى هذا النعيم بما لنا من العظمة فانه لا يقدر على إسعاد من شاء و إشقاء من شاء إلا الله سبحانه، و لا تكون هذه القدرة تامة إلا لمن كان عظيما لا راد لأمره أصلا.

و لما كان هذا أمرا باهرا جالبا بنعيمه سرور القالب، أشار إلى عظمته بما يجلب سرور القلب بقوله: ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى جدا من الغفران و الإكرام، لا غيره ﴿ الفوز العظيم ﴾ لأنه جامع لجميع

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الازهار (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الروج (٤) من م، و فى الأصل: ظ: قوله (٥) زيد فى الأصل و ظ: بقوله، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) راجع نثر المرجان ٧ / ٣٧١ - ٣٧٢ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: التفكير.

المصالح[1] مع دفع المضار و جلب المسار .

و لما ذكر الفائز بلزومه التقوى ترغيبا ، أتبعه الخائب بسبب إفساد[2] القوتين الحاملتين على التقوى: العلمية و العملية ترهيبا ، فقال بادئا بالعلمية : ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى غطوا أدلة[3] ذلك اليوم فكانوا[4] فى الظلام .

٥ و لما ذكر إفسادهم القوة العلمية ، أتبعه العملية فقال: ﴿ و كذبوا ﴾ أى أوقعوا جميع التغطية و جميع التكذيب[5] ﴿بآيٰتنآ﴾ بسببها مع ما لها من العظمة باضافتها إلينا ، فلم يعملوا شيئا .

و لما بين إفسادهم للقوتين[6] ، توعدهم بالمضار[7] ، فقال معريا من الفاء فى جانبي الأشقياء و السعداء طرحا للاسباب ، لأن نظر هذه السورة إلى

١٠ الجبلات التى لامدخل فيها لغيره أكثر بقوله " هو الذى خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن " فان ذلك أجدر بالخوف منه ليكون أجدر بالبعد عما يدل على الجبلة الفاسدة من الأعمال السيئة : ﴿اولٰئك﴾ أى البعداء البغضاء ﴿اصحٰب النار﴾ و لما كان السجن إذا رجى الخلاص منه قلل من خوف داخله ، و كان التعبير بالصحبة مشعرا بالدوام المقطع للقلوب

١٥ لأنه مؤيس من الخلاص ، أكده بقوله : ﴿ خٰلدين فيها[8] ﴾ و زاد فى

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : المصلح (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فساد (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : أو (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فكان (٥) زيد فى الأصل : بانواعه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٦) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بالمصادر .

الإرهاب منها[1] بقوله [مشيرا -[2]] إلى مضار القلب[3] بعد ذكر مضار القالب: ﴿و بئس المصير﴾ أى جمعت المذام [كلها -[2]] الصيرورة إليها و بقعتها التى للصيرورة إليها، فكيف بكونها[4] على وجه الإقامة زمنا طويلا فكيف إذا كان على وجه الخلود .

و لما كان من تعرفه من المرغبين و المرهبين لايفعل ذلك / إلا فيما ٥ / ٣٧٤ ليس[5] قادرا على حفظه و ضبطه حتى لايحتاج العامل فى عمل ذلك إلى رقيب يحفظه و وكيل يلزمه ذلك العمل و يضبطه، و كان قول المنافقين المتقدم فى الإنفاق و الإخراج من المصائب، و كانت المصائب تطيب إذا كانت من الحبيب، قال جوابا لمن يتوهم عدم القدرة متمما ما مضى من خلال[6] الأعمال بالإيمان بالقدر خيره و شره، مرغبا فى التسليم مرهبا ١٠ من الجزع قاصرا الفعل ليعم كل مفعول: ﴿ ما اصاب ﴾ أى أحدا يمكن المصائب أن تتوجه إليه، و ذكر الفعل إشارة إلى القوة، و أعرق فى النفى بقوله: ﴿من مصيبة﴾ أىّ مصيبة كانت [7]دينية أو دنيوية[7] من كفر أو غيره ﴿الا باذن الله[8] ﴾ أى بتقدير الملك الأعظم و تمكينه، فلا ينبغى لمؤمن أن يعوقه شيء من ذلك عن التقوى النافعة فى يوم التغابن . ١٥

و لما تسبب[8] عن ذلك ما تقديره: فمن يكفر بالله بتقديره عليه

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: القلوب (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بها (٥) زيد فى الأصل: عليه أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اخلال (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: دنيوية أو دينية (٨) من ظ و م، و فى الاصل: سبب .

الكفر يغو قلبه و يزده ضلالا فيفعل ما يتوغل[1] به فى المصيبة حتى تصير مصائب عدة فتهلكه ، عطف عليه قوله باعثا على أول ركنى الإسلام و هو إصلاح القوة العلمية : ﴿ و من يؤمن بالله ﴾ أى يوجد الإيمان فى وقت من الأوقات و يجدده بشهادة أن لا إله إلا الله و[2] أن محمدا رسول الله

٥ بسبب الملك الأعظم و تقديره و إذنه ﴿ يهد قلبه[3] ﴾ أى يزده هداية بما يجدده[4] له من التوفيق فى كل وقت حتى يرسخ إيمانه فتنزاح عنه كل مصيبة . فانه يتذكر أنها من الله و أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، و ما أخطأه لم يكن ليصيبه فيسلم بقضائه فيصبر له و يفعل و يقول ما أمر الله به و رسوله فيخف عليه ، و لا يعوقه عن شىء من المنجيات فى[4] يوم التغابن ،

١٠ [5]بل يحصل[5] له بسببها عدة أرباح و فوائد ، فتكون حياته[6] طيبة بالعافية الشاملة فى الدينيات و الكونيات لأن بالعافية فى الكونيات[7] تطيب الحياة فى [الدنيا ، و بالعافية فى الدينيات تطيب الحياة فى -[8]] الآخرة فتكون العيشة راضية ، و ذلك[9] بأن يصير عمله كله صوابا فى سرائه و ضرائه فيترك كل فاحشة دينية ظاهرة بدنية و باطنة قلبية و يترك الهلع فى

١٥ المصائب الكونية كالخوف و الجوع و نقص الأموال و الأنفس و الثمرات

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يتوعد (٢) زيد فى الأصل : اشهد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : يجدد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : المحبات (٥ - ٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ليحصل .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : حياة (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الكون .
(٨) زيد من م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : بذلك .

و ذلك لأنه بصلاح القلب ينصلح البدن كله .

و لما كان التقدير تعليلا لذلك : فالله على كل شيء قدير [فهو -[1]] لايدع شيئا يكون إلا باذنه . عطف عليه قوله : ﴿ و الله ﴾ أى الملك الذى لا نظير له ﴿ بكل شيء ﴾ مطلقا من غير مَثنوية ﴿ عليم ﴾ فاذا تحقق من هدى قلبه ذلك زاح كل اعتقاد باطل من كُفر أو بدعة ٥ أو صفة خبيثة . و لما كان التقدير : فاصبروا عند هجوم المصائب ، / عطف ٣٧٥ / عليه قوله تحذيرا من أن يشتغل بها [فتوقع فى الهلاك و تقطع عن أسباب النجاة دالا على تعلم أمور الدين من معاداتها -[2]] مشيرا إلى أن العبادة لاتقبل إلا بالاتباع لا بالابتداع : ﴿ و اطيعوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الأمر كله فافعلوا فى كل مصيبة و نائبة تنوبكم و قضية ١٠ تعروكم ما شرعه لكم . و أكد باعادة العامل إشارة إلى أن الوقوف عند الحدود ولا سيما عند المصائب فى غاية الصعوبة فقال : ﴿ و اطيعوا الرسول ج ﴾ أى الكامل فى الرسلية - صلى الله عليه و سلم - فانه المعصوم بما[3] خلق فيه من الاعتدال [و -[1]] ما زكى[4] به من[5] شق البطن و غسل القلب مرارا ، و ما[6] أيد به[6] من الوحى ، فما كانت الأفعال بإشارة العقل مع ١٥ الطاعة لله و المتابعة لرسوله صلى الله عليه و سلم فى كل إقدام و إحجام كانت معتدلة ، سواء كانت شهوانيـــة أو غضبية ، و متى لم تكن كذلك

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من ظ (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : مما.
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ربى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عن .
(٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اريد .

كانت منحرفة إلى أعلى و إلى أسفل فكانت[1] مذمومة، فان الله تعالى بلطف تدبيره ركب فى الإنسان قوة غضبية دافعة لما يهلكه و يؤذيه، و قوة شهوانية جالبة لما ينميه و يقويه، فاعتدال الغضبية شجاعة و نقصها جبن[2] و زيادتها[3] تهور، فالناس باعتبارها جبان و شجاع و متهور، و اعتدال الشهوانية عفة و نقصانها زهادة و زيادتها[4] شره، و الناس باعتبارها زهيد و عفيف و شره، و كلا طرفى قصد الأمور ذميم، و ميزان العدل متابعة الرسول صلى الله عليه و سلم فيما شرعه، فبذلك تنزاح الفتن الظاهرة و الباطنة، و لاطريق إلى الله إلا بما شرعه. و كل طريق لم يشرعه ضلال من الكفر إلى ما دونه، ثم سبب عن[5] أمره ذلك قوله معبرا بأداة الشك إشارة إلى البشارة بحفظ هذه الأمة من الردة و مشعرا[6] بأن بعضهم يقع منه ذلك ثم يقرب رجوعه أو هلاكه: ﴿ فان توليتم ﴾ أى كلفتم أنفسكم عند ما تدعو إليه الفطرة الأولى من الإعراض عن هذا النور الأعظم و الميل إلى طرف من الأطراف المفهومة من طرفى[7] القصد فما على رسولنا شىء من توليكم ﴿ فانما على رسولنا ﴾ أضافه إليه على وجه العظمة تعظيما له و تهديدا لمن يتولى عنه[8] ﴿ البلغ المبين ﴾

(١) من ظ و م. و فى الأصل: كانت (٢) من ظ و م، و فى الأصل: خير. (٣) من م، و فى الأصل و ظ: زياداتها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: زيادة (٥) من م، و فى الأصل و ظ: على (٦) من ظ و م، و فى الأصل: مستعرا (٧) من ظ و م، و فى الاصل: اطراف (٨) من ظ و م، و فى الأصل و ظ: عليه.

أى

أى الظاهر فى نفسه المظهر لكل أحد أنه أوضح له غاية الإيضاح و لم يدع لبسا ، ليس إليه خلق الهداية فى القلوب .

و لما كان هذا موجعا[1] لإشعاره باعراضهم مع عدم الحيلة فى ردهم، عرف بأن ذلك إنما هو إليه و [أنه ـ[2]] القادر عليه فقال جوابا لمن كأنه قال : فما الحيلة فى أمرهم ـ مكملا لقسمى الدين بالاستعانة بعد بيان ٥ قسمه الآخر و هو العبادة : ﴿ الله ﴾ أى المحيط بجميع صفات الكمال ﴿ لآ اله الا هو[3] ﴾ / فهو القادر على الإقبال [بهم ـ[3]] و لا يقدر على ٢٧٦/ ذلك غيره ، فاليه اللجاء فى كل دفع و نفع و هو المستعان فى كل شأن فاياه فليرج فى هدايتهم المهتدون ﴿ و على الله ﴾ أى الذى له الأمر كله لا على غيره . و لما كان [مطلق ـ[4]] الإيمان هو التصديق بالله ١٠ باعتقاد أنه القادر على كل شىء فلا أمر لأحد معه و لا كفوء له فكيف بالرسوخ فيه ، نبه على [هذا ـ[2]] المقتضى[5] للربط بالفاء و التأكيد بلام الأمر فى قوله : ﴿ فليتوكل المؤمنون ﴾ أى يوجد التوكيل إيجادا هو فى غاية الظهور و الثبات العريقون فى هذا الوصف فى رد المتولى منهم إن حصل منهم تول و كذا فى كل مفقود فالعفة[6] ليست مختصة بالموجود ١٥ فكما أن قانون العدل فى الموجود الطاعة فقانون العدل فى المفقود التوكل و كذا فعل الصحابة رضى الله تعالى عنهم ، فكان لهم الحظ الأوفر فى كل

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : موجبا (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م.
(٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المتقضى ـ كذا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فالعلة .

توكل لاسيما حين ارتدت[1] العرب بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وكان أحقهم بهذا الوصف الصديق رضي الله تعالى عنه كما يعرف ذلك من ينظر الكتب المصنفة في السير وأخبار الردة لاسيما كتابي المسمى بالعدة في أخبار الردة .

٥ ولما كانت أوامر الدين تارة تكون باعتبار الأمر الديني من سائر الطاعات المحضة ، وتارة باعتبار الأمر التكويني وهو ما كان بواسطة مال أو أهل أو ولد، أتم سبحانه القسم الأول في الآيتين الماضيتين ، شرع في الأمر الثاني لأنه قد ينشأ عنه فتنة في الدين وقد ينشأ عنه فتنة في الدنيا ، ولما كانت الفتنة[2] بالإقبال عليه والإعراض عنه أعظم الفتن ، لأنها ١٠ تفرق بين المرء وزوجه وبين المرء وابنه وتذهل الخليل عن خليله - كما شوهد ذلك في بدء الإسلام ، وكان أعظم ذلك في الردة ، وكان قد تقدم النهي عن إلهاء الأموال والأولاد ، وكان النهي عن ذلك في الأولاد نهيا عنه في الأزواج بطريق الأولى . فلذلك اقتصر عليهم دون الأزواج ، وكان المأمور بالتوكل ربما رأى أن تسليم قياده لكل أحد لايقدح في التوكل ، ١٥ أشار إلى [أن -[3]] بناء هذه الدار على الأسباب مانع من ذلك فأمر بنحو « اعقلها وتوكل » « واحرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز » الحديث ، فقال جوابا عن ذلك لمن يحتاج إلى السؤال عن مثله مبينا للأوامر بالاعتبار للامتحان التكويني وإن كان أولى الناس ببذل الجهد في تأديبه وتقويمه وتهذيبه أقرب الأقارب وألصق الناس بالإنسان

(١) من ظ و م ، وفي الأصل : ارتد (٢) في م : فتنة (٣) زيد من م .

و هو كالعلة لآخر "المنافقون": ﴿ يا ايها الذين امنوآ ﴾ و لما كان الأزواج أقرب عداوة من الأولاد قدمهن، فقال مؤكدا لمن يستبعد ذلك: ﴿ ان من ازواجكم ﴾ و إن أظهرن / غاية المودة ﴿ و اولادكم ﴾ و إن أظهروا أيضا[1] غاية [2]الشفقة و[2] الحنان ﴿عدوا لكم﴾ أى لشغلهم لكم عن الدين أو[3] لغير ذلك من جمع المال و تحصيل الجاه لأجلهم و التهاون بالنهى عن المنكر فان الولد مجبنة و غير ذلك[4]، قال أبوحيان[5] رحمه الله تعالى: و لا أعدى على الرجل من زوجه و ولده إذا كانا عدوين و ذلك فى الدنيا و الآخرة، أما فى الدنيا فباذهاب ماله -[2] كما هو معروف[2]- و عرضه، و أما فى الآخرة فبما يسعى فى اكتسابه[6] من الحرام لأجلهم و بما يكسبانه منه بسبب جاهه. فالرجل من رأى ذلك نعمة من الله فجعله معينا[7] له على طاعته لا قاطعا و معوقا عما يرضيه بأن [يلتهى -[8]] بمحبته و عداوته و بغضه. و لما أخبر عن العداوة، عبر بما قد يفهم الواحد فقط تخفيفا، و لما أمر بالحذر [جمع إشارة إلى زيادة التحذير و الخوف من كل أحد و لوكان أقرب الأقرباء لأن الحزم سوء الظن كما رواه الطبرانى فى الأوسط، فسبب عن الإخبار بالعداوة الأمر بالحذر -[8]] فى قوله: ﴿ فاحذروهم[4] ﴾ أى بأن تتقوا الله فى كل أمرهم فتطلبوا فى

(١) سقط من ظ و م (٢-٢) سقط من ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٤) زيد فى الأصل و ظ: فافهم، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٥) فى البحر المحيط ٨/٢٧٩ (٦) من م و البحر، و فى الأصل و ظ: الاكتساب (٧) من ظ و م، و فى الأصل: معنا (٨) زيد من ظ و م.

السعى عليهم الكفاف من حله و تقتصروا عليه ، و لايحملنكم حبهم[1] على غير ذلك ، و ليشتد حذركم منهم بالعمل بما أمر الله حتى فى العدل بينهم لئلا يتمكنوا من أذاكم فيعظم بهم الخطب و يكون فاتنا لكم فى الدين إما بالردة - و العياذ بالله تعالى - أو بالشغل عن الطاعة أو بالإقحام فى المعصية و مخالفة السنة و الجماعة .

و لما كان قد يقع منهم ما يؤذى مع الحذر لأنه لايغنى من قدر أو مع الاستسلام ، و كان وكل المؤذى إلى الله أولى و أعظم فى الاستنصار ، قال مرشدا إلى ذلك : ﴿و ان تعفوا﴾ أى توقعوا المجاوزة عن ذنوبهم بعدم العقاب عليها فانه لافائده فى ذلك لأن من طبع على شىء لايرجع ، و إنما النافع الحذر الذى أرشد إليه سبحانه لئلا يكون سببا للو المنهى عنه .

و لما كان الرجوع عن الحظوظ صعبا جدا ، أكد سبحانه فقال : ﴿و تصفحوا﴾ أى بالإعراض عن المقابلة بالتثريب باللسان ﴿و تغفروا﴾ [أى -[2]] بأن تستروا ذنوبهم سترا [3]تاما شاملا[3] للعين و الأثر بالتجاوز بعد ترك العقاب عن العتاب ، فلا يكون منكم اشتغال بعداوتهم[4] و لا ما قد يجرها عما ينفع من الطاعة . و لما كان التقدير : يغفر الله لكم ، سبب عنه قوله : ﴿ فان الله ﴾ أى الجامع لصفات الكمال ﴿ غفور ﴾ أى بالغ

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : جهنم (٢) زيد من م (٣ - ٣) من م ، و فى الأصل و ظ : شاملا تاما (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بعداوة .

المحو [1]الأعيان الذنوب و آثارها[1] جزاء لكم على غفرانكم لهم و هو جدير بأن يصلحهم لكم بسبب غفرانكم لهم فانه ﴿ رحيم ٥ ﴾ يزيدكم بعد ذلك الستر الإكرام بالإنعام إن أكرمتموهم، فتخلقوا بأخلاقه سبحانه يزدكم[2] من فضله .

و لما[3] حكم على البعض ، كان كأنه قيل : فما حكم سائره؟ فكأن الحكم ٥ بذلك يلزم منه الحذر من الكل لكن للتصريح سر كبير فى ركون النفس إليه ، فقال حاصرا / الجميع ضاما إليهم المال الذى بـه قيام ذلك كله / ٣٧٨ و قدمه لأنه أعظم فتنة : ﴿ انما ﴾ و أسقط الجار لأن شيئا من ذلك لايخلو عن شغل القلب فقال : ﴿ اموالكم ﴾ أى عامة ﴿ و اولادكم ﴾ كذلك ﴿ فتنة[4] ﴾ أى اختبار يميل عن الله لكم و هو أعلم بما فى نفوسكم ١٠ منكم لكن ليظهر فى عالم الشهادة من يميله ذلك فيكون عليه نقمة ممن لا يميله فيكون له نعمة ، فربما رام الإنسان صلاح ماله و ولده فبالغ فأفسد نفسه ثم لايصلح ذلك ماله و لا ولده ، و ذلك [أنه -[4]] من شأنه أن يحمل على كسب الحرام [5]ومنع[5] الحق و الإيقاع فى الإثم ، روى عن أبى نعيم فى الحلية فى ترجمة سفيان[6] الثورى عنه أنه قال : يؤتى برجل ١٥ يوم القيامة فيقال له : أكل عياله حسانة . و يكفى فتنة المال [قصة[4] -]

(١-١) من ظ و م ، و فى الاصل : لآثار الذنوب و اعيانها (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : يزيد (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كما (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من م ، و فى الأصل و ظ : دمع (٦) من م ، و فى الأصل وظ : ابى سفيان .

ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيه قوله فتنة تعالى "و منهم من عاهد الله [1]لئن أتانا من فضله لنصدقن[1]" وكأنه سبحانه ترك ذكر الأزواج فى الفتنة لأن منهن من يكون صلاحا و عونا على الآخرة .

و لما كان التقدير : فنى الاحتراز من فتنهم[2] تعب كبير ، لايفوت به منهم إلا حظ يسير ، و كانت النفس عند ترك مشتهياتها و محبوباتها قد[3] تنفر ، عطف عليه مهونا له بالإشارة إلى كونه فانيا وقد وعد عليه بما لانسبة له منه مع بقائه قوله : ﴿و الله﴾ أى ذو الجلال ﴿عنده﴾ و ناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله و عظمه ﴿أجر﴾ و لم يكتف سبحانه بدلالة السياق على أن التنوين للتعظيم حتى وصفه بقوله : ﴿عظيم﴾ أى لمن ائتمر بأوامره التى إنما نفعها لصاحبها ، فلم يقدم على رضاه مالا و لا ولدا ، و ذلك الأجر أعظم من منفعتكم بأموالكم و أولادكم على وجه ينقص من الطاعة .

و لما كان التقدير : و عنده عذاب أليم لمن خالف ، سبب عنه قوله فذلكة أخرى لما تقدم من[4] السورة كلها : ﴿فاتقوا الله﴾ مظهرا غير مضمر تعظيما للمقام و احترازا من أن يتوهم نوع تقييد فأفهم الإظهار أن المعنى : اجعلوا بينكم و بين سخط الملك الأعلى وقاية من غير نظر إلى حيثية و لا خصوصية بشىء ما ، باجتناب نواهيه بعد امتثال أوامره ، فان التقوى إذا انفردت كان المراد بها فعل الأوامر و ترك المناهى ،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فنتهم.
(٤) من ظ و م : فقد (٣) من ظ و م ، و فى الاصل : فى .

و إذا جمعت مع غيرها أريد بها اجتناب [النواهى -[1]] فقط .

و لما كان الأمر إذا نسب إلـــيه سبحانه أعظم من مقالة قائل، فلا يستطيع أحد أن يقدره سبحانه حق قدره، خفف و يسر بقوله: ﴿ ما استطعتم ﴾ أى ما دمتم فى الجملة قادرين مستطيعين، و يتوجه عليكم التكليف فى العلميات و العمليات، و ابذلوا جهدكم فى ذلك فى الإيمانيات ٥ لما علمتم من ذاته و مرتبته و صفاته تعالى / و أفعاله، و غير ذلك من ٣٧٩ / جميع أعمالكم الظاهرة و الباطنة، و أعظمه الهجرة و الجهاد، فلا يمنعكم الإخلاد إليهم ذلك و التقوى فيما وقع من المكروهات بالندم و الإقلاع مع العزم على ترك العود، و فيما لم يقع بالاحتراس عن أسبابه، و بذل الإنسان جميع جهده هو الإتقاء حق التقاة [2]فلا نسخ[2] - و الله أعلم . ١٠

و لما كان إظهار الإسلام ليس فيه مشقة كالأعمال قال: ﴿ و اسمعوا ﴾ أى سماع إذعان و تسليم لما توعظون به و لجميع أوامره ﴿ و اطيعوا ﴾ أى و صدقوا ذلك الإذعان بمباشرة الأفعال الظاهرة فى الإسلاميات من القيام بأمر الله و الشفقة على خلق الله فى كل أمر و نهى على حسب الطاقة، و حذف المتعلق ليصدق الأمر بكل طاعة من[3] الكل و البعض ١٥ و كذا فى الإنفاق . و لما كان الإنفاق شديدا أكد أمره بتخصيصه بالذكر فقال: ﴿ و انفقوا ﴾ أى أوقعوا [الإنفاق -[4]] كما حد لكم فيما

(١) زيد من م (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: وهو النسخ (٣) زيد فى الأصل و ظ: الأمر، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م .

أوجبه أو ندب إليه و إن كان فى حق من اطلعتم منها[١] على عداوة، و الإنفاق لايخص نوعا بل يكون بكل ما رزق الله من الذاتى و الخارجى.

و لما كان الحامل على الشح ما يخطر فى البال من الضرورات التى أعزها ضرورة[٢] النفس، رغب فيه بما ينصرف إليه بادئ بدئ و يعم جميع ما تقدم فقال: ﴿ خيرا ﴾ أى يكن ذلك أعظم خير واقع[٣] ﴿لانفسكم[٤]﴾ فان الله يعطى خيرا منه فى الدنيا ما يزكى به النفس، و يدخر عليه من الجزاء فى الآخرة ما لا يدرى كنهه، فلا يغرنكم عاجل شىء من ذلك فانما هو زخرف [٤]و غرور لا طائل تحته[٤]. و لما ذكر ما فى الإنفاق من الخير عم فى جميع الأوامر فقال: ﴿ و من يوق ﴾ بناه للمفعول تعظيما للترغيب فيه نفسه مع قطع الناظر عن الفاعل أى يقيه واق أىّ واق كان - و أضافه إلى ما الشؤم كله منه فقال: ﴿ شح نفسه ﴾ فيفعل فى ماله و جميع ما أمر به ما يطيقه مما[٥] أمر به موقنا [به -[٦]] مطمئنا إليه حتى يرتفع عن قلبه الأخطار، و يتحرز عن رق المكونات، و الشح: [٧] خلق باطن[٧] هو الداء العضال رأس الحيه و كل فتنة ضلالة، و البخل فعل [ظاهر -[٨]] ينشأ عن الشح، و النفس تارة تشح بترك الشهوة من المعاصى فتفعلها. و تارة باعطاء الأعضاء فى الطاعات فتتركها، و تارة بانفاق[٩]

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: صورة.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: اوقع (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من م.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٦) زيد من م (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: فوق باكل (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بالانفاق الى انفاق.

المال، و من فعل ما فرض عليه خرج عن الشح . و لما كان الواقى إنما هو الله تعالى[1] سبب عن وقايته قوله : ﴿ فاولئك ﴾ أى العالو الرتبة ﴿ هم ﴾ أى خآصة ﴿المفلحون ه﴾ أى الذين حازوا جميع المرادات بما اتقوا الله فيه من الكونيات[1] من المال و الولد و الأهل و المشوشات / من جميع القواطع . و لما أمر[2] و رهب[3] من ضده على وجه أعم، ٥ / ٣٨٠ رغب فيه تأكيدا لأمره لما فيه من الصعوبة لاسيما فى زمان النبي صلى الله عليه و سلم فان المال فيه كان فى غاية العزة و لاسيما إن كان فى لوازم النساء اللاتى افتتح الأمر بأن منهن أعداء و لاسيما إن كان فى حال ظهور العداوة، فقال بيانا للافلاح متلطفا فى الاستدعاء بالتعبير[4] بالقرض مشيرا إلى أنه على خلاف الطبع بأداة الشك : ﴿ان تقرضوا الله﴾ أى ١٠ الملك الأعلى ذا الغنى المطلق المستجمع لجميع صفات الكمال بصرف المال وجميع قواكم التى جعلها فتنة لكم فى طاعاته، و رغب فى الإحسان فيه بالإخلاص و غيره فقال: ﴿ قرضا حسنا ﴾ أى على[5] صفة الإخلاص و المبادرة و وضعه فى أحسن مواضعه على أيسر الوجوه و أجلها و أهنأها و أعدلها، و أعظم الترغيب فيه بأن رتب عليه الربح فى الدنيا و الغفران فى الآخرة ١٥ فقال: ﴿ يضعفه لكم ﴾ أى لأجلكم خاصا اقل ما يكون للواحد عشرا[6]

(١) من ظ و م، و فى الأصل : الكائنات (٢) من م، و فى الأصل و ظ : امرهم (٣) من م، و فى الأصل وظ : رهبهم (٤) من ظ و م، و فى الأصل : فى التعبير (٥) سقط من م (٦) من م، و فى الأصل و ظ : عشر .

إلى ما لا يتناهى على حسب النيات، قال القشيرى: يتوجه[1] الخطاب بهذا على[2] الأغنياء فى بذل أموالهم و على الفقراء فى إخلاء أيامهم و أوقاتهم عن مراداتهم و إيثار مراد الحق على مراد أنفسهم، فالغنى يقال له: آثر على مرادك[3] فى مالك [و غيره -[4]]، و الفقير يقال له: آثر حكمى فى نفسك و قلبك و وقتك.

و لما كان الإنسان لما له النقصان و إن اجتهد لا يبلغ جميع ما أمر به لأن الدين و إن كان يسيرا[5] فهو متين "لن يشاده أحد إلا غلبه" قال: ﴿و يغفرلكم[6]﴾ أى يوقع الغفران و هو محو ما فرط عينه و أثره لأجلكم ببركة الإنفاق، و قد تضمنت هاتان الجملتان جلب السرور و دفع الشرور، و ذلك هو السعادة كلها.

و لما كان التقدير: فالله غفور رحيم، عطف عليه قوله: ﴿و الله﴾ أى الذى لا يقاس عظمته [بشىء -[6]] ﴿شكور﴾ أى بليغ[7] الشكر لمن يعطى لأجله و لو كان قليلا فيثيبه ثوابا جزيلا خارجا عن الحصر[8] و هو ناظر إلى المضاعفة ﴿حليم﴾ لا يعاجل بالعقوبة على ذنب من الذنوب و إن عظم بل يمهل كثيرا طويلا ليتذكر العبد الإحسان مع العصيان فيتوب، و لا يهمل[9] و لا يغتر بحلمه، فان غضب الحليم لا يطاق،

---

(١) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٣) من ظ و م، و فى الأصل: مدارك (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل يسترا (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل و ظ، فى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: المقصر (٩) من ظ و م، و فى الأصل: لا يمهل.

و هو راجع إلى الغفران .

و لما كان الحليم قد يتهم فى حلمه بأن ينسب إلى الجهل بالذنب أو بمقداره قال : ﴿ عٰلِمُ الْغَيْبِ ﴾ و هو ما غاب عن الخلق [كلهم -[1]] فيشمل ما هو داخل القلب مما تؤثره الجبلة و لاعلم لصاحب القلب به فضلا عن غيره . و لما كان قد يظن أنه لايلزم من علم ما غاب علم ما شهد ، ٥ أو يظن أن العلم إنما يتعلق بالكليات ، قال موضحا أن[2] علمه بالعالمين[3] بكل من / الكليات و الجزئيات قبل الكون و بعده على حد سواء : ﴿ وَالشَّهَادَةِ ﴾ / ٣٨١ و هو كل ما ظهر فكان بحيث يعلمه الخلق ، و هذا الوصف داع إلى الإحسان من حيث أنه يوجب للمؤمن ترك ظاهر الاسم و باطنه و كل قصور و فتور و غفلة و تهاون فيعبد الله كأنه يراه . ١٠

و لما شمل ذلك كل ما غاب عن الخلق و ما لم يغب عنهم[4] فلم يبق إلا أن يتوهم أن تأخير العقوبة للعجز قال : ﴿ الْعَزِيزُ ﴾ أى الذى يغلب كل شىء و لايغلبه شىء . و لما كان ذلك قد يكون لأمر آخر لايمدح عليه قال : ﴿ الْحَكِيمُ ﴾ أى أنه ما أخره إلا لحكمة بالغة يعجز عن إدراكها الخلائق ، و قد أقام الخلائق فى طاعته بالجرى تحت إرادته ، ١٥ و تارة يوافق ذلك أمره فيسمى طاعة . و تارة يخالف فيسمى معصية ، فمن أراد أتم نعمته عليه بالتوفيق للطاعة بموافقته[5] أمره [باحاطة -[6]]

(١) زيد من ظ و م (٢) فى م : انه (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بالمعلمين .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عنه فهو (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بموافقة (٦) زيد من م .

علمه و الإتقان فى التدبير ببالغ حكمته و إدامة ذلك و حفظه عن كل آفة[١] بباهر عزته، و من أراد منعه[٢] ذلك [بذلك -[٣]] أيضا و الكل [٤]تسبيح له[٤] سبحانه بافادة أنه الواحد القهار، و قد أحاط أول الجمعة بهذه[٥] السورة [اولها -[٣]] وآخرها، فجاءت هذه شارحة له[٦] و كاشفة عنه[٧] على وجه أفخم لأن مقصود هذه نتيجة مقصد تلك، و قد رجع - بالنزه عن شوائب النقص و الاختصاص بجميع صفات الكمال و شمول القدرة للخلق و إحاطة العلم بأحوال الكافر و المؤمن - على افتتاحها حسن ختامها، و علم علما ظاهرا جلالة انتظامها[٨]، و [٩]بداعة اتساق[٩] جميع آيها و براعة التآمها - و الله الموفق للصواب[١٠] .

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : امر (٢) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل : تسبيحه (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : باول هذه (٦) من م، وفى الأصل و ظ : لها (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : عنها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : اختصاصها (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : بدعيه البيان (١٠) سقط من ظ و م .

سورة الطلاق[1] و تسمى النساء القصرى

مقصودها تقدير حسن التدبير فى المفارقة و المهاجرة بتهذيب الأخلاق، بالتقوى لاسيما [فى الإنفاق، لاسيما -[2]] إن كان ذلك عند الشقاق، لاسيما إن كان فى أمر النساء لاسيما عند الطلاق، ليكون الفراق على نحو التواصل و التلاق، [و اسمها -[2]] الطلاق أجمع ما يكون لذلك، ٥ فلذا سميت به، و كذا سورة النساء القصرى لأن العدل فى الفراق بعض مطلق العدل الذى هو محط مقصود سورة النساء ﴿بسم الله﴾ الذى له جميع صفات الكمال ﴿الرحمن﴾ الذى عم برحمته النوال ﴿الرحيم ٥﴾ الذى خص بالرحمة[3] ذوى الهمم العوال .

لما ختمت التغابن بأنه تعالى شكور حليم عزيز حكيم مع تمام العلم ١٠ و شمول القدرة، بعد التحذير من النساء بالعداوة، و كانت العداوة تجر إلى الفراق، افتتح هذه بزم الأنفس عند ثوران الحظوظ بزمام التقوى، و أعلى الخطاب / جدا بتوجيهه إلى أعلى الخلق تنبيها على[4] عظمة الأحكام / ٣٨٢ الواردة فى هذه [السورة -[5]] فانها مبنية على الأسماء الأربعة لتتلقى[6] بغاية الرغبة فقال: ﴿يا أيها النبى﴾ مخصصا له صلى الله عليه و سلم، ذاكرا الوصف ١٥ الذى هو سبب التلقى لغرائب العلوم و رغائب الحكم والفهوم .

و لما علم من الإقبال عليه صلى الله عليه و سلم عظمة الحكمة، و من

---

(١) الخامسة و الستون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آيها (١٢) .
(٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: بالنعمة (٤) زيد فى الأصل: عظمته و، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لسعى .

التعبير [1]فى النداء[1] بأداة التوسط التى لا تذكر إلا فى أمر مهم جدا أن الذى هو أقرب أهل الحضرة غير مقصود بها من كل وجه، و أن القصد التنبيه لجلالة هذه الأحكام، و بذل الجهد[2] فى تفهيمها و العمل بها، فلذا [أقبل - [3]] على الأمة حين انتبهوا و ألقوا أسماعهم، فقال معبرا بأداة التحقق لأنه من أعظم مواضعها[4]: ﴿ اذا طلقتم ﴾ و علم من ذلك عموم الحكم له صلى الله عليه و سلم لكن لما كان للانسان مع نسائه حالان أحدهما المشاححة، كان غيره أولى بالخطاب فيه، و ثانيهما الجود و المصالحة بالحلم و العفو، فكان هو صلى الله عليه و سلم أولى بذلك فجاءت له سورة التحريم ﴿ النسآء ﴾ أى أردتم طلاق هذا النوع واحدة منه فأكثر ﴿ فطلقوهن ﴾ أى إن شئتم مطلق طلاق ثلاثا[5] أو دونها، و كلما قل[6] كان أحب بدليل ما يأتى من لواحق الكلام من الإشارة إلى الرجعة ﴿ لعدتهن ﴾ أى فى وقت أو عند استقبال العدة أى استقبال طهر يحسب منها، و هو الطهر الذى لم يجامع فيه إن كانت مدخولا بها، ذلك معنى قراءة ابن عباس و ابن عمر رضى الله عنهم "فى قبل عدتهن"[7] فهذا طلاق السنة و غيره طلاق البدعة، فان الطلاق فى الحيض تطويل للعدة لأنه غير محسوب، و لا بد أن يكون الطهر لم يجامع [فيه - [3]] لأنها إذا

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: بالنداء (٢) فى ظ و م: الجد (٣) زيد من ظ و م (٤) فى م: مواقعها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ثلاثة (٦) من ظ و م، ٥ فى الأصل: كان اقل (٧) راجع البحر ٨/٢٨١ .

جومعت ربما حملت فطالت العدة، و هذه اللام للوقت مثلها[1] فى « كتب هذا لخمس بقين من شهر كذا » و اختير التعبير بها لأنها تفهم مع ذلك أن ما دخلت عليه كالعلة الحاملة على متعلقها، فصار كأنه قيل[2]: طلقوا لأجل العدة و إذا[3] كان لأجلها علم أن المراد تخففيها على المرأة بحسب الطاقة لأن مبنى الدين على اليسر، و ذلك دال على أن العدة بالأسهار، ٥ و أن الطلاق فى الحيض حرام لأن الأمر بالشيء نهى عن ضده، و لا يدل على عدم الوقوع لأن النهى غير مستلزم للفساد، و قد بين ذلك كله حديث ابن عمر رضى الله عنهما فى طلاقه زوجته فى الحيض الذى كان سبب النزول، فغضب النبى صلى الله عليه و سلم و أمره [4]أن يراجعها[4] ثم يمسكها حتى تطهر[5] ثم إن[5] شاء أمسك و إن شاء طلق قبل أن يمس، و علم ١٠ [أن -[6]] من عدتها بغير الأقراء التى يمكن[7] طولها و قصرها و هى غير المدخول بها و التى لم تحض و الآئسة و الحامل لا سنة فى طلاقها و لا بدعة، و كذا للخالعة لأن النبى صلى الله عليه و سلم أذن لثابت بن قيس رضى الله عنه فى الخلع من غير استفصال / عن حال امرأته لأنه إنما يكون فى / ٣٨٣ الغالب عن تشاجر و تسؤال من المرأة، و يقع الطلاق البدعى لأن النبى ١٥ صلى الله عليه و سلم أمر ابن عمر رضى الله عنهما بالمراجعة منه، و يأثم به

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مالها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: قال.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: بمراجعتها (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: فان (٦) زيد من ظ و م.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: يكون.

بعد العلم ، و لو طلق فى الحيض و راجع جاز له ان يطلق حال انقضاء الحيض قبل المجامعة ، و الأمر بالإمساك إلى كمال الطهر و الحيض الذى بعده للندب حتى لايكون فى صورة من راجع للطلاق ، و لابدعة فى جمع الثلاث لأنه لا إشارة إليه فى الآية و لا فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما الذى هو سببها ، نعم قد يدعى ذلك فى آية البقرة فى قوله تعالى "الطلاق مرتان[1]" و الطلاق أبغض الحلال إلى الله كما رواه أبو داود[2] و ابن ماجه[3] عن ابن عمر رضى الله عنهما فأبغضه إليه أنهاه ، و ما حلف به و لا استحلف [إلا -[4]] منافق - كما فى الفردوس عن أنس رضى الله عنه .

و لما كان نظر الشارع إلى العدة شديدا لما فيها من الحكم بالتأنى لاحتمال الندم و بالظن لبراءة الرحم احتياطا للانساب و بقطع المنازعات و المشاجرات المفضية إلى ذهاب الأموال و الأرواح ، و قد أفهمه التعبير باللام ، صرح به بصيغة الأمر فقال : ﴿ و احصوا ﴾ اى اضبطوا ضبطا كأنه فى إتقانه محسوس بعد الحصى ﴿ العدة ج ﴾ لتكملوها ثلاثة أقراء كما تقدم الأمر به ليعرف[5] زمان النفقة و الرجعة و السكنى و حل النكاح لأخت المطلقة مثلا و نحو ذلك من الفوائد الجليلة . و لما كان الطلاق على غير هذا الوجه حراما للضرار و مخالفة الأمر و كذا التهاون فى الضبط حتى يحتمل أن تنكح المرأة قبل الانقضاء ، أمر بمجانبة ذلك كله بقوله : ﴿ و اتقوا ﴾ أى فى ذلك ﴿ الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الخلق و الأمر لذاته

(١) سقط من م (٢) راجع ١/٣٠٣ (٣) راجع ص : ١٤٦ (٤) زيد من ظ و م.
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يعلم .

قى

فى الزمن و الإحصاء لأن فى ذلك ما هو حقه ﴿ ربكم ج ﴾ أى لإحسانه فى تربيتكم فى حملكم على الحنيفية السمحة و دفع جميع الآصار عنكم .

و لما أمر بالتقوى و ناط بعضها بصفة الإحسان فسره بقوله : ﴿ لاتخرجوهن ﴾ أى أيها الرجال فى حال العدة ﴿ من بيوتهن ﴾ أى المساكن التى وقع و هى سكنهن ، و كأنه[1] عبر بذلك إشارة[2] إلى أن[2] استحقاقها لإيفاء العدة به فى العظمة كاستحقاق المالك ، و لأنها كانت فى حال العصمة كأنها مالكة له ، فليس من المروءة إظهار الجفاء بمنعها منه ، و لأنها إن روجعت كانت حاصلة فى الحوزة و لم يفحش الزوج فى المقاطعة ، و إن لم يحصل ذلك فظهر أنها حامل لم تحصل شبهة فى الحمل .

و لما كان ذلك ربما أفهم أنه لحقهن فقط نفاه بقوله : ﴿ و لايخرجن ﴾ أى بأنفسهن إن اردن ذلك من غير مخرج من جهة الزوج أو غيره ، فعلم من ذلك تحتم استكمال العدة فى موضع السكنى و أن الإسكان على الزوج ، و تخرج لضرورة / بيع الغزل و جذاذ النخل و نحوه . و لما كان ٣٨٤ منطوق[3] ذلك أنه لايجوز له[4] إخراجها كارهة ، و لايجوز لها أن تخرج بنفسها فقط و هو كاره [فافهم ذلك -[5]] أنهما[6] لو اتفقا جاز لأن ذلك خارج عن المنهى ، استثنى من كلا شقى المنهى عنه [بقوله -[7]] :

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : لأنه (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لأن (٣) من م ، و فى الأصل وظ : المنطوق (٤) وقع فى الأصل بعد «إخراجها» و الترتيب من ظ و م (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الاصل : فانهما (٧) زيد من م .

﴿الآ ان ياتين﴾ أى جنس المطلقات الصادق بواحدة و[1] أكثر ﴿بفاحشة﴾ أى خصلة محرمة شديدة القباحة ﴿مبينة[4]﴾ أى ظاهرة[2] فى نفسها ظهورا بينا[3] عند كل من اريد بيانها له ، و ذلك كالبذاءة منها على الزوج أو[9] أقاربه فانه كالنشوز يسقط حقها من السكنى ، فيجوز له إخراجها لقطع الشر ، و هو معنى قراءة ابى رضى الله عنه[4] : إلا ان يفحشن عليكم ، و كالزنا فتخرج بنفسها و يخرجها غيرها من الزوج و غيره لإقامة الحد عليها و غير ذلك من الفواحش [5]كما أنه[5] يطلقها للنشوز فانه لاسكنى لها حينئذ .

و لما كان التقدير : هذه[6] أحكام هذا الفرع ، عطف عليه تعظيما لها [7]قوله تعالى[7]: ﴿و تلك﴾ أى الأحكام العالية جدا بما فيها من الجلالة و بانتسابها إلى الملك الأعلى من هذا الذى ذكر فى هذه السورة و غيره ﴿حدود الله[4]﴾ أى الملك الأعظم الذى هو[8] نور السماوات و الأرض .

و لما كان التقدير : فمن تحاماها فقد أنصف نفسه بأخذه النور المبين ، عطف عليه قوله : ﴿و من يتعد﴾ أى يقع منه فى وقت من الأوقات أنه يتعمد[9] أن يعدو ﴿حدود الله﴾ أى الملك الأعظم ﴿فقد ظلم نفسه[4]﴾

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٢) من م ، و فى الأصل : ظاهر (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : مبينا (٤) نسبها فى تفسير الطبرى ٨/١١٦ إلى ابن مسعود . (٥-٥) فى م : كذلك (٦) زيد فى الأصل و ظ : الاحكام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) سقط من م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : يعتد .

بأن مشأها فى الظلام فصارت تضع الأشياء فى غير مواضعها، فصار بمعرض الهلاك بالعقاب كما أن الماشى فى الظلام معرض للوقوع فى حفرة و الدوس[1] على شوكة او حية أو عقرب أو سبع، أو لأن ينفرد بقاطع، أو ان يضل عن الطريق إلى مهالك لا يمكن النجاة منها، و مثال ذلك الحكيم إذا وصف دواء بقانون معلوم فى وقت محدود و مكان مخصوص ٥ فخولف لم يضر المخالف ذلك الحكيم و إنما ضر نفسه .

و لما كان له [2]الخلق جميعا[2] تحت أوامره سبحانه مع أنها كلها خير لا شر فيه[3] بوجه إسرار و إغوار، لا تدرك و لا تحصى، و قد يظهر[4] بعضها لسان الحدثان بيد القدرة، و كان متعديها ظالما[5] و كان من أقرب ظلمه و أبينه الإيقاع فى مهاوى العشق، فسره سبحانه بقوله مبينا عظمته بخطاب ١٠ الإعلاء: ﴿لا تدرى﴾ أى يا أيها النبى الكريم ما يكون عن ذلك من الأمور التى يحدثها الله لتشير على المطلق بشىء مما يصلحه فغيرك من باب الأولى . و لما نفى عنه[6] العلم المغيب[7] لاختصاصه سبحانه به و حذف المتعلق إعراقا فى التعميم، و كان كل أحد فيما يحدث له / من الأمور ما بين رجاء ٣٨٥ / و إشفاق، عبر عن ذلك بأداة صالحة لها[8] فقال: ﴿لعل الله﴾ أى الذى ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الدوسى (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ظهر (٥) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: عنهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: للعيب (٨) من ظ و م، و فى الأصل: كما .

بيده القلوب و مقاليد جميع الأمور ﴿ يحدث ﴾ اى يوجد شيئا حادثا لم يكن إيجادا ثابتا لا يقدر الخلق على التسبب[1] فى زواله فيكون مستغرقا لزمان العمر كما أشار إليه نزع الخافض[2] فى قوله تعالى: ﴿ بعد ذلك ﴾ أى الحادث من الإشارة بالضرار بالإخراج أو تطويل العدة أو غير ذلك ﴿ امرا ﴾ أى من الأمور المهمة[3] كالرغبة المفرطة فى الزوجة فلا يتأتى ذلك إما بأن كان الضرار بالطلاق الثلاث أو [بأن - [4]] كانت من ذوى الأنفة فأثرت فيها الإساءة و فيمن ينتصر لها فنعت نفسها منه .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم قوله " يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم و لا أولادكم عن ذكر الله " و قوله فى التغابن " ان من ازواجكم و أولادكم عدوا لكم فاحذروهم " و قوله تعالى " انما اموالكم و اولادكم فتنة " و المؤمن قد يعرض له ما يضطره إلى فراق من نبه[5] على فتنته و عظيم محنته ، وردت هذه السورة منبهة على كيفية الحكم فى هذا الافتراق ، و موضحة أحكام الطلاق ، و أن هذه العداوة[6] و إن استحكمت و نار هذه الفتنة ، إن اضطرمت[7] لا توجب التبرء بالجملة[8] و قطع المعروف " لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك امرا " و وصى سبحانه بالإحسان المجمل فى قوله

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : السبب (٢) فى ظ و م : الجار (٣) من ظ و م . و فى الأصل : المهلة (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : نبيه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة (٧) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بالحكمة .

أو

" او تسريح باحسان " و بين تفصيل ذلك و ما يتعلق به ، فهذا الرفق المطلوب بايقاع الطلاق فى أول ما تستعده[1] المطلقة فى عدتها و تحسبه من مدتها تحذيرا من إيقاع[2] الطلاق فى الحيض الموجب تطويل[3] العدة و تكثير المدة ، و أكد هذا سبحانه بقوله "و اتقوا الله ربكم" ثم نبه سبحانه على حقهن أيام العدة من الإبقاء فى مستقرهن حين إيقاع الطلاق إلى انقضاء العدة فقال " لا تخرجوهن من بيوتهن" إلى ما استمرت عليه السورة من بيان الأحكام المتعلقة بالطلاق و تفصيل ذلك كله . و لما كان الأولاد إذا ظهر منهم ما يوجب فراقهم و إبعادهم غير مفترقين[4] إلى ما سوى الرفض و الترك بخلاف المرأة ، لم يحتج [الى ما احتيج إليه -] فى حقهن فقد وضح وجه ورود سورة الطلاق فى هذا الموضع - و الله سبحانه و تعالى[2] أعلم - [انتهى -] .

و لما حد سبحانه ما يفعل [6]فى العدة[6] . أتبعه ما يفعل عند انقضائها فسبب عما أمره به فيها معبرا بأداة التحقق لأن الخطاب على تقدير الحياة ، معلما أن له الرجعة إلى آخر جزء من العدة لأنها إذا ثبتت فى آخرها البعيد من الطلاق كان ما قبله أولى لأنه أقرب إلى الطلاق فقال : ﴿ فاذا بلغن ﴾ أى المطلقات ﴿ اجلهن ﴾ أى شارفن انقضاء العدة مشارفة عظيمة ﴿فامسكوهن﴾ أى بالمراجعة ، و هذا يدل على أن الأولى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ستقبله (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : وقوع .
(٣) فى ظ و م : طول (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : متفرقين (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بالعدة .

/٣٨٦/ / من الطلاق ما دون البائن لاسيما الثلاث[1] . و لما كان الإنسان لما له من النقصان لايقدر على كمال الإحسان قال منكرا : ﴿ بمعروف ﴾ أى حسن عشرة لابقصد المضارة بطلاق آخر لأجل إيجاب عدة أخرى و لا غير ذلك ﴿ او فارقوهن ﴾ أى بعدم المراجعة لتتم العدة فتملك نفسها ٥ ﴿ بمعروف ﴾ بايفاء الحق مع حسن الكلام و كل أمر عرفه الشرع - أى حسنه - فلا يقصد أذاها بتفريقها من ولدها مثلا أو منه إن كانت محبة[2] له مثلا[3] بقصد الأذى فقط من غير مصلحة و كذا ما أشبه ذلك من أنواع الضرر بالفعل أو القول ، فقد تضمنت[4] الآية بافصاحها الحث على فعل الخيرات و بابهامها اجتناب المنكرات .

١٠ و لما كان كل من المرافقة[5] و المفارقة أمرا عظيما ، تبنى عليه أحكام تحل فتحرم[6] أضدادها ، فيكون الخلاف فيها فى غايـــة الخطر ، و كان الإشهاد أليق بالمراد ، و أقطع للنزاع ، قال تعالى حاثا على الكيس و اليقظه و البعد عن أفعال المغفلين العجزه : ﴿ و اشهدوا ﴾ أى على المراجعة أو المفارقة ﴿ ذوى عدل ﴾ أى مكلفين حرين ثقتين يقظين ١٥ ﴿ منـــكم ﴾ أى مسلمين و هو أمر إرشاد مندوب إليه ؛ و عن الشافعى رضى الله تعالى عنه وجوبه [فى الرجعية - [7]] و الصحيح الأول ، و من

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ثلاث (٢) فى ظ و م : عاشقـة (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ ، و فى الأصل و م : ضمنت (٥) زيد فى الأصل و ظ ، والموافقة ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ومحرم (٧) زيد من ظ و م .

فوائده أن لايموت أحدهما فيدعى[1] الآخر الزوجية ببقاء علقة العدة ليرث .

و لما كان أداء الشهادة يعسر على الشاهد لترك مهماته و عسر لقاء الحكم[2] الذى يؤدى عنده ، و ربما بعد مكانه ، وكان للعدل[3] فى الأداء عوائق أيضا ، وكان الشهود من المأمورين بالإشهاد[4]، حث على الأداء على وجه العدل بقوله : ﴿ و اقيموا ﴾ أى [أيها - [5]] المأمورون حيث كنتم ٥ شهودا ﴿ الشهادة ﴾ أى التى تحملتموها بأدائها على أكمل أحوالها كما يفعل من يريد إقامة شيء ليصير واقفا بنفسه غير[6] محتاج إلى ما يدعمه . و لما كان ربما ميل أحد من المشهود عليهما الشاهـــد[7] بشيء من المرغبات[8] فأداها على وجهها لذلك الشيء لا لكونه الحق ، قال مرغبا مرهبا : ﴿ لله[9] ﴾ أى مخلصين لوجه الملك الأعلى المحيط [9]بكل شيء[9] علما و قدرة و هو ذو الجلال ١٠ والإكرام فى أدائها على وجه الحق ظاهرا و باطنا ، لا لأجل المشهود [له - [5]] و لا المشهود عليه ، و لا شيء سوى وجه الله .

و لما كانت أحكامه سبحانه و تعالى لاسيما فى هذا الكتاب المعجز مقرونة بعللها ، و فيها عند التأمل رقائق [9]و دقائق[9] تخشع لها القلوب و تجب الأفئدة فى داخل الصدور قال : ﴿ ذلكم ﴾ أى الذى[10] ذكرت ١٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : قيد - كذا (٢) من م، وفى الأصل وظ :الحاكم.
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : للعد (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : بالشهادة.
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بيس (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : تشاهد (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : الرغبات(٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (١٠) من م، و فى الأصل وظ : التى .

لكم أيتها الأمة من هذه الأمور البديعة النظام العالية المرام، و أولاها بذلك هنا / الإشهاد و إقامة الشهادة . و لما كانت أوامر الله تعالى و قصصه و أحكامه و جميع كلامه مختصا من [بين -[1]] كلام الناس بأنه يرقق القلوب و يلين الشكائم لكونه روحا لما فيه العدل الذى تهواه النفوس، و تعشقه الألباب، و تميل إليه الطبائع، و قامت به[2] السماوات و الأرض، و لما فيه أيضا من ذكر [من -[1]] تعشقه الفطر القويمة من جميع أهل الخير من الأنبياء و الملائكة و الأولياء، مع تشريف الكل[3] بذكر الله، سمى وعظا، و بنى للمجهول إشارة إلى أن الوعظ بنفسه[4] نافع و لو لم يعرف قائله، و إلى أن الفاعل معروف أنه الله لكونه سمى[5] وعظا مع كونه أحكاما فقال: ﴿ يوعظ به ﴾ أى يلين و يرقق ﴿ من كان ﴾ أى كونا راسخا، من جميع الناس ﴿ يؤمن بالله ﴾ أى يوقع و يجدد منكم و من غيركم على سبيل الاستمرار من صميم قلبه الإيمان بالملك الذى له الكمال كله .

و لما كان البعث محط الحكمة لأن الدنيا مزرعة للآخرة، و لا يكون زرع بغير حصاد، كان خلو الإيمان عنه معدما للايمان فقال: ﴿ و اليوم الآخر ﴾ فانه المحط الأعظم للترقيق، [6]أما من[6] لم يكن متصفا بذلك فكأنه لقساوة[7] قلبه ما وعظ به لأنه لم ينتفع به أبدا[8] .

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : أهل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل : الله (٤) فى ظ و م : نفسه (٥) من ظ و م، و فى الأصل : يسمى (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل : لما (٧) من ظ و م، و فى الأصل : لشقاوة (٨) سقط من ظ و م .

و لما كانت العبادة لا تكون إلا بالإعانة، و كان التقدير: فمن اتعظ بذلك كان اتعاظه شاهدا له بإيمانه بذلك، و كان متقيا، عطف عليه قوله اعتراضا بين هذه الأحكام تأكيدا للترغيب فى الإعانة المترتبة على التقوى: ﴿و من يتق الله﴾ أى يخف الملك الأعظم فيجعل بينه و بين ما يسخطه وقاية مما يرضيه، و هو اجتلاب ما أمر به و اجتناب ما نهى عنه من الطلاق و غيره ظاهرا و باطنا، و ذلك صلاح قوى العلم بالإيمان و العمل بفعل المأمور به و ترك المنهى عنه[1] لأنه تقدم أن التقوى إذا انفردت فى القرآن [عن مقارن عمت الأمر و النهى، و إذا قرنت -[2]] بغيرها نحو إحسان أو رضوان خصت المناهى[3]: ﴿يجعل﴾ أى الله سبحانه بسبب التقوى ﴿له مخرجا﴾ بدفع المضار من [كل -[2]] ضيق أحاط به فى نظير ما اجتنب من المناهى ﴿و يرزقه﴾ بحوله و قوته بجلب المسار فى الدين و الدنيا و الآخرة فى نظير ما اجتلب[4] من فعل الأوامر.

و لما كان أحلى الهبات ما جاء من مكان لا يرجى قال: ﴿من حيث لا يحتسب[1]﴾ أى لا يقوى رجاؤه له، و [لما] أكد فى هذا و أعظم الوعد لأنه و إن كان عاما لكل متق فتعلقه بما تقدم أقوى و النظر فيما تقدم إلى حقوق العباد أكثر، و المضايقة فيها أشد، و الدواعى إليها أبلغ، فالاتقاء فيه بعدم الطلاق فى الحيض و الإضرار بالمرأة بتطويل العدة

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: الله بسبب التقوى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اجتنب.

/ ٣٨٨ أو الإخراج من المسكن و كتمان الشهادة و العسر / فى أدائها و الإخلال بشىء منها و التأكيد و الإبلاغ فى الوعد لأجل ما جبل عليه الإنسان من القلق فى أموره، عطف على ذلك قوله : ﴿ و من يتوكل ﴾ [أى -[1]] يسند أموره كلها و يفوضها معتمدا فيها ﴿ على الله ﴾ أى الملك الذى ٥ بيده كل شىء و لا كفوء له فقد جمع الأركان الثلاثة التى لا يصلح التوكيل[2] إلا بها، و هى العلم المحيط لئلا يدلس عليه، و القدرة التامة لئلا يعجز، و الرحمة بالمتوكل [و العناية به -[1]] لئلا يحيف عليه، و التوكل يكون مع مباشرة الأسباب و هو من المقامات العظيمة و إلا كان أتكالا، و ليس بمقام بل خسة همة و عدم مروءة، لأنه إبطال حكمة الله التى احكمها فى الدنيا ١٠ من ترتيب المسببات على الأسباب - قاله الملوى[3] ﴿ فهو ﴾ أى الله فى غيب غيبه فضلا عن الشهادة بسبب توكله ﴿ حسبه[4] ﴾ أى كافيه، و حذف المتعلق للتعميم، و حرف الاستعلاء للاشارة إلى أنه قد حمل أموره كلها عليه سبحانه لأنه القوى الذى لا يعصيه[5] شىء، و الكريم الذى يحسن حمل ذلك و رعيه، و العزيز الذى يدفع عنه كل ضار و يجلب له كل ١٥ سار، إلى غير ذلك من المعانى الكبار، فلا يبدو له فى عالم الشهادة[6] شىء يشقيه لامن الغيب و لامن غيب الغيب، و فى الحديث "لو انكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا و تروح[6]

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : التوكل (٣) من ظ و م، و فى الأصل : الولى، و الملوى هو محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله (٤) من ظ و م، و فى الأصل : يصيبه (٥) من ظ و م، و فى الأصل : الغيب (٦) من ظ و م، و فى الأصل : ترجع .

بطانا .

و لما كان ذلك أمرا لايكاد [يحيط - [1]] به الوهم ، علله بقوله مهولا [له - [1]] بالتأكيد و الإظهار فى موضع الإضمار : ﴿ان الله﴾ أى المحيط بكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص ﴿ بالغ امره [2] ﴾ أى جميع ما يريده فلابد من نفوذه سواء حصل توكل أم لا ، و سماه أمرا إشارة ٥ إلى أنه مما يستحق أن يؤمر به و إلى أنه فى سرعة [3] الكون إذا أريد لم يتخلف بوجه بل يكون كالمؤتمر الحقير للملك الجليل الكبير .

و لما كان ضرب المقادير من القادر موجبا لعدم الإخلال بشىء [3] منها ، علل ذلك بما اقتضى تحتم الوعد و التوكل فقال : ﴿قد جعل الله﴾ أى الملك الذى لا كفوء له و لامعقب لحكمه جعلا مطلقا من غير تقيد ١٠ بجهة و لا حيثية ﴿لكل شىء قدرا ﴾ أى تقديرا لايتعداه فى مقداره و زمانه و مكانه و جميع [4] عوارضه و أحواله [4] و إن اجتهد [5] جميع الخلائق فى [6] أن يتعداه ، فمن توكل استفاد الأجر [7] و خفف عنه الألم ، وقذف فى قلبه السكينة ، و من لم يتوكل لم ينفعه ذلك ، و زاد ألمه و طال غمه بشدة سعيه و خيبة أسبابه التى يعتقد أنها هى المنجحة ، فمن رضى فله الرضى ١٥ و من سخط فله السخط ، جف القلم فلا يزاد [8] فى المقادير شىء و لاينقص

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : شرعة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فى شىء (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : احواله وعوارضه .
(٥) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : جميع الخلائق (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الامر (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا يزارو .

منها شيء، ويحكى[1] أن رجلا أتى عمر رضى الله عنه فقال: أولى[2] بما
٣٨٩/ أولاك[2] الله / فقال: أتقرأ القرآن؟ قال: لا، قال: إنا لانولى[3] من لايقرأ
القرآن، فانصرف الرجل واجتهد حتى تعلم القرآن رجاء أن يعود إلى
عمر فيوليه[4]، فلما تعلم القرآن تخلف[5] عن عمر فرآه ذات يوم فقال: يا هذا!
٥ أهجرتنا، فقال: يا أمير المؤمنين! لست ممن يهجر؟ ولكنى[6] تعلمت القرآن
فأغنانى الله عن عمر وعن باب عمر، قال: أى آية أغنتك؟ قال: قوله
تعالى "[7]ومن يتق الله يجعل له مخرجا[7] ويرزقه من حيث لا يحتسب"
انتهى. ومن توكل[8] على غيره سبحانه وتعالى ضاع لأنه لايعلم المصالح
وإن علمها لم يعلم أين هى، وإن علم[9] لم يعلم متى[10] يستعملها [وإن علم لم
١٠ يعلم كم المقدار المستعمل، وإن علم لم يعلم كيف يستعملها-[11]] وهو سبحانه
المنفرد [12]بعلم ذلك[12] كله وما لايعلمه حق علمه غيره، والآية تفهم أن
من لم يتق الله يقتر عليه. وهو موافق لما روى ابن حبان فى صحيحه
والحاكم واللفظ له- وقال: صحيح الإسناد- عن ثوبان رضى الله عنه قال:

(١) أخرجه ابن أبى شيبة فى المصنف (٢ - ٢) من ظ و م، وفى الأصل: من الولاك (٣) من ظ و م، وفى الاصل: نوع (٤) من م، وفى الأصل وظ: فيواليه (٥) من ظ و م، وفى الاصل: تخفف (٦) من م، وفى الأصل وظ: لكن (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) من ظ و م، وفى الأصل: يتوكل (٩) زيد فى الاصل: اذ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (١٠) من ظ و م، وفى الأصل: بشيء (١١) زيد من ظ و م (١٢-١٢) من ظ و م، وفى الأصل: بذلك.

قال

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لايرد القدر إلا الدعاء و لايزيد فى العمر إلا البر ، و إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه[1] . و تفهم أن من لم يتوكل لم يكف شيئا[2] من الأشياء .

و لما وسط بين العدد هذه الجمل[3] الواعظة دلالة على عظمتها حثا على امتثالها و المبادرة إليها ، و ختم بالتقدير ، أتبع ذلك بيان مقادير العدد على وجه أبان أن الكلام الماضى كان فى الحوائض الرجعيات فقال : ﴿ و اللّٰئى يئسن ﴾ أى من المطلقات ﴿ من المحيض ﴾ أى الحيض و زمانه لوصولها إلى سن يجاوز القدر الذى ترجو [4]فيه النساء[4] الحيض فصارت بحيث لا ترجوه ، و ذلك السن خمس و خمسون [5]سنة أو ستون سنة ، و قيل : سبعون[5] و هن[6] القواعد ، و أما من انقطع حيضها فى زمن ترجو فيه الحيض فانها تنتظر[7] سن اليأس .

و لما كان هذا الحكم خاصا بأزواج المسلمين لحرمة فرشهم و حفظ أنسابهم قال : ﴿ من نسآئكم ﴾ أى أيها المسلمون سواء كن مسلمات أو من أهل الكتاب ، و لما كان الموجب للعدة إنما هو الدخول لامجرد الطلاق قال : ﴿ ان ارتبتم ﴾ بأن أجلتم النظر فى أمرهن ، فأداكم إلى ريب [فى -[8]] هل هن حاملات أم لا ، و ذلك بالدخول عليهن الذى هو

(١) راجع أيضا مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٨٠ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : شيء .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الجملة (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : النساء فيه .
(٥) زيد فى الأصل : سنة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : هى (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : سو - كذا (٨) زيد من ظ و م .

سبب الريب بالحمل[1] فى الجملة ﴿ فعدتهن ثلثة أشهر ﴾ كل شهر يقوم مقام حيضة لأن أغلب عوائد النساء أن يكون كل قرء فى شهر .

و لما أتم قسمى ذوات الحيض[2] إشارة و عبارة قال :

﴿ و الّٰئى لم يحضن ﴾ أى لصغرهن أو لانهن لا حيض لهن أصلا و إن كن بالغات فعدتهن ثلاثة أشهر أيضا ، و هذا مشير إلى أن أولات الحيض باثنات[3] / كن أو لا عدتهن ثلاثة[4] قروء كما تقدم فى البقرة لأن هذه الأشهر عوض عنها ، فاما أن يكون القرء - و هو الطهر - بين حيضتين ، أو بين الطلاق و الحيض ، و هذا كله فى المطلقة ، و أما المتوفى عنها زوجها فأربعة أشهر و عشرا كما فى البقرة . /٣٩٠

و لما فرغ من آئسات الحوامل أتبعه ذكر الحوامل فقال : ﴿ و اولات الاحمال ﴾ أى من جميع الزوجات المسلمات و الكفار[5] المطلقات على كل حال[6] و المتوفى عنهن إذا كان حملهن من الزوج مسلما كان أو لا ﴿ اجلهن ﴾ أى لمنتهى[7] العدة سواء كان لهن مع الحمل حيض أم لا ﴿ ان يضعن ﴾ و لما كان توحيد الحمل لاينشأ عنه لبس ، و كان الجمع ربما أوهم أنه لا تحل واحدة منهن حتى يضع جمعا[8] قال :

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى الحمل (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المحيض (٣) زيد فى الأصل : الحيض ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ثلاث (٥) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : أو (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : منتهى (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : جميعا .

﴿حملهن[1]﴾ و هذا على عمومه مخصص لآية "يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر و عشرا" لأن[1] المحافظة على عمومه أولى من المحافظة على عموم ذلك فى قوله "ازواجا" لأن عموم هذه بالذات لأن الموصول من صيغ العموم، و عموم "ازواجا" بالعرض لأنه بدلى لا يصلح لتناول جميع الأزواج فى حال واحد، و الحكم معلل هنا بوصف الحملية بخلاف ذاك[2] و لأن سبيعة ٥ بنت الحارث وضعت حملها بعد وفاة زوجها بليال، فأذن لها النبى صلى الله عليه و سلم أن تتزوج، و لأن هذه الآية متأخرة النزول عن آية البقرة، فتقديمها على تلك تخصيص، و تقديم تلك فى العمل بعمومها رفع لما فى الخاص من الحكم فهو نسخ و الأول هو الراجح للوفاق عليه، فان كان الحمل من زنا أو شبهة فلا حرمة له، و العدة بالحيض. ١٠

و لما كانت أمور النساء فى المعاشرة و المفارقة من المعاسرة و المياسرة فى غاية المشقة، فلا يحمل على العدل فيها و العفة[3] إلا خوف الله، كرر تلميعا بالحث على التقوى إشارة إلى ذلك و ترغيبا فى لزوم ما حده سبحانه، فقال عاطفا على [ما -[4]] تقديره: فمن لم يحفظ هذه الحدود عسر الله عليه أموره: ﴿و من يتق الله[5]﴾ أى يوجد الخوف من الملك ١٥ الأعظم إيجادا مستمرا ليجعل بينه و بين سخطه وقاية من طاعاته[6] اجتلابا للمأمور و اجتنابا للمنهى ﴿ يجعل له ﴾ اى يوجد إيجادا مستمرا باستمرار

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الا ان (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ذلك.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: العدة (٤) زيد من ظ و م (٥) وقع فى الأصل: بعد «للنهى» مع زيادة «الملك الأعظم» و الترتيب من ظ و م.

التقوى « إن الله لايمل حتى تملوا » ﴿ من امره ﴾ أى كله فى النكاح و غيره ﴿يسراه﴾ أى سهولة و فرجا و خيرا فى [1]الدارين بالدفع و النفع[1]، و ذلك أعظم من مطلق المخرج المتقدم فى الآية الأولى .

/٣٨١ و لما كان تكرير الحث على التقوى / للسؤال عن سببه ، استأنف قوله كالتعليل له : ﴿ذلك﴾ أى الأمر المذكور من جميع هذه الأحكام العالية المراتب ﴿ امر الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الكمال كله ، و نبه على علو رتبة الأمر بقوله[2]: ﴿انزله اليكم﴾ و لما كان التقدير: فمن أباه هوى فى مهاوى المهلكات إلى أسفل سافلين ، عطف عليه قوله : ﴿و من يتق الله﴾ أى الذى لا أمر لأحد معه بالاجتلاب و الاجتناب ، و لما كان الإنسان محل العجز و النقصان ، أنسه بأنه إذا وقع منه [زلل ـ[3]] فراجعه بالتقوى لطف به فيه جزاء على تقواه بالدفع و النفع فقال: ﴿يكفر﴾ أى يغطى تغطية عظيمة و يستر و يغيب و يسقط ﴿عنه﴾ جميع[4] ﴿سيئاته﴾ ليتخلى عن المبعدات فان الحسنات يذهبن السيئات . و لما كان الكريم لايرضى لمن أقبل إليه بالعفو فقط قال : ﴿و يعظم له اجرا﴾ بأن يبدل سيئاته حسنات و يوفيه أجرها [5]فى الدارين[5] مضاعفا فيتحلى بالمقربات ، و هذا أعظم من مطلق اليسر المتقدم . و لما قدم[6] التكفير و أتبعه الأجر الكبير ، وكان قد تقدم إيجاب ترك المطلقة فى منزل الطلاق

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى الدين بالنفع والضر (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فقال (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ و م (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بالدارين (٦) فى م : قد تقدم .

و أذن

و أذن فى إخراجها عند الفاحشة المبينة ، و كان ربما كان منزل الطلاق مستعارا ، و كان مما لا يليق بالزوج ، و كان ربما نزل[1] الكلام السابق عليه ، استأنف البيان له[2] بما لا يحتمل[3] لبسا فقال آمرا بعد ذلك النهى على وجه مشير بسابقه و لاحقه [1]إلى الحلم[4] عنهن فيما يمكن الحلم فيه حفظا للقلوب و إبعادا للشقاق[5] بعد الإيحاش بالطلاق لئلا يعظم الكسر و الوحشة : ﴿ اسكنوهن ﴾ أى هؤلاء [المفارقات -[6]] فى العدة إن كن مطلقات حاملات كن أو لا مبتوتات كن أو رجعيات بخلاف ما كان من العدة عن وفاة بغير حمل أو كان عن شبهة أو فسخ .

و لما كان المراد مسكنا يليق بها و إن كان بعض مسكن الرجل ، أدخل أداة التبعيض فقال : ﴿ من حيث سكنتم ﴾ أى من أماكن سكناكم لتكون قريبة منكم ليسهل تفقدكم لها للحفظ و قضاء الحاجات . و لما كان الإنسان ربما سكن فى ماضى الزمان ما لا يقدر عليه الآن قال مبينا للسكن المأمور به مبقيا للوادة بعدم التكليف بما يشق : ﴿ من وجدكم ﴾ أى سعتكم و طاقتكم باجارة أو ملك أو إعارة حتى تنقضى العدة بحمل كانت[7] أو غيره . و لما كان الإسكان قد يكون مع الشنآن قال : ﴿ و لا تضآروهن ﴾ أى حال السكنى فى[8] المسكن و لا فى غيره . و لما

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ترك (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يحصل (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد الحكم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الاشفاق (٦) زيد من ظ و م .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : من .

كانت المضارة قد يكون لمقصد حسن بأن يكون تأديبا[1] لأمر بمعروف ليتوصل بصورة شر قليل ظاهر إلى خير كثير قال: ﴿لتضيقوا﴾ أى / تضييقا بالغا لاشبهة فى كونه كذلك مستعليا ﴿عليهن[4]﴾ حتى يلجئهن ذلك إلى الخروج . و لما كانت النفقة واجبة للرجعية ، وكانت عدتها ٣٩٢/

٥ تارة بالأقراء و تارة بالأشهر و تارة بالحمل ، و كان ربما توهم أن ما بعد الثلاثة الأشهر[2] من مدة الحمل للرجعية و جميع المـــدة لغيرها لايجب الإنفاق فيه قال: ﴿و ان كن﴾ أى المعتدات ﴿اولات حمل﴾ أى من الأزواج كيف ما كانت العـــدة من موت أو طلاق بائن أو رجعى ﴿فانفقوا عليهن﴾ و إن مضت الأشهر ﴿حتى يضعن حملهن ج﴾ فان

١٠ العلة الاعتداد بالحمل ، و هذه الشرطية تدل على اختصاص الحوامل من بين المعتدات البوائن بوجوب النفقة .

و لما غيي سبحانه وجوب الإنفاق بالوضع ، و كانت [قد -[3]] تريد إرضاع ولدها ، و كان اشتغالها بارضاعه يفوت عليها كثيرا من مقاصدها و يكسرها ، جبرها[4] بأن قال حاثا على مكافأة الأخوان على الإحسان مشيرا

١٥ بأداة الشك إلى أنه لايجيب عليها الإرضاع: ﴿فان ارضعن﴾ و بين أن النسب للرجال بقوله تعالى : ﴿لكم﴾ أى بأجرة بعد انقطاع علقة النكاح ﴿فاتوهن اجورهن ج﴾ على ذلك الإرضاع . و لما كان ما يتعلق بالنساء

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : باديا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اشهر .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : خسير .

من مثل ذلك[1] موضع المشاجرة لاسيما أمر الرضاع ، و كان الخطر فى أمره شديدا ، و كان الله تعالى قد رحم هذه الأمة بأنه يحرك لكل متشاحين[2] من يأمرهما بخير لاسيما فى أمر الولد رحمة له قال مشيرا إلى ذلك : ﴿ و اتمروا ﴾ أى ليأمر بعضكم بعضا فى الإرضاع و الأجر فيه و غير ذلك و ليقبل بعضكم أمر بعض ، و زادهم رغبة فى ذلك بقوله : ٥ ﴿بينكم﴾ أى إن هذا الخير لا يعدوكم ، و أكد ذلك بقوله : ﴿ بمعروف ج ﴾ و نكره سبحانه تحقيقا على الأمة بالرضى بالمستطاع ، و هو يكون مع الخلق بالإنصاف ، و مع النفس بالخلاف ، و مع الحق بالاعتراف .

و لما كان ذلك موجبا للمياسرة ، و كان قد يوجد فى الناس من الغالب عليه الشر ، قال مشيرا بالتعبير بأداة الشك إلى أن ذلك[3] و إن وجد فهو[3] ١٠ قليل عاطفا على ما تقديره : فان تياسرتم فهو حظكم[4] و أنتم جديرون بسماع هذا الوعد بذلك : ﴿ و ان تعاسرتم ﴾ أى طلب [كل - [5]] منكم ما يعسر على الآخر بأن طلبت المرأة الأجرة و طلب الزوج إرضاعها مجانا فليس له أن يكرهها . و لما كان سبحانه قد تكفل بارزاق عباده و قدرها قبل إيجادهم ، قال مخبرا جبرا للاب بما يصلح عتابا للأم : ﴿فسترضع﴾ ١٥

(١) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م و فى الأصل : متشاحنين (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : قد يوجد وهو .
(٤) زيد فى الأصل : وان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ .

[أى - [1]] بوعد لاخلف فيه ، و صرف[2] الخطاب إلى الغيبة إيذانا بأن الأب / ترك الأولى فيما[3] هو جدير به من المياسرة لكونه حقيقا بأن يكون أوسع بطانا [4]و أعظم شانا[4] من أن يضيق عما ترضى به المرأة استنانا به صلى الله عليه و سلم فى أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما أو قطيعة رحم فقال : ﴿ لهَ ﴾ أى الأب ﴿ اخرى[5] ﴾ أى مرضعة غير الأم و يغنى الله عنها[6] و ليس له إكراهها إلا إذا لم يقبل ثدى غيرها ، و هذا الحكم لايختص بالمطلقة بل المنكوحة كذلك .

/ ٢٩٣

و لما كانت المعاسرة فى الغالب فى ترك السماح ، و كان ترك السماح من خوف الإعدام ، نبه سبحانه على أن ذلك[6] ليس بعذر بتقسيم الناس إلى موسع عليه و غيره ، و لان الأليق بالموسع عليه أن يوسع و لايسىء الظن بربه و قد جرب رفده ، و أن المقتر عليه لاينبغى أن يفعل فعل من يخاف أن يخلف وعده ، فقال شارحا للمياسرة : ﴿ لينفق ذو سعة ﴾ أى مال واسع و لم يكلفه سبحانه جميع وسعه بل قال : ﴿ من سعته[1] ﴾ التى أوسعها الله عليه . و لما كان الإعطاء من غير تقدير ملزوما للسعة ، كان التقدير كناية عن الضيق فقال : ﴿ و من قدر ﴾ أى ضيق و سكنت عليه حركته و رقدت عنه معيشته ﴿ عليه رزقه ﴾ بأن جعله الله الذى لايقدر على التضييق و التوسيع غيره بقدر ضرورياته فقط من غير

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : طرف (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بما (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اوسع (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عنها (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : هذا .

وسع لشيء غيرها لأمر من الأمور التى يظهر الله بها عجز العباد رحمة لهم ليهذب به نفوسهم، و بناه للمفعول تعليما للأدب معه[1] سبحانه و تعالى: ﴿فلينفق﴾ أى وجوبا على المرضع و غيرها من كل ما أوجبه الله عليه أو ندبه إليه، و بشر سبحانه و تعالى بأنه لايخلى أحدا من شيء يقوم به ما دام حيا بقوله مشيرا بالتبعيض إلى أن ما أوجبه سبحانه لايستغرق ما وهبه: ﴿مما آتاه الله[1]﴾ أى الملك الذى لا ينفد ما عنده و لا حد لجوده، و لو من رأس المال و متاع البيت و من ثمن الضيعة إن لم يكن له من الغلة لأنه سبحانه قد ضمن الإخلاف، و من ملك ما يكفيه للوقت ثم اهتم للزيادة للغد فذلك اهتمام غير مرحوم، و صاحبه[2] غير معان، و فى هذا إرشاد[3] إلى الاقتداء به صلى الله عليه و سلم فى عدم التكلف و اليسر فى [كل -[4]] أمر على حسب الأوقات.

و لما كان تعالى له التكليف بما [لا -[4]] يطاق، أخبر بأنه رحم العباد بأنه لايفعله، فقال معللا أو مستأنفا جوابا لمن يقول: [فما -[4]] يفعل من لم يكن له موجود أصلا، محببا فى دينه صلى الله عليه و سلم بما فيه من اليسر: ﴿لايكلف الله﴾ أى الذى له الكمال بأوصاف الرحمة و الإنعام علينا بالتخفيف ﴿نفسا﴾ أى نفس كانت ﴿الا ما آتاها[1]﴾ و ربما / أفهم، أن من كلف إنفاقا وجد من فضل ما عنده ما يسده من الأثاث الفاضل / ٣٩٤

(١) من ظ و م، و فى الاصل: مع (٢) من ظ و م، و فى الأصل: صاحت.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: اشار (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) فى ظ و م: كله.

عن سد جوعته و ستر عورته .

و لما كان التذكير بالإعـــدام ربما أوجع ، قال تعالى جابرا له و تطييبا لقلبه نادبا إلى الإيمان بالغيب : ﴿سيجعل الله﴾ أى الملك الذى له الكمال كله فلا خلف لوعده ، و نزع الجار زيادة فى الخبر فقال : ﴿ بعد عسر ﴾ أى من الأمور التى تعسرت لا أنه يجعل[1] ذلك بعد كل عسر ﴿يسرا ۝﴾ أى لابد[2] من ذلك و لا يوجد [أحد -[3]] يستمر التقتير عليه طول عمره فى جميع أحواله ، قال القشيرى : و انتظار اليسر من الله صفة المتوسطين فى الأحوال الذين انحطوا عن درجة الرضى و استواء وجود السبب و فقده و ارتقوا عن حد اليأس و القنوط و يعيشون فى أفناء الرجاء و يتعللون بحسن المواعيد - انتهى . و لقد صدق الله [وعده -[3]] فيمن[4] كانوا موجودين حين نزول الآيـــة ، ففتح عليهم جميع جزيرة العرب ثم فارس و الروم و انتثلوا كنوزها حتى صاروا أغنى الناس ، و صدق الآية دائم غير أنه كان فى[5] الصحابة رضى الله تعالى عنهم أبين لأن إيمانهم أتم .

و لما كان الأمر قد بلغ النهاية فى الأحكام و المواعظ و الترغيب لمن أطاع ، فلم يبق إلا التهديد لمن عصى بما شوهد من المثلات و بالغ

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يفعل (٢) من ظ و م . و فى الأصل : لا يزيد.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ؛ و فى الأصل : فيما (٥) من ظ و م : و فى الأصل : من .

العقوبات ، فان من الناس البليد الذى لا يتعظ بما يرى ، و كان التقدير : فكأى من ناس[1] كانوا فى غاية الضيق فأطاعوا أوامرنا فجعلناهم فى غاية السعة بل جعلناهم ملوكا ، عطف عليه تزهيدا فى الرفاهية بأنها تطغى فى الأغلب ، و تهديدا لأهل المعاصى قوله مفيدا لكثرة القرى الخارجة عن الحد : ﴿ و كأين من قرية ﴾ أى مدينة كبيرة جامعة ، عبر عن أهلها ٥ بها[2] مبالغة ﴿ عتت ﴾ أى استكبرت و جاوزت[3] الحد فى عصيانها وطغيانها فأعرضت عنادا ﴿ عن امر ربها ﴾ أى الذى أحسن إليها و لا محسن [إليها - [4]] غيره بكثرة الرزق و طيب العيش و اللطف فى التربية و الرحمة بعد[5] الإيجاد و الملك ﴿ و رسله ﴾ فلم يقبل منهم ما جاؤها به عن الله ، فان طاعتهم من طاعة الله . ١٠

و لما كانت محاسبة مثل هؤلاء [للاهلاك - [4]] لأن الحساب هو ذكر الأعمال و المجازاة عليها بما[6] يحق لكل منها ، قال ملتفتا إلى مقام التكلم فى مظهر العظمة : ﴿ فحاسبناها ﴾ أى فتسبب عن عدم شكرهم للاحسان أن أحصينا أعمالها . و لما كان ذلك على وجه المناقشة على[7] النقير و القطمير بالمجازاة على [كل - [4]] فعل بما يليق به قال : ﴿ حسابا شديدا ﴾ ١٥ بمعناه المطابق[8] من ذكر الأعمال كلها و المجازاة / عليها ، و هذا هو ٣٩٥ /

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : كاس (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بانها .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : جاوز (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م .
و فى الأصل : وقت (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : مما (٧) من ظ و م ،
و فى الأصل : « و » (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : المطايق .

المناقشة و هى[1] أن العامل إذا أثر أثرا بعمله هو كالنقش فى الجامد أثر المجازى له فيه[2] أثرا بحسب عمله على سبيل الاستقصاء، و أما الحساب اليسير فهو عرض الأعمال فقط من غير جزاء على قبيحها[3] فهو دلالة تضمن، و إنما[4] شدد على[5] هذه القرية لأن إعراضها كان كذلك بما نبه ٥ عليه تسميته عتوا ﴿ و عذبناها ﴾ أى فى الدنيا جزاء على ما أحصيناه من ذنوبها ﴿ عذابا نكرا ﴾ أى شديد النكارة لأن العقل يحير فى أمره لأنه لم ير مثله و لا قريبا منه ليعتبره به[6]، و أزال ذكر الكثرة شبهة أن يكون الإهلاك وقع اتفاقا فى وقت من الأوقات ﴿ فذاقت ﴾ بسبب ذلك بعد ما كان لها من الكثرة و القوة ﴿ وبال ﴾ أى وخامة ١٠ و عقوبة و شدة[7] و ثقل و فساد[7] ﴿ امرها ﴾ أى فى العتو و جميع ما كانت تأتمر فيه[8]، مثله بالمرعى الوخيم الذى يمرض و يهلك. و لما كان كل مقهور إنما يسلى نفسه بانتظار الفرج و رجاء العاقبة، أيأس[9] من ذلك مذكرا للفعل إشارة إلى الشدة بقوله: ﴿ و كان عاقبة ﴾ أى آخر و منتهى و عقيب ﴿ امرها ﴾ [أى - [10]] فى جميع عملها الذى[11] كانت

(١) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: قبحها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ان.
(٥) زيد فى الأصل: اهل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بذلك (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: فسادا و نقل و عاقبة.
(٨) من ظ و م، و فى الأصل: قبله (٩) من ظ و م، و فى الأصل: ايسر.
(١٠) زيد من م (١١) من ظ و م، و فى الأصل: التى.

فيه

فيه ﴿ خسراه ﴾ اى نفس الخسر فى الدارين، فكلما امتد الأمر وجدوه أمامهم فان من زرع الشوك[1] كما قال القشيرى[2] لا يجنى الورد، [و -[3]] من أضاع حق الله لايطاع فى حظ نفسه، و من احترق بمخالفة أمر الله تعالى فليصبر على مقاساة عقوبة الله تعالى، ثم فسر[4] الخسر أو[4] استأنف الجواب لمن يقول: هل لها غير هذا فى هذه الدار، بقوله: ﴿ اعد الله ﴾ ٥ أى الملك الأعظم ﴿لهم﴾ بعد الموت[5] و بعد البعث ﴿عذابا شديدا[6]﴾.

و لما تمت الأحكام و دلائلها، و أحكمت الآيات و فواصلها، و التهديدات و غوائلها، كانت فذلكتها وثمرة سياقها و موعظتها ما تسبب عن ذلك من قوله تعالى تنبيها على ما يحيي الحياة الطيبة و ينجى فى الدارين: ﴿ فاتقوا الله ﴾ أى الذى له الأمر كله بامتثال أوامره ١٠ و اجتناب نواهيه.

و لما كان فى تخليص[6] المواعظ من الأحكام و استثمارها من فواصل [7]هذا الكلام أمر[7] عظيم هو من الرقة بمكان لايبصره إلا ذوو الأفهام قال تعالى: ﴿ يا أولى الالباب ﴾ أى العقول الصافية النافذة من الظواهر إلى البواطن ﴿الذين آمنوا﴾ أى خلصوا من دائرة الشرك و أوجدوا ١٥

(١) زيد فى الأصل: جنى ثمرة ما زرع، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢) زيد فى الأصل: من زرع الشوك، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: الخسران و (٥) زيد فى الأصل: وقبله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، وفى الاصل: تلخيص (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: هذه الاحكام امنوا.

الإيمان حقيقة ، ثم علل هذا الأمر بما ازال العذر فقال تنبيها على ما من علينا / به من المراسلة فان مراسلات الأكابر فخر فكيف بمراسلات ٣٩٦ / الملوك فكيف بمراسلة ملك الملوك حثا بذلك على شكره : ﴿قد انزل الله﴾ أى الذى له صفات الكمال ﴿اليكم﴾ [1]خاصة ﴿ذكرا[2]﴾ أى كاملا ٥ مذكورا فيه غاية الشرف لكل من يقبله بل تشرفت الأرض كلها بنزوله و رفع عنها العذاب و عمها النور و الصواب لأن فيه تبيان [3]كل شىء[3]، فمن استضاء بنوره اهتدى ، ومن لجأ إلى رد أفنائه وصل من داء[3] الجهل إلى شفائه .

و لما كان الرسول صلى الله عليه و سلم صورة سورة[4] القرآن ، ١٠ فالقرآن باطنه و هو ظاهره لأنه[5] خلقه لاقول له و لا فعل إلا به ، فكان كأنه هو ، أبدل منه قوله : ﴿رسولا﴾ على أن الأمر فيه غنى عن تأويل ، فان الذكر بكسر الذال فى اللغة كما فى القاموس من الرجال[6] القوى الشجاع الأبى ، ثم بين كونه ذكرا بقوله : ﴿يتلوا﴾ أى يتابع[7] أن يقص ﴿عليكم [1]ايٰت الله﴾ أى دلائل الملك الأعظم ذى الجلال ١٥ و الإكرام الظاهر جدا حال كونها ﴿مبينٰت﴾ أى لالبس فيها بوجه .

---

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لكل احد (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : داله . (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : صورة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لا (٦) زيد فى الأصل : الرجل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يبانغ .

و لما تبين أن الذكر و الرسول صارا شيئا واحدا، و علم ما فى هذه المراسلة[1] من الشرف، أتبع ذلك بيان شرف آخر ببيان ثمرة إنزاله فقال: ﴿ ليخرج الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بالشهادتين ﴿ و عملوا ﴾ تصديقا لما قالوه[2] بألسنتهم و تحقيقا لأنه من قلوبهم ﴿ الصلحت ﴾ [3]من الأعمال[3] ﴿ من الظلمت ﴾ أى النفسانية و الأخلاق الرذيلة[4] المؤدية ٥ إلى ظلمة الجوارح بعملها[5] الظلم و انتشارها فى السبل الشيطانية ﴿ الى النور[4] ﴾ الروحانى العقلى الخالص الذى لا دنس فيه بسلوك صراط[6] الله الذى هو [واحد -[7]] لا شتات فيه و بين لا لبس فيه " و أن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل " كما بادروا [7]إلى إخراج[8] أنفسهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، و من فساد الأعمال الصالحة [إلى سداد الأعمال ١٠ الصالحة -[7]]، و ذلك بأن يصيرهم متخلقين بالقرآن ليكونوا ظهرا [له -[7]] فى حركاتهم و سكناتهم و أقوالهم و أفعالهم فيكونوا[9] ذكرا.

و لما كان التقدير: فمن امن بالله و عمل صالحا شاهد بركات[10] ذلك فى نفسه عاجلا، عطف عليه بيانا لسعادة الآجلة قوله تعالى:

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: المراسلات (٢) من ظ و م، و فى الأصل: قالوا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الدميمة (٥) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: طريق (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: باخراج (٩) من ظ و م، و فى الأصل: قدم (١٠) فى ظ و م: بركة.

﴿ و من يؤمن بالله ﴾ أى يجدد فى كل وقت على الدوام الإيمان بالملك الأعلى بأن لايزال فى ترق فى معارج معارفه[1] ﴿ و يعمل ﴾ على التجديد المستمر ﴿ صالحا ﴾ لله و فى الله فله دوام النماء، و هو معنى إدخاله الجنة ، و لما كان قد تقدم[2] قريبا فى آية التقوى أنه يكفر عنه سيئاته، قال / شارحا لقوله " و يعظم له اجرا ": ﴿ يدخله ﴾ أى عاجلا مجازا بما يتيح[3] له من لذات العرفان و يفتح[4] له من الأنس آجلا حقيقة ﴿ جنت ﴾ أى بساتين هى فى غاية ما يكون من [جمع - *] جميع الأشجار و حسن الدار، و بين دوام ريها بقوله: ﴿ تجرى ﴾ و بين انكشاف كثير من أرضها بقوله: ﴿ من تحتها ﴾ أى[6] تحت غرفها ﴿ الانهر ﴾ أو [هو - *] كناية عن أن أرضها فى غاية الرى بحيث أن ساكنها يجرى فى أى موضع أراد [نهرا ، و - *] إلى زيادة عظمتها أشارت قراءة نافع و ابن عامر بنون العظمة[7] .

و لما أفرد الشرط و الجزاء إجراء على لفظ "من" إشارة إلى أنه لايشترط [فى - *] الإيمان و لا [فى - *] جزائه مشاركة أحد، و أنه لاتوقف للقبول[8] على شىء غير الوصف المذكور، جمع الحال بشارة

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : منافعه (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قدم. (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : ينتج (٤) من م ، و فى الأصل : ينتج ، و فى ظ : يتيح (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) راجع نثر المرجان ٧/٣٩٨ (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : المقبول .

بأن الداخلين كثير ، و أن الداخل[1] إلى دار الكرامة لا يحصل له[2] هوان بعد ذلك أصلا فقال : ﴿ خلدين فيها ﴾ و أكد معنى الخلود ليفهم الدوام بلا انقضاء فقال : ﴿ ابدا ﴾ و لما أعلم أن الخلود لكل الداخلين إلى الجنة رجع إلى الأسلوب الأول تنصيصا على كل فرد إبلاغا فى عظمة هذا الجزاء بقوله نتيجة لذلك ، منبها على أن هذه النتيجة من حقها أن يتوقع ٥ قولها [من - ٣] كل من سمع هذه البشرى : ﴿ قد احسن الله ﴾ أى الملك الأعلى ذو الجلال و الإكرام ﴿ له ﴾ أى خاصة ﴿ رزقا ﴾ أى عظيما عجيبا ، قال القشيرى : الرزق الحسن ما كان على حد الكفاية لا نقصان فيه يتعطل عن أموره بسببه و لا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رزق لحرصه ، كذلك أرزاق القلوب أحسنها أن يكون له من الأحوال ١٠ ما يستقل بها من غير نقصان و لا يتعذب بتعطشه[4] و لا يكون زيادة فيكون على خطر من مغاليط لا يخرج منها إلا بتأييد من الله سماوى .

و لما تقدم [أن - ٣] فائدة الذكر النقل من خلق إلى خلق ، و كان من المعلوم أن تحويل جبل من مكانه أيسر من تحويل شخص عن خلقه و شأنه ، و تقدم أن أجر المجاهدة فى ذلك الجنات الموصوفة ، ١٥ و كان ذلك يحتاج إلى قدرة تامة ، دل على قدرته سبحانه عليه بقوله : ﴿ الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال التى[5] القدرة الشاملة

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الداخلين (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لهم (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : من تعطشه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى به .

إحداها[1]، [ثم -[2]] أخبر عنه بما يدل على ذلك لأن الصنعة تدل على الصانع وعلى ما له من الصفات فقال: ﴿ الذى خلق ﴾ أى أوجد وحده من العدم بقدرته على وفق ما دبر بعلمه على هذا المنوال البديع القريب ﴿ سبع سمٰوٰت ﴾ أى[3] وإنهم يشاهدون[3] عظمة ذلك ويشهدون
٥ أنه لايقدر عليه إلا تام العلم كامل القدرة، ثم زاد على ذلك ما أتم أعرف به فقال: ﴿ ومن الارض مثلهن[4] ﴾ أى سبعا كما دل عليه
٣٩٨ / حديث سعيد بن زيد وعبد الله / بن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين[4] "من اخذ شبرا من الارض بغير حقه طوقه من سبع أرضين" [ولفظ ابن عمر رضى الله عنهما: خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين -[5]]،
١٠ وقد تقدم فى سورة السجدة ما ينفع[6] فى ذلك، وظاهره يدل على أنها كما هى مثلها فى العدد فهى مثلها فى الكرية[7] وإحاطة كل واحدة منها بالتى تحتها، وأن التى نحن عليها هى السابعة العليا كالسماء[8] السابعة[9] التى سقفها الكرسى لأن[10] ذلك أدل على [ما -[5]] السياق له من تمام العلم وشمول القدرة فى الاستدلال عليه [بقوله -[5]]: ﴿ يتنزل ﴾ أى
١٥ بالتدريج ﴿ الامر ﴾ [أى -[5]] الذى يجود به الرحمن من التدبير من

(١) من ظ و م، وفى الأصل: احدهما (٢) زيد من م (٣-٣) من م، وفى الأصل و ظ: انتم تشاهدون (٤) راجع المظالم من صحيح البخارى والمساقاة من صحيح مسلم (٥) زيد من ظ وم (٦) زيد فى الأصل: هنا، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٧) من ظ وم، وفى الأصل: الكوية (٨) من ظ وم، وفى الأصل: كما ان السماء (٩) زيد فى الأصل: هى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (١٠) من ظ وم، وفى الأصل: و.

أمر الدين و التكوين من العرش و الكرسى ﴿ بينهن ﴾ بالوحى من السماء السابعة العليا إلى الأرض السابعة السفلى و أنتم ترونهن بلا فروج فانفذ بينهن حتى نفذ فيهن، [و -[1]] ذالك - و الله اعلم - هو ما يريد من عظيم تدبيره بانزال[2] الكتب و إرسال الرسل و إثبات شريعة و محو أخرى و توجيه الأسباب إلى المسببات من المطر و النبات و الليل و النهار و الفصول و خلق الحيوانات و المعادن و سائر النباتات، و ترديد الملائكة بسائر المصنوعات، هذا ما دل عليه ظواهر الكتاب و السنة، و أولها بعضهم بأنها سبعة أقاليم، و هو مردود بعد القاعدة فى أن التأويل بغير دليل لعب بما يأتى من صريح الحديث النبوى و الكلام الضابط فيما يؤول و ما لا يؤول أن النقليات أربعة أقسام: قطعى السند و الدلالة، ظنيهما[3]، ظنى السند قطعى الدلالة، عكسه: قطعى السند ظنى الدلالة، فالأول يجب اعتقاد ظاهره، و من خالفه كفر، و البقية يجب اعتقاد ظواهرها ما لم تعارض، فان عورضت بقطعى وجب العدول عن الظاهر إجماعا، فمن اعتقده كفر، ثم للناس بعد ذلك مذهبان: أما السلف فيفوضون المراد إلى الله تعالى، و أما الخلف فان كان لذلك محمل واحد عينوه، و إن كان ثَمّ محامل سردوها و لم يعينوا شيئا منها مع اعترافهم بأنهم ليسوا على قطع من أن المراد شيء مما ذكروه، و إنما هو شيء يليق بالمقام [4]و العلم عند[4] الله و بأن طريق السلف [5]أقرب و أسلم و بانه

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بانزاله (٣) من ظ و م، و فى الأصل: طنيها (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: ولا يعلمه الا الله.
(٥-٥) سقط ما بين الرتين من ظ و م.

ما حملهم على التأويل[1] الا إنتشار المبتدعين و إشهارهم بدعتهم بين الناس ، قال الإمام علاء الدين القونوى رحمه الله تعالى فى باب السير من شرحه الحاوى : قال الإمام - يعنى إمام الحرمين : ولو بقى الناس على ما كانوا عليه من صفوة الإسلام لما أوجبنا التشاغل بعلم الكلام بل ربما نهينا عنه ، و أما الآن و قد ثارت / البدع فلا سبيل إلى تركها تلتطم[2] أمواجها فلابد من إعداد ما يدعى به إلى المسلك الحق و تحل به الشبه ، فصار الاشتغال بأدلة المعقول و حل[3] الشبه من[4] فروض الكفايات ، و من استراب فى أصل من أصول الاعتقاد فعليه[5] السعى فى إزاحته[6] إلى أن يستقيم عقده - انتهى . ثم إنك تجد العلماء يختلفون فى بعض الأدلة فبعضهم يجريها على الظاهر و بعضهم يؤول ، و ذلك للاختلاف فى المعارض هل هو قطعى الدلالة [أم لا -[7]] ، [8]و هذا[8] الموضع منه ، فان ظواهر الكتاب [و السنة -[7]] تدل على أن الأرضين مثل السماوات فى العدد فى أن بينهما خلاء ، و [فى -[9]] أن فى كل واحدة مخلوقات لا يعلمها إلا الله ، بل بعض الأخبار يكاد يقطع به فى ذلك ، و لكنه لم يخرج عن أن يكون ظنياً فأكثر العلماء و محققوهم على أن المعارض - و هو ما قاله

٣٩٩/ ٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : التبديل (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ينظم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حق (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : « و » (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : وعليه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لزالته (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : انه لا فعل . (٩) زيد من م .

أهل علم الهيئة من[1] الأدلة على كونها واحدة - ليس بقطعى، فأولوا كونها سبعة بالأقاليم[2] السبعة، و قد رأيت فى التعدد [حقيقة -[3]] حديثا صريحا لكن لا أدرى حاله[4]، [5]ذكره ابن برجان[5] فى اسمه تعالى الملك من شرحه للأسماء الحسنى قال: إن النبى صلى الله عليه و سلم قال: أتدرون ما تحت[6] هذه الأرض، قالوا[7]: الله و رسوله أعلم، قال: [ماء -[3]]، أتدرون ما تحت ٥ ذلك، قالوا: الله و رسوله أعلم، [قال: هواء، أتدرون ما تحت ذلك: قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: أرض، أتدرون ما تحت ذلك؟ قالوا: الله و رسوله أعلم -[3]] - حتى عد سبع ارضين، ثم رأيته[8] فى الترمذى[9] عن أبى رزين العقيلى و لفظه: هل تدرون ما الذى تحتكم، قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: إنها الأرض، ثم قال: هل تدرون ما تحت ذلك؟ ١٠ قالوا: الله و رسوله أعلم، قال: إن تحتها أرضا أخرى بينهما خمسمائة سنة - حتى عد سبع أرضين بين كل أرضين مسيرة خمسمائة سنة، ثم رأيت فى الفردوس[11] عن ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: ما بين السماء إلى السماء [مسيرة -[3]] خمسمائة عام، و عرض كل سماء و ثخانة كل سماء خمسمائة عام، و ما بين السماء السابعة و بين الكرسى ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مع ان (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الاقاليم. (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ما حاله (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: ذكره ابوحبان (٦) زيد فى الأصل: الارض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: قال (٨) فى ظ: رايت (٩) راجع أيضا مسند الإمام أحمد ٢ / ٣٧٠ (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: أتدرون (١١) راجع المخطوطة ٢٥٠/ب.

و العرش مثل ذلك ، و ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائه عام ، و الأرضون و عرضهن و ثخانتهن مثل ذلك .

و لما ذكر سبحانه الصنعة تنبيها على التفكر فيها و الاعتبار بها ، ذكر أن ثمرتها العلم بصفاته بعد العجز عن إحاطة العلم عقب ذاته تعالى

٥ [فقال - [1]] : ﴿ لتعلموا ﴾ أى بهذا [2] العالم الذى أوجده بتسوية كل واحد من القبيلين [3] سبعا كل واحده بينها و بين الأخرى مسافة بعيدة مع الكثافة الزائدة و أنتم تعلمون أنه لا يفصل [الجسم - [1]] و لاسيما الكثيف عن آخر مثله إلا فاصل قاهر [4] بقوة باهرة [5] و قدرة ظاهرة و علم شامل لما يحتاج إليه ذلك ، فكيف إذا كان على هذا المنهاج البديع

٤٠٠ / ١٠ / و الوجه المنيع على مر الدهور و الأحقاب و تعاقب [6] الشهور و الأعوام على حساب معلوم و نظام منظوم ، لا يدركه إلا أعلى الناس حسابا و أعظمهم صوابا ، مع المنافع التى تفضل عن سكانها [7] ، و المرافق التى تنزه الخالق بآثارها و أعيانها ، و توقظ الغافل و تنبه الجاهل و تدمغ المعاند ببرهانها [8] ، فانه لا يسع [9] أحدا المنازعة [10] فى خلقه لها ، و من خلقها قدر على تدبيرها

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ان هذا (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : القبلتين (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ظاهر (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قاهرة (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عواقب (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يكانها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بنزاهتها . (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يسمع (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : المعازة .

على الوجه المذكور ، و من كان كذلك كان منزها عن الشريك قطعا ، و من كان كذلك قدر على كل شيء فلذا[1] قال : ﴿ ان الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له الإحاطة كلها ﴿على كل شيء ﴾ أى من غير هذا العالم ممكن أن يدخل تحت المشيئة فانه بمعنى مفعول[2] من عالم آخر مثل هذا العالم ، و أبدع منه و أبدع من ذلك الإبداع إلى ما لا نهاية له ٥ بالاستدلال بهذا العالم . فان من قدر على إيجاد ذرة من العدم قدر على إيجاد ما هو دونها و مثلها و فوقها إلى ما لا نهاية له لأنه [لا -[3]] فرق فى ذلك بين قليل و لا كثير جليل أو حقير " ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت " و إياك أن تلتفت إلى من قال : [إنه -[3]] ليس فى الامكان أبدع[4] من هذا العالم ، فانه مذهب فلسفى خبيث ، و الآية نص ١٠ فى إبطاله و إن نسبه بعض الملحدين[5] إلى الغزالى [6] فانى لا أشك[6] أنه مدسوس عليه فانه مذهب فلسفى خبيث بشهادة الغزالى كما بينت ذلك فى كتابى " تهديم الأركان [7]على من قال[7] ليس فى الإمكان أبدع مما كان " و كتابى [" دلالة البرهان على أن فى الإمكان أبدع مما كان " و كتابى -[3]] " إطباق الأغلال فى أعناق الضلال " و مع كونه مذهب ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فلذلك (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مفعل .
(٣) زيد من ظ و م (٤) بهامش الأصل : مطلب ما فى الرد على من قال : ليس فى الامكان أبدع من هذا العالم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المحدثين
(٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فانه لا شك (٧-٧) فى ظ و م : من .

الفلاسفة أخذه[1] أكفر المارقين ابن عربي و أودعه[2] فصوصه و غير ذلك من كتبه و استند [فيه -[3]] فى بعضها إلى الغزالى إتقانا لمكره - أعاذنا[4] الله من شره، و الغزالى برىء منه بشهادة ما وجد من عقائده فى الإحياء و غيره ﴿ قدير ﴾ أى بالغ القدرة .

٥ و لما كانت إحاطة العلم دالة على تمام القدرة و إليهما يرجع جميع الأسماء و الصفات قال : ﴿ و ان الله ﴾ أى الذى له جميع صفات الكمال ﴿ قد احاط ﴾ لتمام قدرته ﴿ بكل شىء ﴾ مطلقا، و لما أسند [5]الإحاطة إليه[5] سبحانه تعظيما لها، بين جهتها بتمييز محول[6] عن الفاعل فقال : ﴿ علما ﴾ فله الخبرة التامة بما يأمر به من الأحكام فى العلم بمصالحه و مفاسده

١٠ فعاملوه معاملة من يعلم إحاطة علمه فيعلم أنه رقيب عليه فاذا طلقتم[7] فافعلوا ما أمركم به لتسلموا فى الدين و تسعدوا فى الآخرة و الأولى، و دروا فى جميع أموركم مثل ما دبر به أمركم فى تربيتكم و مسكنكم أرضه و سقفه / فانه جعل فيه جميع ما تحتاجونه و بسطه نواله على من ٤٠١ / يرضيه و من يسخطه و نشر حلمه و فضله و أخر بأسه و عدله فقد عائق

١٥ أخرها أولها و بين [8]مجملها و مفصلها[8] [9]و الله يعلم بذات الصدور[9] .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اكثره (٢) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ و م : اعاذ (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اليه الاحاطة (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : محو (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اطعتم (٨ - ٨) من ظ و م ، و فى الأصل : مفصلها و مجملها (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة التحريم[1] و تسمى سورة النبي صلى الله عليه و سلم

مقصودها الحث على تقدير التدبير فى الأدب مع الله و مع رسوله صلى الله عليه و سلم و مع سائر العباد و الندب إلى التخلق بالأدب[2] الشرعى و حسن المباشرة لا سيما [للنساء -[3]] اقتداء بالنبي صلى الله عليه و سلم فى حسن عشرته و كريم صحبته و بيان أن الأدب الشرعى تارة ٥ يكون باللين و الأناة ، و أخرى بالسوط و ما داناه و مرة بالسيف و ما والاه ، و كل من اسميها التحريم و النبي[4] صلى الله عليه و سلم موضح لذلك ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الكمال كله على الدوام ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم عباده بعظيم الإنعام ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الذى أتم على خواصه[5] نعمه الإسلام .

لما ختم سبحانه الطلاق باحاطة علمه[6] و تنزل أمره بين الخافقين ١٠ فى تدبيره ، دل عليه أول هذه باعلاء أمور الخلق بأمر[7] وقع بين خير خلقه و بين نسائه اللاتى من خير النساء و اجتهد[8] كل فى إخفاء ما تعلق به منه فأظهره سبحانه عتابا لأزواج نبيه صلى الله عليه و سلم فى صورة عقابه[9] لأنه أبلغ رفقا به لأنه يكاد[10] من شفقته أن يبخع نفسه الشريفة

---

(١) السادس و الستون من سور القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آيها (١٢).
(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : والأدب (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : التسمية بالنبي (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : على عباده خواص الانعام و(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : علم (٧) فى ظ و م : امر (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : اجتهاد (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : عذابه (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يكاد .

رحمة لأمته تارة لطلب رضاهم و أخرى رغبة فى هداهم، لأنه صلى الله عليه و سلم بالغ فى تهذيب أخلاقه مع ما طهره الله به من نزاهتها عن كل دنس حتى ضيق [عليها - [1]] بالامتناع عن بعض ما أبيح له حفظا لخاطر الغير، فقال تعالى مناديا له بأداة البعد و هو أقرب أهل الحضرة مع أنها معدة لما يكون ذا خطب جليل و معنى جسيم جليل، و فيها إيماء إلى تنبيه الغير و إسماعه إرادة لتأديبه و تزكيته و تهذيبه: ﴿يا ايها النبى﴾ مخاطبه [2]بالوصف الذى يعلم[1] بالعصمة و يلائمه[3] أشد الملائمة[4] خلو البال و سرور القلب و انشراح الصدر لأنه للتلقى[5] عن الله تعالى فيحث كل سامع على البعد عن[6] كل ما يشوش عليه صلى الله عليه و سلم أدنى تشويش ﴿لم تحرم﴾ أى تفعل [فعل المحرم - [1]] بمنع نفسك الشريفة ﴿ما احل الله﴾ أى الملك الذى لا أمر لأحد /معه ﴿لك ج﴾ بالوعد [7]لبعض أمهات[7] المؤمنين رضى الله عنهن بالامتناع من شرب العسل الذى كان عند حفصة أو زينب رضى الله عنهما و الامتناع من ملامسة سريتك مارية رضى الله تعالى عنها فتضيق على نفسك لإحسان العشرة مع نسائك رضى الله عنهن أجمعين، فان النبى صلى الله عليه و سلم كان يشرب عسلا عند حفصة بنت عمر أو زينب بنت جحش رضى الله عنهما على اختلاف

/٤٠٢

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بملاءمة (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لتلقى (٦) من ظ و م، و فى الأصل: على (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: لامهات.

الروايتين فى ذلك فى الصحيح[١]، و فى رواية أنه صلى الله عليه و سلم كان إذا صلى الغداة دخل على نسائه رضى الله عنهن امرأة امرأة، و كانت قد أهديت[٢] لحفصة بنت عمر[٣] رضى الله عنهما عكة من العسل، فكانت[٤] إذا دخل [عليها فسلم -[٥]] حبسته[٦] و سقته منها، و أن عائشة رضى الله عنها أنكرت[٣] احتباسه عندها فقالت لجويرية عندها حبشية يقال لها خضرة: ٥ إذا دخل رسول الله صلى الله عليه و سلم على حفصة فادخلى عليها[٧] فانظرى ماذا يصنع فأخبرتها الخبر فوصت صواحباتها فنفرنه من شربه باخباره بأنه يوجد منه ريح كريهة لأن نحله جرست العرفط، فقال: لن أعود له، و روى الطبرى[٨] و[٩] ابن مردويه أنه صلى الله عليه و سلم خلا بمارية رضى الله عنها أم ولده إبراهيم عليه السلام فى بيت حفصة رضى الله عنها ١٠ [فتوجعت من ذلك حفصة رضى الله عنها -[٥]] فقال هى [على -[٥]] حرام و لا تذكرى [ذلك -[٥]] لأحد و أبشرك على ذلك بشارة، و هى أن أبا بكر يلى هذا الأمر من بعدى و أباك يليه من بعد أبى بكر رضى الله عنهما. لا تخبرى بذلك أحدا، فأخبرت عائشة رضى الله عنها، و يروى أن حفصة رضى الله عنها قالت فى يومها من النبى صلى الله ١٥ عليه و سلم: إن بى إلى أبى حاجة نفقه [لى -[٥]] عنده فأذن لى أن

(١) راجع أبواب الطلاق (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اهدت (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فكان.
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: احتبسته (٧) من ظ و م، و فى الأصل: عليه (٨) راجع التفسير ٢٨ / سورة التحريم.
(٩) من ظ و م، و فى الأصل: من طريق.

أزوره و آتى بها، فاذن لها فلما خرجت أرسل إلى جاريته مارية القبطية رضى الله عنها فوقع عليها فأتت حفصة فوجدت الباب[1] مغلقا فجلست عنده فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم و وجهه يقطر عرقا و حفصة تبكى فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت[2]: إنما أذنت [لى - [3]] من أجل هذا وقعت عليها فى يومى و على فراشى، أما رأيت [لى - [4]] حرمة و حقا ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن، فقال صلى الله عليه و سلم: أليس هى جاريتى قد أحلها الله لى اسكتى فهى [5]على حرام[5] ألتمس بذاك رضاك فلا تخبرى بهذا أحدا، فلما خرج أخبرت عائشة رضى الله عنها فحلفته على ترك مارية رضى الله عنهن. ثم علل ذلك سبحانه بقوله: ﴿ تبتغى ﴾ [أى - [4]] تريد إرادة عظيمة من مكارم أخلاقك و حسن صحبتك / ﴿ مرضات ازواجك[6] ﴾ أى الأحوال و المواضع و الأمور التى يرضين بها و من أولى بأن[6] تبتغين رضاك و كذا جميع الخلق لتفرغ لما يوحى إليك من ربك لكن ذلك للزوجات أكد. /٤٠٣

و لما كان أعلى ما يقع به المنع من الأشياء من جهة العباد الايمان، و كان تعالى قد جعل من رحمته لعباده لايمانهم كفارة قال: ﴿ والله ﴾ أى[7] تفعل ذلك لرضاهن و الحال أن الله الملك الأعلى ﴿غفور رحيم﴾

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فقال. (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: حرام على (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٧) زيد فى الاصل: المحيط بكل شىء علما و قدرة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

اى محاء ستور لما يشق على خلص عباده مكرم لهم ، ثم علل أو[1] بين بقوله : ﴿ قد فرض الله ﴾ أى قدر ذو الجلال و الإكرام الذى لا شريك له و لا أمر لأحد معه ، و عبر بالفرض حثا على قبول الرخصة إشارة إلى [أن -[2]] ذلك لا يقدح فى الورع و لا يخل بحرمة اسم الله لأن أهل الهمم العوالى لا يحبون النقلة من عزيمة إلى رخصة بل من رخصة إلى عزيمة ، أو عزيمة إلى مثلها .

و لما كان التخفيف على [3]هذه الأمة[3] [4]إنما هو كرما منه[4] و تعظيما [5]لهذا النبى[5] صلى الله عليه و سلم قال : ﴿ لكم ﴾ [أى -[2]] أيتها الأمة التى أنت رأسها ، و عبر بمصدر حلل المزيد مثل كرمه و تكرمه إظهارا لمزيد الغاية فقال : ﴿ تحلة ﴾ أى تحللة ﴿ ايمانكم[6] ﴾ أى شيئا يحللكم مما أوثقتم به أنفسكم منها تارة بالاستثناء و تارة بالكفارة تحليلا عظيما بحيث يعيد الحال إلى ما كان عليه قبل اليمين ، و قد بين ذلك فى سورة المائدة فحلل يمينك و اخرج من تضييقك على نفسك و اشرح من صدرك لتتلق ما يأتيك من أنباء الله تعالى و أنت [متفرغ -[2]] له بطيب النفس و قرة العين ، و هذا يدل على أن قوله « انت على حرام » كالبين إذ[6] لم يقصد به طلاقا[7] للزوجة و لا إعتاقا للأمة ، و إذا كان الله قد فرض ذلك [8]لكافة الأمة[8] تيسيرا عليهم فرأسهم أولى بأن يجعل له ذلك ، قال مقاتل :

---

(١) من ظ و م . و فى الأصل : ايضا و (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) فى ظ و م : امته (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥-٥) فى ظ و م : له (٦) فى ظ و م : اذا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : طلاق (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : للأمة .

فأعتق صلى الله عليه و سلم فى هذه الواقعة رقبة ، و [قد -[1]] قيل : إن تحريمه صلى الله عليه و سلم هنا كان بيمين حلفها و حينئذ لا يكون فيه حجة لمن رأى أن « أنت على حرام » يمين ﴿ و الله[2] ﴾ أى و الحال أن المختص[3] بأوصاف الكمال ﴿ مولـكم ج ﴾ أى يفعل معـكم فعل القريب الصديق ﴿ وهو ﴾ أى وحده[4] ﴿ العليم ﴾ [أى -[1]] البالغ العلم بمصالحكم و غيرها إلى ما لا نهاية له ﴿ الحكيم ه ﴾ أى الذى يضع كل ما يصدر عنه لكم فى أتقن محا له بحيث لا ينسخه هو و لا يقدر غيره أن يغيره و لا شيأ منه ، و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لا خفاء بشدة اتصال هذه السورة بسورة الطلاق لا تحاد مرماهما و تقارب معناهما ، و قد ظن أن رسول الله صلى الله عليه و سلم طلق نساءه حين اعتزل فى المشربة[5] حتى سأله عمر رضى الله عنه و القصة معروفة و تخييره صلى الله عليه و سلم إياهن أثر ذلك و بعد اعتزالهن / شهرا كاملا و عتب الله عليهن فى قوله "و ان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه" و قوله "عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن" الآية ، فهذه السورة و سورة الطلاق أقرب شيء و أشبه بسورة الانفال و براءة لتقارب المعانى و التحام المقاصد - انتهى . /٤٠٤

(١) زيد من ظ و م (٢) ليس فى الأصل (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : المتصف (٤) زيد فى الأصل : لا شريك له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٥) زيد فى الأصل فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : المدينة .

و لما كانت العادة فيمن رأى حبيبه قد ضاق صدره أن يسعى أولا فى شرح [1]صدره و طيب نفسه[1] ثم يزيده بسطا بأن يقول للحاضرين: إن حبيبنا هذا الكريم علينا اتفق له كذا، و قد كرهت [هذا -[2]] و ضمنت زواله، وكان تعالى قد طيب نفسه صلى الله عليه و سلم بأول السورة، ثم[3] أتبعه الأمر الآخر، فكان التقدير: اذكروا هذا الذى ذكرته من حسن عشرة نبيكم صلى الله عليه و سلم لنسائه رضى الله تعالى عنهن [4]و كريم صحبته و شريف[4] أخلاقه و [جميل -[2]] أفضاله و جليل حلمه و اذكروا ما خفف الله به عنكم فى الأيمان التى لا مثنوية فيها [و اذكروا فيها -[2]] اسمه المقدس، عطف عليه قوله تعالى تشريفا لنبيه صلى الله عليه و سلم بالمعاتبة [عليه -[2]] و باظهار ما هو حامل له من ثقل هذا السر على أجمل وجه تخفيفا عنه و ترويحا له: ﴿ و اذ ﴾ أى [و -[5]] اذكروا كريم اخلاقه صلى الله عليه و سلم و طاهر شمائله فى عشرتهن حين ﴿ اسر النبى ﴾ أى الذى شأنه أن يرفعه الله دائما بأن يتلقى من فياض علمه ما يخبر به الناس فانه ما ينطق عن الهوى و أبهم الزوجة و لم يعينها سبحانه تشريفا له صلى الله عليه و سلم و لها رضى الله عنهن فقال تعالى: ﴿ الى بعض ازواجه ﴾ و هى حفصة رضى الله [عنها، كنى -[2]] عنها صيانة لهن لأن حرمتهن رضى الله عنهن من حرمته صلى الله عليه

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: نفسه و طيب صدره (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: لطيف صحبته و كريم (٥) زيد من م.

و سلم ﴿حديثا﴾ ليس هو من شأن الرسالة و لو كان من شأنها لهم به و أعلنه و لم يخص به و لا أسره و ذلك هو تحريم مارية رضى الله عنها و وعده بأن[1] يترك العسل و بشارته بولاية أبى بكر و عمر رضى الله عنهما و لم يبين الحديث و يفصله إكراما له صلى الله عليه و سلم و حفظا لسره ٥ لأن العادة جارية بأن الإنسان لا يحب تفصيل سره و إن كنا اطلعنا عليه بعد ذلك لنتاسى به فيما فيه من الأحكام ، فان أحواله صلى الله عليه وسلم كلها أحكام لنا إلا ما اختص به و أشار إلى قرب زمن إفشائه من زمن التحديث بالفاء فى قوله تعالى : ﴿ فلما نبأت ﴾ أى أخبرت إخبارا عظيما جليلا لشرفه فى نفسه و لأنه من عند الله و بالغت فى ذلك و أخبرت ١٠ ﴿ به ﴾ كله من جميع وجوهه ، و جعل ذلك فى[2] سياق حكاية لأنه أستر لحرمه[3] صلى الله عليه و سلم حيث لم يقل : فنبأت [به -[4]] و لا قال : أساءت بالإنباء به ، و نحو ذلك مما يفهم/أنه مقصود بالذات ﴿و اظهره الله﴾ ٤٠٥ / أى أطلعه الملك الذى له الإحاطة بكل شىء ﴿ عليه ﴾ أى الحديث بأنه قد أفشى مناصحة له فى إعلامه بما يقع فى غيبته ليحذره إن كان ١٥ شرا و يثيب عليه إن كان خيرا ﴿ عرف ﴾ اى النبى صلى الله عليه و سلم التى أسر إليها ﴿ بعضه ﴾ و هو أمر الخلافة عتابا لها عليه لأنه كان أوصاها أن لا تظهره ، و الكف عن بعض العتب[5] أبعث على حياء

(١) فى ظ و م : أن (٢) زيد فى الأصل : حكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لحرمته (٤) زيد من ظ و م . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الغيب .

المعتوب و أعون على توبته و عـدم عدده إلى فعل مثله ﴿ و اعرض عن بعض ج ﴾ و هو أمر السرية و العسل تكرما منه أن يستقصى فى العتاب و حياء و حسن عشرة، قال الحسن: ما استقصى كريم قط، و قال سفيان الثورى: ما زال التغافل من فعل الكبراء[1] و إنما عاتب على أمر الخلافة خوفا [من -[2]] أن ينتشر فى الناس و يذيع، فربما أثار حسدا ٥ من بعض المنافقين و أورث الحسود للصديق و الفاروق كيدا أو جر إلى مفسدة[3] لا نعلمها، و خفف الكسائى[4]: عرف أى أقر به و المعرفة سبب التعريف و التعريف عن المعرفة فاطلاق أحدهما على[5] الآخر شائع و علاقته ذلك و أشار إلى مبادرته بتعريفها ذلك لئلا ينتشر ما يكرهه منه بقوله: ﴿ فلما نباها ﴾ [6]بما فعلت من إفشاء ما عرفها منه على وجه لم يغادر من ذلك ١٠ الذى عرفها ﴿ به ﴾ شيئا منه و لا من عوارضه ليزداد بصيرة، روى أنها قالت: قلت لعائشة رضى الله عنها سرا و أنا أعلم انها لا تظهره. قاله الملوى و هو معنى قوله: ﴿ قالت ﴾ أى ظنا منها أن عائشة رضى الله عنها أفشت عليها ﴿ من انباك هذا[1] ﴾ أى مطلق إخبار، و استأنف قوله: ﴿ قال نبانى ﴾ و حذف المتعلق اختصارا للفظ و تكثيرا للمعنى بالتعميم إشارة إلى أنه ١٥ أخبره بجميع ما دار بينها و بين عائشة رضى الله عنهما مما عرفها به و من غيره على أتم ما كان ﴿ العليم ﴾ أى المحيط بالعلم ﴿ الخبير ٥ ﴾ أى المطلع

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الكرام (٢) زيد من ظ و م (٣) فى ظ و م: فساده (٤) راجع نثر المرجان ٧ / ٤٠٤ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عن.
(٦) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

على الضمائر[1] و الظواهر فهو أهل لأن يحذر فلا يتكلم سرا و لا جهرا إلا بما يرضيه .

و لما عرف من هذا أن المعاتب المنبئة و من نباته ، و كان قد يكون عددا[2] أشار إلى أنه واحد فالمعاتب ثنتان ، و كانتا قد اتسعت قلوبهما لما يأتى من قبل الله من الرغائب [بهذا العتاب على هذا الأمر الخفى جدا و الكرم عليهما فيه بعدم الاستقصاء فمالت قلوبهما إلى المعالى و غاصت على جليل المعارف فصاغت من جواهر ذلك دقيق المعانى ، لفت إليهما الخطاب بلطيف العباد -[3]] لشريف المتاب ، فقال تشريفا آخر له صلى الله عليه و سلم بالإقبال على نسائه رضى الله تعالى عنهن بالعتاب لأجله قياما عنه بما ربما أزعجه لو باشره حفظا لخاطره الشريف مما قد يغره ﴿ ان تتوبآ ﴾ أى يا عائشة و ياحفصة مما صنعته حفصة بالافشاء و عائشة بالاحتيال على المنع من شرب العسل و التحليف / على ماريه ﴿ الى الله ﴾ أى الملك الذى أحاط علمه فجلت قدرته و لطف بهما لأجله صلى الله عليه و سلم غاية اللطف فى قوله : ﴿ فقد صغت ﴾ أى مالت و غاضت بما صاغت ﴿ قلوبكما ﴾ و فى جمع[4] القلوب جمع كثرة تأكيد[5] لما فهمته من ميل القلب بكثرة المعارف بما أفادهما إظهار هذا السر و العتاب عليه من الحياء ، فصارتا جديرتين بالمبادرة إلى التوبة متأهلتين لذلك غاية التأهل .

/٤٠٦

و لما أورد ما صارتا حقيقيتين[6] به بأداة الشك إقامة للسامع بين

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : ابواطن (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عدوا
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : جميع (٥) فى م : تاييد
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : حقيقين .

الخوف و الرجاء من ذلك و هو أعلم بما يكون أكمل ذلك بذكر شق الخوف، فقال معلما بأن[1] الملك و أوليائه أنصار[2] له ﴿ و ان تظهرا ﴾ بالتشديد للادغام فى قراءة الجماعة لأن التظهر[3] هنا إن وقع كان على وجه الخفاء فى أعمال[4] الحيلة فى أمر مارية رضى الله عنها و العسل و ما يأتى من مثل ذلك مما يبعث عليه الغيرة ﴿ عليه ﴾ أى النبى صلى الله عليه و سلم المنبأ من قبل الله [1]بما يرفع قدره و يعلى ذكره، و قراءة الكوفيين بالتخفيف باسقاط إحدى التائين إشارة إلى سهولة أمر هذه المظاهرة و قلة أذاها له صلى الله عليه و سلم .

و لما كان المعنى كأنه لا يبالى بمظاهرة كما عبر عنه بعلته، فقال مؤكدا إعلاما بأن حال المتظاهرين عليه حال المنكر لمضمون الكلام : ﴿ فان الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى لا كفوء له ﴿ هو ﴾ أى بنفسه الأقدس و حضرة غيب غيبه التى لا يقوم لما لها من العظمة شىء ﴿ مولٰه ﴾ أى ناصره و المتولى من أمره ما يتولاه القريب الصديق القادر[5] و كل من له وعى يعلم كفايته سبحانه فى ذلك فهو يعمل[6] أبلغ ما يعمله[7] مولا مع من[8] هو متول لأمره[9] و فى معاونته[10] لنبيه صلى الله عليه و سلم إظهار

(١) فى م : ان (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : انصارا (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : التظاهر (٤) من و م ، و فى الأصل و ظ : الأعمال (٥) من ظ و م . و فى الأصل : الصادق (٦) من ظ و م . و فى الأصل : يعلم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يعلمه (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : امره (١٠) من ظ و م . و فى الأصل : معاتبته .

لشرفه و مراعاة [1]لحفظ خاطره[1] و شرح[2] لصدره .

و لما كانت النفوس لمبنى هذه الدار على حكمة الأسباب مؤكلة[3] بها ناظرة أتم نظر إليها ، و كان نساء النبي صلى الله عليه و سلم لكثرة ما يتلى فى بيوتهن[4] من آيات الله و الحكمة على لسان جبريل عليه الصلاة ٥ و السلام و كثرة تردده إلى النبي صلى الله عليه و سلم فى بيوتهن ويعلمهن قد صار عندهن بذلك من الأسباب الظاهرة المألوفة ، وكان هو أعظم أنصار النبي صلى الله عليه و سلم قال : ﴿ و جبريل ﴾ لأنه من أعظم الأسباب التى يقيمها الله سبحانه .

و لما كان الحامل على مظاهرته صلى الله عليه و سلم على [كل -[5]] ١٠ ما يريده الايمان [فكل -[5]] ما كان الإنسان فيه أمكن [كان -[5]] له أشد مظاهرة و أعون قال : ﴿ و صالح المؤمنين ج ﴾ أى الراسخين فى رتبة الإيمان و الصلاح من الإنس و الجن و أبواهما رضى الله عنهما أعظم مراد بهذا ، و قد روى أن عمر رضى الله عنه قال للنبى صلى الله عليه وسلم : لو أمرتنى لأضربن عنقها ، و الصالح و إن كان / لفظه مفردا فمعناه الجمع ٤٠٧ / ١٥ المستغرق لأنه للجنس ، و دل على ذلك مع دلالة السياق إضافته للجمع و لعله عبر بالإفراد مع أن هذا المراد للاشارة إلى قلة المتصف بهذا[6]

(١ - ١) من ظ و م ؛ و فى الأصل : لخاطره (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : شرحا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : هو كلمة (٤) زيد فى الأصل : ويعلمهن و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بمنا .

جدا لقلة الراسخين فى الإيمان و قلة الراسخين فى الصلاح من الراسخين فى الإيمان فهو قليل من قليل و [قد -[1]] جوز بعضهم أن يكون جمعا و أنه حذفت واؤه فى الرسم على خلاف القياس و هى محذوفة [2]فى الوصل لالتقاء[2] الساكنين ، فظن لذلك مفردا و دخل[3] فى ذلك جبريل عليه السلام أيضا . ٥

و لما كان الله سبحانه و تعالى قد أعطى الملائكة من القوى و التصرف فى الظواهر و البواطن ما يجل عن الوصف ، قال تعظيما للمقام بعد تعظيمه بما ذكر من رئيس الكروبيين عليهم الصلاة و السلام ﴿ و الملئكة[1] ﴾ أى كلهم و منهم جبريل عليهم الصلاة و السلام فهو مذكور خصوصا و عموما ثلاث مرات إظهارا لشدة محبته و موالاته للنبى صلى الله عليه ١٠ عليه و سلم . و لما كان المراد التعميم فى الزمان و المكان بعد التعميم فى الصالحين من الملائكة و الانس و الجان ، قال من غير جار معظما لنصرة الملائكة لما لهم من العظمة فى القلوب لما تقرر لمن باشر منهم العذاب تارة بالرجفة و أخرى بالصعقة[4] و تارة بالخسف و أخرى بغير ذلك ، فكيف إذا تصور الآدمى المقيد بالمحسوسات اجتماعهم على ما لهم من الأشكال ١٥ المهولة ﴿ بعد ذلك ﴾ أى الأمر العظيم الذى [تقدم -[1]] ذكره و هو مظاهرة الله و من ذكر معه ﴿ ظهير ٥ ﴾ أخبر عن الجمع باسم الجنس

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : للوصل عند التقاء .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بالصعق .

إشارة إلى أنهم على كلمة واحدة فى المظاهرة، فخوف بهذا[1] كله لأجل المتاب لطفا به صلى الله عليه و سلم و إظهارا لعظمته و فى قصة صاحب ياسين قال "و ما انزلنا على قومه" الآية، تحقيرا لقومه و إهانة لهم، و يجوز أن يكون[2] "ظهير" خبر جبريل عليه الصلاة و السلام، و خبر ٥ ما بعده محذوف لدلالته عليه أى كذلك.

و لما حذر بما تقدم، زاد فى التحذير ما[3] يقطع القلوب لأن[4] أشد ما على المرأة أن تطلق ثم إذا طلقت أن تستبدل بها ثم أن يكون البدل خيرا منها فقال مبينا لأدنى أنواع المظاهرة سائقا الأمر مساق الرجاء إشارة إلى أنه يكفى العاقل فى الخوف [تجويز -] احتمال الضرر ١٠ فكيف إذا كان الأمر حتما لأن من المعلوم أن «عسى» من الله على طريق الكبراء لا سيما الملوك فى اكتفائهم بالإشارات و الرموز فمن[6] هنا كانت واجبة لأنه ملك الملوك و هو ذو الكبرياء فى الحقيقة لا غيره ﴿عسى ربه﴾ أى المحسن إليه بجميع [7]أنواع الإحسان[7] التى عرفتموها [8]و ما لم تعرفوه[8] جدير[9] و حقيق، و وسط بينها و بين خبرها اهتماما و تخويفا

٤٠٨ / ١٥ قوله: ﴿إن طلقكن﴾ أى بنفسه من / غير اعتراض عليه جمع أو بعضكن

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بذلك (٢) زيد فى الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م. و فى الأصل: بما (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لأنه (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل ومن (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: الاحسانات (٨ - ٨) من ظ و م، و فى الأصل: لم تعرفوها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: أكبر و أجدر.

بإيجاد الطلاق لمن لم يطلقها و ادامته[1] من طلقها ﴿ ان يبدلَه ﴾ منكن بمجرد طلاقه لكن من غير أن تحوجه إلى التفتيش[2] تبديلا مبالغا فيه بما أشارت إليه قراءة نافع و أبي جعفر و أبي عمرو بالتشديد[3]، فهي أبلغ من قراءة الباقين بالتخفيف الدال على مطلق الابدال الصالح للمبالغ فيه و غيره، و من التشريف أيضا إضافة الطلاق [إليه -[4]] و الابدال ٥ إلى[5] الله مع [التعبير - [4]] بصفة الإحسان و تخصيص الاضافة بضميره .

و لما كان الأوجع لقب الحرة حرة مثلها لا سرية قال: ﴿ازواجا ﴾ و لما كان علوها عليها فى الرتبة هو النهاية فى التأسيف[6] قال: ﴿خيرا ﴾ و دل على أنها للتفضيل بقوله: ﴿ منكن ﴾ و هذا على سبيل الفرض و عام فى الدنيا و الآخرة فلا يقتضى وجود من هو خير منهن مطلقا ١٠ و إن قيل بوجوده فى خديجة رضى الله عنها لما جرب من تحاملها على نفسها فى حقه صلى الله عليه و سلم و بلوغها فى حبه و الأدب معه ظاهرا و باطنا النهاية القصوى و مريم عليها السلام التى أحصنت فرجها[7] حتى كانت من القانتين، و ذلك فى الآخرة، و الكلام خارج مخرج الشرط بالطلاق و قد علم سبحانه أنه لا يقع لكنه[8] سبحانه علم أنه لو وقع ١٥ أبدله صلى الله عليه و سلم من هو بالصفات المذكورة المقتضية للاخلاص

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ادامة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تفتت و - كذا (٣) راجع نثر المرجان ٧/٤٠٨ (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: على (٦) من ظ و م، و فى الأصل: التاسف (٧) سقط من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لكن .

فى طاعته كما أشار إليه[1] " قانتات"، ولا شك أن من لازم طاعته وقيد الاتصال به فى الدارين كان خيرا من غيره، و تعليق تطليق الكل لا يدل على أنه لم يطلق حفصة رضى الله عنها فقد[2] روى أنه طلقها و لم يزدها ذلك إلا فضلا من الله تعالى لأن الله تعالى أمره بأن[3] يراجعها لأنها[4]

٥ صوامة قوامة - والله الموفق . و لما وعد بما ذكر، و كان أول منظور إليه[5] الظاهر، فصل ذلك الوعد و فسر الخيرية بادئا بقوله ﴿مسلمت﴾ أى ملقيات لجميع قيادهن ظاهرا و باطنا لله و لرسوله[6] صلى الله عليه و سلم على وجه الخضوع .

و لما كان المشاهد من الاسلام إنما هو الظاهر قال: ﴿مؤمنت﴾ أى

١٠ راسخات فى القوة العلمية بتصديق الباطن .

و لما كان ذلك قد يكون فيه نوع شوب قال: ﴿قنتت﴾ اى مخلصات فى ذلك لا شائبة فى شيء منه فهن فى غاية ما يكون من ادامة الطاعة له من الذل و الانكسار و المبادرة إلى امتثال أمره صلى الله عليه و سلم فى المنشط و المكره .

١٥ و لما كان الإنسان مجبولا على النقصان، وكان الإخلاص يدل صاحبه على تقصيره[7] فكان ربما فتره ذلك، قال تسهيلا لخدمته و تقريبا

---

(١) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : وقد (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : أن (٤) زيد فى كانت ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : رسوله . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : تحليمه .

لدوام

لدوام طاعته معلما الأدب لمحتاجه ﴿ تائبت ﴾ أى راجعات من الهفوات أو الزلات سريعا إن وقع منهن شيء من[1] ذلك . و لما كان هذا مصححا للعبادة مسهلا لدوامها / قال : ﴿ عابدت ﴾ أى مديمات للعبادة بسبب إدامة / ٤٠٩
تجديد التوبة . و لما كان دوام العبادة مسهلا للخروج عن الدنيا قال : ﴿ سائحت ﴾ [أى -[2]] متصفات بصفات الملائكة من التخلى عن الدنيا ٥
و الاستغراق فى الآخرة بما ادناه الصيام ماضيات فى ذلك غاية المضاء ليتم الانقياد لله و لرسوله[3] صلى الله عليه و سلم ، لأن من كان هكذا لم يكن له مراد ، فكان تابعا لربه [فى أمره -[4]] دائما و[5] يصير لطيف الذات حلو الشمائل ، قال الملوى : و المرأة إذا كانت كثيرة الصيام قليلة الأكل يقل عرقها و يصغر كرشها و تلطف[6] رائحتها و تخف حركتها لما ١٠
يراد منها - انتهى . و سوق هذه الأوصاف هذا السياق فى عتاب من هو متصف بها معرف أن المراد منها التمام لا سيما و هى لا يوجد [وصف -[7]] منها على سبيل الرسوخ إلا[8] كان مستلزما لسائرها ، فلذلك لم يحتج فى تعدادها إلى العطف بالواو ، و التجريد عنه أقعد فى الدلالة على إرادة اجتماعها كلها . ١٥

و لما أكمل الصفات الدينية النافعة فى أمر العشرة و لم يبق إلا الصفات

---

(١) من ظ م ، و فى الاصل : فى (٢) زيد من م (٣) فى م : رسوله (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : خال من شهوات نفسه (٦) من ظ و م ، و فى الاصل : تطيب (٧) زيد من ظ (٨) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

الكونية و كان التنويع إلى عارفة بالعشرة و باقية على أصل الفطرة، الذ و أشهى إلى النفس، قال مقسما للنساء المتصفات بالصفات الست عاطفا ثانى[1] الوصفين بالواو للتضاد ﴿ ثيبت ﴾ قدمهن لأنهن أخبر بالعشرة التى هذا سياقها ﴿ [2]و ابكارا[2] ﴾ .

٥ ولما أبلغ[3] سبحانه فى عتاب أزواج النبى صلى الله عليه و سلم مع صيانتهن عن التسمية إكراما له صلى الله عليه و سلم و علم اتصافهن بهذه الصفات العظيمة على سبيل الرسوخ من دوام صحبته صلى الله عليه و سلم لهن ليكن من جملة[4] أزواجه فى الجنة و كان اتصافهن بذلك الذى أداهن إلى السعادة العظمى إنما هو بحسن[5] تأديب أوليائهن لهن و إكمال ذلك

١٠ الأدب بحسن عشرته صلى الله عليه و سلم و تأدبهن بكريم أخلاقه أثمر ذلك أمر[6] الأمة بالتأسى به فى هذه الأخلاق الكاملة و التأسى بأوليائهن فى ذلك ليعرفن حق الله و حق الأزواج فيحصل[7] بذلك صلاح ذات البين المثمراة[8] للخير كله فقال تعالى متبعا[9] لهذه الموعظة الخاصة بموعظة عامة دالة على وجوب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر للأقرب

١٥ فالأقرب ﴿ يا أيها ﴾ مخاطبة لأدنى الأسنان إشارة إلى أن من فوقهم

(١) من م، و فى الأصل : ف، و فى ظ : ثانيا فى (٢ - ٢) ورد فى الأصل بعد « ثيبات » و الترتيب من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل : أخبر .
(٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : لحسن (٦) من ظ و م، و فى الأصل : بامر (٧) من ظ و م، و فى الأصل : فيصلحن (٨) من ظ و م، و فى الأصل : المنزة (٩) من ظ و م، و فى الأصل : مثبتا .

تأسى[1] من حين دخوله فى الإسلام فهو غنى عن أمر جديد ﴿ الذين آمنوا ﴾ أى أقروا بذلك ﴿ قوآ انفسكم ﴾ أى اجعلوا لها وقاية / بالتأسى به صلى الله عليه و سلم فى أدبه مع الخلق و الخالق فى لينه لمن يستحق اللين من الخلق تعظيما للخالق فعاملوه قبل كل شىء بما يعاملكم به من الآداب، و كذا كونوا مع بقية الخلق. ٤١٠ / ٥

و لما كان الإنسان راعيا لأهل بيته مسؤلا عن رعيته قال تعالى: ﴿ و اهليكم ﴾ من النساء و الأولاد و كل من يدخل فى هذا الاسم[2] قوهم ﴿ نارا ﴾ بالنصح و التأديب ليكونوا متخلقين بأخلاق اهل النبى صلى الله عليه و سلم كما روى أحمد[3] و الطبرانى عن سعد بن العاص رضى الله عنه رفعه: ما نحل والد ولدا افضل من أدب حسن. و لما كانت ١٠ الأشياء لا تعظم فى نفسها [و -] عند المخبر بها إلا باخباره بما يشتمل عليه من الأوصاف قال: ﴿ وقودها ﴾ [أى -] الذى توقد بـــه ﴿ الناس و الحجارة ﴾ أى ألين الأشياء و اصلبها، فما بين ذلك هو لها وقود بطريق الأولى.

و لما[6] وصفها بغاية الأدب فى الائتمار اتبعه وصف القُوّام فقال ١٥ معبرا بأداة الاستعلاء [دلالة على تمكنهم من التصرف فيها -]:

(١) من ظ و م، و فى الأصل: باس (٢) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) راجع المسند ٣/٤١٢ (٤) زيد من ظ و م. (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: و قودها (٦) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

﴿ [١] عليها ملـٰئكة [١] ﴾ [أى يكون امرها على سبيل الاستعلاء - [٢]] فلا تعصيهم شيئا لتأديب الله لها ﴿ غلاظ [٣] ﴾ أى [فى - [٢]] الأبدان و القلوب فظاظة على أهلها لاستحقاقهم لذلك بعصيانهم الملك الأعلى.

و لما كان الغلظ قد يكون مع الرخاوة قال: ﴿ شداد ﴾ [أى - [٢]] فى كل شىء يحاولونه [٤] بالقول [٥] و الفعل حتى روى أن الواحد منهم يلقى بالدفعة الواحدة فى النار من الكفار سبعين ألفا.

و لما كان المعنى انهم يوقعون غلظتهم و شدتهم بأهل المعاصى على مقادير استحقاقهم، بين ذلك بما يخلع القلوب لكونه بأمر الله تعالى فقال: ﴿ لا يعصون الله ﴾ أى الملك الأعلى فى وقت من الأوقات ﴿ ما أمرهم ﴾ أى أوقع الأمر لهم به فى زمن ما.

و لما كان المطيع منا قد يخل ببعض المأمور به فى ذاته بنقص [٦] ركن أو شرط [٧] أو وقت لنسيان، أو نوم و نحوه أو بترك مندوب و نحوه او ما [٧] فى معناه بوسوسة أو حديث نفس و [٨] نحوه يقصر عن إيقاعه على أعلى الدرجات كما قال صلى الله عليه و سلم فيما أخرجه ابن ماجه [٩] عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما و الطيالسى عن ثوبان رضى الله عنه: استقيموا و لن تحصوا، قال نافيا لـذلك عنهم: ﴿ و يفعلون ﴾ أى مجددين مع كل أمر على سبيل الاستمرار ﴿ ما يؤمرون ﴾ أى ما يقع

(١-١) وقع فى الأصل بعد « لتأديب الله لها » و الترتيب من ظ (٢) زيد من ظ و م (٣) وقع فى الأصل بعد « الرخاوة قال » و الترتيب من ظ و م.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: يتناولونه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بالعقول (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: شرط او ركن (٧) سقط من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: او (٩) راجع السنن ص ٢٤.

لهم

لهم الأمر به فى اى وقت [كان من غير نقص - [1]] ما ، و بنى الفعل لما لم يسم فاعله كناية عن سهولة انقيادهم و إشارة إلى أن الذى أمرهم معلوم أنه الله سبحانه و تعالى .

و لما كان النبى صلى الله عليه و سلم اعظم من أريد بأمر الآمة بالتأدب معه فكان تعمد الإخلال بالأدب معه كفرا ، علم أن هذه النار ٥ لأولئك فعلم أن التقدير : يقولون / : ﴿ يا[3] ايها الذين كفروا ﴾ أى بالإخلال[2] / ٤١١ بالأدب مع النبى صلى الله عليه و سلم فاداهم ذلك إلى الإخلال[2] بالأدب مع الله و بالأدب مع سائر خلقه ﴿ لا تعتذروا ﴾ أى تبالغوا فى إظهار العذر و هو إيساع الحيلة فى وجه يزيل ما ظهر من التقصير ﴿ اليوم[1] ﴾ فانه يوم الجزاء لا يوم الاعتذار ، و قد فات زمان الاعتذار ، و صار ١٠ الأمر إلى ما صار ، و إذا نهى عن المبالغة فى الاعتذار لعدم نفعها كان النهى عن[3] مطلقه من باب الأولى ، و هـذا قطع لرجائهم و إيجاب لياسهم ليعظم همهم و تنقطع قلوبهم لأن معناه ان الاعتذار لا ينفعكم و إن بالغتم فيه ، و لذلك[4] استأنف قوله على سبيل الحصر : ﴿ انما تجزون ﴾ أى فى هـذا اليوم ﴿ ما كنتم ﴾ اى بما هو لكم كالجبلة و الطبع[5] ١٥ ﴿ تعملون[6] ﴾ [أى - [1]] على سبيل الإصرار و لا بعد[6] على الله فى أن

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الاصل : بالاخلاص (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : كذلك .
(٥) زيد فى الأصل : فصرتم . ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م . و فى الأصل : لا يبعد .

يصور لكل إنسان صورة عمله بحيث لا يشك أنها عمله، ثم يجعل تلك الصورة عذابه الذى يجد فيه من الألم ما علم سبحانه أنه بمقدار استحقاقه[1].

و لما أفهم الأمر بالوقاية و المدح للملائكة أن المأمورين بالوقاية مقصرون قال مرشدا إلى دواء التقصير : ﴿ يـٰأيها الذين ءامنوا ﴾ ناداهم بما هو أليق بهم من أداة البعد ﴿ توبوٓا ﴾ أى ارجعوا رجوعا تاما ﴿ الى الله ﴾ أى الملك الذى لا كفوء له .

و لما كان كل فعول بمعنى فاعل يستوى فيه المذكر و المؤنث قال: ﴿ توبة نصوحا ﴾ أى بالغة فى كونها ناصحة[2] عن الإسناد المجازى أى منصوحا فيها بالإخلاص فى الأزمان الثلاثة، الماضى بالندم، و الحال بالإقلاع. و المستقبل بالعزم على عدم العود إلى الذنب، فلا يقع فيها رجوع كما لا يعود الحليب إلى الضرع، فلا يؤذى أحد رسول الله صلى الله عليه و سلم، فان أذى رسوله من أذاه، قال القرطبى: النصوح يجمعها اربعة أشياء: الاستغفار باللسان، و الإقلاع بالأبدان، و إضمار ترك العود بالجنان، و مهاجرة سيء الإخوان، و قال رويم الراعى: هى أن تكون لله وجها بلا قفا كما كنت له عند المعصية قفاء بلا وجه .

و لما أمر بالتوبة عللها بما يفيد الإطماع من الإقامة بين الرجاء و الخوف إعلاما بأن هذا المقام هو المنجى لأنه اعتقاد الكمال له سبحانه و هو [أن -[3]] له أن يفعل ما يشاء فى المطيع و غيره بقوله :

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : استحقاقها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : صحة (٣) زيد من ظ و م .

﴿ عنى ربكم ﴾ [أى - [1]] افعلوا ذلك ليكون المحسن إليكم بهذا البيان جديرا أو حقيقا ﴿ ان يكفر ﴾ أى[2] يغطى تغطية عظيمة ﴿ عنكم ﴾ أى بالتوبة ، و إذا كان التائب على خطر فما ظنك بالمصر [3] على ذنوبه[3] ﴿ سيئاتكم ﴾ أى [ما - [4]] بدا منكم ما يسوءه .

و لما ذكر نفع التوبة فى دفع[5] المضار ، ذكر نفعها فى جلب المسار فقال : ﴿ و يدخلكم ﴾ أى[6] يوم الفصل ﴿ جنت ﴾ أى بساتين / كثيرة الأشجار تستر داخلها لأنها ﴿ تجرى ﴾ .

و لما كان ذلك الجرى فى بعض أرضها قال معبرا بأداة التبعيض : ﴿ من تحتها ﴾ أى تحت غرفها و أشجارها ﴿ الانهر ﴾ [7] فهى لا [7] تزال ريا .

و لما ذكر الغفران و الإكرام ، ذكر وقته فقال مبشرا لأهله[8] معرضا لغيرهم[9] مستحمدا لأهل وده لكونه وفقهم و لم يخذلهم كأعدائه : ﴿ يوم لا يخزى الله ﴾ أى الملك الأعظم [3] الذى له الإحاطة بالكمال[3] ﴿ النبى ﴾ أى الرجل الذى ينبئه الله بما يوجب له الرفعة التامة من الأخبار التى [هى - [4]] فى غاية العظمة ﴿ و الذين ﴾ أى

(١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٣-٣) سقط ما بين الرمين من ظ و م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : رفع (٦) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا (٨) من ظ و م ، و فى الأصل ، لأهلها (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : عن غيرهم .

و لا يخزى الذين ﴿ آمنوا معه ﴾ و هم الصحابة رضى الله تعالى عنهم إن [كان المراد - ١] المعية فى مطلق الزمان، وسابقوهم إن كان المراد فى الوصف أو زمان مخصوص كبدر و بيعة الرضوان لأن النبى صلى الله عليه و سلم قال: لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة - كما رواه مسلم ٢ عن

٥ [أم - ١] مبشر رضى الله عنها و أبو داود و الترمذى عن جابر رضى الله عنه: و لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وقال تعالى: " لا يستوى منكم من انفق من قبل الفتح ٣ و قاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا ٣ " إلى قوله " و كلا وعد الله الحسنى " و نسؤه رضى الله عنهن أحق بأن يكن اول راغب فى الكون معه فى

١٠ الإيمان ليبعدن عن النيران، و إذا استحضرت قصص الأنبياء من سورة هود عليه الصلاة و السلام اتضح لك حسن هذا الوجه، و يجوز أن يكون « الذين » مبتدأ خبره « نورهم » أو يكون الخبر « معه » إشارة إلى أن جميع الأنبياء و صالحى امهم من أمته [و - ١] تحت لوائه، و ذلك فى غاية ما يكون من الشرف و الرفعة له صلى الله عليه و سلم

١٠ و الإيمان المقيد بمعيته، اى تأهله لمصاحبة إيمانه صلى الله عليه و سلم غير الإيمان المطلق، فلا مانع من أن يدخل غيرهم من المؤمنين النار ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين فلا متمسك للمعتزلة بها فى أن مرتكب الكبائر مخلد فى النار لأنه داخل النار فهو مخزى، فهو غير موصوف بالإيمان لأن من اتصف بالإيمان لا يخزى بدليل هذه الآية، قال أبو حيان ٤:

---

(١) زيد من ظ وم (٢) راجع صحيحه ٢/٣٠٢-٣٠٣ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٤) راجع البحر المحيط ٨ / ٢٩٣ .

و فى

و فى الحديث أنه صلى الله عليه و سلم تضرع فى امر امته فاوحى الله إليه[1]: إن شئت جعلت حسابهم إليك[2]، فقال: يا رب! أنت أرحم بهم منى، فقال تعالى: إذا لا أخزيك فيهم.

و لما نفى عنهم الخزى، فسره بقوله[3] مقدما للنور لأن السياق لتعظيم النبى صلى الله عليه و سلم بخلاف ما مضى فى الحديد: ﴿نورهم يسعى﴾ ٥ أى سعيا[4] مستمر التجدد[5]، و على التفسير الآخر تكون هذه الجملة حالية، و يجوز أن تكون خبرا لـ «الذين» إذا جعلناه مبتدأ ﴿بين ايديهم﴾ و حذف الجار[6] إشارة إلى أنه ملأ تلك الجهة[6] ﴿و﴾ كذا ﴿بايمانهم﴾ و أما ما يلى شمائلهم فانهم لا يلتفتون إليه لأنهم [إما -[7]] من السابقين و إما من أهل اليمين، فهم يمشون [فيما -[7]] بين الجهتين / و يؤتون ١٠ / ٤١٣ صحائف أعمالهم منهما، و أما أهل الشمال فيعطونها[8] من وراء ظهورهم و من شمائلهم و هم بما لهم من النور إن قالوا سمع لهم و إن شفعوا شفعوا.

و لما كانت إدامة التعبد للملك هى أشرف صفات العبد قال: ﴿يقولون﴾ اى مجددين لذلك دائما لعلمهم أن الله تعالى [له أن -[9]] ١٥

(١) من م و البحر، و فى الأصل و ظ: عليه (٢) من م والبحر، و فى الأصل: عليك (٣) زيد فى الأصل: مفسرا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها: (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: مستمرا يتجدد (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المبتدا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الجنة (٧) زيد من ظ و م. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: فيعطون (٩) زيد من م.

يفعل ما يشاء ، لا حق لأحد عليه[1] و لا سيما إذا[2] رأوا انطفاء نور المنافقين ، قال سهل : لا يسقط الافتقار إلى الله تعالى عن المؤمنين فى الدنيا و لا فى الآخرة بل هم فى الآخرة أشد افتقارا إليه و ان كانوا فى دار العز[3] لشوقهم إلى لقائه : ﴿ربنآ﴾ أى أيها المتفضل علينا بهذا النور و بكل خير كنا[4] أو نكون فيه ﴿اتمم﴾ فاظهروا لأن المقام له .

و لما كان الإنسان ربما رزق شيئا فانتفع به غيره دونه قالوا : ﴿لنا نورنا﴾ أى الذى منت به علينا حتى يكون فى غاية التمام فتوصلنا به إلى المأمن فى دار السلام ، و لا تجعلنا كالمنافقين الذين أطفأت أنوارهم فكانت عاقبتهم إلى الظلام . /٤١٢

و لما كان كل من حسن أدبه لابد أن يعتقد فى نفسه النقص ، قالوا[5] على سبيل الذلة و المسكنة و التواضع[5] : ﴿واغفرلنا﴾ أى امح عنا كل نقص كان يميل بنا إلى أحوال المنافقين عينه و أثره ، و هذا النور هو صورة أعمالهم فى الدنيا لأن الآخرة تظهر فيها حقائق الأشياء و تتبع الصور معانيها ، و هو شرع الله الذى شرعه و هو الصراط الذى يضرب بين ظهرانى جهنم لأن الفضائل فى الدنيا متوسطة بين الرذائل ، فكل فضيلة تكتنفها رذيلتان : إفراط و تفريط ، فالفضيلة هى الصراط المستقيم ، و الرذيلتان ما كان من جهنم عن يمينه و شماله ، فمن كان

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عليهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لما .
(٣) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ما ا ه-ه) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

يمشى فى الدنيا على ما أمر به سواء من غير إفراط و لا تفريط كان نوره تاما ، و من أمالته الشهوات طفئ نوره - [1]أعاذنا الله من ذلك و رزقنا حسن الثبات ، و كان ذلك الطفئ[1] فى بعض الأوقات و اختطفته كلاليب هى صور الشهوات فتميل به فى النار بقدر ميله إليها ، و المنافق يظهر له نور إقراره بكلمة التوحيد ، فاذا مشى طفئ لأن إقراره لاحقيقة له [فنوره لا حقيقة له - [2]] .

و لما كان ما ذكر لا يقدر عليه إلا الله تعالى ، علله بقوله مؤكدا لإنكار الكفار البعث و ما تفرع عنه : ﴿ انك ﴾ أى وحدك ﴿ على كل شئ ﴾ أى يمكن دخول المشيئة فيه ﴿ قدير ﴾ أى بالغ القدرة .

و لما ذكر ما تقدم من لينه صلى الله عليه و سلم لأضعف الناس النساء و حسن أدبه و كريم عشرته لأنه مجبول على الشفقة على عباد[3] الله و الرحمة لهم ، و ختم بما للمؤمنين من الشرف و لله من تمام القدرة ، أنتج ذلك القطع باذلال أعدائهم[4] و إخزائهم فقال مداريا لهم من خطر[5] ذلك اليوم بيد أنصح الخلق [ليكون - [6]] صلى الله عليه و سلم جامعا فى طاعته سبحانه و تعالى بين المتضادات من اللين و الشدة و الرضى و الغضب و الحلم و الانتقام و غيرها[7] ، فيكون ذلك أدل على التعبد لله بما أمر به سبحانه و تعالى و التخلق بأوامره و كل ما يرضيه : ﴿ يا ايها النبى ﴾

/ ٤١٤

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : خلق (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اعدائه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : جعل (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : غيره .

مناديا بأداة التوسط إسماعا للأمة الوسطى تنبيها على أنهم المنادون[١] فى الحقيقة، و لأجل دلالتها على التوسط و الله أعلم كان لا يتعقبها إلا ما له شأن عظيم، معبرا بالوصف الدال على الرفعة بالإعلام بالأخبار الإلهية المبنى على الإحكام و العظمة المثمرة[٢] للغلبة، و أما وصف الرسالة فيغلب فيه الرحمة فيكثر إقباله على[٣] اللين و المسايسة[٤] نظرا إلى وصف الربوبية : ﴿ جاهد الكفار ﴾ أى المجاهرين[٥] بكل ما يجهدهم فيكفهم من السيف و مادونه ليعرف أن الأسود إنما اكتسبت من صولتك، فيعرف ان ذلك اللين لأهل الله إنما هو من تمام عقلك و غزير علمك و فضلك، و كبير حلمك و خوفك من الله و نبلك : ﴿ و المنفقين ﴾ [أى - [٦]] المساترين بما يليق بهم من الحجة إن استمروا على المساترة، و السيف إن احتيج إليه إن أبدوا نوع مظاهرة ﴿ و اغلظ ﴾ اى كن غليظا بالفعل و القول بالتوبيخ و الزجر و الإبعاد[٧] و الهجر ﴿ عليهم ﴾ فان الغلظة عليهم من اللين لله كما أن اللين لأهل الله من خشية الله، و قد امره سبحانه باللين [لهم - [٨]] فى أول الأمر لإزالة أعذارهم[٩] و بيان إصرارهم، فلما بلغ الرفق أقصى مداه جازه إلى الغلظة و تعداه، و قد بان بهذه الآية أن أفعل التفضيل فى قول النسوة لعمر رضى الله عنه :

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل : المبادرون (٢) من ظ و م، و فى الأصل : المثمر. (٣) فى م : الى (٤) من ظ و م، و فى الاصل : المساهلة (٥) من ظ و م، و فى الأصل : المجاهدين (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد فى الأصل : و الزجر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من م (٩) من ظ و م، و فى الأصل : اعذار.

أنت

« أنت أفظ و أغلظ من رسول الله صلى الله عليه و سلم » على بابه و لا محذور .

و لما كان انتقام الولى من العدو إنما هو لله سبحانه و تعالى ، لاحظ له فيه ، فكان موجبا لعدم اكتفاء الله به فى حق الولى ، فكان التقدير : فانهم ليس لهم عصمة و لا حرمة فى الدنيا و لا قوة و إن لاح فى ٥ أمرهم خلاف ذلك ، عطف عليه قوله[1] : ﴿ و ماوٰىهم ﴾ أى فى الآخرة[2] ﴿ جهنم[3] ﴾ [أى -[3]] الدركة النارية التى تلقى داخلها بالعبوسة و الكراهة .

و لما كان التقدير : إليها مصيرهم لا محالة ، عطف عليه قوله : ﴿ و بئس المصير ﴾ أى هى ، فذلك جزاء الله لهم عن الإساءة إلى أوليائه ١٠ و الانتقاص لأحبائه .

و لما كان أمر الاستئصال فى الإنجاء و الإهلاك أشبه شىء بحال أهل الآخرة فى الدينونة بالعدل و الفضل ، و كان المفتتح به السورة عتاب النساء ، ثم أتبع بالأمر بالتأديب[4] لجميع الأمة إلى / أن ختم بهلاك ٤١٥ / المخالف فى الدارين ، و كان للكفار قرابات بالمسلمين [5] و كانوا يظنون[5] ١٥ أنها ربما تنفعهم ، و للمسلمين قرابات بالكفار و كانوا ربما توهموا[6] أنها تضرهم ، قال مجيبا لما يتخيل من ذلك تأديبا[7] لمن ينكر عليه[8] صلى الله

---

(١) زيد فى الأصل وظ : مصيرهم ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) زيد فى الاصل : من كل يد ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، وفى الأصل وظ : للتاديب (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٦) فى م : توهم (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : تكذيبا (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : به .

عليه و سلم من النساء و غيرهن : ﴿ ضرب الله ﴾ [أى - [1]] الملك الذى أحاط بكل شىء [2] قدرة و علما [2] ﴿ مثلا ﴾ يعلم به من فيه قابلية العلم و يتعظ [به - [1]] من له أهلية الاتعاظ ﴿ للذين كفروا ﴾ أى غطوا الحق على أنفسهم و على غيرهم سواء كانوا مشاققين أو منافقين فى عدم انتفاعهم مع كفرهم بما بينهم و بين المؤمنين من الوصل و العلائق فيغلظ عليهم فى الدارين معاملة بما يستحقون من غير محاباة لأحد و إن جل مقامه، و علا منصبه و مرامه، لأن [3] الكفر قاطع للعلائق بين الكافر و المسلم : ﴿ امرات نوح ﴾ الذى أهلك [4] الله من كذبه بالغرق و نصره و آواه عليه الصلاة و السلام و كان اسمها فيما يقال واعلة ﴿ و امرات لوط [4] ﴾ الذى أهلك الله أيضا [5] من كذبه بالحصب و الخسف و الإغراق، و اسمها فيما قيل واهلة، و دل على وجه الشبه بقوله : ﴿ كانتا ﴾ أى مع كونهما كافرتين . و لم يقل : تحتهما، بل أظهر بالوصف [6] العبودية المضافة إليه سبحانه و تعالى و الوصف بالصلاح لأن ذلك أفخم، فيكون أشد تأثيرا للموعوظ [7] و أعظم [8]، ودفعا لأن يتوهم [9] أحد بشىء [9] لا يليق بمقامهما [10] عليهما الصلاة و السلام فقال : ﴿ تحت عبدين ﴾ أى

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) فى ظ و م : علما و قدرة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لكن العبودية (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اهل (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الوصف (٧) من ظ و م ، و الأصل : للوعظة (٨) زيد فى الأصل : فعالا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٩-٩) فى ظ و م : شئ (١) من ظ و م ، و فى الأصل : بمقاماتهم .

كل واحدة[1] منهما تحت عبد[2]، و عبر بذلك لأن أثر الناس عند الملك كما تقدم عبيده، ودل على كثرة عبيده تنبيها على غناه بقوله: ﴿ من عبادنا ﴾ .

و لما كانت طبقات القرب متفاوتة بحسب الصلاح قال: ﴿صالحين﴾ و هما[3] نوح و لوط عليهما الصلاة و السلام ﴿ فخانتهما ﴾ بعدم المتابعة ٥ فى الدين نفاقا منهما لا بالخيانة فى الفرش، فقد صان الله جميع الأنبياء من ذلك فلم تقل واحدة منهما لأجل كفرهما: رب اجعلنى مع نبيك فى الجنة، و أذن بعدم قبول الشفاعة فيمن أساء إلى الحبيب و بعذابه حتما للتشفى[4] بقوله: ﴿ فلم ﴾ أى فتسبب عن ذلك أن العبدين[5] الصالحين لم ﴿ يغنيا عنهما ﴾ أى المرأتين بحق الزواج ﴿ من الله ﴾ أى من ١٠ عذاب الملك الذى له الأمر كله فلا أمر لغيره ﴿ شيئا ﴾ أى من إغناء لأجل خيانتهما بالمخالفة فى الدين[6]، و دل على كمال قدرته تعالى بالتعبير بالمجهول[7] فقال: ﴿ و قيل ﴾ أى للمرأتين ممن أذن له فى القول النافذ الذى لا مرد له: ﴿ ادخلا النار ﴾ أى مقدماتها من الإصرار على الكفر ثم الإهلاك بعذاب الانتقام فى الدنيا / و حقيقتها فى الآخرة لأن الله ١٥ / ٤١٦ أبغضهما لأنهما عدو لأوليائه، و ذلك كما قيل: عدو صديق ليس لى بصديق[8].

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: واحد (٢) فى ظ و م: واحد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: هم (٤) من م، و فى الأصل و ظ: لتشقى (٥) زيد فى الأصل: اللذين هما من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الدارس (٧) من ظ و م، و فى الأصل: للجهول (٨) من ظ و م، و فى الأصل: صديقى.

و لما فعلتا فعل الرجال فى استقلالهما و عدم عدهما لأنفسهما تبعا، غلظ عذابهما بالكون مع الرجال فى عذابهم فقال دالا على نفوذ الحكم فيمن هو أقوى منهما بعد نفوذه فيهما[1] : ﴿مع الدٰخلين﴾ [أى -[2]] الذين هم أعظم منهما ممن لهم وصلة بأهل الله و ممن لا وصلة لهم بهم، ٥ فليتأدب كل أحد مع النبى صلى الله عليه و سلم غاية الأدب خوفا من مثل ذلك، و هذا خالع لقلوب من ابتدأ بتأديبهن[3] - رضى الله تعالى عنهن.

و لما أتم مثل النذارة بأن طاعة المطيع لاتنفع العاصى و إن كان أقرب الناس إلى المطيع إلا إن كان له أساس يصح البناء عليه، و يجوز الاعتداد به و النظر إليه، أتبعه مثل البشارة بأن عصيان العاصى لا يضر ١٠ المطيع فقال: ﴿ و ضرب الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له صفات الكمال ﴿ مثلا للذين ءامنوا ﴾ و لو كان فى أدنى درجات الإيمان مبينا لأن وصلة الكفار إذا كانت على وجه الإكراه و الإجبار لا تضر ﴿امرات فرعون﴾ و اسمها آسية بنت مزاحم، آمنت و عملت صالحا فلم تضرها الوصلة بالكافر بالزوجية التى هى من أعظم الوصل و لانفعه ١٥ إيمانها "كل امرئ بما كسب رهين" و أثابها ربها سبحانه أن جعلها زوجة خير خلقه محمد صلى الله عليه و سلم فى دار كرامته بصبرها على عبادة الله و هى [فى -[4]] حبالة عدوه، و أسقط وصفه بالعبودية دليلا على تحقيره و عدم رحمته لأنه أعدى أعدائه، و أشار إلى وجه الشبه فى المثل و هو

(١) زيد فى الاصل : فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من م.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل : بتأسيسهن (٤) زيد من ظ و م .

التحيز إلى حزب الله بقدر الوسع [فقال - [1]] : ﴿ اذ ﴾ أى مثلهم مثلها حين ﴿ قالت ﴾ تصديقا بالبعث منادية نداء الخواص باسقاط الأداة لأجل أنها مؤمنة و إن كانت تحت كافر بنا فلم تضر صحبته شيئا لأجل إيمانها : ﴿ رب ﴾ أى أيها المحسن إلىّ بالهداية و أنا فى حبالة هذا الكافر الجبار و لم تغرنى بعز الدنيا وسعتها ﴿ ابن لى ﴾ . ٥

و لما كان الجار[2] مطلوبا - كما قالوا - قبل الدار، طلبت خير جار و قدمت الظرف اهتماما به لنصه على المجاورة و لدلالته على الزلفى فقالت : ﴿ عندك بيتا ﴾ و عينت مرادها بالعندية فقالت : ﴿ فى الجنة ﴾ لأنها[3] دار المقربين فظهر من أول كلامها و آخره أن مطلوبها أخص داره، و قد أجابها سبحانه بأن جعلها زوجة لخاتم رسله الذى هو خير خلقه ١٠ و أقربهم منه، فكانت معه فى منزله الذى هو [4] أعلى المنازل [4] .

و لما سألت ما حيّزها إلى جناب الله سألت ما يباعدها فى الدارين من أعدائه فقالت : ﴿ و نجنى ﴾ أى تنجية عظيمة ﴿ من فرعون ﴾ أى فلا أكون عنده و لا تسلطه علىّ بما / يضرنى عندك ﴿ و عمله ﴾ أى ان ٤١٧ / أعمل بشىء منه ﴿ و نجنى ﴾ أعادت العامل تأكيدا ﴿ من القوم الظالمين ﴾ ١٥ اى الناس الأقوياء العريقين فى أن يضعوا أعمالهم فى غير مواضعها التى أمروا بوضعها فيها فعل من يمشى فى الظلام عامة، و هم القبط، لا تخالطنى بأحد منهم، فاستجاب الله تعالى دعاءها و أحسن إليها لأجل محبتها

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الجبار (٣) فى ظ و م : اى (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اعظم المنازل و اعلاهم .

للحبوب و هو موسى عليه الصلاة و السلام كما يقال : صديق [١] صديق داخل فى صداقتى ، و ذلك [أن - [٢]] موسى عليه الصلاة و السلام لما غلب السحرة آمنت به فعذبها فرعون فماتت بعد أن أراها الله بيتها فى الجنة و لم يضرها كونها تحت فرعون شيئا لأنها كانت معذورة فى ذلك ،

٥ فالآية من الاحتباك : حذف أولا " فلم تسألا [٣] الجنة " لدلالة " رب ابن لى " ثانيا عليه ، و حذف ثانيا «كانت تحت كافر» لدلالة الأول عليه .

و لما أتم المثل بمن أساءتا الأدب فلم تنفعهما الوصلة بالأولياء بل زادتهما ضررا للاعراض عن الخير مع قربه و تيسره ، و بمن أحسنت الأدب فلم تضرها الوصلة بأعدى الأعداء [بل - [٢]] زادتها خيرا لإحسانها

١٠ مع قيام المغتر بها عن الإحسان ضرب مثلا بقرينتها فى قوله صلى الله عليه و سلم كما رواه الشيخان [٤] عن أبى موسى رضى الله عنه : كمل من الرجال كثير و لم يكمل من النساء إلا مريم [بنت عمران - [٢]] و آسية بنت مزاحم ، و فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام . و مع مقارنتها لها فى الكمال ، فبين [٥] حاليهما فى الثيوبة و البكورة طباق ، فلم يبتلها سبحانه

١٥ بخلطة زوج جمعا بين ما تقدم من صنفى الثيبات و الأبكار اللاتى يعطيهما [٦] لنبيه صلى الله عليه و سلم فأحسنت الأدب [٧] فى نفسها [٧] مع الله و مع سائر من لزمها الأدب [معه - [٢]] من عباده فأحسن إليها رعاية لها

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : صديقى (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م و فى الأصل : لم تسال (٤) راجع صحيح البخارى - كتاب الأنبياء وغيرها و صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : و بين (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بواطيهما (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لاحبال .

على[1] ما وفقها إليـــه من الإحسان ، و ذلك [رعاية - [2]] لاسلافها إذ كانوا من أعظم الاحباب فقال : ﴿ و مريم ﴾ أى و ضرب الله مثلا لاهل الانفراد و العزلة من الذين آمنوا مريم ﴿ ابنت عمرن ﴾ أى [3] أحد الأحباب ، و ذكر وجه الشبه فقال : ﴿التى احصنت فرجها﴾ أى عفت عن السوء و جميع مقدماته عفة كانت كالحصن العظيم المانع من العدو[4] فاستمرت [على - [2]] بكريتها إلى الممات فنزوجها فى الجنة جزاء لها بخير عبادنا[5] محمد صلى الله عليه و سلم خاتم الانبياء و إمام المرسلين.

و لما اغتنت بأنسها[6] بروح الله الذى بثه فى قلبها من محبة الذكر و العبادة عن الانس بأرواح الناس ، كان ذلك سببا لان وهبها روحا منه جسده فى أكمل الصور[7] المقدرة فى ذلك الحين[8] فقال مخبرا عن ذلك : ﴿ فنفخنا ﴾ أى بعظمتنا بواسطة ملكنا روح القدس .

و لما كانت هذه السورة لتشريف النبى صلى الله / عليه و سلم و تكميل نسائه فى الدنيا و الآخرة ، نص على المقصود بتذكير الضمير و لم يؤنثه [قطعا - [2]] للسان من يقول تعنتا : إن المراد نفخ روحها فى جسدها : ﴿ فيه ﴾ أى فرجها الحقيقى و هو جيبها و كل جيب يسمى فرجا ، و يدل على الأول قراءة " فيها " شاذة ﴿من روحنا﴾ أى روح هو أهل لشرفه بما عظمنا[9] من خلقه [و لطف - [2]] تكوينه أن يضاف إلينا لكونه خارجا

٤١٨/

(١) من م ، وفى الأصل وظ : مع (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط من ظ و م.
(٤) من ظ و م ، وفى الأصل : العدل (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عباده.
(٦) من ظ و م ، وفى فى الأصل : باسه (٧) من م ، وفى الأصل وظ : الصورة.
(٨) من ظ و م ، وفى الأصل : الحيز (٩) من م ، وفى الأصل وظ : عظمتنا .

عن التسبيب المعتاد و هو جبريل عليه الصلاة و السلام أو روح الحياة.

و لما كان التقدير : فكان ما أردنا ، فحملت من غير ذكر [و -[1]] ولدت عيسى عليه الصلاة و السلام الذى كان من كلمتنا و هى « احملى » ثم كلمتنا « كن يا حمل من غير ذكر » ثم كلمتنا « لديه يا مريم من غير مساعد » ٥ ثم كلمتنا « تكلم يا عيسى فى المهد بالحكمة » عطف عليه قوله : ﴿ وصدقت ﴾ فاستحقت لذلك أن تسمى صديقة ﴿ بكلمت ربها ﴾ اى المحسن إليها بما تقدم وغيره مما كان من كلام جبريل عليه الصلاة و السلام بسببه و من عيسى عليه الصلاة و السلام [و -[1]] مما تكلم به عن الله سبحانه و تعالى ﴿ و كتابه ﴾ أى وكتابه الضابط الجامع لكلامه الذى أنزل ١٠ على ولدها و غيره من كتب الله كما دل على ذلك قراءة البصريين و حفص بالجمع .

و لما كان المصدق ربما كان تصديقه فى الظاهر أو مشوبا بشىء من[2] الضمائر قال : ﴿ و كانت ﴾ أى جبلة و طبعا ، و شرفها بأن جعلها فى رتبة الأكمل و هم الرجال فقال[3] : ﴿ من القنتين ع ﴾ أى المخلصين ١٥ الذين هم فى غاية القوة و الكمال لأنها كانت من بنات الأحبار المصطفين على العالمين ، فلم تكن عبادتها تقصر عن عبادة الأقوياء [الكملة -[1]] . و قد أتم سبحانه الأمثال فى الآداب بالثنيات و الأبكار الأخيار و الأشرار ، فانعطف آخر السورة على أولها فى المعانى بالآداب ، و زاد

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل . ف (٣) زيد فى الأصل : وكانت ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

ذلك حسنا كونها فى النساء و فى الذوات و الأعيان بزواج النبى صلى الله عليه و سلم لآسية[١] امرأة فرعون و مريم ابنة عمران فى الجنة دار القرار السالمة عن الأكدار [الزواج الأبدى ـ[٢]] فصار أول السورة و آخرها فى أزواجه صلى الله عليه و سلم و فى ختامها[٣] بالقنوت الذى هو خلاصة الأوصاف الماضية فى الأبدال المذكورات أعظم مناسبة ٥ ـ و الله الهادى[٤].

سورة الملك[٥]

و تسمى تبارك و المانعة و الواقية و المنجية، قال الولى الملوى: هذه السورة كان النبى صلى الله عليه و سلم / يحبها لكثرة ٤١٩/ علومها. و قال: وددت لو كانت فى صدر كل مسلم. مقصودها ١٠ الخضوع لله لاتصافه[٦] بكمال الملك[٦] الدال عليه [تمام القدرة الدال عليه ـ[٢]] قطعا أحكام المكونات الدال عليه تمام[٧] العلم الدال عليه مع إحكام المصنوعات علم[٨] ما فى الصدور[٩] لينتج ذلك العلم بتحتم البعث لدينونة العباد على ما هم عليه من الصلاح و العناد كما هى عادة المالوك فى دينونة رعاياهم لتكمل الحكمة و تتم النعمة و تظهر سورة ١٥ الملك، و اسمها الملك واضح فى ذلك لأن الملك محل الخضوع من كل

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بآسية (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: ختامه (٤) زيد فى ظ: المنعم (٥) السابعة والستون من سور القرآن الكريم، مكية و عدد آيها (٣٠) آية (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: بكل كمال. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بتمام (٨) من م، و فى الأصل و ظ: على. (٩) زيدت الواو فى الأصل و ظ، و لم تكن فى م فحذفناها.

من [١] يرى الملك وكذا تبارك لأن من كان كذلك كان له تمام الثبات والبقاء، وكان له من كل شيء كمال [٢] الخضوع والاتقاء، وكذا اسمها المانعة والواقية والمنجية لأن الخضوع حامل على لزوم طريق السعادة، ومن لزمها نجا مما يخاف ومنع من كل هول ووقى [٣] كل محذور، [٤] وترد السؤال عمن لازم عليها وهذا من أهم الأمور [٤] ﴿بسم الله﴾ الذى خضعت لكمال عظمته الملوك ﴿الرحمن﴾ الذى عم بنعمة الإيجاد وتبيان محل السلوك ﴿الرحيم﴾ الذى خص أولياءه بتمام الهداية وزوال الشكوك [٥].

لما ختمت تلك بأن من أعرض عنه سبحانه أهلكته ولم يغن عنه أحد، ومن أقبل عليه رفعه واستخلصه ولم يضره أحد، وختم بأنه قوى مريم عليها السلام حتى كانت فى درجة الكملة [٦] ورزقها الرسوخ فى الإخلاص، وكان مثل هذا لا يقدر على فعله إلا من [٧] لا كفوء له، وكان من لا كفوء له أهلا لأن [٨] يخلص له الأعمال ولا يلتفت إلى سواه بحال، لأنه الملك الذى يملك الملك [٩] قال مثيرا للهمم إلى

(١) من ظ وم، وفى الأصل: ما (٢) من ظ وم، وفى الأصل: تمام.
(٣) زيد فى الأصل وظ: من، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٥) زيد فى الأصل: وخلفهم اصطفاهم اصنفاهم واختصهم، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) من ظ وم، وفى الاصل: الكلمة (٧) زيد فى الأصل: كان، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها.
(٨) من ظ وم؛ وفى الأصل: بان (٩) من ظ وم، وفى الأصل: المالك.

الاستبصار المثير للإرادة إلى رياضة تثمر جميع أبواب[١] السعادة: ﴿ تبارك ﴾ أى تكبر و تقدس و تعالى [و تعاظم -[٢]] و ثبت ثباتا لا مثل له مع اليمن و البركة و تواتر الإحسان و العلى .

و لما كان من له الملك قد لا يكون متمكنا من إبقائه فى يده أو إعطاء ما يريد منه لغيره و نزعه منه متى أراد قال: ﴿ الذى بيده ﴾ ٥ أى بقدرته و تصرفه لا بقدرة غيره ﴿ الملك ز ﴾ أى أمر ظاهر العالم فالية كل تدبير له و تدبير فيه و بقدرته إظهار ما يريد ، لا مانع له من شىء و لا كفوء له بوجه ، و هو كناية عن الإحاطة و القهر ، و ذكر اليد إنما هو تصوير للاحاطة و لتمام القدرة لأنها [محلها -[٣]] مع التنزه عن الجارحة[٤] و عن كل ما يفهم حاجة أو شبها بالخلق . ١٠

و قال [الإمام -[٣]] أبو جعفر ابن الزبير : ورود ما افتتحت به هذه السورة من التنزيه و صفات التعالى إنما يكون عقيب تفصيل و إيراد عجائب من صنعه سبحانه كورود قوله تعالى « فتبارك الله أحسن الخالقين » عقيب تفصيل التقلب[٥] الإنسانى من لدن خلقه من سلالة من طين إلى إنشائه خلقا آخر و كذا كل[٦] ما ورد[٦] من هذا ما لم يرد أثناء ١٥ أى قد جردت للتنزيه و الإعلام بصفات[٧] التعالى [و -[٣]] الجلال .

---

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : الذارع ارباب (٢) زيد من ظ (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الحاجة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل: القلب (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ورود (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : صفات .

/٤٢٠ و لما كان قد[1] / أوقع فى آخر سورة التحريم ما فيه اعظم عبرة لمن تذكر، و اعلى آية لمن استبصر، من ذكر امرأتين كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين قد بعثهما الله [تعالى رحمة لعباده - [2]] و اجتهدا فى دعاء الخلق، فحرم الاستنارة بنورهما و العياذ بهداهما من لم يكن احد ٥ من جنسهما أقرب إليهما منه و لا أكثر مشاهدة لما مدا به من الآيات و عظيم المعجزات، و مع ذلك فلم يغنيا عنهما من الله شيئا، ثم أعقبت[3] هذه العظة بما جعل فى طرف منها و نقيض من حالها[4]، و هو ذكر امرأة فرعون التى لم يغرها مرتكب صاحبها و عظيم جرأته مع شدة الوصلة و استمرار الألفة لما سبق لها فى العلم القديم من[4] السعادة و عظيم الرحمة ١٠ فقالت " رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة " و حصل فى هاتين القصتين تقديم سبب رحمة حرم التمسك به أولى الناس فى ظاهر الأمر و تقديم سبب امتحان[5] عصم منه أقرب الناس إلى التورط [فيه - [2]]، ثم أعقب ذلك بقصة[6] عريت عن مثل هذين [السببين - [2]] و انفصلت فى[8] مقدماتها عن تينك القصتين، و هو ذكر مريم ابنة عمران ليعلم ١٥ العاقل حيث يضع الأسباب، و أن القلوب بيد العزيز الوهاب، أعقب تعالى ذلك بقوله الحق " تبارك الذى بيده الملك و هو على كل شىء

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م، وفى الأصل: اعقب.
(٤) من ظ و م، وفى الأصل: حالها (٥) من ظ و م، وفى الأصل: الامتحان.
(٦) من ظ و م، وفى الاصل: قصة (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: عن.

قدير

قدير" و إذا كان الملك سبحانه و تعالى بيده الملك فهو الذى يؤتى الملك و الفضل من يشاء و ينزعه ممن يشاء و يعز من يشاء و يذل من يشاء كما صرحت به الآية الأخرى فى آل عمران، فقد اتضح اتصال سورة الملك بما قبلها ثم بنيت سورة الملك على التنبيه [1] و الاعتبار [1] ببسط الدلائل و نصب البراهين حسبما يبسطه التفسير - انتهى. ٥

و لما كان المتصرف فى الملك قد لا يكون قدرته تامة و لا عامة قال تعالى: ﴿ و هو ﴾ أى وحده له عظمة تستولى على القلوب و سياسة تعم كل جلب نفع [2] و دفع ضرر [2] لأنه ﴿ على كل شىء ﴾ أى يمكن يشاؤه من الملك و غيره من باطنه و [3] هو الملكوت و غيره [3] مما وجد و مالم يوجد ﴿ قدير ﴾ أى تام القدرة، و دل على ذلك بقوله: ١٠ ﴿ الذى خلق ﴾ أى قدر و أوجد.

و لما كان الخوف من إيقاع المؤلم أدعى إلى الخضوع لأنه أدل على الملك مع أن الأصل [4] فى الأشياء العدم [4]، قدم قوله: ﴿ الموت ﴾ أى هذا الجنس و هو زوال الحياة عن الحي الذى هو فى غاية الاقتدار على التقلب بجعله جمادا كأن لم يكن به حركة اصلا، أول ما يفعل ١٥ فى تلك الدار بعد / استقرار [5] كل فريق فى داره و أن [6] يعدم هذا / ٤٢١ الجنس فيذبح بعد أن يصور فى صورة كبش ﴿ و الحيوة ﴾ أى هذا

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: بالاعتبار (٢) سقط من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: هم الملوك و غيرهم (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: شيئا الاالعدم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: استغراق (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بأن.

الجنس و هو المعنى الذى يقدر الجماد به على التقلب بنفسه و بالإرادة [١]، و قال ابن عباس رضى الله عنهما: الموت خلقه الله على صورة كبش أملح لا يمر بشىء و لا يجد ريحه إلا مات، و الحياة على صورة فرس بلقاء و هى التى كان جبريل و الأنبياء يركبونها فلا يجد ريحها شىء إلا حيى، و هى التى أخذ السامرى قبضة من أثرها و ألقاه على الحلى الذى ألقاه بنو إسراءيل و نوى أن يكون عجلا [فصار عجلا - [٢]].

و لما ذكر الدال على القدرة أتبعه غايته، و هو الحكم الذى هو خاصة الملوك فقال تعالى: ﴿ ليبلوكم ﴾ أى يعاملكم و هو [٣] أعلم بكم [٣] من أنفسكم معاملة المختبر لإظهار ما عندكم من العمل بالاختيار ﴿ ايكم احسن عملا [٤] ﴾ أى من جهة العمل أى عمله أحسن من عمل غيره، و عبارة القرآن فى إسناد [٥] الحسن إلى الإنسان تدل على أن من كان عمله أحسن [٥] كان هو احسن و لو أنه أبشع الناس منظرا، و من كان عمله أسوأ [٦] كان بخلاف ذلك، و الحسن إنما يدرك بالشرع، فما حسنه الشرع فهو الحسن [٥] و ما قبحه فهو القبيح، و كان ذلك مفيدا للقيام بالطاعة لأن من تفكر فى حاله علم أنه مباين لبقية الحيوانات بعقله و للنباتات بحياته، و للجمادات بنموه، و أن ذلك ليس [٧] له من [٧] ذاته بدليل موته، فما كان له [٨] ذلك إلا بفاعل مختار، له الحياة من ذاته، فيجتهد فى رضاه باتباع رسله إن كان عاقلا،

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الارادة (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: لكم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: سناد (٥) من ظ و م، و فى الأصل: حسن (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ساء (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: بعض (٨) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

فيشكره إذا أنعم ، و يصبر إن[1] امتحن و انتقم ، و يخدمه بما أمر و ينزجر عما عنه زجره ، فهذه الآية مشتملة على وجود المقتضى للسعادة و انتفاء المانع[2] منها و وجود المقتضى إعداد و إرشاد ، فالإعداد إعانته سبحانه للعبد باعداده لقبول السعادة كالحداد يلين الحديد[3] بالنار ليقبل أن يكون سكينا ، و الإرشاد أخذه بالناصية إلى ما أعد له كالضرب[4] بالسكين ٥ و إصلاحها للقطع بها ، و انتفاء المانع هو الموقف[5] عن ذلك و هو دفع[6] المشوشات و المفسدات[6] كتثلم السكين و هو يجرى مجرى السبب و سبب السبب ، و هو ما اشتمل [عليه -[7]] قوله صلى الله عليه و سلم « اللهم أعنى و لا تعن علىّ » الحديث[8] ، فذكره لتمام القدرة و العزة مع ذكر الأحسن دال على توفيقه بما ذكر ، و من تأمل الآية ١٠ عرف أنه ما خلق إلا ليتميز جوهره من صدق غيره أو صدقه من جوهر غيره ، و أن الدنيا مزروعة ، و [أن -[9]] الآخرة محصدة ، فيصير من نفسه على بصيرة ، و ثارت[10] إرادته لما خلق له تارة بالنظر إلى جمال ربه من حسن و إحسان ، / و أخرى إلى جلاله من قدرة / ٤٢٢ و إمكان[11] ، و تارة بالنظر لنفسه بالشفقة عليها من خزى الحرمان ، ١٥ فيجتهد فى رضا ربه و صلاح نفسه خوفا من عاقبة هذه البلوى .

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : اذا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الموانع .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الحديدة (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : بالضرب .
(٥) من ظ و م ، و فى الاصل : المتوقف (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الاصل ، المفسدات المشوشات (٧) زيد من ظ و م (٨) راجع سنن ابن ماجه - الدعاء .
(٩) زيد من م (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : تأثرت (١١) من ظ و م ، فى الأصل : احكام .

و لما كان لا يغفل الابتلاء منا إلا جاهل بالعواقب و عاجز عن رد المسيء عن[1] إساءته و جعله محسنا من أول نشاءته، قال نافيا لذلك عن منيع جنابه بعد أن نفاه بلطيف تدبيره و عظيم أمره فى [خلق - [2]] الموت و الحياة، و مزيلا بوصف العزة لما قد يقوله من يكون قوى الهمة: أنا لا أحتاج إلى تعب كبير فى الوصول إليه سبحانه بل أصل إليه[3] أى وقت [شئت - [2]] بأيسر سعى ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه وحده ﴿ العزيز ﴾ [أى - [2]] الذى يصعب الوصول إليه جدا، من العزاز و هو المكان الوعر [و - [4]] الذى يغلب كل شيء و لا يغلبه شيء، فلو أراد جعل الكل محسنين، و لا يكون كذلك[5] إلا و هو تام القدرة فيلزم تمام[6] العلم و الوحدانية و وجوب الوجود أزلا و أبدا.

و لما كان العزيز منا يهلك كل من خالفه إذا علم مخالفته[7]، قال مبينا سبب إمهاله للعصاة مرغبا للمسيء فى التوبة، بعد ترهيبه من الإصرار على الحوبة، لأنه قد يكون مزدريا لنفسه قائلا: إن مثلى لا يصلح للخدمة لما لى من الذنوب[8] القاطعة و أين التراب من [رب - [2]] الأرباب ﴿ الغفور ﴾ أى [أنه - [2]] مع ذلك يفعل فى محو الذنوب عينا و أثرا فعل المبالغ فى ذلك و يتلقى من أقبل إليه أحسن تلق كما

(١) من ظ و م، و الأصل: الى (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ذلك (٦) من ظ و م، و فى الأصل: تام (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بمخالفته (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الذنوبة.

قال تعالى فى الحديث القدسى "و من اتانى يمشى اتيته هرولة"[١] .

و لما أثبت له سبحانه صفتى العز و الغفر[٢] على أبلغ ما يكون ، دل على ذلك بقوله دالا على كمال تفرده بعد آيات الأنفس بآيات الآفاق إرشادا إلى معالى الأخلاق : ﴿ الذى خلق ﴾ أى أبدع [على -[٣]] هذا التقدير من غير مثال سبق ﴿ سبع سمٰوٰت ﴾ حال كونها ﴿ طباقا[٤] ﴾ جمع طبق ٥ كل واحدة منها كأنها لشدة مطابقتها للاخرى طالبة مطابقتها بحيث يكون كل جزء منها مطابقا لجزء من الأخرى ، و لا يكون جزء منها خارجا عن ذلك[٤] و هى لا تكون كذلك إلا بأن تكون الأرض كرة و السماء الدنيا محيطة بها إحاطة قشر البيضة بالبيضة من جميع الجوانب و الثانية محيطة بالدنيا و[٥] هكذا إلى ان يكون العرش ١٠ محيطا بالكل ، و الكرسى الذى هو اقربها إليه بالنسة إليه كحلقة ملقاة فى فلاة ، فما ظنك بما تحته ، و كل سماء فى التى فوقها بهذه النسبة ، و قد قرر أهل الهيئة أنها كذلك ، و ليس فى الشرع ما يخالفه بل ظواهره توافقه و لاسيما التشبيه بالحلقة [الملقاة -[٣]] فى فلاة كما مضى بسط ذلك فى سورة السجدة ، و أحاط سبحانه بالأرض منافعها من جميع الجوانب ، و جعل ١٥ المركز بحيث يجذب إليه الأسفل فكيفما مشى الحيوان فى[٦] جوانبها اقتضى المركز أن تكون رجلاه الى الأرض و رأسه الى السماء لتكون السماء فى رأيه دائما / أعلى ، و الأرض أسفل فى أى جانب كان / ٤٢٣

(١) الحديث مستفيض (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : العفو (٣) زيد من ظ و م.
(٤) زيد فى الأصل : لا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : بسمائها و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : من.

هو عليها، فسبحان اللطيف الخبير، و لا شك ان من تفكر فى هذه العظمة مع ما لطف بنا فيما هيأه [١] فيها لنا [١] من المنافع، آثره سبحانه بالحب و أفرده عن كل ضد، فانقطع [٢] باللجاء إليه و لم يعول [٣] إلا عليه فى كل [٤] دفع و نفع [٤]، و سارع فى مراضيه [٥] و محابه فى كل خفض و رفع.

و لما كان [ذلك - [٦]] فى حد ذاته خارجا عن طوق المخلوق، و كان سمك كل سماء مسيرة خمسمائة عام، و [ما - [٦]] بين كل سمائين كذلك مع عدم الفروج و العمد و الأطناب، [٧] فكان ذلك [٧] النهاية فى الخروج عن العادة فى حد ذاته و لأنه قيل: إن القبة إذا بنيت بلا فروج و لا شيء يدخل [٨] الهواء منه تفسد و تسقط، دل على عزته بعظيم صنعه فى ذلك بقوله واصفا لها: ﴿ ما ترى فى ﴾ و كان الأصل: خلقها. و لكنه [٩] دل على عزته و عموم عظمته بقوله: ﴿ خلق الرحمن ﴾ أى لها و لغيرها و لولا [١٠] رحمته و عموم عظمته [١١] التى اقتضت إكرامه لخلقه بعد غفرانه لما لهم من النقائص ما أحسن إليهم [بها - [٦]] فى اتساعها [١٢] و زينتها و ما فيها من المنافع، و أعرق فى النفى بقوله:

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: فيه (٢) من ظ و م. و فى الأصل: فانضم. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لم فى كل اموره (٤ - ٤) من ظ و م. و فى الاصل: نفع و ضر (٥) من ظ و م. و فى الاصل: مرضاته (٦) زيد من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: فذلك (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لا يدخل (٩) من ظ و م، و فى الأصل: لكن (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: لا (١١) فى م: رحمته (١٢) من ظ و م، و فى الأصل: ابتداعها.

﴿ من تفوت[1] ﴾ بين صغير[1] ذلك الخلق وكبيره بالنسبة إلى الخالق في إيجاده له على حد سواء، إنما قوله [له -[2]] إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، لا فرق[3] في ذلك بين الذرة مثلا و الفرس و لا بالنسبة إلى الخالق من عجز صغيرهم و كبيرهم عن إيجاد شيء من العدم صغيرا كان أو كبيرا جليلا كان أو حقيرا، و لا ترى تفاوتا في الخلق بأن [4]يكون شيء منه[4] فائتا للآخر[5] بالمخالفة و الاضطراب و التناقض في الخلقة غير مناسب له بأن يكون خارجا عنه أو منافرا له في مقتضى الحكمة، و آثار الإحسان في الصنعة، و النزول عن الإتقان و الاتساق، و الخروج عن الإحكام و الاتفاق، و الدلالة للخالق على كمال القدرة و للمخلوق على الحدوث بنوع من ضعف البنية بحيث يكون [كل -[2]] واحد كالطالب لأن يخالف الآخر، أو تعمد لأن يفوت الآخر و يخالفه - على قراءة حذف الألف و التشديد بحيث يكون التفاضل[6] في المزدوجات و عدم المساواة كأنه مقصود بالذات و بالقصد الأول، بل لا توجد المخالفة إلا نادرا بحيث يعلم أن المشاكلة هي المقصود بالذات [7]و بالقصد الأول، فاذا وقع في شيء منه مخالفة كان على وجه الندور ليعلم أنه ليس مقصودا بالذات[7]، و إنما أريد به الدلالة على الاختيار و أن الفاعل هو القادر المختار لا الطبيعة، قال الرازي: كأن التفاوت الشيء

(١) من ظ و م، و في الأصل: صغر (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و في الأصل: فرقة (٤ - ٤) من ظ و م: و في الأصل: منه شيء (٥) من م، و في الأصل و ظ: بالآخر (٦) من ظ و م، و في الأصل: التفاوت.
(٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

المختلف لأعلى النظام ، و قال[1] البغوى : من اعوجاج و اختلاف و تناقض ، و قال غيره : [عدم -[2]] التناسب كأن بعض الشيء يفوت بعضا و لا يلائمه ، و هو من الفوت / و هو أن يفوت بعضها بعضا لقلة استوائها ، و قال أبو حيان[3] : و التفاوت [4]تجاوز الحد[4] الذى يجب له زيادة أو نقصان - انتهى . يظهر ذلك بأن أغلب[5] الخلق أجوف[6]، و الأجوف يعمل مبسوطا ثم يضم و يوصل أحد جانبيه بالآخر فيكون ثم نوع فطر[6] يعرفه أهل الحذق و إن اجتهد صانعه فى إخفائه و إن كان فيه أشياء متقابلة كان فيها تفاوت و لو قل و إن اجتهد الصانع فى المساواة ، و خلق الله لا تفاوت فيه بوجه ، فالسماوات كرية و لا ترى [7]فى جانب منها[7] شقا و لا فطرا ظاهرا و لا خفيا ، و الحيوان أجوف[8] و لا ترى فى شيء من جسده فصما يكون الضم و التجويف وقع به . و كل من متقابليه مساو للآخر كالعينين و الأذنين و المنخرين و الساقين و نحوها مما يقصد فيه التساوى لا تفاوت فيه أصلا - إلى غير ذلك مما يطول شرحه ، و لا يمكن ضبطه ، فسبحان من لا تتناهى قدرته فلا تتناهى مقدوراته ، و لا تحصى بوجه معلوماته ، و كل ذلك عليه هين ، و الأمر فى ذلك واضح بين ، هذا[9] مع الاتساع الذى لا يدرك مقداره بأكثر

٤٢٤ /

(١) فى المعالم بهامش اللباب ٧/١٠٤ (٢) زيد من ظ (٣) فى البحر المحيط ٨/٢٩٨ . (٤-٤) من ظ و م و البحر ، و فى الأصل ، التجاوز (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : غلب (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : نظر (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : منها فى جانب (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : جوف (٩) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

من

من [أن - [1]] كل سماء بالنسبة إلى التى فوقها كحلقه ملقاة فى فلاة إلى أن يوصل إلى الكرسى ثم العرش العظيم، و من سر كونها كذلك حصول النفع بكل ما فيها من كواكب[2] مرطبة أو ميبسة أو منورة و اتصالات ممطرة و منبتة يجرى كل ذلك منها على ترتيب مطرد، و نظام غير منخرم مقدر جريه بالقسط مرتب[3] على منافع الوجود ٥ و مصالح الكائنات كلها مكفوفة على هواء لطيف بتدبير شريف[4] لا يتعدى شىء منها طوره و لا يتخطى حده، و لا يرسب فيما تحته من الهواء فيهوى، و لا يرتفع عن محله بمقدار ذرة فيطفو، قد أحاط بكلها الأمر[5]، و ضبطها صاغرة القهر.

و لما كان العلم الناشىء عن الحس أجل[6] العلوم، دل على بديع ١٠ ما ذكره بمشاهدة الحس له كذلك، فسبب عنه قوله منبها بالرجع الذى هو تكرير الرجوع على أن كل أحد يشاهد ذلك كذلك من حين يعقل إلى أن يبلغ حد التكليف المقتضى للمخاطبة بهذا الكلام[7]: ﴿ فارجع البصر ﴾ أى بعد ترديدك له قبل ذلك، و دل بتوجيه[8] الخطاب نحو أكمل الخلق صلى الله عليه و سلم فى السمع و البصر و البصيرة ١٥ و كل معنى إلى أن ذلك لا شبهة فيه.

---

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم، وفى الأصل: كوكب (٣) من ظ وم، وفى الأصل: مركب (٤) من ظ وم، وفى الأصل: الشريف (٥) من ظ وم، وفى الأصل: الأرض (٦) من ظ وم، وفى الأصل: ابل (٧) زيد فى الأصل: فافهم، و لم تكن الزيادة فى ظ وفى م فحذفناها (٨) من ظ وم، وفى الأصل: توجيه.

و لما كان السؤال عن[1] الشيء يدل على شدة الاهتمام بالبحث عنه، نبه[2] على أن هذا [مما -[3]] اشتدت عناية الأولين بـه فقال: ﴿ هل ترى ﴾ أي في شيء منها.

و لما كان هذا الاستفهام مفيدا للنفي، أعرق [في النفي -[3]] بقوله: ﴿ من فطور ﴾ أي خلل بشقوق و صدوع أو غيرها لتغاير ما [هي-[3]] عليه و أخبرت به من تناسبها و[4] استجماعها و استقامتها[4] ما يحق لها مما يدل على عزة ما فيها و بليغ غفرانه، و هذا أيضا يدل على إحاطة كل[5] منها بما دونه فانه لو كان لها[6] فروج لفاتت / المنافع التي رتبت لها النجوم المفرقة في طبقاتها[7] أو بعضها أو كمالها، فالهواء و جميع المنافع منحبسة[8] فيها محوطة [بها -[3]] مضطربة متصرفة[9] فيها على حسب التدبير و الحيوان في الهواء كالسمك في الماء، لو انحبس الهواء عنه لمات كما أنه لو انكشف الماء عن السمك لمات[10].

/ ٤٢٥

و لما كان في سياق المجازاة بالأعمال الصالحة و الطالحة التي دل[11] عدم الانتصاف من الظالمين في هذه الدار على أنها تكون بعد البعث

(١) من ظ و م، و في الأصل: على (٢) من ظ و م، و في الأصل: معه.
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) في ظ و م: استقامتها و استجماعها (٥) زيد في الأصل: شيء، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و في الأصل: فيها.
(٧) من ظ و م، و في الأصل: طباقها (٨) من ظ و م، و في الأصل: محسبه (٩) من ظ و م، و في الأصل: منفردة (١٠) زيد في الأصل: أو لفات، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (١١) زيد في الأصل: عليها، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

و كانت العزة مقتضية لذلك، و كان خلقه سبحانه و تعالى لهذا الوجود على هذا النظام مثبتا لها، و كانت أعمالهم أعمال المنكر لها، و لاسيما تصريحهم بأنه لا بعث، دل على عظمة عزته[1] بما أبدعه من هذا السقف الرفيع البديع، ثم بجعله محفوظا هذا الحفظ المنيع، على تعاقب الأحقاب[2] و تكرر[3] السنين، فقال معبرا بأداة التراخي دالا على جلاله بادامة التكرير طول الزمان: ﴿ثم ارجع البصر﴾ و أكد ما[4] أفهمته الآية من طلب التكرير بقوله تعالى: ﴿كرتين﴾ أى مرتين أخريين - هذا مدلولها لغة، و بالنظر إلى السياق علم أن المراد مرة بعد مرة لا تزال[5] تكرر ذلك لارتياد الخلل لا إلى نهاية، كما أن «لبيك» مراد به إجابة إلى غير غاية، و على ذلك دل قوله سبحانه و تعالى: ﴿ينقلب اليك﴾ أى من غير اختيار بل غلبة و إعياء و انكسار ﴿البصر خاسئا﴾ أى صاغرا مطرودا [ذليلا -[6]] بعيدا عن إصابة المطلوب ﴿و هو﴾ أى و الحال أنه ﴿حسير﴾ أى كليل تعب معيي من طول المعاودة و تدقيق النظر و بعد المسرح، و إذا كان هذا الحال فى بعض المصنوع فكيف يطلب[7] العلم بالصانع فى كماله من جلاله و جماله، فكيف بمن يتفوه بالحلول أو الاتحاد حسبه جهنم و بئس المهاد.

و لما أخبر سبحانه و تعالى عن بديع هذا الخلق، و نبه على بعض

(١) من ظ و م، و فى الأصل: عزة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الاحكام.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: تكرير (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بما.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: لاترك (٦) زيد من ظ و م (٧) فى م: عند طلب.

دقائقه و أمر بالإبصار[1] و تكريره، و كان السامع اول ما يصوب نظره إلى السماء لشرفها و غريب صنعها و بديع وضعها و منيع رفعها، فكان بحيث يتوقع الإخبار عن هذه الزينة التى رصعت بها، قال فى جواب [من -[2]] توقعه مؤكدا بالقسم إعلاما بأنه ينبغى أن يبعد العاقل عن ٥ إنكار شيء مما ينسب إلى صاحب هذا الخلق من الكمال، [عاطفا -[2]] على ما تقديره : لقد كفى هذا القدر فى الدلالة على عظمة [3]مبدع هذا الصنع[3] و تمام قدرته : ﴿ و لقد ﴾[4] و استجلب الشكر بجلب المسار فقال ناظرا إلى مقام العظمة صرفا للعقول عما اقتضاه «الرحمن» من عموم الرحمة تذكيرا بما فى الآية الماضية، و تنبيها على ما فى الزينة بالنجوم من مزجها ١٠ بالرجوم الذى هو عذاب [5]الجن المتمردين الطاغين[5] : ﴿ زينا ﴾ دلالة أخرى [5]تدل على العظمة[5] بعد تلك الدلالة الأولى /[6] ﴿السمآء الدنيا ﴾[7] أى /٤٢٦ أدنى السماوات إلى الأرض و هى التى [5]تشهد و أنتم دائما[5] تشاهدونها وهى سقف الدار التى اجتمعتم فيها فى هذه الحياة الدنيا[7] ﴿ بمصابيح ﴾ أى نجوم متقدة عظيمة جدا، كثرتها تفوت الحصر، ظاهرة سائرة مضيئة ١٥ زاهرة. و هى الكواكب التى تنور الأرض بالليل إنارة السرج التى تزينون بها سقوف دوركم، فتفيد شعبة من ضوء الصباح، و التزيين بها لا يمنع أن تكون مركوزة فيما فوقها [من السماوات -[2]] و هى تترائى لنا بحسب الشفوف

(١) من ظ و م، و فى الأصل : بالاستبصار (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) فى ظ و م : مبدعه (٤) زيد فى الأصل : فقال اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) سقط مابين الرقمين من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) سقط من ظ و م.

بما

بما للاجرام السماوية من الصفاء، و لتلك المصابيح من شدة الإضاءة.

و لما أخبر -[1]جلت قدرته[1]- بعظيم قدرته فيها منبها على ما فيها من جلب المسار بتلك الأنوار و الهداية فى الدين و الدنيا التى لولا هى لما انتفع أحد فى ليل انتفاعا تاما، أخبر بما فيها مع الزينة من دفع المضار بعبارة عامة و إن كان المراد البعض[2] الأغلب فان ما للرجوم منها غير ٥ ما للاهتداء و الرسوم فقال: ﴿ و جعلنها ﴾ أى النجوم من حيث [هى -[3]] بعظمتنا مع كونها زينة و أعلاما للهداية ﴿ رجوما ﴾ جمع رجم و هو مصدر و اسم لما يرجم به ﴿ للشيطين ﴾ الذين يستحقون[4] الطرد [1]و البعد و الحرق[1] من الجن لما لهم من الاحتراق، [1]و ذلك بيانا لعظمتنا[1] وحراسة للسماء الدنيا التى هى محل تنزل أمرنا بالقضاء و القدر، ١٠ و إنزال هذا الذكر[5] الحكيم لئلا يفسدوا باستراق السمع منها على الناس دينهم الحق، و يلبسوا عليهم أمرهم بخلط الحق الذى ختمنا به الأديان بالباطل، فيخرجوهم - لأنهم أعداؤهم - من النور إلى الظلمات [كما -[3]] كانوا فى الجاهلية مع ما فيها بما خلق سبحانه فى أمزجتها من ترطيب و تجفيف و حر و برد و اعتدال ينشأ عنه الفصول الأربعة و قهرها به ٥١ من شروق و غروب و حركة و سكون يعرف بها ما إليه المآل، مما أخبرت به الرسل من الزوال، مع ما يدل من الليل و النهار و العشى

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: اعم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ و م: يحق لها.
(٥) زيد فى الأصل: حراسة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و الأبكار و اشياء يكل عنها الوصف فى ذواتها و عن إحصاء منافعها حتى لو عدم[1] شيء مما فى السماوات مما دبره الحكيم لصلاح[2] هذا العالم يهلك كل حيوان و نبات على وجه الأرض، و الشهاب المرجوم به منفصل من نار[3] الكواكب و هو قار[4] فى فلكه على حالة كقبس النار يؤخذ منها و هى باقية على حالها[5] لا تنقص، و ذلك مسوغ لتسميتها بالرجوم، فمن لحقه الشهاب منهم قتله أو ضعضع أمره و خبله، و يحتمل مع ذلك أن يكون المراد: ظنونا لشياطين الإنس وهم المنجمون يتكلمون بها رجما بالغيب فى أشياء هى[6] من عظيم[6] الابتلاء ليتبين الموقن من المزلزل و العالم من الجاهل؛ و فى البخارى[7]: قال قتادة: خلقت النجوم لثلاث: زينة للسماء، و رجوما للشياطين، و علامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير[8] ذلك أخطأ و أضاع نصيبه و تكلف بما لا علم له به ٠ / و لما كان التقدير: ٤٢٧ / و رجمناهم بها بالفعل عند استراقهم للسمع إبعادا لهم عن مسكن المكرمين و محل النزاهة و الأنس و مهبط القضاء و التقدير، و نكالا لغيرهم من أمثالهم عذابا لهم فى الدنيا، عطف عليه قوله ترهيبا من جلاله بعد ما رغب فى عظيم جماله[9]: ﴿و اعتدنا﴾ أى[10] هيأنا فى الآخرة مع هذا

(١) من ظ و م، وفى الأصل: ان (٢) من ظ و م، وفى الأصل: من صلاح.
(٣) زيد فى الأصل: اى من نار، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: مادر (٥-٥) سقط مابين الرقمين من ظ و م.
(٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: عظيمة (٧) راجع ١/٤٠٤ (٨) من ظ و م، وفى البخارى: بغير، وفى الأصل: خلاف (٩) من ظ و م، وفى الأصل: جلاله.
(١٠) زيد فى الأصل: بما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

الذى فى الدنيا بما لنا من العظمة ﴿لهم﴾ اى الشياطين [1] الذين يسترقون[1] السمع[1] ﴿عذاب السعير﴾ أى [النار-[2]] التى هى فى غاية الاتقاد، [3]فى الآية[3] بشارة لأهل السمع و البصر و العقل [4]و فيها من التنبيه ما لا يخفى[4].

و لما أخبر سبحانه عن تهيئته العذاب لهم بالخصوص، أخبر أيضا[5] [7]عن تهيئته[6] لكل عامل باعمالهم على وجه اندرجوا هم فيه فقال حاثا على التفكر فى عظيم انتقامه الخارج عن العادة [7]فى عدم الانطفاء[7]، لكونه [ليس -[2]] بسيف و لا عصا، و لا بسوط و نحوه بل النار الخارجة عن العادة فى[8] عدم الانطفاء، و لا للعذب من الخلاص منها [7]مسلك و لا رجاء[7]. [بل -[2]] كلما طال الزمان تلقنه بالشدة و الامتداد، بئس الجامعة[9] للذام[10] فى كل انتقام مع الإهانة و الاحتقار ﴿و للذين كفروا﴾ [أى أوقعوا -[2] التغطية لما [من -[2]] حقه أن يظهر و يشهر من الإذعان للاله، فقال صارفا القول عن مقام العظمة إلى صفة الإحسان الخاصة بالتربية تنبيها على ما فى إنكاره من عظيم الكفران: ﴿ربهم﴾ أى الذى تفرد بإيجادهم و الإحسان اليهم فانكروا إيجاده لهم بعد الموت و ذلك كفرا منهم[5] بما شاهدوا من اختراعه لهم من العدم ﴿عذاب جهنم[6]﴾ أى الدركة النارية التى تلقاهم بالتجهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) فى ظ و م: فالآية (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) سقط من ظ و م (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: بتهيئته (٧) زيد من م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٩) من ظ و م، و فى الأصل: الجامع (١٠) زيد فى الأصل: بل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و العبوسة و الغضب .

و لما كان التقدير : هي مصيرهم ، قال دالا على عدم خلاصهم منها أصلا أزلا و أبدا : ﴿ و بئس المصير ﴾ أي هي [١] .

و لما عبر [٢] عن ذمها [٢] بمجمع المذام ، اتبعه الوصف لبعض تجهمها على وجه التعليل ، فقال دالا بالإلقاء على خساستهم و حقارتهم معبرا بأداة التحقيق دلالة على أنه أمر لابد منه ، و بالبناء للمفعول على أن إلقاءهم في غاية السهولة على كل من يؤمر به : ﴿ إذا القوا ﴾ أي طرح الذين كفروا [و - [٣]] الأخساء من أي [٤] طارح أمرناه بطرحهم ﴿ فيها ﴾ حين تعتلهم [٥] الملائكة فتطرحهم كما تطرح الحطب [٦] في النار [٦] ﴿ سمعوا لها ﴾ أي جهنم نفسها ﴿ شهيقا ﴾ أي صوتا هائلا أشد نكارة من أول صوت الحمار لشدة توقدها و غليانها ، أو لأهلها - على حذف مضاف ﴿ و هي تفور ﴾ أي تغلي بهم كغلي المرجل بما فيه [من - [٧]] شدة التلهب و التسعر ، فهم لا يزالون فيها صاعدين هابطين كالحب إذا كان [الماء - [٢]] يغلي به ، لا قرار لهم أصلا .

و لما وصفها بالفوران ، بين سببه تمثيلا لشدة [٨] اشتعالها عليهم فقال : ﴿ تكاد تميز ﴾ أي تقرب [من - [٧]] أن ينفصل بعضها من

---

(١) زيد في الأصل : النار ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢ - ٢) من ظ و م ، و في الأصل : بذمها (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و م ، و في الأصل: كل (٥) من ظ و م، و في الأصل: تعلهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م. (٧) زيد من ظ و م (٨) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها .

بعض

/ بعض كما يقال: يكاد فلان ينشق من غيظه و فلان غضب فطارت ٤٢٨ /
شقه منه فى الأرض و شقه فى السماء - كناية عن شدة الغضب ﴿من الغيظ[1]﴾
أى عليهم، وكأنه حذف إحدى التائين إشارة إلى أنه يحصل [منها -[1]]
افتراق و اتصال على وجه من السرعة لا يكاد يدرك حق الإدراك،
و ذلك كله لغضب سيدها، و تأتى يوم القيامة تقاد إلى المحشر بألف ٥
زمام لكل زمام سبعون الف ملك يقودونها به، و هى شدة الغيظ
تقوى على الملائكة و تحمل على الناس فتقطع الأزمة[2] جميعا و تحطم
أهل المحشر فلا يردها عنهم إلا النبى صلى الله عليه و سلم يقابلها بنوره
فترجع مع أن لكل ملك من القوة ما لو أمر [به -[1]] أن يقتلع
الأرض و ما عليها من الجبال و[3] يصعد بها فى[4] الجو فعل من غير ١٠
كلفة، و هذا كما أطفأها فى الدنيا بنفخة كما رواه الجماعة إلا الترمذى
و هذا لفظ أبى داود[5] عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال:
انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم - فذكر صلاته
الى أن قال: ثم نفخ فى آخر سجوده فقال: أف أف ألم تعدنى أن لا تعذبهم
[6]و أنا فيهم[6] و هم يستغفرون، و فى رواية النسائى أنه قال: قال صلى الله ١٥
عليه و سلم: لقد أدنيت منى النار حتى جعلت ألفتها خشية أن تغشاكم.

و لما ذكر سبحانه حالها، اتبعه حالهم فى تعذيب القلب باعتقادهم

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الامته (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ثم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٥) راجع السنن ١/١٧٦.
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

أنهم ظلمة على وجه . بين السبب فى عذابهم زجرا عنه فقال : ﴿ كلما ﴾ و لما [1] كان المنكر مجرد الإلقاء بنى للمفعول دلالة على ذلك و على حقارتهم بسهولة إلقائهم قوله [1] : ﴿ القى فيها ﴾ أى [2] جهنم بدفع الزبانية بهم الذين هم أغيظ عليهم من النار ﴿ فوج ﴾ اى جماعة هم فى غاية الإسراع موجفين مضطربى الأجواف من شدة السوق [1] ﴿ سألهم ﴾ أى ذلك الفوج ﴿ خزنتها ﴾ أى [3] النار سؤال توبيخ و تقريع و إرجاف .

و لما كان كأنه قيل : ما كان سؤالهم ؟ قال : قالوا موبخين لهم مبكتين محتجين عليهم فى استحقاقهم العذاب زيادة فى عذابهم بتعذيب أرواحهم بعد تعذيب اشباحهم : ﴿ الم ياتكم ﴾ اى فى الدنيا ﴿ نذير ﴾ أى يخوفكم هذا العقاب و يذكركم بما حل بكم وبما حل بمن [6] قبلكم من المثلات ، لتكذيبهم بالآيات ، و يقرأ عليكم الكتب المنزلات ﴿ قالوا بلى ﴾ و لما طابق هذا الجواب فتوقع السامع إيضاحه . افصحوا بما أفهمه و شرحوه تأسفا على انفسهم بما حل بهم و تحسرا فقالوا : ﴿ قد جآءنا ﴾ و اظهروا موضع الإضمار تأكيدا و تنصيصا فقالوا [7] : ﴿ نذير ﴾ اى مخوف بليغ التحذير ﴿ فكذبنا ﴾ اى فتسبب عن مجيئه أننا اوقعنا التكذيب بكل

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : كلما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فيها .
(٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م و فى الاصل : الاسواق (٥) زيد فى الاصل : خزنة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الاصل : اطاق و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٧) زيد فى الأصل : جاءنا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

ما قاله النذير ﴿ و قلنا ﴾ اى زيادة فى التكذيب [1]و النكاية له و العناد الذى حل شؤمه بنا[1]: ﴿ ما نزل الله ﴾ أى الذى له الكمال كله عليكم و [لا -[2]] على غيركم ، و لعل التعبير بالتفعيل إشارة إلى إنكارهم الفعل بالاختيار الملازم للتدريج - تعالى الله عن / ذلك علوا كبيرا ، و أعرقنا ٤٢٩ / فى النفى فقلنا : ﴿من شىء﴾ لا وحيا و لا غيره ، و ما كفانا هذا الفجور ٥ حتى قلنا مؤكدين : ﴿ ان ﴾ أى ما .

و لما كان تكذيبهم برسول واحد تكذيبا لجميع الرسل قالوا عنادا[3]: ﴿ انتم ﴾ أى ايها النذر المذكورون فى «نذير» المراد به الجنس ، و فى خطاب الجمع إشارة ايضا إلى ان جواب الكل للكل كان متحدا مع افتراقهم فى الزمان حتى كأنهم كانوا [عـلى -[4]] ميعاد ١٠ ﴿ الا فى ضلل ﴾ أى بعد عن الطريق و خطأ و عمى محيط بكم ﴿ كبير ﴾ فبالغنا فى التكذيب و السفه بالاستجهال و الاستخفاف .

و لما حكى سبحانه ما قالوه للخزنة تحسرا على انفسهم حكى ما قالوه بعد ذلك فيما بينهم زيادة فى التحزن و مقتا لأنفسهم بأنفسهم فقال تعالى : ﴿ و قالوا ﴾ أى الكفرة زيادة فى توبيخ أنفسهم : ﴿ لو كنا ﴾ أى ١٥ بما هو لنا كالغريزة .

و لما كان السمع أعظم مدارك العقل الذى هو مدار التكليف قالوا : ﴿ نسمع ﴾ أى سماعا ينفع بالقبول للحق و الرد للباطل ﴿ او نعقل ﴾ أى بما أدته إلينا حاسة السمع و غيرها عقلا ينجى و إن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد من م (٣) سقط من ظ و م.
(٤) زيد من ظ و م .

لم يكن سمع ، و إنما قصروا الفعلين إشارة إلى إن ما كان لهم من السمع و العقل عدم لكونه لم يدفع عنهم هـذا البلاء بالقبول من الرسل لما ذكروهم به من نصائح ربهم و شهادة الشواهد من الآيات البينات ﴿ ما كنا ﴾ أى كونا دائما ﴿ فى أصحب السعير ﴾ أى فى عداد من أعدت له النار التى هى فى غاية الاتقاد و الحر و التلهب [1] و التوقد [1] حتى كأن بها جنونا ، و حكم بخلودهم فى صحبتها ، و اعظم ما فى هـذا من العذاب بكونهم الجئوا إلى أن باشروا [2] توبيخ أنفسهم و مقتها بأنفسهم انه لا يقبل منهم خروجا عن العادة فى الدنيا [3] من أن الانسان إذا اظهر الخضوع باعترافه و لومه نفسه و إنصافه رحم و قبل ، و فى الآية أعظم فضيلة للعقل [4] ، روى ابن المخبر فى كتاب العقل و الحارث عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لكل شىء دعامة و دعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته ، اما [5] سمعتم قول الفجار لو كنا انسمع [6] او نعقل ما كنا فى أصحب السعير [6] » .

و لما كان هذا الإقرار زائدا فى ضررهم ، و إنما كان يكون نافعا لهم لو قالوه فى دار العمل و ندموا عليه و أقلعوا عنه ، سبب عنه قوله ضاما - إلى ما تقدم من تعذيب أرواحهم بمقت الملائكة لهم ثم مقتهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يباشروا. (٣) من ظ و م . و فى الاصل : الدين (٤) زيد فى الاصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لها (٦-٦) فى ظ و م : الآية .

لأنفسهم[1] - مقت الله لهم : ﴿فاعترفوا﴾ اى بالغوا جامعين إلى مقت[2] الله و ملائكته لهم مقتهم لأنفسهم فى الاعتراف و هو الإقرار عن معرفة[2] .

و لما كان الذى أوردهم المهالك هو الكفر الذى تفرعت عنه جميع المعاصى ، أفرد فقال تعالى : ﴿ بذنبهم ج ﴾ أى فى دار الجزاء كما كانوا يبالغون فى التكذيب فى دار العمل فلم [يكن -[3]] ينفعهم لفوات محله ، ٥ أو أنه لم يجمع الذنب إشارة إلى أنهم كانوا كلهم فى المبالغة فى التكذيب على حد واحد ، كما قال تعالى « كذلك ما أتى الذين / من قبلهم من رسول ٤٣٠ / الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون » أو أن الإفراد[4] اشد فى التحذير من كثير[5] الذنوب و قليلها[6] حقيرها و جليلها .

و لما كانوا قد أبلغوا فى كلتى[7] الدارين فى إبعاد أنفسهم عن مواطن ١٠ الرحمة و تسفيلها إلى محال[8] النقمة أنتج ذلك و سبب قوله : ﴿ فسحقا ﴾ أى بعدا فى جهة السفل و هو دعاء عليهم مستجاب[9] ﴿ لاصحب ﴾ و أظهر تنبيها على عظيم توقدها و تغيظها و تهددها فقال : ﴿ السعير ﴾ أى الذين قضت عليهم أعمالهم بملازمتها .

---

(١) زيد فى الأصل : ثم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) فى الاصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل: الانفراد (٥) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٦) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ ، و فى الأصل و م : تلك (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : محالة (٩) زيد فى الأصل : و ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و لما ذكر سبحانه اهل المعاملة بصفة العزة لما حصل لهم من العزة، أتبعهم أضدادهم المطوعين أنفسهم [١] لإشارة العقل [١] المتأهلين لتعت المعرفة، فقال مؤكدا لما للأضداد من التكذيب: ﴿ ان الذين يخشون ﴾ اى يخافون [خوفا ـ [٢]] أرق [٣] قلوبهم و أرق [٣] غيرهم بحيث كانوا كالحب على المقلى لا يقرلهم قرار من توقعهم العقوبة، كلما [٤] ازدادوا طاعة ازادوا خشية، يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجلة فوقوا أنفسهم فوران النار بهم، و عدل عن سياق الجلالة الجامع إلى صفة الإحسان تنبيها على أنهم غلب عليهم النظر إلى الإحسان فقادهم إلى الشكر مع ما نبهت [٥] عليه الخشية من اتصافهم بالفرق الذى أداهم إلى الذعر فقال: ﴿ ربهم ﴾ الذى أحسن إليهم بتطويرهم بما جعل لهم من الأسباب فى أطوار الخير و إذا كانوا يخشونه مع نظرهم [٦] إلى صفة إحسانه فما ظنك بهم عند النظر إلى صفات انتقامه ﴿ بالغيب ﴾ أى حال كونهم غائبين عنه سبحانه و وعيده غائبا عنهم وهم غائبون عن أعين الناس و قد ملأ الخوف ما غاب عنهم عن الناس و هى قلوبهم فهم مع الناس يتكلمون و قلوبهم تتلظى بنيران [٧] الخوف و تكلم بسيوف الهيبة، فيتركون المعصية حيث لا يراهم أحد من الناس! و لا يكون لهم هذا إلا برياضة عظيمة لما عند

(١-١) من ظ وم، و فى الاصل: اشارة لعقل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و فى الأصل: وم، رقة (٤) من ظ وم، وفى الأصل: فكلما (٥) من ظ وم، وفى فى الأصل: ريد نبهنا، ولم تكن الزيادة فى ظ وم (٦) من ظ وم، وفى الأصل: فطرهم (٧) من ظ وم، و فى الأصل: نبار.

الناس من القوى الموجبة للطغيان ، قال بعض العارفين : فى الإنسان [خواص - [1]] تستدعى العلم بما يشوبها من الحظوظ فتنشأ منها - و العياذ بالله - المنازعة فى الكبرياء و العظمة و الجلال و الجمال ، فالقلب يستدعى التفرد بالوجود و الأمر و النهى ، فما من احد إلا و هو مستبطن ما قال فرعون ، و لكن لا يجد له مجالا كما وجد [2] فرعون ، و العقل ٥ يستدعى فى تدبيره و تاثيره اعتقاد أنه لو مكن من الوجود لدبره ، و يرى أن تدبيره هو التدبير و إن كان أفسد الفاسد ، وكذلك [3] لا يزال يقول : لو [4] كان كذا [5] لكان كذا ، و النفس لا تتخيل أنها من القوة و الاقتدار بحيث لو ارادت أن تخرب مدنا و تبنيها / فعلت ، فليحذر الإنسان / ٤٣١ فان أعدى عدوه [6] نفسه [7] التى هى بين جنبيه [7] ، فمهما تركها انتشرت ، ١٠ [7] قال تعالى [7] « كلا ان الإنسان ليطغى ان رآه استغنى » و ينسى ما بعدها « إن إلى ربك الرجعى » ولهذا كان بعض الأكاسرة - وكانوا أعقل الملوك - يرتب واحدا يكون وراءه بالقرب منه ، [يقول له - [1]] إذا اجتمعت جنوده بعد كل قليل [8] : أنت عبد ، لا يزال [9] يكرر ذلك [9] ، و الملك يقول له كلما قاله [10] : نعم ، فعلى العاقل أن يطوع نفسه لأن ترجع مطمئنة بان ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : قال (٣) من ظ و م ، وفى الاصل : لذا (٤) من ظ وم ، و فى الأصل : لولا (٥) تكرر فى الأصل فقط . (٦) فى ظ و م : عدوله (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : يقول ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٩ - ٩) من ظ وم ، وفى الأصل : يكررها (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : قالها .

يرضى بالله ربا ليدخل فى رق العبودية ، و بالإسلام دينا ليصير عريقا فيها ، فلا ينازع الملك فى ردائه الكبريا و إزاره العظمة و تاجه الجلال و حلته الجمال ، و لا ينازعه فيما يدبره[1] من الشرائع[2] ، و يظهره من المعارف ، و يحكم به على[3] عبيده من قضائه و قدره .

٥ و لما كانت الخشية مشيرة إلى[4] الذنوب ، فكان[5] أهم ما إليهم [6]الإراحة منها[6] قال تعالى : ﴿ لهم مغفرة ﴾ أى سترة[7] عظيمة تأتى على جميع ذنوبهم .

و لما كان السرور إنما يتم بالإعطاء قال : ﴿ واجر ﴾ أى من فضل الله ﴿ كبير ﴾ يكون لهم به من الإكرام ما ينسيهم ما قاسوه

١٠ فى الدنيا من شدائد الآلام ، و تصغر فى جنبه لذائذ الدنيا العظام[8] .

و لما كانت الخشية من الأفعال الباطنة ، و كان كل أحد يدعى أنه يخشى الله ، قال مخوفا لهم بعلمه نادبا إلى مراقبته لئلا يغتروا بحلمه ، عاطفا على ما تقديره لإيجاب المراقبة : فأبطنوا أفعالهم[9] و أظهروها : ﴿ و اسروا ﴾ أى أيها الخلائق .

١٥ و لما كان إفراد الجنس دالا على قليله و كثيره قال : ﴿ قولكم ﴾

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : دبر (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : ابدائع .
(٣) زيد فى الأصل : عبد من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : ترك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فكانت (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الزحة (٧) سقط من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٩) من ظ و م ، و فى الأصل : أعمالهم .

أى

أى خيرا كان او شرا ﴿ او اجهروا به ﴾ فانه يعلمه و يجازيكم به لأن علمه لا يحتاج إلى سبب، و ذلك أن المشركين كانوا يقولون: أسروا و إلا يسمع إله محمد: ثم علل ذلك مؤكدا لأجل ما للناس من استبعاد ذلك بقوله: ﴿ انه ﴾ أى ربكم ﴿ عليم ﴾ أى بالغ العلم ﴿ بذات الصدور ﴾ أى بحقيقتها و كنهها و حالها و جبلتها و ما يحدث عنها سواء كانت قد ٥ تخيلته و لم[1] تعبر عنه، أو كان مما لم تتخيله بعد بدليل ما يخبر به سبحانه و تعالى عنهم مما وقع و هم يخفونه، أو لم يقع بعد ثم يقع كما أخبر به سبحانه؛ ثم دل على ذلك بقوله معجبا ممن يتوقف فيه[2] أدنى توقف و منكرا عليهم باثبات العلم و نفى ضده على أبلغ وجه: ﴿ الا يعلم ﴾ أى و كل ما يمكن ان يعلم، و حذف المفعول للتعميم[3]، ثم ذكر الفاعل واصفا له بما يقرب ١٠ المخبر [به - [4]] للافهام فقال: ﴿ من خلق ﴾ أى الذى أوجد الخلق من القلوب الحاوية للأسرار و الأبدان و غير ذلك، و طبع فى كل شىء من ذلك ما طبع مما قدره بعلمه و أتقنه بحكمته، فان كل صانع أدرى بما صنعه، و يجوز - و هو احسن - أن يكون «من» مفعولا و الفاعل مستترا، أى [5]ألا يعلم[5] الله مخلوقه /على الإطلاق و له صفتا[6] اللطف و الخبر ١٥ /٤٣٢ اللتان شأنهما إدراك البواطن إدراكا لا يكون مثله لأن الغرض إثبات العلم لما أخفوه لظنهم انهم إذا أسروا يخفى، لا إثبات مطلق العلم فانهم

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٢) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٣) من ظ و م، و فى الأصل: للتفهيم (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: لا يعلمه (٦) فى الأصول: صفة.

لم ينكروه ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه هو ﴿ اللطيف[1] ﴾ [اى - [2]] الذى يعلم ما بثه [3] فى القلوب[3] لأنه يصل إلى الأشياء بأضدادها فكيف بغير ذلك[4] ﴿ الخبير[5] ﴾ أى بالغ العلم بالظواهر و البواطن فكيف يخفى عليه شىء من الأشياء، و هو أعظم تهديد يكون، فان من علم[6] أن من يعصيه عالما به و هو قادر عليه لا يعصيه أبدا .

و لما كان ذلك أمرا غامضا، دل عليه بأمر مشاهد أبدعه بلطفه و أتقنه بخبرته لاستدعاء الشكر من عباده على ما أبدع لهم و من عليهم[7] به من النعم الباهرة التى بها قوامهم[8]، و لولاه لما كان لهم بقاء فقال مستأنفا : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ الذى جعل لكم ﴾ لتتوصلوا إلى ما ينفعكم[9] ﴿ الارض ﴾ على سعتها و عظمها[9] و جزونة كثير منها ﴿ ذلولا ﴾ اى مسخرة لا تمتنع، قابلة للانقياد لما تريدون[10] منها من مشى و إنباط مياه و زرع حبوب و غرس اشجار و غير ذلك غاية الانقياد، بما تفهمه صيغة المبالغة مع أن فيها أماكن خوارة تسوخ فيها الأرجل و يغوص فيها ما خالطها، و مواضع مشتبكة بالأشجار يتعذر أو يتعسر سلوكها، و أماكن

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الخبير (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) فى الأصل بياض ملأ ناه من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : و انه تعالى هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يعلم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه (٧) من ظ و م، و فى الأصل : قواهم (٨) زيد من الأصل ؛ من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م ، و فى الاصل : عظمتها . (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : يريدونه .

[1]ملآى سباعا و حيات[1] و غير ذلك من الموانع ، و اما كن هى جبال شاهقة إما يتعذر سلوكها كجبل السد بيننا و بين ياجوج و ماجوج[2] ، ورد فى الحديث أنه تزلق عليه الأرجل و لا تثبت ، أو يشق سلوكها ، و مواطن[3] هى بحور عذبة أو ملحة فلو شاء لجعلها كلها كذلك ليكون بحيث لا يمكن الانتفاع بها ، فما قسمها إلى سهول و جبال و برور ٥ و بحور و أنهار و عيون و ملح و عذب و زرع و شجر و تراب و حجر و رمال و مدر و غير ذلك إلا لحكمة بالغة و قدرة باهرة ، لتكون قابلة لجميع ما تريدون منها ، صالحة لسائر ما ينفعكم فيها[4] .

و لما كان معنى التذليل ما تقدم ، سبب عنه قوله تمثيلا لغرض التذليل لأن منكبى البعير و ملتقاهما من الغاربين أرق[5] شىء و أنباه ١٠ عن ان يطأه الراكب بقدمه و يعتمد عليه : ﴿فامشوا﴾ [أى -[6]] الهوينا مكتسبين و غير مكتسبين إن شئتم من غير صعوبة توجب لكم وثبا أو حبوا ﴿فى مناكبها﴾ أى أماكنها التى هى لولا تسهيلنا لمناكب الحيوانات لكانوا[7] ينتكبون عن الوقوف عليها ، فكيف بالمشى ، [و -[6]] قال ابن عباس رضى الله عنهما[8] : إنها[9] الجبال - لأن تذليلها أدل دليل[7] ١٥

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : قدملئت من الحيات و السباع (٢) زيد فى الأصل : لانه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الاصل : مواضع (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : منها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ادق (٦) زيد من ظ و م (٧) سقط من ظ و م (٨) راجع المعالم بهامش اللباب ٧ / ١٠٥ (٩) من ظ و م ، و فى الاصل : هى .

على تذليل غـــيرها ، و ليكن مشيتكم فيها و تصرفكم بذل و إخبات و سكون [١] استصغارا لأنفسكم و شكرا لمن سخر لكم ذلك - [٢]والله الهادى[٢] .

و لما ذكر سبحانه انه يسرها للمشى ، ذكرهم بأنه سهلها لإخراج الخيرات و البركات / فقال : ﴿ و كلوا ﴾ و دل على أن الرزق فوق الكفاية[٣] بقوله : ﴿ من رزقه[٤] ﴾ أى الذى أودعه لكم فيها و أمكنكم من إخراجه بضد ما تعرفون[٥] من أحوالكم فان الدفن فى الأرض مما يفسد المدفون و يحيله إلى جوهرها كما يكون لمن قبرتموه فيها ، و مع ذلك فأنتم تدفنون الحب و غـــيره مما ينفعكم فيخرجه لكم سبحانه على أحسن ما تريدون و يخرج لكم[٦] من الأقوات و الفواكه و الأدهان و الملابس ما تعلمون ، و كذلك النفوس هى صعبة كالجبال و إن قدتها للخير انقادت لك كما قيل « هى النفس ما[٧] عودتها تتعود » .

/٤٣٣

و لما كان التقدير للبعث على الشكر و التحذير[٨] من الكفر : و اعبدوه جزاء على إحسانه إليكم و تربيته لكم . فمنه مبدأ[٩] جميع ذلك ، عطف عليه ما يدعو إلى الحياء من السيد و الخجل من توبيخه عند لقائه فقال : ﴿ و اليه ﴾ أى وحده ﴿ النشور ﴾ و هو إخراج جميع الحيوانات التى أكلتها الأرض و أفسدتها ، يخرجها فى الوقت الذى يريده

(١) زيد فى الاصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الكفاف (٤) من ظ و م . و فى الأصل : تعرفونه (٥) فى م : لهم (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : منه (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : التحديد . (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : مبتدأ .

على

على ما كان كل منها [عليه -[1]] عند الموت كما أخرج تلك الأرزاق، لا فرق بين هذا و ذاك، غير أنكم لا تتأملون [فيسألكم -[1]] عما كنتم تعملون، فيا فوز من شكر و يا هلاك من كفر، فان هذا أبعث شيء على الشكر، و أشد شيء إبعادا عن العصيان لا سيما الكفر، لما قرر من حاجة الإنسان، [و -[1]] الإحسان [إليه -[1]] بأنواع الإحسان. ٥

و لما لم يكن بعد الاستعطاف إلا الإنذار على الخلاف، قال مهددا للمكذبين بعذاب دون عذاب جهنم، منكرا عليهم الأمان بعد إقامة الدليل على أن بيده الملك، و أنه قادر على ما يريد منه بأسباب جنوده [2]و بغير سبب، مقررا[2] بعد تقرير حاجة الإنسان و عجزه أنه [لا حصن له و -[1]] لا مانع له بوجه من عذاب الله، فهو دائم الافتقار ملازم ١٠ للصغار: ﴿ ءامنتم ﴾ أى ايها المكذبون، و خاطبهم بما كانوا يعتقدون مع أنه [إذا -[1]] حمل على الرتبة و أول السماء بالعلو أو جعل كناية عن التصرف لأن العادة جرت غالبا أن من كان فى شيء كان متصرفا فيه صح من غير تأويل فقال: ﴿ من فى السمآء ﴾ أى على زعمكم العالية قاهرة لكم، أو[3] المعنى: من الملائكة الغلاظ الشداد الذين صرفهم فى [4]مصالح ١٥ العباد[4]، أو المعنى: فى غاية العلو رتبة، أو أن ذلك إشارة إلى أن فى السماء أعظم أمره لأنها ترفع إليها أعمال عباده و هى مهبط الوحى

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: مقررا بغير سبب تقريرا.
(٣) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: المصالح.

و منزل القطر و محل القدس و السلطان و الكبرياء و جهة العرش و معدن المطهرين و المقربين من الملائكة الذين أقامهم الله فى تصريف أوامره و نواهيه ، و الذى دعا إلى مثل هذا التأويل السائغ الماشى على لسان العرب [قيام - [1]] الدليل / القطعى على أنه سبحانه ليس بمتحيز فى جهة لأنه ٤٣٤ / محيط فلا يحاط به ، لأن ذلك لا يكون إلا لمحتاج ؛ ثم أبدل من «من» بدل اشتمال فقال : ﴿ ان ﴾ .

و لما كانت قدرته على ما يريد بلا واسطة كقدرته بالواسطة ، و قدرته إذا كان الواسطة جمعا كقدرته إذا كان واحدا ، لأن الفاعل على كل تقدير حقيقة هو لا غيره ، وحد بما يقتضيه لفظ "من" إشارة إلى هذا المعنى سواء أريد بـ"من" هو سبحانه او ملائكته أو واحد[2] منهم [فقال - [1]] : ﴿ يخسف ﴾ أى أأمنتم خسفه ، و يجوز أن يراد بـ"من" الله سبحانه و تعالى كما مضى خطابا على زعمهم و ظنهم أنه فى السماء و إلزاما لهم بأنه كما قدر على الإمطار و الإنبات و غيرهما من التصرفات فى الأرض فهو يقدر على غيره ﴿ بكم الارض ﴾ كما خسف بقارون و غيره .

و لما كان الذى يخسف به من الأرض يصير كالساقط فى الهواء [وكان الساقط فى الهواء - [1]] يصير يضطرب[3] ، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فاذا هى ﴾ أى الأرض التى أنتم بها ﴿ تمور ﴾ أى تضرب و هى تهوى بكم و تجرى هابطة فى الهواء و تتكفأ إلى حيث شاء سبحانه ،

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، فى الأصل و ظ : واحدا (٣) من ظ و م ، و فى الاصل : يغبط .

قال فى القاموس: المور الاضطراب و الجريان على وجه الأرض و التحرك.

و لما كانوا ربما استبعدوا الخسفة، و كانوا يعهدون ما ينزل من السماء من الندى و الأمطار و الصواعق، عادل بذلك قوله: ﴿ام امنتم﴾ أى أيها المكذبون، و كرر لهم ذكر ما يخشونه زيادة فى الترهيب فقال: ٥ ﴿من فى السمآء﴾ على التقدير ﴿أن يرسل[1] عليكم﴾ [2]أى من السماء[2] ﴿حاصباً﴾ أى [حجارة -[3]] يحصبكم - أى يرميكم - بها مع ريح عاصف بقوتها كما وقع لقوم لوط و اصحاب الفيل.

و لما كان[4] هذا الكلام إنذارا عظيما و وعظا بليغا شديدا[5]، و كان حالهم عنده[6] مترددا بين إقبال و إدبار، سبب عنه على تقدير ١٠ إدبارهم بتماديهم بما للانسان من النقصان قوله متوعدا بما يقطع القلوب؛ و لفت القول إلى مقام التكلم إيذانا بشديد الغضب: ﴿فستعلمون﴾ أى عن قريب بوعد[7] لا خلف فيه فى الدنيا ثم[8] فى الآخرة.

و لما كان العلم بكيفية الشىء أعظم من العلم بمطلق ذلك الشىء لأنه يلزم من العلم بها العلم [9]بمطلق ذلك الشىء[9]، و كان ما هو ١٥

---

(١) زيد فى الأصل: اى من السماء ان يسلط، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: بقدرته (٣) زيد من ظ و م. (٤) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ، و فى الأصل و م: عندهم (٧) فى ظ و م: بوعيد (٨) من ظ و م، و فى الأصل: و لا (٩-٩) فى ظ و م: به.

بحيث يسأل عنه لا يكون إلا عظيما قال : ﴿ كيف نذير ﴾ اى إنذارى البليغ إذا شاهدتم العذاب و هو بحيث لا يستطاع ، و لا تتعلق الأطماع بكشف له و لا دفاع ، و حذف الياء منه [و -[1]] من «نكير» إشارة إلى أنه و إن كان خارجا عن الطرق ليس منتهى مقدوره بل لديه مزيد ، لا غايه له بوجه و لا تحديد .

و لما كان من المعلوم أن المأمور بابلاغهم [2]و إنذارهم[2] هذا الإنذار[3] صلى الله عليه و سلم[4] فى غاية[5] / الرحمة لهم [و الشفقة عليهم -[1]] فهو بحيث يشق عليه غاية المشقة ما أفهمه هذا الكلام من إهلاكهم أن يصدقوا ، [و -[1]] يجب التأنى بهم ، لفت سبحانه الخطاب إليه عاطفا على ما تقديره : فلقد طال إمهالنا لهم و حلمنا عنهم و تعريفنا لهم بعظيم قدرتنا و هم لا يرجعون و كثر وعظنا لهم و تصريفنا القول بينهم [2]على ألسنة رسلنا عليهم الصلاة و السلام[2] و هم يتمادون و لا ينتهون ، قوله مصورا [لهم -[1]] ما توعدهم به فى أمر محسوس لأن الأمور المشاهدات اروع للانسان لما له من التقيد بالوهم مؤكدا للاشارة إلى أن التكذيب مع إقامة البراهين أمر يجب إنكاره فلا يكاد يصدق : ﴿ و لقد كذب ﴾ [2]و طغى و بغى و أعرض و تجبر و تمرد و ولى بوجهه[2]

٤٣٥ /

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : هو الرسول ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : الشفقة و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد من م .

[1]و قلبه[1] ﴿ الذين ﴾ .

و لما كان هـذا[2] التكذيب لم يعم الماضين بعض فقال: ﴿ من قبلهم ﴾ يعنى كفار الأمم الماضية .

و لما كان سبحانه قد[3] أملى لهم ثم أخذهم بعد طول الحلم أخذا بقيت أخباره ، و لم تندرس إلى الآن على تمادى الزمان آثاره ، فكان ٥ بحيث يسأل عنه لعظم أحواله ، و شدة زلازله و فظاعة أهواله ، سبب عن ذلك قوله منبها على استحضار ذلك العذاب و لو بالسؤال عنه: ﴿ فكيف كان نكيره ﴾ أى إنكارى عليهم بما أصبتهم به من العذاب فى تمكن كونه و هول أمره ، فقد جمع إلى التسلية غاية التهديد[4] .

و لما ذكر بمصارع الأولين ، و كان التذكير بالحاصب تذكيرا ١٠ لقريش بما حصب به على قرب الزمان عدوهم أصحاب الفيل بما أرسل عليهم[5] من الطير الأبابيل تحذيرا لهم من ذلك إن تمادوا على كفره[6] ، و لم ينقادوا إلى شكره ، فكان التقدير تقريرا لزيادة قدرته و حسن تدبيره و لطف تربيته حيث جبر الطير لضعفها[7] بالطيران ليكمل بعموم رحمانيته[8] أمر معاشها تقريرا لأن بيده الملك و ترهيبا من أن ينازعه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل : قدم (٤) زيد فى الأصل: انتهى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٥) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من م ، و فى الأصل وظ : كفرهم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الى اضعفها . (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : رحمته .

احد فى تدبيره مع تبقية القول مصروفا عن خطابهم ، إيذانا بشدة حسابهم و سوء منقلبهم و مآبهم : ألم يروا إلى قدرتنا على مصارع الأولين و إهلاك المكذبين و إنجاء المؤمنين ، عطف عليه قوله معرضا عنهم زيادة فى الإنذار بالحصب من الطير و غيرها : ﴿ او لم يروا ﴾ و أجمع ٥ القراء على القراءة هنا بالغيب لأن السياق للرد على المكذبين بخلاف ما فى النحل . و اشار إلى بعد الغاية بحرف النهاية فقال : ﴿ الى الطير ﴾ و هو جمع طائر .

و لما كان الجو كله مباحا للطيران نزع الجار فقال : ﴿ فوقهم ﴾ و بين حال الطير فى الفوقية بقوله واصفا لها بالتانيث إشارة إلى ضعفها ١٠ فى أنفسها [1] لولا تقويته [2] لها ﴿ صٰٓفّٰت ﴾ أى باسطات أجنحتها تمدها غاية المد بحيث تصير مستوية / لا اعوجاج فيها مع أنه إذا كان جماعة ٤٣٦ / منها كانت صفوفا أو صفا واحدا فى غاية الانتظام تابعة لإمام منها .

و لما عبر عن الصف بالاسم لأنه الأصل الثابت ، عبر عن التحريك بالفعل لأن الطيران فى ساحة الهواء كالسباحة فى باحة الماء ، و الأصل ١٥ فى السباحة مد الأطراف و بسطها ، و القبض طارئ على البسط فقال : [﴿ و يقبضن ﴾ أى يوقعن قبض الأجنحة و بسطها وقتا بعد وقت للاستراحة و الاستظهار به على السبح فى الهواء . و لما تم هذا التقدير على هذا الوجه الرائع للقلوب ترجمه بقوله - [3]] : ﴿ ما يمسكهن ﴾ أى فى

(١) من ظ و م ، وفى الاصل : نفسهم (٢) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م .

الجو فى حال القبض و البسط عن السقوط على خلاف ما يقتضيه الطبع.

و لما كان هذا من التدبير المحكم الناظر إلى عموم الرحمة قال: ﴿ الا الرحمن ﴾ أى الملك الذى رحمته عامة لكل شىء بأن هيأهن - بعد أن أفاض عليهن رحمة الإيجاد - على أشكال مختلفة و خصائص مفترقة للجرى فى الهواء بما أوجد لها من القوادم و الحوافى و غير ذلك[1] من الهيئات المقابلة لذلك، و كذا جميع العالم لو امسك عنه حفظه[2] طرفة عين لفسد بتهافت الأفلاك و تداعى الجبال و غيرها، و عبر فى النحل بالاسم الأعظم لأن سياقها للرد على أهل الطبائع[3] و هم الفلاسفة الذين لا يقوم بالرد عليهم إلا المتبحر فى معرفة[4] جميع أصول الدين بمعرفة جميع معانى الأسماء الحسنى و الصفات العلى التى[5] جمعها اسم الذات.

و لما كان هذا أمرا رائعا للعقل، و لكنه لشدة الإلف صار لا يتنبه له إلا بالتنبيه، و كان الجاهل ربما ظن أن التقدير على الطيران خاص بالطير، نبه سبحانه على عظمة ما هيأ الطير له و على أنه يقدر أن يجعل ذلك لغيره بقوله مؤكدا لأجل قصور بعض العقول عن التصديق بذلك و تضمن الإشراك للطعن فى تمام الاقتدار المتضمن للطعن فى تمام العلم: ﴿ انه ﴾ أى الرحمن سبحانه ﴿ بكل شىء ﴾ [6]قل أو كثر جليل و حقير ظاهر و باطن[6] ﴿ بصير ﴾ بالغ البصر و العلم بظواهر الأشياء

(١) زيد فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، وفى الأصل: حفظته (٣) من ظ و م، وفى الأصل: الطباع (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المعرفة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٦-٦) سقط مابين الرقمين من ظ و م.

و بواطنها ، فمهما أراد كان و هو يخلق العجائب و يوجد الغرائب ، فيهيئ من أراد من الآدميين و غيرهم لمثل[1] ذلك .

و لما كان التقدير تقريرا لذلك : فمن يدبر مصالحكم ظاهرا و باطنا ، و فعل هذه الأنواع من العذاب بالمكذبين من قبلكم ، عطف عليه قوله عائدا إلى الخطاب لأنه[2] أقعد فى التكبيت[3] و التوبيخ ، و أدل على أن المخاطب ليس بأهل لأن يهاب مقررا لأنه مختص بالملك : ﴿ أمن ﴾ و نبه على أن المدبر للأشياء لابد أن يكون فى غاية القرب و الشهادة لها ليكون بصيرا برعيها ، و يكون مع مزيد قربه عالى الرتبة بحيث يشار إليه ، فقال مقررا لعجز العباد : ﴿ هذا ﴾ باشارة الحاضر ﴿ الذى ﴾ و أبرز العائد لأنه لابد من إبرازه مع الاسم بعدم صلاحه لتحمل الضمير فقال : ﴿ هو جند ﴾ أى عسكر وعون ، و صرف القول عن الغيبة إلى الخطاب لأنه أبلغ فى التقريع فقال : ﴿ لكم ينصركم ﴾ أى على من يقصدكم / بالخسف و الحصب و غيرهما ، و يجوز أن يكون التقدير : ألكم إله يدبر مصالحكم غيرنا ام كان الذى عذب من كذب الرسل سوانا أم لكم جند يصار إليه ينصركم دوننا كما قال تعالى « أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا[4] » ، و لكنه أخرجه مخرج الاستفهام عن تعيين الجند تعريفا بأنهم لغاية جهلهم اعتقدوا أن لهم من أجناد[5] الارض أو السماء من ينصرهم و إلا لما كانوا آمنين .

/ ٤٣٧

---

(١) من ظ وم فى الاصل : مثل (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : بالتبكيت .
(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : دونها (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ وم فحذفناها (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : جند .

و لما كانت المراتب متضائلة عن جنابه متكثرة جدا ، قال تعالى مشيرا بالحرف و الظرف إلى ذلك منبها على ظهوره سبحانه فوق كل شيء، لم يقدر أحد و لا يقدر أن ينازعه فى ذلك و لا فى أنه مستغرق لكل ما دونه من المراتب : ﴿من دون الرحمن[4]﴾ إن[1] أرسل عليكم[2] عذابه، و أظهر و لم يضمر بعثا على استحضار ما له من شمول الرحمة[3]، و تلويحا ٥ إلى التهديد[4] بأنه لو قطعها [عن -[5]] أحد ممن أوجده عمه الغضب كله، و لذلك قال مستنتجا عنه تنبيها على أن[6] رفع المضار و جمع المسار[6] ليس إلا بيده لأنه المختص [بالملك -[5]] : ﴿أن﴾ أى ما، و أبرز الضمير تعميما و تعليقا للحكم بالوصف[7] و مواجهة بذلك لأنه أقعد [8] فى التوبيخ[8] فقال : ﴿الكٰفرون﴾ أى العريقون فى الكفر و هم ١٠ من يموت عليه ﴿الا فى غرور ج﴾ أى قد أحاط بهم فلا خلاص لهم منه و هو أنهم يعتمدون على غير معتمد .

و لما قدم أعظم الرحمة بالحياطة و النصرة الموجبة للبقاء، أتبعه ما يتم به البقاء فقال : ﴿امن﴾ و أشار إلى القرب بالعلم و البعد بالعلو و العظمة بقوله : ﴿هذا﴾ و أشار إلى معرفة كل أحد له بصفاته العلية التى ١٥

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عليهم .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الرحمن (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : التشديد.
(٥) زيد من ظ و م (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : جميع المسار والمضار ليس لشيء منها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : للوصف (٨ - ٨) من ظ و م ، و فى الأصل : للتوبيخ .

تنشأ عنها أفعاله المحكمة السنية، فقال: ﴿ الذى ﴾ [و أسقط العائد لتحمل الفعل له فقال: ﴿ يرزقكم ﴾ -[1]] أى على[2] سبيل التجدد و الاستمرار، لا ينقطع معروفه أبدا [3]مع أنه[3] قد وسع كل شىء و لا غفلة له عن شىء ﴿ ان امسك رزقه ج ﴾ بامساك الأسباب التى تنشأ عنها و يكون ٥ وصوله إليكم منها كالمطر، و لو كان الرزق موجودا أو كثيرا و سهل التناول فوضع الأكلة فى فمه فأمسك الله عنه قوة الازدراد عجز أمل السماوات و الأرض عن أن يسوغوه[4] تلك اللقمة[5].

و لما قامت بهـــذا دلائل قدرته و شمول علمه على سبيل العموم فالخصوص، فكان ذلك مظنة أن يرجع الجاحد و يخجل المعاند، و يعلم ١٠ الجاهل و يتنبه الغافل، فكان[6] موضع أن يقال: هل رجعوا عن تكذيبهم، عطف عليه قوله لافتا الكلام إلى الغيبة[7] إعراضا عنهم تنبيها على سقوط منزلتهم و سوء أفهامهم و قوة غفلتهم: ﴿ بل لجوا ﴾ أى تمادوا سفاهة لا احتياطا و شجاعـــة، قال الرازى فى اللوامع: و اللجاج تقحم الأمر مع كثرة الصوارف عنـــه ﴿ فى عتو ﴾ أى مظروفين لعناد ١٥ و تكبر عن الحق و خروج[8] إلى فاحش الفساد[9] ﴿ و نفور ﴾ أى

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: لانه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يسوغوا (٥) زيد فى الأصل لعجزوا عن اساغتها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: و كان (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الغيب (٨) من ظ و م، و فى الأصل: خروجا (٩) من ظ و م، و فى الأصل: العباد.

شراد عن حسن النظر / و الاستماع، دعا إليه الطباع، و استولى ذلك عليهم حتى أحاط بهم مع أنه لا قوة لأحد منهم فى جلب سار و لا دفع ضار، و الداعى إلى ذلك الشهوة و الغضب .

و لما كان هذا فعل من لا بصر له و لا بصيرة، سبب عنه قوله ممثلا للوحد و المشرك بسالكين و لدينيهما بمسلكين: ﴿ افمن يمشى ﴾ أى ٥ على وجه[1] الاستمرار ﴿ مكبا ﴾ أى داخلا بنفسه فى الكب و صارا إليه، و هو السقوط ﴿ على وجهه ﴾ و هو كناية عن السير على رسم مجهول و أثر [معوج ـ[2]] معلول، على غير عادة العقلاء لخلل فى أعضائه، و اضطراب فى عقله و رأيه، فهو كل حين يعثر فيخر[3] على وجهه، لأنه لعدم نظره يمشى فى أصعب الأماكن[4] لإمالة الهوى له عن المنهج المسلوك، ١٠ و غلبة الجهل عليه فهو بحيث لا يكون تكرار[5] المشاق عليه زاجرا[6] [له ـ[7]] عن السبب الموقع له فيه، و لم يسم سبحانه و تعالى ممشاه طريقا لأنه لا يستحق ذلك .

و لما كان ربما صادف السهل لا عن بصيرة بل اتفاقا قال: ﴿ اهدى ﴾ أى أشد هداية ﴿ امن يمشى ﴾ دائما مستمرا ﴿ سويا ﴾ قائما ١٥ رافعا رأسه ناصبا وجهه سالما من العثار لأنه لانتصابه يبصر ما أمامه و ما عن يمينه و ما عن شماله ﴿ على صراط ﴾ أى طريق موطأ واسع[7]

(١) فى ظ و م: سبيل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فيخرج (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المسالك (٥) فى ظ و م: تكرر . (٦) من ظ و م، وفى الأصل: زجرا (٧) من ظ و م، و فى الأصل: واسعا.

مسلوك [1] سهل قويم [1] ﴿مستقيم ٥﴾ اي هو فى غاية القوم، هذا مثل من رضى بالله ربا و بالإسلام دينا فانه يتبع الفطرة الأولى السليمة عن شهوة أو غضب أو شائبة حظ، و الأول مثل الكافر، حاله فى سيره إلى الله حال المكب أى الذى كب نفسه بغاية الشهوة [2] على وجهه، لا يرى ما حوله ٥ و لا يشعر بما أحاط به، و لا ينظر فى الآيات و لا يعتبر بالمسموعات [3]، فهو اليوم شيء باطن لظهر يوم القيامة فيحشر على وجهه إلى النار جزاء لرضاه بحالته هذه فى هذه الدار فيظهر له سبحانه ما أبطن [له - [4]] اليوم، و المؤمن بخلاف ذلك فيهما، و الآية من الاحتباك: ذكر الكب أولا دليلا عل ضده ثانيا، و المستقيم ثانيا دليلا على المعوج أولا، و سره ١٠ أنه ذكر أنكأ ما للمجرم و أسر ما للمسلم.

و لما كان العرب الموعوظون بهذا الذكر [5] يتغالون فى التفاخر بالهداية [5] فى الطرق المحسوسة و عدم الإخلال بشكر المعروف لمسديه و لو قل، فنفى عنهم الأول بقيام الأدلة على خطائهم الفاحش فى كل ما خالفوا فيه الرسول صلى الله عليه و سلم من طريقهم المعنوى الذى ١٥ اتخذوه دينا، فهو اشرف من الطريق المحسوس، أتبعه / بيان انسلاخهم ٤٣٩/ من [الثانى مع التأكيد لانسلاخهم من - [4]] الأول، قال آمرا للرسول صلى الله عليه و سلم بتنبيههم لأن الإنسان على نوعه أقبل لأنه إليه أميل،

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل، السهولة.
(٣) من ظ و م، و فى الاصل: فى المسموعات (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: يتغافلون بالتفاذ فى الهداية.

إسقاطا

إسقاطا[1] لهم من رتبة الفهم عن الله سبحانه و تعالى لسفول هممهم[2] و لقصور نظرهم مع أنه جعل لهم حظا ما من الحضور بتأهيلهم لخطاب الرسول صلى الله عليه و سلم لإقامتهم بالمذكور فى الآية فيما[3] يرجى معه العلم و يورث الفطنة [و - [4]] الفهم: ﴿ قل ﴾ أى يا أشرف الخلق و أشفقهم[5] عليهم مذكرا لهم بما[6] دفع عنهم الملك من المفسدات و جمع لهم من المصلحات و القوى و العقل ليرجعوا إليه، و لا يعولوا فى حال من أحوالهم إلا عليه، و ينظروا فى لطيف صنعه و حسن تربيته فيمشى كل منهم سويا: ﴿هو﴾ أى الله سبحانه و تعالى ﴿ الذى ﴾ شرفكم بهذا الذكر و بين لكم هذا البيان وحده الذى[7] ﴿ انشأكم ﴾ أى أوجدكم و درجكم فى مدارج التربية حيث طوركم فى أطوار الخلقة فى الرحم و يسر لكم بعد خروجكم [الخروج - [4]] اللين حيث كانت المعدة ضعيفة عن أكثف منه.

و لما كان من[7] أعظم النعم الجليلة[7] بعد الإيجاد العقل، اتبعه به، [و بدأ - [4]] بطريق تنبيهه فقال: ﴿ و جعل لكم ﴾ أى خاصة مسببا عن الجسم الذى أنشأه ﴿ السمع ﴾ [أى - [4]] الكامل لتسمعوا

(١) من ظ، و فى الأصل و م: اسقط (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: مع ما (٤) زيد من ظ و م (٥) من م، و فى الأصل و ظ: شفقتهم (٦) زيد فى الأصل: تبح عليهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بقوته الباهرة.

ما [١] تعقله قلوبكم [١] فيهديكم، و وحده لقلة التفاوت فيه ليظهر سر تصرفه سبحانه فى القلوب بغاية المفاوتة مع أنه أعظم الطرق الموصلة للمعانى إليها ﴿ و الابصار ﴾ لتنظروا صنائعه فتعتبروا و تزدجروا [٢] عما يرديكم [٣] ﴿ و الافئدة [٤] ﴾ أى القلوب التى جعلها سبحانه فى غاية التوقد [٤] بالإدراك لما [لا - ٥] يدركه بقية الحيوان لتتفكروا فتقبلوا على ما يعليكم، و جمعا لكثرة التفاوت فى نور الأبصار و إدراك الأفكار، و هذا تنبيه على [إكمال - ٤] هذه القوى فى درك الحقائق بتلطيف السر لتدقيق الفكر، قال الشيخ ولى الدين الملوى: انظر إلى الأفئدة كيف تحكم بأن الاثنين أكثر من الواحد، و أن الجسم الواحد لا يكون فى مكانين [٦] فى آن واحد، و أن الضدين لا يجتمعان - و غير ذلك مما لا يخفى.

و لما كان التقدير: فمشيتم [٧] مشى المكب على وجهه فلم تستعملوا شيئا من هذه الأسرار الشريفة فيما خلق [٨] له، كانت ترجمة ذلك: ﴿ قليلا ﴾ و أكد المعنى بما صورته صورة النافى فقال: ﴿ ما ﴾ و لما زاد تشوف النفس إلى العامل فى وصف المصدر دل عليه سبحانه و تعالى بقوله:

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: تعقلون بقلوبكم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تنزجروا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بردكم (٤) زيد فى الأصل: بالنفر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المكانين (٧) من م، و فى الأصل و ظ: مشيتم (٨) من ظ و م، و فى الاصل: خلقت.

﴿ تشكرون ﴾ أي توقعون الشكر لمن أعطاكم ما لا تقدرون قدره باستعماله / فيما خلق لأجله و أنكم تدعون أنكم أشكر الناس للإحسان و أعلاهم ٤٤٠/
[في - ١] العرفان .

ولما دل سبحانه على بعدهم عن الهداية وعن الشكر اللذين ٢ يفخرون على الناس كافة بكل منهما ، واستعطفهم بما أودع فيهم من اللطائف ٥ الربانية الروحانية المقتضية بنورانيتها للعروج إلى مواطن القدس و معادن الأنس ، دل على قدرته على حشرهم تحذيرا لهم من التمادي في الإعراض بمعنى يجده كل منهم في نفسه على وجه دال على كمال قدرته بما أودع فيهم مع تلك اللطائف من كثائف طباع الأرض الموجبة للسفول ليكون - إذا أعلته تلك اللطائف بالتوبة - مجتهدا في تنقية آثار تلك الكثائف ١٠ المسفلة كما يكون للزرع إذا حصد من بقايا تلك الجذر التي إن لم تقلع من أصلها عادت بالنبات إلى ما كان عليه الزرع أولا ، فقال مستأنفا بيانا لأنه دليل رأسه كاف فيما سبق له : ﴿ قل هو ﴾ أي وحده ﴿ الذي ذرأكم ﴾ أي خلقكم و بثكم و نشركم وكثركم و أنشأكم بعد ما كنتم كالذر أطفالا ضعفاء ، ثم قواكم ثم جعلكم شيبا ضعفاء و أسكنكم الغضب ٤ والذعر و اللجاج ١٥ الحامل لكم على الولوع بما يلجيء إليه الطباع المثيرة ﴿ في الارض ﴾ التي تقدم أنه ذللها لكم و رزقكم منها النبات الذي تقدم أن ٥ إبداءه منها

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : الذي (٣) من ظ و م ، و في الأصل : عنه (٤) من ظ و م ، و في الأصل : الشيب (٥) من ظ و م ، و في الأصل : انه .

ثم رده إليها [و ـ [1]] إفنائه فيها ثم إعادته كما كان بعد ان صار رفاتا و شيئا فانيا عماتا دليل على القدرة[2] على البعث، لا فرق فى ذلك بينه و بينكم أصلا، فكان منه البدأ ﴿و اليه﴾ [3] وحده ﴿تحشرون﴾ شيئا فشيئا إلى[4] البرزخ [و ـ [5]] دفعة واحدة يوم البعث على أيسر وجه بمن[6] ٥ أراد من عباده كرها منكم كما كان أمركم فى الدنيا، فانه لم يكن إلى الإنسان منكم أحب من الدعة و السكون، فكأن سبحانه يضطره بما أودعه من الطبائع المتضادة و أثار له من الأسباب فى طلب رزقه و غير ذلك من أمره إلى السعى إلى حيث يكره، فكما أنه قدر على ذلك منكم فى الابتداء فهو يقدر على مثله فى الانتهاء، ليحكم[7] بينكم و يجازى كلا ١٠ [8]على عمله[8] كما يفعل كل ملك برعيته، و كل إنسان منكم بجماعته.

و لما كان التقدير: فلقد أبلغ سبحانه فى وعظهم بنفسه و على لسانك يا أشرف الخلق[9] [10]صلى الله عليه و سلم و ذلك[10] بما هدى إليه السياق قطعا، ذكر حالهم عند ذلك فقال إعلاما بكثافة طباعهم حيث لم تلطف / أسرارهم لقبول محبة الله تعالى و إثارة[11] الأحوال الحسنة /٤٤١

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل: و دليل القدرة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٤) من ظ و م، و فى الأصل: على (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: مما (٧) من ظ و م، و فى الأصل: و يحكم (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: بعمله (٩) فى ظ و م: العباد (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (١١) من ظ و م، و فى الأصل: امارة.

من

من الصبر المثبت و اليقين و حسن الانطباع لقبول النصائح و الخوف و عدم الاعتزاز بأحد غير الله تعالى من جهة نفع أو ضر، [1]و كذلك[1] لفت القول إلى الإعراض إيذانا بشديد الغضب منهم[2]: ﴿ويقولون﴾ أي يجددون هذا القول تجديدا مستمرا استهزاء و تكذيبا، و يجوز أن يكون[3] حالا من الواو في [ه بل -[4]] لجوا ه: ﴿متى هذا﴾ و زادوا ٥ في الاستهزاء بقولهم: ﴿الوعد﴾ و ألهبوا و هيجوا إيضاحا للتكذيب [على زعمهم -[4]] بقولهم: ﴿إن كنتم﴾ جبلة و طبعا[5] ﴿صدقين ه﴾ في أنه لابد لنا منه، و أنكم مقربون عند الله، فلو كان لهم ثبات الصبر و اليقين لما طاشوا هذا الطيش بابراز هذا القول القبيح الذي ظاهره طلب الإخبار بوقت الأمر المتوعد به، و باطنه الاستعجال به استهزاء و تكذيبا ١٠

و لما كان قولهم هذا مع أنه استعجال بأمر الساعة استهانة بها حتى أنه[6] عندهم كأنها من قبل الوعد الحسن و هو متضمن لإيهام أنها مما يطلع [الخلق -[4]] على تعيين وقته، نفى ذلك بيانا لعظمتها بعظمة من أمرها بيده فقال آمرا له بجوابهم مؤذنا [7]بدون ذلك[7] الإعراض لأنهم لا ينكرون عليه تعالى ذلك الإنكار: ﴿قل﴾ يا أكرم الخلق ١٥ منبها لهم على تحصيل[8] اليقين بأن ما علموه و حكموا بعلمهم فيه و ما لا

(١-١) من ظ و م، و في الاصل: فلذلك (٢) زيد في الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) زيد في الأصل: ذلك، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد في الأصل: خبيثا، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) في م: انها (٧-٧) من ظ و م، و في الأصل: بذلك (٨) من ظ و م، و في الأصل: سبيل.

ردوا علمه إلى الله : ﴿ انما العلم ﴾ أى[1] المحيط من جميع الوجوه بما شأتم عنه من تعيين زمان هذا الوعد و غيره ، و لأجل إظهار فضل العلم اللازم من كماله تمام القدرة صرف القول عن عموم الرحمة إلى إفهام العموم المطلق بالاسم الأعظم فقيل : ﴿ عند الله ﴾ أى الذى له الإحاطة بجميع صفات الكمال ، فهو الذى يكون عنده و بيده جميع ما يراد منه ؛ لا يطلع عليه غيره ، و هيبته تمنع العالم بما له من العظمة[2] أن يجترئ على سؤاله عما لم[3] يأذن [فيه ـ[4]] ، و عظمته تقتضى الاستئثار بالأمور العظام ؛ و إلى ذلك يلوح قوله تعالى : ﴿ و انما انا ﴾ و لما كان السياق للتهويل و التخويف ، و كانت النذارة يكفى فيها تجويز[5] وقوع المنذور[6] بـه فكيف [إذا ـ[6]] كان مظنونا فكيف إذا كان معلوم الوقوع فى الجملة ليكون العاقل متوقعا له فى كل وقت قال : ﴿ نذير ﴾ أى[7] كامل فى أمر النذارة التى يلزم منها البشارة لمن أطاع النذر[8] لا وظيفة لى عند هذا الملك الأعظم غير ذلك ، فلا وصول لى إلى سؤاله عما لا يأذن لى فى السؤال عنه .

و لما كان النذير قد لا يقدر على إقامة الدليل على ما ينذر به لأنه يكفى العاقل فى قبوله غلبة الظن بصدقه بل إمكان صدقه فى التحرز[9]

(١) زيد فى الأصل : العلم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل : إلى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لا (٤) زيد من ظ و م (٥ ـ ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الوقوع للنذور (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : النذارة (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : التحذر .

عما ينذر به، بيّن انه ليس كذلك فقال: ﴿مبين ه﴾ أى كاشف للنذرى غاية الكشف باقامة / الأدلة عليها حتى تصير كأنها مشاهدة لمن له قبول للعلم: ٤٤٢/

و لما كان ما ينذر به لابد من وقوعه، وكان كل آت قريبا، عبر عن ذلك بالفاء و الماضى فقال صارفا العقول إلى الإعراض لأن وقت الرؤية للعذاب فى غاية المناسبة للاهانة: ﴿ فلما رآوه ﴾ أى الوعد بانكشاف الموعود به عند كونه، و حقق معنى الماضى و الفاء بقوله: ﴿ زلفة ﴾ أى ذا قرب عظيم منهم، و ذلك بالتعبير عن اسم الفاعل بالمصدر إبلاغا فى المعنى المراد و أكد المبالغة [بالتاء لأنها ترد للمبالغة -[1]] إذا لم يرد منها التأنيث، و لا سيما إن دلت قرينة أخرى على ذلك.

و لما كان المخوف فى النذرى الوقوع فى السوء لا بقيد كونه من معين قال: ﴿سيئت﴾ و لما كان السوء يظهر فى الوجه قال[2]: ﴿ وجوه ﴾ و أظهر فى موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال: ﴿الذين كفروا﴾ أى ظهر السوء و غاية الكراهة فى وجوه من أوقع هذا الوصف و لو على أدنى وجوه الإيقاع و علتها الكآبة.

و لما كان لا أوجع من التبكيت عند إحاطة المكروه من غير حاجة إلى تعيين فاعله، بنى للمفعول قوله: ﴿ و قيل ﴾ أى لهم تقريعا و توبيخا: ﴿ هذا الذى ﴾ [3] أى تقدم من عنادكم و مكركم و استكباركم[3]

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: فقال (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

﴿ كنتم ﴾ أي جبلة و طبعا ﴿ به ﴾ اي بسببه و من اجله، و صرف القول إلى الخطاب لأن[1] التقريع به أنكأ [2]في العذاب[2]: ﴿ تدعون ﴾ أي تطلبون و توقعون[3] الطلب له طلبا شديدا تبلغون فيه غاية الجهد على وجه الاستعجال أن يستنزل بكم مكروهه[4] فعل من لا يبالى به بوجه، و تكررون ذلك الطلب و تعودون إليه فى كل وقت معرضين عن[5] السعى فى الخلاص فيه[6] من عدوان العذاب و نيل الوعد الحسن بجزيل الثواب لبيان[7] قوة طلبهم له[8] و تداعيهم إليه استهزاء به حتى كأنهم لا مطلوب لهم غيره. قدم الجار المفيد غالبا للاختصاص فهو افتعال من دعا الشيء - [و -[9]] بالشيء إذا طلبه، و دعاه الله بمكروه: أنزله به.

و لما كان من المعلوم أن من نهى آخر عن هواه و بالغ فى ذلك أبغضه ذلك الناهى و تمنى هلاكه، فكيف إذا والى عليه الإنذار و التخويف بما لا يصل إلى دركه عقله و لا يرى له مقدمة[10] بتحققها، و كان الكفار يسعون فى هلاك النبى صلى الله عليه و سلم و من تبعه كل سعى، و كان هلاك[11] النذير إنما ينفع المنذر على تقدير نجاته من

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لا (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: العذاب.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: تتوقعون (٤) من ظ و م، و فى الأصل: مكروه (٥) من ظ و م، و فى الاصل: من (٦) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بيان (٨) من ظ و م، و فى الأصل: به.
(٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: مقدمته (١١) من ظ و م، و فى الأصل: اهلاك.

هول ما كان يحذره منه النذير، امره سبحانه ان[1] يذكرهم بهذا لينظروا
فى ذلك المتوعد به، فان كان ممكنا سعوا فى الخلاص مما قد يكون
منه من العذاب، و سلكوا / فى الهرب منه مسلكا سهلا بعيدا من سوء ٤٤٣ /
الانقلاب، و دخلوا إلى فسيح المانع منه من اوسع باب، أو كفوا[2]
عن السعى فى هلاك النذير و طووا ما بدوا له من الأسباب، ليدلهم ٥
إذا كان صادقا على شىء يحميهم أو يخفف عنهم ذلك المصاب، فقال
منبها على شدة الحذر من مكر الله و عدم الاغترار [به -[3]] للمؤمن
الطائع لعلمه، أنه لا يقدر أن يقدر الله حق قدره فكيف بالعاصى فضلا
عن الكافر مكررا للامر بالقول تنبيها على أن كل جملة صدرت بـه
كافية فى الدلالة على مقصود السورة و عائدة إليه لما[4] اشتملت عليه ١٠
من باهر القدرة و وافر العظمة: ﴿ قل ﴾ أى يا أفضل الخلق
كلهم و أشرفهم و أعظمهم و أتقاهم لهؤلاء الذين طال تضجرهم منك
و هم يتمنون هلاكك حسدا منهم و عمى فى قلوبهم و بعدا و طردا،
قد استحكم و استدار بهم ذلك تقدير العزيز العليم ﴿ ارءيتم ﴾
أى أخبرونى خبرا أنتم فى الوثوق به على ما هو كالرؤية. ١٥

و لما كانوا غير عالمين بعاقبة الأمر فى هلاكه و من معه بما
يقصدونهم به. حذرهم عاقبة ذلك بالتعبير بأداة الشك، و إسناد الإهلاك

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بأن (٢) من ظ و م، و فى الأصل: و كفوا.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الى ما (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

إلى الله معبرا عن الاسم الدال على تناهي العظمة إلى حد لا يدع لغيره منها شيئا إعلاما بأنه على القطع بأنه لا شيء في أيديهم فهو لا يخافهم بوجه فقال : ﴿ إن اهلكني ﴾ أي أماتني بعذاب أو غيره ﴿ الله ﴾ [أي - ١] الذي له من صفات ٢ الجلال و الإكرام ما يعصم به وليه و يقصم به عدوه ﴿ و من معي ﴾ أي من المؤمنين و الناصرين رضي الله عنهم أجمعين بغضبه علينا مع ما لنا من الأسباب بالطاعة بالأعمال الصالحة التي رتب سبحانه عليها الفوز و النجاة حتى لا يبقى أحد ٣ ممن يكيد عليكم بالمنع من الهوى القائد إلى ٤ القوى و الحث على العقل الضامن للنجاة ﴿ او رحمنا ﴾ بالنصرة و إظهار الإسلام كما نرجو فأنجانا ٥ بذلك من كل سوء و وقانا كل محذور و أنالنا كل سرور ، فالآية من الاحتباك : ذكر الإهلاك أولا دليلا على النجاة ثانيا ، و الرحمة ثانيا دليلا على الغضب أولا ﴿ فمن ﴾ و كان ظاهر الحال يقتضي : يجيركم مع طلبكم المسببات من الفوز و النجاة بغير أسباب بل بأسباب ٦ منافية للنجاة جالبة للعذاب ، فوضع الظاهر موضع الضمير ٧ تعميما و تعليقا ٧ للحكم بالوصف و استعطافا لهم إلى إيقاع الإيمان و الرجوع عن الكفران فقال : ﴿ يجير الكفرين ﴾ أي العريقين في الكفر بأن

---

(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م ، و في الأصل : احدا (٤) من ظ و م ، و في الأصل : على (٥) من ظ و م ، و في الأصل : فانجدنا . (٦) من ظ و م ، و في الأصل : اسباب (٧ - ٧) من ظ و م ، و في الأصل : تعليقا و تعميما .

يدفع[1] عنهم ما يدفع الجار عن جاره ﴿ من عذاب اليم ﴾ يصيبهم به الذى[2] هم عالمون بأنه لا شيء [إلا -[3]] بيده، و إلا لنجى أحد من الموت الذى خلقه و قدره بين عباده جزاء على ما كانوا يؤلمون من يدعوهم إليه و ينصحهم فيه، فاذا كان لا / ينجيهم من عذابه شيء ٤٤٤/ سواء متنا أو بقينا فالذى ينبغى لهم إن كانوا عقلاء السعى فيما ينجى من عذابه، لا السعى فى إهلاك من هو ساع فى خلاصهم من العذاب، و لا يقدرون على إهلاكه أصلا إلا بتقدير الذى أمره بانذارهم.

و لما كان لا يقدر على التعميم [بالنعمة -[3]] إلا من كان عام [4]القدرة و النعمة[4] و الرحمة، و كان التذكير بالنعم أشد استعطافا، صرف القول إلى التعبير بما هو صريح فى ذلك، فقال مذكرا بذلك لعلمهم بأنه لا نعمة عليهم إلا منه واعترافهم بذلك ليحذروه و يتذكروا[5] عموم قدرته فيعلموا [قدرته -[3]] على البعث فينفصل النزاع: ﴿قل﴾ يا خير الخلق: ﴿هو﴾ أى الله وحده ﴿ الرحمن ﴾ اى الشامل الرحمة لكل ما تناولته الربوبية، فلا يليق بعقل[6] عاقل أن يدع احدا من خلقه فى ظلم ظالمه فلا يأخذ له بحقه، لأن ذلك لايرضاه أقل[7] الناس لنفسه[7] مع عجزه فكيف بمن هو كامل القدرة و إلا لما قدر[8] على عموم الرحمة ﴿ آمنا به ﴾

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بديع (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الذين.
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يذكروا (٦) فى ظ و م: فى عقل (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: خلقه (٨) من ظ و م، و فى الأصل: قدره.

أى أنا ومن آمن بى لهذا البرهان القاطع بأنه لايكافئه شىء فهو كاف فى الإيمان به ﴿ وعليه ﴾ أى وحده ﴿ توكلنا ﴾ لأنه لاشىء فى يد غيره وإلا لرحم من يريد عذابه أو عذاب من يريد رحمته، فكل ما جرى على أيدى خلقه من رحمة أو نقمة فهو الذى أجراه لأنه الفاعل بالذات[1]، المستجمع لما يليق به من الصفات، فنحن نرجو خيره ولا نخاف غيره، وقد أقررنا له بهذه[2] العبارة على وجه الحصر بالألوهية والربوبية فلا نحتج[3] فى السلوك[3] إليه إلى معوق عن ذكره والتفكر فى آلائه ولو كان المعوق نفيسا فى ظاهر الحياة الدنيا ولو كان[4] مخوفا فانه[4] لا خوف معه سبحانه، فالتوكل[5] عليه منجاة[6] من كل هلكة مجلبة لكل ملكة، ولم يفعل كما تفعلون أنتم فى توكلكم على رجالكم وجاهكم وأموالكم.

ولما أبان هذا[7] طريق الصواب، وجلى كل ارتياب، وكان لابد من الرجوع إليه والانقلاب، لإتمام الرحمة بالثواب والعقاب، سبب عنه قوله: ﴿ فستعلمون ﴾ أى عند[8] التجلى عليكم بصفة[9] القهر عما قليل بوعد لا خلف فيه ﴿ من هو ﴾ أى منا ومنكم متداع بذاته ظاهرا وباطنا

---

(١) من ظ و م، وفى الأصل: للذات (٢) من ظ و م، وفى الأصل: هذه.
(٣-٣) من ظ و م. وفى الأصل: بالسلوك (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: محقوقا لانه (٥) فى ظ و م: والتوكل (٦) من ظ و م، وفى الأصل: نجاة.
(٧) من ظ و م، وفى الأصل: بهذا (٨) من ظ و م، وفى الأصل: عن.
(٩) من ظ و م، وفى الأصل: بصفات.

فى

﴿ فى ضلل ﴾ أى[1] أخذ فى [غير -[2]] مسلك موصل إلى مقصد محيط به الضلال بحيث أنه لا قدرة له على الانفكاك منه إلا إن أطاع من يخرجه بيده فيخرجه منه ، و لما كان الشىء إذا كان فيه نوع لبس كان ربما اقتضى قبول العذر قال : ﴿ مبين ﴾ أى بين فى نفسه موضح لكل أحد أنه لا خفاء به . ٥

و لما افتتح سبحانه السورة بعظيم بركته و تمام قدرته و تفرده فى مملكته ، و دل على ذلك بتفرده بالإماتة و الإحياء ، ختم بمثل ذلك بالماء الذى وجوده هو [3]سبب للحياة[3] / و عدمه سبب للموت ، فقال قارعا / ٤٤٥ بالتنبيه مشيرا بتكرير الأمر إلى مزيد التوبيخ و الزجر و التبكيت دالا على تعيين ما أبهم من اهل الضلال ، و مصرحا بما لوح [إليه -[2]] من ذلك ١٠ الإجمال : ﴿ قل ﴾ أى يا أعظم خلقنا و أعلمهم بنا : ﴿ ارءيتم ﴾ اى أخبرونى إخبارا لا لبس فيه [4]و لا خفاء[4] ، و لما كان شديد العناية بهذا النبى الكريم صلى الله عليه و سلم ، سكن قلبه فى وعيدهم بالإشارة إلى الرفق بهم لأجله ، فابتدأ الوعيد بحرف الشك فقال : ﴿ ان ﴾ و لما كانت[5] النعمة أشد ما يكون إذا كانت فى الصباح الذى هو موضع ارتقاب[6] الفلاح قال : ١٥ ﴿ اصبح مآؤكم ﴾ أى الذى تعدونه فى أيديكم - بما نبهت عليه الإضافة .

و لما كان المقصود المبالغة ، جعله نفس المصدر فقال : ﴿ غورا ﴾

---

(١) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٦) من ظ و م ، و فى الاصل : ارتفاق .

أى نازلا فى الأرض بحيث لا يمكن لكم نيله بنوع حيلة - بما دل على ذلك الوصف[1] بالمصدر ﴿ فمن ياتيكم ﴾ على ضعفكم حينئذ و افتقاركم و انخلاع قلوبكم و اضطراب أفكاركم ﴿ بماء معين ٥ ﴾ أى جار دائما لا ينقطع أو[2] ظاهرا للأعين[3] سهل المأخذ[4] إلا الله رب العالمين فانه هو القادر على ذلك[4]، فقد رجع ذلك الآخر كما ترى على ذلك الأول، و عانقه على أحسن وجه و أكمل - و الله أعلم .

سورة ن[5] و تسمى سورة القلم

مقصودها إظهار ما استتر، و بيان ما ابهم فى آية " فستعلمون من هو فى ضلال مبين " بتعيين المهتدى[6] الذى برهن على هدايته حيازته العلم الذى هو النور الأعظم الذى لا يضل بمصاحبته بتقبل القرآن و التخلق بالفرقان الذى هو صفة الرحمن بقدر[7] الإمكان الذى تصل إليه قوة الإنسان، و أدل ما فيها على هذا الغرض «ن» و كذا و «القلم» فلذا سميت بكل منهما، و بالكلام على كل منهما يعرف ذلك[8]، و حاصله أن النون[9] مبين محيط[9] فى بيانه كما يحيط ضوء الشمس بما يظهره

(١) من ظ و م، و فى الاصل : بالوصف (٢) من ظ و م، و فى الاصل : «و». (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) الثامنة و الستون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها ٥٢ (٦) من م، و فى الأصل و ظ : المبتدى (٧) زيد فى الأصل : صفة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد فى الاصل : انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: محيط معين .

و كما تحيط الدواة بمدادها بآية ما دل عليه [1] بمخرجه وصفاته [1]، و استقر الكلام الواقع فيها [2] و فى المعانى التى اشتركت فى لفظه، و أما [3] القلم فابانة للعارف [4] أمر لا ينكر ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الإحاطة الكاملة فهو على كل شىء قدير لأنه بكل شىء عليم ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمت نعمة إيجاده لأهل معاده البرىء منهم و السقيم ﴿ الرحيم ﴾ الذى / أتم ٥ / ٤٤٦ تلك النعمة على من وفقه لطاعته فألزمه الصراط المستقيم.

لما أبهم الضال و المهتدى فى آخر «الملك» و المسىء و المحسن فى العمل أولها، وختم بآية الماء المعين الذى دلت حروفه بمجموعها على تمام معناه، و دل كل واحد منها على شىء منه، فدلت ميمه على تمام شىء ظاهر، و عينه على آية هادية، و ياؤه على قائم ملطف متنزل مع كل مقام، ١٠ و نونه على مظهر مبين محيط بما أظهره، و ردهم سبحانه إليه بعد شرادهم [5] عنه بالاستفهام فى هذه الآية بما نبههم عليه من عجزهم و عجز كل من يدعونه من دونه و أنه لا يقدر على الإتيان بذلك الماء الذى هو حياة الأشباح بعد ذهابه إلا من تمت قدرته، فكان قادرا على كل ما يريد، و كان لا يقدر على [كل - [6]] ما يريده إلا من كمل علمه الذى يحيى ١٥ به ميت [7] الأرواح، دل على شمول قدرته بكمال علمه بما أفاده على هذا النبى الكريم الأمى من العلوم التى زخرت بحارها، فأحيى مدرارها،

(١-١) من ظ وم، وفى الأصل: صفاته ومخرجه (٢) من ظ وم، وفى الأصل: بينهما (٣) من ظ وم، وفى الأصل: امر (٤) زيد فى الأصل: التى أشركت، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥) من ظ، وفى الأصل وم: شواهدهم. (٦) زيد من ظ وم (٧) من ظ وم، وفى الأصل: موت.

و أغرق تيارها ، فافتتح هذه السورة بكلمة البيان و هو اسم الحرف الذى هو آخر حروف تلك ، و من لوازم بعض ما دل عليه الماء الذى هو الحياة المصححة ، و نبه على [1] نصبه له [1] سبحانه دليلا على العلم [2] بما دل عليه من مخرج مسماه و صفاته و مواقعه فى الكلم فى جميع تقلباته فقال : ﴿ نٓ ﴾ هذه الكلمة حرف من حروف المعجم و هى [3] اسم لمسمى به ظهور الأشياء و علمها و إدراكها كما دل عليه موقعه فى اسم النور و النار و النيل و النمو و النباهة و النقاء و النصح و النبأ و النجابة و النجاة و النحت و الندم ، و قد تقدم فى البقرة عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه قال : لكل كتاب سر و سر القرآن هذه الحروف ، و لا يعلم ما هى إلا واضعها سبحانه .

و لما كان هذا الحرف مشتركا فى اللغة بين حرف المعجم و الدواة و الحوت و شفرة السيف ، سكن للدلالة بادىء بدىء على أنه حرف ، و لا يمنع إسكانه المتأصل فى البناء من إرادة بقية المعانى لأن العرب ربما سكنت الكلمة بنية الوقف تنبيها على عظمة معناها ، فلا يلزم من الإسكانّ عن غير عامل البناء ، و قيل : النون اللوح ، و النونة الكلمة من الصواب ، و السمكة ، فهو صالح لحرف المعجم الكلى الصالح [لكل-[4]] فرد ، و عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه آخر حروف [الرحمن-[4]] و الدواة لما يتأثر عنها من العلوم ، و الحوت الذى على ظهره الكون

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : نفسه به (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : القلم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٤) زيد من ظ و م .

واسمه اليهموت لما فى ذلك من عجائب القدر و الأسرار، و يكون الإقسام [1]وقع بالنون[1] سفلا و القلم علوا للاحاطة، و السيف لما يتأثر عنه[2] من جليل الآثار، و كيفما كان المراد فهو الإحاطة، و هو سر باطن لا يظهر، و إنما تظهر نتائجه، فهو[3] الحكم و نتائجه القضاء و القدر بالإشقاء أو[4] الإسعاد. ٥

و لما كان هذا الحرف آية الكشف للأشياء كان مخرجه أمكن المخارج و أيسرها و أخفها و أوسعها[5] و هو رأس المقول، فانه يخرج مما[6] بين طرف اللسان و فويق الثنايا[7] من اللثة، و هو أخرج من مخرج اللام و من مخرج الراء أيضا، و تسمى هذه الحروف [الثلاثة-[8]] الزلقية مع بقية حروف «فر من لب» لأن طرف كل شيء زلقة، ١٠ و النون أمكنها فى هذا المخرج و أشدها انطباقا فيما بين اللسان و اللثه، و هو مما كرر مسماه فى اسمه فانتهى إلى حيث ابتدأ، و اختص بكون عماده و قوامه الحرف الأقوى الأظهر ذا الرفعة و العلو و هو الواو و الزلقية التى هو أحدها ضد المصمتة[9] و هى أخف الحروف على اللسان و أكثرها امتزاجا بغيرها، و اما المصمتة فمنعت[9] أن تنفرد بنفسها ١٥

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: وعلى النون (٢) من ظ و م، و فى الأصل: علمه (٣) من ظ و م، و فى الأصل: و هو (٤) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٥) من ظ و م، و فى الأصل: هو أو مع (٦) فى م: ما (٧) زيد فى الأصل: و اللثة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من ظ و م (٩-٩) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل.

فى لغة العرب فى كلمة هى أكثر من ثلاثة أحرف، بل لابد أن يكون معها بعض الزلقية، و الألف خارجة [1]عن الصنفين[1] لأنها مجرد إهواء لا مستقر لها، فقد ناسبت بمخرجها لسعته و خفته و وصفها بالزلاقة التى تقع لما اتصف بها من الحروف الكمال[2] غنية عن سواها و لا يقع لما لم يخالطها كمال فيما ذكر ما[3] ذكر من أن معناها البيان و الإظهار و من صفاتها الجهر و بين الشدة و الرخاوة و الانفتاح و الاستفال، و الغنة الخارجة من الخيشوم إذا سكن، و كل هذا واضح فى العلم الذى له الاتساع و الانتشار و التغلغل فى الأشياء الباطنة، و يشاركه الميم فى الغنة كما أنه [يشاركه فى أن له حظا من الظهور و النون و هو الأصل فى الغنة كما أنه -[4]] الأصل فى الظهور لما له من العلو بالعماد، و هو أيضا من حروف الذبذبة و الزيادة التى لا تستقر / على حال فتقع مرة زوائد و أخرى اصولا كما أن العلم أيضا كذلك لا استقرار له بل مهما وسعته اتسع، و مهما تركته اضمحل و انجمع، و هو من حروف الأبدال التى تبدل من غيرها و لا يكون غيرها بدلا منها فلازب و لازم الميم بدل من الباء بخلاف العكس كما أن العلم أصل يتبعه غيره و لا يكون هو تابعا لغيره، و هى[5] من الحروف الصحيحة و ليست معتلة، و العلم جدير بهذا الوصف و هو إذا كان مخفى[6] من الحروف المشربة و يقال

/٤٤٧

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل : من الصفتين (٢) من ظ و م، و فى الأصل بياض (٣) من ظ و م، و فى الأصل : مما (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : هو (٦) من ظ و م، و فى الأصل : يحسا .

لها المخالطة - بكسر اللام و فتحها، و هى التى اتسعت فيها العرب فزادتها
على التسعة و العشرين المستعملة / وهى[1] من الحروف الصم و هى ماعدا ٤٤٨/
الحلقية، [2]سميت بذلك لتمكنها فى خروجها[2] من الفم و استحكامها
فيه، يقال للمحكم المصتم [و - [3]] العلم أشد ما يكون مناسبة لهذا الوصف،
فقد انطبقت بمخرجها و جميع صفاتها على العلم الذى هو مقصود السورة ٥
فتبين حقا أنه مقصودها، و أما رتبة القلم فى بيان[4] العلم و إظهاره
وكشف خفاياه و أسراره و بثه و إشهاره فهى بحيث لا يجهلها أحد
اتصف بالعقل، و مما يختص به هذا الحرف أنه يصحب كل حرف لأن
حده هو ما يعبر عنه التنوين الذى انتظامه بالحركات هو ما آيته العلم
المكمل[5] به الحياة[5] التى هى آية ما يعبر عنه هذه الحركات، فلما كانت ١٠
هذه الحركات آية على ما هو الحياة كان التنوين عقبها آية على ما به
كمال الحياة من العلم، و هو سبب لما به القيام من[6] الظهور، و من معناه
اسمه تعالى النور، ثم[7] هو اسم لكل ما يظهر ما[8] خفى باطنا كالعلم فى
الإدراك الذى تظهر حقائق الأشياء بـه، و ظاهرا كالنيرين للعيون،
و سائر الأنوار الظاهرة و الباطنة، و ما هو وسيلة الظهور كالعيون مما ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل.
(٣) زيد من ظ (٤) زيد فى الأصل: اظهار، لم تكن الزيادة فى ظ و م
فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م، وفى الأصل: بالحياة (٦) من ظ و م، و فى
الأصل: بل (٧) من م، وفى الأصل و ظ «و» (٨) من م، و فى الأصل
و ظ: من.

به تشاهد الأشياء و يظهر [به - [1]] صورها، و الدواة التى منها مداد ما كتب بالقلم فى العوالم أعلاها و ادناها و كل آلة يتوصل بها إلى إظهار صورة تكون تماما كماء المزن الذى هو مداد كل شىء كوّن الله به الكائنات و البادئات «و جعلنا من الماء كل شىء حى» و منه معنى النجم النباتى الذى هو للشجر بمنزلة الفول للبشر متلبسا[2] بالنور - بالفتح - الذى فيه حظ من النور - بالضم - و الذرء الذى هو ظاهر فى نفسه مظهر لطرق الاهتداء، و كذلك الأمر فى النار المخلصة من رتبة ظلمتها التى هى غايتها بالرماد، و ابتداؤها بما يخرج منه من شجر و حديد و حجر.

و لما كان هذا الحرف اسما لما به ظهور أمر لم يختص بشىء من المظهرات دون آخر بل شمل النور و الحاسة و المراد و المادة، و لذلك كان مع الكاف الذى هو علم التكوين سبب ظهور كل شىء "انما قولنا لشىء اذا اردناه أن نقول له كن فيكون" و لصدقه على [كل - [3]] مظهر فسره ابن عباس رضى الله عنهما بالدواة ففسر بما يستمد منه القلم، و ليلحظ موقعه فى نجد فانه اسم لما ارتفع من الأرض و ظهر فى نفسه و أظهر غيره، و فى نهود الجارية و هو ظهور نهدها، [4] و فى النهب و هو ما أخذ أخذا ظاهرا كما قال صلى الله عليه و سلم [5] «و لا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم» و فى النفخ و النفع و النصر و النقر و النقب و ما أشبهها فانها كلها ظهور

(١) زيد من م (٢) فى ظ و م: ملتبسا (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: وفق (٥) راجع صحيح مسلم - كتاب الإيمان.

و إظهار كالم و المن و النمو و لأجل علوه و استبطانه و أنه استغراق المظهر المبين كانت إقامته [1] يتعالى [2] الألف و هو الواو و انتهاؤه إلى مثل ما بدأ به، و لكون الميم تماما كان قوامه بمنزل كالألف التى هى الياء [3] فى قولك ميم، و لرجوع الواو إلى علو الألف كان عمادها الألف فى قولك «واو»، و هذه الحروف الثلاثة ظاهرة فى عالمين ظاهرهما المبدوء به [4] و باطنهما المختوم به، فالنون الأولى يعبر بها عن نور الأبصار، و الخاتمة يعبر بها عن نور القلب، و لما كان الهاء وتر الدال، و كان محيطا باطنا غيبا وجب أن يكون محل تضعيفه بالياء محل محيط [باطن - [5]] نازل الرتبة فى الغيب عن الهاء لوقوعه فى رتب العشرات و هو النون، فكان ظاهرا بالإضافة [6] إلى خفاء الهاء باطنا بالإضافة [6] إلى ظهور الميم، فيكون بالنون ظهور الميم المعبر عن "الملك" الذى سبق فى السورة الماضية كما كان [7] شهادة الدال و ثبوته بالهاء، و لذلك انبنى تمام كل عمل على نور علم كما كان قوام ظاهر كل دال غيرهاء، و كان النون مدادا [8] لمثل العلم الذى يظهر صورها بسطر القلم حتى أن آية ما بطن منه فأظهره القلم هو ما بطن دون الأرض من النون الذى عليه الأرض

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تعالى (٣) من م، و فى الأصل: فى اليد، و فى ظ: كانت هى الياء (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بها (٥) زيد من ظ و م (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٧) زيد فى الأصل: قوام ظاهر كل ذال، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: مرارا.

الذى أول ما يطعمه أهل الجنة زيادة كبده مع الثور الذى عليه الأرض [أيضا -[1]] الذى يذبح لهم - على ما ورد فى الخبر ، و قابل استبطان النون فى الأرض ظهور القاف على ظاهرها الذى هو جبل الزبرجد المحيط بالدنيا ، و عن ذلك الاستيلاء على القلوب فى الدنيا إنما يكون بالعلم الذى هو حقيقة نون كما أن الاستيلاء على الأجسام فى ظاهر الدنيا إنما يكون بالقدرة التى هى حقيقة قاف على ما يظهر من إجالتى العلماء فى النون الأبطن و الملوك فى القاف الأظهر ، و هذان الصنفان[2] من الخلق هما المستوليان على الناس بالأيالة و نفوذ الأمر ، و لذلك أقسم المفصل من القرآن بحرفى قاف و نون ، و اقترن أيضا هذان[3] الحرفان فى كلمة القرآن و لفظ الفرقان اللذين هما فى ظواهر أسمائه ، و إنما كان أول ما يطعمه أهل الجنة من الثور الذى عليه الدنيا الذى [كان -[4]] يرعى فى أطراف الجنة - على ما ورد عنه عليه أفضل الصلاة و السلام ، لأن صورة الثور هى معنى ما هو الكد و الكدح[5] وجهد[6] العمل فى الأرض الذى قام عليه امر الدنيا ، و لما كان أهل الدنيا أول ما يراحون منه من أمر الدنيا تقديم أمر الكد بين يدى معاشهم فى الجنة ، كان الذى [يذبح -[4]] لهم الثور الذى هو صورة كدهم فيأكلونه فهو جزاء ما عملوا به فى دنياهم من حيث كانوا ذوى دين ،

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الصفتان (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : القدح .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : حمل .

فاستحقوا بذلك جزاء كدهم بما هو صورته، و اضيف لذلك زيادة [1]
كبد النون التى [2] هى صورة حظهم من أصل العلم فأطعموها و جوزوا
بها، و روعى فى أعمالهم حسن نيتهم فى أصل دينهم، فلما اتوا عليها
استقبلوا الراحة و الخروج عن الكلفة فى معاشهم فى الجنة، و الذى
/ جرهم به سبحانه إلى سنىّ هذه الرتبة ما أتقنه بحكمته من ثناء المفصل ٥ / ٤٥٠
القرآنى على حرفى القاف الذى به [3] القوة و القهر [3] و القدرة، و النون
الذى بـــه إظهار ذلك للعقل بنور العلم، [و - [4]] ذلك أن القرآن
نزله سبحانه مثانى، ضمّن ما عدا المفصل منه الذى [هو - [4]] من قاف إلى
خاتمة الكتاب العزيز، و فاتحته ما يختص بأولى العلم و الفقه من مبسوطات
الحكم و محكمات الأحكام و مطولات الأقاصيص و متشابـــه الآيات، ١٠
و السور المفتتحة بالحروف العلية [5] الإحاطة الغيبيـة المنحى المستندة إلى
آحاد الأعداد مما يختص بعلم ظاهرها خاصة الأمة، و يختص بأمر باطنها
آل محمد صلى الله عليه و سلم، فلعلو رتبة إيراد ما عـــدا المفصل ثنى
[6] الحق تعالى [6] الخطـاب و انتظمه فى سور [7] كثيرة العدد يسيرة عد
الآى هى المفصل، ذكر فيها من أطراف القصص و المواعظ و الأحكام ١٥
و الأنباء و أمر الجزاء ما يليق بسماع العامة ليسهل عليهم سماعه و ليأخذوا

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لزيادة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الذى.
(٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: القهر والقوة (٤) زيد من ظ و م (٥) من
ظ و م، و فى الأصل: العالية (٦-٦) من م، و فى الأصل: معالى، و العبارة من
« ثنى » إلى « هى المفصل » ساقطة من ظ (٧) من م، و فى الأصل: سيرة.

بحظ مما أخذ الخاصة ، و يتكرر على أسماعهم فى قراءة الأئمة له فى الصلوات المفروضة[1] التى لا مندوحة لهم عنها ما يكون لهم خلقا مما يفوتهم من مضمون سائر السور المطولات ، فكان أحق ما افتتح به مفصلهم حرف القاف الذى هو وتر الآحاد حتى صارت عشرة ، ثم إذا ضربت[2] فى نفسها صارت مائة ، فافتتح به المفصل ، ليكون مضمون ما يحتوى عليه أظهر مما يحتوى عليه ما افتتح بالم ، و لذلك كان صلى الله عليه و سلم يكثر أن يقرأ فى خطبة يوم الجمعة سورة ["ق" - [3]] فيفتتح للعامة المتوجه بخطبة يوم الجمعة إليهم لأنها صلاة جامعة الظاهر بفاتحة المفصل الخاص ، و فى مضمونها من معنى القدرة و القهر المحتاج إليه فى إقامة أمر العامة ما فيه كفاية ، و شفعت بسورة «ن»[4] المظهرة ظاهر "ق" فخصوا بما فيه القهر و الإبانة ، و اختصت سورة «ن» من مقتضى العلم بما هو محيط بأمر العامة المنتهى إلى غاية الذكر الشامل للعالمين ، لأن القوة المعربة عن العلم ربما كان ضررها أكثر من نفعها ، كما قال بعض السلف : كل عز لم يوطده علم فالى ذل يؤول ، و كما كان جميع السور[5] التسع و العشرين المفتتحة بالحروف المتضمنة للمراتب التسع فى التسعة و للعاشر الجامع للمراتب التسع بايتار[6] آحادها و العاشر الجامع يضرب

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : المفروضات (٢) زيد فى الأصل : مثلها و فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل من مقتضى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : المفصل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تيار .

العشر الموتر فى نفسه قواما و إحاطة [فى جميع القرآن كذلك كان سورة «ق» و سورة «ن» قواما خاصا و إحاطة -[1]] خاصة بما يخص العامة من القرآن الذى يجمعهم الأرض بما أحاط من ظاهرها من صورة جبل "ق" و ما أحاط بباطنها من صورة حيوان «ن» الذين تمام أمرهم بما بين مددى إقامتهما[2]، و بهذه السورة المفتتحة [بالحروف -[1]] ظهر ٥ اختصاص القرآن و تميز عن سائر الكتب لتضمنه الإحاطة / التى / ٤٥١ لا تكون إلا [3] للخاتم الجامع[3]، و اقترن من التفصيل فى سورها ما يليق باحاطتها، و لإحاطة معانيها و إبهامها كان كل ما فسرت به من معنى يرجع إلى مقتضاها صحيحا فى إحاطتها بمنزلها[4] من أسماء الله و ترتبها فى[5] جميع العوالم فلا يخطئ فيها مفسر لذلك لأنه كلما قصد وجها من التفسير لم يخرج ١٠ عن إحاطة ما يقتضيه، و مهما فسرت به [من -[6]] أسماء الله أو من أسماء الملائكة أو من أسماء الأنبياء أو من [مثل -[5]] الأشياء أو صور الموجودات أو من أنها أقسام أقسم بها أو فواتح عرفت بها [2] السور أو [2] أعداد تدل على حوادث و حظوظ من ظاهر الأمر أو[8] باطنه على اختلاف رتب و أحوال مما أعطيه المنزل عليه صلى الله عليه و سلم ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : اقامتها (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الاصل : للجامع الخاتم (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : مترتبها . (٥) من م ، و فى الأصل : من ، و العبارة من « و ترتبها » الى «أسماء الله» ساقطة من ظ (٦) زيد من م (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة و (٨) من م ، و فى الأصل و ظ « و » .

من مقدار أمد الخلافة و الملك و السلطنة و ما ينتهى إليه أمره من ظهور الهداية و نحو ذلك مما يحيط بأمد يومه إلى غير ذلك وكل داخل فى إحاطتها ، و لذلك أيضا لا يختص بمحل مخصوص يلزمه علامة إعراب مخصوصة ، فهما قدر[1] فى مواقعها من هذه السور[2] جرا أو رفعا أو نصبا فداخل فى إحاطة رتبتها و لم يلزمها[3] معنى خاص لما لم يكن لها انتظام ، لأنها[4] مستقلات محيطات ، و إنما ينتظم [5]ما يتم معنى[5] كل واحد من المنتظمين بحصول الانتظام ، و ذلك يختص من الكلم بما يقصر[6] عن إحاطة مضمون الحروف حتى أنه متى[7] وقع استقلال و إحاطة فى كلمة لم يقع فيها انتظام[8] .

و لما كان قوام هذا الوجود بالسيف و القلم ، و كان [“نون”-[9]] مشتركا بين معان منها السيف و الدواة التى هى آلة القلم ، و اللوح الذى هو محل ما يثبت [10]من العلم[10] ، و كان السيف قد تقدم فى حيز القاف الذى افتتحت به سورة “ق” كما هو أنسب لتضمنه [11]القوة و القدرة و القهر[11] فى سورة الحديد بعد الوعظ و التهديد و التذكير بالنعم فى

(١) زيد فى الاصل : شك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة (٣) من ظ و م ، و فى الاصل : يكن منها (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : لأنه (٥-٥) من ظ و م ، و فى الاصل : معنى ما لا يتم . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يقتصر (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : من . (٨) زيد فى الأصل : و الله الهادى عنه للصواب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) زيد من ظ و م (١٠ - ١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : القلم . (١١-١١) من ظ و م ، و فى الأصل : القهر و القوة .

السورة الواقعة بينهما ، ذكرهنا ما هو لحيز النون من آية العلم فقال مقسما [1]بعد حرف "ن"[1]: ﴿و القلم﴾ أى قلم القدرة الذى هو أول ما أبدعه الله، ثم قال له : اكتب ، فخط جميع الكائنات[2] إلى يوم القيامة فى اللوح المحفوظ حقيقة ، و فى ألواح صفحات الكائنات حالا و مجازا ، فأظهر جميع العلوم، ثم ختم على فيه فلم ينطق و لا ينطق إلى يوم القيامة، و الذى يكتب فيه[3] الخلق ما نولهم الله من تلك المعارف و الفهوم، و ذلك هو قوام أمور الدنيا، و الإشارة به إلى القضاء الذى هو من نتائج «ن» لأنه من مصنوعات[4] الله الظاهرة التى اقتضت[5] حكمته سبحانه إيجادها و وجهه إلى تفصيل ما جرى به الحكم.

و لما كان الحاصل بالقلم من بث الأخبار و نشر العلوم على تشعبها و الأسرار ما يفوق الحصر ، فصار[6] كأنه العالم المطيق و اللسن المنطيق ، و كان المراد به الجنس أسند إليه / كما يسند [إلى - [7]] العقلاء فقال: ﴿و ما يسطرون﴾ أى قلم القدرة ، و جمعه و أجراه مجرى أولى العلم للتعظيم لأنه فعل أفعالهم ، أو الأقلام على إرادة الجنس ، و يجوز أن يكون[8] الإسناد إلى الكاتبين به لما دل عليهم من ذكره ، إما الملائكة إن كان المراد ما كتب فى الكتاب المبين و اللوح المحفوظ و غيره مما

/٤٥٢

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : على ما فيه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : له (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : منصوبات (٥) من ظ و م ، و الأصل : اختصت (٦) فى م : فكان (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : المراد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

يكتبونه ، و إما كل من يكتب منهم و من غيرهم حتى أصحاب الصحيفة الظالمة التى تقاسموا فيها على أن يقاطعوا بنى هاشم و [من - [1]] لافهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعون به ما شاؤا ، و كيف ما كان فهو إشارة إلى المقدر[2] لأنه إنما[3] يسطر ما قضى به و حكم .

٥ و لما كان المخاطب بهذا[4] صلى الله عليه و سلم قد عاشر المرسل إليهم دهرا طويلا و زمنا مديدا أربعين سنة و هو أعلاهم قدرا و أطهرهم خلائق و أمتنهم عقلا و أحكمهم رأيا [5] و أرأفهم[5] و أرفعهم[6] عن شوائب الأدناس همة و أزكاهم نفسا بحيث أنه لا يدعى بينهم إلا بالأمين و لم يتجدد له شيء يستحق به أن يصفوه بسببه بالجنون الذى ينشأ عنه

١٠ الضلال عن المقاصد المذكور آخر الملك فى قوله " فستعلمون من هو فى ضلال مبين " إلا[7] النعمة التى ما نال أحد [قط - [1]] مثلها فى دهر من الدهور و لا عصر من الأعصار ، قال مجيبا هذا القسم العظيم[8] رادا عليهم بأجلى ما يكون و أدله على المراد تأنيسا له صلى الله عليه و سلم مما أوجب افتراؤهم عليه [له - [1]] من الوحشة و شرحا

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المقدور (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مما (٤) زيد فى الأصل : النبى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل : ارفهم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى هو (٨) زيد فى الأصل : ن و القلم و ما يسطرون ما انت بنعمه ربك بمجنون و انك لعلى خلق عظيم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

لصدره و تهدئة لسره: ﴿ ما أنت ﴾ أى يا اعلى المتأهلين لخطابنا ﴿ بنعمة ﴾ أى بسبب إنعام[1] ﴿ ربك ﴾ المربى لك بمثل[2] تلك الهمم العالية و السجايا الكاملة بأن خصك بالقرآن الذى هو جامع لكل علم و حكمة، و أكد النفى زيادة فى شرفه صلى الله عليه و سلم فقال: ﴿ بمجنون ج ﴾ أى [بل -[3]] الذى وصفك بهذا هو الحقيق باسم الجنون و معناه ٥ فضلا عن الضلال الذى[4] ردد فى آخر تلك بينك و بينهم فيه سلوكا لسبيل الإنصاف لينظروا فى تلك بالأدلة فيعلموا[5] ضلالهم و هدايتك بالدليل القطعى بالنظر فى الآثار المظهرة لذلك غاية الإظهار، فنفى عنه صلى الله عليه و سلم الشقاوة التى سببها[6] [فساد العقل فثبتت السعادة التى سببها -[3]] صلاح العقل و نعمة الرب له. ١٠

[و -[3]] قال الإمام أبو جعفر بن الزبير: لما تضمنت سورة الملك[7] من عظيم البراهين ما يعجز العقول عن استيفاء الاعتبار ببعضه كالاعتبار بخلق السماوات فى قوله تعالى " الذى خلق سبع سمٰوٰت طباقا " أى يطابق بعضها بعضا[8] من طابق النعل - إذا خصفها طبقا على طبق، و يشعر هذا بتساويها فى مساحة أقطارها و مقادير أجرامها - و الله أعلم، و وقع / الوصف ١٥ /٤٥٣

(١) من ظ و م، و فى الأصل: معرفتك (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بمثلك. (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: التى (٥) زيد فى الأصل: فى ذلك. و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: به سلبها (٧) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: من بعض.

بالمصدر يشعر باستحكام مطابقة بعضها لبعض إنباءاً منه سبحانه و تعالى أنها من عظم أجرامها و تباعد أقطارها يطابق بعضها [بعضا - [1]] من غير زيادة و لا نقص " ما ترى فى خلق الرحمٰن من تفاوت " أى من اختلاف و اضطراب فى الخلقة أو تناقض، إنما هى مستوية مستقيمة، و جيء بالظاهر فى قوله تعالى " ما ترى فى خلق الرحمٰن من تفاوت " و لم يقل: ما ترى فيه من تفاوت - ليشعر أن جميع المخلوقات جار على هذا، كل شكل يناسب شكله، لا تفاوت فى شيء من ذلك و لا اضطراب، فأعطى الظاهر [2] من التعميم [3] ما لم يكن يعطيه الإضمار كما أشعر خصوص اسم الرحمن بما فى هذه الأدلة المبسوطة [3] من الرحمة للخلائق لمن رزق الاعتبار، ثم نبه تعالى على ما يرفع الريب و يزيح [4] الإشكال فى ذلك فقال: " فارجع البصر " أى عاود الاعتبار [5] و تأمل ما تشاهده من هذه [6] المخلوقات حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة و لا يبقى معك فى ذلك شبهة " هل ترى من فطور " أى [من - [1]] صدوع و شقوق، ثم أمر تعالى بتكرير البصر [7] فيهن متصفحا و متمتعا هل تجد عيبا أو خللا " ينقلب اليك البصر خاسئا " أى إنك إذا فعلت هذا رجع بصرك بعيدا عن إصابة الملتمس كأنه يطرد عن ذلك طردا

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: للتعميم (٣) زيد فى الأصل: من الرحمن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يزيل (٥) من ظ و م، و فى الأصل: البصر (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد فى الأصل: و تردده مرتين، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

بالصغار و بالإعياء و بالكلال[1] لطول الإجالة و الترديد، و أمر برجوع البصر[2] ليكون فى ذلك استجمامه و استعداده حتى لا يقع بالرجعة الأولى [التى -[3]] يمكن فيها [الغفلة و -[3]] الذهول إلى أن يحسر بصره من طول [المعاودة إذ معنى التثنية فى قوله «كرتين» التكرير كقولهم: لبيك و سعديك، فيحسر البصر من طول -[3]] التكرار و لا يعثر على شىء من فطور، فلولم تنطو السورة على غير ما وقع من أوله إلى هنا لكان فى ذلك أعظم معتبر، و أوضح دليل لمن استبصر، إذ هذا الاعتبار بما ذكر من عمومه جار فى[4] كل المخلوقات و لا يستقل بفهم مجاريه[5] إلا أحاد من العقلاء بعد التحريك و التنبيه، فشهادته بنبوة الآتى به قائمة واضحة، ثم قد تكررت فى السورة دلالات[6] كقوله "و لقد زينا السماء الدنيا بمصابيح" و قوله "الايعلم من خلق[7] و هو اللطيف[7] الخبير" الآيات إلى آخر السورة، و أدناها كاف فى الاعتبار فانى يصدر بعض عن متصف ببعض ما هزؤا به فى قولهم: مجنون [و -[3]] ساحر و شاعر[7] و كذاب، "كلا[7] بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون" فلعظيم ما انطوت عليه سورة الملك من البراهين اتبعت بتنزيه الآتى

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بالكلام (٢) زيد فى الأصل: و تردده، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى ظ و م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: على (٥) من ظ و م، و فى الأصل: مجارى (٦) من ظ و م، و فى الأصل: دلالة (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

بها محمد صلى الله عليه و سلم عما تقوله المبطلون مقسما على[1] ذلك زيادة فى
التعظيم، تأكيدا / فى[2] التعزير و التكرير[2] فقال تعالى: ["ن -[3]] و القلم ٤٥٤/
و ما يسطرون ما انت بنعمة ربك بمجنون" و أنى يصح [من مجنون -[3]]
تصور بعض تلك البراهين قد انقطعت دونها أنظار العقلاء فكيف
٥ ببسطها و إيضاحها فى نسق موجز، و نظم معجز، و تلاؤم يبهر العقول،
و عبارة تفوق كل مقول[4]، تعرف و لا تدرك، و تستوضح سبلها فلا تسلك
" قل لئن اجتمعت الانس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن
لا يأتون بمثله" فقوله سبحانه و تعالى "ما أنت بنعمة ربك بمجنون" جوابا
لقوله تعالى [فى -[3]] آخر السورة إنه لمجنون. و تقدم الجواب بنفى
١٠ قولهم و التنزيه عنه على حكاية قولهم ليكون أبلغ فى إجلاله صلى الله
عليه و سلم و أخف وقعا عليه و أبسط لحاله فى تلق[5] ذلك منهم،
و لهذا قدم مدحه صلى الله عليه و سلم بما خص به من الخلق العظيم،
فكان هذا أوقع فى الإجلال من تقديم قولهم ثم رده إذ كسر سورة
تلك المقالة الشنعاء بتقديم التنزيه عنها أتم فى الغرض و أكمل، و لا
١٥ موضع أليق[6] بذكر تنزيهه[6] عليه الصلاة و السلام، و وصفه من
الخلق و المنح الكريمة بما وصف بما[7] أعقب به ذلك إذ بعض ما تضمنته

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: التعرير و التكريم (٣) زيد من ظ و م (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م. و فى الأصل: تلك (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: تنزيهه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بما.

سورة الملك بما تقدم الإيماء إليه شاهد قاطع لكل عاقل متصف بصحة نبوته صلى الله عليه و سلم و جليل صدقه " و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا " فقد تبين موقع هذه السورة هنا ، و تلاوم ما بعده من آيها يذكر فى التفسير - انتهى .

و لما نفى سبحانه عنه صلى الله عليه و سلم ما قالوه مما تواقحوا به ، ٥ فثبت له صلى الله عليه و سلم كمال العقل ، وكان المجنون من لا يكون له عمل ينتظم و لا قول يرتبط ، فلا يستعمله أحد فى شيء ليكون له عليه أجر ، أثبت له الأجر[1] المستلزم للعقل فيتحقق إثباته من أحكم الحكماء على وجه أبلغ مما [لو -[2]] صرح به ، فقال على وجه التأكيد لإنكارهم[3] له بما ادعوا فيه من البهت : ﴿ و ان لك ﴾ أى على ١٠ ما تحملت[4] من اثقال النبوة و على صبرك عليهم بما يرمونك به و هو تسلية له صلى الله عليه و سلم ﴿ لاجرا ﴾ و لما اثبت له ما يلازم[5] العقل و يصلح لأن يكون فى الدنيا و أن يكون فى الآخرة دالا بتنوينه و ما أفهمه السياق من مدحه صلى الله عليه و سلم على عظمته ، و كان الأجر لا يستلزم الدوام ، وقد يكون منغصا بنوع /منة قال : ﴿ غير ممنون ج ﴾ ١٥ / ٤٥٥ أى مقطوع و لا منقوص فى دنياك[6] و لا فى آخرتك[7] و لا لأحد

(١) زيد فى الأصل : المستعمل . و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لا بكلام (٤) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يلايم .
(٦) فى ظ و م : دينا (٧) فى ظ و م : آخرة .

من الناس عليك [به - [1]] صنيع[2] يمتن به بأن يذكره[3] على سبيل اللوم و التقريع، فهذا[4] بيان السعادة، و الأجر لا يكون إلا على[5] العمل الصالح، و العمل رشح الأخلاق، فصالحه نتيجة الأخلاق الحسنة و العقل الراجح.

٥ و لما ثبت بهذا العقل مع ما أفاده من الفضل، و كان الذى يؤجر قد يكون فى أدنى رتب العقل، بين أنه صلى الله عليه و سلم فى اعلاها بقوله مؤكدا لما مضى: ﴿ و انك ﴾ و زاد فى التأكيد لزيادتهم فى المكابرة فقال: ﴿لعلى خلق﴾ و لما أفهم[6] السياق التعظيم، صرح به فقال: ﴿عظيم ۝﴾ و هو الإسلام الذى دعا إليه القرآن، لا بالبلاء

١٠ ينحرف[7]، و لا بالعطاء ينصرف، لأن خلقه - بشهادة أعرف الناس به زوجه أم المؤمنين الصديقة عائشة بنت الصديق أبى بكر رضى الله عنهما - القرآن، فلا يتحرك و لا يسكن إلا بأمره و نهيه، فهذا الخلق نتيجة الهدى و الهدى نتيجة العقل، و هو سبب السعادة، فأفهم ذلك عدم[8] سعادتهم لعدم عقولهم، [و - [1]] قال الواسطى: أظهر الله قدرته فى

١٥ عيسى عليه الصلاة و السلام و نفاذه فى آصف، و سخطه و قهره فى

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الاصل: حتى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يذكر (٤) زيد فى الأصل: على سبيل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفنا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اعلى (٦) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: المعرف (٨) من ظ و م، و فى الأصل: سبب عداوتهم.

عصى موسى عليه الصلاة و السلام و أطهر اخلاقه و نعوته فى محمد صلى الله عليه و سلم، فكان متخلقا بأخلاق الله تعالى و التخلق بأخلاقه أن ينزه علمه عن الجهل وجوده عن البخل وعدله عن الظلم و حلمه عن السفه، و اعلم أن الخلق و الخلق صورتان: الخلق صورة الظاهر، و الخلق صورة الباطن؛ فتناسب[1] الأعضاء الظاهرة يعبر به عن الخلق الحسن، و تناسب المعانى الباطنة يعبر به عن الخلق الحسن، ثم الخلق الحسن تارة مع الله، و تارة مع حكم الله، و تارة مع الخلق، فمع الله بالتعظيم و الإجلال و مع حكمه[2] بالصبر[3] فى الضراء و البأساء[3] و الشكر فى الرخاء و الامتثال للأوامر و الازجار عن النواهى عن طيب قلب مسارعة و سماحة، و حسن الخلق مع الخلق بث النصفة فى المعاملة و حسن المجاملة فى العشرة[4]، روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم [أنه-[5]] قال: الخلق و عاء الدين، لأن من الخلق يخرج الدين، و هو الخضوع و الخشوع و بذل النفس لله و احتمال المكروه.

و لما كان الإسلام أشرف الأديان، أعطاه الله تعالى أقوى الأخلاق و أشرفها و هو الحياء كما روى أن لكل دين خلقا و خلق الإسلام الحياء، و من الحياء حياة القلب، فكان صلى الله عليه و سلم يأخذ العفو[6]

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فناسب (٢) من ظ و م، و فى الأصل: حكم الله.
(٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: بالباساء و الضراء (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: العرف.

و يامر بالعرف [1] و يعرض عن الجاهلين و لا يجزى [2] بالسيئة السيئة [2] لكن يعفو و يصفح و يحسن مع ذلك و يجذب [3] بردته حتى يؤثر فى عنقه فيلتفت و هو يضحك و يقضى حاجة الجاذب [4] و يحسن إليه، فقد اشتمل الكلام التدبيرى المشار إليه بالنون و القضاء الكلى التأثيرى [5] المشار إليه بالقلم و القدر المبرم التفصيلى الواقع على وفق القضاء المشار إليه بالسطر، و مثال ذلك أن [6] من أراد بناء دو لاب احتاج [أولا - [7]] إلى مهندس يدبر له بعلمه موضع [8] البئر و المدار [8] و موضع المحلة [9] و موضع السهم و موضع الجداول، و نحو ذلك و هو الحكم التدبيرى [10]، و ثانيا إلى صانع يحفر البئر و يبنى و نجار يركب الأخشاب على وفق حكمة المهندس، و هو القضاء التأثيرى، و ثالثا إلى إقامة الثور فى موضعه و دوران المحلة بما عليها من القواديس و جرى الماء فى الجداول على وفق القضاء و هو القدر، و يحتاج رابعا و خامسا إلى بيان انقسام المقدر له إلى شقى و سعيد، فالحكم باطن و هو سر من أسراره سبحانه و تعالى - [11] سبحان من لا يعلم قدره غيره [11] .

(١) من ظ و م، و فى الأصل : بالمعروف (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل : السيئة بالسيئة (٣) من ظ و م، و فى الأصل : يحمل (٤) من ظ و م، و فى الأصل : الحاجب (٥) من م، و فى الأصل و ظ : التأثير (٦) فى ظ و م : بأن . (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل : المدار و البئر (٩) من ظ و م، و فى الاصل : القلة (١٠) زيد فى الأصل : و تحتاج، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

و لما أقسم سبحانه على نفي ما بهتوه به و دل على [1] ما وهبه [1] له من كمال العقل و تمام الشرف و النبل تصريحا و تلويحا فثبت غاية الثبات باخبار العالم الحكيم [2]، دل عليه بالمشاهدة على وجه هو من أعلام النبوة للحكم على المستقبل فقال مسببا عن صادق هذا الإخبار: ﴿ فستبصر ﴾ أي ستعلم [3] يا أعلى الخلق و أشرفهم و أكملهم [3] عن قريب بوعد لاخلف فيه علما أنت في تحققه كالمبصر بالحس الباصر ﴿ و يبصرون ﴾ أي يعلم [4] الذين رموك بالبهتان علما هو كذلك .

و لما كان صلى الله عليه و سلم هو و من معه فريقا و الأعداء فريقا، و قد أبهم آخر الملك الضال في الفريقين قال: ﴿ بأيكم ﴾ أي في أي فريقيكم [5] ﴿ المفتون ﴾ [أي - [6]] بالضلال و الجنون [7] حتى صد عن الهدى [8] و دين الحق، أو بأيكم الفتنة بالجنون و غيره على أن يكون مصدر فتن، قال الرازي: مصدر مثل المفتون و هو الجنون بلغة قريش كما يقال: ما له معقول و ليس له مجلود، أي عقل و جلادة .

و لما كان هذا إخبارا بجنونهم المستلزم لضلالهم [9] على هذا الوجه المتصف، و كان مثل هذا [قد - [6]] يقع في محاورات الناس بضرب من الظن، استأنف تعالى ما هو كالتعليل لما أفاده السياق من هذا الحكم

(١ - ١) من ظ و م، و في الأصل: رهبته (٢) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م، و في الأصل: يعلمون (٥) زيد في الأصل: من هو، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و في الأصل: كان قد ابهم. (٨) من ظ و م، و في الأصل: الهوى (٩) من ظ و م، و في الأصل: اضلالهم .

عليهم إعلاما بأنه ناشىء إعن علم قطعي لامرية فيه بوجه، فقال موكدا لاجل إنكارهم لان يكون الامر على ما أفاده ما تقدم: ﴿ان ربك﴾ أي الذى رباك أحسن تربية و جبلك على[1] أعظم الخلائق ﴿هو﴾ أى وحده ﴿أعلم﴾ [أى -[2]] من كل أحد لا سيما من يتحرض ٥ ﴿بمن ضل﴾ أى حار و جار[3] و ذهب و زل و ضاع و غاب غيبة عظيمة لا يهتدى منها، و سلك غير سبيل القصد، و أخطأ موضع الرشد، معرضا ﴿عن سبيله﴾ فكان أجن المجانين لانه سبحانه و تعالى خالقهم، و شارعه، الا يعلم من خلق[4] و هو اللطيف الخبير[4]، و لا سيما و هو الحى القيوم الذى لا يغفل[5] ﴿و هو﴾ أى خاصة ﴿اعلم بالمهتدين﴾ ١٠ أى الثابتين[6] على الهدى[6] و هم أولو الأحلام و النهى، و هذا سر القدر الذى يقال: إنه[7] إنما يظهر يوم الحاقة.

و لما كان من طبع البشر أن الحليم منهم الرزين إذا اشتد [عليه -[8]] الأذى ممن لم تجر[9] العادة بأن مثله يطيق مثلهم قاربهم و لاينهم فيما وقع الخلاف بسببه بعض المقاربة، و كان سبب تلك ١٥ المقاربة إنما هو عدم علمه بالعواقب، سبب[10] سبحانه ما مضى من إعلامه

(١) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: خاف (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لا ينجل (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: بالهدى (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٨) زيد من ظ و م (٩) من م، و فى الأصل و ظ: لايجرى. (١٠) زيد فى الأصل: عنه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

بحقائق الأمور و كشفه لمستورها[1] قوله إلهابا و تهييجا على الثبات على معاصاتهم إعلاما للضال بأماراته ليعلم المهتدى لأن الأمور تعلم بأضدادها، و هو خطاب له صلى الله عليه و سلم و المراد أمته ليكون ذلك أبلغ فى سماعهم[2]: ﴿ فلا تطع ﴾ أى أيها المأمور بانقاذهم[3] من غوائل أهوائهم[4] و أشراك اهلاكهم[5] ﴿ المكذبين ﴾ أى العريقين فى التكذيب، ٥ قال الملوى: و لا يخفى أن كل كفر ظهر و كل ضلالة ظهرت، و كل بدعة و [كل -[6]] شر إنما كان سببه إفساد القوة العلمية و النطقية، و هو يكون بالتكذيب[7]، ثم علل ذلك بما يكون مجموعه على وقوعه منهم من مدة طويلة و هم مستمرون عليه بقوله: ﴿ ودوا ﴾ أى احبوا محبة عظيمة[8] واسعة متجاوزة للحد قديما مع الاستمرار على ذلك[9] ١٠ و أكد تهالكهم على هذه الودادة[10] بما يفهم التمنى و إن ذلك مستمر منهم [11]لا أنه[11] وقع و مضى، فقال مشيرا إلى إفسادهم القوة النطقية و خلق الشجاعة الغريزية: ﴿ لو تدهن ﴾ أى تلاين فتوافق على[12] بعض

(١) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اسماعهم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بابعادهم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ايهامهم (٥) فى ظ و م: هلاكهم (٦) زيد من ظ و م. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالتهذيب (٨) سقط من ظ و م (٩) زيد فى الأصل: بما يكون مجموعه؛ و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: الوازدة (١١ - ١١) من ظ و م، و فى الأصل: لانه. (١٢) من ظ و م، و فى الأصل: لا.

ما يريدون فتهادنهم[1] على ترك نهيهم عن الشرك و ترك التعرض لسب آلهتهم و تسفيه[2] أحلامهم و تضليل آبائهم ؛ قال ابن برجان : و الادهان ملاينة[3] و انجرار[3] بالباطل و إغماض عن الحق مع المعرفة بذلك - انتهى. و هو من الدهن لأنه يلين ما يدهن به[4] .

٥ و لما[5] كان من طبعهم أنهم[5] كانوا يلينون له صلى الله عليه و سلم بعض الأوقات [خداعا -[6]] كما قيل فى سبب نزول «الكافرون» من انهم قالوا له صلى الله عليه و سلم : تعال فلنصطلح على أن نعبد إلهك سنه و تعبد آلهتنا سنة ، و نحو هذا من الأباطيل حتى[7] أنهم سجدوا وراءه صلى الله عليه و سلم لما تلا عليهم سورة النجم فسجد فيها فسجد وراءه

٤٥٨ / ١٠ الكفار و المؤمنون / و الجن و الإنس حتى سمع المهاجرون إلى الحبشة و هم بالحبشة فرجع بعضهم[8] [ظنا -[6]] منهم[9] انهم قد اسلموا فوجدوهم على أخبث ما كانوا عليه أولا[10] ، قال سبحانه معرفا بأن ذلك منهم خداع : ﴿فيدهنون ۝﴾ أى فبسبب ودادتهم أنك تدهن [هم -[6]] يدهنون ، فهو عطف على [«و دوا» لا -[6]] جواب «لو» لأجل تنبيهه

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فنهاون (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : سفه.
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : القول و الانجرار (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فيه (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) زيد من ظ و م .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : عقول ضل باريها على (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بعض (٩) زيد فى الأصل : على ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(١٠) سقط من ظ و م .

صلى

صلى الله عليه و سلم على ان لينهم إنما هو خداع لم يرد به غير الفساد ، و قد أخروا الإدهان و إن كانوا قديما فى[1] وداده طمعا فى أن تبدأ به فيظهروه[2] حينئذ ، قال القشيرى : من أصبح عليلا تمنى أن يكون الناس كلهم مرضى .

و لما نهاه[3] عن طاعة المكذب و عاله ، و كان من الناس من يخفى تكذيبه ، قال ناصبا علامات المكذب : ﴿ و لا تطع ﴾ اى فى وقت من الأوقات [4]منهم و لا من غيرهم[4] ﴿ كل حلاف ﴾ أى مبالغ[5] فى الاجتراء على الأيمان و إن لم يظهر لك تكذيبه ، و ليس المراد النهى عن العموم بل عموم النهى ، أى انته عن كل حلاف فالنهى أصل و الكل وارد عليه ، كما تقدم[6] تخريج مثله فى آخر البقرة فى قوله تعالى " و الله لا يحب كل كفار اثيم " و هذه الأوصاف متفرعة من الكذب و خبث السجية ، فهى كالتفصيل ، فكثرة الحلف دالة على فساد القوة العلمية فنشأ عنها سقوط تعظيم الحق ، فصار صاحبها لا يعرف معروفا و لا ينكر منكرا ، فلذلك يحلف صادقا و كاذبا كيفما اتفق ﴿ مهين ﴾ أى حقير ضعيف وضيع سافل الهمة و المروءة سافل الرأى ، لأن الإنسان لا يكثر الحلف إلا و هو يتصور فى نفسه أنه لا يصدق إلا بذلك ، لأنه ليس له من المهابة عند من يحدثه و الجلالة ما يصدقه

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فيظهره .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : نهى (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بالغ (٦) زيد فى ظ و م : و تخريجه كما تقدم .

بسببه، و هو مؤثر للبطالة لما فيها من موافقة طبعه، و ذلك هو الحقارة الكبرى[1].

و لما كان كل[1] من اتصف بصفة: أحب أن يشاركه الناس [فيها - [2]] أو يقاربوه لا سيما إن كانت تلك الصفة دنية ليسلم من العيب أو الانفراد به و لأن الشيء لما داناه ألف قال: ﴿ هماز ﴾ أي كثير العيب للناس في غيبتهم، و قال الحسن: هو الذي يغمز بأخيه في المجلس، أي لأن الهمز العض و العصر[3] و الدفع - من المهماز الذي يطعن [به - [4]] في بطون الدواب، و هو مخصوص بالغيبة كما أن اللمز مخصوص بالمواجهة.

و لما كانت النميمة - و هي نقل الحديث على وجه السعاية - أشد الهمز[5] أفاد أنه يفعله و لا يقتصر على مجرد النقل بل يسعى به إلى غيره [و إن بعد - [4]] فقال تعالى[6]: ﴿ مشاء ﴾ أي كثير المشي ﴿ بنميم ﴾ أي ينقل ما قاله الإنسان [في آخر - [2]] و أذاعه سرا، لا يريد صاحبه إظهاره على وجه الإفساد للبين مبالغ في ذلك بغاية جهده.

/ ٤٥٩ و لما كان من كان هكذا يريد إعلاء نفسه بهضم الناس/، و كان المنع لإرادة الاستئثار بالممنوع ليكون الغير محتاجا إليه و عاكفا عليه

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و في الأصل: العرض (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و في الأصل: اللمز (٦) زيد في الأصل: مبينا، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

لأن من طبعه [1]أنه لا[1] يرتبط إلا طمعا لا شكرا بضد الجواد ، فانه يرفع[2] نفسه عن المطامع ، ولا يرتبط إلا شكرا على الصنائع فيجود ظنا منه أن الناس كذلك ، قال : ﴿ مناع ﴾ أى كثير المنع شديده ﴿ للخير ﴾ أى كل خير من [3]المال و الإيمان[3] و غيرهما من نفسه و من غيره من الدين و الدنيا -[4] إلى غير ذلك[4] . ٥

و لما كان من يفعل هذه[5] المخازى من الناس و يقتصر فى الهمز و النم على الواقع ، و فى المنع على ما له منعه - لئيما ، بين أنه لا يقنع[6] بذلك ، بل زاد عليه ببذل الجهد فيما يصير به ألام فقال : ﴿ معتد ﴾ أى[7] ثابت التجاوز للحدود فى كل ذلك ﴿ اثيم ﴾ أى مبالـــغ[8] فى ارتكاب ما يوجب الإثم فيترك الطيبات و يأخذ الخبائث و[7] يرغب فى المعاصى ١٠ و يتطلبها ، و يدع الطاعات و يزهد فيها .

و لما كان كل من[9] يتصف بهذه الدنايا التى من شأنها إبعاد الناس عنه و [10]نفرتهم منه[10] يسعى فى سترها إن كان عاقلا بلين و تواضع

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : الا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يدفع . (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الإيمان و المال (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لا ينفع (٧) سقط من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بالغ (٩) زيد فى الأصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠-١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : تفرقهم عنه .

و خداع و سهولة انقياد ، بين ان هذا على [غير ـ[1]] ذلك فقال منبها على هذا بالبعدية : ﴿ عتل ﴾ أى أكول شديد الخصومة جاف غليظ[2] فى خلقه و خلقه ثقيل مر ، كأنه قطعة جبل [3] قد انقطع[3] عن سائره لا ينجر إلى خير إلا بعسر و صعوبة و عنف ، من عتله ـ إذا قاده بغلظة ، فهو فى غاية ما يكون من يبس الطباع و عدم الطواعية فى الخير و الانطباع ، قال الرازى : و سئل عنه [4] رسول الله صلى الله عليه و سلم ـ أى عن العتل ـ فقال : هو الشديد[5] الخلق الرحيب الجوف الأكول الشروب الظلوم ، و نبه سبحانه على ثباته فى تلك المخازى الموجب لاستغراق أوقاته و أحواله بها بنزع الخافض فقال : ﴿ بعد ذلك ﴾ الخلق الجدير بتكلف الإبعاد عنه الذى تجمع من هذه الأوصاف التى بلغت نهاية القباحة حتى صارت كأنها خلق واحد ثابت راسخ لا حيلة [له ـ[6]] فى مداواته ، و على ذلك نبه قوله : ﴿ زنيم ﴾ أى صارت له علامة سوء و شر و ثناء قبيح و لأمة بينة [7] و معرفة [7] يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها ، و هى الجلدة التى تكون تحت حلقها مدلاة تنوس ، و العبد بمعايبه و سفساف[8] أخلاقه ، و قيل : هو الذى يتشبه بقوم و ليس منهم فى شىء ، و لا يخلو التعبير به من إشارة[9] إلى أنه دعى ليس ثابت النسب

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : شديد (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : قطع (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : شديد (٦) زيد من م (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م . (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : سفاف (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اشار .

إلى

إلى من ينتسب إليه، ليكون منقطعا عن كل خير و إن كان ينسب إلى آباء كرام، أخذا من زمة البعير، و هى جلدة تقطع من أذنه فتترك[1] معلقة، و لا يفعل ذلك إلا بكرام الإبل، و هذه الأفعال كلها تنافى الشجاعة المقتضية / لإحسان صاحبها إلى كل أحد وأن لا يحسب له حسابا و لا يوصل ٤٦٠
إليه[2] أذى إلا بعد ظهور شره فيعامله حينئذ بحسب العدل بما لا يرزئ بالمروءة ٥
و المشار إليه بهذا مع إرادة العموم قيل: الوليد بن المغيرة، و قيل: الأخنس ابن شريق[3]، و قيل: الأسود بن عبد يغوث، و[4] قال ابن قتيبة: لا نعلم أن الله تعالى وصف أحدا و لا ذكر [من -[5]] عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة.

و لما كان حطام هذه الدنيا كله عرضا فانيا و ظلا متقلصا زائلا، ١٠
لا يفتخر[6] به بل و لا يلتفت إليه إلا من كان بهذه الأوصاف، فاذا كان أكبر همه و مبلغ[7] علمه أثمر[8] له[9] الترفع [10]على الحقوق[10] و التكبر على العباد قال[11]: ﴿ ان ﴾ أى لأجل أن ﴿ كان ﴾ هذا الموصوف ﴿ ذا مال ﴾ أى مذكور بالكثرة ﴿ و بنين[5] ﴾ انعمنا عليه بهما فصار يطاع لأجلهما،

(١) من م، و فى الأصل و ظ: و تترك (٢) من ظ و م، و فى الأصل: له.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: يوق (٤) سقط من ظ و م (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لا يلتفت (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ابلغ (٨) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٩) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠-١٠) من ظ و م، و فى الأصل: الحقوق.
(١١) من ظ و م، و فى الأصل: فقال.

فكان بحيث يجب عليه شكرنا بسببهما ﴿ اذا تتلى ﴾ اى تذكر على سبيل المتابعة ﴿عليه﴾ ولو كان ذلك[1] على سبيل الخصوص له[2] ﴿ايٰتنا﴾ اى العلامات[3] الدالة دلالة فى غاية الظهور على الملك الأعلى و على ما له من صفات العظمة ﴿ قال ﴾ أى فاجا هذا القول من غير تأمل و لا توقف

٥ [عوضا -[4]] عن الشكر ، ذ « ان » مع جازه متعلق بما دل عليه الكلام نحو كذب لاحل كونه متمكنا ، و لا يتعلق بقال لأنه جزاء الشرط ، و يجوز ان يتعلق بلا تطع أى لا توجد طاعته لأجل[5] أن كان كذا ، و قرئ بالكسر على أنها شرطية ، فيكون النهى عن طاعته لعلة الغنى مفهما للنهى عن طاعته عند الوصف بغيره من باب الأولى كالتعليل

١٠ باملاق فى الوأد : ﴿ اساطير﴾ جمع سطور جمع سطر ﴿ الاولين﴾ أى أشياء سطروها و دونوها و فرغوا منها فحمله دنئ طبعه على تكبره[6] بالمال فورطه فى التكذيب بأعظم ما يمكن سماعه فجعل الكفر موضع الشكر و لم يستح من كونه يعرف كذبه كل من يسمعه ، فأعرض عن الشكر و وضع موضعه الكفر ، فكان هذا دليلا على جميع تلك الصفات السابقة

١٥ مع التعليل بالإسناد إلى ما هو عند العاقل[7] أوهم و[7] أوهى من بيت

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٢) تكررت العبارة هنا من « اذا تتلى » إلى «صفات العظمة» فى الأصل فقط (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : علاماتنا ، (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لأن (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تكبر (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

العنكبوت، و الإستناد إليه وحده كاف فى الاتصاف بالرسوخ فى الدناءة، و لا يعمل فى «أن قال» بل ما دل عليه لأن ما فى حيز الشرط لا يعمل فيما قبله.

و لما كان هذا المذكور قد أغرق فى الشر فتوقع السامع جزاءه، قال معلما أنه يجعل له من الخزى و الفضائح ما يصير به شهرة بين الخلائق فى الدنيا و الآخرة: ﴿سنسمه﴾ أى نجعل ما يلحق به من العار فى الدارين كالوسم الذى لا ينمحى أثره، تقول العرب: وسمه ميسم سوء.

و لما كان الوسم منكثا، و كان جعله[1] فى موضع لا يستر أنكأ، و كان الوجه اشرف[2] ما فى الإنسان، و كان أظهر ما فيه و أكرمه[3] الأنف، و لذلك جعلوه مكان[4] العز و الحمية و اشتقوا منه الأنفة قال: ﴿على الخرطوم﴾ أى الأنف الطويل جميعه و ما قاربه من الخنكين[5] وسما مستعليا عليه بوضوح جدا ليكون هتكه[6] بين الناس و فضيحة لقومه[7] و ذلا و عارا، و كذا كان لعمرى له بهذا[8] [الذكر - [9]] الشنيع و الذنب القبيح من الكفر و ما معه، و سيكون له يوم الجمع الأعظم[10] ما هو أشنع من هذا على أنه قد حقق فى الدنيا هذا الخطم حسا بأنه ضرب يوم بدر ضربة

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: جعل (٢) فى ظ و م: اشهر (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اكرامه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: موضع (٥) زيد فى الأصل: وسمى هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: هتيكه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بين قومه (٨) من ظ و م، و فى الأصل: هذا (٩) زيد من ظ و م (١) من ظ و م، و فى الأصل: الاكبر

خطمت أنفه - قاله ابن عباس رضى الله عنهما[1]، و التعبير[2] عن الأنف بهذا[2] للاستهانة و الاستخفاف.

و لما ذكر [فى -[3]] أول الملك أنه خلق الموت و الحياة للابتلاء فى الأعمال، و ختم هنا بعيب من يغتر[4] بالمال و البنين و هو يعلم أن الموت وراءه، أعاد ذكر الابتلاء وأكده لأن أعمالهم مع العلم بأنه عرض زائل [أعمال -[3]] من يظن الملك الثابت و التصرف[5] التام، [فقال -[3]]: ﴿ انا بلوناهم ﴾ أى عاملنا[6] - على ما لنا من العظمة - الذين نسمهم[7] على الخراطيم من قريش[7] و سائر عبادنا بما وسعنا عليهم به معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر و الباطن، ففرهم [ذلك -[3]] و ظنوا أنهم أحباب، و من قترنا عليه من أوليائنا أعداء، فاستهانوا بهم، و نسبوهم لأجل تقللهم من الدنيا إلى السفه و الجنون و الضلال و الفتون، فيوشك ان نأخذهم بغتة كما فعلنا بأصحاب الجنة، فكل[8] من رأى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقد ابتلى به، فان[9] آمن كان ممن أحسن عملا، و إلا كان ممن أساء.

---

(١) راجع معالم التنزيل ٧ / ١١١ (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: بهذا عن الخرطوم (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يعتبر (٥) من ظ و م، و فى الأصل: النصر (٦) زيد فى الأصل: هؤلاء المكذبين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: من قريش و على الخراطيم (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لكل (٩) من ظ و م، و فى الأصل: كان.

و لما

و لما لم تعرف عامة اهل مكة نعمة الله عليهم به صلى الله عليه و سلم، أخرجه الله عنهم و أكرمه بأنصار جعله أكرم الكرامات لهم، وكل من سمع بـه و لم يؤمن فهو كذلك، تكون أعماله كهذه الجنة يظنها شيئا[1] فتخونه أحوج ما يكون إليها، أو كان[2] ابتلاؤنا لهم بالقحط الذى دعا عليهم به رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى أكلوا الجيف ٥ [3]فما تابوا[3] كما تابه ﴿ كما بلونآ ﴾ أى اختبرنا بأن عاملنا[4] معاملة المختبر مع علمنا بالظاهر و الباطن، و حاصله أنه إستخرج ما فى البواطن[5] ليعلمه العباد فى عالم الشهادة كما يعلمه الخالق فى عالم الغيب، أو أنه كناية عن الجزاء ﴿ اصحب الجنة ج ﴾ عرفها لأنها كانت شهيرة عندهم و هى بستان عظيم[6] كان دون صنعاء بفرسخين، يقال له الضروان، يطأه أهل ١٠ الطريق، كان صاحبه ينادى الفقراء وقت الصرام، و يترك لهم ما أخطأ المنجل أو ألقته الريح أو بعد عن البساط الذى يبسط تحت النخلة، فلما مات شح بنوه بذلك فحلفوا على أن يجذوها قبل الشمس حتى لا يأتى الفقراء إلا بعد فراغهم، و ذلك معنى قوله تعالى: ﴿ اذ ﴾ أى حين ﴿ اقسموا ﴾ و دل على تأكيد القسم فقال: ﴿ ليصرمنها ﴾ عبر به ١٥ عن الجذاذ بدلالته على القطع البائن المعزوم عليه المستأصل المانع للفقراء

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اشياء (٢) من ظ و م، وفى الأصل: يكون.
(٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: فماتوا (٤) من م، و فى الاصل و ظ: عاملناهم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الباطن (٦) زيد فى الأصل: كانه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

ليكون قطعا من كل وجه، من الصريم ـ لعود يعرض على[1] فم الجدى لئلا يرضع، و من الصرماء: المفازة لا ماء بها، و الناقة القليلة اللبن ﴿مصبحين﴾ أى داخلين فى أول وقت الصباح ﴿و لا﴾ أى و الحال انهم [لا ـ[2]] ﴿يستثنون﴾ أى لا يطلبون و لا يوجدون ثنيا ـ أى عودا ـ إلى ما قبل اليمين بقولهم «إن شاء الله» أو غير ذلك من الألفاظ الموجبة لأن يكون شيء من جنتهم مطلقا غير ممنوع، و سمى ذلك استثناء لأنه إخراج لشيء يكون حكمه غير المذكور أولا، و كان الأصل فيه: إلا أن يشاء الله، و ألحق به إن شاء الله لرجوعه اليه فى اتحاد الحكم ﴿فطاف﴾ أى فتسبب عن عملهم هذا الطامع[3] أن طاف ﴿عليها[4]﴾ أى جنتهم ﴿طآئف﴾ أى عذاب مهلك محيط مع أنه امر يسير جدا عند الله و إن كان عظيما بالنسبة إليها لأنه لم يدع منها شيئا، و لا يكون الطائف بهذا [المعنى ـ[5]] إلا بالليل، كذا قيل، و يرده "إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا".

و لما كان هذا مقتا فى الصورة أخبر بأنه لطف و تربية فى المعنى بقوله: ﴿من ربك﴾ أى المعروف بالعظمة التى لا تحد و بالإحسان إليك فهو جدير بأن يؤدب قومك ليقبلوا منك كما أدب أصحاب الجنة بما أوجب توبتهم و هو الحقيق بتربية العباد يعقلوا عنك و يكونوا

(١) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٢) زيد من م (٣) من م، و فى الأصل: الطامع، و فى ظ: الصالح (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عليهم. (٥) زيد من ظ و م.

خليقين بالتجنب للدنيا و الإقبال على المعالى ﴿ و هم ﴾ أى و الحال أن أصحاب الجنـــة المقسمين ﴿ نآئمون ۝ ﴾ وقت [إرسال - ١] الطائف ﴿ فاصبحت ﴾ [أى - ١] فتسبب عن هذا الطائف الذى أرسله القادر الذى لا يغفل و لا ينام على مآل من لا يزال أسير العجز [و النوم - ١] فعلا أو٢ قوة أن صارت جنتهم وقت اجتنائهم لها بالغد و سرورهم بها ٥ ﴿ كالصريم ۝ ﴾ أى كالأشجار التى صرم عنها ثمرها٣ أو كالشىء الذى انقطع ما بينه و بين قاصده فلا وصول إليه بوجه، و قيل: كالليل المظلم الأسود، و قيل: كالرماد الأسود، ليس بها ثمرة، لأن ذلك الطائف أتلفها لم يدع فيها شيئا، لأنهم طلبوا الكل فلم يزكوه بما يمنع عنه الطوارق بضد ما كان لأبيهم من ثمرة عمله الصالح من الدفع عن ماله و البركة ١٠ فى جميع أحواله .

و لما كانوا٤ لقوة عزمهم على ما أقسموا٥ عليه كأنهم كانوا على ميعاد، سبب عنه قوله: ﴿ فتنادوا ﴾ اى كانوا كأنهم٦ نادى كل منهم الآخر ﴿ مصبحين ۝ ﴾ أى فى حال أول دخولهم فى الإصباح، و فسر التنادى بقوله: ﴿ ان اغدوا ﴾ اى بكروا جدا مقبلين و مستولين و قادرين ١٥ ﴿ على حرثكم ﴾ اى / محل فائدتكم الذى أصلحتموه و تعبتم٧ فيه فلا ٤٦٣ / يستحقه غيركم، فكأنهم استبطأوا قيامهم و غدوهم فكفوا عنه بقولهم:

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ثمرتها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : أقسم (٦) فى م : كانه (٧) من ظ و م ، و فى الأصل: تبعتم.

﴿ ان كنتم ﴾ أى اليوم كونا هو لكم بغاية الرغبة ﴿ صرمين ﴾ اى جاذين جذاذا ليسلم لكم من غير مشاركة أحد لكم كما تواثقتم عليه ، أو جازمين بما عزمتم عليه ، [و - ١] عبر عن إسراعهم إلى الذهاب بقوله : ﴿ فانطلقوا ﴾ أى بسبب هذا الحث و عقبه كأنهم كانوا ٥ متهيئين ﴿ وهم ﴾ أى و الحال أنهم ﴿ يتخافتون ﴾ أى يقولون فى حال انطلاقهم قولا هو فى غاية السر [كأنهم - ١] ذاهبون إلى سرقة من دار هى فى غاية الحراسة ، من الخفوت و هو الخمود ، ثم فسر ما يتخافتون به بقوله : ﴿ ان لا يدخلنها ﴾ و أكدوه لأنه لا يصدق أن أحدا يصل إلى هذه الوقاحة و صلابة الوجه و أن جذاذا يخلو ١٠ من سائل .

و لما كانت العادة قاضية بأنه لابد أن ينسى الإنسان شيئا أو يقفل بابا أو ثغرة يدخل منه [٢] و بسببه فقير [٢] قالوا : ﴿ اليوم ﴾ أى فى جميع النهار - بما دل عليه نزع الخافض - لتكروا عليه مرارا و تفتشوا فلا تدعوا فيه ثمرة واحدة و لا موضعا يطمع بسببه أحد فى قصدكم ﴿ عليكم ﴾ ١٥ أى و أنتم بها ﴿ مسكين ﴾ و هو نهى للمسكين فى اللفظ للمبالغة فى نهى أنفسهم أن لا يدعوه يدخل عليهم ، فقال لهم أوسطهم سنا و خيرهم نفسا و أعدلهم طبعا بما دل عليه ما يأتى : لا تقولوا هكذا و اصنعوا من الإحسان ما كان يصنع أبوكم [٣] ، و كأنه طواه سبحانه لأنه مع الدلالة

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : سنه و هو - كذا .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ابويكم .

[1]عليه بما[1] يأتى لم يؤثر شيئا ، و أكد كون انطلاقهم حال الإصباح بقوله : ﴿ و غدوا ﴾ أي ساروا إليها غدوة ﴿على حرد﴾ لا غيره و هو القصد و شدة الغضب مع الجزم بالأمر و اللجاج فيه و السرعة و التكد بالمنع و قلة الخير ، من حاردت السنة أى لم يكن فيها[2] مطر ، و الإبل : منعت درها ، و حرد - إذا أسرع ﴿ قدرين ٥ ﴾ عند أنفسهم و فى زعمهم بدليل عدم ٥ استثنائهم فان الجزم على الفعل فى المستقبل فضلا عن أن يكون مع الخلف فعل من لا كفؤ له ، و دل على قربها من منزلهم بالفاء فقال : ﴿ فلما رأوها ﴾ أى بعد سير يسير و ليس للزرع و لا للثمر بها أثر ﴿ قالوا ﴾ لأنها صارت لسوء حالها من ذلك الطائف بعيدة من حال ما[3] كانت عليه عند تباعدهم و تغيير نياتهم فأدهشهم منظرها و حيرهم ١٠ خبرها ، و أكدوا لأن ضلالهم لا يصدق مع قرب عهدهم بها و كثرة ملابستهم لها و قوة معرفتهم بها فقالوا : ﴿ انا لضالون ٦ ﴾ أى عن طريق جنتنا لأن هذه لا تشبهها بوجه فيما كانت فيه بالأمس من النضارة[4] و شدة الحمل و حسن الهيئة .

و لما انجلى ما أدهشهم [فى الحال - [5]] قالوا مضربين عن الضلال : ١٥ ﴿ بل نحن محرومون ٥ ﴾ أى ثابت حرماننا مما كان فيها من الخير الذى لا نغيب عنها إلا سواد الليل فحرمنا الله إياها بما عزمنا عليه من حرمان

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : بها .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : النظارة .
(٥) زيد من ظ و م .

المساكين لأن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .

٤٦٤/ و لما كان القرع بالمصائب / مظنة الرقة[1] و التوبة لمن أريد به الخير ، و زيادة الكفر لغيره ، استأنف قوله : ﴿ قال اوسطهم ﴾ [أى - [2]] رأيا و عقلا و سنا [3] و رئاسة [3] و فضلا ، منكرا عليهم : ﴿ الم اقل لكم ﴾ أن ما فعلتموه لا ينبغى ، و أن الله سبحانه و تعالى بالمرصاد لمن غير ما فى نفسه و حاد .

و لما كان منع الخير و لا سيما فى [مثل - [2]] هذا مستلزما لظن النقص[4] فى الله تعالى إما بأنه سبحانه لا يخلف ما حصل التصدق[5] به و إما أنه[6] لا يقدر على إهلاك ما شح الإنسان به ، قال مستأنفا : ﴿ لولا ﴾ أى هلا و لم لا ﴿ تسبحون ﴾ أى توقعون التنزيه لله سبحانه و تعالى عما أوهمه فعلكم ، و أقل التسبيح الاستثناء عند الإقسام[7] شكا فى قدرة الإنسان و إثباتا [8] لقدرة الملك الديان [8] استحضارا لعظمته سبحانه و تعالى ، و دل سياق الكلام على أنهم كانوا متهيئين[9] للتوبة بقوله : ﴿ قالوا ﴾ من غير تلعثم بما عاد عليهم[10] من بركة أبيهم [3] فقال سبحانه [3]

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : الرزق (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : النفس (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : التصديق (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لانه (٧) من ظ و م ، و فى الأصل: الانقصام (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بقدرة الملك .
(٩) من ظ و م ، و فى الأصل : متمنين (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : اليهم

حاكيا [1]عن قولهم[1] : ﴿ سبحن ربنآ ﴾ اى تنزه المحسن إلينا التنزيه[2] الأعظم عن أن يكون وقع منه فيما فعل بنا ظلم ، و أكدوا قباحة فعلهم هضما لأنفسهم و خضوعا لربهم [و - [3]] تحقيقا لتوبتهم لأن ما كانوا عليه من الحال[4] يقتضى أن لا يصدق رجوعهم عنه بقولهم : ﴿ انا كنا ﴾ أى بما[5] فى جبلاتنا من الفساد ﴿ ظلمين ٥ ﴾ أى راسخين ٥ فى إيقاعنا الأشياء فى غير مواقعها حيث لم نعزم عزما جازما على ما كان يفعل أبونا من البر ، ثم حيث حلفنا على ترك ذلك [ثم حيث لم نرد الأمر إلى الله بالاستثناء حيث حلفنا - [3]] فان الاستثناء تنزيه الله عن أن يجرى فى ملكه ما لا يريد ، و أكد توبتهم بقوله مسببا عن اعترافهم بالظلم : ﴿ فاقبل بعضهم ﴾ أى فى حال مبادرتهم[6] إلى الخضوع ١٠ ﴿ على بعض ﴾ و دلت التسوية [بين] فريقيهم فى اللفظ على الاستواء فى التوبة ﴿ يتلاومون ٥ ﴾ أى يفعل كل منهم مع الآخر فى اللوم على ما قصده من المنع و ترك ما تركوه من الإعطاء و الدفع ما يفعله الآخر معه ، و ينسب النقصان إليه كما [هو - [3]] دأب المغلوبين العجزة .

و لما تشوف السامع إلى معرفة [بعض - [3]] ذلك قال : ﴿ قالوا ﴾ ١٥ منادين لما شغلهم قربه منهم و ملازمته [عن كل شىء - [3]] : ﴿ يا ويلنآ ﴾

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) فى ظ : التنزه (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كالحال (٥) زيد فى الأصل : دل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) فى م : مبادرة .

أى هذا وقت حضورك أيها الويل إيانا و منادتك لنا[1] فانه لا نديم لنا إلا أنت، و الويل هو[2] الهلاك و الإشراف عليه .

و لما كان أهل الرذالة ينكرون أن يكون من يمنع الفقراء طاغيا، أكدوا قولهم: ﴿ انا كنا ﴾ أى جبلة و طبعا ﴿ طغين ﴾ أى مجاوزين الحدود فيما فعلنا من التقاسم عل منع الفقراء و على جذها فى الصباح من غير استثناء فعل القادر، و كان ذلك إن كان لابد لنا منه ممكنا بغير قسم و لا إخفاء من الغير و لا مخافتة[3] حال السير بأن يقال للفقراء: يفتح الله، و نحو ذلك من الكلام .

و لما قدموا ما هو أنفع لهم من اللوم المقتضى لإجماعهم على التوبة فعلم بذلك الندم الذى هو أمارة التوبة، استأنفوا جوابا لمن سأل: هل اقتصروا على التلاوم ؟ قولهم: ﴿ عسى ﴾ أى يمكن / [ان يكون -[4]] و هو جدير و خليق بأن يكون ﴿ ربنآ ﴾ أى الذى أحسن إلينا بتربية هذه الجنة و باهلاك ثمرها[5] الآن تأديبا لنا ﴿ ان يبدلنا ﴾ أى من جنتنا شيئا ﴿ خيرا منهآ ﴾ يقيم لنا أمر معاشنا فتنقلب أحوالنا هذه التى[6] نحن فيها من الهموم و البذاذة[7] بسرور و لذاذة بما أفاده[8] إيقاع الفعل على ضميرهم. و قراءة أبى عمرو و نافع بالتشديد و قراءة الباقين بالتخفيف و هما

/ ٤٦٥

(١) من ظ و م، و فى الاصل: ايا (٢) سقط من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: مخافة (٤) زيد من ظ (٥) من م، و فى الأصل و ظ: ثمرتها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٧) من ظ و م، و فى الاصل: البلادة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: اداه .

متقاربتان غير أن التشديد يدل على التدريج[1] ، فالتخفيف أبلغ معنى : و إنما تعلق رجاؤنا بسبب توبتنا وعلمنا بأن[2] ربنا قادر على ما يريد ، و لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون .

و لما دل هذا الدعاء على إقبالهم على الله وحده صرحوا و أكدوا لأن حالهم الأول كان حال من ينكر منه مثل ذلك فقالوا معللين : ﴿ انآ ﴾ و لما كان المقام للتوبة و الرجوع عن الحوبة ، عبروا بأداة الإنتهاء إشارة إلى بعدهم عن الحضرات الربانية تأدبا منهم فقالوا : ﴿ الى ربنا ﴾ أى المحسن إلينا و المربى لنا بالإيجاد ثم الإبقاء خاصة لا إلى غيره سبحانه[3] ﴿ رٰغبون ه ﴾ أى ثابتة رغبتنا و رجاؤنا الخير و الإكرام بعد العفو ، و قد قيل أن الله تعالى جلت قدرته قبل رجوعهم و أخلف عليهم فأبدلهم جنة يقال لها[4] الحيوان بحيث كان[5] القطف الواحد [منها -[5]] يحمله وحده من كبره البغل - رواه البغوى[6] عن ابن مسعود ، و لكن لما كان المقام لترهيب[7] من ركن إلى ماله و احتقر الضعفاء من عباد الله و لم يجلهم بجلاله طواه ، و ذكر ما صور هذا الكلام و أنتجه من مساواة حال قريش و حال هؤلاء فى الإحسان و طول الحلم مع احتقار أوليائه و التقوى عليهم بأفضاله و نعمائه ، فقال مرهبا : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا الذى بلونا به أصحاب الجنة من إهلاك ما كانوا

(١) فى م : تدريج (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : أن (٣) سقط من ظ و م.
(٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : حيث ان (٥) زيد من ظ و م (٦) فى المعالم بهامش اللباب ٧ / ١١٢ (٧) من ظ و م ، و فى الاصل : للترهيب .

عند أنفسهم فى غاية القدرة عليه و الثقة [1]به مع الاستحسان منهم [1] لفعلهم[1] و الاستصواب و هددنا به أهل مكة فلم يبادروا إلى المتاب : ﴿ العذاب [4] ﴾ الذى تحذرهم [منه - [2]] و نخوفهم به فى الدنيا ، فاذا تم الأجل الذى قدرناه له أخذناهم به غير مستعجلين و لا مفرطين لأنه ٥ لا يعجل إلا ناقص يخاف الفوت .

و لما كانوا منكرين لأمور الآخرة أشد من إنكارهم لأمور الدنيا أكد قوله : ﴿ و لعذاب الأخرة ﴾ أى الذى يكون فيها للعصاة و الجبارين ﴿ اكبر [3] ﴾ أى فى كل ما يتوهمونه .

و لما كان هذا موجبا لمن له [3] أدنى شعور للهروب منه قال : ١٠ ﴿ لو كانوا ﴾ أى الكفار [1] ﴿ يعلمون [5] ﴾ أى لو كان لهم علم بشىء من غرائزهم فى وقت من الأوقات لرجعوا [5]عما هم [5] فيه مما عرفوا أنه يغضب الله فيكون سبب العذاب فى الدارين ، و هم مع ذلك مما يرزئ بهم [6] عند الله و[6] عند الناس من تلك الآثار الخبيثة التى منها [7] الأيمان / الكاذبة ، و يدل على [عدم - [2]] شجاعتهم و قلة[7] عقولهم ، لكنهم ليس ٤٦٦ / ١٥ لهم نوع علم الآن ، و المختوم بموته على الكفر لا يتجدد له نوع علم ، و غيره سيرجع فى الوقت الذى قدره الله له .

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الاصل : بهم و استحسانهم (٢) زيد من ظ و م .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : به (٤) زيد فى الأصل : جميعهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الاصل : اعمالهم .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الاصل : عدم .

و لما ذكر ما لأهل الجود الذين لا يجوزون الممكنات، ذكر أضدادهم فقال مؤكدا لأجل إنكارهم: ﴿ ان للمتقين ﴾ أى الفريقين فى صفة التقوى خاصة دون غيرهم ممن لا يتق، و التقوى: الاحتراز بالوقاء الحامل عليه الخوف من المؤذى، الحامل عليه تجويز الممكنات، قال الملوى: و أصلها أن الفرس الواقى - و هو الموجوع الحافى - لا يضع حافره حتى ٥ يرى[1] هل الموضع لين يناسب، وكذا المتقى لا يتحرك و لا يسكن إلا على [بصيرة من - [2]] رضا الله بذلك، فلا يفعل أحد منهم شيئا من تلك الآثار الخبيثة التى تقدمت للمكذبين، فحازوا الكمال بصلاح القوة العملية الناشىء عن[3] صلاح القوة العلمية، و زاد فى الترغيب إشارة إلى جنة القلب [و بسط الروح بقوله: ﴿ عند ربهم ﴾ أى المحسن إليهم فى موضع ١٠ قدم أولئك و خيبة آمالهم، فان تقريبهم دل على رضاه سبحانه، و رضا صاحب الدار مطلوب قبل نظر الدار، و لما أشار إلى جنة القلب - [2]] أتبعها جنة القالب فقال تعالى: ﴿ جنت ﴾ جمع جنة و هى[4] لغة البستان الجامع، و فى عرف الشرع مكان اجتمع فيه جميع السرور و انتفى منه جميع الشرور[5] ﴿ النعيم ﴾ و هو الخالص من المكدر و المشوش ١٥ و المنغص، لا شىء فيها غيره أصلا - بما أفادته الإضافة.

و لما كان عدم إيراث كل من الفريقين الدار التى تقدم وصفها

(١) فى م: يبصر (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عنها.
(٤) من ظ، و فى الأصل و م: هو (٥) زيد فى الأصل: مع انها مواطن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

تسوية بين المحسن و المسيء، وكان ذلك لا يليق بحكيم ان يفعله، وجب إنكاره لتحقق أن ما أخبر به سبحانه لا يكون إلا كذلك[1] لاسيما و قد كان الكفار يقولون: إنهم كالمسلمين أو أحسن حالا منهم، و ذلك أنه إن كان لابعث، كما كانوا يظنون، فقد استووا فيما بعده [2]مع ما[2] فضلوهم به فى الدنيا من اتباع الأهواء و الظفر باللذائذ، و إن كان ثم بعث [3]فقد كانوا[3] يقولون لشبهة دعتهم إليها شهوتهم[4]: أما نكون على تقديره أحسن حالا منكم و آثر عند الله فى حسن العيش كما نحن فى هذه الدار لأنه ما بسط لنا فى هذه الدار إلا و نحن عنده أفضل منكم، فقال تعالى منكرا[5] و مكذبا[5] لذلك غاية ا نكار[5] و التكذيب[5] عائبا التحكم بالجهل[6] غاية العيب نافيا للمساواة ليكون انتقاما هو أعلى من باب الأولى مسببا عما تقديره: و لا يكون لغير المتقين ذلك: ﴿ افنجعل المسلمين ﴾ أى الذين هم عريقون فى الانقياد لأوامرنا و الصلة لما أمرنا بوصله طلبا لمرضاتنا فلا اختيار لهم معنا فى نفس و لا غيرها لحسن جبلاتهم ﴿ كالمجرمين[1] ﴾ اى الراسخين[7] فى قطع ما أمرنا به [أن يوصل - [8]] و أنتم لا تقرون مثل ذلك، بل من عاندكم نوع معاندة قاطعتموه و لو وصل الأمر إلى القتل.

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لذلك (٢-٢) من ظ و فى الأصل: فيما (٣-٣) فى ظ و م: فكانوا (٤) من ظ، و فى الأصل: شهوة (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بالجهل (٧) من ظ و م، و فى الأصل: كالراسخين (٨) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م.

و لما

و لما كشف هذا الدليل الشبه و رفع الستار، فأوصل إلى أعظم من ضوء النهار، لفت القول [1] إليهم بالخطاب لفت [1] المغضب عند العتاب، فقال معجبا منهم منبها على ما هم فيه من اعوجاج الفطر و فساد الفكر منكرا عليهم غاية الإنكار: ﴿ ما لكم وفئة ﴾ أى أىّ شىء يحصل لكم من هذه الأحكام الجائرة البعيدة عن الصواب. ٥

و لما نبههم على أنه [2] ليس لهم فى مثل هذه الأحكام شىء يمكن أن يكون نافعا، و كان العاقل إذا علم [أن - [3]] شيئا من الأشياء لانفع فيه بعد منه، أنكر عليهم ثالثا حال أحكامهم هذه لأن نفى أحوالها أشد لنفيها [4] كما تقدم فى "كيف تكفرون" فى البقرة فقال: ﴿ كيف تحكمون ﴾ أى أىّ عقل دعاكم إلى [5] هذا الحكم الذى يتضمن [5] ١٠ التسوية من السيد بين المحسن من عبيده [6] و المسىء.

و لما كان الحكم لا يمكن وجوده إلا مكيفا بكيفية، و كان سبحانه و تعالى قد نفى حكمهم هذا بانكار جميع كيفياته التى يمكن أن يصح [معها - [3]]، و كان الحكم الصحيح لابد و أن يكون مستندا إلى عقل أو نقل، زاد بطلان حكمهم وضوحا بنفى الأمرين معا، فقال عاطفا ١٥

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: إلى الخطاب لفتة (٢) من ظ و م، و فى و فى الأصل: انهم (٣) زيد من ظ و م (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥ - ٥) من م، و فى الأصل: هذه الأحكام التى تضمن، و هذه العبارة الى «و المسىء» ساقطة من ظ (٦) من م، و فى الأصل: سيده المطيع.

على ما تقديره : ألكم دليل من العقل [1]إليه تلجأون[1] : ﴿ام لكم كتب﴾ أى سماوى معروف أنه من عند الله خاص بكم[2] ﴿فيه﴾ أى[3] لا [فى -[4]] غيره من أساطير الأولين و زبر المحوقين[5] ﴿تدرسون[4]﴾ أى تقرأون قراءة أتقنتم مخالطتها أو أنعمتم فهمه بسببها .

٥ و لما ذكر الدرس ذكر المدروس فقال تعالى : ﴿ان لكم﴾ أى خاصة على وجه التأكيد الذى لا رخصة فى تركه ﴿فيه﴾ أى الكتاب لتكونوا فى غاية الوثوق به ، لا فى غيره مما لا وثوق لكم به ﴿لما تخيرون[5]﴾ أى تبالغون فى انتقائه و اخذ خياره ، وكسر الهمزة و كان حقها الفتح لولا اللام لأن ما بعدها هو المدروس ، و يجوز أن تكون الجملة حكاية[6]

١٠ للدروس و أن تكون استئنافية .

و لما نفى دليل العقل و النقل مع التعجب منهم و التهكم بهم ، وكان [7] قد بقى[7] أن الإنسان ربما عاهد غيره على شىء فيلزمه[8] الوفاء به و إن[8] كان خارجا عما يدعو إليه العقل و النقل ، نفى ذلك بقوله : ﴿ام لكم ايمان﴾ أى[9] غليظة جدا ﴿علينا﴾ قد حملتمونا إياها[10] ﴿بالغة﴾ أى

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : تلجأون اليه (٢) زيد فى الأصل : فتحكمون بها ، ولم تكن الزيادة وفى ظ و م فحذفناها (٣) سقط من ظ و م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ ، وفى الأصل : للتحرقين ، وفى م : للخرفين (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : حالية (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لفى (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : الوقاية فان (٩) زيد فى الأصل : ايمان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : بها .

لأجل عظمها إلى نهاية رتب التأكيد بحيث يكون بلوغ غيرها ما يقصد بالنسبة إلى بلوغها ذلك عدما أى ان بلوغها هو البلوغ لا غيره[1]، أو ثباتها منته ﴿ الى يوم القيمة[2] ﴾ لا يمكن الخروج عن عهدتها إلا فى ذلك اليوم ليحتاج لأجلها إلى إكرامكم فى الدارين .

و لما ذكر[2] ذلك القسم بالأيمان ذكر المقسم عليه فقال: ﴿ان لكم﴾ ٥ [3] أى خاصة دون المسلمين ﴿لما تحكمون ج﴾ أى تفعلونه فعل الحاكم الذى يلزم قوله لعلو أمره على وجه التأكيد الذى / لا مندوحة عنه فتحكمون ٤٦٨/ لأنفسكم بما تريدون من الخير .

و لما عجب منهم [و - [4]] تهكم بهم ذيل ذلك بتهكم أعلى منه يكشف عوارهم غاية الكشف و ينزل بهم[5] أشد الحتف ، فقال مخوفا ١٠ لهم بالإعراض: ﴿سلهم﴾ أى يا أيها الرسول الذى محت دلائله بقوة أنوارها الأنوار .

و لما كان السؤال سببا لحصول العلم علقت، "سل" على[6] مطلوبها الثانى و كان حقه أن يعدى بعن فقال: ﴿ايهم بذلك﴾ أى الأمر العظيم من المعاهدة و الدليل النقلى و العقلى ﴿ زعيم ج ﴾ أى كفيل و[7] ضامن ١٥ أو سيد أو رئيس أو متكلم بحق أو باطل لتلزمه فى ادعائه صحة ذلك

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : غيرها (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م. (٣) زيد فى الأصل : فيه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : به (٦) فى م : عن (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : أو .

ما تدعه به ضحكة للعباد، و اعجوبة للحاضر منهم و الباد، فلم يحسر لما تعلمون من حقية هذا القرآن و [ما - [1]] لأقوالهم كلها من العراقة فى البطلان أحد منهم على شدة عداوتهم و محبتهم للغالبة و [2] شماختهم أن [2] يبرز لادعاء ذلك، و لما [3] نفى أن يكون لهم منه سبحانه فى تسويتهم [4] بالمسلمين دليل عقلى أو نقلى أو عهد وثيق على هذا [الترتيب - [1]] المحكم و المنهاج الأقوم، أتبعه ما يكون من عند غيره إن كان ثم غير على ما ادعوا فقال: ﴿ام لهم شركآء ج﴾ أى شرعوا لهم [5] من الدين [5] أمرا و وعدوهم بشىء أقاموا عليه من الأدلة ما أقمنا لنبينا صلى الله عليه و سلم ﴿فليأتوا بشركآئهم﴾ أى باقوالهم و أفعالهم كما أتينا نحن فى نصر نبينا محمد صلى الله عليه و سلم من الأمرين معا بما لا شبهة فيه، و سجل عليهم بالكتاب [6] ملهبا مهيجا بما يحرق به أكبادهم و لا يقدرون على دفعه بوجه، فيكون ذلك أعظم دليل على [إبطالهم - [1]]: فقال ﴿ان كانوا﴾ أى جبلة و طبعا ﴿صدقين ه﴾ أى عريقين فى هذا الوصف كما يدعونه، و لما نفى جميع شبههم التى يمكن [أن - [1]] يتشبثوا بها مع البيان لقدرته على ما يريد من تفتيق الأدلة و تشقيق البراهين الدال على تمام العلم اللازم منه كمال القدرة فأوصلهم من وضوح الأمر إلى حد لم يبق معه إلا العناد، أتبع ذلك تهديدهم بما يثبت ذلك قدرته عليه من يوم الفصل و معاملتهم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: شماخة لا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: تشريبتهم (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بالأمر (٧) زيد فى الأصل: جبلوا و طبعوا عليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

فيه

فيه بالعدل فقال : ﴿يوم﴾ يجوز ان يكون بيانا ليوم القيامة ، و بنى لإضافته إلى الجملة و أن يكون ظرفا ليأتوا ، أو منصوبا بما أخذ من معنى الكلام من [نحو-[1]] : سيعلمون ما يلقون من غب هذه المعاملات و إن نالوا فى هذه الدار جميع اللذات فى جميع اليوم الذى ﴿يكشف﴾ اى يحصل الكشف فيه ، و بنى للمفعول لأن المخيف وقوع[2] الكشف الذى هو كناية عن تفاقم الأمور ٥ و خروجها عن حد الطوق ، لا كونه من معين ، مع أن من المعلوم أنه لا فاعل هناك غيره سبحانه ﴿عن ساق﴾ أى يشتد فيه الأمر غاية الاشتداد لأن من اشتد / عليه الأمر وجد فى فصله شمر عن ساقه لأجله و شمرت حرمه ٤٦٩ / عن سوقهن غير محتشمات هربا ، فهو كناية عن هذا و لذلك نكره تهويلا [له-[1]] و تعظيما ، نقل هذا التأويل عن ابن عباس رضى الله عنهما و سعيد ١٠ ابن جبير رضى الله عنه و غيرهما ، و عن انكشاف جميع الحقائق و ظهور الجلائل فيه و الدقائق من الأهوال و غيرها كما كشفت هذه الآيات جميع الشبه و تركت السامع لها فى مثل ضوء النهار ، و فى الجزء الخامس و الثلاثين من مسند أبى يعلى الموصلى عن أبى بردة عن أبيه رضى الله تعالى عنهم عن النبى صلى الله عليه و سلم فى هذا قال : عن نور عظيم ١٥ يخرون له سجدا ، و هو لا ينافى ما ذكر من التأويلين[3] : الشدة و الكشف. و لما كان هذا الكشف الذى كشف لهم المعانى فى هذا القرآن إنما هو لأجل العبادة التى هى الخضوع الذى يعبر عنه بالسجود و[4] هو

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : و قع (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : التأويل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى.

آيتها و [١] أمارة ما اشتمل عليه الباطن منها و علامتها فيأتونها و هم قادرون عليها ذكرهم يوما يريدونها فيه فلا يتأتى لهم تنديما لهم و زيادة تحسير و إظهار تظليل و تخسير لأن ظهورهم و أعضاءهم تكون طبقا واحدا لا تثنى، فكلما أرادوا أن يسجدوا انقلبوا على أقفائهم؛ فقال

٥ بانيا للمفعول دلالة على إرادتهم للانقياد و رغبتهم فيه من أى داع كان، و هو دال على أن التكليف لا ينقطع إلا بدخول كل من الفريقين داره و ﴿يدعون﴾ أى من داعى الملك الديان ﴿الى السجود﴾ توبيخا على تركه الآن و تنديما و تعنيفا لا تعبدا و تكليفا فيريدونه ليضروا أنفسهم بما يرون [٢] من المخاوف ﴿فلا﴾ أى فيتسبب عن ذلك أنهم [لا -[٣]] ﴿يستطيعون ۝﴾

١٠ أى لأنهم غير سالمين لا أعضاء لهم تنقاد به مع شده معالجتهم لأنفسهم على أن تطوع لهم أعضاؤهم بما تفهمه هذه الصيغة من أن الإنسان منهم [٤] إذا أراد الفعل و عالجه بقوة فلم يطقه فان ظهورهم تكون على حالة لا تثنى معها بل كان فيها السفافيد فيكون لهم فى ذلك أشد ندم لتركهم إياه فى الدنيا و هم يقدرون عليه و هو إذ ذاك نافع لهم [و معالجتهم

١٥ فعله أشد معالجة و هم غير قادرين عليه و هو غير نافع لهم -[٣]] و إذا عجزوا مع المعالجة كانوا بدونها أعجز، و ذلك أنه يبعث المرء على ما مات عليه و يحشر على ما بعث عليه إن خيرا فخيرا و إن شرا فشر، و لما كان ربما ظن ظان أن المانع [لهم -[٢]] الكبر كما فى هذه الدنيا، قال مبينا لنفى الكبر فى

(١) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يريدون (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : اذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

مثل هذا اليوم العظيم ﴿خاشعة﴾ أى مخبتة متواضعة ﴿ابصارهم﴾ لأن ما فى القلب يعرف فى العين، و ذلك أن المؤمنين يرفعون رؤسهم و وجوههم أضوأ من الشمس، و وجوه الكافرين و المنافقين سود مظلمة .

و لما كان الخاشع لذلك قد يكون خشوعه لخير عنده / حمله على ذلك مع[1] العز قال: ﴿ترهقهم﴾ اى تغشاهم و تقهرهم ﴿ذلة﴾ أى عظيمة لأنهم استعملوا الأعضاء التى أعطاهموها سبحانه و تعالى ليتقربوا بها إليه فى دار العمل فى التمتع بما يبعد منه . / ٤٧٠

و لما دلت هذه العبارة مطابقة لما ورد فى الحديث الصحيح على أن من كان فى قلبه مرض فى الدنيا يصير ظهره طبقا واحدا[2] فقارة واحدة فيعالج السجود فيصير كلما أراده انقلب لقفاه، عجب منهم فى ملازمة الظلم الذى هو إيقاع الشىء[3] فى غير موقعه فقال: ﴿و قد﴾ أى و الحال انهم ﴿كانوا﴾ أى دائما بالخطاب الثابت ﴿يدعون﴾ فى الدنيا من كل داع يدعو إلينا ﴿الى السجود و هم﴾ أى فيأبونه[4] و الحال أنهم ﴿سٰلمون ۝﴾ أى[5] [فهم -[6]] مستطيعون، ليس فى أعضائهم ما يمنع من ذلك. و إنما يمنعهم منه الشماخة و الكبر، فالآية من [الاحتباك -[6]]: ذكر عدم الاستطاعة أولا دال على حذف الاستطاعة ثانيا، و ذكر السلامة ثانيا دال على حذف عدم السلامه أولا .

(١) من ظ و م، و فى الأصل: من (٢) زيد فى الأصل: فقال، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شىء (٤) من م، و فى الأصل: فيأتون إليه، و فى ظ: فيأتونه (٥) سقط من ظ و م (٦) زيد من ظ و م .

ولما علم بهذا [١] أنه سبحانه [١] المتصرف وحده بما يشاء [٢] كيف يشاء من المنع و التمكين، و كان النبي صلى الله عليه و سلم يجد من تكذيبهم له - مع إتيانه بما لا يحتمل التكذيب بوجه - من المشقة ما لا يعلم مقداره إلا الله سبحانه و تعالى، و كان علم المغموم [٣] بأن له منقذا يخفف عنه، و كان علمه باقتداره على ما يراد منه [٤] أقر لعينه سبب عن كمال اقتداره قوله مخففا عنه عليه أفضل الصلاة و السلام، لافتا القول إلى التكلم بالإفراد تنصيصا على المراد زيادة في [٥] تسكين القلب و شرح الصدر [٦]: ﴿ فذرني ﴾ أي اتركني على أي حالة اتفقت ﴿ و من يكذب ﴾ أي يوقع التكذيب لمن يتلو ما جددت إنزاله من كلامي القديم على أي حالة كان إيقاعه، و أفرد الضمير نصا [٧] على تهديد كل واحد من المكذبين: ﴿ بهذا الحديث [٨] ﴾ أي بسببه [٨] أي خل بيني و بينهم و كل أمرهم إلي و لا تكترث بشيء منه أصلا فاني أكفيكهم لأنه [لا - [٩]] مانع منهم فلا تهتم بهم [١٠] أصلا.

و لما كان كأنه قيل: و ما ذا تعمل فيه [١١] إذا خليت بينك و بينه [١٢]؟

(١-١) من ظ و م، و في الأصل: سبحانه انه (٢) زيد في الأصل: أن من، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) من م، و في الأصل و ظ: المعلوم. (٤) زيد في الأصل، اوخرب، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و في الأصل: على (٦) من ظ و م و في الأصل: الصدور (٧) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٨) من ظ و م، و في الأصل: سبب (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م، و في الأصل: به (١١) من ظ و م، و في الأصل: فيهم. (١٢) من ظ و م، و في الأصل: بينهم.

أجابه بقوله جامعا الضمير ليكون الواحد مهددا من باب الأولى : ﴿ سنستدرجهم ﴾ أى فنأخذهم بعظمتنا [1] عما قليل [1] على غرة بوعد لا خلف فيه [2] و ندنيهم [2] إلى الهلاك درجة درجة بواسطة من شئنا من جنودنا و بغير واسطة بما نواتر عليهم من النعم التى توجب [عليهم - [3]] الشكر فيجعلونها سببا لزيادة الكفر فنوجب [4] لهم النقم . ٥

و لما كان أخذ الإنسان من مأمنه على حالة غفلة بتوريطه فى أسباب الهلاك حتى لا يحس بالهلاك إلا و هو لا يقدر على التفصى فيها بوجه قال تعالى : ﴿ من حيث ﴾ أى من جهات ﴿ لا يعلمون ﴾ [5] أى لا يتجدد لهم علم ما فى وقت من الأوقات بغوائلها [5] ، و ذلك انه سبحانه يغرهم بالإمهال و لا يعاجلهم بالعقاب فى وقت [6] / المخالفة كما يتفق ١٠ / ٤٧١ لمن يراد به الخير فيستيقظ بل يمهلهم و يمدهم بالنعم حتى يزول عنهم خاطر التذكر فيكونوا منعمين فى الظاهر مستدرجين فى الحقيقة فيقولون : قد قلتم : إن القدر فائض عن القضاء و أن الأعمال [قضاء - [3]] و جزاءها قدر ، و يقولون : إن أفعالنا فى الدنيا قبيحة و نحن لا نرى جزاءها إلا ما يسرنا لولا يعذبنا الله بما نقول [7] فأنتم كاذبون فى توعدنا فانا كلما ١٥ أحدثنا ما تسمونه معصية تجددت لنا نعمة ، و ذلك كما قادهم إلى تدريجهم

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : قليل بعظمتنا (٢ - ٢) من م ، و فى الأصل و ظ : فنذيهم (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : فاوجب ذلك.
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بفائها (٦) العبارة من « فى وقت » إلى هنا تكرر فى الأصل فقط (٧) زيد فى الأصل : حسبهم فهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و هم فى غايــة الرغبة[1]، قال القشيرى: و الاستدراج أن يريد السئ و يطوى عن صاحبه وجه القصد حتى يأخذه بغتة فيدرج إليه شيئا بعد شيء.

و لما كان الاستدراج يكون بأسباب كثيرة من بسط النعم و غيرها، فأبرزه بالنون[2] المشتركة بين الاستتباع و العظمة، و كان تأخير الأجل لا يكون إلا لله وحده بغير واسطة شيء قال سبحانه: ﴿ و املى ﴾ أى أوخر أنا وحدى فى آجالهم و [3]أوسع لهم[3] فى جميع تمتعهم[4] ليزدادوا إثما ﴿ لهم[5] ﴾ لأنه لا يقدر على مد الآجل و ترفيه العيش غيرى.

و لما سلاه صلى الله عليه و سلم بهذا غاية التسلية، علل أو استأنف فى جواب من لعله يقول: لم يكون أحدهم على هذا الوجه؟ مسميا إنعامه كيدا: ﴿ ان كيدى ﴾ أى [5]سترى لأسباب[5] الهلاك عمن أريد[6] إهلاكه و إبدائى [7]ذلك له[7] فى ملابس الإحسان و خلع البر و الامتنان ﴿متين ه ﴾ أى فى غاية القوة حيث كان حاملا للانسان على إهلاك نفسه باختياره و سيعلم [8]عند الأخذ أنى[8] لما [9]أمهلته ما أهملته[9] و إن

---

(١) زيد فى الأصل: انتهى. ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: من النون (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: او منهم (٤) زيد فى الأصل: أما املى لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: ستر اسباب (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يريد. (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: له ذلك (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: انى عند الأخذ (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: اهملته ما امهلته.

إمهالى إنما كان استدراجا .

و لما كان هذا القرآن اعظم إحسان، ساقه سبحانه و تعالى إليهم، فكان موجبا للشكر عليهم للذى أنزله و لإكرام الآتى به، فكان سببا لمباشرتهم[1] من التكذيب [به -[2]] و الأذى للآتى به إليهم ما يوجب أخذهم، قال دالا [على -[2]] متانة كيده سبحانه و دقة استدراجه ٥ عاطفا على ما تقديره لبيان أنهم يباشرون ما يهلكهم باختيارهم من غير موجب: أكان تكذيبهم بهذا الذكر لشىء فيه يرتابون؟ قوله منكرا عليهم، مبينا أن تكذيبهم إنما هو لأنه طبع و خبث سجية لا شهوة لهم فيه و لا شبهة: ﴿ ام تسئلهم ﴾ أنت يا أعف الخلق و أعلاهم همما ﴿ اجرا ﴾ على[3] إبلاغك إياهم[3] ﴿ فهم ﴾ أى فتسبب عن ذلك و تعقب أنهم ١٠ ﴿ من مغرم ﴾ كلفتهم به[4] فهم لشدته[4] ﴿ مثقلون ۝ ﴾ أى واقع إثقالهم به حتى أوجب / لهم ذلك الغرم الناقص لأموالهم[5] التقاعد عن التصديق بما[6] جئت به إليهم من[6] عندنا فصاروا يشتهون إقلاعك عنه. ٤٧٢ /

و لما نفى أن يكون تكذيبهم بشهوة[7] دعتهم إلى ذلك نفى أن يكون لهم فى ذلك شبهة من[8] شك فى الذكر [أو حيف فى المذكر -[2]] ١٥

(١) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) فى ظ و م: ابلاغه (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) زيد فى الأصل: الموجب، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) سقط ما بين من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بشبهة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: ممن.

و أن يكونوا[1] على ثقة او ظن من[2] سلامة العاقبة فقال: ﴿ ام عندهم ﴾ أى خاصة ﴿ الغيب ﴾ اى علموه[3] من اللوح المحفوظ أو غيره ﴿ فهم ﴾ بسبب ذلك ﴿ يكتبون ۝ ﴾ أى ما يريدون منه ليكونوا قد اطلعوا على أن هذا الذكر ليس من عند الله أو على أنهم لا درك عليهم[4] فى التكذيب به، فقد علم بهذا أنه لا شهوة لهم فى ذلك عادية و لا شبهة، و إنما تكذيبهم مجرد خبث طباع، و ظلمة نفوس و أمالى فارغة و أطماع.

و لما انتفى جميع ذلك فثبت أنهم على خطر عظيم، و انه سبحانه المختص بعلم الغيب، و قد أخبر باهلاكهم من أجله صلى الله عليه و سلم، و أن كفر من كفر و إيمان من آمن بقضائه و تقديره، فكان لابد منهما، كان ذلك سببا حاملا له [على -[5]] الصبر إلى الوقت الذى ضربه سبحانه للفرج، فقال مسببا عما تقديره: لم يكن له شىء مما ذكر، و إنما هو القضاء و القدر: ﴿ فاصبر ﴾ أى أوفر الصبر و أوجده على كل ما يقولون[6] فيك و على غير ذلك من كل ما يقع منهم و من غيره من امر[7] القضاء و القدر ﴿ لحكم ربك[8] ﴾ أى للقضاء[9] الذى قضاه و قدره[10]

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يكون (٢) من م، و فى الأصل و ظ: فى. (٣) فى ظ و م: علموا (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥) زيد من ظ و م (٦) فى م: يقولونه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: امر (٨) ليس فى الأصل فقط (٩) من ظ و م، و فى الأصل: لقضائه (١٠) زيد فى الأصل: فانه هو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

المحسن إليك الذى أكرمك [بما أكرمك به من الرسالة و ألزمك بما ألزمك من البلاغ و خذلهم بالتكذيب - [1]] و مد لهم على ذلك [2] فى الآجال [2] و أوسع عليهم النعم و أخر ما وعدك به من النصر [3] .

و لما كان حاصل قصة يونس - على نبينا و عليه أفضل الصلاة و السلام - أنه استثقل الكرامة بالرسالة [4] لما فيها من الأمور الشديدة من معالجة الخلق فامتحن ، كان سببا لقبوله ذلك ، ثم كان سبب إسلام قومه إدناء العذاب منهم و تقريب غشيانه لهم ، أشار [له - [1]] بقصته إلى أنه يراد إعلاؤه - صلى الله عليه و سلم عليه و على سائر الأنبياء - و إعلاء أمته على [5] سائر الأمم [5] بما يحتاج إلى صبر [على - [1]] ما يستثقل من ضر أو أمر شديد مر فقال : ﴿ و لا تكن ﴾ أى و لا يكن حالك فى الضجر و العجلة [6] إلى غير ذلك [6] . و لما كان قد افتتح السورة بالنون الذى من مدلولاته الحوت ، عبر به هنا تحقيقا لإرادته فقال : ﴿ كصاحب ﴾ أى كحال صاحب ﴿ الحوت ﴾ و هو يونس [6] بن متى [6] عليه الصلاة و السلام ﴿ اذ ﴾ أى حين ، و العامل فى هذا الظرف المضاف المحذوف من الحال و نحوها ، أو يكون التقدير : لا يكن حالك كحاله يحصل لك [مثل - [1]] ما حصل له حين ﴿ نادى ﴾ أى [7] ربه

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بالاجمال .
(٣) زيد فى الأصل : الى يوم الجزاء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : و ارساله (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : أمته (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) زيد فى الأصل : نادى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

المربى له باحسانه فى الظلمات من[1] بطن الحوت و ظلمة ما يحيط به من
/٤٧٣ الجثة و ظلمة[2] لجج البحار[2] ﴿ و هو ﴾ أى و الحال أنه / عند ندائه
﴿ مكظوم ﴾ أى مملوء كربا و هما و شدة و غما[3] محمول على السكوت
بيطنه فهو لا ينطق من شدة حزنه ، و محبوس عن جميع ما يريد من
٥ التصرف إلى أن ألجأه سبحانه بذلك إلى الدعاء و التضرع ، من الكظم ،
و هو السكوت عن امتلاء و تجرع للرارات[4] ، و من هذا كظمت السقاء
أى *شددته و ملأته* فكان مكظوما ، و المكظوم[6] : المكروب - كأنه
قد أخذ بكظمه و هو مخرج نفسه .

و لما تشوف السامع إلى ما كان من أمره بعد هذا الأمر العجيب
١٠ قال : ﴿ لو لآ ان ﴾ و عظم الإحسان بالتذكير و صيغة التفاعل فقال :
﴿ تدٰركه ﴾ أى أدركه إدراكا عظيما كأن كلا من النعمة و المنة يريد
أن تدرك [الآخر - [7]] ﴿ نعمة ﴾ أى عظيمة جدا ﴿ من ربه ﴾
أى الذى أرسله و أحسن إليه بارساله و تهذيبه للرسالة و التوبة عليه
و الرحمة له ﴿ لنبذ ﴾ أى لولا هذه الحالة السنية التى أنعم الله عليه بها
١٥ لطرح طرحا هينا جدا ﴿ بالعرآء ﴾ اى الأرض القفر التى [8] لابناء
فيها و لانبات[8] ، البعيدة من الإنس حين طرح فيها كما حكم بذلك من[9]

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٢-٢) فى م : اللجج (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : عليه الصلاة و السلام و على جميع الأنبياء و المرسلين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) فى م : ملأته و شددته (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لانبات فيها و لا بناء (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : فى .

الأزل ﴿ و هو ﴾ اى و الحال انه ﴿ مذموم ٥ ﴾ أى ملوم على الذنب ، و لما كان التقدير : و لكنه تداركه بالنعمة فلم يكن [1] فى نبذه ملوما [1] ، سبب عنه قوله : ﴿ فاجتبٰه ﴾ أى اختاره لرسالته ﴿ ربه ﴾ ثم [2] سبب عن اجتبائه قوله : ﴿ فجعله [3] من الصٰلحين ٥ ﴾ أى الذين رسخوا [4] فى رتبة الصلاح فصلحوا فى أنفسهم للنبوة و الرسالة و صلح بهم غيرهم ، فنبذ بالعراء و هو محمود ، و من صبر أعظم من صبره كان أعظم أجرا من أجره ، و أنت كذلك [5] فانت أشرف العاملين و العالمين [5] .

و لما نهاه صلى الله عليه و سلم عن طاعة المكذبين و حذره ادهانهم و ضرب لهم الأمثال ، و توعدهم إلى أن قال : ذرنى و من يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم [6] - و ختم بقصة يونس عليه السلام للتدريب على الصبر و عدم الضعف و لو بالصغو إلى المدهن [7] ، فكان التقدير تسبيبا عما فيها من النهى : فانهم إنما يبالغون فى أذاك لتضجر فتترك ما أنت فيه ، قال عاطفا على [هذا - [8]] المقدر مخبرا له بما فى صدورهم من الأحن عليه و فى قلوبهم من الضغائن له ليشتد حذره من ادهانهم ، مؤكدا لأن من يرى ادهانهم يظن إذعانهم و ينكر لمبالغتهم فيه طغيانهم :

(١ - ١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : اى (٣) زيد فى الأصل : اى ربه سبحانه لى اجتباه من الازل جعله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : هم راسخون . (٥) فى ظ و م : شرف العالمين (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : المدهنين (٨) زيد من ظ و م .

﴿ و إن ﴾ أى و إنه ﴿ يكاد ﴾ و أظهر موضع الإضمار تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال: ﴿ الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما قدروا عليه مما جئت به من الدلائل.

و لما كانت [" ان "-١] مخففة، أتى باللام التى هى عليها فقال:

٤٧٤/ ٥ ﴿ليزلقونك﴾ أي من شدة / عداوتهم وحسدهم وغيظ قلوبهم ﴿بابصارهم﴾ أى يوجدون لك التنحية عما أنت فيه و الزلل العظيم الذى صاحبه فى موضع دحض لا مستمسك[٢] فيه بالهلاك فما دونه من الأذى حتى يرموك من قامتك إلى الأرض كما يزلق الإنسان فينطرح[٣] لما يتراءى فى عيونهم حين تصويب [النظر - ١] للفطن من الحنق و السخط الدال

١٠ على أن صدورهم تغلي، و هو من قولهم: نظر إلىّ [٤]نظرا كاد[٤] يصرعنى، [يعنى - ١] لو أمكنه أن يصرعنى به لصرعنى كما قال تعالى «يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا» و قيل: يهلكونك باصابة العين[٥]، قال القشيرى: كانوا إذا أرادوا أن يصيبوا شيئا بأعينهم جاعوا ثلاثة أيام ثم نظروا إلى ذلك الشيء و قالوا: ما أحسنه من شيء، فيسقط

١٥ المنظور إليه فى الوقت، ففعلوا ذلك بالنبى[٦] صلى الله عليه و سلم و قالوا: ما أنصحه[٧] من رجل، فحفظه الله منهم، و للشيخين[٨] عن أبى هريرة

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: ممسك (٣) من ظ و م، وفى الأصل: فيطرح (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: منظر كان (٥) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: للنبد (٧) زيد فى الأصل إنه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٨) راجع صحيح البخارى: الطب - و صحيح مسلم: السلام.

رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه و سلم قال: العين حق[1] [و فى رواية عند أحمد[1] و ابن ماجه[2]: يحضر بها الشيطان و حسد ابن آدم، و لأحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما رفعه: العين حق - [3]] و لو أن شيئا سابق القدر سبقته العين، و إذا استغسلتم فاغسلوا[4]، و لأبي نعيم فى الحلية من حديث جابر رضى الله عنه رفعه: العين حق تدخل الجمل ٥ القدر و الرجل القبر، و لأبي داود[5] من حديث أسماء بنت يزيد رضى الله عنها: و إنها لتدرك الفارس فتدعثره.

و لما ذكر هذا الإزلاق العظيم، ذكر ظرفه معبرا بالماضى تذكيرا بالحال الماضية فقال: ﴿ لما سمعوا الذكر ﴾ أى القرآن الذى [غلب - [3]] عليه التذكير بأمور يعليها كل احد من نفسه، و من الآفاق حتى كان ١٠ هواياه أول ما سمعوه حسدا على ما أوتيت من الشرف فكان سماعهم له باعثا لما عندهم من البغض و الحسد على أنه لم يزدهم تمادى الزمان إلا حنقا بدلالة[6] ﴿ و يقولون ﴾ أى قولا لا يزالون يجددونه.

و لما كان صلى الله عليه و سلم فى غاية البعد عما يشين، أكدوا قولهم: ﴿ انه لمجنون ﴾ حيرة فى أمرك و تنفيرا عنك لما يعلمون من ١٥ أنه لا يسمعه أحد لا غرض له إلا كذبهم و مال بكليته إليك و كان

(١) راجع المسند ٢ / ٤٣٩ (٢) ليس فى السنن فى مظانها (٣) زيد من ظ و م.
(٤) زيد فى الأصل وظ: انتهى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٥) راجع السنن: الطب (٦) زيد فى الأصل: نقوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

معك[1] و ارتبط بك و اغتبط بما جئت به ، و عن الحسن أن قراءة هذه الآية دواء[2] للاصابة بالعين .

و لما كان معنى قولهم هذا أن ما يقوله تخاليط[3] من يصرع بالجن، أكد بقصر القلب قوله معجبا منهم ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أن هذا القرآن أو الرسول صلى الله عليه و سلم ما ﴿ هو الا ذكر ﴾ أى موعظة و شرف ﴿ للعٰلمين ﴾ أى / كلهم عاليهم و دانيهم ليس منهم أحد إلا / ٤٧٥ و هو يعلم أنه لا شيء يشبهه فى جلالة معانيه و حلاوة ألفاظه و عظمة سبكه[4] و دقة فهمه[4] و رقة حواشيه و جزالة نظومه ، و يفهم منه على حسب ماهيأه الله له ليناسب عموم ذكريته عموم الرسالة للرسل بـــه ، و كل ما فيه من وعد و وعيد و أحكام و مواعظ شامل لهم كلهم ، فوجبت التفرقة بين مسلمهم و مجرمهم لتصدق أقواله[5] فيكمل[6] جلاله و جماله[6] فقد رجعت خاتمتها - كما ترى - على فاتحتها بالنون و القلم و ما يسطرون من هذا الذكر ، و سلب ما قالوا فيه من الجنون و الإقسام على الخلق العظيم الذى هو هذا الذكر الحكيم ، و نبه كونه ذكرا لجميع الخلق بما فيه من الوعد و الوعيد على أنه لابد من الحاقة و هى القيامة ليظهر فيها تأويله و إجماله و تفصيله ، و يتضح غاية الاتضاح سبيله ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : معه (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : و ا - مع يسير مع البياض (٣) زيد فى الأصل : كتخاليط ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اقوالهم (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : جماله و جلاله .

و تحق فيها حقائقه و تظهر جلائـــله و دقائقه بما يقع من الحساب ، و يتبين غاية البيان و يظهر[1] الخطأ من الصواب - [2] و الله الهادى[2].

سورة الحاقة[3]

مقصودها تنزيه الخالق ببعث الخلائق لإحقاق الحق و إزهاق الباطل بالكشف التام لشمول العلم [4] للكليات و الجزئيات[4]، و كمال القدرة [5] على العلويات[5] و السفليات، و إظهار العدل بين سائر المخلوقات، ليميز المسلم من المجرم بالملذذ و المؤلم[6] ، و تسميتها بالحاقة فى غاية الوضوح فى ذلك و هو أدل ما فيها عليه ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الكمال كله نزاهة و حمدا ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم جوده [7] بالعدل كبرا و مجدا ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الذى خص أهل وده بالوقوف عند حدوده لينالوا بطيب جواره[8] علوا وجدا [9] و فوزا بالأمانى و سعدا[9] .

لما قدم سبحانه فى « نون » الإنكار الشديد لأن[10] يسوى المسىء بالمحسن ، و ذكر القيامة و بينها بيوم كشف الساق و زيادة المشاق ، و هدد التهديد العظيم بآية الاستدراج الذى لا يدفع بعلاج ، و ختم بأن القرآن ذكر - أى شرف - و تذكير ، و مواعظ للعالمين فى شمولهم كلهم

(١) سقط من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) التاسعة و الستون من سور القرآن الكريم ، مدنية ، و عدد آيها اثنتان و خمسون (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بالجزئيات و الكليات (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : للعلويات (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : المالم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : وجوده (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : علوه (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : بالأمانى و الفوز (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لا .

برحمته ، أما من بعد[1] إنزاله فبوعيده و وعده و وعظه و قصه و امره و نهيه ، و أما من قبل إنزاله فبالشهادة [2]لهم و عليهم[2] ، و كان تأويل ذلك و جميع آثاره إنما يظهر ظهورا تاما يوم الجمع الأكبر ، وكان ذلك اليوم أعظم مذكر للعالمين و واعظ[3] لهم و زاجر ، تنبى جميع الخيرات / على تذكره[4] و تذكر العرض على الملك الديان ، و السر فى إنزال القرآن هو التذكير بذلك اليوم الذى هو نظام الوجود ، قال واصفا للقيامة و اليوم الذى يكشف فيه عن ساق ، واعظا بذكرها و محذرا من أمرها : ﴿ الحآقة ۝ ﴾ [أى - [5]] الساعة التى يكذب بها هؤلاء و هى[6] أثبت الأشياء و أجلاها فلا كاذبة لها و لا لشىء عنها ، فلا بد من حقوقها فهى ثابتة فى نفسها ، و من إحضار الأمور فيها بحقائقها ، و المجازاة عليها بالحق الذى لا مرية [7]فيه لأحد[7] من الخلق ، فهى فاعلة بمعنى مفعول فيها ، و هى فاعلة أيضا لأنها غالبة لكل خصم ، من حاققته فحققته [8] أحقه أى[8] غالبته فى الحق فغلبته فيه ، فهى تحق الحق و لا بد فتعلو الباطل فتدمغه و تزهقه فتحق العذاب للمجرمين و الثواب للمسلمين ، و كل ما فيها دائر على الثبات و البيان ، لأن ذلك مقتضى الحكمة[9] و لا

٤٧٦ / ٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بعيدا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بينهم و لهم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : وعظ (٤) فى م : تذكيره (٥) زيد من م . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لاحد فيه (٨ - ٨) من ظ و م ، و فى الأصل : إلى احقة (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الحكم .

يرضى لأحـــد من الحكام ترك رعيته بغير إنصاف بينهم على زعمه فكيف بالحكيم العليم، و قصة صاحب الحوت عليه السلام أدل دليل على القدرة عليها .

و لما كان ذلك كله أمرا رائعا للعقول، هازا للقلوب، مزعجا للنفوس، و كان ربما توقف فيه الجلف الجافى، أكد أمره و زاد فى تهويله، و أطنب فى تفخيمه و تبجيله، إشارة إلى أن هوله يفوت الوصف بقوله، معلما[1] أنه مما يحق له أن يستفهم عنه سائقا[2] له بأداة الاستفهام مرادا بها التعظيم للشأن، و أن الخبر[3] ليس كالعيان: ﴿ما الحآقة ۝﴾ فأداة الاستفهام مبتدأ أخبر[4] عنه بالحاقة و هما خبر عن الأولى، و الرابطة تكرير المبتدأ بلفظه نحو زيد ما زيد أى ما هو، [و ـ[5]] أكثر ما يكون ذلك إذا أريد معنى التعظيم و التهويل .

و لما كان السياق لترجمـــة المراد بكشف الساق، عظم التهويل بقوله: ﴿و مآ ادرىٰك﴾ أى فى الزمن الماضى، و قصره لتذهب النفس فيه كل مذهب، أى و أى شىء اعلمك بشىء من الأشياء مع تعاطيك للبحث و المداورة[6]، ثم زاد التحذير منها[7] بقوله على النهج الأول مستفهما و المراد [8]به التفخيم[8] و مزيد التعظيم: ﴿ما الحآقة ۝﴾ أى أنها بحيث

(١) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مستأنفا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اخبر (٤) من ظ و م، و فى الأصل: خر (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المداوة. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بها (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: تفخيم او.

لا يعلم كنهها أحد [١]و لا يدركها[١] و لا يبلغها درايته[٢] و كيف ما قدرت [حالها -[٣]] فهى أعظم من ذلك، فلا تعلم حق العلم إلا بالعيان .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما بنيت سورة "ن و القلم" على تقريع[٤] مشركى قريش و سائر العرب و توبيخهم و تنزيه نبى الله صلى الله عليه و سلم عن شنيع قولهم و قبيح بهتهم، و بين حسدهم[٥] و عداوتهم "و ان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم" أتبعت بسورة الحاقة وعدا لهم و بيانا أن حالهم فى سوء ذلك المرتكب قد سبق إليه غيرهم "كذبت ثمود و عاد بالقارعة" "فهل ترى لهم من باقية" [«الم يروا كم أهلكنا قبلهم من قرن فهل ينظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم -[٥]]، و «كم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا» فسورة الحاقة جارية / بجرى هذه الآى المعقب بها ذكر عناد مشركى العرب ليتعظ بها من رزق التوفيق لنجعلها لكم تذكرة و تعيها أذن واعية .

/٤٧٧

[٦]و لما ذكر حال من هلك[٦] من الأمم السالفة بسوء تكذيبهم و قبيح عنادهم، أتبع ذلك بذكر الوعيد الأخراوى "يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية"، ثم عاد الكلام إلى ما بنيت عليه سورة "ن و القلم"

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: درايتها. (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: توزيع (٥) زيد فى الأصل: بين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل: كان حالين اهلك .

من تنزيهه صلى الله عليه و سلم و تكريمه مقسما على ذلك "انه لقول رسول كريم و ما هو بقول شاعر - و لا بقول كاهن [1]قليلا ما تذكرون[1]" و [2]انتهى نفى[2] ما تقوله منصوصا على نزاهته عن[3] كل خلة منها فى السورتين «ما أنت بنعمة ربك بمجنون» و ما الذى جئت به بقول شاعر و لا بقول كاهن بل هو تنزيل من رب العالمين، و انه لتذكرة للمتقين و إنه لحق اليقين، فنزه ربك و قدسه عن عظيم ما ارتكبوه - [انتهى - [4]] فلما بلغ التهويل حده، و كان سبب الإنكار للساعة ظن عدم القدرة عليها مطلقا[5] أو لعدم العلم بالجزئيات، [قال دالا على تمام القدرة و العلم - [4]] [6] بالكليات و الجزئيات[6] محذرا من [7] أنكرها بأنه[7] قادر على تعجيل الانتقام و لكنه لإكرامه لهذه[8] الأمة أخر عذابها إلى الآخرة إلا لمن كان منهم من الخواص فانه يظهرهم فى الدنيا ليتم نعيمهم بعد الموت بادئا بأشد القبائل تكذيبا بالبعث لكون ناقتهم أول دليل على القدرة عليه، و قالوا مع ذلك «أبشر منا واحدا نتبعه» إلى أن قالوا: «بل هو كذاب اشر» و قالوا فى التكذيب [بها - [4]] «ايعدكم أنكم إذا متم و كنتم ترابا و عظاما أنكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون ان

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: انفى - كذا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: من (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل، مطاق (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: والكليات. (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: انكارها فانه (٨) من ظ و م، و فى الأصل: هذه.

هى الاحياتنا [الدنيا] نموت» ـ الآيتين، فأن الأمر فيهم دائر بين عاد و ثمود: ﴿كذبت ثمود﴾ و تقديمهم أيضا من حيث أن بلادهم أقرب إلى قريش، و واعظ[1] القرب أكبر و إهلاكهم بالصيحة و هى أشبه بصيحة النفخ فى الصور المبعثر لما فى القبور ﴿و عاد﴾ و كان الأصل أن يقال: بها، و لكنه أظهرها بوصف زادها عظما و هولا فقال: ﴿بالقارعة﴾ أى [التى ـ[2]] تقرع، أى تضرب ضربا قويا و تدق دقا عنيفا شديدا للاسماع و جميع العالم بانفطار السماوات[3] و تناثر النيرات[4] و نسف الجبال الراسيات، فلا يثبت لذلك الهول شىء.

و لما جمعهم فى التكذيب، فصلهم فى التعذيب لأجل ذلك التكذيب فقال: ﴿فاما ثمود﴾ و هم قوم صالح عليه السلام.

و لما كان الهائل لهم لتقيدهم بالمحسوسات إنما هو العذاب، لا كونه[5] من معين، بنى للمجهول قوله: ﴿فاهلكوا﴾ أى بأيسر أمر من أوامرنا ﴿بالطاغية﴾ أى الصيحة التى جاوزت الحد فى الشدة فرجفت منها الأرض و القلوب. /٤٧٨/

و لما ذكر المهلكين [بالصيحة لأجل التكذيب بالقارعة تحذيرا لمن يكذب بها، أتبعه المهلكين ـ[6]] بما هو سبب لإنفاذ الصيحة و تقويتها دلالة على تمام القدرة على كل نوع من العذاب بالاختيار

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اوعظ (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل و ظ: الأرض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: النيران (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بكونه (٦) زيد من ظ و م.

فقال تعالى: ﴿ و اما عاد ﴾ و هم قوم هود عليه السلام ﴿ فاهلكوا ﴾ أى[1] بأشق ما يكون عليهم و أيسر ما يكون فى قدرتنا ﴿ بريح صرصر ﴾ أى هى[2] فى غاية ما يكون من شدة البرد و الصوت كأنه كرر فيها البرد حتى صار [يحرق بشدته و الصوت حتى صار ـ[3]] يصم بقوته؛ و قال الملوى: أصله صر و هو البرد الشديد أو الحر الشديد ﴿عاتية﴾ أى مجاوزة للحد[4] من شدة عصفها و عظمة قصفها تفعل [أفعال ـ[3]] المستكبر الذى لا يبالى بشىء فلم يستطع خزانها ضبطها، و لم يملك المعذب بها ردها و لا ربطها، بل كانت تنزعهم من *مكامنهم التى احتفروها* و مصانعهم التى أتقنوها و اختاروها فتهلكهم، قال الملوى: قال على بن أبى طالب و ابن عباس رضى الله عنهما[6]: لم ينزل قط ماء ولا ريح إلا بمكيال على يد ملك إلا يوم الطوفان فان الله تعالى أذن للماء فطغى على الخزان و يوم عاد أذن للريح فعتت على خزانها ـ انتهى.

و لما وصفها[7] بالعتو على الخلق و الغلبة لهم بحيث كانت خارقة للعادة لم يأت مثلها قبل ولا بعد، دل على صغارها بالنسبة إلى عظمته، و أنه هو الذى أوجدها لا الطبيعة و لا غيرها، بل إنما كانت بقدرته و اختياره قهرا لمن طعن فى ملكه و كذب رسله فيما أخبروا به من أمر الساعة

(١) سقط من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٣) زيد من ظ و م.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: فى الحد (٥ ـ ٥) من ظ و م، و فى الأصل: مكانهم الذى احتفرو (٦) راجع الدر المنثور ٦/٢٥٩ (٧) زيد فى الأصل: انه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

التي هي موضع الحكمة و إظهار جميع العظمة ،فقال مستأنفا دلالة على ذلك : ﴿سخرها﴾ أي قهرها على أن سلطها، و التسخير : إستعمال الشيء بالإقتدار ، و دل على أنه تسخير تعذيب [لا -[1]] رحمة و تأديب بأداة الاستعلاء فقال : ﴿ عليهم ﴾ و كلفها ذلك و ذللها له فلم يمكنها مع عتوها[2] إلا أن كانت طوع أمره و صنيعة عظمته و قهره .

و لما كانت هذه السورة لتحقيق الأمور ، و كشف المشكل و إيضاح الخفي ، حقق فيها زمن عذابهم تحقيقا لم يتقدم مثله ، فذكر الأيام و الليالي ، و قدم الليالي لأن المصايب فيها أفظع و أقبح و أشنع لقلة المغيث و الجهل بالمأخذ و الخفاء في المقاصد و المنافذ ، و لأن عددها مذكر في اللفظ ، و تذكير اللفظ أدل على قوة المعنى و لذلك جعل المميز جمع كثرة ، و لأنها سبع ، و السبع مبالغ فيه و هو أجمع العدد كما يأتي تحقيقه قريبا في حملة العرش و لا يمكن أن يظن بتقديمها أن ابتداء العذاب كان فيها لأنه يلزم حينئذ أن يكون بعدد الأيام فلذلك قال : ﴿ سبع ليال ﴾ أي لا تفتر فيها الريح لحظة لأنه بولغ[3] في شدتها مبالغة لم يكن مثلها قط و لا يكون بعدها[4] أبدا ﴿و ثمنية ايام[5] ﴾ كذلك / حال كونها ﴿ حسوما[5] ﴾ جمع حاسم أي بحس مانع من التصرف دائم متتابع لا فترة له[5]، من حسم الكي - إذا تابع فيه بالمكواة، /٤٧٩

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : علوها (٣) من ظ و م ، و في الأصل : بلوغ (٤) سقط من م (٥) من ظ و م ، و في الأصل : فيه .

قاطع لكل خير، مستأصل له، فأتت عليهم من غير فترة أصلا فى جميع ذلك الوقت فاستأصلتهم لم تبق منهم أحدا حتى أن عجوزا منهم توارت فى سرب فانتزعتها منه و أهلكتها، و بها سميت أيام العجوز، أو لأنها[1] عجز الشتاء و هى [ذات - [2]] برد و رياح[3] شديدة و هى من صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال إلى غروب الأربعاء الآخر و هو[4] آخر الشهر، و[5]قد لزم[5] من زيادة عدد الأيام أن الابتداء كان [بها-[2]] قطعا و إلا لم تكن الليالى[6] سبعا - فتأمل ذلك.

و لما كان الحاسم[7] المهلك، سبب عنه قوله مصورا لحالهم الماضية: ﴿ فترى القوم ﴾ أى الذين هم فى غايـــة القدرة على ما يحاولونه: ﴿ فيها ﴾ أى فى[8] تلك المدة من الأيام و الليالى لم يتأخر [أحد-[2]] منهم عنها ﴿صرعى[9]﴾ أى مجدلين على الأرض موتى معصورين مجهزة على كل منهم من شدة ضغطها باد عليهم[9] الذل و الصغار[9]، جمع صريع ﴿ كانهم اعجاز ﴾[10] أى أصول ﴿ نخل ﴾ قد شاخت و هرمت فهى فى غاية العجز[11] و الهرم[11] ﴿ خاوية ﴾ أى متأكلة الأجواف ساقطة، من

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ريح (٤) من ظ و م، و فى الأصل: هى (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: قدم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الليل (٧) زيد فى الأصل: السبب، و لم تكن الزياد، فى ظ و م فحذفناها (٨) سقط من ظ و م (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: والصرع (١٠) زيد فى الأصل: نخل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

خوى النجم - إذا سقط للغروب، و من خوى المنزل - إذا [خلا -[1]] من قطانه؛ قالوا: كانت تدخل من أفواههم فتخرج ما فى أجوافهم من الحشو من ادبارهم؛ فالوصف بذلك لعظم أجسامهم و تقطيع الريح لهم و قطعها لرؤسهم و خلوهم من الحياة و تسويدها لهم.

٥ و لما كان هذا امرا رائعا لمن له أدنى معقول، و كان الاستفهام مما يزيد الروعة، قال مسببا عن استئصالهم ليكون الإخبار به المستلزم لغاية العلم بالجزئيات كالدعوى بدليلها: ﴿ فهل ترى ﴾ أى أيها المخاطب الخبير بالناس فى جميع الأقطار[2] ﴿ لهم ﴾ أى خصوصا، و أعرق فى النفى و عبر بالمصدر الملحق بالهاء مبالغة فقال: ﴿ من باقية ﴾ أى بقاء

١٠ أو نفس موصوفة بالبقاء، و أنجى الله سبحانه و تعالى صالحا عليه السلام و من آمن به [من بين ثمود -[1]] و لم تضرهم الطاغية و هودا عليه السلام و من آمن به من بين عاد لم يهلك منهم أحد، فدل[3] ذلك دلالة واضحة على أن له تعالى تمام العلم بالجزئيات كما أن له كمال الإحاطة بالكليات و على قدرته و اختياره و حكمته، فلا يجعل المسلم أصلا كالمجرم و لا

١٥ المسيء كالمحسن.

و لما أخبر تعالى عمن أهلك بالريح و من أهلك بما سببه الريح تسبيبا قريبا بغير واسطة، و كان ذلك [كله -[1]] - لخروجه عن العادة - رادا على أهل الطبائع، أخبر بمن أهلك[4] مما سببته الريح من الماء

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الاقطاع (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ذلك (٤) من ظ و م، و فى الأصل اهلك.

بواسطة السحاب ، و كانت سبب تطابقه عليهم مع ان كفرهم بالتعطيل الذى هو أنحس أنواع الكفر للقول / بالطبيعة التى تتضمن الإنكار للبعث ، ٤٨٠ / وكان إغراقهم بما يكذب معتقدهم لخروجه عن العادة ، فقال منبها على قوة كفرهم بالمجىء : ﴿ و جآء ﴾ أى أتى إتيانا عاليا شديدا ﴿ فرعون ﴾ أى [1] الذى ملكناه على طائفة من الأرض فعتى و تجبر وادعى الإلهية ٥ ناسيا هيبتنا و قدرتنا بنقمتنا و أنكر الصانع و قال بالطبائع ﴿ ومن قبله ﴾ أى فى جهته و فى حيزه و ما يليه و فى السير بسيرته [2] من العلو فى الأرض بغير الحق و العتو فى الكفر ، و هو ظرف مكان ، هكذا على قراءة البصريين و الكسائى [3] بكسر القاف و فتح الموحدة ، فعم ذلك كل من كان كافرا عاتيا من قبله و من بعده ، و هو معنى قراءة الباقين ١٠ بفتح القاف و إسكان الباء الموحدة [4] على أنه ظرف يقابل "بعد" بزيادة .

و لما كان قوم لوط عليه السلام قد جمعوا أنواعا من الفسوق لم يشاركهم فيها أحـــد ، فاشتمل عذابهم على ما لم يكن مثله عذاب ، فكان كل من فعلهم الذى لم يسبقهم به احد من العالمين و عذابهم الذى ما كان مثله [5] قبل و لا بعد ، رادا على أهل الطبائع ، نص عليهم ١٥ من بين من دخل فيمن [6] قبله على القراءتين فقال : ﴿ و المؤتفكت ﴾ أى

---

(١) سقط من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فى سيرته (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الكشاف ـ و راجع نثر المرجان ٧/٤٧٤ (٤) سقط من ظ و م : (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قبله (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فيما .

أهل المدائن المنقلبات بأهلها حتى صار [١]عاليها سافلا[١] لما حصل لأهلها من الانقلاب حتى صاروا إياه[٢] و اتبعت حجارة الكبريت[٣] و خسف بها[٣] و غمرت بما ليس فى الأرض مثله و هى قرى قوم لوط عليه السلام ﴿بالخاطئة ۝﴾ أى الخطأ أو الأفعال ذات الخطأ التى تتخطى منها إلى نفس الفعل القبيح من اللواط و الصفع و الضراط مع الشرك و غير ذلك من أنواع الفسق و العناد و الطغيان .

و لما كانت الرسل [٤]كلهم جميعا كالفرد[٤] الواحد لاتفاق مقاصدهم فى[٥] الدعاء إلى الله و الحمل على طاعته ، قال مستأنفا مسببا عن مجيئهم بذلك موحدا فى اللفظ ما هو صالح للكثير بارادة الجنس: ﴿فعصوا﴾ أى خالفوا و نابذوا ﴿رسول ربهم﴾ أى خالفت كل أمة من أرسله المحسن إليها بابداعها من العدم و إيداعها القوى و ترزيقها و بعث رسولها لإرشادها اغترارا باحسانه و لم يجوزوا أن المحسن يقدر على الضر كما قدر على النفع ، لأنه الضار كما أنه النافع فللتنبيه على مثل ذلك لا يجوز نقل أحد الاسمين عن الآخر ، و سبب عن العصيان قوله : ﴿فأخذهم﴾ أى ربهم أخذ قهر و غضب ﴿أخذة﴾ لم يبق من أمة منهم أحدا ممن كذب الرسول فلم يكن كمن / ينصر على عدو من الآدميين لابد أن يفوته كثير منهم و إن اجتهد فى الطلب ، و ما ذاك إلا لتمام علمه /٤٨١

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : عليها سيافنا (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : خسفت (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م و فى الأصل : من .

سبحانه و تعالى بالجزئيات و الكليات، و شمول قدرته، و تلك الآخذة - مع كونها [بهذه -[1]] العظمة من أنها أخذتهم كنفس واحدة - جعلها سبحانه ﴿ راية ﴾ أى عالية عليهم علية القدر فى قوة البطش و شدة الفتك زائدة عن الحد نامية بقدر زيادة أعمالهم فى القبح، و الربا: النمو، و أصله الزيادة، فأغرق فرعون و جنوده، و أغرق كل من كذب نوحا عليه السلام، و هم كل أهل الأرض غير من ركب معه فى السفينة، و حمل[2] مدائن لوط عليه السلام بعد أن نتقها من الأرض على متن الريح بواسطة من أمره بذلك من الملائكة ثم قلبها و أتبعها الحجارة و خسف بها و غمرها بالماء المنتن الذى ليس فى الأرض ما يشبهه.

و لما[3] كان ربما[3] وقع فى وهم التعجب من وجود فرعون و من بعده من الإخبار بأخذ من قبله على قراءة الجماعة مع أن «من» [من -[1]] صيغ[4] العموم، أشار إلى [انه أهلك -[1]] جميع المخالفين[5] و انجى جميع[6] الموافقين، قال جوابا لذلك السؤال مؤكدا لأجل من[7] يتعنت و لأن[7] ذلك كان[8] مما يتعجب منه و يتلذذ بذكره: ﴿ انا ﴾ أى على

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اغرق (٣ - ٣) من ظ و م، و فى الأصل: ربما كان (٤) زيد فى الأصل: النور، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المخلوقين (٦) زيد فى الأصل: المؤمنين، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: معا ولاجل (٨) سقط من ظ و م.

[1] قدرتنا و[1] عظمتنا و إحاطتنا ﴿ لما طغا الماء ﴾ أى فزاد عن الحد حتى علا على أعلى جبل فى الأرض بقدر ما يغرق من كانت عليه حين[2] أغرقنا قوم نوح عليه السلام [به - [3]] فلم يطيقوا ضبطه و لا قاووه بوجه من الوجوه، و لا وفقوا لركوب السفينة، فكان خروجه عن العادة رادا على أهل الطبائع.

و لما كان الإيجاد نعمة فكان إنجاء آبائهم من الغرق حتى كان ذلك سببا لوجودهم نقمة عليهم قال تعالى: ﴿ حملناكم ﴾ أى فى ظهور آبائكم بعظمتنا و مشيئتنا و قدرتنا ﴿ فى الجارية ﴾ أى السفينه التى جعلناها بحكمتنا عريقة فى الجريان حتى كأنه لا جارية غيرها على وجه الماء الذى جعلنا من شأنه الإغراق، و هو تعبير بالصفه عن الموصوف، و نوح عليه السلام أول من صنع السفينة، و إنما صنعها بوحى الله تعالى و بحفظه له من أن [4]يزل فى صنعتها[4]، قال: اجعلها كهيئة صدر الطائر ليكون ما يجرى فى الماء مقاربا[5] لما يجرى فى الهواء، و أغرقنا سوى من فى السفينة من جميع أهل الأرض من آدمى و غيره.

و لما بدأ سبحانه و تعالى بثمود الذين هم أقرب المهلكين إلى مكة المشرفة لأن التخويف بالأقرب أقعد، و ختم بقوم نوح عليه السلام لأنهم كانوا جميع أهل الأرض و لم يخف أمرهم على أحد ممن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: حتى.
(٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: ينزل فى صنعها.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: مقاد.

/ ٤٨٢ /بعدهم ،علل اختيار إنجائهم بالسفينة دون غيرها فقال: ﴿لنجعلها﴾ اى هذه الفعلات العظيمة من إنجاء المؤمنين بحيث لا يهلك منهم بذلك العذاب أحد و إهلاك الكافرين بحيث لا يشذ منهم أحد، و كذا السفينة التى حملنا فيها نوحا عليه السلام و من معه بابقائها[1] آية من آياته و أعجوبة من بدائع بيناته و غريبة فى الدهر من أعجوباته ﴿لكم﴾ أى[2] أيها الأناسى ﴿تذكرة﴾ أى سببا عظيما لـذكر[3] أول إنشائه و الموعظة به لتستدلوا بذلك على كمال قدرته تعالى و تمام علمه و عظمة رحمته و قهره، فيقودكم[4] ذلك إليـه و تقبلوا[5] بقلوبكم عليه ﴿و تعيها﴾ اى و لتحفظ قصة السفينة و غـيرها مما تقدم، حفظا ثابتا مستقرا كأنه محوى فى وعاء.

و لما كان المنتفع بما يسمع الحافظ له قليلا جدا، دل على ذلك بتوحيد الأذن فقال موحدا منكرا[6] مع الدلالة[6] على تعظيمها: ﴿اذن﴾ أى عظيمة[7] النفع ﴿واعية﴾ أى من شأنها أن تحفظ ما ينبغى حفظه من الأقوال و الأفعال الإلهية و الأسرار الربانية لنفع عباد الله كما كان نوح عليه السلام و من معه و هم قليل سببا[8] لإدامة النسل و البركة فيه

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بابقائة (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لتذكره (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فيقول لكم (٥) زيد فى الأصل: كلكم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: للدلالة (٧) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: مسببا.

حتى امتلأت منـــه الأرض. و الوعى: الحفظ فى النفس، و الإيعاء: الحفظ فى الوعاء، و فى ذلك توبيخ للناس بقلة الواعى منهم، و دلالة على أن الأذن الواحدة إذا غفلت عن الله تعالى فهى السواد الاعظم، و ما سواها لا يبالى بهم الله بالة - قاله الأصبهانى و الزمخشرى و غيرهما -

٥ و لما ذكر القيامة و هول أمرها بالتعبير بالحاقة و غيرها، و دل على قدرته عليهـا و على حكمته بقصص من ذكر [على - [1]] الوجه الذى مر إلى أن ختم بالذين كانت قصتهم أشبه تلك [2] القصص بالقيامة من حيث أن أمر الله فيها عم أهل الأرض و فى زمن يسير، و كان الناجون منها بالنسبة إلى المهلكين كالشعرة البيضاء فى جلد الثور الأسود،

١٠ سبب عن جميع ما مضى قوله شرحا لأمرهـا: ﴿ فاذا نفخ ﴾ و بنى الفعل للجهول دلالة على هوان [3] ذلك [4] عليه و أنه [4] ما تأثر عنه لا يتوقف على نافخ [معين - [1]] بل من أقامه [5] من جنده لذلك [5] تأثر عنه ما يريده و ذكره و إن كان المسند إليه مؤنثا [6] للفصل و لكونه غـــير حقيقى [التأنيث - [1]] و للدلالة عـــلى [قوة - [1]] النفخ

١٥ ﴿ فى الصور ﴾ أى القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام كانه عبر [عنه - [1]] به دون القرن مثلا لأنه يتأثر عنه تارة إعدام الصور و تارة إيجادها و ردها إلى أشكالها سعة فمه [7] كما بين السماء و الأرض،

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بتلك (٣) من ظ و م، و فى الأصل: هول (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: اليوم و ان (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: بجسده كذلك (٦) من ظ و م، و فى الأصل: مويدا. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فيها.

و أسند الفعل إلى المصدر ليفيده بادئ بدء لا ليؤكده و إن كان التأكيد يفهم منه و هو / غير مقصود بالذات فقال: ﴿ نفخة ﴾ و لما دل بالفعلة على الواحدة، أكده دلالة على عظيم قدرته و حقارة الأشياء عنده بقوله: ﴿واحدة ۝﴾ أى فهلك الخلائق كلهم، هكذا قالوا إن هذه النفخة هى الأولى، قالوا: و عندها خراب العالم. و ظاهر السياق أنها الثانية التى بها البعث، و خراب ما ذكر بعد قيامهم أنسب لأنه لهم أهيب، و كونها الثانية إحدى[1] الروايتين عن ابن عباس رضى الله عنهما. ٤٨٣ /

و لما ذكر التأثير[2] فى الإحياء[2]، اتبعه التأثير فى الجمادات، و بدأ بالسفليات لملابستها للانسان[3] فتكون عبرته بها أكثر فقال: ﴿ و حملت ﴾ أى بمجرد القدرة ﴿ الارض ﴾ [أى -[4]] المنبسطة و رجت رجا ﴿ و الجبال ﴾ [أى -[4]] التى بها ثباتها فرفعت[5] من اماكنها، و بستا بسا فكانت هباء منبثا، لم يبق فيها حجر و لا كدية.

و لما أريد قوة الدك و الإبلاغ فى تاثيره، جعل الجبال شيئا واحدا فقال: ﴿ فدكتا ﴾ أى مسحت الجملتان الأرض و[6] أوتادها و بسطتا[6] و دق بعضها ببعض ﴿دكة واحدة ۝﴾ أى فصارتا كثيبا مهيلا و سويتا بايسر أمر فلم يميز شىء منهما من الآخر، بل صارا فى غاية الاستواء، من قولهم: ناقة دكاء، أى لا سنام لها. و ارض دكاء، أى متسعة مستوية،

(١) من ظ و م، و فى الأصل: احد (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: بالأحياء.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: بالانسان (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فرفعا (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: وا تاد و بسط.

قالوا: و الدك و الدق - أخوان، و الدك ابلغ، قال ابو حيان[1]: و الدك فيه تفرق الأجزاء، و الدق فيه اختلاط[2] الأجزاء.

و لما ذكر نفخ الصور سبب عنه قوله: ﴿ فيومئذ ﴾ أى إذ دكتا و هى بدل من « اذ » كرر لطول الفصل و أفاد تهويلا لها و تعظيما، و نصب الظرف بقوله: ﴿وقعت الواقعة﴾ أى التى وقع الوعد و الوعيد بها، فكانت كأنها شيء ثقيل جدا ليس له ممسك[3]. فما له من ذاته غير السقوط، و هى القيامة و الحاقة و القارعة، نوع اسماءها تهويلا لها أى قامت القيامة. و كان المراد بها النفخة الثانية.

و لما ذكر تأثير العالم السفلى ذكر العلوى فقال: ﴿و انشقت السمآء﴾ أى هذا الجنس لشدة ذلك اليوم، [و لما كان الشيء لا ينشق إلا لخلل فيه، سبب عنه قوله تحقيقا لذلك -[4]]: ﴿ فهى يومئذ ﴾ أى [5] إذ وقعت[6] الواقعة[1] ﴿ و اهية ﴾ أى ضعيفة متساقطة خفيفة لا تتماسك.

و لما كانت العادة جارية فيما يعرف ان الملك يظهر أنواعا من عظمته يوم عرض الجند، قال معرفا لنا بنحو [7]ما ألفناه[7]: ﴿و الملك﴾

---

(١) فى البحر المحيط ٧ / ٣٢٣ (٢) زيد فى الأصل و م: الاشياء و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و البحر المحيط فحذفناها (٣) من ظ و م. و فى الأصل: فما يشك (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الاصل: وقعة (٦) زيد فى الأصل: فهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: الفنا.

أى

أى هذا النوع الذى يصدق على الواحد فما فوقه ، و الجمع لا يصدق على ما دون الجمع فهذا أشمل ﴿ على ارجائها[1] ﴾ أى نواحى السماء و أطرافها و حواشى ما لم يتشقق منها ، قال الضحاك[1]: يكونون بها حتى يأمرهم الله فينزلون فيحيطون بالأرض و من عليها - [انتهى - [2]]

و قيل : [أرجاء -[2]] الأرض واحدها رجا / ، مقصور ، و الاثنان رجوان ، ٥ / ٤٨٤

فيحيطون بالجن و الإنس فيحشرونهم حشر الصيد لإرادة أخذه .

[3]و لما كان الملك يظهر يوم العرض سرير ملكه و محل عزه قال : ﴿ و يحمل عرش ﴾[3] و لما كان هذا أمرا هائلا مقطعا للقلوب ، قال مؤنسا للمنزل عليه هذا الذكر مؤمنا له[4] من كل ما يحذر : ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك بكل ما يريده لا سيما فى ذلك اليوم بما يظهر ١٠ من رفعتك .

[3]و لما كان العرش عاما لجهة الفوق كلها ، اسقط الجار[3] فقال : ﴿ فوقهم ﴾ أى فوق رؤسهم ﴿ يومئذ ﴾ أى يوم إذ وقعت الواقعة بعدد ما كان تحته من السماوات السبع و الكرسى ﴿ ثمنية[5] ﴾ أى من الملائكة اشخاص او صفوف يؤيد حملته[5] الأربعة فى الدنيا بأربعة ١٥ اخرى لشدة ذلك [اليوم - [2]] و ثقله ، و هو فى حديث أخرجه أبو داود[6] و الترمذى و ابن ماجه[7] و ابو يعلى و البغوى[8] عن العباس

(١) راجع معالم التنزيل ٧/١١٩ (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م . و فى الاصل : عليه (٥) من ظ و م ، و فى الاصل : الحمل (٦) راجع السنن - السنة (٧) راجع السنن - المقدمة (٨) راجع المعالم ٧/١٩٢ .

ابن عبد المطلب رضى الله عنه ، فظاهره انهم اشخاص و لفظه : ثمانية اوعال بين ركبهن و أظلافهن كما بين السماء و الأرض و ظاهر ذلك أنهم فى الدنيا ، وكونهم فى الدنيا أربعة فقط ذكره المفسرون[1] و رواه الطبرانى من طريق ابن إسحاق ، قال : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم بأربعة آخرين ، و هو مذكور فى حديث الصور الطويل الذى يرويه أبو يعلى و غيره من طريق إسماعيل بن رافع عن يزيد بن زياد عن القرظى عن رجل عن أبى هريرة رضى الله عنه ، و هذا العدد يحتمل أن يراد به أهل السماوات السبع و الكرسى فتلك ثمانية ، و هم خلق لا يحصيهم إلا الله سبحانه و تعالى ، و هو أوفق لإظهار العظمة ، [و يمكن أن يراد بهم ثمانية أفراد و يكون حملهم له أظهر فى العظمة -[2]] ليعلم كل من يرى ذلك أن مثلهم لا يقدر على حمل مثله فى عظمته و إحاطته ، و هذا هو أظهر المعانى من الأحاديث الواردة فيه ، و اختيار هذا العدد أوفق[3] للوجه الذى[3] قبله لأنه يزيد على العدد الموضوع للمبالغة[4] - و هو السبع - [بواحدة -[2]] إشارة إلى أنه أبلغ من عدة المبالغة لأنه إشارة[5] إلى أنك كلما بالغت[6] زاد الأمر على مبالغتك بما هو أول العدد ، و ذلك إشارة إلى عدم الانتهاء و الوقوف عند حد ، و إلى ذلك يشير أيضا

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : اكثر المفسرين (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : للذى (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : مبالغة (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : اشار (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بلغت .

أن للثمانية من الكسور النصف و الربع و الثمن، و ذلك سبعة، و السبعة عدد جامع لجميع أنواع العدد الفرد و الزوج و زوج الزوج و زوج الفرد، و كل ذلك إشارة إلى المبالغة فى [إظهار -[1]] العظمة و الكبرياء و العزة و تمثيل لنا بما نعرف من أحوال الملوك و إلا :

فالأمر أعظم من مقالة قائل[2] إن رقق البلغاء أو إن فخموا ٥

إعلاما بعظمة ذلك اليوم ليخشى / العباد فيلزموا أسباب الإسعاد، و هذا ٤٨٥ /

الذى قلته من سر السبعة قد ذكره الإمام[3] بدر الدين بن الدماميني قرين شيوخنا فى الكلام على الواو من حاشيته على مغنى ابن هشام عن تفسير العماد الكندي قاضى الإسكندرية المسمى الكفيل بمعانى التنزيل[4] فقال: و نقل الأستاذ عبد الله الكفيف المالقى أنها لغة فصيحة لبعض العرب أن ١٠

[يقول -[1]] : واحد اثنين ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانية تسعة عشرة - هكذا لغتهم، و متى جاء فى[5] كلامهم لفظ الثمانية أدخلوا الواو و قد نظم[6] بعض أصحابنا فى [7]كون السبعة[7] منتهى العدد أبياتا [8]و هي[8] :

يا سائلى عن سر كون العدد غايته فى سبعة لم تزد

ما سره إلا انحصار قسيمه فى واحد فرد و شيء مسند ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الاصل : حيث قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل : الام (٤) من ظ و م، و فى الأصل :المزيل (٥) زيد فى الأصل : الكلام اغنى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الاصل : بعضهم و هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الاصل : كور الثمانية (٨ - ٨) من ظ و م، و فى الأصل : فقال.

و ذلك الشيء الذى تسنده منحصر فى واحد و ازيد
فالفرد و الفرد إذا ما اجتمعا زوج مع الفرد الذى لم يسند
و اثنان و اثنان إذا ما اجتمعت أربعة تضم مع فيء اليد
فتلك سبعة إذا تكاملت أربعة و اثنان مع منفرد[1]
٥ و ما أتى من بعد هذا فهو تكـ ـرار له لا زائد فى العدد
ثلاثة مع مثلها فرد و فر د قد مضى و ما مضى لا يعدد
و هكذا أربعة مع مثلها [2]زوج و[2] زوج قد مضى لا تزد[3]

و قال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستانى فى مقدمة كتابه الملل و النحل: أكثر أصحاب العدد على أن الواحد لا يدخل فى العدد،
١٠ فالعدد مصدره الأول الاثنان، و هو ينقسم إلى زوج و فرد، فالفرد الأول ثلاثة، و الزوج الأول أربعة، و ما وراء الأربعة مكرر كالخمسة فانها مركبة من فرد و زوج. و يسمى العدد الدائر، و الستة مركبة من فردين، و يسمى العدد التام، و السبعة مركبة من فرد و زوج، و تسمى العدد الكامل، و الثمانية مركبة من زوجين و هى بداية الأخرى.
١٥ فصدر الحساب فى مقابلة الواحد الذى هو علة العدد و ليس يدخل فيه، و لذلك هو فرد لا أخ له.

ولما كان العدد مصدره من اثنين[4] صار منهما[5] المحقق محصورا فى قسمين،

---

(١) من ظ و م، وفى الاصل: مفرد (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: و زوج.
(٣) من ظ، وفى الأصل و م: لا يعدد - كذا (٤) من ظ و م، وفى الأصل: الاثنين (٥) من ظ و م، وفى الأصل: منها.

و لما

و لما كان العدد منقسما إلى فرد و زوج ، صار من ذلك الأصل محصورا فى سبعة ، فان الفرد الأول ثلاثة ، و الزوج الأول أربعة ، و هى النهاية ، و ما عداها مركب منها ، و كان البسائط [1] العامة الكلية [1] فى العدد واحد و اثنان و ثلاثة و أربعة و هى الكمال ، و ما زاد عليها من المركب الكلى فركبات / كلها و لا حصر لها ، و قال أبو الحكم ابن ٥ /٤٨٦ برجان فى تفسير سورة القدر : انتهاء العدد ستة و السابع وترها .

و لما بلغ النهاية فى تحذير العباد من يوم التناد ، و كان لهم حالتان : خاصة و عامة ، فالعامة العرض ، و الخاصة التقسيم إلى محسن و مسىء ، زاده [2] عظما بقوله : ﴿ يومئذ ﴾ أى إذا كان ما تقدم .

و لما كان المهول نفس العرض ، بنى فعله للمفعول و لأنه كلام ١٠ القادرين فقال : ﴿ تعرضون ﴾ أى على الله سبحانه و تعالى للحساب كما يعرض السلطان الجند لينظر فى أمرهم ليختار منهم المصلح للاكرام و التقريب و الإثابة ، و المفسد للابعاد و التعذيب و الإصابة ، عبر عن الحساب بالعرض الذى هو جزؤه ، فالمحسن لا يكون له غير ذلك و المسىء يناقش ﴿ لا تخفى منكم ﴾ أى فى ذلك اليوم على أحد [بوجه - [3]] ١٥ من الوجوه ﴿ خافية ﴾ أى لا يقع أصلا على [حال - [3]] من الأحوال شىء [4] من خفاء لشىء كان من حقه الخفاء فى الدنيا لا من الأعمال و لا من

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : الكلية العامة (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : زال (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : شيئا .

الأنفس و إن كان فى[1] غاية الدقة و الغموض لأن ذلك يوم الظهور التام من القبور و من الصدور، و غير ذلك من الأمور، ليكون ذلك أجل لسعادة من سعد، و أقبح لشقاوة من شقى فأبعد، قال أبو موسى رضى الله عنه: هى ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال و معاذير، و أما الثالثة فعندها تتطاير الصحف فأخذ بيمينه و أخذ بشماله.

و لما كان من المعلوم أنهم قسمان: محسن و مسىء، و كان التقدير: فنعطى كلا منكم صحيفة أعماله من أفعاله و أقواله و جميع خلائقه و أحواله، فمنكم من تدفع إليه فى يمينه فتظهر له حسناته و تستر عنه سيئاته، و منكم من يعطاها فى شماله فتبدو له سيئاته و يمحى ما كان من حسناته، لأنه أوتى ثوابه فى الدنيا بما عجل له من طيباته، عطف عليه مفصلا له قوله: ﴿ فاما من اوتى ﴾ بناه للمفعول لأن دلالة السعادة الوقوع فى اليمين لا من معط معين ﴿ كتبه ﴾ أى الذى أثبت فيه أعماله ﴿ بيمينه[2] فيقول ﴾ لما رأى من سعادته تبجحا بحاله و إظهارا لنعمة ربه لأن الإنسان مطبوع على أن يظهر ما آتاه من خير تكميلا للذته بكبت[3] اعدائه و تفريح أوليائه، قيل: إنه تكتب سيئاته فى باطن صحيفته و حسناته فى ظاهرها، فيقرأ الباطن و يقرأ الناس الظاهر، فاذا أنهاه قيل له: قد غفرها الله، اقلب الصحيفة، فحينئذ يكون قوله: ﴿ هآؤم ﴾ أى خذوا أيها الحاضرون من الخلائق الملائكة و غيرهم، فيها صوت يفهم منه معنى:

(١) من ظ و م، و فى الأصل: من (٢) و قع فى الأصل بعد «كتابه» و الترتيب من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بتكتب.

خذوا ، / و يوصل تارة بالكاف و تارة بالهمزة ، اسم فعل ، و إنما اختارها ٤٨٧ /
هنا ليعلم أن خطابها لجميع أهل الموقف[1] من كان منهم باطنا من
الملائكة و الجن و غيرهم ، و من كان منهم ظاهرا لأن الألف عند
الربانيين غيب و إحاطة كما دل عليها مخرجها ، فهى عبارة عندهم عن القائم
الأعلى المحيط ، و روى معنى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ٥
و الهمزة[2] بدء غيبه[2] و لذا كان مخرجها أقصى الحروف الحلقية دلالة
على ذلك ، و بدء غيب الله سبحانه و تعالى أفعاله و هى تشمل الظاهر
و الخفى[3] أصلها الكاف[3] فهى عندهم ظهور متكامل ذو استقلال ، و هو من
يكون من شأنه الظهور ، و أبناء الجنس أحق بهذا ، و قد دل على ذلك مخرج
الكاف الذى بعد القاف من أصل اللسان الأقرب إلى وسطه ، و مفعول ١٠
« ما » محذوف عند البصريين دل عليه « كتابيه »[5] من قوله : ﴿ اقرءوا كتيبه ج ﴾
و هاؤه للسكت ، كأنها إشارة إلى شدة الكرب فى ذلك اليوم للدلالة
على أنه إذا كان هذا السعيد يسكت فى كل جملة للاستراحة لا يقدر
فى الكلام على المضى فما الظن بغيره ، و تشير[6] أيضا مع ذلك إلى فراغ
الأمر و بحازة الجزم[7] به و الوثوق بأنه لا يغير . ١٥

و لما كانت حقيقة الحساب ذكر الأعمال و المجازاة عليها ، و كان

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الوقف (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : به عيبه - كذا (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لما الكافل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لهذا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : كتابه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فسر (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الامر .

الآدمى - لأنه مجبول على النقص - لا يقدر ان يقدر الله حق قدره، و كلما كان الإنسان أعلى كان الاستشعار و النقص من نفسه أكثر، وكان من نوقش [الحساب -[1]] - كما قال[2] النبي صلى الله عليه و سلم - عذب، قال مؤكدا لأن من يرى حاله و كتابه ينكر أن يكون له ذنب أو منه تقصير: ﴿ انى ظننت ﴾ أى فى هذا اليوم خوفا من سوء أعمالى التى أعرفها من نفسى ﴿ انى ملاق ﴾ أى ثابت لى ثباتا لا ينفك أنى ألقى [3]بين يدى الديان[3] ﴿ حسابيه ﴾ لأنى كنت جامعا كما أمرت بين الخوف و الرجاء، فأخاف أن يقابل بين حسناتى[4] و بين النعم فلا تقوم لى أصغر نعمة فأعذب على سيئاتى و أرجو غفرانه، فحقق سبحانه رجائى و امن خوفى، فعلمت الآن أنى لا أناقش الحساب، و إنما حسابى العرض و هو الحساب اليسير بأن تعرض أعمالى فلا أجازى على سيئها و اثاب على حسنها[5] منا و رحمة و فضلا و نعمة، و يجوز أن يكون الظن فى الدنيا، عبر به عن اليقين إشارة إلى أنه يكفى العاقل فى الخوف الحامل له على العمل ظن الخطر، و فيه إشعار بهضم النفس لأن الإنسان لا ينفك عن خطرات من الشبه تعرض له و تهجم[6] عليه و إيذان بأن مثل ذلك لا يقدح[7] فى الجزم بالاعتقاد و تنبيه على أنه يكفى فى

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: قول (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م. وفى الاصل: مسائى (٥) من ظ و م، و فى الأصل: سببها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: تجهم (٧) من ظ و م، و فى الاصل: لا يقدم.

إيجاب العمل[1] الظن فيكون حينئذ تعليلا لإعطاء الكتاب / باليمين، و فيه تبكيت للكفار و نداء عليهم بأنهم لم يصلوا[2] فى هذا الأمر المحقق إلى مرتبة الظن، فكيف بالمحقق من العلم فأهملوا العمل له فخالفوا.

و لما كان تقدير[3] هذا واضحا، سبب عند ما تأثر عن[4] الحساب اليسير من إعطاء الثواب فقال: ﴿ فهو فى عيشة ﴾ أى حالة من العيش. ٥

و لما كان الرضى بالشىء لا يكون إلا إذا بلغ نهاية السؤل و غاية المأمول، قال مسندا الرضا إلى العيشة كناية عن رضا صاحبها على الوجه الأبلغ: ﴿ راضية ﴾ أى ثابت له الرضا و دائم لها[5] لأنها فى غاية الحسن و الكمال، و العرب لا تعبر عن أكثر السعادات بأكثر من العيشة الراضية بمعنى أن أهلها راضون بها، و المعتبر فى كمال اللذة الرضى ١٠ [أو -[6]] أنه لو كان للعيشة عقل لرضيت لنفسها بحالتها.

و لما شوق سبحانه إلى حال صاحب هذه العيشة، و كانت أمرا إجماليا، فصلها و بينها بالإبدال منها زيادة فى التشويق فقال: ﴿ فى جنة ﴾ أى بساتين جامعه لجميع ما يراد منها.

و لما كان شرف المسكن العلو قال: ﴿ عالية ﴾ أى فى المكان ١٥ و المكانة و الأبنية و الدرجات و الأشجار و كل اعتبار[7].

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: العامل (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لم يوصلوا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: التقدير (٤) من ظ و م، و فى الأصل: من (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لهم (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و لما كان من شأن المعالى عسر الوصول إليه [1] قال: ﴿قطوفها﴾ أي جمع كثرة لقطف - بالكسر و هو ما يجنى من الثمرات المجتمعة فى عرق من عروقه [2] ﴿دانية ٥﴾ أى قريبة المأخذ سهلة التناول جدا، لراكب و القائم و القاعد و المضطجع، [كل - [3]] ذلك على حد سواء دائما من غير انقطاع و لا كلفة على أحد من أهلها فى تناول شيء من ذلك.

و لما كان كون الثمار بهذه الصفة دالا على كثرة الرى، و كثرة الرى دالة [على [3]] المشرب [4]، و كانت من مفردات اللفظ عامة المعنى، فكان قد أفرد الضمائر باعتبار لفظها تنصيصا على كل فرد فرد جمع باعتبار المعنى إعلاما باشتراك جميع أهلها فى النعم حال الانفراد و الاجتماع فقال: ﴿كلوا و اشربوا﴾ [اى - [3]] مولا لهم ذلك إشاره إلى ان ذلك لا مانع منه و إلى أنهم يؤمرون به صريحا دلالة على رضا صاحب الجنة [لئلا - [3]] يتنغص عليهم عيشهم بنوع من الأنواع الموهمة للخطر، و حذف المفعول إيذانا بالتعميم لئلا يظن أنه يستثنى منها شيء فيكون سبب الفتنة كما وقع لآدم صلوات الله و سلامه عليه.

و لما كان المآكل و المشارب فى هذه الدار [6] تورث التخم و الأمراض و فيها ما لا يلذ، و كان ما وقع لأبينا [آدم - [3]] و أمنا حواء عليهما

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اليها (٢) من ظ، و فى الأصل و م: فروعه.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المشرور (٥) من ظ و م، و فى الاصل: الدال.

عليهما الصلاة و السلام على أكلة واحدة من وخامة العاقبة معروفا ، قال مؤمنا من ذلك : ﴿ هنيئا ﴾ أى أكلا [1] طيبا لذيذا [1] شهيا مع البعد عن كل أذى و سلامة العاقبة بكل / اعتبار و لافضلة هناك [2] من بول و لا غائط و لابصاق و لامخاط و لاقرف [2] و لا قذر [3] و لا وهن و لاصداع و لا ثقل [3] و لا شيء مؤذ [3] . ٤٨٩/ ٥

و لما شوق إلى المسببات حملهم على أسبابها و حضهم على المسابقة فى تحصيلها و المثابرة [و المداومة - [4]] على الاستكثار منها ؛ فقال زيادة فى لذتهم بأن [5] ذلك على وجه العوض لا امتنان عليهم فى شيء منه لأحد من الخلق ، فان أحب ما إلى الإنسان أن يأكل مما [6] أفادته يمينه و حصله بعمله مع ما فى ذلك من الشرف : ﴿ بما اسلفتم ﴾ اى أعطيتم من أنفسكم ١٠ لآخرتكم طوعا من الأعمال الصالحة و بما تركتم من الدنيا مما هو سافل بالنسبة إلى ما عوضتم عنه من أعمال القلب و البدن و المال ﴿ فى الايام ﴾ و لما كان سبحانه قد ضمن كل ما يشتغل به الإنسان من مصالح دنياه فهو واصل إليه لا محالة و إن فرغ أوقاته كلها لعبادة ربه قال : ﴿ الخالية ﴾ أى الماضية فى الدنيا [7] التى انقضت [و ذهبت - [4]] و استرحتم ١٥ من تعبها و التى لاشاغل فيها عن العبادة . إما بترك الاشتغال بالمعاش للواصل إلى درجة التوكل ، و إما بالسعى على وجه الاقتصاد بقصد المساعدة للعباد

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : لذيذا طيبا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هنا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٧) من ظ و م : و فى الأصل : دنياه .

فى أمور هذه الدار و الإفضال عليهم و ان لا يكون كلا عليهم من غير اعتماد على السعى بل امتثالا للأمر مع القناعة بالكفاف .

و لما كانت العادة جارية بأن أهل العرض ينقسمون إلى قسمين : مقبول و مردود ، و ذكر سبحانه و تعالى المقبول بادئا به تشويقا إلى حاله و تغبيطا بعاقبته[٢] و حسن مآله ، أتبعه المردود تنفيرا عن أعماله بما ذكر من قبائح أحواله فقال : ﴿ و أما من ﴾ و لما كان الدال على المساءة الإيتاء على وجه قبيح ، لا تعيين المؤتى ، قال بانيا للمفعول لذلك و للدلالة على ذل الآخذ و عدم قدرته على الامتناع عن شيء يسوءه : ﴿ اوتى كتبه ﴾ أى صحيفة أعماله[٣] - أعاذنا الله من ذلك[٣] ﴿ بشماله[١] فيقول ﴾ أى لما يرى من سوء عاقبته التى كشف له عنها الغطاء[٤] حتى لم يشك[٤] فيها لما يرى من قبائحه التى قدمها ، وكل ما[٥] يأتى مما يوهم سكتة فى ذلك[٦] اليوم فمن باب المكابرة و المدافعة بالباطل على ما كان عليه فى الدنيا[٧] ﴿ يٰليتنى ﴾ تمنيا للحال ، و جرى على نسق ما مضى فى البناء للمفعول الدال على ذله و[٧] عدم جبلته[٧] فقال : ﴿ لم اوت ﴾ أى من مؤت ما ﴿ كتبيه[٢] ﴾ اى هذا الذى ذكرنى بخبائث أعمالى و عرفنى جزاءها ﴿ ولم ﴾ أى و [يا-[٨]] ليتنى لم ﴿ ادر ﴾ و لو حاولت الدراية ﴿ ما ﴾ [أى -[٨]] حقيقة ﴿ حسابيه[٣] ﴾

---

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : محابه (٣ - ٣) فى ظ و م : حسابه (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لامتك (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٧) زيد فى الاصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : على خيبته (٨) زيد من ظ و م .

من ذكر العمل و ذكر جزائه ، بل استمريت جاهلا لذلك كما كنت في الدنيا . و لما تمنى هذين الشيئين ، استأنف مراده بهما فقال لأنه رأى أن ما يستقبله / شر مما كان فيه من البرزخ : ﴿يٰلَيْتَهَا﴾ أي الموتة التي منها ﴿كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝﴾ أي الباتة الجازمة[1] الملزمة لدوام[2] الموت الخاتمة عليها حتى لا يكون بعدها بعث و لاشيء غير الموت كما كنت أعتقد في الدنيا ؛ قال الإمام الرازي : و في الحديث « تمنوا الموت » أي إذ ذاك و لم يكن في الدنيا شيء أكره منه عندهم . / ٤٩٠

و لما كان التمني مفهما لأنه كان [له -[3]] ضد ما تمناه من البعث على ما كانت تخبره به الرسل [و -[4]] من الحساب الذي هو سر البعث و خالصه ، و قد كان يقول : إنه يتخلص منه ، على تقدير كونه ، بماله و جاهه قال معللا لتمنيه : ﴿مَآ أَغْنَىٰ﴾ نافيا[5] تأسفا على فوات ما [كان -[5]] يرجو من نفعه ، و المفعول على هذا التقدير محذوف للتعميم ، او مستفهما استفهام إنكار على نفسه و توبيخ حيث سولت له ما أثمر له كل سوء و كل محال منازعة للفطرة الأولى المؤيدة بما أخبرت به الرسل حتى أوقعه ذلك التسويل في الهلكة ﴿عَنِّي مَالِيَهْ ۝﴾ اي الذي منعت منه حق الله و تعظمت به على عباده[6] ، و هذا النفي للاغناء سائغ مفهوم على كل من تقريري النفي و الاستفهام .

(١) في ظ : الخاتمة ، و في م : الخاتمة (٢) من ظ و م ، و في الأصل : لزوم .
(٣) زيد من ظ و م (٤) العبارة من هنا إلى « للتعميم أو » ساقطة من ظ .
(٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و في الأصل : عباد الله .

و لما كان المال سبب الوصول إلى السلطان، قال نافيا لما اوصله إليه ماله شارحا لعدم إغنائه : ﴿هلك عنى﴾ أى مجاوزا لى حتى كأنى لم أكن [فيه -[1]] ساعة [قط -[1]] ﴿سلطنيه ۝﴾ أى تسلطى على الدعاة إلى الله بالشبه الباطلة التى كان يطلق اللسان بها فأساعده[2] عليها مع ظهور بطلانها الملك الذى أوصل إليه المال فعاد [لأن -[1]] ذلك الملك الأعظم[3] هلك و المساعد أبعد[4] مباعد .

و لما كان كأنه قيل : هذا ما قال . فما يقال ؟ أجيب بأنه يقال للزبانية تعذيبا لروحه بالتوبيخ و الأمر بالتعذيب على رؤس الأشهاد : ﴿ خذوه ﴾ اى أيها الزبانية الذين [5] كان يستهين[5] بهم عند سماع ذكرهم .

و لما كان الأخذ دالا على الإهانة الناشئة عن الغضب، سبب عنه قوله : ﴿ فغلوه ۝ ﴾ أى اجمعوا يديه إلى عنقه و رجليه من وراء قفاه إلى ناصيته .

و لما كان الغل لما[6] بعده من العقاب، قال معظما رتبة عقابه فى الشدة و الهول بالتعبير بأداة التراخى : ﴿ ثم الجحيم ﴾ أى النار العظمى التى تجمح على من يريد دفاعا و تحجم عنها من رآها لأنها فى غاية الحمو و التوقد و التغيظ و التشدد ﴿ صلوه ۝ ﴾ أى بالغوا فى تصليته إياها

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فاساعده (٣) من ظ و م، و فى الأصل : اعظم (٤) زيد فى ظ : له (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : كانوا يستهيون (٦) من ظ و م ،و فى الأصل : من .

و كرروها لغمسه فى النار كالشاة المصلية مرة بعد اخرى و [لا - [1]] تصلوه فى أول أمره غيرها[2] لأنه كان لا يألو جهدا أن يحرق قلوب النصحاء بأشد ما يقدر [عليه - [1]] من الكلام و غيره، وكان يتعظم على الضعفاء، فناسب أن يصلى أعظم النيران، و عبر أيضا بأداة التراخى لعلو رتبة مدخولها، فقال مؤذنا بعدم الخلاص/: ﴿ ثم فى سلسلة ﴾ ٥ / ٤٩١ اى عظيمة جدا[3] لا ما هو دونها .

و لما قدمها دلالة على الاهتمام بها و على تخصيصها لشدة مخافتها، عرف بعظيم هولها و شدة فظاعتها ليجتمع المفهوم و المنطوق[4] على تهويلها فقال: ﴿ ذرعها ﴾ أى فى أىّ شىء فرضت من طول أو[5] عرض ﴿ سبعون ذراعا ﴾ يحتمل ان يكون [هذا - [6]] العدد حقيقة، ١٠ و أن يكون مبالغة، و الذى يدل على أنها للمبالغة ما رواه الترمذى[7] - و قال: إسناده حسن - عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لو أن رصاصة مثل هذه - و أشار [إلى - [6]] مثل الجمجمة - و أرسلت من السماء إلى الأرض - و هى مسيرة خمسمائة سنة - لبلغت الأرض قبل الليل، ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت ١٥ أربعين خريفا الليل و النهار قبل أن تبلغ اصلها و قعرها . و أشار سبحانه

---

(١) زيد من ط و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لمن (٣) العبارة من هنا إلى « بعدم الأعمال » (ص : ٣٧٠ س : ٦) نسخت من ظ لاجل انطماسها فى الاصل (٤) من م ، و فى ظ : المنظوم (٥) من م ، و فى ظ « و » (٦) زيد من م (٧) راجع صفة النار من الجامع .

إلى ضيقها على ما تحيط به من بدنه بتعبيره بالسلك فقال: ﴿فاسلكوه﴾ أي أدخلوه بحيث يكون كأنه السلك ـ اى الحبل ـ الذى يدخل[1] فى ثقب الخرزة بعسر لضيق ذلك الثقب إما باحاطتها بعنقه او بجميع بدنه بأن تلف عليه فيصير فى غاية الضنك و الهوان لا يقدر على حركة أصلا ، و هذا تعذيب القالب لأنه أفسد القلب بعدم الإيمان و القالب بعدم الأعمال .

و لما ذكر على الإجمال عقابه أتبعه أسبابه ، فقال بادئا باعظمها مؤكدا لأن كل كافر حتى المعطل يقر بالله تعالى نوع إقرار و يدعى الإيمان به نوع ادعاء، لأنه لا يقدر على غير ذلك لما له سبحانه من غلبة الظهور و انتشار الضياء و النور: ﴿ انه كان ﴾ أى جبلة و طبعا [و إن أظهر شيئا ـ[2]] يلبس به على الضعفاء و يدلس[3] على الأغنياء ﴿ لا يؤمن ﴾ أى الآن و لا فى مستقبل الزمان ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى يعلم السر و أخفى .

و لما كانت عظمة الملك موجبة لزيادة النكال لمن يعانده على قدر علوها ، و كان الذى أورث هذا الشقى هذا الخزى هو تعظمه[4] على أمر الله و عباده ، اشار إلى أنه لا يستحق[5] العظمة غيره سبحانه فقال: ﴿ العظيم ﴾ اى الكامل العظم[6] .

---

(١) سقط من م (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : به ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م . و فى الأصل : تعظيمه (٥) زيد فى الأصل : ان ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، وفى الأصل : العظمة.

و لما بين عناده للملك الأعظم بافساده القوة العلمية [بين ما يوجبه الكفر من احتقاره للضعفاء إفسادا للقوة العملية - [1]] إعلاما بأنه مكلف بفروع الشريعة كما أنه مكلف بأصولها، و بيانا لأن عناده لمن فوقه لردءاة طبعه لا لعلو همته، فقال معظما لهذا الذنب لجعله فى سياق الكفر و بالتعبير بالحض مشيرا به إلى أن فاعل ذلك شديد الاستغراق ٥ فى حب الدنيا لأنه لا يمنعه من حث غيره على الخير إلا ادخاره لنفسه: ﴿و لا يحض﴾ أى يحمل و يحث ﴿على﴾ بذل ﴿طعام﴾ أو إطعام ﴿المسكين [5]﴾ أى / تسهيله باعانته[2] عليه إن كان موجودا، و السؤال فى / ٤٩٢ بذله و ما يقوم مقامه إن كان مفقودا، فكيف بالبذل من عنده، فان ذلك لا يحمل عليه إلا الإيمان لخلوه عن حظ. و التقييد يفهم انه ١٠ يحث على خدمة الأكابر[3] الجبابرة و يحب العكوف على أبوابهم، و الإضافة مع التعبير بالطعام دون الإطعام تشعر[4] بأن الفقراء يملكون كفايتهم من أموال[5] الأغنياء، فدل ذلك على أنه مع كفره هو أشنع صفات الباطن فى غاية الشح و القساوة و عدم المروءة للاعراض عن أسباب التمدح و عن التنزه عن سوء القالة و قبيح الذكر، و ذلك أشنع ١٥ الرذائل، فلذلك خصص هذين الأمرين، و كان أبو الدرداء رضى الله عنه يحض على طعامهم و يقول: خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع الآخر-

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: و اعانته (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الا و كان (٤) فى ظ و م: للاشعار (٥) من ظ و م، و فى الأصل: مال.

يعنى بالحث على الإطعام ، و ذمه على الاستهانة بالمساكين يفهم الذم على [1] الاستهانة بمن هم [1] دونهم ممن هو أسوا حالا منهم بطريق الأولى .

و لما وصفه سبحانه و تعالى باقبح العقائد و أشنع الرذائل ، سبب عنهما فى مقابلة إفساد القوتين العلمية و العملية قوله : ﴿ فليس له اليوم ﴾

٥ و لما ذكر الزمان المتعقب للبعث ، ذكر المكان [2] الكائن فيه و هو الدار الآخرة [فقال - [3]] : ﴿ ههنا ﴾ أى فى مجمع القيامة كله ﴿ حميم ﴾ أى صديق خالص يحترق [4] له و يحميه من العذاب لأنهم كلهم له اعداء كما أنه هو [كان - [3]] لا يرق على الضعفاء فيما هم فيه من الإقلال من حطام الأموال .

١٠ و لما نفى عنه الجاه لانسلاخه من حزب الملك الولى الودود ، و تحيزه إلى حزب الشيطان العدو الجحود ، أتبعه المقصود بالمال الذى تنشأ عنه جميع الاستمتاعات و يقصد عنده الاجتماع [5] و الأنس بالأصحاب لإخلاده [5] إلى ماله و إعراضه عن عيال الملك لأجل ضعفهم الذى وهبه المال و أمره بمواساتهم [6] فيه فقال : ﴿ و لا طعام ﴾ و لما كان

١٥ الاستثناء معيارا للعموم قال : ﴿ الا من غسلين ﴾ اى غسالة أهل النار من قيحهم و صديدهم ، فعلين من الغسل ، و يلزم من هذا الطعام أن

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : استهانة عن ما هو (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الزمان (٣) زيد من ظ و م (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الأفق الأصحاب (٦) من ظ و م ، و فى الاصل : بمساواتهم

يكون تحت [غيره - ١] ليسيل ماء غسالته إليه .

و لما حصر طعامهم فيما لا يقربه أحد باختياره ، حصر من يتناوله معبرا عنهم بالوصف الذى أوجب لهم أكله فقال : ﴿ لا ياكلة ﴾ و فرغ الاستثناء تنبيها على [أن - ١] المستثنى هو المقصود حتى كأنه لامستثنى منه فقال : ﴿ الا الخاطؤن ﴾ أى ياكله المتعمدون للخطايا ٥ لا غيرهم ، و هو من خطأ الرجل بوزن فرح مهموزا - إذا تعمد الذنب ، و أما المخطىء فهو من قصد الخير فلم يصبه بغير تعمد "فليس عليكم جناح فيما / اخطاتم به" أى أردتم الصواب فلم تصيبوه[٢] ، و هذا الطعام يغسل ٤٩٣ / ما فى بطونهم من الأعيان و المعانى التى بها قوام صاحبها ، و هو [٣] بمنزلة ماكانوا يشحون به من أموالهم التى أبطنوها[٤] و ادخروها فى خزائنهم ١٠ و استأثروا بها على الضعفاء .

و لما ذكر سبحانه و تعالى الحاقة التى جعلها دار الحساب للحسن و المسىء اللذين قسمتهما القدرة و اقتضتهما الحكمة ، و صوب إليهما القرآن الذى هو ذكر للعالمين بالوعد و الوعيد و البشارة و التهديد ، و من المعلوم ببديهة العقل أنه لا يصح أصلا فى حكمة أحد أن يترك من تحت ١٥ يده هملا لا سيما إن كان تقدم إليهم بالأمر و النهى ، و أقام الدليل على قدرته عليها بتعذيب من أستأصلهم لأجل تكذيب رسله ليكون

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فلم تصيبوا (٣) فى م : هى (٤) زيد فى الأصل وظ : باطنا ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

عذابهم و تنجية المحسنين[1] منهم [مثلا -[2]] محسوسا تشهد فيه الحاقة ، لأن من قدر على ذلك كانت له القدرة [التامة -[2]] على كل ممكن ، و ذكر ما دلت الحكمة عليه من تنعيم الطائع و تعذيب العاصى بما هو أنسب الأشياء لعمل كل منهما فى هـذه الأساليب المعجزة مفردات و تراكيب و معانى ، فدل ذلك على آخر سورة «ن» عاد إلى تقريره[3] بوجه آخر ، و هو انه لتمام علمه و كمال قدرته لا يقرر من كذب عليه على كذبه فضلا عن أن يؤيده ، فقال مسببا عن ذلك حين بلغ الأمر فى الوضوح إلى النهاية ، ذاكرا ما هو أبلغ من القسم لأن بعض أهل الجدل إذا حجه[4] خصمه يقول : إنما غلبتنى بأنك أتقن منى فى الجدل لا بالحق ، فان الحق معى ، فيحلف[5] له صاحبه أنه ما غالطه و لا تعمد فى جدله الا الحق : ﴿فلآ اقسم﴾ أى لا يقع منى إقسام ﴿ بما ﴾ أى بمجموع ما ﴿ تبصرون ۝ ﴾ أى لكم اهلية إبصاره من كل ما دخل فى عالم الشهادة ﴿ و ما لا تبصرون ۝ ﴾ أى ما ليس لكم فى هذه الدار [أهليـة -[2]] إبصاره ، و ذلك جميع الموجودات واجبها و جائزها معقولها و محسوسها ، لأن الأمر اوضح من أن يحتاج إلى إقسام و إن كنت[6] أقسم فى[6] غير هذا الموضع[7] بما شئت من أفراد هذا المجموع .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : المسلمين (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تقرير (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : حاجه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لخالف (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اقسمت فى (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الحلق .

و لما اكد [1] غاية التأكيد [1] بما قال من [ان - [2]] الأمر وصل في [3] الوضوح إلى حد لا يحتمل التأكيد ، فكان ذلك تأكيدا بعدم التأكيد ، استأنف الخبر عما اخبر انه لا يحتاج إلى إقسام باثبات أداة التأكيد لأجل إنكارهم ليكون الكلام جامعا بين التأكيد بالنفي و بين التأكيد بالإثبات فقال : ﴿ انه ﴾ أي هذا الذي ختمت به سورة "ن" [4] و دل عل الساعة بما أتى به من هذه الأساليب التي هي مع كونها حكيمة [4] معجزة / ﴿ لقول ﴾ أي تلاوة ﴿ رسول ﴾ أي أنا أرسلته و عني أخذه ، ، و ليس فيه شيء من تلقاء نفسه إنما هو كله رسالة واضحة جدا ، أنا شاهد [5] بها بما له من الإعجاز [6] الذي يشهد أنه كلامي . / ٤٩٤

و لما كان من شأن الرسول ان لا يبلغ إلا ما [7] أرسله به مرسله ، و كان بعض الرسل ربما زاد أو نقص تعمدا أو سهوا ، أخبر أن له صلى الله عليه و سلم من الوصف ما يحفظه فقال : ﴿ كريم ﴾ أي هو في غاية الكرم الذي [8] هو البعد عن مساوئ [8] الأخلاق باظهار معاليها لشرف النفس و شرف الآباء فهو لا يزيد و لا ينقص ، و كرم الشيء اجتماع الكمالات اللائقة به فيه .

(١ - ١) من ظ و م ، و في الأصل : هذا التكذيب (٢) زيد من ظ و م .
(٣) من ظ و م ، و في الأصل : إلى هذا (٤) من ظ و م ، و في الأصل : حكية .
(٥) من ظ و م ، و في الأصل : اشاهد (٦) من ظ و م ، و في الأصل : الأعمال .
(٧) من م ، و في الأصل و ظ : بما (٨-٨) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط .

و لما أثبت انه قوله سبحانه و تعالى لأنه [1]قول رسوله[1] صلى الله عليه و سلم لنا[2] و هو لا ينطق عن الهوى ، نفى عنه ما يتقولونه عليه ، فبدأ بالشعر و هو ما يقوله الإنسان من تلقاء نفسه على و زن مقصود صدقا كان او كذبا ، و لابد فيه للتقيد بالوزن و القافية من التكلف الذى القرآن بعيد عنه ، و هو [مـــع -[3]] مشاركته للسجع فى التكلف الناقص للمعنى أعلى منه بالوزن الذى يكسبه الرونق و الحلاوة فقال : ﴿ و ما هو ﴾ أى [هذا -[3]] الذكر فى باطن أمره و لا ظاهره ، و اكد النفى فقال: ﴿ بقول[4] شاعر[4] ﴾ أى ياتى بكلام مقفى موزون بقصد الوزن ، و إنما قيل أنه ليس بقول من هو كذلك لأنه ، لا يوافق الوزن [فيه -[3]] إلا أماكن نادرة بالنسبة إلى مجموع القرآن ، و من المقطوع به أن ذلك لا يرضى به شاعر و هو انه ينصب نفسه منصب النظم و الارتهان بعهدة الوزن ، ثم ياتى بكلام أكثره غير موزون ، فعلم قطعا أن الذى وافق الوزن فيه غير مقصود فليس بشعر .

و لما كانت مخالفة القرآن للشعر خفية من حيث أنه لا يعرف ذلك إلا الشعراء وهم قليل فى الناس ، و الأغلب لا يعرفون ذلك ، ختم الآية بالإيمان الذى هو التصديق بالغيب فقال تعالى : ﴿ قليلا ما تؤمنون ﴾ أى ما توجدون التصديق الذى هو الإيمان إلا إيجادا أو زمانا قليلا ، و ذلك لأنى [قد -[3]] أخبرتكم بذلك فى غير موضع فلم تصدقوا و فيكم شعراء كثير يعرفون

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) سقط من الأصل .

معرفة تامة أنه مخالف للشعر، و قد أخبركم بعضهم بذلك كالوليد بن المغيرة و عتبة بن ربيعة و غيرهما[1] ثم [لا -[2]] تتبعون ذلك ثمرته، و هو الإيمان بالله و رسوله، و إيمانهم القليل إقرار من أقر من شعرائهم أنه ليس بشعر، و إخلاصهم بالوإحدنية / عند الاضطرار و إفرادهم الخالق بالخلق و الربوبية، و هو إيمان لغوى [لا شرعى -[2]]، و لما كان من يعرف الشعر يعرف النثر فهو أعلى فقدمه، أتبعه النثر فقال: ﴿ و لا بقول كاهن ﴾ و هو المنجم الذى يخبر عن أشياء يوهمها لرئى يخبره بذلك، و أغلبها ليس لها صحة، و عبارته عن ذلك بالسجع المتكلف [المقصود -[2]] كونه سجعا الذى يكون المعنى فيه[3] تابعا للفظ للتحلية بمشاكلة المقاطع. / ٤٩٥

و لما كانت مباينة القرآن للسجع خفية جدا لما فيه من الفواصل فى الاغلب و تركها فى البعض فارق لأن الساجعين لا يرضون أن يأتوا بقرينة لا أخت لها و يعدون ذلك و عيّا عيبا رديئا، و كذا تطويل السجعة عن قرينتها و تضعيفها على عديلتها لا يرضى به ساجع و لو أنه هاجع، و مباينة النبي صلى الله عليه و سلم للكهنة[4] ظاهرة جدا، فان الكاهن من ينصب نفسه للدلالة على الضوائع و الإخبار بالمغيبات يصدق فيها تارة و يكذب كثيرا، و يأخذ الجعل على ذلك، و يقتصر على من يسأله، فعبر لذلك بـ « كاهن » دون « ساجع » أدار أمره على التفكر

(١) من ظ و م، و فى الأصل: غيرهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الاصل: منه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لكهنة.

فقال : ﴿ قليلا ما ﴾ وأكد أمر القلة و الخفاء بادغام تاء التفعل فقال تعالى : ﴿ تذكرون ﴾ فلذلك يلتبس عليكم الأمر أو على من تلبسون عليه بذلك ، فعلم أن الذى يفرق بينهما موجود فيهم لأنه يرى أن الكتاب تابع للمعنى الصحيح الثابت ، فان صح غاية الصحة مع وجود القرائن المتوافقة ٥ فى الروى كان و إلا انتقل عن ذلك إلى قرائن غير متوافقة فى روى و لا ما يقاربه ، [أو - ١] قريبة مفردة مع إمكان جعلها كما قبلها لكن مع نقصان ٢ المقصود و طول الكلام و نحو ذلك ، و أن النبى صلى الله عليه و سلم لم يدّع يوما من الأيام علم الغيب و لا نصيب نفسه الشريفة لشىء مما الكهان فيه و لا نقل فى ساعة من الدهر عن [الجن - ١] ١٠ خبرا ذكر أنه استفاده ٣ منهم و لا مدحهم لذلك كما تفعل الكهان . بل ذم الفاسقين منهم غاية الذم و قال : إن أكثر ما يأتون به الكذب ، و لا سأل جعلا عما يدعو إليه و لا اقتصر على من يأتيه ٤ للسؤال ، بل هو صلى الله عليه و سلم يتبع الناس فى مجامعهم ٥ يدعوهم إلى الله بانقاذهم من الضلال فبانته ٦ للكهان لا تحتاج ٦ إلى غير تذكر قليل - كما أشار ١٥ إليه إدغام تاء التفعل ٧ - فثبت أن القول ليس بكهانة ٨ ، و قائله و المؤدى له ليس بكاهن . و نسبة القول إلى المبلغ لكونه مبلغا واضحة الصحة .

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : امكان (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : استفاد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يأتوه (٥) من ظ و م . و فى الأصل : مجامعتهم (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : للكفار لا تدعوه محتاج (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الافتعال (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : بالكهانة .

و لما

و لما أثبت انه قول الرسول الذى لا ينطق عن الهوى ، و نفى عنه ما قد يلبس من الشعر و الكهانة ،/ و لم يذكر ما كانوا يرمونه به من السحر و الأضغاث لأنه عناد محض لا يرتاب أحد فيه ، وكانت السورة مقصودا فيها إثبات الحقائق التى قد تخفى ، وصفه بما يحقق ما أريد من نسبته إلى الرسول صلى الله عليه و سلم فقال : ﴿ تنزيل ﴾ [أى - ١] على وجه التنجيم ، و أشار إلى إرساله إلى جميع الخلق من أهل السماوات و الأرض بقوله : ﴿من رب العلمين ﴾ أى موجدهم و مدبرهم بالإحسان إليهم بما يفهم كل منهم من هذا الذكر الذى رباهم به ، و رتب سبحانه نظمه على وجه سهله على كل منهم شيئا يكفى فى هدايته البيانية بخلاف الشعر و الكهانة فانه لا يفهمها إلا قليل من الناس لا جميع العالمين ، بل كثير من أكابر العلماء و حذاقهم ربما قرىء على ٢ احد منهم ٢ الآن القصيدة من قصائد العرب فلا يفهم المراد منها و لا يتضح له بوجه .

و لما كان قد بقى من الأقسام التى كانوا يتقولونها عليه الافتراء فى الرسالة بمعنى أنه عثر على بعض كتب الله تعالى التى نزلت على من قبله ٣ من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ٣ فانتحلها من غير أن يوحى إليه ، وكان الدليل على ان ذلك ليس كذلك أن العادة تحيل أن يطلع شخص من الناس على شىء لم يطلع أحد منهم [و - ٤] لاسيما إن كان ذلك الشخص ٥ قليل المخالطة ٥ للعلماء فكيف إذا كان أميا لا يكتب و لا يقرأ كما كان

(١) زيد من م (٢-٢) فى م : احدهم (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.
(٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : غير مخالط .

صلى الله عليه و سلم ، قال عاطفا على ما تقديره : فلو لم يكن تنزيل رب العالمين عليه لم يعجزوا عنه : ﴿ و لو تقوّل ﴾ أى كلف نفسه أن يقول مرة من الدهر كذبا ﴿ علينا ﴾ على ما لنا من [1] صفات العظمة و الجلال و البهاء و الكمال و الكبرياء [1] ﴿ بعض الاقاويل ﴾ [2] التى لم نقلها أو قلناها و لم نأذن له فيها . و هو جمع أفعولة من القول كالأضاحيك جمع أضحوكة ، لا جمع أقوال ، ليكون جمع الجمع ، لأنه يلزم عليه أن لا يعاقب بما دون ثلاثة [أقوال - [3]] ﴿ لاخذنا ﴾ أى بعظمتنا أخذ قوة و غضب و قهر و إهلاك ، و أكده للاعلام بشدة الغضب من الكذب و شدة قبحه .

و لما كان أخذه [4] أخذا يتلاشى عنده كل أخذ لأن من افترى على الملوك لا يفعل به إلا ذلك [5] قال : ﴿ منه ﴾ أى خاصة ﴿ باليمين ﴾ أى التى هى [6] العضو الأقوى [6] منه فيها يكون بطشه فنذهبه بشدة بطشنا ، أو اليمين منا ، فيكون كناية عن أخذنا له بغاية القوة ، فان قوة كل شىء فى ميامنه ، و قيل : إذا أراد الملك إهانة شخص قال : خذه يا فلان ، فيأخذه / بيمينه ، فهو كناية عن الإذلال ، و قيل : هذا تصوير لقتل الصبر بأشنع صورة ، فان الملك إذا أراد التخفيف على من يقتله أمر السياف فأخذ يساره بيساره ، وضرب بالسيف من ورائه لأن العنق

(١-١) فى ظ و م : العظمة (٢) زيد فى م : اى (٣) زيد من ظ و م (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لذلك (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل و ظ (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : عنده من المثنوية .

من خلف أوسع فيكون أسرع قطعا و لا يرى المقتول لمع السيف، [و إن أراد التعذيب و المبالغة فى الإهانة أخذ يده اليمنى بيده اليسرى و ضربه و هو مستقبل له يرى لمع السيف - [1]]، و ربما وقعت الضربة لضيق المجال من قدام فى حنكه فيحتاج إلى ثانية و ثالثة فهو أفحش.

و لما صور مبدأ الإهلاك بأفظع صورة، أتمه مشيرا إلى شدة بشاعته ٥ بحرف التراخى فقال: ﴿ثم لقطعنا﴾ حتما بلا مثنوية بما لنا [2] من العظمة [2] قطعا يتلاشى عنده كل قطع ﴿منه الوتين﴾ أى العرق الأعظم فى العنق الثابت الدائم المتين الذى يسمى الوريد، و هو بين العلباء و الحلقوم، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه [3] نياط القلب، و فى القاموس: عرق فى القلب إذا [4] انقطع مات صاحبه - انتهى. و اختير التعبير به ١٠ لأن مادته بهذا الترتيب تدور على المتانة و الدوام، فلذا كان يفوت صاحبه بفواته، و قال ابن برجان: عرق متصل بنياط القلب مستبطن للصلب يملأ الجسد كله تسقيه الكبد و هى [5] بيت الدم و هو يجرى منها الدم فى البدن [6] يأخذ منه [7] ستون عرقا هى أنهار الدم فى الجسد كله، من هذه الأنهار تأخذ عروق الجسد ثمانية عشر تسقى الصدر، و سبعة ١٥ تسقى العين، و أربعة تسقى الدماغ، و الوتين من مجمع الوركين إلى مجمع

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: عنده من المثنوية (٣) من ظ و م، و فى الاصل: ان (٤) زيد فى الاصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل و ظ: هو (٦) من م، و فى الأصل و ظ: الجسد (٧) من ظ و م، و فى الاصل: منها.

الصدر بين الترقوتين، ثم ينقسم عنه سائر العروق إلى سائر الجسد، و لا يمكن فى العادة الحياة بعد قطعه، و فى المائدة عند قوله[1] "و الله يعصمك من الناس" ما ينفع هنا[2] ؛

و لما أتم تصوير ما يفعله الملوك بمن يغضبون عليه من أن يأخذ السيئات أو أعوانه بيمينه و يكبحه كالسيف فيضربه عنقه، سبب عنه قوله إتماما لعظمته بقوله: ﴿فما منكم﴾ أى أيها الناس، و أعرق فى النفى فقال: ﴿من أحد عنه﴾ أى القتل أو [المقتول -[3]] المنقول، و لما كان «احد» عاما حقق عمومه واصفا له، و[4] أخبر عن «ما» على لغة الحجاز بقوله: ﴿حجزين ۝﴾ أى يكون حاجزا جزما كثيفا مانعا من الوصول إليه فلا غرض يتعلق من عاقل أن ينصح لأحد بنصيحة تعود إلى المنصوح وحده بالنفع و لاحظ للقائل [فيها -[4]] بكذب يكلف نفسه تقوله على ملك لا يقدر ذلك المنصوح أن يحميه عن عقوبته / على ذلك الكذب، ٤٩٨ / و اختار الإخبار بالجمع لأنه يدل على عدم حجز الفرد من باب الأولى و «منكم» حال لتقدمه، و هذا كله كناية على أبلغ الوجوه عن ان هذا الذكر كلام الله لا شبهة فيه بوجه، مضموما ذلك إلى وجوه إعجازه، فان «لو» لامتناع الثانى لأجل امتناع الأول. فالتقدير كما يقال فى القياس الاستثنائى: لكنا لم نأخذه هذا الأخذ فثبت أنه ما تقول علينا شيئا، فثبت [ان -[5]] ما قال كلامنا ثبوتا تاما بالبرهان على وجه لا يرام نقضه .

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: هذا (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، وفى الاصل: او (٥) زيد من ظ و م .

و لما كان هذا كناية عن هذا من غير نظر إلى حقائق مفرداته و لا معنى شيء منها على انفراده، فكان كأنه قيل: تنزيل من رب العالمين غير متخيل فيه الكذب بوجه، عطف على ذلك قوله: ﴿و انه﴾ أى القرآن بعد أن كان ذكرا لجميع العالمين ﴿لتذكرة﴾ أى مذكر عظيم جدا ﴿للمتقين ۝﴾ أى من العالمين لأنهم المنتفعون به لإقبالهم عليه إقبال مستفيد.

و لما علم من هذا أنه سبحانه عالم بقسمى المسيء و المحسن ظواهرهم و بواطنهم، صرح بالقسم الآخر، فقال مؤكدا لأجل إنكار الضلال: ﴿و انا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿لنعلم﴾ أى علما عظيما [محيطا -[1]] ﴿ان منكم﴾ أيها الأرضيون السفليون الذين ليس لهم أهلية العلو إلى تجريد الأرواح عن[2] علائق الجسد الكثيفة ﴿مكذبين ۝﴾ أى عريقين[3] فى التكذيب فأنزلنا الكتب و أرسلنا الرسل ليظهر منكم إلى عالم[4] الشهادة منها ما كنا نعمله[5] فى الأزل غيبا من تكذيب و إيمان فتستحقون بذلك العقاب أو الثواب، فلذلك وجب فى الحكمة التى لا يكذب بها أحد و لا يشك فى أنها خاصة الملك المظهرة للكمال[6] أن يعيد الخلق إلى ما كانوا عليه من أجسامهم قبل الموت لنحكم بينهم فنجازى كلا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: من (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عريقون (٤) زيد فى الأصل: الغيب، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: نفعله (٦) من م، و فى الأصل و ظ: لكمال.

بما يليق به إظهارا للعدل .

و لما كان سبب التكذيب ستر ما تجليه مرائى العقول من الدلائل ، و كان التقدير : فانه بشرى للمؤمنين ، و لكنه طواه لأن السياق للتهديد بالحاقة ، عطف عليه قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب به ،

٥ ﴿ و انه ﴾ اى القرآن العظيم ﴿ لحسرة ﴾ أى بما يرى من تأويله فى الدنيا و الآخرة ﴿ على الكٰفرين ۝ ﴾ أى العريقين فى الكفر لكونهم كذبوا به لما يظهر لهم من جزائهم و جزاء المؤمنين .

و لما كان كل من الفريقين يذوق جزاءه فى الآخرة ، و كان كل أحد سمع القرآن ذاق أنه لا يقدر على الإتيان بشىء بمائله و لا يدانيه ،

١٠ قال مؤكدا تنزيلا لهم فى عداد الجاهلين : ﴿ و انه ﴾ أى القرآن أو الجزاء فى يوم الجزاء ﴿ لحق اليقين ۝ ﴾ / أى الأمر الثابت الذى[٢] ٤٩٩/ يذاق فيصير [لا ـ[٣]] يقبل الشك فهو يقين مؤكد بالحق ، من إضافة الصفة إلى الموصوف ، [و ـ[٣]] هو فوق علم اليقين ، و فى ذلك إشارة إلى أن العبد ينبغى له أن يتحقق لذلك معرفة الحق فيكون مشاهدا

١٥ للغيوب كمشاهدة المرئيات لما يشاهد من أمثالها ، فأمر البعث يشاهد كل يوم فى الليل و النهار و فى العام فى النبات و غير ذلك .

و لما كان البعث لهذا المقصد من أعظم الكمال ، و كان عدمه موجبا للنقص ، سبب عن كلا الأمرين إشارة و عبارة قوله آمرا بعد

---

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : للخبر كما (٣) زيد من ظ و م .

الإخبار فى أول المسبحات : ﴿ فسبح ﴾ اى أوقع التنزيه الكامل عن [١] كل شائبة نقص ﴿ باسم ﴾ أى بسبب علمك بصفات ﴿ ربك ﴾ أى الموجد و المربى لك و المحسن إليك بأنواع الإحسان ﴿ العظيم ﴾ الذى ملأت الأقطار كلها عظمته ، و زادت على ذلك بما شاءه سبحانه مما لا تسعه العقول لاسيما عن قولهم : لن يعيدنا ، فانه سبحانه و تعالى قادر على ٥ ذلك لا يعجزه شىء ، و قد وعد بذلك و هو صادق الوعد ، و عدم البعث مخل بالحكمة لظلم أكثر الناس ، و فيه إشارة إلى المتاركة ، و تعجيب من حالهم فى تصميمهم على الكذب و العناد ، و الجلد على الجدل و الفساد ، فقد رجع آخر السورة على أولها باحقاق الحاقة لنفى ما وقع الخبط فيه فى دار الاحتجاب بالأسباب من مواقع النقص و مظنات ١٠ اللبس ، فيثبت الحق و ينفى الباطل فيفرق بين المحسن و المسىء و السعيد و الشقى ، فيحق السلام لحزب الرحمن ، و يثبت [٢] الهلاك لأصحاب الشيطان ، و يظهر اسمه الظاهر لكل مؤمن و كافر ، إن فى ذلك لعبرة لأولى الألباب [٣] و الله الهادى [٣] .

* * *

سورة سأل و تسمى المعارج [٤]

مقصودها إثبات القيامة و إنذار من كفر بها و تصوير عظمتها بعظمة

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يحق .
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) السبعون من سور القرآن الكريم مكية ، و هى ٤٤ آية .

ملكها و طول يومها و تسلية المنذر بها بما لمن كذبه بما له من الصغار و الذل و التبار[١]، و دل على وجوب وقوعها سابقا بما [٢]ختمه بتسميتها[٢] فى السورة الماضية بالحاقة تنبيها على أنــه لابد منها و لا محيد عنها، و دل على ذلك بالقدرة فى أولها و العلم فى أثنائها و[٣] التنزه عما فى إهمالها من النقص فى آخرها / و لا خفاء بما أخبر من أنه أرسل جميع رسله بالتحذير منها فأرسل نوحا عليه السلام فى الزمان الأقدم كما ذكر فى سورته عند ما اختلف الناس بعد ما كانوا عليه فى زمان ابيهم آدم عليه الصلاة و السلام من الاتفاق[٤] على الدين الحق فافترقوا إلى مصدق و مكذب، فعلم منه أن من بعده أولى بذلك لقربهم منها، و أتبع ذلك الإعلام أنه دعا إلى ذلك الجن الذين كان سبيلهم فيها سبيل الآدميين، و أتبع ذلك - [٥] - بعد إرسال أول الرسل بهـا زمانا - آخرهم زمانا و أولهم نبوة حين كان نبيا و آدم بين الروح و الجسد، فبدأ فى سورة المزمل بنبوته[٦] و مزيد تزكيته و تقديسه و رفعته و الإخبار عن رسالته و التحذير من مخالفته، و أتبع ذلك الإنذار[٧] بها بالصدع بالرسالة بمحو كل ضلالة، فلما تقررت نبوته و ثبتت رسالته على أجل الوجوه و أجلاها

٥٠٠ / ٥ ١٠ ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: التبادر (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: ختم به من تسميتها (٣) زيد فى الأصل: التنزل و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الاتفان (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فى نبوته (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالانذار.

و أبينها

و أبينها و أعلاها و اشرفها و اولاها ، جعل سبحانه سورة القيامة كلها لها إعلاما بأن الأمر [عظيم - [1]] جدا يجب الاعتناء به و التأهب له و الاجتهاد بغاية القوة و إفراغ الجهد ، ثم أتبع ذلك الإنسان دلالة على أنه المقصود بالذات من الأكوان ، فلا يسوغ فى الحكمة أن يجعله سبحانه سدى ، و بين كثيرا من أحوالها ثم أقسم فى المرسلات أن أمرها حق لابد منه و لا مندوحة عنه ، ثم عجب فى « عم » [منهم - [2]] فى تساؤلهم عنها و تعجيبهم منها ثم أقسم على وقوعها فى النازعات و صور من أمرها و هزاهزها ما أراد ، ثم أولى ذلك الدلالة فى سورة عبس على أن من الناس من طبع على قلبه فلا حيلة فى تصديقه بها مع ما يتبين بالسورة الماضية و غيرها من أمرها ، ثم صورها فى « كورت » تصويرا صارت من رأى عين لو كشف الغطاء ما ازداد الموقنون بها يقينا ، ثم بين فى الانفطار أن الأمور فيها ليست على منهاج الأمور هنا ، بل الأسباب كلها منقطعة و الأنساب مرتفعة ، و الكل خاضعون مخبتون خاشعون ، أعظمهم فى الدنيا تجبرا أشدهم[3] هنالك صغارا و تحسرا ، ثم أتبع ذلك من يستحق هنالك النكال و السلاسل و الأغلال ، ثم أولاه رفعة أهل الإيمان الذين طبعهم على الإقرار بها و العرفان ، و استمر [على - [2]] هذا إلى أخر القرآن قل أن تأتى سورة إلا و هى معرفة بها غاية المعرفة إلى أن ختم بالدين إشارة بذلك إلى أن معرفتها هى [الدين - [1]]

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اشد .

و أشار فى «تبت» إليها و أتبعها الإخلاص إشارة إلى أنه لا يسلم فيها إلا الموحدون المعاذون من الفتن الظاهرة و الباطنة ، المتصفون بالمحامد المتعاظمة المتكاثرة ، فآذن ذلك أن أكثر غاية القرآن فى أمرها العظيم الشأن لأنه / [1]لا كتاب بعد هذا الكتاب[1] ينتظر و لا أمة اشرف من هذه ٥٠١ /
٥ [2]تخص ببيان[2] أعظم من بيانها و هو[3] أحد الأوجه التى فاق بها القرآن على الكتب الماضية و الصحف الكائنة فى القرون الخالية ، و آذن ذلك بأن الأمر قد قرب و الهول قد دهم و الخوف قد قدح ، ليشمر أهل الاختصاص فى النجاة من عذابها و الخلاص ، حين لا مفر و لا ملجأ ولات حين مناص ، نسأل الله العافية فى يومها و العيشة الراضية ، و على
١٠ هذا المقصد دل اسمها « سأل » و كذا المعارج و هما أنسب ما فيها للدلالة على ذلك ، وقانا الله سبحانه و تعالى من آفاتها و المهالك آمين ﴿بسم الله﴾ الملك الأعظم الذى تنقطع [4]الأعناق و الآمال[4] دون عليائه ﴿الرحمن﴾ الذى أوضح نعمة البيان و عم بها و شهرها حتى صارت فى الوضوح إلى حد لا مطمع [لأحد - ٥] فى [ادعاء - ٥] خفائه ﴿الرحيم ٥﴾
١٥ الذى [اصطفى - ٥] من عباده[6] من وفقه [للفهم - ٥] عنه و الطاعة له ، فكان من أوليائه .

(١-١) تكر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الأمه تحقق بلسان (٣) من م ، و فى الاصل و ظ : هى (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الامال و الاعناق (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : علاه .

لما ختم أمر الطامة الكبرى فى الحاقة حتى[1] ثبت أمره ، و تساوى سره و جهره ، [2]و دل عليها[2] حتى لم يبق هناك نوع لبس فى وجوب التفرقة فى الحكمة بين [3]المحسن و المسىء[3] ، و ختم بأن ترك ذلك مناف للكمال فيما تعارقه[4] من أمور العمال[5] بعد أن أخبر أنه يعلم أن منهم مكذبين ، وكان السائل عن شىء يدل على [أن ـ[6]] السائل ما فهمه ٥ حق فهمه ، و لا اتصف بحقيقه علمه ، عجب فى أول هذه ممن سأل عنها فقال : ﴿ سآل ﴾ و دل على أنه لو لم يسأل عنها إلا واحد من العباد لكان جديرا بالتعجب منه و الإنكار عليه بالإفراد فى قوله : ﴿ سآئل ﴾ و هو من السؤال فى قراءتى من خفف بابدال الهمزة ألفا و من همز .

و لما كان سؤالهم من وقت مجىء الساعة و العذاب و طلبهم ١٠ تعجيل ذلك إنما هو استهزاء ، ضمن « سأل » استهزاء ثم حذفه و دل عليه بحال انتزعها منه و حذفها و دل عليها بما تعدى به فقال ، أو أنه حذف مفعول السؤال المتعدى "بعن" ليعم[7] كل مسؤل عنه إشارة إلى أن [من ـ[6]] تأمل الفطرة الأولى و ما تدعو إليه من الكمال فأطاعها فكان مسلما فاضت عليه العلوم ، و برقت له متجليه أشعة الفهوم ، فبين ١٥ المراد من دلالة النص بقوله : ﴿ بعذاب ﴾ أى عن يوم القيامة بسبب

(١) فى ظ و م : حتما (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : كل فيها (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : المسىء والمحسن (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مفارقة . (٥) من ظ و م ؛ و فى الأصل : الثمانى (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ليتم .

عذاب أو مستهزئا بعذاب عظيم جدا ﴿ واقع ۝١ ﴾ و عبر باللام تهكما منهم مثل "فبشرهم بعذاب" فقال: ﴿للكفرين﴾ أى الراسخين فى هذا الوصف بمعنى: إن كان [لهم -١] فى الآخرة شىء فهو العذاب، و قراءة نافع و ابن عامر بتخفيف الهمزة [أكثر -٢] تعجبا أى اندفع ٥ [فمه بالكلام -١] و تحركت / به شفتاه لأنه مع كونه يقال: سال يسال مثل خاف يخاف لغة فى المهموز يحتمل أن يكون من سأل يسأل، قال البغوى[٣]: و ذلك أن أهل مكة لما خوفهم النبى صلى الله عليه و سلم بالعذاب قالوا: من أهل هذا العذاب و لمن [هو -١]؟ سلوا عنه، فأنزلت. /٥٠٢

١٠ و لما أخبر بتحتم وقوعه علله بقوله: ﴿ ليس له ﴾ أى بوجه من الوجوه و لا حيلة من الحيل ﴿ دافع ۝١ ﴾ مبتدئ ﴿ من الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى لا كفؤ له فلا أمر لأحد معه، و إذا لم يكن له دافع [منه لم يكن دافع -١] من غيره و قد تقدم الوعد به، و دلت الحكمة عليه فتحتم وقوعه و امتنع رجوعه.

١٥ و لما كان القادر يوصف بالعلو، و العاجز يوصف بالسفول و الدنو، وكان ما يصعد فيه إلى العالى يسمى درجا، و ما يهبط فيه إلى السافل [يسمى دركا -١]، و كانت الأماكن كلها بالنسبة إليه سبحانه على حد سواء، اختير التعبير بما يدل على العلو الذى يكنى به عن القدرة و العظمة، فقال واصفا بما يصلح كونه مشيرا إلى التعليل: ﴿ذى المعارج ۝٣﴾

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) فى معالم التنزيل بهامش لباب التأويل ٧/ ١٢٣.

اى الدرج التى[1] لا انتهاء لها اصلا - بما دلت عليه صيغة منتهى الجموع و هى[2] كناية عن العلو، و سميت بذلك لأن الصاعد[3] فى الدرج يشبه مشية الأعرج، و روى عن ابن عباس[4] رضى الله عنهما أنها السماوات، و دل على ما دلت عليه الكثرة مع الدلالة على عجيب القدرة فى تخفيفها على الملائكة بقوله: ﴿ تعرج الملٓئكة ﴾ أى و هم أشد الخلق ٥ و أقدره[5] على اختراق الطباق، و الإسراع فى النفوذ حتى يكونوا أعظم من لمح البرق[6] الخفاق ﴿ و الروح ﴾ أى جبريل عليه السلام، [خصه -[7]] تعظيما له، أو هو خلق هو أعظم [من -[7]] الملائكة، و قيل: روح العبد المؤمن إذا قبض ﴿ اليه ﴾ اى محل مناجاته و منتهى ما يمكن من العلو لمخلوقاته، و علق بالعروج[8] أو بواقع قوله: ﴿ فى يوم ﴾ اى من ١٠ أيامكم، و بين عظمته بقوله: ﴿ كان ﴾ أى كونا هو فى غاية الثبات ﴿ مقداره ﴾ أى لو كان الصاعد فيه آدميا ﴿ خمسين الف ﴾ و بين المشقة فى صعوده أو الكون فيه إن أريد القيامة بأن قال: ﴿ سنة ج ﴾ و لم يقل: عاما - مثلا، و يجوز أن يكون هذا اليوم ظرفا للعذاب فيكون المراد به يوم القيامة، و أن يكون طوله على الكافر باعتبار ١٥ ما يلحقه من الغم لشدة المخاوف عليه لأنه[9] ورد أنه يخفف على المؤمن

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: هو. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: القاعد (٤) راجع معالم التنزيل ٧/١٣٤ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اقدرهم (٦) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: العروج. (٩) فى ظ و م: فانه.

حتى يكون بمقدار صلاة واحدة ـ انتهى .

و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما[١] ان المعنى [أنه ـ[٢]] لو ولى الحساب غير الله لم يفرغ منه إلا فى هذا المقدار ، و يفرغ منه هو سبحانه فى نصف يوم من أيام الدنيا ، و قال مجاهد و الحكم و عكرمة : هو / عمر الدنيا من أولها إلى آخرها خمسون ألف سنة لا يدرى أحدكم مضى وكم بقى إلا الله ، و قد مضى فى سورة "الم السجدة" ما ينفع ههنا . ٥٠٣/٥

و لما كان هذا كله تسلية[٣] للنبى صلى الله عليه و سلم عن استعجالهم إياه بالعذاب استهزاء و تكذيبا سواء أريد تصوير العظمة أو العذاب ، سبب عنه قوله : ﴿ فاصبر ﴾ أى على أذاهم و لا ينفك ذلك عن تبليغهم فانك شارفت [وقت ـ[٢]] الانتقام منهم أيها الفاتح الخاتم الذى لم أبين[٤] لأحد ما بينت على لسانه ، والصبر : حبس النفس على المكروه من الإقدام أو الإحجام ، و جماله بسكون الظاهر[٥] بالتثبت و الباطن[٦] بالعرفان[٧] ﴿ صبرا جميلا ٥ ﴾ أى لا يشوبه شىء من اضطراب و [لا ـ[٢]] استثقال ، ولا شكوى ولا استعجال ، فان عذابهم[٨] و نصرك عليهم لعظمة من أرسلك ، فلا بد من وقوعه لأن القدح فيه و التكذيب به قدح[٩] فيها ، و هذا قبل الأمر بالقتال .

(١) راجع المعالم ٧/١٢٤ (٢) زيد من ظ و م (٣) فى م : مسليا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لم تبين (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الظواهر (٦) من ظ و فى الأصل : البواطن (٧) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : عذابك لهم (٩) من ظ و فى الأصل : قدحا .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما انطوت سورة الحاقة على أشد [وعيد - [1]] و أعظمه أتبعت بجواب من استبطأ ذلك و استبعده إذ هو مما يلجأ إليه المعاند الممتحن ، فقال تعالى « سال سائل بعذاب واقع[2] » إلى قوله " انهم يرونه بعيدا و نراه قريبا " ثم ذكر حالهم إذ ذاك « يوم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه » الآية ، ثم أتبع بأن ذلك لا يغنى ٥ عنه [و لا يفيده " انها لظى " ثم ختمت السورة بتأكيد الوعيد - [1]] و أشد التهديد « فذرهم يخوضوا و يلعبوا » إلى قوله " ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون " ذلك يوم الحاقة و[3] يوم القارعة - انتهى .

و لما كان كونه تعالى ، بما تقدم من العظمة ، أمرا معلوما بما له من الآثار من هذا الكون [و ما - [1]] فيه ، و كان استبعادهم لما أخبر به ١٠ أمرا واهيا ضعيفا سفسافا لا يكاد يصدق أن أحدا يحاول أن يرد به هذه الامور التى هى فى وضوحها كالشمس لا خفاء بها أصلا و لا لبس قال مؤكدا : ﴿ انهم ﴾ اى الكفار[4] المكذبين المستعجلين[4] ﴿ يرونه ﴾ أى ذلك اليوم الطويل أو عذابه ﴿ بعيدا[5] ﴾ أى زمن وقوعه ، لأنهم يرونه غير ممكن أو يفعلون أفعال من يستبعده ﴿ و نراه ﴾ لما لنا من ١٥ العظمة التى قضت بوجوده و هو علينا هين[5] ﴿ قريبا[5] ﴾ سواء أريد بذلك قرب الزمان أو قرب المكان ، فهو هين [على قدرتنا - [1]] و هو آت

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : للكافرين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها .

لا محالة، و كل آت قريب و [1] البعيد و القريب [1] عندنا على حد سواء.

و لما ذكر عن هذا اليوم ما يبعث على [2] السؤال عنه، استأنف بيانه مبينا عظمته فقال: ﴿يوم﴾ أى يقع حين ﴿تكون السمآء﴾ [أى - [3]] التى هى أوثق ما تراه/ و أصلبه من عظم [4] ما يقع فيه من الأهوال /٥٠٤

٥ ﴿كالمهل ۝﴾ أى الشىء [5] المذاب من المعادن فى مهل أو دردى الزيت ﴿و تكون الجبال﴾ التى هى أشد الأرض و أثقل ما فيها ﴿كالعهن ۝﴾ أى الصوف المصبوغ ألوانا المنقوش، تطيره الريح كالهباء، و ذلك لأن الجبال فى أصلها متلونة كما قال تعالى «و من الجبال جدد و بيض و حمر» الآية، قال البغوى [6]: و لا يقال عهن إلا للمصبوغ، قال: و أول ما تتغير

١٠ الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا [ثم هباء - [7]] منثورا - انتهى. ﴿و لا يسئل﴾ من شدة الأهوال ﴿حميم حميما ۝﴾ أى قريب فى غاية القرب و الصداقة قريبا مثله [8] عن شىء من الأشياء لفرط الشواغل و لأنه قد كشف لهم أنه لا تغنى نفس عن نفس شيئا، و انه قد تقطعت الأسباب و تلاشت الأنساب لما كشف الابتلاء عن أنه لا عز إلا

١٥ بالتقوى - هذا على قراءة الجماعة بفتح الياء و [على - [3]] قراءة ابن كثير بالبناء للمفعول المعنى أنه لا يطالب أحد بأحد كما بعض الحكام فى الدنيا

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: القريب و البعيد (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ و م: عظمت (٥) من ظ و م، و فى الأصل: السديد (٦) راجع المعالم ٧ / ١٢٥ (٧) زيد من ظ و م و المعالم (٨) من ظ و م، و فى الأصل: منه.

من

من انه يلزم اقارب من قربه لانه لا حاجة له بذلك، لان القدرة محيطة بالكل على حد سواء .

و لما كان عدم السؤال قد يكون لعدم رؤية بعضهم بعضا لكثرة الجمع و شدة الزحام و تفرق الناس فيه على حسب مراتب أعمالهم، استأنف الجواب لمن كأنه يقول: لعل ذلك يترك لعدم رؤيتهم لهم؟ ٥ فقال دالا بالمجهول و التفعيل على عظمة ذلك التبصير[١] و خروجه عن العادة جامعا لأن المقصود من الحميم الجنس و الجمع أدل على عموم التبصير[١]، قال البغوى[٢]: و ليس فى القيامة مخلوق إلا و هو نصب عين[٣] صاحبه من الجن و الإنس - انتهى، و كان حكمة ذلك أنه أدل على تقطع الأسباب فلا [يسأل - [٤]] أحد منهم الآخر عن شيء من أمره ١٠ لاشتغال كل[٥] بنفسه، فعدم السؤال لا للخفاء بل للاشتغال[٦] و هم كل إنسان بما عنده[٦]: ﴿ يبصرونهم[٦] ﴾ أى يبصرهم[٧] مبصر فلا يخفى أحد على أحد و إن بعد مكانه و يفر كل من الآخر لشغله بنفسه . و لما تناهى الإخبار بعظمة ذلك اليوم إلى حد لا تحتمله القلوب، ذكر نتيجة ذلك فقال مستأنفا: ﴿ يود ﴾[٦] أى يتمنى و يشتهى[٦] ﴿ المجرم ﴾ أى هذا النوع سواء ١٥ كان كافرا أو مسلما عاصيا علم أنه يعذب بعصيانه، و قيد به لأن المسلم الطائع

(١) من ظ م، و فى الأصل: التبصر (٢) فى المعالم ٧ / ١٢٥ (٣) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل: على (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لكل (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) زيد فى الأصل: فيهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

يشفع فيمن أذن له فيه و لا يهمه شيء من ذلك ، و دل على [أن-[1]] هذه الودادة مجرد تمن بقوله : ﴿لو يفتدى﴾ أى[2] نفسه ﴿من عذاب يومئذ﴾ / أى يوم إذ كانت [هذه-[1]] المخاوف بأعلق الناس بقلبه و أقربهم منه فضلا عن أن يسأل عن أحواله . /٥٠٥

٥ و لما كان السياق للافتداء ، بدأ بأعزهم فى ذلك بخلاف ما يأتى فى عبس فقال : ﴿ببنيه﴾ لشدة ما يرى .

و لما ذكر ألصق الناس بالفؤاد و أعز من يلزمه لنصره و الذب عنه ، أتبعه ما يليه فى الرتبة و المودة و ما الافتداء به لا سيما عند العرب[3] من أقبح العار فقال : ﴿و صاحبته﴾ أى زوجته التى يلزمه الذب

١٠ عنها و الكون دائماً معها لكونها عديلة روحه[4] فى الدنيا[4] .

و لما ذكر الصاحبه لما لها من تمام الوصلة ، أتبعها الشقيق الذى لا يلزم من الذب عنه ما[5] يلزم من الذب عن الحريم و ربما كان مباينا ، فقال : ﴿و اخيه﴾ .

و لما كان من بقى من الأقارب بعد ذلك متقاربين فى الرتبة ذكر

١٥ أقربهم فقال : ﴿و فصيلته﴾ أى عشيرته الذين هم أقرب من فصل عنه ﴿التى تؤويه﴾ أى تضمه إليها عند الشدائد و تحميه ، لأنه أقرب

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : القرب (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : من .

الناس إليها و أعزهم عليها فهم أعظم الناس [1] حقا عليه [1] و أعزهم لديه .

و لما كانت هذه الآية فى الفدية ، قدم الأبعد عن ذلك فالأبعد من جهة النفع و المعرة . و لما كانت آية عبس فى الفرار و النفرة ، قدم الألصق فالألصق ، و الأعلق فى الأنس فالأعلق .

و لما خص هنا عم فقال : ﴿ و من فى الارض ﴾ أى من الثقلين ٥ و غيرهم سواء كان فيهم صديق لا صبر عنه و لابد فى كل حال منه أو لا . و لما كان ربما خص ذلك بغيره ، قال محققا لإرادة الحقيقة فى معنى « من » : ﴿ جميعا لا ﴾ .

و لما كان الإنسان تكشف له الأمور هناك أى كشف ، و تظهر له أتم ظهور ، قال تعالى " فبصرك اليوم [حديد -[2]] " فيعلم أنه لا ينجيه ١٠ من الخطايا المحيطة المحبطة [3] شىء ، دل على الاستبعاد بأداة البعد فقال عاطفا على "يفتدى" : ﴿ ثم ينجيه لا ﴾ أى ثم يود لو يكون له بذلك نجاة تتجدد له فى وقت من الأوقات .

و لما كان هذا [مما - [2]] قد يطمع فى النجاة ، فان بعض الناس يطبع على قلبه فيستغويه [4] الأطماع حتى يعد المحال ممكنا ، قال معبرا ١٥ بمجمع الروادع و الزواجر [5] الصوادع : ﴿ كلا ﴾ أى ليكن للمجرم ردع

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : عليها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : المحيطة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : حتى يستهويه .
(٥) زيدت الواو فى الأصل و م و لم تكن فى م فحذفناها .

أيّ ردع عن وداده[1] هذا و ترتب أثره عليه ، فان ذلك لا يكون أبدا بوجه من الوجوه .

و لما كان الإضمار قبل الذكر لتعظيم ذلك المضمر فى المهيع الذى هو فيه ، لأن ذلك إشارة إلى أنه مستحضر فى[2] الذهن لا يغيب أصلا لما للقام عليه من عظيم الدلالة ، قال بعد هذا الردع العظيم عن النجاة بل[3] عن ودادة تمنيها : ﴿ انها ﴾ أى النار / التى هى سوط[4] الملك المعد لمن[5] عصاه ، المهدد فى هذا السياق بعذابها ، المستولية عليه لتكون سجنه : ﴿ لظى ﴾ أى ذات اللهب الخالص المتناهى فى الحر[6] يتلظى أى يتوقد فيأكل بسببه بعضها بعضا إن لم تجد ما تأكله و تأكل ما و جدته كائنا ما كان ﴿ نزاعة للشوى ﴾ أى هى شديدة النزع[6] لجلود الرؤس بليغته[7] فما الظن بغيره من الجلد . و قال فى القاموس : الشوى : اليدان و الرجلان و الأطراف و قحف الراس و ما كان غير مقتل - انتهى ، و قيل : و الجلد كله و اللحم تنزع ذلك ثم يعود كما كان فى الحال ليروا التعب الذى

/ ٥٠٦

(١) زيد فى الأصل : بعد ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل : عظيم . و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الاصل : بعد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : سول (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الحرب (٧) من ظ و م ، و فى الاصل : النزاع (٨) زيد فى الأصل : اى شديدة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

كانوا ينكرونه فى انفسهم [1] فى كل [1] لحظة .

و لما كان الخلاص غير ممكن من الداعى القادر على [2] الإحضار كنى عن إحضارها إياهم و جذبها لهم بقوله : ﴿ تدعوا ﴾ و يجوز أن يكون ذلك حقيقة فتقول فى الدعاء فى [2] نفسها : إلىّ يا مشرك إلىّ يا منافق ، و نحو ذلك [3] ثم تلتقطهم التقاط الطير للحب ﴿ من ﴾ أى كل شخص [4] ﴿ ادبر ﴾ ٥ أى [4] من الجن و الإنس [أى [4] من وقع منه إدبار عما من حقه الإقبال عليه سواء كان ذلك الإدبار عنها أو عن الأعمال التى من شانها التنجية [منها [5]] ، و لما كان الإدبار قد يكون عن طبع غالب فيكون صاحبه فى عداد من يعذر ، بين أن الأمر ليس كذلك فقال : ﴿ و تولى ﴾ أى كلف فطرته الأول المستقيمة الإعراض عن أسباب النجاة . ١٠

و لما كانت الدنيا و الآخرة ضرتين ، فكان الإقبال على إحداهما دالا على الإعراض عن الأخرى ، قال دالا على إدباره بقلبه : ﴿ وجمع ﴾ أى كل ما كان منسوبا إلى الدنيا .

و لما كانت العادة جارية بأن من كانت الدنيا أكبر همه كان همه بجمعه الاكتناز لا الإنفاق ، سبب عن جمعه قوله : ﴿ فاوعى [5] ﴾ أى ١٥ جعل ما جمعه فى وعاء و كنزه حرصا و طول أمل و لم يعط حق الله فيه ، فكان [6] همه الإيعاء لا إعطاء [6] ما وجب من الحق إقبالا على الدنيا

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : كله (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الى .
(٣) فى م : هذا (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) زيد من ظ و م .
(٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : حقه الاعطاء لا الايعاء .

و إعراضا عن الآخرة .

و لما كان من أعجب العجب أن يقبل على الدنيا أحد يسمع هذا التهديد بالعرض بين يدى الله و العقاب لمن لم يقبل على عبادته سبحانه ، بين ان ذلك لما جبله عليه سبحانه و أن الإنسان مقهور مع جبلته إلا من حفظه الله ، و ذلك [دال -[1]] من كلا الطرفين على عظيم قدرته سبحانه ، قال مؤكدا لاقتضاء المقام للتأكيد لأن الإنسان لو خوف بالعرض على بعض الأمراء ما[2] لابس ما يغضبه فكيف بالعزيز الحكيم القدير العليم: ﴿ ان الانسان ﴾ أى هذا / الجنس ، عبر به لما له من الأنس بنفسه و الرؤية لمحاسنها و النسيان لربه و لذنبه . /٥٠٧

و لما دعا الحال إلى بيان الجبلة الداعيـــة إلى ما يقتضيه باختيار صاحبها على[3] وجـــه كأنه إلجاء بيانا لسهولة الأمور عليه سبحانه بنى للمفعول قوله : ﴿ خلق هلوعا ﴾ اى جبل جبلة هو فيها بليغ الهلع و هو أفحش الجزع مع شدة الحرص و قلة الصبر و الشح[4] على المال و الرغبة فيما لا ينبغى ، و عن ابن عباس رضى الله[5] عنهما أنه الحريص على ما لا يحل له[6] ، و روى عنه أن تفسيره ما[7] بعده .

و لما كان الهلع شدة الحرص و قلة الصبر ، نشر معناه فقال مقدما

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لما (٣) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : التشح . (٥) راجع المعالم ١٢٥/٧ (٦) زيد فى الأصل و ظ : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فيما .

المعمول الذى هو الظرف على العامل بيانا لإسراعه فى ذلك : ﴿ اذا مسه ﴾ [أى - [1]] أدنى مس ﴿ الشر ﴾ أى هذا الجنس و هو ما تطاير شرره[2] من الضر ﴿ جزوعا ﴾ أى عظيم الجزع ، و هو ضد الصبر بحيث يكاد صاحبه ينقد نصفين و يتفتت ﴿ و اذا مسه ﴾ أى كذلك ﴿ الخير ﴾ أى هذا الجنس و هو ما يلائمه فيعينه من السعة فى المال و غيره من أنواع ٥ الرزق ﴿ منوعا ﴾ أى مبالغا فى الإمساك عما يلزمه من الحقوق للانهماك فى حب العاجل و قصور النظر عليه وقوفا مع المحسوس لغلبة الجمود و البلادة ، و هذا الوصف ضد الإيمان ، لأنه [نصفان - [1]] : صبر وشكر .

و لما كان التقدير : فهو يسارع فى آثار ما جبل عليه مما يترتب[3] على الجزع مما لا يجوز فى الشرع و مما يترتب على المنع من ذلك أيضا ١٠ فيكون من أهل النار ، و كان من القدرة البالغة أن يحفظ سبحانه من أراد من الخزى مع جبلته و يحمله على كسر نفسه مرة بعد أخرى حتى يتلاشى ما عنده من جبلة الشر و تبقى الروح على حالها[4] عند الفطرة الأولى ، فلا تزال تحثه على المبادرة إلى طاعته سبحانه و تعالى و حفظ حدوده ، فكان لا كرامة أعظم من حفظ المكلف لحدود الشرع ١٥ مع المنافاة لطبعه ، فيكون جامعا للايمان بنصفيه : الصبر و الشكر ، لما جمع من هذه الأوصاف الثمان المعادة لأبواب الجنة الثمان ، فكانت أسبابا لها ، استثنى [من - [1]] هذا النوع الهلوع و لذلك جمع فقال :

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : شره (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يترتب (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ما بها .

﴿ الا المصلين ﴾ أى المحافظين على الصلاة التى هى مواطن الافتقار، العريقين فى هذا الوصف، فانه لا يشتد هلعهم فلا يشتد جزعهم و لا منعهم، فيكونوا فى أحسن تقويم معتدلين مسارعين فيما يرضى الرب، لأنه سبحانه قرن بما جبلهم عليه من الهلع من طهارة الجسد لطهارة طينته و زكاء[1] روحه ما هيأه به لتهذيب نفسه مما يسره له من أصدقاء[2] الخير و أولياء المعروف و سماع المواعظ الحسان و الإبعاد عن معادن الدنس من البقاع و الاقران و الكلام و الأفعال و غير ذلك / من سائر الأحوال، و الملابسة بكل ما يحمل على المعالى من صالح الخلال[3] حتى كانوا من أهل الكمال، و لذلك وصفهم بما يبين عراقتهم فى الوصف بها فقال: ﴿ الذين هم ﴾ أى بكلية ضمائرهم و ظواهرهم ﴿ على صلاتهم ﴾ أى التى هى معظم دينهم و هى النافعة لهم لالغيرهم - بما أفادته الإضافة، و المراد الجنس الشامل لجميع الأنواع إلا أن معظم المقصود الفرض، [و -[4]] لذلك عبر بالاسم[5] الدال على الثبات[5] فى قوله: ﴿ دآئمون ﴾ أى لا فتور لهم عنها[6] و لا انفكاك لهم منها بل يلازمونها[7] ملازمة يحكم بسببها أنها فى حال الفراغ منها نصب أعينهم بدوام الذكر لها و التهيئى لأدائها لأنها صلتهم بمعبودهم[8] الذى لا خير عندهم إلا منه، فلم

/ ٥٠٨

(١) من ظ و م، و فى الأصل: زكاة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اصداق.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: ومعه (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: الدابت (٦) من ظ و م، و فى الأصل: عليها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يلازمون (٨) من ظ و م، و فى الأصل: ومعبودهم.

يكونوا ناسين لمساوئهم ولا آسين بمحاسنهم ، و كفى بالصلاة بركة فى دلالتها على النجاة من هذا الوصف الموجب لأسباب النار ، و هى عبادة ذات شروط و أركان و أبعاض و هيئات [و سنن -[1]] و آداب مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم ، و هى منقسمة إلى ذات ركوع و سجود ، و إلى ذات سجود بلا ركوع كسجدة الشكر و التلاوة ، و إلى ما[2] لا ركوع فيها و لا سجود كصلاة الجنازة .

و لما ذكر زكاة الروح ، أتبعه زكاة عديلها المال ، فقال مبينا للرسوخ[3] فى الوصف بالعطف بالواو : ﴿و الذين فى أموالهم﴾ اى التى منّ سبحانه بها[4] عليهم ﴿حق﴾ و لما كان السياق هنا لأعم من المحسنين الذين تقدموا فى الذاريات اقتصر على الفرض فقال : ﴿معلوم ص لا﴾ أى من الزكوات و جميع النفقات [الواجبة -[1]] .

و لما كان فى السؤال من بذل[4] الوجه و كسر النفس[4] ما يوجب الرقة مع وقاية النفس مع المذمة ، قدم قوله : ﴿للسآئل﴾[5] أى المتكلف لسؤال الإنفاق المتكفف[5] . و لما كان فى[6] الناس من شرفت همته و علت[7] رتبته على مهاوى الإبتذال بذل السؤال من الاقلال[8] بذب المقبل على الله للتفطن و التوسم لأولئك [فقال -[1]] : ﴿و المحروم ص لا﴾ أى المتعفف[9]

---

(١) زيد من ظ و م (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) من ظ و م و فى الأصل : للروح (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : النفس و كسر الوجه . (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : من . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : غلبت (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : الأول . (٩) من ظ ، و فى الأصل و م : المتكلف .

الذى لا يسأل فيظن غنيا و لا مال له يغنيه[1] فهو يتلظى بناره فى ليله و نهاره، و لا مفزع له بعد ربه المالك لعلانيته و إسراره إلا إلى إفاضة مدامعه بذله و انكساره، و هذا من الله تعالى حث على تفقد أرباب الضرورات ممن لا كسب له و من افتقر بعد الغنا، و قد كان[2] للسلف الصالح فى هذا[2] و أشباهه قصب السبق، حكى عن زين العابدين[3] أنه لما مات وجد فى ظهره آثار سود عند غسله كأنها السيور، فعجبوا منها، [4] فلما كان بعد أيام قال[4] نسوة أرامل /: كان شخص يأتى إلينا ليلا بقرب الماء و أجربة الدقيق على ظهره ففقدناه [و احتجنا -[5]]، فعلموا أنه هو و أن تلك السيور من ذلك، و حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن شخصا رآه ماشيا فى زمن خلافته[6] فى الليل[1] فتبعه[7] حتى يعلم إلى أين يقصد، فلم يزل رضى الله عنه حتى جاء[7] إلى بيت [نسوة -[5]] أرامل فقال: أعندكن[8] ماء و إلا أملأ[8] لكن، فأعطينه جرة فأخذها و ذهب فملأها على كتفه و أتى بها إليهن، و الحكايات[9] عنهم فى[9] هذا الباب كثيرة شهيرة جدا.

/٥١٠

[10] و لما كان المال قد يصرف لإصلاح الدنيا، بين أن النافع

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يغنمه (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ازين العابد (٤ - ٤) فى ظ و م: فقال بعد موته (٥) زيد من ظ و م (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: ليلا (٧ - ٧) فى ظ و م: فجاء (٨) من ظ و م، و فى الأصل: عند كم (٩ - ٩) من ظ و م، و فى الأصل: عن.

منه إنما هو المصدق للايمان فقال: ﴿ و الذين يصدقون ﴾ أى يوقعون التصديق لمن يخبرهم و يجددونه كل وقت ﴿ بيوم ﴾ و لما كان المقصود الحث على العمل لأجل العرض على الملك الأعلى عبر بقوله: ﴿الدين[1]﴾ أى الجزاء الذى ما مثله و هو يوم القيامة الذى يقع الحساب فيه والدينونة على النقير و القطمير و التصديق به حق التصديق الاستعداد له بالأعمال الصالحة، فالذين يعملون لذلك اليوم هم العمال، و أما المصدقون بمجرد الأقوال فلهم الوبال و إن انفقوا أمثال الجبال.

و لما كان الدين معناه الجزاء من الثواب و العقاب، وكان ربما صرفه صارف إلى الثواب فقط للعلم بعموم رحمته سبحانه، و أن رحمته غلبت غضبه، صرح بالعقاب فقال: ﴿ و الذين هم ﴾ أى بجميع ضمائرهم ﴿ من عذاب ربهم ﴾ أى المحسن إليهم، لامن عذاب غيره، فان المحسن أولى[2] بأن يخشى[2] و لو من قطع إحسانه، و إذا خيف مع تجليه فى مقام الإحسان كان الخوف أولى عند اعتلائه فى نعوت الجلال من[3] الكبر و القهر و الانتقام[4] ﴿مشفقون ۝ ﴾ أى خائفون فى هذه الدار خوفا عظيما هو فى غاية الثبات من أن يعذبهم فى الآخرة أو الدنيا أو فيهما، فهم لذلك [5]لايغفلون و [5]لا يفعلون إلا ما يرضيه سبحانه.

---

(١) زيد فى الأصل: يوم، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: فيحسن (٣) من ظ وم، وفى الأصل: مع (٤) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ وم.

ولما كان المقام للترهيب، ولذلك عبر عن الرجاء [على -[1]] فعل الطاعات بالدين، فصار العذاب مذكورا مرتين تلويحا وتصريحا، زاده تأكيدا بقوله اعتراضا مؤكدا لما لهم من إنكاره: ﴿ان عذاب ربهم﴾ أي الذي[2] رباهم و[2] هم مغمورون باحسانه وهم عارفون بأنه قادر على الانتقام ولو بقطع الإحسان ﴿غير مامون ه﴾ أي لاينبغي لأحد أن يأمنه، بل يجوز أن يحل به وإن بالغ في الطاعة لأن الملك مالك وهو تام الملك، له أن يفعل ما يشاء - ومن جوز وقوع العذاب أبعد عن موجباته غاية الإبعاد ولم يزل مترجحا بين الخوف والرجاء.

/٥١٠ ولما ذكر / التحلي بتطهير النفس بالصلاة وتزكية المال[3] بالصدقة، ندب إلى التخلي عن امر جامع بين تدنيس المال[3] والنفس وهو الزنا الحامل عليه شهوة الفرج التي هي أعظم الشهوات حملا للنفس على المهلكات، فقال بعد ذكر التخويف بالعذاب إعلاما بأنه أسرع إلى صاحب هذه القادورة وقوعا من الذباب في احلى الشراب[4] فقال: ﴿والذين هم﴾ أي ببواطنهم الغالبة على ظواهرهم ﴿لفروجهم﴾ أي سواء كانوا ذكورا أو إناثا ﴿حفظون لا﴾ أي حفظا ثابتا دائما عن كل ما نهى الله عنه.

ولما ذكر هذا الحفظ على هذا الوجه، ذكر ما أذن فيه في أسلوب الاستثناء إشعارا بأنه كأنه لم يذكر فيخرج إلا بعد تقرير عموم

---

(١) زيد من ظ وم (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٣) من ظ وم، وفي الاصل: الاموال (٤) من ظ وم وفي الأصل: اتراب.

الحفظ [١] لا أنه [١] مقصود ابتداء بقصد الصفة فقال : ﴿ الا علىٰ ازواجهم ﴾ اى بعقد النكاح .

و لما قدمهن لشرفهن و شرف الولد [٢] بهن أتبعه قوله : ﴿ او ما ﴾ عبر [٣] بما هو الأغلب لغير العقلاء ندبا إلى إيساع البطان فى احتمالهن ﴿ملكت ايمانهم ﴾ أى من السرارى اللاتى هن [٤] محل الحرث و النسل ٥ اللاتى هن أقل عقلا [٥] من الرجال .

و لما كان الناكح عبادة نادرا جدا ، وكان الأصل فى العبادة الخروج عن العادة ، و إن لم يتجرد للعبادة كان ملوما ، اكتفى فى مدحه بنفى اللوم عنه ، و أكده لأن الأصل كان استحقاقه للملام لإقباله على تحصيل ما له من المرام فقال مسببا عن المستثنى : ﴿ فانهم ﴾ أى بسبب ١٠ إقبالهم بالفروج عليهن و إزالة الحجاب من أجل ذلك ﴿ غير ملومين ﴾ أى فى الاستمتاع بهن من لائم ما - كما نبه عليه بالبناء للفعول - فهم يصحبونهن قصدا للتعفف و صون النفس و ابتغاء الولد للتعاون على طاعة الله .

و لما أفهم ذلك تحريم غير المستثنى و وجوب الحفظ للفروج عنه ، ١٥ صرح به على وجه يشمل المقدمات فقال مسببا عنه : ﴿فمن ابتغىٰ ﴾ أى طلب ، و عبر بصيغة الافتعال لأن ذلك لا يقع الا عن إقبال عظيم من

(١-١) من ظ وم ، وفى الأصل : لأنه (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : الوالد .
(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : أى (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : هى .
(٥) من ظ وم وفى الأصل : العقلاء .

النفس و اجتهاد فى الطلب ﴿ ورآء ذلك ﴾ أى شيئا من هذا خارجا عن هذا الأمر الذى أحله الله تعالى ، و الذى هو [أعلى - ١] المراتب فى أمر النكاح وقضاء اللذة ٢ أحسنها و أجملها ٢ . و لما كان الوصول إلى ذلك لا يكون إلا بتسبب من الفاعل ربط بالفاء قوله : ﴿ فاولئك ﴾

٥ [أى - ١] الذين هم فى الحضيض من الدناءة و غاية البعد عن مواطن الرحمة ﴿ هم ﴾ أى بضمائرهم و ظواهرهم ﴿ العدون ج ﴾ أى المختصون بالخروج عن الحد المأذون فيه .

و لما ذكر العادى أتبعه الواقف عند الحدود ٣ فقال : ﴿ و الذين هم ﴾ أى ببذل الجهد من توجيه ٤ الضمائر ﴿ لامنتهم ﴾ أى [كل - ١] ما

١٠ ائتمنهم الله عليه من حقه و حق غيره .

/٥١١ و لما كان ذلك قد يكون من غير عهد ، قال مخصصا / : ﴿ وعهدهم ﴾ أى ما كان [من - ١] الأمانات بربط بالكلام و توثيق ﴿ راعون لامن ﴾ اى حافظون لها معترفون [بها - ١] على وجه نافع غير ضار .

و لما كان أجل العهود و الأمانات ما كان باشهاد قال مبينا ٥ لفضل

١٥ الشهادة : ﴿ و الذين هم ﴾ أى بغاية ما يكون من توجيه القلوب ﴿ بشهدتهم ﴾ التى شهدوا بها أو يستشهدون بها لطلب او غيره ، و تقديم المعمول ٦ إشارة إلى أنهم فى فرط قيامهم بها و مراعاتهم لها كأنهم

---

(١) زيد من ظ وم (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اجملها و أحسنها .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الخروج (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : توجيهه (٥) فى الأصل و ظ : بيانا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : المعلول .

لا شاغل لهم سواها[1] ﴿إقآئمون لايس﴾ أى يتحملونها و يؤدونها على غاية التمام و الحسن أداء من هو متهيئ لها واقف في انتظارها.

و لما كانت أضداد هذه المذكورات نقائص مهلكات، و كانت الأنفس - لما لها من النقص - نزاعة إلى النقائص ميالة إلى الدسائس، ذكر سبحانه بالدواء المبرئ من كل داء، فقال مشيرا إلى حفظ أحوال الصلاة[2] ٥ و أوصافها بعد [ذكر -[3]] الحفظ لذواتها و أعيانها تنبيها على شدة الاهتمام بها: ﴿ و الذين هم ﴾ و لما وسط الضمير إشارة إلى الإقبال بجميع القلب قدم الصلة كما فعل بما[4] قيل تأكيدا و إبلاغا فى المراد إلى أقصى ما يمكن كما لا يخفى على ذى ذوق فقال: ﴿على صلاتهم﴾ من الفرض و النفل ﴿ يحافظون ﴾ أى يبالغون فى حفظها و يجددونه حتى كأنهم ١٠ يبادرونها الحفظ و يسابقونها فيه فيحفظونها لتحفظهم[5] أو يسابقون غيرهم فى حفظها لأوقاتها و شروطها و أركانها و متمماتها فى ظواهرها و بواطنها من الخضوع[6] و المراقبة، و غير ذلك من خلال الإحسان التى إذا فعلوها كانت و لابد ناهية لفاعلها " أن الصلاة" الكاملة "تنتهى عن الفحشاء والمنكر" فتحمل على جميع هذه الأوامر و تبعد عن [أضدادها - [3]]، و لكون ١٥ السياق هذا للتخلى عن الأوصاف الجارة إلى الكفر وحد الصلاة إشارة

---

(١) من ظ وم، وفى الأصل: سواه (٢) زيد فى الأصل: واحوالها، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم، و فى الأصل: كما (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لحفظهم (٦) فى م: الخشوع.

إلى أنه يكفى [1] فى ذلك [1] الفرائض و إن كان الجنس يشمل، و فى المومنون السياق لأهل الرسوخ فى المحاسن، فلذلك جمع بين النوعين: الإفراد فى الأول لينصب بادئ بدئ إلى الفرائض، و الجمع فى بعض القراءات ليفهم مع ذلك النوافل بأنواعها، و فى فتح الأوصاف بالصلاة ٥ و ختمها بها من بيان جلالتها و عظمتها أمر باهر.

و لما ذكر حلاهم أتبعه ما أعطاهم فقال مستأنفا و مستنتجا من غير فاء إشارة إلى [أن -[2]] رحمته [3]هى التى[3] أوصلتهم إلى ذلك من غير سبب منهم فى الحقيقة: ﴿ اولـٰئك ﴾ أى الذين هم فى غاية العلو لما لهم من هذه الأوصاف العالية، وعبر بما يدل على أنه عجل جزاءهم سبحانه فقال: ١٠ ﴿ فى جنٰت ﴾ أى فى الدنيا و الآخرة، أما فى الآخرة فواضح، و أما فى الدنيا فلأنهم [لما -[2]] جاهدوا فيه باتعاب أنفسهم فى هذه الأوصاف حتى تخلقوا بها أعطاهم بمباشرتها /لذاذات من انس القرب و حلاوة المناجاة /٥١٢ لا يساويها شيء أصلا، و الجنة محل اجتمع فيه جميع الراحات و المستلذات [و السرور-[2]]، و انتفى عنه [جميع -[2]] المكروهات و الشرور، و ضدها ١٥ النار، و زادهم على ذلك بقوله: ﴿ مكرمون ﴾ معبرا باسم المفعول اشارة الى عموم الإكرام من الخالق و الخلق الناطق و غيره لأنه سبحانه قضى بأن يعلو مقدارهم حتى يكونوا أعظم مشخص؟ لهم فى الغيب مبالغا فى إكرامهم عند المواجهة ليكون لهم نصيب من خلق نبيهم صلى الله

(١ - ١) من ظ وم، وفى الأصل: ذلك فى (٢) زيد من ظ وم (٣-٣) من ظ وم، وفى الأصل التى هى (٤) من ظ وم، وفى الأصل: ان جعلتهم (٥) من ظ وم وفى الأصل: مبقص.

عليه و سلم، لقيه يوم بنى قريظة على رضى الله عنه و كان قد سبقه إليهم فقال: يا رسول الله، ما عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخابث[1]؟ فقال: و لم، لعلك سمعت بى منهم أذى، لو قد دنوت منهم لم يقولوا من ذلك شيئا، ثم دنا منهم فقال: هل أخزاكم الله يا إخوان القردة والخنازير، فقالوا: مه يا أبا القاسم ما كنت جهولا، و كلموه بأحسن ما يمكنهم، وكذا كانت معه قريش قبل الهجرة فى أكثر أحوالهم، هذا فى الدنيا و أما فى الآخرة فيتلقاهم الملائكة بالبشرى حين الموت و فى قبورهم و من حين قيامهم من قبورهم الى حين[2] دخولهم الى قصورهم.

و لما تحرر بهذا الكلام الإلهى الذى يشك عاقل فى أن مخلوقا لا يقدر عليه، و أنه لا يقدر عليه الا الله الواحد الذى لا شريك له، العالم بكل شىء، القادر على كل شىء، أنه لا يتفصى عن نقائص الإنسان حتى يتخلص من ظلمات النقصان إلى نور الإحسان إلا من لازم هذه الأوصاف و زكى نفسه [بها -[3]] ليصير [كاملا -[3]] مع العلم القطعى عند المسلم و الكافر أن الكمال سبب السعادة، وأن الإنسان مطبوع على [ما -[3]] صدر به سبحانه من النقائص، علم أن المتصفين بهذه الأوصاف هم المختصون بالسعادة الأخروية، وكان الكفار يأتون النبي صلى الله عليه و سلم و يجلسون حوله بالقرب منه ليسمعوا كلامه و يكذبوه و يهزؤا به، و كان العاقل لا ينبغى له أن يأتى شيئا[4] لا سيما ان كان اتيانه اليه على

(١) من ظ و م و فى الأصل: الخبابت (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اشيا.

هيئة الإسراع إلا لتحصيل السعادة، سبب عن ذلك قوله معبرا عن عظمة القرآن بما حاصله أنهم حين يسمعونه يصيرون لشدة ما يفزعهم أمره[1] لا يتمالكون فيفعلون أفعال من لاوعى له: ﴿فمال الذين كفروا﴾ اى أى شيء من السعادة للذين ستروا مرائي عقولهم عن الإقرار بمضمون هذا الكلام الذي هو أوضح من الشمس، حال كونهم ﴿قبلك﴾ أى نحوك أيها الرسول الكريم و فيما أقبل عليك ﴿مهطعين﴾ أي مسرعين مع [مد - ٢] الأعناق و إدامة النظر إليك فى غاية العجب من مقالك هيئة من يسعى إلى أمر لا حياة له بدونه.

/٥١٣ و لما / كان الذى يتطير فيراعى[3] الأيامن و الأشائم على ما تقدم فى الصافات، لا يترك ذلك إلا فى امر أدهش عقله و أطار لبه، فلم يدعه يتأمل[3]، قال مشيرا إلى[4] شدة اعتنائهم بهذا الإهطاع مع عدم التحفظ [5]من شيء[5]: ﴿عن﴾ أى متجاوزين إليك كل[6] مكان كان [عن جهة - ٢] ﴿اليمين﴾ أى منك حيث يتمنون به ﴿وعن الشمال﴾ أى منك و إن كانوا يتشاءمون بـــه ﴿عزين﴾ أى حال كونهم جماعات جماعات و خلقا خلقا متفرقين فرقا شتى أفواجا يتمهلون ليأتوا جميعا جمع عزة، و أصلها عزوة لأن كل فرقة تعتزى إلى غير ما تعتزى

(١) من م، و فى الأصل و ظ، امرهم (٢) زيد من ظ و م (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٤) زيد فى الأصل: انه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: بشيء (٦) من ظ و م، وفى الأصل: بكل.

إليه الأخرى ، جمع [جمع - [1]] سلامة شذوذا ،

و لما كان هذا الإسراع على هذا الوجه لا ينبغى أن يكون [إلا - [1]] فيما يتحقق أنه مسعد ، و مع تحقق أنه مسعد لا ينبغى [2] أن يكون إلا [2] فيما تحصل به السعادة الأبدية ؛ قال منبها على ذلك منكرا أن يكون لهم ما كان ينبغى ألا يكون فعلهم ذلك إلا له [3] مع أنه [4] كان من جملة استهزائهم إذا تحلقوا لسماع ما يقرأ أن يقولوا : إن كان [1] ما يقول حقا [4] من أمر البعث [5] و الجنة [6] لنكونن أسعد بها منهم [كما أنا أسعد منهم - [1]] فى هذه الدار كما قال تعالى حاكيا [7] عنهم فى قوله " و لئن رجعت إلى ربى ان لى عنده للحسنى " و ذلك أنه كثيرا ما يأتى الغلط من [أن - [1]] الإنسان يكون فى خير فى الدنيا فيظن أن ذلك مانع له من النار لأنه [8] خير فى نفس الأمر ، او يظن أن إمهاله و هو على الباطل رضى به ، و لا يدرى [أنه - [1]] لا يضجر و يقلق و يعجل إلا من يخاف الفوت ، أو يكون شيء بغير إرادته : ﴿ ايطمع ﴾ أى بهذا الإتيان ، و عبر بالطمع إشارة إلى

---

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الا ان يكون .
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لانه (٤-٤) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : حق ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : والنارو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٧) سقط من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لا .

أنهم بلغوا الغاية فى السفه لكونهم [طلبوا - [1]] أعز الأشياء من غير سبب تعاطوه له .

و لما كان إتيانهم على هيئة التفرق من غير انتظار جماعة لجماعة [2] قال : ﴿ كل امرئ منهم ﴾ أى على انفراده [3] ، و لما كان المحبوب دخول الجنة [4] لا كونه [4] من مدخل معين، قال بانيا للمفعول : ﴿ ان يدخل ﴾ أى بالإهطاع و هو كافر من غير إيمان يزكيه كما يدخل المسلم فيستوى المسىء و المحسن ﴿ جنة نعيم ﴾ أى لا شىء فيها غير النعيم فى كل ما فيها على تقدير ضبطه .

و لما [كان - [1]] معنى الاستفهام الإنكارى المفيد للنفى : لا يدخل ، أكد ذلك مع إفهام الضجر و الاستصغار بالإتيان بأم الزواجر و الروادع فقال : ﴿ كلا [5] ﴾ اى لا يكون ما طمعوا فيه أصلا لأن ذلك تمن فارغ لا سبب له - بما دل عليه التعبير بالطمع دون الرجاء .

و لما كان الإنسان إذا أكثر من شىء و جعله ديدنه فساغ عندهم أن يقال : فلان خلق من كذا ، علل ذلك بقوله مؤكدا ، عدّا لهم منكرين لأنهم مع علمهم بنقصانهم يدعون الكمال : ﴿ انا ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ خلقنٰهم ﴾ بالعظمة التى لا يقدر أحد أن يقاويها فيصرف شيئا [5] من إرادته عن تلك الوجهة [6] التى وجهته إليها إلى غيرها

/ ٥١٤

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : الجماعة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : انفرادهم (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لكونه .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : شىء (٦) من ظ و م ، و فى الأصل: المواجهة.

﴿ مما يعلمون ﴾ أى مما يستحى من ذكره ذاتا و معنى ، أما [1] الذات فهو [1] نطفة مذرة أخرجت من مخرج البول و غذيناها بدم الحيض ، فهى يتحلب منها البول و العذرة ، و أما المعنى فالهلع و الجزع و المنع اللاتى هم موافقون على عدها نقائص ، فلا يصلحون لدار الكمال إلا بتزكية أنفسهم بما تقدم من هذه [2] الخلال التى حض عليها الملك المتعال ، روى البغوى [3] بسنده عن بشر بن جحاش [4] رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ـ و بصق يوما فى كفه و وضع عليها أصبعه فقال : يقول الله عز و جل : ابن آدم ! أنّى تعجزنى و قد خلقتك من مثل هذه حتى إذا سويتك و عدلتك مشيت بين بردين و الأرض منك و ئيد و جمعت و منعت حتى إذا بلغت [5] التراقى قلت : أتصدق ، و أنّى أوان الصدقة ـ انتهى [6] .

و لما كان فى [ذكر ـ [7]] هذا الخلق مع ما تقدم إشارة عظيمة إلى ما كانوا يقولون : إنه إن كان الأمر كما يقولون من الحشر و الجنة لنكونن آثر عند الله منكم و لندخلنها كما نحن الآن آثر منكم [عنده ـ [7]] بما لنا من الأموال ، و البسطة [8] فى الدنيا و الوجاهة و الإقبال ، و تنبيه على [أن ـ [7]] الكل متساوون فى أنهم من نطفة فما فضلهم فى هذه

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : ذات فهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٣) فى معالم التنزيل ٧ / ١٢٧ (٤) من ظ و م و المعالم ، و فى الأصل : حجاج (٥) من ظ و المعالم ، و فى الأصل و م : التقت (٦) سقط من ظ و م .
(٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : البطشة .

الدنيا بهذه النعم الظاهرة إلا هو سبحانه ، و قد فضل المؤمنين بالنعم الباطنة التى زادتهم فى التمكن فيها التزكية بهذه الأوصاف العملية الناشئة عن الصفة العلمية ، و هو قادر على أن يضم إلى النعم الباطنة النعم الظاهرة ، و لذلك سبب عنه قوله ، و أكد بنفى القسم المشير إلى عدم الحاجة إليه ٥ لكثرة الأدلة المغنية عنه لما لذلك المقسم عليه من الغرابة فى ذلك الوقت لكثرة الكفار و قوة شوكتهم : ﴿ فلآ ﴾ أى فتسبب عن خلقنا لهم من ذلك المنبه على أنا نقدر على كل شىء نريده و أنه [1] لا يعجزنا شىء أى لا ﴿ اقسم ﴾ فلفت القول إلى أفراد الضمير معرى عن مظهر العظمة لئلا يتعنت متعنت فى أمر الوحدانية ﴿ برب ﴾ أى [2] مربى ١٠ و سيد و مبدع و مدبر [2] ﴿ المشرق ﴾ التى تشرق الشمس و القمر و الكواكب السيارة كل يوم فى موضع منها على المنهاج الذى دبره ، و القانون القويم الذى أتقنه و سخره ، ستة أشهر صاعدة و ستة أشهر هابطة ﴿ و المغرب ﴾ كذلك [3] على هذا الترتيب المحكم الذى لا يعتريه اختلال [3] ، / وهى التى ينشأ عنها الليل و النهار و الفصول الأربعة ، فكان / ٥١٥ ١٥ [بها - [4]] صلاح العالم بمعرفة الحساب و إصلاح المآكل و المشارب و غير ذلك من المآرب ، فيوجد كل من الملوين بعد أن لم يكن و النبات من النجم و الشجر كذلك عادة مستمرة دالة على أنه قادر

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : أى (٢-٢) فى الأصل : المربى و السيد و المبدع و المدبر ، و فى ظ : سيد و مربى و مدبر ، و فى م : سيد و مبدع و مدبر. (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) زيد من ظ .

على الإيجادِ و الإعدام لكل ما يريده كما يريده من غير كلفة ما .

و لما كان المعنى: لا أقسم بذلك و إن كان عظيما[1] لأن الأمر فى وضوحه لا يحتاج إلى قسم، كما لو قال خصم لخصمه: احلف، فيقول له: الأمر غنى عن حلفى إذ[2] يحتاج إلى اليمين من لا بينه له، ثم يأتى من البينات بما[3] لا يكون معه[4] شبهة، و كانوا فى تفضيل أنفسهم - مع الاعتراف لله[5] بالقدرة - كالمنكرين للقدرة على قلب الأمر، أكد قوله عائدا إلى مظهر العظمة [بعد دفع اللبس بما هو فى وضوحه أجلى من الشمس: ﴿ انا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿لقدرون ۝﴾ بأنواع التأكيد بالأداة و الاسمية و الالتفات إلى مظهر العظمة -[6]] فى كل من الاسم و الخبر، فكان فى إخباره بعد الإقسام مع التأكيد إشارة إلى أعلى مراتب التأكيد ﴿ على[7] ان نبدل ﴾ [أى -[6]] تبديلا عظيما بما لنا من الجلالة عوضا عنهم ﴿ خيرا منهم ۝﴾ أى بالخلق أو[7] تحويل الوصف فيكونوا أشد بسطة فى الدنيا و أكثر أموالا و أولادا و أعلى قدرا و أكثر حشما و[8] وجاهة و حزما[8] و خدما، فيكونوا[9] عندك خلقا على قلب واحد فى سماع قولك و توقيرك و تعظيمك و السعى فى كل

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٢) فى الأصل: ان، وفى ظ و م: او.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: من (٤) من ظ و م، و فى الأصل: له.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: بالله و (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٨-٨) فى ظ و م: جاها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: فيكون.

ما يشرح صدرك بدل ما يعمل هؤلاء من الهزء و التصفيق و الصفير وكل ما يضيق به صدرك، و قد فعل ذلك سبحانه بالمهاجرين و الأنصار و التابعين لهم باحسان بالسعة فى الرزق بأخذ أموال الجبارين من كسرى و قيصر، و التمكن[1] فى الأرض حتى كانوا ملوك الدنيا مع العمل بما ٥ يوجب لهم [ملك ـ[2]] الآخرة، فرجوا الكرب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و بذلوا فى مرضاته الأنفس و الأموال.

و لما كان [الإنسان ـ[2]] قد يفعل شيئا ثم ينقض عليه، أخبر أنه سبحانه على غير ذلك فقال: ﴿ و ما ﴾ و أكد الأمر بالاسمية الكائنة فى مظهر العظمة فقال: ﴿ نحن ﴾ و أعرق فى النفى فقال: ١٠ ﴿ بمسبوقين ٥ ﴾ أى من سابق ما يغلب على شىء لم نرده بوجه من الوجوه، [3] و لذلك [3] أتى باسم المفعول.

و لما ثبت أن له سبحانه العظمة البالغة الباهرة من شمول العلم و تمام القدرة، فأنتج اعتماد أهل حزبه عليه و إعراضهم عن كل ما سواه، سبب عن ذلك قوله تهديدا للمخالفين و تسلية للمؤالفين: ﴿ فذرهم ﴾ أى ١٥ اتركهم [و لو ـ[2]] على أسوأ أحوالهم ﴿ يخوضوا ﴾ أى يفعلوا فى مقالهم و فعالهم الذى لا شىء منه على إتقان بل هو كفعل[4] الخائض فى الماء الذى لا يضع رجله[5] فى موضع يعلم أنه يرضيه، فهو بصدد أن

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الثمن (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: فكذلك (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فعل (٥) زيد فى الأصل: فى الماء، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

يقع

يقع أو يغرق ﴿ و يلعبوا ﴾ أى يفعل فعل اللاعب الذى لا فائدة لفعله[1] إلا ضياع الزمان و التعطل عما يهم من عظيم الشأن .

و لما كان ما توعد الله من أحوال[2] الآخرة لابد/ من وقوعه كان كأنه قادم على الإنسان و الإنسان ساع[3] بجهده إليه ، فلذلك عبر بالمفاعلة فقال : ﴿ حتى يلقوا ﴾ و لما كان ما يقع للكفار منه أعظم ، كان ذلك اليوم كأنه خاص بهم فقال : ﴿ يومهم الذى ﴾ و لما كان الوعيد - و هو ما كان من الخبر تخويفا للمتوعد - صادعا للقلوب إذا كان من القادر من غير حاجة إلى ذكر المتوعد ، بنى للمفعول قوله : ﴿ يوعدون ﴾ و هو يوم كشف الغطاء الذى أول تجليته عند الغرغرة و نهايته النفخة الثانية إلى دخول كل من الفريقين فى داره و محل استقراره ، و الآية منسوخة بآية السيف . /٥١٦

و لما كان ما بعد النفخة الثانية [4]أعظمه و أهوله[4] ، أبدل منه [قوله - [5]] : ﴿ يوم يخرجون ﴾ أى هؤلاء الذين يسألون عنه [6]سؤال استهزاء[6] و يستبعدونه ، و قراءة أبى بكر عن[7] عاصم بالبناء للمفعول على طريقة كلام القادرين تدل على أنه مما هو فى غاية السهولة ﴿ من الاجداث ﴾ أى القبور التى صاروا بتغييبهم فيها تحت وقع

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : فى فعله (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اعمال .
(٣) زيد فى الأصل : فى - مع يسير من البياض ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اعظم و اهول (٥) زيد من ظ و م .
(٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : سوا استهزؤا - كذا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : « و » .

الحافر[1] و الخف ، فهم بحيث لا يدفعون شيئا يفعل[2] بهم [3] بل هم [3] كلحم في فم ماضغ ، فان الجدث القبر و الجدثة صوت الحافر و الخف و مضغ اللحم ﴿ سراعا ﴾ أي نحو صوت الداعي .

و لما كانت عادة الإنسان الإسراع إلى ما يقصده من الإعلام المنصوبة ، و عادتهم - هم بالخصوص - المبادرة إلى الأنصاب التي يعبدونها ما هي[4] عليه من الخساسة خفة منهم [5]في العلوم[5] و طيشا في الحلوم قال : ﴿ كأنهم الى نصب ﴾ أي علم منصوب مصدر بمعنى المفعول كما تقول : هذا نصب عيني و ضرب الأمير - هذا على قراءة الجماعة بالفتح ، و على قراءة ابن عامر [6] و حفص بالضم[6] : إلى علم أو شيء يعبدونه من دون الله على ما فيه من الداء[7] القاتل و البلاء ، أو حجر يذبحون عليه ، قال في الجمع بين العباب و المحكم : النَّصْب و النُّصْب و النُّصُب : الداء و البلاء ، و النُّصُب كل ما نصب فجعل علما ، و النَّصْب و النَّصَب : العلم المنصوب ، و النُّصْب و النُّصُب : كل ما عبد من دون الله ، و الجمع أنصاب ، و الأنصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب فيهل[8] عليها و يذبح لغير[9] الله ، و انصاب الحرم : حدوده ، و قال أبوحيان[10] : و النصب ما نصب

(١) من ظ و م ، و في الأصل : الخواص (٢) من ظ و م ، و في الأصل : فيفعل (٣-٣) من ظ و م ، و في الأصل : ما هم (٤) من ظ و م ، و في الأصل : هم (٥-٥) من ظ و م ، و في الأصل : بالعلوم (٦-٦) من ظ و م ، و في الأصل : بالفتح بضم - كذا (٧) من ظ و م ، و في الأصل : الدعاء (٨) من ظ و م ، و في الأصل : فهل (٩) من ظ و م ، و في الأصل : من دون (١٠) في البحر المحيط ٨ / ٣٣٦ .

للانسان[1] فهو يقصده مسرعا إليه من علم أو بناء او صنم، و غلب فى الأصنام حتى قيل: الأنصاب. ﴿يوفضون﴾ أى يعجلون عجلة من هو ذاهب إلى ما يسره حتى كأنه / يطرد إليه كما كانوا يسرعون إلى أنصابهم. ٥١٧/

و لما كان إيفاضهم إلى الأنصاب على[2] حال السرور، أخبر أن هذا على خلاف ذلك، و أن ذكر النصب و تصوير حالة الإتيان إليه ما كان إلا تهكما بهم فقال: ﴿خاشعة﴾ أى منكسرة متواضعة لما حل بها من الذل[3] و الصغار[3]، و ألحقها علامة التأنيث زيادة فى هذا المعنى و مبالغة فيه بقوله: ﴿ابصارهم﴾.

و لما كان خشوعها دائما فعبر[4] بالاسم، و كان ذلهم يتزايد فى كل لحظة، عبر بالفعل المضارع المفيد للتجدد و الاستمرار فقال: ﴿ترهقهم﴾ أى تغشاهم فتعمهم، و تحمل عليهم فتكلفهم كل [5]عسر و ضيق[5] على وجه الإسراع إليهم ﴿ذلة[6]﴾ ضد ما كانوا عليه فى الدنيا لأن من تعزز فى الدنيا على الحق ذل[6] فى الآخرة، و من ذل للحق فى الدنيا عز فى الآخرة.

---

(١) من ظ و م و البحر، و فى الأصل: من دون الانسان (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عبر (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: العسر و الضيق.
(٦) زيد فى الأصل: للحق، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و لما صوره بهذه الصورة[١] أشار إلى أن هذا ما تدركه العقول من وصفه و أنه[٢] أعظم من ذلك فقال: ﴿ ذٰلك ﴾ أى الأمر الذى هو فى غاية ما يكون من علو الرتبة فى العظمة ﴿ اليوم الذى كانوا ﴾ أى فى حال الدنيا على غاية ما يكون من المكنة فى الوعيد .

٥ و لما كان الوعيد لا يتحقق إلا إذا كان من القادر ، و إذا كان كذلك[٣] كان مخيفا موجعا[٤] من غير ذكر من صدر عنه ، بنى للمفعول قوله: ﴿ يوعدون ﴾ أى يجدد لهم الإيعاد به فى الدنيا فى كل وقت لعلهم يتعظون فترق قلوبهم فيرجعون [٥]عما هم[٥] فيه من الجبروت ، و هذا هو زمان العذاب[٦] الذى سألوا عنه[٦] أول السورة، فقد رجع كما ترى

١٠ آخرها على أولها[٧] أى رجوع ، و انضم مفصلها إلى موصلها انضمام المفرد إلى المجموع - و الله الهادى إلى الصواب .

سورة نوح عليه السلام[٨]

مقصودها الدلالة على تمام[٩] القدرة[١٠] على ما أنذر بـه آخر « سأل »

---

(١) من ظ و م ، وفى الأصل: الصور (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : ان هذا . (٣) فى ط و م : لذلك (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فيماهم (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : هو (٧) زيد فى الأصل : و رجع ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) الحادية و السبعون من سور القرآن الكريم ، مكيه ، وهى (٢٨) آية (٩) سقط من ظ و م . (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : القدم .

من

من إهلاك المنذرين و تبديل خير منهم، [1]و من[1] القدرة على إيجاد يوم القيامة الذى طال إنذارهم به و هم عنه معرضون و به مكذبون [2]و به لاهون[2]، و تسميتها بنوح عليه السلام أدل ما فيها على ذلك، فان أمره فى إهلاك قومه بسبب [3]تكذيبهم له[3] فى ذلك مشهور و مقصوص فى غير ما موضع و مذكور، و تقرير أمر البعث فى قصته ٥ فى هذه [السورة - [4]] مقرر و مسطور ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الكمال كله من الجلال و الإكرام ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بما أفاضه من ظاهر الإنعام ﴿الرحيم﴾ الذى خص أولياءه بلزوم الطاعة [فى الابتداء - [4]] / و إتمام النعمة فى الختام . / ٥١٨

لما ختمت « سأل » بالإنذار للكفار، و كانوا عباد أوثان، بعذاب ١٠ الدنيا و الآخرة، أتبعها أعظم عذاب كان فى الدنيا على تكذيب الرسل بقصة نوح عليه السلام، و كان قومه عباد أوثان، و كانوا يستهزؤن به و كانوا أشد تمردا من قريش و أجلف و أقوى و أكثر، فلم ينفعهم شىء من ذلك عند نزول البلاء و بروك النقمة عليهم و إتيان العذاب إليهم، و ابتدأها بالإنذار تخويفا من عواقب التكذيب به، فقال مؤكدا لأجل ١٥ إنكارهم أن يكون الرسول بشرا أو لتنزيلهم منزلة المنكرين[5] من حيث أقروا برسالته و طعنوا فى رسالة غيره مع المساواة فى البشرية:

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣-٣) فى ظ و م : تكذيبه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : المتكبرين .

﴿ انآ ﴾ أى بما لنا من العظمة الباهرة [١] البالغة ﴿ ارسلنا نوحا ﴾ و هو أولِ رسول أتى بعد اختلاف أولاد آدم عليه السلام فى دين أبيهم الأقوم ﴿ الى قومهٓ ﴾ اى الذين كانوا فى غاية القوة على القيام بما يحاولونه و هم بصدد أن يجيبوه [٢] إلى ما دعاهم إليه [٢] و يكرموه لما [٣] بينهم من القرب [٤] بالنسب و اللسان [٤]، وكانوا جميع اهل الارض من الآدميين .

و لما بان بما مضى المرسِل و الرسول و المرسَل إليهم، و كان الإرسال متضمنا معنى القول، أخذ فى تفسيره بيانا للرسل به فقال: ﴿ ان انذر ﴾ أى حذر تحذيرا بليغا [١] عظيما ﴿ قومك ﴾ من الاستمرار على الكفر .

و لما كان المقصود [٥] إعلامهم بذلك [٥] فى بعض الأوقات لأن الإنسان لا بد له من أوقات شغل بنفسه من نوم و أكل وغيره، أتى بالجار تخفيفا عليه و رفقا به عليه السلام فقال: ﴿من [٦] قبل ان ياتيهم﴾ أى على ما هم عليه من الأعمال الخبيثة ﴿ عذاب اليم ﴾ .

[و - [٢]] قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم بالصبر [٢] على قومه [٢] [٨] فى قوله [٨] "فاصبر صبرا جميلا"

---

(١) سقط من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : له ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اللسان و النسب (٥-٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بذلك اعلامهم . (٦) ليس فى الأصل (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ و م ،وفى الأصل : قال .

و جليل الإغضاء فى قوله " فذرهم يخوضوا و يلعبوا " أتبع ذلك بقصة نوح عليه السلام و تكرر دعائه[1] قومه إلى الإيمان، و خص من خبره حاله فى طول مدة التذكار و الدعاء لأنه المقصود فى الموضع تسلية لنبيه[2] صلى الله عليه و سلم، و ليتأسى بـه فى الصبر و الرفق و الدعاء كما قيل له صلى الله عليه و سلم فى غير هذا الموضع " فاصبر [3]كما صبر ٥ اولوا العزم[3] من الرسل و لا تستعجل لهم" "فلا تذهب نفسك عليهم[4] حسرات" فقد دام دعاء نوح عليه السلام مع قومه أدوم من مدتك، و مع ذلك فلم يزدهم إلا فرارا ["قال رب انى دعوت قومى ليلا و نهارا فلم يزدهم دعائى إلا فرارا - ٥] و انى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم و استغشوا ثيابهم و اصروا و استكبروا استكبارا" ١٠ ثم مضت آى السورة على هـذا / المنهج من تجديد الإخبار بطول ٥١٩ / مكابدته عليه السلام و تكرير[6] دعائه، فلم يزدهم ذلك إلا بعدا و تصميما على كفرهم حتى أخذهم الله، و أجاب فيهم دعاء نبيه [نوح - ٥] عليه السلام "رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا" و ذلك ليأسه[7] من فلاحهم، و انجر فى هذا حض نبينا صلى الله عليه و سلم على الصبر

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: دعا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: له.
(٣ - ٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٤) تكرر فى الأصل فقط.
(٥) زيد من ظ و م (٦) فى ظ و م: تكرار (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لياسهم - كذا.

على قومه و التحمل منهم[١] كما صرح به فى قوله تعالى[٢] "خذ العفو و أمر بالمعروف و اعرض عن الجاهلين" و كما قيل له [قبل -[٣]] "فاصبر لحكم ربك و لا تكن كصاحب الحوت" "و كلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك"- [انتهى -[٣]] .

٥ و لما أخبر عن رسالته و مضمونها بما أعلم من ان[٤] الفساد كان غالبا عليهم، استأنف قوله بيانا لامتثاله : ﴿ قال ﴾ أى نوح عليه السلام : ﴿ يقوم ﴾ فاستعطفهم بتذكيرهم أنه أحدهم يهمه ما يهمهم .

و لما كان من طبع البشر إنكار[٥] ما لم يعلم إلا من عصم الله فجعله منقادا للايمان بالغيب، أكد قوله : ﴿ انى لكم نذير ﴾ أى مبالغ

١٠ فى النذارة ﴿ مبين[٦] ﴾ أى أمرى[٧] بين فى نفسه بحيث أنه صار من شدة وضوحه كأنه مظهر[٨] لما يتضمنه، مناد بذلك للقريب و البعيد و الفطن و الغبى .

و لما كان ترك ما أنذرهم بسببه من الكفر لا يغنيهم إلا أن آمنوا، و كان الإيمان مخلصا عن عواقب الإنذار لأنه لا يصح إلا مع ترك جميع

١٥ أنواع الكفر، فسر الإنذار بقوله : ﴿ ان اعبدوا الله ﴾ اى الملك

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل : عليهم (٢) زيدت فى الأصل آية "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم و تزكيهم بها" و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل : انه (٥) من ظ و م، و فى الأصل : انكر . (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) من ظ و م، و فى الأصل : امر (٨) من ظ و م، و فى الأصل : منذر .

الأعظم الذى له جميع الكمال، و ذلك بأن تخلصوا التوجه إليه فان غناه يمنع من أن يقبل عبادة فيها شرك و هذا هو الإيمان ﴿ و اتقوه ﴾ أى اجعلوا بينكم و بين غضبه وقاية تمنعكم من عذابه بالانتهاء عن كل ما يكرهه، فلا تتحركوا حركة و لا تسكنوا سكنة إلا فى طاعته، و هذا هو العمل الواقى من كل سوء. ٥

و لما كان لا سبيل إلى معرفة ما يرضى الملك ليلزم و ما يسخطه ليترك إلا منه، و لا وصول إلى ذلك إلا من خاصته، و لا خاصة مثل رسوله الذى ائتمنه على سره قال: ﴿و اطيعون﴾ أى لأعرفكم ما تقصر عنه عقولكم من صفات معبودكم و دينكم و دنياكم [و معادكم -[1]]، و أدلكم على اجتلاب آداب تهديكم، و اجتناب شبهة ترديكم، فى ١٠ طاعتى، فلا حكم يرضى الملك عنكم، و هذا هو الإسلام[2]، فقد جمع هذا الدعاء [3]الإيمان و الإسلام[3] و العمل، و هى الأثافى التى تدور عليها أسباب الفلاح.

و لما كان الإنسان محل النقصان، فلا ينفك عن ذنب فلا[4] ينفعه إلا فناء الكرم، أشار إلى ذلك مرغبا مستعطفا لهم لئلا ييأسوا فيهلكوا ١٥ بقوله جوابا للأمر: ﴿يغفر لكم﴾ أى كرما منه [5]و إحسانا و لطفا[5].

و لما كان من الذنوب ما لا يتحتم غفرانه و هو ما بعد الإسلام

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: هذا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناه (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الاسلام و الايمان (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لا (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

[قال -[1]] : ﴿ من ذنوبكم ﴾ أي ما تقدم الإيمان من الشرك و العصيان
و ما تأخر / عن الإيمان من الصغائر التي تفضل الله بالوعد بتكفيرها ٥٢٠ /
باجتناب الكبائر - هذا مما[2] أوجبه سبحانه على نفسه المقدس بالوعد الذي
لا يبدل، و أما غيره مما عدا الشرك فالى مشيئته سبحانه .

٥ و لما كان الإنسان، لما يغلب عليه من النسيان، و الاشتغال بالآمال،
يعرض عن الموت إعراض الشاك فيه بل المكذب [به -[1]] ذكرهم
ترهيبا لهم لطفا بهم ليستحضروا أنهم فى القبضة فينزعوا مما يغضبه سبحانه،
فقال مشيرا إلى أن طول العمر فى المعصية - و إن كان مع رغد العيش -
عدم، مهددا[3] بأنه قادر على الإهلاك فى كل حين : ﴿ و يؤخركم ﴾ أى
١٠ تأخيرا ينفعكم، و أعلم أن الأمور كلها قد قدرت[4] و فرغ من ضبطها
لإحاطة العلم و القدرة فلا يزاد فيها و لا ينقص، ليعلم أن الإرسال
إنما هو مظهر لما فى الكيان[5] و لا يظن أنه قالب للاعيان بتغيير ما سبق
به القضاء من الطاعة أو[6] العصيان فقال : ﴿ الى اجل مسمى[7] ﴾ اى
قد سماه[7] الله [و علمه -[1]] قبل إيجادكم فلا يزاد فيه و لا ينقص
١٥ منه، فيكون موتكم على العادة[8] متفرقا و إلا أخذكم جميعا بعذاب
الاستئصال، فهذا من علم ما لا يكون لو كان كيف [كان -[1]]

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : ما (٣) من ظ و م، و فى الأصل : مهدد (٤) من ظ و م، و فى الأصل : تقدرت (٥) من ظ و م، و فى الأصل : العيان (٦) من م، و فى الأصل و ظ « و » (٧) من ظ و م، و فى الأصل : سمى (٨) من ظ و م، و فى الأصل : عادة .

يكون، [و - ١] ذلك أنه علم انهم إن اطاعوا نوحا عليه السلام كان موتهم على العادة و إلا هلكوا هلاك نفس واحدة، وعلم أنهم لا يطيعونه، و أن موتهم إنما يكون بعذاب ٢ الاستئصال .

و لما كان الإنسان مجبولا على الأطماع الفارغة، فكان ربما قال للتعنت أو غيره : لم لا يخلدنا؟ قال فطما عن ذلك مؤكدا لا قتضاء المقام ٥ له : ﴿ ان اجل الله ﴾ [أى - ١] الذى له الكمال كله فلا راد لأمره ﴿ اذا جآء لا يؤخر ﴾ و أما قبل مجيئه فربما يقع الدعاء و٣ الطاعات و البر فى البركة فيه بمنع الشواغل و إطابة الحياة، فبادروا مجىء٤ الأجل بالإيمان لأنه إذا جاء لم يمكنكم التدارك، و لا ينفعكم بعد العيان الإيمان .

و لما كان من يعلم هذا يقينا، و يعلم أنه [إذا - ١] كشف ١٠ له عند الغرغرة أحب أن يؤخر ليتوب حين لا تأخير، أحسن العمل خوفا من فوات وقته و تحتم مقته، نبه على ذلك بقوله : ﴿ لو كنتم تعلمون ٥ ﴾ أى لو كان العلم أو تجدده وقتا ما فى غرائزكم لعلمتم تنبيه رسولكم صلى الله عليه و سلم أن الله يفعل ما يشاء، و أن الأجل [أت - ١] لا محالة فعملتم للنجاة، و لكنكم تعملون٥ فى الانهماك فى الشهوات عمل ١٥ الشاك فى الموت .

و لما كان صلى الله عليه و سلم أطول الأنبياء عمرا، و [كان - ١]

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : بعد (٣) من ظ و م، و فى الأصل : فى (٤) من ظ و م، و فى الأصل : محل (٥) من ظ و م، و فى الأصل : تعلمون .

قد طال نصحه لهم[1] و بلاؤه بهم، نبه على ذلك بقوله مستأنفا: ﴿قال﴾ مناديا لمن أرسله لأنه تحقق أن لا قريب منه غيره، و أسقط أداة النداء كما هى عادة أهل القرب فقال: /﴿رب﴾ و لما كانت العادة جارية بأن التكرار لابد أن يؤثر و لو قليلا، فكانت مخالفتهم لذلك مما هو أهل لأن يشك فيه، قال مؤكدا إظهارا لتحسره و حرقته عليه الصلاة و السلام منهم فى تماديهم فى إصرارهم على التكذيب شكاية لحاله إلى الله تعالى و استنصارا[2] به و استمطارا للتنبيه على ما يفعل بعد بذله الجهد و تنبيها لمن يقص به[3] عليهم هذا و إن كان المخاطب سبحانه عالما بالسر و أخفى: ﴿انى دعوت﴾ أى أوقعت الدعاء إلى الله سبحانه و تعالى بالحكمة و الموعظة الحسنة ﴿قومى﴾ أى الذين هم جديرون باجابتى لمعرفتهم بى و قربهم منى و فيهم قوة المحاولة لما يريدون[4].

/٥٢١

و لما كان قد عم جميع الأوقات بالدعاء قال: ﴿ليلا و نهارا[5]﴾ فعبر بهذا عن المداومة.

و لما تسبب عن ذلك ضد المراد قال: ﴿فلم يزدهم دعآءى﴾ أى شيئا من أحوالهم التى كانوا عليها ﴿الا فرارا[5]﴾ أى بعدا عنك و نفورا و بغضا و إعراضا حتى كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة، و أسند

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لقومه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: استنصار (٣) سقط من م (٤) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

الزيادة إلى [1] الدعاء لأنه سببها .

و لما كان الفرار مجازا عن رد كلامه ، عطف عليه ما يبينه ، فقال مؤكدا لأن إعراضهم مع هـــذا الدعاء الطويل مما لا يكاد يصدق : ﴿ و انى كلما ﴾ على تكرار الأوقات و تعاقب الساعات ﴿ دعوتهم ﴾ أى إلى الإقبال عليك بالإيمان [بك - [2]] و الإخلاص لك . ٥

و لما كان إعراضهم عما ينفعهم أقبح ، ذكر ما يتسبب [3] عن الإجابة بالإيمان فقال : ﴿ لتغفرلهم ﴾ أى ليؤمنوا فتمحو ما فرطوا فيه [فى - [1]] حقك فأفرطوا لأجله فى التجاوز فى الحدود محوا بالغا فلا [يبقى - [2]] لشىء من ذلك عينا [4] و لا أثرا حتى لا تعاقبهم عليه ولا تعاتبهم ﴿ جعلوآ ﴾ أى [5] فى كل دعاء ، و دل على مبالغتهم فى التصامم ١٠ بالتعبير بالكل عن البعض فقال : ﴿ اصابعهم ﴾ كراهة له و احتقارا للداعى ﴿ فى اذانهم ﴾ حقيقة لئلا يسمعوا الدعاء إشارة إلى أنا لا نريد أن نسمع ذلك منك ، فان أبيت إلا الدعاء فانا لا نسمع لسد أسماعنا ، و دلوا عـــلى الإفراط فى كراهة الدعـاء [6] بمـا ترجم عنه قوله : ﴿ و استغشوا ثيـابهم ﴾ أى أوجدوا التغطية لرؤسهم بثيابهم إيجاد [7] ١٥ من هو طالب لذلك شديد الرغبة فيه حتى يجمعوا بين ما يمنع السماع

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : تسبب (٤) من ظ وم ، و فى الأصل : عين (٥) سقط من ظ وم. (٦) فى الأصل بياض ملأناه من ظ وم (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : اتخاذ .

لكلامه و النظر إليه اظهارا لكراهته وكراهة كلامه[١]، و هكذا حال النصحاء مع من ينصحونه دائما ﴿ و اصروا ﴾ أى داموا على سوء أعمالهم دواما هم[٢] فى غاية الإقبال[٣] عليه، من أصر الحمار على العانة - إذا صر أذنيه و أقبل عليها[٤] يطردها و يكدمها، استعير للاقبال على المعاصى و ملازمتها لأنه يكون بغاية[٥] الرغبة كأن فاعله حمار وحش قد ثارت شهوته ﴿ و استكبروا ﴾ اى أوجدوا الكبر طالبين له راغبين فيه، و أكد ذلك بقوله: ﴿استكبارا[٦]﴾ تنبيها / على ان فعلهم منابذ للحكمة، فكان مما [٦]ينبغى أن لا يفعلوه[٦] فهو مما[٧] لا يكاد يصدق لذلك، و قد نادت هذه الآيات بالتصريح فى غير موضع بأنهم عصوا نوحا عليه الصلاة و السلام و خالفوه مخالفة لا[٨] أقبح منها ظاهرا بتعطيل الأسماع و الأبصار، و باطنا بالإصرار[٩] و الاستكبار و لم يوافقوه بقول و لا فعل، فلعنة الله عليهم و على من يقول: إنهم وافقوه بالفعل[١٠]، لأنه دعاهم للغفرة و قد [١١]غطوا وجوههم[١١]، و التغطية هى الغفر

/ ٥٢٢

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لكلامه (٢) زيد فى الأصل: فيه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عليه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فى غاية (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: لا ينبغى ان يفعلوه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٨) زيد فى الأصل: مخالفة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) زيد فى الأصل: و التجر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: فى الفعل (١١-١١) من ظ و م، و فى الأصل: عطوهم.

و نحو ذلك من الخرافات التى [1]لو سمعها أسخف[1] عباد الحجارة الذين لا أسخف منهم لهزأوا بقائلها ، و ما قال هذا القائل ذلك إلا تحريفا لكتاب الله بنحو تحريف الباطنية الذين أجمعت الأمة على تكفيرهم لذلك التحريف ، و لعنة الله على من يشك فى كفر من يحرف هذا التحريف أو يتوقف فى لعنه ، و هم الاتحادية الذين مرقوا من الدين فى آخر الزمان ، و من أكابرهم الحلاج و ابن عربى و ابن الفارض ، و تبعهم على مثل هذا الهذيان أسخف الناس عقولا " ان هم الا كالانعام بل هم اضل سبيلا " و لقد أخبرنى الإمام العلامة برهان الدين [إبراهيم - [2]] ابن أبى شريف القدسى الشافعى الثبت النحرير عن بعض من يتعصب[3] لهم فى هذا الزمان ، و هو من أعيان المدرسين بالقاهرة ، أنه قال [له - [4]] : ما حملنى على انتقادى لابن الفارض إلا أنى رأيت كلام التائية له متناقضا ، فتارة يفهم منها الحلول و تارة الاتحاد ، و هو عندى يحاشى عن ذلك ، فعلمت أن لهؤلاء القوم اصطلاحا نسبتنا منه[5] نسبة التباين إذا سمعوا النحوى يقول : الفاعل مرفوع ، فانهم يضحكون منه ، و لو فهمنا اصطلاحهم لم نعترض - [6] هذا معنى[6] ما نقل عنه و هو ما لا يرضاه ذو مسكة ، و هو شبيه بما نقل المسعودى فى أوائل مروج الذهب عن بعض من اتهم بعقل و علم من النصارى فى زمن أحمد بن

(١-١) من ظ و م ، وفى الأصل : لم يسمعها استخفا (٢) زيد من ظ و معجم المؤلفين ١ / ٣٨ (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : تعصب (٤) زيد من ظ و م.
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : اليه (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لهذا المعنى.

طولون، فاختبره فوجده فى[1] العلم كما وصف، فسأله عن سبب ثباته على النصرانية مع علمه فقال[2]: السبب تناقضها مع أنه دان بها ملوك متكبرون و علماء متبحرون و رهبان عن الدنيا معرضون [و -[3]] مدبرون، فعلمت أنـــه ما جمع هؤلاء الأصناف على الدينونة بها مع تناقضها إلا أمر عظيم اضطرهم لذلك، فدنت بهـا، فقال له: اذهب فى لعنة الله فلقـد ضيعت كل عقل وصفت، و لقد و الله صدق فى الأمر العظيم الذى حملهم على ذلك، و هو القضاء و القدر الذى [حمل -[3]] كل أحد منهم على إلقاء نفسه فى نار جهنم باختياره بل برغبته فى ذلك و مقاتلة من يصده عن ذلك، و ذلك أدل دليل على تمام علم الله و قدرته و أنه واحد لا شريك له و لا معقب لحكمه، و فى هذا تصديق قول النبى صلى الله عليه و سلم «لتتبعن / سنن من كان قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع» و هم أهل[4] الكتاب، و قد أشبعت القول [5]فى هذا[5] فى كتابى "القارض[6] فى تكفير ابن الفارض" الذى بينت فيه عوارهم، و أظهرت[7] عارهم، و كذا كتابى "صواب الجواب للسائل [المرتاب -[8]]" و "تدمير المعارض فى تكفير ابن الفارض" و لم أبق على شىء من ذلك

/ ٥٢٣

(١) من ظ و م، وفى الأصل: من (٢) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من م (٤) زيد فى الأصل: هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: فيه (٦) من م، و فى الأصل وظ: الفرائض (٧) زيد فى الأصل: فيه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من ظ و م.

شيئا من لبس - [1]و لله الحمد[1] .

و لما ذكر دعاءه فى جميع الأوقات مع إعراضهم، و كان هذا مؤيسا و موجبا للاقلاع عن الدعاء، و إن وجد الدعاء بعده فهو فى غاية البعد منه على إيجاده مع الاستغراق به لجميع[2] الحالات كما استغرق جميع الأوقات، فعبر بأداة التراخى للدلالة على تباعد الأحوال فقال: ٥ ﴿ ثم ﴾ و أكد لنحو ما مضى من أن تجرد إقبالهم على دعائهم بعد ذلك لا يكاد يصدق فضلا عن الإكثار منه فقال: ﴿ انى دعوتهم ﴾ [أى -[3]] إلى الإيمان و منابذة الشيطان .

و لما كان الجهر أحد نوعى الدعاء، نصبه [به -[3]] نصب المصدر فقال: ﴿ جهارا ﴾ أى مكاشفة مع فخامة الصوت و التعميم لجماعتهم ١٠ جليلهم و حقيرهم و الإخلاص [4]فى ذلك[4] و المداومة [5]له -[3]] حتى كاد بصرى يكل من شدة التحديق إليهم و الإقبال عليهم من غير احتجاب عنهم و لا ارتقاب منهم بل مباغتة، و كررت ذلك عليهم حتى أخرجت [ما عندهم -[3]] من الجواب، و لم أكف عند سد آذانهم و استغشائهم ثيابهم[5] . ١٥

و لما كان الجهر قد لا يشيع و لا ينشر فى جماعاتهم، قال مشيرا إلى أنه أذاع ذلك، و أكد للاشارة إلى ما فيه من الشدة فقال: ﴿ ثم انى اعلنت ﴾ اى أظهرت و أشعت و شهرت ليعلموا أنه الحق

(١-١)من ظ و م، و فى الأصل: الحمدلله (٢) من ظ و م، و فى الأصل: جميع .
(٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) من ظ م، و فى الأصل: له (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بثيابهم .

من ربهم لكونى[1] لست مستحيا منه و لا مستهجنا له ﴿ لهم ﴾ اى [2] خصصتهم بذلك، لم يكن لى فيه حظ نفس بوجه فانى[2] كررت ذلك عليهم بعد أن سقط الوجوب عنى، و لما قدم الجهر لانه أقرب إلى عدم الاتهام، و كان السر أجدر بمعرفة الضمائر و أقرب إلى الاستمالة، أتبعه به فقال: ﴿ و اسررت لهم ﴾ أى دعوت كل واحد منهم على انفراده ليكون أدعى له و أجدر بقبوله[3] النصيحة، و أدل على الإخلاص، و كل ذلك ما فعلته إلا لأجل نصيحتهم، لاحظ لى أنا[4] فى ذلك[4]، و لما كان تحين الإنسان [ليكون -[5]] وحده ليس عنده أحد و لا [هو -[5]] مشتغل بصارف مما يعسر جدا فلا يكاد يصدق أكده فقال: ﴿ اسرارا ﴾ و ليدل بتأكيده على تأكيد ما قبله من الأفعال، و الظاهر من حاله[6] و من هذا الترتيب مما صرح[7] به من الاجتهاد أنه سار فيه على مقتضى الحكمة، فدعا أولا أقرب الناس إليه و أشدهم به إلفا، ثم انتقل إلى من بعدهم حتى عمهم الدعاء، و كانت هذه الدعوة سرا كل[8] واحد منهم على حدته ليعلموا نصحه و لا يحمل احد منهم ذلك على تبكيت و لا تقريع، فلا يكون فى دعائه ما يكون سببا لانفة أحد منهم، فلما أطبقوا على الإعراض جهر[9] ليعلموا أنه ملجأ من الله

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لكونه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٣) من ظ و م، وفى الأصل: بقبول (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: فيه.
(٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ، وفى الأصل و م: يصرح (٨) من ظ و م، وفى الأصل: فى.
(٩) من ظ و م، و فى الأصل: جهرا.

إلى ذلك، و انها عزمة إن قصروا / فيها عن الإجابة عوقبوا، فلما اصروا ٥٢٤ /
جمع بين السر و العلن، فلما تمادوا و طال الأذى شكى، و على هذا
[1] ثم لبعد الرتب [1] لا للترتيب فى الزمان، و يمكن كونها للترتيب لأن
الجهر أبعد عن [2] الاتهام ثم الإعلان بعده أزيد بعدا.

و لما أخبر بأنه بالغ فى الدعوة إلى حد لا مزيد عليه، فلم يدع ٥
من الأوقات و لا من الأحوال شيئا، سبب عنه بيان ما قال فى دعوته
و هو التسبب [3] فى السعادة كلها بدفع المضار و جلب المسار، فقال
مقدما لطلب الغفران بالتوبة عن الكفر ليظهروا فيكونوا قابلين للتحلية
بالمحاسن الدينية بعد التخلية عن الأخلاق الدنية: ﴿ فقلت ﴾ أى فى
دعائى لهم: ﴿ استغفروا ربكم ﴾ أى اطلبوا من المحسن إليكم، المبدع ١٠
لكم، المدبر لأموركم، أن يمحو ذنوبكم أعيانها و آثارها، بالرجوع عن
عبادة غيره إلى الإخلاص فى عبادته.

و لما ذكر أنه استعطفهم أولا ببيان أن رجوعهم ممكن، لئلا
يقولوا: إنا قد بالغنا فى المعاصى فلا نقبل، و أعلمهم أن الاستغفار
باب الدخول إلى طاعة الجبار، أكد ذلك الاستعطاف بقوله معللا ١٥
للأمر و لجوابه بنحو: يغفر لكم، مؤكدا لأجل توقفهم: ﴿ انه كان ﴾
[أى - [4]] ازلا و أبدا و دائما سرمدا ﴿ غفارا ﴾ أى متصفا بصفة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لبعد الترتيب (٢) فى م: من (٣) من ظ و م،
و فى الاصل: السبب (٤) زيد من ظ و م.

الستر على من رجع إليـــه على أبلغ الوجوه و أعلاها، و إذا وقع الغفران دفع المضار كلها .

و لما قرر أمر التوبة و بين قبولها و قدمه اهتماما به لأنه أصل ما يبتنى عليـــه، و لأن التخلى قبل التحلى، و درء[1] المفاسد قبل جلب المصالح و الفوائد، رغب فيها بما يكون عنها من الزيادة فى الإحسان على أصل القبول، و ينشأ عن الاستغفار من الآثار الكبار من الأفضال بجلب المسار بما هو مثال للجنة التى كان سبب الإخراج منها النسيان لأنهم أحب شىء فى الأرباح الحاضرة و الفوائد العاجلة لاسيما بما يبهج النفوس و يشرح الصدور لإذهابه[2] البؤس، فقال مجيبا لفعل الأمر: ﴿ يرسل السمآء ﴾ اى المظلة الخضراء أو السحاب أو المطر ﴿ عليكم ﴾ أى بالمطر و أنواع[3] البركات ﴿ مدرارا ﴾ أى حال كونها كثيرة الدرور متكررته، و هذا البناء يستوى فيه المذكر و المؤنث ﴿ ويمددكم ﴾ [أظهر-[4]] لأن الموضع لإرادة المبالغة و البسط و السعة ﴿ باموال و بنين ﴾ و ذلك يفهم أن من أكثر الاستغفار حباه الله ما يسره، و حماه ما يضره ﴿ و يجعل لكم ﴾ أى فى الدارين ﴿ جنت ﴾ أى بساتين عظيمة، و أعاد العامل للتأكيـــد و البسط لأن المقام له فقال: ﴿ و يجعل لكم انهرا ﴾ يخصكم بذلك عمن لم يفعل ذلك، فان من

(١) من ظ وم، وفى الأصل: رد (٢) من ظ وم، وفى الأصل: لاذهاب .
(٣) زيد فى الأصل: المطر، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٤) زيد من ظ .

لزم الاستغفار جعل / الله له من كل هم فرجا، و من كل ضيق مخرجا، ٥٢٥ /
روى[1] أن عمر رضى الله عنه استسقى فلم يزد على الاستغفار فلما نزل
قيل: يا امير المؤمنين! ما رأيناك[2] استسقيت؟ فقال: لقد طلبت الغيث
بمجاديح السماء التى بها يستنزل القطر، ثم قرأ هذه الآية، و قال القشيرى:
من وقعت له إلى الله حاجة فلن يصل إلى مراده إلا بتقديم الاستغفار، ٥
و قال: إن عمل قوم نوح كان بضد ذلك، كلما ازداد نوح فى الضمان
و وجوه الخير و الإحسان ازدادوا فى الكفر و النسيان.

و لما كان من رجا ملكا عمل بما يرضيه، و من خافه تجنب
ما يسخطه، نبههم على ذلك بالإشارة إلى الجلال الموجب للتوقير و الجمال
بالإحسان إلى الخلق، مصرحا لهم بالترغيب ملوحا إلى الترهيب، فقال ١٠
مستأنفا فى جواب من يقول منهم: هل بقى شىء من قولك؟: ﴿ما﴾
أى أىّ شىء يحصل ﴿لكم﴾ حال كونكم ﴿لا ترجون﴾ أى تكونون
فى وقت من الأوقات على حال تؤملون بها، و بين فاعل الوقار
و مبدعه بتقديمه، فانه لو أخره لكان ل «وقارا» فقال: ﴿لله﴾ أى
الملك الذى له الأمر كله ﴿وقارا ۚ﴾ أى ثوابا يوقركم فيه و لو قل، ١٥
فان قليله أكثر من كثير غيره، و لا تخافون له إهانة بالعقاب بأن تعلموا
أنه لابد من أن يحاسبكم بعد البعث فيثيب الطائع و يعاقب العاصى،

(١) رواه ابن سعد فى الطبقات ٣/١/٢٣١ (٦) جاءت العبارة هنا مطموسة فى فانتسخناها من ظ.

كما هى عادة كل احد مع من تحت يده، فتوقروا رسله بتصديقهم فتؤمنوا و تعملوا، فان من أراد من أحد أنه يوقره وقره و عظمه ليجازيه على ذلك، فان الجزاء من جنس العمل، و ذلك إنما يكون بمعرفة الله بما له من الجلال و الجمال. و الخلق إنما تفاضلوا بالمعرفة بالله، لا بالأعمال، إنما سبق أبو بكر رضى الله عنه الناس بشىء وقر فى صدره، فان بالمعرفة تزكو الأعمال و تصلح الاقوال، و إنما يصح تعظيمه سبحانه بأن لا ترى لك عليه حقا، و لا تنازع له اختيارا، و تعظم أمره و نهيه، بعدم المعارضه بترخيص جاف او تشديد غال أو حمل على توهم[1] الانقياد، و تعظم حكمه[2] بأن لا تبغى[3] له عوجا و لا تدافعه بعلم، و لا ينبغى له غرض[4] و علة، و لأجل أن المطلوب تحصيل الأعمال[5] التى هى أسباب ظاهرية، عبر بالرجاء ليسرهم بأن أعمالهم مؤثره، و عبر بالطمع فى غير هذه الآية [تنبيها -[6]] على انه لا سبب فى الحقيقة إلا رحمة الله لحال دعا إلى ذلك.

و لما كان هذا إشارة إلى الاستدلال على البعث بما يعلمونه من أنفسهم صرح بعد ما لوح، فقال آتيا بحرف التوقع لأنه مقامه: ﴿وقد﴾ أى و الحال أنه قد أحسن إليكم مرة بعد مرة بما لا يقدر عليه غيره، فدل ذلك على تمام قدرته، ثم لم يقطع إحسانه عنكم فاستحق أن تؤمنوا

(١) من م، و فى ظ: توهن (٢) من م، و فى ظ: لحكمه (٣) من م، و فى ظ: لا تنفى (٤) من م، و فى ظ: عوضا (٥) من م، و فى ظ: اعمال.
(٦) زيد من م.

به لأنه " هل جزاء الاحسان إلا الاحسان " و رجاء لدوام إحسانه و خوفا من قطعه لأنه ﴿ خلقكم ﴾ أى أوجدكم من العدم مقدرين ﴿ اطوارا ﴾ أى تارات عناصر أولا ثم مركبات تغذى الحيوان ثم أخلاطا ثم نطفا [1] ثم علقا ثم مضغا ثم عظاما و لحوما و أعصابا و دماء، ثم خلقا آخر [2] تاما ناطقا ذكرانا [2] إناثا طوالا و قصارا بيضا و سودا ٥ و بين ذلك - [3] إلى غير ذلك [3] من الأمور الدالة على قدرته على كل مقدور، [و - [4]] من قدر على هذا ابتداء كان على الإعادة أعظم قدرة، و قد ثبتت حكمته و أنه لم يخلق الخلق سدى بما بان من هذا التطوير على هذه [5] الهيئات العجيبة التى لا قدرة لغيره عليها بوجه، و هم يتهارجون فى هذه الدار تهارج الحمر [6]، و يموت المظلوم على حاله، و الظالم يبلغ آماله، ١٠ فلابد أن يعيدهم ليفصل بينهم فيظهر حكمته و عدله و إكرامه و فضله، و لو ترك ذلك لكان نقصا فى ملكه، و من قدر على ذلك كان قادرا على الجزاء بالثواب و العقاب. فهو أهل لأن يخشى و يرجى.

و لما كان هذا [واضحا - [4]] و لكنهم قوم لد، لا يردهم إلا الشمس المنيرة فى وقت الظهيرة، ذكرهم - بعد التذكير [7] بما فى أنفسهم - بما هو ١٥ أكبر من ذلك من آيات الآفاق و قسمها إلى علوى و سفلى، و بدأ

(١) و من هنا نستأنف نسخة الأصل (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: ناطقا ذاكرا ناطقا - كذا (٣-٣) - سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد من ظ و م.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: هذا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الهجر.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: التفكير.

بالأنفس لأنها مع شرفها أقرب منظور إليه لهم، و ثنى بالعلوى لأنه يليها فى الشرف و وضوح الآيات، فقال: [دالا - [1]] على القدرة على البعث و الجزاء بالثواب و العقاب: ﴿ الم تروا ﴾ أى أيها القوم.

و لما كان تأمل الكيفيات [يحتاج - [1]] إلى دقة و توقف على [2] عجائب و لطائف تؤذن قطعا بأن [3] فاعلها لا يعجزه شىء، قال منكرا عليهم عدم التأمل: ﴿ كيف خلق الله ﴾ أى الذى له العلم التام و القدرة البالغة و العظمة الكاملة ﴿ سبع سموٰت ﴾ هى فى غاية العلو و السعة و الإحكام و الزينة، يعرف كونها [سبعا - [1]] بما فيها من الزينة.

و لما كانت المطابقة بين المتقابلات [4] فى غاية الصعوبة لا يكاد يقدر عليها من جميع الوجوه أحد، قال: ﴿ طباقا ﴾ أى متطابقة بعضها فوق بعض و كل واحدة فى التى تليها محيطة بها، ما لها من فروج، لا يكون تمام المطابقة إلا كذلك بالإحاطة من كل جانب.

و لما كان المحيط لا يتوصل إلى داخله إلا محيط [5] العلم و القدرة، قال دالا على كمال [6] قدرته و [6] تصرفه معبرا بالجعل الذى يكون عن تصيير و تسبيب: ﴿ و جعل القمر ﴾ أى الذى ترونه و هو فى السماء الدنيا، و بدأ به لقربه و سرعة حركته و قطعه جميع البروج فى كل شهر مرة و غيبته فى ليالى السرار ثم ظهوره، و ذلك أعجب فى القدرة.

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فان (٤) من م، و فى الأصل و ظ: المقابلات (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بمحيط (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

و لما

و لما كانت السماء شفافات قال : ﴿ فيهن ﴾ اى السماوات جميعهن ﴿ نورا ﴾ أى لا معا منتشرا كاشفا[1] للرئيات ، أحد وجهيه يضيء لأهل الأرض و الثانى لأهل السماوات ، و لما كان نوره مستفادا[2] من نور الشمس قال : ﴿ و جعل ﴾ معظما لها باعادة العامل ﴿ الشمس ﴾ أى فى السماء الرابعة ﴿ سراجا ﴾ / أى نورا عظيما كاشفا لظلمة الليل عن وجه الأرض ٥ / ٥٢٧ و هى فى السماء الرابعة ، و روى ابن مردويه و عبد الرزاق و الطبرى[3] عن ابن عباس و عبد الله بن عمرو[4] رضى الله عنهم : ان الشمس و القمر وجوههما مما يلى السماء ، وأقفيتهما إلى الأرض ؛ و روى الحاكم[5] منه ذكر القمر. و جعلهما سبحانه آية على رؤية عباده المحسنين له فى الجنة فانه يرى كل أحد [كلا -[6]] من مكانه مخليا به[7]، و كذلك يرونه سبحانه ١٠ عيانا جهارا كما رأوه فى الدنيا بالإيمان نظرا و اعتبارا ، و لما[8] دل على كمال علمه و تمام قدرته بخلق الإنسان ثم بخلق ما هو أكبر منه أعاد الدلالة بخلق الإنسان لأنه أعظم المحدثات و أدلها على الله سبحانه و تعالى على وجه آخر مبين لبعض ما أشار إليه [الأول -[6]] من التفصيل[9]

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : كاشفات (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مستمدا (٣) راجع تفسيره ٢٩ / ٥٣ (٤) من ظ و م وتفسير الطبرى ، و فى الأصل : عمر (٥) راجع المستدرك ٢ / ٥٠٢ (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : له (٨) زيد فى الأصل : ثم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : التفعيل .

مصرحا بالبعث فقال مستعيرا الإنبات للانشاء[1]: ﴿ والله ﴾ اى الملك الأعظم الذى له الأمر كله ﴿ انبتكم ﴾ أى بخلق أبيكم [آدم -[2]] عليه الصلاة و السلام ﴿ من الارض ﴾ أى كما ينبت الزرع ، و عبر بذلك تذكيرا لنا لما كان من خلق أبينا آدم عليه الصلاة و السلام لأنه أدل على الحدوث و التكون من الأرض ، و اشار[3] إلى أنه جعل غذاءنا من الأرض التى خلقنا منها ، و بذلك الغذاء نمونا .

و لما كان إنكارهم للبعث كأنه إنكار[4] للابتداء اكده بالمصدر و أجراه على غير فعله بتجريده من الزيادة ، إشارة إلى هوانه عليه سبحانه و تعالى و سهولته مع أنه إبداع و ابتداء و اختراع فقال : ﴿ نباتا ﴾ و مع ذلك فالآية صالحة للاحتباك : ذكر « أنبت » أولا دال على حذف مصدره ثانيا ، و ذكر " النبات " ثانيا دال على حذف فعله أولا ، ليكون التقدير : أنبتكم إنباتا فنبتم نباتا .

و لما كان فى الموت أيضا[5] دليل على تمام العلم و القدرة غير أنه ليس كدلالة الابتداء بالابتداع[6] ، و كان مسلما ليس فيه نزاع ، ذكره من غير تأكيد بالمصدر فقال دالا على البعث و النشور : ﴿ ثم يعيدكم ﴾ على التدريج ﴿ فيها ﴾ أى الأرض بالموت و الإقبار و إن طالت[7]

---

(١) من ظ و م ، والأصل: للانشقان (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : انكارا .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : اولا (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : بالابتداء .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : طال .

الآجال ﴿ و يخرجكم ﴾ أى فيها بالإعادة ، و أكد بالمصدر الجارى على الفعل إشارة إلى شدة العناية به و تحتيم وقوعه لإنكارهم له [1] فقال : ﴿ اخراجا ﴾ أى غريبا ليس هو كما تعلمون بل تكونون [2] به فى غاية ما يكون [3] من الحياة الباقية ، تلابس أرواحكم بها أجسامكم ملابسة لا انفكاك بعدها لأحدهما عن الآخر . ٥

و لما كان النابت من الشىء لا يتصرف فى ذلك الشىء ، دل على كمال قدرته بخرق تلك العادة لهم على وجه الإنعام عليهم ، فقال مظهرا للاسم الشريف مرة بعد أخرى تعظيما للأدلة و لئلا تقيد [4] القدرة بما يقترن بسمه الاسم دالا بالعالم السفلى بعد الإرشاد بالعلوى و أخر السفلى لأن آياته على ظهورها خفيت بكثرة الإلف لها : ﴿ و الله ﴾ ١٠ أى المستجمع لجميع الجلال و الإكرام ﴿ جعل / لكم ﴾ أى نعمة عليكم ٥٢٨ / اهتماما بأمركم ﴿ الارض بساطا ﴾ أى [سهل - [5]] عليكم [6] التصرف فيها و التقلب عليها سهولة التصرف فى البساط ، ثم علل ذلك فقال : ﴿ لتسلكوا ﴾ أى متجددين ﴿ منها ﴾ أى [7] الأرض [مجددين لذلك - [8]] ﴿ سبلا ﴾ أى طرقا [9] واضحة مسلوكة بكثرة ﴿ فجاجا ﴾ أى ذوات اتساع ١٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : به (٢) من ظ م ، وفى الأصل وظ : يكونون . (٣) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : خضعت (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : عليه (٧) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : طريقا .

لتتوصلوا إلى البلاد الشاسعة برا و بحرا، فيعم الانتفاع بجميع البقاع، فالذى قدر على إحداثكم[1] و أقدركم على التصرف [فى أصلكم مع ضعفكم قادر على إخراجكم من أجداثكم -[2]] التى لم تزل طوع أمره و محل عظمته و قهره .

٥ و لما كانوا قد جادلوه عليه الصلاة و السلام بعد هذا البيان الذى لا يشك فى دلالته على المراد من تحقق لصفاء الإيقان، فأكثروا الجدال و نسبوه إلى الضلال و عصوه أقبح العصيان و قابلوه بأشنع[3] الأقوال و الأفعال[3]، طوى ذلك مشيرا إليه بقوله مستأنفا: ﴿ قال نوح ﴾ أى بعد رفقه بهم و لينه لهم شاكيا منهم[4] : ﴿ رب ﴾ أى ايها المحسن إلىّ

١٠ المدبر لى[5] المتولى لجميع أمورى .

و لما كان الضعفاء أكثر الناس بحيث إذا اجتمعوا دل[6] الرؤس الأقوياء بالأموال و الأولاد و كانوا كأنهم الكل، فقال مؤكدا لأن عصيانهم له بعد ذلك مما يبعد وقوعه: ﴿ انهم ﴾ أى قومى الذين دعوتهم إليك مع صبرى عليهم ألف سنة إلا خمسين عاما ﴿ عصونى ﴾

١٥ أى فيما أمرتهم به و دعوتهم إليه فأبوا أن يجيبوا دعوتى و شردوا عنى أشد شراد و خالفونى أقبح مخالفة ﴿ و اتبعوا ﴾ أى بغاية جهدهم نظرا

(١) زيد فى الأصل : و اوجدكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الأفعال و الأقوال .
(٤) زيد فى الأصل : بقوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اول .

إلى المظنون العاجل بعد[1] ترك المحقق عاجلا و آجلا ﴿ من ﴾ اى [من ـ[2]] رؤسائهم البطرين بأموالهم المغترين[3] بولدانهم، و فسرهم[4] بقوله: ﴿ لم[5] يزده ﴾ أى شيئاً من الأشياء.

و لما كان المال يكون [للانسان ـ[6]] قبل الولد، و كان ينبغى أن يشكر الله الذى آتاه إياه ليكون له خيرا فى الدارين و كذا الولد قال: ﴿ ماله ﴾ أى بكثرته ﴿ و ولده ﴾ كذلك، و هو الجنس فى قراءة التحريك ـ و كذا فى قراءة ابن كثير و البصريين و حمزة و الكسائى بالضم و السكون على أنه لغة فى المفرد كالحزن و الحزن و الرشد و الرشد، او يكون على هذه جمعا كالأسد و الأسد، و يكون اختيار أبى عمرو[7] لهذه القراءة فى هذا الحرف وحده للاشارة بجمع[8] الكثرة المبنى على الضمة التى هى أشد الحركات إلى أنهم ـ و إن زادت كثرتهم و عظمت قوتهم ـ لا يزيدونهم شيئا ﴿ الاخسارا ﴾ بالبعد عن[9] الله و العمى عن محجة الطريق، فان البسط لهم فى الدنيا بذلك كان سببا لطغيانهم و بطرهم و اتباعهم لأهوائهم حتى كفروا و استغووا[10] غيرهم

(١) زيد فى الأصل: تحقيق، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل: باموالهم و أولادهم المغترين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فسره (٥) وقع فى الأصل: قبل «أى من رؤسائهم» و الترتيب من ظ و م (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: أبى عمر (٨) من م، و فى الأصل و ظ: لجمع. (٩) فى ظ و م: من (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: استغفروا

فغلبوا عليهم فكانوا سببا فى شقائهم [١] و خسارتهم بخسارتهم [٢]، و كان عندهم أنها زادتهم رفعة، و فى السياق دليل على أنهم ما حصلت لهم الوجاهة إلا بها .

و لما كانت / كثرة الرؤساء قوة أخرى إلى قوتهم بمتاع الدنيا، ٥٢٩ /
و كان التقدير: فأمرتهم بالإيمان فأبوا و أمروهم [٣] بالكفر فانقادوا لهم [٤]، عطف عليه [٥] مبينا لكثرتهم بضمير الجمع العائد على "من" عاطفا على [٦] "لم يزده" المفردة الضمير للفظ جامعا له للمعنى لتجمع العبارة الحكم على المفرد و الجمع، فيكون أدل شيء على المراد منها فقال: ﴿و مكروا﴾ أى هؤلاء الرؤساء فى تنفير الناس عنى [٧] - و أكد الفعل بالمصدر دلالة على قوته [٨] فقال: ﴿مكرا﴾ و زاده تأكيدا بصيغة هى النهاية فى المبالغة فقال: ﴿كبارا﴾ فانه أبلغ من كبار المخفف الأبلغ من كبير، فلم يدعوا أحدا منهم بذلك [المكر - [٩]] يتبعنى ﴿و قالوا﴾ أى لهم فى أدانى [١٠] المكر [١١] الذى حصل منهم [١١] .

و لما كان دعاء الرسل عليهم الصلاة و السلام جديرا [١٢] بالقبول

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بخسارهم. (٣) زيد فى الأصل: رؤسا و هم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اليهم (٥) زيد فى الأصل: ذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: من (٧) من ظ و م، و فى الأصل: على عليه الصلاة و السلام (٨) من ظ و م، و فى الأصل: قوله (٩) زيد من ظ و م. (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: ادنى (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م. (١٢) من ظ و م، و فى الأصل: جدير.

لما لهم من الجلالة و الحلاوة و البيان و الرونق و الظهور فى الفلاح، أكدوا قولهم: ﴿ لا تذرن آلهتكم ﴾ أى لا تتركنها[1] على[2] حالة من الحالات لا قبيحة و لا حسنة، و أضافوها إليهم تحسبا فيها، ثم خصوا بالتسمية زيادة فى الحث و تصريحا بالمقصود فقالوا مكررين النهى و العامل تأكيدا: ﴿ و لا تذرن ﴾ و لعلهم كانوا يوافقون العرب فى ٥ أن الود هو الحب الكثير، فناسب المقام بذاتهم بقولهم: ﴿ ودا ﴾ و أعادوا النافى[3] تأكيدا فقالوا[4]: ﴿ و لا سواعا ﴾ و أكدوا هذا التأكيد و ابلغوا[5] فيه فقالوا: ﴿ و لا يغوث ﴾ و لما بلغ التأكيد نهاية و علم أن المقصود[6] النهى عن كل فرد فرد لا عن المجموع بقيد الجمع أعروا فقالوا: ﴿ و يعوق و نسرا ﴾ معرى عن[7] التأكيد للعلم بارادته، ١٠ و كان هؤلاء ناسا صالحين، فلما ماتوا حزن عليهم الناس ثم زين لهم إبليس تصويرهم تشويقا إلى العمل بطرائقهم الحسنة[8] فصوروهم، فلما تمادى الزمان زين لهم عبادتهم لتحصيل المنافع الدنيوية ببركاتهم ثم نسى القوم الصالحون، و جعلوا أصناما آلهة من دون الله، و كانت عبادة هؤلاء أول عبادة الأوثان[9] فأرسل الله سبحانه و تعالى نوحا عليه ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لا تتركوها (٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بقولهم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بالغوا (٦) فى ظ و م: القصد (٧) فى م: من (٨) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: الأوقات.

الصلاة و السلام للنهى عن ذلك إلى ان كان من امره و امر قومه[1] ما هو معلوم، ثم أخرج إبليس هذه الأصنام بعد الطوفان فوصل شرها إلى العرب، [2]فكان ود[2] لكلب بدومة الجندل و سواع لهذيل و يغوث لمدحج و يعوق لمراد و نسر لحمير لآل ذى الكلاع، و قيل غير ذلك ٥ - [3]و الله أعلم[3] قال البغوى[4]: سواع لهذيل و يغوث لمراد، ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبأ و يعوق لهمذان[5]. قال أبو حيان[6]: قال أبو عثمان النهدى[7]: رأيت يغوث و كان من رصاص يحمل على جمل [8]أجرد، يسيرون معه لا يهيجونه[8] حتى يكون هو الذى يبرك، فاذا برك نزلوا / و قالوا: قد رضى لكم المنزل، فينزلون حوله و يضربون ١٠ عليه بناء[9]، و روى عن ابن عباس[10] رضى الله عنهما فى سبب وصول شر تلك الأوثان إلى العرب أنها دفنها الطوفان ثم أخرجها الشيطان لمشركى العرب، وكانت للعرب أصنام أخر فاللات لثقيف، و العزى[11]

/٥٣٠

(١) زيد فى الأصل: ما كان و، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: فكان - مع يسير من البياض، و راجع المعالم ٧ / ١٢٩ (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) فى المعالم ٧ / ١٢٩.
(٥) زيد فى الأصل: و الله اعلم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٦) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٤١، و زيد فى الأصل: قالوا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م و البحر فحذفناها (٧) من ظ و م و البحر، و فى الأصل: الهندى.
(٨-٨) من البحر، و فى الأصول: احمر ولا يهجونه و يسيرون معه (٩) زيد فى الأصل: و الله اعلم بالصواب، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) راجع روح المعانى ٩ / ١٨١ (١١) من ظ و م، و فى الأصل: اللات.

لسليم

لسليم و غطفان و جشيم ، و منات بقديد لهذيل ، و اساف و نايلة و هبل لأهل مكة ، و كان أساف حيال الحجر الأسود ، و نايلة حيال الركن اليمانى ، و كان هبل فى جوف الكعبة - انتهى[1] ، و قال الواقدى : ود على صورة رجل ، و سواع على صورة امرأة ، [و -[2]] يغوث على صورة أسد ، و يعوق على صورة فرس ، و نسر على صورة نسر - انتهى . ٥

و لا يعارض [هذا -[2]] أنهم صور[3] لناس صالحين لأن تصويرهم لهم يمكن ان يكون منتزعا من معانيهم ، فكأن ودا كان أكملهم فى الرجولية ، و كانت سواع امرأة كاملة فى العبادة ، و كان يغوث شجاعا ، و يعوق كان سابقا قويا ، و كان نسر عظيما طويل[4] العمر - و الله تعالى أعلم . ١٠

و لما ذكر مكرهم و ما أظهروا من قولهم ، عطف عليه ما توقع السامع من أمرهم [فقال -[2]] : ﴿ و قد اضلوا ﴾ أى الأصنام و عابدوها بهذه العبادة ﴿ كثيرا[5] ﴾ من [عبادك -[2]] الذين خلقتهم على الفطرة السليمة من أهل زمانهم و ممن أتى بعدهم فانهم أول من سن هذه السنة السيئة فعليهم وزرها و وزر من عمل بها إلى يوم القيامة[5] . ١٥

و لما كان التقدير : فلا تزد الظالمين إلا خسارا ، عطف عليه قوله مظهرا فى موضع الإضمار تعميما[6] و تعليقا[7] للحكم بالوصف[7] :

---

(١) سقط من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : صورة .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : طويلا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : القيام .
(٦) من م ، و فى الأصل و ظ : تعظيما (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بالحكم للوصف فقال .

﴿ و لا تزد الظلمين ﴾ اي الراسخين فى الوصف الموجب لأن تكون آثار المتصف به كآثار الماشى فى الظلام [فى ـ[1]] وقوعها مختلة ، شيئا من الأشياء التى هى فيهم ﴿ الا ضلالا ﴾ اى طبعا على [2]عقولهم و[2] قلوبهم حتى يعموا عن الحق و عن جميع مقاصدهم [2]الفاسدة الضالة الراسخة فى الضلال[2] فلا يكون منها شيء على وجه يكون فيه شيء[3] من سداد ، وكان هذا بعد أن أعلمه الله سبحانه و تعالى انه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن ، و الكلام عليه على كل حال كالكلام على دعاء موسى و هارون عليهما [2]و على محمد أفضل الصلاة و[2] السلام فى الشد على [قلوب ـ[1]] فرعون و ملائه لئلا يؤمنوا فى حال ينفعهم فيه كما مضى فى سورة يونس عليه السلام ، و قد بالغ ابن عربى فى المروق من الدين فقال فى فصوصه : إن هذا الدعاء حسن فى حقهم ، و قال : إن الضلال أهدى من الهدى ، و أن الضال أحسن حالا من المهتدى ، لأن الضال لا يزال قريبا من القطب المقصود دائرا حوله ، و المهتدى صاحب طريقة مستطيلة ، فهو يبعد عن المقصود ، فأبان أن الله تعالى[4] لم يخلق خلقا أسفه منه إلا من اتبعه عليه و على من ينحو / نحوه من الضلال الذى لا يرضاه عاقل من عباد الأصنام الذين لا أسفه منهم و لا غيره ، فعليهم أشد الخزى و اللعنة .

/ ٥٣١

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : شيئا (٤) يبتدئ من هنا بياض فى ظ يستمر إلى « فى غاية السهولة » على ص ٤٥٣ س ١٤ .

و لما فرغ من أمرهم فى ضلالهم، ودعا رسولهم صلى الله عليه وسلم عليهم، فلم يبق إلا إهلاكهم، و كان من مفهومات الضلال المحق و إذهاب العين كما يضل الماء فى اللبن، قال مبينا إجابته لدعائه ذاكرا الجهة[1] التى أهلكوا بسببها: و أكد بـ"ما" النافية فى الصورة لضد مضمون الكلام لاعتقاد الكفار أن[2] الإنجاء و الإهلاك[2] عادة الدهر: ﴿مما﴾. ٥

و لما كان الكافر قد أخطأ ثلاث مرات: يكفره فى الإيمان بالطاغوت، و تكذيب ربه، و تكذيب رسوله صلى الله عليه و سلم، و كان ذلك كافيا فى [3]استحقاقه للأخذ[3] قال: ﴿خطيئتهم[4]﴾ جامعا له جمع السلامة - فى قراءة الجماعة، و أفهمت قراءة أبى عمرو[5] بجمع التكسير أن لهم مع هذه الأمهات الكافية فى الأخذ من الذنوب ١٠ ما يفوت الحصر يوجب تغليظ ذلك الأخذ، فهى مشيرة إلى أنه ينبغى الاحتراز من [كل-[6]] الذنب.

و لما كان الموجع[7] إغراقهم لا كونه من معين، قال مخبرا عما فعل بهم فى الدنيا: ﴿اغرقوا﴾ أى بالطوفان بانيا له للمفعول لذلك و للاعلام بأنه فى غاية السهولة على الفاعل المختار الواحد القهار، فطاف ١٥ الماء عليهم جميع الأرض السهل و الجبل، فلم يبق منهم أحدا[8]، وكذا الكلام فيما تسبب عنه و تعقبه من قوله: ﴿فادخلوا﴾ أى بقهر القهار

(١) من م، و فى الأصل: الجنة (٢-٢) من م، و فى الأصل: الاهلاك ولا نجاء. (٣-٣) من م، و فى الأصل: الاستحقاق فى الأخذ (٤) من م، و فى الأصل: خطاياهم (٥) راجع نثر المرجان ٧ / ٥٢٤ (٦) زيد من م (٧) من م، و فى الاصل: الموجب (٨) من ظ و م، و فى الأصل: احد.

فى الآخرة التى أولها البرزخ يعرضون فيه على النار بكرة و عشيا ﴿ نارا ﴾ أى عظيمة جدا أخفها[1] ما يكون من مبادئها فى البرزخ، قال الشيخ ولى الدين الملوى: فعذبوا فى الدنيا بالغرق، و فى الآخرة بالحرق، و الإياس من الرحمة، و أىّ عذاب أشد من ذلك، [و -[2]]

٥ قال الضحاك[3]: فى حالة واحدة كانوا يغرقون[4] فى الماء[4] من جانب و يحترقون فى الماء من جانب آخر بقدرة الله سبحانه و تعالى، و فيها دلالة على قول غيره على عذاب القبر.

و لما كانوا قد استندوا إلى آلهتهم لتنصرهم من أخذ الله تعالى، قال مسببا عن هذا الإغراق و الإدخال مؤيسا[5] من الرحمة ليكون ذلك

١٠ [أشد -[2]] فى العذاب، فان الإنسان - كما قال الملوى: - إذا كان فى العذاب و يرجو الخلاص يهون عليه الأمر بخلاف ما إذا يئس من الخلاص، معلما بأن[6] آلهتهم عاجزة فانها لم تغن عنهم شيئا، توبيخا لمن يعبد مثلها: ﴿ فلم يجدوا ﴾ و حقق الأمر فيهم بقوله: ﴿ لهم ﴾ أى عند ما أناخ الله بهم سطوته و أحل بهم نقمته[7].

١٥ و لما كانت الرتب كلها دون رتبته تعالى، و كان ليس لأحد أن يستغرق جميع ما تحت / رتبته سبحانه من المراتب، قال مثبتا الجار: / ٥٣٢

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اخفاها (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع معالم التنزيل بهامش اللباب ٧/ ١٣٠ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: نوس (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٧) زيد فى الأصل: و ايسهم رحمته، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

من

﴿ من دون الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى تتضاءل المراتب تحت رتبة عظمته و تـذل لعزه و جليل[1] سطوتـه ﴿ انصاراه ﴾[2] ينصرونهم على من أراد بهم ذلك ليمنعوه عما فعل بهم أو يقتصوا منه لهم بما شهد به شاهد الوجود الذى هو أعدل الشهود من أنه تم ما أراده سبحانه و تعالى من إغراقهم من غير أن يتخلف منهم احد على كثرتهم و قوتهم ٥ لكونهم أعداءه و إنجاء نبيه نوح[3] عليه الصلاة و السلام و من معه رضوان الله و سلامه عليهم أجمعين على ضعفهم و قلتهم لم يقعد منهم أحد لكونهم أولياءه، فكما[4] لم يهلك ممن[5] أراد إنجاءه أحد فكذلك لم يسلم منهم، فمن قال[6] عن عوج[6] ما يقوله القصاص فهو أيضا[3] ضال أشد ضلال، فلعنة الله على من يقول: إن الله تعالى كان غير[7] ناصرهم، ١٠ مع هـذه الدلالات التى هى نص فى أنه عدوهم، و أن نصرهم إنما[8] يكون على نبيه نوح عليه الصلاة و السلام، و[9] اعتقاد ذلك أو شىء منه كفر ظاهر لا محيد عنه بوجه، و قائل ذلك هو[10] ابن عربى صاحب[11]

(١) من ظ و م، و فى الأصل: جميع (٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فما (٥) من ظ و م، و فى الأصل: من (٦-٦) و قع ما بين الرقمين فى الأصل بعد « القصاص » و الترتيب من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: على. (٨) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) زيد فى الأصل: قايله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١) من ظ و م، و فى الأصل: فى.

الفصوص الذى لم يرد بتصنيفه إلا هدم الشريعة المطهرة ، و نظمه أيضا[١] ابن الفارض[٢] فى تائيته[٣] التى سماها بنظم السلوك[٣] ، فلعنة الله عليه و على من تبعه أو شك فى كفره أو توقف فى لعنه بعد ما نصب من الضلال الذى سعر به البلاد ، و أردى كثيرا من العباد .

٥ و لما أتم الخبر عن إغراقهم ، و قدمه للاهتمام بتعظيم الرسول صلى الله عليه و سلم فى إجابة دعوته تحذيرا للعرب أن يخرجوا رسولهم صلى الله عليه و سلم [فيخرجوه - [٤]] إلى مثل ذلك ، عطف[٥] على قول نوح عليه السلام من أوله قوله عند ما أخبره تعالى أنهم مغرقون و أنه لا يؤمن منهم إلا من قد آمن بعد ما[٦] طال بلاؤه بهم حتى إن كان

١٠ الرجل ليأتى بابنه إليه فيقول له : احذر هذا أن يضلك ، و إن ابى حذربه ، و كانت صيغة العموم ليست[٧] بنص فى أفرادها أبدا[٨] ، استنجازا لوعده و تصريحا بمراده : ﴿ و قال نوح ﴾ و أسقط الأداة كما هى عادة أهل الحضرة فقال : ﴿ رب[٩] لا تذر ﴾ أى تترك بوجه [٣]من الوجوه[٣] أصلا و لو على أدنى الوجوه ﴿ على الارض ﴾ أى

١٥ كلها [٣]من مشرقها إلى مغربها و سهلها وجبلها و وهدها[٣] ﴿ من الكفرين ﴾

---

(١) سقط من م (٢) من ظ و م ، والأصل فى : لعربى (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الاصل : عليه اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) فى ظ و م : ان (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : ليس (٨) سقط من ظ و م (٩) وقع فى الأصل بعد « قال نوح » و الترتيب من ظ و م .

اى الراسخين فى[1] الكفر [2]الذى هو كان لهم جبلة و طبعا[2] ﴿ديارا ٥﴾ أى أحدا يدور فيها ، و هو من ألفاظ العموم التى تستعمل فى النفى العام فيقال من الدور أو الدار لا فعّال ، و إلا لكان دوارا ، و يجوز -وهو أقرب[3]- أن يكون هذا الدعاء عند ركوبه السفينة و ابتداء الإغراق فيهم ، يريد[4] به / العموم كراهية[5] أن يبقى أحد منهم على ذروة جبل ٥ أو نحوه ، لا أصل الإغراق ، و أن يكون معنى ما قبله الحكم باغراقهم و تحتم القضاء به أو الشروع فيه[6] . ٥٣٣ /

و لما كان الرسل عليهم الصلاة و السلام لا يقولون و لا يفعلون إلا ما فيه مصلحة الدين ، علل دعاءه بقوله و أكده إظهارا لجزمه باعتقاد ما أنزل عليه من مضمون قوله تعالى "انه لن يؤمن [من -[2]] ١٠ قومك الا من قد امن" و إن كان ذلك خارجا عن العادة : ﴿ انك ﴾ أى يا رب ﴿ ان تذرهم ﴾ أى تتركهم على أى حالة كانت فى إبقائهم سالمين على وجه الأرض [2]على ما هم عليه من الكفر و الضلال و الإضلال[2] و لو[8] كانت[9] حالة دنية ﴿ يضلوا عبادك ﴾ أى الذين آمنوا بى و الذين يولدون على الفطرة السليمة .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الاحرب (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يريدون (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الكراهية (٦) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لى (٩) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

ولما كان ربما كان الإنسان ضارا و وجد[1] له ولد نافع، نفى ذلك بقوله: ﴿ولا يلدوا﴾ أى إن قدرت بقاءهم[2] فى الدنيا[2] ﴿الا فاجرا﴾ أى مارقا من كل ما ينبغى الاعتصام به، واكتفى فيه بأصل الفاعل إشارة إلى أن من جاوز الحد أو شرع فى شىء بعده من التمادى فى الغى صار ذلك له ديدنا فبالغ، [3]فلذلك قال[3]: ﴿كفارا﴾ أى بليغ الستر لما يجب إظهاره من آيات الله لأن قولك يا رب لا يتخلف أصلا، والظاهر أن هذا الكلام لا يقوله إلا عن وحى كما فى سورة هود عليه السلام من قوله تعالى "انه لن يؤمن من قومك الامن قد امن" فيكون [2]على هذا حتى[2] [4]صغارهم معذبين[4] بما يعلم الله منهم لو بلغوا لا بما عملوه [كما-[5]] قال صلى الله عليه وسلم فى أولاد الكفار «الله اعلم بما كانوا عاملين».

ولما [2]دل هذا كله على[2] أنه دعا على أعداء الله. دعا أيضا[6] لأوليائه وبدأ بنفسه لأنه[7] رأس تلك الأمة، فقال مسقطا على عادة أهل الخصوص: ﴿رب﴾ أى أيها المحسن إلىّ باتباع من اتبعنى وتجنب[8] من تجنبنى، فان من[6] كانت طبيعته طبعت[6] على شىء لا تحول عنه.

ولما كان المقام الأعلى أجل من أن يقدره أحد حق قدره قال: ﴿اغفر لى﴾ اى فانه لا يسعنى وإن كنت معصوما إلا حلمك وعفوك

---

(١) من ظ وم، وفى الأصل: ولد (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ وم. (٣-٣) من ظ وم، وفى الأصل: فى ذلك فقال (٤) من ظ وم، وفى الأصل: معذبون (٥) زيد من ظ وم (٦-٦) فى ظ وم: طبعته (٧) من ظ وم، وفى الأصل: لأن (٨) من ظ وم، وفى الأصل: تجيب.

ورحمتك

و رحمتك . و لما اظهر بتواضعه عظمة الله سبحانه و تعالى رتب المدعو لهم [على - ١] الأحق فالأحق [فقال - ١] : ﴿ و لوالدىّ ﴾ وكانا مؤمنين و هما لمك بن متوشلخ و شمخاه بنت أنوش ، قال ابوحيان[٢] : و قال ابن عباس رضى الله عنهما : لم يكفر لنوح عليه السلام أب فيما بينه و بين آدم عليهم الصلاة و السلام . و أعاد الجار [إظهارا - ١] للاهتمام[٣] ٥ فقال : ﴿ و لمن دخل بيتى ﴾ لأن المتحرم بالإنسان له حق اكيد لاسيما إن كان مخلصا فى حبه ، و لذا[٤] قال : ﴿ مؤمنا ﴾ و لما خص عم و أعاد الجار أيضا اهتماما فقال : ﴿ و للمؤمنين و المؤمنت[٥] ﴾ أى العريقين فى / هذا الوصف فى [كل - ١] أمة إلى آخر الدهر [و - ١] لا تزدهم ٥٣٤ / فى حال من الأحوال شيئا من الأشياء إلا مفازا . ١٠

و لما كان التقدير بما أرشد إليه الاحتباك : و لا تكرم المارقين ، عطف عليه قوله : ﴿ و لا تزد الظلمين ﴾ أى العريقين فى الظلم فى حال من الأحوال ﴿ الا تبارا ﴾ أى إلا [٦]هلاكا مدمرا[٦] مفتتا لصورهم قاطعا لأعقابهم [٧]مخربا لديارهم[٧] و كما استجاب الله سبحانه و تعالى له فى أهل الإيمان و الكفران [٨]من أهل ذلك الزمان فكذلك يستجيب له ١٥ فى أهل الإيمان و أهل الخسران[٨] بالسعادة و التبار فى جميع الأعصار

---

(١) زيد من ظ و م (٢) فى البحر المحيط ٨/٣٤٣ (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : اهتماما (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : لذلك (٥) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦ - ٦) من ظ و م ، وفى الأصل : اهلا كا مضمرا . (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : واهلها .

إلى أن يقفوا بين يدى العزيز الجبار، و الآية من الاحتباك : إثبات الدعاء المقتضى لأصل إكرام المؤمنين أولا مرشد إلى حذف الدعاء المفهم لأصل إهانة الكافرين ثانيا، و إثبات الدعاء بزيادة التبار [ثانيا مفهم لحذف الدعاء الموجب لزيادة المفاز أولا ، و هذا الآخر المفصح بالتبار -[1]] هو ما أرشد إليه الابتداء بالإنذار، فقد انطبق الآخر على الأول [2]على أصرح وجه و أكمل، و أحسن حال و أجمل [2]منال، و لا حول و لا قوة إلا بالله العلى العظيم و الحمد لله تعالى على كل حال[2].

[3]سوره الجن و تسمى "قل[4] اوحى"[5]

مقصودها إظهار [2]الشرف لهذا[2] النبى الكريم الفاتح الخاتم صلى الله عليه و على آله و أصحابه و ذريته و أهل بيته حيث لين له قلوب الإنس و الجن و غيرهما[6]، فصار مالكا لقلوب المجانس و غيره. و ذلك لعظمة هذا القرآن و لطف ما له من غريب[7] الشأن، هذا و الزمان فى آخره و زمان لبثه فى قومه دون ربع العشر من زمن[8] نوح عليه السلام أول نبى بعثه الله تعالى إلى المخالفين و ما[9] آمن[10] معه من قومه

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيد قبله فى الأصل: هذه ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها ، وهى الثانية و السبعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٢٨ (٤) من ظ و م و فى الأصل : بقل . (٥) زيد فى الأصل : الى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) فى م : غيرهم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : عظيم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : زمان (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : من (١٠) زيد فى الأصل : به ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

إلا قليل ، و على ذلك دلت تسميتها بالجن [و -[1]] بقل أوحى ، و بتأمل الآية المشتملة على ذلك و ما فيها من لطيف المسالك ، [2] أعاذنا الله بمنه و كرمه من الوقوع فى المهالك[2] . ﴿ بسم الله ﴾ أى[3] المحيط بالكمال أرسل رسوله [الخاتم -[1]] بالهدى ليظهره على الدين كله بما له من الجلال و الجمال ﴿الرحمن﴾ الذى بعموم رحمته عم[4] بهذا الإرسال ليعم ٥ بالبيان ما يلزم الخلق من المقال و الفعال ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص من بين أهل الدعوة من شاء بمحاسن الأعمال لما سبق لهم من الفوز فى أزل الآزال[5] .

لما كان نوح عليه الصلاة و السلام أول رسول أرسله الله تعالى إلى المخالفين من أهل الأرض ، و كان قومه عباد أوثان ، و عصوه أشد ١٠ العصيان مع أنه كان[6] منهم نسبا و لسانا ، و ختمت سورته بدعائه عليهم ، و كان نبينا صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين ، فهو آخر رسول بعثه / الله تعالى إلى أهل الأرض و غيرهم من جميع الخلق ، و كان قومه العرب / ٥٣٥ قد وافقوا قوم نوح عليه السلام فى أكثر أحوالهم عبادة الأوثان حتى تلك الأوثان إما بأساميها أو بأعيانها على ما ورد فى الأخبار ، و فى ١٥ عصيان رسولهم و استضعاف أتباعه و استهزائهم ابتدئت ، هذه بما كان من سهولة من سمع هذه الدعوة الخاتمة الجامعة من غير الجنس فضلا

(١) زيد من م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) سقط من م .
(٤) وقع فى الأصل قبل « بعموم » والترتيب من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الازل انتهى (٦) سقط من ظ و م .

عن الموافقين فى الجنس مع قصر الزمان و ضعف الأعوان لجلالة هذا القرآن ، فقال منبها له بالأمر على ما فى هـذا من عظيم القدر ، مع الإشارة إلى تبكيت العرب على التباطئ عن الإجابة إلى ما يعرفون من رشده[1] بمعناه و نظمه ، لكونه بلسانهم و كونهم من نوع الداعى و قبيله و أقرب الناس إليه ﴿ قل ﴾ أى يا محمد لقومك .

و لما كان المقصود تعظيم الموحى به ، و أما الموحى إلى كل من الرسولين فواحد ، بنى للمفعول قوله مبينا لسيرة الجن فى تلقيهم لهذا القرآن بالأخذ إرثا من أشرف النبيين و إلقائهم له بالإبلاغ إلى غيرهم من وارث العلم منهم ليكون لهم الشرفان : شرف العلم لكمال أنفسهم ، و التعليم لتكميل غيرهم ، فيكون لهم مثل أجر من عمل بما ألقوه إليه و أملوه عليه : ﴿ اوحى الىّ ﴾ أى أخبرت على وجه الخفاء ممن لا يعلم الغيب غيره فى هذا القرآن الذى اقتضى إعجازه أن أكون أكثر الأنبياء تابعا على لسان جبريل عليه السلام الذى هو أمينه و الواسطة بينه و بين أنبيائه ، ثم وضع موضع المفعول الذى لم يسم فاعله قوله : ﴿ انه ﴾ اى الشأن العظيم ﴿ استمع ﴾ أى بغاية[2] الإصغاء و الإقبال و التقبل و الالف استماعا هو الاستماع فى الحقيقة لأنه لقراءتى هذا القرآن ﴿ نفر ﴾ هم فى غاية النفرة جبلة و طبعا ﴿ من الجن ﴾ الذين هم فى غاية الاستتار ، و هم أجسام حية عاقلة خفيفة تغلب عليها النارية او الهوائية كما[3] تغلب على[3] أجسام الإنس الترابية ، و النفر ما بين

(١) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : نهاية (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : نقلت عن .

الثلاثة و العشرة، قال البغوى[1] : و كانوا تسعة من جن نصيبين، و قيل: كانوا سبعة، و فى هذه العبارة دليل على أنه صلى الله عليه و سلم ما رآهم و لا قرأ عليهم، و إنما اتفق حضورهم عند قراءته، و هل هذا الاستماع هو المذكور فى الاحقاف أو غيره قال أبو حيان[2] : المشهور أنه هو، و قيل: هو غيره، و الجن الذين أتوه بمكة جن نصيبين، و الذين أتوه ٥ بنخلة جن نينوى، و السورة [التى - [3]] استمعوها قال عكرمة: العلق، و قيل: الرحمن، و لم يذكر هنا و لا فى الأحقاف أنه رآهم، و يظهر من الحديث[4] تعدد الواقعة، فمنها ما كان فى المبدأ و لم يكن معه أحد من الصحابة رضى الله عنهم كما فى حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الذى فى الصحيح أنهم فقدوه صلى الله عليه و سلم ليلة / [5]من الليالى[5] ١٠ / ٥٣٦ فالتمسوه فى الأودية و الشعاب، فلما أصبح إذا[6] جاء من قبل حراء فقال: أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن، فانطلق بنا فأرانا آثارهم و آثار نيرانهم، و منها ما كان معه عبد الله رضى الله عنه فذهب معه إلى الحجون عند الشعب فخط عليه خطا، و قال: لا تجاوزه، فانحدر عليه أمثال الحجل يجرون الحجارة بأقدامهم حتى غشوه فلا أراه، ١٥ و أومأ إلىّ بيده أن اجلس، فتلى القرآن، فلم يزل صوته يرتفع و اختفوا بالأرض حتى ما أراهم[7]، قال الأصبهانى: و قيل: كانوا من بنى الشيصبان[8]

(١) راجع معالم التنزيل ٧ / ١٣١ (٢) راجع البحر المحيط ٣٤٦/٨ (٣) زيد من البحر (٤) من م و البحر، و فى الأصل و ظ : حديث (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اذ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ما راهم (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : الشعيبان .

وهم أكثر الجن عددا وهم عامة جنود إبليس، وقال القشيرى: لما [1]رجمت الشياطين[1] بالشهب فرق إبليس جنوده لعلم ذلك فأتى سبعة منهم بطن نخلة فاستمعوا قراءة النبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا ثم أتوا قومهم فقالوا: [2] يا قومنا [2] إنا [3] سمعنا قرآنا عجبا، يعنى ولم يرجعوا إلى إبليس لما علموه من كذبه وسفاهته، وجاؤا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فى سبعين من قومهم فأسلموا، فذلك[4] قوله تعالى "واذ صرفنا اليك [4]نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه[2]" الآيات ﴿فقالوآ﴾ أى فتسبب عن استماعهم أن قال من سمع منهم لمن لم يسمع، أو لمن كان يواخيهم من الإنس امتثالا لقول النبي صلى الله عليه وسلم «رحم الله امرءا سمع منا مقالة فوعاها فأداها كما سمعها» وكان قولهم سكونا إلى هذا القرآن وأنسا به، مؤكدين لبعد حالهم عن سماع الوحى وعلمهم بما زاد به من الإعجاز: ﴿انا﴾ بالكسر لأنه مبتدأ محكى [5]بعد القول[5] ﴿سمعنا﴾ حين[6] تعمدنا الإصغاء وألقينا إليه افهامنا ﴿قرانا﴾ أى كلاما هو فى غاية الانتظام [فى نفسه -[7]] والجمع لجميع ما نحتاج إليه، ثم وصفوه بالمصدر مبالغة فى أمره فقالوا: ﴿عجبا ۝﴾ أى بديعا [خارجا -[7]] عن عادة أمثاله من [جميع -[7]] الكتب الإلهية فضلا عن كلام الناس

(١-١) فى ظ وم: رجم (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: سمعنا كتابا انزل من بعد موسى او قبل، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ وم، وفى الأصل: وذلك (٥-٥) من ظ وم، وفى الأصل: بالقول (٦) من ظ و م، وفى الأصل: حتى (٧) زيد من ظ و م.

فى

فى جلالة النظم و إعجاز التركيب و الوضع مع الموافقة لها فى الدعوة[1] إلى الله تعالى و البيان للحاسن و المساوئ و الدعاء إلى كل فلاح حتى صار نفس العجب، و العجب ما خرج عن حد اشكاله و نظائره فخفى سببه، و هذا يدل على قوتهم العلمية فى فصاحتهم و كمالهم فى علم الرسوم، و صوغ الكلام على أبلغ جهات النظوم. ٥

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تقدم ذكر حال كفار قريش فى تعاميهم عن النظر و جريهم فى اللدد و العناد حسبما انطوت عليه سورة ن و القلم، ثم أتبعت بوعيدهم فى الحاقة ثم بتحقيقه و قرب وقوعه فى المعارج ثم بتسليته عليه الصلاة و السلام و تأنيسه بقصة نوح عليه الصلاة و السلام مع قومه، أعقب ذلك / بما يتعظ به الموفق و يعلم ١٠ / ٥٣٧ أن القلوب بيد الله: فقد كانت استجابة معاندى قريش و العرب[2] أقرب فى ظاهر الأمر لنبى من جنسهم و [من -[3]] أنفسهم فقد تقدمت لهم[4] معرفة صدقه و أمانته، ثم جاءهم بكتاب بلسانهم الذى به يتحاورون و لغتهم التى بها يتكلمون، فقد بهرت العقول آياته، و وضحت لكل ذى قلب سليم براهينه و معجزاته، و قد علموا أنهم لا يقدرون على معارضته ١٥ إلى ما شاهدوه من عظيم البراهين، و مع ذلك عموا و صموا - غضب الله[5] عليهم و لعنهم - و سبق الى الإيمان من ليس [من -[3]] جنسهم و لا سبقت

(١) من و م، و فى الأصل و ظ: الدعوى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: القرب (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: له (٥) زيدت الواو قبله فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها.

له مزية تكريمهم، و هم الجن ممن سبقت لهم من [الله-[1]] الحسنى فآمنوا و صدقوا، و أمر صلى الله عليه و سلم بالإخبار بذلك، فأنزل الله تعالى [عليه-[1]] "قل اوحى الىّ انه استمع نفر من الجن» الآيات إلى قوله إخبارا عن تعريف الجن سائر إخوانهم[2] بما شاهدوه من عناد كفار العرب «و أنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا» ثم استمرت الآى[3] ملتحمة المعانى معتضدة المبانى إلى آخر السورة - انتهى.

و لما بينوا فضله من جهة الإعجاز و غيره[4]، بينوا المقصود بالذات الدال على غوصهم على المعانى بعد علمهم بحسن المبانى فقالوا: ﴿يهدىّ﴾ اى يبين[5] غاية البيان مع الدعاء فى لطف و هدى ﴿الى الرشد﴾ أى الحق و الصوب الذى يكاد يشرد لثقله على النفوس الداعية إلى الهوى و خفة ضده الغى و السفه الملائم لنقائص النفوس. و لما وصفوه بهذه الكمالات سببوا عن ذلك قولهم إعمالا للقوة العملية فى المبادرة الى الصواب من غير تخلف أصلا: ﴿فآمنا﴾ أى كل من استمع منا لم يتخلف منا أحد و لا توقف بعد الاستماع ﴿به[6]﴾ أى أوقعنا الأمان لمبلغ القرآن أن نكذبه[7] أو نخالفه أدنى مخالفة بسبب هذا القرآن.

و لما أخبروا عن الماضى، و كان الإيمان[7] لا يفيد إلا مع الاستمرار،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اخوانهن (٣) من ظ، و فى الأصل: الآيات، و سقط من م (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٥) فى ظ و م: بين (٦) من ظ و م، و فى الأصل: تكذيبه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: القرآن.

قالوا

قالوا عاطفين على ما تقديره : فوجدنا[1] الله فى الحال لأن ذلك نتيجة الإيمان بالقرآن و خلعنا الأنداد : ﴿ و لن ﴾ أى و الحال أنا مع إيقاع الإيمان فى الحال لن ﴿ نشرك ﴾ بعد ذلك اصلا[2] ، اكدوا لأنه أمر لا يكاد يصدق ﴿ بربنآ ﴾ اى الذى لا احسان قائم بنا من الإيجاد و ما بعده إلا منه ﴿ احدا ﴾ أى من الخلق لأنه لم يشركه فى شىء من أمرنا أحد ، و قد وضحت الدلائل على التوحيد فيما سمعنا من هذا القرآن .

و لما أظهروا القوتين[3] العلمية بفهمهم القرآن ، و العملية بما حصل لهم من الإذعان ، أعملوا ما لهم فى الدعاء إلى الله تعالى من قوة البيان ، فبعد أن نزهوه سبحانه عن الشرك عموما خصوا مؤكدين فى قراءة ابن كثير و البصريين و أبى جعفر بالكسر لما تقدم من أن مثل هذه السهولة لا تكاد / تصدق ، فقالوا عطفا على " انا سمعنا " : ﴿ و انه ﴾ أى الشأن العظيم[4] قال الجن : ﴿ تعلٰى ﴾ أى انتهى فى العلو[5] و الا رتفاع[5] إلى حد[6] لا يستطاع ﴿ جد ﴾ أى عظمة و سلطان و كمال غنا ﴿ ربنا ﴾ أى الموجد لنا و المحسن إلينا ، و إذا كان هذا التعالى لجده فما بالك به ، و كذا حكت هذه القراءة بقول الجن ما بعد هذا إلا " و أن لو استقاموا " و "أن المساجد لله[7]" و "أنه لما قام" ، فانه مفتوح فيها عطفا على

/ ٥٣٨

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فوجد (٢) زيد فى الأصل ، ثم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : القوانين (٤) زيد فى الأصل : الذى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الحد الذل (٧) سقط من ظ و م .

الموحى به فهو فى محل رفع إلا عند ابى جعفر فانه فتح "و انه تعالى" [1] و "أنه كان يقول" [1] "و أنه كان رجال" و وافقهم نافع و أبو بكر عن عاصم فى غير "و انه لما قام" فانهما كسراها و فتح الباقون و هم ابن عامر و حمزة و الكسائى و حفص عن عاصم الكل إلا ما صدر بالفاء [2] على انه معطوف على محل الجار فى "به" أى صدقناه و صدقنا أنه - لاعلى لفظه [3] و إلا لزم اعادة الجار عند نحاة البصرة، و قيل: عطف على لفظ الضمير فى "به" على المذهب الكوفى الذى نصره ابو حيان و غير واحد من أهل اللسان.

و لما وصفوه بهذا التعالى الأعظم المستلزم للغنى المطلق و التنزه عن كل شائبة نقص، بينوه بنفى ما ينافيه [4] بقولهم إبطالا للباطل: ﴿ما اتخذ﴾ عبر بصيغة الافتعال بيانا لموضع النقص لا تقييدا ﴿صاحبة﴾ أى زوجة ﴿و لاولدا﴾ لأن العادة جارية بأنه لايكون ذلك إلا بمعالجة [5] و تسبيب، و مثل ذلك لا يكون إلا لمحتاج إلى بضاع أو غيره، و الحاجة لا تكون إلا من ضعف و عجز، و ذلك [ينافى - [6]] الجد، فالمحتاج لا يصح أصلا أن يكون إلها و إن كان بغير تسبيب و مهلة، فهو عبث لأن مطلق الاختراع مغن عنه، فلم يبق إلا العبث الذى ينزه الإله عنه

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تاكيد (٣) من ظ و م، وفى الأصل: لطفه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بينا فيه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بمعاجلة (٦) زيد من ظ و م.

و الصاحبة لا بد و[1] أن تكون من نوع صاحبها، و من له نوع[2] فهو مركب تركيبا عقليا من صفة مشتركة و صفة مميزة، و الولد لابد و أن يكون جزءا منفصلا عن والده، و من له أجزاء فهو مركب تركيبا حسيا، و من المقطوع به أن ذلك لا يكون إلا لمحتاج، و أن الله تعالى متعال عن ذلك من تركيب حسى أو عقلى . ٥

و لما تبين لهم ما هو عليه سبحانه من النزاهة عن كل شائبة نقص، وصفوا من قال بضده صيانة لدينهم و عرضهم بالترفع عن الخسائس و الرذائل بعدم التمادى فى الباطل مقتا للخلق فى ذات الخالق مؤكدين لما[3] للسامع فى الغالب من تصديق ما يسمع و المحاجة عنه فقالوا : ﴿ و[4]إنه ﴾ أى و قالوا إن الشأن ـ هذا على قراءة الكسر، و آمنا بأنه[4] ـ على قراءة الفتح ١٠ ﴿ كان يقول ﴾ أى قولا هو فى عراقته[5] فى الكذب بمنزلة الجبلة [6]و الطبع[6] ﴿ سفيهنا ﴾ و هو الجنس فيتناول إبليس رأس الجنس تناولا أوليا، و كل من تبعه ممن لم يعرف[7] الله لأن ثمرة العقل العلم، و ثمرة العلم معرفة الله، فمن لم يعرفه فهو الذى يلازم الطيش / و الغى ٥٣٩ / لأنه لا علم عنده أصلا يحمله على الرزانة[8]، كاذبا متقولا ﴿ على الله ﴾ ١٥

(١) ليست الواو فى ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل : انواع (٣) من ظ و م، و فى الأصل : بما (٤) من ظ و م، و فى الأصل : به (٥) من م، و فى الأصل : غاية العراقة، و فى ظ : مراقبته ـ كذا (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل : لا يعرف (٨) من ظ و م، و فى الأصل : الزياه .

أى الذى له صفات الكمال المنافية لقول هذا السفيه فى الولد ﴿شططا﴾ أى قولا هو فى بعده عن الصواب نفس البعد و مجاوزة الحد .

و لما ذكروا ما هدوا إليه من الحق فى الله و فيمن كان يحملهم على الباطل ، ذكروا عذرهم فى اتباعهم للسفيه و فى وقوعهم [فى - ١] مواقع التهم ، فقالوا مؤكدين لأن ما كانوا عليه من الكفر جدير بأن يظن انه لا يخفى على أحد لشدة ٢ وضوح بطلانه : ﴿ و انا ﴾ اى معشر المسلمين من الجن ﴿ ظننآ ﴾ أى بما لنا من سلامة الفطر المقتضية لتحسين الظن بشهادة حديث أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عند أحمد ٣ " المؤمن غر كريم و الفاجر خب لئيم " ﴿ ان ﴾ أى أنه ، و زادوا فى التأكيد لما مضى فقالوا : ﴿ لن تقول ﴾ و بدأوا بأفضل الجنسين فقالوا : ﴿ الانس ﴾ و أتبعوهم قرناءهم فقالوا : ﴿ و الجن ﴾ أى متخرصين ﴿ على الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى بيده النفع و الضر ﴿ كذبا ﴾ أى قولا هو لعراقته فى مخالفة الواقع نفس الكذب ، و هو فى قراءة [أبى - ١] جعفر بفتح القاف و الواو المشددة المفتوحة مصدر من غير اللفظ ، و إنما ظننا ذلك لما ٤ طبع عليه المجبول على الشهوات من تصديق الأشكال لا سيما إذا كان قولهم جازما و عظيما لا يقال مثله إلا بعد تثبت ٥ لا سيما إذا كان على ملك الملوك لا سيما إذا كان القائل كثيرا لا سيما إذا تأيدوا بجنس آخر ، فصاروا لا يحصون

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : شد (٣) راجع المسند ٢/٣٩٤ .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لمن (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تلبث .

كثرة ، و لا تطيق العقول مخالفة جمع بهذه الصفة إلا بتأييد إلهى بقاطع نقلى ، و الآية على قراءة أبى جعفر من الاحتباك : فعل التقول أولا دليل على فعل الكذب ثانيا ، و مصدر الكذب ثانيا دليل على مصدر التقول أولا ، و سره [أن - [1]] التقول دال على التعمد [2] فهو ألحش [3] معنى و الكذب ألحش [3] لفظا ، و هذا مرشد إلى أنه لا ينبغى التقليد ٥ فى شىء لأن الثقة بكل أحد عجز ، و إنما ينكشف ذلك بالتجربة ، و التقليد قد يجر إلى الكفر المهلك [4] هلاكا ابديا ، و إليه أرشد النبى صلى الله عليه و سلم فيما أخرجه الشيخان [5] عن النعمان بن بشير رضى الله عنه بأن من اتقى الشبهات استبرأ لدينه و عرضه ، و [فى - [1]] ذلك غاية الحث على أن الإنسان لا يقدم و لا يحجم فى اصول الدين ١٠ إلا بقاطع .

و لما علم من قولهم أن مستند الضلال ظنون و شبه متى حكت على محك النظر بان فسادها ، و أظهر [6] زيفها نقادها ، أتبعه شبهة أخرى زادت الفريقين ضلالا بعضهم ببعض للتقيد بالمحسوسات ، و الوقوف مع الخيالات الموهومات ، فقال حاكيا عنهم تنبيها على عدم الاغترار ١٥ بالمدح و الإطراء / الموجبين للغلط فى النفس و على أنه يجب [7] التثبت ٥٤٠ /

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : النعمة (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فيهلك (٥) صحيح البخارى - كتاب الإيمان و صحيح مسلم - كتاب المساقاة (٦) من ظ و م ، وفى الأصل . ظهر (٧) من ظ و م ، و الأصل : يجيب .

حتى لا يقع الغلط فى الأسباب المسخرة فيظن أنها مؤثرة فيتجاوز بها الحد عن رتبة الممكنات إلى رتبة الواجب، مؤكدين لأنه لا يكاد يصدق أن الجن يخاطبهم الإنس فيكارمونهم: ﴿ و انــه ﴾ أى الشأن ﴿ كان رجال ﴾ أى ذوو قوة و بـأس ﴿ من الانس ﴾ أى النوع الظاهر فى عالم الجنس[1] ﴿ يعوذون ﴾ أى يلجأون و يعتصمون - خوفا على أنفسهم و ما معهم - إذا نزلوا واديا ﴿ برجال من الجن ﴾ أى القبيل المستتر عن الأبصار فانــه كان القوم منهم إذا نزلوا واديا أو غيره من القفر تعبث بهم[2] الجن فى بعض الأحيان لأنه لا مانع لهم[3] منهم من ذكر الله تعالى و لا دين صحيح، و لا كتاب من الله صريح، فحملهم ذلك على أن يستجيروا بعظمائهم[4] فكان الرجل يقول عند خوفه: إنى أعوذ بعظيم هذا الوادى من[5] شر سفهاء قومه أو[6] نحو هذا فلا يرى إلا خيرا[7]، و ربما هدوه إلى الطريق و ردوا عليه ضالته، فكان[8] ذلك فتنة للانس باعتقادهم فى الجن غير ما هم عليه، فتبعوهم فى الضلال، و فتنة الجن بأن يغتروا بأنفسهم و يقولوا سدنا: الجن و الإنس، فيضلوا و يضلوا، و لذلك سبب عنه قوله: ﴿ فزادوهم ﴾ اى الإنس[9] الجن

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الحس (٢) من ظ و م، و فى الأصل: منهم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: له (٤) من ظ، و فى الأصل و م: بعظائمهم. (٥) زيد فى الأصل: عظيم هذا الوادى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٦) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٧) زيد فى الأصل: دائما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: وكان (٩) زيدت الواو فى ظ و م.

باستعاذتهم هذه المرتب عليها إعاذتهم، و الجن[1] الإنس بترئيس الإنس لهم و خوفهم منهم ﴿رهقا﴾ أى ضيقا و شدة و غشيانا لما هم فيه من أحوال الضلال التى يلزم منها الضيق و الشدة، و أصل الرهق غشيان بقوة و شدة و قهر، و قال البغوى[2]: و الرهق فى كلام العرب الإثم و غشيان المحارم. كما يتفق لمن يسلك من أهل التصوف على غير أصل ٥ فيرى فى أثناء السير أنوارا و أشياء تعجبه شيطانية فيظنها رحمانية، فيقف عندها و يأنس بها لفساد فى أصل جبلته[3] نشأ عنه[4] سوء مقصده، فربما كان ذلك سببا لكفره فيزداد هو و أمثاله من الإنس [5]ضلالا و يزداد[5] من أضله من الجن ضلالا [و إضلالا -[6]] و عتوا، و يزداد الفريقان[7] بعدا عن اللجأ إلى الله وحده، و لقد أغنانا[8] الله سبحانه و تعالى بالقرآن ١٠ و الذكر المأخوذ عن خير خلقه بشرطه فى أوقاته عن كل شىء كما أخبر[9] صلى الله عليه و سلم أن من قال عند إتيانه الخلاء «بسم الله اللهم إنى أعوذ بك من الخبث و الخبائث» ستر عن الجن، و أن من قال إذا أتى امرأته «اللهم جنبنى الشيطان و جنب الشيطان ما رزقتنى» فأتاه ولد لم يقدر الشيطان أن يضره، و من أذن أمن تغول الغيلان، و روى ١٥

---

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) فى المعالم ٧ / ١٣٣ (٣) من م، و فى الأصل و ظ: جبلتها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عنها (٥ - ٥) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الفريقين (٨) من ظ و م، و فى الأصل: اعاذنا (٩) زيد فى الأصل: الله تعالى - مع يسير من البياض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

الترمذى[١] و احمد[٢] - قال المنذرى : و رواته [رواة - [٣]] الصحيح - عن شداد بن أوس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : ما من مسلم يأخذ مضجعه / فيقرأ سورة من كتاب الله تعالى إلا وكل الله تعالى به ملكا فلا يقربه شىء يؤذيه حتى يهب متى هب . و للطبرانى فى الكبير - قال المنذرى : و رواته رواة الصحيح إلا المسيب بن واضح ، قال الهيثمى[٤] : و هو ضعيف و قد وثق - عن عبد الله بن بسر[٥] رضى الله عنه قال : خرجت من حمص فآوانى الليل إلى البقيعة[٦] فحضرنى من أهل الأرض فقرات هذه الآية من الأعراف " ان ربكم الله الذى خلق السماوات و الارض [٧] فى ستة ايام ثم استوى على العرش[٧] " إلى آخر الآية ، فقال بعضهم [لبعض -[٨]] : احرسوه الآن حتى يصبح ، فلما أصبحت ركبت دابتى . و الأحاديث فى هذا كثيرة فى آية[٩] الكرسى و غيرها ، و كذا حكايات من اعترضه بعض الجن فلما قرأ ذهب عنه .

/٥٤١

و لما كان التقدير : فضل[١٠] كل من الفريقين بالآخر ضلالا بعيدا حتى أبعدوا عن الشرائع النبوية ، و اعتقدوا ما لا يجوز اعتقاده من التعطيل و اعتقاد الطبيعة ، فلا يزال الأمر هكذا أرحام تدفع و أرض تبلع و لا رسول يهديهم و لا بعث للارض على بارئهم ، عطف عليه[١١]

(١) راجع الجامع ٢ / ١٧٧ (٢) راجع المسند ٤ / ١٢٥ (٣) زيد من ظ و م . (٤) فى مجمع الزوائد ٧/٢٤ (٥) من م و المجمع ، و فى الأصل : بشير ، وفى ظ : بشر (٦) من ظ و م و المجمع ، و فى الأصل : النفعة (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) زيد من المجمع (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : آخر سورة (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : فقيل (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : عليهم .

قولهم مؤكدين فى قراءة الكسر إشارة إلى [ظهور -[1]] دلائل البعث، و أنه لا يكاد يصدق أن أحدا يكذب به منبها على أن الأهواء و الأغاليط قد يتطابق[2] عليها الجم الغفير، حثا للمهتدى على أن لا يستوحش فى طريق الهدى لقلة السالكين، و لا يغتر بطرق[3] الردى لكثرة الهالكين: ﴿ و انهم ﴾ اى الإنس إن كانوا يخاطبون[4] الجن، و الجن إن كانوا ٥ يخاطبون الإنس ﴿ ظنوا ﴾ أى الجن أو[5] الإنس ظنا ليسوا فيه على ثلج و الظن قد يصيب، و قد يخطىء و هو أكثر ﴿ كما ظننتم ﴾ أى أيها الجن أو[5] الإنس، و المعنى فى قراءة الفتح: و أوحى إلىّ أن الإنس أو الجن ظنوا، و سدوا[6] عن مفعولى "ظن" بقولهم: ﴿ان﴾ أى أن الشأن العظيم ﴿ لن ﴾ أكد للدلالة على شدة إنكارهم لذلك ﴿ يبعث ﴾ و أشاروا ١٠ إلى[7] خطأ هذا الظن بالتعبير بالجلالة فقالوا: ﴿ الله ﴾ أى الذى له الإحاطة الكاملة علما و قدرة ﴿احدا ۝﴾ أى بعد موته لما لبس [به-[1]] عليهم إبليس حتى رأوا حسنا ما ليس بالحسن، أو أحدا من الرسل[8] يزيل [به -[1]] عماية الجهل و ما عليه الإنس [9]من استغواء[9] الجن لهم و غير ذلك من الضلال، و قد ظهر بالقران ان هذا الظن كاذب و أنه لابد من

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تطابقت (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بطريق (٤) من ظ و م، و فى الاصل: يخاطبون (٥) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٦) فى ظ و م: سد (٧) زيد فى الأصل: شدة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: لمن سبقوا

البعث فى الأمرين لأنه حكمة الملك و خاصة الملك .

و لما كان عدم البعث من خلل فى القدرة ، شرعوا فى إثبات تمام القدرة على وجه[1] دال على صحة القرآن و حراسته من الجان ، لئلا يظن أنـــه من نحو ما للكهان ، فقالوا مؤكدين فى قراءة الكسر لاستبعاد الوصول إلى السماء حثا على طلب المهمات و إن بعد مكانها : ﴿ و انا ﴾ و لما كان يعبر عن الإمعان فى التفتيش بالالتماس ، و كان تجريد الفعل أعظم فى ذلك للدلالة على / الخفة و عدم الكلفة قال : ﴿ لمسنا السمآء ﴾ ٥٤٢ / أى الدنيا التمسنا أخبارها على ما كان من عادتنا لاستماع ما يغوى به الإنسان التماسا هو كالحس باللمس باليـــد ﴿ فوجدنٰها ﴾ من جميع نواحيها و هو من الوجدان ﴿ ملئت ﴾ أى ملأ هو فى غاية السهولة و الخفة على فاعله ﴿ حرسا ﴾ أى حراسا اسم جمع ، فهو مفرد اللفظ ، و لذلك وصف بقوله : ﴿ شديدا ﴾ أى بالملائكة ﴿ و شهبا ﴾ جمع شهاب و هو المتوقد من النار . فعلت هممهم حتى طلبوا المهمات الدنيوية و الشهوات النفسانية من مسيرة[2] خمسمائه سنة صعودا ، فأفّ لمن يكسل عن[3] مهمات الدين المحققة من مسيرة ساعة أو دونهـا ، و أن يقعد فى مجلس العلم ساعة أو دونها ، و التعبير بـالملأ يدل عـــلى أنها كانت [قبل ذلك -[4]] تحرس لكن لا على [هذا -[4]] الوجه فقيل : إنها

(١) زيد فى الأصل : بات ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مسير (٣) زيد فى ظ : طلب (٤) زيد من ظ و م .

حرست لنزول التوراة ثم اشتد الحرس للانجيل ثم ملئت لنزول القرآن فمنعوا من الاستماع أصلا إلا ما يصدق القرآن إرهاصا للنبوة العظمى الخاتمة لئلا يحصل بهم[1] نوع لبس .

و لما أخبروا عن حالها إذ ذاك لأنه الأهم عندهم ، أخبروا عن حالها قبل ، فقالوا مؤكدين لما للانس [من التكذيب -[2]] بوصول أحد إلى السماء : ﴿ و انا كنا ﴾ اى فيما مضى ﴿ نقعد منها ﴾ أى السماء ﴿ مقاعد ﴾ أى كثيرة قد علمناها لا حرس فيها فهى صالحة ﴿ للسمع[4] ﴾ أى لأن نسمع[3] منها بعض ما تتكلم به الملائكة بما أمروا بتدبيره ، و قد جاء فى الخبر أن صفة قعودهم هى أن يكون الواحد منهم فوق الآخر حتى يصلوا إلى السماء ، قال أبو حيان[4] : فمتى احترق الأعلى كان الذى تحته مكانه فكانوا يسترقون[5] الكلمة فيلقونها إلى الكهان فيزيدون معها الكذب .

و لما كان التقدير : فنستمع منها [فنسمع -[2]] ما يقدر لنا من غير مانع ، عطف عليه قوله : ﴿ فمن يستمع ﴾ اى يجتهد فى الوصول إلى السمع ﴿ الآن ﴾ أى فى هذا الوقت فيما يستقبل كأنهم قسموا الزمان إلى [ما] كان من إطلاق الاستماع لهم و إلى ما صار إليه الحال من الحراسة ، و أطلقوا « الآن » على الثانى كله ، لأنهم أرادوا وقت قولهم فقط

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يسمع (٤) فى البحر المحيط ٨ / ٣٤٩ (٥) من ظ و م و البحر ، و فى الأصل : يستمعون .

أو ارادوه لأنهم لا يعلمون ما بعده فيجوزون[١] ان يكون الحال فيه على غير ذلك ﴿ يجد له ﴾ أى لأجله ﴿ شهابا ﴾ أى شعلة من نار[٢] ساطعة محرقة .

و لما كان الشهاب فى معنى الجمع لأن المراد أن كل موضع منها[٣] كذلك ، وصفه باسم الجمع فقال : ﴿ رصدا ﴾ أى يرصده الرامون به من غير غفلة ، و يجوز أن يكون مصدرا على المبالغة كرجل عدل ، و الرصد الترقب لأنه لما كان لا تأخر[٤] عن رميه[٤] عند الدنو من السماء كان كأنه هو الراصد[٥] له ، المراقب[٦] لأمره ، الملاحظ الذى لا فتور عنده / [و -[٧]] لا غفلة بوجه بل هو الرصد و هو المعنى بنفسه ، فمتى تسنم للاستماع رمى به فيمنعه[٨] من الاستماع و إن أدركه أحرقه[٩] ، و أما السمع فقد امتنع[١٠] لقوله تعالى « و انهم عن السمع لمعزولون » .

/ ٥٤٣

و لما أخبروا عن إيمانهم أنه كان عقب سماعهم من غير توقف ، ثم ذكروا منعهم من الاسترقاق ، ذكروا أنه اشتبه عليهم المنع فلم يعلموا سره دلالة على أن جهل بعض المسائل [الفرعية -[٧]] لا يقدح[١١] ،

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : فيجوز (٢) من ظ و م وفى الأصل : النار .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فيها (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الرمية .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الرصد (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : المترقب .
(٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فمنعه (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : احقه (١٠) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (١١) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و ندبا

وندبا إلى رفع الهمة عن الخوض فى شيء بغير علم ، و حثا على التفويض إلى علام الغيوب ، فبثوا الذى حملهم عـــلى ضرب مشارق الأرض و مغاربها حتى وجدوا النبي صلى الله عليـه و سلم يقرأ القرآن ، فقالوا مؤكدين لأن العرب كانوا ينسبونهم إلى علم المغيبات و[1] حل المشكلات : ﴿ و انا لا ندرى ﴾ أى بوجه من الوجوه و إن دافعنا و اجتهدنا ٥ ﴿ اشر[2] ﴾ و لما كان المحذور نفس الإرادة الماضية [لا كونها من معروف مع أن الفاعل معروف ، و هو الفاعل المختار الذى له الإرادة الماضية ـ [3]] النافذة ، بنوا للمفعول قولهم : ﴿ اريد ﴾ معلمين للأدب فى أن الشر يتحاشى من إسناده إليه سبحانه حيث لا إشكال فى معرفة أنه لا يكون شيء إلا به ﴿ بمن فى الارض ﴾ أى بهذه الحراسة فينشأ ١٠ عنها الغى ﴿ام اراد بهم ربهم﴾ أى المحسن إليهم المدبرلهم ، بنوه للفاعل فى جانب الخير إعلاما مع تعليم الأدب بأن رحمته سبقت غضبه ، و إشارة إلى أنه قد يكون أراد بهذا المنع الخير ﴿ رشدا[4] ﴾ أى سدادا[5] فينشأ عنه الخير[5] ، فالآية من الاحتباك : ذكر الشر اولا دليلا على الخير ثانيا ، و الرشد ثانيا دليلا على الغى أولا . ١٥

و لما أخبر سبحانه [بسهولة ـ[3] إيمانهم ، فكان ربما ظن أن ذلك ما كان إلا لأن شأنهم اللين ، أتبعه ما يعلم أن ذلك خارقة لأجله

---

(١) زيد فى الأصل : علم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) وقع فى الأصل قبل « أريد » و الترتيب من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : سداد (٥) زيد فى الاصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

صلى الله عليه و سلم كانت، [و -[1]] لإعظامه و إكرامه[2] وجدت، فقال حكاية عنهم مؤكدين لأن الكلام السابق ظاهر فى سلامة طباع الكل: ﴿ و انا منا ﴾ أى أيها الجن ﴿ الصٰلحون ﴾ أى العريقون فى صفة الصلاح التى هى مهيئة لقبول كل خير.

٥ و لما كان غير الصالح[3] قد يكون فاسدا بأن يكون مباشرا للفساد قاصدا له و قد يكون غير مباشر له، قالوا متفطنين[4] لمراتب العلوم و الأعمال المقربة و المبعدة: ﴿ و منا ﴾ و بنى الظرف المبتدأ به لإضافته إلى مبنى فقيل: ﴿ دون ﴾ أى قوم فى أدنى رتبة [من -[1]] ﴿ ذلك ﴾ أى هذا الوصف الشريف العالى.

١٠ و لما كان من دون الصالح ذا أنواع[5] كثيرة بحسب قابليته للفساد أو الصلاح و تهيؤه له أو بعده عنه، حسن بيان ذلك بقولهم[6]: ﴿ كنا ﴾ اى كونا هو كالجبلة ﴿ طرآئق ﴾ أى ذوى طرق[7] أى مذاهب و وجوه كثيرة، و أطلقوا الطرق على أصحابها إشارة إلى شدة تلبسهم بها.

١٥ و لما كان الانفصال قد يكون بأدنى شىء، بين أنه على أعلى
٥٤٤ / الوجوه فأطلق عليهم نفس المنقطع و وصفهم به فقال: ﴿ قددا ﴾ أى

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لا كرامه (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الصلاح (٤) من ظ و م، و فى الأصل: متفنطين (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الأنواع (٦) من ظ و م، و فى الأصل: قولهم (٧) زيد فى الأصل: متعددة و طريق، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها

فرقا متفرقة أهواؤها ، جمع قدة و هى الفرقة من الناس هواها على غير هواهم [1] ، من القد [و - [2]] هو القطع الموجب للتفرق العظيم مثل السيور التى تقطع من الجلد و تقد منه بحيث تصير [كل فرقة - [2]] على حدتها ، قال الحسن و السدي [3] : كافرين و مسلمين و رافضة و معتزلة [و - [2]] مرجية و غير ذلك مثل فرق الإنس . ٥

و لما دلوا على قهرهم عما كانوا يقدرون عليه من [أمر - [2]] السماء بما ذكروا ، و على قهر مفسديهم بهذا القرآن عن كثير مما كانوا يفعلونه بأهل الأرض ، فقهروا بهذا القرآن [4] العظيم الشأن [4] فى الحقيقة عن الخافقين فمنعا منهم و حفظا بيه ، و دلوا على أنهم موضع القهر بالتفرق ، كان ذلك موجبا للعلم بشمول قدرته تعالى حتى لا يدركه ١٠ طالب ، و لا ينجو منه هارب ، لما أبدى لهم من شؤن عظمته و قهره فى الحراسة و غيرها ، فذكر سبحانه ما أثر ذلك عندهم من الاعتراف و الإذعان للواحد القهار ، فقال حاكيا عنهم ذلك ندبا إلى الاقتداء بهم فى معرفة النفس بالعز و الذل و الضعف بالتفرق [5] و الانقسام ، و معرفة الرب سبحانه بالقدرة الكاملة و السلطان و العظمة بالتفرد [6] التام الذى ١٥ لا يقبل المماثلة و لا القسمة : ﴿ و انا ﴾ أكدوا لظن الإنس فى قوتهم غير ما هو لها ﴿ ظننآ ﴾ أطلقوا الظن على العلم إشارة إلى أن العاقل ينبغى له أن يجتنب ما يخيله ضارا و لو بأدنى أنواع الحيل فكيف [7] إذا تيقن

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : هواها (٢) زيد من ظ م (٣) راجع معالم التنزيل ٧/١٣٣ (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) فى ظ و م : بالتفرقة (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : و التفرد (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : و كذا .

﴿ ان ﴾ أى أن الشأن العظيم ، و زادوا فى التاكيد لما تقدم فقالوا : ﴿ لن نعجز الله ﴾ أى أن[1] نقاومه إن أراد بنا سوءا لما له من الإحاطة بكل شىء علما و قدرة لأنه واحد لا مثل له ، و دلوا على و جه [الضعف - [2]] بقولهم : ﴿ فى الارض ﴾ أى كائنين فيها مقيمين و هى جهة السفل الملزومة للقهر ، و ذلك أقصى جهدنا فأين نحن من سعة ملكه الذى هو فى قبضته ﴿ ولن نعجزه ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ هربا ﴾ أى ذوى هرب او من جهة الهرب ، أى هربنا من الأرض إلى غيرها فان السماء منعت منا و ليس لنا مضطرب إلا فى قبضته، فأين[3] أم إلى أين المهرب ، و قد منعوا بذلك وجهى النجاة باللقاء و النصر[4] و الهرب عند القهر .

و لما كان الظان قد يبادر إلى العمل[5] بموجب ظنه و قد لا ، بينوا[6] أن مرادهم به العلم ، و أنهم بادروا إلى العمل بما دعا إليه ، فقالوا مؤكدين لما للجن من الإباء و العسر : ﴿ و انا لما سمعنا ﴾ أى من النبى صلى الله عليه و سلم ﴿ الهدى ﴾ أى القرآن الذى له[7] من العراقة التامة[8] فى صفة البيان و الدعاء إلى الخير ما سوغ أن يطلق عليه نفس الهدى : ﴿ امنا به ﴾ أى من غير وقفة أصلا / عملا بما له من هذا الوصف العظيم . ٥٤٥ /

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لن (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : المفر ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الضرب (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : العلم (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : يثبتوا (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : هو (٨) من ظ و م، وفى الاصل : الثابتة .

و لما

و لما كان التقدير : فآمنا بسبب إيماننا الذى قادنا إليه حفظ السماء من الإيقاع بنا لتمام قدرته علينا الذى هدانا إليه منعنا من الاستماع بالحراسة ، سببوا عن ذلك قولهم معترفين بالعجز عن مقاومة التهديد [1] من الملك طالبين التحصن بتحصينه و الاعتصام بحبله : ﴿ فمن يؤمن ﴾ أى يوجد حقيقة الإيمان و يستمر على تجديدها كل لحظة . و لما فهموا أن دعاءه إليه و بيانه للطريق مع قدرته التامة إنما هو من عموم لطفه و رحمته ، ذكروا وصف الإحسان [2] لزيادة الترغيب فقالوا : ﴿ بربه ﴾ أى المحسن إليه منا و من غيرنا .

و لما كان المؤمن هو المختص من بين [3] الخلق بالنجاة ، أدخل الفاء على الجواب و رفعه على تقدير مبتدأ دلالة على ذلك و على أن نجاتهم ما لابد منه فقال : ﴿ فلا ﴾ أى فهو خاصة [لا - [4]] ﴿ يخاف ﴾ أصلا ﴿ بخسا ﴾ أى نقصا و قلة و خبثا و نكدا فى الثواب و الإكرام بوجه من الوجوه ﴿ ولا رهقا ﴾ أى مكروها يلحقه [5] فيقهره لأنه لم يفعل مع أحد شيئا من ذلك ليجازى عليه ، فهذا حث للمؤمن على اجتناب ذلك لئلا يجازى به ، و قد [6] هدى السياق إلى تقدير : [7] و من [7] يشرك به فلا ، يأمن محقا و لا صعقا [8] .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : التقدير (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الانسان (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بيان (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : فيقره ، و لم تكن الزياده فى ظ و م فحذفناها (٦) وقع فى الأصل نقط بياض قدر ثلاث كلمات (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فمن (٨) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

ولما كان هذا ظاهرا فى انهم أسلموا كلهم ، قالوا نافين لهذا الظاهر مؤكدين لأن إسلامهم [مع - ١] ٢شديد نفرتهم٢ لا يكاد يصدق : ﴿ وانا منا ﴾ أى أيها الجن ﴿ المسلمون ﴾ أى المخلصون فى صفة الإسلام للهادى فأسلموه قيادهم فهم عريقون فى ذلك مقسطون مستقيمون، فلا يفارقون الدليل فهم على الصراط السوى العدل الرضى، ومنا الجافون الكافرون ﴿ ومنا ٣القسطون٣ ﴾ وهم الجائرون عن المنهج ٤الأقوم الساقطون فى المهامه ٥المجاهل التى ليس بها ٦إمعلم، فهم بربهم كافرون، ومنا المقسطون٢، يقال: قسط - إذا جار جورا، أسقطه عن رتبة الإنسان إلى ٨رتبة أدنى٨ الحيوان، وأقسط - إذا أزال الجور فعدل، فالآية ٩ من الاحتباك : "المسلمون" يدل على الكافرين، و "القاسطون" يدل على المقسطين .

ولما كانوا قد علموا مما ١٠ سمعوا من القرآن أنه لابد من البعث للجزاء، سببوا عن هذه القسمة قولهم : ﴿فمن اسلم﴾ أى أوقع الإسلام كله بأن أسلم ظاهره وباطنه للدليل من الجن و [من - ١] غيرهم .

---

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل : تشديد مضرتهم .
(٣) زيد فى الأصل : ايضا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : المنتهج (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : المهامة (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : لها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : القاسطون (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : ادنى رتبة (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : والآية (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : ما .

و لما كان فى مقام الترغيب فى الحق، ربط بفعلهم ذلك [1]تسببا عنه[1] قوله مدحا لهم: ﴿ فاولئك﴾ أى العالو الرتبة ﴿ تحروا ﴾ أى توخوا[2] و قصدوا مجتهدين ﴿ رشدا ه﴾ أى صوابا عظيما و سدادا، [3]كان - لما[3] عندهم من النقائص - شاردا عنهم[4] فعالجوا أنفسهم حتى ملكوه فجعلوه لهم منزلا، من قولهم: الحرا -بالقصر /: أخوص القطاة ياوى ٥ /٥٤٦ إليه الظبى، و الناحية و الموضع، و ما أحراه بكذا: ما أوجبه له، وبالحرا أن يكون كذا أى خليق كونه، و فلان حرى بكذا أى خليق، و قد يجئ بالحر - من غير ياء، يراد به بالجهد، و تحريت الشيء: قصدت ناحيته، فكان لهم ذلك إلى الجنة سببا، و من قسط فأولئك ضلوا [فنالوا-[5]] غيا و شططا[6]. ١

و لما عرفوا بالأمن الاعتصام بطاعة الله، نبهوا على خطر التعرض لبطشه فقالوا: ﴿و اما القسطون﴾ أى العريقون [7]فى صفة[7] الجور عن الصواب من الجن و غيرهم فأولئك أهملوا أنفسهم فلم يتحروا لها فضلوا فأبعدوا[8] عن المنهج فوقعوا فى المهالك التى لا منجى منها: ﴿فكانوا﴾ بجبلاتهم ﴿ لجهنم﴾ اى النار البعيدة القعر التى تلقاهم بالتجهم و الكراهة ١٥

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: تسيباعنهم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تواخوا (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: ولما كان (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عندهم (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) من ظ و م، وفى الأصل: بصفة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: و ابعدوا.

والعبوسة ﴿حطبا﴾ توقد بهم النار فهى فى اتقاد ما داموا أحياء، وهم أحياء ما دامت تتقد لا يموتون فيستريحون ولا يحيون فينتعشون[1]، فالآية من الاحتباك، وهو منطوق لما أوجبه من السياق لامفهوم: ذكر التحرى أولا دليلا على تركه ثانيا، وذكر جهنم ثانيا دليلا على حذف الجنة أولا، وسر ذلك أنهم فى مقام الترهيب فذكروا ما يحذر، وطووا ما يجب العلم به لأن الله تعالى لا يضيع لأحد أجرا بل لا يقتصر[2] على ما يقابل الحسنة فى العرف بل لابد أن يزيد عليها تسعة اضعافها وعنده المزيد[3] ولا حول ولا قوة لنا إلا به سبحانه وتعالى[3].

ولما رغب ورهب سبحانه على ألسنة الجن بما هداهم له ونور قلوبهم به، وكانت الآية السالفة آخر ما حكى عنهم، وكان التقدير: أوحى إلىّ أن القاسطين من قومى وغيرهم لو آمنوا فعل بهم من الخير[4] ما فعل بمؤمنى الجن حين آمنوا، فأغناهم الله فى الدنيا بحلاله عن حرامه من غير كلفة فكساهم كل عظم لقوه لحما أوفر ما كان، وأعاد لهم كل روث[5] رأوه أحسن ما كان ببركة هذا النبى الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم[6] التسليم ﴿وان﴾ أى وأوحى إلىّ أن[7] الشأن العظيم

(١) من ظ وم، وفى الأصل: فينشتعون (٢) من ظ وم، وفى الأصل: لا يقتص (٣ ـ ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ وم (٤) زيد فى الأصل: هم، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٥) من ظ وم، وفى الأصل: ورث. (٦) سقط من ظ وم (٧) زيد فى الأصل: هذا، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها.

لو

﴿ لوا ستقاموا ﴾ اى [١] طلب القاسطون من الخلق كلهم الجن و الإنس القوم و اوجدوه ، كائنين ﴿ على الطريقة ﴾ [أى - [٢]] التى لاطريقة غيرها [٢] و هى [٣] التى فهمها الجن من القرآن من [٤] الإسلام و الإقساط [٤] المؤدية إلى الفلاح فى الدارين .

و لما كان [الماء - [٥]] أصل كل خير كما قال تعالى فى قصة نوح عليه الصلاة و السلام « يرسل السماء عليكم مدرارا » وكان منه كل شىء حيّ وكان عزيزا عند العرب ، قال معظما له بالالتفات [٦] إلى مظهر العظمة : ﴿ لاسقيناهم ﴾ أى جعلنا لهم بما عندنا من العظمة ﴿ ماء غدقا ﴾ اى كثيرا عظيما عظيم النفع [٧] نكثر به [٧] الرزق و نزين بـه الأرض و نرغد به العيش .

و لما كانت نعمه فضلا منه و ليست مستحقة عليـه بعبادة و لا غيرها ، قال تعالى معرفا / أن غايتها استحقاق الثواب أو العقاب على ما كتبه على نفسه سبحانه و لا [٨] يبدل القول لديه [٩] و أن جميع ما يعامل به عباده سبحانه و تعالى من نفع و ضر إنما هو فتنة لهم يستخرج ما جبلوا عليه من حسن أو قبيح : ﴿ لنفتنهم ﴾ أى نعاملهم معاملة المختبر

/ ٥٤٧

(١) زيد فى الأصل : لو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فهى (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الاقساط والاسلام (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بالالتفاء (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل ، بكثرته (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لدى .

بما لنا من العظمة ﴿ فيه ﴾ أى فى ذلك الماء الذى تكون عنه انواع النعم لينكشف حال الشاكر و الكافر[١]، قال الرازى: و هـذا بعد ما حبس عنهم المطر سنين[٢] - انتهى . و قال غيره: قال عمر رضى الله تعالى عنه: أينما كان الماء كان المال، و أينما كان المال كانت الفتنة .

٥ و قال الحسن و غيره: كانوا سامعين مطيعين ففتحت عليهم كنوز كسرى و قيصر ففتنوا بها فوثبوا بامامهم فقتلوه - يعنى عثمان رضى الله تعالى عنه. و يجوز أن يكون مستعارا للعلم وأنواع المعارف الناشئة عن العبادات التى هى للنفوس كالنفوس للابدان و[٣] تكون الفتنة بمعنى التخليص[٤] من الهموم[٤] الرذائل فى الدنيا و النقم فى الآخرة، من فتنت

١٠ الذهب[٥] - إذا خلصته[٦] من غشه[٧] .

و لما كان التقدير: فمن يقبل على ذكر ربه ننعمه[٨] فى دار السلام[٩] أبدا، عطف عليه قوله: ﴿ و من يعرض ﴾ أى إعراضا مستمرا إلى الموت ﴿ عن ذكر ربه ﴾ أى مجاوزا عن عبادة المحسن إليه المربى له الذى لا إحسان عنده من غيره ﴿ نسلكه[١٠] ﴾ أى ندخله ﴿ عذابا ﴾

١٥ يكون مطرفا[١١] له كالخيط يكون[١٢] فى ثقب الخرزة فى غاية الضيق

---

(١) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) راجع أيضا قول مقاتل فى المعالم ٧/١٣٤ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: او (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: بالعموم (٥) فى ظ: فتنة (٦) من ظ و م، و فى الأصل: خلصت (٧) من ظ و م، و فى الأصل: عيشة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لنعمة (٩) من ظ و م، و فى الأصل: الاسلام (١٠) و قراءة حفص عن عاصم بالياء (١١) من ظ و م، و فى الأصل: طرفا (١٢) سقط من ظ و م.

﴿صعدا ۝﴾ اى شاقا شديدا يعلوه و يغلبه و يصعد عليه ، و يكون كل يوم أعلى مما قبله جزاء وفاقا ، فان الإعراض كلما تمادى زمانه كان أقوى مما كان .

و لما كان التقدير : لأنه أوحى إلىّ ان الأمر على ما تتعارفونه بينكم من أن من خدم غير سيده عذبه أبدا ، عطف عليه قوله مبينا لسيرة الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و ما يجب لهم من الكمال الذى يكون بقوتى[1] العلم و العمل ، و التكميل الذى يكون بهما مع قوة البيان ، و من لم يكن كاملا لم يتصور منه تكميل ليكون له ولد قلب كما أن من لم [يكن -[2]] بالغا لم يتحقق منه ولد صلب ، و مبينا لما يجوز عليهم و ما يستحيل منهم و ما لله تعالى من العناية بشأنهم : ﴿ و ان ﴾ أى و أوحى إلىّ أن ﴿ المسجد ﴾ أى مواضع[3] السجود من العالم الآفاقى من الأرض و من العالم النفسى من الجسد - كما قاله سعيد بن جبير و طلق بن حبيب ﴿ لله ﴾ اى مختصة[4] بالملك الأعظم ﴿ فلا تدعوا ﴾ أى بسبب ذلك أيها المخلوقون على وجه العادة ﴿ مع الله ﴾ [أى -[2]] الذى له جميع العظمة ﴿ احدا ۝ ﴾[5] لأن من تعبد لغير سيده فى ملك سيده الذى [هو -[2]] العالم الآفاقى و بآلة سيده الذى هو العالم النفسى كان أشد الناس لوما و عقوبة فكيف يليق بكم أن يخلق لكم وجها

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بقوة (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : موضع (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مخصصة (٥) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

٥٤٨/ و يدين/ و رجلين و ارضا تنتفعون بها و سماء تتم نفعها فتسجدون بالأعضاء التى أوجدها لكم فى الأرض التى أمكنكم من الانتفاع بها تحت السماء التى أتم منافعها بها لغيره فتكونون قد صرفتم نعمة السيد التى يجب شكره عليها لغيره أيفعل هذا عاقل؟ قال البغوى[1]: فان ٥ جعلت المساجد مواضع الصلاة فواحدها بكسر الجيم، و إن جعلتها الأعضاء فواحدها بفتح الجيم.

و لما كان من يدعو سيده و ينقطع إليه عاملا للواجب عليه اللائق بأمثاله لا ينكر عليه و لا يعجب منه[2]، إنما يعجب ممن دعا غير سيده أو مال إليه ادنى ميل فيسأل عن سببه. قال معجبا من القاسطين من ١٠ الجن و الإنس: ﴿و انه﴾ أى و أوحى إلىّ او قال الجن لمن أطاعهم من قومهم حاكين ما رأوا من صلاته صلى الله عليه و سلم و ازدحام اصحابه عليه متعجبين من ذلك أن الشأن او[3] القصة العظيمة العجيبة ﴿لما﴾ قمت كادوا يكونون علىّ - هكذا كان الأصل و لكنه عبر بالعبد كما تقدم من أن من دعا [4]سيده و لو كان ذلك السيد أحقر الموجودات ١٥ لا يفعل به ذلك، فكيف إذا كان[4] سيده مالك الملك[5] و ملك الملوك ﴿قام عبد الله﴾ اى عبد الملك الأعلى الذى له الجلال كله و الجمال فلا موجود يدانيه بل كل موجود من فائض فضله ﴿يدعوه﴾ أى

(١) فى المعالم ٧/ ١٣٤ (٢) زيدت الواو فى ظ (٣) من ظ، وفى الأصل وم «و».
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المالك.

يدعو[1] سيده دعاء عبادة من [حيث -[2]] كونه عبده و من حيث كون[3] سيده يسمع من دعاه و يجيبه .

و لما كان القاسطون أكثر الناس [بل الناس -[2]] كلهم فى ذلك الزمان جنا و إنسا ، قال مبينا لأنه[4] يجوز على الأنبياء أن يؤذوا و ينتقصوا رفعا لدرجاتهم و تسلية لوراثهم و إن كانت رتبتهم تأبى ٥ ذلك : ﴿ كادوا ﴾ أى قرب القاسطون من الفريقين الجن و الإنس ﴿ يكونون عليه ﴾ أى على عبد الله ﴿لبداً﴾ أى متراكمين بعضهم على بعض من شدة ازدحامهم حتى كان ذلك جبلة لهم تعجبا مما رأوا منه من عبادته و إرادة لرده عن ذلك ، و ذلك أمر لا يعجب منه ، و إنما العجب ما [5]فعلوا هم[5] من عبادتهم لغيره سبحانه و تعالى و من تعجبهم ١٠ من عبادة عبده له و إخلاصه فى دعائه ، و هو جمع لبد - بكسر اللام . و قرئ بضم اللام جمع لبدة بضمها ، و هى [ما -[2]] تلبد بعضه[6] على بعض .

و لما استشرفت[7] - على قراءة الكسر - نفس السامع إلى قوله صلى الله عليه و سلم لمن تراكموا عليه من ذلك ، استأنف[8] الجواب بقوله مبينا لما يستحيل على الأنبياء عليهم الصلاة و السلام من دعاء ١٥ غير الله و من ترك الدعاء إليه و من مخالفة شىء من أمره قال ،

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : سيدعو (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كونه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : انه (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فعلوه (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : بعضها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : استرقت (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : استانفوا .

أو[1] لما تاقت نفسه صلى الله عليه و سلم على قراءة الفتح إلى ما يدفع به ما رأى منهم، قال تعالى مرشدا له إلى ذلك: ﴿ قل ﴾ أى لمن ازدحم /عليك عادا لهم عداد الجاهلين بما تصنع لأنهم عملوا عمل الجاهل: /٥٤٩
﴿ انما ادعو ﴾ أى دعاء العبادة ﴿ ربى ﴾ أى الذى أوجدنى و ربانى
٥ و لا نعمة عندى إلا منه وحده، لا أدعو غيره حتى تعجبوا منى فتزدحموا علىّ، و الظاهر المتبادر إلى الفهم أن المعنى: و اوحى إلىّ [أى -[2]] لما قمت [فى الصلاة -[2]] أعبد الله فى بطن نخلة و رآنى الجن الذين وجههم إبليس نحو تهامة [و-[3]] سمعوا القرآن ازدحموا علىّ حتى كادوا يغشوننى و يكون بعضهم على بعض فسمعوا توحيدى لله و تمجيدى له
١ و إفراده [4] بالقدرة و العلم [4] و جميع صفات الكمال آمنوا، و قيل: هو حكاية الجن لقومهم[5] عن صلاة النبى صلى الله عليه و سلم و فعل أصحابه وراءه[6] فى تراصهم فى صلاتهم و حفوفهم به و وعظه و تعليمه لهم، و يحكى هذا القول عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما و سعيد ابن جبير[7] فان ذلك هيئة غريبة، يحكى ان ملك الفرس ارسل من دخل
١٥ فى[8] المسلمين لما قصدوا بلاده فكان مما حكى له عنهم أن قال: إذا

(١) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م.
(٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: بالعلم و القدرة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لقولهم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: وراهم (٧) زيد فى الأصل: أيضا رضى الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: الى.

صلوا [١] صفوا انفسهم [٢] صفوفا و يقدمهم رجل يقومون بقيامه و يسجدون بسجوده و يقعدون بقعوده و يفعلون كفعله ، لا تخالف بينهم ، فلما سمع الملك ذلك راعه و قال : ما لى و لهؤلاء ، ما لى و لعمر ، و نقل أبو حيان [٣] عن مكحول أنه بلغ من تابع النبى صلى الله عليه و سلم ليلة الجن سبعين ألفا و فرغوا عند [٤] انشقاق الفجر . ٥

و لما كان الداعى لولى نعمته يمكن أن يكون اشرك غيره فى دعائه و لو بأدنى وجوه الإشراك ، و يكون الحصر باعتبار الاغلب فاستحق الإنكار [عليه - [٥]] و الازدحام ، نفى ذلك بقوله تأكيدا لمعنى الحصر و تحقيقا له : ﴿ و لآ اشرك بهۦ ﴾ اى الآن و لا [فى - [٥]] مستقبل الزمان بوجه من الوجوه ﴿ احدا ﴾ من ود ١٠ و سواع و يغوث و غيرها من الصامت و الناطق .

و لما كان السامع ربما قال : ما له هو [٦] لا يهلكهم أو [٧] يدعو ربه فى دفع المتلبدين عليه عنه بالإهلاك أو [٧] التوبة و المتابعة ، امره بما يبين عظمه ربه و أنه لا يفعل إلا ما يريد بقوله مبينا أنه يستحيل عليه [٨] صلى الله عليه و سلم ما [٩] يستحيل على جميع الممكنات من أن يؤثر فى ١٥ شىء بنفسه أو يخالف ربه : ﴿ قل ﴾ اى لهؤلاء الذين خالفوك ، و ا لد

(١) من ظ وم وفى الأصل: صليتم (٢) من ظ وم، وفى الأصل : نفسكم (٣) راجع البحر المحيط : الأحقاف (٤) من ظ وم والبحر . و فى الاصل : عن (٥) زيد من ظ وم (٦) من ظ وم ،وفى الأصل : مولا (٧) من ظ وم ، وفى الأصل : «و» (٨) من ظ وم ، وفى الأصل : فى حقه (٩) من ظ وم ، وفى الأصل : بما .

فطما لمن ربما اعتقد - لكثرة ما يرى من الكرامات - انه مهما اراده فعله الله [له -[1]]: ﴿انى لآ املك﴾ أى الآن ولا بعد ﴿لكم﴾ بنفسى من غير إقدار[2] الله لى لأنه لا مؤثر [3]فى شىء[3] من الأشياء إلا الله سبحانه و تعالى .

و لما كان المقام لدفع ضرهم عنه، قال: ﴿ضرا﴾ فأفهم ذلك ٥ «و لا نفعا و لا غيا» ﴿و لا رشدا﴾ أى صوابا و سدادا . فالآية من الاحتباك و هو ظاهر على هذا التقدير ، قال ابو حيان[4]: فحذف من كل ما يدل[5] مقابله عليه - انتهى . و يجوز أن يكون تقديره: لا أملك ضرا لانى لاأملك لكم إضلالا و لا أملك لكم[6] رشدا فلا املك لكم نفعا، فانه لا نفع فى غير الرشاد، و لا ضر فى غير الضلال، فقبح الله ١٠ ابن عربى الطائى الذى يقول فى فصوصه: إن الضلال أهدى من الهدى، فلا أستخف[7] عقلا منه إلا من تبعه - عليهم[8] لعنة الله و خزيه[8]، فان قالوا: إنه أراد غير ما يفهم من ظاهر اللفظ فقل: كذبتم فقد بين مراده إطباقكم على الفسق و الفجور لا يكاد يجد منكم من يتهم بمذهبه و هو يتقيد[9] بشرع، و لم تخرج الآية بهذا عن الاحتباك، فان ١٥ ذكر الضر أولا دل على حذف النفع ثانيا، و ذكر الرشد ثانيا دل على حذف الضلال أولا .

---

(١) زيد من ظ وم (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : انذار (٣-٣) من ظ وم ، وفى الأصل : لشىء (٤) راجع البحر ٨/٣٥٣ (٥) زيد فى الأصل: على ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم والبحر فحذفناها (٦) سقط من م (٧) من ظ وم، وفى الأصل: استخف (٨-٨) فى ظ : رحمة الله ومغفرته (٩) من ظ وم ، وفى الأصل :يتقلد .

و لما اجاب من تشوف [1] إلى علة صبره عن دفعهم [2] عنه بما حاصله أنه لا شيء بيده، لأن إلهه من العظمة فى إحاطة [العلم - [3]] و القدرة و أنه لا يخرج شيء عن مراده فلا يعجل فى شيء بحيث لا يفعل إلا ما يريد سواء سئل أو لا، فكان ذلك ربما اوجب أن أن يظن منه صلى الله عليه و سلم موافقته لهم لئلا يضروه لأنهم يستعجلون ٥ فى أذى من خالفهم، أجاب بما حاصله أنه بين ضررين أحدهما منهم إن خالفهم، و الآخر منه سبحانه و تعالى إن أعرض عنه و هو سبحانه و تعالى يرد أذاهم إن أراد، و هم لا يقدرون على رد أذاه بوجه فقال: ﴿ قل ﴾ أى لمن يدعوك إلى موافقتهم، و اكد لما فى ظن كثير من الناس من أن الأسباب لا تتخلف فقال: ﴿ انى ﴾ و زاد فى التاكيد ١٠ لأن ذلك فى غاية الاستقرار فى النفوس فقال: ﴿ لن يجيرنى ﴾ أى فيدفع عنى ما يدفع الجار عن جاره ﴿ من الله ﴾ أى الذى له الأمر كله و لا امر لأحد معه [4] ﴿ احد ﴾ أى كائنا من كان إن أرادنى سبحانه بسوء. و لما كان من هو بهذه المثابة ربما [5] هرب منه المطلوب قال مؤكدا: ﴿ و لن اجد ﴾ أى أصلا. و لما كانت كل رتبة [6] دون ١٥ رتبته [6]، و كانت الرتب التى دون رتبته كثيرة جدا لما له من العلو المطلق

---

(١) من ظ و م، و فى الاصل: يتشوف (٢) من ظ و م، و فى الأصل: دفعيهم (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بما (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

و لغيره [من - [1]] مراتب السفول التى لا تحد ، قال مشيرا لذلك بالجار: ﴿ من دونه ﴾ أى الله تعالى ﴿ ملتحدا ﴾ [أى - [1]] معدلا و موضع ميل و ركون و مدخلا و ملتجأ و حيلة ، و إن اجتهدت كل الجهد لأن اللحد أصله[2] الميل و لا يقال إلا فى ميل من حق إلى باطل .

٥ و ألحد : جادل و مارى و ركن .

و لما كان من المعلوم ان هذا شىء لامثنوية فيه ، و كانت الرتب التى دون شريف رتبته سبحانه كثيرة جدا [3] لما له من العلو المطلق [3] و كان ما يليها له حكم شرفها و حقيقتها [4] ، و كان أول ذلك البلاغ منه سبحانه بلا واسطة [ثم البلاغ بواسطة - [1]] ملائكته الكرام منه ،

١٠ استثنى من " ملتحدا " على طريق [لا - [1]] ملجأ و لا منجى منك إلا إليك ففروا إلى الله [فقال - [5]] : ﴿ الا بلغا ﴾ اى يبلغنى كائنا ﴿ من الله ﴾ اى الذى أحاط بكل شىء قدرة و علما . و لكنه لسعة رحمته يجرى الأمور على ما يتعارفونه فى انه لا يأخذ أحدا [6] الا بحجة يعترفون بأنها حجة . و لما بين الرتبة الأولى [7] التى هى أعلى ، اتبعها التى تليها فقال :

١٥ ﴿ و رسالته [4] ﴾ التى اوحى الى [بها - [1]] بواسطة الملك فانى اتلقى ذلك حق تلقيه بحفظه و العمل به فيكون ، ذلك عاصما من كل سوء فى الدنيا و الآخرة .

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : حقيقتها (٥) زيد من ظ .
(٦) فى ظ و م : احد (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الأول .

و لما كان التقدير لبيان أن الله شرف الرسل بان أعطاهم عظمة من عظمته فجعل عصيانهم عصيانه، فيكون[1] جزاء من عصاهم هو جزاء من عصاه سبحانه و تعالى لأنهم إنما يتكلمون بأمره، فمن يطع الله و رسوله فان له جنة نعيم يكونون فيها مدى الدهر سعداء، عطف عليه قوله: ﴿و من يعص الله﴾ أى الذى له العظمة كلها ﴿و رسوله﴾ الذى ختم به النبوة و الرسالة ٥ فجعل رسالته محيطة بجميع خلقه فى التوحيد أو[2] غيره على سبيل الجحد ﴿فان له﴾ أى خاصة ﴿نار جهنم﴾ أى التى تلقاه بالعبوسة و الغيظ، و لما عبر بالإفراد[3] نظرا إلى لفظ "من" لأنه أصرح فى كل فرد، عبر بالجمع حملا على معناها[4] لأنه أدل على عموم الذل فقال: ﴿خلدين فيها﴾ و أكد المعنى و حققه لقول من يدعى[5] الانقطاع فقال: ﴿ابدا ٥﴾ و أما من ١٠ يدعى أنها لا تحرق و أن [عذابها ـ[6]] عذوبة فليس[7] أحد أجنّ منه إلا من يتابعه على ضلاله و غيه و محاله. و ليس لهم دواء إلا السيف فى الدنيا و العذاب فى الآخرة بما سموه عذوبه و هم صائرون إليه و موقوفون [عليه ـ[6]].

و لما ذكر تلبدهم عليه و قدم ما هو الأهم من أمره من كشف ١٥ غمومهم[8] باعلامهم أن ذلك الذى أنكروه عليه هو الذى يحق له،

(١) فى ظ و م: حتى يكون (٢) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بالافراط (٤) من ظ و م، و فى الأصل: معناه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يدع (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فلا (٨) فى ظ: غمهم.

و من[1] أنه [مع -[2]] ضعفه عن مقاواتهم هو [عن -[2]] الإعراض عن الله أضعف لأن الله أقوى من كل شيء وأنه لا يسعه إلا امتثال أمره. و أشار إلى أنهم عاجزون [عن -[2]] سطواته سبحانه بعدم[3] القدرة على الإجارة عليه، صرح بذلك مهددا لهم، فقال مغيا[4] لتلبدهم عليه:

٥ ﴿ حتى اذا راوا ﴾ أى بأبصارهم فيه ﴿ ما ﴾ أى الشيء الذى. و لما كان المنكى من الوعيد بروكه على كل من كان لأجله الوعيد[5] لا كونه[6] من معين قال: ﴿ يوعدون ﴾ اى ما حصل الإيعاد به فى الدنيا أو فى الآخرة[7] أما فى الآخرة[7] فواضح، و أما فى الدنيا فمثل إخراج النبى صلى الله عليه و سلم مع اجتماع[8] المشركين على المكر به لقتله و اجتهادهم فى

١٠ ذلك ثم سراياه و غزواته مثل غزوة بدر و غيرها من أيام الله التى ملأت الأرض نورا و أهل الحق سرورا و حبورا، و أهل الباطل خسرا و بورا و رعبا و هلاكا و تبورا ﴿ فسيعلمون ﴾ أى من ذلك اليوم الذى يكون[9] فيه تأويله بوعد لاحلف فيه و لا طول لأمده

/٥٥٢ ﴿ من اضعف ناصرا ﴾ اى من جهة[10] الناصر انا و إن كنت / فى هذا الوقت

١٥ وحيدا مستضعفا أو هم[11] ﴿ و اقل عددا ﴾ و إن كانوا الآن بحيث

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مع (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الاصل: بعد (٤) من ظ و م، و فى الأصل: معنا (٥) زيد فى م: من. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لكونه (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: اجماع (٩) من ظ و م، و فى الاصل: لا يكون. (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: حجة (١١) من ظ و م، و فى الأصل: هما.

لا

لا يحصيهم عددا الا الله سبحانه. فيا لله ما اعظم كلام الرسل حيث يستضعفون[1] أنفسهم من حيث هي، و يذكرون قوتهم من[2] جهة مولاهم الذى بيده الملك و له[3] جنود السماوات و الأرض بخلاف أهل الإلحاد فانه لا كلام لهم إلا فى تعظيم أنفسهم و ازدراء من سواهم، و إذا حاققت احدا من أتباع أحد منهم قال هذا على لسان النبوة - و نحو هذا من مخادعاتهم[4] . ٥

و لما كان من المعلوم انهم إذا سمعوا هذا الوعيد قالوا استهزاء و عمى عن طريق الصواب و استعلاء: متى يكون عجل به، استأنف قوله جوابا لهم جواب من لا يستخفه عجلة و لا ضجر[5] لأنه لا يخاف الفوت و لا يلحقه ضرر ببقاء العدو واجتهادهم فى أذى أوليائه مبينا ما يجوز على الرسل من أنه يخفى عليهم ما على البشر و يطلعهم الله تعالى على ما يخفى على غيرهم: ١٠

﴿ قل ﴾ أى فى جوابهم إن كذبوا باتيانهم العذاب و سألوا استهزاء منه عن وقت وقوعه أما كونه فلابد منه لأنه قد برز[7] الوعيد [به ممن لا يخلف الميعاد، و أما تعيين وقته فقد اخفاه سبحانه لأنه -[6]] أقعد فى التهديد و هو[7] معنى قوله: ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ ادرى ﴾ بوجه من الوجوه و إن عالجت ذلك و تسببت فيه. و زاد فى تقرير خفائه و أنه لا يزال فى حيز ما يسأل عنه بصيغة الاستفهام فقال مقدما ما يخفيهم: ﴿ اقريب ما توعدون ﴾ أى يكون الآن أو قريبا من هذا الأوان بحيث يتوقع عن ١٥

(١) من ظ و م، و فى الاصل: يضعفون (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لمن (٣) من م، و فى الأصل و ظ: فله (٤) من ظ و م، و فى الاصل: مخادعتهم. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ضجر (٦) زيد من ظ و م (٧) من م، و فى الأصل و ظ: هى.

قرب[1] ﴿ام﴾ بعيد ﴿يجعل له﴾ اى لهذا الوعيد . ولما كان [التأخير-[2]] ربما أفهم تهاونا بالولى، قال دافعا[3] لذلك: ﴿ربى﴾ أى المحسن إلىّ إن قدمه او أخره ﴿امدا ه﴾ أى اجلا مضروبا عظيما بكل اعتبار حتى فى البعد لايتأتى مع ذلك ان يكون الآن ولا ان يتوقع دون ذلك الأمد، فهو فى كل حال متوقع فكونوا[4] على غاية الحذر لأنه لابد من وقوعه [فوقوعه -[5]] لا كلام فيه، وانما الكلام فى تعيين وقته .

ولما نفى صلى الله عليه وسلم علمه عن نفسه الشريفة، نفى ذلك عن غيره على وجه عام لجميع الغيب جالٍ من عظمة مرسله ما تنقطع دونه الأعناق فقال واصفا[6] له: ﴿علم الغيب﴾ أى كله وهو ما لم يبرز إلى عالم الشهادة فهو مختص سبحانه بعلمه، [فلذلك -[7]] سبب عنه قوله: ﴿فلا يظهر﴾ أى يوجه من الوجوه فى وقت من الأوقات ﴿على غيبه﴾ [أى-[1]] الذى غيبه عن غيره فهو مختص به ﴿احدا﴾ لعزة علم الغيب ولأنه خاصة الملك . ولما كان لايعلم الغيب إلا ببروزه إلى عالم الشهادة، وكان لأول من يطلع عليه شرف ينبغى أن يعرف له قال: ﴿الا من ارتضى[1]﴾ أى عمل الله تعالى فى كونه[2] رضى عمل من يتعمد ذلك ويجتهد فيه، وبين «من» بقوله: ﴿من رسول﴾ أى من الملائكة و[8] من الناس فانه يظهر عليه ذلك المرتضى الموصوف

(١) من ظ و م، وفى الأصل: قريب (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل: رافعا (٤) من م، وفى الأصل و ظ: يكونوا (٥) زيد من م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: وصفا (٧) زيدت الواو فى الأصل و ظ، ولم تكن فى م فحذفناها (٨) من ظ و م، وفى الأصل: او .

لا كل مرتضى بأن يظهره على ما شاء منه لأن الغيب جنس لا تحقق له إلا فى ضمن أفراده ، فاذا ظهر فرد منه فقد ظهر فيه الجنس لظهور حصة منه ، و تارة يكون[1] ذلك الرسول ملكا ، و تارة يكون بشرا يكلمه الله بغير واسطة كموسى عليه الصلاة و السلام فى أيام المناجاة ، و محمد صلى الله عليه و سلم ليلة المعراج فى العالم الأعلى فى حضرة قاب قوسين أو ادنى ، و إذا ظهر ٥ عليه الرسول خرج عن كونه غيبا ، و أوصله الرسول إلى من أذن له فى إيصاله[2] له تارة بالوحى للأنبياء و تارة بالنفث و الإلهام للاولياء ، و ذلك عند تهيىء نفوسهم بسكون قواها عن منازعة العقل بالشهوات و الحظوظ كما يكون للنفوس عامة حين سكون القوى[3] عن المنازعة بالنوم فتكون متهيئة للنفث فيها ، [فمن-[4]] أعرض عن جانب الحس و أقبل على جناب[5] ١٠ القدس فقد هيأ نفسه لنفث[6] الملك فى ورعه بعلم ما لم يكن يعلم[7] وليس أحد من الناس إلا و قد علم من نفسه أنه إذا أقبل على شىء بكليته حدث له فيه أمور حدسية إلهامية بغتة من غير سابقة فكر و طلب ، و[8] على قدر التهيئة[9] يكون النفث من قبل الله سبحانه و تعالى ، و ربما كان النفث شيطانيا بما تلقته الشياطين من الاستراقات[10] من الملائكة إما من ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ليكون (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : ارساله. (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : النفوس (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : جانب (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : للنفث (٧) زيد فى الأصل و ظ : مالم يعلم ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٨) زيد فى الأصل : قد ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) فى ظ : التهيا (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : الاسترقات .

الأرض بعد نزولهم او من السماء بالاستراق فيها - و الله أعلم ، و يجوز أن يكون للأولياء مشافهة [من الملك -١] كما كان لمريم عليها السلام من الملائكة ، و قال جبريل عليه الصلاة و السلام عن بعضهم أنه لم يسلم رد عليه ، و لما دل هذا السياق على عزة علم الغيب [و ٢] كانت عزته سببا لحراسة من يطلع عليه ليؤديه إلى من أمر به [كما أمر به -٢] ، أعلم سبحانه و تعالى بذلك بقوله مؤكدا ٣ تمييزا له من علم الكهان ٤ الذى أصله من الجان ٥ دالا على إجلال الرسل و إعظامهم و تبجيلهم و إكرامهم : ﴿ فانه ﴾ أى الله سبحانه و تعالى يظهر ذلك الرسول على ما يريد من الغيب ، و ذلك أنه [إذا -٢] أراد إظهاره عليه ﴿ يسلك ﴾ أى يدخل إدخال السلك فى الجوهرة فى تقومه و نفوذه من غير أدنى تعريج إلى غير المراد . و لما كان الغرض يحصل بمن يقيمه سبحانه من جنوده للحراسة و لو أنه واحد من كل جهة بل و بغير ذلك ، و إنما جعل هذا الإخراج للأمر على ما يتعارفه العباد ، عبر بالجار دليلا على عدم استغراق الرصد ٦ للجهات إلى منقطع الأرض مثلا فقال : ﴿ من بين يديه ﴾ أى الجهة التى يعلمها ذلك الرسول ﴿ و من خلفه ﴾ أى الجهة التى تغيب عن علمه ، فصار ذلك كناية عن كل جهة ، و يمكن

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الكهانة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الجنان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الوصل .

ان

أن يكون ذكر الجهتين دلالة [1] على الكل و خصهما لأن العدو متى اعريت واحدة منهما [2] أتى منها [2]، و متى حفظت لم يأت من غيرهما /، لأنه يصير بين الأولين و الآخرين ﴿رصدا﴾ اى حرسا من جنوده يحرسونه و يحفظونه بحفظ ما معه من الغيب من اختطاف الشياطين أو غيرهم لئلا يسترقوا شيئا من خبره - قاله ابن عباس رضى الله عنهما، و قال مقاتل [3] و غيره رضى الله عنهما: يخبرونه [4] بمن أنكره بأن يحذروه منه إن كان شيطانا أو يأمروه بالسماع منه إن كان ملكا، و ذلك أن إبليس [كان - [5]] يأتى الأنبياء [فى صورة جبريل عليه السلام - [6]] [7] ولكن الله عصمهم منه [7] .

/ ٥٥٤

و لما كان هذا الدأب من الحفظ فى [كل - [6]] رسول بين الغاية جامعا [8] تعيينا لما اقتضاه الجنس، و بيانا لأن الأفراد أولا مراد به الجمع، و أنه ما عبر به إلا لتشمل الحراسة كل فرد [9] منهم فقال: ﴿ليعلم﴾ أى الله علما كائنا واقعا على هذه الصفة التى تعلق [10] بها [علمه - [6]] فى الأزل قبل وجودها بما لا يعلمه إلا هو سبحانه أنها ستكون ﴿ان﴾ أى إن الرسل عليهم الصلاة و السلام ﴿قد ابلغوا﴾ اى إلى من أرسلوا إليه

(١) من ظ و م، و فى الأصل: دالا (٢ - ٢) من م، و فى الأصل: أتى منها، وسقط ما بين الرقمين من ظ (٣) راجع معالم التنزيل ٧/١٣٦ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يخبره (٥) زيد من ظ (٦) زيد من ظ و م (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: جامعة (٩) زيد فى م: فرد (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: يتعلق.

﴿ رسلت ربهم ﴾ أى الذى أوجدهم و دبر جميع أمورهم و اختارهم لرسالاته[1] على ما[2] هى عليه[2] لم يشبها شائبة و لا لحقها غبر . و لما كان هذا ربما اوهم أنه محتاج فى الحفظ [إلى الرصد[3]] أزال ذلك [بقوله[3]] : ﴿ و احاط ﴾ أى فعل ذلك و الحال أنه قد أحاط ﴿ بما لديهم ﴾ أى الرسل و المرسل إليهم من الملائكة و البشر على أدق الوجوه و أعظمها و أغربها بما أشار إليه التعبير بلدى . و لما كان هذا كافيا فى المقصود ، لكنه قاصر على محل الحاجة عم تعريفا بالأمر على ما هو عليه ، فقال حاملا على شدة الوثوق بما تقوله الرسل عن ربهم و أنه لا لبس فيه و لا غائلة بوجه ، مبينا غاية البيان كذب حديث الغرانيق الذى ذكره بعض المفسرين و غيرهم فى سورة و النجم : ﴿ و احصى ﴾ أى الله سبحانه و تعالى ﴿ كل شىء ﴾ أى على العموم من غير استثناء اصلا ﴿ عددا ﴾ اى من جهة العدد لكل[4] ما يمكن عده و لو على أقل مقادير[5] الذر فيما لم يزل و فيما لا يزال ، فهو دليل قاطع على علمه تعالى بالجزئيات كعلمه بالكليات ، و قد التقى أول السورة و آخرها و باطنها الغيبى و ظاهرها ، فدل آخرها على الأول المجمل ، و أولها على الآخر المفصل ، و ذلك ان أول السورة بين عظمة الوحى بسبب الجن ، ثم بين فى أثنائها حفظه من مسترق السمع ، و ختم بتأكيد حفظه و[6] حفظ جميع[6] كلماته و استمر فى تأكيد أمره

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : رسالته (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : من كل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تقدير تقادير (٦ - ٦) من ظ ، و فى الأصل : جمع ، و فى م : حفظ .

حتى بانت عظمة هذا القرآن، [و ظهرت عزة هذا الفرقان -[1]]، على كل كتاب، بكل اعتبار و حساب، فافتتح المزمل بمثل ذلك و ختمها بالأمر بقراءة ما تيسر منه، و ذكر فى المدثر طعن الطاعن فيه و ما ناله بسبب ذلك الطعن من الخزى و العذاب فى الدنيا و الآخرة مع ضمان الحفظ منه، ثم نهى نبيه صلى الله عليه و سلم / فى سورة القيامة عن العجلة فى أمره لئلا ٥ يختل حفظه، أو يزيغ أدنى زيغ لفظه، [و-[2]] تشريعا لأمته فى ترك الاستعجال، فانه ليس من دأب الرجال، ثم أكد أمر تنزيله فى الإنسان، و بين أن علة الإعراض عنه حب العاجلة التى هى عين النقصان، و ختم المرسلات بنهاية ما تخيلت الأوهام و الظنون، فقال «فبأى حديث بعده يؤمنون» فسبحان[3] من نظمه هذا[4] النظام، و جعله أقصى المراد و غاية المرام، ١٠ «و صلى الله على من لا نبى بعده على الدوام».

/ ٥٥٥

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ م (٣) زيد فى الأصل: اله، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: على (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

خاتمة الطبع

لقد تم ـ و الحمد لله ـ طبع الجزء العشرين من تفسير " نظم الدرر في تناسب الآيات و السور " للشيخ العلامة برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي رحمه الله تعالى يوم الاثنين ٢٩ / رمضان المبارك سنة ١٤٠٣ هـ = ١١ / يوليو سنة ١٩٨٣ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد - قاضي المحكمة العليا سابقا ـ بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره .

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخي الفاضل محمد عمران الأعظمي الأنصاري العمري (أفضل العلماء ـ جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمة مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضي محمد عطاء الله النقشبندي القادري (كامل الجامعة النظامية) ـ حفظهما الله .

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هذه الخاتمة ـ كان الله له و لوالديه .

و يليه الجزء الحادي و العشرون باذن الله و مشيئته مستهلا بسورة المزمل .

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، و هو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلي و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و على آله و صحبه اجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المستمسك بحبل الله المتين

المفتي محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المزمل [1]

مقصودها الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار و الأوجال، و تخفف الأحمال الثقال، و لا سيما الوقوف بين يدى الملك المتعال، و التجرد فى خدمته فى ظلمات الليال، فانه نعم الإله لقبول الأفعال و الأقوال، و محو ظلل الضلال، و المعين الأعظم على الصبر و الاحتمال، ٥ لما يرد [2] من الكدورات فى دار الزوال، و القلعة و الارتحال، و اسمها المزمل أدل [3] ما فيها على هذا المقال ﴿ بسم الله ﴾ الكافى من توكل عليه فى جميع الأحوال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة الإيجاد و البيان [4] المهدى و الضال [4] ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الذى خص حزبه بالسداد فى الأقوال و الأفعال لإيصالهم إلى دار الكمال . ١٠

لما تقدم فى [5] آخر الجن من [6] تعظيم الوحى و أن من تعظيمه

---

(١) الثالثة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها عشرون .
(٢) من ظ و م، و فى الأصل : يراد (٣) من م، و فى الأصل و ظ : ادق .
(٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل : الهدى والضلال (٥) من ظ و م، وفى الأصل: من (٦) سقط من م .

حفظ المرسل به من جميع الآفات المفترة عن إبلاغه بما[1] له سبحانه من إحاطة العلم و القدرة و ندب نبيه الذى ارتقاه لرسالته و الاطلاع على ما أراده[2] من غيبه صلى الله عليه و سلم اول[3] هذه إلى القيام بأعباء النبوة بالمناجاة بهذا الوحى فى وقت الأنس و الخلوة بالأحباب، و البسط و الجلوة لمن دق الباب، للاعتلاء و[3] المتاب، المهيىء لحمل أعباء الرسالة، و المقوى على أثقال المعالجة[4] لأهل الضلالة، فقال معبرا بالأداة الصالحة للقرب و البعد المختصة بأنها لا يقال بعدها إلا الأمور التى هى فى غاية العظمة، أشار إلى انه صلى الله عليه و سلم يراد به غاية القرب بالأمور البعيدة عن تناول الخلق بكونها خوارق للعادات و نواقض للألوفات المطردات. و أما التزمل[5] فهو و إن كان من آلات ذلك إلا أنه من الأمور العادية، فهو دون ما يراد[6] من التهيئة[6] لذلك الاستعداد، و بالتزمل[7] لكونه منافيا للقيام فى الصلاة: ﴿يٰأيها المزمل﴾ أى الذى أخفى شخصه و ستر أمره و ما أمرناه به - بما أشار اليه التزمل الذى مدلوله التلفف فى الثوب على جميع البدن و الاختفاء و لزوم مكان واحد، و لأنه يكون منطرحا / على الأرض كما قال صلى الله عليه و سلم فى قتلى [احد -[8]]: زملوهم بثيابهم

٥٥٦ /

(١) من ظ و م. و فى الأصل: لما (٢) فى م: أراد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: او (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المعاجلة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المتزمل (٦-٦) من ظ و م، و فى الاصل: للتهيئة (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالمتزمل (٨) زيد من ظ و م.

ودمائهم، مع الإشارة إلى الإخفاء ايضا بادغام تاء التفعل، و ربما أشار الإدغام إلى ان الستر بالثوب لم يعم جميع البدن، كما يأتى فى المدثر على أن فيه مع ذلك إشارة إلى البشارة بالقوة على حمل أعباء ما يراد به، من قولهم: زمل الشيء - إذا رفعه و حمله، و الازدمال: احتمال الشيء، و زملت الرجل على البعير و غيره - إذا حملته عليه، و من زملت الدابة ٥ فى عدوها - إذا نشطت، و الزامل من حمر الوحش الذى كأنه يظلع من نشاطه، و رجل إزميل: شديد، و الزاملة: بعير يستظهر به الرجل لحمل طعامه و متاعه عليه، و يقال للرجل العالم[1] بالأمر: هو ابن زوملتها، و قال ابن عطاء: يا ايها المخفى ما تظهره عليه من آثار الخصوصية! هذا أوان كشفه، و قال [عكرمة -[2]][3]: يا أيها الذى حمل هذا الأمر، ١٠ و قال السدى[4]: أراد يا ايها النائم، و قال غيره: [5]كان هذا[5] فى ابتداء الوحى بالنبوة، و المدثر فى ابتداء الوحى بالرسالة، ثم خوطب [بعد -[3]] ذلك بالنبى[6] و الرسول: ﴿ قم ﴾ اى فى خدمتنا [7]بحمل أعباء[7] نبوتنا و الازدمال بالاجتهاد فى الاحتمال، و اترك التزمل فانه مناف للقيام[8]. ١٥

و لما كان الاجتهاد فى الخدمة دالا على غاية المحبة، و كانت النية

(١) من القاموس، و فى الأصول: العامل (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٦ (٤) راجع المعالم ٧ / ١٣٧ (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: هذا كان (٦) من م، و فى الأصل و ظ: بالنبوة (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: باعباء (٨) من م، و فى الاصل و ظ: فى القيام.

خـــيرا[1] من العمل، و كان الإنسان مجبولا على الضعف، و كان سبحانه لطيفا بهذه الأمة تشريفا لإمامها صلى الله عليه و سلم، رضى منا سبحانه بصدق التوجه إلى العمل و جعل أجورنا أكثر من أعمالنا، فجعل إحياء البعض إحياء للكل، فأطلق اسم الكل و أراد البعض فقال: ﴿الّيل﴾ أى الذى هو وقت الخلوة و الخفية و الستر، فصل لنا [2]فى كل ليلة من هذا الجنس[2] و قف بين يدينا[3] بالمناجاة و الأنس بما أنزلنا عليك من كلامنا[4] فانا نريد إظهارك و إعلاء قدرك فى البر و البحر و السر و الجهر، و قيام الليل فى الشرع معناه الصلاة، فلذا لم يقيده، و هى جامعة لأنواع الأعمال الظاهرة و الباطنة، و هى عمادها، فذكرها دال على ما عداها.

و لما كان للبدن حظ فى الراحة قال مستثنيا من الليل: ﴿الا قليلا[5]﴾ اى من كل ليلة، و نودى هذا [النداء لأنه - ٥] صلى الله عليه و سلم لما جاءه الوحى بغار حراء رجع إلى خديجة زوجته رضى الله تعالى عنها يرجف فؤاده فقال: زملونى زملونى! [لقد خشيت على نفسى، فسألته رضى الله عنها عن حاله، فلما قص عليها امره - ٥] قال[6]: خشيت على نفسى يعنى أن يكون هذا مبادئ شعر أو كهانة، و كل ذلك من الشياطين و أن يكون الذى ظهر له بالوحى ليس بملك، و كان صلى الله

(١) من ظ و م، و فى الأصل: خير (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: من هذا الجنس فى كل ليلة (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ايدينا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كرمنا (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ، و فى الأصل و م: و قال.

عليه و سلم يبغض الشعر و الكهانة غاية البغضة ، فقالت[1] له و كانت وزيرة صدق[2] : كلا و الله ! لا يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم و تقرى الضيف و تحمل الكل و تعين / على نوائب الحق - و نحو هذا / ٥٥٧ من المقال الذى يثبت ، و فائدة التزمل ان الشجاع الكامل إذا دهمه أمر هو فوق قواه ففرق أمره فرجع إلى نفسه ، و قصر بصره و بصيرته على حسه ، اجتمعت قواه إليه فقويت جبلته الصالحة على تلك العوارض التخييلية فهزمتها فرجع الى أمر الجبلة العلية ، و زال ما عرض من العلة البدنية .

و قال الإمام أبو جعفر[3] ابن الزبير : لما كان ذكر إسلام الجن قد أحرز غاية انتهى مرماها[4] و تم مقصدها و مبناها ، و هى الإعلام باستجابة هؤلاء و حرمان من كان أولى بالاستجابة ، و أقرب فى ظاهر الأمر إلى الإنابة ، بعد تقدم وعيدهم و شديد تهديدهم ، صرف الكلام إلى أمره صلى الله عليه و سلم بما يلزمه من وظائف عبادته و ما يلزمه[5] فى أذكاره من ليله و نهاره ، مفتتحا[6] ذلك بأجمل مكالمة و ألطف مخاطبة[7] "يا أيها المزمل" [8]و كان ذلك[8] تسلية له صلى الله عليه و سلم كما

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فقال (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : صديقة. (٣) العبارة من هنا إلى « هى الأعلام » ساقطة من ظ (٤) من م ، و فى الأصل : مرامها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يلزم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : مفتحتا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : مخاطبته (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

ورد «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» إلى آخره، و ليحصل منه الاكتراث بعناد من قدم عناده و كثرت لججه، و أتبع ذلك بما يشهد لهذا الغرض و يعضده و هو قوله تعالى - فاصبر صبرا جميلا -: "واصبر على ما يقولون و اهجرهم هجرا جميلا و ذرني و المكذبين اولى النعمة و مهلهم قليلا"

٥ و هذا عين الوارد فى قوله تعالى "فلا تذهب نفسك عليهم حسرات" و فى قوله "نحن أعلم بما يقولون و ما انت عليهم بجبار" ثم قال "إن لدينا انكالا" فذكر ما أعد لهم، و إذا تأملت هذه الآى وجدتها قاطعة بما قدمناه، و بان لك التحام ما ذكره، ثم رجع الكلام إلى التلطف به عليه الصلاة و السلام و بأصحابه - رضى الله عنهم أجمعين - و أجزل

١٠ جزاءهم مع وقوع[1] التقصير ممن يصح منه تعظيم المعبود الحق جل جلاله "علم أن لن تحصوه فتاب عليكم[2] فاقرؤا ما تيسر من القرآن" ثم ختم السورة بالاستغفار من كل ما تقدم من عناد الجاحدين المقدم ذكرهم فيما قبل من السور[3] إلى ما لا يفى العباد المستجيبون به مما إشار إليه قوله تعالى "علم أن لن تحصوه" - انتهى.

١٥ و لما كان الليل اسما لما بين غروب الشمس و طلوع الفجر، و كان قيامه فى غاية المشقة، حمل سبحانه من ثقل ذلك، فقال مبينا لمراده[4] بما حط عليه الكلام بعد الاستثناء، و مبدلا من جملة المستثنى و المستثنى

(١) من ظ و م، و فى الأصل: وجوب (٢) زيد فى الأصول: الى قوله.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: السورة (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المراد.

منه[1] : ﴿ نصفه ﴾ أى الليل ، فعلم ان المراد بالقليل المستثى النصف ، و سماه قليلا بالنسبة إلى جميع الليل ، و بالنسبة إلى النصف الذى وقع إحياؤه ، لأن ما يلى بالعمل أكثر مما لا عمل فيه ، و يجوز أن يكون 'نصفه' بدلا من الليل ، / فيكون كأنه قيل : قم نصف الليل إلا قليلا ٥٥٨ / و هو السدس او انقص منه إلى الربع ، و جاءت العبارة هكذا لتفيد ٥ أن من قام ثلث[2] الليل بل ربعه فما فوقه كان محييا لليل كله .

و لما كانت الهمم مختلفة بالنسبة الى الأشخاص و بالنسبه إلى الأوقات قال : ﴿ او انقص منه ﴾ أى هذا النصف الذى أمرت بقيامه ، أو من النصف المستثى منه القليل على الوجه الثانى و هو الثلث ﴿ قليلا ۝ ﴾[3] فلا تقمه حتى لو أحييت ثلث الليل [على الوجه - ٤] الأول او ربعه ١٠ على الوجه الثانى كنت محييا له [كله - ٤] فى[5] فضل الله بالتضعيف ﴿ او زد عليه ﴾[6] أى على[6] النصف قليلا كالسدس مثلا ، فيكون الذى تقومه الثلثين مثلا ، و على كل تقدير من هذه التقادير يصادف القيام - و هو لا يكون إلا بعد النوم : الوقت الذى يباركه الله بالتجلى [فيه - ٤] فانه صح أنه ينزل - سبحانه [عن - ٤] أن يشبه [7]ذاته شيئا[7] ١٥

(١) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) فى ظ : سدس (٣) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : او زد عليه و هو (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لشيء .

أو نزوله نزول[1] غيره [بل - [2]] هو كناية عن فتح باب السماء الذى هو كناية عن وقت استجابة الدعاء - حين[3] يبقى ثلث الليل - و فى رواية : حين[3] يبقى شطر الليل الآخر - إلى سماء الدنيا فيقول : هل من سائل فأعطيه ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من كذا هل من كذا حتى يطلع الفجر . و كان هـذا القيام فى أول الإسلام فرضا عليهم على التخيير بين[4] هذه المقادير الثلاثة فكانوا يشقون على أنفسهم ، فكان النبى صلى الله عليه و سلم يقوم حتى يصبح مخافـة أن لا يحفظ القدر الواجب ، و كذا بعض أصحابه رضى الله تعالى عنهم و اشتد ذلك عليهم حتى انتفخت أقدامهم ، و كان هذا قبل فريضة الخمس ، فنزل آخرها بالتخفيف بعد سنة « علم ان لن تحصوه » الآيات ، فصار قيام الليل تطوعا بعد فريضة .

و لما أمر بالقيام و قدر وقته و عينه ، أمر بهيئة التلاوة على وجه عام للنهار معلم بأن القيام بالصلاة التى روحها القرآن فقال : ﴿ و رتل القرآن ﴾ أى اقرأه على تؤدة [و - [5]] بين حروفه بحيث يتمكن السامع من عدها [و - [5]] حتى يكون المتلو شبيها بالثغر المرتل و هو المفلج المشبه بنور الأقحوان[6] ، فان ذلك موجب لتدبره فتكشف له مهماته و يتجلى عليه[7] أسراره و خفياته ، قال ابن مسعود رضى الله عنه[8] :

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : كنزول (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حتى (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : فى (٥) زيد من م . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الافق (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : عنه . (٨) راجع المعالم ٥/١٣٨ .

و لا تنثروه نثر الدقل و لا تهذوه هذ الشعر، و لكن قفوا عند عجائبه و حركوا به[1] القلوب و لا يكن هم أحدكم آخر السورة. روى الترمذى عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه و سلم قام حتى أصبح بآية، و الآية[2] "ان تعذبهم فانهم عبادك و ان تغفرلهم فانك انت العزيز الحكيم" و لما أعلم سبحانه بالترتيل اعلم بشرفه بالتأكيد بالمصدر ٥ فقال: ﴿ترتيلا﴾.

و لما كان المراد منه صلى الله عليه و سلم الثبات للنبوة و من امته الثبات [3]فى الاقتداء[3] به فى العمل / و الأمر و النهى، و كان ذلك فى غاية الصعوبة، و كان الإنسان عاجزا إلا باعانة مولاه، و كان العون النافع إنما يكون لمن صفت نفسه عن الأكدار و أشرقت بالأنوار، ١٠ و كان ذلك إنما يكون بالاجتهاد فى خدمته سبحانه، علل هذا الأمر بقوله مبينا للقرآن الذى أمر بقراءته ما هو و ما وصفه، معلما أن التهجد يعد للنفس من القوى ما به يعالج المشقات، مؤكدا لأن الإتيان بما هو خارج عن جميع أشكال الكلام لا يكاد يصدق: ﴿انا﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿سنلقى﴾ أى قريبا بوعد لا خلف فيه فتهيأ[4] ١٥ لذلك بما يحق له.

و لما كان المقام لبيان الصعوبة، عبر بأداة الاستعلاء فقال:

(١) من ظ و م، و فى الأصل: له (٢) ١١٨/المائدة (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: بالاقتدى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فهيا.

﴿عليك﴾ و أشار إلى اليسر مع ذلك إشارة إلى " و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر " بالتعبير بما تدور مادته على اليسر و الخفة فقال: ﴿ قولا ﴾ يعنى القرآن ﴿ ثقيلا ﴾ أى لما فيه من التكاليف الشاقة من [جهة - [1]] حملها و تحميلها للدعوين[2] لأنها تضاد الطبع و تخالف النفس، و من جهة رزانـــة لفظه لامتلائه بالمعانى مع جلالة[3] معناه و تصاعده فى خفـاء فلا يفهمه المتأمل و يستخرج ما فيه من الجواهر إلا بمزيد فكر و تصفية سر و تجريد نظر، فهو ثقيل على الموافق من جميع هذه الوجوه و غيرها، و على المخالف من جهة أنـه لا يقدر على رده و لا يتمكن من طعن فيه بوجه مع أنـه ثقيل فى الميزان و عند تلقيه و له وزن و خطر و قدر عظيم، روى فى الصحيح[4] أن النبى صلى الله عليـــه و سلم كان إذا أتاه الوحى يفصم عنه و إن جبينه ليتفصد[5] عرقا فى اليوم الشاتى الشديد البرد، و كان - صلى الله عليه و سلم - إذا أنزل عليه الوحى و هو راكب على ناقته[6] وضعت جرانها فلا تكاد تتحرك حتى يسرى عنه . قال القشيرى : و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن سورة الأنعام[7] نزلت عليه جملة واحدة[8] و هو راكب فبركت

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، و وردت الكلمة ناقصة فى الأصل مع بياض يسير (٣) من ظ و م، و فى الأصل : جلالته (٤) راجع بدء الوحى (٥) من ظ و م و الصحيح، و فى الأصل : ليقطر (٦) ، م : ناقة (٧) زيد فى الأصل : لما نزلت سورة الأنعام صلى الله عليه و سلم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) سقط من ظ و م :

ناقته من ثقل القرآن[1] وهيبته، و هو مع ثقله على الأركان خفيف على اللسان سهل التلاوة و الحفظ على الإنسان .

و لما أفهم هذا أن التهجد فى غاية العظمة، أكد ذلك حاثا على عدم الرضى بدون الأفضل الأجمل الأكمل بقوله، مؤكدا ليخف أمر القيام على النفس: ﴿ ان ناشئة الليل ﴾ أى ساعاته التى كل واحدة ٥ منها ناشئة و العبادة تنشأ فيه بغاية الخفة، من[2] نشأ أى نهض من مضجعه بغاية النشاط لقوة الهمة و مضاء العزيمة التى جعلتها[3] كأنها نشأت بنفسها، و قال ابن عباس رضى الله عنهما[4]: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة، و ما كان قبله فليس بناشئة، و قالت عائشة رضى الله عنها[5]: الناشئة القيام بعد النوم، و قال الأزهرى: الناشئة القيام، مصدر جاء ١٠ على فاعلة كالعافية بمعنى العفو .

و لما كان ذلك / فى غاية الصعوبة لشدة منافرته للطبع، زاد فى التأكيد ترغيبا فيه فقال: ﴿ هى ﴾ أى خاصة لما لها من المزايا ﴿ اشد ﴾ أى أثقل و أقوى و أمتن و أرصن[6] ﴿ وطأ ﴾ أى كلفة و مشقة لما فيها من ترك الراحة و فراق الألف و المحبوب، و أشد ثبات قدم - على ١٥ أنه مصدر وطئ فى قراءة الجماعة - بفتح ثم سكون، و مواطاة بين القلب

/ ٥٦٠

---

(١) زيد فى الأصل: هو مع (٢) فى ظ: عمن، و فى م: عن (٣) من ظ و م، وفى الأصل: جعلها (٤) راجع البحر المحيط ٨/ ٣٥٩ (٥) راجع معالم التنزيل ٧/ ١٣٩ (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ارضى .

و اللسان فى الحضور و فى التزام الدين بالإذعان و الخضوع على أنه مصدر واطأ[1] مثل قاتل على قراءة أبى عمرو و ابن عامر بالكسر و المد [و - [2]] هى أبلغ لأن صيغة المفاعلة[3] تكون بين اثنين يغالبان فيكون الفعل أقوى .

٥ و لما كان التهجد يجمع القول و الفعل، و بين ما فى الفعل لأنه أشق ، فكان بتقديم[5] الترغيب بالمدحة أحق ، أتبعه القول فقال : ﴿و اقوم قيلا[4]﴾ أى و أعظم سدادا من جهة القيل فى فهمه و وقعه فى القلوب بحضور القلب و رياقة[6] الليل بهدوء الأصوات و تجلى الرب سبحانه و تعالى بحصول البركات، و أخلص من الرياء و القصود[7] الدنيات.

١٠ و لما بين سبحانه من أول السورة إلى هنا ما به صلاح الدين الذى عصمة الأمر و [بـــه - [2]] صلاح الدارين، و أظهر ما للتهجد من الفضائل، فكان التقدير حتما : فواظب عليه لتناول هذه الثمرات، قال [معللا - [2]] محققا له مبينا ما به صلاح الدنيا التى هى فيها المعاش ، و صلاحها وسيلة إلى صلاح[7] المقصود ، و هو الدين و هو الذى ينبغى

١٥ له لئـــلا يكون كلا على الناس ليحصل من الرزق ما يعينه على دينه

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : وطأ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و م الأصل : الفاعلية (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : تقديم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : رياضته (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : القصور (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : صلاحها .

و يوسع به على عيال[1] الله من غـير ملل و[2] لاضجر و لا كسل[3] و لا مبالغة ، مؤكدا لما للنفس من الكسل عنه : ﴿ ان لك ﴾ أى أيها المتهجد[2] أو يا أكرم العباد إن كان الخطاب للنبى صلى الله عليه و سلم ليكون آكد فى إلزام[4] الامة به ﴿ فى النهار ﴾ الذى هو محل السعى فى مصالح الدنيا . ٥

و لما كان الإنسان يهتم فى سعيه لنفسه حتى يكون كأنه لشدة عزمه و سرعة حركته كالسابح فيما لا عائق له[5] فيه قال : ﴿ سبحا طويلا[5] ﴾ أى تقلبا ممتد الزمان ، قال البغوى[6] : و أصل السبح سرعة الذهاب ، و قال الرازى : سهولة الحركة[7] .

و لما كان التقدير : فاجتهد فى التهجد ، عطف عليه قوله حاثا على ١٠ [8] حضور الفكر[8] : ﴿ و اذكر اسم ربك ﴾ أى المحسن إليك و الموجد و المدبر لك بكل ما يكون ذكرا من اسم وصفة و ثناء و خضوع و تسبيح و تحميد و صلاة و قراءة و دعاء و إقبال على علم شرعى و أدب مرعى و دم على ذلك ، فاذا عظمت الاسم بالذكر فقد عظمت المسمى بالتوحيد

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عياله (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لا كسل و لا ضجر (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : اكرام (٥) سقط من ظ و م (٦) راجع المعالم ٧ / ١٤٠ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الحركات (٨ - ٨) من ظ و م ، و فى الأصل : حصول التفكر .

و الإخلاص ، و ذلك عون[1] لـك على مصالح الدارين ، اما الآخرة فواضح ، و أما الدنيا فقد أرشد النبى / صلى الله عليه و سلم أعز الخلق عليه[2] فاطمة ابنته[2] رضى الله عنها لما سألته خادما يقيها التعب إلى التسبيح و التحميد و التكبير عند النوم . ٥٦١ /

٥ و لما كان الذكر قد يكون مع التعلق بالغير ، أعلم أن الذاكر[3] فى الحقيقة[3] إنما هو المستغرق فيه سبحانه و به يكون تمام العون فقال : ﴿ و تبتل ﴾ أى اجتهد فى قطع نفسك عن كل شاغل ، و الإخلاص فى جميع أعمالها بالتدريج قليلا قليلا ، منتهيا : ﴿ اليه ﴾ و لا تزل على ذلك حتى يصير لك ذلك خلقا فتكون نفسك كأنها منقطعة بغير قاطع

١٠ و مقطعة تقطيعا كثيرا بكل قاطع ، فيكون التقدير - بما أرشد إليه المصدر "تبتلا" و بتلها ﴿ تبتيلا[4] ﴾ فأعلم بالتأكيد بالمصدر المرشد إلى الجمع بين التفعل و التفعيل بشدة[4] الاهتمام و صعوبة المقام ، و هو من البتل و هو القطع ، صدقة[5] بتلة[5] أى مقطوعة عن صاحبها ، و لذلك قال زيد ابن أسلم[6] : التبتل رفض الدنيا و ما فيها و التماس ما عند الله تعالى ،

١٥ و البتول مريم عليها السلام لانقطاعها إلى الله تعالى ، عن جميع خلقه . و كذا فاطمة الزهراء البتول أيضا[7] لانقطاعها عن[8] قرين و مثيل و نظير[8] ، فالمراد

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عونا (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ابنته فاطمة (٣-٣) فى م : بالحقيقة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لشدة (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بتبتيله (٦) فى المعالم ٧ / ١٤٠ : ابن زيد (٧) زيدت الواو فى م (٨-٨) من م ، و فى الأصل : نظير و قرين ، و فى ظ : قرين و نظير .

بهذا [١] هو المراد بكلمة التوحيد المقتضية للاقبال عليه و الإعراض عن كل ما سواه، و ذلك بملازمة الذكر و خلع الهوى، و الآية من الاحتباك و [٢] هو ظاهر [٢] : ذكر فعل التبتل دليلا على حذف مصدره، و ذكر مصدر بتل دليلا على حذف فعله [٣] .

و لما كان الواجب على كل أحد شكر المنعم، بين أنه سبحانه الذى أنعم بسكن الليل الذى أمر بالتهجد فيه [و - [٤]] منتشر النهار الذى أمر بالسبح [٥] فيه، فقال واصفا الرب المأمور بذكره فى قراءة ابن عامر و يعقوب و الكوفيين غير حفص معظما له بالقطع فى قراءة الباقين بالرفع : ﴿ رب المشرق ﴾ أى موجد محل الأنوار التى بها ينمحى هذا الليل الذى أنت قائم فيه و يضىء بها الصباح "و عند الصباح يحمد القوم السرى" بما أنالهم [٦] من الأنوار فى مرائى قلوبهم و ما زينها به من شهب المعانى كما أوجد لهم فى [٧] آفاق أفلاكهم [٧] من شموس المعانى المثمرة لبدور الأنس فى مواطن القدس، فلا يطلع كوكب فى الموضع الذى هو ربه إلا باذنه، و هو رب كل مكان، و ما أحسن ما قال الإمام الربانى تقى الدين ابن دقيق العيد :

كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرف الغمض و لا نستريح

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : هذه (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ظاهره.
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فعل (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : بالتسبيح (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : نالها (٧-٧) من ظ و م و فى الأصل : الآفاق املاكهم .

و اختلف الأصحاب ماذا الذى يزيح من شكواهم او يريح
فقيل تعريسهم ساعة[1] و قلت بل ذكراك و هو الصحيح

و لما ذكر مطالع الأنوار، لأنها المقصود لما لها من جلى الإظهار،
و وحد لأنه أوفق لمقصود السورة الذى هو[2] / محطة لانجماح المدلول عليه ٥٦٢/
٥ بالتزمل، أتبعه مقابله فقال: ﴿ و المغرب ﴾ أى الذى يكون عنه الليل
و [الذى - [3]] هو محل السكن[4] و موضع الخلوات و لذيذ[5] المناجاة،
فلا تغرب شمس و لا قمر و لا نجم إلا بتقديره سبحانه، و إذا كان
رب ما فيه هذه الصنائع التى هى أبدع ما يكون كان رب
ما دون ذلك.

١٠ و لما علم بهذا أنه المختص بتدبير الكائنات، المتفرد بايجاد الموجودات،
كان أهلا لأن يفرد بالعبادة و جميع التوجه[6] فقال مستأنفا: ﴿ لآ اله ﴾
أى معبود بحق ﴿ الا هو ﴾ أى ربك الذى دلت تربيته لك على مجامع
العظمة و أنهى صفات الكمال و التنزه عن كل شائبة نقص. و لما علم
تفرده سبحانه كان الذى ينبغى لعباده أن لا يوجه [أحد - [3]] منهم
١٥ شيئا من رغبته لغيره فلذلك سبب عنه قوله: ﴿ فاتخذه ﴾ أى خذه بجميع
جهدك و ذلك بافرادك إياه بكونه تعالى ﴿ وكيلا ﴾ أى على كل من
خالفك بأن تفوض جميع امورك إليه فانه يكفيكها كلها و يكلؤها

(١) من ظ و م و فوات الوفيات ١ / ٤٨٨، و فى الأصل: ساعته (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: السكون. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: محل (٦) من ظ و م، و فى الأصل: التوحيد.

عاية الكلاية فانه المتفرد بالقدرة عليها ، ولا شيء اصلا فى يد غيره ، فلا تهتم بشيء اصلا ، و ليس ذلك بأن يترك الإنسان كل عمل ، فان ذلك طمع فارغ بل بالإجمال فى طلب كل ما ندب الإنسان إلى طلبه ، ليكون متوكلا فى السبب لا من دون[1] سبب ، فانه يكون حينئذ كمن يطلب[2] الولد من غير زوجة ، و هو مخالف لحكمة هذه الدار المبنية على الأسباب ، و لو لم يكن [فى - [3]] إفراده بالوكالة إلا أنه يفارق[4] الوكلاء بالعظمة و الشرف و الرفق من جميع الوجوه فان وكيلك من الناس [دونك وأنت تتوقع أن يكلمك كثيرا فى مصالحك و ربك أعظم العظماء وهو يامرك أن تكلمه كثيرا فى مصالحك وتساله طويلا ، و وكيلك من الناس - [3]] إذا حصّل مالك سألك الأجرة و هو سبحانه يوفر مالك و يعطيك الأجر ، و وكيلك من[5] الناس ينفق عليك من مالك و هو سبحانه يرزقك و ينفق عليك من ماله ، و من تمسك بهذه الآية عاش حرا كريما ، و مات خالصا شريفا ، و لقى الله تعالى عبدا صافيا مختارا تقيا ، و من شرط الموحد أن يتوجه إلى[6] الواحد و يقبل على الواحد و يبذل له نفسه عبودية و يأتمنه على نفسه و يفوض إليه اموره و يترك التدبير و يثق به و يركن إليه و يتذلل لربوبيته ، و يتواضع لعظمته و يتزين ببهائه و يتخذه عدة لكل نائبة دنيا و آخرة .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بدون (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : طلب .
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يعاق - كذا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٦) زيد فى ظ : الله .

و لما كانت الوكالة لا تكون إلا فيما يعجز، و كان الأمر بها مشيرا [إلى -[1]] أنه لابد أن يكون [عن -[1]] هذا القول الثقيل خطوب طوال و زلازل و أهوال، قال: ﴿ و اصبر ﴾ و أشار إلى عظمة الصبر بتعديته بحرف الاستعلاء فقال: ﴿ على ما ﴾ و خفف الأمر بالإشارة إلى أنهم لا يصلون[2] إلى غير الأذى بالقول، [و عظمه -[1]] باستمرارهم عليه فقال: ﴿ يقولون ﴾ أى المخالفون المفهومون من الوكالة من مدافعتهم الحق بالباطل فى حق الله و حقك.

و لما كانت مجانبة البغيض إلا عند / الاضطرار مما يخفف من أذاه قال: ﴿ و اهجرهم ﴾ أى أعرض عنهم جهارا دافعا للهرج مهما أمكن ﴿هجرا جميلا ٥﴾ بأن تعاشرهم بظاهرك و تباينهم بسرك و خاطرك، فلا تخالطهم إلا فيما أمرك الله به على ما حده لك من دعائهم إليه سبحانه و من موافاتهم فى أفراحهم و أحزانهم فتؤدى حقوقهم و لا تطالبهم بحقوقك لا تصريحا و لا تلويحا.

و لما كان فى أمره هذا بما يفعل ما يشق جدا بما فيه من احتمال علوهم، اعلم بقرب فرجه[3] بتهديدهم باخذهم سريعا فقال: ﴿ و ذرنى ﴾ أى اتركنى على أى حالة اتفقت منى فى معاملتهم، و اظهر فى موضع الإضمار تعليقا للحكم بالوصف و تعميما فقال: ﴿ و المكذبين ﴾ أى العريقين فى التكذيب فانى قادر على رحمتهم و تعذيبهم.

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لا يصلوك (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فوجه.

و لما ذكر وصفهم الذى استحقوا به العذاب ، ذكر الحامل عليه تزهيدا فيه و صرفا عن معاشرة أهله لئلا تكون المعاشرة فتنة فتكون حاملة على الاتصاف به وجارّة إلى حب الدنيا فقال : ﴿ اولى النعمه ﴾ أى أصحاب التنعم بغضارة العيش و البهجة التى أفادتهموها[1] النعمة - بالكسر و هى الإنعام و ما ينعم به من الأموال و الأولاد ، و الجاه الذى ٥ أفادته النعمة - بالضم و هى المسرة التى تقتضى الشكر و هم أكابر قريش و أغنياؤهم .

و لما كان العليم القدير إذا قال مثل هذا لولى من أوليائه عاجل عدوه ، قال محققا للمراد بما أمر به من الصبر من هذا فى النعم الدنيوية بأن زمنها قصير : ﴿ و مهلهم ﴾ أى اتركهم برفق و تأن و تدريج ١٠ و لا تهتم[2] بشانهم .

و لما سره بوعيدهم الشديد بهذه العبارة[3] التى مضمونها أن اخذهم بيده صلى الله عليه وسلم و هو سبحانه يسأل فى تأخيره[4] لهم ، زاد فى البشارة بقوله : ﴿ قليلا ٥ ﴾ أى من الزمان و الإمهال إلى موتهم أو الإيقاع بهم قبله ، و كان بين نزول هذه الآية و بين وقعة بدر بسير[5] - قاله المحب الطبرى ، ١٥ و فيه بشارة له صلى الله عليه و سلم بالبقاء بعد أخذهم كما كان ، و انه ليس محتاجا فى أمرهم إلى غير وكلهم سبحانه و تعالى بالقائهم عن باله صلى الله

(١) من م ، وفى الأصل : افادتموها ، وفى ظ : افادتتموها (٢) من ظ وم ، وفى الأصل : تقيم (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : العبارات (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : تأخيرهم (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : سير - مع يسير من البياض .

عليه و سلم و تفريغ ظاهره و باطنه لما[1] هو مامور به من الله سبحانه و تعالى من الإقبال على الله سبحانه، ففى الآية أن من اشتغل بعذره[1] وكله الله إلى نفسه، فكان ذلك كالمانع من[2] أخذ الله [له -[3]]. فاذا توكل عليه فقد أزال [ذلك المانع -[4]] .

٥ و لما كان هذا مناديا بعذابهم، و كان وصفهم بالنعمة مفهما لأنهم معتادون بالمآكل الطيبة، و كان منع[5] اللذيذ من المآكل لمن اعتاده لا يبلغ فى نكاية النفس بحد[6] نكاية البدن إلا بعد تقدم إهانة، استأنف قوله بيانا لنوع ما افهمه التهديد من مطلق العذاب، و أكد لاجل تكذيبهم[7]:

/٥٦٤ / ﴿ ان ﴾ و أشار إلى شدة غرابته و جلالته و عظمته و خصوصيته

١٠ و تحقق حضوره بقوله: ﴿لدينآ﴾ دون "عندنا". و لما كان أشد ما على الإنسان منعه مما يريد من الانبساط به بالحركات، قال ذاكرا ما يضاد ما هم فيه من النعمة و العز: ﴿ انكالا ﴾ جمع نكل بالكسر و هو القيد الثقيل الذى لا يفك أبدا إهانة لهم لاخوفا من فرارهم، جزاء على تقييدهم [أنفسهم[4]] بالشهوات عن اتباع الداعى و إيساعهم فى المشى

١٥ فى فضاء الأهوية. و لما كان [ذلك -[4]] محرقا للباطن أتبعه حريق الظاهر فقال: ﴿ و جحيما ﴾ أى نارا حامية جدا شديدة الاتقاد بما كانوا

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الى ما (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بعذره.
(٣) فى م: فى (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: مانع.
(٦) فى ظ: حد (٧) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

يتقيدون [به -[1]] من تبريد الشراب[2]، و التنعم برقيق اللباس و الثياب، و تكلف أنواع الراحة.

و لما أتم ما يقابل تكذيبهم، أتبعه ما يقابل النعمة فقال: ﴿ و طعاما ذا غصة ﴾ أى صاحب انتشاب فى الحلق كالضريع و الزقوم يشتبك فيه فلا يسوغ[3]: لا ينزل و لا يخرج بما[4] كانوا يعانونه من تصفية المآكل و المشارب[5]، و إفراغ الجهد[6] فى الظفر بجميع[6] المآرب. و لما خص عم فقال: ﴿ و عذابا اليما ﴾ أى [مؤلما -[7]] شديد الإيلام لا يدع لهم عذوبة بشىء من الأشياء أصلا بما كانوا يصفون به أوقاتهم و يكدرون على من يدعوهم إلى ما ينفعهم بالخلاص من قيود المشاهدات و العروج[8] من حضيض الشهوات إلى أوج الباقيات الصالحات.

و لما ذكر هذا العذاب ذكر ظرفه فقال: ﴿ يوم ترجف ﴾ اى تضطرب و تتزلزل زلزالا شديدا ﴿ الارض ﴾ أى كلها ﴿ و الجبال ﴾ التى هى أشدها. و لما كان التقدير: فكانت الأرض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا و لا أمتا، عطف عليه قوله: ﴿ و كانت الجبال ﴾ أى التى هى مراسى الأرض و أوتادها، و عبر عن شدة الاختلاط و التلاشى بالتوحيد فقال: ﴿ كثيبا ﴾ أى رملا مجتمعا، فعيل بمعنى

---

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الشرب (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كما. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المشرب (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: الظفر فى جميع (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: العروض.

مفعول، من كثبه - إذا جمعه، و مادة كثب [بتركيبيها كثب - [1]]
و كبث تدور على الجمع مع القرب، و تلزمه القلة، فان حقيقة القرب
قلة المسافة زمانا أو[2] مكانا، و النعومة، من كثبت التراب: درسته،
وكثب عليه - بمعنى حمل أو كر، معناه قارب ان يخالطه[3]، و كثيب الرمل:
٥ قطعة تنقاد محدودبة[4] - ناظر إلى القلة من معنى قطعة، و كل ما انصب[5] كذلك
أيضا لان الانصباب[6] عادة يكون[6] لما قل، و أما[7] نعم كثاب[8] بتقديم
الثاء و بتأخيرها أيضا أى كثير لجاءته الكثرة من الصيغة، و الكاثبة
من الفرس هو[9] أضيق موضع[9] فى عرضها، و الكثبة من الأرض:
المطمئنة بين[10] الجبال - لأنها تكون صغيرة غالبا، و[11] الكباث كسحاب[11]:
١٠ النضيج[12] من ثمر الأراك، و قيل: [13] ما لم ينضج[13]، و قيل: حمله إذا كان
متفرقا، فان أريد النضيج منه فتسميته به لأنه مجتمع، و إن أريد
/ما لم ينضج فهو من مقاربة النضج، و إن أريد المتفرق[14] فلقرب بعضه /٥٦٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ «و» (٣) من ظ و م، وفى الأصل: يخلطه (٤) من ظ و م، وفى الأصل: محدودة (٥) فى ظ: انتصب.
(٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: يكون عادة (٧) من ظ و م، وفى الاصل: لما (٨) فى ظ: كتائب (٩ - ٩) من ظ و م، و فى الأصل: موضع صيق.
(١٠) من ظ و م، و فى الأصل: من (١١ - ١١) من ظ و م، و فى الأصل: الكتاب كالسحاب (١٢) زيد فى الأصل: منه فتسميته به لانه مجتمع، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٣-١٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط.
(١٤) من ظ و م، و فى الأصل: المتفرقة.

من بعض لأن الإراك نفسه صغير الشجر، و كبث اللحم - كفرح: بات مغموما فتغير او أروح [1]أى جمع[1] على إنائه الذى هو فيه إناء آخر، أو جمع ما هو فيه حتى تضايق فهو من الجمع لهذا، و أما الكنبث كقنفذ و الثاء مؤخرة: الصلب الشديد، فهو فى الغالب من [2]جمع أجزائه و تداخل بعضها فى بعض، وتكبيث[2] السفينة أن تجنح إلى ٥ الأرض، هو من الجمع و القرب معا، و أما كثب كنانته - بمعنى نكثها، فكان فعل استعمل هنا للازالة، أى أزال اجتماعها أو بمعنى أنه قربها من رميه بتسييرها لسرعة التناول.

و لما كان الكثيب ربما أطلق مجازا على[3] ما ارتفع و إن لم يكن ناعما قال: ﴿مهيلا﴾ أى رملا سائلا رخوا لينا منثورا، من هاله - إذا ١٠ نثره، و قال الكلبى: هو الذى إذا أخذت منه شيئا تبعك[4] ما بعده. و لما ذكر العذاب و وقته و قدمهما ليكون السامع أقبل لما يطلب منه، أتبعهما السبب فيه مشيرا إلى ما به إصلاح أمر الآخرة التى فيها المعاد و إليها [5]المنتهى و المآب[5]، فقال مؤكدا لأجل تكذيبهم[6]: ﴿انآ ارسلنآ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿اليكم﴾ يا أهل مكة شرفا ١٥ لكم خاصة، و إلى كل من بلغته الدعوة عامة ﴿رسولا﴾ [أى -[7]]

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: بجمع (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تبكيث.
(٣) من ظ و م. و فى الأصل: الى (٤) من ظ، و فى الأصل: معك، و فى م: ينفك (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: المآب و المنتهى (٦) فى ظ: تعذيبهم.
(٧) زيد من ظ و م.

جدا [و - [1]] هو محمد صلى الله عليه و سلم خاتم النبيين و إمامهم صلى الله عليه و سلم ﴿ شاهدا عليكم ﴾ أى بما تصنعون ليؤدى الشهادة عند طلبها منه [2] بما هو الحق [2] يوم ننزع من كل امة شهيدا و هو يوم القيامة .

٥ و لما كانت هذه السورة من أول ما نزل و الدين ضعيف و اهله فى غاية القلة و الذلة ليعتبر بهم من آل [به - [1]] أمره إلى ان كان [3] فى زمان صار فيه الدين غريبا كغربته إذ ذاك ، و كان فرعون أعتى [4] الناس فى زمانه و اجبرهم ، و أشدهم خداعا و أمكرهم ، [و - [1]] كان بنو إسرائيل فى غاية الذل له و الطواعية لأمره ، و مع ذلك فلما أرسل الله ١٠ إليه موسى عليه السلام الذى ذبح فرعون أبناء بنى إسرائيل لأجل أن يكون فى جملة من ذبحه لأنه قيل له انه يولد لبنى [5] اسرائيل مولود يكون هلاك القبط على يده أظهره به و أهلكه على قوته و أنجى منه بنى إسرائيل على ضعفهم ، قال [تعالى - [1]] تنبيها لقريش و العرب و غيرهم على أن من كان الله معه لا ينبغى أن يقاوى [6] و لو أنه أضعف ١٥ الخلق ، و تنبيها لهم على الاعتبار بحال [7] هذا الطاغية الذى يزيد عليهم بالملك و كثرة الجنود و الأموال [8] : ﴿ كما ارسلنا ﴾ أى بما لنا من

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : صار (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اعز (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فى بنى (٦) فى ظ : يقاويه (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بحالة (٨) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

العظمة ﴿ الى فرعون ﴾ أى ملك مصر ﴿ رسولاً ﴾ و لعله نكره للتنبيه على أنه ليس من قوم فرعون[1] فلا مانع له منه من حميم و لا شفيع يطاع[2]، ليعلم أنه[3] من كانت / له قبيلة تحامى عنه أولى بالنصرة . / ٦٦

و لما كان الإرسال سببا للقبول أو الرد قال: ﴿ فعصى فرعون ﴾ أى بما له من تعوج الطباع ﴿ الرسول ﴾ أى الذى تقدم أنا أرسلناه ٥ إليه فصار معهودا لكم بعد ما أراه من المعجزات البينات[2] و الآيات الدامغات - بما أشار إليه مظهر العظمة، و لذلك سبب عن عصيانه قوله: ﴿ فاخذناه ﴾ أى بما لنا من العظمة، و بين انه[4] أخذ قهر و غضب[4] بقوله: ﴿ اخذا وبيلا ﴾ أى [5]ثقيلا شديدا متعبا[5] مضيقا ردئ العاقبة، من قولهم[6]: طعام وبيل - إذا كان وخما لا يستمرئ أى لا ينزل[7] فى ١٠ المرى و لا يخف عليه، و ذلك[8] بأن أهلكناه و من معه أجمعين لم ندع منهم أحدا، و سيأتى إن شاء الله تعالى فى «الم نشرح» قاعدة إعادة النكرة[9] و المعرفة .

و لما علم بهذا أنه سبحانه شديد الأخذ، و أنه لا يغنى ذا الجد منه الجد، سبب عن ذلك قوله محذرا لهم الاقتداء بفرعون :

---

(١) من ظ و م، وفى الأصل: مصر (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ وم، وفى الأصل: ان (٤-٤) من ظ وم، وفى الأصل: اخذه قهرا و غضبا و كيدا. (٥ - ٥) من ظ و م، وفى الأصل: شديدا مثقلا متعقبا (٦) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لا يترك. (٨) من ظ وم، وفى الأصل: كذلك (٩) من ظ وم، وفى الأصل: التنكير.

﴿ فكيف تتقون ﴾ أى توجدون الوقاية التى تقى انفسكم، و [لما -[1]] كان التنفير[2] من سبب التهديد أهم لأنه أدل على رحمة المحذر و أبعث على اجتنابه، قال مشيرا بأداة الشك إلى أن كفرهم بالله مع ما نصب لهم من الأدلة العقلية المؤيدة بالنقلية ينبغى أن لا يوجد بوجه، و إنما يذكر على سبيل الفرض و التقدير: ﴿ ان كفرتم ﴾ أى أوقعتم الستر لما غرس فى فطركم من أنوار الدلائل القائدة إلى[3] الإيمان فبقيتم على كفركم - على أن العبارة مشيرة إلى أنه عفا عنهم الكفر الماضى فلا يعده[4] عليهم رحمة منه و كرما و لا يعد عليهم إلا ما أوقعوه بعد مجىء الرسول صلى الله عليه و سلم ﴿ يوم ﴾ [اى -[1]] هو مثل فى الشدة بحيث [أنه -[1]] يقال فيه ﴿ يجعل ﴾ لشدة أهواله و زلزاله و أوجاله ﴿الولدان﴾ اى عند الولادة أو بالقرب منها ﴿ شيبا ﴾ جمع أشيب و هو من ابيض شعره، و ذلك كناية عن كثرة الهموم فيه لأن العادة جارية بأنها إذا تفاقمت أسرعت بالشيب، و المعنى إنكار أن يقدروا على أن يجعلوا لهم وقاية بغاية جهدهم تقيهم عذاب ذلك اليوم الموصوف بهذا الهول الأعظم، و ذلك حين يقول الله: «يا آدم قم فابعث[5] بعث النار من كل ألف تسعمائة و تسعة و تسعين» و أسند الجعل إلى اليوم لكونه واقعا فيه كما جعله المتقى، و إنما المتقى العذاب الواقع فيه.

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: التنكير (٣) من ظ و م، و فى الأصل: على (٤) من م، و فى الأصل و ظ: بعيد (٥) من ظ و م، و فى الأصل: و ابعث.

و لما كان هذا امرا عظيما ، صور بعض اهواله زيادة فى عظمه فقال[1] : ﴿ السمآء ﴾ أى على عظمها و علوها و شدة إحكامها . و لما كان المراد الجنس[2] الشامل للكل ذكر فقال : ﴿ منفطر ﴾ أى منشق متزايل من هيبة الرب تزايل المتفرط من السلك ، و لو أنث لكان ظاهرا فى واحدة من السماوات ، و فى اختيار التذكير ايضا لطيفة / أخرى ، ٥ / ٥٦٧
و هى إفهام الشدة الزائدة فى الهول المؤدى إلى انفطاره[3] ما هو فى غايه الشدة لأن الذكر فى كل شيء أشد من الأنثى ، و ذلك كله تهويلا لليوم المذكور[4] ﴿ به[5] ﴾ أى بشدة ذلك اليوم و باؤه للآلة ، و يجوز كونها بمعنى « فيه » أى يحصل فيه التفطر و التشقق بالغمام و نزول الملائكة و غير ذلك من القساقط و الوهى على شدة وثاقتها[6] فما ظنك ١٠ بغيرها . و لما كان هذا عظيما ، استأنف بيان هوانه[7] بالنسبة إلى عظمته سبحانه و تعالى فقال : ﴿ كان ﴾ أى على [كل -[7]] حال و بكل اعتبار ﴿ وعده ﴾ أى وعد الله الذى تقدم ذكره فى مظاهر العظمة ، فالإضافة للصدر إلى الفاعل ﴿ مفعولا ﴾ اى سهلا مفروغا[8] منه فى أى شيء كان ، فكيف إذا كان بهذا اليوم الذى هو محط الحكمة ، ١٥

(١) زيد فى الأصل : مشيرا اليه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لذكر (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الانفطاره .
(٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : وثاقها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هوله (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : مظروفا .

أو الضمير لليوم فالإضافة إلى المفعول، إشارة إلى ان الوعد الواقع به و فيه لابد منه، و معلوم أنه لا يكون إلا من الله .

و لما كان ما مضى من هـذه السورة من الاحكام و الترغيب و الترهيب مرشدا [1] إلى معالى الأخلاق منقذا من كل سوء، قال مستأنفا مؤكدا تنبيها على عظمها و أنها مما ينبغى التنبيه عليه : ﴿ ان هذه ﴾ أى القطعة [2] المتقدمة من هذه السورة ﴿ تذكرة ﴾ أى تذكير عظيم هو أهل لأن يتعظ بـه المتعظ و يعتبر به المعتبر، و لا سيما ما ذكر فيها بأهل الكفر من أنواع العقاب . و لما كان سبحانه قد جعل للانسان عقلا يدرك به الحسن و القبيح، و اختيارا يتمكن به من اتباع ما يريد، فلم يبق له مانع من جهة اختيار الأصلح و الأحسن إلا قسر المشيئة التى لا اطلاع له عليها و لا حيلة [له - [3]] فيهـا، سبب عن ذلك قوله : ﴿ فمن شآء ﴾ أى التذكر [4] للاتعاظ ﴿ اتخذ ﴾ أى أخذ [5] بغاية جهده ﴿ الى ربه ﴾ أى خاصة، لا إلى غيره ﴿ سبيلا ﴾ أى طريقا يسلبه حظوظه لكونه لا لبس فيه، فيسلك على [6] وفق ما جاءه من التذكرة، و ذلك الاعتصام حال السير بالكتاب و السنة على وفق ما اجتمعت عليه الأمة، و متى زاغ عن ذلك هلك .

و لما كان ربما تغالى بعض النـاس فى العبادة و شق على نفسه،

(١) من ظ و م، وفى الأصل : برشد (٢) من ظ و م، وفى الأصل : العظيمة. (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل : التذكير (٥) من م، وفى الأصل و ظ : اخذا (٦) زيد فى الأصل : غير، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و ربما شق على غيره، أشار سبحانه و تعالى إلى الاقتصاد تخفيفا لما يلحق الإنسان من النصب، مشيرا إلى ما يعمل حالة اتصال الروح بالجسد و هى حالة الحياة، لأن منفعتها التزود من[1] كل خير لما أدناه[2] هول المقابر، فان الروح فى غاية اللطافة، و الجسد فى غاية الكثافة، لأنها من عالم الأمر، و هو ما يكون الإيجاد فيه بمرة واحدة من غير ٥ تدريج و تطوير، و الجسد من عالم الخلق فهى غريبة فيه تحتاج إلى التأنيس، و تأنيسها بكل ما يقربها / إلى العالم الروحانى المجرد عن علائق الأجسام، و ذلك بصرف [3]القلب كله[3] عن هذه الدنايا و التلبس بالأذكار و الصلوات و جميع الأعمال الصالحات، فان ذلك هو المعين على اتصالها بعالمها العالى العزيز الغالى[4]، و أعون ما يكون على ذلك ١٠ الحكمة، و هى العدل فى الأعمال و الاقتصاد فى الأقوال و الأفعال، فقال مستأنفا الجواب عن تيسير السبيل و بنائه على الحنيفية السمحة بحيث صار لا مانع منه إلا يد القدرة: ﴿ ان ربك ﴾ أى المدبر لأمرك على ما يكون إحسانا إليك و رفقا بك و بأمتك ﴿ يعلم انك تقوم ﴾ أى فى الصلاة كما أمرت به أول السورة. ١٥

و لما كانت كثرة العمل ممدوحة و قلته بخلاف ذلك، استعار للأقل [قوله -[5]]: ﴿ ادنى ﴾ اى[6] زمانا أقل، و الأدنى[7] مشترك

(١) من ظ و م، و فى الأصل « و »(٢)من ظ و م، و فى الأصل: اردناه من.
(٣-٣) فى م: القلب، وما بين الرتبين ساقط من ظ (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ و م (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ، و فى الأصل و م: أدنى.

بين الأقرب ، و الأدون للانزل[1] رتبة لأن كلا منهما[2] يلزم منه قلة المسافة ﴿ من ثلثي الليل ﴾ فى بعض الليالى ﴿ و نصفه و ثلثه ﴾ [أى -[3]] و أدنى من كل منهما فى بعض الليالى - هذا على قراءة الجماعة ، و المعنى على قراءة ابن كثير و الكوفيين بالنصب تعيين النصف و الثلث الداخل تحت الأدنى[4] من الثلثين ، و هو على القراءتين مطابق لما وقع التخيير فيه فى أول السورة بين قيام النصف بتمامه أو الناقص منه و هو الثلث أو الزائد عليه و هو الثلثان ، أو الأقل من الأقل من النصف و هو الربع .

و لما ذكر سبحانه قيامه صلى الله عليه و سلم ، أتبعه قيام أتباعه ، فقال عاطفا على الضمير المستكن[5] فى "تقوم" و حسنه الفصل : ﴿ و طآئفة ﴾ أى و يقوم كذلك جماعة فيها أهلية التحلق باقبالهم[6] عليك[7] و إقبال بعضهم على بعض . و لما [8]كانت العادة أن[8] الصاحب ربما أطلق [على -[9]] من مع الإنسان بقوله دون قلبه عدل إلى قوله : ﴿ من الذين معك ﴾ أى بأقوالهم و أفعالهم ، أى على الإسلام[10] ، و كأنه

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : لك انزل (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : منها .
(٣) زيد من ظ و م (٤) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها .
(٥) من ظ و م ، وفى الأصل : المستتر (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : باقبالها .
(٧) زيد فى الأصل : باقبالهم عليها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٨-٨) فى ظ و م : كان (٩) زيد من م (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : الانسان .

اختار هذا دون ان يقول "من المسلمين" لأنه يفهم ان طائفة لم تقم بهذا[1] القيام[1] فلم يرد[2] ان يسميهم مسلمين، و المعية أعم.

و لما كان [القيام - [3]] على هذا التفاوت مع الاجتهاد فى السبق فى[4] العبادة دالا على عدم العلم بالمقادير على ما هى عليه قال تعالى: ﴿ و الله ﴾ أى تقومون هكذا لعدم[5] علمكم بمقادير الساعات على التحرير و الحال أن الملك المحيط بكل شىء قدرة و علما وحده ﴿ يقدر ﴾ أى تقديرا عظيما هو فى غاية التحرير ﴿ الّيل و النهار[6] ﴾ فيعلم كل دقيقة منهما على ما هى عليه لأنه خالقهما[6] و لا يوجد شىء منهما إلا به "الا يعلم من خلق"[7].

و لما علم من هذا المشقة عليهم فى قيام الليل على هذا الوجه علما و عملا، ترجم ذلك بقوله: ﴿ علم ﴾ أى الله سبحانه ﴿ ان لن تحصوه ﴾ أى تطيقوا التقدير علما و عملا، و منه قوله صلى الله عليه و سلم / «استقيموا و لن تحصوا» ﴿ فتاب ﴾ اى فتسبب عن هذا العلم أنه سبحانه / ٥٦٩ رجع بالنسخ عما كان أوجب ﴿ عليكم ﴾ بالترخيص لكم فى ترك القيام المقدر أول السورة، أى رفع التبعة[8] عنكم فى ترك القيام على ذلك

(١ - ١) فى ظ: هذا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فلم يراد (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: على (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لعلم (٦) من م، و فى الأصل و ظ: خلقهما (٧) زيد فى الأصل: الى آخره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: نسعته.

التقدير الذى قدره كما رفع عن التائب ، و كأنه سماه توبة و إن لم يكن ثم معصية إشارة إلى أنه من شأنه لثقله أن يجر إلى المعصية

و لما رفعه سبب عنه أمرهم بما يسهل عليهم فقال معبرا عن الصلاة بالقراءة لأنها أعظم أركانها إشارة إلى أن التهجد مستحب لا واجب :

٥ ﴿ فاقرءوا ﴾ أى فى الصلاة أو غيرها فى الليل و النهار ﴿ ما تيسر ﴾ أى سهل و هان إلى الغاية عليكم و لان و انقاد لكم ﴿ من القرآن ﴾ أى الكتاب الجامع لجميع ما ينفعكم، قال القشيرى : يقال : من خمس آيات إلى ما زاد، و يقال : من عشر آيات إلى ما يزيد[1]، قال البغوى[2] : قال قيس بن أبى حازم : صليت خلف ابن عباس رضى الله عنهما بالبصرة ،

١٠ فقرأ فى أول ركعة بالحمد و أول آية من البقرة، ثم قام فى الثانية فقرأ بالحمد و الآية الثانية . و قيل : إنه أمر بالقراءة مجردة إقامة [لها -[3]] مقام ما كان يجب عليهم من الصلاة بزيادة فى التخفيف ، و لذلك روى أبو داود[4] و ابن خزيمة و ابن حبان فى صحيحه عن عبد الله ابن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه

١٥ و سلم : من قام ° بعشر آيات ° لم يكتب من الغافلين ، و من قام بمائة آية كتب من القانتين ، و من قام بألف آية كتب من المقنطرين[6] . قال المنذرى : من سورة الملك إلى آخر القرآن ألف آية .

---

(١) من ظ و م، وفى الأصل : زاد (٢) راجع المعالم ٧/١٤٢ (٣) زيد من ظ و م .
(٤) راجع السنن ١/٢٠٥ (٥ - ٥) من ظ و م والسنن ، وفى الأصل : بآيات .
(٦) من ظ و م والسنن ، و فى الأصل : المقطين .

و لما كان هذا نسخا لما كان واجبا من قيام الليل اول السورة لعلمه سبحانه بعدم إحصائه، فسر ذلك العلم المجمل بعلم مفصل بيانا لحكمة أخرى للنسخ فقال: ﴿ علم ان ﴾ اى أنه ﴿ سيكون ﴾ [1] يعنى بتقدير لا بد لكم [2] منه ﴿ منكم مرضى [3] ﴾ جمع مريض، و هذه السورة من أول ما أنزل عليه صلى الله عليه و سلم، فى هذا بشارة بأن أهل ٥ الإسلام يكثرون جدا .

و لما ذكر عذر المريض و بدأ به لكونه أعم و لا قدرة للمريض على دفعه، أتبعه السفر للتجارة لأنه يليه فى العموم، فقال مبشرا مع كثرة أهل الإسلام باتساع الأرض لهم: ﴿ و [4] اخرون ﴾ [أى-] غير المرضى ﴿ يضربون ﴾ أى يوقعون الضرب ﴿ فى الارض ﴾ ١٠ أى يسافرون لأن الماشى بجد واجتهاد يضرب [4] الأرض برجله، ثم استأنف بيان علة الضرب بقوله: ﴿ يبتغون ﴾ أى يطلبون طلبا شديدا، و أشار إلى سعة ما عند الله بكونه فوق أمانيهم فقال: ﴿ من فضل الله [5] ﴾ أى بعض ما أوجده الملك الأعظم لعباده و لا حاجة [6] به إليه [6] بوجه من الربح فى التجارة او تعلم العلم ﴿ و [4] اخرون ﴾ أى منكم أيها المسلمون ١٥ ﴿ يقاتلون ﴾ أى يطلبون و يوقعون قتل أعداء الله، و لذلك بينه بقوله:

---

(١) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) من ظ و م، وفى الأصل: له اليكم .

﴿ فى سبيل الله صلى ﴾ أى ذلك القتل مظروف لطريق[1] الملك الأعظم ليزول عن سلوكه المانع لقتل قطاع الطريق المعنوى و الحسى، و أظهر و لم يضمر تعظيما للجهاد و لئلا يلبس بالعود إلى المتجر، و هو ندب لنا من الله إلى رحمة العباد و النظر فى أعذارهم، فمن لا يرحم لا يرحم،

٥ قال البغوى[2]: روى إبراهيم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: أيما رجل جلب شيئا من مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهداء، ثم قرأ عبد الله "و آخرون يضربون فى الارض يبتغون" الآية. و عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما [أنه -[3]] قال: ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل فى سبيل الله احب إلىّ من أن

١٠ أموت بين شعبتى رجل اضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله.

و لما كانت هذه أعذارا أخرى مقتضية للترخيص أو أسبابا لعدم الإحصاء، رتب عليها الحكم السابق، فقال مؤكدا للقراءة بيانا لمزيد عظمتها: ﴿ فاقرءوا ﴾ أى كل واحد منكم ﴿ما تيسر﴾ أى لكم ﴿ منه[4] ﴾ أى القرآن، أضمره[4] إعلاما بأنه عين السابق، فصار الواجب قيام شىء

١٥ من الليل على وجه التيسير، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس. و لما كان صالحا لأن يراد به الصلاة لكونه أعظم أركانها و أن يراد [به -[3]] نفسه من غير صلاة زيادة فى التخفيف، قال ترجيحا لإرادة هذا الثانى

(١) من م، و فى الأصل و ظ: بطريق (٢) راجع معالم التنزيل ٧ / ١٤٢.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: مضى.

أو تنصيصا على إرادة الأول: ﴿ و اقيموا ﴾ أى أوجدوا إقامة ﴿الصلوٰة﴾ المكتوبة بجميع الأمور التى تقوم بها من أركانها و شروطها و مقدماتها و متمماتها و هيئاتها و محسناتها و مكملاتها .

و لما ذكر بصفة الخالق التى هى [أحد - ١] عمودى الإسلام البدنى و المالى ، أتبعها العمود الآخر و هو الوصلة بين الخلائق فقال: ٥ ﴿ و اٰتوا ﴾ من طيب أموالكم التى أنعمنا بها عليكم ﴿ الزكوٰة ﴾ أى المفروضة ، و لما كان المراد الواجب المعروف ، أتبعه سائر الانفاقات المفروضة و المندوبة ، فقال: ﴿ و اقرضوا الله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له جميع صفات الكمال التى منها ٢ الغنى المطلق ، من أبدانكم و أموالكم فى أوقات صحتكم و يساركم ﴿ قرضا حسنا ٣ ﴾ من نوافل الخيرات كلها ١٠ فى جميع شرعه رغبة تامة و على هيئة جميلة فى ابتدائه و انتهائه و جميع أحواله ، فانه محفوظ لكم عنده ٤ مبارك فيه ليرده عليكم مضاعفا ٤ أحوج ما تكونون إليه .

و لما كان هذا الدين جامعا ، و كان هذا القرآن حكيما لأن منزله ٥ له صفات الكمال ٦ فأمر فى هذه الجمل بأمهات الأعمال اهتماما بها ٧ ، ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فيها (٣) زيد فى الأصل : و انه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : و انتم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : يكون ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الكلام (٧) زيد فى الأصل : ثم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

أتبع ذلك أمرا عاما بجميع شرائع الدين فقال: ﴿ و ما تقدموا ﴾ و حث على إخلاص النية بقوله: ﴿ لانفسكم ﴾ أى خاصة سلفا لأجل ما بعد الموت لا تقدرون على الأعمال ﴿ من خير ﴾ أى أىّ[1] خير كان من عبادات[2] البدن و المال[2] ﴿ تجدوه ﴾ محفوظا لكم ﴿ عند الله ﴾ اى المحيط بكل شىء قدرة و علما ﴿ هو ﴾ أى[3] لا غيره[4] ﴿ خيرا ﴾ أى لكم، و جاز وقوع الفصل بين غير معرفتين لأن «أفعل[5] من» كالمعرفة، و لذلك يمنع دخول أداة التعريف[6] عليها.

و لما كان [كل -[7]] من عمل خيرا جوزى عليه سواء كان عند الموت[8] او فى[8] الحياة سواء كان كافرا أو مسلما[9] مخلصا أو لا، إن كان مخلصا كان جزاؤه فى الآخرة و إلا ففى الدنيا، [قال -[7]]: ﴿ و اعظم اجرا[4] ﴾ أى مما لمن أوصى فى مرض الموت، [و كان -[7]] بحيث يجازى [به -[7]] فى الدنيا.

و لما كان الإنسان إذا عمل ما يمدح عليه و لا سيما إذا[10] كان المادح

(١) سقط من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م و فى الأصل: المال و البدن. (٣) زيد فى الأصل: الله تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل: يدخر لكم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل، الافعال، و فى ظ: افعال (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الصرف. (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: ام (٩) من ظ و م، وفى الأصل: المسلم (١٠) فى م: ان، والعبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة من ظ إلى «بوجه على».

له ربه ربما أدركه الإعجاب ، بين له أنه لا يقدر بوجه على أن يقدر الله حق قدره ، فلا يزال مقصرا فلا يسعه إلا العفو بل الغفر فقال حاثا على أن يكون ختام الأعمال بالاستغفار و الاعتراف بالتقصير فى خدمة المتكبر الجبار مشيرا إلى حالة انفصال روحه عن بدنه و أن صلاحها الراحة من كل شر : ﴿ و استغفروا الله[1] ﴾ أى اطلبوا و أوجدوا ٥ ستر الملك الأعظم الذى لا تحيطون بمعرفته [فكيف - [1]] بأداء حق خدمته لتقصيركم عينا و اثرا بفعل ما يرضيه و اجتناب ما يسخطه .

و لما علم من السياق و من التعبير بالاسم الأعظم أنه سبحانه بالغ فى العظمة إلى حد يؤيس من إجابته ، علل الأمر بقوله مؤكدا تقريبا لما يستبعده من يستحضر عظمته سبحانه و شدة[2] انتقامه و قوة ١٠ بطشه : ﴿ ان الله ﴾ و أظهر إعلاما بأن[3] صفاته لا تقصر آثارها على المستغفرين و لا على مطلق السائلين ﴿ غفور ﴾ أى بالغ الستر لأعيان الذنوب و آثارها حتى لا يكون عليها عتاب و لا عقاب ﴿ رحيم ﴾ أى بالغ الإكرام بعد الستر إفضالا و إحسانا و تشريفا و امتنانا ، و قد اشتملت هذه السورة على شرح قول النبى صلى الله عليه و سلم فيما أوتى ١٥ من جوامع الكلم « [اللهم - [1]] أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى و أصلح لى دنياى التى فيها معاشى و اصلح لى آخرتى التى إليها

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قدرة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ان .

منقلبي و اجعل الحياة زيادة لي في كل خير و اجعل الموت راحة لي من [1] كل شر [1]، كما أشير إلى كل جملة منها في محلها، و لقد رجع آخر السورة -بالترغيب في العمل و ذكر جزائه- على أولها الأمر بالقيام بين يديه و باشارة [2] الاستغفار إلى عظم المقام و إن جل العمل و دام و إن كان بالقيام في ظلام الليالي و الناس نيام، فسبحان من له هذا الكلام المعجز لسائر الأنام لإحاطته بالجلال و الإكرام، [3]فسبحانه من إله جابر القلوب المنكسرة [3].

(١ - ١) من ظ و م، و في الأصل: مشر (٢) من ظ و م، و في الأصل: بالاشارة الى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

سورة المدثر[1]

مقصودها الجد و الاجتهاد فى الإنذار بدار البوار لأهل الاستكبار، و إثبات البعث فى أنفس المكذبين الفجار، و الإشارة بالبشارة لأهل الادكار، بحلم العزيز / الغفار، و اسمها المدثر[2] أدل ما فيها على ذلك، ٥ / ٧٢ و ذلك واضح لمن تأمل النداء[3] و المنادى به و السبب ﴿ بسم الله ﴾ [4]الملك الأعلى الواحد القهار ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمتى الإيجاد و البيان الأبرار و الفجار ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أهل اصفيائه بالاستبصار، و التوفيق إلى ما يوصل إلى دار القرار.

لما[5] ختمت "المزمل" بالبشارة لأرباب[6] البصارة بعد ما بدئت ١٠ بالاجتهاد[7] فى الخدمة المهيئ للقيام بأعباء الدعوة، افتتحت هذه [بمحط - [8]] حكمة الرسالة و هى النذارة لأصحاب[9] الخسارة، فقال معبرا بما فيه بشارة بالسعة فى المال و الرجال و الصلاح و حسن الحال فى الحال و المآل، و معرفا بأن المخاطب فى غاية اليقظة بالقلب و إن

(١) الرابعة و السبعون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها ست و خمسون (٢) زيد فى الأصل و ظ: على، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها. (٣) من م، و فى الأصل و ظ: النداز (٤) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل و ظ: و لما (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لأهل (٧) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: لأرباب.

ستر القالب: ﴿ يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ المشتمل بثوبه، من تدثر[1] بالثوب: اشتمل به، و الدثار - بالكسر ما فوق الشعار من الثياب، و الشعار ما لاصق البدن "الأنصار شعار و الناس دثار" و الدثر: المال الكثير، و دثر الشجر: أورق، و تدثير الطائر: إصلاحه عشه، و التعبير بالأداة الصالحة للقرب و البعد يراد به غاية القرب بما عليه السياق و إن كان التعبير بالأداة فيه نوع ستر[2] لذلك مناسبة للتدثر[3]، و اختير التعبير بها[3] لأنه لا يقال بعدها إلا ما جل و عظم من الأمور، و كان الدثار لم يعم بدنه الشريف بما دل عليه التعبير بالإدغام دون[4] الإظهار الدال على المبالغة لأن المراد إنما كان ستر العين ليجتمع القلب، فيكفي في ذلك ستر الرأس و ما قاربه من البدن، و الإدغام شديد المناسبة للدثار.

و لما كان [في -[5]] حال تدثره قد لزم موضعا واحدا فلزم من ذلك إخفاء نفسه الشريفة، أمره صلى الله عليه و سلم بالقيام، و سبب عنه الإنذار إشارة إلى أن ما يراد[6] به من أنه يكون أشهر الخلق بالرسالة العامة مقتض لتشمير الذيل و الحمل على النفس بغاية الجد و الاجتهاد اللازم عنه كثرة الانتشار، فهو مناف للتدثر بكل اعتبار فقال: ﴿ قُمْ ﴾ أي مطلق قيام، و لا سيما من محل تدثرك بغاية العزم و الجد.

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: تدثره (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين في الأصل فقط (٣) من م، و في الأصل و ظ: به (٤) من ظ و م، و في الأصل: بدون. (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م، و في الأصل: يرا.

و لما كان الأمر عند نزول هذه السورة فى أوله و الناس قد عمهم[1] الفساد، ذكر أحد وصفى الرسالة إيذانا بشدة الحاجة إليه فقال مسببا عن قيامه: ﴿فانذر﴾ أى فافعل الإنذار لكل من يمكن إنذاره فأنذر من كان راقدا فى غفلاته، متدثرا بأثواب[2] سكراته، لاهيا عما أمامه من أهوال يوم القيامة، و لذا من كان مستيقظا و لكنه متدثر بأثواب تشويفاته و أغشية فتراته، فانه [يجب -[3]] على كل[4] مربوب أن يشكر ربه و إلا عاقبه بعناده له أو غفلته عنه[5] بما أقله الإعراض عنه، و حذف المفعول إشارة إلى عموم الإنذار لكل من يمكن منه المخالفة عقلا و هم جميع الخلق، و ذلك / أنه صلى الله عليه و سلم كان[6] نزل عليه جبريل عليه السلام بـ"اقرأ باسم ربك[7]" و نحوها [8]فكان بذلك نبيا[8] ثم نزلت[9] عليه هذه [الآية -[10]] فكان بها رسولا، و ذلك أنه نودى و هو فى جبل حراء، فلما سمع الصوت نظر[9] يمينا و شمالا فلم ير شيئا، فرفع راسه[11] فاذا جبريل عليه الصلاة و السلام جالس على عرش بين السماء و الأرض، ففرق[8] من ذلك[8] أشد الفرق،

/ ٥٧٣

(١) فى م: عم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى اثواب (٣) زيد من ظ و م.
(٤) زيد فى الأصل: من كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٦) زيد فى الأصل: اذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد فى الأصل: الذى خلق خلق، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨ - ٨) ما بين الرقمين بياض فى الأصل ملأناه من ظ و م.
(٩) من ظ و م. و فى الأصل: نزل (١٠) زيد من ظ (١١) من ظ و م، و فى الأصل: طرفه.

فبادر المجيء إلى البيت ترجف بوادره [١] و قال: دثرونى دثرونى، لقد خشيت على نفسى، صبوا علىّ ماءا باردا.

و لما كان الإنذار يتضمن مواجهة الناس بما يكرهون، و ذلك عظيم على الإنسان، و كان المفتر عن [٢] اتباع الداعى أحد أمرين: تركه ٥ بما يؤمر به، و طلبه عليه الأجر، كما أن الموجب لاتباعه عمله بما دعا إليه، و بعده عن أخذ الأجر عليه، أمره بتعظيم من أرسله سبحانه فانه إذا عظم حق تعظيمه صغر كل شيء دونه، فهان عليه الدعاء و [٣] كان له معينا على القبول فقال: ﴿و ربك﴾ أى [٤] المربى لك [٤] خاصة ﴿فكبر [٥]﴾ أى [٥] و قم [٥] فتسبب عن قيامك بغاية الجد [٦] و الاجتهاد أن تصفه وحده ١٠ بالكبرياء قولا و اعتقادا على كل حال، و ذلك تنزيهه عن الشرك أول كل شيء، و كذا عن كل ما لا يليق به من وصل و فصل، و من سؤال غيره، و الاشتغال بسواه.

[و - [٧]] قال الإمام أبو جعفر بن الزبير: ملاءمتها [٨] لسورة المزمل واضحة، و استفتاح السورتين من نمط واحد، و ما ابتدئت ١٥ به كل واحدة منهما من جليل خطابه عليه الصلاة [٢] و السلام و عظيم تكريمه "[٩] يايها المزمل [٩]" "يايها المدثر" و الأمر فيهما بما يخصه "قم الّيل الا قليلا نصفه" الآى، و فى الأخرى "قم فانذر

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فواده (٢) من ظ و م، و فى الأصل: على (٣) زيد فى الأصل: لما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥ - ٥) من م، و فى الأصل و ظ: فقم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الجهد (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لملايمتها (٩ - ٩) سقط ما بين الرقمين من م.

و ربك فكبر" اتبعت فى الأولى بقوله "فاصبر على ما يقولون" و فى الثانية بقوله "و لربك فاصبر" و كل ذلك قصد واحد، و أتبع أمره بالصبر فى المزمل بتهديد الكفار و وعيدهم "و ذرنى و المكذبين" الآيات، و كذلك فى الأخرى "ذرنى و من خلقت وحيدا" الآيات، فالسورتان واردتان فى معرض واحد و قصد متحد - انتهى. ٥

و لما كان تنزيه العبد عن الأدناس لأجل تنزيه المعبود، قال آمرا بتطهير الظاهر و الباطن باستكمال القوة النظرية فى تعظيمه سبحانه ليصلح أن يكون من أهل حضرته و هو أول مأمور به من رفض العادات المذمومة: ﴿و ثيابك فطهر ۝﴾ اى و قم فخص ثيابك الحسية بابعادها عن النجاسات بمجانبة عوائد المتكبرين من تطويلها، و بتطهيرها ١٠ لتصلح للوقوف فى الخدمة بالحضرة القدسية، و[1] المعنوية و هى كل ما اشتمل على العبد من الأخلاق المذمومة و العوائد السقيمة من الفترة[2] عن الخدمة و الضجر و الاسترسال مع شىء من عوائد النفس، و ذلك يهون باستكمال القوة النظرية.

و لما أمر بمجانبة القذر فى الثياب و أراد الحسية و المعنوية، / و كان ١٥ / ٧٤ ذلك ظاهرا[3] فى الحسية، و جعل ذلك كناية عن تجنب الأقذار كلها لأن من جنب ذلك [ملبسه -[4]] أبعده عن نفسه من باب الأولى،

(١) زيد فى الأصل: هى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: المعمرة (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ظاهر (٤) زيد من ظ و م.

حقق العموم و أكد فقال: ﴿ و الرجز ﴾ اى كل قـذر فانه سبب الدنايا التى هى سبب العذاب، قال فى القاموس: الرجز بالكسر و الضم: القذر و عبادة الأوثان [و العذاب] و الشرك. ﴿فاهجر ۝﴾ أى جانب جهارا و عبادة، ليحصل لك الثواب كما كنت تجانبها سرا و عادة، فحصل ٥ لك الثناء الحسن حتى أن قريشا إنما تسميك الأمين و لا تناظر لك أحدا منها.

و لما بدأ بأحد سببي القبول[1]، اتبعه الثانى المبعد عن قاصمة العمل من الإعجاب و الرياء و الملل فقال: ﴿ و لا تمنن ﴾ [أى -[2]] على أحد بدعائك له أو بشيء تعطيه له على جهة الهبة أو القرض بأن تقطع لذة ١٠ من أحسنت إليه بالتثقيل عليه بذكرك على جهة الاستعلاء و الاستكثار بما فعلته معه، [3]أو لا[3] تعط شيئا حال كونك ﴿ تستكثر ۝﴾ أى تطلب أن تعطى أجرا أو أكثر مما أعطيت - قاله ابن عباس رضى الله عنهما[4]، و هو من قولهم، منّ - إذا أعطى، و ذلك لأن الأليق بالمعطى من الخلق أن يستقل ما أعطى، و يشكر الله الذى وفقه له، [و -[2]] بالآخذ أن ١٥ يستكثر [ما أخذ -[2]]، فأمر النبي صلى الله عليه و سلم أن لا يفعل شيئا لعلة أصلا، بل لله خالصا، فانه إذا زال الاستكثار حصل الإخلاص، لأنه لا يتعلق همه بطلب الاستمثال، فكيف بالاستقلال، فيكون [العمل -[2]] فى غاية الخلوص لا يقصد به ثوابا أصلا، و لا يراد لغير وجه الله تعالى، و هذا هو النهاية فى الإخلاص.

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: القول (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) من ظ و م، و فى الأصل: او (٤) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٦٩.

و لما كان الإنذار شديدا على النفوس يحصل به من المعالجات ما الموت دونه، لأن ترك المألوفات أصعب شيء على النفوس، و كذا ترك الفوائد، قال أمرا بالتحلي بالعاصم[1] بعد التخلي عن القاصم، معلما [2]بأن الأذى[2] من المنذرين أمر لابد منه فيدخل[3] في الطاعة على بصيرة، فاقتضى الحال لذلك أن الإنذار يهون بالغنا[4] عن الفانين و الكون مع الباقي وحده، فأشار إلى ذلك بتقديم الإله معبرا عنه بوصف الإحسان ترغيبا فقال: ﴿ و لربك ﴾ أي المحسن إليك، المربي لك، المدبر لجميع مصالحك وحده ﴿ فاصبر ﴾ [أي-[5]] على مشاق التكاليف أمرا و نهيا و أذى [6]المشركين و شظف[6] العيش و جميع البلايا[7]، فانه يجزل عطاءك من خير الدارين بحيث لا يحوجك إلى أحد، و يحوج الناس إليك، و يهون عليك حمل المشاق في الدارين و لا سيما أمر يوم البعث، فان [من-[8]] حمل العمل في الدنيا حمله[9] العمل في الآخرة.

و لما كان المقام للانذار، و كان من رد الأوامر تكذيبا كفر، و من تهاون بها [10]ما أطاع[10] و لا شكر، حذر من الفتور عنها بذكر

(١) من ظ و م، و في الأصل: بالمعاصي (٢-٢) من م، و في الأصل و ظ: بالأذتى - كذا (٣) في م: ليدخل (٤) من ظ و م، و في الأصل: بالقا - كذا. (٥) زيد من م (٦-٦) من ظ و م، و في الأصل: للشركين و شظفا (٧) من ظ، و في الأصل و م: العطايا (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، و في الأصل: حمل (١٠-١٠) من ظ و م، و في الأصل: لا اطلاع.

ما للمكذب بها، فقال مسببا عن ذلك باعثا على اكتساب الخيرات من غير كسل و لا توقف، مذكرا بأن الملك [1] التقم القرن و أصغى بجبهته انتظارا [1] للأمر بالنفخ، مشيرا بالبناء للمفعول إلى هوانه لديه و خفته عليه مؤذنا بأداة التحقق أنه لابد من وقوعه: ﴿ فاذا نقر ﴾ أى نفخ
٥ و صوّت بشدة و صلابة و نفوذ و إنكاء ﴿ فى الناقور ﴾ أى الصور
/٥٧٥ و هو القرن الذى اسرافيل عليه / [2] السلام ملتقمه الآن و هو مصغ لانتظار الأمر بالنفخ فيه للقيامة، و يجوز أن يراد الأيام [3] التى يقضى فيها بالذل على الكافرين كيوم بدر و الفتح و غيرهما كما جعلت الساعة و القيامة كناية عن الموت، فقال صلى الله عليه و سلم
١٠ «من مات فقد قامت قيامته» عبر عنه بالنقر إشارة إلى أنه فى شدته [4] كالنقر فى الصلب فيكون عنه صوت هائل، و أصل النقر القرع الذى هو سبب الصوت فهو أشد من صدعك لهم بالإنذار للحذار من دار البوار، فهنالك ترد الأرواح إلى أجسادها، فيبعث الناس فيقومون من قبورهم كنفس واحدة، و ترى عاقبة الصبر، و يرى أعداؤك عاقبة
١٥ الكبر، و التعبير فيه بصيغة المبالغة و جعله فاعلا كالجاسوس إشارة إلى زيادة العظمة حتى كأنه هو الفاعل على هيئة هى فى غاية الشدة و القوة، و حذر النبى صلى الله عليه و سلم أصحابه رضى الله عنهم من النفخ فى

(١-١) من ظ، و فى الأصل: الملتقم القران و اضع جبهته، و ليست العبارة واضحة فى م (٢) جاءت صفحة من الأصل مطموسة فانتسخناها من ظ.
(٣) من م، و فى ظ: للايام (٤) فى م: شدة.

الصور و قربه فقالوا : كيف نقول يا رسول الله ؟ قال : قولوا : حسبنا الله و نعم الوكيل . و يجوز أن يكون التسبب عن الأمر بالصبر ، أى اصبر فلنأخذن بثأرك فى ذلك اليوم بما يقر عينك ، فيكون تسلية له صلى الله عليه و سلم و تهديدا لهم .

و لما ذكر هذا الشرط هل(؟) الذى صوره [بصوره -[1]] هائلة ، ٥ أجابه بقوله : ﴿ فذلك ﴾ أى الوقت الصعب الشديد العظيم الشدة جدا البالغ فى ذلك مبلغا يشار إليه إشارة ما [هو -[1]] أبعد بعيد ، و هو وقت النقر ، ثم ابدل من هذا المبتدأ زيادة فى تهويله قوله : ﴿ يومئذ ﴾ أى وقت إذ يكون ذلك النقر[2] الهائل ﴿ يوم عسير ﴾ أى بالغ العسر ﴿ على الكٰفرين ﴾ أى الذين كانوا يستهينون بالإنذار و يعرضون عنه ١٠ لأنهم راسخون فى الكفر الذى هو ستر ما يجب إظهاره من دلائل الوحدانية . و لما كان العسر قد يطلق على الشىء [و -[1]] فيه يسر من بعض الجهات أو يعالج فيرجع يسيرا ، بين أنه ليس كذلك بقوله : ﴿ غير يسير ﴾ لجمع فيه بين إثبات الشىء و نفى ضده تحقيقا لأمره و دفعا [3]للمجاز عنه[3] و تأييدا لكونه و لأنه غير منقطع بوجه ، و تقييده ١٥ بالكافرين يشعر بتيسره على المؤمنين .

و لما آذن هذا بأن أكثر الخلق يوافى يوم القيامة على كفره و خبث طويته[4] و سوء أمره و كان ذلك مما يهم لشفقته صلى الله عليه

(١) زيد من م (٢) من م ، و فى ظ : النقير (٣-٣) من م ، و فى ظ : للجازنة.
(٤) من م ، و فى ظ : طينته .

و سلم على الخلق، و لما يعلم من نصبهم[1] للعداوة، هون امرهم عليه و حقر شأنهم لديه بوعده بالكفاية بقوله مستأنفا منبها على أسباب الهلاك التى أعظمها الغرور و هو شبهة زوجتها شهوة: ﴿ ذرنى ﴾ أى اتركنى على أى حالة اتفقت ﴿ و من ﴾ أى مع كل من ﴿ خلقت ﴾ أى أوجدت من العدم و أنشأت فى أطوار الخلقة، حال كونه ﴿ وحيدا ﴾ لا مال له و لا ولد[2] / و لا شىء، و حال كونى أنا واحدا شديد الثبات فى صفة الوحدانية لم[3] يشاركنى فى صنعه[4] أحد فلم يشكر هذه النعمة بل كفرها بالشرك بالله *سبحانه القادر على إعدامه بعد ايجاده*.

/ ٥٧٦

و لما كان المطغى للانسان المكنة[6] التى قطب دائرتها المال قال: ﴿ و جعلت له ﴾ [أى -[7]] باسباب أوجدتها أنا وحدى[8] لا حول منه[9] و لا قوة بدليل أن غيره اقوى منه بدنا و قلبا و أوسع فكرا و عقلا و هو دونه فى ذلك ﴿ مالا ممدودا ﴾ أى مبسوطا واسعا ناميا[8] [كثيرا جدا -[7]] عاما لجميع أوقات وجوده، و المراد به كما يأتى الوليد ابن المغيرة، قال ابن عباس رضى الله عنهما[10]: كان له بين مكة و الطائف إبل[9] و حجور و نعم و جنان و عبيد و جوار.

(١) من م، و فى ظ: نصحهم (٢) و إلى هنا انتهى الطمس فى الأصل. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: صنعى. (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) زيد فى الأصل: هى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد من ظ و م (٨) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: له (١٠) راجع البحر المحيط ٨/٣٧٣.

[و لما كان اول ما تمتد إليه النفس بعد كثرة المال الولد، و كان أحب الولد الذكر - [1]]، قال: ﴿ و بنين ﴾ و لما كان الاحتياج إلى فراقهم و لو زمنا يسيرا شاقا، و كان الزمهم[2] له و اغناهم عن الضرب فى الأرض نعمة أخرى قال: ﴿ شهودا ﴾ اى حضورا معه لغناه عن الأسفار بكثرة المال و انتشار الخدم [و - [1]] قوة الأعوان، ٥ و هم مع حضورهم فى الذروة من الحضور بتمام العقل و قوة الحذق، فهم فى غاية المعرفة بما يزيدهم الاطلاع[3] عليه حيثما أرادهم وجدهم و تمتع بلقياهم، و مع ذلك فهم[4] اعيان المجالس و صدور المحافل كأنه لا شاهد بها غيرهم. منهم خالد الذى من الله باسلامه، فكان سيف الله تعالى و سيف رسوله صلى الله عليه و سلم. ١٠

و لما كان [هذا كناية - [1]] عن سعة الرزق و عظم الجاه، و كان من بسط له فى المال و الولد و الجاه تتوق نفسه إلى إتمام ذلك بالحفظ و التيسير، قال مستعطفا لمن كان هكذا[5] بالتذكير بنعمه: ﴿ و مهدت ﴾ اى بالتدريج و المبالغة ﴿ له ﴾ أى وطأت و بسطت و هيأت فى الرئاسة بأن جمعت له إلى ملك الأعيان ملك المعانى التى ١٥ منها القلوب، و أطلت عمره، و أزلت عنه موانع الرغد فى العيش، و وفرت اسباب الوجاهة له حتى دان لذلك الناس، و أقام ببلده مطمئنا يرجع إلى رأيه الأكابر، قال ابن عباس رضى الله عنهما[6]:

(١) زيد من ظ و م (٢) فى الأصل: الزامهم (٣) من ظ، و فى الاصل و م: للاطلاع (٤) من ظ و م، و فى الأصل: هم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: كهذا (٦) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٧٣.

وسعت له ما بين اليمن إلى الشام[١] فأكملت له من سعادة الدنيا ما أوجب التفرد فى زمانه من أهل بيته و نخذه بحيث كان يسمى الوحيد و ريحانة قريش فلم يزع هذه النعمة العظيمة : [و ت[٢]] أكد ذلك بقوله : ﴿ تمهيدا ﴾ .

٥ و لما كان قد فعل به ذلك سبحانه ، فأورثته هذه النعمة من البطر و الاستكبار على من خوله فيها ضد ما كان ينبغى له من الشكر و الازدجار[٣] ، قال محققا أنه سبحانه هو الذى وهبها له و هو الواحد القهار ، مشيرا بأداة التراخى[٤] إلى استبعاد الزيادة له على حالته هذه من عدم الشكر : ﴿ ثم ﴾ / [٥] أى بعد الأمر العظيم الذى ارتكبه من / ٥٧٧

١٠ تكذيب رسولنا صلى الله عليه و سلم ﴿ يطمع ﴾ أى بغير سبب يدلى[٦] به إلينا مما جعلناه سبب[٧] المزيد من الشكر : ﴿ ان ازيد ﴾ أى فيما آتيته من دنياه أو آخرته و هو يكذب رسولى[٨] صلى الله عليه و سلم .

و لما كان التقدير : إنه ليطمع فى ذلك لأن المال و الجاه يجران الشرف و العظمة بأيسر سعى ، هذا هو المعروف المتداول المألوف ،

١٥ استأنف زجره عن ذلك بمجامع الزجر ، علما من أعلام النبوة ، و برهانا قاطعا على صحة الرسالة ، فقال ما لا يصح أن يقوله غيره سبحانه

---

(١) فى ظ : الشمال (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الادخار .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الزيادة (٥) جاءت العبارة هنا مطموسة فى الأصل فانتسخناها من ظ (٦) من م ، و فى ظ : يدل (٧) من م ، و فى ظ : سببها (٨) من م ، و فى ظ : رسول الله :

لأنه[1] مع انه لا تردد فيه و لا امتراء طابق الواقع ، فلم يزد بعد ذلك شيئا ، بـــل لم يزل فى نقصان حتى هلك و تمت كلمات ربك صدقا و عدلا ، لا مبدل لكلماته : ﴿ كلا[1] ﴾ أى و عزتنا و جلالنا لا تكون له زيادة على ذلك أصلا ، و أما النقصان فسيرى إن استمر على تكذيبه فليرتدع عن هذا الطمع ، و ليزدجر و ليرتجع[2] ، فانه حمق محض ، ٥ و زخرف بحت ، و غرور صرف . و لما ردعه هـــذا الردع المقتضى و لابد للاذعان و صادق الإيمـان ممن لم يستول عليه الحرمان ، علله بقوله مؤكدا لإنكارهم العناد[3] و المعاد : ﴿ انه ﴾ أى هذا الموصوف ﴿ كان ﴾ بخلق كأنه جبلة [له -[4]] و طبع لا يقدر على الانفكاك عنه ﴿ لآيتنا ﴾ على ما لها من العظمة خاصة لكونها هادية إلى الوحدانية ، ١٠ لا لغيرها من الشبه القائدة إلى الشرك ﴿ عنيدا[5] ﴾ اى بالغ العناد على وجه لا يعد عناده لغيرها بسبب مزيد قبحه عنادا ، و العناد - كما قال الملوى : من كبر فى النفس أو يبس فى الطبع أو شراسة فى الأخلاق أو خبل فى العقل ، و قد جمع ذلك كله إبليس ، لأنه خلق من نار . و هى من طبعها اليبوسة و عدم الطواعية ، و حقيقته ميل عن الجادة ، و مجاوزة ١٥ للحد مع الإصرار و اللزوم ، و منه مخالفة الحق مع المعرفة بأنه حق .

و لما كان هذا محرا للتشوف إلى[5] بيان هذا الردع ، و كان العناد غلظة فى الطبع و شكاسة فى الخلـــق يوجب[5] التكد و المشقة جعل

(١) سقط من م (٢) فى م : ليرجع (٣) من م ، و فى ظ : العنادة (٤) زيد من م .
(٥) فى ظ بياض ملأناه من م .

جزاءه[1] من جنسه فقال: ﴿ سارهقه ﴾ اى الحقه بعنف و غلظة و قهر إلحاقا يغشاه و يحيط به بوعيد لا خلف فيه ﴿ صعودا ﴾[2] أى شيئا[2] من الدواهى و الأنكاد كأنه عقبة، فان الصعود لغة العقبة شاق المصعد جدا، و روى الترمذى[3] عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى، و فى رواية[4]: انه كلما وضع يده فى معالجة الصعود ذابت، فاذا رفعها عادت و كذا رجله، و قال الكلبى[4]: إنه صخرة ملساء فى[5] / النار يكلف أن يصعدها يجذب /٥٧٨ من أمامه بسلاسل الحديد، و يضرب من خلفه بمقامع[6] الحديد فيصعدها[7] فى أربعين [عاما ـ[8]]، فاذا بلغ ذروتها أسقط إلى[9] أسفلها ثم يكلف أن يصعدها، فذلك دأبه أبدا.

و لما حصل التشوف إلى بعض ما عاند به الآيات، قال مبينا لذلك مؤكدا لاستبعاد العقلاء لما صنع لبعده عن الصواب و معرفة كل ذى لب أنه كذب: ﴿ انه ﴾ أى هذا العنيد ﴿ فكر ﴾ أى ردد[10] فكره و اداره تابعا لهواه لاجل الوقوع على شىء يطعن به فى القرآن ﴿ و قدر ﴾ أى أوقع تقديرا للامور التى يطعن بها فيه وقايتها

(١) من م، وفى ظ: جزاء (٢ ـ ٢) ما بين الرقمين بياض فى ظ ملأناه من م.
(٣) راجع الجامع ٢/١٦٨ (٤) راجع المعالم ٧/١٤٦ (٥) و إلى هنا انتهى الطمس فى الأصل (٦) من ظ و المعالم، و فى الأصل: مقامع (٧) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل: فصعد (٨) زيد من ظ و م و المعالم (٩) من م و المعالم، و فى الأصل و ظ: فى (١٠) من ظ و م، و فى الاصل: رد.

فى نفسه ليعلم أيها اقرب [1] إلى القبول [1] . و لما كان تفكيره و تقديره قد أوقع غيره فى الهلاك بمنعه من حياة الإيمان أصيب هو بما منعه [2] من حياة نافعة فى الدارين ، و ذلك هو الهلاك [3] الدائم . و لما كان الضار إنما هو الهلاك لا كونه من معين ، سبب عن ذلك بانيا للمفعول قوله مخبرا [و - [4]] داعيا دعاءا مجابا لا يمكن تخلفه : ﴿فقتل﴾ أى هلك و لعن و طرد فى دنياه هذه . و لما كان التقدير غاية التفكير ، و كان التفكير ينبغى أن يهديه إلى الصواب ، فقاده إلى الغى ، عجب منه فقال منكرا عليه معبرا بأداة الاستفهام إشارة إلى أنه مما يتعجب منه و يسأل عنه : ﴿كيف قدر﴾ أى على أى كيفية أوقع تقديره هذا ، و إذا أنكر [مطلق - [4]] الكيفية لكونها لا تكاد ابطالانها تحقق ، كان إنكار الكيف أحق .

و لما كان وقوعه فى هذا الطعن عظيما [جدا لما فيه من الكذب المفضوح و من معاندة من هو القوى المتين المنتقم القهار العظيم - [4]] و من غير ذلك من الوجوه المبعدة عن الوقوع فيه ، أكد المعنى زجرا عن مثله و حثا على التوبة منه ، فقال معبرا بأداة البعد دلالة على عظمة هذا القتل بالتعبير بها و بالتكرار : ﴿ثم قتل﴾ أى هلك و لعن هذا العنيد هلاكا و لعنا هو فى غاية العظمة فيما بعد الموت فى البرزخ و القيامة ﴿كيف قدر﴾ و لما كان [5] الماهر بالنظر إذا فكر وصحح فكره [6] نظر فى

(١-١) فى ظ : للقبول (٢) فى ظ : يمنعه (٣) من ظ وم ، وفى الأصل : النعيم .
(٤) زيد من ظ وم (٥) زيد فى ظ : الانسان (٦) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ وم فحذفناها .

لوازمه قال مشيرا إلى طول ترويه: ﴿ثم نظر﴾ اى فيما يدفع به امر القرآن مرة بعد أخرى، و فى ذلك إشارة إلى قبح أفعاله، فظهور الحق له مع إصراره[1] فان تكرار النظر فى الحق لا يزيده على كل حال إلا ظهورا، و فى الباطل لا يزيده إلا ضعفا و فتورا.

٥ و لما كان من فعل كذلك[2] فظهر له فساد رأيه و وقف مع حظ نفسه يصير يعبس[3] و يفعل أشياء تتغير لها خلقته من غير اختياره قال: ﴿ثم عبس﴾ اى قطب وجهه و كلح فتربد وجهه مع تقبض جلده[4] ما بين العينين بكراهة شديدة كالمهتم المتفكر[5] فى شيء و هو لا يجد فيه فرجا لأنه ضاقت عليه الحيل لكونه لم يجد فيما جاء به النبى صلى الله عليه و سلم

١٠ مطعنا ﴿و بسر﴾ إتباع لعبس تأكيدا / لها، و ربما افهمت أنه سبر[7] ٥٧٩ / ما قاله و وزنه بميزان الفكر و تتبعه تتبعا مفرطا[8] حتى رسخت فيه قدمه، كذا قالوا إنها إتباع إن أريد به التأكيد و إلا فقد وردت مفردة، قال فى القاموس: بسر - إذا عبس، و بسر الحاجة: طلبها فى غير اوانها، و بسر الدين: تقاضاه قبل محله، فكأنه لما طال عليه التفكير صار

١٥ يستعجل حصوله إلى مراده، و يقال: بسر - إذا ابتدأ الشيء، فكأنه[9] لما عبس خطر له السحر فابتدأ فى إبداء ما سنح له من امره، قال ابن برجان:

---

(١) فى ظ: اضطراره (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بذلك (٣) من م، و فى الأصل و ظ: يعيش (٤) فى م: الجلد (٥) فى ظ و م: التفكر (٦) جاءت العبارة هنا مطموسة فى الأصل فانتسخناها من ظ (٧) من م، و فى ظ: بصر. (٨) من م، و فى ظ: فيه - كذا.

البسور هيئة فى الوجه تدل على تحزن فى القلب .

و لما كان هذا النظر على هذا الوجه أمدح شيء للنظور فيه إذا لم يوصل[1] منه إلى طعن، و كان ظاهره أنه لتطلب الحق، فكان الإصرار معه على الباطل فى غاية البعد، قال دالا على ذلك من المدح و عدم وجدان الطعن معبرا بأداة البعد : ﴿ ثم ﴾ اى بعد هذا التروى العظيم ٥ ﴿ادبر﴾ [أى -[2]] عما اداه إليه فكره من الإيمان بسلامة المنظور فيه و علوه عن المطاعن، فحاد عن وجوه الأفكار إلى أقفائها ﴿واستكبر﴾ أى [و -[2]] أوجد الكبر عن الاعتراف بالحق إيجاد من هو فى غاية الرغبة فيه، و كان هذا غاية العناد، فكان معنى العنيد ﴿ فقال ﴾ أى عقب ما جره إليه طبعه الخبيث من إيقاع الكبر على هذا الوجه لكونه ١٠ رآه نافعا لهم فى الدنيا و لم يفكر فى عاقبة[3] ذلك من جهة الله، و أنه سبحانه لا يهدى كيد الخائنين و لا ينجح مراد الكاذبين، و نحو هذا مما جربوه فى دنياهم فكيف رقى نظره إلى أمر الآخرة، و أكد الكلام لما يعلم من إنكار من يسمعه فقال : ﴿ ان ﴾ أى ما ﴿ هذآ ﴾ أى [الذى -[2]] أتى به محمد صلى الله عليه و سلم ﴿ الا سحر ﴾ أى أمور ١٥ تخييلية لا حقائق لها، و هى لدقتها بحيث تخفى أسبابها .

و لما كان من المعلوم لهم[4] أن محمدا صلى الله عليه و سلم ما سحر قط و لا تعلم سحرا، فكان من ادعى ذلك علم كذبه بأدنى نظر بعد

(١) زيد فى ظ : شيئا، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) زيد من م (٣) من م، و فى ظ : عقبة (٤) سقط من م .

الأمر بقدر استطاعته فقال: ﴿يؤثر﴾ اى من شأنه ان ينقله السامع له عن غيره، فهو لقوة سحريته و إفراطها فى بابها يفرق[1] بمجرد الرواية بين المرء و زوجه و بين المرء و أبيه و ابنه إلى غير ذلك من العجائب التى تنشأ عنه. و لما كان السامع يجوز أن يكون مأثورا عن الله فيوجب له ذلك الرغبة فيه، قال من غير عاطف كالمبين للأول و المؤكد له، و ساقه على وجه التأكيد بالحصر لعلمه أن كل ذى بصيرة ينكر كلامه: ﴿ان﴾ اى ما ﴿هذا﴾ أى القرآن ﴿الا قول البشر﴾ أى ليس فيه شيء عن الله فلا يغتر أحد به و لا يعرج عليه، و قد مدحه بهذا الذم بعد هذا التفكير كله من حيث انه اثبت أنه معجوز عنه لأغلب الناس[2] / كما يعجزون عن السحر فسكت ألفا و نطق خلفا، فكان شبيها من بعض الوجوه بما قاله بعضهم[3]: ٥٨٠ /

لو قيل: كم خمس و خمس، لاغتدى يوما و ليلته يعد و يحسب
و يقول معضلة عجيب أمرها و لئن عجبت لها لأمرى أعجب
حتى إذا خدرت[4] يداه و عورت عيناه[5] مما قد يخط و يكتب
أوفى على شرف[6] و قال ألا انظروا و يكاد من فرح يجن و يسلب
خمس و خمس ستة أو سبعة قولان قالهما الخليل و ثعلب

و هكذا كل حق يجد المبالغ فى ذمه لا ينفك ذمه عن إفهام مدح له

(١) من م، و فى ظ: يفرط (٢) و إلى هنا انتهى الطمس فى الأصل (٣) زيد فى الأصل: حيث قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اخدرت (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يمناه (٦) من م، و فى الأصل و ظ: خطر.

ينقض كلامه ، و لكن أين النقاد المعدود من الأفراد بين العباد [١] ، و هذا الكلام صالح لعموم كل من خلقه سبحانه هكذا فى الروغان من الحق لما تفضل الله به عليه من الرئاسة لأن أهل العظمة فى الدنيا هم فى الغالب القائمون فى رد الحق و التعاظم على أهله كما ذكر هنا و لا ينافى ذلك [٢] ما قالوه : إنها نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى ، بل ذلك من إعجاز كلام الله تعالى أن تنزل [٣] الآية فى شخص فتبين حاله غاية البيان و يعم غيره ذلك البيان ، قالوا : كان للوليد هذا عشرة من البنين ، كل واحد منهم كبير قبيلة ، و لهم عبيد يسافرون فى تجاراتهم و يعملون احتياجاتهم ، و لا يحوجونهم إلى الخروج من البلد لتجارة و لا غيرها ، و أسلم منهم ثلاثة : الوليد بن الوليد و خالد و هشام ، و قيل [٤] : أنه لما نزل [٥] على النبى صلى الله عليه و سلم أول سورة غافر إلى قوله [٦] " المصير " أو أول " فصلت " قرأها النبى صلى الله عليه و سلم فى المسجد و الوليد يسمعه ، فأعاد القراءة فانطلق الوليد حتى أتى مجلس قومه بنى مخزوم ، فقال : و الله لقد سمعت من محمد صلى الله عليه و سلم [آنفا - [٧]] كلاما ما هو من كلام الإنس و لا من كلام الجن ، إن له لحلاوة و إن عليه لطلاوة ، و إن أعلاه لمثمر [٧] و إن أسفله لمغدق ، و إنه ليعلو و لا يعلى [٩] ، ثم انصرف

(١) من ظ ، و فى الأصل و م : الافراد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكر (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : تنزلت (٤) راجع المعالم ١٤٦/٧ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : نزلت (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد من ظ و م و المعالم. (٨) من ظ و م و المعالم ، و فى الأصل : لملم - كذا (٩) زيد فى الأصل و ظ : عليه ، و لم تكن الزيادة فى م و المعالم فحذفناها .

فقالت قريش: صبا و الله الوليد، و الله لتصبون قريش كلها، [1]و كان يقال للوليد [1] ريحانة قريش، فقال ابن أخيه أبوجهل: أنا أكفيكموه، فقعد إلى جنب الوليد حزينا، فقال الوليد: مالى أراك حزينا يا ابن أخى؟ قال: و ما يمنعنى و هذه قريش تجمع لك نفقة تعينك بها على كبر سنك و تزعم أنك صبوت، لتدخل على ابن أبى كبشة و ابن أبى قحافة لتنال[2] من فضل طعامهم، فغضب الوليد و قال: ألم تعلم قريش أنى [3]من أكثرها [3] مالا و ولدا، و هل شبع محمد و اصحابه من الطعام فيكون لهم فضل؟ ثم قام مع أبى جهل حتى أتى مجلس قومه و [4]أداروا الرأى [4] فيما يقولونه فى القرآن فقالوا له: [5]ما تقول [5] فى هذا [الذى ـ [6]] جاء به محمد صلى الله عليه و سلم؟ قال: قولوا أسمع لكم، قالوا: شعر، قال: ليس بشعر، قد علمنا الشعر كله، و فى رواية: هل [رأيتموه ـ [6]] يتعاطى شعرا؟ قالوا: كهانة، قال: ليس بكهانة، هل رأيتموه يتكهن؟ فعدوا أنواع البهت التى رموا بها القرآن فردها، و أقام الدليل على ردها، و قال: لا تقولوا شيئا من ذلك إلا أعلم أنه كذب، قالوا: فقل أنت و أقم لنا فيه رأيا نجتمع عليه، قال: أقرب ذلك إليه السحر، هو يفرق بين المرء وأبيه و بين المرء[7] و زوجه و عشيرته، فافترقوا على ذلك، و كان

(١-١) من ظ و م والمعالم، و فى الأصل: لولد الوليد (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لتناول (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: اعظمهم، و فى المعالم: من اكثرهم (٤-٤) من ظ و فى الأصل: دارونها ـ كذا، ومن هنا يتحول السياق من المعالم (٥ ـ ٥) من ظ، و فى الأصل: انك، و هنا سقطة فى م (٦) زيد من ظ و م (٧) زيد فى الأصل: و ابنه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

قوله هذا سبب هلاكه فكان كما قال بعضهم :

احفظ لسانك أيها الإنسان لا يلدغنك إنه ثعبان

كم فى المقابر من قتيل لسانه كانت تخاف[1] لقاءه الشجعان

و لما انقضى بيان عناده لحصل التشوف لتفصيل جزائه فى[2] معاده، قال مبينا لبعض[3] ما أفهمه إرهاقه الصعود : ﴿ ساصليه ﴾ أى بوعيد لابد منه عن[4] قرب ﴿ سقر ﴾ أى الدركة النارية التى تفعل فى الأدمغة من شدة حموها ما يجل عن الوصف، فأدخله إياها و ألوّحه فى الشدائد حرها و أذيب دماغه بها، و أسيل ذهنه و كل عصاراته[5] بشديد حرها جزاء على تفكيره هذا الذى قدره و تخيله و صوره بادارته[6] فى طبقات دماغه ليحرق أكباد[7] اولياء الله و أصفيائه[7] .

و لما أثبت له هذا العذاب عظمه و هوله بقوله : ﴿ و ما ادرٰك ﴾ أى أعلمك و إن اجتهدت فى البحث ﴿ ما سقر ﴾ يعنى ان علم هذا خارج عن طوق البشر لا يمكن[8] أن يصل اليه أحد منهم إلا باعلام الله له لأنه أعظم من أن يطلع عليه بشر . و لما أثبت لها هذه العظمة، زادها عظما ببيان فعلها دون شرح ماهيتها [فقال -[9]] : ﴿ لا تبقى ﴾ أى [10]سقر هذه لا تترك[10] شيئا يلقى فيها على حالة البقاء على ما كان

(١) فى ظ : تهاب (٢) من م ، وفى الأصل و ظ : من (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : لتقص (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : من (٥) من م ، و فى الأصل وظ : غصارته (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : باداراته (٧-٧) فى ظ و م : اصفياء الله وأوليائه (٨) من ظ و م ، وفى الاصل : لا يقدر (٩) زيد من ظ و م . (١٠-١٠) فى ظ و م : لا تترك سقر .

عليه ﴿ولا تذرﷺ﴾ أى تترك على حالة من الحالات و لو كانت أقبح الحالات فضلاعما دونها ، بل هى دائمة الإهلاك لكل ما أذن لها فيه ، و التغيير لأحوال ما أذن لها فى عذابه ، و لم يؤذن فى محقه بالكلية ، لكل شىء فترة و ملال دونها .

٥ و لما كان تغير حال الإنسان إلى دون ما هو عليه غائظا له موجعا إذا[1] كان ذلك تغير لونه لأن الظاهر عنوان الباطن ، قال الله تعالى دالا على شدة فعلها فى ذلك : ﴿ لواحة ﴾ أى شديدة التغيير بالسواد و الزرقة و اللمع و الاضطراب [و التعطيش و نحوها -[2]] من الإفساد من شدة حرها ، تقول العرب : لاحت النار الشىء - إذا أحرقته وسودته

١٠ ﴿للبشرﷺ﴾ أى للناس أو لجلودهم ، جمع بشرة وجمع البشر أبشار ﴿عليها﴾ أى مطلق النار بقرينة ما يأتى من الخزنة ﴿ تسعة عشرﷺ ﴾ أى ملكا ، لطبقة المؤمنين و هى العليا ملك واحد ، وللست[3] الباقية ثمانية عشر ، لكل واحدة ثلاثة ، لأن الواحد يؤازر بثان ، و هما يعززان بثالث ، فلذا و الله أعلم كانوا ثلاثة ، أو لأن الكفر يكون بالله و كتابه و رسوله

١٥ صلى الله عليه و سلم ، فكان لكل تكذيب فى كل طبقة من طبقاتها الست ملك أو صنف من الملائكة ، و على الأول فى كونهم أشخاصا بأعيانهم أكثر المفسرين ، و قد علم مما مضى أنهم غلاظ شداد[4] كل واحد منهم يكفى[4] لأهله الأرض كلهم كما أن ملكا واحدا وكل

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : ان (٢) زيد من ظ ، والعبارة فى م مطموسة .
(٣) من ظ ، و فى الأصل و م : للسنة (٤-٤) فى ظ : يكفى كل واحد منهم

بقبض جميع الأرواح، و جاء فى الآثار[١] ان أعينهم كالبرق الخاطف، و انيابهم كالصياصى، يخرج لهب[٢] النار من أفواههم، ما بين منكبى أحدهم مسيرة سنة، نزعت منهم الرحمة[٣]، يدفع أحدهم سبعين ألفا فيرميهم حيث أراد من جهنم، قال عمرو بن دينار: إن واحدا[٤] منهم يدفع بالدفعة الواحدة[٥] أكثر من ربيعة و مضر. و قيل: إن هذه العدة لمكافأة ما فى الإنسان من القوى التى بها ينتظم قوامه، و هى الحواس الخمس الظاهرة: السمع و البصر و الشم و الذوق و اللمس، و الخمس الباطنة[٦]: المتخيلة و الواهمة و المفكرة و الحافظة و الذاكرة، و قوتا الشهوة و الغضب، و القوى الطبيعية السبع: الماسكة و الهاضمة و الجاذبة و الدافعة و الغاذية و النامية و المولدة، و قيل: اختير هذا العدد لأن التسعة نهاية الآحاد، و العشرة بداية العشرات، فصار مجموعها[٧] جامعا لأكثر القليل و أقل الكثير، فكان[٨] أجمع الأعداد، فكان إشارة إلى ان خزنتها أجمع الجموع، و يروى[٩] عن ابن مسعود رضى الله عنه أن قراءة البسملة تنجى

(١) راجع المعالم ٧ / ١٤٧ (٢) من ظ و المعالم، و فى الأصل و م: لهيب. (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م و المعالم فحذفناها (٤) من ظ و م والمعالم، و فى الأصل: الواحد (٥) زيد فى الأصل: فيجمع فيها عدد، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها، و زيد فى المعالم: جهنم (٦) زيد فى الأصل: و هى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: مجموعا (٨) من ظ و م، وفى الأصل: وكان (٩) من م، و فى الأصل و ظ: روى.

من خزنة النار[1] فانها تسعة عشر حرفا، كل حرف منها لملك منهم .

و لما كان هذا غير مميز للعدود[2]، و كانت الحكمة فى [3]تعيين هذا[3] العد غير ظاهرة ، و كان هذا العدد مما يستقله المتعنت فيزيده كفرا ، [قال تعالى - [4]] مبينا لذلك : ﴿ و ما جعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة و إن خفى وجه العظمة فيه على من عمى قلبه[5] ﴿ اصحب النار ﴾ أى خزنتها ﴿ الا ملـٓئكة ص ﴾ أى [6]إنهم ليسوا[6] من جنس المعذبين فيرقوا لهم و يطيق المعذبون محاولتهم أو يستريحوا إليهم و هم أقوى الخلق ، و قد تكرر عليكم ذكرهم و علمتم أوصافهم و أنهم ليسوا كالبشر بل الواحد منهم يصيح صيحة واحدة فيهلك[7] مدينة كاملة كما وقع لثمود ، فكيف إذا كان كل واحد من هؤلاء الخزنة رئيسا[8] تحت يده من الجنود ما لا يحصيه إلا الله تعالى ﴿ و ما جعلنا ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ عدتهم ﴾ أى مذكورة و محصورة فيما ذكرنا ﴿ الا فتنة ﴾ أى حالة مخالطة مميلة محيلة ﴿ للذين كفروا ﴾ أى أوجدوا هذا الوصف و لو على أدنى الوجوه ، فانهم يستقلونه و يستهزؤن [به -[9]] و يتعنتون أنواعا من التعنت بحيث أن[9] بعض أغبياء قريش[10] و هو أبو جهل ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : جهنم (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : للحدود .
(٣-٣) من ظ ، و فى الأصل و م : هذا تعيين (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه (٦-٦) فى ظ : فليسوا (٧) زيد فى الأصل : أهل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : رئيس (٩) زيد من ظ و م (١٠) و من هنا تعرضت صفحة من الأصل للطمس فانتسخناها من ظ ، و نسخة م أيضا مطموسة بعض الطمس (١١) راجع المعالم ٧ / ١٤٧ .

قال

قال: ثكلتكم امهاتكم، أسمع ابن ابى كبشة يقول كذا و أنتم الدهم، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم، فقال أبو الأشد بن أسيد بن كلدة الجمحى - وكان شديد البطش: أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين، و هذا كله على سبيل الاستهزاء، فانهم مكذبون بالبعث الذى هذا من آثاره، و كان فى علم أهل الكتاب[1] أن هذه ٥ العدة عدتهم، و أن العرب إذا سمعوا هذه العدة كانت سببا لشك أكثرهم و موضعا للتعنت، فلذلك علق بالفتنة أو بـ" جعلنا" قوله: ﴿ليستيقن﴾ أى يوجد اليقين إيجادا تاما كأنه بغاية الرغبة ﴿الذين اوتوا الكتب﴾ بناه للمفعول لأن مطلق الإيتاء[2] كاف فى ذلك من غير احتياج إلى تعيين المؤتى[3] مع أنه معروف أنه هو الله، قال البغوى[4]: مكتوب فى التوراة ١٠ و الإنجيل أنهم تسعة عشر. ﴿و يزدا الذين امنوآ﴾ أى أوجدوا هذه الحقيقة و لو على أدنى الوجوه إلى ما عندهم من الإيمان ﴿ايمانا﴾ بتصديق ما لم يعلموا وجه حكمته لاسيما مع افتنان غيرهم به و كثرة كلامهم فيه، فان الإيمان بمثل ذلك يكون أعظم.

و لما أثبت لكل من الجاهل و العالم ما أثبت، اكده بنفى ضده ١٥ مبينا للفتنه فقال: ﴿و لا يرتاب﴾ أى يشك شكا يحصل بتعمد و تكسب ﴿الذين اوتوا الكتب﴾ لما[5] عندهم من العلم المطابق لذلك، قال ابن برجان: و روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن قوما من أهل

(١) زيد فى ظ: به، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من م، وفى ظ: الاعطاء. (٣) من م، وفى ظ المعطى (٤) فى المعالم ٧ / ١٤٨ (٥) من م، وفى ظ: ما.

الكتاب جاؤا اليه فى قضية - فيها طول، و فيها انهم[1] سالوه عن خزنة جهنم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم بيده هكذا و هكذا، فى مرة عشرة و فى مرة تسعة، فقالوا: بارك الله فيك يا أبا القاسم، ثم سألهم: ما خزنة الجنة؟ فسكتوا هيبة [ثم -[2]] قالوا: خبزة يا أبا القاسم، فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: الخبزة من الدرمك ﴿و المؤمنون﴾ أى لا يرتاب الذين رسخ الإيمان عندهم لما راوا من من الدلائل التى جعلتهم فى[3] مثل ضوء النهار ﴿و ليقول الذين﴾ استقر ﴿فى قلوبهم﴾ مرض أى شك أو نفاق و إن قل، و نزول هذه السورة قبل وجود المنافقين علم من أعلام النبوة، ولا ينكر جعل الله تعالى بعض الأمور علة لمصالح ناس و فساد آخرين، لأنه لا يسئل عما يفعل على أن العلة قد تكون مقصودة لشىء بالقصد الأول، ثم يرتب عليها شىء آخر يكون قصده بالقصد الثانى تقول: [خرجت -[2]] من البلد لمخالفة أكثر و مخافة الشر لا يتعلق بها الغرض ﴿و الكفرون﴾ أى و يقول الراسخون فى الكفر الجازمون بالتكذيب المجاهرون به الساترون لما دلت عليه الأدلة من الحق ﴿ماذآ﴾ أى أى شىء ﴿اراد الله﴾ اى الملك الذى له جميع العظمة ﴿بهذا﴾: أى العدد القليل فى جنب عظمته ﴿مثلا[4]﴾ أى من جهة أنه صار بذلك مستغربا استغراب المثل، أو أن ذلك إشارة إلى أنه ليس المراد به ظاهره بل

(١) فى م: ان (٢) زيد من م (٣) من م، و فى ظ: من (٤) الى هنا انتهى الطمس فى الأصل.

مثل لشيء لم يفهموه و فهموا أن / بين استجماعه للعظمة و هذا العدد ٥٨٤ /
عنادا ، و ما علموا أن القليل من حيث العدد [١] قد يكون أعظم بقوته
من الكثير العدد ، و يكون ادل على استجماع العظمة . و لما كان
التقدير[١] : أراد بهذا إضلال من ضل [٢] و هو لا يبالى ، و هداية من اهتدى
و هو لا يبالى ، [٣] كان كأنه[٣] قيل : هل يفعل[٤] مثل هذا فى غير هذا ؟ ٥
فقال[٥] جوابا : ﴿ كذلك ﴾ أى مثل هذا المذكور من الإضلال و الهداية
﴿ يضل الله ﴾ أى الذى له مجامع العظمة و معاقد العز ﴿ من يشآء ﴾
بأى كلام شاء ﴿ و يهدى ﴾ بقدرته التامة ﴿ من يشآء [٦] ﴾ بنفس ذلك
الكلام أو[٦] بغيره ، و ذلك من حكم جعل الخزنة تسعة عشر و الإخبار
عنهم بتلك العدة فان إبراز الأحكام على وجه الغموض من أعظم ١٠
المهلكات و المسعدات . [٧] لأن المنحرف[٧] الطباع يبحث عن عللها بحث
متعنت ، فاذا عميت عليه قطع ببطلان تلك الأحكام أو شك ، و ربما
أبى الانقياد ، و ذلك هو سبب كفر إبليس ، و المستقيم المزاج [يبحث -[٨]]
مع التسليم فان ظهر له الأمر ازداد تسليما و إلا قال : آمنت بذلك
كل من عند ربنا - فكان فى غاية ما يكون من تمام الانقياد لما[٨] ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اصل .
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كانه كان (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الفعل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قال (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : « و » (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لا من مسخرف (٨) زيد فى ظ ، لا - كذا .

يعلم سره - رزقنا الله التسليم لأمره و أعاننا على ذكره و شكره .

و لما كان هذا مما يوهم [١] قلة جنوده تعالى ، أتبعه ما [٢] يزيل ذلك فقال : ﴿ و ما ﴾ أى و الحال انه ما ﴿ يعلم جنود ربك ﴾ أى المحسن إليك بأنواع الإحسان المدبر لأمرك بغاية الإتقان من جعل النار وخزنتها ٥ و جعلهم على هذه العدة و غير ذلك ، فلا تعلم عدتهم لأجل كثرتهم و خروجهم عن طوق المخلوق و ما هم عليه من الأوصاف فى الأجساد و المعانى ﴿ الا هو [٣] ﴾ أى الملك الأعظم المحيط بصفات الكمال ، فلو أراد لجعل الخزنة اكثر من ذلك ، فقد روى أن البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لاتعود إليهم [٤] نوبة أخرى ، و قد ورد أن ١٠ الأرض فى السماء كحلقة ملقاة [فى فلاة - [٤]] وكل سماء فى التى فوقها كذلك ، و قد ورد فى الخبر [٥] : أطت السماء و حق لها ان تئط [٦] ما فيها موضع قدم إلا و فيه [٧] ملك قائم يصلى . و إنما خص هذا العدد لحكم لا يعلمها إلا هو ، و من اراد [٨] إطلاعه على ذلك من عباده مع أن [٩] الكفاية تقع بدون ذلك ، فقد كان فى [١٠] الملائكة من اقتلع مدائن قوم لوط و هى ١٥ سبع [١١] و رفعها [١١] إلى عنان السماء . و كل ما فى الإنسان من الجواهر

(١) من ظ ، و فى الأصل : يفهم (٢) من ظ ، و فى الأصل : بما (٣) من ظ و م ، و فى الاصل : اليه (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع جامع الترمذى - الزهد (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : توط (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فيها . (٨) من م ، و فى الاصل و ظ : اراده (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : من . (١٠) فى الأصل : سبعة ، و زيد فى الأصل بعد : مداين و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و الإعراض

و الإعراض من جنود الله [١] لو سلط [١] عليه شيء من نفسه لأهلكه : لو تحرك عرق ساكن أو سكن متحرك أو انسد مجوف أو تجوف منسد لهلك .

و لما ذكر شيئا من أسرار سوق الأخبار عنها غامضا ، و كان ذلك من رحمة العباد ليفتح لهم بابا إلى التسليم لما يغمض من تذكيرهم ٥ بأمر مليكهم لأن العاجز لايسعه فى المشى على قانون الحكمة إلا التسليم للقادر و إلا أهلك نفسه و ما ضر غيرها ، خص أمرها فى التذكير تأكيدا للاعلام تذكيرا [٢] بالنعمة لأجل ما [٣] لأغلب المخاطبين من اعوجاج الطباع المقتضى للرد و الإنكار ، المقتضى / لسوق الكلام على وجه / ٥٨٥ التأكيد فقال : ﴿ و ما هى ﴾ أى النار التى هى [من - [٣]] أعظم جنوده ١٠ سبحانه و تعالى ﴿ الا ذكرى للبشر [٤] ﴾ أى تذكرة عظيمة [٤] لكل من [٤] هو ظاهر البشرة فبدنه أقبل شيء للتأثر بها لأجل ما يعرفون منها فى دنياهم ، و إلا فهو سبحانه و تعالى قادر على إيجاد ما هو أشد منها و أعظم و أكثر إيلاما مما لا يعلمه الخلائق .

و لما كان حصرها فى الذكرى ربما أوهم نقصا فى أمرها يوجب ١٥ لبعض المعاندين ريبة فى عظمه و أنه لا حقيقة لها و [٥] لا عذاب فيها ، قال رادعا من ذلك و منبها على الاستعداد [٦] و الحذر [٦] بكلمة الردع

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : يسلط (٢-٢) من ظ ، و فى الأصل و م: للنعمة يجعل ما (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ ، و فى الأصل و م : لمن . (٥) من ظ ، و فى الأصل و م : لو (٦-٦) من ظ ، و فى الأصل و م : فالحذر .

والتنبيه: ﴿ كلا ﴾ اى إياك أن ترتاب فى[1] اهوالها وعظيم أمرها وأحوالها وأوجالها لأن الأمر أطم وأعظم مما يخطر بالبال، فليرتدع السامع[2] وليزجر[2].

ولما حصر[3] أمرها فى الذكرى ونفى أن يظن بها[4] نقص فيما جعلت له تأكيدا للكلام إشارة إلى ما لاغلب المخاطبين من الشكاسة والعوج إيقاظا مما هم فيه من الغفلة وتلطيفا لما لهم من اللوم والكثافة وتنبيها لهم على السعى فى تقويم أنفسهم بما يستعملونه من الأدوية التى يرشدهم سبحانه إلى علاج أمراض القلوب بها، زاد الأمر تأكيدا فأقسم على ذلك بما هو ذكرى للناس ولا يظهر معه ظلام الليل كما أن ضياء القرآن لا يظهر معه ظلام الجهل لمن اعمل عين فكرته، وألقى حظوظ نفسه، فقال: ﴿ والقمر ﴾ [أى الذى -[5]] هو آية الليل الهادية لمن ضل بظلامه ﴿ والليل اذا دبر ﴾ أى مضى فانقلب راجعا من حيث جاء فانكشف ظلامه فزال الجهل بانكشافه، وانصرفت[6] الريب والشكوك بانصرافه ﴿ والصبح اذآ اسفر ﴾ فأقبل ضياؤه لجل العلم بحلوله، وحصلت الهداية بحصوله، أو دبر بمعنى «أقبل» قال قطرب[7]: تقول العرب: دبرنى فلان أى جاء خلفى.

ولما اقسم على ما أخبر به من ذكراها، وأكده لإنكارهم العظيم لبلاياها

(١) من ظ و م، وفى الأصل: من (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الاصل.
(٣) من ظ و م، وفى الأصل: عظم (٤) العبارة من هنا جاءت مطموسة فى الأصل فانتسخناها من ظ (٥) زيد من م (٦) من م، وفى ظ: انصرف.
(٧) راجع المعالم ٧/١٤٨.

استأنف تعظيمها و التخويف منها تأكيدا للتخويف لما تقدم من الإنكار فقال: ﴿ انها ﴾ أى النار التى سقر دركة من دركاتها، و زاد فى التأكيد على مقتضى زيادتهم فى الاستهزاء فقال: ﴿ لاحدى الكبر ۝ ﴾ أى من الدواهى و العظائم، جمع كبيرة و كبرى، و هو كناية عن شدة هولها كما يقال: هو أحد الرجال أى لا مثل له، أو[1] المراد بها واحدة ٥ سبع هى غاية فى الكبر أى دركات النار، و هى جهنم فلظى فالحطمة فالسعير فسقر فالجحيم فالهاوية، هى إحداها فى عظيم أقطارها و شديد[2] إيلامها و إضرارها، حال كونها ﴿ نذيرا ﴾ عظيما أو من جهة نذارتها أو إنذارا بالغا: فعيل بمعنى المصدر مثل "فكيف كان نكير" أى إنكارى، و عبر بقوله: ﴿ للبشر ۝ ﴾ لما تقدم من الإشارة إلى إسراع الجسم ١٠ العادى فى قبول[3] التأثر / لا سيما بالنار. ٥٨٦

و لما كان التقدم[4] عند الناس لا سيما العرب محبوبا و التأخر[5] مكروها، و كان سبحانه و تعالى قد خلق فى الإنسان قوة و اختيارا بها يفعل ما قدره[6] الله له و غطى عنه علم العاقبة حتى صار الفعل ينسب إليه و إن كان إنما هو بخلق الله، قال تعالى باعثا لهم على الخير و مبعدا ١٥ من[7] الشر مستانفا أو مبدلا جوابا لمن يقول: و ما عسى أن نفعل؟ أ و ينفع

(١) من م، و فى ظ «و» (٢) فى م: شدايد (٣) إلى هنا انتهى الطمس فى الأصل (٤) من ظ و م، وفى الأصل: التقدير (٥) من ظ و م، وفى الأصل: ان المتاخر (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يقدره (٧) من م، و فى الأصل و ظ: عن.

الإنذار و قد قال إنه هو الهادى[1] المضل "يضل الله من يشاء [و يهدى من يشاء"ـ[2]]: ﴿ لمن شآء ﴾ أى بارادته، و صرح بالمقصود لئلا يتعنت متعنتهم فيقول: المراد غيرنا، فقال: ﴿ منـــكم ﴾ [3] اى ايها المعاندون [3] ﴿ ان يتقدم ﴾ أى إلى الخيرات ﴿ او يتأخرْه ﴾ [4] أى عنها [4] فيصل إلى غضب الله تعالى و النار التى هى أثر غضبه، التى جعل ما عندنا من مؤلم الحر و مهلك البرد متأثرا عن نفسيها تذكيرا لنـا و رحمة بنا، و حذف المفعول لأن استعماله كثير حتى صار يعرف و إن لم يذكر، و ترجمة ذلك: لمن شاء أن يتقدم التقدم بما له من المكنة و الاختيار فى ظاهر الأمر، و لمن شاء أن يتأخر التأخر، و "أن يتقدم" مبتدأ، و هو مثل «لمن يتوضأ [5] أن يصلى[5]»، و يجوز أن تكون الجملة بدلا من «للبشر» على طريق الالتفات من الغائب إلى الحاضر ليصير كل مخاطب به كأنه هو المقصود بذلك بالقصد الأول فيتأمل المعنى فى نفسه فيجده صادقا ثم يتأمل فلا يجد مانعا من تعديته إلى غيره من جميع البشر، و يكون «أن» و الفعل على هذا مفعولا لـ «شاء».

و لما كان التقدم [و التأخر ـ[2]] بالأفعـال، و كان أكثر افعال الإنسان الشر لما جبل عليه من النقصان، قال مبينا لما يقدم و ما يؤخر: ﴿ كل نفس ﴾ أى ذكر أو أنثى على العموم[6] ﴿ بما كسبت ﴾ أى خاصة

(١) زيد فى الأصل: او، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناهـا (٢) زيد من ظ و م (٣ ـ ٣) سقـط ما بين الرقمين من ظ و م (٤ ـ ٤) من ظ و م، و فى الأصل: عنا (٥ ـ ٥) من ظ و م، و فى الاصل: ليصلى (٦) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

لا بما كسب غيرها ﴿ رهينة ﴾ أى مرتهنة بالفعل ، اسم بمعنى الرهن كما فى [قول - [1]] الحماسى [2] :

أبعد الذى بالنعف نعف كويكب [3] رهينة رمس ذى تراب و جندل

لا تأنيث " رهين " الذى هو وصف ، لأن فعيلا بمعنى [مفعول [4] -] يستوى مذكره و مؤنثه ، و لو كانت الفواصل التى يعبرون بها عن السجع ٥ تأدبا تراعى فى القرآن بوجه لقيل : [رهين - [5]] - لأجل يمين ، و لكن لا نظر [6] فيه لغير المعنى ، و يجوز ان تكون [الهاء - [5]] للمبالغة بمعنى موثقة إيثاقا بليغا محبوسة حبسا عظيما فهى فى النار ، فجعل الأصل فى الكسب الموثق [7] .

و لما كان الرهن تارة يفك و تارة يغلق ، و كان أكثر الخلق هالكا ، ١٠ جعل 'رهينة' بمعنى 'هالكة' ، ثم استثنى الممدوح فقال: ﴿ الا اصحٰب اليمين ﴾ أى الذين تقدم وصفهم و هم الذين تحيزوا إلى الله فائتمروا [8] بأوامره و انتهوا [9] بنواهيه ، فانهم لا يرتهنون بأعمالهم ، بل يرحمهم الله فيقبل حسناتهم و يتجاوز عن سيئاتهم .

و لما أخرجهم عن حكم الارتهان الذى أطلق على الإهلاك لأنه ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : حيث قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من البحر المحيط ٨/٣٧٩ و روح المعانى ٩/٢٢٦ ، و فى الأصل : بكوكب (٤) زيد من ظ (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : نظير. (٧) فى م : الموفق (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : يا تمرون (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : ينتهون .

سببه، استأنف بيان حالهم فقال: ﴿فى جنّٰت﴾ اى بساتين فى غاية
/٥٨٧/ العظم لانهم اطلقوا أنفسهم وفكوا رقابهم فلم يرتهنوا، فالآية من
الاحتباك: أثبت أولا الارتهان دليلا على حذف ضده ثانيا، و أثبت
ثانيا الجنة دليلا على حذف ضدها أولا.

٥ و لما كان السؤال عن حال الغير دالا دلالة واضحة على الراحة
و الفراغ عن كل ما يهم النفس، عبر عن راحتهم فى أجل وعظ
و ألطف تحذير بقوله: ﴿يتسآءلون﴾ أى فيما بينهم يسأل بعضهم بعضا
﴿عن المجرمين﴾ أى[1] أحوال العريقين فى قطع ما أمر الله به
أن يوصل.

١٠ و لما كان يوم القيامة فى غاية الصعوبة[2] و كان أحد مشغولا
بنفسه، فكان لا علم له بتفاصيل ما يتفق لغيره، و كان أولياء الله إذا
دخلوا دار كرامته أرادوا العلم بما فعل بأعدائهم فيه سبحانه، فتساءلوا
عن حالهم[3] فقال بعضهم لبعض: لا علم لنا، فكشف [الله -[4]] لهم
عنهم حتى رأوهم فى النار *و هى* تسعر بهم ليقر الله أعينهم بعذابهم،
١٥ زيادة فى نعيمهم و ثوابهم، كما تقدم فى الصافات عند قوله "قال قائل
منهم انى كان لى قرين" وكان [بساط -[4]] الكلام دالا على هذا
كله، أشار لنا سبحانه إليه بقوله حكاية عما يقول لهم أولياؤهم توبيخا

(١) زيد فى الأصل: عن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل: يصير، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: احوالهم (٤) زيد من ظ (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

و تعنيفا و شماتة و تقريعا[1] تصديقا لقوله تعالى " فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون"- الآية، و لتكون حكاية ذلك موعظة للسامعين و ذكرى للذاكرين : ﴿ ما ﴾ هى محتملة للتوبيخ و التعجيب[2] ﴿ سلككم ﴾ أى أدخلكم أيها المجرمون إدخالا هو فى غاية الضيق حتى كأنكم السلك فى الثقب ﴿ فى سقر ﴾ فكان هذا الخطاب مفهما لأنهم لما تساءلوا ٥ نفوا العلم عن أنفسهم، و كان من المعلوم أن نفى العلم لأنهم شغلوا [3]عن ذلك بأنفسهم[3] و أنهم ما شغلوا - مع كونهم من أهل السعادة - إلا لأن ذلك اليوم عظيم الشواغل، و كان من المعلوم أنه إذا تعذر عليهم علم أحوالهم من اهل الجنة و هم غير مريدين[4] الشفاعة فيهم فلم يبق لهم طريق إلى علم ذلك لا يظن به التعريض للشفاعة إلا السؤال ١٠ منهم عن أنفسهم فى أنهم يخاطبونهم[5] بذلك[6] فيعلمون علمهم[6] ليزدادوا بذلك غبطة و سرورا بما نجاهم الله من مثل حالهم و يكثروا[7] من الثناء على الله تعالى بما وفقهم له و ليكون ذلك عظة لنا بسماعنا إياه فحكى الله أنهم لما سألوهم ﴿ قالوا ﴾ ذاكرين علة دخولهم النار بافساد قوتهم العملية[8] فى التعظيم لأمر الله فذلك[9] لجميع ما تقدم [من -[10]] ١٥

(١) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل : التعجب (٣ - ٣) من ظ و م، و فى الأصل : بذلك لأنفسهم.
(٤) من م، و فى الأصل و ظ : مريدون (٥) فى ظ : مخاطبون (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل : فعيلوا عملهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل : يكثرون.
(٨) من ظ و م، و فى الأصل : العلميه (٩) من ظ و م، و فى الأصل : لذلك.
(١٠) زيد من ظ و م.

مهمات السورة بما حاصله أنهم لم يتحلوا بفضيلتين و لم يتخلوا عن رذيلتين تعريفا بأنهم كانوا مخاطبين بفروع الشريعة[١]، و فى البداءة بالعمل تنبيه على انه يجب على العاقل المبادرة[٢] إلى ما يأمره به الصادق [٣]لأنه المصدق لحسن[٣] الاعتقاد، و المبادرة إلى التلبس بالعمل أسهل من المبادرة إلى التلبس بالعلم، لأن العمل له صورة و حقيقة، و مطلق التصور أسهل من التحقيق، و من صور شيئا كان أقرب إلى تحقيقه ممن لم يصوره، فكان أجدر بتحقيقه ممن لم يباشر تصويره، ففيه حث على المسابقة إلى الأعمال الصالحة و إن [٤]لم تكن[٤] النية خالصة، و إيذان بأن من أدمن ترك الأعمال[٥] قاده إلى الانسلاخ من حسن الاعتقاد، و ورطه فى الضلال: ﴿لم نك﴾ حذفوا النون دلالة[٦] على ما هم[٦] فيه من الضيق عن النطق حتى بحرف يمكن الاغتناء عنه، و دلالة على أنه لم يكن لهم نوع طبع جيد[٧] يحثهم على الكون فى عداد الصالحين، وكان ذلك مشيرا إلى عظيم ما هم فيه من الدواهى الشاغلة بضد ما فيه أهل الجنة من الفراغ الحامل لهم على السؤال عن أحوال غيرهم[٨]، و كان ذلك منبها على فضيلة العلم: ﴿من المصلين﴾ [أى-[٩]]

/٥٨٨

(١) من ظ و م، وفى الأصل: الشرع (٢) من ظ و م، وفى الأصل: البداة.
(٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: لأن الصدف بحسن (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: تكون (٥) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل: عما (٧) من ظ و م، وفى الأصل: حيلة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: العبر (٩) زيد من م.

صلاة يعتد بها ، فكان هذا[1] تنبيها على أن رسوخ القدم [فى الصلاة -[2]] مانع من مثل[3] حالهم ، و على أنهم يعاقبون على فروع الشريعة و إن كانت لا تصح منهم[4] ، فلو فعلوها قبل الإيمان لم يعتد بها ، و على أن الصلاة [أعظم -[2]] الأعمال ، و أن الحساب بها يقدم على غيرها .

و لما نفوا الوصلة[5] بالخالق، أتبعوه إفساد القوة العملية بعدم وصلة الخلائق بترك الشفقة على خلق الله [فقالوا -[2]] : ﴿ و لم نك ﴾ بحذف النون أيضا لما[6] هم [فيه -[2]] من النكد و نفيا لأدنى شيء من الطبع الجيد ﴿ نطعم المسكين ﴾ أى لأجل مسكنته ، نفوا هنا وجود إطعامه لأنهم إن اتفق إطعامهم له فلعلة أخرى غير المسكنة ، و أما الصلاة فهم يوجدونها [لله -[2]] بزعمهم ، لكن [لما -[2]] كانت على غير ما[7] أمروا به[7] لم تكن مقبولة فلم يكونوا[8] من الراسخين[8] فى وصفها . و لما سلبهم التحلى بلباس الأولياء أثبت لهم التحلى بلباس الأشقياء بافساد القوة النطقية جامعا القول إلى الفعل فقالوا : ﴿ وكنا ﴾ أى بما جبلنا عليه من الشر ﴿ نخوض ﴾ أى نوجد الكلام الذى هو فى غير مواقعه و لا علم لنا به إيجاد المشي [من الخائض فى ماء غمر -[2]]

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مثلهم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : منه (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : الوصل (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لم (٧ - ٧) فى ظ و م : أمر . (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : راسخين .

﴿ مع الخائضين ﴾ [1] بحيث صار لنا هذا [وصفا راسخا فنقول فى القرآن : إنه سحر ، و انه شعر ، و إنه كهانة و غير هذا ـ [2]] من الأباطيل ، لا نتورع عن شىء من ذلك ، و لا نقف مع عقل ، و لا نرجع إلى صحيح نقل ، فليأخذ الذين يبادرون إلى الكلام فى كل ما يسالون عنه من أنواع العلم من غير تثبت منزلتهم [من ـ [3]] هنا .

و لما كان الإدمان على الباطل يجر إلى غلبة الهزء و السخرية ، و غلبة ذلك و لابد توجب إفساد القوة العلمية [4] بتصديق الكذب و تكذيب الصدق ، قالوا بيانا لاستحبابهم [5] الخلود : ﴿ و كنا نكذب ﴾ أى بحيث صار لنا ذلك وصفا ثابتا ﴿ بيوم الدين ﴾ و لما كان التقدير : و استمر تكذيبنا لصيرورته لنا أوصافا ثابتة ، بنوا عليه قولهم : ﴿ حتى [6] اتنا ﴾ أى قطعا ﴿ اليقين ﴾ أى بالموت أو مقدماته التى قطعتنا عن [دار ـ [3]] العمل فطاح الإيمان بالغيب .

/ ٥٨٩ و لما أقروا / على أنفسهم بما أوجب [7] العذاب الدائم ، فكانوا ممن فسد مزاجه فتعذر علاجه ، سبب عنه [7] قوله : ﴿ فما تنفعهم ﴾ أى فى حال اتصافهم بهذه الصفات و هى حالة لازمة لهم دائما ﴿ شفاعة الشفعين ﴾ أى لو شفعوا فيهم . و لما كان هذا الإخبار بنعيم المنعم و عذاب المعذب

---

(١) زيد فى الأصل : فى مساء عمر مع الخائضين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : العمليه (٥) من م ، و فى الأصل : لاستحقاقهم ، و فى ظ : لاستحباب (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : يوجب (٧) من ظ و فى الأصل : عن .

موجبا للتذكر، سبب عنه الإنكار عليهم فقال: ﴿ فما ﴾ أى اىّ شىء يكون ﴿ لهم ﴾ حال كونهم[1] ﴿عن التذكرة﴾ أى التذكر العظيم خاصة بالقرآن خصوصا و بغيره عموما ﴿معرضين ۝ ﴾ و على الباطل وحده مقبلين، و ذلك من أعجب العجب، لأن طبع الإنسان إذا حذر من شىء حذره أشد الحذر كما لو حذر المسافر من سبع فى طريقه فانه يبذل جهده فى الحيدة عنه و الحذر منه[2] و إن كان المخبر كاذبا، فكيف يعرضون عن هذا المحذور الأعظم و المخبر أصدق الصادقين[3]، فاعراضهم[4] هذا دليل على اختلال[5] عقولهم و اختبال فهومهم[6]، و زاد ذلك عجبا شدة نفارهم حتى ﴿ كانهم ﴾ فى إعراضهم عن التذكرة من شدة النفرة و الإسراع فى الفرة[7] ﴿حمر ﴾ أى من حمر الوحش و هى أشد الأشياء نفارا، و لذلك كان أكثر تشبيهات[8] العرب فى وصف الإبل بسرعة السير بالحمر فى عدوها إذا وردت ماء فأحست عليه ما يريبها، و فى تشبيه الكفرة بالحمر و لاسيما فى هذه الحالة مذمة ظاهرة و تهجين لحالهم بين، و شهادة عليهم بالبله و قلة العقل وعدم التثبت[9] ﴿مستنفرة ۝ ﴾ أى موجدة للنفار

(١) زيد فى الأصل، فى غفلة دائمة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢) من ظ و م، و فى الأصل: عنه (٣) من ظ و م، و فى الأصل: القايلين.
(٤) زيد فى الأصل: عن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اختلاف (٦) من ظ و م، و فى الأصل: قولهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: العرة - كذا (٨) من ظ و م، و فى الأصل: تشبيها من تشبيها (٩) فى ظ و م: التثبيت.

بغاية الرغبة فيه حتى كأنها تطلبه من انفسها لأنه من شأنها و طبعها ـ هذا على قراءة الجماعة، و قرأ أهل المدينة و الشام بالفتح بمعنى أنه نفرها منفر.

و لما كان ذلك لا يكون إلا لسبب عظيم يتشوف إليه، استأنف قوله: ﴿فرت من قسورة﴾ اى أسد شديد القسر عظيم القهر فنشبت ٥ فى حبائل سقر أوصيادين.

و لما كان الجواب قطعا: لا شيء لهم فى إعراضهم هذا، أضرب عنه بقوله: ﴿بل يريد﴾ أى [عـلى-[1]] دعواهم و بزعمهم ﴿كل امرئ منهم﴾ أى المعرضين، مع ادعائه[2] الكمال فى المروءة ﴿ان يؤتى﴾ أى من السماء، بناه للفعول لأن مرادهم معروف ﴿صحفا﴾ ١٠ اى قراطيس مكتوبة ﴿منشرة﴾ أى كثيرة جدا و كل واحد منها منشور لا مانع من قراءته و أخذه؛ و ذلك أنهم قالوا للنبى صلى الله عليه و سلم: لن نتبعك حتى تأتى كلا منا بكتاب من السماء [3]فيه: من الله[3] إلى فلان اتبع محمدا صلى الله عليه و سلم.

و لما كان ذلك إنما هو تعنت[4]، لا أنه على حقيقته قال: ١٥ ﴿كلا﴾ أى ليس لهم غرض فى الاتباع بوجه من الوجوه لا بهذا الشرط و لا بغيره: ﴿بل﴾ علتهم الحقيقية فى هذا الإعراض[5] أنهم ﴿لا يخافون﴾ أى فى زمن من الأزمان[6] ﴿الآخرة﴾ و لما كان

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ادعايهم (٢-٢) من ظ و م، و فى الاصل: من الله فيه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: تقلب و تقلب. (٥) زيد فى الأصل: كون، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: أى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

فعلهم

فعلهم هذا فعل / من يعتقد فى القرآن انه ليس بوعظ صحيح يستحق ان يتبع ، قال رادعا[1] لهم عن هذا اللازم : ﴿ كلآ ﴾ أى ليس الأمر قطعا كما تزعمون من أن هذا القرآن لا يستحق الإقبال عليه ، ثم استأنف قوله مؤكدا لأجل ما تضمن هذا الفعل من إنكارهم : ﴿ انه ﴾ أى القرآن ﴿ تذكرة ﴾ أى موضع وعظ عظيم يوجب إيجابا عظيما اتباعه و عدم الانفكاك عنه بوجه فليس لأحد أن يقول : أنا[2] معذور لأنى لم أجد مذكرا و لا معرفا فان[3] عنده أعظم مذكر و أشرف معرف .

و لما كان فى غاية السهولة و الحلاوة لكل من عرفه بوجه من الوجوه ، و كان الله سبحانه قد خلق القوى و القدر ، و جعل للعبد اختيارا ، قال مسببا عن كونه موضعا للتذكر : ﴿ فمن شآء ﴾ أى أن يذكره ﴿ ذكره ﴾ فثبت[4] فى صدره و علم معناه و تخلق به ، فليس أحد [يقدر - ٥] أن يقول : إنه صعب التركيب عظيم التعقيد عسر الفهم ، يحتاج فى استخراج المعانى منه إلى علاج كبير و ممارسة طويلة فأنا معذور فى الوقوف عنه ، بل [هو - ٥] كالبحر الفرات ، من شاء اغترف ، لأنه خوطب به أمة أمية لا ممارسة لها لشىء من العلوم ، فسهل فى لفظه و معناه غاية السهولة مع أنه لا يوصل[6] إلى قراره و لا

(١) فى ظ : ردعا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : انى (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فانه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فيثبت (٥) زيد من ظ و م .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يوصل بها .

يطمع فى مناظرة أثر من آثاره، بل كلما زاد الإنسان فيه تأملا زاده[1] معانى .

و لما كان [هذا -[2]] ربما أوهم أن للعبد استقلالا بالتصرف، قال معلما بأن هذا إنما هو كناية عما له من السهولة و الحلاوة و العذوبة التى توجب عشقه لكل ذى لب منبها على ترك الإعجاب و إظهار الذل و الالتجاء و الافتقار إلى العزيز الغفار فى طلب التوفيق لأقوم طريق : ﴿ و ما يذكرون ﴾ أى [و -[2]] لا واحد منكم هذا القرآن و لا غيره فى وقت من الأوقات ﴿ الآ ان يشآء الله[4] ﴾ [أى -[3]] الملك الأعظم الذى لا أمر لأحد معه، و هو صريح فى أن فعل العبد من المشيئة، و ما ينشأ عنها [إنما هو -[2]] بمشيئة الله . و لما[4] ثبت أنه[4] سبحانه الفعال لما يريد و أنه لا فعل لغيره بدون[5] مشيئته، و كان من المعلوم أن أكثر أفعال العباد[6] مما لا يرضيه، فلولا حلمه ما قدروا على ذلك، و كان عفو القادر مستحسنا، قال مبينا لأنه أهل [للرهبة و -[2]] الرغبة : ﴿ هو ﴾ أى وحده ﴿ اهل التقوٰى ﴾ اى أن يتقوه عباده و يحذروا غضبه بكل ما تصل قدرتهم إليه لما له من الجلال [و -[2]] العظمة و القهر، و يجوز أن يكون الضمير للتقى ﴿ و أهل المغفرة ﴾

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لاده - كذا (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من ظ (٤ - ٤) من م ، و فى الأصل : أثبت ان ، و فى ظ : اثبت انه (٥) زيد فى الأصل : امره و . ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : العبد .

أى لأن يطلب غفرانه للذنوب لا سيما إذا اتقاه المذنب لأن له الجمال[1] و اللطف و هو قادر و لا قدرة لغيره و لا ينفعه شيء و لا يضره شيء، فهو الحقيق بأن يجعل موضع[2] الإنذار الذى امر[3] به أول السورة البشارة، و يوفق عباده لتكبيره و هجران الرجز/، و كذا فعل سبحانه بقوم هذا النبي الكريم صلى الله عليه و سلم، روى أحمد[4] و الترمذى[5] و النسائى و ابن ماجه[6] و الطبرانى فى الأوسط و الحاكم[7] و أبو يعلى و البغوى[8] و البزار عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم [9]أنه قرأ[9] هذه الآية ثم قال: يقول الله: أنا أهل أن أتقى، فمن اتقى أن يشرك بى غيرى فأنا أهل [أن -[10]] اغفر له. و قال الترمذى و ابن عدى و الطبرانى: تفرد به سهل ابن [أبى -[10]] حزم القطعى، فقد رجع آخر السورة على أولها، و انطبق مفصلها على موصلها، بضم البشارة[11] إلى النذارة، و صار كأنه قيل: انذر العاصى فانه اهل لأن يرجع إلى طاعاته، فيكون سبحانه أهلا لأن يعود عليه بستر زلاته.

/ ٩١

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الجلال (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مع.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: امره (٤) راجع المسند ٣ / ١٤٢ و ٢٤٣.
(٥) راجع الجامع - التفسير (٦) راجع السنن - الزهد (٧) راجع المستدرك ٢/٥٠٨.
(٨) راجع المعالم ٧ / ١٥٠ (٩ - ٩) من ظ و م، و فى الأصل: ان فراره.
(١٠) زيد من م (١١) من ظ و م، و فى الأصل: الاشارة.

سورة القيامة[١]

مقصودها الدلالة على عظمة المدثر المأمور بالإنذار صلى الله عليه وسلم لعظمة مرسله سبحانه وتمام اقتداره بأنه كشف له العلوم حتى صار إلى الأعيان[٢] بعد الرسوم[٣] بشرح آخر سورته من أن هذا القرآن تذكرة عظيمة لما أودعه [الله -[٤]] من وضوح[٥] المعاني وعذوبة الألفاظ وجلالة النظوم[٦] ورونق السبك وعلو المقاصد، فهو لذلك معشوق لكل طبع، معلوم ما خفي من أسراره[٧] وإشاراته بصدق النية وقوة العزم بحيث يصير بعد كشفه إذا أثر[٨] كأنه كان[٨] منسيا بعد حفظه فذكر، فمن شاء ذكره، فحفظه[٩] وعلم معانيه وتخلق بها، وإنما المانع عن ذلك مشيئة الله تعالى، فمن شاء حجبه عنه أصلا ورأسا، ومن شاء حجبه عن[١٠] بعضه، ومن شاء كشف عنه الحجاب، وجعله يعينه على

(١) الخامسة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها أربعون.
(٢) من ظ وم، وفي الأصل: العيان (٣) من ظ وم، وفي الأصل: رسول.
(٤) زيد من ظ وم (٥) من ظ وم، وفي الأصل: عظيم (٦) من ظ وم، وفي الأصل: المنظوم (٧) من ظ وم، وفي الأصل: اشاراته (٨-٨) من ظ وم، وفي الأصل: كان كانه (٩) من ظ وم، وفي الأصل: لحفه (١٠) من ظ وم، وفي الأصل: من.

اعظم صواب، دون شك و لا ارتياب، و جلى عليه أوانسه و عرائسه و حباه جواهره و نفائسه، و حلاه به؛ فكان ملكه و سائسه، كما كان[1] المدثر صلى الله عليه و سلم حين كان خلقه القرآن، و اسمها القيامة واضح فى ذلك جدا، و ليس فيها ما يقوم بالدلالة عليه غيره إذا تؤملت الآية مع ما أشارت إليه «لا» النافية للقسم أو المؤكدة مع أنها فى الوضوح ٥ فى حد لا يحتاج إلى الإقسام [عليه -[2]] لأنه لا يوجد أحد يدع من تحت يده يعدو بعضهم على بعض، و يتصرفون فيما خولهم فيه من غير حساب، فكيف بأحكم الحاكمين الذى وكل بعبيده أضعافهم من الملائكة فهم يديرون فى كل لحظة فيهم كؤوس المنايا، و يأخذون من أمرهم به سبحانه إلى داره[3] البرزخ للتهيئة للعرض و يسوقونهم زمرا بعد زمر ١٠ إلى العود فى الأرض حتى ينتهى الجمع فى القبور، و يقيمهم بالنقر[4] فى الناقور، و النفخ فى الصور، إلى ساحة الحساب للثواب و[5] العقاب، / و لم يحجب عن علم ذلك حتى ضل عنه أكثر الخلق إلا مشيئته سبحانه ٩٢/ بتغليب النفس الأمارة حتى صارت اللوامة منهمكة فى الشر شديدة اللوم عن الإقصار عن[6] شىء منه كما أن ما جلاه لنبيه محمد صلى الله ١٥ عليه و سلم حتى كان خلقه، و لمن أراد من أتباعه إلا إرادته سبحانه

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: دارا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فى النقر (٥) من ظ و م، و فى الأصل: أو (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فى.

بتغليب[1] المطمئنة حتى صار الكل روحا صرفا [و -[2]] نورا خالصا بحتا ﴿ بسم الله ﴾ الذى شرف رسوله صلى الله عليه و سلم فأعجز الخلق بكتابه بما له من الجلال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمتى الإيجاد و البيان أهل الهدى و الضلال ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الذى خص أهل العناية بالسداد فى الأقوال و الأفعال .

لما ذكر سبحانه الآخرة أول سورة[3] المدثر و خوف منها بالتعبير بالناقور و ما تبعه ، ثم أعاد أمرها آخرها ، و ذكر التقوى التى هى أعظم أسباب النجح فيها و المغفرة التى هى الدواء الأعظم لها ، و كان الكفار يكذبون بها ، و كان سبحانه قد أقام عليها من الأدلة من أول القرآن إلى هنا تارة مع الإقسام و أخرى مع الخلو عنه ما صيرها فى حد البديهيات ، وكانت[4] العادة قاضية بأن المخبر إذا كذبه السامع حلف على ما أخبره به ، و كان الإقسام مع تحقق العناد لا يفيد ، أشار سبحانه و تعالى إلى أن الأمر قد صار غنيا عن الإقسام لما له من الظهور الذى لا ينكره [إلا -[2]] معاند ، فقال مشيرا إلى تعظيمها و التهويل فى أمرها بذكرها[5] و إثبات أمرها بعدم[5] الإقسام أو تأكيده : ﴿ لآ اقسم ﴾ اى لا اوقع[7] الإقسام أو أوقعه[6] مؤكدا ﴿ بيوم القيمة ۝ ﴾ على وجود يوم القيامة أو بسبب وجوده لان الامر[9]

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : بالارادة (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : كان وكان (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد (٧) من ظ وم ، و فى الأصل : اقع (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : اقعه (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : امر .

غنى فيه [عن ذلك -[1]] ، و على القول بأنه قسم هو مؤكد بالنافى ، و دخوله فى التأكيد سائغ بل شائع فى كلامهم جدا ، و جاز القسم بالشيء على وجوده إشارة إلى أنه فى العظمة فى الدرجة العليا كما يقول الإنسان : و الله ان الله موجود ، أى لا شيء أحلف به على وجوده - يا أيها المنكر - أعظم منه [حتى -[1]] أحلف به و لا بد لى من الحلف ٥ لأجل إنكارك فأنا أحلف به عليه ، فالمعنى حينئذ انه لا شيء أدل على عظمة الله من هذين[2] الشيئين فلذا أوقع القسم بهما[3] ، و سر التأكيد [بـ «لا» -[4]] - كما قال الرازى فى اللوامع : ان الإثبات من طريق النفى آكد كأنه رد على المنكر أولا ثم أثبت القسم ثانيا ، فان الجمع بين النفى و الإثبات دليل الحصر . ١٠

و لما كان من المقرر المعلوم الذى هو فى أقصى غايات الظهور أن من طلبه[5] الملك [طلب -[1]] عرض و حساب [و ثواب -[1]] و عقاب يلوم نفسه فى كونه لم يبالغ فى العمل بما يرضى الملك و الإخلاص فى موالاته ، و التحيز إليه و مصافاته ، و كان اكثر لوم النفس واقعا فى ذلك اليوم ، و كان إدراكها للوم المرتب على إدراك الأمور الكلية ١٥ و الجزئية و معرفة الخير و الشر ، و التمييز بينهما / من أعظم الدلائل ٥٩٣/ على تمام[6] قدرة الخالق و كمال عظمته الموجب لإيجاد ذلك اليوم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فيهما (٤) زيد من م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : طلب . (٦) من م ، و فى الأصل : عموم ، والكلمة ساقطة من ظ .

لإظهار عظمته و [حكمه و - [1]] حكمته قال : ﴿ و لآ اقسم بالنفس [1] ﴾ على حد ما مضى فى [أن - [1]] الباء صلة أو سبب ﴿ اللوامة [2] ﴾ أى التى تلوم صاحبها و هى خيرة و شريرة ، فالخيرة [تكون - [1]] سببا للنجاة فيه و الأخرى تكون سببا للهلاك فيه ، فان لامت على الشر

٥ أو[3] على التهاون [4] بالخير أنجت [4] ، و إن لامت على ضد ذلك أهلكت [5] ، و كيفما كانت لابد أن تلوم ، و هى [بين - [1]] الأمارة و المطمئنة ، فما غلب عليها [6] منهما كانت فى حيزه ، قال الرازى [7] فى اللوامع [7] : فالمطمئنة التى [8] انقادت لأوامر الله ، و الأمارة المخالفة لها المتبعة للهوى ، و اللوامة هى المجاهدة [9] . فتارة لها اليد و تارة عليها ، و هى نفس الإنسان خاصة

١٠ لأنها بين طورى [10] الخير و الشر و الكمال و النقصان و الصعود و الهبوط و الطاعة و العصيان ، قال الإمام السهروردى فى الباب السادس [11] و الخمسين من معارفه : و هى نفس واحدة لها صفات متغايرة ، فالملائكة فى درجة الكمال ، و الحيوانات [12] الأخر فى دركة النقصان . و لهذا جمع بين القيامة و [بين - [1]] اللوامة ، لأن الثواب و العقاب للآدمى دون الملائكة

---

(١) زيد من ظ و م (٢) وقع فى الأصل قبل « اللوامة » والترتيب من ظ و م .
(٣) فى م : « و » (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فى الخير نجت (٥) من ظ و م ، و فى الأصل: هلكت (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : قامت و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) فى ظ : المجادلة (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : ظهورى .
(١١) من ظ و م ، و فى الأصل : الخامس (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل: الحيوان .

و الحيوانات

و الحيوانات[1] العجم ، و اللوامة يشتد لومها فى ذلك اليوم على عدم الخير أو عدم الزيادة منه ، لا أقسم على ذلك بهذا الذى هو من أدل الأمور على عظمته سبحانه فان[2] الأمر فى ذلك غنى عن القسم .

و لما كان التقدير قطعا بما يرشد إليه جميع ما مضى جوابا للقسم : إنك و الله صادق فى إنذارك فلابد أن ينقر فى الناقور بالنفخ فى ٥ الصور . قال بانيا عليه بعد الإشارة إلى تعظيم أمر القيامة بما دل عليه حذف الجواب من أنها فى وضوح الأمر و تحتم الكون على حالة لا تخفى على أحد منكرا على من يشك فيها بعد ذلك : ﴿ أيحسب الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى يقبل[3] [على -[4]] الأنس بنفسه و النظر فى عطفه و السرور بحسبه ، و أسند الفعل إلى النوع كله لأن أكثرهم كذلك لغلبة ١٠ الحظوظ على العقل إلا من عصم الله ﴿ ان ﴾ أى انا .

و لما كان فيهم من يبالغ فى الإنكار ، عبر[5] أيضا بأداة التأكيد فقال : ﴿ لن نجمع ﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿ عظامه[5] ﴾ أى التى هى قالب بدنه و عماده من الأرض فيعيدها كما كانت[6] بعد تمزقها و تفتتها و افتراقها و بلاها و انمحاقها ، و قد سدت المخففة مسد مفعولى ١٥ « يحسب » المقدرين بـ « يحسبنا » غير جامعين .

و قال الإمام ابو جعفر ابن الزبير : لما تقدم قوله مخبرا عن اهل

---

(١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قال (٣) فى ظ : جبل (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : بقوله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : انت .

الكفر « و كنا نكذب بيوم الدين » ثم تقدم فى صدر السورة قوله تعالى « فاذا نقر فى الناقور » إلى قوله « غير يسير » و المراد به يوم القيامة ، و الوعيد به لمن ذكر بعد فى قوله « ذرنى و من خلقت وحيدا » الآيات / و من كان على حاله فى تكذيب وقوع ذلك اليوم ، ٥٩٤ /
٥ ثم تكرر ذكره عند جواب من سئل بقوله " ما سلككم فى سقر" فبسط القول فى هذه السورة فى بيان ذكر ذلك اليوم و أهواله ، و أشير إلى حال من كذب به فى قوله تعالى "يسأل ايان يوم القيامة " و فى قوله تعالى " ايحسب الإنسان ان لن نجمع عظامه" ثم أتبع ذلك بذكر أحوال الخلائق فى ذلك اليوم " ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم و اخر" انتهى.

١٠ و لما أسند الحسبان إلى النوع لأن منهم من يقول : لا نبعث لأننا نتفتت و ننمحق ، قال مجيبا له : ﴿ بلى[1] ﴾ أى لنجمعن عظامه و جمع أجزائه لأنا قدرنا على تفصيل عظامه و تفتيتها من بعد ارتتاقها حال[1] كونها نطفة واحدة لأن كل من قدر على التفصيل قدر على الجمع و التوصيل حال كوننا ﴿ قدرين ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ على ان ﴾.

١٥ و لما كانت تسوية الصغير أصعب ، قال : ﴿ نسوى بنانه ﴾ أى أصابعه [أو - [2]] سلامياته و هى عظامه الصغار التى فى يديه ورجليه كل منها طول إصبع و أقل ، خصها[3] لأنها أطرافه و آخر ما يتم [به - [2]] خلقه بأن نجمع بعضها إلى بعض على ما كانت عليه قبل الموت سواء ، فالكبار

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : حالة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حصتها.

بطريق الأولى لأنها أبين، و لا فرق بين تسويتنا ذلك من النطفة و تسويتنا له من التراب، و هي لا تكون مسواة و هي قالب البدن [١] إلا بتسوية ما عليه من لباس اللحم و العصب و الجلد كما يعهدها العاهد، فتسوية البنان كناية عن تسوية جميع البنيان كما لو قيل لك: [٢] هل تقدر [٢] على تأليف هذا الحنظل، فقلت: نعم، و [٣] على تأليف الخردل، مع ٥ ما يفهم من تخصيصها من التنبيه على ما فيها من بديع الصنع المتأثر عنه ما لها من لطائف المنافع، أو أن نسويها الآن فنجمعها على ما كانت عليه حال [٤] كونها نطفة من الاجتماع قبل فتقها و تفريقها حتى تكون كخف البعير، فان القادر على تفصيل الأنامل حتى تتهيأ [٥] للأعمال اللطيفة قادر على جمعها، فنزول عنها تلك المنفعة. و من قدر على تفصيل ١٠ الماء بعد [اختلاطه - [٦]] و جمعه بعد انفصاله قادر على جمع التراب بعد افتراقه، و كيفما كان فهو تنبيه على التأمل فى لطف تفصيل الأنامل و بديع صنعها الموجب للقطع بأن صانعها قادر على كل ما يريد، قال فى القاموس: البنان: الأصابع او أطرافها، و السلامى - وزن حبارى: عظام صغار طول إصبع او أقل فى اليد و الرجل. ١٥

و لما تقدم ما [٧] أشار إلى أن القيامة فى غاية الظهور، أضرب عن هذا الإنكار فقال بانيا على ما تقديره: إنه لا يحسب عدم ذلك

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الا بدن (٢-٢) فى ظ و م: اتقدر (٣) من ظ و فى الأصل: أو (٤) من ظ و م، و فى الأصل: حالة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تتهياوه (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بما.

٥٩٥ / لأنه من الظهور فى حد لا يحتاج إلى كبير تأمل فلو مشى مع / عقله عرف الحق: ﴿ بـل يريد ﴾ أى يوقع الإرادة ﴿ الانسان ﴾ أظهر فى موضع الإضمار للتصريح بالتعميم لمقتضى الطبع الموجب له عدم الفكر فى الآخرة مع شدة ظهورها لأنه[1] معنى بشهواته فلا نجاة إلا ٥ بعصمة الله تعالى، و حذف مفعول « يريد » إشارة إلى أن كل ما يريده بمقتضى طبعه و شهواته خارج عن طوره فهو معاقب عليه لأنه عبد، و العبد يجب عليه أن يكون مراقبا للسيد، لا يريد إلا ما يأمره به، فاذا اراد ما أمره به لم تنسب إليه إرادة بل الإرادة للسيد لا له[2].

و لما كان ذلك، [3]و كانت[3] إرادته الخارجة عن الأمر معصية، ١٠ قال معللا: ﴿ ليفجر امامه ج ﴾ أى يقع منه الإرادة ليقع منه الفجور فى المستقبل من زمانه بأن يقضى شهواته و يمضى راكبا رأسه فى هواه[4]، و نفسه الكاذبة تورد[5] عليه الأمانى و توسع له فى الأمل و تطمعه فى العفو من دون عمل، قال الحسن[6]: المؤمن ما تراه إلا يلوم نفسه [و يقول: ما أردت بكلامى؟ و ما أردت بأكلى؟ و الفاجر يمضى ١٥ قدما لا يحاسب نفسه -[7]] و لا يعاتبها. و يجوز أن يعود الضمير على الله[8] تعالى ليكون المعنى: ليعمل الفجور بين [يدى -[7]] الله تعالى

(١) من ظ و م، وفى الأصل: لانها (٢) من ظ و م، وفى الأصل: للعبد انتهى.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) لمن ظ و م، وفى الأصل: هوا نفسه.
(٥) من ظ و م، وفى الأصل: ترد (٦) راجع المعالم ٧/١٥١ (٧) زيد من ظ و م.
(٨) من م، وفى الأصل و ظ: الى.

و ربك

و يمرأى منه و مسمع و يطمع فى أن لا يؤاخـــذه بذلك او يجازيه بفجوره، قال فى القـاموس: و الفـــجر[1]: الانبعاث فى المعـاصى و الزنا كالفجور.

و لما كان عريقا فى التلبس بهذا الوصف، أنتج له الاستهزاء بهذا الخطبَ الأعظم فترجم ذلك بقوله: ﴿ يسئل ﴾ [أى -[2]] سؤال استهزاء و استبعاد، و وضع موضع مفعول يسال جملة اسمية من خبر مقدم و مبتدأ مؤخر فقال: ﴿ ايان ﴾ [أى -[2]] أىّ وقت يكون ﴿ يوم القيٰمة ۝ ﴾ و لما كان الجواب: [يوم -[2]] يكون كذا و كذا، عدل عنه إلى ما سبب عن استبعاده لأنه اهول، فقال دالا على خراب العالم لتجرد الإنسان عن مسكنه و ما ألفه من أحواله[4] فيكون أهول معبرا بأداة التحقق لأنها موضعها: ﴿ فاذا برق البصر ۝ ﴾ أى شخص و وقف[5] فلا يطرف من هول ما يرى - هذا على قراءة نافع بالفتح، و هى إشارة إلى مبدأ حاله، و قراءة الجماعة بالكسر مشيرة إلى مآله فان معناها: تحير و دهش و غلب، من برق الرجل - إذا نظر إلى البرق فحسر بصره و تفرق تفرق الشىء فى المايـــع إذا انفتح[6] عنه وعاؤه بدليل قراءة بلق من بلق الباب - إذا انفتح، و بلق الباب كنصر: فتحه

(١) من ظ والقاموس، و فى الأصل وظ: الفجور (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و م، و فى الاصل: الاحوال (٥) من ظ و م، و فى الأصل: وصف (٦) من ظ و م، و فى الأصل: تفخـه.

كله، أو شديدا كابلقه فانبلق، و بلق كفرح: تحير - قاله فى القاموس[١].

و لما كانت آيات السماوات أخوف، ذكرها بادئا بما طبعه البرد[٢]، إشارة إلى شدة الحر و التوهج و الأخذ بالأنفاس الموجب لشدة اليأس فقال: ﴿ و خسف القمر ﴾ أى وجد[٣] خسفه بأن خسفه الله تعالى

٥٩٦ / ٥ / فأذهب صورته كما تذهب صورة الأرض المخسوفة، و ذلك باذهاب ضوئه من غير سبب لزوال ربط المسببات فى ذلك اليوم بالأسباب و ظهور الخوارق بدليل قوله: ﴿ و جمع ﴾ أى جمعا هو فى غاية الإحكام و الشدة كما أفهمه التذكير [و - [٤]] على أيسر الوجوه و أسهلها ﴿ الشمس ﴾ أى آية النهار ﴿ و القمر ﴾ مع عدم إنارته

١٠ و إن كان نوره الآن من نورها فذهب[٥] الانتفاع بهما و هما[٦] مع ذهاب النور و تفرق البصر مدركان[٧] لوجود الكشف التام عن الخفيات كما قال تعالى «فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» و بعد جمعهما يلقيان[٨] فى النار كأنهما ثوران عقيران، و بنى الفعل للفعول لأن المهول مطلق جمعهما المخرج لهما عن العادة و للدلالة[٩] على السهولة.

١٥ و لما عظم أمر يوم[١٠] القيامة بما تقدم، أكد ذلك بأن الأمر

(١) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: البرودة (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اوجد (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فانه يكون قد ذهب (٦) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٧) من ظ و م، و فى الأصل: مدركا (٨) من ظ و م، و فى الأصل: يلتيقان (٩) من ظ و م، و فى الأصل: لدلالته (١٠) سقط من ظ و م.

فيه على غير ما تعهده فى الدنيا من وجدان مهرب أو حاكم غير الذى يخافه المطلوب أو شيء من تشعب الكلمة و تفرقها [فقال - [1]]: ﴿ يقول الانسان ﴾ أى بشدة روعه جريا مع طبعه ﴿ يومئذ ﴾ أى إذا كان هذا الخطب الأجل و القادح الأكبر، و حكى بيقول جملة اسمية من خبر مقدم و مبتدأ مؤخر فقال: ﴿ اين المفر ﴾ أى الفرار و الموضع الذى إليه الفرار و الزمان القابل لذلك، قول آيس مدهوش قاده إليه الطبع، و ذلك حين تقاد جهنم بسبعين ألف سلسلة، كل سلسلة بأيدى سبعين ألف ملك، لها زفير و شهيق.

و لما كان ذلك اليوم يوم انقطاع الأسباب، قال نافيا بما سأل عنه بأداة[2] الردع: ﴿ كلا ﴾ أى لا يقال هذا فانه لا سبيل إلى وجود معناه و هو معنى ﴿ لا وزر ﴾ أى ملجأ و معتصم و لا حصن ولا التجاء و اعتصام، و كون هذا من كلام الإنسان رجوعا من طبعه إلى عقله اقعد و أدل على الهول لأنه لا يفهم انه بعد ان سأل من عظيم الهول نظر فى جملة الأمر فتحقق أن لا حيلة بوجه أصلا، فقال معبرا بالأداة الجامعة لمجامع[3] الردع.

و لما كان المعنى: لا مفر من الله إلا إليه، لأن ملكه محيط و قدرته شاملة، قال مترجما عنه ذاكرا صفة الإحسان لوما لنفسه على عدم الشكر: ﴿ الى ربك ﴾ أى المحسن إليك بأنواع الإحسان وحده، لا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الاصل: بادارة (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بجامع.

إلى شيء غيره ﴿ يومئذ ﴾ اى إذ[1] كانت هذه الأشياء ﴿ المستقر ﴾ اى استقرار الخلق [كلهم -[2]] ناطقهم و صامتهم و مكان قرارهم و زمانه إلى حكمه[3] سبحانه و مشيئته ظاهرا و باطنا لا [حكم -[2]] لأحد[4] غيره بوجه من الوجوه فى ظاهر و [لا -[2]] باطن كما هو فى الدنيا.

٥٩٧/ ٥ و لما كان / موضع السؤال عن علة هذا الاستقرار، قال مستأنفا بانيا للمفعول لأن المنكىء إنما هو كشف الأسرار[5] لا كونه من كاشف معين، و للدلالة على يسر ذلك عليه سبحانه و تعالى بأن [من -[2]] ندبه إلى ذلك فعله كائنا من كان: ﴿ ينبؤا ﴾ أى يخبر تخبيرا عظيما مستقصى ﴿ الانسان يومئذ ﴾ [أى -[2]] إذ[6] كان هذا الزلزال الأكبر ١٠ ﴿ بما قدم ﴾ أى من عمله العظيم ﴿ و اخره ﴾ اى فى أول عمره و آخره - كناية عن الاستقصاء أو بما قدمه فآثره على غيره هل هو الشرع أو الهوى أو بما عمل فى مدة عمره و[6] بما أخر عمله لمعاجلة[7] الموت له عنه فيخبر[8] بما[9] كان يعمله من[10] أمله لو مد فى أجله، أو الذى قدمه هو ما عمله بنفسه و ما أخره هو ما سنه فعمل به الناس من بعده

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: اذا (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: حكمته (٤) من ظ و م، و فى الأصل: احد (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل «او». (٧) من ظ، و فى الأصل و م: لمعالجة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: فيخبره. (٩) زيد فى الأصل: عما اه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: فى.

من

من خير او شر - قاله ابن عباس رضى الله عنهما[١]، [٢]و عليه[٢] مشى الغزالى فى الباب الثالث من كتاب البيع[٣] من الإحياء.

و لما عظم القيامة بكشف الأسرار فيها و الإنباء بها، و كان الشأن أن الإنسان لا ينبأ إلا بما هو جاهل له أو غائب عنه، و [كان -[٤]] مما يخف على الإنسان فى الدنيا النسيان، و كان ذلك اليوم يوم كشف الغطاء، زاده عظما بالإعلام[٥] بأنه يجلو بصيرة الإنسان حتى يصير مستحضرا لجميع ما له من شأن، فكان التقدير: و ليس جاهلا بشىء من ذلك و لا محتاجا إلى الإنباء به، قال بانيا عليه: ﴿ بل الانسان ﴾ [أى كل -[٤]] واحد من هذا النوع ﴿ على نفسه ﴾ خاصة ﴿ بصيرة ﴾ اى حجة بينة على أعماله، فالهاء للمبالغة - يعنى أنه فى غاية المعرفة لأحوال نفسه فانه إذا تأمل و أنعم[٦] النظر و لم يقف مع الحظوظ عرف جيد فعله من رديئه، أما فى الدنيا فلان الفطر الأولى شاهدة بالخير و الشر - كما أشار إليه صلى الله عليه و سلم بقوله: البر ما [٧]سكنت إليه النفس و اطمأن اليه القلب[٧]، و الإثم ما حاك فى الصدر و ترددت فيه النفس و إن أفتاك الناس و أفتوك - رواه الإمام أحمد عن أبى ثعلبة [الخشنى -[٤]]

---

(١) راجع معالم التنزيل ٧/١٥٣ (٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ: مشى عليه.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: البيوع - و راجع الاحياء ٢/٥٠ (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بالاعظام (٦) من ظ و م، و فى الأصل: أمعن (٧ - ٧) من ظ و م و مسند الإمام أحمد ٤/١٩٤ و راجع ايضا ٢٢٨، و فى الأصل: اطمان اليه القلب و سكنت النفس.

رضي الله عنه و قوله صلى الله عليه و سلم : إنما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى " إذا لم تستح فاصنع ما شئت "- رواه البخارى[١] عن ابن مسعود رضى الله عنه ، و أما فى الآخرة فان الله يعطيه فى[٢] ذلك [اليوم - [٣]] قوة الذكرى حتى تصير أعماله كلها بين عينيه لانه تعالى ينفى عنه الشواغل البدنية و يكشف عنه الحجب النفسانية حتى تصير أعماله ممثلة له كأنه يراها و لا تنفعه معذرته ، لأن كل شيء يعتذر به عن نفسه يعرف كذبه بنفس وجوده لا بشيء[٤] خارج عنه تارة يكون خالقه أوجده[٥] على ما هو عليه من العلم / و سلامة الأسباب المزيلة للعلل[٦] و تارة بانطاق[٧] جوارحه . ٥٩٨ /

و لما كان الإنسان يعتذر فى ذلك اليوم عن كل سوء عمله ، و يجادل أعظم مجادلة ، و كان المجادل فى الغالب [يظن - [٨]] أنه لم يذنب أو لا يعلم له ذنبا ، قال : ﴿ و لو ألقى ﴾ أى ذكر بغاية السرعة ذلك الإنسان من غير تلعثم دلالة[٩] على غاية الصدق و الاهتمام و التملق ﴿ معاذيره[٥] ﴾ أى كل كلام يمكن أن يخلص به ، جمع عذر أو معذرة و هو إيساع الحيلة فى دفع الخلل[١٠] : و قال فى القاموس : المعاذير :

(١) فى ظ و م : الشيخان ، وراجع كتاب الأنبياء من الصحيح (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ (٤) من ظ وم ، وفى الأصل : شيء (٥) من ظ وم ، و فى الأصل : واحده (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : للعل (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : باستنطاق (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : دالا (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : الحال .

الستور و الحجج جمع معذار[1] ، و ذلك لاشتراكهما فى مطلق الستر بالفتح و الستر بالكسر فى ستر[2] المذنب و الحجة فى ستر الذنب[3] فالمعنى أنه حجة على نفسه و لو احتج عنها و اجتهد فى ستر عيوبها ، فلا تقبل منها الأعذار ، لأنه قد أعطى البصيرة فأعماها بهوى النفس و شهواتها ، و تلك البصيرة هى نور [4]المعرفة المركوز[4] فى الفطرة الأولى و هى ٥ لقوله تعالى « لا تنفع الظالمين معذرتهم » .

و لما كان معنى هذا كله أن الإنسان محجوب فى هذه الدار عن إدراك الحقائق بما فيه من الحظوظ و الكسل و الفتور ، لما فيه من النقائص ، و كان النبى صلى الله عليه و سلم مبرءا من ذلك لخلق [الله - *] له كاملا و ترقيته بعد ميلاده كل يوم فى مراقى الكمال ١٠ حتى صار[6] إلى حد لا يشغله [عن العلوم - *] شىء فكان بحيث يرى مواقع الفتن خلال البيوت كمواقع القطر ، و يرى من ورائه كما يرى من امامه ، و يقول : و الله لا يخفى علىّ خشوعكم و لا ركوعكم إنى أراكم من وراء ظهرى ، و[7] كان صلى الله عليه و سلم يرى[7] فى أشد الظلام و غير ذلك مما له صلى الله عليه و سلم [8]من رقة الجوهر الذى لم ينله ١٥ أحد غيره و ذلك[8] مما يدل على الكشف التام و لكنه [كان - *]

(١) من ظ و م و القاموس ، و فى الأصل : معذر (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تلك (٣) من ظ و م ، و و فى الأصل : نفسه (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : المعرة المذكورة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : فى ميلاده ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) فى ظ و م : يرى صلى الله عليه و سلم (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

صلى الله عليه و سلم لتعظيمه لهذا القرآن لما له فى نفسه من الجلالة[1] و لما فيه من خزائن السعادة و العلوم التى لا حد لها فتستقصى، و لأنه كلام الملك الأعظم، و بأمره نزل إليه [2]صلى الله عليه و سلم مع رسوله جبريل عليه الصلاة و السلام[2]، يعالج عند سماعه أول ما يأتيه شدة. فكان ٥ يحرك به لسانه استعجالا بتعهده ليحفظه و لا يشذ عنه منه شيء. و كان قد ختم سبحانه ما قبلها بالمعاذير، و كانت العجلة مما يعتذر عنه[3]، و كان الحامل على جميع ما يوجب الملامة و الاعتذار ما[4] طبع عليه الإنسان من حب العاجل، قال سبحانه نتيجة عن هذه المقدمات الموجبة لانكشاف / الأشياء للانسان الموجب للاخبار بها و الخوف من عواقبها لئلا يميل /٥٩٩ ١٠ إلى العاجلة و لا يقع فى مخالفة لو لا ما شغله[5] به من الحجب إعلاما بأنه سبحانه و تعالى قد دفع عن النبى صلى الله عليه و سلم تلك الحجب و أوصله من رتبة[6] «لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا» إلى أنها، و أنه قادر على ما يريد من كشف ما يريد لمن يريد كما يكشف لكل إنسان عن اعماله فى القيامة حتى يصير يعرف[7] ما قدم منها[8] و ما اخر، ١٥ و تنبيها على أنه[9] صلى الله عليه و سلم لا كسب له فى هذا القرآن

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الحلاوة (٢-٢) ما بين الرقمين فى ظ و م: مع رسوله صلى الله عليه وسلم (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عنها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بما (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يشغله (٦) من ظ و م، و فى الأصل: رتبته (٧) زيد فى الأصل: بها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٩) فى ظ و م: أن النبى.

بغير

بغير حسن[1] التلقى إبعادا له عن قول البشر و تمهيدا بما يحرك من لسانه بالقرآن قبل تمام الإلقاء لذم ما طبع عليه الإنسان: ﴿ لا تحرك به ﴾ أى القرآن الذى هو تذكرة من شاء ذكره لو لا حجاب المشيئة، و قد كشف سبحانه و تعالى حجاب المشيئة لهذا النبى الكريم صلى الله عليه و سلم و شاء أن يذكره حين قال " و ما تشاؤن الا ان يشاء الله " ٥ لأنه [2]ما نزله[2] إليه بغير اكتساب منه إلا و قد شاء ذلك ﴿ لسانك ﴾ الذى ليست[3] له حركة إلا فى ذكر الله تعالى .

و لما لم يكن لهذا التحريك فائدة مع حفظ الله له على كل حال إلا قصد الطاعة بالعجلة، و كانت العجلة هى الإتيان بالشىء قبل أوانه الأليق به، و إن كان النبى صلى الله عليه و سلم مثابا على ذلك أعظم الثواب. لأنه ١٠ لا حامل له عليه إلا حب الله و حب ما يأتى منه، جعلها الله سبحانه و تعالى علة و إن لم تكن مقصودة فقال: ﴿ لتعجل به[4] ﴾ أى بحمله و أخذه قبل أن يفرغ[1] من إلقائه إليك[5] رسولنا جبريل عليه الصلاة و السلام مخافة ان ينفلت منك، لأن هذه العجلة و إن كانت من الكمالات بالنسبة إليك و إلى إخوانك من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ١٥ كما قال موسى عليه الصلاة و السلام " و عجلت اليك رب لترضى "

(١) من ظ و م، و فى الأصل: حسب (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: نزل (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ليس (٤) زيد فى الاصل: الملك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل: و هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

لأنها من النفس اللوامة التى تلوم على ترك المبادرة إلى افعال الخير فغيرها من أفعال المطمئنة أكمل منها ، فنقل صلى الله عليه و سلم من مقام كامل إلى[1] اكمل منه ، و كان هذا الكلام[2] المتعلق بالقرآن و الذى بعده فرقانا بين صفتى اللوامة فى الخير و اللوامة فى الشر ،

٥ و الآية ناظرة[3] إلى قوله تعالى فى المدثر حكاية « إن هذا الا قول البشر » و ما بينهما اعتراض فى وصف حال القيامة جر إليه قوله تعالى " ساصليه سقر " أى ان الذى خيل به المتقول[4] فى القرآن أمران : احدهما انه سحر و الآخر انه قول البشر ، و العلم اليقين حاصل بانتفاء الأول ، و أما الثانى فكان النبى[5] صلى الله عليه و سلم يخشى أن لا يتقن حفظه

١٠ فتدخل عليه كلمة مثلا فيكون من قول البشر / فنهاه الله تعالى عن العجلة /٦٠٠ و ضمن له الحفظ ، ثم علل هذا النهى بقوله[6] مؤكدا لأنه من مجراته : ﴿ ان علينا ﴾ أى بما [لنا ـ[7]] من العظمة ، لا على احد سوانا ﴿ جمعه ﴾ اى فى صدرك حتى [8]نثبته و نحفظه[8] ﴿ و قرآنه ﷺ ﴾ أى إطلاق لسانك به و إثباته فى رتبته من الكتاب حال كونه مجموعا اتم

١٥ جمع ميسرا [3]حسن تيسير فأرح نفسك مما[9] تعالج فى أمره[9] من المشقة و تكابده من العناء .

---

(١) زيد فى الأصل : مقام ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : الكمال (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ظاهرة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : المتقوم (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فقوله (٧) زيد من ظ و م (٨ ـ ٨) من ظ و م ، و فى الأصل : نحفظه ونثبته . (٩-٩) من ظ و م ، وفى الأصل : تعالجها به .

و لما نهاه امره فقال: ﴿ فاذا قرأناه ﴾ اى أقدرنا[1] جبريل عليه الصلاة و السلام على تأديته إليك كما حملناه إياه بما لنا من العظمة و على حسبها ﴿ فاتبع ﴾ أى بغايـــة جهدك بالقاء سمعك و إحضار ذهنك ﴿ قرآنه ج ﴾ أى قراءته مجموعة[2] على حسب ما أداه اليك رسولنا و جمعناه لك فى صدرك، و كرر تلاوته حـــتى يصير الك به ملكة ٥ عظيمة و اعمل بـه حتى يصير لك خلقا فيـكون قائدك إلى كل خير، فالضمير يجوز ان يـكون للقرآن، يـكون القرآن هنـا بمعنى القراءة، عبر به عنها تعظيما لها، أى اتبع قراءة القرآن[3] اى قراءة جبريل عليـه السلام [له -[4]]، و لو كان على بابه لم يـكن محذورا، فان المراد به خاص و بالضمير عام، و يجوز أن يـكون الضمير[5] لجبريل عليه السلام ١٠ [اى -[4]] اتبع قراءته و لا تراسله.

و لما كان بيان كلماتـــه و نظومه على أى وجه سمعه من مثل صلصلة الجرس و غيرها و بيان معانيه و ما فيه من خزائن العلم من العظمة بمكان[6] يقصر عنه الوصف، أشار إليـــه بأداة التراخى، فقال دالا على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب إلى وقت الحاجة، مشعرا ١٥ بانـه كان يعجل بالسؤال عن المعنى كما كان يعجل بالقراءة: ﴿ ثم ﴾ و أكد ذلك إشارة إلى أنه لعظمه مما يتوقف فيه فقال: ﴿ ان علينا ﴾

(١) فى ظ: قدرنا (٢) من ظ و م، و فى الاصل: مجموعا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: القراءتـه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بالضمير (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بما كان.

أى بما لنا من العظمة ﴿ بيانه ﴾ اى بيان ألفاظه و معانيه لك سواء سمعته من جبريل عليه الصلاة و السلام على مثل صلصلة الجرس أو بكلام الناس المعتاد بالصوت و الحرف، و لغيرك[1] على لسانك و على ألسنة العلماء من أمتك، [و الآية -[2]] مشيرة إلى ترك مطلق العجلة ٥ لأنه إذا نهى عنها فى أعظم الأشياء و أهمها كان غيره بطريق الأولى. روى البخارى فى تفسير الآية فى أول صحيحه و آخره[3] عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان النبى صلى الله عليه و سلم يعالج من التنزيل شدة، كان يحرك شفتيه، قال سعيد بن جبير: قال ابن عباس رضى الله عنهما: فانا أحركهما لك كما كان رسول الله عليه و سلم يحركهما[4] - فأنزل الله ١٠ عز و جل الآية حتى قال: جمعه فى صدرك ثم تقرأه «فاذا قراناه فاتبع قرآنه» قال: فاستمع / له و أنصت ثم إن علينا ان تقرأه، قال فكان / ٦٠١ رسول الله صلى الله عليه و سلم إذا أتاه جبريل عليه الصلاة و السلام استمع مطرقا، فاذا انطلق جبريل عليه الصلاة و السلام قرأه النبى صلى الله عليه و سلم كما أقرأه جبريل عليه الصلاة و السلام كما وعده ١٥ الله بكفالة قوله تعالى "فانه يسلك من بين يديه و من خلفه رصدا ليعلم أن قد ابلغوا رسالات ربهم و أحاط بما لديهم و أحصى كل شىء عددا".

و لما كان سبحانه و تعالى قد ختم الكلام فى المكذبين بأن أعمالهم

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بغير ذلك - كذا (٢) زيد من م (٣) راجع ١/٣ و ٢/١١٢٢ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يحرك.

محفوظة

محفوظة. و ان كل احد على نفسه شاهد، لأنه يعلم جميل ما يفعل من قبيحه و إن اعتذر، و لولاه[1] ما اشتد اتصاله به، و ختم بضمان البيان للقرآن، فكان شاهدا بينا على كل[2] إنسان بما له من عظيم البيان. قال نافيا لما يظن من جهلهم بقبيح أفعالهم الذى اقتضاه اعتذارهم مشعرا بأن الآدمى مطبوع على الاستعجال بعد النهى عن العجلة فى أعز الأشياء ٥ و أعلاها و أهمها و أولاها، لأنه أصل الدين ليكون ذلك مؤكدا للنهى عن العجلة بالقرآن و مؤكدا لذمهم بحب العاجلة مغلظا لتوبيخهم على الميل مع الطبع و ترك ما يقتضيه العلم و العقل: ﴿ كلا ﴾ أى لا يجهل أحد منهم قبائح ما ارتكبه و إن اعتذر و ما ارتكب شيئا[3] منها عن[4] جهل ﴿ بل ﴾ هم ﴿ يحبون ﴾ أى محبة متجددة مستمرة على تجدد ١٠ الزمان ﴿ العاجلة ﴾ بدليل أنهم يقبلون[5] غاية الإقبال عليها فيأخذونها، وحبها أوجب لهم ارتكاب ما يعلمون قبحه فان الآخرة و الأولى ضرتان[6] من أحب إحديهما فعل و لابد ما يباعده عن الأخرى، فان «حبك للشىء يعمى و يصم» و هذا بخلاف نبينا صلى الله عليه و سلم فى مطلق العجلة فكيف بالعاجلة فانما طبعناه على الكمال، فكان يعالج من العجلة ١٥ بالقراءة شدة فحين نهيناه عن ذلك انتهى رجوعا إلى طبعه الكامل الذى

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ: أولاه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ان كان (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عن شىء (٤) من ظ و م، و فى الأصل: من (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يقبل (٦) زيد فى الأصل: لو اقصاه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

لا يشوبه نقص، و كذا كان امره تكوينيا[1] لا إباء معه و لا كلفه، فان نفسه المطمئنة هى الغالبة و لها السلطان الأكبر، و لأجل تضارر الدارين و كونهم يحبون العاجلة قال: ﴿ و يذرون ﴾ اى يتركون على أى وجه كان و لو أنه غير مستحسن ﴿ الأخرة ٥ ﴾ لأنهم يبغضونها ٥ لارتكابهم ما يضر بهم فيها، و جمع الضمير و إن كان مبنى الخطاب مع الإنسان نظرا للمعنى إشارة إلى أنه لا يسلم من العجلة المذمومة [إلا ـ[2]] أفراد حفظهم الله بقدرته الباهرة، و الآية من الاحتباك: ذكر الحب أولا دليلا على البغض ثانيا، و الترك ثانيا دليلا على الإقبال و الأخذ أولا، فأنفسهم[3] اللوامة تلومهم على التقصير فى الشر كما ان ٦٠٢ / ١٠ نفسك تحثك على الازدياد / من الخير و المبادرة إليه، فنعم النفس هى و لتعلين مقامها، و أما أنفسهم فانها تحثهم لأجل اللوم على التقصير فى الشر على الإخلاد إلى العاجل[4] الفانى و الإقلاع عن الباقى لكونه غائبا فبئس الأنفس هى.

و لما ذكر الآخرة التى أعرضوا عنها، ذكر ما يكون فيها بيانا ١٥ بجهلهم و سفههم و قلة عقلهم، ترهيبا لمن أدبر عنها و ترغيبا لمن أقبل عليها لطفا بهم و رحمة لهم فقال: ﴿ وجوه ﴾ أى من المحشورين و هم جميع الخلائق ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ تقوم القيامة ﴿ ناضرة ٢٢ ﴾ من

(١) من ظ و م، و فى الأصل: تكوينا (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فانقسم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: العاجلة.

النضرة[1] بالضاد ، و هى النعمة و الرفاهية اى[2] هى بهية مشرقة ظاهر عليها أثر[3] النعمة بحيث يدل [4]ذلك على[4] نعمة أصحابها ﴿ الى ربها ﴾ أى المحسن لها خاصة باعتبار أن عُدّ النظر إلى غيره كلا نظر ﴿ ناظرة ﴾ أى دائما هم محدقون أبصارهم[5] نحو جوده بالتجلى لا غفلة لهم عن ذلك فاذا رفع الحجاب عنهم أبصروه بأعينهم بدليل التعدية بـ « الى » و ذلك ، النظر جهرة من غير اكتنام و لا تضامّ و لا زحام - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما[6] و أكثر المفسرين و جميع أهل السنة ، و روى عن النبى صلى الله عليه و سلم فى الأحاديث الصحاح من وجوه كثيرة بحيث اشتهر غاية الشهرة ، و تكون الرؤية كما مثلت فى الأحاديث « كما يرى القمر ليلة البدر » كل من يريد رؤيته من بيته مخليا[7] به - هذا وجه الشبة ، لا أنه فى جهة و لا فى حالة لها شبيه - تعالى الله عن التشبيه ، و هكذا رؤية النبى صلى الله عليه و سلم فى المنام من الأشخاص المستكثرة فى البلاد المتباينة فى الوقت الواحد ، و قدم الجار الدال على الاختصاص إشارة إلى أن هذا النظر مباين للنظر إلى غيره فلا يعد ذلك نظرا بالنسبة إليه ، و إلى أن تلك الوجوه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث لا تفتر عن ذلك ، و لا يعد نظرها إلى ما سواه شيئا ، و هى آمنة من

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : النضر (٢) زيد فى الأصل : الرفاهية ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : آثار (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بابصارهم (٦) راجع المعالم ٧ / ١٥٤ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : مختليا .

أن يفعل بها فاقرة ، و عبر بالوجوه عن اصحابها لأنها[1] ادل ما يكون على السرور ، و ليكون ذكرها اصرح فى أن المراد بالنظر حقيقته ، و زاده صراحة بالتعدية بـ « الى » فان الانتظار لا يعدى بها[2]، قال الإمام حجة الإسلام الغزالى رحمة الله تعالى فى كتاب[3] المحبة من الإحياء[4] بعد أن جوّز أن يخلق الله النظر فى الجهة و غيرها : و الحق ما ظهر لأهل السنة و الجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق فى العين ليكون لفظ الرؤية و النظر و سائر الألفاظ الواردة فى الشرع مجرى على ظاهره إذ لا يجوز إزالة الظواهر إلا لضرورة ـ انتهى ، و اهل الجنة متفاوتون فى النظر : روى أن منهم من ينظر إلى الله بكرة و عشية ، و فى خبر آخر ، و ما بين القوم [و بين ـ[5]] أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه / فى جنة عدن ، و متفاوتون فى مقدار الكشف فى الجمال و الأنس و البهجة التى يكون عنها اللذة بحسب أعمالهم . ٦٠٣ /

و لما ذكر أهل النعمة ، أتبعه أضدادهم من اهل النقمة فقال : ﴿ و وجوه يومئذ ﴾ أى فى ذلك اليوم بعينه ﴿ باسرة ۝ ﴾ أى شديدة العبوس[6] و الكلوح و التكره[7] لما هى[8] فيه من الغم كأنها قد غرقت فيه فرسبت [9]بعد أن سبرت[9] أحوالها ، فلم يظهر لها وجه خلاص .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لانه (٢) العبارة من هنا إلى «بضرورة انتهى» ساقطة من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كتابه (٤) راجع ٤/٢٠٦ (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : العبوسة (٧) من ظ و م ، و فى الأصل: الفكره (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لها (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و الباسل

و الباسل أبلغ من الباسر لكنه غلب فى الشجاع لاشتداد كلوحه عند العراك ، و تلك الوجوه عن ربها محجوبة ، و إلى أنواع العذاب ناظرة .

و لما كان ظن الشر كافيا فى الحذر منه و المبالغة فى استعمال ما يحمى منه ، قال دالا على أنه عبر بالوجه عن الجملة : ﴿ تظن ﴾ أى تتوقع بما[1] ترى من المخايل : ﴿ ان يفعل ﴾ بناه للمفعول لأن المحذور وقوع الشر لا كونه من معين ﴿ بها ﴾ أى بهم فانه إذا أصيب الوجه الذى هو أشرف ما فى الجملة كان ما عداه أولى ﴿ فاقرة ﴾ أى داهية[2] تكسر الفقار و هو عظم سلسلة الظهر[3] الذى هو أصلب ما فى العظام فتكون قاصمة الظهر ، فالآية من الاحتباك : ذكر النظر فى الأولى دليل على ضده فى الثانية ، و ذكر الفاقرة فى الثانية دليل على ضدها فى الأولى .

و لما ذكر محبتهم للعاجلة بالمضارع الدال على التجدد و الاستمرار ، فاقتضى ذلك أنه حب غير منفك التجدد اصلا ، أخبر[4] أنه[5] ينقطع عن[6] هول المطلع [مع -[7]] الدلالة على تمام القدرة ، و أنه لا يرد قضاؤه ، فقال رادعا لمن يظن عدم انقطاعه : ﴿ كلآ ﴾ أى لا يدوم هذا الحب بل لابد أن ينقطع انقطاعا قبيحا جدا . و لما كان المحب للدنيا هو النفس ، أضمرها لذلك و لدلالة الكلام [عليها -[8]] فقال ذاكرا

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : و اهية .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ما الظهر (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اخبره .
(٥) زيد فى الأصل : ذكر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) فى ظ : عند (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد من ظ .

ظرف ما افهم حرف الردع تقديره من عدم المحبة: ﴿ اذا بلغت ﴾ أى النفس المقبلة على العاجلة بأمر محقق ـ بما أفهمته أداة التحقق ﴿ التراقى ﴾ أى عظام أعالى الصدر، جمع ترقوة و هى العظام التى حول الحلقوم عن يمين ثغرة النحر و شمالها بين الثغرة و بين العاتق، و لكل إنسان ترقوتان، و هو موضع الحشرجة، لعله[1] جمع المثنى إشارة إلى شدة انتشارها بغاية الجهد لما هى فيه من الكرب لاجتماعها من أقاصى[2] البدن الى هناك و ضيق المجال عليها كأنها تريد أن تخرج من أدنى موضع يقرب منها، و هذا[3] كناية عن الإشفاء على الموت و ما أحسن قول حاتم الطائى و أشد التئامه مع ما هنا من أمر الروح:

أماوىّ ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

و لما كان أهل الميت يشتد انزعاجهم اذذاك و يشتد تطلبهم لما ينجى المحتضر من غير أن يفيدهم ذلك شيئا، فكان قولهم كأنه لا قائل له على التعيين[4]، بنى للمفعول / قوله[5]: ﴿ و قيل ﴾ أى من كل قائل يعز عليه الميت استفهام استبعاد: ﴿ من سكتة راق ﴾ أى من هو الذى يتصف برسوخ القدم فى أمر الرقى الشافية ليرقيه فيخلصه[6] مما هو فيه فانه صار /٦٠٤

(١) من ظ، و فى الأصل و م: له (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اقاصم.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: هكذا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اليقين.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: قولهم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فيختلصه.

إلى حالة لا يحتمل فيها دواء فلا رجاء إلا[1] فى الرقى، و عن ابن عباس رضى الله عنهما[2] أن هذا القول[3] من بعض الملائكة للاستفهام عمن[4] يرقى بروحه إلى السماء: أ ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب؟ فالأول اسم فاعل من رقى يرقى بمعنى الرقية بالفتح فى الماضى و الكسر فى المضارع، [و الثانى الذى بمعنى الصعود بالكسر فى الماضى و الكسر فى المضارع - [5]] . ٥

و لما كان الإنسان مطبوعا[6] على الترجح بين الأمور الممكنة تتعلق لما يغلب عليه من طبع الإلف و شدة[7] الركون لما يألفه بأدنى شىء، عبر عما هو أهل للتحقق بالظن فقال: ﴿ و ظن ﴾ أى المحتضر لما لاح له من أمور الآخرة أو القائل «هل من راق» من أهله ﴿ انه ﴾ أى الشأن العظيم الذى هو [فيه - [5]] ﴿ الفراق[5] ﴾ ١٠ أى لما كان فيه من محبوب العاجلة الذى هو الفراق[8] الأعظم الذى لا فراق مثله، فى الخبر أن العبد ليعالج كرب الموت و سكراته و أن مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول: السلام عليك تفارقنى و أفارقك إلى يوم القيامه . ﴿ و التفت الساق ﴾ أى هذا النوع ﴿ بالساق ﴾ أى انضمت إليها و اتصلت [بها - [5]] و دارت إحداهما بالأخرى فكانتا ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الى (٢) راجع البحر المحيط ٨ / ٣٨٩ (٣) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : من . (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : مطبوع (٧) زيد فى الأصل : الى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : القران .

كالشيء الواحد، و هو كناية عن الموت لأن المشى لا يكون إلا [1]مع انفصال[1] إحدى الساقين عن الأخرى، أو عن اشتداد الأمر جدا. و بعده عن الخلاص، فان العرب لا تذكر الساق فى مثل هذا السياق إلا فى أمر شديد مثل «شمر عن ساق» و إذا اشتد حراب المتحاربين؛ «دنت[2] السوق بعضها من بعض» فلا افتراق إلا عن موت أحدهما أو اشد من موته من هزيمته[3]، و عن ابن عباس رضى الله عنهما[4] أنه كناية عن اختلاط شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة، و جواب "إذا" محذوف تقديره: زال تعلقه الذى كان بالدنيا و حبه لها و إعراضه عن الآخرة.

و لما صور وقت تأسفه على الدنيا و إعراضه عنها، ذكر غاية ذلك فقال مفردا النبى[5] صلى الله عليه و سلم بالخطاب إشارة إلى أنه لا يفهم هذا حق فهمه غيره: ﴿ الى ربك ﴾ أى [6]موعد و حكم[6] المحسن إليك بارسالك و تصديقك فى جميع ما بلغته عنه و نصرك على كل من ناواك[7]، لا إلى غيره ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ وقع هذا الأمر ﴿المساق[8]﴾ [أى السوق ـ[8]] و موضع السوق و زمانه، كل ذلك داخل فى حكمه، قد

(١-١) من ظ وم، وفى الأصل: بالانفصال من (٢) من ظ وم، وفى الأصل: رنت (٣) من ظ و م، و فى الأصل: هزيمة (٤) راجع البحر المحيط ٨/ ٣٩٠. (٥) من م، و فى الأصل و ظ: للنبى (٦-٦) من ظ وم، وفى الأصل: الموعد والحكم بين يدى (٧) من م، وفى الأصل وظ: نواك (٨) زيد من ظ وم.

انقطعت عنه أحكام أهل الدنيا، فاما أن تسوقه الملائكة إلى سعادة بينة و إما[1] إلى شقاوة بينة، أو هو كناية عن عرضه بعد الموت على الله تعالى فلا ينفعه إذا حقق له الوعظ بالموت قوله[2]: أموت فأستريح، فانه يرجع بالموت إلى سيده، فان كان مطيعا[3] لقيه بما يرضيه، و ان كان عاصيا لقيه بما يلقى[4] به العبد الآبق على قدر أباقه. ٥ /١٠٥

و لما ذكر كراهته للآخرة[5] ذكر أن سببه إفساده ما آتاه الله من قوى العلم و العمل بتعطيلهما[6] عن الخير و استعمالهما فى الشر فقال مبينا عمل العبد الموافق و الآبق، عاطفا على «يسئل ايان» الذى معناه جحد البعث: ﴿ فلا صدق ﴾ أى هذا الإنسان [الذى الكلام فيه - [7]] الرسول فيما أخبره[8] بما كان يعمل من الأعمال الخبيثة، و لا إيمانه ١٠ بالإنفاق فى وجوه الخير التى ندب إليها واجبة كانت أو مسنونة، و حذف المفعول لانه أبلغ فى التعميم.

و لما ذكر أصل الدين، أتبعه فروعه دلالة على أن الكافر مخاطب بها فقال: ﴿ و لا صلّى ﴾ أى ما أمر به من فرض و غيره، فلا تمسك بحبل الخالق و لا وصل إلى حبل الخلائق على حد ما شرع له. ١٥

و لما نفى عنه أفعال الخير، أثبت له أفعال الشر فقال: ﴿ و لكن ﴾

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: او (٢) زيد فى الأصل: او، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: يرضى (٥) من ظ، و فى الأصل و م: للدنيا.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: بتعظيم بما (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: اخبر به.

أى فعل ضد[1] التصديق بأن ﴿ كذب ﴾ أى بما اتاه [من -[2]] الله ﴿ و تولّى ﴾ أى [و -[2]] فعل ضد الصلاة التى هى [صلة -[2]] بين المخلوق و الخالق ، فاجتهد فى خلاف ما تدعوه اليه فطرته الأولى المستقيمة من الإعراض عن الطاعة من الصلاة و غيرها حتى[3] صار ٥ [4] له ذلك[4] ديدنا ، فصارت الطاعة لا تخطر له [5] بعد ذلك على بال[5] لموت الفطرة الأولى و حياة النفس الأمارة بالسوء[6] ، و ليس هذا بتكرار لأنه لا يلزم من عدم التصديق التكذيب .

و لما كان الإصرار على هذا عظيما يبعد كل البعد أن يعمله[7] أحد فكيف بالافتخار به و التكبر[8] لأجله ، أشار إليه بأداة البعد ، ١٠ فقال مؤذنا بأن الحال على التكذيب الكبر ، و الحامل على الكبر الترف ، و سبب ذلك الانقياد أولا مع الطبع فى إفساد القوتين : [9] العملية و العلمية[9] حتى نشأ عنهما هذا الخلق السيء ، و هو عدم المبالاة ، و لم يزل به ذلك حتى صار ملكة يفتخر به ﴿ ثم ذهب ﴾ أى هذا الإنسان بعد توليه[10] عن الحق ﴿ الى[3] اهله ﴾ غير مفكر[11] فى عاقبة ما فعل

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فعل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك له (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ببال بعد ذلك وذلك (٦) سقط من ظ و م (٧) زيد فى الأصل : كل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : التكذيب (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : العلمية و العملية . (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : التولية (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : متفكر .

من التكذيب [حال كونه - [1]] ﴿ يتمطّى [1] ﴾ أى يفتخر افتخارا بتكذيبه و إعراضه و عدم مبالاته بذلك ، من المط ، أبدل الحرف الثانى ألفا تخفيفا فصار من المطا و هو الظهر كأنه يساعده على [مد - [2]] الخطا ، أو أن المتبختر إذا مشى لوى ظهره ، و إنما فعل هذا لمرونه على المعصية بدل الاستحياء و الخجل و الانكسار . ٥

و لما كان هذا غاية الفجور ، و كان أهل الإنسان يحبونه إذا أقبل إليهم [3] لا سيما / إذا كان على هذه الحالة عند أغلب الناس ، أخبر بما / ٦٠٦ هو حقيق ان يقال له فى موضع «تحية أهله» من التهديد العظيم فقال : ﴿ اولى لك ﴾ أى [4] أولاك الله [4] ما تكره ، و دخلت اللام للتأكيد الزائد و التخصيص ، و زاد التأكيد بقوله : ﴿ فاولى لا [5] ﴾ أى ابتلاك الله ١٠ بداهية عقب داهية ، و أبلغ ذلك التأكيد [5] إشارة إلى أنه يستحقه على مدى الأعصار ، فقال مشيرا بأداة التراخى إلى عظيم ما ارتكب و قوة استحقاقه لهذا التأكيد : ﴿ ثم اولى لك ﴾ أى أيها الذى قد أحل نفسه بالغفلة دون محل البهائم ﴿ فاولى [5] ﴾ أى وصلت إلى هذا الهلاك بداهية تعقبها [6] تارة متواليا وتارة متراخيا ، و بعضها أعظم من بعض ، ١٥ لحقك ذلك لا محالة ، فان هذا دعاء ممن [7] بيده الأمر كله ، و يجوز أن

(١) زيد من م ، و موضعه فى ظ : مط (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عليهم (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اولى الله لك (٥) من ظ و م ، وفى الأصل: التمديد (٦) من ظ و م ، و م الأصل : تعقب لها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : من .

يكون المعنى[1]: أولى لك أن تترك ما أنت عليه و تقبل على ما ينفعك ، و قال ابن جرير في تفسير المدثر[1]: إن أبا جهل لما استهزأ على جعل خزنة[2] النار تسعة عشر أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه و سلم ان يأتيه فيأخذ بيده فى بطحاء مكة فيقول[3] له : أولى لك - إلى آخرها ،

٥ فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو جهل : و الله لا تفعل أنت و ربك شيئا ، فأخزاه [الله -[4]] يوم بدر - انتهى . و يمكن تنزيل الكلمات الأربع على حالاته[5] الأربع : الحياة ثم الموت ثم البعث ثم دخول النار ، فيكون المعنى : لك المكروه الآن وفى الموت و البعث و دخول النار . قال البغوى[6] : و كان النبي صلى الله عليه و سلم يقول : إن لكل

١٠ أمة فرعونا ، و إن فرعون هذه الأمة ابو جهل . و قد أفهمت الآية أن من أصلح قوتى علمه وعمله بأن صدق بالله و ملائكته وكتبه و رسله و اليوم الآخر و أقبل و أقام الصلاة فتبعتها[7] جميع الأعمال التى هى عمادها . فنشأ عن ذلك خلق حسن و هو الوجل مع الطاعة ، فهنالك[8] يقال له : بشرى لك فبشرى ثم بشرى [لك -[9]] فبشرى .

١٥ و لما كان هذا فعل من أعرض عن الله أصلا فلم يخطر[10] شيئا من عظمته[10] على باله ، فكان ظانا أنه مهمل لا مالك له[11] و أنه هو

---

(١) راجع ٢٩ / ٨٧ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ملائكة (٣) فى م : و يقول (٤) زيد من ظ و م والتفسير (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : حالته . (٦) راجع المعالم ٧ / ١٥٦ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : تبعتها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : هنالك (٩) زيد من ظ و م (١٠-١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : من عظمته شيء (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : لك .

السيد لا عبودية عليه، فلا يؤمر[1] و لا ينهى [و لا يعمل - [2]] إلا بمقتضى شهواته، قال منكرا عليه معبرا بالحسبان الذي[3] الحامل عليه نقص العقل: ﴿ ايحسب ﴾ أى أيجوّز لقلة عقله ﴿ الانسان ﴾ أى الذى هو عبد مربوب ضعيف عاجز محتاج عما يرى فى نفسه و أبناء جنسه:

و لما كان الحامل على الجراءة مطلق الترك هملا، لا كون الترك من معين، قال بانيا للمفعول: ﴿ ان يترك ﴾ [أى يكون تركه بالكلية - [4]] ﴿ سدى[5] ﴾ اى مهملا لاعبا لاهيا لا يكلف و لا يجازى و لا يعرض على الملك الأعظم الذى خلقه فيسأله عن شكره فيما / أسدى إليه، فان ذلك مناف للحكمة، فانها تقتضى الأمر بالمحاسن و النهى عن المساوئ و الجزاء على كل منهما، و أكثر الظالمين و المظلومين يموتون من غير جزاء، فاقتضت الحكمة و لابد البعث للجزاء. / ١٠٧

و لما كان الإنسان يجرى[4] على ما [5]فى طبعه[5] من النقائص فيغفل عما خلق له فتتراكم عليه ظلماته فيبعد عن علم ذلك إما بجهل بالحكمة أو بجهل بالقدرة، رحمه[6] سبحانه [7] باعادة البرهان[7] على المعاد بأمر يجمع [8]القدرة و الحكمة[8]، و ذلك أنه لا يجوز فى عقل عاقل

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فلا يامر (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يجرا (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: صنعه (٦) زيد فى الأصل: الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالبرهان (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل، الحكمة و القدرة.

ان صانعا يصنع شيئا و يتركه ضياعا و هو حكيم أو حاكم فكيف باحكم الحكماء و[1] الحاكمين فقال منكراً عليه ظنه أنه يهمله سبحانه مع علمه بصنائعه[2] المحكمة [3]فيه، مقررا[3] أحوال بدايته التى لا يسوغ معها إنكار إعادته لأنها أدل دليل على أنه لا مانع منها أصلا، حاذفا نون الكون إعلاما بان[4] الأمر فى هذه النتيجة العظمى ضاق عن أقل شيء يمكن الاستغناء عنه كراهية التمادى من الموعوظ على ما وعظ لأجله فيحصل له الهلاك، و إشارة إلى مهانة أصله و حقارته: ﴿ الم يك ﴾ أى الإنسان ﴿ نطفة ﴾ أى شيئاً يسيرا جدا ﴿ من منى ﴾ أى ماء من صلب الرجل و ترائب المرأة مقصود و مقدر من الله للابتلاء[5] و الاختبار مثاله المنية التى هى الموت ﴿ تمنى[6] ﴾ أى سبب الله للانسان المعالجة[7] فى إخراجها بما ركب فيه من الشهوة[7] و جعل له من الروح التى يسرها لقضاء وطره منها حتى أن وقت صبها فى الرحم [انصبت - [8]] منه[9] بغير اختياره حتى كأنه لا فعل له [فيها - [8]] أصلا، و لذلك بنى الفعل لما لم يسم فاعله، و [لما - [8]] كان تكثير تلك النطفة و تحويلها أمرا عظيما عجيبا، أشار إليه بأداة البعد مع إفادتها للتراخى[10] فى الزمان أيضا

(١) من ظ و م، و فى الأصل «أو» (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بصناعه (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: مقروا (٤) زيد فى الأصل: هذا، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: للابتال (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المعاجلة (٧) من ظ و م، و فى الأصل الشبه (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: منية (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: اداة التراخى.

فقال: ﴿ ثم كان ﴾ اى كونا محكما ﴿ علقة ﴾ اى دما أحمر عبيطا شديد الحمرة و الغلظة ﴿ فخلق ﴾ أى قدر[1] سبحانه عقب ذلك لحمه و عظامه و عصبه و [2]غير ذلك[2] من جواهره و أعراضه ﴿ فسوّى ﴾ اى عدل عن ذلك خلقا آخر غاية التعديل شخصا مستقلا .

و لما كان استبعادهم للقيامة إما لاستبعاد القدرة على إعادة الأجزاء[3] ٥ بعد تفرقها أو لاستبعاد القدرة على تمييز ترابها من تراب الأرض بعد الاختلاط ، و كان تمييز النطفة إلى ذكر و أنثى كافيا فى [رد -[4]] الاستبعادين قال: ﴿ فجعل ﴾ اى بسبب النطفة ﴿ منه ﴾ أى هذا الماء الدافق أو المخلوق المسوى و هما شيء واحد ﴿ الزوجين ﴾ أى القرينين[5] اللذين لا يمكن الانتفاع بأحدهما إلا بالآخر ، ثم بينهما / بقوله : ١٠ ٦٠٨ / ﴿ الذكر و الانثى[6] ﴾ و هما كما تعلمون متباينان فى الطباع مختلفان فى أوصاف الأعضاء و الآلات و المتاع[6] ، كما لم يترك[7] النطفة حتى صيرها علقة و لا ترك العلقة حتى صيرها [مضغة و لا ترك المضغة حتى صيرها -[8]] عظاما و لم يترك العظام حتى صيرها خلقا[9] آخر إلى تمام[9] الخلقة لتمام الحكمة الظاهرة و فصلها إلى ذكر و أنثى و هى [ماء -[4]] ، ١٥

(١) من ظ وم ، و فى الأصل : فقدر (٢-٢) من ظ وم ، وفى الأصل : غيره.
(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : الجزاء (٤) زيد من ظ وم (٥) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٦) من ظ وم ، و فى الأصل : اشاع.
(٧) زيد فى الأصل : العظام ، و لم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٨) زيد من هامش ظ (٩-٩) من ظ و م ، وفى الأصل : تمام آخر .

تميز ما يصلح منه للذكر و ما يصلح منه للانثى أشد[1] و اخفى من تميز تراب الميت من تراب الأرض ، فكذلك لا يترك الجسم بعد موته حتى يعيده ثم يبعثه إلى آخر ذلك لتمام الحكمة الباطنة و هى الجزاء و الحكم الذى [هو -[2]] خاصة الملك .

٥ و لما تقرر من حيث إتقان[3] الاصطناع أنه لا يجوز معه الإهمال و انقطاع النزاع ، و كان ربما توقف من حيث ظن عدم القدرة على ذلك بعد الموت ، قال منبها على تمام القدرة مقررا عليه منكرا على من يتوقف فيه موبخا له مرتبا على ما قام على القدرة على الإعادة من دليل القدرة الشهودى على البداية : ﴿ اليس ذلك ﴾[4] أى الخالق المسوى

١٠ الإله الأعظم الذى قدر على *هذه الإنشاءات* و صنع هذه الصنائع المتقنة التى لا يقدر غيره على شىء منها ، و أعرق فى النفى فقال : ﴿ بقٰدر ﴾ أى عظيم القدرة ﴿على[5] ان يحيى ﴾ أى كيف أراد دفعة أو فى أوقات متعاقبة ﴿ الموتٰى ﴾ فيقيم القيامة بل [و -[2]] عزته و جلاله[6] و عظمته و كماله [7]إنه على[7] كل [8]ما يريد[8] قدير ، و قد رجع

١٥ آخر السورة على أولها أتم رجوع ، و التأم[9] به أتم التئام ، فتمت

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : و اشده (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : احكام ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : كله دليلا على قوله ليس ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا الانشاء (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : جلالته . (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : شىء (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الم .

معانيها أعظم تمام بجمع العظام و إيجاد القيام ليوم التغابن و الزحام - أعاننا الله [فيه - ١] بحسن الختام، روى البغوى[٢] بسنده من طريق أبى داود عن أعرابى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من قرأ منكم "و التين و الزيتون" فانتهى إلى آخرها "اليس الله بأحكم الحاكمين" فليقل: [بلى -٣] و أنا على ذلك من الشاهدين، و من قرأ "لا اقسم بيوم القيامة" فانتهى إلى قوله "أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى" فليقل: بلى، ومن قرأ المرسلات فقرأ «فبأى حديث بعده يؤمنون» فليقل: آمنا بالله. [و -١] رواه الترمذى و قال فى آخر القيامة «ان يحيى الموتى»: بلى و عزة ربنا. و قال الحافظ نور الدين[٤] الهيثمى فى مجمع الزوائد[٥]: و روى أحمد و فيه رجلان لم أعرفهما عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: من قرأ: و المرسلات عرفا[٦] فبأى حديث بعده يؤمنون، و من قرأ: و التين و الزيتون[٧]، فليقل: و أنا على ذلك من الشاهدين، و من قرأ: أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى، فليقل: بلى[٨] -[٩] و الله الهادى للصواب[٩].

---

(١) زيد من ظ و م (٢) فى المعالم ٧/١٥٦ (٣) زيد من المعالم (٤) من ظ و م، وفى الأصل: نو ر (٥) راجع ٧/١٣٢ (٦) زيد فى الأصل: الى قوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م والمجمع فحذفناها (٧) زيد فى الأصل: الى قوله اليس الله باحكم الحاكمين، ولم تكن الزيادة فى ظ و م والمجمع فحذفناها (٨) من ظ و م والمجمع، و فى الأصل: بلى (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

/٦٠٩/ / سورة الإنسان[1] و تسمى هل أتى و الأمشاج و الدهر

مقصودها ترهيب الإنسان بما دل عليه آخر القيامة من العرض[2] على الملك الديان بتعذيب[3] العاصي [4] في النيران [4] و تنعيم المطيع في الجنان بعد جمع الخلائق [كلها - [5]] الإنس و الملائكة و الجان و غير ذلك من الحيوان ، و يكون لهم مواقف طوال و أهوال و زلزال ، لكل منها أعظم شأن ، و أدل ما فيها على ذلك الإنسان بتأمل آيته و تدبر[6] مبدئه و غايته ، و كذا[7] تسميتها بهل أتى و بالدهر و بالأمشاج من غير ميل و لا اعوجاج ﴿ بسم الله ﴾ الملك الذي خلق الخلائق لمعرفة أسمائه الحسنى ﴿ الرحمن ﴾ الذي عمهم بنعمه الظاهرة فرادى[8] و مثنى ﴿الرحيم ۝﴾ الذي خص منهم من اختاره لوداده[9] بالنعمة الباطنة و المقام الأسنى .

لما تقدم في[10] آخر القيامة[11] التهديد على مطلق التكذيب ، و أن

(١) السادسة و السبعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٣١ .
(٢) زيد في الأصل : الملك الجبار ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .
(٣) من ظ و م ، و في الأصل : من تعذيب (٤-٤) من ظ و م ، و في الأصل : بالنيران (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م ، و في الأصل : تدبر (٧) من م ، و في الأصل : لذا ، و في ظ : الذلك (٨) من ظ و م ، و في الأصل : فرداه (٩) من ظ و م ، و في الأصل : لوارده (١٠) من ظ و م ، و في الأصل : من . (١١) زيد في الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها .

المرجع إلى الله وحده، و الإنكار على من ظن أنه يترك سدى[1]، و الاستدلال على البعث و تمام القدرة [عليه -[2]]، تلاه أول هذه بالاستفهام[3] الإنكارى على ما يقطع معه بأنه لايترك سدى، فقال مفصلا ما له سبحانه عليه من نعمة الإيجاد و الإعداد و الإمداد و الإسعاد: ﴿ هل أتى ﴾ أى بوجه من الوجوه ﴿ على الانسان ﴾ اى هذا النوع الذى شغله ٥ عما يراد به و يراد له لعظم مقداره فى نفس الأمر الأنس بنفسه، و الإعجاب بظاهر حسه، و النسيان لما بعد حلول رمسه ﴿ حين من الدهر ﴾ أى مقدار محدود و إن قل من الزمان الممتد الغير المحدود حال[4] كونه ﴿ لم يكن ﴾ أى فى ذلك الحين كونا راسخا ﴿ شيئا مذكورا ﴾ أى ذكرا له اعتبار ظاهر فى الملأ[5] الأعلى و غيره حتى أنه يكون متهاونا[6] به غير ١٠ منظور إليه ليجوز أن يكون سدى بلا أمر و نهى، ثم يذهب [عدما -[2]] بالكلية، ليس الأمر كذلك، بل ما أتى عليه [6]شىء من[6] ذلك بعد خلقه إلا و هو فيه شىء مذكور، و ذلك ان الدهر هو الزمان. و الزمان هو مقدار حركة الفلك -كما نقله الرازى فى [كتاب -[2]] اللوامع فى سورة «يس» عند [7]قوله تعالى[7] «و لا الليل سابق النهار» فانه قال: الزمان ١٥ ابتداؤه من حركات السماء فان الزمان مقدار حركات الفلك - انتهى. و آدم عليه السلام تم الخلق بتمام خلقه فى آخر يوم الجمعة أول جمعة

(١) زيد فى الأصل: حاشا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الاستفهام (٤) من ظ و م، و فى الأصل: حالة (٥) فى م: مهاونا (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: من شىء. (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

كانت ، وكانت [طينته -[١]] قبل ذلك بمدة مخمرة هو فيها بين[٢] الروح
٦١٠/ و الجسد ، قال / ابن مسعود رضى الله عنه : خلق الله آدم عليه السلام
من تراب فاقام أربعين سنة ثم من طين أربعين سنة ثم من صلصال
أربعين سنة ثم من حماء [مسنون -[١]] أربعين سنة ثم خلقه[٣] بعد ستين
٥ و مائة سنة ، [و قال البغوى[٥] : قال ابن عباس رضى الله عنهما : ثم خلقه
بعد عشرين ومائة سنه -[١]] : فحينئذ[٥] ما أتى عليه زمان إلا و هو شيء مذكور
إما بالتخمير و إما [٦]بتمام التصوير[٦] ، فالاستفهام على بابه و هو إنكارى ،
و ليست «هل» بمعنى «قد» إلا إن قدرت قبلها الهمزة ، وكان الاستفهام
إنكاريا لينتفى مضمون الكلام ، و المراد أنه هو المراد من العالم ، فحينئذ
١٠ ما خلق الزمان إلا لأجله ، فهو أشرف[٧] الخلائق ، و هذا[٨] أدل دليل على[٩]
بعثه للجزاء ، فهل يجوز مع ذلك أن يترك سدى فيفنى المظروف الذى
هو المقصود بالذات ، و يبقى الظرف الذى ما خلق إلا صوانا[١٠] له ،
و الذى يدل على ذلك من أقوال السلف أنه روى أن رجلا قرأها
عند ابن مسعود رضى الله عنه فقال : ياليت ذلك لم[١١] يكن .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : علقة (٤) راجع المعالم ٧/١٥٧ (٥) من ظ وم ، وفى الأصل : فحين . (٦-٦) من م ، و فى الأصل و ظ : بالتصوير (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : اشر (٨) من ظ وم ، و فى الأصل : هو (٩) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : صونا (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : لن .

و قال الإمام ابو جعفر ابن الزبير : قوله تعالى " هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا[1] " تعريف الإنسان بحاله و ابتداء أمره ليعلم أن لاطريق له للكبر و اعتقاد السيادة لنفسه، و أن لايغلطه ما اكتنفه من الألطاف الربانية و الاعتناء الإلهى و التكرمة فيعتقد أنه يستوجب ذلك و يستحقه " و ما بكم من نعمة فمن الله " و لما تقدم ٥ فى القيامة إخباره تعالى عن حال[2] منكرى البعث عنادا و استكبارا و تعاميا عن النظر و الاعتبار " أيحسب الانسان ان لن نجمع عظامه " و قوله بعد " فلا صدق و لا صلى و لكن كذب و تولى ثم ذهب الى اهله يتمطى " اى يتبختر عتوا[3] و استكبارا و مرحا[4] و تجبرا، و تعريفه بحاله التى[5] لو فكر فيها[6] لما كان منه ما وصف، [و ـ[7]] ذلك قوله " الم يك ١٠ نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى " اتبع ذلك بما هو أعرق فى التوبيخ و أوغل فى التعريف و هو أنه [قد ـ[7]] كان لا شىء فلا نطفة و لا علقة، ثم أنعم الله عليه بنعمة الإيجاد و نقله تعالى من طور إلى طور فجعله نطفة من ماء مهين فى قرار مكين ثم كان علقة ثم مضغة إلى إخراجه[8] و تسويته خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين، فمن اعتبر ١٥ اتصافه بالعدم ثم تقلبه فى هذه الأطوار المستنكف حالها و الواضح

(١) من ظ و م، و فى الأصل : المذكور (٢) من ظ و م، و فى الأصل : اخبارا (٣) من ظ و م، و فى الأصل : علوا (٤) من ظ و م، و فى الأصل : مراحا (٥) من ظ و م، و فى الأصل : الذى (٦) من ظ و م، و فى الأصل : فيه (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل : آخره .

فناؤها و اضمحلالها، و[1] امده الله تعالى بتوفيقه[2] عرف حرمان من وصف في قوله "ثم ذهب إلى أهله يتمطى" فسبحان[3] الله ما أعظم[3] حلمه و كرمه و رفقه، [ثم -[4]] بين تعالى أن ما [5]جعله للانسان[5] من السمع و البصر ابتلاء له، و من [6] أدركه أدركه[6] الغلط و ارتكب الشطط - انتهى .

٥ [5] و لما ذكر مطلق خلقه، و قرر[7] أنه خلاصة الكون، شرع يذكر كيفية خلقه و يدل على ما لزم من ذلك من أنه ما خلق الخلق إلا لأجله و أنه لايجوز أن يهمل[8] فقال معلما بالحال التي هي قيد الجملة و محط الفائدة[9] أنه ما خلق إلا للآخرة، مفصلا أمر الإيجاد بالفاعل و الصورة / و المادة و الغاية و[10] أكده لإنكارهم له[10]: ﴿ انا ﴾ أي على ما لنا من العظمة ﴿خلقنا﴾ /٦١١

١٠ أي قدرنا و صورنا، و أظهر[11] و لم يضمر لأن الثاني خاص و الأول عام لآدم عليه الصلاة و السلام و جميع ولده فقال: ﴿ الانسان ﴾ أي بعد خلق آدم عليه الصلاة و السلام ﴿ من نطفة ﴾ أي مادة هي ماء يسير جسدا من الرجل و المرأة، وكل ماء قليل في وعاء فهو نطفة، و هي المادة التي هي السبب الحامل للقوة المولدة .

---

(١) من ظ و م، و في الأصل « ثم» (٢) من ظ و م، و في الأصل : بتوقيفه. (٣-٣) ما بين الرقمين في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٤) زيد من ظ و م. (٥ - ٥) من ظ و م، و في الأصل : حصل الان (٦ - ٦) من ظ و م، و في الأصل : ادرك ادرك (٧) من ظ و م، و في الأصل : ذكر (٨) من ظ و م، و في الأصل : يهمله (٩) زيدت الواو في الاصل و ظ و لم تكن في م فحذفناها. (١٠-١٠) من ظ و م، و في الاصل : اكد ذلك (١١) من ظ و م، و في الأصل : اظهرنا.

و لما كان خلقه على طبائع مختلفة و أمزجة متفاوتة أعظم لأجره إن جاهد ما يتنازعه من المختلفات بأمر ربه الذى[1] لايختلف، و كانت افعاله تابعة [لأخلاقه و أخلاقه تابعة -[2]] لجبلته قال: ﴿امشاج ق ٢﴾ [أى أخلاط -[2]] جمع مشج أومشيج مثل خدن و خدين و أخدان، و [3]خلط و خليط[3] و اخلاط، من مشجت الشيء - إذا خلطته، لأنه من منى الرجل و منى المرأة، و كل منهما مختلف الأجزاء متباين الأوصاف فى الرقة و الثخن و القوام و الخواص تجتمع مع الأخلاط و هى العناصر الأربعة، ماء الرجل غليظ أبيض، و ماء المرأة رقيق أصفر فأيهما علا كان الشبه له، و ما كان من عصب و عظم فمن نطفة الرجل، و ما كان من [4]دم و لحم[4] و شعر فمن ماء المرأة، و قال يمان[5]: كل لونين اختلطا فهو[6] أمشاج، و قال قتادة: هى أطوار الخلق من النطفة و ما بعدهما، و كما[7] يشبه ما غلب عليه من باطن الأمشاج من [8]الطيب و الخبث[8]، و كيفية تمشيجه أن الماء إذا وصل إلى قرار الرحم اختلط بماء المرأة ثم بدم[9] الطمث و خثر حتى صار كالرائب[10] ثم احمر و حينئذ يسمى علقة، فاذا اشتد ذلك الامتزاج و قوى و تمتن حتى استعد لأن يقسم فيه الأعضاء سمى[11] مضغة، فاذا

(١) من ظ و م، و فى الأصل: التى (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: خليط و خلط (٤-٤) فى ظ و م: لحم و دم (٥) هو أبو بشر اللغوى.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: فهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فكما.
(٨ - ٨) من ظ و م، و فى الأصل: الطين و الخشب (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بما (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: كالترايب (١١) من ظ و م، و فى الأصل: يسمى.

أفيضت عليه صور[1] الأعضاء وتقسم كساه حينئذ مفيضه عز وجل لحما، فأفاض عليه القوة العاقلة، و يسمى حينئذ جنينا، و ذلك بعد تقسيم أجزائه إلى عظام و عروق و أعصاب و اوتار و لحم، فدور الرأس و شق فى جانبيه السمع و فى مقدمه البصر و الأنف و الفم، و شق فى البدن سائر المنافذ ثم مد اليدين و الرجلين و قسم رؤسها[2] بالأصابع، و ركب الأعضاء الباطنة من القلب و المعدة [و الكبد -[3]] و الطحال و الرئة و المثانة، فسجان من خلق تلك الأشياء من نطفة سخيفة مهينة كوّن منها العظام مع قوتها و شدتها[4] و جعلها عماد البدن و قوامه و قدرها بمقادير[5] و أشكال مختلفة، فمنها صغير و كبير، و طويل و قصير، و عريض و مستدير، و مجوف و مصمت، و دقيق و ثخين، و لم يجعلها عظما واحدا لأن الإنسان محتاج إلى الحركة بجملة بدنه و بعض أعضائه، ثم جعل بين تلك العظام مفاصل ثم وصلها بأوتار أنبتها من أحد طرفى العظم / و ألصقها بالطرف الآخر بالرباط له ثم خلق فى أحد طرفى العظم زوائد خارجة، و فى الآخر حفرا[6] موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها، و خلق الرأس مع كريته من خمسة و خمسين عظما مختلفة الأشكال و اللف بعضها مع بعض، فجعل فى القحف ستة و فى اللحى الأعلى أربعة عشر، و اثنان الأسفل، و الباقى فى الأسنان، و جعل [الرقبة -[3]] /٦١٢

(١) من ظ و م، و فى الأصل: صورة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: روسهما (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: شل لها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: حفر.

مركبا

مركبا للراس و ركبها من سبع خرزات فيها تجويفات [١]و زيادات[١] و نقصانات[٢] لينطبق بعضها على بعض ، و ركب الظهر من أربع وعشرين خرزة و عظم العجز[٣] من ثلاثة أجزاء، و جعل من أسفله عظم العصعص أو اللفة من ثلاثة أجزاء مختلفة ، ثم وصل عظام الظهر بعظام[٤] الصدر و عظام الكتف و غيرها حتى بلغ مجموع عظام بدن الإنسان مائتى عظم[٥] و ثمانية و أربعين عظما سوى العظام التى حشى بها خلل[٦] المفاصل ، و خلق[٧] سبحانه آلات التحريك للعظام و هى العضلات و هى خمسمائة و سبع و عشرون[٨] عضلة كل منها على قدر مخصوص و وضع مخصوص لو تغير [عن -[٩]] ذلك أدنى تغير لاختلت مصالح البدن ، و كذا الأعصاب و الأوردة و الشرايين ، ثم انظر كيف خلق الظهر أساسا للبدن و البطن حاويا لآلات الغذاء و الرأس مجمعا للحواس، ففتح العين و رتب طبقاتها[١٠] و أحسن شكلها و لونها و أحكمها بحيث ينطبع فى مقدار عدسة منها صورة السماوات على عظمها ، و حماها بالأجفان لتسترها و تحفظها ، ثم أودع الأذنين ماء مرا يدفع عنها الهوام و حاطها بصدفين لجمع الصوت و رده إلى الصماخ و ليحس بدبيب الهوام و جعل فيها[١١] تعريجا لتطويل

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : نقصان .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : العجم (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بعظم .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عظام (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : خلال.
(٧) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : عشرين (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : طباقها (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : فيهما .

الطريق ، فلا تصل الهوام إلى جرم الصماخ سريعا ، ثم رفع الأنف فى الوجه و أودع فيه حاسة الشم للاستدلال بالروائح على الأطعمة و الأغذية و لاستنشاق الروائح الطيبة لتكون مروحة للقلب ، و أودع الفم اللسان و جعله على كونه لحمة واحدة معربا[1] عما فى النفس ، و زين الفم بالأسنان ٥ فحدد بعضها لتكون آلة[2] للنقب و حدد بعضها لتصلح للقطع ، و جعل بعضها عريضا مفلطحا صالحا للطحن و بيض ألوانها و رتب صفوفها وسوى رؤسها و نسق ترتيبها حتى صارت كالدر المنظوم ، ثم اطبق على الفم الشفتين و حسن لونهما لتحفظا منفذه[3] وهيأ الحنجرة لخروج الصوت ، و خالف أشكال الحناجر فى [4]الضيق و السعة[4] و الخشونة و الملاسة و الصلابة و الرخاوة ١٠ و الطول و القصر ، فاختلفت الأصوات بسببها ليميز السامع المصوّتين بسبب تميز أصواتهم فيعرفهم و إن لم يرهم ، و سخر كل عضو من أعضاء الباطن لشيء مخصوص ، فالمعدة لإنضاج / الغذاء ، و الكبد لإحالته إلى الدم[5] ، / ٦١٣ و الطحال لجذب السواد ، و المرارة لجذب الصفراء ، و الكلية لجذب الفضلة المائية ، و المثانة لخدمة الكلية بقبول الماء عنها ثم إخراجه من طريقه ، ١٥ و العروق لخدمة الكبد فى إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن ، و كان مبدا ذلك كله النطفة على صغرها فى داخل الرحم فى ظلمات ثلاث ، و لو كشف الغطاء و امتد البصر إليه لرأى التخطيط[6] و التصوير يظهر عليه

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : معبرا (٢) زيد فى الأصل : و آية ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مقدرة (٤-٤) من ظ و م ، وفى الأصل : السعة و الضيق (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : الكبد . (٦) فى ظ : التخليط .

شيئا فشيئا و لا يرى المصور و لا الاله ، فسبحانه ما أعظم شأنه و أبهر[1] برهانه ، فيا لله العجب[2] ممن يرى نقشا حسنا على جدار فيتعجب من حسنه و حذق صانعه ثم لا يزال يستعظمه ثم ينظر إلى هذه العجائب فى نفسه و فى غيره ثم يغفل عن صانعه -[3]] و مصوره فلا تدهشه عظمته و لا يحيره جلاله و حكمته . ٥

و لما كان الإنسان مركبا من روح خفيف طاهر و بدن هو مركب[4] الحظوظ و الشهوات و اللوم و الدنيات ، فكان الروح بكماله و البدن بنقصانه يتعالجان ، كل منهما يريد أن يغلب صاحبه ، قوى سبحانه الروح بالشرع الداعى إلى معالى الأخلاق ، الناهى عن مساويها ، المبين لذلك غاية البيان على يد إنسان طبعه سبحانه على الكمال ليقدر على ١٠ التلقى من الملائكة ، فيكمل أبناء نوعه ، فدل على ذلك بحال بناها من ضمير العظمة فقال مبينا للغاية : ﴿ نبتليه ﴾ أى نعامله بما لنا من العظمة بالأمر و النهى و الوعظ معاملة المختبر و نحن أعلم به منه ، و لكننا فعلنا ذلك لنقيم عليه الحجة على ما يتعارفه الناس ، فان العاصى لا يعلم أنه أريد منه العصيان ، و كذا[5] الطائع ، فصار التكليف بحسب وهمه لما ١٥ خلق[6] الله له[6] من القوة و القدرة الصالحة فى الجملة .

و لما ذكر الغاية ، أتبعها الإعدادات المصححة لها فقال : ﴿ فجعلنه ﴾

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : أعز (٢) فى ظ و م : المعجب (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : كذلك (٦-٦) فى ظ : له تعالى ، و ما بين الرقمين ساقط من م .

أى بما لنا من العظمة بسبب ذلك ﴿سميعا﴾ أى بالغ السمع ﴿بصيرا ٥﴾ أى عظيم البصر و [1]البصيرة ليتمكن[1] من مشاهـدة[2] الدلائل ببصره و سماع الآيات بسمعه، و معرفة الحجج ببصيرته، فيصح تكليفه و ابتلاؤه، [3]فقدم العلة الغائية[3] لأنها متقدمة[4] فى الاستحضار [على -[5]] التابع لها المصحح لورودها، و قدم [السمع -[6]] لأنه أنفع فى المخاطبات، و لأن الآيات المسموعة أبين من الآيات المرئية، قال الرازى فى اللوامع: و إلى هنا انتهى [7]الخبر الفطرى ثم يبتدئ منه[7] الاختبار الكسبى - انتهى. و ذلك بنفخ الروح و هى حادثة [8]بعد حدوث[8] البدن بإحداث القادر المختار لها بعد تهيئة البدن لقبولها، ثم أفاض سبحانه [على الجملة العقل، و جعل السمع و البصر اللتين له، و لعله خصهما لأنهما أنفع الحواس، و لأن البصر يفهم البصيرة و هى تتضمن الجميـع، و جعل سبحانه -[5]] له ذلك لاستقراء صور المحسوسات و انتزاع العلوم الكلية منها، و بذلك يكمل علمه الذى منه الدفع عن نفسه التى جعلها الله تعالى محل التكليف ليكمل تكليفه/، و ذلك أنه[9] سبحانه ركبه من العناصر الأربعة، و جعل صلاحه بصلاحها، و فساده بفسادها /٦١٤

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: البصير لا يتمكن (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مشاهدات (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: و قدم العلقة الغاية.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: مقدمة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد من ظ.
(٧ - ٧) تكرر ما بين المرتين فى الأصل فقط (٨ - ٨) من م، و فى الاصل و ظ: بحدوث (٩) من ظ و م، و فى الاصل: ان الله.

لتعالبها، فاضطر إلى قوى يدرك بها المنافى فيجتنبه و الملائم فيطلبه، فرتب له سبحانه الحواس الخمس الظاهرة، فجعل السمع فى الأذن، و البصر فى العين، و الذوق فى اللسان، و الشم فى الأنف، و بث اللمس فى سائر البدن، ليدفع به عن جميع الأعضاء ما يؤذيها، و هذه الحواس[1] الظاهرة تنبعث[2] عن قوة باطنة تسمى الحس المشترك يحمل ٥ ما أدركته فيرتسم هناك و هو فى مقدم البطن[3] الأول من الدماغ و ينتقل ما ارتسم هنا إلى خزانه الخيال و هى فى مؤخر هذا البطن من الدماغ فتحفظ فيها صورته و إن غابت عن الحواس، و ثم قوة أخرى من شأنها إدراك المعانى الجزئية المتعلقة[4] بالمحسوسات الشخصية كعداوة زيد و صداقته تسمى الوهم و محلها الدماغ كله و الأخص[5] بها التجويف[5] الأوسط و خصوصا مؤخره، و قوة أخرى أيضا شأنها خزن ما أدركته ١٠ القوة الوهمية من المعانى الجزئية تسمى الحافظة باعتبار، و الذاكرة باعتبار، و محلها التجويف[6] المؤخر فى الدماغ[6]، و قوة أخرى من شأنها تفتيش تلك الخزائن و تركيب[7] بعض مودعاتها مع بعض و تفصيل بعضها مع بعض و محلها و سلطانها فى أول التجويف الأوسط، و تلك

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الخمسة (٢) من ظ و م، وفى الأصل: تبعث.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: البطر (٤) من ظ و م، وفى الأصل: المتعلق بالقراين المخصوصة (٥-٥) من ظ و م، و فى الاصل: بالتجويف.
(٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل: و الأخرى بالدماغ (٧) من ظ و م، وفى الأصل: تأليف.

القوة[١] تسمى مخيلة باعتبار تصريف الوهم لها و[٢]مفكرة باعتبار [٣]استعمال النفس[٣] لها ، و قد اقتضت الحكمة الربانية تقديم ما يدرك الصور الجرمية و تأخير ما يدرك المعانى الروحانية ، و توسيط المتصرف فيهما بالحكم و الاسترجاع للأمثال المنمحية من الجانبين ، ثم لا تزال هذه القوى تخدم ما فوقها[٤] كما خدمتها الحواس الخمس[٥] إلى أن تصير عقلا مستفادا ، و هو قوة للنفس[٦] بها يكون لها[٦] حضور المعقولات [بالفعل ، و هذا العقل هو غاية السلوك الطلبى للانسان و هو الرئيس المطلق المخدوم للعقل بالفعل ، و هو القوة التى تكون للنفس بها اقتدار على استحضار المعقولات - [٧]] الثانية و هو المخدوم للعقل الهيولانى المشبه بالهيولى الخالية فى[٨] نفسها عن جميع الصور ، و هو قوة من شأنها الاستعداد المحض لدرك المعقولات باستعمال[٩] الحواس فى تصفح الجزئيات و استقرائها المخدومات كلها للعقل العملى ، و هو القوة النظرية المخدوم للوهم[١٠] المخدوم لما بعده من الحافظة و ما قبله من المتخيلة المخدومتين للخيال المخدوم للحس المشترك المخدوم للحواس الظاهرة .

و لما كان كأنه [قيل -[٧]] : هبه خلق هكذا فكان ما ذا ؟ قال

(١) من م ، و فى الأصل وظ : القوى (٢) زيد فى الأصل : تسمى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بالوهم (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فوقها (٥) سقط من ظ و م (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يكون بها (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : بالاستعمال (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : للتوهم .

شفاء[1] لمن هذا السؤال و بيانا لنعمة الإمداد: ﴿ انا ﴾ اى بما لنا من العظمة ﴿ هديناه ﴾ أى بينا له لأجل الابتلاء ﴿ السبيل ﴾ أى الطريق الواضح الذى لا طريق فى الحقيقة غيره، و هو طريق الخير الذى من حاد عنه ضل، و ذلك بما انزلنا من الكتب و أرسلنا من الرسل و نصبنا / من الدلائل فى الأنفس و الآفاق. و جعلنا له من البصيرة ٥ /٦١٥ التى يميز بها بين الصادق و الكاذب و كلام الخلق و كلام الخالق و الحق و الباطل[2] و ما أشبهه[3].

و لما كان الإنسان عند البيان قد كان منه قسمان، و كان السياق لبيان تعظيمه[4] بأنه خلاصة الكون و المقصود من الخلق، قال بانيا حالا من ضميره فى "هديناه" مقسما له مقدما القسم الذى أتم عليه بالبيان ١٠ نعمة الهداية بخلق الإيمان، لأن ذلك أنسب بذكر تشريفه للانسان، بجعله خلاصة الوجود و بقوله «إن رحمتى سبقت غضبى» فى سياق ابتداء الخلق، معبرا باسم الفاعل[5] الخالى عن المبالغة، لأنه لا يقدر أحد أن يشكر جميع النعم، فلا يسمى شكورا[6] إلا بتفضل [من -[7]] ربه عليه: ﴿ اما شاكرا ﴾ أى لإنعام ربه عليه. ١٥

و لما كان الإنسان، لما له من النقصان، لا ينفك غالبا عن كفر ما، أتى بصيغة المبالغة تنبيها له على ذلك معرفا له أنه[7] لا يأخذه إلا

(١) من ظ و م، و فى الأصل: تبعا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: العظمة (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ: شكرا.
(٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ان.

بالتوغل[1] فيه ليعرف نعمة الحلم عنه فيحمله الخجل على [الإقبال على - [2]] من رضى منه بقليل الشكر ، و يحتمل أن يفهم ذلك أنه من كفر نعمة واحدة فقد كفر الجميع فصار بليغ الكفر فقال : ﴿ و اما كفورا ﴾ أي بليغ الكفر بالإعراض و التكذيب و عبادة الغير و المعاندة[3] ، فاحسانه غير موفور و إساءته مفرطة ، و بدأ بالشكر لأنه[4] الأصل ، روى الشيخان[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه[6] - الحديث ، و رواه أحمد بن منيع عن ابن عباس رضي الله عنهما ، و رواه[7] الإمام أحمد[8] عن جابر رضي الله عنه و لفظه : كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكرا و إما كفورا - رواه الإمام أحمد أيضا و أبو يعلى[9] عن الأسود بن سريع رضي الله عنه .

و لما قسمهم إلى القسمين[10] ، ذكر[11] جزاء كل قسم فقال مستأنفا جواب من يسأل عن ذلك مبشرا للشاكر الذي استعد بعروجه في مراقي العبادات إلى ملكوت العلويات لروح و ريحان و جنة نعيم ، و منذرا

(١) من ظ ، و في الأصل : بالتقول ، و في م : بالتغول (٢) زيد من ظ و م .
(٣) من ظ و م ، و في الأصل : الاعادة و المعادة (٤) من ظ و م ، و في الأصل : لاسلى - كذا (٥) و للحديث من الشهرة ما يغنينا عن التعليق عليه .
(٦) من ظ و م ، و في الأصل : يمسحانه (٧) من ظ و م ، و في الأصل : روى .
(٨) راجع المسند ٣ / ٣٥٣ ، و فيه بعض الزيادة (٩) من ظ و م ، و في الأصل : ابو يحيى (١٠) من م ، و في الأصل و ظ : قسمين (١١) من ظ و م ، و في الأصل : بين .

للكافر

للكافر الذى استعد بالهبوط فى دركات المخالفات إلى التقيد بالسفليات لنزل من حميم و تصلية جحيم ، مقدما للعاصى لأن طريق النشر المشوش أفصح ، و ليعادل البداءة بالشاكر فى أصل التقسيم ليتعادل الخوف والرجاء، و ليكون الشاكر أولا و آخرا ، و لأن الانقياد بالوعيد أتم لأنه أدل على القدرة لاسيما فى حق أهل الجاهلية الذين بعدت عنهم معرفة التكاليف الشرعية، و أكثر فى القرآن العظيم من الدعاء بالترغيب و الترهيب لأنه الذى يفهمه الجهال الذين هم أغلب/ الناس دون الحجج و البراهين، فانها لا يفهمها إلا الخواص ، و أكد لأجل تكذيب الكفار[1] : ﴿ انا ﴾ اى على ما لنا من العظمة ﴿ اعتدنا ﴾ اى هيأنا و أحضرنا بشدة و غلظة ﴿ للكٰفرين ﴾ اى العريقين فى الكفر خاصة ، و قدم الأسهل فى العذاب فالأسهل ترقيا فقال : ﴿ سلٰسلَا ﴾[2] يقادون و يرتقون[3] بها ، و قراءة من نوّن مشيرة إلى أنها عظيمة جدا ، و كذا وقف أبى عمرو عليه بالألف مع المنع من الصرف ﴿ و اغلٰلا ﴾ أى جوامع تجمع أيديهم إلى أعناقهم فيها فيهانون[4] بها ﴿ و سعيرا ﴾ أى نارا حامية[5] جدا شديدة الاتقاد .

/٦١٦

و لما أوجز فى جزاء الكافر ، أتبعه جزاء الشاكر و أطنب فيه

(١) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل و ظ : الى و ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) من م ، و فى الأصل: يوقعون ، و فى ظ : يتاقون (٤) فى ظ : يهانون (٥) زيد فى الأصل و ظ : شديدة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

تاكيدا للترغيب، فان النفوس بعد كسر الوعيد لها تهتز[1] لأدنى وعد و أقله فكيف بأتمه و أجله. فقال مستأنفا مؤكدا لتكذيب[2] الكافر مبينا بذكر الجار على هذه الصفة أنهم فى أنهى ما يكون من رغد العيش لأنه يلوم[3] من شربها جميع مقدماتها و متمماتها: ﴿ ان الابرار ﴾ بخصوصهم من عموم الشاكرين جمع بر كأرباب جمع رب، او بار كأشهاد جمع شاهد، و هم الذين سمت هممهم عن المستحقرات فظهرت[4] فى قلوبهم ينابيع[5] الحكمة فأنفوا من مساكنة الدنيا ﴿ يشربون ﴾ أى ما يريدون شربه ﴿ من كاس ﴾ أى خمر - قاله الحسن و هو[6] اسم لقدح تكون فيه[7] ﴿ كان مزاجها ﴾ أى الذى[8] تمزج به ﴿ كافورا ﴾ أى لبرده[9] و عذوبته و طيب عرفه، و ذكر فعل الكون يدل على أن[10] له شأنا[11] فى المزج عظيما[12] يكون فيه كأنه من نفس الجبلة لا كما يعهد.

و لما كان الكافور [أعلى - [13]] ما نعهده جامدا، بين أنه هناك ليس كذلك، فقال مبدلا من «كافورا»: ﴿عينا يشرب بها﴾ أى بمزاجها[14]

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يتعنى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لتاكيد.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ: لا يلزم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فظهر.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: ينابع (٧) من ظ و م، و فى الأصل: هم.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: التى.
(٩) من ظ و م، و فى الأصل: كبرده (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: انه.
(١١) من ظ و م، و فى الأصل: شان (١٢) من ظ و م، و فى الأصل: عظم (١٣) زيد من ظ و م (١٤) من م، و فى الأصل: بمزجها، و فى ظ: بمازجها.

كما تقول: شربت الماء بالعسل ﴿ عباد الله ﴾ أى خواص الملك الأعظم و أولياؤه أى شراب أرادوه[1].

و لما كان المزاج[2] يتكلف لنقله[3] قال: ﴿ يفجرونها تفجيرا ﴾ أى حال كونهم يشققونها و يجرونها بغاية الكثرة إجراء حيث أرادوا من مساكنهم و إن علت و غيرها. ٥

و لما ذكر جزاءهم على برهم المبين لشكرهم، أتبعه تفصيله فقال[4] مستأنفا بيانا لأن شكرهم بالتعظيم لأمر الله و الشفقة على خلق الله و عمارة الظاهر و الباطن لأنهم جمعوا بين كرم الطبع و لطافة المزاج الحامل على تجويز الممكن المقتضى للايمان بالغيب: ﴿ يوفون ﴾ أى على سبيل الاستمرار ﴿ بالنذر ﴾ و هذا[5] كناية عن وفائهم بجميع أنحاء العبادة ١٠ لأن من وفى بما أوجبه على نفسه كان بما أوجبه الله من غير واسطة أوفى، و يجوز أن يكون النذر كل ما تقدم إليهم فيه سبحانه.

و لما[6] دل وفاؤهم على سلامة طباعهم، قال عاطفا دلالة على جمعهم للأمرين المتعاطفين فهم يفعلون الوفاء لا لأجل الخوف بل لكرم الطبع: ﴿ و يخافون ﴾ أى مع فعلهم للواجبات ﴿ يوما كان ﴾ أى كونا هو فى ١٥

(١) فى ظ و م: أرادوا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: المزج (٣) من ظ و م، و فى الأصل: نقله (٤) زيد فى الأصل: أيضا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٦) زيد فى الأصل: كان قد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

جبلته ﴿ شره ﴾ أى ما فيه من الشدائد ﴿ مستطيرا ٥ ﴾ أى موجود الطيران وجودا كأنه بغاية الرغبة فيه فهو فى غاية الانتشار. و الخوف أدل دليل على عمارة الباطن، قالوا: و ما فاوق الخوف قلبا إلا خرب، من خاف أدلج، و من أدلج بلغ المنزل، فالخوف لاجتناب الشر و الوفاء لاجتلاب[1] الخير.

و لما كان من خاف شيئا سعى فى الأمن منه بكل[2] ما عساه ينفع [فيه -[3]]، و كان قد ذكر تدرعهم[4] بالواجب، أتبعه المندوب دلالة على أنهم لا ركون لهم إلى الدنيا و لا وثوق[5] بها. فقد جمعوا إلى كرم الطبع بالوفاء و رقة القلب شرف النفس بالانسلاخ من الفانى فقال: ﴿ و يطعمون الطعام ﴾ أى على حسب ما تيسر لهم من عال و دون على الدوام. و لما كان الإنسان قد يسمح بما لا يلذ له قال: ﴿ على حبه ﴾ أى حبه إياه حبا هو فى غاية المكنة [منهم -[3]] و الاستعلاء على قلوبهم لقلته و شهوتهم [له -[3]] و حاجتهم إليه كما قال تعالى "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون" ليفهم أنهم للفضل أشد بذلا، و لهذا قال صلى الله عليه و سلم[6] «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم - أى الصحابة رضى الله عنهم - و لا نصيفه» لقلة الموجود إذ ذاك و كثرته[7]

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لاجتناب (٢) من ظ و م، و فى الأصل: من كل (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: تراعهم (٥) زيد فى الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) راجع مسند الإمام أحمد ٢/١١ (٧) من ظ، و فى الأصل: اكثرهم، و فى م: اكثره.

بعد

بعد ﴿ مسكينا ﴾ اى محتاجا احتياجا يسيرا، فصاحب الاحتياج الكثير أولى ﴿و يتيما﴾ أى صغيرا لا أب له ذكرا كان أو أنثى ﴿و اسيرا﴾ اى فى ايدى[1] الكفار أى أعم من ذلك، فيدخل فيه المملوك و المسجون و الكافر الذى فى أيدى المسلمين، و قد نقل فى غزوة بدر أن بعض الصحابة رضى الله عنهم كان يؤثر أسيره على نفسه بالخبز[2]، و كان الخبز ٥ إذ ذاك عزيزا حتى كان [ذلك - [3]] الأسير يعجب من مكارمهم[4] حتى كان ذلك مما دعاه إلى الإسلام، و ذلك لأن[5] النبى صلى الله عليه و سلم لما دفعهم إليهم قال: استوصوا بهم خيرا. و من حكم الأسير الحقيق كل مضرور[6]، يفعلون ذلك و الحال أنهم يقولون بلسان الحال أو القال[7] إن احتيج إليه إزاحة لتوهم المن أو توقع[8] المكافأة مؤكدين إشارة إلى أن ١٠ الإخلاص امر عزيز لايكاد احد يصدق أنه يتأتى لأحد: ﴿انما نطعمكم﴾ أى أيها المحتاجون ﴿لوجه الله﴾ أى لذات الملك الذى استجمع الجلال و الإكرام لكونه أمرنا[9] بذلك، و عبر به لأن الوجه[10] يستحى منه و يرجى و يخشى عند رؤيته.

و لما اثبتوا بهذا الإخلاص، حققوه بنفى / ما يغير فيه، و فسروه ١٥ / ٦١٨

(١) من ظ، و فى الأصل و م: يد (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى الخبز. (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ: مكارمه (٥) من ظ، و فى الأصل و م: أن. (٦) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) فى ظ و م: المقال (٨) من ظ و م، و فى الأصل: يتوقع (٩) من ظ، و فى الاصل و م: آمرا (١٠) زيد فى م: الذى.

بما لا يكون إلا به فقالوا : ﴿لا نريد منكم﴾ اى لأجل ذلك ﴿جزآء﴾ اى لنا من أعراض الدنيا ﴿ولا شكورا ۝﴾ بشيء من قول[1] ولا فعل ، وكأنه اختير هذا المصدر [المزيد -[2]] كالدخول والخروج والقعود إيماءا إلى أن المنفى ما يتكلف له ، وأما مثل المحبة والدعاء فلا ، ولو أرادوا شيئا من ذلك لما كان لله ؛ وروى[3] فى سبب نزول هذه الآية أن عليا وابنيه وامهما فاطمة رضى الله عنهم أجمعين آثروا على أنفسهم ثلاثة أيام ، وأصبحوا الرابع يرتعشون ، فلما رآهم النبى صلى الله عليه وسلم ساءه ذلك ، فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام بهذه السورة مهنئا[4] له بها ، ولا يستبعد الصبر على الجوع هذه المدة لأنه ربما كانت للنفس هيئة قوية من استغراق فى محبة الله تعالى أو غير ذلك ، فهبطت إلى البدن فشغلت الطبيعة عن تحليل الأجزاء فلا يحصل الجوع كما أنا نشاهد الإنسان يبقى فى المرض الحاد مدة من غير تناول شيء من غذاء ولا يتأثر بدنه لذلك ، فلا بدع أن [تقف -[2]] الأفعال الطبيعية فى حق بعض السالكين وهو أحد القولين فى قول النبى صلى الله عليه وسلم « إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى »

ولما كانت الأنفس مجبولة على حب الجزاء والثناء ، فكان لا يكاد يصدق أحد أن أحدا[5] يفعل ما لا يقصد[6] به شيئا من ذلك ، [7]وكان[8]

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : القول (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع أيضا المعالم ٧ /١٥٩ (٤) فى ظ : مرسلا (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : احد (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : يصدق (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : فكان .

الله سبحانه و تعالى قد من علينا بأن جعل العبادة لأجل خوفه و رجائه لا يقدح[1] فى الإخلاص، عللوا قولهم هذا على وجه التأكيد بقولهم: ﴿انا نخاف﴾ و لما كان الخوف من المحسن بالنظر إلى إحسانه موجبا للخوف منه بالنظر إلى عزه و جبروته و سلطانه من باب الأولى قالوا: ﴿من ربنا﴾ أى الخالق لنا [المحسن إلينا -[2]] ﴿يوما﴾ أى أهوال ٥ يوم [هو -[2]] فى غاية العظمة، و بينوا عظمته بقولهم: ﴿عبوسا﴾ أى ضيقا - قاله ابن عباس رضى الله عنهما[3]، نسبوا العبوس إليه لأنه فى شدته كالأسد الغضوب، فهو موجب لعبوس الوجوه فيه أو [هو -[2]] لعبوسة أهله كد ليله قائم و نهاره صائم و عيشة راضية، ﴿قمطريرا﴾ أى طويلا - قاله ابن عباس[3] رضى الله عنهما، أو شديد [4]العبوس مجتمع[4] الشر ١٠ كالذى يجمع [ما -[5]] بين عينيه - مأخوذ من القطر لأن يومه يكون عابسا، و زيد فيه الميم و بولغ فيه بالصيغة، و هو يوم القيامة، يقال: اقمطر اليوم فهو مقمطر - إذا كان صعبا شديدا.

و لما كان فعلهم هذا خالصا لله، سبب عنه[6] جزاءهم فقال مخبرا أنه دفع عنهم المضار و جلب لهم المسار: ﴿فوقٰهم الله﴾ أى الملك ١٥ الأعظم [7]بسبب خوفهم[7] ﴿شر ذلك اليوم﴾ أى العظيم، و أشار إلى نعيم[8] الظاهر بقوله: / ﴿و لقّٰهم﴾ أى تلقية عظيمة فيه و فى غيره ﴿نضرة﴾ / ١١٩

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الاخلاق (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع الدر المنثور ٦ / ٢٩٩ (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: العبوسة مجمع (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م، و فى الأصل: عنهم (٧ - ٧) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: تعميم.

أى حسنا و نعمة تظهر على وجوههم و عيشا هنيئا، و إلى نعيم الباطن بقوله: ﴿ و سرورا ﴾ أى دائما فى قلوبهم فى مقابلة خوفهم فى الدنيا و عبوس الكفار فى الآخرة و خزيهم ـ و هذا يدل على أن وصف اليوم بالعبوس[1] للدلالة على المبالغة فى عبوس أهله، و أشار إلى المسكن بقوله: ﴿ و جزٰهم بما صبروا ﴾ أى بسبب ما أوجدوه من الصبر على العبادة من لزوم الطاعة و اجتناب المعصية و منع أنفسهم الطيبات و بذل المحبوبات ﴿ جنة ﴾ أى بستانا جامعا يأكلون منه ما يشتهون جزاء على ما كانوا يطعمون. و لما ذكر ما يكسو الباطن، ذكر ما يكسو الظاهر فقال: ﴿ و حريرا ﴾ أى هو فى غاية العظمة.

و لما ذكر أنه كفاهم المخوف و حباهم الجنة، أتبعه حالهم فيها و حالها[2] فقال دالا على راحتهم الدائمة: ﴿ متكئين فيها ﴾ أى [لأن ـ[3]] كل ما أرادوه حضر إليهم[4] من غير حاجة إلى حركة أصلا، و دل على الملك بقوله: ﴿ على الارآئك ﴾ اى الأسرة العالية التى فى الحجال، لاتكون أريكة إلا مع وجود الحجلة، [و ـ[5]] قال بعضهم: هى السرير المنجد فى قبة عليه[6] شواره و نجده اى متاعه، و هى مشيرة إلى الزوجات لأن العادة جارية بأن الأرائك لاتخلو عنهن بل هى لهن[7] لاستمتاع الأزواج بهن فيها. و لما كانت بيوت الدنيا و بساتينها تحتاج إلى الانتقال منها

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بالعبوسة (٢) زيد فى الأصل: معهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل: فيها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م، و فى الأصل: عالية (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ممن.

من

من موضع إلى موضع لأجل الحر أو[1] البرد، بين ان جميع ارض الجنة و غرفها سواء فى لذه العيش و سبوغ الظل و اعتدال الأمر، فقال نافيا ضر الحر ثم البرد: ﴿ لا يرون فيها ﴾ أى بأبصارهم و لابصائرهم أصلا ﴿ شمسا ﴾ أى و لا قمرا ﴿ و لا ﴾ أى و[2] لا يرون فيها ايضا[2] ببصائرهم أى لايحسون [3]بما يسمى[3] ﴿ زمهريرا ج ﴾ أى بردا شديدا مزعجا ٥ و لا حرا، فالآية من الاحتباك: دل بنفى الشمس أولا على نفى القمر، لأن ظهوره بها [3]لأن نوره اكتساب من نور الشمس[3]، و دل بنفى الزمهرير الذى هو سبب البرد ثانيا على نفى الحر الذى سببه الشمس، فأفاد هذا أن الجنة غنية عن النيرين، لأنها نيرة بذاتها و أهلها غير محتاجين إلى معرفة زمان لأنه لاتكليف فيها بوجه، و أنها ظليلة و معتدلة دائما ١٠ لأن سبب الحر الآن[4] قرب الشمس من مسامتة[5] الرؤس، و سبب البرد بعدها عن ذلك.

و لما كانت ترجمة هذا كما مضى: جنة ظليلة و معتدلة، عطف عليه بالواو دلالة على تمكن هذا الوصف و على اجتماعه مع ما قبله قوله[6]: ﴿ و دانية ﴾ أى قريبة من الارتفاع ﴿ عليهم ظلالها ﴾ من غير أن ١٥ يحصل منها ما يزيل الاعتدال ﴿ و ذللت قطوفها ﴾ جمع قطف بالكسر

---

(١) من م، و فى الأصل و ظ « و » (٢) سقط من ظ و م (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) وقع فى الأصل قبل « سبب الحر » و الترتيب من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: مسانه (٦) وقع فى الأصل قبل « بالواو دلالة » والترتيب من ظ و م.

٦٢٠ / و هو العنقود / و اسم للثمار المقطوفة أى المجنية ﴿ تذليلاه ﴾ اى سهل تناولها تسهيلا عظيما لايرد اليد عنها بعد و لا شوك لكل من يريد أخذها على أى حالة كان[1] من اتكاء و غيره، فان كانوا قعودا تدلت إليهم[2]، و إن كانوا قياما [و -[3]] كانت على الأرض ارتقت[4] إليهم، و هذا جزاء لهم على ما كانوا يذللون أنفسهم لأمر الله.

و لما كان الدوران بالآنية متجددا، عبر فيه بالمضارع، و بناه للمفعول أيضا لأنه المقصود مطلقا من غير تعيين طائف فقال: ﴿ و يطاف ﴾ أى من أىّ طائف كان لكثرة[5] الخدم ﴿عليهم بآنية﴾ جمع إناء جزاء على طوافهم على المحتاجين بما يصلحهم.

و لما كان [6]مقصود هذه السورة[6] ترهيب الإنسان الموبخ فى سورة القيامة من الكفر، و كان الإنسان أدنى أسنان المخاطبين فى مراتب الخطاب، اقتصر فى الترغيب فى شرف الآنية على الفضة دون الذهب المذكور فى فاطر و الحج المعبر فيهما بالناس، فلعل هذا لصنف[7] [و ذاك لنصف -[3]] أعلى منه[8] مع إمكان الجمع و المعاقبة، و أما من هو أعلى من هذين الصنفين من الذين آمنوا و من فوقهم فلهم فوق هذين الجوهرين من الجواهر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت و لا خطر على

(١) من ظ و م، و فى الأصل: كانت (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عليهم.
(٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ: ارتفعت (٥) من ظ و م، و فى الأصل: من أكثر (٦-٦) فى م: مقصودها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: النصف.
(٨) زيد فى الأصل: على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

قلب بشر فقال : ﴿ من فضة ﴾ اى اسمه ذلك، و اما الحقيقة فأين الثريا من يد المتناول .

و لما جمع الآنية خص فقال : ﴿ و اكواب ﴾ جمع كوب و هو كوز لاعروة له ، فيسهل الشرب منه من كل موضع فلا يحتاج عند التناول إلى إدارة ﴿ كانت ﴾ أى تلك الأكواب كونا هو من جبلتها ﴿ قواريرا ﴾ ٥ أى كانت بصفة القوارير من الصفاء و الرقـــة و الشفوف و الإشراق و الزهارة[1] ، جمع قارورة و هى ما قر فيه الشراب و نحوه من كل إناء رقيق صاف ، و قيل : هو خاص بالزجاج .

و لما كان هذا رأس آية ، و كان التعبير بالقارورة ربما أفهم[2] أو أوهم[2] انها من الزجاج . و كان فى الزجاج من النقص سرعة الانكسار لإفراط ١٠ الصلابة ، قال معيدا للفظ أول الآية الثانية ، تأكيدا للاتصاف بالصالح من أوصاف الزجاج و بيانا لنوعها : ﴿ قواريرا من فضة ﴾ أى فجمعت صفتى الجوهرين المتباينين : صفاء الزجاج [و شفوفه -[3]] و بريقه و بياض الفضة و شرفها و لينها ، و قراءة من نوّن الاثنين صارفا ما من حقه المنع مشيرة إلى عظمتها و امتداد[4] كثرتها و علوها[4] فى الفضل و الشرف ، ١٥ و قراءة ابن كثير فى الاقتصار على تنوين الأول للتنبيه على انه رأس آية و الثانى أول[5] التى بعدها مع إفهام العظمة لأن الثانى إعادة للأول لما

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الزهاوة (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اراهم (٣) زيد من ظ (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : علوها و كثرتها .
(٥) زيد فى الأصل : الآية ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

تقدم من الإفادة ، فكأنه منون ، و وقف أبو عمرو[1] على الأول بالألف مع المنع من الصرف لأن ذلك كاف فى الدلالة على أنه [2]رأس آية[2] .

٦٢١ / و لما كان / الإنسان لايحب أن يكون الإناء و لاما فيه من مأكول او مشروب زايدا عن حاجته و لاناقصا عنها قال : ﴿قدروها﴾ اى فى الذات و الصفات ﴿تقديرا ۝﴾ اى على مقادير الاحتياج من غير زيادة و لانقص لأن ما[3] أراد كل منهم كان ، لا كلفة و لا كدر و لانقص .

و لما ذكر الأكواب . أتبعها غايتها فقال تخصيصا بالعطف على ما تقديره : يسقون فيها[4] ما تشتهى أنفسهم و تلذ أعينهم : ﴿و يسقون﴾ ممن أرادوه من خدمهم الذين لايحصون كثرة ﴿فيها﴾ أى الجنة أو[5] تلك الأكواب ﴿كاسا﴾ أى خمرا فى إناء ﴿كان مزاجها﴾ على غاية الإحكام ﴿زنجبيلا ۝﴾ هو فى غاية اللذة ؛ و كانت العرب تستلذ الشراب الممزوج [به -[6]] لهضمه و تطييبه الطعم و النكهة .

و لما كان الزنجبيل عندنا شجرا يحتاج فى تناوله إلى علاج ، أبان[7] أنه هناك عين لايحتاج فى صيرورته زنجبيلا إلى أن تحيله الأرض بتخميره فيها حتى يصير شجرا ليتحول عن طعم الماء إلى طعم الزنجبيل خرقا للعوائد

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : أبى عمرو (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : رايه (٣) زيد فى الأصل : كل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٦) زيد من ظ و م . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اقد .

فقال

فقال: ﴿ عينا فيها ﴾ اى[1] الجنة يمزج فيها شرابهم كما يمزج بالماء .

و لما كان الزنجبيل يلذع[2] الحلق لتصعب إساغته قال: ﴿ تسمّى ﴾ [أى - [3]] لسهولة إساغتها و لذة طعمها و سمو وصفها[4] ﴿ سلسبيلا ٥ ﴾ و السلسبيل و السلسل و السلسال ما كان من الشراب [5]غاية فى السلاسة[5]، زيدت فيه[6] الباء دلالة على المبالغة فى هذا المعنى، قالوا: و شراب الجنة فى برد الكافور و طعم الزنجبيل و ريح المسك من غير لذع .

و لما ذكر المطوف به لأنه الغاية المقصودة ، وصف الطائف لما فى طوافه من العظمة المشهودة تصويرا لما هم فيه من الملك بعد ما نجوا منه من الهلك[7]: ﴿ و يطوف عليهم ﴾ أى بالشراب و غيره من الملاذ و المحاب ﴿ ولدان ﴾ أى غلمان هم فى سن[8] من هو دون البلوغ ١٠ و أقل أهل الجنة من يخدمه[9] ألف غلام، ﴿ مخلدون ج ﴾ أى قد حكم من لا يرد حكمه بأن يكونوا كذلك [دائما -[3]] من غير غلة و لا ارتفاع عن ذلك الحد مع أنهم مزينون بالخلد و هو الحلق و الأساور و القرطة و الملابس الحسنة ﴿ اذا رأيتهم ﴾ أى يا أعلى الخلق صلى الله عليه وسلم و أنت أثبت الناس نظرا أو[10] أيها الرائى من كان فى أى حالة رأيتهم ١٥

(١) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : طبعها و وضعها. (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فى غاية السلامة (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : فيها (٧) من م ؛ و فى الأصل و ظ : الهلاك (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : سنن (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الخدمة (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : لو .

فيها ﴿حسبتهم﴾ من بياضهم و صفاء ألوانهم و لمع انوارهم[1] و انعكاس شعاع بعضهم إلى بعض و انبثاثهم فى المجالس ذهابا و إيابا ﴿ لؤلؤا منثورا ﴾ و ذلك كناية عن كثرتهم و انتشارهم فى الخدمة و شرفهم و حسنهم؛ و عن [بعضهم] أن لؤلؤ الجنة فى غاية الكبر و العظمة و اختلاف الأشكال، و كأنه عبر بالحسبان إشارة إلى أن ذلك مطلق[2] تجوز لا مع ترجيح ، قال بعض المفسرين : هم غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين / ، و قال بعضهم : هم أطفال المشركين[3] لأنهم ماتوا على الفطرة ، و قال ابن برجان: [و -[4]] أرى و الله أعلم [أنهم -[4]] من علم الله سبحانه و تعالى إيمانه من أولاد الكفار يكونون خدما لأهل الجنة كما كانوا لهم فى الدنيا سبيا و خداما ، و أما أولاد المؤمنين فيلحقون بآبائهم سنا و ملكا سرورا لهم ، و يؤيد هذا قوله صلى الله عليه و سلم فى ابنه إبراهيم عليه الصلاة و السلام «إن له لظئرا يتم رضاعه فى الجنة» فانه يدل على استقبال شأنه فيما هنالك و تنقله فى الأحوال كالدنيا ، و لا دليل على خصوصيته بذلك .

٦٢٢ /

و لما ذكر المخدوم و الخدم، شرع فى ذكر المكان فقال: ﴿و اذ ارأيت﴾ أى أجلت بصرك ، و حذف مفعوله ليشيع و يعم ﴿ ثَم ﴾ أى هناك فى أى مكان كان و أى شىء كان ﴿ رأيت نعيما ﴾ اى ليس فيه كدر بوجه من الوجوه . و لما كان النعيم قد يكون فى حالة وسطى قال :

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : انواعهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مطلع (٣) من ظ ، و فى الأصل و م : المؤمنين (٤) زيد من ظ و م . (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

﴿ و ملكا كبيرا ٥ ﴾ أى لم يخطر [على بال- [1]] مما هو فيه من السعة و كثرة الموجود و العظمة أدناهم و ما[2] فيهم دنى الذى ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه و مهما أراده كان .

و لما ذكر الدار وساكنيها من مخدوم و خدم ، ذكر لباسهم بانيا حالا[3] من الفاعل والمفعول: ﴿ عليهم ﴾ أى حال كون الخادم و المخدوم ٥ يعلو أجسامهم[4] على سبيل الدوام . و سكن نافع و حمزة الياء على أنه مبتدأ و خبر شارح للملك على سبيل الاستئناف ﴿ ثياب سندس ﴾ و هو ما رق من الحرير ﴿ خضر ﴾ رفعه الجماعة صفة لثياب ، و جره ابن كثير و حمزة و الكسائى و أبو بكر عن عاصم صفة لسندس حملا على المعنى فانه اسم جنس ﴿ و إستبرق ذ ﴾ و هو ما غلظ من الديباج يعمل بالذهب، ١٠ او هو ثياب حرير صفاق نحو الديباج - قاله فى القاموس[5]، رفعه ابن كثير و نافع و عاصم نسقا على ثياب ، و جره الباقون على سندس .

و لما كان المقصود لأرباب اللباس الفاخر الحلية، أخبر عن تحليتهم، و بنى الفعل للمفعول دلالة على تيسر ذلك لهم و سهولته عليهم فقال: ﴿ و حلّوآ ﴾ أى وجدت تحلية المخدومين و الخدم ﴿ اساورمن فضة ج ﴾ ١٥ و إن كانت تتفاوت بتفاوت الرتب ، و تقدم سر تخصيص هذه السورة بالفضة و الأساورة بجمع[6] ما فيها من لذة الزينة لذة اتساع الملك فانها

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : هم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حالهم (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : حسامهم (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بجميع .

كناية عنه فانه - كما قال الملوى - كان فى الزمن [القديم -[1]] إذا ملك ملك أقاليم عظيمة كثيرة لبس سوارا و سمى الملك المسور لاتساع مملكته و عظمتها و كثرة أقاليمها. و إن لم تجمع أقاليم لم يسور فما ظنك بمن أعطى من ذلك جمع الكثرة، و هى بالغة من الأعضاء ما يبلغه التحجيل فى الوضوء كما قال صلى الله عليه و سلم «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» فلذا كان أبو هريرة رضى الله عنه يرفع الماء[2] إلى المنكبين و إلى الساقين.

/٦٢٣ و لما كان / ربما ظن بما تقدم من ذلك الممزوج شىء من نقص لأجله يمزج كما هو فى الدنيا، و كان قد قال أولا "يشربون" بالبناء للفاعل، و ثانيا «يسقون» بالبناء للمفعول، قال بانيا للفاعل بيانا لفضل ما يسقونه فى نفسه و فى كونه من عند الإله الأعظم المتصف بغاية الإحسان على[3] صفة من العظمة تليق باحسانه سبحانه بما أفاده إسناد[4] الفعل إليه: ﴿ و سقٰهم ﴾ و عبر بصفه الإحسان تأكيدا [لذلك -[1]] فقال: ﴿ ربهم ﴾ أى الموجد لهم المحسن إليهم المدبر لمصالحهم ﴿شرابا طهوراه﴾ أى ليس هو كشراب الدنيا سواء كان من الخمر أو من الماء أو[5] من غيرهما، بل هو بالغ الطهارة و الوصف بالشرابية من العذوبة و اللذة و اللطافة، و هو مع ذلك آلة للتطهير البالغ للغير فلايبقى[6] فى بواطنهم[6]

(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: غير (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اسناده (٥) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٦-٦) فى ظ: ببواطنهم.

غش و لا وسواس ، و لا يريدون إلا ما يرضى مليكهم مما أسس[1] على غاية الحكمة وفاق كامل و سجايا مطهرة و أخلاق مصطفاة لا عوج فيها ، و لا يستحيل شيء من شرابهم إلى نجاسة من بول و لا غيره ، بل يصير رشحا كرشح المسك و يعطى الرجل شهوة مائة رجل فى الأكل و غيره ، فاذا أكل شرب فطهر باطنه و رشح منه المسك فعادت الشهوة ، بل الحديث يدل على أن شهوتهم لا تنقضى أصلا فانه قال: « يجد لآخر لقمة من اللذة ما يجد لأولها » يفعل [بهم -[2]] هذا سبحانه قائلا لهم مؤكدا تسكينا لقلوبهم لئلا يظنوا أن ما هم فيه على وجه الضيافة و نحوها فيظنوا انقطاعه ﴿ ان هذا ﴾ أى الذى تقدم من الثواب كله ﴿ كان ﴾ أى كونا ثابتا ﴿ لكم ﴾ بتكوينى إياه من قبل موتكم ﴿ جزاء ﴾ أى على أعمالكم التى كنتم تجاهدون فيها أنفسكم عن هواها إلى ما يرضى ربكم فكنتم كلما عملتم عملا كونت من هذا ما هو جزاء له ﴿ و كان ﴾ أى على وجه الثبات ﴿ سعيكم ﴾ و لما كان المقصود القبول لأن القابل الشاكر هو المعمول له ، بنى للمفعول قوله : ﴿ مشكورا ع ﴾ أى لا يضيع شيئا[3] منه و[4] يجازى بأكثر منه أضعافا مضاعفة .

و لما ذكر أنه بين للناس السبيل فانقسموا[5] إلى مبصر شاكر[6] وأعمى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اسر (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : شيء (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فانقلبوا (٦) من ظ و م . و فى الأصل : شاكرا .

كافر[1]، و اتبعه جزاء الكافرين و الشاكرين، و ختمه بالشراب الطهور الذى من شأنه أن يحيي ميت[2] الأراضى كما أن العلم الذى منبعه القرآن يحيي ميت القلوب، و سكن القلوب بتأييد الجزاء، و ختم الكلام بالشكر كما بدأه به، و كان نصب ما يهدى جميع الناس أمرا لايكاد يصدق، قال ذاكرا لما شرف[3] به النبى صلى الله عليه و سلم فى الدنيا قبل الآخرة، و جعل الشراب الطهور جزاء [له -[4]] لما بينهما من المناسبة على سبيل التأكيد، و أكده ثانيا بما أفاد التخصيص لما لهم من الإنكار و لتطمئن أنفس أتباعه بما حث عليه من الصبر إلى وقت الإذن / فى القتال: ٦٢٤/

﴿انا نحن﴾ أى على ما لنا من العظمة التى لا نهاية لها، لاغيرنا ﴿نزلنا عليك﴾ و انت أعظم الخلق إنزالا [استعلى -[4]] حتى صار المنزل خلقا لك ﴿القرآن﴾ أى الجامع لكل هدى، الحافظ من الزيغ، كما يحفظ الطب للصحيح صحة المزاج، الشافى لما عساه يحصل من الأدواء بما يهدى إليه من العلم و العمل، و زاد فى التأكيد لعظيم إنكارهم فقال: ﴿تنزيلا﴾ أى على التدريج بالحكمة جوابا للسائل و رفقا بالعباد[5] فدرجهم فى وظائف الدين تدريجا موافقا للحكمة، و لم يدع لهم شبهة إلا أجاب عنها، وعلمهم جميع الأحكام التى فيها رضانا[6]، و أتاهم من المواعظ و الآداب و المعارف

(١) من ظ و م، وفى الأصل: كافرا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: موت.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: شر (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: للعباد (٦) من ظ و م، و فى الأصل: وصايا.

بما ملأ[1] الخافقين و خصصناك[1] به[2] شكرا على[2] سيرتك الحسى التى كانت قبل النبوة، و تجنبك كل ما يدنس، فلما كان بتنزيلنا[3] كان جامعا للهدى بما لنا من إحاطة[4] العلم و القدرة، فلا عجب فى كونه جامعا لهدى[5] الخلق كلهم، لم يدع لهم فى شىء من الأشياء لبسا، و هى ناظرة إلى قوله فى القيامة "لا تحرك به لسانك" الملتفتة إلى ما فى المدثر من أن هذه تذكرة، الناظرة[6] إلى «انا سنلقى عليك قولا ثقيلا» المشيرة إلى ما فى سورة الجن من [أمره[7]] القرآن، فالحاصل أن أكثر القرآن فى تقرير عظمة القرآن، فانه المقصود بالذات لأنه[8] الآية الكبرى التى إذا ثبتت تبعها جميع المراد من الشريعة و تفريق تقرير شأنه أتقن ما يكون فى إحكام أمره. و ذلك أن الحكيم إذا اهتم بشىء افتتح الكلام به، فاذا رأى من ينكره انتقل إلى غيره على قانون الحكمة، ثم يصير يرمى [به[7]] فى خلال ذلك رميا كأنه غير قاصد له، و لا يزال يفعل ذلك حتى يتقرر[9] أمره غاية التقرر[10] و يثبت فى النفس من حيث لا يشعر.

و لما تقرر أن من الناس من ترك الهدى الذى هو البيان، فعمى

(١) من ظ و م، و فى الأصل: خصصنا (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بينى [بنيا - كذا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الاحاطة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: هدى (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ناظرة (٧) زيد من ظ و م (٨) من م، و فى الأصل و ظ: فان. (٩) من ظ و م، و فى الأصل: يقرر (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: التقرير.

عنه لإعراضه عنه[1]، سبب عن هـذا الإنزال و ذاك الضلال قوله منبها على أمراض القلوب، و مرشدا إلى دوائها: ﴿ فاصبر لحكم ربك ﴾ أى المحسن إليك بتخصيصه[2] لك بهذه النعمة على ضلال من حكم بضلاله، و على كل ما ينوبك [و أطعه -[3]] فى التعبد له بجميع[4] ما أمرك بـه من الرفق إلى أن يأمرك بالسيف، و استعن على مر[5] الصبر باستحضار أن المربى الشفيق يربى بما[6] يشاء من المر و الحلو على حسب علمه و حكمته، و الصبر: حبس النفس و ضبطها على مقاومة الهوى لئلا تنقاد إلى شىء من قبائح اللذات.

و لما أمره سبحانه بالصبر، و كان الأمر به مفهما وجوده للمخالف، و كان المخالفون له صلى الله عليه و سلم هم القسم المضاد للشاكر و هم الكفرة، و كان ما يدعونه إليه تارة مطلق إثم، و أخرى كفرا و تارة[7] غير ذلك، ذكر النتيجة ناهيا عن[8] القسمين الأولين ليعلم أن المسكوت عنه لا نهى فيه فقال: ﴿ و لا تطع منهم ﴾ أى الكفرة الذين هم ضد الشاكرين ﴿ آثما ﴾ اى داعيا إلى إثم سواء كان مجردا عن مطلق الكفر أو مصاحبا له ﴿ او كفورا ﴾ اى مبالغا فى الكفر / و داعيا إليه و إن كان كبيرا و عظيما فى الدنيا فان الحق أكبر من كل كبير. /٦٢٥

(١) زيد فى الأصل: بسبب، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: المخصص (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: فى جميع (٥) من ظ و م، وفى الأصل: من (٦) من ظ و م، و فى الاصل: ما. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: أخرى (٨) من ظ و م، و فى الأصل: على.

و ذلك أنهم كانوا مع شدة الأذى له صلى الله عليه و سلم يبذلون له الرغائب من الأموال، و التمليك و التزويج لأعظم نسائهم على أن يتبعهم على دينهم و يكف عما هو[1] عليه و النهى عن الأحد المبهم نهى عن كل منهما، فان كلا منهما فى أنه يجب اجتنابه فى رتبة واحدة «و ذروا ظاهر الاثم و باطنه» وكذا الانتهاء عنه لا يتحقق إلا بالانتهاء عن كل منهما، و لو عطف بالواو لم يفد ذلك لأن نفى الاثنين لا يستلزم نفى كل منهما، و أفهم ترتيب النهى[2] على الوصفين أنه إذا دعاه الكفار إلى ما لا يتعلق به[3] إثم و لا كفر[3] جاز له قبوله.

و لما نهى عن طاعتهما القاطعة عن الله، أمر بملازمة[4] الموصل إلى الله و هو الذكر من غير عائق الذى هو دواء لماعساه يلحق[5] من الأدواء لمجرد رؤية الآثم أو الكفور لأرباب القلوب الصافية، و الذكر مقدم على كل عبادة و إن وضع العبادة لما كان طلبا للتوصل إلى نيل معرفة الله سبحانه، و كان التصور بحسب الاسم أول مراتب التصور طبعا بدأ به وضعا، و ذلك لأن النفس تحب السفول لما لها من النقائص، فاحتاجت إلى سبب مشوق لها إلى الأعلى فوضعت لها العبادات، و اجلها العبادة المشفوعة بالفكر، لأنه السبب الموصل إلى المقصود و لا تفيد العبادة بدونه فقال: ﴿ و اذكر ﴾ اى بلسانك ﴿ اسم ربك ﴾ أى المحسن

(١) من ظ و م، و فى الأصل: هم (٢) من م، و فى الأصل و ظ: النفى.
(٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) فى ظ: بلازمه، و فى م: بلازم.
(٥) تكرر فى الأصل فقط.

إليك [1]بكل جميل[1] ﴿بكرة﴾ عند قيامك من منامك الذى هو الموتة الصغرى و تذكرك أنه يحيى الموتى و يحشرهم جميعا ﴿و اصيلا﴾ عند انقراض نهارك و تذكرك انقراض دنياك و طى هذا العالم [2]لأجل إيجاد[2] يوم الفصل، و فى ذكر[3] الوقتين أيضا إشارة إلى دوام الذكر، و ذكر اسمه لازم لذكره، و يجوز أن يكون أمرا بالصلاة لأنها أفضل[4] الأعمال البدنية لأنها أعظم الذكر لأنها ذكر اللسان[5] و الجنان و الأركان فوظفت فيها أذكار لسانية و حركات و سكنات على هيئة مخصوصة من عادتها ألا تفعل إلا بين أيدى[6] الملوك، فكان تنبيهها على وجود الصانع و الاعتراف بالاهيته و تفرده اكثر فكانت[7] [8]أفضل، فيكون[8] هذا على هذا أمرا بصلاتى الصبح و العصر، فانه لم يكن أمر فى أول الإسلام بغيرهما و بهما أمر من كان قبلنا، و هما[9] أفضل الصلوات[9] و كانتا ركعتين ركعتين، و يجوز أن يكون أمرا بصلاتى الصبح [و الظهر -[10]] و العصر فان الأصيل يتناول وقتيهما لأنه مطلق العشى، و أما المغرب و العشاء و نافلة الليل فدخلت[11] فى قوله: ﴿و من الليل﴾

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: بجميل احسانه (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: لايجاد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ذلك (٤) من م، و فى الأصل و ظ: فضل (٥) من م، و فى الأصل و ظ: باللسان (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يدى (٧) من ظ و م، و فى الأصل: وكان (٨-٨) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: أول الصلاة.
(١٠) زيد من ظ و م (١١) من ظ و م، و فى الأصل: فدخلتا.

اى بعضه و الباقى للراحة بالنوم ﴿ فاسجد له ﴾ اى فصل له صلاتى المغرب و العشاء، و ذكرهما بالسجود تنبيها / على أنه افضل الصلاة، ١٢٦ / فهو إشارة إلى [١]أن الليل[١] موضع الخضوع، و تقديم الظرف لما فى صلاة الليل من مزيد الكلفة و الخلوص و مزيد الفضيلة لأن الالتفات فيه إلى جانب الحق أتم لزوال الشاغل للحواس من حركات الناس ٥ و أصواتهم و سائر الاحوال الدنيوية، فكان أبعد عن الرياء فكان [الخشوع -[٢]] فيه [و -[٢]] اللذة التامة بحلاوة العبادة أوفى ﴿ و سبحه ﴾ [أى -[٢]] بالتهجد ﴿ ليلا طويلا ﴾ نصفه أو أكثر منه أو أقل، و لعله سماه تسبيحا لأن مكابدة القيام فيه و غلبة النوم تذكر بما لله من العظمة بالتنزه عن كل نقيصة، و لأنه لا يترك محبوبه من الراحة بالنوم ١٠ إلا من كان الله عنده فى غاية النزاهة، و كان له فى غاية المحبة.

و لما أنهى امره بلازم النهى، علل النهى بقوله محقرا با شارة القريب مؤكدا لما لهم من التعنت بالطعن فى كل ما يذكره صلى الله عليه و سلم: ﴿ ان [٣]هؤلاء ﴾ أى الذين يغفلون عن الله من الكفرة و غيرهم فاستحقوا المقت من الله [٤]﴿ يحبون ﴾ أى محبة تتجدد عندهم زيادتهم فى كل وقت ١٥ ﴿ العاجلة ﴾ أى و يأخذون منها و يستخفون لما حفت به من الشهوات زمنا قليلا لقصور نظرهم و جمودهم على[٤] المحسوسات التى الإقبال عليها منشأ البلادة و القصور، و معدن الأمراض للقلوب التى فى الصدور، [و -[٣]] من تعاطى أسباب المرض مرض و سمى كفورا، و من

(١-١) من ظ وم، و فى الأصل: انه (٢) زيد من ظ وم (٣) زيد من ظ.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ.

تعاطى ضد ذلك شفى وسمى شاكرا ، ويكرهون الآخرة الآجلة ﴿ و يذرون ﴾ أى يتركون منها على حالة هى [من ـ[1]] أقبح ما يسوءهم إذا رأوه ﴿ ورآءهم ﴾ أى أمامهم اى[2] قدامهم على وجه الإحاطة بهم وهم عنه معرضون كما يعرض الإنسان عما وراءه ، أو خلفهم لأنه يكون بعدهم لابد أن يدركهم ﴿ يوما ﴾ أى منها . ولما كان ما أعيا الإنسان وشق عليه ثقيلا[3] قال: ﴿ ثقيلا ﴾ أى شديدا جدا لا يطيقون حمل ما فيه من المصائب بسبب[4] أنهم لايعدون له عدته . فالآية من الاحتباك[5] : ذكر الحب والعاجلة أولا دلالة[6] على ضدهما ثانيا ، والترك [و ـ[7]] الثقل ثانيا دلالة على ضدهما أولا ، وسر ذلك أن ما ذكره أدل على مخافة العقل بعدم التأمل للعواقب .

ولما كان تركهم لليوم[8] الثقيل على وجه التكذيب الذى هو أقبح الترك ، وكان تكذيبهم لاعتقادهم عدم القدرة عليه[9] قال دالا على الإعادة بالابتداء من باب الأولى : ﴿ نحن خلقنـهم ﴾ ، بما لنا من العظمة لا غيرنا ﴿ وشددنا اسرهم[4] ﴾ اى قوينا وأتقنا[10] ربط مفاصلهم الظاهرة والباطنة بالأعصاب على وجه الإحكام بعد كونهم نطفة أمشاجا[11]

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الاصل : او (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ثقيل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : تسبب (٥) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : دليلا . (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م . و فى الأصل : اليوم (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : عليهم (١٠) من م ، وفى الاصل وظ : أوثقنا (١١) من ظ و م ، و فى الاصل : امشاج .

فى

فى غاية الضعف ، و اصل الأسر : القد يشد بـــه الأقتاب او الربط و التوثيق ، و لا شك أن من قدر على إنشاء شخص من نطفة قادر على أن يعيده كما كان [لأن - ١] جسده الذى أنشأه / إن كان محفوظا فالأمر فيه واضح ، و إن كان قد صار ترابا فابداعه منه مثل إبداعه من النطفة ، و أكثر ما فيه أن يكون كأبيه ٢ آدم عليه السلام بل هو أولى فانه ترابـــه له أصل فى الحياة [بما كان حيا ، و تراب آدم عليه السلام لم يكن له أصل قط فى الحياة - ١] و الإعادة أهون فى مجارى عادات ٣ الخلق من الابتداء ، [و - ١] لذلك قال معبرا بأداة التحقق : ﴿ و اذا شئنا ﴾ اى بما لنـا من العظمة أن نبدل ما نشاء من صفاتهم أو ذواتهم ﴿ بدلنا أمثالهم ﴾ أى بعد الموت فى الخلقة و شدة الأسر ﴿ تبديلا ﴾ أو ٤ المعنى : جئنا بأمثالهم بدلا منهم و خلائف لهم ، أو يكون المراد - و هو أقعد - بالمثل الشخص أى بدلنا اشخاصهم لتصير بعد القوة إلى ضعف و بعد الطول إلى قصر و بعد البياض إلى سواد و غير ذلك من الصفـات كما شوهد فى بعض الاوقات فى المسخ و غيره ، و كل ذلك دال على تمام قدرتنا و شمول علمنا .

و لما كان هذا دليلا عظيما على القدرة على البعث مخزيا لهم ، قال مؤكدا لإنكارهم عنادا : ﴿ ان هذه ﴾ أى الفعلة البدائية ، أوالمواعظ

/ ٦٢٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لابيه (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : العادات (٤) من م ، و فى الأصل و ظ « و » .

التى ذكرناها[1] فى هذه السورة و فى جميع القرآن ﴿تذكرة ج﴾ اى موضع ذكر عظيم للقدرة على البعث و تذكر عظيم لما فعلت فى الإنشاء أولا ، و موعظة عظيمة فان فى تصفحها تنبيهات عظيمة[2] للغافلين، و فى تدبرها و تذكرها فوائد جمة للطالبين السالكين ممن ألقى سمعه | و احضر نفسه، ٥ و كانت نفسه مقبلة على ما القى إليه سمعه ـ[3]]، فمن أقبل هذا الإقبال علم انا آتيناه من الآلات و الدلائل ما إن سلك معه مجتهدا وصل دون ضلال و لذلك سبب عن كونها[4] تذكرة قوله من خطاب البسط: ﴿فمن شآء﴾ أى ان يجتهد فى وصوله إلى الله سبحانه و تعالى ﴿اتخذ﴾ أي أخذ بجهده من مجاهدة نفسه و مغالبة هواه ﴿الى ربه﴾ أى المحسن إليه ١٠ الذي ينبغى له أن يحبه بجميع قلبه و يجتهد فى القرب منه ﴿سبيلا ه﴾ أى طريقا *واسعا واضحا* سهلا بأفعال الطاعة التى أمر بها لأنا بينا الأمور غاية البيان و كشفنا[6] اللبس و أزلنا جميع موانع[7] انفسهم عمن شئنا و ركزنا ذلك فى الطباع، و لم يبق مانع من استطراق الطريق أصلا غير مشيئتنا، و الفطرة الأولى أعدل شاهد بهذا .

١٥ و لما أثبت لهم المشيئة التى هى مناط التكليف، و هى الكسب، و كان ربما ظن ظان أو ادعى مدع فى خلق الأفعال[7] كما قال أهل

(١) من ظ و م، و فى الأصل : ذكرها (٢) سقط من م (٣) زيد من ظ (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كونه (٥-٥) فى ظ : واضحا واسعا (٦) من ظ و م ، و فى الاصل : بينا (٧) زيد فى الأصل : اللبس ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد فى الأصل : الكمال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

الاعتزال ، قال نافيا[1] عنهم الاستقلال ، لافتا القول إلى خطابهم ، و هو مع كونه خطاب قبض استعطافا بهم إلى التذكر فى قراءة الجماعة وبالغيب على الأسلوب الماضى فى قراءة ابن كثير و ابن عامر : ﴿ و ما تشآءون ﴾ اى فى وقت من الأوقات مشيئة من المشيئات[2] لهذا و غيره[2] على سبيل الاختراع و الاستقلال ﴿ الآ ﴾ وقت ﴿ ان يشآء الله[4] ﴾ اى الملك ٥ الأعلى الذى له الأمر كله ، و لا أمر لأحد معه ، فيوجد المعانى فى أنفسكم على حسب ما يريد و يقدر على / ما يشاء من آثارها ، و قد صح بهذا ٦٢٨/ ما قال الأشعرية و سائر أهل السنة من أن للعبد مشيئة تسمى كسبا لا تؤثر إلا بمشيئة الله تعالى و تحريكها لقدرة العبد ، و انتفى مذهب القدرية الذين يقولون : إنا نحن [نخلق -[3]] أفعالنا ، و مذهب الجبرية القائلين: ١٠ لا فعل لنا اصلا ، و مثّل الملوى ذلك بمن يريد قطع بطيخة [فحدد سكينا و هيأها و أوجد فيها أسباب القطع و أزال عنها موانعه ثم وضعها على البطيخة -[3]] فهى لا تقطع دون أن يتحامل عليها التحامل المعروف لذلك ، و لو وضع عليها ما لم يصلح للقطع كخطبة مثلا لم تقطع و لو تحامل ، فالعبد كالسكين خلقه الله و هيأه بما أعطاه من القدرة للفعل ، ١٥ فمن[1] قال : أنا أخلق فعلى[5] مستقلا به ، فهو كمن قال : السكين تقطع بمجرد وضعها من غير تحامل ، و من قال : الفاعل هو[6] الله ، من غير

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : نافعا (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لهذه و غيرها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فلو (٥) زيد فى الأصل : فعلا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) سقط من ظ و م .

نظر إلى العبد أصلا [1] كان كمن قال: هو يقطع البطيخة بتحامل يده أو قصبة ملساء من غير سكين، و الذى يقول: إنه باشر بقدرته المهيأة للفعل بخلق الله لها و تحريكها فى ذلك الفعل كان [2] كمن قال: إن السكين قطعت بالتحامل [عليها -[3]]، بهذا أجرى سبحانه عادته فى الناس،
٥ و لو شاء غير ذلك فعل، و لا يخفى أن هذا هو الحق الذى لا مرية فيه، ثم علل ذلك باحاطته بمشيئتهم قائلا: ﴿ ان الله ﴾ أى المحيط علما و قدرة ﴿ كان ﴾ أى أزلا و أبدا ﴿ عليما حكيما ﴾ أى بالغ العلم و الحكمة، فهو يمنع منعا محكما من أن يشاء غيره ما لم يأذن فيه، فمن علم فى جبلته خيرا أعانه عليه، و من علم منه الشر ساقه إليه و حمله
١٠ عليه، و هو معنى ﴿ يدخل من يشآء ﴾ أى ممن [4] علمه أهلا للسعادة، ليس بظالم ﴿فى رحمته﴾ بحكمته فييسر له اتخاذ السبيل الموصل إليه بأن يوفقه للعدل، و يعد له ثوابا جسيما.

و لما بشر أهل العدل بالفعل المضارع المؤذن بالاستمرار، و لم يجعله ماضيا لئلا يتعنت متعنت ممن هو متلبس بالضلال فيقول: أنا لا
١٥ أصلح لأنه ما ادخلنى، عطف عليه ما لأضدادهم [5] فى جملة فعلية بناها على الماضى إعلاما بأن عذابهم موجود قد فرغ منه [فقال -[3]]: ﴿ و الظلمين ﴾ اى و أهان العريقين فى وصف المشى على غير سنن مرضى كالماشى فى الظلام فهو يدخلهم فى نقمته و قد ﴿ اعد لهم ﴾

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اصل (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ: من (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لأضداده.

[اى - [1]] إعدادا امضاه بعظمته . فلا يزاد فيه و لا ينقص أبدا [2] ﴿عذابا أليما﴾ فالآية من الاحتباك : ذكر الإدخال و الرحمة أولا دلالة على الضد ثانيا ، و العذاب ثانيا دلالة على الثواب أولا ، و سر ذلك أن ما ذكره أولى بترغيب أهل العدل فيه و إن ساءت حالهم فى الدنيا ، و بترهيب أهل الظلم منه و إن حسنت حالهم فى الدنيا ، فقد رجع هذا الآخر المفصل إلى السعادة و الشقاوة على أولها المؤذن بأن الإنسان معتنى به غاية الاعتناء ، و أنه ما خلق إلا للابتلاء ، فهو إما كافر مغضوب عليه ، و إما شاكر منظور بعين الرضى إليه [3] - فسبحان من خلقنا و يميتنا و يحيينا بقدرته [4] و الله الهادى .

﴿ ٥ ﴾

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : فعلا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) وقع فى الأصل بعد «منظور» و الترتيب من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م ، و موضعه بما فيه «و الله الهادى» وقع فى ظ : صلى الله عليه و سلم .

/ ٦٢٩ /

/ سورة المرسلات[1] و تسمى العرف

مقصودها الدلالة على [آخر - [2]] الإنسان من إثابة الشاكرين بالنعيم، و إصابة الكافرين بعذاب الجحيم، فى يوم الفصل بعد جمع الأجساد و إحياء[4] العباد بعد طى هذا الوجود و تغيير العالم المعهود بما له سبحانه من القدرة على إنبات النبات و إنشاء الأقوات و إنزال العلوم و إيساع الفهوم لإحياء الأرواح[5] و إسعاد الأشباح بأسباب خفية و علل مرئية وغير مرئية، و تطوير الإنسان فى أطوار الأسنان، و إيداع الإيمان فيما يرضى من الأبدان، و إيجاد الكفران فى أهل الخيبة و الخسران، مع اشتراك الكل فى أساليب هذا القرآن، الذى عجز الإنس و الجان، عن الإتيان بمثل آية [منه - [3]] على كثرتهم و تطاول الزمان، و اسمها المرسلات و [كذا - [1]] العرف واضح الدلالة على ذلك لمن تدبر الاقسام، و تذكر ما دلت عليه من معانى الكلام ﴿ بسم الله ﴾[6] الذى له القدرة التامة على ما يريد ﴿ الرحمن ﴾ الذى له عموم الإنعام على سائر العبيد ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أهل رضوانه بإتمام ذلك الإنعام و عنده المزيد.

لما ختمت سورة الإنسان بالوعد لأوليائه و الوعيد لأعدائه، و كان

(١) زيدت الواو فى ظ (٢) السابعة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية وعدد آيها خمسون (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: احتياط. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الروح (٦) زيد فى الأصل: اه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

الكفار يكذبون بذلك، افتتح هذه بالإقسام على أن ذلك كائن فقال: ﴿ و المرسلٰت ﴾ أى من الرياح[1] و الملائكة ﴿ عرفا ۝ ﴾ أى لأجل إلقاء المعروف من القرآن[2] و السنة و غير ذلك من الإحسان، و من إلقاء الروح و البركة و تيسير الأمور فى الأقوات[3] و غيرها، أو حال كونها متتابعة متكاثرة بعضها فى أثر بعض، من قول العرب: الناس إلى فلان عرف واحد - إذا توجهوا إليه فأكثروا، و يقال: جاؤا عرفا واحدا، و هم عليه كعرف الضبع[4] - إذا تألبوا عليه.

و لما كان العصوف[5] للعواصف يتعقب الهبوب، عطف بالفاء تعقيبا و تسببا فقال: ﴿ فالعٰصفٰت ﴾ أى الشديدات من الرياح عقب هبوبها و من الملائكة عقب شقها للهواء بما لها من كبر الأجسام و القوة على الإسراع التام ﴿ عصفا ۝ ﴾ أى عظيما بما لها من النتائج الصالحة.

و لما كان نشر الرياح للسحاب متراخيا عن هبوبها و متباطئا فى الثوران و كذا نشر الملائكة لأجنحتها كما يفعل الطائر القوى فى طيرانه، عطف بالواو الصالحة للمعية و التعقب بمهلة و غيرها قوله: ﴿ و النّٰشرٰت ﴾ اى للسحاب و الأجنحة على وجه اللين فى الجو و للشرائع التى / تنشر العدل بين الناس ﴿ نشرا ۝ ﴾ و إذا راجعت أول الذاريات ازددت فى هذا بصيرة. / ٦٣٠

(١) من ظ و م، و فى الاصل: الروح (٢) من ظ و م، و فى الاصل: الكتاب (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الأوقات (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الصبح (٥) من م، و فى الأصل و ظ: المعصوف.

و لما كان السحاب يجتمع بعد الثوران من مجال البخارات و يتكاثف ثم يحمل الماء، وكان ذلك[1] ـ مع كونه معروفا ـ قد تقدم فى الذاريات و الروم و غيرهما ثم بعد الحمل تضغط[2] السحاب حتى يتحامل بعضه على بعض فتتفرق هناك فُرَج يخرج منها، طوى ذلك و ذكر هذا فقال بالفاء الفصيحة: ﴿فالفرقت فرقا﴾ أى للسحاب حتى يخرج الودق من خلاله و الأجنحة و بين الحق و الباطل و الحب و النوى ـ و غير ذلك من الأشياء.

و لما كانت السحاب عقب الفرق ينزل منها[3] ما فى ذلك السحاب من ماء أو ثلج أو برد او صواعق أو غير ذلك مما يريده الله مما يبعث على ذكر الله و لابد و الملائكة تلقى ما معها من الروح المحيى للقلوب، قال معبرا بفاء التعقيب و التسبيب[4]: ﴿فالملقيت ذكرا﴾ أطلق عليه الذكر لأنه سببه إن كان محمول السحاب أو محمول الملائكة، و قد يكون محمول الملائكة ذكر الله[5] حقيقة، و لايخفى أنهما سبب لإصلاح الدين و الدنيا.

و لما ذكر هذه الأقسام عللها بقوله: ﴿عذرا او نذرا﴾ و هما منصوبان على الحال جمعان لعذر بمعنى المعذرة أو العاذر، و النذر بمعنى الإنذار او المنذر، أى كانت هذه منقسمة إلى عذر إن كانت ألقت

(١) من ظ و م، و فى الاصل: هذا (٢) من م، و فى الأصل: تضطط، و فى ظ: تسقط (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فيه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: التسبب (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ذكره.

مطرا نافعا[1] مريئا مريعا غير ضار كان بعد قحط فانه يكون كانه اعتذار عن تلك الشدة، و إن كانت الملائكة ألقت بشائر فهى واضحة فى العذر لاسيما إن كانت بعد إنذار، و إلى نذر إن كانت ألقت صواعق أو ما [هو -[2]] فى معناها من البرد الكبار و نحوها، و كذا الملائكة، و الكل سبب لذكر الله و هو سبب لاعتذار[3] ناس بالتوبة، و سبب لعذاب الذين يغفلون عن الشكر، و يستقبلون ذلك بالمعاصى أو ينسبون ذلك إلى الأنواء.

و لما تمت هذه الأقسام مشتملة على أمور عظام منبهة على ان أسبابها من الرياح و المياه كانت مع الناس و هم لايشعرون بها كما أنه يجوز أن تكون القيامة كذلك سواء بسواء، [قال -[2]] ذاكرا للقسم عليه مؤكدا لأجل إنكارهم: ﴿ انما ﴾ أى الذى ﴿ توعدون ﴾ [أى -[2]] من العذاب فى الدنيا و الآخرة و من قيام الساعة و من البشائر لأهل الطاعة، و بناه للمفعول لأنه المرهوب لا كونه من[4] معين مع أنه معروف أنه مما توعد [5]به الله[5] على لسان محمد صلى الله عليه و سلم ﴿ لواقع[6] ﴾ أى كائن لابد من وقوعه و أسبابه عتيدة عندكم و إن كنتم لا ترونها كما فى هذه الأشياء التى أقسم بها و ما تأثر عنها.

(١) زيد فى الأصل: به، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لا عتداد (٤) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٥-٥) ظ و م، و فى الاصل: الله به.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: أقسم تعالى بالملائكة المتتابعين في الإرسال، و الرياح المسخرة، و ولايته بالمطر و الملائكة الفارقة[1] بمائه بين الحق و الباطل، و الملقيات الذكر / بالوحي إلى الأنبياء إعذارا من ٦٣١ / الله و إنذارا، أقسم تعالى بما ذكر من مخلوقاته على صدق الموعود به في قوله ٥ " انا اعتدنا للكافرين سلاسل و اغلالا و سعيرا " الآيات و قوله " انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا " و قوله " و جزاهم بما صبروا جنة و حريرا " الآيات إلى " و كان سعيكم مشكورا " و قوله " و يذرون وراءهم يوما ثقيلا " و قوله " يدخل من يشاء في رحمته و الظالمين اعد لهم عذابا اليما " و لو لم يتقدم إلا هذا الوعد و الوعيد المختتم به السورة لطابقه[2] ١٠ افتتاح الأخرى قسما عليه أشد المطابقة، فكيف و سورة " هل اتى على الانسان " [3] مواعد اخراوية و أخبارات جزائية، فاقسم سبحانه و تعالى على صحة الوقوع، و هو المتعالى الحق و كلامه الصدق - انتهى.

و لما كان من المعلوم أنهم يقولون استهزاء: متى هو؟ و كان وقته ١٥ مما[4] استأثر الله بعلمه لأن إخفاءه عن كل أحد[5] أوقع في النفوس و أهيب عند العقول، سبب عن [ذلك -[6]] قوله ذاكرا ما لا تحتمله العقول لتزداد الهيبة و يتعاظم الخوف معبرا بأداة التحقق[7]: ﴿ فاذا النجوم ﴾

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: العارفة (٢) من م، و في الأصل و ظ: لمطابقة.
(٣) زيد في ظ: راسها (٤) من ظ و م، و في الأصل: فيما (٥) من ظ و م، و في الأصل: حد (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و في الأصل: التحقيق.

اى على كثرتها ﴿طمست ۝﴾ اى أذهب[1] ضوءها بأيسر امر فاستوت مع بقية السماء ، فدل طمسها على أن لفاعله غاية القدرة ، و أعاد الظرف تأكيدا للمعنى زيادة فى التخويف فقال: ﴿و اذا السمآء﴾ [اى -[2]] على عظمتها[3] ﴿فرجت ۝﴾ أى انشقت فخربت السقوف وما بها من القناديل بأسهل أمر ﴿و اذا الجبال﴾ أى على صلابتها ﴿نسفت ۝﴾ اى ذهب بها كلها ٥ بسرعة ففرقتها الرياح ، فكانت هباء منبثا فلم يبق لها أثر[4] ، و ذلك كما ينسف الحب ، فزال ثبات الأرض بالأسباب التى هى الرواسى ، لأن تلك الدار ليست بدار أسباب .

و لما ذكر تغيير السماء و الأرض ، ذكر ما[5] فعل ذلك لأجله فقال: ﴿و اذا الرسل﴾ أى الذى أنذروا الناس ذلك اليوم فكذبوهم ﴿اقتت ۝﴾ ١٠ اى بلّغها الذى لا قدر[6] سواه بأيسر امر ميقاتها الذى كانت تنتظره ، و هو وقت قطع الأسباب و إيقاع الرحمة و الثواب للاحباب و النقمة و العقاب للأعداء بشهادتهم بعد جمعهم على الأمم بما كان منهم من الجواب ، و حذف العامل فى « إذا » تهويلا له[7] لتذهب النفس فيه كل مذهب ، فيمكن أن يكون تقديره: وقع ما توعدون فرأيتم من هذا الوعيد ما ١٥ لا يحتمل و لا يثبت لوصفه العقول ، و على ذلك دل قوله [8]ملقنا لما[8] ينبغى

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : ذهب (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و ن ، الأصل : عظمها (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥) زيد فى الاصل : كان سبب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لا قدر (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لهم (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : ملقا على ما .

أن يقال، و هو[1] ﴿لأيّ يوم﴾ اى عظيم ﴿اجلت[2]﴾ اى وقع تأجيلها به، بناه للمفعول لأن المقصود تحقيق الأجل لا كونه من معين، و تنبيها على أن المعين له معلوم[3] أنه الله الذى لا يقدر عليه سواه[3] / ، ثم أجاب عن هذا السؤال بقوله مبدلا من «لأى يوم»: ﴿ليوم الفصل ج﴾ أى الذى إذا أطلق ذلك لم ينصرف إلا إليه لأنه لا يترك فيه شيئا إلا وقع الفصل فيه[4] بين جميع الخلق من كل جليل و حقير، ثم هوله و عظمه بقوله: ﴿و ما ادرٰك﴾ أى و أى شىء أعلمك و إن اجتهدت فى التعرف، ثم زاده[5] تهويلا بقوله: ﴿ما يوم الفصل[6]﴾ أى إنه امر يستحق أن يسئل عنه و يعظم، و كل ما عظم بشىء فهو أعظم منه[6]، و لا يقدر أحد من الخلق على[7] الوصول إلى علمه لأنه لا مثل له يقاس عليه.

٦٣٢ /

و لما هول أمره ذكر ما يقع فيه من الشدة على وجه الإجمال فقال: ﴿ويل﴾ اى هلاك عظيم جدا ﴿يومئذ﴾ أى إذ يكون يوم الفصل ﴿للمكذبين ه﴾ أى بالمرسلات التى أخبرت بذلك اليوم و غيره من أمر الله، و الويل فى الأصل مصدر منصوب باضمار فعله، عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات معناه، و قد كررت هذه الجملة بعدة المقسم به و ما ذكر هنا مما يكون فى يوم الفصل من الطمس و ما بعده و هو تسعة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: هى (٢) زيد فى الأصل: وقت، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: منه (٥) فى ظ و م: زاد. (٦) زيد بهامش م: أى أى شىء عظم به يوم الفصل أى يوم الفصل أعظم منه أى من ذلك الشىء (٧) من ظ و م، و فى الأصل: من، مع يسير من البياض قبله.

أشياء، و زادت واحدة فتكون كل جملة بواحدة من المذكورات، و العاشرة للتأكيد دلالة على أن لهم من الويل ما لا ينتهى [كما أن الواحد لا ينتهى -[1]] على أنها لو كانت كلها لتأكيد الأول لكان ذلك حسنا، فان من كذبك فى أشياء كان من البلاغة ان تقرره بواحدة منها ثم تقول له عند قيام الدليل « ويل لك » ثم تفعل فيما بعده كله كذلك و تعيد ٥ عليه ذلك القول بعينه تأكيدا له و تحقيقا لوقوع[2] معناه دلالة على أن الغيظ قد بلغ منتهاه و الفجور و انقطاع العذر لم يدع موضعا للتنصل منه و البعد عنه، و ذلك فى كلام العرب شائع معروف سائغ.

و لما أقسم على وقوع[3] الوعد و الوعيد مطلقا أعم من أن يكون فى الدنيا أو فى الآخرة لأنه قادر على كل ما يريد بأقسام دلت على ١٠ القدرة عليه دلالة جلية[4]، أتبعه دلالة أجلى منها بما يشاهد من خراب العالم النفسى فقال [منكرا -[5]] على من يكذب به تكذيبهم مع ما[6] كان منه[6] سبحانه إلى من كذب الرسل و من آمن بهم: ﴿ الم نهلك ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ الاولين[7] ﴾ أى إهلاك عذاب و غضب بتكذيبهم الرسل عليهم الصلاة و السلام كقوم نوح ١٥ و من بعدهم أمة بعد أمة و قرنا بعد قرن، لم ندع منهم أحدا[7].

و لما كان إهلاك من فى زمن النبى صلى الله عليه و سلم إن

(١) زيد من م (٢) من م، و فى الأصل وظ : لوقوعه (٣) من ظ و م، و فى الأصل : بلوغ (٤) من ظ و م، و فى الأصل : جليلة (٥) زيد من ظ و م. (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل : كانه (٧) من ظ و م، و فى الأصل : احد.

لم ينقص عن إهلاك الأولين لم يزد ، وكان جواب هذا التقدير : بلى قد أهلكتهم ، قال عاطفا على هذا الذى أرشد السياق إليه إرشادا ظاهرا جعله كالمنطوق ما تقديره : نعم أهلكناهم ﴿ثم﴾ أى بعد إهلاكنا لهم. ولما كان الفعل مرفوعا ، علمنا أنه ليس معطوفا على « نهلك » ليكون تقديرا ، بل هو إخبار للتهديد / تقديره : نحن إن شئنا ﴿نتبعهم الأخرين ۝﴾ أى الذين فى زمانك من كفار العرب و غيرهم لتكذيبهم لك أو الذين قربوا من ذلك الزمان كأصحاب الرس و أصحاب الفيل . ٦٣٣ / ٥

ولما هدد من واجه الرسل بالتكذيب تسلية لهم ، سلى من قطعوه من أتباعهم مما[1] يجب وصله بهم من المعروف [فقال -[2]] مستأنفا منبها على الوصف الموجب لذلك الإهلاك : ﴿ كذلك﴾ اى مثل ذلك الإهلاك ﴿ نفعل بالمجرمين ۝﴾ أى جميع الذين يفعلون فعل أولئك الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل و هم عريقون فى ذلك القطع ، و ذلك مثبت لنا القدرة على جمعهم ليوم الفصل كما قدرنا على جمعهم لوقت الإجرام و على فصلنا فى الإهلاك و الإنجاء بين مكذبى الأمم و مصدقيهم فلا بد من إيجادنا ليوم الفصل : ﴿ ويل يومئذ ﴾ أى إذ يوجد ﴿ للمكذبين ۝﴾ أى بالعاصفات التى أهلكنا بها تلك الأمم تارة بواسطة القلب و إمطار الحجارة و أخرى بواسطة الماء و تارة بالرجفة [و تارة -[2]] بغير واسطة .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : و ما (٢) زيد من ظ و م .

و لما ذكر الإهلاك على ذلك الوجه الدال على القدرة التامة [1] على البعث [و على -[1]] ما يوعد به بعد البعث ، أتبعه الدلالة بابتداء الخلق و هو أدل فقال [2] مقررا ومنكرا [2] على من يخالف [3] عليه بذلك عمله : ﴿ألم نخلقكم﴾ أى أيها المكذبون بما لنا من العظمة التى لا تعشرها [4] عظمة ﴿من ماء مهين ۝﴾ أى نطفة مذرة ذليلة ، و هو [من -[1]] مهن [5] بالفتح ، قال ٥ فى القاموس : و المهين : الحقير و الضعيف و القليل ﴿فجعلنه﴾ أى بما لنا من العظمة بالإنزال لذلك الماء فى الرحم ﴿فى قرار مكين ۝﴾ أى محفوظ مما يفسده من الهواء و غيره و مددنا [6] ذلك لأجل التطوير فى أطوار الخلقة و التدوير فى أدوار [7] الصنعة ﴿الى قدر﴾ أى مقدار من الزمان قدره الله تعالى [للولادة - [8]] ﴿معلوم ۝﴾ أى عندنا من تسعة أشهر ١٠ للولادة إلى ما فوقها أو دونها لا يعلمه [9] غيره .

و لما كان هذا عظيما ترجمه و بينه معظما له بقوله : ﴿فقدرنا﴾ أى بعظمتنا على ذلك أو فجعلناه على مقدار معلوم من الأرزاق و الآجال و الأحوال و الأعمال ﴿فنعم القدرون ۝﴾ نحن مطلقا على ذلك و غيره ، أو المقدرون [10] فى تلك المقادير لما لنا من كمال العظمة بحيث نجعل ذلك ١٥

---

(١) زيد من م (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : منكرا و مقررا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يخالفه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نفسرها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : مهين (٦) من ظ و م ، و فى الأصل: عددنا (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ازوار (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يعلم (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : المقدورون .

بمباشرة من أردناه منه بطوعه و اختياره. و لعل التعبير بما قد يفيد مع العظمة الجمع لما أقام سبحانه فى ذلك من الأسباب بالملائكة و غيرها، و [١]فيه مع[١] ذلك ابتلاء للعباد الموحد منهم و المشرك: ﴿ويل يومئذ﴾ أى إذ[٢] كان ذلك ﴿للمكذبين ه﴾ أى بالناشرات التى نشرت تلك النفوس و كل ما يراد نشره و هم يعلمون قدرتنا على ما ذكر[٣] و تقديره من ابتدائنا لخلقهم و غيره مما يفيد كمال القدرة و هم يكذبون بالبعث و لا يقيسونه بمثله. و لما دل / بابتداء الخلق على تمام قدرته، أتبعه الدلالة بانتهاء[٤] أمره و أثنائه و ما دبر فيهما من المصالح فقال: ﴿الم نجعل﴾ أى نصير بما سبينا بما لنا من العظمة ﴿الارض كفاتا ۙ﴾ أى وعاء قابلة لجمع[٥] ما يوضع فيها [و ضمه جمعا فيه -[٦]] فتك وهدم، و هو اسم لما يكفت من الحديد مثلا أى يغلف بالفضة و يضم و يجمع، كالضمام والجماع لما يضم و يجمع، أو[٧] هو مصدر نعت به او جمع كافتة، كصائمة وصيام أو جمع كفت و هو الوعاء، و لو شئنا لجعلناها ناشرة لكم إذا وضعتم فيها كما تنشر النبات، و سنجعل ذلك إذا أردنا البعث، و لما[٨] كان من المعلوم انه حذف المفعول و هو لكم، أبدى حالة دالة أيضا عليه [فقال -[٦]]: ﴿احياء﴾ [أى -[٦]] على ظهرها فى الدور و غيرها ﴿وامواتا ۙ﴾ أى

/ ٦٣٤

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٢) من م، و فى الأصل و ظ: اذا. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ذكرنا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: على انتهاء (٥) من م، و فى الأصل و ظ: لجميع (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٨) من ظ، و فى الأصل وظ: او.

فى

فى بطنها فى القبور و غيرها كما كنتم قبل خلق آدم عليه السلام .

و لما ذكر ما تغيبه من جبال العلم و الملك و غيرهما ، أتبعه ما تبرزه من الشواهق إعلاما بأنه لو كان الفعل للطبيعة ما كان الأمر هكذا ، فانه لا يخرج هذه الجبال العظيمة على ما لها من الكبر [1] و الرسوخ [1] و الثقل و الصلابة و غير ذلك من العظمة إلا الفاعل المختار ، هذا إلى ما يحفظ ٥ فى أعاليها من المياه التى تنبت الأشجار و تخرج العيون و الأنهار ، بل أكثر ما يخرج من المياه هو منها ، و كذا غالب المنافع من المعادن وغيرها قال : ﴿ و جعلنا ﴾ اى بما لنا من العظمة ﴿ فيها ﴾ أى الأرض ﴿رواسى﴾ لولاها لمادت بأهلها ، و من العجائب أن مراسيها من فوقها خلافا لمراسى السفن ﴿ شمخت ﴾ أى [هى - [2]] مع كونها ثوابت ١٠ فى أنفسها مثبتة لغيرها طوال جدا عظيمة الارتفاع كأنها قد تكبرت على بقية الأرض و على من يريد صعودها ، و تنكيره للتعظيم .

و لما كان من العجائب الخارقة للعوائد فوران الماء الذى من طبعه أن يغور لا أن يفور لما له من الثقل و اللطافة التى أفادته قوة السريان [3] فى الأعماق و فى كون ذلك منه من موضع من الأرض دون آخر ، ١٥ و كونه من الجبال التى هى اصلب الأرض و من صخورها غالبا دلالة ظاهرة على أن الفعل للواحد المختار الجبار القهار لا للطبائع [4] قال : ﴿ و اسقيناكم ﴾ اى جعلنا لكم بما لنا من العظمة شرابا لسقيكم و سقى ما تريدون سقيه من الأنعام و الحرث و غير ذلك ﴿ماء﴾ [5] من الأنهار

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : السيران (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : للطباع (٥) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

والعدران والعيون والآبار وغيرها ﴿وترتاه﴾ أي عظيما عدبا سائغا وقد كان حقيقا بأن يكون ملحا أجاجا لما للأراضي الممسكة له من ذلك[٢]

ولما كان في هذا دلالة ظاهرة على قدرته على البعث وغيره قال: ﴿ويل يومئذ﴾ [أي[٣]] يوم إذ تقوم الساعة ليكون الفصل بين العباد

٥ فساقها مساق ما هو ثابت لا نزاع فيه إشارة إلى أنه لا يكذب بها بعد

٦٣٥ / ظهور الأدلة / إلا من لا مسكة له ﴿للمكذبين﴾ أي الذين هم في غاية الرسوخ في التكذيب حتى كذبوا بما لنا في هذا من الفرق الذي فرقنا به بين أرض وأخرى حتى جعلنا بعضها صالحا لانفراق أرضه عن الماء، وبعضها غير صالح وجعلنا بعضها قابلا للجبال وبعضها غير قابل- إلى غير

١٠ ذلك من الفروق البديعة.

ولما وصلت أدلة الساعة في الظهور إلى حد لا مزيد عليه، وحكم على المكذبين بالويل مرة، وأكد بثلاث، فكان من حق المخاطب أن يؤمن فلم يؤمن، امر بما يدل على الغضب فقال تعالى[٤] معلما لهم[٤] بما يقال لهم يوم القيامة إذ يحل بهم الويل: ﴿انطلقوا﴾ أي أيها المكذبون

١٥ ﴿إلى ما كنتم﴾ أي بما هو لكم كالجبلة ﴿به تكذبون﴾ أي في الدنيا من العذاب تكذيبا هو من عظمه بحيث يعد غيره من التكذيب بالنسبة إليه عدما، ويجددون ذلك التكذيب مستمرين عليه.

---

(١) من ظ و م. وفي الأصل: الادبار (٢) زيد في الاصل: انتهى، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، وفي الاصل معللا

و لما كان المراد زيادة تكبيتهم[1] و تقريعهم و التهويل عليهم، كرر الأمر واصفا ما[2] امروا بالانطلاق إليه فقال: ﴿ انطلقوآ ﴾ هذا على قراءة الجماعة، و[3] قراءة رويس عن يعقوب بصيغة الماضى للدلالة على تمام انقيادهم هناك، و انه لاشيء من منعه عندهم[4] أصلا، و هى استئنافية لجواب من يقول: ما كان حالهم عند هذا الأمر الفظيع؟ ﴿ الى ظل ﴾ أى من دخان جهنم الذى سمى باليحموم لما ذكر فى الواقعة ﴿ ذى ثلث شعب[5] ﴾ ينشعب من عظمه[6] كما ترى الدخان العظيم يتفرق دوائب، و خصوصية الثلاث لأن التكذيب بالله و كتبه و رسله، فتعذبهم كل واحدة منها عذابا يعلمون هناك لأى تكذيبه منها هى، أو لأن الحاجب عن أنوار القدس الحس و الخيال و الوهم، أو لأن السبب فيه القوة الوهمية[7] الحالة فى الدماغ، و الغضبية التى فى عين القلب، و الشهوية التى فى يساره، و قيل[7]: تخرج عنق من النار تكون ثلاث فرق: نار و نور و دخان، يقف النور على المؤمنين، و اللهب الصافى على الكافرين، و الدخان على المنافقين، تكون كذلك إلى حين[8] الفراغ من الحساب، و قال الرازى: الشعب لهب و شرر و دخان.

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: تكذيبهم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بما (٣) ريد فى الأصل: اما على، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عليهم (٥) ريدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ. و فى الأصل و م: الواهمة (٧) راجع المعالم ٧ / ٦٤. (٨) سقط من ظ و م

و لما كان المتبادر من الظل ما يستروح إليه فظنوا ذلك[1]، ازال عنهم هذا التوهم على طريق التهكم بهم ليكون أشد فى النكال فقال واصفا ل «ذى»: ﴿لاظليل﴾ أى من الحر بوجه من الوجوه. و لما كان ما انتفى عنه[2] غزارة الظل التى أفهمتها صيغة المبالغة قد يكون فيه نفع ما قال: ﴿و لايغنى﴾ أى شيئا من إغناء ﴿من اللهب[3]﴾ أى هذا الجنس.

و لما بين أن هذا الظل زيادة فى العذاب، و كان من المعلوم انه لا يكون دخان إلا من نار، قال مبينا / انه لو كان هناك ظل ما أغنى: ﴿انها﴾ أى النار التى دل عليها السياق ﴿ترمى﴾ أى من شدة الاستعار ﴿ شرر ﴾ و هو ما تطاير من النار إذا التهبت، واحدتها شرارة و هى صواعق تلك الدار ﴿كالقصر﴾ اى كل شرارة[3] منها كأنها[4] قصر مشيد من عظمها و قيل: هو الغليظ من الشجر[5]، الواحدة قصرة مثل جمر و جمرة، و هى اسم جنس جمعى لم يستعمل إلا فى جمع فهو شامل لكثير الجموع و قليلها، و كذا كل ما فرق بين واحدة و جمعه التاء و ليس بجمع لانه ليس بجمع سلامة و هو ظاهر و لا تكسير لأن[6] أوزانه معروفة و ليس منها[7] فعل و ليس بجنس، فانه لايشمل[8] ما دون الجمع و من عظمة شرارها تعرف عظمة جمرها.

٦٣٦ /

(١) من ظ و م، وفى الأصل: لك (٢) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شرر (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كانه (٥) من ظ و م: الشجرة (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لا (٧) من م، وفى الأصل: فيها، وفى ظ: بها (٨) من ظ و م، وفى الأصل: يشمل.

و لما شبهه فى عظمه ، شبهه فى لونه فقال : ﴿ كأنه جمٰلت ﴾ جمع جمالة جمع جمل مثل [1]حجارة و حجر[1] للدلالة مع كبره على كثرته و تابعه و اختلاطه و سرعة حركته ، و من قرأ بضم الجيم فهو عنده جمع جمالة و هى الحبل الغليظ من حبال السفينة ـ شبهه [به ـ[2]] فى امتداده و التفافه ، و لا تنافى فان الشرر منه ما هو هكذا و [منه ـ[2]] ما هو كما تقدم ﴿صفر ۝﴾ جمع أصفر للون[3] المعروف ، و قيل : المراد به سواد يضرب إلى صفرة كما هى ألوان الجمال[4] .

و لما كان هذا أمرا هائلا كانت ترجمته : ﴿ ويل يومئذ ﴾ أى إذ يكون ذلك ﴿ للمكذبين ۝﴾ أى العريقين فى التكذيب بالقاء الذكر على الأنبياء للبشارة و النذارة .

و لما دلت قراءة "انطلقوا" بالفتح على امتثالهم للامر من غير ان ينبسوا[5] بكلمة ، صرح به فقال دالا على ما هم فيه من المقت و الغضب : ﴿ هٰذا ﴾ أى الموقف الذى[6] هو بعض مواقف ذلك اليوم ، سمى يوما لتمام أحكامه ، فلذا قال مخبرا عن المبتدأ : ﴿ يوم لاينطقون ۝﴾ أى يبنت شفة[7] من [8]شدة الحيرة و الدهشة[8] فى بعض المواقف ، و ينطقون فى بعضها

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : حجر واحجار (٢) زيد من ظ و م .
(٣) من ظ وم ، وفى الأصل : اللون (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الجبال .
(٥) من ظ وم ، وفى الأصل : سوا ـ كذا (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : أى .
(٧) من ظ وم ، وفى الأصل : شفتيه (٨-٨) فى ظ وم : فرط الدهشة والحيرة .

فانه يوم طويل ذو ألوان - كما قاله[1] ابن عباس رضى الله عنهما، أو لا ينطقون بما ينفعهم لأنهم كانوا فى الدنيا لا ينطقون بالتوحيد الذى ينفعهم .

و لما كانوا لا يقدرون على شىء ما إلا باذن الله، و كان الموجع لهم عدم الإذن، بنى للمفعول قوله [دلالة -[2]] على عدم ناصر لهم ٥ أو فرج يأتيهم : ﴿ و لا يؤذن ﴾ أى من[3] آذن ما ﴿ لهم ﴾ أى فى كلام اصلا . و لما كان المراد انه لا يوجد لهم إذن و لا يوجد منهم اعتذار من غير أن ينظر إلى تسببه عن عدم الإذن لئلا يفهم أن لهم عذرا و لكنهم لم يبدوه لعدم الإذن، قال رافعا عطفا على "يؤذن"[4] ﴿فيعتذرون ٥﴾ فدل ذلك على نفى الإذن و نفى الاعتذار عقبه مطلقا، ١٠ و لو نصبه لدل على أن السبب فى عدم اعتذارهم عدم الإذن فينقض المعنى .

/٦٣٧ و لما كان هذا أمرا فظيعا[5] / ترجمه بقوله : ﴿ ويل يومئذ ﴾ أى إذ كان هذا الموقف ﴿للمكذبين ٥﴾ أى العريقين فى التكذيب بالإخبار بطمس النجوم فجعلت عقوبتهم سكوتهم الذى هو ذهاب نور الإنسان ١٥ ليكون كالطمس كذبوا به .

و لما ذكر [6]حيرتهم و[6] دهشتهم التى هى أمارة قول الحكم، و كانت

(١) فى ظ و م : قال (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : لهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قطعيا (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

مواطن ذلك اليوم تسمى أياما لتمام الأحكام فى كل موطن منها، و تميزه بذلك عما عداه، قال: ﴿هذا﴾ أى ذلك اليوم كله ﴿يوم الفصل﴾ أى بين ما اختلف فيه العباد من الحق و الباطل و العالى و السافل؛ ثم استأنف قوله: ﴿جمعناكم﴾ أى يا مكذبى هذه الأمة بما لنا من العظمة ﴿و الاولين﴾ أى الذين تقدم أنا أهلكناهم. و قد كانوا أكثر منكم عددا و اعظم عددا لنفصل[1] بين المتنازعين و نصلى[2] العذاب و نجزى بالثواب، و قد كان منكم من يقول: أنا أكفى عشرة من ملائكة النار، ثم أشار إلى انقطاع الأسباب فقال مسببا عن ذلك: ﴿فان كان لكم﴾ اى ايها المكذبون على وجه هو ثابت من ذواتكم ﴿كيد﴾ أى مقاواة بنوع حيلة او شدة ﴿فكيدون﴾ تقريع[3] لهم على كيدهم لأوليائنا المؤمنين فى الدنيا- بما مكنهم به من الأسباب و تنبيه على أنه من آذى وليه[4] فقد آذنه بالحرب[6] و على أنهم عاجزون.

و لما كانوا[5] أقل من أن يجيبوا عن هذا و أحقر [من -[7]] أن يمهلوا للكلام، قال مترجما لحالهم بعد هذا الكلام منبها على أنهم لوعقلوا بكوا على أنفسهم الآن لأنه[8] لاحيلة لهم إذ ذاك[9]: ﴿ويل يومئذ﴾ أى

(١) من ظ و م، و فى الأصل: للفصل (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نعلى.
(٣) فى ظ: اى تقريعا على (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فه و ليا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فى محاربته (٦) من ظ و م، و فى الأصل: كان طبعهم.
(٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لأنهم (٩) من ظ و م، و فى الأصل: الان.

إذ يقال لهم هذا الكلام فيكون زيادة فى عذابهم ﴿للمكذبين﴾ اى الراسخين فى التكذيب [بأن السماء -[1]] تفرج كما كانوا يكذبون بأنه يفصل بينهم بعد الموت .

و لما كان الواقع بعد الفصل قرار كل فى داره ، و [كان -[1]] قد بدأ بالمكذبين لأن التحذير فى السورة أعظم ففصلهم عن المصدقين فقال : انطلقوا - إلى آخره ، ثنى باضدادهم الفريق الناجى المشار إليه فى آخر الإنسان بقوله تعالى « يدخل من يشاء فى رحمته » فقال مؤكدا لأجل تكذيب الكفار بتلك الدار و بأن يكون المؤمنون أسعد منهم : ﴿ ان المتقين ﴾ اى الذين كانوا يجعلون بينهم و بين كل ما يغضب الله وقاية مما يرضيه لعراقتهم فى هذا الوصف يوم القيامة ﴿ فى ظلل ﴾ هى فى الحقيقة الظلال [لا -[1]] كما تقدم من ظل الدخان ، و لا يشبهها أعلى ظل فى الدنيا و لا أحسنه[2] إلا بالاسم ، و دل [على -[3]] أنها على حقيقتها بقوله : ﴿ و عيون ﴾ لأنها تكون عنها الرياض و الأشجار [الكبار -[1]] كما دل على أن ذلك الظل المتشعب للتهكم بما ذكر بعده من اوصاف النار ، فهذه العيون تبرد الباطن[4] و تنبت الأشجار المظلة كما أن اللهب يحرّ الظاهر و الباطن و يهلك ما قرب منه من شجر و[6] غيره فلا / يبقى و لا يذر . /٦٣٨

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : حسنه (٣) زيد من م .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الباطل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يحرق .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : أو .

و لما

و لما ذكر العيون. اتبعها ما ينشأ[1] عنها فقال دالا على ان عيشهم كله لذة: ﴿و فواكه﴾ و لما [2]كان يوجد[3] فى فواكه الدنيا الدون، قال[3] دالا على [4]أن عيشهم كله لذة و[4] أنه ليس هناك دون: ﴿مما يشتهون[5]﴾ أى بغاية الرغبة.

و لما فهم[6] من التعبير [بـ «فى» ـ[1]] أنهم متمكنون من هذا جميعه تمكن المظروف من ظرفه، قال منبها على أنه أريد بالفاكهة جميع المآكل، و إنما عبر بها إعلاما بأن كل آكل فيها تفكه ليس منه شىء لجلب نفع غير اللذة[7] و لا دفع ضر: ﴿كلوا﴾ أى مقولا لهم: تناولوا جميع المآكل على وجه التفكه و التلذذ لا لحفظ الصحة فانها حاصلة بدونه ﴿واشربوا﴾ اى من جميع المشارب[8] كذلك فان عيونها ليست من الماء خاصة بل من كل شراب أكلا وإشربا ﴿هنيئا﴾ ليس فى شىء من ذلك توقع ضر[9]، و زاد فى نعيمهم بأن جعل ذلك عوضا فقال: ﴿بما كنتم﴾ أى بجبلاتكم التى جبلتكم[10] عليها ﴿تعملون﴾ أى فى الدنيا من الأعمال الصالحة المبنية على أساس العلم الذى أفاد التصديق بالجنة فأوجب دخولها كما أوجب

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بيشها (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: كانوا قد يجدوا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فقال (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: افهم (٦) زيد من ظ و م. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الذره (٨) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: ضرر (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: جبلكم.

تكذيب المجرمين بالنار دخولهم إياها وعذابهم بها، و تكذيبهم بالجنة طردهم عنها و حرمانهم لنعيمها جزاء وفاقا .

و لما كان ربما توهم متوهم أن هذا [لناس -[1]] معينين فى زمن[2] مخصوص[3]، قال معلما بالتعميم مؤكدا ردا على من ينكر : ﴿ انا ﴾ أى بما[4] لنا من العظمة[5] ﴿ كـذلك ﴾ أى مثل هذا الجزاء العظيم[6] ﴿نجزى المحسنين ۝﴾ أى كل من كان عريقا فى وصف[7] الإحسان لسنا كملوك الدنيا، يعوقهم [عن -[1]] الإحسان إلى[8] بعض المحسنين عندهم بما يرونه جزاء لهم بعض أهل مملكتهم لما لهم من الأهوية و لملوكهم من الضعف .

و لما كان هذا النعيم عذابا [عظيما -[1]] على من لا يناله قال: ﴿ ويل يومئذ ﴾ أى [إذ -[1]] يكون هـذا النعيم للمتقين المحسنين ﴿للمكذبين ۝﴾ أى الذين يكذبون بأن الجبال تنسف فتكون الأرض كلها سهلة دمثة مستوية لا عوج فيها أصلا صالحة للعيون و الأشجار و التبسط فى أرجائها كيفما يريد صاحبها و يختار .

و لما ذكر نعيم أهل الجنة الذى لا ينقضى لأن لهم غاية المكنة فيه، و كان ذلك آجلا، و كان المكذبون فى اتساع فى الدنيا، و تقدم قوله

(١) زيد من ظ و م (٢) من م . و فى الأصل و ظ : وقت (٣) سقط من م.
(٤) من م ، و فى الأصل : ما (٥) العبارة من « معينين » إلى هنا ساقطة من ظ .
(٦) زيد فى الأصل : كذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) سقط من ظ و م (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : على .

تعالى «ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع» ، وكان الشقاء متى وقع بعد نعيم نسخه و عد النعيم - و لو كان كثيرا طويلا - قليلا ، قال نتيجة لجواب القسم ضد ما يقال للتقين تسلية لهم و تحزينا للمكذبين بناء على ما تقديره : إن المكذبين فى هذه الدنيا فى استدراج و غرور ، و يقول لهم لسان الحال المعرب عن أحوالهم[1] فى المآل توبيخا و تهديدا : ﴿ كلوا ﴾ / أى ٥ / ٣٩ أيها المكذبون فى هذه الدنيا ﴿ و تمتعوا ﴾ أى كذلك بمثل الجيفة ، فان المتاع من[2] اسمائها كما مر غير مرة عن أهل اللغة ﴿ قليلا ﴾ أى و إن امتد زمنه فانه زائل مع قصر مدته فى مدة الآخرة ، و لا يؤثر ذلك على الباقى النفيس إلا خسيس[3] الهمة ، قال الرازى ، و قال بعضهم : التمتع بالدنيا[4] من أفعال الكافرين ، و السعى لها من أفعال الظالمين ، ١٠ و الاطمئنان إليها من أفعال الكاذبين ، و السكون فيها على حد الإذن و الأخذ منها على قدر الحاجة من أفعال عوام المؤمنين ، و الإعراض عنها من أفعال الزاهدين ، و أهل الحقيقة أجل خطرا من أن يؤثر فيهم حب الدنيا و بغضها و جمعها و تركها .

و لما أحلهم[5] هذا المحل الخبيث ، وكان التقدير : فانه لابد من وقوع ١٥ العذاب بكم يوم الفصل ، علل ذلك بقوله مؤكدا لأنهم ينكرون وصفهم بذلك : ﴿ انكم مجرمون ﴾ أى عريقون فى قطع كل ما أراد الله به أن

(١) فى ظ : اعمالهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فى الدنيا. (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : احل .

يوصل ، فلا جائز أن تعاملوا معاملة المحسنين ، فلذلك كانت نتيجة هذا ﴿ويل يومئذ﴾ اى إذ[1] تعذبون بأجرامكم ﴿للمكذبين﴾ اى بوصول الرسل إلى وقتها المعلوم الذي كانت تتوعد به المجرمين في الدنيا [2]حيث كذبوهم[2] لأجل تمتعهم هذا القليل الكدر[3]، و عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم المستمر .

و لما كان التقدير : فانهم كانوا فى دار العمل إذا قيل لهم آمنوا لايؤمنون ، عطف عليه قوله : ﴿و اذا قيل لهم﴾ أى لهؤلاء المجرمين[4] من أى قائل كان ﴿اركعوا﴾ أى صلوا الصلاة التى فيها الركوع ، و أطلقه عليها تسمية لها باسم جزء منها ، وخص هذا الجزء لأنه يقال على الخضوع و الطاعة ، و لأنه خاص بصلاة المسلمين ، و لأن بعض العرب نفر عن الدين من أجله ، و قال : لا أجيّ لأن فيه - زعم - إبرازا[5] للاست فيكون ذلك مسبة ، و كذلك السجود ، قال فى القاموس : جبى تجبئة : وضع يديه على ركبتيه أو على الأرض أو انكب على وجهه ، و التجبئة أن تقوم قيام الركوع ﴿لا يركعون﴾ أى لا يخضعون و لا يوجدون الصلاة فلذلك كان وعيدهم ، و فيه دلالة على [أن -[6]] الأمر للوجوب ليستحق تاركه العذاب و على أن الكفار مخاطبون بالفروع ﴿ويل يومئذ﴾

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يومئذ (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : كوكوهم - كذا (٣) فى ظ : القدر (٤) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الاصل : الابراز (٦) زيد من ظ و م .

اى إذ[1] يكون الفصل ﴿للمكذبين ۝﴾ اى[2] بذلك الذي تقدم [3]في هذه[3] السورة أو بشيء منه أو بغيره مما جاءت به الرسل، و قد كررت هذه الجملة بعدد أجزاء طرف القسم أو[4] أجزاء الجواب لتكون كل جملة منها وعيدا على التكذيب بواحد من [تلك ـ[5]] الأجزاء، و تكون هذه الجملة العاشرة مؤكدة لتلك التسع، و تكملة[6] لعدها و معناها، و معلمة بأن الويل لهم دائما من غير انقضاء كما أن الواحد لا انقضاء له.

و لما أعلم هذا[7] أن لهم الويل دائما، / ذكر أن سببه عدم الإيمان بالقرآن و ان من لم يؤمن بالقرآن لم يؤمن بشيء أبدا، فقال مسببا عن معنى الكلام: ﴿ فبأيّ حديث ﴾ أى ذكر يتجدد نزوله على المرسل به في كل وقت تدعو إليه حاجة ﴿ بعده ﴾ أى بعد هذا القرآن الذى هو شاهد لنفسه عنه بصحة النسبة إلى الله تعالى من جهة ما حاز من البلاغة فى تراكيبه بالنسبة إلى كل جملة و بالنسبة إلى نظم[8] الجمل بعضها مع بعض، و بالإخبار بالمغيبات و الحمل على المعالى و التنبيه على الحكم و غير ذلك من بحور العلم و رياض الفنون. فالله باعتبار ذلك هو الشاهد بأنه كلامه ﴿ يؤمنون ۝ ﴾ أى يجددون[9] الإيمان بسببه[10] بكل ما أتى به

/ ٦٤٠

(١) من ظ و م، و فى الاصل: ان (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: بهذه (٤) زيد فى الأصل: بشيء منه و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، و فى الأصل: تكملة، و فى ظ: مكملة (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بهذا (٨) من ظ و م، و فى الأصل: نظر (٩) من م، و فى الأصل و ظ: يجدد (١٠) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها.

النبي صلى الله عليه و سلم إذا لم يؤمنوا بهذا الحديث الذى الله شاهد بأنه كلامه بما اشتمل عليه بعد إعجازه من الدلائل الواضحة ، و المعانى الشريفة الصالحة ، و النظوم الملائمة للطبع و الرقائق المرققة لكل قلب ، و البشائر [1]المشوقة لكل سمع[1] ، فمن لم يؤمن به لم يؤمن بحديث غيره ، فانه لا شيء يقاربه [2]و لا يدانيه[2] ، فكيف [بأن - [3]] يدعى شيء يباريه أو[4] يراقيه ، و مثل هذا إنما يقال عند مقاربة اليأس من الموعوظ و العادة قاضية بحلول العذاب إذ ذاك و إنزال البأس ، فهو من أعظم[5] أنواع التهديد ، فقد رجع آخرها على أولها فى وعيد المكذبين ، و انطبق أولها على آخرها فى إخزاء[6] المجرمين - و الله الهادى للصواب[7] .

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : المشوقة للسمع (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل « و » .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عظيم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اجره
(٧) سقط من ظ و م .

سورة عم يتساءلون[1] و تسمى سورة النبأ

مقصودها الدلالة على أن يوم القيامة - الذى[2] كانوا مجمعين على نفيه، و صاروا بعد بعث النبي صلى الله عليه و سلم فى خلاف فيه مع المؤمنين - ثابت ثباتا لا يحتمل[3] شكا و لا خلافا بوجه، لأن خالق الخلق مع أنه حكيم قادر على ما يريد دبرهم أحسن تدبير، بنى لهم مسكنا و أتقنه، ٥ و[4] جعلهم على وجه يبقى به نوعهم من أنفسهم بحيث لا يحتاجون إلى أمر خارج يرونه، فكان ذلك أشد لألفتهم و أعظم لأنس بعضهم ببعض، و جعل سقفهم و فراشهم كافلين لمنافعهم، و الحكيم لا يترك عبيده[5] - و هو تام القدرة كامل السلطان - يمرحون يبغى بعضهم على بعض و يأكلون خيره و يعبدون غيره بلا حساب، فكيف إذا كان حاكما ١٠ فكيف إذا كان أحكم الحاكمين، هذا ما لا يجوز فى عقل[6] و لا يخطر ببال أصلا، فالعلم [7]واقع به[7] قطعا، و كل من اسميها واضح فى ذلك بتأمل آيته و مبدأ ذكره [و -[8]] غايته ﴿ بسم الله ﴾ الحكيم العليم[9]

---

(١) الثامنة و السبعون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها أربعون (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الذين (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لا يتمل (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ثم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عبده (٦) زيد فى الأصل: عاقل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: به واقع (٨) زيد من ظ و م (٩) فى م: العظيم.

الذى له جميع صفات الكمال ﴿الرحمن﴾ الذى[1] ساوى بين عباده
/ ٦٤١ / فى أصول النعم الظاهرة: الإيجاد و[2] الجاه و المال[2]، و بيان الطريق
الأقوم بالعقل الهادى و الإنزال و الإرسال ﴿الرحيم﴾ الذى خص من شاء
باتمام تلك النعم[3] فوفقهم لمحاسن[4] الأعمال لما أخبر فى المرسلات
٥ بتكذيبهم بيوم الفصل و حكم على أن لهم بذلك الويل المضاعف المكرر،
و ختمها بأنهم إن كفروا بهذا القرآن لم يؤمنوا بعده بشىء، افتتح هذه
بأن[5] ما خالفوا فيه وكذبوا الرسول[6] فى أمره لايقبل النزاع لما ظهر من
بيان القرآن لحكمة الرحمن التى لا يختلف فيها اثنان مع الإعجاز فى البيان،
فقال معجبا منهم غاية العجب زاجرا لهم و منكرا عليهم و متوعدا لهم
١٠ و مفخما للأمر بصيغة الاستفهام منبها على أنه ينبغى أن لايعقل خلافهم،
و لا يعرف محل نزاعهم، فينبغى أن يسأل عنه كل أحد حتى العالم به
إعلاما بأن ما يختلفون فيه[7] لوضوحه لايصدق ان عاقلا يخالف أمره[8]
فيه و أنه لا ينبغى التساؤل [إلا ـ[9]] عما هو خفى فقال: ﴿عمَّ﴾ أى
عن أى شىء ـ خفف لفظا و كتابة بالإدغام، و حذف ألفه لكثرة الدور
١٥ و الإشارة إلى أن هذا السؤال مما ينبغى أن يحذف، فان لم يكن فيخفى
و يستحى من ذكره و يخفف ﴿يتساءلون﴾ أى أهل مكة لكل من يسأل

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢ ـ ٢) من ظ و م، و فى الأصل: المال والجاه.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: النعيم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بالمحاسن.
(٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الرسل (٧) من ظ و م، و فى الأصل: به (٨) سقط من م (٩) زيد من ظ و م.

عن

عن شيء من القرآن سؤال شك و توقف و تلدد فيما بينهم و بين الرسول صلى الله عليه و سلم و المؤمنين رضى الله عنهم ، و لشدة العجب سمى جدالهم و إنكارهم[1] وعنادهم - إذا تليت عليهم آياته و جليت بيناته - مطلق سؤال .

و لما فخم ما يتساءلون عنه معجبا [2]منهم فيه[2]، بينه بقوله إعلاما بأن ذلك الإبهام ما كان إلا للاعظام : ﴿عن النبأ﴾ أى من رسالة الرسول و إتيانه بالكتاب المبين ، و إخباره عن يوم الفصل ، و الشاهد بكل شيء من ذلك الله بإعجاز هذا الحديث ، و بوعده الجازم الحثيث .

و لما كان فى مقام التفخيم له ، وصفه تأكيدا بقوله : ﴿العظيم ۝﴾ مع أن النبأ لايقال إلا لخبر عظيم [شأنه -[3]] ، ففى ذلك [كله -[3]] تنبيه على أنه من حقه أن يذعن له كل سامع و يهتم بأمره[4] ، لا أن يشك فيه و يجعله موضعا للنزاع ؛ و عظم توبيخهم بقوله : ﴿الذى هم﴾ أى بضمائرهم مع ادعائهم أنها أقوم الضمائر ﴿فيه مختلفون ۝﴾ أى شديد [5]اختلافهم و ثباتهم[5] فبعضهم صدق و بعضهم كذب ، و المكذبون بعضهم شك و بعضهم جزم و قال بعضهم : شاعر ، و بعضهم : ساحر - إلى غير ذلك [من الأباطيل -[3]] ، و ذلك الأمر هو أمر النبى صلى الله عليه و سلم الذى أهمه البعث بعد الموت اشتد التباسه عليهم و كثرت[6] مراجعتهم فيه و مساءلتهم عنه مع[7] عظمه و عظم ظهوره ، و العظيم لا ينبغى الاختلاف

(١) زيد فى الأصل : و عقايدهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : منه (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بـه (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ثباتهم و اختلافهم .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كثرة (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فى .

فيه بوجـــه، فإن ذا المروءة لاينبغي له ان يدخل فى امر إلا وهو على بصيرة فكيف به إذا كان عظيما فكيف بـه إذا تناهي عظمه فكيف به / إذا كان أهم ما يهمه فإنه يتعين عليه أن يبحث عنه غاية البحث و يطلب فيه الأدلة و يفحص عن البراهين و يستوضح الحجج حتى يصير من أمره بعد [1]علم اليقين[1] إلى عين اليقين من حين يبلغ مبلغ الرجال إلى أن يموت فكيف إذا كان بحيث تتلى عليه الأدلة و تجلى لديه قواطع الحجج و تجلب[2] إليه البينات و هو يكابر فيها و يمارى[3]، و يعاند و يدارى .

/ ٦٤٢

قال الإمام أبو جعفر بن الزبير : سورة النبأ أما مطلقها فرتب [4]على تساؤل[4] و استفهام وقع[5] منهم و كأنه وارد هنا فى معرض العدول و الالتفات ، و أما قوله " كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون" فمناسب للوعيد المتكرر فى قوله "ويل يومئذ للمكذبين" و كأن قد قيل : سيعلمون عاقبة تكذيبهم ، ثم أورد تعالى من جميل صنعه و ما[6] إذا اعتبره المعتبر علم أنه لم يخلق [7]شيء منه[7] عبثا بل يعتبر به و يستوضح وجه الحكمة فيه ، فعلم أنه لابد من وقت ينكشف فيه الغطاء و يجازى الخلائق على نسبة من أحوالهم فى الاعتبار و التدبر[8] و الخضوع لمن نصب مجموع

(١ - ١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تجلت (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يمادى (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : التساول (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : واقع (٦) من ظ و م ، و فى الأصل: اما (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : منه شيء (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : التدبير .

تلك الدلائل ، و يستشعر من تكرار الفصول و تجدد الحالات و إحياء الأرض بعد موتها ، جرى ذلك فى البعث و اطراد الحكم ، و إليه الإشارة بقوله "كذلك نخرج الموتى" و قال تعالى منبها على ما ذكرناه "الم نجعل الارض مهادا - إلى قوله - و جنات الفافا" فهذه المصنوعات المقصود بها الاعتبار كما قدم ، ثم[1] قال تعالى "ان يوم الفصل كان ميقاتا" أى موعدا لجزائكم لو اعتبرتم بما ذكر لكم لعلمتم منه وقوعه و كونه ليقع جزاؤكم على ما سلف منكم «فويل يومئذ للمكذبين» و يشهد لهذا القصد مما بعد[2] من الآيات قوله تعالى لما ذكر ما أعد للطاغين "انهم كانوا لايرجون حسابا و كذبوا بآياتنا كذابا و كل شىء احصيناه كتابا" ثم قال بعد" ان للمتقين مفازا حدائق و اعنابا" و قوله بعد "ذلك اليوم الحق" و أما الحياة الدنيا فلعب و لهو و إن الدار الآخرة لهى الحيوان ، و قوله بعد "يوم ينظر المرء ما قدمت يداه و يقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا" انتهى . و لما كان [الأمر -[3]] من العظمة فى هذا الحد قال مؤكدا لأن[4] ما اختلفوا فيه و سألوا عنه ليس موضعا للاختلاف و التساؤل بأداة الردع ، فقال تهديدا لهم و توكيدا لوعيدهم : ﴿ كلا ﴾ أى ليس ما سألوا عنه و اختلفوا فيه بموضع اختلاف أصلا . و لايصح أن يطرقه ريب بوجه من الوجوه فلينزجروا عن ذلك و ليرتدعوا قبل

(١) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يعد .
(٣) زيد من ظ و م ، و حيثما لا تذكر نسخة « م » فهذا يعنى أنها مطموسة فى ذلك المكان (٤) من ظ و م ، و فى الأصل: لبيان.

حلول ما لا قبل لهم به .

و لما كان كأنه قيل : فهل[1] ينقطع ما هم فيه؟ أجاب بقوله مهددا حاذفا متعلق العلم للتهويل لأجل ذهاب النفس كل مذهب : ﴿ سيعلمون ۝ ﴾ أى يصلون / إلى حد يكون حالهم فيه فى ترك العناد حال العالم بكل ما ينفعهم و يضرهم ، و هذا عن قريب بوعد لاخلف فيه[2] ، و يكون لهم حينئذ عين اليقين الذى لايستطاع دفاعه بعد علم اليقين الذى دافعوه ، و عظم رتبة هذا الردع و التهديد و الزجر و الوعيد بقوله : ﴿ ثم كلا ﴾ أى أن أمره فى ظهوره رادع عن الاختلاف[3] فى أمره ﴿ سيعلمون ۝ ﴾ أى بعد الموت بعد علمهم قبله ما يكون من أمره بوعد صادق لاشك فيه ، و يصير حالهم إذ ذاك حال العالم فى كفهم عن العناد ، و هم بين ذلول و ذليل و حقير و جليل ، فأما من اخترناه منهم للايمان فيكون ذلولا ، و من اردنا شقاءه بالكفران فتراه ناكسا ذليلا ، و يشترك الكل بالذوق فى حق اليقين ، و [قد - [4]] كان هذا كما قال الجليل بعد زمن قليل عند ما أوقعتهم أيام الله و أرغمت منهم الأنوف[5] و أذلت الجباه ، و قراءة[6] ابن عامر على ما قيل عنه بتاء الخطاب أعظم فى[7] الوعيد و أدل على[8] الاستعطاف للتاب .

/ ٦٤٣

(١) من م ، و فى الاصل و ظ : هل (٢) فى م : له (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اختلاف (٤) زيد من ظ (٥) فى م : الأنف (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : قرأ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فى

و لما

و لما حقق[1] لهم أمره تحقيق من هو على غاية الوثوق بما يقول ، دل على ذلك بما لايحتمل شكا و لا وقفة أصلا ، فقال مقررا لهم و منكرا عليهم التساؤل [بما ندب إليه من التأمل و قرر به من النظر فى باهر آياته و غرائب مخلوقاته التى أبدعها -[2]] من العدم دلالة تامة عظيمة على كمال القدرة مع تمام الحكمة الموجب للقطع بكل ما نبهت عليه الرسل ٥ من الشرائع و البعث و الجزاء بادئا بما هم [له -[3]] أشد ملابسة و هو الظرف: ﴿ الم نجعل ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ الارض مهدا ﴾ أى فراشا لكم موطئا مذللا يمكن الاستقرار عليه لتتصرفوا فيها كيف شئتم ﴿ و الجبال ﴾ أى تعرفون شدتها و عظمتها و عجزكم عن أقل شىء من أمورها ﴿ اوتادا ﴾ تثبتها كما أن البيت لايثبت إلا بأوتاده ، قال الأفوه ١٠ الأودى :

و البيت لا يبتنى إلا له عمد و لا عماد إذا لم ترس أوتاد

و ذلك لئلا تميد [بكم -[3]] فانها[4] معلقة على فضاء العلم بمسكة بيد القدرة ، فلولا الجبال لعظم ثقلها لأنها بمنزلة السفينة العالية الفارغة على متن البحر فهى فى غاية الحركة لا سيما إذا عظمت الريح فانها حينئذ لايستقر عليها ١٥ قائم و لا يثبت قاعد و لا نائم[5] ، فالجبال بمنزلة الأمتعة الثقيلة التى تنزلها فى الماء[6] فتحفظ عن[6] كثرة التقلب فكيف يصح بوجه أن يتوقف فى إخبار

(١) من ظ ، و فى الأصل : احق ، و فى م : حق (٢) زيد من ظ (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لأنها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قائم (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فتحفظها من .

من هذه قدرته لاسيما إذا كان ذلك المخبر به مما[1] ركز سبحانه أمره فى الفطر الأولى و قرر صحته فى العقول التقرير الأوضح الأجلى .

و لما ذكر بما فى الظرف الذى هو فرشهم من الدلالة على تمام القدرة ، أتبعه التذكير بما فى المظروف و هو أنفسهم لتجتمع آيات الأنفس و الآفاق فيتبين لهم أنه الحق فقال : ﴿ و خلقنكم ﴾ أى بما دل على ذلك من مظاهر العظمة ﴿ ازواجا ﴾ طوالا و قصارا و حسانا و دماما و ذكرانا و إناثا لجميع أصنافكم على تباعد / أقطارهم و تنائى ديارهم لتدوم أنواعكم إلى الوقت الذى يكون فيه انقطاعكم[2] . ٦٤٤ /

و لما ذكر ما هو سبب لبقاء النوع ، ذكر ما هو سبب لحفظه[3] من إسراع الفساد فقال : ﴿ و جعلنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ نومكم ﴾ الذى ركبنا البدن على قبوله ﴿ سباتا ﴾ [أى -[4]] قطعا عن الإحساس و الحركة التى أتعبتكم فى نهاركم مع[5] الامتداد و الاسترسال إراحة للقوى الحيوانية و الحواس الجثمانية[6] و إزاحة لكلالها[7] مع أنه قاطع لكمال الحياة ، فهو مذكر [8]بالموتة الكبرى[8] و الاستيقاظ مذكر بالبعث ، قال الزجاج[9] : السبات أن ينقطع عن الحركة و الروح فيه .

---

(١) زيد فى الأصل : القدرة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : انفطاركم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حفظه . (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الجسمانية (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لكلاها (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بالموت الكبير (٩) راجع المعالم ٧/١٦٦ .

و لما ذكر النوم، اتبعه وقته الأليق به مذكرا بنعمة الظرف الزمانى بعد التذكير بالظرف المكانى، فقال دالا[1] بمظهر العظمة على عظمه: ﴿و جعلنا الّيل﴾ أى بعد ذهاب الضياء حتى كأنه لم يكن ﴿لباسا﴾ أى غطاء و غشاء ساترا بظلمته[2] ما اتى عليه عن العيون كما يستره اللباس لتسكنوا فيه عن المعاش ﴿و جعلنا النهار﴾ أى الذى آيته الشمس ٥ ﴿معاشا﴾ أى وقتا للتقلب الذى هو من أسباب التحصيل الذى هو من أسباب المعاش، و هو العيش و وقته و موضعه، و مظهرا لما ستره الليل، فالآية من الاحتباك: ذكر اللباس أولا دليلا على حذف ضده ثانيا، و المعاش ثانيا دليلا على حذف ضده أولا.

و لما ذكر المهاد وما فيه، أتبعه السقف الذى بدورانه يكون الوقت ١٠ الزمانى وما يحويه من القناديل الزاهرة و المنافع الظاهرة لإحياء المهاد ومن فيه من العباد فقال: ﴿و بنينا﴾ أى بناء عظيما ﴿فوقكم﴾ أى عاما لجميع جهة الفوق، و هى عبارة تدل على الإحاطة ﴿سبعا﴾ اى من السماوات ﴿شدادا﴾ أى هى فى غاية القوة و الإحكام، لاصدع فيها و لافتق، لايؤثر فيها كر العصور ولا مر الدهور، حتى يأتى أمر الله باظهار ١٥ عظائم[3] المقدور.

و لما ذكر السقف، ذكر [بعض -[4]] ما فيه [من أمهات المنافع -[4]] فقال دالا بمظهر العظمة على عظمها: ﴿و جعلنا﴾ أى مما لايقدر عليه غيرنا

(١) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عظام (٤) زيد من ظ و م.

﴿سراجا﴾ أى نجما منيرا جدا ﴿وهاجا﴾ أى هو مع تلألؤه و شدة ضيائه حار مضطرم الاتقاد و هو الشمس، من قولهم: وهج الجوهر: تلألأ. و الجمر: اتقد.

و لما ذكر ما يمحق الرطوبة بحرارته، أتبعه ما يطفىء الحرارة برطوبته و برودته فبنشئا عنه المأكل و المشرب، [1]التى بها[1] تمام الحياة و يكون تولدها من الظرف بالمهاد و السقف، و جعل ذلك أشبه شيء بما يتولد[2] بين الزوجين من الأولاد. فالسماء كالزوج و الأرض كالمرأة، و الماء كالمنى، و النبات من النجم [و الشجر -[3]] كالأولاد فقال[4]: ﴿و انزلنا﴾ اى مما يعجز غيرنا ﴿من المعصرٰت﴾ أى السحائب التى أثقلت بالماء فشارفت[5] أن يعصرها الرياح فتمطر كما حصد الزرع - إذا حان له أن يحصد، قال الفراء[6]: المعصر[7]: السحابة التى تتحلى بالمطر و لاتمطر كالمرأة المعصرة / و هى التى دنا حيضها و لم تحض، [و -[3]] قال الرازى: السحائب التى دنت أن تمطر كالمعصرة التى دنت من الحيض ﴿ماء ثجاجا﴾ أى منصبا بكثرة يتبع بعضه بعضا، يقال: ثجه و ثج بنفسه. /٦٤٥

و لما ذكر بدايته، أتبعها[8] نهايته فقال: ﴿لنخرج﴾ أى بعظمتنا التى ربطنا بها المسببات بالأسباب ﴿به﴾ أى الماء [تسبيبا -[3]] ﴿حبا﴾

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: الذى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تولد (٣) زيد من ظ و م (٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تشاوقت (٦) راجع البحر المحيط ٤٠٩/٨ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: المعصرات (٨) من ظ و م، و فى الأصل: واتبعه.

اى بجا ذا حب هو مقصوده لأنه يقتاته العباد ، صرح به لأنه المقصود و بدأ به لأنه القوت الذى به البقاء كالحنطة و الشعير و غيرهما ﴿و نباتا لا﴾ يتفكهون و يتنزهون فيـــه و تعتلفه[1] البهائم . و لما كان من المشاهد الذى لايسوغ إنكاره أن فى الأرض من البساتين ما يفوت الحصر ، عبر بجمع[2] القلة تحقيرا له بالنسبة إلى باهر العظمة و نافذ الكلمة فقال : ٥ ﴿و جنّت﴾ أى بساتين بجمع أنواع الأشجار و النبات[3] المقتات و غيره ﴿الفافا ه﴾ أى ملتفة الأشجار مجتمعة بعضها إلى بعض من شدة الرى ، جمع لف كجذع[4] ، قال البغوى[5] : و قيل : هو جمع الجمع ، يقال : جنة لفاء ، و جمعها لف - بضم اللام ، و جمع الجمع ألفاف . و تضمن هذا الذى ذكره المياه النابعة الجارية و الواقفة ، فاكتفى بذكره عن ذكرها ، ١٠ قال مقاتل : و كل من هذا الذى ذكر أعجب من البعث .

و لما[6] ذكر [7]ما دل[7] على غاية القدرة و نهاية الحكمة فدل قطعا على الوحدانية لأنه لو كان التعدد لم تكن الحكمة و لم تتم القدرة ، فأثمر المحبة لمن اتصف بذلك ، فأنتج للطائع الشوق إلى لقائه و الترامى إلى مطالعة كمال نعمائه ، و للعاصى ما هو حقيق به من الخوف من لقائه ليرده[ذلك -[8]] ١٥

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : يعلفه (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : بجميع . (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كزع (٥) فى معالم التنزيل ٧/١٦٧ (٦) زيد فى الأصل : كان ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : دلالة (٨) زيد من ظ و م .

عن إعراضه و إبائه ، أتبعه ما أعلم انه ما ذكره إلا للدلالة على النبأ العظيم فى لقاء العزيز الرحيم ، فقال منتجا عما مضى من الوعيد و ما دل على تمام القدرة مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿ ان يوم الفصل ﴾ [أى -[1]] الذى هو النبأ العظيم ، و تقدم الإنذار به فى المرسلات و ما خلق الخلق ٥ إلا لجمعهم[2] فيه و إظهار صفات الكمال ليفصل فيه[3] بين كل ملبس فصلا لا شبهة فيه و يؤخذ للمظلوم من الظالم ﴿ كان ﴾ أى فى علم الله و حكمته كونا لابد منه جعل فيه كالجبلة فى ذوى الأرواح ﴿ ميقاتا ﴾ أى حدا يوقت به الدنيا و تنتهى عنده مع ما فيها من الخلائق .

و لما ذكره ، ذكر ما فيه تعظيما له و حثا على الطاعة فقال مبدلا منه ١٠ أو مبينا له : ﴿ يوم ﴾ و لما كان الهائل المفزع النفخ ، لا كونه من معين ، بنى للمفعول قوله : ﴿ ينفخ ﴾ أى من نافخ أذن[4] الله له ﴿ فى الصور ﴾ و هو قرن من نور على ما قيل سعته أعظم مما بين السماء و الأرض ، و هى نفخة البعث و هى الثانية من النفخات الأربع[5] كما مر فى آخر الزمر[6] / ، و لذلك قال : ﴿ فتاتون ﴾ أى بعد القيام من القبور إلى الموقف[6] / ٦٤٦ ١٥ أحياء كما كنتم أول مرة لا تفقدون من أعضائكم و جلودكم و أشعاركم و أظفاركم[7] و ألوانكم الأصلية شيئا يجمعكم من الأرض بعد أن تمزقتم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بجميعهم (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : بـه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اذل (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : على ما مر فى سورة الزمر فى آخرها (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : موقف (٧) زيد فى الأصل : و اطلافكم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

فيها، و اختلط تراب من بلى منكم بترابها و تراب بعضكم ببعض، و تمييز ذلك و جمعه و تركيبه كما كان و إعادة الروح فيه يسير عليه سبحانه و تعالى كما فعل ذلك كله من نطفة بعد أن فعله فى آدم عليه السلام من تراب لا أصل له فى الحياة، حال كونكم ﴿ افواجا ﴾ أى أمما و زمرا و جماعات مشاة مسرعين كل أمة بامامها، روى الثعلبى و ابن ٥ مردويه عن البراء[1] رضى الله عنهم - و قال شيخنا ابن حجر فى ترجمة محمد ابن زهير فى لسان الميزان[2]: إنه ظاهر الوضع - أن معاذا رضى الله عنه سأل عن هذه الأفواج فقال النبى[3] صلى الله عليه و سلم: إن أمتى تحشر على عشرة أصناف: على صور[4] القردة، و على صور[4] الخنازير، و بعض منكسون يسحبون على وجوههم، و بعض عمى و بعض صم[5] بكم، و بعض ١٠ يمضغون ألسنتهم، فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع، و بعض منقطعة[6] أيديهم و أرجلهم، و بعض مصلوبون[7] على جذوع من نار، و بعض أشد نتنا من الجيف، و بعض ملبسون جبابا [سابغة - [8]] من قطران لازقة بجلودهم، [9]فسرهم بالقتات[9] و آكلى السحت و أكلة الربا و الجائرين[10] فى الحكم و المعجبين بأعمالهم و العلماء ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: البزار (٢) راجع ٧/١٧٠ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: قال (٤) من ظ و م، و فى الأصل: صورة (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: منقطع. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: مصلبون (٨) زيد من ظ و م (٩ - ٩) من ظ و م، و فى الأصل: فسر بالقينات (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: الجبارين.

الذين يخالف [1]قولهم فعلهم[1] و المؤذين للجيران و الساعين بالناس للسلطان، و التابعين للشهوات المانعين حق الله تعالى و المتكبرين خيلاء.

و لما ذكر الآية فى أنفسهم ذكر [2]بعض آيات[2] الآفاق، و بدأ بالعلوى لأنه أشرف فقال بانيا للمفعول لأن[3] المفزع مطلق التفتيح، ٥ و لأن ذلك أدل على قدرة الفاعل و هوان[4] الأمور عليه: ﴿و فتحت السمآء﴾ أى شقق هذا الجنس تشقيقا كبيرا، و قرأ الكوفيون بالتخفيف لأن التكثير[5] يدل عليه ما سيب عن الفتح من قوله: ﴿فكانت﴾ أى [كلها -[6]] كينونة كأنها جبلة لها ﴿ابوابا﴾ أى كثيرة جدا لكثرة الشقوق الكبيرة[7] بحيث صارت كأنها لاحقيقة لها إلا الأبواب.

١٠ و لما ذكر السقف، ذكر أقرب الأرض إليه و أشدها، فقال على طريقة كلام القادرين أيضا: ﴿و سيرت﴾ أى حملت بأيسر أمر على السير ﴿الجبال﴾ على ما تعلمون من صلابتها و صعوبتها فى الهواء كأنها الهباء المنثور، و على ذلك دل قوله: ﴿فكانت﴾ أى كينونة راسخة ﴿سرابا[8]﴾ أى لا نرى فيها إلا خيالا يتراءى [8]وهى سايرة تمر مر[8] السحاب ١٥ ثم تخفى لتناثر أجزائها كالهباء - يا لها من عظمة تجب لها القلوب و تتعاظم / الكروب. /٦٤٧

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: فعلهم قولهم (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: الآيات (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لأنه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: أهون (٥) من ظ و م، و فى الأصل: التكر (٦) زيد من ظ و م. (٧) من ظ، و فى الأصل و م: الكثيرة (٨-٨) فى ظ و م: هو سائريه.

و لما بين ان يوم الفصل هو النبأ العظيم بعد ان دل عليه و ذكر ما فيه من المسير ، ذكر ما إليه من الدارين المصير ، فقال بعد التذكير بما فى الجبال من العذاب بحزونتها[1] و ما فيهـا من السباع و الحشرات و الأشجار الشائكة و القواطع المتشابكة و غير ذلك من عجائب التقدير مؤكدا[2] لتكذيبهم: ﴿ان جهنم﴾ أى النار التى تلقى أصحابها متجهمة لهم ٥ بغاية ما يكرهون ﴿كانت﴾ أى[3] جبلة و[3] خلقا ﴿مرصادا﴾ أى موضع رصد[4] لأعداء الله ترصدهم فيها خزنة النار ، فاذا رأوهم كردسوهم فيها ، [5]و لأولياء الله[5] ترصدهم فيها خزنة الجنة لإنجائهم [6]من النار[6] عند ورودها أو هى راصدة بليغة الرصد للكفار حتى صارت مجسدة [7]من الرصد[7] لتجمع أصحابها فلا يفوت منهم واحد كالمطعان لكثير الطعن ، و المكثار ١٠ للمبالغ[8] فى الإكثار[9] ، و عن ابن عباس رضى الله عنهما أن على جسر جهنم سبعة[10] محابس يسئل عند[11] أولها عن شهادة أن لا إله إلا الله ، فان جاء بها تامة جاز إلى [الثانى فيسئل عن الصلاة ، فان جاء بها تامة جاز إلى الثالث

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بحرونتها (٢) زيد فى الأصل : لانكارهم معجبا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) سقط من ظ و م (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥-٥) من م ، و فى الأصل و ظ : اما اولياء الله فان الجنة ترصدهم. (٦-٦) فى ظ و م : منها (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : للرصد (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : الكثير المبالغ (٩) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ ، و فى الأصل و م : سبع (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : على .

فيسئل عن الزكاة فان جاء بها تامة جاز إلى - [1]] الرابع فيسئل عن الصوم، فان جاء به تاما جاز إلى الخامس فيسئل عن الحج، فان جاء به تاما جاز إلى السادس فيسئل عن [العمرة فان جاء بها تامه جاز إلى السابع فيسأل عن - [2]] المظالم، فان خرج منها و إلا قيل: انظروا فان كان له تطوع تكمل به أعماله. فاذا فرغ انطلق به إلى الجنة.

و لما كان درء المفاسد أولى من جلب المصالح، قدم ذكر المخوف فقال: ﴿ للطغين ﴾ أى المجاوزين [3] لحدود الله [3] ﴿ مابا ﴾ أى مرجعا و مأوى بعد أن كان الله ذرأهم لها فكأنهم كانوا فيها [4] ثم هيأهم للخروج منها و البعد عنها بفطرهم الأولى، ثم بما انزل الله من الكتب و [5] أرسل من الرسل [5] فكانه بذلك أخرجهم منها، ثم رجعوا إليها بما أحدثوا من التكذيب.

و لما [6] ذكر مصيرهم إليها ذكر [7] إقامتهم فيها فقال حالا من ضمير "الطاغين": ﴿ لبثين فيها ﴾ و لما كان جمع القلة يستعار للكثرة [8] فكان الحقب يطلق على الزمان من غير حد، و يطلق على زمان محدود، فقيل على ثمانين سنة، و على سبعين ألف سنة، فكان السياق من تصدير السورة بالنباء و بوصفه مع التعبير بالنبا العظيم [9] و ما بعد ذلك يفهم أن المراد

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من ظ (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الحدود. (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لها (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: الرسل الذين ارسلها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ثم (٧) من ظ و م، و فى الأصل ذاكر (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لكثرة (٩) فى م: بالعظيم.

الدوام إن اريد ما لا حد له و أن المراد إن أريد المحدود جمع الكثرة ، و أكثر ما فسر به[1] الحقب ، و أنه للمبالغة[2] لا التحديد ، كان جمع القلة هنا غير مشكل ، فمن حمله على ما دون ذلك فكفاه زاجرا لم يضره التعبير [به -[3]] ، و من اجترأ عليه و استهان به كان فتنة له كما كان حصر عدد الخزنة للنار بتسعة عشر[4] فلم يضر إلا نفسه ، فلذلك عبر عن ظرف ٥ اللبث بقوله[5] : ﴿ احقابا ﴾ أى دهورا عظيمة متتابعة لا انقضاء لها على أن التعبير به - ولو حمل على الأقل و جعل منقضيا - لاينافى ما صرح فيه بالخلود لأنه أثبت شيئا و لم ينف ما فوقه ، و عن الحسن[6] أنه [قال -[7]] : لايكاد يذكر الحقب إلاحيث يراد تتابع الأزمنة/ و تواليها / ٦٤٧ من غير انقضاء . ١٠

و لما كان المسكن لايصلح إلا بالاعتدال و الماء الذى هو حياة كل شيء ، قال ذاكرا حال هذا اللبث : ﴿ لايذوقون ﴾ أى ساعة ما[8] فكيف بما فوق الذوق ﴿ فيها ﴾ أى النار خاصة ، و كأنه أشار بتقديمه[9] إلى أنهم يذوقون فى دار أخرى الزمهرير ﴿ بردا ﴾ اى روحا و راحة لنفعهم من الحر أو مطلق البرد ﴿ و لاشرابا ﴾ من ماء او غيره يغنيهم من العطش ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فيه (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المبالغة . (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : تسعة عشر (٥) زيد فى الأصل : فيها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) راجع المعالم ١٦٧/٧ . (٧) زيد من ظ (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : من الساعات (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : تبغليبة .

على حال من الأحوال ﴿ الا ﴾ [1]حال كون ذلك الشراب ﴿حميما﴾ اى ماء حارا يشوى الوجوه قد انتهى حره ﴿و﴾حال كون ذلك الشراب مع حرارته، أو البرد ﴿ غساقا ﴾ أى عصارة أهل النار[2] من القيح و الصديد البارد المنتن، فالاستثناء على هـذا موزع الحميم من الشراب و الغساق من البرد، فالحميم شرابهم فى دولة السعير، و الغساق فى دولة الزمهرير.

و لما حكم عليهم بهذا العذاب [الذى لايطاق، ذكر حكمته -[3]] فقال[4] أنه جزاهم[5] بذلك ﴿ جزآء وفاقا ﴾ أى ذا وفاق لاعمالهم[6] لأنهم كانوا يأخذون أموال الناس فيحرقون صدورهم عليها و يبردون بها الشراب و يصفونه و يبخرونه، فهم يحرقون الآن بعصارة غيرهم المنتنة، و كأنهم بعد الأحقاب - إن جعلت منقضية - يبدلون عذابا غير الحميم و الغساق، ثم [علل -[3]] عذابهم بقوله، مؤكدا تنبيها على ان الحساب من الوضوح بحالة [7]يصدق به[7] كل أحد، فلا يكاد يصدق ان أحدا يكذب به فلا يجوزه فقال: ﴿ انهم كانوا ﴾ أى بما هو لهم كالجبلة التى لاتقبل غير ذلك فهم يفسدون القوى العلميه بأنهم ﴿ لايرجون ﴾ أى فى حال من الاحوال و لو رأوا كل آية ﴿حسابا﴾ فهم لايعملون[8] بغير الشهوات،

(١) زيد فى الأصل : اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) سقط من ظ (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : مخبرا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل : جازاهم (٦) من ظ، وفى الأصل وم : اعمالهم (٧-٧) من ظ وم، وفى الأصل : يصدق فيه (٨) من ظ و م، و فى الأصل : لايعلمون.

فوافق

فوافق هذا خلودهم فى النار ، و عبر عن تكذيبهم بنفى الرجاء لأنه ابلغ ، و ذلك لأن الإنسان يطمع فى الخير بأدنى احتمال[١] .

و لما دل[٢] انتفاء رجائهم على تكذيبهم المفسد للقوة العلمية ، صرح به على وجه أعم فقال : ﴿ وكذبوا بآيٰتنا ﴾ أى على ما لها من العظمة الدالة[٣] أنها من[٤] عندنا ﴿ كذابا ﴾ أى تكذيبا هو فى غاية المبالغة بحيث لو سمعوا أكذب[٥] الكذب ما كذبوا به[٦] كما كذبوا بها ، فكان[٧] تجريعهم لما لا يصح[٨] أن يشربه أحد[٩] - و إن جرع منه [شيئا -[١٠]] مات فى الحال من غير موت - لهم جزاء على تكذيبهم بالحوارق التى يجرعون بها الصادقين أنواع [١١]الحرق ، و قرئ[١١] بالتخفيف للدلالة على أنهم كذبوا فى تكذيبهم .

و لما كان التقدير : فكل شىء جعلنا له وزانا ، عطف عليه قوله : ﴿ وكل شىء ﴾ أى مطلقا من أعمالهم و غيرها أو كل ما يقع عليه الحساب

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : احتماله (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : دلت.
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الدال (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : على .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اكد (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بها .
(٧) زيد فى الأصل : فكان تقرمنهم بما لا يوصف و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يوصف أيضا (٩) زيد فى الأصل : و يجزج منه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) زيد من ظ و م (١١-١١) من ظ و م ، و فى الأصل : الحرب و قرا .

/٦٤٨ ﴿ احصيناه ﴾ و لما كان / الإحصاء موافقا للكتابة [1] فى الضبط ، اكد [1] فعله بها فقال : ﴿ كتابا ﴾ فلا جائز أن نترك شيئا من الأشياء بغير جزاء، و يمكن تنزيل الآية على الاحتباك و هو أحسن : دل [2] فعل الإحصاء على حذف مصدره ، و إثبات مصدر "كتب" عليه [3] أى أحصيناه إحصاء

٥ وكتبناه [4] كتابا ، و ذلك الإحصاء و الكتب لعدم الظلم .

و لما ذكر عذابهم و وجه موافقته لجزائهم، سبب عن تكذيبهم ما يقال لهم بلسان الحال أو [5] المقال إهانة وزيادة فى الجزاء على طريق الالتفات المؤذن بشدة [6] الخزى و [6] العضب عليهم [7] و كمال القدرة [6] له سبحانه و تعالى [6] فقال، و يجوز أن يكون سببا عن مقدر بعد "كتابا" [نحو ـ [8]]:

١٠ ليجازيهم عـلى كل شيء منه ، قائلا لهم [6] على لسان [6] الملائكة أو لسان الحال : ﴿ فذوقوا ﴾ أى من هذا العذاب فى هذا الحال بسبب تكذيبكم بالحساب، و أكد ذوقهم فى الاستقبال فقال: ﴿ فلن نزيدكم ﴾ أى شيئا من الأشياء [فى وقت من الأوقات ـ [9]] ﴿ الا عذابا ﴾ فان داركم ليس بها إلا الجحيم كما أن الجنة ليس بها إلا النعيم، فأفهم هذا ان حصول [10] شيء

١٥ لهم غير العذاب محال .

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : بالضبط (٢) زيد فى الاصل : عليه اى على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عليهم .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كتبنا (٥) من ظ ، و فى الأصل و م «و» .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) سقط من ظ و م (٨) زيد من ظ .
(٩) زيد من ظ و م (١٠) تكرر فى الأصل فقط .

و لما ذكر جزاء الكافرين و أشعر آخره بكونه إخزاء ، ذكر جزاء المؤمنين المخالفين لهم فقال مستأنفا مؤكـــدا لتكذيب الكافرين بـه : ﴿ ان للتقين ﴾ أى الراسخين فى الخوف المقتضى لاتخاذ الوقاية مما يخاف فوقوا أنفسهم من سخط الله بما يرضيه من الأعمال و الأقوال و الأحوال ﴿ مفازا ﴾ أى فوزا و موضع فوز و زمان فوز بالراحة الدائمة من جميع ما مضى ذكره للطاغين الذين هم أضدادهم ، و قد كشفوا أنفسهم للعذاب كل الكشف ، ثم فسره أو أبدل منه على حذف مضاف [أى فوز -[1]] : ﴿ حدآئق ﴾ أى بساتين فيها أنواع الأشجار ذوات الثمار و الرياحين لتجمع مع لذة المطعم لذة [2]البصر و الشم[2] ، قد أحدقت بها الجدران و حوطت بها ، قال ابن جرير[3] : فان لم تكن بحيطان محدقة بها لم يقل لها حديقة . و خص أشجار العنب لطيبها و حسنها و شرفها و ما فيها من لذة الذوق ، و عبر عن أشجارها بثمرتها إعلاما بأنها لا توجد إلا موقرة حملا وأن ثمرتها هى [جل -[1]] منفعتها فقال : ﴿ و اعنابا ﴾ .

و لما ذكر المساكن النزهة المؤنقة المعجبة ، ذكر ما يتمتع به و هو جامع لألذاذ الحواس : البصر و اللمس و الذوق[4] فقال : ﴿ وكواعب ﴾ أى نساء كعبت ثديهن ﴿ اترابا ﴾ أى على سن واحد ما مس جلد واحدة التراب قبل الأخرى ، بل لو كن مولودات لكانت ولادتهن فى ان واحد .

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الشم و البصر .
(٣) راجع جامع البيان ١١/٢٩ (٤) زيد فى الأصل : والشم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و لما ذكر النساء ذكر الملائم لعشرتهن فقال : ﴿وكاسا﴾ [اى-[1]] من الخمر التى لامثل لها فى لذة الذوق ظاهرا و باطنا و كمال السرور و إنعاش[2] القوى . و لما كانت العادة [جارية-[1]] بأن الشراب الجيد يكون قليلا ، دل على / كثرته دليلا على جودته بقوله : ﴿دهاقا ۝٣٤﴾ اى ممتلئة . ٦٤٩ /

و لما كانت مجالس الخمر فى الدنيا ممتلئة بما ينغصها من اللغو و الكذب [3]إلا عند من[3] لا مروءة له فلا ينغصه القبيح ، قال نافيا[4] عنها ما يكدر لذة السمع : ﴿لا يسمعون فيها﴾ أى الجنة فى وقت ما ﴿لغوا﴾ أى لغطا يستحق أن يلغى لأنه ليس له معنى أعم من أن يكون مهملا ليس له معنى أصلا ، أو مستعملا ليس له معنى موجود فى الخارج و إن قل ، أو له معنى و لكنه لا يترتب [به-[5]] كبير فائدة . و لما انتفى الكذب بهذه الطريقة ، [و-[1]] كان التكذيب أذى للكذب ، نفاه بقوله : ﴿ولا كذابا ۝٣٥﴾ فان هذه الصيغة تقال على التكذيب [و مطلق الكذب-[1]] ، فصار المعنى : و لا أذى بمعارضة فى القول ، مع موافقة قراءة الكسائى بالتخفيف فان معناها كذبا أو مكاذبة ، و شدد فى قراءة الجماعة لرشاقة اللفظ و موازنة " اعنابا و أترابا " مع الإصابة لحاق المعنى من[6] غير أدنى جور عن القصد و لا تكلف بوجه ما[7] .

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الفاظ (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من لا من (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نافعا . (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٧) سقط من م .

و لما كان العطاء إذا كان على المعاوضة كان أطيب لنفس الآخذ قال: ﴿ جزآء ﴾ و بين أنه ما جعله جزاء لهم إلا إكراما للنبي صلى الله عليه و سلم فانه سبحانه لايجب [1]عليه لأحد[1] شيء لأن أحدا لا يمكنه أن يوفى شكر نعمة من نعمه فان عمله من نعمه فقال: ﴿ من ربك ﴾ أى المحسن إليك با كرام[2] أمتك بانواع الإكرام، و فى ﴿ عطآء ﴾ إشارة إلى ذلك و هو بذل من غير جزاء ﴿ حسابا ﴾ أى على قدر الكفاية و إن فعل الإنسان منهم ما فعل و حسب جميع أنواع الحساب، من قولهم: أعطاه فأحسبه - إذا تابع عليه العطاء و أكثره حتى جاوز[3] العد و قال: حسبى، لايمكن أن يحتاج مع هذا العطاء و إن زاد فى الإنفاق، و اختير التعبير به دون "كافيا" مثلا لأنه أوقع فى النفس، فانه يقال: إذا كان هذا الحساب فما الظن بالثواب.

و لما ذكر سبحانه سعة فضله، وصف نفسه الأقدس بما يدل على عظمته زيادة فى شرف المخاطب صلى الله عليه و سلم لأن عظمة العبد على حسب عظمة السيد، فقال مبدلا على قراءة الجماعة و قاطعا بالرفع على المدح عند الحجازيين و أبى عمرو: ﴿ رب السمٰوٰت و الارض ﴾ أى مبدعهما و مدبرهما و مالكهما ﴿ وما بينهما ﴾ ملكا و ملكا. و لما شمل[4]

(١-١) من م، و فى الأصل و ظ: لأحد عليه (٢) من م، و فى الأصل و ظ: با كرم (٣) زيد فى الأصل: الحدو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

ذلك العرش و ما دونه[1]، علله بقوله : ﴿ الرحمن ﴾ أى الذى له الإنعام العام الذى أدناه الإيجاد، و ليس ذلك لأحد غيره، فان الكل داخل فى ملكه و ملكه، و لذلك قال دالا على الجبروت بعد صفة الرحمة : ﴿ لايملكون ﴾ أى أهل السماوات و الأرض و من بين ذلك أصلا ٥ دائما فى وقت من الأوقات فى الدنيا و لا فى الآخرة لا فى يوم بعينه: ﴿منه﴾ أى العام النعمة خاصة ﴿خطابا ج﴾ أى أن يخاطبوه أو يخاطبوا غيره بكلمة فما فوقها فى أمرهم / فى غاية الاهتمام به بما أفاده التعبير بالخطاب، ٦٥٠ / فكيف بما دونه[2] و إذا لم يملكوا ذلك منه فمن و الكل فى ملكه وملكه ؟ و عدم ملكهم لأن يخاطبهم مفهوم موافقة، و الحاصل أنهم لايقدرون ١٠ على خطاب ما من ذوات أنفسهم كما هو شأن المالك. و أما غيره فقد يملكون أن يكرهوه[3] على خطابهم و أن يخاطبوه بغير إذن من ذلك [الغير -[4]] و لا رضى و بغير تمليك منه لهم لأنه لاملك له، و إذا كان هذا فى[5] الخطاب فما ظنك بمن يدعى الوصال بالاتحاد[6] - عليهم اللعنة و لهم سوء المآب، ما أجرأهم على الاتحاد ! و قال الأستاذ أبو القاسم ١٥ القشيرى : كيف يكون للكون المخلوق و الفقير المسكين مكنة تملك منه خطابا [7]أو تتنفس نفسا[7] كلا بل هو الله الواحد[8] الجبار .

(١) من ظ و م، و فى الأصل : دونهما (٢) من ظ و م، و فى الأصل : دونهم (٣) من ظ و م، و فى الأصل : يكون (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : من (٦) من ظ و م، و فى الأصل : باتحاد (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل : تنفس تنفسا (٨) من ظ و م، و فى الأصل : الاحد .

و لما كان هذا ربما افهم سد باب الشفاعة عنده سبحانه ، و كان الكلام إنما ينشأ من الروح ، و كان الملائكة أقرب شيء إلى الروحية ، أكد هذا المعنى مزيلا ما[1] قد يوهمه فى الشفاعة سواء قلنا : إن الروح هنا جنس أم[2] لا ، فقال ذاكرا ظرف "لا يتكلمون" : ﴿ يوم يقوم الروح ﴾ أى هذا الجنس أو خلق من خلق الله عظيم الشأن جدا، قيل : هو الملك[3] الموكل بالأرواح أو جبريل عليه السلام ، أو القرآن المشار إليه بمثل قوله تعالى "تنزل الملائكة و الروح [من أمره -[4]]" "وكذلك أوحينا اليك روحا من امرنا" - قاله ابن زيد ﴿ و الملئكة ﴾ أى كلهم، و نبه بالاصطفاف على شدة الأمر فقال: ﴿ صفا[5] ﴾ للقاء ما فى ذلك اليوم من شدائد الأهوال و لحفظ الثقلين و هم فى وسط دائرة صفهم من الموج[6] و الاضطراب لعظيم ما هم فيه ، ثم زاد الأمر عظما بذكر العامل فى لا يوم" فقال: ﴿ لا يتكلمون ﴾ أى من تقدم كلهم بأجمعهم فيه بكلمة واحدة مطلق كلام خطابا كان أى فى أمر عظيم أو لا ، لاله سبحانه و لالغيره أصلا و [لا -[4]] أحد منهم ، و يجوز أن يكون هذا حالا لهؤلاء الخواص فيكون الضمير لهم فغيرهم بطريق الأولى ﴿ ا" من اذن له ﴾ أى فى الكلام إذنا خاصا ﴿ الرحمن ﴾ أى الملك الذى لا تكون نعمه[6] على أحد من خلقه[6] إلا منه ﴿ و قال صوابا ﴾ فان

(١) من ظ و م . و فى الأصل : بما (٢) فى ظ و م : او (٣) سقط من م .
(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المدح (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م

لم يحصل الأمر إن لم يقع الكلام من أحد منهم أصلا ، و هذا كالدليل على آية الخطاب بأنه إذا كان الروح و القريب منه بهذه المثابة فى حال كل من حضره كان أحوج ما يكون إلى الكلام فما الظن بغيرهم؟ و هم فى غيره كذلك بطريق الأولى و غيرهم فيه و فى غيره من باب الأولى، و أما[1] فى الدنيا فانه و إن كان لا يتكلم أحد إلا باذنه لكنه قد يتكلم بالخطأ .

و لما عظم ذلك اليوم بالسكوت خوفا من ذى الجبروت " و خشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا " أشار / إليه بما يستحقه زيادة فى عظمته فقال: ﴿ذلك﴾ أى المشار إليه لبعد مكانته و عظم[2] رتبته و علو منزلته ﴿اليوم الحق ج﴾ أى فى اليومية لكونه ثابتا فى نفسه فلا بد من كونه و لا زوال له ثبوتا لا مرية فيه لعاقل و ثابتا [3] كل ما[3] أثبته و باطلا [كل ما -[4]] نفاه . و لما قرر من عظمته ما يعجز غيره عن أن يقرر مثله، وكان قد خلق القوى و القدر و الفعل بالاختيار. فكان من حق كل عاقل تدرع[5] ما ينجى منه، سبب عن ذلك تنبيها على الخلاص منه و حثا عليه قوله: ﴿فمن شآء﴾ [أى -[4]] الاتخاذ من المكلفين الذين أذن لهم ﴿اتخذ﴾ أى بغاية جهده ﴿الى ربه﴾ أى خالقه نفسه المحسن إليه أو رب ذلك اليوم باستعمال قواه التى أعطاه الله إياها فى الأعمال الصالحة ﴿مابا ه﴾ أى مرجعا هو المرجع مما[6] يحصل له فيه الثواب بالإيمان و الطاعة، فان الله جعل لهم قوة و اختيارا، و لكن لا يقدر أحد منهم على مشيئة شىء

٦٥١ /

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عظيم . (٣-٣) من ظ و م ، و فى الاصل : كما (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تردع (٦) من ظ و م . و فى الأصل . بما .

إلا بمشيئة الله .

و لما قدم فى هذه السورة من شرح هذا النبأ العظيم ما قدم من الحكم و المواعظ و اللطائف و الوعد و الوعيد ، لخصه فى قوله مؤكدا لما لهم من التكذيب : ﴿ انا ﴾ على ما لنا من العظمة ﴿ انذرنٰكم ﴾ أى أيها الأمة و خصوصا العرب بما مضى من هذه السورة و غيرها ﴿ عذابا ﴾ ٥ و لما كان لابد من إتيانه و كونه سواء كان بالموت أو بالبعث ، و كان كل ما تحقق إتيانه أقرب شيء قال : ﴿ قريبا ﴾ .

و لما حذر منه ، عين وقته مشددا لتهويله [فقال -[1]] : ﴿ يوم ينظر المرء ﴾ أى جنسه الصالح منه و الطالح نظرا لامرية فيـــه[2] ﴿ ما ﴾ أى الذى ﴿ قدمت [3]يداه ﴾ اى كسبه[3] فى الدنيا من خير و شر ، و عبر بهما لأنهما ١٠ محل القدرة فكنى بهما عنها[4] مع ان أكثر ما يعمل كائن بهما مستقلتين به أو مشاركتين فيه خيرا كان[5] أو شرا . و لما كان التقدير : فيقول المؤمن : يا ليتنى قمت قبل هذا ، عطف عليه قوله : ﴿ و يقول الكٰفر ﴾ أى العريق فى الكفر عند ما يرى من [تلك -[1]] الأهوال متمنيا محالا : ﴿ يا ليتنى كنت ﴾ أى كونا لابد منه و لايزول ﴿ ترابا ﴾ أى فى الدنيا فلم أخلق و لم أكلف ، ١٥ أو[6] فى هذا اليوم فلم أعذب ، و المراد به الجنس أو إبليس الذى تكبر

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اى كسبته يداه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عنهما (٥) زيد فى الأصل : التقدير ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اى .

عن السجود لآدم عليه السلام المخلوق من التراب، و عظم نفسه بالحسد والافتخار بكونه مخلوقا من نار، يقول ذلك عند ما يرى ما [1]أعد الله[1] لآدم عليه السلام و لخواص[2] بنيه من الكرامة [3]من النعيم المقيم، و لهذا المتكبر على خالقه من العذاب الدائم الذى لايزول[3]، و عن أبى هريرة

٥ و [4]ابن عمر رضى الله عنهم ان الله تعالى يقتص[5] يوم البعث للبهائم بعضها من بعض ثم يقول لها: كونى ترابا، فتكون، فيتمنى الكافر[6] مثل ذلك[7]. فقد علم أن ذلك اليوم فى غاية العظمة و انه لابد[8] من كونه، فعلم أن التساؤل عنه للتعجب من[9] كونه من أعظم الجهل، فرجع آخرها على أولها، و انعطف / مفصلها أىّ انعطاف على موصلها، و اتصل مع ذلك ٦٥٢ /

١٠ بما بعدها أىّ اتصال، فان المشرف بالنزع على[10] الموت يرى كثيرا من الأهوال و الزلازل[11] و الأوجال التى يتمنى لأجلها انه كان منقطعا عن الدنيا ليس له[12] بها وصال يوما من الأيام و لا ليلة من الليال[3] - و الله الموفق للصواب و إليه المرجع و المآب[3] .

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لخواصه.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٥) زيد فى الأصل: يوم القيامة. و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اللعين (٧) زيد فى الأصل: انتهى والله الهادى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد فى الأصل: منه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٩) من ظ و م، و فى الأصل: مع (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: عند.
(١١) من ظ و م، و فى الأصل: الزلزال (١٢) من ظ و م، و فى الأصل: لها.

سورة النازعات[1] و تسمى الساهرة[2] و الطامة

مقصودها بيان أواخر[3] أمر الإنسان بالإقسام على بعث الأنام، و[4] وقوع القيام يوم الزحام و زلل الأقدام[5]، بعد البيان التام فيما مضى من هذه السور العظام، تنبيها على أنه وصل الأمر فى الظهور إلى مقام ليس بعده مقام، و صور ذلك بنزع الأرواح بأيدى[6] الملائكة الكرام، ثم أمر فرعون اللعين و موسى عليه السلام، و اسمها النازعات واضح فى ذلك المرام، إذا تؤمل القسم و جوابه المعلوم للأئمة الأعلام، وكذا الساهرة و الطامة إذا تؤمل السياق، و حصل التدبر فى تقرير الوفاق ﴿بسم الله﴾ الظاهر الباطن الملك العلام ﴿الرحمن﴾ الذى عم بالإنعام ﴿الرحيم ٥﴾ الذى خص[7] أهل ولايته[7] بالتمام، فاختصوا بالإكرام فى دار السلام .

لما ذكر سبحانه يوم[8] يقوم الروح و يتمنى الكافر العدم، أقسم أول هذه بنزع الأرواح على الوجه الذى ذكره بأيدى الملائكة عليهم السلام

---

(١) التاسعة والسبعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ست واربعون.
(٢) من ظ و م، وفى الأصل: الساهر (٣) فى ظ: آخر (٤) زيد فى الأصل: هو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، وفى الأصل: القيام.
(٦) من ظ، وفى الأصل: و يتمنى الكافر بيد، و فى م: بيدى (٧ - ٧) من ظ و م. و فى الأصل: اولياوه (٨) من ظ و م. و فى الأصل: حين.

على ما يتأثر عنه من البعث و ساقه على وجه التأكيد بالقسم لانهم به مكذبون فقال تعالى: ﴿والنّٰزعٰت﴾ أى من الملائكة - كما قال على و ابن عباس رضى الله عنهم - للأرواح و لأنفسها من مراكزها[1] فى السماوات امتثالا[2] للأوامر الإلهية ﴿غرقا ۝﴾ أى إغراقا بقوة شديدة تغلغلا إلى أقصى المراد من كل شيء من البدن حتى الشعر و الظفر و العظم كما يغرق النازع فى القوس فيبلغ أقصى المدّ، و كان ذلك لنفوس[3] الكفار و العصاة كما ينزع السفود و هو الحديدة المتشعبة المتعاكسة الشعب من الصوف المبلول، و عم ابن جرير[4] كما هى عادته فى كل ما يحتمله اللفظ فقال: و الصواب أن يقال: إن الله تعالى لم يخصص، فكل نازعة داخلة فى قسمه - يعنى الاعتبار بما آتاها[5] الله من القدرة على ذلك النزع الدالة على تمام الحكمة و الاقتدار على ما يريده[6] سبحانه.

/ ٦٥٣ و لما ذكر الشد مبتدئا به لانه أهول، أتبعه / الرفق فقال: ﴿و النّٰشطٰت﴾ أى المخرجات برفق للارواح أو لأجنحتها من محالها ﴿نشطا ۝﴾ اى رفقا فلا تدع و إن كان رفيقا بين الروح و الجسد تعلقا كما ينشط الشيء من العقال اى يحل من عروة كانت [عقدت -[7]] على هيئة الأنشوطة، قال الفراء[8] إنه سمع العرب يقولون: نشطت

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مواكزها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الامثالا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: النفوس (٤) راجع جامع البيان ٣٠/١٦. (٥) من م، و فى الأصل و ظ: آتاه (٦) فى ظ و م: يريد (٦) زيد من ظ و م (٨) راجع المعالم ٧ / ١٧٠.

العقال - إذا حللته، و انشطت - إذا عقدت بأنشوطة[1] - انتهى، و النشط أيضا[2]: الجذب و النزع، يقال: نشطت الدلو نشطا - إذا نزعتها. و قال الخليل: النشط و الإنشاط مدك الشيء إلى نفسك حتى ينحل، و كان هذا لأرواح أهل الطاعة، و كذلك نزع النبات و الإنشاء و الإنماء لكل ما راد نزعه أو نشطه، فالذى قدر بعض عبيده على هذا الذى فيه تمييز الأرواح من غيرها على ما لها من اللطافة و شدة الممازجة قادر على تمييز [3]جسد كل ذى[3] روح من جسد غيره بعد أن صار كل ترابا و اختلط بتراب الآخر.

و لما ذكر نوعى السل بالشدة و الرفق، ذكر فعلها فى إقبالها إليه و رجوعها عنه فقال: ﴿ و السّبحت ﴾ [أى -[4]] من الملائكة أيضا فى الجو بعد التهيؤ للطيران إلى ما أمرهم الله به من أوامره من الروح أو غيرها[5] ﴿ سبحا ه ﴾ هو فى غاية السرعة لأنه لاعائق لها بل [قد -[4]] اقدرها الله على النفوذ فى كل شيء كما أقدر السابح فى الماء و الهواء، و لذلك نسق عليه بالفاء[6] قوله: ﴿ فالسّبقت ﴾ أى بعد السبح فى الطيران إلى ما أمروا به من غمس الأرواح فى النعيم أو الجحيم أو غير ذلك مما أمروا به فى أسرع من اللمح مع القدرة و الغلبة لجميع ما يقع

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بنشوطة (٢) من ظ و م، و فى الاصل: حينئذ.
(٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: كل جسد ذوى (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: غيرهما (٦) زيد فى الأصل: عليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

محاولته ﴿ سبقا ﴾ .

و لما بان بـــذلك حسن امتثالها للأوامر، بان به عظيم نظرها فى العواقب فدل على ذلك بالفاء فى قوله : ﴿ فالمدبرٰت ﴾ أى الناظرات فى أدبار[1] الأمور و عواقبها[2] لإتقان ما أمروا به فى الأرواح و غيرها ﴿امرا﴾ أى عظيما ، و يصح أن يكون ذلك للشمس و[3] القمر والكواكب و الرياح و الخيل السابحة فى الأرض و الجو لمنفعة العباد و تدبير أمورهم، و بعضها سابق لبعض ، و به قال بعض المفسرين، و الجواب محـــذوف إشارة إلى أنه من ظهور العلم به - بدلالة ما قبله وما بعده عليه - فى حد لامزيد عليه ، فهو بحيث لايحتاج إلى ذكره فحذفه كاثباته بالبرهان ، فتقديره : لتذهبن بالدنيا التى أنتم بها مغترون لنزعنا لها من محالها و تقطيع أوصالها ، فان كل ما تقدم من أعمال ملائكتنا هو من مقدمات ذلك تكذيبا لقول الكفار "ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيي و ما يهلكنا إلا الدهر" المشار إليه بتساؤلهم عنها لأنه[4] على وجه الاستهزاء و[5] التكذيب و لتقومن الساعة ؟ أو أنكم لمبعوثون بعد الموت و انتهاء هذه الدار ؟ ثم لمجازون بما عملتم بأسباب موجودة مهيأة بين اظهركم دبرناها و أوجدناها حين أوجبنا هذه الحياة الدنيا / و إن كنتم لاترونها كما أن هذه الأمور التى أخبرناكم بها فى نزع الأرواح و النبات و المنافع موجودة بين أظهركم

٦٥٤ /

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عواقب (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ادبارها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : الا (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : او .

و الميت اقرب ما يكون منكم و هى تعمل أعمالها. و المحتضر اشد ما يكون صوتا و أعظمه حركة إذا هو قد خفت و همد بعد ذلك الأمر و سكت و امتدت أعضاؤه و مات، و ذهب عنكم قهرا وفات الذى[1] فات كأنه قط ما كان، و لا تغلب فى زمن من الأزمان، بتلك الأسباب التى تعمل اعمالها و تمد[2] حبالها و ترسى[3] أثقالها، و تلقى اهوالها و أوجالها، و انتم لا ترونها، فيا لله العجب أن لا يردكم ذلك على كثرته عن أن تستبعدوا على قدرته تمييز تراب جسد من تراب جسد آخر.

و قال الإمام ابو جعفر بن الزبير: لما أوضحت سورة النبأ حال الكافر فى قوله "[يا ـ[4]] ليتنى كنت ترابا" عند نظره ما قدمت يداه، و معاينته من العذاب عظيم ما يراه. و بعد ذكر تفصيل أحوال و اهوال، أتبع ذلك ما قد كان حاله عليه فى دنياه من استبعاد عودته فى أخراه، و ذكر قرب ذلك عليه سبحانه كما قال فى الموضع الآخر "و هو أهون عليه" و ذلك بالنظر إلينا و لما عهدناه. و إلا فليس عنده سبحانه شىء أهون من شىء "إنما أمره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون" فقال تعالى "و النازعات غرقا" الى قوله "يقولون ائنا لمردودون فى الحافرة ائذا كنا عظاما نخرة" إذ يستبعدون ذلك و يستدفعونه "فانما[5] هى زجرة واحـــدة" أى صيحة "فاذا هم بالساهرة" أى الأرض قياما ينظرون

(١) زيد فى الأصل: قد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: يمتد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ترى (٤) زيد من ظ و م (٥) من م، و فى الأصل و ظ: انما.

ما قدمت ايديهم و يتمنون ان لو كانوا ترابا و لاينفعهم ذلك، ثم ذكر تعالى من قصة فرعون و طغيانه ما يناسب الحال[1] فى قصد الاتعاظ و الاعتبار. و لهذا أتبع القصه بقوله سبحانه "ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى" - انتهى.

٥ و لما أقسم على القيام بتلك الأفعال العظام التى ما أقدر اهلها عليها إلا الملك العلام، ذكر ما يكون فيه من الأعلام تهويلا لأمر الساعة لأن النفوس المحسوسات نزاعة، فالغائبات[2] عندها منسية مضاعة[3] فقال ناصبا الظرف بذلك المحذوف لأنه اشدة وضوحه كالملفوظ [به -[4]]:

﴿ يوم ترجف ﴾ اى تضطرب اضطرابا كبيرا مزعجا ﴿الراجفة[5]﴾

١٠ أى الصيحة، و هى النفخة الاولى التى هى بحيث يبلغ - من شدة إرجافها للقلوب[6] و جميع الأشياء الساكنة[6] من الارض و الجبال إلى[7] نزع النفوس من جميع [أهل -[8]] الأرض - مبلغا تستحق به ان توصف بالعراقة فى الرجف[9]، قال البغوى[10]: و أصل الرجفه الصوت و الحركة.

و لما ذكر الصيحة الأولى، أتبعها[11] الثانية حالا منها دلالة على قربها

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لحال (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الغايات. (٣) من م، و فى الأصل و ظ: مضاعفة (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: القلوب (٦) زيد فى الأصل: الجبال من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م. و فى الأصل: التى (٨) زيد من ظ و م. (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: بالرجف (١٠) راجع المعالم ٧/١٧١ (١١) من م، و فى الأصل و ظ: اتبعه.

قربا

قربا معنويا لتحقق الوقوع. و لأن ذلك كله فى [حكم -[1]] يوم واحد، فصح مجيء الحال وإن بعد زمنه من زمن صاحبه فقال: ﴿تتبعها الرادفة[2]﴾ / أى الصيحة التابعة لها التى يقوم بها جميع الأموات و تجتمع الرفات، و تضطرب من هولها الأرض و السماوات، و تدك[3] الجبال و يعظم الزلزال. و يكون عنها التسيير[4] بعد المصير إلى الكثيب المهيل، و [نحو -[1]] ذلك من الأمر الشديد الطويل. قال حمزة الكرمانى: روى [السدى -[1]] عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الناس إذا ماتوا فى النفخة الأولى أمطر عليهم [5]ماء من[5] تحت العرش يدعى ماء الحياة فينبتون منه كما ينبت الزرع من الماء، حتى إذا استكملت أجسادهم[6] نفخ فيها الروح ثم يلقى عليهم نومة[7] فبينماهم فى قبورهم[8] نفخ فى الصور[9] ثانية فجلسوا و هم يجدون طعم النوم فى رؤسهم و أعينهم[10].

/ ٦٥٥

و لما ذكر البعث، ذكر حال المكذب[11] به لأن السياق له. فقال مبتدأ بنكرة موصوفه: ﴿قلوب يومئذ﴾ اى إذ قام الخلائق بالصيحة التابعة للأولى ﴿واجفة[9]﴾ أى شديدة الاضطراب أجوافها خوفا تكاد

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تذل (٣) من ظ و م، وفى الأصل: اليسير (٤) زيد من م (٥-٥) من ظ و م، وفى الأصل: من ماء. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: احراوهم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: النوم (٨) زيد من الأصل: اذا، و م تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) زيد فى الاصل: نفخة. و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م، وفى الأصل: عينيهم (١١) من ظ و م، و فى الاصل: المكذبين.

تخرج منها من شدة الوجيف . و لما وصفها بالاضطراب ، و كان قد يخفى سببه لكونه قد يكون عند[1] السرور العظيم كما قد يكون عند الوجل الشديد ، أخبر عنه بما يحقق معناه[2] فقال : ﴿ ابصارها ﴾ أى أبصار اصحابها [3]فهو من[3] الاستخدام ﴿ خاشعة ﴾ أى ذليلة ظاهر عليها الذل[4] و اضطراب القلوب من سوء الحال و لذلك أضافها إليها .

و لما وصفها[5] بالاضطراب و الذل ، علله ليعرف منه ان من يقول ضد قولهم يكون له ضد وصفهم من الثبات و السكون و العز الظاهر فقال : ﴿ يقولون ﴾ اى فى الدنيا قولا يجددونه كل وقت من غير خوف و لا استحياء استهزاء و إنكارا : ﴿ ءانا لمردودون ﴾ أى بعد الموت ممن يتصف[6] بردنا كائنا من كان ﴿ فى الحافرة ﴾ أى فى الحياة التى كنا فيها قبل الموت و هى حالتنا الأولى ، من قولهم : رجع فلان فى حافرته ، اى[7] طريقته التى جاء بها فحفرها أى أثر فيها بمشيه كما تؤثر الأقدام ، و الحوافر فى الطرق[8] ، أطلق على المفعولة[9] فاعلة مبالغة و ذلك حقيقته[10] ، ثم قيل لمن كان فى أمر فخرج[11] منه ثم رجع إليه : رجع إلى[12] حافرته ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ضد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بمعناه .
(٣ ـ ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فهو م (٤) زيد فى الأصل : الاضطراب و اما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : و صفهم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اتصف (٧) زيد فى الأصل و ظ : فى ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بطريق .
(٩) من ظ و م ، و فى الأصل : المفعول (١٠) من ظ و م ، و فى الاصل : حقيقه
(١١) من م ، و فى الأصل و ظ : تخرج (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فى .

و قيل : الحافرة الأرض التى هى محل الحوافر .

و لما وصف قلوبهم بهذا الإنكار الذى ينبغى لصاحبه أن يذوب [منه -] خجلا إذا فرط منه مرة واحدة ، و أشار إلى شدة وقاحتهم بتكريره[٢] ، أتبعه التصريح بتكريرهم له على وجه مشير[٣] إلى العلة الحاملة لهم على قوله . و هو قولهم : ﴿ءاذا كنا﴾ أى كونا صار جبلة لنا ﴿عظاما نخرة[١]﴾ ٥ اى هى فى غاية الانتخار حتى تفتتت ، فكان الأنتخار و هو البلى و التفتت و التمزق كأنه طبع لها طبعت عليه ، و هى أصلب البدن فكيف بما عداها من الجسم ، و على قراءة " ناخرة " المعنى أنها خلا ما فيها فصار الهواء ينخر فيها أى يصوّت .

و لما كان العامل فى "إذا" مقدرا بنحو أن يقال : نرد إذذاك[٥] ١٠ إلى[٦] حالتنا الأولى و نقوم كما كنا؟ دل[٧] على هذا المحذوف قوله تعالى عنهم : ﴿قالوا﴾ أى مرة من المرات : ﴿تلك﴾ أى الردة إلى الحالة الأولى العجيبة جدا البعيدة من العقل فى زعمهم ﴿اذاً﴾ اى إذ نرد إلى حياتنا الأولى لا شىء لنا كما ولدنا لا شىء لنا ، و نفقد كل ما سعينا فى تحصيله و جمعه و تأثيله ﴿كرة﴾ أى رجعة[٨] و إعادة و عطفة[٨] ﴿خاسرة[٤]﴾ ١٥ اى هى لشدة خسارتنا فيها بما فقدنا مما حصلناه من [الحال و -[٩]] المآل

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : ثم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مشيرا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : انه (٥) فى ظ و م : عند ذاك (٦) فى م : فى (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فدل (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩) زيد من ظ و م .

و صالح الخلال، عريقة فى الخسارة حتى كأنها [1]هى الخاسرة[1]، و لعله عبر بالماضى لأنهم [2]ما سمحوا بهذا القول[2] إلا مرة من الدهر، و أما أغلب قولهم[3] فكان أنهم يكونون على تقدير البعث أسعد من المؤمنين على قياس ما هم عليه فى[4] الدنيا و نحو هذا من الكذب على الله.

٥ و لما كان التقدير: نعم و الله لتردن يا هؤلاء، إنما هذا الذى تقولونه كله استبعاد منكم كما أنكم مقرون بسهولته لو عقلتم، أما من جهة القدرة فلأن الابتداء أصعب من الإعادة و أنتم مقرون بالابتداء و لأن الاستبعاد إن كان من جهة وقوع الظن بأن [من -[5] ا صار ترابا يصير عوده محالا من جهة تعذر تمييز ترابه من تراب غيره، فتمييز[6] النازع

١٠ و الناشط من الملائكة للروح من الجسد أصعب من ذلك بكثير، و كذا غير هذا مما تدبره الملائكة من الأمور، فكيف يصعب على ربهم سبحانه شىء يسهل مثله عليهم، و أما من جهة العوائد فان أحدا لا يدع رعية له بغير حساب أصلا، و أما من جهة الوعد فقد تقدم به، و ليس من شيم الكرام فضلا عن الملوك إخلاف الوعد و لا إقرار الظلم فلا

١٥ تكذبوا بها و لا تستصعبوها، قال مسببا عن هذا المقدر مهددا لأصحاب الشبهة المقلدين: ﴿ فانما هى ﴾ أى القيامة ﴿زجرة﴾ اى صيحة بانتهار تتضمن الأمر بالقيام و السوق إلى المحشر و المنع من التخلف ﴿واحدة﴾

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: فى الخسارة (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: ما يحوا بالقول (٣) من ظ و م، و فى الأصل: قلوبهم (٤) من م، و فى الأصل و ظ. من (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، و فى الأصل و ظ: فيتمر.

عبر بالزجر و هو أشد من النهى لانه يكون للعرض لأنها صيحة لا يتخلف عنها القيام أصلا ، فكان كأن لسان الحال قال عن تلك الصيحة : أيها الأجساد[1] البالية ! انتهى عن الرقاد ، و قومى إلى الميعاد ، بما حكمنا به من المعاد ، فقد انتهى زمان الحصاد ، و آن [أوان -[2]] الاجتناء لما قدم من الزاد ، فيا ويل من ليس له زاد ! ﴿فاذا هم﴾ أى فتسبب عن هذه النفخة ٥ - وهى الثانية - أنهم فاجأوا بغاية السرعة كونهم[3] أحياء قائمين ﴿بالساهرة[4]﴾ [أى -[4]] على [ظهر -[5]] الأرض البيضاء المستوية الواسعة التى يجددها الله للجزاء فتكون سعتها كأنها قد ابتلعتهم على كثرتهم التى تفوت العد ، و تزيد على الحد ، سميت بذلك لأن الشراب يجرى فيها من الساهرة و هى العين الجارية ، أو لأن[6] سالكها يسهر خوفا / كما أن النوم يكون أمنة ، ١٠ [7]أو لأن[7] هذه الأرض بالخصوص لا نوم فيها مع طول الوقوف و تقلب الصروف الموجبة للحتوف .

و لما كانت قصة موسى عليه الصلاة و السلام مع القبط أشبه شيء بالقيامة لما حصل فيها من التقلبات و التغيرات و إيجاد المعدومات من الجراد و القمل و الضفادع على تلك الهيئات الخارجة عن العادات فى ١٥ أسرع وقت ، و قهر[8] الجبابرة و المن على الضعفاء حتى كان آخر ذلك أن

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : الاجسام (٢) زيد من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كانهم (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الاصل : وان (٨) من ظ و م ، و فى الاصل : قتل .

حشر بنى إسراءيل [1]فنشطهم من[1] القبط نشطا[1] رفيقا كلهم وجميع ما لهم مع دوابهم [إلى ربهم -[2]] وحشر جميع القبط وراءهم فنزعهم نزعا كلهم بحشر فرعون لهم [4]بأصوات المنادين عنه[4] فى أسرع وقت وأيسر امر إلى هلاكهم كما يحشر[5] الأموات بعد إحيائهم بالصيحة الى الساهرة،
٥ ثم كانت العاقبة فى الطائفتين بما للدبرات امرا أن نجا بنو إسراءيل بالبحر كاينجو يوم البعث المؤمنون[6] بالصراط، وهلك فرعون وآله به كما يتساقط الكافرون[7] بالصراط، وذلك أنه رأى فرعون وجنوده البحر قد انفلق لبنى إسراءيل فلم يعتبروا بذلك ثم دخلوا فيه وراءهم، ولم يجوزوا أن الذى حسره عن مكانه قادر على أن يعيده كما [8]ابتدأه فيغرقهم[8]
١٠ واستمروا فى عماهم حتى رده[9] الله فأغرقهم به كما أن من يكذب بالقيامة رأى بدأ الله له [و -[3]] لغيره وإفناءه بعد إبدائه ثم انه لم يجوز أن يعيده كما بدأه أول مرة، وصل بذلك قوله تعالى جوابا لمن يقول: هل لذلك من دليل؟ مخاطبا لأشرف الخلق إشارة إلى أنه لا يعتبر هذا حق اعتباره إلا أنت، مستفهما عن الإتيان للتنبيه والحث على جمع النفس

(١ - ١) من ظ و م، وفى الأصل: فنشرهم بين (٢) من ظ و م، وفى الأصل: نشرا (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: باصوان المنادل (٥) من ظ و م، وفى الأصل: يحشرهم (٦-٦) من ظ و م، وفى الأصل: المؤمنين يوم البعث (٧) زيد فى الأصل: الى النار، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: ابتدا فيغرهم (٩) من ظ و م، وفى الأصل: ردهم.

على التأمل و التدبر و الاعتبار مقررا و مسليا له صلى الله عليه و سلم و مهددا للمكذبين أن يكون حالهم - و هم أضعف أهل الأرض لأنه لاملك لهم - كحال فرعون فى هذا ، و قد كان اقوى أهل الأرض بما كان له من الملك و كثرة الجنود و قوتهم و سحرهم و مرودهم فى خداعهم و مكرهم و رأى من الآيات ما لم يره أحد قبله ، فلما أصر على التكذيب و لم يرجع و لا افاده التأديب أغرقه الله و آله فلم يبق منهم أحدا و قد كانوا لا يحصون عددا بحيث أنه قيل : ان طليعته كانت على عدد بنى إسراءيل ستمائة ألف : ﴿هل اتىك﴾ أى يا أعلم الخلق ﴿حديث موسىٰ﴾ أى ما كان من أمره الذى جددناه له حين أردناه[1] فيكون كافيا لك فى التسلية و لقومك فى الحث على التصديق و التنبيه على الاعتبار و التهديد على التكذيب[2] و الاصرار ﴿اذ﴾ أى حين ﴿نادىٰه ربه﴾ أى المحسن [إليه -[3]] بايجاده و تقريبه و تدبيره أمر إرساله و تقديره ﴿ بالواد المقدس ﴾ أى المطهر غاية التطهر[4] بتشريف الله له بانزال النبوة المفيضة / للبركات ، ٦٥٨ / ثم بينه بقوله : ﴿طوىٰ﴾ و هو الذى طوى فيه [5]الشر عن بنى إسراءيل[5] و من أراد[6] الله من خلقه و نشر بركات النبوة على جميع أهل الأرض : المسلم باسلامه ، و غيره برفع عذاب الأستئصال عنه ، فان[7] العلماء[8] قالوا : إن

(١) فى م : أردنا (٢) زيد فى الأصل : و الافتراء و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ ، و فى الأصل : التطهير ، و فى م : الطهر (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عن بنى اسرائيل الشر (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : اراده (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : قال (٨) زيد فى الأصل : إلى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

عذاب القبر - أى عذاب الاستئصال - ارتفع حين أنزلت التوراة . و هو واد بالطور بين أيلة و مصر .

و لما ذكر المناداة فسر ثمرتها بقوله مستأنفا منبها لاصحاب الشهوة المعجبين المتكبرين، و قد أرشد السياق إلى أن التقدير: ناداه قائلا: ٥ ﴿ اذهب الى فرعون ﴾ اى ملك مصر الذى كان استعبد بنى إسراءيل ثم خوّف من واحد منهم فصار يذبح أبناءهم خوفا منه[1] و هو أنت فربيناك فى بيته لهلاكه حتى يعلم أنه لا مفر من قدرنا، فكنت أعز بنى إسراءيل، و كان سبب هلاكه معه فى بيته بمرأى منه و مسمع و هو لا يشعر بذلك ثم قتلت منهم نفسا و خرجت من بلدهم خائفا تترقب .

١٠ و لما أمره بالذهاب إليه، علله بما يستلزم إهلاكه على يده عليه الصلاة و السلام إشارة له بالبشارة بانه لا سبيل له عليه، و لذلك أكده لأن مثل[2] ذلك أمر يقتضى طبع البشر التوقف فيه فقال: ﴿ انه طغى ﴾ اى الحد[3] و تجاوز الحد فاستحق المقابلة بالجد، ثم سبب عن الذهاب إليه قوله: ﴿ فقل ﴾ اى له تفصيلا لبعض ما تقدم فى "طه" من لين القول ولطف ١٥ الاستدعاء فى الخطاب: ﴿ هل لك ﴾ اى[4] ميل و حاجة ﴿ الى[5] ان تزكى ﴾ اى تتحلى بالفضائل، و تتطهر من الرذائل، و لو بأدنى أنواع التزكى: الطهارة[6] الظاهرة و[6] الباطنة الموجبة للنماء و الكثرة، و إفهام الأدنى بما

(١) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ماءل - كذا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: العد (٤) زيد فى الأصل: الى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

يشير إليه إسقاط تاء التفعل المقتضى للتخفيف، و ذلك بالإذعان المقتضى للايمان و إرسال بنى إسرائيل، و قرأ الحجازيان و يعقوب بالتشديد أى تزكية بليغة لأن[1] من دخل فى التزكى على يد كامل لاسيما بنى من أولى العزم أوشك أن يبلغ الغاية فى الزكاء.

و لما أشار له إلى[2] الطهارة عن الشرك، أتبعها الأعمال فقال: ﴿و اهديك﴾ أى أبين لك بعد التزكية بالإيمان الذى هو الأساس: كيف المسير ﴿الى ربك﴾ أى الموجد لك و المحسن إليك [3]و المربى لك[3] بتعريفك ما يرضيه من الأعمال و ما يغضبه من الخصال[4] بعد أن بلغك[5] فى الدنيا غاية الآمال[6] ﴿فتخشى﴾ اى فيتسبب عن ذلك أنك تصير تعمل أعمال من يخاف من عذابه خوفا عظيما، فتؤدى الواجبات و تترك المحرمات و سائر المنهيات، فتصير الى اعلى رتب التزكية فتجمع[7] ملك الآخرة إلى ملك الدنيا، فان الخشية هى الحاملة على كل خير، و الأمن هو الحامل على الشر.

و لما كان التقدير /: فذهب إليه كما أمره الله تعالى، فقال [له -[8]] ذلك فطلب الدليل على صحة الرسالة و استبعد أن يختص عنه [8]بهذه المنزلة العلية[8] و قد رباه وليدا ﴿فأريه﴾ أى فتسبب عن طلبه له انه

/ ٦٥٩

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عوالى (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: الذميمة، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى م: بلغك (٥) زيد فى الأصل و ظ: قال، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) بهامش ظ: فتضم (٧) زيد من ظ و م (٨-٨) فى ظ و م: بعلوه.

دل على صدقه بان أراه ﴿ الأية ﴾ اى[1] العلامة الدالة على ذلك ﴿ الكبرى ﷺ ﴾ و هى قلب العصا حية أو جميع معجزاته ﴿ فكذب ﴾ أى فتسبب عن رؤية ذلك أنه أوقع التكذيب بشيء إنما[2] يقتضى عند رؤيته التصديق ﴿ وعصى ﷺ ﴾ أى أوقع العصيان ، و هو الإباء الكبير[3] و التكبر عن امتثال[3] ما دعى إليه مجموعا إلى التكذيب بعد إقامة الدليل على الصدق و تحقق الأمر .

و لما كان التمادى على التكذيب ممن [4]راى و[4] عرف الحق و لاسيما إذا[5] كان كبيرا مستبعدا[5] جدا ، أشار إليه بأداة التراخى مع دلالتها على حقيقه التراخى ايضا فقال : ﴿ ثم ادبر ﴾ أى فرعون بعد المهلة و الأناة ادبارا عظيما بالتمادى على اعظم مما كان [فيه - [7]] من الطغيان بعد خطوب جليلة و مشاهد طويلة ، حال كونه ﴿ يسعى ﷺ ﴾ أى يعمل بغاية جهده عمل من هو مسرع غاية الإسراع فى ابطال[8] الأمر الربانى بقلة [6]عقله و فساد رأيه[6] وابى أن يقبل الحق ﴿ فحشر ﴾ أى فتسبب عن ادباره ساعيا و تعقبه أنه جمع السحرة طوعا و كرها و زاد عليهم أيضا جنوده ﴿ فنادى ﷺ ﴾ أى فى المجامع ﴿ فقال ﴾ اى مناديه الذى لا يشك أنه عنه ،

(١) زيد فى الأصل و ظ : اراه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الاصل : كان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣ - ٣) فى ظ و م : لامتثال (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : مستعبدا (٧) زيد من م (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : امطار (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : رايه و فساد عقله .

فكان قوله كقوله[1]: ﴿ انا ﴾ و قال[2] حمزة الكرمانى: قال له موسى عليه السلام: إن ربى أرسلنى إليك، لئن آمنت بربك تكون أربعمائة سنة فى السرور و النعيم، ثم تموت فتدخل الجنة، فقال: حتى أستشير هامان، فاستشاره فقال: أتصير عبدا بعد [3]ما كنت[3] ربا تعبد، فعند ذلك بعث الشرط و جمع السحرة و الجنود، فلما اجتمعوا قام عدو الله على سريره فقال: ٥ أنا ﴿ربكم الاعلى[1] ۝﴾ فكان هذا نداؤه يعنى كلكم أرباب بعضكم فوق بعض و أنا أعلاكم، و لارب فوقى أصلا، و ذلك لأن الإله عنده[4] الطبيعة، و هى مقسمة[5] فى الموجودات، فهم كلهم أرباب، و من كان أعلى كان أقعد فى المراد، و هو كان أعلى منهم فقبحه الله و لعنه و لعن من تمذهب بمذهبه كابن عربى و ابن الفارض[6] و أتباعهما حيث أنكروا المختار الملك ١٠ القهار، و رسوله المصطفى المختار، و تبعوا فى وحدة الوجود بعض الفلاسفة ثم[7] الحلاج بعد فرعون هذا الذى لم يصرح الله بذم أحد ما صرح بذمه، و لم يصرح بشقاء أحد ما صرح بشقائه. كهذه الآية فانها مصرحة بوقوع نكاله فى الآخرة كما وقع فى الدنيا، [و - [8]] قوله تعالى " فأخذناه و جنوده فنبذناهم فى اليم / فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ١٥ / ٦٦٠

(١) من ظ و م، و فى الأصل: حال النداء (٢) من ظ و م، و فى الأصل: قرا (٣ - ٣) من ظ و م، و فى الأصل: ان تكون (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عند (٥) من ظ و م، و فى الأصل: منقسمة (٦) زيد فى الأصل: هم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من ظ و م.

و جعلناهم أئمة يدعون الى النار و يوم القيامة لا ينصرون و اتبعناهم في هذه الدنيا لعنة و يوم القيامة هم من المقبوحين" الى غير ذلك من الآيات البينات [1]و الدلائل الواضحات التي لا تحصى[1] و هي كثيرة، و أعظمها القياس البديهي الانتاج[2] "و ان فرعون لعال في الارض و انه لمن المسرفين"

٥ "وان المسرفين هم أصحاب النار" و روى[3] أن ابليس لما سمع منه قوله هذا قال: إني[4] بجبرت على آدم فلقيت[5] ما لقيت، و هذا يقول هذا؟ و هذا دعاه إليه الكبر الناشيء من فتنة السراء التي الصبر فيها أعظم من الصبر في الضراء، قال [الإمام -[6]] الغزالي في كتاب الصبر من الإحياء[7]: فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن[8] العبودية و تشتهي الربوبية،

١٠ و لذلك[9] قال بعض العارفين: ما من نفس إلا و هي مضمرة ما أظهره فرعون من قوله "انا ربكم الأعلى" و لكن فرعون وجد [له-[10]] مجالا و قبولا [11]فأظهره إذ استحف[11] [فأطاعوه-[10]] و ما من أحد إلا و هو يدعي ذلك مع عبده و خادمه و أتباعه و كل من هو تحت قهره و طاعته وإن كان ممتنعا من إظهاره. فان امتعاضه و غيظه عند تقصيرهم في خدمته

١٥ لا يصدر إلا عن إضمار الكبر و منازعة الربوبية في رداء الكبرياء - انتهى.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: الاح - كذا (٣) من ظ و م. و في الأصل: روى (٤) في ظ و م: أنا (٥) من ظ و م، و في الأصل: فالقيت (٦) زيد من ظ و م (٧) راجع ٤/٤٥ (٨) من ظ و م و الإحياء، و في الاصل: من (٩) من ظ و م و الإحياء، و في الأصل: فلذلك (١٠) زيد من الإحياء (١١-١١) من ظ و م و الإحياء، و في الأصل: فاذا استحق.

و يؤيده أن النبي صلى الله عليه و سلم ما لام خادمه فى شيء قط - و الله [1]تعالى هو الموفق للصواب[1] .

و لما أخبر سبحانه عنه بهذه الكلمة الشنعاء القادحة فى الملك، وكان الملوك لا يحتملون ذلك بوجه، سبب عنها و عقب قوله: ﴿فاخذه الله﴾ أى الملك الذى لا كفوء له و لا أمر لأحد معه أخذ قهر و ذل منكلا به [2]مخذلا له[2]: ﴿نكال الآخرة﴾ فهو مصدر من المعنى، أى أخذ تنكيل[3] فيها يكون مثلا يتقيد به و يتعظ كل من سمعه عن مثل حال فرعون، و قدمها اهتماما بشأنها[4] و إشارة إلى [أن -[5]] عظمة عذابها اعظم و لايذوقه الإنسان إلا بكشف غطاء الدنيا بالموت، و تنبيها على أن المنع من مثل هذه الدعوى للصدق بها امكن، و ليس ذلك للفاصلة لأنه لوقيل: «الآخرى» لوافقت ﴿و الاولى[4]﴾ أى و نكال[6] الدنيا الذى هو قبل الآخرة[7] فان من سمع قصة غرقه و مجموع ما اتفق له كان [له -[5]] ذلك نكالا مانعا من عمل مثله أو أقل منه، قال الضحاك[8]: أما فى الدنيا فأغرقه الله تعالى [و ألقاه -[9]] بنجوة من الأرض، و أما فى العقبى فيدخله الله تعالى النار [و -[9]] يجعله ظاهرا على تل منها

(١-١) فى ظ و م: الموفق (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: نكل (٤) فى م: بها (٥) زيد من م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بنكال (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الأخرى (٨) راجع المعالم ٧/ (٩) زيد من ظ و م.

مغلولا مقيدا ينادى عليه هذا الذى ادعى الربوبية دون الله - انتهى . و أنا لا أشك أن الحلاج و ابن عربى و ابن الفارض [و أتباعهم -[1]] يكونون فى النار تحتهم و تحت آله يشربون عصارتهم ، فانهم[2] ادعوا[3] أنــه ناج و صدقوه فيما ادعاه[4] و ادعوا لأنفسهم و غيرهم [مثل -[5]] ما ادعاه تكذيبا للقرآن / و إغراقا فى العدوان ، و زادوا عليه بابتذال الاسم الأعظم الذى حماه الله من أن يدعيه أحد[6] قبل ارسال النبى صلى الله عليه و سلم فادعوا[7] أنه يطلق عليهم و على كل أحد بل كل[8] شىء ، و أمارة هذه الطائفة الخبيثة التى لا تتخلف أن تقول لأحدهم[9] : العن فرعون الذى أجمع على لعنه [10]جميع الطوائف . و هو مثل عندهم فى الشرارة[11] و الخبث فلا يلعنه ، و إن لعنه فبعد توقف .

٦٦١ / ٥

١٠

و لما لخص سبحانه و تعالى ما مضى من قصصه فى هذه الكلمات اليسيرة أحسن تلخيص و أقربه مع عدم المخالفة لشىء[12] مما مضى لأن المفصل موضع الاختصار أما باعتبار النزول فانه نزل[13] أولا فكان تقريب القصص

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : كانهم (٣) زيد فى الأصل انهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ادعى (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، فى الأصل : لاحد (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فادعى (٨) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : لاحد (١٠) العبارة من هنا الى « والخبث » ساقطة من ظ (١١) من م ، و فى الأصل : الشهادة (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بشىء (١٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ترك .

للناس بالاقتصار على[1] ما لا بد منه اولى ليستأنسوا به، و أما من جهة الترتيب فلتذكيرهم بما مضى ليجتمع [فى -[2]] المخيِّلة فى أقرب وقت و يتذكر[3] به ذلك المبسوط، و ختمه بأخذه هذا الأخذ الغريب. أرشد [إلى -[4]] ما فى القصة من العبرة، مشيرا إلى استحضار ما مضى كله، فقال مؤكدا ٥ مقررا للكذب[5] و منبها للصدق[6]: ﴿ان فى ذلك﴾ أى الأمر العظيم[7] الذى فعله و الذى فعل به ﴿لعبرة﴾ أى أمرا [عظيما -[7]] يتعمد الاعتبار به من معنى إلى معنى حتى يقع به الوصول إلى كثير من المعارف ﴿لمن يخشى[8]﴾ أى من شأنه الخوف العظيم من الله لأن الخشية - كما تقدم - هى[8] اساس الخير، فأول العبور[9] ان ينقل السامع حال غيره ١٠ إليه فيتذكر بانجاء بنى إسراءيل على ضعفهم[10] منهم على قوتهم ثم بقوة ما حصل لهم من القهر من ذلك حتى أوجب اتباعهم بالجنود ثم بفرق البحر ثم بايرادهم إياه ثم باغراقهم[11] فيه كلمح البصر لم يخرج منهم مخبر قدرة الله تعالى على إيراد الكفار[12] النار و قهر[13] كل جبار[13] و بجعل العصا حية و إخراج القمل و الضفادع من الأرض و تحويل الماء دما ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مع (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و فى الأصل وظ: يذكر (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: للكذبين.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: للصدقين (٧) زيد فى م: اى (٨) سقط من م.
(٩) فى ظ: القبول (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: ضعف (١١) من ظ و م، و فى الأصل: بغرقهم (١٢) زيد فى الأصل: ا ف، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٣-١٣) من م، و فى الأصل و ظ: الكفار.

قدرتُه سبحانه و تعالى على ذلك السامع بالعذاب و غيره وعلى خصوص البعث ـ إلى غير ذلك من العبر [و ـ [1]] واضح الأثر .

و لما ختم [2]قصة فرعون ـ لعنه الله[2] ـ بالعبرة ، و كان أعظم عبرتها القدرة التامة لاسيما على البعث كما هى مشيرة إليـــه بأولها و آخرها ، و العقوبة على التكذيب [به لأن التكذيب به ـ[1]] يجمع مجامع [الشر ـ[1]] و التصديق به يجمع مجامع الخير ، و كانوا يستبعدونه لاستبعاد القدرة عليه ، وصل به ما هو كالنتيجة منه ، فقال مقررا مخاطبا لأصحاب الشبهة[3] الشاكين موقفا لهم على القدرة منكرا[4] عليهم استبعادهم ذلك ملتفتا بعد تخصيص الخطاب به صلى الله عليه و سلم [لما تقدم من دقة فهمه و جلالة علمه صلى الله عليه و سلم ـ [1]] إلى عموم الخطاب لوضوح هذا البرهان لكل إنسان استعطافا بهم فى توبيخ : ﴿ ءانتم ﴾ أى أيها / الأحياء مع كونكم خلقا [ضعيفا ـ [1]] ﴿ اشد خلقا ﴾ أى اصعب و أثقل من جهة التقدير والإيجاد ﴿ام السمآء[5] ﴾ على ما فيها من السعة و الكبر و العلو و المنافع . ٦٦٢ /

و لما كان الجواب قطعا : السماء ـ لما يرى من عظمها لأن العالم الإنسانى[5] مختصر العالم الآفاقى ، و يزيد الآفاقى طول البقاء مع عدم التأثر ، وصل به قوله دليلا على قدرته على البعث لقدرته على ما هو أشد منه لأن الذى قدر على ابتداء الأكبر هو[6] على إعادة الأصغر أقدر[7] ، مبينا

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) فى م : قصته (٣) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : منكر (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الإنسان (٦) زيد فى الأصل : قادر ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : قال .

لكيفية خلقه لها: ﴿بنٰها وقية﴾ اى جعلها سقفا للأرض على ما لها من العظمة، ثم بين البناء بقوله: ﴿رفع سمكها﴾ [أى -[1]] جعل مقدار ارتفاعها من الأرض أو سمتها الذاهب فى العلو رفيعا، قال فى القاموس: السمك السقف، أومن أعلى البيت إلى أسفله، أو القامة من كل شيء[2]، وقال أبو حيان[3]: السمك الارتفاع الذى بين سطح السماء الذى [4]يلينا ٥ وسطحها[4] الذى يلى ما فوقها.﴿فسوٰها﴾ أى عدلها عقب ذلك بأن جعلها مستوية لاشيء فيها أعلى من شيء ولا أخفض ولا فطور فيها، وأصلحها بما تم به كمالها من الكواكب وغيرها، وجعل مقدار ثخن كل سماء وما بين كل سمائين وثخن كل أرض وما بين كل أرضين على السواء لايزيد شيء من ذلك على الآخر أصلا. ١٠

ولما كان كل من ذلك يدل على القدرة على البعث لأنه إيجاد ما هو اشد من خلق الآدمى من عدم، أتبعه ما يتصور به البعث فى كل يوم وليلة مرتين فقال: ﴿واغطش﴾ أى أظلم إظلاما لا يهتدى معه إلى ما كان[5] فى حال الضياء ﴿ليلها﴾ اى بغياب شمسها فأخفى ضياءها بامتداد ظل الأرض على كل ما كانت الشمس ظهرت عليه، [6]وأضافه ١٥ إليها[6] لأنه يحدث بحركتها[7]، وبدأ به لأنه كان أولا، والعدم قبل الوجود

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: والله أعلم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) فى البحر المحيط ٤٢٢/٨ (٤) من م و البحر، وفى الأصل: بيتا أوالسطح، وفى ظ: يلينا أو السطح (٥) زيد فى الأصل: معه، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦ - ٦) من ظ و م، وفى الأصل: اضافها إليه. (٧) من ظ و م، وفى الأصل: بيركتها.

﴿ و اخرج ضحٰها ﴾ بطلوع شمسها فأضاء نهارها، فالآية من الاحتباك : دل بـ «أغطش» على «أضاء» و باخراج الضحى على إخفاء الضياء، و لعله عبر بالضحى عن النهار لأنه أزهر ما فيه و أقوى نورا .

و لما بدأ بدلالة العالم العلوى لأنه أدل لما فيه من العجائب و المنافع مع كونه أشرف، فذكر أنه أتقن السماء التى هى كالذكر، ثنى بأنه سوى ما هى لها كالأنثى فقال : ﴿ و الارض ﴾ و لما كان المراد استغراق[1] الزمان باستمرار الدحو[2]، حذف الخافض فقال : ﴿ بعد ذلك ﴾ أى المذكور كله ﴿ دحٰها ﴾ أى بسطها و مدها للسكنى و بقية المنافع بعد أن كان خلقها و أوجدها قبل إيجاد السماء غير مسوّاة بالفعل و لامدحوة .

و لما ذكر الدحو، أتبعه ما استلزمه من المنافع لتوقف السكنى المقصودة بالدحو عليه / فقال كالمبين له من غير عاطف : ﴿ اخرج منها ﴾ أى الأرض ﴿ مآءها ﴾ بتفجير العيون، و إضافته إليها دليل على أنه فيها ﴿ و مرعٰها ﴾ الذى يخرج بالماء، و المراد ما يرعى منها و مكانه و زمانه . / ٦٦٣

و لما ذكر الأرض و منافعها، ذكر المراسى التى تم بها نفعها فقال: ﴿ و الجبال ﴾ أى خاصة ﴿ ارسلها ﴾ أى اثبتها و أقرها [و -[3]] مع كونها ثابتة لاتتحول فانه سبحانه جعلها مراسى للأرض تكون سببا

(١) من ظ و م، و فى الأصل : باستغراق (٢) من ظ و م، و فى الأصل : المدحو (٣) زيد من ظ و م .

لثباتها كما ان المراسى سبب لثبات السفينة . و لما كانت الإعادة واضحة من تناول الحيوان المأكل و المشرب[1] و غيرهما[2] من المتاع فانه كلما نقص منه شيء تناول[3] ما قدر له ليعود ذلك؛ أو بعضه ، قال منبها على أنه كل يوم فى إعادة بانيا حالا مما تقدم تقديره : حال كونها ﴿ متاعا ﴾ [5]مقدرا ﴿ لكم ﴾ تتمتعون بما فيها من المنافع ﴿ و لانعامكم[4] ﴾ اى مواشيكم بالرعى و غيره .

و لما ذكر ما دل على البعث ، أتبعه ما يكون عن البعث مسببا عنه دلالة على أن الوجود ماخلق إلا لأجل البعث لأنه محط الحكمة : ﴿ فاذا جآءت ﴾ أى بعد الموت ﴿ الطآمة الكبرى ﴾ أى الداهية الدهياء التى تطم - أى تعلو - على سائر الدواهى و تغطيها فتكون أكبر داهية توجد ، و هى البعث بالنفخة الثانية - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما[6] ، و العامل فى "إذا"[7] محذوف تقديره : فصل الناس إلى شقى و سعيد .

و لما كان الشيء لايعرف قدره إذا كان غائبا الا بما يكون فيه ، قال مبدلا منه : ﴿ يوم يتذكر ﴾ [أى -[8]] تذكرا عظيما ظاهرا - بما أشار إليه الإظهار ﴿ الانسان ﴾ أى الخلق الآنس بنفسه الغافل عما[9]

---

(١) من ظ و م . و فى الأصل : المشارب (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : غيرها . (٣) زيد فى الأصل : منه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : منافع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) راجع البحر ٨/٤٢٣ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اذ (٨) زيد من ظ و م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : بما .

خلق له ﴿ما سعى[1]﴾ اى عمل[1] كله من خير و شر لأنه يراه فى صحيفة أعماله ، و الإخبار عن تذكره منبها على ما فى ذلك [اليوم ـ[2]] من الخطر لأن أحدا لا يعمل جهده[3] فى تذكره إلا لمحوج إلى ذلك و هو الحساب و تدوينه فى صحيفة أعماله .

٥ و لما أشار إلى الحساب ذكر ما بعده فقال: ﴿و برزت﴾ أى أظهرت[4] إظهارا عظيما ، و بناه للمفعول لأن الهائل مطلق تبريزها لا كونه من معين ، مع الدلالة على الخفة و السهولة لكونه على طريقة [كلام ـ[1]] القادرين ﴿الجحيم﴾ أى النار التى اشتد وقدها و حرها ﴿لمن يرى[5]﴾ أى كائنا من كان لأنه لا حائل بين أحد و بين رؤيتها ، لكن الناجى

١٠ لا يصرف بصره إليها فلا يراها كما قال تعالى "لا يسمعون حسيسها" .

و لما كان جواب "إذا" كما مضى محذوفا ، و كان تقديره أن قسم الناس قسمين : قسم للجحيم و قسم للنعيم ، قال تعالى مسببا عنه مفصلا : ﴿فاما من طغى[1]﴾ أى تجاوز الحد فى العدوان فلم يخش مقام ربه ، قال فى القاموس : طغى : جاوز القدر وارتفع [و ـ[2]] طغى : غلا فى

١٥ الكفر و أسرف فى المعاصى و الظلم ، و الماء : ارتفع .

و لما كان الذى بعد حدود الله هو الدنيا ، صرح به / فقال : ﴿و آثر﴾ ٦٦٤ /
أى أكرم و قدم و اختار ﴿الحيوة الدنيا[1]﴾ بأن جعل أثر العاجلة

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عمله (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بجهده (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ظهرت (٥) زيد فى الأصل : الدنيوية ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

الدنية لحضورها عنده أعظم من أثر الآخرة العليا لغيابها[1] ، فكان كالبهائم لا إدراك له لغير الجزئيات الحاضرة ، فانهمك فى جميع أعمالها و أعرض عن الاستعداد للآخرة بالعبادة و تهذيب النفس فلم ينه نفسه عن الهوى .

و لما كان الإنسان مؤاخذا بما اكتسب ، سبب عن أعماله هذه قوله مؤكدا لتكذيبهم ذلك : ﴿فان الجحيم﴾ أى النار الشديدة التوقد العظيمة الجموح على من يدخلها ﴿هى﴾ أى لاغيرها ﴿المأوى﴾ أى المسكن له - هذا مذهب البصريين أن[2] الضمير محذوف ، و عند الكوفيين ان ["أل" -[3]] نائب عن الضمير - قاله أبو حيان[4] .

و لما ذكر الطاغى ، أتبعه المتقى فقال : ﴿و اما من خاف﴾ و لما [كان -[3]] ذكر الخوف مما يتعلق بالشىء لأجل ذلك الشىء أعظم من ذكر الخوف من ذلك الشىء نفسه فقال : ﴿ مقام ربه ﴾ أى قيامه بين يدى المحسن إليه عند تذكر إحسانه فلم يطغ فكيف عند تذكر جلاله و انتقامه ، أو المكان الذى يقوم فيه بين يديه و[5] الزمان ، و إذا خاف ذلك [المقام -[3]] فما ظنك بالخوف من صاحبه ، و هذا لايفعله إلا من تحقق المعاد .

و لما ذكر الخوف ذكر ما يتأثر عنه و لم يجعله مسببا عنه ليفهم[6] أن كلا منهما فاصل على حياله و أن انفصل عن الآخر فقال :

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لغائبها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لأن .
(٣) زيد من ظ و م (٤) فى البحر المحيط ٨ / ٤٢٣ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : مفهما .

﴿و نهى النفس﴾ اى التى لها المنافسة ﴿عن الهوٰى﴾ اى كل ما تهواه فانه لايجر إلى خير لأن النار حفت بالشهوات، و الشرع كله مبنى على ما يخالف الطبع و ما تهوى الأنفس، و ذلك هو المحارم التى حفت بها النار فانها بالشهوات، قال الرازى: و الهوى هو[1] الشهوة المذمومة المخالفة لأوامر الشرع، قال الجنيد: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها، أى فأفاد ذلك انه لم يؤثر الحياة الدنيا، فالآية من الاحتباك: أتى بطغى دليلا على ضده ثانيا، و بالنهى عن الهوى ثانيا دلالة على إيثار الدنيا أولا. و لما كان مقام ترغيب، ربط الجزاء بالعمل كما صنع فى الترهيب فقال و أكد لأجل تكذيب الكفار: ﴿فان الجنة﴾ اى البستان الجامع لكل ما يشتهى ﴿هى﴾ أى خاصة ﴿المأوٰى﴾ اى له[2]، لايأوى إلى غيرها[3]، و هذا حال المراقبين.

و لما قسمهم هذا التقسيم المفهم[4] أن هذا شىء لابد منه، استأنف ذكر استهزائهم تعجيبا[5] منهم فقال: ﴿يسئلونك﴾ أى قريش على سبيل التجديد و الاستمرار سؤال استهزاء و إنكار و استبعاد: ﴿عن الساعة﴾ أى البعث الآخر لكثرة ما تتوعدهم بها عن أمرنا. و لما كان السؤال عنها مبهما

(١) زيد فى الأصل: هوى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: ابد الابدين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: انهم (٥) من م، و فى الأصل و ظ: تعجبا.

بينه بقوله: ﴿ ايّان مرسٰها ﴾ أى [فى اى -[1]] وقت إرساؤها[2] اى وقوعها و ثباتها و استقرارها.

و لما كان / إيراد هذا هكذا[3] مفهما الانكار عليهم فى هذا السؤال، / ٦٦٥
و كان من المعلوم أنه يقول: إنهم ليسألوننى و ربما[4] تحركت نفسه الشريفة صلى الله عليه و سلم إلى إجابتهم لحرصه على إسلامهم شفقة عليهم، فطمه عن ذلك و صرح بالإنكار بقوله: ﴿ فيم ﴾ أى فى أى شىء ﴿ انت من ذكرٰها ﴾ أى ذكرها العظيم لتعرفها و تبين وقتها لهم حرصا على إسلامهم، و ذلك لا يفيد علمها، ثم عرفها بما لا يمكن المزيد عليه مما[5] أفادته الجملة التى قبل من أنه لا يمكن علمها لغيره سبحانه و تعالى فقال: ﴿ الى ربك ﴾ أى المحسن إليك وحده ﴿ منتهٰها ﴾ أى منتهى علمها[6] و جميع امرها[7].

و لما[8] كان غاية أمرهم أنهم[8] يقولون: انه متقول من عند نفسه، قلب عليهم الأمر فقال: ﴿ انما انت ﴾ أى يا أشرف المرسلين ﴿ منذر ﴾ أى مخوف على سبيل الحتم الذى لابد منه مع علمك بما تخوف به العلم الذى لامرية فيه ﴿ من يخشٰها ﴾ أى فيه أهليه أن يخافها خوفا عظيما فيعمل لها لعلمه باتيانها لا محالة و علمه بموته لامحالة و علمه بأن كل ما

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: و ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: كله (٤) من ظ و م. و فى الأصل: لما (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بما (٦) من ظ و م، و فى الأصل: امرها. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: علمها (٨-٨) فى ظ و م: كانوا.

تحقق وقوعه فهو قريب ، و ذاك لا يناسب تعيين وقتها[1] فان من فيه أهلية الخشية لايزيده إبهامها إلا خشية ، و غيره لايزيده ذلك إلا [2]اجتراء و إجراما ، فما أرسلناك[3] إلا للانذار بها لا للاعلام بوقتها ، فان النافع الأول دون الثانى ، و لست فى شيء مما يصفونك به كذبا منهم لأنا ما ٥ نرسل المرسلين إلامبشرين و منذرين و لا أنت[3] مبعوث[4] لتحرير وقت الساعة و علم عينه[5] ، و إنما قصره على من يخشى لأن غيره لا ينتفع بانذاره ، فكان كأنه لم يحصل له الإنذار ، و لهذا المعنى أضاف إشارة إلى أنه عريق فى إنذار من يخشى ، و أما غيره فهو منذر له فى الجملة أى يحصل له صورة الإنذار لأنه منذره[6] بمعنى أنه يحصل له معنى الإنذار .

١٠ و لما أثبت أنه منذر ، و كان أخوف الإنذار الإسراع ، قال مستأنفا محقرا لهم الدنيا مزهدا لهم فيها : ﴿ كأنهم ﴾ أى هؤلاء المنكرين لصحة الإنذار بها ﴿ يوم يرونها ﴾ أى يعلمون قيامها علما هو كالرؤية و يرون ما يحدث فيها بعد سماع الصيحة و قيامهم من القبور من علمهم بما مر من زمانهم و ما يأتى[7] منـــه ﴿ لم يلبثوآ ﴾ أى فى الدنيا و[8] فى القبور ١٥ ﴿ الا عشية ﴾ اى من الزوال إلى غروب الشمس . و لما كانوا على غير ثقة من شيء مما يقولونه قال : ﴿ او ضحٰها ﴾ أى ضحى عشية من العشايا

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : وقوعها (٢ - ٢) فى ظ و م : اجراما واحتراء فما أرسلت (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بمبعوث (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : غيبه (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : منذر (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اتى (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : أو .

و هو

و هو البكرة[1] إلى الزوال، و العشية ما بعد ذلك، اضيف إليها الضحى لأنه من النهار، و الإضافة تحصل بأدنى ملابسة، و هى هنا كونهما من نهار واحد، فالمراد ساعة من نهار أو له أو آخره، لم يستكملوا نهارا تاما و لم يجمعوا / بين طرفيه، و هذا كما قال صلى الله عليه و سلم «ما الدنيا فى الآخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع[2]» و هذا تعبير لنا بما نحسه تقريبا لعقولنا و إن كانت القاعدة أنه لا نسبة لما يتناهى [إلى ما لا يتناهى -[3]] على أن الكفار أيضا يستقصرون مدة لبثهم، فكأنهم أصناف: بعضهم يقول: ان لبثتم إلا عشرا، و بعضهم يقول: إن لبثتم الا يوما، و بعضهم يتحير فيقول: اسأل العادين، أو أن تلك أقوالهم، و الحق من ذلك [هو -[3]] ما أخبر الله به غير مضاف إلى أقوالهم من أن ما مضى لهم فى جنب ما يأتى كأنه ساعة من نهار بالنسبة إلى النهار [الكامل -[3]] كما قال تعالى فى سورة يونس عليه الصلاة و السلام "و يوم يحشرهم كأن لم يلبثوا الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم" على ان منهم من يقول ذلك أيضا كما قال تعالى فى سورة المؤمنين حين قال تعالى "كم لبثتم فى الارض عدد سنين قالوا[4] لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين" و ذلك بالنسبة إلى ما كشف لهم عن أنهم يستقبلونه مما[5] لا آخر له أو أنهم لما نزعتهم نفخة إسرافيل عليه الصلاة و السلام بيد القدرة من قبورهم غرقا

/ ٦٦٦

(١) من ظ و م، و فى الأصل: من أول النهار (٢) أخرجه ابن ماجه فى الزهد - باب مثل الدنيا (٣) زيد من ظ و م (٤) تكرر فى الأصل فقط. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عما.

نزعا شديدا فقاموا و رأوا تلك الأهوال و علموا ما يستقبلونه من الأوجال استقصروا[1] مدة لبثهم قبل ذلك لأن من استلذ شيئا استقصر مدته و هم استلذوا ذلك و إن كان من أمرّ المرّ فى جنب لهم عن (؟) أنهم[2] لاقوه، فقد رجع اخرها بالقيامة على اولها، و التف مفصلها بنزع الانفس اللوامة على موصلها، و اتصلت بأول ما بعدها من جهة الخشية و التذكر فيا طيب متصلها، فسبحان من جعله[3] متعانق المقاطع و المطالع، و أنزله رياضا محكمة المذاهب و المراجع، و الله[4] سبحانه و تعالى هو الموفق للصواب و إليه المرجع و المآب[4].

(١) من ظ و م، و فى الأصل: استقروا (٢) زيد فى الأصل و ظ: والله اعلم، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لصه (٤-٤) فى ظ و م: الموفق.

سورة[1] عبس[2] و تسمى الصاخة

مقصودها[3] شرح "انما أنت منذر من يخشاها" بأن المراد الأعظم تزكية القابل للخشية[4] بالتخويف بالقيامة التى قام الدليل على القدرة عليها بابتداء الخلق من الإنسان، و بكل من الابتداء و الإعادة لطعامه[5] و التعجيب ممن أعرض مع قيام الدليل، و الإشارة إلى أن الاستغناء و الترف امارة ٥ الإعراض و عدم القابلية و التهيء للكفر و الفجور، و إلى أن المصائب أمارة للطهارة و الإقبال و استكانة القلوب و سمو النفوس لشريف الأعمال، فكل من كان فيها أرسخ كان قلبه أرق و ألطف فكان أخشى، فكان الإقبال عليه أحب و أولى، و اسمها "عبس" هو الدال على ذلك بتأمل آياته و تدبر فواصله و غاياته، / و كذا الصاخة الناخة بشرها و شررها و الباخة ١٠ ٦٦٧ / ﴿ بسم الله ﴾ الذى له القدرة البالغة و الحكمة الباهرة ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة[6] الإيجاد الظاهره ثم بآيات البيان الزاهرة[7] ﴿الرحيم ۝﴾ الذى خص أولياءه بأن أتم نعمته عليهم، فكانت بهم إلى مرضاته سائرة .

---

(١) الثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها ٤٢ (٢) زيد فى الأصل : وتولى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م، و فى الأصل و ظ : و مقصودها (٤) زيد فى الأصل : بالخشية، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، وفى الأصل : لطفا منه (٦) من م، و فى الأصل و ظ : بنعمته (٧) من ظ و م، و فى الأصل : الزاهر .

لما قصره سبحانه على إنذاره من يخشى ، و كان قد جاءه صلى الله عليه و سلم عبد الله بن أم مكتوم [الأعمى ـ ١] رضى الله تعالى عنه ، وكان من السابقين ، و كان النبي صلى الله عليه و سلم حين مجيئه مشتغلا بدعاء ناس من صناديد قريش إلى الله تعالى ، و قد وجد منهم نوع لين ،
٥ فشرع عبد الله رضى الله عنه يسأله [و هو لا يعلم ما هو فيه من الشغل ، يساله ـ ١] أن يقرئه و يعلمه [مما علمه الله ـ ١] ، فكره أن يقطع كلامه مع أولئك خوفا من أن يفوته منهم ما يرجوه من إسلامهم المستتبع لإسلام ناس كثير من أتباعهم ، فكان يعرض عنه و يقبل عليهم ، و تظهر الكراهة فى وجهه ، لاطفه سبحانه و تعالى بالعتاب عن التشاغل
١٠ عن أهل ذلك بالتصدى لمن شأنه أن لا يخشى لافتتانه بزينة الحياة الدنيا و إقباله بكليته على ما يفنى ، فقال مبينا لشرف الفقر[٢] و علو مرتبته و فضل أهل الدين و إن هانوا ، و خسة أهل الدنيا و إن زانوا ، معظما له صلى الله عليه و سلم بسياق الغيبة كما قال سعد بن معاذ رضى الله عنه لما حكم فى بنى قريظة : و على من ههنا ـ يشير الى ناحية النبي صلى الله عليه و سلم و هو
١٥ معرض عنها حياء منه صلى الله عليه و سلم و إجلالا له : ﴿ عبس ﴾ أى فعل الذى هو أعظم خلقنا و نجله عن أن نواجهه بمثل هذا العتاب بوجهه فعل الكاره للشيء من تقطيب الوجه بما له من الطبع البشرى حين يحال بينه و بين مراده ، و آذن بمدحه صلى الله عليه و سلم بأن ذلك خلاف ما طبعه عليه سبحانه من رحمة المساكين و محبتهم و السرور بقربهم و صحبتهم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : الفقه .

نقوله

[بقوله -[1]] : ﴿وتولّى﴾ أى كاف نفسه الإعراض عنه رجاء ان يسلم أولئك الأشراف الذين كان يخاطبهم فيتأيد بهم الإسلام و يسلم باسلامهم أتباعهم فتعلو كلمة الله ، [لأجل -[2]] ﴿ ان جآءه الاعمى﴾ الذى ينبغى أن يبالغ فى العطف عليه وفى إكرامه جبرا لكسره و اعترافا بحقه فى مجيئه ، و ذكره[3] بالوصف للاشعار بعذره[4] فى الإقدام على قطع الكلام و البعث على الرأفة [به -[5]] و الرحمة له ، فكان النبي صلى الله عليه و آله و سلم إذا رآه بعد ذلك قال : مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ، و استخلفه على المدينة الشريفة عند غزوه مرتين ، قال أنس بن مالك رضى الله عنه[6] : و رأيته يوم القادسية عليه درع و معه رأية سوداء رضى الله عنه .

و لما عرف بسياق الغيبة ما أريد من الإجلال ، وكان طول الإعراض موجبا للانقباض ، أقبل عليه صلى الله عليه و سلم فقال : / ﴿و ما يدريك﴾ / ٦٦٨ اى و اى شىء يجعلك داريا بحاله و إن اجتهدت فى ذلك فان ذوات الصدور لا يعلمها إلا الله تعالى ﴿لعله﴾ أى الأعمى ﴿ يزكّى ﴾ أى يكون بحيث يرجى تطهره و نمو أحواله الصالحة[7] بما يسمع منك[8] و لو على ادنى الوجوه بما يشير إليه إدغام تاء الافتعال (؟) ، و كذا قوله : ﴿ او يذكر ﴾ أى أو يقع منه التذكر لشىء يكون سببا لزكائه[9] و تذكره و لو كان [10]ذلك منه[10]

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكر .
(٤) من ظ و م ، وفى الأصل : يتعذره (٥) زيد من ظ (٦) راجع المعالم ٧/١٧٤ .
(٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الصالح (٨) من ظ ، وفى الأصل و م : منه .
(٩) من ظ ، و فى الأصل و م : لزكاته (١٠-١٠) من م ، وفى الاصل و ظ : منه ذلك .

على أدنى الوجوه المخرجة من[1] الكفر فان الخير لا يحقر شيء منه، و سبب عن تزكيه و تذكره قوله: ﴿فتنفعه﴾ أى عقب تذكره و سببه ﴿الذكرى ۝﴾ و فى ذلك إيماء إلى أن الإعراض كان لتزكية غيره و تذكره، و قراءة النصب على أنه جواب «لعل».

٥ و لما ذكر العبوس و التولى عنه فأفهما ضدهما لمن كان مقبلا عليهم، بين ذلك فقال: ﴿اما من استغنى ۝﴾ أى طلب الغنى و هو المال و الثروة فوجده و ان لم يخش و لم يجئ إليك ﴿فانت له﴾ أى دون الأعمى ﴿تصدى ۝﴾ اى تتعرض بالإقبال عليه و الاجتهاد فى وعظه رجاء اسلامه واسلام أتباعه باسلامه و هم عتبة بن ربيعة و ابوجهل

١٠ و [أبى و ـ[2]] أمية ابنا خلف، و أشار[3] حذف تاء التفعل فى قراءة الجماعة و ادغامها فى قراءة نافع و ابن كثير [إلى ـ[4]] أن ذلك كان على وجه خفيف كما هى عادة العقلاء.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما قال سبحانه "ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى" و قال بعد "انما انت منذر من يخشاها" افتتحت هذه

١٥ السورة الأخرى بمثال يكشف عن المقصود من حال أهل التذكر و الخشية و جميل الاعتناء الربانى بهم و [انهم و[5]] ان كانوا فى دنياهم ذوى[5] خمول لا يؤبه لهم [فهم عنده[6]] سبحانه فى عداد من اختاره لعبادته

(١) من ظ و م، و فى الأصل: المخرج (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: إلى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٤) زيد من م (٥) من ظ، و فى الأصل و م: ذو (٦-٦) من ظ، و فى الأصل و م: فهو عندهم.

و اهله[1] لطاعته و إجابة رسوله[2] صلى الله عليه و سلم و اعلى منزلته لديه «رب أشعث أغبر لا يؤبه له[3] لو أقسم على الله لأبره» و منهم ابن أم مكتوم الأعمى مؤذن رسول الله صلى الله عليه و سلم [و هو -[4]] الذى [5]بسببه نزلت[5] السورة و وردت[6] بطريق العتب وصاة لنبيه صلى الله عليه وسلم و تنبيها على أن يعمل نفسه الكريمة على مصابرة [أمثال -[4]] ابن أم مكتوم و أن لا يحتقر و حاشاه صلى الله عليه و سلم من ذلك، و لكن التحذير من هذا و إن لم يكن وقع[7] يشعر بعظيم الاعتناء بمن حذر، و منه قوله سبحانه "لئن اشركت ليحبطن عملك" و "لا تدع مع الله الها اخر" و "لا تمش فى الارض مرحا" و هو كثير، و بسط هذا الضرب لا يلائم مقصودنا فى هذا التعليق، لما دخل عليه صلى الله عليه و سلم ابن أم مكتوم سائلا و مسترشدا و هو صلى الله عليه و سلم يكلم رجلا من أشراف قريش و قد طمع فى إسلامه و رجاء إنقاذه من النار و إنقاذ ذويه و أتباعه، فتمادى على طلبه[8] هذا الرجل لما كان يرجوه / و وكل ابن أم مكتوم إلى إيمانه [فأغفل -[9]] فورية[10] مجاوبته / ٦٦٩
و شق عليه إلحاحه خوفا من تفلت[11] الآخر و مضيه على عقبه و هلاكه

(١) من م، و فى الاصل و ظ: اهلا (٢) فى م: رسله (٣) من ظ و م، وفى الأصل: به (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، وفى الأصل: نزلت بسببه.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: ورث (٧) من ظ، و فى الأصل و م: يقع.
(٨) فى ظ: تقلبه (٩) زيد من ظ (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: فورى.
(١١) من ظ و م، و فى الأصل: تقلب.

عتب سبحانه و تعالى عليه فقال "عبس و تولى ان جاءه الاعمى و ما يدريك لعله يزكى أو يذكر" و هى منه سبحانه واجبة ، وقد تقدم فى السورة قبل قول موسى عليه الصلاة و السلام "هل لك الى أن تزكى" فلم يقدر له بذلك و لا انتفع ببعد صيته فى دنياه و لا أغنى عنه ما نال منها و بارت [مواد - ١] تدبيره و عميت عليه الأنباء إلى أن قال «ما علمت لكم[٢] من إله غيرى فأوقد لى يا هامان على الطين فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى» «و انى لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله و صد عن السبيل» فأنى يزكى ؟ و لو سبقت له سعادة لأبصر من حاله عين اللهو و للعب حين مقالته الشنعاء «أم أنا خير من هذا الذى هو مهين».

و لما سبقت لابن أم مكتوم الحسنى لم يضره عدم الصيت الدنياوى و لا أخل[٤] به عماه بل عظّم ربه شأنه لما نزل فى حقه "و ما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى" فيا له صيتا[٥] ما أجله ، بخلاف من قدم ذكره ممن طرد فلم يتزك[٦] و لم ينتفع بالذكرى حين قصد بها ، إنما أنت منذر من يخشاها" كابن أم مكتوم ، و من نمط ما نزل فى ابن أم مكتوم قوله تعالى "و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه" [و قوله : "و لا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه" - ٥] فتبارك ربنا ما أعظم لطفه بعبيده - اللهم لا تؤيسنا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلكم (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : خل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : صليتا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فلم يترك .

من

من رحمتك [1] ولا تقنطنا من لطفك [1] ولا تقطع بنا عنك بمنك وإحسانك - انتهى [2].

ولما كان فعله ذلك فعل من يخشى أن يكون عليه فى بقائهم على كفرهم ملامة، بين له أنه سالم من ذلك فقال: ﴿ وما ﴾ [أى - [3]] فعلت ذلك والحال أنه ما ﴿ عليك ﴾ اى من [4] بأس فى ﴿ الا يزكّى ﴾ [5] أصلا ورأسا ولو بأدنى تزك - بما أشار اليه الإدغام [5] - ان عليك إلا البلاغ، ويجوز أن يكون استفهاما أى وأى شىء يكون عليك فى عدم تزكيه، وفيه أشاره إلى أنه يجب الاجتهاد فى تزكية التابع الذى عرف منه القبول.

ولما ذكر المستغنى، ذكر مقابله فقال: ﴿ واما من جآءك ﴾ حال كونه ﴿ يسعى ﴾ [5] أى مسرعا رغبة فيما عندك من الخير المذكر [6] بالله وهو [7] فقير ﴿ وهو ﴾ أى والحال أنه ﴿ يخشى ﴾ [5] أى يوجد الخوف من الله تعالى ومن الكفار فى أذاهم على الإتيان الى النبى صلى الله عليه وسلم ومن معاثر الطريق لعماه ﴿ فانت عنه ﴾ اى خاصة فى ذلك المجلس لكونه فى الحاصل ﴿ تلهّى ﴾ [5] أى تتشاغل لأجل أولئك الأشراف

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: والله اعلم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ (٤) سقط من ظ و م. (٥) زيد فى الأصل وظ: وما عليك، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) من ظ و م، وفى الأصل: المذكور (٧) زيد فى الأصل: أى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

الذين تريد إسلامهم ليعلو بهم الدين تشاغلا حقيقا - بما اشار اليه حذف التاء، من لهى عنه كرضى - إذا سلى وغفل وترك، وفى التعبير بذلك اشارة / إلى أن الاشتغال بأولئك لا فائدة فيه على ما تفهمه[1] تصاريف المادة ٦٧٠ / وإلى أن من يقصد الانسان[2] ويتخطى رقاب الناس اليه له عليك حق عظيم، والآية من الاحتباك: ذكر الغنى أولا يدل على الفقر ثانيا، وذكر المجيء والخشية ثانيا يدل على ضدهما أولا، وسر ذلك التحذير مما يدعو اليه الطبع البشرى من الميل الى الأغنياء، ومن الاستهانة بحق الآتى إعظاما لمطلق إتيانه.

ولما كان العتاب الذى هو من شأن[3] الأحباب ملوحا بالنهى عن الإعراض عمن وقع العتاب عليه، وكل من كان حاله كحاله والتشاغل عن راغب، صرح به فقال: ﴿كلا﴾ أى لا تفعل ذلك أصلا فان الأمر فى القضاء والقدر ليس على ما يظن العباد ولا هو جار على الأسباب التى تعرفونها بل هو من وراء علومهم على حكم تدق عن أفكارهم[4] وفهومهم[5]؛ ثم علل ذلك فقال مؤكدا لإنكارهم ذلك: ﴿انها﴾ أى القرآن، ولعله أنث الضمير باعتبار ما تلى عليهم فى ذلك المجلس[4] من الآيات[5] أو السور[5] ﴿تذكرة ج﴾ أى تذكرهم تذكيرا عظيما بما[6] إن تأملوه شاهدوه فى أنفسهم

(١) زيد فى الاصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: مفهومهم (٤) من ظ و م، وفى الأصل: المحاسن (٥ - ٥) من ظ و م، وفى الأصل: والسورة. (٦) من م، وفى الاصل و ظ: لما.

و فى الآفاق[1]، ليس فيه شىء إلا و هم[2] يعرفونه لو اقبلوا بكليتهم عليه، فما على المذكر بها غير البلاغ، فمن أقبل عليه فأهلا و سهلا، و من أعرض فبعدا [له -[3]] و سحقا.

و لما كان سبحانه قد خلق للانسان عقلا و اختيارا، و يسر أمر[4] القرآن فى الحفظ و الفهم لمن أقبل عليه، سبب عن ذلك قوله: ﴿فمن شآء﴾ أى ذكره[5] بعد مشيئة الله تعالى كما تقدم تقييده فى القرآن غير مرة ﴿ذكره﴾ أى حفظ القرآن كله و تذكر ما فيه من الوعظ من غير تكرير و لامعالجة تحوج إلى الإعراض عن بعض المقبلين الراغبين، و للاشارة[6] إلى حفظه كله ذكر الضمير.

و لما كان التقدير: حال كون القرآن مثبتا أو حال كون الذاكر[7] له [مثبتا -[8]]، قال واصفا لتذكرة مبينا لشرفها بتشريف ظرفها و ظرف ظرفها: ﴿فى صحف﴾ أى أشياء يكتب فيها من الورق و غيره ﴿مكرمة﴾ اى مكررة التكريم و معظمته[9] فى السماء و الأرض فى كل أمة و [كل -[10]] ملة ﴿مرفوعة﴾ أى علية[11] المقدار باعلاء كل أحد لاسيما من له الأمر كله ﴿مطهرة﴾ أى منزهة عن أيدى أهل السفول و عن قولهم

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الانفاق (٢) من م، و فى الأصل و ظ: هو.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: من (٥) فى ظ و م: الذكر.
(٦) من ظ، و فى الأصل و م: الاشارة (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الذكر (٨) زيد من ظ (٩) من م، و فى الأصل و ظ: بعظمة (١٠) زيد من ظ و م (١١) من ظ و م، و فى الأصل: عالية.

انها شعر أو سحر و نحو ذلك ، و علق [ايضا - [1]] بمثبت - [2]بالفتح أو الكسر[2] على اختلاف المعنيين - قوله مبينا شرف ذلك الظرف لذلك الظرف إشارة إلى نهاية الشرف للظروف: ﴿بايدى سفرة﴾ أى كتبة يظهرون الكتابة بما فيها من الأخبار الغريبة و الأحكام العلية فى [كل - [3]] حال، فان كان [4] ما تعلق به الجار بالفتح فهو حقيقة فى أنهم ملائكة يكتبونه من[5] اللوح المحفوظ، أو يكون جمع سافر إما بمعنى / الكاتب أو المسافر [أى - [3]] القاطع للمسافة أو السفير الذى [هو - [3]] المصلح لأنهم سفراء بين الله و أنبيائه، و بهم يصلح أمر الدين و الدنيا، و ان كان بالكسر فهو مجاز لأن من أقبل على كتابة الذكر يكون مهذبا فى الحال [6]او فى[6] المآل فى الغالب، و تركيب سفر للكشف[7] ﴿كرام﴾ [أى ينطوون على معالى الأخلاق مع أنهم أعزاء على الله - [3]] ﴿بررة﴾ اى أتقياء فى اعلى مراتب التقوى و الكرم و أعزها و أوسعها .

٦٧١ /

و لما كان الوصف بهذه الأوصاف العالية للكتبة الذين[8] أيديهم ظرف للصحف [9] التى هى[9] ظرف للتذكرة للتنبيه على علو المكتوب و جلالة مقداره و عظمة آثارة و ظهور ذلك لمن تدبره و تأمله حق تأمله

(١) زيد من م (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الفتح وبالكسر (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : كل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : « و » (٧) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد فى الأصل : هم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الذين هم .

و أنعم[1] نظره ، عقبه [بقوله -[2]] ناعيا على من [لم -[2]] يقبل بكليته عليه داعيا عليه باعظم شدائد الدنيا التى هى القتل فى صيغة الخبر لانه أبلغ: ﴿ قتل الانسان ﴾ أى هذا النوع الآنس بنفسه الناسى لربه[3] المتكبر على غيره المعجب بشمائله التى أبدعها له خالقه ، حصل قتله بلعنه و طرده و فرغ منه بأيسر سعى و أسهله من كل من يصح ذلك منه لانه اسرع ٥ شىء إلى الفساد لانه مبنى على النقائص إلا من عصم[4] الله ﴿ ما أكفره[5] ﴾ أى ما أشد تغطيته للحق و جحده له و عناده فيه لإنكاره البعث و إشراكه ربه و غير ذلك من أمره ، فهو دعاء عليه بأشنع[6] دعاء [و -[2]] تعجيب من إفراطه فى ستر محاسن القرآن التى لاتخفى[7] على أحد و دلائله على القيامة و كل شىء لايسع [أحدا -[2]] التغبير[2] فى وجه شىء منها ، و هذا الدعاء ١٠ على وجازته يدل على سخط عظيم و ذم بليغ و هو و إن كان فى مخصوص فالعبرة بعمومه[8] فى كل من كفر نعمة الله ، روى أنها نزلت فى عتبة بن أبى لهب غاضب اباه فاسلم ثم استصلحه أبوه و أعطاه مالا و جهزه إلى الشام فبعث إلى النبى صلى الله عليه و سلم يعلمه[8] أنه كافر برب النجم إذا هوى ، و أفحش فى غير هذا ، فقال النبى صلى الله عليه و سلم : اللهم أبعث ١٥ عليه كلبا من كلابك ، فلما انتهى إلى مكان من الطريق فيه الأسد

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : امعن (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كربه (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : عصمه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بامنع (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لا تختلف (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : التعبير به (٨) سقط من ظ و م .

ذكر الدعاء فجعل لمن معه الف دينار إن اصبح [حيا -[1]] فجعلوه فى وسط الرفقة و المتاع و الرحال فأقبل الأسد إلى الرحال و وثب فاذا هو فوقه فمزقه فكان أبوه يندبه و يبكى عليه و قال: ما قال محمد شيئا إلا كان، [و -[1]] مع ذلك فما نفعه ما عرف من ذلك، فسبحان من ٥ بيده القلوب يضل من يشاء و يهدى من يشاء، و كل ذلك من هدايته و إضلاله شاهد بأن له الحمد.

و لما كان أكثر انصباب التعجيب[2] منه ناظرا الى تكذيبه بالساعة لأجل ظهور أدلتها فى القرآن جدا و لأنه توالت فى هذه السور[3] إقامة الأدلة عليها بما لا مزيد عليه، شرع فى إقامة الدليل عليها بآية ١٠ الأنفس من ابتداء الخلق فى أسلوب / مبين لخسته و حقارته و أن من ٦٧٢ / ألبسه أثواب[4] الشرف بعد تلك الخسة و الحقارة جدير منه بالشكر لا بالكفر، فقال منبها له بالسؤال: ﴿من اى شىء﴾ و الاستفهام للتقرير مع التحقير ﴿خلقه[5]﴾ ثم أجاب اشارة الى ان الجواب واضح لا يحتاج فيه الى وقفة أصلا فقال مبينا حقارته: ﴿من نطفة[5]﴾ أى[5] ماء يسير جدا لا من ١٥ غيره ﴿خلقه﴾ أى أوجده مقدرا على ما هو عليه من التخطيط[6] ﴿فقدره﴾ أى هيأه لما يصلح له من الأعضاء الظاهرة و الباطنة و الأشكال و الأطوار

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: التعجب (٣) من ظ و م، و فى الأصل: السورة (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ثواب. (٥) من م، و فى الأصل و ظ: على (٦) فى ظ: التخليط.

إلى [أن -[1]] صلح لذلك[2] ثم جعله فى ظلمات ثلاث : ظلمة البطن ثم الرحم ثم المشيمة ، أو هى [3] على ما [3] قال أهل التشريح ثلاثة أغشية : أحدها المشيمة تتصل بسرة الجنين تمده[4] بالغذاء ، و الثانى يقبل[5] بوله ، و الثالث يقبل البخارات التى تصعد منه بمنزلة العرق و الوسخ فى أبدان الكاملين ، و أعطاه قدرة لما أراده [منه -[1]] ﴿ ثم ﴾ أى بعد انتهاء المدة ٥ ﴿السبيل﴾ أى الأكمل فى العموم و الاتساع و الوضوح لا غيره ، و هو مخرجه من بطن أمه و طريقه إلى الجنة أو النار[6] ﴿ يسره ﴾ أى سهل له امره فى خروجه بأن فتح فم الرحم[7] و ألهمه أن ينتكس ، و ذلل [له -[1]] سبيل الخير و الشر ، و جعل له عقلا يقوده إلى ما يسر له منهما ، و فيه[8] إيماء الى أن الدنيا [9] دار الممر[9] ، و المقصد غيرها[10] و هو الأخرى ١٠ التى تدل عليها الدنيا ، و لذلك عقبه بقوله عادا الموت من النعم لأنه لو دام الإنسان حيا مع ما يصل اليه من الضعف و الخوف لكان فى غاية البشاعة و الشماتة لأعدائه و المساءة لأوليائه على أن الموت سبب الحياة الأبدية : ﴿ ثم ﴾ أى بعد أمور قدرها سبحانه من أجل و تقلبات

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : كذلك (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كما (٤) من ظ ، و فى الأصل : يمد ، و فى م : يمده . (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : تقبله (٦) زيد فى الأصل : الى ايهما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الفروج (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : راد مض - كذا . (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : غيره .

﴿ اماته ﴾ و اشار إلى إيجاب المبادرة إلى التجهيز بالفاء المعقبة فى قوله : ﴿ فاقبره ﴾ أى جعل له قبرا فغيبه [فيه -[1]] او أمر بدفنه تكرمة له و صيانة عن السباع ، و الإقبار جعلك للميت قبرا و إعطاؤك القتيل لأهله ليدفنوه ، و المعنى الامتنان بأنه جعل للانسان موضعا يصلح لدفنه و جعله بعد الموت بحيث يتمكن[2] من دفنه ، و لوشاء لجعله يتفتت مع النتن و نحوه مما[3] يمنع من قربانه ، أو جعله بحيث يتهاون به فلا يدفن كبقية الحيوانات ، فقد عرف بهذا أن أول الإنسان نطفة مذرة ، و آخره جيفة قذرة ، و هو فيما بين ذلك يحمل العذرة ، فما شرفه بالعلم إلا الذى أبدعه و صوره ، و ذلك موجب لأن يشكره لا أن يكفره .

و لما كانت مدة البرزخ طويلة ، و كان البعث [أمرا -[4]] محققا غير معلوم الوقت بالعين بغيره تعالى ، عبر عن المعانى الثلاثة بأداتى[5] التراخى و التحقق فقال : ﴿ ثم اذا شآء ﴾ أى إنشاره[6] ﴿ انشره[7] ﴾ اى بعثه من قبره كما كان فى دنياه بزيادة أنه على تركيب قوى / لا يتهيأ فيه فراق الروح الجسد . /٦٧٣

و لما كان إخباره بأنه مع[7] الذى يسر له السبيل قد يفهم انه لا يعمل إلا بما يرضيه ، نفى ذلك على سبيل الردع فقال : ﴿ كلا ﴾ أى ليرتدع هذا الإنسان الذى عرف أن هذه حالاته أولا و آخرا و أثناءا و مخرجا

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يمكن (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : فما (٤) زيد من ظ (٥) من ظ ، وفى الأصل و م : باداة (٦) زيد فى الأصل : بعد القـ ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) فى ظ : هو .

تارة من مخرج البول و أخرى من مخرج الحيض و مقبرا، و لينزجر[1] و ليعرف، نفسه بالذلة و الخسة و الحاجة و العجز، و ليعرف ربه سبحانه بالعزة و العظمة و الكبرياء و الغناء و القدرة على تشريف الحقير و تحقير الشريف، و بأنه سبحانه لايلزمه شيء فلا يلزم من تعريف هذا الإنسان السبيل و تميزه له أنه لايفعل إلاما لايعاتب عليه، فانه لايكون [من -[2]] ٥ الإنسان و غيره إلا ما يريده، و تارة يريد هداه، و تارة يريد ضلاله، فقد يأمر بما لايريده و يريد ما لايأمر به و لايرضاه، و لذلك قال مستأنفا نفى ما أفهمه بتيسيره[3] للسبيل من [أن -[4]] الإنسان يفعل جميع ما أمره به الله الذى يسر له السبيل: ﴿ لما يقض ﴾ أى يفعل الإنسان فعلا نافذا ماضيا ﴿ ما أمره ﴾ أى به الله كله من غير تقصير ما من حين ١٠ تكليفه إلى حين إقباره بل من حين وجد آدم عليه الصلاة و السلام إلى حين نزول هذه الآية و إلى آخر الدهر، لأن الإنسان [مبنى -[2]] على النقصان و الإله منزه التنزه الأكمل، و ما قدروا الله حق قدره، و ايضا الإنسان الذى هو النوع لم [يعمل -[2]] بأسره بحيث لم يشذ منه فرد جميع ما أمره، بل أغلب[5] الجنس عصاه و كذب بالساعة التى هى ١٥ حكمة الوجود، و إن صدق بها[6] بعضهم كان تصديقه بها تكذيبا لأنه يعتقد أشياء منها على خلاف ما هى عليه.

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لينزجر (٢) زيد من ظ و م (٣) فى ظ: بتيسره. (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لقلب (٦) من م، و فى الأصل و ظ: به.

و لما ردعه بعد تفصيل [ما له -[1]] فى نفسه من الآيات ، و أشار إلى ما له من النقائص، شرع يقيم الدليل على تقصيره بأنه لايقدر على شكر نعمة المنعم فيما له من المطعم[2] الذى به قوامه فكيف بغيرها فى أسلوب دال[3] على الإنشار بآيات الآفاق منبه[4] على سائر النعم فى مدة بقائه المستلزم لدوام احتياجه إلى ربه فقال مسببا عن ذلك : ﴿فلينظر الانسان﴾ أى يوقع النظر التام [5]على كل[5] شىء يقدر على النظر به من بصره و بصيرته و مدّ له المدى فقال : ﴿ألى طعامه[6]﴾ يعنى مطعومه و ما يتصل به ملتفتا إليه بكليته بالاعتبار بما فيه من العبر التى منها أنا لو لم نيسره له هلك .

و لما كان المقصود النظر إلى صنائع الله تعالى فيه ، و كانت أفعال الإنسان و أقواله فى تكذيبه بالبعث أفعال من ينكر ذلك الصنع ، قال سبحانه مفصلا لما يشترك فى علمه الخاص و العام من صنائعه فى الطعام، مؤكدا تنبيها على أن التكذيب بالبعث يستلزم التكذيب / بابداع النبات و إعادته ، و ذلك فى أسلوب مبين أن الإنسان محتاج إلى جميع ما فى الوجود ، و لو نقص منه شىء اختل أمره ، و بدأ أولا بالسماوى لأنه أشرف ، و بالماء الذى هو حياة كل شىء ، تنبيها له على ابتداء خلقه : ﴿انا﴾ أى على ما لنا من العظمة ﴿صببنا المآء﴾ أى الذى جعلنا منه

/ ٦٧٤

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المعظم (٣) من م ، و فى الأصل وظ : دل (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : منبها (٥-٥) من ظ ، و فى الأصل و م : بكل .

كل شيء حي ﴿ صبا ﴾ و ثنى بالأرض التى هى كالأنثى بالنسبة إلى السماء فقال: ﴿ ثم ﴾ أى[1] بعد مهلة[2] من إنزال الماء. و فارتنا بينها فى البلاد و النبات ﴿ شققنا ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿الارض﴾ بالنبات الذى هو فى غاية الضعف عن شق أصعب الأشياء فكيف بالأرض اليابسة المتكررة جدا عند مخالطة الماء، و حقق المعنى فقال: ﴿شقا﴾ ٥ ثم سبب عن الشق ما هو كالتفسير له مبينا الاحتياج إلى النبات بقوله: ﴿فانبتنا﴾ اى أطلعنا على وجه الاتصال الموجب للتغذى و النمو ﴿فيها﴾ بسبب الشق ﴿حبا﴾ أى لاقتيات الإنسان و غيره من الحيوان كالحنطة و الشعير و الرز[3] و غيرها.

و لما كان الحب قوتا فبدأ به لأنه الأصل فى القوام، عطف عليه ١٠ ما هو فاكهة و قوت فقال[4]: ﴿وعنبا﴾ هو فاكهة فى حال عنبيته و قوت باتخاذه زبيبا و دبسا و خلا[5]. و لما كان ذلك[6] فى بيان عجائب الصنع ليدل على القدرة على كل شيء فيدل [على -[7]] القدرة على البعث فذكر ما إن أخذ من منبته قبل بلوغه فسد، و إن ترك اشتد و صلح للادخار، و أتبعه ما إن ترك على أصله فسد[8]، و إن أخذ [و عولج -[9]] صلح ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : قاى - كذا (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : مهملة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : البرز (٤) من ظ ، و فى الأصل : وغير ذلك ، و كل ذلك ساقط من م (٥) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) سقط من م (٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : اخذ (٩) زيد من ظ و م .

للادخار ، أتبعه [ما لا يصلح ـ[1]] الادخار بوجه فقال : ﴿ و قضبا ﴾ و هو الرطب من البقل و غيره ، و هو يزيد على الماضيين بأنه فيه ما هو دواء نافع و سم ناقع ، و بأنه[2] يقطع مرة بعد أخرى فيخلف ، سمى بمصدر قضبه ـ إذا قطعه بحصد أو قلع .

٥ و لما ذكر ما لا يصلح أن يؤكل إلا رطبا من غير تأخير ، أتبعه ما لا يفسد بحال لا على أمه و لا بعد القطاف [و يصلح بعد القطاف ـ[3]] فيؤكل أو يعصر ، فيكون له دهن للاستصباح و الادهان[4] و الائتدام ، و فيه تقويه للعظام و الأعصاب و لا يفسده[5] الماء بوجه كما أن العنب يعصر فيكون منه دبس و خل و غيرهما[6] ، و متى خالطه الماء فسد ، [فقال ـ[1]] :

١٠ ﴿ و زيتونا ﴾ يكون فيه مع ما مضى حرافة و غضاضة فيها إصلاح المزاج . و لما ذكر ما لا يفسد و شجره يصبر على البرد ، أتبعه ما هو كالعنب يؤكل على أمه و[7] يقطع فيدخر[7] ، فهو جامع بين التحلي و التحمض بالخل و التفكه[8] و التقوى و التداوى للسم الناقع و السحر الصارع من عجوة المدينة الشريفة و غير ذلك من ثمرة و شجرة ، و لا يصبر شجره على

١٥ البرد فقال : ﴿ و نخلا ﴾ و كل من هذه الأشجار مخالف للآخر في الشكل و الحمل و غير ذلك مع الموافقة في / الأرض و السقى . / ٦٧٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الاصل : انه (٣) زيد من م . (٤) من م ، و في الأصل و ظ : الادهاء (٥) من م ، و في الأصل و ظ : لا يفسد (٦) من ظ و م ، و في الأصل : نحوهما (٧ ـ ٧) من ظ و م ، و في الأصل : يدخر بعد قطعه (٨) من ظ و م ، و في الأصل : الفكه .

و لما ذكر هذه الأشياء من الأقوات و الفواكه لكثرة منافعها ، و كانت البساتين تجمعها و غيرها مع ما لها من بهجة العين و سرور النفس[1] و بسط الخاطر و شرح القلب قال : ﴿و حدآئق﴾ جمع حديقة و هى الروضة ذات النخل و الشجر ، أو كل ما أحاط به [البناء ـ[2]] و هى تجمع ذلك [كله ـ[3]] ﴿غلبا ۝﴾ جمع غلباء ـ بفتح الغين و المد ، و هى الحديقة ذات أشجار كثيرة عظام[4] غلاظ طوال ملتفة الأغصان متكاثفة [متكاثرة ـ[2]] ، مستعار من وصف الرقاب ، يقال : غلب فلان ـ كفرح أى غلظ عنقه ، و الغلباء[5] أيضا من القبائل العزيزة الممتنعة ، و من الهضاب المشرفة .

و لما ذكر ما يتفكه و يدخر جمع فقال : ﴿و فاكهة﴾ أى ثمرة رطبة يتفكه بها كالخوخ و العنب و التين و التفاح و الكمثرى[6] و البرقوق[6] مما يمكن أن يصلح فيدخر و مما لا يمكن . و لما ذكر فاكهة الناس ، ذكر فاكهة بهيمة الحيوان فقال : ﴿و ابا ۝﴾ أى و مرعى و نباتا و عشبا و كلأ ما دام رطبا يقصد ، من أب الشيء ـ إذا أمه .

و لما جمع ما يقتات و ما يتفكه ، فدل دلالة واضحة[7] على تمام القدرة ، ذكر بالنعمة فيه قارعا بأسلوب الخطاب لتعميم الأفراد بعد سياق

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : العين (٢) زيد من م (٣) زيد من ظ و م .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عظيمة (٥) من ظ ، و فى الأصل و م : غلب .
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : واحدة .

العتاب للتصريح بأن[1] الكل عاجزون عن الوفاء بالشكر فكيف إذا انضم إليه الكفر فقال: ﴿متاعا﴾ و هو منصوب على الحال . و لما ذكر ما يأكله الناس و ما يعلف للدواب ، و كان السياق هنا لطعام الإنسان ، قال مقدما ضميرهم: ﴿لكم ولانعامكم[5]﴾ بخلاف ما فى السجدة و قد مضى ، و الإنعام بها يكون تمام الصلاح للانسان بما له فيها من النعم بالركوب و الأكل و الشرب و الكسوة و الجمال و سائر المنافع ، و ذكر هذا[2] ذكرا ظاهرا مشيرا[3] إلى المعادن لأن منها ما لا يتم ما مضى إلا به ، و هى آلات الزرع و الحصد[4] و الطبخ و العجن و غير ذلك ، و الملائكة المدبرة لما صرفها الله فيه من ذلك ، فدل ذلك على أن الوجود كله خلق *لأجل منافع* الإنسان ليشكر لا ليكفر ، و دلت القدرة على ذلك قطعا على القدرة على البعث .

و لما ذكر عجائب الصنع فى الطعام ، و كان ذلك يقطف فيعود[6] لا سيما المرعى *فانه يأتى*[7] عليه الخريف فينشف ثم يتحطم من الرياح و يتفرق فى الأرض ثم يصير ترابا ثم يبعث الله المطر فيجمعه من الارض بعد أن صار ترابا ثم ينبته كما كان ، و كان ذلك مثل إحياء الموتى سواء ، فتحقق لذلك ما تقدم من أمر الإنشار بعد الإقبار ، و كان

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فان (٢) فى م : الذى (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : مشير (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الفصد (٥ - ٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المنافع (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ويعود (٧ - ٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فياتى .

ذلك ايضا مذكرا بأمر أبينا[1] آدم عليه الصلاة و السلام لما أمره الله بالأكل من الجنة إلا من الشجرة التى نهاه عنها، فلما أكل منها أخرجه من الجنة فسجنه فى دار ليست بجنة[2] و لانار و لا غيرهما بل هى من ممتزج الدارين و كالبرزخ بينهما، فيها ما يذكر بهذه و ما يذكر بتلك، و فيها أمثلة الموجودات كلها، قال مسببا عما ثبت به الإحياء للبعث إلى المحشر معبرا بأداة التحقق لأن الساعة مما لابد منه و لامحيد عنه لأنها سر[3] الكون فان فيها حساب الذين استخلفوا فى هذا الوجود و أفيضت[4] عليهم النعم التى أودعها فيه، و أشار إلى أنهم عاجزون عن القيام بشكرها، و كثير منهم - بل أكثرهم - زاد على ذلك بكفرها، فأوجب ذلك - و لابد - حسابهم على ما فعلوا فيما استخلفوا فيه و استرعوه كما "هى عادة" كل مسترع و مستخلف: ﴿ فاذا جآءت ﴾ أى كانت و وجدت لأن كل ما هو كائن كأنه لاقيك و جاء [إليك-[6]] ﴿ الصآخة ﴾ أى الصرخة العظيمة التى يبالغ فى إسماع الأسماع بها حتى تكاد تصمها[7] لشدتها. و كأنها تطعن فيها لقوة وقعتها و عظيم وجبتها، و تضطر الآذان إلى أن تصيخ إليها [أى-[6]] تسمع[8]، و هى من أسماء القيامة، و أصل الصخ: الضرب بشىء صلب على مصمت.

(١) فى ظ: انشاء (٢) فى ظ و م: جنة (٣) من ظ و م، و فى الأصل: سلو.
(٤) من م، و فى الأصل و ظ: اقتضت (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: هو عبادة (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: تعمها (٨) من ظ، و فى الأصل و م: نتسمع.

و لما كان وصفها بما يقع فيها أهيب، قال مبدلا من "اذا" ما يدل على جوابها من نحو: اشتغل كل بنفسه و لم يكن عنده فراغ ما لغيره: ﴿يوم يفر المرء﴾ أى الذى هو أعظم الخلق مروءة. و لما كان السياق للفرار، قدم أدناهم رتبة فى الحب و الذب فأدناهم[1] على سبيل الترقى، و أخر الأوجب فى ذلك فالأوجب بخلاف ما فى "سأل" كما مضى فقال: ﴿من اخيه﴾ لأنه يألفه صغيرا و قد يركن إليه كبيرا مع طول الصحابة و شدة القرب فى القرابة فيكون عنده فى غاية العزة.

و لما كانت الأم مشاركة له فى الإلف، و يلزم من حمايتها أكثر مما يلزم[2] الأخ و هو لها آلف و إليها أحن و عليها أرق و أعطف قال: ﴿و امه﴾ و لما كان الأب أعظم منها فى الإلف لأنه أقرب فى النوع و للولد عليه من العاطفة لما له من مزيد النفع أكثر ممن قبله قال: ﴿و ابيه﴾ و لما كانت الزوجة التى هى أهل لان تصحب[3] ألصق بالفؤاد[4] و أعرق فى الوداد، و كان الإنسان أذب عنها[5] عند الاشتداد، قال: ﴿و صاحبته﴾ و لعله أفردها إشارة إلى أنها عنده فى الدرجة العليا من المودة بحيث لا يألف غيرها.

و لما كان للوالد إلى الولد من المحبة و العاطفة [و الإباحة -[6]]

(١) زيد فى الأصل: رتبة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد فى الأصل و ظ: فى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: لانها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الى الفواد (٥) من ظ و م، و فى الأصل: منها (٦) زيد من ظ و م.

بالسر

بالسر و المشاورة فى الأمر ما ليس لغيره، و لذلك يضيع عليه رزقه وعمره قال: ﴿و بنيه﴾ و إن اجتمع فيهم الصغير الذى هو عليه أشفق و الكبير الذى هو فى [قلبه -[1]] أجل و فى عينه أنبل و من بينهما من الذكر و الأنثى .

و لما ذكر فراره الذى منعه قراره، علله فقال: ﴿لكل امرئ﴾ ٥ أى و إن كان أعظم الناس مروءة ﴿منهم يومئذ﴾ أى [إذ -[2]] تكون هذه الدواهى العظام و الشدائد و الآلام ﴿شان﴾ أى أمر بليغ[3] عظيم ﴿يغنيه﴾ [أى يكفيه -[2]] فى الاهتمام بحيث لايدع له حصة يمكنه[4] صرفها إلى غيره[5] و يوجب له لزوم / المغنى، و هو المنزل - الذى يرضيه ٦٧٧ / مع أنه يعلم [أنه -[1]] يتبعونه و يخاف أن يطالبوه لما هم فيه من الكرب ١٠ بما لعله قصر فيه من حقوقهم .

و لما ذكر اليوم، قسم أهله إلى القسمين المقصودين بالتذكرة أول السورة، فقال دالا على البواطن بأشرف الظواهر[6]: ﴿وجوه يومئذ﴾ اى إذ[7] كان [8]ما تقدم[8] من الفرار و غيره ﴿مسفرة﴾ أى بيض مضيئة بالإشراق و الاستنارة، من أسفر الصبح - إذا أشرق و استنار ١٥ ﴿ضاحكة﴾ لما علمت من سعادتها ﴿مستبشرة﴾ أى طالبة للبشر و هو

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) سقط من ظ و م (٤) من م، و فى الأصل وظ : يمكن (٥) من ظ و م، و فى الأصل : غيرها (٦) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من م، و فى الأصل وظ : اذا (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ .

تغير البشرة من السرور و موجدة لذلك ، و هى بيضاء نيرة بما يرى من تبشير الملائكة ، و ذلك بما كانت فيه فى الدنيا من عبوس الوجوه[1] و تغيرها و شحوبها[2] من خشية الله تعالى و ما يظهر من[3] جلاله فى الساعة كابن أم مكتوم رضى الله عنه الذى كان يحمله خوف الساعة على ٥ حمل الرأية فى أشد الحروب كيوم القادسية و الثبات بها حتى يكون كالعمود ، لايزول[4] عن[5] مركزه أصلا ليرضى المعبود .

و لما ذكر أهل السعادة الذين هم المقبلون على الخير المصابون فى أنفسهم بما يكفر سيئاتهم و يعلى درجاتهم ، ذكر أضدادهم فقال تعالى : ﴿ و وجوه ﴾ و أكد باعادة الظرف لإزالة الشبهة فقال : ﴿ يومئذ ﴾ ١٠ [أى - [6]] إذ وجد ما ذكر ﴿ عليها ﴾ أى ملاصقة لها مع الغلبة و العلو ﴿ غبرة ﴾ أى ارتداد[7] و كأنه بحيث يصير كأنه[8] قد علاها غبار و هى عابسة حذرة وجلة منذعرة ، و ذلك مما يلحقها من المشقات و كثرة الزحام مع رعب الفؤاد ، و تذكر ما هى صائرة إليه من الأنكاد الشداد ﴿ ترهقها ﴾ أى تغشاها و تقهرها و تعلوها ﴿ قترة ﴾ أى كدورة ١٥ و سواد و ظلمة ضد الإسفار فهى باكية عابسة مما كانت فيه فى الدنيا

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الوجه (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : نحويتها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : لايزال (٥) زيد فى الأصل : امره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٦) زيد من م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : امداد - كذا (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : كانها .

من الفرح و اللعب و الضحك و الأمن من العذاب ؛ فالآية من الاحتباك : ذكر الإسفار و البشر أولا يدل على الخوف و الذعر ثانيا ، و ذكر الغبرة ثانيا يدل على البياض و النور أولا ، و سر ذلك أنه ذكر دليل الراحة و دليل التعب لظهورهما ترغيبا و ترهيبا .

و لما كان[1] هذا الأمر[2] هائلا ، و كان الفاجر ، لما على قلبه من الرين و له من القساوة ، قليل الخوف من الأجل عديم الفكر فيما يأتى به غد[3] لما غلب عليه من الشهوتين : السبعية و البهيمية بخلاف المتقى فى كل ذلك ، استأنف الإخبار زيادة فى التهويل فقال : ﴿اولئك﴾ أى البعداء[4] البغضاء ﴿هم﴾ أى خاصة [5]لا غيرهم[5] ﴿الكفرة﴾ أى الذين ستروا دلائل الإيمان ﴿الفجرة ع﴾ أى الذين خرجوا عن دائرة الشرع خروجا فاحشا حتى كانوا عريقين فى ذلك الكفر و الفجور ، و هم فى الأغلب المترفون[6] الذين يحملهم غناهم على التكبر و الأشر / و البطر ، فلجمعهم بين الكفر و الفجور جمع لهم بين الغبرة و القترة ، كما يكون للزنوج من البقاعة[7] إذا علا وجوههم غبار و وسخ ، فقد عاد آخرها على أولها فيمن يستحق الإعراض عنه و من يستحق الإقبال عليه - و الله الهادى .

/ ٦٧٨

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : ذكر (٢) فى ظ : امرا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عدل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : المترفهون (٧) فى ظ : القناعة .

سورة التكوير [١]

مقصودها التهديد الشديد [٢] بيوم الوعيد الذى هو محط الرحال، لكونه أعظم مقام لظهور الجلال، لمن كذب بأن [٣] هذا القرآن تذكرة [٤] لمن ذكره [٤] فى صحف مكرمة [٤] مرفوعة مطهرة [٤] بأيدى سفره، و الدلالة على حقية كونه كذلك بأن [٥] السفير به أمين فى الملأ الأعلى مكين المكانة فيما هنالك و الموصل له إلينا منزه عن التهمة برئ من النقص لما يعلمونه من حاله قبل النبوة و ما كانوا يشهدون له به من الكمال فى صحبته لهم المتطاولة التى نبههم بالتعليق بها على ما لا يشكون فيه من أمره و لم يأتهم بعدها إلا بما [٦] هو شرف له و تذكير بما فى أنفسهم و فى الآفاق من الآيات، و ذلك كاف [لهم - [٧]] فى الحكم بأنه صدق و العلم اليقين بأنه حق، و اسمها التكوير أدل [٨] ما فيها على ذلك بتأمل الظرف و جوابه و ما فيه من بديع القول و صوابه، و ما تسبب عنه من عظم الشأن لهذا القرآن ﴿ بسم الله ﴾ الواحد القهار ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمت نعمة إيجاده وبيانه الأبرار و الفجار ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أهل وداده بما أسعدهم فى

(١) الحادية والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٢٩.
(٢) سقط من ظ (٣) من ظ و م، وفى الأصل: فان (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من م، و فى الأصل و ظ: فان (٦) من م، و فى الأصل و ظ: ما (٧) زيد من م (٨) تكرر فى الأصل فقط.

دار

دار القرار .

لما ختمت سورة[1] عبس بوعيد الكفرة [الفجرة -[2]] يوم الصاخة لجحودهم [3]بما لهذا[3] القرآن من التذكرة، ابتدئت هذه باتمام ذلك، فصور ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك و الملكوت حتى كأنه رأى عين كما رواه[4] الإمام أحمد[5] و الترمذى[6] و الطبرانى[7] و غيرهم عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه و سلم برجال ثقات أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة رأى العين فليقرأ "اذا الشمس كورت". فقال بادئا بعالم الملك و الشهادة لأنه أقرب تصورا لما يغلب على الإنسان من الوقوف مع المحسوسات، معلما بأنه سيخرب تزهيدا فى كل ما يجر إليه و حثا على عدم المبالاة به و الابتعاد من التعلق بشىء من أسبابه: ﴿اذا الشمس﴾ أى التى هى أعظم آيات السماء الظاهرة[8] و أوضحها للحس .

و لما كان المهول مطلق تكويرها الدال على عظمة مكورها، بنى للمفعول على طريقة كلام القادرين قوله: ﴿كورت﴾ أى لفت بأيسر أمر من غير كلفة[9] ما أصلا، فأدخلت فى العرش - كما قاله ابن عباس رضى الله عنهما[10] فذهب ما كان ينبسط من نورها، من كورت العمامة - إذا لففتها فكان

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: بهذا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: رآه (٥) راجع المسند ٢/٢٧ (٦) راجع الجامع - التفسير (٧) راجع مجمع الزوائد ٧/١٣٤ (٨) العبارة من هنا إلى ما سننبه عليه نسخت من ظ (٩) من م، و فى ظ: انفة (١٠) راجع البحر المحيط ٨/٤٣١ .

بعضها على بعض و انطمس بعضها ببعض، و الثوب ـ إذا جمعته فرفعته، فالتكوير كناية عن رفعها أو إلقائها فى جهنم زيادة فى عذاب أهلها و لاسيما عبدتها، أو ألقيت عن فلكها، من طعنه فكوره اى ألقاه مجتمعا، و التركيب للادارة و الجمع و الرفع للشمس، فعل دل عليه "كورت"، لأن "إذا" تطلب الفعل لما فيها من معنى الشرط، و [لما ـ[1]] كان التأثير فى الأعظم دالا على التأثير فيما دونه بطريق الأولى، أتبع ذلك قوله معمما بعد التخصيص: ﴿و اذا النجوم﴾ أى كلها صغارها و كبارها ﴿انكدرت ۝٢﴾ أى انقضت فتهاوت و تساقطت و تناثرت حتى كان ذلك كأنه بأنفسها من غير فعل فاعل فى غاية الإسراع، أو أظلمت، من كدرت الماء فانكدر، قال ابن عباس رضى الله عنهما[2]: يكور الله الشمس و القمر و النجوم [يوم القيامة ـ[1]] فى البحر ثم يبعث عليها ريحا دبورا فتضرمها فتصير نارا، و قال الكلبي و عطاء: [2]تمطر السماء يومئذ نجوما، لايبقى نجم إلا وقع.

و لما بدأ بأعلام السماء لأنها أشهر و أعم تخويفا و إرهابا، و ذكر منها اثنين [هما ـ[1]] أشهر ما فيها و أعمها نفعا، أتبعها أعلام الأرض فقال مكررا للظرف لمزيد الاعتناء بالتهويل: ﴿و اذا الجبال﴾ أى التى هى فى العالم السفلى كالنجوم فى العالم العلوى، و هى[3] أصلب ما فى الأرض،

(١) زيد من م (٢) راجع معالم التنزيل ٧/١٧٧ (٣) من م، و فى ظ: هو.

و دل على عظمة القدرة بالبناء للمفعول فقال: ﴿سيرت ۝﴾ أى وقع تسييرها بوجه الأرض فصارت كأنها السحاب فى السير و الهباء فى النثر لتستوى الأرض فتكون قاعا صفصفا لا عوج فيها، لأن ذلك اليوم لا يقبل العوج فى شىء من الأشياء بوجه.

و لما ذكر أعلام الجماد، أتبعه أعلام الحيوان النافع الذى هو أعز أموال العرب و أغلبها على وجه دل على عظم الهول فقال: ﴿و اذا العشار﴾ أى النوق التى أتى على حملها عشرة أشهر، جمع عشراء مثل نفساء، و هى أحب أموال العرب إليهم و أنفسها عندهم لأنها تجمع اللحم و الظهر و اللبن و الوبر، روى أن النبى صلى الله عليه و سلم [مر-١] فى أصحابه بعشار من النوق حفل، فأعرض عنها و غض بصره فقيل له: يا رسول الله! هذا أنفس أموالنا، لم لا تنظر إليها؟ فقال: قد نهانى الله عن ذلك، ثم تلا "و لا تمدن عينيك إلى ما متعنا"- الآية. و لا يزال ذلك اسمها حتى تضع لتمام السنة ﴿عطلت ۝﴾ أى تركت[٢] مهملة كأنه لا صاحب لها مع أنها أنفس أموالهم، فكانت إذا بلغت ذلك أحسنت إليها و أعزتها و اشتد إقبالها عليها[٣]: و قالت: جاء خيرها من ولد و لبن، لأن الأمر، لاشتغال كل أحد بنفسه، أهول من أن يلتفت أحد إلى شىء و إن عز.

و لما[٤] ذكر المقرعات الدالات على إرادة أمر عظيم، قرب ذلك

(١) زيد من م (٢) من م، و فى ظ: عطلت (٣) من م، و فى ظ: اليها (٤) من م، و فى ظ: ان.

الأمر بافهام أنه الحشر ، و دل على عمومه بذكر ما يظن إهماله فقال : ﴿ و اذا الوحوش ﴾ أى دواب البر التى لا تأنس بأحد التى يظن انه لاعبرة بها و لا التفات إليها فما ظنك بغيرها ﴿ حشرت ۝ ﴾ أى بعثت و جمعت من كل أوب قهرا لإرادة العرض على الملك الأعظم و الفصل فيما بينها فى أنفسها[1] حتى يقتص للجماء من القرناء و بينها[2] و بين غيرها[3] أيضا حتى يسأل العصفور قاتله ، لم قتله ؟ قال قتادة[4] : يحشر كل شىء للقصاص حتى الذباب ـ انتهى . و لا يستوحش [الوحش ـ[5]] من الناس و لا الناس من الوحوش من شدة الأهوال ، و ذلك أهول و أفزع و أخوف و أفظع ، قال القشيرى : و لا يبعد أن يكون ذلك بايصال منافع إليها جوازا لا وجوبا كما قاله أهل البدع ـ انتهى . و كل شىء فى الدنيا يحضر فى تلك الدار ، فاذا وقع الفصل جعل الخبيث فى جهنم زيادة فى عذاب أهلها ، و الطيب فى الجنة زيادة فى نعيم أهلها .

و لما أفهم هذا الحشر ، ذكر ما يدل على ما ينال أهل الموقف من الشدائد من شدة الحر فقال : ﴿ و اذا البحار ﴾ أى على كثرتها ﴿ سجرت ۝ ﴾ أى فجر بعضها إلى بعض حتى صارت بحرا واحدا و ملئت[6] حتى كان ما فيها أكثر [7]منها و أحميت[7] حتى كان كالتنور التهابا و تسعرا [8]فكانت شرابا لأهل النار و عذابا عليهم ، و لا يكون هذا إلا وقد حصل

(١) من م ، و فى ظ : انفسهما (٢) من م ، و فى ظ : بينهما (٣) من م ، و فى ظ : غيرهما (٤) راجع البحر المحيط ٨/٤٣٢ (٥) زيد من م (٦) من م ، و فى ظ : غلت (٧ ـ ٧) من م ، و فى ظ : منها و احمست (٨) و من هنا يستأنف الأصل .

من الحرما يذيب الأكباد .

و لما ذكر من الآيات العلوية من عالم الملك اثنين و من السفلية أربعة ، فأفهم جميع الخلق[1] أن الأمر فى غاية الخطر فتشوفت النفوس[2] / إلى ما يفعل ، قال ذاكرا لما أراد من عالم الغيب و الملكوت ، و هو[3] / ٦٧٩ أمور ستة على عدد ما مضى من عالم الملك و الشهادة ترغيبا فى الأعمال الصالحة و القرناء الصالحين لئلا يزوج بما يسوءه و ابتدأ بما يناسب تكوير الشمس : ﴿ و اذا النفوس ﴾ أى من كل ذى نفس من الناس و غيرهم ﴿زوجت﴾ أى قرنت بأبدانها و جمع[4] كل من الخلق إلى ما كانت نفسه تألفه و تنزع إليه ، فكانوا أصنافا كما قال تعالى "احشروا الذين ظلموا و ازواجهم [5]و ما كانوا يعبدون من دون الله[5]، و التفاف[6] الأزواج كالتفاف[7] الشمس حتى يذهب نورها .

و لما صرح الأمر فكانت القلوب أحر من الجمر ، ذكر ما هو المقصود الأعظم و هو السؤال على وجه يفهم العموم فقال : ﴿و اذا المؤدة﴾ أى ما دفن من الأولاد حيا بعد الولادة أو حصل تسبب فى قتله قبل الولادة بدواء و نحوه ، سميت مؤدة لما يوضع عليها من التراب

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : النفس (٣) من ظ و م . وفى الأصل : هى (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : جميع (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : التفات (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : كالتفات .

فيثقلها فيقتلها[١] "وأدا" مقلوب "آدا" إذا أثقل، و إلقاؤها فى البئر المحفور[٢] لها قريب من انكدار النجوم[٣] و تساقطها . و لما كان هذا أهون القتل عندهم، و كانوا يظنون أنه مما لا عبرة به، بين أنه معتنى به و أنه لابد من بعثها و جعلها بحيث تعقل و تجيب و إن كان نفخ[٤] الروح فيها فى زمن يسير فقال: ﴿سئلت﴾ أى وقع سؤالها عما يليق أن تسأل عنه، ثم قيل على طريق الاستئناف تخويفا للوالدين: ﴿باى﴾ أى [٥]بسبب أى[٥] ﴿ذنب﴾ [يا-[٦]] أيها الجاهلون ﴿قتلت﴾ أى استحقت به عندكم القتل و هى [لم-[٧]] تباشر[٧] سوءا لكونها لم تصل إلى حد التكليف، فما ظنك بمن هو فوقها و بمن هو جان، و سؤالها هو على وجه التبكيت لقاتلها، فان العرب كانت تدفن البنات أحياء مخافة الإملاق أو لحوق العار بهن، و يقولون: نردها إلى الله هو أولى بها، فلا يرضون البنات لأنفسهم و يرضونها لخالقهم، و كان فيهم من يتكرم عن[٨] ذلك[٩] و من يفدى المؤدات و يربيهن، و ليس فى الآية دليل على تعذيب أطفال الكفرة و لاعدمه، فان الكافر الذى يستحق

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فيقلبها (٢) من م، و فى الأصل و ظ: المفحو (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الشمس (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: فيها الروح (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: الى سبب واى (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: تباشرها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: على (٩) زيد فى الأصل: و يفدى الموودات، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

الخلود قد يكون مستأمنا فلا يحل قتله ، و الأطفال ما[1] عملوا ما يستحقون به القتل ، و يؤخذ من سؤال المؤدة تحريم الظلم الكل [أحد -[2]] وكف اليد و اللسان عن كل إنسان .

و لما دل هذا على عموم السؤال ، ذكر ما ينشأ عنه مما يدل على النعيم أو النكال فقال : ﴿ و اذا الصحف ﴾ اى الأوراق التى كتبت فيها ٥ أعمال العباد ﴿نشرت ۝﴾ أى فرقت مفتحة تفتيحا عظيما على اربابها[3] بأيسر أمر فتأتى السعيد فى يمينه من تلقاء وجهه على وجه يكون فيه بشارة له ، و تأتى الشقى من وراء ظهره و فى شماله بعد أن كانت [طويت -[2]] عند موته ، و نشرها مثل تسيير الجبال و تطايرها ، فمن اعتقد أن صحيفته[4] ثابتة فترديه / أو تنجيه لم يضع[5] فيها إلا حسنا من قول أو عمل أو اعتقاد. ١٠ / ٦٨٠

و لما ذكر ما يطلق و ينشر ، اتبعه ما يطوى و يحصر ، ليبدو ما فوقه من العجائب و ينظر ، فقال : ﴿و اذا السمآء﴾ اى هذا الجنس كله ، أفرده لأنه يعلم بالقدرة على بعضه القدرة على الباقى ﴿ كشطت ۝﴾ أى قلعت بقوة عظيمة و سرعة زائدة و أزيلت عن مكانها التى هى ساترة له محيطة به ، أو عن الهواء المحيط بسطحها الذى هو كالروح لها كما ١٥ يكشط الإهاب عما هو ساتر له و محيط به مع شدة الالتزاق [به -[2]] لأن ذلك يوم[6] الكشف و الإظهار "فكشفنا عنك غطاءك" و كشطها

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لم يكونوا (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ادبارها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ضيعته (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لم يضيع (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هو .

هو مثل انكشاف الناس عن العشار و تفرقهم عنها ، فمن اعتقد زوالها أعرض عن ربط همته بشيء منها و ناط[1] أموره كلها بربها .

و لما زالت الموانع ظهرت عجائب الصنائع التى هى غايات المطالب، و نهايات الرغائب و الرهائب، فقال : ﴿ و اذا الجحيم ﴾ أى النار الشديدة التأجج و التى بعضها فوق بعض و العظيمة فى مهواة عميقة ﴿سعرت ۝ ﴾ أى أوقدت إيقادا شديدا بأيسر أمر و قربت من الكافرين بغاية السرعة ، فكان الأمر فى غاية العسر ، و ذلك قريب من نتيجة ما يحصل من الهول من حشر الوحوش .

و لما ذكر دار الأعداء البعداء ترهيبا ، أتبعه دار المقربين السعداء ترغيبا، فقال : ﴿ و اذا الجنة ﴾ أى البستان ذو[2] الأشجار الملتفة و الرياض المعجبة ﴿ازلفت ۝ ﴾ أى قربت من المؤمنين و نعمت ببرد العيش و طيب المستقر ، و درجت درجاتها و هيئت ، و ملئت حياضها[3] و مصانعها ، و زينت صحافها و نظفت أرضها و طهرت عن كل ما يشين ، و حسنت رياضها بكل ما يزين ، من قول أهل اللغة : الزلف ـ محركة : القربة و الدرجة و الحياض الممتلئة و [الزلفة ـ[4]] : المصنعة الممتلئة و الصحفة و الأرض المكنوسة ، و الزلف ـ بالكسر : الروضة ، و معنى هذا ضد سجر البحار ، فالآية من الاحتباك : ذكر التسعير[5] أولا دال[6] على ضده فى الجنة ثانيا ،

(١) من ظ ، و فى الأصل و م : مناط (٢) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : حيضانها (٤) زيد من م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : السعير (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : دلالة .

و ذكر

و ذكر التقريب ثانيا دال[1] على مثله أولا .

و لما كانت هذه الأشياء لهولها موجبة لاجتماع الهم و صرف الفكر عما يشغله من زينة أو لهو او لعب أو سهو ، فكان موجبا للعلم بما يرجى نعيما أو يوجب جحيما ، و كان ذلك [موجبا -[2]] لتشوف السامع إلى ما يكون ، قال تعالى كاشفا تلك النعمة بالعامل فى "اذا" و ما ٥ عطف عليها : ﴿علمت نفس﴾ أى كل واحدة من النفوس ، فالتنكير فيه مثله فى « ثمرة[3] خير من جرادة » و دلالة هذا السياق المهول على ذلك يوجب اليقين فيه ﴿ما﴾ أى كل شىء ﴿احضرت[4]﴾ [اى -[2]] عملت[4] و أوجدت ، فكان أهلا للحضور ، و كان عمله لها سببا لإحضار القدير إياه لها فى ذلك اليوم محفوظا لم يغب عنه منها ذرة من خيره و شره ، ١٠ فلأجل[5] ذلك كان لكل أمرئ شأن يعنيه ، فانه لابد أن يكون فى أعماله ما [لا -[2]] يرضيه و ما يستصغره عن حضرة العلى الكبير ، فمن اعتقد ذلك رغب / فى أن لا يحضر إلا ما يسره ، و رهب فى إحضار ما يسوءه / ٦٨١ فيضره ، و جميع هذه الأشياء الاثنى عشر المعدودة المذكورة فى حيز "إذا" فى الآخرة بعد النفخة الثانية على ما تقدم فى الحاقة أنه الظاهر ، ١٥ و أنه رواية عن ابن عباس رضى الله عنهما ، لأن التهويل بعد القيام انسب ، و أدخل [فى -[2]] الحكمة و أغرب .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما قال سبحانه " فاذا جاءت

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : دلالة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عسره - كذا (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : علمت (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : فلكل .

الصاخة يوم يفر المرء من اخيه" - الآيات إلى آخر السورة، كان مظنة لاستفهام السائل عن الوقوع و متى يكون؟ فقال[1] تعالى "اذا الشمس كورت" و وقوع تكوير الشمس و انكدار النجوم و تسيير الجبال و تعطيل العشار كل ذلك متقدم على فرار المرء من أخيه و أمه و أبيه - إلى ما ذكر إلى آخر السورة لاتصال ما ذكر فى مطلع سورة التكوير بقيام الساعة، فيصح أن يكون أمارة للأول و علما [عليه -[2]] - انتهى.

و لما كان السياق للترهيب، و كان الأليق بآخر عبس أن يكون للكفرة، و كان أعظم ما يحضره الكفرة من أعمالهم بعد الشرك التكذيب[3] بالحق، و أعظمه التكذيب بالقرآن، و ذلك التكذيب هو الذى جمع الخزى كله للمكذب به فى قوله "قتل الإنسان ما اكفره" الذى السياق كله له، و إنما استحق المكذب به ذلك لأن التكذيب به يوقع فى كل حرج مع أنه لا شىء أظهر منه فى أنه كلام الله لما له من الرونق و الجمع للحكم و الأحكام و المعارف التى لا يقدر على جمعها على ذلك الوجه و ترتيبها ذلك الترتيب إلا الله، ثم وراء ذلك كله أنه معجز، سبب عن هذا التهديد قوله مقسما بما دل على عظيم قدر المقسم عليه بترك الإقسام بأشياء هى من الإجلال و الإعظام فى أسنى مقام: ﴿فلآ اقسم﴾ اى لأجل حقية[4] القرآن لأن الامر فيه غنى عن قسم لشدة ظهوره و انتشار نوره، و لذلك أشار إلى عيوب تلحق هذه

(١) من م، و فى الأصل و ظ: قال (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: للتكذيب (٤) من ظ و م، و فى الأصل: حقيقة.

الأشياء التى ذكرها و القرآن منزه عن كل شائبة نقص ، لأنه كلام الملك الأعلى فقال: ﴿بالخنس ۝﴾ أى الكواكب التى يتأخر طلوعها عن طلوع الشمس فتغيب فى النهار لغلبة ضياء الشمس لها ، و هى النجوم ذوات الأنواء التى[1] كانوا يعظمونها بنسبة الأمطار و الرحمة - التى ينزلها الله - إليها[2]، قالوا : و هى القمر فعطارد فالزهرة فالشمس فالمريخ فالمشترى فزحل، ٥ و قد نظمها بعضهم متدليا[3] فقال :

زحل اشترى[4] مريخه من شمسه فتزهرت[5] لعطارد أقمار[6]

ثم أبدل منها أعظمها فقال: ﴿الجوار الكنس ۝﴾ أى السيارة التى تختفى[7] و تغيب بالنهار تحت ضوء الشمس ، من كنس الوحش - إذا دخل كناسه و هو بيته المتخذ من أغصان الشجر ، و قال الرازى : يكنس و يستتر[8] ١٠ العلوى منها بالسفلى / عند القرانات كما تستتر الظباء فى الكناس ، و قال / ٦٨٢ قتادة[9] : تسير[10] بالليل و تخنس[7] بالنهار فتخفى و لاترى ، و روى ذلك أيضا عن على رضى الله تعالى عنه ، قال البغوى[9] : و أصل الخنوس الرجوع

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اليه .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مدليا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : شرى.
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فتزاهرت (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الاقار (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : تخفى (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : يستر (٩) راجع المعالم ١٧٨/٧ (١٠) فى المعالم : تبدو .

[إلى -[1]] وراء و الكنوس أن تأوى إلى مكانسها[2]. و قال القشيرى : إن ذلك غروبها ، و إنما نفى الإقسام [بها -[3]] لأنها و إن كانت عظيمة فى أنفسها[4] بما ناط بها سبحانه من المصالح و أنتم تعظمونها و تغلون فيها لأن فيها نقائص الغيبوبة [و -[1]] انبهار النور ، و القرآن المقسم[5] لأجله منزه عن ذلك ، بل هو الغالب على كل ما سواه من الكلام [غلبة -[1]] هى أعظم من غلبة ضياء الشمس النور ما سواها من الكواكب ، فلذلك لايليق أن يقسم بها لأجله .

و لما ذكر غيابها ففهم[6] منه محله و هو النهار ، ذكر محل[7] ظهورها فأفهم الظهور فقال : ﴿ و الّيـــل ﴾ أى الذى هو محل ظهور النجوم و زوال خنوسها و ذهاب كنوسها ﴿اذا عسعس ۝﴾ أى أقبل ظلامه ، و اعتكر سواده و قتامه ، فظهرت الكواكب زهرا منثورا فى بيداء تلك الغياهب ، فان فيه نقصانا بالظلام و غير ذلك من الأحكام ، و قيل : معناه أدبر ، و قيل : أظلم . و قيل : انتصف ، و قيل : انقضى ، و سعسع بمعناه فهو ما لا يستحيل بالانعكاس ، و الآية من الاحتباك : ذكر خنوس الكواكب و كـــنوسها أولا يفهم ظهورها ثانيا ، و ذكر الليل ثانيا يفهم حذف النهار أولا .

---

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مكانها (٣) زيد من ظ و م .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نفسها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : القسم .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فتهم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : محله .
(٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بمعنا .

و لما

و لما كان ربما ظن ظان[1] أن ما نقص بالظلام عن صلاحية الإقسام يتأهل ذلك بزواله، قال نافيا لذلك: ﴿و الصبح﴾ أي الذي هو أعدل أوقات النهار ﴿اذا تنفس[2]﴾ أي أضاء و أقبل روحه و نسيمه، و أنسه و نعيمه، و اتسع نوره، و انفرج به عن الليل ديجوره، [3]و ذلك[3] بعد [3]إقبال الليل[3] ثم إدباره أي لا أقسم به لأنه و إن كان ذا نور و نعمة و حبور و بهجة و سرور فان ذلك يتضاءل عن نور القرآن، و ما فيه من النعيم و الرضوان، «و أين الثريا من يد المتناول» على أن تنفسه بالبرد و اللطافة تنسخه الشمس بالحر و الكثافة، و تنفس القرآن بنفحات القدس و نعيم المواعظ و الأنس لاينسخه شيء.

و لما بين [أن -[4]] هذه الأشياء -التي لولاها لما طاب لهم عيش و لاتهنأوا بحياة، و هي من الفضل بحيث لا يعلمه إلا خالقها- تصغر عن أن يقسم بها على شيء من فضائل القرآن لما له من عظيم الشأن الذي لايطيق التعبير [عنه -[4]] البيان، و يتضاءل دونه اللسان، قال مجيبا لذلك إخبارا عما هو محقق في نفس الأمر أعظم من تحقق هذه الأشياء المقسم بها، هادٍ إلى مصالح الدارين أكثر من هدايتها، مبينا [5]للسفيرين به[5] الملكي و البشري عليهما الصلاة و السلام و التحية و الإكرام مؤكدا لما يستحقه السياق كما[6] يستحقه [7]مع ما[7] لهم من الإنكار تنبيها على ضعف عقولهم / ٦٨٣

(١) سقط من ظ و م (٢-٢) من ظ، و في الأصل و م: ثم (٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: اقباله (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، و في الأصل: للفسيرين بها (٦) من ظ و م، و في الأصل: مما (٧-٧) من ظ و م، و في الأصل: لما.

و عظيم سفههم بعد ان اقسم بثلاثة اقسام، فان نفى الإقسام [بها - بما ذكر من نقائصها - كالإقسام -[1]] بها مع بيان [أن -[1]] المقسم عليه أعظم منها بما لايقايس[2]: ﴿ انه ﴾ أى هذا الذكر الذى تقدم فى عبس بعض ما يستحق[3] من الأوصاف الجميلة و النعوت الجليلة ﴿ لقول رسول ﴾ ٥ و هو جبريل عليه الصلاة و السلام نحن أرسلناه به الى خير خلقنا و جعلناه بريدا بيننا و بينه لاقتضاء الحكمة ذلك، و هى[4] أن يكون خلاصة الخلق ذا جهتين: واحدة ملكية يتلقى بها من الملائكة عليهم السلام لكون غيره من البشر لايطيق ذلك، و أخرى بشرية يتلقى بها منه المبعوث إليهم، و من المعلوم أن الرسول انما وظيفته تبليغ[5] ما أرسل ١٠ به فهو سفير محض، و الذى أوحاه و إن كان قوله لكونه نطق به و بلغه من غير مشاركة شيطان و لا غيره هو قول الله من غير شك لكونه معبرا عن الصفة القديمة النفسية، و لو كان قول الرسول مستقلا [به -[6]] لما كان لوصفه[7] بالرسالة مدخل فما كانت البلاغة تقتضى ذكره[8] بالوصف.

و لما بين بوصف الرسالة أنه ليس بقوله إلا لكونه مرسلا به ١٥ و مبلغا له، و أنه فى الحقيقة قول من أرسله، وصفه بما أفهمه الوصف بما يوجب حفظه من غير تحريف ما ولا تغيير أصلا بوجه من الوجوه،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لايقاس (٣) من ظ و م، و فى الأصل: تقدم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بتبليغ (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: وصفه. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: ذكر.

و ذلك ببيان منزلته عند الله و وجاهته و بيان قدره و نفوذ كلمته فقال :

﴿ كريم ﴾ أى انتفت عنه[1] وجوه المذام كلها و ثبتت له وجوه المحامد كلها ، فهو جواد شريف النفس ظاهر عليه معالى الأخلاق برىء من أن يلم شىء [من اللوم - [2]] بساحته ، فلذلك هو يفيض[3] الخيرات باذن ربه على من أمر به من العالمين ، فيؤدى ما أرسل به كما هو لقيامه بالرسالة ٥ قيام الكرام فلم يغير فيها شيئا أصلا[4] و لا فرّط حتى يمكن غيره ان يحرف أو يغير ، و الكرم اجتماع كمالات الشىء اللائقة[5] به .

و لما اقتضى هذا القوة ، صرح به تأكيدا فقال : ﴿ ذى قوة ﴾ أى على [ضبط -[2]] ما أرسل به بنفسه و على المدافعة للغير عن أن يدخل فيه شيئا من نقص ، و أكد القوة بقوله : ﴿عند ذى العرش﴾ أى الملك الأعلى ١٠ المحيط عرشه بجميع الأكوان الذى لا عندية فى الحقيقة إلا له ﴿مكين﴾ أى بالغ المكنة عنده[6] عظيم المنزلة جدا بليغ فيها فهو بحيث لا يتأتى منه تفريط ما فى إبلاغ شىء مما أرسل بـه لأنه لا يغيره الأحوال و لا يعمل فيه تضاد الشهوات ، لأنه لا شهوة[7] له إلا ما يأمر[8] به مرسله سبحانه و تعالى . ١٥

(١) وقع فى الأصل بعد « كلها » والترتيب من ظ و م (٢) زيد من ظ و م . (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مفيض (٤) سقط من م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : اللائق (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : عند (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : شىء (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : يامره .

و لما كان المتمكن فى[1] نفسه قد لا يكون له اعوان، قال: ﴿مطاع ثم﴾ أى فى الملأ[2] الأعلى فهم عليهم السلام أطوع شىء له، قال الحسن: فرض الله على أهل السماوات طاعة جبريل عليه الصلاة و السلام كما فرض على أهل الأرض طاعة محمد صلى الله عليه و سلم. / و لما كان ٦٨٤/
٥ ذلك يقتضى الأمانة، صرح بها فقال: ﴿امين﴾ أى بليغ[3] الأمانة فهو مصدق القول مقبول الأمر موثوق به فى أمر الرسالة و إفاضة العلوم على القلوب روحانى مطهر جوهرا و فعلا و حالا، و من كان بهذه الصفات[4] العظيمة كان بحيث لا يأتى إلا فى أمر مهم جدا لأن الملوك لا يرسلون خواصهم [إلا -[5]] فى مثل ذلك، و لذلك ائتمنه الله تعالى
١٠ على رسالته.

و لما وصف السفير الملكى و هو جبريل عليه الصلاة و السلام بهذه الصفات الخمس التى أزالت عن القرآن كل لبس، و كان وصفه بها إنما هو لأجل إثبات شرف الرسول البشرى الذى هو بين الحق و عامة[6] الخلق، و هو النبى صلى الله عليه و سلم بأن ما يقوله كلام الله حقا، و كانوا
١٥ يصفونه بما هو فى غاية النزاهة عنه و هم يعلمون ذلك، أبطله مبكتا لهم بالكذب و موبخا بالبلادة بقوله زيادة فى شرفه حيث كان هو المدافع عنه: ﴿و ما صاحبكم﴾ أى الذى طالت صحبته لكم و أنتم تعلمون أنه

(١) من ظ و م، و فى الأصل: من (٢) من م، و فى الأصل و ظ: ملا.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: بالغ (٤) من م، و فى الأصل و ظ: الصفة.
(٥) زيد من ظ و م (٦) فى ظ: خاصة.

فى

فى غاية الكمال حتى أنه ليس له وصف عندكم الا الأمين، و أعرق فى النفى فقال: ﴿بمجنون﴾ أى كما تبهتونه به من غير استحياء من الكذب الظاهر مع ظهور التناقض فعل ألام اللئام، بل جاء بالحق و صدق المرسلين، فما القرآن الذى يتلوه عليكم قول مجنون و لا [قول - [1]] متوسط فى العقل بل قول أعقل العقلاء و أكمل الكملاء[2]، و هذا النفى المؤكد ثابت له دائما على سبيل الاستغراق لكل زمان - هذا ما دل عليه الكلام لا ما[3] قال الزمخشرى أنه يدل على أفضلية[4] جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه و سلم و على بقية الملائكة، فانه ما سيق لذلك ولا هو و الله مما رضى جبريل عليه السلام، قال الأصبهانى هنا: هـذا يدل على فضله [5]و أما أنه يدل[5] على أنه أفضل من جميع الملائكة و من محمد صلى الله عليه و سلم فلا يمكنه، و قال فى قوله تعالى فى البقرة "و ملائكته و رسله": و لم يلزم من تقديم الملائكة فى الذكر تفضيلهم[6] على الرسل، و أما تقديم جبريل على ميكائيل فليس ببعيد أن يكون للشرف كما أن تخصيصهما بالذكر لفضلهما، و قال فى النجم: ثم دنى جبريل من ربه عز و جل، و هذا قول مجاهد يدل عليه ما روى فى الحديث «إن أقرب الملائكة إلى الله عز و جل جبريل عليه السلام» - انتهى. و لو صح هذا الحديث

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ، و فى الأصل و م: الكملة (٣) من ظ و م، و فى الأصل: كما (٤) من ظ و م، و فى الاصل: فضيلة - كذا (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: اما وانه يدخل (٦) زيد فى الأصل: على تقديمهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

لكان فيه كفاية لكن لم اجده اصلا . و قال الأصبهانى فى[1] عم فى قوله[2] "يوم يقوم الروح" عن ابن عباس رضى الله عنهما : هو أعظم الملائكة خلقا و أشرف منهم ، و أقرب من رب العالمين ـ انتهى ، فهذا كما ترى صريح فى تفضيل الروح ، و قال السهيلى فى غزوة بدر من كتابه الروض[3]: ٦٨٥ / ٥ / و نزل جبريل عليه السلام بألف من الملائكة فكان فى خمسمائة فى الميمنة ، و ميكائيل عليه السلام فى خمسمائة فى الميسرة ، و وراءهم مدد من الملائكة لم يقاتلوا و هم الآلاف المذكورون فى سورة آل عمران ، و كان اسرافيل عليه السلام وسط الصف لايقاتل كما يقاتل غيره من الملائكة عليهم الصلاة و السلام ـ [انتهى ـ[4]] . و هذا يدل على شرف إسرافيل ١٠ عليه السلام لأن موقفه موقف رئيس القوم و فعله فعله ـ و الله أعلم .

و لما كان المجنون لايثبت ما يسمعه[5] و لا ما يبصره حق الإثبات ، فكان التقدير بعد هذا النفى : فلقد سمع من رسولنا اليه ما أرسل به حق السمع ، ما التبس عليه [فيه ـ[4]] حق بباطل ، عطف [عليه ـ[4]] الإخبار برفعة شأنه فى رؤية ما لم يره [غيره ـ[4]] و أمانته وجوده فقال : ١٥ ﴿ و لقد رآه ﴾ أى المرسل اليه و هو جبريل عليه الصلاة و السلام على[6] صورته الحقيقية ليلة المعراج و بعرفات ، جامعا الى حس السمع حس البصر ﴿ بالافق المبين ج ﴾ أى الأعلى الذى هو عند سدرة المنتهى ، حيث

(١) زيد فى الأصل : سورة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) سقط من ظ و م (٣) راجع ٢/٩١ (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : معه (٦) من ، و فى الأصل و ظ : فى .

لا يكون لبس أصلا، و لا يكون لشيطان على ذلك المكان سبيل فعرفه حق المعرفة، و قال البيضاوى[1]: بمطلع الشمس الأعلى - يعنى[2] و هو مشرق الأنوار، و الأفق: الناحية التى تفوق و تعلو.

و لما انتفى ما يظن من لبس السمع و زيغ البصر، لم يبق إلا ما يتعلق بالتأدية فنفى ما يتوهم من ذلك [بقوله -[3]]: ﴿و ما﴾ أى[4] سمعه و رآه و الحال أنه ما ﴿هو على الغيب﴾ أى الأمر الغائب عنكم فى النقل عنه و لا فى غيره من باب الأولى ﴿بظنين ج﴾ أى بمتهم، من الظنة و هى التهمة، كما يتهم الكاهن لأنه يخطئ فى بعض ما يقول، فهو حقيق بأن يوثق بكل بشىء يقوله فى كل أحواله، هذا فى قراءة ابن كثير و أبى عمرو و الكسائى و رويس عن يعقوب بالظاء، و المعنى فى قراءة الباقين [بالضاد -[3]]: ببخيل كما يبخل الكاهن رغبة فى الحلوان، بل هو حريص على أن يكون كل من أمته عالما بكل ما أمره الله تعالى[5] بتبليغه.

و لما أثبت له الأمانة و الجود بعد أن نفى عنه ما بهتوه به، و كان الجنون أظهر من قول المجنون لأن بعض المجانين ربما تكلم الكلام

(١) راجع أنوار التنزيل ص: ٧٨٦ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بمعنى (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل و ظ: وما، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها. (٥) زيد فى الأصل و ظ: به من و، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها.

المنتظم فى [بعض -[1]] الأوقات فنفاه لذلك، و كان قول الكاهن أظهر من الكهانة، نفى القول فقال: ﴿ و ما هو ﴾ اى القرآن الذى من جملة معجزاته الإخبار بالمغيبات، و أعرق فى النفى بالتأكيد بالباء فقال: ﴿بقول شيطن﴾ . و لما كان الشيطان[2] لاينفك عن الطرد لأن اشتقاقه من شطن و شاط، و ذلك يقتضى البعد[3] و الاحتراق، وصفه بما هو لازم له فقال: ﴿رجيم﴾ اى مرجوم باللعن و غيره من الشهب لأجل استراق السمع مطرود عن ذلك، لأن القائل له ليس بكاهن كما تعلمون، و بقى مما قالوه السحر و هو لا يحتاج إلى نفيه / لأنه ليس بقول، بل هو فعل صرف او قول مقترن به، و الأضغاث و هى لذلك واضحة العوار[4] فلم يعدها، فمن علم هذه الأوصاف للقرآن و الرسولين الآتيين به الملكى و البشرى أحبه و أحبهما، و بالغ فى التعظيم و الإجلال، و أقبل على تلاوته فى كل اوقاته، و بالغ فى السعى فى كل ما يأمر به و الهرب مما ينهى[5] عنه، ليحصل له الاستقامة رغبة فى مرافقة من اتى به و رؤية من أتى من عنده .

/٦٨٦

و لما لم يدع وجها يلبس به على من لايعرف حاله صلى الله عليه و سلم، سبب عنه قوله موبخا منكرا: ﴿فاين تذهبون﴾ أى بقلوبكم عن

(١) زيد من م (٢) من م، و فى الأصل و ظ : شيطان (٣) زيد فى الأصل و ظ : كله، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥) من م، و فى الأصل و ظ : نهى .

هنا

هذا الحق المبين يا اهل مكة المدعين لغاية الفطنة و قد علمتم هذا الحفظ العظيم فى الرسولين الملكى و البشرى فمن [أين-[1]] يأتى ما تدعون من التخليط[2] فى هذا الكتاب العظيم الذى دل على حفظه ببرهان عجزكم عن معارضة شيء منه؟ و هو[3] استضلال لهم و استجهال على أبلغ وجه فى كل ما كانوا ينسبونه إليه[4] بحيث صار ضلالهم[5] معروفا لا لبس فيه . ٥

و لما كان الحال قد صار فى الوضوح الى أنه إذا نبه صاحبه بمثل هذا القول نظر أدنى نظر، فقال من غير وقفة[6]: لا أين، قال: ﴿ان﴾ أى ما ﴿هو﴾ أى القرآن الذى أتاكم به ﴿الا ذكر للعلمين﴾ أى شرف للخلق كلهم من الجن و الإنس و الملائكة و موعظة بليغة عظيمة لهم . و لما تشرف[7] الوجود كله باظهاره فيه نوع تشرف[7]، أطلق هذه ١٠ العبارة . و لما كان الذى ثم شرفه المهتدى، فكان الوعظ و الشرف إنما هو له فى الحقيقة [قال]: ﴿لمن شآء منكم﴾ أى أيها المخاطبون[8] ﴿ان يستقيم﴾ أى يطلب القوم و يوجده .

و لما كان ذلك ربما تعنت به المتعنت فى خلق الأفعال، قال نافيا

(١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل وظ : و قد عجزتم ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : فى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : له (٥) تكرر فى الأصل فقط (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : واقفة (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : تشوف (٨) زيد فى الأصل : كلهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

لاستقلالهم و مثبتا للكسب : ﴿و ما تشآءون﴾ اى أيها الخلائق الاستقامة ﴿الآ ان يشآء الله﴾ أى الملك الأعلى الذى لا حكم لأحد سواه مشيئتكم، و إن لم يشأها لم تقدروا على مشيئة ، فادعوه مخلصلين له الدين يشأ[٢] لكم ما يرضيه فيوفقكم إليه، و عن وهب بن منبه أنه قال: الكتب التى أنزلها الله [٣]على الأنبياء[٤] عليهم الصلاة و السلام بضع و تسعون[٥] كتابا قرأت منها بضعا [و ثمانين -[٥]] كتابا فوجدت فيها: من جعل إلى نفسه شيئا من المشيئة فقد كفر - انتهى . و من تأمل هذه الآية أدنى تأمل علم أن كلام المعتزلة بعدها فى القدر دليل على أن الإنسان إذا كان له هوى لايرده شيء أصلا "و من يضلل الله فما له من هاد" .

و لما وصف نفسه سبحانه بأنه لا يخرج شيء عن أمره، اتبع ذلك الوصف بما هو كالعلة لذلك فقال: ﴿رب العلمين ع﴾ أى الموجد [٦]لهم و المالك[٦] و المحسن اليهم و المربى لهم و هو أعلم بهم منهم، فلاجل ذلك لايقدرون إلا على ما قدرهم[٧] عليه ، و يجب على كل منهم [طاعته و -[٥]] الإقبال بالكلية عليه سبحانه و تعالى و شكره استمطارا [للزيادة - [٥]] ، فلهذه الربوبية صح تصرفه فى الشمس / و ما [٨]تبعها مما[٨] ذكر

(١) زيد فى ظ : الله (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يشاكم (٣-٣) من م ، و فى الأصل و ظ : عليهم (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ستون (٥) زيد من ظ و م (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : والمالك لهم (٧-٧) من ظ و م ، و فى الاصل : معها .

أول السورة لإقامة الساعة لأجل حساب الخلائق، و الإنصاف بينهم بقطع كل العلائق، كما يفعل كل رب مع من يربيه فكيف بأحكم الحاكمين و أرحم الراحمين! فقد التقى طرفاها على أشرف الوجوه و أجلاها، و انتظم أول الانفطار بما له من بديع الأسرار، فالتكوير كالانشقاق و التفطير، و الانكدار مثل التساقط و الانتشار، (١و الله سبحانه هو ٥ أعلم بالصواب١).

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

سورة الانفطار[1]

مقصودها التحذير من[2] الانهماك فى الأعمال السيئة اغترارا باحسان الرب و كرمه و نسيانا ليوم الدين الذى يحاسب فيه على النقير و القطمير، ولا تغنى فيه نفس عن نفس شيئا، و اسمها الانفطار ادل ما فيها على ذلك ٥ ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الجلال كما أن له[3] الجمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بالرحمة ليشكر فغر ذلك أهل الضلال ﴿ الرحيم ۞ ﴾ الذى خص من اراد بالتوفيق لما يرضى من الخصال .

لما ختمت[4] التكوير بأنه سبحانه لا يخرج شيء عن مشيئته و أنه موجد الخلق و مدبرهم، و كان من الناس من يعتقد أن هذا العالم هكذا ١٠ بهذا الوصف لا آخر له « أرحام تدفع و أرض تبلع و من مات فات و صار إلى الرفات و لا عود بعد الفوات » افتتح الله سبحانه هذه بما يكون مقدمة لمقصود التى قبلها من أنه لابد من نقضه لهذا العالم و إخرابه ليحاسب الناس فيجزى كلا منهم من المحسن و المسيء بما عمل فقال : ﴿ اذا السمآء ﴾ أى على شدة إحكامها و اتساقها و انتظامها ﴿ انفطرت[5] ۞ ﴾

(١) الثانية والثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ١٩ .
(٢) من م . و فى الأصل و ظ : عن (٣) زيد فى الأصل و ظ : الكمال و ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : سورة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : افتح .

أى

اى[1] انشقت شقوقا افهم سياق التهويل انه صار [2]لبابها اطراف[2] كثيرة فزال ما كان لها من الكرية الجامعة للهواء الذى الناس فيه كالسمك فى الماء، فكما أن الماء إذا انكشف عن الحيوانات البحرية هلكت[3]، كذلك يكون الهواء مع الحيوانات البرية، فلا تكون [حياة -[4]] إلا ببعث جديد و نقل عن هذه الأسباب، ليكون الحساب بالثواب و العقاب. ٥

و لما كان يلزم من انفطارها وهيها و عدم إمساكها لما أثبت بها ليكون ذلك أشد تخويفا لمن تحتها بأنهم يترقبون كل وقت سقوطها أو سقوط طائفة منها فوقهم فيكونون[5] بحيث لا يقرلهم قرار، [قال -[4]]: ﴿و اذا الكواكب﴾ أى النجوم الصغار و الكبار كلها الغراء الزاهرة المتوقدة توقد النار المرصعة / ترصيع المسامير فى الأشياء المتماسكة التى در الله ١٠ / ٦٨٨ فى دار الأسباب بها الفصول الأربعة و الليل و النهار، و غير ذلك من المقاصد الكبار، و كانت محفوظة بانتظام السماء ﴿انتثرت ۝﴾ أى تساقطت متفرقة كما يتساقط الدر من السلك اذا انقطع تساقطا كأنه لسرعته لا يحتاج إلى فعل فاعل لقوة تداعيه إلى التساقط.

و لما كان إخباره بما دل على وهى السماء [مشعرا -[4]] بوهى ١٥ الأرض لأنها أتقن منها و أشرف إذ هى للأرض بمنزلة الذكر للأنثى،

(١) زيد فى الأصل: انفسفت و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ: لابوابها اطراف (٣) من م، و فى الأصل و ظ: ملكت (٤) زيد من ظ و م (٥) من م، و فى الأصل و ظ: فيكون.

و كان الانفعال[1] ربما أوهم ان ذلك يكون بغير[2] فاعل، صرح بوهى الأرض معبرا بالبناء للمفعول دلالة على أن الكل بفعله، و أن ذلك عليه يسير، فقال مخبرا بانفطار الأراضى أيضا ليجمع بين التخويف [بالمطل -[3]] و الترويع بالمقل: ﴿و اذا البحار﴾ المتفرقة[4] فى الأرض و هى[5] ضابطة لها اتم ضبط لنفع العباد على كثرتها ﴿فجرت ۝﴾ أى تفجيرا كثيرا بزوال[6] ما بينها من البرازخ الحائلة. و قال الربيع[7]: بفيضها و خروج مائها عن حدوده فاختلط بعضها ببعض من ملحها و عذبها فصارت بحرا واحدا. فصارت الأرض كلها ماء و لاسماء و لا أرض فأين المفر.

و لما كان ذلك متقضيا لغمر القبور فاوهم أن أهلها لا يقومون كما كان[8] العرب يعتقدون أن من مات فات، قال دافعا لذلك على نمط كلام القادرين إشارة إلى سهولة ذلك عليه: ﴿و اذا القبور﴾ أى مع ذلك كله ﴿بعثرت ۝﴾ أى نبش ترابها على أسهل وجه عن أهلها فقاموا أحياء كما كانوا، فرأوا[9] ما أفظعهم و هالهم و روّعهم.

و لما كانت هذه الشروط كلها التى جعلت أشراطا[10] على الساعة موجبة لعلوم دقيقة، و تكشف كل واحدة منها عن امور عجيبة، وكانت

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الانفظار (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بعد بفعل (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: المفترقة (٥) زيد فى الأصل: طائفة لها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من م، و فى الأصل و ظ: لزوال (٧) راجع المعالم ٧ / ١٨٠ (٨) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٩) من ظ و م، وفى الاصل: و راوا (١٠) من م، وفى الأصل و ظ: اشراط.

كلها دالة على الانتقال من هذه الدار إلى دار أخرى لخراب هذه الدار، ناسب أن يجيب «إذا» بقوله: ﴿علمت نفس﴾ أى جميع النفوس بالإنباء بالحساب و بما يجعل لها سبحانه بقوة التركيب من ملكة للاستحضار كما قال تعالى "فكشفنا عنك غطاءك" و الدال على ارادة العموم التعبير بالتنكير فى سياق التخويف و التحذير مع العلم بأن النفوس كلها فى علم ٥ مثل هذا و جهله على حد سواء، [1]فهما ثبت[1] للبعض ثبت للكل، و لعله نكر إشارة إلى أنه ينبغى لمن وهبه الله عقلا أن يجوّز أنه هو المراد فيخاف: ﴿ما قدمت﴾ أى من عمل[2] ﴿و اخرت[3]﴾ أى جميع ما عملت من خير أو شر أو غيرهما، أو ما قدمت قبل الموت[2] و ما أخرت من سنة تبقى بعده. ١٠

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: هذه السورة كأنها من تمام سورة التكوير لاتحاد القصد فاتصالها بها واضح و قد مضى نظير هذا - انتهى.

و لما كان ذلك خالعا للقلوب، و كان الإنسان اذا اعتقد البعث / قد يقول[4] تهاونا ببعض المعاصى: المرجع إلى كريم و لا يفعل بى إلا خيرا، ١٥ أنتج قوله مناديا بأداة البعد لأن أكثر الخلق مع ذلك معرض، منكرا سبحانه و تعالى على من يقول هذا اغترارا بخدع الشيطان إنكارا يهد

/ ٨٩

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: فهما يثبت (٢) زيد فى الأصل: اما واما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الموته.
(٤) من ظ، و فى الأصل و م: يقال.

الأركان: ﴿يـٰأيها الانسان﴾ أى البشر الآنس[1] بنفسه الناسى لمايعنيه ﴿ما غرك﴾ أى أدخلك فى الغرة، و هى أن ترى فعلك[2] القبيح حسنا أو ترى أنه يعفى عنك لا محالة، و ذلك بمعنى قراءة سعيد بن جبير و الأعمش: أغرك - بهمزة الإنكار، و تزيد المشهورة معنى التعجب ٥ ﴿ربك﴾ أى المحسن اليك الذى أنساك[3] إحسانه ما خلقت له من خلاص نفسك بعمل ما شرعه لك.

و لما كان التعبير بالرب مع دلالته على الإحسان[4] يدل على الانتقام عند الإمعان فى الإجرام لأن ذلك شأن المربى، فكان ذلك مانعا من الاغترار لمن تأمل، أتبعه ما هو كذلك أيضا ظاهره لطف و باطنه جبروت و قهر، فقال ١٠ للمبالغة فى المنع عن الاغترار: ﴿الكريم﴾ أى الذى له الكمال كله المقتضى لئلا يهمل الظالم بل يمهله، و لا يسوى بين المحسن و المسىء والموالى والمعادى و المطيع و العاصى، المقتضى لأن يبالغ فى التقرب إليه بالطاعة شكرا له، و أن لا يعرض أحد عنه لأن بيده كل شىء و لا شىء بيد غيره، فيجب أن يخشى شدة بطشه لأنه كذلك يكون المتصف بالكرم لا يكون إلا عزيزا، ١٥ فانه يكون شديد الحلم عظيم السطوة عند انتهاك حرمته بعد ذلك الحلم فانه يجد أعوانا كثيرة على مراده، ولا يجد المعاقب عذرا فى تقصيره بخلاف اللئيم

(١) من م، و فى الأصل و ظ: الانسى (٢) من ظ و م. و فى الأصل: تغلك - كذا (٣) زيد فى الأصل: كثرة، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: الانسان (٥ - ٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

فانه

فانه لا يجد أعوانا فلا يشتد اخذه ، [فصار -[1]] الإنكار بواسطة هذين الوصفين أشد و أغلظ من هذه الجهة ، و من جهة أنه كان ينبغى أن يستحي من المحسن الذى لا تكدير فى إحسانه بوجه ، فلا يعصى له أمر و لا يفرط [له -[2]] فى حق ، و مع ذلك ففى ذكر هذين الوصفين تلقين الحجة ، قال أبو بكر الوراق : لو سألنى لقلت : غرنى كرم الكريم [3]و حلمه ،[3] و قال على رضى الله عنه : من كرم الرجل سوء أدب غلمانه ، و قال الإمام الغزالى فى شرحه للاسماء : هو الذى اذا قدر عفا ، و اذا وعد وفى ، و اذا أعطى زاد على منتهى[4] الرجا ، و لا يبالى [5]لمن أعطى و لا كم اعطى[5] ، و إذا رفعت حاجة الى غيره لا يرضى ، و إذا جنى عاتب و ما استقصى ، و لا يضيع من لاذ به و إليه التجأ ، و يغنيه عن الوسائل و الشفعاء .

و لما ذكر هذين الوصفين الدالين على الكمالين بالجلال ، دل عليهما تقريرا لهما بافاضة الجود فى التربية بوصف الجمال بالإكرام لئلا يعتقد الإنسان بما له من الطغيان انه حر مالك لنفسه يفعل ما يشاء فقال : ﴿ الذى خلقك ﴾ [أى أوجدك - [1]] من العدم مهيئا لتقدير الأعضاء ﴿ فسوّك ﴾ عقب[6] تلك الأطوار بتصوير الأعضاء و المنافع بالفعل ﴿ فعدلك ﴾ أى جعل كل شىء من ذلك سليما مودعا / فيه قوة المنافع التى خلقه الله لها ، و عدل المزاج حتى قبل الصورة ، و التعديل جعل البنية

/ ٦٩٠

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣-٣) سقط مابين الرقمين من ظ و م .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مشتهى (٥-٥) فى ظ : كم أعطى و لا لمن اعطى .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عقبه .

متناسبة الخلقة[١]، و كذا العدل فى قراءة الكوفيين بالتخفيف [أى - [٢]] فأمالك عن تشويه الخلقة و تقبيح الصورة، و جعلك معتدلا فى صورتك، و كل هذا[٣] يقتضى غاية الشكر و الخوف منه ان عصى، لأنه كما قدر على التسوية يقدر على التشويه و غيره من العذاب .

٥ و لما أضاء بهذا إضاءة الشمس انه عظيم القدرة على كل ما يريد، أنتج قوله معلقا بـ « ركب » : ﴿فى اى صورة﴾ [٤]من الصور التى تعرفها و التى لاتعرفها من الدواب و الطيور و غير ذلك [من الحيوان - [٢]]، و لما كان المراد تقرير المعنى غاية التقرير، أثبت النافى فى سياق الإثبات لينتفى ضد ما أثبته الكلام فيصير بثبات المعنى على غاية [من - [٢]] القوة

١٠ التى لامزيد عليها، [فقال - [٥]] : ﴿ما شآء ركبك﴾ أى ألف تركيب أعضائك و جمع الروح الى البدن، روى الطبرانى[٦] فى معاجمه الثلاثة برجال ثقات عن مالك بن الحويرث رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : اذا أراد الله جل اسمه أن يخلق النسمة فجامع الرجل المرأة طار ماؤه فى [كل - [٢]] عرق و عصب منها، فلما كان

١٥ اليوم السابع أحضر الله له كل عرق بينه و بين آدم، ثم [قرأ - [٢]] "فى أى صورة ما شاء ركبك" فتحرر بهذا أن الإنسان رقيق رقا لازما، و من خلع ربقة[٧] ذلك الرق اللازم وكل إلى نفسه فهلك .

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل : الصورة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل : ذلك (٤) زيد فى م : اى (٥) زيد من م (٦) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٣٤ (٧) من ظ و م، و فى الأصل : رقبة .

و لما أوضح سبحانه غاية الإيضاح الدليل على قدرته على الإعادة بالابتداء، و بين تعالى أنه ما أوجب للانسان الخسار، بنسيان هذا الدليل الدال على تلك الدار إلا الاغترار، و كان الاغترار يطلق على أدنى المعنى، بين أنه ارتقى به الذروة فقال: ﴿ كلا ﴾ أى ما [1]أوقعكم أيها الناس[1] فى الإعراض [عمن يجب الإقبال عليه و يقبح غاية القباحة الإعراض -[2]] ٥ بوجه عنه مطلق الغرور ﴿ بل ﴾ أعظمه و هو أنكم ﴿ تكذبون ﴾ أى على سبيل التجديد بتجدد إقامة الأدلة القاطعة و [قيام -[3]] البراهين الساطعة ﴿ بالدين ﴾ أى الجزاء الذى وظفه الله [فى -[3]] يوم البعث، فارجعوا عن الغرور مطلقا خاصا و عاما، و ارتدعوا غاية الارتداع ﴿ و ان ﴾ أى و الحال أن ﴿ عليكم ﴾ أى ممن أقناهم من جندنا من ١٠ الملائكة ﴿ لحفظين ﴾ لهم[4] على أعمالكم غاية العلو فهم بحيث لا يخفى عليهم منها جليل و لا حقير.

و لما أثبت لهم الحفظ، نزههم عن الزيادة و النقص فقال: ﴿ كراما ﴾ أى فهم فى غاية ما يكونون من طهارة الأخلاق [5]و العفة و الأمانة[5].

و لما ثبت[6] الحفظ و الأمانة بغاية الإبانة[7]، و كان الحافظ ربما ١٥

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: اوقعك ايها الإنسان (٢) زيد من ظ و م.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: هو (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م. و فى الأصل: اثبت (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الانابة.

ينسى قال : ﴿كاتبين ۝﴾ أى هم راسخون فى وصف الكتابة يكتبونها فى الصحف كما يكتب الشهود بينكم العهود ليقع الجزاء على غاية التحرير .

/٦٩١/ و لما أفهم الاستعلاء / و التعبير بالوصف إحاطة الاطلاع على ما يبرز من الأعمال، صرح به فقال : ﴿يعلمون﴾ أى على التجدد و الاستمرار ﴿ما تفعلون ۝﴾ أى تجددون فعله من خير و شر بالعزم الثابت و الداعية[1] الصادقة سواء كان مبنيا على علم أو لا ، فكيف يكون مع هذا تكذيب بالجزاء على النقير و القطمير هل يكون إحصاء مثاقيل الذر من أعمالكم عبثا و هل علمتم بملك يكون له رعية يتركهم هملا فلا يحاسبهم على ما فى أيديهم [و ما عملوه ، و لأجل تكذيبهم بالدين أكد المعنى المستلزم له -[2]] و هو أمر الحفظة غاية التأكيد، و التعبير بالمستقبل يدل على انهم يعلمون كل ما انقدح فى القلب و خطر فى الخاطر قبل أن يفعل ، و أما ما لم يجر فى النفس له[3] [ذكر -[2]] فلا يعلمونه كما بينه حديث « و من هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة » .

و لما كانت نتيجة حفظ الاعمال الجزاء عليها ، أنتج ذلك بيان ما كانت الكتابة لأجله تفريقا بين المحسن و المسيء الذى لا يصح فى حكمة حكيم و لا كرم كريم غيره بقوله على سبيل التأكيد ، لأجل تكذيبهم : ﴿ان الابرار﴾ أى العاملين[4] بما هو واسع لهم مما يرضى الله

(١) من م ، و فى الاصل و ظ : الدعية (٢) زيد من ظ و م (٣) وقع فى الأصل بعد « مالم يجر » و الترتيب من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : العاملون .

[1]جلت قدرته[1] ﴿ لفى نعيم ﴾ أى محيط بهم لاينفك عنهم و لاينفكون عنه أصلا فى الدنيا فى نعيم الشهود ، و فى الآخرة فى نعيم الرؤية و الوجود فى هذه الدار معنى و فى الآخرة حسا ، فكل نعيم [2]فى الجنة لهم[2] من المنح الآجلة فرقائقه[3] فى هذه الدنيا لهم عاجلة ﴿ و ان الفجار ﴾ أى الذين شأنهم الخروج مما ينبغى الاستقرار فيه من رضا الله إلى سخطه ﴿ لفى جحيم ﴾ ٥ أى نار تتوقد غاية التوقد يصلون بها جحيم العقوبة الفظيعة كما كانوا فى الدنيا فى[4] جحيم البعد و القطيعة .

و لما كان السياق للترهيب ، وصف[5] عذاب الفجار فقال : ﴿ يصلونها ﴾ أى يغمسون فيها كالشاة المصلية فيباشرون حرها ﴿ يوم الدين ﴾ أى الجزاء على الأعمال المضبوطة على مثاقيل الذر . و لما كان العذاب على ١٠ ما نعهده لابد أن ينقضى ، بين أن عذابه على غير ذلك فقال : ﴿ و ما ﴾ أى و الحال انهم ما ﴿ هم عنها ﴾ أى[6] الجحيم ﴿ بغآئبين ﴾ أى بثابت لهم غيبة ما عنها فى وقت [7]ما ، بل[7] هم فيها خالدون جزاء لأعمالهم وفاقا و عدلا طباقا حتى الآن فى دار الدنيا و إن كانوا لا يحسون بها إلا بعد الموت لأن الناس نيام ، فاذا ماتوا انتبهوا . ١٥

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لهم فى الجنة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فرق ثقة - كذا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : وصفه (٦) زيد فى الأصل: عن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بل ما .

و لما علم[1] أن الوعيد الأعظم يوم الدين، هول أمره بالسؤال عنه إعلاما بأنه أهل لأن[2] يصرف العمر إلى الاعتناء بأمره و السؤال عن حقيقة حاله سؤال إيمان و إذعان لا سؤال كفران و طغيان، ليكون أقعد [في الوعيد-[3]] به فقال: ﴿و ما أدرٰك﴾ اى أعلمك و إن اجتهدت فى [4]طلب الدراية[4] به ﴿ما يوم الدين﴾ أى أىّ شىء [هو-[5]] فى طوله و أهواله و فظاعته و زلزاله. و لما كانت أهواله زائدة على الحد، كرر ذلك السؤال لذلك الحال فقال معبرا بأداة التراخى / زيادة فى التهويل: ﴿ثم ما أدرٰك﴾ أى كذلك ﴿ما يوم الدين[5]﴾. ٦٩٢ /

و لما بين أنه من العظمة بحيث لا تدركه دراية دار و إن عظم و إن اجتهد، لخص أمره فى شرح ما يحتمله العقول منه على سبيل الإجمال دافعا ما قد يقوله بعض من لاعقل له: إن كان انضممت[6] و التجأت إلى بعض الأكابر و قصدت[7] بعض الأماثل فأخلص قهرا أو بشفاعة و نحوها، فقال مبدلا من "يوم الدين" فى قراءة ابن كثير و البصريين بالرفع: ﴿يوم﴾ و هو ظرف، قال الكسائى: العرب تؤثر الرفع إذا أضافوا [8]الليل و اليوم إلى[8] مستقبل، و اذا أضافوا إلى فعل ماض آثروا النصب ﴿لا تملك﴾ أى بوجه من الوجوه فى وقت ما ﴿نفس﴾ أىّ نفس

(١) من ظ، و فى الأصل و م: علموا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بان.
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: الطلب للاراية.
(٥) زيد من م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: انضمت (٧) من ظ و م، و فى الأصل: قصد (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: اليوم او الليل.

كانت من غير استثناء. و نصبه الباقون على الظرف، و يجوز ان تكون الفتحة للبناء لإضافته[1] إلى غير متمكن[2] ﴿لنفس شيئا[3]﴾ أى[3] قل أو جل، و هذا و إن كان اليوم ثابتا لكنه فى هذه الدار بطن سبحانه فى الأسباب، فتقرر فى النفوس أن الموجودين يضرون و ينفعون لأنهم يتكلمون[4] و يبطشون، و أما هناك فالمقرر فى النفوس خلاف ذلك من أنه لا يتكلم أحد إلا باذنه إذنا ظاهرا، و لا يكون لأحد فعل ما إلا باذنه كذلك، فالأمر كله له دائما، لكن اسمه الظاهر هناك [ظاهر -[5]] و اسمه الباطن هذا مقرر لموجبات الغرور و ساتر.

و لما كان التقدير: فلا أمر لأحد من الخلق أصلا، [لا -[5]] ظاهرا و لا باطنا، عطف عليه قوله: ﴿و الامر﴾ أى كله ﴿يومئذ﴾ أى إذ كان البعث للجزاء ﴿لله﴾ أى مختص به لا يشاركه [فيه -[5]] مشارك ظاهرا كما أنه لا يشاركه فيه باطنا، و يحصل هناك[6] الكشف الكلى فلا يدعى أحد لأحد أمرا[7] من الأمور بغير إذن ظاهر خاص، و تصير المعارف بذلك ضرورية، فلذلك كان الانفطار و الزلازل الكبار، و الإحصاء لجميع الأعمال الصغار و الكبار، و قد رجع آخرها كما ترى إلى أولها، و التف[8] مفصلها بموصلها[9] -[10] و الله الهادى للصواب[10].

---

(١) من م، و فى الاصل و ظ: لاضافة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ممكن. (٣) زيد فى الاصل: اى شيء، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) فى ظ: لا يظلمون (٥) زيد من م (٦) من م، و فى الأصل و ظ: هنا (٧) من م، و فى الأصل و ظ: أمر (٨) من ظ و م، و فى الأصل: التفا (٩) من ظ و م، و فى الأصل: بموالها - كذا (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

سورة التطفيف[1]

مقصودها شرح آخر الانفطار بأنه لابد من دينونة العباد يوم التناد باسكان الأولياء أهل الرشاد دار النعيم، و الأشقياء أهل الضلال و العناد غار الجحيم، و دل على ذلك بأنه مربيهم و المحسن إليهم بعموم النعمة، و لايتخيل عاقل أن أحدا يربى أحدا من غير سؤال عما[2] حمله اياه و كلفه به و لا أنه لاينصف بعض من يربيهم من بعض، و اسمها التطفيف أدل[3] ما فيها / على ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الحكمة البالغة و القدرة الكاملة ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة الإيجاد و البيان الشاملة ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى أكرم حزبه بالتوفيق[4] لحسن المعاملة .

/ ٦٩٣

لما[5] ختم الانفطار بانقطاع الأسباب و انحسام الأنساب[6] [يوم الحساب -[7]] ، و أبلغ فى التهديد بيوم الدين و أنه لا أمر لأحد معه،

(١) فى ظ : المطففين ، وهى الثالثة والثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٣٦ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عمله (٣) زيد فى الأصل : دليل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : الحسن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ولما . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الاسباب (٧) زيد من ظ و م .

و ذكر

و ذكر الأشقياء و السعداء، و كان أعظم ما يدور[1] بين العباد[2] المقادير، وكانت المعصية بالبخس فيها من أخس المعاصى و أدناها، حذر من الخيانة فيها و ذكر ما أعد لأهلها و جمع إليهم كل من اتصف بوصفهم فحمله وصفه على نوع من المعاصى، كل ذلك تنبيها للاشقياء الغافلين على ما هم فيه من السموم الممرضة المهلكة، و نبه على[3] الشفاء لمن أراده ٥ [فقال -[4]] : ﴿ويل﴾ أى هلاك ثابت عظيم فى كل حال من أحوال الدنيا و الآخرة ﴿للمطففين لا﴾ أى الذين ينقصون المكيال و الميزان و يبخسون حقوق الناس، و فى ذلك تنبيه على أن أصل الآفات الخلق السيء وهو حب الدنيا الموقع فى جمع الأموال من غير وجهها و لو بأخس الوجوه: التطفيف الذى لا يرضاه[5] ذو مروءة و هم[6] من يقاربون ملأ الكيل و عدل ١٠ الوزن و لا يملأون و لا يعدلون، وكأنه من الإزالة أى أزال ما أشرف من أعلى الكيل، من الطف، و هو ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، و منه ما فى حديث ابن عمر[7] رضى الله تعالى عنهما قال: كنت فارسا فسبقت الناس حتى طفت[8] لى الفرس مسجد بنى زريق - يعنى أن الفرس وثب حتى كاد يساوى المسجد، و يقال: طف الرجل الحائط - ١٥

(١) زيد فى الأصل : ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الاصل : ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : لايرضا (٦) من ظ و م، و فى الأصل : هو (٧) من ظ و م، و فى الأصل : ابن عمرو (٨) من م، و فى الأصل و ظ : طفف.

إذا علاه، او من القرب، من قولهم: أخذت من متاعى ما خف و طف، أى قرب منى، و كل شيء أدنيته من شيء فقد أطففته، و الطفاف من الإناء و غيره: ما قارب أن يملأه، و لا يتم ملأه، و فى الحديث: كلكم بنو آدم طف الصاع، أو من الطفف و هو التقتير، يقال: طفف عليه تطفيفا ـ إذا قتر عليه، أو من الطفيف و هو من الأشياء الخسيس[1] الدون و القليل، فكأن التضعيف للازالة على المعنى الأول كما مضى، و للقاربة الكثيرة على المعنى الثانى أى أنه يقارب ملأ المكيال مقاربة كبيرة مكرا و خداعا حتى يظن صاحب الحق [أنه ـ[2]] وفى و لايوفى، يقال: أطف فلان لفلان ـ اذا أراد ختله، و اذا نهى عن هذا فقد نهى عما نقص أكثر بمفهوم الموافقة، و على المعنى[3] الثالث بمعنى التقتير و المشاحة فى[4] الكيل، و على المعنى الرابع بمعنى التنقيص و التقليل فيه، و كأنه اختير هذا اللفظ لأنه لايكاد يسرق[5] فى الميزان و المكيال [إلا الشيء ـ[2]] اليسير جدا، هذا أصله فى اللغة و قد فسره الله سبحانه و تعالى فقال: ﴿ الذين اذا اكتالوا ﴾ أى عالجوا الكيل أو الوزن فاتزنوا ـ بما دل عليه ما يأتى، و عبر بأداة الاستعلاء ليكون المعنى: مستعلين[6] / أو متحاملين ﴿ على الناس ﴾ أى خاصة بمشاهدتهم كائنين من كانوا [لا ـ[2]] يخافون شيئا و لا يراعون أحدا، بل صارت الخيانة و الوقاحة

/ ٦٩٤ /

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الخسيسة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: معنى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: على (٥) من م، و فى الأصل و ظ: يشرف (٦) من ظ و م، و فى الأصل: مستقلين.

لهم ديدنا ، و هذا الفعل يتعدى بمن و على ، يقال : اكتال من الرجل و عليه ، و يجوز [1] أن يكون اختيار التعبير [1] بعلى هنا مع ما تقدم للاشارة إلى أنهم إذا [2] كان لهم نوع علو بأن كان المكتال منه ضعيفا خانوه [2] فيكون أمرهم دائرا على الرذالة و سفول الهمة التى لا أسفل منها ﴿ يستوفون ﴾ أى يوجدون لأنفسهم الوفاء و هو تمام الكيل بغاية الرغبة و المبالغة فى الملأ ، فكأنه ذكر "اكتالوا" و لم يذكر "اتزنوا" لأنه لا يتأتى [فى - [4]] الوزن من المعالجة ما يتأتى فى الكيل ، و لأنهم يتمكنون فى الاكتيال من المبالغة فى استيفاء المؤدى إلى الزيادة ما لا يتمكنون من مثله فى الاتزان [5] ، و هذا بخلاف الإخسار فان التمكن بسببه حاصل فى الموضعين فلذلك ذكرهما فيه [6] .

و لما أفهم تقديم الجار الاختصاص فأفهم أنهم إذا فعلوا من أنفسهم لا يكون كذلك ، صرح به فقال : ﴿ و اذا كالوهم ﴾ أى كالوا الناس أى حقهم أى ما لهم من الحق [﴿ او وزنوهم ﴾ اى وزنوا ما عليهم له من الحق - [7]] ، يقال : اكتال من الرجل و عليه و [8] كال له [8] الطعام [و كاله الطعام - [7]] ، و وزنت الرجل الشيء و وزنت له الشيء ، و لعله سبحانه اختار "على" فى الأول و المعدى إلى اثنين فى الثانى لأنه أدل على

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اذ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : خانوه (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الانزال (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) زيد من ظ و م . (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : كان .

حضور صاحب الحق. فهو فى غيبته اولى، فهو ادل على المرون على الوقاحة، فهما كلمتان لا أربع لأنه ليس بعد الواو ألف جمع، قال البغوى[١]: و كان عيسى بن عمر يجعلهما[٢] حرفين يقف على كالوا و وزنوا و يبتدئ هم، قال أبو عبيدة: و الاختيار الأولى[٣]، قال البغوى: يعنى أن كل واحدة

٥ كلمة لأنهم كتبوهما بغير ألف باتفاق المصاحف، وقال الزمخشرى[٤]: و لا يصح أن يكون ضميرا للطففين لأن الكلام يخرج به الى نظم فاسد، و ذلك أن المعنى: إذا أخذوا من الناس استوفوا و إذا أعطوهم[٥] أخسروا، و ان جعلت الضمير للطففين انقلب الى قولك: [اذا -[٦]] أخذوا من الناس استوفوا، و اذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص اخسروا،

١٠ و هو كلام متنافر لأن الحديث واقع فى الفعل لا فى المباشر، و التعلق فى ابطاله بخط المصحف و أن الألف التى تكتب بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لأن خط المصحف لم يراع فى كثير منه حد المصطلح عليه فى علم[٧] الخط - انتهى. و لاشك أن[٨] فى خط المصحف تقوية لهذا الوجه المعنوى[٩] و تأكيدا ﴿ يخسرون ﴾ أى يوجدون الخسارة بالنقص

١٥ فيما يكيلون لغيرهم، و الحاصل أنهم يأخذون وافيا أو زائدا و يعطون ناقصا.

---

(١) راجع المعالم ٧/١٨٢ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: يجعلها (٣) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) راجع البحر ٨/٤٣٩ (٥) من م، و فى الأصل وظ: اعطوهم (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: اعلم (٨) من ظ و م، و فى الأصل: انه (٩) من ظ و م، و فى الأصل: المعنى.

و قال

و قال الإمام [أبو جعفر -[1]] ابن الزبير : لما قال سبحانه و تعالى
في سورة الانفطار "و ان عليكم لحافظين كراما كاتبين" - الآية ، وكان / ٦٩٥
مقتضى ذلك الإشعار بوقوع الجزاء على جزئيات الأعمال و أنه لا يفوت
عمل كما قال تعالى "و ان كان مثقال حبة من[2] خردل اتينا بها وكفا بنا
حاسبين" أتبع الآية المتقدمة بجزاء عمل يتوهم فيه قرب المرتكب و هو ٥
من أكبر[3] الجرائم ، و ذلك التطفيف في المكيال و الميزان و الانحراف
عن إقامة القسط في ذلك ، فقال تعالى "ويل للمطففين" ثم أردف تهديدهم
و تشديد وعيدهم فقال "الا يظن اولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم"
ثم التحمت الآى مناسبة لما افتتحت به السورة الى ختامها[4] - انتهى .

و لما ذكر سبحانه و تعالى أنهم أدمنوا على هذه الرذائل حتى صارت ١٠
لهم خلقا مرنوا عليه و أنسوا به و سكنوا اليه . و كان ذلك لا يكون
إلا ممن أمن العقاب وأنكر الحساب ، أنتج ذلك الإنكار عليهم على أبلغ
الوجوه لإفهامه أن حالهم أهل لأن يتعجب منه و يستفهم عنه و أن
المستفهم عن حصوله عندهم الظن ، و أما اليقين فلا يتخيل فيهم لبعد
أحوالهم الجافية و أفهامه الجامدة عنه فقال تعالى : ﴿ الا يظن اولئك ﴾ ١٥
أى الأخساء البعداء الأرجاس[5] الأراذل يتجدد لهم وقتا[6] من الأوقات
ظن أن لم يتيقنوا بما مضى من البراهين التى أفادت أعلى رتب اليقين ،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : في (٣-٣) من ظ و م ،
و في الأصل : اكر من (٤) في ظ و م : خاتمتها (٥) من ظ و م ، و في الأصل :
الارجا (٦) من ظ و م ، و في الأصل : وقت .

فانهم لو ظنوا ذلك ظنا نهاهم ان كان لهم نظر لأنفسهم عن أمثال هذه القبائح، و من لم تفده تلك الدلائل القاطعة ظنا يحتاط به لنفسه فلا حس له أصلا ﴿ انهم ﴾ و عبر باسم المفعول فقال: ﴿ مبعوثون ﴾ إشارة الى القهر على أهون وجه بالبعث الذى قد ألفوا مثله من القهر

٥ باليقظة بعد القهر بالنوم ﴿ ليوم ﴾ أى لأجله و فيه، و زاد التهويل بقوله: ﴿ عظيم ﴾ أى لعظمة ما يكون فيه من الجمع و الحساب الذى يكون عنه[1] الثواب و[2] العقاب مما لايعلمه على حقيقته[3] إلا هو سبحانه و تعالى.

و لما عظم ذلك اليوم تحذيرا منه، و زاده تعظيما بأن أتبعه على

١٠ سبيل القطع قوله ناصبا بتقدير "أعنى" إعلاما بأن الجحد فيه بأعين جميع الخلائق فهو فضيحة لايشبهها فضيحة: ﴿ يوم يقوم ﴾ أى على الأرجل ﴿ الناس ﴾ أى كل من فيه قابلية الحركة، و ذلك يوم القيامة[4] خمسين ألف سنة لاينظر إليهم سبحانه - رواه الطبرانى[5] فى الكبير عن عبد الله بن عمرو رفعه و رجاله ثقات ﴿ لرب العلمين ﴾ أى لأجل حكم

١٥ موجد الخلائق و مربيهم كلهم فلا ينسىء أحدا من رزقه و لايهمله من حكمه[6] و لايرضى بظلم أحد ممن يربيه فهو يفيض لكل من كل بحكم التربية، كل ذلك من استفهام الإنكار و كله الظن، و وصف اليوم بما

---

(١) من ظ و م. و فى الأصل: عليه (٢) من ظ و م، وفى الأصل: اذ (٣) من ظ و م، وفى الأصل: سقيقة (٤-٤) زيد فى الأصل: الذى مقداره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٣٥ (٦) من ظ و م، و فى الأصل: حكمته.

وصف / و غير ذلك للابلاغ فى المنع عن التطفيف و تعظيم إثمه، / ٦٩٦
و روى الحاكم من رواية عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنه رفعه:
ما نقض قوم العهد إلا سلط[1] عليهم عدوهم، و ما حكموا بغير ما أنزل
الله تعالى إلا فشا فيهم الفقر، و ما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت،
و لا طففوا الكيل إلا منعوا النبات و اخذوا بالسنين، و لامنعوا الزكاة ٥
إلا حبس عنهم القطره و من طريق عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عمرو
مرفوعا نحوه، و للطبرانى من طريق الضحاك عن مجاهد و طاؤس عن
ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا نحوه.

و لما أنهى [2]سبحانه ما أراد[2] من تعظيم ذلك [اليوم -[3]] و التعجيب
ممن لم يفده براهينه أن يجوزه و الإنكار عليه، و كان مع ما فيه من ١٠
التقريع مفهما للتقرير، نفى بأداة الردع للمبالغة فى النفى مضمون ما وقع
الاستفهام عنه فقال: ﴿كلآ﴾ [4]أى لا[4] يظن أولئك ذلك بوجه من الوجوه
لكثافة طباعهم و وقوفهم[5] مع المحسوس دأب البهائم بل لا يجوزونه،
و لو جوزوه لما وقعوا فى ظلم أحد ممن يسألون عنه فى ذلك اليوم
المهول، و ما اوجب لهم الوقوع فى الجرائم إلا الإعراض عنه، و قال ١٥

(١) زيد فى الأصل: الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: ما اراد سبحانه (٣) زيد من ظ (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: الا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: وقوتهم.

الحسن رحمه الله تعالى[١] : هى بمعنى حقا متصلة[٢] بما بعدها[٣] - انتهى ، و هى مع ذلك مفهمة للردع الذى ليس بعده ردع عن اعتقاد مثل ذلك و الموافقة لشيء مما يوجب الخزى فيه .

و لما أخبر عن إنكارهم ، استأنف[٤] إثبات ما أنكروه على أبلغ وجه و أفظعه[٥] مهولا لما[٦] يقع لهم من الشرور و فوات السرور ، مؤكدا لأجل إنكارهم فقال : ﴿ ان كتب ﴾ و أظهر موضع الإضمار[٧] تعميما و تعليقا للحكم بالوصف فقال : ﴿ الفجار ﴾ أى صحيفة حساب هؤلاء الذين حملهم على كفرهم[٨] مروقهم و كذا كل من وافقهم[٩] فى صفاتهم فكان فى غاية المروق مما حقه ملابسته و ملازمته ، و أبلغ فى التأكيد فقال : ﴿ لفى سجين[١٠] ﴾ هو علم منقول فى صيغة المبالغة[١٠] عن وصف [من -[١١]] السجن و هو الحبس لأنه سبب الحبس فى جهنم أى انه ليس فيه أهلية الصعود إلى محل الأقداس إشارة إلى أن كتابهم إذا كان فى سجن عظيم أى ضيق شديد كانوا هم [فى -[١٢]] أعظم ، قال ابن جرير[١٣] : و هى

(١) راجع المعالم ٧/١٨٣ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : متصلا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد ذلك (٤) زيد فى الأصل : انكار ما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اعظمه (٦) فى م : ما . (٧) فى ظ و م : الضمير (٨) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : واصفهم (١٠) زيد فى الأصل و ظ : مبالغة ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (١١) زيد من ظ و م (١٢) زيد من ظ (١٣) راجع جامع البيان ٣٠/٥١ .

الأرض السابعة - انتهى . [وهو يفهم -[1]] مع هذه الحقيقة أنهم فى غاية الخسارة لأنه يقال لكل من انحط : صار ترابا و لصق بالأرض - و نحو ذلك ، ثم[2] زاد فى هوله بالإخبار بأنه أهل لأن يسأل عنه و يضرب إلى العالم به - إن [كان -[1]] يمكن - آباط الإبل فقال : ﴿ و مآ ادرٰك ﴾ أى جعلك داريا و إن اجتهدت فى ذلك ﴿ ما سجين ﴾ أى أنه بحيث لا تحتمل وصفه العقول / ، و هو مع ذلك فى أسفل سافلين[3] و يشهده المبعدون[4] من الشياطين و سائر الظالمين ، يصعد بالميت [منهم -[5]] إلى السماء فتغلق أبوابها دونه فيرد تهوى به الريح تشمت به الشياطين . و كل ما قال فيه « و ما أدراك » فقد أدراه به بخلاف « و ما يدريك » . / ٦٩٧

و لما أتم ما[6] أراد من وصفه ، أعرض عن بيانه إشارة إلى أنه من العظمة بحيث [7]أنــه يكل عنه[7] الوصف ، و استأنف أمر الكتاب المسجون فيه فقال محذرا منه مهولا لأمره : ﴿ كتٰب ﴾ أى عظيم لحفظه القير و القطمير ﴿ مرقوم ﴾ أى مسطور بين الكتابة كما تبين الرقمة البيضاء فى جلد الثور الأسود ، و يعلم كل من رآه أنه غاية فى الشر ، و هو كالرقم فى الثوب و النقش فى الحجر لا يبلى و لا يمحى .

و لما أعلم هذا بما للكتاب[8] من الشر ، استأنف الإخبار بما أنتجه

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٣) زيد فى الأصل : يشتمله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من م ، و فى الأصل : المبعودون ، و فى ظ : المبعودوين (٥) زيد من ظ (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لما (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ان بكل ان عليه (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : لكتاب .

مما لأصحابه فقال: ﴿ويل﴾ أى أعظم الهلاك ﴿يومئذ﴾ أى إذ يقوم الناس لما تقدم. ولما كان الأصل: لهم، أبدله بوصف ظاهر تعميما و تعليقا للحكم به فقال: ﴿للمكذبين﴾ أى الراسخين فى التكذيب بكل ما ينبغى التصديق به.

٥ و لما أخبر عن ويلهم، وصفهم بما يبين[1] ما كذبوا به و يبلغ فى ذمهم فقال: ﴿الذين يكذبون﴾ أى يوقعون التكذيب لكل من ينبغى تصديقه، مستهينين ﴿بيوم﴾ أى بسبب الإخبار بيوم ﴿الدين﴾ أى الجزاء الذى هو سر الوجود ﴿و ما﴾ أى و الحال أنه ما ﴿يكذب﴾ أى يوقع التكذيب ﴿به﴾ الا كل معتد ﴾ أى متجاوز للحد فى العناد

١٠ أو الجمود و التقليد لأن محطه نسبة من ثبت بالبراهين القاطعة أنه على كل شىء قدير إلى العجز عن إعادة[2] ما ابتدأه ﴿اثيم﴾ أى مبالغ[3] فى الانهماك فى الشهوات الموجبة للآثام، و هى الذنوب، فاسود قلبه فعمى بنظر الشهوات التى حفت بها النار عما عداها.

و لما أثبت له الإبلاغ فى الإثم، دل عليه بقوله بأداة التحقق[4]:

١٥ ﴿اذا تتلى﴾ أى من أى تال كان، مستعلية بما لها من البراهين ﴿عليه ايتنا﴾ أى العلامات الدالة على ما أريد بيانها له مع [ما -[5]] لها من العظمة بالنسبة إلينا ﴿قال﴾ اى من غير توقف و لا تأمل بل بحظ نفس أوقعه

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بين (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عادة.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: بالغ (٤) من م، و فى الأصل و ظ: التحقيق.
(٥) زيد من ظ و م.

[فيه -[1]] شهوة المغالبة[2] التى سببها الكبر : ﴿ اساطير الاولين ﴾ أى من الأباطيل و ليست كلام الله ، فكان لفرط جهله بحيث لا ينتفع بشواهد النقل كما أنه لم ينظر فى دلائل العقل .

و لما كان هذا قد صار كالأنعام فى عدم النظر بل هو أضل سبيلا لأنه قادر على النظر دونها[3] ، قال رادعا له و مكذبا و مبينا لما أدى به ٥ إلى هذا القول و هو لا يعتقده : ﴿ كلا ﴾ أى ليرتدع ارتداعا عظيما و لينزجر انزجارا شديدا ، فليس الأمر كما قال فى المتلو ولا [هو -[4]] معتقد[5] له اعتقادا جازما / لأنه لم يقله عن بصيرة ﴿ بل ران ﴾ أى غلب و أحاط وغطى تغطية الغيم للسماء و الصدأ للمرآة ، و جمع اعتبارا بمعنى " كل " لئلا يتعنت متعنت ، فقال معبرا بجمع الكثرة إشارة إلى كثرتهم : ﴿ على قلوبهم ﴾ ١٠ أى كل من قال هذا القول ﴿ ما كانوا ﴾ أى[6] بجبلاتهم الفاسدة ﴿ يكسبون ﴾ اى يجددون كسبه مستمرين عليه من الأعمال الردية ، فان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات إن خيرا فخيرا[7] و إن شرا فشرا[8] ، فيتراكم الذنب على القلب فيسود ، فلذلك كانوا يقولون مثل هذا الاعتقاد ، بل هو شيء يسدون به المجلس و يقيمون لأنفسهم عند العامة المعاذير ١٥ و يفترون به عزائم التالين بما[9] يحرقون من[10] قلوبهم - أحرق الله قلوبهم و بيوتهم بالنار ، فانهم لا ينقطعون فى عصر من الأعصار و لا يخشون من

/ ٦٩٨

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المبالغة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : دونه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يعتقد. (٦) زيد فى الأصل : كانوا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فخير (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فشر (٩) من م ، و فى الأصل : بما ، و فى ظ : ما (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : به .

عار و لاشنار ، روى أحمد[١] و الترمذى[٢] و ابن ماجه[٣] عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه قال : إذا أذنب العبد نكتت[٤] فى قلبه نكتة سوداء فان تاب صقل منها ، و إن زاد زادت حتى تعلو قلبه ، فذلك الران الذى قال الله سبحانه و تعالى . و قال الغزالى فى كتاب التوبة[٥] من الإحياء : قد سبق أن الإنسان[٦] لا يخلو فى مبدأ خلقته[٦] عن اتباع الشهوات ، و كل شهوة اتبعها الإنسان ارتفع منها ظلمة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلمة إلى وجه المرآة [الصقيلة . فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس فى وجه المرآة عند تراكمه خبثا . فاذا تراكم الرين صار طبعا كالخبث على وجه المرآة -[٧]] إذا تراكم و طال زمانه غاص فى جرم الحديد و افسده و صار لا يقبل التصقيل بعده ، و صار كالمطبوع من الخبث[٨] و لا يكفى فى تدارك اتباع الشهوات تركها فى المستقبل بل لابد من محو تلك الآثار التى انطبعت فى القلب كما لا يكفى فى ظهور الصورة فى المرآة قطع الأنفاس و البخارات المسودة لوجهها فى المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الآثار ، و كما يرتفع إلى القلب ظلمة من المعاصى و الشهوات فيرتفع إليه نور من الطاعات و ترك الشهوات فتنمحى ظلمة المعصية بنور الطاعة ، و إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و سلم « و أتبع السيئة الحسنة تمحها » .

(١) راجع المسند ٢/٢٩٧ (٢) راجع الجامع ٢/١٦٩ (٣) راجع السنن ص: ٣٢٣ .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نكت (٥) راجع ٤ / ٨ (٦ - ٦) من ظ و م و الإحياء ، و فى الأصل : فى مبدا خلقه لا يملو (٧) زيد من ظ و م و الإحياء .
(٨) من م ، و فى الأصل و ظ : الخشب .

و لما

و لما كان ادعاؤهم إنما هو قول قالوه بأفواهـــهم لا يتجاوزها عظيما جدا، أعاد ردعهم[1] عنه و تكذيبهم فيه فقال[2]: ﴿ كلآ ﴾ أى ليس الأمر كما قالوا من الأساطير لا فى الواقع و لا عندهم فليرتدعوا عنه أعظم ارتداع . و لما كان قول الإنسان لما لايعتقده و لاهو فى الواقع كما قال فى غاية العجب لا يكاد يصدق، علله مبينا أن الحامل لهم عليه ٥ إنما هو الحجاب الذى ختم به سبحانه على قلوبهم، فقال مؤكدا لمن[3] ينكر ذلك من المغرورين: ﴿ أنهم عن ربهم ﴾ أى عن ذكر المحسن اليهم و خشيته و رجائه ﴿ يومئذ ﴾ اى إذ قالوا هذا / القول الفارغ .و لما كان ٦٩٩ / المانع إنما هو الحجاب، بنى للمفعول قوله: ﴿ لمحجوبون[4] ﴾ فلذلك استولت عليهم الشياطين و الأهوية، فصاروا يقولون ما لو عقلت البهائم لاستحيت ١٠ من أن تقوله، و الأحسن أن تكون الآية بيانا و تعليلا لويلهم الذى سبق الإخبار به، و يكون التقدير: يوم إذ كان يوم الدين، و يكون المراد الحجاب عن الرؤية، و يكون فى ذلك بشارة للمؤمنين بها . و قال البغوى[4]: قال أكثر المفسرين: عن رؤيته، و قال: إن الإمامين الشافعى و شيخه مالكا استدلا بهذه الآية على الرؤية، و أسند الحافظ أبو نعيم فى الحلية[5] ١٥ فى ترجمة الشافعى أنه قال: فى هذه الآية دلالة على أن أولياءه يرونه على صفته، [و ـ[6]] قال ابن[7] الفضل: كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ردهم (٢) من ظ و م، و فى الاصل: قال .
(٣) فى ظ: لأجل من (٤) راجع المعالم ١٨٤/٧ (٥) راجع ١١٧/٩ (٦) زيد من م (٧) من م و المعالم، و فى الأصل و ظ: أبو .

فى الآخرة عن رؤيته، و قال الحسن[1]: لو علم الزاهدون و العابدون أنهم لايرون ربهم فى المعاد لزهقت أنفسهم فى الدنيا. و قال القشيرى: و دليل الخطاب يوجب أن يكون المؤمنون يرونه كما يعرفونه اليوم [انتهى ـ[2]]. و فيه تمثيل لإهانتهم باهانة من يمنع الدخول على الملك.

٥ و لما بين [ما ـ[2]] لهم من العذاب بالحجاب الذى هو عذاب القلب الذى لاعذاب أشد منه، لأنه يتفرع [عنه ـ[2]] جميع العذاب[3]، شرع يبين بعض ما تفرع عنه من عذاب القالب مؤكدا لأجل إنكارهم معبرا بأداة التراخى إعلاما بعلو رتبته فى أنواع العذاب فقال: ﴿ثم انهم﴾ أى بعد ما شاء[4] الله من إمهالهم ﴿لصالوا الجحيم[5]﴾ أى لداخلو النار

١٠ العظمى و يقيمون فيها مقاسون لحرها و يغمسون فيها كما تغمس الشاة المصلية [أى المشوية ـ[2]].

و لما بين ما لهم من الفعل الذى هو للقلب و القالب، أتبعه القول بالتوبيخ و التبكيت الذى هو عذاب النفس، و بناه للمفعول لأن المنكى سماعه لاكونه من معين، و إشارة إلى أنه يتمكن من قوله لهم كل من

١٥ يصح منه القول من خزنة النار و من أهل الجنة و غيرهم لأنه لامنعة عندهم: ﴿ثم يقال﴾ أى لهم بعد مدة تبكيتا و تقريعا و تنديما و تبشيعا: ﴿هذا﴾ أى العذاب الذى هو حال بكم ﴿الذى كنتم﴾

(١) راجع المعالم ٧/١٨٤ (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: منه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يشاء. (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

أى بما لكم من الجبلات الخبيثة ﴿ به ﴾ اى خاصة لأن تكذيبكم بغيره بالنسبة إليه لما له من القباحة و لكم من الرسوخ فيه و الملازمة له (؟) ﴿ تكذبون ﴾ أى توقعون التكذيب به و تجددونه مستمرين عليه .

و لما كان هذا ربما أفهم أنهم يرون جميع عذابهم إذذاك، نفاه بقوله: ﴿ كلا ﴾ أى ليس هو المجموع بل هو فرد[1] من الجنس فلهذا ٥ عمل عليه الجنس و هو نزلهم و الأمر أطم و أعظم من أن يحيط به الوصف . و لما ذكر ما للمكذبين من العذاب الذى جره[2] إليهم إقبالهم على الدنيا بادئا به لأن المقام من أول / السورة للوعيد و صوادع التهديد، أتبعه ما للمصدقين الذين أقبل بهم الى السعادة ترك الحظوظ و إعراضهم عن عاجل شهوات الدنيا، فقال مؤكدا لأجل تكذيبهم: ١٠ ﴿ ان كتب الابرار ﴾ أى صحيفة حسنات الذين هم فى غاية الاتساع فى شرح صدورهم، و اتساع عقولهم و كثرة أعمالهم [3]و زكائها[3] و غير ذلك من محاسن أمورهم ﴿ لفى عليين ﴾ أى أماكن منسوبة إلى العلو، وقع النسب أولا إلى فعلىّ ثم جمع [و إن كان -[4]] لا واحد له من لفظه كعشرين و أخواته، قال الكسائى: إذا جمعت العرب ما لا يذهبون فيه ١٥ إلى أن له بناء من واحد و اثنين فانهم يجمعون بالواو و النون فى المذكر و المؤنث - انتهى، فهى درجات متصاعدة تصعد إلى الله و لا تحجب

/ ٧٠٠

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مفرد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : جل .
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكاء عقولهم الى (٤) زيد من ظ و م .

عنه كما يحجب ما للأشقياء بعضها[1] فوق [بعض -[2]] إلى ما لانهاية له بحسب رتب الأعمال، و كل من كان كتابه من الأبرار فى مكان لحق به كما أن من كان كتابه من الفجار[3] فى سجين لحق به، قال الرازى فى اللوامع: من ترقى علمه عن الحواس و الأوهام و فعله عن مقتضى الشهوة[4] و الغضب فهو حقيق بأن يكون عليّا، و من كان علمه و إدراكه مقصورا على الحواس و الخيال و الأوهام و فعله على مقتضى الشهوات البهيمية فهو حقيق بأن يكون فى سجين.

و لما كان هذا أمرا عظيما، زاد[5] فى تعظيمه بقوله: ﴿و ما﴾ أى و أى شىء ﴿ادرٰك﴾ اى جعلك داريا و إن بالغت فى الفحص ﴿ما عليّون ۝﴾ فان وصفه لا تسعه[6] العقول و يلزمه لعلوه فضاء مطلق و اتساع مبين. و لما عظم المكان فعلمت عظمة الكتاب، ابتدأ الإخبار عنه على سبيل القطع زيادة فى عظمته فقال: ﴿كتٰب﴾ أى عظيم ﴿مرقوم ۝﴾ اى فيه [أن -[7]] فلانا أمن من النار فيا له من رقم ما احسنه و ما أبهاه و ما أجمله.

و لما عظمه فى نفسه و فى مكانه، عظمه فى حضّاره فقال: ﴿يشهده المقربون ۝﴾ أى يحضره حضورا تاما دائما لا غيبة فيه الجماعة

(١) من م، و فى الأصل و ظ: بعض (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ، و فى الأصل و م: الكفار (٤) زيد فى الأصل: البهيمية فهو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: زاده (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لا تصعه (٧) زيد من م.

الذين يعرف كل احد انه ليس لهم عند كل من يعتبر تقريبه إلا التقريب من ابتدائه إلى انتهائه هم شهود هذا المسطور و هم الملائكة يشيعونه[1] من سماء إلى سماء و يحفون به سرورا و تعظيما لصاحبه و يشهده من فى السماوات من الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و الصديقين و الشهداء و الصالحين، فالآية مع الأولى[2] من الاحتباك: ذكر سجين أولا دال[3] على الاتساع ٥ ثانيا، و ذكر عليين و المقربين ثانيا دال على أسفل سافلين[4] و المبعدين أولا.

و لما عظم كتابهم بهذه الفضائل، التفتت النفس الى معرفة حالهم فقال شافيا لعى هذا الالتفات مؤكدا لأجل من ينكر: ﴿ان الابرار﴾ أى الذين هذا كتابهم ﴿لفى نعيم ۝﴾ أى محيط بهم ضد ما فيه الفجار من ١٠ الجحيم. و لما كان لا شىء / أنعم للانسان من شىء عال يجلس عليه و يمد ٧٠١ / بصره الى ما يشتهى مما لديه، قال مبينا لذلك النعيم: ﴿على الارآئك﴾ أى الأسرة العالية [مع هذا -[5]] العلو المطلق فى الحجال التى يعيى الفكر وصفها بما لها من العلو من ترصيع اللؤلؤ و الياقوت و غير ذلك مما لايدخل تحت الحصر ﴿ينظرون ۝﴾ أى الى ما يشتهون من الجنان و الأنهار ١٥ و الحور و الولدان، ليس لهم شغل غير ذلك و ما شابهه من المستلذات.

و قال الإمام القشيرى: أثبت النظر و لم يبين المنظور إليه لاختلافهم: منهم من ينظر إلى قصوره، و منهم من ينظر إلى حوره، و منهم [6]و منهم[6]،

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يسبقونه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اولا لى.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: دالا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: انسافلين.
(٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: من ينظر.

و الخواص على دوام الأوقات إلى الله تعالى ينظرون كما أن الفجار دائما عن ربهم محجوبون .

و لما وصف[1] نعيمهم ، أخبر أنهم من عرافتهم فيه [يعرفهم به -[2]] كل ناظر إليهم فقال تعالى : ﴿ تعرف ﴾ أى أيها الناظر إليهم - هذا على قراءة الجماعة ، و قرأ أبو جعفر و يعقوب بالبناء للمفعول ، و هو أدل على العموم ﴿ فى وجوههم ﴾ عند رؤيتهم ﴿نضرة النعيم﴾ أى بهجته و رونقه و حسنه و بريقه و طراوته ، من نضر[3] النبات - إذا أزهر و نوّر ، و قال الحسن رحمه الله تعالى[4] : النضرة فى الوجه و السرور فى القلب .

و لما كانت مجالس الأنس لاسيما[5] فى الأماكن النضرة لا تطيب إلا بالمآكل و المشارب ، و كان الشراب يدل على الأكل ، قال مقتصرا عليه لأن هذه السور[6] قصار يقصد فيها الجمع مع الاختصار قال : ﴿ يسقون ﴾ بانيا له للمفعول دلالة على أنهم مخدومون أبدا لا كلفة عليهم فى شيء ﴿ من رحيق ﴾ أى شراب خالص صاف عتيق ابيض مطيب فى غاية اللذة ، [7] فانهم قالوا : إن الرحيق[7] الخمر أو أطيبها او أفضلها أو الخالص او الصافى ، و ضرب من الطيب . و لا شك أن العاقل لايشرب

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : وصفهم (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ضرة (٤) راجع المعالم ٧/١٨٥ (٥) زيد فى الأصل : فى المجالس ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة. (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فالرحيق .

الخمر مطلقا فكيف بأعلاها [إلا -[1]] إذا [كان -[1]] مستكملا لمقدماتها من مأكول و مشروب و ملبوس و منكوح و غير ذلك . و لما كان الختم لايكون إلا لما عظمت رتبته و عزت نفاسته ، قال مريدا الحقيقة ، أو الكناية عن نفاسته : ﴿مختوم ۝﴾ أى فهو مع نفاسته سالم من الغبار و جميع الأقذاء و الأقذار . ٥

و لما كان الختم[2] حين الفك[3] لابد أن ينزل من فتاته فى الشراب قال : ﴿ ختمه مسك[4] ﴾ و قال ابن مسعود رضى الله عنه[4] : إن المراد بختامه آخر طعمه ، فيحصل أن ختامه فى أول فتحه و فى آخر شربه المسك ، و ذلك يقتضى ان لايكون يفتحه إلا شاربه ، و أنه يكون على[5] قدر كفايته فيشربه كله ، و العبارة صالحة لأن يكون [الختام -[6]] أو لا و آخرا ، ١٠ و هو يجرى مجرى افتضاض البكر . و لما كان التقدير : [فبه -[6]] يبلغ نهاية اللذة الشاربون ، عطف عليه قوله : ﴿ و فى ذلك ﴾ أى الأمر [العظيم -[1]] البعيد المتناول و هو العيش و النعيم و الشراب الذى هذا وصفه ﴿ فليتنافس ﴾ أى فليرغب غاية الرغبة بجميع الجهد و الاختيار ﴿ المتنافسون[7] ﴾ أى الذين من شأنهم المنافسة / و هو أن يطلب كل منهم ١٥ / ٧٠٢ أن يكون ذلك المتنافس فيه لنفسه خاصة دون غيره لأنه[7] نفيس جدا ،

---

(١) زيد من ظ (٢) زيد فى الأصل : ايضا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : ينفك (٤) راجع المعالم ٧/١٨٥ (٥) زيد فى الأصل : قدرته و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد من ظ و م . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لا .

و النفيس هو الذى تحرص عليه نفوس الناس و تتغالى فيه . و المنافسة فى مثل هذا بكثرة الأعمال [الصالحات -[1]] و النيات الخالصة .

و لما ذكر الشراب ، أتبعه مزاجه على ما يتعارفه أهل الدنيا لكن بما هو أشرف منه ، فقال مبينا لحال هذا المسق : ﴿ و مزاجه ﴾ أى[2] يسقون منه و الحال أن مزاج هذا الرحيق ﴿ من تسنيم ﴾ علم على عين معينة و هو - مع كونه علما - دال على انها عالية المحل و الرتبة ، و الشراب[3] ينزل عليهم ماؤها [من العلو -[4]] ، و قال حمزة الكرمانى : ماؤها يجرى على الهواء متنسما ينصب فى أوانى أهل الجنة على مقدار الحاجة ، فاذا أمتلأت أمسك ، و هو فى الشعر اسم جبل عال و كذا التنعيم و أصله من السنام ، و لذلك قطعها مادحا فقال : ﴿ عينا يشرب بها ﴾ أى بسببها على طريقة المزج منها ﴿ المقربون ﴾ أى الذين وقع تقريبهم من اجتذاب الحق لهم إليه و قصر هممهم عليه ، كل شراب يريدونه ، و أما الأبرار فلا يشربون بها[5] إلا الرحيق ، و أما غيرهم فلا يصل[6] إليها أصلا ، و قال بعضهم : إن المقربين[7] يشربون من هذه العين صرفا ، و الأبرار يمزج لهم منها[8] ، الفرق ظاهر - هنيا لهم[8] .

و لما ذكر سبحانه جزاء الكافر[9] بالجحيم و جزاء المؤمن[10] بالنعيم ،

(١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل: الذى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الشرب (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الاصل و ظ : فيها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا يصلون (٧) من ظ م ، و فى الاصل : المقربون (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) من ظ و م . و فى الأصل : الكافرين (١٠) من ظ و م . و فى الأصل : المؤمنين .

وكان

و كان من أجلّ النعيم الشماتة بالعدو ، علل جزاء الكافر بما فيه شماتة المؤمن به لأنه اشتغل فى الدنيا بما لا يغنى ، فلزم من ذلك تفويته لما يغنى[1]، فقال مؤكدا لأن ذا[2] المروءات و الهمم العاليات و الطبع السليم و المزاج القويم لا يكاد يصدق مثل هذا ، و أكده إشارة إلى أن من حقه أن لا يكون : ﴿ ان الذين اجرموا ﴾ أى قطعوا ما أمر الله به أن يوصل ٥ ﴿ كانوا ﴾ أى فى الدنيا ديدنا و خلقا [3]و طبعا و جبلة[3] ﴿ من الذين امنوا ﴾ أى و لو كانوا فى أدنى درجات الإيمان ﴿ يضحكون ﴾ أى يجددون الضحك كلما رأوهم أو ذكروهم استهزاء بهم [3]و بحالاتهم التى هم عليها من علامات الإيمان[3] فى رثاثة أحوالهم و قلة أموالهم [و -[4]] احتقار الناس لهم مع ادعائهم أن الله تعالى لا بد أن ينصرهم و يعلى أمرهم[5] ١٠ ﴿ و اذا مروا ﴾ أى[6] الذين آمنوا ﴿ بهم ﴾ أى بالذين أجرموا فى [3]أى وقت من الأوقات يستهزؤن و[3] ﴿ يتغامزون ﴾ أى يغمز بعض الذين أجرموا بعضا لأذى الذين امنوا .

و لما وصفهم فى مواضع التردد و التقلب ، وصفهم فى المنازل فقال : ﴿ و اذا انقلبوا ﴾ أى رجع الذين أجرموا برغبتهم فى الرجوع ١٥ و إقبالهم عليه من غير تكره ﴿ الى[3] اهلهم ﴾ أى منازلهم التى هى عامرة

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يغنى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ذى.
(٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل : فقال تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : اذا مر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

٧٠٣ / بجماعتهم ﴿انقلبوا﴾ [1] حال كونهم ﴿فاكهين ۝﴾ اى متلذذين غاية التلذذ / بما كان من مكنتهم و رفعتهم التى أوصلتهم إلى الاستسخار بغيرهم ، قال ابن برجان : و ذكر عليه الصلاة و السلام « إن الدين بدا غريبا و سيعود [غريبا -[2]] كما بدأ ، يكون القابض على دينه كالقابض على الجمر[3] » و فى أخرى : يكون المؤمن فيهم أذل من الأمة . و فى أخرى : العالم فيهم أنتن من [4]جيفة حمار[4] - فالله المستعان .

و لما ذكر مرورهم بهم ، ذكر مطلق رؤيتهم لهم فقال : ﴿و اذا رآوهم﴾ أى [رأى -[2]] الذين أجرموا الذين آمنوا ﴿قالوآ﴾ أى عند رؤيتهم للذين آمنوا مؤكدين لأنهم يستشعرون أن كل ذى عقل يكذبهم مشيرين إلى تحقيرهم بأداة القرب : ﴿ان [5]هؤلاء﴾ أى الذين آمنوا ﴿لضآلون ۝﴾ أى عريقون فى الضلال لأنهم تركوا الدنيا لشىء اجل لا صحة له ﴿و مآ﴾ أى و الحال أنهم [ما -[2]] ﴿ارسلوا﴾ اى من [5]مرسل ما[5] ﴿عليهم﴾ أى على الذين آمنوا خاصة حتى يكون لهم بهم هذا الاعتناء فى بيوتهم و خارجها عند مرورهم و غيره ﴿[6]حفظين ۝﴾ أى عريقين فى حفظ أعمال الذين آمنوا فما اشتغالهم بهم إلى هذا الحد أن كانوا عندهم فى عداد الساقط المهمل كما يزعمون فما هذه المراعاة المستقصية لأحوالهم و إن كانوا فى عداد المنظور إليه[6] المعتنى به فليبينوا فساد حالهم بوجه تقبله العقول

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الجمرة (٤-٤) من م ، و فى الأصل و ظ : جيف الحمار (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اى مرسل ما ، و فى ظ اى مرسل (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : اليهم .

و[1] يقوم عليه دليل أو ليتبعوهم و إلافهم غير عارفين بمواضع الإصلاح و تعاطى الأمور على وجوهها[2] فما أحقهم بقول القائل :

أوردها سعد و سعد مستمل ما هكذا تورد يا سعد الإبل

و لما كان لا نعيم أفضل من الشماتة بالعدو لاسيما إذا كانت على أعلى طبقات الشماتة قال تعالى : ﴿ فاليوم ﴾ أى فتسبب عن هذا من فعلهم فى دار العمل أنه يكون فى دار الجزاء ﴿ الذين آمنوا ﴾ و لو كانوا فى أدنى درجات الإيمان ﴿من الكفار﴾[3] خاصة ، و هم الراسخون فى الكفر من عموم الذين أجرموا، فى الحشر و الجنة سخرية و هزؤا[4]، فان الذين آمنوا لايضحكون من عصاة المؤمنين لو رأوهم يعذبون بل يرحمونهم لاشتراكهم فى الدين ﴿يضحكون﴾ قصاصا و جزاء حين[5] يرون ما هم[6] فيه من الذل سرورا بحالهم شكرا لله على ما أعطاهم من النجاة من النار و النقمة من أعدائهم ، قال أبو صالح : تفتح لهم الأبواب[7] و يقال : اخرجوا ، فيسرعون فاذا وصلوا إلى الأبواب غلقت[8] فى وجوههم وردوا على أقبح حال ، فيضحك[9] المومنون - انتهى . و يا لها من خيبة و خجلة

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : وجهها . (٣) زيد فى الأصل : اى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : هزية (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : حتى (٦) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : ابواب (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : اغلقت (٩) زيد فى الأصل : عليهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و سواد وجه و تعب قلب و تقريع نفس من العذاب بالنار و[1] بالشماتة و العار، حال كون الذين آمنوا ملوكا ﴿على الارآئك[لا]﴾ اى الأسرة العالية المزينة التى هى من حسنها[2] أهل لأن يقيم المتكئ بها ﴿ينظرون[ه]﴾ أى يجددون تحديق العيون إليهم كلما أرادوا فيرون / ما هم فيه من ٧٠٤/
٥ الهوان و الذل و العذاب بعد العزة[3] و النعيم نظر المستفهم ﴿هل ثوب﴾ بناه للمفعول لأن الملذذ مطلق مجازاتهم[4] ﴿الكفار﴾ أى وقع تثويب العريقين فى الكفر أى إعطاؤهم الثواب و الجزاء على أنهى ما يكون، فالجملة[5] فى محل نصب «ينظرون» ﴿ما كانوا﴾ أى نفس فعلهم بما هو لهم كالجبلات ﴿يفعلون[ع]﴾ [أى-[6]] بدواعيهم الفاسدة و رغباتهم المعلولة،
١٠ فالجملة[5] فى موضع المفعول، و قد علم أن لهم الويل الذى افتتحت السورة بالتهديد به لمن يفعل فعل من لا يظن أنه يجازى على فعله، و آخرها فيمن انتقص[7] الأعراض فى خفاء، [و-[8]] أولها فيمن انتقص الأموال كذلك، و جفاء العدل و الوفاء، و الله الهادى[9] للصواب، و إليه المرجع و المآب و إليه المتاب[9].

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: او (٢) من ظ و م، و فى الأصل: احسنها.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: العدة (٤) من ظ و م، و فى الأصل: مجاوزتهم.
(٥) من م، و فى الأصل و ظ: والجملة (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: انقض (٨) زيد من م (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

سورة الانشقاق[1]

مقصودها الدلالة على آخر المطففين من أن الأولياء ينعمون و الأعداء يعذبون ، لأنهم كانوا لايقرون بالبعث و لا بالعرض على الملك الذى أوجدهم و رباهم كما يعرض الملوك عبيدهم و يحكمون بينهم فينقسمون إلى أهل ثواب و أهل عقاب ، و اسمها الانشقاق [2]أدل دليل[2] على ذلك بتأمل الظرف و جوابه الدال على الناقد البصير و حسابه ﴿ بسم الله ﴾ ذى الجلال و الإكرام ﴿ الرحمن ﴾ الذى كملت نعمته فشملت الخاص و العام ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى أتمها بعد العموم على أوليائه فأسعدهم باتمام الإنعام .

لما ختمت التطفيف بأن الأولياء فى نعيم ، و أن[3] الأعداء فى جحيم ثوابا و عقابا ، ابتدأ هذه بالإقسام[4] على ذلك فقال : ﴿ اذا السمآء ﴾ أى على ما لها من الإحكام و العظمة [5]و الحكمة الذى لايقدر على مثلها غيره جلت قدرته[5] ﴿ انشقت ۝ ﴾ أى فصارت واهية و فتحت أبوابا[6] فتخربت و تهدمت ، و ذلك بعد القيام من القبور كما مضى فى الحاقة عن إحدى روايتى ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ و اذنت ﴾ اى كانت

(١) الرابعة والثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٢٥ .
(٢-٢) فى ظ و م : دال (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الاقسام (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) فى ظ : أبوابها .

شديدة الاستماع[1] و الطواعية و الانقياد على أتم وجه كمن له اذن واعية و نفس مطمئنة راضية ﴿لربها﴾ أى لأمر المخترع لها و المدبر لجميع أمرها، و هى الآن و إن كانت منقادة فانقيادها ظاهر لأكثر [الخلق-٢] و هم المثبتة، و أما المعطلة فربما نسبوا تأثيراتها إلى الطبائع و الكواكب،
٥ و أما عند الانشقاق فيحصل الكشف التام فلا يبقى لأحد شبهة ﴿و حقت﴾ بالبناء للمفعول بمعنى أنها مجبولة على أن ذلك حق [عليها-٢] ثابت لها، فهى حقيقة به لأنها مربوبة له سبحانه، و كل مربوب فهو حقيق بالانقياد لربه، و هى لم تزل مطيعة / له فى ابتدائها و انتهائها، لكن هناك يكون الكشف التام لجميع الأنام.

١٠ و لما بدأ بالعالم العلوى لكونه أشرف لأنه أعلى مكانة و مكانا، ثنى بالسفلى فقال تعالى: ﴿و اذا الارض﴾ أى [على-٢] ما لها من الصلابة و الثخانة و الكثافة، و أشار بالبناء للمفعول إلى سهولة الفعل فيها عليه سبحانه و تعالى و سرعة انفعالها مع كونه أعجب من انشقاق السماء فانه ربما كان فى الشىء لوهيه[3] من تطاول مرور الزمان عليه
١٥ بخلاف المد فقال: ﴿مدت﴾ اى بسطت بسط الأديم و مطت فامتطت فزيد فى سعتها جدا بعد أن تمهدت فصارت دكاء فزالت جبالها و آكامها و تلالها، فلا[4] ترى فيها عوجا و لا أمتا كما أن الأديم إذا مد كان كذلك فزال تثنيه و اتسع.

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الامتناع (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: او هى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فما.

و لما كان الجلد جديرا بأنه إذا مد أن يبين عن كل ما فيه من[1] غيره قال: ﴿و القت ما فيها﴾ أى أخرجت ما فى بطنها من الأموال و الكنوز و الأموات إخراجا سريعا كأنها تقذفه قذفا، و ذلك أيضا كالبساط إذا نقض ﴿و تخلت ۝﴾ اى تعمدت و تكلفت الخلو عن ذلك و الترك له بغاية جهدها، أى فعل ذلك سبحانه [فعلا كانت الأرض ٥ كأنها فاعلة له على هذا الوجه، فصارت خلية عن كل شيء كان فى بطنها، و صار بارزا على ظهرها . و لما كان هذا ربما أوهم انه بغير أمره سبحانه -[2]] و تعالى قال: ﴿و اذنت لربها﴾ أى فعلت ذلك باذن[3] الخالق [لها -[2]] و المربى و تأثرت فى ذلك عن تأثيره لا بنفسها، وفعلت فيه كله فعل السميع المجيب ﴿و حقت ۝﴾ أى و كانت حقيقة بذلك كما أن كل مربوب ١٠ كذلك، و تكرير "اذا" للتنبيه على ما فى كل من الجملتين من عظيم القدرة، و الجواب [محذوف -[2]] لأنه فى غاية الانكشاف بما دل عليه المقام مع ما تقدم من المطففين و ما قبلها من السور و ما يأتى فى هذه السورة تقديره: ليحاسبن كل احد على كدحه كله فليثوبن الكفار ما كانوا يفعلون و ليجازين أهل الإسلام بما كانوا يعملون . ١٥

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تقدم فى الانفطار التعريف بالحفظة و إحصائهم على العباد فى كتبهم، و عاد الكلام إلى ذكر ما يكتب على البر و الفاجر و استقرار ذلك فى قوله تعالى "ان كتاب الأبرار لفى

(١) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فعل .

عليّين" و قوله "ان كتاب الفجار لفى سجين" اتبع ذلك بذكر التعريف بأخذ هذه الكتب فى القيامة عند العرض، و أن أخذها بالأيمان عنوان السعادة، و أخذها وراء الظهر عنوان الشقاء إذ قد تقدم فى السورتين قبل ذكر[1] الكتب و استقرارها بحسب اختلاف مضمناتها فأنها [2]ما هو[2] فى عليين و منها [3]ما هو[3] فى سجين إلى يوم العرض، فيؤتى[4] كل كتابه فآخذ[5] بيمينه و هو عنوان سعادته، و آخذ [من -[6]] وراء ظهره و هو عنوان هلاكه، فتحصّل[7] الإخبار بهذه الكتب ابتداء و استقرارا و تفريقا يوم العرض، و افتتحت السورة بذكر انشقاق السماء و مد الأرض و إلقائها ما فيها و تخليها تعريفا / بهذا اليوم العظيم بما يتذكر به[8] من سبقت سعادته و المناسبة بينة - انتهى. /٧٠٦

و لما كان الجواب ما ذكرته، أتبعه شرحه فقال مناديا بأداة صالحة للبعد لأن المنادى أدنى الأسنان بادئا بالأولياء لأن آخر التطفيف الذى هذا شرح له إدخال السرور عليهم: ﴿يا أيها الانسان﴾ [أى -[6]] الآنس بنفسه الناسى لربه. و لما كان أكثر الناس منكرا للبعث، أكد فقال: ﴿انك كادح﴾ أى ساع و عامل مع الجهد لنفسك من خير

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ذلك (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م. (٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: فيأتى (٥) من م، و فى الأصل و ظ: فاخذه (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فتحصيل (٨) من ظ و م، و فى الأصل: فيه (٩) من ظ و م، و فى الأصل: لبعث.

أو

او شر، و اكثره مما يؤثر خـــدوشا و شينا و فسادا و شتاتا، منتهيا ﴿الى ربك﴾ الذى أوجدك و رباك بالعمل بما يريد معنى و بالموت حسا، و أشار إلى اجتهاد كل فيما[1] هو فيه و خلق له بالتأكيد بالمصدر فقال: ﴿كدحا﴾ اى عظيما ﴿فملقيه﴾ أى فمتعقب كدحك لقاؤك لربك، و أنه ينكشف لك أنك كنت فى سيرك إليه كالمجتهد فى لقائه ٥ اجتهاد من يسابق فى ذلك آخر، و كل ذلك تمثيل لنفوذ إرادته و مضى أقضيته بسبب الانتهاء إليه، و حقيقته تلاقى جزاءه[2] وينكشف[3] لك من عظيم أمره [ما ـ[3]] ينكشف للملاقى مع من[4] يلقاه بسبب اللقاء، و هذا أمر أنت ساع فيه غاية السعى لأن من كان الليل و النهار مطيتيه أوصلاه بلاشك إلى منتهى سفره شاء أو أبى، فذكر هذا على هذا النمط حث ١٠ على الاجتهاد فى الإحسان فى العمل لأن من أيقن بأنه[5] لابد له[6] من العرض على الملك أفرغ جهده فى العمل بما[7] يحمده عليه عند لقائه.

و لما كان من المعلوم أن عبيد الملك إذا عرضوا [عليه ـ[8]]، كان فيهم المقبول و المردود، بسبب أن كدحهم تارة يكون حسنا و تارة يكون سيئا، قال معرفا أن [الأمر ـ[8]] فى لقائه كذلك [على ما نعهد ـ[9]]، ١٥ فمن كان مقبولا أعطى كتاب حسناته بيمينه لأنه كان فى الدنيا من

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: ثم ينكشف (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٥) من ظ و م، و فى الأصل: انه (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: على ما (٨) زيد من م (٩) زيد من ظ.

أهل اليمين أى الدين المرضى[1]، و من كان مردودا اعطى كتابه بشماله لأنه كان فى الدنيا مع أهل الشمال و هو الدين الباطل الذى يعمل من غير إذن المالك[2]، فكأنه يفعل من ورائه، فترجم هذا الغرض بقوله سبحانه و تعالى مفصلا [للانسان -[3]] المراد به الجنس جامعا للضمير بعد أن أفرده تنصيصا على حشر كل فرد: ﴿ فاما من اوتى ﴾ بناه للمفعول إشارة إلى أن أمور الآخرة كلها قهر و فى غاية السهولة عليه سبحانه و تعالى، و فى هذه الدار للأمر و إن كان كذلك [4] إلا أن الفرق فى[4] انكشاف ستر الأسباب هناك فلا دعوى لأحد ﴿ كتبه ﴾ أى صحيفة حسابه التى كتبتها[5] الملائكة [6] وهو لايدرى و لا يشعر[6] ﴿ بيمينه ﴾ من امامه و هو المؤمن المطيع ﴿ فسوف يحاسب ﴾ أى يقع حسابه بوعد لاخلف فيه و إن طال الأمد لإظهار الجبروت و الكبرياء و القهر ﴿ حسابا يسيرا ﴾ أى سهلا لايناقش فيه لأنه كان يحاسب نفسه فلا يقع له المخالفة إلا ذهولا، / فلأجل ذلك تعرض أعماله فيقبل حسنها و يعفو عن سيئها. /٧٠٧

و لما كان هذا دالا على العفو، أتبعه ما يدل على الإكرام فقال: ﴿ و ينقلب ﴾ أى يرجع من نفسه من غير مزعج برغبة و قبول ﴿ الى[7] اهله ﴾ أى الذين أهله الله بهم فى[7] الجنة فيكون أعرف بهم و بمنزله

(١) فى ظ: المرتضى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الملك (٣) زيد من م. (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: انها (٥) زيد فى الاصل: عليه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) من م، و فى الأصل و ظ: إلى.

الذى أعد له منه بمنزله فى الدنيا . و لما كانت السعادة فى حصول السرور من غير قيد ، بنى للمفعول قوله : ﴿مسرورا[1]﴾ [أى -[1]] قد أوتى جنة و حريرا ، فانه كان فى الدنيا فى أهله مشفقا من العرض على الله مغموما[2] مضرورا يحاسب نفسه بكرة و عشيا حسابا عسيرا مع ما هو [فيه -[3]] من نكد الأهل و ضيق العيش و شرور المخالفين[4] ، فذكر هنا الثمرة و المسبب ٥ لأنها المقصودة[5] بالذات ، و فى الشق الآخر السبب و الأصل ، و قد استشكلت الصديقة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها هذه الآية بما روى عنها فى الصحيح[6] بلفظين أحدهما « ليس احد يحاسب إلا هلك » ، و الثانى « من نوقش الحساب عذب » قالت عائشة رضى الله عنها : فقلت : يا رسول الله ! أليس الله يقول " فاما من أوتى كتابه " - الآية ، فقال صلى الله عليه ١٠ و سلم : إنما ذلك العرض . فان كان اللفظ الأول هو الذى سمعته فالإشكال فيه واضح ، و ذلك أنه يرجع إلى كلية موجبة هى « كل من حوسب هلك » و الآية مرجع إلى جزئية سالبة و هى « بعض من يحاسب لايهلك » و هو نقيض ، و حينئذ يكون اللفظ الثانى من تصرف الرواة ، و إن كان الثانى هو الذى سمعته فطريق تقرير الإشكال فيه أن يقال : ١٥ المناقشة فى اللغة من الاستقصاء و هو بلوغ الغاية ، و ذلك فى الحساب

---

(١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل : مطرودا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل و ظ : المخالطين ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المقصود .
(٦) راجع ٢ / ٧٣٦ .

بذكر الجليل و الحقير و المجازاة عليه، فرجع الأمر أيضا إلى كلية موجبة هي «كل من حوسب بجميع أعماله عذب» و ذلك شامل لكل حساب سواء كان يسيرا أو[1] لا، لأن الأعم يشمل جميع أخصّياته، و الآية مثبتة أن من أعطى كتابه بيمينه يحاسب عليه و لا يهلك، و الصديقة رضى الله عنها عالمة بأن الكتاب يثبت فيه جميع الأعمال من قوله تعالى "لا يغادر صغيرة و لا كبيرة الا أحصاها" و من حديث الحافظين و غير ذلك، فرجع الأمر إلى ان بعض من يحاسب بجميع أعماله لا يهلك، و حينئذ فالظاهر التعارض فسألت، فأقرها صلى الله عليه و سلم على الإشكال و أجابها بما حاصله أن المراد بالحساب فى الحديث مدلوله المطابق، و هو ذكر الأعمال [كلها -[2]] و المقابلة على كل منها، و ذلك هو معنى المناقشة، فمعنى «من نوقش الحساب» من حوسب حسابا حقيقيا بذكر جميع أعماله و المقابلة على كل منها، و أن المراد بالحساب فى الآية جزء المعنى المطابق / و هو ذكر الأعمال فقط من غير مقابلة، و ذلك بدلالة التضمن مجازا مرسلا لأنه إطلاق اسم الكل على الجزء، و لأجل هذا كانت الصديقة رضى الله تعالى عنها تقول بعد هذا فى تفسير الآية: يقرر بذنوبه ثم يتجاوز عنها - كما نقله عنها أبو حيان[3]، و على ذلك دل قوله صلى الله عليه و سلم فيما رواه الشيخان[4] عن ابن عمر رضى الله عنهما

/ ٧٠٨

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ام (٢) زيد من ظ و م (٣) راجع البحر المحيط ٨ / ٤٤٦ (٤) راجع صحيح البخارى ١ / ٣٣٠ و صحيح مسلم ٢ / ٣٦٠.

ان

« ان الله تعالى يدنى المؤمن يوم القيامة فيضع كنفه عليه و يستره ثم يقول له: أتعرف ذنب كذا - حتى يذكره [1] بذنوبه كلها و يرى فى نفسه أنه قد هلك، قال الرب سبحانه: سترتها عليك فى الدنيا، و انا أغفرها لك اليوم » و لفظ " كنفه " يدل على ذلك فان كنف الطائر جناحه، و هو إذا وقع [2]فرخه فى[2] كنفه عامله[3] بغاية اللطف، فالله تعالى أرحم و ألطف ٥ ﴿ و اما من اوتى ﴾ أى بغاية السهولة و إن أبى هو ذلك ﴿ كتٰبه ﴾ أى صحيفة حسابه[4] ﴿ورآء ظهره[5]﴾ أى فى شماله إيتاء مستغرقا لجميع جهة الوراء التى هى [علم -[5]] السوء لأنه كان يعمل ما لم يأذن به الله، فكأنه عمل من ورائه مما يظن أنه يخفى عليه سبحانه، فكان حقيقا بأن تغل يمينه إلى عنقه، و تكون شماله [إلى -[6]] وراء ظهره، و يوضع كتابه فيها، ١٠ و هذا احتباك: ذكر اليمين أولا يدل على الشمال ثانيا، و ذكر الوراء [ثانيا -[5]] يدل على الأمام أولا، و سر ذلك أنه ذكر دليل المودة و الرفق بالمصافحة و نحوها فى السعيد، و دليل الغدر و الاغتيال فى الشقى ﴿فسوف يدعوا﴾ أى بوعد [7]لا محالة فى[7] وقوعه أبدا[8] ﴿ ثبورا ﴾ أى حسرة و ندما بنحو قوله: واثبوراه، و هو الهلاك الجامع لأنواع ١٥ المكاره كلها لأن أعماله فى الدنيا كانت أعمال الهالكين.

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يعرفه (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى خرفه (٣) زيد فى الأصل و ظ: الله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اعماله (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد من م. (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٨) سقط من ظ و م.

و لما كان ذلك لايكون إلا لبلاء كبير، أتبعه ما يمكن ان يكون علة له فقال: ﴿و يصلى سعيرا ۝﴾ أى و يغمس فى النار التى هى فى غاية الاتقاد و يقاسى حرها و هى عاطفة عليه و محيطة به لأنه كان تابعا لشهواته التى هى محفوفة بها فأوصلته إليها و أحاطت به.

٥ و لما ذكر هذا العذاب الذى لايطاق، أتبعه سببه ترهيبا منه و استعطافا إلى التوبه و تحذيرا من السرور فى دار الحزن، فقال مؤكدا تنبيها على أنه لاينبغى أن يصدق أن عاقلا يثبت[1] له سرور فى الدنيا: ﴿انه كان﴾ اى بما هو له كالجبلة و الطبع ﴿فى اهله﴾ أى[2] فى دار العمل ﴿مسرورا ۝﴾ أى ثابتا له السرور بطرا بالمال و الجاه فرحا به مخلدا إليه مترفا[3] مع

١٠ الفراغ [4]و الفرار[4] عن ذكر حساب الآخرة كما قال فى التى قبلها "و اذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فاكهين"، لايحزن أحدهم لذنب عمله[5] و لاقبيح ارتكبه، بل يسر بكونه / يأتى له ذلك فهو يحاسب فى الآخرة حسابا عسيرا[6]، و ينقلب إلى أعدائه مغموما كسيرا، و قد بان [أن -[8]] الكلام من الاحتباك: ذكر الحساب اليسير الذى هو الثمرة و المسبب

١٥ أولا يدل على حذف ضده ثانيا، و ذكر السرور فى الأهل الذى هو السبب [فى -[9]] الثانى يدل على حذف ضده و هو سبب السعادة و هو

(١) فى ظ: ثبت (٢) سقط من م (٣) من م، و فى الاصل و ظ: مترفها.
(٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من م، و فى الأصل و ظ: لعمله
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: يسيرا (٧) زيد فى الأصل: اهله مسرورا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من م (٩) زيد من ظ و م.

الغم و محاسبة النفس فى الأول ، فهو احتباك فى[1] احتباك ، ثم علل ثبات سروره فقال [مؤكدا -[2]] تنبيها أيضا على أنه لايصدق أن أحدا ينكر البعث مع ما له من الدلائل التى تفوت الحصر : ﴿ انه ظن ﴾ لضعف نظره ﴿ان﴾ أى أنه[3] ﴿ لن يحور ۚ ﴾ أى يرجع إلى ربه أو ينقص أو يهلك "وقالوا ما هى الاحياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر" فلهذا كان يعمل عمل من لا يخاف عاقبة[4] ﴿بلى[5] ۚ﴾ ليرجعن صاغرا ناقصا هالكا ، ثم علل ذلك بقوله مؤكدا لأجل من ينكر : ﴿ان ربه﴾ أى الذى ابتدأ إنشاءه ورباه ﴿ كان﴾ أزلا و أبدا ﴿به﴾ اى هذا الشق فى إعادته كما كان فى ابتدائه و [فى -[6]] جميع أعماله و أحواله التى لا يجوز فى عدل عادل ترك الحساب عليها ﴿بصيرا ۝﴾ أى ناظرا له و عالما به[7] أبلغ نظر و[8] أكمل علم ، فتركه مهملا مع العلم بأعماله مناف للحكمة و العدل و الملك ، فهو شىء لايمكن فى[9] العقل بوجه .

و لما أخبر سبحانه بانكاره لما أتاه به الرسل من الحشر على وجه موضح للدليل على بطلان إنكاره و لم يرجع ، سبب عنه الإقسام على صحة ذلك لأنه ليس عند النذير الناصح الشفوق بعد إقامة[10] الأدلة إلا[10]

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : « و » (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : ان (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : العواقب (٥) زيد فى الأصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦) زيد من م (٧) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد فى الأصل و ظ : ابلغ ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٩) من ظ ، و فى الأصل و م : من . (١٠-١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : ولدليل لا .

الأيمان على صحة ما قال نظرا منه للنصوح و شفقة عليه ، و كان ترك الحلف على ما هو ظاهر أبلغ من الحلف لما فى ذلك الترك من تنبيه المخاطب على النظر و التأمل فقال : ﴿ فلا اقسم ﴾ أى أحلف حلفا عظيما هو كقاموس البحر بهذه الأمور التى سأذكرها لما لها من الدلالة على القدرة على الإبداء و الإعادة ، [1]لا أقسم بها و إن كانت فى غاية العظم[2] بما لها من الدلالات الواضحة لأن المقسم عليه أجل منها و أظهر فهو غنى عن الإقسام ﴿ بالشفق ۝ ﴾ اى الضياء الذى يكون فى المغرب عقب غروب الشمس أطباقا حمرة ثم صفرة ثم كدرة إلى بياض ثم سواد ، و كذلك الليل اوله بياض بغبرة ثم تتزايد غبرته قليلا قليلا إلى أن يسود مربادا فيوسق كل شىء ظلاما ، سمى شفقا لرقته و منه الشفقة لرقة القلب ﴿ و الّيل ﴾ أى الذى يغلبه فيذهبه ﴿ و ما وسق ۝ ﴾ أى جمع فى بطنه و طرد و ساق من ذلك الشفق و من النهار الذى كان قبله و النجوم التى أظهرها و غير ذلك من الغرائب التى تدل على أن موجده بعد أن لم يكن و مذهب ما كان به قادر على الإبداء و الإعادة / و كل ما يريد ٧١٠/ ﴿ و القمر ﴾ اى الذى هو آيته[3] ﴿ اذا اتسق ۝ ﴾ أى انتظم و استوى و اجتمع[4] كماله و تم امره ليلة إبداره بعد أن كان قد غاب أصلا ثم بدأ هلالا خفيا ضئيلا دقيقا و لم يزل يزداد حتى يتم ثم ينقص إلى أن يخفى

(١) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : العظيم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : آية ثانية (٤) من ظ ، و فى الأصل و م : اجمع .

تم

ثم يعود إلى حاله دليلا أظهر من الشمس على قدرة موجده كذلك على كل أمر من الإبداء و الإعادة .

و لما كانت هذه الأمور عظيمة جدا لا يقدر عليها إلا الله تعالى[1] و لها من المنافع ما [لا -[2]] يعلمه حق علمه إلا هو سبحانه و تعالى، و كل منها مع ذلك دال على [تمام -[2]] قدرته تعالى على الذى يراد تقريره ٥ فى العقول و إيضاحه من القدرة التامة على إعادة الشيء كما كان سواء، و نفى الإقسام بها دليلا[3] على أن ذلك فى غاية الظهور، فالأمر فيه غنى عن الإقسام، قال فى موضع جواب القسم مقرونا باللام الدالة على القسم ذاكرا ما هو فى الظهور و البداهة بحيث لا يحتاج إلى تنبيه عليه بغير ذكره[4] : ﴿ لتركبن ﴾ أى أيها المكلفون - هذا على قراءة الجماعة ١٠ بضم الباء دلالة على حذف [واو -[5]] الجمع، و قرأ ابن كثير و حمزة و الكسائى بفتحها على أن الخطاب للانسان باعتبار اللفظ ﴿ طبقا ﴾ مجاوزا ﴿ عن طبق[6] ﴾ أى حالا بعد حال من أطوار الحياة و أدوار العيش و غمرات الموت ثم [من -[5]] أمور البرزخ و شؤن البعث و دواهى الحشر بدليل[6] ما كان لكم قبل ذلك[7] سواء بتلك القدرة التى كونت تلك ١٥ الكوائن[8] و أوجدت تلك العجائب سواء، فتكونون فى تمكن الوجود فى

(١) زيد فى الأصل : بما ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من م .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : دليل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك .
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بذلك (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : تلك (٨) من ظ و م ، و فى الاصل : الا كوان .

كل طبق بحال التمكن على الشيء بالركوب، و كل [حال -[1]] منها مطابق للآخر فى ذلك فان الطبق ما يطابق غيره، و منه قيل للغطاء: طبق ـ لمطابقته المغطى، و الطبق كل ما ساوى شيئا و وجه الأرض و القرن من الزمان أو عشرون سنة، و كلها واضح الإرادة هنا و هو بديهى الكون،
٥ فأول أطباق الإنسان جنين، ثم وليد، ثم رضيع، ثم فطيم، ثم يافع، ثم رجل، ثم شاب[2]، ثم كهل، ثم شيخ، ثم ميت، [3]و بعده[3] نشر ثم حشر ثم حساب ثم وزن ثم صراط ثم مقرّ، و مثل هذه الأطباق المحسوسة أطباق معنوية من الفضائل و الرذائل.

و لما ظهر المراد و لم يبق إلا العناد، سبب عن ذلك الإنكار
١٠ عليهم و التوبيخ و التقريع و التهديد، فقال معرضا عن خطابهم إلى الغيبة إيذانا باستحقاقهم[4] للأخذ إن [لم -[1]] يرجعوا: ﴿فما لهم﴾ أى و أىّ شىء لهؤلاء الذين أنزلنا عليهم هذا الكتاب المعجز فى أنهم ﴿لا يؤمنون﴾ أى يوقعون[5] الإيمان و يجددونه كل وقت على الاستمرار بكل ما دعا إليه هذا الكتاب الذى خصهم به ملك الملوك[6] و قد وضحت الدلائل
١٥ و قامت البراهين لا سيما دلائل القيامة هل[7] هى إلا واحدة من هذه الأطباق المنتقل إليها لأن من كان اليوم على حالة و غدا على أخرى جدير

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: تم بالغ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: ثم (٤) من م، و فى الأصل و ظ: لا تحققاهم (٥) من ظ و م. و فى الأصل: لا يوقعون (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الموت (٧) من م، و فى الأصل و ظ: بل.

/ بأن يعلم أن تدبيره إلى سواه، و من لم يعلم ذلك فليس لجنونه دواء، و من علم أن تدبيره [إلى سواه علم أن المشيئة فى التدبير -[1]] إليه لا إلى نفسه، و قيل لأبى بكر الوراق: ما الدليل على الصانع؟ قال: تحويل الحالات و عجز القوة وضعف الأركان و قهر المشيئة، و فسخ العزيمة. ﴿و اذا قرئ﴾ أى من أىّ قارئ كان ﴿عليهم القرآن﴾ أى الجامع لكل ما ينفعهم فى دنياهم و أخراهم الفارق بين كل ملتبس [2]من الحرام و الحلال و غير ذلك[2] ﴿لا يسجدون[3]﴾ أى يخضعون[3] بالقلب و يتذللون للحق بالسجود اللغوى فيسجدون بالقالب السجود الشرعى لتلاوته لأنه ملك الكلام، قد أبان[4] عن معارف لا تحصر، مع الشهادة لنفسه بإعجازه أنه من عند الله، ليس لهم فى ذلك عذر إلا الجهل أو العجز، و لا جهل مع القرآن و لا عجز مع القوة و الاختيار.

و لما كان هذا استفهاما إنكاريا معناه النفى، فكان التقدير: إنهم [لا -[5]] يؤمنون و لاعذر لهم فى ذلك أصلا، أضرب عنه بقوله: ﴿بل﴾ و وضع الظاهر موضع [6]المضمر تعميما[6] و تنبيها على الوصف الذى حملهم على التكذيب فقال: ﴿الذين كفروا﴾ أى ستروا مرائى عقولهم الدالة على الحق ﴿يكذبون[7]﴾ أى بالقرآن و بما دل عليه من

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لا يخضعون (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بان (٥) زيد من م. (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: الضمير تفهيما.

حقائق العرفان المعلية[1] إلى اوج الإيمان بالواحد الديان ﴿ و الله ﴾ اى و الحال أن الملك المحيط بـكل شيء قدرة و علما ﴿ اعلم ﴾ أى منهم أنفسهم ﴿ بما يوعون ﴾ أى يضعون فى أوعية صدورهم من الكفر و العداوة بسبب الشهوات الشاغلة لهم [2]و هى حب الرئاسة و ادعاء الولاهية الشاغلة لهم[2] عن التدبر[3] لهـذا القرآن و عن شواهد الموجودات .

و لما كان هذا موجبا لشديد الإنذار ، وضع موضعه تهكما[4] بهم و إعلاما بأن الغضب قد بلغ منتهاه قوله : ﴿ فبشرهم ﴾ أى أخبرهم [2]يا أفضل الخلق و أكملهم و أعدلهم[2] خبرا يغير ابشارهم ﴿ بعذاب اليم ﴾ أى شديد الألم لشدة إيلامه ، إن كان لهم يوما من الأيام بشارة فهى هذه .

و لما أخبر عنهم بهذا الهوان ، و كان قد عبر عنهم بأدنى الأسنان إشارة إلى أن منهم من يقبل الإيمان ، استثنى منهم فقال : ﴿ الا الذين امنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان ﴿ و عملوا ﴾[5] دلالة على [6]صدق إيمانهم[6] ﴿ الصلحت ﴾ .

و لما تقدم أن من حوسب عذب ، و أن الناجى إنما يكون حسابه عرضا ، علم أنه ليس للأعمال دخل فى الحقيقة فى الأجر ، و إنما المدار كما قال النبى صلى الله عليه و سلم على التغمد بالرحمة حتى فى تسمية النعيم أجرا ،

---

(١) من ظ ، و فى الأصل و م : العلية (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : التدبير (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : متهمكا (٥) زيد فى الاصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .
(٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : صدقهم .

أسقط

أسقط الفاء المؤذنة بالسبب تنبيها على ذلك بخلاف ما فى سورة التين لما يأتى من اقتضاء سياقها للفاء فقال : ﴿ لهم اجر ﴾ أى عظيم [1]و ثواب جزيل يعلمه الله تعالى و هو التجاوز عن صغائرهم و سترها[1] ﴿غير ممنون ۝﴾ أى مقطوع أو منقوص أو يمتن عليهم به فى الدنيا و الآخرة / يؤتون ذلك فى يوم الدين يوم تنشق السماء و تمد الأرض و يثوب الكفار ما كانوا يفعلون ، فقد رجع آخرها على أولها ، و اعتلق[3] مفصلها حق الاعتلاق بموصلها .

/ ٧١٢

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) فى الأصول : يوون - كذا .
(٣) من ظ و م ، وفى الأصل : اعتنق (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : الاعتناق.

سورة البروج[1]

مقصودها الدلالة على القدرة على مقصود الانشقاق الذى هو صريح آخرها من تنعيم الولى و تعذيب الشقى بمن عذبه[2] فى الدنيا ممن لا يمكن فى العادة أن يكون عذابه ذلك إلا من الله وحده تسلية لقلوب المؤمنين و تثبيتا[3] لهم على اذى الكافرين[4] ، و على ذلك دل اسمها البروج بتأمل القسم و المقسم عليه و ما هدى ذلك السياق إليه[5] ﴿ بسم الله ﴾ الذى أحاط بكل شىء قدرة و علما ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم الخلائق عدلا و حلما ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أولياءه باتمام النعمة عليهم عينا كما أظهره رسما .

لما ختم تلك بثواب المؤمن و عقاب الكافر و الاستهزاء به بعد أن ذكر أنه سبحانه أعلم بما يضمر الأعداء من المكر و ما يرمون من الأنكاد للأولياء و توعدهم بما لايطيقون ، و كانوا قد عذبوا المؤمنين بأنواع العذاب و اجتهدوا فى فتنة من قدروا عليه منهم ، و بالغوا فى التضييق عليهم حتى ألجأوهم إلى شعب أبى طالب و غيره من البروج فى البلاد ، و مفارقة الأهل و الأولاد ، ابتدأ هذه بما أوقع[6] بأهل الجبروت

(١) الخامسة و الثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٢٢ .
(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عذابه (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تنبيها .
(٤) فى ظ و م : الكفار (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : عليه (٦) فى ظ : أوقعه

ممن تقدمهم على وجه معلم أن ذلك الإيقاع منه سبحانه قطعا ، و معلم أن الماضين تجاوزوا ما فعل هؤلاء إلى القذف فى النار ، و أن أهل الإيمان ثبتوا ، و ذلك لتسلية المؤمنين و تثبيتهم ، و توعيد الكافرين و توهيتهم و تفتيتهم ، فقال مقسما لأجل إنكارهم و فعلهم[1] فى التمادى فى عداوة حزب الله فعل المنكر أن الله ينتقم لهم[2] بما يدل على تمام القدرة على القيامة : ﴿ و السمآء ﴾ أى العالية غاية العلو المحكمة غاية الإحكام[3] ﴿ ذات البروج ﴾ أى المنازل[4] للكواكب السيارة التى ركبها الله تعالى على أوضاع[5] جعل فى بعضها[6] قوة التسبب للابداء و الإعادة بالإنبات[7] و فى بعضها قوة التربية كذلك ، و فى الأخرى قوة الاستحصاد بأسباب خفية أقامها سبحانه لا ترونها ، غير أنكم لكثرة ألفكم لذلك صرتم يدركون منه بالتجارب أمورا تدلكم على تمام القدرة ، فنسبها بعضكم إلى الطبيعة لقصور النظر فى أسباب الأسباب و كلال الفكر عن النفوذ إلى نهاية ما تصل إليه الألباب ، فاستبدل بالشكر الكفر ، و استدل / بالآيات على ضد ما تدل[8] عليه لجمود الذهن و انعكاس الفكر ، و المراد بها المنازل الاثنا عشر[9] :

---

(١) زيد فى الأصل : و غفلتهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ينتعم (٣) زيد فى الأصل : و هى . ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : للبروج ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الاوضاع (٦) العبارة من هنا إلى « التربية » ساقطة من ظ (٧) من م ، و فى الأصل : و هى للانبات (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : دات (٩) من ظ ، و فى الأصل و م : اثنى عشر .

الحمل - و الثور - و الجوزاء - و السرطان - و الأسد - و السنبلة - و الميزان - و العقرب - و القوس - و الجدى - و الدلو - و الحوت ، و هى التى تقطعها الشمس [فى السنة - [1]] ، أو هى الثمانية و العشرون التى يقطعها القمر فى الشهر ، و هى[2] منازل الشمس هذه الاثنا عشر[3] بسير القمر فى كل واحد منها يومين و ثلثا ، فذلك ثمانية و عشرون [يوما - [4]] و يستسر[5] ليلتين ، فذلك شهر ، و هو إشارة الى أن الذى فصل السماء هذا التفصيل و سخر فيها هذه الكواكب لمصالح الإنسان لايتركه سدى ، بل لابد من دينونته على ما يفعله من خير و شر ، شبهت بالقصور لأنها تنزلها السيارة و تكون فيها الثوابت و عظام الكواكب ، سميت بروجا لظهورها ، أو أبواب السماء فان النوازل تخرج منها ، و أصل التركيب للظهور .

و لما كانت هذه الجملة من القسم دالة على البعث قال تصريحا : ﴿ و اليوم الموعود ﴾ أى يوم القيامة الذى تحقق[6] الوعد به[6] و ثبت ثبوتا لابد منه بما دل عليه من قدرتنا فى مخلوقاتنا و أنا سبينا له أسبابا هى عتيدة لديكم[7] و أنتم لاترونها و لا تحسون شيئا منها و لم تبينها لكم الرسل لقصور عقولكم عنها بأكثر من الدلالة بالأسباب التى ألفتموها

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : التى هى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اثنى عشر (٤) زيد من م . (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : يستتر (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : به الوعد (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لكم .

على مثلها من غير فرق غير أنه و إن كان العقل لايستقل به و لايفقه[1] منه غير السماع للوعد به من الرسل فهو لايحيله بعد سماعه .

و لما كان الجمع لأجل العرض، و كان العرض لابد فيه من شهود و مشهود عليهم و جدال على عهود، قال منكرا الابهام للتعظيم و التعميم مثل "علمت نفس ما احضرت": ﴿ و شاهد ﴾ اى كريم من الأولياء ٥ ﴿ومشهود[4]﴾ أى فى نفسه من الأعيان والآثار الهائلة، أو عليه فانه [يوم -[2]] تشهده جميع الخلائق، و يحضر فيه من العجائب أمور يكل عنها الوصف، و يحضره الأنبياء الشاهدون و أممهم المشهود عليهم، و لاتبقى صغيرة من الأعمال و لا كبيرة إلا أحصيت، و فى ذلك أشد وعيد لجميع العبيد . ١٠

و لما كان جواب القسم [على -[3]] ما دل عليه مقصود السورة و سوابقها و لواحقها: لثوبن الفريقين الأولياء و الأعداء، و لندينن كلا بما عمل، دل عليه بأفعاله[1] فى الدنيا ببعض الجبارة فيما مضى، و فيما يفعل بجبارة من كذب النبى صلى الله عليه و سلم، فقال بادئا بمن عذب بعذاب الله فى القيامة للبداءة فى آخر الانشقاق بقسم المكذبين و هم ١٥ المحدث عنهم، معبرا بما يصلح للدعاء و الحقيقة تسلية للمؤمنين و تثبيتا لهم بما وقع لأمثالهم، و تحذيرا مما كان لأشكالهم: ﴿ قتل ﴾ أى لعن بأيسر أمر

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لايفقد (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م .
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: بامثاله .

و أسهله من كل لاعن لعنا لا فلاح معـه، و وقع فى الدنيـا أنه قتل
٧١٤/ حقيقة / ﴿ اصحٰب الاخدود ۝ ﴾ أى الخد العظيم، و هو الشق المستطيل فى
الأرض كالنهر، روى[1] أن ملكا من الكفار - و روى عن ابن عباس
رضى الله عنهما أنه كان من حمير - من ملوك اليمن، و كان قبل مولد
٥ النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة، آمن فى زمانه ناس كثير، فخد لهم
أخدودا فى الأرض و سجره نارا و عرض من آمن عليه، فمن رجع عن
دينه تركه، ومن ثبت - و هم الأغلب - قذفه فى ذلك الأخدود فأحرقه.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: وردت هذه السورة فى معرض
الالتفات و العدول إلى إخبار نبى الله صلى الله عليه و سلم بما تضمنته هذه
١٠ السورة من قصة أصحاب الأخدود، و [قد -[4]] تقدم هذا الضرب فى
سورة المجادلة و سورة النبأ، و بينا وقوعه فى أنفس السور و متونها و هو
اقرب فيما بين السورتين و أوضح - انتهى.

و لما ذمهم سبحانه و تعالى، بين [وجه -[4]] ذمهم ببدل اشتمال
من اخدودهم فقال: ﴿ النار ﴾ أى العظيمة التى صنعوها لعذاب أوليائنا،
١٥ و زاد فى تعظيمها بقوله: ﴿ ذات الوقود ۝ ﴾ أى الشىء الذى[5] نوقد به
من كل ما يصلح لذلك من الحطب و غيره، و علق بـ «قتل» قوله:
﴿ اذ هم ﴾ أى بظواهرهم و ضمائرهم ﴿ عليها ﴾ أى على جوانب أخدودها

(١) راجع المعالم ٧/١٩١ (٢) من م، و فى الأصل و ظ: اقبل (٣) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م.
(٥) من م، و فى الأصل و ظ: التى.

﴿ قعود ﴾ أى يحفظونها و يفعلون ما[1] يأمرهم ملكهم فى امرها من إلقاء الناس و غيره فعل القاعد المطمئن الذى ليس له شغل غيرها ﴿ و هم على ما يفعلون ﴾ أى خاصة بقوة دواعيهم إلى فعله و رغبتهم فيه من الفتنة بالعرض على النار و غيره مكررين ذلك الفعل ﴿ بالمؤمنين ﴾ أى الراسخين فى الإيمان الذى[2] لم يثنهم العذاب عنه ﴿ شهود ﴾ ٥ أى يشهد بعضهم لبعض عند الملك أنه لم يقصر فيما أمره[3] به و يشهدون يوم القيامة بما تشهد[4] به عليهم ايديهم و أرجلهم على أنفسهم بهذا الظلم، و يشهد بعضهم على بعض [5]و يعادى بعضهم بعضا[5]، و يحيل كل على الآخر طمعا فى النجاة .

و لما كان هذا الفعل العظيم لا يكون من عاقل إلا لسبب[6] يليق ١٠ به، بين أنه إنما هو لسبب يبعد منه، فقال على طريقة[7] :

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب :

﴿ و ما نقموا ﴾ أى أنكروا و كرهوا ﴿ منهم ﴾ من الحالات و كان دينا لهم و نقصا فيهم ﴿ الآ ان يؤمنوا ﴾ أى يجددوا الإيمان مستمرين عليه ﴿ بالله ﴾ أى الملك الأعلى الذى له جميع صفات الكمال . ١٥

(١) من م، و فى الأصل و ظ : بما (٢) من م، و فى الأصل و ظ : الذين .
(٣) من ظ و م، وفى الأصل : امر الله (٤) من ظ و م، و فى الأصل : شهد.
(٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل : عند الملك (٦) من م، و فى الأصل وظ : سبب (٧) زيد بعده فى الأصل : الاعجاب ولا عجيب فيهم غير ان سبق فيهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و لما كان ربما أوهم ترك معالجته سبحانه لهم لكونهم يعذبون من آمن به لأجل الإيمان به ما [لا - ١] يليق ، نفى ذلك بقوله واصفا له بما يحقق وجوب العبادة له و تفرده بها : ﴿العزيز﴾ أى الذى يغلب من أراد و لا يغلبه شىء ، فلا يظن إمكانه من أهل ولايته لعجز ، بل هو يبتليهم ليعظم ٢ أجورهم و يعظم عقاب أعدائهم و يعظم الانتقام منهم ﴿الحميد ٥﴾ أى المحيط بجميع / صفات الكمال ، فهو يثيب من أصيب فيه أعظم ثواب ، و ينتقم ممن آذاه بأشد العذاب ، و قرر ذلك بقوله : ﴿الذى له﴾ أى خاصة ٣ ﴿ملك السمٰوٰت و الارض ١﴾ أى على جهة العموم مطلقا ، فكل ما فيهما جدير بأن يعبده وحده و لا يشرك به شيئا .

/٧١٥

و لما قدم سبحانه التحذير بالشاهد و المشهود ، و ان الكافرين شهود على أنفسهم ، زاد فى التحذير بأنه سبحانه [أعظم - ١] شهيد فى ذلك اليوم و غيره ٤ فهو لا ٤ يحتاج إلى غيره ، و لكنه أجرى ذلك على ما نتعارفه ٥ فقال : ﴿و الله﴾ اى الملك الأعظم الذى له الإحاطة الكاملة ﴿على كل شىء﴾ [أى - ١] هذا الفعل و غيره ﴿شهيد ٥﴾ اى أتم شهادة لا يغيب عنه شىء أصلا ، و لا يكون شىء و لا يبقى الا بتدبيره ، و من هو بهذه الصفات العظيمة لا يهمل أولياءه أصلا ، بل لا بد أن

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : نعظم (٣) زيد فى الأصل : لا شريك له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فلا (٥) من ظ و م ، و فى الاصل : يتعارف .

ينتقم

ينتقم لهم من أعدائه و يعليهم بعلائه . و لذلك قال مستأنفا جوابا لمن يقول: فما[1] فعل بهم؟ مؤكدا لإنكار الكفار ذلك: ﴿ان الذين فتنوا﴾ أى خالطوا من الأذى بما لا تحتمله القوى فلا بد أن يميل[2] أو يحيل فى أى زمان كان و من أى قوم كانوا ﴿المؤمنين و المؤمنٰت﴾ أى ذوى الرسوخ فى وصف الإيمان . ٥

و لما كانت التوبة مقبولة قبل الغرغرة [3]و لو[3] طال الزمان، عبر بأداة التراخى فقال: ﴿ثم لم يتوبوا﴾ أى عن ذنوبهم و كفرهم . و لما كان سبحانه لا يعذب أحدا إلا بسبب، سبب عن ذنبهم و عدم توبتهم قوله: ﴿فلهم﴾ أى خاصة لأجل كفرهم ﴿عذاب جهنم﴾ أى الطبقة التى تلقى داخلها بغاية الكراهة و التجهم، هذا فى الآخرة ﴿و لهم﴾ أى مع ١٠ ذلك فى الدارين لأجل فتنتهم لأولياء الله ﴿عذاب الحريق[4]﴾ اى العذاب الذى من شأنه المبالغة فى الإحراق بما أحرقوا من قلوب الأولياء، و قد صدق سبحانه قوله هذا فيمن كذب النبى صلى الله عليه و سلم باهلاكهم شر إهلاك[4] مغلوبين مقهورين مع أنهم كانوا قاطعين بأنهم غالبون[5] كما فعل بمن كان قبلهم، فدل ذلك على أنه على كل شىء قدير، فدل[6] ١٥ على أنه يبدئ و يعيد .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يمهل . (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فلو (٤) زيد فى الأصل : وهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : غافلون (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : ودل .

و لما ذكر عقاب المعاندين بادئا به لأن المقام له، أتبعه ثواب العابدين، فقال مؤكدا لما لأعدائهم من إنكار ذلك: ﴿ان الذين آمنوا﴾ أى أقروا بالإيمان و لو على أدنى الوجوه من المقذوفين فى النار و غيرهم من كل طائفة فى كل زمان[1] ﴿و عملوا الصٰلحٰت﴾ تصديقا لإيمانهم و تحقيقا له. و لما كان الله سبحانه من رحمته قد تغمد أولياءه بعنايته و لم يكلهم إلى أعمالهم لم يجعلها سبب سعادتهم فلم يقرن بالفاء قوله: ﴿لهم﴾ أى جزاء [2]مقاساتهم لنيران[2] الدنيا من نار الأخدود الحسية التى ذكرت، و من نيران الغموم و الأحزان المعنوية التى يكون المباشر لأسبابها غيره سبحانه فيكون المقاسى لها مع حفظه للدين[3] كالقابض على الجمر ﴿جنّٰت﴾ أى فضلا منه ﴿تجرى﴾ و قرب منالها بالجار فقال: ﴿من تحتها﴾ أى[4] تحت غرفها و أسرتها و جميع أماكنها ﴿الانهرُ﴾[5] يتلذذون / ببردها فى نظير ذلك الحر الذى صبروا عليه فى الدنيا و يروقهم النظر إليها مع خضرة الجنان و الوجوه الحسان الجالبة [للسرور الجالية -[6]] للأحزان. /٧١٦

و لما ذكر هذا الذى يسر النفوس و يذهب البؤس، [فذلك -[6]] بقوله: ﴿ذلك﴾ أى الامر العالى الدرجة العظيم البركة[3] ﴿الفوز﴾

(١) زيد فى الأصل و ظ: من الأزمان، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها.
(٢ ـ ٢) من ظ و م، و فى الأصل: لمقاساتهم لنار (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بالدين (٤) زيد فى الاصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل و ظ: و هو، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها.

أى الظفر بجميع المطالب لا غيره ﴿الكبير﴾ كبرا لا تفهمون منه أكثر من ذكره بهذا الوصف على سبيل الإجمال، و ذلك أن من كبره أن هذا الوجود كله يصغر عن أصغر شيء منه .

و لما كان لا يثيب و يعذب على هذا الوجه إلا من كان فى غاية العظمة، قال معللا لفعله ذلك دالا بذلك التعليل على ما له من العظمة ٥ التى تتقاصر الأفكار دون عليائها، مؤكدا لما للأعداء من الإنكار: ﴿ان بطش ربك﴾ أى أخذ المحسن إليك المدبر لأمرك أعداء الدين بالعنف و[1] السطوة و غاية الشدة[1] ﴿لشديد﴾ أى شدة يزيد عنفها على ما فى البطش من العنف المشروط فى تسميته، فهو عنف مضاعف.

و لما كان هذا البطش لا يتأتى إلا لكامل القدرة، دل على كمال قدرته ١٠ و اختصاصه بذلك بقوله مؤكدا لما لهم من الإنكار: ﴿انه﴾ و زاد التأكيد[2] بمبتدأ آخر ليدل على الاختصاص فقال: ﴿هو﴾ أى وحده ﴿يبدئ﴾ أى يوجد ابتداء أى خلق أراد على أى هيئة اراد ﴿و يعيد﴾ أى ذلك المخلوق بعد إفنائه فى أى وقت أراده، و غيره لا يقدر على شيء من ذلك، و ليس هذا الضمير بفصل لأنه لا يكون إلا و الخبر[3] لا يكون ١٥ إلا[3] معرفة، أو شبيه بها فى أنه لا يلحقه «أل» المعرفة مثل خير منك، و أجاز المازنى وقوعه قبل المضارع لمشابهته الاسم و[4] امتناع دخول «أل» عليه

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: الشدة و غاية السطوة (٢) من م، و فى الأصل و ظ: التوكيد (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: أو .

فأشبه المعرفة ، [و - [1]] قال : و لايكون قبل الماضى لأن الماضى لا يشبه الاسم ، قال الرضى : و ما قاله دعوى بلا حجة [و - [2]] مثل "و مكر أولئك هو يبور" ليس بنص فى كونه فصلا لجواز كونه مبتدأ ما بعده خبره ، و نقض قوله فى الماضى بقوله تعالى "و انه هو اضحك ٥ و ابكى" - الآية .

و لما ذكر سبحانه بطشه ، و كان القادر على العنف قد لايقدر على اللطف ، و إن قدر فربما [لم - [2]] يقدر على الإبلاغ[3] فى ذلك ، وكان لايقدر على محو الذنوب أعيانها و آثارها عن كل أحد بحيث لايحصل لصاحبها عقاب و لاعتاب من أحد أصلا إلا من كان قادرا على كل شىء ، ١٠ قال مبينا لجميع ذلك دليلا على أنه الفاعل المختار ، و مؤكدا لخروجه عن العوائد : ﴿ و هو ﴾ أى وحده ﴿ الغفور ﴾ أى المحاء[4] لأعيان الذنوب و آثارها اذا أراد بحيث لايحصل لمن محا ذنبه كدر من جهة ذلك الذنب أصلا ﴿ الودود ﴾ أى الذى يفعل بمن[5] اراد فعل المحب الكثير[6] المحبة فيجيبه[7] إلى ما شاء و يلقى على صاحب الذنب الذى محاه عنه ودا أى ١٥ محبة كبيرة واسعة و يجعل له فى قلوب[8] الخلق رحمة ، و مادة « ود » تدور على الاتساع كما بينته فى سورة الروم ، و زاد الأمر / تأكيدا بذكر ما /٧١٧

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ابلاغ .
(٤) من ظ و م ، و فى الاصل : الماحى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لمن .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الكبير (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : متحه - كذا (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : قلب .

لا

لاينازع اصلا فى اختصاصه به تشريفا له [و -[1]] تنبيها على انه اعظم المخلوقات : ﴿ذو العرش﴾ أى العز الأعظم أو السرير الدال على اختصاص الملك بالملك و انفراده بالتدبير و السيادة و السياسة، الذى به قوام الأمور ﴿المجيد﴾ أى الشريف الكريم العظيم فى ذاته و صفاته الحسن الجميل الرفيع العالى الكثير العطاء - هذا إذا رفع على أنه صفة لـ « ذو » و كذا إن جر على أنه صفة للعرش فى قراءة حمزة و الكسائى .

و لما كان الاختصاص [2]يدل قطعا[2] على كمال القدرة، أنتج ذكر هذه الاختصاصات قوله: ﴿فعّال﴾ أى على سبيل التكرار و المبالغة ﴿لما يريد﴾ لايؤده شيء من الأفعال سواء كانت منسوبة إليه من غير واسطة [3]أو نسبت[3] فى الظاهر إلى غيره . و لما تمت الدلالة على أن بطشه شديد، قرره بما وجد من ذلك و ذكره به تخويفا لقومه و تسلية له لأن النظر فى المحسوسات أمكن فى النفوس فقال : ﴿هل اتاك﴾ أى يا أعظم خلقنا ﴿حديث الجنود﴾ أى اذكر ما أتاك مما حدث لهم من بطشنا و ما وقع بهم من سطواتنا لتكذيبهم رسلنا عليهم أفضل الصلاة و السلام بحيث صار حديثا يتلى، و ذكرا بين الخلق لعظمته لا يبلى، و الجنود جمع جند بالضم و هو العسكر المعد للقتال و الأعوان و المدينة، و الكل ناظر إلى النجدة العظيمة و الغلبة الزائدة .

و لما كان المعلوم من السياق أن المراد من حديثهم ما حصل لهم

---

(١) زيد من م (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : قطعا يدل (٣-٣) من م ، و فى الأصل : و انسب ، و فى ظ : و نسب .

من البطش لتكذيب الرسل لا سيما فى البعث الذى السياق له ، و كان الواقع من بيانه بآيات موسى و صالح عليهما الصلاة و السلام ابين مما وقع بآيات غيرهم ممن تقدم زمنه على هذه الأزمنة[1]، و كانت أمة كل نبى[2] من النبيين و أتباع فرعون تحوى أصنافا من الخلق كثيرة ، حكى أن طليعته
٥ يوم تبع بنى إسرايل و غرق كانت ستمائة ألف ، أبدل من "الجنود" إعلاما بانهم أعداء[3] الله قوله : ﴿ فرعون ﴾ و كذا أتباعه الذين كانوا أشد أهل زمانهم و أعتاهم و أكثرهم رعونة فى دعوى الإلهية منه و التصديق منهم [4]و كان هذا من عماوة قلوبهم مع ظهور علامات الربوبية السماوية و الأرضية[4]، و الرسوخ[5] فى التكذيب و السفه و الخفة و الطيش
١٠ مع رؤية تلك الآيات العظيمة على كثرتها و طول زمنها حتى دخل البحر على أمان من الغرق مع أن[6] خطر الغرق به فى تلك الحالة لم يكن يخفى على من له[7] أدنى مسكة من عقله فأغرقه ، الله و من معه أجمعين و لم يبق منهم أحدا ، فلعنة الله عليه و على [4]من كان معه من[4] أتباعه [4]و أتباعهم[4] الطائفة الا تحادية العربية الفارضية / الذين يكفى فى ظهور[8] كفرهم تصويبهم / ٧١٨
١٥ فرعون الذى اجمع على كفره جميع الفرق ﴿و ثمود[4]﴾ الذين[9] حملتهم الخفة

(١) فى ظ : الأمة (٢) سقط من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اعد (٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : رسوخهم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : انه لو (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : به (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : ظهورهم (٩) فى ظ و م : التى .

على أن عقروا الناقة بعد رؤيتهم إياها تتكون[1] من الصخرة الصماء غير مجوزين أن الذى خرق العادة باخراجها[2] ذلك يهلكهم فى شأنها، و قد جمع سبحانه بهما بين العرب و العجم و الإهلاك بالماء الذى هو حياة كل شيء و الصيحة التى هى أمارة الساعة، و إنما كانت آياتهما[3] أبين لأن آية ثمود ناقة خرجت من صخرة صماء، و من آيات موسى عليه الصلاة ٥ و السلام إبداع القمل الذى لايحصى كثرة من الكثبان، و إبداع الضفادع كذلك و الجراد وإحياء العصا مرة بعد أخرى، و لاشك عند عاقل أن من قدر على ذلك ابتداء من شيء لا أصل له فى الحياة فهو[4] على إعادة ما كان قبل ذلك حيا أشد قدرة.

و لما كان التقدير: نعم [قد -[5]] أتانى ذلك و علمت من خبرهما ١٠ و غيره أنك قادر على ما تريد، و لكن [الكفار -[6]] لايصدقوننى، عطف عليه قوله: ﴿ بل الذين كفروا ﴾ أى جاهروا بالكفر من هؤلاء القوم و غيرهم و إن كانوا فى أدنى رتبة ﴿ فى تكذيب ﴾ أى لما رأوا من الآيات لامستند لهم فيه وهو شديد محيط بهم لاتباعهم أهواءهم و تقليدهم آباءهم، فهم لايقدرون على الخروج من ذلك التكذيب الذى صار ظرفا ١٥ لهم بعد سماعهم لأخبار هؤلاء المهلكين و رؤية بعض آثارهم، و بعد ما أقمت لهم من الأدلة على البعث فى هذا القرآن المعجز، و لم يعتبروا

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فتكون (٢) زيد فى ظ: من (٣) من ظ و م، و فى الأصل: آيتهما (٤) من ظ، و فى الأصل: هو قادر، و فى م: هو. (٥) زيد من م (٦) زيد من ظ و م.

بشيء من ذلك لما عندهم من داء الحسد، فحالهم اعجب من حالهم فحذرهم[1] مثل مآلهم .

و لما كان هذا ربما أوهم ان تكذيبهم على غير مراده سبحانه و تعالى، قال دافعا لذلك مؤكدا [قدرته -[2]] على أخذهم تحذيرا لهم و تسلية[3] لمن كذبوه : ﴿و الله﴾ أي و الحال أن الملك الذي اختص بالجلال والإكرام ﴿من ورآئهم﴾ أي من كل جهة يوارونها أو تواريهم، و ذلك كل جهة ﴿محيط[4]﴾ [فهو محيط -[4]] بهم من كل جهة بعلمه و قدرته، فهو كناية عن أنهم في قبضته[5] لايفوتونه بوجه كما أنه لايفوت من صار في القبضة باحاطة العدو به من غير مانع، فهو سبحانه قادر على أن يحل بهم ما أحل بأولئك[6]، و لعله خص الوراء لأن الإنسان يحمي ما وراءه و لأنه جهة الفرار من المصائب .

و لما كان من[7] تكذيبهم، و هو أعظم تكذيبهم[8]، طعنهم في أعظم آيات القرآن بأن يقولوا : هو كذب مختلق، إنما هو أساطير الأولين، أي أكذوباتهم لا حقائق لما يخبر به مع أنه قد اقام الدليل الأعظم لنفسه بنفسه بما له من الإعجاز على أنه حق، قال معبرا بالضمير أيذانا بأنه

(١) من ظ و م ، و في الأصل : فحذر (٢) زيد من م (٣) زيد في الأصل : له صلى الله عليه و سلم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م .
(٥) زيد في الأصل و ظ : فهو ، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و في الأصل : بهولاء (٧) من ظ و م ، و في الأصل : ولما كان من جملة .
(٨) زيدت الواو في الأصل و ظ ، و لم تكن في م فحذفناها .

لعظمه فى كل قلب لاغبية له اصلا، ليس لأحد حديث[1] إلا فيه، بانيا على ما تقديره: ليس الأمر كما يزعم الكفار فى القرآن: ﴿بل هو﴾ أى هذا القرآن الذى لا يأتيه الباطل[2] / من بين يديه و لامن خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴿قرآن﴾ أى جامع لكل منقبة جليلة بالغ الذروة العليا فى كل شرف ﴿مجيد﴾ أى شريف كريم ليس فيه شىء من [3]شوائب الذم[3] عزيز [عظيم-[4]] شريف عال جواد حسن الخلال وحيد فى نظمه و معانيه المغيبة و المشاهدة حاو لمجامع الحمد[5] ليس بقول مخلوق و لا هو مخلوق بل هو صفة الخالق بل هو جواد بكل ما يراد منه من المحاسن لمن صدقت نيته و طهرت طويته، و علت همته و كرمت سجيته، فهو يأبى له مجده أن يلم بساحته طعن بوجه من الوجوه، و مجده تجريب احكامه من بين عاجل ما شهد و آجل ما علم بعالم ما شهد، فكان معلوما بالتجربة المتيقنة بما تواتر من القصص الماضى[6] و ما شهد له من الأثر الحاضر و ما يتجدد مع الأوقات من أمثاله و أشباهه و أشكاله، فكذب من قال إنه شعر أو كهانة أو سحر - أو غير ذلك من الأباطيل.

و لما وصفه فى نفسه بما يأبى له لحاق شىء من شبهة، وصف محله فى الملأ الأعلى إعلاما بأنه لا يطرأ عليه ما يغيره فقال: ﴿فى لوح﴾[7]

/ ٧١٩

(١) من ظ و م، و فى الأصل: حدث (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الباطن.
(٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الشوايب للذم (٤) زيد من م (٥) من م، و فى الأصل و ظ: المحامد (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الماضية (٧) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها.

و هو كل صفيحة[1] [عريضة -[2]] من خشب او عظم او غيرهما ﴿محفوظ ع﴾ أى له الحفظ دائما على أتم الوجوه من كل خلل [و من -[2]] أن يصل [إليه -[3]] إلا الملائكة الكرام ، قال حجة الإسلام الغزالى رحمه الله تعالى فى كتاب الموت من الإحياء[4] : يعبر عنه تارة باللوح ، و تارة ٥ بالكتاب المبين ، و تارة بامام مبين ، فجميع ما جرى فى العالم و ما سيجرى مكتوب فيه كتبا لايشاهد[5] بهذه العين ، و ليس مما نعهده من الألواح ، فلوحه تعالى لايشبه ألواح خلقه كما أن ذاته تعالى لا تشبه ذوات خلقه ، و مثاله مثال قلب الإنسان فى حفظ القرآن مثلا كلماته و حروفه ، و لو فتش قلبه لم يوجد فيه شيء و لا ينظر ذلك إلا نبي أو ولى بقرب من درجته - ١٠ هذا معنى كلام الإمام رحمه الله تعالى ، و قرأ نافع بالرفع صفة للقرآن فحفظه من التغيير[6] و التبديل[6] و التحريف وكل شبهة و ريب فى نظمه أو معناه كما أن البروج محفوظة فى لوح السماء المحفوظ ، بل القرآن بذلك أولى لأنه صفة الخالق فى بيان وصفه لما خلق على الوجه الأتم الأعدل لأنه ترجمة ما أوجده الله سبحانه فى الوجود ، فصح قطعا أنه ١٥ لابد ان يصدق فى كل ما اخبر به ، و من أعظمه أنه سبحانه يحشر الناس للدينونة بالثواب و العقاب كما دان [من -[3]] كذب أولياءه فى الدنيا

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : صحيفة (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م .
(٤) راجع ٤ / ٣٤ (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : لا يشاهده (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م .

بمثل ذلك فأخذ اعداءه و انجى اولياءه . فرجع الختام منها على المبتدأ ، و تعانق الافتتاح بالمنتهى ، فاقتضى ذلك تنزيه المتكلم [به -[1]] عن أن يترك شيئا فضلا عن الأنفس بغير حفظ و عن كل ما لا يليق ، و إثبات الكمالات له و الأكليات بكل[2] طريق[3] - و الله أعلم بالصواب ، و إليه المرجع و المآب ، [4]و إليه المهرب و المتاب[4] . ٥

(١) زيد من ظ (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : بغير (٣) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة الطارق[1]

/٧٢٠ مقصودها / بيان مجد القرآن فى صدقه فى الإخبار بتنعيم أهل الإيمان، و تعذيب أهل الكفران، فى يوم القيامة حين تبلى الصرائر و تكشف المخبات [الضمائر -[2]] عن مثقال[3] الذر وما دون المثقال، [4]مما دونته[4] الحفظة الكرام فى صحائف الأعمال، بعد استيفاء الآجال، كما قدر فى أزل الآزال[5]، من غير استعجال، و لا تأخير عن الوقت المضروب و لا إهمال، و اسمها الطارق أدل ما فيها على هذا الموعود الصادق بتأمل القسم و المقسم عليه حسب ما اتسق[6] الكلام إليه ﴿بسم الله﴾ الذى له[7] الكمال كله ﴿الرحمن﴾ الذى وسع الخلائق [8]فضله و[8] عدله ﴿الرحيم ٥﴾ الذى خص أولياءه بتوفيقه فظهر عليهم جوده [8]و إحسانه و كرمه[8] و فضله.

لما تقدم [فى -[9]] آخر البروج أن القرآن [8]فى لوح[8] محفوظ لأن[10] منزله محيط بالجنود من المعاندين و بكل شىء، أخبر أن من إحاطته حفظ كل فرد من جميع الخلائق [المخالفين -[11]] و الموافقين المؤالفين،

---

(١) السادسة و الثمانون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ١٧.
(٢) زيد من ظ (٣) من م. و فى الأصل و ظ: مثاقيل (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: ما تدونته (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الازال.
(٦) من م، و فى الأصل: اتساق، و فى ظ: انساق (٧) زيد فى الأصل: الجمال و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من م.
(٩) زيد من م (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: و بان (١١) زيد من ظ و م.

ليجازى على أعماله[1] يوم إحقاق الحقائق و قطع العلائق، فقال مقسما على ذلك لإنكارهم له: ﴿و السمآء﴾ أى ذات الأنجم الموضوعة لحفظها من المرده لأجل حفظ [القرآن -[2]] المجيد الحافظ لطريق الحق، قال الملوى: [و -[3]] المراد بها [هنا -[3]] ذات الأفلاك الدائرة لا السماوات العلى [بما -[3]] جعل فيها من ليل و نهار و دورتهما[4] ثلاثمائة و ستين[5] درجة لا تتغير أبدا فى هذه [الدار-[3]] بنقص و [لا -[3]] زيادة بنصف درجة و لا دقيقة و لا ثانية و لا ما دون ذلك، بل كلما زاد أحدهما شيئا نقص من الآخر بحسابه. عرف ذلك من العقل و النقل و التجربة فعرف أنه[6] بحفظ [حفيظ -[3]] حي لا يموت، قيوم لا يغفل و لا ينام - انتهى[7].

و لما أقسم بالسماء لما لها من الشرف و المجد تنبيها على ما فيها من بدائع[8] الصنع الدالة على القدرة الباهرة، أقسم بأعجب ما فيها و هو جنس النجوم ثم بأغربه و هو المعد للحراسة تنبيها على ما فى ذلك من غرائب القدرة فقال: ﴿و الطارق﴾ أى جنس الكواكب الذى يبدو ليلا و يخفى نهارا، و يطرق مسترقى السمع فيبدد شملهم و يهلك من أراد الله منهم لأجل هداية [الناس -[2]] بالقرآن فى الطرق المعنوية و ظهوره و إشراقه فى السماء لهدايتهم فى الطرق الحسية، و هو فى الأصل

(١) من ظ و م، و فى الأصل: اعمالهم (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: رتبها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ستون.
(٦) من م، و فى الأصل و ظ: بانه (٧) سقط من ظ (٨) من ظ و م، و فى الأصل: بديع.

لسالك الطريق ، و اختص عرفا بالآتى ليلا لأنه يجد الأبواب مغلقة فيحتاج إلى طرقها ، ثم استعمل للبادى فيه كالنجم .

و لما كان الطارق [يطلق ـ [1]] على غير النجم أبهمه أولا ثم عظم المقسم به بقوله[2] : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ ﴾ أى عرفك[3] يا أشرف خلقنا عليه الصلاة و السلام و إن حاولت معرفة ذلك و بالغت فى الفحص عنه ﴿ مَا ٱلطَّارِقُ ۝ ﴾ ثم زاده تهويلا بتفسيره بعد إبهامه مرة أخرى بقوله تعالى : ﴿ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝ ﴾ أى المتوهج العالى المضىء كأنه يثقب الظلام بنوره فينفذ فيه ، يقال : / أثقب نارك للوقد[4] ، أو يثقب بضوئه الأفلاك فتشف عنه ، أو يثقب الشيطان بناره إذا استرق السمع ، و المراد الجنس أو معهود[5] بالثقب و هو زحل ، عبر عنه أولا بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيما لشأنه لعلو مكانه . / ٧٢١

و لما ذكر الذى دل به على حفظ القرآن عن التلبيس و على حفظ الإنسان ، ذكر جوابه فى حفظ النفوس التى جعل فيها قابلية لحفظ القرآن فى الصدور ، و دل على حفظ ما خلق لأجلها من هذه الأشياء المقسم بها على حفظ الإنسان لأنها إذا كانت محفوظة عن أدنى زيغ و هى مخلوقة لتدبير[6] مصالحه فما[7] الظن به؟ فقال مؤكدا [غاية التأكيد ـ [1]] لما للكفرة[8] من إنكار ذلك و الطعن [فيه ـ [1]] :

(١) زيد من م (٢) فى ظ : فقال (٣) من ظ و م . و فى الأصل : اعرفك (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : للتوقد (٥) زيد فى الأصل : أيضا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لتدبير (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : مما (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : للفكرة .

﴿ ان ﴾ بالتخفيف من الثقيلة فى قراءة الجمهور [أى - [1]] أن الشان[2] ﴿ كل نفس ﴾ أى من الأنفس مطلقا لا سيما نفوس الناس ﴿ لما عليها ﴾ أى بخصوصها [3]لا مشارك لها فى ذاتها[3] ﴿ حافظ[4] ﴾ أى رقيب عتيد لايفارقها، و المراد به الجنس من الملائكة، فبعضهم لحفظها من الآفات، و بعضهم لحفظها من الوساوس[4]، و بعضهم لحفظ أعمالها و إحصائها ٥ بالكتابة، و بعضهم لحفظ ما كتب لها من رزق و أجل و [5]شقاوة أو[5] سعادة [6]و مشى(؟) و نكاح و سفر و إقامة[6]، فلا يتعدى شيئا[7] من ذلك [6]نحن قسمنا نحن قدرنا[6]، فان قلت: إن الحافظ الملائكة، صدقت، و إن قلت: إنه الله، صدقت، لأنه الآمر لهم و المقدر على الحفظ[8]، و الحافظ [لهم -[9]] من الوهن و الزيغ، فهو الحافظ الحقيق، و اللام فى هذه القراءة هى ١٠ الفارقة بين المخففة و النافية «و ما» مؤكدة بنفى [صدر -[9]] ما أثبتته الجملة، «و حافظ» خبر «إن»، و يجوز أن يكون الظرف الخبر، و «حافظ» مرتفع به، و قرأ ابن عامر و عاصم و حمزة بتشديد «لما» على أنها بمعنى «إلا» و «إن» نافيه بمعنى «ما»، و المستثنى منه «كل نفس» و خبر النافية محذوف تقديره: كائنة أو موجودة [او نحوهما -[9]]، و المستثنى ١٥ «نفس» موصوفة بـ«عليها حافظ» و يحتمل أن يكون حالا فمحله يحتمل

(١) زيد من م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: شان (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الوسواس (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: شقاء (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) من م، و فى الأصل و ظ: شيء (٨) من ظ و م، و فى الأصل: القط (٩) زيد من ظ و م.

الرفع بأنه خبر النافى [فى - ١] هذا الاستثناء المفرغ عند[٢] بنى تميم، و النصب بأنه خبر [٣]عند غيرهم[٣]، أو حال من «نفس»، لأنها عامة، و التقدير: ما كل نفس موجودة إلا نفس كائنا أو كائن عليها حافظ، و النسبة بين مفهومى القراءتين[٤] ان المشدد أخص لأنها دائمة مطلقه، و المخففة مطلقة عامة،

٥ و لا يظن أن المشددة غير مساوية للمخففة، فضلا عن ان تكون أخص لأن حرف النفى دخل على «كل» و هو من أسوار السلب الجزئى كما تقرر[٥] فى موضعه فينحل إلى أن بعض النفوس ليس إلا عليها حافظ، [و إنما - ١] كان لا يظن ذلك لأنها تنحل لما فيها من الحصر المتضمن للنفى و الإثبات إلى جملتين، إحداهما إثبات [الحفظ - ١] للنفس[٦]

١٠ الموصوفة و الأخرى سلب[٧] نقيضه عنها، لأنه من قصر / الموصوف على /٧٣٢ الصفة، و نقيض الكلية الموجبة الجزئية السالبة أى ليس كل نفس عليها حافظ، [و السالبة الجزئية أعم من السالبة الكلية، فاذا نفيتها قلت: ليس ليس كل نفس عليها حافظ - ١] فهو سلب السلب الجزئى، و إذا سلب السلب الجزئى [سلب الكلى - ١] لما تبين أنه أخف. و إذا[٨] انتفى الأعم انتفى الاخص

١٥ فلا شىء من الأنفس ليس عليها حافظ، فآل الكلام إلى: لا نفس

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الاصل: عنه (٣ ٣) من ظ و م. و فى الأصل: عندهم (٤) من ظ، و فى الأصل و م: القرآين (٥) من ظ و م، و فى الاصل: تقدر (٦) زيد فى الأصل و ظ: المحفوظة. و لم تكن الزيادة فى ظ م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: سبب (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لما.

كائنة

كائنة إلا نفس عليها حافظ ، و إن كان لفظ « ليس كل » من أسوار الجزئية لما مضى ، فصارت الآية على قراءة التشديد مركبة من مطلقة عامة هي « كل نفس عليها[1] حافظ » بالفعل . و من سلب نقيضها و هو[2] الدائمة [المطلقة -[3]] الذى هو « دائما ليس كل نفس عليها [حافظ » -[3]] و رفعه بأن يقال : ليس دائما ليس كل نفس عليها حافظ ، [اى ليس دائما كل ٥ نفس ليس عليها حافظ ، و[4] ذلك على سبيل الحصر و قصر الموصوف على الصفة ، معناه أن الموصوف لا يتعدى صفته التى قصر عليها ، فأقل الأمور أن لا يتجاوزها إلى عدم الحفظ ، و ذلك معنى الدائمة المطلقة و هو الحكم بثبوت المحمول للموضوع ما دام ذات الموضوع موجودة ، و هى على قراءة التخفيف مطلقة عامة أى حكم فيها بثبوت المحمول للموضوع بالفعل ١٠ و هو الجزء الأول مما[5] انحلت إليه قراءة التشديد ، فمفهوم الآية فى قراءة التشديد أخص منه فى قراءة التخفيف ، لأن كل دائم كائن بالفعل ، و لا ينعكس - هذا إذا نظرنا إلى نفس المفهوم من اللفظ مع قطع النظر[6] عن الدلالة الخارجية ، و أما بالنظر إلى نفس الأمر فالجهة الدوام فلا فرق ، غير أنه دل عليها باللفظ فى قراءة التشديد دون قراءة التخفيف - ١٥ و الله تعالى أعلم .

و قال الإمام[7] أبو جعفر ابن الزبير رحمه الله تعالى : لما قال الله

---

(١) تكرر فى الأصل فقط (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هى (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بما (٦) زيد فى الأصل و ظ : الكلى ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) فى ظ و م : الأستاذ .

سبحانه تعالى فى سورة البروج «و الله على كل شىء شهيد» «و الله من ورائهم محيط» و كان [1]فى ذلك[1] تعريف العباد بأنه سبحانه و تعالى [2]لايغيب عنه[2] شىء و لايفوته [2]شىء و لاينجو منه[2] هارب، اردف ذلك بتفصيل يزيد [4]إيضاح ذلك[4] التعريف الجلى من شهادته سبحانه و تعالى ٥ على كل شىء و إحاطته به[5] فقال تعالى «ان كل نفس لما عليها حافظ» فأعلم الله سبحانه و تعالى بخصوص كل نفس ممن يحفظ أنفاسها «ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد» ليعلم العبد أنه ليس بمهمل و لا مضيع، و هو سبحانه و تعالى[6] الغنى عن كتب الحفظة و إحصائهم [3]و شهادة الشهود من الأعضاء و غيرهم، و إنما كان ذلك لإظهار عدله ١٠ سبحانه و تعالى «ان الله لا يظلم مثقال ذرة» و لا أقل من المثقال[3]، و لكن هى سنته حتى لايبقى لأحد حجة و لا تعلق، و أقسم سبحانه و تعالى على ذلك تحقيقا و تأكيدا يناسب القصد المذكور - انتهى.

و لما كان التقدير: لأنه لا بد[7] له[8] من العرض على الخالق سبحانه و تعالى / لأن التوكيل بالإنسان لا يكون إلا لعرضه على [1]الملك الديان[1] صاحب ٧٢٣ / ١٥ الأمر و البرهان[2] و محاسبته له [3]على ما كان[3]، كان التقدير: يحفظ أعمالها

(١-١) من م، و فى الأصل و ظ: ذلك (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: لا يخفى عليه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الاصل: أيضاحا لذلك (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بكل شىء (٦) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بانه (٨) سقط من م.

و يكتبها ليحاسبها الملك على ذلك ، فتسبب عنه قوله تعالى : ﴿فلينظر﴾ أى بالبصيرة ﴿الانسان﴾ أى الآنس بنفسه الناظر فى عطفه إن كان يسلك فى ذلك ﴿مم﴾ أى من أى شيء ، و بنى للمفعول العامل فى [من - [1]] أمر بالنظر و هو قوله : ﴿خلق[2]ه﴾ إعلاما بان الدال هو مطلق الخلق، و تنبيها على تعظيم الفاعل بأن العلم به غير محتاج إلى ذكره[3] باللفظ لأنه ٥ لا يقدر على صنعة من صنائعه[3] غيره ، و أمر الإنسان بهذا النظر ليعلم بأمر مبدئه أمر معاده ، فان من قدر على الابتداء قدر على[4] الإعادة قطعا ، فاذا صح عنده ذلك اجتهد فى أن لا يملى على حافظيه إلا ما يرضى الله تعالى يوم عرضه على الملك الديان[5] ليسره وقت حسابه .

و لما نبه بالاستفهام على أن هذا أمر مهم جدا ينبغى لكل أحد ١٠ أن يترك جميع مهماته و يتفرغ للنظر فيه فانه يكسبه السعادة الأبدية الدائمة[4] ، و كان الإنسان - مع كونه ضعيفا عاجزا - لا ينفك عن شاغل و مفتر ، فلا يكاد يصح له نظر ، تولى سبحانه و تعالى شرح ذلك عنه فأجاب الاستفهام بقوله : ﴿خلق﴾ أى[5] الإنسان على أيسر وجه و أسهله بعد خلق أبيه آدم عليه الصلاة و السلام من تراب ، و أمه حواء عليها ١٥ السلام من ضلعه[6] ﴿من ماء دافق[7]﴾ أى هو[7] - لقوة دفق الطبيعة له -

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكر (٣) من ظ و م ، وفى الاصل : صانعه (٤) سقط من ظ و م (٥) سقط من م (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : ضلع (٧) زيد فى الأصل : دافق ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

كأنه يدفق بنفسه[1] فهو إسناد مجازى ، و الدفق لصاحبه ، أو هو مثل « لابن » اى ذى دفق ، و الدفق صب فيه دفع ، و لم يقل : مائين[2] - إشارة إلى أنهما يجتمعان فى الرحم [و -[3]] يمتزجان أشد امتزاج بحيث يصيران ماءا[4] واحدا .

٥ و لما كان[5] المراد به ماء الرجل و ماء المرأة قال : ﴿ يخرج ﴾ و بعّض باثبات الجار فأفهم الخروج عن مقره بقوله[6] : ﴿ من بين الصلب ﴾ أى صلب الرجل و هو عظم مجتمع من عظام مفلكة أحكم ربطها غاية الإحكام من لدن الكاهل إلى عجب الذنب ﴿ و الترآئب[7] ﴾ أى ترائب المرأة ، و هى[8] عظام الصدر حيث تكون[9] القلادة ، و صوبه ابن جرير[9] ،

١٠ أو ما ولى الترقوتين منه ، أو ما بين الثديين و الترقوتين [أو -[4]] أربع أضلاع من يمنة الصدر ، وأربع من يسرته[10] ، أو اليدان و الرجلان و العينان ، و على كل تقدير شهوتها من أمامها و شهوة الرجل فيما غاب عنه من ورائه ، و لو نزع الخافض لأفهم أن الماء يملأ[5] البين المذكور و لم يفهم أنه يخرج عن صاحبى البين ، قال البيضاوى[11] : و لو صح أن النطفة تتولد

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : لنفسه (٢) زيد فى الأصل و ظ : فيه ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) زيد من م (٤) سقط من ظ و م (٥) زيد فى الأصل : الماء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) فى ظ و م : فى قوله (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٨) زيد فى الاصل : محل وضع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) راجع ٣٠ / ٨٠ (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : يسراه (١١) راجع الأنوار ص : ٧٩٤ .

من

من فضل الهضم [الرابع -[1]] و تنفصل عن جميع الأعضاء حتى تستعد لأن يتولد منها مثل تلك الأعضاء، و مقرها[2] عروق ملتف بعضها بالبعض[3] عند الأنثيين، / فلا شك أن الدماغ أعظم الأعضاء معونة فى توليدها، / ٧٢٤ و لذلك تشبهه و يسرع [4]الإفراط فى الجماع[4] بالضعف فيه و له خليفة و هو النخاع و هو فى الصلب، و شعب كثيرة نازلة إلى الترائب و هما أقرب إلى أوعية المنى فلذلك[5] خصا بالذكر. و قال الملوى: فالذى أخرجه من ظروف[6] عظام الصلب و الترائب إلى أن صيره فى محله من الأنثيين إلى [أن -[7]] دفق و اعتنى بعد ذلك بنقله من خلق إلى خلق بعد كل أربعين يوما إلى أن صيره إنسانا يعقل و يتكلم و يبنى القصور، و يهدم[8] الصخور، قادر على بعثه.

و لما علم بالحفظ و الخلق فى الأطوار المشار إليها أنه خلق لأمر عظيم و هو الحساب، و ثبت بالقدرة على ابتدائه من هذا الماء و بتطويره فى الحالات المشار إليها[9] بذكر الماء، المعلومه لكل أحد القدرة على الإعادة بلا فرق إلا كون الإعادة على ما نعرف أسهل، و كان العرب ينكرونها، قال مؤكدا استئنافا لمن يقول: قد نظرت فى ذلك فمه: ﴿ انه ﴾

(١) زيد من ظ (٢) من م، و فى الأصل و ظ: مقصرها (٣) من م، و فى الأصل و ظ: ببعض (٤ - ٤) من م، و فى الأصل و ظ: افراط بالجماع. (٥) من م، و فى الأصل و ظ: ولذلك (٦) فى ظ: حلزون (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل: القصور وينحت، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) زيد فى ظ: بالتنبيه.

أى خالقه القادر على ما ذكر من شؤونه المدلول على عظمه ببناء «خلق» للمفعول ﴿على رجعه﴾ أى رجع الإنسان بالبعث و رده إلى حالته الأولى و خلقه الأول كما كان قبل الموت و على رد هذا الماء الدافق إلى مجاريه التى خرج منها و حله إلى المائية بعد انعقاده عظما و لحما و دما ﴿لقادر﴾ ٥ أى لثابتة قدرته على ذلك أتم ثبات ، (١فمن أيسر١) ما يكون عنده سبحانه و تعالى [رده ـ ٢] بعد شيخوخته على عقبه بأن يجعله كهلا ثم شابا ثم طفلا ثم مضغة ثم علقة ثم نطفة ثم يدفعه إلى ذكر الرجل و رحم المرأة ثم إلى صلبه و ترائبها و هو أهون عليه ، و ذلك كقدرته على رده بالبعث ، و عبر بـ «انه» و لم يقل : أن الله ـ مثلا لأنه أقعد لأنه يقال لكل ١٠ إنسان : من أخرجك على[٣] هذه الهيئة فصيرك[٤] على هذه الصفة ؟ فاذا قال : القادر على كل شىء بقدرته الكاملة ، قيل له : و بتلك القدرة بعينها يعيدك ، و لو سمى له اسم غير الضمير لكان ربما قال : [ليس ـ ٢] هو خالقى .

و لما كان هذا يحرك السامع غاية التحريك لأن يقول : متى تكون رجعه له ؟ قال مجيبا له : ﴿يوم تبلى﴾ و بناه[٥] للمفعول إشارة مع التنبيه ١٥ على السهولة إلى [أن ـ ٢] من[٦] الأمر البين غاية البيان أن الذى يبلوها[٧]

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : فايسر (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل وظ : من (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ثم صيرك (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بنى هذا (٦) زيد فى الأصل وظ : بين ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : يتلوها .

هو الذى يرجعها ، و هو الله سبحانه و تعالى من غير احتياج إلى ذكره[1] ﴿السرآئر﴾ أى كل ما انطوت عليه الصدور من العقائد و النيات ، و[2] أخفته الجوارح من الإخلال[3] بالوضوء و الغسل و نحو ذلك من جميع الجنايات ، بأن تخالط السرائر فى ذلك اليوم ، و هو يوم القيامة ، من الأمور الهائلة ما يميلها[4] فيحيلها عما هى عليه فتعود جهرا[5] بعد أن كانت سرا / ، فيميز طيبها من خبيثها و يجازى عليه صاحبه . ٧٢٥ /

و لما كان المانع من جزائه عند[6] إظهار[7] سرائره إما هو نفسه أو أحد ينصره ، قال مسببا[8] عن إظهار ما يجتهد فى[6] إخفائه : ﴿فما له﴾ أى الإنسان الذى أخرجت سرائره ، و أعرق فى التعميم و النفى فقال : ﴿من قوة﴾ أى يمنع بها نفسه من الجزاء ﴿و لا ناصر﴾ أى ينصره فيمنعه من[6] نفوذ الحكم فيه . و ليس الدفع إلا بهذين الأمرين : قوة قائمة به أو قوة خارجة عنه .

و لما اشتملت هذه الجمل على وجازتها على الذروة العليا من البلاغة فى إثبات البعث و الجزاء و الوحدانية له سبحانه و تعالى إلى غير ذلك من بحور العلوم ، فثبت أن القرآن كلام الله سبحانه و تعالى ، فثبت ان

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : ذكر (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ثم .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الاخلاط (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يجلبها (٥) زيد فى الأصل : و علانية ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٦) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٧) فى ظ : اظهاره (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : مستانفا .

كل ما فيه حق مع منازعتهم[1] فى ذلك [كله -[2]]، اقتضى الحال الإقسام على حقيته فقال : ﴿ و السمآء ﴾ أى التى كان المطلع[3] الإقسام بها و وصفها بما يؤكد العلم بالبعث الذى هو منبع العلوم و التقوى فعليه[4] مدار السعادة فقال : ﴿ ذات الرجع ۝ ﴾ التى ترجع بالدوران إلى الموضع الذى ابتدأت الدوران منه فترجع[5] الأحوال التى كانت و تصرمت من الليل و النهار و الشمس و القمر و الكواكب و الفصول من الشتاء و ما فيه من برد و مطر ، و الصيف و ما فيه من حر و صفاء و سكون[6] و غير ذلك[6] و النبات بعد تهشمه و صيرورته ترابا مختلطا بتراب الأرض و ترجع الماء على قول من يقول : إن السحاب يأخذه من البحر و يعلو به فيمصره فى الهواء ثم يرده إلى الأرض - و غير ذلك من الأمور الدال[7] كل منها قطعا على أن فاعل ذلك[8] قادر على إعادة كل ما فى كما كان من غير فرق أصلا .

و لما ذكر الأمر العلوى بادئا به لشرفه ، أتبعه السفلى فقال تعالى : ﴿ و الارض ﴾ أى مسكنكم الذى أتم ملابسوه و معانوه كل وقت و ملامسوه ﴿ ذات الصدع ۝ ﴾ أى التى تتصدع و تنشق فيخرج منها النبات

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مسارعتهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : مطلع (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : و عليه (٥) من ظ وم، و فى الأصل: فيرجع (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٧) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد فى الأصل : قطعا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و العيون بدءا و اعادة دلالة ظاهرة على البعث ، فجمع بالقسم العالم العلوى الذى هو كالرجل و السفلى الذى هو كالمرأة ، فكما أن الرجل يسقيها من مائه فتصدع [عن الولد ، فكذلك السماء تسقى الأرض فتتصدع -[1]] عن[2] النبات ، [و كما أنها تتصدع عن النبات -[1]] بعد فنائه و صيرورته رفاتا فيعود كما كان فكذلك تتصدع عن الناس بعد فنائهم فيعودون كما كانوا باذن ربها[3] من غير فرق أصلا .

و لما كانت هذه كلها براهين قاطعة و دلائل باهرة ساطعة على حقية[4] القرآن و إتيانه بأعلى[5] البيان ، فكان من المستبعد جدا طعنهم فى القرآن بعد هذا البيان[6] ، قال تعالى منبها على ذلك بالتأكيد معبرا بالضمير إشارة لما مضى إلى أنه المحدث عنه الآن ، فهو الثابت فى جميع الأذهان لا غيبة [له -[1]] عن شىء منها أصلا ﴿ انه ﴾ أى القرآن الذى / أخبر بهذه الإخبارات التى هى فى غاية الوضوح و تقدم أنه مجيد و فى لوح محفوظ ، و أن الكفرة فى تكذيب به ، و لا سيما ما تضمن منه الإخبار بالبعث: ﴿ لقول فصل ﴾ أى جدا يراد به فصل الأمور ، و له من العراقة فى الفرق[7] بين الحق و الباطل ما صار به يطلق عليه نفس الفصل ، ثم أكد الأمر لشدة إنكارهم[8] و جحدهم و تغطيتهم الحق بالباطل[8] فقال: ﴿ و ما هو ﴾

/ ٧٢٦

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الله تعالى (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : حقيقة (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : على (٦) سقط من ظ و م (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الفصل (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م .

أى القرآن[١] فى باطنه و [لا -[٢]] ظاهره ﴿ بالهزل[٣] ﴾ اى بالضعيف[٣] المرذول الذى لا طائل تحته ، فمن حقه ما هو عليه آلان من كونه مهيبا فى القلوب معظما فى الصدور يرتفع به قارئه و سامعه عن أن [يلم -[٤]] بهزل و يعلو به فى أعين العامة[٥] و الخاصة .

٥ و لما كان ثبات هذا على هذا الوجه مقتضيا و لا بد رجوعهم عن العناد ، [فكان ذلك محركا للسامع إلى تعرف ما كان من أمرهم ، استأنف قوله دلالة عـلى بقائهم على الإنكار و أكده تنبيها على أن بقاءهم على العناد -[١]] مع هذا مستبعد جدا ﴿ انهم ﴾ أى[٦] الكفار ﴿ يكيدون ﴾ أى بما يعملون فى امره من الحيل[٧] ﴿ كيدا ﴾ فى إبطاله و إطفاء نوره

١٠ باثباتك او[٨] إخراجك او قتلك أو تنفير الناس عنك و الحال أنه لاقوة لهم[١] أصلا على ذلك[٩] و لا ناصر[١] لهم بوجه من الوجوه[٩] و سمى جزاؤه لهم سبحانه كيدا مشاكلة ، و لأنه خفى عنهم و مكروه إليهم فهو على صورة الكيد فقال : ﴿ و اكيد ﴾ اى أنا باتمام[١٠] اقتدارى[١١] ﴿ كيدا ﴾[١٢] باستدراجى

(١) سقط من م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بالضعف .
(٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الاصل : العالم (٦) زيد فى الأصل : البغضاء البعداء ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الحيلة (٨) من م ، و فى الاصل و ظ : و (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : بتمام (١١) زيد فى الأصل : و كيف و هو موجد القدرة لغيره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(١٢) زيد فى الاصل : اى يكون ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

لهم [1]إلى توغلهم فيما يغضبني[1] ليكمل ما يوجب [2] أخذى لهم من حيث لا يشعرون .

و لما كان هذا معلما بأنهم عدم لا اعتبار بهم ، قال مسببا عنه تهديدا لهم يا له من تهديد [3]ما أصعبه[3]: ﴿ فمهل ﴾ أى تمهيلا عظيما بالتدريج .

و لما كان فى المكذبين فى علم الله من يؤمن فليس مستحقا لإيقاع مثل هذا التهديد ، عبر بالوصف المقتضى للرسوخ فقال: ﴿ الكفرين ﴾ أى فلا تدع عليهم و لا تستعجل لهم بالإهلاك ، فانا لانعجل [4]لأنه لا يعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوت ، حكى أن الحجاج كان سجنه من رخام و أرضه من رصاص ، فكان يتلون بتلون الأوقات ، فوقت الحر جهنم ، و وقت البرد زمهرير ، فمر به يوما فاستغاثوا فطأطأ رأسه لهم و قال : اخسؤا فيها و لا تكلمون ، فأخذت الأرض قوائم جواده فرفع طرفه إلى السماء و قال : سبحانك لا يعجل بالعقوبة إلا من يخاف الفوت ، و انطلق من وقته[4]، فان العجلة - [و هى -[5]] إيقاع الشىء فى غير وقته الأليق به -[6] نقص فانه لا يعجل إلا من يكون [ما يفعل -[5]] المستعجل عليه خارجا عن قبضته .

و لما كانت صيغة التفعيل ربما أفهمت التطويل ، اكد ذلك مجردا للفعل دلالة على أن المراد بالأول إيقاع الإمهال مع أن زمنه قصير بالتدريج ليطمئن الممهل بذلك[7] و تصير له [به -[5]] قوة عظيمة و درته؟ و عزيمة

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : بتوغلهم فى كل ما يقتضى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بذلك (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م ، و زيد فى الأصل : قوله (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) زيد من ظ و م . (٦) زيد فى الأصل : و هذا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : به .

/ ٧٢٧ صادقة لأن ما يقولونه مما تشتد كراهة / النفوس له ، فلا يقدر أحد على الإعراض عنه إلا بمعونة عظيمة : ﴿ امهلهم ﴾ أى بالإعراض عنهم مرة واحدة بعد التدريج [لما صار لك على حمله من القوة بالتدريج -[1]] الذى أمرت به سابقا ﴿ رويدا ﴾ أى إمهالا يسيرا فستكون عن قريب ٥ لهم أمور ، و أى أمور تشفى الصدور ، و هو تصغير «ارواداء» تصغير ترخيم ، قال ابن برجان : و هى كلمة تعطى الرفق ، و هذا الآخر هو المراد بما فى أولها من أن كلا منهم و من غيرهم محفوظ بحفظه مضبوطة أقواله و أفعاله و [2]حركاته و سكناته[2] و أحواله ، فان ذلك مستلزم لأنه[3] فى القبضة ، فقد[4] التقى الطرفان على أعظم [شأن بأبين -[1]] برهان ، و وقع أول ١٠ هذا الوعيد يوم بدر ثم تولى[5] نكالهم و تحقيرهم[6] و إسفالهم إلى أن ذهب كثير منهم بالسيف و كثير منهم [بالموت -[1]] حتف الأنف إلى النار ، و بقى الباقون فى الصغار إلى أن أعزهم الله بعز الإسلام ، و صاروا من الأكابر الأعلام[7] ، تشريفا [2]و تكريما و تعظيما[2] لهذا النبى الكريم[8] عليه أفضل الصلاة و السلام[2] - و الله تعالى هو أعلم بالصواب[2] .

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من م ، و فى الاصل و ظ : انه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : رجع و (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تول (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تحقير (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الأعيان (٨) زيد فى الأصل : على ربه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

سورة سبح[1] و تسمى الأعلى

قال الملوى : و كان النبي صلى الله عليه و سلم [يحبها - [2]] لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات - مقصودها إيجاب[3] التنزيه للأعلى[4] سبحانه و تعالى عن أن يلحق ساحة[5] عظمته شيء من [6]شوائب النقص[6] كاستعجال في أمر من إهلاك الكافرين أو غيره أو العجز عن البعث أو إهمال الخلق ٥ سدى يبغى بعضهم على بعض بغير حساب ، أو أن يتكلم بما [لا - [2]] يطابق الواقع او بما يقدر أحد أن يتكلم بمثله كما أذنت بذلك[7] الطارق مجملا و شرحته هذه مفصلا ، و على ذلك دل كل من اسميها سبح و الأعلى ﴿ بسم الله ﴾ الذى له العلى كله فلا نقص يلحقه ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم جوده ، فكل[8] موجود هو الذى أوجده و كل حيوان هو الذى ١٠ يربيه و يرزقه ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الذى [من - [2]] كان من حزبه فانه يلزمه الطاعة و ييسرها له[9] و يوفقه[10] .

---

(١) السابعة و الثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، و عدد آيها ١٩ .
(٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ايجاد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : للعلى الأعلى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بساحة (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الاصل : الشوائب (٧) زيد فى الاصل : سورة ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بكل (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : لها (١٠) من ظ و م ، و فى الاصل : يرفق به انتهى .

لما تضمن أمره سبحانه فى آخر الطارق بالإمهال[1] النهى عن الاستعجال، الذى هو منزه عنه لكونه [نقصا -[2]]، و اشار نفى الهزل [عن القرآن -[2]] إلى أنهم[3] و صموه بذلك و هو فى غاية البعد [عنه -[2]] إلى غير ذلك مما أشير إليه فيها و نزه نفسه الأقدس سبحانه [عنه -[2]]، أمر أكمل خلقه رسوله ٥ المنزل عليه هذا القرآن صلى الله عليه و سلم بتنزيه اسمه لأنه وحده العالم بذلك حق علمه، و إذا نزه[4] اسمه عن أن يدعو به وثنا أو غيره أو يضعه فى غير ما يليق به، كان لذاته سبحانه أشد تنزيها، فقال[5] مرغبا فى الذكر لاسيما بالتنزيه الذى هو نفى المستحيلات لأن التخلى قبل التحلى، شارحا لأصول الدين مقدما للالهيات التى هى النهايات[6] من الذات ثم ١٠ الصفات لاسيما / القيومية ثم الأفعال على النبوات، ثم أتبع ذلك النبوة ٧٢٨ / ليعرف العبد ربه على ما هو عليه من الجلال و الجمال، فيزول عنه داء الجهل الموقع فى التقليد، و داء الكبر الموقع فى إنكار الحقوق، فيعترف[7] بالعبودية و الربوبية، مثنيا عليه سبحانه بالجلال ثم الجمال فيعبده على ما يليق به من امتثال أمره و اجتناب نهيه تعظيما لقدره: ﴿ سبح ﴾ ١٥ أى نزه و برئ تنزيها و تبرئة [8]عظيمتين جدا قويتين شديدتين[8] ﴿ اسم ربك ﴾ أى المحسن إليك بعد إيجادك على صفة الكمال بتربيتك

(١) زيدت الواو فى الأصل و ظ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الاصل: انه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: نزل (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قال (٦) من ظ و م، و فى الأصل: البهات (٧) من ظ و م، و فى الأصل: معترف (٨-٨) فى ظ و م: عظيمة جدا جدا قوية شديدة.

على أحسن الخلال[1] حتى كنت فى غاية [2]الجلال و الجمال[2] .

و لما كان الإنسان محتاجا فى أن تكون حياته طيبة ليتمكن مما يريد إلى ثلاثة أشياء : كبير ينتمى إليه ليكون له به رفعة ينفعه بها عند مهماته ، و يدفع عنه عند ضروراته ، و مقتدى يربط[3] به[4] نفسه عند ملماته ، و طريقة مثلى ترتكبها[5] - كما أشار إليه قوله صلى الله عليه و سلم «رضيت بالله ربا و بمحمد صلى الله عليه و سلم نبيا و رسولا و بالإسلام دينا» أرشده صلى الله عليه و سلم إلى أن الانقطاع إليه[4] أعلى الجاه ، فقال واصفا لمن أمره بتسبيحه باثبات ما له من الواجبات بعد نفى المستحيلات كما أشار إليه[6] «سبحانك و بحمدك» : ﴿الاعلى[7]﴾ [أى -[2]] الذى له وصف الأعلوية فى المكانة[8] لا المكان على الإطلاق عن كل شائبة نقص[9] و كل سوء من الإلحاد فى شىء من أسمائه بالتأويلات الزائغة و إطلاقه على غيره مع زعم أنهما فيه سواء ، و ذكره[10] خاليا عن التعظيم و غير ذلك ليكون راسخا[11] فى التنزيه[11] فيكون من أهل العرفان الذين يضيئون على الناس مع كونهم فى الرسوخ كالأوتاد الشامخة التى هى مع علوها لا تتزحزح ، وقد ذكر سبحانه

(١) من ظ و م ، وفى الأصل : الحال (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الجمال والجلال (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يربطه (٤) سقط من م (٥) فى ظ : يركبها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : سبحانه و تعالى بقوله (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : المكان (٩) زيد فى الأصل : عن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : ذكرا . (١١-١١) من ظ و م . و فى الأصل : بالتنزيه .

هذا المعنى معبرا [1]عنه بجميع[1] جهاته [الأربع -[2]] فى ابتداء سور أربع استيعابا لهذه الكلمة الحسنى الشريفة من جميع جهاتها ، فابتدأ[3] سورة الإسراء التى هى سورة الإحسان بـ « سبحن » المصدر الصالح لجميع معانيه إعلاما بأن هذا المعنى ثابت له مطلقا غير مقيد بشىء من زمان أو غيره ، ثم ثنى بالماضى فى أول الحديد و الحشر و الصف تصريحا بوقوع ما أفهمه المصدر فى الماضى الذى يشمل أزل الآزال[4] إلى وقت الإنزال ، ثم ثلث فى أول الجمعة و التغابن بالمضارع لأن يفهم مع ما أفهم المصدر و الماضى دوام التجدد ، فلما تم ذلك من جميع [5]وجوهه توجه[5] الامر فخصت به سورته ، و قد مضى فى اول الحديد و الجمعة ما يتمم هذا .

و لما كان الإبداع أدل ما يكون مع التنزه[6] على الكمال لاسيما النور الذى هو سبب الانكشاف و الظهور ، مع أنه تفصيل[7] لقوله « مم خلق » و هو أدل شىء على البعث المذكور فى « [يوم -[2]] تبلى السرائر » قال مبينا للفاعل الذى أبهمه لوضوحه فى «مم خلق» مرغبا فى الفكر / فى أفعاله سبحانه و تعالى الذى هو السبب الأقرب للسعادة بالدلالة عليه بما له من الجائزات بعد الترغيب فى الذكر الذى هو المهيئ للفكر : ﴿الذى خلق﴾ ٧٢٩ /

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : به عن جميع (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل : فى ابتداء (٤) من ظ و م، و فى الأصل : الازل (٥-٥) من م ، و فى الأصل : و ظ : امور ه (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : التنزيه . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لفصل .

أى أوجد من العدم أى له صفة الإيجاد لكل ما أراده[1] لا يعسر عليه شىء ﴿فسوّى[2]﴾ أى أوقع[3] مع الإيجاد و عقبه التسوية فى كل خلق بأن جعل له ما يتأتى معه[4] كماله و يتم معاشه، و عدل بين الأمزجة الأربعة الماء و الهواء و النار و التراب بعد أن قهرها على الجمع مع التضاد لئلا تتفاسد، و ذلك بالعلم التام و القدرة الكاملة دلالة على تمام حكمته وفعله بالاختيار.

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: لما قال سبحانه و تعالى مخبرا[4] عن عمه[5] الكفار فى ظلام حيرتهم "انهم يكيدون كيدا" وكان وقوع ذلك من العبيد المحاط بأعمالهم و دقائق أنفاسهم و أحوالهم من أقبح مرتكب و أبعده[6] عن المعرفة بشىء من عظيم أمر الخالق جل جلاله و تعالى علاؤه و شأنه، أتبع سبحانه ذلك بأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بتنزيه ربه الأعلى عن شنيع اعتدائهم و افك افترائهم، فقال "سبح اسم ربك الأعلى" أى نزهه عن قبيح مقالهم، و قدم التنبيه على التنزيه فى أمثال هذا و نظائره و وقوع ذلك أثناء السور [و -[7]] فيما بين سورة و أخرى، و أتبع سبحانه و تعالى من التعريف بعظيم قدرته و علىّ حكمته بما يبين ضلالهم فقال "الذى خلق فسوى و الذى قدر فهدى"

(١) من ظ، و فى الأصل و م: اراد (٢) زيد فى الأصل: التسوية، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: مع (٤) من ظ و م، و فى الأصل: مكبرا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عامة (٦) من ظ، و فى الأصل و م: ابعد (٧) زيد من م.

فتبارك الله أحسن الخالقين ، و تنزه عما يقوله[1] المفترون - انتهى .

و لما كان جعل الأشياء على أقدار متفاوتة مع الهداية إلى ما وقع الخلق له على أوجه[2] متفاضلة مع التساوى فى العناصر مما يلى التسوية ، و هو من خواص الملك الذى لا يكون إلا مع الكمال ، أتبعه به بالواو دلالة على تمكن الأوصاف فقال : ﴿ و الذى قدر ﴾ أى أوقع تقديره فى أجناس الأشياء و أنواعها[3] و أشخاصها[3] و مقاديرها و صفاتها و أفعالها و آجالها ، و غير ذلك من أحوالها ، فجعل البطش لليد و المشى للرجل و السمع للأذن و البصر للعين و نحو ذلك ﴿ فهدى ﴾ أى أوقع بسبب تقديره و عقبه الهداية لذلك الذى وقع التقدير من أجله من الشكل و الجواهر و الأعراض التى هيأه بها لما يليق به طبعا أو اختيارا بخلق الميول و الإلهامات[4] ، و نصب الدلائل و الآيات لدفع الشرور و جلب الخيور ، فترى الطفل أول ما يقع من البطن يفتح فاه للرضاعة ، و غيره من سائر الحيوانات يهتدى إلى ما ينفعه من سائر الانتفاعات ، فالخلق لابد له من التسوية ليحصل الاعتدال ، و التقدير لابد له من / الهداية ليحصل الكمال . /٧٣٠

و لما كانت دلائل التوحيد تارة بالنفس و تارة بالآفاق ، و نبه بآيات النفس ، فلم يبق إلا آيات الآفاق ، و كان النبات من آياتها

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : يقوله (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اعلى وجه (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : الالهيا سات - كذا .

أدل المخلوقات على البعث قال : ﴿و الذى اخرج﴾ أى أوقع إخراج ﴿المرعى ميلا﴾ بما أنزل من المعصرات فأنبت ما ترعاه الدواب من النجم و غيره بدأ و إعادة ، فدل ذلك على تمام قدرته لاسيما على البعث لأنه سبحانه و تعالى أقدر على جمع الأموات من الأرض بنفسه بعد أن تفتتوا من الماء على جمعه للنبات الذى كان تفتت فى الأرض و صار ٥ [ترابا و -[1]] إخراجه كما كان فى العام الماضى باذنه سبحانه و تعالى و هو خلق من مخلوقاته .

و لما كان إيباسه و تسويده بعد اخضراره [2]و نموه[2] فى غاية الدلالة على تمام القدرة و كمال الاختيار بمعاقبة الأضداد على الذات الواحدة قال تعالى : ﴿فجعله﴾ أى بعد اطوار من زمن إخراجه ﴿غثاء﴾ أى ١٠ كثيرا ، ثم أنهاه فأيبسه و هشمه و مزقه فجمع السيل بعضه إلى بعض فجعله زبدا و هالكا و باليا و فتاتا على [وجه -[1]] الأرض ﴿احوى﴾ أى فى غاية الرى حتى صار أسود يضرب إلى خضرة ، أو أحمر يضرب إلى سواد ، أو اشتدت خضرته فصارت تضرب إلى سواد ، و قال القزاز رحمه الله فى ديوانه : الحوة شية من شيات الخيل ، و هى بين الدهمة ١٥ و الكمتة ، و كثر هذا حتى سموا كل أسود أحوى - انتهى . فيجوز أن يريد حينئذ أنه أسود من شدة يبسه فحوته الرياح و جمعته من كل أوب

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فهو (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حوى .

حيث تفتت ، فكل من الكلمتين فيها حياة و موت ، و أخر الثانية لتحملها لأن دلالتها على الخضرة أتم ، فلو قدمت لم تصرف إلى غيرها ، فدل جمعه بين الأضداد على الذات الواحدة على كمال الاختيار ، و أما الطبائع فليس لها من [٢]التأثير الذى[٢] أقامها سبحانه فيه إلا الإيجابى كالنار متى أصابت
٥ شيئا أحرقته ، و لاتقدر بعد ذلك أن تنقله إلى صفة أخرى غير التى[٣] أثرتها فيه ، و أشار بالبداية و النهاية إلى تذكر ذلك ، و أنه على سبيل التكرار فى كل عام الدال على بعث الخلائق ، و خص المرعى لأنه أدل على البعث لأنه إنما لاينبته الناس ، و إذا انتهى تهشم و تفتت و صار ترابا ، ثم يعيده سبحانه بالماء على ما كان عليه سواء [كما يفعل بالأموات سواء-[٤]]
١٠ من غير فرق أصلا .

و لما استوفى سبحانه و تعالى وصف من أمره صلى الله عليه وسلم بتسبيحه بما دل على أوصاف جماله و نعوت كبريائه و جلاله ، و شرح ما له سبحانه من[١] القدرة التامة على الإبداع و الهداية و التصرف فى الأرواح الحسية و المعنوية بالنشر و الطى و القبض و البسط ، فدل على تمام أصول
١٥ الدين بالدلالة على وجوده[٥] / سبحانه على[٦] سبيل التنزل[٧] من ذاته إلى صفاته ثم إلى أفعاله فتم ما للخالق ، أتبعه ما للخلائق و بدأ [٨]بما لأشرف[٨] /٧٣١

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ليحتملها (٢-٢) من م ، و فى الأصل و ظ : التاثيرات التى (٣) فى ظ : الذى (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : وجود (٦) من م ، و فى الأصل وظ : الى (٧) من م ، وفى الأصل و ظ : الشرك (٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : باشرف .

خلقه المنزل عليه هذا الذكر تقديرا للنبوة التى بها تتم السعادة بالحقائق الواصلة من الحق إلى عبده[1]، التى بها يتم أمره من القوتين العلمية ثم العملية بقبول الرسالة بعـــد التوحيد، لأن حياة الإنسان لايتم طيبها إلا بمقتدى يقتدى به من أقواله و أفعاله و سائر أحواله، و لا مقتدى[2] مثل المعصوم عن كل ميل الموجب ذلك الحب من كل ما يعرف حاله، ٥ و الحب فى الله أعظم دعائم الدين، فقال معللا للأمر بالتسبيح للموصوف بالجلال و الجمال دالا[3] [على -[4]] أنه يحيى ميت الأرواح بالعلم كما يحيى ميت الأشباح بالأرواح ﴿سنقرئك﴾ أى نجعلك بعظمتنا بوعد لا خلف فيه على سبيل التكرار بالتجديد و الاستمرار قارئا، أى جامعا لهذا الذكر الذى هو حياة الأرواح بمنزلة حياة الأشباح، الذى تقدم أنه قول فصل، ١٠ عالما به كل علم، ناشرا له فى كل حى، فارقا به [بين -[4]] كل ملتبس، و إن كنت أميّا لا تحسن الكتابة ولا القراءة، و لذلك سبب عنه قوله: ﴿فلا تنسى[5]﴾ أى شيئا منه و لا من غيره ليكون فى ذلك آيتان: كونك تقرأ و أنت أمى، و كونك تخبر عن المستقبل فيكون كما قلت فلا تحرك [به -[5]] لسانك عند التنزيل لتعجل به و لا تتعب نفسك فان علينا حفظه فى ١٥ صدرك و إنطاق[6] لسانك به.

و لما كان سبحانه و تعالى ينسخ من الشريعة ما يشاء بحسب المصالح تخفيفا[7] لما له بهذه الأمة من الرفق، قال لافتا القول إلى سياق الغيبة

(١) فى ظ: العبد (٢) من م، و فى الأصل و ظ: المقتدى (٣) من ظ، و فى الأصل و م: دال (٤) زيد من م (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ، و فى الأصل: ان طال، و فى م: انطال (٧) من ظ و م، و فى الأصل: تحقيقا.

إعلاما بأن ذكر[1] الجلالة أعظم من التصريح بأداة العظمة : ﴿الا ما شآء الله﴾ أى الملك الأعظم الذى له الأمر كله ، أن تنساه لأنه نسخه ، أو لتظهر عظمته فى أن أعظم الخلق يغلبه القرآن لأنه صفة الله فتنسى الآية أو الكلمة ثم تذكرها تارة بتذكير أحد من آحاد أمتك و تارة بغير ذلك .

و لما كان الفاعل لهذه[2] الأمور كلها لاسيما الإقراء و الحكم على ما يقرأ[3] بأنه لا ينسى إلا ما شاء منه إلا يكون لا محيط العلم ، قال تعالى مصرحا بذلك مؤكدا لأجل إنكار أهل القصور فى النظر لمثله[4] جاريا على أسلوب الغيبة معبرا بالضمير إشارة الى تعاليه فى العظمة إلى حيث تنقطع أمانى الخلق عن إدراكه بما كثر من أفعاله[5] : ﴿انه﴾ أى الذى مهما شاء كان "[6] انما قولنا لشىء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون[6] " .

و لما كان المراد بيان إحاطة علمه سبحانه و تعالى ، و أن نسبة الجلى و الخفى من جهره بالقرآن و ترديده على قلبه سرا و غير ذلك إليه على حد سواء[7] ، و كان السياق للجلى ، ذكرهما مصرحا بكل منهما [8]مقدما الجلى[8]

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : بهذه .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تقراها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بمثله .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : احفال (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .
(٧) زيد فى الأصل : لما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨ - ٨) فى ظ و م : و قدم الجلى .

لأن هذا[1] مقامه، و ذكره بوصفه معبرا عنه بالاسم الدال على إحاطة علمه به فقال: / ﴿ يعلم الجهر ﴾ أى ثابت له هذا الوصف على سبيل التجدد و الاستمرار فى الإقراء و القراءة و غيرهما . و لما ذكره باسمه ليدل [على -[2]] أنه يعلمه مطلقا لا بقيد كونه جهرا، قال مصرحا بـذلك: ﴿ و ما يخفى[1] ﴾ أى يتجدد خفاؤه من القراءة و غيرها[3] على أى حالة كان الإخفاء، فيدل على علمه به إذا جهر به بطريق الأولى . ٥

/ ٧٣٢

و لما ذكر الإلهيات و النبوة و أشير إلى النسخ، أشار إلى أن الدين المشروع له هو الحنيفية السمحة، و أنه سبحانه و تعالى لا يقيمه فى شىء بنسخ أو غيره إلا كان هو الأيسر [له -[4]] و الأرفق، لأن الرفق و العنف يتغيران بحسب الزمان، فقال مبينا للقوة العملية أثر بيانه للعلمية[5]: ﴿ و نيسرك ﴾ أى نجعلك أنت مهيأ مسهلا [ملينا -[4]] موفقا ﴿ لليسرى ﴾ أى فى حفظ الوحى و تدبره[6] و غير ذلك من الطرائق[7] و الحالات كلها التى هى لينة سهلة خفيفة[8] - كما أشار إليه قوله "كل ميسر لما خلق له" و لهذا لم يقل: و نيسر لك، لأنه هو مطبوع على حبها . ١٠

و لما كمله صلى الله عليه و سلم و هيأه سبحانه و تعالى للأيسر و يسره غاية التيسير، سبب عنه وجوب التذكير لكل احد فى كل حالة ١٥

(١) زيد فى الأصل: هو، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من م.
(٣) من م، وفى الأصل وظ: غيره (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل: فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) فى ظ: تدبيره (٧) فى ظ: الطريق (٨) من ظ و م، و فى الأصل: حنيفه .

تكميلا لغيره شفقة على خلق الله بعد[1] لما له فى نفسه فان لله ساعات [له -[1]] فيها نفحات تقضى فيها الحاجات، و ذلك لأنه قد[2] صار كالطبيب الحاذق فى علاج المرضى فيقوم بنفع عباده لشكره [بعد -[1]] ذكره باذن منه إشارة إلى [أن -[1]] التلميذ يحتاج إلى إذن المشايخ و تزكيتهم، ٥ [و إلى -[1]] أن أعظم الأدواء أن يقتصر الإنسان على ما عنده و لا يطلب الازدياد مما ليس عنده من خير الزاد فقال تعالى: ﴿فذكر﴾ أى بهذا الذكر الحكيم، و عبر بأداة الشك إفهاما للاطلاق الكلى[3] فقال: ﴿ان نفعت الذكرى ۝﴾ أى إن جوزت نفعها و ترجيته [و لو كان -[2]] على وجه ضعيف - بما أشار إليه تأنيث الفعل بعد ما أفادته أداة الشك، ١٠ و لاشك أن الإنسان لعدم علمه[4] بالغيب لا يقطع بعدم نفع أحد بل لايزال على رجاء منه و إن استبعده، و لهذا كان النبى صلى الله عليه و سلم لا يزال يدعو إلى الله تعالى و إن اشتد الأمر، و لايحقر أحدا أن يدعوه و لا ييئس من أحد و إن اشتد عليه، و[2] الأمر بالإعراض عمن تولى ونحو ذلك [إنما هو بالإعراض عن الحزن عليه ومن تقطيع النفس لأجله حسرات ونحو ذلك -[2]].

١٥ و لما أمره بالتذكير لكل[5] أحد، قسم الناس له إلى قسمين: قسم يقبل العلاج[6]، و قسم لا يقبله، إعلاما بأنه سبحانه و تعالى عالم بكل من القسمين

(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لعلمه (٥) من م، و فى الأصل و ظ: بكل (٦) من م، و فى الأصل و ظ: الصلاح.

جملة و افرادا على التعيين و لم يزل عالما بذلك ، و لكنه لم يعين ابتلاء منه لعباده لتقوم له الحجة عليهم بما يتعارفونه بينهم و له الحجة البالغة ، فقال حاثا على شكر الجوانح [من] العقل ونحوه والجوارح من القلب و اللسان و غيرهما : ﴿ سيذكر ﴾ أى بوعد لاخلف فيه و لو على أخفى / وجوه[1] التذكر - بما أشار إليه الإدغام ﴿ من يخشى[2] ﴾ أى فى جبلته[3] نوع خشية ، و هو السعيد لما قدر له فى نفسه من السعادة العظمى لقبول الحنيفية السمحة فيذكر ما يعلم منها فى نفسه فيتعظ ، فان الخشية [حاملة -[3]] على كل خير فيتنعم بقلبه و قالبه فى الجنة العليا و يحيى فيها [4] حياة طيبة[4] من غير سقم و لا توى ، دائما بلا آخر و انتها .

/ ٧٣٣

و لما ذكر من يحب حبه فى الله ذكر من يبغض فى الله ، و علامة الحب الاقتداء ، و علامة البغض التجنب و الانتهاء و الابتداع و الإباء ، فقال : ﴿ و يتجنبها ﴾ أى يكلف نفسه و فطرته[5] الأولى المستقيمة تجنب[6] الذكرى التى نشاه تذكيره بها من أشرف الخلائق و أعظمهم وصلة بالخالق . و لما كان هذا الذى يعالج نفسه على العوج[7] شديد العتو قال : ﴿ الاشقى ﴾ أى الذى له هذا الوصف على الإطلاق لأنه خالف أشرف الرسل فهو لا يخشى فكان أشقى الناس ، كما أن من آمن به

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : وجه (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : جملة .
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فكرته (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لجنب (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : المجوع .

أشرف ممن آمن بمن قبله من الرسل عليهم الصلاة و السلام .

و لما ذكر وصفه الذى أوجب له العمل [1] السىء ، ذكر[1] جزاءه فقال : ﴿الذى يصلى﴾ أى يباشر مباشرة[2] الغموس [بقلبه -[3]] و قالبه مقاسيا ﴿النار الكبرى ۝﴾ [أى -[3]] التى هى أعظم الطبقات و هى السفلى لأنه[4] ليس فى طبعه أن يخشى ، [5]بل هو[5] كالجلمود الأقسى لأنه جاهل مقلد أو متكبر معاند ، أو[6] المراد نار الآخرى فانها[7] أعظم من نار [8]البرزخ و أعظم من نار[8] الدنيا بسبعين جزأ ، فلهذا استحقت أن تتصف بأفعل التفضيل على الإطلاق ، و الآية من الاحتباك : ذكر الثمرة [9]فى الأول[9] وهى الخشية دليلا على حذف ضدها من الثانى ، وهى القسوة الناشئة على الحكم بالشقاوة ، و ذكر الأصل و السبب فى الثانى و هو الشقاوة دليلا على حذف ضده فى الأول و هو[10] السعادة ، فالإسعاد[11] سبب و الخشية ثمرة ، و الإشقاء سبب و القساوة ثمرة و مسبب ، وكذا ما نبعه من النار و ما نشأ عنها ، وسر ذلك [أنه -[3]] ذكر مبدأ السعادة أولا حثا عليه ، و مآل الشقاوة ثانيا تحذيرا منه ، قال الملوى : و لا شك أن القرآن العظيم على أحسن ما يكون من البراعة فى التركيب و بداعة الترتيب

(١) من ظ و م . و فى الأصل : المبين ذكره (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يباشره (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل و ظ : الذى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فهو (٦) من ظ و م ، و فى الاصل « و » (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : فانه (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اولا (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : هى (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : فالسعادة .

و كثرة العلوم مع الاختصار و عدم التكرار ، فيكتفى فى موضع بالثمرة بلا سبب و فى آخر[1] بالسبب بلا ثمرة لدلالة الأول على الثانى و الثانى على الأول ، فيضم السبب إلى الثمرة و الثمرة إلى السبب كما يطلق القضاء و[2] يكتفى به عن القدر ، و يطلق القدر و يكتفى به عن القضاء ، و كذلك[3] يذكر الحكم و يتركان فيدل عليهما فتذكر[4] الثلاثة ، و يظهر بمثال و هو أن من أراد إقامة دولاب يهندس أولا موضع البئر بسهمه و ترسه و مداره / و حوضه الذى يصب فيه الماء وجداوله التى ينساق منها ، فهذا هندسة و تدبير و حكم و إرادة ، فاذا صنع ذلك و أتمه سمى قضاء و إيجادا و تأثيرا ، فاذا ركب على الجبال قواديس تحمل مقدارا من الماء معينا إذا نزلت إلى الماء أخذته ، و إذا صعدت فانتهت[6] و أرادت الهبوط فرغته[6] فتصرف الماء من جداوله[7] إلى ما صنع له كان ذلك قدرا فهو النهاية ، فمتى ذكر واحد من الثلاثة : الحكم و القضاء و القدر ، دل على الآخر .

/ ٧٣٤

و لما كان ما هذا شأنه يهلك على ما جرت به العادة فى أسرع وقت ، فاذا كان من شأنه مع هذا العظم أنه لا يهلك كان ذلك دليلا واضحا على أنه لا يعلم كنه عظمة مقدره[8] إلا هو سبحانه و تعالى فأشار إلى ذلك بالتعبير بأداة التراخى إعلاما بأن مراتب هذه الشدة فى التردد

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : الآخر (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ثم .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لذلك (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : مذكر .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لو انتمت (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : فرفعته (٧) فى ظ : مداركه (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : مقدراه .

بين[١] الموت و الحياة لايعلم علوها عن شدة الصلى إلا الله تعالى فقال: ﴿ثم لايموت فيها[٢]﴾ أى لا يتجدد له فى هذه النار موت و إن طال المدى . و لما كان من يدخل النار فلا تؤثر فى موته قد يكون ذلك إكراما له من باب خرق العوائد، احترز عنه بقوله: ﴿و لا يحيى[٣]﴾ أى حياة تنفعه لأنه ما تزكى فلا صدق و لا صلى .

و لما ثبت بهذا أن لهذا هذا الشقاء الأعظم، فكان التقدير: لأنه لم يزك نفسه لأنه [ما ـ[٣]] كان مطبوعا على الخشية، أنتج و لابد قوله تعالى دالا على الدين التكليفى و هو اجتناب و اجتلاب، فجمع الاجتناب و الاجتلاب بالتزكية بالتبتل بالأبواب و الملازمة للاعتاب بامتثال الأمر و اجتناب النهى بالمجاهدات المقربات[٤] إليه سبحانه و تعالى، المنجيات بعد ما حذر من المهلكات، للمسارعة فى محابه و مراضيه اجتماعا[٥] على العبادة الموصلة للخالق بعد حصول الكمال و التكميل فانه لابد فى الحياة الطيبة بعد الانتماء إلى ذى الجاه العريض[٦] و الاقتداء بمن لا يزيغ من الارتباط بطريقة مثلى[٧] يحصل بها الاغتباط[٨] ليصل بها إلى المقصود و يعمر أوقاته بوظائفها لئلا يحصل له خلل و لا ضياع لنفائس الأوقات و لاغفلة

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢) وقع فى الاصل قبل « ولا يحيى » و الترتيب من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ و م : القربات . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اجتماع (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : العرض (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : مثل (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : الاحتياط .

يستهويه

يستهويه بها قطاع الطريق : ﴿قد افلح﴾ أى فاز بكل مراد ﴿من تزكّى﴾ أى أعمل نفسه فى تطهيرها من فاسد الاعتقادات و الأخلاق و الأقوال و الأفعال و الأموال و تنمية أعمالها القلبية و القالبية و صدقة أموالها ، و ذلك هو التسبيح الذى [أمر -[1]] به اول السورة و ما تأثر عنه ، من عمل هذا فهو الأسعد . ٥

و لما كان أعظم الأعمال المزكيـــة الذكر و الصلاة قال تعالى: ﴿و ذكر﴾ أى بالقلب و اللسان ذكر و ذكر - بالكسر و الضم ﴿اسم ربه﴾ أى صفات المحسن إليه فانه إذا ذكر الصفة / سر بها فأفاض باطنه على ظاهره ذكر اللفظ الدال عليها ، و إذا ذكر ذلك اللفظ و هو الاسم الدال عليها انطبع فى قلبه ذكر المسمى ﴿فصلّى﴾ أى الصلاة الشرعية لأنها أعظم ١٠ الذكر ، فهى أعظم عبادات البدن كما أن الزكاة أعظم عبادات المال[2] ، و من فعل ذلك استراح من داء الإعجاب و ما يتبعه من النقائص الموجبة لسوء الانقلاب ، و كان متخلقا بما ذكر من أخلاق الله فى أول السورة من التخلى عن النقائص بالتزكية[3] ، و التحلى بالكمالات بالذكر و الصلاة لأنه لعظمته لايتأهل لذكره إلا من واظب على [ذكر -[1]] اسمه فلا ١٥ يشقى فلا يصلى النار الكبرى بوعد لاخلف فيه[4] - فالآية[5] من الاحتباك فى

/ ٧٣٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الأموال (٣) زيد فى الأصل : و التجلى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : والله اعلم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : و الآية .

الاحتباك : ذكر أولا الصلى دليلا على حذف[1] ضده ثانيا ، و ثانيا التزكية دليلا على حذف ضدها أولا ، و قد تكفل ذكر التزكية و الذكر و الصلاة من أسباب التداوى[2] بالإنضاج ثم الأشربة ثم الأغذية ، و الآية صالحة لإرادة زكاة الفطر و تكبيرات العيد و صلاته و إن كانت السورة مكية و فرض الصيام بالمدينة ، لأن العبرة بعموم اللفظ لإحاطة علمه سبحانه و تعالى بالماضى و الحال[3] و الاستقبال على حد سواء ؛ قال الرازى فى اللوامع : و تقدم زكاة الفطر على صلاة العيد ، و كان ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يقول : رحم الله امرءا تصدق ثم صلى - ثم يقرأ هذه الآية ، و إن كانت السورة مكية ، فانه يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كما قال تعالى « و أنت حل بهذا البلد » و السورة مكية ، و ظهر أثر الحل يوم الفتح - انتهى ، و أخذه[4] من البغوى ، و زاد البغوى[5] أن ابن عمر رضى الله عنهما كان يأمر نافعا رضى الله عنه بنحو ما قال ابن مسعود رضى الله عنه ، و يقول : إنما نزلت هذه الآية فى هذا . و روى البزار[6] عن عوف بن مالك الأشجعى رضى الله تعالى عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم أنه كان يأمر بزكاة الفطر قبل أن يصلى صلاة العيد و يتلو[7] هذه الآية ، و فى السند كثير بن

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : حفظ (٢) زيد فى الأصل : و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : وال كذا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اخذ (٥) راجع المعالم ٧ / ١٩٦ (٦) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٣٦ . (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : يتلوه .

عبد الله - حسّن له الترمذى و ضعفه غيره - [1] و الله أعلم [1] .

و لما كان التقدير: و انتم لاتفعلون[2] ذلك، أو [و -[3]] هم لا يفعلونه - على القراءتين، عطف عليه قوله بالخطاب فى قراءة الجماعة على الالتفات الدال على تناهى [الغضب -[3]]، مبنها على المعاملات بسبب التداوى الرابع[4] و هو الاستفراغ بنفى الرذائل و الخبائث بالذم على ما ينبغى البراءة منه ٥ و الحث على ما يتعين تحصيله تحصيلا لحسن الرعاية[5]: ﴿بل تؤثرون﴾ أى [6]تختارون و تخصون[6] بذلك على وجه الاستبداد، أيها الأشقياء، و بالغيب على الأصل عند أبى عمرو ﴿الحيوة الدنيا ۝﴾ أى الدنية بالفناء الحاضرة، مع أنها [شر و -[3]] فانية، اشتغالا بها لأجل حضورها كالحيوانات / التى هى مقيدة بالمحسوسات، فاستغرق اشتغالكم بها اوقاتكم و منعكم عن ذكر ١٠ / ٧٣٦ [اسم -[3]] الله المنهى إلى ذكر الله و المهيئ له، و عن تزكية نفوسكم، فأوقعكم ذلك فى داء القبقب و هو البطن، و الدبدب و هو الفرج، وحب المال المؤدى إلى شر الأعمال، و تتركون الآخرة ﴿و[7] الأخرة﴾ [أى -[8]] و الحال أن الدار التى هى غاية الخلق و مقصود الأمر، العالية[9]

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لا تعقلون.
(٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ: الابع - كذا (٥) زيد فى الأصل و ظ: انتهى قال، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: يجاورون و يخفعون - كذا (٧) ليست الواو فى الأصل فقط (٨) زيد من م.
(٩) تكرر فى الأصل فقط.

المبرئة عن العبث، المنزهة[1] عن الخروج عن الحكمة ﴿خير﴾ أى [من -[2]] الدنيا على تقدير التسليم لأن فيها خيرا لأن نعيمها خالص لا كدر فيه بوجه ﴿و ابقى[3]﴾ أى منها على تقدير المحال فى الدنيا من أن تماديها إلى وقت زوالها تسمى بقاء، لأن نعيم الآخرة دائم لا انقطاع له أصلا، ٥ و ما كان [باقيا -[2]] لا يعادل بما يفنى بوجه من الوجوه، فمن علم ذلك - و هو أمر لا يجهل - اشتغل بما يحصل الآخرة و يفنى الدنيا بقسميها من الأعيان الحسية و الشهوات المعنوية من[4] الرعونات النفسانية[5] و المستلذات الوهمية، و الآية من الاحتباك: ذكر الإيثار و الدنو أولا[6] يدل على الترك و العلو ثانيا، و ذكر الخير و البقاء ثانيا يدل على ضدهما أولا، و سر ١٠ ذلك أنه لا يؤثر الدنيء إلا دنيء فذكره أولا لأنه اشد فى التنفير، و ذكر الخير و البقاء ثانيا لأنه أشد فى الترغيب.

و لما كانت هذه النتيجة - التى هى الفلاح بالتزكية و ما تبعها - خالصة الكتب المنزلة التى بها تدبير[1] البقاء الأول، وصفها ترغيبا فيها بوصف جمع القدم المستلزم للصحة بتوارد[7] الأفكار على تعاقب الأعصار، لأن ١٥ ما مضت عليه السنون و مرت على قبوله الدهور تكون النفس أقبل للاذعان [له -[2]] و أدعى إلى إلزامه، و أفاد مع القدم أن المنزل عليه صلى الله عليه و سلم ليس بدعا من الرسل عليهم الصلاة و السلام بل هو على

(١) من ظ، و فى الأصل و م: المنزه (٢) زيد من م (٣) زيد من ظ و م.
(٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: الرعانات النفسية (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: بدلا عن (٦) من ظ و م، و فى الأصل: تدير - كذا (٧) من م، و فى الأصل و ظ: التوارد.

منهاجهم، فرد رسالته من بينهم لايقول به منصف لاسيما و قد زاد عليهم فى المعجزات و [سائر - [1]] الكرامات بقوله مؤكدا لأجل من يكذب: ﴿ان هذا﴾ أى الوعظ العظيم بالتسبيح الذى ذكر فى هذه السور[2] و ما تأثر عنه من التزكية بالذكر الموجب للصلاة و الإعراض عن الدنيا و الإقبال على الآخرة، لأنه جامع لكل خير، و هو ثابت [3]فى كل[3] شريعة لأنه المقصود ٥ بالحكم[4] فهو لايقبل النسخ ﴿لفى الصحف الاولى[5]﴾ فمن تبع هذا القرآن الذى هو فى هذه الصحف الربانية فقد تحلى من زينة اللسان بما[6] ينقله من البيان الذى هو فى غاية التحرير و عظم الشأن و ما يعلمه من المغيبات مما يكون أو كان، و نسيه[6] أهل هذه الأزمان، فاستراح من ضلال الشعراء و الكهان، الموقعين فى الإثم و العدوان، فان القرآن جمع المديح / الفائق[7] ١٠ / ٧٣٧ و النسيب الرقيق فى وصف الحور و الرحيق و الفخر الحماسى و الهجاء البليغ لأعداء الله، و الترغيب الجاذب للقلوب و الترهيب الزاجر و الملح الخبرية و الحدود الشرعية - إلى غير ذلك من أمور لاتصل إليها الشعراء، و لا ينتهى إلى أدنى جنابها بلاغات البلغاء.

و لما كان ذلك[8] عاما خص من بينه تعظيما لقدر هذه الموعظة ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: السورة (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: بكل (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فى الحكم (٥) زيد فى الأصل: يقبله و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يسبه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: السابق (٨) زيد فى الأصل لذلك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

أعظم الأنبياء الأقدمين، فقال مبدلا مشيرا إلى الاستدلال بالتجربة: ﴿صحف ابرٰهيم﴾ قدمه لأن صحفه أقرب إلى الوعظ كما نطق به حديث أبي ذر رضى الله تعالى عنه ﴿و موسٰى ع﴾ ختم به لأن الغالب على[1] كتابه الأحكام، و المواعظ فيه قليلة، و منها[2] الزواجر البليغة كاللعن لمن خالف أوامر التوراة التى أعظمها البشارة بمحمد صلى الله عليه و سلم، و الإخبار بأنهم[3] يخالفونها كما [هو -[4]] مذكور فى أواخرها مع أن ذكر النبيين عليهما الصلاة و السلام على الأصل فى ترتيب الوجود و الأفضلية، و قد حث آخرها على التزكى[5] و هو التطهر[6] من الأدناس الذى هو معنى التنزه و التخلق بأخلاق الله بحسب الطاقة، و كان فى إتيانه و التذكير به إعلام بأن الله تعالى لم يهمل الخلق من[7] البيان [بعد أن خلقهم -[4]] لأنه لم يخلقهم سدى، لأن ذلك من العبث[8] الذى هو من أكبر النقائص [و هو سبحانه منزه عن جميع شوائب النقص -[4]] - فقد رجع آخرها على أولها، و كان تنزيه الرب سبحانه و تعالى و تنزيه النفس ايضا غاية معولها[9] - و الله الموفق للصواب، [10]و إليه المرجع و المآب[10].

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فيها. (٣) زيد فى الأصل: كانوا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الذكر (٦) من ظ و م، و فى الأصل: التطهير (٧) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٨) من ظ و م، و فى الأصل: التعنت (٩) فى ظ: مقولها (١٠-١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

خاتمة الطبع

لقد تم - و الحمدلله - طبع الجزء الحادى و العشرين من تفسير "نظم الدرر فى تناسب الآى و السور" للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى يوم الاثنين ٣ / جمادى الأولى سنة ١٤٠٤ هـ = ٦ / فبراير سنة ١٩٨٤ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد - قاضى المحكمة العليا سابقا - بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره.

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الأعظمى الأنصارى العمرى (أفضل العلماء - جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) - حفظهما الله.

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هـذه الخاتمة - كان الله له و لوالديه.

و يتلوه الجزء النهائى مستهلا بسورة الغاشية.

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، وهو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلى و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و على آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الغاشية [1]

مقصودها شرح ما فى آخر [2] «سبح» من تنزيه الله سبحانه و تعالى عن العبث [3] باثبات الدار الآخرة التى الغاشية مبدؤها ، و ذكر ما فيها للأتقى و الأشقى ، و الدلالة على القدرة عليها . و أدل ما فيها على هذا المقصود الغاشية ـ نعوذ بالله من القلب العاشى و البصيرة العاشية ، ٥ لئلا تكون الغاشية علينا بسوء الأعمال ناشية ﴿ بسم الله ﴾ الذى له العظمة البالغة و الحكمة الباهرة ﴿ الرحمن ﴾ الذى له الفيض الأعلى [4] و النعم [5] الظاهرة ﴿ الرحيم ﴾ الذى اصطفى أولياء فأصلح بواطن نعمهم حتى عادت ظاهرة [6] طاهرة .

لما ختمت «سبح» بالحث على تطهير النفوس عن وضر الدنيا ، ١٠ و [7] رغب فى ذلك بخيرية الآخرة تارة و الاقتداء بأولى العزم من الأنبياء أخرى ، رهب أول هذه من الإعراض عن ذلك مرة ، و من التزكى [8] بغير منهاج الرسل أخرى ، فقال تعالى مذكرا بالآخرة التى حث عليها آخر

---

(١) الثامنة و الثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٢٦ (٢) زيد فى الأصل : سورة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : البعث (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : العالى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : النقمه (٦) فى ظ : زاهرة (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ثم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : التزكية .

تلك مقررا لأشرف خلقه صلى الله عليه و سلم لأن ذلك أعظم فى تقدير
٧٣٨ / اتباعه / و أقعد فى تحريك النفوس إلى تلقى الخبر بالقبول : ﴿هل اتاك﴾
أى جاءك و كان لك و واجهك على وجه الوضوح يا أعظم خلقنا
﴿حديث الغاشية ۝﴾ أى القيامة التى تغشى الناس بدواهيها و شدائدها
٥ العظمى و زواجرها و نواهيها ، فان الغشى لا يكون إلا فيما يكره .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تقدم تنزيهه سبحانه عما توهم الظالمون ، و استمرت آى السورة على ما يوضح تقدس[1] الخالق جل جلاله عن عظيم مقالهم ، أتبع ذلك بذكر الغاشية بعد افتتاح السورة بصورة الاستفهام[2] تعظيما لأمرها ، فقال لنبيه صلى الله عليه و سلم : « هل أتاك »
١٠ يا محمد « حديث الغاشية » و هى القيامة ، [فكأنه - [3]] سبحانه و تعالى يقول : فى ذلك اليوم يشاهدون جزاءهم و يشتد تحسرهم حين لا يغنى عنهم ، ثم عرف بعظيم امتحانهم فى قوله « ليس لهم طعام الا من ضريع » مع ما بعد ذلك و ما قبله ، ثم عرف بذكر حال من كان فى نقيض حالهم إذ ذلك أزيد فى الفرح و أدهى ، ثم أردف بذكر ما نصب من الدلائل
١٥ و كيف لم يغن فقال « أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت » - الآيات ، أى أفلا يعتبرون بكل ذلك و يستدلون بالصنعة على الصانع ثم أمره بالتذكار[4] - انتهى .

و لما هول أمرها بانبهامها[5] و عمومها ، زاد فى التهويل بما ذكر من

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : تقديس (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الافهام (٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بالتذكير (٥) من ظ ، و فى الأصل ، م : بابهامها .

أحوالها فى تفصيل الناس إلى شقى و سعيد ، و بدأ بالشقى لأن المقام لإنذار المؤثرين للحياة الدنيا ، و سوّغ الابتداء [1] بالنكرة التفصيل [1] فقال : ﴿وجوه﴾ اى كثيرة جدا كائنة [2] ﴿يومئذ﴾ [أى - [3]] إذ تغشى الناس ﴿خاشعة ۝﴾ أى ذليلة مخبتة من الخجل و الفضيحة و الخوف و الحسرة [4] التى لا تنفع فى مثل هذا الوقت [4] ﴿عاملة﴾ أى مجتهدة فى الأعمال التى تبتغى [5] بها النجاة حيث لا نجاة بفوات دار العمل فتراها جاهدة فيما [6] كلفتها به الزبانية من جر السلاسل و الأغلال و خوض الغمرات من النيران و نحو ذلك كأن يقال له : أد الأمانه ثم تمثل له أمانته فى قعر جهنم ، فتكلف النزول إليها ثم يحملها على عنقه و يصعد فى جبال النيران حتى إذا كاد [7] أن يصل إلى [7] أعلاها سقطت منه فيتكلف النزول [8] إليها و هكذا [8] ، و هذا بما كان يهمل العمل فى الدنيا ﴿ناصبة ۝﴾ أى هى فى ذلك فى غاية التعب و الدؤب فى العمل و الاجتهاد - هذه رواية العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما [9] ، و ذلك لأنهم لم يخشوا الله فى الدنيا فلم يعملوا له فلم ينصبوا فى طاعته أجسادهم [10] فاضطرهم فى ذلك اليوم إلى أعظم مما أبوه فى الدنيا مع المضرة دون المنفعة ، و يجوز أن يراد بها الذين تعبوا و نصبوا فى الدنيا أجسامهم [10] و هم على غير

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : بالذكر التفصيلى (٢) من ظ ، و فى الاصل و م : كانهم (٣) زيد من م (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ينبغى (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فى كل ما (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : إلى ان يصلها من (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من م (٩) راجع المعالم ٧/ ١٩٨ (١٠) سقط من ظ و م و المعالم .

/٧٣٩ دين الإسلام كالرهبان من النصارى بعد النسخ و زنادقة المتصوفة من/ الفلاسفة و أتباعهم، بأن يكون «وجوه» مبتدأ و «يومئذ» خبره أى كائنة يومئذ، ثم يقدر ما بعده فى جواب سؤال سائل يقول: ماشأنها؟ فأجيب بقوله: خاشعة، أى فى الدنيا ـ إلى آخره، و هذا قول ابن عباس رضى الله عنهما

٥ فى رواية عطاء عنه.

و لما كان العذاب لا يكون إلا [على -[1]] ما يكرهه المعذب، دل على ذلك و على أنه على أنهى ما يكون ببناء[2] الفعل للمفعول فى قراءة أبى عمرو و يعقوب و أبى بكر عن عاصم فقال: ﴿تصلى﴾ أى يصليها مصل على[3] أيسر وجه و أسهله بأمر من له الأمر بأن يغمسها قهرا على وجه الإحاطة بها،

١٠ و المعنى على قراءة الجماعة بالبناء للفاعل: تدخل و تباشر بأن يدسها فيها أصحابها فيحيط بها من كل جانب و هو يدل على غاية الذل لأن من فعل بنفسه هذا لا يكون إلا كذلك ﴿نارا[4] حامية[5]﴾ متناهية فى الحر لأنها عملت بالجهل على خلاف ما حده لها نبيها فأخلت بركن للعمل أو شرط لما استولى عليها من الغفلة التى أحاطت بها[5]، فلم تدع لها موضعا يصلح

١٥ لدخول[6] الرحمة منه.

و لما كان من فى الحر أحوج شىء إلى ما يبرد[7] باطنه، قال بانيا [عند الكل ـ[8]] للمفعول جريا على قراءة أبى عمرو فى الذى قبله: ﴿تسقى﴾

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بدا ـ كذا (م) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٤) وقع، الأصل بعد «تصلى» و الترتيب من ظ و م. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لدخوله. (٧) زيد فى الأصل: به، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) زيد من ظ و م.

أى يسقى كل من أذن له الملك فى ذلك على أهون وجه [1] وأيسره [1] ﴿من عين آنية﴾ أى بلغت غايتها فى الحر فنضجت غاية النضج فصارت إذا قربوها منهم سقط لحم وجوههم . وإذا شربوا قطعت أمعاءهم مما شربوا فى الدنيا من كأسات الهوى التى قطعوا باستلذاذهم لها قلوب الأولياء .

ولما ذكر ما يسقونه على وجه علم منه أنه لا يلذذ ولا يروى من عطش ، أتبعه ما يطعمونه فقال حاصرا له : ﴿ليس لهم﴾ أى هؤلاء الذين أذابوا أنفسهم فى عبادة لم يأذن الله فيها ﴿طعام﴾ أصلا [2] ﴿الا من ضريع﴾ أى يبيس الشبرق ، وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطبا ، فاذا يبس تحامته [3] ، وهو سم : [و - [4]] قال فى القاموس : والضريع كأمير : الشبرق أو يبيسه أو نبات رطبه يسمى شبرقا ، ويابسه يسمى ضريعا ، لا تقربه دابة لخبثه ، أو شىء فى جهنم أمر من الصبر وأنتن من الجيفة [5] وأحر من النار . ونبات منتن يرمى به البحر ، وقال الهروى فى الغريبين وعبد الحق فى الواعى : الضريع : الشبرق ، وهو نبات معروف بالحجاز ذو [6] شوك ، ويقال شبرق ما دام رطبا ، فاذا جف فهو ضريع ، وقال القزاز فى ديوانه : الضريع : يبيس من يبيس الشجر ، وقيل : هو يبيس الشبرق خاصة ، وقيل : هو نبات أخضر يرمى [به - [4]] البحر وهو منتن [7] . أبو حنيفة

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : بوجه من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م ، وفى الاصل و ظ : كامته . (٤) زيد من ظ و م (٥) من م و القاموس ، وفى الأصل و ظ : الجيف . (٦) من ظ ، وفى الأصل و م « و » (٧) زيد فى الأصل : وقال ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

رحمه الله تعالى : و هو مرعى لا تعقد عليه السائمة شحما . [لا - [1]] لحما ، و إن لم تفارقه إلى غيره ساءت حالها . و قال ابن الأثير فى النهاية[2] :
/ الضريع هو نبت بالحجاز له شوك كبار ، و قال[3] : الشبرق نبت حجازى يؤكل [و له - [1]] شوك . و إذا[4] يبس سمى الضريع . و هـذا ثوب مشبرق و هو الذى أفسد ، و فى نسجه سخافة ، و شبرقت الثوب أيضا : حرقته[5] ، و قال فى القاموس : الشبرق كزبرج : رطب الضريع[5] واحده بهاء ، و قال البغوى[6] رحمه الله تعالى : قال مجاهد و قتادة و عكرمة : هو نبت ذو شوك لاطئ بالأرض ، تسميه قريش الشبرق ، فاذا هاج سموه الضريع ، و هو أخبث طعام و أبشعه ، و هو رواية العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما . و لا يمتنع فى قدرة الله سبحانه و تعالى أن يكون الغسلين إذا انفصل عن أبدان أهل النار صار على هيئة الشبرق المسمى ضريعا ، فيكون طعامهم الغسلين الذى هو الضريع ، و يمكن أن يكون ذلك كناية عن أقبح العيش و لا يراد به شىء بعينه - و الله تعالى أعلم ، قال الملوى : و سمى ضريعا لأن الإنسان يتضرع[7] عند أكله من خشونته و مرورته و نتنه .

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع ٣/٢٠ و ٢/٢١٩ (٣) زيد فى الاصل : أيضا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل : نبت ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الريع (٦) راجع المعالم ٧/١٩٨ (٧) من ظ و م و فى الأصل : يضرع .

ولما حصر أكلهم فى هذا، وكان الضريع المعروف عند العرب قد يتصور متصور أنه لو أكره شيء على أكله أسمنه أو سد جوعته، وكان الضريع المأكول لهم فى القيامة شوكا من نار كما ورد تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا إلى النبى صلى الله عليه وسلم[1] نفى عنه فائدة الطعام، فقال واصفا الضريع[2] أو الطعام[3] المقدر بعد «الا» ٥ بما يفهمه تحامى الإبل التى ترعى [4]كل نابت[4] وهى أعظم الحيوانات إقبالا على أنواع الشوك[5] له من أنه ضر بلا نفع ﴿لا يسمن﴾ [أى -[6]] فلا[7] يشبع ولا يقوى لأنه يلزم[8] ما يسمن، فعدمه يلازم عدمه.

ولما نفى عنه[9] ما هو[9] مقصود أهل الرفاهيه وبدأ به [لأن المقام -[10]] له، نفى ما يقصد للكفاف[11] فقال تعالى: ﴿ولا يغنى﴾ أى يكفى كفاية ١٠ مبتدئة ﴿من جوع ۝﴾ فلا يحفظ الصحة ولا يمنع الهزال، والمقصود من الطعام أحد الأمرين، وذلك لأنهم كانوا يأكلون الحرام الذى تنبت عليه لحومهم فيفسدها بفساده وتنمو به نفوسهم فيخبثها بخبثه ويتغذون بالشبه[12] أيضا ويباشرونها فى جميع أوقاتهم[12] ويباشرون العلوم التى تظلم

(١) راجع معالم التنزيل ٧/١٩٨ (٢) من ظ و م، وفى الأصل: الضريع (٣) من ظ و م، وفى الأصل: الطعام (٤-٤) من ظ و م، وفى الأصل: نبات. (٥) من ظ و م، وفى الأصل و م: الشاك (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، وفى الأصل: ولا (٨) من ظ و م، وفى الأصل: لازم. (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من م (١٠) زيد من م (١١) من م، وفى الأصل و ظ: للفكاك (١٢-١٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

القلوب[١] كالفلسفة و الشعر و السحر و[٢] نحو ذلك[٣] مما يجر إلى البدع .
و الآية من الاحتباك : نفى السمن أولا[٢] يدل على إثبات الهزال ثانيا ، و نفى الإغناء من الجوع ثانيا[٤] يدل على نفى الشبع اولا ، و من جعل ذلك صفة الطعام أفسد المعنى لأنه يؤل إلى : ليس لهم طعام منفى عنه الإسمان و الإغناء ، بل لهم طعام لا ينفى عنه ذلك .

و لما ذكر الأعداء[٥] و قدمهم لما تقدم ، أتبعه الأولياء فقال مستأنفا ذكر ما لهم من ضد ما ذكر للأعداء[٦] : ﴿و جوه يومئذ﴾ أى / [إذ -[٧]] كان ما ذكر ﴿ ناعمة ۝﴾ اى ذات بهجة و سرور تظهر عليها النعمة و النضرة[٨] و الراحة و الرفاهية بضد تلك الناصبة ، لأن هؤلاء أتعبوا[٩] أنفسهم فى دار[١٠] العمل الدنيا و صبروا على التقشف و شظف العيش ﴿لسعيها﴾ أى عملها[١١] للآخرة الذى كأنه[١٢] لا سعى غيره خاصة لعلمها أنه منج[١٣] ﴿راضية ۝﴾ لما رأت من ثوابه تود أن جميع سعيها

/ ٧٤١

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : القلب (٢-٢) فى م : نحوها (٣) زيد فى الأصل : ونفسيها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نفسه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اعداءهم (٦) زيد فى الأصل : فقال تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : النظرة (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : السوا - كذا (١٠) زيد فى الأصل ، ظ : و هى دار ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : بحملها - مع يسير من البياض (١٢) من م ، و فى الأصل و ظ : كان (١٣) زيد فى الأصل : قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

[في الدنيا -[1]] كان لذلك بعد أن كان ذلك السعي الذي هو للآخرة كريها إليها في الدنيا لا تباشره إلا بشق الأنفس. و لما ذكر السعي أتبعه ثوابه فقال: ﴿في جنة عالية﴾ أي في المكان العالي و المكانة العالية و الأشجار و الغرف و غير ذلك بما[2] صرفوا أنفسهم عن الدنايا و رفعوا هممهم إلى النفائس. ٥

و لما كان[3] ما كان من هذا لا يصفو، و فيه ما يكره من الكلام قال منزها لها عن كل سوء: ﴿لا تسمع﴾ أي أيها الداخل إليها[4] - على قراءة الجماعة، و قرأ ابن كثير و أبو عمرو و رويس عن يعقوب بالبناء للمفعول و هو أبلغ في النفي ﴿فيها لاغية﴾ أي لغو ما أو نفس تلغو أو كلمة ذات لغو على الإسناد المجازي، بل المسموع فيها الذكر من ١٠ التحميد و التمجيد و التنزيه لحمل ما يرى فيها من البدائع على ذلك مع نزع الحظوظ الحاملة على غيره من القلوب بما كانوا[5] يكرهون من لغو أهل الدنيا المنافي للحكمة.

و لما وصف الجنة بأول ما يعتبر فيها و هو عدم المنغص، أتبعه ما يطلب بعده و هو تناول الملتذات[6]. و كان الأكل قد فهم من ذكر ١٥ لفظ الجنة، ذكر المشروب لذلك و لدلالته إذا كان جاريا على

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: مما (٣) في ظ: ذكر (٤) من ظ و م، و في الأصل: عليها (٥) من ظ و م، و في الأصل: كان (٦) من ظ و م، و في الأصل: المتلذذات.

زيادة حسن الجنة و كثرة ما فيها من النباتات المقيتة و المفكهة من النجم و الأشجار[1] و الرى و الأطيار، فقال لأنه ليس كل جنة مما نعرفه فيه ماء جارٍ بنفسه: ﴿فيها﴾ أى[2] الجنة. و لما كان الماء الجارى صالحا لأن يقسم إلى أماكن كثيرة[3]، وحد قوله المراد به الجنس الشامل للكثير مقابلة لعين أهل النار فى دار البوار: ﴿عين جارية﴾ أى عظيمة الجرى جدا، فهى بحيث لا تنقطع اصلا لما لأرضها من الزكاء و الكرم و [ما -[4]] لمائها من الغزارة و طيب[5] العنصر، فهو صالح لأن يعم جميع نواحيها أقاصيها و ادانيها و إن عظم [اتساعها -[6]] و تناءت أقطارها و بقاعها، كما نراه يجرى من ساق الشجرة الكبيرة جـــدا فيسقى جميع اغصانها و أوراقها و ثمارها، و يزيد على ذلك بأن جريه من اسفل إلى فوق، بجذبه جاذب الشوق و يسوقه أى سوق. يقدره الخلاق العليم، و الذى قدر على هذا كما هو مشاهد لنا لا شك فيه قادر على أن يجعل هذه العين - الصالحة للجنس و لو كانت واحدة بالشخص - عامة لجميع مرافق الجنة [تجرى -[4]] إلى خيامها و رياضها و بساتينها و مصانعها و مجالسها و يصعدها إلى اعالى غرفها و إن علت، مقسمة بحسب المصالح، موزعة على قدر المنافع، بغاية / الإحكام مما كان لداخلها من الخضوع الذى يجرى منهم[7] الدموع و يقل الهجوع و يكثر الظمأ و الجوع. /٧٤٢

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الانفجار (٢) زيد فى ظ: فى (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شريفة (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لطيب (٦) زيد من م (٧) من م، و فى الأصل: معهم، و الكلمة ساقطة من ظ.

و لما لم يبق بعد الأكل و الشرب إلا الاتكاء، قال مفهما أنهم ملوك : ﴿ فيها ﴾ [1]معيدا الجر قطعا للكلام عن الأول تنبيها [2]على شرف العين[2] لأن الماء مما لاحياة بدونه ﴿سرر﴾ أى زائدة الحد فى الكثرة[3]، جمع سرير و هو مقعد عال يجلس عليه الملك ينقل إلى الموضع الذى يشتهيه ، سمى بذلك لأنه يسر النفس ، و المادة كلها للسرور و الطيب و الكرم ، [4]و لذلك[4] يطلق على الملك و النعمة و خفض العيش ﴿مرفوعة[5]﴾ اى رفعها رافع[5] عظيم [فى السمك -[6]] و هو جهة العلو ليرى الجالس عليها جميع ملكه و ما نعم به و ما شاء الله من غيره و فى القدر ، لا كما تعهدونه فى الدنيا ، بل ارتفاعها نمط جليل من مقدار عظمة رافعها الذى رفع السماء، فالتنكير للتعظيم ، و بنى الاسم للمفعول للدلالة على انه ليس له من ذاتها إلا الانخفاض ، و أما ارتفاعها فبقسر القادر على كل شىء ، و هذا يدل [على أنها -[7]] كسماء لا عمد لها ، قال البغوى[8] : قال ابن عباس رضى الله عنهما : ألواحها من ذهب مكللة بالزبرجد و الدر و الياقوت مرتفعة ما لم يجئ أهلها ، فاذا أراد أن يجلس عليها [تواضعت له حتى يجلس عليها -[7]] ثم ترتفع إلى مواضعها - انتهى . و ذلك بما كانوا يتواضعون و يباشرون [من -[7]] مشاق العبادات على التراب و رث الأثواب .

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) من م ، و فى الأصل و ظ : اشرف الدين (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اكثر . (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فذلك (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : واقع. (٦) زيد من م (٧) زيد من ظ و م (٨) راجع المعالم ٧ /١٩٩ .

و لما كان المستريح يحتاج إلى تكرار الشرب و ما يشرب فيه قال: ﴿و اكواب﴾ جمع كوب و هو إناء لا عروة له، فهو صالح للناولة و الشرب من كل جهة[1] ﴿موضوعة﴾ أى ملآى[2] و هى بحيث يسهل عليهم تناولها.

٥ و لما كان من هو بهذه المثابة يحتاج إلى المساند و الفرش الزائدة قال تعالى: ﴿و نمارق﴾ أى مساند يستندون إليها، جمع نمرقة بالفتح والضم و هى الوسادة ﴿مصفوفة﴾ أى بعضها إلى بعض فهى[4] فى غاية الكثرة كأنها الروابى[5] المنضدة على بساط الأرض ﴿و زرابى﴾ أى بسط عريضة كثيرة الوبر كأنها الرياض فاخرة ناضرة [6]زائدة عن[6] مواضع ١٠ استراحاتهم، و هى جمع زربية ﴿مبثوثة﴾ أى مبسوطة على[3] وجه التفرق فى المواضع التى لايراد التنزه بها[7] من مواضع الرياحين النابتة و الأشجار المتشابكة كما بسط سبحانه و تعالى أديم الأرض [8]و رصعه بأنواع[8] النبات الفاخرة بما بسطوا أنفسهم فى الدنيا للحق [9]و الانوها له[9].

و لما أنهى سبحانه ما أراد من تصوير تلك الدار على ما يليق ١٥ بهذه السور القصار، و كانوا ينكرون غايه الإنكار فوبخهم بما يعصمهم

(١) زيد فى الأصل و ظ: قال، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الاصل: على (٣) فى م: كان (٤) من م، و فى الأصل و ظ: وهى (٥) فى ظ: الزرابى (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: على (٧) من م، و فى الأصل و ظ: فيها (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: ورصفه. (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: الواها لهم.

من الزيغ عن العقائد الحقة فى استفهام إنكارى مذكرا لهم بأمورهم فى غاية المعرفة بها و هى فى غاية الوضوح فى نفسها، لأن نزول هذه السور[1] كان فى [أول الأمر قبل أن يتمرنوا على المعارف تدل على قدرته على البعث و على قدرته على ما ذكر من هذه الأمور التى أودعها الجنان للذة الإنسان . و ذلك لما فى -[2]] هذه[3] الأمور التى ذكر بها سبحانه ٥ من[4] عجائب الصنع مع تفاوته فى جعل بعضها ذا اختيار / فى الخفض والرفع ، و بعضها على كيفية واحدة لاقدرة له على الانفكاك عنها من علو أو سفول مع التمهد أو التوعر ، فقال مسببا عما مضى من[5] الإخبار عن أحوال الفريقين فى الآخرة و عن قدرته على ما ذكر[6] : ﴿افلا ينظرون﴾ أى المنكرون[7] من هذه الأمة لقدرته سبحانه و تعالى على الجنة و ما ١٠ ذكر فيها [و النار و ما ذكر فيها -[2]] نظر اعتبار .

/ ٧٤٣

و لما كان [لهم -[2]] من ملابسة الإبل ما ليس لهم من ملابسة غيرها ، و كانت فردة فى المخلوقات لاشبيه لها مع ما لها من كثرة المنافع - كما قال الحسن رحمه الله تعالى - مع أكلها لكل مرعى و اجترائها بأيسر

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل : اهول ، وفى ظ : ذلك (٤) زيد فى الأصل : عظائم الأمور و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عن . (٦) زيد فى الأصل : فقال سبحانه و تعالى، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها. (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : المتكبرون .

شيء لاسيما فى الماء و طول صبرها عنه مع عظم خلقها و كبر جرمها و شدة قوتها ، فكانت[1] ادل على تمام القدرة و الفعل بالاختيار ، قال منبها بـــذكرها على التدبر[2] فى الآيات المنبثة فى الحيوانات التى هى أشرف المركبات و أكثرها صنعا بعد ما أشار إلى دلالتها على البعث فى البروج ٥ بذكر ثمود بعد أن صرح به فى سورة[3] سبحان كما مضى [بيانه -[4]] فى الموضعين و يأتى إن شاء الله تعالى فى الفجر و الشمس ، و أوضح التعبير عنها هنا[5] بما يدل على الخلطة المميلة المحيلة المناسبة لمعنى الغاشية بخلاف التعبير فى سورة النحل بالأنعام لأنها سورة النعم ﴿ الى الابل ﴾ و نبه على أن عجيب خلقها مما ينبغى أن تتوفر الدواعى على الاستفهام ١٠ و السؤال عنه بأداة الاستفهام ، فقال بانيا للمفعول إشارة إلى أن الدال هو التأمل فى مجرد خلقها الدال على إحاطة علم الله[6] و عظيم إحسانه[6] و قدرته تعالى و فعله بالاختيار و حسن تدبيره حيث خلقها لجر الأثقال [إلى البلاد -[7]] النائية فجعلها عظيمة باركة للحمل ناهضة به من غير معين ، منقادة لمن اقتادها طوال الأعناق لتنوء بالأوقار الثقال ترعى كل نبات ١٥ و تحتمل[8] العطش إلى عشر فصاعدا ليتأتى بها قطع المفاوز ، فهى سفن البر مع ما لها من منافع أخر ، قال البيضاوى[9]: ولذلك خصت بالذكر لبيان الآيات

(١) من ظ ، و فى الأصل و م : و كاتر (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : البريد.
(٣) سقط من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الاصل : عنها.
(٦-٦) من ظ ، و فى الأصل : و قدرة الله تعالى ، وما بين الرقمين ساقط من م.
(٧) زيد من أنوار التنزيل ص : ٧٩٦ (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : تحمل.
(٩) راجع الأنوار ٧٩٦ .

المنبثة فى الحيوانات التى هى أشرف المركبات و أكثرها صنعا [و -[1]] لأنها أعجب ما عند العرب - انتهى ، و تنفعل للبسط [2]و تجد فى سيرها[2] [فتتأثر -[1]] بالصوت الحسن جدا ، و من عجائبها أنها لا تكذب أصلا فانها لا تبرك [عجزا عن الحمل -[1]] إلا وليس فيها[3] من القوى شىء ، و ليس فيها ما تعم كراهته[4] إلا كثرة رغائها ، فلعله سبحانه نفى عن الجنة اللغو ٥ لذلك ، و لعله مثل العين الجارية و قربها بدرها ، و السرر المرفوعة التى حكى أنها تنخفض حتى يتمكن المنتفع بها من ظهورها ثم ترتفع[5] به بالسماء فى علوها مع ما يعهدون من بروك الإبل للحمل و الركوب ثم ارتفاعها[6] لتمام الانتفاع . و قرب نصب الأكواب[7] بسنامها و النمارق ببقيتها[8] حال بروكها ، ثم فصل ما دلت عليه الإبل من الأكواب بالجبال ١٠ [التى -[1]] لا يرتقى مثل / جبل السد . و النمارق بالتى ترتقى ، و بسط الزرابى / ٧٤٤ بمهد الأرض ، قال أبو حيان[9] رحمه الله تعالى : و ﴿ كيف ﴾ سؤال عن حال[10] و العامل فيه ﴿ خلقت وقفه ﴾ و إذا علق الفعل عما فيه الاستفهام لم يبق الاستفهام على حقيقته .

و لما ذكر سبحانه و تعالى هذا المخلوق المفرد الذى هو أدل ما يكون ١٥

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عندها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : من الكراهة (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : ترفع (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : انتفاعها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الاكوان (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : بنقيها (٩) راجع البحر المحيط ٨ / ٤٦٤ (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : حامل .

على هذا القول بالطبيعة، أتبعه ذكر السماء ليتذكر السامع ذلك فيباعد[1] من يقول به فقال: ﴿ و الى السماء ﴾ أى التى هى من جملة مخلوقاتنا ﴿ كيف رفعت وقفه ﴾ أى حصل بأيسر أمر رفعها من الذى خلقها بلا عمد على ما لها من السعة و الكبر و الثقل و الإحكام و ما فيها من ٥ جبال الكواكب و الغرائب و العجائب، فذلك دال على القدرة [2]التامة التى لايشارك تعالى فيها أحد قل و لا جل[2] على إيجاد الجنة العالية و على رفع السرر [فيها - [3]] لأنه دل[4] على الفعل بالاختيار و نفى حكم الطبيعة [5]حكما و[5] حتما، و ذلك دال على كمال قدرته تعالى على كل شىء .

و لما ذكر العالى من الحيوان الملابس للانسان و العالى [من - [6]] ١٠ الأكوان، أتبعه أعلى الأرض[7] فقال تعالى: ﴿ و الى الجبال ﴾ أى الشامخة و هى أشد الأرض ﴿ كيف نصبت وقفه ﴾ أى كان نصبها من ناصبها عالية[8] جدا على بقية الأرض بلا موجب فيها لذلك من طبيعة و لا غيرها بل بفعل الفاعل المختار فهى[9] راسخة لاتميل، فوضعها كذلك على ما فيها من المنافع من المياه الجارية و الأشجار المختلفة أعجب من وضع الأكواب

(١) زيد فى الأصل و ظ : عن ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ : دال (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من م (٦) زيد من م (٧) زيد فى الأصل : و أشدها واصلبها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : عالت . (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : بل هى .

و المارق المزينة ، و بها مع ذلك ثبتت الأرض و حفظت من الميد ، و اعتدل[1] أمر الكواكب فى تقدير الليل و النهار باعتدال البلاد[2] بالطلق باعلاء[3] بعضها قبل بعض حتى [كانت - [3]] المطالع و المغارب[4] على ترتيب مطرد ، نظام محكم غير منخرم[5] تقدر به الأزمان و الفصول و السنون و الأيام و الشهور - إلى غير ذلك من الأمور ، و لا يكون ذلك لها ٥ إلا بقاهر قادر مختار لاشريك له .

و لما كان الخفض لا يكون إلا بخافض قاهر كما أن الرفع كذلك قال تعالى : ﴿و الى الارض﴾ أى مع سعتها ﴿كيف سطحت[6] ﴿ثقة﴾﴾ أى اتقن بسطها من باسطها حتى[6] صارت مهادا موضوعا يمشى عليه بغاية السهولة ، و القدرة على جعلها كذلك على ما هى فيه من الزينة بناضر النبات ١٠ و غير ذلك من الاختلافات دالة على الفعل بالاختيار ، و ليست بدون القدرة على بث الزرابى فى الجنة على اختلاف أشكالها و صورها و ألوانها .

و لما دل [7]ما ذكر[7] من عجائب صنعه فى أنواع[8] المخلوقات من البسائط و المركبات العلويات و السفليات على كمال قدرته [على كل شىء ، فدل على كمال قدرته - [2]] على البعث و على كل ما ذكر أنه ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اعتدال (٢-٢) فى ظ : بالطلوع على (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : المغالب (٥) زيد فى الأصل : تقديره ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : انها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : سبحانه و تعالى (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : افعال .

يفعله فى الجنة و النار ، و كان الحث على النظر فى هذه الأشياء باستفهام إنكارى ، و كان ذلك مفيدا لا تفاء النظر ، قال سبحانه مسببا عنه :

٧٤٥ / ﴿فذكر﴾ [1] / كل من يرجى تذكره و انتفاعه بالتذكير يا أشرف خلقنا بما فى غرائزهم و فطرهم من العلم الأولى [2] بما فى هذه الأشياء و أمثالها مما يدل على صحة ما [3] نزلنا عليك ليدلهم [4] على كمال قدرة الذى بعثك فينقادوا لك أتم انقياد لا سيما فى اعتقاد حقية [5] البعث ، و لا يهمنك كونهم لا ينظرون [6] و لا يتطرفون [6] ، و لعل التذكير يوصل المتذكر إذا أقبل عليه بحسن رغبة إلى أن يعرف أن الإبل تشبه الأنفس المطمئنة الذلولة المطيعة [7] المنقادة ، و السماء تشبه الأرواح القدسية النورانية ، و الجبال تشبه العقول و المعارف الثابتة [7] الراسخة ، و الأرض تشبه البدن المشتمل على الأعضاء و الأركان [8] .

و لما كانت هذه السورة [9] مكية من أوائل ما أنزل ، و كان مأمورا إذذاك بالصفح قال : ﴿ انما انت مذكر ﴾ [أى - [10]] لامقاتل قاهر

(١) زيد فى الأصل : يا أفضل الخلق و اشرفهم و افضلهم و اتقاهم ، ولم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها ، و موضعه فى م : يعنى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : الأول (٣) من ظ و م ، و فى الاصل : بما (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لتدل (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : حقيقة (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) سقط من ظ و م (٨) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : السور . (١٠) زيد من ظ و م .

قاسر لهم على التذكر و الرجوع ، فلا عليك إن لم ينظروا و لم يتذكروا لأنه ما عليك إلا البلاغ ، و لذلك قال: ﴿ لست ﴾ و أشار إلى القهر بأداة الاستعلاء فقال : ﴿عليهم ﴾ أى خاصة ﴿ بمصيطر ﴾ أى بمتسلط ، و أما غيرهم فسنسلطك عليهم عن قريب ، و قرأها الكسائى بالسين على الأصل .

و لما نفى عنهم تسلط الدنيا ، و كان التقدير : فمن أقبل و آمن فان الله ينعمه النعيم الأكبر ، قال مستدركا قسيمهم فى صورة الاستثناء: ﴿ الا ﴾ أى لكن [1] ﴿ من تولى ﴾ اى كلف نفسه المطمئنة و فطرته الأولى المستقيمة للاعراض ﴿ وكفر ﴾ أى و أصر على كفره؛ و أجاب الشرط بقوله مسببا عنه : ﴿ فيعذبه ﴾ [2] أشد العذاب الذى لا يطيقه أصلب الحديد و لا أشد الجبال [2] ﴿ الله ﴾ [2] أى الملك الأعظم [3] بسبب تكبره على الحق [4] و مخالفته لأمرك المطاع و مرادك الذى كله [5] الحسن الجميل [5]، و لعله صوره و هو منقطع بصورة المتصل بالتعبير بأداته إشارة إلى أن العذاب من الله عذاب منه صلى الله عليه و سلم ، لأن سببه تكذيبهم له ، و قرأ [6] ابن عباس رضى الله عنهما « ألا » بالفتح و التخفيف على أنها استفتاحية ﴿العذاب الاكبر﴾ يعنى عذاب الآخرة ، و يجوز أن يكون الاستثناء

(١) زيد فى الأصل : الا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : العظيم (٤) زيد فى الأصل و ظ : بسبب فطرته ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٥-٥) فى ظ و م : حسن جميل (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : قراءة .

متصلا فيكون المعنى : [أن -[1]] من أصر على الكفر يسلطه[2] الله عليه فيقتله فيعذبه [الله -[1]] فى الدار[3] الآخرة ؛ ثم علل[4] إخباره عن عذابه[5] فى الآخرة بقوله مؤكدا لما لهم من التكذيب : ﴿ ان الينا ﴾ أى خاصة بما لنا من العظمة و الكبرياء ﴿ ايابهم ﴾ أى رجوعهم و إن أبوا بالموت ثم بالبعث ثم بالحشر .

و لما كان الحساب متأخرا عن ذلك كله ، و عظيما كما و كيفا ، عظمه بأداة التراخى فقال : [﴿ ثم ان ﴾ أكده لإنكارهم ، و أتى بأداة دالة على أنه كالواجب فى أنه لابد منه فقال -[6]] : ﴿ علينا ﴾ أي خاصة بما لنا من القدرة و التنزه عن نقص العبث و الجور و كل نقص ، لا على غيرنا ، لأن غيرنا لا قدرة له فقد تقدمنا فيه بالوعود[6] / الصادقة ، و أكدناها غاية التأكيد ﴿ حسابهم ﴾ أى يوم القيامة على النقير[7] و القطمير ، و غير ذلك من كل صغير و كبير ، و ذلك يكون فى الغاشية يوم ينقسم الناس قسمين : فى دار هوان ، و دار أمان ، فقد التف آخرها بأولها ، و تعانق [8]مفصلها بموصلها[8] - و الله الهادى[9] للصواب و إليه المآب[9] .

٧٤٦ /

(١) زيد من م (٢) من م ، و فى الاصل و ظ : يسلط (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الدنيا و (٤-٤) من م ، وفى الأصل و ظ : عذابه عن اخباره (٥) زيد من ظ و م (٦) تكرر فى الأصل فقط (٧) زيد فى الأصل : و الفتيل ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨-٨) من ظ و م ، وفى الأصل : موصلها بمفصلها . (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة الفجر[1]

مقصودها الاستدلال على آخر الغاشية الإياب و الحساب ، وأدل ما فيها على هذا المقصود الفجر بانفجار الصبح عن النهار الماضى بالأمس من غير فرق فى شىء من الذات و انبعاث النيام من الموت الأصغر [2]و هو[2] النوم بالانتشار فى ضياء النهار [2]لطلب المعايش[2] للجازاة فى الحساب بالثواب و العقاب ﴿ بسم الله ﴾ جامع العباد بعد تمزيقهم بما له من العظمة ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمهم بعد العموم بالإيجاد بالبيان المهيئ من شاء للايمان[3] ﴿ الرحيم ٥ ﴾[4] الذى خص أولياءه بالرضوان المبيح للجنان .

لما ختمت تلك بأنه لابد من الإياب و الحساب ، و كان تغيير الليل و النهار و تجديد كل منهما بعد إعدامه دالا على القدرة على البعث ، و كان الحج قد جعله الله فى شرعه له على وجه التجرد عن المخيط ولزوم التلبية و السير إلى الأماكن المخصوصة آية مذكرة بذلك[5] قال : ﴿ والفجر ١ ﴾ اى الكامل فى هذا الوصف لما له من العظمة حتى كأنه لا فجر غيره ، و هو[6] فجر يوم النحر الذى هو أول الأيام[7] الآخذة فى الإياب إلى

(١-١) التاسعة و الثمانون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٣٠ .
(٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بالايمان (٤) زيد فى الأصل : الروف ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اذلك (٦) زيد فى الأصل و م : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : أيام .

بيت الله الحرام بدخول حرمه و التحلل من محارمه و أكل ضيافته[١].

و لما ذكر هذا اليوم بما العبارة به عنه أدل على البعث لأنه ينفجر عن صبح قد أضا، و نهار قد انبرم و انقضى، لا فرق بينه و بين ما مضى، عم فقال معبرا بالمقابل: ﴿و ليال عشر﴾ هي أعظم ليالي العام.

٥ و هي آية الله على البعث بالقيام[٢] إلى إجابة داعي الله تعالى على هيئة الأموات[٣] ﴿و الشفع﴾ أي لمن تعجل في يومين ﴿و الوتر﴾ أي لمن أتم - قاله ابن الزبير، و روى أحمد[٤] و البزار[٥] برجال الصحيح عن عياش بن عقبة و هو ثقة عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال: العشر عشر الأضحى، و الشفع يوم الأضحى، و الوتر يوم عرفة.

١٠ و لما كان تعاقب الليل[٦] و النهار[٦] أدل على القدرة و[٧] أظهر في[٧] النعمة، قال رادا لآخر القسم على اوله، و مذكرا بالنعمة و كمال القدرة، لأن الليل أخفاهما سُرى و سرا، فهو اعظمهما في ذلك أمرا، لأن سير النهار ظاهر لسرايته / بخلاف الليل فانه محوى صرفه[٨]. فكان أدل على القدرة[٩] ﴿و الليل﴾ أي من ليلة النفر ﴿اذا يسر﴾ أي ينقضى كما

/ ٧٤٧

(١) زيد في الاصل: وغير ذلك مما تقدم، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.
(٢) من ظ و م، و في الأصل: يوم القيامة (٣) زيد في الأصل و ظ: وقال، ولم تكن الزيادة في م فحذفناها (٤) راجع المسند ٣/٣٢٧ (٥) راجع مجمع الزوائد ٧/١٣٧ (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧ - ٧) من ظ و م، و في الأصل: اظهار (٨) في ظ: صرف (٩) زيد في الأصل: الكاملة، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها.

ينقضى ليل الدنيا و ظلام ظلمها فيخلفه الفجر و يسرى فيه الذين آبوا إلى الله راجعين[1] إلى ديارهم بعد حط أوزارهم ، [و قد رجع آخر القسم على أوله -[2]] و أثبت الياء فى يسرى ابن كثير و يعقوب[3] و حذفها الباقون ، و علة حذفها قد سأل عنها المؤرج الأخفش فقال : اخدمنى سنة ، فسأله بعد سنة فقال : الليل يسرى فيه و لا يسرى ، فعدل به عن معناه[4] ٥ فوجب أن يعدل عن لفظه كقوله تعالى "و ما كانت امك بغيا" لما عدل عن «باغية» عدل لفظه فلم يقل : بغية - [5] انتهى، و هو يرجع إلى اللفظ[5] مع أنه يلزم منه رد روايات الأثبات ، و الحكمة المعنوية فيه - و الله أعلم - من جهة السارى و ما يقع السرى فيه ، فأما من جهة السارى فانقسامهم ليلة النفر إلى مجاور و راجع إلى بلاده ، فأشير إلى المجاورين ١٠ بالحذف حثا لهم على ذلك لما فيه من جلالة المسالك ، فكان ليل وصالهم ما انقضى كله . فهم يغتنمون حلوله و يلتذون طوله من تلك المشاهد و المشاعر و المعاهد ، و إلى الراجعين بالإثبات[6] لما سرى الليل بحذافيره عنهم آبوا راجعين إلى ديارهم فيما[7] انكشف من نهارهم ، و أما من جهة ما وقع فيه السرى فللاشارة إلى طوله تارة و قصره أخرى . فالحذف إشارة إلى القصير ١٥ [و - [8]] الإثبات إشارة إلى الطويل بما وقع[9] من تمام سراه و ما

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : الراجعين (٢) زيد من ظ (٣) من م ، و فى الأصل وظ : ابو يعقوب (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : معاده (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الاصل : باثبات (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : مما (٨) زيد من ظ و م (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : مما يقع .

وقع للسارين فيه من قيام و صف[1] الأقدام بين يدى[2] الملك العلام كما قال الإمام تقى الدين ابن دقيق العيد [3]رحمه الله تعالى حيث قال مشيرا لذلك[3]:

كم ليلة فيك وصلنا السرى لا نعرف الغمض و لا نستريح

الأبيات المذكورة عنه فى المزمل، فقد انقسم الليل إلى ذى طول و قصر، و السارى فيه إلى ذى حضر و سفر، فدلت المفاوتة فى ذلك و فى جميع أفراد القسم على أن فاعلها قادر مختار[4] واحد قهار، و لذلك أتبعه الدلالة بقهر القهارين[5] و إبارة الجبارين، و أما «بغى» فذكرت حكمته فى مريم.

و لما كان هذا قسما عظيما فى ذكر تلك الليالى المتضمن لذكر تلك المشاعر و ما فيها من الجموع[6] و البكاء و الخضوع كما قال أبو طالب[7] فى قصيدته اللامية المشهورة:

و ليلة جمع و المنازل من منى و هل فوقها من حرمه و منازل

و فى تذكيره[8] بالبعث و دلالته عليه دلالة عقلية واضحة بالإيجاد بعد الإعدام مع ما لهذه الأشياء فى أنفسها و فى نفوس المخاطبين بها من الجلالة، نبه على ذلك سبحانه و تعالى بقوله: ﴿هل فى ذلك﴾ أى المذكور مع ما له من علىّ الأمر / و واضح القدر ﴿قسم﴾ أى كاف مقنع ﴿لذى﴾ أى صاحب ﴿حجر﴾ أى عقل [9]فيحجره و يمنعه[9] عن الهوى فى

٧٤٨ / ١٥

(١) زيد فى الأصل: القيام و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ايدى (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) زيد فى الأصل: قاهر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل و ظ: الظاهرين (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الخشوع (٧) من ظ و م، و فى الأصل: على بن أبى طالب (٨) فى م: تذكره (٩-٩) فى ظ: ليمنعه ويحجره.

درك الهوى، فيعليه إلى أوج الهدى، فى درج العلى، حتى يعلم أن الذى فعل ما تضمنه هذا القسم لايتركه سدى، و أنه قادر على أن يحيي الموتى، قال ابن جرير[1]: يقال للرجل إذا كان مالكا نفسه قاهرا لها ضابطا: إنه لذو حجر - [انتهى، فمن بلغ أن يحجره عقله عن المآثم و يحمله على المكارم فهو ذوحجر - [2]] . ٥

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: ابتدأ سبحانه لمن تقدم ذكره وجها آخر من الاعتبار، و هو أن يتذكروا حال من تقدمهم من الأمم و ما أعقبهم تكذيبهم و اجترامهم فقال: "ألم تركيف فعل ربك بعاد - إلى قوله: ارم ذات العماد - إلى قوله: ان ربك لبالمرصاد" أى لايخفى عليه شيء من مرتكبات الخلائق و [3]لا يغيب ١٠ عنه[3] ما أكنوه "سواء منكم من أسر القول و من جهر به" فهلا اعتبر[4] هؤلاء بما يعاينونه و يشاهدونه من خلق الإبل و رفع السماء و نصب الجبال و سطح الأرض، و كل ذلك لمصالحهم و منافعهم، فالإبل لأثقالهم و انتقالهم، و السماء لسقيهم و إظلالهم، و الجبال لاختزان مياههم و أقلالهم، و الأرض لحلهم و ترحالهم[5]، فلا بهذه الأمور كلها[6] ١٥ استبصروا، و لا بمن خلا من القرون اعتبروا، "ألم تركيف فعل ربك بعاد" على عظيم طغيانها و صميم بهتانها "ان ربك لبالمرصاد" فيتذكرون

(١) راجع جامع البيان ٣٠/٩٥ (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: لا يخفى عليه (٤) من ظ، و فى الأصل و م: اعتبروا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تراحلهم (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

حين لا ينفع التذكر" إذا دكت الأرض دكا دكا و جاء ربك و الملك صفا صفا و جيء يومئذ بجهنم، يومئذ يتذكر الإنسان و أنى له الذكرى" ـ انتهى .

و لما كان التقدير كما هدى إليه السياق : ليبعثن كلهم صاغرين ثم ٥ ليحشرن ثم ليحاسبن فيجازى كل أحد بما عمل، فان آمنوا بذلك نجوا و إلا عذبهم الذى ثبتت قدرته على العذاب الأكبر بعد العذاب الأدنى بسبب قدرته على البعث بسبب قدرته على ما رأيتم من خلق الإبل و السماء و الجبال و الأرض على ما فى كل من العجائب بسبب قدرته على كل شيء، و هذا هو المقصود بالذات، حذف زيادة فى تعظيمه و اعتمادا[1] على ١٠ معرفته بما هدى إليه من السياق فى جميع السورة و ما قبلها . و لما طوى جواب القسم لإرشاد السياق إليه و تعويل المعنى عليه[2]، و تهويلا له مع العلم بأنه لا يكون قسم[3] بغير مقسم عليه، و كان قد علمت القدرة عليه بما[4] أشير إليه بالمقسم به، أوضح تلك القدرة بأمر العذاب [الأدنى ـ[5]] للأمم الماضية، فقال مخاطبا لمن قال له فى آخر تلك "فذكر انما أنت ١٥ مذكر" تسلية له صلى الله عليه و سلم و إشعارا بأنه لا يتدبره حق تدبره[6] غيره، و تهديدا لمن كذب من قومه : ﴿ الم تر ﴾ أى تنظر بعين الفكر يا أشرف رسلنا فتعلم علما هو فى التيقن به كالمحسوس بالبصر، و عبر

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اعتمادا (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اليه.
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : قسما (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ما.
(٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تدبيره .

بالاستفهام

بالاستفهام / إشارة إلى [أن - [1]] ما ندبه إلى رؤيته مما يستحق ان / ٧٤٩
يسأل عنه : ﴿ كيف فعل ربك ﴾ أى المحسن إليك [2] بارسالك ختاما لجميع
الأنبياء [2] بالأمم الماضية بما شاركوا به هؤلاء من تكذيب الرسل وجعل
محط نظرهم الدنيا ، وعملوا أعمال من يظن الخلود ، [و - [1]] بدأ بأشدهم
فى ذلك وأعتاهم الذين قالوا : من أشد منا قوة ؟ فقال : ﴿ بعاد ﴾ أى ٥
الذين بلغوا فى الشدة ان قالوا : من أشد منا قوة ؟ وقال لهم نبيهم هود
صلى الله عليه وسلم : « وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون » ، ودل على
ذلك بناؤهم [3] جنة فى هذه الدنيا [الفانية - [1]] التى هى دار الزوال ، والقلعة
والارتحال ، والنكد والبلاء والكدر ، والمرض والبؤس والضرر ،
فقال مبينا لهم على حذف مضاف : ﴿ ارم ﴾ أى أهلها وعمدتها ، واطلقها ١٠
عليهم لشدة الملابسة لما لها من البناء العجيب والشأن الغريب ، ثم بينها
بقوله : ﴿ ذات ﴾ أى صاحبة ﴿ العماد ﴾ أى البناء العالى الثابت بالأعمدة
التى لم يكن فى هذه الدار مثلها ، ولذا قال : ﴿ التى لم يخلق ﴾ أى يقدر
ويصنع - بناه للمفعول إرادة للتعميم [4] ﴿ مثلها ﴾ يصح أن يعود الضمير
على "عاد" باعتبار القبيلة ، وعلى "ارم" باعتبار البلدة ، وأوضح هذا ١٥
بقوله معمما للأرض كلها [5] : ﴿ فى البلاد ﴾ أى فى بنائها ومرافقها

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، وفى الأصل : حيث جعلك ختام النبيين (٣) فى ظ : بينائهم ، وفى م : بنيانهم (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : للنعيم (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : بقوله .

و ثمارها، و تقسيم مياهها و انهارها، و طيب أرضها و حسن أطيارها، و ما اجتمع بها مما يفوت الحصر و يعجز القوى، و لا مثل أهلها الذين بنوها فى قوة أبدانهم و عظيم شأنهم و غير ذلك من أمورهم، و كان صاحبها شداد قد ملك المعمورة كلها فتحيزها فبناها فى برية عدن فى ثلاثمائة سنة يضاهى بها الجنة على ما زعم[1] - قلوب ضلت و أضلت و أضلها باريها[1] - قال أبو حيان[2] : على أوصاف بعيد أو مستحيل عادة أن يكون فى الأرض مثلها، فلما تمت على ما أراد قصدها للسكن و عمره إذذاك تسعمائة سنة، فلما كان منها على مسيرة يوم و ليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فأهلكهم[3] فكانوا كأمس الذاهب، و أخفى مدينتهم فلم يرها أحد إلا عبد الله بن قلابة، خرج فى طلب إبل ضلت له على زمن معاوية رضى الله عنه فوقع عليها. و لما خرج منها و انفصل عنها خفيت عنه، و كان قد حمل معه[4] بعض ما رأى فيها من اللؤلؤ و المسك و الزعفران فباعه، و سمع به معاوية رضى الله عنه فأرسل إليه فحدثه، [فأرسل -[5]]، معاوية رضى الله عنه إلى كعب الأحبار فسأله عن ذلك فقال: هى ارم ذات العماد، و سيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك[6] أشقر أحمر قصير، على حاجبيه خال، [و -[5]] على عقبه خال، يخرج فى طلب إبل له، ثم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) فى البحر المحيط ٨/٤٦٩ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فأهلتهم (٤) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: زمانك.

التفت فأبصر ابن[1] قلابة فقال : [2]هذا / و الله[2] ذاك الرجل - ذكره شيخنا فى ٧٥٠ /
تخريج أحاديث الكشاف [و -[3]] قال : و آثار الوضع[4] عليه لائحة ،
و قال جماعة منهم ابن عباس رضى الله عنهما : الأوصاف كلها للقبيلة وهم
عاد الأولى ، و اسمها ارم باسم جدهم ، و كانوا عربا سيارة يبنون بيوتهم
على الأعمدة على عادة العرب[5] ، و لم يخلق مثلهم أمة من الأمم فى جميع البلاد . ٥

و لما بدأ بهؤلاء لأن أمرهم[6] كان أعجب ، و قصتهم أنزه و أغرب ،
ثنى[7] بأقرب الأمم إليهم زمانا و أشبههم بهم شأنا لأنهم أترفوا بما حبوا
به من جنات و عيون و زروع و نخل طلعها هضيم ، فجعلوا موضع ما
لزمهم من الشكر الكفر ، و استحبوا العمى على الهدى ، مع ما فى آيتهم ،
و هى الناقة ، من عظيم الدلالة على القدرة[8] فقال : ﴿و ثمود الذين جابوا﴾ أى ١٠
نقبوا و قطعوا قطعا حقيقيا كأنه[9] عندهم كالواجب ﴿الصخر بالواد ص لا﴾
أى [وادى -[10]] الحجر أو وادى القرى ، فجعلوا بيوتا منقورة فى الجبال
فعل من يغتال الدهر و يفنى الزمان[11] ؛ قال أبو حيان[12] : قيل أول من
نحت الجبال[13] و الصخور و الرخام ثمود ، و بنوا ألفا و سبعمائة[14] مدينة

---

(١) وقع فى الأصل قبل «فأبصر» والترتيب من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : والله هذا (٣) زيد من م (٤) زيد فى الأصل: والله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : العمر (٦) زيد فى الأصل : العرب، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) زيد فى ظ : على الساعة (٩) فى م : كان (١٠) زيد من ظ و م (١١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (١٢) فى البحر المحيط ٨/٤٧٠ (١٣) من ظ و م والبحر ، و فى الأصل : الحجارة (١٤) من ظ و م و البحر ، و فى الأصل : تسعمائة .

كلها بالحجارة[١] .

و لما ذكر القبيلتين[٢] من العرب ، ذكر [بعض -[٣]] من جاورهم من طغاة العجم لما فى قصتهم من العتو و الجبروت مع ما حوته من الغرائب و خوارق العجائب لاسيما فى القدرة على البعث بقلب العصا حية و إعادتها جمادا مع التكرر ، و بإيجاد الضفادع و القمل من كثبان الأرض و غير ذلك فقال : ﴿ و فرعون ﴾ أى و فعل بفرعون[٤] ﴿ ذى الاوتاد ﴾ أى الذى ثبّت ملكه تثبيت[٥] من يظن أنه لا يزول بالعساكر و الجنود و غيرهم من كل ما يظن أنه يشد أمره من الجنات و العيون و الزروع و المقامات الكريمة ، فصارت له اليد المبسوطة فى الملك .

و لما كان المراد بفرعون هو و جنوده لأن الرأس يكنى به عن البدن ، لأنه جماعة و به قوامه ، وصفه بوصف يجمع قومه و جميع من ذكر هنا فقال : ﴿ الذين ﴾ أى فرعون و جنوده و كل من ذكر هنا من الكفرة من عاد و ثمود و أتباعهم[٦] ﴿ طغوا ﴾ أى تجاوزوا الحدود ﴿ فى البلاد ﴾ أى [التى -[٣]] ملكوها بالفعل و غيرها بالقوة ﴿ فاكثروا ﴾ عقب طغيانهم و بسببه ﴿ فيها الفساد ﴾ بما فعلوا من الكفر و الظلم مما صار سنة لمن سمع به .

و لما كان [ذلك -[٣]] موجبا للعذاب ، سبب عنه قوله : ﴿ فصب ﴾

---

(١) فى م : بالحجار (٢) فى ظ و م : قبيلتين (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فرعون (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بتثبيت (٦) زيد فى الأصل : الذى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

أى أنزل إنزالا هو فى غاية القوه ﴿ عليهم ﴾ أى فى الدنيا ﴿ ربك ﴾ أى المحسن إليك المدبر لأمرك الذى جعل ما مضى من أخبار الأمم و آثار الفرق موطئا لهم ﴿سوط عذاب ۚ﴾ أى جعل عذابهم من الإغراق و الرجف و غيرهما فى قوته و تمكنه و علوه و إحاطته كالمصبوب فى شدة ضربه و لصوقه بالمضروب و إسراعه إليه و التفافه[1] به كالسوط ٥ / و فى كونه منوّعا[2] إلى أنواع متشابكة، و أصله الخلط، و إنما سمى هذا / ٧٥١ الجلد المضفور الذى يضرب به لكونه مخلوط الطاقات بعضها ببعض، و لأنه يخلط اللحم و الدم، و قيل: شبه بالسوط ما أحل بهم فى الدنيا إشعارا[3] بالترديد و التكرير إلى أن يهلك المعذب به و إيذانا بأنه بالقياس إلى ما أعد لهم فى الآخرة كالسوط إذا قيس إلى السيف، هذا سوط الدنيا ١٠ و سيف الآخرة أشد[4] و أحد[4] و أمضى[4] ثم علل أخذه لكل ظالم و انتقامه من كل مفسد بأنه رقيب، فقال ممثلا أن العصاة لا يفوتونه مؤكدا تنبيها على أن أعمال العباد أعمال من ينكر ذلك أو لا يخطر بباله: ﴿ ان ربك ﴾ أى مولاك المدبر لأمر[5] نبوتك ﴿لبالمرصاد[5]﴾ أى [6]لا يفوته شىء، بل هو قادر و مطلع على كل شىء[6] اطلاع من يريده[7] بالإقامة فى مكان ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: التفاته (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نوعاء
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: اشعار (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لأمور (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: قادر ومطلع لا يفوته شىء (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يره.

الرصد و زمانه مع غاية الحفظ و الرعى و هو قادر على ما يريد .

و لما ذكر سبحانه أن عادة هؤلاء الفرق كانت الطغيان ، و ذكر أن عادة الرب سبحانه فيمن تولى و كفر أنه يعذبه [كما -[1]] هدد به آخر تلك ، و دل على ذلك بما[2] شوهد فى[3] الأمم ، و علل ذلك بأنه لا يغفل ، [ذكر -[1]] عادة الإنسان من حيث هو من غير تقييد بهؤلاء الفرق عند الابتلاء فى حالى[4] السراء و الضراء ، فقال مشيرا إلى جواب ما كانت الكفار تقوله من أنهم آثر عند الله من المسلمين لايساعد عليهم فى الدنيا و تقلل الصحابة[5] رضى الله عنهم من الدنيا مسببا عما مضى عطفا على ما تقديره : [6] هـــذه كانت[6] عادة هؤلاء الأمم و عادة الله فيهم : ﴿ فاما الانسان ﴾ أى الذى أودع الحجر ليعقل هذه الأقسام و ما يراد منه من اعتقاد المقسم عليه بها و جبل على النسيان و الأنس بنفسه و المحبة لها و الرضى عنها .

و لما كان المقصود التعريف بحاله عند الابتداء ، قدم الظرف الدال على ذلك عـــلى الخبر فقال : ﴿ اذا ﴾ و أكد الأمر بالنافى فقال : ﴿ ما ابتلـه ﴾ أى عامله معاملة المختبر بأن خالطه بما أراد مخالطة تميله و تحيله ﴿ ربه ﴾ أى الذى أبدعه و أحسن إليه بما يحفظ وجوده ليظهر

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : مما (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : حال (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : للصحابة (٦-٦) من م ، و فى الأصل و ظ : كانت هذه .

شكره أو كفره ﴿ فاكرمه ﴾ [1]اى بأن[1] جعله عزيزا [بين الناس -[2]]
و أعطاه ما يكرمونه به من الجاه و المال ﴿و نعمه[4]﴾ أى بأن جعله
[3]متلذذا مترفا[3] بما أعطاه [غير تعبان -[2]] بسببه ﴿ فيقول ﴾ سرورا
بذلك و افتخارا : ﴿ربى ﴾ أى [4]الموجد لى[4] و المدبر لامرى[5] ﴿ اكرمن[5] ﴾
أى فيظن أن ذلك عن استحقاق فيترفع[6] به ﴿ و اما ﴾ هو ﴿اذا ﴾ و أكد ٥
على نمط الأول فقال : ﴿ ما ابتلاه ﴾ أى ربه ليظهر صبره أو جزعه .

و لما كان قوله فى الأول "فاكرمه و نعمه" كناية / عن «فوسع ٧٥٢ /
عليه» قابله [هنا -[2]] بقوله : ﴿ فقدر ﴾ أى ضيق تضييق من يعمل
الأمر بحساب و تقدير ﴿عليه رزقه[7]﴾ فهو كنايه عن الضيق كما أن العطاء
بغير حساب كناية عن السعة ، فجعله بمقدار ضرورته الذى لا يعيش ١٠
[عادة -[7]] بدونه ، و لم يجعله فيه فضلا عن ذلك و لم يقل «فأهانه» موضع
«قدر عليه» تعليما للأدب معه سبحانه و تعالى [و -[2]] صونا لأهل
الله عن هذه العبارة[8] لأن أكثرهم مضيق عليه فى دنياه ، و لأن ترك
الإكرام لا ينحصر[10] فى كونه إهانة ﴿ فيقول ﴾ أى[11] الإنسان

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : وابان (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ
و م ، و فى الأصل : مقعامترفها (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : موجدنى.
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لى (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فيرتفع .
(٧) زيد من م (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : العبادة (٩) من ظ و م ، و فى
الأصل : ان (١٠) من م ، و فى الأصل و ظ : لا يحصر (١١) زيد فى الأصل :
هذا ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

[بسبب الضيق -[1]] : ﴿ ربى ﴾ أى المربى لى ﴿ اهانن ﴾ فيهتم لذلك و يضيق به ذرعا ، و يكون ذلك أكبر همه .

و لما كان نسبة هذا إليه توبيخا و تقريعا لقصور نظره فان الإقتار قد يؤدى إلى سعادة الدارين ، و التوسعة قد تؤدى إلى شقاوتهما ، و هذا أكثر ما يوجد ، قال ردعا عن مثل هذا القول بأعظم أدوات[2] الزجر معللا للتوسعة و الإقتار : ﴿ كلا ﴾ [أى -[3]] إنى لا أكرم بتكثير الدنيا و لا أهين بتقليلها ، لا التوسعة منحصرة فى الإكرام و لا التضييق منحصر فى الإهانة و الصغار ، و إنما أتتهم الإهانة من حيث أنهم لا يطيعون الله ، و ربما كانت بالتوسعة ، و ربما كانت بالإقتار . فربما عصى فوسع عليه إهانة له ، و هذا لمن يريد سبحانه به الشقاء فيعجل له طيباته فى الدنيا استدراجا ، و ربما عصى فضيق عليه إكراما [له -[3]] لأن ذلك يكفر عنه ، و فى الصحيح فى حديث أقرع و أبرص و أعمى فى بنى إسرائيل شاهد [4]عظيم لذلك[4] .

و لما زجر[5] عن [6]اعتقاد أن[6] التوسعة للاكرام و التضييق للاهانة ، ذكر أن معيار من جبل على حب الطاعة و من جبل على [حب -[3]] المعصية بغض الدنيا وحبها ، فقال [معربا -[3]] عن كلام الإنسان فى الشقين

(١) زيد من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اداوة (٣) زيد من ظ و م .
(٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لذلك عظيم (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ذكر (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٧) زيد من م ، و موضعه فى ظ : معربا .

و أفرد أولا لأنه أنص على التعميم و جمع ثانيا إعلاما بأن المراد الجنس ﴿ بل ﴾ أى يستهينون بأمر الله بما عندهم من العصيان، فيوسع على بعض من جبل على الشقاء إهانة له بالاستدراج[1] و يضيق على [بعض -[2]] من لم يجبل على ذلك إكراما له و ردعا[3] عن اتباع الهوى و ردا إلى الإحسان إلى الضعفاء، و ترجم هذا العصيان الذى هو سبب الخذلان ٥ بقوله: ﴿ لا يكرمون ﴾ أى أكثر الناس ﴿ اليتيم ﴾ بالإعطاء و نحوه شفقة عليه و رحمة له لأنه ضعيف لا يرجى من قبله نفع بثناء و لا غيره.

و لما كان الإنسان لا يمنعه من حث غيره على الخير إلا حب الدنيا إن كان المحثوث أعظم منه فيدخره لحوائجه و إن كان مثله فانه يخشى أن يقارضه بذلك[5] فيحثه على مسكين آخر، و كان الإحسان[6] بالحث ١٠ على الإعطاء أعظم من الإعطاء لأنه يلزم منه الإعطاء بخلاف العكس، قال: ﴿ و لا يحضون ﴾ أى يحثون حثا عظيما لأهلهم و لا لغيرهم ﴿ على طعام المسكين ﴾ أى بذله له سخاء[7] وجودا، / [8]فكانت إضافته[8] إليه إشارة إلى أنه شريك للغنى[9] فى ماله بقدر الزكاة. / ٧٥٣

(١) من م، و فى الأصل و ظ: فى الاستدراج (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) وقع فى الأصل قبل «اى يستهينون» و الترتيب ظ و م (٥) من م، و فى الأصل و ظ: لذلك. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الإنسان (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨-٨) فى ظ و م: أضافه (٩) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م.

و لما دل على حب الدنيا بأمر خارجى، دل عليه بأمر فى الإنسان فقال تعالى: ﴿و يا كلون﴾ أى على سبيل التجديد و الاستمرار ﴿التراث﴾ أى الميراث[1]، أصله وراث[2] أبدلت الواو تاء، [و ـ[2]] كأنه عبر عنه به دلالة على أخذ الظاهر الذى تشير إليه الواو، و التفتيش عن الباطن المشار إليه بمخرج التاء تفتيشا ربما أدى إلى أخذ بعض مال الغير: ﴿اكلا لما﴾ أى[4] ذا لم أى[5] جمع وخلط بين الحلال و الحرام فانهم كانوا لا يؤرثون النساء و لا الصبيان [و ـ[3]] يأكلون ما جمعه المؤرث و إن كانوا يعلمون أنه حرام و يقولون: لا يستحق المال إلا من يقاتل و يحمى الحوزة.

و لما كان ذلك قد يفعل عن ضرورة [مع الكراهة ـ[6]] قال ما هو صريح فى المقصود: ﴿و يحبون﴾ أى على سبيل الاستمرار ﴿المال﴾ أى هذا النوع من أى شىء كان، و أكده[7] بالمصدر و الوصف[7] فقال: ﴿حبا جما﴾ أى كثيرا مع حرص و شره، [فصار ـ[3]] قصارى[8] أمرهم النظر الدنيوى، و لم يصرفوا أنفسهم عن حبه إلى ما دعا إليه العقل الذى يعقل[8] النفس عن الهوى، و الحجر الذى يحجرها عن الحظوظ، و النهية التى تنهاها عن الشهوات إلى الإقبال على الله.

---

(١) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: و ارث (٣) زيد من م (٤) زيد فى الأصل: اكلا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٦) زيد من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالوصف و المصدر. (٨) من ظ و م، و فى الأصل: يعقله.

(٩) و لما

و لما كان السياق هاديا إلى أن التقدير: يحسبون أن ذلك يوفر أموالهم و يحسن أحوالهم و يصلح بالهم، زجر عنه بمجامع الزجر فقال: ﴿ كلا ﴾ أى ما هكذا ينبغى أن يكون الأمر، ثم استأنف ذكر ما يوجب ندمهم و ينبههم من رقدتهم و يعرفهم أن حب المال لا يقتضى نموه، و لو اقتضى نموه ما اقتضى إيجابه للسعادة فقال: ﴿ اذا دكت الارض ﴾ ٥ أى حصل دكها و رجها و زلزلتها لتسويتها فتكون كالأديم الممدود بشدة المط لا عوج فيها بوجه. و أشار بالبناء للمفعول إلى سهولة ذلك لأن الأمر عظيم لعظمة الفاعل الحق، و لذلك قال: ﴿ دكا دكا ﴾ أى مكررا بالتوزيع على كل موضع ناتٍ [٢]فيها، فيكون[٢] لكل جبل و أكمة و ثنية وعقبة دك يخصه على حدته ليفيد ذلك أنه دك مبالغ فيه فتصير جبالها[٣] و أكامها ١٠ هباء منثورا ثم تستوى حتى لا يكون فيها شىء من عوج، و هو كناية عن زلازل عظيمة لاتحملها الجبال الرواسى فيكف بغيرها.

و لما دلت التسوية على مجىء أمر عظيم، فان العادة فى الدنيا أن الطرق لاتعم بالكنس أو الرش أو التسوية إلا لحضور عظيم كالسلطان، قال متلطفا بالمخاطب من أواخر سورة البروج إلى هنا بذكر صفة الإحسان ١٥ على وجه يفتت أكباد أضداده: ﴿ و جآء ربك ﴾ أى[٤] أمر المحسن إليك باظهار رفعتك العظمى فى ذلك اليوم الأعظم لفصل القضاء / بين العباد ٧٥٤ /

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لاينقضى (٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ: فيه (٣) زيد فى الأصل: دكا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) سقط من ظ.

بشفاعتك ﴿ و الملك ﴾ أى هذا النوع[1] حال كون الملائكة مصطفين ﴿صفا صفا ج ﴾ أى موزعا اصطفافهم على أصنافهم كل، صنف صف على حدة، و يحيط أهل السماء الدنيا بالجن و الإنس، و أهل كل سماء كذلك، و هم على الضعف ممن أحاطوا به حتى يحيطوا أهل السماء السابعة بالكل و هم على الضعف من جميع من[2] أحاطوا به من الخلائق، و معنى مجيئه سبحانه و تعالى بعد أن ننفى عنه أن يشبه مجىء شىء من الخلق لأنه سبحانه و تعالى ليس كمثله شىء فى ذاته و لا فى صفاته و لا فى أفعاله، فاذا صححنا العقد فى ذلك فى كل ما كان من المتشابه قلنا فى هذا أنه مثل أمره سبحانه و تعالى فى ظهور آيات اقتداره و تبيين آثار قدرته و قهره و سلطانه بحال الملك إذا حضر بنفسه فظهر بحضوره[3] من آثار الهيبة و السياسة ما لا يظهر بظهور عساكره كلها خالية عنه، فمجيئه عبارة عن حكمه و إظهار عظمته و بطشه و كل ما يظهره الملوك إذا جاؤا[4] إلى مكان، و هو سبحانه و تعالى شأنه حاضر مع المحكوم بينهم بعلمه و قدرته، لم يوصف بغيبة أصلا أزلا و [لا -[5]] أبدا، فحضوره فى [ذلك -[5]] الحال و بعده كما[6] كان قبل ذلك من غير فرق أصلا، لم يتجدد شىء

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : بحضور (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : جاه (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، و فى الأصل : و ما ، و العبارة من هنا بما فيها هذه الكلمة ساقطة فى ظ إلى « تعليق قدرته » .

غير تعليق قدرته على حسب إرادته بالفصل بين الخلق[1]، و لو غاب فى وقتٍ أو أمكنت غيبته بحيث يحتاج إلى المجىء لكان محتاجا، و لو كان محتاجا لكان عاجزا، و لو عجز أو أمكن عجزه فى حال من الأحوال لم يصلح للالهية ـ تعالى الله عما يقول الظالمون و الجاحدون علوا كبيرا، و فى تكرير "صفا" تنبيه على صرف المجىء عن حقيقته و إرشاد إلى ما ذكرت من التمثيل.

و لما كانت جهنم لا تأتى[2] بنفسها لأنها لو أتت بنفسها لربما ظن أنها خارجة عن القدرة بل تقودها الملائكة، فكلما عالجوها ذهابا و إيابا حصل للناس من ذلك من الهول ما لا يعلمه إلا الله تعالى، و كان المهول نفس المجىء بها لا تعيين الفاعلين، لذلك بنى للمفعول قوله: ﴿ و جاىء ﴾ أى بأسهل أمر ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ وقع ما ذكر ﴿ بجهنم ﴾ أى النار التى تتجهم من يصلاها، روى أنه يؤتى بها لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك، و هو كقوله تعالى: "و برزت الجحيم لمن يرى" و أبدل من "اذا" توضيحا لطول الفصل و تهويلا[3] قوله: ﴿يومئذ﴾ أى إذ وقعت هذه الأمور فرأى الإنسان ما أعد[4] للشاكرين و ما أعد للكافرين[4].

و لما قدم هذه الأمور الجليلة و القوارع المهولة اهتماما [بها -[5]]

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الخلائق (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لا يتاتى. (٣) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤-٤) فى ظ و م: للشاكر و الكافر (٥) زيد من ظ و م.

و تنبيها على أنها ، لما لها من عظيم الموعظة ، جديرة بأن يتعظ بها كل سامع ، ذكر العامل فى ظرفها و بدله فقال : ﴿ يتذكر الانسان ﴾ أى على سبيل التجديد و الاستمرار فيذكر كل ما [كان - ١] ينفعه فى / الدنيا و ما يضره فيعلم أن حبه للدنيا لم يفده إلا خسارا، لا زاد بحبها شيئا لم يكتب له و لا كان ينقصه بذلها شيئا كما[٢] كتب له او بذلها ، و إذا تذكر ذلك هان عليه البذل ، و ليست تلك الدار دار العمل ، فلذلك قال : ﴿ و انّى[١] ﴾ أى كيف و من أى وجه ﴿ له الذكرى[١] ﴾ أى نفع التذكر العظيم فانه فى غير موضعه، فلا ينفعه [٣]أصلا بوجه من الوجوه[٣] لفوات دار[٤] العمل، و لايقع بذلك على شىء سوى الندم و تضاعف الغم [٣]و الهم[٣] و الآلام .

/٧٥٥

و لما كان الندم[٥] يقتضى أن يعمل الإنسان ما ينافيه، بين أنه ليس هناك عمل إلا [إظهار -[٦]] الندم فاستأنف قوله : ﴿ يقول ﴾ أى متمنيا المحال على سبيل التجديد و الاستمرار : ﴿ يٰليتنى ﴾ و هل ينفع شيئا «ليت» ﴿ قدمت ﴾ أى أوقعت التقديم لما ينفعنى [٣]من الجد[٣] و العمل [به -[٦]] ﴿ لحياتى[٦] ﴾ أى أيام حياتى فى الدنيا أو[٧] لأجل حياتى هذه الباقية التى لاموت بعدها، و يمكن أن يكون سبب تمنيه هذا علمه بأنه كان فى الدنيا مختارا، و أن الطاعات فى نفسها [كانت -[٦]] ممكنة لا مانع له [منها -[١]] فى

(١) زيد من م (٢) فى ظ : ما (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) سقط من ظ (٥) فى ظ : التذكر (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل «و» .

الظاهر إلا صرف نفسه عنها و عـدم تعليق ما آتاه الله من القوى بها .

و لما كان هذا غير نافع له، سبب عنه قوله : ﴿ فيومئذ ﴾ أى إذ وقعت هذه الأمور كلها[1] ﴿ لا يعذب ﴾ أى يوقع ﴿ عذابه ﴾ أى عذاب [الله، أى - [2]] مثل عذابه المطلق المجرد فكيف بتعذيبه . و لما اشتد التشوف إلى الفاعل، أتى به على وجه لا أعم منه أصلا[3] فقال : ﴿ احد ﴾ .

و لما جرت العادة بأن المعذب يستوثق منه بسجن أو[4] غيره، و يمنع من كل شيء يمكن أن يقتل به نفسه، خوفا من أن يهرب أو يهلك نفسه قال : ﴿ و لا يوثق ﴾ أى يوجد ﴿ وثاقه ﴾ [أى - [5]] مثل وثاقه فكيف بإيثاقه ﴿ احد ﴾ و المعنى أنه لا يقع فى خيال أحد لأجل انقطاع الأنساب و الأسباب أن أحـدا يقدر[6] على [مثل - [5]] ما يقدر عليه سبحانه و تعالى من الضر[7] ليخشى كما يقع فى هذه الدنيا، بل يقع فى الدنيا فى أوهام كثيرة أن عذاب من يخشونه أعظم من عذاب الله - [8] و أن عذاب الدنيا بأسره لو اجتمع على إنسان وحده لا يساوى رؤية جهنم بذلك المقام فى ذلك المحفل المهول دون دخولها[8] - و لذلك تقدم خوفه على الخوف[9] من الله، و بنى الكسائى و يعقوب الفعلين للمفعول، و المعنى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : النكدة (٢) زيد من ظ و م (٣) سقط من م. (٤) من ظ و م ، و فى الأصل « و » (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يقدر (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الحزم (٨ - ٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الحزم .

على قراءة الجماعة ببنائهما للفاعل : لا يعذب أحد عذابا مثل عذاب الله أى لا يعذب أحد[1] غير الله أحدا من الخلق مثل[2] عذاب الله [له -[3]] ، و الحاصل أنه لا يخاف فى القيامة من أحد غير الله ، فانه ثبت بهذا الكلام أن عذابه لا مثل له ، و لم يذكر المعذب من هو فيرجع الأمر إلى ٥ [أن -[3]] المعنى : فيومئذ يخاف الإنسان من الله خوفا لا مثل له ، أى لا يخاف من أحد مثل خوفه منه سبحانه و تعالى ، و يجوز ان يكون الضمير فى "عذابه" للانسان ، أى لا يعذب أحد من الزبانية / أحدا غير ٧٥٦ / الإنسان مثل عذابه . و فى المبنى للمفعول : لا يعذب عذاب الإنسان [أحد -[4]] لكن يبعده أنه يلزم[5] عليه أن يكون عذاب الإنسان أعظم من عذاب ١٠ إبليس - و يجوز أن يكون المعنى : إنه لا يحمل أحد ما يستحقه من العذاب كقوله تعالى "و لا تزر وازرة وزر اخرى" .

و لما علم أن هذا الجزاء[6] المذكور لا يكون إلا[6] للهلوع الجزوع المضطرب النفس الطائش فى حال السراء و الضراء ، الذى لا يكرم اليتيم و لا المسكين و يحب الدنيا ، و كان من المعلوم أن فى الناس من ليس ١٥ هو كذلك ، تشوفت النفس إلى جزائه فشفى عنّ هذا التشوف بقوله ، إعلاما بأنه يقال لنفوسهم عند النفخ فى الصور و بعثرة ما فى القبور للبعث و النشور : ﴿ يٰأيتها النفس المطمئنة لاصلى ﴾ أى التى هى فى غاية

(١) زيد فى الأصل : عذابا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يلزمه (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

السكون لاخوف عليها و لاحزن و لا نقص و لاغبون، لأنها كانت فى الدنيا فى غاية الثبات على[1] كل ما أخبر به [2]عن الدار[2] الآخرة و غيرها من وعد و وعيد و تحذير و تهديد، فهم راجون لوعده خائفون من وعيده، و إذا كانت هذه حال[3] النفس التى شأنها الميل إلى الدنيا فما ظنك بالروح التى هى خير[4] صرف ﴿ارجعى﴾ أى بالبعث ﴿الى ربك﴾ ٥ أى موعد[5] الذى أوجدك و رباك تربية الموفقين، أو إلى بدنك حال كونك ﴿راضية﴾ أى بما تعطينه. فلا كدر يلحقك بوجه [6]من الوجوه أصلا[6] كما كنت فى دار القلق [و الاضطراب -[7]] مطمئنة ساكنة تحت القضاء و القدر سالكة سبيل الرضا إن حصل ابتلاء بالتكريم و التنعيم أو التضييق و التغريم وثوقا بما عند الله[8] ﴿مرضية﴾ عند الله و سائر خلقه، ١٠ فلا شىء يكرهك بسبب ما كنت مطمئنة تعملين الأعمال الصالحة تحت القضاء و القدر خيره و شره حلوه و مره، ثم بيّن ما أجمل من الرجوع فقال سبحانه: ﴿فادخلى﴾ أى بسبب [9]هذا الأمر[9] ﴿فى عبدى﴾ أى فى زمرة الصالحين الوافدين علىّ، الذين هم أهل للاضافة إلىّ، أو فى أجساد عبادى

(١) من ظ و م، وفى الأصل: عن (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى. (٣) من ظ و م، و فى الأصل: حالة (٤) من م، وفى الأصل: حين، والكلمة ساقطة فى ظ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: موجدك (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل: جل جلاله و علا زايدا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م، و فى الأصل: هذه الأمور (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: الاضافة.

التى خرجت فى الدنيا منها ، و قراءة "عبدى" بالتوحيد [للجنس -[1]] الشامل للقليل و الكثير تدل على ذلك ﴿ و ادخلى جنتى ﴾ [أى -[1]] و هى جنة عدن و هى أعلى الجنان ، قال البغوى[2] : قال سعيد بن جبير : مات ابن عباس رضى الله عنهما [بالطائف -[3]] فشهدت جنازته فجاء طائر لم نر[4] على [صورة -[5]] خلقه،[6] فدخل نعشه فلم نر[7] خارجا منه ، فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر فلم ندر من تلاها ، و هذا[8] الآخر هو أولها على ما هو ظاهر المقسم عليه بالفجر من البعث المختوم ، الذى لولا هو لكان خلق الخلق[9] من العبث المذموم ، المنزه عنه الحى القيوم ، فسبحان الملك الأعظم الذى هذا كلامه ، علت معانيه عن طعن و شرفت أعلامه ، و غر فى ذروة الإعجاز تركيبه و نظامه ، «و أين الثريا من يد المتناول» .

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع المعالم ٧ /٢٠٦ (٣) زيد من ظ و م و المعالم .
(٤) من ظ و م و المعالم ، و فى الأصل : لم ندر (٥) زيد من المعالم (٦) من ظ و م و المعالم ، و فى الأصل : خطته (٧) من ظ و م و المعالم ، و فى الأصل : فلم ندر .
(٨) من ظ و م ، و فى الأصل : هذه (٩) من م ، و فى الأصل و ظ : الحق .

/ سورة البلد[1] /٧٥٧

مقصودها[2] [3]الدلالة على نفى القدرة[3] عن الإنسان ، و إثباتها لخالقه الديان ، بذكر ما للانسان من الهموم[4] و الأحزان ، و ذكر الأسباب [الموقعة له فيما شاء أو أبى ، و ذكر السبب -[5]] المخلص منها ، الموصل إلى السعادة فى الآخرة ، و هو ما هدى إليه ربه سبحانه ، و ذلك هو معنى اسمها ، فان من تأمل أمان أهل الحرم وما هم فيـــه من الرزق و الخير على قلة الرزق ببلدهم - مع ما فيه غيرهم ممن[6] هم أكثر منهم و أقوى - من الخوف و الجوع علم ذلك ﴿ بسم الله ﴾ الملك الواحد القهار ﴿الرحمن﴾ الذى أسبغ نعمته على سائر بريته ، و فاوت بينهم فى عطيته ، فكان كل ساخطا لحالته فى كبد ما يهمه فى خاصته و عامته لحكم تعجز الافكار[7] ﴿الرحيم﴾ الذى خص أهل ولايته بما يرضيه عنهم من أقضيتـه فيوصلهم إلى جنته و ينجيهم من النار .

لما ختم[8] كلمات الفجر بالجنة التى هى افضل الأماكن التى يسكنها الخلق ، لاسيما المضافة إلى اسمه[9] الأخص المؤذن بأنهـا أفضل الجنان ،

---

(١) التسعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٢٠ (٢) تكرر فى الأصل فقط (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : نفى الدلالة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الهول (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٧) زيد فى الأصل و ظ ؛ عن درك جزء الجزء منها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م لحذفناها (٨) من م ، و فى الأصل و ظ : ختمت .

بعد ما ختم آياتها بالنفس المطمئنة بعد ذكر الأمارة التي وقعت في كبد الندم الذي يتمنى لأجله العدم، بعد ما تقدم [من -[1]] أنها لا تزال في كبد ابتلاء المعيشة في السراء والضراء، افتتح هذه بالأمارة[2] مقسما في أمرها بأعظم البلاد وأشرف أولى الأنفس المطمئنة، فقال مؤكدا بالنافي من حيث أنه ينفي ضد ما ثبت من مضمون الكلام مع القطع بأنه لم[3] يقصد [به -[4]] غير ذلك: ﴿لا أقسم﴾ أي أقسم قسما أثبت مضمونه وأنفي ضده، ويمكن أن يكون النفي على ظاهره، والمعنى أن الأمر في الظهور غني عن الإقسام حتى بهذا القسم الذي أنتم عارفون بأنه في غاية العظمة، فيكون كقوله "فلا أقسم بمواقع النجوم وانه [لقسم -[1]] لو تعلمون عظيم" ﴿بهذا البلد﴾ أي الحرام وهو مكة التي لا يصل إليها قاصدوها إلا بشق الأنفس، ولا يزدادون لها مع ذلك إلا حبا، الدال على أن الله تعالى جعلها خير البلاد[6]، وقذف حبها في قلوب [7]من اختارهم[7] من كل حاضر وباد، لأنها تشرفت في أولها وآخرها وأثنائها بخير العباد، ولم يصفه بالأمن لأنه لا يناسب سياق المشقة بخلاف ما في التين، فان المراد هناك الكمالات.

ولما عظم البلد بالإقسام به، زاده عظما بالحال به إشعارا بأن

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفي الأصل: بالاره - كذا (٣) من ظ و م، وفي الأصل: لا (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، وفي الأصل: وهو (٦) زيد في الأصل: بلاشك ولا ريب، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧-٧) من ظ و م. وفي الأصل: ... مع اختيارهم.

شرف المكان بشرف السكان، و ذلك فى جملة حالية فقال: ﴿ و انت ﴾ يعنى و أنت خير كل[1] حاضر و باد ﴿ حلّ ﴾ أى مقيم أو حلال لك ما لم يحل لغيرك من قتل من تريد ممن يدعى أنه لا قدرة لأحد عليه[2] ﴿ بهذا البلد ﴾ فتحل قتل ابن خطل و غيره و إن كان متعلقا بأستار الكعبة، و تحرم قتل من دخل دار / ابى سفيان و غير ذلك مما فعله ٥ / ٧٥٨ الله لك بعد الهجرة بعد نزول هذه السورة المكيه بمدة طويلة علما من أعلام النبوة. أو المعنى: يستحل أهله منك و انت أشرف الخلق ما لا يستحلونه من صيد و لا شجر، و كرر إظهاره و لم يضمره زيادة[3] فى تعظيمه تقبيحا لما يستحلونه من أذى المؤمنين فيه، و إشارة إلى أنه يتلذذ بذكره[4]، فقد وقع القسم بسيد البلاد و سيد العباد، و لكل جنس ١٠ [سيد -[5]]، و هو انتهاؤه فى الشرف، فأشرف الجماد الياقوت و هو سيده، و لو ارتفع عن هذا الشرف لصار نباتا ينمو كما فى الجنة، و أشرف جنس النبات النخل [و لو -[6]] ارتفع صار حيوانا يتحرك بالإرادة، فالحيوان سيد الأكوان، و سيده الإنسان، لما له من النطق و البيان، و سيد الإنسان الرسل عليهم أفضل الصلاة و السلام، لما لهم من عظيم ١٥ الوصلة بالملك الديان، و سيدهم [7]أشرف الخلق صلى الله عليه و سلم الذى[7] ختموا به لما فاق به من الفضائل التى أعلاها هذا القرآن، فسيد الخلق

(١) سقط من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: معه (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بزيادة (٤) من ظ و م، و فى الأصل: مذكرة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد من م (٧-٧) فى ظ و م: من.

محمد بن عبد الله[1] رسول الله أشرف الممكنات و سيدها لأنه وصل إلى أعلى مقام يمكن أن يكون لها، و لو بقي فوق ذلك مقام يمكن للمكن لنقل إليه، و لكونه[2] أشرف كانت مكابدته أعلى المكابدات، يصبر على أذى قومه بالكلام الذي هو أنفذ من السهام. و وضع السلاء من الجزور على ظهره الشريف - نفديه بحر وجوهنا و مصون جباهنا[3] وخدودنا - و هو ساجد، و وضع الشوك في طريقه، و الإجماع على قصده بجميع انواع[4] الأذى من الحبس و النفي و القتل بحيث قال صلى الله عليه و سلم «ما أوذي أحد في الله ما أوذيت».

و لما أفهمت هذه الحال أن القسم إنما هو في الحقيقة به[5] صلى الله عليه و سلم، كرر الإقسام به على وجه يشمل غيره فقال: ﴿و والد﴾ و لما كان المراد التعجيب من ابتداء الخلق بالتوليد من كل حيوان في جميع أمر التوليد و مما عليه الإنسان من النطق و البيان و غريب[6] الفهم وكان السياق لذم أولى الأنفس الأمارة، و كانوا هم أكثر الناس، حسن التعبير بأداة ما[7] لا يعقل لأنها من أدوات التعجيب فقال: ﴿و ما ولد[8]﴾ أي من ذكر أو أنثى كائنا من كان، فدخل كما مضى النبي صلى الله عليه و سلم فصار مقسما به مرارا، و كذا دخل أبواه[8] إبراهيم و ولده إسماعيل

(١) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، وفي الأصل: لكنه (٣) من ظ و م، و في الأصل: جبان (٤) زيد في الأصل: السلاء، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) في الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٦) من ظ و م، وفي الأصل: غير (٧) من ظ و م، وفي الأصل: لا. (٨) من م، و في الأصل و ظ: أبوه.

عليهما الصلاة و السلام و ما صنعا و ما صنع الله لهما بذلك البلد، و معلوم أن ذكر الصنعة تنبيه على صانعها، فالمقصود[1] القسم بمن جعل البلد على ما هو عليه من الجلال، و خص النبي صلى الله عليه و سلم بما خصه به من الإرسال، و فاوت[2] بين المتوالدين فى الخصال[3]، من النقص و الكمال و سائر الأحوال، تنبيها على ما له من الكمال [4]بالجلال و الجمال[4]، ٥ و لعله خص هذه الأشياء بالإقسام تسلية للنبي صلى الله عليه و سلم، / و تثبيتا له على احتمال الأذى، إشارة إلى أن من كان قد حكم عليه بأنه ٧٥٩ / لايزال فى نكد، كان الذى ينبغى [له - ٥] أن يختار أن يكون ذلك النكد فيما يرضى الله سبحانه و تعالى، و ذلك لأن النبي صلى الله عليه و سلم كان فى مكة المشرفة فى أعظم شدة مما يعانيه من أذى الكفار ١٠ فى نفسه و أصحابه رضى الله عنهم لعلو[6] مقامه، فان شدة البلاء للأمثل فالأمثل كما مضى مع أمره صلى الله عليه و سلم بالصبر[7] و الصفح، و كل والد و مولود فى شدة بالوالدية و المولودية، و غير ذلك مما لا يحصى من الأنكاد البشرية، من حين هو[8] نطفة فى ظلمات ثلاث فى ضيق ممر و مقر ثم ولادة و ربط فى تابوت و فطام عن الآلف و أهنة؟ من المؤدب ١٥

(١) من م، و فى الأصل و ظ: والمقصود (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فات (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الحبال (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: والجمال والجلال (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: و علو (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالامر (٨) من ظ و م، و فى الأصل: كان.

و المعلم و توبيخ من المشايخ و معاندة من الأقران ، و من يتسلط[1] عليه من النسوان ، مع أنه عرضة للأمراض ، و سائر ما يكره من الأعراض و الأغراض ، و الفاقات و النوائب و الآفات ، و المطالب و الحاجات ، لا يحظى بهواه ، و لا يبلغ مناه ، و لا يدرك ما اجتباه ، و لا ينجو غالبا مما يخشاه ، و تفاصيل هذا الإجمال لا تحصى ، و لا حد لها فتستقصى ، إلى الموت و ما بعده ، فلذلك كان المقسم عليه قوله : ﴿ لقد خلقنا ﴾ أى بما لنا [2]من القدرة التامة و[2] العظمة [2]التى لا تضاهى[2] ﴿الانسان﴾ أى هذا النوع ﴿ فى كبد ﴾ أى شدة شديدة و مشقة عظيمة[3] محيطة به إحاطة الظرف بالمظروف ، لو وكله سبحانه و تعالى فى شىء منها إلى نفسه هلك[4] ، و لولا هذه البلايا لادعى[5] ما لا يليق به من عظيم المزايا ، و قد ادعى بعضهم مع ذلك الإلهية و بعضهم الاتحاد برب العباد - تعالى الله عن قولهم الواضح الفساد ، بما قرنه به سبحانه و تعالى من الموت و المرض و سائر الأنكاد ، فعل سبحانه ذلك [ليظهر-[6]] بما للعبد من الضعف و العجز- مع ما منحه به من القوى الظاهرة و الباطنة فى القول و الفعل و البطش و العقل - ما له سبحانه من تمام العلم و شمول القدرة ، و ليظهر من خلقه له على هذه الصفة ، علم جميع ما فى السورة ، فعلم قطعا إنكار ظنه

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يتلسط (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لاد (٦) زيد من ظ .

لتناهى

لتناهى قدرته و تعالى عظمته ، و فساد هذا الظن بشاهد العقل[1] من حيث كونه مصنوعا ، و بشاهد الوجود من أجل[2] أنه يسلك طريق الشر و لا يقدر على طريق الخير إلا بالتوفيق ، فعلم قطعا إعجاز السورة لأنه لا قدرة لمخلوق على أن يأتى بجملة واحدة تجمع جميع [ما -[3]] وراءها من الجمل - هذا إلى ما لها من فنون الإيجاز التى وصلت إلى حد الإعجاز ، هذا إلى ما لبقية الجمل من الإعجاز فى حسن الوصف و إحكام التركيب و الربط و المراعاة بالألفاظ للمعانى إلى غير ذلك مما لا يبلغ[4] كنهه إلى منزله سبحانه و عز شأنه ، و علم أن الإكرام و الإهانة / ليستا دائرتين على التنعيم / ٧٦٠ فى الدنيا و التضييق كما تقدم شرحه فى سورة الفجر ، و لأجل ما علم من كون الإنسان لا يزال فى نكد و شدة و نصب من حيث احتياجه أولا إلى مطلق الحركة و السكون ، و ثانيا إلى المأكل و المشرب ، و ثالثا إلى ما يترتب عليهما إلى غير ذلك [مما -[5]] يعيى عده و يجهل حده ، توجه الإنكار فى قوله تعالى بيانا للأسباب الموقعة له فى النكد ، و هى شهوتان : نفسية و حسية ، و النفسية منحصرة فى أربع : الأولى أنه[6] يشتهى أن يكون كل من فى الوجود فى قبضته فأشار إليها[7] ﴿ ايحسب ﴾

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : الفعل (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : بحيث (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : لا يبلغه (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٧) زيد فى الأصل : بقوله تعالى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

أى هذا الإنسان لضعف عقله[1] مع ما هو فيه من أنواع الشدائد ﴿ان لن يقدر﴾ و لما أكد بالفعلية و خصوص هذا النفى[2] قدم الجار تأكيدا بما يفيد من الاهتمام بالإنسان فقال: ﴿عليه﴾ أى خاصة ﴿احد﴾ أى من أهل الأرض أو السماء فيغلبه حتى أنه يعاند خالقه[3] مع ما ينظر من اقتداره على أمثاله بنفسه و بمن شاء من جنوده فيعادى رسله عليهم الصلاة و السلام و يجحد آياته .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما أوضح سبحانه و تعالى حال [من -[4]] تقدم ذكره فى السورتين فى عظيم حيرتهم و سوء غفلتهم و ما أعقبهم ذلك من التذكر تحسرا حين لاينفع التندم[5]، و لات حين مطمع، أتبع ذلك بتعريف نبينا[6] عليه أفضل الصلاة و السلام بأن وقوع[7] ذلك منهم إنما جرى على حكم السابقة التى شاءها و [الحكمة -[4]] التى قدرها كما جاء فى الموضع الآخر "ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها" فأشار تعالى إلى هذا بقوله "لقد خلقنا الإنسان فى كبد" أى أنا خلقناه لذلك ابتلاء ليكون ذلك قاطعا لمن سبق له الشقاء عن التفكر[8] و الاعتبار "و ان تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا" فأعماهم بما

(١) زيد فى الأصل و ظ : عقله ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المنافى (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حلقه (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الندم (٦) فى ظ و م : نبيه (٧) زيد فى الأصل : مثل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : التذكر .

خلقهم فيه من الكبد و أغفل قلوبهم فحسبوا أنهم لا يقدر عليهم أحد[1]، وقد بين سبحانه و تعالى فعله هذا بهم فى قوله لنبيه صلى الله عليه وسلم " و لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه" " و لو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا " فأنت تشاهدهم يا محمد ذوى أبصار و آلات يعتبر بها النظار[2] "الم نجعل له عينين و لسانا و شفتين" فهلا اخذ فى خلاص نفسه، و اعتبر[3] بحاله و أمسه، "فلا اقتحم العقبة" و لكن إذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له - انتهى .

و لما كان الإنسان لا يفتخر بالانفاق إلا إذا أفضى إلى الإملاق[4]، فعلم أن مراده[5] الإشارة إلى ان معه أضعاف ما أنفق من حيث انه حقره بلفظ الإهلاك، إشارة إلى الثانية و الثالثة من شهواته النفسية. و هما إرادته أن يكون له الفخار و الامتنان على جميع الموجودات و إرادته أن يكون عنده من الأموال ما لا تحيط به الأفكار / و لا تحويه الأقطار - كما يشير إليه حديث[6] «لو أن لابن آدم واد من ذهب، و «لا يملأ جوف ابن[7] آدم الا التراب» علل سبحانه و تعالى جهله[8] فى حسابه

/ ٧٦١

(١) زيد فى الأصل : لجهلهم وعما قلوبهم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الناظر (٣) زيد فى الأصل : بيومه و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : ملاق.
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : مراد (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : حيث.
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بنى (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : جعل ابن ادم .

ذلك و ما تبعه بقوله: ﴿ يقول ﴾ أى مفتخرا بقدرته و شدته: ﴿ اهلكت مالا لبدا ﴾ و لقصد المبالغة فى كثرته جاءت قراءة [ابى -[1]] جعفر بالتشديد على أنه جمع لابد كركع و راكع فأفهمت أنه بحيث لا يحصى، بل لو جمع لم تسعه الأرض إلا بأن يكون [بعضه -[1]] على بعض فلا يعد و لا يحد، أى و ذلك قليل من الكثير الذى معى، قلدت به أعناق الرجال المنن، و استعبدت[2] به الأحرار فى كل زمن، فصرت[3] بحيث إذا دعوت كثر الملبى، و إذا ناديت كثر المجيب، و إذا أمرت عظم الممتثل، وفاء لصنائعى الماضية و رغبة فى نعمى الباقية، فمن يستعصى علىّ و من يخالف أمرى، فضلا عن أن يريد إخمال[4] ذكرى أو نقص قدرى.

و لما كان الشىء لا يعنى إلا إذا كان مجهولا و لو من بعض الجهات[5]، أنكر عليه هذا الظن على تقدير وقوعه فانه لا يوصل إلى ما ظنه إلا به، بقوله مشيرا إلى شهوته النفسية الرابعة، و هى أن تكون أموره مستورة فلا يظهر على غيبه أحد أصلا[6]: ﴿ ايحسب ﴾ أى هذا الإنسان العنيد بقلة عقله ﴿ ان لم يره ﴾ أى [7]بالبصر و لا بالبصيرة[7] فى الزمن الماضى ﴿ احد ﴾

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: استبعدت (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فصرف (٤) من ظ و م، و فى الاصل: اخمالى (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الجهالات (٦) من ظ و م، و فى الأصل: قال تعالى. (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: يره بالبصيره و لا البصر.

أى

أى فى عمله هذا سره و جهره و جميع أمره ، فينقص جميع ما عمل إذا أراد ، و [كل -[1]] ما فاته من آثار هذه الشهوات الأربع ، و هو لا يزال فائتا له ، كان[2] من إرادة تحصيله فى نكد و معاناة و كبد[3] بحيث يرمى نفسه لتحصيله فى المهالك ، و لا يحصل منه على ما يرضيه أبدا ، و هذا كناية عن أنه يعمل من المساوئ أعمال من يظن أنه لا يطلع عليه ، فلذلك ٥ نبهه الله تعالى بأنواع التنبيه ليأخذ حذره و يحرز عمره .

و لما أنكر عليه[4] سبحانه و تعالى هذه النقائص ، قرره على ما أوجب[5] شهوته [الحسية -[6]] المتفرعة إلى أنواع بما[7] يستلزم أن يكون فاعله [له -[6]] المانّ عليه به من بعض فيضه ، عالما بجميع أمره قادرا على نفعه و ضره بنفسه و بمن أراد من جنده ، فقال مشيرا إلى ما يترتب ١٠ على نظر العين الباصرة [8]الجائلة فى العالم الحسى و نظر عين البصيرة الجائلة فى العالم المعنوى[8] من شهوته أن يحصل على كل ما يراه بعين باصرته[9] و يعلمه بعين بصيرته[10] من مليح ، و يخلص من كل ما يراه من قبيح ، و مذكرا له بما كان يجب عليه من الشكر باستعمال هذه المشاعر[11] فيما شرع له

(١) زيد من م (٢) سقط من ظ (٣) فى ظ : كيد (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اوجبت (٦) زيد من ظ و م . (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : ما (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م . (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : بصيرته (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : باصرته (١١) من ظ و م ، و فى الأصل : المشارع .

و كفها عما منع الله منه: ﴿ الم نجعل ﴾ أى بما لنا من العظمة التى[١] لا يمكن أحدا أن يضاهيها[٢] و لا يقرب منها[٣] ﴿ له عينين ﴾ يبصر[٤] /بهما و إلا لتعطل عليه أكثر ما يريد، شققناهما و هو فى الرحم فى ظلمات ثلاث على مقدار مناسب لا يزيد إحداهما على الأخرى شيئا و قدرنا البياض و السواد[٥] أو الزرقة أو الشهلة أو غير ذلك على ما ترون، و أودعناهما البصر على كيفية يعجز[٦] الخلق عن[٦] إدراكها.

٧٦٢ /

و لما قدره[٧] سبحانه على ما ينشأ [عنه - [٨]] شهوتا تحصيل المليح و نفى القبيح، أتبع [ذلك - [٨]] ما ينشأ عنه[٩] شهوتا الأمر و النهى و أنواع الكمالات الكمالية فقال: ﴿ و لسانا ﴾ أى يترجم به عما فى ضميره ﴿ وشفتين ﴾ أى يستران فاه و يعينانه على الأكل و الشرب و على النطق بفصاحة و بلاغة [١٠]على حد[١٠] معلوم لا يبلغه غيره، فيجتمع له أمره و يصل إلى مقاصد جمة[١١] و أهوال مهمة، و لم يذكر السمع لأن الكلام يستلزمه، و المعنى: ألسنا قادرين بالقدرة التى جعلنا له بها ما ذكر على أن نجعل لغيره مثل ما جعلنا له و أكثر فيقاومه و يغلبه.

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: والقدرة على هذا الصنع وجعل الذين (٢) من ظ و م، و فى الأصل: يضاهيهما (٣) من ظ و م، و فى الأصل: منهما (٤) زيد فى الأصل: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: على (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: الخلائق على (٧) فى ظ: قرره. (٨) زيد من م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: عنها (١٠-١٠) من ظ و م، و فى الأصل: لأحد (١١) من ظ و م، و فى الأصل: جمعه.

و لما كان لله تعالى على كل أحد فى كل لمحة منة جديدة فى[1] إبقاء هذه الآلات الثلاث، عبر فيها بالمضارع، و لما كانت النعمة فى العقل إنما هى بهبته أولا ثم بحمله [به -[2]] على الخير ثانيا، و كان أمره خفيا، و كان من المعلوم أن كل أحد غير مهدى فى كل حركاته و سكناته إلى ما يسعده، بل كان هذا المنكر[3] عليه لم يؤهل لطريق الخير، اختير له لفظ الماضى لذلك تحقيقا لكونه و جعله غريزة لا تتحول و طبيعة لا تتبدل، بل هى غالبة على صاحبها، قائدة إلى مضارة أو محابة و مسارة و إن كره[4]، و هو السبب الذى يكون به الخلاص من شر تلك الانكاد فى دار الإسعاد فقال تعالى: ﴿ و هديناه ﴾ أى بما أتيناه من العقل ﴿النجدين ج ه﴾ أى طريقى الخير و الشر، و صار بما جعلناه له من ذلك [5]سميعا بصيرا[5] عالما فصار موضعا للتكليف، روى الطبرانى[6] عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: يا أيها الناس! هلموا إلى ربكم فان[7] ما قل و كفى خير مما كثر و ألهى، يا أيها الناس إنما هما نجدان: نجد خير و نجد شر، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير[8]، قال المنذرى: النجد هنا الطريق - انتهى.

(١) من ظ و م، و فى الأصل: على (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الفكر (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كرهو (٥ - ٥) فى ظ و م: بصيرا سميعا (٦) راجع مجمع الزوائد ١٠/٢٥٦ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فانه (٨) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها.

وهو طريق فى ارتفاع، عبر عن الخير و الشر به[1] لإعلائهما الإنسان عن رتبة باقى الحيوان، ولأن الإنسان لا يختار واحدة منهما إلا بمعاناة و تكلف كمعاناة من يصعد فى عقبة، و النجد لغة الموضع العالى، والله تعالى يعلى[2] من أراد على ما[3] شاء منهما بخلاف ما كان يقتضيه ظاهر حاله من أنه لا يحب تكلف شىء أصلا، و لا يريد الأشياء / تأتيه إلا عفوا، و ذلك لأجل إظهار قدرته سبحانه و تعالى، أما صعوبة طريق الخير فبما[4] حفه به من المكاره حتى صار العمل به، مع ان كل أحد يعشق[5] اسمه و[6] معناه، أشد شىء و أصعبه، و أشقه و أتعبه، و أما صعوبة[7] طريق الشر فواضحة جدا مع أن الله يلزمه لمن أراد بتسهيله و تحبيبه و تخفيفه و تقريبه مع أن كل أحد يكره اسمه و ينفر من معناه، و جعل الله تعالى الفطرة الأولى السليمة التى فطر الناس[8] عليها من الاستقامة بحيث تدرك الشر و تنهى عنه، و تدرك الخير و تأمر به، غير أن الشهوات و الحظوظ تعالجها، و الغالب من أعانه الله، و إلى ذلك يشير حديث[9] «إذا لم تستحى فاصنع ما شئت» و حديث «البر ما اطمأنت إليه النفس

٧٦٣/ ٥

١٠

(١) وقع فى الأصل بعد «عبر» والترتيب من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: من يشاء و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: من (٤) فى ظ: فما (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يكره (٦) زيد فى الأصل: ينفر من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: صعبة (٨) فى ظ و م: العباد (٩) من ظ و م، و فى الأصل: قوله عليه الصلاة و السلام.

وانشرح له الصدر، والإثم ما حاك فى الصدر وتردد [فى -[1]] القلب وإن افتاك الناس وأفتوك».

ولما كان معنى ما مضى أن هـذا الإنسان عاجز وإن تناهت قوته، وبلغت الذروة قدرته، [2]لسبق قوله تعالى "وخلق الانسان ضعيفا[2]" وأنه معلوم جميع أمره مفضوح فى سره كما هو مفضوح فى جهره، كما أشار إليه حديث جندب رضى الله تعالى عنه عند الطبرانى[3] «ما أسر عبد سريرة إلا ألبسه الله رداءها» وحديث أبى سعيد رضى الله تعالى عنه عند أحمد وأبى يعلى[3] «لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة يخرج عمله للناس» فهو موصول إليه ومقدور عليه، وأنه[4] كان يجب عليه الشكر على ما [5]جعل له[5] سبحانه وتعالى[6] من القوى التى جعلها لسوء كسبه آلات للكفر[7]، سبب سبحانه وتعالى عنه قوله تفصيلا للأشياء الموصلة إلى الراحة فى العقبى نافيا لفعلها عنه على سبيل الحقيقة دلالة على عجزه: ﴿فلا اقتحم﴾ أى وثب ورمى بنفسه بسرعة وضغط وشدة حتى كان من شدة المحبة لما يراه فيما دخل فيه من الخير كأنه أتاه من غير فكر ولا روية بل هجما ﴿العقبة ملخ ٥ ز﴾ وهى طريق النجاة، والمقرر فى اللغة أنها الطريق الصاعد فى الجبل المستعار اسمها لأفعال البر

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) راجع مجمع الزوائد ١٠ / ٢٢٥ (٤) من ظ و م، وفى الأصل: ان (٥ - ٥) من م، وفى الأصل و ظ: جعله (٦) زيد فى الأصل و ظ: له، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) من ظ و م، وفى الأصل: للفكر.

المقرر فى النفوس أنها مريحة لا متعبة، مع كونها أعظم فخرا و أعلى منقبة، لأنا حجبناه[1] عنها بأيدينا و عظيم قوتنا و عجيب قدرتنا، و ذلك أن الخير لما كان محببا إلى القلوب معشوقا للنفوس مرغوبا[2] فيه لا يعدل عنه أحد، جعلناه فى بادئ الأمر كريها [و -[3]] على النفوس مستصعبا ثقيلا حتى صار لمخالفته[4] الهوى كأنه عقبة كؤد، لا ينال ما فيه من مشقة الصعود، إلا بعزم شديد و همة ماضية، و نية جازمة، و رياضة و تدريب، و تأديب و تهذيب، و شديد[5] مجاهدة و عظيم مكابدة للنفس و الهوى / و الشيطان، بحيث يكون متعاطيه فى فعله له كالرامى بنفسه فيه [بلا -[3]] روية رمى العاشق له المتهالك عليه، فكان هذا سببا لأن هذا الجاهل بنفسه المتعدى لطوره لم يخبر لنفسه الخير بما أوتى من البصر الذى يبصر به صنائع الله، و البصيرة التى يعرف بها ما يضره و ما ينفعه شكرا لربه سبحانه[6] و تعالى و يكون ذلك[6] لإحسانه إليه، و هل جزاء الإحسان[7] إلا الإحسان، [8]و هل جزاء النعمة إلا الشكر[8]، بل اختار الشر و ارتكب الضر مع أنا هيأناه لكل منهما فبانت لنا القدرة، و اتضحت فى صفاتنا العظمة، و تحقق له الضعف و ظهر منه[9] النقص و العجز، فوجب عليه لعزتنا الخضوع، و إجراء مصون

/ ٧٦٤

(١) من ظ و م، و فى الأصل: حجبنا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مرغبا (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: لمخالفة (٥) من م، و فى الأصل و ظ: شدة (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م (٧) من م، و فى الأصل و ظ: الانسان (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: له.

الدموع و إظهار الافتقار و الذل و الصغار ، لنقحمه سبيل الجنة و ننجيه من طريق النار ، و من اقتحم هذه العقبة التى هى الأعمال الصالحة اقتحم عقبة الصراط ، فكانت سهولتها عليه بقدر مكابدته لهذه[1] ، و استراح من تلك المكابدات و الأحزان و الهموم و صار إلى حياة طيبة كما قال الله تعالى "من عمل صالحا من ذكر او انثى و هو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة" الآية ، و اقتحامها بأن يرتحل من عالمه السافل إلى العالم العالى الكامل الذى ليس فيه إلا اللذة ، و ذلك هو الاعتراف بحق العبودية ، و تلك هى الحرية لأن الحر من خرج من رق الشهوات إلى خدمة المولى ، فصار [طوع -[2]] أمره فى سره و جهره لا حظ لشهوة فيه و لا وصول لحظ إليه ، و ذلك يكون بشيئين : أحدهما جذب و الآخر كسب ، فالمجذوب محمول ، و الكاسب فى تعب المجاهدات بسيف الهمة العالية مصول .

و لما بين أنه لا خلاص من النكد إلا بهذا الاقتحام ، شرع فى تفسير العقبة بادئا بتهويل أمرها لعظيم قدرها ، فقال معبرا بالماضى الذى جرت عادة القرآن بأنه إذا اعبر به شرح المستفهم عنه : ﴿و ما ادرٰك﴾ أى أيها السامع [3]لكلامنا ، الراغب[3] فيما عندنا ﴿ما العقبة ۝﴾ أى إنك لم تعرف كنه صعوبتها و عظمة ثوابها ، فلما تفرغ القلب بالاستفهام عما لايعرفه ، وكان الإنسان اشهى ما إليه تعرف ما أشكل عليه ، فتشوفت النفوس إلى علمها ، قال مشيرا إلى الأولى التى هى العقة التى ثمرتها السخاء

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بهذه (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الراغب لكلامنا .

و إصلاح قوة الشهوة معبرا بالفك الذى هو أدنى ما يكون من العتق لأنه[1] الإعانة فيه و لو بما قل كما ورد فى حديث البراء رضى الله عنه «أعتق النسمة و فك الرقبة» و عتقها أن تفرد به، و فكها أن تعين فى ثمنها، و فسر المراد بهذه العقبة بما دل على معادل لا كما يأتى تعيين تقديره فانها لا تستعمل إلا مكررة[2] قال: ﴿ فك ﴾ اى الإنسان ﴿ رقبة ﴾ أى من الأسر أو[3] الظلم أو الغرم أو السقم شكرا / لمن أولاه الخير و تنفيسا للكربة حبا للمعالى و المكارم لا رياء و[4] سمعة كما فعل هذا الظان الضال و لا لطمع فى جزاء و لا لخوف من عناء ﴿ او اطعم ﴾ أى أوقع الإطعام لشىء[5] له قابلية ذلك ﴿ فى يوم ذى مسغبة ﴾ أى جوع عام فى مكان جوع و زمان جوع - بما أفهمه الوصف و الصيغة، فكان لذلك يحمل على الضنة بالموجود خوفا من مثل ما فيه[6] المطعم فخالف النفس و آثر عليها اعتمادا على الله ﴿ يتيما ﴾ أى [إنسانا -[6]] صغيرا لا أب له يرجى أو يخاف ﴿ ذا مقربة ﴾ لا[7] يرجى باطعامه إلا التودد لأقاربه للتكثير بهم مع [أنه -[8]] يجمع بذلك بين صدقة و صلة و إن كان غنيا[9] ﴿ أو مسكينا ﴾

/ ٧٦٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لان (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مكروهة. (٣) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل: لا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل و ظ: بشىء (٦) زيد من م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: اى (٨) زيد من ظ و م (٩) زيد فى الأصل: انتهى قال تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

أى شخصا لا كفاية له ﴿ذا مترية[1]﴾ أى حاجة مقعدة له على التراب، لايقدر على سواه، فالآية من الاحتباك: ذكر القرب أولا يدل على ضده ثانيا، و ذكر المتربة ثانيا يدل على ضدها[1] أولا، و سر ذلك أنه [ذكر -[2]] فى اليتيم القرب المعطف، و فى المسكين الوصف المرقق الملطف، فهو لايقصد باطعامه إلا سد فاقته، و دخل فيه اليتيم البعيد ٥ و الفقير من باب الأولى و إن كان أجنبيا.

و لما كانت[3] هذه الأفعال خيرا فى[4] نفسها تدل على جودة الطبع و علو الهمة و كرم[5] العنصر و إباء النفس إشاره إلى شدة حسنها لأنه لا يوفق لها إلا مخلص و إن كان غير مستند إلى[6] شرع و إلى ما يفيده من سلاسة[7] الطبع و سهولة الانقياد و إلى عظمة الإيمان بالتعبير بأداة ١٠ التراخى فى قوله مشيرا إلى العقبة الثانية و هى الحكمة المزكية للقوة النطقية: ﴿ ثم كان ﴾ أى بعد التخلق بهذه الأخلاق الزاكية العالية النفيسة الغالية فى حال كفره أو مبادئ إسلامه للدلالة على صفاء جبلته و جودة عنصره من الراسخين فى الإيمان المعبر عنه بقوله: ﴿من الذين آمنوا﴾ أى عند ما دعاه إليه الهادى و لم تحمله حمية الأنف و شماخة النفس ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ضده (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: كان (٤) من ظ و م، و فى الأصل: من (٥) من م، و فى الأصل و ظ: كبر (٦) زيد فى الأصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: سلامة.

على الإباء عن أن يكون تابعا بعد ما[1] كان متبوعا، و سافلا فى زعمه أثر ما كان رفيعا، بل سدد النظر و قوم الفكر فأيقن أنه يعلى نفسه من الحضيض إلى ما فوق السهى، يرقيها[2] فى درج المعالى إلى ما ليس له انتها، "ان فى ذلك لآيات لاولى النهى" فحينئذ يعلم استقامة طبعه و كرم غريزته و علو همته و حسن نيته و جميل طويته و غزارة عقله و جلالة نبله و فضله و استحقاقه التقدم على الأعلام فى الجاهلية و الإسلام، و لذلك كان الصديق رضى الله تعالى عنه أعلى الناس درجة بعد النبيين عليهم أفضل الصلاة و السلام و التحية و الإكرام، لأن هذه كانت أفعاله رضى الله تعالى عنه قبل الإسلام كما قال ابن الدغنة حين وجده قد خرج من مكة / المشرفة يريد الهجرة حين آذاه الكفار: إن مثلك يا أبا بكر لا يخرج و لا يخرج، إنك لتصل الرحم و تقرى الضيف و تحمل الكل و تعين على نوائب الحق - كما[3] قالت خديجة رضى الله عنها للنبي صلى الله عليه و سلم حين رجع إليها ترجف بوادره[4] من تجلى جبريل عليه الصلاة و السلام له سواء، فلما سرب فى رحيب مسربه، و شرب من صافى مشربه، توفيقا من الله تعالى لم يتلعثم حين[5] دعاه إلى الدين و [لا -[6]] كانت عنده كبوة و لا تردد، ثم ترقى فى درجات الإسلام إلى أعلى مرام بحيث قال[6] يوم الحديبية لعمر رضى الله عنهما حين أظهر الكراهة للصلح ما

٧٦٦ / ١٠

٥

١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٢) من ظ و م، و فى الأصل: يركبها. (٣) سقط من ظ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بواره (٥) من م، و فى الأصل و ظ: حتى (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: قام.

قال [1]له النبي[1] صلى الله عليه و سلم سواء حرفا بحرف من غير أن يكون حاضره أو ينقل إليه كلامه، فسار حينئذ حائزا قصب السبق، لا مطمع في مداناته، فكيف بلحاقه و مساواته، و لكماله و عظمته وجلاله لم يشرب قط خمرا، و كان إذا لم على ذلك في الجاهلية قال [لعشراء]: و الله لو وجدت شيئا يزيد في عقلي لاشتريته بجميع مالي فكيف أشتري بمالي ٥ ما يزيل عقلي . و تلك الأعمال لا تصح و إن كانت ممدوحة [2]في كل[2] حال إلا بالإيمان، أما إن كانت بعده فواضح، و أما إن كانت قبله فبانعطافه عليها كما قال صلى الله عليه و سلم : أسلمت على ما سلف منك من خير[3] .

و لما كان الإيمان معليا للانسان عن درك الهوان إلى عظم ١٠ الشأن، حاملا له على محاسن الأعمال و مكارم الأفعال، و ذلك أنه يقود إلى جميع شرائع الدين العظيمة الشأن، و كانت موجبة للجهاد الأكبر من حيث مخالفتها[4] للطبع، و كان ذلك غير مقدور عليه إلا بالشجاعة و هي القوة الثالثة التي إذا هدئت أراحت، و كانت لا تكون إلا بعظيم الصبر، و كان الصبر لمرارته لا يدوم إلا بالتعاون قال تعالى : ﴿وتواصوا﴾ ١٥

(١-١) من ظ و م، و في الأصل : للنبي (٢ - ٢) من ظ و م، و في الأصل : بكل (٣) زيد في الأصل : وانه لم يسجد لصنم قط، فأخبره رسول الله صلى الله عليه و سلم بقوله على ما كان منك من خير انتهى و الله تعالى أعلم بالصواب، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و في الأصل : مخالطتها.

أى صبروا و أوصى بعضهم بعضا ﴿بالصبر﴾ فى اقتحام عقبات الأعمال[1] التى لا يجوزها إلا أبطال[2] الرجال من الأمر بالمعروف إلى ما دونه و إن كان فيه الحتوف ، فان الشجاعة كما قيل صبر ساعة .

و لما كان الإنسان لابد أن يعرض له من غيره من الخلاف ما يوجب قسوته[3] عليه ، فكانت الرحمة من ثمرات الاصطبار المثمر للعدالة ، و هى التوسط بين مذمتى الإفراط و التفريط فى الفسق و البله و هى العقبة الرابعة ، قال مؤكدا باعادة العامل إشارة إلى قلة العاملين بها : ﴿وتواصوا بالمرحمة ۝[4]﴾ اى الرحمة العظيمة / بحسب زمانها و مكانها بأن يوطنوا أنفسهم على كل ما يحمل على الرحمة العظيمة التى توجب لهم الحب فى الله و البغض فيه لأنهم كانوا قبل الإيمان خالصين عن الرياء و الإعجاب متهيئين للتزكية فزكاهم الإيمان ، فصاروا فى غاية النورانية و العرفان . /٧٦٧

و لما كان ذلك من معالى الأخلاق، و موجبات الفواق و الوفاق، كانت نتيجته[5] لا محالة : ﴿اولـٰئك﴾ أى العظماء الكبراء العالو المنزلة ، و لم يأت بضمير الفصل كما يأتى لأضدادهم ليخلص الفعل له سبحانه و تعالى من غير نظر إلى ضمائرهم الدالة على جبلاتهم لأنه هو الذى جبلها ، و أغنى عنه بالإشارة الدالة على علو مقامهم و بعد مرامهم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الانعال (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الإبطال و (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تسوية (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : نتيجة .

﴿ اصحٰب الميمنة ﴾[٤] أى الجانب [الذى -[١]] فيه اليمن[٢] و البركة و النجاة من [كل -[١]] هلكة بقسميهم من السابقين المقربين و أصحاب اليمين الأبرار، كما مضى [شرحه -[٣]] فى سورة[٤] الواقعة، و هذا تعريض بذلك الذى أتلف ماله[٥] فى المنافسة، و المشاققة[٦] و المعاكسة.

و لما أرشد السياق لمعادلة "فلا اقتحم العقبة" إلى أن التقدير: ٥ و لا أحجم عن المعطبة التى هى الأفعال[٧] الموجبة للعتبة مع كونها متعبة، بل قطع من يستحق الوصل و وصل من يستأهل القطع، ثم كان من الذين كفروا و تواصوا بالملأمة و اكتسبوا السيئات و اتبعوا الشهوات و عاملوا بالقسوة، عطف عليه قوله: ﴿ و الذين كفروا ﴾ أى ستروا ما تظهر لهم مرائى بصائرهم من العلم. و لما كان الكفر بالآيات من أسوء ١٠ أنواع الكفر لأنه كفر بما جعله الله علما على غيب عهده، و هى جميع ما تدركه الحواس من الأقوال و الأفعال الدالة على ذى الجلال لأنها دالة على الصفات الدالة على الموصوف بها الذى ظهر بأفعاله و بطن بعظيم جلاله، قال: ﴿ بايٰتنا ﴾ [أى -[٣]] على ما لها من العظمة بالإضافة إلينا و الظهور الذى [لا -[١]] يمكن خفاؤه ﴿ هم ﴾ أى خاصة لسوء ضمائرهم ١٥ ولفساد جبلاتهم ﴿ اصحٰب المشئمة ﴾ أى الخصلة المكسبة للشؤم و الحرمان و الهلكة فهؤلاء مشائيم[٨] على أنفسهم، و كفرهم دال على فساد جبلاتهم فهو

(١) زيد من ظ و م (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) زيد من م (٤) سقط من ظ و م (٥) فى ظ: أمواله (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المناقشة (٧) من م، و فى الأصل و ظ: افعال (٨) من ظ و م، و فى الأصل: متشابهم.

يشير إلى أن[1] من كان كفره أخف لم يكن جبليا، فيوشك ان يهدى فيكون من أصحاب الميمنة .

و لما كان معنى هذا أنهم فى الجانب الذى فيه الشؤم و الهلكة، و البعد من كل بركة، أنتج قوله : ﴿عليهم﴾ أى خاصة [2]دون غيرهم[2] ﴿نار مؤصدة ۝﴾ أى مطبقة الباب مع إحاطتها بهم من جميع الجوانب - بما أفهمته أداة الاستعلاء و مع الضيق و الوعورة، و هذا لعمرى أشد [2]الضيق و الكبد[2]، و النصب و النكد، فالملجأ[3] منه إلى الله الأحد، الواحد الصمد، و قد [علم -[4]] أن أولها هو هذا الآخر، فكان التقاطر / فيها مما تشد به الأيدى و تعقد عليه الخناصر - و الله [2]تعالى هو[2] المرجو للهداية إلى خير السرائر، و هو[5] الهادى [2]للصواب، و إليه المرجع و المآب[2] .

٧٦٨ /

(١) زيد فى الأصل : كل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فالنجا - كذا . (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الله .

سورة و الشمس[1]

مقصودها إثبات تصرفه سبحانه و تعالى فى النفوس التى هى سرج الأبدان، تقودها إلى سعادة أو كيد و هوان و نكد، كما أن الشمس سراج الفلك، يتصرف سبحانه فى النفوس بالاختيار إضلالا و هداية نعيما و شقاوة كتصرفه سبحانه فى الشمس بمثل ذلك من صحة و اعتلال، و انتظام[2] و اختلال، و كذا فى جميع الأكوان، بما له من عظيم الشأن، و اسمها الشمس واضح الدلالة على ذلك بتأمل القسم [و المقسم عليه - [3]] بما أعلم به و أشار إليه ﴿ بسم الله ﴾ [الذى هو - [3]] الملك الأعظم فله[4] التصرف العام ﴿ الرحمن ﴾ الذى وسعت رحمته كل شىء فاليه الإنعام ﴿ الرحيم ۞ ﴾ الذى خص من شاء بالتوفيق فبنى إنعامه عليهم على التمام ۞

لما أثبت فى سورة البلد أن الإنسان فى كبد، و ختمها بأن من حاد عن[5] سبيله [كان - [3]] فى أنكد النكد، و هو النار المؤصدة، أقسم أول هذه على أن الفاعل لذلك أولا و آخرا هو الله سبحانه [لأنه - [6]] يحول بين المرء و قلبه و بين القلب و لبه، فقال مقسما بما يدل على تمام علمه

(١) الحادية و التسعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ١٥، و زيد فى الأصل و م: و ضحاها (٢) من م، و فى الأصل و ظ: نظام (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل الذى له (٥) من ظ و م، و فى الأصل: على (٦) زيد من ظ.

و شمول قدرته فى الآفاق علويها و سفليها، و الأنفس سعيدها و شقيها، و بدأ بالعالم العلوى، فأفاد ذلك قطعا العلم بأنه الفاعل المختار، و على العلم بوجوب ذاته و كمال صفاته، و ذلك أقصى درجات القوى النظرية، تذكيرا بعظائم آلائه، ليحمل على الاستغراق فى شكر نعمائه، الذى هو منتهى ٥ [كمالات - ١] القوى العملية، مع أن أول المقسم به مذكر بما ختم به آخر تلك من النار: ﴿و الشمس﴾ أى الجامعة بين ٢ النفع و الضر ٢ بالنور و الحر، كما أن العقول كذلك لا أنور منها إذا نارت، و لا أظلم منها إذا بارت ﴿و ضحٰها ۝﴾ أى [و - ١] ضوئها الناشئ عن جرمها العظيم الشأن البديع التكوين المذكر بالنيران إذا أشرقت و قام سلطانها ١٠ كاشراق أنوار العقول، و الضحى - بالضم و القصر: صدر النهار حين ارتفاعه ٣، و بالفتح و المد: شدة الحر [بعد امتداد النهار، و شىء ضاح - إذا ظهر للشمس و الحر - ١].

و لما افتتح بذكر آية النهار، أتبعه ذكر آية الليل فقال: ﴿والقمر﴾ أى المكتسب من نورها كما أن أنوار النفوس من أنوار العقول ١٥ ﴿ اذا تلٰها ۝﴾ أى تبعها فى الاستدارة و النور بما دل على أن نوره من نورها من القرب الماحق لنوره و البعد المكتسب له فى مقدار ما يقابلها من جرمه، و لا يزال يكثر إلى أن تتم / المقابلة فيتم النور ليلة الابدار /٧٦٩

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ: الضر و النفع (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ارتفاعها.

عند تقابلهما[1] فى أفق الشرق و الغرب ، و من ثم يأخذ فى المقاربة فينقص بقدر ما ينحرف عن المقابلة ، و نسبة التبع إليه مجازية أطلقت بالنسبة إلى ما ينظر منه كذلك[2] .

و لما ذكر الآيتين ، ذكر ما هما آيتاه ، و بدا بهما لأنه لا صلاح له إلا بهما كما أنه لا صلاح للبدن إلا بالنفس و العقل فقال : ﴿ و النهار ﴾ ٥ أى [الذى -[3]] هو محل الانتشار فيما جرت [به -[4]] الأقدار ﴿ اذا جلّٰها[5] ﴾ أى جلى الشمس تجلية عظيمة بعضها أعظم من بعض باعتبار الطول و القصر و الصحو و الغيم و الضباب و الصفاء و الكدر كما أن الأبدان تارة تزكى القلوب و النفوس و العقول و تارة تدنسها ، لأن العقل يكون فى غاية الصفاء و الدعاء إلى الخير فى حال الصغر ثم لا يزال يزيد ١٠ و ينقص بحسب زكاء البدن فى حسن الجبلة ، أو نجاسته بسوء الجبلة ، حتى يصير الشخص نورا محضا ملكا ناطقا إذا طابق البدن العقل فتعاونا على الخير ، أو يصير ظلاما بحتا شيطانا رجيما إذا[6] خالف البدن العقل بسوء الجبلة و شرارة الطبع .

و لما ذكر معدن الضياء ، ذكر محل الظلام فقال : ﴿ و الّيل ﴾ أى ١٥ الذى هو ضد النهار فهو[6] محل السكون و الانقباض و السكون

(١) من ظ و م . و فى الأصل : تقابلها (٢) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من م (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اذ (٦) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

﴿ اذا يغشاها ﴾ أى يغطى الشمس فيذهب ضوءها حين تغيب فتمتد ظلال الأرض على وجهها المماس لنا، فيأخذ الأفق الشرقى فى الإظلام[1]، و يمتد ذلك الظلام بحسب طول الليل و قصره كما يغطى البدن نور العقل بواسطة طبعه بخبثه و رداءة عنصره، و ذلك كله بمقادير معلومة، و موازين قسط محتومة، ليس فيها اختلال، و لايعتريها[2] انحلال، حتى يريد ذو الجلال، و لم يعبر بالماضى كما فى النهار لأن الليل لايذهب الضياء بمرة بل شيئا فشيئا، و لاينفك عن نور بخلاف النهار، فانه إذا أبدى الشمس[3] و لم يكن غيم و لا كدر جلى الشمس فى آن واحد، فلم يبق معه ظلام بوجه.

و لما ذكر الآيتين و محل أثرهما، ذكر محل الكل فقال تعالى: ﴿و السمآء﴾ أى التى هى محل ذلك كله و مجلاه كما أن الأبدان محل النفوس، و النفوس مركب العقول، و لما رقى الأفكار من أعظم المحسوسات المماسة إلى ما هو دونه فى الحس و فوقه[4] فى الاحتياج إلى أعمال فكر، رقى إلى الباطن[5] الأعلى المقصود بالذات و هو المبدع لذلك كله معبرا عنه بأداة ما [لا -[6]] يعقل، مع الدلالة بنفس الإقسام، على أن له العلم التام، و الإحاطة الكبرى[7] بالحكمة البالغة، تنبيها [على] أنهم وصفوه بالإشراك

(١) من م. و فى الأصل و ظ: الظلام (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لايقربها (٣) زيد فى الأصل: ان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٤) من ظ، و فى الأصل و م: قوته (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الباطل. (٦) زيد من م (٧) من م، و فى الأصل و ظ: و الكبرياء.

وإنكار الحشر بتلك المنزلة السفلى و المساواة بالجمادات التى عبدوها مع ما له من صفات الكمال التى ليس لغيره ما يدانى شيئا منها، زجرا[1] لهم بالإشارة و الإيماء عن ذلك / و مشيرا إلى شدة التعجيب[2] منهم لكونها أداة التعجب فقال: ﴿و ما بنٰها﴾ أى هذا البناء المحكم الذى ركب فيه ما ذكره إشارة إلى ما وراءه مما يعجز الوصف. ٧٧٠ / ٥

و لما ذكر البناء ذكر المهاد فقال: ﴿و الارض﴾ [أى -[3]] التى هى فراشكم بمنزلة محالّ تصرفاتكم بالعقل فى المعانى المقصودة ﴿و ما طحٰها﴾ أى بسطها على وجه هى فيه محيطة بالحيوان كله و محاط بها فى مقعر الأفلاك، و هى [مع -[4]] كونها ممسكة بالقدرة كأنها طائحة[5] فى تيار بحارها[6]، و هى موضع البعد و الهلاك و محل الجمع - كل هذا مما يشير إليه التعبير بهذا اللفظ إشارة إلى ما [فى -[4]] سعى الإنسان من أمثال هذا، قال أهل البصائر: و ليس فى العالم الآفاقى شىء إلا و فى العالم النفسانى نظيره، و انشدوا فى ذلك: ١٠

دواؤك فيك و ما تشعر و داؤك منك و تستنكر
و تحسب أنك جزء صغير و فيك انطوى العالم الأكبر ١٥

فالسماوات سبع كطباق الرأس التى تتعلق بالقوى المعنوية و الحسية

(١) فى ظ: زاجرا (٢) من م، و فى الأصل و ظ: التعجب (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: حائطة (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بحار.

كالذاكرة و الحافظة و الواهمة و المخيلة و المفكرة و الحس المشترك وما هو لمقاسم البصر فى العين ، و نظير الشمس الروح فى إشراقه و حسنه ، و نظير الليل الطبع فان ما به من نور فانما[1] هو من الروح كما أن الليل كذلك لايكون نورد إلا من الشمس بواسطة إفادتها للقمر المنير له و الكواكب ، و نظير النهار ـ الذى هو نير فى أصله[2] و متكدر بما يخيل[3] له من السحب[4] و نحوه ـ القلب و سحبه[5] الشكوك و الأوهام النفسية ، و نظير القمر فى ظلمته[6] بأصله و إنارته بالشمس النفس ، فاذا أكسبها القلب المستفيد من الروح النور أنار جميع البدن ، و إذا أظلمت أظلم كله ، و الأعضاء الباطنة كالكواكب يقوم بها البدن فينير له الوجود بواسطة الروح و النفس ، و الأمطار كالدمع ، و الحر كالحزن[7] ، و البرد كالسرور[8] ، و الرعد كالنطق ، و البرق كاللمح ، و الرياح كالنفس ـ إلى غير ذلك [من البدائع ـ[9]] لمن تأمل ، و العالم السفلى سبع طباق أيضا[10] ، قال الملوى : و[11] نظيرها طبقة الجلد و[11] هى ثلاث ، [و ـ[9]] طبقة اللحم و طبقة[12] الشحم

(١) فى ظ و م : انما (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : نفسه (٣) فى ظ : يحدث . (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : السحاب (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : مسحه (٦) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٧) زيد فى الأصل : والدمع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : كالسدور ـ كذا (٩) زيد من ظ و م (١٠) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها (١١ ـ ١١) من ظ و م ، و فى الأصل : نظير هذه الجلد (١٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الجلد .

و طبقة العروق و طبقة العصب ، و الجبال كالعظام و المعادن[1] منها المياه و فيها[2] العذب كالريق[3] و الملح كالدمع و المر كما فى الأذن و المنتن منه كما فى الأنف ، و منه ما هو جار كالبول ، و منه ما هو كالعيون و هو الدم ، و السيل كالعرق[4] ، و المعادن المنطبعة كالحديد و الرصاص هى وسخ الأرض وهى كالعذرة وما يخرج من الجلد من خبث ، [و -[5]] النبات كالشعور تارة تحلق [كالحصاد -[5]] و تارة تقلع كالنتف ، و الحيوانات التى فيها كالقمل ، و طيورها[6] كالبراغيث ، و عامر البدن[7] ما أقبل منه ، و خرابه ما أدبر .

و لما أتم[8] الإشارة / إلى النفوس لأهل البصائر ، صرح بالعبارة لمن دونهم فقال تعالى : ﴿ و نفس ﴾ أى أىّ نفس جمع فيها سبحانه العالم بأسره . و لما كانت النفوس أعجب ما فى الكون و أجمع ، عبر فيها بالتسوية حثا على[9] تدبر أمرها للاستدلال على [10]مبدعها للسعى فى إصلاح[10] شأنها فقال تعالى : ﴿ و ما سوّٰها ﴾ أى عدلها على هذا القانون الأحكم فى أعضائها و ما فيها من الجواهر و الأعراض و المعانى و عجائب المزاج من الأخلاط المتنافرة التى لأم بينها بالتسوية و التعديل فجعلها متمازجة ،

/ ٧٧١

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : المعاد (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : منها الماء (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الريق (٤) فى ظ : العروق (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الطيور (٧) من ظ ، و فى الأصل و م : البلد. (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : تمت (٩) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠-١٠) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط .

و قد أرشد السياق و السباق و اللحاق إلى أن جواب القسم مقدر تقديره: لقد طبع سبحانه و تعالى نفوسكم على طبائع متباينة هيأها بها لما يريد من القلوب من تزكية و تدسية بما جعل لكم من القدرة[1] و الاختيار، و أبلغ فى التقدم إليكم فى تزكية نفوسكم و تطهير قلوبكم لاعتقاد الحشر بما هو أوضح من الشمس لا شبهة فيه[2] و لا لبس لتنجوا من عذاب الدنيا و الآخرة بالاتصاف بالتقوى، و الانخلاع من الفجور و الطغوى.

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: لما تقدم فى سورة البلد تعريفه تعالى بما خلق فيه[3] الإنسان من الكبد مع ما جعل له سبحانه من آلات النظر، و بسط له من الدلائل و العبر، و أظهر فى صورة من ملك قياده، و ميز رشده و عناده[4] "و هديناه النجدين" "انا هديناه السبيل" و ذلك بما جعل له من القدرة الكسبية التى حقيقتها اهتمام أو لم؟ و أنى بالاستبداد و الاستقلال، ثم[5] "و الله خلقكم و ما تعملون" أقسم سبحانه و تعالى فى هذه السورة على فلاح من اختار رشده و استعمل جهده و أنفق وجده "قد افلح من زكاها" و خيبة من غاب هداه فاتبع هواه "و قد خاب من دساها" فبين حال الفريقين و سلوك الطريقين - انتهى.

و لما كان أعجب أمورها الفجور لما غلب سبحانه عليها من الحظوظ و الشهوات، و هى تعلم بما لها من زاجر العقل بصحيح النقل أن[6] الفجور

(١) من ظ و م، و فى الأصل: القوة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فيها. (٣) زيد فى الأصل و ظ: اى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عناد (٥) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اذا.

أقبح القبيح ، و[1] التقوى لما أقام[2] عليها من [ملك -[3]] العقل الملكى و غريزة العلم النورانى أحسن الحسن ، و تذوق أن الفجور أشهى شهى ، و أن التقوى أمر شىء[4] و أصعبه[4] ، و أثقله و أتعبه ، قال معلما أن هـــذا لايقدر عليه سواه لأنه أعجب من جميع ما مضى لأن البهيمة لاتقدم على ما يضرها و هى تبصر و لو قطعت ، و الآدمى يقدم على ما يضره ٥ و هو يعلم و يقاتل من منعه منه ، فقال مسببا عما حذف[5] من جواب القسم : ﴿ فالهمها ﴾ أى النفس إلهام الفطرة السابقة[6] الأولى [7]قبل « الست بربكم[4] » ﴿ فجورها ﴾ أى انبعاثها[2] فى الميل [مع -[8]] دواعى الشهوات و[9] عدم الخوف الحامل على خرق سياج / الشريعة بسبب ذلك الطبع ٧٧٢/ الذى عدل فيه ذاتها و صفاتها فى قسر المتنافرات على التمازج غاية ١٠ التعديل ﴿ و تقوٰها ﴾ أى خوفها الذى أوجب سكونها و تحرزها بوقايات الشريعة ، فالآية من الاحتباك : ذكر الفجور أولا دال[10] على السكون الذى هو ضده ثانيا ، و ذكر التقوى ثانيا دال[10] على ضده ، و هو عدم الخوف أولا ، و إلهامها للأمرين هو جعله لها عارفة بالخير و الشر مستعدة و متهيئة لكل منهما ؛ ثم زاد ذلك بالبيان التام بحيث لم يبق لبس ، فزالت ١٥

(١) زيد فى الأصل : اما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : غلب (٣) زيد من م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : حدث (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : انباعماتها (٨) زيد من ظ و م (٩) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : دلالة .

الشبه عقلا بالغريزة و الإلهام و نقلا بالرسالة و الإعلام، و دل بالإضافة على أن ذلك كله منسوب إليها و مكتوب عليها و إن كان بخلقه و تقديره لأنه أودعها قوة و جعل لها اختيارا صالحا لكل من النجدين، و أوضح أمر النجدين فى الكتب و على ألسنة الرسل عليهم الصلاة و السلام بعد ما وهبه لها من الفطرة القويمة و أخفى عنها سر القضاء و القدر و علم العاقبة، فأقام بذلك عليها الحجة و أوضح المحجة.

و لما كان من المعلوم أن من سمع هذا الكلام يعلم أن التقوى لا يكون إلا مأمورا بها، و الفجور لا يكون إلا منهيا عنه، فيتوقع ما يقال فيهما[1] مما يتأثر عنهما[2]، قال تعالى: ﴿قد افلح﴾ أى ظفر بجميع المرادات ﴿من زكّٰها ۝﴾ أى نماها و أصلحها و صفاها تصفية عظيمة بما يسره الله له من العلوم النافعة و الأعمال الصالحة و طهرها على ما يسره لمجانبته[3] من مذام الأخلاق لأن كلا[4] ميسر لما خلق له، و الدين بنى على التحلية و التخلية و «زكى» صالح للعنيين ﴿و قد خاب﴾ أى حرم مراده مما أعد لغيره فى الدار الآخرة و خسر و كان سعيه باطلا ﴿من دسّٰها ۝﴾ أى أغواها إغواء عظيما و أفسدها و دنس محياها و قذرها و حقرها و أهلكها بخبائث الاعتقاد و مساوئ الأعمال، و قبائح النيات و الأحوال، و أخفاها بالجهالة و الفسوق، و الجلافة و العقوق، و أصل "دسى" دسس، فالتزكية[5] أن يحرص

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عنها.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: لمجانبتها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كل.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: فالزكية.

الإنسان على شمسه أن لا تكسف، و قمره أن لا يخسف، و نهاره أن لا يتكدر، و ليله ألّا يطفى، و التدسيس أقله إهمال الأمر حتى تكسف شمسه، و يخسف قمره، و يتكدر نهاره، و يدوم ليله[1]، و طرق ذلك اعتبار نظائر المذكورات من الروحانيات[2] و إعطاء كل ذى حق حقه، فنظير الشمس هى النبوة لأنها كلها ضياء باهر و صفاء قاهر، و ضحاها الرسالة و قمرها الولاية، و النهار هو العرفان، و الليل عدم طمأنينة النفس بذكر الله و ما جاء من عنده، و إعراضها عن الانقياد لقبول ما جاء من النبوة [3]أو الولاية[3]، و العلماء العاملون هم / أولياء الله، قال الإمامان أبو حنيفة و الشافعى رضى الله عنهما: إن لم تكن العلماء أولياء الله فليس لله ولى - رواه عنهما الحافظ[4] أبو بكر الخطيب[5]، و هو مذكور فى التبيان و غيره من مصنفات النووى، و نظير السماء العزة و الترفع عن الشهوات و عن [6]خطوات الشاطين[6] من الإنس و الجن، و الأرض نظيرها التواضع لحق الله[7] و لرسوله و للمؤمنين فيكون باخراجه المنافع[8] لهم كالأرض المخرجة لنباتها، و التدسية خلاف ذلك، من عمل بالسوء فقد هضم نفسه و حقرها

/ ٧٧٣

(١) من ظ و م، و فى الأصل: انتهاره (٢) من م، و فى الأصل و ظ: الروحيات (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الاولياء (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الإمام (٥) زيد فى الأصل: الحافظ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦ - ٦) من م ظ و فى الأصل: الحظوظ طين (٧) زيد فى الأصل: وغيره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: المانع.

فأخفاها [١] كما أن اللئام ينزلون بطون الأودية [٢] و مقاطعها بحيث تخفى أماكنهم على [٣] الطارقين ، و الأجواد ينزلون الروابى [٤] ، و يوقدون النيران للطارقين ، و يشهرون أماكنهم للضيفين منازل الأشراف فى الأطراف كما قيل : ـ

٥ قوم على المحتاج [٥] سهل وصلهم و مقامهم و عر على الفرسان

و لما كان السياق للترهيب بما دلت عليه سورة البلد و تقديم الفجور هنا ، و كان الترهيب أحث على الزكاء ، قال دالا على خيبة المدسى ليعتبر به من سمع خبره لاسيما إن كان يعرف أثره : ﴿ كذبت ثمود ﴾ أنث فعلهم لضعف أثر تكذيبهم لأن كل سامع له يعرف ظلمهم فيه لوضوح

١٠ آيتهم و قبيح [٦] غايتهم ، و ما لهم بسفول الهمم و قباحة الشيم ، و خصهم [٧] لأن آيتهم مع أنها كانت أوضح الآيات فى نفسها هى أدلها على الساعة ، و قريش و سائر العرب عارفون بهم لما يرون من آثارهم ، و يتناقلون من أخبارهم ﴿ بطغواها ﴾ أى أوقعت التكذيب لرسولها بكل ما أتى به عن الله تعالى بسبب ما كان لنفوسهم من وصف الطغيان ، و هو

١٥ مجاوزة القدر و ارتفاعه و الغلو فى الكفر و الإسراف فى المعاصى و الظلم ، أو بما توعدوا به من العذاب العاجل و هى الطاغية التى أهلكوا

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : و اخفاها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الأرض (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٤) فى م : الربى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : المختار (٦) فى ظ : قبح (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : خصتهم لا سيما ان كان يعرف .

بها ، و طغى - واوى يائى يقال : طغى كدعا يطغو طغوى و طغوانا - بضمها كطغى يطغى ، و طغى كرضى طغيا و طغيانا - بالكسر و الضم ، فالطغوى[1] - بالفتح اسم ، و بالضم مصدر ، فقلبت الياء - على تقدير كونه يائيا - واوا للتفرقة بين الاسم و الصفة ، و اختير التعبير به دون اليائى لقوة الواو ، فأفهم أنهم بلغوا النهاية فى تكذيبهم ، فكانوا على الغاية[2] من سوء تعذيبهم[3] . ٥

و لما ذكر تكذيبهم ، دل [عليه -[4]] بقوله : ﴿اذ﴾ أى تحقق تكذيبهم أو طغيانهم بالفعل حين ﴿انبعث اشقٰها ۝ ﴾ أى أشد ثمود شقاء و هو عاقر الناقة للمشاركة فى الكفر و الزيادة بمباشرة[5] العقر ، و هو قدار بن سالف ، أو هو [و -[4]] من مالاه[6] على عقرها ، فان أفعل التفضيل إذا أضيف / صلح للواحد و الجمع ﴿فقال لهم﴾ أى بسبب الانبعاث أو التكذيب ١٠ / ٧٧٤ الذى دل على قصدهم لها بالأذى ، و أظهر[7] و لم يضمر و عين الإظهار بالجلالة [إشارة -[8]] إلى عظيم آيتهم و بديع بدايتهم و نهايتهم فقال : ﴿رسول الله﴾ أى الملك الذى له الأمر كله ، فتعظيمه من تعظيم مرسله و هو صالح عليه الصلاة و السلام و كذا الناقة ، و عبر بالرسول لأن وظيفته الإبلاغ و التحذير الذى ذكر هنا ، و لذا قال مشيرا بحذف العامل إلى ضيق الحال ١٥ عن ذكره لعظيم الهول و سرعة التعذيب عند مسها بالأذى ، و زاد فى التعظيم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فالطغى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : العناية.
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تكذيبهم (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بمشاهدة (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ولاه (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : و عين الجهر (٨) زيد من ظ و م .

باعادة الجلالة : ﴿ ناقة الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى له الجبروت كله فلا يقر من انتهك حرمته[1] و اجترأ على ما أضافه إليه ، و لهذا أعاد الإظهار دون الإضمار ، و العامل : دعوا أو احذروا - أو نحو ذلك أى احذروا أذاها بكل اعتبار ﴿ و سقيها ﴾ أى الماء الذى جعله الله تعالى لها لسقيها و هو بئرها ، فلا تذودوها عن بئرها فى [اليوم -[2]] الذى تكون فيه نوبتها فى الشرب و لا تمسوها بسوء ، و كأنه صلى الله عليه و سلم فهم عنهم بعد مدة أنهم يريدون عقرها فكرر عليهم التحذير ﴿ فكذبوه ﴾ أى أوقعوا تكذيبه بسبب طغيانهم و عقب أمره هذا الأخير فيما[3] حذر من حلول العذاب ، أو تكون الفاء هى الفصيحة أى قال لهم ذلك فكانت [بعده -[2]] بينه و بينهم فى أمرها أمور ، فأوقعوا تكذيبه[4] فيها كلها ﴿ فعقروها ﴾ أى[5] بسبب ذلك التكذيب بعضهم بالفعل و بعضهم بالرضا به ﴿ فدمدم ﴾ أى عذب عذابا تاما مجللا مغطيا مطبقا مستأصلا[6] شدخ به رؤسهم و أسرع فى الإجهاز و طحنهم طحنا[7] مع الغضب الشديد ؛ قال الرازى : و الدمدمة : تحريك البناء حتى ينقلب ، و دل بأداة الاستعلاء على شدته و إحاطته فقال : ﴿ عليهم ﴾ و دل على شدة العذاب لشدة الغضب بلفت القول بذكر صفة الإحسان التى كفروها لأنه لا أشد غضبا ممن

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : حرمه (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : بما (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : التكذيب (٥) سقط من م . (٦) فى ظ : متاصلا (٧) زيد فى الأصل : شديدا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

كفر إحسانه فقال: ﴿ربهم﴾ أى الذى أحسن إليهم فغرهم[1] إحسانه فقطعه عنهم فعادوا كأمس الدابر ﴿بذنبهم﴾ أى بسببه.

و لما استووا فى الظلم و الكفر بسبب عقر الناقة بعضهم بالفعل و بعضهم بالرضا و الحث، قال مسببا عن ذلك [و معقبا -[2]]: ﴿فسوٰها ۝ ص لا﴾ أى الدمدمة عليهم فجعلها كأنها أرض بولغ فى تعديلها فلم يكن فيها شىء ٥ [خارج عن شىء كما -[2]] سوى الشمس المقسم بها و سوى بين الناس فيها، [و كذا -[2]] ما أقسم به بعدها، فكانت الدمدمة على قويهم كما كانت على ضعيفهم[3] /، فلم تدع منهم أحدا و لم يتقدم هلاك أحد منهم[4] على / ٧٧٥ أحد[4]، بل كانوا كلهم[5] كنفس واحدة من قوة الصعقة و شدة الرجفة كما أنهم استووا فى الكفر و الرضا بعقر الناقة و كل [نفس -[2]] هى عند ١٠ صاحبها كالناقة قد أوصى الله صاحبها أن يرعى نعمته سبحانه فيها فيزكيها و لا يدسيها، فان الناقة عبارة عن مطية يقطع[6] عليها السير حسا أو معنى، و ذلك صالح لأن يراد به النفس التى تقطع بها عقبات الأعمال، و السقيا ما يعيش المسقى به، و هو صالح لأن يراد به الذكر و العبادة، فمن [لم -[2]] يرع النعمة[7] و يشكر المنعم فقد عقرها، فاستحق الدمدمة منه، و كما[8] أنه ١٥ سوى بينهم فى الدمدمة سوى بين المهتدين[9] فى النجاة ﴿ولا﴾ أى و الحال

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فعرفهم (٢) زيد من ظ و م (٣) فى م: ضيفهم. (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: عن صاحبه (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يقع (٧) من ظ و م، و فى الأصل: النعم (٨) سقط من م (٩) فى م: المهتدى.

أنه لا ﴿ يخاف ﴾[1] فى وقت من الأوقات أى ربهم، روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما و يؤيده[2] قراءة أهل المدينة و الشام بالفاء المسببة عن الدمدمة [و التسوية -[3]] و كذلك[4] هى فى مصاحفهم ﴿ عقبٰها ﴾ أى عاقبة هذه الدمدمة و تبعتها فانه[5] الملك الأعلى الذى[6] كل شىء فى قبضته لا كما يخاف كل معاقب[7] من الملوك فيبقى [بعض -[3]] الإبقاء فعلم أنه سبحانه و تعالى يعلى اولياءه لأنهم على الحق، و يسفل أعداءه[8] لأنهم على الباطل، فلا يضل بعد ذلك إلا هالك، بصيرته[9] أشد ظلاما من الليل الحالك، و قد رجع آخرها على أولها بالقسم و جوابه المحذوف الذى هو طبع النفوس على طبائع مختلفة و التقدم إليهم بالإنذار من الهلاك، و نفس القسم أيضا فان من له هذه الافعال الهايلة التى[10] سوى بين خلقه [فيها -[11]] و هذا التدبير المحكم هو بحيث لا يعجزه أمر و لا يخشى عاقبة - و الله الموفق للصواب[12].

---

(١) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : يويد (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك. (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : فان (٦) زيد فى الأصل : له كل شىء . و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : معقب (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : اعداءهم (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : اعمى البصيرة قلبه (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى (١١) زيد من م - (١٢) سقط من م .

سورة الليل[1]

مقصودها الدلالة على مقصود الشمس، و هو التصرف التام فى النفوس باثبات كمال القدرة بالاختيار باختلاف[2] الناس فى السعى مع[3] اتحاد مقاصدهم، و هى[4] الوصول إلى الملاذ من شهوة البطن و الفرج و ما يتبع ذلك من الراحة[5]، و اسمها الليل أوضح ما فيها[6] على ذلك بتأمل ٥ القسم و الجواب، و الوقوع من ذلك على الصواب، و أيضا ليل نفسه دال على ذلك لأنه على غير مراد النفس[7] بما فيه من الظلام و النوم الذى هو أخو الموت، و ذلك [مانع -[8]] عن أكثر المرادات، و مقتضى لأكثر المضادات ﴿ بسم الله ﴾ الذى له العظمة الظاهرة[9] و الحكمة الباهرة ﴿الرحمن﴾ الذى شملت نعمته إيجاده و بيانه[10] المتواترة ﴿الرحيم ۝﴾ الذى ١٠ خص من أراده[11] / من عباده بما يرضيه، فجعله حامده و شاكره . /٧٧٦

لما بين فى الشمس حال من زكى نفسه و حال من دساها، و أوضح

(١) الثانية و التسعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٢١ .
(٢) من ظ و م، و فى الأصل : بخلاف (٣) من ظ و م، و فى الأصل : بعد.
(٤) من ظ و م، وفى الأصل : هو (٥) زيد فى الأصل : والله أعلم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل : فيه (٧) فى ظ : النفوس (٨) زيد من م (٩) من ظ و م، و فى الأصل : القاهرة (١٠) من ظ و م، و فى الأصل : نعايه (١١) فى ظ و م : اراد .

فى آخرها من مخالفة ثمود لرسولهم[1] ما أهلكهم ، فعلم أن الناس مختلفون فى السعى فى تحصيل نجد الخير و نجد الشر ، فمنهم من تغلب عليه ظلمة اللبس ، و منهم من يغلب عليه نهار الهدى ، فتباينوا فى مقاصدهم ، و فى مصادرهم و مواردهم ، بعد أن أثبت [أنه -[2]] هو الذى تصرف فى النفوس بالفجور و التقوى ، أقسم اول هذه بما يدل على عجائب صنعه فى ضره و نفعه على ذلك ، تنبيها على تمام قدرته فى أنه الفاعل بالاختيار ، يحول بين المرء و قلبه حتى يحمله على[3] التوصل إلى مراده ، بضد ما يوصل إليه بل بما يوصل إلى مضاده ، [و -[2]] على انه لا يكاد يصدق الاتحاد فى القصد و الاختلاف فى [4]السعى و التوصل[4] ، و شرح جزاء كل[5] تحذيرا من نجد الشر و ترغيبا فى نجد الخير ، و بين ما به التزكية و ما به التدسية فقال : ﴿ و الليل ﴾ أى الذى هو آيـة الظلام الذى هو سبب الخبط و الخلط[6] لما يحدث عنه من الإشكال و اللبس فى الأحوال و الاهلال الموصل إلى ظلمة العدم ، و هو محل الأسرار بما يصل الأخيار و يقطع الأشرار : ﴿ اذا يغشى ۝ ﴾ أى يغطى ما كان من الوجود[7] مبصرا بضياء النهار على التدريج قليلا قليلا ، و ما يدل عليه من جليل مبدعه ، و عظيم

(١) فى م : لرسلهم (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الى .
(٤-٤) فى ظ و م : التوصل والسعى (٥) زيد فى الأصل : بـه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الخبط (٧) زيد فى الأصل و ظ : ما كان ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

ماحقه و مطلعه ﴿ و النهار ﴾ [أى -[1]] الذى هو سبب [2]انكشاف الأمور[2] كالموت الذى يزيل عن الروح علائق البدن فينجلى لها ما كانت فيه من القبائح ، و الجهر الذى يشرح النفس بازالة اللبس ﴿اذا تجلّى ۝﴾ أى ظهر ظهورا عظيما بضياء[3] الشمس ، و أظهر ما كان خفيا فلم يدع لمبصر شيئا من لبس ، فمن كان يريد السر قصد الليل ، و من أراد الجهر[4] قصد النهار سواء كان من الأبرار أو من الفجار .

و لما ذكر المتخالطين معنى ، أتبعهما المتخالطين[5] حسا ، فقال مصرحا فيهما بما هو مراد فى الأول ، و خص هـذا بالتصريح تنبيها على انه -[لكونه -[1]] عاقلا - عاقد يغلط فى نفسه فيدعى الإلهية أو الاتحاد ، أو غير ذلك من وجوه الإلحاد ﴿ و ما خلق ﴾ و حكم التعبير بما[6] الأغلب فيه غير العقلاء ما تقدم فى سورة[7] الشمس من تنبيههم على أنهم [لما -[1]] أشركوا به سبحانه و تعالى ما [لا -[1]] يعقل نزلوه[8] تلك المنزلة و قد أحاط[9] بكل شىء ، و هو الذى خلق العلماء ، و هم لا يحيطون به علما [مع -[1]] ما يفيده [«ما» -[1]] من التعجب[10] منهم فى ذلك لكونها صيغة التعجب[10]

(١) زيد من ظ و م (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الانكشاف للأمور (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الظهور (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الخير (٥) من م ، وفى الأصل و ظ : المخالطين (٦) زيد فى الأصل : هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة. (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : نزوله (٩) من ظ ، و فى الأصل و م : احاطوا. (١٠) فى م : التعجيب .

﴿الذكر﴾ اى حيا بآلة الرجل و معنى بالهمة و القوة ﴿و الانثى[1] لا﴾ حسا بآلة المرأة و معنى بسفول الهمة و ضعف القوة و ما دلا عليه من عظيم الاصطناع، و باهر الاختراع و الابتداع، فانه دل فرقه بينهما / و هما من غير؟ واحدة و هى التراب على تمام قدرته[1] المستلزم لشمول علمه و فعله بالاختيار، فالآية [من الاحتباك -[2]]: ذكر أولا الصنعة دلالة على حذفها ثانيا، و ثانيا الصانع دلالة على حذفه أولا. ٧٧٧ /

و لما ذكر ما هو محسوس التخالف من المعانى و الأجرام، أتبعه ما هو معقول التباين من الأعراض فقال: ﴿ان سعيكم﴾ أى عملكم أيها المكلفون فى التوصل إلى مقصد واحد. و لذلك أكده لأنه لايكاد يصدق اختلاف وجوه السعى مع اتحاد[3] المراد، و عبر بالسعى ليبذل كل فى[4] عمله غاية جهده ﴿لشتى[5]﴾ أى مختلف[6] اختلافا شديدا باختلاف ما تقدم، و هو جمع شتيت كقتلى وقتيل، فيكون الإنسان رجلا و هو أنثى الهمة، و يكون أنثى و هو ذكر الفعل، فتنافيتم فى الاعتقادات، و تعاندتم فى المقالات، و تباينتم غاية التباين بأفعال طيبات و خبيثات، فساع فى فكاك نفسه، و ساع فى إيثامها، فعلم قطعا أنه لابد من محق و مبطل و مرض[7] و مغضب لأنه لاجائز أن يكون المتنافيان متحدين[7]

(١) من ظ و م، و فى الأصل: القدرة (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: وجود، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من م، و فى الأصل و ظ: من (٥) من ظ و م، و فى الأصل: مختلفا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: راض (٧) من ظ و م، و فى الأصل: متحدان.

فى الوصف بالإرضاء أو الإغضاب ، فبطل ما أراد المشركون من قولهم "لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء"- [الآية -[1]] و ما ضاهاها .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما بين قبلُ حالهم فى الافتراق، أقسم سبحانه على ذلك[2] الشأن فى الخلائق بحسب تقديره أزلا "ليبلوهم أيهم احسن عملا" فقال تعالى "ان سعيكم لشتى" فاتصل بقوله[2] تعالى ٥ "قد افلح من زكاها و قد خاب من دساها" ثم إن قوله تعالى "فاما من أعطى و اتقى - إلى - العسرى" يلائمه تفسيرا و تذكيرا بما الأمر عليه من كون الخير و الشر بارادته و إلهامه و بحسب السوابق قوله "فالهمها فجورها و تقواها" فهو سبحانه الملهم للاعطاء و الاتقاء و التصدق، و المقدر للبخل و الاستغناء و التكذيب "و الله خلقكم و ما تعملون" "لا يسئل عما يفعل" ١٠ ثم زاد ذلك إيضاحا بقوله تعالى "ان علينا للهدى و ان لنا للآخرة و الاولى" فتبا للقدرية و المعتزلة "و كاين من آية فى السماوات و الارض يمرون عليها و هم عنها معرضون" - [انتهى -[4]] .

و لما طابق بين القسم و المقسم عليه، و نبه بالقسم و التأكيد مع ظهور المقسم عليه على[5] أنهم فى أمنهم مع التحذير كمن[6] يدعى أنه ١٥ لافرق و أن مآل الكل واحد كما يقوله أصحاب الوحدة - عليهم الخزى و اللعنة، شرع فى بيان تشتت المساعى و بيان الجزاء لها، فقال مسببا

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٣) تكرر فى الأصل فقط (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : مع (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ممن .

عن اختلافهم ما هو مركوز فى الطباع من أنه لا يجوز تسوية المحسن بالمسىء[1] ناشرا لمن زكى نفسه أو دساها نشرا مستويا إيذانا بأن المطيع فى هذه الأمة - ولله الحمد - كثير بشارة لنبيها[2] صلى الله عليه وسلم: ﴿فاما من اعطى﴾ أى وقع منه إعطاء على ما [3]حددنا له[3] وأمرناه به ﴿واتقى﴾ أى وقعت منه التقوى وهو اتخاذ الوقايات من الطاعات واجتناب المعاصى / خوفا من سطواتنا ﴿وصدق﴾ أى اوقع التصديق للخبر ﴿بالحسنى﴾ أى وهى كلمة العدل التى هى أحسن الكلام من التوحيد وما يتفرع عنه من الوعود الصادقة بالآخرة والإخلاف[4] فى النفقة فى الدنيا وإظهار الدين وإن قل أهله على الدين كله، وغير ذلك من كل ما وعد به الرسول صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه وتعالى، وعدل الكلام إلى مظهر العظمة إشارة إلى صعوبة الطاعة على النفس وإن كانت فى غاية اليسر فى نفسها لأنها فى غاية الثقل على النفس فقال: ﴿فسنيسره﴾ أى[5] نهيئه[6] بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه ﴿لليسرى﴾ أى الخصلة التى هى فى غاية اليسر والراحة من الرحمة المقتضية للعمل بما يرضيه سبحانه وتعالى ليصل إلى ما [7]يرضى به[7] من

/ ٧٧٨

(١) من ظ وم، وفى الأصل: والمسى (٢) من ظ وم، وفى الأصل: لبيننا.
(٣-٣) من ظ وم، وفى الأصل: حددناه (٤) من ظ وم، وفى الأصل: الاخلاق (٥) زيد فى الأصل وظ: بما، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها.
(٦) زيد فى الأصل: له، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٧-٧) من ظ وم، وفى الأصل: يرضيه.

الحياة الطيبة[1] و دخول الجنة .

و لما ذكر المزكى و ثمرته، أتبعه المدسى و شقوته فقال: ﴿واما من بخل﴾ أى أوجد هذه الحقيقة الخبيثة فمنع ما أمر به و ندب إليه ﴿و استغنى ۙ﴾ أى طلب الغنى عن الناس و عما وعد به من الثواب و أوجده بما زعمت له[2] نفسه الخائبة ، و ظنونه الكاذبة . فلم يحسن إلى الناس و لا عمل للعقبى: ﴿و كذب﴾ أى أوقع التكذيب أن يستحق التصديق ﴿بالحسنى ۙ﴾ أى فأنكرها . و لما[3] كان جامدا مع المحسوسات كالبهائم قال[3]: ﴿فسنيسره﴾ أى نهيئه بما لنا من العظمة بوعد لا خلف فيه ﴿للعسرى ۖ﴾ أى للخصلة التى هى أعسر الأشياء و أنكدها ، و هى العمل بما يغضبه سبحانه الموجب لدخول النار و ما أدى إليه ، و أشار بنون العظمة فى كل من نجد الخير و نجد الشر إلى أن ارتكاب الإنسان لكل منهما فى غاية البعد ، أما نجد الخير فلما حفه من المكاره ، و أما نجد الشر فلما فى العقل و الفطرة الأولى من الزواجر عنه ، و ذلك كله أمر قد فرغ منه فى الأزل بتعيين أهل السعادة و أهل الشقاوة « [و كل -[4]] - كما قال صلى الله عليه و سلم - ميسر لما خلق له » .

و لما كان أهل الدنيا إذا[5] وقعوا فى ورطة تخلصوا منها بأموالهم

(١) زيد فى الأصل : الابدية ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : به (٣) سقط من ظ و م (٤) زيد من م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : اذ .

قال : ﴿ و ما يغنى ﴾ أى فى تلك الحالة ﴿ عنه ﴾ أى هذا الذى بخل و كذب ﴿ مالهٗ ﴾ أى الذى بخل به رجاء نفعه، و يجوز أن يكون استفهاما إنكاريا فيكون نافيا للاغناء على أبلغ وجه ﴿ اذا تردّٰى ۝ ﴾ أى[1] هلك بالسقوط فى حفرة القبر و النار، تفعّل من الردى و هو الهلاك و السقوط فى بئر .

و لما كان ربما قال المتعنت الجاهل بما له سبحانه و تعالى من العظمة التى لا اعتراض لأحد عليها : ما له[2] لا ييسر الكل للحسنى، استأنف جوابه مبينا ما ألزم به نفسه من المصالح[3] تفضلا منه بما له من اللطف و الكرم و ما / يفعله مما هو له من غير نظر إلى ذلك بما له من ٧٧٩ / الجبروت و الكبر، فقال مؤكدا تنبيها على أنه يجب العلم بأنه لا حق لأحد عليه أصلا : ﴿ ان علينا ﴾ اى على ما لنا من العظمة ﴿ للهدٰى ۝ ﴾ أى [4]البيان للطريق الحق[4] و إقامة الأدلة الواضحة على ذلك .

و لما بين ما ألزمه نفسه المقدس فصار كأنه عليه لتحتم وقوعه فكان ربما أوهم أنه يلزمه[5] شيء، أتبعه ما ينفيه و يفيد أن له غاية التصرف [6]- فلا يعسر عليه شيء أراده فقال : ﴿ و ان لنا ﴾ أى يا أيها المنكرون خاصا بنا، و قدم ما العناية به أشد لأجل إنكارهم لا للفاصلة، فانه يفيدها مثلا أن يقال : للعاجلة و الأخرى، فقال : ﴿ للأٰخرة و الاولىٰ ۝ ﴾

(١) زيد فى الأصل : اذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل : ما (٣) من ظ و م، و فى الأصل : المصلح (٤-٤) من ظ و م، و فى الاصل : بيان الطريق للحق (٥) من م، و فى الأصل و ظ : الزمه. (٦) زيد ما بين الحاجزين من ظ و م .

فمن ترك ما بينا له من طريق الهداية لم يخرج عن كونه لنا و لم يضر إلا نفسه و لنا التصرف] التام، بما نقيم من الأسباب المقربة للشيء جدا، ثم بما نقيم من الموانع الموجبة لبعده غاية البعد، فنعطى من نشاء ما نشاء [1]و نمنع من نشاء ما نشاء[1]، و من طلب منهما شيئا من غيرنا فال رأيه و خاب سعيه، و ليس التقديم لأجل الفاصلة، فقد ثبت بطلان هذا و أنه لا يحل اعتقاده فى غير موضع، منها آخر سورة براءة، و أنه لا فرق بين أن يعتقد[2] أن فيه شيئا موزونا بقصد الوزن فقط ليكون شعرا، و أن يعتقد أن فيه [شيئا -[3]] قدم أو أخر لأجل الفاصلة فقط ليكون سجعا. على أنه لو كان [هذا -[3]] لأجل الفاصلة فقط لكان يمكن أن يقال: للاولى - أو للأولة - و[4] الأخرى مثلا.

و لما أخبر سبحانه و تعالى أنه[5] ألزم نفسه المقدس البيان، و أن له كل شيء، المستلزم لإحاطة العلم و شمول القدرة، شرح ذلك بما سبب عنه من قوله لافتا القول إلى تجريد الضمير من مظهر العظمة للترفق[6] بالمخاطبين فى تبعيد الوهم و تقريب الفهم فقال: ﴿ فانذرتكم ﴾ أى حذرتكم أيها المخالفون للطريق الذى بينته ﴿ نارا تلظى ج ﴾ أى تتقد و تتلهب تلهبا هو فى غاية الشدة من غير كلفة فيه على موقدها أصلا

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من م (٢) زيد فى الأصل: فيه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: او (٥) من م، و فى الأصل و ظ: ان (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بالرفق.

و لا أحد من خزنتها ـ بما اشار إليه إسقاط التاء، و فى الإدغام أيضا إشارة إلى أن أدنى نار الآخرة كذلك، فيصير إنذار ما يتلظى[1] و ما فوق ذلك من باب الأولى .

و لما كان قد تقدم غير مرة تخصيص كل من المحسن و المسيء بداره بطريق الحصر إنكارا لأن يسوى محسن بمسيء فى شيء، و كان الحصر بـ "لا" و "إلا" أصرح انواعه قال: ﴿ لا يصلنها ﴾ أى يقاسى [2]حرها و[2] شدتها على طريق اللزوم و الانغماس ﴿الا الاشقى ۝﴾ أى الذى هو فى الذروة من الشقاوة و هو الكافر، فان الفاسق و إن دخلها لا يكون [3]ذلك له[3] على طريق اللزوم، و لذلك وصفه بقوله تعالى: ﴿ الذى كذب ﴾ أى أفسد قوته العلمية[4] بأن أوقع التكذيب بما حقه التصديق ﴿ و تولى ۝﴾ أى أفسد قوته العملية بأن أعرض عن الحق تكبرا و عنادا فلم يؤت[5] ماله لزكاة نفسه ﴿ و سيجنبها ﴾ أى النار الموصوفة بوعد لاخلف فيه عن قرب ـ بما أفهمته السين من التأكيد مع التنفيس، و تجنيبه له فى غاية السهولة ـ بما أفهمه البناء للمفعول ﴿الاتقى ۝﴾ / ٧٨٠ / أى الذى أسس قوته العلمية[4] أمكن تأسيس، فكان فى الذروة[6] من رتبة التقوى و هو الذى اتقى الشرك و المعاصى، و هو يفهم أن من لم يكن[6]

(١) زيد فى ظ : منه (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣-٣) من م ، و فى الأصل و ظ : له ذلك (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : العملية (٥) زيد فى الأصل و ظ : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

فى

[فى الذروة -[1]] لا يكون كذلك ، فان الفاسق يدخلها ثم يخرج منها ، و لا ينافى الحصر السابق .

و لما ذكر ما يتعلق بالقوة العلمية ، أتبعه ما ينظر [2]إلى القوة[2] العملية فقال : ﴿ الذى يؤتى ماله ﴾ أى يصرفه فى مصارف الخير ، و لذلك بينه بقوله تعالى : ﴿ يتزكى ۝ ﴾ أى يتطهر من الأوضار[3] و الأدناس ٥ بتطهيره[4] لنفسه و تنميتها بذلك الإيتاء بالبعد عن مساوئ الأخلاق و لزوم محاسنها لأنه ما كذب و [ما -[1]] تولى ، و الآية من الاحتباك : ذكر التكذيب أولا دليلا على حذف ضده ثانيا ، و إيتاء المال ثانيا دليلا على حذف ضده أولا[5] .

و لما كان الإنسان قد يعطى ليزكى نفسه بدفع مانّه و مكافأة نعمه[6] ١٠ قال : ﴿ و ما ﴾ أى و الحال أنه ما ﴿ لاحد عنده ﴾ و أعرق فى النفى فقال : ﴿ من نعمة تجزى[7] ۝ ﴾ أى [هى -[7]] مما يحق جزاؤه لأجلها . و لما نفى أن يكون بذلك قصد مكافأة ، قال مبينا قصده باستثناء منقطع : ﴿ الا ﴾ أى لكن قصد بذلك ﴿ ابتغآء ﴾ أى طلب و قصد ، و لفت القول إلى صفة الإحسان إشارة إلى[8] وصفه بالشكر فقال : ﴿ وجه ربه ﴾ ١٥

(١) زيد من م (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فى (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : الأصار (٤) فى ظ و م : بتطهره (٥) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل و ظ : ان ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .

الذى اوجـــده و رباه و أحسن إليه[1] بحيث أنه لم ير[2] إحسانا إلا منه و لا عنده شيء إلا وهو من فضله ﴿ الاعلى ع ﴾ أى مطلقا فهو أعلى من كل شيء، فلا يمكن أن يعطى أحـد من نفسه شيئا يقع مكافأة له، و عبر عن المنقطع بأداة المتصل للاشارة إلى أن الابتغاء المذكور كأنه نعمة ممن آتاه المال لأن الابتغاء - و هو تطلب رضا الله - كان السبب فى[3] ذلك الإيتاء بغاية الترغيب، و قد آل الأمر بهذه العبارة الرشيقة و الإشاره [الأنيقة -[4]] مع ما أومأت إليه من الترغيب، و أعطته من التحبيب إلى أن المعنى: [إنه -[5]] [6]لا نعمى عليه[6] لأحد فى ذلك إلا لله، و عبر بالوجه إشارة إلى أن قصده أعلى القصود فلا نظر له إلا إلى ذاته سبحانه و تعالى التى عبر عنها بالوجه لأنه[1] أشرف الذات. و بالنظر إليه تحصل الحياة و الرغبة و الرهبة، لا إلى طلب شيء من دنيا و لا آخرة . و لما كان هذا مقاما ليس فوقه مقام، قال تعالى بعد وعده من الإنجاء من النار: ﴿ و لسوف يرضى ع ﴾ أى باعطاء الجنة العليا و المزيد بوعد لاخلف فيه بعد المذلة فى الحياة الطيبة - بما أشارت إليه أداة التنفيس و لا بدع[8] أن

(١) زيد فى الأصل: بانه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لايرى (٣) زيد فى الأصل: سبب، مع قدر من البياض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ (٥) زيد من م. (٦-٦) من م، و فى الأصل: لايعمى عليه، و فى ظ: لا نعمة عليه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لأنها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لابد.

يكون هذا الوعد على هذا الوجه الأعلى لأن الآية نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه / حين اشترى بلالا رضى الله عنه فى جماعة من الضعفاء المسلمين يؤذيهم المشركون فأعتقهم ، فبين تعالى أنه مطبوع على تزكية نفسه فهو المفلح كما ذكر فى سورة الشمس ، و أنه مخلص لإعطائه الضعفاء من الأيتام و المساكين و إعتاقه الضعفاء فى كل حال كما ذكر فى سورة البلد ، نقل[1] البغوى[2] رضى الله تعالى عنه عن الزبير [يعنى -[3]] ابن بكار أنه [قال -[3]] : كان أبو بكر رضى الله عنه يبتاع الضعفاء فيعتقهم فقال [له -[3]] أبوه : أى بنى[4] ! لو كنت تبتاع من يمنع ظهرك ، قال : منع ظهرى أريد . و قال : إنه أعتق بلالا و أم عميس و زهرة[5] فأصيب[6] بصرها حين أعتقها ، فقالت[7] قريش : ما أذهب بصرها إلا اللات و العزى ، فقالت[8]: كذبوا و بيت الله ، ما تضر اللات و العزى و لا تنفعان[9]، فرد الله عليها بصرها ، و أعتق النهدية و ابنتها و جارية بنى المؤمل . و قال: إنه اشترى بلالا من أمية بن خلف استنقاذا له مما كان فيه من العذاب

/ ٧٨١

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : روى (٢) راجع المعالم ٧/٢١٣ (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : شىء يضرك (٥) من المعالم ، و فى الأصل و ظ : زهير ، و ليس واضحا فى م (٦) من ظ و المعالم ، و فى الأصل و م : فكف (٧) من ظ و م و المعالم ، و فى الأصل : فقال (٨) زيد فى الأصل : ردا عليهم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م و المعالم ، و فى الأصل : لا ينفعا - كذا.

[1]حين كان يشد يديه و رجليه وقت الهاجرة و يلقيه عريانا على الرمضاء و يضربه، و كلما ضربه صاح و نادى: أحد أحد، فيزيده ضربا فاشتراه[1] [2]بعد كان لأبى بكر رضى الله عنه[2]، كان ذلك العبد صاحب[3] عشرة الآف دينار و غلمان و جوار و مواش و[4] كان مشركا، فلما اشتراه به و أعتقه قال المشركون: ما فعل هذا ببلال إلا ليد كانت لبلال عنده، يعنى فأنزل الله ذلك تكذيبا لهم، و من أبدع الأشياء تعقيبها بالضحى التى هى فى النبى صلى الله عليه و سلم و فيها[5] "ولسوف يعطيك ربك فترضى" إشارة إلى إنه أقرب أمته إلى مقامه صلى الله عليه و سلم ما عدا عيسى صلى الله عليه و سلم لأنه الأتقى بعد النبيين مطلقا، و إلى [أن -[6]] خلافته حق لا مرية فيه لأنه مما وعد النبى صلى الله عليه و سلم أنه يرضيه و أنه لا يرضيه[7] غيره كما أنه أرضاه خلافته له فى الصلاة و لم يرضه غيره حين نهى عن[8] ذلك بل زجر لما سمع قراءة[9] غيره و قال: يأبى الله و المؤمنون إلا أبا بكر رضى الله عنه. و قد رجع آخرها على أولها بأن سعى هذا الصديق رضى الله عنه مباين أتم مباينة سعى ذلك الأشقى، و قال بعضهم:

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: ابو بكر رضى الله عنه بعبد كان له (٣) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل: له (٤) زيد فى الأصل: لكن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و المعالم فحذفناها (٥) زيد فى الأصل: أيضا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لا يرضى (٨) من م، فى الأصل و ظ: عنه (٩) من ظ و م، و فى الأصل: قراءته.

إن

إن المراد بذلك[1] الأشقى أبو جهل، و أيضا فان [هذا -[2]] الختم دال على أن من صفى نفسه و زكاها بالتجلي بالنور[3] المعنوى من إنارة ظلام الليل بما يجليه به من ضياء القيام و غير ذلك من أنواع الخير يرضى بالنور[3] الحسى بعد الموت - والله الموفق للصواب[4].

(١) زيد فى الأصل : الى قوله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و م (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) سقط من ظ و م .

سورة الضحى[1]

مقصودها الدلالة على آخر الليل بأن أتقى الأتقياء الذى هو الأتقى على الإطلاق فى عين / الرضا دائما، لاينفك عنه فى الدنيا و الآخرة، لما تحلى به من صفات الكمال التى هى الإيصال للمقصود بما لها[2] من النور المعنوى كالضحى بما له من النور الحسى الذى هو أشرف ما فى النهار، و قد علم بهذا أن اسمها أدل ما فيها على مقصودها ﴿ بسم الله ﴾ المعز لمن أراد، الكريم البر الودود ذى الجلال و الإكرام ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمته[3] الإيجاد الخاص و العام ﴿ الرحيم ۞ ﴾ الذى أعلى أهل وده بخصهم باتمام الإنعام. /٧٨٢

لما حكم فى آخر الليل باسعاد الأتقياء، و كان النبى صلى الله عليه و سلم أتقى الخلق مطلقا، و كان قد قطع عنه الوحى حينا ابتلاء لمن شاء من عباده، و كان به صلى الله عليه و سلم صلاح الدين و الدنيا و الآخرة، و كان الملوان سبب [صلاح[4]] معاش الخلق و كثير[5] من معادهم، أقسم[6] سبحانه و تعالى بهما[6] على أنه أسعد الخلائق دنيا

(١) الثالثة و التسعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ١١ (٢) من م، و فى الأصل و ظ : له (٣) من ظ، و فى الأصل و م : بنعمة (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل : كثر (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل : بهم سبحانه و تعالى.

و أخرى ، فقال مقدما ما يناسب[1] حال الأتقى الذى قصد به أبو بكر رضى الله عنه قصدا أوليا من النور الذى يملأ الأقطار ، و يمحو كل ظلام يرد عليه و يصل إليه ، مفهما بما ذكر من وقت الضياء الناصع حالة أول النهار و آخر الليل التى هى ظلمة ملتف بساقها ساق النهار عند الإسفار : ﴿ و الضحى ۝ ﴾ فذكر ما هو أشرف النهار و ألطفه و هو زهرته ، و أضوأه و هو صدره ، و ذلك وقت ارتفاع الشمس لأن المقسم لأجله أشرف الخلائق ، و ذلك يدل على أنه يبلغ من الشرف ما لا يبلغه أحد من الخلق[2] .

و لما ذكر النهار بأشرف ما فيه مناسبة لأجل المقسم لأجله ، أتبعه الليل مقيدا له بما يفهم إخلاصه[3] لأنه ليس لأشرف ما فيه اسم يخصه فقال : ﴿ و الليل ﴾ أى الذى به تمام الصلاح . و لما كان أوله و آخر النهار و آخره و أول النهار [ضوءا -[4]] ممتزجا بظلمة لالتفاف ساق الليل بساق النهار ، قيد بالظلام الخالص فقال : ﴿ اذا سجى ۝ ﴾ أى سكن أهله أو ركد ظلامه و إلباسه و سواده و اعتدل فخالص فغطى بظلامه كل شىء ، و المتسجى : المتغطى ، ومع تغطيته سكنت ريحه ، فكان فى غاية الحسن ، و يمكن أن يكون [الأول -[5]] مشيرا إلى ما يأتى به هذا الرسول صلى الله عليه و سلم من المحكم ، و الثانى مشيرا إلى المتشابه ، و هذه الأربعة

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ينافى (٢) زيد فى الأصل : والله أعلم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) فى ظ : أخلصه (٤) زيد من م . (٥) زيد من ظ و م .

الأحوال[1] للنور و الظلمة - و هى ضوء ممتزج بظلمة، [و ظلمة -[2]] ممتزجة بضوء، وضياء خالص، و ظلام خالص - الحاصلة[3] فى الآفاق فى الإنسان مثلها، فروحه نور خالص، و طبعه ظلام حالك، و قلبه نور ممتزج بظلمة النفس، و النفس ظلمة ممتزجة بنور القلب، فان قويت شهوة النفس على نورانية القلب اظلم جميعه، و إن قويت نورانية القلب على ظلمة النفس صار نورانيا، و إن غلبت / الروح على الطبع تروحن فارتفع[4] عن رتبة الملائكة، و إن غلب الطبع على الروح أنزله عن رتبة البهائم كما قال تعالى «ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا».

٧٨٣ /

و لما أقسم بهذا [القسم -[2]] المناسب لحاله صلى الله عليه و سلم، أجابه بقوله تعالى: ﴿ما ودعك﴾ أى تركك تركا يحصل به فرقة كفرقة المودع و لو على احسن الوجوه الذى هو مراد المودع[5] ﴿ربك﴾ أى الذى أحسن إليك بايجادك أولا، و جعلك أكمل الخلق ثانيا، و رباك أحسن تربية ثالثا، كما أنه لايمكن توديع الليل للنهار بل[6] الضحى للنهار الذى[7] هو أشد ضيائه، و لايمكن توديع الضحى للنهار و لا الليل[8] وقت مجيئه له[9].

و لما كان ربما تعنت متعنت فقال: ما تركه و لكنه لايحبه[10]، فكم

(١) من ظ و م. و فى الأصل: احوال (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الحاصل (٤) من ظ و م، و فى الأصل: وانتفع وارتفع (٥) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ولا (٧) من ظ و م، وفى الأصل: اى (٨) من م، وفى الأصل وظ: النهار لليل (٩) فى م: لليل (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: كما قيل.

من

من مواصل وليس بواصل، قال نافيا لكل ترك: ﴿وما قلى﴾ اى وما أبغضك بغضا ما، وحذف الضمير اختصارا[1] لفظيا ليعم، فهو من تقليل اللفظ لتكثير المعنى، و[2]ذلك لأنه[2] كان انقطع عنه الوحى مدة لأنهم سألوه عن الروح و قصة أهل الكهف و ذى القرنين فقال: أخبركم بذلك غدا، و لم يستثن، فقالوا: [قد -[3]] ودعه ربه و قلاه، فنزلت لذلك، و لما نزلت كبر صلى الله عليه و سلم فكان التكبير فيها و فيما بعدها سنة كما يأتى إيضاحه و حكمته[4] آخرها، و قد أفهمت هذه العبارة أن المراتب التقريبية[5] اربع: تقريب بالطاعات و محبة و هى للمؤمنين، و إبعاد بالمعاصى و بغض و هى للكفار، و تقريب بالطاعات مخلوط بتبعيد للعاصى و هى لعصاة المؤمنين، و إعراض مخلوط بتقريب بصور طاعات لا قبول لها و هى لعباد الكفار.

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: لما قال تعالى "فالهمها فجورها و تقواها" ثم أتبعه بقوله[6]فى الليل[6] "فسنيسره" و بقوله "ان علينا للهدى و إن لنا للآخرة [و الأولى"-[3]]، فلزم الخوف و اشتد الفزع و تعين على الموحد الإذعان للتسليم و التضرع فى[7] التخلص و التجاؤه إلى السميع العليم، أنس تعالى أحب عباده إليه و أعظمهم منزلة لديه، و ذكر [له -[3]]

(١) من م، و فى الأصل: اختيارا، و الكلمة ساقطة من ظ (٢ - ٢) فى ظ و م: لذلك (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: حكمة.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: الترتيبيه (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من م.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل «و».

ما منحه من تقريبه و اجتبائه و جمع خير[1] الدارين له فقال تعالى "و الضحى و الليل اذا سجى ما ودعك ربك و ما قلى و للآخرة خير لك من الأولى" ثم عدد تعالى [عليه -[2]] نعمه بعد وعده الكريم له بقوله ["ولسوف يعطيك ربك فترضى" و أعقب ذلك بقوله -[2]] "فاما اليتيم فلا تقهر و أما السائل فلا تنهر" فقد أويتك قبل تعرضك و أعطيتك[3] قبل سؤالك، فلا تقابله بقهر من تعرض و انتهار من سأل، [4]و قد[4] حاشاه سبحانه عما نهاه [عنه -[2]] و لكنه تذكير بالنعم و ليستوضح الطريق من وفق [من -[2]] أمة محمد صلى الله عليه و سلم /، [5]أما هو صلى الله عليه و سلم فحسبك من تعرف رحمته و رفقه "و كان[5] بالمؤمنين رحيما[6]" "عزيز عليه ما عنتم [7]حريص عليكم بالمؤمنين رؤف[7] رحيم" ثم تأمل استفتاح هذه السورة و مناسبة ذلك المقصود و لذلك السورة قبلها برفع القسم فى الأولى بقوله "و الليل اذا يغشى" تنبيها على إبهام الأمر فى السلوك على المكلفين و غيبة حكم العواقب. و ليناسب هذا حال المتذكر بالآيات و ما يلحقه من الخوف مما أمره غائب عنه من تيسيره و مصيره و استعصامه به يحصل اليقين و استصغار درجات المتقين، ثم لما لم يكن هذا غائبا بالجملة

/ ٧٨٤

(١) فى ظ : خيرى (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل : اعطيك (٤-٤) من م، و فى الأصل و ظ : فقد (٥-٥) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٦) زيد فى الأصل : قال تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧-٧) فى ظ و م : الى .

عن أحاد المكلفين أعنى ما يثمر العلم اليقين و يعلى من اهل للترقى[1] فى درجات المتقين ، بل قد يطلع[2] سبحانه خواص عباده - بملازمته[3] التقوى و الاعتبار - على واضحة السبيل و يريهم مشاهدة و عيانا ما قد انتهجوا قبل سبيله بمشقة النظر فى الدليل ، قال صلى الله عليه و سلم لحارثة : وجدت فالزم ، و قال مثله للصديق ، و قال تعالى "لهم البشرى فى الحياة الدنيا و فى الآخرة" "ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا و لا تحزنوا و ابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا و فى الآخرة" فلم يبق فى حق هؤلاء ذلك الإبهام ، و لا كدر خواطرهم[4] بتكاثف ذلك الإظلام[5] بما منحهم سبحانه و تعالى من نعمة الإحسان بما وعدهم فى قوله "يجعل لكم فرقانا" "و" يجعل لكم نورا تمشون به" "أو من كان ميتا فاحييناه و جعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها" فعمل هؤلاء على بصيرة ، و استولوا اجتهادا بتوفيق ربهم على أعمال جليلة خطيرة ، فقطعوا عن الدنيا الآمال ، و تأهبوا لآخرتهم بأوضح الأعمال "تتجافى جنوبهم عن المضاجع" "فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة اعين" فلابتداء الأمر و شدة الإبهام و الإظلام أشار[6] قوله سبحانه و تعالى "و الليل اذا

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الترق (٢) زيد فى الاصل و ظ : عليه ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بملازمة .
(٤) زيد فى الأصل : ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الظلام (٦) زيد فى الأصل : إليه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

يغشى" و لما[1] يؤول إليه الحال فى حق من كتب فى قلبه الإيمان و أيده روح منه أشار قوله سبحانه و تعالى " و النهار إذا تجلى" و لانحصار السبل و إن تشعبت فى طريق " فمنكم كافر و منكم مؤمن" " فريق فى الجنة و فريق فى السعير" أشار قوله سبحانه و تعالى " و ما خلق الذكر و الانثى" ٥ "و من كل شيء خلقنا زوجين" "ففروا إلى الله" الواحد مطلقا ، فقد وضح لك إن شاء الله بعض ما يسر من تخصيص هذا القسم - و الله أعلم ، اما سورة الضحى[2] فلا إشكال فى مناسبة فى استفتاح القسم بالضحى[3] لما يسره به سبحانه لاسيما إذا / اعتبر ما ذكر من سبب نزول السورة ، / ٧٨٥ و أنه صلى الله عليه و سلم كان قد فتر عنه[4] الوحى حتى قال بعض ١٠ الكفار : قلى محمدا ربه ، فنزلت السورة مشعرة عن هذه النعمة و البشارة - انتهى .

و لما ذكر حاله فى الدنيا بأنه لايزال يواصله بالوحى و الكرامة ، و منه ما هو مفتوح على أمته من بعده ، روى عن أنس رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : أريت ما هو مفتوح ١٥ على أمتى من بعدى[5] كفرا كفرا[6] فسرنى ذلك . فلما كان ذلك و كان ذكره على وجه شمل الدارين صرح بالآخرة التى هى أعلى و أجل ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٢) فى م : و الضحى (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فى الضحى (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد (٦) أى قرية قرية - كما الغاية .

ولأدنى من يدخلها[1] فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فكيف بما له صلى الله عليه وسلم، فقال مؤكدا لذلك كما اكد الأول بالقسم بما لهم فيه من الإنكار: ﴿ وللآخرة ﴾ أى التى هى المقصود من الوجود بالذات لأنها باقية خالصة عن شوائب الكدر أو الحالة المتأخرة لك ليفهم منه انه لايزال فى ترق من على[2] إلى أعلى منه[3] وكامل إلى أكمل منه[3] دائما أبدا لا إلى نهاية ﴿ خير ﴾ وقيد بقوله: ﴿ لك ﴾ لأنه ليس كل أحد كذلك ﴿ من الأولى ﴾ أى الدنيا الفانية التى لاسرور فيها خالص كما أن النهار الذى هو بعد الليل خير منه وأشرف ولاسيما الضحى منه، وقد أفهم ذلك أن الناس على أربعة أقسام[4]: منهم من له الخير فى الدارين وهم أهل الطاعة الأغنياء، [ومنهم من له الشر فيهما وهم الكفرة الفقراء -[5]]، ومنهم من له صورة [خير فى الدنيا وشر فى الآخرة وهم الكفرة الأغنياء، ومنهم من له صورة شر -[5]] فى الدنيا وخير فى الآخرة وهم المؤمنون الفقراء، [6]قد قال:

الناس فى الدنيا على أربع والنفس فى فكرتهم حائره
فواحد دنياه مقبوضة إن له من بعدها آخره
وواحد دنياه مبسوطة ليس له من بعدها آخره
وواحد قد حاز حظيهما سعيد فى الدنيا وفى الآخره

(١) من ظ و م، وفى الأصل: يدخل (٢) من ظ و م، وفى الأصل: اعلى.
(٣) سقط من م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: أقسم (٥) زيد من ظ و م.
(٦) العبارة من هنا إلى آخر الأبيات ساقطة من ظ و م.

و واحد يسقط من بينهم فذلك لا دنيا و لا آخره

و لما ذكر سبحانه الدنيا و الآخرة، ذكر ما يشملهما[1] مما زاده[2] من فضله، فقال مصدرا بحرف الابتداء تأكيدا للكلام لأنهم ينكرونه[3] و ليست للقسم لأنها إذا دخلت على المضارع لزمته النون المؤكدة، وضم ٥ [4]هذه اللام[4] إلى كلمة التنفيس للدلالة على [أن -[5]] العطاء و إن تأخر وقته[6] لحكمة كائن[7] لا محالة: ﴿ و لسوف يعطيك ﴾ أى بوعد لا حلف فيه و إن تأخر وقته بما أفهمته الأداة ﴿ ربك ﴾ أى الذى لم يزل يحسن إليك [8]بوعد الدنيا و وعد الآخرة[8] ﴿ فترضى[9] ﴾ أى فيتعقب على ذلك و يتسبب عنه رضاك[9]. و هذا شامل لما منحه بعد كمال النفس ١٠ من كمال العلم و ظهور الأمر و إعلاء الدين و فتح البلاد و دينونة العباد و نقص ممالك الجبابرة، و إنهاب كنوز الأكاسرة / [و -[5]] القياصرة، و إحلال الغنائم حتى كان يعطى عطاء من لا يخاف الفقر، و شامل لما ادخره له سبحانه و تعالى فى الآخرة من المقام المحمود و الحوض المورود، [8]و الشفاعة العظمى[8] إلى غير ذلك مما لا يدخل تحت الحدود[10]، و قد أفهمت ١٥ العبارة أن الناس أربعة أقسام: معطى راض، و ممنوع غير راض، و معطى

/٧٨٦

(١) من م، و فى الأصل: يشبههما، و فى ظ: يشمله (٢) من ظ و م، و فى الأصل: زاد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ينكرون (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: هذا اللازم (٥) زيد من ظ و م (٦) سقط من م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: كاينة (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) من ظ و م، و فى الأصل: برضاك (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: الحصر.

غير راض، و ممنوع راض، و عن على رضى الله عنه أنها أرجى آية في القرآن لأنه صلى الله عليه و سلم لا يرضى واحدا من أمته في النار .

و لما وعده بأنه لا يزال في كل لحظة يرقيه في مراقي العلا و الشرف، ذكره بما رقاه به قبل ذلك من حين توفى أبوه و هو حمل و ماتت أمه و هو ابن ثمان سنين، فتم يتمه من الأبوين قبل بلوغه لئلا يكون عليه ٥ - كما قال جعفر الصادق - حق لمخلوق، فقال مقررا له : ﴿ألم يجدك﴾ أى يصادفك أى يفعل بك فعل من صادف آخر حال كونه ﴿يتيما فآوى ۝﴾ و لما كان يلزم من اليتم في الغالب عدم العلم لليتيم لتهاون الكافل، و من عدم العلم الضلال، قال مبينا أن يتمه و إهماله[1] من الحمل على دينهم كان نعمة عظيمة عليه لأنه لم يكن على دين قومه في حين من الأحيان ١٠ أصلا : ﴿و وجدك﴾ أى صادفك ﴿ضآلا﴾ أى[2] لا تعلم الشرائع "ما كنت تدرى ما الكتاب و لا الايمان" فأطلق اللازم و هو[2] الضلال على الملزوم، و المسبب على السبب، و هو عدم العلم، فكنت[3] لأجل ذلك [لا تقدم -[4]] على فعل من الأفعال لأنك لا تعلم الحكم فيه إلا ما [5]علمت بالعقل[5] الصحيح و الفطرة السليمة المستقيمة من التوحيد و بعض توابعه، ١٥ و هذا هو التقوى كما تقدم في الفاتحة، و لم يرد به حقيقته و إنما أعراه من التعلق بشيء من الشرائع و نحوها باعدام من يحمله على ذلك ليفرغه

(١) زيد في ظ : به (٢-٢) في ظ : على (٣) من ظ و م، و في الأصل : فكيف.
(٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، و في الأصل : علمك بالفعل .

ذلك للتأمل بنفسه فيوصله بعقله السديد إلى الاعتقاد الحق فى الأصول و [الوقوف فى -[1]] الفروع ﴿ فهدى ﴾ أى فهداك هدى محيطا بكل علم ، فعلمك بالوحى و الإلهام و التوفيق للنظر[2] ما لم تكن تعلم .

و لما كان العيال يمنعون من التفرغ لعلم أو غيره قال : ﴿ و وجدك ﴾ أى حال كونك ﴿ عآئلا ﴾ أى ذا عيال لا تقدر على التوسعة عليهم أو فقيرا ، قال ابن القطاع[3]: عال الرجل[4]: افتقر ، و أعال: كثر عياله . ﴿ فاغنى ﴾ بما جعل لك من ربح التجارة ثم من كسب الغنائم و قد أفهم ذلك أن الناس أربعة أقسام : منهم من وجد الدين و الدنيا ، و منهم من عدمهما ، و منهم من وجد الدين لا الدنيا ، و منهم من وجد الدنيا لا الدين . و لما ذكره بما أنعم عليه به من هذه [النعم - [1]] الثلاث أوصاه[5] بما يفعل فى ثلاث مقابلة لها ، فقال مسببا عنه مقدما معمول ما بعد الفاء عليها اهتماما : ﴿ فاما اليتيم ﴾ أى هذا النوع ﴿ فلا تقهر ﴾ أى تغلبه على شىء / فانما أذقتك اليتم تأديبا[6] بأحسن الآداب لتعرف ضعف اليتيم و ذله ، و فوق ذلك كفالته و هى خلافة عن الله لأن اليتيم لا كافل له إلا الله ، و لهذا قال النبى صلى الله عليه و سلم : أنا و كافل اليتيم كهاتين -[7] و أشار بالسبابة[7] و الوسطى .

/ ٧٨٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : و النظر (٣) فى كتاب الأفعال ٢/٣٨٩ (٤) زيد فى الأصل : أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م و كتاب الأفعال فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اوصاف (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تادبا (٧-٧) فى ظ و م : السبابة .

و لما بدأ بما كان بداية له، ثنى بما هو نهاية له من حيث كونه يصير رأس الخلق فيصير محط الرجال فى كل سؤال من علم و مال، فقال مقدما له اهتماما به إشارة إلى أن جبر الخواطر و استئلاف الخلق من أعظم المقاصد فى تمام الدين: ﴿ و اما السآئل ﴾ أى الذى أحوجته العيلة أو غيرها إلى السؤال ﴿ فلا تنهر ﴾ أى تزجر زجرا مهينا، فقد علمت مضاضة[1] العيلة، بل أعطه[2] و لو قليلا، أو رده ردا جميلا، و كذا السائل [فى العلم -[3]].

[4]و لما ذكر له تفصيل ما يفعل فى اليتيم و الفقير و الجاهل، أمره بما يفعل[4] فى العلم الذى آتاه إياه إعلاما بأنه الآلة التى يستعملها فى الأمرين الماضيين و غيرهما لأنها أشرف أحوال[5] الإنسان و هى أوفق الأمور لأن يكون مقطع السورة لتوافق مطلعها فقال: ﴿ و اما بنعمة ربك ﴾ أى الذى أحسن إليك باصلاح جميع ما يهمك من العلم و غيره و بالهجرة و مبادئها عند تمام عدد آيها [من -[6]] السين و هى إحدى عشرة ﴿ فحدث ﴾ أى فاذكر النبوة و بلغ الرسالة فاذكر جميع نعمه عليك فانها نعم على الخلق كافة، و منها إنقاذك[7] بالهجرة من أيدى الكفرة و إعزازك[8] بالأنصار، و تحديثك بها شكرها، فانك مرشد يحتاج الناس إلى الاقتداء بك، و يجب عليهم أن يعرفوا [لك -[6]] ذلك و يتعرفوا مقدارك ليؤدوا

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مضادة (٢) من ظ، و فى الأصل و م: اعطهم.
(٣) زيد من م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: حال (٦) زيد من ظ و م (٧) من م، و فى الأصل: اتقاوك، و فى ظ: انقاذى (٨) فى ظ: اعزازى.

حقك، فحدثهم أنى ما ودعتك و لا قليتك، و من قال ذلك فقد خاب و افترى، و اشرح لهم تفاصيل[1] ذلك بما وهبتك من العلم الذى هو أضوأ من [ضياء -[2]] الضحى و قد رجع آخرها على اولها بالتحديث بهذا القسم و المقسم لأجله، و ما للملك الأعلى فى ذلك من[3] عميم فضله:

٥ و لقد امتثل صلى الله عليه و سلم و ابتدأ هذا التحديث الذى يشرح الصدور، و يملأ الأكوان من السرور، و النعمة و الحبور. لأنه بأكبر النعم المزيلة [4]لكل النقم[4] بالتكبير كما ورد فى قراءة ابن كثير و فى رواية السوسى عن أبى عمرو، و اختلف القراء فى ابتدائه و انتهائه و لفظه، فقال بعضهم: هو من أول[6] الضحى، و قال آخرون: من آخرها، و قال

١٠ غيرهم من أول[7] الشرح، فمن قال للأول لم يكبر آخر الناس، و من قال للآخر[8] انتهى تكبيره بالتكبير فى آخرها، و سببه أن جبريل عليه الصلاة و السلام لما أتى النبى صلى الله عليه و سلم بعد فترة الوحى، فتلا[9] السورة عليه كبر مسرورا لما كان أحزنه من الفترة و من قول المشركين: قلاه ربه، و تحديثا بالنعم التى / حباه الله بها فى هذه السورة له و لأمته

/ ٧٨٨

(١) من م، وفى الأصل وظ: تفصيل (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: للقسم (٥) زيد فى الأصل: اول، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: آخر. (٨) زيد فى الأصل: فقد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: و تلى.

امتثالا لما أمر به[1] و اختلف عنهم فى لفظه، فمنهم من اقتصر على «الله أكبر» و منهم من زاد التهليل فقال: «لا إله إلا الله و الله أكبر» و هذا هو المستعمل، و منهم من زاد «و لله الحمد» و الراجح قول من قال: إنه لآخر الضحى إسنادا و معنى، لأنها و إن كانت هى السبب و العادة جارية[2] بأن من دهمه أمر عظيم يكبر مع أوله، لكن شغله[3] صلى الله عليه و سلم بالإصغاء إلى ما يوحى إليه منعه من ذلك، فلما ختمت السورة تفرغ له، فكان ذلك الوقت [كأنه -[4]] ابتداء مفاجأة ذلك[5] الأمر العظيم له، و زاد ما فى السورة من جلائل النعم المقتضية للتحميد و ما فى ذلك من بدائع الصنع الموجب للتهليل[6]، و قد علم بذلك سبب من ظنه فى أولها، و أما من ظنه لأول الشرح فكونه كان فى [آخر -[4]] الضحى، فاذا وصل بها «ألم نشرح» ألبس الحال، و تعليق[7] الأشياء بالأوائل هو الأمر المعتاد، و حكمته مع ما مضى من سببه[8] أن التهليل توحيده سبحانه و تعالى بالأمر، و امتناع شريك يمنعه من شىء يريده من الوحى و غيره، و التكبير تفريده له[9] بالكبرياء تنزيها له عن شوب نقص يلم به من أن يتجدد له علم ما لم يكن ليكون ذلك سببا

(١) من ظ و م، و فى الأصل: له (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الجارية.
(٣) زيد فى الأصل و ظ: النبى، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: للتعليل.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: تعليل (٨) من ظ و م، و فى الأصل: تسبيبه.
(٩) سقط من ظ.

لقطع من وصله بوحى أو غيره، و التحميد إثبات التفرد بالكمال له على إسباغ نعمه، و فى ذلك أن هذه السورة[1] آذنت [2]بأن القرآن[2] أشرف على الختام، لأن عادة الحكماء من المدبرين تخفيف المنازل فى الأواخر على السائرين كتخفيف أول مرحلة رفقا بالمقصرين، فناسب الذكر بهذا
٥ عند الآخر لأن تذكر الانقضاء يهيج مثل ذلك عند السالك، و لأن تقصير السور [ربما -[3]] أوهم شيئا مما لا يليق، فسن [4]التنزيه بتكبيره[4] سبحانه و تعالى عن كل ما يوهم نقصا، و إثبات الكمال له بالتوحيد منبه على الحث على تدبر ما فى هذه السورة[5] من الجمع للمعانى على وجازتها و قصر آياتها و حلاوتها مع ما فى ذلك من تخفيف التعليم، و التدريب على الحفظ
١٠ فى المبادئ و التحبيب [فيه -[6]] و التهييم[7]، و التحميد على إتمام النعمة على غاية الإحكام [8]من لدن حكيم عليم[8].

---

(١) فى م: السور (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: بالقرآن (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: التكبير بتنزيهه (٥) فى ظ و م: السور (٦) زيد من م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: التهميم (٨-٨) من م، و فى الأصل: والله تعالى هو الرؤف الرحيم، و العبارة ساقطة من ظ.

سورة ألم نشرح[1]

مقصودها تفصيل ما فى آخر الضحى من النعمة، و بيان [أن - [2]] المراد بالتحديث[3] بها هو شكرها بالنصب فى عبادة الله و الرغبة إليه بتذكر[4] إحسانه و عظيم رحمته بوصف الربوبية و امتنانه، و على ذلك دل اسمها الشرح

/ ﴿ بسم الله ﴾ الذى جل أمره و تعالى جده [5] و لا إله غيره [5] فعظم ما له ٥ / ٧٨٩
من إنعام ﴿ الرحمن ﴾ الذى أفاض جوده على سائر خلقه لأنه ذو الجلال و الإكرام ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى أعلى أهل حضرته بخاص رحمته فى مقامات الاختصاص إلى أعلى مقام .

لما أمره صلى الله عليه و سلم آخر الضحى [6] بالتحديث بنعمته[6] [7] التى أنعمها عليه[7] فصلها فى هـذه السورة فقال مثبتا لها فى استفهام ١٠ إنكارى مبالغة فى إثباتها عند من ينكرها و التقرير بها مقدما المنة بالشرح فى صورته قبل الإعلام بالمغفرة كما فعل ذلك فى سورة الفتح الذى هو نتيجة الشرح، لتكون البشارة بالإكرام أولا لافتا القول إلى مظهر العظمة [تعظيما - [8]] للشرح : ﴿ ألم نشرح ﴾ أى شرحا يليق بعظمتنا

(١) فى م : الشرح ، و هى الرابعة و التسعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٨ (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من التحديث (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : بتذكير (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦-٦) من م ، و فى الأصل و ظ : بتحديث نعمته (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من م (٨) زيد من ظ و م .

﴿ لك ﴾ أى خاصة .

و لما عين المشروح له ، فكان المشروح مبهما ، فزاد تشوف النفس إليه ليكون أضخم له ، بينه[1] ليكون بيانا بعد إبهام[2] فيكون [أعظم -[3]] فى التنويه به و أجل فى التعريف بأمره فقال : ﴿ صدرك[4] ﴾ أى نسره و نفرحه بالهجرة ، فان هذه السورة مدنية عند ابن عباس رضى الله عنهما ، و نجله و نعظمه و نخرج منه قلبك و نشقه ونغسله و نملأه إيمانا و حكمة و[4] رأفة و[4] علما و رحمة[5] ، فانفسح جدا حتى وسع[6] مناجاة الحق و دعوة الخلق ، فكان مع الحق بعظمته و ارتفاعه ، و مع الخلق بفيض أنواره و شعاعه ، و قد كان هذا الشرح حقيقة مرارا ، و كان مجازا أيضا باحلال جميع معانيه ، و كل ذلك على ما لا يدخل تحت الوصف [لا -[3]] يعبر [7]لكم عنه[7] بأكثر من أنه شق بعظمتنا ، فالعلم الذى شق به معرفة الله و الدار الآخرة و الدين و الدنيا ، و الحكمة التى درّت[8] فيه هى وضع الشىء فى محله ، و إعطاء كل ذى حق حقه ، و قرأ أبو جعفر المنصور بفتح حاء "نشرح" وخرجها ابن عطية على التأكيد بالنون الخفيفة ثم أبدل ألف من النون ، ثم حذف النون تخفيفا ،[9] و قال[9] أبو حيان[10] بأن اللحيانى حكى فى نوادره عن بعض العرب النصب بلم و الجزم بلن ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بين ذلك (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ابهاما (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : رحمة وعلما (٦) زيد فى ظ : ضحا (٧-٧) من ظ و م ، وفى الأصل : عنه لكم (٨) من ظ و م ، وفى الأصل : ودت (٩-٩) فى الأصل بياض ملأناه من ظ (١٠) راجع البحر ٨/٤٨٨ .

و سره هنا أن الفتح فى اللفظ مناسب غاية المناسبة للشرح ، و وجه قراءة الجمهور أنه لما دل على الفتح بالشرح دل بالجزم على أنه مع ذلك رابط لما أودعه من الحكم ضابط له ، هاد بما فيه من رزانة العلم ، و وقار التقى و الحلم ، قال ابن برجان : ففرق [ما -[1]] بين النبى و الولى فى ذلك أن النبى شرح[2] صدره ظاهرا فأعلى ظاهرا ، و الولى شرح ذلك[3] منه باطنا فعلى به باطنا ، و الكافر ضيق ذلك منه و أبقى [بظلمته -[1]] [4]و حظوظ[5] الشيطان منه فهو لا يستطيع قبول / الهداية و لا الصعود فى [معارج العبرة إلا على مقدار ما يستطيع الصعود فى -[1]] السماء " كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون " - الآيات . ٧٩٠ /

و لما كانت سعة الصدر بالعلم و الحكمة هى الجمال باجتماع المحاسن ، و كان ذلك مع حمل ما يعنى من أعظم النكد ، و كان الجمال بجمع المحاسن لا يكمل إلا إذا جمع إلى الجمال الجلال[6] بانتفاء الرذائل ، و كان الاستفهام الإنكارى إذا اجتمع[7] مع النفى صار إثباتا ، لأنه نفى للنفى ، قال عاطفا عليه ما لا يعطف إلا مع الإثبات ﴿ و وضعنا ﴾ أى حططنا و أسقطنا و أبطلنا حطا لا رجعة له و لا فيه بوجه بما لنا من العظمة ، مجاوزا ﴿ عنك وزرك ﴾ أى حملك الثقيل الذى لا يستطاع حمله ، و لذلك

(١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ : ينشرح (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : منه (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بحظوظ (٥-٥) من ظ و م . و فى الأصل : الجلال الجمال (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : جمع .

وصفه بقوله : ﴿ الذى انقض ظهرك ﴾ أى [جعله - ١] و هو عماد بدنك تصوت مفاصله من الثقل كما يصوت الرحل الجديد إذا لزبالحمل الثقيل ، و ذلك هو [ما - ١] دهمه عند ما أمر بانذار قومه و مفاجأتهم بما يكرهون عن عيب دينهم و تضليل آبائهم و تسفيه حلومهم ٢ فى التدين ٢ بدين لا يرضاه أدنى العقلاء إذا تأمل شيئا من تأمل مع التجرد من حظ النفس مع ما عندهم من الأنفة و الحمية و إلقاء الأنفس فى المهالك لأدنى غضب ، فقال : يا رب إذن يثلغوا رأسى فيدعوه خبزة . فخفف ٣ سبحانه و تعالى عنه ٣ ذلك بما أظهر له من الكرامات و أيده به من المعجزات ، و ضمن له من الحماية إلى أمور لا يحيط بها علما إلا الذى أيده بها " ٤ و الله يعصمك من الناس ٤ " حتى خف ذلك عليه ، فصار أشفق أهله عليه يمنعه من بعض الإبلاغ و يمسك بثوبه ٥ لئلا يخرج إلى الناس فيقول لهم ذلك فيحصل له ما يكره فيجذب نفسه منه و يخرج إليهم فيخبرهم ٦ كما وقع فى أمر الإسراء و غيره ، و قال ابن عباس رضى الله عنهما ٧ : هو أن جبريل عليه الصلاة و السلام شق صدره فأخرج منه قلبه فشرحه و أخرج منه علقة سوداء فأنقاه و غسله ثم ملأه علما و إيمانا و حكمة ، يعنى فصار يحتمل ما لا يحتمله غيره ، و خف عليه ما يثقل على غيره ،

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بالتدين (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عنه سبحانه و تعالى (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ثوبه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ويخبرهم (٧) راجع البحر ٨ /٤٨٧ .

و لاشك أن ذلك وزر لغوى، و هو واضح، و شرعى بالمال[1] على تقدير ترك الامتثال اللازم للاستثقال، و قد أعاذه الله من ذلك.

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: معنى[2] هذه السورة من معنى السورة قبلها، و حاصل السورتين تعداد نعمه[3] سبحانه و تعالى عليه[3]، فان قلت: فلم فصلت[4] سورة ألم نشرح و لم ينسق ذكر هذه النعم فى سورة واحدة، / قلت: من المعهود فى البشر فيمن عدد على ولده أو عبده نعما أن يذكر له أولا ما شاهد الحصول عليه منها بسببه مما يمكن أن يتعلق فى بعضها بأن ذلك وقع جزاء لا ابتداء، فاذا استوفى له ما قصده من هذا[5]، أتبعه بذكر نعم ابتدائية قد كان ابتداؤه بها قبل وجوده[6] كقول الأب مثلا لابنه: ألم أختر لأجلك الأم و النفقة حيث استولدتك و أعددت من مصالحك كذا و كذا، و نظير ما أشرنا إليه [بقوله -[7]] سبحانه لزكريا عليه الصلاة و السلام "و لم تك شيئا" و قد قدم له "انا نبشرك بيحيى" و توهم استبداد الكسبية فى وجود الولد[8] غير خافية (؟) فى حق من قصر نظره و لم يوفق فابتدئ بذكرها ثم أعقب بما لا يمكن أن يتوهم فيه ذلك، و هو قوله "و قد خلقتك من قبل و لم تك شيئا" و له نظائر من الكتب و عليه جاء ما ورد فى هاتين السورتين -

/ ٧٩١

(١) من م، و فى الأصل و ظ: فى المال (٢) من ظ و م، و فى الأصل: يعنى. (٣-٣) فى م: عليه سبحانه و تعالى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فصلتا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: هذه (٦) من ظ و م، و فى الأصل: وجودها (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: البلد.

و الله أعلم - انتهى .

و لما شرفه فى نفسه بالكمال الجامع [1]للجلال إلى الجلال[1]، و كان ذلك لايصفو إلا مع الشرف عند الناس قال : ﴿و رفعنا﴾ أى بما لنا من العظمة [2]و القدرة الباهرة[2] ﴿ لك ﴾ أى خاصة رفعة تتلا شى عندها رفعة غيرك من الخلق كلهم[3] ﴿ ذكرك [5]﴾ عند جميع العالمين العقلاء و غيرهم بالصدق و الأمانة و الحلم و الرزانة و مكارم الأخلاق و طهارة الشيم و انتفاء[4] شوائب النقص حتى [ما -[5]] كانت شهرتك عند قومك قبل النبوة إلا الأمين ، و كانوا يضربون المثل بشمائلك الطاهرة ، و أوصافك الزاهرة الباهرة ، ثم بالنبوة [6]ثم بالرسالة ثم بالهجرة ، و بأن جعلنا اسمك مقرونا باسمنا فى كلمة [7]التوحيد و[7] الإيمان و الأذان و الإقامة و التشهد و الخطبة ، فلا أذكر إلا و ذكرت[6] معى ، و من الكرامة الظفر على أعدائك و الكرامة لأوليائك ، و جعل[7] رضاك رضاى و طاعتك طاعتى ، و أمر[8] ملائكتى بالصلاة عليك ، و مخاطبتى لك بالألقاب العلية و السمات المعزة المعلية من الرسول و النبى ، و نحو ذلك على حسب الأساليب و مناسبات التراكيب إلى غير ذلك من فضائل و مناقب و شمائل لا تضبط بالوصف ، [9]قال الرازى : ثم جعل لأمته من ذلك أوفر الحظ ، قيل : يا رسول الله ،

(١ - ١) من ظ و م ، و فى الأصل : للجمال و الجلال (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) سقط من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : انعقاد (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تذكر (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : جعلت (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : امرت (٩) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها .

من أولياء الله؟ قال: الذين [إذا -[1]] ذكروا ذكر الله. [و فى حديث: الذين إذا رؤا ذكر الله -[1]]. و قال: خياركم من تذكر[2] الله رؤيته، و يزيد فى علمكم منطقه، و يزهدكم فى الدنيا[3] عمله. فنتهى قسمة الثناء أن خلط ذكره بذكره.

و لما ذكر هذه المآثر الشريفة التى هى[4] الكمال، و كان الكمال ٥ لا يصفو إلا مع مساعدة الأقدار، فان الهمم إذا عظمت [اتسعت -[1]] مجالاتها، فاذا حصل فيها تعطيل حصل فيها[5] نكد على حسبه، بين أنه أزال عنه/ العوائق فى عبارة دالة على أن سبب المنحة بهذه ٧٩٢/ الكمالات هو ما كان صلى الله عليه و سلم فيه من الصبر على الأكدار، و تجرع مرارات الأقدار، فقال مؤكدا ترغيبا فى حمل مثل ذلك رجاء فى ١٠ الإثابة بما يليق من هذه المعالى مبالغا فى الحث على تحمله بذكر المعية إشارة إلى تقارب الزمنين بحيث أنهما كانا كالمتلازمين[6] مسببا عما مضى ذكره من حاله فى الضحى: ﴿فان﴾ أى فعل بك سبحانه هذه الكمالات الكبار بسبب أنه قضى فى الأزل قضاء لا مرد له [و لا معقب -[1]] لشىء منه أن ﴿مع العسر﴾ أى [هذا -[2]] النوع خاصة ﴿يسرا﴾ ١٥ أى عظيما جدا يجلب به المصالح و يشرح به ما كان قيده من القرائح، فان أهل البلاء ما زالوا ينتظرون الرخاء علما منهم بالفطرة الأولى التى

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: يذكر (٣) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل: فى كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) سقط من م (٦) فى ظ: كالمتلاصقين، و فى م: كالمتلازقين (٧) زيد من م.

فطر الناس عليها أنه[1] المتفرد بالكمال، و أنه الفاعل بالاختيار لنسمه الكوائن بأضدادها، و قد أجرى سنته القديمة سبحانه و تعالى بأن الفرج مع الكرب، فلما قاسى صلى الله عليه و سلم مما ذكر فى الضحى من اليتم الشديد و ضلال قومه العرب خاصة كلهم الذين ألهمه الله تعالى مخالفتهم

٥ فى أصل الدين بتجنب الأوثان، و فى فرعه بالوقوف مع الناس فى الحج فى عرفة[2] موقف إبراهيم عليه الصلاة و السلام، و من العيلة ما لم يحمله أحد حتى كان بحيث يمتن سبحانه و تعالى عليه بانقاذه منه فى كتابه القديم و ذكره الحكيم، و كان مع تحمل ذلك قائما بما يحق له من الصبر و يعلو إلى معالى الشكر، فيحمل - كما قالت الصديقة الكبرى خديجة

١٠ رضى الله تعالى عنها[3] - الكل، و يقرى الضيف، و يصل الرحم، و يعين على نوائب الحق، ثم حمل أعباء النبوة فكان يلقى من قومه [من -[4]] الأذى و الكرب و البلاء ما لم يحمله غيره، بشره الله تعالى بأنه ييسر له جميع ذلك و يلين قلوبهم فيظهر دينه على الدين كله، و يغنى أصحابه رضى الله عنهم بعد عيلتهم، و يكثرهم بعد قلتهم، و يعزهم بعد ذلتهم،

١٥ و يصير هؤلاء المخالفون[5] له أعظم الأعضاد، و ينقاد له المخالف أتم انقياد، و يفتح له أكثر البلاد، ليكون هذا العطاء فى اليسر بحسب ما كان وقع

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بأنه (٢) من ظ و م، و فى الاصل: العمرة.
(٣) زيد فى الأصل: وارضاها ورضى عن والدها، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المحلفون.

من[1] العسر، فانه قضى سبحانه و تعالى قضاء لايرتد أنه يخالف بين الأحوال، دليلا قاطعا على أنه تعالى وحده الفعال، و أن[2] فعله بالاختيار، لا بالذات و الإجبار.

و لما كان العسر مكروها إلى النفوس، و كان لله سبحانه و تعالى فيه حكما عظيمة، و كانت الحكم لا تتراءى إلا للأفراد من العباد، كرره ٥ سبحانه و تعالى/ على طريق الاستئناف لجواب من يقول: و هل[3] بعده من عسر؟ مؤكدا له ترغيبا فى أمره ترقبا لما يتسبب عنه مبشرا بتكريره مع وحدة العسر و إن كان حمل كل [واحد -[4]] منهما على شيء غير ما قصد به الآخر ممكنا فقال: ﴿ان مع العسر﴾ أى المذكور فانه معرفة، و المعرفه إذا أعيدت معرفة كانت غير الأولى سواء أريد العهد ١٠ أو الجنس ﴿يسرا[5]﴾ أى آخر لدفع المضار والمكاره، فان النكرة إذا أعيدت نكرة احتمل أن تكون غير الأولى، و قد قال النبي صلى الله عليه و سلم أنها غيرها، فقال[6] الحسن البصرى[6]: إن الآية لما نزلت قال النبي صلى الله عليه و سلم: أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين. و قد روى هذا من أوجه كثيرة، و روى عبد الرزاق عن ابن مسعود رضى الله عنه ١٥ قال[6]: لو كان العسر فى جحر ضب لتبعه اليسر حتى يخرجه. [و للطبرانى عنه رضى الله عنه قال[7]: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: لو كان

/ ٧٩٣

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: انه (٣) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: و قال (٦) راجع الدر المنثور ٦ / ٣٦٤.
(٧) راجع مجمع الزوائد ٧ / ١٣٩.

العسر فى جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه -[1]] ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه و سلم الآية، قال الحافظ نور الدين الهيثمى: و فيه أبو مالك[2] النخعى و هو ضعيف، و رواه الطبرانى أيضا فى الأوسط و البزار عن أنس رضى الله عنه بنحوه، قال الهيثمى: و فيه عائذ بن شريح و هو ضعيف، و روى الفراء عن الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه و سلم خرج ذات يوم و هو يضحك و يقول: لن يغلب عسر يسرين، و روى عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن الحسن به مرسلا، و من طريقه أخرجه الحاكم و البيهقى فى الشعب [و -[3]] رواه الطبرى[4] من طريق ابن ثور عن معمر، و رواه ابن مردويه من طريق أخرى موصولا و إسناده ضعيف، و فى الباب عن عمر ذكره مالك فى الموطأ[5] عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر رضى الله عنه أنه بلغه أن أبا عبيدة رضى الله عنه حصر بالشام فكتب إليه كتابا[6] فيه «و لن يغلب عسر يسرين» و من طريقه رواه الحاكم، قال ذلك شيخنا ابن حجر فى تخريج أحاديث الكشاف، و قال: و هذا أصح طرقه - انتهى، و هذا من جهة أن اليسر نكرة و العسر معرفة، و قد اشتهر أن النكرة إذا أعيدت نكرة فالثانى غير الأول، و المعرفة بالعكس، قال الشيخ سعد الدين التفتازانى فى أول تلويحه[7] فى الكلام على[7] المعرفة و النكرة[8]:

(١) زيد من ظ و المجمع (٢) فى المجمع: ابراهيم (٣) زيد من ظ (٤) راجع ٢٩ / ١٣٠ (٥) راجع ص ١٦٧ (٦) من ظ وم، و فى الأصل: كتابه (٧-٧) من ظ وم، وفى الأصل: على الكلام فى (٨) راجع ص ١٥١ (التوضيح و التلويح).

و الكلام فيما إذا أعيد اللفظ الأول إما مع كيفيته من[1] التنكير و التعريف أو بدونها ، و حينئذ[2] يكون طريق التعريف هو اللام أو الإضافة ليصح إعادة المعرفة نكرة و بالعكس ، و تفصيل ذلك أن المذكور أولا إما أن يكون نكرة أو معرفة ، و على التقديرين إما أن يعاد نكرة أو معرفة فيصير أربعة أقسام ، و حكمها أن ينظر إلى الثانى ، فان كان ٥ نكرة فهو مغاير للأول ، و إلا لكان المناسب هو التعريف بناء على كونه معهودا سابقا بالذكر ، إن كان معرفة فهو الأول حملا له على المعهود الذى هو الأصل فى اللام / و الإضافة ، و ذكر فى الكشف أنه إذا ٧٩٤ / أعيدت النكرة نكرة فالثانى مغاير للاول و إلا فعينه[3] فان المعرفة تستغرق الجنس ، و النكرة تتناول البعض ، فيكون داخلا فى الكل سواء قدم ١٠ أو أخر ، و فيه نظر ، أما أولا فلان التعريف لا يلزم أن يكون للاستغراق بل العهد[4] هو الأصل ، و عند تقدم المعهود لايلزم أن تكون النكرة عينه ، و أما ثانيا فلان معنى كون الثانى عين الأول أن يكون المراد به هو المراد بالأول ، و الجزء بالنسبة إلى الكل ليس كذلك ، و أما ثالثا فان[5] إعادة المعرفة نكرة[6] مع مغايره الثانى للأول كثير فى ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : مع (٢) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لكان بعينه (٤) زيد فى الأصل و ظ : و للعهد ، و لم تكن الزيادة فى م و التلويح فحذفناها (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : فلان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تكون .

الكلام، قال الله تعالى "ثم آتينا موسى الكتاب تماما" إلى قوله "و هذا كتاب انزلناه" و قال تعالى "اهبطوا بعضكم لبعض عدو" و قال تعالى "و رفع بعضكم فوق بعض درجات" إلى غير ذلك، و قال غيره[1]: "يسالك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء" و منه قول الشاعر:

٥ إذ[2] الناس ناس و الزمان زمان

فان الثانى لو كان عين الأول لم يكن فى الإخبار به[3] فائدة - انتهى.

قال: و اعلم ان المراد أن هذا هو الأصل عند الإطلاق و خلو المقام[4] عن القرائن[5] و إلا فقد تعاد النكرة نكرة مع عدم المغايرة كقوله تعالى "و هو الذى فى السماء اله و فى الارض اله" "و قالوا لولا نزل [عليه -[6]] آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل اية"

١٠ "ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا و شيبة" يعنى قوة الشباب، و منه باب التأكيد اللفظى، و قد تعاد النكرة معرفة مع المغايرة كقوله[7] تعالى "و هذا كتاب انزلناه مبارك" إلى قوله "[ان تقولوا -[8]] انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا" و قال

١٥ غيره: "فلا جناح عليهما أن يصلحا[9] بينهما صلحا و الصلح خير" المراد

(١) من ظ و م، و فى الأصل: تعالى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اذا.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: عنه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المكان.
(٥) من م، و فى الأصل و ظ: القرنين (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بقوله (٨) زيد من م (٩) من م، و فى الأصل و ظ: يصالحا.

بالنكرة

بالنكرة خاص و هو الصلح بين الزوجين، و بالمعرفة عام فى كل صلح جائز " زدناهم عذابا فوق العذاب " فان الشيء لا يكون فوق نفسه - انتهى. قال: و قد تعاد المعرفة معرفة مع المغايرة كقوله تعالى [" و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب " و قال غيره -[1]]: " قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء " الأول عام و الثانى خاص، ٥ " هل جزاء الإحسان الا الإحسان " الأول العمل و الثانى الثواب " وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس " الأولى القاتلة و الثانية المقتولة - انتهى، قال: و قد تعاد المعرفة نكرة مع عدم المغايرة كقوله تعالى " انما الهكم الله واحد " و مثله كثير، و المعرفة مثل النكرة فى حالتى[2] الإعادة معرفة و الإعادة نكرة فى أنها إن / اعيدت معرفة كان الثانى هو الأول، ١٠ / ٧٩٥ و إن أعيدت نكرة كان غيره، ثم مثل بالآية التى هنا، و قال: وهذا مبنى على [أن -[1]] تنكير " يسرا[3] " للتفخيم و تعريف العسر[4] للعهد، أى العسر الذى أنتم عليه أو الجنس [أى -[1]] الذى يعرفه كل أحد، فيكون اليسر الثانى مغايرا للأول بخلاف العسر - انتهى. و قال فى الكشاف: و أما اليسر فنكر متناول لبعض [الجنس -[1]]، فاذا[5] كان الكلام الثانى ١٥ مستأنفا عن منكر تناول بعضا غير البعض الأول بغير الإشكال.

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و التلويح، و فى الأصل: حاله النكرة فى، و فى م: حالة (٣) فى ظ و م: يسر (٤) من ظ و م. و فى الأصل: اليسر (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فان.

و لما علم من هذا أن المواد تكون بحسب الأوراد الشداد لما على الممدود من الشكر، و لما علم للشاكر[1] من الوعد بالمزيد، قال مسببا عما أعطاه من اليسر بعد ذلك العسر ندبا له[2] إلى الشكر و إعلاما بأنه لاينفك عن تحمل أمر فى الله: ﴿ فاذا فرغت ﴾ أى بما أتاك من اليسر يسر من جهادك الذى أنت فيه فى وقت المخاطبة بهذا الكلام مما يوجب عسرا[3] فى المآل أو الحال، وعقبه العسر فى [أى -[4]] موضع كان لاسيما عند دخول الناس فى الدين أفواجا، أو من العبادة الثقيلة العظيمة بسماع الوحى و تحمله، أو من الغرض بالتيسير الذى بشرناك به ﴿ فانصب ﴾ أى بالغ فى التعب بعبادة أخرى من التسبيح و الاستغفار، أو النفل لمن أولاك هذا المعروف ﴿ و الى ربك ﴾ أى المحسن إليك بما ذكر فى هاتين السورتين [خاصة -[4]] ﴿ فارغب ﴾ أى بالسؤال لأنه القادر وحده كما قدر على تربيتك فيما مضى وحده، لأنه المختص بالعظمة، فلا قدرة أصلا إلا لمن يعطيه ما يريده منها، و الرغب شعار العبد دائما فى كل حال أى افعل ذلك، ألم نشرح لك صدرك؟ فقد اتصل هذا الآخر بالأول[6] اتصال المعلول بالعلة، و لاءم ما بعدها بذلك أيضا بعينه

(١) من ظ و م، و فى الأصل: من الشاكر (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل. ندباه (٣) من م، و فى الأصل و ظ: عسر (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: وقد (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: الأول بالآخر.

ملاءمة الشمس بالأهلة ، و آخر هذه السورة مشير[1] إلى الاجتهاد فى العبادة عند الفراغ من جهاد الكفار فى جزيرة العرب بعد انقضاء ما يوازى عدد آى هذه السورة من السنين بعد الهجرة ، و هى ثمان ، رغبة فى الأخرى التى هى [خير -[2]] من الأولى ، إشارة إلى قرب الأجل بما أشارت إليه سورة النصر - إكما سيأتى إن شاء الله تعالى . ٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مشيرا (٢) زيد من ظ و م .

سورة التين[١]

مقصودها [سر -[٢]] مقصود "ألم نشرح" و ذلك هو إثبات[٣] القدرة الكاملة و هو المشار إليه باسمها، فان فى خلق التين و الزيتون من الغرائب ما يدل على ذلك، و كذا فيما أشير إليه بذلك من النبوات، و ضم القسم إلى المقسم عليه و هو الإنسان، الذى هو أعجب ما فى الأكوان، [واضح -[٢]] فى ذلك / ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الذى لا نعبد[٤] إلا إياه ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بنعمة إيجاده و بيانه جميع خلقه أسفله و أعلاه [و أدناه -[٢]] و أقصاه ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص من بينهم أهل وده بما يرضاه، و أردى من عداهم[٥] و أشقاه. /٧٩٦

لما ذكر سبحانه و تعالى [فى -[٢]] تلك السورة أكمل خلقه و ما كمله به، [و -[٦]] ختمها بالأمر بتخصيصه سبحانه و تعالى بالرغبة إليه، فكان صلى الله عليه و سلم يقوم حتى تورم قدماه و يبذل[٧] الجهد لمولاه[٨] فى [كل -[٢]] ما يرضاه، ذكر فى هذه أنه سبحانه و تعالى كما جعل ذاته

(١) الخامسة والتسعون من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٨.
(٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، وفى الأصل: اشارة إلى (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لا يعدل (٥) من م، و فى الاصل: عاداهم، و فى ظ: عاداه.
(٦) زيد من م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بيده (٨) سقط من ظ و م.

أكمل

أكمل ذوات المخلوقات ، خصه بأن جعل نوعه صلى الله عليه و سلم أكمل الأنواع و هو الإنسان ، و أصله أعظم الأصول ، و هو إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، و بلده أفضل البلاد و هي مكة ، و [أن -[1]] من عاداه بمنابذة شرعه أسفل الخلق . و أن له سبحانه و تعالى تمام القدرة ، و هو فاعل بالاختيار ، يعلى من يشاء و يسفل من يشاء ، فمنزلتها من آخر تلك [2]منزلة العلة من[2] المعلول ، و أقسم فيها بأشياء أشار بها إلى شرفها فى أنفسها و فى عجيب صنعها و شرف البقاع التى يكون بها إيماء إلى ما شرفها به مما أظهر بها من الخير و البركات بسكنى الأنبياء صلوات الله و سلامه عليهم أجمعين ، و الصالحين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ، فكانت مهاجر إبراهيم ومولد عيسى و أكثر الأنبياء عليهم الصلاة و السلام و منشأهم ، و كان منها مظهر نبوة موسى ، و مظهر نبوة إسماعيل عليهما الصلاة و السلام و ولده خاتم الأنبياء الكرام - عليه أفضل الصلاة و السلام ، و مكان البيت الذى هو قوام للناس ، و هدى للعالمين - إلى غير ذلك من الإشارات الظاهرات و الدلالات الواضحات على تمام قدرته و فعله[3] بالاختيار ، لأنه يعلى من يشاء من العقلاء و غيرهم من البقاع و غيرها على أحسن تقويم[4] ، و يسفل [من يشاء -[1]] من ذلك كله إلى أسفل سافلين .

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المنزلة عن (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : علمه (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : تقوم .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : هذه سورة موضحة و متممة[1] للمقصود فى السورتين قبلها ، فبان لك أن الصورة الإنسانية بظاهر الأمر - بما [هى -[2]] عليه من الترتيب و الإتقان - قد كانت تقتضى الاتفاق[3] بظاهر ارتباط الكمال [بها -[4]] من حيث أنها فى أحسن تقويم ، و الافتراق يبعد فى الظاهر ، فكيف افترق الحكم و اختلف السلوك ، فمن صاعدٍ بالاستيضاح و الامتثال ، و نازلٍ[5] أسفل سافلين فضلا عن ترقى بعض درجات الكمال ، فاذًا ليس يرقى من خص بمزية التقريب إلا لأنه نودى من قريب فأسرع فى إجابة مناديه و اصاخ ، و ما اعتل بحاديه فسلك من واضحات السبيل ما رسم له . و بنى [على -[6]] ما كتب له من ذلك عمله "و لو شئنا لآتينا كل نفس هداها" / فعلى العاقل المنصف فى نفسه أن يعلم أن كلا[6] ميسر لما خلق له فيضرع إلى خالقه فى طلب الخلاص « من وجد خيرا فليحمد الله » فأوضحت هذه السورة أن ما أعطى الله نبيه صلى الله عليه و سلم و خصه به من ضروب[7] الكرامات و ابتدأه به من عظيم الآلاء مما تضمنته السورتان إلى ما منحه من خير الدارين و ما تضمنه . قسمه له سبحانه و تعالى أنه ما ودعه و لا قلاه من الملاطفة و التأنيس و دلائل الحب و التقريب - كل ذلك فضلا[8] منه سبحانه و تعالى و إحسانا[9] لا لعمل

٧٩٧ /

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : مهمة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ ، و فى الأصل و م : الاتقان (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نال (٥) زيد من م . (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كل (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ضروبات . (٨) فى ظ : فضل (٩) فى ظ و م : احسان .

تقدم يستوجب ذلك أو بعضه، و لو تقدم عمل لم يقع إلا بمشيئته، و توفيقه و إرادته، و لايستوجب أحد عليه شيئا، و إنما [هو -[1]] فضله يؤتيه من يشاء، فقال سبحانه و تعالى منبها على ما وقع الإيماء إلى بعضه "لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم" و مع ذلك لا ينفعه وقوع صورته الظاهرة فى عالم الشهادة على أكمل خلق و اتم وضع ٥ بل إذا لم يصحبه [توفيق -[1]] و سبقته سعادة من خالقه و لم يجعل له نور[2] يمشى به لم يرغير نفسه و لاعرف إلا ابناء جنسه. فقصر نظره على أول ما شاهد، و وقف عند[3] ما عاين من غير اعتبار يحده إلى تحقق[4] مآله و تبين حاله أنه لم يكن شيئا مذكورا، فلما قصر و ما أبصر اعتقد لنفسه الكمال، و عمى عن المبتدأ و المآل، فصار أسفل سافلين حيث لم ينتفع ١٠ بالآيات نظره، و لا تعرف حقيقة خبره، "او لم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين و ضرب لنا مثلا و نسى خلقه" ثم قال تعالى "الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فهم الذين هداهم ربهم [بايمانهم "-[5]] فجروا بسببه من خلقه فى [أحسن -[1]][6]تقويم، و استوضحوا[6] الصراط المستقيم، [7]و استبصروا[7] فأبصروا، و نظروا فاعتبروا. و قالوا: ١٥ ربنا الله ثم استقاموا، فلهم أجر غير ممنون - [انتهى -[5]] .

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ : نورا (٣) من م، و فى الأصل و ظ : على (٤) من ظ و م، و فى الأصل : تحقيق (٥) زيد من م (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل : تقوية واستوصوا (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل : فاستبصروا.

ولما كان التين أحسن الفواكه تقويما فيما ذكروا من فضيلته، و هو - مع كونه فاكهة شهية حلوة جدا - غذاء بقيم الصلب و قوت كالبر [و -[1]] سريع الهضم، و دواء كثير النفع يولد دما صالحا و ينفع الرئة و الكلى و يلين الطبع و يحلل البلغم و يزيل رمل[2] المثانة و يفتح سدد الكبد والطحال. فكان جامعا لجميع منافع المتناولات من الغذاء و التفكه و التحلي و التداوي، فهو كامل في مجموع[3] ما هو فيه من [لذة -[1]] طعمه و كثرة نفعه، و كونه كفاكهة الجنة بلا شائبة تعوق عن أكله من صنوان يتعب أو نوى يرمى، مع أنه ينتفع به رطبا و يابسا، و هو مع ذلك في سرعة فساده و سوء تغيره أسفلها رتبة و أردؤها مغبة، فهو كالفطرة الأولى [في -[1]] مبدئه سهولة و حسنا و قبولا لكل من الإصلاح و التغير، كآخر الهرم عند نهايته في عظيم تغيره بحيث [أنه -[1]] لا ينتفع بشيء منه / إذا تغير، و غيره من الفواكه إذا فسد جانب منه بقي آخر، فكان في هذا كالقسم للسافل من الإنسان أقسم الله تعالى به فقال: ﴿و التين﴾ بادئا به لأن القسم المشار [به -[1]] إليه أكثر، فالاهتمام به أكبر. /٧٩٨

و لما كان الزيتون في [عدم -[1]] فساد يطرقه أو تغير يلحقه، و فيه الدسومة و الحرافة و المرارة، و هو إدام و دواء مع تهيئه للنفع

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و في الأصل: رهل - كذا (م) من ظ و م، و في الأصل: بجميع.

بكل حال فى أكله بعد تزييته و التنور بدهنه و الادهان به لإزالة الشعث و تنعيم البشرة و تقوية العظم و شد العصب و غير ذلك من المنافع مع لدنه و ما يتبع ذلك من فضائله الجمة كالمؤمن[1] [تلاه به -[2]] فقال: ﴿ و الزيتون ﴾ و لما كان [مع -[2]] ذلك مشارا بهما إلى مواضع نباتهما و هى الأرض المقدسة من جميع بلاد الشام إيماء إلى من كان بها من الأنبياء ٥ و التابعين لهم باحسان لاسيما إبراهيم عليه الصلاة و السلام الذى[3] كانت مهاجره فأحياها[4] الله تعالى بعبادته و تردد الملائكة إليه بالوحى و من بعده أولاده الذين طهرها الله بهم من الشرك و أنارها بهم بالتوحيد، و ختمهم بعيسى عليه الصلاة و السلام أحد أولى العزم المشرف بكونه من أمة محمد صلى الله عليه و سلم و على نبينا أفضل الصلاة و السلام، و كانت ١٠ الكناية بالشجرتين عن البلد المراد به سكانه أبلغ من التصريح بالمراد من أول وهلة، ساقه على هـذا المنهج العزيز، و لم يبق ممن لم يسكنها من أشرافهم إلا موسى و هارون و إسماعيل و محمد عليهم الصلاة و السلام، فأشار[5] إلى الأولين بقوله معبرا بما يدل على أحسن التقويم [لأن-[6]] الطور الجبل ذو النبت من النجم و الشجر [المثمر - [2]] و غيره: ١٥ ﴿ و طور ﴾ أى جبل[7] المكان [المسمى - [2]] بهذا الاسم.

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: من (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: التى (٤) من م، و فى الأصل و ظ: فاحياه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: و اشار (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: جعل.

و لما كان الكلام فى التقويم، كان المناسب له صورة جمع السلامة فقال تعالى: ﴿سينين﴾ أى و ما كان بالجبل ذى النبت الحسن الذى كلم الله فيه[1] موسى عليه الصلاة و السلام من لذيذ المناجاة و عجائب[2] المواعدة و حكم الكلام مع أن فيه [من -[3]] الأشجار و الأماكن ما يكنّ من الحر و البرد، و فيه لخلوه و حسنه و علوه جمع الخاطر للتفرد و طمأنينة النفس للتخلى للعبادة و التحصن[4] بما يخشى لعلوه و صعوبته، و فيه ما يصلح للزرع من غير كلفة، وفيه ما يأكله الناس و الدواب مع الماء العذب و الفناء الرحب و المنظر الأنيق، و سنين و سيناء - اسم للوضع الذى هذا الجبل به، و أشار سبحانه و تعالى إلى الأخيرين من أولاد إبراهيم[5] عليه الصلاة و السلام ختاما[6] للقسم بأكمل المقسم به[1] كما جعل المنزل عليه ذلك [الذى -[3]] هو ختام الرسل أكمل النوع [المقسم -[3]] لأجله ليكون فى البدء[7] بما يرد / بعد حسن التقويم إلى الفساد و الختم بما هو أشرف المذكورين بكل اعتبار طباق حاز أعلى الأسرار: ﴿و هذا البلد﴾ أى مكة، صرح هنا[8] بهذين المكانين ترشيحا لأن المراد

/ ٧٩٩

(١) من ظ و م، و فى الأصل: عليه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عجيب. المساجدة (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: التحصين. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ادم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ختماء. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: البلد (٨) من ظ و م، و فى الأصل: به.

بالأولين مواضع نبتهما مع تلك الإشارة اللطيفة بذكر اسميهما إلى مناسبتهما للقسم من أجله ﴿ الامين ﴾ [أى - ١] الذى يأمن فيه من ٢ حل به من البشر و الطير و الوحش ، فكان بذلك كالرجل الأمين الذى يأتمنه آخر على نفسه و ما يعز عليه فيؤديه إليه و يوقره عليه ، و أمانته شاملة لكل ما ٣ يخشى حتى الفقر و العيلة و الجوع و تغير الدين بعد تقرره مع أن ٤ به البيت الذى جعله الله ٥ هدى للعالمين و قياما للناس فهو مدار الدين و الدنيا ، و كان به من الأسرار بالوحى و آثاره ما لم يكن فى بلد من البلاد ، و ذلك إشارة إلى أنه تعالى كما جعل النبى المبعوث منه فى [آخر - ١] الزمان فى أحسن تقويم جعله فى أحسن تقويم البلدان إذ كان آمنا من غير ملك [مرهوب - ١] و الناس يتخطفون ٦ من حوله ، و هو محل الأنس بالناس ٧ كما أن الذى قبله محل الأنس ٧ بالانفراد ، و هو مجمع المرافق و معدن المنافع و محل ذوى الوجاهة دينا و دنيا ، و محل الرفعة و المناصب ٨ مع ما حازه ٩ المكانان من تنزل الكتب السماوية و إشراق الأنوار الإلهية ٥ الدينية فيهما ، و فى ذلك تخويف [لهم - ١] بأنهم إن لم يرجعوا عن عيهم أخافه إخافة لم يخفها [بلدا - ١] من بلاد العرب

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل و ظ : حله ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : دانه (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : يخطفون (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : المتاب (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : جار .

فيكونون بذلك قد ردوا أسفل سافلين فى اللد، كما ردوا فى الأخلاق بالشقاق و اللدد .

و لما كان هذا القسم مع كونه جامعا لبدائع المصنوعات التى هى [لما ذكر -[1]] من حكمها دالة على كمال علم خالقها[2] و تمام قدرته[3] جامعا لأكثر الذين آمنوا، و كان إبراهيم عليه الصلاة و السلام لكونه أبا هم مذكورا مرتين بالأرض[4] المقدسة من القدس[5] و مكة، فتوقع أكمل الخلق و أفطنهم المخاطب بهذا الذكر المقسم عليه علما منه ببلوغ القسم إلى غايته و استوائه على نهايته، أجيب بقوله تعالى محققا : ﴿ لقد خلقنا ﴾ أى قدرنا و أوجدنا بما لنا من العظمة الباهرة الظاهرة و العزة الغالبة القاهرة ﴿ الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى جمع فيه الشهوة و العقل و فيه الأنس بنفسه ما ينسيه أكثر مهمه، و لهذا قالت الملائكة عليهم الصلاة و السلام "اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء" لأنهم علموا [أنه -[6]] إذا جمع[7] الغضب والشهوة إلى العقل جاءت المنازعة فيتولد الفساد من الشهوه و السفك من الغضب ﴿فى احسن تقويم[8]﴾ أى كائن[9] منا روحا و عقلا / أو أعم من ذلك بما جعلنا له من حسن الخلق

٧٨٠ /

(١) زيد من م (٢) زيد فى الأصل : جلت قدرته. ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : احاطته بكل شىء (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : فى الأرض (٥) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م، وفى الأصل : جميع (٨) من ظ و م ، وفى الاصل : كائنا .

و الخلق بما خص به من انتصاب القامـــة و حسن الصورة و اجتماع خواص الكائنات و نظائر سائر الممكنات بعد ما شارك فيه غيره من السمع و البصر و الذوق و اللمس و الشم[1] الجوارح التى هيأته لما خلق له حتى قيل أنه العالم الأصغر كما مضى بسط ذلك فى سورة الشمس ، ثم ميزناه بما أودعناه[2] فيه بما جعلناه عليه من الفطرة الأولى التى لا تبديل لها من الطبع الأول السليم الذى هيأناه به [3] و قويناه بقدرتنا[3] لقبول الحق ، و بمثل ما قلته فى حمل الآية على الفطرة الأولى[1] قال الأصفهانى فى تفسير " كان الناس أمة واحدة" فى البقرة ، [و -[4]] قال ابن رجان هنا : مفطور على فطرة الإسلام الدين القيم ، ثم لما منحناه به من العقل المدرك القويم ، فكما جعلنا له شكلا يميزه عن سائر الحيوان منحناه عقلا يهديه إلى العروج عن درك النيران إلى درج الجنان بالإيمان و الأعمال الصالحة البالغة نهاية الإحسان ، بدليل من فيه من الأنبياء الذين أكملهم [محمد -[5]] على جميعهم أفضل الصلاة و السلام و التحية و الإكرام و التابعين لهم باحسان[6] الذين ملأوا الأرض علما و حكمة و نورا ، قال البغوى[7] : خلقه سبحانه و تعالى مديد القامة يتناول مأكوله بيده مزينا

(١) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الاصل : اودعنا (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م (٤) زيد من م. (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بالاحسان (٧) راجع المعالم ٧/٢٢١ .

بالعقل و التمييز - انتهى ، و العقل [1]هو المقصود فى الحقيقه[1] من الإنسان لأن من أسمائه اللب ، و من المعلوم أن المقصود من [كل -[2]] شيء لبه و هو الشرع كما مضى فى آخر النساء ، و الظاهر أن عقول الناس بحسب الخلق متقاربة[3] و [أنها -[2]] إنما تفاوتت[4] بحسب الجبلة فبعضهم

٥ جعل سبحانه و تعالى عنصره و جبلته فى غاية الفساد فلا تزال جبلته تردى على عقله فيتناقص إلى ان يصير إلى أسوء الأحوال ، فكل ميسر لما خلق له ، و بعضهم يصرف عقله بحسب ما هيأه الله له إلى ما ينجيه ، و بعضهم يصرفه لذلك إلى ما يرديه ، لأنك تجد أعقل الناس فى شيء و أعرفهم به أشدهم بلادة فى شيء آخر ، و أغباهم فى شيء أذكاهم فى شيء آخر -

١٠ فاعتبر ذلك[5] ، و بـذلك انتظم أمر الخلق فى أمر معاشهم بالعلوم و الصنائع و الأحوال - و الله الهادى ، و هذه الآية تدل على أن الله سبحانه و تعالى منزه عن التركيب و الصورة لأنه لو كان فى شيء منهما لكان هو الأحسن لأن كل صفة يشترك فيها الخلق[6] و الحق فالمبالغة للحق كالعالم و الأعلم و الكريم و الأكرم - قاله[7] الأستاذ أبو القاسم القشيرى

١٥ فى تفسيره ، و صيغة "أفعل" لا تدل على ما قاله الزنادقة ، و إن عزى ذلك

(١-١) من م ، و فى الأصل : فى الحقيقة هو المقصود (٢) زيد من ظ و م .
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : متفاوتة (٤) من ظ و م ، و فى الاصل : تتفاوت .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بذلك (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : الحق .
(٧) من ظ و م ، و فى الأصل : قال .

[1]إلى بعض[1] الأكابر [2]من قولهم[2] : / ليس فى الإمكان أبدع مما كان، لأن ٨٠١ /
الدرجة الواحدة تتفاوت إلى ما لا يدخل تحت حصر كتفاوت أفراد
الإنسان فى صوره و ألوانه، و غير ذلك من أكوانه و بديع شأنه، و قد
بينت ذلك فى تصنيف مفرد لهذه الكلمة سميته : تهديم الأركان من
"ليس فى الإمكان أبدع مما كان"، [و أوضحته غاية الإيضاح و البيان، ٥
و جرت فيه فتن تصم الآذان، و نصر الله الحق بموافقة الأعيان، و قهر
أهل الطغيان، ثم أردفته بكتاب « دلالة البرهان على أن فى الإمكان
أبدع مما كان » -[3]] ثم شفيت الأسقام، و دمغت الأخصام، و خسأت
الأوهام، بالقول الفارق بين الصادق و المنافق، و هو نحو ورقتين فى
غاية الإبداع فى قطع النزاع. و يمكن أن تكون صيغة[4] أفعل مفيدة ١٠
[بالنسبة -[3]] إلى شىء أراده الله بحيث أن تتفطن له [نحن -[3]] لأن
من المجمع عليه عند أهل السنة و صرح به الأشعرى و غيره فى غير موضع
من كتبهم أن الله تعالى لا تتناهى مقدوراته، و ممن صرح بما صرح
به الأشعرى و أكثر فيه الإمام حجة الإسلام الغزالى فى كتبه[5] الإحياء
و غيره و لاسيما كتابه « تهافت الفلاسفة » و بين أن هذا من قواعدهم ١٥
لنفيهم صفة الإرادة [6]و قولهم[6] بأن فعله بالذات، و بين فساد ذلك،

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل : لبعض (٢ - ٢) من ظ و م، و فى الأصل : لقولهم (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل : صفة. (٥) من ظ و م، و فى الأصل : كتابه (٦-٦) تكرر ما بين الرقمين فى الاصل فقط.

و انه سبحانه و تعالى قادر على اختراع [عالم -[1]] آخر و ثالث متفاوتة بالصغر و الكبر، و على كل ممكن، و عرف أن الممكن هو المقدور عليه، و أنه يرجع إلى المقدور عليه أيضا ممكن، و عرف الممتنع بأنه إثبات الشيء مع نفيه، و إثبات الأخص مع نفى الأعم، و إثبات الاثنين مع نفى الواحد، و قال: و ما لايرجع إلى ذلك فهو ممكن، فدخل فيه[2] عالم أبدع من هذا العالم - و الله الموفق [3]لما يريد[3] .

و لما كان الإنسان مع هذه المحاسن قد سلط الله سبحانه و تعالى عليه شهوات و هيأ طبعه لرذائل و أخلاق دنيئات، و أهوية و حظوظ للأنفس مميلات، و كان أكثر الخلق[4] بها هالكا لتبين قدرة الله سبحانه و تعالى، لم يستثن[5] بل حكم على الجنس كله بها[6] كما حكم عليه بالتقويم، فقال تعالى دالا بأداة التراخى على أن اعوجاجه بعد ذلك العقل الرصين و الذهن الصافى المستنير فى غاية البعد لولا القدرة الباهرة و القوة القاسرة القاهرة: ﴿ثم رددناه﴾ اى بما لنا من القدرة الكاملة و العلم الشامل، فعطل منافع ما خلقناه[7] له فضيع نفسه و فوّت أسباب سعادته[8] و نكسناه نحن فى خلقه، فصار بالأمرين فى خلقه و خلقه نفسا و هوى أو أعم

(١) زيد من م (٢) من م، و فى الأصل وظ: عليه (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الخلائق (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لم يستثن (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بهما (٧) من ظ و م، و فى الأصل: خلقنا (٨) من ظ و م، و فى الأصل: سعادات و نخشاه - كذا.

من ذلك بالنكس[1] ﴿اسفل سافلين﴾ أى إلى ما تحت رتبة الجمادات المستقذرات، فصار يعمل الأعمال السيئات المقتضية بعد حسن الجمع لغاية الشتات[2]، أما رده فى خلقه فبأن سلطنا عليه الشهوات التى ركبناها فى النفوس، و جعلناها داعية / إلى كل بؤس، فغلبت على عقله فأعمته حتى ٨٠٢/
أوردته[3] الموارد، و أوقعته فى المهاوى و المعاطب، حتى انه ليركب كثيرا[4] ٥
من أموره و هو قاطع بأنه باطل شنيع. لايقدم على مثله عاقل، فصار يعبد من دون الله ما [هو -[5]] دون البشر بل و مطلق الحيوان مما لاضر فيه و لانفع، [6]و صار يركب[7] الظلم و العدوان و الإفك و البهتان، و ما لايحصى بالعد من أنواع الفواحش و العصيان، و يظلم أبناء جنسه و غيرهم، و يجتهد فى الفجور، و يتصرف بما[7] لايشك[8] هو فى أنه لايقره ١٠
عليه من له أدنى نظر ممن يلزمه أمره[9] و يعنيه شأنه، فصار بذلك أحط رتبة من البهائم بل من أدنى الحشرات المستقذرات لأنها و إن كانت لها شهوات إلا أنها ليس لها عقل تغطيه بها و تطمس نوره بظلامها، فلا تنسب إلى أنها فوّتت شيئا لعدم تكليفها لعدم العقل الموجب للشرف، و أما هو فاستعمل ما خلقناه له من الآلات، و ما فضلناه به من الكمالات، ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بالكسر (٢) من ظ و م، و فى الأصل: استتات - كذا (٣) زيد فى الأصل: فى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: كثير (٥) زيد من ظ (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: فصار (٧) من ظ و م، فى الأصل: فيما (٨) زيد فى الأصل: فيه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: امره.

فى غير ما خلقناه له فاستحق[1] العذاب المهين ، ثم يموت من[2] غير مجازاة على[3] شيء من ذلك أو على كثير منه[4] ، فلا بد فى الحكمة حينئذ من بعثه ، و له بعد البعث عند ربه على ذلك عذاب مقيم . و أما فى خلقه فبالهرم حتى صار بعد تلك القوى ضعيفا ، و بعد ذلك العز ذليلا مهينا ، و بعد ٥ ذلك العلم الغزير و الفكر المنير لا يعلم شيئا ، و صار يستقذره[5] و ينكره من كان يألفه و يستعطره ، و قال ابن برجان : أما رده فى طريق الديانة فبالكفر و التكذيب ، و أما فيما سبيله الجزاء فبالمسخ فى دار البرزخ و تحويل صورته إلى ما غلب[6] عليه خلقته و عمله فى[7] الدنيا من الدواب و الهوام و البهائم ، و فى الآخرة تزرق عيناه و يشوه خلقه[8] ، و قال ١٠ الإمام ابو العباس الأقليشى[9] فى شرح «المقدم المؤخر» من شرحه للاسماء الحسنى : إن الله تعالى خلقه - أى الإنسان - أولا فى أحسن تقويم . ثم ركبه فى هذا الجسم الذى يجذبه إلى أسفل سافلين[10] ، فان قدم عقله على هواه صعد إلى أعلى عليين ، و كان من المقربين المقدمين ، و إن قدم هواه هبط إلى أدراك الجحيم ، و كان من المبعدين المؤخرين .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فلان قد استحق (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : على (٣) من ظ ، و فى الأصل و م : من (٤) زيد فى الأصل و ظ : بل ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : قلب (٧) زيد فى الأصل : دار ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : خلقته (٩) راجع معجم المؤلفين ١٨١/٢ (١٠) من ظ و م ، و فى الاصل : السافلين .

و لما حكم بهذا الرد على جميع النوع إشارة إلى كثرة المتصف به منهم، و كان الصالح قليلا جدا، جعله محط الاستثناء فقال: ﴿الا الذين امنوا﴾ أى بالله و رسله[1] فكانوا [من -[2]] ذوى البصائر و المعارف، فغلبنا بلطفنا عقولهم بما دعت إليه و أعانت عليه الفطرة الأولى على شهواتهم، و حميناهم[3] من أرذل / العمر، فكانوا [كلما -[4]] زدناهم ٥ / ٨٠٣ سنا زدنا أنوار عقولهم و نقصنا نار شهواتهم بما أضعفنا من إحكام طبائعهم و تعلقهم بهذا العالم، و أحكمنا من مدارك أنوار الحق و إشراقاته[5] منهم، و أعظمنا من قوى أرواحهم.

و لما كان الإنسان قد يدعى الإيمان[6] كاذبا قال: ﴿و عملوا﴾ أى تصديقا لدعواهم الإيمان ﴿الصلحت﴾ أى من محاسن الأعمال من[7] ١٠ الأقوال و الأفعال ثابتة الأركان على أساس الإيمان، محكمة بما آتيناهم من العلم غاية الإحكام، متقنة غاية الإتقان. فانا حفظناهم - و قليل ما هم - بما كملناهم به و شرفناهم على جميع الحيوانات و سائر من سواهم فلم نمكن منهم الشهوات و لاغيرها، و أقمناهم[8] على ما اقتضاه منهاج العقل، فتبعوا الرسل بسبب إبقائنا لهم على الفطرة الأولى فى أحسن تقويم، لم يدنس ١٥ محياها بشهوة و لاحظ و لاهوى، فسهل انقيادهم، فأداهم ذلك إلى العدل

(١) من ظ و م، و فى الأصل: رسوله (٢) زيد من م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: حمياتهم (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اشراقاتنا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الان (٧) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٨) فى ظ و م: اقمنابهم

و النصفة و الإحسان، و جميع مكارم الأخلاق و معالى الأمور، و لم يزيغوا عن [منهاج -[1]] الرسل فى قول ولا عمل، فالآية [كما ترى -[1]] من الاحتباك: حذف أولا بما أفهمته الآية عمل السيئات. و ثانيا الإبقاء على أصل الخلق فى أحسن تقويم على الفطرة الأولى، ليكون نظمها فى الأصل: "ثم رددناه أسفل سافلين[2]" بعمل السيئات فله على ذلك[3] عذاب مهين "الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات" فانا أبقيناهم على الفطرة الأولى فى[4] أحسن تقويم.

و لما كان السياق لمدح المؤمنين، حسن أن يعد أعمالهم التى تفضل عليهم بها سببا كما منّ عليهم به من الثواب[5] فقال: ﴿فلهم﴾ أى فتسبب عن ذلك أن كان لهم فى الدارين على ما وفقوا له مما يرضيه سبحانه و تعالى ﴿اجر﴾ أى عظيم جدا وهو مع ذلك ﴿غير ممنون﴾ أى مقطوع أو يمن عليهم به حتى فى حالة المرض و الهرم [لكونهم -[1]] سعوا فى مرضاة الله سبحانه و تعالى و عزموا عزما صادقا أنهم لا ينقصون من أعمال البر ذرة و[6] لو عاشوا مدى الدهر، و ذلك الأجر جزاء لأعمالهم فضلا منه بالأصل[7] و الفرع حتى انهم إذا عجزوا بالهرم كتب لهم أجر ما كانوا يعملون فى حال الصحة، و لمن تابع هواه فى السفول عذاب عظيم لأنه رد أسفل سافلين[2].

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اسافلين (٣) فى ظ: بذلك (٤) من ظ و م، و فى الأصل: على (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: بالثواب (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بالأصف.

و لما ثبت بهذا انه لا يجوز فى الحكمة تركهم بغير[1] جزاء مع ما يشاهد[2] من ظلم بعضهم لبعض معاندة لما يقتضيه [قويم -[3]] العقل الذى لاشك[4] فيه، فكان ذلك بحيث لايرضاه أحد منهم و لايقر مخلوق عبيدا فى ملكه على مثله بأن يبغى بعضهم على بعض فيهملهم[5] بل لابد أن يحجز بينهم أو يأخذ للمظلوم من الظالم، و لو كان ذلك المالك أقل الناس ٥ و أجهلهم فكيف إن كان عاقلا فكيف إن كان حاكما فكيف / إن ٨٠٤ / كان لايخاف أحدا فكيف إن كان عدلا مقسطا قد[6] ثبتت إحاطة علمه و قدرته سبحانه و تعالى، حسن كل الحسن[7] أن يكون ذلك سببا للانكار على من يظن أن الله يهمل عباده من الحكم بينهم لمجازاة كل من المطيع والعاصى بما[8] عمل مع ما ترى من ظلم بعضهم لبعض، و أن الظالم قد[9] ١٠ يموت قبل القصاص، فقال مسببا عن الوعد بما أفصح[10] به الكتاب من إثابة المؤمنين الذين طالما بغى عليهم الظلمة، و انتقصهم[11] حقوقهم الفسقة، و الوعيد بما أفهمه الخطاب لعتاب المجرمين الذين طالما بغوا على غيرهم: ﴿فما﴾ أى فتسبب عن إقامة الدليل على تمام القدرة و على بغى العبيد بعضهم على بعض أنه يقال لك تصديقا لك فيما أخبرت به من [أن -[3]] ١٥

(١) من ظ و م، وفى الأصل: من غير (٢) من ظ و م، و فى الأصل: يشا. - كذا (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، وفى الأصل: لا يشك (٥) من م، و فى الأصل و ظ: فيمهلهم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بل (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الحق (٨) من ظ و م، و فى الأصل: على (٩) سقط من ظ و م (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: افتتح (١١) من ظ و م، و فى الأصل: انقصوهم.

الله سبحانه و تعالى يبعث الخلائق بعد موتهم ليجازى كلا بما عمل و إنكارا على من كذبك : [ما -[1]] ﴿يكذبك﴾ أى أىّ شىء[2] ينسبك إلى الكذب يا أشرف الخلق و أكملهم نفسا و أتقاهم عرضا و أطهرهم خلقا و خلقا ، و عبر بـ «ما» [3]إشاره إلى[3] أن الكذب بهذا مع [هذا -[4]] الدليل القطعى الذى تضمنته هذه السورة فى عداد ما لا يعقل بل دونه ﴿بعد﴾ أى بعد مشاهدة بغى بعض الناس على بعض استعمالا لحال[5] النكس ، و أعراه من الجار إشارة إلى أن هذا الذم لمن استغرق زمانه الذى بعد هذا الدليل بالتكذيب ، إشارة إلى أن من آمن قبل الغرغرة و [6]اتصل إيمانه ذلك بموته[6] كان ممن له أجر غير ممنون ﴿بالدين[4]﴾ أى الجزاء لكل أحد بما يستحقه على سبيل العدل و الإنصاف لأجل تلك الأعمال التى غلبت فيها الحظوظ على العقول ، فوقع بها من الظلم و الأذى ما لا يسع عاقلا من العباد أن يحسن عنده ترك فاعلها من غير[7] جزاء حتى كان أكثر أفعال العباد ظلما ، و من شأن الملوك الإنصاف بين عبيدهم و رعاياهم ، فكيف بالله سبحانه و تعالى الذى شرع لعباده ذلك ، و قد ثبت بما له من هذا الخلق العظيم ، على هذا النظام المحكم و المنهاج الأقوم أنه الحكيم ، الذى لا حكيم غيره ، العليم الذى لا عليم سواه .

(١) زيد من م (٢) سقط من ظ (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ادت الاشارة اليه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لحالة. (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اتصلت السعادة بايمانه حين موته (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : فم .

و لما صح أن تارك الظالم بغير[1] انتقام و المحسن بلا إكرام ليس [على - [2]] منهاج العدل الذى شرعه[3] الله تعالى، حسن جدا تكرير الإنكار بقوله سبحانه و تعالى: ﴿أليس الله﴾ أى على ما له من صفات الكمال، و أكده بالجار فى قوله: ﴿بأحكم الحاكمين ع﴾ أى حتى يدع الخلق يهلك بعضهم بعضا من غير جزاء، فيكون خلقهم عبثا، بل هو أحكم ٥ الحاكمين علما و قدرة وعدلا و حكمة بما شوهد[4] من إبداعه الخلق و تفاوتته بينهم، و جعل الإنسان [من - [2]] بينهم على أحسن تقويم، فلا بد ان يقيم الجزاء و يضع الموازين القسط / ليوم القيامة فيظهر عدله وحكمته ٨٠٥ / و فضله، و هذا الآخر هو أولها قسما من جهة النبوات التى ظهر بها حكمه و حكمته، و مقسما عليه من حيث أن الخلق فى أحسن تقويم يقتضى ١٠ العدل لا محالة، و الرد أسفل سافلين[5] يتقاضى الحكم حتما لأجل ما يقع من الظلم و التشاجر بين من استمر على الفطرة القويمة و من رد لأسفل سافلين، و قد اشتملت هذه السورة على وجازتها على جميع مقاصد التوراة إجمالا، و زادت الدلالة على الآخرة، و ذلك أن قسمها هو قوله فى التوراة «أتانا ربنا من سيناء و شرق لنا من جبل ساعر، و ظهر لنا ١٥ من جبال فاران[6]»، و الخلق فى [أحسن - [2]] تقويم هو خلق آدم

(١) من ظ و م، و فى الاصل: فغير (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شرحه (٤) زيد فى الأصل: هذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: السافلين (٦) من ظ و م، و فى الأصل: ظران.

عليه الصلاة و السلام المذكور فى أولها و خلق زوجه و ما يحتاجان إليه من السماء و الارض ، و خلق الأصفياء من أولادهما و ما جاؤا به من الخير ، و الذين آمنوا و عملوا الصالحات هو ما فيها من الشرائع و الأحكام ، و قوله بعد ما تقدم من المعبر بالمقسم عنه « معه ربوات الأطهار عن يمينه أعطاهم و حببهم إلى الشعوب ، و بارك على جميع أطهاره » و الرد أسفل سافلين هو ما ذكر أولها من العصاة من قابيل و من بعده إلى آخرها ، على ما أشار إليه من عصيان بنى إسرائيل الموجب للعنهم ، فقد اكتنفت بأول التوراة و آخرها و أوسطها ، و أبتدأ بآخرها لأنه فى النبوات ، و هى أهم المهم لأنها المنجية من شر قطاع الطريق ، و آخرها أدل ما فيها على النبوات[1] لاسيما الثلاث [العظام -[2]] المشار إليها بقسم هذه السورة - [3]و الله سبحانه و تعالى أعلم بالغيب[3] .

(١) زيد فى الأصل : والله الهادى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) فى ظ : والله الهادى الى الصواب واليه المرجع والمآب ، و فى م : والله الهادى .

سورة العلق[1] و تسمى اقرأ

[2]مقصودها الأمر لاسيما للمقصود بالتفضيل فى سورة التين بعبادة من له الخلق و الأمر ، شكرا لإحسانه و اجتنابا لكفرانه ، طمعا فى جنانه و خوفا من نيرانه ، لما[3] ثبت من أنه يدين العباد يوم[4] المعاد ، و كل من اسميها دال على ذلك لأن المربى يحب شكره ، و يحرم غاية التحريم كفره ، على أن "اقرأ" ، يشير إلى الأمر ، "و العلق" يشير إلى الخلق ، و "اقرأ" يدل على البداية و هى العبادة بالمطابقة ، و على النهاية و هى النجاة يوم الدين باللازم ، و العلق يدل على كل من النهاية ثم البداية بالالتزام ، لأن من عرف أنه مخلوق من دم عرف أن خالقه قادر على إعادته من تراب ، فان التراب أقبل للحياة من الدم ، و من صدق [بالإعادة ـ[5]] عمل لها ، و خص العلق لأنه مركب الحياة ، و لذلك سمى[6] نفسا ﴿بسم الله﴾ الذى له صفات الكمال فاستحق التفرد بالإلهية / ﴿الرحمن﴾ الذى عمت نعمته فاستوجب الشكر من سائر البرية ﴿الرحيم ۞﴾ الذى وفق من شاء / ٨٠٦

(١) السادسة والتسعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ١٩ .
(٢) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ ، و فى الأصل و م : كما (٤) زيد فى الأصل : القيامة و هو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : سميا .

من خواصه لما أنالهم به[1] المواهب السنية [2] و العطايا الوفية[2] .

لما أمره سبحانه و تعالى فى الضحى بالتحديث بنعمته ، و ذكره بمجامعها فى " ألم نشرح " فأنتج ذلك إفراده بما أمره به[3] فى ختمها من تخصيصه بالرغبة إليه ، فدل فى الزيتون على أنه أهل لذلك لتمام قدرته الذى يلزم منه[4] أنه لاقدرة لغيره إلا به ، فأنتج ذلك تمام الحكمة فأثمر قطعا البعث[5] للجزاء فتشوف السامع[6] إلى ما يوجب حسن الجزاء فى ذلك اليوم و بأىّ وسيلة يقف بين يدى الملك الأعلى فى يوم الجمع الأكبر من خصال الذين آمنوا و عملوا الصالحات ، فأرشد[7] إلى ذلك فى هذه السورة ، فقال بادئا بالتعريف بالعلم الأصلى ذاكرا أصل من خلقه سبحانه و تعالى فى أحسن تقويم و بعض أطواره الحسنة و القبيحة تعجيبا من تمام قدرته سبحانه و تعالى و تنبيها على تعرفها و إنعام[8] النظر فيها ، و قدم الفعل العامل فى الجار و المجرور هنا لأنه أوقع فى النفس لكونها أول ما نزل فكان الأمر بالقراءة أهم : ﴿ اقرأ ﴾ و حذف مفعوله إشارة إلى أنه لا قراءة إلا بما أمره به ، و هى الجمع الأعظم ، فالمعنى : أوجد القراءة لما لامقروء غيره ، و هو القرآن الجامع لكل خير ، و أفصح له بأنه لايقدر

(١) زيد فى الأصل : من ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) فى م : بها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : منها . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : البحث (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : الشارع (٧) زيد فى الأصل : السياق ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : امعان .

على ذلك إلا بمعونة الله الذى أدبه فأحسن تأديبه ، و رباه[1] فأحسن تربيته ، فقال ما أرشد المعنى إلى [أن -[2]] تقديره : حال كونك مفتتحا القراءة ﴿باسم ربك﴾ أى بأن تبسمل ، أو مستعينا بالمحسن إليك لما[3] له من الأسماء الحسنى و الصفات العلى بما خصك به فى "ألم نشرح" أو بذكر اسمه ، و المراد على هذا بالاسم الصفات العلى ، و عبر به لأنه يلزم من حسن الاسم حسن مدلوله ، و من تعظيم الاسم تعظيم المسمى و جميع ما يتصف به و ينسب إليه[4] ، قالوا : و هذا يدل على أن القراءة لا تكون تامة إلا بالتسمية ، و لكونه فى سياق الأمر بالطاعة الداعى إليها تذكر النعم لم يذكر الاسم الأعظم الجامع ، و ذكر صفة الإحسان بالتربية الجامع لما عداه و تأنيسا له صلى الله عليه و سلم لكونه أول ما نزل حين حبب إليه الخلاء ، فكان يخلو بنفسه[5] يتعبد بربه فى غار حراء ، فجاءه جبريل عليه الصلاة و السلام بخمس آيات من أول هذه السورة إلى قوله "ما لم يعلم" و لهذا السر ساقة مساق البسملة بعبارة هى أكثر تأنيسا فى أول الأمر و أبسط منها ، فأشار إلى الاسم الأعظم بما فى مجموع الكلام من صفات الكمال ، و أشار إلى عموم منة الرحمن بصفة / الخلق المشار إلى تعميمها[6] بحذف المفعول ، و إلى خصوص صفة الرحيم بالأكرمية التى من شأنها

٨٠٧ /

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : زيادة (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الى ما (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها. (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : نعيمها .

بلوغ النهاية ، و ذلك لا يكون بدون إفاضة العمل بما يرضى ، فيكون سببا للكرامة[1] الدائمة ، و بالتعليم[2] الذى من شأنه أن يهدى إلى الرضوان ، و أشار إلى الاستعاذة[3] بالأمر بالقرآن لما أفهمه قوله سبحانه و تعالى "و اذا قرأت القرآن جعلنا بينك و بين الذين لا يؤمنون بالآخرة - [أى من شياطين الإنس و الجن - [4]] - حجابا مستورا " - و قوله تعالى " فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم " .

و لما خصه تشريفا[5] باضافة هذا الوصف الشريف إليه ، وصفه على جهة العموم بالخلق و الأمر إعلاما بأن له التدبير و التأثير ، و بدأ بالخلق لأنه محسوس بالعين ، فهو أعلق[6] بالفهم ، و أقرب إلى التصور ، و أدل على الوجود و عظيم القدرة و كمال الحكمة[7] ، فكانت البداءة به فى هذه السورة التى هى أول ما نزل أنسب الأمور لأن أول الواجبات [8]معرفة الله[8] ، و هى بالنظر إلى أفعاله فى غاية الوضوح فقال : ﴿الذى خلق﴾ و حذف مفعوله إشارة إلى أن له هذا الوصف و هو التقدير و الإيجاد على وفق التقدير الآن و فيما كان و فيما يكون ، فكل شىء يدخل فى الوجود فهو من صنعه و متردد بين إذنه و منعه و ضره و نفعه .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الكرامة (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بالتعظيم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : سعاته - كذا (٤) زيد من ظ و م . (٥) زيد فى الأصل : بما خصه ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : أعلم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : القدرة (٨-٨) فى ظ و م : معرفته سبحانه .

و لما كان الحيوان أكمل المخلوقات ، و كان الإنسان أكمل الحيوان و زبدة محضه ، و لباب حقيقته و سر محضه ، و أدل على تمام القدرة لكونه جامعا لجميع ما فى الأكوان ، فكان خلقه أبدع من خلق غيره ، فكان لذلك أدل على كمال الصانع[1] و على وجوب إفراده بالعبادة ، خصه فقال : ﴿ خلق الانسان ﴾ أى هذا الجنس الذى من شأنه الأنس بنفسه و ما رأى من أخلاقه و حسه ، و ما ألفه من أبناء جنسه .

و لما كانت العرب تأكل الدم ، و كان الله تعالى قد حرمه لأنه[2] أصل الإنسان [3]و غيره من الحيوان[3] و هو مركب الحياة ، فاذا أكل تطبع آكله بخلق ما هو دمه ، قال معرفا بأنه [4]سبحانه و تعالى بنى هذه الدار[4] على حكمة الأسباب مع قدرته على الإيجاد من غير تطوير[5] فى تسبيب : ﴿من علق[6]﴾ أى [خلق -[6]] هذا النوع من هذا الشىء و هو دم شديد الحمرة جامد غليظ ، جمع علقة ، و كذا الطين الذى يعلق باليد يسمى علقا ، و هم[7] مقرّون بخلق الآدمى من الأمرين كليهما ، فالآية من أدلة إمامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه على استعمال المشترك فى معنييه ، و لعله عبر به ليعم الطين فيكون - مع ما فيه من الإشارة إلى بديع الصنعة - إشارة إلى حرمة أكل ما هو أصلنا من الدم و التراب قبل أن يستحيل ، فاذا

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الصنع (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لأن. (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من الحيوان و غيره (٤-٤) فى ظ و م : بنى هذه الدار سبحانه و تعالى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تطور (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : هو .

استحال وصف بالحلال لأن الاستحالات لها مدخل فى الإحلالات[1]
/٨٠٨ فى النكاح و غيره /، و احمرار النطفة ليس استحالة لأنها كانت حمراء قبل
قصر الشهوة لها، وربما ضعفت الشهوة عن قصرها فنزلت [حمراء-[2]]،
فاذا تحول[3] الدم لحما صار إلى جنس ما يحل، وكذا إذا تحول التراب
٥ بمخالطة الماء تمرا[4] أو حبا حل.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما قال الله سبحانه و تعالى لنبيه صلى الله عليه و سلم "فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين" وكان معنى ذلك: أىّ شيء حمل على هذا بعد وضوح الأمر لك وبيانه و قد نزهه سبحانه وتعالى عن التكذيب بالحساب و أعلى قدره عن ذلك،
١٠ و لكن سبيل مثل هذا إذا ورد كسبيل قوله تعالى "لئن اشركت ليحبطن عملك" و بابه، و حكم هذا القبيل واضح فى حق من تعدى إليه الخطاب و قصد بالحقيقة به من أمته صلى الله عليه و سلم من حيث عدم عصمتهم و إمكان تطرق[5] الشكوك و الشبهة إليهم، فتقدير الكلام: أىّ شيء يمكن[6] فيه أن يحملكم على التوقف أو التكذيب بأمر الحساب، و قد
١٥ وضح لكم ما يرفع الريب و يزيل الإشكال، ألم تعلموا أن ربكم أحكم الحاكمين؟ أفيليق[7] به و هو العليم الخبير أن يجعل اختلاف أحوالكم فى

(١) من ظ، و فى الأصل: الاستحلالات، و فى م: الاستحالات (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: استحال (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بحر (٥) من ظ و م، وفى الأصل: طريق (٦) من م، و فى الأصل و ظ: يمكنكم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يليق.

الشكوك بعد خلقكم فى أحسن تقويم؟ أفيحسن ان يفعل ذلك عبثا؟ و قد قال تعالى "و ما خلقنا السماوات و الأرض و ما بينهما باطلا" فلما[1] قرر سبحانه العبيد على أنه أحكم الحاكمين مع ما تقدم ذلك من موجب نفى الاستراية فى نوع الحق إذا اعتبر و نظر، و وقعت فى الترتيب سورة العلق مشيرة إلى ما به يقع [الشفاء -[2]]، و منه يعلم الابتداء و الانتهاء، ٥ و هو كتابه المبين، الذى جعله الله تعالى تبيانا لكل شىء و هدى و رحمة و بشرى للمحسنين، فأمر بقراءته ليتدبروا آياته فقال "اقرأ باسم ربك" مستعينا به فسوف يتضح سبيلك و ينتهج دليلك "تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا" و أيضا فانه تعالى أعلم عباده بخلقه الإنسان فى أحسن تقويم "ثم رددناه أسفل سافلين" و حصل منه على ما ١٠ قدم[3] بيانه افتراق الطرفين و تباين القائلين، كل ذلك بسابق حكمته و إرادته "و لو شئنا لآتينا كل نفس هداها" و قد بين سبحانه لنا أقصى غاية ينالها أكرم خلقه و أجل عباده لديه من الصنف الإنسانى، و ذلك فيما أوضحت السورتان قبل من حال نبينا المصطفى صلى الله عليه و سلم و جليل وعده الكريم له فى قوله "و لسوف يعطيك ربك ١٥ فترضى" و فضل حال ابتداء "الم نشرح" على تقدم سؤال "رب اشرح" إلى ما أشارت إليه آى السورتين من خصائصه الجليلة، و ذلك أعلى مقام يناله[4] أحد ممن ذكر، فوقع [تعقيب -[2]] ذلك بسورة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: و قد (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: تقدم (٤) فى ظ: لا يناله.

تضمنت الإشارة إلى حال من جعل فى الظرف الآخر من الجنس الإنسانى، و ذلك حال من أشير إليه من لدن قوله تعالى "ا رأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى" إلى قوله "كلا لا تطعه" ليظهر تفاوت / المنزلتين و تباين ما بين الحالتين، و هى العادة المطردة فى الكتب، و لم يقع صريح التعريف هنا كما وقع فى الظرف الآخر ليطابق[1] المقصود، و لعل بعض من لم يتفطن يعترض هنا بأن هذه السورة من أول ما أنزل فكيف يستقيم مرادك من ادعاء ترتيبها على ما تأخر [عنها-[2]] نزولا، فنقول له: و أين غاب اعتراضك فى عدة سور مما تقدم بل فى معظم ذلك، و إلا فليست سورة البقرة من المدنى، و مقتضى تأليفنا هذا بناء ما بعدها من السور على الترتيب الحاصل فى مصحف الجماعة إنما هو عليها و فيما بعد من المكى[3] ما لا يحصى، فانما غاب عنك نسيان(؟) ما قدمناه فى الخطبة من أن ترتيب السور على ما هى عليه راجع إلى فعله عليه الصلاة و السلام أكان ذلك بتوقيف منه أو باجتهاد الصحابة رضى الله عنهم على ما قدمناه، فارجع بصرك، و أعد فى الخطبة نظرك، و الله يوفقنا إلى اعتبار بيناته و تدبر آياته، و يحملنا فى ذلك على[4] ما يقربنا إليه بمنه [و-[5]] فضله - انتهى.

و لما أتم سبحانه ما أراد من أمر الخلق و هو الإيجاد [بالأسباب-[5]]

(١) من ظ و م، و فى الأصل: ليوافق (٢) زيد من ظ و م (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٥) زيد من م.

بالتدريج

بالتدريج، أخذ فى التنبيه على عالم الأمر و هو الإبداع من غير أسباب، فقال مكررا للأمر بالقراءة تنبيها على عظم شأنها و تأنيسا له صلى الله عليه و سلم و[1] مسكنا لروعه و معلما أن من جاءه الأمر من قبله ليس كأربابهم: ﴿ اقرأ ﴾ و لما كان قد قال صلى الله عليه و سلم عند هذا الأمر إخبارا بالواقع كما يقوله لسان الحال لو لم ينطق بلسان القال: ما أنا بقارئ، فكان التقدير: فربك الذى رباك فأحسن تربيتك و أدبك فأحسن تأديبك[2] أمرك بالقراءة و هو قادر على جعلك قارئا، عطف عليه [قوله -[3]]: ﴿ و ربك ﴾ أو يكون التقدير: و الحال أن الذى خصك بالإحسان الجم ﴿ الاكرم ﴾ أى الذى له الكمال الأعظم مطلقا من جهة الذات و من جهة الصفات و من جهة الأفعال، فلا يلحقه نقص فى شىء من الأشياء [أصلا -[4]] لأن حقيقته البعيد عن اللوم الجامع لمساوئ الأخلاق، فهو الجامع[5] لمعالى الأخلاق، و ليس غيره يتصف بذلك، فهو يعطيك ما لا يدخل تحت الحصر، و أشار إلى [أن -[4]] من ذلك أنه يفيض على[6] أمته الامية من العلم و الحظ ما لم يفضه على أمة قبلها على قصر أعمارهم، فقال مشيرا إلى العلم التعليم، مشعرا بوصفه سبحانه بالمنح بالعلم إلى ترتيب الحكم بالأكرمية على هذا الوصف الناقل للانسان من الحال العلقى[7] السافل إلى هذا الحال

(١) سقط من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تاديك (٣) زيد من م.
(٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الاصل: ما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٧) من م، و فى الأصل و ظ: العقلى.

العالى الكامل ﴿ الذى علّم ﴾ أى بعد[1] الحلم عن معاجلتهم[2] بالعذاب و العقاب[3] جودا منه من غير مانع من خوف عاقبة و لا رجاء منفعة ﴿ بالقلم ﴾ أى الكتابة به . و لما نبه بذلك على [ما فى - [4]] الكتابة[5] من المنافع التى لا يحيط بها غيره سبحانه و تعالى ، لأنها انبنت عليها استقامة أمور الدنيا و الدين فى الدنيا و الآخرة ، و هى كافية فى الدلالة على دقيق[6] حكمته / تعالى و لطيف تدبيره ، زاد ذلك عظمة على وجه يعم غيره فقال[7] : ﴿ علّم ﴾ أى[7] العلم الضرورى و النظرى ﴿ الانسان ﴾ أى الذى من شأنه الأنس بما هو فيه لا ينتقل إلى غيره بل ينساه إن لم يلهمه ربه إياه ﴿ ما لم يعلم ﴾ أى بلطفه و حكمته لينتظم[8] به حاله [فى دينه -[9]] من الكتاب و السنة و دنياه من المعاملات و الصنائع ، فيفيض عليه من علمه اللدنى الذى لا سبب له ظاهر ما يعرف بـه ترتيب المقدمات بالحدود [و -[9]] الوسطى ، فيعلم النتائج ، و ما يعرف به الحدسيات ، و ذلك بعد خلق القوى و نصب الدلائل و إنزال الآيات . و لو كان ذلك بالأسباب فقط لتساوى الناس فى مدة التعليم [و -[9]] فى أصل المعلوم كما تساووا فى مدة الحمل و أصل الإنسانية ، و قد ذكر سبحانه مبدأ الإنسان و منتهاه بنقله من أخس الحالات[10] إلى أعلاها تقريرا لربوبيته[11] و تحقيقا لأكرميته ،

/ ٨١٠

(١) زيد فى ظ : محكم (٢-٢) فى ظ و م : بالعقاب (٣) زيد من ظ و م . (٤) زيد فى الأصل : و ما فيها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل تدقيق (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : قال (٧) زيد فى ظ : من (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : لينظم (٩) زيد من م (١٠) من ظ و م ، و فى الأصل : الأحوال (١١) من م ، و فى الأصل و ظ : للربوبية .

قال الملوى : و لو كان شيء من العطاء و النعم أشرف من العلم لذكره[1] عقب صفة الأكرمية - انتهى ، و فى ذلك إشارة إلى مزيد كرم العلماء بالتعليم ، و فى الآية الإشارة إلى مطالعة عالمى الخلق و الأمر ، قال الرازى ، و فى كل من العالمين خصوص و عموم - انتهى ، فالمعنى أنه يعلمك أيها النبى الكريم و إن كنت أميا لا تعلم الآن شيئا كما علم بالقلم من لم يكن يعلم ، فتكون أنت - بما أشارت إليه صفة الأكرمية على ما أنت فيه من الأمية - أعلم من أهل الأقلام ، و أعلى فى [كل -[2]] مقام سام .

و لما كان الدم أكثر الأخلاط و أشدها هيجانا[3] ، فان مرضه لا يشبهه شيء من أمراض بقية الأخلاط ، و كان مع ذلك سريع البرء إن أصيب علاجه و عولج بأمر قاهر أقوى منه ، و كان العلم قرين الغنى فى الأغلب ، و كانت[4] زلة العالم تفوق زلة غيره ، قال معرفا بعد التعريف بالإلهيات بأمر النفس مبينا لقسم الإنسان المردود أسفل سافلين مقررا لحاله ، و رادعا له عن ضلاله : ﴿ كلآ ﴾ أى ارتدع أيها العالم عن الطغيان إن نلت الغنى حقا ﴿ ان الانسان ﴾ أى هذا النوع الذى هو نوعك و من شأنه الأنس بنفسه و النظر فى عطفه ﴿ ليطغى[5] ﴾ أى من شأنه - إلا من عصمه الله سبحانه - أن يزيد على الحد الذى لا ينبغى له مجاوزته كما يزيد الخلط[5] الدموى ، و أكده لما لأكثر الخلق من التكذيب به فانه لا طاغى يقر بأنه طغى ﴿ ان ﴾ أى لأجل أن ﴿ رآه ﴾ أى علم الإنسان نفسه

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لذكر (٢) زيد من ظ و م (٣) فى ظ و م : هيجا (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : كان (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الحفظ .

علما وجدانيا ﴿ استغنى[1] ﴾ أى وجد له الغنى ، هذا هو الطبع الغالب فى الإنسان متى استغنى عن شىء عمى عن مواضع افتقاره ، فتغيرت أحواله معه ، و تجاوز فيه ما ينبغى له الوقوف عنده « و لا يملأ جوف ابن[1] آدم إلا التراب » و من كان مفتقرا[2] إلى شىء كان منطاعا له كما فى حديث آخر أهل النار خروجا منها يقسم لربه أنه[3] لا يسأل غير ما طلبه ، فاذا أعطيه و استغنى به سأل غيره حتى يدخل دار القرار ، [و -[4]] لعله نبه بهذا على أن هذه الأمة المحتاجة ستفتح / لها خزائن الأرض فيطغيها الغنى كما أطغى من قبلها و إن كانوا هم ينكرون ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم حين بشرهم بالفتوحات و قال : إنه يغدى على أحدكم بصفحة و يراح عليه بأخرى[5] ثم قال لهم : أنتم اليوم خير أم يومئذ ، فقالوا : بل يومئذ ، نتفرغ لعبادة ربنا ، فقال : بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ[6] ، قال صلى الله عليه و سلم : و الله ما الفقر أخشى عليكم ، و لكن أخشى أن يبسط[7] عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم - أو كما قال صلى الله عليه و سلم .

/٨١١

و لما كان لا دواء [لذلك -[8]] مثل تذكر الجزاء . قال معرفا أن

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بنى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : معتقدا . (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٤) زيد من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اخرى (٦) زيد فى الأصل : كما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . (٨) زيد من ظ و م .

الإنسان لايزال مفتقرا إلى مولاه فى حياته و [مماته -[1]] و غناه و فقره، محذرا له سوء حالاته مؤكدا لأجل إنكارهم ذلك: ﴿ ان الى ربك ﴾ أى المحسن إليك بالرسالة التى رفع بها ذكرك، لا إلى غيره من التراب ونحوه[2] ﴿الرجعى[3]﴾ أى الرجوع الأعظم الثابت الذى لامحيد عنه، أما فى الدنيا فلا محيد عن الإقرار به، فانه لايقدر أحد على شىء إلا بتقديره، و أما فى الآخرة فبما أثبت فى برهانه فى سورة التين، فيحاسب الناس بأعمالهم، و يجازى كل أحد بما يستحق من ثواب أو عقاب، ففيه وعيد للطاغى [و تحقير -[1]] لغنى ينقطع .

و لما أخبر بطغيانه و عجل بذكر دوائه لأن المبادرة بالدواء لئلا[3] يتحكم الداء واجبة، دل على طغيانه مخوفا من عواقب الرجعى فى أسلوب التقرير لأنه أوقع فى النفس و أروع[4] للّب لأن أباجهل قال: لئن رأيت محمدا يعفر وجهه لأفضخن رأسه بصخرة، فجاء ليفعل ما[5] زعم فنكص على عقبيه و يبست يداه على حجره فسئل عما دهاه، فقال: إن بينى و بينه لهولا و أجنحة، و فى رواية: لخندقا من النار[6]، و فى رواية: لفحلا من الإبل، فما رأيت مثله، و لودنوت [منه -[7]] لأكلنى، و أصل الحديث فى صحيح مسلم[8] عن أبى هريرة رضى الله عنه، [فقال -[7]]: ﴿ ارءيت ﴾ تقدم

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: و غيره (٣) من ظ و م، و فى الأصل: قبل ان (٤) من ظ و م، و فى الأصل: آورع (٥) من ظ و م، و فى الأصل: كما (٦) فى ظ: النبار (٧) زيد من ظ (٨) راجع صفات المنافقين .

فى الأنعام أن هذا الفعل إذا لم يكن بصريا كان بمعنى أخبر، فالمعنى: [أخبرنى - ١] هل علمت بقلبك علما هو فى الجلاء كرؤية بصرك ﴿ الذى ينهى ۝ ﴾ أى على سبيل التجديد و الاستمرار .

و لما كان أفحش ما يكون صد العبد عن خدمة سيده، قال معبرا بالعبودية منكرا للمبالغة فى تقبيح النهى و الدلالة على كمال العبودية: ﴿ عبدا ﴾ أى من العبيد ﴿ اذا صلى ۝ ﴾ أى خدم سيده الذى لا يقدر أحد أن ينكر سيادته بايقاع الصلاة التى هى وصلته به، و هى أعظم أنواع العبادة لأنها مع كونها أقرب وصلة إلى الحق انقطاع و تجرد بالكلية عن الخلق، فكان نهيه له عن ذلك نهيا عن أداء الحق لأهله حسدا أو بغيا، فكان دالا على أن من طبع [أهل - ١] كل زمان عداوة أهل الفضل و صدهم عن الخير لئلا يختصوا[٢] بالكمال .

و لما كان هذا أمرا خارجا عن الحد فى الطغيان، و كان السؤال إنما / هو عن رؤية حاله فى نهيه العبد عن الصلاة، لا عن رؤية ذاته، فتشوف السامع إلى معرفة ذلك [الحال - ١]، كرر التقرير بزيادة التعجيب من حاله و التحذير، فقال مكررا العامل زيادة فى التأكيد و بيانا لأن هذا فى الحقيقة أول السؤال عن الحال: ﴿ ارءيت ﴾ أى أخبرنى[٣] عن حاله ﴿ ان كان ﴾ أى هذا الناهى، و عبر بأداة الاستعلاء إشارة إلى أنه فى غاية الثبات و التمكن فقال: ﴿ على الهدى ۝ ﴾ أى الكامل

/ ٨١٢

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ د م، و فى الأصل: لئلا يختصموا (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اخبرت .

فى الهداية فكيف[1] عن نهى هـذا المصلى عن خدمة مولاه الذى هو معترف بسيادته و إن ادعى كذبا أن له شريكا كما أنه لاينهى عن السجود للأصنام .

و لما ذكر ما لعله يكون عليه فى تكميل نفسه ، ذكر ما لعله يعانيه من إنجاء غيره فقال : ﴿او امر﴾ أى ذلك الناهى ﴿بالتقوى﴾ ٥ أى التى هى عماد الدين ، و هى عمارة الباطن بالنور الناشئة عن الهدى ، و عمارة الظاهر لذلك ، المترشحة من عمارة الباطن ، الموجب لذلك ، فأمر هذا المصلى بملازمة خدمة سيده المجمع على سيادته ، و لاشك فى توحيده[2] بالربوبية بالإقبال على ما يرضيه من أفعال العبادة[3] ، ليكون ذلك وقاية للفاعل من سخطه فيأمن الهلاك ، و الجواب محذوف تقديره : ألم يكن خيرا ١٠ له فليتدبر[4] كل أمر من أموره فلا يقدم عليه حتى يعلم بالدليل أنه هدى و تقوى .

و لما كان التقدير حتما كما هدى إليه السياق ما قدرته من جواب السؤالين ، بنى عليه قوله زيادة فى التوبيخ و التعجيب و التقريع استفهاما عن حال لهذا الناهى مناف[5] للحال الأول معيدا الفعل إيضاحا لذلك : ١٥ ﴿ ارءيت ﴾ أى أخبرنى أيها السامع و لا تستعجل ﴿ ان كذب ﴾ أى [أوقع -[6]] هذا الناهى التكذيب بأن المصلى على الهدى بخدمة سيده

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فكيف (٢) فى ظ : توحده (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : العباد (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : فيتدبر (٥) من ظ ، و فى الأصل و م : منافيا (٦) زيد من ظ و م .

المتفق على سيادته، فكان بذلك مرتكبا للضلال الذى لا شك فى كونه ضلالا، و لايدعو إليه إلا الهوى .

و لما كان المكذب [قد -[1]] لايترك من كذبه، أشار إلى أن حال هذا على غير ذلك فقال: ﴿وتولّى﴾ أى وكلف فطرته الأولى بعد معالجتها الإعراض عن قبول الأمر بالتقوى، و ذلك التولى إخراب الباطن بالأخلاق السيئة الناشئة عن التكذيب [و إخراب الظاهر بالأعمال القبيحة الناشئة عن التكذيب -[2]]، و الجواب محذوف تقديره: ألم يكن ذلك التولى و التكذيب شرا له لأن التكذيب و التولى من غير دليل شر محض، فكيف إذا كان الدليل قائما على ضدهما .

و لما عجب من حالته البعيدة عن العقل مع نفسه و مع أبناء جنسه، أنكر عليه معجبا من كونه يعلم أنه ليس بيده شىء، المنتج لأنه مراقب و حاله مضبوط غاية الضبط و ينسى ذلك، فقال ذاكرا مفعول «أرءيت» الثانى و هو لايكون إلا جملة استفهامية: [﴿ألم يعلم﴾ -[1]] أى يقع له علم يوما من الأيام ﴿بان الله﴾ أى و هو الملك الأعلى ﴿يرى﴾ أى [له -[1]] صفتا البصر و العلم على الإطلاق، فهو يعلم كل معلوم و يبصر كل مبصر، و من كان له ذلك كان جديرا بأن يهلك[3] من يراه على الضلال و الإضلال و ينصر / من يطيع امره على كل من يعاديه، و إنما جاء هذا الاستفهام الإنكارى على هذا الوجه لأنهم يعترفون بكل ما أنكر عليهم

/ ٨١٣

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل: كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

فيه

فيه و يلزمهم [بما يفعلون -[1]] من عداوة النبي صلى الله عليه و سلم أن يكونوا منكرين له، و ذلك هو عين التناقض الذى لا أشنع عندهم منه، هذا و يمكن، و هو أحسن، أن تنزل الآية على الاحتباك فيقال: لما كان السؤال عن حال الناهى لأن الرؤية علمية لا بصرية، فتشوف السامع إلى معرفتها. و كان للناهى حالان: طاعة و معصية، بدأ بالأولى لشرفها[2] على ٥ الأسلوب الماضى فى التقرير على سبيل التعجيب فقال: "ارءيت" أى أخبرنى "ان كان" الناهى ثابتا فى نهيه هذا متمكنا "على الهدى" أى الكامل "او" كان قد "امر" فى ذلك الأمر [3]أو فى أمر[3] ما من عبادة الأوثان و غيرها "بالتقوى" و حذف جواب السؤال عن هذا الحال لدلالة جواب الحال الثانى عليه، و هو ألم يعلم بأن الله يرى كل ١٠ ما يصح أن يرى، فينهى عنه إن كان مكروها و لا يقر عليه و يحاسب به ليزن هذا الناهى أفعاله بما شرعه سبحانه من الدليل العقلى و السمعى فيعلم أهى مما يرضيه ليقره[4] عليه كما يقر [سائر -[1]] ما يرضيه أو يسخطه فيمنعه منه. و لما ذكر ما يمكن أن يكون عليه حال الناهى من السداد، ذكر ما يمكن أن يكون عليه من الفساد، فقال مقررا معجبا معيدا ١٥ العامل لزيادة التعجيب على النمط الاول: "ارءيت ان كذب" أى هذا الناهى بالحق فى وقت النهى - و لما كان لا يلزم من التكذيب التولى

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اشرفها (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فيقره.

قال: "و تولى" أى عن الدين بنهيه هذا، فكان على الضلال و الهوى متمكنا فى[1] ذلك بحيث [أنه -[2]] لا يصدر عنه فعل إلا فاسدا[3] "الم يعلم بان الله يرى" فيحاسب نفسه بما ارشد إليه سبحانه من البراهين فيعلم أن ما هو عليه[4] من الرشد إن كان الله يقره عليه و يمكنه منه أو الغواية إن كان ينهاه عنه و لا يقره عليه، كما فعل بهذا الذى أقسم: ليرضخن رأس هذا المصلى، و أقدم عليه بصخرته و هو عند[5] نفسه فى غاية القدرة على ذلك بزعمه فمنعه الله منه و رده عنه فرجع على عقبيه خاسئا ظاهرا عليه الجبن و الرعب و غيرهما مما يتحاماه الرجال[6]، و يأنف منه الضراغمة الأبطال، و الاحتباك هنا بطلب «أرءيت» جملة ليس هو من التنازع لأنه يستدعى إضمارا و الجمل لا تضمر، إنما هو من باب الحذف لدليل، فحذف الكون[7] على الضلال ثانيا [8]لدلالة الكون[8] على الهدى [عليه -[2]] أولا، و حذف "الم يعلم بأن الله يرى" أولا لدلالة ذكره[9] آخرا عليه.

و لما كان هذا الخبيث معرضا عن هذا العلم الذى هو معترف به كله، و إنما[10] كان إعراضه لما[11] عنده من الحظوظ و الشهوات الموقعة له

(١) من ظ و م، و فى الأصل: من (٢) زيد من ظ و م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: فاسد (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عاته (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عنه (٦) من م، و فى الأصل و ظ: الرجل (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لكونه (٨-٨) من ظ و م، و فى الاصل: للدلالة (٩) من ظ و م، و فى الأصل: ذكر (١٠) من ظ، و فى الأصل و م: لما (١١) من ظ و م، و فى الأصل: مما.

- بحكم الرد[1] أسفل سافلين - إلى رتبة البهائم، أتى بأعظم أدوات الردع فقال: ﴿ كلا ﴾ أى ليس عنده علم بشىء من ذلك لسفول رتبته عن رتبة البهائم و لا فى يده شىء من الأشياء، فهو لايقدر / على شىء مما رامه من الأذى، فليرتدع عن تعاطى ذلك لأنه لايضر إلا نفسه. ٨١٤ /

و لما كان نفى العلم عنه يوهم أنه فى عداد الغافلين الذين لاملامة عليهم، بين أن انتفاء العلم عنه ليس عن غفلة يعذر صاحبها، إنما هو عن تهاون بالخير[2] و رضى بالعمى و التقليد، فهو من قسم الضال[3] الذى فرط فى استعمال القوة العلمية المذكور[4] فى الفاتحة، فاستأنف الإخبار عنه فى جواب من يقول: فما يفعل [به -[5]] ؟ معبرا[6] بأداة الشك إقامة له و لغيره فى محل الرجاء لانتهائه إبقاء للتكليف و مؤكدا لأنهم منكرون: ﴿ لئن لم ينته ﴾ أى يفتعل[7] هذا الناهى لهذا العبد المطيع فيقف و يكف عما هو فيه من نهيه و تكذيبه و توليه.

و لما كان الحال غير محتاج إلى أكثر من التأكيد لإيقاع الفعل، عبر بالحقيقة و لم ينقلها إشارة إلى أن هذا الناهى أقل من أن يحتاج فيه إلى فعل شديد، بل أقل نفحة من العذاب تكفى فى إهلاكه، و ما كان أصل التأكيد إلا تطييبا[8] لقلوب الأولياء و تكذيبا للأعداء فقال[9]:

---

(١) زيد فى الأصل: فى، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى الخير (٣) من م، و فى الأصل و ظ: الضلال (٤) من م، و فى الأصل و ظ: المذكورة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل: له، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يعتقد (٨) من ظ و م، و فى الأصل: تعليليا (٩) فى الأصل و ظ: قال، و ساقط من م.

﴿لنسفعاً﴾ أى و الله لنأخذن و نقبضن قبضا و أخذا بشدة و عنف مع الجر و الاجتذاب و اللطم و الدفع و الغيظ أخذ من يعض مأخوذه و يذله و يسود وجهه و يقذره ﴿بالناصية ۝﴾ أى بالشعر الذى فى مقدم رأسه و هو أشرف ما فيه، و[1] العرب لاتأنف من شىء أنفتهم من أخذ الناصية، و إذا انتكهت حرمة الأشرف فما بالك بغيره، و استغنى بتعريف العهد عن الإضافة.

و لما كان من المعلوم أن من صار فى القبضة على هذه الهيئة المهينة المزرية فهو هالك، اغتنى به عن أن يقول: و لنسحبنه بها على وجهه إلى[2] النار، و وصفها بما يدل على ذلك فقال مبدلا لأن البدل وصف بما قربه من المعرفة: ﴿ناصية﴾ أى عظيمة القبح ﴿كاذبة﴾ أى متعمدة للكذب ﴿خاطئة ۝﴾ فهى صادر[3] عنها الذنب من الكذب و غيره من غير تعمد، فأغلب أحوالها على [غير -[4]] صواب تارة عن عمد و تارة عن[5] غير عمد، و ما ذاك إلا لسوء جبلة صاحبها حتى كاد لايصدر عنه فعل سديد، و وصفها بما هو لصاحبها على الإسناد المجازى مبالغة فى تكذيبه فى أنه لايقدر على منع المهتدى أو إذلاله أو شىء من أذاه ألا إن أذن له صاحب الأمر كله فيما يكون سببا لزيادة رفعته، [6]و فى[6] العدول عن الحقيقة، كأن يقال: ناصية كاذب خاطئ، بالإضافة إلى هذا المجاز،

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لأن (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: صادرة (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: من (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: او.

من

من الجزالة و الفخامة و الجلالة ما لا يخفى .

و لما كان هذا هو[1] غاية الإهانة ، و كان الكفار إنما يقصدون باعراضهم الشماخة و الأنفة و العز عن أن يكونوا أتباعا أذنابا ، و إنما عزهم بقومهم ، وأقرب من يعتز به الإنسان أهل ناديه ، و هم القوم الذين يجتمعون نهارا ليحدث بعضهم بعضا و يستروح بعضهم إلى بعض لما عندهم من التصافى ٥ لأنهم لا يتركون أشغالهم نهارا و يجتمعون لذلك إلا عن ذلك ، قال تعالى / مسببا عن أخذه على هذا الوجه[2] المزرى : ﴿فليدع﴾ أى دعاء استغاثة ٨١٥/ ﴿ناديه ۝﴾ أى [القوم -[3]] الذين كانوا[4] يجتمعون معه[4] نهارا يتحدثون فى مكان ينادى فيه بعضهم بعضا من أنصاره و عشيرته ليخلصوه مما هو فيه ، و الذى نزلت فيه هو أبو جهل ، قال للنبى صلى الله عليه و سلم : أتهددنى ١٠ و أنا أكثر أهل[5] الوادى ناديا .

و لما كان كأنه قيل : فلو دعا ناديه يكون ماذا ؟ قال : ﴿سندع﴾ أى بوعد لاخلف فيه ﴿الزبانية ۝﴾ أى الأعوان الموكلين بالنار ليجروه إليها ، و هم فى الأصل الشرط ، الواحد زبنية كهبرية[6] ، من الزبن و هو الدفع أو زبنى على النسبة ، أصلها زبانى و التاء عوض عن الياء ، و هم كل من ١٥ عظم خلقه ، و اشتد بطشه ، و قدا جتمعت المصاحف العثمانية على حذف الواو من هذا [الفعل -[7]] خطا ، و لا موجب لحذفه من العربية لفظا ،

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : المذكور ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من م (٤-٤) سقط من م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا (٦) من القاموس ، و فى الاصول : كعفرية (٧) زيد من ظ و م .

و كأن المعنى فى ذلك - و الله أعلم - أن لا يظن أنهم دعوا لرفعة لهم فى ذواتهم يستعان بهم بسببها لأن معنى الواو عند الربانيين العلو و الرفعة، إشارة إلى أنهم لا قوة لهم إلا بالقوى العزيز، أو يقال: إن الحذف دال على تشبيه الفعل بالأمر ليدل على أن هذا الدعاء أمر لابد من إيقاع
٥ مضمونه، و من إجابة المدعوين[1] إلى ما دعوا إليه، و أن ذلك كله يكون [على -[2]] غاية الإحكام، و الاتساق بين خطه و معناه و الانتظام، لاسيما مع التأكيد بالسين، الدال على تحتم الاتحاد و التمكين، أو يكون المعنى: إنا ندعوهم بأيسر دعاء و أسهل أمر، فيكون منهم ما لا يطاق و لا يستطاع[3] دفاعه بوجه، فكيف لو أكدنا دعوتهم و قوينا عزمتهم.

١٠ و لما كان الذى تقدم نهى الناهى للمصلى و السفع بناصيته إن لم ينته و أمره بدعاء ناديه، و كان الحكم فى الأول أنه[4] لا يجيبه إلى ترك الصلاة، و فى الثانى أن الناهى لا ينتهى عن عصيانه بالتهديد[5] و أنه لا يفيده [دعاء -[6]] ناديه، فالكل منفى، حسن كل الحسن الإتيان بأداة الردع فقال: ﴿ كلا[4] ﴾ أى لا يقدر على دعاء ناديه و لا ينتهى عن
١٥ أذاه للطيع بالتهديد فليرتدع عن كل [من -[6]] ذلك.

و لما كان كأنه قيل: فما أفعل؟ قال معرفا أن[7] من علم أن

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: المدعين (٢) زيد من م (٣) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ان (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فى النهايد (٦) زيد من ظ و م (٧) من م، و فى الأصل و ظ: اى.

طبع الزمان و أهله الفساد، وجب [عليه -[1]] الإقبال [على شأنه -[1]] و الإعراض عن سائر العباد ﴿ لا تطعه ﴾ أى فى نهيه لك عن الطاعة بالصلاة أو غيرها .

و لما كان نهيه عن الصلاة التى هى عماد الدين، و كانت الصلاة يعبر عنها بالسجود لأنه - مع أنه جزؤها - هو أشرفها، و هو أيضا يطلق على ٥ مطلق العبادة، قال تعالى مشيرا إلى النصر له صلى الله عليه و سلم و لأتباعه على كل من يمنعهم عبادته[2]: ﴿ و اسجد ﴾ أى دم على صلاتك و خضوعك بنفسك وجدد ذلك فى كل وقت . و لما كان السجود أقرب مقرب للعبد إلى الله قال: ﴿ و اقترب ۩ ﴾ السجدة أى اجتهد بسرك فى بلوغ درجة القرب إلى ربك و التحبب إليه بكل عبادة لاسيما الصلاة فانه[3] أقرب ما يكون العبد ١٠ من ربه و هو ساجد، و قد شرح[5] / هذا المقام كما تقدم فى الفاتحة / ٨١٦ قوله صلى الله عليه و سلم «أعوذ بعفوك [من -[1]] عقوبتك» فان هذه الجملة أفادت - كما قال الإمام الغزالى فى كتاب الشكر[6] - مشاهدة أفعال الله فقط، فكأنه لم ير إلا الله و أفعاله، فاستعاذ بفعله من فعله، قال: ثم اقترب ففنى فى[7] مشاهدة الأحوال، و ترقى إلى مصادر الأفعال، و هى الصفات، فقال: ١٥ «أعوذ برضاك من سخطك» و هما صفتان، ثم رأى ذلك نقصانا فى التوحيد

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عبادة لهم (٣) من ظ و م، و فى الاصل: وانه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٥) من ظ و م، و فى الأصل: صرح (٦) راجع الإحياء ٤/٥٦ (٧) فى الإحياء: عن .

فاقترب و ترقى من [مقام - [١]] مشاهدة الصفات[٢] إلى مشاهدة الذات[٣] فقال « و أعوذ بك منك » فرارا[٤] منه إليه من غير رؤية فعل و صفة ، و لكنه رأى نفسه فارا منه إليه و مستعيذا و مثنيا ففنى عن مشاهدة نفسه إذ[٥] رأى ذلك نقصانا فاقترب فقال « أنت كما أثنيت على نفسك لا أحصى ثناء عليك » فقوله « لا أحصى » [خبر عن -[٦]] فناء نفسه و خروجه عن مشاهدتها ، و قوله « [أنت -[٧]] كما أثنيت » بيان أنه المثنى و المثنى عليه ، و أن الكل منه بدأ و إليه يعود ، وأن كل شيء هالك إلا وجهه ، فكان أول مقامه نهاية مقامات[٨] الموحدين و هو أن لا يرى إلا الله و أفعاله فيستعيذ بفعل من فعل ، فانظر إلى ماذا انتهت نهايته إذا انتهى إلى الواحد الحق حتى ارتفع من نظره و مشاهدته سوى الذات الحق ، و لقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرقى من مرتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى بعدا بالإضافة إلى الثانية ، فكان يستغفر الله من الأولى ، و يرى ذلك نقصا [في -[٧]] سلوكه و تقصيرا في مقامه ، و إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه و سلم « إنه ليغان[٩] على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم و الليلة سبعين مرة » فكان [ذلك -[٧]] لترقيه إلى سبعين مقاما بعضها يعد نقصا لنقص أوائلها و إن كان مجاوزا أقصى غايات مقامات الخلق ، و لكن كان نقصانا بالإضافه إلى أواخرها ، فكان استغفاره لذلك .

(١) زيد من ظ و الإحياء (٢) من ظ و م ، و في الأصل : الذات (٣) من ظ و م ، و في الأصل : الصفات (٤) من ظ و م ، و في الأصل : اقرارا (٥) من ظ و م ، و في الأصل : اى (٦) زيد من الإحياء (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م ، و في الأصل : مقام (٩) من م ، و في الأصل و ظ : ليعاد .

و لما

و لما قالت عائشة رضى الله عنها : قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك و ما تأخر ، فما هذا البكاء فى السجود و ما هذا الجهد الشديد ؟ قال : أفلا أكون عبدا شكورا - معناه : أفلا أكون طالبا للمزيد فى المقامات ، فان الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى "و لئن شكرتم لأزيدنكم" انتهى . و هو على ما ترى من النفاسة فمن أكثر من الدعاء فى سجوده ٥ فقمن أن يستجاب له ، و الصلاة لا تكون إلا بالقراءة ، فاذا فعلت ذلك احتجبت عن الأغيار بحجاب منيع[1] ، فازددت صفاء و صنت[2] حالك عن الغير - كما يرشد إليه ما فى صحف إبراهيم عليه الصلاة و السلام ، ينبغى للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه - [3]و الله أعلم[3] ، فقد رجع آخرها إلى الأول ، على أحسن وجه و أجمل[4] و أكمل - ١٠ و الله الهادى[4] .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بليع (٢) زيد فى الأصل : احوالك و صفت ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من م . (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة القدر[١]

مقصودها تفصيل الأمر الذى هو أحد قسمى ما ضمنه مقصود "اقرأ" و على ذلك دل اسمها لأن الليلة فضلت به ، فهو من[٢] إطلاق المسبب على السبب ، و هو دليل / لمن يقول باعتياد تفضيل الأوقات لأجل ما / ٨١٧
٥ كان فيها ، [كما -[٣]] قال ذلك اليهودى فى اليوم الذى نزل فيه [٤]قوله تعالى[٤] "اليوم أكملت لكم دينكم" و أقره الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه على ذلك و أعلمه أنه صار لنا عيدين : عيدا من جهة كونه يوم عرفة ، و عيدا من جهة[٥] كونه يوم جمعة ﴿ بسم الله ﴾ الذى جل أمره و [٦]تنزه ذاته[٦] ﴿الرحمن﴾ الذى عمت رحمته فبدعت صفاته ﴿الرحيم ۞﴾
١٠ الذى خص أهل التوحيد بإتمام النعمة فاختصت بهم جناته .

لما ذكر الله سبحانه و تعالى كتابه فى هذا الذكر العربى المعجز ، ذكر إنزاله مستحضرا فى كل قلب . كان ذلك مغنيا عن إعادته بصريح اسمه ، فكان متى أضمره علمه المخاطب بما[٧] فى السياق من القرائن الدالة عليه ، و بما له فى القلب من العظمة و فى الذهن من الحضور لاسيما فى هذه

(١) السابعة والتسعون من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياها ٥ (٢) زيد فى الأصل : باب ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م . (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من م (٥) سقط من م (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تنزهت صفاته (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : كما .

السورة لافتتاح العلق بالأمر بقراءته ، و ختمها بالصلاة التى هى أعظم أركانها ، فكانت دلالتها عليه دلالة هى فى غاية الوضوح ، فكان كأنه قال : و اقترب بقراءة القرآن فى الصلاة ، فكان إضماره أدل على العظمة الباهرة[1] من إظهاره ، لدلالة[2] الإضمار على أنه ما تم شيء ينزل غيره فهو بحيث لا يحتاج إلى التصريح به ، قال مفخما له بأمور : إضماره ، و إسناد ٥ إنزاله إليه ، و جعل ذلك فى مظهر العظمة ، و تعظيم وقت إنزاله المتضمن لعظمة البلد الذى أنزل فيه - على قول الأكثر ، و النبى الذى أنزل عليه ، مؤكدا لأجل ما لهم من الإنكار : ﴿ انآ ﴾ أى بما لنا من العظمة ﴿ انزلنه ﴾ أى هذا الذكر كله من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء [الدنيا -[3]] مرتبا هذا الترتيب الذى جمع الله الأمة المعصومة ١٠ عليه ، و هو الموجود الآن ، و كذا كان إنزال أول نجم منه ، و هو أول السورة الماضية إنزالا مصدقا لأن عظمته من عظمتنا بما له من الإعجاز فى نظمه ، و من تضاؤل القوى عن الإحاطة بعلمه ، و أول ما أنزل منه صدرها إلى خمس آيات منها [آخرها -[4]] «ما لم يعلم» على النبى صلى الله عليه و سلم و هو مجاور فى هذا الشهر الشريف بجبل حراء ١٥ من جبال مكة المشرفة ، ثم صار ينزل مفرقا بحسب الوقائع حتى تم فى ثلاث و عشرين سنة ، و كلما نزل منه نجم يأمر النبى صلى الله عليه و سلم

(١) سقط من م (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : لدلالته على (٣) زيد من م .
(٤) زيد من ظ و م .

بترتيبه فى سورته عن أمر الله تعالى حتى تم فى السور [1]على ما هو عليه الآن[1] على ما هو عليه فى بيت العزة .

و لما عظمه بما ذكر، زاده عظما بالوقت الذى اختار إنزاله فيه ليكون طالعه سعيدا[2] لما كان أثره حميدا فقال: ﴿فى ليلة القدر ۝﴾ أى الليلة التى لها قدر عظيم و شرف كبير، و الأعمال فيها ذات قدر و شرف، فكانت بذلك كأنها مختصة بالقدر فلا قدر لغيرها[3] .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: ورد تعريفا بانزال ما تقدم الأمر بقراءته لما قدمت الإشارة إلى عظيم أمر الكتب، و أن السلوك إليه سبحانه إنما هو من ذلك الباب، أعلم سبحانه و تعالى بليلة إنزاله و عرفنا / بقدرها لنعتمدها فى مظان دعائنا و تعلق رجائنا و نبحث فى[4] الاجتهاد فى العمل لعلنا نوافقها و هى كالساعة فى يوم الجمعة فى إبهام أمرها مع جليل قدرها و من قبيل الصلاة الوسطى، و لله سبحانه فى إخفاء ذلك أعظم رحمة، و كان فى التعريف بعظيم قدر هذه الليلة التعريف بجلالة المنزل فيها، فصارت سورة القدر من تمام ما تقدم و وضح اتصالها - انتهى .

/٨١٨

و لما علم من السياق تعظيمها بعظمة ما أنزل فيها و بالتعبير عنها بهذا، قال مؤكدا لذلك التعظيم حثا على الاجتهاد فى إحيائها لأن

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: سيدا .
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: لغيره (٤) من ظ و م، و فى الأصل: على .

للانسان من الكسل و التداعى إلى البطالة ما يزهده فى ذلك : ﴿وما أدراك﴾ أى و أى شىء أعلمك وأنت شديد التفحص ﴿ما ليلة القدر﴾ أى لم تبلغ درايتك و أنت أعلم الناس غاية فضلها و منتهى[1] علىّ قدرها على ما لك من سعة العلم و إحاطة الفكر و عظيم المواهب .

و لما ثبتت عظمتها بالتنبيه على أنها أهل لأن يسأل عن خصائصها، قال مستأنفا : ﴿ليلة القدر﴾ أى التى خصصناها بانزالنا [له -[2]] فيها ﴿خير من الف شهر﴾ أى خالية [عنها -[2]] أو العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، و ذلك ثلاث و ثمانون سنة و أربعة أشهر، قالوا : و هى مدة ملك[3] بنى أمية سواء، و تسميتها بذلك لشرفها و لعظيم قدرها، أو لأنه يفصل فيها من أم الكتاب مقادير الأمور، فيكتب فيها عن الله حكم ما يكون من تلك الليلة إلى مثلها من العام المقبل، من قولهم : قدر الله على هذا الأمر يقدره قدرا، أى قضاه، و هى الليلة المرادة فى سورة الدخان بقوله تعالى "فيها يفرق كل أمر حكيم" و ذكر الألف إما للمبالغة بنهاية مراتب العدد ليكون أبلغ من السبعين فى تعظيمها أو لأن النبى صلى الله عليه و سلم ذكر شخصا من مؤمنى بنى إسرائيل ليس السلاح مجاهدا فى سبيل الله ألف شهر، فعجب المؤمنون منه فتقاصرت إليهم أعمالهم، فأعطاهم الله سبحانه و تعالى ليلة من قامها

(١) من ظ و م، و فى الأصل : تنتهى (٢) زيد من ظ و م (٣) فى ظ : دولة .

كان خيرا[1] من ذلك ، [2]و أبهمها[2] فى العشر الأخير من شهر رمضان فى قول الجمهور على ما صح من الأحاديث ليجتهدوا فى إدراكها كما أخفى ساعة الإجابة فى يوم الجمعة و الصلاة الوسطى فى الخمس ، و اسمه الأعظم فى الأسماء ، و رضاه فى سائر الطاعات ليرغبوا فى جميعها ، و سخطه فى المعاصى ٥ لينتهوا عن جميعها ، و قيام الساعة فى الأوقات ليجتهدوا فى كل لحظة حذرا من قيامها ، و السر فى ذلك أن النفيس لايوصل[3] إليه إلا باجتهاد عظيم إظهارا لنفاسته و إعظاما للرغبة فيه و إيذانا بالسرور به ، لكن جعل السورة ثلاثين كلمة سواء يرجح أنها السابعة و العشرون التى وازاها[4] قوله هى - كما نقل عن أبى بكر الوراق .

١٠ و لما عظمها ، ذكر وجه العظم ليكون إعلاما بعد إبهام و هو أوقع فى النفس فقال مستأنفا : ﴿تنزل﴾ أى تنزلا متدرجا هو أصلا على غاية ما يكون من الخفة و السرعة بما أشار إليه / حذف التاء ﴿الملآئكة﴾ ٨١٩/ أى هذا النوع العظيم الذى هو خير كله ﴿و الروح﴾ أى جبريل عليه الصلاة و السلام ، خصه بيانا لفضله أو هو مع أشراف الملائكة أو هو ١٥ خلق أكبر من الملائكة أو هو أمر تسكن إليه نفوس العارفين و يحصل به اليمن و البركة ﴿فيها﴾ و أشار إلى خفاء ذلك التنزل باسقاط تاء التنزل [مع -[5]] ما تقدم من الإشارات ، و دل على زيادة البركة فى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ثواب قياسها خير (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فائها - كذا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لايتوصل (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : وزاها (٥) زيد من ظ و م .

ذلك التنزل وعظيم طاعة الملائكة بقوله: ﴿بإذن ربهم ج﴾ أي بعلم المحسن إليهم المربي لهم وتمكينه، وتنزلهم إلى الأرض أو السماء الدنيا أو تقربهم من المؤمنين، متبدئ تنزلهم[1] ﴿من كل امرئ﴾ أي الأمور الكلية التي يفرقون فيها بإذن [الله -[2]] تفاصيل الأمور التي يريدها سبحانه في ذلك العام في أوقاتها من تلك الليلة إلى مثلها من العام المقبل، أو من أجل ٥ تقدير كل شيء يكون في تلك السنة، وعبر عن الشيء بالأمر إعلاما بأنهم لا يفعلون شيئا إلا بأمره.

ولما ذكر سبحانه هذه الفضائل، كانت النتيجة أنها متصفة بالسلامة التامة كاتصاف الجنة - التي هي سببها - بها، فكان ذلك أدل[3] على عظمتها فقال تعالى: ﴿سلم قف﴾ أي عظيم جدا ﴿هي﴾ أي ما هي إلا سلامة ١٠ وخير ليس فيها شر، ولا يزال ذلك السلام والبركة فيها ﴿حتى﴾ أي إلى ﴿مطلع الفجر ع﴾ أي طلوعه ووقت طلوعه وموضع طلوعه، لا يكون فيه شر كما في غير ليلتها، فلا تطلع الشمس في صبيحتها بين قرني الشيطان إن شاء الله تعالى. وذلك سر قراءة الكسائي [بالكسر -[2]] - والله أعلم، واختير التعبير بـ «حتى» دون «إلى» ليفهم أن لما بعدها حكم ما قبلها، فيكون المطلع في ١٥ حكم الليلة، وعن ابن عباس[4] رضي الله عنهما أن جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل ليلة القدر في كوكبة من الملائكة ومعه لواء أخضر يركزه

(١) من م، وفي الأصل وظ: تزلهم (٢) زيد من ظ وم (٣) زيد في الأصل: دليل واضح، ولم تكن الزيادة في ظ وم فحذفناها (٤) راجع الباب ٧ / ٢٣٠ - رواية أنس.

فوق الكعبة، ثم يفرق الملائكة فى[1] الناس حتى يسلموا على كل قائم وقاعد وذاكر وراكع وساجد[2] إلى أن يطلع الفجر. فمن تأمل هذه السورة علم منها ما للقرآن من العظمة فأقبل عليه بكليته يتلوه حق تلاوته كما أمر فى سورة «اقرأ» فأمن من غير شك من هول يوم الدين المذكور فى التين. ومن تلاوته بحقه تعظيم ليلة القدر لما ذكر من شرفها، وذلك جارّ إلى الحرص عليها فى كل السنة. فان لم يكن ففى كل رمضان، فان لم يكن ففى جميع ليالى العشر الأخير منه. ليكون له من الأعمال بسبب فضلها ومضاعفه العمل[3] فيها ما لا يحصيه إلا الله تعالى بحيث أنه ربما يكون خيرا من عمل من اجتهد فيما قبلنا ألف سنة، ورجوع آخرها يكون هذا التنزل فى ليلة القدر على أولها فى غاية الوضوح لأن أعظم السلام فيها نزول القرآن، ولعل كونها ثلاثين[4] كلمة إشارة إلى إن خلافة النبوة التى هى ثلاثون سنة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم التى آخرها يوم نزل أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنهما [فيه -[5]] عن الخلافة لمعاوية رضى الله عنه فى شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين هى كليلة القدر فى الزمان، وما بعدها كليالى العام فيه الفاضل وغيره، وتلك المدة كانت لخمسة خلفاء / أشارت إليهم حروف الكلمة الأخيرة منها، فالألف لأبى بكر رضى الله عنه /٨٢٠

(١) من م، وفى الاصل وظ: بين (٢) زيد فى الأصل وظ: وقارئ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٣) من م، وفى الأصل وظ: الاعمال. (٤) من م، وفى الأصل وظ: تاثير - كذا (٥) زيد من ظ وم.

وهى

و هى فى غاية المناسبة له، فان الربانيين قالوا: هو اسم للقائم المحيط الأعلى الغائب عن مقامه[1] لكنها الحاضر معه وجودا كالروح، و كذا كان رضى الله عنه حاضرا مع[2] الأمة بوجوده و هو غائب عنهم بتوجهه، و جميع قلبه إنما هو مع الله عز و جل، و اللام لعمر رضى الله عنه و هى شديدة المناسبة[3] له فانها صلة بين باطن الألف و ظاهر الميم الذى هو ٥ لمحمد صلى الله عليه و سلم لأنه للتمام، و كذلك فعل - وصل بين السيرتين[4] وصلا تاما بحيث وصل ضعف الصديق فى بدنه[5] و قوته فى أمر الله بقوة رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى انتظم به الأمر انتظاما لامزيد عليه، و الفاء لعثمان رضى الله تعالى عنه و هو إشارة لبدأ خلوص منته لتنقل بمزيد أو نقص، و آيته[6] الفطرة الأولى، و آيتها المحسوسة اللبن أول ٦٠ خروجه إذا أصابه أقل شىء من الهواء الممدود غيّره، و كذلك الفطرة إذا أصابها أقل شىء من الهوى المقصود غيّرها، و كذا [كان -[7]] حاله رضى الله تعالى عنه، حصلت له آفات الإحسان إلى أقاربه الذى قاده إليه قويم فطرته حتى حصلت [له -[8]] الآفات الكبار رضى الله عنه، و الجيم لعلى رضى الله عنه [و هو -[7]] إشارة إلى الجمع، و الإجمال الذى يحصل عنده ١٥ عنا و هو أنسب الأمور له رضى الله تعالى عنه فانه حصل به الجمع بعد

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مقاصد (٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: للناسبة (٤) من ظ و م، و فى الأصل: السورتين (٥) من ظ و م، و فى الأصل: باطنه (٦) من ظ و م، و فى الأصل: انه (٧) زيد من م (٨) زيد من ظ و م.

الافتراق العظيم بقتل [أمير المؤمنين -[1]] عثمان رضى الله تعالى عنه شهيدا مظلوما، و حصل به الإجمال لكن لم يتم التفصيل بسبب ما حصل من العناد، و الراء إشارة إلى الحسن رضى الله تعالى عنه و هى تطوير و تصيير[2] و تربية، و هى لكل مرب مثل زوج المرأة و سيد العبد، و لذلك فعل رضى الله عنه لما رأى الملك يهلك بقتل المسلمين رباه بنزوله عن الأمر لمعاوية، فكان كالسيد أذن لعبده و ربى أمره به، و قد سماه النبي صلى الله عليه و سلم سيدا - رضى الله عنهم أجمعين، [و الله أعلم بالصواب -[3]].

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، وفى الأصل: تصوير (٣) زيد من ظ.

سورة لم يكن[1] و تسمى القيامة و المنفكين

مقصودها الإعلام بأن هذا الكتاب القيم من علو مقداره و جليل آثاره أنه كما أنه لقوم نور و هدى فهو لآخرين[2] وقر وعمى، فيقود[3] إلى الجنة دار الأبرار، و يسوق إلى النار دار الأشقياء الفجار، و على ذلك[دل-4] كل من أسمائها « الذين كفروا » « و المنفكين » بتأمل الآية فى انقسام الناس ٥ إلى أهل الشقاوة و أهل الهداية، و كذا القيامة بانقسام أهل الدعوة فيها بحسب الإرادة إلى القسمين: أهل الشقاوة و أهل السعادة ﴿بسم الله﴾ الذى له / العلو المطلق فلا يخرج شيء عن مراده ﴿ الرحمن ﴾ الذى ٨٢١ / عم بنعمة إيجاده و بيانه جميع عباده ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أهل وداده بالأعمال الصالحة[5] المتكفلة بانجاء العامل بها و إسعاده. ١٠

لما أخبر سبحانه و تعالى أن الليلة الشريفة التى صانها بنوع خفاء فى تنزل من يتنزل فيها و فى تعيينها لا تزال قائمة على ما لها من تلك الصفة حتى يأتى الفجر الذى يحصل به غاية البيان، أخبر أن أهل الأديان سواء كان لها أصل من[6] الحق أم لا لم يصح فى العادة الجارية على حكمة الأسباب [7]فى دار الأسباب[7] أن يتحولوا عما هم فيه إلا بسبب عظيم ١٥

(١) الثامنة والتسعون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آيها ٨ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لآخر (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فيقول (٤) زيد من م (٥) سقط من ظ و م (٦) فى ظ: فى (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.

يكون بيانه أعظم من بيان الفجر، و هو القرآن المذكور فى القدر و الرسول المنزل عليه ذلك فقال: ﴿ لم يكن ﴾ أى فى مطلق الزمان الماضى و الحال و الاستقبال كونا هو كالجبلة و الطبع، و هذا يدل على ما كانوا عليه قبل ذلك من أنهم يبدلون ما هم عليه من الكفر أو الإيمان بكفر أو بدعة[1] ثم لايثبتون عليه [لأن -[2]] ذلك ليس فى جبلاتهم، و إنما هو خاطر عارض كما هو محكى عن سيرتهم من بعد موسى عليه الصلاة و السلام [لما كانت تسوسهم الأنبياء عليهم السلام -[2]] كما دل على بعض ذلك قوله تعالى "فعموا و صموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا و صموا" و كذا المشركون كانوا يبدلون دين إسماعيل عليه الصلاة و السلام و لاينفصلون عنه بالكلية، و تارة يعبدون الأصنام، و تارة الملائكة، و أخرى الجن، و لم يكونوا يثبتون على حالة واحدة ثباتا كليا مثل ثباتهم على الإسلام بعد مجىء البينة و نسيانهم أمور الجاهلية بالكلية حتى نسوا الميسر[3]، فلم يكن أحد من أولادهم يعرف كيفيته و كذا السائبة و ما معها و غير ذلك من خرافاتهم ﴿الذين كفروا﴾ أى سواء كانوا عريقين فى الكفر أم لا.

و لما كان العالم أولى باتباع الحق و أشد جرما عند فعل ما يقتضى اللوم، بدأ بقوله: ﴿ من اهل الكتب ﴾ أى من اليهود و النصارى الذين كان أصل دينهم حقا، فألحدوا فيه بالتبديل و التحريف و الاعوجاج

(١) من م، و فى الأصل و ظ: ببدعة (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: المسير.

فى

فى صفات الله تعالى ، ثم نسخه الله تعالى بما شرع من مخالفته فى الفروع و موافقته فى الأصول فكذبوا ﴿و المشركين﴾ اى بعبادة الأصنام و النار و الشمس و نحو ذلك ممن هم عريقون فى دين لم يكن له أصل فى الحق بأن [لم -[1]] يكن لهم كتاب ﴿منفكين﴾ أى منفصلين زائلين عما كانوا عليه من دينهم انفكاكا يزيلهم عنه بالكلية بحيث[2] لا يبقى لهم به ٥ علقة ، و يثبتون على ذلك الانفكاك ، و أصل الفك الفتح و الانفصال لما كان ملتحما ، من فك الكتاب و الختم و العظم - إذا [3]زايل ما[3] كان ملتصقا و متصلا به ، أو عما فى أنفسهم من ظن اتباع الحق إذا[4] جاءهم الرسول المبشر به بما كان أهل الكتاب يستفتحون به و المشركون يقسمون بالله جهد أيمانهم "/ لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الامم"- ١٠ / ٨٢٢ الآية ، فيصيروا بذلك أحزابا و فرقا ﴿حتى﴾ أى [إلى -[1]] أن ﴿تاتيهم﴾ عبر بالمضارع لتجدد البيان فى كل وقت بتجدد [6]الرسالة و التلاوة[6] ﴿البينة﴾ أى الآية التى هى فى البيان كالفجر المنير الذى لا يزداد بالتمادى إلا ظهورا وضياء و نورا ، و ذلك هو الرسول و ما معه من الآيات التى[7] أعظمها الكتاب سواء كان التوراة أو الإنجيل أو الزبور ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : حيث (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ازال (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اذ (٥) زيد فى الأصل و ظ : فلما جاءهم نذير ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها . (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : التلاوة و الرسالة (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى .

أو الفرقان، و لذلك أبدل منها قوله: ﴿رسول﴾ أى عظيم جدا، و زاد عظمته بقوله واصفا [له -[1]]: ﴿من الله﴾ [أى -[1]] الذى له الجلال و الإكرام ﴿يتلوا﴾ أى يقرأ قراءة متواترة ذلك الرسول بعد تعليمنا له ﴿صحفا﴾ جمع صحيفة و هى القرطاس و المراد ما فيها، عبر بها عنه لشدة المواصلة ﴿مطهرة ۝﴾ أى هى فى غاية الطهارة [2] و النظافة[2] و النزاهة من [3] كل قذر[3] بما جعلنا لها من البعد من[4] الأدناس بأن الباطل من الشرك بالأوثان و غيرها من كل زيغ لا يأتيها من بين يديها و لا من خلفها و أنها لا يمسها إلا المطهرون، و قراءته و إن كان [5]أميا لمثل[5] ما فيها قراءة لها. و لما عظمه بأن وصف صحفه التى [هى -[1]] محل المكتوب بالطهارة، بين سبب ذلك فقال: ﴿فيها﴾ أى تلك الصحف ﴿كتب﴾ جمع كتاب أى علوم هى لنفاستها[6] حقيقة بأن تكتب ﴿قيمة ۝﴾ أى هى فى غاية الاستقامة لنطقها بالحق الذى لا مرية فيه ليس[7] فيها شرك و لا عوج بنوع من الأنواع، فاذا أتتهم هذه البينة انفكوا [و -[1]] انفكاكهم أنهم كانوا مجتمعين[8] قبل هذا، أهل الكتاب يؤمنون بالنبى صلى الله عليه و سلم لما عندهم من البشائر الصريحة به، و المشركون يقولون: لئن جاءنا نذير لنكونن أهدى من إحدى الأمم، و يقولون: نحن

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: القدر (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: الها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: كنفاستها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لا (٨) من م، و فى الأصل و ظ: مجمعين.

نعرف الحق لأهله و لا ندفعه بوجه ، فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم بما لا شبهة فيه تفرقوا ، فبعضهم[1] آمن و بعضهم[2] كفر .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : هي من كمال[3] ما تقدمها لأنه لما أمره عليه الصلاة و السلام بقراءة كتابه الذي [به -[4]] اتضحت سبيله و قامت حجته ، [و -[4]] أتبع ذلك بالتعريف بليلة إنزاله وتعظيمها ٥ بتعظيم ما أهلت له مما أنزل فيها ، أتبع ذلك بتعريفه[5] صلى الله عليه و سلم بأن هذا الكتاب هو الذي كانت اليهود تستفتح به على مشركي العرب و تعظم أمره و أمر الآتي به ، حتى إذا حصل ذلك مشاهدا لهم كانوا هم[6] أول كافر به ، فقال تعالى " لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين منفكين حتى تأتيهم البينة - إلى قوله : و ذلك دين القيمه " ١٠ و في التعريف بهذا تأكيد ما تقدم بيانه مما يثمر الخوف و ينهج باذن الله التسليم و التبرؤ من أدعاء حول أو قوة ، فان هؤلاء قد كانوا قدم إليهم في[7] أمر الكتاب و الآتي / به[8] يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة / ٨٢٣ و الإنجيل ، و قد كانوا يؤملون الانتصار به عليه الصلاة و السلام من أعدائهم و يستفتحون بكتابه ، فرحم الله من لم يكن عنده علم منه كأبي بكر ١٥ و عمر و أنظارهما رضي الله عنهم أجمعين ، و حرم[9] هؤلاء الذين قد كانوا

(١) في ظ و م : فبعض (٢) في ظ و م : بعض (٣) من ظ و م ، و في الأصل : كلام (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و في الأصل : بتعريف النبي .
(٦) سقط من م (٧) من م ، و في الأصل و ظ : من (٨) زيد في ظ : ما .
(٩) من م ، و في الأصل و ظ : رحم .

على بصيرة من أمره و جعلهم بكفرهم شر البرية ، و رضى[1] عن الآخرين و رضوا عنه ، و أسكنهم فى جواره و منحهم الفوز الأكبر و الحياة الأبدية و إن كانوا قبل بعثه عليه الصلاة و السلام على جهالة و عمى ، فلم يضرهم إذ قد سبق لهم فى الأزل "أولئك هم خير البرية ـ" انتهى .

٥ و لما كان التقدير : فاذا أتتهم البينة انفكوا ، فلقد تفرق المشركون بعد إتيانك و أنت البينة العظمى إليهم إلى مهتد و ضال ، و الضال إلى مجاهر[2] و مساتر ، و كذا اهل الكتاب ، ثم [ما -[3]] اجتمع العرب على الهدى إلا من بعد ما جاءتهم البينة ، عطف على هذا الذى أفهمه السياق قوله معلما بزيادة القبح فى وقوع الذنب من العالم بافرادهم بالتصريح عن

١٠ المشركين : ﴿و ما تفرق﴾ أى الآن و فيما مضى من الزمان تفرقا عظيما ﴿الذين﴾ و لما كانوا فى حال هى أليق بالإعراض ، بنى للمفعول قوله : ﴿اوتوا الكتب﴾ أى عما كانوا عليه من الإطباق على الضلال أو الوعد باتباع[4] الحق المنتظر فى محمد صلى الله عليه و سلم ، و كذا كان فعلهم فى عيسى صلى الله عليه و سلم من قبل ، فاستمر بعضهم على الضلال و بالغ

١٥ فى نقض العهد و العناد ، و وفى [5]بعض بالوعد[5] فاهتدى ، و كان تفرقهم لم يعد تفرقا إلا[6] زمنا يسيرا ، ثم اجتمعوا فلم يؤمن منهم من يعد

(١) زيد فى الأصل : الله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الاصل : مهاجر (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : باطباق (٥-٥) من م ، و فى الأصل : نقص العهد ، و فى ظ : بعضهم بالوعد (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لا .

خلافه

خلافه[1] لباقيهم تفرقا لكونه قليلا من كثير ، فلذلك أدخل الجار فقال :
﴿ الا من بعد ﴾ و كان ذلك الزمن اليسير هو باسلام من أسلم من
قبائل العرب الذين[2] كانوا قد أطبقوا على النصرانية من تنوخ و غسان
و عاملة و بكر بن وائل و عبد القيس و نحوهم و كذا من كان تهود
من قبائل اليمن و أسلم ، ثم أطبق اليهود و النصارى على الضلال فلم يسلم ٥
منهم إلا من لا يعد لقلته مفرقا لهم ﴿ ما ﴾ أى[3] الزمن[4] الذى ﴿ جآءتهم ﴾
فيه أو مجىء ﴿ البينة[5] ﴾ فكان حالهم كما قال سبحانه "وكانوا من قبل
يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به[5]" و قد كان مجئى
البينة يقتضى اجتماعهم على الحق ، [6]لا تفرقهم فيه[6] ، و كأنه أشار إلى المشركين
بالعاطف و لم يصرح بذكرهم لأنهم كانوا عكس أهل الكتاب لم يتفرقوا ١٠
إلا زمنا يسيرا فى أول الامر ، فكان الضال منهم أكثر ، ثم أطبقوا على
الهدى لما لهم من قويم الطبع و معتدل المزاج ، فدل ذلك على غاية العوج
لأهل الكتاب لأنهم كانوا لما عندهم من العلم أولى من المشركين بالاجتماع
على الهدى ، و دل ذلك على أن وقوع اللدد و العناد / من العالم أكثر ، / ٨٢٤
و حصول الآفة لهم من قوة ما لطباعهم من كدر النقص بتربيته و تنميته ١٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : خلافهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الذى (٣) ليس فى ظ (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : زمن (٥) زيد فى الأصل : فاستحقوا اللعن ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لأنه تفرقهم .

بالمعاصى من أكل السحت من الربا و غيره من الكبائر و التسويف بالتوبة ، فألفت ذلك أبدانهم فأشربته قلوبهم حتى تراكم ظلامها ، وتكاثف رينها و غمامها ، فلما دعوا لم يكن عندهم شيء من نور تكون لهم به قابلية الانقياد للدعاء .

٥ و لما [١] كان حال من ضل على علم أشنع ، زاد فى فضيحتهم فقال : ﴿ و ما ﴾ أى فعلوا ذلك و الحال أنهم ما . و لما [١] كان المقصود بروز الأمر المطاع [٢] ، لا تعيين الآمر ، قال بعد وصف الصحف بأنه ثبت أنها قيمة بانيا للمفعول : ﴿ امروا ﴾ أى وقع أمرهم بما أمروا به ممن إذا أطلق الأمر لم يستحق أن ينصرف إلا إليه ، فى تلك الكتب التى ١٠ اوجب ثبوت اتباعها و أذعنوا [له - [٣]] ﴿ الا ليعبدوا ﴾ أى لأجل أن يعبدوا ﴿ الله ﴾ أى الإله الذى له الأمر كله و لا أمر لأحد غيره بأن يوجدوا عبادته و يجددوها فى كل وقت ، و العبادة امتثال أمر الله تعالى كما أمر على الوجه المأمور به من أجل أنه آمر ، مع المبادرة بغاية الحب و الخضوع و التعظيم ، و ذلك مع الاقتصاد لئلا ١٥ يمل الإنسان فيخل [٤] أو يحصل له الإعجاب فتفسد [٥] عبادته ، حال كونهم ﴿ مخلصين ﴾ أى ثابتا غاية الثبات إخلاصهم ﴿ له الدين ﴾ بحيث لا يكون فيه شوب شيء مما يكدره من شرك جلى و لا خفى بأن

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م ، وفى الأصل : المستطاع .
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فيحل (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : مفسد .

يكون الامتثال لكونه أمر لرضاه لا لشيء من نفع و لا دفع[1]، و يكون ذلك على الصواب، فان كثيرا من العاملين يكون مخلصا، و يكون بناؤه بغير أساس صالح، فلا ينفعه بل يكون وبالا عليه، فانه ضيع الأصل كالرهبان و كذا كثير ممن يعتقد ولاية شخص و هو لا يعرف أن يميز بين الولى و العدو و المكرم و المستدرج، و حقيقة الإخلاص أنه إفراد الحق فى الطاعة بالقصد[2] مع نسيان الخلق فى الأعمال و التوصل إليه بالتوقى عن ملاحظتهم مع التنقى عن مطالعة النفس برؤية العبد نفسه عبدا مأمورا لا يريد ثوابا، جاعلا[3] كل شيء وسيلة إلى الله، و علامته عدم رؤية العمل، و يعرف ذلك بالخوف و عدم الالتفات إلى طلب الثواب، وبالحياء منه لكونه يرى أنه ما قام بحق السيد على ما ينبغى كما قال تعالى " يؤتون ما آتوا و قلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون" قال القشيرى: [و يقال -[4]]: الإخلاص تصفية العمل من الخلل، و قال الرازى: الإخلاص النية الصافية لأن [النية -[5]] دائمة[6]، و العمل ينقطع، و العمل يحتاج[7] إلى النية، و النية لا تحتاج إلى العمل، و لأجل[8] ما أفهمه التعبير بالاسم من التمكن و الثبات أكده بقوله: ﴿ حنفاء ﴾ أى فى غاية الميل

(١) زيد فى الأصل و ظ: ضرر، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بالقدر (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عاجلا (٤) زيد من م (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، و فى الأصل و ظ: الدائمة (٧) من م، و فى الأصل و ظ: محتاج (٨) من م، و فى الأصل و ظ: لاجله.

مع الدليل [1]إلى القوم[1] بحيث لا يكون عندهم اعوجاج أصلا، بل مهما حصل أدنى زيغ عرضوه على الدليل فمالوا معه بما لهم من الحنف فقادهم[2] إلى الصلاح / فصاروا فى غاية الاستقامة، و تلك هى العبادة الإحسانية، ٨٢٥/

و أصل الحنف فى اللغة: الميل، قال الملوى: و خصه العرف بالميل إلى الخير، و لذا سمى الأحنف بن قيس [لميل -[3]] فى رجليه إلى داخل من جهة القدام إلى الوراء، و سموا الميل إلى الشر إلحادا، فالحنيف المطلق الذى يكون متبرئا عن أصول الملل الخمس: اليهود و النصارى و الصابئين و المجوس و المشركين، و عن فروعها من جميع النحل إلى الاعتقادات الحقة، و عن توابعها من الخطايا و السيئات إلى العمل الصالح و هو مقام التقى [و -[4]]، عن المكروهات إلى المستحبات و هو المقام الأول من الورع، و عن الفضول شفقة على خلق الله و هو[5] ما لا يعنى إلى الذى يعنى، و هو المقام [التانى من الورع، و عما يجر إلى الفضول و هو -[3]] مقام الزهد، فالآية جامعة لمقامى الإخلاص الناظر أحدهما إلى الحق، و الثانى إلى الخلق، فالإخلاص لمقام المشتغل بالمصفى له لأنه إفراد الحق بالقصد فى الطاعة، و الحنوف لمقام المشتغل بالمصفى منه لأنه الميل عن سائر المخلوقات إلى الله تعالى و إلى ما يرضيه.

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: الاقوم (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نقادوا (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل: ترك، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و لما

و لما ذكر أصل الدين، أتبعه الفروع، فبدأ بأعظمها الذى مر بجمع الدين و موضع التجرد عن العوائق فقال: ﴿و يقيموا﴾ أى يعدلوا من غير اعوجاج ما، بجميع الشرائط و الأركان و الحدود ﴿الصلوٰة﴾ لتصير بذلك أهلا لأن تقوم بنفسها، و هى التعظيم لأمر الله تعالى.

و لما ذكر صلة الخالق، أتبعها وصلة الخلائق فقال: ﴿و يؤتوا الزكوٰة﴾ [أى-١] بأن يحضروها لمستحقيها شفقة على خلق الله إعانة على الدين، و لكنهم حرفوا ذلك و بدلوه بطباعهم المعوجة، و تدخل الزكاة عند أهل الله فى كل ما رزق الله من عقل و سمع و بصر و لسان و يد و رجل و وجاهة و غير ذلك - كما هو واضح من قوله تعالى "و مما رزقناهم ينفقون".

و لما كان هذا دينا حسنا [بينا-٢] فضلوا عنه على [ما-٢] عندهم من الأدلة، زاد فى توبيخهم بمدحه فقال: ﴿و ذلك﴾ أى و الحال أن هذا الموصوف من العبادة على الوجه المذكور الذى هو فى غاية العلو و الخير ﴿دين القيمة﴾ أى الملة أو النفوس أو الكتب التى لاعوج فيها، و هو على الأول من إضافة ٣الموصوف إلى الصفة٣، و عن الخليل أنه قال: هو جمع قيم، و القيم و القائم واحد، و المعنى دين القائمين لله تعالى بالتوحيد، و دل على ما قدرته فى أمر المشركين بذكرهم ٤فى نتيجة٤ ما

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: الصفة الى الموصوف (٤-٤) من ظ و م. و فى الأصل: بنتيجة.

مضى [1]فى قوله[1] مؤكدا لأجل إنكارهم : ﴿ ان الذين كفروا ﴾ أى وقع منهم الستر لمرائى عقولهم بعد صرفها للنظر الصحيح فضلوا و استمروا على ذلك و إن لم يكونوا عريقين فيه ﴿ من اهل الكتب ﴾ أى اليهود و النصارى ﴿ و المشركين ﴾ أى العريقين فى الشرك ، و دل بالإتيان بالوصف هنا و الفعل فى أولئك[2] - و الله أعلم - على أن المشرك[3] يرجع عن[4] شركه و يؤمن إن لم يكن عريقا فى الشرك بخلاف أهل الكتاب متى تلبس أحد منهم بكفر لايرجع عنه و إن كان / تلبسه به على أضعف الوجوه ، و كذا كل من ينسب إلى علم و لاسيما إن كان بليدا متى عرضت له شبهة بعد رجوعه عنها ، فلذلك جمع بينهم فى قوله : ﴿ فى نار جهنم ﴾ أى النار التى تلقاهم بالتجهم والعبوسة تكون عذابا لأجسامهم ﴿ [1]خلدين فيها[1] ﴾ أى يوم القيامة أو فى الحال لسعيهم فى موجباتها ، و اشتراك الفريقين فى جنس العذاب لايوجب التساوى فى النوع بل يختلف بحسب اشتداد الكفر و خفته .

/ ٨٢٦

و لما كان معظم السياق للعبادة و الترغيب فيها من القراءة والسجود و الانفكاك عن الكفر ، لم يذكر التأبيد بلفظه ، بل اكتفى بما دل عليه و قال فى نتيجة ما مضى : ﴿ اولئك ﴾ أى البعداء البغضاء ﴿ هم ﴾ أى خاصة بما لضمائرهم من الخبث ﴿ شر البرية[5] ﴾ أى الخليقة الذين أهملوا

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بقوله (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : او- كذا (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : المشركين (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فى .

إصلاح أنفسهم ، و فرطوا فى حوائجهم و مآربهم ، و هذا نار لأرواحهم حين ينادى عليهم به .

و لما ذكر الأعداء و بدأ بهم ، لأن السياق لذم من جمد مع المألوف[1] و ترك المعروف ، أتبعه الأولياء فقال مؤكدا لما للكفار من الإنكار : ﴿ ان الذين امنوا ﴾ أى أقروا بالإيمان من الخلق كلهم[2] الملائكة ٥ و غيرهم ﴿ و عملوا ﴾ أى تصديقا لإيمانهم ﴿ الصلحت ﴾ أى [هذا -[3]] النوع . و لما كان نعيم القلب أعظم ، قدمه على نعيم البدن إبلاغا فى مدحهم فقال : ﴿ اولئك ﴾ أى العالو الدرجات ﴿ هم ﴾ أى خاصة ﴿ خير البرية ﴾ .

و لما خصصهم بالخيرية ، ذكر ثوابهم ، فقال ذاكرا جنه أبدانهم معظما ١٠ لهم بالتعبير عن إنعامه عليهم بلفظ الجزاء المؤذن بأنه فى مقابلة ما وصفوا به : ﴿ جزآؤهم ﴾ أى على طاعاتهم ، و عظمه بقوله : ﴿ عند ربهم ﴾ إليهم المربى لهم و أى المحسن ﴿ جنت عدن ﴾ أى إقامة لا تحول عنها ﴿ تجرى ﴾ أى جريا دائما لا انقطاع له . و لما كان عموم الماء مانعا من تمام اللذة ، قرب و بعض بقوله : ﴿ من تحتها ﴾ أى تحت أرضها ١٥ و غرفها و أشجارها ﴿ الانهر ﴾ .

و لما كانت اللذة لاتكمل إلا بالدوام قال : ﴿ خلدين فيها ﴾ و لما كان النظر إلى الترغيب فى هذا السياق أتم حثا على اتباع الدليل

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : المالوفة (٢) زيد فى ظ : من (٣) زيد من ظ و م .

المعروف ، و المفارقة للحال المألوف ، أكد معنى الخلود تعظيما لجزائهم بقوله : ﴿ ابدا ﴾ .

و لما كان هذا [كله -[1]] ثمرة الرضا ، و كان التصريح به أقر للعين لأنه جنة الروح ، قال مستأنفا أو معللا : ﴿ رضى الله ﴾ أى بما له من نعوت الجلال و الجمال ﴿ عنهم ﴾ أى بما كان سبق لهم [2]من العناية و التوفيق . و لما كان الرضا إذا كان من الجانبين ، كان اتم و أعلى لهم[2] قال : ﴿ و رضوا عنه ﴾ لأنهم[3] لم يبق لهم أمنية إلا أعطاهموها مع علمهم أنه متفضل فى جميع ذلك ، لا يجب عليه لأحد شىء و لا يقدره أحد حق قدره ، فلو أخذ الخلق بما يستحقونه أهلكهم ، و أعظم نعمه عليهم ما منّ / عليهم به من متابعتهم رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فان ذلك كان سببا لكل خير . /٨٢٧

و لما كان ذلك ربما ادعى أنه لناس مخصوصين[4] فى زمان مخصوص ، قال معمما له و منبها على الوصف الذى كان سبب أعمالهم التى كانت [5]سبب جزائهم : ﴿ ذلك ﴾ أى الأمر العالى الذى جوزوا به ﴿ لمن خشى ربه ﴾ أى خاف المحسن إليه خوفا[5] يليق به ، فلم يركن إلى التسويف و التكاسل ، و لم يطبع نفسه بالشر بالجرى مع الهوى فى التطعم بالمحرمات بل كان ممن[6]

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٣) من م ، وفى الأصل وظ : لأنه (٤) من م ، وفى الأصل و ظ : مخصوص (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : مما .

يطلب معالى الأخلاق فيستفتى قلبه فيما يرضى ربه، فكان تواتر إحسانه يزيده خوفا فيزيده شكرا، فان الخشية ملاك الأمر، و الباعث على كل خير، و هى للعارفين، قال الملوى ما معناه: إن الإنسان إذا استشعر عقابا يأتيه أو خسرا، لحقته حالة يقال لها الخوف و هى انخلاع القلب عن طمأنينة [1]الأمن و قلقه[1] و اضطرابه لتوقع مكروه، فان اشتد سمى وجلا لجولانه ٥ فى نفسه، فاذا اشتد سمى رهبا[2] لأدائه إلى الهرب، و هى حالة المؤمنين الفارين إلى الله و من غلب عليه الحب لاستغراق فى شهود الجماليات لحقته حالة تسمى مهابة إذ لا ينفك عن خوف إبعاد أو صد لغفلة أو ذلة، و من غلب عليه التعظيم لاستغراق فى شهود الجلاليات[3] صار فى الإجلال، و وراء هذا[4] الخشية "إنما يخشى الله من عباده العلماء" فمن خاف ربه هذا ١٠ الخوف انفك من جميع ما عنده مما لا يليق بجنابه سبحانه، و لم يقدح فى البينة و لا توقف فيها، و ما فارق الخوف قلبا إلا خرب، فكان جديرا بأن يقدح فى كل ما أدى إلى العمارة، و قد رجع آخر السورة على أولها بذلك، و بتصنيف[5] الناس صنفين: صنف انفك عن هوى نفسه فأنجاها، و صنف استمر فى أسره فأرداها، و قد ذكرت فى «مصاعد ١٥ النظر للاشراف على مقاصد السور» سر تخصيص النبى صلى الله عليه و سلم لأبى[6] رضى الله عنه بقراءة هذه السورة عليه بخصوصها، و حاصله

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: انقلب و قلقه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ذهبا (٣) من م، و فى الأصل و ظ: الجلائيات - كذا (٤) فى ظ: هذه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بتنصيف (٦) من م، و فى الأصل و ظ: لأبى بكر.

أن سبب تخصيصه بذلك أنه وجد اثنين من الصحابة رضى الله عنهم قد خالفاه فى القراءة فرفعهما[٢] إلى النبى صلى الله عليه و سلم فأمرهما فعرضا عليه فحسن لهما، قال: فسقط فى نفسى من التكذيب أشد مما [كان -[٢]] فى الجاهلية، فضرب صلى الله عليه و سلم فى صدرى ففضت عرقا، وكأنما ٥ أنظر إلى الله فرقا، ثم قص علىّ خبر التخفيف [٢]بالسبعة الأحرف[٣]، وكانت السورة التى وقع فيها الخلاف النحل و فيها أن الله يبعث رسوله صلى الله عليه و سلم يوم البعث شهيدا، و أنه نزل عليه الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة، و أنه نزل عليه روح القدس بالحق ليثبت الذين آمنوا، و أن اليهود اختلفوا فى السبت، / و سورة "لم يكن" على قصرها حاوية / ٨٢٨ ١٠ إجمالا لكل ما فى النحل على طولها بزيادة، و فيها التحذير من الشك بعد البيان، و تقبيح حال من فعل ذلك، و أن حاله يكون كحال الكفرة من أهل الكتاب فى العناد، فيكون شر البرية، فقرأها النبى صلى الله عليه و سلم [عليه -[٢]] رضى الله عنه تذكيرا له بذلك كله على وجه أبلغ و أخصر ليكون أسرع له تصورا فيكون أرسخ فى النفس و أثبت ١٥ فى القلب و أعشق[٤] للطبع، فاختصه الله بالتثبيت و أراد له الثبات، فكان من المريدين المرادين لما وصل إليه قلبه ببركة ضرب النبى صلى الله عليه و سلم لصدره من كشفه الحجب و نفى الشياطين و النظر إلى سبحات القدس

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فى رفعهما (٢) زيد من ظ و م (٢-٣) من ظ وم، و فى الأصل: بالاحرف السبعة (٤) من ظ وم، و فى الأصل: اعتق.

و شهود[1] تلك الحضرة الشماء، و صيرورته إلى أن يكون أصفى الصحابة رضى الله عنهم مراقبه لتلاوة النبى صلى الله عليه و سلم بما يتذكر من الأمر الشريف بتخصيصه بذلك، فيصير كلما قرأ هذه السورة الجامعة غائبا عن تلاوة نفسه مصغيا بأذنى قلبه إلى روح النبوة يتلو عليه ذلك فيدوم له حال الشهود الذى وصل إليه بسر تلك الضربة. و لثبوته فى هذا المقام قال صلى الله عليه و سلم: أقرؤكم[2] أبىّ - رواه أحمد و الترمذى[3] و ابن ماجه[4] عن أنس رضى الله تعالى عنه و هو صحيح، و رواه بعضهم مرسلا، و مما فيه و لم أذكره[5] فى المصاعد سنة التواضع حتى لا يمنع [6]أحدا ما[6] يراه من علوه من القراءة على من هو دونه فانه ما منع أكثر أهل الكتاب من الإسلام إلا رؤية ما كانوا عليه من العلم بكتب الله و سنن الرسل عليهم الصلاة و السلام و جهل العرب بذلك، فنظروا إلى ما كان و لم ينظروا إلى الحالة الراهنة[7] الآن، فخلق الحسد أديانهم و سلبهم إيمانهم، و صاروا أشقى الناس - كما نبه عليه أول السورة - نسأل الله العفو و العافية [8]فى الدين و الدنيا و الآخرة - آمين[8].

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الشهود الى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اقرركم (٣) راجع مواقيت الصلاة (٤) راجع ص ١٤ (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لم اذكر (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: ما احد (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الرهنة (٨-٨) فى ظ: والله أعلم.

سورة الزلزلة[1]

مقصودها انكشاف الأمور، و ظهور المقدور أتم[2] ظهور، و انقسام الناس فى الجزاء فى دار البقاء إلى سعادة و شقاء[3]، و على ذلك دل اسمها بتأمل الظرف و مظروفه، و ما أفاد من بديع القدر و صروفه ﴿بسم الله﴾ المحيط بكل شيء قدرة و علما ﴿الرحمن﴾ الذى عم الخلق بنعمته الظاهرة قسما ﴿الرحيم*﴾ الذى أتم النعمة على خواصه حقيقة و اسما، عينا و رسما.

لما ختم تلك بجزاء الصالح و الطالح فى دار البقاء على ما أسلفوه فى مواطن الفناء[4]، ذكر فى هذه أول مبادئ تلك الدار[5] و أوائل غاياتها، و ذكر فى القارعة ثوانى مبادئها و آخر غاياتها، و أبلغ فى التحذير بالإخبار باظهار ما يكون عليه الجزاء، فقال معبرا بأداة التحقق / لأن الأمر حتم لا بد من كونه[6]: ﴿اذا﴾. ٨٢٩ / ١٠

و لما كان المخوف الزلزلة و لو لم يعلم فاعلها، و كان البناء للمفعول يدل على سهولة الفعل و يسره جدا، بنى للمفعول قوله: ﴿زلزلت الارض﴾ أى حركت واضطربت زلزلة البعث بعد النفخة الثانية بحيث يعمها ذلك

(١) التاسعة والتسعون من سور القرآن الكريم، مدنية، وعدد آيها ٨ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ام (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شقاوة (٤) من ظ و م، و فى الأصل: البقاء (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الداية (٦) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

لا كما كان يتفق قبل ذلك من زلزلة[1] بعضها دون بعض و على وجه دون ذلك، و عظم هذا الزلزال و هوّله بابهامه لتذهب النفس فيه كل مذهب، فقال كاسرا الزاء لأنه[2] مصدر، و لو فتحها لكان اسما للحركة، قال البيضاوى[3]: و ليس إلا فى المضاعف. ﴿زلزالها﴾ أى تحركها و اضطرابها الذى يحق لها فى مناسبته لعظمة[4] جرم الأرض وعظمة ٥ ذلك اليوم، و لو شرح بما يليق به لطال الشرح، و ذلك كما تقول: أكرم التقى إكرامة و أهن الفاسق [الشقى - [5]] إهانة، أى على حسب ما يليق به.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: وردت عقب سورة البرية ليبين بها[6] حصول جزاء الفريقين و مآل الصنفين المذكورين فى قوله تعالى ١٠ "ان الذين كفروا من اهل الكتاب و المشركين - إلى قوله: اولئك شر البرية" و قوله "ان الذين آمنوا" - إلى آخر[7] السورة. و لما كان حاصل ذلك افتراقهم على صنفين و لم يقع تعريف بتباين[8] أحوالهم، أعقب ذلك بمآل الصنفين و استيفاء جزاء[9] الفريقين المجمل ذكرهم فقال تعالى "يومئذ يصدر الناس اشتاتا ليروا اعمالهم" إلى آخر السورة - انتهى. ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: زلت (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لانها. (٣) راجع الأنوار ص: ٨٠٧ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كعظمة (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: به (٧) فى ظ: خاتمة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: تباين (٩) من ظ و م، و فى الأصل: خبر.

و لما كان الاضطراب العظيم يكشف عن الخفى فى المضطرب[1] قال: ﴿ و اخرجت ﴾ و أظهر و لم يضمر تحقيقا للعموم فقال: ﴿الارض﴾ أى كلها ﴿ اثقالها ﴾ أى مما هو مدفون فيها كالأموات[2] و الكنوز التى[3] كان أمرها ثقيلا على الناس، و هو جمع ثقل ـ بالكسر، و ذلك ٥ [4]حين يكون[4] البعث و القيام متأثرا ذلك الإحراج عن ذلك الزلزال، كما يتأثر عن زلزال البساط بالنفض إخراج ما فى بطنه و طيه و غضونه من وسخ و تراب و غيره، و ما كان على ظهرها فهو ثقل عليها لأنها يعطيها الله قوة إخراج ذلك كله كما كان يعطيها قوة [5]أن تخرج[5] النبت الصغير اللطيف الطرى الذى هو أنعم من الحرير فيشق الأرض ١٠ الصلبة التي تكل عنها المعاول[6] و الحديد، و يشق النواة مع ما لها من الصلابة التى تستعصى بها على الحديد فينفلق نصفين و ينبت منها ما يريده سبحانه و تعالى، و يفلق قشر الجوز و اللوز و نوى[7] الخوخ و غيره مما[8] هو فى غاية الصلابة كما نشاهده، و يخرج منه الشجر بشق الأرض على ضعفه و لينه و صلابتها / و بكونه على ظهرها حتى يصير أغلظ شىء ١٥ و أشده، و كذا الحب سواء، فالذى قدر على ذلك هو سبحانه و تعالى

/ ٨٣٠

(١) من ظ وم، وفى الأصل: المضطر (٢) فى م: من الأموات (٣) من ظ وم، و فى الأصل: الذى (٤-٤) من ظ وم، و فى الأصل: يكون حين (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: اخراج (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المعاويل (٧) من ظ و م، و فى الأصل: نقا (٨) من ظ و م، و فى الأصل: ما.

قادر على تكوين الموتى[1] فى بطن الأرض و إعادتهم على ما كانوا عليه كما يكون الجنين فى البطن و يشق[2] / حميع منافذه على التحذير من السمع و البصر و الفم و غير ذلك من [غير -[3]] أن يدخل [إلى -[3]] هناك بيكار و لا منشار ، ثم يخرج من البطن ، فكذا إخراج الموتى من غير فرق ، كل عليه هين - سبحانه ما أعظم شأنه و أعز سلطانه . ٨٣٠ / ٥

و لما كان الإنسان إذا رأى هذا عجب له و لم يدرك سببه لأنه أمر عظيم فظيع[4] يبهر عقله و يضيق عنه ذرعه ، عبر [عنه -[5]] بقوله[6] : ﴿و قال الانسان﴾ أى هذا النوع الصادق بالقليل و الكثير لما له من النسيان لما تأكد عنده من أمر البعث بما له من الأنس بنفسه و النظر فى عطفه ، على سبيل التعجب و الدهش أو الحيرة ، و يجوز أن يكون القائل الكافر كما يقول "من بعثنا من مرقدنا" فيقول له المؤمن "هذا ما وعد الرحمن و صدق المرسلون" : ﴿ما لها﴾ أى أىّ شىء للأرض فى هذا الأمر الذى لم يعهد مثله . ١٠

و لما طال الكلام و أريد التهويل ، أبدل من "إذا" قوله معرفا للانسان ما سأل عنه : ﴿يومئذ﴾ [أى -[3]] إذ كان ما ذكر من الزلزال ١٥

(١) زيد فى الأصل و ظ : من غير فرق ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها .
(٢) زيد فى الأصل : على ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من م .
(٤) زيد فى الأصل : شنيع ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : فقال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

و ما لزم عنه و نصبه و كذا ما أبدل منه بقوله: ﴿تحدث﴾ أى الأرض بلسان الحال باخراج ما فى بطنها من الموتى و الكنوز و غيرها على وجه يعلم الإنسان به لم زلزلت و لم أخرجت، و أن الإنذار بذلك كان حقا، و قال ابن مسعود رضى الله عنه[1]: تحدث بلسان المقال. ﴿اخبارها[2]﴾ أى[3] التى زلزلت و أخرجت ما أخرجت لأجلها، و كل شىء عمل عليها شهادة[4] منها على العاملين[5] فتقول: عمل فلان كذا و كذا - تعدد حتى يود المجرم أنه يساق إلى النار لينقطع عنه تعداد[6] ذلك الذى يلزم منه العار، و تشهد للمؤمن بما عمل حتى يسره ذلك، فيشهد للمؤذن كل ما امتد إليه صوته من رطب و يابس.

و لما كان من المقرر أنه لا يكون شىء إلا باذنه تعالى، و كان قد بنى الأفعال لما لم يسم فاعله، فكان الجاهل ربما خفى عليه فاعل ذلك قال: ﴿بان﴾ أى تحدث بسبب أن ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك باحقاق الحق و إزهاق الباطل لإعلاء شأنك ﴿اوحى﴾ و عدل عن حرف النهاية إيذانا بالإسراع فى الإيحاء فقال: ﴿لها﴾ أى بالإذن فى التحديث المذكور بالحال أو المقال.

و لما أخبر تعالى باخراج الأثقال التى منها الأموات، اشتد التشوف

(١) راجع تفسير الطبرى ٣٠/ ١٤٧ (٢) زيد فى الأصل: الارض، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: شهادته (٤) من م و فى الأصل و ظ: العالمين (٥) من ظ و م، و فى الأصل: تعدد.

إلى

إلى هيئة ذلك الإخراج و ما يتأثر عنه ، فقال مكررا ذكر[1] اليوم زيادة في التهويل : ﴿ يومئذ ﴾ أي إذ كان ما تقدم و هو حين[2] يقوم الناس من القبور ﴿ يصدر ﴾ أي يرجع رجوعا هو في غاية السرعة و الاهتداء إلى الموضع الذي ينادون منه لا يغلط أحد منهم فيه و لا يضل [عنه -[3]] ﴿ الناس ﴾ من قبورهم [4]إلى ربهم[4] الذي كان لهم بالمرصاد ٥ ليفصل بينهم ﴿ اشتاتا ﴾ أي متفرقين بحسب مراتبهم في الذوات[5] و الأحوال من مؤمن و كافر ، و آمن و خائف ، و مطيع و عاص .

و لما ذكر ذلك ، أتبعه علته فقال بانيا للمفعول على طريقة كلام القادرين : ﴿ ليروا ﴾ أي / يرى الله المحسن منهم و المسيء بواسطة من ٨٣١ / يشاء من جنوده أو بغير واسطة حين يكلم سبحانه و تعالى كل أحد ١٠ من غير ترجمان و لا واسطة كما أخبر بذلك رسوله صلى الله عليه و سلم ﴿ اعمالهم ﴾ فيعلموا جزاءها أو صادرين عن الموقف كل إلى داره ليرى جزاء عمله ، ثم سبب عن ذلك قوله مفصلا الجملة التي قبله : ﴿ فمن يعمل ﴾ من محسن أو مسيء مسلم أو كافر ﴿ مثقال ﴾ أي مقدار[6] وزن ﴿ ذرة خيرا ﴾ أي من جهة الخير ﴿ يره ﴾ أي حاضرا لا يغيب عنه ١٥ شيء منه لأن المحاسب له الإحاطة علما و قدرة ، فالكافر يوقف على

(١) من ظ و م ، و في الأصل : ذاكرا (٢) زيد في الأصل : يوم ، ولم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤ - ٤) من ظ و م ، و في الأصل : التي كانت لهم (٥) من ظ و م ، و في الأصل : الذات (٦) زيد في الأصل و ظ « او » و لم تكن الزيادة في م فحذفناها .

أنه جوزى به فى الدنيا او أنه أحبط لبنائه على غير أساس الإيمان ، فهو صورة بلا معنى ليشتد ندمه و يقوى حزنه و أسفه ، والمؤمن يراه ليشتد سروره به .

و لما ذكر الخير ، أتبعه ضده فقال : ﴿ و من يعمل ﴾ أى كائنا من كان ﴿مثقال ذرة شرا ﴾ أى من جهة الشر[1] ﴿يره ٤ ﴾ فما فوقه ، فالمؤمن يراه و يعلم أنه قد غفرله ليشتد فرحه ، و الكافر يراه فيشتد حزنه و ترحه ، و الذره النملة الصغيرة أو الهباءة التى ترى [طائرة -[2]] فى الشعاع الداخل من الكوة ، و قد رجع آخرها على أولها بتحديث الأخبار و إظهار الأسرار[3] ، و قد ورد فى حديث الأعرابى أن هذه السورة جامعة لهذه الآية الأخيرة ، و قال ابن مسعود رضى الله عنه[4] : إنها أحكم آية فى القرآن ، و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم [يسميها - [5]] الفاذة الجامعة ، و من فقه ذلك لم يحقر ذنبا و إن دق لأنه يجتمع إلى أمثاله فيصير كبيرا[6] كما[7] قال صلى الله عليه و سلم لعائشة رضى الله عنها[8] : إياك و محقرات الذنوب ، فان لها من الله طالبا ، و روى كما ذكرته فى كتابى[9] « مصاعد النظر فى الإشراف على مقاصد السور » فى حديث

(١) زيد فى الأصل و ظ : فانه ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) زيد من ظ (٣) زيد فى الأصل : انتها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) راجع المعالم ٧/٢٣٤ (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كثيرا (٧) سقط من ظ و م (٨) راجع مسند الإمام أحمد ٦/٧٠ (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : كتاب .

[انها تعدل نصف القرآن ، و فى حديث - [1]] آخر أنها تعدل ربع القرآن ، [2]و لا تعارض[2]، فالأول نظر إليها من جهة أن الأحكام تنقسم إلى أحكام الدنيا و أحكام الآخرة ، و هذه السورة اشتملت على أحكام الآخرة إجمالا ، و زادت على [3]القارعة باخراج الأثقال[3] و أن كل أحد يرى كل ما عمل ، و الثانى نظر إليها باعتبار ما تضمنه الحديث الذى رواه الترمذى[4] عن على رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم قال : لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع : يشهد أن لا إله إلا الله و أنى رسول الله بعثنى بالحق ، و يؤمن بالموت ، و يؤمن بالبعث بعد الموت ، و يؤمن بالقدر . [فاقتضى -[1]] هذا الحديث أن الإيمان بالبعث الذى قررته هذه السورة ربع الإيمان الكامل الذى دل عليه القرآن ، و أيضا فأمر الدين أربعة أجزاء : أمر المعبود ، و أمر العبيد[6] ، و أمر العبادة ، [و أمر -[1]] الجزاء[7]، فهذه السورة تكفلت بأمر الجزاء ، و سورة الكافرون ربع لأنها فى أمر العبادة على وجه الخصوص و الخفاء و إن كانت على وجه التمام و الوفاء ، و سورة النصر ربع لأنها لأمر العبادة على وجه العموم و الجلاء و الظهور و العلا - [8]و الله الهادى للصواب و إليه المآب[8] .

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : فلا معارض (٣-٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الآخره باثقال الاحمال (٤) راجع الجامع - القدر (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : السه - كذا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : العبد . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بالجزاء (٨-٨) فى ظ : والله أعلم بالصواب ، وما بين الرقمين ساقط من م .

سورة العاديات[١]

مقصودها الإعلام بأن أكثر الخلق يوم الزلزلة هالك لإيثار الفانى من العز [و المال-[٢]] على الباقى عند ذى[٣] الجلال، المدلول عليه بالقسم و هو العاديات و المقسم عليه و ما عطف عليه، و قد علم أن اسمها أدل شيء على ذلك / لما هدى إليه[٤] القسم و المقسم عليه: ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الأمر كله فلا يسئل عما يفعل ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم[٥] نعمة إيجاده و بيانه فنعمته أتم نعمة و أشمل ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص خلص عباده بتوفيقه فأتم نعمته عليهم و أكمل. ٨٣٢ / ٥

لما ختم الزلزلة بالجزاء لأعمال[٦] الشر يوم الفصل، افتتح هذه ببيان ما يجر إلى تلك الأعمال من الطبع، و ما ينجر[٧] إليه ذلك الطبع مما يتخيله من النفع، موبخا من[٨] لايستعد لذلك اليوم بالاحتراز التام[٩] من تلك الأعمال، معنفا[١٠] من أثر دنياه على أخراه، مقسما بما لايكون إلا عند أهل النعم الكبار الموجبة للشكر، فمن غلب عليه الروح شكر، و من غلب

(١) المائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ١١ (٢) زيد من ظ و م.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: ذوى (٤) من م، و فى الأصل و ظ: عليه.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: عما (٦) من ظ و م، و فى الأصل: على الأعمال من (٧) من ظ و م، و فى الأصل: نجر (٨) من ظ و م، و فى الأصل: لمن.
(٩) من م، و فى الأصل و ظ: التمام (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: مشبتا.

عليه

عليه الطبع - و هم الأكثر - كفر فقال: ﴿ و العٰدِيٰت ﴾ أى الدواب التى من شأنها أن تجرى بغاية السرعة، و هى الخيل التى ظهورها[1] عز و بطونها كنز، و هى لرجل وزر و لرجل أجر، فمن فاخر بها و نادى بها أهل الإسلام و أبطره عزها حتى قطع الطريق و أخاف الرفيق كانت له شرا، و من جعلها فى سبيل الله كانت له أجرا، و من حمل[2] عليها و لم ينس حق الله فى رقابها و ظهورها كانت له سترا[3]، و إنما أقسم بها ليتأمل ما فيها من الأسرار الكبار التى باينت به أمثالها من الدواب كالثور مثلا و الحمار ليعلم أن الذى خصها بذلك فاعل [4]مختار واحد[4] قهار، فالقسم فى الحقيقة به سبحانه.

و لما كانت دالة على الضابحات بالالتزام، قال ناصبا به أو بـ «تضبح» مقدرا: ﴿ضبحا ۝﴾ [و الضبح -[5]] صوت جهير يخرج من أفواهها عند العدو الشديد، ليس بصهيل و لا حمحمة و لا رغاء و هو من النفس، و ليس شىء من الدواب يضبح[6] غير الفرس و الكلب و الثعلب، و أصله للثعلب و استعير للخيل، و حكاه ابن عباس رضى الله عنهما فقال: أح أح، او الضبح عدو دون التقريب.

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بطونها (٢) من ظ، و فى الأصل و م: عمل (٣) من ظ و م، و فى الأصل: سيرا (٤ - ٤) من م، و فى الأصل و ظ: واحد مختار (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: سفخ - كذا.

و لما ذكر عدوها، أتبعه ما ينشأ عنه، فقال عاطفا بأداة التعقيب لأن العدو بحيث يتسبب عنه و يتعقبه الإيراء: ﴿فالموريٰت﴾ أى المخرجات للنار بما يصطك من نعالها بالأحجار، لا سيما عند سلوك الأوعار.

و لما كان الإيراء أثر القدح قال: ﴿قدحاً﴾ أى تقدح ضربا بعنف كضرب الزند ليورى النار، و نسب الإيراء إليها لإيجادها صورته و إن لم يكن لها قصد إليه.

و لما ذكر العدو و ما يتأثر عنه، ذكر نتيجته و غايته فقال: ﴿فالمغيرٰت﴾ أى باغارة أهلها عليها / على [العدو و -[1]] الإغارة و الركض الشديد لإرادة القتل و النهب. و لما كانت الإغارة الكائن عنها الثبور و الويل أروع ما تكون فى أعقاب الليل قال: ﴿صبحاً﴾ أى ذات دخول فى الصباح. / ٨٣٣

و لما كان الأعداء[2] حال الإغارة يكون مختلفا تارة يمينا [و تارة-[1]] شمالا و تارة أماما و تارة وراء بحسب الكر و الفر فى المصاولة و المحاولة تارة أثر الهارب، و أخرى فى مصاولة المقبل المحارب، فينشأ عنها الغبار الكثير لإثارة الهواء له و اصطدام بعضه ببعض لتعاكسه بقوة الدفع من قوائمها و ما تحركه منه، و كان المقسم به منظورا فيه إلى ذاته و نتيجة القسم منظورا فيها إلى الفعل بادئ بدء مع قطع النظر بالأصالة عن[3] الذات، عطف على اسم الفاعل بعد حله إلى أن وصلتها فقال:

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اعداء (٣) من ظ و م، و فى الأصل: على.

﴿ فأثرن به ﴾ [أى - [1]] بفعل[2] الإغارة و مكانها و زمانها من شدة العدو ﴿ نقعا ﴾ أى غبارا مع الاعناق و الصياح و الزجر بالنعق حتى صار ذلك الغبار منحبكا و منعقدا عليها .

و لما كان المغير يتوسط الجمع عند اختلال حالهم فيفرق شملهم لأنهم متى افترقوا حصل فيهم الخلل ، و متى اختلفوا تخللهم العدو ففرق شملهم ٥ قال : ﴿ فوسطن به ﴾ أى بذلك النقع أو الفعل و الوقت و الموضع ﴿ جمعا ﴾ أى و هو المقصود بالإغارة ، فدخلت فى وسط ذلك الجمع لشجاعتها و قوتها و طواعيتها و شجاعة فرسانها .

و لما[3] أقسم بالخيل التى هى أشرف الحيوان[4] كما أن الإنسان المقسم لأجله أشرف ما اتصف[5] منه بالبيان ، و تجرى به أفكاره كخيل الرهان ، و تقدح ١٠ المعانى تارة مقترنة[6] بأشرف اللمعان ، و أخرى[7] بأخس ما يقع به الاقتران[8] ، من الزور و البهتان ، و الإلحاد و الطغيان ، و تغير[9] منه ثواقب[10] الأذهان ، تارة على شبه الخصوم بالبرهان . و أخرى بما يغير به من الشبه الملتبسة فى وجوه المعانى الحسان ، و ينثر تارة المعانى الصحيحة على أهل الطغيان ،

(١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ : فعل (٣) العبارة من هنا إلى « أولى الإيمان و » ص ٢١٤ س ٢ و ٣ ساقطة من ظ (٤) من م ، و فى الأصل : الحيوانات . (٥) من م ، و فى الأصل : اتصل (٦) من م ، و فى الأصل : مقرنة (٧) من م ، و فى الأصل : اخر (٨) من م ، و فى الأصل : الافتراق (٩) من م ، و فى الأصل : يعز (١٠) من م ، و فى الأصل : مواقبة .

من ذوى البدع و[1] الكفران ، و أخرى[2] الفاسدة على حزب الملك الديان ، و تتوسط تارة جمع أولى الطغيان ، و أخرى جمع أولى الإيمان ، و كانت الإغارة فى الغالب لأجل قهر المغار عليهم على أموالهم عدوانا إن كان ذلك فى غير الجهاد ، و إن كانت فى الجهاد فقل من ٥ يخلص فى ذلك الحال ، فيكون عمله ليس إلا لله كما أشار إليه الحديث القدسى[3] " ان عبدى كل عبدى للذى يذكرنى عند لقاء قرنه " قال مجيبا للقسم بذكر المقسم عليه حاكما على النوع باعتبار عد المخلص لقلته عدما ، مؤكدا لما لهم من تكذيب ذلك فان كل أحد يتبرأ من مثل هذا الحال : ﴿ ان الانسان ﴾ أى هذا النوع بما له من الأنس بنفسه ١٠ و النسيان لما ينفعه ﴿ لربه ﴾ أى المحسن إليه بابداعه ثم إبقائه وتدبيره و تربيته[4] ﴿لكنود ج﴾ أى كفور نكد لسوء المعاملة حيث يقدم بما أحسن به الله إليه من الصافنات الجياد و بما آتاه من قوه الجنان و الأركان على ما نهاه عنه ، و مصدره الكنود بالضم و هو كفران النعمة ، فالمراد هنا - بالتعبير [عنه -[5]] بهذه الصيغة التى هى للمبالغة / - ٨٣٤ / ١٥ من يزدرى[6] القليل و لا يشكر الكثير ، و ينسى كثير النعمة بقليل المحنة ، و يلوم ربه فى أيسر[7] نقمة ، و قال الفضيل بن عياض : هو من أنسته

(١) فى م : أو (٢) من م ، و فى الأصل : اخر (٣) راجع الترمذى - الدعوات.
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : ترتيبه (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : دورى (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : السى - كذا .

الخصلة الواحدة من الإساءة الخصال الكثيرة من الإحسان[1]، و الشكور ضده .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : أقسم[2] سبحانه على [حال -[3]] الإنسان[4] بما هو فقال "ان الانسان لربه لكنود" أى لكفور، يبخل بما لديه من المال كأنه لا[5] يجازى و لا يحاسب على قليل ذلك وكثيره من أين ٥ أكتسبه و فيما أنفقه، وكأنه ما سمع بقوله تعالى "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شرا يره" "و انه لحب الخير" أى المال "لشديد" لبخيل، "و إنه على ذلك لشهيد" فان الله على ذلك لمطلع فلا نظر فى أمره و عاقبة مآله "إذا بعثر ما فى القبور و حصل ما فى الصدور" أى ميز ما فيها من الخير و الشر ليقع الجزاء عليه "إن ١٠ ربهم بهم يومئذ لخبير" لايخفى عليه شيء من أمرهم "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره و من يعمل مثقال ذرة شرا يره" - انتهى .

و لما كان إقدام الإنسان على الظلم عجبا، فاذا كان يشهد على نفسه بالظلم كان أعجب، قال[6] مؤكدا لما لأكثر الخلق قبل البعث و المحاققة[7] من إنكار كفرانه : ﴿ و انه ﴾ أى الإنسان ﴿ على ذلك ﴾ أى الكنود ١٥ العظيم حيث أقدم على مخالفة الملك الأعظم المحسن مع الكفر لإحسانه

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : الانسان (٢) زيد فى الأصل : بالله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الاحسان (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : لا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كان (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : المحققة .

﴿ لشهيد ﴾ لأنه مقر إذا حوقق بأن جميع ما هو فيه من إحسان ربه و بأن ربه نهاه عن المخالفة، أو أنه لا أمر عنده [منه-١] بما فعل، و أنه لا ينبغي لعاقل أن يتحرك بحركة يمكن أن يكرهها الملك الذى هو فى خدمته و لا شيء له إلا منه بغير إذنه، و أنه إن تحرك بغير ذلك كان ٥ كافرا لإحسانه مستحقا لعقابه، لا يقدر على إنكار شيء منه.

و لما كان من العجائب أن يكفر أحد إحسان المنعم، و هو شاهد على نفسه، ذكر الحامل له على ذلك حتى هان عليه فقال: ﴿ و انه ﴾ أى الإنسان من حيث هو مع شهادته على نفسه بالكفر الذى يقتضى سلب النعم ﴿ لحب ﴾ أى لأجل حب ﴿ الخير ﴾ أى المال الذى لا يعد غيره ١٠ لجهله خيرا ﴿ لشديد ﴾ أى بخيل بالمال ضابط له ممسك عليه، أو بليغ القوة فى حبه لأن منفعته فى الدنيا و هو متقيد بالعاجل الحاضر المحسوس مع علمه بأن أقل ما فيه أنه[٢] يشغله عن حسن الخدمة لربه و هو معرض عن الدين حيث كانت منفعته آجلة غائبة مع علمه بأن المعرّف بما يرضى من خدمة ربه الحاث[٣] عليها الداعى إليها فهو لحب عبادة الله[٤] ١٥ ضعيف متقاعس، و كان حبه الخير يقتضى عنه الشكر الذى يتقاضى الزيادة، و لا يتخيل أن شديدا عامل فى الحب لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبلها، و إنما[٥] ذلك المتقدم دليل على المعمول المحذوف.

---

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: إن (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الحادث (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ربه (٥) من م، و فى الأصل و ظ: ان.

و لما كان المال فانيا لا ينبغى لعاقل أن يعلق أمله به فضلا عن أن يؤثره على الباقى، نبهه على ذلك بتهديد بليغ. فقال مسببا عن ذلك معجبا، موقفا له على ما يؤول إليه أمره: ﴿ افلا يعلم ﴾ أى هذا الإنسان الذى / أنساه أنسه بنفسه. ٨٣٥ /

و لما كان الحب أمرا قلبيا، لا يطلع عليه إلا عالم الغيب، و كان البعث من عالم الغيب، و كان [١] أمرا لا بد منه، و كان المخوف مطلق كونه، لم يحتج إلى تعيين الفاعل، فبنى للمفعول قوله مهددا مؤذنا بأنه شديد القدرة على إثارة الخفايا، معلقا بما يقدره ما يؤول إليه أمره[٢] من أن الله يحاسبه[٣] و يجازيه على أعماله، و أنه لا ينفعه مال و لا غيره، و لا ينجيه إلا ما كان من أعماله موافقا لأمر ربه مبنيا على أساس الإيمان واقعا بالإخلاص[٤]: ﴿ اذا بعثر ﴾ أى أثير بغاية السهولة و أخرج و فرق و نظر و فتش بغاية السهولة. و لما كان الميت قبل البعث جمادا، عبر عنه بأداة ما لا يعقل فقال[٥]: ﴿ ما فى القبور ﴾ أى أخرج ما فيها من الموتى الذين تنكر العرب بعثهم[٦] فنشروا للحساب، أو من عظامهم و لحومهم و أعصابهم و جلودهم و جميع أجسامهم. و قلب بعضه على بعض حتى أعيد كل شىء منه على ما كان عليه، ثم أعيدت إليه الروح، فكان كل أحد على ما مات عليه.

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: امر (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يحاسب (٤) من ظ و م، و فى الأصل: بعد الاخلاص.
(٥) فى م: فقيل (٦) من م، و فى الأصل و ظ: بعثتهم.

و لما كان المخوف إنما هو ما يتأثر عن البعث من الجزاء على الأعمال الفاسدة قال: ﴿ و حصل ﴾ اى أخرج و ميز و جمع فعرف أنه معلوم كله بغاية السهولة كما أشار البناء للمفعول[1] ﴿ ما فى الصدور ﴾ أى من خير أو شر مما يظن مضمره أنه لا يعلمه أحد أصلا، و ظهر مكتوبا فى صحائف الأعمال، و هذا يدل على [ان -[2]] النيات يحاسب بها كما يحاسب على ما يظهر من آثارها.

و لما كان علم ما فى الصدور أمرا باهرا للعقل، قال جامعا نظرا إلى المعنى لما عبر عنه بالإفراد بالنظر إلى اللفظ، لأن العلم بالكل يلازمه العلم بالبعض بخلاف العكس مؤكدا إشارة إلى أنه مما لا يكاد يصدق، معللا للجملة المحذوفة الدالة على الحساب: ﴿ ان ربهم ﴾ أى المحسن إليهم بخلقهم و رزقهم و تربيتهم و جعلهم أقوياء سويين ﴿ بهم ﴾ قدم هذا الجار[3] و المجرور[4] لا للاختصاص، بل للاشارة إلى[5] نهاية الخبر. و لما كانت الخبرة للاحاطة بالشيء ظاهرا و باطنا، و كان يلزم من الخبرة بالشيء بعد كونه بمدد طوال الخبرةُ به حال كونه من باب الأولى قال: ﴿ يومئذ ﴾ أى إذ[6] كانت [هذه -[2]] الأمور و هو يوم القيامة ﴿ لخبير ﴾ أى محيط بهم من[7] جميع الجهات عالم غاية العلم ببواطن أمورهم، فكيف

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الى المفعول (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الاصل: للمعنى (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد فى الأصل: انها. و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل: يكون، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فى

بظواهرها

بظواهرها جواهر و أعراضا، أقوالا و أفعالا، خفية كانت أو ظاهرة، سرا كانت او علانية، خيرا كانت أو شرا، و من المعلوم أن فيها الظلم و غيره، و منهم المحسن و غيره، فلأجل علمه سبحانه بذلك غاية العلم يحاسبهم لئلا يقع ما ينافى الحكمة و هو أن تستوى الحسنة و السيئة، فالقصد بالقيد و تقديم الظرف الإبلاغ فى التعريف بأنه سبحانه و تعالى ٥ محيط العلم بذلك كما إذا قيل / لك: تعرف فلانا؟ فقلت: و لا أعرف / ٨٣٦ إلا هو، فان قصدك بذلك أن معرفتك به فى غاية الإتقان، لا نفى معرفة غيره، و فيه إشعار بأن كل أحد يعرف غاية المعرفة فى ذلك اليوم أنه سبحانه و تعالى [عالم - [1]] بأحواله لا ذهول له عن شيء من ذلك كما يقع فى هذه الدار من أن الإنسان يعمل أشياء كثيرة و هو ١٠ غافل عن أن ربه سبحانه مطلع عليه فيها، و لو نبه لعلم، فلاحاطته سبحانه و تعالى بجميع أحوالهم كان عالما [2]بأن الإنسان[2] لربه لكنود، و قد رجع آخرها إلى أولها، و تكفل مفصلها بشرح مجملها - و الله [3]الهادى للصواب[3].

---

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من م، و فى الأصل و ظ: بالانسان ان (٣-٣) فى ظ: أعلم بالصواب.

سورة القارعة[١]

مقصودها إيضاح يوم الدين بتصوير ثوانى أحواله فى مبدئه[٢] و مآله، و تقسيم الناس فيه إلى ناج و هالك، و اسمها القارعة واضح فى ذلك[٣] ﴿بسم الله﴾ الملك الأعلى ﴿الرحمن﴾ الذى عمت نعمة إيجاده و بيانه جميع الورى ﴿الرحيم ۝﴾ الذى خص أهل حزبه بالتوفيق لما يحب و يرضى.

لما ختم[٤] العاديات بالبعث، ذكر صيحته فقال: ﴿القارعة ۝١﴾ أى[٥] الصيحة أو القيامة، سميت بها لأنها تقرع أسماع الناس و تدقها دقا شديدا [عظيما -[٦]] مزعجا بالأفزاع، و الأجرام الكثيفة بالتشقق و الانفطار، و الأشياء الثابتة بالانتثار[٧].

و لما كانت تفوق الوصف فى عظم شأنها [و -[٦]] جليل سلطانها، عبر عن ذلك و زاده عظما بالإلهام و الإظهار فى موضع الإضمار مشيرا بالاستفهام إلى أنها مما يستحق[٨] السؤال عنه على وجه التعجيب و[٩] الاستعظام فقال: ﴿ما القارعة ۝٤﴾ و أكد تعظيمها [إعلاما -[٦]]

(١) الحادية و المائة من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها ١١.
(٢) من ظ و م، و فى الأصل: مبابه (٣) زيد فى الأصل: والله أعلم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من م، و فى الأصل و ظ: ختمت.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: أو (٦) زيد من ظ و م (٧) من م، و فى الأصل و ظ: بالانتشار (٨) فى ظ و م: يحق (٩) فى ظ و م: أو.

بأنه [مهما - [1]] خطر ببالك[2] من عظمها فهى أعظم منـــه[3] فقال : ﴿ و مآ ادرٰىك ﴾ أى و أىّ شىء أعلمك و إن بالغت فى التعرف ، و أظهر موضع الإضمار لذلك فقال : ﴿ ما القارعة[4] ﴾ أى أنك لاتعرفها لأنك لم تعهد مثله .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما قال الله سبحانه و تعالى ٥ "افلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور و حصل ما فى الصدور" كان ذلك مظنة لأن يسأل : متى ذلك ؟ فقيل : يوم القيامة الهائل الأمر ، الفظيع الحال ، الشديد البأس ، و القيامة هى القارعة ، و كررت تعظيما لأمرها كما ورد فى قوله تعالى "الحاقـــة ما الحاقة" و [فى - [1]] قوله سبحانه "فغشيهم من اليم ما غشيهم" ثم زاد عظيم[4] هولها إيضاحا بقوله تعالى ١٠ "يوم يكون الناس كالفراش المبثوث" و الفراش ما تهافت فى النار من البعوض[5] ، و المبثوث : المنتشر "و تكون الجبال كالعهن المنفوش" و العهن : الصوف المصبوغ ، و خص لإعـداده للغزل إذ لايصبغ لغيره / بخلاف الأبيض [فانه -[1]] لايلزم فيه ذلك ، ثم ذكر حال الخلق فى / ٨٣٧ وزن الأعمال و صيرورة كل فريق إلى ما كتب له و قدر - انتهى . ١٥

و لما ألقى السامع جميع فكره إلى تعرف أحوالها ، قال ما تقديره : تكون ﴿ يوم يكون ﴾ أى كونا كأنه جبلة ﴿ الناس ﴾ أى الذين[6] حالهم

(١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ : مالك (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : منها .
(٤) زيد فى الأصل : ما ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : البقوم (٦) فى ظ و م : الذى .

النوس على كثرتهم و اختلاف ذواتهم و أحوالهم و مراتبهم و مقاديرهم و انتشارهم بعد بعثرة القبور و تحصيل ما فى الصدور ﴿ كالفراش ﴾ أى صغار الجراد لأنها تتفرش و تتهافت على النار، أو [1]هو طير[1] غير ذلك لا دم له، يتساقط فى النار و ليس ببعوض و لاذباب، [2]و قال[2] حمزة الكرمانى: شبههم بالفراش التى تطير من هنا و من هنا و لاتجرى على سمت واحد و هى همج يجتلبها السراج، و قال غيره: وجه الشبه الكثرة و الانتشار و الضعف و الذلة و التطار إلى الداعى من كل جانب كما تتطار الفراش، و كثرة التهافت فى النار و ركوب بعضهم [بعضا -[3]] و موج بعضهم فى بعض من شدة الهول كما قال تعالى "كانهم جراد منتشر": ﴿ المبثوث[4] ﴾ أى المنتشر المتفرق .

[5]و لما كانت الجبال أشد ما تكون، عظم الرهبة بالإخبار بما يفعل بها[5] فقال تعالى: ﴿ و تكون الجبال ﴾ على ما هى عليه من الشدة و الصلابة و أنها صخور راسخة ﴿ كالعهن ﴾ أى الصوف المصبغ[6] لأنها ملونة كما قال تعالى "و من الجبال جدد بيض و حمر"[7] أى و[7] غير ذلك ﴿ المنفوش[5] ﴾ أى المندوف المفرق الأجزاء الذى ليس هو بمتلبد شىء منه على غيره،

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: هطه (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: على (٣) زيد من م (٤) العبارة من هنا إلى «بها فقال تعالى» ساقطة من ظ (٥) من م، و فى الأصل: فيها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المصبوغ. (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: الى .

فتراها

فتراها لذلك متطايرة فى الجو كالهباء المنثور حتى تعود الأرض كلها لاعوج فيها و لا أمتا .

و لما كان اليوم إنما يوصف لأجل ما يقع فيه ، سبب عن ذلك قوله مفصلا لهم : ﴿ فاما من ثقلت ﴾ أى بالرجحان . و لما كانت الموزونات كثيرة الأنواع جدا ، جمع الميزان باعتبارها فقال : ﴿ موازينه ﴾ أى مقادير أنواع حسناته باتباع [الحق -١] لأنه ثقيل فى الدنيا و اجتناب الباطل ، و الموزون الأعمال أنفسها تجسدا و صحائفها ﴿ فهو ﴾ بسبب رجحان حسناته ﴿ فى عيشة ﴾ أى حياة تتقلب فيها ، و لعله ألحقها الهاء الدالة على الوحدة - و المراد العيش - ليفهم أنها على حالة [واحدة -١] فى الصفاء و اللذة و ليست ذات ألوان كحياة الدنيا ﴿ راضية ﴾ أى ذات رضى أو مرضية [لأن أمه -١] جنة عالية ﴿ و اما من خفت ﴾ أى طاشت ﴿ موازينه ﴾ أى بأن غلبت سيئاته أو لم تكن له حسنة لاتباعه الباطل وخفته عليه فى الدنيا ﴿ فامه ﴾ أى التى تؤويه و تضمه إليها كما يقال للأرض : أم - لأنها تقصد لذلك ، و يسكن إليها كما يسكن إلى الأم ، و كذا المسكن ، و هو يفهم أنه مخلوق[٢] منها غلب عليه طبع الشيطان لكون العنصر النارى أكثر أجزائه ، و عظمها بالتنكير و التعبير بالوصف المعلم بأنه لا قرار لها فقال : ﴿ هاوية ﴾ أى نار نازلة سافلة جدا ، فهو بحيث لا يزال يهوى / فيها نازلا و هو فى عيشة ساخطة ، فالآية من الاحتباك ، ذكر العيشة أولا دليلا على حذفها ثانيا ، و ذكر

٨٣٨ /

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مخلوط .

الأم[1] ثانيا دليلا على حذفها أولا .

و لما كانت مما يفوت الوصف بعظيم أهوالها و شديد زلزالها، جمع الأمر فيها فقال منكرا ان يكون مخلوق يعرف وصفها[2] : ﴿و ما أدرٰك﴾ أى و أىّ شىء أعلمك و إن اشتد[3] تكلفك ﴿ماهيه ۝﴾ أى الهاوية ٥ لأنه لم يعهد أحد مثلها ليقيسها عليه ، و هاء السكت إشارة إلى أن ذكرها مما يكرب القلب حتى لا يقدر على الاسترسال فى الكلام ، أو [إلى -[4]] أنها مما ينبغى للسامع أن يقرع بهذا الاستفهام عنها سمعه فيسكت لسماع الجواب و فهمه غاية السكوت و يصغى غاية الإصغاء .

و لما هوّلها بما ذكر ، أتبعها ما[5] يمكن البشر معرفته من وصفها ١٠ فقال ﴿نار حامية ۝﴾ أى قد انتهى حرها ، هذا ما تتعارفونه بينكم ، و أما التفاصيل فأمر لا يعلمه إلا الله تعالى ، و هذا نهاية القارعة ، فتلاؤم[6] الأول للآخر واضح جدا و ظاهر - و الله أعلم .

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الامام (٢) زيد فى الأصل و ظ : فقال ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل : منك ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بما (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : فتلازم .

سورة التكاثر [١]

مقصودها التصريح بما أشارت إليه العاديات من أن سبب الهلاك يوم الجمع - الذى [٢] صورته القارعة - الجمع للمال، و الإخلاد إلى دار الزوال، و اسمها واضح الدلالة على ذلك ﴿ بسم الله ﴾ ذى الجلال و الإكرام ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بالإنعام، [بالبيان - [٣]] بعد الانبهام، و الإيجاد ٥ بعد الإعدام ﴿ الرحيم ۞ ﴾ الذى خص أهل وده [٤] بدوام نعمتهم بالإتمام.

لما أثبت فى القارعة أمر الساعة، و قسم الناس فيها إلى شقى و سعيد، و ختم بالشقى، افتتح هذه بعلة الشقاوة و مبدأ الحشر لينزجر السامع عن هذا السبب ليكون من القسم الأول، فقال ما حاصله: انقسمتم فكان قسم منكم هالكا لأنه ﴿ ألهاكم ﴾ أى أغفلكم إلا النادر منكم غفلة عظيمة ١٠ عن الموت الذى هو وحده كاف فى البعث على الزهد فكيف بما بعده ﴿ التكاثر ۝ ﴾ و هو المباهاة و المفاخرة بكثرة الأعراض الفانية من [٥] متاع الدنيا: المال و الجاه و البنين و نحوها مما هو شاغل عن الله، فكان ذلك موجبا لصرف الهمة كلها إلى الجمع، فصرفكم ذلك إلى اللهو، فأغفلكم

(١) الثانية و المائة من سور القرآن الكريم، مكية. وعدد آيها ٨ (٢) زيد فى الأصل: هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م. (٤) زيد فى الأصل: بتمام، مع يسير بياض بعده، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من م، و فى الأصل و ظ: ممن.

عما أمامكم [١]من الآخرة[١] و الدين الحق و عن ذكر ربكم و عن كل ما ينجيكم من سخطه ، أو عن المنافسة فى الأعمال الموصلة إلى أعلى الدرجات بكثرة الطاعات ، و ذلك كله لأنكم لا تسلمون بما[٢] غلب عليكم من الجهل الذى سببه شهوة النفس وحب الراحة فخفت[٣] موازينكم ، و حذف هذا الشيء الملهو عنه لتعظيمه و الدلالة على أنه ليس غيره مما يؤسف على اللهو عنه .

/٨٣٩ و لما كانوا ينكرون البعث ، و يعتقدون / [دوام -[٤]] الإقامة فى القبور ، عبر بالزيارة إشارة إلى أن البعث لابد منه و لامرية فيه ، و أن اللبث فى البرزخ و إن طال فانما هو كلبث الزائر عند مزوره فى جنب الإقامة بعد البعث فى دار النعيم أو غار الجحيم ، و أن الإقامة [فيه -[٤]] مجوبة للعلم بما بعده من الأهوال و الشدائد و الأوجال ، فقال : ﴿ حتى ﴾ أى استمرت مباهاتكم و مفاخرتكم إلى أن ﴿ زرتم المقابر ﴾ أى بالموت و الدفن ، فكنتم فيها عرضة للبعث لاتتمكنون من عمل ما ينجيكم لأن دار العمل فاتت كما أن الزائر ليس بصدد[٥] العمل عند المزور ، لايمكثون بها[٦] إلا ريثما يتكمل المجموعون بالموت كما أن الزائر معرض للرجوع[٧]

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ما .
(٣) من م ، و فى الأصل و ظ : فخففت (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بعدد (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : فيها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الرجوع .

إلى

إلى داره و محل قراره، فلو لم يكن لكم وازع[1] عن الإقبال[2] على الدنيا إلا الموت لكان كافيا فكيف و الأمر أعظم من ذلك؟ فان الموت مقدمة من مقدمات العرض، قال أبو حيان[3]: سمع بعض الأعراب الآية فقال: بعث القوم للقيامة و رب الكعبة، فان الزائر منصرف لا مقيم، و روى ابن أبي الدنيا عن عمر بن عبد العزيز أنه قرأها ثم قال: ما ٥ [أرى -[4]] المقابر إلا زيارة، و لا بد لمن زار أن يرجع إلى بيته، إما إلى الجنة أو إلى النار.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تقدم ذكر القارعة و عظيم[6] أهوالها، أعقب بذكر ما شغل و صد[7] عن الاستعداد لها و ألهى عن ذكرها، و هو التكاثر بالعدد و القرابات و الأهلين فقال: "ألهاكم التكاثر" وهو ١٠ في معرض التهديد و التقريع و قد أعقب بما يعضد ذلك و هو قوله "كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون" ثم قال "كلا لو تعلمون علم اليقين" و حذف جواب "لو" و التقدير: لو تعلمون علم اليقين [7]لما شغلكم[7] التكاثر، قال صلى الله عليه و سلم: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا - الحديث، و قوله تعالى "لترون الجحيم" جواب ١٥ لقسم مقدر أي و الله لترون الجحيم، و تأكد بها التهديد و كذا ما بعد

(١) من م، و في الأصل و ظ: رادع (٢) زيد في الأصل: عن الدنيا، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٣) راجع البحر المحيط ٨/٥٠٧ (٤) زيد من ظ (٥) من ظ و م، و في الأصل: عظم (٦) من ظ و م، و في الأصل: صدر (٧-٧) من م، و في الأصل و ظ: لشغلكم.

إلى آخر السورة - انتهى .

و لما كان الاشتغال بالتكاثر فى غاية الدلالة على السفه لأن[1] من المعلوم قطعا أن هذا الكون على هذا النظام لايكون إلا بصانع حكيم، و كان العقلاء المنتفعون بالكون فى غاية التظالم، و كان الحكيم لايرضى أصلا أن يكون عبيده[2] يظلم بعضهم بعضا ثم لا يحكم بينهم و لاينظر فى مصالحهم علم قطعا أنه يبعثهم ليحكم بينهم لأنه كما قدر على إبدائهم يقدر على إعادتهم، و قد وعد بذلك و أرسل به رسله و أنزل به كتبه، فثبت ذلك ثبوتا لا مرية فيه و لا مزيد عليه، و كان الحال مقتضيا لأن يردع غاية الردع من أعرض عما يعنيه و أقبل على ما لا يعنيه، فقال سبحانه معبرا بأم الروادع، و جامعة الزواجر و الصوادع: ﴿كلا﴾ أى ارتدعوا أيم ردع و انزجروا / أعظم زجر عن الاشتغال بما لايجدى، /٨٤٠ فانه ليس الأمر كما تظنون من أن الفخر فى المكاثرة بالأعراض[3] الدنيوية و لم تخلقوا لذلك، إنما خلقتم لأمر عظيم، فهو الذى يهمكم [فاشتغلتم عنه بما لايهمكم -[4]] فكنتم لاهين كمن كان يكفيه كل يوم درهم[5] فاشتغل بتحصيل أكثر، و كذا من ترك المهم من التفسير و اشتغل بالأقوال الشاذة أو ترك المهم من الفقه و اشتغل[6] بنوادر الفروع وعلل النحو و غيرها[7] و ترك

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عبيد. (٣) من م، و فى الأصل وظ: فى الأعراض (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: درهما (٦) من ظ و م، و فى الأصل: استعمل (٧) فى م: نحوها.

ما هو أهم منه مما لا عيش له إلا به .

و لما كان الردع لا يكون إلا عن ضار يجر وبالا وحسرة ، دل على ذلك بقوله استئنافا : ﴿ سوف ﴾ أى بعد مهلة طويلة يتذكر فيها من تذكر ﴿ تعلمون ﴾ أى يتجدد لكم العلم بوعد[1] لا خلف فيه بما أنتم عليه من الخطأ عند معاينة ما يكشفه الموت و يجر حزنه الفوت من عاقبة ٥ ذلك و وباله .

و لما كان من الأمور ما لو شرح شأنه على ما هو عليه لطال و أدى إلى الملال ، دل على أن [2]شرح هذا[2] الوعيد مهول بقوله مؤكدا مع التعبير بأداة التراخى الدالة على علو الرتبة : ﴿ ثم كلا ﴾ أى ارتدعوا ارتداعا أكبر من ذلك لأنه ﴿ سوف تعلمون ﴾ أى يأتيكم العلم من ١٠ غير شك و إن تأخر زمنه يسيرا بالبعث .

و لما كان هذا أمرا صادعا[3] ، أشار إلى أنه يكفى هذه الأمة المرحومة التأكيد بمرة ، فقال مرددا الأمر بين تأكيد الردع ثالثا بالأداة الصالحة له و لأن تكون [لمعنى -[4]] حقا كما يقوله أئمة القراءة : ﴿ كلا ﴾ [أى -[4]] ليشتد ارتداعكم عن التكاثر فانه أساس كل بلاء فانكم ١٥ ﴿ لو تعلمون ﴾ أيها المتكاثرون . و لما كان العلم قد يطلق على الظن رفع مجازه بقوله : ﴿ علم اليقين ﴾ أى لو يقع لكم علم [على -[5]] وجه اليقين

(١) فى م : بوعيد (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هذا شرح (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : صادفا (٤) زيد من م (٥) زيد من ظ و م .

مرة من الدهر لعلمتم ما بين أيديكم، فلم يلهكم التكاثر و لضحكتم قليلا و لبكيتم كثيرا، و لخرجتم إلى الصعدات تجأرون[١] - فحذف هذا الجواب بعد حذف المفعول للتفخيم فهو إشارة إلى أنه لايقين غيره، و المعنى أن أعمالكم أعمال من لا يتيقنه، قال الرازى: و اليقين مركب ٥ الأخذ فى هذا الطريق، و هو غاية درجات العامة، و أول خطوة الخاصة، قال عليه الصلاة و السلام[٢]: خير ما ألقى فى القلب اليقين. و علم قبول ما ظهر من الحق و قبول ما غاب للحق[٣] و الوقوف على ما قام بالحق، و الآية من الاحتباك: ذكر الإلهاء أولا و حذف سببه و هو الجهل لدلالة الثانى [عليه -[٤]]، و ذكر ثانيا العلم الذى هو الثمرة[٥] و حذف ما يتسبب ١٠ عنه من عدم اللهو الذى هو ضد الأول، و زاد فى التفخيم لهذا الوعيد بإيضاح المتوعد به بعد إبهامه[٦] مع قسم[٦] دل عليه بلامه، فقال: ﴿لترون﴾ أى بالمكاشفة و عزتنا، و لايصح أن يكون هذا جوابا لما قبله لأنه محقق ﴿الجحيم﴾ أى النار التى تلقى المعذبين بها بكراهة و تغيظ و عتو [و -[٧]] شديد[٨] توقد، فالمؤمن يراها و ينجو منها سواء خالطها ١٥ أم لا و الكافر / يخلد فيها. /٨٤١

و لما كان هذا توعدا[٩] على التكاثر لأنه يقتضى الإعراض عن الآخرة

(٦) من م، و فى الأصل و ظ: تجاورون (٢) راجع الكنز ٢/٩٠ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: للخلق (٤) زيد من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: العمرة (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: بقسم (٧) زيد من ظ و م (٨) زيد فى الأصل: وشدة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٩) من ظ و م، و فى الأصل: توعد.

فيوقع

فيوقع فى غمرات البلايا الكبار ، أكد فقال مفخما له بحرف التراخى : ﴿ثم لترونها﴾ و عزة الله ، و رقى العلم عن رتبة الأول فقط فقال تعالى : ﴿عين اليقين ۝﴾ أى الرؤية التى هى نفس اليقين ، و ذلك هو المعاينة بغاية ما يكون من صفاء العلم [١]لكونه لاريبة[١] فيه فان المشاهدة أعلى انواع العلم ، قال الرازى : [و-٢] هو [٣]المغنى بالاستدراك[٣] عن الاستدلال ، و عن الخبر بالعيان ، و خرق الشهود[٤] حجاب - العلم - انتهى . و يجوز أن يكون هذا الثانى بالملامسة و الدخول ، فالمؤمن وارد و الكافر خالد .

و لما كان من أهول[٥] الخطاب التهديد برؤية العذاب ، زاد فى التخويف بأنه لأجل أن يكون ما يعذب به العاصى عتيدا ، فاذا أوجب السؤال النكال كان حاضرا لا مانع من إيقاعه فى الحال ، و لو [لم-٢] يكن حاضرا كان لمن[٦] استحقه فى مدة إحضاره محال ، فقال مفخما بأداة التراخى : ﴿ثم﴾ أى بعد أمور طويلة عظيمة مهولة جدا[٧] ﴿لتسئلن﴾ و عزتنا ﴿يومئذ﴾ أى [إذ-٨] ترون الجحيم ﴿عن النعيم ۝﴾ أى الذى [٩]أداكم التكاثر إليه[٩] حتى عن الماء البارد فى الصيف و الحار فى

(١ - ١) من م ، و فى الأصل و ظ : لا كونه لارتبة (٢) زيد من م .
(٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : المغير المستدرك (٤) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اهل (٦) زيد فى ظ : فاز (٧) سقط من ظ و م (٨) زيد من ظ و م (٩ - ٩) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م .

الشتاء هل كان استمتاعكم به على وجه السرف[1] لإرادة الترف أو كان لإرادة القوة للنشأة إلى الخير فلم يخرج عن السرف، فالمؤمن المطيع يسأل سؤال تشريف، و العاصى يسأل سؤال توبيخ و تأفيف، و لام النعيم قد تكون لمطلق الجنس و إليه يشير حديث أبى هريرة رضى الله عنه عند الترمذى[2] و غيره أن النبى صلى الله عليه و سلم ضاف أبا الهيثم ابن التيهان مع أبى بكر و عمر رضى الله عنهما فأطعمهم بسرا و رطبا و سقاهم ماء باردا و بسط[3] لهم بساطا فى ظل، فقال النبى صلى الله عليه و سلم: إن هذا من النعيم الذى تسألون عنه: ظل بارد و رطب طيب و ماء بارد. [و -[4]] قد يكون للكمال فيكون من أعلام النبوة كما فى حديث محمود بن لبيد رضى الله عنه عند أحمد[5] من وجه حسن إن شاء الله أنهم قالوا عند نزولها: أى نعيم و إنما هما الأسودان: التمر و الماء، و سيوفنا على رقابنا و العدو حاضر، قال: إن ذلك سيكون. له شاهد عند الطبرانى عن ابن الزبير رضى الله عنهما، و عند[6] الطبرانى[7] أيضا عن الحسن البصرى مرسلا، فقد التحم آخرها بأولها على وجه [هو -[4]] من ألطف الخطاب، و أدق المسالك فى النهى عما يجر إلى العذاب، لأن العاقل[8] إذا علم أن بين يديه سؤالا عن كل ما يتلذذ به علم أنه يعوقه

(١) من م، و فى الأصل و ظ: الشرف (٢) راجع الجامع/الزهد (٣) فى ظ: بسر (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع المسند ٥/٤٢٩ (٦) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٧) راجع مجمع الزوائد ٧/١٤٢ (٨) من ظ و م، و فى الأصل: العامل.

ذلك فى زمن السؤال عن لذاذات الجنة العوال الغوال ، فكان خوفه / من مطلق السؤال مانعا له عن[1] التنعم بالمباح[2] فكيف بالمكروه فكيف ثم كيف بالمحرم ؟ فكيف إذا كان السؤال من ملك تذوب لهيبته الجبال ؟ فكيف إذا كان السؤال على وجه العتاب ؟ فكيف إذا جر إلى العذاب ؟ فتأمل كلام خالقك ما ألطف إشاراته و أجل عباراته ، فى نذاراته و وبشاراته - [3]و الله أرحم[3] . / ٨٤٢

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : من (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بالمحال .
(٣-٣) فى ظ : والله أعلم ، و ما بين الرقمين ساقط من م .

سورة العصر [١]

قال الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه: إنها سورة لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم، و هو معنى [٢]قول غيره[٢]: إنها [٣]شملت جميع علوم[٣] القرآن[٤]، مقصودها تفضيل نوع الإنسان المخلوق من علق، و بيان خلاصته و عصارته و هم الحزب الناجي يوم السؤال عن زكاء الأعمال بعد الإشارة إلى أضدادهم، و الإعلام بما ينجي من الأعمال و الأحوال بترك الفاني و الإقبال على الباقي لأنه خلاصة الكون و لباب الوجود. و اسمها العصر واضح في ذلك فان[٥] العصر يخلص روح المعصور و يميز صفاوته، و لذلك كان وقت هذا النبي[٦] الخاتم الذي هو خلاصة الخلق وقت العصر، و كانت صلاة العصر أفضل الصلوات، و بيان اشتمالها على علوم القرآن[٧] تنزيل جملتها على [ما ـ[٨]] قال الغزالي: إن القرآن كالبحر الذي فيه جزائر

(١) الثالثة و المائة من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها ٣.
(٢-٢) من ظ و م، و في الأصل: قوله (٣-٣) من ظ و م، و في الأصل: اشتملت على جميع (٤) زيد في الأصل و ظ: كل من هذا صنعته، ولم تكن الزيادة في م فحذفناها (٥) من ظ و م، و في الأصل: كان (٦) زيد في الأصل: الفاتح، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٧) العبارة من هنا إلى «بها معادن» ص ٢٣٥ س ١ ساقطة من ظ (٨) زيد من م.

بها

بها معادن ستة ، منها أربعة مهمة : مهمان منها هما ياقوت أنفر فأحمره للعلم بالله ، و أخضره لصفاته ، و أزرقه لأفعاله ، [1]و زمرد أخضر[1] هو العلم باليوم الآخر و ما[2] فيه ، و مهمان أولهما در أنضر و هو العلم بالعبادات المقربة إليه سبحانه و تعالى ، و ثانيهما[3] مسك أذفر ، و هو العلم بالعادات[4] التى بها تهيأ العبادات ، و متمان[5] و هما درياق أكبر و هو العلم بازاحة الشكوك ٥ و الشبه و الأوهام لأنها[6] سموم و مهلكة للدين ، و عنبر أشهب و هو الاعتبار بمن هلك باجتناب ما كان سبب هلاكه ، و الاقتفاء بمن نجا باتباع ما كان سبب نجاته ، فالجملة الأولى للعنبر لأن فيها شم روائح الهالك و ضده الناجى ، و بدئ بها لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، و الجملة الثانية للياقوت بصفاته الثلاث و الزمرد ، و الثالثة للدر و المسك ، ١٠ و هما عبادات مقصودة ، و عادات وسيلة إليها ممدودة ، و الرابعة للدرياق لأن الشبه و الشكوك إنما هى من أوهام عاطلة و خيالات باطلة ، و الخامسة وسيلة إليها و متمة[7] لها لأن معرفة ذلك و اجتنابه لا يكون إلا ببذل الجهد فى الصبر ﴿ بسم الله ﴾ الذى كل شىء هالك إلا وجهه ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم بالنعمة البر و الفاجر فليس شىء شبهه ﴿ الرحيم ٥ ﴾ ١٥ الذى [خص -[8]] باتمام النعمة أولياءه ، فكانوا للدهر غرة و لأهله جبهة .

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : زمرده الأخضر (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مما (٣) من ظ و م ، و فى الاصل : ثانيها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : بالعبادات (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : مهمان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لأنهم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : متممة (٨) زيد من ظ و م .

لما كانت لذة هذه الدنيا الظاهرة التنعم بما فيها من المتاع، و كان الإنسان مسؤلا بما شهد به، ختم التكاثر عن ذلك النعيم متوعدا برؤية الجحيم، فكان ساكن هذه الدار على غاية الخطر، / فكان نعيمه فى غاية الكدر، قال دالا على ذلك بأن أكثر الناس هالك، مؤكدا بالقسم ٨٤٣ /
و الأداة لما[1] للأغلب من التكذيب لذلك إما بالقال أو بالحال: ﴿و العصر﴾ أى الزمان الذى خلق فيه أصله[2] آدم عليه الصلاة و السلام و هو فى عصر يوم الجمعة كما ورد فى الحديث الصحيح فى مسلم[3]، أو الصلاة الوسطى أو وقتها الذى هو زمان صاحب هذا الشرع[4] الذى مقداره فيما مضى من الزمان بمقدار وقت العصر من النهار أو بعضه، أو زمان كل أحد الذى هو الخلاصة بالنسبة إليه تنبيها له على نفاسته إشارة إلى اغتنام إنفاقه فى الخير إشفاقا من الحشر[5]، أو وقت الأصيل لأنه أفضله بما يحويه من الفراغ من الأشغال[6] و استقبال الراحة و الحصول على فائدة[7] ما أنفق فيه ذلك النهار، [و -[8]] بما دل عليه من طول الساعة و ربح من كان له فيها بضاعة باختتام الأعمال و تقوض النهار، و الدال على البعث، او جميع الدهر الذى أوجد فيه سبحانه و تعالى المخلوقات و قدر فيه المقدورات بما ظهر [فيه -[8]] من العجائب الدالة على ما لله

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بما (٢) زيد فى الأصل: و هو، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) راجع ١/٢٨٢ (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الشرح (٥) من ظ و م، و فى الاصل: الشرا - كذا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الاشتغال (٧) من م، و فى الاصل و ظ: الفائدة (٨) زيد من م.

تعالى من العز و العظمة الداعى إلى صرف الهمة إليه و قصرها عليه: ﴿ان الانسان﴾ أى هذا النوع الذى هو أشرف الأنواع لكونه فى أحسن تقويم كما أن العصر خلاصة الزمان، و العصر يكون لاستخراج خلاصات الأشياء ﴿لفى خسر﴾ أى نقص بحسب مساعيهم فى أهوائهم و صرف أعصارهم فى أغراضهم لما لهم بالطبع من الميل إلى الحاضر ٥ و الإعراض عن الغائب و الاغترار بالفانى أعم من أن يكون الخسر قليلا أو جليلا بحسب تنوع الناس إلى أكياس و أرجاس، فمن كان كافرا كان فى كفران، و من كان مؤمنا عاصيا كان فى خسران[1] إن كان بالغا فى المعصية و إلا كان فى مطلق الخسر، و هو مدلول المصدر المجرد، و فى هذا إشارة إلى العلم بالاحتياج إلى إرسال الرسل لبيان المرضى ١٠ [لله -[2]] من الاعتقادات و العبادات و العادات إيمانا و إسلاما و إدامة لذلك ليكون فاعله من قبضة اليمين و تاركه [3]من أصحاب[3] الشمال[4].

و قال الأستاذ أبو جعفر ابن الزبير: لما قال تعالى "الهاكم التكاثر" و تضمن ذلك الإشارة إلى قصور نظر الإنسان و حصر إدراكه فى العاجل دون الآجل الذى فيه فوزه و فلاحه[5] و ذلك لبعده عن العلم بموجب الطبع ١٥ "إنه كان ظلوما جهولا" أخبر سبحانه أن [6]ذلك شأن[6] الإنسان بما

(١) فى ظ و م: خسارة (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: فى قبضة (٤) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: صلاحه (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: شان ذلك.

هو إنسان فقال "و العصر ان الإنسان لفى خسر" فالقصور شأنه، و الظلم طبعه، و الجهل جبلته، فيحق أن يلهيه التكاثر، و لا يدخل الله عليه /روح الإيمان "إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات" إلى آخرها، فهؤلاء الذين "لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله" - انتهى. /٨٤٤

٥ و لما كان الحكم على الجنس حكما على الكل لأنهم ليس لهم من ذواتهم إلا ذلك، وكان فيهم من خلصه الله سبحانه و تعالى مما طبع عليه الإنسان بجعله فى أحسن تقويم، و حفظه عن الميل مع ما فيه من النقائص، استثناهم سبحانه و تعالى لأنهم قليل جدا بالنسبة إلى أهل الخسر[1] فقال دالا بالاستثناء على أن النفوس داعية إلى الشر[2] مخلدة إلى البطالة و اللهو،

١٠ فالمخلص واحد من ألف كما فى الحديث الصحيح[3] ﴿الا الذين آمنوا﴾ أى أوجدوا الإيمان و هو التصديق بما علم بالضرورة مجىء النبى صلى الله عليه و سلم به من توحيده سبحانه و تعالى و التصديق بملائكته و كتبه و رسله و اليوم[4] الآخر، و لعل حكمة التعبير بالماضى الحث على الدخول فى الدين و لو على أدنى الدرجات، و البشارة لمن فعل ذلك بشرطه بالنجاة[5]

١٥ من الخسر.

---

(١) من ظ و م. و فى الأصل: الخسران (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الشره (٣) زيد فى الأصل: قال تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٤) من م، و فى الأصل و ظ: التصديق باليوم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بالتجارة.

و لما

و لما كان الإنسان حيوانا ناطقا، و كان كمال حيوانيته فى القوة العملية للحركة بالإرادة لا بمقتضى الشهوة القاسرة البهيمية قال تعالى: ﴿و عملوا﴾ أى تصديقا بما أقروا به من الإيمان[1] ﴿الصلحت﴾ أى هذا الجنس، وهو اتباع الأوامر و اجتناب النواهى فى العبادات كالصلاة و العادات كالبيع فكانوا بهذا مسلمين بعد أن كانوا مؤمنين فاشتروا الآخرة بالدنيا فلم يلههم التكاثر، ففازوا بالحياة الأبدية و السعادة السرمدية فلم يلقهم شىء من الخسر.

[و لما كان الإنسان بعد كماله فى نفسه بالأعمال لا ينتفى عنه مطلق الخسر -[2]] إلا بتكميل غيره، و حينئذ يكون وارثا لأن الأنبياء عليهم الصلاة و السلام بعثوا للتكميل، و كان الدين لا يقوم، و إذا قام لا يتم إلا بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر الناشىء عن نور القلب، و لا يتأتى ذلك إلا بالاجتماع. قال مخصصا لما دخل فى الأعمال الصالحة تنبيها على عظمه: ﴿و تواصوا﴾ أى أوصى[3] بعضهم بعضا بلسان الحال أو المقال: ﴿بالحق﴾ أى الأمر الثابت، وهو كل ما حكم الشرع بصحته فلا يصح بوجه نفيه من قول أو عمل أو اعتقاد أو غيره من فعل أو ترك، فكانوا محسنين، و التكميل [4]فى القوة[4] العملية باجتلاب[5] الخيور.

---

(١) زيد فى الأصل: بالله وحده الأعمال، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: يوصى (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: بالقوة (٥) من م، و فى الأصل و ظ: باجتناب.

و لما كان [الإنسان -[1]] ميالا إلى النقصان ، فكان فاعل ذلك الإحسان معرضا للشنآن من أهل العدوان، و هم الأغلب فى كل زمان ، قال تعالى : ﴿و تواصوا﴾ [2]لأن الإنسان ينشط بالوعظ و ينفعه اللحظ و اللفظ ﴿ بالصبر ﴾ أى الناشئ عن زكاة النفس على العمل بطاعة الله من إحقاق / الحق و [3]إبطال الباطل[3] و النفى له و المحق و على ما يحصل بسبب ذلك من الأذى باجتناب الشرور إلى المهمات الذى هو سبب موصل إلى دار السلام[4] ، فكانوا مكملين للقوة العملية حافظين لما قبلها من العلمية ، و ذلك هو حكمة العبادات فان حكمة الشيء هى الغاية و الفائدة المقصودة منه ، و هى هنا أمران : خارج عن العامل و هو الجنة ، و داخل قائم به و هو النور المقرب من[5] الحق سبحانه و تعالى ، و اختير التعبير بالوصية إشارة إلى الرفق [6]فى الأمر[6] بالمعروف و النهى عن المنكر ، و استعمال اللين بغاية الجهد، و الصبر هو خلاصة الإنسان و سره و صفاوته و زبدته و عصارته ، الذى لايوصل إليه إلا بضغط الإنسان لنفسه و قسرها على أفعال الطاعة و قهرها على لزوم السنة و الجماعة حتى يصير الصبر لها بالتدريب عادة و صناعة ، فقد عانق آخرها أولها ، و واصل [7]مفصلها موصلها[7] ،

٨٤٥ /

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل : اى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : البطال (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الاسلام (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الى (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بالامر (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : موصلها مفصلها .

و هى أربع عشرة كلمة تشير إلى أن فى السنة الرابعة عشرة من النبوة يكون الإذن فى الجهاد الذى هو رأس الأمر بالمعروف بالفعل لإظهار الحق و هى سنة الهجرة التى تم فيها بدره، و عم نوره و قدره، و جم عزه و نصره، فاذا ضممت إليها أربع كلمات البسملة كانت موازية فى العدد لسنة خمس من الهجرة، و كان فيها غزوة بدر الموعد و غزوة ٥ الأحزاب، و قد وقع فيهما أتم الصبر من النبي صلى الله عليه و سلم ثم[1] ممن وافقه من الصحابة رضى الله تعالى عنهم لإظهار[2] الحق و الصواب، فانهم فى بدر خذلوا من ركب عبد القيس أو من نعيم بن مسعود و موافقة المنافقين و خوفوا حتى كاد يعمهم الرعب و الفشل، فقال النبي صلى الله عليه و سلم: و الله لأخرجن و لو لم يخرج معى أحد، و أنزل الله فيها "الذين ١٠ قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم [3]فزادهم ايمانا و قالوا[3]" الآيات، و فى الأحزاب زاغت الأبصار و بلغت القلوب الحناجر و أسفرت عاقبة الصبر فيها عما قال النبي صلى الله عليه و سلم عند ذهابهم: [4]الآن نغزوهم[4] و لا يغزوننا. فاذا ضممت إليها الضمائر الأربعة أشارت إلى سنة تسع، و قد كانت فيها غزوة تبوك و هى غزوة العسرة لما [كان-[5]] ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٢) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م فحذفناها (٣ - ٣) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: الا ان نغزوهم (٥) زيد من ظ و م.

فيها من الشدة التى أسفرت عاقبة الصبر فيها[1] عن إقبال الوفود، بفخامة العز و الجدود و تواتر السعود، بلطف الرحيم الودود، و بذلك كان نور الوجود، و تواتر الفضل و الجود[2] من الإله المعبود - [3] و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه خيار الوجود[3] .

(١) وقع فى الأصل بعد «أسفرت» و الترتيب من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الوجود (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من م .

سورة الهمزة[1]

مقصودها بيان الحزب الأكبر الخاسر الذى ألهاه التكاثر، فبانت خسارته[2] يوم القارعة الخافضة الرافعة، و اسمها الهمزة / ظاهر الدلالة على ذلك ٨٤٦/
﴿ بسم الله ﴾ الذى له تمام العز و هو الحكم العدل ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم ظاهر نعمته أهل البخل و أولى البذل ﴿ الرحيم ۞ ﴾ الذى أتم نعمته ٥ على من شاء من عباده فخصهم بالفضل .

لما بين الناجين من قسمى الإنسان فى العصر، و ختم بالصبر، حصل تمام التشوف[3] إلى أوصاف الهالكين، فقال مبينا لأضلهم وأشقاهم الذى الصبر على أذاه فى غاية الشدة ليكون ما أعد له من العذاب مسلاة للصابر[4]: ﴿ ويل ﴾ أى هلاك عظيم جدا ﴿ لكل همزة ﴾ أى [5]الذى ١٠ صار له الهمز[5] عادة لأنه خلق ثابت فى جبلته و كذا ﴿ لمزة ۝ ﴾ و الهمز الكسر كالهزم، و اللز الطعن - هذا أصلهما، ثم خصا بالكسر من أعراض الناس و الطعن فيهم، و قال ابن هشام فى تهذيب السيرة[6]: الهمزة الذى[7] يشتم الرجل علانية، و يكسر[8] عينيه عليه و يهمز به، و اللمزة الذى

(١) الرابعة والمائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٩ .
(٢) من ظ و م، و فى الأصل: التكاثر (٣) من ظ و م، و فى الأصل: التصوف (٤) من ظ و م، و فى الأصل: المصابر (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: الذين صار لهم الهز (٦) راجع السيرة ١/١٢٤ (٧) من السيرة، و فى الأصول: التى (٨) من ظ و م، و فى الأصل: كسر .

يعيب الناس سرا - انتهى . و قال البغوى[1] : و أصل الهمز الكسر و العض [2]على الشيء[2] بالعنف ، و الذى دل على الاعتياد صيغة فعل بضم و فتح كما يقال ضحكة للذى يفعل الضحك كثيرا حتى صار عادة له و ضرى به ، و الفعلة بالسكون للمفعول و هو الذى يهمزه[3] الناس و يلمزونه ، و قرئ بها و كأنه إشارة إلى[4] من يتعمد أن يأتى بما يهمز به و يلمز به فيصير مسخرة يضحك منه - و الله أعلم .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما قال سبحانه و تعالى "ان الانسان لفى خسر" أتبعه بمثال [من ذكر نقصه و قصوره و اغتراره ، و ظنه الكمال لنفسه حتى يعيب غيره ، و اعتماده على ما جمعه من المال ظنا أنه يخلده و ينجيه ، و هذا كله هو عين النقص ، الذى هو شأن الإنسان ، و هو المذكور فى السورة قبل ، فقال تعالى « ويل لكل همزة لمزة » فافتتحت السورة - [5]] بذكر[6] ما أعد له من العذاب جزاء له [على -[7]] همزه [8]و لمزه الذى أتم[8] حسده ، و الهمزة العياب الطعان و اللمزة مثله ، ثم ذكر تعالى ماله و مستقره بقوله "لينبذن فى الحطمة" أى ليطرحن فى النار جزاء له[9] على اغتراره و طعنه - انتهى .

و لما كان الذى يفعل النقيصة من غير حاجة تحوجه إليها أقبح حالا

(١) راجع المعالم ٧/٢٤٠ (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يميزه (٤) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : ما ذكر (٧) زيد من م (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) سقط من م .

و كان المتمول[1] عندهم هو الرابح ، و هم يتفاخرون بالربح و يعدون الفائز به من ذوى المعالى ، قال مقيدا لـ «كل» بالوصف مبينا الخاسر كل الخسارة : ﴿ الذى جمع ﴾ و لما كان مطلق الجمع يدل على الكثرة جاء التشديد فى فعله لأبى جعفر و ابن عامر و حمزة و الكسائى ، و خلت تصريحا بما علم تلويحا و دلالة على أن المقصود به من جعل الدنيا أكبر همه ، و التخفيف لمن عداهم[2] اكتفاء بأصل مدلوله بخلاف عدد ، فان مجرده يكون لما قل ، و لهذا أجمعوا على التضعيف فيه : ﴿ مالا ﴾ أى عظيما[3] ، و أكد مراد الكثرة بقوله : ﴿ و عدده ﴾ أى جعله بحيث إذا أريد عدده طال الزمان فيه و كثر / التعداد ، أو[4] ادخره و أمسكه إعدادا لما ينوبه فى هذه الدنيا المنقضية ، و زاده قيدا آخر فى بيان حاله فقال : ﴿ يحسب ﴾ لقلة عقله ﴿ ان مالهٓ ﴾ أى ذلك الذى عدده ﴿ اخلده ﴾ أى أوصله إلى رتبة الخلد فى الدنيا ، فأحب ذلك المال كما يحب الخلود ، و يجوز أن يكون ذلك كناية عن أنه عمل[5] - بانهماكه فى المعاصى و الإعراض عن الله عز وجل و الإقبال على التوسع فى الشهوات و الأعراض الزائلات - عمل من يظن أنه لا يموت ، و يجوز أن يكون استئنافا ، و فيه تعريض[6] بأنه لا يفيد الخلد إلا الأعمال الصالحة المسعدة

/ ٨٤٧

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : المشهور (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عاداهم (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عظيمة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : «و» (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : عمله (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : تعرض .

فى الدار الآخرة .

و لما كان هذا الحسبان لشدة وهيه و بيان ضعفه لا يحتاج إلى إقامة دليل على فساده ، اكتفى فيه بأداة الردع الجامعة[1] لكل زجر فقال : ﴿ كلا ﴾ أى لا يكون ما حسبه لأنه لا يكون له ما لا يكون لغيره من أمثاله بل يموت كما مات[2] كل حى مخلوق .

و لما كان كأنه قيل : فما الذى يفعل به بعد الموت ؟ قال مقسما [دالا -[3]] باللام الداخلة على الفعل على القسم : ﴿ لينبذن ﴾ أى ليطرحن بعد موته طرح[4] ما هو خفيف هين جدا على كل طارح كما دل عليه التعبير بالنبذ و بالبناء للمفعول ﴿ فى الحطمة ﴾ أى الطبقة من النار التى من شأنها أن تحطم أى تكسر و تهشم بشدة و عنف كل ما طرح فيها فيكون[5] أخسر الخاسرين ، و عبر بها فى مقابلة الاستعداد بالمال الحامل على الاستهانة بالخلق ، قال الأستاذ أبو الحسن الحرالى : فلمعنى ما يختص بالحكم يسمى تعالى باسم من أسمائها من نحو جهنم فيما يكون مواجهة و من نحو الحطمة فيما يكون جزاء لقوة قهر و استعداد بعدد ، و نحو ذلك فى سائر أسمائها ، و عظم شأنها سبحانه و تعالى بقوله : ﴿ و ما أدراك ﴾ أى و أىّ شىء أعلمك و لو بمحاولة منك للعلم و اجتهاد فى التعرف مع

(١) زيد فى الأصل : لاداة الزجر ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : يموت (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : صرح (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يكون .

كونك أعلم[1] الخلق ﴿ ما الحطمة ﴾ أى ما الدركة النارية التى سميت هذا الاسم [2]لهذه الخاصية[2] فانه ليس فى الوجود الذى شاهدتموه ما يقاربها ليكون مثالا لها ، ثم فسرها بقوله : ﴿ نار الله ﴾ أى الملك الأعظم الذى عدل المشركون عنه إلى شركائهم ، فعظمة هذه النار من عظمته ، و انتقامه من نقمته[3] ﴿ الموقدة ﴾ أى التى وجد و تحتم إيقادها بايقاده ، و من الذى يطيق محاولة ما أوقده ؟ فهى لا يزال لها هذا الاسم ثابتا .

و لما وصف الهامز الهازم[4] ، وصف الحاطم فقال تعالى : ﴿ التى ﴾ و لما كان لا يطلع على أحوال الشىء إلا من قبله علما قال[5] : ﴿ تطلع ﴾ اطلاعا شديدا ﴿ على الافئدة ﴾ جمع فؤاد و هو القلب الذى يكاد[6] يحترق من شدة ذكائه ، فكان ينبغى أن يجعل ذكاءه فى أسباب[7] الخلاص ، / و اطلاعها عليه بأن تعلو وسطه و تشتمل عليه اشتمالا بليغا ، سمى بذلك لشدة توقده ، و خص بالذكر لأنه ألطف ما فى البدن و أشده تألما بأدنى شىء من الأذى ، و لأنه[8] منشأ العقائد الفاسدة و معدن حب المال الذى هو منشأ الفساد و الضلال ، و عنه تصدر الأفعال القبيحة . /٨٤٨

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : اغرو (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الخاصية (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : نقمه (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : الهاذم (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : فقال (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كاد (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الاسباب (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : كانه .

و لما كان الاطلاع على الفؤاد مظنة الموت، و فى الموت راحة من العذاب، أشار إلى خلودهم فيها و أنهم لا يموتون و لا ينقطع عنهم العذاب، فقال مؤكدا لأنهم يكذبون [بها - [1]] : ﴿ انها ﴾ و أشار إلى قهرهم و غلبتهم فقال: ﴿ عليهم ﴾ و آذن بسهولة التصرف فى تعذيبهم و انقطاع الرجاء من خلاصهم بقوله معبرا باسم المفعول : ﴿مؤصدة ۝﴾ أى مطبقة بغاية الضيق، من أوصدت الباب - إذا أطبقته .

و لما كانت[2] عادتهم فى المنع من التصرف أن يضعوا خشبة عظيمة تسمى المقطرة[3] فيها حلق توثق فيها الرجل، فلا يقدر صاحبها بعد ذلك على حراك[4]، قال مصورا لعذابهم بحال من ضمير «عليهم»: ﴿فى﴾ [أى - [5]] حال كونهم موثقين فى ﴿ عمد ﴾ بفتحتين و بضمتين جمع عمود ﴿ممددة ۝﴾ أى معترضة كأنها موضوعة على الأرض، فهى فى غاية المكنة فلا يستطيع الموثق بها على نوع حيلة فى[6] أمرها فهو تأكيد ليأسهم من الخروج بالإيثاق بعد الإيصاد، و هذا[7] أعظم الويل و أشد النكال، فقد رجع آخرها إلى[8] أولها، و كان لمفصلها [أشد - [9]] التحام بموصلها - و الله الموفق [10] للصواب، و إليه المرجع و المآب[10] .

(١) زيد من م (٢) من ظ و م، و فى الأصل : كان (٣) من ظ و م، و فى الأصل : المسطرة (٤) من م، و فى الأصل و ظ : الترك (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل : من (٧) من ظ و م، و فى الأصل : هو. (٨) من ظ و م، و فى الأصل : على (٩) زيد من ظ (١٠ - ١٠) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة الفيل[1]

مقصودها الدلالة على آخر الهمزة من إهلاك المكاثرين فى دار التعاضد و التناصر بالأسباب ، فعند[2] انقطاعها أولى لاختصاصه سبحانه و تعالى بتمام القدرة دون التمكن بالمال و الرجال ، و اسمها الفيل ظاهر الدلالة على ذلك بتأمل سورته ، و ما حصل فى سيرة جيشه و صورته ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الإحاطة فقدرته فى كل شيء عاملة ﴿ الرحمن ﴾ الذى له النعمة الشاملة ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى يختص أهل الاصطفاء بالنعمة الكاملة .

لما قدم فى الهمزة أن كثرة الأموال المسببة بالقوة بالرجال[3] ربما أعقبت الوبال ، دل عليه[4] فى هذه بدليل شهودى وصل فى تحريقه و تغلغله[5] فى الأجسام و تحريقه إلى القلوب فى العذاب الأدنى كما ذكر فيما قبلها للعذاب الأكبر الأخفى ، محذرا[6] من الوجاهة[6] فى الدنيا وعلو الرتبة ، مشيرا إلى أنها كلما عظمت زاد ضررها بما[7] يكسبه من الطغيان حتى ينازع صاحبها الملك الأعلى ، ومع كونه شهوديا فللعرب[8] و لاسيما[8] قريش به الخبرة[9] التامة ، فقال مقررا منكرا على من يخطر له خلاف ذلك :

---

(١) الخامسة والمائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٥ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فقد - كذا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : للرجال .
(٤) من م ، و فى الأصل و ظ : عليها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تغلظه .
(٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : للوجاهة (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : مما .
(٨-٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فلاسيما (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : الخلوة .

/ ٩٤٨ ﴿ألم تر﴾ أى تعلم علما [هو -[1]] فى تحققه كالحاضر / المحسوس بالبصر، و ذلك لأنه صلى الله عليه و سلم و إن لم يشهد تلك الوقعة فانه شاهد آثارها، و سمع بالتواتر مع إعلام الله له أخبارها، و خصه صلى الله عليه و سلم إعلاما بأن ذلك لايعلمه و يعمل به إلا هو صلى الله عليه ٥ و سلم و من وفقه الله لحسن اتباعه، لما[2] الانسان من علائق النقصان، و علائق الحظوظ و النسيان، و قرئ "تر" باسكان الراء، قالوا جدا فى إظهار أثر الجازم، و كان السر فى هذه القراءة الإشارة إلى الحث فى الإسراع بالرؤية إيماء إلى أن أمرهم على كثرتهم كان كلمح البصر، من لم يعتن به و يسارع إلى تعمده لايدركه حق إدراكه .

١٠ و لما كان للناظر فى الكيفية من التدقيق و الوقوف على التحقيق فى وجوه الدلالات على كمال علم الله و قدرته و إعزاز نبيه بالإرهاص لنبوته و التمكين[4] لرسالته لتعظيم بلده و تشريف قومه ما ليس للناظر إلى مطلق الفعل قال: ﴿كيف﴾ [3]دون أن يقول: ما ﴿فعل﴾ أى فعل من له أتم داعية إلى ذلك الفعل، و فعل الرؤية معلق عن[6] "كيف" لما ١٥ فيه من معنى الاستفهام فلا يتقدم عامله عليه، بل[7] ناصبه فعل[5]، و جملة الاستفهام فى موضع نصب بالفعل المعلق ﴿ربك﴾ أى المحسن إليك

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٣) من ظ و م، و فى الأصل: وجوده (٤) من ظ و م، و فى الأصل: تمكين (٥) زيد فى ظ: اى (٦) من ظ و م، و فى الأصل: على (٧) من ظ و م، و فى الأصل: فعله.

و من

و من إحسانه [إحسانه -[1]] إلى قومك بك و بهـذه الواقعة الخارقة للعادة إرهاصا لنبوتك [كما -[1]] هو معلوم من أخبار الأنبياء المتقدمين فيما[2] يقع بين أيدى نبواتهم من مثل ذلك ليكون مؤيدا لادعائهم النبوة بعد ذلك ، و فى تخصيصه صلى الله عليه و سلم بالخطاب و التعبير بالرب مع التشريف له و الإشارة [3]بذكره .التعريض[3] بحقارة الأصنام التى ٥ سموها أربابا لهم ، يعلم ذلك منهم علم اليقين من آمن ، و من استمر على كفره فسيعلم ذلك حق اليقين عند ما يسلط الله عليهم رسوله صلى الله عليه و سلم بالبلد الحرام ، و يحلها له على أعلى حال و مرام ﴿ بأصحب الفيل[4] ﴾ أى الذين قصدوا انتهاك حرمات الله سبحانه و تعالى فيخربوا[5] بيته و يمزقوا جيرانه بما أو صلهم إلى[6] البطر [6]من الأموال و القوة[6] التى منّ[7] عليهم ١٠ سبحانه و تعالى بها ، فحسبوا أنها تخلدهم فبان أنها توردهم المهالك ضد ما حسبوه . و هم الحبشة الذين كانوا غلبوا على بلاد اليمن ، بنى أميرهم و هو أبو يكسوم أبرهة بن الصباح الأشرم بيعة بصنعاء و سماها القليس وزن قبيط ، و أراد أن يصرف إليها - فيما زعم - حج العرب ، فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا - يعنى تغوط و لطخها به ، فأغضب ذلك الأشرم ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : كما (٣-٣) فى ظ و م : التحقير (٤) فى ظ : ليخربوا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : والقوة والأموال (٧) زيد فى الأصل : الله ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

فسأل فقيل له : ترى الفاعل من أهل البيت الذى بمكة[1] - فحلف: ليهدمن الكعبة ، و من عجائب صنع الله أنه ألهمه سبحانه و تعالى تسميتها هذا الاسم الذى هو مشتق / من القلس الذى[2] أحد معانيه أنه ماء خرج من الحلق ملء الفم ، فهو مبدأ القيء الذى هو أخو الغائط الذى آل أمرها إليه ، فكان سبب هلاكها[3] بهلاك بانيها ، و ذلك أنه غضب من ذلك فخرج بجيشه لهدم بيت الله الكعبة و معه أفيال كثيرة منها فيل عظيم اسمه محمود ، فقاتله بعض العرب فهزمهم و قتل منهم ، فلما دوّخهم دانوا له[5] ، فلما وصل إلى المغمس خرج إليه[6] عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه و سلم ، فعرض عليه ثلث اموال تهامة على أن يرجع عنهم ، و قيل: بل كانت طلائعه أخذت له مائتى بعير فطلبها منه فقال : قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ، فزهدت فيك حين تكلمنى فى مائتى بعير ، و تترك كلامى فى بيت هو دينكم[7] و فيه عزكم ؟ فقال : أنا رب الإبل ، و أما البيت فله رب يمنعه[8] ، فقال : ما كان يمنعه منى ، فقال[9] : أنت و ذاك ، فرد عليه إبله فساقها و مضى ، و أمر قريشا أن يتفرقوا فى الشعاب و يتحرزوا فى

٨٥٠ /

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : مكة (٢) زيد فى الأصل : هو ، ولم تكن الزياده فى ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لهلاكها (٤) زيد فى الأصل : فقتله ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اليه (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اليهم (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : دونكم (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : يمنع عنه (٩) زيدت الواو فى الأصل ، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها .

الجبال ، و أتى عبد المطلب الكعبة فأخذ بحلقة الباب و جعل يقول[1] :

[يا رب لا أرجو لهم سواكا فامنعهم أن يقربوا[2] قراكا -[3]]

و قال :

لاهم إن المرء يمـ ـنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم و محالهم عدوا محالك
جروا جميع بلادهم فى الفيل كى يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم جهلا و ما رقبوا جلالك
إن كنت تاركهم و كعـ ـبتنا فأمر ما بدا لك

ثم ترك الحلقة و توجه [فى -[3]] بعض تلك الوجوه فلما أصبح أبرهة[4] تهيأ للدخول إلى الحرم و عبأ جيشه و قدم الفيل فبرك فعالجوه فلم تفد فيه حيلة ، فوجهوه إلى غير الحرم فقام يهرول فوجهوه إلى الحرم فبرك ، و كان هذا دأبه فى ذلك اليوم فبينما هم كذلك إذ أرسل الله تعالى عليهم طيرا أبابيل ، كل طائر منها فى منقاره حجر ، و فى رجليه حجران ، الحجر منها أكبر من العدسة و أصغر من الحمصة ، فرمتهم بها ، فكان الحجر منها يقع فى[5] رأس الرجل فيخرج من دبره فهلكوا جميعا ، و أهل مكة و من حضر من العرب [فى رؤس الجبال -[3]] ينظرون إلى صنع الله تعالى بهم و إحسانه إليهم - أى أهل مكة - و كان ذلك إرهاصا لنبوة محمد صلى الله عليه و سلم ، فان ذلك كان

(١) راجع للابيات تاريخ الطبرى ٢ / ١١٢ و فيه بعض المفارقات (٢) فى م : يخربوا (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : توجه و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : على .

عام مولده ، و قال حمزة الكرماني : [و في رواية -[1]] : يوم مولده ، و كأنه كان سببا لضعفهم حتى ذهب سيف بن ذي يزن إلى كسرى و أتى منه بجيش فاستأصل[2] بقيتهم - كما هو مشهور في السير ، و مأثور في الخبر ، و وفدت قريش لتهنئته بالنصرة عليهم ، و كان رئيسهم عبد المطلب

٥ جد النبي صلى الله عليه و سلم ، و بشره سيف بأنه يولد له ولد اسمه محمد فأعلمه بأنه[3] ولد و أن أباه توفي ، فأخبره سيف بأنه النبي المبعوث في[4] آخر الزمان ، و أن يثرب مهاجره ، و أنه لو علم / أنه يعيش إلى زمن ٨٥١/
بعثته لأتى يثرب و جعلها قراره حتى[5] ينصر النبي صلى الله عليه و سلم [بها -[1]] و يظهر نبوته[6] .

١٠ و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت سورة الهمزة ذكر اغترار من فتن بماله حتى ظن أنه يخلده و ما أعقبه ذلك ، أتبع هذا أصحاب الفيل الذين غرهم تكاثرهم ، و خدعهم امتدادهم في البلاد و استيلاؤهم حتى هموا بهدم البيت المكرم ، فتعجلوا النقمة ، و جعل الله كيدهم في تضليل . و أرسل عليهم طيرا أبابيل ، أي جماعات متفرقة ، ترميهم

١٥ بحجارة من سجيل حتى استأصلتهم[7] و قطعت[7] دابرهم فجعلهم كعصف مأكول ، و أثمر[8] لهم ذلك[8] اغترارهم بتوفر حظهم من الخسر

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و في الأصل و ظ : واستاصل (٣) من ظ و م ، و في الأصل : انه (٤) سقط من ظ و م (٥) زيد في الأصل : انه ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) من م ، و في الأصل و ظ : دينه . (٧ - ٧) من ظ و م ، و في الأصل : فقطعت (٨ - ٨) من ظ و م ، و في الأصل : ذلك لهم .

المتقدم - انتهى .

و لما قرره بالكيفية تنبيها على ما فيها من وجوه الدلالة[1] على مقدمات الرسالة، أشار إلى تلك الوجوه مقدما عليها تقريرا آخر جامعا لقيصتهم و معلما بغصتهم فقال: ﴿ الم يجعل ﴾ أى بما له من الإحسان إلى العرب لا سيما قريش ﴿ كيدهم ﴾ [اى -[2]] فى تعطيل الكعبة بتخريبها ٥ و بصرف الحج إلى كنيستهم على زعمهم و [قد -[3]] كان كيدهم عظيما[4] غلبوا به من ناواهم من العرب ﴿ فى تضليل ﴾ أى مظروفا لتضييع عما قصدوا له من نسخ الحج إلى الكعبة أولا و من هدمها ثانيا و إبطال و بعد عن السداد و إهمال بحيث صار بكونه مظروفا لذلك معمورا به لا مخلص له منه، و هذا مشير[5] إلى أن كل من تعرض ١٠ [6]لشىء من حرمات[6] الله كبيت من بيوته أو ولى من أوليائه أو عالم[7] من علماء الدين و إن كان مقصرا نوع تقصير وقع فى مكره، و عاد [8]عليه وبال شره[8] «من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب[9]» و إلى أن من جاهر بالمعصية أسرع إليه الهلاك بخلاف من تستر، و إلى أن الله تعالى يأتى من يريد عذابه من حيث لا يحتسب ليدوم الحذر منه و لا يؤمن ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الدلالات (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: تعظيما (٥) من م، و فى الأصل و ظ: مشيرا (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: لحرمات (٧) من ظ و م، و فى الأصل: عالما (٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: اليه لما ورد (٩) من ظ و م، و فى الأصل: فى محاربته.

مكره و لو كان الخصم أقل عباده، لم يخطر للحبشة ما وقع لهم أصلا ولا خطر لأحد سواهم ان طيورا تقتل جيشا دوّخ الأبطال و دانت له غلب الرجال، يقوده ملك جبار كتيبته فى السهل تمشى و رجله على[1] القاذفات فى رؤس المناقب .

٥ و لما كان التقدير : فمنعهم من الدخول إلى حرم إبراهيم عليه الصلاة و السلام فضلا عن الوصول إلى بلدة[2] الرسول صلى الله عليه و سلم ، عطف عليه أو على « يجعل » معبرا بالماضى لأنه بمعناه و هو أصرح و التعبير به أقعد قوله : ﴿ و ارسل ﴾ و بين أنه إرسال عذاب بقوله : ﴿عليهم﴾ أى خاصة من بين من كان[3] هناك من كفار العرب ،
١٠ وأشار إلى تحقيرهم و تخسيسهم عن أن يعذبهم بشىء عظيم لكونهم عظموا أنفسهم و تجبرو على خالقهم بالقصد القبيح لبيته فقال تعالى معلما بأنه سلط عليهم ما [لا -[4]] يقتل مثله فى العادة[5] : ﴿ طيرا ﴾ / و هو اسم جمع يذكر ٨٥٢/
على اللفظ ، و يؤنث على المعنى ، و قد يقع على الواحد ، و لذلك قال مبينا الكثرة ﴿ ابابيل ﴾ أى جماعات [6]كثيرة جدا متفرقة[6] يتبع بعضها
١٥ بعضا من نواحى شتى فوجا فوجا و زمرة زمرة ، أمام كل فرقة منها طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق . قال أبو عبيدة[7] : يقال : جاءت

(١) من ظ و م ، و فى الاصل : فى (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : بلد .
(٣) سقط من ظ و م (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل : و كان ذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) من ظ و م . و فى الأصل : كثير متفرقة جدا (٧) فى م : أبو عبيد .

الخيل أبابيل من هاهنا و[1] هاهنا ، و هو جمع إبالة بالكسر و التشديد و هي[2] الحزمة الكبيرة - شبهت بها الجماعة من الطير فى تضامّها ، و فى أمثالهم : ضغث على إبالة ، أى بلية على أخرى .

و لما تشوف السامع إلى فعل الطير بهم ، [3]قال مستأنفا[3] : ﴿ترميهم﴾ أى الطير ﴿بحجارة﴾ أى عظيمة [4]فى الكثرة[4] و الفعل ، صغيرة فى المقدار و الحجم ، كان كل [واحد -[5]] منها فى نحو مقدار العدسة ، فى منقار كل طائر منها واحد و فى[6] كل رجل واحد .

و لما كان الشيء إذا كان مصنوعا للعذاب كان أشد فعلا فيه قال : ﴿من سجيل ۝١﴾ أى طين متحجر مصنوع للعذاب فى موضع هو فى غاية العلو كما بين فى سورة هود عليه الصلاة و السلام ، قال[7] حمزة الكرمانى : قال أبو صالح : رأيت تلك الحجارة مخططة بالحمرة . و لما تسبب عن هـذا المرمى هلاكهم ، و كان ذلك بفعل الله [8]سبحانه و تعالى القادر على ما أراد[8] لأنه الذى خلق الأثر قطعا لأن مثله لا ينشأ عنه[9] ما نشأ من الهلاك ، قال : ﴿ فجعلهم ﴾ أى ربك المحسن إليك باحسانه إلى

(١) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كان قائل قال. (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كثيرة (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل و ظ : رجليه ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٧) زيد فى الأصل : الشيخ ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : منه .

قومك لأجلك بذلك ﴿كعصف ماكول ع﴾ أى ورق زرع وقع فيه الأكال و هو أن يأكله الدود و يجوفه لأن الحجر كان يأتى فى الرأس فيخرق[1] بما له من الحرارة و شدة الوقع كل ما مر ؛ حتى يخرج من الدبر و يصير موضع تجويفه أسود لما له من النارية، أو أكل حبه فبقى[2] صفرا منه أو كتبن أكلته الدواب و راثته، و لكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله تعالى : "كانا يأكلان الطعام" و هذا الإهلاك فى إعجابه هو [3]من معانى[3] الاستفهام التقريرى فى أولها، فقد تعانق طرفاها، و التف أخراها بأولاها ـ [4]و الله أعلم بمراده[4] .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فينخرق (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : وبقى (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فى معنى (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة قريش[1]

مقصودها الدلالة على [ضد -[2]] ما دلت عليه[3] الفيل بأن إهلاك الجاحدين المعاندين لإصلاح المقرين[4] العابدين، و هو بشارة عظيمة لقريش خاصة باظهار[5] شرفهم فى الدارين، و اسمها قريش ظاهر الدلالة على ذلك، و التعبير بقريش دون قومك أو الحمس مثلا و نحوه دال على أنهم يغلبون ٥ الناس اجمع بقوة كما يدل عليه الاسم، و[6]بغير قوة[6] كما دل عليه ما فعل لأجلهم من قصة الفيل: ﴿بسم الله﴾ ذى السبحات و الحمد فله جميع الكمال ﴿الرحمن﴾ ذى النعم العامة بالإيجاد و البيان فهو ذو الأفضال ﴿الرحيم ٥﴾ ذى الانتقام بالإبعاد و الاختصاص / بمن يشاء بالإسعاد بالتقريب ٨٥٣/ و الإجلال.

١٠

لما[7] كان ما فعله سبحانه - من منع هذا الجيش العظيم - الذى من قوته طاعة أكبر ما خلق الله من الحيوان البرى فيما نعلمه له - من دخول الحرم الذى هو مظهر قدرته و محل عظمته الباهرة و عزته و المذكر بخليله عليه

(١) السادسة والمائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها ٤ (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: سورة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٤) من م، و فى الأصل و ظ: المقربين (٥) من م، و فى الأصل و ظ: لاظهار (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: بعرفوه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: و لما.

الصلاة و السلام و ما كان من الوفاء بعظيم خلته - كرامة لقريش عظيمة ظاهرة عاجلة حماية لهم عن أن تستباح ديارهم و تسبى ذراريهم لكونهم أولاد خليله و خدام بيته و قطان[1] حرمه و متعززين به و منقطعين إليه، و عن أن يخرب موطن[2] عزهم و محل أمنهم و عيشهم و حرزهم، ذكرهم سبحانه و تعالى ما فيه من النعمة الآجلة إكراما ثانيا بالنظر فى العاقبة، فقال مشيرا إلى أن من تعاظم عليه قصمه، ومن ذل له و خدمه أكرمه و عظمه: ﴿ لايلف قريش ﴾ أى لهذا الأمر لاغيره[3] فعلنا ذلك و هو إيقاعهم الإيلاف و هو ألفهم لبلدهم الذى ينشأ عنه طمأنينتهم و هيبة الناس لهم، و ذلك ملزوم لألفهم أولا فى أنفسهم، فاذا كان لهم الألف بحرمهم بما حصل لهم من العز و المكنة به بما دافع عنهم فيه مع ما له من بعد الآفات عنه، و كان لهم الألف بينهم. فكان بعضهم يألف بعضا، قوى أمرهم فألفوا غيرهم أى جعلوه يألف ما ألفوه إياه أى سنوه[4] له و أمروه به، أو يكون اللام متعلقا بفعل العبادة بدلالة "فليعبدوا" أى ليعبدونا لأجل ما أوقعنا من[6] ألفهم و إيلافهم، و على التقدرين الألف علة للعبادة أو لما يوجب الشكر بالعبادة. و فى هذا إشارة إلى تمام قدرته سبحانه و تعالى و أنه إذا أراد شيئا يسر سببه لأن

(١) من ظ و م، و فى الأصل: خطان (٢) من م، و فى الأصل و ظ: مواطن (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لغيره (٤) من ظ و م، و فى الأصل: يسوه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: بذلك لاله (٦) من ظ و م، و فى الأصل: عن.

التدبير كله له يخفض من يشاء و إن عز، و يرفع[1] من يشاء و إن ذل، ليثمر اعتقاد ذلك حبه و الانقطاع لعبادته و الاعتماد عليه فى [كل -[2]] نفع و دفع، و قريش ولد النضر بن كنانة و اسمهم و اسم قبيلتهم مشتق من القرش [و التقرش -[2]] و هو التكسب و الجمع، يقال: فلان يقرش لعياله و يقترش أى يكتسب، و قال البغوى[4]: و قال [أبو -[3]] ريحانة: سأل معاوية ابن عباس رضى الله عنهما: لم سموا بهذا؟ فقال: لدابة تكون فى البحر [هى -[3]] أعظم دوابه، يقال لها القرش، لا تمر بشىء من الغث و السمين إلا أكلته، و هى تأكل و لا تؤكل و تعلو و لا تعلى، قال: و هل تعرف العرب ذلك فى أشعارها؟ قال: نعم، و أنشد للجمحى:

و قريش هى التى تسكن البحـــر بها سميـــت قريش قريشـا
سلطت بالعلو فى لجة البحـــر على سائر الجيوش جيوشـا

و قال[5] الزمخشرى[6]: هى دابة عظيمة تعبث بالسفن و لا تطاق إلا بالنار، و التصغير للتعظيم - انتهى، و قيل: سموا بذلك لتجمعهم إلى الحرم بعد تفرقهم، فان القرش - كما تقدم - الجمع، و كان المجمع لهم قصيا، و القرش[7] أيضا[8] الشديد، و قيل: هو من تقرش الرجل - إذا تنزه عن مدانيس

(١) من ظ و م، و فى الأصل: رفع (٢) زيد من م (٣) زيد من ظ و م.
(٤) راجع المعالم ٧ / ٢٤٧ (٥) زيد فى الأصل: ابو القاسم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) راجع البحر ٨/٥١٣ (٧) من ظ و م، و فى الأصل: القريش (٨) من ظ و م، و فى الأصل: ابا - كذا.

/٨٥٤ الأمور ، و من تقارشت الرماح / فى الحرب - إذا دخل بعضها فى [بعض -[1]] .

و المادة كلها للشدة و الاختلاط ، و التعبير بهذا الاسم لمدحهم . و كما أجرى سبحانه و تعالى مدحهم على الألسنة جعلهم موضعا للمدح ، قال النبي صلى الله عليهم عليه و سلم[2] : إن الله اصطفى كنانة من بنى إسماعيل و اصطفى قريشا من كنانة و اصطفى بنى هاشم من قريش و اصطفانى من بنى هاشم ، و قال صلى الله عليه و سلم[3] : الأئمة من قريش ، قال العلماء : و ذلك أن طيب العنصر يؤدى إلى محاسن الأخلاق ، و محاسن الأخلاق تؤدى إلى صفاء القلب ، و صفاء القلب [4]عون على[4] إدراك العلوم ، و بادراك العلوم تنال الدرجات العلى فى [الدنيا و -[1]] الآخرة ، و صرف الاسم هنا على معنى الحى ليكون الاسم بمادته دالا على[5] الجمع ، و بصرفه دالا على[6] الحياة إشارة إلى كمال حياتهم ظاهرا و باطنا ، قال سيبويه فى معد و قريش و ثقيف : صرف هذه الأحياء أكثر ، و إن جعلتها اسما للقبائل - يعنى فمنعتها - فجائز حسن ، و الذى يدل على تعلق اللام بفعل دلت عليه الفيل أن السورتين فى مصحف أبى[7] رضى الله عنه سورة واحدة من غير

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع المعالم ٧ / ٢٤٧ (٣) راجع مسند أحمد ٣/١٢٩ .
(٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يودى الى (٥) زيد فى الأصل : معنى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) زيد فى الأصل : ان ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ابى بكر .

فصل

فضل ، و أن عبد الرزاق[1] و ابن أبي شيبة[2] رويا عن أبي إسحاق عن عمرو ابن ميمون قال : صلى بنا عمر رضى الله عنه المغرب فقرأ فى الأولى بالتين و الزيتون ، و فى الثانية ألم تركيف و لإيلاف قريش.

و قال [الإمام -[3]] أبو جعفر ابن الزبير : لاخفاء [4]فى اتصالها[4] أى أنه سبحانه و تعالى فعل ذلك بأصحاب الفيل و منعهم عن بيته و حرمه ٥ لانتظام شمل قريش ، و هم سكان الحرم و قطان بيت الله الحرام ، و ليؤلفهم بهاتين الرحلتين فيقيموا بمكة و تأمن[5] ساحتهم - انتهى .

و لما علل بالإيلاف[6] و كان لازما و متعديا ، تقول : آلفت المكان أولفه إيلافا فأنا مؤلف[7] و آلفت فلانا هذا الشيء أى جعلته آلفا له ، وكان الإتيان بالشيء محتملا لشيئين[8] ثم إبدال[9] أحدهما منه أضخم لشأنه ١٠ و أعلى لأمره ، أبدل منه قوله : ﴿ إيلافهم ﴾ أى إيلافنا إياهم ﴿ رحلة الشتآء ﴾ التى يرحلونها فى زمنه إلى اليمن لأنها بلاد حارة ينالون بها متاجر الجنوب ﴿ والصيف ﴾ التى يرحلونها إلى الشام فى زمنه لأنها بلاد باردة ينالون فيها منافع[10] الشمال ، و هم آمنون من سائر العرب لأجل عزهم بالحرم

(١) راجع مصنفه ٢/١٠٩ (٢) راجع مصنفه - كتاب الصلاة (٣) زيد من ظ .
(٤-٤) فى م : باتصالها (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : تومن (٦) من ظ و م ، وفى الأصل : يلاف (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يولف (٨) فى ظ : للشيئين (٩) من ظ و م ، وفى الأصل : ابدا (١٠) من ظ و م ، وفى الأصل : منع .

المكرم المعظم ببيت الله و الناس يتخطفون من حولهم[١]، ففعل الله تعالى بأصحاب الفيل ما فعل ليزداد العرب لهم[٢] هيبة و تعظيما فتزيد فى إكرامهم لما رأت من إكرام الله تعالى لهم فيكون لهم غاية التمكن فى رحلتهم، و الرحلة بالكسر هيئة الرحيل، و قرئ بالضم و هى الجهة التى
٥ يرحل إليها، و كانوا معذورين لذلك لأن بلدهم لازرع به[٣] [ولاضرع -[٤]]، فكانوا إذا ضربوا فى الأرض قالوا: نحن سكان [٥]حرم الله[٥] و ولاة بيته[٦]، فلا يعرض أحد بسوء، فلولا الرحلتان لم يكن لهم مقام بمكة، و لولا الأمن بجوار البيت لم يقدروا على التصرف، و أول من سن لهم الرحلة هاشم ابن عبد مناف، و كان يقسمون ربحهم بين الغنى و الفقير [٧]حتى كان[٧]
١٠ فقيرهم كغنيهم، و فى ذلك يقول[٨] الشاعر:

قل للذى طلب السماحة و الندى ... هلا مررت بآل عبد مناف
الرائشين و ليس يوجد رائش ... و القائلين هلم للاضياف
و الخالطين فقيرهم بغنيهم ... حتى يكون فقيرهم كالكاف
القائلين بكل وعد صادق ... و الراحلين برحلة الإيلاف
١٥ عمرو العلا هشم الثريد لقومه ... و رجال مكة مسنتون[٩] عجاف

(١) فى ظ: حواه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عنده (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بها (٤) زيد من ظ و م (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: الحرم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: بيت الله (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: فكان (٨) من ظ إو م، و فى الأصل: قد قالى - و راجع المعالم ٧/ ٢٤٨ للأبيات (٩) من ظ و م، و فى الأصل: منون.

سفرين سنّهما له و لقومـــــه سفر الشتاء و رحلة الأصيـاف

و تبع هاشما على ذلك إخوته، فكان هاشم يؤلف[1] إلى الشام و عبد شمس إلى الحبشة، و المطلب إلى اليمن، و نوفل إلى فارس، و كان تجار قريش يختلفون إلى هذه الأمصار بحبال هذه الإخوة - أى عهودهم - التى أخذوها بالأمان[2] لهم من ملك كل ناحية [من هذه النواحى -[3]]، و أفرد الرحلة ٥ فى موضع التثنية لتشمل كل رحلة - كما هو شأن المصادر و أسماء الأجناس، إشارة [لهم -[3]] بالبشارة بأنهم يتمكنون عن قريب من الرحلة [4]إلى أى بلد أرادوا لشمول[4] الأمن لهم و بهم جميع الأرض بما نشره الله سبحانه و تعـالى من الخير فى قلوب عباده فى سائر الأرض بواسطة هذا النبى الكريم الذى هو أشرفهم و أعظمهم و أجلهم و أكرمهم. ١٠

و لما كان هذا التدبير لهم من الله كافيا[5] لهمومهم الظاهرة بالغنى و الباطنه بالأمن، و كان شكر المنعم واجبا، فاذا أنعم بما يفرغ المنعم عليه للشكر كان[6] وجوبه عليه أعظم، [7]سبب عن[7] الإنعام عليهم بذلك قوله[8]: ﴿ فليعبدوا ﴾ اى قريش على سبيل الوجوب شكرا على هذه النعمة خاصة إن لم يشكروه على جميع نعمه التى لا تحصى لأنهم يدعون ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يالف (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فالامان.
(٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من م، و فى الأصل: اى اى الى اى بلاد ارادوا لشمو م، و فى ظ: الى اى بلاد اراد والشمو م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: كاينا (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فان (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: بسبب (٨) من ظ و م، و فى الأصل: قال تعالى.

أنهم أشكر الناس للاحسان و أبعدهم عن الكفران[1] ﴿رب هذا البيت[2]﴾ أى الموجد له و المحسن إلى أهله بتربيتهم به و بحفظه من كل طاغ، و تأثيره لأجل حرمته فى كل باغ، و باذلال الجبابرة له ليكمل إحسانه إليهم و عطفه عليهم باكمال إعزازه لهم فى الدنيا و الآخرة و جعل ما ٥ داموا عابدين له موصولا بعز الآخرة، فتتم النعمة و تكمل الرحمة، [2]و المراد[2] به الكعبة، عبر عنها بالإشارة تعظيما إشارة إلى أن ما تقدم فى السورة الماضية من المدافعة عنهم معروف أنه بسببه لايحتاج إلى تصريح، و أن[3] ذلك جعله متصورا فى [4]كل ذهن[4] حاضرا مشاهدا لكل مخاطب، و فى هذا التلويح من التعظيم ما ليس للتصريح، ثم وصف نفسه الأقدس بما هو ١٠ ثمرة الرحلتين / و مظهر لزيادة شرف البيت فقال تعالى: ﴿الذى اطعمهم﴾ ٨٥٦ / أى قريشا بحمل الميرة إلى مكة بالرحلتين آمنين من ان يهاجوا، و باهلاك الذين أرادوا إخراب البيت الذى به نظامهم، إطعاما مبتدئا ﴿من جوع[5]﴾ أى عظيم فيه غيرهم من العرب، أو كانوا هم فيه قبل ذلك لأن بلدهم مهيأ لذلك لأنه ليس بذى زرع، فهم عرضة للفقر ١٥ الذى ينشأ عنه[6] الجوع، فكفاهم ذلك وحده و لم يشركه أحد فى كفايتهم، فليس من الشكر إشراكهم فى عبادته و لا من البر بأبيهم إبراهيم عليه

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الكفر قال (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: فالمراد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: ذهن كل احد (٥) من م، و فى الأصل و ظ: للفقراء (٦) من ظ و م، و فى الأصل: عنهم.

الصلاة و السلام الذى دعا لهم بالرزق و نهى أشد النهى عن عبادة الأصنام، ولم [يقل: أشبعهم -[1]] لأنه ليس كلهم كان يشبع، و لأن من كان يشبع منهم طالب لأكثر مما [هو -[1]] عنده «و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب».

و لما ذكر السبب فى إقامة الظاهر، ذكر السبب فى إقامة العيش ٥ بنعمة الباطن فقال: ﴿وآمنهم﴾ أى تخصيصا لهم ﴿من خوف﴾ أى شديد جدا من أصحاب الفيل و مما ينال من حولهم من[2] التخطف بالقتل و النهب و الغارات و [3]بالأمن من[3] الجذام بدعوة إبراهيم عليه الصلاة و السلام، [و من الطاعون و الدجال بتأمين النبى صلى الله عليه و سلم -[1]]، و عن ذلك تسبب الاتحاف بما خصهم به من الإيلاف، فعلم [أن -[1]] ١٠ آخرها علة لأولها، و يجوز أن يكون إلفهم للبلد وقع أولا فحماه الله لهم مما ذكر، فيكون ذلك مسببا عن الإلف فيكون أولها علة لآخرها[4]، فقد التقى الطرفان[5]، و التأم البحران المغترفان، و كما التقى آخر كل سورة مع أولها فكذلك التقى آخر القرآن العظيم بأوله بالنسبة إلى تسع سور هذه أولها إذا عددت من الآخر إليها، فان حاصلها المن على قريش ١٥ بالإعانة على المتجر إيلافا لهم بالرحلة فيه و الضرب[6] فى الأرض بسببه

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: من الامن (٤) من ظ و م، و فى الأصل: لاخراها. (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الطرف (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الصرف.

و اختصاصهم بالأمر بعبادة الذى منّ عليهم بالبيت الحرام و جلب لهم به الأرزاق و الأمان، و من أعظم مقاصد التوبة ـ المناظرة لهذه بكونها التاسعة من الأول ـ البراءة من كل مارق، و أن فعل ذلك يكون سببا للألفة بعد ما ظن أنه سبب الفرقة. و ذكر مناقب البيت و من يصلح لخدمته، و الفوز بأمانه و نعمته، و البشارة بالغنى على وجه أعظم من تحصيله بالمتجر و أبهى و أبهر، و أوفى و أوفر، [1]و أزهى[1] و أزهر، و أجل أفخر، بقوله تعالى "ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله [2]شاهدين على أنفسهم[2]" ـ الآيات، و قوله تعالى "و ان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله" فعلم بهذا علما جليا أنه شرع سبحانه فى رد المقطع على المطلع من سورة قريش الذين أكرمهم الله بانزال القرآن بلسانهم و أرسل[3] به النبى صلى الله عليه وسلم إليهم كما أكرمهم ببناء البيت فى شأنهم[4]، و تعظيمه لغناهم و أمانهم، و من أعظم المناسبات فى ذلك كون أول السورة التى أخذ فيها فى رد المقطع على المطلع شديد المشابهة للسورة المناظرة لها حتى أن فى كل منهما مع[5] التى قبلها كالسورة الواحده فان[6] براءة مع الأنفال كذلك حتى قال عثمان رضى الله تعالى عنه أن النبى صلى الله عليه و سلم[7] توفى

(١-١) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ارسله (٤) من ظ و م، و فى الأصل: شانه (٥) زيد فى الأصل و ظ: السورة، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها.
(٦) زيد فى الأصل: مع، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد فى الأصل: و مات، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و لم يبين أمرها ، فلم يتحرر له أنها مستقلة عنها ، و لذلك لم يكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ، و كانت هذه التى من الآخر مقطوعا بأنها مستقلة مع ما و رد من كونها مع التى قبلها سوره واحدة فى مصحف أبى[1] رضى الله تعالى عنه ، و قراءة عمر رضى الله تعالى عنه [لهما - [2]] على وجه يشعر بذلك كما مضى إشارة إلى أن الآخر يكون أوضح من الأول ، و من أغرب ذلك أن السورتين اللتين قبل سورتى[3] المناظرة بين أمريهما طباق ، فالأولى فى الآخر و هى الفيل أكرم الله فيها قريشا باهلاك [أهل -[2]] الإنجيل ، و الأولى فى الأول و هى الأنفال أكرمهم الله فيها بنصر أهل القرآن عليهم باهلاك جبابرتهم ، فكان ذلك سببا لكسر شوكتهم و سقوط نخوتهم المفضى[4] إلى سعادتهم[5] ، و علم أن البراءة و غيرها إنما عمل لإكرامهم لأنهم المقصودون بالذات و بالقصد الأول بالإرسال و الناس لهم تبع كما أن جميع الرسل تبع للرسول[6] الفاتح الخاتم الذى شرفوا بارساله إليهم صلى الله عليه و سلم ، و كان عدد التسع مشيرا إلى أن قريشا أهل لأن يتصلوا بعروج الأسرار فى الملكوت إلى [الفلك - [2]] التاسع ، و هو العرش الذى هو مقلوب الشرع ، فهم يصعدون بأسرار الشرع - التى من أعظمها الصلاة - من الأسفل إلى الأعلى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ابى بكر (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : سورة (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : المقتضى (٥) فى ظ : شقاوتهم (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : المرسول .

من الطرفين معا كما أنه يتنزل عليهم بالبركات من الجانبين، و إذا ضممت التسع الأولى إلى الأخرى كانت ثمان عشرة، فكانت مشيرة إلى ركعات الصلوات مضموما إليها الوتر، و إلى ظهور الدين ظهورا كاملا [على -[1]] غالب أقطار الأرض كما كان فى سنة ثمان و عشرين، و هى الثامنة عشرة من موت النبي صلى الله عليه و سلم، و ذلك فى أثناء خلافة عثمان رضى الله عنه فانه كان فيها قد تمزق ملك كسرى و ضعف جدا، و كذا ملك الروم مع ما كان من زوال أمر[2] القبط بالكلية، و من بديع الإشارات أيضا أنك إذا نظرت إلى نزول براءة وجدته سنة تسع من الهجرة فى غزوة تبوك و عقب الرجوع منها، فكان كونها تاسعة و نزولها فى السنة التاسعة مشيرا[3] إلى كون الدين يظهر على كل مخالف بعد تسع سنين، و هى السنة الثامنة من موت النبي صلى الله عليه و سلم فى وسط خلافة الفاروق حين[4] ظهر المسلمون على الفرس و الروم، فقتلوا رجالهم، و انتثلوا أموالهم، كما كان قد ظهر عند نزولها على عباد الأوثان من العرب، و من الغريب أن قصة الفيل كانت سنة مولد النبي صلى الله عليه و سلم، فهى قبل النبوة بأربعين سنة بعدد كلمات السورتين: [الفيل -[1]] و قريش، فان الفيل ثلاث و عشرون و قريش سبع عشرة، و ذلك - والله أعلم - إشارة إلى أن ابتداء الأمن - باهلاكهم و الإشباع بنهب ما كان معهم من أموالهم و متاعهم - كان لمولده صلى الله عليه و سلم

/ ٨٥٨ /

(١) زيد من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: ملك (٣) فى ظ و م: مشير (٤) من ظ و م، و فى الأصل: حتى.

و

و تشريف الوجود بوجوده، و يكون ذلك ظاهرا كما كان السبب - الذى هو وجوده صلى الله عليه و سلم - ظاهرا، و إلى أن وسطه يكون بنبوته صلى الله عليه و سلم، و يكون ذلك باطنا كما أن السبب - و هو الوحى باطن، ثم كان أمن الصحابة رضى الله تعالى عنهم فى السنة الثامنة الموازية لعدد كلمات البسملتين على يد النجاشى ملك الحبشة الذين كان الأمن ٥ أولا باهلاكهم، و إذا ضممت إليها أحد عشر ضميرا - سبعة فى الفيل و أربعة فى قريش - كانت[1] تسعا و خمسين توازيها إذا حسبت من المولد[2] سنة [ست -[3]] من الهجرة، و فيها كانت عمرة الحديبيه و هى الفتح السببى [الخفى -[3]]، و إلى ذلك أشار صلى الله عليه و سلم بقوله فى بروك ناقته الشريفة حين بركت فقالت الصحابة رضى الله تعالى عنهم: خلأت[4] ١٠ القصوى - أى حرنت: ما خلأت و لكن[5] حبسها حابس الفيل، و فيها نزلت سورة الفتح، فكان[6] سبب الأمن العظيم و الغنى، و عقبها فى سنتها كان البعث إلى ملوك الأمصار، و فتح خيبر و [انبساط -[7]] ذكر الإسلام[8] فى جميع الأقطار، و كذا كان عقبها قبل عمرة القضية إسلام عمرو بن العاص على يد النجاشى[9] لما سأله أن يعطيه عمرو بن أمية الضمرى رضى الله ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: كان (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الولد. (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: محلات - كذا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لكنها (٦) من م، و فى الأصل و ظ: فكانت (٧) زيد من م (٨) من م، و فى الأصل و ظ: ملوك الامصار (٩) من ظ و م، و فى الأصل: النامى.

عنه ليقتله ، و ذلك حين أرسله النبي صلى الله عليه و سلم إلى النجاشي رضى الله عنهما يدعوه إلى الإسلام فأنكر النجاشي ذلك على ابن العاص و شهد للنبي صلى الله عليه و سلم بالرسالة و أمره بأن[1] يؤمن به ، ففعل فكان ملك الحبشة بدعاء النبي صلى الله عليه و سلم ناجيا هاديا ، [و -[2]] إلى النبي صلى الله عليه [داعيا ، عكس ما كان لملك الحبشة بمولده صلى الله عليه و سلم -[2]] من أنه كان هالكا ، و إلى الجحيم هاويا ، و إن حسبت من سنة بنيان الكعبة فى الخامسة و العشرين من مولده صلى الله عليه و سلم كانت السنة التاسعة و الخمسون هى الحادية و الثلاثون بعد الهجرة ، و هى سنة استئصال ملك الفرس بقتل آخر ملوكهم يزدجرد ، و الفرس هم الذين أزالوا الحبشة عن بلاد اليمن و طهروا منهم أرض العرب ، و لعل قسمة السورتين إلى ثلاث و عشرين و سبع عشرة إشاره إلى [أن -[2]] هذا المولد الشريف الذى حرست الكعبة بمولده صلى الله عليه و سلم و حصل الأمن و العز ببركته تبنى الكعبة و تجدد بعد بضع و عشرين سنة من مولده ، قالوا : كان بنيانها [و - [2]] سنه خمس و عشرون [سنة -[2]] ، فلعله كان فى آخر الرابعة و العشرين[3] ، و لعل قصة الفيل كانت و له نحو سنة من حين الولادة ، و به حين البنيان ألف الله بين قريش بعد أن كانوا تنافروا أشد المنافرة و تعاقدوا على الحرب فى أمر الحجر /٨٥٩

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ان (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عشرين .

الأسود من يضعه فى موضعه حتى أصلح الله بينهم به صلى الله عليه و سلم فوضعه بيده الشريفة فى ثوب ، و أمرهم فأمسكت جميع القبائل بأطرافه ، ثم رفعوه حتى وازوا به موضعه فأخذه [هو -[1]] صلى الله عليه و سلم فوضعه فى مكانه ، فكان الشرف له خاصـــة فى الإصلاح و البنيان ، و تشير مع ذلك إلى انه يبقى فى النبوة ثلاثا و عشرين سنة ، ثم يتوفاه ٥ الله سبحانه و تعالى بعد أن جعل الله كيد جميع الكفرة فى تضليل من عباد الأوثان و الفرس و الروم و غيرهم بما فتح الله عليه من جزيرة العرب التى ألف الله بها بين كلمتهم حتى انسابوا على غيرهم فما وافقهم أحد ناوشوه القتال و ساوموه النضال و النزال ، و لعل الإشارة بكون قريش سبع عشرة كلمة إلى أنه صلى الله عليه و سلم بعد سبع عشرة سنة ١٠ من بنيان البيت يبعثه الله سبحانه و تعالى لأمر قريش بالعبادة التى أجلّها[3] الصلاة التى أعظمها الفرائض التى هى سبع عشرة ركعة شكرا لنعمة من آمنهم من خوف و أطعمهم من جوع بأعظم[4] العبادة ، و إلى أن ابتداء ألفة قريش بالقوة القريبة من الفعل بعد الشتات العظيم الظاهر و جعل كيد الكفار [5]فى تضليل يكون[5] فى السنة السابعة عشرة[6] من النبوة ، ١٥ و ذلك سنة أربع من الهجرة فان فيها كان إجلاء بنى النضير من اليهود

(١) زيد من م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : مما (٣) زيد فى الأصل : واعظمها ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : بنعمة. (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يكون فى تضليل (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : السابعة عشر .

من المدينة الشريفة و إخلاف قريش [الموعد -[1]] فى بدر الموعد وهناً منهم عن لقاء جيش النبى صلى الله عليه و سلم[2]، و كانت بعد يسير غزوة الأحزاب، و لذلك قال النبى صلى الله عليه و سلم بعد انصرافهم: الآن نغزوهم و لا يغزونا - يعنى أن نخوة الشيطان منهم و حمية الجاهلية أخذت فى الاضمحلال لانتهاء قوتهم فى الباطل الذى كان سبب عزهم الظاهرى الذى هو الذل فى الباطن، و كان ذلك ابتداء عزهم فى الباطن الذى هو ذلهم لأهل الإسلام فى الظاهر، و فى أثر الأحزاب كانت غزوة بنى قريظة، فاذا ضممت إلى الكلمات الضمائر الأربعة كانت إحدى و عشرين توازيها سنة ثمان من الهجرة و هى سنة الفتح الأعظم الذى وقعت به[3] الآلفة العظمى بين قريش و أمنهم و غناهم الذى وعدهم [الله -[1]] به فى السورة المناظرة لها - و هى براءة - بائتلاف جميع العرب و انبعاثهم لاجتماع كلمتهم إلى جهاد الفرس / و الروم و القبط و أخذهم لبلادهم، و انتثالهم لكنوزهم و تحكمهم فى نسائهم و أولادهم، فسبحان من هذا كلامه، و تعالى شأنه و عز مرامه[4].

/٨٦٠

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد فى الأصل: بعد انصرافهم الآن، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) من م، و فى الأصل و ظ: فيه (٤) زيد فى الأصل: و لا اله غيره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

سورة الدين و تسمى أرأيت و التكذيب و الماعون [1]

مقصودها التنبيه على ان التكذيب بالبعث لأجل الجزاء أبو الخبائث ، فانه يجرئ المكذب على مساوئ الأخلاق و منكرات الأعمال حتى تكون الاستهانة بالعظائم خلقا له فيصير ممن ليس له خلاق ، وكل من أسمائها الأربعة [2] فى غاية الظهور فى الدلالة على ذلك بتأمل السورة لتعرف هذه الأشياء المذكورة [3] ، فهى ناهية عن المنكرات بتصريحها ، داعية إلى المعالى بافهامها و تلويحها ﴿ بسم الله ﴾ الذى تعالت عظمته عن كل شائبة نقص فكان له كل كمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمت نعمته [4] المحسن و المسىء فغمر الكل بالنوال ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص أولياءه باتمام النعمة فحباهم بنعيم الاتصال .

لما أخبر سبحانه و تعالى عن فعله [5] معهم من الانتقام ممن تعدى حدوده فيهم ، و من الرفق بهم بما هو [6] غاية فى [6] الحكمة ، فكان معرفا بأن فاعله لايترك الناس سدى من غير جزاء ، و أمرهم آخر قريش بشكر [7] نعمته بافراده بالعبادة ، عرفهم أول هذه أن ذلك لايتهيأ إلا بالتصديق

---

(١) السابعة و المائة من سور القرآن الكريم، مكية ، وعدد آيها ٧ (٢) سقط من ظ و م (٣) من م ، وفى الأصل و ظ : المذكورات (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : نعمة (٥) من ظ و م ، وفى الأصل : فعلهم (٦-٦) من ظ و م ، وفى الأصل : فى غاية (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : يشير .

بالجزاء الحامل على معالى الأخلاق الناهى عن مساوئها ، و عجب ممن يكذب بالجزاء مع وضوح الدلالة[1] عليه بحكمة الحكيم ، و وصف المكذب [به -[2]] بأوصاف هم منها فى غاية النفرة . و صوّره بأشنع صورة بعثا لهم على التصديق و زجرا عن التكذيب ، فقال خاصا بالخطاب رأس الأمة

٥ إشارة إلى أنه لا يفهم هذا الأمر حق فهمه غيره : ﴿ ارءيت ﴾ أى أخبرنى يا أكمل الخلق ﴿ الذى يكذب ﴾ أى يوقع التكذيب لمن يخبره كائنا من كان ﴿ بالدين ﴾ أى الجزائى الذى يكون يوم البعث الذى هو محط الحكمة و هو غاية الدين التكليفى الآمر بمعالى الأخلاق الناهى عن سيئها ، و من كذب بأحدهما كذب بالآخر[3] . و لما كان فعل الرؤية بمعنى

١٠ أخبرنى ، المتعدى إلى مفعولين ، كان تقدير المفعول الثانى : أليس جديرا بالانتقام منه .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما تضمنت السور[4] المتقدمة من الوعيد لمن انطوى على ما ذكر فيها مما هو جارٍ على حكم الجهل و الظلم الكائنين فى[5] جبلة الإنسان ما تضمنت كقوله "ان الإنسان لربه

١٥ لكنود" "ان الانسان لفى خسر" "يحسب ان ماله اخلده" و انجر أثناء ذلك مما تثيره هذه الصفات الأولية[6] ما ذكر فيها أيضا كالشغل

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الادلة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل: عن الآخر (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : السورة . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٦) بهامش م : أى المكلم بها فى الأزل أو الأولية بمعنى أنها فى الفطرة الأولى .

بالتكاثر، و الطعن على الناس و لمزهم و الاغترار المهلك أصحاب[1] الفيل
أتبع ذلك / بذكر صفات قد توجد فى المنتمين إلى الإسلام أو[2] يوجد / ٨٦١
بعضها أو أعمال من يتصف بها و إن لم يكن من أهلها كدع اليتيم، و هو
دفعه عن حقه و عدم الرفق به، و عدم الحض على طعام المسكين،
و التغافل عن الصلاة و السهو عنها، و الرياء بالأعمال و الزكاة و الحاجات ٥
التى يضطر فيها الناس بعضهم إلى بعض، و يمكن أن يتضمن إبهام الماعون
هذا كله، و لا شك أن هذه الصفات توجد فى المتسمين بالإسلام، فأخبر
سبحانه و تعالى أنه [من-[3]] صفات من يكذب بيوم الدين و لا ينتظر
الجزاء و الحساب، أى إن هؤلاء هم أهلها، و من هذا القبيل قوله عليه
الصلاة و السلام «أربع من كن فيه كان منافقا خالصا» و قوله عليه ١٠
الصلاة و السلام «لا يزنى الزانى حين يزنى و هو مؤمن» و هذا الباب
كثير فى الكتاب و السنة، و قد بسطته فى كتاب «إيضاح السبيل من
حديث سؤال جبريل» فن هذا القبيل عندى - و الله أعلم - قوله
تعالى" أرايت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم "أى أن
هذه الصفات من دفع اليتيم و بعد الشفقة عليه، و عدم[4] الحض على ١٥
إطعامه[5] و السهو عن الصلاة و المراءاة بالأعمال و منع الحاجات إن

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لاصحاب (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اى.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: هذا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: طعامه.

هذه كلها من شأن المكذب بالحساب و الجزاء لأن نفع[1] البعد عنها إنما يكون إذذاك، فمن صدق به جرى فى هذه الخصال على السنن المشكور و السعى المبرور، و من كذب به لم يبال بها و تأبط جميعها. فتنزهوا أيها المؤمنون عنها. فليست من صفاتكم فى أصل إيمانكم الذى ٥ بايعتم[2] عليه. فمن تشبه بقوم فهو منهم، فاحذروا هذه الرذائل فان دع اليتيم من الكبر الذى أهلك أصحاب الفيل، و عدم الحض على إطعامه فانما هو فعل البخيل الذى يحسب أن ماله أخلده. و السهو عن الصلوات من ثمرات إلهاء[3] التكاثر، و الشغل بالأموال و الأولاد، فنهى عباده عن هذه الرذائل التى يثمرها[4] ما تقدم و التحمت السور[5] - انتهى.

١٠ و لما كان المراد بهذا الجنس، و كان من المكذبين من يخفى تكذيبه، عرفهم بأمارات تنشأ من عمود الكفر الذى صدر به و يتفرع منه تفضحهم، و تدل عليهم[6] و إن اجتهدوا فى الإخفاء و توضحهم، فقال مسببا عن التكذيب ما هو دال عليه: ﴿ فذلك ﴾ أى البغيض البعيد من كل خير ﴿ الذى يدع ﴾ أى يدفع دفعا عنيفا بغاية[7] القسوه ١٥ ﴿ اليتيم ۝ ﴾ و يظلمه و لايحث على إكرامه لأن الله تعالى نزع الرحمة من

(١) من ظ و م، و فى الأصل: النفع (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تابعتم (٣) من م، و فى الأصل و ظ: الهاكم (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ثمرتها (٥) من ظ و م. و فى الأصل: السورة (٦) من م، و فى الأصل و ظ: عليه (٧) زيد فى الأصل: القوة و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

قلبه

قلبه، و لا ينزعها إلا من شق لأنه لاحامل على الإحسان[1] إليه إلا الخوف من الله[2] سبحانه و تعالى، فكان التكذيب بجزائه سببا للغلظة [عليه - [3]] .

و لما كانت رحمة الضعفاء علامة على الخير، و لذلك قال النبي صلى الله عليه و سلم « اللهم إني أسألك فعل الخيرات، و ترك المنكرات، وحب المساكين » كانت القسوة عليهم / علامة على الشر، و كان من بخل باللين فى قاله أشد [4]بخلا بالبذل[4] من ماله، قال معرفا لأن المكذب ينزله تكذيبه إلى أسفل الدركات، و أسوأ الصفات الحامل على شر الحركات: ﴿ و لا يحض ﴾ أى يحث نفسه و اهله و لا غيرهم حثا عظيما يحمى فيبعث[5] على المراد ﴿ على طعام المسكين[5] ﴾ أى بذله له و إطعامه إياه بل يمقته و لا يكرمه و لا يرحمه، و تعبيره [6]عن الإطعام[6] - الذى هو المقصود - بالطعام الذى هو الأصل و إضافته إلى المسكين للدلالة على أنه يشارك الغنى فى ماله بقدر ما فرض الله من كفايته، و قد تضمن هذا أن علامة التكذيب [بالبعث - [3]] إيذاء الضعيف و التهاون بالمعروف، و الآية من الاحتباك[7]: الدع فى الأول يدل على المقت فى

/ ٨٦٢

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الانسان ان يحسن (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الاله (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: بخلاف البذل (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فينبعث (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: بالاطعام (٧) زيد فى الأصل: ذكر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

الثانى، و الحض فى الثانى يدل على مثله [فى الأول - [1]] .

و لما كان هذا حاله مع الخلائق ، أتبعه حاله مع الخالق إعلاما بأن كلا منهما دال على خراب القلب و موجب لمقت الرب ، و أعظم الإهانة و الكرب ، و أن المعاصى شؤم مهلك ، تنفيرا عنها و تحذيرا [منها-[1]] ، فسبب عنه قوله معبرا بأعظم ما يدل على الإهانة : ﴿ فويل ﴾ و لما كان الأصل : له - بالإضمار و الإفراد ، و كان المراد بـ « الذى » الجنس الصالح للواحد و ما فوقه و كان من يستهين بالضعيف لضعفه يعرض عما لا يراه و لا يحسه لغيبته ، و كان من أضاع الصلاة كان لما سواها أضيع ، و كان من باشرها ربما ظن النجاة و لو كانت مباشرته لها على وجه[2] الرياء أو غيره من الأمور[3] المحبطة للعمل ، عبر بالوصف تعميما و تعليقا للحكم به و شقه من الصلاة تحذيرا من الغرور ، و إشارة إلى أن الذى أثمر له تلك الخساسة هو ما تقدم من الجرى مع[4] الطبع الردئ ، و أتى[5] بصيغة الجمع تنبيها على أن الكثرة ليست لها عنده عزة لأن إهانة الجمع مستلزمة لإهانة الأفراد من غير عكس فقال : ﴿للمصلين[6]﴾ و لما كان الحكم إنما هو [على ذات الموضوع من غير اعتبار لوصفه بالفعل علم أن المقصود إنما هو -[1]] من كان مكلفا بالصلاة لأن[6] من كان متلبسا بها مثل قوله

(١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ و م : حال (٣) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : على (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اشار (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لأن .

صلى الله عليه و سلم «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار» فلذلك وصفهم بقوله: ﴿الذين هم﴾ أى بضمائرهم و خالص سرائرهم . و لما كان المراد تضييعهم قال: ﴿عن﴾ دون "فى" ﴿صلاتهم﴾ أى هى جديرة بأن تضاف إليهم لوجوبها عليهم و إيجابها لأجل مصالحهم و منافعهم بالتزكية و غيرها ﴿ساهون﴾ اى عريقون فى الغفلة عنها و تضييعها و عدم المبالاة بها ٥ و قلة الالتفات إليها، و يوضح ذلك أن ابن مسعود رضى الله عنه قرأ "لاهون" و فائدة التعبير بالوصف الدلالة على ثبوته لهم ثبوتا يوجب أن لايذكروها من ذات أنفسهم أصلا، و لذلك كشفه بما بعده، روى البغوى[1] أن النبى صلى الله عليه و سلم سئل عن الآية فقال: هو إضاعة الوقت[2]، / و عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: هم المنافقون يتركون ١٠ /٨٦٣ الصلاة إذا غابوا و يصلونها إذا حضروا مع الناس .

و لما كان من كان بهذه الصفة لا نظر له لغير الحاضر كالبهائم، قال دالا[3] على أن المراد[3] بالسهو ههنا[4] تضييعها عند الانفراد بالترك حسا و معنى و عند[5] الاجتماع بالإفساد فى المعنى: ﴿الذين هم﴾ أى بجملة سرائرهم ﴿يراؤون﴾ أى بصلاتهم و غيرها يرون[6] الناس أنهم يفعلون ١٥ الخير ليراهم الناس فيروهم الثناء عليهم و الإحسان إليهم و لو بكف ما هم

(١) راجع المعالم ٧ / ١٤٩ (٢) زيد فى الأصل: انتهى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: عنها (٤) من م، و فى الأصل و ظ: عنها (٥) زيد فى الأصل: الاجتهاد و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: يورون .

يستحقونه[1] من السيف عنهم، لا لرجاء الثواب و لالخوف العقاب من[2] الله سبحانه و تعالى، و لذلك يتركون الصلاة إذا غابوا عن الناس.

و لما كان من كان بهذه الصفة ربما فعل قليل الخير دون جليله رياء[3]، بين أنهم غلب عليهم الشح حتى أنهم مع كثرة الرياء منهم لم يقدروا على أن[4] يراؤا بهذا الشيء التافه، فانسلخوا من جميع خلال المكارم، فقال إبلاغا فى ذمهم إشعارا بان أحب الخلق إلى الله انفعهم لعباله: ﴿و يمنعون﴾ أى على تجدد الأوقات، و حذف المفعول الأول تعميما حتى يشمل كل أحد و إن جل و عظمت منزلته و لطف محله من قلوبهم[5] تعريفا بأنهم بلغوا من الرذالة دركة[6] ليس وراءها للحسد[7] موضع ﴿الماعون﴾ أى حقوق الأموال و الشيء اليسير من المنافع مثل إعارة التافه من متاع البيت التى جرت عادة الناس أن يتعاوروه بينهم، و يمنعون أهل الحاجة ما أوجب الله لهم فى أموالهم من الحقوق، و الحاصل أنه ينبغى حمل ذلك على منع ما يجب بذله مثل فضل[8] الكلأ و الماء و الزكاة و نحوه ليكون موجبا للويل، و على الزكاة حمله على و ابن عمر رضى الله عنهما و الحسن و قتادة، قال العلماء: هو مأخوذ من المعن،

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فيه مستحقون (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٣) زيد فى الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قولهم (٦) من ظ و م، و فى الأصل: درجة (٧) فى ظ: للحسن (٨) من ظ و م، و فى الأصل: فضلا.

و هو فى اللغة الشيء اليسير ، و لذلك فسره بعضهم [بالماء -[1]] و بعضهم بما يعار من المتاع نحو القدر و الفأس و الدلو ، و بعضهم بالزكاة لأنه [لا -[1]] يؤخذ من المال على وجه الزكاة إلا شيء[2] يسير جدا بالنسبة إليه ، و قيل : هو كل عطية أو منفعة ، و قال قطرب : هو فاعول من المعن ، و المعن : المعروف ، و قال أبو عبيدة : الماعون فى الجاهلية العطاء و المنفعة ٥ و فى الإسلام الزكاة ، و قال الهروى : قال ابن عباس رضى الله عنهما : هو العارية - ذكر هذا[3] الأستاذ[4] عبد الحق الإشبيلى فى كتابه الواعى ، و قال ابن جرير[5] : و أصل الماعون من كل شيء منفعته . فدل ذلك على أنهم بلغوا نهاية التكذيب باستهانتهم بأعظم[6] دعائم الدين و استعظامهم لأدنى أمور الدنيا[7] ، و هذا الآخر كما ترى هو الأول لأن الذى جر إليه هو ١٠ التكذيب . و من منع هذه الأشياء التافهة كان جديرا بأن يمنع ورود الكوثر فى يوم المحشر ، و كما التقى آخرها بأولها[8] التقت[9] السورة / كلها[9] / ٨٦٤ مع مناظرتها فى العدد من أول القرآن ، و ذلك انه قد علم أن حاصل هذه السورة الإبعاد عن سفساف الأخلاق و رديها و دنيها من التكذيب

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : بشيء (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك (٤) فى م : الإمام (٥) راجع جامع البيان ٣٠/١٧٥ (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بما عظم (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : الدين (٨) زيدت الواو فى الأصل و ظ ، و لم تكن فى م فحذفناها (٩ - ٩) من ظ و م ، و فى الأصل : السوار بالمعصم كله .

بالجزاء الذى هو حكمة الوجود[1] المثمر للاعراض عن الوفاء بحق الخلائق و طاعة الخالق ، و الانجذاب مع النقائص إلى الاستهانة [بالضعيف -[2]] الذى لا يستهين به إلا أندل الناس و أرذلهم ، و الرياء الذى لا يلم به إلا من كان فى غاية الدناءة ، فكان ذلك موجبا للميل إلى أعظم الويل ، و [فى -[2]] ٥ ذلك أعظم مرغب فى معالى الأخلاق التى هى أضداد ما ذكر فى السورة ، و كلا الأمرين موجود فى الأنفال المناظرة لها فى رد المقطع على المطلع على أتم وجه ، ليكون ذلك إشارة إلى أنها شارحة لهذا ففيه الإيماء إلى ملاحظتها عند قراءتها ، انظر إلى قوله تعالى "الذين يقيمون الصلاة[3] و مما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا" الآية[4] "و إذ قالوا اللهم ان ١٠ كان هذا هو الحق من عندك" الآية "و ما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء و تصدية" "و الذين كفروا إلى جهنم يحشرون" [الآية -[2]] "فان لله خمسه و للرسول و لذى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل" الآية "الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم بطرا و رياء الناس" الآية ، و لقد انطبقت السورة بمعانيها و تراكيبها العظيمة و نظومها و مبانيها ١٥ على الأراذل الأدنياء الأسافل ، و أحاطت برؤسهم بعد كلماتها مفردة قبل حروفها[5] ، و أدارت عليهم كؤس حتوفها من نوافذ الرماح بأيدى

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الموجود (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل و ظ : و يؤتون الزكاة ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الآيات (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : خروجها .

جنودها و مواضى سيوفها ، و ذلك أن عدة كلماتها خمس و عشرون كلمة ،
فاذا اعتبرتها من أول سنى [النبوة وازت السنة الثانية عشرة من - [1]]
الهجرة ، و ذلك أواخر [2] خلافة الصديق رضى الله عنه ، و فيها لم يبق
على يده [3] أحد من المصلين الذين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة النبى صلى الله
عليه و سلم أو منعوا الزكاة ، فتبين أنهم ما كانوا يصلون فى حياته صلى الله ٥
عليه و سلم و يزكون إلا رياء الناس فعل الأدنياء الأنجاس حتى حل بهم
الويل بأيدى جنود الصديق الذين جاؤهم بالرجل و الخيل فمزقوهم عن
آخرهم ، و لم تمض تلك السنة إلا وقد فرغ منهم بالفراغ من بنى حنيفة
باليمامة و أطراف بلاد اليمن من أهل النجير ببلاد كندة و الأسود العنسى
من صنعاء ، و ما مضت سنة ست عشرة الموازية لعدد [4] الكلمات بالبسملة [4] ١٠
- و ذلك فى أوائل خلافة الفاروق - حتى زالوا من [جميع - [1]] جزيرة
العرب و هم مشركو العرب و متنصروهم و متمجسوهم الذين كانوا بنواحى
العراق و الشام و البحرين فأسلم أكثرهم ، و ذهب الباقون إلى بلاد الروم ،
فحل الويل بالمرائين من أهل الصلاة فانهم الذين أتى إليهم نبيهم صلى الله
عليه و سلم [بالصلاة - [5]] فاعرضوا عنها [6] و الناس لهم تبع ، و لم يصح ١٥
فى هذه السورة اعتبار الضمائر لأن الدين فى هذا الحد كان قد ظهر على

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : اول (٣) من م ، و فى الأصل : يد ، و الكلمة ساقطة من ظ (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كلمات البسملة (٥) زيد من م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : عنه .

كل ظاهر، إلى حد لا إضمار [فيه-[1]] بوجه و لاعائق له و لاساتر، و كما أنه لاحاجه إلى الرمز بالضمائر، لما دقت له فى الخافقين من البشائر، على رؤس المنابر / و المنائر، فكذلك لم يناسب بعد الوصول إلى هذا الحال المكشوف، الايماء بالدلالة باعداد الحروف -[2]و الله أعلم بالصواب، و إليه المرجع و المآب[2] . ٨٦٥ /

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة[1] الكوثر [2]و تسمى النحر[2]

مقصودها المنحة بكل خير يمكن أن يكون ، و اسمها الكوثر واضح فى ذلك ، وكذا النحر لأنه معروف فى نحر الإبل[3] ، و ذلك غاية الكرم عند العرب ﴿ بسم الله ﴾ الملك الأعظم الجواد الأكرم [الذى - [4]] لا حد لفائض فضله ﴿ الرحمن ﴾ الذى شمل الخلائق بجوده[5] و فاوت بينهم فى صوب وبله ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص حزبه بالاهتداء بهديه و الاعتصام بحبله .

لما[6] كانت سورة الدين بافصاحها ناهية عن مساوئ الأخلاق ، كانت بافهامها[7] داعية إلى معالى الشيم . [8] فجاءت الكوثر[8] لذلك ، و كانت الدين قد ختمت بأبخل البخلاء و أدنى الخلائق : المنع تنفيرا من البخل و مماجره من التكذيب ، فابتدئت الكوثر بأجود الجود . العطاء لأشرف الخلائق ترغيبا فيه و ندبا إليه ، فكان كأنه قيل : أنت يا خير الخلق غير متلبس بشىء مما نهت[9] عنه تلك المختتمة بمنع الماعون : ﴿ انا ﴾ بما لنا من العظمة ،

(١) الثامنة والمائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آيها ٣ (٢-٢) سقط بين الرقمين من ظ (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الابر (٤) زيد من ظ و م . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بوجوده (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : و لما (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بابهامها (٨ - ٨) من ظ و م ، و فى الأصل : فكانت بمجيئها (٩) من ظ و م ، و فى الأصل : غيت - كذا .

و أكد لأجل تكذيبهم[1] : ﴿ اعطيناك ﴾ أى خولناك مع التمكين[2] العظيم ، و لم يقل: آتيناك ، لأن الإيتاء أصله الإحضار و إن اشتهر فى معنى[3] الإعطاء ﴿ الكوثر ﴾ الذى هو من جملة الجود على المصدقين بيوم الدين .

و لما كان كثير الرئيس أكثر من كثير غيره ، فكيف بالملك فكيف ٥ بملك الملوك ، فكيف إذا أخرجه [4]فى صيغة[4] مبالغة فكيف إذا كان فى مظهر العظمه ، فكيف إذا بنيت الصيغة على الواو الذى له العلو و الغلبة فكيف إذا أتت أثر الفتحه التى لها من ذلك [مثل ذلك -[5]] بل أعظم ، كان المعنى : أفضنا عليك و أبحناك من كل شىء من الأعيان و المعانى من العلم و العمل و غيرهما من معادن الدارين و معاونهما الخير الذى ١٠ لا غاية له ، فلا يدخل تحت الوصف ، فأغنيناك عن أن تؤثر بذلك أو توفر مالك بجلب نفع أو دفع ضر ، و منه النهر[6] الذى فى الجنة و يسقى المؤمنين من الحوض الممدود [منه -[7]] فى المحشر الذى مثاله فى الدنيا شريعته صلى الله عليه و سلم التى عراها و أسبابها عدد النجوم الذين هم علماء أمته [المقتدى بهم ، فقد اجتمع لك الغبطتان : أشرف العطاء ١٥ من أكرم المعطين - [7]] و أعظمهم .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : لما نهى عباده عما يلتذ به من

---

(١) زيد فى الاصل و ظ : اى ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : التمكن (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : منع . (٤-٤) من م ، و فى الأصل : بصفة ، و فى ظ : بصيغة (٥) زيد من م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : النهى (٧) زيد من ظ و م .

أراد الدنيا و زينتها من الإكثار و الكبر و التعزز بالمال و الجاه و طلب الدنيا، أتبع ذلك بما منح بنيه مما هو خير مما يجمعون. و هو الكوثر و هو الخير الكثير، و منه[1] الحوض الذى ترده أمته فى القيامة، لايظمأ من شرب منه /، و منه مقامه المحمود الذى يحمده[2] فيه الأولون و الآخرون عند شفاعته العامة للخلق[3] و إراحتهم من هول الموقف، ومن هذا الخير ما قدم له فى دنياه من [4]تحليل الغنائم[4] و النصر بالرعب و الخلق العظيم إلى ما لا يحصى من خيرى[5] الدنيا و الآخرة مما بعض ذلك خير من الدنيا و ما فيها إذ لاتعدل الدنيا و ما فيها واحدة من هذه العطايا "قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون" و من الكوثر و الخير الذى أعطاه الله كتابه المبين، الجامع لعقل الأولين و الآخرين، و الشفاء [لما -[6]] فى الصدور.

/ ٨٦٦

و لما كمل له سبحانه من النعم ما لايأتى عليه حصر مما لا يناسب [7]أدناه نعيم الدنيا بجملتها، قال مبينا [له -[6]] منبها على عظيم ما أعطاه "لاتمدن عينيك إلى ما متعنا" إلى قوله "و رزق ربك خير و ابقى" فقد اضمحل فى جانب نعمة الكوثر الذى اوتى كل ما ذكره الله تعالى فى الكتاب من نعيم أهل الدنيا و تمكن[8] من تمكن منهم، و هذا أحد

(١) من م، و فى الأصل وظ : هو (٢) من ظ و م، و فى الأصل : يحمد.
(٣) من م، و فى الأصل و ظ : الحق (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل : جليل الغناء (٥) فى ظ و م : خير (٦) زيد من ظ و م (٧) زيدت الواو فى الأصل و ظ و لم تكن فى م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل : تمكين.

موجبات تأخير هذه السورة، فلم يقع بعدها ذكر شيء من نعيم الدنيا ولا ذكر أحد من المتنعمين بها لانقضاء هذا الغرض و تمامه، و سورة الدين آخر ما تضمن الإشارة إلى شيء من ذلك كما تقدم من تمهيد إشاراتها، و تبين بهذا وجه[1] تعقيبها بها - و الله تعالى أعلم - انتهى.

٥ و لما أعطاه ما فرغه [2]به للعبادة[2] و أكسبه غنى لاحاجة معه، سبب عنه قوله آمرا بما هو جامع لمجامع الشكر: ﴿ فصل ﴾ أى بقطع العلائق من[3] الخلائق بالوقوف بين يدى[4] الله فى حضرة المراقبة شكرا لإحسان[5] المنعم خلافا للساهى عنها و المرائى فيها.

و [لما -[6]] أتى بمظهر العظمة لتكثير العطاء فتسبب عنه الأمر بما ١٠ للملك من العلو، و كان أمره صلى الله عليه و سلم تكوينيا لا إباء معه، وقع الالتفات إلى صفة الإحسان المقتضى للترغيب، و الإقبال لما يفيد من التحبيب، مع التصريح بالتوحيد، و إفادة أن العبادة لا تقع إلا شكرا[7] فقال تعالى: ﴿ لربك ﴾ أى المحسن إليك بذلك سرا و علنا مراغما من شئت فلا سبيل لأحد عليك ﴿ و انحره ﴾ أى أنفق له الكوثر من المال ١٥ على المحاويج خلافا لمن يدعهم و يمنعهم الماعون لأن النحر أفضل نفقات

(١) من م، و فى الأصل و ظ: الوجه (٢ - ٢) من م، و فى الأصل: منه للعباد، و فى ظ: للعبادة (٣) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٤) زيد فى الأصل و ظ: حضرة، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لانعام (٦) زيد من م (٧) من م، و فى الأصل و ظ: شكر.

العرب لأن الجزور الواحد يغنى مائة مسكين، و إذا أطلق العرب المال انصرف إلى الإبل، و لذا[1] عبر عن هذا المراد بالنحر ليفهم الزجر عما كانوا يفعلونه من الذبح للأوثان، و من معناه أيضا أظهر الذل و المسكنة و الخشوع فى الصلاة بوضع اليمنى على اليسرى تحت النحر هيئة الذليل الخاضع، و قد[2] قابل فى هذا أربعا / من سورة الدين بأربع، و هى البخل ٥ / ٨٦٧ بالإعطاء، و إضاعة الصلاة بالأمر بها، و الرياء بالتخصيص بالرب، و منع الزكاة بالنحر.

و لما أمره باستغراق الزمان فى عبادة الخالق، و الإحسان إلى الخلائق بأعلى الخلائق، علله بما حاصله أنه لا شاغل له و لا حاجة[3] أصلا تلم به فقال: ﴿ان شانئك﴾ أى مبغضك و المتبرئ منك و المستهين ١٠ بك مع ما أوتيت من الجمال، و الخصال الفاضلة و الكمال ﴿هو﴾ أى خاصة ﴿الابتر﴾ أى المقطوع من أصله و المقطوع النسل و المعدم و المنقطع الخير و البركة و الذكر، لا يعقبه من يقوم بأمره و يذكر به وإن جمع المال، و فرغ بدنه لكل جمال، و أنت الموصول الأمر، النابه الذكر، المرفوع القدر، فلا تلتفت إليهم بوجه من الوجوه، فانهم أقل ١٥ من أن يبالى بهم من يفرغ نفسه [4]للفوز بالمثول[4] فى حضراتنا الشريفة[5]،

(١) فى ظ: لعله (٢) زيد فى الأصل: قال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد فى الأصل: له، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: فى المثول (٥) زيد فى الأصل: والافتقار، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

و الافتخار بالعكوف فى أبوابنا العالية المنيفة ، لك ما أنت عليه ، و لهم ما هم فيه ، فالآية الأخيرة[1] النتيجة لأن من الكوثر علو أمره و أمر محبيه و أتباعه فى ملكوت السماء و الأرض و نهر الجنة و سفول شأن عدوه فيهما ، فقد التف[2] كما ترى مفصلها بموصلها ، و عرف آخرها من أولها ، و علم أن وسطاها كالحدود الوسطى معانقة للأولى بكونها من ثمارها ، و متصلة بالأخرى لأنها من غايات مضمارها ، و قد صدق الله و من أصدق من الله قيلا[3] ، لم يبق لأحد من مبغضيه ذكر بولد و لا تابع ، و لا يوجد [لهم -[4]] شاكر و لا مادح[5] و لا رافع ، و أما هو صلى الله عليه و سلم فقد ملأت ذريته من فاطمة الزهراء الأرض ، و هم الأشراف مع مبالغة الملوك فى قتلهم ، و إخلاء الارض من نسلهم ، خوفا من شرفهم العالى على شرفهم ، و رفعتهم بالتواضع [الغالب -[4]] لصلفهم ، و إذا راجعت آية "ما كان محمد ابا احد من رجالكم و لكن رسول الله" من الأحزاب علمت أن توفى بنيه عليهم السلام قبله من إعلاء قدره و مزيد تشريفه بتوحيد ذكره ، و أما أتباعه فقد استولوا على أكثر الأرض و هم أولو الفرقان ، و العلم الباهر و العرفان ، و يؤخذ منها أن من فرغ نفسه لربه أهلك عدوه و كفاه كل واحد[6] منهم ، و قد علم

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الآخرة (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : التفت (٣) زيد فى الأصل : ومن أصدق من الله حديثا ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : مادع .
(٦) سقط من ظ و م .

أن حاصل هذه السورة المن عليه صلى الله عليه و سلم بالخير العظيم الذى من جملته النهر المادّ من الجنة فى المحشر المورود لمن اتبعه[1]، الممنوع ممن تأبى عنه و قطعه، و أمره بالصلاة و النحر للتوسعة على المحاويج، و البشارة بقطع دابر أعدائه و نصر جماعة أوليائه. كما أن من مقاصد الأعراف المناظرة لها فى رد المقطع على المطلع[2] تهديد الظالمين[3] بالإهلاك ٥ فى قوله "و كم من قرية أهلكناها"ـ الآية. و تصوير ذلك بذكر مصارع[4] الماضين لمخالفتهم الرسل عليهم الصلاة و السلام و الأمر بالصلاة و ستر العورة و ما يقصد بالنحر بقوله "خذوا زينتكم عند كل مسجد و كلوا و اشربوا" الآيات، و ذكر من يمنع ماء / الجنة و من يمنعه بقوله ٨٦٨ / تعالى "و نادى أصحاب النار أصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء أو مما ١٠ رزقكم الله"ـ الآيات، و قوله تعالى "و رحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة و الذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم" الآيات[5] ـ هذا ما يتعلق بتفسير تراكيبها و جملها، و تأويل تفاصيلها[6] و مجملها، و كذا نظيرتها فى مبادئ أمرها و مكملها، ثم إن هذه السورة عشر كلمات فى الكتابة[6] ١٥ إشارة إلى أن [تمام ـ[7]] بتر شانئه يكون مع تمام السنة العاشرة من

(١) من ظ و م، و فى الاصل: اتبع (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: تهديدا للظالمين (٣) من ظ و م، و فى الأصل: مصادع (٤) فى ظ و م: الآية. (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: تفاصيل تاويلها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الكتاب (٧) زيد من ظ و م.

الهجرة، و كذا كان، لم تمض السنة الحادية عشرة من الهجرة و فى جزيرة العرب إلا من يرى أشرف أحواله بذل نفسه و ماله فى حبه، و إذا أضفنا إليها الضميرين المستترين كانت[1] اثنتا عشرة، و فى السنة الثانية عشرة من النبوة بايعه صلى الله عليه و سلم الأنصار [على منابذة الكفار، و إذا أضيف إلى العشرة الضمائر البارزة الخمسة كانت خمس عشرة، فتكون إشارة إلى أنه صلى الله عليه و سلم -[2]] عند تمام السنة الخامسة عشرة من نبوته يبسط يده العالية لبتر أعدائه و[3] كذا كان[3] فى وقعة بدر الرفيعة القدر، ففى ضمائر الاستتار كانت البيعة و هى مستترة، و فى الضمائر البارزة كانت بدر و هى مشتهرة، و إذا أضيف إلى ذلك الضميران المستتران كانت سبع عشرة، و فى السنة السابعة عشرة من نبوته كانت غزوة بدر الموعد، وفى [فيها -[2]] النبى صلى الله عليه و سلم بالوعد [4]فى الإتيان[4] إلى بدر للقاء قريش للقتال و مقارعة الأبطال، فآذنهم الله فلم يأتوا، و إنما اعتبر ما بعد الهجرة من أحوال النبوة [عند ما عدت الكلمات الخطية العشر لكونها أقوى أحوال النبوة -[2]] كما[5] أن الكلمات الخطية أقوى من الضمائر و إن اشترك الكل فى اسم الكلمات، فلذلك أخذ تمام البتر للشانئ و هو ما كان فى السنة الحادية عشرة من هلاك[6] أهل الردة و ثبات العرب فى صفة الإسلام. و لما ضمت الضمائر البارزة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: كانتا (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من م، و فى الأصل و ظ: كان كذلك (٤ - ٤) من ظ و م، و فى الأصل: الى اتيان.
(٥) زيد فى الأصل: ترى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اهلاك.

الخمسة - التى هى أقرب من المستترة - إلى الكلمات الخطية [و أضعف من الكلمات الخطية - [1]] اعتبر من أول السورة لمناسبة ما كان من ضعف الحال فيما كان[2] قبل الهجرة، فوازى ذلك السنة الثانية من الهجرة التى كانت[3] فيها غزوة بدر الكبرى، و هى و إن كانت من العظم على أمر بالغ جدا لكنها كانت على وجه مخالف للقياس، فان حال الصحابة ٥ رضى الله عنهم كان [فيها - [1]] فى غاية الضعف، و لكونها أول ما وقع فيه[4] النصر من الغزوات لم تكن نفوس المخالفين مذعنة لأن ما بعدها يكون مثلها، فاذا ضم[5] إلى ذلك الضميران المستتران - و هما أضعف [من - [1]] البارز - انطبق العدد على سنة غزوة بدر الموعد فى سنه أربع، و هى و إن كانت قوية لكون قريش ضعفوا عن اللقاء ١٠ لكن [كان - [1]] حالها أضعف من بدر التى وقع فيها القتال و أستر، و كون كلماتها الخطية و الاصطلاحية التى هى أبعاض الكلمات الخطية سبع عشرة مؤذن بأن الأمر فى " فصلّ " مصوب بالذات و بالقصد الأول إلى الصلوات الخمس التى / هى[6] سبع عشرة [ركعة - [1]]، و أن من ثابر عليها [كان - [1]] مصليا خارجا من عهدة الأمر، فاذا قصدت ١٥ [فى - [2]] السفر بما اقتضته صفة التربية[8] بالإحسان نقصت بقدر عدة

/ ٨٦٩

(١) زيد من ظ و م (٢) سقط من ظ و م (٣) من م، وفى الأصل و ظ : كان.
(٤) من م، وفى الأصل و ظ : فيها (٥) من ظ و م، و فى الأصل : انضم.
(٦) زيد فى الأصل : سنة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد من م (٨) من ظ و م، و فى الأصل : الربوبية.

الضمائر سوى الذى [1]وفى الأمر[1] بها لأن الأمر الناشىء عن مظهر العظمة لا يليق فيه التخفيف بنفس كلمة الأمر، و إذا أضفنا إليها كلمات البسملة الأربع كان لها أسرار كبرى من جهة أخرى، و ذلك أن الكلمات الخطية تكون أربع عشرة إشارة إلى أن ابتداء البتر للاضداد يكون بالقوة القريبة من الفعل [2]بالتهيئ له[2] فى السنة الرابعة عشرة من النبوة، و ذلك عام الهجرة، فاذا أضفنا إليها[3] الضمائر البارزة التى هى أقرب إلى الكلمات الخطية و هى خمسة كانت تسع عشرة، و فى السنة التاسعة [عشرة -[4]] من النبوة و هى السادسة من الهجرة كان الفتح المبين على الشانئين الذى أنزل الله فيه[5] سورة الفتح، فاذا أضفنا إليها الضميرين المستترين كانت[6] إحدى و عشرين و هى سنة ثمان من الهجرة سنة الفتح الأكبر الذى عم العلم فيه بأن الشانئ[7] هو الأبتر، و إذا اعتبرت حروفها المتلفظ بها كانت أربعة و أربعين حرفا، فاذا ناظرتها بالسنين من أول حين النبوة كان آخرها سنة إحدى و ثلاثين من الهجرة، و هى سنة البتر الأعظم لشانئه الأكبر الذى مزق كتابه، و كان[7] مالكا لبلاد اليمن، و هو قدر كبير من بلاد العرب و كذا لغيرهم مما قارب بلاده، و كانت قريش تجعله من عدادهم كما مضى بيانه فى سورة الروم وهو كسرى[8] ملك الفرس،

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: بالامر (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: بالتهويلة (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اليه (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فيها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: كانتا (٧) تكرر فى الأصل فقط (٨) من ظ و م، و فى الأصل: كسر.

ففيها كان انقراض ملكهم بقتل آخر ملوكهم يزدجرد ، كما أنك إذا اعتبرت كلماتها الخطية مع الضمائر البارزة التى هى كلمات اصطلاحية دون ما استتر - فان وجوب استتاره منع [من -[1]] عده - كانت تسع عشرة كلمة . فاذا اعتبرت بها ما بعد الهجرة وازت وقت موت قيصر طاغية الروم فى سنة تسع عشرة من الهجرة أهلكه الله ، و قد تجهز إلى قتال ٥ العرب بالإسكندرية بنفسه ، و أمر ألا يتخلف عنه أحد من الروم فكسر الله بموته شوكة الروم ، و استأسدت العرب عند ذلك ، فكانت الأحرف مشيرة إلى بتر الشانئ من الفرس ، و [الكلمات مشيرة إلى بتر الشانئ من الروم ، [و الفرس -[1]] أولى باشارة الأحرف لأنهم ليسوا بذوى علم ، و الروم بالكلمات لأنهم أهل علم ، و الكلمات أقرب إلى ١٠ العلم ، و إذا اعتبرت أحرف البسملة اللفظية كانت ثمانية عشر حرفا ، فاذا جعلتها سنين[2] من أول النبوة كان اخرها سنة خمس من الهجرة ، و فيها كانت غزوة الأحزاب ، قال النبى صلى الله عليه و سلم بعد انصرافهم منها « الآن نغزوهم و لايغزونا » فهو أول أخذ الشانئ فى الانبتار[3] ، و إذا اعتبرت الأحرف بحسب الرسم كانت تسعة / عشر آخرها سنة ست ، ١٥ / ٨٧٠ و هى عمرة الحديبية سنة الفتح السببى و هو الصلح الذى نزلت فيه سورة الفتح و سماه الله فتحا ، و قال النبى صلى الله عليه و سلم : إنه أعظم الفتح

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : سبعين (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الايثار .

فكان سبب الفتح الأعظم بخلطة الكفار لأهل الإسلام بالصلح، فأسرعوا إلى الإسلام بالدخول فيه لما رأوا من محاسن الدين و إعجاز القرآن، فكانوا يوم الفتح عشرة آلاف بعد أن كانوا قبل ذلك بسنتين يوم الحديبية ألفا و أربعمائة ـ و الله الموفق، هذا يسير من أسرار هذه السورة

٥ و قد علم منه من إعجازها ما يشرح الخواطر و يبهج النواظر، لأنه يفوق حسنا على الرياض النواضر، و علم أيضا[1] جنون الخبيث المسخرة مسيلمة الكذاب ـ عليه اللعنة و التباب، و له سوء المنقلب و المآب، حيث قال فى معارضتها : انا أعطيناك الجاهر، فصل لربك و هاجر، إنا[2] كفيناك المكابر أو المجاهر، لأنه كلام، مع أنه قصير المدى، ركيك اللحمة و السدى،

١٠ غريق الساحة و الفنا فى الهلك و الفنا، ليس فيه غنى، بل كله نصب و عنا، هلهل النسج[3] رث القوى، منفصم العرى، مخلخل الأرجا، فاسد المعنى و البنا، سافل الألفاظ مر الجنا، لأن العلل منافية للمعلولات، و الشوامل منافرة للمشمولات، ثم رأيت فى دلائل الإعجاز للامام عبد القاهر الجرجانى أن[4] الوسطى من قال : العاهر و جاهر فان كان بالدين[5] لم يمنع

١٥ الصدح بالباطل، و ذلك لايرضا به عاقل، و إن كان بالحرب كان على النصف لكل من تدبر فعرف، و لانص فيه على الغلب بمطلوبه، و لاطلب

---

(١) زيد فى الأصل : من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من م، و فى الأصل و ظ : ان (٣) زيدت الواو فى الأصل، و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥) من م، و فى الأصل و ظ : فى الدين .

مع نقص الجود على كل تقدير، الذى هو المقصود للغنى و الفقير، و المأمور و الأمير، هذا مع الإغارة على الأسلوب و الحذو على المعهود غير محاذ "فى القصاص حياة" فى إسقاط "القتل أنفى للقتل" بالرشاقة مع الوجازة، و العذوبة مع البلاغة، فى إصابة حاق المعنى بما يقود إلى السماح[1] بالنفس، و يحمل على المبادرة إلى امتثال الأمر، و الأولى من ٥ سخيف عقل الخسيف، و أكله؟ إلى الخلق مع نقصان المعنى السار للاسرار و الأخرى مهملة [2] لذوى الشبه[2] و الستر مع ما فاتها من قصر الخسار و خصوص التبار إلى ما حوت من بيان الكذب البتار للاعمار المخرب للديار تصديقا للنبى صلى الله عليه و سلم البار بأيدى صحابته الأخيار[3]، إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار - فسبحان من علا فعلا كلامه كل كلام، ١٠ و السلام [4] و الحمد لله على كل حال[4] .

(١) من م، و فى الأصل و ظ : السماحة (٢ - ٢) من م، و فى الأصل و ظ : لذى الشبهة (٣) من م، و فى الأصل و ظ : الخيار (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة الكافرون[1] وتسمى الإخلاص و المقشقشة

/ ٨٧١ / مقصودها إثبات مقصود الكوثر بالدليل[2] الشهودى على منزلها كامل العلم شامل القدرة لأنه المنفرد بالوحدانية، فلذلك لايقاوى من كان معه، و لذلك لما نزلت قرأها صلى الله عليه و سلم [عليهم -[3]] فى المسجد أجمع ما كانوا، و هذا المراد بكل[4] من أسمائها. أما الكافرون فمن و جهين، ناظر إلى إثبات، و ناظر إلى نفى، أما المثبت فمن حيث أنه إشارة إلى[5] تأمل جميع السورة من إطلاق البعض على الكل، و أما النافى فمن جهة أنهم[6] إنما كفروا[6] بانكار ما هو مقصودها إما صريحا كالوحدانية و تمام القدرة، و إما لزوما و هو العلم فانه يلزم من نقص القدرة نقصه، و أما الإخلاص فلأن من اعتقد ذلك كان [مؤمنا -] مخلصا بريئا من كل شرك و[7] كل كفر، و أما القشقشة فلأنها أبرأت من كل نفاق و كفر، من قولهم: تقشقشت قروحه - إذا تفشرت للبرء، و عندى أنه من الجمع أخذا من القش الذى هو تطلب المأكول من ههنا و ههنا فانها جمعت

(١) التاسعة و المائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٦ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بايل (٣) زيد من م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: من كل (٥) زيد فى الأصل: انه، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: ما كانوا (٧) زيد فى الأصل: من، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

جميع أصول الدين ، فاثبتها على أتم وجه ، فلزم من ذلك أنها جمعت جميع أنواع الكفر فحذفتها و نفتها ، و قد تقدم[1] تمام توجيه ذلك فى براءة ، فأمرهما دائر على الإخلاص ، و من المعلوم أن من أخلص لله كان من اهل ولايته حقا ، فحق له ما يفعل الولى مع وليه ، و لذلك - و الله أعلم - سنت قراءتها مع "قل هو الله أحد" فى ركعتى الفجر ليحوز [2]فاعل ذلك[2] بالبراءة من الشرك و الاتصاف بالتوحيد أول النهار ثمرة ما ورد أن من صلى الصبح كان فى ذمة الله ، و من كان كذلك كان جديرا بأن ينال ما أشارت إليه السورتان اللتان بين سورتى الإخلاص من الفتح له و النصر و الخيبة لعدوه و الخسر و الحسرة: ﴿ بسم الله ﴾ المحيط علما و قدرة ، فهو الواحد الذى لايستطيع أحد أن يقدر قدره ﴿الرحمن﴾ الذى عم برحمة[3] البيان من أوجب عليهم شكره ﴿الرحيم﴾ الذى خص أهل وده فالتزموا [4]نهيه و أمره[4] .

لما [5]أخبره فى الكوثر[5] أن العريق فى شنآنه[6] عدم ، وجب أن يعرض [عنه - [7]] و يقبل بكليته على من أنعم عليه بذلك ، فقال معلما له ما يقول و يفعل: ﴿ قل ﴾ و لما كان شانئه أعرق الخلق فى الضلال و البعد من الخير ، قال مناديا له بأداة البعد و إن كان حاضرا معبرا بالوصف

(١) زيد فى الأصل : جميع ، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فاعلها (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : برحمته. (٤ - ٤) من ظ وم ، و فى الأصل : امره ونهيه (٥ - ٥) من ظ وم ، و فى الأصل : اخبر بالكوثر (٦) من ظ وم ، وفى الأصل : شانه (٧) زيد من ظ وم .

المؤذن بالرسوخ : ﴿يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ اى الذين قد حكم بثباتهم على الكفر ، فلا انفكاك لهم عنه فستروا ما تدل عليه عقولهم من الاعتقاد الحق لو جردوها من أدناس الحظ ، و هم كفرة مخصوصون و هم من حكم بموته على الكفر بما طابقه من الواقع ، و بما دل عليه التعبير بالوصف[1] دون الفعل ، و استغرقت اللام كل من كان على هذا / الوصف فى كل مكان و كل زمان ، و إنما عبر بالجمع الذى هو أصل فى القلة و قد يستعار للكثرة إشارة إلى البشارة بقلة المطبوع على قلبه من العرب المخاطبين بهذا فى حياته صلى الله عليه و سلم و إشارة إلى حقارة الكافر و ذلته و إن كان كثيرا - كما يشير إليه جعل كل كلمة منها بحرف من الكوثر كما سيأتى[2] ، و فى مناداتهم بهذا الوصف الذى يستذلونه فى بلدتهم و محل عزهم[3] و حميتهم إيذان بأنه محروس منهم علما من أعلام النبوة .

/ ٨٧٢

و قال [الإمام -[4]] أبو جعفر ابن الزبير : لما انقضى ذكر الفريقين المتردد ذكرهما فى الكتاب العزيز من أوله إلى آخره على اختلاف أحوال كل فريق و شتى درجاتهم ، و أعنى بالفريقين من أشير إليه فى قوله سبحانه و تعالى " اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم " فهذا طريق أحد الفريقين ، و فى قوله " غير المغضوب عليهم و لا الضالين "

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : من الوصف (٢) فى ظ : يأتى (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عزتهم (٤) زيد من ظ و م .

إشارة إلى طريق من كان فى الطرف[1] الآخر من حال أولئك الفريق إذ ليس إلا طريق السلامة أو طريق الهلاك "فريق فى الجنة و فريق فى السعير"، "فمنكم كافر ومنكم مؤمن" والسالكون[2] طريق السلامة فأعلى درجاتهم مقامات الرسل و الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، ثم يليهم أتباعهم من صالحى العباد و علمائهم العاملين و عبادهم و أهل الخصوص منهم و القرب من أحوال من تنسك منهم، و رتبتهم مختلفة و إن جمعهم جامع و هو قوله "فريق فى الجنة"، و أما أهل التنكب عن هذا[3] الطريق و هم الهالكون فعلى طبقات أيضا، [و -[4]] يضم جميعهم طريق واحد فكيفما تشعبت الطرق فالى ما ذكر من الطريقين [مرجعها -[4]]، و باختلاف [5]سبل الجميع[5] عرفت [آى -[4]] الكتاب و فصلت، ذكر كله تفصيلا لا يبقى معه ارتياب لمن [6]وفق. فلما[6] انتهى ذلك كله بما[7] يتعلق به، وتداولت بيانه الآى من لدن قوله بعد أم القرآن "هدى للمتقين" إلى قوله "ان شانئك هو الابتر" أتبع ذلك بالتفاصيل و التسجيل فقال تعالى "قل يأيها الكفرون" فبين سبحانه أن من قضى عليه بالكفر و الوفاة[8] عليه لاسبيل له إلى خروجه عن ذلك، و لايقع منه الإيمان أبدا "و لو أننا نزلنا إليهم الملائكة و كلمهم الموتى و حشرنا عليهم كل شىء قبلا

(١) من ظ و م، و فى الأصل: طرف (٢) من ظ و م، و فى الأصل: كون. (٣) من ظ، و فى الأصل و م: هذه (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: سبيل الجمع (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: وقف (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لما (٨) من ظ، و فى الأصل و م: الموافاة.

ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله" و لو أنهم بعد عذاب الآخرة و معاينة [1]العذاب و[1] البعث و عظيم تلك الأهوال و سؤالهم الرجوع إلى الدنيا و قولهم "ربنا فارجعنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل" فلو[2] أجيبوا إلى هذا و[3]رجعوا لعادوا إلى حالهم الأول" و لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه[4] تصديقا لكلمة الله و إحكاما / لسابق قدره" افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذ من فى النار" فقال لهم "لا اعبد ما تعبدون و لا انتم عابدون ما اعبد" إلى آخرها ، فبان أمر[4] الفريقين و ارتفع الإشكال ، و استمر كل [على -[5]] طريقه " فلا تذهب نفسك عليهم حسرات" "[إن -[5]] عليك الا البلاغ" فتأمل موقع هذه[6] السورة و أنها الخاتمة لما قصد فى الكتاب يلح لك وجه تأخيرها - و الله أعلم - انتهى .

/ ٨٧٣

و لما كان القصد إعلامهم بالبراءة منهم من كل وجه ، و أنه لا يبالى بهم بوجه لأنه محفوظ منهم ، قال مؤذنا بصدق خبره تعالى آخر الكوثر من حيث أنه مع الجزم بالمنابذة لا يستطيعون له نوع مكابدة نافذة[7] ، بادئا بالبراءة من جهته لأنها الأهم : ﴿لآ اعبد﴾ اى الآن و لا فى مستقبل الزمان لأن "لا" للمستقبل و "ما" للحال ، كذا قالوا ، و ظاهر عبارة سيبويه فى قوله : "لن" نفى لقوله "سيفعل" "و لا" لقوله[8] "يفعل" ، و لم يقع :

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فلم. (٣) زيد فى الأصل : لو ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥) زيد من ظ و م (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : هذا (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : نافذ (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : قوله .

أنها تقع للمضارع الذى لم يقع سواء كان فى غاية القرب من الحال أم لا، كما نقلته عنه فى أول[٢] البقرة عند "ولن تفعلوا" على أن نطقنا بهذا الكلام لايكاد يتحقق حتى يمضى زمن فيصير [مستقبلا -[٢]]، فلذا عبر بـ «لا» دون [«ما» -[٢]] بشارة بأنه سبحانه يثبته[٣] على الصراط المستقيم، ولايظفرهم[٤] به - علما من أعلام النبوة. ٥

ولما كان فى معبوداتهم ما لايعقل، وكان المقصود تحقير كل ما عبدوه سوى الله، عبر بـ «ما» فقال: ﴿ما تعبدون[١]﴾ أى الآن وفى آتى الزمان من دون الله من المعبودات الظاهرة والباطنة بوجه من وجوه[٥] العبادة فى[٦] سر ولا علن لأنه [لا -[٢]] يصلح للعبادة بوجه.

ولما بدأ بما هو الأحق بالبداءة[٧] وهو البراءة من الشرك، والطهارة ١٠ من وضر الإفك، لأنه من درء[٨] المفاسد، فأبلغ فى ذلك بما هو الحقيق بحاله صلى الله عليه وسلم، وكانوا هم يعبدون الله تعالى على وجه الإشراك، وكانت العبادة مع الشرك غير معتد بها بوجه، نفى عبادتهم له فى الجملة الاسمية الدالة على الثبات لا فى الفعلية الدالة على نفى كل قليل وكثير من حيث [أن -[٢]] الفعل نكرة فى سياق النفى فقال: ﴿ولآ انتم عٰبدون﴾ ١٥ أى عبادة معتدا بها بحيث يكون أهلا لأن تكون وصفا ثابتا.

---

(١) من ظ وم، وفى الأصل: سورة (٢) زيد من ظ وم (٣) من م، وفى الأصل وظ: ثبته (٤) من ظ وم، وفى الأصل: لا يظفر (٥) من م، وفى الأصل وظ: الوجوه (٦) من م، وفى الأصل وظ: لامن (٧) من ظ وم، وفى الأصل: بالبراءة (٨) من م، وفى الأصل وظ: وراء.

و لما كانوا لا نزاع لهم فى أن معبوده عالم، و كانت "ما" صالحة الاطلاق عليه سبحانه و تعالى، عبر فيه أيضا بها لأن ذلك - مع أنه لا ضرر فيه - أقرب إلى[1] الإنصاف، فهو أدعى إلى عدم المراء[2] أو الخلاف، فقال[3]: ﴿ما اعبد﴾ أى الآن و ما بعده لأن معبودى[4] - [و له -[5]] العلم التام و القدرة الشاملة - أبعدكم عنه فلا مطمع فى الوفاق بيننا.

و لما كان ما نفى عن النبى صلى الله عليه و سلم [لا يدخل فيه الماضى، و كان عدم المشاركة بوجه من الوجوه فى زمن من الأزمان أدل على البراءة و أقعد فى دوام الاستهانة، و كانوا يعدون سكوته صلى الله عليه و سلم عنهم -[5]] فيما قبل النبوة عبادة، و كانوا / غير مقتصرين[6] على ٨٧٤ / عبادة أصنامهم التى[7] اتخذوها، بل إذا خرجوا من الحرم فنزلوا منزلا نظروا لهم حجرا ليستحسنوه فيعبدونه، فان لم يروا[8] حجرا جمعوا شيئا من تراب و حلبوا[9] عليه شيئا من لبن و عبدوه ما داموا فى ذلك المنزل، و كان ذلك من أشد[10] ما يعاب به من جهة عدم الشباب و أنه[11] لا معبود

(١) زيد فى الأصل و ظ: عدم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٢) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: قال.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: معبدى (٥) زيد من ظ و م (٦) من م، و فى الأصل: مسقصرين، و فى ظ: مختصرين (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الذين (٨) من م، و فى الأصل و ظ: لم يجدوا (٩) من ظ و م، و فى الأصل: حلوا (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: ابتداء (١١) من م، و فى الأصل و ظ: انهم.

لهم

لهم معين، قال منبها على ذلك كله: ﴿و لآ انا عابد﴾ أى متصف بعبادة ﴿ما عبدتم﴾ أى فيما سلف، لم يصح وصفى قط بعبادة ذلك من أول زمانكم إلى ساعاتنا هذه، فكيف ترجون ذلك منى و أنا لم أفعله و لاقبل النبوة و لا كان من شأنى قط.

و لما كان هو صلى الله عليه و سلم ثابتا على إله واحد لم يعبد غيره ٥ و لم يلتفت يوما لفت سواه. و كان قد انتفى عنه بالجملتين هذه الماضية و التى أول السورة أن يعبد باطلهم حالا أو مآلا، و أن يكون[1] عبده قبل ذلك، و كان ربما ظن ظان أن النفى عنهم إنما هو لعبادة معبوده فى الحال، نفى ذلك فى الاستقبال أيضا علما من أعلام النبوة مع تأكيد ما أفادته الجملة الماضية جريا على مناهيج[2] العرب فى التأكيد قطعا لآمالهم ١٠ منه على أتم وجه و آكده لأنه على وجه لايقدرون عليه لما تفيده كل جملة مع[3] التأكيد من فائدة جديدة مهمة، فقال: ﴿و لآ انتم عبدون﴾ أى عبادة هى لكم وصف معتد به فى الحال أو[4] الاستقبال.

و لما لم يكن قبل البعث مشهورا عندهم بعبادة الله سبحانه و تعالى، عبر بما لا[5] يتوجه [لهم[6]] إليه إنكار، و هو المضارع الذى ظاهره ١٥

(١) زيد فى الأصل: قد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مناهج (٣) من ظ و م، و فى الأصل: من (٤) من م، و فى الأصل و ظ «و» (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لم (٦) زيد من ظ و م.

الحال أو الاستقبال [٦]مرادا به ما[٦] يشمل الماضى لما ذكر أبو حيان و غيره فى سورة الحج عند "ان الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله" من أنه يطلق المضارع مرادا به مجرد إيقاع الفعل من غير نظر إلى زمان معين، فقال: ﴿مآ اعبدُ﴾ أى و جدت منى عبادته و اتصفت بها الآن ٥ و فى ماضى الزمان[٢] و مستقبله اتصافا يعتد به.

و لما كان ذلك كله[٣]، و بدأ النفى فى الجمل[٤] السابقة بالمنسوب إليه صلى الله عليه و سلم إيذانا بالاهتمام ببراءته منهم، أنتج قطعا قوله مقدما لما يتعلق بهم على وجه اختصاصهم به تأكيدا لما صرح به ما مضى من براءته منهم: ﴿لكم﴾ أى خاصة ﴿دينكم﴾ أى الذى تعلمون أنه لا أصل ١٠ له يثبت عليه، و لادليل يرجع بوجه إليه[٥]، لا أشاركم فيه بوجه و لا ترجعون عنه بوجه بل تموتون عليه موتا لبعضكم حتف الأنف و لآخرين قتلا على يدى بالسيف ﴿ولى﴾ أى خاصة ﴿دين[٦]﴾ من واسع روضة الإسلام إلى [أعلى -[٦]] مقام: [مقام -[٢]] الإيقان و الإحسان، و أنتم تعلمون - لو جردتم[٨] / عقولكم عن الهوى و أخلصتم أفكاركم من ٨٧٥ / ١٥ الحمية و الإبا - أنه كله دليل و فرقان و نور و حجة و برهان، لا تشاركونى فيه بوجه، و لا تقدرون على ردّى عنه اصلا، فكانت هذه علما

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: مريدا لما (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الازمان (٣) من ظ و م، و فى الأصل: كلمه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الجملة (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اليكم (٦) زيد من ظ. (٧) زيد من م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: جردتكم.

من أعلام النبوة من حيث أنه مات منهم ناس كثير بعد[1] ذلك على الكفر و أتم الله له هذا[2] الدين، فصدق سبحانه فيما قال، و ثبت مضمون الكوثر بأكمل استدلال، و أما من آمن بعد ذلك فليس[3] مرادا لأنه لم يكن عريقا فى وصف الكفران، و لا راسخا فى الضلال و الطغيان، فأسعده وصف الإسلام و الإيمان، و ساق الجمل كلها غير مؤكد إشارة إلى أنها ٥ من الوضوح فى حد لا خفاء به أصلا، و لاشك أن آخرها الذى هو اختصاص كل بدينه هو أولها[4] الذى أفاد أنه لايعبد معبودهم و لا يعبدون معبوده فصار آخرها أولها، و مفصلها موصلها - هذا هو الذى دل عليه السياق، و ليس فيه إذن فى الكفر و لامنع عن الجهاد ليحتاج إلى نسخ، و من أعظم دلائل إعجازها و جمعها للمعانى فى إشارتها[5] و إيجازها ١٠ أن حاصلها قطع رجاء أهل الكفران من أن يقاربهم النبى صلى الله عليه و سلم فى أن يعدل بربه[6] أحدا فى زمن من الأزمان، و ذلك من أعظم مقاصد المناظرة لها فى رد الآخر على [أول -[7]] الأنعام لأنها[8] السادسة فى العد من الأول، كما أن هذه السادسة فى العد من الآخر "اغير الله أتخذ وليا" "افغير الله أبتغى حكما" الآية، "اغير الله أبغى ربا و هو ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يعبد (٢) فى م: هو (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فلم يكن (٤) من م، و فى الأصل و ظ: واهلها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اثباتها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: به (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و فى الأصل: كانها.

رب كل شيء"- إلى غير ذلك من الآيات، و الفواصل و الغايات، هذا ما يتعلق بمعانى تراكيبها و نظومها على [ما -[1]] هى عليه و تراتيبها و سياقاتها[2] و أساليبها، و كلماتها الخطية سبع و عشرون إلى أربع كلمات البسملة إحدى و ثلاثون إلى أربعة[3] ضمائر مستترة خمس[4] و ثلاثون إلى تسعة بارزة، فتلك أربع[5] و أربعون كلمة الضمائر منها ثلاثة عشر هى مدة[6] الإقامة بمكة المشرفة قبل الهجرة لأنها فى الخفاء كالضمائر فى خزائن السرائر، و لا سيما الأربع الأول منها الموازية لضمائر الاستتار و غير الضمائر إحدى و ثلاثون المناظر لها من السنين سنة إحدى و ثلاثين، و هى سنة قتل يزدجرد ملك الفرس أكفر الكفرة من أهل ذلك الزمان و أعتاهم، و موافقة كلماتها فى العدة لأحرف الكوثر مشيرة إلى أن اليسير من أتباعه صلى الله عليه و سلم أكثر و أكبر من كثير شانئيه و أضداده و حاسديه، و قد دل على ذلك شاهد الوجود فى يوم الفتح و المسلمون عشرة الآف، و الكفار[7] من قريش / و ممن حولهم لا يحصون كثرة، و قد كان فعلهم فى ذلك / ٨٧٦ اليوم ما شهد به اعتذار حماس الذى كان يعد امرأته أن يخدمها بعض المسلمين فى قوله و قد فر هاربا و لم يستطع أن يغلق وراءه، بل قال

(١) زيد من م (٢) من م، و فى الأصل و ظ : سياقها (٣) من م، و فى الأصل و ظ : اربع (٤) زيد فى الأصل : و تسعون، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ، و فى الأصل و م : اربعة (٦) من ظ و م، و فى الأصل : عدة (٧) من م، و فى الأصل و ظ : المشركون.

[لها -[1]] : أغلق بابي ، فقالت [له -[1]] : أين ما كنت تعدني به ؟ فقال :

إنك لو شهدت يوم الخندمه إذ فر صفوان و فر عكرمه
و استقبلتهم بالسيوف المسلمه يقطعن كل ساعد و جمجمه
ضربا فلا يسمع إلا غمغمه بهم تهيب[2] خلفنا و همهمه
لم تنطق باللوم[3] أدنى كلمه

هذا مع [أن -[4]] النبي صلى الله عليه و سلم كان[5] أوصاهم ألا يقاتلوا إلا من بدأهم بالقتال . و هذا مع ما كان من أهل الإسلام حين قصدهم الكفار يوم الخندق و المشركون [في -[1]] عشرة آلاف و هم لا يبلغون ربعهم و لا مدد لهم ممن حولهم و لا ناصر إلا الله ، بل جاءتهم الأعداء - كما قال الله تعالى - من فوقهم[6] و من أسفل منهم[7] و ما زادهم[8] إلا إيمانا و تسليما ، و إلى هذا أيضا[9] أشار بلوغ عدد[9] كلمات النصر خطيها و اصطلاحيها ظاهرها و مستترها إلى عدد كلمات الكافرون الخطية ، فذلك رمز إلى أن أضعف أهل الإسلام[10] لا يضعف عن مقاومة أقوى أهل الكفر و أرسخهم في كل صفة يريدها[11] - و الله هو الموفق .

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و في الأصل : تهت - كذا (٣) من ظ و م ، و في الأصل : باليوم (٤) زيد من م (٥) زيد في الأصل : من ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٦) في ظ : فوقكم (٧) في ظ : منكم ، و الكلمة ساقطة من م (٨) زيد في ظ و م : ذلك (٩-٩) من ظ و م ، و في الأصل : الاشارة بلوغ (١٠) من م ، و في الأصل و ظ : الانسان (١١) زيد في الأصل : الله تعالى ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها .

سورة النصر[1] و تسمى التوديع

مقصودها الإعلام بتمام الدين اللازم عن [2]مدلول اسمها[2] النصر ، اللازم عنه موت النبي صلى الله عليه و سلم ، اللازم عنه العلم بأنه ما برز إلى عالم الكون و الفساد إلا لإعلاء كلمة الله تعالى و إدحاض كلمة الشيطان[3]
٥ - [4]لعنة الله تعالى عليه[4] - اللازم عنه أنه[5] صلى الله عليه و سلم خلاصة الوجود ، و أعظم عبد للولى الودود ، و على ذلك أيضا دل اسمها التوديع و حال نزولها و هو أيام التشريق [من -[6]] سنة حجة الوداع ﴿ بسم الله ﴾ الذى له الأمر كله . فهو العليم الحكيم ﴿ الرحمن ﴾ الذى أرسلك رحمة للعالمين ، فعمهم بعد نعمة الإيجاد بأن بين لهم إقامة لمعاشهم
١٠ و معادهم بك طريق النجاة غاية البيان ، بما أنزل عليك من معجز[7] القرآن الذى من سمعه فكأنما سمعه من العلى العظيم ﴿ الرحيم ﴾ الذى خص من أراده بالإقبال به إلى حزبه و جعله من أهل قربه بلزوم الصراط المستقيم[8] .

---

(١) العاشرة والمائة من سور القرآن الكريم ، مدنية ، وعدد آيها ٣ (٢-٢) من ظ و م ، وفى الأصل : مدلولها (٣) من ظ و م ، وفى الأصل : الله (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) وقع فى الأصل قبل « خلاصة الوجود » والترتيب من ظ و م (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : معجزات . (٨) زيد فى الأصل : انتهى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

/ لما دلت التى قبلها على أن الكفار قد صاروا إلى حال لاعبرة بهم ٨٧٧ /
فيه و لا التفات و لاخوف بوجه منهم ما دام الحال على المتاركة، كان
كأنه قيل: فهل يحصل نصر عليهم و ظفر بهم بالمعاركة، فأجاب بهذه
السورة بشارة [للمؤمنين -١] و نذارة للكافرين، و لكنه لما لم يكن هذا
بالفعل إلا عام حجة الوداع بعد فتح مكة بسنتين كان كأنه لم يستقر ٥
[الفتح -٢] إلا حينئذ، فلم ينزل سبحانه و تعالى هذه السورة إلا فى
ذلك الوقت و قبل منصرفه من غزوة حنين، فقال تعالى تحقيقا لأنه
ينصر المظلوم و يعلى دينه و يمهل و لا يهمل، فانه لا يعجزه شيء، حثا
على التفويض له و الاكتفاء به، مقدما معمول «سبح» تعجيلا للبشارة:
﴿ اذا ﴾ . ١٠

و لما كانت المقدرات متوجهة من الأزل إلى أوقاتها المعينة لها،
يسوقها إليها سائق القدرة، فتقرب منها شيئا فشيئا، كانت كأنها آتية إليها،
فلذلك[٣] حصل التجوز بالمجئ عن الحصول فقال: ﴿ جآء ﴾ اى استقر
و ثبت فى المستقبل بمجيء وقته المضروب له فى الأزل، و زاد فى
تعظيمه بالإضافة ثم بكونها اسم الذات فقال: ﴿ نصر الله ﴾ أى الملك
الأعظم الذى لا مثل له و لا أمر لأحد معه على جميع الناس فى ١٥
[كل -١] أمر يريده .

و لما كان للنصر درجات، و كان قد أشار سبحانه بمطلق الإضافة

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فان لك.

إليه ثم بكونها إلى الاسم الأعظم إلى أن المراد أعلاها، صرح به فقال: ﴿و الفتح ۝﴾ أى المطلق الصالح لكل فتح الذى نزلت فيه سورته بالحديبية مبشرة له بغلبة حزبه الذين[1] أنت قائدهم و هاديهم و مرشدهم، لاسيما على مكة التى بها بيته و منها ظهر دينه، و بها كان أصله، و فيها استقر عموده، و عز جنوده، فذل بذلك جميع العرب، و قالوا: لاطاقة لنا بمن أظفره الله بأهل الحرم، فعزوا[2] بهذا الذل حتى كان ببعضهم تمام[3] هذا الفتح، و يكون بهم كلهم فتح جميع البلاد، و للاشارة إلى الغلبة على[4] جميع الأمم ساقه تعالى فى أسلوب الشرط، و لتحققها عبر عنه[5] بـ"إذا" إعلاما بأنه لايخلف الوعد و لاينقص ما قدره و إن توهمت العقول أنه فات وقته، و إيذانا بأن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء ليحصل لمن علم ذلك الإخلاص و الخوف و الرجاء، فأشعرت العبارة بأن الوقت قد قرب، فكان المعنى: فكن مترقبا لوروده و مستعدا لشكره.

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما كمل دينه و اتضحت شريعته و استقر أمره / صلى الله عليه و سلم و أدى أمانة[6] رسالته حق أدائها عرف / ٨٧٨ عليه الصلاة و السلام نفاد عمره و انقضاء أجله، و جعلت له على ذلك

(١) من م، وفى الأصل و ظ: الذى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فغدوا.
(٣) زيد فى الأصل و ظ: عام، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: الى (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عنها.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: الامانة.

علامة دخول الناس فى دين الله جماعات بعد التوقف و التثبط "حكمة بالغة ولوشاء الله لجمعهم على الهدى" و أمر بالإكثار من الاستغفار المشروع فى أعقاب المجالس و فى أطراف النهار و خواتم المآخذ[1] مما عسى أن يتخلل من لغو أو فتور، فشرع سبحانه و تعالى الاستغفار ليحرز لعباده من حفظ أحوالهم و رعى أوقاتهم ما[2] بنى بعلى أجورهم كما وعدهم ٥ "وتمت كلمات ربك صدقا و عدلا لا مبدل لكلماته" و قد بسطت ما أشارت إليه هذه السورة العظيمة - و كل كلام ربنا عظيم - فيما قيدته فى غير هذا، و أن أبا بكر رضى الله عنه عرف منها أن رسول الله صلى الله عليه و سلم نعيت إليه[3] نفسه الكريمة على ربه و عرف بدنو أجله، و قد أشار إلى هذا الغرض أيضا بأبعد من الواقع فى هذه السورة قوله تعالى ١٠ "اليوم أكملت لكم دينكم و أتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الإسلام دينا" و سورة براءة و أفعاله عليه الصلاة و السلام فى حجة الوداع لكن لم يبلغنا استشعار أحد من الصحابة رضى الله عنهم تعين الأمر إلا من هذه السورة. و قد عرفت باشارة براءة و آية المائدة تعريفا شافيا، و استشعر الناس عام حجة الوداع و عند نزول[4] براءة ذلك لكن لم يستيقنوه و غلبوا ١٥ رجاءهم فى حياته صلى الله عليه و سلم، و منهم من توفى، فلما نزلت "إذا جاء نصر الله و الفتح" استيقن أبو بكر رضى الله عنه [ذلك -[5]]

(١) فى ظ: المساجد (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مما (٣) من م، و فى الأصل: له، و فى ظ: عليه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: نزل (٥) زيد من ظ و م.

استيقانا حمله على البكاء لما قرأها رسول الله صلى الله عليه و سلم - انتهى .

و لما عبر عن المعنى بالمجيء، عبر عن المرئى بالرؤية فقال: ﴿و رأيت﴾ أى بعينيك[1] ﴿الناس﴾ أى العرب الذين كانوا حقيرين عند جميع الأمم، فصاروا بك هم[2] الناس - كما دلت عليه لام الكمال، و صار سائر أهل الأرض لهم أتباعا، و بالنسبة إليهم رعايا، حال كونهم ﴿يدخلون﴾ شيئا فشيئا متجددا دخولهم مستمرا ﴿فى دين الله﴾ اى شرع من لم تزل كلمته هى العليا فى حال إباء الخلق - بقهره لهم على الكفر الذى لا يرضاه لنفسه عاقل - ترك الحظوظ، و فى حال طواعيتهم بقسره لهم على الطاعة، و عبر عنه بالدين الذى معناه الجزاء لأن العرب كانوا لا يعتقدون القيامة التى لا يتم ظهور الجزاء إلا بها ﴿افواجا﴾ أى قبائل قبائل و زمرا زمرا و جماعات كثيفة كالقبيلة بأسرها أمة بعد أمة كأهل مكة و الطائف و هوازن و همدان و سائر القبائل من [غير -[3]] قتال فى خفة و سرعة و مفاجأة و لين بعد دخولهم واحدا واحدا و نحو ذلك لأنهم قالوا: أما إذا ظفر بأهل الحرم و قد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل الذين لم يقدر أحد على ردهم فليس لنا بهم يدان . فتبين أن هذا القياس المنتج هذه النتيجة البديهية بقصة أصحاب الفيل ما رتبه الله إلا إرهاصا لنبوته و تأسيسا لدعوته فألقوا بأيديهم، و أسلموا قيادهم حاضرهم و باديهم .

/ ٨٧٩

(١) فى م: أى نفسك (٢) من م، و فى الأصل: اهم، و فى ظ: لدهم - كذا (٣) زيد من ظ .

و لما كان التقدير : فقد سبح الله نفسه بالحمد بابعاد نجس[1] الشرك عن جزيرة العرب بالفعل، قال إيذانا بأنه منزه عن النقائص التى منها إخلاف الوعد، و أن له مع ذلك الجلال و الجمال، معبرا بما يفيد التعجب لزيادة التعظيم للتعجب منه ليثمر ذلك الإجلال و التعظيم و التذلل و[2]التقبل لجميع[2] الأوامر، و يفهم أمره تعالى للنبى صلى الله عليه و سلم بالاشتغال [بخاصة نفسه بدنو أجله، و أن اشتغاله -[3]] بالناس قد انتهى، لأن الدين قد كمل فلم يبق له صلى الله عليه و سلم شغل فى دار الكدر[4] : ﴿ فسبح ﴾ أى نزه أنت بقولك[5] و فعلك بالصلاة و غيرها موافقة لمولاك فيما فعل، و زد فى جميع أنواع العبادة، تسبيحا متلبسا ﴿ بحمد ﴾ أى بكمال[6] و إجلال و تعظيم[6] ﴿ ربك ﴾ أى الذى أنجز لك الوعد بإكمال الدين و قمع المعتدين، المحسن إليك بجميع ذلك، لأنه كله لكرامتك، و إلا فهو عزيز حميد على كل حال، تعجبا لتيسير الله من هذا الفتح مما لم يخطر بالبال، و شكرا لما أنعم به سبحانه و تعالى [عليه -[3]] من أنه أراه[7] تمام ما أرسل لأجله، و لأن كل حسنة يعملها أتباعه له مثلها.

و لما أمره صلى الله عليه و سلم بتنزيهه عن كل نقص، و وصفه تنزلا

(١) فى ظ : جيش (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل : ليقبل بجميع (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل : فقال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٥) من ظ و م، و فى الأصل : بقوله (٦ - ٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل : اراده.

عن غيب الغيب إلى الغيب بكل كمال مضافا إلى الرب تدليا إلى مشاهدة الأفعال، وصل إلى نهاية التنزل من الخالق إلى المخلوق مخاطبا لأعلى الخلائق كلهم[1] فأمره بما يفهم العجز عن الوفاء بحقه لما[2] له من العظمة المشار إليها بذكره مرتين بالاسم الأعظم الذى له من الدلائل على العظم ٥ و العلو إلى محل الغيب الذى لامطمع فى دركه ما تنقطع الأعناق دونه ليفهم عجز غيره من باب الأولى، فقال معلما بأن[3] من كماله أن يأخذ بالذنب إن شاء و يغفر إن شاء و إن عظم الذنب، ليحث ذلك على المبادرة إلى التوبة و تكثير الحسنات و حسن الرجاء: ﴿و استغفره[4]﴾ أى اطلب غفرانه إنه كان غفارا إيذانا بأنه لايقدر أحد أن يقدره حق ١٠ قدره كما أشار / إلى ذلك الاستغفار عقب الصلاة التى هى أعظم العبادات ٨٨٠ / ليتقتدى بك أمتك فى المواظبة على الأمان الثانى لهم، فان الأمان الأول - الذى هو وجودك[4] بين أظهرهم قد دنا رجوعه إلى معدنه فى الرفيق الأعلى و المحل الأقدس الأولى، و كذا فعل صلى الله عليه و سلم - كان يقول «سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» و دخل يوم ١٥ الفتح مكة مطاطئا رأسه حتى أنه ليكاد يمس واسطة الرحل تواضعا لله سبحانه و تعالى إعلاما لأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين[5] أن ما وقع[5]

(١) سقط من ظ و م (٢) من م، و فى الأصل و ظ: بما (٣) من ظ و م، و فى الأصل: بانه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: وجدك (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: و الذى فتح.

إنما

إنما هو بحول الله، لا بكثرة من معه من الجمع، و إنما جعلهم[1] سببا لطفا منه بهم[2]، و لذلك نبه من ظن منهم أو هجس فى خاطره أن للجمع مدخلا بما وقع من الهزيمة فى حنين أولا، و ما وقع بعد من النصرة بمن بثت مع النبى صلى الله عليه و سلم و هم لا يبلغون ثلاثين[3] نفسا ثانيا، فالتسبيح الذى هو تنزيه عن النقص إشارة إلى إكماله الدين تحقيقا لما [كان -[4]] تقدم به وعده[5] الشريف. و الاستغفار إشارة إلى أن عبادته صلى الله عليه و سلم التى هى أعظم العبادات قد شارفت الانقضاء، و لا يكون ذلك إلا بالموت، فلذلك أمر بالاستغفار لأنه يكون فى خاتمة المجالس و الأعمال [جبرا -[4]] لما لعله وقع فيها على نوع من الوهن و اعترافا[6] بذل العبودية[6] و العجز.

و لما امر بذلك فأرشد السياق إلى أن التقدير: و تب إليه[7]، علله مؤكدا لأجل استبعاد من يستبعد مضمون ذلك من رجوع الناس فى الردة و من غيره بقوله: ﴿ انه ﴾ أى المحسن إليك [8] غاية الإحسان[8] بخلافته لك فى أمتك، و يجوز أن يكون التأكيد لأجل دلالة ما تقدم من ذكر الجلالة مرتين على غاية العظمة و الفوت عن الإدراك

(١) من ظ و م، و فى الأصل: جعله (٢) من ظ و م، و فى الأصل: به. (٣) من م، و فى الأصل و ظ: ثلاثون (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد فى الأصل: صلى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: بالربوبية (٧) من ظ، و فى الاصل و م: عليه (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

بالاحتجاب بارادته الكبرياء و العز و التجبر و القهر مع أن المالوف ان من كان على شيء من ذلك كان بحيث لا يقبل عذرا و لا يقيل نادما ﴿ كان ﴾ أى لم يزل [1]على التجدد و الاستمرار[1] ﴿ تواباع ﴾ أى رجاعا بمن ذهب به[2] الشيطان من أهل رحمته فهو، الذى رجع بأنصارك عما كانوا
٥ عليه من الاجتماع على الكفر[3] و الاختلاف و العداوات[3] فأيدك بدخولهم فى الدين شيئا فشيئا حتى أسرع بهم بعد سورة الفتح إلى أن دخلت مكة فى عشرة آلاف، و هو أيضا يرجع بك إلى الحال التى يزداد بها ظهور رفعتك فى الرفيق الأعلى و يرجع عن تخلخل من أمتك فى دينه بردة أو معصية دون ذلك إلى ما كان عليه من الخير، و يسير بهم
١٠ أحسن سير، فقد رجع[4] آخر السورة إلى[5] أولها بأنه لولا[6] تحقق وصفه بالتوبة لما وجد الناصر الذى وجد به الفتح[7] و التحم مقطعها أى/التحام /٨٨١
بمطلعها، و علم أن كل جملة منها مسببة عما قبلها، فتوبة الله [8]على عبده[8] نتيجة توبته [9]باستغفاره الذى [هو -[10]] طلب المغفرة بشروطه، و ذلك ثمرة اعتقاده الكمال فى ربه، و ذلك ما دل عليه إعلاؤه لدينه، و قسره
١٥ للداخلين فيه على الدخول مع [أنهم -[11]] أشد الناس شكائم و أعلاهم

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اليه.
(٣-٣) من ظ و م، و فى الاصل: العداوات والاختلاف (٤) من م، و فى الأصل و ظ: ترجع (٥) من ظ و م، و فى الأصل: على (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لو (٧) زيد فى الأصل: الاعظم، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٨-٨) من ظ و م، و فى الأصل: بعبده (٩) من م، و فى الأصل: بتوته، و فى ظ: توبة عبد (١٠) زيد من ظ (١١) زيد من ظ و م.

هما[1] و عزائم، و قد كانوا فى غاية الإباء له و المغالبة للقائم به، و ذلك هو فائدة الفتح الذى هو آية النصر، و قد علم أن الآية الأخيرة من الاحتباك: دل بالأمر بالاستغفار [على الأمر بالتوبة، و بتعليل الأمر بالتوبة على تعليل الأمر بالاستغفار-[2]]، و علم ان السورة أشارت[3] إلى وفاته[4] صلى الله عليه و سلم بالحث على الاستغفار الذى هو الأمان الثانى، ومن شأنه أن تختم به الأعمال و المجالس[5] بعد ما اشار إليه إعلامها بظهور الدين على الدين كله و نزولها فى أوسط [أيام-[2]] التشريق من حجته عليه أفضل الصلاة و السلام سنة عشر كما ذكرته فى كتابى « مصاعد النظر للاشراف على مقاصد السور » و كتابى « الاطلاع على حجة الوداع » و ذلك بعد نزول آية المائدة - التى هى نظيرتها[6] فى رد المقطع على المطلع - فى يوم عرفة[7] " اليوم اكملت لكم دينكم و اتممت عليكم نعمتى و رضيت لكم الاسلام دينا " و من المعلوم أنه لا يكون فى هذه الدار كمال إلا بعده[8] نقصان، و لذلك سماها النبى صلى الله عليه و سلم حجة الوداع و خطب الناس فيها، فعلّمهم[9] أمور دينهم و أشهدهم على أنفسهم و أشهد الله عليهم

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: هماما (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اشارة (٤) من ظ و م، و فى الأصل: انه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: المحاسن (٦) زيد فى الأصل: فى عد السور و، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد فى الأصل: قوله تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من م، و فى الأصل و ظ: بعد (٩) من ظ و م، و فى الأصل: يعلمهم.

بانه بلغهم، و ودعهم[1] و قال: لا أدرى لعلى [لا -[2]] ألقاكم بعد عامى هذا، و أشار إلى ذلك أيضا بالتوبة و إلى وقوع الردة بعده صلى الله عليه و سلم و رجوع من أرتد إلى أحسن ما كانوا عليه من اعتقادهم فى الدين[3] و ثباتهم عليه بقتل من كان مطبوعا على الكفر المشار إليهم[4] بقوله تعالى "و لو أسمعهم - اى إسماع[5] قهر و غلبة و قسر - لتولوا و هم معرضون" فكان وجودهم ضررا صرفا من غير منفعة و قتلهم نفعا[6] لاضرر فيه بوجه، و لأجل إفهامها حلول الأجل للايذان بالتمام بكى[7] العباس رضى الله تعالى عنه - و فى رواية: ولده عبد الله - عند نزولها فسأله النبى صلى الله عليه و سلم عن ذلك فقال: نعيت إليك نفسك، فقال: إنه لكما تقول. كما بكى عمر رضى الله عنه عند نزول آية المائدة، و علل بهذا - والله الهادى، وقد ظهر بهذا[8] أن حاصلها الإيذان بكمال الدين و دنو الوفاة لخاتم النبيين، و النصر على جميع الظالمين[9] الطاغين الباغين[9]، و ذلك من أعظم مقاصد[10] المائدة، المناظرة لهذه فى التطبيق بين البادئة و العائدة، / كما أشار إليه [قوله تعالى -[11]] "اليوم أكملت لكم دينكم" / ٨٨٢

(١) من ظ و م، و فى الأصل: وعدهم (٢) زيد من م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: عليه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اليه (٥) من م، و فى الأصل و ظ: سماع (٦) من م، و فى الأصل و ظ: نفعم (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يبكى (٨) سقط من م (٩-٩) سقط ما بين الرقمين من ظ و م. (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: نظاير (١١) زيد من ظ و م.

الآية ، و قوله تعالى [1]"و من يتولى الله و رسوله و الذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون" و قوله تعالى[1] "لله ملك السماوات و الأرض و ما فيهن و هو على كل شيء قدير" و من أعظم لطائف هذه السورة و دقيق بدائعها و لطيف منازعها أن كلماتها تدل بأعدادها على أمور[2] جليلة و أسرار جميلة ، فانها تسع عشرة كلمة ، و قد كان فى سنة [3]تسع عشرة[3] من الهجرة موت قيصر طاغية الروم ، و ذلك أن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه لما فتح الإسكندرية قال قيصر : لئن غلبونا على الإسكندرية لقد هلكت الروم ، فتجهز ليباشر قتالهم بنفسه ، فعند ما فرغ من جهازه صرعه الله فمات و كفى الله المسلمين[4] شره ، و ذل الروم بذلك ذلا كبيرا ، و استأسدت[5] العرب ، و فى هذه السنة أيضا فتح الله قيسارية من بلاد الشام فلم يبق بالشام[6] أقصاها و أدناها عدو ، و فرح المسلمون بذلك فرحا شديدا ، و كان فيها أيضا فتح جلولاء ، من بلاد فارس ، و كان فتحها يسمى فتح الفتوح ، لأن الفرس [7]لم ينجبروا بعده[7] ، هذا إن عددنا ما يوازى كلماتها من سنة الهجرة ، و إن عددنا من سنة نزول السورة فى[8] سنة عشر فقد فتحت سنة تسع و عشرين من الهجرة - و هى التاسعة عشرة من نزولها -

---

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : كلمات. (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : تسعة عشر (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : استالدت (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : من بلاد الشام (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لم يتجهزوا بعد (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : من .

مدينة اصطخر، و اشتد ضعف الفرس، و أمر ملكهم يزدجرد [و -[1]] اجتهاده فى الهرب من العرب حتى قتل سنة إحدى و ثلاثين من الهجرة بعد ذلك بسنتين[2]، و ذلك هو العد الموازى لعد كلماتها ظواهر و ضمائر مع كلمات البسملة[3]، و إذا نظرت إلى ما هنا من هذا و طبقت بينه و بين ما ذكر فى سورة الفتح من مثله زاد عجبك من باهر هذه الآيات - و الله الموفق، ثم إنك إذا اعتبرت اعتبارا آخر وجدت هذه السورة كما دلت بجملتها على انقضاء زمن النبوة بموت النبى صلى الله عليه و سلم دلت بمفردات كلماتها على انقضاء خلافة النبوة لتمام ثلاثين[4] سنة كما قال النبى صلى الله عليه و سلم فيما رواه أبو داود[5] و الترمذى[6] و النسائى و ابن حبان فى صحيحه عن سفينة مولى النبى صلى الله عليه و سلم و رضى عنه: خلافة النبوة ثلاثون، ثم يؤتى [الله -[1]] الملك من يشاء. و ذلك أنك إذا عددت كلماتها مع البسملة كانت باعتبار الرسم ثلاثا و عشرين كلمة، و ذلك مشير إلى انقضاء الخلافة التى لم تكن قط خلافة مثلها، و هى خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه باستشهاده فى ذى الحجة سنة ثلاث و عشرين من الهجرة، فاذا ضممت إلى ذلك الضمائر البارزة / و هى خمسة، و المستترة و هى ثلاثة، فكانت أحدا و ثلاثين، /٨٨٣

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بسنتى (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: ظواهرها وضمائرها مع كلماتها والبسمله (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ثلاث (٥) راجع السنن - أبواب السنة (٦) راجع الجامع - أبواب الفتن.

و حسبت من حين نزول السورة على النبي صلى الله عليه و سلم فى ذى الحجة سنة عشر كان ذلك مشيرا إلى انقضاء خلافة النبوة كلها باصلاح أمير المؤمنين الحسن بن على رضى الله عنهما فى شهر ربيع الأول سنة إحدى و أربعين ، و ذلك عند مضى ثلاثين سنة من موت النبى صلى الله عليه و سلم فى شهر ربيع الأول سنة عشر من الهجرة لا تزيد شهرا ٥ و لا تنقصه ، و إن أخذت الضمائر وحدها بارزها و مستترها دلت على فتح مكة المشرفة بعينه ، فانها - كما مضى - ثمانية و قد كان الفتح سنة ثمان من الهجرة ، و من لطائف الأسرار و بدائع الأنظار[1] أنها تدل على السنين بحسب التفصيل ، فالبارز يدل على سنة النصر و الظهور على قريش لأنهم المقصودون بالذات لأن العرب لهم تبع ، والمستتر يدل على ضد ذلك ، ١٠ و شرح هذا أنه لما كانت قد خفقت [فى -[2]] السنة الأولى من الهجرة رأيات الإسلام فى[3] كل وجه ، و انتشرت[4] أسده فى كل صوب ، و انبثت سراياه فى كل قطر ، أشار إليها التاء فى « و رأيت » التى هى ضميره صلى الله عليه وسلم إشارة إلى ما يختص بفهمه من البشارة . و لما كان فى السنة الثانية بغزوة بدر من واضح الظفر و عظيم النصر ما هدّ قلوب الكفار ، و شد ١٥ قلوب الأنصار فى سائر الأمصار ، و أعلى لهم القدر ، أشار إلى ذلك واو " يدخلون " ، و لما حصل فى السنة الثالثة ما لم يخف من المصيبة فى غزوة أحد التى ربما أوهمت بعض من لم يرسخ نقصا ، أشار إلى ذلك الضمير

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : الامطار (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٤) فى ظ : انتشر .

المستتر فى "فسبح"، و لما كان الخبر فى الرابعة باجلاء بنى النضير و إخلاف قريش للوعد فى بدر جبنا و عجزا حيث وفى النبى صلى الله عليه و سلم و أصحابه رضى الله تعالى عنهم شجاعة و قوة بحول الله و انقلبوا، منها بنعمة من الله و فضل لم يمسهم سوء، أشار إلى ذلك الكاف فى "ربك"

٥ و لما كان فى [1]الخامسة غزوة الأحزاب أشار إليها المستتر فى "و استغفره"[1]

[و لما كان فى السادسة عمرة الحديبية التى سماها النبى صلى الله عليه و سلم فتحا، أنزل الله فيها سورة الفتح -[2]] لكونها كانت سببا للفتح، فكان ذلك علما من أعلام النبوة، و لبعث النبى صلى الله عليه و سلم فيها إلى الملوك يدعوهم إلى الله تعالى أشار إلى ذلك الضمير البارز فى "و استغفره"

١٠ و أكد قوته [كونه -[3]] للرب تعالى، و لما كان فى السابعة غزوة خيبر و عمرة القضاء أشار إليها الضمير الظاهر فى "انه" و لما كان ضمير [«كان» لله، و كان له سبحانه حضرتان: حضرة غيب و بطون، وحضرة شهادة و ظهور، و كانت حضرة -[2]] الغيب هى حضرة الجلال و الكبرياء و العظمة و التعالى، و حضرة الشهادة حضرة التنزل بالأفعال[4] و الاستعطاف

٨٨٤ / ١٥ بالأقوال، كانت / الحضرتان للنصر، وكانت حضرة الغيب أعظمهما نصرا و أشدهما إزرا، فلذلك كان ضمير الاستتار دالا على الفتح الأكبر بالانتصار على السكان والديار بسطوة الواحد القهار، على أنا إذا نظرنا إليه من حيث كونه جائز البروز كان البارز فله[5] حكمه - فسبحان من شمل علمه، و دقت حكمته فنفذ حكمه.

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) زيد من ظ (٣) زيد من ظ و م.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: فى الأفعال (٥) من ظ و م، و فى الأصل: له.

سورة تبت[1]

مقصودها البت و القطع الحتم بخسران الكافر و لو كان أقرب الخلق إلى أعظم الفائزين ، اللازم عنه أن شارع الدين له من العظمة ما يقصر عنه الوصف ، فهو يفعل ما يشاء لأنه لا كفو له أصلا ، حثا على التوحيد من سائر العبيد ، و لذلك وقعت بين سورة[2] الإخلاص المقرون بضمان النصر ٥ و كثرة الأنصار ، و اسمها تبت واضح الدلالة على ذلك بتأمل السورة على هذه الصورة ﴿ بسم الله ﴾ الجبار المتكبر المضل الهاد ﴿ الرحمن ﴾ الذى عم الولى و العدو بنعمة البيان بعد[3] الإكرام بالإيجاد[3] ﴿ الرحيم ٥ ﴾ الذى خص بالتوفيق أهل الوداد .

لما قدم سبحانه و تعالى فى سورة النصر القطع بتحقيق النصر لأهل ١٠ هذا الدين بعد ما كانوا فيه من الذلة[4] ، و الأمر الحتم بتكثيرهم بعد الذى مر عليهم [5]مع الذلة من[5] القلة ، و ختمها بأنه التواب ، و كان أبو لهب - من شدة العناد لهذا الدين و الأذى لإمامة النبي صلى الله عليه و سلم سيد العالمين مع قربه منه - بالمحل الذى لا يجهل ، بل شاع و اشتهر ، و أحرق الأكباد

(١) فى ظ : ابى لهب ، وهى الحادية عشرة والمائة من سور القرآن الكريم ، مكية ، وعدد آياها (٢) فى ظ : سورتى (٣-٣) من ظ وم ، وفى الأصل : الايجاد والاكرام (٤) فى ظ : الدلالة (٥-٥) من ظ وم و فى الأصل : من الذلة مع .

و صهر ، كان بحيث يسأل عن حاله إذذاك هل يثبت[1] عليه أو يذل ، فشفى ع هذا السؤال ، و أزيل بما يكون [له-[2]] من النكال ، و ليكون [ذلك -[3]] بعد وقوع[4] الفتح و نزول[5] الظفر و النصر ، و الإظهار على الأعداء بالعز و القهر ، مذكرا له صلى الله عليه و سلم بما كان فى أول الأمر من جبروتهم و أذاهم و قوتهم بالعَدد و العُدد ، و أنه [6]لم يغن عنهم[6] شيء من ذلك ، بل صدق الله وعده فى قوله سبحانه و تعالى " قل للذين كفروا ستغلبون و تحشرون إلى جهنم و بئس المهاد " و كذبوا فيما كانوا فيه من التعاضد و التناصر و التحالف و التعاقد ، فذكر تعالى أعداهم له و أقربهم إليه فى النسب إشارة إلى أنه لا فرق فى تكذيبه لهم بين القريب و البعيد . و إلى أنه لم ينفعه قربه له ليكون ذلك حاملا لأهل الدين على الاجتهاد فى العمل من غير ركون إلى سبب أو نسب غير ما شرعه سبحانه ، فقال تعالى معبرا بالماضى دلالة على أن الأمر قد قضى بذلك و فرغ منه ، فلا بد من كونه ولا محيص[7] / : ﴿ تبت ﴾ أى حصل القطع الأعظم و الحتم الأكمل ، فانها خابت و خسرت غاية الخسارة ، و هى المؤدية إلى الهلاك لأنه لا نجاة إلا نجاة الآخرة ، و جعل خطاب هذه السورة عن الله و لم يفتتحها بـ « قل » كأخواتها لأن هذا أكثر

/ ٨٨٥

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ثبتت (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد من م .
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : نزول (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : قد نزل (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : لم يمنعهم (٧) زيد فى الأصل : والله اعلم ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

أدبا و أدخل فى باب العذر و أولى فى[1] مراعاة ذوى الرحم ، و لذلك لم يكرر ذكرها فى القرآن ، و أشد فى انتصار الله سبحانه و تعالى [له صلى الله عليه و سلم -[2]] و أقرب إلى التخويف و تجويز سرعة الوقوع .

و لما كانت اليد محل قدرة الإنسان ، فاذا اختلت اختل أمره ، ٥ فكيف إذا حصل[3] الخلل فى يديه جميعا ، قال مشيرا بالتثنية إلى عموم هلاكه بأن قوته لم تغن عنه شيئا ، و لأن التثنية يعبر بها عن النفس ، و مشيرا بالكنية و إن كان يؤتى بها غالبا للتشريف إلى مطابقة[4] اسمه لحاله ، و مجانسته الموجبة لعظيم نكاله : ﴿يدآ ابى لهب﴾ فلا قدرة له [على -[5]] إعطاء و لا منع ، و لا على جلب و لا دفع ، و إشارة إلى أن ١٠ حسن صورته لم تغن عنه شيئا من قبيح سيرته لقوله صلى الله عليه وسلم «ان الله لا ينظر إلى صوركم و لا أموالكم و لكن ينظر إلى قلوبكم و أعمالكم» لأنه [إنما -[5]] كنى بهذا لإشراق وجهه و توقد وجنتيه ، و لأنها أشهر ، فالبيان بها أقوى و أظهر ، و التعبير بها - مع كونه أوضح - أقعد فى قول التى [هى -[5]] أحسن ، لأن اسمه عبد العزى و هو قبيح ١٥ موجب للعدول عنه غيرة[6] على العبودية[6] أن تضاف إلى غير مستحقها .

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٢) زيد من م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : حضر (٤) من ظ ، و فى الأصل : مايطابقه ، و فى م : ماطابقه . (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : للعبودية .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: هذه السورة و إن نزلت على سبب خاص و فى قصة معلومة فهى مع ما تقدمها و اتصل[1] بها فى قوة أن لو قيل: قد انقضى عمرك يا محمد، و انتهى ما قلدته من عظيم أمانة الرسالة أمرك، و أديت ما تحملته و حان[2] أجلك، و أمارة ذلك دخول الناس فى دين الله أفواجا، و استجابتهم بعد تلكؤهم، و الويل لمن عاندك و عدل عن متابعتك و إن كان اقرب الناس إليك، فقد فصلت سورة "قل يا ايها الكافرون" بين أوليائك و أعدائك، و بان بها حكم من اتبعك و من عاداك، و لهذا سماها عليه الصلاة و السلام المبرئة من النفاق، و ليعلم كفار قريش و غيرهم أنه لا اعتصام لأحد من النار إلا بالإيمان، و أن القرابات غير نافعة و لا مجدية[3] شيئا إلا مع الإيمان[4] "لكم دينكم ولى دين" "أنتم بريئون مما أعمل و أنا برىء مما تعملون"، "و المؤمنون و المؤمنات بعضهم اولياء بعض" و ههنا انتهى أمر الكتاب بجملته - انتهى.

و لما كان ربما خص التباب بالهلاك، و حمل على هلاك اليدين حقيقة، و كان الإنسان لا يزول جميع منفعته بفوات يديه و إن كان قد يعبر بهما عن النفس، قال مصرحا بالمقصود[5]: ﴿وتب﴾ أى هو بجملته / بتمام[6] الهلاك و[6] الخسران، فحقق بهذا ما أريد من الإسناد إلى اليدين /٨٨٦

(١) من ظ و م، و فى الأصل: افضل (٢) من ظ و م. و فى الأصل: آن. (٣) من ظ و م، و فى الاصل: مجزية (٤) زيد فى الأصل: واشارة الى هذا بقوله، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) زيد فى الأصل: قال تعالى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) سقط مابين الرقمين من ظ.

من

من الكناية عن الهلاك الذى لا بقاء بعده، و الظاهر أن الأول دعاء و الثانى خبر، و عرف بهذا أن الانتماء إلى الصالحين لايغنى[1] إلا أن وقع الاقتداء بهم فى أفعالهم لأنه عم النبى صلى الله عليه و سلم .

و مادة « تب » و « بتّ » - الجامعة بجمع التاء و الباء للسببين الأدنى الباطنى و الأعلى الظاهرى - تدور على القطع المؤدى فى أغلب أحواله إلى الهلاك ، ٥ لأن من انقطع إلى الأسباب معرضا عن مسببها كان فى أعظم تباب ، و ربما كان القطع باستجماع الأسباب ، فحصل[2] الفوز بالمقاصد و المحاب ، قال ابن مكتوم فى الجمع بين المحكم و العباب : التب و التباب : الخسار ، و تبا له - على الدعاء ، و تبا تبيبا - على المبالغة ، قال الإمام أبو عبد الله القزاز : كأنك قلت : خسرانا له ، و هو المصدر ، نصب[3] نصب سقيا[3] له ، قال ابن ١٠ دريد : و كأن التب المصدر والتباب الاسم ، و[التبب و -[4]] [التباب و -[5]] التبيب : الهلاك ، [و التتبيب -[5]] النقص و الخسار ، و كل هذا واضح فى القطع عن الخير و الفوز ، قال : [و -[5]] التاب : الكبير من[6] الرجال ، و الأنثى تابة ، و قال القزاز : إذا سألت الرجل عن المرأة قلت : أشابة هى أم تابة ، أى أم [هى -[5]] عجوز فانية ، [و -[7]] معلوم أن كبر السن مقرب ١٥ من القطع و الهلاك ، و التاب : الضعيف ، و الجمع أتباب - هذلية ، و حمار

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لايفتمى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فحصر (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : نفسا سيفا (٤) زيد من م (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٧) زيد من ظ .

تاب الظهر - إذا دبر، و جمل [تاب -[1]] كذلك نادرة، و لاشك أن الدبر و الضعف هلاك فى المعنى، و تب: قطع مثل بت، أى بتقديم الموحدة، و وقعوا فى تبوب منكرة، و هو بتبة أى بحالة شديدة، و التبى - بالفتح و الكسر: ضرب من تمر البحرين، قيل: هو ردىء يأكله سقاط الناس، و أتب الله قوته: أضعفها، و تبيوهم تتبيبا: أهلكوهم، و تبتب: شاخ، و كل ذلك واضح فى القطع بالهلاك و الخسار، و التبوب - يعنى بالضم: [ما -[1]] انطوت عليه الأضلاع كالصدر و القلب، و هذا يحتمل[2] الخير و الشر، فان القلب إذا فسد فسد الجسد كله، و إذا صلح صلح الجسد كله، فيكون حينئذ القطع بالفوز و النجاة، أو لأن انطواء الأضلاع عليه قطعه عن الخارج، و استتب الأمر: تهيأ و استوى. و قال القزاز: و يقال: هذه العلة لا تستتب فى نظائر هذا القول، أى لا تجرى فى نظائره، كأنه من باب الإزالة إذ أن السين لما[3] جامعت حرفى السببين آذنت[4] بالنجاح و الفوز [و الفلاح -[1]]، فانها حرف تدل على الاستيفاء فى الإنباء عن الشىء و التتمة و الألفة، و أحسن من هذا أنها إذا جرت فى النظائر أوضحتها و كشفت معانيها / ففصلتها و أبانتها و قطعتها[5] عن غير النظائر[6] بما أزالت من الإلباس[7] بها، و الذى يحقق معانى التب و يظهر

/ ٨٨٧

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: محتمل (٣) من ظ، و فى الأصل و م: لا (٤) فى م: آذنته (٥) من ظ و م، و فى الأصل: قطعها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: النظار (٧) من ظ و م، و فى الأصل: الالباب.

أنه يؤل إلى القطع مقلوبه، و هو البت - بتقديم الموحدة التى هى السبب الظاهر الذى هو أقوى من حيث أنه لايتحقق إلا بكمال السبب الباطنى، يقال: بت الشيء يبته بتا، و أبته: قطعه[1] قطعا مستأصلا، و بت هو يبُت و بِبت بتا و انبت، و لعله استوى فيه المجرد و المزيد فى التعدية دلالة على أن ما حصل بالمجرد من القطع هو من الكمال بحيث لا مزيد عليه، ٥ و كذا استوى القاصر مجردا و مطاوعا مع[2] المتعدى فى أصل المعنى. و صدقة بتة: بتلة باينة من صاحبها. و طلقها ثلاثا بتة و إبتاتا، أى قطعا لاعود فيه، و لاأفعله البتة - كأنه قطع فعله، قال سيبويه: و قالوا: فعد البتة - مصدر مؤكد، و لايستعمل إلا بالألف و اللام، و بت عليه القضاء بتا و أبته: قطعه، و سكران ما يُبت كلاما و ما يُبت / أى [ما -[3]] ١٠ ٨٨٨ / يقطعه، قال القزاز: يُبت من أبت، و يَبت من بَتّ، و سكران باتّ: منقطع عن العمل بالسكر، و أبت يمينه: أمضاها، أى قطعها عن الحنث، و بتت هى: وجبت و حلت [4]بتا و بتة[4] و بتاتا، و كل ذلك من القطع، و أبت بعيره، أى قطعه بالسير[5]، و المنبت فى الحديث[6]: [الذى -[3]] اتعب دابته حتى [7]عطب ظهره[7] فبقى منقطعا به، و قال القزاز: هو الذى أتعب ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يقطعه (٢) زيد فى ظ: التقدير (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: بته وبتا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: من السير (٦) راجع تاج العروس - البت (٧ - ٧) من ظ و م، و فى الأصل: أعطب دابته.

دابته حتى قطع ظهرها فبقى منبتا به، أى منقطعا به، و بت عليه الشهادة و أبتها: قطع عليه بها و ألزمه إياها، و بت عليه [القضاء -[1]] و أبته: قطعه، و البات: المهزول الذى لا يقدر أن يقوم - كأنه قد انقطعت قوته، و فى الحديث[2]: لاصيام لمن لم يبت[3] الصيام من الليل، فمعناه: يوجبه، أى يقطعه على نفسه قبل الفجر، من أبت عليه الحكم - إذا قطعه، و روى: يبت، من بت - إذا قطع، و كلاهما [4]بمعنى، و هما[4] لغتان فصيحتان، و روى فى حديث: من لم يبت[5] - من البيات[6]، و أحق بات: شديد الحق - كذا قاله الليث، و قال الأزهرى: هو تاب - بتأخير الموحدة، و البت: كساء غليظ مهلهل مربع أخضر، و قيل: هو من وبر و صوف، و الجمع بتوت، و البتات أى بالتخفيف: متاع البيت و الزاد، كأن ذلك يقطع صاحبه عن الحاجة. و بتتوه: زودوه[7]، أو أن ذلك من الإزالة لأنه صلة لصاحبه و رفد لأن الاستقراء حاصل بأن[8] كل مادة لها معنى غالب تدور عليه و فيها شىء لإزالة ذلك المعنى، و فلان على بتات أمر - إذا أشرف على فراغه، فانه ينقطع حينئذ، و تقول: طحنت بالرحى بتا - إذا إبتدأت الإدارة عن يسارك، كأنه دال على القطع بتمام العزيمة لأن ذلك أقوى للطاحن و أمكن، و انبت الرجل: انقطع ماء ظهره، و يقال:

(١) زيد من ظ و م (٢) راجع تاج العروس - البت (٣) من ظ و م، و فى الأصل: لم يبيت (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) من م، و فى الأصل: لم يبيت، و فى ظ: لم يلبت (٦) فى ظ: البت (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يزودوه (٨) من م، و فى الأصل و ظ: فان.

هذا

هذا حبل بتّ - إذا كان طاقا واحدا، كأنه لما كان كذلك فكان[1] سهل القطع أطلق عليه القطع مبالغة مثل عدل، و قد انبت فلان عن فلان - إذا انقطع و انقبض.

و لما أوقع سبحانه الإخبار بهلاكه[2] على هذا الوجه المؤكد لما كان لصاحب القصة و غيره من الكفار من التكذيب بلسان حاله ٥ و[3] قاله لما له من المال و الولد، و ما هو فيه من القوة بالعَدد و العُدد، زاد الأمر تحققا إعلاما بأن الأحوال الدنيوية لا غناء لها فقال مخبرا، أو مستفهما منكرا: ﴿ما اغنى﴾ أى أجزى و ناب و سد ﴿عنه﴾ أى عن أبى لهب الشقى الطريد المبعود عن الرحمة مع العذاب[4] ﴿ماله﴾ أى الكثير الذى جرت العادة بأنه ينجى من الهلاك. ١٠

و لما كان الكسب أعم من المال، و كان المال قد[5] يكسب منافع هى أعظم منه من الجاه و غيره، و كان الإنسان قد يكون فائزا و لا مال له بأمور أثلها بسعيه خارجة عن المال، قال مفيدا لذلك مبينا أنه لاينفع إلا ما أمر الله به: ﴿و ما كسب[6]﴾ أى و إن كان ذلك على وجه هائل من الولد و الأصحاب و العز بعشيرته[7] التى كان يرضيها باتباع ١٥

(١) من ظ و م، و فى الأصل: فكانه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بهلاك الأعداء (٣) من ظ و م، و فى الأصل: او (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) زيد فى الأصل: يكون، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: لايقع (٧) من ظ و م، و فى الأصل: بعشير.

النبي صلى الله عليه و سلم فى المحافل يؤذيه و يكذبه و ينهى الناس عن تصديقه [1]مع أنه كان قبل ذلك يناديه بالصادق الأمين[1]، وكان ابنه عتبه شديد الأذى للنبي صلى الله عليه و سلم [1]حتى قال[2] النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم سلط عليه كلبا من كلابك، فكان أبو لهب يعرف أن هذه الدعوة لابد أن تدركه، [1]فلما حان الأمر وكان قد آن ما أراد صاحب العز الشامخ، سبب له أن سافر[3] إلى الشام فأوصى به أبوه الرفاق لينجوه رغم من هذه الدعوة، فكانوا يحدقون به إذا نام ليكون وسطهم، والحول محيطة به وهم محيطون بها و الركاب محيطة بهم، فلم ينفعه ذلك بل جاء الأسد فتشمم[4] الناس حتى وصل[5] إليه فاقتلع رأسه و لم ينفع أباه ذلك، بل استمر على ضلاله [1]لما سبق فى علم الله تعالى[1] حتى كانت وقعة بدر فلم يخرج، فيها فلما جاء الفلال[6] كان منهم ابن أخيه أبو سفيان[7] ابن الحارث فقال: هلم يا ابن أخى فعندك الخبر، فقال: نعم! فوالله ما هو [إلا -[8]] أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا / يقتلونها كيف شاءوا [وبأسرونا كيف شاءوا -[9]]، ومع ذلك و الله مللت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق بين السماء و الأرض ما تليق شيئا -[أى -[9]] ما تبقيه -

/٨٨٩

(١ - ١) سقط ما بين الرمين من ظ و م (٢-٢) فى ظ و م: فقال (٣-٣) فى ظ و م: فسافر (٤) فى ظ: فشمم (٥) من ظ و م، و فى الأصل: صل (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الفلان (٧) من ظ و م، و فى الأصل: ابى سفيان.
(٨) زيد من ظ و م (٩) زيد من م.

ولا يقوم لها شيء، قال أبو رافع غلام العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه وكان جالسا[1] فى حجرة فى المسجد يبرى نبلا، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت وكنا نكتم إسلامنا، فما ملكت نفسى أن قلت: تلك والله الملائكة. قال: فرفع أبو لهب يده فضرب وجهى ضربة شديدة، قال: وثاورته فاحتملنى[2] فضرب بى[2] الأرض [3]ثم برك[3] علىّ يضربنى وكنت رجلا ضعيفا، فقامت أم الفضل - يعنى سيدته - ابنة العباس رضى الله عنهما إلى عمود الحجرة - [4]أى الخيمة[4] - فضربته [به - [5]] ضربة فلقت فى رأسه شجة منكرة وقالت: استضعفته أى عدو الله ان غاب[6] عنه سيده، فقام[7] موليا ذليلا فوالله ما عاش إلا سبع ليال أو ستا حتى رماه الله بالعدسة فقتله وما نفعه إبعاده عن الخطر[8] بتخلفه عن بدر، والعدسة بثرة[9] تشبه العدسة تخرج فى مواضع من الجسد من جنس الطاعون تقتل[10] غالبا، قال القزاز: كانت تعدى فى الجاهلية قلما يسلم منها أحد، تقول: عدس الرجل فهو معدوس، كما تقول: طعن فهو مطعون - إذا أصابه الطاعون - انتهى. ولأجل تشاؤم العرب بها ترك أبو لهب من غير دفن ثلاثا

(١) من م، وفى الأصل وظ: جالس (٢-٢) من ظ و م، وفى الأصل: فضربى (٣-٣) من ظ و م، وفى الأصل: فبرك (٤ - ٤) سقط ما بين الرقمين من ظ (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، وفى الأصل: قام (٧) من ظ و م، وفى الأصل: فغاب (٨) من ظ و م، وفى الأصل: الخطوب (٩) من ظ و م، وفى الأصل: تنزه - كذا (١٠) من ظ و م، وفى الأصل: فقتل.

حتى أنتن، ثم استأجروا بعض السودان حتى دفنوه، و يقال: إنهم حفروا له حفرة بعيدة عنه من شدة نتنه ثم دفعوه بخشب طوال[1] حتى رموه فيها و رجموه بالحجارة و التراب من بعيد حتى طموه، فكان ذلك سنة فى رجمه فهو يرجم إلى الآن، و ذلك من أول إعجاز هذه الآيات أن كان سبة[2] فى العرب [دون أن -[3]] يغنى عنه شىء [مما يظن أنه يغنى عنه -[3]] .

و لما أخبر سبحانه و تعالى بوقوع هذا التبار الأعظم به، و كان لاعذاب يدانى عذاب الآخرة، بينه بقوله: ﴿ سيصلى ﴾ أى عن قرب بوعد لاخلف فيه ﴿ نارا ﴾ أى[4] فيدس فيها و تنعطف عليه و تحيط به .

و لما كان المقصود شدة نكايته بأشد ما يكون من الحرارة كما أحرق أكباد الأولياء، و كانت النار قد تكون جمرا ثم تنطفىء عن قرب قال: ﴿ ذات لهب ﴾ أى لا تسكن و لا تخمد أبدا لأن ذلك مدلول الصحبة[5] المعبر عنها بـ «ذات»، و ذلك بعد موته، و ليس فى السورة دليل قاطع على أنه لايؤمن لجواز[6] أن يكون الصلى على الفسق، فلا دليل فيها لمن يقول: إن فيها التكليف بما علم أنه محال ليكون[7] قد كلف بأن يؤمن و قد علم

(١) من ظ و م، و فى الأصل: طول (٢) من م، و فى الأصل و ظ: سنة. (٣) زيد من ظ و م (٤) سقط من م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: النضيحة (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الجواز (٧) من م، و فى الأصل و ظ: لأنه يكون.

أنه

أنه حكم بأنه لايؤمن ، [1]و إن كان الله قد حقق هذا الخبر بموته كافرا
في الثانية[1] من الهجرة عقب / غزوة بدر و هي الخامسة عشرة من النبوة ، ٨٩٠ /
لكن ما عرف تحتم كفره إلا بموته كافرا لابشيء في هذه السورة ولا غيرها ،
ومن الغرائب أن الكلمات المتعلقة به في هذه السورة خمس عشرة كلمة ،
فكانت مشيرة إلى سنة موته بعد أن رأى تبابه في وقعة بدر و غيرها ٥
بعينه ، فاذا ضممنا إليها كلمات البسملة الأربع وازت سنة ست من
الهجرة ، و هي سنة عمرة الحديبية سنة الفتح السببي التي تحقق[2] فيها
تبابه [و خساره -[3]] عند كل من عنده إيمان بالغيب و دفع للريب ،
فاذا ضممت إليها الضميرين البارزين اللذين هما[4] أقرب [5]إلى الكلمات[5]
الاصطلاحية من المستترة وازت سنة ثمان من الهجرة التي كان فيها ١٠
الفتح الحقيقي ، فتحقق عند قريش كافة ما أنزل فيه في هذه السورة ،
فاذا ضممت إليها الضمائر الثلاثة[6] المستترة وازت سنة إحدى عشرة على
أنك إذا بدأت بالضمائر المستترة حصلت المناسبة أيضا ، و ذلك أنها توازي
سنة تسع و هي سنة الوفود التي دخل [7]الناس فيها[7] في الدين أفواجا
و حج[8] فيها بالناس[9] أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أميرا ، و نودي ١٥

(١ - ١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) في م : حقق (٣) زيد من ظ و م.
(٤) تكرر في الأصل فقط (٥ - ٥) من ظ و م ، و في الأصل : الكلمات .
(٦) من م ، و في الأصل و ظ : الثلاث (٧-٧) من ظ و م ، و في الأصل : فيها الناس (٨) من ظ و م ، و في الأصل : وكان الحج (٩) زيد في الأصل و ظ : مع ، و لم تكن الزيادة في م فحذفناها .

فى الموسم ببراءة ، وأن لايحج بعد[1] العام مشرك ، [2]فتحققت خيبة[2] أبى لهب عند[3] كل من حضر الموسم لاسيما من كان يعلم دورانه وراء النبى صلى الله عليه و سلم و تكذيبه له من مسلم و غيره ، فاذا ضممنا إلى ذلك الضميرين البارزين وازت سنة إحدى عشرة أول سنى خلافة الصديق رضى الله عنه التى فتحت فيها [جميع -[4]] جزيرة العرب بعد أن لعب الشيطان بكثير من أهلها ، فرجعوا بعد أن قتل الله منهم من علم أنه مخلوق لجهنم ، و تحقق حينئذ ما لأبى لهب من التباب و النار ذات الالتهاب عند العرب كافة بايمانهم عامة فى السنة الحادية عشرة[5] من الهجرة بعد مضى ثلاث و عشرين سنة من النبوة ، و استقر الأمر حينئذ ، وعلم أن الدين قد رسخت أوتاده و ثبت[6] عماده ، و أن الذى كان يحميه فى حياة النبى صلى الله عليه و سلم قد حماه [7]بعده و هو سبحانه[7] حىّ لايموت و قادر لايعجزه شىء ، و عـــد دكلمات السورة ثلاث و عشرون و هى توازى سنة حجة الوداع سنة عشر ، فانها السنة الثالثة و العشرون من المبعث و فيها كمل الدين و نزلت آية المائدة ، و أخبر النبى صلى الله عليه و سلم أن الشيطان قد أيس أن يعبد بأرض العرب ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فى هذا (٢ - ٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لحقق خيبته (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : الحادية عشر (٦) من ظ و م، و فى الأصل : ثبتت. (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : سبحانه و هو .

/ فتحقق كل الناس لاسيما من حضر الموسم تباب أبي لهب الذى كان / ٨٩١
يدور فى تلك المشاهد وراء النبى صلى الله عليه و سلم يكذبه و يؤذيه
"إن فى ذلك لعبرة" .

و لما أخبر سبحانه و تعالى عنـــه بكمال التباب الذى هو نهاية
الخسار ، و كان أشق ما على الإنسان هتك ما يصونه من حريمه حتى ٥
أنه يبذل نفسه دون ذلك لاسيما العرب ، فانه لايدانيهم فى ذلك أحد ،
زاده تحقيرا بذكر من يصونها[1] معبرا عنها بما صدرها بأزرأ صورة
و أشنعها[2] ، فقال مشيرا إلى أن[3] خلطة الأشرار غاية الخسار ، فان الطبع
و إن كان جيدا يسرق من الردىء ، فكيف إذا كان رديئا و إن أرضى[4]
الناس بما يسخط الله أعظم الهلاك : ﴿ و امرأته[5] ﴾ أى أم جميل أخت ١٠
أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى مثل
زوجها فى التباب و الصلى من غير أن يغنى عنها شىء[6] من مال و لا حسب
و لا نسب ، و عدل عن ذكرها بكنيتها لأن صفتها القباحة و هى ضد كنيتها ،
و من هنا تؤخذ كراهة[7] التلقيب بناصر الدين و نحوها لمن ليس متصفا
بما دل عليه لقبه ، ثم وصفها بما أشار إليه ذنبها و أكمل قبيح صورتها ١٥
فقال : ﴿ حمالة الحطب ﴾ أى الحاملة أقصى ما[7] يمكن حمله من حطب

(١) من م ، و فى الاصل و ظ : يصونه (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : اشقها (٣) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) فى ظ : رضى (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : شيئا (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : كراهية (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : من .

جهنم بما كانت تمشى به و تبالغ فيه من حمل حطب البهت و النميمة الذى تحمل به على معاداة النبى صلى الله عليه و سلم و شدة أذاه و إيقاد نار الحرب و الخصومة عليه صلى الله عليه و سلم ، من قول الشاعر[1] :

من البيض لم تصطد على ظهر لامه[2] ولم تمش بين الحى بالحطب الرطب

٥ أراد النميمة، و عبر بالرطب للدلالة على زيادة الشر بما فيه من التدخين ، و شبهت النميمة بالحطب لأنها توقد الشر فتفرق بين الناس كما أن الحطب يكون وقودا للنار فتفرقه ، و كذا بما كانت تحمل من الشوك و تنثره ليلا فى طريق النبى صلى الله عليه و سلم لتؤذيه ، و كانت تفعله بنفسها من شدة عداوتها و تباشره ليلا لتستخفى به لأنها كانت شريفة ،

١٠ فلما نزلت السورة صوّرتها بأقبح صورة فكان [ذلك -[3]] أعظم فاضح[4] لها ، و قراءة عاصم بالنصب للقطع على الشتم تؤيد أن امرأتــه مبتدأ و أن الخبر ﴿فى جيدها﴾ أى عنقها و أجود ما فيها - هو حال على التقدير الأول ﴿حبل﴾ كالحطابين تخسيسا[5] لأمرها و تحقيرا لحالها ﴿من مسد ع﴾ أى ليف أو ليف المقل[6] او من شيء قد فتل و أحكم فتله ، من قولهم:

٨٩٢ / ١٥ رجل ممسود الخلق ، أى مجدوله - و قد رجع آخرها على أولها ، / فان من كانت امرأته مصورة بصورة حطابة على ظهرها حزمة حطب معلق

(١) زيد فى الأصل : حيث قال ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .
(٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لاته (٣) زيد من ظ و م (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : فاتح (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : تحسينها (٦) فى ظ : الفتل .

حبلها[1] فى جيدها فهو فى غاية الحقارة، و التباب و الخساسة و الخسارة، و حاصل هذه السورة أن أبا لهب قطع رحمه و جار[2] عن قصد السبيل و اجتهد بعد ضلاله فى إضلال غيره، و ظلم الناصح له الرؤف به[3] الذى لم يأل جهدا فى نصحه على ما تراه من أنه لم يأل [هو -[4]] جهدا فى أذاه و اعتمد على ماله و أكسابه فهلك و أهلك امرأته معه[5] و من ٥ تبعه من أولاده، و من[6] أعظم مقاصد "سورة النساء" المناظرة لها فى رد[8] المقطع على المطلع[9] التواصل و التقارب و الإحسان لاسيما لذوى الأرحام، و العدل فى جميع الأقوال و الأفعال، فكان شرح حال الناصح الذى لاينطق عن الهوى، [و حال الضال الذى إنما ينطق عن الهوى -[4]] قوله تعالى "يريد الله ليبين لكم و يهديكم سنن الذين من قبلكم" الآيات، ١٠ و ختمها إشارة إلى التحذير من مثل حاله، فكأنه قيل: يبين الله لكم أن تضلوا فتكونوا كأبى لهب فى البوار، و صلى النار - كما تبين لكم، فكونوا[10] على حذر من كل ما يشابه حاله و إن ظهر لكم خلاف ذلك، فأنا أعلم منكم - و الله بكل شىء عليم "و الحمد لله رب العالمين"[11].

(١) من م، و فى الأصل و ظ: حبل (٢) فى ظ: جاء (٣) من ظ و م، و فى الأصل: له (٤) زيد من م (٥) زيد فى الأصل: خزاهم الله جميعا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) سقط من ظ و م (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: هذه السورة النساء (٨) من ظ و م، و فى الأصل: رده (٩) من ظ و م، و فى الأصل: المطبع (١٠) من م، و فى الأصل و ظ: تكونوا. (١١-١١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.

سورة[1] الإخلاص[2] و تسمى الأساس[3] و المقشقشة و قل هو الله أحد

مقصودها بيان حقيقة الذات[4] الأقدس ببيان اختصاصه بالاتصاف بأقصى الكمال للدلالة على صحيح الاعتقاد للاخلاص فى التوحيد باثبات الكمال، ونفى شوائب النقص و الاختلال، المثمر لحسن الأقوال و الأفعال، و ثبات اللجاء و الاعتماد فى جميع الأحوال، و على ذلك دل اسمها الإخلاص الموجب للخلاص، و كذا الأساس و المقشقشة، قال فى القاموس: المقشقشتان[5] الكافرون و الإخلاص أى المبرئتان من النفاق و الشرك كما يقشقش الهناء الجرب، الهناء: القطران، و قال الإمام عبد الحق فى كتابه الواعى: كما يبرئ المريض من علته إذا برئ منها - انتهى. و هو مأخوذ من القش بمعنى الجمع، فسميتا بذلك لأنهما تتبعتا النفاق بجميع أنواعه، و كذا الشرك و الكفر، فجمعتاه ونفتاه عن قارئهما حق القراءة، و قد تقدم الكلام على هذا الاسم مبسوطا فى براءة، و كذا اسمها[6] "قل هو الله أحد" دال على مقصودها / بتأمل جميع السورة و ما دعت إليه من /٨٩٣

(١) الثانية عشرة و المائة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آياتها .
(٢) العبارة من هنا إلى «المقشقشة و» ساقطة من ظ (٣) من م، و فى الأصل : الأس (٤) من ظ و م، و فى الأصل : ذات (٥) من م، و فى الأصل و ظ : المقشقشان (٦) من م، و فى الأصل و ظ : فسمها .

معانى التبرئة اليسيرة الكثيرة، و هذه السورة اعظم مفيد للتوحيد فى القرآن، قال الرازى: و التوحيد مقام يضيق عنه نطاق[1] النطق لأنك إذا أخبرت عن الحق فهناك مخبر عنه و مخبر[2] به و مجموعهما، و ذلك ثلاثة، فالعقل يعرفه و لكن النطق لا يصل إليه، سئل الجنيد عن التوحيد فقال: معنى تضمحل [فيه -[3]] الرسوم، و تتشوش فيه العلوم، و يكون الله كما لم يزل. ٥

و قال الجنيد أيضا: أشرف كلمة[4] فى التوحيد ما قاله الصديق رضى الله عنه: سبحان من لم يجعل لخلقه سبيلا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته.

﴿ بسم الله ﴾ الذى له جميع الكمال بالجلال و الجمال ﴿ الرحمن ﴾ الذى أفاض من طوله على جميع الموجودات عموم الأفضال ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى خص أهل وداده من نور الإنعام [5]بالإتمام و الإكمال[5]. ١٠

لما كانت الكوثر علة للنهى عما تضمنه[6] التكذيب من مساوىء الأفعال، و علم بها أنه صلى الله عليه و سلم مختص بالخير المستلزم لأن شانئه هو الأبتر، فكان موضع السؤال عما يفعل مع الشانئين من معاركة أو متاركة، جاءت الكافرون للتاركة لقلة أهل الدين إذذاك، [إشارة -[7]] إلى أن هذه الدار مبنية على الأسباب، فعلم بالكافرون ١٥ أن الشانئ [مما -[3]] لا يعبأ به، فتحركت النفس إلى سؤال عن وقت الصلاحية

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مقام (٢) من ظ و م، و فى الأصل: تخبر.
(٣) زيد من م (٤) من م، و فى الأصل و ظ: كلمته (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الاصل: بالتمام والكمال (٦) فى م: تضمنته (٧) زيد من ظ و م.

للمعاركة بعد هذه المتاركة ، و ما يترتب[1] على المعاركة من قهر الشانئ بالفعل ، فجاءت سورة النصر لذلك مع الإشارة إلى أنه [بما - [2]] لا يسأل عنه بمتى ، لتغيير ذلك فى وجه الإحسان فى التسليم ، و إنما يسأل عما يفعل عند وقوعه من الإحسان فى التعبد ، معبرا بأداة التحقق[3] إعلاما بأنه آت[4] لا محالة ، فالسؤال عن وقته ليس من دأب السائرين . و لما ظهرت ذخائر هذه الكنوز بدقائق تلك الرموز ، و ما انضم إليها من القرائن الظاهرة ، استحضرت حال أبى لهب لما كان فيه مع قرابته القريبة من شدة العناد ، و الاجتهاد العظيم فى كل ما يضاد أشرف العباد . [و اشتد -[2]] التشوف إلى انقلاب حاله إذذاك هل يكون بما ختمت به النصر من التوبة أو بخذلانه و انقلابه بأعظم الخيبة و الحوبة ؟ فجاءت سورته لذلك بيانا لأنه غلب عليه الشقاء فنزل به فى دركاته مانعا من معالى درج الارتقاء[6] ، فلما بين سبحانه بذلك إهلاكه[7] عدوه صلى الله عليه و سلم ، و ختم بأعدى أعدائه فحكم بهلاكه و هلاك زوجه هلاكا لا جبر له على وجه مبين أنه فى أدنى دركات الحقارة ، و أعظم أنواع الخسارة ، فرقص الفكر[8] طربا من هذه الأمور ، و سكر اللب من عجائب المقدور ، و اهتز

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : يتركب (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : التحقيق (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الى (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الالتقاء (٧) من م ، و فى الأصل و ظ : اهلاك (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : العقل .

السامع / غاية الاهتزاز إلى وصف الفاعل الذلك لذى هو خارج عن / ٨٩٤
طوق البشر ، و خارق للعوائد ، و هو إظهار شخص واحد على الناس كافة
مع شدة عداوتهم له ، جاءت الإخلاص كاشفة لما ثبت من العظمة لولى
النبي صلى الله عليه و سلم سبحانه و تعالى الذى أمره بهذا الدين و فعل
له هذه [الأمور -[1]] العظيمة الموجبة لمن له قلب[2] أو ألقى السمع و هو ٥
شهيد ، لئلا يستبعد عليه سبحانه و تعالى شيئا من ذلك و لا غيره ، و إن
تمثيل جميع ما يأمر[3] به كائنا ما كان و كائنا فيه ما كان على أىّ وجه
كان موافقة لأمره و طاعة له و منبئة للاعتقاد الحق الذى اوجب هذه
النصرة ، [4]و رادة[4] على جميع فرق الضلال ، هذا - فى انعطاف الآخر على
الأول بالنسبة إلى السور - من أعظم المناسبات فى ذلك بالنظر إلى ١٠
الآيات أنه سبحانه شرح بالفيل و ما بعدها[5] من السور آيات[6] الفاتحة
كلها [ثم -[1]] من أول البقرة إلى آية التوحيد ، فأشار بالفيل إلى استجماعه
لصفات الكمال بأن له الحمد بما حرس به بيته من الملوك و حماه من كيد
الجبابرة و أحسن التربية لقريش الذين هم أشرف العالمين و بصلاحهم
صلاح بلدتهم أم القرى ، و بصلاحها[7] صلاحها ، فدل ذلك على أنه يدين ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ ، و فى الأصل و م : لب (٣) من م ، و فى الأصل : يمر ، و فى ظ : يومر (٤-٤) من م ، و فى الأصل و ظ : واردة .
(٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بعد (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بان.
(٧) من م ، و فى الأصل : بصلاحهم ، والعبارة فى ظ ساقطة من « صلاح » إلى « صلاحها » .

العباد يوم التناد ، و لذلك أعطى رأس الهداة الدين الذى أفرده بالعبادة و الاستعانة بالكوثر، و هداه إلى الصراط المستقيم ، و أعاذه من[1] طريق الكافرين المعاندين و الضالين ، و أشار أول البقرة إلى دخول المتقين - الذين الكتاب هدى لهم - فى الدين أفواجا و إن أغنى أهل الكفر[2]
٥ و أعتاهم سواء عليهم الإنذار و عدمه فى أنه لايؤمن و هو أبو لهب و من سار بسيره من مجاهر و مساتر و يعمهم الخسار ، و يشملهم الهلاك و التبار ، بحكم الواحد القهار ، المأمور بعبادته و توحيده فى الآية الجامعة لدعوات التوحيد " يا ايها الناس اعبدوا ربكم " المتصف بما فى سورة الصمد التى لم ينزل[3] فى و صفه مثلها ، فتم الدين عند ذلك [بما له -[4]]
١٠ سبحانه من كمال الأوصاف ، و جلال النعوت[5] بالجبروت و الألطاف ، فلم يبق إلا تعويذ أهل الدين من أن يدخل عليهم خلل ، أو يلحقهم نزغ أو زلل ، فختم بالمعوذتين لذلك ، و الله المسؤل فى الإنعام بعائد السؤل لكل سالك .

و لما كان المقصود من القرآن دعوة العباد إلى المعبود ، و كان
١٥ المدعو إلى شيء أحوج ما يكون إلى معرفته ، و كان التعريف تارة للذات و تارة للصفات و تارة للأفعال ، و كانت هذه [الأمة -[4]]

---

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عن (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : الكفرة.
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : لم نزل - كذا (٤) زيد من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : النعوات

أشرف الأمم لأن نبيها أعلى الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، و[1]كان هي[1] الختام، أشبع الكلام فى تعريفه سبحانه فى القرآن، و أنهى[1] البيان فى ذلك إلى حد لا مزيد عليه و لم يقاربه فى ذلك كتابا من الكتب / السالفة، و لكنه لما كان الكبير إذا تناهى كبره عزت معرفة ذاته، و كان الله تعالى هو الأكبر مطلقا، و كانت معرفة ذاته - كما أشار إليه الغزالى فى الجواهر، و الفخر الرازى فى كتبه - أضيق ما يكون مجالا و أعسره[2] مقالا، و أعصاه على الفكر[3] منالا، و أبعده عن قبول الذكر استرسالا، لأن[4] القرآن لا يشتمل من ذلك إلا على تلويحات و إشارات[5] أكثرها يرجع إلى ذكر التقديس المطلق كقوله تعالى "ليس كمثله شيء و هو السميع البصير" و إلى التعظيم المطلق كقوله "سبحانه و تعالى عما يصفون" فكان القياس أن يقتصر على ذلك مع التعريف بالصفات و الأفعال، لكن لما كانت هذه الأمة فى الذروة من[6] حسن الأفهام مع ما نالته من الشرف، حباها سبحانه و تعالى بسورة الإخلاص كاملة ببيان لا يمكن أن تحتمل عقول البشر زيادة عليه، و ذلك ببيان أنه ثابت ثباتا لا يشبهه ثبات على وجه لا يكون لغيره أصلا، و أنه سبحانه و تعالى منزه عن الشبيه و النظير و المكافىء[7] و المثيل، فلا زوجة له و لا ولد، و لا حاجة بوجه

/ ٨٩٥

(١ - ١) من ظ و م، و فى الأصل: لما كان هو (٢) من ظ و م، و فى الأصل: اعنده (٣) من ظ و م، و فى الأصل: الكفر (٤) سقط من م. (٥) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: «و» (٧) من ظ و م، و فى الأصل: المكان.

إلى أحد، بل له الخلق و الأمر، فهو يهلك من اراد و يسعد من شاء[1]، فقال آمرا لنبيه صلى الله عليه و سلم ليكون أول كلمة فيها دالة على رسالته ردا على من كذبه فى خاصة نفسه و على البراهمة القائلين: إن فى العقل غنى عن الرسل. و يكون البيان جاريا على لسانه صلى الله عليه

٥ و سلم ليكون إلى فهم الخلق عنه لتلك الصفات العلى أقرب لما لهم به من المجانسة: ﴿قل﴾ أى يا أكرم الخلائق و من لا يفهم عن مرسله حق الفهم سواه، و إطلاق الأمر بعدم التقييد [2]بمقول له[2] يفهم عموم الرسالة، و أن[3] المراد كل من يمكن القول له سواء كان [4]سائلا عن ذلك[4] بالفعل أو بالقوة حثا على [استحضار-[5]] ما لرب هذا[6] الذين- الذى حاطه

١٠ هذه الحياطة و رباه هذه التربية- من العظمة و الجلال، و الكبرياء و الكمال، فنى الإطلاق المشير إلى[7] التعميم رد[8] على من أقر بارساله صلى الله عليه و سلم إلى العرب خاصة، و يدل على أن مقول القول لا ضرر فيه على أحد فان ظواهره مفهومة لكل أحد لا فتنة فيها[9] بوجه، و إنما تأتى الفتنة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يشاء (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: بقوله (٣) زيد فى الأصل: كان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.
(٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: عن ذلك سائلا (٥) زيد من ظ و م.
(٦) من ظ و م، و فى الأصل: على (٧) زيد فى الأصل: هذه الصفات، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: ردا.
(٩) من ظ و م، و فى الأصل: فيه.

عند تعمق الضال إلى ما [لا -[1]] يحتمله عقله .

و لما كان أهم المقاصد الرد على المعطلة الذين هم ضرب ممن يقول " نموت و نحيا و ما يهلكنا الا الدهر " أثبت وجوده سبحانه على أتم الوجوه و أعلاها و أوفاها و أجلاها بما معناه أن حقيقته ثابتة ثباتا لا يتوجه نحوه شك بوجه [2]من الوجوه[2]، فقال مكاشفا للأسرار - فانه لا يمكن غيبته [عنها -[3]] أصلا - / [و -[3]] للوالهين[4]: ﴿هو﴾ فابتدأ بهذا الاسم الشريف الذى هو أبطن الأسماء إشارة إلى أنه غيب الغيب بالنظر إلى ذاته [كالألف ، و إلى أنه واجب الوجود لذاته - [1]] ، و أن هويته ليست مستفادة من شيء سواها و لا موقوفة على شيء سواها ، فان كل ما[5] كانت هويته مستفادة من غيره أو [6]موقوفة عليه[6] فتى لم يعتبر غيره فلم يكن هو هو ، و ما[5] كانت هويته لذاته فهو هو سواء اعتبر[7] غيره أو لم يعتبر ، فاذاً لا يستحق هذا الاسم غيره أصلا على أن الهاء بمفردها مشيرة - بكونها من أبطن - الحلق إلى أنه هو الأول و الباطن المبدع[8] لما سواه ، و الواو - بكونها من [أظهر -[1]] حروف الشفة - إلى أنه الآخر و الظاهر ، و أن إليه المنتهى ، و ليس وراءه مرمى ، و أنه المبدئ المعيد - كما يشير إلى ذلك تكرير الواو فى اسمها ، و إلى أنه محيط بكل شيء لما

/ ٨٩٦

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) زيد من م .
(٤) سقط من ظ (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٦-٦) من ظ و م ، و فى الأصل : هو موقوف (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اعتبره (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : المبتدع .

فيها من الإحاطة .

ولما كان وجوده سبحانه لذاته، ولم يكن مستفادا من غيره، فان ما استفيد وجوده من غيره كان ممكنا، [كان -[1]] لا يمكن شرح اسمه الذى هو هو، لا اسم لحقيقة غيره يقوم من جنس ولا نوع ولا فصل لأنه لاجنس له ولا نوع [له -[2]] ولا سبب يعرف به، والذى لا سبب له لا يمكن معرفته إلا بلوازمه، واللوازم منها سلبية ومنها إضافية، ومنها قريبة ومنها بعيدة[3]، [والتعريف بالإضافية وبالقريبة أتم من التعريف بالسلبية وبالبعيدة -[2]]، لأن البعيد كالضاحك الذى هو بعد المتعجب بالنسبة إلى الإنسان لايكون معلولا[4] لشىء [بل -[2]] معلولا لمعلوله، وبالجمع بين السلبية والإضافية أتم من الاقتصار على أحدهما، فلذلك اختير اسم جامع[5] للنوعين ليكون التعريف[6] أتم، وذلك[7] هو كون تلك الهوية إلها، فاختير لذلك اسم دال عليها وهو مختص غير مشترك، وهو أول مظاهر الضمير كما أن الهمزة أول مظاهر الألف، ولهذا قال بعضهم: الاسم الأعظم آخر الظواهر من الأسماء، ولهذا كانت كلها صفات له وهو أول البواطن، [8]فقال مكاشفا للأرواح[8]

(١) زيد من م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : بعيد.
(٤) من ظ و م ، و فى الأصل : معلوما (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الجامع.
(٦) زيد فى الأصل : بذلك ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، وفى الأصل : لذلك (٨-٨) فى الأصول : فقيل مكاشفة الأرواح - كذا.

وللموحدين: ﴿ الله ﴾ أى الموجود الذى لا موجود فى الحقيقة سواه! هو المسمى بهذا الاسم، واختير هذا الاسم للاخبار عنه لدلالته على جميع صفات الكمال: [1]الجلال والجمال[2] ولأنه اسم جامع لجميع [معانى-3] الأسماء الحسنى، وهو أقرب اللوازم الهوية لأنه [لا-3] لازم لها أقرب من وجوب الوجود الذى هو مقتضى الذات على ما هى عليه من الصفات، لا بواسطة شىء آخر، وبواسطة وجوب وجوده كان مفيضا باختياره الإيجاد [على كل شىء أراده، وبمجموع الوجوب الذى هو سلب وحده والإيجاد -3] الذى هو اختيار للجود[4] [باضافة الوجود-3] وإضافة للالهية[5] التى جمعتها الجلالة، وهى أقرب اللوازم إلى الذات[6] الأقدس، ودل التعبير به على أنه [لا-3] مقوم للهوية من جنس ولا غيره ولا سبب[7]، وإلا لكان العدول عنه إلى التعريف[8] باللازم قاصرا، وعلى أن إلهيتــه [9]على الإطلاق[9] / لجميع الموجودات، فكان شرح تلك الهوية باللازم أبلغ البلاغة وأحكم الحكمة، لأنه - مع كونه هو الحق - مشير[10] إلى ما ذكر من الدقائق. / ٨٩٧

ولما ذكر الذات [التى -3] لاسبب لها ولا مقوم من جنس

(١) زيدت الواو فى الأصل ولم تكن فى ظ و م فحذفناها (٢ - ٢) سقط ما بين الرقمين من ظ (٣) زيد من ظ و م (٤) فى ظ: الوجود (٥) زيد فى ظ: هو الالهية (٦) من ظ و م، وفى الأصل: ذات (٧) من ظ و م، وفى الأصل: بسبب (٨) فى ظ: التعبير (٩ - ٩) من ظ و م، وفى الأصل: للاطلاق (١٠) من ظ و م، وفى الأصل: مشيرا.

ونوع وغيره أصلاً بل هي مجرد وحده وتنزه عن تركب لا كثرة لها ولا اثنيلية بوجه، وعرفها باسم جامع [١]لأنواع السلوب[١] والإضافات اللازمة لها هو أقرب اللوازم إليها، فانشرح وجودها المخصوص على ما هو عليه، فكان [ذلك -[٢]] تعريفا كاملا لأن تعريف ما لا تركب فيه باللوازم[٣] القريبة في الكمال كتعريف المركبات بمقوماتها، فان التعريف البالغ هو أن يحصل في النفس صورة مطابقة للمعقول، وكانت الزيادة في الشرح مطلوبة لأنها أكمل لاسيما في الأمور الباطنة الخفية، أتبع ذلك باسم سلبي إشارة إلى [أن -[٢]] النظر في هذه الدار إلى جانب الجلال ينبغي كونه أعظم، وذلك الاسم قربه من الجلالة كقربتها من الهوية، فانه دال على الوحدة الكاملة المجردة وهو متنزل[٤] الجلالة كما أنها متنزل الهوية، وهو كما أن الجلالة لم يقع فيها شركة[٥] أصلا قد ضاهاها في أنه لاشركة لغيره تعالى فيه عند استعماله مفردا بمعناه الحقيق إلا [أن -[٢]] في النفي إشارة إلى أن كل ما عداه سبحانه عدم، فقال مكاشفا للقلوب وللعارفين مكذبا[٦] للنصارى القائلين بالأب والابن وروح القدس، وللیهود القائلين بأنه جسم، وللمجوس الذين يقولون

(١ - ١) من ظ، وفي الأصل: نوع الاسلوب، وفي م: لنوع السلوب.
(٢) زيد من ظ وم (٣) من ظ وم، وفي الأصل: باللازم (٤) من ظ وم، وفي الأصل: تنزل - كذا (٥) من ظ وم، وفي الأصل: من شرك.
(٦) من ظ وم، وفي الأصل: تكذيبا.

بأنه

بأنه اثنان: نور يخلق الخير، و ظلام يخلق الشر، و للصابئة الذين يعبدون النجوم، و للمشركين القائلين بالهية الأصنام، مخبرا [1]خبرا آخر[1]، أو مبدلا من الجلالة، أو مخبرا عن مبتدأ محذوف: ﴿احد[ع]﴾ وهو لأجل كونه خاصة[2] فى الإثبات حال الانفراد به تعالى معرفة غنى عن [«أل»-[3]] المعرفة، و هو أعرق فى الدلالة على صفات [الجلال كما أن الجلالة أعرق فى الدلالة على صفات-[3]] الكمال لأن الواحد الحقيق ما يكون منزه [4]الذات عن أنحاء[4] التركيب و التعدد [و-[5]] ما يستلزم أحدهما كالجسمية و التحيز و المشاركة فى الحقيقة و خواصها كوجوب الوجود والقدرة الكاملة و الحكمة التامة المقتضية للالوهية من غير لزوم دور و [لا-[5]] تسلسل من جهة تركب أو غيره، و قرئ باسقاط «قل» هنا و فى المعوذتين مع الاتفاق [6]على إثباتها[6] فى الكافرون و نفيها فى تبت، و لعل الحكمة أن الكافرون مخاطبة للكفار بما بين مشاققة و متاركة[7]، فناسب الحال أن يكون [ذلك-[5]] منه صلى الله عليه و سلم، [8]و تبت معاتبة عم رسول الله صلى الله عليه و سلم و توبيخه فلا يناسب أن يكون ذلك من النبى صلى الله عليه و سلم[8]، و الباقيات ما بين [9]توحيد و[9] تعوذ،

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: اخرا (٢) فى ظ: خاصا (٣) زيد من م.
(٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: بالذات عن ايجاد (٥) زيد من ظ و م.
(٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: فى اتيانها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: تاركه (٨-٨) سقط ما بين الرقمين من ظ (٩-٩) من ظ و م، و فى الأصل: توحيده.

فناسب أن يؤمر بتبليغه و أن يدعو به، و رتب الأحدية على الإلهية دون العكس، لأن الإلهية عبارة عن استغنائه عن الكل، و احتياج الكل إليه، و كل ما كان كذلك كان واحدا مطلقا، و إلا لكان محتاجا إلى أجزائه، [(١)فالإلهية من حيث هي تقتضي الوحدة، و الوحدة لا تقتضي الإلهية، و عبر به دون «واحد» لأن المراد الإبلاغ في الوصف بالوحدة إلى حد لا يكون شيء أشد منه، و الواحد - قال ابن سينا - مقول على ما تحته بالتشكيك، و الذي لا ينقسم بوجه أصلا أولى بالواحدية مما ينقسم من بعض الوجوه، و الذي ينقسم انقساما عقليا أولى مما ينقسم بالحس، و الذي ينقسم بالحس و هو بالقوة أولى من المنقسم بالحس بالفعل، و إذا ثبت أن الوحدة قابلة للاشد و الأضعف، و أن الواحد مقول على ما تحته بالتشكيك كان الأكمل في الوحدة الذي لا يمكن أن يكون شيء آخر أقوى منه فيها، و إلا لم يكن بالغا أقصى المرام، و الأحد جامع لذلك دال على الواحدية من جميع الوجوه، و أنه لا كثرة هناك أصلا، لا معنوية من المقومات من الأجناس و الفصول و لا بالأجزاء العقلية(٢) كالمادة و الصورة، و لا حسية بقوة و لا فعل كما في الأجسام، و ذلك لكونه سبحانه منزها(٣) عن الجنس و الفصل و المادة و الصورة و الأعراض و الأبعاض و الأعضاء و الأشكال و الألوان و سائر وجوه التثنية(٤) التي تثلم الوحدة الكاملة الحقة

(١) العبارة من هنا إلى ما سنبه عليه زيدت من ظ و م (٢) في ظ : الفعلية .
(٣) من ظ، و في م : منزه (٤) في ظ : التشبيه .

اللائقة بكرم وجهه وعز جلاله أن يشبهه شيء أو يساويه لأن كل ما كانت هويته إنما تحصل من اجتماع أجزاء كانت هويته موقوفة على حصول تلك الأجزاء، فلا يكون هو هو لذاته بل لغيره، فلذا كان منزها عن الكثرة بكل اعتبار، ومتصفا بالوحدة من كل الوجوه، فقد بلغ هذا النظم من البيان أعظم شأن، فسبحان من أنزل هذا الكلام ما أعظم شأنه وأقهر سلطانه، فهو منتهى الحاجات، ومن عنده نيل الطلبات، ولا يبلغ أدنى ما استأثره من الجلال و[1]العظم والبهج[1] أقصى نعوت الناعتين وأعظم وصف الواصفين، بل القدر الممكن منه الممتنع أزيد منه هو الذى ذكره فى كتابه العزيز، وأودعه وحيه المقدس الحكيم، وبالكلام على معناه ومعنى الواحد تحقق ما تقدم، قال الإمام أبو العباس الاقليشى[2] فى[3] شرح الأسماء: فمن أهل اللسان من ساوى بينهما جعلهما مترادفين، فمنهم من قال: أصل أحد[4] واحد سقطت منه الألف ثم أبدلت الهمزة من الواو المفتوحة، [ومنهم من قال: ليس أصله واحد وإن كانا بمعنى واحد، بل أصله وحد - من الوحدة - يحد فهو وحد -[5]] مثل حسن يحسن فهو حسن[4] - من الحسن، أبدلت الواو همزة، وأما من فرق بينهما فمنهم من قال: أحد اسم على حياله لا إبدال فيه ولا تغيير، ومنهم من قال: أصله وحد، أبدلت الواو همزة - انتهى، وقد استخلصت

(١-١) فى ظ: العظمة والبهجة (٢) راجع معجم المؤلفين ٢ / ١٨١ (٣) فى ظ: من (٤) سقط من ظ (٥) زيد من ظ.

الكلام على الاسمين الشريفين من عدة شروح للأسماء [١]الحسنى و غيرها منها شرح الفخر الرازى و الفخر الحرالى و غيرهما، قالوا: الواحد الذى لا كثرة فيه بوجه لا بقسمة و لا بغيرها مع اتصافه بالعظمة ليخرج الجوهر الفرد و هو [أيضا -[٢]] الذى لا يتثنى، أى لا ضد له و لا شبيه، فهو سبحانه واحد بالمعنيين على الإطلاق لا بالنظر إلى حال و لا شىء، قال الإمام أبو العباس الاقليشى فى شرح الأسماء: هذه حقيقة الوحدة عند المحققين، فلا يصح أن يوصف شىء مركب بها إلا مجازا، كما تقول: رجل واحد، و درهم واحد، و إنما يوصف بها حقيقة ما لا جزء له كالجوهر الفرد عند الأشعرية غير أنك إذا نظرت فوجدت وجوده من غيره علمت أن استحقاقه لهذا الوصف ليس كاستحقاق موجده له، و هو أيضا إنما يوصف به لحقارته، و موجده سبحانه موصوف به مع الاتصاف بالعظمة، فاتصافه بالوحدة على الإطلاق، و اتصاف الجوهر بالنظر إلى عدم التركب من الجسم مع أن صحة اتصافه بأنه جزء يزيل عنه حقيقة ذلك، و الوحدة أيضا بالنظر إلى المعنى الثانى و هو ما لا نظير له لا تصح بالحقيقة إلا له سبحانه، و كل ما نوعيته فى شخصيته كالعرش و الكرسى و الشمس و القمر يصح أن يقدر لها نظائر، و له معنى ثالث و هو التوحد بالفعل و الإيجاد، فيفعل كل ما يريد من غير توقف على شىء، و الفرق بين هذا الوجه و الذى قبله أن الأول ناظر إلى نفى إله ثان، و هذا ناف لمعين و وزير، و كلاهما وصف ذاتى سلبى، و الحاصل أن

(١-١) فى ظ: الأسماء (٢) زيد من ظ.

النظر الصحيح دل على [1]أن لنا[1] موجدا واحدا بمعنى أنه لا يصح أن يلحقه نقص القسمة بوجه من الوجوه و بمعنى أنه معدوم النظير بكل اعتبار، و بمعنى أنه مستبد بالفعل مستقل بالإيجاد و متوحد[2] بالصنع متفرد بالتدبير، قضى بهذا شاهد العقل المعصوم من ظلمة الهوى و كثافة الطبع، و ورد به قواطع النقل و نواطق السمع، و لهذا كان من أعظم الحق ٥ دعاؤه سبحانه لجميع الخلق، و كانت دعوة رسوله الخاتم صلى الله عليه و سلم للخلق كافة، و قال الإمام - [3] حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فى آخر شرحه للأسماء فى بيان رد الأسماء الكثيرة إلى ذات واحدة و سبع صفات: الأحد المسلوب عنه النظير، و قال فى الشرح المذكور: الواحد هو الذى لايتجزى [1]و لايثنى، أما الذى لايتجزى[1] فكالجوهر ١٠ الواحد الذى لاينقسم فيقال: إنه واحد - بمعنى أنه لاجزء له، و لذلك النقطة لاجزء لها، و الله تعالى واحد - بمعنى أنه يستحيل تقدير لانقسام فى ذاته، و أما الذى لايثنى فهو الذى لا نظير له كالشمس مثلا فانها و إن كانت قابلة للانقسام بالوهم متحيزة فى ذاتها لأنها من قبيل الأجسام فهى لا نظير لها إلا أنه يمكن أن يكون لها نظير، و ليس فى الوجود موجود يتفرد ١٥ بخصوص وجوده تفردا لايتصور أن يشاركه فيه غيره أصلا إلا الواحد المطلق أزلا و أبدا، و العبد إنما يكون واحدا إذا لم يكن له فى أبناء جنسه نظير فى خصلة من خصال الخير، و ذلك بالإضافة إلى أبناء جنسه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ (٢) فى ظ: موجد (٣) زيد من ظ.

و بالإضافة إلى الوقت إذ يمكن أن يكون فى وقت آخر[1] مثله، و بالإضافة إلى بعض الخصال دون الجميع، فلا وحدة على الإطلاق إلا لله تعالى، و قال الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستانى فى مقدمة كتابه الملل و النحل: و اختلفوا فى الواحد أ هو من العدد أم هو مبدأ العدد و ليس داخلا فى العدد، و هذا الاختلاف إنما ينشأ من اشتراك[2] لفظ الواحد، فالواحد يطلق و يراد به ما يتركب منه العدد، فان الاثنين لامعنى له إلا واحد، تكرر أول تكرير، و كذا الثلاثة و الأربعة، و يطلق و يراد به ما يحصل منه العدد، أى هو علته[3] و لايدخل فى العد[4] أى لايتركب منه منه العدد، و قد تلازم الواحدية جميع الأعداد لا على أن العدد تركب منها بل و كل موجود فهو جنسه أو نوعه أو شخصه واحد يقال: إنسان واحد، و شخص واحد، و فى العدد -[5]] / كذلك فان الثلاثة فى أنها ثلاثة واحدة، فالواحدة بالمعنى الأول داخلة فى العدد، و بالمعنى الثانى علة العدد[6]، و بالمعنى الثالث ملازمة للعدد، و ليس من الأقسام الثلاثة قسم يطلق على البارئ تعالى معناه: فهو واحد لا كالآحاد أى هذه الوحدات و الكثرة منه وجدت و يستحيل عليه الانقسام بوجه من وجوه[7] القسمة - انتهى، و هو واحد[8] أيضا بنفسه لا بالنسبة إلى ثان بوجه

/ ٨٩٨

(١ - ١) من ظ، و فى م: آخرا (٢) من ظ، و فى م: اشتراط.
(٣) من ظ، و فى م: علة (٤) من ظ، و فى م: العدد (٥) و إلى هنا انتهت الزيادة من ظ و م واستأنف الأصل (٦) من ظ و م، و فى الأصل: للتعدد.
(٧) من ظ و م، و فى الأصل: الوجوه (٨) من ظ و م، و فى الأصل: احد.

من الوجوه، و قال بعضهم: الواحد يدل على الأزلية و الأولية، لأن الواحد فى الأعداد ركنها و إظهار مبدئها، و الأحد يدل على بينونته من خلقه فى جميع صفاته و نفى أبواب الشرك عنه، فالأحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد، و الواحد اسم لمفتتح العدد[1]، و قال الإمام أبو حاتم محمد[2] [بن مهران -[3]] الرازى فى كتابه الزينة، قال بعض الحكماء[4]: إنما ٥ قيل له سبحانه «واحد» لأنه عز و جل لم يزل قبل الخلائق متوحدا بالأزل لاثانى معه و لاخلق، ثم أبدع الخلق، فكان الخلق كله مع احتياجه إليه سبحانه[5] محتاجا بعضه إلى بعض ممسكا بعضه بعضا متعاديا و متضادا و متشاكلا و مزدوجا و متصلا و منفصلا، و استغنى عز و جل عن الخلائق فلم يحتج إلى شىء فيكون ذلك الشىء مقرونا به لحاجته إليه و لاناواه ١٠ شىء فيكون ذلك الشىء [6]ضدا له نصرا[6] به، فيكون ذلك الضد و القرين له ثانيا، بل توحد بالغنا عن جميع خلقه لأنه كان قبل كل شىء، و الأولية دلت على الوحدانية، فالواحد[7] اسم يدل على نظام واحد يعلم باسمه أنه واحد ليس قبله شىء:

و فى كل شىء له آية تدل على أنه واحد[8] ١٥

---

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الله (٢) من معجم المؤلفين ٩/٣٥، و فى الأصول: أحمد (٣) زيد من ظ و م إلا أن فيهما «حمدان» و التصحيح من معجم المؤلفين.
(٤) من ظ و م، و فى الأصل: الحكمة (٥) زيد فى الأصل: و كذا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: ضلاله مقربا.
(٧) فى ظ: فالوحدانية (٨) سقط البيت من ظ و م.

و الواحد من العدد فى الحساب ليس قبله شيء، بل هو قبل كل عدد و هو خارج عن العدد، و الواحد كيفما أدرته لم يزد فيه شيء و لم ينقص منه شيء، تقول: واحد فى واحد بواحد[1]- فلم يزد على الواحد شيء، فدل على أنه لاشيء قبله، و إذا دل على أنه لاشيء قبله دل على أنه محدث الشيء، [2]فاذا دل على أنه محدث الشيء[2] دل على أنه مغنى الشيء، و إذا كان مغنى الشيء دل على أنه لاشيء بعده، فاذا لم يكن قبله شيء و لابعده شيء فهو المتوحد بالأزل، يعنى فهو الواحد الذى لانظير له فهو الأحد، قال: فلذلك قيل: هو واحد و[3] أحد، / و قلنا: إن الأحد هو[4] اسم أكمل - أى أعم - من الواحد، ألا ترى أنك إذا قلت: فلان لايقوم له واحد، جاز فى المعنى أن يقوم له اثنان أو ثلاثة فما فوقها، و إذا قلت: فلان لايقوم له أحد، فقد جزمت بأنه[5] لايقوم له واحد و لا اثنان و لا ما فوقهما، فصار الأحد أكمل من الواحد، و فى الأحد خصوصية ليست فى الواحد، تقول: ليس فى الدار واحد، يجوز أن يكون واحدا[6] من الدواب أو الطير أو[6] الوحش أو الإنس، فكان الواحد يعم الناس و غير الناس، و إذا قلت: ليس فى الدار أحد، فهو مخصوص للآدميين دون سائرهم، و الأحد ممتنع من الدخول فى الضرب و فى العدد و فى القسمة

/ ٨٩٩

(١) سقط من ظ (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى ظ (٣) من ظ و م، و فى الأصل: نهو (٤) من ظ و م، و فى الأصل: هم (٥) فى ظ و م: أنه (٦) من ظ و م، و فى الأصل: واحد (٦) من ظ و م، و فى الأصل «و».

و فى

و فى شىء من الحساب ، و هو منفرد بالأحدية ، و الواحد منقاد[1] للعدد و القسمة و غيرها داخل فى الحساب ، تقول : واحد و اثنان و ثلاثة ، فهذا و إن لم يكن من العدد فهو علة العدد ، و داخل فى العدد ، لأنك إذا ضربت واحدا[2] فى واحد لم يزد ، و اثنان هو جذر الحساب ، و تقول : واحد فى اثنين أو فى ثلاثة فما فوقها فهـذا هو الضرب ، و تقول فى ٥ القسمة : واحد بين اثنين أو ثلاثة ، لكل واحد من الاثنين نصف ، ومن الثلاثة ثلث ، فهذه القسمة ، و الأحـد ممتنع من هذا ، لا يقال : أحد و اثنان و لا أحد فى أحد و لا أحد فى واحد و لا فى اثنين أو ثلاثة ، و الواحد و إن لم يتجزأ من الواحـد فهو يتجزأ من [الاثنين و - [3]] الثلاثة فما فوقها ، تقول : جزؤ واحـد من جزئين[4] أو ثلاثة فما فوقها ، ١٠ و لا يجوز : جزأ أحد من جزأين فما فوقهما ، و قد سمى الله نفسه واحدا أحدا و وصف نفسه بالوحدانية و الأحدية ، فالواحد نعت يلزمه على الحقيقة لأنه كان قبل و لا ثانى معه ، و الثانى خلاف الواحد ، فهو واحد لاتحاده فى القدم ، و الخلق اثنان لاقترانه بالحدث[5] لأن الحدوث ثان للقدم ، و به ظهرت التثنية ، فالواحد هو الأحد فى ذاته فهو لا شىء قبله ١٥ و لا من شىء و لا فى شىء و لا على شىء و لا لشىء[6] و لا مع شىء ، فيكون ذاك الشىء ثانيا معه بل هو الواحد منشىء و الأشياء كلها [له - [3]] ،

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : متعاد (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : واحده (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اثنين (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : بالخلق (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ .

و هو المتحد بذاته ممتنع من أن يكون له شيء ثانيا بوجه من الوجوه و الخلق كله له و إن كان يسمى بالواحد، أو كانت هذه الصفة قد لزمت جميع الأشياء فى وجه فانها تزول عنها فى وجه. كما قيل: إنسان واحد و فرس واحد و بعير واحد. و كذلك يقال لسائر الأشياء، وهذه صفة
٥ تلزمها فى اللفظ، و المسمى لا يخلو من معان كثيرة مجتمعة [فيه -[1]] كالجسم و العرض، و هو واحد[2] مجموع من أشياء متفرقة، و كل شيء لا يخلو من ازدواج[3] و تضاد و تشاكل و حد و عد، و هذه الصفات كلها تنفى عنه معنى الأحدية و الواحدية، / و [فى -[1]] الواحد عن العرب / ٩٠٠
لغات كثيرة، يقال: واحد و أحد و وحد و وحيد و وحاد و أحاد
١٠ و موحد [و أوحد -[1]] - و هذا كله راجع إلى معنى الواحد، و [4] إن كان[4] فى ذلك معان لطيفة و لم يجيء فى صفة الله عز وجل إلا الواحد و الأحد، قلت: و الوحيد على بعض الإعرابات فى المدثر، قال: و كلها مشتقة من الواحد، و كأن ذلك مأخوذ من الحد، كأن الأشياء كلها إليه[5] انتهاؤها و هى محدودة كلها غيره عز وجل و هو محدود، بل هو
١٥ غاية المحدودين و غاية الغايات لا غاية له، و الأحد يجيء فى الكلام بمعنى الأول و بمعنى الواحد، فاذا جاء بمعنى الأول و بمعنى الواحد جاز

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: احد (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ازواج (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: فكان (٥) من ظ و م، و فى الأصل: إليها.

ان يتكلم به فى الخبر كقولك: هذا واحد أحد، و العرب كانت تسمى [يوم - [1]] الأحد فى الجاهليه أولا، و قولك «يوم الأحد» دليل على أنه اليوم الأول [2] من الأسبوع [2]، و الاثنين دليل على أنه اليوم الثانى، و فى التوراة أن الله عز و جل أول ما خلق [3] من الأيام «يوم الأحد» قلت: يمكن [أن يكون - [1]] معنى يوم الأحد يوم الله، أضيف إليه لكونه ٥ أول مخلوقاته من الأيام، فلما أوجد الثانى سمى يوم الاثنين، لأنه ثانى يوم الأحد [3]، قال: و ضد الواحد اثنان، و ضد الأحد الآخر، قال الله تعالى "قال أحدهما انى أرانى اعصر خمرا" [ثم قال فى ضده - [1]] "و قال الآخر" فهذا دليل على [أن - [1]] معنى قولهم «يوم الأحد» اليوم الأول [4] لأنهم قالوا لما بعده اثنان، و لم يقولوا: الآخر، لأن ١٠ الأحد إذا لم يكن بمعنى الأول فضده الآخر، و إذا كان الأحد بمعنى الأول جاز الخبر و الجحد، و إذا لم يكن بمعنى الأول و كان بمعنى الواحد جاز فى الخبر و جاز فى الجحد [5]، قال الله تعالى: "فابعثوا احدكم بورقكم هذه" [فهذا - [1]] من الخبر، فاذا لم يكن أحد بمعنى الأول و بمعنى الواحد لم يجز أن يتكلم به إلا فى الجحد، تقول: ما جاءنى [6] أحد، ١٥ و لا يجوز [7]: جاءنى أحد، و كلمنى أحد، قال الله تعالى فى معنى الجحد "ايحسب أن لن يقدر عليه احد" [و أحد - [1]] يستوى

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: احد (٤) تكرر فى الأصل فقط (٥) من ظ و م، و فى الأصل: الحجة (٦) زيد فى الأصل: من، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لا تقول.

فيه[1] المذكر و المؤنث ، قال الله تعالى : يا نساء النبي لستن كاحد من النساء" و واحد لا يستوى فيه المذكر و المؤنث حتى يدخل فيه[2] الهاء فيقال «واحدة[3]» لا يجوز «كو احد من النساء» و أحد يكون بمعنى الجمع ، تقول العرب : يظل أحدنا الأيام لا يأكل ، بمعنى كلنا [لا -[4]] يأكل ، فاحتمل معنى الواحد و الجماعة - انتهى ، فالواحد من الأسماء الثبوتية الإضافية ، يكون في أصل اللغة بالنسبة إلى ثان هو نصفه ، و ثالث هو ثلثه ، و[هكذا -[4]] هو صفة الله تعالى بمعنى المتوحد في الاتصاف بالألوهية حتى لا يقبلها غيره بوجه ، فلا شريك [له -[5]] ، و الأحد من النعوت السلبية ، بل هو بجمعها ، هو أحد في نفسه لا يقبل العدد و لا التركيب بوجه لا بالقسمة و لا بغيرها سواء نظر إليه بالنسبة إلى الغير أو لا ، فهو متمحض للسلب ، فهو وصف راجع إلى نفس الذات بمعنى أنه كامل في ذاته لا يؤثر في مفهومه النظر إلى شيء أصلا ، والفرد ناظر إلى نفي العدد ، فافترقت الأوصاف الثلاثة و إن كانت متقاربة في المعنى .

/ ٩٠١ و قال الإمام أبو الخير[6] القزويني الشافعي في/ كتابه " العروة الوثقى في أصول الدين " ناقلا عن بعض من فرق بينه و بين الواحد : إن الأحد اسم لنفي ما يذكر معه ، و عن بعضهم أنه الذي لا يجوز له التبعيض لا فعلا و لا وهما ، فهو أحد بذاته و أحد بصفاته ، و توحيد الله تعالى

(١) من ظ و م ، و في الأصل : في ذلك (٢) من ظ و م ، و في الأصل : في .
(٣) من ظ و م ، و في الأصل : واحد (٤) زيد من ظ و م (٥) زيد من م .
(٦) راجع معجم المؤلفين ١/١٦٧ .

لنفسه علمه بأنه واحد ، و إخباره بذلك و توحيد العبد له علمه بذلك مع إقراره به ؛ و قال الإمام فخر الدين الرازي فى شرح الأسماء الحسنى: فالله سبحانه و تعالى أحد فى ذاته ، أحد فى صفاته ، أحد فى أفعاله ، أحد لا عن أحد غير متجزئ و لا متبعض[1] ، أحد غير مركب و لا مؤلف ، أحد لا يشبهه شيء و لا يشبه[2] شيئا ، أحد غنى عن كل أحد - انتهى، ٥ و هذا معنى ما نقله المعربون عن ثعلب أنه فرق بينهما بأن واحدا يدخله العدد ، و أحد لا يدخله ذلك ، يقال : الله أحد ، و لا يقال : زيد أحد ، لأن الأحد خصوصية الله تعالى ، و زيد يكون منه حالات ، و نقض عليه بالعدد المعدد[3] المعطوف ، يقال : أحد و عشرون و أثنان و عشرون ، و رد بأن أحدا فيه بمعنى[4] واحد ، و قال الإمام فخر الدين فى شرح الأسماء: ١٠ إنه اختص به البارئ سبحانه ، أما الواحد فيحصل فيه المشاركة ، و لهذا السبب أعرى من لام التعريف لأنه صار نعتا لله عز و جل على الخصوص ، فصار معرفة ، و قال الأزهرى : سئل أحمد بن يحيى عن الآحاد هل هى جمع [أحد ، فقال: معاذ الله ! ليس للاحد جمع ، و لا يبعد أن يقال أنه جمع -[5]] واحد كالأشهاد جمع شاهد - انتهى ، و قال ١٥ الاقليشى فى شرح الأسماء: الأحد هو الذى ليس بمنقسم و لا متجزئ ،

---

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : مبعض (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : لا يشبهه (٣) سقط من م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : معنى (٥) زيد من ظ و م .

فهو على هذا اسم لعين الذات، فيه سلب الكثرة عن ذاته، فتقدس بهذا الوصف عن صفات الأجسام القابلة للتجزى و الانقسام، و النقطة و الجوهر الفرد عند مثبته - يعنى من المتكلمين، و الجوهر البسيط[1] عند مدعيه - يعنى من الفلاسفة، و إن كانت هذه لا تتجزى و لا تنقسم و إنها مخالفة للبارئ تعالى فى أحديته، أما النقطة فعرض عند بعضهم إذ هى عبارة عن طرف الخط، و إذا كان الخط عرضا فالنقطة أولى بالعرضية[2]، و أما الجوهر الفرد فانه و إن كان لاينقسم فهو[3] مقدر بجزء، و كل ما قدر بجزء فلا يخلو من الأكوان و هو كيفما كان على رأى من أثبته من المتكلمين و إن كانوا فى أوصافه متنازعين فلا يخلو من الأعراض، و أما الجوهر البسيط عند من أثبته فوجوده عندهم ليس عينه إذ اثنينيته غير ماهيته، و ما هو بهذا الوصف عندهم ففيه اثنينية، ففارق البارئ سبحانه و تعالى بأحديته هذه الموجودات كما فارق بذاته الأجسام، فوجوده عن[4] ذاته [5]و ليست[5] صفاته تعالى مغايرة[6] لذاتـــه، و أما الواحد فهو وصف لذاته، فيه سلب الشريك و النظير عنه، فافترقا - يعنى بأن الأحد ناظر إلى نفس الذات، و الواحد إلى أمر خارج عنها، و قال البيهقى فى كتاب الأسماء و الصفات: الأحد فيما يدعوه[7] المشركون إلها [من دونه لا يجوز

(١) من ظ و م، و فى الأصل: البسيطة (٢) من ظ، و فى الأصل و م: العرضية (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فانه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: فليست (٦) من ظ و م، و فى الأصل: متغايرة (٧) من ظ و م، و فى الأصل: يدعيه.

أن يكون إلها -[1]] إذ كانت امارات الحدث من التجزى / و التناهى ٩٠٢/
قائمة فيه لازمة له، و البارئ سبحانه و تعالى لا يتجزى و لا يتناهى،
فقد مر أن الأحد خاص بالله سبحانه و تعالى، إنه لافرق فى إطلاقه
عليه سبحانه و تعالى بين تعريفه و تنكيره لأنه معرفة فى نفسه، فطاح
اعتراض من قال من الملحدين: الجلالة معرفة و أحد نكرة لا ينعت ٥
به، و على تقدير التسليم يجوز جعله بدلا كما تقدم و لا مانع من إبدال
النكرة من المعرفة مثل لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة، قال صاحب
كتاب الزينة: و على هذه القراءة - أى قراءة التنكير - أجمعت الأمة، وروى
قوم عن أبى عبد الله بن جعفر بن محمد الصادق أنه قرأ قل هو الله الأحد
الله الواحد الأحد الصمد، و قال الإمام أبو الحسن الحرالى فى شرح الأسماء ١٠
[الحسنى -[2]]: الأحد اسم أعجز الله العقول عن إدراك آيته فى الخلق
إثباتا فلم تستعمله العرب مفردا قط أى و هو بمعناه[3] الحقيقى لا بمعنى
واحد و لا بمعنى أول مثلا إلا فى النفى لما علموا أنه مفصح عن إحاطة
جامعة لا يشذ عنها شىء، و ذلك مما تدركه العقول و الحواس فى النفى
و لا تدركه فى الإثبات فيقولون: ما فى الدار أحد - نفيا لكل ١٥
و لا يسوغ فى عقولهم أن يقولوا: فى الدار أو فى الوجود [أحد -[2]]،
إذ لا يعقل عندهم ذات إنسان هى جامعة لكل إنسان، فلما ورد عن

(١) زيد من ظ و م إلا أن الزيادة فى الأول متوقفة على « من دونه »
(٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: معناه.

الله اسمه فى القرآن تلقاه المؤمنون بالإيمان و أحبت قلوبهم سورة ذكره لجمعها لما لا يحصى من ثناء الرحمن و هى أحد الأنوار الثلاثة فى القرآن ، [القرآن - [1]] نور "و لكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا" و نور نوره [سورة - [1]] ذكر الأحد فى ختمه و آية الكرسى فى ابتدائه و سورة يس التى هى قلبه فى محلها منه واحد مبين عن اسم [الله الذى هو بكل شىء محيط ، لا يتطرق إليه شرك فى حق و لا باطل ، و هو واحد مبين عن اسم - [1]] الإله الذى[2] لا يصح فيه الشرك حقا ، و قد يتطرق إليه باطلا " و اتخذوا من دون الله آلهة " و ذلك لأن الواحد يضائف[3] الثانى ، و أحد جامع محيط لم يبق خارج عنه فيضايفه يعنى أن مفهومه ناظر إلى كونه سبحانه و تعالى الآن كما كان فى الأزل وحده ، فان الخلق فان فهو فى الحقيقه عدم ، و كأنه ما كان لإحاطته به و كونه فى قبضته و طوع مشيئته ، فلا خارج يكون[4] مضايفا له لأنه لا يضايف[3] الشىء إلا مناظر لمساواة أو مباراة بمعاندة أو غيرها[5] ، فالكل بالنسبة إليه عدم " انك ميت و انهم ميتون " " كل من عليها فان " " كل شىء هالك الا وجهه " [هذا مراده - [6]] بدليل سابقه و لاحقه فلا شبهة فيه لأهل[7] الوحدة - عليهم[8] الخزى و اللعنة ، قال : و الوحدة

(١) زيد من ظ و م (٢) فى ظ و م : التى (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : يضاف (٤) زيد فى الأصل و م : له ، و لم تكن الزيادة فى ظ فحذفناها . (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : غيرهما (٦) زيد من ظ (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : لاجل (٨) تكرر فى الأصل و ظ .

من

من الواحد هى [حد -[1]] النهاية، / و الغاية مما[2] هى وحدته، و ما دون ٩٠٣/
الوحدة التى هى الغاية ثانيه و دونه و جماع إحاطات[3] كل ذلك أعلى
و أدنى هى الأحدية التى لا يشذ عنها شاذ و لا يخرج عنها خارج، فمن
الأسماء معلوم لخليقة[4] من خليقته بما أتاهم منه كالرحيم و العليم، و منها
ما يعجز عنه خلافتهم كالأسماء المتقدمة من اسمه المحصى، و لكن ينال مثلا ٥
من قولهم[5]، و منها ما لم ينله العلم و لا أدركت مثله العقول و هو اسمه
الأحد، فالله هو الأحد الذى لا أحد إلا هو - انتهى، و قال الإمام[6]
أبو الحكم بن برجان فى شرح الأسماء الحسنى: و هو - أى الأحد - أصل
لباب الوحدة، يدل على محض الوحدة، ألا ترى أنه نافٍ لما يأتى معه،
إذا قلت: لم يأتنى أحد، انتفى الاثنان، و لا تقول: جاءنى أحد ١٠
كما تقول: جاءنى واحد، لأن واحدا[7] تزول عنه الواحدية بضم ثان إليه
بخلاف الأحدية فانها لازمة الواحد لا يفارقه حكمها بعد ضم الثانى بل
لها منه جهة محفوظة عليها يظهر ذاك بالأشفاع و الأوتار، فانك تقول:
ما جاءنى أحد، فتنتفى الأشفاع كما تنتفى الأوتار، و هذا دليل على زيادة
شرفه فان الاسم كلما غمضت دلالته و تعذرت معرفته عن الأفهام وعزب ١٥
عن العقول علمه كان ذلك دليلا على قربه من الاسم الأعظم - انتهى،

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٣) من ظ و م، و فى الأصل: احاطت (٤) فى ظ: بخليقته (٥) فى ظ: عقولهم (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: واحد.

و قال بعض العارفين فى كشف معنى الأحد و رتبته : إن الذات الأعظم غيب محض [و الأحد أول تعيناتها، و لذلك بدئ بالهمزة التى هى أول تعينات الألف التى هى غيب محض - ١] و ذلك سر مخالفتها للاحرف فى أن كل حرف يدل على مسماه أول حروف اسمه [إلا - ١] الألف ٥ لكونها غيبا، فكان أول اسمها [الهمزة التى هى أول تعيناتها، و الهمزة لكونها مرقى إلى غيب الألف كان أول اسمها - ١] أيضا [غير - ١] دال على مسماها، ثم بعد التعيين بالأحدية الشاملة المستغرقة [يتنزل - ١] إلى الإلهية ثم منها إلى الواحدية، و لذلك ابتدئ الواحد بالواو التى هى وصلة إلى ما فيه من الألف الذى هو غيب، فان الواحد مرقى إلى ١٠ فهم الإله، و الإله مرقى إلى تعقل الأحد، و الأحد مرقى إلى التعبد للذات الأقدس الأنزه. و من اعتقد أحديته سبحانه و تعالى، أنتج [٢]له ذلك [٢] حبه و تعظيمه، و هو توحيد الألوهية لأن التفرد بذلك يقتضى الكمال و الجمال - و الله الموفق .

و قال الإمام [أبو - ١] جعفر ابن الزبير : لما [٣] انقضى مقصود ١٥ الكتاب العزيز بجملته عاد الأمر إلى ما كان، و أشعر العالم بحالهم من ترددهم بين [٤] عدمين "ثم الله ينشىء النشأة الآخرة" فوجودهم منه سبحانه و تعالى و بقاؤهم به و هم و جميع ما يصدر عنهم من أقوالهم و أفعالهم

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) من ظ و م ، و فى الأصل : ذلك له (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : و لما (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : من .

كل ذلك خلقه و اختراعه، و قد كان سبحانه و تعالى و لا عالم و لا زمان و لا مكان، / [و هو الآن على ما - [1]] عليه كان، لا يفتقر إلى أحد[2] و لا يحتاج إلى معين، و لا يتقيد بالزمان، و لا يتحيز بالمكان. فالحمد لله رب العالمين، أهل[3] الحمد و مستحقه مطلقا، له الحمد فى الأولى و الآخرة، و له الحكم [4]و إليه المصير[4] "قل هو الله احد الله الصمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوا احد" هو الموجود الحق، و كلامه الصدق، "و ما هذه الحياة الدنيا الا لهو و لعب و الدار الآخرة خير للذين يتقون" فطوبى لمن استوضح آى كتاب الله، و أتى الأمر من بابه و عرف نفسه و دنياه، و أجاب داعى الله و لم ير فاعلا فى الوجود حقيقة إلا هو سبحانه و تعالى [4]و الحمد لله رب العالمين[4]، و لما كمل مقصود الكتاب، و اتضح عظيم رحمة الله به لمن تدبر و اعتبر و أناب، كان مظنة الاستعاذة و اللجأ من شر الحاسد و كيد الأعداء فختم بالمعوذتين من شر ما خلق و ذرأ و شر الثقلين - انتهى.

و لما تم البيان لهويته[5] سبحانه و تعالى على هذا الوجه الذى أنهاه بالأحدية المعلمة بالتنزه عن القسمة و النظير، و كان بيان القرآن بالغا أقصى نهايات البيان، و كان الأحد من النعوت المتوغلة فى السلب، و كانت الشركة تقع فى التعبير به فى النفى[7] و هو بمعناه الحقيقى و تقع

/ ٩٠٤

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م . و فى الأصل : حد (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : اهله (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لهو (٦) من ظ ، و فى الأصل و م : بالتنزيه (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بالنفى .

فيه بالإثبات[1] و السلب على حد سواء، أو دلالته على الكمال و الإضافة أكمل، و بناه على الاسم الأعظم الذى هو آخر الأسماء الظاهرة و أول الأسماء الباطنة، و لم يقع فيه شركة بوجه دفعا لكل تعنت، و إشعارا بأن من لم يسم به لم يتسحق الألوهية، و أخلى الجملة عن عاطف لأنها ٥ كالنتيجة للأولى[2] و الدليل عليها، فقال مكاشفا لنفوس المؤمنين و للعلماء[3] معيدا الاسم و لم يضمر لئلا يظن تقيد بحيثية غيب أو غيرها[4]: ﴿الله﴾ أى الذى ثبتت إلهيته و أحديته، لا[4] غيره ﴿الصمد﴾ الذى تناهى سؤدده المطلق فى كل شىء [إلى حد تنقطع دونه الآمال، فكان بحيث لايحتاج إلى شىء -[5]] و كل شىء إليه محتاج، و تنزه عن الجوفية فلم تدن من ١٠ جنابه بفعل و لا قوة لأنه تنزه عن القسمة بكل اعتبار مع العظمة التى لايشبهها عظمة، فكان واحدا[6] بكل اعتبار، و ذلك هو مفهوم الأحدية عبارة و إشارة، فكان مصمودا إليه فى الحوائج أى مقصودا لأجلها، فهو الموصوف بهذا الاسم على الإطلاق، و بكل اعتبار، فكان موجدا للعالم لأن العالم مركب بدليل المشاهدة فكان ممكنا فكان محدثه واجبا ١٥ قديما، نفيا للدور و التسلسل المحالين، و خلقه [له -[5]] بالقدرة و الاختيار

(١) فى ظ: من الأثبات و هو بمعنى الواحد مثلا أبين أحديته و انهى اكليته بيانه الى أنهى عناياته باسم جامع بين الاضافة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الأول (٣) من ظ و م، و فى الأصل: العلماء (٤) من ظ و م، و فى الأصل: نحوها (٥) زيد من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: واحد.

لأنه / لو كان بالطبع و الإيجاب لكان وجوده مع وجوده لأن[1] العلة لا تنفك / ٩٠٥
عن المعلول، فيلزم من قدم البارئ عز و جل قدم العالم، و من حدوث
العالم حدوث البارئ جل و عز، و ذلك جمع بين النقيضين و هو محال،
و قصر الصمدية عليه لأن اشتداد الألف لحاجة الشيء إلى غيره ربما
كان موجبا لخفاء اختصاصه به، و لم يقصر الأحدية إما للتنبيه على أن ٥
ذلك لشدة ظهوره غنى عن التأكيد[2]. و إما استئلافا لهم لئلا ينفروا
قبل [3]سماع تمام[3] السورة [4]على أنه[4] بظهور قصر الصمدية التى أحد معنييها[5]
لازم الأحدية ظهر الاختصاص بالأحدية. قال العلماء رحمهم الله تعالى:
و الصمد من صمد[6] إليه - إذا قصده، و هو كالأحد، بنى على هذا
الوزن لأنه لا تلحقه المضارعة و لا تدن منه المشابهة لأنه اسم خاص ١٠
فهو السيد المصمود إليه، و هو أيضا الذى لا جوف له و لا رخاوة بوجه
فيه، لأن الأجواف[7] وعاء، و كل وعاء محتاج إلى موعيه، يقال: شيء
مصمد، أى صلب، و حجر صمد: أملس لا يقبل الغبار و لا يدخل فيه
شيء و لا يخرج منه شيء، قال ابن قتيبة: و هو على هذا الدال فيه[8]
مبدله من التاء و هو المصمت، و هو أيضا العالى الذى تناهى علوه، تقول ١٥
العرب لما أشرف من الأرض: صمد - باسكان الميم، و بناء صمد أى

(١) فى م: لأنه (٢) فى م: تأكيد (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: تمام سماع (٤-٤) من ظ و م، و فى الأصل: لان (٥) زيد فى الأصل: ظاهر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الصمد. (٧) فى ظ: الأجوف (٨) من ظ و م، و فى الأصل: منه.

معلى[١]، فهو على التفسير الأول من الصفات الإضافية بمعنى أنه سيد لكل موجود، و الكل محتاجون إليه فى ابتداء إيجادهم و فى تربيتهم، فهم يصمدون إليه فى الحوائج و يقصدون إليه فى جميع الرغائب، و هو غنى على[٢] الإطلاق، و ذلك هو اتصافه بصفات الإلهية، قال [الاقليشى -[٣]]:

٥ فعلى هذا - أى أنه الذى يلجأ إليه و يعتمد عليه لتناهى سؤدده - يتشعب من صفة الصمد صفات السؤدد كلها من الجود و الحلم[٤] و غير ذلك، و إذا قلنا: إن الصمد العالى تشعبت منه صفات[٥] التعالى كلها من العزة و القهر و العلو و نحوها - انتهى، و قد روى البيهقى رحمه الله تعالى بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله "الصمد" قال: هو[٦] السيد الذى

١٠ كمل فى سؤدده، و الشريف الذى كمل فى شرفه، و العظيم الذى كمل فى عظمته، و الحليم الذى [قد -[٣]] كمل فى حلمه، و الغنى الذى [قد -[٣]] كمل فى غناه، والجبار الذى [قد -[٣]] كمل فى جبروته، و العالم الذى قد كمل فى علمه، و الحكم الذى قد كمل فى حكمه[٧]، و هو الذى[٨] كمل فى أنواع الشرف و السؤدد و هو الله عز و جل، هذه صفته لا تنبغى إلا له،

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مطلى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عن. (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الحكم. (٥) زيد فى الأصل: المعالى و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) سقط من ظ و م (٧) من ظ و م، و فى الأصل: حكمته (٨) زيد فى الأصل: قد، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

ليس له كفوء، و ليس كمثله شيء، فسبحان الله الواحد[1] القهار، و قال أبو العباس ابن تيمية [الحنبلي -[2]] في كتابه «الفرقان بين أولياء الرحمن و أولياء الشيطان»: أجمع سلف الأمة و أئمتها أن الرب سبحانه و تعالى / بائن من مخلوقاته، يوصف بما وصف به نفسه و بما[3] وصفه به رسوله صلى الله عليه و سلم من غير تحريف و لا تعطيل، و من غير تكييف و لا تمثيل، [4]بوصف من صفات[4] الكمال [دون صفات النقص، و نعلم أنه ليس كمثله شيء و لا كفوء له في شيء من صفات الكمال -[5]] كما قال الله تعالى "قل هو الله احد الله الصمد" - إلى آخرها، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الصمد - إلى آخر ما مضى عنه، و قال ابن مسعود رضي الله عنه و غيره: هو الذي لاجوف له، و الأحد الذي لا نظير له. فاسمه الصمد يتضمن اتصافه بصفات الكمال و نفي النقائص عنه، و اسمه الأحد يتضمن أنه[6] لا مثل له، و قال الحرالي: الصمد - يعني بالسكون: - التوجه بالحاجات إلى مليّ بقضائها لايحتاج إلى سواه، فلذلك يكون [الصمد -[7]] سيدا لايساد، السيد الله - انتهى، و على التفسير الثاني: هو من النعوت السلبية، فهو دال على نفي الماهية التي تعنت[8] بها فرعون لاقتضائها المقومات المستلزمة للحاجة إلى ما به التقويم، و على

/٩٠٦

(١) تكرر في الأصل فقط (٢) زيد من ظ، و راجع ترجمته معجم المؤلفين ١/٢٦١.
(٣) من ظ و م، و في الأصل: ما (٤ - ٤) في م: بصفات (٥) زيد من م.
(٦) من ظ و م، و في الأصل: ان (٧) زيد من ظ و م (٨) من ظ و م، و في الأصل: نعت.

إثبات[1] الهوية المنزهة عن كل شائبة نقص، فان كل ما له ماهية كان له جوف و باطن، و هو تلك الماهية، و هو ما لاباطن له، و هو موجود فلا جهة و لا اعتبار فى ذاته إلا الوجود، فهو واجب الوجود غير قابل للعدم، و قد علم بهذا أنه جامع لما ذكر فيما قبله، فان هذا التفسير الثانى يتشعب منه من الأسماء ما ينظر إلى نفى التركيب كالأحد [و نحوه -[2]] و هذان التفسيران الأول و الثانى جامعان لجميع ما فسر به و لما[3] عسى أن يقال فيه سبحانه من صفات الكمال، و نعوت[4] العظمة و الجلال، [5]فمن كان[5] مصمودا إليه فى جميع الحاجات و متعاليا عن [6]كل سمت[6] حدث و شائبة نقص كان موجدا لكل ما يريد من نفع و ضر و نافع وضار، قادرا على حفظ ما يريد، و كان معلوما كالشمس أنه لا شريك له، و أنه هو وحده المستحق للعبادة لاحتياج الكل إليه الاحتياج المطلق، و غناه عنهم الغنى المطلق، و تفرده بصفات الكمال والانقطاع عن قرين، و إلى الصمدانية[7] ينتهى التوجه و هو الإقبال بالكلية، و هى ترد[8] على الفلاسفة القائلين بتدبير العقول، و الصابية القائلين بتدبير النجوم، و على غيرهم من [كل من -[2]] ادعى تدبيرا لغير الله سبحانه و تعالى، و من اعتقد

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لثبات (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٤) من ظ و م، و فى الأصل: نعوذ - كذا. (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: فكان (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: سمت كل (٧) من ظ و م، و فى الأصل: المدانية (٨) من ظ و م، و فى الأصل: يريد.

صمديته

صمديته المقتضية لكمال الذات والصفات وشمول التدبير، أنتج له كمال التفويض والتوكل وهو توحيد الربوبية. وهذه الأسماء الأربعة مشيرة إلى مقامات السائرين ومرامات[1] الحائرين والجائرين، فالمقربون نظروا إلى الأشياء فوجدوا كل ما سواه سبحانه وتعالى معدوما بالذات، فكان ذكرهم «هو». [و -[2]] أصحاب اليمين نظروا إلى وجود الممكنات فعينوا مرادهم وميزوا مذكورهم بالجلالة، وأصحاب الشمال جوزوا الكثرة في الإله فاحتاجوا / في تذكيرهم[3] إلى الوصف بالأحدية والصمدية، و[4]هي رادة[4] على أهل الاتحاد أعظم رد، فانهم يقولون: إن الإله هو هذا العالم، وهو منقسم بالحس فضلا عما عداه [و -[2]] محتاج أشد احتياج[5]. ٩٠٧/

ولما انتهى بيان حقيقته سبحانه وتعالى، وأنه غير مركب أصلا، وبين سبحانه بصمديته المستلزمة لوحدانيته[6] أن الكل مستند إليه ومحتاج إليه، وأنه المعطي لوجود جميع الموجودات، والمفيض للجود على كل الماهيات. فلا يجانس شيئا ولا يجانسه شيء، ولا يكون له نظير في شيء من ذلك. وكان ربما تعلق بوهم واهم أن تولد غيره عنه يكون من تمام سؤدده المعبر به عن قدرته، بين أن ذلك محال لاقتضائه الحاجة مما لا تعلق له بالقدرة لأن القدرة من شأنها أنها لاتتعلق بالمحال، وهذا

(١) من ظ و م، وفي الأصل: مرمات (٢) زيد من ظ و م (٣) في ظ: تفكيرهم. (٤ - ٤) من ظ و م، وفي الأصل: هو راد (٥) من ظ و م، وفي الأصل: الاحتياج (٦) من ظ و م، وفي الأصل: الوحدانية.

محال، لأنه سبحانه صمد. فكان ذاك [بيانا -[1]] للصمدية فى كلى معنييها، فقال من غير عاطف دالا على انتفاء الجوف الذى هو أحد مدلولى[2] «صمد» مكاشفا[3] للعقلاء شارحا لأنه لا يساويه شىء من نوع يتولد عنه ولا جنس يولد هو عنه، ولا غير ذلك يوازيه[4] فى وجود ولا غيره:

٥ ﴿لم يلد﴾ أى يصح ولم ينبغ بوجه من الوجوه أن يقع تولد الغير عنه مرة من المرات. فكيف بما فوقها لأن ذاك مستلزم للجوف وهو صمد لاجوف له، لأن الجوف من صفات النفس المستلزم للحاجة وهو مستغن بدوامه فى أبديته عمن يخلفه أو يعينه[5] لامتناع الحاجة والفناء عليه. فهو رد على من قال[6]: الملائكة بنات الله أو عزير أو المسيح

١٠ أو غيره.

ولما بين أنه لا فصل له، ظهر أنه لاجنس له، فدل عليه بقوله: ﴿ولم يولد﴾ لأنه لو تولد عنه غيره تولد هو عن غيره كما هو المعهود والمعقول، فهو قديم لا أول له بل هو الأول الذى لم يسبقه عدم، لأن الولادة لا تكون ولا تتشخص إلا بواسطة المادة وعلاقتها، وكل

١٥ ما كان ماديا أو [كان -[1]] له علاقة بالمادة، كان متولدا عن غيره، فكان لايصح أن يتولد عنه شىء لأنه لا يصح أن يكون هو متولدا[7]

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: مداول (٣) من ظ و م، و فى الأصل: تكاشفا (٤) فى ظ و م: بموازنه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: يعيبه (٦) زيد فى الأصل: ان، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٧) من ظ و م، و فى الأصل: متولد.

عن غيره لأنه لا ماهية له و لا اعتبار لوجوده سوى أنه هو ، فهويته لذاته ، [و من كانت هويته لذاته -[1]] لم يصح بوجه أن يتولد عن غيره [لأنه لو تولد عن غيره -[1]] لم يكن هو هو لذاته ، و لا يكون أحدا حقيقيا[2] و لا صمدا ، فينتفى من أصله ، و لا يكون له من ذاته إلا العدم ، فقد تبين أنه واجب الوجود ، فوضح كالشمس أنه ليس[3] ماديا لأنه غير محتاج ٥ بوجه ، فلا يصح أن يتولد عنه غيره ، لأنه لم يصح أن يتولد هو عن غيره ، و من كان كذلك لم يكن له مثل ، فلا يصح بوجه أن يساويه[4] شيء ليصح أن يقوم مقامه فيما بين ما انتفى فى الأول و الآخر ، فدل على ذلك / إتماما لشرح حقيقته المعبر عنها بهو[5] بقوله : ﴿ و لم يكن ﴾ ٩٠٨ / أى لم يتحقق و لم يوجد بوجه من الوجوه و لا بتقدير من التقادير[6] ﴿ له ﴾ ١٠ أى خاصة ﴿ كفوا ﴾ أى مثلا و مساويا ﴿ احد ﴾ على الإطلاق ، أى[5] لا يساويه فى قوة الوجود لأنه لو ساواه فى ذلك لكانت مساواته باعتبار الجنس و الفصل ، فيكون وجوده متولدا عن الازدواج الحاصل من الجنس الذى يكون كالأم ، [7]و الفصل[7] الذى يكون كالأب ، و قد ثبت أنه لا يصح بوجه أن يكون فى شيء من الولادة ، لأن وجوب وجوده لذاته ، ١٥ فانتفى أن يساويه شيء فى قوة وجوده ، فانتفى قطعا أن يساويه أحد فى

(١) زيد من ظ و م (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : حقيقا (٣) زيد فى الأصل : له ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يساوى (٥) سقط من ظ (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : التقديرات. (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط .

شيء من قوة أفعاله، فعطف هاتين الجملتين على الجملة التي قبلها لأن الثلاث شرح الصمدية النافية لأقسام الأمثال، فهي كالجملة الواحدة، و قدم الظرف في الثالثة لأن المقصود الأعظم نفي المكافأة عن الذات الأعظم، فكان أهم "وكفوا" حال من أحد. و يجوز أن يكون "كان" ناقصة، و يكون "كفوا" خبرها، و سوغ خبريته تخصيصه بـ "له" كما قالوا في «ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله» و قد وضح أن هذه السورة أعظم مبين للذات الأقدس بترتيب لايتصور في العقل أن يكون شيء يساويه، و كلمات لاتقع في الوهم أن يكون شيء يساويها أو يساوي شيئا منها، فأثبت أولا حقيقته المحضة و هويته بأنه هو، لا اسم لتلك[1] الحقيقة من حيث هي إلا ذلك، فعلم أنه واجب الوجود لذاته لا لشيء آخر أصلا، ثم عقب ذلك بيانا[2] له بذكر الإلهية التي هي أقرب اللوازم لتلك الحقيقة و أشدها تعريفا.

و لما اقتضت الإلهية الوحدة لأنها عبارة عن الاستغناء المطلق واحتياج الغير[3] إليه الاحتياج المطلق، دل عليها بالأحد، و دل على تحقيق[4] معنى الإلهية و الوحدة معا بالصمدية لما لها من المعنيين: وجوب الوجود[5] بعدم الجوف وجودا[6] أو تقديرا، و[7] السيادة المفيضة لكل وجود على كل

(١) من ظ و م، و في الأصل: لذلك (٢) من ظ و م، و في الأصل: بيان.
(٣) من ظ و م، و في الأصل: غيره (٤) من ظ و م، و في الأصل: تحقق.
(٥) العبارة من هنا إلى «موجود وجودا» ساقطة من ظ. (٦) من م، و في الأصل: وجوبا (٧) من م، و في الأصل: او.

موجود وجودا لا يشبه وجوده سبحانه :

« و أين الثريا من يد المتناول » « الأمر أعظم من مقالة قائل »

و بين المعنيين كليهما بعدم صحة التوليد منه و له و عدم المساوى ، فمن أول السورة إلى آخر الأسماء فى بيان حقيقته سبحانه و تعالى و لوازمها الأقرب فالأقرب و وحدتها بكل اعتبار ، و من ثم إلى آخرها فى بيان أن لا مساوى له لأنه لاجنس له و لا نوع حتى يكون هو متولدا عن شىء أو يكون متولدا عنه شىء ، أو يكون شىء موازيا[1] له فى الوجود ، و بهذا القدر حصل تمام معرفة ذاته ، و أنه لا يساويه شىء فى قوة وجوده فلا يساويه فى تمام أفعاله / بدلالة شاهد الوجود الذى [كشف ـ[2]] عنه[3] و الشهود بنصر نبيه صلى الله عليه و سلم الذى كان يدعو أبا لهب و جميع الكافرين الشانئين وحده و هم ملء الأرض و يخبرهم مع تحاملهم كلهم عليه أنهم مغلوبون ، و أنه أتاهم[4] بالذبح لأن لمن أرسله الإحاطة الكاملة[5] بجميع الكمال ، و قد كان الأمر كما قال صلى الله عليه و سلم ، فقد صدقت مقالاته ، فثبتت إلى الخلق كافة رسالاته[6] ، و ثبت[7] مضمون جميع السورة بما ثبت

/ ٩٠٩

(١) فى ظ و م : موازنا (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل : الوجود و ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : اذلهم. (٥) سقط من ظ و م (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : رسالته ، والعبارة من بعده إلى « المشهورة » ساقطة من ظ (٧) من م ، و فى الأصل : بينت .

من هذه الأدلة المشهورة، و البراهين القاطعة المنصورة[1]، و قد ثبت[2] أنه صمد بما دل على [أحد -[3]] معنييه الذى هو انتفاء الجوفية بعدم التولد، و على المعنى الآخر الذى هو بلوغ المنتهى[4] من السيادة بعدم[5] المكافىء، فبان أنه هو لذاته فلا إله غيره، فانطبق آخرها على أولها، و التحم أىّ التحام مفصلها بموصلها، فعلم أنه هو [هو -[3]] لاغيره بزيادة أنه الأحد و لا أحد حقا غيره، و من تحقق آخرها أقبل بكليته إليه سبحانه، فلم يلتفت إلى غيره لأن الكل فى قبضته، و قد نقلت فى كتابى مصاعد النظر [عن الإحياء -[3]] للامام الغزالى رحمه الله تعالى عليه فى شىء من أسرار هذه السورة كلاما هو فى غاية النفاسة. و روى الترمذى[6] عن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أن المشركين قالوا: يا محمد انسب لنا ربك، فأنزل الله تعالى: [7]قل هو الله احد - إلى آخرها، قال: لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت، و ليس شىء يموت إلا سيورث، و أن الله تعالى[7] لايموت و لايورث، و لم يكن له كفوا أحد - انتهى. و من كان كذلك فهو الجامع[8] للأسماء الحسنى و الصفات العلى كلها، و علم أن حاصلها تنزيه المعبود عن أن يكون له مجانس، أو يكون له مكافى، و الرد على كل من يخالف فى شىء من ذلك، و أعظم مقاصد آل عمران المناظرة[9] لها

(١) من ظ وم، وفى الأصل: المبصورة (٢) من ظ وم، وفى الأصل: بينت.
(٣) زيد من ظ وم (٤) من ظ وم، وفى الأصل: النهاية (٥) من ظ وم، وفى الأصل: مع عدم (٦) راجع الجامع ٢/١٧٢ (٧-٧) سقط ما بين الرقمين من ظ.
(٨) من ظ وم، وفى الأصل: جامع (٩) من ظ وم، وفى الأصل: الناظرة.

فى رد المقطع على المطلع ، المفتتحة بالحى القيوم ، المودعة أوضح الأدلة على كفر من كفر بالله سبحانه و تعالى لاسيما[1] من ادعى أن عيسى عليه الصلاة و السلام إله[2] أو أنه ولد له سبحانه و تعالى و كذا غيره الدلالةُ على بطلان مذهب من ادعاه إلها و على أن عيسى عليه الصلاة و السلام عبد من عبيده أوجده على ما أراد كما أوجد من[3] هو أغرب [4]حالا منه[4] ٥ و إبطال قول من ادعى فيه غير ذلك . و لما عرفت هذه السورة حقيقة الذات أتم تعريف ، و كان الغرض الأقصى من طلب[5] العلوم بأسرها معرفه ذاته سبحانه و تعالى و صفاته و كيفية صدور [الأفعال -[6]] عنه ، و كان القرآن العظيم كفيلا بجميع هذه العلوم ، و كانت هذه السورة منه قد تكفلت بجميع ما يتعلق بالبحث عن الذات على سبيل التعريض ١٠ و الإيماء ، كانت معادلة لثلث القرآن و[7] هى ثلث أيضا[8] باعتبار آخر و هو أن الدين اعتقاد ، و فعل لسانى يترجم عن الاعتقاد ، و فعل / يصحح ذلك ، [9]هى وافية بأمر[9] الاعتقاد بالوحدانية الذى هو رأس الاعتقاد ، و باعتبار أن مقاصده كلها محصورة فى بيان العقائد و الأحكام و القصص ، و هذه /٩١٠

(١) زيد فى الأصل و ظ : ان ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الها (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ما (٤ - ٤) من ظ و م ، و فى الأصل : منه حلا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : مغلوب - كذا (٦) زيد من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : هو (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : اخر (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : مانيه من امر .

السورة على وجازتها قد اشتملت على جميع المعارف الإلهية، والرد على من ألحد فيها، و لأجل أن هذا هو المقصود بالذات الذى يتبعه جميع المقاصد عدلت فى بعض الأقوال بجميع القرآن، و حاصل شرح هذه السورة العظمى أنه سبحانه و تعالى دل على الذات الأقدس بالهوية، وعبر عنها بالضمير إشارة إلى نفى الماهية التى غلط أو غالط[1] فيها الكفور الأعظم فرعون - لعنة الله عليه و على أتباعه أهل الإلحاد، و أنصاره و أشياعه من أهل الاتحاد، و دل على ذلك بالاسم الأعظم المجمع عليه و دل عليه بالوحدة الجامعة للغنى، النافية للكثرة[2] الموجبة للحاجة، و دل عليها بالصمدية النافية للجوفية المثبتة للسيادة الخفية، و دل على أول معنييها بانتفاء الولادة منه و له، الدالان على نفى الجنس للقوم و الفصل المقسم، و دل على الثانى بعدم المكافىء، و دل على هذا العدم بأفعاله العظيمة المشاهدة التى أشار قطعا ترتيب السور بما انتهى إليه وضع هذه السورة فى هذا الموضع إلى استحضارها، و تأمل ما كان منها من تربية هذا الدين بنصر[3] نبيه الذى أرسله صلى الله عليه و سلم لإقامته، و سلط الكافرين - و هم ملء الأرض - على أذاه، و جعل أعظمهم له أذى أقربهم إليه نسبا عمه أبا لهب الذى كان يتبعه فى تلك المشاهد و القبائل، و يلزمه فى تلك المواسم و المعاهد و المحافل، يصرح بتكذيبه كلما دعا الناس إلى الحق، و يواجه بما هو أشد الأشياء على النفس كراهه[4] و أشق، فكانت تلك الشهرة عين الرفعة

(١) من ظ و م، و فى الأصل: غلط (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لكثرة.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: لنصر (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كراهية.

و النصرة ، لأن الشيء إذا خرج عن حده انقلب إلى ضده ، فانه إذا تناهت شهرته ثم بان بطلانه أو صحته رجعت شهرته بكونه باطلا أو صحيحا أعظم منها لو لم يتقدمها شهرة بغير ذلك ، فانقلبت النصرة ، و عظمت الكثرة ، فجلت المعاونة ، و زالت المباينة ، و حصل الوفاق ، و زال الشقاق ، فدل هذا الفعل الأعظم من صدق الرسول صلى الله عليه و سلم و هو ٥ وحده ، [1]و كذب[1] المعاندين و هم من لا يحصيهم إلا الله فى كل ما قال ، و جميع ما قالوا على عزته سبحانه و تعالى بكونه نصر عبده على ذلك الوجه الخارق للعادة و على حكمته بما سلطهم به عليه حتى أسرعت الشهرة و عمت النصرة ، فعلم بتلك المشاهدة[2] أنه العزيز الحكيم كما دلت عليه سورة التوحيد المناظرة لهذه فى رد المقطع على المطلع ، و هى آل عمران ١٠ / المناظرة لهذه فى الدلالة على التوحيد و المحاججة لمن ادعى أن له صاحبة ٩١١ / و ولد[4] ، فعلم قطعا أنه لا كفوء له ، فعلم أنه لا يصح أصلا أن يلد و لا أن يولد ، فبطلت قطعا دعوى إلهية عيسى عليه الصلاة و السلام و غيره ممن ادعى فيه الولدية بالأحدية لما تقتضيه الولادة [3]من المادة[3] المقتضية للكثرة ، الموجبة للحاجة ، و عظم البيان بما دل عليه الاسم [الأعظم -[5]] من ١٥ الإجماع بما تقتضى الإلهية ، و لا إجماع على غيره ، و جل الأمر و انقطع

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : فكذب (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : المشاهد (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : و لد (٤) سقط ما بين الرقمين من ظ .
(٥) زيد من ظ و م .

النزاع بما دل عليه الضمير من وجوب الوجود النافى لما سواه من كل موجود - و الله الهادى، فلقد أبانت السورة على أعظم الوجوه أن مرسله صلى الله عليه و سلم أجل موجود و أشرف حقيقة و أنفس معلوم، و أعظم ذات، و ذلك يستلزم نفى[1] كل ما لاينبغى، و حصول كل ما ينبغى استلزاما لايقبل الانفكاك، كالفردية فى الوتر، و الزوجية فى الشفع، و تفصيل ذلك بعشرة أشياء تبسط على كلمات السورة على الترتيب: الأول أنه تعالى له الوجود الذى ما مثله فليس [هو [2]] كالممكنات المسبوقة بالعدم و المنقطعة بالانعدام، و المنصرمة فى الدوام، بل هو أزلى[3] لا أول له أبدى لا آخر له، قيوم لا انصرام له، الثانى أن له السبوحية الآبية على نفع كل نقص و عيب، الثالث أن له القدوسية المشتملة على الاتصاف بكل كمال، من جلال و جمال[4] و تعال، الرابع أن له العظمة و الجلالة عن أن يكون عرضا أو كالأعراض، أو جوهرا[5] أو كالجواهر، أو جسما أو كالأجسام، الخامس أن له العلو عن أن يحل فى شىء أو [يحل فيه شىء أو يتحد بشىء أو - [2]] يتحد به شىء، السادس أنه تعالى له الغنى عن الموجد[6] كالرب و الموجب كالأب و المفيد أى لشىء من الكمالات، السابع أنه تعالى له الوحدانية التى ليس فيها شبيه

(١) زيد فى الأصل: حصول، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اول (٤) زيد فى الأصل: وكان، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) من ظ و م، و فى الأصل: جوهر. (٦) من ظ و م، و فى الأصل: الوجود و الموجود.

اى فى صفاته ، و لامثيل أى فى نوع و لانسب [أى -[1]] كالقرابة ، الثامن أنه تعالى له الفردانية[2] التى لايصح فيها شرك ، لافى الملك - بكسر الميم ، و لافى الملك - بضمها ، و لافى التدبير ، و لافى التأثير ، التاسع أنه تعالى له الكبرياء المنافية لفوت كمال[3] أو كمال كمال ، العاشر أنه تعالى له العزة المنافية لأن يكون له ضد - و هو المفسد لما يفعله ، أو ند - و هو الموجد لمثل ما يوجده[4] ، و تنزيل هذه العشرة على السورة واضح لمن تأمل الكلام و[5] تدبره ، و ابتدأ سبحانه السورة بالضمير قبل الظاهر بعد التصريح بالنصر و الفتح و خسارة أهل الكفر بخسارة أبى لهب الذى هو أعلاهم و أعزهم إشارة إلى [أن] من صحح باطنه باسم الله تعالى نصر[6] و فتح له[6] - كما يشير [إليه -[1]] تعقيب الأمر فى آخر سورة البقره بالرغبة إليه فى النصر على الكافرين بقوله "الله لا اله / الاهو الحى القيوم" فانه ترجمة أول هذه / ٩١٢ السورة التالية للنصر و الكافرون سواء بالضمير و الاسم الأعظم [و التوحيد الأعظم -[1]] المقرون[7] بدليله و هو القيومية ، فقد بين آخر السورة الذى هو نتيجتها و رد مقطعها على مطلعها[8] أنه أحـــد حاضر فى كل زمن[9] لايغيب أصلا ، و لاأحد يكافئه أو يشابهه ، لأنه لم يتولد عنه شىء و لاتولد

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : الفرانية - كذا (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : الكمال (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : يفعله (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : او (٦ - ٦) من ظ و م ، و فى الأصل : له وفتح . (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : المقرونة (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : موصلها (٩) فى ظ : ذهن .

هو عن شيء، لأنه صمد لاجوف له[1] مطلقا لا فى ذاته بالفعل، و لابحيث يجوّزه الوهم لأنه أحد محيط بكل شيء لأنه[2] هو الله المحيط بجميع صفات الكمال و الجمال[2]، و هو غيب محض لأنه لايقوى غيره على معرفته إلا باللوازم من الصفات المعقولة تقريبا، و الأفعال المشاهدة آثارها،

٥ و هو هو الذى [هو -[3]] - مع كونه غيب الغيب - مستحضر فى كل لب، لا يظهر بغيب عن[4] أحد بما له من الآثار، التى[5] ملأت الأقطار، و لذلك استحق التسمية بـ «هو»، و لم يستحقها غيره لحضوره[6] لكل قلب و غيبة غيره بكل اعتبار، لأنه ليس للغير من ذاته إلا الغيبة[7] بالعدم، و أما هو[8] فهو الواجب[8] وجوده، و هو الذى أوجد غيره، و ركز فى [كل -[3]]

١٠ فطرة ذكره[9]، لما له سبحانه من الكمال، و لغيره من شدة الحاجة إليه و الاختلال، فكان سبوحا قدوسا جامعا بين الوصفين لأنه ممدوح بالفضائل و المحاسن، التقديس مضمر فى صريح التسبيح، و التسبيح مضمر فى صريح التقديس، و قد جمع الله سبحانه و تعالى بينهما فى هذه السورة بالأسماء التى جلاها أولها، فهو صريح التقديس، و من ثم إلى آخرها صريح التسبيح،

(١) زيد فى الأصل: أصلا، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) فى ظ و م: الذى هو جامع لصفات الكمال (٣) زيد من ظ و م (٤) زيد فى الأصل: كل، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) سقط من م (٦) فى م: بحضوره (٧) من ظ و م، و فى الأصل: لغيبة (٨ - ٨) من ظ و م، و فى الأصل: فالواجب (٩) من ظ و م، و فى الأصل: ذكر.

و الأمران راجعان إلى إفراده و توحيده و نفى التشريك و التشبيه عنه، و ذلك هو الجمع بين الإثبات و النفى على تهييج ما وقع فى كلمة الإخلاص ليعلم أن الإثبات[1] لا يكمل إلا بصيانته عن كل ما يتضمن مخالفته، لكن كلمة الإخلاص تركبت[2] من نفى ثم إثبات، و سورة الإخلاص من إثبات ثم نفى، [3]فأولها إثبات[3] و آخرها نفى، و آخر الإثبات الصمد، [فهو -[4]] جامع بين الأمرين فانه جمع كل صفة لا يتم الخلق إلا بها [5]لأن أحد مدلوليه[5] فى اللغة: السيد الذى يرجع إليه، فاقتضى ذلك إثبات صفات الكمال التى بها يتم اتساق الأفعال و نفى كل صفة ينزه عنها، لأن ثانى مدلوليه فى اللغة: الذى لا جوف له، و ذلك يتضمن نفى النهاية و نفى الحد و الجهة و الجسم و الجوهر، لأن من اتصف بشىء من ذلك لم يستحل اتصافه بالتركيب و وجود الجوف، فقررت هذه الكلمة وجوب[6] المعرفة بالنفى و الإثبات ليميز بين الحق و الباطل، لأن من [لم -[4]] يتحقق صفاء الباطل لم يتقرر له المعرفة بالحق، و لذلك كان الصحابة رضى الله تعالى عنهم و أرضاهم أجمعين يسألون النبى صلى الله عليه و سلم / عن الحق لصحة الاعتقاد و المعرفة، و عن الباطل و الشر للتمكن من ٩١٣ / مجانبته حتى قال حذيفة رضى الله تعالى عنه: كان [الناس -[4]] يسألون

(١) العبارة من هنا إلى « ثم اثبات » ساقطة من ظ (٢) من ظ و م، و فى الأصل : تركيب (٣-٣) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٤) زيد من ظ و م (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل : فا اجل مدلوليته (٦) من ظ و م، و فى الأصل : وجوف .

النبي صلى الله عليه و سلم عن الخير ، و كنت أسأله عن الشر . و ذلك لأن من لم يعرف الشر يوشك أن يقع فيه ، و أن ما خالفت كلمة الشهادة فى الترتيب لأن تلك أتت للادخال فى الدين ، و الأليق بمن كان خارجا أو ضعيفا فيه - و هم الأكثر - نفى الباطل أولا و محوه من لوح القلب ليأتى[1] إثبات الحق فيه و هو فارغ[2] فيقر فيه ، فلما[3] نفت أولا كل غير كان[4] سببا للمجانبة و البعد عن حضرات القدس ، ثم [5]أثبتت الذات[5] الأقدس و المسمى الأشرف الأنفس ، أكدت[6] سورة الإخلاص لأنها للكمل الذين تخلقوا بما قبلها من السور ، هذا الإثبات عند استحضاره ، و شهود الجميل من آثاره ، ثم ختمت بنفى الأغيار ، ليكون بذلك تجلى ختام الأعمار[7] ، عند الرجوع إلى الآثار ، بالعرض على الواحد القهار ، و قد بين[8] بهذه السورة أنه طريق بين الخلق و الأمر ، فلما فتح الخلق بمتشابه خلق آدم عليه الصلاة و السلام لأن [9]المتشابه ما خرج[9] عن أشكاله ، و ختمت أقسامه الأربعة بمتشابه خلق عيسى عليه الصلاة و السلام - كما تقدم[10] عند

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : ليتأتى (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فارق (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : ولما (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : كانت (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : اثبت ذات (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : اكد (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : الاعمال (٨) فى ظ و م : تبين . (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : المشابهة ما خرجت (١٠) زيد فى الأصل : فى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

"ان الله اصطفى" فى آل عمران المناظرة لهذه السورة، لذلك فتح الأمر بعد أم الكتاب بمتشابه[1] الحروف المقطعة، و ختم دون المعوذتين اللتين هما فى الحال المرتحل كالمقدمة، و الافتتاح بالتعوذ لأم الكتاب بمتشابه هو سورة الإخلاص، و كان متشابه أوله متشابها[2] من جميع وجوهه، لايمكن أحدا أن يقول فيه قولا مقطوعا به أو مظنونا ظنا راجحا[3]، و متشابه آخره لا يقنع فيه بدون القطع فى أوله فيما كلفنا أمره فى هذه[4] الدار و هو أصول الدين، و وراء ذلك [ما - ٥] لايدركه أحد من الأبرار و لا المقربين، و هو الذات الأقدس، فمن رجع متشابه الخلق فوق منزلته كفر، و من وضع متشابه الأمر عن رتبته العلية كفر، وجعل آخره أجلى من أوله من بعض الوجوه إشارة إلى ترقية الموفق فى أمره، و أنه[6] فى الآخرة يكون[6] أجلى انكشافا و أوضح معرفة، و تلاه بالتعوذ إشارة إلى سؤال الاعتصام فى شأنه، و الحفظ التام فى مضمار عرفانه، و كرر بالتثنية لأجل الإحاطة بأمرى[7] الظاهر و الباطن[7]، و التأكيد تنبيها على صعوبة المرام، و خطر المقام.

و لما افتتح القرآن[8] بسورة مشتملة على جميع معانيه، ختم بسورتين

(١) من ظ و م، و فى الأصل: لمتشابه (٢) من ظ و م، و فى الأصل: متشابه (٣) من ظ و م، و فى الأصل: راجيا (٤) من ظ و م، و فى الأصل: هذا (٥) زيد من ظ و م (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: يكون فى الآخرة. (٧-٧) من ظ و م، و فى الأصل: الباطن و الظاهر (٨) من ظ و م، و فى الأصل: المقام.

يدخل معناهما، و هو التعوذ، و يندب ذكره فى جميع أجزائه و مبانيه، و فى ذلك لطيفة أخرى عظيمة جدا، و هى أنه لما علم بالإخلاص تمام العلم و ظهور الدين / على هذا الوجه الأعظم، فحصل بذلك غاية السرور، و كان التمام فى هذه الدار مؤذنا بالنقصان، جاءت المعوذتان[1] لدفع شر ذلك، و قد انقضى الكلام على ما يسره الله تعالى من كنوز معانى سورة الإخلاص بحسب التركيب و النظم و الترتيب، و بقى الكلام على ما فتح الله به من أسرارها فى الدلالة على مقصود السورة بالنظر إلى كلماتها مفردة ظواهر و ضمائر ثم حروفها، ففيها من الأسماء الحسنى و الصفات العلى[2]، التى أسس عليها بنيانها، و انبنت عليها أركانها، خمسة هى العشر من كلمات [آية - ٣] الكرسى كما أن الصلوات المكتوبات خمس و هى خمسون فى أم الكتاب، الحسنة بعشر أمثالها، فمن لطائف إشاراتها أنها كدعائم الدين الخمس، فالضمير مشير[4] إلى تصحيح ضمير القلب بالإيمان، و صحة القصد و الإذعان، حتى يقوم بناء العبادة، و الاسم الأعظم إشارة[5] إلى أن ذلك التصحيح لأجل التأله بالخضوع للاله الحق باستحضار اسمه الأعظم كما أن[6] الصلاة أعظم عبادات البدن، هذا للتهيئة فى الدخول فى العبادة، ثم إن الدخول فيها شرطه أحدية التوجه تحقيقا للصدق فى صحة العزم

٩١٤ /

(١) من ظ و م، و فى الأصل: المعوذات (٢) من ظ و م، و فى الأصل: العليا (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: مشيرا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: اشار (٦) من ظ و م، و فى الأصل: كان.

عليها

عليها كما أن الزكاة تكون مصدقة للايمان، و ذلك التوحيد فى التوحيد يكون لأجل الصدق فى التأله بما يشير[1] إليه إعادة الاسم الأعظم كما هو شأن الحاج الأشعث الأغبر المتجرد، و يكون ذلك التأله باستحضار افتقار العابد إلى المعبود و تداعيه إلى الهلاك بكل اعتبار لأنه أجوف[2]، و غنى المعبود على الإطلاق بما يشير إليه الاسم الإضافى الصمد كما هو ٥ شأن الصائم فى عبادته، و استحضاره لحقارته و شدة حاجته، و لجلالة مولاه، و تعاليه فى غناه، فمن صحت له هذه الدعائم الخمس كانت عبادته فى الذروة العليا من القبول، و إلا كان لها اسم الحصول من غير كثير محصول - و الله الموفق، و كونها خمس عشرة كلمة إشارة إلى أنهم فى السنة الخامسة عشرة من النبوة يعلمون - بغلبة قهره و سطوة سلطانه و تاييده للمستضعفين ١٠ من حزبه، و تقويته لهم فى وقعة بدر فى السنة الثانية من الهجرة - أن مرسله لا كفوء له بعلم شهودى لايقدر أحد على تكذيبه و دفعه، فيقوم به دليل الإخلاص، و لات حين مناص، و إذا ضممت إليها الضمير الواجب الاستتار فى "قل" كانت [3]ست عشرة[3] إشارة إلى أنه فى السنة السادسة عشرة من النبوة و هى الثالثة من الهجرة فى[4] غزوة أحد يكون ١٥ الظاهر فيها اسمه تعالى الباطن، فانه كان فيها من المصيبة ما هو مذكور فى السير تفصيله من قتل سبعين من الصحابة رضى الله تعالى عنهم منهم[5]

(١) من ظ و م، و فى الأصل: بما (٢) من ظ و م، و فى الاصل: احرف.
(٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: ستة عشر (٤) من ظ و م، و فى الأصل: من (٥) من ظ و م، و فى الأصل: فمنهم.

٩١٥ / حمزة بن عبد المطلب / رضى الله تعالى عنه عم رسول الله صلى الله عليه و سلم أسد الله و أسد رسوله صلى الله عليه و سلم ، و ذلك بعد أن ظهر فيها النبي صلى الله عليه و سلم فى أول النهار ، ظهورا بينا حتى كانت هزيمة الكفار ، لاشك فيها - كما قال الله تعالى "و لقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم ٥ باذنه حتى إذا فشلتم و تنازعتم" - الآيات ، ثم أخفى الله ذلك فى إزالة الكفار فى أثناء النهار ، فهزم الصحابة رضى الله تعالى عنهم حتى لم يبق مع النبي صلى الله عليه و سلم منهم إلا نفر يسير جدا أكثر ما ورد فى عددهم[1] أنهم يقاربون الأربعين و هو ثابت بهم - صلى الله عليه و سلم - فى نحر العدو و هم نحو من ثلاثة آلاف فيهم مائتا فارس يحاولهم ١٠ و يصاولهم يشتملون عليه مرة و يفترقون عنه[2] أخرى ليعلم أن الناصر إنما هو الله سبحانه و تعالى وحده[3]. و قد قال ابن عباس رضى الله عنهما : ما نصر النبي صلى الله عليه و سلم فى موطن من المواطن ما نصر فى غزوة أحد ، و قال أبو سفيان ابن حرب يوم إسلامه فى عام الفتح للنبي صلى الله عليه و سلم : ما قاتلتك[4] من مرة إلا ظهرت علىّ، أظن لو كان مع الله غيره ١٥ لقد أغنى شيئا . و لكن الذى ظهر منها ما كان فى آخر النهار من ظهور الكفار . فأخفى الله تعالى نصره لنبيه صلى الله عليه و سلم فيها باسمه الباطن إلا على أرباب البصائر، فما علم ذلك [إلا -[5]] بوجه خفى جدا مناسبة

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عدهم (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : عليه.
(٣) من ظ و م ، و فى الأصل : احد (٤) من م ، و فى الأصل و ظ : فاتنك .
(٥) زيد من ظ و م .

للضمير الباطن الواجب الاستتار، و إذا ضممت إلى ذلك الضميرين المستترين الجائزى[1] الظهور، فكانت الكلمات بذلك ثمانى عشرة، كانت إشارة إلى أن فى السنة الثامنة عشرة[2] من النبوة - و هى الخامسة من الهجرة - دلالة عظيمة على أنه لا كفوء له [3]يوجب الإخلاص على وجه هو[3] أجلى مما كان فى غزوة أحد[4] و إن كان فيه نوع خفاء، و ذلك ٥ فى غزوة الأحزاب و بنى قريظة حين رد الله الكفار بغيظهم لم ينالوا خيرا بعد أن كانوا فى عشرة آلاف مقاتل غير بنى قريظة، يقولون: إنه لا غالب لهم، و كفى الله المؤمنين القتال، [5]و كان الله قويا عزيزا قاهرا لهم[5] بريح و جنود لم يروها، و أمكن [من -[6]] بنى قريظة، و كان الله قويا عزيزا، و ذلك فى شوال و ذى القعدة سنة خمس من الهجرة. فاذا ١٠ ضممت إليها الضمير الآخر البارز[7] بالفعل فى "له" فكانت تسع عشرة، كانت إشارة / إلى مثل ذلك على وجه [أجلى -[6]] فى[8] عمرة الحديبية فى ذى القعدة سنة ست من الهجرة، فانه كان فيها الفتح السببى الذى أنزل الله سبحانه و تعالى فيه سورة الفتح، و كان فيها من دلائل الوحدانية

/ ٩١٦

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الجائزين (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الثانية عشرة، و زيد بعده فى الأصل: كانت اشارة الى ان فى السنة الثمانية عشر، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: على وجه يوجب الاخلاص (٤) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) زيد من ظ و م (٧) زيدت الواو فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٨) من ظ و م، و فى الأصل: من.

أمور كثيرة توجب الإخلاص، و إن كان فى ذلك نوع خفاء مناسبة للضمير و إن كان بارزا بالفعل. فقد خفى على كثير من الصحابة رضى الله تعالى عنهم أجمعين حتى نبههم النبى صلى الله عليه و سلم، فاذا ضممت إليها كلمات البسملة الأربع كانت ثلاثا و عشرين توازى السنة العاشرة من الهجرة، و هى الثالثة و العشرون من النبوة، [1]و فيها كان[1] استقرار الفتح الأكبر و الإخلاص الأعظم بنفى الشرك و أهله من جزيرة العرب لحجة الوداع التى قال النبى صلى الله عليه و سلم فيها: [إن الشيطان -[2]] قد أيس أن يعبد فى أرض العرب. و لذلك توفى الله تعالى نبيه صلى الله عليه و سلم عقبها بعد إظهار الدين و إذلال الكافرين و إتمام النعمة، و قام سبحانه بنصر الأمة وحده بعد أن مهد أسباب النصر بنبيه صلى الله عليه و سلم حتى علم قطعا فى الردة و أحوالها، و موج الفتنة و أهوالها، و غلبة رعبها على القلوب و زلزالها، فى ذلك الاضطراب الشديد، أنه الإله وحده الذى لا كفوء له لحفظ الدين [3]فى حياة نبيه[3] صلى الله عليه و سلم [و -[4]] بعده، و كذا فيما بعد ذلك من فتوح البلاد، و إذلال الملوك العتاة الشداد، مع ما لهم من الكثرة و القوة بالأموال و الأجناد[5]، و التمكن العظيم فى[6] البلاد، و جعل النصر عليهم بأهل الضعف و القلة

(١-١) من ظ و م، و فى الأصل: كان فيها (٢) زيد من ظ و م (٣-٣) من ظ و م، و فى الأصل: بنبيه (٤) من ظ و م، و فى الأصل: الأحد (٥) زيد فى الأصل: العباد و. و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

آية فى آية، و دلالة بالغة فى ظهورها الغاية. و إذا سلكت طريقا آخر فى الترتيب فى الكلمات الخطية و الاصطلاحية دلّك على مثل ذلك بطريق آخر. و ذلك أن تضم إلى الكلمات الخمس عشرة كلمات البسملة الأربع[1] لتكون تسع عشرة فتوازى سنة ست من الهجرة، و ذلك سنة عمرة الحديبية التى سماها الله تعالى فتحا، و أنزل فيها سورة الفتح ٥ لكونها كانت سبب الفتح الذى هو عمود الإخلاص، فاذا ضممت إليها الضمير المستتر كانت عشرين، فوازت سنه سبع التى كانت فيها عمرة القضاء، فأظهر الله فيها الإخلاص على عبده و رسوله صلى الله عليه و سلم بين أظهر المشركين فى البلد الذى كان بعثه منه و فيه على وجه ظهر فيه أنه لا كفوء له، و لكن كان ذلك بوجه خفى، فاذا ضممت إليها ١٠ الضميرين المستترين الجائزى البروز / كانت اثنتين[2] و عشرين موازية لسنة تسع سنة الوفود [و - [3]] دخول الناس فى [4]دين الله[4] أفواجا، [5]فالإلهية من حيث هى تقتضى الوحدة، و الوحدة لاتقتضى الإلهية، و عبر به دون الواحد لأن المراد الإبلاغ فى الوصف بالوحدة إلى حد لايكون شىء أشد منه، و الواحد - قال ابن سينا - مقول على ما نحته من التشكيك، ١٥ و الذى لاينقسم بوجه أصلا أولى بالواحدانية مما ينقسم من بعض الوجوه،

/ ٩١٧

(١) من ظ و م. و فى الأصل: الاربعة (٢) من م، و فى الأصل و ظ: اثنين (٣) زيد من ظ (٤-٤) من ظ، و فى الأصل و م: الدين (٥) العبارة فى م من هنا و فى ظ من «وعبر به» ساقطة إلى ما سننبه عليه، و حذفها أولى إلا أنا أبقيناها على وجه الاحتياط.

و الذى ينقسم انقساما عقليا أولى مما ينقسم بالحس، [و -[1]] الذى ينقسم بالحس و هو بالقوة أولى من المنقسم بالحس بالفعل، و إذا ثبت أن الوحدة قابلة للأشد و الأضعف و أن الواحد مقول على ما تحته بالتشكيك (؟) كان الأكمل فى الفعل الذى لا يمكن أن يكون شىء آخر أقوى منـــه فيها ٥ و إلا لم يكن بالغا أقصى المرام، و الأحد جامع لذلك دال على الواحدية من جميع الوجوه، و أنه لا كثرة هناك أصلا، لامعنوية من المقولات من الأجناس و الفصول و لا بالأجزاء العقلية كالمادة و الصورة، و لا حسية بقوة و لا فعل كما فى الأجسام، و ذلك لكونه سبحانه و تعالى منزها عن الجنس و الفصل و المادة و الصورة و الأعراض و الأبعاض و الأعضاء ١٠ و الأشكال و الألوان و سائر الوجوه وجوه التشبيه التى تثلم الوحدة الكاملة الحقة اللائقة بكرم وجهه و عز جلاله أن يشبهه شىء أو يساويه شىء لأن كل ما كانت هويته أن تحصل من اجتماع آخر كانت هويته موقوفة على تلك الأجزاء فلا يكون هو هو لذاته بل لغيره، فلذا كان منزها عن الكثرة بكل اعتبار و متصفا بالوحدة من كل الوجوه، فقد بلغ هذا ١٥ النظم من البيان أعظم شأن، فسبحان من أنزل هذا الكلام ما أعظم شأنه و أقهر سلطانه! فهو منتهى الحاجات. و من عنده نيل الطلبات، و لا يبلغ أدنى ما استأثره من الجلال و العظمة و البهجة أقصى نعوت الناعتين، و أعظم وصف الواصفين، بل القدر الممكن منه الممتنع أزيد منه هو الذى ذكره فى كتابه العزيز، و أودعه وحيه المقدس الحكيم، و بالكلام على معناه ٢٠ و المعنى الواحد تحقق ما تقدم، قال الإمام أبو العباس الاقليشى فى شرح

(١) زيد ولا بد منه.

الأسماء الحسنى، فمن أهل اللسان من ساوى بينهما جعلهما مترادفين، و منهم من قال: أصل «أحد» واحد، أنقطت منه الألف، ثم أبدلت الهمزة من الواو المفتوحة مثل حسن يحسن فهو حسن - من الحسن، أبدلت الواو همزة، و أما من فرق بينهما فنهم من قال: «أحد» على خياله، لا إبدال فيه و لا تغيير، ومنهم من قال: أصله وحد - أبدلت الواو همزة - انتهى. و قد استخلصت الكلام على الاسمين الشريفين من عدة شروح للأسماء الحسنى و غيرها، منها شرح الفخر الرازى و الفخر الحرالى و غيرهما - قالوا: الواحد الذى لا كثرة فيه بوجه لا بقسمة و لا بغيرها مع اتصافه بالعظمة / ليخرج الجوهر الفرد و هو الذى لا يتثنى[1]، اى لا ضد له و لا شبيه، فهو سبحانه و تعالى واحد بالمعنيين على الإطلاق لا بالنظر إلى حال و لا شيء، قال الإمام أبو العباس الاقليشى فى شرح الأسماء الحسنى: هذه حقيقة الوحدة عند المحققين فلا يصح أن يوصف شيء مركب بها إلا مجازا كما تقول: رجل واحد و درهم واحد، و إنما يوصف بها حقيقة ما حراله (؟) كالجوهر عند الأشعرية غير أنك إذا نظرت فوجدت وجوده من غيره علمت أن استحقاقه لهذا الوصف ليس كاستحقاق موجده له، و هو أيضا إنما يوصف به لحقارته، و موجده سبحانه و تعالى موصوف به مع اتصافه بالعظمة، فاتصافه بالوحدة على الإطلاق، و الاتصاف بالجوهر بالنظر إلى عدم التركيب من الجسم مع صحة اتصافه بأنه جزء يزيل عنه حقيقة ذلك، و الوحدة أيضا بالنظر إلى المعنى الثانى - و هو ما لا نظر له - لا تصح بالحقيقة إلا له سبحانه

/ ٩١٨

(١) فى الأصل: لا يتكنى.

و تعالى، و كل ما نوعيته فى شخصيته كالعرش و الكرسى و الشمس و القمر يصح أن يقدر لها نظائر، و لها معنى ثالث و هو التوحيد بالفعل و الإيجاد، فيفعل كل ما يريد من غير توقف على شىء، و الفرق بين هذا الوجه و الذى قبله أن الأول ناظر إلى نفى إله ثان، و هذا ناف لمعين و وزير، و كلاهما وصف ذاتى سلبى، و الحاصل أن النظر الصحيح دل على أن لنا موجدا واحدا بمعنى أنه لا يصح أن يلحقه نقص لقسمته بوجه من الوجوه، و بمعنى أنه معدوم النظير[1] بكل اعتبار، و معنى أنه مستبد بالفعل مستقل بالإيجاد و متوحد بالصنع منفرد بالتدبير، قضى بهذا شاهد العقل المعصوم من ظلمة الهوى و كثافة الطبع، و ورد به قواطع النقل و نواطق السمع، و لهذا كان من أعظم الخلق دعاؤه سبحانه و تعالى لجميع الخلق، و كانت دعوة رسوله الخاتم صلى الله عليه و سلم للخلق كافة، و قال حجة الإسلام أبو حامد الغزالى فى آخر شرحه للأسماء الحسنى فى شرحه فى بيان رد الأسماء الكثيرة إلى ذات: الواحد و سبع صفات الأحد المسلوب عنه النظير، و قال فى الشرح المذكور: الواحد هو الذى لا يتجزى ولا يثنى، أما الذى لا يتجزى فكالجوهر الذى لا ينقسم فيقال عنه: إنه واحد - بمعنى أنه لا جزء له، و كذلك النقطة لا جزء لها، و الله تعالى واحد بمعنى أنه يستحيل تقدير الانقسام فى ذاته، و أما الذى لا يثنى فهو الذى لا نظير له كالشمس مثلا فانها - و إن كانت قابلة للانقسام بالوهم - متحيزة فى ذاتها / لأنها من قبيل الأجسام فهى لا نظير لها إلا أنه يمكن لها نظير، و ليس فى الوجود موجود يتفرد بخصوص وجوده تفردا

/ ٩١٩

(١) فى الأصل: النظر.

لا يتصور

لا يتصور أن يشاركه فيه غيره أصلا إلا الواحد المطلق أزلا و أبدا، و العبد إنما يكون واحدا إذا لم يكن له فى أبناء جنسه نظير فى خصلة من خصال الخير، و ذلك بالإضافة إلى بعض الخصال دون الجميع، فلا وحدة على الإطلاق إلا لله سبحانه و تعالى، و قال محمد بن عبد الكريم الشهرستانى فى مقدمة كتاب الملل و النحل: و اختلفوا فى الواحد أهو من العدم أم ٥ مبدأ العدد و ليس داخلا فى العدد، و هذا الاختلاف إنما ينشأ من اشتراط لفظ الواحد أيضا، فالواحد يطلق به و يراد به ما يتركب منه العدد، فان الاثنين لا معنى له إلا واحد تكرر أول تكرير و كذا الثلاثة و الأربعة، و يطلق و يراد به ما يحصل منه العدد الذى هو علة، و لا يدخل فى العدد الذى لا يتركب منه العدد، و قد يلازم الواحدية جميع الأعداد ١٠ لا على أن العدد يتركب بها بل و كل موجود فهو جنسه أو نوعه أو شخصه واحد، يقال: إنسان واحد. و فى العدد أنه لا كفوء له و لكن كان ذلك بوجه خفى، فاذا ضممت إليها الضميرين المستترين الجائزى البروز كانت اثنين و عشرين موازية لسنة تسع سنة الوفود و دخول الناس فى الدين أفواجا، [1]و حجة أبى بكر رضى الله عنه و تطهير المسجد الحرام ١٥ من نجس الإشراك بالبراءة من المشركين و زجرهم عن[2] أن يحج بعد[3] ذلك العام مشرك، و نهيهم عن قربانهم المسجد الحرام لأنهم نجس، و انتشار الإخلاص فى أغلب بلاد[4] العرب، و ذلك أجلى مما مضى مناسبة

(١) و من هنا تستأنف العبارة فى ظ و م (٢) فى ظ: من (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٤-٤) فى ظ و م، و فى الأصل: دار

لما دل عليه، و فيه نوع خفاء عند من كان بقى من المشركين، و إذا ضممت إليها الضمير الآخر البارز بالفعل كانت ثلاثا و عشرين[1] توازى سنة حجة الوداع سنة عشر[2]، و هى التى تم فيها الإخلاص و لم يحج بها مشرك، و أيس الشيطان فيها أن يعبد فى جزيرة العرب، و [فى -[3]] ذلك - لكون الكلمة ضميرا - نوع يسير من الخفاء بما دل عليه بعد ذلك من الردة، و كان ذلك أنسب الأشياء بالكلمة المتحملة لذلك الضمير و هى له، هذا ما يسره الله من أسرار كلماتها بحسب الأعداد، و أما حروفها فمن الأسرار العظيمة أنها[4] صفة الله، و أن حروفها مع البسملة بالنظر إليها من حيث اللفظ و كذا من حيث الرسم ستة[5] و ستون حرفا، و كذا عدة حروف الجلالة الملفوظة و كذا المرسومة بحساب الجمل، فكل ما دعت إليه هو مدلول هذا الاسم الأعظم، و هذه العدة إذا أخذت من أول مولد[6] النبى صلى الله عليه و سلم كان آخرها منطبقا على سنة موت صديقه الأكبر الذى سبق غيره بما وقر فى صدره / و هو أبو بكر رضى الله تعالى عنه، و ذلك دلالة على أنه لا يوازيهما أحد فى الإخلاص، و أنهما وصلا فيه إلى الرتبة العليا، و إن كان النبى صلى الله عليه و سلم أعلى الخلق فيه، و فى ذلك أيضا دلالة على أنه لا كفوء له لأنه نفى الإشراك /٩٢٠

(١) من ظ و م، و فى الأصل: عشر (٢) من ظ و م، و فى الأصل: عشرة.
(٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: انه (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ست (٦) فى ظ: براءة.

بحذافيره من جميع جزيرة العرب بعد أن كانوا مطبقين عليه ، و أطلقهم[1] سبحانه و تعالى على من يليهم من [ملوك -[2]] الأمم حتى أظهر الله بهم الدين - و قد كانوا أذل الأمم - على الدين كله ، و نفوا جبارة الملوك صغرة بعد أن [3]كان عندهم أنه[3] لا غالب لهم ، و حروفها الملفوظة هى بعدد [كلمات -[2]] آيات التوحيد ، و هى آية الكرسى أعظم آية فى القرآن ، و ذلك خمسون حرفا إلا واحدا[4] هو ألف "كفؤا" الذى هو مرسوم غير ملفوظ ، و هو الدال على الضمير الذى هو غيب الغيب ، [فهو غيب -[5]] من جهة عدم اللفظ به ، و وجود و ظهور من جهة شاهد الرسم و مسموع الاسم ، كما أن الذات غيب محض من جهة الحقيقة يدرك بمشاهدة الأفعال ، و مسموع الأسماء العوال - و الله الهادى [6]من الضلال[6] .

(١) فى ظ : اطلقه (٢) زيد من ظ و م (٣ - ٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كانوا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : واحد (٥) زيد من م (٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة الفلق [1]

مقصودها الاعتصام من[2] شر كل ما انفلق عنه الخلق الظاهر و الباطن، و اسمها ظاهر الدلالة على[3] ذلك ﴿بسم الله﴾ الذى له جميع الحول ﴿الرحمن﴾ الذى استجمع كمال الطول ﴿الرحيم ٥﴾ الذى أتم على أهل وداده جميل النول بالسلام من علىّ القول.

لما افتتح سبحانه و تعالى هذا[4] الذكر[5] الحكيم بالهداية فى قوله تعالى "اهدنا الصراط المستقيم" و بالهداية و التقوى التى هى شعار التائب فى قوله تعالى "هدى للمتقين" و ذلك أول منازل السائرين، و ختم بتقرير أمر التوحيد على وجه لا يتصور أن يكون أكمل منه، و تقرير الإخلاص فيه كما يشعر به الأمر بـ "قل" و ذلك[6] هو نهاية المقامات عند العارفين، فتم بذلك الدين، و انتهى سير السالكين، و ختم الإخلاص المقررة لذلك بأنه تعالى لا كفوء له، فتوفرت الدواعى على الانقطاع إليه و العكوف عليه

وألقت[7] عصاها و اطمأن بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

أمر بالتعوذ برب هذا الدين، موافقة لإياك نعبد و إياك نستعين، من

---

(١) الثالثة عشرة بعد المائة من سور القرآن الكريم، مكية، و عدد آيها ٥.
(٢) زيد فى الأصل و ظ: كل، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٣) من ظ و م، و فى الأصل: فى (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: ذكر (٦) من ظ و م، و فى الأصل: هذا (٧) من ظ و م، و فى الأصل: النفت.

شر ما يقدح فيه بضرر فى الظاهر أو فى الباطن[1] وهم الخلائق حتى على الفنا فى الغنا ، و بدأ بما يعم شياطين الإنس و الجن فى الظاهر و الباطن. ثم اتبع بما يعم القبيلين[2] و يخص الباطن الذى يستلزم صلاحه صلاح الظاهر، إعلاما بشرف الباطن على وجه لا يخل بالظاهر ، و فى ذلك إشارة إلى الحث على معاودة القراءة[3] من أول / القرآن كما يشير إليه قوله تعالى ٥ / ٩٢١ "فاذا قرأت القرآن - أى أردت قراءته - فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم" فقال تعالى: ﴿قل﴾ أى لكل من يبلغه القول من جميع الخلائق تعليما لهم و أمرا ، فانهم كلهم مربوبون مقهورون لا نجاة لهم فى شىء من الضرر إلا بعصمته سبحانه و تعالى، فعلى كل منهم ان يفزع أول ما تصيبه المصيبة إلى مولاه القادر على كشفها تصحيحا لتوكله فانه يرتقى بذلك إلى ١٠ حال الرضا بمر القضاء ، و لا يأخذ فى الاعتماد على جلادته و تدبيره بحوله و قوته فانه يشتد أسفه و لا يرد[4] ذلك عنه[4] شيئا : ﴿اعوذ﴾ [أى -[5]] أستجير و التجئ و أعتصم و أحترز .

و لما كان هذا المعنى أليق شىء بصفة الربوبية لأن الإعاذة من المضار أعظم تربية قال : ﴿برب الفلق﴾ أى الذى يربيه و ينشئ منه ما يريد ، ١٥ و هو الشىء المفلوق بايجاده[6] ظلمة العدم كالعيون التى فلقت بها ظلمة

(١) من م ، و فى الأصل و ظ : بالباطن (٢) من م ، و فى الأصل و ظ : القبلين.
(٣) من ظ و م . و فى الأصل : القرآن (٤-٤) من م ، و فى الأصل و ظ : عند ذلك (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل : من ، و فى ظ : عن ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها.

الأرض و الجبال، و كالأمطار التى فلقت بها ظلمة الجو و السحاب، و كالنبات الذى فلقت به ظلمة الصعيد، و كالأولاد التى فلقت بها ظلمة الأحشاء، و كالصبح الذى فلقت به ظلمة الليل، و ما كان من الوحشة إلى ما حصل من ذلك من الطمأنينة و السكون و الأنس و السرور إلى غير ذلك من سائر المخلوقات، قال الملوى: و الفلق - بالسكون و الحركة: كل شيء انشق عنه ظلمة العدم و أوجد من الكائنات جميعها[1] - انتهى، و خص فى العرف بالصبح فقيل: فلق الصبح، و منه قوله تعالى "فالق الاصباح" لأنه ظاهر فى تغير الحال و محاكاة يوم القيامة الذى هو أعظم فلق يشق ظلمة الفنا و الهلاك بالبعث و الإحياء. فان القادر على ما قبله بما نشاهده قادر عليه، لأنه لافرق، بل البعث أهون فى عوائد الناس لأنه إعادة، كذا سائر الممكنات، و من قدر على ذلك قدر على إعاذة المستعيذ من كل ما [2]يخافه و[2] يخشاه.

و لما كانت الأشياء قسمين: عالم الخلق، و عالم الأمر، و كان عالم الأمر خيرا كله. فكان الشر منحصرا فى عالم الخلق خاصة بالاستعاذة فقال تعالى معمما فيها: ﴿من شر ما خلق﴾ أى من كل شيء سوى الله تعالى عز و جل و صفاته، و الشر تارة يكون اختياريا من العاقل[3] الداخل تحت مدلول "لا" وغيره من سائر الحيوان كالكفر و الظلم و نهش السباع

(١) من ظ و م، و فى الأصل: جميعا (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م.
(٣) من ظ و م، و فى الأصل: العقل.

و لدغ ذوات السموم ، و تارة طبيعيا كاحراق النار و إهلاك السموم .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : قد أشير - أى فى الكلام على أرتباط الإخلاص - إلى وجه ارتباطها آنفا ، و ذلك واضح إن شاء الله تعالى - انتهى .

و لما كان عطف الخاص على العام يعرف بأن ذلك الخاص / ٥ / ٩٢٢ أولى [1]أفراد العام[1] بما ذكر له من الحكم ، و كان شر الأشياء الظلام ، فانه أصل كل فساد ، و كانت شرارته مع ذلك و شرارة السحر و الحسد خفية ، خصها بالذكر من بين ما عمه الخلق لأن الخفى يأتى من حيث لايحتسب الإنسان[2] فيكون أضر . و لذا[3] قيل : شر العداة المداجى ، و كانت مادة "غسق" تدور على الظلام و الانصباب ، فالغسق - محركة[4] : ١٠ ظلمة أول الليل ، و غسقت العين : أظلمت أو دمعت ، و اللبن : انصب من الضرع ، و الليل : اشتدت ظلمته ، و الغسقان - محركة : الانصباب ، و الغاسق : القمر ، و كأنه سمى به لسرعة سيره و انصبابه فى البروج و لأنه ليس له من نفسه إلا الإظلام ، و الثريا - إذا سقطت - [5]و الله أعلم[5] ، قال فى القاموس : لكثرة الطواعين و الأسقام عند سقوطها ، ١٥ و الذكر - إذا قام ، كما قاله جماعة و روى عن ابن عباس[6] رضى الله

(١-١) من ظ و م ، و فى الأصل : افرد العالم (٢) وقع فى الأصل بعد « يأتى » والترتيب من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كذا (٤) من ظ و م ، وفى الأصل : محرك (٥-٥) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٦) راجع القاموس .

عنهما، و هو سبب للجهل الذي هو ظلام كله. فقال تعالى: ﴿ومن شر غاسق﴾ أي مظلم بارد منصب ظلامه و برده سواء كان أصلا في الظلام حسيا أو معنويا أو كان حاملا عليه مثل الذكر إذا قام لما يجر إليه من الوساوس الرديئة لغلبة الشهوة و استحكام سلطان الهوى، و مثل القمر لما يحدث منه من الرطوبات المفسدة للأبدان و غير ذلك ان سببا له غاية القوة كانصباب ما يفيض عن امتلاء في انحدار، و نكّره إشارة إلى أنه ليس كل غاسق مذموما - (١و الله أعلم١).

و لما كان الشيء الذي (٢اتصف بالظلام يكثف فيشتد انصبابه و أخذه في السفول إلى أن يستقر و يستحكم فيما صوب إليه مجتمعا جدا كاجتماع الشيء في الوقبة و هي النقرة في الصخرة، و كان الظلام لا يشتد أذاه إلا إذا٢) استقر و ثبت(٤)، قال معبرا بأداة التحقق: ﴿اذا وقب(٥)﴾ أي اعتكر ظلامه و دخل في الأشياء بغاية القوة كدخول الثقيل الكثيف المنصب في النقرة التي تكون كالبئر في الصخرة الصماء الملساء، و هذا إشارة إلى أنه يسهل علاجه و زواله قبل تمكنه، و في الحديث(٥): لما رأى الشمس قد وقبت قال: هذا حين حلها - يعني صلاة المغرب. و فيه

(١-١) سقط ما بين الرقمين من ظ و م، و زيد أيضا بعده في الأصل: و قال بعضهم، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م، و في الأصل: اذا (٣) زيد في الأصل: انتصف و، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها. (٤) زيد في الأصل: ثم، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) راجع النهاية - وقب.

عند أبي يعلى[1] أنه قال لعائشة رضى الله تعالى عنها عن القمر: تعوذى بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب. و أكثر الأقوال أنه الليل، خص بالاستعاذة لأن المضار فيه تكثر و يعسر دفعها[2]، و أصل الغسق الظلام، و يلزم منه الامتلاء، و قيل: إن الامتلاء هو الأصل، و أصل الوقوب / الدخول فى وقبة أو[3] ما هو كالوقبة و هى النقرة. ٥ / ٩٢٣

و لما كان السحر أعظم ما يكون من ظلام الشر المستحكم فى العروق الداخل فى وقوبها. لما فيه من تفريق المرء من زوجه و أبيه و ابنه، و نحو ذلك، و ما فيه من ضنى الأجسام و قتل النفوس، عقب ذلك بقوله تعالى: ﴿و من شر﴾.

و لما كان كل ساحر شريرا بخلاف الغاسق و الحاسد، و كان السحر ١٠ أضر من الغسق و الحسد من جهة أنه شر كله، و من جهة أنه أخفى من غيره، و كان ما هو منه من النساء أعظم لأن مبنى صحته و قوة تأثيره قلة العقل و الدين و رداءة الطبع و ضعف اليقين و سرعة الاستحالة، و هن أعرق فى كل من هذه الصفات و أرسخ، و كان ما وجد منه من جمع و على وجه المبالغة أعظم من غيره عرف و بالغ و جمع و أنث ١٥ ليدخل فيه ما دونه من باب الأولى فقال تعالى: ﴿النفّثت﴾ [أى النفوس -[4]] الساحرة سواء كانت نفوس الرجال أو نفوس النساء أى

(١) راجع المعالم ٧ / ٢٦٩ (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نفعها (٣) من ظ و م، و فى الأصل «و» (٤) زيد من ظ و م.

التى تبالغ فى النفث و هو التفل و هو النفخ مع بعض الريق - هكذا فى الكشاف، و قال صاحب القاموس: و هو كالنفخ[1] و أقل من التفل، و قال: تفل: بزق، و فى التفسير عن الزجاج أنه التفل بلا ريق، ﴿فى العقد﴾ [أى -[2]] تعقدها للسحر فى الخيوط و ما أشبهها[3]، و سبب نزول ذلك أن يهوديا سحر النبى صلى الله عليه و سلم فمرض كما يأتى تخريجه، فان السحر يؤثر باذن الله تعالى المرض و يصل إلى أن يقتل، فاذا أقر الساحر أنه قتل بسحره و هو مما[4] يقتل غالبا قتل بذلك عند الشافعى، و لاينافى قوله تعالى "و الله يعصمك من الناس" كما مضى بيانه فى المائدة، و لايوجب ذلك صدق الكفرة فى وصفه صلى الله عليه و سلم بأنه مسحور، فانهم ما أرادوا إلا الجنون أو ما يشبهه من فساد العقل و اختلاله، و المبالغة فى أن كل ما يقوله لاحقيقه له كما ان ما ينشأ عن المسحور يكون مختلطا لاتعرف حقيقته.

و لما كان أعظم حامل على السحر و غيره من أذى الناس الحسد، و هو تمنى زوال نعمة المحسود:

و داريت كل الناس إلا لحاسد ٭ مداراته عزت و شق نوالها
و كيف يدارى المرء حاسد نعمة ٭ إذا كان لايرضيه إلا زوالها

قال[6] تعالى: ﴿و من شر حاسد﴾ أى ثابت الاتصاف بالحسد معرق

(١) من ظ و م، و فى الأصل: النفخ (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اشبهتها (٤) من ظ و م، و فى الأصل: ما (٥) سقط البيتان من ظ و م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: فقال.

فيه، و نكّره لأنه ليس كل حاسد مذموما، و أعظم الحسدة الشيطان الذى ليس له دأب إلا السعى فى إزالة نعم العبادات عن الإنسان / بالغفلات . ٩٢٤ /

و لما كان الضار من الحسد إنما هو ما أظهر و عمل بمقتضاه بالإصابة بالعين أو غيرها قال مقيدا[1] له: ﴿ إذا حسدع ﴾ أى حسد بالفعل بعينه ٥ الحاسدة، و[أما - [2]] إذا لم يظهر الحسد فانه لايتأذى به إلا الحاسد لاغتمامه بنعمة غيره، و فى إشعار الآية الدعاء بما يحسد عليه من نعم[3] الدارين لأن خير الناس من عاش محسودا و مات محسودا، و من لم يلق بالا للدعاء بذلك[4] و يهتم بتحصيل ما يحسد عليه ضحك منه إبليس إذا تلا هذه الآية لكونه ليس له فضيلة يحسد عليها، و لعله عبر بأداة التحقيق ١٠ إشعارا بأن من كان ثابت الحسد متمكنا من الاتصاف به بما أشعر به التعبير بالوصف تحقق منه إظهاره، و لم يقدر على مدافعته فى الأغلب إلا من عصم الله تعالى، و قد علم بكون الحسد علة السحر - الموقع فى القتل الذى هو أعظم المعاصى بعد الشرك و فى الشرك، لأنه لايصح غاية الصحة إلا مع الشرك[5] - أن الحسد شر ما انفلق عنه ظلام العدم، و الشاهد لذلك ١٥ غلبته على الأمم السالفة و تحذير الأمة[6] التى هى خير أمة أخرجت للناس

(١) من ظ و م، و فى الأصل: معيدا (٢) زيد من هامش م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: نعمة (٤-٤) من م، و فى الأصل: الا بالدعاء كذلك، و فى ظ: بالا بالدعا لذلك (٥) فى م: مشرك (٦) من م، و فى الأصل و ظ: لامته.

منه بشهادة هاديها صلى الله عليه و سلم ، أخرج الإمام أحمد[1] و أبو داود[2] الطيالسي عن الزبير بن العوام رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : دب[3] إليكم داء[4] الأمم قبلكم : الحسد و البغضاء ، ألا والبغضاء هي الحالقة ، لا أقول : إنها تحلق الشعر و لكن تحلق الدين . و في الباب[5] عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما و ابن مسعود رضي الله عنه ، و أعظم أسباب[6] الحالقة أو كلها الحسد ، فعلم بهذا رجوع آخر السورة على أولها ، وانعطاف مفصلها على موصلها ، و من أعيذ من هذه المذكورات انفلق (٦) سماء قلبه عن شمس المعرفة بعد ظلام ليل الجهل ، فأشرقت[7] أرجاؤه بأنوار الحكم ، إلى أن يضيق الوصف له عن بدائع الكشف :

هناك ترى ما يملأ العين قرة و يسلى عن الأوطان كل غريب

فينقطع التعلق عما سوى الله بمحض الاتباع و البعد عن الابتداع بمقتضى " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله " و قد بطل بالأمر بالاستعاذة قول الجبرية : إنا كالآلة لافعل لنا أصلا ، و إنما نحن كالحجر لا يتحرك إلا بمحرك ، لأنه لو كان هو المحرك لنا بغير اختيار لم يكن للأمر فائدة ، و قول القدرية : إنا نخلق أفعالنا ، و قول الفلاسفة : [إنه - [8]]

(١) راجع المسند ١ / ١٦٧ (٢) زيدت الواو في الأصل و لم تكن في ظ و م فحذفناها (٣) من ظ و م ، و في الأصل : رب (٤) من ظ و م ، وفي الأصل : دا الحسد - كذا (٥) من ظ و م ، و في الأصل : اللباب (٦) من م ، و في الأصل و ظ : الاسباب (٧) زيد في الأصل : انواره و ، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٨) زيد من ظ و م .

إذا وجد السبب و المسبب حصل التأثير من غير / احتياج إلى ربط إلهى ٩٢٥ /
كالنار و الحطب ، لأنه لو كان ذلك لكانت[1] هذه الأفعال المسببات [إذا
وجدت من فاعليها الذين هم الأسباب ، أو الأفعال التى هى الأسباب -[2]] ،
و المسببات التى هى الأبدان المراد تأثيرها أثرت و لم تنفع الاستعاذة ،
و الشاهد خلافه ، و ثبت قول الأشاعره أهل السنة و الجماعة أنه إذا ٥
وجد السبب و المسبب توقف وجود الأثر على إيجاد الله تعالى ، [3]فان أنفذ[3]
السبب وجد الأثر ، و إن لم ينفذه[4] لم يوجد ، و السورتان معلمتان بأن البلايا
كثيرة و هو قادر على دفعها . فهما حاملتان على الخوف و الرجاء ، و ذلك
هو لباب العبودية ، و سبب نزول المعوذتين على ما نقل الواحدى عن
المفسرين رحمة الله عليهم أجمعين و البغوى[5] عن ابن عباس و عائشة ١٠
رضى الله عنهم أن غلاما من اليهود كان يخدم النبى صلى الله عليه و سلم
فدبت[6] إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة[7] رأس النبى صلى الله
عليه و سلم و عدة أسنان من مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها ، و تولى
ذلك لبيد بن الأعصم اليهودى ، فمرض رسول الله صلى الله عليه و سلم
و انتشر شعر رأسه ، و يرى أنه يأتى النساء و لا يأتيهن ، يذوب و لا يدرى ١٥
ما عراه ، فبينا هو نائم ذات يوم أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : لكان (٢) زيد من م (٣-٣) من ظ و م ، و فى الأصل : فاذا نفذ (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : لم ينفذ (٥) راجع المعالم ٧ / ٢٧٦ (٦) فى ظ : فدست (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : ما شطة .

و الآخر عند رجليه، فقال الذى عند رجليه للذى عند راسه: ما بال الرجل؟ قال: طب، قال: و ما طب؟ قال: سحر، قال: و من سحره؟ قال: لبيد بن الأعصم اليهودى، قال: و بما طبه؟ قال: بمشط و مشاطة[1]، قال: و أين هو؟ قال: فى جف طلعة ذكر تحت راغوفة فى بئر ذروان - بئر[2] فى [بنى -[3]] زريق. و الجف: قشر الطلع، و الراغوفة: حجر فى اسفل البئر يقوم عليه الماتح، فانتبه النبى صلى الله عليه و سلم و قال لعائشة رضى الله عنها[4]: يا عائشة! أما شعرت أن الله أخبرنى بدائى! ثم بعث عليا و الزبير و عمار بن ياسر رضى الله عنهم فنزحوا البئر كأنه[5] نقاعة الحناء، ثم نزعوا الصخرة [و أخرجوا الجف -[3]] فاذا فيه مشاطة[1] رأسه و أسنان مشطه. و إذا وتر معقد فيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل الله سبحانه و تعالى سورتى المعوذتين، و هما[6] إحدى عشرة آية: الفلق خمس[7] و الناس ست، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، و وجد رسول الله صلى الله عليه و سلم خفة حتى[8] انحلت العقدة الأخيرة فقام كأنما نشط من عقال، و جعل جبرئيل عليه الصلاة والسلام يقول: بسم الله أرقيك من كل شىء يؤذيك و من حاسد و عين و الله يشفيك. فقالوا:

(١) من ظ، و فى الأصل و م: ماشطة (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بين. (٣) زيد من ظ و م (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: كانها (٦-٦) من ظ و م، و فى الأصل: احد عشر (٧) من ظ و م، و فى الأصل: خمسة (٨) من ظ و م، و فى الأصل: حين.

يا رسول الله ! [1]أفلا نأخذه فنقتله[1] ؟ فقال : أما أنا فقد شفاني الله ، و أكره أن أثير على الناس شرا . و في رواية أنه[2] صلى الله عليه و سلم أتى البئر بنفسه ثم رجع / إلى عائشة رضي الله عنها فقال : و الله لكأن[3] ماءها نقاعة الحناء ، لكأن نخلها رؤس الشياطين ، فقلت له : يا رسول الله ! هلا أخرجته ؟ فقال : أما أنا فقد شفاني الله ، و كرهت أن أثير على الناس منه شرا . و يجمع بأنه أتاها صلى الله عليه و سلم بنفسه الشريفة فلم يخرجه ثم إنه وجد بعض الألم فأرسل إليه ، فأخرجه فزال [الألم -[4]] كله ، و روى البخاري[5] و مسلم[6] عن عائشة رضي الله عنها قالت : سحر النبي صلى الله عليه و سلم حتى أنه ليخيل إليه أنه فعل الشيء و ما فعله حتى إذا كان ذات يوم و هو عندي دعا الله و دعاه ، ثم قال : أشعرت يا عائشة أن الله تعالى [قد -[7]] أفتاني فيما استفتيته فيه ، قلت : و ما ذاك يا رسول الله ، [قال -[4]] : أتاني ملكان - فذكره ، و روى النسائي في المحاربة[8] من سننه و أبو بكر ابن أبي شيبة[9] و أحمد بن منيع و عبد بن حميد و أبو يعلى[10] الموصلي في مسانيدهم و البغوي في تفسيره[11] كلهم عن زيد ابن أرقم رضي الله عنه قال : كان رجل يدخل على النبي صلى الله عليه

/ ٩٢٦

(١) من ظ و م ، و في الأصل : ان لا يأخذه فقتله (٢) من ظ و م ، و في الأصل : ان النبي (٣) من ظ و م ، و في الأصل : كان (٤) زيد من ظ و م (٥) راجع صحيحه - الطب (٦) راجع صحيحه - السلام (٧) زيد من م (٨) راجع سحرة أهل الكتاب (٩) راجع المصنف ٨ / ٢٩ (١٠) من ظ و م ، و في الأصل : ابي يعلى (١١) راجع المعالم ٧/ ٢٦٧ .

و سلم فأخذ له فسحر النبي صلى الله عليه و سلم رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما ، فأتاه جبريل عليه الصلاة و السلام فقال : إن رجلا من اليهود سحرك ، عقد[1] لك عقدا فى بئر كذا و كذا . [2]أو قال : فطرحه[2] فى بئر رجل من الأنصار ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه و سلم فاستخرجوها فجيء بها فحلها رسول الله صلى الله عليه و سلم ، فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة ، فقام رسول الله صلى الله عليه و سلم كأنما نشط من عقال ، فما ذكر ذلك لذلك اليهودى و لا رآه فى وجهه[3] قط ، و فى رواية : فأتاه ملكان يعوذانه فقعد أحدهما عند رأسه و الآخر عند رجله فقال أحدهما : أتدرى ما وجعه[4]؟ قال : كان الذى يدخل عليه عقد له و ألقاه فى بئر ، فأرسل إليه رجلا ، و فى رواية : عليا رضى الله عنه ، فأخذ العقد فوجد الماء قد اصفر ، قال : فأخذ العقد فحلها فبرأ . فكان الرجل بعد ذلك يدخل على النبي صلى الله عليه و سلم فلم يذكر[5] له شيئا و لم يعاتبه فيه . و هذا [6]الفضل لمنفعة[6] المعوذتين كما منح الله به[7] رسوله صلى الله عليه و سلم فكذا تفضل به على سائر أمته . و روى أبو داود و الترمذى - و قال : حسن صحيح - و النسائى[8] مسندا أو مرسلا - قال النووى : بالأسانيد

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : فعقد (٢-٢) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : وجه (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : رجعه (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : لم يذكر (٦-٦) من م ، و فى الأصل : الفعل بمنعه ، و فى ظ : الفضل بمنعه (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بنبيه و . (٨) راجع السنن - الاستعاذة .

الصحيحة - عن عبد الله بن خبيب رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ قل هو الله أحد و المعوذتين حين تمسى[1] وحين تصبح [ثلاث مرات -[2]] يكفيك[3] كل شيء. والأحاديث فى فضل [هذه -[2]] [4]السور الثلاث[4] كثيرة جدا. و جعل التعويذ / فى سورتين ٩٢٧ / إشارة إلى استحباب تكريره، و جعلنا إحدى عشرة آية ندبا إلى تكثيره ٥ فى تكريره، و قدمت الفلق التى خمس آيات مع ما مضى من المناسبات لأن اقترانها بسورة التوحيد أنسب، و شفعها بسورة الناس التى هى ست آيات أنسب، ليكون الشفع بالشفع، و الابتداء بالوتر بعد سورة الوتر، و حاصل هذه السورة العظمى فى معناها الأبدع الأسمى الاستعاذة بالله بذكر اسمه "الرب" المقتضى للاحسان و التربية بجلب النعم و دفع النقم ١٠ من شر ما خلق و من السحر و الحسد، كما كان أكثر البقرة[5] المناظرة لها فى رد المقطع على المطلع لكونها ثانية من الأول كما أن هذه ثانية من الآخر فى ذكر أعداء النبى صلى الله عليه وسلم الحاسدين له على ما أوتى من النعم، و فى تذكيرهم بما منحهم من النعم التى كفروها، و أكثر ذلك فى بنى إسرائيل الذين كانوا[6] أشد الناس حسدا له صلى الله عليه ١٥ وسلم، و كان من أعظم ما ضلوا[7] به السحر المشار إليه بقوله تعالى

(١) من ظ وم، و فى الأصل: تمشى (٢) زيد من ظ وم (٣) زيد فى الأصل: الله، ولم تكن الزيادة فى ظ وم فحذفناها (٤-٤) من م، وفى الأصل: السورتين، و فى ظ: السور (٥) من ظ وم، و فى الأصل: البقربه (٦) زيد فى الأصل: الذين، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، و فى الأصل: قبلوا.

"و اتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان" حتى قال: "فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء و زوجه" إلى أن قال "ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم" و كان السحر من أعظم ما أثر فى النبى صلى الله عليه و سلم من كيدهم حتى أنزل[1] فيه المعوذتان، و كان الساحر له منهم، و قد انقضى ما يسر الله من الكلام على انتظام معانيها بحسب تركيب كلماتها، و بقى[2] الكلام على كلماتها من حيث العدد، فيما تشير إليه من البركات و المدد[3]، هى ثلاث و عشرون كلمة إشارة إلى أنه صلى الله عليه و سلم فى السنة[4] الثالثة و العشرين من النبوة يأمن من أذى حاسديه، و ذلك بالوفاة عند[5] تمام الدين و يأس الحاسدين من كل شىء من الأذى فى الدين و الدنيا، و خلاص النبى صلى الله عليه و سلم من كل كدر، فاذا ضممت إليها الضمائر و هى خمسة كانت ثمانى و عشرين، و هى توازى سنة خمس عشرة من الهجرة، و ذلك عند استحكام أمر عمر رضى الله عنه فى السنة الثانية من خلافته[6] ببث العساكر و إنفاذه إلى ملك الفرس و الروم و تغلغل هيبته فى قلوبهم و تضعضع الفرس بغلب العرب على رستم أكبر أمرائهم، و الروم بغلبهم على ماهان أعظم رؤسائهم، فاضمحل أمر المنافقين [7]و الحاسدين[7]، و أيسوا

(١) من ظ و م، و فى الأصل اثر (٢) من ظ و م، و فى الأصل: نفى. (٣) زيدت الواو بعده فى الأصل و لم تكن فى ظ و م فحذفناها (٤) سقط من ظ و م (٥) من ظ و م، و فى الأصل: عن (٦) من ظ و م، و فى الأصل: خلافة (٧-٧) تكرر ما بين الرقمين فى الأصل فقط.

من [تأثير -[1]] أدنى كيد من أحد من الكائدين، فاذا ضم إليها اربع كلمات البسملة كانت / اثنتين و ثلاثين، إذا حسبت[2] من أول النبوة وازتها السنة التاسعة عشرة من الهجرة، و فيها كان فتح قيسارية [الروم -[3]] من بلاد الشام، و بفتحها كان فتح جميع بلاد الشام، لم يبق بها بلد إلا و هى فى أيدى المسلمين، فزالت عنها دولة الروم، و فيها أيضا كان فتح جلولاء من بلاد فارس و كان فتحا[4] عظيما جدا هدّ أجنادهم و ملوكهم، و لذلك سمى فتح الفتوح، و حصل حينئذ أعظم الخزى[5] للفرس و الروم الذين هم أحسد الحسدة، لما كان لهم من العزة و القوة بالأموال و الرجال، و إن حسبت من الهجرة وازتها سنة انقراض ملك أعظم الحسدة الأكاسرة الذين[6] شقق ملكهم كتاب النبى صلى الله عليه و سلم، و أرسل إلى عامله باذان - الذى كان استخلفه[7] على بلاد اليمن - يأمره أن يغزو النبى صلى الله عليه و سلم، فأخبر الله نبيه صلى الله عليه و سلم بأنه يقتله سبحانه فى ليلة سماها، فلما أتت تلك الليلة أخبر النبى صلى الله عليه و سلم رسل باذان بذلك، فرجعوا إلى باذان فأخبروه فقال: إن كان صادقا فسيأتى الخبر فى يوم كذا، فأتى الخبر [8]فى ذلك[8] اليوم بصدقه صلى الله عليه

/ ٩٢٨

(١) زيد من ظ و م (٢) من م. وفى الأصل و ظ: حسبتها (٣) زيد من ظ.
(٤) من م، و فى الأصل و ظ: فتحها (٥) من م، و فى الأصل: المقره، وفى ظ: المقرى (٦) من م، و فى الأصل و ظ: الذى (٧) من ظ، و فى الأصل و م: استخلفهم (٨-٨) من ظ و م، وفى الأصل: بذلك.

و سلم [فأسلم -[1]] باذان و من معه من الأبناء الذين كانوا فى بلاد اليمن لم يتخلف منهم أحد، و أوفد منهم وفدا على النبى صلى الله عليه و سلم بذلك، و تولى الله و رسوله صلى الله عليه و سلم - رضى الله عنهم [2]و الله أعلم[2] .

(١) زيد من ظ و م (٢-٢) سقط ما بين الرقمين من ظ و م .

سورة الناس [1]

مقصودها الاعتصام بالإله[2] الحق من شر الخلق الباطن، و اسمها دال على ذلك لأن الإنسان مطبوع على الشر، و أكثر شره بالمكر و الخداع، و أحسن من هذا أنها للاستعاذة من الشر الباطن المأنوس به المستروح إليه، فان الوسوسة لا تكون إلا بما يشتهى، و الناس مشتق من الأنس، فان ٥ أصله أناس، و هو أيضا اضطراب الباطن المشير إليه الاشتقاق من النوس، فطابق حينئذ الاسم المسمى، و مقصود هذه السورة معلول لمقصود الفاتحة الذى هو المراقبة، و هى شاملة لجميع علوم القرآن التى هى مصادقة الله و معاداة الشيطان ببراعة الختام[3] و فذلكة النظام[4]، كما أن الفاتحة شاملة لذلك لأنها براعة الاستهلال، و رعاية [5] الجلال و الجمال[5]، فقد اتصل ١٠ الآخر بالأول اتصال العلة بالمعلول، و الدليل بالمدلول، و المثل بالممثول، و الله المسؤل فى تيسير السؤل، و تحقيق المأمول، [6]فانه الجواد ذو الطول، و به يستعان و عليه التكلان[6]: / ﴿بسم الله﴾ المحيط [علما - [7]] بكل / ٩٢٩

(١) آخر سورة من سور القرآن الكريم، مكية، وعدد آيها ٦ (٢) من م، و فى الأصل و ظ: باله (٣) من م، و فى الأصل و ظ: النظام (٤) من م، و فى الأصل و ظ: الختام (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: الجمال و الجلال.
(٦-٦) سقط ما بين الرقمين من ظ و م (٧) زيد من ظ و م.

باطن كاحاطته بكل ظاهر ﴿ الرحمن ﴾ الذى عمت نعمته[1] كل باد و حاضر ﴿ الرحيم ۝ ﴾ الذى خص أولياءه باتمام النعمة عليهم فى جميع أمورهم الأول منها و الأثناء و الآخر .

لماجاءت سورة الفلق للاستعاذة من شر ما خلق من جميع المضار البدنية و غيرها العامة للانسان و غيره[2] ، و ذلك هو جملة الشر الموجود فى جميع الأكوان و الأزمان ، ثم وقع فيها التخصيص بشرور[3] باعيانها من الفاسق و الساحر و الحاسد ، فكانت الاستعاذة فيها عامة للمصائب الخارجة التى ترجع إلى ظلم الغير ، و المعايب الداخلة التى ترجع إلى ظلم النفس ، و لكنها فى المصائب أظهر ، و ختمت بالحسد فعلم أنه أضر المصائب ، و كان أصل ما بين [4]الجن و الإنس[4] من العداوة الحسد ، جاءت سورة الناس متضمنة للاستعاذة من شر خاص ، و هو الوسواس ، و هو أخص من مطلق الحاسد ، و يرجع إلى المعايب الداخلة اللاحقة للنفوس البشرية التى أصلها كلها الوسوسة ، و هى سبب الذنوب و المعاصى كلها ، و هى من الجن أمكن و أضر ، و الشر [5]كله يرجع[5] إلى المصائب و المعايب ، فقد تضمنت السورة كالفلق استعاذة و مستعاذا به و مستعاذا منه و أمرا بايجاد[6] ذلك ، فالأمر : ﴿ قل ﴾ و الاستعاذة ﴿ اعوذ ﴾ و المستعاذ به هو

(١) زيد فى الأصل : على ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : غيرها (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : لشرور . (٤-٤) من ظ و م ، و فى الأصل : الانس و الجن (٥-٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يرجع كله (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بايجاب .

الله سبحانه و تعالى ، لكن لما كانت صفة الربوبية من صفات كماله سبحانه أليق بالحماية[1] و الإعانة و الرعاية و الخلق و التدبير و التربية و الإصلاح ، المتضمن للقدرة التامة و الرحمة الواسعة ، و الإحسان الشامل و العلم الكامل ، قال تعالى : ﴿برب الناس﴾ [أى أعتصم به-[2]] أى أسأله أن يكون عاصما لى من العدو أن يوقعنى فى[3] المهالك ، قال الملوى : و الرب من له[4] ملك الرق و جلب الخيرات[5] من السماء و الأرض و إبقاؤها ، و دفع الشرور و رفعها ، و النقل من النقص إلى الكمال ، و[6] التدبير العام العائد بالحفظ و التتميم على المربوب ، و خص الإضافة [7]بالمزلزلين المضطربين[7] فى الأبدان و الأديان من الإنس و الجان لخصوص المستعاذ منه ، و هو الأضرار [8]التى تعرض[8] للنفوس العاقلة و تخصها ، بخلاف ما فى الفلق فانه[9] المضار البدنية التى تعم الإنسان و غيره .

و قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير : وجه تأخرها عن شقيقتها عموم الأولى و خصوص الثانية ، ألاترى عموم قوله "من شر ما خلق" و إبهام

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : بالجماعة (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : من (٤) زيد فى ظ : رق التمليك (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : الخير (٦) زيد فى الأصل و ظ : جلب ، ولم تكن الزيادة فى م فحذفناها. (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : بالمضطرين و المزلزلين (٨-٨) من م ، و فى الأصل و ظ : المتعرض (٩) زيد فى الأصل : من ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها .

"ما"، و تنكير "غاسق" و "حاسد". و العهد فيما استعيذ من شره في سورة الناس و تعريفه و نعته، فبدأ بالعموم ثم أتبع بالخصوص ليكون أبلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه، و أوفى[1] بالمقصود، و نظير هذا في تقديم المعنى الأعم ثم إتباعه بالأخص بتناول الدقائق و الجلائل / ٩٣٠ / قوله سبحانه و تعالى "بسم الله الرحمن الرحيم" في معنى الرحمن و[2] معنى الرحيم واحد لا في عموم الصفة الأولى و كونها للمبالغة، و قد تعرض لبيان ذلك المفسرون و لذلك نظائر - انتهى.

و لما كان الرب و الملك متقاربين في المفهوم، و كان الرب أقرب في المفهوم إلى اللطف و التربية، و كان الملك للقهر و الاستيلاء و إظهار العدل ألزم، و كان الرب قد لا يكون ملكا فلا يكون كامل التصرف، اقتضت البلاغة تقديم الأول و إتباعه الثاني، [3]فقال تعالى[3]: ﴿ملك الناس﴾[4] إشارة إلى أن[5] له كمال التصرف و نفوذ القدرة و تمام السلطان، و إليه المفزع و هو المستعان، و المستغاث و الملجأ و المعاد.

و لما كان الملك قد لا يكون إلها، و كانت الإلهية خاصة لا تقبل شركا أصلا بخلاف غيرها، أنهى الأمر إليها و جعلت[6] غاية البيان فقال:

---

(١) من ظ و م، و في الأصل: واف (٢) من ظ و م، و في الأصل: آو. (٣-٣) سقط ما بين الرقمين من ظ (٤) زيد في الأصل: اى، و لم تكن الزيادة في ظ و م فحذفناها (٥) من م، و في الأصل و ظ: انه (٦) من م، و في الأصل و ظ: جعل.

﴿إله الناس﴾ إشارة إلى أنه كما انفرد بربوبيتهم و ملكهم لم يشركه[1] فى ذلك أحد، فكذلك هو وحده إلههم لا يشركه فى إلهيته أحد، وهذه دائما طريقة القرآن يحتج عليهم باقرارهم بتوحيدهم له [2]فى الربوبية[2] والملك على ما أنكروه من توحيد الإلهية و العبادة، فمن كان ربهم و ملكهم فهم جديرون بأن لا يتألهوا[3] سواه و لا يستعيذوا بغيره كما أن أحدهم إذا دهمه أمر استعاذ بوليه من أبناء جنسه واستغاث به، و الإله من ظهر بلطيف صنائعه التى أفادها مفهوم الرب و الملك فى قلوب العباد فأحبوه و استأنسوا به و لجأوا إليه فى جميع أمورهم، [و بطن -[4]] احتجابا بكبريائه عن أن يحاط به أو بصفة[5] من صفاته أو شيء من أمره، فهابته العباد و دعاهم الحب إلى الوله شوقا إلى لقائه، و زجرتهم الهيبة فجزعوا خوفا من طرده لهم عن فنائه، و كرر الاسم[6] الظاهر دون أن يضمر فيقول مثلا: «ملكهم» «إلههم» تحقيقا لهذا المعنى و تقوية له باعادة اسمهم الدال على شدة الاضطراب المقتضى للحاجة عند كل اسم من أسمائه الدال على الكمال المقتضى للغنى المطلق، و دلالة على أنه حقيق بالإعادة قادر عليها لبيان أنه المتصرف فيهم من جميع الجهات، و بيانا لشرف الإنسان و مزيد الاعتماد بمزيد البيان، و لئلا يظن أن شيئا من هذه الأسماء يتقيد بما أضيف إليه الذى قبله من ذلك الوجه،

(١) من م، و فى الأصل: لم يشاركهم، و فى ظ: لم يشركهم (٢-٢) من ظ و م، و فى الأصل: بالربوبية (٣) فى ظ: لا يستألهوا (٤) زيد من ظ و م.
(٥) من ظ و م، و فى الأصل: صفة (٦) من ظ و م، و فى الأصل: اسم.

لأن الضمير إذا أعيد كان المراد به عين ما عاد إليه، فاشير بالإظهار
إلى أن كل صفة منها عامة غير مقيدة بشيء أصلا، و اندرج / فى هذه ٩٣١ /
الاستعاذة جميع وجوه الاستعاذات من جميع [1]وجوه التربية[1] و جميع الوجوه
المنسوبة إلى المستعيذ من جهة أنه فى قهر الملك بالضم، و جميع
٥ الوجوه المنسوبة إلى الإلهية لئلا يقع خلل فى وجه من تلك الوجوه تنزيلا
لاختلاف الصفات منزلة اختلاف الذات إشعارا بعظم الآفة المستعاذ
منها، و لم يعطف بالواو لما فيها من الإيذان بالمغايرة، و المقصود الاستعاذة
بمجموع هذه الصفات الواقعة على ذات واحدة حتى كأنها صفة واحدة،
و قدم الربوبية لعمومها و شمولها لكل مربوب على حد سواه، فلا فعل
١٠ لأحد إلا و هو خلقه سبحانه و تعالى و هو الباعث عليه، و أخر الإلهية
لخصوصها لأن[2] من لم يتقيد[3] بأوامره و نواهيه فقد أخرج[4] نفسه من أن
يجعله إلهه و إن كان فى الحقيقة لا إله سواه، و وسط صفة الملك لأن
الملك هو المتصرف بالأمر و النهى، و ملكه لهم تابع لخلقه إياهم فملكه
من كمال ربوبيته، و كونه إلههم الحق من كمال ملكه، فربوبيته تستلزم ملكه
١٥ و تقتضيه، و ملكه يستلزم إلهيته و تقتضيها، و قد اشتملت هذه [5]الإضافات
الثلاث[5] على جميع قواعد الإيمان، و تضمنت معانى أسمائه الحسنى، فان

(١ - ١) من م، و فى الأصل و ظ: الوجوه التربية (٢) من ظ و م، و فى الأصل: لا (٣) فى ظ و م: لم يتعبد (٤) زيد فى الأصل: أخر نفسه فقد، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥-٥) فى ظ: الأوصاف الثلاثة.

الرب هو القادر الخالق إلى غير ذلك مما يتوقف الإصلاح و الرحمة و القدرة [1]التي هي[1] معنى الربوبية عليه من أوصاف الجمال[2]، و الملك هو الآمر الناهي المعز المذل - إلى غير ذلك من الأسماء العائدة إلى العظمة و الجلال، و أما الإله فهو الجامع لجميع صفات الكمال و نعوت [الجلال -[3]]، فيدخل فيه جميع الأسماء الحسنى، فلتضمنها[4] جميع معاني الأسماء كان المستعيذ ٥ جديرا بأن يعوذ، و قد وقع[5] ترتيبها على الوجه الأكمل الدال على الوحدانية، لأن من رأى ما عليه من النعم الظاهرة و الباطنة، علم أن له مربيا، فاذا تغلغل في العروج في درج معارفه[6] سبحانه و تعالى علم أنه غني عن الكل، و الكل إليه محتاج[7]، و عن أمره تجري أمورهم، فيعلم أنه ملكهم، ثم يعلم بانفراده بتدبيرهم بعد إبداعهم أنه المستحق للالهية بلا مشارك [له -[8]] ١٠ فيها، فقد أجمع القراء في هذه السورة على إسقاط الألف من "ملك" بخلاف الفاتحة كما مضى لأن الملك إذا إضيف إلى "اليوم" أفهم اختصاصه بجميع ما فيه من جوهر و عرض، و أنه لا أمر لأحد معه و لا مشاركة / في شيء من ذلك، و هو معنى الملك - بالضم، و أما إضافة المالك إلى / ٩٣٢ الناس فانها تستلزم أن يكون ملكهم، فلو قرئ به هنا لنقص المعنى، ١٥ و أطبقوا في آل عمران على إثبات الألف في المضاف و حذفها من المضاف

(١-١) في م: الذي هو (٢) من م، و في الأصل و ظ: الجلال (٣) زيد من ظ و م (٤) من م، و في الأصل: فيضمها، و في ظ: فليضمها (٥) من م، و في الأصل و ظ: من (٦) من ظ و م، و في الأصل: معانيه (٧) من ظ و م، و في الأصل: محتاجون (٨) زيد من م.

إليه لأن المقصود بالسياق أنه سبحانه و تعالى يعطى الملك من يشاء و يمنعه من يشاء، و الملك - بكسر الميم - أليق بهذا المعنى، و أسرار كلام[1] الله سبحانه و تعالى أعظم من أن تحيط بها العقول[2]، و إنما غاية أولى العلم الاستدلال بما ظهر منها على ما وراءه، و أن باديه إلى الخافى يشير.

٥ ولما أكمل الاستعاذة [3]من جميع[3] وجوهها التى مدارها الإحسان أو[4] العظمة أو[4] القهر أو[4] الإذعان و التذلل، ذكر المستعاذ منه فقال: ﴿من شر الوسواس[5]﴾ هو اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة، و المراد الموسوس، سمى بفعله مبالغة لأنه صفته التى هو فى غاية الضراوة عليها كما بولغ فى العادل بتسميته بالعدل، و الوسوسة الكلام الخفى: إلقاء المعانى إلى القلب فى خفاء

١٠ و تكرير، كما أن الكلمة الدالة عليها «و س» مكررة، و أصلها صوت الحلى، و حديث النفس، و همس الكلاب، ضوعف لفظه[6] مناسبة لمعناه[6] لأن الموسوس يكرر[7] ما ينفثه[8] فى القلب [و يؤكده فى خفاء -[9]] ليقبل، و مصدره بالكسر كالزلزال كما قال تعالى " و زلزلوا زلزالا شديدا " و كل مضاعف من الزلزلة و الوضرضة معناه متكرر[10]، و الموسوس[11] من

(١) من ظ و م، و فى الأصل: الكلام (٢) من ظ و م، و فى الأصل: العقل (٣-٣) من م، و فى الأصل: بمجموع، و فى ظ: بمجموعها (٤) من م، و فى الأصل و ظ «و» (٥) من ظ و م، و فى الأصل: لعظمة (٦) من ظ و م، و فى الأصل: معناه (٧) من ظ و م، و فى الأصل: تكرير (٨) من ظ و م، و فى الأصل: ينفثه (٩) زيد من ظ و م (١٠) من ظ و م، و فى الأصل: متكرراه (١١) زيد فى الأصل: أى الوسوسة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

الجن يجرى من ابن آدم مجرى الدم - كما فى الصحيح[1] ، فهو يوسوس بالذنب سرا ليكون أجلى ، و لايزال يزينه و يثير الشهوة الداعية إليه حتى يواقعه الإنسان ، فاذا واقعه وسوس لغيره أن فلانا [فعل -[2]] كذا حتى يفضحه بذلك ، فاذا افتضح ازداد جرأة على أمثال ذلك لأنه يقول : قد وقع ما كنت أحذره من القالة ، فلا يكون شيء غير[4] الذى ٥ كان ، و شره[3] التحبيب إلى الإنسان بما يميل إليه طبعه حتى يشاكله فى رذيلة الطبع و ظلمة النفس ، فينشأ من ذلك شرور لازمة و متعدية أضرها الكبر و الإعجاب اللذان أهلكا الشيطان ، فيوقع الإنسان بها فيما أوقع نفسه فيه ، و ينشأ من الكبر الحقد و الحسد يترشح[5] منه بطر[6] الحق - و هو عدم قبوله ، و منه الكفر و الفسوق و العصيان ، و غمص الناس - ١٠ و هو احتقارهم المعلوم من قول الشيطان "أنا خير منه" و منه تنشأ الاستهانة بأولياء الله تعالى بترك احترامهم و منع حقوقهم و الاعتداء عليهم و الظلم لهم ، و يترشح من الحقد الذى هو العداوة العظيمة إمساك الخير و الإحسان و بسط اللسان و اليد بكل سوء و إيذاء ، و يترشح من الحسد / إفساد ذات البين كما يشير إليه "ما نهاكما ربكما عن هذه ١٥ ٩٣٣ / الشجرة" - الآية ، و الكذب و المخادعة كما عرف به "و قاسمهما إنى لكما لمن

(١) راجع كتاب الخلق و غيره (٢) زيد من ظ و م (٣) من م ، و فى الأصل و ظ : غيره (٤) زيد فى الأصل و ظ : الى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها. (٥) من ظ ، و فى الأصل : فيترشح ، و فى م : يترسخ (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : بطريق .

الناصحين فدلاهما بغرور" و يترشح عن الإعجاب التسخط[1] للقضاء و القدر كما آذن به "قال أأسجد لمن خلقت طينا" و مقابلة[2] الأمر بالعلم بما أشعر به "لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال" و استعمال القياس فى مقابلة النص بما هدى إليه "أنا خير منه" - الآية، و استعمال التحسين ٥ و التقبيح بما أفهمه "لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حماء مسنون" و الإذلال و هو الجرأة على المخالفات فينشأ عن ذلك شرور متعدية، و هى السعى فى إفساد العقائد و الأخلاق و الأعمال و الأبدان و الأرزاق، ثم لا يزال يتحبب إلى الإنسان بما يميل إليه طبعه من هذه الخبائث و هو يوافقه فيها حتى تصير له أخلاقا راسخة، فيصير ردئ الطبع ١٠ فلا ينفع فيه العلاج، بل لا يزيده إلا خبثا كابليس، و من كان أصله طيبا و اكتسب ما يخالفه بسبب عارض كان ممكن الإزالة كالعلاج كما وقع لآدم عليه الصلاة و السلام.

و لما كان الملك الأعظم سبحانه لم ينزل داء إلا أنزل له دواء، و كان قد جعل دواء[3] الوسوسة ذكره سبحانه و تعالى، فانه يطرد الشيطان ١٥ و ينير القلب و يصفيه، وصف سبحانه و تعالى فعل الموسوس عند استعمال الدواء إعلاما بأنه شديد العداوة للانسان ليشتد حذره منه و بعده عنه فقال: ﴿الخناس ۝﴾ أى الذى عادته أن يخنس [4]أى يتوارى[4] و يتأخر

(١) من ظ و م، و فى الأصل: التسح - كذا (٢) من ظ و م، وفى الأصل: مقالة (٣) من م، و فى الأصل و ظ: داء (٤ - ٤) من م، و فى الأصل و ظ: فيتوارى.

ويختفى بعد ظهوره مرة بعد مرة، كلما كان الذكر خنس، و كلما بطل عاد إلى وسواسه، [فالذكر -[1]] له كالمقامع التى تقمع المفسد، فهو شديد النفور منه، ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيلا كما [ورد] عن بعض السلف أن المؤمن ينفى شيطانه كما ينفى الرجل بعيره فى السقر، قال البغوى[2]: له خرطوم كخرطوم الكلب فى صدر الإنسان، و يقال: رأسه كرأس الحية ٥ واضع رأسه على يمين القلب يحدثه، فاذا ذكر الله خنس، و إذا[3] لم يذكر[3] الله رجع و وضع رأسه - [4]خزاه الله تعالى[4].

و لما ذكر صفة المستعاذ منـــه، ذكر إبرازه لصفته بالفعل فقال: ﴿ الذى يوسوس ﴾ أى يلقى [5]المعانى الضارة[5] على وجه الخفاء و التكرير بحيث تصل مفاهيمها من غير سماع، و أشار إلى كثرة و سوسته بذكر[6] ١٠ الصدر الذى هو ساحة القلب و مسكنه فقال: ﴿ فى صدور الناس ﴾ أى المضطربين[7] إذا غفلوا عن ذكر ربهم، فانها دهاليز القلوب منها تدخل الواردات إليها، و ذلك كالقوة الوهمية فان العقل يساعد فى / المقدمات / ٩٣٤ [الحقة -[1]] المنتجة للأمر المقطوع به، فاذا وصل الأمر إلى ذلك[8] خنست الواهمة ريثما يفتر [العقل -[1]] عن النتيجة فترة ما، فتأخذ الواهمة ١٥

(١) زيد من ظ و م (٢) نقلا عن قتادة - راجع المعالم ٧/ ٢٦٩، و زيد بعده فى الأصل: و غيره، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣ - ٣) من ظ و م و المعالم، و فى الأصل: فتر عن ذكر (٤-٤) سقط ما بين الرقمين من ظ و م. (٥-٥) من ظ و م، و فى الأصل: المضار (٦) من ظ و م، و فى الأصل: التكوين (٧) من ظ و م، و فى الأصل: المضطرين (٨) زيد فى الأصل: الحال، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

فى الوسوسة و تقبل [منها -[1]] الطبيعة بما لها بها من مجانسة الظلمة الوهمية، و الناس - قال فى القاموس: يكون من الإنس و من الجن، جمع إنس أصله أناس جمع عزيز أدخل عليه [أل -[1]] - انتهى، و لعل إطلاقه على هذين المتقابلين بالنظر إلى النوس الذى أصله الاضطراب و التذبذب فيكون منحوتا من الأصلين: الإنس و النوس، و من ثالث و هو النسيان.

و لما كان الذى يعلّم الإنسان الشر تارة من الجن و أخرى من الإنس، قال مبينا للوسواس تحذيرا من شياطين الإنس كالتحذير من شياطين الجن، مقدما الأهم الأضر، و يجوز أن يكون بيانا لـ "الناس" و لا تعسف فيه لما علم من نقل القاموس: ﴿من الجنة﴾ أى الجن الذين فى غاية الشر و التمرد و الخفاء ﴿و الناس﴾ أى أهل الاضطراب و الذبذبة[2] سواء كانوا من [3]الإنس أو الجن[3]، فيكون المعنى أن الجن مسلط بعضهم على بعض كما هم مسلطون على الإنس، فيدخل شيطان الجن فى الجنى [كما يدخل فى الإنسى -[1]] و يوسوس له - قاله[4] البغوى[5] عن الكلبى، و قال: ذكر عن بعض العرب أنه [قال -[1]]: جاء قوم من الجن فوقفوا فقيل: من أنتم؟ قالوا[6]: أناس من الجن، قال: و هذا معنى قول الفراء.

---

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الدمد - كذا.
(٣-٣) فى م: الجن أو الإنس (٤) من م، و فى الأصل و ظ: قال (٥) راجع م، و فى الأصل و ظ: فقالوا.

و قد

و قد ختمت السورة بما بدئت به، و المعنى الثانى أوفق برد آخرها على أولها فانه يكون شرحا للناس الذين أضيفت لهم الصفات العلى، و الخواطر الواردة على الإنسان قد تكون وسوسة، و قد تكون إلهاما، و الإلهام تارة يكون من الله بلا واسطة، و تارة يكون بواسطة الملك، و يكون كل منهما فى القلب، و الوسوسة تارة[1] من الشيطان، و أخرى ٥ من النفس، و كلاهما يكون فى الصدر، فان كان الإنسان مراقبا دفع عن نفسه الضار، و إلا هجمت الواردات عليه و تمكنت منه و يتميز[2] خير الخواطر من شرها بقانون الشرع على أن الأمر مشكل، فان الشيطان يجتهد فى التلبيس، فان وافق الشرع فلينظر، فان كان فعله ذلك الحين أولى من [3]غير تفويت[3] لفضيلة أخرى[4] هى أولى منه [بادر إليه -[5]] و إن ١٠ كان الخاطر دنيويا و أدى الفكر إلى أنه نافع من غير مخالفة للشرع زاد على شدة تأمله الاستشارة لمن يثق[6] بدينه و عقله، ثم الاستخارة لاحتمال أن[7] تتوافق عليه العقول، و يكون فيه خلل لتقصير وقع فى النظر، و قد جعل بعضهم قانون الخاطر الرحمانى أن ينشرح له الصدر[8] و يطمئن

(١) زيد فى الأصل : تكون ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : تميز (٣-٣) من م ، و فى الأصل و ظ : التفويت (٤) زيدت الواو فى الأصل : و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها . الأصل : بقوله و يقول ، و تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م ، (٥) زيد من ظ و م (٦) زيد و فى الأصل : انه (٨) من ظ ، و فى الأصل و م : الصدور .

/٩٣٥/ /إليه النفس، و[1] الشيطانى و النفسى أن ينقبض عنده الصدر و تقلق النفس، بشهادة الحديث النبوى فى البر و الإثم، و يعرف الشيطانى بالحمل على مطلق المخالفة، فان الشيطان لاغرض له فى مخالفة بعينها، فاذا حصل الذكر زال ذلك، و النفسانى ملزوم شىء بعينه سواء كان نفعا أو ضرا، و لاينصرف عنه بالذكر، و قد يكون الشيطان إنسيا من أزواج و أولاد و معارف، و ربما كان أضر من شيطان الجن، فدواؤه المقاطعة و المجانبة بحسب القدرة، و من أراد قانونا عظيما لمن يصاحب و من يجانب فعليه بآية الكهف "و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة و العشى يريدون وجهه [2]و لاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا[2] و لاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه و كان أمره فرطا" و كما رجع مقطعها على[3] مطلعها كذلك كان من المناسبات العظيمة مناسبة معناها للفاتحة ليرجع مقطع القرآن على مطلعه، و يلتحم مبدؤه بمرجعه على أحسن وجه، كما تقدم بيان ذلك من سورة قريش إلى هنا سورة سورة، فنظر[4] هذه السورة إلى الفاتحة و التحامها بها من جهة أن الفاتحة اشتملت على ثلاثة أسماء: الله و الرب و الملك، و زادت بكونها أم القرآن بالرحمن الرحيم، لاشتمالها على جميع النعم الظاهرة و الباطنة التى تضمنتها

(١) زيد فى الأصل: اما، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٢-٢) ما بين الرقمين فى الأصل و ظ: الى قوله (٣) زيد فى الأصل: موصلها و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل و م: الى، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

صفة الربوبيـــة ، و سورة الناس على الرب و الملك و الإلٰه الذى هو الأصل[1] فى اسم الجلالة ، و اختصت الفاتحة بالاسم الذى لم[2] يقع فيه شركة أصلا ، فلما تقرر فى جميع القرآن أنه الإلٰه الحق ، و أنه لا شركة لغيره فى الإلٰهية بحق بوجه من الوجوه كما أنه لاشركة فى الاسم الأعظم الذى افتتح به القرآن أصلا بحق و لا بباطل ، ختم القرآن الكريم به ٥ معبرا عنه بالإلٰه لوضوح الأمر و انتفاء اللبس بالكليـــة ، و صار الاختتام مما كان به الافتتاح على الوجه الأجلى و الترتيب الأولى ، و بقى الاسمان الآخران على نظمهما[3] ، فيصير النظم إذا ألصقت آخر الناس بأول الفاتحة « إله ملك رب [الله رب -[4]] رحمٰن رحيم ملك » إعلاما بأن مسمى الاسم الأعظم هو الإلٰه الحق ، و هو الملك الأعظم لأن[5] له الإبداع ١٠ و حسن التربية و الرحمة العامة و الخاصة ، و حاصل سورة الناس الاستعاذة بهذا الرب الموصوف من وسوسة الصدر المثمرة[6] للمراقبة كما أن حاصل سورة[7] الفاتحة فراغ السر من الشواغل المقتضى لقصر/ الهمم عليه سبحانه ٩٣٦/ و تعالى و البقاء فى[8] حضرته الشماء بقصر البقاء عليه و الحكم بالفناء على ما سواه ، و ذلك هو أعلى درجات المراقبة ، فاذا أراد الحق إعانة عبد ١٥ حمله على الاستعانة [بالاستعاذة -[4]] فيسر عليه صدق التوكل ، فحينئذ يصير

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : اصل (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : به .
(٣) من م ، و فى الأصل و ظ : معظمهما (٤) زيد من ظ و م (٥) من م ، و فى الأصل و ظ : ان (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : الثمرة (٧) سقط من م .
(٨) من ظ و م ، و فى الأصل : على .

عابدا صادقا فى العبودية فيكون إلهه سمعه الذى يسمع به، و بصره الذى يبصر به، و يده التى يبطش بها، و رجله التى يمشى بها، و ينبغى أنه كلما زاده سبحانه و تعالى تقربا ازداد له عبادة حتى ينفك من مكر الشيطان بالموت كما قال تعالى لأقرب خلقه إليه محمد صلى الله عليه وسلم ٥ "و اعبد ربك حتى ياتيك اليقين" و من نقص من الأعمال شيئا اعتمادا على أنه وصل فقد تزندق، و كان مثله مثل [شخص فى -[2]] بيت مظلم أسرج فيه سراجا فأضاء، فقال: ما أوقدت السراج إلا ليضىء البيت[3] فقد أضاء، فلا حاجة لى الآن إلى السراج، فأطفأه فعاد الظلام كما كان، و قد ندب النبى صلى الله عليه و سلم إلى افتتاح القرآن بعد ١٠ ختمه كما أشار إليه اتصال المعنى بما بينته، و سمى ذلك الحال المرتحل، و كأن القارئ ذكر بالأمر بالاستعاذة إرادة[4] افتتاح قراءته، فكأنه قيل: استعذ يا من ختم القرآن العظيم لتفتتحه، و كأنه لما استعاذ بما أمر به فى هذه السورة قيل له: ثم ما ذا تفعل؟ فقال: أفتتح، أو أنه لما أمر بالاستعاذة قال: ماذا[5] أفعل؟ فقيل: افتتح بسم الله الرحمن الرحيم الذى ١٥ تجب مراقبته عند خواتم الأمور و فواتحها، لأنه لا يكون أمر إلا به، أو أن البسملة مقول القول فى "قل" على سبيل البدل من "أعوذ" أو بدل من "برب الناس" [6]وكأنه[6] أمر بالتعوذ، [و التسمية أمر بالدفع

(١) سقط من ظ و م (٢) زيد من ظ و م (٣) من ظ و م، و فى الأصل: المكان (٤) من ظ و م، و فى الأصل: اراد (٥) فى ظ: ما (٦ - ٦) من ظ و م، و فى الأصل: او انه.

و الجلب ، و ذلك لأنه لما أمر بهذا التعوذ - [1] و كان قد قال سبحانه " فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم " علم أن المراد ابتداؤه بالقرآن فنسبتها[2] إلى الفاتحه نسبة المعلول إلى علته ، فكأنه قيل : استعذ بهذا الرب الأعظم الذى لاملك[3] و لإله غيره لأن له الحمد ، و [هو -[1]] الإحاطة بكل شيء ، فهو القادر على كل شيء ، فهو القاهر لكل ٥ شيء فيه المعاد و هو الملجأ و المفزع لا إله إلا هو ، فان الاسم هو الوصف و المراد به الجنس ، فمعنى بسم الله أى بوصفه أو بأوصافه الحسنى ، و الحمد هو الثناء بالوصف الجميل ، فكأنه قيل : أعوذ برب الناس بأوصافه الحسنى لأن [له -[1]] الحمد و هو جميع الأوصاف الحسنى فان البدء[4] فيه يحتاج إلى قدرة[5] ، فله القدرة التامة ، أو إلى علم فالعلم صفته ، أو كرم فكذلك[6] ، ١٠ و الحاصل أنه كأنه[7] [قيل -[1]] : تعوذ به من الشيطان بما له من الاسم الذى لم يسامه فيه أحد لكونه جامعا لجميع الأسماء الحسنى أى الصفات التى لايشوبها نقص خصوصا صفة الرحمة العامة / التى شملتنى أكنافها ، ٩٣٧ / و أقامنى اسعافها ، ثم الرحمة الخاصة التى أنا أجدر الناس باستمطارها

(١) زيد من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فنسبته (٣) زيد فى الأصل : إلا له : و فى ظ : له ، و لم تكن الزيادة فى م فحذفناها (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : المبدوا - كذا (٥) زيد فى الأصل : الله تعالى ، ولم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٦) من ظ و م ، و فى الأصل : فلذلك (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : كان .

لما عندى من النقص المانع لى منها و المبعد لمن اتبع الحظوظ عنها، فأسأله أن يجعلنى من أهلها، و يحملنى فى الدارين بوصلها، لأكون من أهل رضاه، فلا أعبد إلا إياه، و ذلك أن تقرر الاتصال و الالتحام بوجه آخر ظاهر الكمال بديع النظام فتقول: لما قرب التقاء نهاية الدائرة السورية آخرها بأولها و مفصلها بموصلها اشتد تشاكل الرأسين، فكانت هذه السور الثلاث الأخيرة مشاكلة للثلاث الأولى[1] فى المقاصد، و كثرة الفضائل و الفوائد: الإخلاص بسورة التوحيد آل عمران، و هو وا ، و الفلق للبقرة طباقا و وفاقا، فان الكتاب الذى هو مقصود سورة البقرة خير الأمر، فهى للعون بخير الأمر، و الفلق للعوذ[2] من شر الخلق المحصل لكل خير، و فى البقرة "أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين" "يعلمون الناس السحر" - الآيات، "ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم" [الآية -[3]]، و الناس للفاتحة، فانه إذا فرغ الصدر الذى هو مسكن القلب الذى هو مركب الروح الذى هو معدن العقل كانت[4] المراقبة. فكان ذلك بمنزلة تقديس النفس بالتوحيد و الإخلاص، ثم الاستعاذة من [5]كل شر[5] ظاهر و من كل سوء باطن للتأهل لتلاوة سورة المراقبة[6] بما دعا إليه الحال المرتحل و ما بعدها

(١) من ظ و م، و فى الأصل: للاولى (٢) من ظ و م، و فى الأصل: للتعوذ.
(٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كانه (٥ - ٥) من ظ و م، و فى الأصل: شر كل (٦) زيد فى الأصل: بما دعت إليه سورة المراقبة، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها.

من الكتاب، على غاية من السداد و الصواب، و كأنه اكتفى أولا بالاستعاذة المعروفة كما يكتفى فى أوائل الأمور بأيسر مأمور، فلما ختم الختمة جوزى بتعوذ من القرآن، ترقية إلى مقام الإحسان، فاتصل الآخر بالأول أتى اتصال بلا ارتياب، و اتحد به كل اتحاد - إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب، هذا ما يسره الله من مدلولات نظومها و جملها، بالنسبة ٥ إلى مفهوماتها[1] و عللها، و بقى النظر إلى ما يشير إليه أعداد كلماتها، بلطائف[2] رموزها و إشاراتها، فهى عشرون كلمة توازيها إذا حسبت من أول النبوة سنة عمرة القضاء و هى السابعة من الهجرة، بها تبين[3] الأمن مما وسوس به الشيطان سنة عمرة الحديبية من أجل رؤيا النبى صلى الله عليه و سلم لدخول البيت و الطواف به، فاذا ضممت إليها الضمائر الثلاث ١٠ كانت[4] ثلاثا و عشرين فوازت السنة العاشرة من الهجرة و هى سنة حجة الوداع و هى القاطعة لتأثير وسواس الشيطان الذى كان فى أول السنة الحادية عشرة / عند موت النبى صلى الله عليه و سلم إلى العرب بأمر الردة[5]، فأعاذ الله من شره بهمة الصديق رضى الله تعالى عنه حتى رد الناس إلى الدين و أزال به وسواس[6] الشياطين المفسدين، [فانتظمت كلمة المسلمين - [7]] ١٥ / ٩٣٨

(١) من ظ و م، و فى الأصل: مدلولها (٢) من ظ و م، و فى الأصل: بطائف (٣) من م، و فى الأصل و ظ: تين (٤) من ظ و م، و فى الأصل: كانتا (٥) زيد فى ظ: فاستطعت (٦) زيد فى الأصل: الشيطان و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) زيد من ظ و م.

تصديقا لقول النبي صلى الله عليه و سلم فى حجة الوداع « إن الشيطان قد أيس أن يعبد فى جزيرة العرب بعد اليوم » فاذا ضممت إليها كلمات البسملة صارت سبعا و عشرين توازى سنة استحكام أمر عمر بن الخطاب الفاروق رضى الله عنه الذى ما سلك فجا إلا سلك الشيطان فجا غيره، و ذلك سنة أربع [عشرة -[1]] من الهجرة، هذا بالنظر إلى كلماتها، فان نظرت إليها من جهة الحروف كانت لها أسرار كبرى من جهة أخرى، منها أن كلماتها مع كلمات الفاتحة انتظمت من ستة و عشرين حرفا و هى ما عدا الثاء المثلثة و الزاء و الظاء المعجمة من حروف المعجم التسعة [و العشرين كل واحدة منهما من اثنين و -[2]] عشرين حرفا اشتركتا[3] فى ثمانية عشر[4] منها، و اختصت كل [واحدة -[1]] منهما[5] بأربعة: الفاتحة بالحاء و الطاء المهملتين، و الضاد و الغين المعجمتين، و الناس بالجيم و الخاء و الشين المعجمتين[6] و الفاء، و قال ابن ميلق: سقط من الفاتحة سبعة أحرف « ثج خز شظف » - انتهى، فلعل فى ذلك - و الله أعلم - إشارة إلى [أن -[3]] تكامل نزول القرآن من أوله إلى آخره فى عدد الحروف التى اشتمل [عليها -[1]] كل من سورتى أوله و آخره من السنين و ذلك اثنان و عشرون، و الثالثة و العشرون سنة القدوم على منزله[7]

(١) زيد من ظ و م (٢) زيد من م (٣) من م، و فى الأصل و ظ: اشتركا. (٤) زيد فى الأصل: حرف، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥) سقط من م (٦) من ظ و م، و فى الأصل: المعجمات (٧) من ظ و م، و فى الأصل: منزه له.

الحى القيوم سبحانـــه و تعـالى ما أعظم شأنه، و أعز سلطانـــه، و أقوم برهانه .

قال مؤلفه رحمه الله تعالى : و هذا تمام[1] ما أردته[2] من نظم الدرر من تناسب الآى و السور ، ترجمان القرآن مبدى مناسبات الفرقان، التفسير الذى لم تسمح الأعصار بمثله ، و لا فاض [عليها -[3]] من التفاسير ٥ على كثرة أعدادها كصيب وبله ، فرغته فى المسودة يوم الثلاثاء سابع شعبان سنة خمس و سبعين و ثمانمائة ، بمسجدى من رحبة[4] باب العيد بالقاهرة المغرية ، و كان ابتدائى فيه فى شعبان سنة [إحدى و ستين، فتلك أربع عشرة سنة كاملة ، و فرغته فى هذه المبيضة عصر يوم الأحد عاشر شعبان سنة -[5]] اثنتين [و ثمانين -[3]] و ثمانمائة ، بمنزلى الملاصق للمدرسة[6] البادرائية ١٠ من دمشق ، فتلك اثنتان و عشرون[7] سنة بعدد سنى النبوة الزاهرة الأنيسة العلية الطاهرة المباركة الزكية ، و لولا معونة[8] الله أضحى معدوما ، أو ناقصا مخروما ، فانى بعد ما توغلت فيه [9]واستقامت[9] لى مبانيه، فوصلت إلى قريب [من -[3]] نصفه ، فبالغ [الفضلاء -[3]] فى وصفه

(١) من م ، و فى الأصل وظ : آخر (٢) من م ، وفى الأصل وظ : اوردته. (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : رحمة (٥) زيد من م. (٦) من م ، و فى الأصل و ظ : المدرسة (٧-٧) من ظ و م ، و فى الأصل : اثنان وسبعون (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : معرفة (٩-٩) من ظ و م ، و فى الأصل : فاستقامت .

بحسن سبكه و غزارة معانيه و إحكام رصفه، دب داء الحسد فى جماعة أولى النكد، / و المكر و اللدد، يريدون[1] الرئاسة بالباطل، و كل منهم من جوهر العلم عاطل، مدّ ليل الجهل فيهم ظلامه، و أثار نقع السفه على رؤسهم سواده و قتامه، صوبوا سهام الشرور، و الأباطيل و أنواع الزور، فأكثروا التشييع بالتشنيع، و التقبيح و التبشيع، و التخطئة و التضليل، بالنقل من التوراة و الإنجيل، فصنفت فى ذلك الأقوال القويمة، فى حكم النقل من الكتب القديمة، بينت فيه أن ذلك سنة مستقيمة، لتأييد الملة الحنيفية العظيمة، و أخرجت بذلك [نص -[2]] الشافعى، و كلام النووى و الرافعى، و استكتبت على الكتاب: العلماء الأنجاب، فكتبوا ما أودعته [«مصاعد -[2]] النظر للاشراف على مقاصد السور» فأطفأ الله[3] نارهم[4]، و أظهر عوارهم، و شهر خزيهم و عارهم، [5]ثم قاموا[5] فى بدعة دائم[6] المعروف، فصنفت فيها القول المعروف، و بينت مخالفتهم للكتاب و السنة، و وقوعهم فى عين الفتنة، و خرقهم لأعظم الجنة، و صريح [نص -[2]] الشافعى و نقول العلماء، فكانوا كمن ألقم الحجر[7] أو[8] ملئ فمه بالماء، ثم قاموا فى فتنة ابن الفارض، و كلهم معاند معارض،

/ ٩٣٩

(١) من ظ و م، و فى الأصل: يرون (٢) زيد من ظ و م (٣) زيد فى الأصل: لهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٤) زيد فى الأصل و ظ: و اظلم به نورهم، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٥ - ٥) من م، و فى الأصل و ظ: فقاموا (٦) من م، و فى الأصل و ظ: دعا - كذا (٧) فى ظ: الحجر (٨) فى م «و».

و ألبوا علىّ رعاع الناس، فاشتد شعاع البأس، فكادوا أن يطبقوا على الانعكاس، و صوّبوا[1] طريق الإلحاد، و بالغوا فى الرفع من أهل الاتحاد، و لجوا بالخصام[2] فى العناد، و أفتوا[3] بمحض الباطل، و بثوا السم القاتل، إلا ناسا قليلا، كان الله بنصرهم على ضعفهم كفيلا، فسألتهم سؤالا، جعلهم ضلالا جهالا، فتداولوه فيما بينهم و تناقلوه و عجزوا عن جوابه ٥ بعد أن راموه أشد الروم، و حاولوه فظهر لأكثر الناس حالهم، و اشتهر بينهم ضلالهم، و غيهم الواضح و محالهم، و صنفت فى ذلك عدة[4] مصنفات، بانت فيها مخازيهم و ظهرت المخبآت، منها «صواب الجواب للسائل المرتاب» و منها «القارض لتكفير ابن الفارض» و منها «تدمير المعارض فى تكفير ابن الفارض» و منها «تنبيه الغبى على تكفير ابن ١٠ عربى» و منها «تحذير [العباد -[5]] من أهل العناد ببدعة[6] الاتحاد» أنفقت فيها عمرا مديدا، و بددوا فيها أوقاتى - بددهم الله تبديدا، و هدد أركانهم و أعضادهم تهديدا، و قرعتهم بالعجز عن الجواب، الكاشف للارتياب، صباحا و مساء، و إعادة و إبداء، فحملهم التقريع، و التوبيخ و التبخيع، على كتابة جواب، لم يخل من ارتجاج و اضطراب[7]، و شك ١٥

(١) من م، و فى الأصل: صبوا، و فى ظ: ضربوا (٢) من ظ و م، و فى الأصل: فى الخصام (٣) من ظ و م، و فى الأصل: اتوا (٤) سقط من ظ.
(٥) زيد من ظ و م (٦) زيد فى الأصل: اهل الالحاد و، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٧) من ظ و م، فى الأصل: ارتياب.

و ارتياب ، [1]بينت أن[1] جامعه [أخطأ -[2]] فى جميعه الصواب ، و كفر[3] فى أربعة مواضع كفرا صريحا ، و كذب[4] فى ثمانية فصار [بذلك -[5]] جريحا ، بل هالكا طريحا . فأطلت بذلك التقريع ، و التوبيخ و التبشيع ، فذلت أعناقهم ، / و ضعف شقاقهم[6] ، و خفى نفاقهم ، غير أنه حصل فى كل /٩٤٠ واحدة من هذه الوقائع ، من الشرور و عجائب المقدور ، ما غطى ظلامه الشموس الطوالع . و طال الأمر فى ذلك سنين ، و عم الكرب حتى كثر الأنين ، و التضرع فى الدعاء و الحنين . و ثبّت الله و رزق الصبر و الأناة حتى أكمل هذا الكتاب ، على ما تراه من الحسن و الصواب .

و قد قلت مادحا للكتاب المذكور ، بما أبان عنه[7] من عجائب المقدور ، و غرائب الأمور ، شارحا لحالى ، و حالهم و ظفر آمالى ، [و -[2]] خيبة آمالهم من مجزوء الرجز ، و ضربه مقطوع ، و القافية متواتر مطلق مجرد ، مسميا له بـ «كتاب لمّا» لأن جل مقصوده بيان ارتباط الجمل بعضها ببعض حتى أن كل جملة تكون آخذة بحجزة[8] ما أمامها متصلة بها ، و ذلك هو المظهر المقصود من الكلام و سره و لبابه ، الذى هو [للكلام -[2]] بمنزلة الروح و بيان معانى المفردات ، و كل جملة على حيالها بمنزلة الجسد ، فالروح هو المقصود الأعظم يدرك ذلك من يذوق

(١-١) من ط و م ، و فى الأصل : بينتان - كذا (٢) زيد من ظ و م . (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : كفروا (٤) فى ظ : كفر (٥) زيد من م ، وموضعه فى ظ : فى ذلك (٦) فى الأصل بياض ملأناه من ظ و م (٧) من ظ و م ، و فى الأصل : منه (٨) من ظ و م ، و فى الأصل : معجزة .

و يفهم، و يسرى ذهنه فى ميادين التراكيب[1] و يعلم، و «لما» طرف يراد بها ثبوت الثانى مما دخل عليه بثبوت الأول على غاية المكنة بمعنى أنها كالشروط تطلب جملتين[2] يلزم لذلك الملزوم، فتم الكتاب فى هذا النظم بـ «لما» لأنى أكثرت من استعمالها فيه لهذا الغرض:

هـذا كتاب لما لم المعانى لما ٥
غدت بحور علمه تمد مدا جما
[بشرت من يحسده بأن يموت غما -[3]]
فان قصدى صالح جاهدت فيه الهما
فربنا يقبله كيفية و كما
فبالذى أردته لقد أحاط علما ١٠
كابدت فيه زمنا من حاسدى ما غما
عدوا[4] سنين عددا يسقون قلبى السما
و كم دهونى مرة و كم رمونى سهما
و أوسقوا[5] قلبى أذى و أوسعونى ذما
و كم بغونى[6] عثرة فما رأوا لى جرما ١٥
و فتروا من قاصدى همهمة و عزما

(١) من ظ و م، و فى الأصل: التركيب (٢) من ظ و م، و فى الأصل: الجملتين (٣) زيد من م (٤) من ظ و م، و فى الأصل: عمدوا (٥) من ظ و م، و فى الأصل: سقوا (٦) من ظ و م. و فى الأصل: بغوا لى.

و أوعدوهم بالأذى و أوهنوهم رجما
ألقى إذا اشتد لظى أذى[1] اذا هم رجما
ألقى إذا الليل دجا و بالبلا ادلهما
إذا هم و ظلمهم بدعوة[2] فى الظلما
٩٤١/ ٥ / أستصرخ الله بهم أقول يا اللهما
يا رب إنى جاهد فافرج إلهى الغما
لا ذنب لى عندهم إلا الكتاب لما
جرت ينابيع الهدى منه فصارت يما
صنعته و فى بحو رعلمه ما طما
١٠ و قد علا[3] تركيبه و عاد يحلو نظما
عملته نصيحة لمن يحب العلما
أودعته فرائدا[4] يرقص منه الفهما
تجلو العمى من لطفها و تسمع الأصما
خص نفيس علمها و للأناسى عما
١٥ تنطق من تغنى بها و إن يكونوا[5] بكما
أفعالها جليلة أعيذها بالأسما
سهل ربى أمره علىّ حتى تما

(١) سقط من ظ و م (٢) من ظ و م ، و فى الأصل : فى دعوة (٣) من ظ و م ، و فى الأصل : عا (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : فوائدا (٥) من ظ و م ، و فى الأصل : يكون .

فى أربع و عشرة من السنين صما[1]
قال لسان عدها دونك بدرا تما
و ليس يلغى[2] ناقصا يا صاحبى يوما
أعيذه بالمصطفى من شر وغد ذما
و من حسود[3] قد غدا من أجله مهتما ٥
فليس يبغى ذمه إلا بغيضا أعما
كفاه ربى شرهم و زان منه الأسما
و ردّ فى تدبيرهم تدميرهم و الغرما
[و ردّهم بغيظهم لما ينالوا غلما - [4]]
و زاده سعادة و لازمته النعما ١٠

قال ذلك منشيه أحوج الخلائق إلى عفو الخالق أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن على بن أبى بكر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى قائلا : الحمد لله رب العالمين و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا دائما[5] أبدا إلى يوم الدين ، و حسبنا الله و نعم الوكيل .

[و كان الفراغ من هذا الجزء على يد أقل عبيد الله و أحوجهم إلى ١٥ لطف الله و عفوه عبد الكريم بن على بن محمد المحولى الشافعى نزيل بلد

(١) من ظ و م ، و فى الأصل : عما (٢) من م ، و فى الأصل : يكفى ، و فى ظ : يلفى (٣) من ظ ، و فى الأصل و م : حسد (٤) زيد من م (٥) سقط من ظ و م .

الله الحرام - غفر الله له و لوالديه و لمشايخه و للمسلمين - . . . بمكة المشرفة فى يوم السبت المبارك السادوس و العشرين من شهر صفر الخير سنة أربع و أربعين و تسعمائة ، و قد تجاوز سنى الآن خمسة و سبعين عاما - أسأل الله حسن الخاتمة و الثبات على دين الإسلام و الوفاة بأحد حرميه بمنه ، و صلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما كثيرا دائما أبدا إلى يوم الدين و حسبنا الله و نعم الوكيل -[1]] و لاحول و لاقوة إلابالله العلى العظيم .

/ و قال بعض تلامذة المصنف و هو العرس خليل بن موسى المقرئ مادحا[2] للكتاب المذكور المسمى بـ « لما » : /٩٤٢

برهان دين [الله -[3]] أضحى موضحا أسرار قول الله فى القرآن
و أتى بما ترك الورى من بعده تمشى الورا أبدا مدى الأزمان
فن ادعى نسجا على منواله فقد ادعى ما ليس فى الإمكان
و إذا المفسر[4] رام يوما أنه بمثاله يأتى بلا إذعان
قلنا له فسر و قايس بعد ذا و لنا الدليل عليك بالبرهان

* * *

و كان الفراغ من نسخ هذا النصف الأخير من الكتاب المسمى بـ « لما » مناسبات القرآن العظيم على من أنزل عليه أفضل الصلاة و السلام فى

(١) زيدت العبارة المحجوزة من م (٢) زيد فى الأصل : له أى ، و لم تكن الزيادة فى ظ و م فحذفناها (٣) زيد من ظ و م (٤) من ظ و م ، و فى الأصل : المضر - كذا (٥) و العبارة من هنا إلى النهاية ساقطة من ظ و م .

الليلة الثالثة عشرة من شهر جمادى الأولى من شهور سنة سبع و تسعين و ألف على يد أحقر العباد، و أحوجهم إلى مغفرة ربه الجواد، محمد بن أحمد البدرشيني بلدا، الشافعي مذهبا، مصليا و مسلما على أفضل و أكمل و أجمل خلق الله محمد بن عبد الله بن عبد المطلب و على آله و أصحابه و أزواجه و ذريته و أهل بيته الطيبين الطاهرين صلاة و سلاما دائمين متلازمين بدوام ملك الله و لاحول و لاقوة إلا بالله العلي العظيم، و حسبنا الله و نعم الوكيل آمين آمين .

إن تلق عيبا فلا تعجل بسبك لى إنى امرؤ لست معصوما من الزلل

خاتمة الطبع

لقد تم ـ و الحمد لله ـ طبع الجزء الثانى و العشرين من تفسير "نظم الدرر فى تناسب الآى و السور" ـ و به تم الكتاب ـ للشيخ العلامة برهان الدين أبى الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى الشافعى رحمه الله تعالى يوم الاثنين ٦/ ذى الحجة سنة ١٤٠٤ هـ = ٣/ سبتمبر سنة ١٩٨٤ م، تحت إشراف مدير الدائرة و سكرتيرها صاحب الفضيلة السيد شرف الدين أحمد ـ قاضى المحكمة العليا سابقا بارك الله جهوده، و ضاعف له أجوره.

و تولى مهمة تصحيحه و التعليق عليه مصحح الدائرة أخى الفاضل محمد عمران الأعظمى الأنصارى العمرى (أفضل العلماء ـ جامعة مدراس) و قام بقراءة ملازمه مصحح الدائرة السيد الفاضل القاضى محمد عطاء الله النقشبندى القادرى (كامل الجامعة النظامية) ـ حفظهما الله.

و اهتم بتنقيحه و إنهائه خادم العلم و العلماء مقدم هـذه الخاتمة ـ كان الله له و لوالديه.

و نهائيا نسأل الله مولانا الكريم أن ينفعنا به و يوفقنا لما يحبه و يرضاه، وهو المسؤل لحسن الخاتمة، و نصلى و نسلم على من علم فواتح الخير و خواتمه سيدنا و مولانا محمد و على آله و صحبه أجمعين، و آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

المستمسك بحبل الله المتين

المفتى محمد عظيم الدين

رئيس قسم التصحيح بدائرة المعارف العثمانية